إتحاف

السادة المتقين

بشرح

إحياء علوم الدين

للعلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الإحياء في بعض مواضع شرحه، فتثبيتاً للفائدة أدرجنا "أحياء علوم الدين" كاملاً في أعلى الصفحة وفي الأسفل ما جاء به الشارح.

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

إلى والدي صالح رحمه الله
ابنتك أمل

إتحاف السادة المتقين

بشرح

إحياء علوم الدين

تصنيف

العلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي
الشهير بمرتضى
المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ

تنبيه

حيث تحقق أن الشارح لم يستكمل جميع الإحياء في بعض مواضع شرحه فتنبيهاً للفائدة أدرجنا إحياء علوم الدين كاملاً في أعلى الصفحة وفي الأسفل ما جاء به الشارح

الجزء الأول

مقدمة الشارح ، كتاب العلم

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

فهرس الجزء الأول
من إتحاف السادة المتقين

الموضوع — الصفحة

مقدمةالشارح ٣
بيان الكتب التي أخذ منها ونقل واستفاد ٤
الأحوال المتعلقة بمصنف هذا الكتاب وهي مشتملة على أحد وعشرين فصلاً وخاتمة ٨
الفصل الأول: في ترجمة المصنف رحمه الله تعالى ٨
الفصل الثاني: في بيان مولده وشيء من أخبار نشأته ٩
الفصل الثالث: في بيان مبدأ طلبه للعلم ٩
الفصل الرابع: في بيان ما آل إليه أمره ١٠
الفصل الخامس: في ثناء الأكابر عليه من مشايخه وممن عاصره وممن أتى بعده ١٢
الفصل السادس: في ذكر شيء من كراماته ١٤
الفصل السابع: في انتقاله من دار الدنيا إلى دار الآخرة ١٤
الفصل الثامن: في ذكرشيء مما رثي به بعد موته ١٥
الفصل التاسع: في ذكر شيء من رسائله ومكاتباته إلى أصحابه ١٦
الفصل العاشر: في ذكر شيء من فتاويه غير ما تضمنته فتاويه المشهورة ١٩
الفصل الحادي عشر: في بيان حال المنتسب إليه ٢٤
الفصل الثاني عشر: في بيان من تكنى بأبي حامد من شيوخ مذهبه قبله ٢٥
الفصل الثالث عشر: في شيوخه في الفقه والتصوف والحديث ٢٦
الفصل الرابع عشر: في تفصيل ما سمع من هؤلاء ورواه عنهم ٢٦
الفصل الخامس عشر: في ذكر شيء من كلماته المنثورة البديعة مما نقلتها
من طبقات المناوي وغيرها ٢٩
الفصل السادس عشر: في بيان شيء من الشعر المنسوب له وما أنشده لنفسه ٣٣
الفصل السابع عشر: في بيان بعض ما اعترض عليه والجواب عنه ٣٥
الفصل الثامن عشر: في بيان كونه مجدداً للقرن الخامس ٣٥
الفصل التاسع عشر: في ذكر مصنفاته التي سارت بها الركبان ٣٧

الموضوع **الصفحة**

ذكر طعن أبي عبد الله المازري وأبي الوليد الطرطوشي وغيرهما فيه والجواب عن ذلك ٣٨
عود وانعطاف إلى بيان ما يتعلق بكتاب الإحياء ٥٥
عود وانعطاف إلى ذكر بقية مصنفاته ٥٦
الفصل العشرون: في بيان من تلمذ عليه وتفقه به وصحبه وروى عنه، وفي أثناء ذلك نورد بعض أسانيدنا إلى المصنف ٦٠
الفصل الحادي والعشرون: في الاعتذار عن المصنف في إيثاره الرخصة والسعة في النقل ٦٥
خاتمة الفصول: في بيان الجرح والتعديل ٦٩

خطبة الكتاب ٧٥
الكلام على البسملة ٧٥

(كتاب العلم وفيه سبعة أبواب) ٩٥

الباب الأول: في فضل العلم والتعليم وشواهده من النقل والعقل ٩٨
فضيلة العلم ٩٩
فضيلة التعلم ١٤٢
فضيلة التعليم ١٥٧
الشواهد العقلية على فضل العلم ١٨٦

الباب الثاني: في العلم المحمود والمذموم وأقسامها وأحكامها ١٩٩
بيان العلم الذي هو فرض عين ١٩٩
بيان العلم الذي هو فرض كفاية ٢٢٢

الباب الثالث: فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها ٣٤١
بيان علة ذم العلم المذموم ٣٤١
بيان ما بدل من ألفاظ العلوم ٣٦٥
اللفظ الأول: الفقه ٣٦٥
اللفظ الثاني: العلم ٣٧٤
اللفظ الثالث: التوحيد ٣٧٥
اللفظ الرابع: الذكر والتذكير ٣٨٢
الكلام على الشطح ٣٩٨
اللفظ الخامس: الحكمة ٤١٨
بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة ٤٢٣

الموضوع | الصفحة

الباب الرابع: في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها ٤٤٥
بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف ٤٥٢
بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق ٤٧٠
الباب الخامس: في آداب المتعلم والمعلم ٤٩٣
آداب المتعلم ووظائفه كثيرة تنظم تفاريقها عشر جمل ٤٩٣
الوظيفة الأولى: تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف ٤٩٣
الوظيفة الثانية: أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ٥٠٢
الوظيفة الثالثة: أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم ٥٠٤
الوظيفة الرابعة: أن يحترز الخائض في العلم في مبدأ الأمر عن الإصغاء إلى اختلاف الناس . ٥١٥
الوظيفة الخامسة: أن لا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودة ولا نوعاً من أنواعه إلا وينظر فيه ٥١٩
الوظيفة السادسة: أن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة ٥٢٢
الوظيفة السابعة: أن لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله ٥٢٧
الوظيفة الثامنة: أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم ٥٢٧
الوظيفة التاسعة: أن يكون قصد المتعلم في الحال تخلية باطنه وتجميله بالفضيلة ٥٢٩
الوظيفة العاشرة: أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد ٥٣٢
بيان وظائف المرشد المعلم ٥٤٣
الوظيفة الأولى: الشفقة على المتعلمين ٥٤٦
الوظيفة الثانية: أن يقتدي بصاحب الشرع ﷺ ٥٤٩
الوظيفة الثالثة: أن لا يدع من نصح المتعلم شيئاً ٥٥٢
الوظيفة الرابعة: أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق ٥٥٥
الوظيفة الخامسة: ان المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه ٥٥٧
الوظيفة السادسة: أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ٥٥٨
الوظيفة السابعة: أن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى إليه الجلي اللائق به ٥٦٣
الوظيفة الثامنة: أن يكون المعلم عاملاً بعلمه ٥٦٥
الباب السادس: في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء ٥٦٩
الباب السابع: في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه ٧٤٣
بيان شرف العقل ٧٤٣

الموضوع **الصفحة**

بيان حقيقة العقل وأقسامه ٧٥٩
بيان تفاوت الناس في العقل ٧٧٢
تتمات ختم بها الشارح كتاب العلم ٧٨١
الأولى: بيان منازل العقل واختلاف أسبابها بحسبها ٧٨١
الثانية: أشار المصنف إلى فضائل العقل الكثيرة ٧٨٢
الثالثة: العقل المكتسب ضربان، أحدهما التجارب الدنيوية والثاني المعارف الإلهية ٧٨٢
الرابعة: المعقول اختلف فيه هل هو مصدر أو صفة ٧٨٢
الخامسة: في بيان منازعة الهوى للعقل ٧٨٣
السادسة: في الفرق بين ما يسومه العقل وما يسومه الهوى ٧٨٤
السابعة: قال بعض الحكماء: خير ما أعطي الإنسان عقل يردعه، فإن لم يكن فحياء يمنعه... الخ ٧٨٥
الثامنة: أورد المصنف في فضل العقل أحاديث غالبها من كتاب داود بن المحبر ٧٨٥
التاسعة: قال الزين العراقي: وهذه الأحاديث... الخ ٧٨٧
الفهرس ٧٨٩

فهرس الجزء الثاني من إتحاف السادة المتقين

الموضوع	الصفحة
مقدمة لشرح كتاب قواعد العقائد	٣
الفصل الأول: في ترجمة إمامي السنة أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي	٤
الفصل الثاني: إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية	٨
الفصل الثالث: في تفصيل ما أجمل آنفاً من ذكر المسائل المختلف فيها بين الأشاعرة والماتريدية ليكون المطالع لها على بصيرة	١٦
الفصل الرابع: المسائل التي تلقاها الإمامان الأشعري والماتريدي هي أصول الأئمة	١٨
الفصل الخامس: قال السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب... الخ	١٩
الفصل السادس: اعلم أنه قد اصطلح أهل هذا الفن على ألفاظ فيما بينهم	٢٠
الفصل السابع: اعلم أن الكتب الموضوعة في هذا الفن الذي هو علم العقائد على نوعين... الخ	٢١
(كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول)	٢٥
الفصل الأول: في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام	٢٥
الفصل الثاني: في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد	٦٤
الفصل الثالث: في لوامع الأدلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس وفيه أربعة أركان	١٣٩
الركن الأول من أركان الإيمان في معرفة ذات الله تعالى، ومداره على عشرة أصول	١٤٣
الأصل الأول: معرفة وجوده تعالى... الخ	١٤٣
الأصل الثاني: العلم بأن الله تعالى قديم لم يزل... الخ	١٥٤
الأصل الثالث: العلم بأنه تعالى مع كونه أزلياً أبدياً... الخ	١٥٨
الأصل الرابع: العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز... الخ	١٦٠
الأصل الخامس: العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر... الخ	١٦١
الأصل السادس: العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم... الخ	١٦٣
الأصل السابع: العلم بأن الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات... الخ	١٦٧
الأصل الثامن: العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى... الخ	١٧١
الأصل التاسع: العلم بأنه تعالى مع كونه منزهاً عن الصورة والمقدار، مقدساً عن الجهات والأقطار، مرئي بالأعين والأبصار في الدار الآخرة... الخ	١٨٢

الموضوع **الصفحة**

الأصل العاشر: العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له... الخ ٢٠١
الركن الثاني: العلم بصفات الله تعالى، ومداره على عشرة أصول ٢١٦
الأصل الأول: العلم بأن صانع العالم قادر... الخ ٢١٧
الأصل الثاني: العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات... الخ ٢١٩
الأصل الثالث: العلم بكونه عز وجل حياً... الخ ٢٢٠
الأصل الرابع: العلم بكونه تعالى مريداً لأفعاله... الخ ٢٢٢
الأصل الخامس: العلم بأنه تعالى سميع بصير... الخ ٢٢٦
الأصل السادس: أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام... الخ ٢٢٩
الأصل السابع: أن الكلام القائم بنفسه قديم... الخ ٢٣٨
الأصل الثامن: أن علمه قديم فلم يزل عالماً بذاته... الخ ٢٤٢
الأصل التاسع: أن إرادته قديمة... الخ ٢٤٣
الأصل العاشر: أن الله تعالى عالم بعلم حيّ بحياة... الخ ٢٤٤
الركن الثالث: العلم بأفعال الله تعالى، ومداره على عشرة أصول ٢٥٠
الأصل الأول: العلم بأن كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه... الخ ٢٥٦
الأصل الثاني: أن انفراد الله سبحانه وتعالى باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد... الخ ٢٦١
الأصل الثالث: أن فعل العبد وإن كان كسباً للعبد فلا يخرج عن كونه مراداً لله... الخ ٢٧١
الأصل الرابع: أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد... الخ ٢٨١
الأصل الخامس: أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه... الخ ٢٨٤
الأصل السادس: أن لله عز وجل إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق... الخ ٢٩٠
الأصل السابع: أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء... الخ ٢٩٣
الأصل الثامن: أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة... الخ ٢٩٩
الأصل التاسع: أنه ليس يستحيل بعثة الأنبياء عليهم السلام خلافاً للبراهمة... الخ ٣١٠
الأصل العاشر: أن الله سبحانه قد أرسل محمداً ﷺ خاتماً للنبيين وناسخاً لما قبله... الخ ٣١٦
الركن الرابع: في السمعيات وتصديقه ﷺ فيما أخبر عنه، ومداره على عشرة أصول ٣٣٤
الأصل الأول: الحشر والنشر ٣٣٤
الأصل الثاني: سؤال منكر ونكير ٣٣٩
الأصل الثالث: عذاب القبر ٣٤١
الأصل الرابع: الميزان ٣٤٢
الأصل الخامس: الصراط ٣٤٤
الأصل السادس: أن الجنة والنار مخلوقتان ٣٤٦

الموضوع **الصفحة**

الأصل السابع: أن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي .. ٣٤٧
الأصل الثامن: أن فضل الصحابة رضي الله عنهم على حسب ترتيبهم في الخلافة ٣٥٦
الأصل التاسع: أن شرائط الإمامة بعد الإسلام والتكليف خمسة: الذكورة، والورع، والعلم، والكفاية، ونسبة قريش ٣٦٠
الأصل العاشر: أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للإمامة... الخ ٣٦٣
الفصل الرابع: في الإيمان والإسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل ٣٦٥
البحث الأول: في موجب اللغة ٣٦٦
البحث الثاني: في إطلاق الشرع ٣٦٨
البحث الثالث: عن الحكم الشرعي ٣٧٧
مسألة: فإن قلت فقد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية... الخ ٤٠٢
مسألة: فإن قلت: ما وجه قول السلف «أنا مؤمن إن شاء الله»... الخ ٤١٤
(كتاب أسرار الطهارة) ٤٥٥
مقدمة للشرح تشتمل على فصول وخاتمة ٤٥٥
الفصل الأول: في بيان معنى الفقه، ومتى يطلق على الإنسان اسم الفقيه والإمام، ومتى يجوز له أن يفتي ٤٥٧
الفصل الثاني: الفقه في الدين هو الفقه للخمس المذكورة في حديث ابن عمر... الخ ٤٥٩
الفصل الثالث: في بيان الأسباب الموجبة للخلاف ٤٥٩
الفصل الرابع: الخلاف الواقع بين الناس في الأديان والمذاهب ٤٦٤
الفصل الخامس: في ذكر أشياء من أصل الفقه على طريقة المتقدمين ٤٦٤
الفصل السادس: في العلم إما أن يكون معقولاً... الخ ٤٦٥
الفصل السابع: في بيان أن الشافعية الآن وقبل الآن عيال على كتبه ٤٦٦
الفصل الثامن: في معرفة اصطلاح هذه الكتب ٤٦٧
الفصل التاسع: في ذكر أصحاب التخريج والوجوه من المفتين وتفاوت درجاتهم باختلاف الأعصار ٤٧١
الفصل العاشر: في ذكر بعض اصطلاحات لفقهائنا الحنفية ينبغي التفطن لها ٤٧٢
خاتمة في ذكر سلسلة التفقه لأصحاب الشافعي رضي الله عنه ٤٧٣
البسملة وخطبة المصنف ٤٧٩
الطهارة لها أربع مراتب ٤٨٢
المرتبة الأولى: تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث والفضلات ٤٨٢

الموضوع **الصفحة**

المرتبة الثانية: تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام ٤٨٢
المرتبة الثالثة: تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة ٤٨٣
المرتبة الرابعة: تطهير السر عما سوى الله تعالى ٤٨٣
القسم الأول من طهارة الظاهر: في طهارة الخبث، والنظر فيما يتعلق بالمزال والمزال به والإزالة ٤٩٩
الطرف الأول: في المزال ٤٩٩
الطرف الثاني: في المزال به ٥١٢
الطرف الثالث: في كيفية الإزالة ٥٣١
القسم الثاني: طهارة الأحداث، ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء ٥٣٥
باب آداب قضاء الحاجة ٥٣٦
كيفية الاستنجاء ٥٤٥
كيفية الوضوء ٥٥٤
فضيلة الوضوء ٥٩٣
كيفية الغسل ٥٩٨
كيفية التيمم ٦١٢
القسم الثالث: في النظافة ٦٢٦
التنظيف عن الفضلات الظاهرة وهي نوعان ٦٢٦
النوع الأول: الأوساخ والرطوبات المترشحة ٦٢٦
النوع الثاني: فيما يحدث في البدن من الأجزاء ٦٤٨
فصل في اللحية، وفيها عشر خصال مكروهة... الخ ٦٦٩
الفهرس ٦٨٩

فهرس الجزء الثالث من إتحاف السادة

الموضوع | **الصفحة**

الموضوع	الصفحة
(كتاب أسرار الصلاة ومهماتها وفيه سبعة أبواب)	٣
خطبة الكتاب	٣
الباب الأول: في فضائل الصلوات والسجود والجماعة والأذان وغيرها	٧
فضيلة الأذان	٧
فضيلة المكتوبة	١٢
فضيلة إتمام الأركان	١٩
فضيلة الجماعة	٢٢
فضيلة السجود	٢٩
فضيلة الخشوع	٣٤
فضيلة المسجد وموضع الصلاة	٤٤
الباب الثاني: في كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله	٥٣
القراءة	٦٨
الركوع ولواحقه	٨٣
السجود	٩٩
التشهد	١١٦
المنهيات	١٣٦
تمييز الفرائض والسنن	١٥٢
الباب الثالث: في الشروط الباطنة من أعمال القلب	١٧٠
بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب	١٧٠
بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلاة	١٨٤
بيان الدواء النافع في حضور القلب	١٩٩
بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة	٢١٠
حكايات وأخبار في صلاة الخاشعين رضي الله عنهم	٢٦٩
الباب الرابع: في الإمامة والقدوة	٢٧٥
الباب الخامس: في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها	٣٤٥
فضيلة الجمعة	٣٤٧
بيان شروط الجمعة	٣٥٤
بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة	٣٨٩
الباب السادس: في مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد إلى معرفتها	٤٩٩

الباب السابع: في النوافل من الصلوات ٥٤٢
القسم الأول: ما يتكرر بتكرر الأيام والليالي وهي ثمانية، خمسة هي رواتب الصلوات الخمس، وثلاثة وراءها وهي صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتهجد ٥٤٥
القسم الثاني: ما يتكرر بتكرر الأسابيع، وهي صلوات أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة ٦١٧
يوم الأحد ٦١٧
يوم الاثنين ٦١٩
يوم الثلاثاء ٦٢٢
يوم الأربعاء ٦٢٢
يوم الخميس ٦٢٣
يوم الجمعة ٦٢٤
يوم السبت ٦٢٦
أما الليالي: ليلة الأحد ٦٢٧
ليلة الاثنين ٦٢٩
ليلة الثلاثاء ٦٣٠
ليلة الأربعاء ٦٣١
ليلة الخميس ٦٣٢
ليلة الجمعة ٦٣٣
ليلة السبت ٦٣٥
القسم الثالث: ما يتكرر بتكرر السنين، وهي أربع: صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وشعبان ٦٣٦
القسم الرابع من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت، وهي تسعة ٧٠٨
الأولى: صلاة الخسوف ٧٠٩
الثانية: صلاة الاستسقاء ٧٢٦
الثالثة: صلاة الجنائز ٧٤٣
الرابعة: تحية المسجد ٧٥٧
الخامسة: ركعتان بعد الوضوء ٧٦٦
السادسة: ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه ٧٦٧
السابعة: صلاة الاستخارة ٧٧٣
الثامنة: صلاة الحاجة ٧٧٦
التاسعة: صلاة التسبيح ٧٨١
الفهرس ٨٠٥

فهرس الجزء الرابع من إتحاف السادة

الموضوع | الصفحة

(كتاب أسرار الزكاة) وفيه أربعة فصول ٣
الفصل الأول: في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها ... الخ ٢٠
النوع الأول: زكاة النعم ٢٠
فصل في أن الزكاة نوعان ٢٢
فصل في أنه يشترط لوجوب الزكاة أن يكون المال نامياً ٣٠
فصل في أن شرط وجوب الزكاة الفراغ من الدين ٣٢
فصل لا زكاة عندنا على الدين المجحود ٣٣
فصل قال في الروضة... الخ ٣٩
فصل وقال أصحابنا... الخ ٣٩
فصل وفي الروضة ما بين الفريضتين يسمى وقصاً ٤٤
فصل ونقل أصحابنا عن أهل الظاهر... الخ ٤٤
فصل وقال أصحابنا يؤخذ الثني في زكاة الغنم لا الجذع ٤٥
فصل قال في الروضة أخذ الزكاة من مال الخليطين قد يقتضي التراجع بينهما ... ٤٨
فصل وقال أصحابنا لا زكاة في السائمة المشتركة... الخ ٤٩
النوع الثاني: زكاة المعشرات ٥٢
فصل إذا كان الذي يملكه من الثمار والحبوب نوعاً واحداً ٥٧
فصل في وجوب العشر في كل شيء أخرجته الأرض ٥٩
النوع الثالث: زكاة النقدين ٦٢
فصل وقال أصحابنا المعتبر في الذهب والفضة... الخ ٦٥
النوع الرابع: زكاة التجارة ٦٧

الموضوع | الصفحة

فصل وقال أصحابنا يجب ربع العشر في عروض تجارة بلغت قيمتها... الخ ٧٣
النوع الخامس: زكاة الركاز والمعدن ٧٤
فصل وقال أصحابنا إذا وجد ذهب أو فضة... الخ ٧٨
النوع السادس: صدقة الفطر ٨١
فصل وقال أبو حنيفة ومحمد الصاع النبوي ثمانية أرطال بالبغدادي ٨٥
فصل اعلم أن مذهب الشافعي رضي الله عنه... الخ ٩١
فصل ومما احتج به الإمام أبو حنيفة... الخ ٩٣
فصل وأما المبعض فقال الشافعي رحمه الله... الخ ١٠٤
فصل وأما العبد المشتري للتجارة... الخ ١٠٥
فصل وقال أصحابنا لو كان له عبيد... الخ ١٠٥
فصل وأما المغصوب المجحود... الخ ١٠٥
فصل وأما المكاتب... الخ ١٠٦
فصل وأما العبد الكافر... الخ ١٠٦
فصل واستدلال أصحاب الشافعي على مدعاهم... الخ ١٠٩
فصل وأما العبد المرهون... الخ ١١٠
فصل وأما العبد الموصى برقبته... الخ ١١٠
فصل وأما عبد بيت المال... الخ ١١١
فصل وأما العبد العامل في ماشية أو حائط... الخ ١١١
فصل وأما العبد الغائب... الخ ١١١
فصل وأما العبد الآبق... الخ ١١١
فصل في وجوب الزكاة ١١٥
فصل في ذكر من تجب عليه الزكاة ١١٥
فصل إذا أخرج الزكاة فضاعت... الخ ١١٨
فصل وأما إذا مات بعد وجوب الزكاة... الخ ١١٩
فصل فيما تجب فيه الزكاة ١١٩

الموضوع | الصفحة

فصل اعتبار زكاة الإبل ١٢١
فصل اختلفوا في نوع من الحيوان وهو الخيل... الخ ١٢٢
فصل اعتبار من اشترط السوائم... الخ ١٢٢
فصل اعتبار زكاة العوامل... الخ ١٢٣
فصل اعتبار ما لا يؤخذ في صدقة الغنم... الخ ١٢٣
فصل اعتبار زكاة الخليطين... الخ ١٢٤
فصل اعتبار إخراج الزكاة... الخ ١٢٤
فصل وأما ما اختلفوا فيه من النبات... الخ ١٢٤
فصل وأما النصاب في الأعضاء... الخ ١٢٥
فصل في اعتبار توقيت ما سقي بالنضح ١٢٥
فصل في اعتبار المقدار كيلاً ووزناً ١٢٥
فصل اعتبار آخر في نصاب المكيل... الخ ١٢٦
فصل اعتبار زكاة الورق... الخ ١٢٧
فصل في نصاب الذهب ١٢٨
فصل في اعتبار زكاة الحلي ١٢٩
فصل في الأوقاص ١٢٩
فصل في ضم الورق إلى الذهب ١٣١
فصل في الشريكين ١٣١
فصل اعتبار الحول في الزكاة ١٣٢
فصل في زكاة المعدن ١٣٢
فصل اعتبار زكاة الركاز ١٣٣
فصل في حول ربح المال ١٣٣
فصل في اعتبار زكاة الفطر ١٣٣
فصل في اعتبار إخراجها عن كل من يمونه ١٣٤
الفصل الثاني: في الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة ١٣٥

الموضوع الصفحة

فصل وقال أصحابنا شرط صحة ١٣٧
فصل وقال أصحابنا السلطان الجائر... الخ ١٣٩
فصل وقال الشيخ الأكبر... الخ ١٤٥
فصل وقال أصحابنا لا استرداد في المعجلة... الخ ١٤٨
فصل وقال مالك وأبو حنيفة... الخ ١٥٧
بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة ١٦٠
الفصل الثالث: في القابض للصدقة وأسباب استحقاقه ٢٢١
بيان أسباب الاستحقاق ٢٢١
فصل إن كان عليه دين... الخ ٢٢٩
فصل في أن الكتب إذا لم تكن معدة للتجارة ولم تجب فيها الزكاة ٢٣٢
فصل في ذكر حد الفقير والمسكين ٢٣٤
فصل وأما وجه من قال إن المسكين أسوأ حالاً... الخ ٢٣٧
فصل اعتبار الفقير والمسكين في كتاب الشريعة ٢٣٧
فصل وقال أصحابنا ما يأخذه العامل... الخ ٢٣٩
فصل اعتبار العامل هو المرشد... الخ ٢٣٩
فصل وقال أحمد... الخ ٢٤١
فصل اعتبار المؤلفة قلوبهم... الخ ٢٤٢
فصل اعتبار الرقاب... الخ ٢٤٥
فصل قال أصحابنا الغارم... الخ ٢٤٧
فصل في اعتبار الغارمين ٢٤٧
فصل في اعتبار إخراجها في سبيل الله ٢٥٠
فصل في اعتبار أبناء السبيل ٢٥١
الفصل الرابع: في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها ٢٧١
بيان فضيلة الصدقة ٢٧٤
بيان إخفاء الصدقة وإظهارها ٢٩٣

الموضوع | الصفحة

بيان الأفضل من أخذ الصدقة ٣٠٨
(كتاب أسرار الصوم) وفيه ثلاثة فصول ٣١١
الفصل الأول: في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بإفساده ٣٣٠
فصل وقال أصحابنا إذا كان بالسماء علة... الخ ٣٣١
فصل قال النووي في الروضة إذا صمنا بقول... الخ ٣٣٢
فصل وقال أصحابنا أيضاً وهلال الأضحى... الخ ٣٣٣
فصل قال النووي في الروضة لا يجب بما يقتضيه حساب المنجم... الخ ٣٣٣
فصل وفي كتاب الشريعة شهر رمضان هو عين هذا الزمان... الخ ٣٣٤
فصل في اعتبار الشاهد والشاهدين... الخ ٣٣٥
فصل وقال أصحابنا لا عبرة باختلاف المطالع... الخ ٣٣٦
فصل قال في الروضة ولو شرع في الصوم... الخ ٣٣٧
فصل وفي الروضة أيضاً إذا رؤي الهلال بالنهار... الخ ٣٣٧
فصل وقال أصحابنا صوم رمضان يتأدى بمطلق النية... الخ ٣٤٢
فصل ومن فروع النية عندنا... الخ ٣٤٢
فصل في اعتبار التبييت ٣٤٣
فصل وقال أصحابنا إن اشتبه على الأسير المسلم... الخ ٣٤٥
فصل ومن مسائل هذا الباب ما نقل أصحابنا لو أكل ناسياً... الخ ٣٥٣
فصل في اعتبارات ما ذكر بالاختصار ٣٥٨
فصل وفي كتاب الشريعة اتفقوا على وجوب القضاء على المغمى عليه ٣٦٤
فصل وفي كتاب الشريعة هل الكفارة مرتبة كما هي في الظهار... الخ ٣٦٩
فصل فيمن جامع متعمداً في رمضان ٣٧٠
فصل في الكفارة على المرأة إذا طاوعته ٣٧٢
فصل وإذا بلغ الصبي أو أفاق المجنون... الخ ٣٧٣
فصل أيام رمضان متعينة لصوم رمضان . . . الخ........................ ٣٧٤
فصل في كتاب الشريعة في صوم المسافر والمريض... الخ ٣٧٥

الموضوع | الصفحة

فصل من يقول إن صوم المسافر والمريض يجزئهما... الخ ٣٧٦
فصل فيمن مات وعليه صوم ٣٨١
فصل وفي كتاب الشريعة للشيخ الأكبر... الخ ٣٩٢
فصل وقال أصحابنا ولا يخرج من المسجد إلا لحاجة... الخ ٣٩٦
فصل وفي كتاب الشريعة للشيخ الأكبر قدس سره... الخ ٤٠٢
الفصل الثاني: في أسرار الصوم ومهماته وشروطه الباطنة ٤٠٥
الفصل الثالث: في التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه ٤٢٣
فصل ولم يذكر المصنف صوم يوم السبت والأحد ٤٣٣
(كتاب أسرار الحج) وفيه ثلاثة أبواب ٤٤٧
الباب الأول: وفيه فصلان ٤٥١
الفصل الأول: في فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة ٤٥١
فضيلة الحج ٤٥١
فضيلة البيت الشريف ومكة ٤٦٧
فضيلة مدينة رسول الله ﷺ على سائر البلاد ٤٨١
الفصل الثاني: في شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته ٤٨٩
فصل وقال أصحابنا المراد بالراحلة... الخ ٥٠٠
فصل قال الرافعي ويشترط لوجوب الحج... الخ ٥٠٠
فصل في اعتبارات ما ذكر في الفصل الأول وبعض ما في الفصل الثاني ٥٠٥
فصل وحاصل ما قاله أصحابنا أن المحرمين أربعة ٥٢١
فصل في اعتبار المحرمين ٥٢٢
محظورات الحج والعمرة ٥٢٤
فصل في المسارعة إلى البيان عند الحاجة واعتبار احتزام المحرم ٥٣٠
فصل في اعتبار إحرام المرأة في وجهها ٥٣١
فصل وأما اعتبار الطيب للمحرم... الخ ٥٣٣
فصل ولا يعتبر في وجوبها حلق جميع الرأس... الخ ٥٣٤

الموضوع — الصفحة

فصل وإذا حلق شعر غيره... الخ ٥٣٥
فصل في اعتبار غسل الرأس للمحرم ٥٣٦
فصل قال الرافعي يستحب أن لا يغسل رأسه بالسدر... الخ ٥٣٧
فصل وفي كتاب الشريعة للشيخ الأكبر... الخ ٥٤٠
فصل على تحريم صيد البر اتفق عامة العلماء... الخ ٥٤٤
الباب الثاني: في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر وهي عشر جمل ٥٤٥
الجملة الأولى: في السنن من أول الخروج ٥٤٥
الجملة الثانية: في آداب الإحرام من الميقات ٥٦١
فصل وقال صاحب الهداية من أصحابنا وإذا أراد الإحرام اغتسل .. الخ ٥٦٢
فصل وأما اعتبار هذا الغسل... الخ ٥٦٢
فصل تقدم أن المصنف عزا في الوسيط إلى الإمام أبي حنيفة... الخ ٥٦٥
الجملة الثالثة: في آداب دخول مكة إلى الطواف ٤٧٤
الجملة الرابعة: في الطواف بالبيت ٥٨٤
فصل قال صاحب الهداية من أصحابنا ويستلم الركن اليماني... الخ ٥٩٩
الجملة الخامسة: في السعي ٦٠٩
فصل ومن سنن السعي الموالاة في مرات السعي ٦١٦
فصل ويجوز السعي ماشياً وراكباً ٦١٧
فصل وليس الاضطباع في السعي على المشهور من مذهب الشافعي ٦١٧
الجملة السادسة: في الوقوف وما قبله ٦١٧
الدعوات المأثورات عن رسول الله ﷺ ٦٣١
الجملة السابعة: في بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمي
والنحر والحلق والطواف ٦٥١
فصل في مسائل الرمي وتفاريعها ٦٨٢
فصل واضطرب كلام أئمتنا في حكم الترتيب بين الجمرات ٦٨٣
الجملة الثامنة: في صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع ٦٨٦

الموضوع	الصفحة
الجملة التاسعة: في طواف الوداع	٦٩٧
الجملة العاشرة: في زيارة مسجد المدينة وآداب الزيارة	٧٠٠
فصل نذكر فيه من دفن بالبقيع... الخ	٧١٥
فصل في سنن الرجوع من السفر	٧٢٣
الباب الثالث: في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة	٧٢٧
بيان دقائق الآداب	٧٢٧
خاتمة أحببت أن أورد فيها حكاية الشبلي مع بعض أصحابه	٧٨١
الفهرس	٧٨٣

فهرس الجزء الخامس من إتحاف السادة

الموضوع **الصفحة**

مقدمة الشارح لكتاب آداب تلاوة القرآن ٣

(كتاب آداب تلاوة القرآن وفيه أربعة أبواب) **٤**

الباب الأول: في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته ١٠

فضيلة القرآن ١٠

في ذم تلاوة الغافلين ٢٠

الباب الثاني: في ظاهر آداب التلاوة ٢٥

فصل الكلام في سجدات القرآن وما لكل منها من الأدعية ٤٨

فصل في اعتبار سجدات القرآن ٥٢

فصل في مسائل منثورة لأصحابنا تتعلق بالباب ٥٩

فصل في اعتبار من يتوجه عليه حكم السجود ٦٠

الباب الثالث: في ذكر أعمال الباطن في تلاوة القرآن ٨٠

الباب الرابع: في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل ١٢٨

فصل في معرفة شروط المفسر ١٤٧

فصل في بيان العلوم التي يحتاج المفسر إلى تفسيره ١٥٣

فصل في غرائب التفسير التي لا يحل الاعتماد عليها ولا تذكر إلا للتحذير منها ١٥٥

خاتمة في بيان طبقات المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ١٧٩

(كتاب الأذكار والدعوات وفيه خمسة أبواب) **١٨٣**

الباب الأول: في فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار ١٨٧

الموضوع | الصفحة

فضيلة مجالس الذكر ١٩٤
فضيلة التهليل ١٩٨
فضيلة التحميد والتسبيح وبقية الأذكار ٢٠٤
الباب الثاني: في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة وفضيلة الاستغفـار والصلاة على رسول الله ﷺ ٢٣١
فضيلة الدعاء ٢٣١
آداب الدعاء ٢٣٧
فصل في أدعية الأنبياء المحكية في القرآن ٢٥٩
فضيلة الصلاةعلى رسول الله ﷺ وفضله ﷺ ٢٦٩
فصل في بيان أن الصلاة على النبي ﷺ تتضمن ثواباً عظيماً ٢٧٤
فضيلة الاستغفار ٢٨٣
الباب الثالث: في أدعية مأثورة ٢٩٦
دعاء رسول الله ﷺ بعد ركعتي الفجر ٢٩٦
دعاء عائشة رضي الله عنها ٣٠٢
دعاء فاطمة رضي الله عنها ٣٠٣
دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه ٣٠٣
دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه ٣٠٥
دعاء قبيصة بن المخارق ٣٠٥
دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه ٣٠٧
دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ٣٠٨
دعاء عيسى عليه السلام ٣٠٨
دعاء الخضر عليه السلام ٣٠٩
دعاء معروف الكرخي رضي الله عنه ٣١٠
دعاء عتبة الغلام ٣١٢
دعاء آدم عليه الصلاة والسلام ٣١٢

دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٣١٤
دعاء ابن المعتمر وهو سليمان التيمي وتسبيحاته رضي الله عنه ٣١٥
دعاء إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه ٣١٧
الباب الرابع: في أدعية مأثورة عن النبي ﷺ وعن أصحابه رضي الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب المكي وابن خزيمة وابن المنذر رحمهم الله ٣٢٠
أنواع الاستعاذة المأثورة عن رسول الله ﷺ ٣٣٤
الباب الخامس: في الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث ٣٤٤
(كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل وفيه بابان) **٣٩٥**
الباب الأول: في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها ٤٠١
بيان أعداد الأوراد وترتيبها ٤٠٧
بيان أوراد الليل وهي خمسة ٤٥٦
بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال ٤٩٣
الباب الثاني: في الأسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب إحياؤها وفي فضيلة إحياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل ٥١١
فضيلة قيام الليل ٥١٨
بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل ٥٣٦
بيان طرق القسمة لأجزاء الليل ٥٥٠
بيان الليالي والأيام الفاضلة ٥٦٢
(كتاب آداب الأكل وفيه أربعة أبواب) **٥٦٩**
الباب الأول: فيما لا بد للمنفرد منه وهو ثلاثة أقسام ٥٧٤
القسم الأول: في الآداب التي تتقدم على الأكل ٥٧٥
القسم الثاني: في آداب حالة الأكل ٥٨٥
القسم الثالث: ما يستحب بعد الطعام ٥٩٦

الموضوع | الصفحة

الباب الثاني: فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الأكل ٦٠٣
الباب الثالث: في آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين ٦١١
الباب الرابع: في آداب الضيافة ٦٢٦
فصل يجمع آداباً ومناهي طبية وشرعية متفرقة ٦٦٩

فهرس الجزء السادس من إتحاف السادة المتقين

الموضوع	الصفحة
(كتاب آداب النكاح وفيه ثلاثة أبواب)	٣
الباب الأول: في الترغيب في النكاح والترغيب عنه	
الترغيب في النكاح	١١
آفات النكاح وفوائده	٢٥
الباب الثاني: فيما يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد	٨٧
الباب الثالث: في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة وفيه اثنا عشر أدباً	١٣٣
الأدب الأول: الوليمة	١٣٣
الأدب الثاني: حسن الخلق معهن واحتمال الأذى منهن	١٣٦
الأدب الثالث: أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة	١٤٢
الأدب الرابع: أن لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها	١٤٥
الأدب الخامس: الاعتدال في الغيرة	١٥١
الأدب السادس: الاعتدال في النفقة	١٥٩
الأدب السابع: أن يتعلم المتزوج من علم الحيض وأحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب	١٦٢
الأدب الثامن: إذا كان له نسوة فينبغي أن يعدل بينهن ولا يميل إلى بعضهن	١٦٥
الأدب التاسع: في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم أمرهما	١٦٩
الأدب العاشر: في آداب الجماع	١٧٢
الأدب الحادي عشر: في آداب الولادة وهي خمسة	١٩٦
الأول: أن لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى	١٩٨
الثاني: أن يؤذن في أذن الولد	٢٠٠
الثالث: أن تسميه اسماً حسناً	٢٠١
الرابع: العقيقة عن الذكر بشاتين وعن الأنثى بشاة	٢٠٦
الخامس: أن يحنكه بتمرة أو حلاوة	٢٠٧
الأدب الثاني عشر: في الطلاق	٢٠٨
فصل في تعريف الخلع	٢١٢
فصل في أن الطلاق يكون بدعياً وسنياً وواجباً ومكروهاً	٢١٥
القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها	٢٢٤
(كتاب آداب الكسب والمعاش وفيه خمسة أبواب)	**٢٤٥**
الباب الأول: في فضل الكسب والحث عليه	٢٥٠
الباب الثاني: في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والإجارة والقراض والشركة وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار المكاسب في الشرع	٢٦٧
العقد الأول: البيع	٢٦٨
العقد الثاني: عقد الربا	٣٠٨
العقد الثالث: السلم	٣١٦
العقد الرابع: الإجارة	٣٢٨
العقد الخامس: القراض	٣٣٩
العقد السادس: الشركة	٣٥٠
الباب الثالث: في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة	٣٥٩

الموضوع	الصفحة
القسم الأول: فيما يعم ضرره وهو أنواع	٣٥٩
القسم الثاني: ما يخص ضرره المعامل	٣٧١
الباب الرابع: في الإحسان في المعاملة	٣٩٤
الباب الخامس: في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته	٤١٦
(كتاب الحلال والحرام وفيه سبعة أبواب)	٤٤١
الباب الأول: في فضيلة الحلال ومذمة الحرام وبيان أصناف الحلال ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه	٤٤٨
فضيلة الحلال ومذمة الحرام	٤٤٨
أصناف الحلال والحرام ومداخله	٤٦٥
درجات الحلال والحرام	٤٧٧
الباب الثاني: في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام	٤٩٩
المثار الأول: الشك في السبب المحلل والمحرم ...	٥٠٣
المثار الثاني: شك منشؤه الاختلاط	٥١٦
المثار الثالث: أن يتصل بالسبب المحلل معصية ..	٥٤٦
المثار الرابع: الاختلاف في الأدلة	٥٦٤
الباب الثالث: في البحث والسؤال والهجوم والإهمال ومظانها	٥٨٨
المثار الأول: أحوال المالك	٥٨٨
المثار الثاني: ما يستند الشك فيه إلى سبب في المال لا في حال المالك	٥٩٩
الباب الرابع: في كيفية خروج التائب من المظالم المالية	٦٢٥
النظر الأول: في كيفية التمييز والإخراج	٦٢٥
النظر الثاني: في المصرف	٦٣٥
الباب الخامس: في إدرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم	٦٥٥
النظر الأول: في جهات الدخل للسلطان	٦٥٥
النظر الثاني: في قدر المأخوذ وصفة الآخذ	٦٧٦
الباب السادس: فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم	٦٨٧
الباب السابع: في مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى	٧٤٦

فهرس الجزء السابع من إتحاف السادة المتقين

الموضوع | الصفحة

(كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق وفيه ثلاثة أبواب) ٥
الباب الأول: في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها ٨
فضيلة الألفة والأخوة ٨
بيان معنى الأخوة في الله وتمييزها من الأخوة في الدنيا ٢٦
بيان البغض في الله ٤٨
بيان مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم ٥٦
بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته ٦٣
الباب الثاني: في حقوق الأخوة والصحبة ٧٦
الحق الأول: في المال ٧٦
الحق الثاني: في الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة ٨٤
الحق الثالث: في اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى ٨٩
الحق الرابع: على اللسان بالنطق ١٠٩
الحق الخامس: العفو عن الزلات والهفوات ١٢١
الحق السادس: الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته ١٣٥
الحق السابع: الوفاء والإخلاص ١٣٨
الحق الثامن: التخفيف وترك التكلف والتكليف ١٤٧
خاتمة لهذا الباب ١٦٠
الباب الثالث: في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الأسباب ١٦٦
حقوق المسلم ١٧١
حقوق الجوار ٢٦٨
حقوق الأقارب والرحم ٢٨٠
حقوق الوالدين والولد ٢٨٤
حقوق المملوك ٣٠٢
(كتاب آداب العزلة وفيه بابان) ٣١٣
الباب الأول: في نقل المذاهب والأقاويل وذكر حجج الفريقين في ذلك ٣١٦
ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها .. ٣٢٤
ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة ٣٣١
الباب الثاني: في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها ٣٣٧
الفائدة الأولى: التفرغ للعبادة والفكر الخ ٣٣٨
الفائدة الثانية: التخلص بالعزلة عن المعاصي الخ ٣٤٥
الفائدة الثالثة: الخلاص من الفتن والخصومات الخ ٣٦٣
الفائدة الرابعة: الخلاص من شر الناس الخ ٣٦٨
الفائدة الخامسة: أن ينقطع طمع الناس عنك الخ ٣٧٤
الفائدة السادسة: الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى الخ ٣٧٧
آفات العزلة المبنية على فوات فوائد المخالطة ٣٨٠
الفائدة الأولى: التعليم والتعلم ٣٨٠
الفائدة الثانية: النفع والانتفاع ٣٨٨
الفائدة الثالثة: التأديب والتأدب ٣٨٩
الفائدة الرابعة: الاستئناس والإيناس ٣٩١
الفائدة الخامسة: في نيل الثواب وإنالته ٣٩٤
الفائدة السادسة: التواضع ٣٩٥
الفائدة السابعة: التجارب ٤٠٢

الموضوع	الصفحة
(كتاب آداب السفر وفيه بابان)	**٤١٧**
الباب الأول: في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع، وفيه نية السفر وفائدته وفيه فصلان	٤٢٢
الفصل الأول: في فوائد السفر وفضله ونيته	٤٢٢
الفصل الثاني: في آداب المسافر من أول نهوضه إلى آخر رجوعه	٤٥٠
الباب الثاني: فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات	٤٨٤
القسم الأول: العلم برخص السفر	٤٨٦
الرخصة الأولى: المسح على الخفين	٤٨٦
الرخصة الثانية: التيمم	٤٩٨
الباب الثاني في كيفية التيمم	٥٠٣
الباب الثالث في أحكام التيمم	٥٠٦
الرخصة الثالثة: في الصلاة المفروضة القصر	٥٠٨
الرخصة الرابعة: الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما	٥١٦
الرخصة الخامسة: التنفل راكباً	٥٢١
الرخصة السادسة: التنفل للماشي جائز في السفر .	٥٢٣
الرخصة السابعة: الفطر	٥٢٥
القسم الثاني: ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر	٥٢٨
(كتاب آداب السماع والوجد وفيه بابان) ..	**٥٥٧**
الباب الأول: في ذكر اختلاف العلماء في إباحة السماع وكشف الحق فيه	٥٦١
بيان أقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه ..	٥٦١
بيان الدليل على إباحة السماع	٥٨٤
يحرم السماع بخمسة عوارض	٦٤١
العارض الأول: أن يكون المسمع امرأة لا يحل النظر إليها	٦٤١
العارض الثاني: في الآلة بأن تكون من شعار أهل الشرب الخ	٦٤٤
العارض الثالث: في نظم الصوت وهو الشعر الخ	٦٤٩
العارض الرابع: في المستمع وهو أن تكون الشهوة غالبة عليه	٦٥٧
العارض الخامس: أن يكون الشخص من عوام الخلق الخ	٦٥٨
بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها	٦٦٧
الباب الثاني: في آثار السماع وآدابه	٦٩٤

الموضوع	الصفحة

(كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيه أربعة أبواب) ٣

الباب الأول: في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته والمذمة في إهماله وإضاعته ٧

الباب الثاني: في أركان الأمر بالمعروف وشروطه ٢٧

الباب الثالث: في المنكرات المألوفة في العادات ١٠٩

منكرات المساجد ١٠٩

منكرات الأسواق ١١٨

منكرات الشوارع ١٢٠

منكرات الحمامات ١٢٣

منكرات الضيافة ١٢٥

المنكرات العامة ١٣١

الباب الرابع: في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر ١٣٤

(كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة) ١٨٧

بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمداً ﷺ بالقرآن ١٩١

بيان جملة محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطهامن الأخبار ١٩٩

بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه ٢١٧

بيان كلامه وضحكه ﷺ ٢٢٦

بيان أخلاقه وآدابه في الطعام ٢٣٢

بيان آدابه وأخلاقه في اللباس ٢٤٩

بيان عفوه ﷺ مع القدرة ٢٦٢

بيان إغضائه ﷺ عما كان يكرهه ٢٦٨

بيان سخاوته وجوده ﷺ ٢٧٠
بيان شجاعته ﷺ ٢٧٤
بيان تواضعه ﷺ ٢٧٦
بيان صورته وخلقه ﷺ ٢٧٩
بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه ٣٠٩
(كتاب عجائب القلب) ٣٦٣
بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد بهذه الأسامي ٣٦٨
بيان جنود القلب ٣٨٣
بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة ٣٩٤
بيان خاصية قلب الإنسان ٣٩٨
بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته ٤١٢
بيان مثال القلب بالإضافة إلى العلوم خاصة ٤٢١
بيان حال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والأخروية ٤٤٠
بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار ٤٤٩
بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس ٤٥٩
بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد ٤٧٣
بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسوسة وسبب غلبتها ٤٨٧
بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب ٥٠٨
بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ بـه ٥٤٣
بيان أن الوسواس هل يتصور أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا ٥٥٤
بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات ٥٦٠
(كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق) ٥٨٥
بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق ٥٩٠
بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق ٦٠٤
بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة ٦١٧

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة ٦٢٧
بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق ٦٣٨
بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة ٦٤٥
بيان الطريق الذي يعرف به الإنسان عيوب نفسه ٦٥٠
بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في
معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات ٦٥٥
بيان علامات حسن الخلق ٦٦٩
بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين
أخلاقهم ٦٧٩
بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة .. ٦٩٠

فهرس الجزء التاسع من اتحاف السادة المتقين

الموضوع	الصفحة
(كتاب كسر الشهوتين)	٣
بيان فضيلة الجوع وذم الشبع	٨
بيان فوائد الجوع وآفات الشبع	٢٢
الفائدة الأولى: صفاء القلب وإيقاد القريحة وإنفاذ البصيرة	٢٣
الفائدة الثانية: رقة القلب وصفاؤه الخ	٢٥
الفائدة الثالثة: الانكسار والذل وزوال البطر الخ	٢٦
الفائدة الرابعة: أن لا ينسى بلاء الله وعذابه الخ	٢٧
الفائدة الخامسة: كسر شهوات المعاصي كلها الخ	٢٨
الفائدة السادسة: دفع النوم ودوام السهر	٣٠
الفائدة السابعة: تيسير المواظبة على العبادة	٣١
الفائدة الثامنة: يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض	٣٣
الفائدة التاسعة: حفظ المؤنة	٣٦
الفائدة العاشرة: أن يتمكن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى والمساكين	٣٨
بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن	٤١
على المريد في بطنه ومأكوله أربع وظائف [1]	٤١
الوظيفة الأولى: أن لا يأكل إلا حلالاً	٤١
الوظيفة الثانية: في وقت الأكل ومقدار تأخيره	٤٨

(١) ذكر ثلاث وظائف.

الوظيفة الثالثة: في نوع الطعام وترك الأدام ٥٦
بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه ٧٥
بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك كل الشهوات أو قلل
الطعام ٨٤
على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات ٨٤
إحداهما: أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها
ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في
الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة ٨٤
الآفة الثانية: أن يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به
فيشتهر بالتعفف عن الشهوات ٨٧
القول في شهوة الفرج ٨٩
بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ٩٧
بيلن فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين ١١٠
خاتمة الكتاب للشارح ١٢٢
(كتاب آفة اللسان) ١٢٥
خطبة المصنف ١٢٦
بيان خطر اللسان وفضيلة الصمت ١٣٠
آفات اللسان عشرون آفة ١٤٩
الآفة الأولى: الكلام فيما لا يعنيك ١٤٩
الآفة الثانية: فضول الكلام ١٥٩
الآفة الثالثة: الخوض في الباطل ١٦٥
الآفة الرابعة: المراء والجدال ١٦٨
الآفة الخامسة: الخصومة ١٧٧
الآفة السادسة: التقعر في الكلام ١٨٣

الآفة السابعة: الفحش والسب وبذاءة اللسان ١٨٦
الآفة الثامنة: اللعن ١٩٦
الصفات المقتضية للعن ثلاثة: الكفر، والبدعة، والفسق ١٩٩
اللعن في كل واحدة ثلاث مراتب ١٩٩
الأولى: اللعن بالوصف الأعم ١٩٩
الثانية: اللعن بأوصاف أخص منه ١٩٩
الثالثة: اللعن للشخص المعين ٢٠٠
الآفة التاسعة: الغناء والشعر ٢١٣
الآفة العاشرة: المزاح ٢١٧
الآفة الحادية عشرة: السخرية والاستهزاء ٢٣٢
الآفة الثانية عشرة: إفشاء السر ٢٣٥
الآفة الثالثة عشرة: الوعد الكاذب ٢٣٦
الآفة الرابعة عشرة: الكذب في القول واليمين ٢٤٥
بيان ما رخص فيه من الكذب ٢٦٥
قال أبو بكر بن الأنباري: الكذب ينقسم إلى خمسة أقسام ٢٦٥
أحدها: تعبير الحاكي ما يسمع بقوله ما لا يعلم نقلاً ورواية ٢٦٥
الثاني: هو أن يقول قولاً يشبه الكذب والمتكلم به لا يقصد إلا الحق ٢٦٦
الثالث: يقال كذب بمعنى أخطأ ٢٦٦
الرابع: يقال كذب الرجل بمعنى بطل أمله وما رجاه ٢٦٦
الخامس: يطلق الكذب ويراد به الإغراء ومطالبة المخاطب بلزوم الشيء المذكور ٢٦٦
بيان الحذر من الكذب بالمعاريض ٢٧٧
الآفة الخامسة عشرة: الغيبة ٢٨٥
بيان معنى الغيبة وحدودها ٢٩٧

بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان ٣٠٢
بيان الأسباب الباعثة على الغيبة، ويجمعها أحد عشر سبباً ثمانية منها
تطرد في حق العامة وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة ٣١٠
أما الثمانية فالأول: أن يشفي الغيظ ٣١٠
الثاني: موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام ٣١٠
الثالث: أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطول لسانه عليه أو يقبح
حاله عند محتشم ٣١١
الرابع: أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر
الذي فعله وكان من حقه أن يبرىء نفسه الخ ٣١١
الخامس: إرادة التصنع والمباهاة ٣١١
السادس: الحسد ٣١٢
السابع: اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك ٣١٢
الثامن: السخرية والاستهزاء استحقاراً له ٣١٢
أما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة؛ الأول: أن تنبعث من الدين
داعية التعجب في إنكار المنكر والخطأ في الدين ٣١٣
الثاني: الرحمة ٣١٣
الثالث: الغضب لله تعالى ٣١٤
بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة ٣١٥
بيان تحريم الغيبة بالقلب ٣٢٣
بيان الأعذار المرخصة في الغيبة ٣٢٨
الأول: التظلم ٣٢٨
الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى منهج الصلاح ٣٢٩
الثالث: الاستفتاء ٣٣٠
الرابع: تحذير المسلم من الشر ٣٣١

الخامس: أن يكون الإنسان معروفاً بلقب يعرب عن عيبه ٣٣٣
السادس: أن يكون مجاهراً بالفسق ٣٣٤
بيان كفارة الغيبة ٣٣١
الآفة السادسة عشرة: النميمة ٣٤٢
بيان حد النميمة وما يجب في ردها ٣٤٧
الآفة السابعة عشرة: كلام ذي اللسانين ٣٥٧
الآفة الثامنة عشرة: المدح ٣٦١
المدح يدخله ست آفات، أربع في المادح واثنتان في الممدوح ٣٦١
فأما المادح، فالأولى: أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب ٣٦١
الثانية: أنه قد يدخله الرياء ٣٦٢
الثالثة: أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه ٣٦٢
الرابعة: أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق ٣٦٣
وأما الممدوح فيضره من وجهين ٣٦٣
أحدهما: أنه يحدث فيه كبراً وإعجاباً ٣٦٣
الثاني: هو إذا أثني عليه بالخير فرح به وفتر ٣٦٤
بيان ما على الممدوح ٣٦٧
الآفة التاسعة عشرة: في الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام ٣٦٩
الآفة العشرون: سؤال العوام عن صفات الله تعالى ٣٧٧
(كتاب ذم الغضب والحقد والحسد) ٣٨٥
بيان ذم الغضب ٣٨٩
بيان حقيقة الغضب ٣٩٩
بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ٤٠٨
ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام ٤٠٨

الأول: ما هو ضرورة في حق الكافة كالقوت والمسكن والملبس
وصحة البدن ٤٠٩
الثاني: ما ليس ضرورياً لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير
والغلمان والدواب ٤٠٩
الثالث: ما يكون ضرورياً في حق بعض الناس دون البعض ٤١٠
بيان الأسباب المهيجة للغضب ٤١٧
بيان علاج الغضب بعد هيجانه ٤٢١
فضيلة كظم الغيظ ٤٢٩
بيان فضيلة الحلم ٤٣٣
بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام ٤٤٨
القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق ٤٥٣
الحقد يثمر ثمانية أمور ٤٥٣
الأول: الحسد ٤٥٣
الثاني: أن يزيد على إضمار الحسد في الباطن وتشمت بما أصابه من البلاء ٤٥٣
الثالث: أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك ٤٥٣
الرابع: أن تعرض عنه استصغاراً له ٤٥٤
الخامس: أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة الخ ٤٥٤
السادس: أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه ٤٥٤
السابع: إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه ٤٥٤
الثامن: أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو
رد مظلمة ٤٥٤
فضيلة العفو والاحسان ٤٥٦
فضيلة الرفق ٤٦٩
القول في ذم الحسد وحقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته ٤٧٨

بيان ذم الحسد ٤٧٨

بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه ٤٩٢

مراتب الحسد أربعة ٥٠٢

الأولى: أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه ٥٠٢

الثانية: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة ٥٠٢

الثالثة: أن لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها فإن عجز
عن مثلها أحب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما ٥٠٣

الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم تحصل فلا يحب
زوالها عنه ٥٠٣

بيان أسباب الحسد والمنافسة ٥٠٣

السبب الأول: العداوة والبغضاء ٥٠٥

السبب الثاني: التعزز ٥٠٦

السبب الثالث: الكبر ٥٠٦

السبب الرابع: التعجب ٥٠٧

السبب الخامس: الخوف من فوت المقاصد ٥٠٧

السبب السادس: حب الرئاسة وطلب الجاه بنفسه من غير
توصل به إلى المقصود ٥٠٨

السبب السابع: خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ٥٠٩

بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والأخوة وبني العم
والأقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه ٥١٠

بيان الدواء الذي به ينفى مرض الحسد عن القلب ٥١٧

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب ٥٢٨

(كتاب ذم الدنيا) ٥٣٣

بيان ذم الدنيا ٥٣٧

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها ٥٧٦
بيان صفة الدنيا بالأمثلة ٥٩١
بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد ٦١١
بيان حقيقة الدنيا في نفسها ٦٣٣
(كتاب ذم البخل وذم حب المال) ٦٦٣
بيان ذم المال وكراهة حبه ٦٦٧
بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم ٦٧٧
بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في أيدي
الناس ٦٩٢
بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة ٧٠٧
بيان فضيلة السخاء ٧١٩
حكايات الأسخياء ٧٣٩
بيان ذم البخل ٧٦١
حكايات البخلاء ٧٧٦
بيان الإيثار وفضله ٧٧٩
بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما ٧٨٥
بيان علاج البخل ٧٩٣
بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله ٨٠١
بيان ذم الغنى ومدح الفقر ٨٠٤

فهرس الجزء العاشر من إتحاف السادة المتقين

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة
(كتاب ذم الجاه والرياء)	٣
بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت	٨
بيان ذم حب الجاه	٢٠
بيان معنى الجاه وحقيقته	٢١
بيان سبب كون الجاه محبوباً بالطبع لا يخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة	٢٣
بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له	٣٤
بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم	٤٢
بيان السبب في حب المدح والثناء	٤٦
بيان علاج حب الجاه	٤٩
بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم	٥٥
بيان علاج كراهة الذم	٦٠
بيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم	٦٣
الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات	٦٩
بيان ذم الرياء	٦٩
بيان حقيقة الرياء وما يراءى به	٨٤
بيان درجات الرياء	٩٨
بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل	١١٢
بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط	١٢٠
بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه	١٣٠
بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات	١٥٥
بيان الرخصة في كتمان الذنوب	١٦٤
بيان ترك الطاعات خوفاً من الرياء ودخول الآفات	١٧٢
بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة	١٩٩
بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه	٢٠٧

الموضوع	الصفحة

(كتاب ذم الكبر والعجب) **٢٢٣**

بيان ذم الكبر ٢٢٩

بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب ٢٤٣

بيان فضيلة التواضع ٢٥٢

بيان حقيقة الكبر وآفته ٢٧٠

بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه ٢٧٦

بيان ما به التكبر ٢٨٦

بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له ٣٠٤

بيان أخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر ٣٠٧

بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له ٣٢٧

بيان غاية الرياضة في خلق التواضع ٣٦٤

الشطر الثاني من الكتاب ٣٦٦

بيان ذم العجب وآفاته ٣٦٦

بيان آفة العجب ٣٦٩

بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما ٣٧١

بيان علاج العجب على الجملة ٣٧٤

بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه ٣٨٥

(كتاب ذم الغرور) **٤٠٣**

بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته ٤٠٨

بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف ٤٤٤

الصنف الأول: أهل العلم ٤٤٤

الصنف الثاني: أرباب العبادة والعمل ٤٩٧

الصنف الثالث: المتصوفة ٥٠٨

الصنف الرابع: أرباب الأموال ٥٢٢

(كتاب التوبة وفيه أربعة أركان) **٥٤٥**

الركن الأول: في نفس التوبة ٥٥١

بيان حقيقة التوبة وحدها ٥٥١

بيان وجوب التوبة وفضلها ٥٥٩

الموضوع **الصفحة**

بيان أن وجوب التوبة على الفور ٥٧٣
بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد البتة ٥٨١
بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة ٥٩٦
الركن الثاني: فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها ٦٠٨
بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد ٦٠٩
بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا ٦٤٥
بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب ٦٨٧
الركن الثالث: في تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر ٦٩٥
بيان أقسام العباد في دوام التوبة ٧٣٤
بيان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب ٧٤٩
الركن الرابع: في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار ٧٦٣

فهرس الجزء الحادي عشر من اتحاف السادة المتقين

الموضوع	الصفحة
(كتاب الصبر والشكر)	٣
الشطر الأول: في الصبر	٥
بيان فضيلة الصبر	٦
بيان حقيقة الصبر ومعناه	١٤
بيان كون الصبر نصف الإيمان	٢٧
بيان الأسامي التي تتجدد للصبر بالإضافة إلى ما عنه الصبر	٣٠
بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف	٣٢
بيان مظان الحاجة إلى الصبر وأن العبد لا يستغني عنه في حال من الأحوال	٣٩
بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه	٦٥
الشطر الثاني من الكتاب: في الشكر	٨٩
الركن الأول في نفس الشكر	٨٩
بيان فضيلة الشكر	٨٩
بيان حد الشكر وحقيقته	٩٥
بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى	١٠٧
بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه	١٢٤
الركن الثاني من أركان الشكر ما عليه الشكر	١٥٥
بيان حقيقة النعمة وأقسامها	١٥٥
بيان وجه الأنموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها	١٩٦
بيان السبب العارف للخلق عن الشكر	٢٥٢
الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر	٢٦٤
بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد	٢٦٤
بيان فضل النعمة على البلاء	٢٨٩
بيان الأفضل من الصبر والشكر	٢٩٥
(كتاب الخوف والرجاء)	٣٢١
الشطر الأول: في الرجاء	٣٢٣
بيان حقيقة الرجاء	٣٣٢
بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه	٣٣٢
بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويغلب	٣٣٩
الشطر الثاني من الكتاب: في الخوف	٣٨٣
بيان حقيقة الخوف	٣٨٣
بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف	٣٩٢
بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه	٣٩٨
بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه	٤٠٧
بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالها	٤٢٣
بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف	٤٣٢
بيان معنى سوء الخاتمة	٤٥٦
بيان أحوال الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف	٤٧٨
بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف	٤٨٩
(كتاب الفقر والزهد)	٥١٥
الشطر الأول من الكتاب: في الفقر	٥١٩
بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه	٥٢٠
بيان فضيلة الفقر مطلقاً	٥٣٣
بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين	٥٥٤
بيان فضيلة الفقر على الغنى	٥٦٠
بيان آداب الفقير في فقره	٥٧٨
بيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه بغير سؤال	٥٨٢
بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر فيه	٥٩٤
بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال	٦٠٧
بيان أحوال السائلين	٦١٢
الشطر الثاني من الكتاب: في الزهد	٦٢٢
بيان حقيقة الزهد	٦٢٢
بيان فضيلة الزهد	٦٣٦
بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلى نفسه وإلى المرغوب عنه وإلى المرغوب فيه	٦٦٢
بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة	٦٨٦
بيان علامات الزهد	٧٣١

فهرس الجزء الثاني عشر
من إتحاف السادة المتقين

الموضوع	الصفحة
(كتاب التوحيد والتوكل)	٣
بيان فضيلة التوكل	٦
بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل وهو الشطر الأول من الكتاب	١٤
الشطر الثاني من الكتاب في أحوال التوكل وأعماله	١٣٤
بيان حال التوكل	١٣٥
بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل	١٥٣
بيان أعمال المتوكلين	١٦١
الفن الأول: في جلب النافع	١٦٢
بيان توكل المعيل	١٩٧
بيان أحوال المتوكلين في التعلق بالأسباب بضرب مثال	٢١١
الفن الثاني: في التعرض لأسباب الادخار	٢١٤
الفن الثالث: في مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف	٢٢٦
بيان آداب المتوكلين إذا سرق متاعهم	٢٣٥
الفن الرابع: في السعي في إزالة الضرر كمداواة المرض وأمثاله	٢٤٤
بيان أن ترك التداوي قد يحمد في بعض الأحوال ويدل على قوة التوكل وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله ﷺ	٢٥٦
بيان الرد على من قال ترك التداوي أفضل بكل حال	٢٧٤
بيان أحوال المتوكلين في إظهار المرض وكتمانه	٢٨٥
(كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا)	٣٠١
بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى	٣٠٥
بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى	٣١٣
بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده	٣٣٠
بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم وأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة	٣٥٥
بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا	٣٧٢
بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى	٣٨٥
بيان السبب في تفاوت الناس في الحب	٤٠٢
بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه	٤٠٥
بيان معنى الشوق إلى الله تعالى	٤١٨
بيان محبة الله للعبد ومعناها	٤٣٣
القول في علامة محبة العبد لله تعالى	٤٤٤
بيان معنى الأنس بالله تعالى	٤٩١
بيان معنى الانبساط والإدلال الذي تثمره غلبة الأنس	٤٩٧
القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في فضيلته	٥٠٩
بيان فضيلة الرضا	٥١٢
بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى	٥٢٦
بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا	٥٤٤
بيان أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا	٥٥٧
بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم	٥٦٣
خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها	٥٧٩

فهرس الجزء الثالث عشر من إتحاف السادة المتقين

الموضوع **الصفحة**

(كتاب النية والإخلاص والصدق وفيه ثلاثة أبواب) ٣
الباب الأول: في النية ٧
بيان فضيلة النية ٧
بيان حقيقة النية ٢٢
بيان سر قوله ﷺ: « نية المؤمن خير من عمله » ٢٨
بيان تفضيل الأعمال المتعلقة بالنية ٣٧
الأعمال ثلاثة أقسام ٣٧
القسم الأول: المعاصي ٣٧
القسم الثاني: الطاعات ٤٣
القسم الثالث: المباحات ٤٧
بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار ٥٦
فصل وقد تلتبس النية بالأمنية فتخفى والهمة بالوسوسة فتشتبه ٦٧
فصل ترك العمل عمل كثير يحتاج التارك للنهي أو المكروه فرضاً أو ورعاً الخ .. ٦٧
فصل قال السيوطي في منتهى الآمال ورد في مطلق النية أحاديث الخ ٦٨
فصل قال الشهاب القرافي في كتاب الأمنية في إدراك النية الخ ٦٨
فصل في حد النية ٦٩
فصل قال القرافي في كتاب الأمنية إن جنس النية هو الإرادة الخ ٦٩
سئل الإمام الغزالي عن قول الفقهاء بوجوب مقارنة النية للتكبير الخ ٧١
فصل قال ابن المنير المشهور عند النظار حمل الحديث على العبادات ٧٣
فصل قال السيوطي قال العلماء النية تؤثر في الفعل فيصير بها تارة حراماً
وتارة حلالاً الخ ٧٣

فصل قال الزركشي في القواعد النية تنقسم إلى نية التقرب ونية القصد ٧٣
فصل قال السيوطي استثنى الغزالي في المستصفى والإمام في المحصول مما تجب فيه النية النية ٧٣
فصل قال السيوطي استدل بمفهوم الحديث على أن ما ليس بعمل لا يشترط فيه النية الخ ٧٤
فصل قال الخلخالي في شرح المصابيح حرف التعريف في لا الأعمال لا يسوغ حمله على تعريف الماهية الخ ٧٤
فصل ذكر ابن المنير ضابطاً لما يشترط فيه النية الخ ٧٥
فصل قال الشهاب القرافي النية قسمان فعلية موجودة وحكمية معدومة الخ ٧٥
فصل وقال أيضاً في نية الحسنة يثاب عليها حسنة واحدة الخ ٧٥
فصل نقل الكرماني في توجيه الخبر المتقدم نية المؤمن خير من عمله ستة أوجه تقدم ذكرها ٧٦
فصل في ألفاظ وردت عن السلف طبق ما ذكره المصنف ٧٦
الباب الثاني: في الإخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته ٧٨
فضيلة الإخلاص ٧٨
بيان حقيقة الإخلاص ٩١
بيان أقاويل الشيوخ في الإخلاص ١٠٠
بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للإخلاص ١٠٧
الدرجة الأولى: الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصاً في صلاته، ثم نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر ١٠٧
الدرجة الثانية: يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمر في صلاته كما كان، فيأتيه في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومقتدى بك الخ ١٠٨
الدرجة الثالثة: أن يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء ويعلم أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ الخ ١٠٨

الدرجة الرابعة: أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له اخشع لأجلهم فإنه قد عرف أنه تفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله تعالى وجلاله الخ ١٠٩
بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به ١١٢

الباب الثالث: في الصدق وفضيلته وحقيقته ١٢٦
فضيلة الصدق ١٢٦
بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه ١٣٣
الصدق الأول صدق اللسان ١٣٤
الصدق الثاني في النية والإرادة ١٤١
الصدق الثالث صدق العزم ١٤٢
الصدق الرابع في الوفاء بالعزم ١٤٣
الصدق الخامس في الأعمال ١٤٩
الصدق السادس في مقامات الدين ١٥٢

(كتاب المراقبة والمحاسبة) ١٦٣
خطبة الكتاب ١٦٤
المقام الأول من المرابطة: المشارطة ١٦٩
المرابطة الثانية: المراقبة ١٧٧
بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها ١٨٧
الدرجة الأولى من المراقبة: مراقبة المقربين من الصديقين ١٨٨
الدرجة الثانية: مراقبة الورعين من أصحاب اليمين ١٩٣
فصل في شروط المراقبة وآدابها ٢١٠
المرابطة الثالثة: محاسبة النفس بعد العمل ٢١١
بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل ٢١٤
المرابطة الرابعة: في معاقبة النفس على تقصيرها ٢١٨
المرابطة الخامسة: المجاهدة ٢٢٦
المرابطة السادسة: في توبيخ النفس ومعاتبتها ٢٧٩

(كتاب التفكر) ٣٠٣
فضيلة التفكر ٣٠٦
فصل في التذكر ٣١٦
فصل وأما التفكر ففضله عظيم ٣١٦
بيان حقيقة الفكر وثمرته ٣١٧
بيان مجاري الفكر ٣٢٤
يجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة أمور ٣٢٦
الأول: التفكر في أنه هل هو مكروه عند الله أم لا ٣٢٦
الثاني: التفكر في أنه إن كان مكروهاً فما طريق الاحتراز عنه ٣٢٦
الثالث: أن هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه أو هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه الخ ٣٢٦
انحصر هذا القسم في أربعة أنواع ٣٢٦
النوع الأول: المعاصي ٣٢٦
النوع الثاني: الطاعات ٣٢٨
النوع الثالث: الصفات المهلكة التي محلها القلب ٣٣٠
النوع الرابع: المنجيات ٣٣١
الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه ٣٤٣
بيان كيفية التفكر في خلق الله تعالى ٣٤٩
من آياته الإنسان المخلوق من النطفة ٣٥٢
ومن آياته أن خلق الأرض فراشاً ومهاداً الخ ٣٧٧
ومن آياته الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الأرض ٣٨١
ومن آياته أصناف الحيوانات ٣٨٢
ومن آياته البحار العميقة المكتنفة لأقطار الأرض ٣٨٨
ومن آياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الأرض ٣٩٣
ومن آياته ملكوت السموات وما فيها من الكواكب ٣٩٨
فصل في ذكر ما ورد في الأخبار من ذكر ملائكة الملكوت الأعلى ٤١١
الفهرس ٤١٧

فهرس الجزء الرابع عشر
من اتحاف السادة المتقين

الموضوع	الصفحة
كتاب ذكر الموت وما بعده	٣
الشطر الأول: في مقدماته وتوابعه إلى نفخة الصور، فيه ثمانية أبواب	٧
الباب الأول: في ذكر الموت والترغيب في الإكثار من ذكره	٨
بيان فضل ذكر الموت كيفما كان	١١
بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب	٣٠
الباب الثاني: في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته	٣٤
فضيلة قصر الأمل	٣٤
بيان السبب في طول الأمل وعلاجه	٥٧
بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير	٦٥
الباب الثالث: في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عنده	٧٦
بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت	١٠٤
بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب لسان الحال عنها	١١٤
الباب الرابع: في وفاة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده	١٢٥
وفاة رسول الله ﷺ	١٢٥
وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه	١٦٣
وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١٧١
وفاة عثمان رضي الله عنه	١٨٠
وفاة علي كرم الله وجهه	١٨٥
الباب الخامس: في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين	١٩١

الباب السادس: في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور ٢٤١
بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور ٢٤٧
أبيات وجدت مكتوبة على القبور ٢٥٧
بيان أقاويلهم عند موت الولد ٢٦٣
بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به ٢٦٧
الباب السابع: في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور ٢٩٣
بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى إما بلسان المقال أو بلسان الحال ٣٢٩
بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ٣٣٤
بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر ٣٥٩
الباب الثامن: فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام ٣٧٩
بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والأعمال النافعة في الآخرة ٣٨٧
بيان منامات المشايخ رضي الله عنهم أجمعين ٣٩٦
الشطر الثاني: في أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر
الاستقرار في الجنة أو النار وتفصيل ما بين يديه من الأهوال والأخطار ٤٢٣
صفة نفخة الصور ٤٢٣
صفة أرض المحشر وأهله ٤٣٣
صفة العرق ٤٤٠
صفة طول يوم القيامة ٤٤٤
صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه ٤٤٧
صفة المساءلة ٤٥٦
صفة الميزان ٤٦٨
صفة الخصماء ورد المظالم ٤٧٥
صفة الصراط ٤٨٨
صفة الشفاعة ٤٩٧
صفة الحوض ٥١٧
القول في صفة جهنم وأهوالها وأنكالها ٥٣٨
القول في صفة الجنة وأصناف نعيمها ٥٦٢
عدد الجنان ٥٦٦

صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها ٥٧٨
صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم ٥٨٧
صفة طعام أهل الجنة ٥٩٣
صفة الحور العين والولدان ٥٩٩
بيان جمل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار ٦٠٩
صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى ٦١٩
ختم الكتاب بباب سعة رحمة الله تعالى ٦٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذى أحيا بذكره قلوب عباده العارفين، وأماط عن بواطنهم حجب الخفاء فقاموا لإحياء علوم الدين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد الأوّلين والآخرين، وصفوة الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، وخلاصة الله من خلقه أجمعين، وعلى آله السادة الأكرمين، وأصحابه الغر الميامين، وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد فهذه تقريرات شريفة، وتحريرات منيفة، أمليتها على كتاب الإحيا للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالى حين سئلت في إقرائه، مستعيناً بحول الله شاكراً لحسن بلائه، جانحاً فيه إلى حل عباراته، مشيراً إلى كشف الغموض عن رموزه وإشارته، مخرجاً أحاديثه على طريقة حفاظ المحدثين، مبيناً لأسانيد ما فيه من أقوال العلماء والعارفين، ولم آل جهداً في تهذيبه وترتيبه وتسهيله وتقريبه، ولم أتعرض للغاته، إلا ما احتيج اليه، ولا لبيان فائدة سوى ما عوّل عليه، وذلك لأني لو تتبعت جميع ألفاظه الشائقة، وإشاراته التى انتثلتها من أفكاره الفائقة، طال الكلام، وصعب المرام، وكلّت دون محاولته الأفهام، إذ مآخذه رحمه الله تعالى فيه بعيدة الغور استنباطاً واستكشافاً، حتى كأنه يغترف من البحر المحيط اغترافاً، وأنى لمثل العاجز القاصر عن تساجله، وحسبي أن أقف لهذا البحر عند ساحله، على أني لم أر أحداً من العلماء قديماً وحديثاً مع كثرة تداول هذا الكتاب بين أيديهم وتبركهم بقراءته في سائر الأقطار، خصوصاً في قطر اليمن المأنوس بالأخيار، اعتنى بضبط ألفاظه المشكلة، ولا فصّل بنود عقوده المجملة، وقد شرح الله صدري لشرحه بإلهام، وسعى يعبوب فكري لتحصيله باهتمام، فجاء بحمد الله جامعاً للشوارد، مكملاً للفوائد، ضابطاً لما أهمل، مفصلاً لما أجمل، مبيناً لما استشكل من اللغات، مقرباً لما استبهم من الإشارات، كافلاً لبيان ما فرق فيه من الأقوال، معيناً لأهل التدريس في سائر الأحوال، بفوائد تقر بها العين، ويقول الغائص من أين أجد مثل درره من أين، اشتمل على فقه وحديث ورقائق، وضوابط ودقائق، وتاريخ وأدب، تنسل إليه الرغبات من كل حدب، ولست أقول ذلك لأنفق البضاعة، بل لأشوّق أرباب الصناعة، وأجمع على حب هذا الكتاب أهل السنة والجماعة، وأعرف المريدين سلوك طريقه، وأشير لهم إلى كمال تحقيقه وتدقيقه، وأن صبح فضله طلع فاستغلظ فاستوى على سوقه، ونادانى لسان الإنصاف غير متلبث. قل وأما بنعمة ربك فحدّث فقد روى الترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال رسول الله ﷺ « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » فعند ذلك قلت لا للفخر والسمعة، بل لإبانة الحق وحسن الصنعة. إن هذا المجموع شمس عوارف المعارف، وقمر لطائف الطرائف، ونجم سماء العلى والناس تلقاء حرمه بين عاكف وطائف. من شاهده قال هكذا هكذا

وإلا فلا لا ، ومن أنفق من خزائن علمه لم يخش من ذي العرش إقلالاً ، ومن تأمله منصفاً جبن عن معارضته وأنشد ، أهابك إجلالاً .

ومن لم يغترف من بحر درره ولم يعترف برفع قدره فهو المحروم نوالا .

ومن يك ذا فم مرٍّ مريض يجد مرًّا به ماء زلالا

ولكأني بمن يحسد شمس ضوئه ويجتهد أن يأتي له بنظير ، ويطاول الثريا وما أبعدها عن المتناول فيرجع إليه بصره خاسئاً وهو حسير ، وأتعب خلق الله من زاد همه ، وقصر عما تشتهي النفس وجده ، واستخرت الله تعالى في أن أسمِّيه : (إتحاف السادة المتقين . بشرح أسرار إحياء علوم الدين) وأنا مع وضعي هذا الكتاب ما أبرئ نفسي ولا كتابي من خلل وريب ، ولا أبيعه بشرط البراءة من كل عيب ، بل أعترف بكمال القصور ، وأسأل الله الصفح عما جرى به القلم بهذه السطور ، وأقول لناظر جمعي هذا لا تأخذن في نفسك على شيء وجدته فيه مغايراً للفهم فإن الفهوم قد تختلف ، ومن صنف قد استهدف ، وأعتذر لك أيها المنصف من خطأ أو زلة فالجواد قد يكبو ، والفتى قد يصبو ، ولا يعد إلا فضولات العارف ، وتدخل الزيوف على أعلى الصيارف ، ولا يخفى عليك أن التعقب على الكتب سيما الطويلة سهل بالنسبة إلى تأليفها ، ووضعها وترصيفها ، كما يشاهد في الأبنية القديمة ، والهياكل العظيمة ، حيث يعترض على بانيها من عري في فنه عن القوى والقدر ، بحيث لا يقدر على وضع حجر على حجر . هذا جوابي عما يرد على كتابي .

وقد كتب أستاذ البلغاء القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني ، إلى العماد الكاتب الأصبهاني معتذراً عن كلام استدركه عليه أنه وقع لي شيء ولا أدري أوقع لك أم لا وها أنا أخبرك به وذلك أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل . وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ، فأرجو مسامحة ناظريه فهم أهلوها ، وأؤمّل جميلهم فهم أحسن الناس وجوها ، وهذا حين الشروع في المقصود ولا ينبغي أن يمل الناظر في هذا الكتاب كثرة الكلام على تخريج حديث بذكر الأسانيد ، والاستطراد المزيد ، في بعض المسائل والتراجم فإنه لذلك وضع ، وعلى أعواد هذه القواعد رفع ، وسترى فيه من الفوائد ما لا يوجد في مجموع ، ومن الزوائد ما هو فوق الفرقد مرفوع ، والله المسؤول أن يتقبله بقبول حسن ، وأن يعينني على إكماله في أقرب زمن ، على نهج يرتضيه أهل الحق بالوجه المستحسن ، وهو المعين المجيب . عليه توكلت وإليه أنيب .

بيان الكتب التي أخذ منها ونقل واستفاد :

وهذا بيان الكتب التي منها أخذت ، وعنها بلا واسطة نقلت واستفدت ، فمن ذلك في علم اللغة شرحي على القاموس الذي أحاط بجيد اللغة وحُوشِيها [1] الذي إذا رآه المنصف البعيد عن المرا ،

---

(١) قوله وحوشيها في القاموس الحوشي بالضم الغامض من الكلام اهـ .

قال: كل الصيد في جوف الفرا، فاستغنيت بمراجعته عن جملة من الكتب المؤلفة في الفن، وأوردت منه كل مستحسن، ولم أخل مع ذلك نظري في كتاب النهاية لابن الأثير، والفائق للزمخشري، والمفردات لأبي القاسم الراغب، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي، والتوقيف للمناوي، وكتاب الزينة لأبي حاتم الرازي، ومشكل القرآن لابن قتيبة، فربما استفدت منها جملاً كثيرة أوردتها مع مناسباتها في مواضعها. ومن كتب أصول الفقه التوضيح لصدر الشريعة وشرحاه التنقيح للسيد الجرجاني، والتلويح للسعد التفتازاني، والمنهاج للبيضاوي وشرحه لمحمد بن طاهر القزويني، وشفاء العليل في مسالك التعليل للمصنف. ومن كتب الحديث التي احتاج الأمر إلى مراجعته شرح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني المسمى بفتح الباري وهو البحر الذي تقف عنده الأفهام وتغترف من فيوضاته الأعلام مع إعادة النظر في كل من شروح القسطلاني وابن الملقن والكوراني والزركشي والسيوطي والسندي، وشرح الجامع الصغير للمناوي والسنن لكل من البيهقي والدارقطني وشرح السيوطي على الترمذي. ومن المسانيد للإمام أحمد وعبد بن حميد ومسدد وابن أبي شيبة والديلمي، ومن المعاجم الكبير والأوسط للطبراني، ولابن جميع الغساني. ومن الكتب التي أعتمد على تخريج أحاديث الكتاب عليها المغني عن حمل الأسفار للحافظ العراقي في مجلد، فأذكر كلامه عقيب الحديث ثم أزيد عليه حسبما فتح الله عليّ في مطالعتي لكتب الفن، وربما نقلت في بعض المواضع من تخريجه الكبير عليه، ولم أظفر منه إلا على كراريس. ومن ذلك الجامع الكبير والصغير والذيل عليه الثلاثة للسيوطي، وموضوعات ابن الجوزي، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة استدراكاً على ابن الجوزي للسيوطي مع الذيل عليه له ونوادر الأصول للحكيم أبي عبدالله محمد بن علي الترمذي، والعلل للدارقطني اثنا عشر مجلداً، والكامل لابن عدي نحو ذلك والإصلاح على المستدرك للعراقي الحافظ بخطه، واقتضاء العلم العمل وشرف أصحاب الحديث كلاهما لأبي بكر الخطيب الحافظ، وتاريخه الكبير الحافل في عشر مجلدات، والذيل عليه للبنداري في مجلد، وأيضاً لابن النجار الحنبلي في مجلدات، وتجريد الصحاح والسنن لرزين بن معاوية العبدري السرقسطي، والقول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد للحافظ ابن حجر، وتخريج أحاديث الأذكار له، وحلية الأولياء للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، وتخريج أحاديث المنهاج الأصولي لكل من التاج السبكي وابن الملقن، والتذكرة للبدر الزركشي، والمقاصد الحسنة للحافظ السخاوي، والأمالي على مسانيد أبي حنيفة للزين قاسم بن قطلوبغا الحنفي الحافظ، واللآلي المتناثرة في الأحاديث المتواترة لابن طولون الحنفي، وأطراف المسانيد العشرة للشهاب الأبوصيري، وجمع الفوائد لمحمد بن سليمان، وكتاب العلم لابن خيثمة زهير بن حرب النسائي إلى غير ذلك مما استفدت من معانيها وأسرارها كشرح المنلا علي على مختصر هذا الكتاب المسمى بعين العلم والذريعة إلى محاسن الشريعة للقفال الشاشي والذريعة إلى مكارم الشريعة لأبي القاسم الراغب والبحر الزاخر لأبي الطيب حمدان بن حمدويه، وجواهر القرآن للمصنف، وفضائل القرآن للقرطبي. وأما ما يتعلق بأصول الدين والاعتقاد والفقه وفروعه فسيأتي بيان مآخذ كل ذلك في مواضعه على ما يسر الله تعالى عليّ في مراجعته والكشف عن مظانه فأذكر في كتاب العقائد ما تحصل لديّ، وفي العبادات كذلك، وأما التصوف والرقائق فقد طالعت عليه كتباً كثيرة، وأجلها مقداراً الرسالة للإمام أبي

القاسم القشيري وشرحاها لأبي محمد عبد المعطي بن محمود اللخمي ولشيخ الإسلام زكريا، وقوت القلوب لأبي طالب المكي وعليهما مدار كتاب الشيخ غالباً، ومنازل السائرين لشيخ الإسلام الهروي، وعوارف المعارف للشهاب السهروردي، والتعرف لأبي نصر الكلاباذي، وتأييد الحقيقة العلية للحافظ السيوطي، ومنارات السائرين ومقامات الطائرين للشيخ نجم الدين دايه، ومفيد العلوم لأبي بكر الخوارزمي، والذهب الإبريز في مناقب سيدي عبد العزيز تأليف أفضل المتأخرين أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي. ومن كتب التواريخ الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي، والطبقات الكبرى لابن السبكي، وطبقات القطب الخيضري والحافظ عماد الدين بن كثير الدمشقي، وفي أسماء الرجال الكاشف للحافظ الذهبي والديوان له والمشتبه له، والكنى لابن المهندس، والتبصير للحافظ ابن حجر. وأما ما نقلت منه مسألة أو فائدة أو كلمة غريبة أو نادرة عجيبة من أجزاء ومعاجم ومسانيد ومشيخات ورسائل وأمالي ومستخرجات فشيء لا أحصيه الآن كما ستقف عليه عند رفع الستور عن وجه البيان، ولنصرف عنان الهمة عن ذكر المأخذ إلى بيان الباعث الأعظم على جمع هذا الشرح وترتيبه وتنسيقه على هذا المنوال وتهذيبه بعد إشارات صدرت من بعض العلماء وتكرار إلحاحهم عليَّ فيه فأقول: اعلم أن الباعث لي على الإقدام في شرح هذا الكتاب أمور ثلاثة:

الأول الإكثار من ذكر الصالحين وأولي الخير والدين وسياق أطراف من أحوالهم، فإن ذلك من أكبر الأسباب الباعثة على محبتهم وهي أحد أسباب الفوز لما أخبرنا به شيخنا المسند الجليل عمر ابن أحمد بن عقيل فيما شافهني فيه:

أخبرنا الإمام المحدث عبدالله بن سالم بن محمد بن عيسى، أخبرنا الشمس محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا النور علي بن يحيى، أخبرنا يوسف بن عبدالله، أخبرنا محمد بن عبدالرحمن الحافظ، أخبرنا أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الحافظ، أخبرنا الشهاب أحمد بن خليل العلائي، أخبرنا والدي، أخبرنا أبو الربيع سليمان بن حمزة، أخبرنا محمد بن عبد الواحد الحافظ، أخبرنا أحمد بن محمد بن نصر، أخبرنا الحسن بن أحمد المقري حضوراً، أخبرنا أحمد بن عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو بكر ابن خلاد، أخبرنا الحرث بن أبي أسامة، حدثنا عبد الله بن بكر السهمي، حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول ﷺ فقال يا رسول الله متى الساعة؟ فقام النبي ﷺ إلى الصلاة ثم صلى ثم قال: «أين السائل عن الساعة؟» قال الرجل: أنا. قال: «ما أعددت لها» قال يا رسول الله: ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله، فقال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب وأنت مع من أحببت». قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بها. رواه الترمذي من حديث إسماعيل بن جعفر عن حميد به. وقد روى عن أنس هذا الحديث خلق كثير غير حميد. منهم الزهرى، وسالم بن أبي الجعد، فالبخاري رواه من طريق سالم، ومسلم من طريق معمر وسفيان كلاهما عن الزهري. وقد روي أيضاً عن أبي موسى الأشعري، وأبي ذر الغفاري، وأبي مسعود البدري رضي الله عنهم، والحديث مشهور جداً أو

متواتر عن النبي ﷺ لكثرة طرقه، وليس هذا موضع سياقها.

الثاني من البواعث على جمع هذا الشرح رجاء الانتفاع به لمن ينظر فيه من الأمة وذلك من الأعمال الصالحة والأمور المهمة، وقد وعد النبي ﷺ فاعله بمساهمة المهتدي به من الثواب، وناهيك بذلك من عمل يتجدد للمرء بعد موته مدى الأحقاب.

أخبرنا عبد الخالف بن أبي بكر بن المزين ومحمد بن علاء الدين بن عبد الباقي، وإسماعيل بن عبدالله بن علي الحنفيون، ومحمد بن الطيب بن محمد، وآخرون سماعاً عليهم قالوا: أخبرنا أبو طاهر محمد بن إبراهيم بن حسن، أخبرنا والدي، أخبرنا القطب أحمد بن عبد النبي، أخبرنا أبو المواهب أحمد بن علي بن عبدالقدوس، أخبرنا والدي، أخبرنا القطب عبدالوهاب بن أحمد، أخبرنا زكريا بن محمد، أخبرنا أبو الفضل أحمد بن علي الحافظ، أخبرنا أبو الخير بن أبي سعيد، أخبرنا أبي، أخبرنا أبو بكر بن أحمد، أخبرنا محمد الاربلي، أخبرتنا شهدة الكاتبة، أخبرنا أحمد بن بندار، أخبرنا محمد بن بكير، أخبرنا أبو محمد بن بكير، أخبرنا أبو محمد بن ماسي، أخبرنا يوسف القاضي، حدثنا محمد بن أبي بكر، حدثنا أبو عوانة عن عبدالملك بن عمير، عن المنذر بن جرير عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سنَّ سنَّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن استسن سنة سيئة فعمل بها كان عليه وزرها ومثل أوزار من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» هذا حديث حسن الإسناد بل صحيح أخرجه مسلم من طرق، والإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي، وأبو عوانة، وابن حبان كلهم عن جرير وقد روي أيضاً من طريق حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وفيه قصة. وفي الباب عن أبي هريرة وأبي جحيفة ووائلة رضي الله عنهم.

الثالث منها حث النفس على سلوك هذه الأمور واتباعها والكف عن مذموم كل الأخلاق وارتداعها وإصغائها إلى ما يقربها إلى مولاها وحسن استماعها ومجاهدتها على طلب الفوز في الآخرة لعل صفقتها تكون رابحة لا خاسرة، فإن النفس أمارة بالسوء إلا أن يتداركها الله برحمته، والشيطان حريص على إهلاكها بالغواية ولا عاصم لها منه إلا الله سبحانه بلطفه وإعانته ومجاهدة النفس في أعمال الطاعات والانكفاف عن المخالفات إلى الأمور المطلوبة بالذات. قال الله تعالى ﴿والَّذينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت، آية ٦٩].

أخبرنا السيد المحدث سليمان بن يحيى بن عمر بن عبد القادر الحسيني الزبيدي سماعاً، والسيد القطب أبو المراحم وجيه الدين عبد الرحمن ابن السيد مصطفى العيدروسي إجازة مشافهة قالا: أخبرنا السيد الوجيه عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد العلوي الترنحي. قال الأول إجازة مكاتبة، وقال الثاني مشافهة. أخبرنا خالي السيد الوجيه عبد الرحمن بن محمد العيدروسي ح. وأخبرنا أعلى من ذلك عمر بن أحمد بن عقيل سماعاً في آخرين، أخبرنا عبدالله بن سالم وأحمد بن محمد النخلي قالوا أخبرنا المسند أحمد بن عبد اللطيف الأزهري أخبرنا البرهان إبراهيم بن إبراهيم المالكي ح قالا، أي سالم والنخلي: وأخبرنا أعلى من ذلك الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء قال: أخبرنا

سالم بن محمد بن محمـد والنور علي بن يحيى قالا : أخبرنا أحمد بن محمد بن ابي بكر ، ويوسف بن زكريا ، ويوسف بن عبد الله قالوا : أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ ، أخبرنا رضوان بن محمد بن يوسف الحافظ ، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن أبي المجد الدمشقي قدم علينا ، أخبرنا التقي سليمان بن حمزة الدمشقي : أخبرنا عبد الله بن عمر بن زيد ، حدثنا محمد بن محمد بن النحاس ، حدثنا علي بن أحمد بن السدي ، حدثنا أحمد بن محمد بن الصلت ، حدثنا ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي ، حدثنا أبو مصعب يعني أحمد بن أبي بكر ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » . رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث مالك به ، فهذه الأمور الثلاثة التي ذكرتها لك هي الباعثة لي على الاقدام في شرح هذا الكتاب وجلب فرائد الفوائد إليه من كل باب .

الاحوال المتعلقة بمصنف هذا الكتاب وهي مشتملة على احد وعشرين فصلاً وخاتمة

الفصل الاول

في ترجمته

قال ابن السبكى في طبقاته : هو الإمام الجليل محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي حجة الإسلام ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام ، جامع أشتات العلوم ، والمبرز في المنطوق فيها والمفهوم . حـرت الأئمـة قبلـه بشـأو ولم تقـع منـه بـالغـايـة ، ولا وقـف عنـد مطلـب وراءه مطلب لأصحاب النهاية والبداية ، حتى أخمد من القرناء كل خصم بلغ مبلغ السها ، وأخمد من نيران البدع كل مالا يستطيع أيدي المجالدين مسَّها . كان ضرغاما إلا أن الأسود تتضاءل بين يديه وتتوارى ، وبدراً تماماً إلا أن هذا لا يشرق نهاراً ، وبشراً من الخلق ولكنه الطود العظيم وبعض الخلق ، ولكن مثل ما بعض الحجر الدر النظيم جاء والناس إلى ردّ فرية الفلاسفة أحوج من الظلماء لمصابيح السماء ، وأفقر من الجدباء إلى قطرات الماء ، فلم يزل يناضل عن الدين الحنيفي بجلاد مقاله ، ويحمي حوزته ولا يلطخ بدم المعتدين حد نصاله ، حتى أصبح الدين وثيق العرا ، وانكشفت غياهب الشكوك وما كانت إلاّ حديثا يفترى . هذا مع ورع طوى عليه ضميره ، وخلوة لم يتخذ فيها غير الطاعة سميره وتجريد تراه به وقد توحد في بحر التوحيد وباهى .

ألقـى الصحيفـة كـي يخفـف رحلـه والـزاد حتـى نعلـه ألقـاهـا

ترك الدنيا وراء ظهره ، وأقبل على الله تعالى يعامله في سره وجهره ، وزاد المناوي في طبقاته بعد قوله في أوّل الترجمة في المنطوق منها والمفهوم ما نصه : بحر ليس للبحر ما عنده من الجواهر ، وحبر سما على السماء وأين للسماء مثل ماله من الزواهر ، وروضة علم تستقل الرياض فنشرها ان تحكى ما لديه من الازاهر . انتظمت بقدره العظيم عقود الملة الاسلامية ، واتسمت بدره النظيم ثغور الشريعة المحمدية ، فغاص من العلوم في بحار عميقة ، وروّض نفسه في دفع أهل البدع وسلوك الطريقة . وقال أبو ابراهيم الفتح بن علي البغدادي في ذيله على تاريخ بغداد : هو من لم تر العيون مثله لساناً ونطقاً ، وبياناً وخاطراً وذكاء وطبعاً . وقال ابن المقري في تحفه الارشاد إلى سبيل الرشاد

ما نصه: باسمه تنشرح الصدور وتحيا النفوس، وبرسمه تفتخر المحابروتشتهر الطروس، ولسماعه تخشع الأصوات وتخضع الرؤوس. وترجمه الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه فأطال فيها، وكذا الحافظ ابن السمعاني نحواً منه. وقال الحافظ محب الدين بن النجار الحنبلي في ذيله على تاريخ بغداد ما نصه: إمام الفقهاء على الإطلاق، ورباني الأمة بالاتفاق، ومجتهد زمانه وعين وقته وأوانه، ومن شاع ذكره في البلاد، واشتهر فضله بين العباد، واتفقت الطوائف على تبجيله وتعظيمه وتوقيره وتكريمه، وخافه المخالفون وانقهر بحججه المناظرون، وظهر بتنقيحاته فضائح المبتدعة والمخالفين، وقام بنصر السنّة وإظهار الدين، وسارت مؤلفاته في الدنيا مسير الشمس في البهجة والجمال، وشهد له الموافق والمخالف بالتقدم والكمال.

الفصل الثاني

في بيان مولده وشيءٍ من أخبار نشأته.

قالوا: ولد بطوس سنة خمسين واربعمائة، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس، فلما حضرته الوفاة أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له متصوف من أهل الخير وقال: إن لي لتأسفاً عظيماً على تعلم الخط وأشتهي استدراك ما فاتني في ولديَّ هذين، فأقام بهما وعلمهما الخط وأدبهما إلى ان فني ذلك النزر اليسير الذي كان خلفه لهما أبوهما، وتعذر على الصوفي القيام بقوتهما فقال لهما: اعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما وأنا رجل من أهل التجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما به وأصلح ما أرى لكما أن تلجآ إلى مدرسة، فانكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما ففعلا ذلك، وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما، وكان الغزالي يحكي هذا ويقول: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلاَّ لله.

الفصل الثالث

في بيان مبدأ طلبه للعلم

قرأ في صباه طرفاً من الفقه ببلده على أحمد بن الراذكاني، ثم سافر إلى جرجان إلى الامام أبي نصر الاسماعيلي، وعلق عنه التعليقة ثم رجع الى طوس. قال الامام أسعد الميهني فسمعته يقول: وقطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع ما معي ومضوا فتبعتهم، فالتفت إليَّ مقدمهم وقال: ارجع وإلا هلكت، فقلت له: أسالك بالذي ترجو السلامة منه ان ترد على تعليقتي فقط فما هي بشيٍ تنتفعون به، فقال لي: وما هي تعليقتك؟ فقلت: كتب في تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها فضحك، وقال: كيف تدعي انك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم، ثم أمر بعض أصحابه فسلم إليَّ المخلاة، فقال الغزالي: هذا مستنطق أنطقه الله يرشدني به في أمري، فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته، وصرت بحيث لو قطع عليّ الطريق لم أتجرد من علمي، ثم قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والأصلين والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة، وأحكم كل ذلك، وفهم كلام أرباب هذه العلوم، وتصدى للرد على مبطليهم وإبطال دعاويهم، وصنف في كل فن من هذه العلوم كتباً أحسن تأليفها وأجاد وضعها وترصيفها، وكان

شديد الذكاء سديد النظر عجيب الفطرة مفرط الادراك قوي الحافظة بعيد الغور غواصاً على المعاني الدقيقة جبل علم مناظراً محجاجاً ، وكان إمام الحرمين يصف تلامذته فيقول : الغزالي بحر مغرق ، والكياء أسد مخرق ، والخوافي نار تحرق . ويقال : كان الامام يُظهر في الظاهر الافتخار به ، وعنده في الباطن منه شيء لما ظهر منه من أنيق العبارة ، ورقيق الاشارة ، وصحة السماع ، وقوة الطباع .

الفصل الرابع

في بيان ما آل اليه أمره

لما مات إمام الحرمين خرج الغزالي إلى المعسكر قاصداً الوزير نظام الملك إذ كان مجلسه مجلس أهل العلم ومحط رحالهم، فناظر الائمة العلماء في مجلسه، وقهر الخصوم وظهر كلامه عليهم. واعترفوا بفضله، فتلقاه الصاحب بالتعظيم وطار اسمه في الآفاق واشتهر في الاقطار، وولاّه تدريس مدرسته ببغداد وأمّها بالتوجه إليها، فقدمها في سنة أربع وثمانين وأربعمائة في تجمل كثير، وتلقاه الناس ونفذت كلمته حتى غلبت حشمته الامراء والملوك والوزراء، وأقام على تدريس العلم ونشره بالتعليم والفتيا والتصنيف، حتى ضربت به الامثال، وشدت إليه الرحال. إلى ان عزفت نفسه عن رذائل الدنيا، فرفض ما فيها من التقدم والجاه، وترك كل ذلك وراء ظهره وقصد بيت الله الحرام، فخرج إلى الحج في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين، واستناب أخاه في التدريس، ودخل دمشق سنة تسع وثمانين فلبث فيها يويمات يسيرة على قدم الفقر، ثم توجه الى بيت المقدس فجاور به مدة، ثم عاد إلى دمشق واعتكف بالمنارة الغربية من الجامع بها وكانت اقامته على ما ذكر الحافظ ابن عساكر فيما نقله عنه الذهبي ولم أجد في كلامه، وكان الغزالي يُكثر الجلوس في زاوية الشيخ نصر المقدسي بالجامع الأموي المعروفة اليوم بالغزالية نسبة اليه. قال ابن عساكر : أقام الغزالي بالشام نحواً من عشر سنين، ونقل الذهبي أنه صادف دخوله يوماً المدرسة الأمينية فوجد المدرّس يقول : قال الغزالي، فخشي الغزالي على نفسه العجب ففارق دمشق وأخذ يجول في البلاد فدخل منها الى مصر وتوجه منها الى الاسكندرية فأقام بها مدة، وقيل : انه عزم على المضي إلى السلطان يوسف بن تاشفين سلطان المغرب لما بلغه من عدله، فبلغه موته، واستمر يجول في البلدان ويتردد إلى المشاهد ويطوف على الترب والمساجد، ويأوى القفار، ويروض نفسه، ويجاهدها جهاد الأبرار، ويكلفها مشاق العبادات، ويبلوها بأنواع القرب والطاعات إلى ان صار قطب الوجود والبركة العامة لكل موجود، والطريق الموصلة إلى رضا الرحمن والسبيل المنصوب إلى مركز الايمان، ثم رجع إلى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ، وتكلم على لسان أهل الحقيقة، وحدث بكتاب الاحياء. ورأيت في بعض المجامع أن سبب سياحته وزهده أنه كان يوماً يعظ الناس فدخل عليه أخوه أحمد فأنشده :

أخذت بأعضادهم إذ ونوا — وخلفك الجهد إذ أسرعوا
وأصبحت تهدي ولا تهتدي — وتسمع وعظاً ولا تسمع
فيا حجر الشحذ حتى متى — تسن الحديد ولا تقطع

فكان ذلك سبباً لتركه علائق الدنيا. وذكر عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي خطيب نيسابور في ترجمته بعد أن وصفه قال: وسلك طريق الزهد والتأله، وترك الحشمة وطرح ما نال من الدرجة والاشتغال بأسباب التقوى، وزاد الآخرة وقصد حج بيت الله الحرام، ثم دخل الشام وأقام في تلك الديار قريباً من عشر سنين يطوف ويزور المشاهد، وأخذ في التصانيف المشهورة التي لم يسبق إليها مثل: إحياء علوم الدين، والكتب المختصرة منها: مثل الأربعين وغيرها من الرسائل التي من تأملها علم محل الرجل من فنون العلم، وأخذ في مجاهدة النفس وتغيير الأخلاق وتحسين الشمائل وتهذيب المعاش والتزيي بزي الصالحين وقصر الأمل، ووقف الأوقات على هداية الخلق ودعائهم إلى ما يعنيهم من أمر الآخرة وتبغيض الدنيا، والإستعداد للرحيل إلى الدار الباقية، والإنقياد لكل من يتوسم فيه أو يشم منه رائحة المعرفة، أو التيقظ بشيء من أنوار المشاهدة، حتى مرن على ذلك ولان، ثم عاد إلى وطنه لازماً بيته مشتغلاً بالتفكر ملازماً للوقت مقصوداً وذخراً لكل من يقصده ويدخل عليه، إلى أن أتى على ذلك مدة، وظهرت التصانيف وفشت الكتب ولم تبد في أيامه مناقضة لما كان فيه ولا اعتراض لأحد على مآثره حتى انتهت نوبة الوزارة إلى فخر الملك جمال الشهداء تغمده الله برحمته، وتزينت خراسان بحشمته ودولته. وقد سمع وتحقق بمكان الغزالي ودرجته وكمال فضله وحالته وصفاء عقيدته ونقاء سريرته فتبرك به وحضره وسمع كلامه فاستدعى منه أن لا يبقي أنفاسه وفوائده عقيمة لا استفادة منها ولا اقتباس من أنوارها، وألح عليه كل الإلحاح وتشدد في الاقتراح إلى أن أجاب إلى الخروج، وحمل إلى نيسابور وأشير عليه بالتدريس في المدرسة الميمونة النظامية، فلم يجد بدأ من الأذعان للولاة، ونوى بإظهار ما اشتغل به إفادة القاصدين دون الرجوع إلى ما انخلع عنه، وكم قرع عصاه بالخلاف والوقوع فيه والسعاية به والتشنيع عليه، فما تأثر به ولا اشتغل بجواب الطاعنين، ولقد زرته مراراً وما كنت أحدس في نفسي ما عهدته في سالف الزمان عليه من الذعارة وايحاش الناس والنظر إليهم بعين الإزدراء اغتراراً بما رزق من البسطة في النطق والخاطر والعبادة وطلب الجاه والعلو في المنزلة أنه صار على الضد، وتصفى عن تلك الكدورات. وكنت أظن أنه متلفع بجلباب التكلف، فتحققت بعد التنقير أن الأمر على خلاف المظنون، وإن الرجل أفاق بعد الجنون، وحكى لنا عن كيفية أحواله من ابتداء ما ظهر له سلوك طريق التأله وغلبة الحال عليه بعد تبحره في العلوم والاستعداد الذي خصه الله به في تحصيل انواع المعارف وتمكنه من البحث والنظر حتى تبرم من الاشتغال بالعلوم الغريبة عن المعاملة، وتفكر في العاقبة وما يجدي وينفع في الآخرة فاقتدى بصحبة الفارمدي، واستفتح منه الطريقة، وامتثل ما كان يشير عليه من القيام بوظائف العبادات والإمعان في النوافل واستدامة الأذكار والجد والاجتهاد، إلى أن جاز تلك العقبات وتكلف تلك المشاق وما تحصل على ما كان يطلبه من مقصوده، ثم حكى أنه راجع العلوم، وخاض في الفنون، وعاود الاجتهاد في كتب العلوم الدقيقة، حتى انفتحت له أبوابها وبقي مدة في الوقائع وتكافؤ الأدلة، وأطراف المسائل، ثم حكى أنه فُتح عليه باب من الخوف بحيث شغله عن كل شيء وحمله على الأعراض عمَّا سواه، حتى سهل ذلك وهكذا وهكذا إلى أن ارتاض كل الرياضة

وظهرت له الحقائق، وصار ما كنّا نظن به ناموساً وتخلقًا طبعاً وتحققاً وإن ذلك أثر السعادة المقدرة له من الله تعالى، ثم سألناه عن كيفية رغبته في الخروج من بيته والرجوع إلى ما دعي إليه من أمر نيسابور فقال معتذراً عنه: ما كنت أجوز في ديني أن أقف عن الدعوة ومنفعة الطالبين بالأفادة، وقد حق عليَّ أن أبوح بالحق وانطق به وادعو إليه، وكان صادقاً في ذلك، ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته فاتخذ في جواره مدرسة لطلبة العلم وخانقاه للصوفية، وكان قد وزع أوقاته على وظائف الحاضرين من ختم القرآن، ومجالسة أهل القلوب، والقعود للتدريس بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته ولحظات من معه عن فائدة، ومما وُجد بخط الزاهد قطب الدين محمد بن الإردبيلي قال: قال حجة الإسلام: كنت في بداية أمري منكراً لأحوال الصالحين، ومقامات العارفين، حتى صحبت شيخي يوسف النساج بطوس، فلم يزل يصقلني بالمجاهدة حتى حظيت بالواردات فرأيت الله في المنام فقال لي: يا أبا حامد: قلت: أو الشيطان يكلمني؟ قال: لا. بل أنا الله المحيط بجهاتك الست، ثم قال يا أبا حامد: ذر مساطرك واصحب أقواماً جعلتهم في أرضي محل نظري وهم الذين باعوا الدارين بحبّي، فقلت: بعزتك إلا أذقتني برد حسن الظن بهم، فقال: قد فعلت والقاطع بينك وبينهم تشاغلك بحب الدنيا فاخرج منها مختاراً قبل أن تخرج منها صاغرا، فقد أفضت عليك أنواراً من جوار قدسي ففز ونل، فاستيقظت فرحاً مسروراً وجئت إلى شيخي يوسف النساج فقصصت عليه المنام فتبسم، فقال يا أبا حامد هذه ألواحنا في البداية محوناها بأرجلنا، بل إن صحبتني سيكحل بصر بصيرتك بإثمد التأييد حتى ترى العرش ومن حوله، ثم لا ترضى بذلك حتى تشاهد ما لا تدركه الأبصار، فتصفو من كدر طبيعتك، وترقى على طور عقلك، وتسمع الخطاب من الله تعالى كموسى إني أنا الله رب العالمين. ونقل القطب سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتابه الأجوبة المرضية عن الشيخ الأكبر ما نصه: وكان الغزالي يقول لما أردت أن انخرط في سلك القوم وأشرب من شرابهم نظرت إلى نفسي فرأيت كثرة حجبها، ولم يكن له شيخ إذ ذاك فدخلت الخلوة واشتغلت بالرياضة والمجاهدة أربعين يوماً، فانقدح لي من العلم ما لم يكن عندي أصفى وأرق مما كنت أعرفه، فنظرت فيه فإذا فيه قوة فقهية فرجعت إلى الخلوة واشتغلت بالرياضة والمجاهدة أربعين يوماً، فانقدح لي علم آخر أرق وأصفى مما حصل عندي أولاً ففرحت به، ثم نظرت فيه فإذا فيه قوة نظرية فرجعت إلى الخلوة ثالثاً أربعين يوماً فانقدح لي علم آخر هو أرق وأصفى، فنظرت فيه فإذا فيه قوة ممزوجة بعلم علم ولم ألحق بأهل العلوم اللدنية، فعلمت أن الكتابة على المحو ليست كالكتابة على الصفاء الأول والطهارة الأولى، ولم أتميز عن النظار إلا ببعض أمور، ثم قال الشيخ الأكبر: رحم الله أبا حامد ما كان أكثر إنصافه وتحرزه من الدعوى اهـ.

الفصل الخامس

في ثناء الأكابر عليه من مشايخه وممن عاصره وممن أتى بعده

قال ابن السبكي: حُكي عن الشيخ العارف أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه، وكان سيد عصره ولسان وقته وبركة زمانه أنه رأى النبي ﷺ في النوم وقد باهى عليه الصلاة والسلام

موسى وعيسى عليهما السلام بالإمام الغزالي، وقال: أفي أمتكما حبر مثل هذا؟ قالا: لا. وسئل السيد العارف بالله سيد وقته أيضاً أبو العباس المرسي عن الغزالي فقال: أنا أشهد له بالصديقية العظمى، ونقل المناوي في طبقاته عن القطب اليافعي عن بعض العلماء الجامعين بين علم الظاهر والباطن أنه قال: لو كان نبي بعد النبي لكان الغزالي، وشهد له القطب سيدي محي الدين بن عربي، وناهيك به أنه من رؤساء الطريقة وساداتهم، ونُقل عنه أنه كان يرى المناسبة ويقول بها، فرأى في بيت المقدس حمامة وغراباً لصق أحدهما بالآخر وأنس به ولم يستوحش منه فقال: اجتماعهما لمناسبة فأشار إليهما بيده فدرجا فإذا بكل منهما عرج قال: والمناسبة في مساق الأشياء صحيحة ومعرفتها من مقامات خواص أهل الطريقة وهي غامضة موجودة في كل شيء حتى بين الاسم والمسمى. قال: والقائلون بها من طريقتنا عظماء أهل المراقبة والأدب، ولا تكون إلا بعد كشف علمي ومشهد ملكوتي. ويروى عن بعضهم قال: الأقطاب ثلاثة. قطب العلوم كحجة الإسلام الغزالي، وقطب الأحوال كأبي يزيد البسطامي، وقطب المقامات كعبد القادر الجيلاني. نقلته من كتاب القصد والسداد في مناقب القطب السيد عبدالله باحداد، وفيه أيضاً من كلمات المترجم قدس سره هذا الثوب نسجه الغزالي، وقصره عبد القادر الجيلاني. أو قال الشعراني أو هما، ونحن خيطناه ونقشناه وأين من يلبسه؟ قال: ففيه إشارة إلى أن الغزالي والشعراني قد بلغا في العلوم اللدنية المبلغ الذي فاقا به الكل. وقال السبكي في جواب كتاب أبي العفيف المطري وقد سأله عن الغزالي ما نصه: وماذا يقول الإنسان وفضله واسمه قد طبق الأرض، ومن خبر كلامه عرف أنه فوق اسمه. وقال محمد بن يحيى النيسابوري تلميذ الغزالي: لا يعرف الغزالي وفضله إلا من بلغ أو كاد أن يبلغ الكمال في عقله. قال ابن السبكي: يعجبني هذا الكلام فإن الذي يحب أن يطلع على منزلة من هو أعلى منه في العقل يحتاج إلى العقل والفهم، فبالعقل يميز وبالفهم يقضي، ولما كان علم الغزالي في الغاية القصوى احتاج من يريد الإطلاع على مقداره أن يكون هو تام العقل. وأقول: لا بدّ مع تمام العقل من مداناة مرتبتة في العلم لمرتبة الآخر، وحينئذ فلا يعرف أحد ممن جاء بعد الغزالي قدر الغزالي إلا بمقدار علم الغزالي إذ لم يجيء بعده مثله، ثم المداني له إنما يعرف قدره بقدر ما عنده لا بقدر الغزالي نفسه. سمعت الشيخ الإمام الوالد يقول: لا يعرف قدر الشخص في العلم إلا من ساواه في رتبته وخالطه مع ذلك، قال: وإنما يعرف قدره بمقدار ما أوتيه هو، وكان يقول لنا: لا أحد من الأصحاب يعرف قدر الشافعي كما يعرفه المزني قال: وإنما يعرف المزني من قدر الشافعي بمقدار قوى المزني والزائد عليها من قوى الشافعي لم يدركه المزني، وكان يقول أيضاً: لايقدر أحد النبي ﷺ حق قدره إلا الله تعالى، وإنما يعرف كل واحد من مقداره بمقدار ما عنده هو. قال: فأعرف الأمة بقدره ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه لأنه أفضل الأمة. قال: وإنما يعرف أبو بكر من مقدار المصطفى ﷺ ما تصل إليه قوى أبي بكر، وثَمَّ أمور تقصر عنها قواه لم يحط بها علم ومحيط بها علم الله وهو كلام نفيس، وقد قدمنا كلام شيخه إمام الحرمين فيه، وناهيك به جلالة وقدراً أن الغزالي بحر مغرق. وقال الحافظ أبو طاهر السلفي: سمعت الفقهاء يقولون كان الجويني يعني إمام الحرمين يقول في تلامذته إذا ناظروا التحقيق للخوافي والحربيات للغزالي والبيان للكيا.

الفصل السادس

في ذكر شيء من كراماته:

يحكى أن السلطان علي بن يوسف بن تاشفين صاحب المغرب الملقب بأمير المسلمين، وكان أميراً عادلاً نزهاً فاضلاً عارفاً بمذهب مالك خيّل إليه لما دخلت مصنفات الغزالي إلى المغرب أنها مشتملة على الفلسفة المحضة وكان المذكور يكره هذه العلوم، فأمر بإحراق كتب الغزالي، وتوعد بالقتل من وجد عنده شيء منها، فاختلت حاله، وظهرت في بلاده مناكر كثيرة، وقويت عليه الجند، وعلم من نفسه العجز بحيث كان يدعو الله بأن يقيض للمسلمين سلطاناً يقوى على أمرهم، وقوي عليه عبد المؤمن بن علي ولم يزل من حين فعل بكتب الغزالي ما فعل في عكس ونكد إلى أن توفي، وقال أبو عبد الله محمد بن يحي بن عبد المنعم العبدري المؤذن. رأيت بالاسكندرية سنة خمسمائة في إحدى عشرة من المحرم أو صفر فيما يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها، فعبر ذلك بعض المعبرين ببدعة تحدث فيهم، فبعد أيام وصلت المراكب بإحراق كتب الإمام أبي حامد الغزالي بالمرية وذكر الإمام فخر الدين أبو بكر الشاشي أنه كان في زماننا رجل يكره الغزالي يذمه ويستغيبه في الديار المصرية، فرأى النبي ﷺ في المنام، وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما بجانبه، والغزالي جالس بين يديه وهو يقول: يا رسول الله هذا يتكلم فيّ فإذا النبي ﷺ قال: هاتوا السياط وأمر به فضُرب لأجل الغزالي، وقام هذا الرجل من النوم وأثر السياط على ظهره لم يزل، وكان يبكي ويحكيه للناس، ولهذه القصة نظيرة وقعت لابن حرزهم المغربي يأتي ذكرها عند ذكر كتاب الإحياء. وقال ابن السبكي: وحكى لي بعض الفقهاء أهل الخير بالديار المصرية أن شخصاً تكلم في الغزالي في درس الشافعية وسبَّه، فحمل هذا الحاكي من ذلك هماً مفرطاً، وبات تلك الليلة فرأى الغزالي في النوم فذكر له ما وجد من ذلك، فقال: لا تحمل هماً غداً يموت، فلما أصبح توجه إلى درس الشافعي فوجد ذلك الفقيه قد حضر طيباً في عافية، ثم خرج من الدرس فلم يصل إلى بيته إلا وقد وقع من على الدابة ودخل بيته في حال التلف وتوفي آخر ذلك النهار.

الفصل السابع

في انتقاله من دار الدنيا إلى دار الآخرة:

قالوا: ولم يزل موزعاً أوقاته على تلاوة القرآن ومجالسة أرباب القلوب وإدامة الصيام والقيام، حتى كان في جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة، وفي كتاب الثبات عند الممات لابن الجوزي قال أحمد أخو الغزالي: لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخي وصلّى وقال: عليّ بالكفن فأخذه وقبّله ووضعه على عينيه، وقال: سمعاً وطاعة للدخول على الملك، ثم مدّ رجليه واستقبل، فانتقل إلى رضوان الله تعالى قبل الاسفار طيب الثناء أعلى منزلة من نجم السماء لا يكرهه إلا حاسد أو زنديق، ولا يسومه بالسوء إلا من كان في قلبه ريب أو حاد عن سواء الطريق. وقال

فخر الدين بن عساكر: مضى إلى رحمة الله يوم الإثنين الرابع عشر من جادى الآخرة سنة خمس وخمسائة، ودُفن بظاهر قصبة طابران والله يخصه بأنواع الكرامة في اخراه كما خصه بفنون العلم في دنياه بمنه، ولم يعقب إلا البنات، وكان له من الأسباب إرثاً وكسباً ما يقوم بكفايته ونفقة أهله وأولاده فما كان يباسط أحداً في الأمور الدنيوية وقد عُرضت عليه فما قبلها وأعرض عنها، واكتفى بالقدر الذي يصون به دينه ولا يحتاج معه إلى التعرض للسؤال والمنال من غيره. قال ابن السمعاني: وقد زرت قبره بالطابران قصبة طوس سمعت أبا جعفر عمر بن محمد بن أحمد الطوسي مذاكرة يقول: تمثل الإمام إسماعيل الحاكمي بعد وفاة الإمام أبي حامد الغزالي بهذا البيت.

عجبت لصبري بعده وهو ميت ... وكنت امرأ أبكي دماً وهو غائب

ووجدت في كتاب بهجة الناظرين وأنس العارفين للعارف بالله محمد بن عبد العظيم الزموري ما نصه: ومما حدثنا به من أدركنا من المشيخة أن الأمام أبا حامد الغزالي لما حضرته الوفاة أوصى رجلاً من أهل الفضل والدين كان يخدمه أن يحفر قبره في موضع بيته ويستوصي أهل القرى التي كانت قريبة إلى موضعه ذلك بحضور جنازته، وأن لا يباشره أحد حتى يصل ثلاثة نفر من الفلاة لا يعرفون في بلاد العراق يغسله إثنان منهما، ويتقدم الثالث بالصلاة عليه بغير أمر أحد ولا مشورة، فلما توفي فعل الخديم كل ما أمره به وحضر الناس، فلما اجتمعوا لحضور جنازته رأوا ثلاثة رجال خرجوا من الفلاة، فعمد إثنان منهم إلى غسله واختفى الثالث ولم يظهر، فلما غُسل وأدرج في أكفانه وحُملت جنازته ووُضعت على شفير قبره ظهر الرجل الثالث ملتفاً في كسائه في جانبيه علم أسود معمماً بعمامة صوف، وصلى عليه وصلى الناس بصلاته، ثم سلّم وانصرف فتوارى عن الناس، وكان بعض الفضلاء من أهل العراق ممن حضر الجنازة ميزه بصفاته ولم يعرفه إلى أن سمع بعضهم بالليل هاتفاً يقول لهم: إن ذلك الرجل الذي صلّى بالناس هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن إسحاق امغار الشريف جاء من المغرب الأقصى من عين القطر، وأن اللذين غسلاه هما صاحباه أبو شعيب أيوب بن سعيد بن دازمور وأبو عيسى وازجيح، فلما سمعوا بذلك عملوا الرحلة من العراق إلى صنهاجة أزمور بالمغرب الأقصى، فلما وصلوا إليهم واستوهبوا منهم الدعاء انصرفوا إلى العراق وأخبروا متصوفة العراق وأشاعوا كرامتهم، ثم أن جماعة منهم لما سمعوا بذلك أتو إلى زيارتهم فوجدوهم أولئك الذين ميزوا واستوهبوا منهم الدعاء وهو سياق غريب.

الفصل الثامن

في ذكر شيء مما رثي به بعد موته:

فمن ذلك قول أبي المظفر الأبيوردي قال يرثيه:

بكى على حجة الإسلام حين ثوى ... من كل حي عظيم القدر أشرفه

فما لمن يجتــــزي في الله عبرتـــــه	على أبي حـــامـــد لاح يعنفـــه
تلك الرزية تستوهـي قـوى جلـدي	والطـرف تسهـره والدمـع تنـزفـه
فما لـه خلـة في الزهـد تنكـرهـا	ومـا لـه شبـه في العلم تعـرفـه
مضى فـاعظـم مفقـود فُجعـت بـه	مـن لا نظير لـه في النـاس يخلفـه

وقال القاضي عبد الملك بن أحمد بن محمد بن المعافي:

بكيــت بعين واجـم القلــب واله	فتى لم يـوال الحـق مـن لم يـواله
وسيبـت دمعـاً طـالما قـد حبستـه	وقلــت لجفنــي والـه ثم والـه
أبا حامـد محيي العلـوم ومـن بقـى	لشـدّ عـرا الإسلام وفـق مقـالـه

وفي بعض النسخ: ومن بقي صدا الدين والإسلام وفق صقاله

الفصل التاسع

في ذكر شيء من رسائله ومكاتباته إلى أصحابه:

قال ابن السمعاني: قرأت في كتاب كتبه الغزالي إلى أبي حامد أحمد بن سلامة بالموصل فقال في خلال فصوله: أما الوعظ فلا أرى نفسي أهلاً له لأن الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ، فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد الثوب كيف يستر به غيره:

ومتى يستقيم الظل والعود أعوج.

وقد أوحى الله إلى عيسى عليه السلام عظ نفسك، فإن اتعظت فعظ الناس والاّ فاستحي مني. وقال ابن السمعاني أيضاً: سمعت أبا نصر الفضل بن الحسن بـن علي المقـري مـذاكـرة بمرو يقـول: دخلت على الإمام أبي حامد مودعاً فقال لي: احمل هذا الكتاب إلى المعين أبي القاسم البيهقي، ثم قال: وفيه شكاية على العزيز المتولي للأوقاف بطوس، وكان ابن أخي المعين فقلت له كنت بهراة عند عمه المعين، وكان العمان الطوسي جاء بمحضر في الثناء على المعين[1] وعليه خطك، وكان عمه قد طرده وهجره، فلما رأى خطك وثناءك عليه قربه ورضي عنه، فقال الإمام الغزالي: سلم الكتاب إلى المعين واقرأ عليه هذا البيت وأنشد:

ولم أر ظلماً مثـــل ظلم ينـــالنـــا	يســاء إلينـا ثم نـؤمـر بـــالشكـــر

ذكر الرسالة التي كتبها إلى بعض أهل عصره ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين. أما بعد: فقد انتسج بيني وبين الشيخ الأجل معتمد الملك أمير الدولة غرس الله تأييده بواسطة القاضي الجليل الإمام مروان زاده الله توفيقاً من الوداد وحسن الإعتقاد ما يجري مجرى القرابة، ويقتضي دوام المكاتبة

---

(١) قوله على المعين لعله العزيز كذا بهامش اهـ.

والمواصلة وإني لا أصله بصلة أفضل من نصيحة توصله إلى الله وتقربه إليه زلفى، وتحله الفردوس الأعلى، فالنصيحة هي هدية العلماء وأنه لن يهدي إلى تحفة أكرم من قبوله لها واصغائه بقلب فارغ عن ظلمات الدنيا إليها وإني أحذره إذا ميزت عنده أرباب القلوب أحرار الناس أن يكون إلا في زمرة الكرام الأكياس، وقد قيل لرسول الله ﷺ: من أكرم الناس؟ فقال: «أتقاهم» فقيل: من أكيس الناس؟ فقال: «أكثرهم للموت ذكراً وأشدهم استعداداً». وقال ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله المغفرة وأشد الناس غباوة وجهلاً من تهمه أمور دنياه التي تختطف عند الموت ولا يهمه أن يعرف أنه من أهل الجنة أو النار». وقد عرفه الله تعالى ذلك حيث قال: ﴿إن الأبرار لفي نعيم ★ وإن الفجار لفي جحيم﴾ [الانفطار، الآيتان: ١٣، ١٤] وقال: ﴿فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا ★ فإن الجحيم هي المأوى﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩] وقال: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها﴾ إلى قوله: ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ [هود: ١٥، ١٦] وإني أوصيه أن يصرف إلى هذا المهم همته، وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، ويراقب سريرته وعلانيته وقصده وهمته وأفعاله وأقواله واصداره وإيراده أهي مقصورة على ما يقربه من الله تعالى ويوصله إلى سعادة الأبد، أو هي مصروفة إلى ما يعمر دنياه ويصلحها له إصلاحاً منغصاً مشوباً بالكدورات مشحوناً بالهموم والغموم، ثم يختمها بالشقاوة والعياذ بالله، فليفتح عين بصيرته، ولتنظر نفس ما قدمت لغد وليعلم أنه لا مشفق ولا ناظر لنفسه سواه وليتدبر ما هو بصدده، فإن كان مشغولاً بعمارة ضيعة فلينظر كم من قرية أهلكها الله وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها بعد عمالها، وإن كان مقبلاً على استخراج ماء أو عمارة نهر فليفكر كم من بئر معطلة بعد عمارها، وإن كان مهتماً بتأسيس بناء فليتأمل كم من قصور مشيدة البنيان محكمة القواعد والأركان أظلمت بعد سكانها، وإن كان معتنياً بعمارة الحدائق والبساتين فليعتبر كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم الآية. وليقرأ قوله تعالى: ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ★ ثم جاءهم ما كانوا يوعـــدون ★ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ [الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧] وإن كان مشغوفاً والعياذ بالله بخدمة سلطان فليذكر ما ورد في الخبر أنه ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم، فلا يبقى أحد منهم مدَّ لهم دواة أو بري لهم قلماً، فما فوق ذلك إلا أحضروا فيجمعون في تابوت من نار فيلقون في جهنم. وعلى الجملة؛ فالناس كلهم إلا من عصم الله نسوا الله فنسيهم فأعرضوا عن التزوّد للآخرة وأقبلوا على طلب أمرين الجاه والمال، فإن كان هو في طلب جاه ورئاسة فليتذكر ما ورد به الخبر أن الأمراء والرؤساء يحشرون يوم القيامة في صور الذر تحت أقدام الناس يطـؤنهم بأقدامهم وليقرأ ما قال تعالى في كل متكبر جبار. وقد قال ﷺ: «يكتب الرجل جباراً وما يملك إلا أهل بيته» أي إذا طلب الرئاسة بينهم وتكبر عليهم، وقد قال عليه السلام: «ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فساداً من حب الشرف في دين الرجل المسلم» وإن كان في طلب المال وجمعه فليتأمل قول عيسى عليه السلام: يا معشر

الحواريين مسرة في الدنيا مضرة في الآخرة بحق أقول: لا تدخل الأغنياء ملكوت السماء، وقد قال نبينا ﷺ: يحشر الأغنياء أربع فرق رجل جمع مالاً من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار، ورجل جمع مالاً من حرام وأنفقه في حلال فيقال اذهبوا به إلى النار، ورجل جمع مالاً من حلال وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار، ورجل جمع مالاً من حلال وأنفقه في حلال فيقال قفوا هذا وسلوه لعله ضيع بسبب غناه فيما فرضناه عليه، أو قصّر في الصلاة أو في وضوئها أو في ركوعها أو سجودها أو خشوعها أو ضيع شيئاً من فرض الزكاة والحج، فيقول الرجل جمعت المال من حلال وأنفقته في حلال وماضيعت شيئاً من حدود الفرائض، بل أتيت بتمامها فيقال: لعلك باهيت بمالك واختلت في شيء من ثيابك فيقول يا رب ما باهيت بمالي ولا اختلت في ثيابي فيقال لعلك فرطت فيما أمرناك من صلة الرحم وحق الجيران والمساكين، وقصرت في التقديم والتأخير والتفضيل والتعديل ويحيط به هؤلاء فيقولون ربنا أغنيته بين أظهرنا وأحوجتنا إليه فقصر في حقنا، فإن ظهر تقصير ذهب به إلى النار وإلاَّ قيل له: قف هات الآن شكر كل نعمة وكل شربة وكل أكلة وكل لذة فلا يزال يسئل ويسئل. فهذه حال الأغنياء الصالحين المصلحين القائمين بحقوق الله أن يطول وقوفهم في العرصات فكيف حال المفرطين المنهمكين في الحرام والشبهات، المكاثرين به المتبعين لشهواتهم الذين قيل لهم: ﴿ألهاكم التكاثر ★ حتى زرتم المقابر﴾ [التكاثر: ١، ٢] فهذه المطالب الفاسدة هي التي استولت على قلوب الخلق تسخرها للشيطان وتجعلها ضحكة له، فعليه وعلى كل مستمر في عداوة نفسه أن يتعلم علاج هذا المرض الذي حل بالقلوب، فعلاج مرض القلوب أهم من علاج مرض الأبدان، ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم، وله دواءان:

أحدهما: ملازمة ذكر الموت وطول التأمل فيه مع الأعتبار بخاتمة الملوك وأرباب الدنيا كيف جمعوا كثيراً وبنوا قصوراً وفرحوا بالدنيا بطراً وغروراً، فصارت قصورهم قبوراً وأصبح جمعهم هباء منثوراً. وكان أمر الله قدراً مقدوراً أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون، فقصورهم وأملاكهم ومساكنهم صوامت ناطقة تشهد بلسان حالها على غرور عمالها، فانظر الآن في جميعهم هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ذكراً.

الدواء الثاني: تدبر كتاب الله تعالى ففيه شفاء ورحمة للعالمين، وقد أوصى رسول الله ﷺ بملازمة هذين الواعظين فقال: تركت فيكم واعظين صامتاً وناطقاً. الصامت الموت والناطق القرآن، وقد أصبح أكثر الناس أمواتاً عن كتاب الله تعالى وإن كانوا أحياء في معايشهم، وبكماً عن كتاب الله وإن كانوا يتلونه بألسنتهم، وصماً عن سماعه وإن كانوا يسمعونه بآذانهم، وعمياً عن عجائبه وإن كانوا ينظرون إليه في مصاحفهم، وأميين في أسراره ومعانيه وإن كانوا يشرحونه في تفاسيرهم، فاحذر أن تكون منهم وتدبر أمرك وأمر من لم يتدبر كيف ندم وتحسر، وانظر في أمرك وأمر من لم ينظر في أمر نفسه كيف خاب عند الموت وخسر واتعظ بآية واحدة في كتاب الله ففيه مقنع وبلاغ لكل ذي بصيرة. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا

تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ [المنافقون:٩] إلى آخرها. وإياك ثم إياك أن تشتغل بجمع المال فإن فرحك به ينسيك أمر الآخرة وينزع حلاوة الإيمان من قلبك. قال عيسى عليه السلام: لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب بحلاوة إيمانكم وهذه ثمرة مجرد النظر، فكيف عاقبة الجمع والطغيان والبطر؟ وأما القاضي الجليل الإمام مروان أكثر الله في أهل العلم أمثاله فهو قرة العين، وقد جمع بين الفضيلتين العلم والتقوى، ولكن الاستتمام بالدوام ولا يتم الدوام إلا بمساعدة من جهة ومعاونة له عليه بما يزيد في رغبته، ومن أنعم الله عليه بمثل هذا الولد النجيب فينبغي أن يتخذه ذخراً للآخرة ووسيلة إلى الله تعالى، وأن يسعى في فراغ قلبه لعبادة الله تعالى، ولا يقطع عليه الطريق إلى الله تعالى، وأول الطريق إلى الله تعالى طلب الحلال والقناعة بقدر القوت من المال وسلوك سبيل التواضع والنزوع من رعونات أهل الدنيا التي هي مصائد الشيطان هذا مع الهرب من مخالطة الأمراء والسلاطين، ففي الخبر أن الفقهاء أمناء الله ما لم يدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا فيها فاتهموهم على دينكم، وهذه أمور قد هداه الله إليها ويسرها عليه، فينبغي أن يمده ببركة الرضا ويمده بالدعاء فدعاء الوالد أعظم ذخراً وعدة في الآخرة الأولى، وينبغي أن يقتدي به فيما يأمره من النزوع عن الدنيا، والولد وإن كان فرعاً فربما صار بمزيد العلم أصلاً، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك﴾ [مريم: ٤٣] الآية. وليجتهد أن يجبر تقصيره في القيامة بتوقيره ولده الذي هو فلذة كبده، فأعظم حسرة أهل النار في القيامة فقدهم في القيامة حميماً يشفع لهم. قال الله تعالى: ﴿فليس له اليوم ههنا حميم﴾ [الحاقة: ٣٥] أسأل الله أن يصغر في عينه الدنيا التي هي صغيرة عند الله، وأن يعظم في عينه الذي هو عظيم عنده، وأن يوفقنا وإياه لمرضاته ويحله الفردوس الأعلى من جناته بمنه وفضله وكرمه.

الفصل العاشر

في ذكر شيء من فتاويه غير ما تضمنته فتاويه المشهورة:

سُئل ما قوله فيمن يغتاب كافراً أيأثم بذلك أم لا؟ وهل يفترق الحال بين الذمي والحربي، وفيمن يغتاب مبتدعاً بغير بدعته أيحرم أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق: الغيبة المنهي عنها هي أن يذكر المغتاب بما يكرهه إذا سمعه، وإن كان صادقاً وهو في حق المسلم محذور لثلاث علل. احداها: ما فيه من الإيذاء إن سمعه أو يضيق بسببه إن لم يسمعه، والثانية: إن فيه تنقص ما هو فعل الله تعالى فإن الله عز وجل هو خالق الخلق وهو خالق صفاتهم وأفعالهم وأخلاقهم حتى ينهي بسبب هذا عن مذمة الأطعمة الرديئة وتنقصها. والثالثة: إنه يضيع الوقت بما لا يعني وهو جار في النطق بما ليس فيه غرض صحيح، والعلة الأولى تقتضي التحريم فإن إيذاء المسلم حرام، والثانية تقتضي الكراهة وهو يطرد في الأطعمة والحيوانات، والثالثة يقال أن تركه أولى وهو رتبة دون الكراهة فهم ذلك من قوله ﷺ: «من حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» فإذا فهم هذا في المسلم فالكافر إن كان حربياً.

فإيذاؤه ليس بحرام إذ لا عصمة له فتزول علة التحريم ويبقى أنه تنقص لما هو من خلق الله تعالى، فإن كان ذلك تعرضاً لذميم أخلاقه لا لنشأة خلقته وانضم إليه الأشعار، وقال ذلك من أثر ضلاله وكفره تنفيراً عن الكفر وتحقيراً له ببيان أنه مما ينتج الأخلاق السيئة، فهـذا لا كراهية فيه وإن لم يكن على هذا القصد ولا مع هذا الإشعار ولم تكن فيه فائدة التنبيه من تحذير وتحقير فالكراهة فيها أخف، وإنما لا تستشعر النفس فيها كراهة لأنه يسبق إليها إن مذمته مذمـة الكفر وإشارة إليه، وقد سبق أن ذلك لا بأس به وهذا بأن يكون مندوباً أشبه من أن يكون مكروهاً، وأما التعرض لبشرة خلقته فالكراهة فيها أخف من التعرض للأطعمة والبهائم لأنه مما استحق إيذاؤه ويمكن أيضاً أن يوهم أن ذلك من شؤم ضلاله وأنه عذاب له على كفـره، وأما الذمي فهو كالمسلم فيما يرجع إلى المنع من الإيذاء لأن الشرع عصم عرضهم كما عصم دمهم وأموالهم، وأما المتبدع إن كفر فهو كالحربي وإن لم يكفر فهو كالمسلم، وأما ذكره ببدعته فليس مكروهاً، وكذا ذكر أخلاقه في معرض التعليل بشؤم البدعة فلا بأس به، فأما ذكره خلقته فلا وجه له والله أعلم كتبه الغزالي.

وسئل ما يقول أدام الله علوه هل يجوز الغرس في المسجد أم لا؟ وإن غرس فالفاكهة الحاصلة منها من يملكها، وإن غرس على أن تكون الفاكهة مباحة للمسلمين هل يجوز أم لا؟

الجواب وبالله التوفيق: ينظر إلى الغارس، فإن غرس لنفسه منع منه مهما كان قصده الانتفاع بالمسجد، فإن فعل وحصلت الفاكهة فهي له وعليه أجرة المثل للمسجد لأنه استوفى منافعه فهو كما لو أحرق خشباً من المسجد تلزمه الغرامة، ويجوز الاكل من الفاكهة بإذن المالك ما دام حياً، فإذا مات قبل اداء الأجرة تعلق حق الأجرة بالشجرة والثمرة وصار مرهوناً فلا يجوز الأكل منه بالاذن السابق فإنه متعلق بحق المسجد وان غرس على أن يكون الغراس للمسجد وينصرف الريع إلى مصالحه، فذلك غير جائز إلا أن يكون المسجد واسعاً وتكون فيه فائدة للمصلين بالاستظلال إن لم يكن فيه ما يجمع من الطيور ما ينجس المسجد فيرخص فيه، كما في بناء السقف فإن فائدة الاستظلال من الشمس مقصودة، وما يشغله الشجرمن عرصة المسجد أقل مما تشغله الحيطان، فأما إذا غرس على أن يكون وقفاً على قوم لا تعلق لهم بالمسجد فيمنع منه كما لو غرس لنفسه، إذ لا يجوز صرف منافع المسجد إلاّ إلى مصلحة المسجد ومصلحة قيام الصلاة فيه، وإن غرس على أن يكون وقفاً على المجاورين والمصلين فيه فهذا له تعلق بالمسجد محتمل جوازه، ويمكن أن لا يجوز صرف مال المسجد إذا فضل من مصالحها إلى المجاورين وإن جاز صرفها إلى الإمام والمؤذن، فمن هذا الوجه يكاد يلتحق المجاور بسائر المسلمين، وإن أشكل الأمر ولم يدر أنه على نية قصد فالأصل بقاؤه على ملكه فيجعل كأنه غرسه لنفسه، فعلى المتولي قلعه لأنه لا سبيل إلى تركه مجاناً ولا إلى تركه للأجرة، فإن ذلك اختيار لبيع المنفعة في المستقبل بخلاف ما حصل فواته في الماضي، فـإن غـرامـة ذلـك تشبـه غـرامـة اتلاف الوقـف والمستولدة، وأما التبقية اختياراً بالأجرة فشبه إجارة المسجد وبيع الوقف والمستولدة، فينبغي أن يرد ما فضل من الأجرة بعد القلع إلى المالك أو وارثه، وإن كان الغارس قد مات ولم يبق له

وارث فهو متعلق أجرة المسجد فيؤخذ للمسجد بدل ما وجب من الأجرة، فإن فضل شيء أو لم تكن أجرة باقية فهو مال المصالح فإن رأى القاضي من المصلحة أن يتركه ويجعله وقفاً على المسجد فله ذلك، وإن كان في المصالح ما هو أهم من المسجد وكان للمسجد فائدة بابقائه للاستظلال وأراد بقاءه ليأخذ من فاكهته للمسجد بقدر الأجرة يصرف الفاضل إلى المصالح، فهذا قد يصادم فيه محذوران. أحدهما: قلعه مع أنه فيه فائدة للإستظلال كما في البناء، والآخر: إبقاؤه بالأجرة وكأنه إجارة والأليق بمصلحة الجوانب الرخصة في الإبقاء، إذ ليس في قلعه للمسجد فائدة وله في إبقائه فائدة، ومع هذا فلو اتسع خطة المسجد وأراد المتولي أن يزرع بعض جوانب المسجد فيتخذه مستغلاً للمسجد، أو يجعل بعض بيوته مستغلاً لم يجز، لأن ذلك اكتساب مال المسجد وليس في نفس الزرع للمصلين فائدة بخلاف الشجرة ذات الظل، فإنها تقوم في دفع حر الشمس عن المصلين مقام السقف فلأجل ذلك رخص في غرسه وإبقائه عند اتساع المسجد والله أعلم. كتبه الغزالي.

وسُئل: ما قوله دام علوه في المصلى المبني لصلاة العيد خارج البلد أله حكم المسجد في الأحكام أم لا. وإن لم يكن فما سببه ولم يبن الا للصلاة؟

الجواب وبالله التوفيق: لا يثبت له حكم المسجد في الاعتكاف ومكث الجنب وغيره من الأحكام، لأن المسجد هو الذي أعد لرواتب الصلاة وعين له حتى لا ينتفع به في غيرها وموضع صلاة العيد معد للإجتماعات ولنزول القوافل ولركوب الدواب ولعب الصبيان ولم تجر عادة من سلف بالمنع من شيء من ذلك فيه، فلو اعتقدوه مسجداً لصانوه عن هذه الأسباب ولقصد لإقامة سائر الصلوات، فصلاة العيد تطوّع وهو أيضاً لا يكثر تكرره ولا يبنى ذلك لقصد الصلاة بل للإجتماع، وتكون كالتبع في القصد والله أعلم كتبه الغزالي.

وسُئل: ما قوله دام علوه فيما أقطع رسول الله ﷺ تميماً الداري رضي الله عنه من الشام قبل أن ملكه أهل الإسلام، ما وجه صحته مع أنه جرى قبل الملك ولم يتصل به القبض ولم يحو تحديد محل الاقطاع، وهل يجوز للإمام أن ينتزع ذلك من يد أولاده، ومتى يحصل الملك للمقطع؟ يتفضل بشرح القول فيه.

الجواب وبالله التوفيق: ذلك الإقطاع صحيح، والملك حاصل لتميم الداري ومنتقل إلى أعقابه بالوراثة، ووقت حصول الملك عند تسليم الإمام المستولى عليه إليه، ووجه صحته أنه كان ﷺ مختصاً بالصفايا من المغنم حتى كان يختار من المغنم ما يريد ويرفع ملك المسلمين عنه بعد استيلائهم، وكذلك له أن يستثني نفعه من ديار الكفار عن ملك المسلمين ويعينه لبعضهم فيصير ملكاً له، ويكون سبب الملك تسليم الإمام أمر رسول الله ﷺ بالتسليم، وقد نقل أمثال ذلك من التخصيصات قبل الاستيلاء وليس ذلك لغيره من الأئمة، فإنه كان ﷺ مطلعاً بالوحي على ما سيملك في المستقبل وعلى وجه المصلحة في التخصيص والاستثناء وغيره لا يطلع عليه، وأما قول من قال لا يصح اقطاعه لأنه قبل الملك فهو كفر محض إذ يقال له هل حل لرسول الله ﷺ فعله

أو كان ظالماً بتصرفه قبل الملك، فإن جعله ظالماً فقد كفر، وإن قال حل له ذلك ولكن الملك لا يحصل به فيقال: وهل علم أن الملك لا يحصل به أم لا ؟ فإن قال إنـه لم يعلم فقـد جهلـه بحكـم الشرع وهذا كفر، وإن قال علم ذلك فيقال لا يبقى لاقدامه عليه مع العلم ببطلانه إلا تطييب قلب تميم الداري بما لا حاصل له ولا طائل تحته وهو محض الخداع أو التلبيس، ومن نسبه إلى شيء من ذلك فهو كافر، وأما قوله: إن القبض لم يتصل به فهو باطل من وجهين:

أحدهما: أن أفعال رسول الله ﷺ حجة تتعرف بها شروط الأفعال، فأما أن يتحكم عليها بالشرط فلا، ففعله يبين أن ذلك ليس بشرط وهو كما لو نكح بغير ولي ولا شهود أو يبين به ان ذلك خاصيته ونكاح تسع نسوة من هذا القبيل، بل لو أقطع مثلاً زوجة مسلم لمسلم آخر لوجب أن يقال قد أوحى إليه أنها حرمت على زوجها وحلت للآخر فإن فعله ﷺ نص في الجواز.

والثاني: ان الاقطاع ليس بتمليك في الحال حتى يشترط اتصاله بالقبض، بل هو كما لو أقطع الإمام بعض أراضي الموات ليحييه المقطع فإنه لا يملكه إلا بالاحياء، وفي الحال لا يملكه والقبض ليس شرطاً في صحة هذا التخصيص، وأما ذكر الحد فليس شرطاً للصحة لاسيما في الأمور السلطانية، وإنما يشترط للتسليم وللإمام عند التسليم أن يعوّل فيه على الاشتهار وله أن يسامح فيما يقع منه في محل الاشتباه، فإن مبنى هذه الأمور على المساهلات بخلاف التصرفات الجزئية والله أعلم كتبه الغزالي.

وسئل: ما قوله دام علوه فيمن له ادرار من سلطان العصر اتقبل شهادته أم لا، فإن لم تقبل فما حكم القضاة الذين لهم ادرار من السلطان أمنعزلون أم لا ؟

الجـواب وبالله التوفيق: ادرار السلطان منقسم إلى ما هو حلال كالجزية والفيء، فأخذ ذلك لا يوجب الفسق إن كان الآخذ ممن تقتضي مصلحة بوجه من الوجوه أن يصرف إليه، ومهما كان من مظنة المصلحة واتصل به اجتهاد السلطان فلا يفسق، فأما الذي ليس بفقـير ولا مرتب لعمل ولا مصلحة للناس مثل كونه فقيهاً أو طبيباً أو معلماً أو غـيره، بل هو بطال في نفسه عن هذه الأشغال غير مفتقر أيضاً إليه، فأخذ ذلك لا رخصة فيه وآخذه فاسق لا تُقبل شهادته، وأما الفقيه ومن يجري في مجراه فهو على الجملة من قبيل من يصرف إليه مال المصالح وإن كتب له ادرار على ملك للسلطان أحياه أو اشتراه لم يفسق بأخذه وإن لم يكن من أهل مـال المصـالـح، فـإن ذلك ينزع وما يثبت عن ملك اشتراه السلطان في الذمة هو ملكه، وإن كان الثمن الذي فيه لم يكن من حله فالثمن في ذمته بعد، والثابت من الأرض ملكه وإنما اجتنابه من الورع، وإن كتب الادرار على الخزانة وهي جامعة للخراج المأخوذ من المسلمين وهو حرام وللجزية والفيء والمواريث وهي حلال وللهدايا وهي في محل الإجتهاد أعني هدايا الملوك فإن كان الغالب على مال ذلك السلطان جهات الحل لم يفسق بأخذه، وكذا إذا لم يكن جانب التحريم غالباً إلا أن يعلم عين ما يأخذه على الخصوص من جهة محرمة وإن كان الغالب الحرام، ولكن احتمل أن يكون ما

يأخذه قد وقع من جملة ما يحل فهذا أصل قد عارضه غالب إذ الأصل في الأموال الحل وفي الأيدي الدلالة على الملك، وقد عارضه الغالب فهو قريب من قول الشافعي رضي الله عنه في تعارض الأصل والغالب في النجاسات كطين الشوارع وغيره، ولكن لما توضأ عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية والغالب النجاسة، ثم كانوا اذا رأوا احتمال التحريم في المأكول إلى هذا الحد يتفحصون عنه دلَّ على أن الأمر في الحل والحرمة أضيق منه في الطهارة والنجاسة، فهذا في محل الاجتهاد والرأي فيه إلى القاضي، والأولى أن لا ترد شهادته إن كان يأخذ مثل ذلك عن حاجة وان ترد شهادته إن كان يأخذه مع الاستغناء، وإذا أخذ القاضي من الادرار ما قضينا بالتفسيق فيه فيتعين على السلطان عزله، ولكن لا يحكم بانعزاله لأجل المصلحة، فإن استمرار الولاية لو اشترط فيه استمرار العصمة من موجبات الفسق مع أن الشهوات غالبة والشيطان بالمرصاد لأدى ذلك إلى أن لا يدوم قضاء قاض إلا ساعة قريبة، فنقضي باطراد الولاية ووجب العزل والاستبدال مهما ظهر ذلك للسلطان والله أعلم كتبه الغزالي.

وسُئل: ما قوله دام علوه في المنتصبين على أبواب السلاطين والوزراء من أرباب الحشمة والجاه من العلماء وغيرهم لقبض ادرارات الناس وتسويفاتهم ودفع ظلاماتهم وقضاء حقوقهم طمعاً في مال صاحب الحق إذا قضى حقه. أيحل له ذلك المال أو لا. وكيف يحل له؟ وربما لم تصدر منه إلا كلمة واحدة يشفع بها إلى السلطان فقط فهذا مقابلة الجاه والحشمة بالمال فما طريق حله له، وما معنى الرشوة المحرمة في الشرع، وان لم يحل لهم هذا أصلاً فربما أفضى ذلك إلى حرج إذ لا غنية بالناس عن ذلك، وهل يفترق الحال بين أن يتعب هذا الرجل في قبض الادرار في تكرير المراجعة والمطالبة وتكثير التقاضي والإلحاح أو لا يتعب، بل يتكلم على سبيل الشفاعة؟

الجواب وبالله التوفيق: أنه إن كان السعي الملتمس منه حراماً لم يحل أخذ المال عليه، وإن كان فرض عين عليه مثل إقامة الشهادة على من ظلمه أو ما يجري مجراه لم يحل أخذ المال، وإن كان من قبيل فرض الكفايات في دفع الظلامات أو كان مباحاً نظر: فإن كان فيه تعب بحيث لو كان الفعل معلوماً لصح الإستئجار عليه جاز أخذ المال عليه بطريق الجعالة، وإن لم يكن فيه تعب نظر. فإن لم يكن فيه ابتذال حشمة وجاه لم يحل أخذ المال فإن مقابلة ما لا يتقوّم بالمال غير جائز، وإن كان المتبادل يحتاج إليه حتى لو اشترى حبة حنطة ليجعلها في فخ طائر حيث لا يجد غيرها لم يجز، وصورة هذا أن لا يلتمس منه إلا وضع القصة بين يدي السلطان، أو أن يقول للبواب لا تغلق الباب دونه، فهذه الكلمة الخفيفة لا يجوز أخذ جعل عليها وان كان فيه تبذل من حيث الحشمة، ولكن الفعل قليل في نفسه فهذا في محل النظر، والأشبه المنع من مشارطة الجعل عليه، فإن تجويزه لا مستند له إلا تخلية الناس والتراضي في المعاوضات وبذل المال في مقابلة ما فيه عوض ولا خلاف في أنه لا يجوز مقابلة المال باسقاط حق الشفعة وخيار الرد وأمور أخر فيها اعراض، فهذا يدل على أن المال إنما يشترط في مقابلة بضع أو مال أو عمل متقوم والجاه ليس من هذا القبيل، وأما مسيس الحاجة إليه فالطريق فيه ترك المشارطة للجعل وهو العادة، ولا يمتنع على ذي الجاه أن يقبل هدية من المحتاج بطريق الهبة وإن كان يعلم إنه لم يبذله

إلا طمعاً في معونة، ولكن قوله عليه السلام: « تهادوا تحابوا ». وقوله تعالى: ﴿فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ [النساء: ٨٦] يوجب الرخصة فإن المهدي يستجلب محبة المهدى إليه وبواسطة المحبة يستحثه على بذل الجاه في مقابلته، فهذه هبة تقتضي ثواباً بقرينة الحال. والصحيح أن ذلك جائز وإن الثواب واجب في مثل هذه الصورة، فلربما يهدي الفقير إلى ذي الجاه طمعاً في أن يمكنه من أن يمشي بين يدي فرسه في معرض الغلمان ليكون له بالانتساب إليه جاه، فيحصل لذي الجاه بخدمته زيادة جاه مع المال، ولا يمكن أن يجعل ذلك معاوضة ولا يمنع التوصل إلى مثل ذلك بالهدية، بل أقول: يحل للقاضي أن يقبل الهدية وإن كانت لا تهدى إليه لو لم يكن قاضياً، ولكن إنما يجوز إذا علم أن المهدي يبغي مودته وحشمته وعنايته في أمور لا تحرم عليه ولا تجب وجوب عين بحكم القضاء، وإنما الرشوة المحرمة التي يبذلها صاحبها جعلا على حكم بالحق واجب أو ميل بالظلم محرم، ولذلك قال عمر رضي الله عنه لابن مسعود وقد ولاَّه بلداً: أجب الداعي ولا تقبل الهدية وليس بحرام، ولكني أخشى عليك القيل والقال، وإذا منعنا المشارطة بطريق الجعالة في مثل هذا فيتعدى النظر في مثل بذل الجعل على فعل لا تعب فيه، ولكنه عظيم الجدوى بسبب علم صاحبه، فرب سيف ومنواله معوج تتضاعف قيمته بدقة واحدة من بصير بمحل الدق، والأشْبَـه أن انضمام العلم إلى الفعل القليل لا يكون كانضمام الجاه، وإن أخذ الجعل على هذا يجوز فإن هذه صناعة مكتسب لكسب المال، ودون هذا ما لو علم الطبيب دواء ولم يذكره إلا بجعل فأخذ المال على مجرد التنبيه عليه من غير عمل باليد فيه نظر. وهو بين مسألة السيف ومسألة بذل الجاه في كلمة والله أعلم كتبه الغزالي. نُقلت هذه الفتاوى أجمعها من خط الإمام أبي الفضل محمد بن محمد بن الفضل بن المظفر العبدي البحراني وقال: فرغت من نسخه في تاسع محرم سنة ٥٦٤ بدمشق.

الفصل الحادي عشر

في بيان حال المنتسب إليه:

قال صاحب تحفة الإرشاد نقلاً عن الإمام النووي في دقائق الروضة: التشديد في الغزالي هو المعروف الذي ذكره ابن الأثير، وبلغنا أنه قال: منسوب إلى غزالة بتخفيف الزاي قرية من قرى طوس. قلت: وهكذا ذكره النووي أيضاً في التبيان، وقال الذهبي في العبر، وابن خلكان في التاريخ: عادة أهل خوارزم وجرجان يقولون القصارى والحبارى بالياء فيهما فنسبوه للغزل، وقالوا: الغزالي ومثل ذلك الشحامي، وأشار لذلك ابن السمعاني أيضاً وأنكر التخفيف، وقال: سألت أهل طوس عن هذه القرية فأنكروها وزيادة هذه الياء قالوا للتأكيد، وفي تقرير بعض شيوخنا للتمييز بين المنسوب إلى نفس الصنعة وبين المنسوب إلى من كان صنعته كذلك، وهذا ظاهر في الغزالي فإنه لم يكن ممن يغزل الصوف ويبيعه، وإنما هي صنعة والده وجده، ولكن في المصباح للفيومي ما يؤيد التخفيف، وأن غزالة قرية بطوس وإليها نُسب الإمام أبو حامد. قال: أخبرني بذلك الشيخ مجد الدين بن محمد بن أبي الطاهر شروان شاه بن أبي الفضائل فخراور بن

عبيدالله ابن ست المنا بنت أبي حامد الغزالي ببغداد سنة عشر وسبعمائة، وقال لي أخطأ الناس في تثقيل جدنا وإنما هو مخفف، وقال الشهاب الخفاجي في آخر شرح الشفا، ويقال أنه منسوب إلى غزالة ابنة كعب الأحبار، وهذا إن صح فلا محيد عنه، والمعتمد الآن عند المتأخرين من أئمة التاريخ والأنساب أن القول قول ابن الأثير انه بالتشديد، وسمعت شيخنا القطب السيد العيدروس نفع الله به يقول: إنه هكذا سمعه من لسان النبي ﷺ في واقعة منامية، وعليه أنشدنا شيخنا المرحوم عبد الخالق بن أبي بكر الزجاجي بزبيد لأحد شعراء اليمن وقد أجاد:

ما للعواذل في هواك ومالي ... روحي فداك يا حبيب ومالي
غزال طرفك إن رنا أحيابه ... وكذلك الإحياء للغزالي

الفصل الثاني عشر

في بيان من تكنى بأبي حامد من شيوخ مذهبه قبله:

أوّل من رأيت ممن تكنى به. منهم أحمد بن بشر بن عامر العامري القاضي أبو حامد المروزي توفي سنة ٣٦٢، وأحمد بن محمد بن إسماعيل بن نعيم الفقيه أبو حامد الطوسي الإسماعيلي حدث بالطابران قصبة طوس توفي سنة ٣٤٥، وأحمد بن محمد بن الحسن الحافظ أبو حامد أبي الشرقين صاحب مسلم توفي سنة ٣٢٥، وأحمد بن محمد بن شارك الفقيه أبو حامد الشاركي الهروي توفي سنة ٣٥٥، وأحمد بن الحسين بن أحمد بن جعفر الفقيه أبو حامد الهمداني توفي سنة ٤٩١، وأحمد بن علي بن حامد البيهقي أبو حامد توفي سنة ٤٨٣، وأحمد بن محمد بن أحمد الشيخ أبو حامد الاسفرايني شيخ طريقة العراق توفي سنة ٤٠٨، وأحمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن شجاع الشجاعي السرخسي أبو حامد توفي سنة ٤٥٨، وأحمد بن محمد الشيخ أبو حامد الغزالي الكبير. قال ابن السبكي: قد وقع الخبط في أمر هذا الرجل وجهل أكثر الخلق حاله، وقد سألت عنه شيخنا الذهبي ممن هذا لما كنت أقرأ عليه طبقات الشيخ أبي إسحاق وذكره في قدماء الشيوخ فقال: هذا زيادة من الناسخ فإنا لا نعرف غزالياً غير حجة الإسلام وأخيه، ويبعد كل البعد أن يكون ثم آخر، فقلت: ثَم دليل قاطع على أنه لم يرد حجة الإسلام فقال: ما هو؟ قلت: قوله لم يحضرني تاريخ وفاته فإن هذا دليل منه على أنه لم يرد حجة الإسلام لأنه كان موجوداً بعد موت الشيخ. قال: صحيح. ثم ذكرت ذلك لوالدي فذكر نحواً مما ذكره الذهبي حتى وقفت على كتاب الأنساب لابن السمعاني في ترجمة الزاهد أبي علي الفارمدي على أنه تفقه على أبي حامد الغزالي الكبير، ثم رأيت كتاب المطوعي في شيوخ أبي علي الفارمدي ذكر أبا حامد هذا ووصفه بالتقدم. وقال؛ وله ابن اسمه أحمد وكنيته أبو حامد فاق والده في العلم، بلغني أنه قريب حجة الإسلام عم أبيه أخو جده. وحكى محمد بن محمد الجمالي ان قبر هذا معروف بمقبرة طوس وأنهم يسمونه الغزالي الكبير يستجاب عنده الدعاء، ومنهم أحمد بن محمد أبو حامد الرازكاني الطوسي أحد أشياخ المصنف.

تنبيه:

قد عرف مما تقدم أنه لا يعرف بالغزالي إلا الشيخ وعّمه الكبير، وقد وجدت أنا رجلين من أهل عصره يعرفان بذلك. أحدهما عبد الباقي بن محمد بن عبد الواحد الفقيه أبو منصور الغزالي تفقه على الكيا الهراسي، وروى عنه الحافظ أبو طاهر السلفي توفي سنة ٥١٣. والثاني علي بن معصوم بن أبي ذر أبو الحسن الغزالي من أهل المغرب شافعي المذهب ولد سنة ٤٩٦ وتوفي باسفراين سنة ٥٥٥، ثم وجدت رجلاً آخر تأخر زمانه وهو العلاء علي بن أحمد الغزالي مؤلف ميزان الاستقامة لأهل القرب والكرامة توفي سنة ٧٢١.

الفصل الثالث عشر

في شيوخه في الفقه والتصوّف والحديث:

أوّل مشايخه في الفقه كما تقدم الإمام أبو حامد أحمد بن محمد الرازكاني الطوسي، ثم أبو نصر الإسماعيلي، ثم إمام الحرمين قرأ على الأوّل بطوس وعلى الثاني بجرجان وعلى الثالث بنيسابور. وفي التصّوف الإمام الزاهد أبو علي الفضل بن محمد بن علي الفارمدي الطوسي من أعيان تلامذة أبي القاسم القشيري صاحب الرسالة توفي بطوس سنة ٤٧٧، ومن مشايخه أيضاً يوسف السجاج، وفي الحديث أبو سهل محمد بن أحمد بن عبيدالله الحفصي المروزي، والحاكم أبو الفتح نصر بن علي بن أحمد الحاكمي الطوسي، وأبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد الخواري خوار طبران، ومحمد بن يحيى ابن محمد السجاعي الزوزني، والحافظ أبو الفتيان عمر بن أبي الحسن الرؤاسي الدهستاني، ونصر بن إبراهيم المقدسي على قول الذهبي، وقال غيره لم يدركه. فهؤلاء شيوخه في العلوم الثلاثة، ولم أطلع على أسماء شيوخه الذين قرأ عليهم في الكلام أو الجدل، فإن عثرت على شيء من ذلك بعد ألحقت به إن شاء الله تعالى، وأما علوم الفلسفة فلا شيخ له فيها كما صرح بذلك في كتابه المنقذ من الضلال.

الفصل الرابع عشر

في تفصيل ما سمع من هؤلاء ورواه عنهم:

قال ابن السمعاني: لما عاد إلى وطنه كانت خاتمة أمره الإقبال على طلب الحديث ومجالس أهله وقراءته ونسخه، واستدعى الحافظ أبا الفتيان عمر بن أبي الحسن الرؤاسي إلى طوس وأكرمه واغتنم أيامه وسمع منه الصحيحين، وما أظن أنه حدث بشيء وإن حدث فيسير، لأن رواية الحديث ما انتشرت عنه. وذكر الحافظ ابن عساكر أنه سمع صحيح البخاري عن أبي إسماعيل الحفصي، وقال ابن النجار في تاريخه: ولم يكن له إسناد ولا طلب شيئاً من الحديث، ولم أر له إلاّ حديثاً واحداً، وقول ابن النجار كأنه يشير إلى أوّل أمره، فإن اقباله كان إذا ذاك على تحصيل الفنون، وفي سياق الذهبي في ترجمته، ثم رجع إلى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ وتكلم

على لسان أهل الحقيقة وحدث بكتاب الاحياء، وقال عبد الغافر: وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ﷺ، ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم اللذين هما حجة الإسلام، ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن بيسير من الأيام ليستفرغ في تحصيله، ولا شك أنه سمع الحديث في الأيام الماضية، واشتغل في آخر عمره بسماعها، ولم تتفق له الرواية ولا ضرر، وفيما خلفه من الكتب المصنفة في الأصول والفروع وسائر الأنواع يخلد ذكره، وتقرر عند المطالعين المستفيدين منها أنه لم يخلف مثله بعده. قال: وسمعت أنه سمع من سنن أبي داود السجستاني عن الحاكم أبي الفتح الحاكمي الطوسي، وما عثرت على سماعه، وسمع من الأحاديث المتفرقة أيضاً إتفاقاً مع الفقهاء، فمما عثرت عليه مما سمعه من كتاب مولد النبي ﷺ من تأليف أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني رواية الشيخ أبي بكر أحمد بن محمد بن الحرث الأصبهاني، عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان، عن المصنف، وقد سمعه الغزالي من الشيخ أبي عبدالله محمد بن أحمد الحواري مع ابنيه الشيخين عبد الجبار وعبد الحميد وجماعة من الفقهاء ومن الرواية عن حجة الإسلام.

أخبرنا المسند عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا عبدالله بن سالم بن محمد، وأحمد بن محمد بن أحمد، والحسن بن علي بن يحي قالوا: أخبرنا الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء، أخبرنا النور علي بن يحي، أخبرنا يوسف بن عبدالله الأرميوني، ويوسف بن زكريا، وأحمد بن محمد بن أبي بكر قالوا: أخبرنا الحافظ محمد بن عبدالرحمن، أخبرنا محمد بن عبد الرحيم بن محمد الحاكم، أخبرنا أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، قرأت على أبي عبدالله محمد بن أحمد الحافظ في سنة ٧٤٣. أخبرني الحافظ أبو محمد الدمياطي، عن الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، أنبأنا أبو المتضور فتح بن خلف السعدي، أخبرنا الإمام شهاب الدين أبو الفتح محمد بن محمود الطوسي، أخبرنا محي الدين محمد بن يحي الفقيه، أخبرنا حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، حدثنا الشيخ محمد بن يحي بن محمد السجاعي الزوزني بزوزن في داره قراءة عليه، حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد، حدثنا أبو القاسم أحمد بن عبدالله بن عامر الطائي بالبصرة، حدّثني أبي في سنة ٢٦٠. حدّثني علي بن موسى الرضي في سنة ١٦٤. حدّثني أبي موسى بن جعفر، حدّثني أبي جعفر بن محمد، حدّثني أبي محمد ابن علي، حدّثني أبي علي بن الحسين، حدّثني أبي الحسين بن علي، حدّثني أبي علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «يظهر قوم لا خلاق لهم في الدنيا شابهم فاسق وشيخهم مارق وصبيهم عارم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر بينهم مستضعف والفاسق والمنافق بينهم مشرف إن كنت غنياً وقروك وإن كنت فقيراً حقروك همازون لمازون يمشون بالنميمة ويدسون بالخديعة. أولئك فراش نار وذباب طمع، وعند ذلك يوليهم الله أمراء ظلمة ووزراء خونة ورفقاء غشمة وتوقع عند ذلك جراداً شاملاً وغلاءً متلفاً ورخصاً محجفاً ويتتابع البلاء كما يتتابع الخرز من الخيط إذا انقطع». قال ابن السبكي: هذا حديث ضعيف واه.

قلت: ذكر ابن النجار في تاريخه عن الدارقطني، عن أبي حاتم البستي في كتابه، قال علي بن

موسى الرضي: يروي عن أبيه العجائب، وكان يهيج ويخطىء، وقال الذهبي في الديوان علي بن موسى له عجائب عن أبيه عن جدّه، وقال في الذيل مثل هذه المقالة عن ابن طاهر، ثم قال: قلت الشأن في صحة الإسناد إليه رحمة الله عليه.

ومن مرويات الغزالي من نسخة المولد بالسند إليه قال: أخبرنا أبو عبدالله الحواري، أخبرنا أبو بكر الأصبهاني، أخبرنا أبو محمد بن حبان، أخبرنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي؟ حدّثنا عبد العزيز بن أبي ثابت، حدّثنا الزبير بن موسى، عن أبي الحويرث قال: سمعت عبد الملك بن مروان قال: قيل لغياث بن أشيم الكناني أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ قال: رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أسن منه. ولد رسول الله ﷺ عام الفيل هكذا نقله عبد الغافر. قال: وتمام الكتاب في جزأين مسموع له.

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير في طبقاته: قرأت على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزني قلت: أخبرنا الشمس أبو عبدالله محمد بن عبدالرحيم المقدسي قراءة عليه، أنبأنا أبو المظفر عبد الرحيم بن السمعاني إذناً، أخبرنا السيد أبو القاسم عبدالله بن محمد بن الحسين الحسني الكوفي قراءة عليه، أخبرنا أبو علي الفضل بن محمد الفارمدي، أخبرنا الإمام أبو حامد أحمد بن محمد الغزالي الفقيه، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد القطان، حدثنا أبو سعيد إسماعيل بن محمد بن عبد العزيز الخلال الجرجاني، حدثنا أبو العباس محمد بن الحسن بن قتيبة، حدثنا محمد بن أبي الليث العسقلاني، حدّثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن سليمان بن مهران، عن زيد بن وهب، عن ابن مسعود رضي الله عنه، حدّثنا نبي الله ﷺ وهو الصادق المصدوق. هكذا وقع في روايتنا وهو حديث متفق على صحته. رواه الستة من طرق متعددة من حديث سليمان بن مهران الأعمش، عن زيد بن وهب، عن ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة» ثم ساق الحديث.

قلت: ولي مؤاخذتان على الحافظ ابن كثير. الأولى: هذا الحديث من رواية أبي حامد الغزالي الكبير وهو عم أبي حامد صاحب الترجمة، فكيف يورده في عداد مرويات حجة الإسلام، ومن الدليل على ذلك ان هذا اسمه أحمد وحجة الإسلام اسمه محمد، وثانياً فإن أبا علي الفارمدي شيخ حجة الإسلام لا تلميذه. والثانية: أورد في السند محمد بن أبي الليث العسقلاني وهو غلط صوابه محمد بن أبي السري، والحديث المذكور خرّجه الحافظ ابن حجر في جزء مستقل، ثم قال ابن كثير: وبالإسناد المتقدّم إلى الغزالي حدّثنا أحمد بن محمد بن عمر الخفاف، حدّثنا أبو العباس السراج، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم، حدّثنا أبو الوليد، حدّثنا أبو عوانة، عن هلال الوزان، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» الحديث. قال شيخنا المزي: كذا وقع في سماعنا ليس بين أبي حامد وبين الخفاف أحد وهو خطأ قد سقط منه شيء.

قلت: وهذا كذلك من رواية عم حجة الإسلام وهو يروي عن الخفاف بلا واسطة ولم

يسقط من الإسناد شيء، وإنما يكون ذلك إذا ادعى أنه من رواية حجة الإسلام وليس كذلك.

الفصل الخامس عشر

في ذكر شيء من كلماته المنثورة البديعة مما نقلتها من طبقات المناوي وغيرها:

قال رحمه الله: الدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى، وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المنزلتين. وقال رحمه الله: ربما وجد بعضهم في نفسه أنساً وتقريباً في عبادته ومجلسه، فظن أن يغفر بها لجميع من حضره فضلاً عنه، ولو أنه تعالى عامله بما يستحقه على سوء أدبه في ذلك لأهلكه. وقال رحمه الله: إنما تفرق كل سالك بالمنزل الذي يبلغه في سلوكه وما خلفه من المنازل، وأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علماً، بل قد يصدق به إيماناً بالغيب. وقال رحمه الله: أنوار العلوم لم تحجب من القلوب لبخل، ومنع من جهة المنعم تعالى عن ذلك بل لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب، فإنها كالأواني ما دامت مملوءة بالماء لا يدخلها الهواء والقلب المشغول بغير الله لا تدخله المعرفة بجلاله. وقال رحمه الله: أشرف أنواع العلم العلم بالله عز وجل وصفاته وأفعاله، وفيه كمال الإنسان، وفي كماله سعادته وصلاحه بجوار حضرة الجلال والكمال. وقال رحمه الله: جلاء القلوب والأبصار يحصل بالذكر، ولا يتمكن منه إلا الذين اتقوا، فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر. وقال رحمه الله: من أرتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى له الملك والملكوت في قلبه، فيرى جنة عرضها السموات والأرض. وقال رحمه الله: عالم الملكوت هو الأسرار المشاهدة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بإدراك البصر، وجلة عالم الملك والملكوت تسمى الحضرة الربوبية لأنها محيطة بكل الموجودات إذ ليس في الوجود سوى الله وأفعاله ، مملكتهُ وعبيد من أفعاله. وقال رحمه الله: مدار الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكية اشراق نور المعرفة. وقال رحمه الله: الإيمان ثلاث مراتب. الأولى إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض، والثانية إيمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال، والثالثة إيمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين. وقال رحمه الله: ظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن ظن صادر عن عمي في عين البصيرة نعوذ بالله منه، والعلوم العقلية دنيوية وأخروية، فالدنيوية كالطب والحساب والنجوم والحرف والصنائع، والأخروية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله وصفاته وأفعاله، وهما علمان متناقضان. أعني من صرف عنايته إلى أحدهما حتى يعمق قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر. وقال رحمه الله: مهما سمعت أمراً غريباً من أمور الدين جحده أهل الكياسة من سائر العلوم فلا ينفرنك جحودهم عن قبولها إذ محال أن يظفر سالك طريق الشرق بما في الغرب. وقال رحمه الله: تهب رياح الألطاف فتكشف الحجب عن أعين القلوب فيتجلى لها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ. وقال رحمه الله: ميل أهل التصوّف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية ولذلك لم يحرصوا على

دراسة العلم وتحصيل ما صنف المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة، وقال رحمه الله ليس الورع في الجبهة حتى تقطب، ولا في الخد حتى يصفر، ولا في الظهر حتى ينحني، ولا في الرقبة حتى تطأطىء، ولا في الذيل حتى يضم إنما الورع في القلوب أما من تلقاه ببشر فيلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه، فلا أكثر الله في المسلمين من مثله. وقال رحمه الله: قلب المؤمن لا يموت، وعلمه عند الموت لا ينمحي، وصفاؤه لا يتكدر، وإليه أشار الحسن بقوله: التراب لا يأكل محل الإيمان أما ما حصله من نفس العلم أو ما حصله من الصفاء والاستعداد بقبوله. وقال رحمه الله: العلم الباطن سر من أسرار الله تعالى يقذفه في قلوب أحبابه، وقال رحمه الله: القرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم. وقال رحمه الله: العلم اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب ما نوى[1] من خارج. وقال رحمه الله: إذا حضر في القلب ذكر شيء انعدم عنه ما كان فيه من قبل، وقال: أعظم أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكائد الشيطان، وذلك فرض عين على كل جسد، وقد أهمله الخلق واستقلوا بعلوم تجر إليهم الوسواس، وتسلط عليهم الشيطان. وقال رحمه الله: مهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتآنسون فاعلم أنهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، فهم خاسرون. وقال رحمه الله: كل من ادّعى مذهب إمام ولا يسير سيرته فذلك الإمام خصمه يقول له: كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان، وكان الحديث باللسان لأجل العمل لا للهذيان، فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي الذي سلكته وذهبت فيه إلى الله، ثم ادعيت مذهبي كاذباً، فهذا مدخل من مداخل الشيطان أهلك به أكثر العالم. وقال رحمه الله: أشد الناس حماقة أقواهم اعتقاداً في فضل نفسه، وأثبت الناس عقلاً أشدهم اتهاماً لنفسه. وقال رحمه الله: العامي إذا زنى أو سرق خير له من أن يتكلم في العلم، فإنه من تكلم فيه من غير اتقان العلم في الله وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري، كمن ركب في البحر ولا يعرف السباحة. وقال رحمه الله: أورع الناس وأتقاهم وأعملهم من لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعضهم بعين الرضا وبعضهم بعين السخط.

وعين الرضا عن كل عيب كليلة.

وقال رحمه الله: مهما رأيت إنساناً سيء الظن بالله طالباً للعيوب، فاعلم أنه خبيث في الباطن، والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق. وقال رحمه الله: حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارته بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة، وإلا فيكون الذكر حديث نفس ولا سلطان له على القلب ولا يدفع الشيطان. وقال رحمه الله: الروح أمر رباني ومعنى كونه ربانياً أنه من أسرار علوم من المكاشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره الرسول ﷺ. وقال رحمه الله: الشهوة إذا غلبت على القلب ولم تتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويدائه، وأما القلوب الخالية من الصفات المذمومة فيطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر، وإذا عاد للذكر خنس. وقال رحمه الله: كما أنك تدعو ولا يستجاب لك لفقد شرط الدعاء فكذا تذكر الله ولا يهرب الشيطان لفقد شروط الذكر. وقال رحمه الله: الشياطين جنود مجندة ولكل نوع من المعاصي

(١) هكذا في الأصل.

شيطان يخصه ويدعو إليه. وقال رحمه الله: الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة فلا يرى المعنى القبيح إلا في الصورة القبيحة، فيرى الشيطان في صورة نحو الكلب والضفدع والخنزير، والملك في صورة جميلة، فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق، ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على إنسان خبيث، والشاة على إنسان سليم الباطن، وكذا كل أنواع التعبير. وقال رحمه الله: خالص الرياضة وسرها أن لا تتمتع النفس بشيء لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة، فيقتصر من أكله ونكاحه ولباسه ومسكنه على قدر الحاجة والضرورة، فإنه لو تمتع بشيء منه ألفه، وإذا مات تمنى الرجوع إلى الدنيا ولا يتمنى الرجوع إليها إلا من لا حظ له في الآخرة. وقال رحمه الله: النفس إذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات. وقال رحمه الله: المستقل بنفسه من غير شيخ كشجرة تنبت بنفسها، فإنها تجف عن قرب، وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر. وقال رحمه الله: النوم يقسي القلب ويميته إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبباً لمكاشفة أسرار الغيب. وقال رحمه الله: لا بد للسالك من ضبط الحواس إلا من قدر الضرورة وليس ذلك إلا بالخلوة في مكان مظلم، فإن لم يكن فيلف رأسه في الجيب أو يتدثر بكساء أو إزار مثل هذه الحالة ليسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية. أما ترى أن نداء المصطفى ﷺ بلغه وهو بهذه الصفة فقيل: ﴿يأيها المدثر﴾ ﴿يأيها المزمل﴾. وقال رحمه الله: البطن والفرج باب من أبواب النار، وأصله الشبع، والذل والإنكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع، ومن غلق باباً من أبواب النار فقد فتح باباً من أبواب الجنة لتقابلها، فالقرب من أحدهما بعد عن الآخر. وقال رحمه الله: السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن تملكه نفسه. وقال رحمه الله: الشبع يمنع العبادة واشراق القلب والفكر وينغص العيش، والجوع يدفع ذلك كله لأن قلة الأكل تصحح البدن وبكثرته تحصل فضلة الإخلاط في المعدة والعروق. وقال رحمه الله: حدّ المراء كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه والمجادلة قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه. وقال رحمه الله: من عود نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك عنده ألذ من كل نعيم، فلذة هذا في عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أثمار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة هذا حالهم وهم في الدنيا فما الظن بهم عند انكشاف الغطاء في العقبى. وقال رحمه الله: إن كنت لا تشتاق إلى معرفة الله فأنت معذور، فالعنين لا تشتاق إلى لذة الوقاع، والصبي لا يشتاق للملك، والشوق بعد الذوق، ومن لم يذق لم يعرف، ومن لم يعرف لم يشتق، ومن لم يشتق لم يطلب، ومن لم يطلب لم يدرك، ومن لم يدرك بقي من المحرومين في أسفل سافلين. وقال رحمه الله: من فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدين لم يفته ثواب حبه لهم مهما أحب ذلك. وقال رحمه الله: الحسد ليس مظلمة يجب الإستحلال منها، بل معصية بينك وبين الله وإنما يجب الإستحلال مما يجب على الجوارح. وقال رحمه الله: دنياك وآخرتك عبارتان عن حالتين من أحوال قلبك فالطرف الداني منها يسمى دنيا وهي كلها قبل الموت، والمتأخر يسمى آخرة وهي ما بعده، وكل ما لك فيه حظ وشهوة عاجلة قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك. وقال رحمه الله: لا يبقى مع

العبد عند الموت إلاَّ ثلاث صفات. صفاء القلب أعني طهارته من أدناس الدنيا وأنسه بذكر الله وحبه لله، وطهارة القلب لا تحصل إلا بالكف عن شهوات الدنيا، والأنس لا يحصل إلا بكثرة الذكر، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة، ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر. وقال رحمه الله: ليس الموت عدماً وإنما هو الفراق لمحاب الفه للقدوم. وقال رحمه الله: معنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الإستقلال، والمنفرد بالوجود هو الله إذ لا موجود معه سواه فإن ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به. وقال رحمه الله: من لم يطلع على مكائد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عبادته تعب ضائع تفوت عليه الدنيا ويخسر في الآخرة. وقال رحمه الله: الكبر دليل الأمن والأمن مهلك، والتواضع دليل الخوف وهو مسعد. وقال رحمه الله: من أدوية الكبر أن يجتمع مع أقرانه في المحافل ويقدمهم ويجلس تحتهم، وللشيطان هنا مكيدة وهو أن يقعد في صف النعال أو يجعل بينه وبين أقرانه بعض الأرذال، فيظن أنه متواضع وهو عين التكبر لإيهامه أنه ترك مكانه بالإستحقاق، فيكون تكبراً بإظهار التواضع، بل يقدم أقرانه ويجلس تحتهم ولا ينحط إلى صف النعال. وقال رحمه الله: أساس السعادات كلها العقل والكياسة والذكاء وصحة غريزة العقل نعمة من الله في أصل الفطرة، فإذا ماتت ببلادة أو حماقة فتدارك له. وقال رحمه الله: كن من شياطين الجن في الأمان، واحذر شياطين الإنس، فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب في الأغواء والأضلال. وقال رحمه الله: ما من أحد إلا وهو راض عن الله في كمال عقله، وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلاً أفرحهم بكمال عقله. وقال رحمه الله: علماء الآخرة يعرفون بسيماهم من السكينة والذلة والتواضع، أما التمشدق والإستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق، فمن آثار البطر والغفلة، وذلك من دأب أبناء الدنيا. وقال رحمه الله: من شرط من له حاجة أن لا يفطر ذلك النهار حتى تقضى ولو عند الغروب. قال بعضهم: وقد جربناه فصح لأن الإنسان إذا شبع فدعاؤه كسهم يخرج من غير وتر مشدود. وقال رحمه الله: من الذنوب ما يورث سوء الخاتمة وهو ادعاء الرجل الولاية مع فقدها منه. وقال رحمه الله: ليس كل أحد له قلب. وقد سئل عن تفسير هذا القول القطب السيد عبدالله باحداد شيخ بعض شيوخنا فأجاب بما فيه غاية التحقيق تركته لطوله وهو مذكور في آخر كتاب القصد والسداد، وله رحمه الله دعاء عجيب الشأن جربه أهل العرفان عند حلول الفاقة وهو هذا: اللهم يا غني يا حميد يا مبدىء يا معيد يا رحيم يا ودود أغنيني بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك. قال: من ذكره بعد صلاة الجمعة وداوم عليه أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب، ورؤي رحمه الله في النوم فسئل عن حاله فقال: لولا هذا العلم الغريب لكنا على خير كثير. قال ابن عربي: فتأوله علماء الرسوم على ما كان عليه من علم هذا الطريق قصد إبليس بهذا الطريق الذي زينه لهم أن يعرضوا عن هذا العلم فيحرموا هذه الدرجات. أتراه أمر بأن يطلب الحجاب عن الله تعالى.

الفصل السادس عشر

في بيان شيء من الشعر المنسوب له وما أنشده لنفسه:

قال ابن السبكي: أخبرنا الحافظ أبو العباس الأشعري إذناً خاصاً عن أبي الفضل أحمد بن هبة الله بن عساكر، عن أبي المظفر عبد الرحيم، أخبرنا والدي الحافظ أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور. أنشدنا أبو سعيد محمد بن أبي العباس الخليلي املاءً بنوقان في الجامع أنشدنا الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله:

أرفـد ببـال امـرىء يمسي على ثقـة ... إن الذي خلـق الأرزاق يـرزقـه
فالعرض منـه مصـون لا يـدنسـه ... والوجه منه جـديـد ليس يخلقـه
إن القنـاعـة مـن يحلـل بسـاحتهـا ... لم يلـق في دهـره شيئـاً يـؤرقـه

قال: وكتب إلى أحمد بن أبي طالب المسند، عن الحافظ أبي عبدالله محمد بن محمود، عن أبي عبدالله محمد بن أحمد بـن سليمان الزهري، أنشدني أبو محمد عبد الحق بن عبد الملك العبدري، أنشدني أبو بكر بن العربي، أنشدني أبو حامد الغزالي لنفسه رحمة الله عليه:

سقمـــى في الحـــب عـــافيتي ... ووجـودي في الهـــوى عـــدمـــي
وعـــذاب تـــرتضـــون بـــه ... في فمـــي أحلى مـــن النعـــم
مـــا لضر في محبتكـــم ... عنـــدنـــا والله مـــن ألم

ومِمَّا ينسب للإمام الغزالي أنه قال في أيام سياحته:

قـد كنـت عبـداً والهوى مـالكـي ... فصرت حـراً والهوى خـادمـي
وصرت بـالـوحـدة مستـأنسـاً ... مـن شر أصنـاف بني آدم
مـا في اختـلاط النـاس خير ولا ... ذو الجهـل بـالأشيـاء كـالعـالم
يـا لائمـي في تـرككـم جـاهلاً ... عـذري منقـوش على الخاتـم

وكان نقش خاتمه: «وما وجدنا لأكثرهم من عهد، وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين»، وبالسند إلى الحافظ أبي عبدالله قال: قرأت على أبي القاسم بن أسعد البزار، عن يوسف بـن أحمد الحافـظ، أنشدنا محمد بن أبي عبدالله الجوهري قال: أنشدنا لأبي حامد الغزالي رحمه الله:

فقهـاؤنـا كـذبـالـة النبـراس ... هـي في الحريـق وضـوءهـا للنـاس
حبرٌ دميم تحت رائـق منظـر ... كـالفضـة البيضـاء فـوق نحاس

وقال ابن السبكي أيضاً: أخبرنا علي بن الفضل الحافظ، أنشدني أبو محمد عبدالله بن يوسف الأيدي أنشدني أمية بـن أبي الصلت، أنشدني أبو محمد التكريتي، أنشدني أبو حامد الغزالي لنفسه:

حلت عقـارب صـدغـه في خـده ... قمـراً يجل بها عـن التشبيـه

ولقــد عهــدنــاه يحل ببرجهـــا ومن العجائـب كيـف حلـت فيـه

وذكر ابن السمعاني في الذيل، والعماد في الخريدة له:

حلـت عقـارب صـدغـه في خـده وحظيـت منـه بلثم خــدٍّ أزهــر
إني اعتـزلـت فلا تلـومـوا إنــه أضحـى يقـابلني بـوجـه أشعـر

قلت: ولشيخنا السيد القطب عبد الرحمن بن السيد مصطفى العيدروس أمتع الله به في هذا المعنى بيت واحد وهو مما سمعناه من لفظه وكتبته عنه بالطائف وقد أجاد:

وقيــل لم اعتــزلــت فقلــت لما يقــابلني بــوجــه أشعــري

ومما أنشده الغزالي ببغداد في أثناء درس الاحياء، ورواه عنه أبو سعيد النوقاني الآتي ذكره في الرواية عنه:

وحبـب أوطــار الرجــال إليهــم مـآرب قضـاهـا الفـؤاد هنـالكـا
إذا ذكـروا أوطـانهم ذكــرتهم عهـود الصبـا فيهـا فحنّـوا لذلكـا

قال: فبكى وأبكى الحاضرين، ورآه بعضهم في البرية عليه مرقعة وبيده ركوة وعكاز بعد أن كان رآه يحضر في مجلسه ثلاثمائة مدرس ومائة من أمراء بغداد، فقال: يا إمام أليس تدريس العلم أولى؟ فنظر إليه شزراً وقال: لما بزغ بدر السعادة في فلك الإرادة جنحت شمس الأفول إلى مغرب الوصول وأنشد:

تركت هـوى ليلى وسعـدى بمعـزل وعـدت إلى مصحـوب أوّل منـزل
فنـادت بي الأشــواق مهلاً فهــذه منازل مـن تهوى رويـدك فـانـزل

ومما ينسب إليه هذه الأبيات في أسرار الفاتحة رحمة الله عليه:

إذا مــا كنــت ملتمسـاً لــرزق ونيـل القصـد مـن عبـدٍ وحـرٍّ
وتظفـر بـالـذي تـرجـو سريعــاً وتـأمـن مـن مخالفـة وغـدرِ
ففـاتحة الكتــاب فــإن فيهـــا لما أملــت ســراً أي ســرِّ
فـالـزم ذكـرهـا عقبي مســاءً وفي صبـح وفي ظهـر وعصرِ
وتمسي مقـرئـاً في كـل ليـل إلى التسعين تتبعهـا بعشرِ
تنـل مـا شئـت مـن عـز وجـاه وعظـم مهـابـة وعلـو قـدرِ
وسـتـر لا تغيـره الليــالي بحادثـة مـن النقصـان تجـري
وتـوقير وأفـراح دوامـا وتـأمـن مـن مخاوف كـل شرٍّ
ومـن عـري وجـوع وانقطـاع ومـن بطش لـذي نهي وأمـرِ

الفصل السابع عشر

في بيان بعض ما اعترض عليه والجواب عنه:

قال الفخر ابن عساكر: ومما كان يعترض به عليه وقوع خلل من جهة النحو يقع في أثناء كلامه وروجع فيه فانصف من نفسه واعترف بأنه ما مارس ذلك الفن، واكتفى بما يحتاج إليه من كلامه مع أنه كان يؤلف الخطب ويشرح الكتب بالعبارات الرائقة التي تعجز الأدباء والفصحاء عن أمثالها، وأذن للذين يطالعون كتبه فيعثرون على خلل فيها من جهة اللفظ أن يصلحوه ويعذروه، فما كان قصده إلاَّ المعاني وتحقيقها دون الألفاظ وتلفيقها ومما نقم عليه مما ذكر من الألفاظ المستبشعة بالفارسية في كتابه «كيمياء السعادة والعلوم»، وشرح بعض الصور والمسائل بحيث لا يوافق مراسم الشرع وظواهر ما عليه قواعد الإسلام، وكان الأولى والحق أحق ما يقال ترك ذلك التصنيف والأعراض عن الشرح به، فإن العوام ربما لا يحكمون أصول القواعد بالبراهين والحجج، فإذا سمعوا شيئاً من ذلك تخيلوا منه ما هو المضر بعقائدهم، وينسبون ذلك إلى مذاهب الأوائل على أن المنصف اللبيب إذا رجع إلى نفسه علم أن أكثر ما ذكره مما رمز إليه إشارات الشرع، وإن لم يبح ويوجد أمثاله في كلام مشايخ الطريقة مرموزة ومصرحاً بها متفرقة، وليس لفظ منه إلا وكما يشعر أحد وجوهه بكلام موهم، فإنه يشعر سائر وجوهه بما يوافق عقائد أهل الملة فلا يجب إذاً حمله إلا على ما يوافق، ولا ينبغي أن يتعلق به في الرد عليه متعلق أن أمكنه أن يبين له وجهاً في الصحة يوافق الأصول على أن هذا القدر يحتاج إلى من يظهره ويقوم به، وكان الأولى أن يترك الإفصاح بذلك والله أعلم. هذا ما يتعلق بالطعن عليه مجملاً في سائر كتبه، وكذلك أنكر عليه ابن الصلاح على قوله في أوّل المستصفى هذه مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بمعلومة أصلاً، وقد نحا منحاه ابن القيم في مفتاح دار السعادة، وأقام النكير عليه وعلى من يقول بعلم المنطق مما سيأتي بعضه في الباب الثاني، وقد أجاب عنه التقي السبكي وأوسع فيه مما نقله عنه ولده التاج في الطبقات فراجعه، وأما ما يتعلق بكتابه الاحياء فسيأتي كلام المنكرين عليه، والجواب عنه عند ذكر هذا الكتاب في مصنفاته.

الفصل الثامن عشر

في بيان كونه مجدداً للقرن الخامس:

ولنذكر أوّلاً الحديث الذي استنبط منه العلماء التجديد. روى أبو داود في الملاحم، والحاكم في الفتن وصححه والبيهقي في كتاب المعرفة له كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها». قال العراقي وغيره: سنده صحيح أي يقيض لها على رأس كل مائة من الهجرة أو غيرها رجلاً كان أو أكثر من يبين السنَّة من البدعة، ويكثر العلم وينصر أهله ويذل أهل البدعة. قالوا: ولا يكون إلا عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة، فكان في المائة الأولى عمر بن عبد العزيز والثانية الشافعي،

والثالثة الأشعري أو ابن سريج، والرابعة الأسفرايني أو الصعلوكي أو الباقلاني، والخامسة حجة الإسلام الغزالي. وقال ابن السبكي يتعين عندي تقديم ابن سريج في الثالثة على الأشعري، فإن الأشعري وإن كان أيضاً شافعي المذهب إلا أنه رجل متكلم كان قيامه للذب عن أصول العقائد دون فروعها. وكان ابن سريج فقيهاً وقيامه للذب عن فروع هذا المذهب، فكان أولى بهذه المرتبة. لاسيما ووفاة الأشعري تأخرت عن رأس القرن إلى بعد العشرين، وقد صح أن هذا الحديث ذكر في مجلس ابن سريج فقام شيخ من أهل العلم فقال: أبشر أيها القاضي بأن الله بعث على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز، وعلى الثانية الشافعي، وبعثك على رأس الثلاثمائة ثم أنشأ يقول:

إثنان قد مضيا فبورك فيهما ... عمر الخليفة ثم خلف السؤدد
الشافعي الألمعي محمد ... ارث النبوة وابن عم محمد
أرجو أبا العباس أنك ثالث ... من بعدهم سقيا لتربة أحمد

فصاح ابن سريج فيما يحكى وبكى وقال: لقد نعى إليَّ نفسي. وقيل: إنه مات في تلك السنة. قال: وأما الرابعة فقد قيل إن الشيخ أبا حامد الأسفرايني هو المبعوث فيها، وقيل بل الأستاذ سهل الصعلوكي، وقد كان ممن لا يدفع عن هذا المقام بوجه يتضح لمشاركة الشيخ أبي حامد في الفقه وقرب الوفاة من رأس المائة بخلاف الأشعري مع ابن سريج. قال: والخامس الغزالي. وقد قال في قصيدة نظمها في أسمائهم. والخامس الحبر الإمام محمد ★ وهو حجة الإسلام دون تردد، وكذلك ذكره الحافظ جلال الدين الأسيوطي في أرجوزة له فقال:

والخامس الحبر هو الغزالي ... وعده ما فيه من جدال

وقال فيها:

والشرط في ذلك أن تمضي المائة ... وهو على حياته بين الفئة
يشار بالعلم إلى مقامه ... وينصر السنَّة في كلامه
وأن يكون جامعاً لكل فن ... وإن يعم علمه أهل الزمن
وإن يكون في حديث قد روي ... من أهل بيت المصطفى وقد قوي
وكونه فرداً هو المشهور ... قد نطق الحديث والجمهور

ونقل العراقي عن البعض أنه جعل في الرابعة أبا إسحاق الشيرازي، والخامسة أبا طاهر السلفي، ولا مانع من الجمع فقد يكون المجدد أكثر من واحد. قال الذهبي: من هنا للجمع لا للمفرد فتقول مثلاً على رأس الثلاثمائة ابن سريج في الفقه، والأشعري في الأصول، والنسائي في الحديث. وقال في جامع الأصول: قد تكلموا في تأويل هذا الحديث فكل أشار إلى العالم الذي هو في مذهبه وحمل الحديث عليه، والأولى العموم فإن من يقع على الواحد والجمع ولا يختص أيضاً بالفقهاء، فإن انتفاع الأمة أيضاً يكون بأولي الأمر وأهل الحديث والقراء والوعاظ، لكن المبعوث ينبغي أن يكون مشاراً إليه في كل من هذه الفنون، ففي رأس الأولى من أولي الأمر

عمر بن عبد العزيز، ومن الفقهاء محمد الباقر، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبدالله، والحسن، وابن سيرين. ومن القراء ابن كثير، ومن المحدثين الزهري، وفي رأس الثانية من أولي الأمر المأمون، ومن الفقهاء الشافعي، واللؤلؤي من الحنفية وأشهب من المالكية، وعلي بن موسى الرضي من الإمامية، والحضرمي من القراء، وابن معين من المحدثين، والكرخي من الزهاد. وفي الثالثة من أولي الأمر المقتدر، ومن الفقهاء ابن سريج، ومن الحنفية الطحاوي، ومن المتكلمين الأشعري، ومن المحدثين النسائي. وفي الرابعة من أولي الأمر القادر بالله، ومن الفقهاء الأسفرايني، ومن الحنفية الخوارزمي، ومن المالكية عبد الوهاب، ومن الحنابلة الحسين الفراء، ومن المتكلمين الباقلاني وابن فورك، ومن المحدثين الحاكم، ومن الزهاد الدينوري. وهكذا يقال في بقية القرون وفي كلام النووي ما يشير إلى ذلك، وأيده الحافظ ابن حجر في الفتح، وقال: كل من اتصف بشيء من تلك الأوصاف عند رأس المائة هو المراد تعدد أم لا. والبحث في هذا المقام يستدعي لذكر مهمات، ولكن اقتصرنا على المقصود منه.

الفصل التاسع عشر

في ذكر مصنفاته التي سارت بها الركبان:

قال المناوي: نقل النووي في بستانه عن شيخه التغليسي قال نقلاً عن بعضهم: أنه أحصيت كتب الغزالي التي صنفها ووزعت على عمره فخصّ كل يوم أربعة كراريس.

قلت: وهذا من قبيل نشر الزمان لهم، وهو من أعظم الكرامات، وقد وقع كذلك لغير واحد من الأئمة كابن جرير الطبري، وابن شاهين، وابن النقيب، والنووي، والسبكي، والسيوطي وغيرهم. ثم إن الإمام الغزالي رحمه الله تعالى له تصانيف في غالب الفنون حتى في علوم الحرف، وأسرار الروحانيات، وخواص الأعداد، ولطائف الأسماء الإلهية، وفي السيمياء وغيرها على ما سيأتي بيانها قريباً إن شاء الله تعالى، فمن أشرف مصنفاته وأشهرها ذكراً وأعظمها قدراً هذا الكتاب المسمى باحياء علوم الدين، فنشرح حاله ونتكلم على ما يتعلق به وبغيره على ترتيب حروف المعجم لأجل سهولة الكشف والمعرفة فاقتضى تقديم هذا الكتاب في الذكر لوجوه. الأوّل: أن اسمه مبدوء بالألف. الثاني: شرفه على غيره لما فيه من علوم الآخرة، والثالث: شهرته في الآفاق، وسيرورته مسير الشمس في الاختراق، حتى قيل أنه لو ذهبت كتب الإسلام وبقي الإحياء لأغنى عما ذهب، وهو مرتب على أربعة أقسام. ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات في كل منها عشرة كتب، فالجملة أربعون نقل في لطائف المنن. عن القطب أبي الحسن الشاذلي أنه قال: كتاب الاحياء يورثك العلم، وكتاب القوت يورثك النور. وقال ابن السبكي: وهو من الكتب التي ينبغي للمسلمين الاعتناء بها واشاعتها ليهتدي بها كثير من الخلق وقلّ ما ينظر فيه ناظر إلاّ وتيقظ له في الحال. وقال أيضاً: ولو لم يكن للناس في الكتب التي صنفها أهل العلم إلا الإحياء لكفاهم، وأنا لا أعرف له نظيراً في الكتب التي صنفها الفقهاء الجامعون في تصانيفهم بين النقل والنظر والفكر والأثر. ونقل المناوي عن لواقح الأنوار

للشعراني قالوا: ولما أفتى القاضي عياض بإحراق كتاب الإحياء بلغه ذلك فدعا عليه فمات وقت الدعوة في حمام فجأة، وقيل: بل أمر المهدي بقتله بعد أن ادعى عليه أهل بلده، وزعموا أنه يهودي، لأنه كان لا يخرج يوم السبت لكونه كان يصنف كتاب الشفاء، وعندي في قوله فمات وقت الدعوة توقف، فإن وفاة القاضي بمراكش يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة. وقيل في رمضان سنة ٥٤٤، فتأمل ذلك. وروى الإمام اليافعي، عن ابن الميلق، عن ياقوت العرشي، عن أبي العباس المرسي، عن القطب الشاذلي أن الشيخ ابن حرزهم خرج على أصحابه يوماً ومعه كتاب فقال: أتعرفونه؟ قال هذا الإحياء، وكان الشيخ المذكور يطعن في الغزالي وينهى عن قراءة الإحياء فكشف لهم عن جسمه فاذا هو مضروب بالسياط، وقال: أتاني الغزالي في النوم ودعاني إلى رسول الله ﷺ، فلما وقفنا بين يديه قال يا رسول الله: هذا يزعم أني أقول عليك ما لم تقل، فأمر بضربي فضربت، وأخبر القطب محي الدين بن عربي عن نفسه أنه كان يقرأ كتاب الإحياء تجاه الكعبة، وقال المولى أبو الخير: أول ما دخل الإحياء المغرب أنكر عليه بعض المغاربة أشياء فصنف الإملاء في الرد عن الأحياء، ثم رأى ذلك المصنف رؤيا ظهرت فيها كرامة الشيخ وصدق نيته فتاب عن ذلك، وقال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم: بضاعة الغزالي في الحديث مزجاة، وقال أبو الفرج بن الجوزي: قد جمعت أغلاط في الإحياء كتاب وسميته (أعلام الأحياء باغلاط الإحياء) وأشرت إلى بعض ذلك في كتاب تلبيس اللبس، وقال سبطه أبو المظفر: وضعه على مذاهب الصوفية وترك فيه قانون الفقه فأنكروا عليه ما فيه من الأحاديث التي لم تصح. قال المولى أبو الخير، وأما الأحاديث التي لم تصح فلا ينكر عليه في إيرادها لجوازه في الترغيب والترهيب. **قال صاحب كشف الظنون: وليس ذلك على إطلاقه بل بشرط أن لا يكون موضوعاً.**

قلت: والأمر كذلك: فإن الأحاديث التي ذكرها المصنف ما بين متفق عليه من صحيح وحسن بأقسامها، وفيه الضعيف والشاذ والمنكر والموضوع على قلة كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى.

ذكر طعن أبي عبدالله المازري وأبي الوليدالطرطوشي وغيرهما فيه والجواب عن ذلك:

أما المازري فقال مجيباً لمن سأله عن حاله وحال كتابه الأحياء ما نصه: هذا الرجل يعني الغزالي وإن لم أكن قرأت كتابه، فقد رأيت تلامذته وأصحابه فكل منهم يحكي لي نوعاً من حاله وطريقته، فاتلوح بها من سيرته ومذهبه فأقام لي مقام العيان، فأنا أقتصر على ذكر حال الرجل وحال كتابه وذكر جمل من مذاهب الموحدين والفلاسفة والمتصوفة وأصحاب الإشارات، فإن كتابه متردد بين هذه الطوائف لا يعدوها، ثم اتبع ذلك بذكر حمل أهل مذهب على أهل مذهب آخر ثم أبين عن طرق الغرور. فأكشف عمّا دفن من خيال الباطل ليحذر من الوقوع في حبال صائده، ثم أثنى على الغزالي بالفقه، وقال: هو بالفقه أعرف منه بأصوله، وأما علم الكلام الذي هو أصول الدين فإنه صنف فيه أيضاً وليس بالمستبحر فيه، ولقد فطنت لسبب عدم استبحاره فيه، وذلك انه

قرأ علم الفلسفة قبل استبحاره في فن الأصول، فأكسبته قراءة الفلسفة جرأة على المعاني وتسهيلاً للهجوم على الحقائق، لأن الفلسفة تمر مع خواطرها وليس لها حكم شرع يزعهـا، ولا يخاف مـن مخالفة أئمة يتبعها، وعرفني بعض أصحابه أنه كان له عكوف على رسائل إخوان الصفا وهي إحدى وخمسون رسالة، ومصنفها فيلسوف قد خاض في علم الشرع والنقل فمزج ما بين العلمين، وذكر الفلسفة وحسنها في قلوب أهل الشرع بآيات يتلوها عندها وأحاديث يذكرها، ثم كان في هذا الزمان المتأخر رجل من الفلاسفة يعرف بابن سينا ملأ الدنيا تأليفاً في علم الفلسفة وهو فيها إمام كبير، وقد أدّاه قوّته في الفلسفة إلى ان حاول رد أصول العقائد إلى علم الفلسفة وتلطف جهده حتى تم له ما لم يتم لغيره. وقد رأيت جُملاً من دواوينه، ورأيت هذا الغزالي يعوّل عليه في أكثر ما يشير إليه من الفلسفة، ثم قال: وأما مذاهب الصوفية فلست أدري على من عوّل فيها، ثم أشار إلى انه عوّل على أبي حيان التوحيدي، ثم ذكر توهية أكثر ما في الإحياء من الأحاديث وقال: عادة المتورعين أن لا يقولوا قال مالك قال الشافعي فيما لم يثبت عندهم، ثم أشار إلى أنه يستحسن أشياء مبناها على ما لا حقيقة له مثل قوله في قص الأظفار أن تبدأ بالسبابة، لأن لها الفضل على بقية الأصابع لكونها المسبحة إلى آخر ما ذكره من الكيفية، وذكر فيه أثراً. وقال: من مات بعد بلوغه ولم يعلم أن الباري قديم مات مسلماً إجماعاً. قال: ومن تساهل في حكاية هذا الإجماع الذي الاقرب أن يكون الإجماع فيه بعكس ما قال، فحقيق أن لا يوثق بما نقل، وقد رأيت له أنه ذكر أن في علومه هذه ما لا يسوغ أن يودع في كتاب، فليت شعري أحق هو أم باطل، فإن كان باطلاً فصدق، وإن كان حقاً وهو مراده بلا شك فَلِمَ لا يودع في الكتب ألغموضة ودقته، فإن كان هو فهمه فما المانع أن يفهمه غيره؟ هذا ملخص كلام المازري.

وسبقه إلى قريب منه من المالكية الإمام أبو الوليد الطرطوشي نزيل الإسكندرية، فذكر في رسالة إلى ابن مظفر، فأما ما ذكرت من أمر الغزالي فرأيت الرجل وكلمته فرأيته من أهل العلم قد نهضت به فضائله، واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طول عمره، وكان على ذلك طول زمانه، ثم بدا له عن طريق العلماء، فدخل في غمار العمال ثم تصوّف فهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووساوس الشيطان، ثم شابها بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين، فلقد كان ينسلخ من الدين، فلما عمل الإحياء عمد يتكلم في علوم الأحوال ومرامز الصوفية، وكان غير أنيس بها ولا خبير بمعرفتها فسقط على أم رأسه وشحن كتابه بالموضوعات.

قال ابن السبكي عقب هذا الكلام: وأنا أتكلم على كلامهما ثم أذكر كلام غيرهما وأتعقبه أيضاً واجتهد أن لا أتعدى طور الإنصاف، وأسأل الله الامداد بذلك والإسعاف فما أحد منهم معاصراً لنا قريباً ولا بيننا إلا وصلة العلم ودعوة الخلق إلى جناب الحق. فأقول: أما المازري فقبل الخوض معه في الكلام أقدم لك مقدمة وهي أن هذا الرجل كان من أذكى المغاربة قريحة، وأحدّهم ذهناً بحيث اجترأ على شرح البرهان لإمام الحرمين وهو لغز الأمة الذي لا يحوم نحو حماه ولا يدنو حول أثره إلاّ غوّاص على المعاني ثاقب الذهن، فبرز في العلم وكان مصمماً على

مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري جليلها ودقيقها لا يتعداها خطوة ويبدع من خالفه ولو في النزر اليسير، وهو مع ذلك مالكي المذهب شديد الميل إلى مذهبه كثير المناضلة عنه، وهذان الامامان أعني إمام الحرمين وتلميذه الغزالي وصلا من التحقيق وسعة الدائرة في العلم إلى المبلغ الذي يعلم كل منصف بأنه ما انتهى إليه أحد بعدهما، وربما خالفا أبا الحسن في مسائل من علم الكلام والقوم. أعني الأشاعرة لا سيا المغاربة منهم يستصعبون هذا الصنع ولا يرون مخالفة أبي الحسن في نقير ولا قطمير، وربما ضعفا مذهب مالك في كثير من المسائل كما فعلا في مسألة المصالح المرسلة، وعند ذكر الترجيح بين المذاهب، فهذان أمران يغص المازري منهما، وينضم إلى ذلك أن الطرق شتى مختلفة، وقلما رأيت سالك طريق إلا ويستقبح الطريق التي لم يسلكها، ولم يفتح عليه من قبلها، ويضع عند ذلك من أهلها لا ينجو من ذلك إلا القليل من أهل المعرفة والتمكن، ولقد وجدت هذا واعتبرته حتى في مشايخ الطريقة، ولا يخفى ان طريقة الغزالي التصوّف والتعمق في الحقائق ومحبة إشارات القوم، وطريقة المازري الجمود على العبارات الظاهرة والوقوف معها، والكل حسن ولله الحمد إلاّ ان اختلاف الطريقين يوجب تباين المزاحين وبعد ما بين القلبين، لاسيا وقد انضم إليه ما ذكرناه من المخالفة في المذهب. وتوهم المازري إنه يضع من مذهبه وأنه يخالف شيخ السنّة الأشعري حتى رأيته أعني المازري قال في شرح البرهان في مسألة خالف فيها إمام الحرمين أبا الحسن الأشعري ليست من القواعد المعتبرة، وإلاّ المسائل المهمة من خطأ شيخ السنّة أبا الحسن الأشعري فهو المخطىء، وأطال في هذا وقال في الكلام على ماهية العقل في أوائل البرهان، وقد حكَى أن الأشعري يقول: العقل العلم وأن الإمام رضي مقالة الحرث المحاسبي أنه غريزة بعد أن كان في الشامل أنكرها أنه إنما رضيها لكونه في آخر عمره قرع باب قوم آخرين يعني يشير إلى الفلاسفة، فليت شعري ما في هذه المقالة مما يدل على ذلك، وأعجب من هذا أنه أعني المازري في آخر كلامه اعترف بأن الإمام لا ينحو نحوهم، وأخذ يحل من قدره وله من هذا الجنس كثير فهذه أمور توجب التنافر بينهم، وتحمل المنصف على أن لا يسمع كلام المازري فيهما إلا بعد حجة ظاهرة، ولا تحسب أن نفعل ذلك ازراء بالمازري وحطاً من قدره. لا والله بل تبييناً لطريق الوهم عليه وهو في الحقيقة بيان لعذره، فإن المرء إذا ظن بشخص سوءاً قلما أمعن النظر بعد ذلك في كلامه، بل يصير بأدنى لمحة يحمل أمره على السوء ويكون مخطئاً في ذلك إلا من وفق الله ممن بريء من الأغراض ولم يظن إلاَّ الخير وتوقف عند سماع كل كلمة، وذلك مقام لم يصل إليه إلا الآحاد من الخلق، وليس المازري بالنسبة إلى هذين الإمامين من هذا القبيل، وقد رأيت ما فعله في حق الإمام في مسألة الاسترسال وكيف وهم على الإمام وفهم عنه ما لا تفهمه العوام وفوق نحوه سهم الملام، فإذا عرفت ذلك فاعلم أن ما ادّعاه أنه عرف مذهبه بحيث قام له مقام العيان كلام عجيب، فإنا لا نجيز أن نحكم على عقيدة أحد بهذا الحكم، فإن ذلك لا يطلع عليه إلا الله، ولن تنتهي إليها القرائن والأخبار أبداً وقد وقفنا نحن على غالب كلام الغزالي وتأملنا كتب أصحابه الذين شاهدوه وتناقلوا أخباره وهم به أعرف من المازري، ثم لم ننته إلى أكثر من غلبة الظن بأنه رجل أشعري العقيدة خاض في كلام

الصوفية، وأما قوله: وذكر جلاً من مذاهب الموحدين والفلاسفة والمتصوّفة وأصحاب الإشارات، فأقول: إن عنى بالموحدين الذين يوحدون الله فالمسلمون أوّل داخل فيهم، ثم عطف الصوفية عليهم يوهم أنهم ليسوا مسلمين وحاش لله، وإن عنى بهم أهل التوكل على الله فهم من خير فرق الصوفية الذين هم من خير المسلمين فما وجه عطف الصوفية عليهم بعد ذلك؟ وان أراد أهل الوحدة المطلقة المنسوب كثير منهم إلى الإتحاد والحلول فمعاذ الله ليس الرجل في هذا الصوب، وهو مصرح بتكفير هذه الفئة وليس في كتابه شيء من معتقداتهم، وأما قوله: أنه ليس بالمتبحر في علم الكلام فأنا أوافقه على ذلك، لكن أقول ان قدمه فيه راسخ، ولكن لا بالنسبة إلى قدمه في بقية علومه هذا ظني. وأما قوله: إنه اشتغل بالفلسفة قبل استبحاره في فن الأصول فليس الأمر كذلك، بل لم ينظر في الفلسفة إلا بعدما استبحر في فن الأصول، وقد أشار هو أعني الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال وصرَّح بأنه توغل في علم الكلام قبل الفلسفة، ثم قول المازري قرأ علم الفلسفة قبل استبحاره في علم الأصول بعد قوله أنه لم يكن بالمستبحر في الأصول كلام يناقض أوّله آخره، وأما دعواه أنه تجرأ على المعاني فليست له جراءة إلا حيث دلَّه الشرع، ومدعي خلاف ذلك لا يعرف الغزالي ولا يدري مع من يتحدّث، ومن الجهل بحاله دعوى إنه اعتمد على كتب أبي حيان التوحيدي، والأمر بخلاف ذلك ولم يكن عمدته في الإحياء بعد معارفه وعلومه وتحقيقاته التي جمع بها شمل الكتاب ونظم بها محاسنه الأعلى كتاب «قوت القلوب» لأبي طالب المكي، وكتاب «الرسالة» للاستاذ أبي القاسم القشيري المجمع على جلالتها وجلالة مصنفيها، وأما ابن سينا فالغزالي يكفره، فكيف يقال إنه يقتدي به ولقد صرح في كتابه «المنقذ من الضلال» أنه لا شيخ له في الفلسفة وأنه أطلعه الله على هذه العلوم بمجرد المطالعة في أقل من سنتين ببغداد مع اشتغاله بالإفادة والتدريس. وقوله: لا أدري على من عوّل في التصوّف. قلت: عوّل على كتاب «القوت والرسالة» مع ما ضم إليه من كلام مشايخه أبي علي الفارمدي وأمثاله، ومع ما زاده من قبل نفسه بفكره ونظره وما فتح به عليه، وهو عندي أغلب ما في الكتاب وليس في الكتاب للفلاسفة مدخل ولم يصنفه إلا بعدما ازدرى علومهم ونهى عن النظر في كتبهم، وقد أشار إلى ذلك في غير موضع من الإحياء، ثم في كتاب «المنقذ من الضلال»، فهذا رجل ينادي على كافة الفلاسفة بالكفر وله في الرد عليهم الكتب الفائقة وفي الذب عن حريم الإسلام الكلمات الرائقة، ثم يقال أنه بنى كتابه على مقالاتهم، فيالله وللمسلمين نعوذ بالله من تعصب يحمل على الوقيعة في أئمة الدين، وأما ما عاب به الاحياء من توهيه بعض الأحاديث، فالغزالي معترف بأنه لم تكن له في الحديث يد باسطة، وعامةما في الإحياء من الأخبار والآثار مبدد في كتب من سبقه من الصوفية والفقهاء ولم يستبد الرجل بحديث واحد، وقد اعتنى بتخريج أحاديث الإحياء بعض أصحابنا فلم يشذ عنه إلاَّ اليسير، وأما ما ذكره في قص الأظفار فالأثر المشار إليه عن علي كرم الله وجهه غير أنه لم يثبت، وليس في ذلك كبير أمر ولا يخالفه شرع، وقد سمعت جماعة من الفقراء يذكرون أنهم جربوه فوجدوه لا يخطىء من داومه أمن من وجع العين. وأما قول المازري: عادة المتورعين أن لا يقولوا قال مالك الخ فقلما قال الغزالي قال رسول الله ﷺ على

سبيل الجزم، وإنما يقول عن، وبتقدير الجزم فلو لم يغلب على ظنه لم يقله، وغايته إنه ليس الأمر على ما ظن، وأما مسألة من مات ولم يعلم قدم الباري ففرق بين انتفاء اعتقاده بالقدم واعتقاده أن لا قدم، والثاني هو الذي أجمعوا على تكفير من اعتقده، فمن استحضر بذهنه صفة القدم ونفاها عن الباري أو حسبهـا منفية أو شك في انتفائها كان كافراً، وأما الساذج من مسألة القـدم الخالي الجلف المؤمن بالله على الجملة، فهو الذي ادعى الغزالي الإجماع على أنه مؤمن على الجملة ناج من حيث مطلق الايمان الجملي، ومن البلية العظمى أن يقال عن مثل الغزالي أنه غير موثوق به في نقله، فما أدري ما أقول ولا بأي وجه يلقى الله تعالى من يعتقد ذلك في هذا الإمام، وأما تقسيم المازري في العلم الذي أشار حجة الإسلام أنه لا يودع في كتاب، فوددت لو لم يذكره فإنه شبه عليه، وهذا المازري كان رجلاً فاضلاً ذكياً، وما كنت أحسبه يقع في مثل هذا، أو خفي عليه أن للعلوم دقائق نهى العلماء عن الافصاح بهاخشية على ضعفاء الخلق، وأمور أخر لا تحيط بها العبارات ولا يعرفها إلا أهل الذوق، وأمور أخر لم يأذن الله في اظهارها، وماذا يقول المازري فيما خرّجه البخاري في صحيحه من حديث الطفيل سمعت علياً رضي الله عنه يقول: حدّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله، وكم مسألة نص العلماء على عدم الافصاح بها خشية على إفهام من لا يفهمها، وربما وقع السكوت عن بعض العلم خشية من الوقوع في محذور وأمثلته تكثر.

وأما كلام الطرطوشي فمن الدعاوي العارية عن الدلالة، ولا أدري كيف استجاز في دينه أن ينسب هذا الحبر إلى أنه دخل في وساوس الشيطان ولا من أين اطلع على ذلك، وأما قوله: شابهاً بآراء الفلاسفة ورموز الحلاج، فلا أدري أي رموز في هذا الكتاب غير إشارات القوم التي لا ينكرها عارف، وليس للحلاج رموز يعرف بها، وأما قوله: كاد ينسلخ من الدين فيا لها كلمة وقاه الله شرها، وأما دعواه أنه غير أنيس بعلوم الصوفية، فمن الكلام البارد فإنه لا يرتاب ذو نظر بأن الغزالي كان ذا قدم راسخ في التصوّف وليت شعري إن لم يكن الغزالي يدري التصـوّف فمن يدريه، وأما دعواه إنه سقط على أم رأسه فوقعة في العلماء بغير دليل، فإنه لم يذكر لنا بماذا سقط كفاه الله وإيانا غائلة التعصب، وأما الموضوعات في كتابه فليت شعري أهو واضعها حتى ينكرها عليه ان هذا إلا تعصب بارد وتشنيع بما لا يرتضيه ناقد، وممن تكلم عليه أيضاً وبسط لسانه فيه ابن الصلاح قال التقي السبكي في جواب كتبه للعفيف المطري المقيم بالمدينة المنوّرة ما نصه: ماذا يقول الإنسان في الغزالي وفضله واسمه قد طبق الأرض، ومن خبر كلامه عرف أنه فوق اسمه، وأما ما ذكره ابن الصلاح من عند نفسه ومن كلام يوسف الدمشقي والمازري فما أشبه هؤلاء الجماعة رحمهم الله إلا بقوم متعبدين سليمة قلوبهم قد ركنوا إلى الهوينا رأوا فارساً عظيماً من المسلمين قد رأى عدوّا عظيماً لأهل الإسلام، فحمل عليهم وانغمس في صفوفهم وما زال في غمرتهم حتى فلّ شوكتهم وكسرهم وفرق جموعهم شـذر مذر، وفلق هام كثير منهم، فأصابه يسير من دمائهم وعاد سالماً فرأوه وهو يغسل الدم عنه، ثم دخل معهم في صلاتهم وعبادتهم فتوهموا ابقاء أثر دم عليه فأنكروا عليه. هذا حال الغزالي وحالهم، والكل ان شاء الله مجتمعون

في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأما المازري فمعذور لأنه مغربي، وكانت المغاربة لما وقع بهم كتاب الإحياء لم يفهموه فحرفوه، فمن تلك الحالة تكلم المازري، ثم ان المغاربة بعد ذلك أقبلوا عليه ومـدحوه بقصائد منها قصيدة أوّلها:

أبا حامد أنت المخصص بالحمد وأنت الذي علمتنا سنن الرشد
وضعت لنا الاحياء يحي نفوسنا وينقذنا من ربقة المارد المردي

وهي طويلة وإن كنت لا أرضى بقوله أنت المخصص بالحمد ويتأوّل لقائله أنه أراد من بين أقرانه أو من بين من يتكلم فيه، وأين نحن ومن فوقنا ومن فوقهم من فهم كلام الغزالي، والوقوف على مرتبته في العلم والدين والتأله، ولا ينكر فضل الشيخ ابن الصلاح وفقهه وحديثه ودينه وقصده الخير، ولكن لكل عمل رجال، ولا ينكر علو رتبة المازري ولكن كل حال لا يعرفه من لم يذقه أو يشرف عليه، وكل أحد إنما يتكيف بما نشأ عليه ووصل إليه، ثم قال: وإن كان في الأحياء أشياء يسيرة تنتقد لا ترفع محاسن أكثره التي لا توجد في كتاب غيره، وكم من منقبة للغزالي وقد أطال في الكلام فراجعه في طبقات ولده فإنه نفيس في الباب. وفي الجزء التاسع عشر من تذكرة الحافظ جلال الدين السيوطي قال: ومما وقع للعلماء من ضرب المثل لأهل عصرهم بالآيات ما وقع لحجة الإسلام الغزالي في كتابه الانتصار لما في الإحياء من الأسرار حين أنكر عليه علماء عصره مواضع منه ألف الكتاب المذكور لجواب ما أنكروه فقال في أوّله ما نصه: سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقيها وقربـ-لك مقامات الولاية تحل معاليها في بعض ما وقع في الإملاء الملقب بالإحياء مما أشكل على من حجب فهمه وقصر علمه ولم يفز بشيء من الحظوظ الملكية قدحه وسهمه، وأظهرت التحزن لما شاش به شركاء الطعام، وأمثال الأنعام، وإجماع العوام، وسفهاء الأحلام، وذعار أهل الإسلام، حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته وأفتوا بمجرد الهوى على غير بصيرة باطـراحـه ومنـابـذتـه ونسبـوا مـمليـه إلى ضلال وإضلال، ونبذوا قراءة ومنتحليه بزيغ في الشريعة واختلال، فإلى الله انصرافهم ومآبهم، وعليه في العرض الأكبر إيقافهم وحسابهم فستكتب شهادتهم ويُسألون ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ [الشعراء: ٢٢٧] بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴿وإذْ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفكٌ قديم﴾ [الأحقاف: ١١] ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [النساء: ٨٣] ولكن الظالمون في شقاق بعيد، ولا عجب فقد ثوى أدلاء الطريق، وذهب أرباب التحقيق، فلم يبق في الغالب إلا أهل الزور والفسوق متشبثين بدعاوى كاذبة، متصفين بحكايات موضوعة، متزينين بصفات منمقة، متظاهرين بظواهر بالعلم فاسدة ومتقاطعين بحجج غير صادقة. كل ذلك لطلب دنيا أو محبة ثناء أو مغالبة نظراء. قد ذهبت المواصلة بينهم بالبر، وتألفوا جميعاً على الفعل المنكر، وعدمت النصائح منهم في الأمر، وتصافوا بأسرهم على الخديعة والمكران إن نصحتهم العلماء أغروا بهم، وإن صمت عنهم العقلاء أزروا عليهم أولئك الجهال في علمهم الفقراء في طولهم البخلاء عن الله عز وجل بأنفسهم لا يفلحون، ولا ينجح تابعهم، ولذلك لا تظهر عليهم موارثـة الصـدق، ولا تسطـع حـولهم أنـوار الولايـة، ولا

تتحقق لديهم إعلام المعرفة، ولا يستر عوراتهم لباس الخشية، لأنهم لم ينالوا أحوال النقباء، ومراتب النجباء، وخصوصية البدلاء، وكرامات الاوتاد وفوائد القطب. وفي هذه أسباب السعادة، وتتمة الطهارة. ولو عرفوا أنفسهم لظهر لهم الحق، وعلموا علة أهل الباطن وداء أهل الغضب ودواء أهل القوّة، ولكن ليس هذا من بضائعهم. حجبوا عن الحقيقة بأربعة بالجهل والإصرار ومحبة الدنيا وإظهار الدعوى، فالجهل أورثهم السخف، والإصرار أورثهم التهاون، ومحبة الدنيا أورثتهم طول الغفلة، وإظهار الدعوى أورثهم الكبر والإعجاب والرياء، والله من ورائهم محيط وهو على كل شيء شهيد، فلا يغرنك أعاذنا الله وإياك من أحوالهم شأنهم، ولا يذهلنك عن الاشتغال بصلاح نفسك تمردهم وطغيانهم، ولا يغوينك بما زيّن لهم من سوء أعمالهم شيطانهم، فكان قد جمع الخلائق في صعيد، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وتلا: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ [ق: ٢٢] فيا له موقفاً قد أذهل ذوي العقول من القال والقيل ومتابعة الأباطيل، فأعرض عن الجاهلين ولا تطع كل أفاك أثيم، فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية. ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة، فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ [القصص: ٨٨] إلى هنا كلام الغزالي.

تنبيه:

وقد أنكر على الإمام الغزالي في مواضع من الإحياء منها ما هو قول منسوب إليه، ومنها ما نقله عن غيره من العارفين وأثبته وسكت عليه، فمن ذلك قوله فيه ليس في الامكان أبدع مما كان قالوا هذا يفهم منه العجز في الجناب الإلهي، وهو كفر صريح، وقد أجاب عنه القطب سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتابه الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية بثلاثة أجوبة. الأوّل: نقلاً عن القطب ابن عربي؟ والثاني نقلاً عن عبد الكريم الجيلي، والثالث نقلاً عن الشيخ محمد المغربي شيخ الجلال السيوطي، وكل من الأجوبة الثلاثة قد أوردها شيخ مشايخنا سيدي أحمد ابن مبارك السجلماسي في كتابه (الذهب الابريز) وبسط الكلام عليه، ورأيت ذلك بعينه في تأليف الشعراني المذكور بخط أحد تلامذته. قال أحمد بن مبارك، وقلت لبعض الفقهاء ما قولك في قول أبي حامد ليس في الإمكان أبدع مما كان؟ فقال: قد تكلم عليه الشعراني وغيره، فقلت: إنما أسألك عما عندك فيه فقال لي: وأي شيء عندي فيه، فقلت: ويحك إنها عقيدة أرأيت لو قال القائل هل يقدر ربنا جل جلاله على إيجاد أفضل من هذا الخلق، فقال: أقول له ان مقدورات الله لا تتناهى فيقدر على إيجاد أفضل من هذا الخلق بألف درجة، وأقل من هذا الأفضل، وهكذا إلى ما لا نهاية له، فقلت: وقوله ليس في الإمكان أبدع مما كان ينافي ذلك، فتفطن عند ذلك للعبارة المنسوبة لأبي حامد رحمه الله تعالى، وهكذا وقع لي مع كثير من الفقهاء، فإذا سألتهم عن عبارة أبي حامد استشعروا جلالة قدره فتوقفوا، فإذا بدلت العبارة وعبرت بما سبق في سؤالنا للعامة جزموا بعموم القدرة وعدم نهاية المقدورات. قال: وقد اختلف العلماء في هذه المقالة المنسوبة إلى أبي حامد على ثلاث طرائق.

فطائفة أنكرتها وردّتها، وطائفة أوّلتها، وطائفة كذبت النسبة إلى أبي حامد ونزهت مقامه عنها، والأولى هم المحققون من أهل عصره ومن بعدهم إلى هلم جرا. منهم أبو بكر بن العربي تلميذه فيما نقله أبو عبدالله القرطبي في شرح أسماء الله الحسنى ما نصه: قال شيخنا أبو حامد الغزالي قولاً عظيماً انتقده عليه أهل العراق وهو بشهادة الله موضع انتقاد قال: ليس في القدرة أبدع من هذا العالم في الإتقان والحكمة، ولو كان في القدرة أبدع منه وادخره لكان ذلك منافياً للجود، وأخذ ابن العربي في الرد عليه إلى أن قال: ونحن وإن كنا قطرة في بحره فإنا لا نردّ عليه إلا بقوله، ثم قال: فسبحان من أكمل بشيخنا هذا فواضل الخلائق، ثم صرف به عن هذه الواضحة في الطرائق، وممن سلك هذا المسلك ناصر الدين بن المنير الإسكندري، وصنف في ذلك رسالة سماها الضياء المتلالي في تعقب الإحياء للغزالي، وقال: المسألة المذكورة لا تتمشى إلا على قواعد الفلاسفة والمعتزلة، وفي مناقضة هذه الرسالة ألف السيد السمهودي رسالة عظيمة نحو سبعة كراريس، وممن نقل عنه إنكاره الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام، والإمام بدر الدين الزركشي، وقال: هذا من الكلمات العقم التي لا ينبغي اطلاق مثلها في حق الصانع، والكمال بن أبي شريف، والبرهان البقاعي، وألف رسالة في المسألة سمّاها تهديم الأركان وغيرهم.

والطائفة الثانية وهم المنتصرون لأبي حامد والمؤوّلون لكلامه على وجه صحيح في ظنهم، فأوّل ذلك الإمام أبو حامد نفسه، فإنه سئل في زمانه عن هذه المسألة فأجاب بما هو مسطور في الأجوبة المسكتة، ومنهم محيي الدين بن عربي، وعبد الكريم الجيلي، ومحمد المغربي نقل عنهم الشعراني كما سبقت الإشارة إليه، ومنهم الإمام جلال الدين أبو البقاء محمد البكري الشافعي، والبدر الزركشي أيضاً، والشيخ سيدي أحمد زروق في شرح قواعد العقائد للمصنف، والبرهان ابن أبي شريف أخو الكمال المتقدم في الطائفة الأولى، والشيخ أبو المواهب التونسي، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، والحافظ جلال الدين السيوطي، وألف رسالة ناقض بها على البرهان البقاعي سماها تشييد الأركان.

قلت: وقد سئل عن هذه المسألة كل من مشايخنا القطب نجم الدين أبي المكارم محمد بن سالم الحفني الشافعي نفعنا الله به، والسيد القطب أبي المراحم عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس نفعنا الله به، فأجابا بتأويل كلامه على أحسن المظنات.

والطائفة الثالثة: وهم الذاهبون إلى عدم نسبة المقالة إلى أبي حامد، وأنها مدسوسة في كتبه ومستندهم في ذلك أنهم عرضوها على كلامه في كتبه فوجدوها مع كلامه على طرفي النقيض والعاقل لا يعتقد النقيض فضلاً عن أبي حامد، وعباراته التي هي مناقضة لتلك المقالة في مواضع من كتابه الإحياء، وفي المنقذ من الضلال، وفي المستصفى مما تصدى لجمعها جميعاً البرهان البقاعي في رسالته المذكورة هذا خلاصة ما أشار إليه سيدي أحمد بن مبارك السجلماسي، ولم نطوّل بنصوص الأجوبة، وما نوقضت به لما فيه من الأسهاب المخل في هذه المقدمة أمام الكتاب، وعسى أن نلم بتفصيل كلامهم إن شاء الله تعالى في كتاب التوكل والله على ما يشاء قدير. وقال القطب

الشعراني في كتابه الأجوبة المرضية: ومما أنكروه على الغزالي قوله يباح للصوفية تمزيق ثيابهم عند غلبة الحال إن قطعت قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات، كما يجوز تمزيق الثوب ليرقع به قميص آخر قال المنكر: ولقد عجبت من هذا الرجل يعني الغزالي كيف استلبه حب مذهب الصوفية حتى ذهل عن أصول الفقه ومذهب الشافعي، واختار بدع الصوفية على مذاهب الأئمة. والجواب أنه لا ينبغي الإنكار عليه بموافقة الصوفية في هذه المسألة، فإن ذلك غرض صحيح في معاملة أرباب القلوب، فإن الصوفي لولا رأى صلاح قلبه وحضور قلبه مع الله تعالى بذلك ما مزق ثوبه، بل كان هو ينكر على من فعل ذلك. وبالجملة فلو كان جميع أموال الدنيا وأمتعتها بيد الفقير، ورأى حضور قلبه مع الله تعالى لحظة [لرضي] بإتلافها كلها وبحرقها أو رميها في بحر لكان له ذلك بطريق الاجتهاد، ولا لوم إلاّ على من يمزق ثيابه ويتلف ماله إسرافاً وسفهاً ولكل مقام رجال وأنشدوا:

لو ذاق عاذلي صبابتي صبا ... معي لكنه ما ذاقها

فاعلم ذلك والزم الأدب مع حجة الإسلام في دولتي الظاهر والباطن. قال: ومما أنكروا عليه قوله في الإحياء المقصود بالرياضة تفريغ القلب، وليس ذلك إلا بالخلوة والجلوس في مكان مظلم، فإن لم يكن مظلماً لف رأسه في جيبه أو تدثر بكساء أو رداء، فإنه في مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق تعالى ويشاهد جلال الربوبية. قال المنكر: انظروا إلى هذه الترهات العجيبة وكيف صدرت من فقيه، ومن أين له أن الذي يسمعه إذ ذاك هو نداء الحق تعالى، أو أن الذي يشاهده جلال الربوبية، وما يؤمنه أن يكون ما يجده هو من الوساوس والخيالات الفاسدة، وهذا هو الغالب ممن يستعمل التقلل في المطعم، فإنه يغلب عليه الماليخوليا. والجواب: أن ما قاله الغزالي تبعا لغيره صحيح، لكن له شروط عند أهل الطريق من بلوغه في الورع الغاية القصوى ومداومة مراقبة الله مع الأنفاس وعدم شغل قلبه بنعيم الدنيا والآخرة، وهناك يخرج العبد من مواطن التلبيس من النفس والشيطان وتصير روحه ملكية، فيشاهد جلال الربوبية كما تشاهده الملائكة وكل من دخل الخلوة على مصطلح أهل الله عرف ما أقول، ومن لم يدخل فهو معذور في إنكاره لعدم وجدانه ما ذكره الغزالي في نفسه، ومما أنكروا عليه أيضاً تقريره في الإحياء قول أبي سليمان الداراني إذا طلب الرجل الحديث، أو سافر في طلب المعاش، أو تزوّج فقد ركن إلى الدنيا. قال المنكر: هذه الثلاثة أشياء مخالفة لقواعد الشريعة، وكيف لا يطلب الحديث وقد ورد وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وكيف لا يطلب المعاش وقد قال عمر رضي الله عنه لأن أموت من سعي رجلي اطلب كفاف وجهي أحب إليّ من أن أموت غازياً في سبيل الله، وكيف لا يطلب التزويج وصاحب الشرع ﷺ يقول تناكحوا تناسلوا فما أدري هذه الأوضاع من الصوفية إلا على خلاف الشرع. والجواب: أن مثل الإمام الغزالي لا يجهل مثل هذه الأمور بدليل مدحها في مواضع أخر من كتاب الإحياء، وإنما مراده أن الدخول في هذه الأمور من لازمه غالباً دخول الآفات التي تحبطها، فإن من طلب الحديث لزمته الرئاسة وصار مقدماً عند الناس في التعظيم والإكرام على من لم يطلبه، وقل من يتخلص من الميل أو المحبة لمثل ذلك. وأما

التجارة والبيع والشراء مع الخلاص من الميل إلى الدنيا، فلا يكون إلا ممن كمل سلوكه، ودخل حضرة الله، وعرف المواقع كلها، فكلام أبي سليمان جرى على الغالب فلا لوم على الغزالي في تقريره إياه، وأما كون التزويج من جملة الميل إلى الدنيا فهو ظاهر لأنه في الغالب يطلب للاستمتاع، وذلك لا يحصل إلا بالوقوع في الآفات التي كان عنها بمعزل أيام عزوبته لاسيما إن كان متجرداً عن القيام في الأسباب التي تجلب له أمر معاشه، فإنه يتلف بالكلية ويلزمه الرياء لكل من أحسسن إليه بلقمة أو خرقة أو غيرهما، فأبغض الخلق إليه من يذمه عنده خوفاً أن يتغير اعتقاد فيه فيقطع عنه بره فكأن عبادة هذا كلها لأجل الذي أحسن إليه. وفي الحديث: « خيركم بعد المائتين الخفيف الحاذ » أي الذي لا زوجة له ولا ولد. وفي الحديث أيضاً: « سيأتي على أمتي زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وولده » فذكر الحديث إلى أن قال: »وذلك أنهم يعيرونه بضيق المعيشة إلى أن يورده موارد الهلاك » وقد استشار شخص سيدي علياً الخواص في التزويج فقال له: شاور غيري، فقال لـه فقيه ما منعك أن تشير عليه بفعل السنة، فقال له الشيخ: أنت ما حفظت إلا كونه سنة. أما تنظر الآفات المترتبة عليه من هلاك الدين وأكل الحرام والشبهات، فاعلم ذلك. ومما أنكروه عليه تقريره قول الجنيد إذا كان الأولاد عقوبة شهوة الحلال فما ظنكم بعقوبة شهوة الحرام؟ قال ابن القيم: هذا غلط من الجنيد ومن أقره على ذلك، فإن الجماع سنة أو مباح وكلاهما لا عقوبة على فاعله جرياً على قواعد الشريعة. والجواب: أن مراد الجنيد العقوبة التي تحصل بلازم ذلك لا بعينه. قال الله تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ [التغابن: ١٥] وقال تعالى: ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ [التغابن: ١٤] ولا يحذر الله تعالى إلا ما فيه رائحة الأثم، ومن مصطلح القوم أن يؤاخذوا المريد على فعل المباح ويعاقبوه عليه من حيث كونه يوقف عن الترقي ولكل مقام رجال، ومما أنكروه عليه أيضاً تقريره قول أبي حمزة البغدادي إني لأستحي من الله أن أدخل البادية وأنا شبعان، وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون شبعي زاداً تزودت به. قال المنكر: ومن العجب اعتذاره عن أبي حمزة بقوله كلام أبي حمزة صحيح، لكن محتاج إلى شرطين:

أحدهما: أن تكون للإنسان قدرة من نفسه بحيث يمكنه الصبر عن الطعام أسبوعاً ونحوه.

الثاني: أن يمكنه التقوت بالحشيش ولا تخلو البادية من أن يلقاه الذي معه طعام بعد أسبوع، أو ينتهي إلى محلة أو حشيش يجدبه ما يقوته.

قال ابن القيم: أقبح ما في هذا القول صدوره من فقيه، فإنه قد لا يلقى أحداً وقد يضل وقد يمرض فلا يصلح له الحشيش وقد يلقاه من لا يطعمه وقد يموت فلا يدفنه أحد. والجواب أما كلام أبي حمزة فهو في نهاية الإخلاص، وكذلك ما شرطه الغزالي وهو صحيح يتمشى على قواعد الفقه. وأما ما ذكره ابن القيم فلا ينهض حجة واضحة على أبي حمزة والغزالي، لأنه لو حمل أيضاً الزاد يجوز أن يقع له ما يقع لمن لم يحمله من الأحوال التي ذكرها، لكن لا يخفي أن حمل الزاد سنة، ومن فعل السنة كان تحت نظر الله تعالى بالأمداد واللطف، لأنه فعل ما كلفه بخلاف من لم يحمل زاداً، فإنه موكول إلى نفسه، ولو كان ممن صحت تجربته للحق تعالى، فان

الحق جل وعلا لا تقييد عليه يفعل ما يشاء إلا أن قيد على نفسه بشيء فللعبد طلبه منه عبودية، وقد قال رجل للحسن البصري: إني أريد أن أجلس في مسجد وأترك السبب لاعتقادي إن الله لا يضيعني، فقال له الحسن البصري: إن كنت على يقين السيد إبراهيم الخليل عليه السلام فافعل وإلا فالزم الحرفة والله أعلم.

ومما أنكروه عليه أيضاً تقريره ما حكاه عن بعضهم أنه بات عند السباع في برية ليمتحن توكله على الله تعالى هل صح أم لا. قال المنكر: كيف يجوز للغزالي أن يسكت على ما فعله هذا الرجل مع تعرضه لأسباب الهلاك ببياته عند السباع، لا سيما إن كانت جيعانة، وقد قال تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] والجواب: إن ذلك في حق أرباب الأحوال الذين يغلب حالهم حال السبع ويركبونه ويعركون اذنه وينقاد لهم، بل يخاف هو منهم، وهذا مقام يبلغه المريد أوائل دخوله في الطريق، فيمسح الله من قلبه الخوف من شيء من المخلوقات جملة واحدة، وقد وقع ذلك لجملة من الأولياء، وفوق هذا المقام مقام أرفع من هذا وهو الخوف من كل شيء يؤذي والتباعد عنه، ولو علمنا أن الحق تعالى قدر علينا ما يؤذينا فنتحفظ من الأذى حسب طاقتنا، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء ويثاب على ذلك الحذر، لا سيما إن كان مشهد أحدنا إن انفسنا وديعة عند الله تعالى، وقد أمرنا بمدافعة الأقدار عنها والله أعلم.

وما أنكروه عليه أيضاً تقرير ما حكاه عن أبي الحسن الدينوري أنه حج إثنتي عشرة حجة وهو حاف مكشوف الرأس. قال ابن القيم: هذا من أعظم الجهل لما في ذلك من الأذى للرأس والرجلين ولا تسلم الأرض من الشوك والوعر، وكان هؤلاء الصوفية ابتكروا من عند أنفسهم شريعة سموها بالتصوّف وتركوا شريعة محمد ﷺ بجانب، فنعوذ بالله من تلبيس إبليس، فإن مثل هذه الحكايات تفسد عقائد العوام ويظنون أن فعله من الصواب. والجواب: لا ينبغي المبادرة بالإنكار على من أتلف جسمه في مرضاة الله تعالى وتعظيم حرماته، وربما كان من خرج للحج حافياً مكشوف الرأس وقع في ذنب عظيم عنده، وظن أن الحق تعالى قد سخط عليه بسببه، فخرج بتلك الهيئة يطلب التنصل من ذنوبه على وجه الذل والإنكسار، وقد وقع لسفيان الثوري أنه حج من البصرة حافياً فتلقاه الفضيل بن عياض، وابن أدهم، وابن عيينة من خارج مكة فقالوا له: يا أبا عبدالله أما كان من الرفق بذاتك أن تركب ولو حماراً؟ فقال: أما يرضى العبد الآبق من سيده أن يأتي مصالحته إلا راكباً؟ فبكى الفضيل والجماعة فانظر ذلك واقتد به والله أعلم.

ومما أنكروا عليه أيضاً ما أجاب به من سأله عن رجل يدخل البادية بلا زاد من قوله هذا من فعل رجال الله. قيل له: فإن مات قال الدية على العاقلة. قال المنكر: هذه فتوى جاهل بقواعد الشريعة إذ لا خلاف بين فقهاء الإسلام أنه لا يجوز لأحد دخول البادية بغير زاد، وإن كان فعل ذلك ومات بالجوع فهو عاص مستحق للعقوبة في الآخرة. والجواب: يحتمل أن يكون مراد الغزالي من رجال الله أرباب الأحوال الذين غلبت عليهم أحوالهم لا العارفين من مشايخ الطريق بقرينة ما مر في الجواب قبله، فلا لوم على الغزالي إلا لو جعل ذلك شائعاً في حق كل الناس.

ومما أنكروا عليه أيضاً تقريره عن أبي الخير الأقطع التيناتي قوله: إني عقدت مع الله عهداً أن لا آكل شيئاً من الشهوات، فمددت يدي إلى ثمرة في شجرة فقطعتها، فبينا أنا أمضغها إذ ذكرت العهد فرميت بها من فمي فدار بي فرسان، وقالوا: قم وأخرجوني إلى ساحل بحر إسكندرية، وإذا أمير وحوله خيل وجند، فقالوا: أنت من اللصوص، وإذا معهم جماعة من لصوص السودان فسألوهم عني فقالوا لا نعرفه، فكذبهم الأمير وشرع يقدم يداً ويقطعها إلى أن وصل إليّ، وقال لي: تقدم ومد يدك فمددتها فقطعت إلى آخرها. قال: قال المنكر فانظروا إلى هذا الجهل العظيم ما فعل بصاحبه ولو أن عند التيناتي رائحة علم لعلم أن ما فعله حرام عليه وليس لأبليس عون على الزهاد والعباد أكثر من الجهل، وما أظن غالب ما يقع لهؤلاء إلا من الماليخوليات. والجواب لا ينبغي الإنكار على أبي الخير ولا على الغزالي فإنهما مجتهدان في ذلك، فرأيا أن نقض العهد عند الأكابر أعظم من سرقة ربع دينار، وأيضاً فإن مشهد الأكابر حضرة التقدير الإلهي، فهم مع الذي قدر القطع لا مع الجلاد الذي يقطع اليد مثلاً، فكلام الغزالي في حق الأكابر وقول المنكر في حق الأصاغر، فإنه كان يكفي عقوبة أحدهم أن يتوب ويستغفر من نقض العهد، وليس له أن يمكن الجلاد من قطع يده ما أمكن، لأن ذلك لم يأمر به الشرع والله أعلم.

ومما أنكروا عليه أيضاً قوله: إن الإشتغال بعلم الظاهر بطالة. قال ابن القيم: هذا جهل مفرط منه، وأصل ذم الصوفية العلم إنهم رأوا طريق الإشتغال به لا يوصلهم إلى الرئاسة إلا بعد طول زمان بخلاف طريقتهم المبتدعة من لبسهم الزي وصلاتهم بالليل وصيامهم بالنهار وتقصير الثياب والأكمام. والجواب لا ينكر عليه ذلك، فإن مراده الإشتغال به على طريق الجدال بطالة بالنسبة إلى طريق العلماء العاملين، لا أن مراده بطالة من كل وجه وكيف يظن به أن يريد ما فهمه المنكر وهو يعلم أن علم الشريعة هو أساس علم الحقيقة إذ الشريعة لها تقويم صور العبادات الظاهرة، والحقيقة لها تقويم صور العبادات الباطنة بحيث تستحق أن يقبلها الله تفضلاً منه، وقد بلغنا أن الغزالي ما قال ذلك إلا في حق نفسه لما دخل طريق القوم ورأى كمالها وآدابها فقال: ضيعنا عمرنا في البطالة والله أعلم.

ومما أنكروا عليه أيضاً قوله: أعلم أن ميل قلوب أهل التصوّف إنما هو إلى تحصيل العلوم اللدنية دون العلوم النقلية، ولذلك لم يحضوا على دراسة العلم ولا تحصيل ما صنفه المصنفون وإنما حضوا على الإشتغال بالله تعالى وحده والإشتغال بذكر الله فقط. إلى آخر ما قال: وعد المنكرون ذلك من جملة ما غلط فيه الغزالي وقالوا قد حث الشارع على طلب العلم، فكيف يمدح من لم يحض على تحصيله من الصوفية وقالوا عزيز هذا الكلام أن يصدر من متشرع فإنه لا يخفي قبحه وهو كالطي لبساط الشريعة حقيقة، ثم على هذا المذهب فقد فاتت الفضائل علماء الأمصار كلهم، فإنهم لم يسلكوا طريق الصوفية على هذا النحو الذي ذكره الغزالي، وإذا ترك الإنسان الإشتغال بعلم الشريعة خلت النفس بوساوسها وخيالاتها ولم يبق عندها من العلم ما يطرد ذلك فيلعب بها إبليس أي ملعب. والجواب أن مراد الغزالي فيما حكاه عنهم إنما هو بعد إحكام الفقير

علم الشريعة. فإنه حكى إجماع القوم على أنه لا ينبغي لأحد أن يدخل طريق القوم إلا بعد تضلعه من علوم الشريعة بحيث يصير يقطع علماء الشريعة بالحجج في مجلس المناظرة، فلا ينبغي حمل مثل كلامه على أن مراده مدح الاشتغال بأحوال طريق القوم من غير تقدم عملهم للشريعة، فإن ذلك أبعد من البعيد، فالغزالي في وادٍ والمنكر في واد والله أعلم.

ومما أنكروه عليه أيضاً: في تفسير قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام﴾ إن الأصنام هو الذهب والفضة وعبادتها حبها والأغترار بها. قال ابن القيم: وهذا تفسير لم يقل به أحد من المفسرين. والجواب لا ينبغي أن ينكر عليه بسبب ذلك، فقد ورد في الحديث: «تعس عبد الدينار والدرهم وعبد الخميصة» فسمى محب هذه الأمور عبداً لها مع أنها لا تعقل ولا تدري من يحبها ولا من يبغضها، فكانت كالأصنام والعبادة في اللغة الميل للشيء والطاعة له. قال تعالى: ﴿يا بني آدم لا تعبدوا الشيطان﴾ [يس: ٦٠] أي لا تطيعوه في وسوسته لكم بالسوء فلما كنى الحق تعالى عن طاعة إبليس بالعبادة له استعارة مجازية، كذلك صح للغزالي استعارة العبادة للذهب والفضة الذي هو عبارة عن شدة محبتها ومقاتلة الناس لأجلها بجامع أن القلب يشتغل بها عن الله تعالى، كما يشتغل عباد الأصنام بها عن الله تعالى والله أعلم.

ومما أنكروه عليه تقريره في الإحياء قول سهل التستري أن للربوبية سراً لو ظهر لبطلت النبّوة، وأن للنبّوة سراً لو ظهر لبطل العلم، وأن للعلماء بالله سراً لو ظهر لبطلت الأحكام والشرائع. قال ابن القيم: انظروا إلى هذا التخليط القبيح ودعواه أن باطن الشريعة يخالف ظاهرها وذلك من الهذيان، والجواب لا ينكر على سهل ولا على الغزالي لأن ما ذكراه إنما هو على سبيل الفرض والتقدير. أي أن الله تعالى في عباده وشرائعه أسراراً اختص بها دون خلقه لشدة حجابهم، ولو رفع ذلك الحجاب لتساوى علمهم وعلم سيدهم ولا قائل بذلك، ومن أراد أن يشم رائحة ما ذكرناه فلينظر إلى حضرة ربه سبحانه قبل خلقه الخلق سجداً أحداً فراداً لا ثاني معه يشهد أبداً، ثم يستصحب هذا المشهد وهو نازل في المراتب من غير تخلل غفلة أو حجاب، وأكثر من هذا لا يقال، وإذا لم يكن إلا واحد لا خلق معه ذهبت الرسالة والرسول لعدم وجود من تتوجه عليهم الأحكام، فكان بقاء الرسالة وأحكامها بعدم كشف أسرار الربوبية فافهمه والله أعلم.

وما أنكروا عليه أيضاً قوله: ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فقيل له: لو سألت الله تعالى أن يردّه عليك، فقال: اعتراضي عليه أشد من ذهاب ولدي. قال ابن القيم: لقد طال تعجبي من أبي حامد هذا كيف يحكي هذه الحكايات على وجه الإستحسان لها والرضا عن أصحابها، ويعد الدعاء والسؤال لله تعالى اعتراضاً. لقد طوى هذا بساط الشريعة طياً إذ الدعاء مشروع بالإجماع. والجواب أن مراد الغزالي إن ذلك فيه معنى الإعتراض لا أنه اعتراض، وأيضاحه أن الإعتراض يرجع إلى تمني غير ما سبق في علم الله عز وجل، وقد سبق في علمه تعالى ضياع ولد هذا الصوفي

فرضي بقضاء ربه، ولم يطلب رجوع ولده ليتساوى وجود ولده وعدمه عنده في أي مكان كان، ولا فرق بين كونه في داره أو أقصى الأرض، لأنه عبد لله تعالى لا عبد لولده فافهمه.

ومما أنكروا عليه أيضاً قوله في الإحياء: كان بعض الشيوخ في بدايته يكسل عن قيام الليل فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتصير نفسه تجيبه إلى قيام الليل اختياراً، وكذلك عالج بعضهم حب المال فباع جميع أمتعته ورمى ثمنها في البحر خوفاً من أن يقع في حب تزكية الناس له ووصفه بالجود أو الرياء في فعلها المذكور، ولذلك كان بعضهم يستأجر من يشتمه على رؤوس الأشهاد ليعوّد نفسه الحلم، وكان آخر يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الموج ليعود نفسه الشجاعة، وكان بعضهم إذا خاف لنوم يقف على رأس حائط عال حتى لا يأخذه النوم. قال المنكر: أعجب من جميع هؤلاء عندي أبو حامد كيف حكى هذه الأشياء ولم ينكرها، ولكن كيف ينكرها وقد أتى بها في معرض التعليم ولم يزنها بميزان الشريعة، وقبل أن يورد هذه الحكايات قال: ينبغي للشيخ أن ينظر حال المبتدىء فإن رأى معه مالاً حاضراً زائداً عن حاجته أخذه فصرفه في الخير، وفرغ قلب المريد منه حتى لا يلتفت إليه، وإن رأى الكبر قد غلب عليه أمره أن يخرج إلى السوق للحرفة والسؤال بالإلحاح ويكلفه المواظبة على ذلك، وإن رأى الغالب عليه البطالة استخدمه في تعهد الأخلية وتنظيفها من القذر وملازمة المطبخ وكنس القاذورات ومواضع الدخان، وإن رأى شره حب الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم، وإن رآه عزباً ولم تنكسر شهوته بالصوم أمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم رأساً. قال ابن القيم: وإني لأتعجب من أبي حامد هذا كيف يأمر بهذه الأمور التي تخالف ظاهر الشريعة، وكيف يحل لأحد أن يقوم على رأسه طول الليل، وكيف يحل رمي المال في البحر، وكيف يحل سب المسلم بلا سبب، وهل يجوز لمسلم أن يستأجر من يشتمه، وهل يجوز لأحد أن يقوم على رأس جدار عال ويعرض نفسه للوقوع بالنوم فتنكسر رقبته فيموت، فما أرخص ما باع أبو حامد الفقه بالتصوّف الذي يراه. والجواب: أن أهل الطريق في جميع ذلك مجتهدون لا سيما في ترجيح الأعمال بعضها على بعض، فكلما أدى اجتهادهم إلى أنه أرضى الله تعالى أو فيه تقريب للطريق على المريدين قدموه على أنه يحتمل أن الشيخ كان ممن أقدره الله تعالى على جمع ذلك المال الذي أمر مريده برميه في البحر، وكذلك يحتمل أن الشيخ ما أمره بالوقوف على رأسه أو على رأس جدار إلا بعد أن علم قدرته على ذلك ولو بادمان سابق والله أعلم.

ومما أنكروا عليه أيضاً حكايته عن أبي تراب النخشبي أنه قال لمريد له: لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله عز وجل سبعين مرة. قال ابن القيم: هذا الكلام فوق الجنون بدرجات. والجواب لا ينكر تقريره أبا تراب على مقالته لأن مراده أن ذلك المريد يجهل مقام الأدب والمعرفة لله تعالى، فهو لا ينتفع برؤيته، ولا يصح أن يمنحه الحق تعالى بشيء من الآداب بخلاف رؤية أبي يزيد، فإنها تعلمه طريق الأدب مع الله تعالى ومع خلقه، فكانت أنفع له من رؤية ربه وهو لا يعرف أنه هو وهذا شأن أكثر الناس اليوم، فلا يصح لهم الأخذ عن الله

تعالى لكثرة حجبهم التي بينهم وبينه، فهذا معنى قول أبي تراب وليس مراده أن رؤية أبي يزيد أفضل من رؤية الله تعالى لمن يعرفه فافهمه والله أعلم.

ومما أنكروا عليه أيضاً في حكايته عن ابن الكريتي شيخ الجنيد أنه قال: نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح فشتتَ قلبي ونفر مني فدخلت الحمام وسرقت ثياباً فاخرة ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت، فجعلت أمشي قليلاً قليلاً فلحقوني وأخذوا مني الثياب وصفعوني وسموني لص الحمام فسكنت نفسي. قال الغزالي: فهكذا كانوا يروضون نفوسهم حتى يخلصهم الله تعالى من فتنة النظر إلى الخلق ومراعاتهم لهم، ثم أهل النظر إلى النفس وأرباب الأحوال ربما عالجوا أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم بذلك، ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل هذا في الحمام، قال ابن القيم: سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الإحياء، فليته لم يحك فيه مثل هذه الأمور التي لا يحل لأحد السكوت عليها، والعجب أنه يحكي هذه الأمور ويستحسنها ويسمى أصحابها أرباب الأحوال وأي حالة أقبح من حال من خالف الشريعة ورأى المصلحة في النهي عن اتباعها، وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصي، ثم كيف يجوز التصرف في مال الغير بغير إذنه، فإن في نص الإمام أحمد والشافعي أن من سرق من الحمام ثياباً عليها حافظ وجب قطع يده، ثم أين أرباب الأحوال أولاً حتى يعمل العبد على وفاقهم من الرياضة. كلا والله أنها شريعة لو رام مثل أبي بكر رضي الله عنه أن يخرج عنها لما وجد لذلك مساغاً، ولو أنه خالفها وعمل برأيه لكان عمله مردوداً عليه إذ الحقّ تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان على وفق الشريعة المطهرة. قال: وتعجبي من هذا الفقيه الذي استلب التصوف علمه وعقله أكثر من تعجبي من هذا المستلب للثياب من الحمام، فياليت أبا حامد بقي مع قواعد الفقه، واستغنى عن هذه الهذيانات. والجواب عن هذا كله كما سبق قريباً أن القوم مجتهدون في أحكام الطريق، فكلما رأوه أصلح لقلوبهم عملوا به، وذلك من باب تعارض المفسدتين، فيجب ارتكاب الأخف منهما. وأما ما يترتب على ذلك الفعل شرعاً فقد جربوا حمايتهم من وقوع العقوبة لهم بسببه بل تعرفهم الناس بعد ذلك، ويقبلون أيديهم فاعلم ذلك.

قلت: وقد نقل الغزالي مثل هذه الحكاية التي جرت في الحمام لابن الكريتي عن إبراهيم الخواص، وأنكر عليه ابن القيم كإنكاره من الأول، وتعجب من أبي حامد وقال: فياليته لم يتصوف. والجواب واحد وإن للفقير أن يداوي قلبه ببعض المحرمات ليدفع عنه محرماً آخر هو أشد منه قياساً على مداواة الأجسام والأمراض إنما تداوى باضداد عللها وأين هلاك الأبدان من هلاك القلوب.

ومما أنكروا عليه أيضاً في تقريره الشبلي على رمي ما كان معه من الدنانير في الدجلة، وقال: ما أعزك عبد إلا أذله الله تعالى. وقال ابن القيم: وأنا أتعجب من أبي حامد أكثر من تعجبي من هؤلاء الجهلة بالشريعة كيف يحكي ذلك عنهم على وجه المدح لهم لا على وجه الإنكار، وأي

رائحة بقية من الفقه عند أبي حامد حتى يكتب عنه شيء من العلم، فإن الفقهاء كلهم يقولون أن رمي المال في البحر لا يجوز، والجواب قد تقدم مراراً أن أهل الطريق مجتهدون في أحوالها، وأن من قواعد أهل الشريعة ارتكاب أخف الضررين إذا تعارض معنا مفسدتان، وقد تعارض هنا أمران. أحدهما: مفسدة الدين فقدموه على المفسد للدنيا فافهم والله أعلم.

ومما أنكروا عليه أيضاً ما حكاه عن شقيق البلخي إنه رأى مع شخص رغيفاً ليفطر عليه من صومه فهجره وقال: تمسك رغيفاً إلى الليل. قال ابن القيم: انظروا إلى هذا الجهل العظيم بالشريعة كيف يفعل محرماً لأجل أمر مباح، وكيف يجوز هجر المسلم بغير سبب مسوّغ لذلك، والذي عندي أن هؤلاء لما قل علمهم بالشرع صدرت منهم هذه الأقوال والأفعال المخالفة للشريعة، وقد كان يحي بن يحي يقول عندي ان مخالفة الصوفية من جملة طاعة الله عز وجل، ولكن اصطلح الذئب والغنم، وقد أنكر الفقهاء بمصر على ذي النون، وأخرجوه من إخميم إلى الجزيرة إلى بغداد، وكذلك أنكروا على أبي يزيد البسطامي؟ وعلى أبي سليمان الداراني، وأحمد بن أبي الحواري، وسهل التستري وغيرهم. كل ذلك لما كانوا يقعون فيه من مخالفة ظاهر الشرع، قال: وكانت الزنادقة في العصر الأوّل يكتمون حالهم ولم يتجاسروا على اظهار ما عندهم حتى جاءت الصوفية، فرفضوا الشريعة جهراً وتستروا بمسمى الحقيقة، وصاروا يقولون هذا شريعة وهذا حقيقة وهذا من أقبح الأمور لأن الشريعة قد وضعها الحق تعالى لمصالح العباد في الدارين، فما الحقيقة بعد ذلك إلا القاء الشيطان في النفس، وقد تمادى هؤلاء الجهلة في غيهم حتى صار أحدهم يقول: حدثني قلبي عن ربي؟ وفي ذلك تصريح بالاستغناء عن بعثة الرسل وهو كفر وهي حكمة مدسوسة في الشريعة تحتها هذه الزندقة، ولكن قد صار الخوارج عن الشريعة كثيراً بالسكوت على هؤلاء الجهال الذين سموا نفوسهم صوفية وأطال في ذلك. والجواب: أما هجر شقيق لمن أمسك الرغيف إلى آخر النهار فهو جائز ليخرجه من ورطة الحرص وطول الأمل والوقوع في رائحة الإتهام للحق جل وعلا في أنه يضيعه ويميته جوعاً إذا لم يمسك الرغيف، ولو أنه قوي يقينه لكان تركه إمساك الرغيف وطلبه وقت الحاجة إليه فقط، واستراح من الوقوع في الحرص والشك في أن الله تعالى يضيعه، فإن ذلك الرغيف لا يخلو إما أن يكون مقسوماً له فلا يقدر أحد أن يأكله فهو ولو رماه في السوق يعود إليه، وإما أن لا يكون مقسوماً له فأي فائدة في إمساكه، فإنه إذا أمسكه إلى وقت الفطر لا يقدر على أكله بل يأكل غيره فتأمل، ثم ان العلة في تحريم الهجر إنما هو الأذى للمسلم بغير طريق شرعي كائن يكون لحظ نفس، وأما هجر الشيخ للمريد ليقبح في عينه المباح الذي يجره إلى حرام فلا منع منه لأنه بطيب نفس من الشيخ والمريد، وقد كان تابعه على امتثال أمره والرضا بما يفعله معه من العقوبات على أعماله الرديئة فافهم.

وأما قول ابن القيم: إن مخالفة الصوفية من طاعة الله فهو في غاية القبح، فإن حقيقة الصوفي أنه عالم عمل بعلمه على وجه الإخلاص، فكيف يكون مخالفة مثل هذا في أفعاله وأقواله من طاعة الله تعالى والاطلاق في محل التفصيل خطأ، وكان الواجب عليه أن يقول أن مخالفة من انتسب إلى

الصوفية وليس هو منهم طاعة وقربة إلى الله تعالى ليخرج أئمة الطريق، وأما إنكاره على أهل الحقيقة وقوله: أن الشريعة كانت كافية عن الحقيقة فهو كلام صدر بلا تأمل، فقد قدمنا أن الحقيقة غاية مرتبة الشريعة، وذلك أن الناس في مرتبة الشريعة على مرتبتين. **أحداهما:** من عمل بالشريعة تقليداً من غير أن يصل إلى مقام اليقين. **والثانية:** من عمل بها بعد وصوله إلى مقام اليقين فليست الحقيقة بأمر زائد على الشريعة، لأن الحقيقة هي الإخبار بالأمور على ما هي عليه في نفسها وهذا هو حقيقة الشريعة، فإن الشارع لا يخبر إلا بالواقع فغاية أمر التصوّف الوصول بالرياضات والمجاهدات إلى مقام العلم واليقين، وأما قوله: إن من قال حدثني قلبي عن ربي يكفر فليس بمسلم لقائله على الاطلاق، إنما يكون كفراً لو قال أعطاني الله أمراً يخالف الشريعة وصار يتدين به، وأما إذا أطلعه الله من طريق الإلهام والتحديث الذي هو مقام سيدنا عمر رضي الله عنه على أسرار الشريعة ودقائقها وعلى زيادة آداب في العمل بها فلا منع من ذلك، وما بلغنا أن أحداً من الأولياء ادعى أنه خرج من التقليد للشارع، أو خرج عن دائرة علمه ﷺ أبداً، بل كلهم مجمعون على أن جميع علومهم من باطن شرعه ﷺ، ولا يجوز لأحد منهم العمل بما فهمه منها إلا بعد عرضه على الكتاب والسنّة وموافقته لها فاعلمه، والله يغفر لابن القيم ما ظنه بالصوفية فإنه ذب على الشريعة بحسب فهمه.

ومما أنكروا عليه قوله: لا وجه لتحريم سماع الأصوات المطربة مع الضرب بالقضيب والتصفيق، فإن آحاد هذه الأمور حلال، فكذلك إذا اجتمعت تكون مباحة ولا دليل على تحريم السماع من نص ولا قياس، وإذا كان الصوت موزوناً فلا تحريم. قال ابن القيم: لقد نزل أبو حامد بهذا الاحتجاج عن رتبة الفهم الصحيح، وإني لأتعجب من انسلاخه عن الفقه إلى مثل هذه الهذيانات. والجواب: أن الغزالي رحمه الله كان مجتهداً في مثل ذلك فلا لوم عليه من قوله بإباحة اجتماع هذه الأمور. قال ابن القيم: وقد بلغنا عن الغزالي ما هو أقبح من القول بإباحة الغناء مع الآلة المطربة وهو قوله: من أحب الله تعالى وعشقه واشتاق إلى لقائه فالسماع في حقه مؤكد لعشقه. قال؛ وهذا خطأ لا يجوز اطلاق العشق على الله تعالى لأنه يقتضي مماسة العاشق لله تعالى، وذلك محال ثم أي توكيد لعشقه في نحو قول المغني:

ذهبيّ اللون تحسب من وجنتيه النار تنقدح

وما وجه المناسبة بين الماء والطين، وبين خالق السموات والأرضين، حتى يعشق تعالى الله عن قول هؤلاء الملحدين علواً كبيراً، قال: ثم العجب من الصوفية باباحة مثل ذلك مع دعواهم إنهم أعرف بالله تعالى من غيرهم. هذا من أدل دليل على جهلهم بالله تعالى. قال؛ وكثيراً ما يقولون عن بعض الناس سلموا له حاله وليس لنا أحد من الخلق يسلم له ما يفعل إلا الشارع ﷺ لا غير لعصمته بخلاف غير المعصوم. والجواب: أنه لا إنكار على الغزالي وغيره في تسمية محبة الله عشقاً لأنه لم يرد لنا نهي عن ذلك، وأيضاً؛ فإن العشق أوائل مقدمات المحبة، فلو سمينا العاشق لله تعالى محباً له كان كذباً، فالعاشق يطلب القرب من حضرة محبوبه لا الإتصال به، لأنه يعلم أن

ذلك محال فلا اعتراض على الغزالي ولا لوم عليه في قوله بأخذ الإشارات من الإشعار وغيرها، فإن كل ما في الوجود دليل على الله تعالى، فلا فرق بين أن يأخذ تلك الإشارات المحركة للوجد من نفسه أو من غيره كله على حد سواء، وتقدم أن القوم يتكلمون غالباً بلسان السكر والشوق لا بلسان الصحو والعلم، وأن جميع ما تجده في كلامهم لا ينبغي لنا إنكاره إلا إذا وجدنا أحدهم صاحياً من سكر الحال، فهذا ما تيسر بيانه مما أنكر على أبي حامد الغزالي في كتابه الإحياء، وهم أي المنكرون من طوائف شتى ما بين مغاربة ومشارقة ومالكية وشافعية وحنابلة، فمن الأولى ابن العربي والمازري والطرطوشي والقاضي عياض وابن المنير، ومن الثانية ابن الصلاح ويوسف الدمشقي والبدر الزركشي والبرهان البقاعي، ومن الثالثة ابن الجوزي وابن تيمية وابن القيم وآخرون، وقد أوردنا اعتراضاتهم وبينا وجه الجوابات والاعتذار عن الغزالي حسبما نقلناه عن الإثبات المتقنين، وأما المحبون لطريقته والمهتدون بهديه فكثيرون وجلالة قدره وفخامة كتابه أشهر من الشمس في رابعة النهار، وما أحاط بمقام كتابه إلا من أفاض الله على قلبه الأنوار إذ كتابه متكفل ببيان العلوم الشرعية التي هي علم العقل، وعلم الأحوال، وعلم الأسرار، وما فيه من علم الأحوال فلا سبيل إلى معرفته إلا بالذوق، ولا يقدر عاقل على ذوقه ولا وجدانه، ولا أن يقيم على معرفته دليلاً وهو متوسط بين علم العقل وعلم الأسرار وهو إلى علم الأسرار أقرب منه إلى علم العقل النظري، ولا يكاد يلتذ به إذا جاء من غير نبي إلا أصحاب الاذواق السليمة، وعلامة هذا الذوق كونه خارجاً عن موازين العقول عكس العلم المكتسب إذ العلم المكتسب من شأنه أن يكون داخلاً في ميزان العقول، ولذلك لا تتسارع الناس إلى إنكاره وعلم الأذواق لما كان خارجاً عن موازين العقول تسارعت الناس إلى إنكاره ورده، وهذا القدر كاف في بيان المقصود، والله أعلم.

عود وانعطاف إلى بيان ما يتعلق بكتاب الإحياء

بيان من خدم الإحياء:

لم أر من شرح هذا الكتاب ولا تعرض أحد لإيضاح سياقه المستطاب إلا ما كان من المصنف نفسه لما بلغه إنكار بعض المنكرين على مواضع منه كتب في الرد عليهم كتاباً صغيراً سماه: الأملاء على الإحياء، وسيأتي ذكره في تعداد مصنفاته، وإنما خرج أحاديثه الإمام الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي رحمه الله تعالى في كتابين. أحدهما كبير الحجم في مجلدات وهو الذي صنفه في سنة ٧٥١، وقد تعذر الوقوف فيه على بعض أحاديثه، ثم ظفر بكثير مما عزب عنه إلى سنة ٧٦٠، ثم اختصره في مجلد وسماه: «المغني عن حمل الأسفار» اقتصر فيه على ذكر طريق الحديث وصحابيه ومخرجه وبيان صحته وضعف مخرجه، وحيث كرر المصنف الحديث اكتفى بذكره في أول مرة، وربما أعاده لغرض من الأغراض، ثم أتى تلميذه الحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلاني فاستدرك عليه ما فاته في مجلد، وصنف الشيخ قاسم بن قطلوبغا الحنفي كتاباً سماه «تحفة الأحياء فيما فات من تخريج أحاديث الإحياء»، ولابن السبكي

كلام على بعض أحاديثه المتكلم فيها سرده على ترتيب الأبواب في آخر ترجمته من طبقاته الكبرى.

بيان من اختصر كتاب الإحياء:

أول من اختصره أخو المصنف، وهو أبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي توفي بقزوين سنة ٥٢٠، وسماه: لباب الإحياء، ثم اختصره أحمد بن موسى الموصلي المتوفي سنة ٦٢٢، ثم محمد بن سعيد اليمني، ويحيي بن أبي الخير اليمنى، ومحمد بن عمر بن عثمان البلخي، وسماه: (عين العلم) وعبد الوهاب بن علي الخطيب المراغي وسماه: (لباب الإحياء) ألفه في بيت المقدس وهو عندي، والشمس محمد بن علي بن جعفر العجلوني المشهور بالبلالي وهو شيخ خانقاه سعيد السعداء بمصر توفي سنة ٨٢٠. قال الحافظ السخاوي: وهو أحسن المختصرات، والجلال السيوطي الحافظ وآخرون.

عود و انعطاف إلى ذكر بقية مصنفاته:

حرف الألف: «الإملاء على مشكل الإحياء» أجاب فيه عن بعض ما اعترض عليه في كتابه، ويسمى أيضاً «الأجوبة المسكتة عن الأسئلة المبهتة» وهو مؤلف لطيف عندي، ومنها الأربعين وهو قسم من كتابه المسمى «بجواهر القرآن»، وقد أجاز أن يكتب مفرداً فكتبوه وجعلوه مستقلاً وهو عندي، ومنها كتاب «الأسماء الحسنى»، ومنها «الاقتصاد في الاعتقاد، ومنها «الجام العوام عن علم الكلام»، ومنها أسرار معاملات الدين، ومنها أسرار الأنوار الإلهية بالآيات المتلوة، وهو مرتب على ثلاثة فصول، ومنها أخلاق الأبرار والنجاة من الأشرار، ومنها أسرار اتباع السنّة، ومنها أسرار الحروف والكلمات، ومنها أيها الولد وهي فارسية عربها بعض العلماء وسماه بهذا الاسم مشهور.

حرف الباء: بداية الهداية وهو مختصر في الموعظة ذكر فيه ما لا بد منه للعامة من المكلفين من العادات والعبادات، ومنها البسيط في فروع المذهب وهو كالمختصر لنهاية المطلب لشيخه إمام الحرمين الذي قال فيه ابن خلكان ما صنف في الإسلام مثله، ومنها بيان القولين للشافعي، ومنها بيان فضائح الإباحية، ومنها بدائع الصنيع.

حرف التاء: تنبيه الغافلين، ومنها تلبيس إبليس، ومنها تهافت الفلاسفة صدره بأربع مقدمات ردّ فيها على الفلاسفة، ثم ذكر بعدها المسائل التي تناقض مذهبهم فيها وهي عشرون مسألة. وذكر في خاتمته ما يقطع القول بكفرهم من ثلاثة وجوه، وقد صنف في الرد عليه أحد علماء الأندلس القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد [مصنفاً] قال فيه في آخره: لا شك ان هذا الرجل أخطأ على الشريعة، كما أخطأ على الحكمة، ولولا ضرورة طلب الحق ما تكلمت في ذلك، ثم تكلم فيما بعد في المحاكمة بينهما من علماء الروم مصطفى بن يوسف البرموني المعروف بخواجه زاده، والمولى علاء الدين علي الطرسوسي، وعلى الأول منها تعليقة لابن كمال باشا، ومنها التعليقة في فروع المذهب كتبها بجرجان عن الإسماعيلي، ومنها تحصين المآخذ، ومنها تحصين

الأدلة، ومنها تفسير القرآن العظيم، ومنها التفرقة بين الإيمان والزندقة ذكره عياض في آخر الشفاء.

حرف الجيم: جواهر القرآن ذكر فيه أنه ينقسم إلى علوم وأعمال ظاهرة وباطنة والباطنة إلى تزكية وتحلية فهي أربعة أقسام، وكل قسم يرجع إلى عشرة أصول، فيشتمل على زبدة القرآن وهو عندي.

حرف الحاء: حجة الحق، ومنها حقيقة الروح، ومنها حقيقة القولين.

حرف الخاء: خلاصة الرسائل إلى علم المسائل في فروع المذهب أحد الكتب المشهورة ذكر فيه أنه اختصره من مختصر المزني وزاد عليه.

حرف الراء: رسالة الأقطاب، ومنها رسالة الطير، ومنها الرد على من طعن، ومنها الرسالة القدسية بأدلتها البرهانية في علم الكلام كتبها لأهل القدس، وقد شرحها المصنف.

حرف السين: السر المصون وهو مؤلف صغير رتب فيه الآيات القرآنية على أسلوب غريب يذكر بعد كل جملة منها أعداؤنا لن يصلوا إلينا بالنفس ولا بالواسطة لا قدرة لهم على إيصال السوء إلينا بحال من الأحوال.

حرف الشين: شرح دائرة علي بن أبي طالب المسماة نخبة الأسماء وهو مشهور بين أيدي الناس، ومنها شفاء الغليل في بيان مسألة التعليل رتبه على مقدمة وخمسة أركان وهو عندي المقدمة في بيان معاني القياس والعلة والدلالة. الركن الأوّل في إثبات علة الأصل. الثاني في العلة. الثالث في الحكم. الرابع في القياس. الخامس في الفرع الملحق بالأصل.

حرف العين: عقيدة المصباح، ومنها عجائب صنع الله، ومنها عنقود المختصر وهو تلخيص المقتصر من المزني لأبي محمد الجويني.

حرف الغين: غاية الغور في مسائل الدور ألفها في المسألة السريجية على عدم وقوع الطلاق ثم رجع وأفتى بوقوعه، ومنها غور الدور في المسألة المذكورة وهو المختصر الأخير ألفه ببغداد في سنة ٤٨٤.

حرف الفاء: الفتاوى مشتملة على مائة وتسعين مسألة غير مرتب. فاتحة العلوم، وهو مشتمل على فصلين. فضائح الإباحية الفكرة والعبرة فواتح السور، والفرق بين الصالح وغير الصالح ذكره في كتابه نصيحة الملوك.

حرف القاف: القانون الكلي، ومنها قانون الرسول، ومنها القربة إلى الله عز وجل، ومنها القسطاس المستقيم مختصر جعله ميزاناً لادراك حقيقة المعرفة. قواعد العقائد وهو في علم الكلام شرحه السيد ركن الدين الاستراباذي، والعلامة محمد أمين بن صدر الدين الشرواني. القول الجميل في الرد على من غير الإنجيل.

حرف الكاف: كيمياء السعادة والعلوم بالفارسية، وهو كتاب كبير يقال أنه ترجم فيه كتابه الإحياء، وقد رأيته بمكة وقد تكلم عليه في مواضع منه تقدمت الإشارة إليه، وكتاب آخر صغير بالعربية نحو أربعة كراريس سماه كذلك وهو عندي، ومنها كشف علوم الآخرة، ومنها كنز العدة.

حرف اللام: اللباب المنتخل في الجدل.

حرف الميم: المستصفى في أصول الفقه مؤلف ضخم رتبه على مقدمة وأربعة اقطار وخاتمة، فالمقدمة فيها التوطئة والتمهيد والقطر الأوّل في الأحكام المشتملة على لباب المقصود، الثاني في الأدلة الحكمية، الثالث في ذكر الاشتهار والمناسبة، الرابع في الاستمرارات، والخاتمة في الإيقاعات، وذكر في أوّله إنه صنفه قبل الإحياء، واختصره أبو العباس أحمد بن محمد الاشبيلي المتوفي سنة ٦٥١، وشرحه الفاضل أبو علي الحسن بن عبد العزيز الفهري المتوفي سنة ٧٧٦، وعليه تعليقة لسليمان بن داود الغرناطي المتوفي سنة ٨٣٢، ومنها المنخول في الأصول. قال ابن السبكي: ألفه في حياة أستاذه إمام الحرمين. قلت: والذي يقتضي سياق عبارة المستصفى في أوله إنه متأخر عن الأحياء وكيمياء السعادة وجواهر القرآن، لأنه بعد ما ذكر هذه الكتب الثلاثة قال: ثم ساقني التقدير الإلهي إلى التصدر للتدريس فكتب من تقريري في علم أصول الفقه فحصلوا تصنيفاً على طريق لم يقع مثله في تهذيب الأصول، فلما أكملوه عرضوه عليَّ ولم أخيب سعيهم وسميته المنخول، وللشيخ شمس الائمة الكردي الحنفي في الرد عليه مصنف لطيف وهو عندي، ومنها المآخذ في الخلافيات بين الحنفية والشافعية، ومنها المبادىء والغايات في أسرار الحرف المكنونات، ومنها المجالس الغزالية. ذكر ابن السبكي انه لما عقد مجلس الوعظ ببغداد ازدحم الناس عليه، فكان يدوّن مجالس وعظه من وراء الناس الشيخ صاعد بن فارس المعروف بابن اللبان، فبلغت مائة وثلاثة وثمانين مجلساً، ثم قرأها بعد ذلك عليه فأجازه بها بعد أن صححها فبيضها في مجلدين ضخمين، ومنها مقاصد الفلاسفة عرف فيه مقاصدهم، وحكى من معلوماتهم. ومنها «المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال» بث فيه غاية العلوم وأسرارها، والمذاهب وأغوارها ورد فيه على الحكماء الفلاسفة ونسبهم إلى الكفر والضلال، وهو عندي. ومنها معيار النظر، ومنها معيار العلم في المنطق. ومنها محل النظر. ومنها مشكاة الأنوار في لطائف الأخيار في الموعظة حصر مقصوده في ثمانية وأربعين باباً. قال في أوله انكشف لارباب القلوب أن لا وصول إلى السعادة للإنسان إلا بإخلاص العلم والعمل للرحمن [فسنح] في خاطري أن أجمع كتاباً جامعاً لجمع أشياء من آيات القرآن العظيم وسنن الرسول عليه الصلاة والسلام وكلمات الأولياء ونكت المشايخ رحمهم الله تعالى وحكم أهل العرفان، وأخذت من كل ما يشوق القلب إليه سبحانه وطاعته ويقطع لذة النفس عن الدنيا وشهواتها ويرغبها في الآخرة ودرجاتها إلى آخر ما قال وهو عندي، ومنها المستظهري في الرد على الباطنية، ومنها ميزان العمل، ومنها مواهم الباطنية، قال ابن السبكي: وهو غير المستظهري في الرد عليهم، ومنها المنهج الأعلى، ومنها معراج السالكين وهو مختصر أورد فيه المواعظ والتذكير، ومنها المكنون في الأصول، ومنها مسلم

السلاطين، ومنها مفصل الخلاف في أصول القياس، ومنها منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين. قيل: هو آخر تآليفه رتبه على سبع عقبات، وقال في أوّله: صنفنا في قطع طريق الآخرة وما يحتاج إليه من علم، وعمل كتباً كإحياء العلوم والقربة إلى الله عز وجل فلم يحسنوها، فأيما كلام أفصح من كلام رب العالمين، فقد قالوا أساطير الأوّلين، واقتضت الحال النظر إلى كافة خلق الله بعين الرحمة وترك المارات فابتهلت إلى الله سبحانه أن يوفقني لتأليف كتاب يقع عليه الإجماع، ويحصل بقراءته الانتفاع، فأجابني وأطلعني بفضله وكرمه على أسرار ذلك، وألهمني ترتيباً عجيباً لم أذكره في التي تقدمت، وقد شرحه شمس الدين البلاطنسي شرحين كبيراً وصغيراً، ثم اختصر المنهاج في جزء سماه بغية الطالبين.

قلت: ولم يذكره ابن السبكي في تعداد مصنفاته، ورأيت في كتاب المسامرة للشيخ الأكبر محـي الدين بن عربي قدس سره ما نصه إن الشيخ أبا الحسن علي بن خليل السبتي كان عالماً بالحقيقة عارفاً مخـمول الذكر رأيته بسبتة وتباحثت معه، ورأيت له تصانيف منها منهاج العابدين الذي يعزى لأبي حامد الغزالي وليس له وهو غريب يستفاد.

حرف النون: نصيحة الملوك فارسي نقله بعضهم إلى العربية وسماه التبر المسبوك.

حرف الواو: الوجيز في الفروع أخذه من البسيط والوسيط لـه وزاد فيـه أمـوراً، وهـو كتـاب جليل عمدة في المذهب شرحه الفخر الرازي، وأبو الثناء محمود بن أبي بكر الأرمـوي، والعماد أبو حامد محمد بن يونس الأربلي، وأبو الفتوح العجلي، وأبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي، وسماه العزيز على الوجيز، وقد تورع بعضهم فسماه فتح العزيز، وقد اختصر النووي من شرح الرافعي كتاباً سماه الروضة، وقد خدم الوجيز علماء كثيرون يقال ان له نحو سبعين شرحاً، وقد قيل: لو كان الغزالي نبياً لكان معجزته الوجيز، وأما من خرّج أحاديثه فابن الملقن في سبع مجلدات سماه البدر المنير، ثم اختصره في أربع مجلدات سماه الخلاصة، ثم لخصه وسماه المنتقى في جزء وهو عنـدي، ولخصه أيضاً الحافظ ابن حجر، ومنهم البدر بن جماعة، والبدر الزركشي، والشهاب البوصيري والجلال السيوطي وآخرون. ومنها الوسيط في فروع الفقه وهو ملخص من بسيطه مع زيادات وهو أحد الكتب الخمس المتداولة شرحه تلميذه محمد بن يحي النيسابوري سماه المحيط في ستة عشر مجلداً، وشرحه نجم الدين أحمد بن علي بن الرفعة في ستين مجلداً وسماه المطلب، وشرحه النجم القمولي وسماه البحر المحيط، وشرحه الظهير جعفر بن يحي التزينتي، ومحمد بن عبد الحاكم، والعز عمر بن أحمد المدلجي، وأبو الفتوح العجلي، وإبراهيم بـن عبدالله بن أبي الدم، وابن الصلاح على الربع الأوّل في ضربين، والكمال أحمد بن عبدالله الجلي الشهير بابن الأستاذ في أربع مجلدات، ويحي بن أبي الخير اليمني، وعليه حواش للعماد عبدالرحمن بن علي المصري القاضي، وخرج أحاديث الوسيط السراج ابن الملقن سماه تذكرة الأخيار بما في الوسيط من الاخبار في مختصر، واختصره النور ابراهيم بن هبة الله الأسنوي وشرح فرائضه فقط إبراهيم بن إسحاق المناوي، وقد مدح كتبه الأربعة أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن يوسف الطرابلسي فقال:

هــــذب المذهــــب حبر أحســـن الله خلاصـــه
ببسيـــــط ووسيـــــط ووجيـــــز وخلاصـــــه

حرف الياء: ياقوت التأويل في تفسير التنزيل أربعون مجلداً.

تنبيه:

اعلم إنه قد عُزيَ إلى الشيخ أبي حامد الغزالي كتب، وقد صرح أهل التحقيق أنها ليست له، من جملتها السر المكتوم في أسرار النجوم، ونسب هذا الكتاب إلى الإمام الفخر، فأنكر كونه له أيضاً، لكن أصحاب الروحانيين وأهل التصحيح ينقلون منه أشياء كثيرة بقولهم. قال الفخر الرازي في كتابه السر المكتوم في أسرار النجوم: كذا وكذا. قال صاحب تحفة الارشاد هو موضوع عليه، ومنها كتاب تحسين الظنون وله فيه:

لا تظنــوا الموت مــوتـــاً أنـــه لحيـــاة وهـــي غـــايـــات المنـــى
أحسنـــوا الظـــن بـــرب راحـــم تشكـــروا السعـــي وتـــأتـــوا أمنـــا
مـــــــا أرى نفسي إلا أنتم واعتقـــادي إنكـــم أنتم أنـــا

وقد صرح الشيخ الأكبر أنه موضوع، ومنها كتاب النفخ والتسوية، فإنه كذلك موضوع عليه، ومنها المضنون به على غير أهله. قال ابن السبكي: ذكر ابن الصلاح إنه منسوب إليه. وقال: معاذ الله أن يكون له، وبين سبب كونه مختلقاً موضوعاً عليه والأمر كما قال، وقد اشتمل على التصريح بقدم العالم ونفي علم القديم بالجزئيات، وكل واحد من هذه يكفر الغزالي قائلها هو وأهل السنة أجمعون، فكيف يتصوّر أنه يقولها وهو عندي، وفي المسامرة أنه من تأليف علي بن خليل السبتي، وكذلك صرح صاحب تحفة الارشاد بأنه موضوع عليه، وقد صنف أبو بكر محمد بن عبدالله المالقي كتاباً في رده توفي سنة ٧٥٠.

الفصل العشرون

في بيان من تلمذ عليه وتفقه به وصحبه وروى عنه وفي أثناء ذلك نورد بعض أسانيدنا إلى المصنف:

فمنهم القاضي أبو نصر أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن الخمقري منسوب إلى خمس قرى التي تعرف بسيخ ريه، ولد سنة ٤٦٦، وتفقه بطوس على أبي حامد الغزالي، وسمع الحديث من آخرين، توفي سنة ٥٥٤. ومنهم الإمام أبو الفتح أحمد بن علي بن محمد بن برهان بفتح الموحدة الأصولي كان حنبلياً، ثم انتقل وتفقه على الشاشي، وأبي حامد الغزالي، والكيا، وكان يـدرس في النظامية في أنواع العلوم، وكان يدرس لهم في الإحياء في نصف الليل، وقد سمع الحديث من ابن البطر، وأبي عبدالله النعالي، وسمع البخاري قراءة على أبي طالب الزينبي، ولد سنة ٤٧٦، وتوفي سنة ٥١٨. ومنهم أبو منصور محمد بن إسماعيل بن الحسين بن القاسم العطاري الطوسي لواعظ الملقب بحفدة توفي سنة ٤٨٦، وتفقه بطوس على أبي حامد الغزالي، وبمرو على أبي بكر

السمعاني، وسمع من البغوي كتبه، وأبي الفتيان الدهستاني الحافظ توفي بمرو سنة ٥٧٣. ومنهم السديد أبو سعيد محمد بن أسعد بن محمد النوقاني تفقه على أبي حامد الغزالي، وقتل في مشهد علي بن موسى الرضي في سنة ٥٥٤ في واقعة النفر.

ومنهم أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت المصمودي الملقب بالمهدي صاحب دعوة سلطان المسلمين عبد المؤمن بن علي ملك المغرب. دخل المشرق، فتفقه على أبي حامد الغزالي والكيا وأخباره طويلة ذكرها الاخباريون: ومنهم أبو حامد محمد بن عبد الملك بن محمد الجوزقاني الاسفرايني تفقه على أبي حامد الغزالي ببغداد، وسمع ابن أبي عبدالله الحميدي الحافظ. لقيه ابن السمعاني باسفراين. ومنهم أبو عبدالله محمد بن علي بن عبدالله العراقي البغدادي تفقه على أبي حامد الغزالي، والكيا، والشاشي، وبقي بعد الأربعين وخمسمائة، ومنهم أبو سعيد محمد بن علي الجاواني الكردي حدث بكتاب الجام العوام للغزالي عنه، وقرأ المقامات الحريرية على مؤلفها. ومنهم الإمام أبو سعيد محمد بن يحيى بن منصور النيسابوري ولد سنة ٤٧٦، وهو من أشهر تلامذة أبي حامد الغزالي تفقه عليه، وشرح كتابه البسيط، وسمع الحديث من أبي حامد بن عبدوس، ونصر الله الخشناني، وعليه تفقه الموفق الخوشاني المدفون تحت رجلي الإمام الشافعي بمصر استشهد في رمضان سنة ٥٤٨ في واقعة الفنز ومنهم أبو طاهر إبراهيم بن المطهر الشيباني حضر دروس إمام الحرمين بنيسابور، ثم صحب الغزالي وسافر معه إلى العراق والحجاز والشام، ثم عاد إلى وطنه بجرجان، وأخذ في التدريس والوعظ قتل شهيداً سنة ٥١٣. ومنهم أبو الفتح نصر بن محمد بن إبراهيم الأذربيجاني المراغي الصوفي حكى عن أبي حامد الغزالي وغيره، حكى عنه أبو سعد بن السمعاني قال: سمعت أبا الفتوح نصر بن محمد بن إبراهيم المراغي املاء بأصل طبرستان يقول: اجتمع الائمة أبو حامد الغزالي، وإسماعيل الحاكمي، وإبراهيم الشباكي، وأبو الحسن البصري، وجماعة كثيرة من أكابر الغرباء في مهد عيسى عليه السلام ببيت المقدس. وأنشد فقال هذين البيتين:

فديتك لولا الحب كنت فديتني ... ولكن بسحر المقلتين سبيتني
أتيتك لما ضاق صدري من الهوى ... ولو كنت تدري كيف شوقي أتيتني

فتواجد أبو الحسن البصري وجداً أثر في الحاضرين، ودمعت العيون، ومزقت الجيوب. وتوفي محمد الكازروني من بين الجماعة في الوجد. قال المراغي: وكنت معهم حاضراً وشاهدت ذلك. ومنهم الإمام أبو عبدالله الحسين بن نصر بن محمد بن الحسين الجهني الموصلي تفقه على الغزالي وسمع من طراد الزينبي وابن البطر. توفي سنة ٥٥٢، ومنهم خلف بن أحمد النيسابوري ممن تفقه على الغزالي وله عنه تعليقة ذكره ابن الصلاح في مشكل الوسيط، وقال: بلغني انه توفي قبل الغزالي، ومنهم أبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد الأنصاري البلنسي المحدث أحد السياحين. تفقه ببغداد على الغزالي، وسمع بها من طراد، وابن البطر، روى عنه السمعاني، وابن الجوزي، وابنته فاطمة بنت سعد توفي سنة ٥٤١، ومنهم أبو عبدالله شافع بن عبد الرشيد

ابن القاسم الجيلي تفقه على الكيا والغزالي وسمع الحديث بالبصرة. روى عنه ابن السمعاني توفي سنة ٥٤١. ومنهم أبو عامر دغش بن علي بن أبي العباس النعيمي الموفقي خرج إلى طوس وأقام عند أبي حامد الغزالي مدة، وأخذ عنه توفي سنة ٥٤٢. ومنهم الأستاذ أبو طالب عبد الكريم بن علي بن أبي طالب الرازي، تفقه على الغزالي ببغداد، والكيا، ومحمد بن ثابت الخجندي. روى عنه أبو النضر الفامي مؤرخ هراة، وكان أبو طالب يحفظ الإحياء سرداً على القلب توفي بمرو الروذ سنة ٥٢٨. ومنهم الإمام أبو منصور سعيد بن محمد بن عمر بن منصور الرزاز ولد سنة ٤٦٢، وتفقه على الشاشي، والغزالي، والمتولي، والطبري، والكيا، ودرس بالنظامية توفي سنة ٥٠٣، وولده سعيد وحفيده سعيد بن محمد وحفيد حفيده سعيد بن محمد بن سعيد كلهم حدثوا ذكرتهم في شرح القاموس. ومنهم أبو الحسن علي بن محمد بن حموية الجويني الصوفي، صحب الإمام الغزالي بطوس، وتفقه عليه، وروى الحديث عن عبد الغفار الشيروي، ومنهم أبو محمد صالح بن محمد بن عبدالله بن حرازم لقبه بالقوس وصحبه، واتفقت له معه غريبة حكاها الشهاب أحمد بن عبدالله بن القاضي السجلماسي في كتابه الأصليت. ومنهم أبو الحسن علي بن المطهر بن مكي بن مقلاص الدينوري من كبار تلامذة الغزالي في الفقه، وسمع الحديث من ابن البطر وطبقته، روى عنه ابن عساكر. توفي سنة ٥٣٣. ومنهم مروان بن علي بن سلامة بن مروان بن عبدالله الطنزي من قرية بديار بكر، ورد بغداد وتفقه بها على الغزالي والشاشي. روى عنه ابن عساكر. توفي بعد سنة ٥٤٠. ومنهم أبو الحسن علي بن مسلم بن محمد بن علي السلمي جمال الإسلام. لازم الغزالي مدة مقامه بدمشق، وأخذ عنه. يحكى أن الغزالي قال بعد خروجه من الشام: خلفت بالشام شاباً إن عاش كان له شأن يعني جمال الإسلام هذا، فكان كما تفرس فيه.

وممن روى عنه الحافظ أبو القاسم بن عساكر، والحافظ السلفي، وبركات الخشوعي، والقاسم ابن عساكر آخرهم وفاة القاضي عبد الصمد الحرستاني توفي سنة ٤٣٣. وقعت لنا رواية الكتاب من طريقه [أخبرنا بها] غير واحد من الشيوخ، كالسيد ابن المعمر بن عبد الحي بن الحسن بن زين العابدين، ومحمد بن محمد الحسنيان إجازة منهما شفاهاً، عن محمد بن عبد الباقي بن يوسف، ومحمد ابن القاسم بن إسماعيل قال الأول: أخبرنا أبو الحسن علي بن علي الأزهري، أخبرنا أحمد بن خليل، أخبرنا محمد بن أحمد بن علي. وقال الثاني: وهو أعلى: أخبرنا عمي موسى بن إسماعيل، أخبرنا عبد الوهاب بن أحمد قالا: أخبرنا قاضي القضاة أبو يحيى الأنصاري، أخبرنا الحافظان أبو الفضل بن حجر، وأبو النعيم العقبي قال: أخبرنا الحافظان الزين العراقي، والنور علي بن سليمان الهيتمي، قالا: أخبرنا مسند الشام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي، أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر حضوراً في الرابعة، أخبرنا أبو طاهر بركات ابن إبراهيم الخشوعي قال: أخبرنا جمال الإسلام علي بن المسلم بن محمد بن علي السلمي قال: أخبرنا مؤلفه فذكره.

وممن روى عنه كتاب الإحياء عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن يوسف البغدادي، وقعت لنا روايته من طريقه. أخبرنا السيد المسند عمر بن أحمد بن عقيل الحسنى إذناً خاصاً،

أخبرني خالي محدث الحجاز عبدالله بن سالم بن محمد بن عيسى البصري، أخبرنا الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء قراءة عليه، وأنا أسمع من أوّله إلى كتاب العلم، ومن أوّل بداية الهداية إلى القسم الأوّل في الطاعات وإجازة لسائرهما وسائر تصانيفه عن سليمان بن عبد الدائم البابلي عن النجم محمد بن أحمد، عن الأمين محمد بن أحمد بن عيسى بن النجار البدراني، عن الشيخ جلال الدين بن الملقن، عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد التنوخي، عن التقي سليمان بن حمزة، عن عمر ابن كرم الدينوري، عن عبد الخالق بن أحمد عن مؤلفها.

وممن روى عنه كتاب الإحياء محمد بن ثابت بن الحسن بن علي الخجندي من ولد المهلب بن أبي صفرة، وقد روى عنه الحافظ أبو سعد بن السمعاني، وعبد الكريم بن أبي طالب الرازي، ومن أحفاده محمد بن عبد اللطيف بن محمد كان رئيس أصبهان، وتوفي سنة ٥٥٢، وولده عبد اللطيف سمع من أبي الوقت توفي سنة ٥٦٥، وولده محمد انتهت إليه الرئاسة بأصبهان توفي سنة ٥٧٢، وقعت لنا روايته من طريقه. أخبرنا الشيخ المحدث الصوفي رضي الدين عبد الخالق بن أبي بكر بن الزين المزجاجي الحنفي الزبيدي، والسيد العارف الصوفي عبدالله بن أحمد بن دامل الحسيني. قال الأول: أخبرنا السيد المحدث عماد الدين يحيى بن عمر بن عبد القادر الحسيني، أخبرنا أبو الأسرار الحسن بن علي بن يحيى الحنفي المكي، أخبرنا البرهان إبراهيم بن محمد الميموني، أخبرنا الشمس محمد بن أحمد بن حمزة الرملي ح.

وقال شيخنا الثاني وهو أعلى، أخبرنا عبد الخالق بن الزين المزجاجي الحنفي نزيل صنعاء، أخبرنا أبو الوفاء أحمد بن محمد بن العجيل المعمر، أخبرنا يحيى بن مكرم الطبري إجازة قالا: أخبرنا شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري زاد الطبري فقال: والحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي قالا: أخبرنا الحافظان الشهاب أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وأبو النعيم رضوان بن محمد بن يوسف العقبي مشافهة. قالا: أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن أبي المجلد الدمشقي قدم علينا، حدثنا التقي سليمان بن حمزة الحاكم، حدثنا محمد بن عماد الحراني في كتابه، حدثنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني الحافظ في كتابه، حدثنا محمد بن ثابت، أخبرنا مؤلفه، وبالسند إلى الحافظ السخاوي وشيخ الإسلام قالا: أخبرنا أبو محمد عبد الرحيم بن محمد بن الفرات الحنفي، أخبرنا التاج أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، أخبرنا الشمس أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ، أخبرنا مؤرخ هراة أبو النضر الفامي، أخبرنا عبد الكريم بن أبي طالب الرازي، أخبرنا محمد بن ثابت، وأعلى من ذلك رواه الرازي عن مؤلفه، وكتب إلى فخر الديار الشامية أبو عبدالله محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي، أنبأنا أبو المواهب محمد بن عبد الباقي، وأبو التقي عمر بن أبي تغلب الشيباني، وعبد الغني بن إسماعيل النابلسي، والمعمر بن عبد الرحمن بن محي الدين السليمي قالوا: أخبرنا أبو التقي عبد الباقي بن عبد الباقي السعلي، وهو ولد الأول أخبرنا الشمس محمد بن يوسف الميداني، عن الشهاب أحمد ابن بدر الطيبي، عن الكمال محمد بن حمزة الحسيني عن أبي حفص الحنبلي، عن سليمان بن حمزة

بسنده المتقدم قال شيخنا: ونروي أكثر الاحياء سماعاً عن الشيخ إسماعيل العجلوني، عن أبي المواهب، عن والده بسنده المذكور.

وممن روي عنه كتاب الاحياء أبو الفتوح أسعد بن أحمد الأسفرايني وقعت لنا روايته من طريقه. أخبرنا شيخنا العلامة شمس الدين محمد بن علاء الدين المزجاجي الحنفي الزبيدي، وشيخنا سيدي عبد الخالق قالا: أخبرنا علاء الدين بن عبد الباقي المزجاجي، وهو والد الأوّل عن أخيه عبدالله بن عبد الباقي، عن عبد الهادي بن عبد الجبار بن موسى بن جنيد القرشي، عن البرهان إبراهيم بن أبي القاسم بن جعمان الزبيدي، أخبرنا الشريف طاهر بن الحسين الأهدل، أخبرنا الوجيه عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الربيع الشيباني الزبيدي، أخبرنا الشهاب أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي، أخبرنا النفيس سليمان بن إبراهيم العلوي، أخبرنا موفق الدين علي بن أبي بكر بن شداد المقري، أخبرنا الشهاب أحمد بن أبي الخير الشماخي السعدي، أخبرنا العز الفاروثي، أخبرنا أبو الفضل الموفق البوشنجي، أخبرنا أبو الفتوح الأسفرايني، أخبرنا مؤلفه إجازة مناولة.

وممن روى عنه كتاب الاحياء أبو عبدالله محمد اللبني المالكي تفقه على الغزالي، وروى الحديث. روى عنه ولده الفقيه أبو محمد عبد المولى أحد مشايخ ابن الجواني النسابة بمصر وقعت لنا روايته، وكذا بداية الهداية له من طريقه، وبالسند إلى الحافظ البابلي أخبرنا أبو محمد عبد الرؤوف ابن محمد المناوي، أخبرنا الشمس محمد بن عبد الرحمن العلقمي، أخبرنا الحافظ السيوطي، أخبرتني أم الفضل هاجر بنت الشرف محمد القدسية إجازة، أخبرنا أبو الفرج القري سماعاً في الخامسة، أخبرنا أبو الحسن علي بن قريش، أخبرنا الكمال أبو الحسن علي بن شجاع الضرير، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبد المولى اللبني، أخبرنا أبي عن المؤلف.

وممن روى عنه كتاب الاحياء القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي وقعت لنا رواية من طريقه. أخبرنا شيخنا السيد عمر بن أحمد بن عقيل، وشيخنا الفقيه المحدث أبو العباس أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الخالدي، والعلامة المعمر بركة الوجود أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف المجيري، والأستاذ الأجل عبدالله بن محمد بن عامر الشافعيون إذناً منهم لي خاصاً قالوا: أخبرنا محدث الحجاز عبدالله بن سالم بن محمد، والشهاب أحمد بن محمد بن أحمد المكي ح.

وأخبرنا الإمام الصوفي العارف عبدالله بن إبراهيم بن حسن الحسيني النسفي، أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد المكي ح.

وأخبرنا الإمام أبو المعالي الحسن بن علي بن أحمد بن عبدالله القاهري، أخبرنا المحدث أبو العز محمد بن أحمد بن أحمد القاهري قالوا: وهم ثلاثة. أخبرنا أبو عبدالله محمد بن محمد بن سليمان السوسي، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الأجهوري، والشهاب أحمد بن محمد الخفاجي كلاهما عن الشمس محمد بن أحمد الرملي، والسراج عمر بن الجاي، والبدر الكرخي قالوا: أخبرنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ح.

وأخبرنا ذو الفنون محمد بن الطيب بن محمد الفاسي، وإسماعيل بن عبدالله بن علي في آخرين قالوا: أخبرنا محمد بن إبراهيم بن حسن، أخبرنا والدي، أخبرنا القطب صفي الدين أحمد بن محمد القشاشي، أخبرنا أبو المواهب أحمد بن علي بن عبد القدّوس، أخبرنا والدي، أخبرنا القطب سيدي عبد الوهاب الشعراني أخبرنا شيخ الإسلام، أخبرنا الحافظ أبو الفضل بن حجر ح. زاد ابن سليمان.

وأخبرنا أبو عثمان سعيد بن إبراهيم الجزائري، أخبرنا أبو عثمان سعيد بن أحمد التلمساني، عن أبي زيد عبد الرحمن بن علي بن أحمد العاصمي، عن البرهان القلقشندي، أخبرنا الحافظ بن حجر، عن أبي حيان محمد بن حيان، عن جده أبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، عن الحسن بن أبي الأحوص الفهري، عن أحمد بن محمد الخزرجي، عن القاضي أبي بكر بن العربي عن مؤلفه.

وممن روى عنه كتاب الاحياء والبداية أبو العباس أحمد بن محمد المنـداي وقعت لنا روايتها من طريقه، وبالسند إلى الحافظ السخاوي. أخبرنا المسند محمد بن مقبل الحلبي، أخبرنا محمد بن علي الحراوي، أخبرنا الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الضمياطي، أخبرنا المسند المعمر أبو الحسن علي بن محمد البغدادي الشهير بابن المغير، أخبرنا أبو العباس المنداي، عن مصنفه.

وممن روى عنه كتابه الاحياء إجازة الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي نزيل الإسكندرية وقعت لنا روايته من طريقه، وبالسند إلى النور الأجهوري قال: أخبرنا البدر محمد ابن يحيى القرافي، أخبرنا الحافظ جلال الدين السيوطي، أنبأني أبو الفرج محمد بن أبي بكر المراغي، عن أبيه ح. وبالسند المتقدم إلى ابن الفرات، عن التاج عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ح. وبالسند إلى الحافظ بن حجر، وأبي النعيم العقبي قال: أخبرنا البرهان إبراهيم بن عبد الواحد التنوخي قالوا وهم ثلاثة. أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي طالب الصالحي، عن جعفر بن علي الهمداني، أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفي، أنبأنا الإمام أبو حامد الغزالي إجازة مراسلة.

وممن روى عنه كتابه الاحياء أبو سعيد محمد بن أسعد بن محمد الخليل النوقاني وقعت لنا روايته من طريقه وبالسند المتقدّم إلى ابن السمعاني قال: سمعت أبا سعيد النوقاني بمرو يقول: حضرت درس الإمام أبي حامد الغزالي لكتاب إحياء علوم الدين، وذكر الإنشاد الذي قدمناه آنفاً.

الفصل الحادي والعشرون

في الاعتذار عن المصنف في إيثاره الرخصة والسعة في النقل:

وهو خاتمة الفصول في الإعتذار عن المصنف في إيثاره الرخصة والسعة في النقل والرواية في كتابه. هذا من الأخبار عن النبي ﷺ، ثم الآثار عن الأصحاب، وعن التابعين وتابعيهم، ثم عمـن بعدهم من متقدّمي السلف فإنه قد يتفق له في سياقه مخالفة الألفاظ والتقديم والتأخير والزيادة

والنقص مع موافقة المعنى، ولم يعتبر رحمه الله تعالى في بعض المواضع ألفاظ الأخبار والآثار. إذ لم يكن تحرير الألفاظ عنده واجباً إذا أتى بالمعنى بعد علمه بتصريف الكلام وبتفاوت وجوه المعاني واجتنابه، لما يكون به تحريف أو إحالة بين لفظتين، وقد رخص في سوق الحديث بالمعنى دون سياقه على اللفظ جماعة منهم: علي، وابن عباس، وأنس بن مالك، وأبو الدرداء، وواثلة بن الأسقع، وأبو هريرة رضي الله عنهم، ثم جماعة من التابعين يكثر عددهم منهم: إمام الأئمة الحسن البصري، ثم الشعبي، وعمرو بن دينار، وإبراهيم النخعي، ومجاهد، وعكرمة. نقل ذلك عنهم في كتب سيرهم باخبار مختلفة الألفاظ. وقال ابن سيرين: كنت أسمع الحديث من عشرة المعنى واحد والألفاظ مختلفة، وكذلك اختلفت ألفاظ الصحابة في رواية الحديث عن رسول الله ﷺ، فمنهم من يرويه تاماً، ومنهم من يأتي بالمعنى، ومنهم من يورده مختصراً وبعضهم يغاير بين اللفظين ويراه واسعاً إذا لم يخالف المعنى، وكلهم لا يتعمد الكذب وجميعم يقصد الصدق، ومعنى ما سمع فلذلك وسعهم، وكانوا يقولون: إنما الكذب على من تعمده. وقد روي عن عمران ابن مسلم قال، قال رجل للحسن يا أبا سعيد: إنك تحدث بالحديث أنت أحسن له سياقاً وأجود تحبيراً وأفصح به لساناً منه اذا حدثنا به، فقال: إذا أصبت المعنى فلا بأس بذلك، وقد قال النضر بن شميل: كان هشيم لحاناً فكسوت لكم حديثه كسوة حسنة يعني بالإعراب، وكان النضر نحوياً، وكان سفيان يقول: إذا رأيتم الرجل يشدد في ألفاظ الحديث في المجلس فاعلم أنه يقول اعرفوني. قال: وجعل رجل يسأل يحي بن سعيد القطان عن حرف في الحديث على لفظه فقال له يحي: يا هذا ليس في الدنيا أجل من كتاب الله تعالى قد رخص للقراءة فيه بالكلمة على سبعة أحرف فلا تشدد، وفي شرح التقريب للحافظ السيوطي في النوع السادس والعشرين في الفرع الرابع منه ما نصه مع بعض اختصار: إن لم يكن الراوي عالماً بالألفاظ خبيراً بما يحيل معانيها لم تجزله الرواية لما سمعه بالمعنى بلا خلاف، بل يتعين اللفظ الذي سمعه، فإن كان عالماً بذلك فقالت طائفة من أهل الحديث والفقه والأصول: لا يجوز إلا بلفظه، وإليه ذهب ابن سيرين، وثعلب، وأبو بكر الرازي من الحنفية، وروي عن ابن عمر. وقال جمهور السلف والخلف من الطوائف منهم الأئمة الأربعة: يجوز بالمعنى في جميع ذلك إذا قطع بإداء المعنى لأن ذلك هو الذي يشهد به أحوال الصحابة والسلف ويدل عليه روايتهم اللفظة الواحدة بألفاظ مختلفة، وقد ورد في المسألة حديث مرفوع رواه ابن منده في معرفة الصحابة، والطبراني في الكبير من حديث عبدالله ابن سليمان بن أكثم الليثي قال: قلت يا رسول الله: إني إذا سمعت منك الحديث لا أستطيع أن أرويه كما أسمع منك يزيد حرفاً أو ينقص حرفاً فقال: إذا لم تحلوا حراماً ولـم تحـرموا حلالاً وأصبتم المعنى فلا بأس، فذكر ذلك للحسن فقال: لولا هذا ما حدثنا. وقد استدل الشافعي لذلك بحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف، وروى البيهقي عن مكحول قال: دخلت أنا وأبو الأزهر على واثلة بن الأسقع فقلنا له: حدثنا بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه وهم ولا تزيد ولا نسيان فقال: هل قرأ أحد منكم من القرآن شيئاً؟ فقلنا: نعم وما نحن له بحافظين جداً إنا لنزيد الواو والألف وننقص. قال؛ فهذا القرآن مكتوب بين أظهركم لا تألونه حفظاً

وإنكم تزعمون إنكم تزيدون وتنقصون، فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله ﷺ عسى أن لا يكون سمعنا لها منه إلا مرة واحدة. حسبكم إذا حدثناكم بالحديث على المعنى، وأسند أيضاً في المدخل عن جابر بن عبدالله قال: قال حذيفة: إنا قوم عرب نورد الحديث فنقدم ونؤخر، وأسند أيضاً عن شعيب بن الحجاب قال: دخلت أنا وعبدان على الحسن فقلنا يا أبا سعيد: الرجل يحدث بالحديث فيزيد فيه أو ينقص منه. قال: إنما الكذب من تعمد ذلك، وأسند أيضاً عن جرير بن حازم قال: سمعت الحسن يحدث بأحاديث الأصل واحد والكلام مختلف، وأسند عن ابن عون قال: كان الحسن وإبراهيم والشعبي يأتون بالحديث على المعاني، وأسند عن أويس قال: سألنا الزهري عن التقديم والتأخير في الحديث فقال: هذا يجوز في القرآن فكيف به في الحديث؟ وإذا أصيب معنى الحديث فلم يحل به حراماً ولم يحرم به حلالاً فلا بأس، ونقل ذلك سفيان عن عمرو بن دينار وأسند عن وكيع قال: إن لم يكن المعنى واسعاً فقد هلك الناس اهـ. ما تعلق الغرض به.

وقوله في أول سياقه منهم الأئمة الأربعة. أي أئمة المذاهب، والمشهور عن إمامنا الأعظم أبي حنيفة رحمه الله تعالى عند الأصحاب أنه لا يجوز نقل الحديث إلا باللفظ دون المعنى. قالوا: وبهذا الإعتبار قلت روايته للحديث، وروينا عن الإمام أبي جعفر الطحاوي أنه قال: حدثنا سليمان بن شعيب، حدثنا أبي قال: أملى علينا أبو يوسف قال: قال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا ينبغي للرجل أن يحدث من الحديث إلا بما حفظه من يوم سمعه إلى يوم يحدث به، وهكذا ذكره الحافظ الذهبي في ترجمة الإمام من تاريخه، عن أبي يوسف عنه فافهمه، فإن اطلاقه في العبارة ربما يوهم خلاف ما ذكرناه، وإليه ذهب القاضي عياض من المالكية حيث قال فيما نقله السيوطي في شرح الكتاب المذكور ينبغي سدّ باب الرواية بالمعنى لئلا يتسلط من لا يحسن ممن يظن أنه يحسن كما وقع للرواة كثيراً قديماً وحديثاً، وعلى الجواز الأولى إيراد الحديث بلفظه دون التصرف فيه، ثم ان المصنف قد روى في كتابه هذا مراسيل ومقاطيع، ومنها ما في سنده مقال، وربما كان المقطوع والمرسل أصح من بعض المسند إذ رواه الأئمة وجازهم رسم ذلك في الورع لمعان. أحدها: يقول أنا لسنا على يقين من باطلها، والثاني: يقول أن معنا حجة بذلك وهو رواية أصحاب الحديث له وهم قد سمعوه، فإن أخطأوا الحقيقة عند الله تعالى فذلك ساقط عنهم، والثالث: يقول أن الأخبار الضعاف غير مخالفة للكتاب والسنة فلا يلزمنا ردها بل فيها ما يدل عليها، والرابع: يقول أنا متعبدون بحسن الظن منهيون عن كثير من الظن، والخامس: يقول أنه لا يتوصل إلى حقيقة ذلك إلا من طريق المعاينة ولا سبيل إليها فاضطررنا إلى التقليد والتصديق لحسن الظن بالنقلة مع ما تسكن إليه قلوبنا وتلين له أبشارنا، ونرى أنه حق كما جاء في الخبر، ويقول أيضاً: أنه ينبغي أن نعتقد في سلفنا المؤمنين أنهم خير منا، ثم يقول نحن لا نكذب على رسول الله ﷺ ولا على التابعين، فكيف يظن بهم أن يكذبوا وهم فوقنا على أنه قد جاءت أحاديث ضعاف بأسانيد صحاح، فكذلك يصلح أن ترد أحاديث صحاح بسند ضعيف لاحتمال أن يكون قد روي من وجه صحيح إذ لم نحط بجملة العلم أو لأن بعض ما تضعف به رواة

الحديث وتعطل به أحاديثهم لا يكون تعليلاً ولا جرحاً عند الفقهاء ولا عند العلماء بالله تعالى مثل أن يكون الراوي مجهولاً لإيثاره الخمول، وقد ندب إليه أو لقلة الإتباع له إذ لم يقسم لهم الأثرة عنه أو ينفرد بلفظ أو حديث حفظه، أو خص به دون غيره من الثقات، أو يكون غير سائق للحديث على لفظه، أو لا يكون معنياً بدرسه وحفظه، أو يسمع منه كلام لا يجرحه عند الفقهاء علله به بعض المجرحين من الرواة وأن بعض من يضعفه أصحاب الحديث هو من علماء الآخرة ومن أهل المعرفة بالله تعالى، وله في الرواية والحديث مذهب غير طريقة بعض أصحاب الحديث فيعمل في روايته بمذهبه فلا يكون أصحاب الحديث حجة عليه، بل هو حجة عليهم إذ ليس هو عند أصحابه من العلماء دون أصحاب الحديث فمن ضعفه إذ رأى غير مذهبه وقد يتكلم بعض الحفاظ كابن الجوزي وأضرابه بالاقدام والجرأة فيجاوز الحد في الجرح ويتعدى في اللفظ ويكون المتكلم فيه أفضل منه، وعند العلماء بالله تعالى أعلى درجة فيعود الجرح على الجارح وأن بعض من يضعفه أهل الحديث يقويه بعضهم وبعض من يجرحه ويذمه واحد يعد له ويمدحه آخر، فصار مختلفاً فيه فلم يرد حديثه بقول واحد دون من فوقه أو مثله. وقال بعض العلماء: الحديث وإن كان شهادة فقد وسع فيه بحسن الظن كما جوّز فيه قبول شاهد واحد أي للضرورة كشهادة القابلة ونحوها ويروى بمعناه عن الإمام أحمد، والحديث إذا لم ينافه كتاب أو سنة وإن لم يشهدا له أو لم يخرج تأويله عن إجماع الأمة فإنه يوجب القبول والعمل لقوله ﷺ كيف وقد قيل، والحديث الضعيف عن الإمام أحمد آثر من الرأي والقياس، وقال محمد بن حزم: جميع الحنفية مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من القياس والرأي نقله الذهبي، والحديث إذا تداوله عصران، أو رواه القرون الثلاثة، أو دار في العصر الواحد ولم ينكره علماؤه، أو كان مشهوراً لا ينكره الطبقة من المسلمين احتمل ووقع به حجة، وإن كان في سنده قول إلا ما خالف الكتاب والسنة الصحيحة أو اجماع الأمة. أو ظهر كذب ناقليه بشهادة الصادقين من الأئمة. وذكر رجل عند الزهري حديثاً قال: ما سمعنا بهذا، فقال: أكل حديث رسول الله ﷺ سمعت قال: لا. قال: فثلثاه. قال: لا. قال: فنصفه فسكت، فقال: عد هذا من النصف الذي لم تسمعه. نقله صاحب القوت وهو في الحلية لأبي نعيم في ترجمة الزهري، وأخرج ابن عساكر في التاريخ في ترجمة أبي سهيل نافع بن مالك عم مالك بن أنس من رواية أبي أسامة عن جرير بن حازم، عن الزبير بن سعيد الهاشمي عنه قال، قلت للزهري: أما بلغك أن رسول الله ﷺ قال: من طلب شيئاً من هذا العلم الذي يراد به وجه الله ليطلب به شيئاً من عرض الدنيا دخل النار؟ فقال الزهري: لا ما بلغني هذا من رسول الله ﷺ، فقلت له: وكل حديث رسول الله ﷺ بلغك؟ قال: لا. قلت: فنصفه؟ قال: عسى. قلت: فهذا من النصف الذي لم يبلغك. وقال وكيع بن الجراح: ما ينبغي لأحد أن يقول هذا الحديث باطل لأن الحديث أكثر من ذلك، وقال أبو داوود، قال أبو زرعة الرازي: قبض رسول الله ﷺ عن عشرين ألف عين نظرته كل واحد قد روى عنه ولو حديثاً ولو كلمة[1] رواية، فحديث رسول الله ﷺ أكثر

(١) هكذا في الأصل.

من ذلك. قال أحمد بن حنبل: كان يزيد بن هارون يكتب عن الرجل ويعلم أنه ضعيف، وكان له ذكاء وعلم بالحديث. وقال إسحاق بن راهويه، قيل لأحمد: هذه الفوائد التي فيها المناكير ترى أن يكتب الجيد منها. فقال: المنكر أبداً منكر. قيل: فالضعفاء قال يحتاج إليهم في وقت كأنه لم ير بالكتابة عنهم بأساً. وقال أبو بكر المروزي عنه: أن الحديث عن الضعفاء قد يحتاج إليه، ومما يدلك على مذهبه في التوسعة أنه أخرج حديثه كله في المسند المأثور عنه ولم يعتبر الصحيح منه، وفيه أحاديث يعلم النقاد أنها ضعيفة وهو أعلم بضعفها منهم، ثم أدخلها في مسنده لأنه أراد تخريج المسند ولم يقصد صحيح السند فاستجاز رواتها. وقد أخرج ابن الجوزي بعضاً منها في الموضوعات وافقه على بعضها الحافظ العراقي في جزء لطيف، ورد عليهما تلميذه الحافظ بن حجر، فاوسع الكلام على تلك الأحاديث التي طعن عليها ابن الجوزي في جزء سماه (القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد) كلاهما عندي، وكان الإمام أحمد قد قطع أن يحدث الناس في سنة ثمان وعشرين وتوفي سنة إحدى وأربعين، فلم يسمع أحد منه في هذه المدة إلا ابن منيع جزأ واحداً بشفاعة جده أحمد بن منيع ويروى عنه. قال: كان عبد الرحمن ينكر الحديث، ثم يخرج إلينا بعد في وقت فيقول: هو صحيح قد وجدته. قال: وأما وكيع فلم يكن ينكر، ولكن كان يقول إن سئل عنه لا أحفظ، ويروى عن ابن أخت عبد الرحمن بن مهدي قال: كان خالي قد خط عليّ أحاديث ثم صحح عليها بعد ذلك وقرأتها عليه فقلت: قد كنت خططت عليها. فقال: نعم ثم تفكرت إني إذا ضعفتها أسقطت عدالة ناقلها فإن جاثاني بين يدي الله تعالى وقال لي أسقطت عدالتي رأيتني سمعت كلامي لم يكن لي حجة. كان هذا مذهب الورعين من السلف. وقال بعضهم في تضعيف الرواة أن خلصت نيتك يعني أن أردت الله تعالى والدين بذلك لم يكن لك ولا عليك، فهذا الذي ذكرت لك هو أصل في معرفة الحديث وهو علم لأهله وطريق هم سالكوه، وما قصدت بذلك الإزراء ولا التنقيص لمقام أصحاب الحديث. كلا والله بل إني محب لهم ومعتقد حسن طريقتهم، وإنما أوسعت في الكلام ليظهر بذلك علو نظر الإمام أبي حامد وإن أكثر ما قيل فيه من جهة إيراده الأحاديث الضعيفة في كتابه غير متجه اذ مقصده جيل لا يتعدى عن حسن الظن بهؤلاء الذين رووها في كتبهم. ونقل هو عن تلك المصنفات والله تعالى يجعل ما كتبته خالصاً لوجهه الكريم ومقرباً إلى جنات النعيم آمين آمين آمين.

خاتمة الفصول في بيان الجرح والتعديل:

ومعرفة هذه المسألة مهمة. قال ابن السبكي في الطبقات في ترجمة أبي جعفر أحمد بن صالح من الطبقة الأولى من أصحاب الشافعي ما نصه: ننبهك هنا على قاعدة عظيمة في الجرح والتعديل ضرورية نافعة لا تراها في شيء من كتب الأصول.

قلت: وقد انتقيت من كلامه في هذه المسألة ما يدل على المقصود منه. قال: فإنك إذا سمعت أن الجرح مقدم على التعديل، ورأيت الجرح والتعديل في الإنسان وكنت غراً بالأمور وقدماً مقتصراً على منقول الأصول حسبت أن العمل على جرحه، فإياك ثم إياك والحذر كل

الحذر من هذا الحسبان، بل الصواب أن من ثبتت امامته وعدالته وكثر مادحوه ومزكوه وندرجارحـوه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره، فلا يلتفت إلى الجرح فيه ويعمل فيه بالعدالة، وإلا لو فتحنا هذا الباب وأخذنا بتقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون، وقد أشار لذلك ابن عبد البر في كتاب العلم، واستدل أن السلف تكلم بعضهم في بعض بكلام منه ما حمل عليه التعصب والحسد، ومنه ما دعا إليه التأويل واختلاف الإجتهاد كما لا يلزم المقول فيه ما قال القائل فيه، وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف تأويلاً واجتهاداً. قال، ومما نقم به على يحي بن معين وعيب به كلامه في الشافعي، وهو لا يعرف الشافعي، ولا يعرف ما قاله الشافعي، ومن جهل شيئاً عاداه، وكلام ابن أبي ذئب، وإبراهيم بن سعد، وعبد العزيز بن أبي سلمة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ومحمد بن إسحاق، وابن أبي يحي، وابن أبي الزناد في مالك بن أنس وعابوا عليه أشياء، وقد برأه الله عز وجل عما قالوا. قال: وما مثل من تكلم في مالك والشافعي ونظائرهما إلا كما قال الأعشى:

كناطح صخرة يوماً ليفلقها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

أو كما قال الحسن بن حميد:

يا ناطح الجبل العالي ليكلمه ... أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول:

ومن ذا الذي ينجو من الناس سالماً ... وللناس قال بالظنون وقيل

وقيل لابن المبارك فلان يتكلم في أبي حنيفة فأنشد:

حسدوك لما رأوك فضلك اللـ ... ـه بما فضلت به النجباء

وقيل لأبي عاصم النبيل فلان يتكلم في أبي حنيفة فقال هو كما قال نصيب:

سلمت وهل حي من الناس سالم

وقال أبو الأسود الديلي

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم

هذا كله كلام ابن عبد البر، وفصل الخطاب فيه أن الجارح لا يقبل منه الجرح، وإن فسره في حق من غلبت طاعته على معاصيه، ومادحوه على ذاميه، ومزكوه على جارحيه إذا كانت هناك قرينة يشهد العقل إن ذلك من تعصب مذهبي أو منافسة دنيوية كما يكون بين النظراء، فلا يلتفت إلى كلام ابن أبي ذئب في مالك، وابن معين في الشافعي، والنسائي في أحمد بن صالح، لأن هؤلاء مشهورون صار الجارح لهم كالآتي بخبر غريب لو صح لتوفرت الدواعي على نقله، فكان القاطع قائماً على كذبه فيما قاله.

ومما ينبغي أن يتفقد عند الجرح حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجارح والمجروح، فربما

خالف الجارح المجروح في العقيدة فجرحه لذلك، وقد وقع هذا لكثير من الائمة جرحوا بناء على معتقدهم وهم المخطئون، والمجروح مصيب وإلى هذا أشار ابن دقيق العيد في الإقتراح وقال: اعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها طائفتان من الناس المحدثون والحكام اهـ. ثم قال: ومن شهد على آخر وهو مخالف له في العقيدة أوجبت مخالفته له ريبة عند الحاكم المتبصر لا يجدها إذا كانت الشهادة صادرة من غير تخالف في العقيدة، ثم المشهود به يختلف باختـلاف الأغراض والأحوال، فربما وضح غرض الشاهد على المشهود عليه ايضاحاً لا يخفى على أحد، وذلك لقربه من نص معتقده، أو ما أشبه ذلك، وربما دق وغمض بحيث لا يدركه إلا الفطن من الحكام، ورب شاهد من أهل السنة ساذج قد مقت المبتدع مقتاً زائداً على ما يطلبه الله منه وأساء الظن به إساءة أوجبت له تصديق ما يبلغه عنه، فبلغه عنه شيء فغلب على ظنه صدقـه كما قدمناه فشهد به، فسبيل الحاكم التوقف في مثل هذا إلى أن يتبين له الحال فيه، وسبيل الشاهد الورع ولو كان من أصلب أهل السنة أن يعرض على نفسه ما نقل له عن هذا المبتدع وقد صدقه وعزم على أن يشهد عليه به ويعرض على نفسه مثل هذا الخبر بعينه. إن لو كان عن شخص من أهل عقيدته هل كان يصدقه، وبتقدير إن لو كان يصدقه فهل كان يبادر إلى الشهادة عليه به، وبتقـدير أنه كان يبادر فليوازن ما بين المبادرتين فإن وجدهما سواء فدونه، وإلاَّ فليعلم أن حظ النفس داخله، وأزيد من ذلك أن الشيطان استولى عليه فخيل له أن هذه قربة وقيام في نصر الحق وليعلم من هذه سبيله أنه أتى من جهل وقلة دين. هذا قولنا في سني يجرح مبتدعاً فما الظن بمبتدع يجرح سنياً؟ وفي المبتدعـة زيـادة لا تـوجـد في غيرهـم وهـو أنهم يـرون الكـذب لنصرتهم، والشهادة على من يخالفهم في العقيـدة بما يسـوءه في نفسـه ومـالـه بـالكـذب تـأييـداً لاعتقادهم، ويزداد حنقهم وتقريرهم إلى الله بالكذب عليه بمقدار زيادته في النيل منهم، فهؤلاء لا يحل لمسلم أن يعتبر كلامهم، ثم قال: ومما ينبغي أن يتفقد عند الجرح أيضاً حال الجارح في الخبرة بمدلولات الألفاظ، ولا سيما العرفية التي تختلف باختلاف عرف الناس، ويكون في بعض الأزمنة مدحاً، وفي بعضها ذماً. وهذا أمر شديد لا يدركه إلا فقيه بالعلم ويعتبر أيضاً حاله في العلم بالأحكام الشرعية، فرب جاهل ظن الحلال حراماً فيجرح به، ومن هنا أوجب الفقهاء التفسير ليتضح الحال. قال صاحب البحر: حكي أن رجلاً جرح رجلاً وقال: أنه طين سطحه بطين استخرج من حوض السبيل.

ومما ينبغي أيضاً تفقده الخلاف الواقع بين كثير من الصوفيه وأصحاب الحديث، فقد أوجب كلام بعضهم في بعض كما تكلم بعضهم في حق الحرث المحاسبي وغيره، وهذا في الحقيقة داخل في قسم مخالفة العقائد، والطامة الكبرى إنما هي في العقائد المثيرة للتعصب والهوى. نعم وفي المنافسات الدنيوية على حطام الدنيا، وهذا في المتأخرين أكثر منه في المتقدمين، وأمر العقائد سواء في الفريقين، ثم قال لا شك ان من تكلم في إمام استقر في الأذهان عظمته، وتناقلت الرواة ممادحه، فقد جرَّ الملام إلى نفسه، ولكنا لا نقضى أيضاً على من عرفت عدالته إذا جرح من لم يقبل منه جرحه إياه بالفسق، بل نجوز أموراً أحدها: أن يكون واهماً ومن ذا الذي لا يهم،

والثاني أن يكون مؤولاً قد جرح بشيء ظنه جارحاً ولا يراه المجروح كذلك كاختلاف المجتهدين، والثالث: أن يكون نقله إليه من يراه هو صادقاً ونحن نراه كاذباً، وهذا لاختلافنا في الجرح والتعديل، فرب مجروح عند عالم معدل عند غيره فيقع الأختلاف في الإحتجاج حسب الإختلاف في تزكيته، فلم يتعين أن يكون الحامل للجارح على الجرح مجرد التعصب والهوى حتى نجرحه بالجرح، ومعنا أصلان نستصحبهما إلى أن نتيقن خلافهما. أصل عدالة الإمام المجروح الذي قد استقرت عظمته، وأصل عدالة الجارح الذي ثبتت، فلا يلتفت إلى جرحه ولا نجرحه بجرحه، ثم قال: وقولهم إن الجرح مقدم إنما يعنون به حالة تعارض الجرح والتعديل، فإذا تعارضا عند التجريح قدمنا الجرح لما فيه من زيادة العلم، وتعارضهما هو استواء الظن عندهما لأن هذا شأن المتعارضين، أما إذا لم يقع استواء الظن عندهما فلا تعارض بل العمل بأقوى الظنين من جرح أو تعديل، وفيما نحن فيه لم يتعارضا لأن غلبة الظن بالعدالة قائمة، وهذا كما أن عدد الجارح إذا كان أكثر قدم الجرح إجماعاً لأنه لا تعارض والحالة هذه، ولا يقول هنا أحد بتقديم التعديل لا من قال بتقديمه عند التعارض ولا غيره، فظهر بهذا أنه ليس كل جرح مقدماً، ثم قال: ولنختم هذه القاعدة بفائدتين عظيمتين.

أحداهما: أن قولهم لا يقبل الجرح إلا مفسراً إنما هو أيضاً في جرح من ثبتت عدالة صاحبه واستقرت، فإذا أراد رافع رفعها بالجرح قيل له ائت ببرهان على هذا أو مبهم لم يعرف حاله، ولكن ابتدأه جارحان ومزكيان فيقال إذ ذاك للجارحين فسرا ما رميتماه به، أما من ثبت أنه مجروح فيقبل قول من أطلق جرحه لجريانه على الأصل المقرر عندنا، ولا نطالبه بالتفسير إذ لا حاجة إلى طلبه.

والفائدة الثانية: أنا لا نطلب التفسير من كل أحد، بل إنما نطلبه حيث يحتمل الحال شكاً إما للاختلاف في الإجتهاد أو لتهمة في الجارح، أو نحو ذلك مما لا يوجب سقوط قول الجارح ولا ينتهي إلى الإعتبار به على الإطلاق، بل يكون بين بين أما إذا انتفت الظنون واندفعت التهم، وكان الجارح حبراً من أحبار الأمة مبرأً عن مظان التهمة، أو كان المجروح مشهوراً بالضعف متروكاً بين النقاد فلا يتلعثم عند جرحه ولا يحوج الجارح إلى تفسير بل طلب التفسير منه والحالة هذه طلب لغيبة لا حاجة إليها. هذا خلاصة ما ذكره فافهمه. فهذا ما تيسر لنا جمعه من أحواله ومشايخه ومن صحبه وروى عنه أو تفقه عليه وما يتعلق بكتابه وما اعترض عليه فيه، والجواب عنه على قدر الامكان مع الإختصار الزائد، وعسى إن وقفت على زيادة على ما ذكرت ألحقتها به، وقد عن لنا أن نرخي العنان إلى المقصود الأعظم. الذي هو شرح أسرار كتابه المعظم والله أسال أن يوفقني لاتمامه على نهج يرتضيه أهل الحق، ويستحسنه من كشف له على الجمع والفرق، وإن يرزقه القبول كأصله، وأن يوقعه موضع الرضا عند أهله، إنه بالإجابة جدير وعلى ما يشاء قدير، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذريته وسلم.

تنبيه:

أعلم أن مختار السيد الجرجاني أن أسماء الكتب والتراجم موضوعة للألفاظ باعتبار دلالتها على المعاني والنقوش، لأن النقوش غير متيسرة لكل أحد ولا في كل وقت، فلا يناسب أن تكون مدلولاً ولا جزء مدلول، ككتب العلم المحمولة لأهلها إلى قيام الساعة، ولم تكن للمعاني لأن الغالب فيها أن إدراكها متوقف على إدراك دوالها التي هي الألفاظ، فلا تناسب أن تكون مدلولاً ولا جزء مدلول، فتعين أن تكون الألفاظ، وإنما قيل باعتبار دلالتها على المعاني، لأن الألفاظ وحدها غير مقصودة بالذات. كذا في تقرير شيخنا المرحوم الشيخ عطية الأجهوري في بعض مؤلفاته، وتقرير شيخنا السيد محمد البليدي في أثناء درس البيضاوي تغمدهما الله برحمته.

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قال المصنف رحمه الله تعالى بعد قوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم أحمد الله تعالى﴾.

اعلم أنهم ذكروا أن من الواجب على كل مصنف كتاب ثلاثة أشياء، وهي البسملة، والحمدلة، والصلاة، ومن الطرق الجائزة أربعة أشياء، وهي مدح الفن، وذكر الباعث، وتسمية الكتاب، وبيان كيفية الكتاب من التبويب والتفصيل، فهي سبعة أشياء.

أما البسملة والحمدلة، فإن كتاب الله مفتوح بهما ولقوله ﷺ: كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله وببسم الله الرحمن الرحيم أقطع». رواه الحافظ عبد القادر بن محمد الرهاوي في أربعينه، وقوله عليه السلام: «كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم». رواه أبو داوود والنسائي. وفي رواية ابن ماجه: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد أقطع». ورواه ابن حبان وأبو عوانة في صحيحيهما. وقال ابن الصلاح: هذا حديث حسن بل صحيح.

وأما الصلاة؛ فلأن ذكره ﷺ مقرون بذكره تعالى، ولهذا قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ [الشرح: ٤] لا أذكر إلا ذكرت، ومعنى البسملة أي باستعانة المعبود بالحق الواجب الوجود المطلق المبدع للعالم. أصنف هذا الكتاب إجمالاً، وأؤلف بين كل باب وباب تفصيلاً، وفي تأخير المتعلق إيماء لافادة الاختصاص، وإشعار باستحقاق تقديم ذكر إسمه الخاص، والابتداء بالبسملة حقيقي وبالحمدلة اضافي، وكل حقيقي إضافي ولا عكس، فبينهما عموم وخصوص مطلق، إذ الحقيقي ما لم يسبق بشيء أصلاً، والإضافي ما تقدم أمام المقصود سبق بشيء أم لا، ثم الحمد لغوي وعرفي، فالأوّل هو الوصف بفضيلة على فضيلة على جهة التعظيم باللسان فقط، والثاني فعل يشعر بتعظيم المنعم لكونه منعماً هبه فعل اللسان أو الأركان أو الجنان، فهو ينقسم إلى قولي وفعلي وحالي، فالقولي حمد اللسان وثناؤه على الحق بما أثنى به على نفسه على لسان أنبيائه ورسله، والفعلي الاتيان بالأعمال البدنية ابتغاء لوجه الله، والحالي ما يكون بحسب الروح والقلب، كاعتقاد الاتصاف بالكمالات العلمية والعملية والتخلق بالأخلاق الإلهية، والشكر اللغوي فعل ينبيء عن تعظيم المنعم بسبب الانعام، سواء كان ذكراً أو اعتقاداً أو محبة بالجنان أو عملاً وخدمة بالأركان، والعرفي صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه من السمع والبصر وغيرهما لما خلق له، وآثر الجملة الانشائية على الخبرية لكونها لدلالتها على الحدوث والتجدد تقتضي الأثوبة والحسنات المنظور إليها في الأعمال. قال ابن الهمام في بعض رسائله: لو كان الحمد خبراً محضاً لما لاق وحسن تكراره في مجلس واحد، لأن من كرر خبراً واحداً في مجلس عد أحمق ناقص الغريزة، وقد علم من السنّة الشريفة الترغيب في تكرير الحمد والتكبير وغيرهما من الكلمات الصالحات، فيناسب ذلك كله الإنشاء لا الاخبار إذ في الإنشاء تجديد ومغايرات للكلمات يقتضي بحسبها تعدد الأثوبة والحسنات، ولهذا نقل الشرع كثيراً من الكلمات اللغوية كالصلاة والزكاة وغير ذلك إلى

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله

أولاً حمداً كثيراً متوالياً، وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمداً لحامدين وأصلي وأسلم على رسله. ثانياً صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين، وأستخيره تعالى.

معان أخر غير ما وضعت له في اللغة، فإن الصلاة مثلاً وضعت للدعاء فقط، وقد وضعها الشارع للأفعال المخصوصة مما يدل عليه التجديدات العملية الشرعية، فيكون الحمد كذلك، فكان من باب الانشاء، فمن قال خبر قصر نظره على اللغة، ومن قال إنشاء نظر إلى الشرع فكان لفظياً اهـ. وجملة تعالى فعلية معترضة. (أوّلاً) هو نقيض الآخر وأصله أوأل على وزن افعل مهموز الأوسط قلبت الهمزة واواً وأدغم. يدل على ذلك قولهم: هذا أول منك والجمع الأوائل والأوالي أيضاً على القلب، وقال قوم: أصله وول على فوعل، فقلبت الواو الأولى همزة، وإنما لم يجمع على أواول لاستثقالهم اجتماع الواوين بينهما ألف الجمع وانتصاب أوّلاً وكذا ثانياً وثالثاً ورابعاً على الظرفية، وأما التنوين في أوّلاً مع أنه أفعل التفضيل بدليل الأولى والأوائل كالفضلى والأفاضل، فلأنه هنا ظرف بمعنى قبل وهو حينئذ منصرف لا وصفية له أصلاً، وهذا معنى ما قال الجوهري في الصحاح: إذا جعلته صفة لم تصرفه تقول: لقيته عام أول، وإذا لم تجعله صفة صرفته تقول: لقيته عاماً أوّلاً، ومعناه في الأوّل أول من هذا العام، وفي الثاني قبل هذا العام. أشار لذلك السعد في أوائل التلويح، وقد نظر فيه بعضهم فقال: يصير صفة أيضاً، وإنما معناه على الثاني أوّل هذا العام على أن يكون منصوباً على الظرفية بدلاً منه، فتكون الملاقاة في جزء أول من هذا العام بخلاف المعنى الأول. (**حمداً كثيراً متوالياً**) أي متتابعاً في كل آن ليس بين كل من افراده ما ليس منه. (**وإن كان يتضاءل**) أي يتصاغر من ضئل. كفرح إذا لصق بالأرض من حقارة. وفي الحديث: «إن العرش على منكب اسرافيل، وإنه ليتضاءل من خشية الله حتى يصير مثل الوصع»(١) أي يتصاغر ويدق تواضعاً. قاله ابن الأثير (دون حق جلاله) أي ما يليق من عظمته وكبريائه. (**حد الحامدين**) ولو بلغوا إلى أقصى مراتب الحمد. (**وأصلي وأسلم على رسوله**) لما كان أجل النعم الواصلة إلى العبد هو دين الإسلام، وبه التوصل إلى النعيم الدائم في دار السلام، وذلك بتوسط رسله عليهم الصلاة والسلام، وجب ارداف الصلاة والسلام عليهم بعد الحمد والصلاة من الله لعباده تزكية لهم وبركته عليهم، ومن الملائكة استغفار، ومن الناس الدعاء، وأصل الرسل الانبعاث على تؤدة ومنه ناقة رسلة. أي سهلة الانقياد، وإبل مراسيل، ويصدر منه تارة الرفق، وتارة الانبعاث، ومنه اشتق الرسول والجمع رسل بضمتين، ويطلق الرسول تارة على المتحمل بالرسالة، وتارة على القول المتحمل، وتارة يطابق ما يراد به، وتارة يفرد، وإن أريد به غير الواحد وقد يراد بالرسل الملائكة. وفي الاصطلاح إنسان بعثه الله لتبليغ الأحكام. (**ثانياً**) منصوب

---

(١) قوله الوصع طائر أصغر من العصفور قال في المختار.

ثالثاً فيما انبعث له عزمي من تحرير كتاب في احياء علوم الدين، وأنتدب لقطع تعجبك

على الظرفية كما تقدم. **(صلاة تستغرق)** أي تعم، فالسين ليست للطلب، **(مع)** للمصاحبة، واختلف في كونه إسماً أو حرف خفض، وقيل إن مع المتحركة تكون اسماً وحرفاً وساكنة العين حرف لا غير وأنشد سيبويه:

وريشي منكم وهواي معكم وإن كانت زيارتكم لماما

وحكى الكسائي عن ربيعة أنهم يسكنون العين في مع، فيقولون: معْكم ومعْنا، فإذا جاء الألف واللام أو ألف الوصل اختلفوا فيها، فبعضهم يفتح العين، وبعضهم يكسرها فيقولون: مع القوم ومع ابنك، وبعضهم يقول مع القوم ومع ابنك. قال: وكلام عامة العرب بفتح العين مع ألف الوصل، وأما من سكن فقال: معكم كسر عند ألف الوصل لأنه أخرجه مخرج الأدوات مثل: هل وبل وقد وكم، فقال: مع القوم. كقولك كم القوم، وقد ينوّن فيقال جاءوا معاً نقله الأزهري في التهذيب. وقال الراغب والسمين: مع تقتضي الاجتماع أما في المكان نحوهما معاً في الدار، أو في الزمان نحو: ولدا معاً، أو في المعنى كالمتضايفين نحو الأخ مع الأخ كأن أحدهما صار أخاً للآخر في حال ما صار الآخر أخاه، وأما في الشرف والرتبة نحوهما معاً في العلو، وتقتضي معنى النصرة فإن المضاف إليه لفظ مع هو المنصور نحو قوله تعالى: ﴿ إن الله معنا ﴾ [التوبة: ٤٠] و﴿ إن معي ربي سيهدين ﴾ [الشعراء: ٦٢] ونظائر ذلك اهـ.

والمراد هنا معية الشرف والرتبة ولا يلزم منه التساوي في سائر وجوه الشرف كما لا يخفى على المتأمل (سيد البشر) هو نبينا محمد ﷺ ثبتت سيادته على البشر بنص الكتاب، وبقوله ﷺ فيما رواه البخاري في صحيحه: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» وعبر عن عالم الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده من الشعر، بخلاف الحيوان الذي عليه نحو صوف ووبر. **(سائر المرسلين)** جيعهم أو باقيهم على اختلاف مشهور في اشتقاقه، ثم إني رأيت سياق هذه العبارة التي أتي بها المصنف في جملة الحمد والصلاة في أول الجزء الرابع من تجريد الصحاح لأبي الحسن رزين بن معاوية العبدري فقال ما نصه: أحمد الله حمداً يتضاءل دون بلوغ مداه حمد الحامدين، وأصلي على سيدنا محمد نبيه ورسوله وخيرته من خلقه صلاة تعم مع سيد البشر جميع الملائكة والنبيين والمرسلين، صلاة الله عليه وسلم وعليهم أجمعين، وعلى آله وأصحابه، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين اهـ. فلعل ذلك من وقع الحافر على الحافر، وتوارد الخاطر على الخاطر، **(واستخيره سبحانه)** أي أطلب منه الخيرة، فالسين والتاء للطلب وهو أصل هذا الباب إلاّ ما شذ كاستخرج واستحجر واستحلاه، فإنه في الأول بمعنى خرج. وفي الثاني بمعنى الصيرورة، وفي الثالث بمعنى الوجدان، وأتي بصيغة المضارع اتباعاً للجملتين السابقتين ليكن على نسق واحد، وكذا الحكم فيما بعدها مع الإشارة إلى شدة الاستحضار في الذهن، ثم الاستخارة مطلوبة شرعاً، وقد ورد فيها أحاديث سيأتي بيانها والضمير راجع لله تعالى. **(ثالثاً)** منصوب على الظرفية كما تقدم. **(فيما انبعث)** أي تحرك وانتشط **(له عزمي)** هو عقد القلب على امضاء الأمر **(من تحرير)** أي تأليف **(كتاب في إحياء علوم الدين)**

رابعاً أيها العاذل المتغالي في العذل من بين زمرة الجاحدين المسرف في التقريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين، فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوّقني عهدة

فيه أربع إضافات، وفيه براعة الاستهلال (وانتدب) أي أسارع يقال انتدب له إذا أجابه بسرعة، ومنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه: انتدب الله لمن خرج في سبيله إلخ، أي سارع بثوابه وحسن جزائه، أو أجابه إلى غفرانه، أو أوجب تفضلاً أن ينجز له ذلك. نقله ابن الاثير. (لقطع تعجبك رابعاً أيها العاذل) أي اللائم وقد عذله إذا لامه والاسم العذل بالتحريك. وقال ابن الأعرابي: العذل الاحراق فكان اللائم يحرق بعذله قلب المعذول (**المتغالي في العذل**) أي المتجاوز عن الحد (**من بين زمرة**) طائفة (**الجاحدين**) المنكرين للحق (**المسرف**) المبعد في مجاوزة الحد (**في التقريع**) التعنيف والتوبيخ والعذل، وقيل: هو الإيجاع باللوم، وقيل: هو النصح بين الملأ (**و**) على المعنى الأخير يكون عطف (**الإنكار**) عليه من باب عطف العام على الخاص (**من بين طبقات المنكرين الغافلين**) ثم من قوله: أحمد الله إلى هنا خمس سجعات. الأولى متعلقة بالله تعالى، والثانية متعلقة بالنبي ﷺ، والثلاثة بعدها متعلقات بنفسه. الأولى منها في الابتهال إلى الله تعالى وطلب الخيرة منه وحسن المعونة والاثنتان في تبكيت الخصم المعاند، وكل واحدة من الثلاثة الأول أشرف مما بعدها، وأشار لذلك بالترتيب والسجع توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد. وفي الجمهرة هو موالاة الكلام على رويّ واحد، كقولهم في صفة سجستان: ماؤها وشل ولصها بطل وتمرها دقل إن كثر الجيش بها جاعوا وإن قلوا ضاعوا نقله الليث، وهو على أقسام مطرف ومرصع ومتواز، فالمطرف ما اتفقت فاصلتاه في حرف السجع لا في الوزن كالرمم والأمم، والمرصع ما وافق جميع ما في الفقرة الثانية أو أكثره بالأولى، والمتوازي ما روعي في الكلمتين الوزن وحرف السجع كالقلم والنسم، فتأمل. وهنا على المصنف مؤاخذتان.

الأولى: أفرد الصلاة عن السلام وهو مكروه في مذهبه صرح به غير واحد منهم الإمام النووي. والجواب: أن المصنف ممن لا يوافقهم على كراهة الأفراد مطلقاً على أن بعضهم حمل الكراهة هنا على خلاف الأولى لعدم النهي المخصوص، وأجاب بعضهم فقال: إنه أراد بالصلاة ما يشمل السلام أيضاً، كأن يراد مطلق الاكرام فيكون من عموم المجاز أو الجمع بين الحقيقة والمجاز، وهذا قد رده بعض المحققين فقال: هذا لا يظهر إلا إذا لم تكن الصلاة والسلام من الألفاظ المتعبد بها بخصوصها، أما إذا كان منها وهو الأظهر فلا، وعبارة النووي في الإذكار إذا صليت على النبي ﷺ فاجمع بين الصلاة والسلام ولا تقتصر على أحدهما، فلا تقل صلى الله عليه ولا عليه السلام فقط اهـ. والصحيح ما ذكره ابن الجزري في مفتاح الحصن أن الجمع بين الصلاة والسلام هو الأولى، ولو اقتصر على أحدهما جاز من غير كراهة، وقد جرى عليه جماعة من السلف والخلف. منهم: الإمام مسلم في أوّل صحيحه وهلم جرا، حتى الإمام ولي الله الشاطبي في قصيدتيه الرائية واللامية. وأما قول النووي، وقد نص العلماء على كراهة الاقتصار على الصلاة من غير السلام فليس كذلك، فإني لا أعلم أحداً نص على ذلك من العلماء ولا من غيرهم اهـ.

الكلام وقلادة النطق: ما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق، مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل، والتشغيب على من آثر النزوع قليلاً عن مراسم الخلق ومال ميلاً

الثانية: لم يذكر الصلاة على الآل والأصحاب، وقد قال ابن القيم: المختار الذي عليه المحققون أن الصلاة والسلام على الأنبياء والملائكة وآل النبي وأزواجه وذريته وأهل الطاعة على سبيل الاجمال جائز، ويكره في غير الأنبياء لشخص مفرد مفرداً بحيث يصير شعاراً ولا سيما إذا ترك في حق مثله أو أفضل منه، فلو اتفق وقوع ذلك في بعض الأحايين من غير أن يتخذ شعاراً لم يكن به بأس عند عامة أهل العلم. والجواب، أنه أراد من الرسل المعنى الأعم فدخل فيه الملائكة وسائر الأنبياء وجميع أتباعهم من العلماء والأصفياء، فدخل آله ﷺ وأصحابه فيهم دخولاً أوّلياً فتأمل ذلك. (**فلقد حل عن لساني عقدة**) اسم لما يعقده العاقد بين الطرفين المفترقين بحيث يشق حلها. (**الصمت**) السكوت، وقيل: طوله. ومنهم من فرق بينهما كما سيأتي في محله وضم الصاد لغة فيه. (**وطوّقني عهدة الكلام**) أي جعله طوقاً في عنقي (**وقلاده النطق**): القلادة بالكسر إسم لما يشتمل على الشيء ويحيط به، وتطويقها تعليقها شبه الطوق، ومن أشهر الأمثال: حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق (**ما أنت عليه مثابر**) أي مواظب مداوم وحريص ملازم له (**من العمى**) المراد هنا ضد البصيرة وهو الجهل، (**عن جلية الحق**) أي واضحه ومكشوفه (**مع اللجاج**) هو التمادي (**في**) الفساد في الفعل المزجور عنه الذي هو (**نصرة الباطل**) هو بالإثبات له عند التنفير عنه، لأنه نقيض الحق، والحق هو الثابت، ويقال ذلك بالاعتبار إلى المقال والفعال (**وتحسين الجهل**) أي تزيينه، والجهل التقدم في الأمور المنبهمة بغير علم، ذكره الحراني، وهو على قسمين بسيط ومركب، فالبسيط هو عدم العلم عما من شأنه أن يعلم، والمركب اعتقاد جازم غير مطابق للواقع. وقال الراغب والسمين: الجهل ثلاثة:

الأوّل: خلو النفس من العلم هذا أصله، وقد جعله بعضهم معنى مقتضياً للأفعال الخارجة عن النظام كما جعل العلم معنى مقتضياً للأفعال الجارية على النظام.

الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل هبه اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أم فاسداً، كتارك الصلاة عمداً والجهل يذكر تارة للذم وهو الأكثر وتارة لاله نحو: يحسبهم الجاهل أغنياء أي من لا يعرف حالهم. ونقل المناوي عن العضد أن الجهل البسيط أصحابه كالأنعام لفقدهم ما به يمتاز الإنسان عنها، بل هم أضل لتوجهها نحو كمالاتها، ويعالج بملازمة العلماء ليظهر له نقصه عند مماراتهم، والجهل المركب إن قبل العلاج فبملازمة الرياضات ليطعم لذة اليقين، ثم التنبيه على كل مقدمة مقدمة بالتدريج، (**والتشغيب**) هو تهييج الشر والفتنة والخصام، (**على من آثر**) أي اختار (**النزوع**) بالعين المهملة هو الانتهاء عن الأمر والكف عنه، وما وجد في بعض النسخ بالغين المعجمة خطأ لفساد المعنى، (**قليلاً عن مراسم الخلق**) جمع الرسم على خلاف القياس. (**ومال ميلاً يسيراً**) أي قليلاً (**عن ملازمة الرسم**) الظاهري (**إلى العمل**) الذي يوصله إلى علوم

يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعاً في نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب، وتداركاً لبعض ما فرط من إضاعة العمر يأساً من تمام التلافي والجبر وانحيازاً عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه» ولعمري أنه لا سبب لإصرارك على النكير إلا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل بأن

الآخرة. (**بمقتضى العلم**) الذي أوتيه وانكشف له عنه الغطاء (**طمعاً في نيل**) ادراك (**ما تعبده الله تعالى به**) أي ألزمه له عبادة (**من تزكية النفس**) أي تنميتها وتطهيرها من رعوناتها، (**وإصلاح القلب**) بتخليته عما سوى الحق، (**وتداركاً**) أي تلافياً (**لبعض ما فرط**) أي سبق (**من إضاعة العمر**) فيما لا يجدي نفعاً (**يأساً**) وهو قطع الرجاء (**من تمام التلافي**) أي التدارك، (**والجبر**) وفي بعض النسخ في الحيرة وفي بعضها والحير بلفظ الجمع، (**وانحيازاً**) أي انضماماً (**عن غمار**) بكسر الغين المعجمة جمع غُمرة بالفتح هو مزدحم الناس (**من قال فيهم**) أي في حقهم (**صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه**) فيما رواه البيهقي في شعب الإيمان، والطبراني في الصغير، وابن عدي في الكامل بسند ضعيف عن أبي هريرة رضي الله عنه: (**أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه**). أي بأن لم يعمل به لأن عصيانه عن علم فهو أعظم جرماً وأقبح إثماً من عصاه من غير علم، ولهذا كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار لكونهم جحدوا بعد العلم بالحق قاله المناوي. وقيل: معناه لم يوفق للعمل به، ومن جملة عمله نفعه غيره إن احتاج إلى علمه، ثم ان لفظ الحديث عند المذكورين فيما رأيته لم ينفعه علمه، وقد ضعف هذا الحديث المنذري وغيره. وقال الخطيب في كتاب اقتضاء العلم العمل قال سهل بن مزاحم: الأمر أضيق على العالم من التسعير، مع أن الجاهل لا يعذر بجهالته، لكن العالم أشد عذاباً إذا ترك ما علم فلم يعمل به.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق أبي كبشه السلولي قال: سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول: إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالماً لا ينتفع بعلمه، وفيه أيضاً من طريق ابراهيم بن الأشعث، حدثنا سفيان قال: كان يقال أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة. رجل كان له عمل فجاء غيره يوم القيامة بأفضل عملاً منه، ورجل كان له مال فلم يتصدق منه فورثه غيره فتصدق منه، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلم غيره فانتفع به، وسيأتي للمصنف عن أبي الدرداء: ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات، ثم إن من قوله: فلقد حل عن لساني إلى قوله جلية الحق سجعتان متوازيتان، ومن بعده استرسال في الكلام من غير تقييد على روي. (**ولعمري**) أقسم بعيشه وبقائه وحياته ودوامه، والعمر بالضم لغة فيه، ولكن خص القسم بالمفتوحة. (**أنه لا سبب لإصرارك**) أي: تماديك ولزومك (**على النكير**) مصدر بمعنى الانكار، (**إلا الداء الذي عم الجم الغفير**) يقال: جاءوا جماً غفيراً وجم الغفير بالإضافة وجاء الغفير والجماء الغفير وجاء غفيراً ممدود

الأمر إدّ والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سدّ ، وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير ردّ وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكدّ : فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، وقد شغر منهم الزمان ولم يبقَ إلا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل

في الكل، وجم الغفيرة وجاء الغفيرة الثلاثة ذكرها الصاغاني، والجماء الغفيرة وجاء غفيرة وبجماء الغفير والغفيرة إذا جاءوا جميعاً شريفهم ووضيعهم، ولم يحك سيبويه إلا الجماء الغفير قال: وهو من الأحوال التي دخلها الألف واللام وهو نادر، وقال: الغفير وصف لازم للجماء بمعنى ذلك لا تقول الجماء وتسكت، فهو عنده اسم موضوع موضع المصدر وجعله غيره مصدراً، وأجاز ابن الأنباري فيه الرفع على تقديرهم، وقال الكسائي: العرب تنصب الجماء الغفير في التمام وترفعه في النقصان، (**بل شمل الجماهير**) جمع جمهور بالضم على ما هو المعروف. وما حكى ابن التلمساني في شرح الشفاء، وتبعه شيخ مشايخنا سيدي محمد الزرقاني من أن الفتح لغة فيه، فقد ردّه الشهاب واستغربه ومعناه جل الناس (**من القصور**) أي التأخر (**عن ملاحظة ذروة هذا الأمر**) بكسر الذال المعجمة أي رأسه وملاكه (**و**) من (**الجهل بأن الأمر إدّ**) بالكسر أي عظيم أو فظيع أو منكر (**والخطب**) هو العظيم من الأمور (**جد**) ضد الهزل. أي: فينبغي أن يجتهد له.

وأخرج ابن أبي الدنيا من طريق إسماعيل بن أمية قال: كان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم حتى يخضر جسده ويصفر، فكان علقمة يقول: لم تعذب هذا الجسد؟ فكان الاسود يقول: إن الأمر جد فجدّوا. (**والآخرة مقبلة**) لا محيد عنها. (**والدنيا مدبرة**) لا محالة، (**والأجل**) المضروب (**قريب**) جداً، (**والسفر**) إلى الآخرة (**بعيد**) لكثرة عقباتها، (**والزاد**) المحمول لأجله (**طفيف**) أي: يسير من الطفافة اسم لما لا يعتد به، وفي نسخة ضعيف بالضاد المعجمة أي قليل، (**والخطر عظيم والطريق سد**) أي مسدود، (**وما سوى الخالص لوجه الله**) سبحانه (**من العلم والعمل عند الناقد البصير ردّ**) أي: مردود أي لا يقبل من العلوم والأعمال عند الله تعالى إلا ما شابها الاخلاص وحسن اليقين، (**وسلوك طريق الآخرة**) باستعمال علومها (**مع كثرة الغوائل**) أي: المهالك جمع غائلة (**من غير دليل**) هو العلم النافع، (**ولا رفيق**) هو العمل الصالح (**متعب ومكد**) عطف تفسير لمتعب، (**فأدلة الطريق**) جمع دليل أي أدلة طرق الحق (**هم العلماء**) بالله خاصة (**الذين هم**) فيما رواه ابن النجار في تاريخه، عن أنس رضي الله عنه رفعه (**ورثة الأنبياء**). وسيأتي الكلام عليه، (**وقد شغر**) كنصر أي خلا من شغرت الأرض شغوراً إذ خلت من الناس ولم يبق بها أحد يحميها ويضبطها فهي شاغرة (**عنهم الزمان**) بموتهم، (**ولم يبق إلا المترسمون**) المتشبهون برسومهم، (**وقد استحوذ**) أي ساق مستولياً (**على أكثرهم الشيطان**) من حذا الإبل يحذوها إذا ساقها سوقاً عنيفاً. قال النحويون: استحوذ خرج على أصله، فمن قال حاذ يحوذ لم يقل إلا استحاذ،

واحد بعاجل حظه مشغوفاً، فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً حتى ظل علم الدين مندرساً، ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً، ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهارش الطغام، أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام، أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام، إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام.

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه:

ومن قال أحوذ فاخرجه على الأصل قال استحوذ، **(واستغواهم)**أي أضلهم**(الطغيان)** وهو مجاوزة الحد في كل شيء وغلب في تزايد العصيان قال السمين. **(وأصبح كل واحد)** منهم **(بعاجل حظه)** الدنيوي **(مشغوفاً)** أي أصاب حبه شغاف قلبه وهو وسطه قاله أبو علي الفارسي، أو باطنه قاله الحسن، **(فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً)** هذا غاية النكير والاستقباح لما هم عليه، فإن كانت الرؤية اعتقادية فالأمر أعظم **(حتى ظل)** أي صار **(علم الدين)** هو بالتحريك ما وضع علامة للإهتداء به **(مندرساً)** قد عفت آثاره، **(ومنار الهدى)** هو كالعلم يهتدى به. قال امرؤ القيس:

علـى لاحـبٍ لا يهتـدى لمنـاره ... إذا سـاقـه العـود النبـاطـي جرجـرا

(في أقطار الأرض) أطرافها **(منطمساً)** قد خفيت أنواره، **(ولقد خيلوا)** أي أوهموا وأدخلوا في مخيلاتهم **(إلى الخلق أن لا علم)** من حيث هو هو **(إلا فتوى حكومة)** هو ما يكتب في أجوبة المسائل في الواقعات والنوازل من الحلال والحرام والإباحة والمنع والجمع الفتاوى بكسر الواو وفتحها **(تستعين به القضاة)** والحكام **(على فصل الخصام)** أي المخاصمة **(عند تهارش)** هو الإفساد بين الناس وتحريش بعضهم على بعض. **(الطغام)** بالفتح والغين معجمة هم الأغبياء والرذال، **(أو جدل)** هو القياس المؤلف من المشهورات أو المسلمات، والغرض منه إلزام الخصم وإفهام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان. **(يتدرع)** أي يتلبس **(به طالب المباهاة)** أي المفاخرة **(إلى الغلبة)** في إلزام الخصم، **(والإفحام)** أي الإسكات، **(أو سجع)** أي كلام مقفى **(مزخرف)** أي مزين **(يتوصل به الواعظ إلى استدراج)** أي: خديعة **(العوام)**. روي عن أبي الهيثم يقال امتنع فلان عن كذا وكذا حتى أتاه فلان فاستدرجه أي خدعه حتى حمله على ان درج في ذلك. **(إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة)** من الخصال **(مصيدة للحرام)** هي كمعيشة ما يصاد به، وهو من بنات الياء المعتلة، والجمع المصايد بلا همز كمعايش، **(وشبكة)** محركة شركة الصياد التي يصيد بها في البر، ومنهم من خصه بمصيدة الماء **(للحطام)** هو المال الرذل والخبيث والحرام ودقاق التبر.

(فأما علم طريق الآخرة) الذي هو النافع للعبد، **(وما درج)** سلك **(عليه السلف**

فقهاً وحكمة وعلماً وضياء ونوراً وهداية ورشداً، فقد أصبح من بين الخلق مطوياً صار نسياً منسياً.

ولما كان هذا ثلماً في الدين ملماً وخطباً مدلهماً، رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب

الصالح) وهم من سلفك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل. ومنه قول طفيل الغنوي يرثي قومه:

مضوا سلفاً قصر السبيل عليهم   وصرف المنايا بالرجال تقلب

أراد أنهم تقدمونا، والمراد هنا الصدر الأوّل من التابعين وأتباعهم والجمع الأسلاف **(مما سماه الله سبحانه)** وتعالى **(في كتابه)** العزيز **(فقهاً)** في قوله: ﴿لعلهم يفقهون﴾ [الأنعام: ٦٥] **(وحكمه)** في قوله: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] **(وعلماً)** في قوله: ﴿والراسخون في العلم﴾ [آل عمران: ٧] **(وضياء)** في قوله: ﴿وضياءً وذكراً للمتقين﴾ [الأنبياء: ٤٨] **(ونوراً)** في قوله: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ [المائدة: ١٥]. وقوله: ﴿فهو على نور من ربه﴾ [الزمر: ٢٢] **(وهداية)** في قوله: ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ [البقرة: ١٢٠] **(ورشداً)** في قوله: ﴿لعلهم يرشدون﴾ [البقرة: ١٨٦].

أما الفقه، فهو أخصّ من مطلق العلم، والحكمة معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وهذا هو الذي وصف به لقمان، ثم الحكمة الإلهية هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها، والحكمة المنطوق بها هي علوم الشريعة والطريقة، والمسكوت عنها هي أسرار الحقيقة التي إذا اطلع عليها علماء الرسوم والعوام تضرهم أو تهلكهم، والعلم معرفة الشيء على ما هو عليه، والضياء أخص من النور، والنور هو الضوء المنتشر وهو ضربان. دنيوي وأخروي، ثم الدنيوي ضربان معقول بعين البصيرة كنور العقل، ومحسوس بعين البصر كنور الشمس والقمر، وتخصيص الشمس بالضوء والقمر بالنور من حيث أن الضوء نور قوي، والهداية سلوك طريق توصل إلى المطلوب، ويراد بها تارة الرشد وتارة البيان وتارة الدعاء وتارة الدلالة، والرشد يستعمل استعمال الهداية وقد يراد به الاستقامة، وسيأتي زيادة إيضاح لكل ما ذكرناه في الباب الرابع. **(فقد أصبح من بين الخلق مطوياً)** ذكره لعدم ميلهم إلى تحصيله، **(وصار نسياً منسياً)** أي شيئاً تافهاً لا يؤبه له مما حقه أن ينسى ويترك لقلة مبالاتهم به، والنسي فعل بمعنى مفعول والمنسي مبالغة فيه لم يكفه أن وصف تلك الأحوال بكونها تافهة حتى بالغ بوصفها لأن النسي يقال لما لا اعتداد به، وان لم ينس.

(ولما كان هذا) الذي ذكرت **(ثلماً)** أي خللاً **(في الدين ملماً)** أي مقارباً داخلاً **(وخطباً)** أي أمراً عظيماً **(مدلهماً)** أي مظلماً كثيفاً شبه الخطب بالليل في إبهامه، ثم أثبت له ما يناسبه من الاظلام وكثافة السواد، **(ورأيت الاشتغال بتحرير)** وفي بعض النسخ بتجريد

حتماً مهماً إحياء لعلوم الدين، وكشفا عن مناهج الأئمة المتقدمين، وأيضاحاً لمناهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين.

وقد أسسته على أربعة أرباع وهي ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات. وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم لأكشف أوّلاً عن العلم الذي تعبد الله على لسان رسوله ﷺ الأعيان بطلبه، إذ قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» وأميز فيه العلم النافع من الضار إذ قال ﷺ: «نعوذ بالله

(**هذا الكتاب**) يعني الاحياء (**حتماً**) واجباً (**مهماً**) يهتم له ويعتنى بشأنه (**إحياء لعلوم الدين وكشف المناهج**) أي سبل (**الائمة المتقدمين**)، وفي بعض النسخ المتقين (**وأيضاحاً لمناهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين**)، وهم اتباع الأنبياء عليهم السلام.

(**وقد أسسته**) أي الكتاب (**على أربعة أرباع**) جمع ربع بضمتين أو بضم فسكون شبه الكتاب بقصر من جهة أن الملتجىء إليه مـن غوائل عدوّ الدين وعذاب النار، فأضاف المشبه به إلى المشبه، كما في لجين الماء، والكتاب على كثرة ما فيه من الأحكام الشرعية يرجع إلى أربعة هي اركان ذلك القصر فذكرها في أثناء الكلام على الترتيب فقال: (**وهي ربع العبادات**) وقدمه على الذي يليه لشرفها، (**وربع العادات**) لأنه إذا تحقق بالعبادات وأسرارها لم يستغن عما تعوّده مما هو لازم له من حيث قوام المعاش، فناسب ذكر هذا الربع بعد ربع العبادات، والعادة ما استمر الناس عليه وعادوا إليه مرة بعد أخرى (**و**) إذا اشتغل بها ربما استولى على هواه الأغفال عن رعونات النفس وآفاتها، فناسب ذكر (**ربع المهلكات**) لما فيه من ذكر الآفات التي تهلك صاحبها وتلقيه في هوّة النار، (**و**) إذا تحقق ذلك وتجنب عن تلك المسميات التي في وسمها ناسب ذكر (**ربع المنجيات**) لما فيه من ذكر أوصاف المخلصين التي من تحلى بها أنجى نفسه من العتاب والعقاب، فتقديم ربع المهلكات على المنجيات من باب تقديم التخلي على التحلي، فإن من لم يتخل عن رعوناته كيف يتحلى بحلية أهل الصدق والصفاء، ثم أن تأسيس المصنف كتابه على هذه الأرباع من باب الحصر الاستقرائي. إذ الحصر هو إيراد الشيء على عدد معين، والاستقراء هو الحكم على كلي لوجوده في أكثر جزئياته، ولعدده الأربعة سر غريب سار في غالب الممكنات، (**وصدرت الجملة بكتاب العلم**) في فضله وفضل تعليمه وتعلمه، (**لأنه**) في الحقيقة (**غاية المهم**) أي غاية ما يقصده الإنسان ويهتم له وينتهي إليه (**لأكشف**) بذكري ذلك (**أوّلاً عن العلم الذي تعبد الله**) عز وجل (**على لسان رسوله ﷺ الأعيان**) الأشخاص من أمته (**بطلبه إذ قال**) فيما روي من طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه: (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**)، وسيأتي ما يتعلق به قريباً (**وأميز فيه العلم النافع**) الذي ينفع صاحبه في الآخرة يصحبه معه (**من الضار**) الذي يضر بصاحبه فيكون سبباً لهلاكه (**إذ قال ﷺ**) فيما رواه ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن: (**نعوذ بالله من علم لا**

من علم لا ينفع» وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب، وانخداعهم بلامع السراب، واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب*

(واشتمل ربع العبادات على عشرة كتب)* كتاب العلم، وكتاب قواعد العقائد، وكتاب أسرار الطهارة، وكتاب أسرار الصلاة، وكتاب أسرار الزكاة، وكتاب أسرار

ينفع)، وفي بعض النسخ «تعوّذوا» كما عند ابن ماجه من طريق جابر أيضاً، وقد يذكره المصنف أيضاً في الباب الثالث، ونذكر هناك ما يتعلق به، **(وأحقق ميل أهل العصر)** من المشتغلين برسوم العلم **(عن شاكلة الصواب)** أي: ناحيته ووجهته وطريقته **(وانخداعهم بلامع السراب)** هو ما لمع في المفازة كالماء سمي به لانسرابه في رأي العين، ويراد به ما لا حقيقة له. وفي نسخة ببلاقع السراب **(واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب)** شبه العلوم التي يشتغلون بها بالقشر الذي لا ينتفع به الآكل، وإنما جعل غطاءً وحفظاً لما في باطنه وعلوم الآخرة للباب، لأنها خلاصة المعارف ونقاوة الأسرار.

(واشتمل ربع العبادات على عشرة كتب).

الأوّل: (كتاب العلم) قدمه في البيان لشرفه.

الثاني: (كتاب قواعد العقائد) لأن المعلوم إما أن لا يفتقر إلى عمل ظاهر أو يفتقر، فالأوّل الاعتقاديات فلذا ذكر قواعدها بعد العلم، والذي يفتقر يأتي ذكره بعد ذلك.

الثالث: (كتاب أسرار الطهارة) لأنه بها يدخل في حضرة الملك وهي من مقدمات الصلاة.

الرابع: (كتاب أسرار الصلاة) لأنها معراج أهل الله والديوان العظيم الذي يحصل للسالك فيه الشهود، ولأنها من آكد العبادات وأعظمها وألزمها حتى انها لا تسقط بحال عن المكلف ولا بالعجز عن الإيماء ولو بجفون العين على رأي.

الخامس: (كتاب أسرار الزكاة) لأنها أخت الصلاة وقرينتها في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

السادس: (كتاب أسرار الصيام) لما فيه من المشقة الزائدة على النفس والزكاة مالية، والمال شقيق النفس والروح فناسب ذكره بعدها.

السابع: (كتاب أسرار الحج) لأن العبادة على قسمين: سرية وجهرية، والصوم عبادة سرية لا يطلع على كنهها من العبد إلا مولاه، والحج عبادة جهرية يطلع على حقيقتها ولا محالة، فقدم السر على الجهر على أنه لو قدم الحج على الصوم لكان له أيضاً وجه، لما أن الحج جعل سبباً للصوم كحج المتمتع والقارن بشرط عدم القدرة على الهدي، والسبب مقدّم على المسبب وقوعاً إلا إنه راعى موافقة الفقهاء في وضعهم كذلك في كتب الفروع الفقهية، ثم وجدت مناسبة أخرى

الصيام، وكتاب أسرار الحج، وكتاب آداب تلاوة القرآن، وكتاب الاذكار والدعوات، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات* (وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب أيضاً)* كتاب آداب الأكل، وكتاب آداب النكاح، وكتاب أحكام الكسب وكتاب الحلال والحرام، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، وكتاب العزلة، وكتاب آداب السفر، وكتاب السماع والوجد، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوّة (٦١).

لتقديم الصوم على الحج هي أنه لما كان الحج مشتملاً على صفات جليلة عظيمة من الخروج عن الديار ومفارقة الأهل، والتجرد عن ثياب الأحياء، وكشف الرأس، والدوران حول البيت كأنه خائف ولهان، وكذا السعي بين المروتين مشابه بحال الهارب المستغيث إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة المختلفة الحقائق التي لا يهتدى لمعرفتها إلا الفحول من العلماء بخلاف الصوم، فإنه أمر واحد لا يخفى على العاقل والأمر الواحد مقدم على الأمور الكثيرة. وأيضاً؛ فإن رمضان قبل ذي الحجة الواقع فيه الحج، فينبغي أن يقدم الصوم وضعاً كما في كتب القوم، وأيضاً فإن الصوم أعظم اهتماماً من الحج بواسطة أن الصوم يتكرر على المكلف بتكرر الزمان فلا يسقط عنه بالكلية كما في الصلاة، والمتكرر يهتم به للتعليم والتعلم.

الثامن: (كتاب آداب تلاوة القرآن) لشرفه وتضمنه تلك العبادات المذكورة فتفهمه حق التفهيم.

التاسع: (كتاب الأذكار والدعوات) لكونها مأخوذة من القرآن غالباً.

العاشر: (كتاب ترتيب الأوراد في الأوقات) لأنها من آخر وظائف المتعبدين.

(وأما ربع العبادات فيشتمل على عشرة كتب أيضاً) رتب هذا الربع أيضاً كذلك بترتيب لائق فقدم **(كتاب آداب الأكل)** لكونه مهماً إذ به غذاء الأجسام وبقاؤها، ثم **(كتاب آداب النكاح)** لما تنبعث الشهوات عقب الأكل، ثم **(كتاب أحكام الكسب)** لاحتياجه إليه حينئذ لا محالة، ثم **(كتاب الحلال والحرام)** إذ يلزم معرفتها للمكتسب، ثم **(كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق)** لافتقار الكسب إلى مخالطتهم، ثم **(كتاب العزلة)** لأنها ضد الصحبة فناسب ذكرها بعدها، ثم **(كتاب آداب السفر)** لما فيه من البعد الظاهري عن الأوطان وفراق الأهل والخلان، ثم **(كتاب السماع والوجد)** لما فيه من التنشيط للأرواح والإعانة على التجريد للمسافرين إلى حضرة الله تعالى، ثم **(كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)** لما فيه من إبقاء سلسلة الانتظام ومنع التعدي في الحقوق، ثم **(كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوّة)** لأنها غاية كل كمال ونهاية الوصول لأهل الظاهر في الحال والمآل وهو آخر درجات السالكين.

(وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب أيضاً) رتبه كذلك على أبدع أسلوب

* (وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب أيضاً) * كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب رياضة النفس، وكتاب آفات الشهوتين: شهوة البطن وشهوة الفرج، وكتاب آفات اللسان، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد، وكتاب ذم الدنيا، وكتاب ذم المال والبخل، وكتاب ذم الجاه والرياء، وكتاب ذم الكبر والعجب، وكتاب ذم الغرور. * (وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب أيضاً) * كتاب التوبة، وكتاب الصبر والشكر، وكتاب الخوف والرجاء، وكتاب الفقر والزهد، وكتاب التوحيد والتوكل، وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، وكتاب النية والصدق والاخلاص، وكتاب المراقبة والمحاسبة، وكتاب التفكر، وكتاب ذكر الموت.

فقدم (**كتاب شرح عجائب القلب**) لأن بصلاحه صلاح كل الجسد وعجائبه في الحقيقة لا انقضاء لها، ثم (**كتاب رياضة النفس**) لتعلقها بالقلب شديداً، ولأن في رياضتها تمام التصفية من الكدورات، ثم (**كتاب آفات الشهوتين**) لانتشائها عن النفس وهما: (**شهوة البطن وشهوة الفرج**)، ثم (**كتاب آفات اللسان**) لأنه ممر شهوة البطن خاصة، ثم (**كتاب آفات الغضب والحقد والحسد**) لأنها تنشأ غالباً عن حدة اللسان فيبوح بها، ثم (**كتاب ذم الدنيا**) لأنها السبب الأعظم لصدور تلك الآفات، ثم (**كتاب ذم المال والبخل**) لأن المال أعظم متاع الدنيا والبخل من لوازمه، ثم (**كتاب ذم الجاه والرياء**) لأن الجاه منشؤه المال، والرياء يقع لتحصيله، ثم (**كتاب ذم الكبر والعجب**) لأنها من لوازم الجاه والمال وما أشبه ذلك، ثم (**كتاب ذم الغرور**) لكونه ينشأ من الكبر والعجب غالباً وهو آخر درجات المتقين.

(**وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب أيضاً**) رتبه كذلك على ترتيب عجيب ووضع غريب فقدم: (**كتاب التوبة**) لأنها أشرف أعمال العبد، وأقرب إلى الوصول، وأول فتح للباب، ثم (**كتاب الصبر والشكر**) إذ هما نتيجتها وهما من علاماتها الدالة على صحتها، ثم (**كتاب الخوف والرجاء**) لأنهما ينشآن عن الصبر والشكر، ثم (**كتاب الفقر والزهد**) لأنهما رأس مال الخائفين، ثم (**كتاب التوحيد والتوكل**) لأن من شأن الفقير الزاهد التجرد عما سوى الله فناسبه التوحيد والتوكل على الله، ثم (**كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا**) لأن الموحد المتوكل لا يصل إلى مطلوبه إلا إذا كان الحب دليله والشوق سائقه والرضا أمامه، ثم (**كتاب النية والصدق والإخلاص**) لتوقف كل ما ذكر على النية مع الصدق في ذلك واخلاصه وامحاضه، ثم (**كتاب المراقبة والمحاسبة**) إذ هما من نتائج الإخلاص والصدق، ثم (**كتاب التفكر**) لكونه ثمرة المراقبة والمحاسبة، ثم (**كتاب ذكر الموت**) وهو آخر درجات المخلصين.

(**فاما ربعُ العبادات فاذكر فيه من خفايا آدابها**) التي لم يطلع عليها غالب العلماء

فأما ربع العبادات فاذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه، بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه، وأكثر ذلك مما أهمل في فن الفقهيات. وأما ربع العادات، فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني عنها متدين.

وأما ربع المهلكات، فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه واذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ثم أذكر سببه الذي منه يتولد، ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات التي بها تتعرف، ثم طرق المعالجة التي بها منها يتخلص كل ذلك مقروناً بشواهد الآيات والأخبار والآثار.

(ودقائق سننها) التي خفيت على أكثرهم، **(وأسرار معانيها)** التي استنبطها العارفون **(ما يضطر)** أي يحتاج ضرورة **(العالم العامل إليه، بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليه)** لكونه من اللوازم الضرورية في حقه، **(وأكثر ذلك)** مما ذكرته **(مما أهمل في فن الفقهيات)** ولم يتعرض له أصلاً.

(وأما ربع العادات، فاذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق واغوارها) معطوف على أسرار جمع غور وهو ما خفي من الأمور **(ودقائق سننها)** المستنبطة **(وخفايا الورع)** بأقسامه الأربعة **(في مجاريها)** أي تلك المعاملات **(وهي مما لا يستغني متدين)** وفي نسخة متدبر **(عنها)** إذ بها كماله.

(وأما ربع المهلكات فاذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته) أي إزالته **(وتزكية النفس)** أي تطهيرها **(عنه وتطهير القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده)** أي وصفه المحيط بمعناه. سمي الحد حد لكونه مانعاً لفاعله عن معاودة مثله ولغيره عن سلوك منهجه **(وحقيقته)** هو اسم لما أريد به ما وضع له، **(ثم أذكر سببه)** هو ما ظهر الحكم لأجله هبه شرطاً أو دليلاً أو علة **(الذي منه يتولد)** وينشأ **(ثم)** أذكر **(الآفات التي عليها تترتب ثم)** أذكر **(العلامات التي بها تتعرف ثم)** اذكر **(طرق المعالجة التي بها)** أي باستعمالها **(منها)** أي من تلك الآفات **(يتخلص)** فذكر في كل خلق من تلك الأخلاق ستة أشياء: الحد والحقيقة والسبب الباعث لتولد الآفات ثم ما يتركب عليه من الآفات، ثم العلامات، ثم طرق المعالجة. وهكذا شأن الطبيب الماهر إذا أراد تخليص مريض من علة يعرفه أولاً حد العلة وحقيقتها، ثم يذكر له سببها الذي تولدت منه، ثم عوارضها، ثم يستدرج إلى ذكر علاماتها، فإذا تأمل المريض ذلك كشف له الحجاب وطالبته النفس بما يزيلها فيردد عليه طريق المعالجة فيتلقاها المريض بقلب سليم، وينجو من تلك العلة سريعاً **(كل ذلك مقروناً بشواهد الآيات)** جمع آية تطلق على جملة من القرآن سورة كانت أو فصولاً أو فصلاً من

وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين، وأذكر في كل خصلة حدّها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب، وثمرتها التي منها تستفاد، وعلامتها التي بها تتعرف، وفضليتها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل، ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني كتباً، ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور. **الأوّل:** حل ما عقدوه وكشف ما أجلوه، **الثاني:** ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه. **الثالث:** ايجاز ما طوّلوه وضبط ما قرروه. **الرابع:** حذف ما كرروه وإثبات ما

سورة، ويقال: لكل كلام منه منفصل بفصل لفظي آية وعليه اعتبار آيات السورة التي تعد بها السورة عند الجمهور (والأخبار) جمع خبر وهو الحديث المنقول فهو مرادف للحديث عند الجمهور (**والآثار**) جمع أثر هو من اصطلاح الفقهاء فإنهم يستعملونه في كلام السلف والحديث في خبر الرسول ﷺ، وفي ذلك بحث طويل محله كتب أصول الحديث.

(**وأما ربع المنجيات فاذكر فيه كل خلق محمود**) ورد بمدحه القرآن (**و**) كل (**خصلة**) حسنة (**مرغوب فيها**) مطلوب تحصيلها (**من**) جملة (**خصال المقربين**) عند الله في حظائر القدس (**والصديقين**) تخصيص بعد تعميم (**التي بها يتقرب العبد**) في سلوكه (**من رب العالمين، وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب، وثمرتها التي منها تستفاد، وعلامتها التي بها تعرف، وفضيلتها التي لأجلها يرغب فيها**) ذكر في هذا الربع في كل خصلة ستة أشياء: الحد، والحقيقة، والسبب، والثمرة، والعلامة، والفضيلة وهي نظير الستة التي ذكرت في ربع المهلكات، فقابل الثلاثة الأول بالثلاثة إلاً أن هناك سبب تولد وهنا سبب اجتلاب، ولا يخفى ما بين التولد والاجتلاب من الفرق وقابل استفادة الثمرة بترك الآفة والعلامة بالعلامة والفضيلة بالمعالجة، لأن تلك طرق التخلي، وهذه أحوال التحلي، ولكل مقام مقال (**مع ما ورد فيها من شواهد الشرع**) الكتاب، والسّنة، وأقوال الصحابة ومن بعدهم (**والعقل**) الأدلة العقلية وما قالته الحكماء الآولون، (**ولقد صنف الناس**) ممن تقدم (**في**) تحقيق (**بعض هذه المعاني**) التي ذكرت (**كتباً**) كقوت القلوب، والرعاية، ومنازل السائرين، والرسالة، والتعرف وغيرها، (**ولكن يتميز هذا الكتاب عنها**) عن تلك الكتب (**بخمسة أمور: الأوّل: حل ما عقدوه**) في كتبهم (**وكشف ما**) ستروه وتفصيل ما (**أجلوه. الثاني: ترتيب ما بددوه**) أي فرقوه في مواضع شتى (**ونظم ما فرقوه**) أي جمعه، والجملة الثانية في كل تفسير للأولى (**الثالث: ايجاز ما طوّلوه وضبط ما قرروه**) والمراد بضبط المقرر تفسيره وبيانه بحيث ينكشف على مطالعه، وأما الإيجاز فهو أداء المقصود بأقل من العبارة المتعارفة (**الرابع: حذف ما كرروه**) أي أعادوه مراراً والتكرار يشبه العموم من حيث التعدد، ويفارقه بأن العموم يتعدد فيه الحكم بتعدد افراد الشرط، والتكرار يتعدد فيه الحكم بتعدد الصفة المتعلقة

حرروه. **الخامس:** تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الافهام لم يتعرض لها في الكتب أصلاً إذ الكل وإن توارد على منهج واحد فلا مستنكر أن ينفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه، أو لا يغفل عن التنبه له، ولكن يسهو عن إيراده في الكتب أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف، فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاوياً لمجامع هذه العلوم، وإنما حملني على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران.

(أحدهما) وهو الباعث الأصلي أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري، لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة، وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط، وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف

بالافراد (**الخامس: تحقيق أمور غامضة**) خفية المدرك (**اعتاصت**) ضد انقادت (**على الافهام**) أي عسر كشفها عليها، ومن ثم (**لم يتعرض لها في الكتب أصلاً**) لصعوبتها، ولهذه الأمور الخمسة التي ذكرها فوائد لا تخفى عند المنصفين، أما الأول؛ فلأن الكلام إذا كان معقوداً لا تظهر ثمرة نفعه. وأما الثاني؛ فلأن المفرق في مواضع يشتت أذهان المتأملين. وأما الثالث؛ فمن التطويل كلت الهمم. وأما الرابع؛ فلأن المكرر من حيث هو مكرر مما يمل منه ذهن السامع. وأما الخامس؛ فلأن الأمور الخفية الصعبة التي تشتبه على الافهام وتلتبس على الأذهان، فان التعرض لها والإهتمام بكشفها أكثر فائدة وأجل عائدة (**إذ الكل**) من العلماء (**وإن تواردوا**) أي أتوا على سبيل المواردة واحداً بعد واحد، وأصل الورود ورود الإبل على الماء ثم استعير (**على منهج**) أي طريق (**واحد فلا مستنكر**) أي لا إنكار ولا بدع (**أن ينفرد كل واحد من السالكين**) ويتميز عن غيره (**بالتنبه لامر يخصه**) فيكشف عنه (**ويغفل عنه رفقاؤه**) والله يختص برحمته من يشاء (**أو لا يغفل عن التنبه له، ولكن يسهو عن إيراده في الكتب**) وهو معذور، ففي الحديث: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». (**أو لا يسهو ولكن يصرفه**) يمنعه (**عن كشف الغطاء عنه صارف**) أي مانع كعجز العامة عن فهمه أو صدور ملام إليه، أو شبهه، فقد ورد: لا تطرحوا الدر في أفواه الكلاب، وقال أبو هريرة: وأما الآخر لو بثثته لقطعتم بلعومي هذا (**فهذه**) الأمور التي ذكرت (**خواص هذا الكتاب**) أي انه اشتمل على علوم خفية المجلى يكشف الغطاء عنها مما أغفلها كثير من المصنفين أو لم يفسروها (**مع كونه حاوياً**) جامعاً (**لمجامع هذه العلوم**) الظاهرية والباطنية (**وإنما حملني على تأسيس**) هذا (**الكتاب**) ووضعه (**على أربعة أرباع أمران**) أكيدان.

(**أحدهما: وهو الباعث الأصلي أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري**) الذي لا يحتاج إلى إقامة برهان (**لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة وأعني المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط**) وهو المعبر عنه بعلم الباطن، وسيأتي

العمل به، والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين، وعلم المعاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه. وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال، علماً منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال ـ والعلماء ورثة الأنبياء ـ فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسي والاقتداء في كتمانه، ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر، أعني العلم بأعمال الجوارح، وإلى علم باطن أعني العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح إما عبادة وإما عادة، والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم، فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن. والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عبادة وعادة، والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب واخلاق النفس إنقسم إلى مذموم ومحمود، فكان المجموع أربعة أقسام، ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الأقسام.

تفصيله. (**وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به**) أي من المأمورات والمنهيات، (**والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة**) أي لا جواز (**في إيداعها**) أي وضعها في (**الكتب**) لفقد الرواية تصريحاً وإنما تروى أحياناً تلويحاً (**وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين، وعلم المعاملة طريق إليه**) أي ودليل عليه (**ولكن لم يتكلم الأنبياء عليهم السلام مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه أما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال**) لأنه من الأمور الوجدانية، فإن العاقل يكفيه الإشارة، والغافل لا يفيده صريح العبارة (**علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الإحتمال**) أي عن احتمال ما يلقى إليهم لصعوبتها (**والعلماء ورثة الأنبياء**) وهو حديث أبي الدرداء، وسيأتي الكلام عليه (**فما لهم**) أي للعلماء (**سبيل إلى العدول**) والتجاوز (**عن نهج**) أي طريق (**التأسي**) اتخاذه اسوة (**والاقتداء**) عطف تفسير (**في كتمانه**) إلا بالتلويح، (**ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر، أعني العلم بأعمال الجوارح، وإلى علم باطن أعني العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح إما عبادة أو عادة، والوارد على القلوب التي هي بحكم الإحتجاب عن الحواس**) الظاهرية (**من عالم الملكوت**) هو عالم الغيب المختص بأرواح النفوس (**إما محمود وإما مذموم، فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن، والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عبادة وعادة، والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفوس انقسم إلى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ**) أي لا يخرج (**نظر في علم المعاملة عن هذه الأقسام**) فالحصر استقرائي.

(الباعث الثاني) أني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى المتدرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات، وهو مرتب على أربعة أرباع والمتزيي بزي المحبوب محبوب فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفاً في استدراج القلوب، ولهذا تلطف بعضَ من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعاً في الجداول والرقوم، وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذباً لهم إلى المطالعة والتلطف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد أهم من التلطف في اجتذابها إلى الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد، فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد، فأين منه الطب الذي يعالج به

(الباعث الثاني): في تأسيس هذا الكتاب على الترتيب المذكور **(أني رأيت الرغبة في طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله عز وجل للتدرع به)** أي التلبس **(إلى المباهاة)** أي المفاخرة **(والإستظهار)** أي الإستقرار **(بجاهه ومنزلته في المنافسات)** وهي مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل واللحوق بهم من غير إدخال ضرر على غيره **(وهو مرتب على أربعة أرباع والمتزيي بزي المحبوب محبوب)** أي المتشبه، والزي بالكسر البزة الحسنة والآلات المجتمعة **(فلم أبعد)** في المرمى **(أن يكون تصوير)** هذا **(الكتاب)** أي تنزيله بهذه الصورة الموجودة **(بصورة)** تنزيل كتب **(الفقه تلطفاً)** أي أخذاً باللطافة **(في استدراج القلوب)** أي خديعتها والدخول إليها درجة درجة، **(ولهذا تلطف بعض من رام)** أي طلب من الحكماء **(استمالة قلوب الرؤساء)** أي الأمراء **(إلى)** علم **(الطب)** لما رأى عدم اشتغالهم به ونزوع أنفسهم إلى علم النجوم **(فوضعه على هيئة تقويم النجوم)** التي يألفونها **(موضوعاً في الجداول)** جمع جدول، وهي الخطوط المتعارضة بعضها على بعض **(والرقوم)** جمع رقم والمراد به الحساب الهندي، **(وسماه تقويم الصحة)** وكأنه عني به كتاب المختار لأبي الحسن بن عبدون المتطبب، فإنه سماه كذلك، وعلى نهجه بنى ابن جزلة، وابن البيطار كتابيهما **(ليكون انسهم بذلك الجنس)** وميلهم له **(جاذباً)** مشوقاً **(لهم إلى المطالعة)** فيه **(والتلطف في اجتذاب القلوب)** وصرفها **(إلى العلم الذي يفيد)** ويكسب **(حياة الأبد)** في الدنيا والآخرة **(أهم)** وأعني **(من التلطف في اجتذابها إلى)** علم **(الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد)** فقط ولا ينظر إلى ما دون ذلك، **(فثمرة هذا العلم)** الذي هو علم الآخرة **(طب القلوب)** لمعرفة عجائبها وما يطرأ عليها **(والأرواح)** بتزكيتها وتنميتها **(المتوصل به إلى)** حد **(حياة)** حقيقة **(تدوم)** وتستمر **(أبد الآباد فأين منه)** علم **(الطب الذي يعالج به الأجساد)** الظاهرية بمعرفة الأمزجة وتراكيب الأدوية **(وهي)** أي الأجساد **(معرضة**

الأجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في أقرب الآماد ؟ فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد ، إنه كريم جوّاد .

بالضرورة للفساد) أي يعرضها الفساد والهرم بالموت ثم إن شرف الطب بحسب موضعه وشرف العلم بالله بحسبه وبحسب ثمرته والجامع بين الشرفين يهتم لتحصيله أكثر مما فيه شرف واحد **(في أقرب الآماد)** جمع أمد الغاية. قال الراغب: الأمد والأبد متقاربان، لكن الأبد عبارة عن مدة الزمان التي لا حد لها ولا تتقيد، والأمد مدة لها حدّ مجهول إذا أطلق، وقد ينحصر فيقال أمد كذا كما يقال زمن كذا. **(ونسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد إنه هو الكريم الجواد)** وبه تم شرح خطبة الكتاب والحمد لمولانا الوهاب.

كتاب العلم وفيه سبعة أبواب

(الباب الأوّل) : في فضل العلم والتعليم والتعلم .

(الباب الثاني) : في فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا .

كتاب العلم وفيه سبعة أبواب

ومناسبة هذه الأبواب لمن تأملها بفكره الثاقب ظاهرة ، فقدم بيان فضل العلم والتعلم والتعليم اهتماماً بشأنه ، ثم بين في الباب الثاني ما يفرض من ذلك على العين وعلى الكفاية ، وبين فيه ما هو من علوم الدنيا وما هو من علوم الآخرة ، ثم ذكر في الثالث بيان علوم الدين وإخراج ما ليس منها خلاف ما توهمه العامة ، ثم ما ينشأ من تلك العلوم المناظرة وآفاتها والجدل والخلاف ، ثم ذكر في الرابع ما يقطع به تلك الآفات بمعرفة الآداب ، ثم بين في السادس الآفات التي تعرض للعلم تارة وللعلماء أخرى والعلامات الفارقة بين العالمين ، ثم لما كان تحصيل ذلك كله وبيان التمييز بين تلك المقامات والعلامات متوقفاً على موهبة عقل من الله تعالى فناسب ذكره في الباب السابع .

الباب الأول : في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من العقل والنقل

أورد فيه رحمه الله تعالى من شواهد القرآن ثلاث عشرة آية تدل على فضل العلم والعلماء ومن الأخبار ثمانية وعشرين حديثاً ما بين صحاح وحسان وضعاف وليس فيها ما حكم عليه بالوضع ، فالحديث الأول صحيح متفق عليه ، والثاني صحيح أو حسن ، والثالث والتاسع متفق عليه ، والثاني عشر حسن أو صحيح ، والسابع عشر حسن أو صحيح ، والتاسع عشر حسن ، وما عداها ضعاف كما سيأتي بيان ذلك . ثم اختلف في أن تصور ماهية العلم المطلق هل هو ضروري أو نظري يعسر تعريفه ، أو نظري غير عسير التعريف ، والأول مذهب الإمام الرازي ، والثاني رأي إمام الحرمين وتلميذه المصنف ، والثالث هو الراجح ولهم عليه تعريفات .

الأول : اعتقاد الشيء على ما هو به وهو مدخول بالتقليد المطابق للواقع فزيد فيه قيد عن ضرورة أو دليل ، لكن لا يمنع الاعتقاد الراجح المطابق وهو الظن الحاصل عن ضرورة أو دليل .

الثاني : معرفة المعلوم على ما هو به وهو مدخول أيضاً لخروج علم الله تعالى إذ لا يسمى معرفة ، ولذكر المعلوم وهو مشتق من العلم فيكون دوراً ولان معنى ما هو به هو معنى المعرفة فيكون زائداً .

(الباب الثالث) : فيما تعده العامة من علوم الدين وليس منها وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره.

(الباب الرابع) : في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل.

(الباب الخامس) : في آداب المعلم والمتعلم.

(الباب السادس) : في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة.

(الباب السابع) : في العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار.

الثالث: هو الذي يوجب كون من قام به عالماً وهو مدخول أيضاً لذكر العالم في تعريف العلم وهو دور.

الرابع: هو إدراك المعلوم على ما هو به وهو مدخول أيضاً لما فيه من الدور والحشو كما مر، ولأن الإدراك مجاز عن العلم.

الخامس: هو ما يصح لمن قام به اتقان الفعل وفيه أنه تدخل القدرة ويخرج علمنا إذ لا مدخل له في صحة الإتقان فإن أفعالنا ليست بإيجادنا.

السادس: تبيين المعلوم على ما هو به وفيه الزيادة المذكورة والدور مع أن التبيين مشعر بالظهور بعد الخفاء فيخرج منه علم الله تعالى.

السابع: إثبات المعلوم على ما هو به وفيه الزيادة والدور، وأيضاً الإثبات قد يطلق على العلم تجوزاً فيلزم تعريف الشيء بنفسه.

الثامن: الثقة بان المعلوم على ما هو به وفيه الزيادة والدور مع أنه يلزم منه كون الباري واثقاً بما هو عالم به، وذلك مما يمتنع اطلاقه عليه شرعاً.

التاسع: اعتقاد جازم مطابق لموجب إما ضرورة أو دليل فيه، وفيه إنه يخرج عنه التصور لعدم اندراجه في الإعتقاد مع أنه علم، ويخرج علم الله تعالى أيضاً لأن الإعتقاد لا يطلق عليه، ولأنه ليس بضرورة أو دليل، وهذا التعريف للفخر الرازي عرفه به بعد تنزيله كونه ضرورياً.

العاشر: حصول صورة الشيء في العقل. قال ابن صدر الدين: هو أصح الحدود عند المحققين من الحكماء وبعض المتكلمين، ولكن فيه أنه يتناول الظن والجهل المركب والتقليد والشك والوهم.

الحادي عشر: تمثيل ماهية المدرك في نفس المدرك وفيه ما في العاشر، وهذان التعريفان للحكماء مبنيان على الوجود الذهني والعلم عندهم عبارة عنه. فالأول يتناول إدراك الكليات والجزئيات، والثاني ظاهره يفيد الإختصاص بالكليات.

....

الثاني عشر: هو صفة توجب لمحلها تمييزاً بين المعاني لا يحتمل النقيض وهو الحد المختار عند المتكلمين، إلا أنه يخرج عنه العلوم العادية كعلمنا مثلاً بأن الجبل الذي رأيناه فيما مضى لم ينقلب الآن ذهباً، فإنها تحتمل النقيض لجواز خرق العادة، وأجيب عنه في محله، وقد يزاد فيه قيد بين المعاني الكلية، وهذا مع الغنى عنه يخرج العلم بالجزئيات وهو المختار عندمن يقول العلم صفة ذات تعلق بالمعلوم.

الثالث عشر: تمييز معنى عند النفس تمييزاً لا يحتمل النقيض وهو الحد المختار عندمن يقول من المتكلمين أن العلم نفس التعلق المخصوص بين العالم والمعلوم.

الرابع عشر:هو صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت هي به. قال السيد الشريف: وهو أحسن ما قيل في الكشف عن ماهية العلم ومعناه أنه صفة ينكشف بها لمن قامت به ما من شأنه أن يذكر انكشافاً تاماً لا اشتباه فيه.

الخامس عشر: حصول معنى في النفس حصولاً لا يتطرق عليه في النفس احتمال كونه على غير الوجه الذي حصل فيه وهو للآمدي. قال: ونعني بحصول المعنى في النفس تمييزه في النفس عما سواه، ويدخل فيه العلم بالإثبات والنفي والمفرد والمركب، ويخرج عنه الإعتقادات إذ لا يبعد في النفس احتمال كون المعتقد والمظنون على غير الوجه الذي حصل فيها فهذه تعاريف العلم، ثم اختلفوا في أن العلم بالشيء هل يستلزم وجوده في الذهن كما هو مذهب الفلاسفة وبعض المتكلمين أو هو تعلق بين العالم والمعلوم في الذهن كما ذهب إليه جمهور المتكلمين، ثم انه على الأول لا نزاع في أنا إذا علمنا شيئاً فقد تحقق أمور ثلاثة: صورة حاصلة في الذهن، وارتسام تلك الصورة فيه، وانفعال النفس عنها بالقبول، واختلف في أن العلم هل هو من مقولة الكيف أو الانفعال أو الاضافة، والأصح أنه من مقولة الكيـف على مـا بين في محلـه ولهم في تقسيم العلم آراء مختلفة، فقال بعض أئمة الإشتقاق: العلم ضربان إدراك ذات، والثاني الحكم على الشيء بوجود شيء هو موجود له، أو نفي شيء هو منفي عنه، فالأول يتعدى لواحد قال تعالى: ﴿لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ [التوبة: ١٠١] والثاني يتعدى لإثنين قال تعالى: ﴿فإن علمتموهن مؤمنات﴾ وقال آخرون: العلم من وجه آخر نوعان عملي ونظري، فالنظري ما إذا علم فقد كمل نحو العلم بموجودات العالم، والعملي ما لا يتم إلا بأن يعمل كالعلم بالعبادات ومن وجه آخر نوعان: عقلي وسمعي، وقد يتجوز به عن الظن كما يستعار الظن للعلم، ثم أن لفظ العلم كما يطلق على ما ذكر يطلق على ما يرادفه وهو أسماء العلوم المدونة، كالنحو والفقه فيطلق كأسماء العلوم تارة على المسائل المخصوصة كما يقال: فلان يعلم النحو، وتارة على التصديقات بتلك المسائل عن دليلها، وتارة على الملكة الحاصلة من تكرر تلك التصديقات. أي: ملكة استحضارها، وقد تطلق الملكة على التهيؤ التام، وهو أن يكون عنده ما يكفيه لاستعلام ما يراد، والتحقيق أن المعنى الحقيقي للفظ العلم هو الإدراك، ولهذا المعنى متعلق هو المعلوم وله تابع في الحصول يكون وسيلة إليه في

(الباب الأوّل) : في فضل العلم والتعليم وشواهده من النقل والعقل.

البقاء هو الملكة، فاطلق لفظ العلم على كل منها إما حقيقة عرفية أو اصطلاحية أو مجاز مشهور، وقد يطلق على مجموع المسائل والمبادىء التصورية والمبادىء التصديقية والموضوعات، وقد تطلق أسماء العلوم على مفهوم كلي إجمالي يفصل في تعريفه، فإن فصل نفسه كان حداً رسمياً، وإن بين لازمه كان رسماً اسمياً، وأما حده الحقيقي فإنما هو بتصوّر مسائله أو بتصور التصديقات المتعلقة بها فإن حقيقة كل علم مسائل ذلك العلم، أو التصديقات بها، وأما المبادىء وآنية الموضوعات فإنما عدت جزأ منها لشدة احتياجها إليها، ثم إن الظاهر أن العلم المصدر به هنا هو الجامع بين علمي المكاشفة والمعاملة، بل المستجمع بين علمي الشريعة والحقيقة المؤدي إلى مرتبة الطريقة، وأما التعليم والأعلام فهما واحد إلا أن الإستعمال خص الإعلام باخبار سريع، والتعليم بما يكون فيه تكرير وتكثير يحصل منه أثر في نفس المتعلم. وقال بعضهم: التعليم تنبيه النفس لتصوير المعاني، والتعلم تنبه النفس لتصور ذلك وربما استعمل في معنى الإعلام إذا كان فيه تكثر نحو قوله تعالى: ﴿أتعلمون الله بدينكم﴾ [الحجرات: ١٦] وقوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة: ٣١] فتعليمه الأسماء هو أن جعل له قوة بها نطق ووضع أسماء الأشياء، وذلك بالقائه في روعه، وكتعليمه الحيوانات كل واحد فعلاً يتعاطاه وصوتاً يتحراه قاله السمين.

وقدأجمع العلماء على فضل التعليم والتعلم من أفواه الشيوخ إلا من كان من علي بن رضوان الطبيب المصري، فإنه صنف كتاباً في إثبات أن التعلم من الكتب أوفق من المعلمين، وكان رئيس الأطباء للحاكم بمصر، ولم يكن له معلم في صناعة الطب ينسب إليه وهو كلام لا يعبأ به ولا يلتفت إليه. قرأت في الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي إن ابن بطلان وغيره من أهل عصره ومن بعدهم قد ردوا عليه هذا القول وبينوه وشرحوه، وذكروا له العلل التي من أجلها صار التعلم من أفواه الرجال أفضل من التعلم من الصحف إذا كان قبولها واحداً.

الأولى: منها وصول المعاني من النسيب إلى النسيب خلاف وصولها من غير النسيب، والنسيب الناطق افهم للتعليم وهو المعلم وغير النسيب له جاد وهو الكتاب.

الثانية: النفس العلامة علامة بالعقل وصدور العقل عنها يقال له التعليم والتعليم والتعلم من المضاف، وكل ما هو للشيء بالطبع أخص مما ليس هو بالطبع والنفس المتعلمة علامة بالقوة، وقبول العلم فيها يقال له تعلم والمضافان معاً بالطبع، فالتعليم من المعلم أخص بالمتعلم من الكتاب.

الثالثة: المتعلم إذا استعجم عليه ما يفهمه المعلم من لفظه نقله إلى لفظ آخر، والكتاب لا ينقل من لفظ إلى لفظ، فالفهم من المعلم أصلح للمتعلم من الكتاب، وكل ما هو بهذه الصفة فهو في إيصال العلم أصلح للمتعلم.

الرابعة: موضوعه اللفظ واللفظ على ثلاثة أضرب قريب من العقل وهو الذي صاغه العقل مثالاً لما عنده من المعاني، ومتوسط وهو المتلفظ به بالصوت وهو مثال العقل وبعيد وهو المثبت في الكتاب، وهو مثال ما خرج باللفظ، فالكتاب مثال مثال مثال المعاني التي في العقل، والمثال لا

* (**فضيلة العلم**) * شواهدها من القرآن قوله عز وجل: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلٰه إِلاَّ هُوَ والملائِكَةُ وأولُو العِلمِ قائِماً بالقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلّث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً وإجلالاً ونبلاً.

يقوم مقام المثل، فالمثال الأول هو اللفظ، والثاني هو الكتاب، فالفهم من لفظ المعلم أسهل من لفظ الكتاب.

الخامسة: وصول اللفظ الدال على المعنى إلى العقل يكون من جهة حاسة غريبة من اللفظ وهو البصر، لأن الحاسة النسيبة للفظ هي السمع لأنه تصويت، والشيء الواصل من النسيب وهو اللفظ أقرب من وصوله من الغريب وهو الكتابة، فالفهم من المعلم باللفظ أسهل من الفهم من الكتابة بالخط.

السادسة: يوجد في الكتاب أشياء تصد عن العلم وهي معدومة عند المعلم، وهي التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ والغلط بروغان البصر، وقلة الخبرة بالإعراب أو عدم وجوده مع الخبرة بالإعراب، أو فساد الموجود منه واصلاح الكتاب وكتابة ما لا يقرأ. وقراءة ما لا يكتب، ومذهب صاحب الكتاب وسقم النسخ ورداءة النقل وادماج القارىء مواضع المقاطع وخلط مبادىء التعليم، وذكر ألفاظ مصطلح عليها في تلك الصناعة، وألفاظ يونانية لم يخرجها الناقل من اللغة كالثوروس، فهذه كلها معوّقة عن العلم، وقد استراح المتعلم من تكلفها عند قراءته على المعلم، وإذا كان الأمر على هذه الصورة، فالقراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه وهو ما أردنا بيانه. قال: وأنا آتيك ببيان شائع أظنه مصدقاً لما عندك وهو ما قاله المفسدون في الإعتياض عن السالبة البسيطة بالموجبة المعدولة، فإنهم مجمعون على أن هذا الفصل لو لم يسمعه من ارسطو تلميذاه نامسطيوس وأوذيموس لما فهم قط اهـ كلام ابن بطلان.

قال الصفدي: ولهذا قال العلماء لا تأخذ العلم من صحفي ولا من مصحفي يعني لا تقرأ القرآن على من قرأ من المصحف ولا الحديث وغيره على من أخذ ذلك من الصحف، وحسبك بما جرى لحماد لما قرأ في الصحف وما صحفه، وقدوقع لابن حزم، وابن الجوزي أوهام وتصحيف معروفة عند أهلها، فناهيك بهذين الإثنين. وهذا الرئيس أبو علي ابن سينا وهو لما استبد بنفسه في الأدوية المفردة اتكالاً على ذهنه لما سلم من سوء الفهم لم يسلم من التصحيف وهو أثبت ابنطافلن وهو بتقديم الباء على النون، ومعناه ذو خمس أوراق في حرف النون اهـ وهو كلام حسن ينبغي الإهتمام بمعرفته.

فضيلة العلم:

الكلام في فضل العلم شواهده من القرآن قوله عز وجل: ﴿شهد الله أنه لا إنه إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط﴾ [آل عمران: ١٨] يحتمل أن يراد بذلك الأعلام أي أعلم الله، وإن يراد البيان أي بيّن وأن يراد الحكم أي حكم بذلك. وقال بعضهم: أن شهد هنا قد

وقال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والَّذِينَ أوتُوا العِلْم دَرَجَاتٍ﴾

استعمل في معان مختلفة، فإما أن يكون من باب الإشتراك أو الحقيقة والمجاز وكلاهما مقول به، والإستدلال على ذلك في غير هذا، فشهادة الله بذلك اعلامه وبيانه وحكمه وشهادة الملائكة ومن معهم إقرارهم بذلك، وقد بينها بعضهم بعبارة أخرى، فقال: شهادة الله بوحدانيته هي إيجاد ما يدل على وحدانيته في العالم وفي نفوسنا. قال بعض الحكماء: إن الله تعالى ما شهد لنفسه كأن شهادته أن نطق خلقه بالشهادة له، وأما شهادة الملائكة بذلك فهي إظهارهم افعالاً يؤمرون بها، وأما شهادة أولى العلم فهي اطلاعهم على تلك الحكم وإقرارهم بذلك، وإنما خص أولي العلم لأنهم هم المعتبرون وشهادتهم هي المعتبرة، وأما الجهال فمبعدون عنها، وعلى ذلك نبه بقوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] وهؤلاء هم المعنيون بقوله والصديقين والشهداء والصالحين. **(فانظر كيف بدأ سبحانه بنفسه)** فقال: ﴿شهد الله﴾ **(وثنى بالملائكة)** أي ذكرهم ثانياً. **(وثلث بأهل العلم)** فقال: وأولوا العلم. **(وناهيك بهذا شرفاً وإجلالاً ونبلاً)** أي لكفايته كأنه ينهاك عن طلب غيره استشهدهم على أجل مشهود عليه وهو توحيده. قال ابن القيم: وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه. أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر، والثاني: اقتران شهادتهم بشهادته، والثالث، اقترانها بشهادة ملائكته، والرابع: أن هذا من تزكيتهم وتعديلهم، فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول، والخامس، أنه وصفهم بكونهم أولي العلم، وهذا يدل على اختصاصهم به، وأنهم أهله وأصحابه ليس بمستعار لهم. والسادس: أنه سبحانه استشهد بنفسه وهو أجل شاهد، ثم بخيار خلقه وهم الملائكة والعلماء من عباده، ويكفي بهذا فضلاً وشرفاً. والسابع: أنه استشهد بهم على أجلّ مشهود به وأعظمه، وهو شهادة أن لا إله إلا هو، والعظيم القدر إنما يستشهد على الأمر العظيم أكابر الخلق وساداتهم، والثامن: أنه سبحانه جعل شهادتهم حجة على المنكرين فهم بمنزلة أدلته وآياته وبراهينه الدالة على توحيده. والتاسع: أنه سبحانه أفرد الفعل المتضمن لهذه الشهادة الصادرة من ملائكته ومنهم ولم يعطف شهادتهم بفعل آخر غير شهادته، وهذا يدل على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته، فكأنه سبحانه شهد على نفسه بالتوحيد على ألسنتهم وأنطقهم بهذه الشهادة فكان هو الشاهد بها لنفسه إقامة وانطاقاً وتعليماً وهم الشاهدون بها له اقراراً واعترافاً وتصديقاً وإيماناً. والعاشر: أنه سبحانه جعلهم مؤدين لحقه عند عباده بهذه الشهادة، فإذا أدوها، فقد أدوا الحق المشهود به، فثبت الحق المشهود به، فوجب على الخلق الإقرار به، وكان في ذلك غاية سعادتهم في معاشهم ومعادهم، وكل من نـالـه هدى بشهادتهم وأقر بهذا الحق بسبب شهادتهم وأقر لهذا فلهم الأجر مثل أجره، وهذا فضل عظيم لا يدرك قدره إلا الله، وكذلك كل من شهد بها عن شهادتهم فلهم من الأجر مثل أجره أيضاً، فهذه عشرة أوجه في هذه الآية، ولحظ إلى ذلك الشيخ الأكبر قدس سره فقال.

سائلي عن عقيدتي أحسن الله ظنه علم الله أنها شهد الله أنه

(وقال الله تعالى): ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسحِ الله

[المجادلة : ١١] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام . وقال عز وجل : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [الزمر : ٩] ، وقال تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر : ٢٨] .

لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا ﴾ ﴿ (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) ﴾ ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ [المجادلة : ١١] تنبيه على تفاوت منازل العلوم ، وتفاوت أربابها ورفعة درجات أهل العلم والإيمان ، وقد أخبر الله سبحانه في كتابه برفعة الدرجات في أربعة مواضع . أحدها : هذا : والثاني قوله تعالى : ﴿ أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ﴾ [الأنفال : ٤] والثالث : قوله ﴿ درجات منه ومغفرة ورحمة ﴾ [النساء : ٩٦] والرابع : قوله ﴿ فأولئك لهم الدرجات العلى ﴾ [طه : ٧٥] فهذه أربعة مواضع في ثلاثة : منها الرفعة بالدرجات لأهل الإيمان الذي هو العلم النافع والعمل الصالح ، والرابع الرفعة بالجهاد فعادت رفعة الدرجات كلها إلى العلم والجهاد اللذين بهما قوام الدين (**قال**) عبدالله (**بن عباس رضي الله عنهما**) في تفسير هذه الآية (**للعلماء درجات فوق درجات المؤمنين بسبعمائة درجة**) ولفظ القوت . وقال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ يرفع الله الذين ﴾ الآية قال : درجات العلماء فوق درجات الذين امنوا بسبعمائة درجة (**ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام**) اهـ والدرجة : هي نحو المنزلة ، لكن يقال للمنزلة درجة إذا اعتبرت بالصعود دون الإمتداد على البسيطة ، كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة وهي المراد هنا . وروي للأنبياء على العلماء فضل درجة ، وللعلماء على الشهداء فضل درجتين (**وقال تعالى ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾**) . [الزمر : ٩] قال البيضاوي : نفي لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيها باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم ، وقيل : تقرير للاول على سبيل التشبيه أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون اهـ .

قال الشهاب في حاشيته قوله وقيل تقرير للأول عطف على ما قبله بحسب المعنى إذ التقدير : والذين يعلمون والذين لا يعلمون هم القانتون وغيرهم ، فيتحدان بحسب المعنى أو المراد بالثاني غير الأول ، وإنما ذكر على طريق التشبيه كأنه قيل لا يستوي القانت وغيره كما لا يستوي العالم والجاهل ، فيكون ذكره على سبيل التمثيل ففيه تأكيد من وجه آخر . (**وقال تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾**) [فاطر : ٢٨] إن الله عزيز غفور الخشية أشد الخوف ، وقيل خوف يشوبه تعظيم المخوف منه ، وأكثر ما يكون ذلك من علم ما يخشى منه ، ولذلك خص العلماء في هذه الآية أي : إنما يخافه من عباده العلماء الذين علموا قدرته وسلطانه ، فمن كان أعلم كان أخشى لله ، وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية : أي من علم سلطانه وقدرته وهم العلماء ، وقال الزمخشري : المراد العلماء الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فعظموه وقدروه وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علماً ازداد منه خوفاً .

على قدر علم المرء يعظم خوفه   فلا عالم إلا من الله خائف

وقال تعالى: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ [الرعد: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿قال الذي عِنْدَه علمٌ مِن الكتاب أنا آتيك به﴾ [النمل: ٤٠] تنبيهاً على انه اقتدر

وآمن مكر الله بالله جاهل وخائف مكر الله بالله عارف

قال النعماني في شرح البخاري: لأن من يفعل ما يريد من غير مبالاة يجب ان يخاف منه. قال الله تعالى: ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ [الأنبياء: ٢٣] اهـ.

ويروى عن ابن مسعود: رأس الحكمة مخافة الله أي لأنها تمنع النفس عن المخالفات، وعنه أيضاً: كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً، وورد أيضاً إنما أخشاكم لله وأتقاكم أنا، وقرئ إنما يخشى الله برفع الجلالة ونصب العلماء، وهي قراءة عمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة الإمام ولا عبرة بقول الحلبي، وفي حفظي عن بعض العلماء أنه أبو حنيفة الدينوري صاحب كتاب النيات، فإن صاحب كتاب النيات ليست عنه قراءة مشهورة ولا غيرها ولم يشتهر بها، ثم إن وجه هذه القراءة أن الخشية فيها تكون استعارة، والمعنى إنما يجلهم ويعظمهم، ومن لوازم الخشية التعظيم فيكون هذا من قبيل الملزوم وإرادة اللازم، قال العيني: وفي أيام اشتغالي على الإمام العلامة شرف الدين أبي الروح عيسى السرماوي حضر رجل في الدرس فقال: خشية الله مقصورة على العلماء بقضية الكلام، وقد ذكر الله في آية أخرى أن الجنة لمن يخشى الله وهو قوله تعالى: ﴿ذلك لمن خشي ربه﴾ [البينة: ٨] فيلزم من ذلك أن لا تكون الجنة إلا للعلماء خاصة، فسكت جميع من حضر من المتعلمين، فأجاب الشيخ: إن المراد من العلماء الموحدون، وأن الجنة ليست إلا للموحدين الذين يخشون الله تعالى. وفي القوت قال المهدي لسفيان بن الحسين لما دخل عليه وكان أحد العلماء: أعالم أنت؟ فسكت فأعاد عليه فسكت، فقيل: ألا تجيب أمير المؤمنين، فقال: سألتني عن مسألة لا جواب لها إن قلت لست بعالم وقد قرأت كتاب الله كنت كاذباً، وإن قلت إني عالم كنت جاهلاً إذ روى أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس في قول الله عز وجل: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ قال: من لم يخش الله عز وجل فليس بعالم (وقال الله تعالى: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾) أي لا يفوت علمه شيء. قال البيضاوي: كفى بمعنى أقام من الحجج على صحة نبوّتك عن الاستشهاد بغيره. وقال السمين: في كفى قولان: أحدهما: اسم فعل، والثاني: وهو الصحيح أنها فعل وفي فاعلها قولان، أحدهما: وهو الصحيح أنه المجرور بالباء والباء زائدة، وفي فاعل مضارعه نحو: أو لم يكف بربك باطراد. وقال أبو البقاء: زيدت لتدل على معنى الأمر إذ التقدير اكتف بالله، والثاني: مضمر. والتقدير كفى الاكتفاء وبالله على هذا في موضع نصب لأنه مفعول به في المعنى، وهذا رأي ابن السراج، وردّ هذا بأن أعمال المصدر المحذوف لا يجوز عند البصريين إلا ضرورة. وقال الزجاج: الباء دخلت مؤكدة للمعنى أي اكتفوا بالله في شهادته، وقوله: شهيداً في نصبه وجهان. أحدهما: وهو الصحيح أنه تمييز يدل على ذلك صلاحية دخول من عليه، والثاني: أنه حال وتمام هذا البحث في حاشية عبد القادر عمر البغدادي على شرح بانت سعاد لابن هشام ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾

بقوّة العلم. وقال عز وجل: ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً﴾ [القصص: ٨٠] بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم. وقال تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿ولَوْ رَدُّوه إلى الرَّسُول وإلى أولي الأمْر مِنْهُم لَعلمهُ الَّذِينَ يَسْتَنبطُونَه مِنْهُم﴾ [النساء: ٨٣] ردّ حكمه في الوقائع إلى استنباطهم، وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله، وقيل في قوله تعالى: ﴿يا بني آدم قَدْ أنزلْنا عليكم لباساً يواري سوآتِكُم﴾ يعني العلم (وريشاً) يعني اليقين ﴿ولباس التقوى﴾ [الأعراف: ٢٦] يعني الحياء. وقال عز وجل: ﴿ولقد جِئْنَاهم بكتاب فَصَّلْناه عَلَى

[الرعد: ٤٣] هو العلم الخاص الخفي على البشر الذي يرونه ما لم يعرفوه منكراً بدليل ما رآه موسى عليه السلام من الخضر لما تبعه فأنكره بظاهر شريعته حتى عرفه. وقال تعالى: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ وهو وزير سيدنا سليمان عليه السلام واسمه آصف بن برخيا بن اشموئل (**أنا آتيك به**) أي بالعرش (تنبيهاً على أنه اقتدر عليه) أي على إتيان العرش في طرفة عين (**بقوّة**) ذلك (**العلم**) الذي بيناه. وقال الله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ أتاهم الله العلم والحكمة ﴿ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً﴾ أي جزاؤه بالعمل الصالح في الآخرة خير من هذه الزخارف (**بين**) في هذه الآية (**أن عظيم قدر الآخرة**) وما فيها من الثواب والعقاب لا (**يعلم**) إلا (**بالعلم وقال تعالى: وتلك الأمثال**) المضروبة (**نضربها**) نبينها (**للناس وما يعقلها**) أي تلك الأمثال وحسنها وفائدتها (**إلا العالمون**) [العنكبوت: ٤٣] بكسر اللام، أي المتدبرون، فأخبر الله تعالى عن أمثاله التي يضربها لعباده، يدلهم على صحة ما أخبر به أن أهل العلم هم المنتفعون بها المختصون بعلمها، وفي القرآن بضعة وأربعون مثلاً، وكان بعض السلف إذا مر بمثل لا يعرفه يبكي. ويقول: لست من العالمين. (**وقال تعالى: ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم**) هم العلماء بما أنزل على الأنبياء (**لعلمه الذين يستنبطونه**) أي يستخرجونه (**منهم**) [النساء: ٤٣] فانظر كيف (**رد حكمه في الوقائع**) والنوازل (**إلى استنباطهم**) أي العلماء (**وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء**) عليهم السلام في ذكرهم بعد الرسول (**في كشف حكم الله**) عز وجل. (**وقيل في قوله تعالى: يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري**) يستر (**سوآتكم يعني العلم**) عبر به عنه بضرب من المجاز، لأنه يغطي عن قبيح الجهل، وأصل اللباس ما يلبس ويستتر به وقد يعبر عنه أيضاً بالعمل الصالح وبستر العورة، وهذا بطريق التلميح فإنه يدل على أن جل المقصد من اللباس إنما هو ستر العورة وما زاد فتحسن وتزين إلا ما كان لدفع حر أو برد (**وريشاً يعني اليقين**) مستعار من ريش الطائر، وقال أبو المنذر القاري: الريش الزينة، وقال غيره هو الجمال. (**ولباس التقوى أي الحياء**) نقله ابن القطاع، أو الإيمان نقله السدي. وقال تعالى: ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم﴾ هدى ورحمة (**وقال تعالى، فلنقصن عليهم بعلم، وقال تعالى: بل هو آيات بينات**

عِلْمٍ﴾ [الأعراف : ٥٢] . وقال تعالى : ﴿فلنَقُصّنّ عليهم بعلم﴾ [الأعراف : ٧] . وقال عز وجل : ﴿بل هو آيات بيّنات في صُدُورِ الّذين أوتُوا العلم﴾ [العنكبوت : ٤٩] . وقال تعالى : ﴿خلق الإنسان* علّمه البَيَان﴾ [الرحمن : ٣ ، ٤] وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان .

(الأخبار) : قال رسول الله ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدّين .ويلهمه رشده » .

في صدور الذين أوتوا العلم. وقال تعالى: خلق الانسان علمه البيان) . سمى الكلام بياناً ، لأنه يكشف المقصود ، وهو أعم من النطق لأن النطق مختص باللسان ، وفي الكشاف البيان المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير . **(وإنما ذكر ذلك في معرض الامتنان)** وتعداد نعمه عليه ، وفي كتاب الله عز وجل آيات دالة على فضل العلم سوى التي ذكرها المصنف منها قوله تعالى : ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أُنزل إليك من ربك هو الحق﴾ [سبأ : ٦] وقوله تعالى : ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [الأنبياء : ٧] وقوله تعالى ﴿فالذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾ [الأنعام : ١١٤] وقوله تعالى : ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم] الآية [الإسراء : ١٠٧] وقوله تعالى : ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ [العنكبوت : ٤٩] وقوله تعالى : ﴿وقل رب زدني علماً﴾ [طه : ١١٤] وكفى بهذا شرفاً للعلم إذ أمر نبيه أن يسأله المزيد منه . وقوله تعالى : ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ [يونس : ٥٨] فسر فضل الله بالايمان ، ورحمته بالقرآن هما العلم النافع والعمل الصالح . وقوله تعالى : ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ [النساء : ١١٣] وقوله تعالى : ﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ [البقرة : ١٥١] وقوله تعالى : ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ الآية [البقرة : ٣١] وفيها شرف العلم من وجوه كثيرة . وقوله تعالى : ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة : ٢٦٩] قال ابن قتيبة : الحكمة إصابة الحق والعمل به . وقوله تعالى : ﴿اقرأ باسم ربك﴾ الآية [العلق : ١] وغير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على فضل العلم ، وفي هذا القدر كفاية والله تعالى أعلم .

(الأخبار) جمع خبر ، وقد تقدّم الفرق بينه وبين الأثر .

الأول : (قال الرسول ﷺ) كذا في النسخ ، ونقل التاج السبكي عن بعض الشافعية كراهة ذلك ، وإنما يقول قال رسول الله ﷺ ، فإنه أدل على التعظيم **(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)** متفق عليه من حديث معاوية قاله العراقي .

قلت : وكذا أخرجه الإمام أحمد من طريقه ، والترمذي وأحمد أيضاً عن ابن عباس ، وابن ماجه عن أبي هريرة . قال الحافظ بن حجر ، وقد أخرجه أبو يعلى من حديث معاوية من وجه آخر ضعيف زاد في آخره ومن لم يفقهه في الدين لم يبال الله به . قال العراقي : وأما قوله ويلهمه رشده فعند الطبراني في الكبير اهـ .

....

قلت: ورواه مع هذه الزيادة أيضاً أبو نعيم في الحلية، عن ابن مسعود وسنده حسن، وفي الصحيحين ومسند أحمد بعد قوله في الدين زيادة إنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل، قال بعض الشراح إن لم تقل بعموم من فالأمر واضح إذ هو في قوة بعض من أريد له الخير، وإن قلنا بعمومها يصير المعنى كل من يراد به الخير وهو مشكل بمن مات قبل البلوغ مؤمناً ونحوه، فإنه قد أريد به الخير وليس بفقيه ويجاب بأنه عام مخصوص كما هو أكثر العمومات، أو المراد من يرد الله به خيراً خاصاً على حذف الصفة اهـ.

قال شيخ مشايخنا أبو الحسن السندي في حاشية البخاري: الوجه حمل الخير على العظيم على أن التنكير للتعظيم فلا إشكال على أنه يمكن حمل الخير على الإطلاق واعتبار تنزيل من لم يتفقه في الدين منزلة العدم بنسبته إلى الفقيه في الدين، فيكون الكلام مبنياً على المبالغة. كان من لم يعط الفقه في الدين ما أريد به الخير، وما ذكر من الوجوه لا يناسب المقصود ويمكن حمل من على المكلفين، لأن كلام الشارع غالباً يتعلق ببيان أحوالهم، فلا يرد من مات قبل البلوغ أو أسلم ومات قبل مجيء وقت الصلاة مثلاً أي قبل تقرر التكليف والله أعلم اهـ.

وقال القسطلاني: قوله يفقهه أي يجعله فقيهاً في الدين والفقه لغة الفهم والحمل عليه هنا أولى من الاصطلاحي ليعم فهم كل علم من علوم الدين، ومن في الحديث موصولة تضمنت معنى الشرط وخير نكرة في سياق الشرط فتصير كالنكرة في سياق النفي أي جميع الخيرات اهـ. وفيه أمران

الأول: ما ذكره في أن من موصولة وأنها تضمنت معنى الشرط وهو صريح في أنها عوملت معاملته في الجزم بها، وكلام المغني صريح في خلافه حيث قال: من على أربعة أوجه شرطية واستفهامية وموصولة ونكرة موصوفة، ثم قال: تقول من يكرمني أكرمه، فيحتمل من الأوجه الأربعة، فإن قدرتها شرطية جزمت الفعلين، أو موصولة أو موصوفة رفعتهما، أو استفهامية رفعت الأول وجزمت الثاني لأنه جواب بغير الفاء اهـ. والحديث محتمل الموصول والموصوف والنكرة الموصوفة أيضاً فتأمل.

والثاني: أن النكرة في سياق النفي أو الشرط لا تعم بهذا الوجه. أي: بأن يراد بها جميع الأفراد مرة واحدة وإنما تعم بمعنى من يرد الله به خيراً أي خير كان، كما يقال: جاءني رجل أو أحد من الرجال، وأيضاً من يرد الله به جميع الخيرات يفقهه في الدين، يفيد أن حيازة جميع الخيرات لا تتم بلا فقه في الدين، فإنه أمر ظاهر، ولا يفيد أن الفقه في الدين لبيان كيفية إعطاء جميع الخيرات الذي يتضمنه الشرط، والجزاء قد يقصد به ذلك فتأمل. قال ابن القيم: وهذا إذا أريد بالفقه العلم المستلزم للعمل، وأما إن أريد به مجرد العلم فلا يدل على أن من فقه في الدين أراد به خيراً، فإن الفقه حينئذ يكون شرطاً لإرادة الخير، وعلى الأول يكون موجباً.

وقال ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء» ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوّة ولا شرف فوق شرف الوارثة لتلك الرتبة. وقال ﷺ: «يستغفر للعالم ما في السموات والأرض» وأي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له.

الثاني: (وقال ﷺ «العلماء ورثة الأنبياء») أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه من حديث أبي الدرداء قاله العراقي. وقال السخاوي في المقاصد: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي وآخرون عن أبي الدرداء به مرفوعاً بزيادة: «إن العلماء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم» وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما، وحسنه حمزة الكناني وضعفه غيرهم بالاضطراب في سنده، لكن له شواهد يتقوى بها، ولذا قال شيخنا: له طرق يعرف بها أن للحديث أصلاً اهـ.

ثم قال السخاوي، ولفظ الترجمة عند الديلمي من حديث محمد بن مطرف، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب بزيادة «يحبهم أهل السماء ويستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا» وكذا ورد لفظ الترجمة بلا سند عن أنس بزيادة «وإنما العالم من عمل بعلمه» اهـ.

قلت: وبمثل زيادة الديلمي عن البراء أورده ابن النجار في تاريخه عن أنس، وقال البدر الزركشي في اللآلئ المنثورة: هو بعض حديث أخرجه أصحاب السنن، وأحمد في مسنده، والطبراني في معجمه، وابن حبان في صحيحه اهـ.

وفي كتاب الضعفاء للدارقطني من حديث جابر بن عبدالله رفعه: أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء. قال فيه الضحاك بن ضمرة ولا يجوز الاحتجاج به. وقد رُوي العلماء ورثة الأنبياء بأسانيد صحيحة، رواه أبو عمر من حديث الوليد بن مسلم، عن خالد بن يزيد عن عثمان بن أيمن، عن أبي الدرداء اهـ.

وأخرج الخطيب في تاريخه من حديث نافع عن ابن عمر رفعه: حملة العلم في الدنيا خلف الأنبياء، وفي الآخرة من الشهداء. قال: حديث منكر لم نكتبه إلا بهذا السند وهو غير ثابت، وإنما سمي العلماء ورثة الأنبياء لقوله تعالى: ﴿أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ الآية [فاطر: ٣٢] اهـ.

قال الحافظ في الفتح أورده البخاري في صحيحه ولم يفصح بكونه حديثاً، فلهذا لا يعد في تعاليقه، لكن إيراده في الترجمة يشعر بأن له أصلاً وشاهده في القرآن قوله تعالى ﴿ثم أورثنا الكتاب﴾ الآية. وله شواهد يتقوى بها، ومثله للعيني وزاد للعلل التي ذكرناها، يعني ما نذكره في أول حديث فضل التعليم، وخالفهما الكرماني في شرحه فقال: أورده البخاري تعليقاً لأنه ليس على شرطه فتأمل. **(ومعلوم أنه لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة)**.

وقال ﷺ: «إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك» وقد نبه بهذا على ثمراته في الدنيا، ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى. وقال

الثالث: (وقال ﷺ: «يستغفر للعالم ما في السموات والأرض» وأي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له). قال العراقي: هو بعض حديث أبي الدرداء المتقدم.

قلت: هذه الزيادة بمعناها أيضاً في حديث البراء بن عازب كما عند الديلمي، وأنس بن مالك كما عند ابن النجار، وقد سبق قريباً وسيأتي له بمعناها من حديث الترمذي، عن أبي امامة في الحديث الثاني عشر، وأخرج ابن عبد البر في العلم من طريق أنس، وأن طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر. يعني أن العالم لما كان سبباً في حصول العلم الذي به نجاه النفوس من أنواع المهلكات، وكان سعيه مقصوراً على هذا وكانت نجاة العباد على يديه جوزي من جنس عمله وجعل من في السموات والأرض ساعياً في نجاته من أسباب الهلاك باستغفارهم، وقوله من في السموات والأرض عام في الحيوانات ناطقها وبهيمها طيرها وغيره.

الرابع: (وقال ﷺ: «إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً وترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك. وقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا، ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى). قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية، وابن عبد البر في بيان العلم، وعبد الغني الأزدي في أدب المحدث من حديث أنس بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: أورده الجلال في ذيله، وعزاه فيه إلى أبي نعيم، وفي الصغير إليه، وإلى ابن عدي وكلاهما من طريق أنس بلفظ الحكمة تزيد الشريف شرفاً والباقي سواء. قال المناوي: هو من حديث عمر بن حمزة، عن صالح، عن الحسن، عن أنس. وقال أبو نعيم: غريب تفرّد به عن صالح، وقال العسكري: ليس هذا من المرفوع، بل من كلام الحسن وأنس اهـ.

وأخرج الدينوري في المجالسة قال: حدثنا عبد الرحمن بن فراس، حدثنا محمد بن الحرث المروزي، حدثنا العلاء بن عمرو الحنفي، حدثنا ابن أبي زائدة، عن أبي خلدة، عن أبي العالية قال: كنت آتي ابن عباس وقريش حوله فيأخذ بيدي فيجلسني معه على السرير فتغامزت فيّ قريش ففطن لهم ابن عباس فقال: هكذا العلم يزيد الشريف شرفاً ويجلس المملوك على الأسرّة اهـ.

وهذا عطاء بن أبي رباح أحد الموالي لما دخل على هشام بن عبد الملك كان عليه قميص دنس وجبة دنسة وقلنسوة لاطية دنسة على حمار اكافه خشب، فلما رآه قال: مرحباً مرحباً ههنا ههنا فرفعه حتى مست ركبته ركبته وعنده أشراف الناس يتحدثون فسكتوا. وقال ابراهيم الحربي: كان عطاء عبداً [أسوداً] كان أنفه باقلات قال، وجاء سليمان بن عبد الملك إليه هو وابناه فجلسوا اليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل عليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج، وقد حول

ﷺ: «خصلتان لا يكونان في منافق: حسن سمت وفقه في الدين» ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان، فإنه ما أراد به الفقه الذي ظننته وسيأتي معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خيّر من الدنيا، وهذه المعرفة إذا صدقت

قفاه إليهم، ثم قال سليمان لابنيه: قوما فقاما فقال يا بني: لا تنيا في طلب العلم فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود. وقال أبو العالية: كنت آتي ابن عباس وهو على سريره وحوله قريش، فيأخذ بيدي فيجلسني معه على السرير فتغامز فيّ قريش ففطن لهم ابن عباس فقال: كذا هذا العلم يزيد الشريف شرفاً ويجلس المملوك على الأسرة. وكان محمد بن عبد الرحمن الأوقص عنقه داخل في بدنه، وكان منكباه خارجين كأنهما زجان فقالت أمه: يا بني لا تكون في مجلس إلا كنت المضحوك المسخور به، فعليك بطلب العلم فإنه يرفعك فولي قضاء مكة عشرين سنة، وكان الخصم إذا جلس بين يديه يرعد حتى يقوم.

الخامس: (وقال ﷺ: خصلتان لا يكونان) وفي رواية لا يجتمعان **(في منافق حسن سمت)** قال ابن الأثير: أي حسن الهيئة والمنظر في الدين، وفي الفائق حسن السمت أخذ التهجد ولزوم المحجة، ثم قيل: لكل طريقة ينتحيها الانسان في تحري الخير والتزيي في زي الخير سمت **(وفقه في دين)** وفي بعض الروايات في الدين، وفي أخرى ولا فقه في الدين. قال السيوطي: حسن عطفه على ما قبله وهو مثبت لأنه في سياق النفي. قال التوربشتي: حقيقة الفقه في الدين ما وقع في القلب ثم ظهر على اللسان، فأفاد العلم وأورث التقوى والخشية، وأما ما يتدارسه المغرورون فإنه بمعزل عن ذلك وإليه أشار المصنف بقوله **(ولا تشكن في)** هذا **(الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان)** من علماء الدنيا، فإنهم يبطنون من الحب والميل للدنيا والرئاسة والجاه خلاف ما يظهرون من الزهد وشعار الورع، **(فإنه ما أراد الفقه الذي ظننته)** بل ما ذكرناه. قال ابن القيم: وهذه شهادة بأن من اجتمع فيه حسن السمت والفقه في الدين من أخص علامات الايمان، ولن يجمعها الله في منافق فإن النفاق ينافيها وينافيانه. وقال السيوطي: ليس المراد أن واحدة منها قد تحصل في المنافق دون الأخرى، بل هو تحريض للمؤمن على اتصافه بها معاً والاجتناب عن ضدها، فإن المنافق من يكون عارياً عنها وهذا من باب التغليظ اهـ.

قال العراقي: أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة، وقال: حديث غريب اهـ.

قلت: قال الترمذي: حدثنا أبو كريب، حدثنا خلف بن أيوب، عن عوف، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فذكره، ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث عوف إلا من هذا الشيخ خلف بن أيوب العامري، ولم أر أحداً يروي عنه غير أبي كريب محمد بن العلاء، ولا أدري كيف هو اهـ. ولذلك قال غير واحد: إن إسناده ضعيف، وأخرجه ابن المبارك في الزهد من رواية محمد بن حمزة بن عبدالله بن سلام مرسلاً ولفظه لا يكونان كما في سياق المصنف. **(وسيأتي بيان معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن تكون الآخرة عنده خيراً من الدنيا، وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت تبرأ بها من النفاق والرياء)** .

وغلبت عليه برىء بها من النفاق والرياء. وقال ﷺ: «أفضل الناس المؤمن العالم الذي إن أحتيج إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه». وقال ﷺ: «الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم». وقال ﷺ: «أقرب الناس من درجة النبوّة أهل العلم والجهاد. أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد

السادس: (وقال ﷺ: الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم). أخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور، عن أبي الدرداء بإسناد ضعيف قاله العراقي.

قلت: هو في كتاب القوت لأبي طالب، عن وهب بن منبه قال: وقد أسنده حمزة الخراساني، عن الثوري فرفعه إلى عبيد الله، عن النبي ﷺ. قال: وقد رويناه أيضاً مسنداً اهـ.

وأورده الراغب في الذريعة من غير إسناد، وكذا عبدالرحمن بن عبد السلام الصفوري في كتابه نزهة المجالس عن وهب هكذا. إلا أنه ذكر بدل الجملة الثالثة «ورأس ماله الفقه». قلت: وحمزة الخراساني الذي روى عن الثوري إن كان هو حمزة بن بهرام، فقد قال الذهبي في ذيل الديوان أنه مجهول لا يعرف، ثم رأيت الشهاب الأبوصيري أورد في كتابه إتحاف المهرة عن مسدد في مسنده، حدثنا يحي عن سفيان، حدثنا عبد العزيز بن ربيع، سمعت وهب بن منبه يقول: «الإيمان عريان ولباسه التقوى».

السابع: (وقال ﷺ: «أفضل الناس المؤمن العالم الذي إن احتيج إليه نفع وإن استغني عنه أغنى نفسه»). أخرجه البيهقي في شعب الإيمان موقوفاً على أبي الدرداء بإسناد ضعيف، ولم أره مرفوعاً قاله العراقي. وفي القوت: إنما العالم عندهم الغني بعلمه لا بعلم غيره، وكان الفقيه فيهم هو الفقيه بفقه علم وقلبه لا يحدث سواه، كما جاء في الأثر: أي الناس أغنى؟ قال: العالم الغني بعلمه إن احتيج إليه نفع وإلا اكتفى عن الناس بعلمه، لأن كل عالم بعلم غيره فإنما صار عالماً بمجموعه فمجموعه هم العلماء، وكل فاضل بوصف سواه فموصوفه هم الفضلاء، فإذا تركهم وانفرد سكت، فلم يرجع إلى علم لنفسه يختص به، فصار في الحقيقة موصوفاً بالجهل واصفاً لطريق أهل الفضل موسوماً بعلم السمع والنقل ولا حال له ولا مقام اهـ. وفي معناه ما أخرجه الخطيب في تاريخه، عن عبدالله بن عمر، أفضل المؤمنين إيماناً الذي إذا سئل أعطى وإذا لم يعط استغنى وسنده ضعيف أيضاً، وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية محمد بن قدامة قال: وسمعت سفيان بن عيينة يقول، قال لقمان: خير الناس الحي العي قيل العي من المال قال الذي إذا احتيج اليه نفع وإذا استغنى عنه قنع. قيل: فمن شر الناس؟ قال: من لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً.

الثامن: (وقال ﷺ: أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد، أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما

فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل ». وقال ﷺ : « لموت قبيلة أيسر من موت عالم ».

وقال عليه الصلاة والسلام : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا » ، وقال ﷺ : « يوزن يوم القيامة مداد العلماء

جاءت به الرسل) . أخرجه أبو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف قاله العراقي ، وأورده صاحب القوت فقال : وقد روينا عن عبدالرحمن بن غنم ، عن معاذ بن جبل رفعه فذكره . ويروى : أن أقرب الناس ، ثم قال : ألا تراه كيف جعل العلم دالاً على الله تعالى كالجهاد ؟ أخرجه ابن القيم هكذا ، فجعله من قول إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة .

التاسع : (وقال ﷺ : لموت قبيلة أيسر من موت عالم) . أخرجه الطبراني ، وابن عبد البر من حديث أبي الدرداء ، وأصل الحديث عند أبي داود قاله العراقي .

قلت : الذي رواه الطبراني عن أبي الدرداء ورفعه : موت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد ، وموت قبيلة أيسر من موت عالم وهو نجم طمس ، أورده السخاوي في المقاصد وله شواهد . منها : ما أورده الزبير بن بكار في الوقفيات ، عن محمد بن سلام الجمحي ، عن علي بن أبي طالب من قوله : إذا مات العالم أثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة وهو معضل ، وأخرج أبو بكر بن لال في فوائده من حديث جابر مرفوعاً : موت العالم ثلمة في الاسلام لا تسد ما اختلف الليل والنهار . وأخرج الديلي عن ابن عمر : ما قبض الله عالماً إلا كان ثغرة في الاسلام لا تسد ، وللبيهقي من حديث معروف بن خربوذ عن أبي جعفر أنه قال : موت عالم أحب إلى إبليس من موت سبعين عابداً ، وأخرج الحاكم من حديث عطاء ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ننقصها من أطرافها﴾ [الرعد : ٤١] قال بموت علمائها وفقهائها اهـ .

قلت : وأخرج أبو يعلي في مسنده من طريق عثمان بن أعين ، عن أبي الدرداء بمثل ما قدمناه عن الطبراني وفيه زيادة ، ولكن في الإسناد رجل لم يسم .

العاشر : (وقال عليه الصلاة والسلام : الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) متفق عليه من حديث أبي هريرة قاله العراقي .

قلت زاد مسلم : « والأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » . وأخرجه العسكري من حديث قيس بن الربيع ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رفعه : « الناس معادن كمعادن الذهب والفضة » . قال السخاوي في المقاصد : ولأبي هريرة في المرفوع حديث آخر لفظه « الناس معادن في الخير والشر خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فقهوا » أخرجه الطيالسي ، وابن منيع ، والحرث بن أبي أسامة ، وغيرهم كالبيهقي من حديث ابن عون ، عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة وأصله في الصحيح ، وللديلمي عن ابن عباس مرفوعاً « الناس معادن والعرق دساس » اهـ .

بدم الشهداء »، وقال ﷺ : « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنّة حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة ». وقال ﷺ : « من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله عز وجل يوم القيامة فقيهاً عالماً ».

وأخرجه البيهقي أيضاً عن ابن عباس وفيه: وأدب السوء كعرق السوء، وفقهوا بكسر **القاف وبضمها يقال** : فقه كعلم زنة ومعنى وككرم صار فقيهاً، وسيأتي الزيادة لبيانه في أوّل الباب السادس.

الحادي عشر : (وقال ﷺ يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء) أخرجه ابن عبد البر من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف قاله العراقي.

قلت: وأخرجه الشيرازي في الألقاب من طريق أنس بزيادة فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء، وأخرجه الذهبي في فضل العلم عن عمران بن حصين، وابن الجوزي في العلل عن النعمان ابن بشير، والديلمي عن ابن عمر. قال ابن الجوزي حديث لا يصح، وهرون بن عنتر أحد رجاله. قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به يروي المناكير، ويعقوب القمي ضعيف، وفي الميزان متنه موضوع. وهذا الحديث مما احتج به على فضل العالم على الشهيد. وقال ابن الزملكاني: والإنصاف أن ما ورد للشهيد من الخصائص وصح فيه من رفع العذاب وغفران النقائص لم يرد مثله للعالم لمجرد علمه، ولا يمكن أحداً أن يقطع به في حكمه، وقد يكون لمن هو أعلى درجة ما هو أفضل من ذلك، وينبغي أن يتعين حال العالم وثمرة علمه وما زاد عليه، وحال الشهيد وثمرة شهادته وما أحدث عليه فيقع التفضيل بحسب الأعمال والفوائد، فكم من شاهد أو عالم هوّن أهوالاً وفرج شدائد ، وعلى هذا فيتجه أن الشهيد الواحد أفضل من جماعة من العلماء، والعالم الواحد أفضل من كثير من الشهداء كل بحسب حاله. وما ترتب على علومه وأعماله. وسيأتي الكلام على هذا الحديث قريباً.

الثاني عشر: (وقال عليه الصلاة والسلام: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً حتى يؤديها إليهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة). أخرجه ابن عبد البر في العلم من حديث ابن عمر وضعفه قاله العراقي.

قلت: وأخرج ابن النجار في تاريخه، عن أبي سعيد الخدري: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من سنتي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي وهو شاهد قوي لحديث ابن عمر، إلا أن إسناده ضعيف كذلك، والمراد بالحفظ النقل إليهم بطريق التخريج والإسناد صحاحاً كن أو حساناً قيل أو ضعافاً يعمل بها في فضائل الأعمال، وخص الأربعين لأنها أقل عدد له ربع عشر صحيح وحفظ الحديث مطلقاً فرض كفاية نقله المناوي، وأخرج ابن عدي في الكامل، عن ابن عباس، من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة، وهو أيضاً شاهد لما في الباب وسنده ضعيف كذلك.

....

الثالث عشر: (وقال عليه السلام: من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله يوم القيامة فقيهاً عالماً). أخرجه ابن عبد البر من رواية بقية، عن المعلّى، عن السدي، عن أنس وضعفه قاله العراقي.

قلت: وأخرجه ابن عدي في الكامل من هذا الطريق أيضاً. وقال السخاوي في المقاصد: أخرج أبو نعيم في الحلية، عن ابن مسعود، وابن عباس: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً بعث يوم القيامة فقيهاً. قال: وفي الباب عن أنس ومعاذ وأبي هريرة وآخرين أخرجها ابن الجوزي في العلل المتناهية. قال النووي طرقه كلها ضعيفة وليس بثابت، وكذا قال شيخنا جمعت طرقه في جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة. قال البيهقي في الشعب عقيب حديث أبي الدرداء منها هذا متن مشهور بين الناس وليس له إسناد صحيح اهـ.

وقرأت في كتاب الأربعين البلدانية للحافظ أبي طاهر السلفي ما نصه: فإن نفراً من العلماء لما رأوا ورووا قول أطهر منسل وأظهر مرسل من حفظ على أمتي أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة فقيهاً من طرق وثقوا بها وعولوا عليها وعرفوا صحتها وركنوا إليها، حتى خرج كل منهم لنفسه أربعين حديثاً، حتى قال إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي: اجتمع عندي من الأربعينيات ما ينيف على السبعين، وقد استفتيت شيخنا الإمام أبا الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيا ببغداد سنة خمس وتسعين وأربعمائة أو قبلها أو بعدها بقليل لكلام جرى بين الفقهاء في المدرسة النظامية التي هو مدّرسها اقتضى الاستفتاء ويجد المستفتي فيه الشفاء: ما يقول الإمام وفقه الله تعالى في رجل وصى بثلث ماله للعلماء والفقهاء، هل يدخل كتبة الحديث في هذه الوصية أم لا؟ فكتب بخطه تحت السؤال نعم كيف لا، وقد قال النبي ﷺ: « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً » الحديث.

فقد أخبرنا أبو عبدالله الثقفي، ثم ساق سنده من طريق أبي بكر الآجري؛ حدثنا محمد بن مخلد العطار، حدثنا أبو محمد جعفر بن محمد الخندقي وكان له حفظ، حدثنا محمد بن إبراهيم السائح، حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن أبيه، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء ». ثم ساق حديثاً آخر من طريق ابن أبي الدنيا، حدثنا الفضل بن غانم، حدثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جده، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله فقيهاً وكنت له يوم القيامة شافعاً وشهيداً » قال: هذا ما رواه معاذ وأبو الدرداء.

وقد رواه أبو هريرة بلفظ هو أرجى للراوي من هذا اللفظ، وللحصول على الأجر قبل الحفظ، ثم ساقه من طريق أبي صالح، حدثنا إسحاق بن نجيح، حدثنا عطاء، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « من روى عني أربعين حديثاً جاء في زمرة العلماء يوم القيامة » قال: ومن

....

أحسن ما يذكر هنا وأغربه ما كتب إلي أبو الفتيان الدهستاني الحافظ من خراسان، ثم ساقه من طريق محمد بن أيوب الهنائي، حدثنا حميد بن أبي حميد، عن عبدالرحمن بن دلهم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من حفظ على أمتي حديثاً واحداً كان له أجر أحد وسبعين نبياً صديقاً». قال أبو الفتيان كتب عندي هذا الحديث الحافظ أبو بكر البغدادي الخطيب بصور، وقد روى هذا الحديث غير النسائي، عن حميد فقال: أجر اثنين وسبعين، ثم ساقه من طريق محمد ابن موسى، حدثنا حميد ولفظه: من حفظ على أمتي حديثاً واحداً من أمر دينهم أعطاه الله عز وجل أجر اثنين وسبعين صديقاً، ثم ساق من طريق الثوري، عن ليث، عن طاوس، عن ابن عباس رفعه: من أدى إلى أمتي حديثاً واحداً يقيم به سنّة ويرد به بدعة فله الجنة انتهى كلام السلفي.

وهذا الحديث الأخير قد أخرجه أبو نعيم في الحلية، وفي سنده كذاب، وقرأت في آخر كتاب الأربعين المتباينة الاسناد للحافظ ابن حجر، وقد ذكر كلام السلفي من أوّله، وساق الحديث من طريق أبي الدرداء الذي ذكرناه، وقال: هذا حديث مشهور له طرق كثيرة وهو غريب من هذا الوجه تفرّد به عبد الملك بن هارون. أخرجه ابن حبان في كتاب الضعفاء له من طريق عبد الملك هذا، واتهمه به وقال: لا يحل كتب حديثه إلا للاعتبار وضعفه غيره، وباقي رجاله ثقات، ولم يخرج هذا المتن أحد من الأئمة في الأمهات المشهورة لا المخرجة على الأبواب، ولا المرتبة على المسانيد إلا ان أبا يعلى رواه في مسنده عن عمرو بن الحصين العقيلي، عن محمد بن عبدالله بن علاثة، عن خصيف عن مجاهد، عن أبي هريرة. وخصيف وابن علاثة صدوقان ليس فيهما مقال والآفة فيه من عمرو بن الحصين، فقد كذبه أحمد وابن معين وغيرهما. ورواه الحسن ابن سفيان في أربعيه، عن علي بن حجر، عن إسحاق بن نجيح، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس به. ورجاله ثقات إلا إسحاق فقد اتهمه بالوضع ابن معين وابن أبي شيبة والفلاس وغيرهم، ولكن تابعه عليه عن ابن جريج جماعة منهم حميد بن مدرك، وخالد بن يزيد العمري، وأبو البحتري وهب بن وهب القاضي. وروي عن بقية بن الوليد ومعمر أيضاً. فأما رواية حميد بن مدرك فاخرجها الحافظ أبو بكر بن الجوزي في أربعيه وحميد مجهول، وأما رواية خالد بن يزيد فرواها ابن عدي في الكامل في ترجمته وضعفه واتهمه جماعة، وأما رواية أبي البحتري فرواها ابن عدي أيضاً في الكامل في ترجمته بابدال ابن عباس بأبي هريرة، وأبو البحتري أجمعوا على تكذيبه، وأما رواية بقية بن الوليد فرواها مظفر بن الياس السعدي في أربعيه من طريقه وبقية صدوق مشهور بالتدليس عن الضعفاء، فإن كان محفوظاً عنه فكأنه سمعه من إنسان ضعيف عن ابن جريج فاسقط الضعيف ودلسه، وأما رواية معمر فرويناها في الأربعين للإمام أبي المعالي إسماعيل بن الحسن الحسيني قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد الغزي المعروف بابن بشت، عن عبد المؤمن بن خلف النسفي الحافظ، عن إسحاق بن ابراهيم، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن جريج وابن بشت تكلموا في صحة سماعه عن عبد المؤمن بن خلف. وذكر

....

الحافظ أبو صالح المؤذن إنه سقط اسم شيخه الذي حدثه عن عبد المؤمن بن خلف على كاتب الطبقة.

قلت: الذي عندي في هذا أنه دخل عليه إسناد في إسناد وإلاَّ فمعمر غير معروف بالرواية عن ابن جريج، وعبد الرزاق معروف بالرواية عنهما جميعاً، وللحديث طرق غيره هذه.

منها: ما أخرجه الجوزي من طريق زيد بن الحريش، عن عبدالله بن خراش، عن عمه العوّام بن حوشب، عن إبراهيم التيمي، عن أنس بن مالك به. وعبدالله بن خراش وزيد بن الحريش ذكرهما ابن حبان في كتاب الثقات وقال في كل منهما ربما أخطأ.

قلت: أخطأ ابن حبان في توثيق عبد الله بن خراش، فقد اتفق الأئمة على تضعيفه واتهمه بعضهم.

ومنها: ما رواه أبو ذر الهروي في كتاب الجامع له، عن شافع بن محمد بن أبي عوانة، عن يعقوب بن إسحاق العسقلاني، عن حميد بن زنجويه، عن يحي بن عبيدالله بن بكير، عن مالك، عن نافع عن ابن عمر. قال ابن عبد البر: من روى هذا عن مالك فقد أخطأ عليه وأضاف ما ليس من روايته إليه. **قلت:** ليس في رواته من ينظر في حاله إلا يعقوب بن إسحاق فقد ذكر مسلمة عن القاسم أنه لقيه والناس يختلفون فيه، فبعضهم يوثقه، وبعضهم يضعفه، والظاهر أنه دخل عليه حديث في حديث.

ومنها: ما أخرجه الحافظ أبو بكر الآجري في كتاب الأربعين له، عن محمد بن مخلد، عن جعفر بن محمد الخندقي، عن محمد بن إبراهيم السائح، عن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن أبيه، عن عطاء، عن ابن عباس، عن معاذ بن جبل، وليس في رواته من ينظر في حاله إلا السائح فإنه غير معروف، وعندي أن هذه الطريق أجود طرق هذا المتن مع ضعفها.

وروي أيضاً من طرق ضعيفة عن علي بن أبي طالب، وسلمان، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأبي سعيد الخدري، وأبي أمامة الباهلي، وجابر بن سمرة، وجابر بن عبدالله، وثويرة. ولا يصح منها شيء. قال أبو علي سعيد بن السكن الحافظ: ليس يروى هذا الحديث عن النبي ﷺ من طريق يثبت. وقال الدارقطني: لا يثبت من طرقه شيء. وقال البيهقي: أسانيده كلها ضعيفة. وقال ابن عساكر أسانيده كلها فيها مقال ليس للصحيح فيها مجال. وقال عبد القادر الرهاوي: طرقه كلها ضعاف إذ لا يخلو طريق منها أن يكون فيها مجهول التصرف أو معروف مضعف. وقال الحافظان رشيد الله بن العطار وزكي الدين المنذري نحو ذلك، فاتفاق هؤلاء الائمة على تضعيفه أولى من إشارة السلفي إلى صحته. قال المنذري لعل السلفي كان يرى أن مطلق الأحاديث الضعيفة إذا انضم بعضها إلى بعض أجدى قوة.

قلت: لكن تلك القوة لا تخرج هذا الحديث من مرتبة الضعف، فالضعف يتفاوت، فإذا

وقال ﷺ: «مَن تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهمه ورزقه من حيث لا يحتسب».

كثرت طرق حديث رجحت على حديث فرد فيكون الضعيف الذي ضعفه ناشيء عن سوء حفظ رواته إذا كثرت رواته ارتقى الى مرتبة الحسن، والذي ضعفه ناشيء عن تهمة أو جهالة إذا كثرت طرقه ارتقى عن مرتبة المردود، والمنكر الذي لا يجوز العمل به بحال إلى رتبة الضعيف الذي يجوز العمل به في فضائل الأعمال، وعلى ذلك يحمل ما قاله الإمام النووي في خطبة كتاب الأربعين له. وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال وقال: بعد أن ذكر هذا الحديث اتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وان كثرت طرقه اهـ سياق الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وقوله.

قلت: الذي عندي في هذا أنه دخل عليه إسناد في إسناد وإلاَّ فمعمر غير معروف بالرواية الخ وهو كما قال، فقد أخرجه على الصواب أبو إسماعيل الهروي الأنصاري من طريق علي بن الحسين، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أبي غالب عن أبي أمامة كما ستأتي الإشارة إليه، وقوله: إلا السائح فإنه غير معروف.

قلت: فقد ذكره ابن قطلوبغا في أمالي المسانيد فقال فيه. قال ابن عدي: عامة أحاديثه غير محفوظة. وقال الدارقطني: كذاب. وقال أبو نعيم: روى موضوعات، وقوله: وروى أيضاً من طرق ضعيفة عن علي بن أبي طالب الخ.

قلت: أما حديث علي فقد أخرجه الإمام أبو سعد إسماعيل بن أبي صالح الحافظ، والإمام أبو بكر البيهقي بسندهما إلى أبي القاسم عبدالله بن أحمد بن عامر الطائي، حدثنا أبي، حدثنا علي بن موسى الرضا، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً ينتفعون بها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً». قال البيهقي: هذا الإسناد من علي بن موسى الخ كالشمس غير أن هذا الطائي لم يثبت عند أهل العلم بالحديث في عدالته ما يوجب قبول خبره، وقد يكون ثقة على حسن الظن والله أعلم.

قلت: وقد رأيت في تاريخ ابن النجار في ترجمة علي بن موسى ذكر أحمد بن عامر ابن سليمان الطائي في جملة الرواة عنه، وساق من طريق ولده أبي القاسم عبدالله بن أحمد عن أبيه هذا قصة، وقد روى عن أبي القاسم هارون الضبي.

وأما حديث أبي أمامة فقد أخرجه أبو إسماعيل الهروي من طريق عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن أبي غالب، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً فيما ينوبهم وينفعهم في أمر دينهم حشره الله في يوم القيامة فقيهاً».

الرابع عشر: (وقال عليه الصلاة والسلام: من تفقه في دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهمه ورزقه من حيث لا يحتسب)، أخرجه الخطيب في التاريخ من حديث عبدالله

....

ابن جزء الزبيدي بإسناد ضعيف قاله العراقي. وقال الحافظ ابن حجر: وفي مسند أبي حنيفة عن أبي حنيفة عن عبدالله بن جزء ولا يصح اهـ.

قلت: أخرجه ابن خسرو في مسنده من طرق. الاولى: فيها مكرم بن أحمد، عن محمد بن سماعة، عن بشر بن الوليد، عن أبي يوسف، عن أبي حنيفة. والثانية: فيها أحمد بن محمد بن الصلت، عن محمد بن أبي شجاع، عن أبي يوسف. والثالثة: فيها أحمد بن محمد الحماني، عن محمد ابن سماعة، وأخرجه ابن المقري في مسنده، وابن عبد البر في العلم من رواية أبي علي عبيدالله بن جعفر الرازي، عن أبيه عن محمد بن سماعة، عن أبي يوسف، وأخرجه الحاكم في تاريخه من طريق إسماعيل بن محمد الضرير، عن أحمد بن الصلت، ثم اتفقوا على أبي يوسف قال: سمعت أبا حنيفة يقول: حججت مع أبي سنة ست وتسعين ولي ستة عشر سنة، فلما دخلت المسجد الحرام رأيت حلقة عظيمة فقلت لأبي: حلقة من هذه؟ قال: حلقة عبدالله بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله ﷺ فتقدمت فسمعته يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تفقه» الحديث. قال ابن قطلوبغا في أماليه: هكذا رأيت الطريق الأولى عند كل هؤلاء المصنفين، وعندي هو أنه مكرم عن أحمد بن محمد عن ابن سماعة، وأحمد بن محمد هذا هو ابن الصلت ويعرف أيضاً بالحماني وبابن المغلس كذاب. وقال ابن عدي: ما رأيت في الكذابين أقل حياء منه. وقال ابن حبان، والدارقطني: كان يضع الحديث، ثم قال: وأما المسند الذي ساقه ابن المقري هكذا رأيته في أصل شيخنا من مسنده، وبين جعفر ومحمد بن سماعة أحمد بن الصلت جاء مصرحاً في رواية الخطيب، ثم نقل عن الذهبي في الميزان، هذا كذاب، فابن جزء مات بمصر ولأبي حنيفة ست سنين. وقال الحافظ ابن حجر في اللسان: وقد وقع لنا هذا الحديث من وجه آخر، ثم ساق سنده قال: وهو باطل أيضاً، وأورده ابن الجوزي في الواهيات، وابن النجار في تاريخه، والسيوطي في موضوعاته. ونقل الكلام في ابن الصلت الذي قدمناه. قال ابن قطلوبغا: وفي مناقب أبي حنيفة للجعابي أن ابن جزء مات سنة ثمان وتسعين على خلاف ما ذكره ابن يونس. قال؛ وأخرج أبو العباس المرهبي في فضل العلم من حديث زياد الصدائي رفعه: من طلب العلم تكفل الله برزقه.

قلت: رويناه في الجزء الثاني من معجم أبي علي الحداد من طريق يونس بن عطاء، عن سفيان الثوري، عن أبيه، عن زياد الصدائي، وقال ابن خسرو بعد ذكر الحديث المتقدم، وأنشد أبو حنيفة من قوله:

مــــن طلـــب العلم للمعــــاد ... فـــاز بفضـــل مـــن الرشـــاد
وبـــالخسران مـــــن أتــــــاه ... لنيـــل فضـــل مـــن العبـــادِ

قلت: وأخرج البيهقي في الشعب، عن ابن مسعود رفعه: من جعل الهم هماً واحداً هم آخرته كفاه الله عز وجل ما همه من أمر دنياه، وأخرجه الرافعي من طريق أبي يوسف، عن أبي حنيفة. نبه عليه السيوطي في الجامع الكبير، وهو عادل شاهد لحديث ابن جزء والله أعلم.

وقال ﷺ: « أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم ». وقال ﷺ: « العالم أمين الله سبحانه في الأرض »، وقال ﷺ: « صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس إذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء »، وقال عليه

الخامس عشر: (وقال ﷺ: أوحى الله عز وجل إلى نبيه إبراهيم يا إبراهيم إني عليم أحب كل عليم) ذكره ابن عبد البر تعليقاً، ولم أظفر له بإسناد قاله العراقي.

قلت: العالم والعليم في وصفه تعالى هو الذي لا يخفى عليه شيء، إلا أن في العليم مبالغة، وبه فسر قوله تعالى: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ [يوسف: ٧٦] إذ فسر بعضهم أن المراد بالعليم هنا هو الله تعالى، وإن كان لفظه منكراً إذ الموصوف بالعليم في الحقيقة هو الله تعالى، وهناك في الآية وجه آخر ذكره الراغب والسمين.

السادس عشر: (وقال عليه الصلاة والسلام: العالم أمين الله سبحانه في الأرض). أخرجه ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف قاله العراقي.

قلت: رواه من رواية عيسى بن إبراهيم الهاشمي، حدثنا الحكم بن عبدالله، حدثنا عبادة بن نسي، عن عبدالرحمن بن علم، عن معاذ مرفوعاً. وعيسى بن إبراهيم منكر الحديث. قاله البخاري والنسائي، وأورده الجلال في جامعه هكذا، والفارقي في شرح عين العلم أيضاً. ومن شواهده ما أخرجه القضاعي، وابن عساكر، عن أنس: العلماء أمناء الله على خلقه، وأخرج الحسن بن سفيان، والعقيلي عن أنس أيضاً: العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا، وأخرج الديلمي في مسند الفردوس، عن عثمان بن عفان: العلماء أمناء أمتي، وأخرج العسكري، عن علي: الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا ويتبعوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم، والأمين في اللغة هو الثقة المرضي عند الله والناس.

السابع عشر: (وقال عليه الصلاة والسلام: صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء) أخرجه ابن عبد البر، وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف قاله العراقي.

قلت: روياه من رواية محمد بن زياد، عن ميمون بن مهران، عن ابن عباس، ولفظ أبي نعيم في الحلية: صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس العلماء والأمراء، وأخرجه الديلمي أيضاً في الفردوس، عن ابن عباس بهذا اللفظ، ومحمد بن زياد هذا كذبه الإمام أحمد والفلاس وفي هذا المعنى قال ابن المبارك:

وهل أفسد الدين إلا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها

الثامن عشر: (وقال عليه الصلاة والسلام: إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني

السلام: « إذا أتي عليّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله عز وجل فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم ».

وقال ﷺ في تفضيل العلم على العبادة والشهادة: « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي ». فانظر كيف جعل العلم مقارناً لدرجة النبوّة، وكيف

إلى الله عز وجل فلا بورك لي في ذلك اليوم). أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية، وابن عبد البر في العلم من رواية الحكم بن عبدالله، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة بسند ضعيف قاله العراقي.

قلت: وأخرجه أيضاً ابن عدي في الكامل من هذا الوجه، ولكن لفظهم كلهم: فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم كذا نص الجلال في جامعه، وقال العراقي: الحكم بن عبدالله الديلي متروك كذاب، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وحكي عن الصوري قال: هذا حديث منكر لا أصل له عن الزهري، ولا يصح عن رسول الله ﷺ، ولا أعلم أحداً حدث به غير الحكم اهـ.

قال المناوي: وهو معلول من طرقه كلها، بل فيه موضوع قال وقوله: علماً أي طائفة من العلم والتنكير للتفخيم، وقوله: فلا بورك الخ دعاء أو خبر، وذلك لأنه كان دائم الترقي في كل لمحة، فالعلم كالعدالة ومقصوده تبعيد نفسه من ذلك، وبيان أن عدم الازدياد ما وقع قط ولا يقع أبداً لما ذكر. قال بعض العارفين: وأراد بالعلم هنا علم التوحيد لا الأحكام فإن الأحكام زيادة تكاليف على الأمة، وقد بعث ﷺ رحمة للعالمين، وقال بعضهم: أراد بذلك أن العارف دائم التطلع إلى مواهب الحق فلا يقنع بما هو فيه، وقد يكون دائم الطلب قارعاً باب النفحات راجياً حصول المزيد ومواهبه تعالى لا تحصى ولا نهاية لها، وهي متعلقة بكلماته التي ينفد البحر دون نفادها وتنفد الرمال دون اعدادها اهـ.

قلت: ويشهد لهذا الحديث ما أخرجه الديلمي في الفردوس عن علي مرفوعاً بسند ضعيف: من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شراً فهو ملعون، ومن لم يكن على الزيادة فهو في النقصان.

التاسع عشر: (وقال عليه الصلاة والسلام: فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي). أخرجه الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن صحيح قاله العراقي.

قلت الذي عزاه الجلال في جامعه للترمذي لفظه: كفضلي على أدناكم، ومثله للدارمي، لكن عزاه كالترمذي أيضاً لأبي الدرداء، وعند الجلال في رواية الترمذي في الأوّل زيادة ان الله عز وجل وملائكته وأهل السموات والارضين حتى النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلوّن على معلم الناس الخير، ومن شواهده ما أخرجه الحرث بن أبي أسامة، عن أبي سعيد الخدري: « فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي وهكذا أخرجه ابن عبد البر أيضاً وفيه زيد العمى مختلف فيه، ورواه

....

أبو طاهر السلفي من رواية مسلمة بن رجاء، حدثنا جميل الدمشقي، عن القاسم، عن أبي هريرة لفظه: كفضلي عليكم. والمعروف رواية سلمة، عن رجاء، عن الوليد، عن جميل، عن القاسم، عن أبي أمامة كما عند الترمذي، وأخرج الخطيب في تاريخه، عن أنس: فضل العالم على غيره كفضل النبي على أمته، وأخرج البزار في مسنده والطبراني في الأوسط، عن حذيفة بن اليمان بإسناد حسن، والحاكم عن سعد بن أبي وقاص: «فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة وخير دينكم الورع» رواه الترمذي في العلل عن حذيفة، ثم ذكر انه سأل عنه البخاري فلم يجده محفوظاً، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال: لا يصح. قال المناوي: في تفسير الحديث الذي صدره الشيخ ما نصه: أي نسبة شرف العالم إلى نسبة شرف العابد كنسبة شرف الرسول إلى أدنى شرف الصحابة، فإن المخاطبين بقوله: أدناكم الصحب وقد شبهوا بالنجوم في حديث آخر، وهذا التشبيه ينبه على أنه لا بد للعالم من العبادة، وللعابد من العلم، لان تشبيهها بالمصطفى وبالعلم يستدعي المشاركة فيما فضلوا به من العلم والعمل، كيف لا، والعلم مقدمة للعمل وصحة العمل متوقفة عليه ذكره الطيبي. وقال الذهبي: إنما كان العلم أفضل لأن العالم إذا لم يكن عابداً فعلمه وبال عليه، وأما العابد بغير فقه فمع نقصه هو أفضل بكثير من فقيه بلا تعبد كفقيه همته في الشغل بالرئاسة اهـ. ولتفضيل العلم على العبادة بحيث سيأتي في كلام المصنف ونشرحه هناك، وقال السيوطي عن ابن الزملكاني في كتابه (**تحقيق الأولى في أهل الرفيق الأعلى**) اعلم أن التفضيل تارة يكون بين الصفتين وتارة يكون بين المتصفين، ثم التفضيل بين المتصفين قد يراد به الأكثر منهما ثواباً وقد يراد به الاقرب إلى الله تعالى، وفي كلام كثير من العلماء الإشارة إلى أن الفضيلة تكون بكثرة الثواب، وهذا يحتاج إلى تفصيل، لأنه ان أريد بكثرة الثواب ما يعطيه الله للعبد في الآخرة من درجات الجنة ولذاتها ونعيمها الجسماني، فللمنع في ذلك مجال وإن أريد به مقامات القرب ولذة المشاهدة والمعارف الإلهية التي تحصل عند كشف الغطاء، فهو من القول الآخر والأقرب أن يقال أن الثوابين متلازمان، فمن كان أرفع في أحدهما فهو أرفع في الآخر، وفي ذلك نظر للمتأمل، ثم قال: والإنصاف أن المفاضلة تارة تكون بكثرة الثواب، وتارة بحسب مقاماتها، وتارة بحسب الوصفين بالنظر إليهما، وتارة بحسب ثمرتها، وقد تكون بأمر عرضي، وأما المفاضلة بين الذاتين فقد تكون لأمر يرجع إلى الجنسين، وقد تكون لأمر يرجع إلى التفضيل بالأوصاف، ثم قال: واعلم أن فضيلة العمل على العمل، أو الوصف على الوصف، أو الشخص على الشخص من الأمور الدقيقة التي لا يسع الإنسان الكلام فيها من قبل نفسه، ولا ينبغي لأحد أن يحكم بتفضيل شخص على شخص، ولا نوع على نوع إلا بتوقيف ممن له التفضيل، أو بدليل يستدل به من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، أو اجماع الأمة، ثم قال: والدرجات تتفاوت تارة بحسب تفاوت الأعمال، وتارة بحسب رتب الأعمال، وتارة بحسب خصوصية عمل خاص ووقت خاص، فإذا حاولنا الكلام في تفضيل مرتبة على مرتبة، أو عمل على عمل، فلا بدّ من ملاحظة ذلك فيما لم يكن فيه نص بتفضيل، فيحتاج إلى الاجتهاد في جهات الترجيح، وأما ما ورد النص

حط رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة؟ وقال ﷺ: « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » وقال ﷺ: « يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم

بكونه أفضل من شيء آخر من غير معارض، فلا معدل على المنصوص عليه، ولا حاكم سوى شريعة الله المأخوذة عن رسول الله ﷺ اهـ وهو نفيس فاعرفه. (**فانظر كيف جعل العلم مقارناً لدرجة النبوّة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم، وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة**).

العشرون: (وقال عليه الصلاة والسلام: فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب). أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان وهو قطعة من حديث أبي الدرداء المتقدم قاله العراقي، وقال السخاوي في المقاصد: روي عن أبي الدرداء مرفوعاً عند أصحاب السنن الأربعة، وعن عبدالله بن عمر. وفي الترغيب للاصبهاني بهذا اللفظ، وعن عبدالرحمن بن عوف نحوه أخرجه أبو يعلى اهـ.

قلت: وفي مسند أبي يعلى أيضاً من رواية عثمان بن أعين، عن أبي الدرداء ولفظه: « للعالم من الفضل على العابد وفيه على أصغر كوكب في السماء ». وأخرجه أبو نعيم في الحلية، عن معاذ كذا في الجامع للجلال، وهو من رواية عثمان بن عطاء الخراساني، عن أبيه، عن معاذ، وكذا أحمد في مسنده، والدارمي، وفيه زيادة « وإن العلماء ورثة الأنبياء » وبه تعلم قصور الجلال حيث اقتصر على عزوه لأبي نعيم فقط. قال البيضاوي: العبادة كمال ونور ملازم ذات العابد لا يتخطاه، فشابه نور الكواكب والعلم كمال يوجب للعالم في نفسه شرفاً وفضلاً ويتعدى منه إلى غيره فيستضيء بنوره ويكمل بواسطته، لكنه كمال ليس للعالم في ذاته، بل نور يتلقاه من المصطفى ﷺ، فلذلك شبه بالقمر. قال الطيبي: ولا تظنن أن العالم المفضل عار عن العمل، ولا العابد عن العلم، بل ان علم ذلك غالب على عمله، وعمل هذا غالب على علمه، ولذلك جعل العلماء ورثة الأنبياء الذين فازوا بالحسنيين العلم والعَمل، وحازوا الفضيلتين الكمال والتكميل، وإذا عرفت ذلك ظهر لك سر قول المصنف فيما قبل، وقال ابن الملقن فيه: إن نور العلم يزيد على نور العبادة كما مثله بالقمر بالنسبة لسائر الكواكب اهـ. ثم إن المراد في هذه الاخبار بالعالم من صرف نفسه للتعليم والإرشاد والتصنيف، وبالعابد من انقطع للعبادة تاركاً ذلك وان كان عالماً فتأمل.

الحادي والعشرون: (وقال ﷺ: يشفع يوم القيامة ثلاثة. الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء) أخرجه ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان بإسناد ضعيف قاله العراقي.

قلت: أخرجه من طريق عنبسة بن عبدالرحمن القرشي، عن علاق بن أبي مسلم، عن أبان، عن عثمان وقد رمز لحسنه وهو عليه رد، فقد أعله ابن عدي والعقيلي بعنبسة، ونقلا عن البخاري انهم تركوه، ومن ثم جزم العراقي بضعف الخبر قاله المناوي.

الشهداء » فأعظم بمرتبة هي تلو النبوّة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة. وقال ﷺ: « ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من فقه في دين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه ».

قلت: عنبسة هذا هو ابن عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص الأموي روى عنه إسحاق بن أبي إسرائيل، وعبد الواحد بن غياث وجمع، وهو من رجال الترمذي والنسائي وابن ماجه، قال الذهبي في الديوان: متروك متهم، وعلاق ضعفه الازدي ولم يرو عنه غير عنبسة، وبه تعلم أن قول العزيزي شارح الجامع انه حسن محل تأمل، وأورده صاحب القوت من غير عزو وليس فيه لفظ ثلاثة، ثم قال بعد ذلك: فقدم العلماء على الشهداء لأن العالم إمام أمة فله مثل أجور أمته والشهيد عمله لنفسه اهـ.

قال القرطبي: فأعظم منزلة هي بين النبوّة والشهادة بشهادة المصطفى ﷺ، ولما كان العلماء يحسنون إلى الناس بعلمهم الذي أفنوا فيه نفائس أوقاتهم أكرمهم الله تعالى بولاية مقام الإحسان إليهم في الآخرة بالشفاعة فيهم جزاء وفاقاً، وقد أخذ بقضية هذا الخبر جمع، فصرحوا بأن العلم أفضل من القتل في سبيل الله، لأن المجاهد وكل عامل إنما يتلقى عمله من العالم فهو أصله وأسه، وعكس آخرون، وقد رويت أحاديث من الجانبين وفيها ما يدل للفريقين. وقال ابن الزملكاني: وعندي أنه يجب التفصيل في التفضيل، وإن حمل على بعض الأحوال أو بعض الأشخاص كل بدليل (**فأعظم بمرتبة هي تتلو النبوّة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة**).

الثاني والعشرون: (وقال ﷺ ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من فقه في دين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد وعماد الدين الفقه). أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو بكر الآجري في فضل العلم، وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف، وعند الترمذي، وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف. « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » قاله العراقي.

قلت: كل جملة من الثلاثة حديث مستقل.

أما الأولى: منها فقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان من رواية عيسى بن زياد الدورقي، حدثنا مسلمة بن ثقب، عن نافع، عن ابن عمر رفعه « ما عبدالله بشيء أفضل من فقه في دين » وقال تفرد به عيسى بن زياد بهذا الإسناد. قال، وروي من وجه آخر ضعيف، والمحفوظ هذا اللفظ من قول الزهري، وفي بعض رواياته: ما عبد الله بأفضل، وأما قول الزهري فقد أخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية هشام بن يوسف، حدثنا معمر، عن الزهري قال: « ما عبد الله بشيء أفضل من العلم ».

وأما الثانية: فقد أخرجه الترمذي، وابن ماجه، عن ابن عباس كما قاله العراقي، ولفظ ابن

....

ماجه: فقيه واحد من غير لام. ولفظ الترمذي: فقيه أشد من غير ذكر واحد، أما الترمذي فأخرجه في كتاب العلم، وابن ماجه في كتاب السنة من سننها، وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. أي: من رواية الوليد بن مسلم، عن روح بن جناح، عن مجاهد، عن ابن عباس. وأورده ابن الجوزي في العلل وقال: لا يصح والمتهم به روح بن جناح. قال أبو حاتم: يروي عن الثقات ما لم يسمعه من ليس متبحراً في صناعة الحديث شهد له بالوضع اهـ.

وأورد الحديثين معاً جماعة وهم الثلاثة الذين ذكرهم العراقي آنفاً، والبيهقي في الشعب، والدارقطني في السنن، والقضاعي في مسند الشهاب، وأحمد بن منيع في مسنده كلهم من حديث يزيد بن عياض، عن صفوان بن سليم، عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة مرفوعاً. ويزيد بن عياض قال فيه النسائي: متروك، وقال ابن معين: لا يكتب حديثه، وقال الشيخان: منكر الحديث وقال مالك: هو أكذب من ابن سمعان، وقال العدني في مسنده: حدثنا يوسف بن خالد البصري، عن مسلم بن قضب، عن نافع عن ابن عمر رفعه: « ما عبد الله بشيء أفضل من تفقه في دين » وفي المقاصد قال الطبراني: لم يروه عن صفوان إلا يزيد وسنده ضعيف، وللعسكري من حديث الوليد بن مسلم، حدثنا راشد بن جناح، عن مجاهد، عن ابن عباس رفعه « الفقيه الواحد أشد على إبليس من ألف عابد » ورواه الترمذي وقال: غريب، وابن ماجه والبيهقي ثلاثتهم من جهة الوليد بن مسلم، فقال عن روح بن جناح بدل راشد ولفظه: « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » وسنده ضعيف، لكن يتأكد أحدهما بالآخر، وفي الفردوس للديلمي بلا سند عن ابن مسعود رفعه: « لعالم واحد أشد على إبليس من عشرين عابداً . وفي الباب عن ابن عمرو عند الحكيم الترمذي في التاسع عشر، عن أبي هريرة رفعه « لكل شيء دعامة ودعامة الانسان الفقه في الدين والفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد » رواه البيهقي وقال: تفرد به أبو الربيع السمان، عن أبي الزناد، عن الأعرج عنه به مرفوعاً اهـ.

وروى الخطيب في تاريخه من طريق الأعرج، عن أبي هريرة ولفظه: « إن لكل شيء دعامة ودعامة هذا الدين الفقه» وأخرج أحمد بن منيع في مسنده من طريق زياد بن عياض، عن صفوان بن سليم، عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة رفعه: « لكل شيء عماد وعماد الدين الفقه » وأخرج أبو نعيم في الحلية من هذه الطريق ولفظه: « ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين » قال وقال أبو هريرة: « لئن أتفقه ساعة أحب إلي من أن أحيي ليلة حتى أصبح أصليها، ولفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء دعامة ودعامة الدين الفقه ».

قال المناوي في شرح الحديث الأول: ما عبد الله بأفضل من فقه في دين أي لأن أداء العبادات يتوقف على معرفة الفقه، إذ الجاهل لا يدري كيف يتقي لا في جانب الأمر ولا في جانب النهي، وبذلك يظهر فضل الفقه وتميزه عن سائر العلوم بكونه أهمها وإن كان غيره أشرف، والمراد بالفقه المتوقف عليه ذلك ما لا رخصة للمكلف في تركه دون ما لا يقع إلا

وقال ﷺ : « خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه ».

نادراً أو نحو ذلك، وذهب بعض الصوفية إلى أن المراد بالفقه هنا المعنى اللغوي فقال: هو الفهم وانكشاف الأمور، والفهم هو العارض الذي يعترض في القلب من النور، فإذا عرض انفتح بصر القلب فرأى صورة الشيء في صدره حسناً كان أو قبيحاً، فالانفتاح هو الفقه والعارض هو الفهم، فإذا فهم سر معاملات الله هانت عليه الكلف وعبد الله بانشراح وانبساط، وذلك أفضل العبادات بلا ريب.

وقال في شرح الحديث الثاني: فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد أي لأن الشيطان كلما فتح باباً على الناس من الهوى بيَّن الفقيه العارف مكائده، فيسد ذلك الباب ويرده خاسئاً، والعابد ربما اشتغل بالعبادة وهو في حبائل الشيطان ولا يدري، وقال الذهبي: هذا الحديث لو صح نص في الفقيه الذي تبصر في العلم، ورقي إلى درجة الاجتهاد، وعمل بعلمه لا كفقيه اشتغل بمحض الدنيا.

الثالث والعشرون: (وقال ﷺ خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه) . أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف، والشطر الأول عند أحمد من حديث محجن بن الأدرع بإسناد جيد، والشطر الثاني عند الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف قاله العراقي.

قلت: أما حديث محجن فقد أخرجه أبو داود والطيالسي في مسنده فقال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن رجاء، عن محجن قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي حتى انتهينا إلى سدة المسجد، فإذا رجل يركع ويسجد ويركع ويسجد فقال لي: « من هذا »؟ فقلت: هذا فلان وجعلت أطريه وأقول له هذا هذا، قال رسول الله ﷺ : « لا تسمعه فتهلكه »، ثم انطلق بي حتى بلغ باب حجرة إحدى نسائه، ثم أرسل يده من بين يدي قال: فقال رسول الله ﷺ « خير دينكم أيسره » قالها ثلاثاً.

وأخرجه مسدد في مسنده فقال: حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا يونس، عن زياد بن مخراق، عن رجل من أسلم قال: كان منا ثلاثة صحبوا النبي ﷺ بريدة ومحجن ومسكبة فقال محجن لبريدة: ألا تصلي كما يصلي مسكبة؟ قال: لا لقد رأيتني؟ أقبلت مع رسول الله ﷺ من أحد نتماشى يدي في يده فرأى رجلاً يصلي فقال « أتراه جداً أتراه صادقاً » فذهبت أثني عليه. قال: فلما دنونا نزع يده من يدي وقال « ويحك اسكت لا تسمعه فتهلكه إن خير دينكم أيسره ».

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده فقال: حدثنا شبابة بن سوار، حدثنا شعبة، عن جعفر بن اياس، عن عبدالله بن شقيق، عن رجاء بن أبي رجاء قال: دخل بريدة المسجد ومحجن على باب المسجد فقال بريدة وكان فيه مزاح: يا محجن ألا تصلي كما يصلي مسكبة؟ فقال: نزل النبي ﷺ من أحد وهو آخذ بيدي، فدخل المسجد فإذا رجل يصلي فقال لي « من هذا » فأثنيت عليه خيراً فقال « اسكت لا تسمعه فتهلكه »، ثم أتى على باب حجرة امرأة من نسائه فقبض يده من يدي ثم قال « إن خير دينكم أيسره إن خير دينكم أيسره » مرتين.

وقال ﷺ: « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة ». وقال ﷺ:

وقد علم مما سقناه أن الحديث يروى من طريق بريدة أيضاً، وقد أخرجه أيضاً من طريق محجن البخاري في الأدب، والطبراني في الكبير، ويروى من طريق عمران بن الحصين. أخرجه الطبراني في الكبير وقال: تفرد به اسماعيل بن يزيد، ومن طريق أنس بن مالك أخرجه الطبراني في الأوسط، وابن عدي في الكامل، والضياء المقدسي في المختارة، فاقتصار العراقي على محجن ومن مخرجيه على أحمد قصور ظاهر، وقول العراقي بإسناد جيد صحيح، فإن رجاله من الطرق التي سقناها ثقات ليس فيهم متهم أو متروك، غير أن في سياق سند مسدد رجلاً من أسلم لم يسم.

ومن شواهده ما أخرجه أحمد بن منيع في مسنده من طريق غاضرة بن عروة الفقيمي عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يا أيها الناس إن دين الله في يسر يا أيها الناس إن دين الله في يسر » وقد رواه الإمام أحمد أيضاً من هذا الطريق، وغاضرة بن عروة، ويقال ابن عمرو الفقيمي ذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن المديني: مجهول.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة من طريق داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس سئل رسول الله ﷺ: أي الأديان أحب عند الله؟ قال « الحنيفية السمحة ». وقد أخرجه أحمد بن حنبل، وعبد بن حميد في مسنديها بهذا الطريق، والسند فيه مقال،وقول العراقي أخرجه ابن عبد البر عن أنس، فقد وافقه على إخراجه ذلك أبو الشيخ في الثواب، والديلمي في الفردوس كلهم من رواية عبد الرحيم بن مطرف، حدثنا أبو عبد الله العذري، عن يونس، عن الزهري، عن أنس ولفظهم: وخير بدل وأفضل، وأبو عبد الله العذري لا يُدرى من هو.

وأما الشطر الثاني: فقد أخرجه الطبراني في الصغير بزيادة « وأفضل الدين الورع » وله شاهد جيد من حديث سعد بن أبي وقاص أخرجه الحاكم في التاريخ، ومن حديث حذيفة أخرجه الطبراني في الأوسط « فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة وخير دينكم الورع » وقد تقدم هذا والكلام عليه، وأخرج الطبراني في الكبير والصغير من رواية محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن الشعبي، عن ابن عمر رفعه « أفضل العبادة الفقه » وأخرج الطبراني أيضاً من رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن بن عوف رفعه: « يسير الفقه خير من كثير العبادة وأفضل أعمالكم الفقه » وفي إسناده خارجة بن مصعب وهو ضعيف جداً.

الرابع والعشرون: (وقال ﷺ: فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة) قال العراقي: أخرجه ابن عدي من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف، ولأبي يعلى نحوه من حديث عبد الرحمن بن عوف اهـ.

قلت: وأخرجه ابن عبد البر من حديث ابن عباس بسند ضعيف، اخرجه من رواية يحي بن بكير، حدثنا يحي بن صالح الأيلي، عن إسماعيل بن أمية عن عبد بن عمير، عن ابن عباس رفعه بلفظ المصنف وزيادة « لفظ المؤمن » إشارة إلى أن الكلام في عالم كامل الإيمان عامل بعلمه، وفي

« إنكم أصبحتم في زمن كثير فقهاؤه قليل قراؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه، العمل فيه خير من العلم. وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل ».

عابد كامل الإيمان عارف بالفروض العينية، وإلاَّ فهو غير عابد، وقول العراقي أخرجه ابن عدي، قد أشار إليه السخاوي في المقاصد، وأغفله الجلال أخرجه في الكامل، ثم البيهقي من طريقه، وابن السني، وأبو نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين كلهم من رواية عمرو بن الحصين، حدثنا ابن علانة، حدثنا خصيف، عن مجاهد، عن أبي هريرة، وفي آخره « الله أعلم ما بين كل درجتين » وأما قوله: ولأبي يعلى نحوه أي في المعنى فقط دون اللفظ كما هو مقتضى قولهم نحوه، وحديثه هذا أي الذي أخرجه أبو يعلى في مسنده قال: حدثنا موسى بن محمد بن حبان، حدثني محمد بن عمرو بن عبدالله، سمعت الخليل بن مرة يحدث عن ميسرة، عن الزهري، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن النبي ﷺ: « فضل العالم على العابد سبعون درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » قال الهيثمي في سياق حديث أبي يعلى الخليل بن مرة. قال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن عدي: هو ممن يكتب حديثه وليس بمتروك.

قلت: هو من رجال الترمذي روى عنه الليث بن سعد جاء تضعيفه عن ابن معين، وفي الكاشف الخليل بن مرة الضبعي نزيل الرقة، عن أبي صالح وعكرمة، وعنه ابن وهب ووكيع، قال أبو حاتم: ليس بقوي كان أحد الصالحين توفى سنة ١١٦ هـ.

وأخرج أبو القاسم الأصبهاني في كتاب الترغيب والترهيب من رواية خارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن عبد الرحمن أظنه ابن رافع عن عبدالله بن عمرو، قال النبي ﷺ فذكره، وفي آخره زيادة « بين كل درجتين حضر الفرس سبعون عاماً » وسيأتي ذكره قريباً.

الخامس والعشرون: (وقال ﷺ: إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل قرّاؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه، العمل فيه خير من العلم، وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه والعلم فيه خير من العمل) . قال العراقي: أخرجه الطبراني من حديث حرام بن حكيم عن عمه، وقيل: عن أبيه وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن عبد البر في كتاب العلم، وأبو نعيم في كتاب رياضة المتعلمين كلهم من رواية صدقة بن عبدالله، عن زيد بن واقد عن حرام بن حكيم، عن عمه، عن رسول الله ﷺ فذكره ابن عبد البر بلفظ المصنف، وفي رواية الآخرين تقديم وتأخير، وصدقة بن عبد الله السمين ضعيف، وحرام بفتح الحاء والراء مختلف فيه، وعمه عبدالله بن سعد هكذا ورد مسمى منسوباً في رواية أبي نعيم.

وفي كتاب العلم لابن خيثمة، حدثنا جرير عن عبدالله بن يزيد، عن سميل بن زياد، عن عبدالله بن مسعود قال: إنكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه وإن بعدكم زمان كثير خطباؤه

وقال ﷺ: « بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة ».

العلماء فيه قليل، قال القاري في شرح عين العلم: المعنى إظهار العمل خير من إظهار العلم لتقتدي الناس، فلا ينافيه ما سبق من الأحاديث الدالة على أفضلية العلم مطلقاً اهـ.

وفي مسند الإمام أحمد من رواية حجاج بن الأسود، سمعت أبا الصديق يحدث ثابتاً، عن رجل، عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال: « إنكم في زمان علماؤه كثير وخطباؤه قليل من ترك فيه عشر ما يعلم هوى » أو قال هلك ». وسيأتي على الناس زمان يقل علماؤه ويكثر خطباؤه من تمسك فيه بعشر ما يعلم نجا » وللحديث المذكور شواهد منها عند الترمذي من حديث أبي هريرة: « إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما أمر به هلك ثم يأتي زمان من عمل منهم عشر ما امر به نجا » وعند الطبراني في الأوسط، والحاكم في التاريخ عن أبي هريرة أيضاً: « سيأتي زمان تكثر فيه القـراء وتقل الفقهاء ويقبض العلم ويكثر الهرج، ثم يأتي بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال من أمتي لا يجاوز تراقيهم، ثم يأتي بعد ذلك زمان يجادل المشرك بالله المؤمن في مثل ما يقول». وأخرج أبو القاسم اللالكائي في سننه من طريق علقمة عن عبدالله قال: كيف أنتم إذا لبستم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير إذا ترك فيها شيء؟ قيل: ترك السنة. قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: ذلك إذا ذهب علماؤكم وكثرت جهالكم وكثرت قراؤكم، وقلّت فقهاؤكم.

السادس والعشرون: (وقال ﷺ: بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة). كذا وقع في الروايات سبعين، والتقدير مقدار سبعين، وفي نسخة العراقي سبعون بالواو، قال العراقي: خرّجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث عبدالله بن عمرو غير أنه قال: سبعون درجة بسند ضعيف، وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: رواه أبو القاسم الأصبهاني في كتاب الترغيب والترهيب من رواية خارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن عبد الرحمن أظنه ابن رافع، عن عبدالله بن عمرو قال؛ قال رسول الله ﷺ: فذكره ولفظه: « فضل العالم على العابد سبعون درجة بين كل درجتين حضر الفرس سبعون عاماً ». وذلك لأن الشيطان يضع البدعة للناس فيتبصر بها العالم فينهي عنها، والعابد مقبل على عبادة ربه لا يتوجه إليها ولا يعرفها، وخارجة ضعيف، وقد تقدم ذلك في الحديث الرابع والعشرين، وقال السخاوي في المقاصد، ولأبي يعلى وابن عدي من رواية عبدالله بن محرز، عن الزهري، عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً بهذا اللفظ: قال وقد ذكـر ابن عبد البر في العلم ان ابن عون رواه عن ابن سيرين عن أبي هريرة فينظر من خرّجه اهـ.

ولفظ العراقي ذكره ابن عبد البر في العلم من غير أن يوصله بالإسناد، وقال: ومن حديث

وقال عليه السلام لما قيل له يا رسول الله: أيّ الأعمال أفضل؟ فقال: «العلم بالله عز وجل» فقيل: أيّ العلم تريد؟ قال ﷺ: «العلم بالله سبحانه» فقيل له: نسأل عن العمل وتجيب عن العلم. فقال ﷺ: «إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله». وقال ﷺ: «يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم

ابن عون، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: فذكره إلا أنه قال درجة موضع سنة، ثم قال: ومن دون ابن عون لا يحتج به اهـ.

وتقدم حديث عبد الرحمن بن عوف الذي أخرجه أبو يعلى الموصلي ولفظه: فضل العالم على العابد سبعين درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، وقول العراقي رواه صاحب مسند الفردوس يعني به الديلمي، وإسناده ضعيف أشار إلى أنه رواه من طريق بقية، عن عبدالله بن محرز، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رفعه، وسياقه كسياق حديث عبدالله بن عمرو المتقدم، وعبدالله بن محرز قاضي الرقة ضعيف جداً، وقد عنعن الحديث بقية وهو مدلس، والظاهر أنه لم يسمعه من عبدالله، وإنما سمعه من غياث بن ابراهيم أحد الوضاعين فقد روى عنه بقية، وقد روى أبو نعيم هذا الحديث مقتصراً على أوله من رواية غياث بن ابراهيم، عن عبدالله بن محرز، وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية سليمان الشاذكوني، حدثنا ابن يمان، عن محمد بن عجلان، عن الزهري قال: فضل العالم على المجتهد مائة درجة ما بين كل درجة خمسمائة سنة حضر الفرس الجواد المضمر، وبهذا وبما تقدم يسقط قول ملا علي في شرح عين العلم، وأما ما في الاحياء مائة درجة لا أصل له، والحضر بالضم وسكون الضاد نوع من أنواع سير الفرس، وهو فوق الهملجة، والمضمر هو الجواد المهيأ للحضر والركض.

السابع والعشرون: (وقال ﷺ: لما قيل له يا رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ فقال: العلم بالله عز وجل، فقيل أي العلم تريد؟ فقال: العلم بالله، فقيل له: تسأل عن العمل وتجيب عن العلم، فقال: إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله) قال العراقي: أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف اهـ.

قلت: هو من رواية الحسين ابن حميد، حدثنا محمد بن روح بن عمران القشيري، حدثنا مؤمل بن عبد الرحمن، عن عباد بن عبد الصمد، عن أنس بتكرار أي الأعمال أفضل مرتين وفيه أسألك بدل نسألك وتخبرني بدل تجيب، والباقي سواء، وعباد منكر الحديث، ومؤمل ضعيف، ومحمد بن روح منكر الحديث، والحسين بن حميد المصري تكلم فيه أيضاً، وأخرجه الحاكم والترمذي في الأصل السادس والستين بعد المائتين من نوادر الأصول فقال: حدثنا عيسى بن أحمد، حدثنا المؤمل بن عبد الرحمن، حدثنا عباد بن عبد الصمد، عن أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ قال: «العلم بالله ثم أتاه، فسأله فقال مثل ذلك فقال يا رسول الله: أنا أسألك عن العمل. قال: إن العلم ينفعك معه قليل العمل

يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم، اذهبوا فقد غفرت لكم».

وكثيره وإن الجهل لا ينفعك معه قليله ولا كثيره» وقوله: إن قليل العمل ينفع مع العلم أي فإنه يصححه، وكثير العمل لا ينفع مع الجهل لأن المتعبد من غير علم كالحمار في الطاحون، وقد أخرجه الديلمي في الفردوس، عن أنس أيضاً، ومن شواهده ما أخرجه أبو الشيخ عن عبادة: العلم خير من العمل وملاك الدين الورع والعالم من يعمل. وأخرج ابن عبد البر، عن أبي هريرة: العلم خير من العبادة وملاك الدين الورع، وأخرج ابن أبي شيبة؟ والحكيم عن الحسن مرسلاً والخطيب عنه عن جابر: العلم علمان فعلم في القلب فذلك العلم النافع، وعلم في اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم، وسيأتي في الباب الخامس.

الثامن والعشرون: (وقال ﷺ: يبعث الله يوم القيامة العباد ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إني لم أضع علمي بينكم إلا لعلمي بكم ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم). أخرجه الطبراني من حديث أبي موسى بسند ضعيف قاله العراقي.

قلت: وأخرجه أيضاً يعقوب بن سفيان في تاريخه قاله الحافظ بن حجر ولفظ الطبراني في الكبير، عن أبي موسى: يبعث الله العباد يوم القيامة، ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء إني لم أضع فيكم علمي إلا وأنا أريد أن لا أعذبكم إذهبوا فقد غفرت لكم.

قلت: أخرجه الطبراني في الكبير والصغير من رواية عمرو بن أبي سلمة التنيسي، وأبو الشيخ في الثواب، وابن عبد البر في العلم من رواية منبه بن عثمان كلاهما عن صدقة بن عبدالله، عن طلحة بن زيد، عن موسى بن عبيدة، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي موسى رفعه. وصدقة وطلحة وموسى ضعفاء، وأضعفهم طلحة. وفي ترجمته أخرج ابن عدي هذا الحديث، ويروى أيضاً من حديث أبي أمامة أو واثلة هكذا بالشك رواه ابن عدي في ترجمة عثمان بن عبد الرحمن الجمحي، عن مكحول عنه مرفوعاً بلفظ: «إذا كان يوم القيامة جمع الله العلماء فقال إني لم أستودع علمي فيكم وأنا أريد أن أعذبكم أدخلوا الجنة» ويروى أيضاً من حديث ثعلبة بن الحكم أخرجه الطبراني من رواية سماك بن حرب عنه رفعه يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لفصل عباده: إني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالي.

ومن شواهده ما أخرجه ابن عدي في الكامل، والبيهقي بسند ضعيف، عن جابر رفعه: «يبعث الله العالم والعابد فيقال للعابد أدخل الجنة، ويقال للعالم أثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت من أدبهم» وذكر أبو الطيب في البحر الزاخر حكى أن اسماعيل بن ابي رجاء قال: رأيت محمد بن الحسن الشيباني في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، ثم قال: لو أردت أن أعذبك ما جعلت هذا العلم في جوفك، وإنما ختم المصنف بهذا الحديث تفاؤلاً بقوله: فقد غفرت

(وأما الآثار) : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل : يا كميل العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق .

لكم إشارة الى أن مآل العالم بالله العامل لله الغفران ، وهذا ختام حسن نسأل الله حسن الخاتمة . والوارد في فضل العلم والعلماء أحاديث كثيرة ، ولو تتبعنا ذكرها لطال علينا الكتاب ، ولكن اقتصرنا على تبيين ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

(وأما الآثار) : جمع أثر تقدّم تعريفه ، وكذا الفرق بينه وبين الخبر في أول الكتاب أورد فيها رحمه الله تعالى أقوال بعض الصحابة كعلي ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، وبعض التابعين كأبي الأسود ، والحسن ، والأحنف ، والزهري ، ومن بعدهم كابن المبارك ، والشافعي ، والزبير بن أبي بكر رحمهم الله تعالى ، ومن بعدهم من أهل الصلاح كفتح الموصلي وغيره من الحكماء . **(قال)** أبو الحسن أمير المؤمنين **(علي بن أبي طالب رضي الله عنه)** لتلميذه **(يا كميل)** بالتصغير هو كميل بن زياد النخعي من مشاهير أصحاب علي رضي الله عنه ، وكان من أعيان الزهاد ، وللسادات الصوفية سند في لبس الخرقة إليه ، أخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عاصم بن حميد الحناط ، حدثنا ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثمالي ، عن عبد الرحمن بن جندب ، عن كميل بن زياد قال : أخذ علي بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان ، فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ، ثم قال : يا كميل بن زياد : القلوب أوعية فخيرها أوعاها فساق الحديث بطوله ، وفيه : **(العلم خير من المال)** أشار إلى فضل العلم ، ثم ذكر سببه فقال : **(العلم يحرسك وأنت تحرس المال)** قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة في شرح هذا الحديث : يعني أن العلم يحفظ صاحبه ويحميه من موارد الهلكة ومواقع العطب ، فإن الإنسان لا يلقي نفسه في عطب وعقله معه ، ولا يعرضها للهلاك إلا إذا كان جاهلاً بذلك لا علم له به ، فهو كمن أكل طعاماً مسموماً ، فالعالم بالسم وضرره يحرسه علمه ويمتنع به من أكله ، والجاهل به يقتله جهله ، فهذا مثل حراسة العلم للعالم ، وكذا الطبيب الحاذق يمتنع بعلمه عن كثير ما يجلب له الأمراض ، وكذا العالم بمخاوف طريق سلكه يأخذ حذره منها فيحرسه علمه من الهلاك ، وهكذا العالم بالله وبأمره وبعدوّه ومكائده يحرسه علمه من وساوس الشيطان وخطراته فعلمه يحرسه منه ، وكلما جاء ليأخذه صاح به حرس العلم والإيمان فيرجع خائباً ، فهذا السبب الذي من العبد والله وراء حراسته ، فمتى وكله الى نفسه طرفة عين تخطفه عدوّه وهذا هو التوفيق اهـ . **(والعلم حاكم والمال محكوم عليه)** ، وهذا هو الوجه الثاني لفضل العلم ، والمراد بالعلم هنا علم الباطن ، ففي القوت علم الظاهر حكم وعلم الباطن حاكم ، والحكم موقوف حتى يجيء الحاكم يحكم فيه ، وهذه الجملة في الحديث ليست في سياق الحلية ، ولا في كتاب ابن القيم موجودة في سياق القوت ، ثم قال رضي الله عنه : **(والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق)** . هكذا نص القوت ، وفي الحلية العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة . قال ابن القيم في كتابه المذكور : العالم كلما بذل

....

علمه للناس وأنفق منه تفجرت ينابيعه وازداد كثرة وقوة ويقيناً وظهوراً، فيكسب بتعليمه حفظ ما علمه ويحصل له علم ما لم يكن عنده، وربما تكون المسألة في نفسه غير مكشوفة، فإذا تكلم بها وعلمها اتضحت له وأضاءت وانفتح له منها علوم أخر، ثم قال: ولزكاء العلم طريقان، أحدهما: تعليمه، والثاني العمل به، فإن العمل به أيضاً ينميه ويكثره، وقوله: والمال تنقصه النفقة لا ينافي قوله ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال» فإن المال إذا تصدقت منه وأنفقت ذهب ذلك القدر وخلفه غيره، وأما العلم فكالمقتبس من النار لو اقتبس منها العالم لم يذهب منها شيء بل يزيد؟ ثم قال: وفضل العلم على المال يعرف بوجوه سوى الأوجه الثلاثة التي ذكرها أمير المؤمنين.

أحدها: إن العلم ميراث الأنبياء والمال ميراث الملوك والأغنياء.

الثاني: إن صاحب المال إذا مات فارقه ماله والعلم يدخل مع صاحبه قبره.

الثالث: إن المال يحصل للمؤمن والكافر والبر والفاجر، والعلم النافع لا يحصل إلا للمؤمن.

الرابع: إن العالم يحتاج إليه الملوك فمن دونهم وصاحب المال إنما يحتاج إليه أهل العدم والفاقة.

الخامس: النفس تشرف وتزكو بجمع العلم وتحصيله، وذلك من كمالها وشرفها، والمال لا يزكيها ولا يكملها ولا يزيدها صفة كمال، بل النفس تنقص وتشح وتبخل بجمعه والحرص عليه فحرصها على العلم عين كمالها وحرصها على المال عين نقصها.

السادس: المال يدعوها إلى الطغيان، والفخر والعلم يدعوها إلى التواضع.

السابع: إن غنى العلم أجل من غنى المال، فإن المال لو ذهب في ليلة أصبح صاحبه فقيراً معدماً، وغنى العلم لا يخشى عليه الفقر بل هو في زيادة أبداً فهو الغنى العالي حقيقة كما قيل:

غنيت بلا مال عن الناس كلهم ... فإن الغنى العالي عن الشيء لا به

الثامن: ان المال يستعبد صاحبه ومحبه فيجعله عبداً، والعلم يستعبده لربه فهو لا يدعوه إلا إلى عبودية الله وحده.

التاسع: إن حب العلم وطلبه أصل كل طاعة، وحب المال وطلبه أصل كل سيئة.

العاشر: قيمة الغني ماله، وقيمة العالم علمه فهذا متقوّم بماله، فإذا عدم ماله عدمت قيمته، والعالم لا تزول قيمته بل هي في تضاعيف دائماً.

الحادي عشر: إن جوهر المال من جنس جوهر البدن، وجوهر العلم من جنس جوهر الروح، والفرق بينهما كالفرق بين الروح والجسد.

الثاني عشر: إن العالم إذا عرض عليه بحظه من العلم الدنيا بما فيها لم يرضها عوضاً عن علمه، والغني العاقل إذا رأى شرف العالم وكماله به يودّ لو أن له علمه بغناه أجمع.

الثالث عشر: إن العالم يدعو الناس إلى الله بعلمه وحاله وجامع المال يدعوهم إلى الدنيا بحاله وقاله.

الرابع عشر: إن غنى المال قد يكون سبب هلاك صاحبه، فإنه معشوق النفوس، فإذا رأت من يستأثر بمعشوقها عليها سعت في هلاكه، وأما غني العلم فسبب حياة الرجل وحياة غيره والناس إذا رأوا من يستأثر عليهم به أحبوه وخدموه.

الخامس عشر: إن اللذة الحاصلة من غنى المال إن التذ صاحبه بنفس جمعه فوهمية، وأما بإنفاقه في شهواته فبهيمية، وأما لذة العلم فعقلية وفرق بينهما.

السادس عشر: إن المال إنما يمدح صاحبه بتخليه عنه، والعلم إنما يمدح بتحليه به.

السابع عشر: إن طلب الكمال بفناء المال كالجامع بين الضدين، وبيانه أن القدرة صفة كمال، وصفة الكمال محبوبة بالذات والاستغناء عن الغير أيضاً صفة كمال محبوبة بالذات، فإذا مال الرجل بطبعه إلى السخاء فهذا كمال مطلوب للعقلاء محبوب للنفوس، وإذا التفت إلى أن ذلك يقتضي خروج المال من يده، وذلك يوجب نقصه واحتياجه إلى الغير وزوال قدرته نفرت نفسه عن فعل المكرمات وظن ان إمساكه في المال كماله، فلأجل ميل الطبع إلى المدح يحب الجود، ولأجل فوت القدرة بسبب إخراجه يحب إبقاء ماله فبقي القلب في مقام المعارضة بينهما، فمنهم من يترجح عنده جانب البذل، ومنهم من يؤثر الإمساك، ومنهم من بلغ به الجهل إلى الجمع بين الوجهين فيعد بالجود رجاء المدح، وعند حضوره لا يفي فيقع في أنواع الفضائح، وإذا تأملت أحوال الأغنياء تراهم يشكون ويبكون، وأما غني العلم فلا يعرض له شيء من ذلكَ وتعب جمعه أقل من تعب جمع المال.

الثامن عشر: إن اللذة الحاصلة من المال إنما هي حال تجدده فقط، وأما حال دوامه فإما أن تذهب أو تنقص لمحاولته تحصيل الزيادة دائماً، فهو في فقر مستمر لبقاء حرصه بخلاف غنى العلم، فإن لذته في حال بقائه مثلها في حال يحدده بل أزيد.

التاسع عشر: إن غنى المال يستدعي الإحسان إلى الناس، فصاحبه إن سد على نفسه هذا الباب مقتوه فيتألم قلبه، وأن فتحه فلا بد من الميل إلى بعض وإمساك عن بعض، وهذا يفتح عليه باب العداوة والمذلة من المحروم والمرحوم، فالمحروم يقول كيف جاد على غيري، والمرحوم دائماً يستشرف لنظيره على الدوام، وهذا قد يتعذر غالباً فيفضي إلى ما ذكرنا، ولذا قيل: اتّقِ شر من أحسنت إليه، وصاحب العلم يمكنه بذله للكل من غير نقص فيه.

العشرون: إن غني المال يبغض الموت للتمتع بماله، وأما العلم فإنه يحبب للعبد لقاء ربه ويزهده في هذه الدنيا.

الحادي والعشرون: إن الأغنياء يموتون فيموت ذكرهم، والعلماء بخلاف ذلك كما قال علي

وقال علي أيضاً رضي الله عنه: « العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه، وقال رضي الله عنه نظماً:

مـا الفخـر إلا لأهـل العلم انهم — على الهدى لمن استهـدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنـه — والجاهلـون لأهـل العلم أعـداء
ففـز بعلم تعش حيـاً بـه أبـداً — الناس موتى وأهـل العلم أحيـاء

رضي الله عنه: **(مات خزان المال)** أي جماعه. **(وهم أحياء)** فهم أحياء كأموات، **(والعلماء باقون ما بقي الدهر)** أي بذكرهم الحسن على الألسنة وعلمهم الفائض في القلوب خلفاً عن سلف إلى يوم القيامة فهم **(أعيانهم)** أي ذواتهم **(مفقودة)** بالموت الظاهر، **(وأمثالهم)** أي علومهم وعوارفهم **(في القلوب)** أي في قلوب العلماء **(موجودة)** أبداً فهم كأحياء الناس بعد موتهم. وهذا الحديث يأتي بطوله في آخر الباب السادس من هذا الكتاب ونلم إن شاء الله تعالى بشرحه ما عدا هذه الكلمات بتوفيق من الله عز وجل. **(وقال علي رضي الله عنه: العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه)**.
هذا القول أخرجه الخطيب في تاريخه ولفظه: فإن المؤمن العالم لأعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله تعالى، فإذا مات العالم انثلمت في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة. والثلمة؛ بالضم الخلل في حائط، والخلف محركة من يخلف غيره في الأعمال الصالحة وبسكون اللام بالعكس، ومن شواهده ما تقدّم في الحديث الثامن عن جابر مرفوعاً: « موت العالم ثلمة في الإسلام لا تسد ما اختلف الليل والنهار ». وعن ابن عمر: « ما قبض الله عالماً إلا كان ثغرة في الإسلام لا تسد ». وقوله: إلا خلف منه استثناء حسن لا يخفى موقعه. **(وقال أيضاً نظماً)**. قال صاحب القاموس في تركيب ودق نقلاً عن أبي عثمان المازني أنه لم يصح عندنا أن علياً رضي الله عنه تكلم بشيء من الشعر غير هذين البيتين:

تلكـــم قـــريش تمنـــاني لتقتلني — فلا وربـك لا بـــروا ولا ظفـــروا
فـإن هلكـــت فـرهـــن ذمتي لهم — بـــذات ودقين لا يعفـــو لها أثـــرُ

ونقل الصغاني عن المازني ذلك أيضاً، ونقله المرزباني في تاريخ النحاة عن يونس ما صح عندنا، ولا بلغنا أنه قال شعراً إلا هذين البيتين، وصوبه الزمخشري. قال شيخنا في حاشيته: ولعل سند ذلك قوي عندهم، وإلاّ فقد روي عنه شعر كثير مما شاع وذاع، ولا سيما وقد قال الشعبي: كان أبو بكر شاعراً، وكان عمر شاعراً، وكان علي أشعر الثلاثة. أنظر تمامه في شرحي على القاموس، وقد وجدت قبل هذه الأبيات بيتين وهما قوله:

النـاس مـن جهـة التمثـال اكفـاء — أبـــوهـــم آدم والأم حـــوّاءُ
وإن يكـن لهم في أصلهـم شرف — يفـاخـرون بـه فـالطين والماءُ
(ما الفخـر إلا لأهـل العلم إنهم — على الهدى لمن استهـدى أدلاءُ)

وقال أبو الأسود: ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك.

(ووزن كل امرىء ما كان يحسنه — والجاهلـون لأهـل العلم أعـداءُ)
(ففـز بعلم ولا تجهـل مـواضعـه — فالناس موتى وأهل العلم أحيـاءُ)

وقد أورد الشهاب أحمد بن إدريس بن الصلت القرافي المالكي هذه الأبيات في أوّل كتابه الذخيرة، ولم يذكر البيت الأخير، وقوله: ووزن كل امرىء هو من جملة حكمه المأثورة قيمة كل امرىء ما يحسنه، وفي القوت: وقد روينا عن علي كرّم الله وجهه فذكر البيتين، ثم قال: فمن كان عالماً بعلم معلومه الله تعالى فمن أفضل منه وأي قيمة تعرف له إذ كل علم قيمته معلومة ووزن كل عالم علمه اهـ.

وقوله: الجاهلون مأخوذ من الحديث المشهور من جهل شيئاً عاداه، وقوله: فالناس موتى هو مأخوذ من الحديث الناس هلكى إلا الصالحون. وقد أخرج الخطيب في كتاب الاقتضاء مثل ذلك عن سهل التستري كما سيأتي، وفي الرسالة القشيرية سمعت محمد بن الحسن يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول، قال أبو زيد البسطامي: كنت اثنتي عشرة سنة حداد نفسي، وخمس سنين مرآة قلبي، وسنة أنظر فيما بينهما، فعملت في قطعه اثنتي عشرة سنة، ثم نظرت فإذا في باطني زنار فعملت في قطعه خمس سنين انظر كيف أقطع، فنظرت إلى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات. قال النووي: قوله فرأيتهم موتى في غاية من النفاسة والحسن، وقل أن يوجد في غير كلام النبي ﷺ كلام يحصل معناه.

(وقال أبو الأسود): ظالم بن عمرو أو عمرو بن ظالم الديلي معلم الحسنين أوّل من ابتكر علم النحو، وتولى قضاء البصرة. روى عنه ابنه حرب أخرج حديثه الأربعة توفي سنة ١٦٩. **(ليس شيء)** في الدنيا **(أعز)** مقاماً ورتبة **(من العلم)**، وذلك لأن **(الملوك حكام على الناس)** بسياستهم الظاهرة، **(والعلماء حكام على الملوك)** يعلمونهم بقوانين السياسة الشرعية وقد نظم ذلك بعضهم فقال:

إن الأكـابـر يحكمـون على الورى — وعلى الأكـابـر تحكـم العلماءُ

واعلم أن العلم حاكم على ما سواه، ولا يحكم عليه شيء فكل شيء اختلف وجوده وعدمه وصحته وفساده ومنفعته ومضرته ورجحانه ونقصانه وكماله ونقصه ومدحه وذمه ومرتبته في الخير وجودته ورداءته وقربه وبعده إلى سائر جهات المعلومات، فإن العلم حاكم على ذلك كله، فإذا حكم العلم انقطع النزاع ووجب الاتباع وهو الحاكم على الممالك والسياسات والأموال والأقلام، فملك لا يتأيد بعلم لا يقوم، وسيف بلا علم مخراق لاعب، وقلم بلا علم حركة عابث والعلم مسلط. حاكم على ذلك كله، ولا يحكم شيء من ذلك على العلم، وسيأتي من قول علي رضي الله عنه: العلم حاكم والمال محكوم عليه.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : خيِّر سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطي المال والملك معه .

وسئل ابن المبارك من الناس ؟ فقال : العلماء . قيل : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد . قيل : فمن السفلة ؟ قال : الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم ، فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوّة شخصه ، فإن الجمل أقوى منه ولا بعظمه فإن الفيل أعظم منه

(**وقال**) ترجمان القرآن عبدالله (**ابن عباس رضي الله عنهما**) فيما روي عنه بإسناد حسن (**خير سليمان بن داود**) بن إيشا (**صلى الله عليه**) وعلى نبينا وسلم (**بين العلم والمال والملك فاختار العلم**) دونهما ، لأنه نظر إلى العلم فرآه باقياً إلى الأبد ، ورأى المال والملك عارضين زائلين فاختار الباقي على الفاني (**فأعطي العلم**) كما اختار (**و**) أعطي (**المال والملك معه**) زيادة على ما اختار ، وذلك لحسن نظره وإخلاصه ﷺ ، ولذلك أثنى الله عليه في كتابه فقال : ﴿وورث سليمان داود﴾ [النمل : ١٦] واتفق المفسرون على أن هذه الوراثة هي النبوّة والعلم ، وهذا هو المناسب لجلالة مقام الأنبياء .

(**وسئل**) أبو عبدالرحمن عبدالله (**بن المبارك**) بن واضح الحنظلي مولاهم المروزي شيخ خراسان . روي عن سليمان التيمي ، وعاصم الأحول ، والربيع بن أنس ، وعنه ابن مهدي ، وابن معين ، وابن عرفة وأبوه تركي مولى تاجر وأمه خوارزمية ولد سنة ١١٦ وتوفي بهيت سنة ١٨١ . قال أبو نعيم في الحلية : حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد ، حدثنا عبدالله بن محمد ، حدثنا الفضل بن محمد البيهقي : سمعت سعيد بن داود يقول : سألت ابن المبارك (**عن الناس**) أي الكمل منهم ، ورواية الحلية : من الناس ؟ (**فقال : العلماء**) أي بالله (**فقيل من الملوك**) ورواية الحلية قلت : فمن الملوك ؟ (**فقال : الزهاد**) زاد في الحلية فمن الغوغاء . قال خزيمة وأصحابه (**فمن السفلة**) ورواية الحلية قلت فمن السفلة ؟ قال : الذين يعيشون بدينهم ، ثم قال أبو نعيم : حدثنا أبو محمد بن حبان ، حدثنا ابراهيم بن محمد بن علي ، حدثنا أحمد بن منصور ، حدثنا عابس بن عبدالله قال : قيل لعبدالله بن المبارك : من أئمة الناس ؟ قال سفيان وذووه فقيل : من سفلة الناس ؟ (**فقال : من يأكل بدينه**) . ورواية الكتاب الذي يأكل بدينه ، وما رواه الشيخ هو نص أبي طالب في القوت إلا أنه زاد فقال : وقال مرة الذين يتلبسون ويتطيلسون ويتعرضون للشهادات والسفلة بكسر السين المهملة[1] . وفتح الفاء الأرذال . (**ولم يجعل غير العالم من الناس**) لما روي عن ابن مسعود مرفوعاً : الناس رجلان عالم ومتعلم ولا خير فيما سواهما . (**ولأن الخاصية التي بها يتميز الناس عن**) سائر (**البهائم هو العلم**) والبيان خاصة (**والإنسان إنسان بما هو شريف لأجله**) أي العلم (**وليس ذلك**) الشرف (**بقوّة شخصه**) فيما يرى (**فإن الجمل**) الذي

---

(١) لعله مسكون الفاء كما في القاموس اهـ مصححة .

ولا بشجاعته، فإن السبع أشجع منه ولا بأكله، فإن الثور أوسع بطناً منه ولا ليجامع فإن أخس العصافير أقوى على السفاد منه، بل لم يخلق إلا للعلم. وقال بعض العلماء: ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم، وأي شيء فاته من أدرك العلم. وقال عليه الصلاة والسلام: «من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي خيراً منه فقد حقر ما عظم الله تعالى» وقال فتح الموصلي رحمه الله: أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت؟ قالوا: بلى. قال: كذلك القلب إذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت،

ضرب به المثل في عجيب خلقه (**أقوى منه ولا**) شرفه (**بعظمه**) أي كبر جثته، (**فإن الفيل أعظم منه**) جثة (**ولا بشجاعته**) وقوته (**فإن الأسد**) وفي نسخة السبع (**أشجع منه**) وأقوى (**ولا**) شرفه (**ليأكل**) كثيراً (**فإن الثور أوسع منه بطناً**) وأكثر أكلاً وكذلك الفيل أيضاً (**ولا**) شرفه (**ليجامع**) النساء (**فإن أخس العصافير**) وهي الدورية (**أقوى على السفاد منه**) وهي جماع الطيور خاصة (**بل لم يخلق إلا للعلم**) بالله ومعرفته وتوحيده لقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] فبهذه الخاصية الخاصة يتميز عن غيره من البهائم، فإذا عدم العلم بقي معه القدر المشترك بينه وبين سائر الدواب وهي الحيوانية المحضة فلا يبقى فيه فضل عليهم، بل قد يبقى شراً منهم، كما قال تعالى في هذا الصنف من الناس ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ [الأنفال: ٢٢] فهؤلاء هم الجهال الذين لم يحصل لهم حقيقة الإنسانية التي يتميز بها صاحبها عن سائر الحيوان. (**وقال بعض العلماء**) وفي نسخة الحكماء: (**ليت شعري**) أي علمي (**أي شيء**) وفي نسخة خير (**أدرك من فاته العلم**) لأن العلم هو مصدر الخيور كلها، فمن فاته لم يدرك شيئاً من الخير، وكان المراد هنا بالعلم التفقه في الدين، وإليه يشير الحديث: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده» كما سبق. (**وقال**) أبو محمد (**فتح**) بن سعيد (**الموصلي**) أحد الصوفية والزهاد صاحب الجد والاجتهاد من أقران بشر الحافي والسري السقطي، وكان كبير الشأن في الورع والمعاملات، وسأل رجل المعافى بن عمران: هل كان لفتح الموصلي كبير محل؟ فقال: كفاك بعلمه تركه للدنيا. ترجم له الشعراني زاد المناوي أنه توفي سنة ١٣٠. (**أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت؟ قالوا: نعم**). وعند ابن القيم قالوا: بلى، وذلك لأن حكمة الله تعالى اقتضت بملاءمة الأدوية للأمراض بحسب طبائعها، فإذا منع منه ذلك الدواء الملائم لمرضه، فإنه يكون سبباً لازدياد المرض وازهاق الروح، وأما الطعام والشراب فمن اللوازم للمريض وغيره، ولكن معاهدته بهما أكثر اقتضاء، فإن الصحيح ربما يصبر عنهما بالرياضة مثلاً (**قال: كذلك القلب**) فإنه كالمريض ودواؤه العلم والحكمة والمعارف الإلهية (**إذا منع عنه**) ذلك الدواء الذي هو (**الحكمة والعلم ثلاثة أيام**) فإنه (**يموت**) والذي في طبقات الشعراني في ترجمته، وكان يقول: القلب إذا

ولقد صدق فإن غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما أن غذاء الجسد الطعام، ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم، ولكنه لا يشعر به إذ حب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح في الحال، وإن كان واقعاً؛ فإذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه وتحسر تحسراً عظيماً ثم لا ينفعه، وذلك كإحساس الآمن من خوفه والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات في حالة السكر أو الخوف، فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء، فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، وقال

منع الذكر مات كما أن الإنسان إذا منع من الطعام والشراب يموت ولو على طول ويزول عنه إحساسه، (**ولقد صدق**) رحمه الله تعالى (**فإن غذاء القلب**) وشرابه ودواءه (**العلم والحكمة**) والمعارف الإلهية (**وبهما حياته**) وتوقده وذكاؤه (**كما أن غذاء الجسد**) وتقويته (**الطعام**) والشراب، (**ومن فقد العلم**) بالله والحكمة (**فقلبه مريض**) بأمراض الجهل (**وموته لازم**) لعدم وصول ما يلائمه، (**ولكن لا يشعر به**) أي لا يدرك موت قلبه (**إذ شغل الدنيا وحبها**) والميل إلى ملاهيها وملاذها قد (**أبطل**) عنه (**إحساسه**) بذلك وادراكه لهذا السر العظيم.

وأخرج أبو نعيم في الحلية بسنده إلى مالك بن دينار قال: إن العبد إذا سقم لم ينجح فيه لا طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة، وكذلك القلب إذا علقه حب الدنيا لم تنجح فيه الموعظة، (**كما أن غلبة الخوف**) من شيء إذا انتهى إلى غاية (**فقد تبطل احساس ألم الجراح في الحال وإن كان واقعاً**)، ومنهم من يشتغل بالحرب فيقع عضو من أعضائه فلا يدري منه ويمضي في محاربته ولا يحس به إلا إذا رجع عن شغله، وهذا مشاهد، وكذلك المحب والمفكر قد يبطل إحساسهم بألم الجراحات، فإذا صحوا وعادوا إلى حالة الاعتدال أدركوا آلامها، وكذلك العبد (**فإذا حط الموت عنه اعباء الدنيا**) أي أحمالها الثقيلة وشواغلها (**أحس**) حينئذ (**بهلاكه**) وموت قلبه (**وتحسر تحسراً لا ينفعه**) إذ ذاك ولذا يتمنى أن يعود إلى الدنيا، (**وذلك كإحساس الآمن من خوفه والمفيق من سكره**) فإنه ما دام في سكره لا يحس بشيء من الآلام، فإذا أمن أو أفاق أحس (**بما أصابه من الجراحات في حالة السكر أو الخوف، ونعوذ بالله من فضيحة يوم كشف الغطاء**) إذ لا ينفع فيه الندم ولا التحسر وفي ذلك قيل:

فحتام لا تصحو وقد قرب المدى ... وحتام لا ينجاب من قلبك السَّكرُ
بلى سوف تصحو حين ينكشف الغطا ... وتذكر قولي حين لا ينفع الذكرُ

فإذا كشف الغطاء، وبرح الخفاء، وبليت السرائر، وبدت الضمائر، وبعث ما في القبور، وحصل ما في الصدور، فحينئذ يكون الجهل ظلمة على الجاهلين، والعلم حسرة على البطالين، (**فإن**) كما روي من قول علي رضي الله عنه على ما حققه السخاوي في المقاصد (**الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**) أي أحسوا بما كانوا فيه، وقد عزا الشيخ هذا القول إلى النبيّ ﷺ في آخر الكتاب، وتبعه على ذلك عبد الوهاب بن محمود المراغي مختصر الكتاب ولم يعرج عليه العراقي،

الحسن رحمه الله: يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه موت رواته،

وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى **(وقال)** أبو سعيد **(الحسن)** بن يسار البصري مولى زيد بن ثابت، وقيل: مولى جمل بن قطبة، وأبوه يسار من سبي ميسان أعتقته بنت النضر. ولد الحسن زمن عمر، وسمع عثمان، وشهد الدار ابن إحدى عشرة سنة. وروى عن عمران بن حصين، وأبي موسى، وابن عباس، وجندب، وعنه ابن عون ويونس. كان كبير الشأن، رفيع الذكر، رأساً في العلم مات في رجب سنة ١١٠ **(يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء)** قد روي ذلك مرفوعاً، عن أبي الدرداء كما تقدم ذكره في الحديث العاشر. وأخرجه الشيرازي في الألقاب من حديث أنس مرفوعاً، فلعل الحسن سمعه من أنس، وقد اختلف في تفضيل مداد العلماء على دم الشهداء وعكسه، فذكر لكل قول وجوه من التراجيح والأدلة، ونفس هذا النزاع دليل على تفضيل العلم ومرتبته، فإن الحاكم في هذه المسألة هو العلم فيه وإليه، وعنده يقع التحاكم والتخاصم والمفضل منهما من حكم له بالفضل.

فإن قيل: فكيف يقبل حكمه لنفسه؟ قيل: وهذا أيضاً دليل على تفضيله وعلوّ مرتبته وشرفه، فإن الحاكم إنما لم يسغ أن يحكم لنفسه لأجل مظنة التهمة. وأما العلم فلا يلحقه تهمة في حكمه لنفسه، فإذا حكم حكم بما تشهد العقول والنظر بصحته وتتلقاه بالقبول ويستحيل حكمه لتهمة، فإنه إذا حكم بها انعزل عن مرتبته وانحط عن درجته، فهو الشاهد المزكي العدل والحاكم الذي لا يجور ولا يعزل.

فإن قيل: فماذا حكمه في هذه المسألة التي ذكرتموها؟ قيل: الذي يفصل النزاع ويعيد المسألة إلى مواقع الاجماع.

الكـلام في أنواع مراتب الكمال وذكر الأفضل منها، والنظر في أي هذين الأمرين أولى به وأقرب إليه؛ فهذه الأصول الثلاثة تبين الصواب ويقع بها فصل الخطاب، فأما مراتب الكمال فأربع: النبوّة والصديقية والشهادة والولاية، كما هي في الآية هكذا على هذا الترتيب، فأعلى هذه النبوّة والرسالة، ويليها الصديقية فالصديقون أئمة اتباع الرسل ودرجتهم أعلى بعد النبوّة، فإن جرى قلم العالم بالصديقية وسال مداده بها كان أفضل من دم الشهيد الذي لم يلحقه في رتبة الصديقية، وإن سال دم الشهيد وقطر عليها كان أفضل من دم العالم الذي قصر عنها فأفضلها صديقها، فإن استويا في الصديقية استويا في المرتبة والله أعلم. والصديقية في كمال الإيمان بما جاء به الرسول علمـاً وتصديقاً وقياماً به، فهي راجعة إلى نفس العلم، فكل من كان أعلم بما جاء به الرسول ﷺ وأكمل تصديقاً له كان أتم صديقية، والصديقية شجرة أصولها العلم وفروعها التصديق وثمرتها العمل، فهذه كلمات جامعة في مسألة العالم والشهيد وأيها أفضل والله أعلم.

(وقال) أبو عبد الرحمن عبد الله **(ابن مسعود)** الهذلي حليف بني زهرة أحد السابقين الأوّلين من الصحابة. روى عنه علقمة، والأسود، وزر بن حبيش توفي سنة اثنين وثلاثين من

فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماً علماً يرون من كرامتهم، فإن أحداً لم يولد عالماً، وإنما العلم بالتعلم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليّ من إحيائها، كذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأحمد بن حنبل رحمه الله. وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿ربنا آتِنا في الدنيا

الهجرة. (**عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه بهلاك رواته**). وفي رواية ورفعه هلاك العلماء، (**فوالذي نفسي بيده ليودّن رجال قتلوا في سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم وإن أحداً لم يولد عالماً**) من بطن أمه، (**وإنما العلم بالتعلم**) هكذا أورده بتمامه ابن القيم وغيره.

وأخرج اللالكائي في السنّة من رواية أيوب عن أبي قلابة، عن ابن مسعود قال: عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله، أو قال أصحابه، قال: وعليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقد أو يفتقر إلى ما عنده. الحديث. وعند البيهقي في المدخل من طريق علي بن الأقمر، والعسكري من حديث أبي الزعراء كلاهما عن أبي الأحوص عن ابن مسعود قال: إن الرجل لا يولد عالماً وإنما العلم بالتعلم. وفي كتاب العلم من صحيح البخاري. من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما العلم بالتعلم، قال الحافظ في مقدمة الفتح رواه ابن أبي عاصم في كتاب العلم من حديث معاوية هاتين الجملتين اهـ أي مرفوعاً.

وقال في الفتح، ورواه الطبراني كذلك من طريقه بلفظ: يا أيها الناس تعلموا إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين واسناده حسن. قال القسطلاني: ورواه أبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي الدراء مرفوعاً: إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه اهـ.

قلت: وأخرجه الطبراني في الأوسط، والخطيب عن أبي الدرداء بزيادة: ومن يتّق الشر يوقه. ثلاث من كنّ فيه لم ينل الدرجات العلى، ولا أقول لكم الجنة من تكهن أو استقسم أورده من سفره تطير.

(**وقال ابن عباس تذاكر العلم**) أي مذاكرته مع نفسه ليرسخ في ذهنه أو مع غيره بقصد الفائدة له أو لصاحبه أولهما (**بعض ليلة أحب إليّ من احيائها**) كلها بالصلاة ونحوها لتعدي النفع في المذاكرة. قال ابن القيم: وفي مسائل اسحاق بن منصور قلت لأحمد بن حنبل: قوله تذاكر العلم بعض ليلة إلخ، أي علم أراد؟ قال: هو العلم الذي ينتفع به الناس في أمر دينهم. قلت: في الوضوء والصلاة والصوم والحج والطلاق ونحوها؟ قال: نعم. وقال لي إسحاق بن راهويه هو كما قال أحمد اهـ. (**وكذا روي عن أبي هريرة رضي الله عنه**) لأن أجلس ساعة فأتفقه في ديني أحب إليّ من أن أحيي ليلة إلى الصباح. وهذا قد أخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية يزيد بن عياض، عن صفوان بن سليم، عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة كما مرّ في الحديث الحادي والعشرين، (**وأحمد بن حنبل**) واسحاق بن راهويه وغيرهم من العلماء، فإنهم

حسنةً وفي الآخرة حسنة﴾ [البقرة: ٢٠١] إن الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة، وفي الآخرة هي الجنة. وقيل لبعض الحكماء: أي الأشياء تقتني؟ قال: الأشياء التي إذا غرقت سفينتك سبحت معك، يعني العلم. وقيل: أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت، وقال بعضهم: من اتخذ الحكمة لجاماً اتخذه الناس إماماً، ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار.

نبهوا على ذلك في أقاويلهم، فمن ذلك ما أورده صاحب القوت، عن وهب بن منبه: مجلس يتنازع فيه العلم أحب إليّ من قدره صلاة، لعل أحدهم يسمع الكلمة فينتفع بها السنة أو ما بقي من عمره. **(وقال الحسن)** البصري **(في)** تفسير **(قوله تعالى: ربنا آتِنا في الدنيا حسنة)** قال: **(هي العلم والعبادة)** أي العمل بما علم **(وفي الآخرة حسنة)** قال: **(هي الجنة)** قال الراغب، والسمين: الحسنة يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، والسيئة تضادها وهما من الألفاظ المشتركة تفسر في كل موضع ما يليق به، والحسنة إن كانت اسماً يستعمل في الأعيان والأحداث، فلو صارت وصفاً فالمتعارف أنها في الاحداث اهـ. وإنما سمي العلم المقرون بالعبادة حسنة لأنه يبهج صاحبه ويرغب فيه ومن ذلك يفسرها بالجنة أيضاً. وقال غير الحسن: المراد بالحسنة في الموضعين النعمة والخصب. **(قيل لبعض العلماء: أي الأشياء تقتني)** أي تحفظ وتدخر وتضن بها. **(قال: الأشياء الذي إذا غرقت سفينتك)** في البحر **(سبحت معك)** أي عامت وسلمت من الغرق **(يعني العلم)** وكونه محفوظاً في الصدور والأذهان، ومن كان علمه من كتابه ربما غرق مع السفينة، ومن هنا قالوا: العلم ما دخل معك في الحمام.

ويحكى عن بعض العلماء أنه ركب مع تجار في المركب فانكسرت بهم السفينة، فأصبحوا بعد عز الغنى في ذل الفقر، ووصل العالم إلى البلد فأكرم وقصد بأنواع التحف والكرامات، فلما أرادوا الرجوع إلى بلدهم قالوا: هل لك إلى قومك كتاب أو حاجة؟ قال: نعم تقولون لهم إذا اتخذتم مالاً فاتخذوا مالاً لا يغرق إذا انكسرت السفينة. **(وقيل: أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت)** أي: ذكر السفينة كناية عن جسمه، والموت كناية عن الغرق في البحر، فإذا عرض به عارض الموت بقي علمه حياً إلى يوم القيامة. **(و)** ذكر ابن الأثير في النهاية أن الحكمة مأخوذة من الحكمة محركة وهي الحديدة التي في فم الدابة المركوبة بها يحكم راكبها أمرها، ومن هنا قال بعضهم: **(من اتخذ الحكمة لجاماً اتخذه الناس إماماً)** نقله النعماني في شرح البخاري، وفي طبقات ابن السبكي في ترجمة أبي الحسن الأشعري دخل رجل على الجبائي فقال له: هل يجوز أن يسمى الله تعالى عاقلاً؟ فقال الجبائي: لا لأن العقل مشتق من العقال وهو المانع، والمنع في حق الله محال فامتنع الاطلاق. قال الشيخ أبو الحسن: فقلت له فعلى قياسك لا يسمى الله تعالى حكيماً لأن هذا الوصف مشتق من حكمة اللجام وهي الحديدة المانعة للدابة عن الخروج ويشهد لذلك قول حسان:

فنحكم بالقوافي من هجانا ... ونضرب حين تختلط الدماء

أي نمنع بالقوافي من هجانا، فإذا كان اللفظ مشتقاً من المنع، والمنع على الله محال لزمك أن

وقال الشافعي رحمة الله عليه: من شرف العلم ان كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح، ومن رفع عنه حزن. وقال عمر رضي الله عنه: يا أيها الناس عليكم بالعلم فإن لله سبحانه رداء يحبه، فمن طلب باباً من العلم رداه الله عز وجل بردائه، فإن أذنب ذنباً استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك، وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت. وقال الأحنف رحمه الله: كاد العلماء أن يكونوا أرباباً وكل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل مصيره. وقال سالم بن أبي الجعد: اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم وأعتقني، فقلت: بأي شيء احترف؟ فاحترفت بالعلم، فما تمت لي سنة حتى أتاني أمير المدينة زائراً فلم آذن

تمنع اطلاق حكيم عليه سبحانه وتعالى. قال: فلم يجد جواباً. **(ومن عرف بالحكمة)** في القول والعمل **(لاحظته العيون بالوقار)** أي الهيبة والتعظيم. **(وقال الشافعي)** فيما روى عنه بإسناد حسن **(من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح)** لاتصافه بما يتميز به عن غيره، **(ومن دفع عنه)** بجهل أو نسيان **(حزن. وقال)** أمير المؤمنين **(عمر)** ابن الخطاب العدوي القرشي **(رضي الله عنه)** فيما رواه الإسماعيلي والذهبي في مناقبه: **(أيا الناس عليكم بالعلم)** أي الإشتغال بطلبه **(فإن لله سبحانه رداء يحبه)** الرداء كالكساء ما يتردى به الإنسان **(فمن طلب باباً من)** أبواب **(العلم)** بإخلاص نيته **(رداه الله عز وجل بردائه)** ذلك أي كساه به **(فإن أذنب ذنباً استعتبه)** أي طلب رجوعه إليه واستقالته. ومنه الحديث ولك العتبى حتى ترضى **(وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت)** هذا من شرف العلم وبركته. هكذا في سائر النسخ، والذي في المفتاح لابن القيم استعتبه لئلا يسلبه رداءه حتى يموت به. قال: واستعتاب الله عبده أن يطلب منه أن يعتبه أي يزيل عتبه عليه بالتوبة والإستغفار والأنابة، فإذا أناب إليه رفع عنه عتبه فيكون قد أعتب ربه. أي: أزال عتبه عنه، والرب تعالى قد استعتبه أي طلب منه أن يعتبه. **(وقال)** أبو بحر **(الأحنف)** ابن قيس بن معاوية التميمي الغبري من العلماء الإجلاء. قيل: اسمه صخر، والأحنف لقب له. وقيل: اسمه الضحاك وبه جزم الحافظ ابن حجر ولد في عهده ﷺ ولم يدركه. **(كاد العلماء أن يكونوا أرباباً)** أي ملوكاً وسادات لكثرة ما يخضع لهم وينقاد إلى أوامرهم، كقولهم: كاد العروس أن يكون سلطاناً **(وكل عز لم يؤكد بعلم فإلى ذل مصيره)** أي مرجعه ومآله. **(وقال سالم ابن أبي الجعد)** الأشجعي. مولاهم الكوفي من كبار التابعين روى عن عمر وعائشة وهو مرسل، وله حديث واحد في الصحيحين عن أنس، وروى أيضاً عن ابن عمر، وابن عباس، وعنه الأعمش، وابن منصور توفي سنة مائة وهو ثقة. **(اشتراني مولاي)** من بني أشجع **(بثلاثمائة درهم وأعتقني فقلت)** في نفسي **(بأي حرفة أحترف)** أشتغل. **(فاحترفت بالعلم)** واشتغلت به في تحصيله **(فما تمت لي سنة)** واحدة **(حتى أتاني أمير المدينة)** أي حافظها ومالكها. وفي نسخة أمير بالراء **(زائراً)** فاستأذن في الدخول عليّ **(فلم آذن له)**. وهذا الهدهد مع حقارته أجاب سيدنا سليمان عليه السلام مع علو رتبته بصولة العلم بقوله: ﴿أحطت بما لم تحط به﴾ [النمل: ٢٢] غير

له. وقال الزبير بن أبي بكر: كتب إليَّ أبي بالعراق عليك بالعلم فإنك إن افتقرت كان لك مالاً، وإن استغنيت كان لك جمالاً. وحكى ذلك في وصايا لقمان لابنه قال: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء. وقال بعض الحكماء: إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء أوالطير في الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره. وقال الزهري رحمه الله: العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكران الرجال.

مكترث بتهديده (**وقال**) أبو عبدالله (**الزبير بن أبي بكر**) ويعرف ببكار الزبيري قاضي مكة ولد سنة ١٧٢. سمع عن ابن عيينة وأبي ضمرة، وعنه ابن ماجه والمحاملي صدوق اخباري علامة توفي سنة ٢٥٦ (**كتب إلى أبي**) هو أبو بكر بن عبد الله بن الزبير روى عن جديه الزبير وأسماء وعنه عثمان بن أبي حكيم، وابن أبي خيرة أخرج حديثه ابن ماجه (**بالعراق**) أي حالة كونه به (**عليك بالعلم فإنك ان كنت فقيراً كان**) العلم (**لك مالاً**) أي تحصل به المال، (**وإن استغنيت**) وكنت عالماً (**كان لك جمالاً**) وزينة وبهجة، فإن العلم للعلماء كالحلي للناهد، وقد روى مثل ذلك في فضل حسن الخط وليس اسناده بمستقيم. (**وحكى ذلك في وصايا لقمان لابنه**) وهو الذي أثنى الله تعالى عليه في كتابه اختلف في نبوته. قيل: كان حكيماً، وقيل كان رجلاً صالحاً وكان خياطاً أو نجاراً أو راعياً وقيل، حبشياً، وقيل: نوبياً كل ذلك نقله الزجاج (**وقال**) أيضاً: كما في الموطأ قال لقمان لابنه: (**يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك**) إشارة إلى شدة القرب وعدم الحياء في التعلم، فإنه إذا تأخر عن مجالسهم ولم يقربهم لم يستفد، وانظر إلى حديث جبريل عليه السلام وأسند ركبتيه إلى ركبتيه، وهكذا شأن المتعلمين (**فإن الله يُحيي القلوب بنور الحكمة**) بعد أن ماتت بظلمات الجهل (**كما يحيي الأرض**) الجدبة (**بوابل المطر**) فشبه القلب بالأرض الجدبة التي لا نبات بها بجامع عدم الإنتفاع، وشبه الحكمة بالمطر الغزير بجامع الإنتفاع، والارض إنما تحتاج إلى المطر في بعض الأوقات، فإذا تتابع عليها احتاجت إلى انقطاعه، وأما العلم فيحتاج إليه القلب بعدد الانفاس ولا يزيده كثرته إلا صلاحاً ونفعاً. (**وقال بعض الحكماء: إذا مات العالم بكاه الحوت في الماء والطير في الهواء**) شاهده ما أخرجه ابن النجار عن أنس، ويستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا إلى يوم القيامة، وقد تقدم شرحه في الحديث الثاني، والسر في ذلك لأن العلماء هم الذين يعلمون الناس أحكام الصيد والذبائح والإحسان في الذبح والقتل وما يحل من الصيدوما لا يحل ونهي الجهلة العوام عن قتل ما لا يؤذي وعن صيد ما لا ينتفع به واشباه ذلك، وهناك وجه آخر سيأتي قريباً (**ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره**) شاهده كلام علي رضي الله عنه في أول هذا الباب: العلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة. (**وقال**) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيدالله ابن عبدالله بن شهاب (**الزهري**): روى عن ابن عمر، وسهل، وابن المسيب، وحديثه عن أبي

★ **(فضيلة التعلم)** ★

(أما الآيات) فقوله تعالى : ﴿ فلولا نَفَرَ مِنْ كلّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا في الدِّين ﴾

هريرة في الترمذي، وعن رافع بن خديج في النسائي، وعنه يونس ومعمر ومالك. توفي سنة ١٢٤ في رمضان. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح، حدثنا السري بن عاصم، حدثنا سفيان قال: سمعت الزهري يقول: **(العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكران الرجال)**. ونص الحلية: العلم ذكر لا يحبه إلا الذكور من الرجال أي أقوياء الرجال.

وأخرجه الخطيب في كتابه أشرفية أصحاب الحديث من طريق محمد بن يونس قال: حدثنا محمد بن عبيدالله العتبي، حدثنا سعيد الخصاف عن الزهري فساقه وزاد: ولا يزهد فيه إلا إناثها والباقي سواء، ومعنى قوله ذكر أي عظيم. ومنه الحديث: القرآن ذكر فذكروه أي عظموه، ويعبر بالذكر أيضاً عن القوي الجلد. وقال أبو نعيم أيضاً: حدثنا محمد بن حميد، حدثنا عبدالله ابن أبي داود، حدثنا سليمان بن سعيد، حدثنا سعيد بن عامر، عن أبي بكر الهذلي قال، قال الزهري: يا هذلي أيعجبك الحديث؟ قلت: نعم. قال: إنما يعجبه مذكر الرجال ويكرهه مؤنثوهم. وأخرجه الخطيب في كتاب شرف أهل الحديث من طريق بكر بن سلام أبي الهيثم حدثني أبو بكر الهذلي فساقه، وفيه: أما أنه يعجب ذكور الرجال والباقي سواء، وأنشد للعباس بن محمد الخراساني تغمده الله برحمته:

لا يطلب العلم إلا باذل ذكر وليس يبغضه إلا المخانيث

ورويناه أيضاً في كتاب المجالسة للدينوري قال: حدثنا عبدالله بن مسلم بن قتيبة، حدثنا الرقاش، عن أبي يعقوب الخطابي، عن عمه قال، قال الزهري: الحديث ذكر يحبه ذكور الرجال ويكرهه مؤنثوهم، ورأيت في حواشي الزركشي على علوم ابن الصلاح إن بعض الناس ضبط في قول الزهري ذكر بالكسر وهو خطأ

في فضيلة التعلم:

استدل فيها بآيتين من كتاب الله عز وجل فقال:

(أما الآيات): فإنها في كتاب الله تعالى كثيرة مما يدل على فضيلته، ولكن وقع الإقتصار منها على آيتين لاشتمالها على المقصود الأعظم.

الأولى: (قوله تعالى) ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة (ليتفقهوا في الدين) ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ [التوبة: ١٢٢] أي ليتعلموا الفقه في الدين ندب الله تعالى المؤمنين إلى التفقه في الدين وهو تعلمه وانذار قومهم إذا رجعوا إليهم وهو التعليم، وسيأتي الكلام على هذه الآية في فضيلة التعليم، فإن الشيخ رحمه الله لما رأى الآية متضمنة على الفضيلتين أوردهما في موضعين استدلالاً على مطلوبه.

[التوبة : ١٢٢] ، وقوله عز وجل : ﴿ فاسئلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤٣] (وأما الأخبار) فقوله ﷺ : « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طـريقـاً إلى

والثانية: (قوله تعالى) (فاسئلوا أهل الذكر) أي تعلموا منهم ولا يكون التعليم إلا بالسؤال **(إن كنتم لا تعملون)**. والمراد بأهل الذكر أهل العلم من كل أمة وقيل: أهل القرآن، وقيل: أهل الكتب القديمة. أي ممن آمن منهم قاله السمين، ثم إن التعلم هو تنبيه النفس لتصور المعاني، كما أن التعليم تنبيهها لتصويرها وقد تقدم بيان ذلك.

(وأما الأخبار) الدالة على فضيلة التعلم فهي كثيرة اقتصر منها الشيخ رضي الله عنه على عشرة أحاديث ما بين صحاح وحسان وضعاف وموضوعة على قول فالأول حسن أو صحيح، والثاني صحيح، والثامن موضوع، والباقي ضعاف كما سيأتي بيان ذلك تفصيلاً.

أما الحديث الأول: **(فقوله عليه)** الصلاة **و(السلام: « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة »)** قال العراقي ورد من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة. أما حديث أبي الدرداء فرواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه في أثناء حديث، وقد تقدم في الحديث الثاني من هذا الباب وهذا لفظ الترمذي إلا أنه قال: يبتغي به بدل يطلب فيه، وتقدم لفظ أبي داود، وقال ابن ماجه: يلتمس بدل يطلب، وقال سهل الله له. وأما حديث أبي هريرة فرواه مسلم وابن ماجه من رواية أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رفعه بلفظه إلا أن مسلماً قال: سهل الله له، وقال ابن ماجه به، وقال أيضاً يلتمس بدل يطلب اهـ.

قلت: وعزا الجلال في ذيله على الجامع إلى الإمام أحمد والأربعة وابن حبان كلهم عن أبي الدرداء بلفظ: يطلب فيها علماً سهل الله له طريقاً من طرق الجنة. ونص الترمذي في جامعه، حدثنا محمود بن خداش، عن محمد بن يزيد الواسطي، عن عاصم بن رجاء أبي حيوة، عن قيس ابن كثير، عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » ثم ساق جملاً مضى ذكر بعضها في أحاديث فضل العلم ويأتي بعضها، ثم قال: كذا حدثنا محمود، وإنما يروى هذا الحديث، عن عاصم، عن داود بن جميل، عن كثير بن قيس، عن أبي الدرداء، وهذا أصح من حديث محمود، ولا يعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم. وفي العلل للدارقطني رواه الأوزاعي عن كثير بن قيس، عن يزيد بن سمرة وغيره من أهل العلم عن كثير بن قيس قال: وعاصم بن رجاء ومن فوقه إلى أبي الدرداء ضعفاء. وقال البزار: داود بن جميل، وكثير بن قيس لا يعلمان في غير هذا الحديث، ولا نعلم روى عن كثير غير داود والوليد بن مرة، ولا نعلم روي عن داود غير عاصم. قال ابن القطان: اضطرب فيه عاصم، فعنه في ذلك ثلاثة أقوال: **أحدها:** قول عبدالله بن داود، عن عاصم، عن واقد، عن كثير بن قيس. **والثاني:** قول أبي نعيم، عن عاصم، عمن حدثه، عن كثير. **والثالث:** قول محمد بن يزيد الواسطي، عن عاصم، عن كثير ولم يذكر بينهما أحداً، والمتحصل من علة هذا الخبر هو

الجنة ». وقال ﷺ: « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ». وقال

الجهل بحال راويين من رواته، والإضطراب فيه ممن لم تثبت عدالته اهـ. وقد مرّ عند الترمذي في رواية محمود بن خداش، عن محمد بن يزيد فسماه قيس بن كثير فصار اضطراباً رابعاً، والخامس قال في التهذيب داود بن جميل، وقال بعضهم: الوليد بن جميل، وفي جامع العلم لابن عبد البر من رواية ابن عياش عن عاصم بن جميل بن قيس، ثم قال: قال حمزة بن محمد: كذا قال ابن عياش في هذا الخبر جيل بن قيس، وقال محمد بن يزيد وغيره عن عاصم عن كثير بن قيس قال: والقلب إلى ما قاله محمد بن يزيد أميل، وهذا اضطراب سادس وسابع وثامن ذكره ابن قانع في المعجم، وزعم أن كثير بن قيس صحابي وإنه هو الراوي عن النبي ﷺ، وتبعه ابن الأثير على هذا، وقول ابن القطان لا يعرف كثير في غير هذا الحديث يرده قول ابن عبد البر. روي عن أبي الدرداء وعبدالله بن عمر ومع ذلك، فقد قال ابن عبد البر، قال حمزة وهو حديث حسن غريب، والتزم الحاكم صحته، وكذا ابن حبان رواه عن محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا عبد الأعلى ابن حماد، حدثنا عبدالله بن داود فذكره بطوله. وقال الترمذي بعد إخراجه للجملة الأولى من الحديث، عن أبي هريرة حسن. قال القسطلاني: وإنما لم يقل صحيح لتدليس الأعمش، لكن في رواية مسلم عن الأعمش، حدثنا أبو صالح فانتفت تهمة تدليسه اهـ. وقال الحاكم في المستدرك: فهو صحيح على شرطهما رواه عن الأعمش جماعة منهم زائدة وأبو معاوية وابن نهى اهـ. وأورده البخاري في أول صحيحه ولفظه: « سهل الله له طريقاً إلى الجنة » والباقي مثل سياق مسلم، والحديث محفوظ وله أصل، وقد تظاهر الشرع والعقل على أن الجزاء من جنس العمل فكلما سلك طريقاً يطلب فيه حياة قلبه ونجاته من الهلاك سلك الله به طريقاً يحصل له ذلك. وروى ابن عدي من حديث محمد بن عبد الملك الأنصاري، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة مرفوعاً: « أوحي إليَّ أنه من سلك مسلكاً يطلب العلم سهلت له طريقاً إلى الجنة ». قال العيني وابن حجر. وإنما لم يفصح البخاري بكونها تعليقاً للعلل التي ذكرت، وقال المناوي في شرح الحديث طريقاً أي حسية أو معنوية وعلماً نكره ليعم كل علم شرعي وآلته، ومعنى تسهيل الطريق في الدنيا أن يوفقه للعمل الصالح، وفي الآخرة بأن يسلك به طريقاً لا صعوبة فيها ولا هول إلى أن يدخله الجنة سالماً.

الحديث الثاني: **(وقال ﷺ: إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب)** وفي نسخة: « بما يصنع » الأجنحة جمع جناح بالفتح وهو للطائر بمنزلة اليد للإنسان ووضع أجنحتها عبارة عن حضورها مجلسه وتوقيره وتعظيمه أو إعانته على بلوغ مقاصده، أو قيامهم في كيد أعدائه وكفايته شرهم، أو عن تواضعها ودعائها له. يقال للرجل المتواضع خافض الجناح. قال السيد السمهودي: والأقرب كونه بمعنى ما ينظم هذه المعاني كلها كما يرشد إليه الجمع بين ألفاظ الروايات وروي النووي في بستانه بسنده إلى زكريا الساجي: كنا نمشي في أزقة البصرة إلى بعض المحدثين فأسرعنا المشي ومعنا رجل فاجر فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا

....

تكسروها كالمستهزىء فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط، وروى محمد بن طاهر المقدسي بسنده إلى الإمام أبي داود قال: كان في أصحاب الحديث خليع سمع بحديث أن الملائكة لتضع الخ فجعل في نعله مسامير حديد وقال: أريد أن أطأ أجنحة الملائكة فأصابته الأكلة في رجله. وفي رواية فشلت يداه ورجلاه وسائر أعضائه. قال العراقي أخرجه أحمد، وابن حبان، والحاكم وصححه من حديث صفوان بـن عسال، وهذا اللفظ لأحمد. وفي رواية له: ما من خارج يخرج من بيته إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع وهو لفظ ابن ماجه، وقال الحاكم: يضع. وأخرجه الثلاثة وابن حبان من حديث أبي الدرداء وقالوا: رضا لطالب العلم ليس فيه بما يضع، وأخرجه الذهبي في كتاب العلم من رواية زياد بن ميمون عن أنس بمثله اهـ.

قلت: أما حديث أنس فقد أخرجه ابن عساكر، والطيالسي، والبزار، والديلمي ولفظهم: «طالب العلم تبسط له الملائكة أجنحتها رضا بما يطلب». وأما حديث أبي الدرداء فقد أخرجه الإمام أحمد أيضاً، وابن ماجه. وأما حديث صفوان فأخرجه الطيالسي أيضاً ولفظه «بما يطلب» كما للمصنف.

وقرأت في إصلاح المستدرك للحافظ العراقي بخطه، وقد ساق هذا الحديث من طريق الإمام أحمد، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا عمر، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش أتيت صفوان بن عسال المرادي فقال: ما جاء بك؟ قال: فقلت جئت لأطلب العلم قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من خارج يخرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع» ثم قال: وأخرجه الطبراني عن إسحاق بن إبراهيم، عن عبد الرزاق مثله، وهو حديث صحيح أخرجه ابن ماجه، عن محمد بن يحيى، عن عبد الرزاق مقتصراً على المرفوع منه دون سؤال صفوان لزر عما جاء به وجوابه. ورواه ابن حبان في صحيحه في ثلاثة أنواع، عن ابن خزيمة، عن محمد بن يحيى. ومحمد بن رافع، عن عبد الرزاق. وقال في نوع منها وأخبرنا محمد بن إسحاق بن خزيمة بخبر غريب، ورواه الحاكم عن محمد بن يعقوب الأصم عن محمد بن عبدالله بن عبد الحكم، عن ابن وهب، عن معاوية بن صالح، عن عبد الوهاب بن بخت، عن زر، عن صفوان قوله: غير مرفوع وزاد في آخره «حتى يرجع» وقال: هذا إسناد صحيح، فإن عبد الوهاب ابن بخت من ثقات المصريين وإثباتهم، وقد احتجا به ولم يخرجا هذا الحديث قال: ومدار هذا الحديث على عاصم عن زر، وله عن زر شهود ثقات غير عاصم منهم المنهال بن عمرو وقد اتفقا عليه، ثم رواه من رواية عارم، عن الصعق بن حزن، عن علي بن الحكم، عن المنهال بن عمرو، عـن زر بن حبيش قال: جاء رجل من مراد يقال له صفوان بن عسال إلى رسول الله ﷺ فذكره مرفوعاً، لكنه مرسل كما سيذكره بعد، ثم قال الحاكم، وقد خالفه شيبان بن فروخ فقال: حدثنا الصعق بن حزن، حدثنا علي بن الحكم البناني، عن المنهال بن عمرو، عـن زر بن حبيش، عن عبدالله بن مسعود قال: حديث صفوان بن عسال المرادي قال: أتيت رسول الله

ﷺ : « لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة ». وقال ﷺ :

ﷺ وهو في قبة من أدم أحمر فقلت يا رسول الله: إني جئت أطلب العلم، فقال: « مرحباً بطالب العلم إن طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها ثم يركب بعضها بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب ». قال: هذا حديث رجاله محتج بهم في الصحيح، إلا أن ذكر ابن مسعود فيه نوع من المزيد في متصل الأسانيد، وقال: وقد صرح زر بسماعه له من صفوان، ويحتمل أنه سمعه من ابن مسعود عن صفوان، ثم سمعه من صفوان، ثم قال الحاكم: وقد أوقف هذا الحديث جماعة منهم أبو خباب الكلبي، عن طلحة بن مصرف، عن زر، ثم رواه من رواية الحسن بـن صالح عن أبي خباب موقوفاً على صفوان، والذي أسنده أحفظ والزيادة منهم مقبولة، وهذا حديث صحيح، وقد أورد العراقي على الحاكم في هذا السياق ثمان مؤاخذات تركتها خوف الإطالة، والله أعلم.

الحديث الثالث: (**وقال ﷺ : « لأن تغدو فتتعلم باباً من العلم**) أي نوعاً منه، وفي بعض الروايات باباً من الخير (**خير من أن تصلي مائة ركعة »**). وفي بعض النسخ مائتا ركعة. قال العراقي: رواه ابن عبد البر من رواية علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ : فذكره. وابن جدعان ضعيف، والحديث عند ابن ماجه من هذا الوجه إلا أنه قال: ألف ركعة وزاد فيه عمل به أو لم يعمل به وزاد في أوله: « لئن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة » وإسناد ابن ماجه منقطع فإنه عنده من رواية عبدالله بن غالب العباداني، عن عبدالله بـن زياد البحراني هكذا معنعناً، وفي رواية ابن عبد البر عبدالله بن غالب العباداني قال: حدثنا خلف بـن أعين، عن عبدالله بن زياد فزاد فيه رجلاً اهـ.

قلت: قال ابن القيم: أخرجه ابن عبد البر، عن معاذ مرفوعاً ولا يثبت رفعه. هكذا قاله عن معاذ ولعله سهو من قلم الناسخ.

وأما حديث ابن ماجه الطويل، فأخرجه الحاكم أيضاً في تاريخه، ويأتي بطوله في الحديث التاسع إن شاء الله تعالى. وروى الطبراني في الأوسط من رواية ابن جدعان، عن ابن المسيب، عن أبي ذر مرفوعاً « باب من العلم يتعلمه أحدكم خير له من مائة ركعة يصليها تطوعاً ».

وروى المخلص في فوائده، عن ابن صاعد، حدثنا القاسم بن الفضل، حدثنا حجاج بن نصير، حدثنا هلال بن عبد الرحمن، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن أبي هريرة وأبي ذر أنهما قالا: « باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعاً، وباب من العلم نتعلمه عمل به أو لم يعمل أحب إلينا من مائة ركعة تطوّعاً » وقالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: « إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات شهيداً » ورواه ابن أبي داود، عن شاذان، عن حجاج به. وروى الخطيب عن أبي هريرة قال: « لإن أعلم باباً من العلم في أمر أو نهي أحب إلي من سبعين غزوة في سبيل الله ».

« باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها ». وقال ﷺ: « اطلبوا العلم ولو بالصين »، وقال ﷺ: « طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ».

والحديث الرابع: **(وقال ﷺ: « باب من العلم يتعلمه الرجل خير اه من الدنيا وما فيها »)**. قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ مرفوعاً، وهو معروف هكذا من قول الحسن البصري رويناه في أمالي أبي عبد الله بن منده، ورواه ابن عبد البر في العلم وابن حبان في روضة العقلاء موقوفاً عن الحسن اهـ. ويروى عن الحسن: لأن أتعلم باباً من العلم فأعلمه مسلماً أحب إليّ من أن يكون لي الدنيا كلها في سبيل الله.

الحديث الخامس[١]: **(وقال ﷺ: « طلب العلم فريضة على كل مسلم »)** أخرجه ابن عدي والبيهقي، عن أنس، والطبراني في الكبير عن ابن مسعود، وفي الأوسط عن ابن عباس وفيه أيضاً وكذا البيهقي عن أبي سعيد، وتمام في فوائده عن ابن عمر، والخطيب في تاريخه عن علي.

قلت أما حديث أنس فأخرجه الخطيب في رحلته من رواية طريق بن سليمان، وأبو علي الحداد في معجم شيوخه من رواية هشام بن الصلت عن مسلم، وابن خسرو في مسنده من رواية أحمد بن الصلت، عن بشر بن الوليد، عن أبي يوسف، عن أبي حنيفة، وابن عدي في الكامل من رواية معاذ بن رفاعة، عن عبد الوهاب بن بخت، وابن ماجه في سننه من رواية محمد بن سيرين خمستهم عن أنس. وروينا في الكامل من رواية أحمد بن عبد الملك، عن نافع، عن ابن عمر، وعن محمد بن المنكدر، عن جابر، وفي مشيخة أبي علي بن شاذان من طريق حماد، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، وفي معجم شيوخ الحداد من رواية الشعبي، عن ابن عباس. قال البيهقي في الشعب: متنه مشهور واسناده ضعيف. وقد روي من أوجه كلها ضعيفة. وقال النووي في فتاويه: وهو حديث ضعيف، وإن كان معناه صحيحاً. وقال البزار: أسانيده واهية. وقال ابن القطان: لم يصح فيه شيء وأحسن ما فيه ضعيف وسكت عنه مغلطاي. وقال البدر الزركشي: روي عن عدة من الصحابة، وفي كل طرقه مقال، وأجودها طريق قتادة وثابت عن أنس، وطريق مجاهد عن ابن عمر، وقد أخرجه ابن ماجه في سننه عن كثير بن شنظير، عن ابن سيرين عن أنس وفيه زيادة: وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب. وكثير بن شنظير مختلف فيه فالحديث حسن. قال ابن عبد البر: روي من وجوه كلها معلولة، ثم روي عن إسحاق بن راهويه ما معناه أن في أسانيده مقالاً، ولكن معناه صحيح عندهم. وقال البزار: أحسن طرقه ما رواه إبراهيم بن سلام، عن حماد عن إبراهيم، عن أنس قال: ولا نعلم اسناد إبراهيم عن أنس سواه، وإبراهيم بن سلام لا نعلم روى عنه إلا أبو عاصم. وأخرج ابن الجوزي في منهاج العابدين من رواية أبي بكر بن أبي داود، حدثنا جعفر بن مسافر، حدثنا يحي بن حسان، عن سليمان بن قدم، عن ثابت، عن أنس فذكره، ثم قال ابن أبي داود، سمعت أبي يقول: ليس في طرقه أصح

---

(١) هذا الحديث ورد بعد الحديث السادس في الأصل.

....

من هذا. وقال السخاوي في المقاصد: أخرجه ابن ماجه، وابن عبد البر في بيان العلم له من حديث حفص بن سليمان، عن كثير بن شنظير، عن ابن سيرين، عن أنس مرفوعاً بتلك الزيادة. وحفص ضعيف جداً بل اتهمه بعضهم بالكذب والوضع، ولكن له شاهد عند ابن شاهين في الإفراد، ورويناه في ثاني الشهونيات من حديث موسى بن داود، حدثنا حماد بن سلمة، عن قتادة عن أنس به. وقال ابن شاهين أنه غريب. قال السخاوي: ورجاله ثقات، بل يروى عن نحو عشرين تابعياً عن أنس كإبراهيم النخعي، وثابت، وإسحاق بـن عبدالله بن أبي طلحة، وله عنه طرق، وحميد، والزبير بن خريت، وزياد بن ميمون بن عمار أو ابن عمار، وسلام الطويل، وطريق بن سليمان بن عاتكة، وقتادة، والمثنى بن دينار، والزهري، ومسلم الأعور كلهم عن أنس. ولفظ حميد: «طلب الفقه حتم واجب على كل مسلم» ولزياد: «والله يحب اغاثة اللهفان» ولأبي عاتكة في أوله «اطلبوا العلم ولو بالصين» وفي كل منها مقال، ولذا قال ابن عبد البر فساق ما أوردناه آنفاً ثم نقل عن البزار ما قدمنا ذكره، ثم قال: وهو عند البيهقي في الشعب، وابن عبد البر في العلم، وتمام في فوائده من طريق عبد القدوس بن حبيب الوحاظي، عن حماد، ثم ساق طريق ابن أبي داود الذي قدمناه قال: وكذا رواه ابن عبد البر من جهة جعفر، بل وفي الباب عن أبي دحابر، وحذيفة والحسين بن علي، وسمان وسمرة، وابن عباس، وابن عمـر وابن مسعود، وعلي، ومعاوية بن حيوة، ونبيط بن شريط، وأبي أيوب، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وعائشة بنت قدامة وآخرين. وقال أبو علي الحافظ: أنه لم يصح عن النبي ﷺ، ثم ساق كلام ابن الجوزي في العلل، ونقل عن الإمام أحمد أنه قال: لا يثبت عندنا في هذا الباب شيء ثم نقل كلام ابن راهويه، وكلام القطان، وكلام البيهقي ثم قال: ومثل به ابن الصلاح للمشهور الذي ليس بصحيح، وتبع في ذلك أيضاً الحاكم، ولكن قال العراقي: قد صحح بعض الائمة طرقه اهـ كلام السخاوي.

وقال المزني: هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن، وقال السيوطي في التعليقة المنيفة: وعندي أنه بلغ رتبة الصحيح لأنـي رأيت له نحو خمسين طريقاً، وقد جمعتها في جزء، ونقل المناوي عنه قال: جمعت له خمسين طريقاً وحكمت بصحته لغيره، ولم أصحح حديثاً لم أسبق لتصحيحه سواه اهـ.

قلت: إن أراد السيوطي بأنه لكثرة طرقه ارتقى من الضعف إلى الصحة، فهذا منظور فيه لأن كثرة الطرق لا ترقي الحديث إذا كان فيها مقال، كما صرح به الحافظ وغيره، وتقدم ذلك في حديث: من حفظ على أمتي، وإن كان اعتمد على طريق قتادة وثابت، فالأمر سهل. قال السخاوي وقد ألحق بعض المصنفين في آخره ومسلمة وليس لها ذكر في شيء من طرقه وإن كانت صحيحة المعنى، والله أعلم.

الحديث السادس: (وقال ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين») قال العراقي: أخرجه ابن

وقال عليه الصلاة والسلام: « العلم خزائن مفاتيحها السؤال، ألا فاسألوا فإنه يؤجر فيه أربعة: السائل والعالم والمستمع والمحب لهم ». وقال ﷺ: « لا ينبغي للجاهل أن

عدي في الكامل، والبيهقي في الشعب والمدخل، وابن عبد البر في العلم من رواية أبي عاتكة عن أنس، وأبو عاتكة منكر الحديث. وقال البيهقي: هذا الحديث مشهور وأسانيده ضعيفة وأخرجه ابن عبد البر أيضاً من رواية الزهري، عن أنس وفي اسناده يعقوب بن إسحاق العسقلاني فقد كذبه البيهقي.

قلت: رواه من طريق عبيد بن محمد، عن ابن عيينة، عن الزهري قاله السخاوي اهـ.

وأخرجه ابن عدي أيضاً من رواية الفضل بن موسى، عن محمد بـن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رفعه، ثم قال: هذا من وضع الجويباري لابن كرام باطل بهذا الإسناد اهـ.

قلت: وحديث أنس أيضاً أخرجه الخطيب في الرحلة، والديلمي في مسند الفردوس، وزادا كالبيهقي وابن عبد البر بآخره: « فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم ». وقال الحافظ في اللسان: وقد روي من طريق النخعي، سمعت أنساً وهو باطل أيضاً، فإن النخعي لم يسمع من أنس اهـ.

وقد روي هذا الحديث، عن أبي عاتكة ستة. محمد بن غالب التمتام، وجعفر بن هاشم، والحسن بن علي بن عباد، وأبو بكر الأعين، والعباس بن طالب، والحسن بن عطية. وقد خرج الخطيب هذا الحديث في رحلته من طرق هؤلاء، وكذا البيهقي، والديلمي، وابن عدي، والعقيلي وتمام، وقد ألفت في تخريجه والحديث الذي قبله جزأ لطيفاً أوردت فيه ما تيسر لي من الأسانيد.

الحديث السابع: (وقال ﷺ: « العلم خزائن) جمع خزينة **(ومفاتحها)** جمع مفتح ومفتاح كمنبر ومصباح. وفي بعض النسخ مفاتيحها بزيادة التحتية، وفي بعض الروايات ومفتاحها **(السؤال)**. قال الماوردي: حكي أن بعض الحكماء رأى شيخاً يحب النظر في العلم ويستحي من السؤال فقال: يا هذا تستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل مما كنت في أوّله. **(ألا فاسألوا)** وفي بعض النسخ فسلوا، **وفي بعض الروايات هنا بزيادة يرحمكم الله (فإنه يؤجر فيه أربعة)** من الأنفس **(السائل والعالم)**. وفي بعض الروايات والمعلم بدل العالم **(والمستمع والحب لهم »)**. وفي بعض النسخ والمجيب لهم، والمراد بالسؤال سؤال تفهم لا تعنيت فذلك منهي عنه. قال العراقي: أخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية داود بن سليمان الغازي، عن علي بن موسى، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب قال، قال رسول الله ﷺ: فذكره، ورواه الخطيب في كتاب الفقيه والمتفقه من طريق الطبراني، عن عبدالله بن أحمد بن عامر، عن أبيه، عن علي بن موسى قال في الميزان: ما ينفك عن وضعه أو وضع أبيه، وأيضاً فداود الغازي كذبه ابن معين وله نسخة موضوعة عن أهل البيت، وهذا الحديث معروف من قول الزهري رواه عبد الغني بن سعيد في كتاب آداب الحديث والمحدث اهـ.

قلـت: وأخرجه العسكري في الأمثال بمثل رواية الحلية، وأورده صاحب القوت فقال: وفي

يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه». وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه: «حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة»، فقيل: يا رسول الله: ومن قراءة القرآن؟ فقال ﷺ: وهل ينفع القرآن إلا بالعلم.

الخبر الذي رويناه من طريق أهل البيت وساقه وزاد في الميزان ان تلك النسخة الموضوعة رواها عن داود الغازي علي بن محمد بن مهرويه القزويني العدوي فيها هذا الحديث اهـ.

وأما عبدالله بن محمد بن عامر الطائي فقد ذكره ابن النجار في تاريخه في ترجمة علي الرضا، وذكر له جملة أحاديث رواها عنه بواسطة أبيه، وأما قوله: وهذا الحديث معروف من قول الزهري فقد أخرج أبو نعيم في الحلية من رواية ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب قال: «العلم خزائن وتفتحها المسائل». وأخرج أيضاً من رواية قتيبة بن سعيد، حدثنا رشدين بن سعد، عن ابن شهاب قال: مثله. وأخرج من رواية محمد بن إسحاق عن الزهري قال: كان يصطاد العلم بالمسألة كما يصطاد الوحش.

الحديث الثامن: (وقال ﷺ: «لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه») هكذا أورده صاحب القوت فقال: وكذلك روينا عن رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للجاهل أن يستقر على جهله ولا ينبغي للعالم أن يسكت عن علمه» وقد قال الله تعالى: ﴿فاسْألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [النحل: ٤٣] وقال العراقي رواه ابن السني وأبو نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين، وأبو بكر بن مردويه في تفسيره، وأبو الشيخ في كتاب الثواب من رواية محمد بن أبي حميد، عن ابن المنكدر، عن جابر بن عبدالله، عن رسول الله ﷺ فذكره. وقدم ذكر العالم وفي آخره: «فإن الله قال: فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون». ومحمد بن أبي حميد منكر الحديث قاله البخاري وغيره اهـ.

قلت: هو حماد بن أبي حميد إبراهيم الزرقي الأنصاري أبو إبراهيم المدني من رجال الترمذي وابن ماجه ضعيف، وقد أخرجه الطبراني في الأوسط من هذا الطريق وسياقه كسياق الجماعة.

الحديث التاسع: (وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه) جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه رفعه: **(«حضور مجلس عالم افضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة، فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن؟ فقال: وهل ينفع القرآن إلا بالعلم»)** قال العراقي: هذا الحديث موضوع، وإنما أعرفه من حديث عمر لا من حديث أبي ذر كما ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، فقال: روى محمد بن علي بن عمر المذكر قال: حدثنا إسحاق بن الجعد، حدثنا أحمد بن عبدالله الهروي، حدثنا إسحاق بن نجيح، حدثنا هشام بن حسان، حدثنا محمد بن سيرين، حدثنا عبيدة السلماني، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وأنا شاهد فقال يا رسول الله: إذا حضرت جنازة وحضر مجلس

وقال عليه الصلاة والسلام: « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة ».

عالم أيهما أحب إليك أن أشهده؟ فقال: « إن كان للجنازة من يتبعها ويدفنها فإن حضور مجلس عالم أفضل من حضور ألف جنازة تشيعها، ومن حضور ألف مريض تعوده، ومن قيام ألف ليلة للصلاة، ومن ألف يوم تصومه، ومن ألف درهم تتصدق بها، ومن ألف حجة سوى الفرض، ومن ألف غزوة سوى الواجب تغزوها في سبيل الله بنفسك ومالك ». الحديث. وفيه فقال رجل: قراءة؟ فقال: « ويحك وما قراءة القرآن بغير علم وما الحج بغير علم وما الجمعة بغير علم. أما علمت أن السنة تقضي على القرآن، والقرآن لا يقضي على السنَّة » قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، أما المذكر فقال أبو بكر الخطيب هو متروك، وأما الهروي فهو الجوبياري وهو الذي وضعه، وإسحاق بن نجيح قال أحمد أكذب الناس اهـ.

قلت: ونص ابن الجوزي بعد قوله: بنفسك ومالك. وأين تقع هذه المشاهد من مشهد عالم أما علمت ان الله يطاع بالعلم ويعبد بالعلم وخير الدنيا والآخرة في العلم وشر الدنيا والآخرة في الجهل، فقال رجل: الخ. وقد أقره على كونه موضوعاً الحافظ ابن حجر في اللسان، وقال: هذا من طامات الجوبياري، وتبعه الحافظ السيوطي في اللآلي المصنوعة، وقد وجدت لحديث أبي ذر طريقاً أخرى أخرجه ابن ماجة كما في الذيل للسيوطي، والحاكم في تاريخه كما في الجامع الكبير له في مسند أبي ذر ولفظه يا أبا ذر: « لأن تغدو في أن تتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، وان تغدو فتتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به خير من أن تصلي ألف ركعة تطوعاً » فيحتمل أن الشيخ أشار إلى هذا والله أعلم.

وأخرج الخطيب، وابن النجار في تاريخيهما، عن ابن عباس مرفوعاً: « من تعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل به كان أفضل من صلاة ألف ركعة، فإن هو عمل به أو علمه كان له ثوابه وثواب من يعمل به إلى يوم القيامة ».

الحديث العاشر: (وقال ﷺ: « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحي به الإسلام فبينه وبين الأنبياء درجة واحدة ») قال العراقي: رواه أبو نعيم في فضل العالم العفيف، والهروي في ذم الكلام من رواية عمرو بن أبي كثير، عن أبي العلاء، عن الحسين بن علي رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: « من جاءه الموت » فذكره. وزاد فيه « فمات على ذلك » وفي رواية الهروي عمرو بن كثير. وهكذا رواه الدارمي في مسنده، إلا أنه قال عن الحسن ولم ينسبه، وأطلقه ابن السني في رياضة المتعلمين، وابن عبد البر في العلم وقال بعد ذلك: إنه من مراسيل الحسن فجعله للحسن البصري وهذا هو الظاهر، فقد ذكر ابن حبان أبا العلاء هذا في أتباع التابعين من الثقات وقال: إنه يروى عن الحسن، وإنه روى عنه ابن عيينة، وقد اختلف فيه على عمرو بن أبي كثير فقصره بعضهم على الحسن، وزاد بعضهم بعد الحسن ابن عباس وهو حديث مضطرب اهـ.

(وأما الآثار) فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ذللت طالباً فعززت مطلوباً،

قلـت: ورواه يونس بن عبد الأعلى، عن ابن أبي فديك قال: حدثني عمرو بن كثير، عن أبي العلاء، عن الحسن مرسلاً هكذا. قال عمرو بن كثير: وأخرجه ابن عساكر عن الحسن مرسلاً، وأخرجه ابن النجار، عن الحسن، عن أنس إلاَّ أنهما قالا: يحي به الإسلام لم تكن بينه وبين الانبياء إلا درجة في الجنة.

قال العراقي: ويروى أيضاً عن ابن عباس رواه ابن السني وأبو نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين من رواية عمرو بن كثير، عن أبي العلاء، عن الحسن، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « من جاءه أجله وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام لم تفضله النبيون إلا بدرجة واحدة». وعمرو بن كثير لا أدري من هو، وقد اختلف عليه فيه كما تقدم. ورواه الازدي في الضعفاء، وأبو نعيم في كتاب فضل العالم العفيف، وابن عبد البر في العلم من رواية محمد بن الجعد، عن الزهري، وعلي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس، ومحمد بن الجعد ضعفه الازدي اهـ.

قلـت: ومحمد بن كثير ذكره الذهبي في ذيل الديوان وقال: يروي عن أبي الزناد مجهول.

وأخرج الطبراني في الأوسط، عن ابن عباس: « من جاءه أجله وهو يطلب العلم لقي الله لم يكن بينه وبين النبيين الادرجة النبوّة». وأخرجه الخطيب من رواية سعيد بن المسيب، عن ابن عباس: « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام لم يفضله النبيون.

وقال العراقي: ويروى من حديث أبي الدرداء، رواه أبو نعيم في كتاب فضل العالم العفيف، من رواية عبدالله بن زياد، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن أبي الدرداء قال، قال رسول الله ﷺ: « من طلب باباً من العلم ليحيي به الإسلام كان بينه وبين الانبياء درجة واحدة في الجنة» وابن جدعان مشهور بالضعف، وعبدالله بن زياد البحراني قال فيه الذهبي لا أدري من هو اهـ.

قلـت: وقد أخرجه كذلك ابن النجار في تاريخه.

وقال العراقي: ويروى من حديث أنس. رواه سليم الرازي في الترغيب والترهيب ولفظه: « من طلب يعني العلم حتى يأتيه الموت لم يكن بينه وبين الأنبياء الادرجة واحدة» وإسناده ضعيف اهـ.

قلـت تقدم ان ابن النجار أخرجه من رواية الحسين عن أنس، وقال ابن عبد البر: ومنهم من رواه، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، وعن أبي ذر، ومنهم من يرسله عن سعيد، وذكر أبو نعيم أنه يروى من حديث معاوية بن حيدة أيضاً ولم يوصل إسناده، والحديث مضطرب الإسناد جداً اهـ.

(وأما الآثار قال) عبدالله **(ابن عباس رضي الله عنهما ذللت طالباً)** أي صرت ذليلاً في

وكذلك قال ابن أبي مليكة رحمه الله: ما رأيت مثل ابن عباس إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجهاً، وإذا تكلم فأعرب الناس لساناً، وإذا أفتى فأكثر الناس علماً.

حال الطلب للعلم، كأنه يقول: أهنت نفسي واخترت المشقة في طلب العلم **(فعززت مطلوباً)** أي فصرت عزيزاً في حال كوني مطلوباً، ويدل لذلك ما أخرجه الحاكم في المستدرك من رواية يزيد ابن هارون، والطبراني من رواية وهب بن جرير كلاهما عن جرير بن حازم وهو والد الأخير قال: سمعت يعلى بن حكيم يحدث، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل: هلم فلنتعلم من أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كثير، فقال: العجب والله لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من ترى من أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فتركت ذلك وأقبلت على المسألة وتتبع أصحاب رسول الله ﷺ، فإن كنت لآتي الرجل في الحديث يبلغني أنه سمعه من رسول الله ﷺ فأجده قائلاً، فأتوسد ردائي على باب داره تسفي الرياح على وجهي حتى يخرج إليّ، فإذا رآني قال: يا ابن عم رسول الله ﷺ مالك؟ قلت: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ فأحببت أن أسمعه منك، فيقول: هلا أرسلت إليّ فآتيك. فأقول: أنا كنت أحق أن آتيك، وكان ذلك الرجل يراني، فذهب أصحاب رسول الله ﷺ، وقد احتاج الناس إليّ فيقول أنت كنت أعلم مني **(ولذلك قال)** أبو بكر عبدالله بن عبدالله **(ابن أبي مليكة رحمه الله)**. وأبو مليكة اسمه زهير بن عبدالله بن جدعان التيمي. كان أبو بكر مؤذن ابن الزبير وقاضيه سمع عائشة وابن عباس وعنه أيوب والليث قال: بعثني ابن الزبير على قضاء الطائف، فكنت أسأل ابن عباس توفي سنة ثمانية عشر ومائة. **(ما رأيت مثل ابن عباس إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجهاً)** وكان جميل الصورة كأبيه **(فإذا تكلم فأعرب الناس)** أي أفصحهم وأظهرهم **(لساناً)** وبياناً **(وإذا أفتى فأكثر الناس علماً)**.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية يونس بن بكير، حدثنا أبو حمزة الثمالي، عن أبي صالح قال: لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخراً، لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا يذهب. قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال: ضع لي وضوءاً قال؛ فتوضأ وجلس وقال: اخرج فقل لهم من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه فليدخل، فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلاّ أخبرهم عنه وزادهم، ثم قال إخوانكم فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل. قال: فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم، ثم قال إخوانكم فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل، فقلت لهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم، ثم قال: إخوانكم فخرجوا ثم قال: اخرج فقل لهم من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل، فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم، ثم قال:

وقال ابن المبارك رحمه الله: عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة، وقال بعض الحكماء: إني لا أرحم رجالاً كرحمتي لأحد رجلين، رجل يطلب العلم ولا يفهم، ورجل يفهم العلم ولا يطلبه. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لأن أتعلم مسألة أحب إليَّ من قيام ليلة. وقال أيضاً: العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم. وقال أيضاً: كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك.

إخوانكم فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم. قال أبو صالح: فلو أن قريشاً كلها فخرت بذلك لكان فخراً له، فما رأيت مثل هذا لأحد من الناس. **(وقال ابن المبارك رحمه الله)** تقدمت ترجمته **(عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة)** بضم الراء واحد المكارم. أي لأن المكارم كلها في طلب العلم فإنه العز الباقي وما عداه يزول. **(وقال بعض الحكماء)** وفي بعض النسخ العلماء **(إني لا أرحم رجلاً كرحمتي لأحد رجلين: رجل يطلب العلم ولا يفهم)** أي لا يتمكن من الفهم لأسراره وحقائقه، فهو أبداً في تعب حقيق أن يرحم **(ورجل يفهم)** أي أعطي ذهناً وقاداً وفكرة قابلة للفهم **(ولا يطلب)** إما كبراً أو حياء أو غير ذلك، فهو يضع نفسه حري أن يرحم وقريب من هذين من طلب وفهم ولم يجد من يعلمه. **(وقال أبو الدرداء رضي الله عنه)** عويمر بن عامر الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ أسلم عقب بدر، وفرض له عمر فألحقه بالبدريين لجلالته مات سنة اثنين وثلاثين **(لأن أتعلم مسألة)** أي في الدين أي مسائل العلم **(أحب إليَّ من قيام ليلة)**. وأخرج الخطيب بسنده إليه قال: مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة. وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية قيس بن عمار الرهيني، عن سالم بن أبي الجعد، عن معداد، عن أبي الدرداء قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. **(وقال)** أبو الدرداء **(أيضاً العالم والمتعلم شريكان في الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم)** الهمج محركة ذباب صغير كالبعوض يقع على وجوه الدواب، ويقال للرعاع همج على التشبيه، وهذا قد روي مرفوعاً من حديثه، أخرجه الطبراني في الكبير، والديلمي في مسند الفردوس بسند فيه معاوية بن يحيى الصدفي، إلاَّ انه ليس فيه همج، وقوله: شريكان في الخير أي لاشتراكهما في نشر العلم ونشره أعظم أنواع البر وبه قوام الدنيا والدين، وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية زائدة، عن منصور، عن سالم بن الجعد، عن أبي الدرداء قال: فإني أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون، فإن معلم الخير والمتعلم في الأجر سواء، ولا خير في سائر الناس بعدهما. وأخرج أبو خيثمة في كتاب العلم، عن جرير، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد فساقه إلاّ أنه قال: وليس في الناس خير بعده. وأخرج أبو نعيم من رواية يحيى بن إسحاق، حدثنا فرج بن فضالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي الدرداء قال: الناس ثلاثة عالم أو متعلم والثالث همج لا خير فيه. وأخرج أيضاً من رواية شعبة، عن عمرو بن مرة، عن سالم بن أبي الجعد قال: قال أبو الدرداء: تعلموا فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء ولا خير في سائر الناس

وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلساً من مجالس اللهو، وقال عمر رضي الله عنه: موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله

بعدهما. وأخرج أيضاً من رواية يزيد بن هارون، أخبرنا جويبر عن الضحاك قال: قال أبو الدرداء: يا أهل دمشق أنتم الاخوان في الدين والجيران في الدار والأنصار على الاعداء الحديث وفيه: ألا فتعلموا وعلموا فإن العالم والمتعلم في الأجر سواء، ولا خير في الناس بعدهما. وأخرج أيضاً من رواية الحجاج بن دينار، عن معاوية بن قرة، عن أبيه، عن أبي الدرداء قال: تعلموا قبل أن يرفع العلم إن رفع العلم ذهاب العلماء إن العالم والمتعلم في الأجر سواء وإنما الناس رجلان عالم ومتعلم ولا خير فيما بين ذلك. **(وقال)** أبو الدرداء **(أيضاً كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن رابعاً فتهلك)** . وفي بعض الروايات متبعاً بدل متعلماً. وقد روي مثل ذلك عن ابن مسعود أيضاً .وأخرج البيهقي والطبراني في الأوسط، والبزار في مسنده من رواية عطاء بن مسلم الخفاف، عن خالد الحذاء عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رفعه: اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن خامساً فتهلك، ثم قال البيهقي: تفرد به عطاء، عن خالد، وإنما يروى عن ابن مسعود وأبي الدرداء من قولهما، قال عطاء، قال لي مسعر زدتنا خامسة لم تكن عندنا. قال ابن عبد البر: الخامسة معاداة العلماء وبغضهم، ومن لم يحبهم فقد أبغضهم أو قارب، وفيه الهلاك. قال الهيثمي: ورجال الحديث موثقون، وتبعه السمهودي. قال المناوي: وهو غير مسلم، فقد قال أبو زرعة العراقي الحافظ في المجلس الثالث والأربعين بعد الخمسمائة من إملائه هذا حديث فيه ضعف، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، وعطاء بن مسلم مختلف فيه. وقال عبيد عن أبي داود إنه ضعيف، وقال غيره: إنه ليس بشيء اهـ.

وأخرج أبو خيثمة في كتاب العلم وهو أول حديث الكتاب فقال: حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن عثمان بن سلمة، عن أبي عبيدة قال: قال عبدالله: اغد عالماً أو متعلماً ولا تغد بين ذلك. وقال: حدثنا إسحاق بن سليمان سمعت حنظلة يحدث عن عون عن عبدالله قال: قلت لعمر بن عبد العزيز يقال إن استطعت أن تكون عالماً فكن عالماً، فإن لم تستطع فكن متعلماً، فإن لم تكن متعلماً فأحبهم، فإن لم تحبهم فلا تبغضهم، فقال عمر: سبحان الله لقد جعل الله له مخرجاً. **(ولنعم المجلس مجلس تذكر فيه الحكمة)** أي يتذاكر بها فيه، والمراد بها العلوم الشرعية (وتنشر فيه الرحمة) أي ما يكون سبباً لنيل الرحمة، وهذه الجملة بتمامها سقطت من بعض النسخ. **(وقال عطاء)** هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم المكي أحد الأعلام. روى عن عائشة، وأبي هريرة وخلف، وعنه الاوزاعي، وابن جريج، وأبو حنيفة، والليث. مات سنة خمسة عشر ومائتين عن ثمان وثمانين **(مجلس ذكر)** أعم من أن يكون مجلس علم أو اجتمعوا يذكرون الله **(يكفّر سبعين مجلساً من مجالس اللهو)**. المراد به التكثير لا خصوص العدد، وقد ورد في كفارة المجالس أحاديث. **(وقال عمر)** بن الخطاب رضي الله عنه: **(موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار)** أي في عبادة الله تعالى **(أهون من موت**

وحرامه. وقال الشافعي رضي الله عنه: طلب العلم أفضل من النافلة.

وقال ابن عبد الحكم رحمه الله: كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلي فقال: يا هذا ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النيّة. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: مَن رأى أن الغدوّ إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله.

عاقل بصير) أي كامل العقل تامه متبصر **(بحلال الله وحرامه)** أي بمعرفة ما أحل الله مما حرمه، وذلك لأن العابد نفعه من عبادته قاصر على نفسه، وأما العالم فإنه يفيد غيره فيكون سبباً لبقاء هذا الدين، والمراد بالعابد مع الجهل، أو الذي اشتغل بالعبادة مع علمه وترك التعليم. ويروى عنه: موت ألف عابد أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه. ووجهه أن هذا العالم يهدم على إبليس ما يبنيه بعلمه وارشاده، والعابد علمه مقصور على نفسه. **(وقال)** محمد بن إدريس **(الشافعي)** رحمه الله تعالى فيما أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث من رواية الأصم قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الشافعي يقول: **(طلب العلم أفضل من صلاة النافلة)**. وقال حرملة: سمعت الشافعي يقول: ما تقرب إلى الله عز وجل بعد أداء الفرائض بأفضل من طلب العلم. **(وقال)** الفقيه أبو محمد عبدالله **(ابن عبد الحكم)** بن أعين ابن الليث مولى امرأة من موالي عثمان بن عفان، وهو من الطبقة الصغرى من أصحاب مالك من أهل مصر، أخذ عن مالك وروى عنه الأكابر، وإليه انتهت الرئاسة والجاه بمصر، وعليه نزل الإمام الشافعي فأكرمه وعنده مات. مات سنة ٢١٤ عن ستين سنة، وأما ابنه محمد فقال ابن يونس كان مفتي مصر روى عن ابن وهب وطائفة، وعنه النسائي، وابن خزيمة، والأصم وآخرون. مات سنة ثمان وستين ومائتين. **(كنت عند مالك)** ابن أنس الإمام بالمدينة **(أقرأ عليه العلم فدخل)** وقت **(الظهر فجمعت الكتب)** وقمت **(لأصلي)** أي النافلة كما يدل له السياق، **(فقال)** مالك: **(يا هذا ما الذي قمت إليه)** من النافلة **(بأفضل مما كنت فيه)** من الاشتغال بالعلم **(إذا صحت النية)** بأن يكون تعلمه للعمل به لله تعالى، فنبه مالك بقوله هذا على فضل طلب العلم وشرط فيه صحة النية، وهذه القصة نسبها ابن القيم إلى ابن وهب ولفظه: وقال ابن وهب: كنت عند مالك فحانت صلاة الظهر أو العصر، وأنا أقرأ وأنظر في العلم بين يديه، فجمعت كتبي وقمت لأركع فقال لي مالك: ما هذا؟ فقلت: أقوم إلى الصلاة. فقال: إن هذا لعجب ما الذي قمت إليه أفضل من الذي كنت فيه إذا صحت النية، وبمثل هذا روي عن سفيان. أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث من رواية وكيع قال: سمعت سفيان يقول: لا نعلم شيئاً من الأعمال أفضل من طلب العلم والحديث لمن حسنت فيه نيته. **(وقال أبو الدرداء)** رضي الله عنه **(من رأى أن الغدو)** أي الذهاب أوّل النهار وزاد في رواية: والرواح **(إلى)** طلب **(العلم)** وتحصيله **(ليس بجهاد)** أي حقيقة أو قائماً مقامه **(فقد نقص في عقله ورأيه)**، بل هو المجاهد الأكبر لأن المجاهد يقاتل قوماً مخصوصين في قطر

(فضيلة التعليم)

(أما الآيـات) فقوله عز وجل : ﴿ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ [التوبة : ١٢٢] والمراد هو التعليم والارشاد . وقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للنّاس ولا يكتمونه ﴾ [آل عمران : ١٨٧] وهو إيجاب للتعليم . وقوله تعالى :

مخصوص، والعالم حجة الله على المعارض في سائر الأقطار وبيده سلاح العلم يقاتل به، فقد أخرج الديلمي، وأبو نعيم، عن عمار بن ياسر، وأنس بن مالك رفعاه: « طلب العلم كالغادي والرائح في سبيل الله عز وجل ». وأخرج الديلمي أيضاً عن أنس: « طالب العلم أفضل عندالله من المجاهد في سبيل الله ». ومثله قول كعب الأحبار: طالب العلم كالغادي الرائح في سبيل الله عز وجل.

فضيلة التعليم:

تقدم تعريفه والاختلاف فيه، وإنما قدّم التعلم عليه لكونه أهم ما أورد فيها ست آيات فقال: **(أما الآيات فقوله تعالى)** ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ [التوبة : ١٢٢] قال **(والمراد)** من الإنذار **(هو التعليم والإرشاد)** قال ابن عرفة: الإنذار هو الإعلام بالشيء الذي يحذر منه وكل منذر معلم ولا عكس اهـ. فحينئذ تفسيره بالتعليم هو المطابق كما انه يأتي بمعنى الاعلام أيضاً كما تقدم، وأما بالإرشاد فهو تفسير باللازم كما لا يخفى، ثم إن الإنذار يتعدى باثنين لنفسه كقوله تعالى: ﴿ إنا أنذرناكم عذاباً قريباً﴾ [النبأ : ٤٠]ويجوز في ثاني مفعوليه الحذف اقتصاراً لا اختصاراً كما هنا، ونحو: كلوا واشربوا. وهذه الآية ندب الله تعالى بها المؤمنين إلى التفقه في الدين وهو تعلمه،وقد تقدم ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم وهو التعليم، وقد اختلف في الآية. فقيل: المعنى أن المؤمنين لم يكونوا لينفروا كلهم للتفقه والتعلم، بل ينبغي أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة تتفقه تلك الطائفة، ثم ترجع تعلم القاعدين فيكون النفير على هذا نفير تعلم، والطائفة يقال على الواحد فما زاد. قالوا: فهو دليل على قبول خبر الواحد، وعلى هذا حملها الشافعي وجماعة. وقالت طائفة أخرى المعنى: وما كان المؤمنون لينفروا إلى الجهاد كلهم، بل ينبغي أن ينفر منهم طائفة للجهاد وفرقة تقعد تتفقه في الدين، فإذا جاءت الطائفة التي نفرت فقهتها القاعدة وعلمتها ما أنزل من الدين والحلال والحرام، وعلى هذا فيكون قوله: ليتفقهوا ولينذروا للفرقة التي نفرت منها طائفة، وهذا قول الأكثرين، وعلى هذا فالنفير نفير جهاد على أصله، فإنه حيث استعمل إنما يفهم منه الجهاد وعلى القولين فهو ترغيب في التفقه في الدين وتعلمه وتعليمه، فإن ذلك يعدل الجهاد، بل ربما يكون أفضل منه كما تقدم. **(وقوله)** تعالى: ﴿وإذ أخذ اللهُ ميثاق الذين أوتوا الكتاب﴾ أي أعطوه **(ليبيننه للناس)** أي ليظهرنه بالاعلام والتعليم ﴿ولا يكتمونه﴾ [آل عمران: ١٨٧] قال: **(وهو ايجاب للتعليم)** ويسمى هذا بيان الاختبار، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾[النحل :٤٤]

﴿وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ [البقرة: ١٤٦] وهو تحريم للكتمان، كما قال تعالى في الشهادة: ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ [البقرة: ٢٨٣] علماً. وقال تعالى: ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً﴾ [فصلت: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ [النحل: ١٢٥].

(وقال تعالى: وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) قال: (وهو تحريم للكتمان كما قال في الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه). وحقيقة الكتم ستر الشيء وتغطيته وغلب في الحديث.

وأخرج الطبراني بإسناد لا بأس به عن ابن عباس رفعه: « من كتم علماً يعلمه ألجم بلجام من نار » قال هي الشهادة تكون عند الرجل يدعى إليها أو لا يدعى وهو يعلمها فلا يرشد صاحبها إليها فهذا هو العلم. وأخرج أيضاً من حديث سعيد بن الدخاس « من علم شيئاً فلا يكتمه ». **(وقال تعالى: ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً)** [فصلت: ٣٣] وقال: إنني من المسلمين. قال الحسن: هو المؤمن أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحاً في إجابته، فهذا حبيب الله. هذا ولي الله فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد. **(وقال تعالى)**: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة﴾ [النحل: ١٢٥] الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن. اعلم أن المنتفع بآيات الله من الناس نوعان.

أحدهما: ذو القلب الواعي الذكي الذي يكتفي بهدايته بأدنى تنبيه فهذا لا يحتاج إلا إلى وصول الهدى إليه لكمال استعداده وصحة فطرته، فإذا جاء الهدى سارع قلبه إلى قبوله كأنه مكتوب فيه، وهذه حال أكمل الخلق استجابة لدعوة الرسل كما هي حال الصديق رضي الله عنه.

والنوع الثاني: من ليس له هذا الاستعداد والقبول، فإذا ورد عليه الهدى أصغى إليه سمعه وأحضر قلبه وعلم صحته وحسنه بنظره واستدلاله، وهذه طريقة أكثر المستجيبين، والأولون هم الذين يدعون بالحكمة وهؤلاء يدعون بالموعظة الحسنة، فهؤلاء نوعا المستجيبين، وأما المعارضون الدافعون للحق فنوعان: نوع يدعون بالمجادلة بالتي هي أحسن، فإن استجابوا وإلا فالمجالدة، فهؤلاء لا بدّ لهم من جدال أو جلاد، ومن تأمل دعوة القرآن وجدها شاملة لهؤلاء الأقسام كما بين ذلك قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ الآية. وأما أهل الجلاد فهم الذين أمر الله تعالى بقتالهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وأما من فسر قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة﴾ إنها القياس البرهاني والموعظة الحسنة القياس الخطابي وجادلهم بالتي هي أحسن القياس الجدلي، فهذا ليس من تفسير الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة التفسير، بل هو تحريف لكلام الله تعالى وحمل له على اصطلاح المنطقية، وهذا من جنس تفاسير القرامطة والباطنية والمعتزلة، والقرآن بريء من ذلك كله منزه عن هذه الهذايانات **(وقال)** تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ [البقرة: ١٢٩] الحكمة في معارف الشرع اسم للعلوم المدركة بالعقل، وقد أفرد ذكرها في عامة القرآن عن الكتاب فجعل الكتاب إسماً لما لا يدرك إلا من جهة النبوة

وقال تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ [البقرة: ١٢٩]. (وأما الأخبار قال النبي ﷺ: « ما آتى الله عالماً علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيين

والحكمة لما يدرك من جهة العقل وجعلا منزلين وأن إنزالها من الله تعالى، وقد يكونان مختلفين وجمع بينهما في الذكر لحاجة كل واحد منهما إلى الآخر، فقد قيل: لولا الكتاب لأصبح العقل حائراً، ولولا العقل لم ينتفع بالكتاب، وقيل: الكتاب بمنزلة اليد والحكمة بمنزلة الميزان ولا تعرف المقادير إلا بها، ولذلك عبر عن الحكمة بالميزان في قوله تعالى: ﴿الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾ [الشورى: ١٧] ولا يبلغ الحكمة إلا أحد رجلين إما مهذب في فهمه موفق في فعله ساعده معلم ناصح وكفاية وعمر، وأما إلهي يصطفيه الله فتفتح عليه أبواب الحكمة بفيض إلهي، ويلقي إليه مقاليد جوده فيبلغه ذروة السعادة: ﴿وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ [الجمعة: ٤] **(أما الأخبار قال النبي ﷺ: « ما آتى الله عالماً علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيين أن يبينه للناس ولا يكتمه »)** قال العراقي: يروى عن أبي هريرة، وابن مسعود.

أما حديث أبي هريرة فرويناه في جزء ابن نظيف، وفي فوائد الخلعي من طريقه من رواية موسى بن محمد، عن زيد بن مسور، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة رفعه وفيه: « أن لا يكتم » وموسى بن محمد البلقاوي كذبه أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما. ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية من طريقه، وأعله به، وقد رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية عبد الملك بن عطية، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، عن ابي هريرة وعبد الملك بن عطية. قال فيه الأزدي: ليس حديثه بالقائم.

وأما حديث ابن مسعود فرواه أبو نعيم في فضل العالم العفيف من رواية عبدالله بن صالح، عن محمد بن عبدالله الموصلي، عن الأعمش، عن ابراهيم، عن علقمة، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ليس من عالم إلا وقد أخذ الله عليه ميثاقه يوم أخذ ميثاق النبيين » وعبدالله بن صالح مختلف في الاحتجاج به اهـ.

قلت: أما حديث أبي هريرة فقد أخرجه العراقي في جزء له ألفه في الذب عن مسند الإمام أحمد، وساق سنده إلى محمد بن الفضل بن نظيف، أخبرنا أحمد بن الحسين الرازي، أخبرنا بكر بن سهل الدمياطي، حدثنا موسى بن محمد فذكره، ثم قال موسى بن محمد هو البلقاوي متهم لكن له شاهد بإسناد صالح من حديث ابن مسعود رويناه في كتاب: فضل العالم العفيف لأبي نعيم، وقال تلميذه الحافظ ابن حجر في القول المسدد بعد أن نقل كلام شيخه هذا احتجاجه بهذا الحديث واعترافه بأن موسى البلقاوي متهم أي أن الحفاظ اتهموه بالكذب لا يصح، لأنه إذاً لذلك لا يحتج بحديثه، وقد أخرج أبو نعيم في الحلية هذا الحديث من وجه آخر عن أبي هريرة، وفيه، من لا يعرف، وهو من رواية محمد بن عبدة القاضي وكان يدعى سماع ما لم يسمع وهو مشهور اهـ كلام الحافظ.

إن يبينه للناس ولا يكتمه ») وقال ﷺ لما بعث معاذاً رضي الله عنه، إلى اليمن « لأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا

وقد أورد الديلمي في الفردوس هذا الحديث عن أبي هريرة وساقه، ثم قال: وفي الباب عن ابن عباس، وعلي بن أبي طالب ولفظ الأخير، ما أخذ الله ميثاق الجاهل أن يتعلم حتى أخذ ميثاق العالم أن يعلمه. **(وقال ﷺ، لما بعث معاذاً إلى اليمن « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها »)** وفي نسخة « خير لك من حمر النعم ». قال العراقي: رواه أحمد في مسنده قال: حدثنا حيوة بن شريح، حدثني بقية، حدثني ضبارة بن عبدالله، عن دريد بن نافع، عن معاذ بن نافع، عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له: « يا معاذ لأن يهدي الله على يديك رجلاً من أهل الشرك خير لك من أن تكون لك حمر النعم ». وإسناده منقطع لأن دريد بن نافع لم يسمع من أحد من الصحابة، إنما أرسل عنهم اهـ.

قلت: حمر النعم خيارها وأفضلها عند أهلها وفيه دليل على فضل العلم وجليل منزلة أهله، حيث إذا اهتدى رجل واحد بالعلم خير له من تلك، فما الظن بمن يهتدي على يديه كل يوم طوائف من الناس.

قال العراقي: وفي الباب عن سهل بن سعد رواه البخاري ومسلم والنسائي من رواية أبي حازم، عن سهل بن سعد في قصته بعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب إلى خيبر. وفي آخره « فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم » اهـ.

قلت: ولفظ البخاري في الصحيح حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن، عن أبي حازم، أخبرني سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه » فذكر الحديث في طلبه علياً وإعطائه الراية، وفيه فقال علي يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال « اقعد على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لأن يهدي بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر اللعم ».

وأخرج الطبراني والترمذي الحكيم عن أبي رافع قال: بعث رسول الله ﷺ علياً إلى اليمن فعقد له لواءاً، فلما مضى قال: يا أبا رافع الحقه ولا تدعه من خلفه وليقف ولا يلتفت حتى أجيئه فأتاه فأوصاه بما شاء، وقال: « لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ». قال البيهقي: فيه يزيد بن أبي زياد مولى ابن عباس ذكره المزي في الرواية عن أبي رافع وابن حبان في الثقات.

وأخرج أبو داود، عن سهل بن سعيد بلفظ: « والله لأن يهدي بهداك رجل خير لك من حمر النعم ». **(وقال ﷺ: « من علم وعمل وعلّم فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السموات »)** لم يخرجه العراقي. وفي بعض النسخ وقال عيسى عليه السلام، وهكذا أخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي في كتاب العلم، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن بشير بن منصور، عن ثور، عن

وما فيها ». وقال ﷺ: « من تعلم باباً من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقاً ». وقال عيسى ﷺ: « من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السموات.

وقال رسول الله ﷺ: « إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا، فيقول الله عز وجل: أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة، وهذا

عبد العزيز بن ظبيان قال، قال المسيح عيسى بن مريم عليه السلام: من تعلم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماء.

وأخرج ابن الجوزي في كتاب ترجمة سفيان الثوري بسنده الى شعيب بن حرب عن سفيان قال: « من علم وعمل وعلم دعي عظيماً في ملكوت السماء » اهـ.

وقال الترمذي: سمعت أبا عمار الحسين بن حريث الخزاعي قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: عالم عامل معلم يدعى كبيراً في ملكوت السماء.

قلت: وقد روي مرفوعاً من حديث ابن عمر، أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ولفظه: « من تعلم لله وعمل لله كتب في ملكوت السموات والأرض عظيماً ». **(وقال ﷺ: « من تعلم باباً من العلم ليعلم الناس أعطي ثواب سبعين صديقاً »)** قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبدالله الحاكم قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا جعفر بن سهل المذكور، حدثنا محمد بن مروان الأميدي، حدثنا الجارود بن يزيد، حدثنا محمد ابن علاثة القاضي، حدثنا عبدة بن أبي أمامة، عن الأسود بن يزيد، عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « من تعلم باباً من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبياً ». كذا قال نبياً وهو منكر، وجعفر ابن سهل والجارود بن سهل كذابان، ومحمد بن عبدالله بن علاثة القاضي مختلف في الاحتجاج به اهـ.

قلت: وفي الفردوس للديلمي عن أنس: « من تعلم باباً من العلم وعمل به حشره الله يوم القيامة مع المتقدمين الأخيار الأبرار الأتقياء وله في الجنة سبعون قهرماناً ».

قال العراقي: وللطبراني في المعجم الكبير من رواية يوسف بن عطية قال: حدثنا مرزوق أبو عبدالله الحمصي، عن مكحول، عن أبي إمامة رفعه « أيما ناشئ نشأ في طلب العلم والعبادة حتى يكبر أعطاه الله يوم القيامة ثواب إثنين وسبعين صديقاً ». ويوسف بن عطية الصفار منكر الحديث، ورواه الطبراني في مسند الشاميين من رواية أبي سنان الشامي، عن مكحول مقتصراً على ذكر العبادة. وقال: أجر تسعة وتسعين صديقاً، وأبو سنان هو الغسملي مختلف فيه. **(وقال ﷺ: « إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله تعالى: أنتم عندي كبعض ملائكتي**

إنما يكون بالعلم المتعدي بالتعليم لا العلم اللازم الذي لا يتعدى ». وقال ﷺ: « إن الله عز وجل لا ينزع العلم انتزاعاً من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكن يذهب بذهاب العلماء، فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى إذا لم يبقَ إلا رؤساء جهالاً إن سئلوا أفتوا بغير علم فيضلون ويضلون ». وقال ﷺ: « من علّـم علماً فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجامٍ من نار ».

اشفعوا وتشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة ») قال العراقي: رواه المرهبي في العلم، عن رواية محمد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا كان يوم القيامة يجمع الله العلماء والغزاة والمرابطين وأهل الصوم والصلاة والزكاة والحج فيقول للمرابطين والغزاة وأصناف الخير ادخلوا الجنة فيصيح العلماء صيحة واحدة، فيقولون يا ربنا بفضل علمنا جاهدوا ورابطوا وصاموا وصلوا وزكّوا وحجّوا، فيقول الله عز وجل: لستم عندي في عداد أولئك أنتم عندي في عداد الملائكة قفوا حتى تشفعوا لمن أحببتم ثم تدخلوا الجنة ». ومحمد ابن السائب الكلبي ضعيف جداً.

ورواه ابن السني مختصراً في رياضة المتعلمين من رواية حبيب بن أبي حبيب، حدثنا شبل بن عباد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله رفعه: « يبعث العالم والعابد فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم أثبت تشفع للناس كما أحسنت أدبهم ». وحبيب بن أبي حبيب هو كاتب مالك كذبه ابن معين وغيره، وقد رواه ابن عبد البر في العلم فقال فيه حبيب بن ابراهيم قال: حدثنا شبل بن العلاء، عن محمد بن المنكدر، والصواب ما تقدم من أنه شبل بن عباد وهو القارئ المكي. وقد أخرج له البخاري، وحبيب بن ابراهيم هو كاتب مالك واسم أبيه ابراهيم على أحد الأقوال وقيل: مرزوق، وقيل زريق اهـ.

قلت: وحديث جابر هذا قد أخرجه أيضاً ابن عدي في الكامل والبيهقي وضعفه.

قال العراقي: وروى الأصبهاني في الترغيب والترهيب من طريق ابن أبي عاصم، حدثنا الحلواني، حدثنا حازم بن خزيمة، عن عثمان بن عمر القرشي، عن مكحول، عن أبي أمامة رفعه: « يجاء بالعالم والعابد فيقال للعابد أدخل الجنة، ويقال للعالم قف حتى تشفع للناس » وحازم بن خزيمة هو أبو خزيمة البخاري، قال السلماني فيه نظر.

قلت: ورواه ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس بلفظ « إذا كان يوم القيامة يؤتى بالعابد والفقيه فيقال للعابد ادخل الجنة، ويقال للفقيه اشفع تشفع » ويروى أيضاً: إذا كان يوم القيامة يقول الله للعابد ادخل الجنة فإنما كانت منفعتك لنفسك، ويقال للعالم اشفع تشفع فإنما كانت منفعتك للناس انتهى. **(وقال ﷺ: « إن الله لا ينزع العلم انتزاعاً من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالاً إن يُسألوا أفتوا بغير علم فيضلون ويضلون »)**. قال العراقي:

....

أخرجه الستة خلا أبا داود من رواية عروة عن عبدالله بن عمرو بن العاص رفعه ولفظهم: « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » لفظ مسلم، وقال البخاري: من العباد بدل من الناس وقال: حتى إذا لم يبق، وفي رواية له: « إن الله لا ينتزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون ». وفي لفظ لمسلم: « إن الله لا ينزع العلم انتزاعاً ولكن يقبض العلماء فينتزع العلم معهم ويبقى في الناس رؤساء جهالاً يفتونهم بغير علم فيضلون ويضلون ». وفي رواية لعبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن عروة: « إن الله لا ينتزع العلم من الناس بعد أن يعطيهم إياه، ولكن يذهب بالعلماء كلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم فيضلوا ويضلوا ». رواه النسائي اهـ.

قلت: ورواه الإمام أحمد في مسنده وسياقه كسياق البخاري، وزاد الترمذي حسن صحيح، وأخرجه الخلفي في فوائده وزاد في آخره عن سواء السبيل، وأخرجه ابن عساكر برواية يحي بن يحي بن عبد الرحمن، عن عباد بن عباد، ومن طريق هشام بن عمار، عن عبدالله بن الحرث الجمحي كلاهما عن هشام بن عروة عن أبيه، وقال الحافظ ابن حجر: قد اشتهر هذا الحديث من رواية هشام فوقع لنا من رواية أكثر من سبعين نفساً عنه اهـ.

قلت: منها ما أخرجه البخاري في العلم، عن أبي أويس، عن مالك، عن هشام. ورواه مسلم في القدر عن قتيبة، عن جرير، وعن أبي الربيع الزهراني، عن حماد بن زيد، وعن يحي بن يحي، عن عباد بن عباد وابي معاوية، وعن أبي بكر بن أبي شيبة، وزهر بن حرب كلاهما عن وكيع، وعن أبي كريب عن أبي عبدالله بن إدريس وأبي أسامة وعبدالله بن نمير وعبدة بن سليمان، وعن ابن أبي عمر، عن سفيان بن عيينة، وعن محمد بن حاتم، عن يحي بن سعيد، وعن أبي بكر بن نافع عن عمر بن علي المديني، وعن عبد بن حميد، عن يزيد بن هرون، عن شعبة الثلاثة عشر كلهم عن هشام.

ويروى أيضاً من حديث عائشة وأبي هريرة وأبي سعيد، فحديث عائشة عند البزار من رواية يونس عن الزهري عن عروة عنها، وقال: تفرد به يونس. وأما حديث أبي هريرة فعند الطبراني في الأوسط من رواية العلاء بن سليمان الرقي عن الزهري عن أبي سلمة عنه. وقال تفرد به العلاء. وأما حديث أبي سعيد، فرواه الطبراني فيه أيضاً من رواية عمرو بن الحرث، عن دراج، عن أبي الهيثم عنه. وقال: تفرد به الحجاج بن رشدين، عن أبيه، عن عمرو بن الحرث. وقد جمع في طرق هذا الحديث الحافظ أبو بكر الخطيب جزءاً حافلاً. **(وقال ﷺ: « من علم علماً فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار »)**. يروى هذا عن أبي هريرة، وعبدالله بن عمرو، وأبي سعيد، وأنس بن مالك، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وطلق بن علي، وجابر، ولا يصح منها

....

إلا حديث أبي هريرة، وعبدالله بن عمرو، وابن عباس، ولم أره بلفظ المصنف إلا في تاريخ ابن النجار عن ابن عمرو إلا أن فيه ثم كتمه.

أما حديث أبي هريرة قال العراقي: رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه من رواية علي بن الحكم عن عطاء بن أبي رباح عنه رفعه ولفظه: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة» لفظ أبي داود. وقال الترمذي: «من سئل عن علم علمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» وقال: حديث حسن. وقال ابن ماجه: «ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجماً بلجام من نار». وقال ابن حبان: «من كتم علماً يلجم بلجام من نار يوم القيامة». ورواه الحاكم في المستدرك من رواية القاسم بن محمد بن حماد، عن أحمد بن عبدالله بن يونس، عن محمد بن ثور، عن ابن جريج قال: جاء الأعمش إلى عطاء فسأله عن حديث فحدثه فقلنا له تحدث هذا وهو عراقي فقال: لأني سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ قال: «من سُئل عن علم فكتمه جيء به يوم القيامة ملجماً بلجام من نار» وقال: هذا حديث حسن صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قال العراقي: لا يصح من هذا الطريق لضعف القاسم بن محمد بن حماد الدلال الكوفي، قال الدارقطني: حدثنا عنه وهو ضعيف فلهذا لم أخرجه من هذا الوجه. قال الدارقطني في الجزء السابع من الأفراد. وإنما يعرف هذا من حديث علي بن الحكم، عن عطاء، عن أبي هريرة، ثم قال الحاكم: ذاكرت شيخنا أبا علي بهذا الباب ثم سألته هل يصح شيء من هذه الأسانيد عن عطاء؟ فقال: لا. قلت: لم؟ قال: لأن عطاء لم يسمعه من أبي هريرة، ثم رواه له أبو علي عن محمد ابن أحمد بن سعيد الواسطي، عن أزهر بن مروان، عن عبد الوارث بن سعيد، عن علي بن الحكم، عن عطاء، عن رجل، عن أبي هريرة. قال الحاكم: فقلت له قد أخطأ فيه أزهر بن مروان أو شيخكم وغير مستبدع منهما الوهم، ثم رواه الحاكم من رواية مسلم بن ابراهيم عن عبد الوارث، عن علي بن الحكم، عن رجل، عن عطاء، عن أبي هريرة قال: فاستحسنه أبو علي واعترف لي به. قال الحاكم، ثم لما جمعت الباب وجدت جماعة ذكروا فيه سماع عطاء من أبي هريرة اهـ.

وقال العراقي في إصلاح المستدرك، وقد رواه أبو داود الطيالسي فقال: حدثنا عمارة بن زاذان، حدثنا علي بن الحكم، عن عطاء، عن أبي هريرة رفعه: «من حفظ علماً فسُئل عنه فكتمه جيء به يوم القيامة ملجماً بلجام من نار» وقال: هذا حديث حسن أخرجه الترمذي، عن أحمد ابن بديل اليامي، عن عبدالله بن نمير وابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن أسود بن عامر كلاهما عن عمارة بن زاذان. وقد تابع عمارة عليه حماد بن سلمة أخرجه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عنه، وأخرجه ابن حبان في النوع التاسع والمائة من القسم الثالث عن عبدالله بن محمد الأزدي عن إسحاق بن ابراهيم، عن النضر بن شميل عنه، وتابع علي بن الحكم على روايته سليمان التيمي وابن جريج. قال العراقي: قد أعله أبو الحسن القطان في كتاب بيان الوهم والإيهام برواية

....

عبد الوارث وإدخاله رجلاً بين علي بن الحكم وعطاء. قال: وقد قيل إنه حجاج بن ارطأة.

قلت: قد صح عن علي بن الحكم أنه قال في هذا الحديث: حدثنا عطاء وهي رواية ابن ماجه، فاتصل إسناده، ثم وجدته عن جماعة صرحوا بالاتصال في الموضعين رويناه في الجزء السادس والعشرين من فوائد تمام من رواية معاوية بن عبد الكريم والعلاء بن خالد الدارمي وسعيد بن راشد قالوا: حدثنا عطاء قال: سمعت أبا هريرة. قال ابن القطان، واعلم أن له إسناداً صحيحاً، ثم ذكره من طريق قاسم بن أصبغ من رواية معتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء عن أبي هريرة، قال ابن القطان: هؤلاء كلهم ثقات. قال العراقي: وله طريق آخر صحيح من رواية ابن سيرين عن أبي هريرة أورده ابن ماجه، وقال الحافظ ابن حجر في القول المسدد: والحديث وإن لم يكن في نهاية الصحة لكنه صالح للحجة وهو على كل حال أولى من حديث البلقاوي، يعني الذي تقدم ذكره.

وأما حديث ابن عمرو فقال العراقي: رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك، فابن حبان من طريق أبي الطاهر بن السرح، والحاكم من رواية ابن عبد الحكم كلاهما عن ابن وهب، عن عبدالله بن عياش، عن أبيه، عن أبي عبد الرحمن الجيلي، عن عبدالله بن عمرو رفعه ولفظه. « من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ». قال الحاكم: هذا إسناد صحيح لا غبار عليه من حديث المصريين على شرط الشيخين وليس له علة. قال العراقي في إصلاح المستدرك: أما على شرط الشيخين فلا وقد علـه ابن الجوزي في العلل المتناهية بأن فيه عبدالله بن وهب النسوب، قال ابن حبان: دجال يضع الحديث. قال العراقي: وهذا تخليط من ابن الجوزي، وإنما هو عبدالله بن وهب الإمام صاحب الإمام مالك والاسناد مصريون فلا التفات إلى كلام ابن الجوزي، ولو أعله بعبد الله بن عياش لكان له وجه، فقد ضعفه أبو داود والنسائي وهو قريب من ابن لهيعة. وأخرج له مسلم حديثاً واحداً ووثقه ابن حبان.

قلت: وحديث ابن عمرو هذا قد أخرجه الطبراني أيضاً في الكبير.

وأما حديث أبي سعيد الخدري فقال العراقي: رواه ابن ماجه من رواية محمد بن داب، عن صفوان بن سليم، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد، عن أبيه رفعه ولفظه: « من كتم علماً مما ينفع الله به من أمر الناس في الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ». ومحمد بن داب كذبه أبو زرعة اهـ.

قلت: وفي بعض نسخ السنن مما ينفع الله به الناس من أمر الدين.

وأما حدبث أنس قال العراقي: رواه ابن ماجه أيضاً من رواية يوسف بن ابراهيم قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من سُئل عن علم فكتمه » الحديث. ويوسف هذا ضعفه أبو حاتم والبخاري اهـ.

وقال ﷺ : « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها

قلت : وأخرج ابن عدي، عن أنس: « من كتم علماً عنده وأخذ عليه أجرة لقي الله يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ».

وأما حديث ابن مسعود، فرواه الطبراني بإسنادين ضعيفين قاله العراقي.

قلت : ولفظه « من كتم علماً عن أهله ألجم يوم القيامة لجاماً من نار » هذا لفظ أبي داود، وعند ابن عدي في الكامل، والسجزي في الإبانة، والخطيب في التاريخ: « من كتم علماً ينتفع به ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ».

وأما حديث ابن عباس فرواه الطبراني أيضاً بإسناد لا بأس به، وأبو يعلى بإسناد جيد قاله العراقي.

قلت : ولفظه « من كتم علماً ينتفع به يعلمه »، الحديث. وفي آخره زيادة ذكرناها في أول الفصل عند ذكر الآيات، وأخرج ابن عساكر، والخطيب، والطبراني أيضاً بلفظ: « من سئل عن علم نافع فكتمه جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ».

وأما حديث ابن عمر، فقال العراقي: رواه ابن عدي في الكامل من رواية حسان بن سياه، عن الحسن بن ذكوان، عن نافع، عن ابن عمر وقال: هذا الحديث عن نافع لا أعلم يروى إلا من هذا الوجه، وحسان بـن سياه له أحاديث عامتها لا يتابعه غيره عليها والضعف بين على رواياته وحديثه اهـ.

قلت : وأخرجه كذلك الطبراني في الأوسط، والدارقطني في الأفراد بلفظ حديث أبي هريرة.

وأما حديث طلق بن علي، فقال العراقي: رواه ابن عدي أيضاً، والطبراني من رواية أيوب بن عتبة عن قيس بن طلق، عن أبيه. قال ابن عدي: وهذا الحديث بهذا الإسناد غريب جداً وأيوب ضعيف قاله ابن معين والبخاري اهـ.

قلت : وأخرجه الخطيب أيضاً من هذا الطريق.

وأما حديث جابر، فأخرجه السجزي في الإبانة، والخطيب في التاريخ بلفظ: « من كتم علماً نافعاً عنده » الخ. وهذا قد أغفله العراقي كما أغفل في مخرجي حديث أبي هريرة الإمام أحمد والبيهقي. **(وقال ﷺ : « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم فتعلمه إياها تعدل عبادة سنة)** . قال العراقي: رواه ابن عدي في العلم من حديث ابن عباس بهذا اللفظ ولم يذكر إسناده، وقد أسنده الطبراني فقال: حدثنا حجاج بن عمران السدوسي كاتب بكار القاضي، حدثنا عمرو بن الحصين العقيلي، حدثنا ابراهيم بن عبد الملك السلمي، عن قتادة، عن عروة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رفعه: « نعم العطية كلمة حق تسمعها ثم تحملها الى أخ لك مسلم فتعلمها إياه » وعمرو ابن الحصين تركه أبو

إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة ». وقال ﷺ : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله سبحانه وما والاه أو معلماً أو متعلماً ». وقال ﷺ : « إن الله سبحانه

حاتم وغيره، **(وقال ﷺ : الدنيا ملعونة)** أي مطرودة مبعودة من الله تعالى فإنه لم ينظر إليها منذ خلقها **(ملعون ما فيها)** ما شغل عن الله تعالى وأبعد عنه إلا ما قرب إليه، فإنه محبوب محمود كما أشار إليه قوله. **(إلا ذكر الله وما والاه)** أي ما أحبه الله من الدنيا وهو العمل الصالح والموالاة المحبة بين اثنين وقد تكون من واحد، وهو المراد هنا **(أو معلم أو متعلم)**. قال ابن القيم: لما كانت الدنيا حقيرة عند الله لا تساوي لديه جناح بعوضة، كانت وما فيها في غاية البعد منه، وهذا هو حقيقة اللعنة وهو سبحانه إنما خلقها مزرعة للآخرة ومعبراً إليها يتزود منها عباده إليها فلم يكن يقرب منها إلا ما كان متضمناً لإقامة ذكره ومقتضياً إلى محابه وهو الذي به يعرف ويعبد ويذكر ويثني عليه ويمجد، ولهذا خلقها وخلق أهلها وهو المطلوب، وما كان طريقاً إليه من العلم والتعلم فهو المستثنى من اللعنة، واللعنة واقعة على ما عداه إذ هو بعيد عن الله وعن محابه وعن دينه فهو متعلق العقاب، والله سبحانه إنما يحب من عباده ذكره وعبادته ومعرفته ومحبته ولوازم ذلك وما أفضى إليه، وما عداه فهو مبغوض له مذموم عنده.

وقال أبو العباس القرطبي: لا يفهم من هذا الحديث إباحة لعن الدنيا مطلقاً لما روي من حديث أبي موسى الأشعري رفعه: « لا تسبوا الدنيا ».

قال العراقي: رواه الترمذي، وابن ماجه من رواية عطاء بـن قرة قال: سمعت عبدالله بن حمزة قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الدنيا » فذكره. وقال: وعالم أو متعلم لفظ الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، وقال ابن ماجه: للدنيا وقال: أو عالماً أو متعلماً اهـ.

قلت: وأخرجه الترمذي الحكيم في النوادر من طريق وهيب، عن عطاء بن قرة السلولي، عن عبدالله بن حمزة، ومن طريق ابراهيم الأسلمي، عن رجل، عن عطاء بن قرة، عن عبدالله بن ضمرة، عن أبي هريرة ولم يذكر قتيبة يعني شيخه في الإسناد الأول عن أبي هريرة وسياقه كسياق المصنف إلا أنه ليس فيه وما والاه، قال المناوي: وعالماً ومتعلماً بنصبها عطف على ذكر الله، ووقع للترمذي وعالم ومتعلم لا لكونهما مرفوعين لأن الاستثناء من موجب، بل إن طريقة كثير من المحدثين إسقاط الألف اهـ وفيه تأمل.

قال العراقي: وفي الباب عن ابن مسعود ذكره الدارقطني في العلل فقال: رواه أبو المطرف مغيرة بن مطرف، عن عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن عبدة بن أبي أمامة، عن شقيق، عن عبدالله رفعه: « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا عالم أو متعلم » وذكر الله. وقال: هذا إسناد مقلوب، وإنما رواه ابن ثوبان، عن عطاء، عن ابن ضمرة، عن أبي هريرة وهو الصحيح، **(وقال ﷺ : « إن الله وملائكته وأهل سماواته وأرضه حتى النملة في حجرها وحتى الحوت**

وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النملة في حجرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير».

وقال ﷺ: «ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه». وقال ﷺ: «كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة»

في البحر ليصلون على معلم الناس الخير») قال العراقي: أخرجه الترمذي من رواية القاسم، عن أبي أمامة رفعه فذكره، ولم يقل في البحر. وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح وهو بعض الحديث التاسع عشر، وقد تقدم، وقد فصله الطبراني منه فجعلها حديثين وقال فيه: وحتى الحوت في البحر كما ذكره المصنف إلا أنه لم يقل وأهل السموات والأرض. ويروى عن أبي هريرة أيضاً، وقد تقدم في الحديث التاسع عشر.

قلت: وحديث أبي هريرة أخرجه الطبراني في الكبير أيضاً والضياء في المختارة، وسياقه كسياق حديث أبي أمامة. **(وقال ﷺ: «ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه»)** قال العراقي: رواه ابن عبد البر مع اختلاف مرسلاً من حديث محمد بن المنكدر، عن النبي ﷺ قال: «من أفضل الفوائد حديث حسن يسمعه الرجل فيحدث به أخاه» وهو مرسل حسن الإسناد. قال ابن عيينة: لم يدرك أحداً أجدر من أين يقبل الناس منه، إذا قال: قال رسول الله ﷺ من ابن المنكدر.

وروى أبو نعيم من رواية إسماعيل بن عياش، عن عمارة، عن غزية، عن عبيدالله بن أبي جعفر عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة تزيده هدى أو ترده عن ردى». ورويناه من طريق أبي يعلى الموصلي من هذا الوجه وهو منقطع، فإن عبيدالله بن أبي جعفر المصري لم يسمع من عبدالله بن عمرو شيئاً، إنما روى عن التابعين اهـ.

قلت: وأخرجه البيهقي في الشعب وتعقبه بأن في اسناده إرسالاً بين عبيدالله وعبدالله، وأورده الديلمي في الفردوس بهذا اللفظ، والضياء في المختارة ولفظه: «ما أهدى المرء المسلم لأخيه هدية» وفيه «يزيده الله بها هدى أو يرده بها عن ردى». وقال الذهبي في الديوان عبيدالله بن أبي جعفر. قال أحمد: ليس بالقوي. قال المناوي: وفي إسناده أيضاً إسماعيل بن عياش، قالوا: ليس بالقوي، وعمارة بن غزية ضعفه ابن حزم لكنه خولف. وفي معنى الحديث قيل: كلمة لك من أخيك خير لك من مال لأن الحكمة تنجيك والمال يطغيك. **(وقال ﷺ: «كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها»)**. وفي بعض النسخ كلمة من الحكمة وسقطت الجملة الأخيرة من أكثر النسخ، قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن محمد بن علي بن الأشعث، حدثنا شريح بن عبد الكريم التميمي، حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن

وخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه، والثاني يعلّمون الناس فقال: « أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلماً ثم عدل إليهم وجلس معهم ».

علي بن أبي طالب، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن محمد بن أبي عائشة، عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه فذكره دون قوله، فيعمل بها ويعلمها. وابن الأشعث هذا من الشيعة رماه ابن عدي والدارقطني بالوضع.

ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق مرسلاً فقال: أخبرنا عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ. وعبدالرحمن بن زيد ضعفه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم اهـ.

قلت: وروى الديلمي أيضاً عن أبي هريرة: كلمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم خير من عتق رقبة. (**وخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله**) وفي بعض النسخ إلى الله، (**ويرغبون إليه، والثاني يعلمون الناس فقال: « أما هؤلاء فيسألون الله تعالى إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيعلمون الناس، وإنما بُعثت معلماً ثم عدل إليهم وجلس معهم »**) هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد إلا أن فيه « والآخر يتفقهون في الدين ويعلمون الناس » فوقف بينهما.

وقال العراقي: رواه ابن ماجه من رواية داود بن الزبرقان، عن بكر بن خنيس عن عبدالرحمن زياد بن أنعم، عن عبدالله بن يزيد، عن عبدالله بن عمرو قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حجره فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين أحدهما كذا يقرأون القرآن ويذكرون الله والآخر، كذا يتعلمون ويعلمون فقال النبي ﷺ: « كل على خير هؤلاء يقرأون القرآن ويدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون وإنما بعثت معلماً »، وجلس معهم ومداره على عبدالرحمن بن زياد وقد وثقه يحيى بن سعيد. وقال البخاري: مقارب الحديث، وضعفه جماعة، وابن الزبرقان وبكر بن خنيس ضعيفان، وقد تابع بكر بن خنبس عليه زهير بن معاوية، وعبدالله بن وهب، وعبدالله بن المبارك، إلا أنهم قالوا عنه عن عبدالرحمن بن رافع بدل عبدالله بن يزيد، وقولهم أولى بالصواب من رواية بكر بن خنيس، فأما رواية زهير فأخرجها الطبراني ولفظه: إن رسول الله ﷺ دخل المسجد فرأى مجلسين أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمون فقال رسول الله ﷺ: « كلا المجلسين على خير أحدهما أفضل من الآخر. أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل وإنما بعثت معلماً وهؤلاء أفضل ». فأتاهم حتى جلس إليهم. وأما رواية عبدالله بن وهب فرواها ابن السني في رياضة المتعلمين، وابن عبدالبر في العلم بنحو لفظ الطبراني. وأما رواية ابن المبارك فرواها أبو نعيم في

وقال ﷺ : « مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ » اهـ.

رياضة المتعلمين نحوه وعبدالرحمن بن رافع هذا قال البخاري في حديثه مناكير، وذكره ابن حبان في الثقات إلا أنه قال: لا يحتج بخبره إذا كان من رواية ابن أنعم عنه اهـ.

وقال صاحب القوت بعد ما أورد الحديث، ويحكى عن بعض السلف قال: دخلت المسجد ذات يوم فإذا بحلقتين إحداهما يقصون ويدعون والأخرى يتكلمون في العلم وفقه الأعمال قال: فملت إلى حلقة الدعاء فجلست إليهم فحملتني عيناي فنمت فهتف بي هاتف جلست إلى هؤلاء وتركت مجلس العلم. أما لو جلست إليهم لوجدت جبريل عليه السلام عندهم. **(وقال ﷺ : « مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله بها الناس شربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ »)** هكذا في النسخ. وفي نسخة بعد قوله: فانبتت الكلأ والعشب وتصيب أرضاً أخرى إنما هي أجاذب أمسكت الماء ولم تنبت الكلأ، فجمل الناس عنها الماء إلى غيرها فزرعوا عليها وسقوا وأسقوا، وكانت منها بقعة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. ونسخة العراقي بعد قوله؛ والعشب الكثير وكانت منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. **(فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به) .** قال العراقي: رواه البخاري ومسلم من رواية بريد بن عبدالله بن أبي بردة، عن جده أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ ، واللفظ للبخاري إلا أنه قال: من الهدى والعلم. وقال في الرواية المشهورة نقية بدل بقعة ولم يقل في الثانية بقعة. وقال: وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان وذكر بقية الحديث اهـ.

قلت: البخاري في أوّل صحيحه، ومسلم في فضائله ﷺ ، والنسائي في العلم، والرامهرمزي، والعسكري في الأمثال كلهم من رواية أبي أسامة حماد بن أسامة عن بريد. ولفظ البخاري: « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجاذب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة أخرى منها إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ».

فالأول ذكره مثلاً للمنتفع بعلمه، والثاني ذكره مثلاً للنافع، والثالث للمحروم منها.

شرح هذا الحديث قوله: مثل هو بالتحريك قوله من الهدى والعلم بالجر عطف على الهدى من عطف المدلول على الدليل، لأن الهدى هو الدلالة الموصلة للمقصود، والعلم هو المدلول وهو صفة توجب تميزاً لا يحتمل النقيض، والمراد به هنا الأدلة الشرعية قاله القسطلاني، ولا يخفى أن جعل العلم مراداً به الأدلة الشرعية فيه مسامحة لظهور أن الأدلة ليست مدلولاً للدلالة، وعليه فالمراد مدلول الأدلة الشرعية وهو الأحكام الشرعية كوجوب الصلاة مثلاً فتدبر قوله، نقية: من النقاء بالنون والقاف أي طيبة، قوله: قبلت الماء بكسر الموحدة من القبول. وقال إسحاق بن راهويه: قيلت الماء بالتحتية المشددة والمعنى شربت القيل وهو شرب نصف النهار، وجزم الأصيلي بأنه تصحيف. وذكر العشب بعد الكلأ من باب ذكر الخاص بعد العام إذ الكلأ النبات يابساً ورطباً والعشب الرطب منه. وفي رواية الحميدي والخطابي ثغبة بالمثلثة مفتوحة وغين معجمة ساكنة وهو مستنقع الماء في الجبال والأودية. ورده عياض وحكم بتصحيفه وقلبه للتمثيل قال: لأنه إنما جعل هذا المثل لما ينبت والثغاب لا ينبت.

وفي كتاب مسلم طائفة طيبة قبلت الماء قوله أجادب جمع جدب محركة على غير قياس وصوّبه الأصيلي وقيل بالذال المعجمة، وهكذا ضبطه المازري ووهمه عياض. وفي رواية أبي ذر آخاذات بالكسر جمع آخاذة وهي الأرض التي تمسك الماء كالغدير، وعند الاسماعيلي أحارب بحاء مهملة وراء وآخره موحدة، وفي المصابيح ويروى: أجارد أي جرداء بارية لا يسترها النبات، قوله: ورعوا وفي رواية وزرعوا. قوله: وأصاب منها طائفة أخرى، وللأصيلي وكريمة وأصابت ووقع كذلك عند النسائي. (**فالأول ذكره مثلاً للمنتفع بعلمه، والثاني للنافع، والثالث للمحروم منها**).

أي، الأول: هو العالم العامل المعلم وهو كالأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها.

الثاني: الجامع للعلم المستغرق زمانه المعلم غيره، لكنه لم يعمل بنوافله أو لم ينفقه فيما جمع، فهو كالأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به. وقوله في الحديث: ومثل من لم يرفع بذلك رأساً هو كناية عن تكبره وعدم التفاته، وهو من دخل في الدين ولم يسمع العلم أو سمعه ولم يعمل به ولم يعلمه فهو كالأرض السبخة التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها، وأشار بقوله: ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به إلى من لم يدخل في الدين أصلاً بل بلغه فكفر به، وهو كالأرض الصماء الملساء المستوية التي يمر عليها الماء فلا تنتفع به، وهذا هو المشار إليه بالقول الثالث في كلام المصنف.

وقال الدماميني في المصابيح: وتشبيه الهدى والعلم بالغيث الكريم المذكور تشبيه مفرد بمركب إذ الهدى مفرد، وكذا العلم والمشبه به غيث كثير أصاب أرضاً منها ما قبلت الماء فأنبتت، ومنها

....

ما أمسكت خاصة، ومنها ما لم تنبت ولم تمسك مركب من عدة أمور كما تراه وشبه من انتفع بالعلم ونفع به بأرض قبلت الماء وأنبتت وهو تمثيل، لأن وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من قبول المحل لما يرد عليه من الخير مع ظهور أماراته وانتشارها على وجه عام الثمرة متعدي النفع ولا يخفى أن هذه الهيئة منتزعة من أمور متعددة، ويجوز أن يشبه انتفاعه بقبول الأرض الماء ونفعه المتعدي بإنباتها الكلأ، والأول أدخل وأجزل، ثم قال: قد وقع في الحديث أنه شبه من انتفع بالعلم في خاصة نفسه ولم ينفع به أحداً بأرض أمسكت الماء ولم تنبت شيئاً أو شبه انتفاعه المجرد بإمساك الأرض للماء مع عدم انباتها، وشبه من عدم فضيلتي النفع والانتفاع جميعاً بأرض لم تمسك ماء أصلاً، وشبه فوات ذلك له بعدم إمساكها الماء. وهذه الحالات الثلاث مستوفية لأقسام الناس ففيه من البديع التقسيم.

فإن قلت: ليس في الحديث تعرض للقسم الثاني فإنه قال فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم وهذا القسم الأول، ثم قال: ومثل من لم يرفع رأساً إلخ هذا هو القسم الثالث، فأين الثاني؟ فالجواب: ذكر من الأقسام أعلاها وأدناها وطوى ذكر ما بينهما لفهمه من أقسام المشبه به المذكورة أولاً أو أن قوله: ونفعه معطوف على الموصول الأول أي: فذلك مثل من فقه في دين الله ومثل من نفعه، فتكون الأقسام الثلاثة مذكورة فمن فقه في دين الله هو الثاني، ومن نفعه الله من ذلك فعلم وعلم هو الأول، ومن لم يرفع بذلك رأساً هو الثالث. ففيه لف ونشر غير مرتب، هذا كلام الدماميني.

وقال ابن القيم: شبّه ﷺ العلم والهدى الذي جاء به بالغيث لما يحصل بكل واحد منهما من الحياة والمنافع والأغذية والأدوية وسائر مصالح العباد، فإنها بالعلم والمطر. وشبه القلوب بالأراضي التي يقع عليها المطر لأنها المحل الذي يمسك الماء فينبت سائر أنواع النبات النافع، كما ان القلوب تعي العلم فتثمر وتزكو وتظهر بركته وثمرته، ثم قسّم الناس إلى ثلاثة أقسام بحسب قبولهم واستعدادهم لحفظه وفهم معانيه واستنباط أحكامه واستخراج حكمه وفوائده.

أحدها: أهل الحفظ والفهم الذين حفظوه وعقلوه وفهموا معانيه واستنبطوا وجوه الأحكام والحكم والفوائد منه، فهؤلاء بمنزلة الأرض التي قبلت الماء، وهذا بمنزلة الحفظ فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وهذا هو الفهم فيه، والمعرفة والاستنباط فهو بمنزلة الكلأ والعشب بالماء، فهذا مثل الحفاظ الفقهاء أهل الرواية والدراية.

القسم الثاني: أهل الحفظ الذين رزقوا حفظه ونقله وضبطه ولم يرزقوا تفقهاً في معانيه ولا استنباطاً واستخراجاً لوجوه الحكم والفوائد منه، فهم بمنزلة من يقرأ القرآن ويحفظه ويراعي حروفه وإعرابه ولم يرزق فيه فهماً خاصاً عن الله تعالى، والناس متفاوتون في الفهم عن الله تعالى ورسوله أعظم تفاوت، فرب شخص يفهم من النص حكماً أو حكمين، ويفهم منه الآخر مائة أو مائتين، فهؤلاء بمنزلة الأرض التي أمسكت الماء للناس فانتفعوا به، هذا يشرب منه، وهذا

وقال ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به » . الحديث .

يسقي، وهذا يزرع. فهؤلاء القسمان هم السعداء والأولون أرفع درجة وأعلى قدراً و﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾.

القسم الثالث: الذين لا نصيب لهم منه لا حفظاً ولا فهماً ولا رواية ولا دراية، بل هم بمنزلة الأرض التي هي قيعان لا تنبت ولا تمسك الماء وهؤلاء هم الأشقياء، والقسمان الأولان اشتركا في العلم والتعليم كل بحسب ما قبله ووصل إليه، فهذا يعلم ألفاظ القرآن ويحفظها، وهذا يفهم معانيه وأحكامه وعلومه، والقسم الثالث لا علم ولا تعليم، فهم الذين لم يرفعوا بهدى الله رأساً ولم يقبلوه، وهؤلاء شر من الأنعام وهم وقود النار، فقد أشمل هذا الحديث الشريف على التنبيه على شرف العلم وعظم موقعه وشقاء من ليس بأهله، وذكر أقسام بني آدم بالنسبة فيه إلى شقيهم وسعيدهم، وتقسيم سعيدهم إلى سابق مقرب وصاحب يمين مقتصد، وفيه دلالة على أن حاجة العباد إلى العلم كحاجتهم إلى المطر بل أعظم، وانهم إذا فقدوا العلم فهم بمنزلة الأرض التي فقدت الغيث. قال الإمام أحمد: الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلم يحتاج إليه بعدد الانفاس. **(وقال ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له »)**. قال العراقي: رواه مسلم، وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح، والنسائي من رواية العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: إذا مات الإنسان وفيه تقديم صدقة جارية والباقي سواء اهـ.

قلت: خرّجه مسلم في الوصايا والبخاري في الأدب المفرد، ورواه الدارمي، عن موسى بن إسماعيل، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن ولفظه: انقطع من عمله، وباقي سياقه كسياق المصنف إلا أنه قال تجري له بدل جارية. قال العراقي: وفي الباب عن جابر وأبي قتادة وأبي امامة وأنس، فحديث أنس رواه أبو نعيم في رياضة المتعلمين من رواية القاسم بن عبدالله، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رفعه: ثلاثة يدركون الميت رجل علم سنة هدى وعمل بها الحديث، وحديث أبي قتادة رواه ابن ماجه من رواية زيد بن أبي أنيسة، عن زيد بن أسلم، عن عبدالله ابن أبي قتادة، عن أبيه رفعه: خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث ولد صالح يدعو له وصدقة تجري يبلغه أجرها فعمل يعمل به من بعده. واسناده جيد، وزاد بين الزيدين في رواية فليح بن سليمان اهـ.

قلت: وأخرجه أيضاً هكذا ابن خزيمة في صحيحه، وابن حبان، والطبراني في الكبير، والضياء في المختارة ولفظهم: خير ما يخلف الإنسان بعده.

قال العراقي: وحديث أبي أمامة رواه أحمد من رواية ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران عمن حدثه، عن أبي امامة رفعه: « أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت مرابط في سبيل الله ومن علم علماً فأجره يجري عليه ما عمل به » الحديث.

وقال ﷺ : « الدال على الخير كفاعله » . وقال ﷺ : « لا حسد إلا في اثنتين رجل

قلت: تمامه: ومن تصدق بصدقة فاجرها يجري ما وجدت، ورجل ترك ولداً صالحاً فهو يدعو له. وقد أخرجه كذلك الطبراني في الكبير، والبزار في مسنده، وأعله الهيثمي وغيره بابن لهيعة، ورجل لم يسم ولكن صححه المنذري. قال العراقي: وحديث أنس رواه أبو نعيم في الحلية من رواية محمد بن عبيدالله المزرمي، عن قتادة، عن أنس رفعه: سبع يجري أجره للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علماً أو كرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ورَّث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته. قال أبو نعيم هذا حديث غريب من حديث قتادة تفرّد به أبو نعيم راويه عن المزرمي والمزرمي ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه البزار في مسنده، وسمويه في فوائده، والديلمي في الفردوس، والبيهقي وقال كالمنذري: اسناده ضعيف وتبعهما الذهبي في كتاب الموت والهيثمي، وقد خالفهم السيوطي فرمز لصحته وفيه نظر، ولا تعارض بين الحديث الذي ساقه المصنف، وبين حديث أبي أمامة أربعة إلخ، لأن أعمال الثلاث متجددة وعمل المرابط ينمو له، وفرق بين إيجاد المعدوم وتكثير الموجود، وكذا لا مخالفة بينه وبين حديث أنس هذا فقد قال فيه إلا من صدقة جارية وهي تجمع ما ذكر من الزيادة أشار له البيهقي، وروى الإمام أبو حنيفة، عن حماد بن ابراهيم قال: ثلاثة يؤجر فيهن الميت بعد موته ولد له يدعو له بعد موته فهو مؤجر بدعائه، ورجل علم علماً يعمل به ويعلمه الناس فهو يؤجر على ما عمل وعلم، ورجل ترك أرضاً صدقة. هكذا أورده محمد بن الحسن في الآثار. قال ابن قطلوبغا في أماليه وهذا في حكم المرفوع اهـ.

قلت: والمراد بالولد الفرع المسلم هبه ذكراً كان أو أنثى، أو ولد ولد كذلك وإن سفل. وجاء تقييده في الحديث الأول بالصالح، وقوله: يدعو له أي بالرحمة والمغفرة، فإن دعاءه أرجى للإجابة وأسرع قبولاً من دعاء الأجنبي، وقال الحافظ: صلاح الدين العلائي في مقدمة الأربعين له لا تعارض بين هذا الحديث وبين ما روي: « من استن خيراً فاستن به فله أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً » الحديث بطوله لأنه إما أن يجعل حديث من استن عاماً في كل الأمور، وحديث إذا مات الإنسان أخص منه فيحمل العام على الخاص ويقتصر على هذه الثلاثة أشياء، أو يكون قوله إذا مات إلخ منبهاً بها على ما عداها مما هو في معناها من كل ما يدوم النفع به للغير فلا تعارض بينهما بل يبقى قوله: من استن معمولاً بعمومه، والظاهر والله أعلم ان هذا أظهر الاحتمالين بدليل قوله من استن إلخ فقد أخبر بتجدد الإوزار لهـذا الميـت لما يعمل بعده من السيئات التي سنّها نعوذ بالله من ذلك وهو زائد على الثلاث التي في الحديث الآخر، لأن تلك من أعمال البر وهذه الجملة الثانية لا معارض لها وعلى كل تقدير، فالعلم وتعليم الخير من جملة الأعمال الصالحة يبقى للمرء أجرها بعد موته بحسب تجدد العاملين به. **(وقال ﷺ : « الدال على الخير كفاعله »)** قال العراقي: أخرجه الترمذي من رواية شبيب بن بشر، عن أنس بلفظ: إن الدال، وقال حديث غريب، قال العراقي ورجاله ثقات اهـ.

آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس، ورجل آتاه الله مالاً فسلطه على

قلت: وفي الحديث قصة قال أنس: جاء النبي ﷺ رجل يستحمله فلم يجد ما يحمله فدلّه على آخر فحمله، فأتى النبي ﷺ فأخبره فذكر. قال العراقي: ورواه أحمد في مسنده من رواية سليمان بن بريدة عن أبيه بلفظ حديث أنس بإسناد ضعيف، ورواه ابن عدي في الكامل في ترجمة سليمان الشاذ كوني، ورواه مسلم، وأبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح من رواية ابن عمرو الشيباني، واسمه سعد بن إياس، عن أبي مسعود البدري رفعه ولفظه: «من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله». وفي الباب عن سهل بن سعد وابن مسعود اهـ.

قلت: وقد أخرجه كذلك الإمام أحمد وابن حبان وفيه القصة التي تقدمت. وقال السخاوي في المقاصد: أخرجه العسكري، وابن جميع، ومن طريقه المنذري من حديث طلحة بن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس رفعه: «كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان». ومثله بل بطوله للدارقطني في المستجاد من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده به مرفوعاً. وللعسكري من حديث إسحاق الأزرق، عن أبي حنيفة، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه مرفوعاً لفظ الترجمة. وكذا هو عند البزار عن أنس، ولابن عبد البر، عن أبي الدرداء في قوله: الدال على الخير وفاعله شريكان اهـ.

قلت: أخرجه أبو القاسم طلحة بن محمد بن جعفر العدل في مسند أبي حنيفة من طريق صالح بن أحمد بن حنبل، وأخرجه ابن خسرو في مسنده من طريق عبدالله بن أحمد قالا: حدثنا أبي، حدثنا إسحاق بن يوسف، أنبأنا أبو فلان كذا قال أي لم يسمه على عمد وسماه غيره فقال: يعني أبا حنيفة عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه بلفظ الترجمة. وفي بعض رواياته قال له: اذهب فإن الدال إلخ. وأخرجه القضاعي أيضاً من طريق إسحاق بن يوسف الأزرق، عن أبي حنيفة به. وأخرج ابن خسرو في مسنده من رواية أبي حنيفة عن أنس بزيادة: والله يحب إغاثة اللهفان من طريق تدور على أحمد بن محمد بن الصلت، ورواه العيني في شرحه على معاني الآثار للطحاوي بسنده، وللحديث شاهد آخر مما أخرجه ابن عطاف في معجمه، وابن النجار عن علي مرفوعاً. «دليل الخير كفاعله». قال الراغب: والدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء، وقال الزمخشري: دللته على الطريق أهديته إليه ومن المجاز الدال على الخير كفاعله ودله على الصراط المستقيم اهـ. ويدخل في ذلك دخولاً أوّلياً أولوياً من يعلم الناس العلم الشرعي ويتحملون عنه. (**وقال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس، ورجل آتاه الله مالاً وسلّطه الله على هلكته في الحق فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار»**). قال العراقي: رواه البخاري ومسلم والنسائي في الكبرى، وابن ماجه من رواية قيس بن أبي حازم قال: سمعت عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول، قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين رجل أتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها». وفي رواية البخاري الحكمة اهـ.

....

قلت: أخرجاه من طريق الزهري، سمعت قيس ابن أبي حازم، ومن هذا الطريق أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، وابن حبان، وأخرجه البخاري في الاعتصام فقال: ألا في اثنين بغير تاء. وفي رواية ابن ماجه رجل بالنصب على لغة ربيعة، فإنهم يرسمون المنصوب بالنون بغير ألف كما يقفون عليه كذلك. وقال العراقي في الباب، عن ابن عمر، وأبي هريرة، وأبي سعيد، ويزيد بن الأخس.

قلت: بقي ان البخاري رواه في صحيحه في مواضع في التوحيد، وفي الاغتباط بالحكمة، وفي الزكاة، وفي الأحكام، وفي الاعتصام، وفي فضائل القرآن. ففي التوحيد عن علي بن عبدالله، عن سفيان، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه مختصراً، وساقه مسلم تاماً عن زهير بن حرب، عن سفيان. وأخرجه البخاري في فضائل القرآن تاماً من طريق الزهري عن سالم. وكذا الترمذي، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه ولفظهم: « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » لفظ مسلم. وفي رواية له: إلا على اثنين. وهكذا قال البخاري: وقد آتاه الله الكتاب. وقال مسلم: هذا الكتاب، والباقي سواء، ومن طريق شعبة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، ومن طريق الأعمش سمعت ذكوان عن أبي هريرة. وفي الزكاة عن محمد بن المثنى، عن يحي القطان. وفي الأحكام وفي الاعتصام، عن شهاب بن عباد، عن ابراهيم بن حميد الرودسي، وأخرجه مسلم في الصلاة، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن محمد بن عبدالله بن نمير، عن أبيه ومحمد بن بشر. وأخرجه النسائي في العلم، عن إسحاق بن إبراهيم بن جرير، ووكيع عن سويد بن نصر، عن عبدالله بن المبارك خمستهم عن إسماعيل بن أبي خالد عنه به. وأخرجه ابن ماجه في الزهد، عن محمد بن عبدالله بن نمير به.

وأما حديث أبي سعيد الخدري، فقد أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف من رواية الأعمش، عن أبي صالح عنه ولفظه: « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار » فسمعه جار له فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي به فلان فعملت مثل ما يعمل. « ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق » فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل، وأخرجه كذلك أبو يعلى في مسنده، والضياء في المختارة. وأخرج أبو نصر في الصلاة، عن عبدالله بن عمرو رفعه: « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقرأه في الليل والنهار، ورجل أعطاه الله مالاً فأنفقه في سبيل الله ».

وأخرجه أبو نعيم في الحلية، عن أبي هريرة بلفظ: « لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فصرفه في سبيل الخير، ورجل آتاه الله علماً فعلمه وعمل به ».

شرح الحديث لا لنفي الجنس؛ وحسد اسمه مبني معه على الفتح، وخبره محذوف أي لا حسد جائز أو صالح أو نحو ذلك. والحسد تمنى الرجل أن تتحوّل إليه نعمة الآخر أو فضيلته

هلكته في الخير». وقال ﷺ: «على خلفائي رحمة الله. قيل: ومن خلفاؤك. قال: الذين يحبون سنتي ويعلمونها عباد الله».

ويسلبها وهو مذموم، والغبطة أن يتمنى مثل ماله من غير أن يفتقر وهو مباح إن كان من أمر الدنيا، ومحمود إن كان من أمور الطاعات، والأول محرم إجماعاً قاله النووي، وأراد بالحسد هنا الغبطة مجازاً من إطلاق إسم المسبب على السبب. وقوله: إلا في اثنين أي في شيئين أو خصلتين، وفيه قول بأنه تخصيص لإباحة نوع من الحسد. وإخراج له من جملة ما حظر منه، فالمعنى لا حسد محمود إلا في هذا أو استثناء منقطع بمعنى لكن، وقوله: رجل بالرفع أي خصلة رجل، فلما حذف المضاف اكتسى المضاف إليه إعرابه والنصب على اضمار. أعني: وهي رواية ابن ماجه وفيه وجه آخر تقدم بيانه، وبالجر على أنه بدل من اثنين، وأما على رواية اثنتين بالتاء فهو بدل أيضاً على تقدير حذف المضاف أي خصلة رجل، وقوله: رجل لا مفهوم له، وإلا فالأنثى تشترك معه. قوله: فسلط بالبناء للمفعول هي رواية أبي ذر، وعند الباقين فسلطه وعبر بالتسليط لدلالته على قهر النفس المجبولة على الشح. وفي هذه الجملة مبالغتان. **إحداهما**: التسليط لأنه يدل على قهر النفس، والأخرى لفظ الهلكة. والهلكة محركة الهلاك، فإنه يدل على أنه لا يبقى من المال شيئاً، ولما أوهم اللفظان التبذير وهو صرف المال فيما لا يعني ذكر قوله في الحق دفعاً لما يتوهم من ذلك، والحكمة المراد منها القرآن، وفيه إشارة إلى الكمال العلمي، وقوله: يقضي بها إشارة إلى الكمال العملي وبها التكميل والله وأعلم.

(وقال ﷺ: «على خلفائي رحمة الله. قيل: ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يحبون سنتي ويعلمونها عباد الله»). قال العراقي: رواه ابن عبد البر في العلم، والهروي في ذم الكلام من رواية عمرو بن أبي كثير. وقال الهروي: عمرو بن كثير، عن أبي العلاء، عن الحسن. زاد الهروي بن علي. قال: قال رسول الله ﷺ: «رحمة الله على خلفائي» مرتين ولم يكررها الهروي فجعله الهروي متصلاً. وقال ابن عبد البر: إنه من مرسلات الحسن، فجعله البصري وهو الصواب، وعمرو لا أدري من هو. وقد تقدم الكلام عليه في آخر الحديث الثامن والثلاثين.

وفي الباب عن علي بن أبي طالب رواه الطبراني في الأوسط، وابن السني، وأبو نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين، وأبو نعيم أيضاً في فضل العالم العفيف، والرامهرمزي في المحدث الفاصل، والهروي في ذم الكلام من رواية ابن عباس قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «اللهم ارحم خلفائي. قلنا يا رسول الله: من خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي وسنتي ويعلمونها الناس» وفي إسناده أبو الطاهر أحمد بن عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وهو كذاب كما قاله الدارقطني. وقد رواه ابن عساكر في أماليه من طريق آخر، وفيه عبد السلام بن عبيد نسبه ابن حبان إلى سرقة الحديث، واحتج به أبو عوانة في صحيحه ولا يغتر برواية أبي المظفر هناد بن إبراهيم النسفي لهذا الحديث

(وأما الآثار) فقد قال عمر رضي الله عنه: من حدَّث حديثاً فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معلم الناس الخير يستغفر

من طريق ابن دياسة، عن أبي داود عن عبيد بن هشام الحلبي، فإن هذا لم يروه أبو داود هنا، والنسفي كان راوية للموضوعات كما قال صاحب الميزان انتهى.

قلت: أما حديث علي فقد أخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث، والضياء المقدسي في مناقب أصحاب الحديث كلاهما من رواية أحمد بن عيسى العلوي، حدثنا ابن أبي فديك، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس قال: سمعت علياً يقول: خرج النبي ﷺ فساقه. وأخرجه الضياء من رواية أبي القاسم عبدالله بن أحمد بن عامر الطائي، حدثني أبي، حدثني أبو الحسن علي بن موسى الرضى، عن آبائه عن علي بلفظ: «اللهم ارحم خلفائي» ثلاثاً والباقي سواء. وأخرج الخطيب، والضياء أيضاً من رواية سعيد بن عباس بن الخليل، حدثنا عبد السلام بن عبيد، حدثنا ابن أبي فديك فذكره. وفي بعض طرق العلوي عند الخطيب، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس: قال الخطيب: والأول أشبه بالصواب. وقال الطبراني في الأوسط بعد ما أخرجه تفرد به أحمد بن عيسى العلوي. وفي الميزان هذا الحديث باطل وأحمد كذاب، واستدل بهذا الحديث على جواز إطلاق لفظ الخلفاء على أصحاب الحديث. ومثل ذلك ما مر في حديث علي رضي الله عنه أولئك خلفاء الله في أرضه ودعاته إلى دينه. وفي قوله تعالى: ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ [النمل: ٦٢]. وقال سهل التستري: من أراد أن ينظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء فهم خلفاء الرسل في أممهم ووارثوهم في علمهم، فمجالسهم مجالس خلافة النبوة، وهو أحد الوجهين في الإطلاق، ومنعه آخرون وأولوا ما في الحديث والقرآن.

وأما إحياء السنة: فقد أخرج الترمذي من رواية علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن أنس رفعه: «من أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة» وفي الحديث قصة. وروى الدارمي من رواية مروان بن معاوية، عن كثير بن عبدالله، عن أبيه، عن جده رفعه: قال لبلال بن الحرث «اعلم يا بلال، من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء». وكثير بن عبدالله مختلف فيه. والله أعلم.

(وأما الآثار): ذكر فيه من قول عمر وابن عباس رضي الله عنهم، ومن قول عطاء والحسن وعكرمة، وهؤلاء من التابعين، ثم من قول يحي بن معاذ وبعض الحكماء، وأورد فيه قول معاذ بن جبل موقوفاً عليه، وقد روي مرفوعاً أيضاً كما سيأتي بيانه. **(قال عمر)** ابن الخطاب رضي الله عنه **(من حدث بحديث)** أي لما فيه من الأحكام الشرعية **(فعمل به)** إمتثالاً للأمر وتشوقاً لحصول الأجر **(فله)** أي للمحدث **(مثل أجر ذلك العمل)** وشاهده حديث بلال بن الحرث المتقدم قريباً. **(وقال ابن عباس)** رضي الله عنهما: **(معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى**

له كل شيء حتى الحوت في البحر ، وقال بعض العلماء : العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل ، ورُوِيَ أن سفيان الثوري رحمه الله قدم عسقلان فمكث لا يسأله إنسان ، فقال : اكروا لي لأخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم ، وإنما قال ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به . وقال عطاء رضي الله عنه دخلت على

الحوت في البحر) وهذا قد مر في أثناء حديث أبي أمامة فيما رواه الترمذي : إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير . وفي حديث أبي الدرداء وصلت عليه ملائكة السماء وحيتان البحر ، ويروى أيضاً : إن العالم يستغفر له من في السموات والأرض وحتى الحيتان في الماء ، وذلك لأنه لما كان معلم الخير سبباً في حصول العلم الذي به نجاة النفوس من أنواع الهلكات ، وكان سعيه مقصوراً على هذا ، وكانت نجاة العباد على يديه جوزي من جنس عمله ، وجعل من في السموات والأرض ساعياً في نجاته من أسباب الهلكات باستغفارهم له . وقد قيل : إن قوله كل شيء عام في الحيوانات ناطقها وبهيمها طيرها وغيره ، ويؤكده قوله حتى الحوت في البحر ، والسر فيه أن العالم أشفق الناس على الحيوان وأقومهم ببيان ما خلق له ، فالعالم معرف لذلك فاستحق أن تستغفر له البهائم ، ذكر الأجهوري في شرح مختصر البخاري ما نصه . إنما خص الحوت بالذكر لكونه لا لسان له وما لا لسان له ربما يتوهم عدم استغفاره لمعلم الخير بخلاف غيره من الحيوان ، فإنه وإن صغر له لسان اهـ .

(وقال بعض العلماء : العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه) أي هو الواسطة في وصول الخلق وإرشادهم ودلالتهم على الحق **(فلينظر كيف يدخل)** أي فعليه بأمحاض النية واستعمال الخشية ليكون تعليمه على طبق المعرفة من غير كتمان ولا نجس ونحو ذلك ، أو لينظر كيف تكون منزلته عند الله وليشكر على هذه النعمة التي أوتيها من بين العباد . إذ صار من خلفاء الأنبياء ووارث مقامهم للخاص والعام . **(وقد روي أن سفيان)** ابن سعد **(الثوري)** ستأتي ترجمته فيما بعد **(قدم عسقلان)** وهي مدينة من أعمال فلسطين على البحر كانوا يرابطون بها . وهذا قد أخرجه ابن الجوزي في ترجمته من رواية داود بن الجراح قال : قدم الثوري عسقلان **(فمكث)** ثلاثاً **(لا يسأله إنسان)** عن شيء **(فقال : اكتروا لي)** ونص ابن الجوزي اكتر لي خطاب لداود بن الجراح **(لأخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم)** أي لقلة سائليه عنه ، **(وإنما قال ذلك حرصاً على فضيلة التعليم واستبقاء للعلم به)** فإن مذاكرة العلم ومساءلته حياة له وإبقاء . ويروى عن حمزة قال : كان سفيان ربما حدث بعسقلان ، فربما إذا حدث الحديث قال للرجل هذا خير لك من ولايتك صور وعسقلان .

(وقال عطاء) : هو عطاء بن أبي رباح **(دخلت على)** أبي محمد **(سعيد بن المسيب)** ابن خزن المخزومي القرشي أحد الأعلام وسيد التابعين ثقة حجة رفيع الذكر روى عن عمر وعثمان وسعد ، وعنه الزهري وقتادة ويحي بن سعيد توفي سنة أربع وتسعين عن ست وسبعين . **(وهو**

سعيد بن المسيب وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: ليس أحد يسألني عن شيء. وقال بعضهم: العلماء سرج الأزمنة كل واحد مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره.

يبكي فقلت له: ما يبكيك؟ فقال:) يبكيني أنه **(ليس أحد يسألني عن شيء)** فحزنه على فوات فضيلة التعليم والإرشاد ولولا خطر مقامه وعظم منزلته لما بكى على فواته. **(وقال بعضهم العلماء سرج الأزمنة كل واحد منهم مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره)** السرج: بضمتين جمع سراج هو والمصباح شيء واحد، والأزمنة جمع زمان هو والعصر شيء واحد. قال صاحب المصباح: السراج بالكسر المصباح وجمعه سرج ككتاب وكتب، والمسرجة بالفتح التي فيها الفتيلة والدهن، وبالكسر التي يوضع فيها المسرجة، والجمع مسارج وأسرج السراج أوقد، ثم قال: والمصباح معروف والجمع مصابيح، ثم قال: والزمان مدة قابلة للقسمة، ولهذا يطلق على الوقت القليل والكثير، والجمع أزمنة والعصر الدهر والجمع عصور وأعصر، فإذا عرفت ذلك فأعلم أن مغايرة التعبير مع اتحاد المعنى تفنن، وهذا الذي ذكره عن البعض قد جاء مصداقه في الحديث الذي أخرجه الديلمي في مسند الفردوس، عن أنس رفعه بسند فيه القاسم ابن إبراهيم الملطي، قال الدارقطني: كذاب اتبعوا العلماء فإنهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة، والحديث وإن كان أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وجزم به السيوطي وغيره، فالمعنى صحيح أن يستضاء بهم من ظلمات الجهل كما ينجلي ظلام الليل بالسراج المنير بالليل ويهتدى به فيه فمن اقتدى بهم اهتدى بنورهم، وشبه العالم بالسراج لأنه تقتبس منه الأنوار بسهولة وتبقى فروعه بعده، وكذا العالم ولأن البيت إذا كان فيه سراج لم يتجاسر اللص على دخوله مخافة أن يفتضح، وكذا العلماء إذا كانوا بين الناس اهتدوا بهم إلى طلب الحق وازاحة ظلمة الجهل والبدعة، ولأنه إذا كان في البيت سراج موضوع في كوة مسدودة بزجاج أضاء داخل البيت وخارجه، وكذا سراج العلم يضيء في القلب وخارج القلب حتى يشرق نوره على الأذنين والعينين واللسان، فتظهر فنون الطاعات من هذه الأعضاء، ولأن البيت الذي فيه السراج صاحبه متأنس مسرور، فإذا طفيء استوحش، فكذلك العلماء ما داموا في الناس فهم مستأنسون مسرورون، فإذا ماتوا صار الناس في غم وحزن.

فإن قلت: ما الحكمة في التشبيه بخصوص السراج، وما المناسبة التامة بينهما؟

قلت، المصباح تضره الرياح والعلم يضره الوسواس، والشبهات والسراج لا يبقى بغير دهن، والعلم لا يبقى بغير توفيق، ولا بد للسراج من حافظ يتعهده، ولا بد لمصباح العلم من متعهد وهو فضل الله وهدايته، ولأن السراج يحتاج إلى سبعة أشياء. زناد وحجر وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن، والعبد إذا طلب إيقاد سراج العلم لا بد من قدح زناد الفكر على حجر التضرع، وإحراق النفس بمنعها من شهواتها، وكبريت الأنابة، ومسرجة الصبر، وفتيلة الشكر، ودهن الرضا. وقد ورد أيضاً تشبيه العلماء بالنجوم والكواكب وبالقمر تقدم ذلك في حديث أبي الدرداء الطويل، فلا يرد لمَ لم يشبههم بالقمرين والنجوم مع أنها أنور وأرفع في المشارق

وقال الحسن رحمه الله: لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أي انهم بالتعليم يخرجون الناس من حدّ البهيمية إلى حد الإنسانية. وقال عكرمة: إن لهذا العلم ثمناً. قيل: وما هو؟ قال: إن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه.

وقال يحي بن معاذ: العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة، وقيل: أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره. وقيل: علّم

والمغارب. (**وقال الحسن**) البصري: (**لولا العلماء**) بالله وبأحكام الله (**لصار الناس**) في جاهلية جهلاء (**مثل البهائم**) والأنعام لا يهتدون سبيلاً (**لأنهم**) أي الناس. وفي نسخة أي أنهم (**بالتعليم**) لأمور الدين (**يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية**) وتحقيق المقام أن الإنسان وإن كان هو بكونه إنساناً أفضل موجود فذلك إذ يراعي ما به صار إنساناً وهو العلم والعمل المحكم، فبقدر وجود ذلك المعنى فيه يفضل، وهذا لا سبيل إليه إلا بالتعلم. وأما هو من حيث ما يتغذى وينسل فنبات، ومن حيث ما يحس ويتحرك فحيوان، ومن حيث الصورة التخطيطية فكصورة في جدار، وإنما فضيلته بالنطق وقواه ومقتضاه، ولهذا قيل: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة أو صورة ممثلة، وهذه المراتب لا تحصل له إلا بالتعليم، وبه يتميز من الحيوانية ويخرج منها إلى حد الإنسانية، فالعلماء هم الذين يعلمون الناس بما يصيرون به إنساناً. (**وقال عكرمة**) أبو عبدالله المفسر مولى بن عباس، روى عن مولاه، وعائشة، وأبي هريرة، وطائفة. وعنه أيوب وخالد الحذاء وخلف روى له مسلم مقروناً مات بعد المائة (**إن لهذا العلم**) أراد به العلم بالله وأوامره وأحكامه (**ثمناً**) أي قيمة وقدراً (**قيل: وما ذلك**) الثمن. قال: (**أن تضعه**) في موضعه (**فيمن يحسن حمله**) بأن يكون مراده بذلك العمل به والنفع لغيره بإيصاله إليه لا لقصد المباهاة وغير ذلك (**ولا تضيعه**) بعدم العمل به أو بوضعه فيمن لا يحسن حمله، فواضع العلم في غير أهله كمقلد الخنازير بالدر واليواقيت، وسيأتي ذلك. وفي قول النسابة البكري إن للعلم آفة ونكداً وهجنة فآفته نسيانه ونكده الكذب فيه، وهجنته نشره عند غير أهله. (**وقال يحي بن معاذ**) الرازي أحد أعيان الصوفية المشاهير: (**العلماء أرحم**) أي أكثر رحمة وشفقة وحنواً (**بأمة محمد**) ﷺ (**ومن آبائهم وأمهاتهم قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم**) بمقتضى الشفقة المجبولين عليها (**من نار الدنيا**) أي: من الوقوع فيها (**وهم يحفظونهم**) بمقتضى الرحمة التامة والهداية العامة (**من نار الآخرة**) أي يعلمونهم بما يكون سبباً لنجاتهم منها، وللعلماء في الأرحمية بهم وجوه أخر كتغذيتهم إياهم بالحكمة التي بها قوام الروح، والأبوان يغذيانهم بما فيه قوام الجسد، والعلماء يحلونهم بالحياء والسكينة والوقار، والأبوان يسترانهم بلبس الظاهر والعلماء بلباس الباطن. (**وقيل: أول العلم الصمت، ثم الإستماع، ثم الحفظ، ثم العمل ثم نشره**). هذا القول روي عن

....

كل من السفيانين، فأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة ابن عيينة قال: حدثنا إبراهيم بن عبدالله، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، سمعت بشر بن محمد الجرشي يقول: سمعت ابن عيينة يقول: أول العلم الإستماع ثم الانصات ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر. وأخرج ابن الجوزي في ترجمة سفيان الثوري فقال: ويروى عن سفيان بطرق أنه قال: أول العلم الصمت، والثاني الإستماع له وحفظه، والثالث العمل به، والرابع نشره وتعليمه اهـ.

فللعلم مراتب خمس في قول ابن عيينة، وأربعة على قول الثوري، وفصل الخطاب في ذلك أن للعلم ست مراتب. أولها: حسن السؤال، الثانية: حسن الإنصات والإستماع. الثالثة: حسن الفهم. الرابعة: الحفظ. الخامسة: التعليم. السادسة: وهي ثمرته هي العمل به ومراعاة حدوده، فمن الناس من يحرمه لعدم حسن سؤاله. أما انه لا يسأل بحال أو يسأل عن شيء وغيره أهم إليه منه كمن يسأل عن فصوله التي لا يضر جهله بها ويدع ما لا غنى له عن معرفته: وهذه حال كثير من الجهال المتعاطين. ومن الناس من يحرمه لسوء إنصاته فيكون الكلام والمعاداة عنده آثر من حسن الإستماع. وهذه آفة كائنة في أكثر النفوس الطالبة للعلم وهي تمنعهم علماً كثيراً ولو كان حسن الفهم. ذكر ابن عبد البر عن بعض السلف أنه قال: من كان حسن الفهم رديء الإستماع لم يقم خيره بشره. وذكر عبدالله بن أحمد في كتاب العلل له قال: كان عبدالله بن الزبير يحب مماراة ابن عباس، فكان يخزن علمه عنه، وكان عبيدالله بن عبدالله يلطف له في السؤال فيعره بالعلم عراء. وقال ابن جريج: لم أستخرج العلم الذي استخرجت من عطاء إلا برفقي به. وقال بعض السلف: إذا جالست العالم فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وقد قال تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [ق: ٣٧] فتأمل ما تحت هذه الألفاظ من كنوز العلم، وكيف تفتح مراعاتها للعبد أبواب العلم والهدى، وكيف ينغلق باب العلم عنه من إهمالها وعدم مراعاتها، فإنه سبحانه ذكر أن آياته المسموعة والمرئية المشهودة إنما تكون تذكرة لمن كان له قلب، فإن من عدم القلب الواعي عن الله لم ينتفع بكل آية تمر عليه ولو مرت به كل آية، فإذا كان له قلب كان بمنزلة البصير إذا مرت به المرئيات فهو يراها، ولكن صاحب القلب لا ينتفع بقلبه إلا بأمرين. **أحدهما:** أن يحضره ويشهده لما يلقي إليه، فإذا كان غائباً عنه مسافراً في الأماني والشهوات والخيالات لا ينتفع به، فإذا أحضره وأشهده لم ينتفع إلا بأن يلقي سمعه ويصغي بكليته إلى ما يوعظ به ويرشد إليه وهنا ثلاثة أمور. **أحدها:** سلامة القلب وصحته وقبوله. **الثاني:** إحضاره وجمعه ومنعه من الشرود والتفرق. **الثالث:** إلقاء السمع وإصغاؤه والإقبال على الذكر فذكر الله تعالى الأمور الثلاثة في هذه الآية. وفي الكشاف لمن كان له قلب واع لأن من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له، والقاء السمع الإصغاء وهو شهيد أي حاضر بفطنته، لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب اهـ.

والمقصود بيان حرمان العلم من هذه الوجوه الستة. **أحدها:** ترك السؤال. **الثاني:** سوء

علمك من يجهل، وتعلم ممن يعلم ما تجهل، فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت. وقال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم. ورأيته أيضاً مرفوعاً: تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من

الأنصات وعدم القاء السمع. **الثالث:** سوء الفهم. **الرابع:** عدم الحفظ. **الخامس:** عدم نشره وتعليمه، فإن من خزن علمه ولم ينشره ولم يعلمه ابتلاه الله بنسيانه وذهابه منه جزاء من جنس عمله. **السادس:** من عدم العمل به، فإن العمل به يوجب تذكره وتدبره ومراعاته والنظر فيه، فإذا أهمل العمل به نسيه. قال بعض السلف: كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به، فالعمل به من أعظم أسباب حفظه وثباته. والله أعلم.

(**وقيل: علم علمك من يجهل**) أي ليكن تعليمك للجاهلين (**وتعلم ممن يعلم**) أي وتعلمك من العالمين. أي: إذا رأيت من دونك فافده بما عندك ولا تكتم عليه، وإذا رأيت من فوقك في العلم فاستفد منه بما ليس عندك، (**فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت**) بتعلمك من العالم، (**وحفظت**) أي أثبت واستوثقت (**ما علمت**) بإفادتك للغير، والمدارسة توجب الرسوخ في الذهن والثبات في الفكرة. (**وقال معاذ بن جبل**): ابن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي ابن كعب بن عمرو بن أدي بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي. أبو عبد الرحمن المدني الصحابي رضي الله عنه. قال ابن الكلبي، عن أبيه: لم يبق من بني أدي بن سعد أحد وعدادهم في بني سلمة بن سعد، وكان آخر من بقي منهم عبد الرحمن بن معاذ بن جبل مات في الشام بالطاعون، فانقرضوا. قال ابن عبد البر: وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبدالله بن مسعود، وهو أعلم هذه الأمة بالحلال والحرام. مات في طاعون عمواس وهو ابن ثلاث وثلاثين. (**في التعليم والتعلم**) أي في فضلها موقوفاً عليه وهو الأشبه بالصواب، كما ذهب إليه أبو طالب المكي، وأبو نعيم في الحلية، والخطيب، وابن القيم وغيرهم.

(**ورأيته أيضاً مرفوعاً**) إلى رسول الله ﷺ. كذا رواه أبو نعيم في المعجم ولا يثبت، وحسبه أن يصل إلى معاذ. ورواه ابن عبد البر في العلم من رواية موسى بن محمد بن عطاء القرشي، حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمي، عن أبيه، عن الحسن بن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. هذا سند المرفوع، وأما سند الموقوف فقال أبو طالب المكي في الفصل الحادي والثلاثين من القوت: وروينا في فضل العلم بالله تعالى من رواية رجاء بن حيوة، عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ بن جبل قال: فذكره. وأورده أبو نعيم في الحلية في ترجمة معاذ فلم يذكر بين رجاء ومعاذ عبد الرحمن فقال: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إبراهيم بن يحيى، حدثنا يعقوب الدورقي، حدثنا محمد ابن موسى المروزي أبو عبدالله قال: قرأت هذا الحديث على هشام بن مخلد وكان ثقة فقال: سمعته من ابن عصمة، عن رجل سماه عن رجاء بن حيوة، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (**تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية**) هكذا في سائر الروايات، وفي

لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة والدليل على الدين، والمصير على السراء والضراء والوزير عند الاخلاء، والقريب عند الغرباء، ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة في الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه

القوت حسنة وهو إن لم يكن تصحيفاً فالمعنى صحيح **(وطلبه عبادة)** ويروى عنه من وجه آخر: عليكم بالعلم فإن طلبه لله عبادة **(ومدارسته)**. وفي الحلية ومذاكرته. وهكذا عند ابن عبد البر **(تسبيح)** أي مذاكرته مع الإخوان بقصد النفع يقوم مقام التسبيح في حصول الأجور **(والبحث عنه)** في الغدو والرواح في تفحص أسراره وحكمه **(جهاد)** لما فيه من بذل قوة البدن والحواس والمال، **(وتعليمه لمن لا يعلمه)** هكذا عند الجماعة وعند ابن القيم لمن لا يحسنه **(صدقة)** جارية إلى يوم القيامة، **(وبذلـه)** أي صرفه **(لأهله)** ممن يحسن حمله **(قربة)** أي: سبب للقرب إلى الله تعالى. وعند ابن القيم بعد هذه الجملة: به يعرف الله ويعبد، وبه يوحد، وبه يعرف الحلال والحرام وتوصل الأرحام. وفي الحلية وكذا عند ابن عبد البر بعد قوله قربة لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل أهل الجنة، ثم اتفقوا فقالوا: وهو الأنيس في الوحدة هكذا في النسخ، ومثله عند ابن القيم، وفي نسخة العراقي وهو الأنس في الوحدة، وفي الحلية والأنس في الوحشة أي يؤنس صاحبه في وحدته. أي: في القبر أو حال توحده عن الناس وتوحشه منهم. **(والرفيق في الغربة)** كذا في النسخ وسقطت من بعض النسخ. وفي الحلية والصاحب في الغربة أي معين له في أسفاره **(والصاحب في الخلوة)**. ونص الحلية، وابن عبد البر والمحدث في الخلوة أي مغن له عن إتخاذ أصحاب التسلية. **(والدليل على السراء والضراء)**. كذا في النسخ، وعند ابن القيم والمعين على الضراء، وزاد في الحلية بعدها والسلاح على الأعداء، وكذا عند ابن عبد البر أيضاً **(والوزير عند الإخلاء)**. كذا في النسخ، وعند ابن عبد البر والزين بدل الوزير ومثله في الحلية. **(والقريب عند الغرباء)** كذا نص القوت وابن القيم، وليست هذه الجملة في الحلية ولا عند ابن عبد البر **(ومنار سبيل الجنة)** كذا هذه الجملة هنا في رواية الخطيب وابن القيم، وتقدمت بعد قوله قربة عند ابن عبد البر وأبي نعيم إلا أنهما قالا: ومنار سبيل أهل الجنة **(يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير)**. وفي الحلية: ويجعلهم بالواو **(قادة هداة)** كذا في القوت وليس في الحلية هداة **(يقتدى بهم)**. وعند الخطيب: قادة وسادة يقتدى بهم، وفي بعض النسخ يهتدى بهم **(أدلة في الخير)** وفي بعض النسخ على الخير **(تقتص)** أي تتبع **(آثارهم وترمق)** أي تنظر **(أفعالهم)** ونص الحلية بعد قوله: قادة وأئمة تقتبس آثارهم ويقتدى بفعالهم، وينتهي إلى رأيهم، ومثله عند ابن عبد البر إلا أنه قال: تقتص بدل تقتبس، **(وترغب الملائكة في خلتهم)** أي مصادقتهم **(وبأجنحتها تمسحهم)** تبركاً بهم أو تحف عليهم بأجنحتها حفظاً وصيانة **(كل رطب ويابس)** وفي بعض النسخ بزيادة واو العطف

والسماء ونجومها، لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوّة الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر. فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحّد وبه يمجد وبه يتورع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام، وهو إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء نسأل الله تعالى حسن التوفيق.

(**لهم يستغفر**). وفي بعض النسخ يستغفر لهم، وعند ابن عبد البر يستغفر لهم كل رطب ويابس، وكذا في الحلية. وعند الخطيب حتى حيتان البحر، وفي الحلية حتى الحيتان في البحر، وعند ابن عبد البر بعد قوله: ويابس وحيتان البحر (**وهوامه**) جمع هامة ماله سم يقتل كالحية، وقد تطلق على ما يؤذي والضمير عائد إلى البحر (**وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها**). وهذه الجملة الأخيرة ليست في الحلية ولا عند ابن عبد البر، (**لأن العلم حياة القلب من العمى**) وفي الحلية من الجهل، وعند ابن عبد البر حياة القلوب من الجهل، وعند ابن القيم: والعلم حياة القلوب من العمى (**ونور الأبصار**). وعند ابن القيم ونور للأبصار، وفي الحلية ومصباح الأبصار، وعند ابن عبد البر ومصابيح الأبصار (**من الظلم**). وفي الحلية: من الظلمة (**وقوة الإبدان**) وعند ابن القيم: للإبدان (**من الضعف**) وسقطت هذه الجملة الأخيرة من الحلية وعند ابن عبد البر. (**يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى**)، وعند ابن عبد البر، وأبي نعيم الأخيار بدل الأبرار. وفي آخره في الدنيا والآخرة إلا أن أبا نعيم قال: يبلغ بالعلم، وقال: الدرجات العليا (**التفكر. فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام**)، وعند ابن عبد البر يعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام (**به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد**) وفي بعض النسخ يؤجر (**وبه يتورع وبه توصل الأرحام**) هذه الجمل سقطت من الحلية، وهي عند الخطيب وابن القيم في أول الحديث كما أشرنا إليه، والذي في الحلية، وكذا عند ابن عبد البر بعد قوله بالقيام، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام. وتحقيق هذا المحل إن كل ما سوى الله يفتقر إلى العلم لا قوام له بدونه، فإن الوجود وجودان. وجود الخلق ووجود الأمر والخلق والأمر مصدرهما علم الرب وحكمته، فكل ما ضمه الوجود من خلقه وأمره صادر عن علمه وحكمته، فما قامت السموات والأرض وما بينهما إلا بالعلم ولا بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلا بالعلم ولا عبدالله وحده وحمده وأثنى عليه ومجد إلا بالعلم ولا عرف الحلال من الحرام إلا بالعلم ولا عرف فضل الإسلام على غيره إلا بالعلم (**هو إمام والعمل تابعه**) وعند الخطيب للعمل والعمل تابعه وعند ابن عبد البر وأبي نعيم وهو إمام العمل والعمل تابعه (**يلهمه السعداء**) أي من سبقت له السعادة الأزلية ألهم بالعلم (**ويحرمه الأشقياء**). أي: ليس لهم نصيب منه. هكذا رواه أبو نعيم في الحلية، وأبو طالب المكي في القوت، والخطيب وابن القيم وغيرهم موقوفاً. ورواه أبو نعيم في المعجم، وابن عبد البر كما تقدم مرفوعاً وقال في آخره: وهو

(الشواهد العقلية)

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته، وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال، فلقد ضلّ عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيداً حكيم أم لا، وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها. والفضيلة مأخوذة من الفضل وهي الزيادة؛ فإذا تشارك شيئان في

حديث حسن، ولكن ليس له إسناد قوي. وقد رويناه من طرق شتى موقوفاً، ثم رواه من رواية أبي عصمة نوح بن أبي مريم، عن رجاء بن حيوة، عن معاذ موقوفاً.

قال العراقي: قوله حسن أراد به الحسن المعنوي لا الحسن المصطلح عليه بين أهل الحديث، فإن موسى بن محمد البلقاوي كذبه أبو زرعة وأبو حاتم، ونسبه العقيلي وابن حبان إلى وضع الحديث، وعبد الرحمن بن زيد متروك. وأبوه مختلف فيه، والحسن لم يدرك معاذاً، وأبو عصمة المذكور في الموقوف ضعيف أيضاً. كان يقال له نوح الجامع قال ابن حبان جمع كل شيء إلا الصدق، ورجاء ابن حيوة أيضاً لم يسمع من معاذ، وروى الموقوف سليم الرازي في الترغيب والترهيب من طريق آخر وفيه كنانة بن جبلة ضعيف جداً.

قلت: ولكن صرّح أبو طالب أن رجاء بن حيوة سمعه من عبد الرحمن بن غنم عن معاذ، فهذا أشبه والله أعلم.

وقال العراقي في تخريجه الصغير: أخرجه بطوله أبو الشيخ في كتاب الثواب له، وقال في تخريجه الكبير، وفي الباب عن أنس وأبي هريرة وعبدالله بن أبي أوفى، فحديث أنس رواه المرهبي في العلم من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رفعه، والرقاشي ضعيف، وحديث أبي هريرة رواه الخطيب في كتاب الفقيه والمتفقة مع اختلاف بإسناد ضعيف من رواية العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة. وحديث ابن أبي أوفى رواه المظفر بن الحسين الغزنوي في كتاب فضائل القرآن وقال: تعلموا القرآن بدل العلم وزاد فيه زيادات منكرة وهو منكر جداً.

الشواهد العقلية:

لما فرغ من بيان الشواهد النقلية في فضيلة العلم والتعلم والتعليم شرع في بيان الشواهد العقلية، والشاهد هو المعلوم المستدل به قبل العلم بالمستدل عليه، سواء علم ضرورة أو استدلالاً، والمراد بالشواهد هنا الجزئيات التي يؤتى بها لإثبات القواعد، (اعلم أن المطلوب من سياق هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته) أي خطره وعزة قدره **(وما لم تفهم الفضيلة بنفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن يعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال)**، فلا بد من معرفتها باشتقاقها وحدودها أولاً. **(ولقد ضلّ عن الطريق)** أي طريق الرشد **(من طمع أن يعرف أن زيداً)** مثلاً **(حكيم أم لا، وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها)** وإطلاقاتها، وحيث كان الأمر كذلك **(فالفضيلة)** فعيلة **(مأخوذة من الفضل)** ودائرة الأخذ أوسع من

أمر واختص أحدهما بمزية يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء، كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوّة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة، فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل أنه أفضل، لأن تلك زيادة في الجسم ونقصان في المعنى وليست من الكمال في شيء، والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه؛ فإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن

دائرة الاشتقاق، ولذا لم يقل مشتقة (**وهو**) أي الفضل لغة (**الزيادة**) زاد الراغب في مفرداته على الاقتصاد، وهو اسم لما يتوصل به إلى السعادة ويضادها الرذيلة. وقال ابن السيد في الفرق: الفضل إذا كان يراد به الزيادة ففيه ثلاث لغات كنصر وعلم وكرم، وأما الفضل الذي هو بمعنى الشرف فليس فيه إلا لغة واحدة وهي فضل يفضل كقعد يقعد، وتمام البحث في شرحنا على القاموس (**فإذا تشارك شيئان في أمر**) من الأمور (**واختص أحدهما بمزية**) فعيلة من مزي، وهي فضيلة يمتاز بها عن غيره. قالوا: ولا ينبني منه فعل. (**يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء**) والبلوغ إلى أقصى مراتبه، (**كما يقال الفرس أفضل من الحمار**) يقال ذلك (**بمعنى أنه يشاركه**) أي: الفرس (**في قوة الحمل**) أي: ينهض بالحمل الثقيل، فكل منهما مشاركان في هذا الوصف (**ويزيد عليه الفرس**) بأوصاف أخرى (**بقوة الكر**) أي قوة إقدامه في الكر أي الحمل على عدوه، فإنه ينقض عليه كالبازي (**والفر**) أي نهضته للفرار إذا لم يمكن صاحبه المقاتلة (**وشدّة العدو**) أي الجري مع سهولة في الحالتين، كما قالوا: إن سبق لحق وإن سبق لم يلحق (**وحسن الصورة**) مع ما فيه من الأوصاف قال الدميري في حياة الحيوان: الفرس أشبه بالإنسان لما فيه من الكرم وشرف النفس وعلو الهمة والزهو والخيلاء، ومن شرفه أن لا يأكل بقية علف غيره ويرى المنامات كبني آدم ويوصف بحدة البصر وربما يعيش إلى تسعين سنة اهـ.

(**فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة**) وتغولي ثمنه (**لم يقل أنه أفضل**) من الفرس (**لأن تلك زيادة في الجسم وهو نقصان من المعنى وليس من الكمال في شيء، والحيوان مطلوب بمعناه وصفاته**) التي منها حمل الأثقال والصبر والإبلاغ (**لا لجسمه**)، إعلم أن الفضل إذا استعمل لزيادة حسن أحد الشيئين على الآخر ثلاثة أضرب. فضل من حيث الجنس كفضل جنس الحيوان على جنس النبات، وفضل من حيث النوع كفضل الانسان على غيره من الحيوان، وفضل من حيث الذات كفضل رجل على آخر، فالأولان جوهران لا سبيل للناقص فيهما أن يزيل نقصه، وأن يستفيد الفضل كالفرس والحمار لا يمكنه اكتساب فضيلة الانسان، والثالث قد يكون عرضاً يمكن اكتسابه، ومن هذا النحو التفضيل المذكور في قوله تعالى ﴿والله فضّل بعضكم على بعض﴾ [النحل: ٧١] أي في المكنة والجاه والمال والقوة، (**وإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة**) على الاطلاق، بل أصل كل الفضائل الداخلية، (**وإن أخذته**

العلم فضيلة إن أخذته بالإضافة إلى سائر الأوصاف، كما أن للفرس فضيلة إن أخذته بالإضافة إلى سائر الحيوانات، بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليست فضيلة على الاطلاق، والعلم فضيلة في ذاته على الاطلاق من غير إضافة؛ فإنه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والأنبياء، بل الكيس من الخيل خير من البليد. فهي فضيلة على الاطلاق من غير إضافة. واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب

بالإضافة إلى سائر الحيوانات بل شدة العدو) أي الركض والجري (**فضيلة في الفرس وليس فضيلة على الاطلاق، والعلم فضيلة في ذاته على الاطلاق من غير إضافة)** ونسبة إلى شيء آخر، (**فإنه وصف لكمال الله تعالى وبه شرف الملائكة والأنبياء)**. إذ لم يبعث الرسل ولا أنزلت الكتب إلا بالعلم، بل ما قامت السموات والأرض وما بينهما إلا بالعلم، فكلما ضمه الوجود من خلقه وأمره صادر عن علمه وحكمته، واختلف هنا في مسألة وهي هل العلم صفة فعلية أو انفعالية؟ فقالت طائفة: هو صفة فعلية لأنه شرط أو جزء سبب في وجود المفعول، فإن الفعل الاختياري يسند عن حياة الفاعل وعلمه وقدرته وإرادته ولا يتصور وجوده بدون هذه الصفات، وقالت طائفة: هو انفعالي فإنه تابع للمعلوم يتعلق به على ما هو عليه، فإن العلم درك المعلوم على ما هو به، فإدراكه تابع له فيكون متقدماً عليه، والصواب أن العلم قسمان، فعلي وهو علم الفاعل المختار بما يريد ان يفعله فإنه موقوف على إرادته الموقوفة على تصور المراد والعلم به، فهذا علم قبل الفعل متقدم عليه مؤثر فيه، وعلم انفعالي: وهو العلم التابع للمعلوم الذي لا تأثير له فيه كعلمنا بوجود الأنبياء والملوك وسائر الموجودات، فإن هذا العلم لا يؤثر فيه المعلوم ولا هو شرط فيه، فكل من الطائفتين نظرت جزئياً وحكمت كلياً، وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس، وكلا القسمين صفة كمال ونقصه من أعظم النقص، (**بل الكيس)** فيعل من الكياسة (**من الفرس خير من البليد فهي فضيلة على الاطلاق من غير إضافة)**. إعلم أن الله سبحانه خلق الموجودات، وجعل لكل شيء منها كمالاً يختص به هو غاية شرفه، فإذا عدم كماله انتقل إلى الرتبة التي دونه واستعمل فيها فكان استعماله فيها كمال أمثاله، فإذا عدم تلك أيضاً نقل إلى ما دونها ولا تعطل، وهكذا أبداً حتى إذا عدم كل فضيلة صار كالشوك والحطب الذي لا يصلح إلا للوقود، فالفرس إذا كانت فيه فروسيته التامة أعد لمراكب الملوك وأكرم إكرام مثله، فإذا نزل عنها قليلاً أعد لمن دون الملك، فإذا زاد تقصيره أعد لآحاد الأجناد، فإن تقاصر عنها جملة استعمل استعمال الحمار إما حول المدار وإما لنقل الزبل ونحوه، فإن عدم ذلك استعمل استعمال الأغنام للذبح والإعدام، كما يقال في المثل: أن فرسين التقيا أحدهما تحت الملك والآخر تحت الردايا، فقال فرس الملك: أما أنت صاحبي وكنت أنا وأنت في مكان واحد، فما الذي نزل بك إلى هذه المرتبة؟ فقال: ما ذاك إلا أنك هملجت قليلاً وتكسعت أنا.

(**واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه)** المعبر عنه بالخير (**ينقسم)** من وجه (**إلى ما يطلب لغيره)** أي تأثيره لغيره (**وإلى ما يطلب لذاته)** لكون تأثيره لذاته، (**وإلى ما يطلب**

لغيره، وإلى ما يطلب لذاته، وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعاً فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره، والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فإنهما حجران لا منفعة لهما، ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسّر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة. والذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى. والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن، فإن سلامة الرجل مثلاً مطلوبة من حيث أنها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمشي بها والتوصل إلى المآرب والحاجات، وبهذا الاعتبار إذا

لذاته) تارة **(ولغيره)** تارة لكون تأثيره كذلك **(و)** القسم الثاني وهو **(ما يطلب لذاته أفضل وأشرف مما يطلب لغيره)** إذ المؤثر لذاته أشرف من المؤثر لغيره، **(والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير)** جمع دينار ودرهم **(فإنهما)** نظرا إلى جرمها **(حجران)** لتكوينهما من المعادن **(لا منفعة فيهما)** فإنهما لا يشبعان ولا يرويان، **(ولولا أن الله تعالى يسر)** أي سهّل **(قضاء الحاجة)** الضرورية **(بهما)** وارتفعت الضرورات التي تدفع بها **(لكانت)** هي **(والحصباء بمثابة)** أي بمنزلة **(واحدة)** فهي خواتيم الله في الأرض خلقت لاستدفاع الضرورات بها، فتأثيرها ليس لذاتها.

وأخرج أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا سليمان، حدثنا علي بن المبارك، حدثنا زيد بن المبارك، حدثنا مرداس بن صافنه أبو عبيدة، حدثنا أبو رفيق قال: سألت وهب بن منبه عن الدنانير والدراهم، فقال: الدنانير والدراهم خواتيم رب العالمين في الأرض لمعايش بني آدم لا تؤكل ولا تشرب، فأين ذهبت بخاتم رب العالمين قضيت حاجتك.

وأخرج الطبراني في الأوسط من رواية ابن عيينة، وابن أبي فديك كلاهما عن محمد بن عمرو، عن أبي لبيبة، عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً « بالدنانير والدراهم خواتيم الله في أرضه من جاء بخاتم ربه قضيت حاجته ». وأخرج في الأوسط أيضاً والصغير عن المقدام بن معد يكرب مرفوعاً: « يأتي على الناس زمان لا ينفع فيه إلا الدينار والدرهم ». **(وأما الذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر إلى وجه الله تعالى)** وهو أعلى أنواع نعم الله الموهوبة والمكتسبة وأشرفها وإياها قصد بقوله تعالى: ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة﴾ الآية [١٠٨ من سورة هود]، وذلك هو الخير المحض والفضيلة الصرف وهو أربعة أشياء. بقاء بلا فناء، وقدرة بلا عجز، وعلم بلا جهل، وغناء بلا فقر، ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا باكتساب الفضائل النفيسة واستعمالها كما قال تعالى: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾ الآية [١٩: الاسراء] **(وأما الذي يطلب لذاته)** تارة **(ولغيره)** تارة **(فكسلامة البدن)** صحة الجسد، **(فإن سلامة الرجل)** بكسر الراء **(مثلاً مطلوبة من حيث أنها سلامة عن الألم ومطلوبة للمشي بها والتوصل إلى المآرب والحاجات)** بذلك المشي أي أن الرجل وإن أريد للمشي، فالإنسان يريد أن يكون صحيح الرجل وإن استغنى عن المشي، **(وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته**

نظرت إلى العلم رأيته لذيذاً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته، ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلاَّ به، وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذاً أفضل الأعمال، وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضاً بشرف ثمرته وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين

لذيذاً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته) فيكون أشرف بهذا الاعتبار **(ووجدته وسيلة)** موصلة **(إلى دار الآخرة وسعادتها)**، والمراد بسعادة الآخرة حسن الحياة فيها وهي الأربع التي تقدم ذكرها، وقد يقال لما يتوصل به إلى هذه السعادات الأربع أيضاً سعادة كالعالم، فإنه يسمى سعادة بهذا الاعتبار وخيراً مطلقاً **(وذريعة)** أي وسيلة **(إلى القرب من الله تعالى)** في دار كرامته **(ولا يتوصل إلا به)** أي بالعلم، **(وأعظم الأشياء رتبة)** وأكبرها وأشرفها **(في حق الآدمي)** المنسوب إلى جده آدم عليه السلام أي في حق الانسان **(السعادة الأبدية)** وهي السعادة المطلوبة التي تقدم ذكرها. **(وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها)** أي إلى الوصول بها **(ولن يصل إلى ذلك إلا بـ)**ـاكتساب الفضائل النفيسة واستعمالها وأصول ذلك أربعة أشياء العقل وكماله **(العلم)** والعفة وكمالها الورع والشجاعة، وكمالها المجاهدة والعدالة وكمالها الإنصاف **(و)** هذه الثلاثة هي **(العمل)** ويعبر عنها بالدين أيضاً، ويكمل ذلك بالفضائل البدنية وهي أربعة أشياء، الصحة والقوة والجمال وطول العمر، وبالفضائل المطيفة بالانسان وهي أربعة أشياء. المال والأهل والعز وكرم العشيرة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتوفيق الله عز وجل، وذلك بأربعة أشياء، هدايته ورشده وتسديده وتأييده، فجميع ذلك خمسة أنواع وهي عشرون ضرباً ليس للإنسان مدخل في اكتسابها إلا بما هو نفسي فقط، **(ولا يتوصل إلى العمل أيضاً إلا بالعلم بكيفية العمل)** فصار العمل متوقفاً على العلم ايضاً بهذا الاعتبار، **(فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذاً أفضل الأعمال)**، واعلم أن السعادة الحقيقية هي الخيرات الأخروية وما عداها فتسميته بذلك، إما لكونه معاوناً في بلوغ ذلك، أو نافعاً فيه، فكل ما أعان على خير سعادة والأشياء التي هي نافعة ومعينة في بلوغ السعادة الأخروية متفاوتة الأحوال، فمنها ما هو نافع في جميع الأحوال، وعلى كل وجه، ومنها ما هو نافع في حال دون حال، وعلى وجه دون وجه، وربما يكون ضره أكثر من نفعه، فحق الإنسان أن يعرفها بحقائقها حتى لا يقع الخطأ عليه في اختياره الوضيع على الرفيع وتقديمه الخسيس على النفيس. **(وكيف لا، وقد تعرف فضيلة الشيء أيضاً بشرف ثمرته)** ونتيجته، **(وقد عرفت أن ثمرة العلم)** عظيمة شريفة هي **(القرب من الله تعالى)**. وفي نسخة من رب العالمين أي في دار كرامته مع المشاهدة بالنظر **(والالتحاق بأفق الملائكة)**، ويشير إليه ما تقدم في الحديث أنتم كبعض ملائكتي اشفعوا

والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى، هذا في الآخرة. وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى أن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الإنسان لشعورها بتمييز الإنسان بكمال مجاوز لدرجتها، هذه فضيلة العلم مطلقاً ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها. وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه، فإن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلباً للأفضل فكان تعليمه إفادة للأفضل، وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا، فإن الدنيا مزرعة

فيشفعون (**ومقارنة الملأ الأعلى**) مع الملائكة حول العرش (**هذا في الآخرة، وأما في الدنيا فالعز**) والسعادة (**والوقار**) وهو الحلم والرزانة (**ونفوذ الحكم**) أي إجراؤه (**على الملوك**) فضلاً عن غيرهم. وقد تقدم أن العلم حاكم وما عداه محكوم عليه ولا يقطع النزاع إلا العلم، وقد شوهد من أحوال السلف من العلماء العارفين كأبي حازم وسفيان والفضيل، ومن بعدهم كالعز بن عبد السلام وأضرابه مع ملوك زمانهم ما هو أشهر من أن يذكر، (**ولزوم الاحترام**) والتعظيم (**في**) أصل (**الطباع**) مركوزاً ذلك فيها (**حتى أن أغبياء**) جمع غبي (**الترك**) بالضم قوم معروفون. غباوتهم في أصل جبلتهم لا توصف (**وأجلاف العرب**) الذين لا يشهدون المدن والحضر، ويتبعون مساقط الغيث وأذناب الأنعام، كما أن الترك لمجاورتهم الجبال الشواهق وبُعدهم عن المدن صاروا أغبياء، كذلك العرب بذلك صاروا أجلافاً لكنهم مع ذلك (**يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير**) والتعظيم (**لشيوخهم**) وكبارهم (**لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة**)، ولو لم يستفيدوا من الكتب والشيوخ بالتلقين فتراهم يصغون إلى كلامهم ويعملون بما يأمرونهم في القضايا والحوادث، (**بل البهيمة بطبعها**) مع حيوانيتها (**توقر الإنسان**) وتحتشمه بعض الاحتشام وتنزجر عنه بعض الانزجار (**لشعورها**) وعلمها بتمييز الانسان عن غيره (**بكمال مجاور لدرجتها**). وهذا الكلام بعينه يأتي للمصنف في باب العقل. والعقل والعلم من واد واحد لإطلاق كل واحد منها على الآخر مع فرق سيذكر فيما بعد، وأيضاً فإن العلم ثمرة العقل فما جاز على العقل جاز على العلم. (**وهذه فضيلة العلم مطلقاً ثم تختلف العلوم**) بانقسامها إلى ما يحمد ويذم (**كما سيأتي بيانه وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها**) في درجاتها، (**أما فضيلة التعليم والتعلم**) بالشواهد العقلية (**فظاهرة مما ذكرناه، فإن العلم إذا كان أفضل الأمور**) وأشرفها (**كان تعلمه**) والسعي في تحصيله (**طلباً للأفضل، وكان تعليمه إفادة للأفضل**) وبذلاً للأشرف، (**وبيانه أن مقاصد الخلق**) سائرها (**مجموعة في الدين والدنيا**) منوطة بهما معاً، (**ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا، فإن الدنيا مزرعة الآخرة**) سيأتي للمصنف أنه حديث، وقال السخاوي: لم أقف عليه مع إيراد

الآخرة وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلاً لا لمن يتخذها مستقراً ووطناً، وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين. وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ثلاثة أقسام:

أحدها: أصول لا قوام للعالم دونها، وهي أربعة: الزراعة، وهي للمطعم. والحياكة، وهي للملبس. والبناء، وهو للمسكن. والسياسة، وهي للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها.

الثاني: ما هي مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها: كالحدادة، فإنها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلاتها كالحلاجة والغزل فإنها تخدم الحياكة باعداد عملها.

الغزالي له في الاحياء، وفي الفردوس بلا سند عن ابن عمر مرفوعاً. «الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها». **(وهي الآلة الموصلة إلى الله تعالى لمن اتخذها آلة)** يتوصل بها فلا يتناول منها إلا بقدر الحاجة الضرورية له (و) اتخذها **(منزلاً)** ينزل فيه ثم يسافر **(ولم يتخذها مستقراً ووطناً)** يطمئن إليه بكليته فكل ما فيها من الأموال والأولاد والزينة عوار كما قال الشاعر:

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولا بدّ يوماً أن تردّ الودائعُ

(وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعتهم) الحرف جمع حرفة، وهي الاكتساب إسم من احترف لعياله، والصناعة بالكسر إسم من صنعه صنعاً **(تنحصر في ثلاثة أقسام)**.

أحدها: أصول لا قوام للعالم دونها وهي أربعة. أولها: **(الزراعة)** أي الحراثة **(وهي للمطعم)** بالنظر إلى المآل **(والحياكة)** أي النساجة **(وهي للملبس)** تستر به العورة، **(والبناء)** أي بناء البيوت والمنازل **(وهي للمسكن)** يأوي إليه، **(والسياسة)** بالكسر وهي رعاية الأمور **(وهي للتأليف)** بين الناس **(والاجتماع)** في الكلمة **(والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها)** بحيث لا يختل نظامها.

القسم **(الثاني: ما هي مهيئة)** أي مرشحة **(لكل واحد، من هذه الصناعات وخادمة لها، كالحدادة)** بالكسر **(فإنها تخدم الزراعة)** وهي الضرب الأول من القسم الأول، بل **(وجملة من الصناعات بإعداد آلاتها)** مما تحتاج إليها ويتوقف وجوده على وجودها **(وكالحلاجة)** بالكسر **(والغزل)** أي غزل الكتان والقطن، **(فإنها تخدم الحياكة بإعداد محلها)** فإن القطن إذا لم يحلج، والكتان إذا لم يغزل لم ينتفع الحائك بهما.

الثالث: ما هي متممة للأصول ومزينة، كالطحن والخبز للزراعة، وكالقصارة والخياطة للحياكة؛ وذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جملته، فإنها ثلاثة أضرب أيضاً: إما أصول كالقلب والكبد والدماغ، وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة، وإما مكملة لها ومزينة كالاظفار والأصابع والحاجبين، وأشرف هذه الصناعات أصولها، وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات، ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع، والسياسة في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على أربع مراتب:

الأولى: وهي العليا: سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً في ظاهرهم وباطنهم.

(**القسم الثالث: ما هي متممة للأصول**) الأربعة التي ذكرت (**ومزينة لها كالطحانة**) بالكسر، وفي نسخة كالطحن (**والخبز للزراعة**) فإنه إذا حصد الزرع لولا أنه يطحن فيخبز لا يتم الأكل (**وكالقصارة والخياطة للحياكة**) فإن الحائك إذا تم من نسج ثوب، فلا بد من قصار يقصره فيخرج ما فيه من الأوساخ، ثم لا بد من خياط يفصله حتى يتم به اللبس، (**و**) مثل (**ذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص**) إلى الشخص سواء (**بعينه فإنها**) على (**ثلاثة أضرب إما أصول**) وهي ثلاثة (**كالقلب والكبد والدماغ**) وتسمى الأعضاء الرئيسة، (**وإما خادمة لها**) ومرشحة لها (**كالمعدة**) بفتح فكسر (**والعروق والشرايين**) جمع شريان عرق يخبر عن الكبد، (**والأعصاب**) وهي أطناب المفاصل، (**والأوردة**) جمع وريد عرق يخبر عن القلب، فهذه كلها مرشحة لتلك الأصول، (**وإما مكملة لها ومزينة لها كالأظفار والأصابع والحاجبين**)، ففي كل ذلك تكميل وتزيين ومنافع جليلة يأتي بيان ذلك كله في محله، (**وأشرف هذه الصناعات أصولها**) التي لا قوام للعالم دونها، (**وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح**) وهي القسم الرابع من الأصول، (**ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها**) أي بخدمتها (**ما لا يستدعيه سائر الصناعات**) المذكورة، (**ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع**) ويفضلهم. (**والسياسة في استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على أربعة مراتب**).

(**الأولى**): (**وهي العليا سياسة الأنبياء**) عليهم السلام (**وحكمهم على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم**) لما أن الله سبحانه قد أطلعهم على بواطنهم كما أطلعهم على ظواهرهم، فهم يرشدونهم إلى الطريق المستقيم وهم أفضل السواس.

والثانية: الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم.

والثالثة: العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء، وحكمهم على باطن الخاصة فقط، ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم إلى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع والشرع.

والرابعة: الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط؛ فأشرف هذه الصناعات

(**والثانية**): سياسة ولاة الأمور (**الخلفاء**) ممن استكملت فيه شروط الإمامة من قريش، كالخلفاء الأربعة ومن بعدهم من بني أمية، وبني العباس (**والملوك**) هم نواب الخلفاء كآل سلجوق بالروم، وآل رسول باليمن (**والسلاطين**) هم الذين يملكون البلاد بقهر وسطوة وغلبة، وهم بهذا الترتيب. وقد فرق ابن السبكي في الطبقات بين الملك والسلطان فقال: السلطان يطلق على من ملك العراقين، والملك من ملك دون ذلك أو نحو هذا (**وحكمهم على الخاصة والعامة جميعاً، لكن على ظاهرهم لا على باطنهم**)، ولو قال: على ظاهر الخاصة والعامة لا باطنهم كان أخصر.

(**والثالثة**): سياسة (**العلماء بالله وبدينه**) وهم الحكماء (**الذين هم ورثة الأنبياء**) ورثوا عنهم العلم والحكمة وهم الجامعون بين الحقيقة والشريعة (**وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة إلى الاستفادة منهم**) لعدم المناسبة بينهما، لأن ما بين الحكيم والعامي من تنافي طبعهما وتنافر شكلهما من التفاوت قريب لما بين الماء والنار والليل والنهار، وقد قيل لسلمة بن كهيل: ما لعلي رضي الله عنه وفقه العامة، وله في كل خبر ضرس قاطع؟ فقال: لأن ضوء علومهم قصر عن نوره والناس إلى اشكالهم أميل. (**ولا تنتهي قوتهم إلى التصرف في ظواهرهم بالإلزام والمنع**) والدفع والرفع.

(**الرابعة**): سياسة الفقهاء (**والوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط**)، وليست لهم قوة الى التصرف في ظواهرهم وصلاح العالم ونظامه بمراعاة هذه السياسات لتخدم العامة الخاصة وتسوس الخاصة العامة، ثم إن السياسة في حد ذاتها على قسمين: سياسة الانسان نفسه وبدنه وما يختص به، والثانية سياسته غيره من ذويه وبلده، ولا يصلح لسياسة غيره من لا يصلح لسياسة نفسه لأن السائس يجري على المسوس مجرى ذي الظل من الظل، ومن المحال أن يستقيم الظل وذو الظل أعوج، ويستحيل أن يهتدي المسوس مع كون السائس ضالاً، والناس ضربان، خاص وعام، فالخاص من يتخصص من البلد بما ينخرم بافتقاده إحدى السياستين البدنية، والعام من لا ينخرم بافتقاده شيء منها. وهذا إذا اعتبرنا أمور الدنيا، وهم من وجه آخر ثلاثة. خاصة وعامة وأوساطهم المسمون في كلام العرب بالسوقة، فالخاص هو الذي يسوس ولا يساس، والعام الذي يساس ولا يسوس، والوسط الذي يسوسه من فوقه وهو يسوس من دونه، (**وأشرف هذه**

الأربع بعد النبوّة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم، وإنما قلنا ان هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعة يعرف بثلاثة أمور: إما بالالتفات إلى الغريزة التي بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقيلة على اللغوية؛ إذ تدرك الحكمة بالعقل، واللغة بالسمع، والعقل أشرف من السمع، وإما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة، وإما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة؛ إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة، وليس يخفى أن العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء، والعقل أشرف صفات الإنسان كما سيأتي بيانه، إذ به تقبل أمانة الله، وبه يتوصل إلى جوار الله

السياسات الأربعة بعد النبوة) والرسالة وما يليها من الصديقية **(إفادة العلم)** النافع **(وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة)** الرديئة **(المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة)**، وهو مقام شريف لا يعلوه مقام إلا النبوة والرسالة والصديقية، وأصحاب هذا المقام هم الجامعون بين علمي الشريعة والحقيقة، فإن إفادة العلم ترجع الى العلوم الظاهرة وتهذيب النفوس والإرشاد بعلماء الحقيقة المتصرفين في بواطن مريدهم، **(وهي المراد بالتعليم)**، ثم بين ذلك بقوله: **(وإنما قلنا: أن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات، لأن شرف الصناعات يعرف بثلاثة أمور. إما بالالتفات إلى الغريزة التي بها يتوصل إلى معرفتها)** أي بحسب النسبة الى القوة المبرزة لها **(كفضل العلوم)** الحكمية **(العقلية على)** العلوم **(اللغوية إذ تدرك الحكمة بالعقل)**. أي: هي متعلقة بالقوة العقلية **(و)** تدرك **(اللغة بالسمع)** أي متعلقة بالقوة الحسية، **(والعقل أشرف من السمع، وإما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة)**، فإن الزراعة نفعها عام بخلاف الصياغة، **(وإما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف)** أي بحسب شرف الموضوع المعمول فيه **(كفضل الصياغة)** وشرفها **(على الدباغة إذ محل أحدهما الذهب)** ولا يخفى شرفه، **(ومحل الآخر جلد الميتة)** فهي ثلاثة وجوه استبان بها شرف الصناعة واستعمل الالتفات في الوجه الأول، والنظر في الثاني، والملاحظة في الثالث تفنناً في العبارة **(وليس يخفى)** على العاقل **(أن العلوم الدينية)** وهي الشرعية المعبر عنها بالحكمة **(وهي فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء)** وهي القوة المفكرة **(و)** هي أشرف قوة كما أن **(العقل أشرف صفات الانسان)** وأجلها **(كما سيأتي بيانه)** في الباب السابع. **(إذ به تقبل أمانة الله تعالى وبه يوصل إلى جوار الله تعالى)** وذلك أبلغ نفع، **(وأما عموم النفع فلا تستريب)**[1] أي لا

---

(١) ونسخة فلا تستريب بصيغة المتكلم **(فإن نفعه وثمرته سعادة)**.

سبحانه. وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فإن نفعه وثمرته سعادة الآخرة. وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم، وأشرف موجود على الأرض جنس الإنس وأشرف جزء من جواهر الإنسان قلبه، والمعلم مشتغل بتكميله وتخليته وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله عز وجل، فتعليم العلم من وجه: عبادة الله تعالى، ومن وجه خلافة الله تعالى، وهو من أجل خلافة؛ فإن الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته، فهو كالخازن لأنفس خزائنه؛ ثم هو مأذون له

تشك (**فيه سعادة الآخرة**) وهي الأشياء الأربعة المذكورة آنفاً وذلك أبلغ كذلك، (**وأما شرف المحل**) وموضوعه الذي يعمل فيه (**فكيف يخفى والمعلم منصرف في قلوب البشر ونفوسهم، وأشرف موجود على وجه الأرض جنس الإنس، وأشرف جزء من جوهر الانسان قلبه**) الصنوبري وهو مهبط ملائكة الرحمة فهو أشرف موضوع (**والمعلم مشتغل بتكميله وتخليته**) كذا بالخاء المعجمة وهو مناسب لقوله (**وتطهيره**) عن الأوصاف الذميمة وفي بعض النسخ بالجيم وهو التصفية (**وسياقته إلى القرب من الله تعالى**) بتعليمه إياه بما يكون سبباً لذلك، (**فتعليم العلم من وجه عبادة الله تعالى**) لكونه ذكر الله تعالى، (**ومن وجه خلافة الله تعالى وهو أجل خلافة**) وهل يجوز أن يقال فلان خليفة الله في أرضه أم لا ؟ قولان. واحتج المجيزون بقوله تعالى: ﴿للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠] وبقوله تعالى: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف﴾ [الأنعام: ١٦٥] وبقوله تعالى: ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ [النمل: ٦٢] وبقول علي رضي الله عنه: أولئك خلفاء الله في أرضه ودعاته إلى دينه، واحتج الآخرون بأن الخليفة إنما يكون ممن يغيب ويخلفه غيره، والله تعالى شاهد غير غائب قريب غير بعيد، فمحال أن يخلفه غيره، بل هو سبحانه الذي يخلف عبده المؤمن فيكون خليفته، قالوا: ولهذا أنكر الصديق على من قال يا خليفة الله، قال: لست بخليفة الله، ولكن خليفة رسول الله وحسبي ذلك، وأجابوا عن تلك الآيات، والحق أنه إن أريد بالإضافة إلى الله تعالى أنه خليفة عنه، فالصواب قول الطائفة المانعة منها، وإن أريد بالإضافة أن الله استخلفه عن غيره ممن كان قبله، فهذا لا يمتنع فيه الإضافة وحقيقتها خليفة الله الذي جعله خلفاً عن غيره، وبهذا يخرج الجواب عن قول علي رضي الله عنه أولئك خلفاء الله في أرضه.

فإن قيل: هذا لا مدح فيه، لأن هذا الاستخلاف عام في الأمة، وخلافة الله التي ذكرنا في قول علي رضي الله عنه خاصة لخواص الخلق.

فالجواب: أن الاختصاص المذكور أفاد اختصاص الإضافة، فالإضافة هنا للشرف والتخصيص كما في نظائره، (**فإن الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صفاته**). وهذه مسألة اختلف فيها فالمنقول عن الأشعري أخص أوصاف الباري القدرة، وقال المعتزلة: أنه القدم ورد بأنه سلبي، فكيف يكون نفسياً، فكيف يكون أخص أوصافه، ومنهم من

في الانفاق منه على كل محتاج إليه، فأي رتبة أجـل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه في تقريبهم إلى الله زلفى وسياقتهم إلى جنة المأوى. جعلنا الله منهم بكرمه؛ وصلى الله على كل عبد مصطفى.

زعم أنه حال توجب له كونه حياً عالماً قادراً مريداً ولا إفصاح لي في هذه المقالة عن هذه الحال، واحتج الفخر لقول الأشعري بجواب سيدنا موسى عليه السلام قال: رب السموات والأرض ومابينهما. وردّ ابن التلمساني عليه وقال: معنى كلام الأشعري أن القدرة خاصة لله سبحانه وليس للعبد قدرة خلافاً للمعتزلة، وليس معنى كلام الأشعري أن القدرة أخص الأوصاف كما فهمه عنه، فأخص الأوصاف مجهول، كما أن الأصح أن الذات العلية غير معروفة للبشر حتى في الآخرة، والخلاف في حال لأن الكل متفقون على أن الكنه لا يعرف، وعلى أنه معروف بالعلم والحياة إلى آخرها، واختار في شرح الكبرى أنه غير معروف كما أن الذات غير معروفة، والذي اختاره الشريف زكريا في شرح الأسرار العقلية: أن الأخص غير موجود بالكلية، واحتج على نفيه باستحالة اشتراك القديم مع الحادث في حقيقة ما، وزاد أحمد المنجور في حاشية الكبرى ولاقتضائه التركيب في حقيقة الباري جل وعز من جنس وفصل. إذ الأخص هو الذاتي المميز للحقيقة عما يشاركها في الجنس، ولا خفاء في بطلان هذا لأنه لا جنس للباري تعالى ولا تركيب فيه. كذا في تذكرة المجدولي. (**فهو كالخازن لأنفس خزائنه**) وأجلها، (**ثم هو مأذون في الإنفاق**) والصرف منه (**على كل محتاج إليه**)، وكلما كان إنفاقه على ما يجب وكما يجب أكثر كان جاهه عند مستخلفه أكثر وأوفر. (**فأية رتبة أجل**) وأعظم (**من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه**) في إيصالهم إليه وإرشادهم له. (**وفي تقريبهم إلى الله زلفى وسياقتهم إلى الجنة المأوى**). وقد أورد هذا البحث بطوله مع اختلاف يسير أبو القاسم الراغب في الذريعة، والله أعلم.

الباب الثاني

في العلم المحمود والمذموم وأقسامها وأحكامها:

وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية، وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أي حد هو وتفضيل علم الآخرة.

(بيان العلم الذي هو فرض عين)

قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، وقال أيضاً ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين» واختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم، فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة، ولا نطيل بنقل التفصيل، ولكن حاصله أن كل

الباب الثاني

(في) بيان (العلم المحمود والمذموم وأقسامها وأحكامها):

وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع الفقه والكلام من علم الدين إلى أي حد هو وتفضيل علم الآخرة) على علم الدنيا.

(**بيان العلم**) وفي نسخة في العلم (**الذي هو فرض عين**) على كل مكلف (**قال ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»**) تقدم الكلام عليه في الباب الأول مفصلاً. قال السخاوي: ويوجد في بعض الكتب زيادة ومسلمة وليس لها أصل في الرواية. (**وقال ﷺ: «اطلبوا العلم ولو بالصين»**). وهذا أيضاً قد تقدم الكلام عليه مفصلاً في الباب الأول، وذكرنا أن بعض الروايات هما حديث واحد ولفظه: اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة. وهكذا أورده صاحب القوت ووضع عليه الباب والمصنف تابع له في سياقه في غالب ما أورده في هذا الباب، والحديث وإن كان اسناده ضعيفاً، فالمعنى صحيح، فإن الإيمان فرض على كل أحد، وهو ماهية مركبة من علم وعمل فلا يتصور وجود الإيمان إلا بالعلم والعمل، ثم شرائع الإسلام واجبة على كل مسلم ولا يمكن اداؤها إلا بعد معرفتها والعلم بها، والله أخرج عباده من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً فطلب العلم فريضة على كل مسلم، وهل تمكن عبادة الله التي هي حقه على العباد كلهم إلا بالعلم، وهل ينال العلم إلا بطلبه. (**واختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم وتحزبوا فيه أكثر من عشرين فرقة**) أي صاروا أحزاباً، وقال ابن

فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده، فقال المتكلمون: هو علم الكلام، إذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات الله سبحانه وصفاته، وقال الفقهاء: هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل، وعنوا به ما يحتاج إليه الآحاد دون الوقائع النادرة، وقال المفسرون والمحدثون: هو علم الكتاب والسنّة،

عبد البر في بيان العلم: للفظ العلم إطلاقات متباينة، ويترتب على ذلك اختلاف الحد والحكم كلفظ العالم والعلماء، ومن هنا اختلفوا في فهم هذا الحديث وتجاذبوا معناه اهـ.

(ولا نطوّل الكلام بنقل التفصيل في ذلك ولكن حاصله) ومجمله: **(أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده)** وفي تحصيله، **(فقال المتكلمون: هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله سبحانه وصفاته)**، وعزاه صاحب القوت إلى بعض السلف ونصه؛ وقال بعض السلف: إنما معناه طلب علم ما لا يسع جهله من علم التوحيد وأصول الأمر والنهي، والفرق بين الحلال والحرام. إذ لا غاية لسائر العلوم بعد ذلك وكلها يقع عليها إسم علم من حيث هي معلومات اهـ.

وإلى هذا أشار البيهقي في المدخل فقال: أراد والله أعلم العلم العام الذي لا يسع العاقل البالغ جهله اهـ.

قال صاحب القوت: ثم اختلف القائلون بأنه علم التوحيد في كيفية الطلب وماهية الإضافة، فمنهم من قال من طريق الاستدلال والاعتبار، ومنهم من قال من طريق البحث والنظر، ومنهم من قال من طريق التوقيف والاثر، وقالت طائفة من هؤلاء: إنما أراد طلب علم الشبهات المشكلات إذا سمعها العبد وابتلي بها، وقد كان يسعه ترك الطلب إذا كان غافلاً عنها على أصل التسليم ومعتقد جميع المسلمين لا يقع في وهمه ولا يحيك في صدره شيء من الشبهات فيسعه ترك البحث، فإذا وقع في سمعه شيء من ذلك ووقر في قلبه ولم يكن عنده تعليل ذلك وقطعه ومعرفة تميز حقه من باطله لم يحل له أن يسكت عليه، لئلا يعتقد باطلاً أو ينفي حقاً، فافترض عليه طلب علم ذلك من العلماء به، فيستكشفه حتى يكون على اليقين من أمره فيعتقد من ذلك الحق وينفي الباطل، ولا يقعد عن الطلب ليكون مقيماً على شبهة فيتبع الهوى أو يكون شاكاً في الدين فيعدل عن طريق المؤمنين أو يعتقد بدعة فيخرج بذلك من السنة، ومذهب الجماعة وهو لا يعلم، ولهذا المعنى كان الصديق يقول: اللهم أرِنا الحق حقاً فنتبعه وأرنا الباطل باطلاً فنجتنبه، وهذا مذهب أبي ثور ابراهيم بن خالد الكلبي، وداود بن علي، والحسين الكرابيسي، والحرث بن أسد المحاسبي ومن تبعهم من المتكلمين اهـ.

(وقال الفقهاء: هو علم الفقه إذ به يعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به) أي أرادوا بذلك **(ما يحتاج إليه الآحاد)** من المسلمين **(دون الوقائع النادرة)** الغريبة، وهذا القول مشتمل على ثلاثة أقوال من حيث التفصيل، فأما معرفة

إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها. وقال المتصوفة: المراد به هذا العلم، **فقال بعضهم: هو** علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل. **وقال بعضهم: هو العلم بالإخلاص وآفات** النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان. **وقال بعضهم: هو علم الباطن، وذلك يجب على** أقوام مخصوصين هم أهل ذلك، وصرفوا اللفظ عن عمومه.

العبادات وهي أحكام الطهارة والصلاة والحج والزكاة وتوابعها وشروطها فهو قول مستقل لعامة الفقهاء، وذكر البيهقي في المدخل عن عبد الملك بن حبيب أنه سمع عبد الملك بن الماجشون قال: سمعت مالكاً، وسئل عن طلب العلم أواجب؟ قال: أما معرفة شرائعه وسننه وفقهه الظاهر فواجب، وغير ذلك من ضعف عنه فلا شيء عليه اهـ.

وإن أريد بمعرفة الحلال والحرام ما يحل ويحرم في عباداته فهو داخل في القول الأول، وإلا فهو قول مستقل لبعض صوفية الفقهاء كما سيأتي بيانه، وأما معرفة ما يحل ويحرم من المعاملات فهو قول فقهاء الكوفة خاصة. قال صاحب القوت، وقال بعض فقهاء الكوفة: معناه طلب علم البيع والشراء والنكاح والطلاق، وإذا أراد الدخول فيه افترض عليه مع دخوله في ذلك طلب علمه لقول عمر رضي الله عنه: لا يتجر في سوقنا هذا إلا من تفقه وإلا أكل الربا شاء أم أبى، وكما قيل: تفقه ثم اتجر، ومال إلى هذا سفيان الثوري وأبو حنيفة وأصحابها. **(وقال المفسرون والمحدثون: هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها)** هما قولان، فالمفسرون قالوا هو علم الكتاب، وقال المحدثون: هو علم السنة ولما كانت العلة متحدة جمعهما في قول واحد. **(وقال المتصوّفة: المراد به هذا العلم)** أي علم التصوف، ثم اختلفوا على أقوال **(فقال بعضهم: هو علم العبد بحاله وقوامه من الله تعالى)** يعني حال العبد من مقامه الذي أقيم فيه بأن يعلم أحدهم حاله بينه وبين الله تعالى في دنياه وآخرته، فيقوم بأحكام الله في ذلك، وهذا القول عزاه صاحب القوت إلى سهل التستري **(وقال بعضهم: هو العلم بالإخلاص و)** معرفة **(آفات النفوس)** ووساوسها، ومعرفة مكائد العدو وخدعه ومكره وغروره، وما يصلح الأعمال ويفسدها فريضة كله من حيث كان الاخلاص بالأعمال فريضة، ومن حيث علم بعداوة إبليس ثم أمر بمعاداته، وهذا القول ذهب إليه عبد الرحيم بن يحيى الآرموي الشهير بالأسود من الشاميين ومن تابعه. وقال بعض البصريين في معناه: طلب علم القلوب ومعرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لأنها رسل الله تعالى إلى العبد ووساوس العدو والنفس، فيستحب إليه تنقيذها منه، ومنها ابتلاء من الله للعبد واختبار تقتضيه مجاهدة نفسه في نفيها، ولأنها أول النية التي أول كل عمل وعنها تظهر الأفعال وعلى قدرها تضاعف الأعمال فيحتاج إلى **(تمييز لمة الملك من لمة الشيطان)** وخاطر الروح ووسوسة النفس من علم اليقين وقوادح العقل، ليميز بذلك الأحكام. وهذا عند هؤلاء فريضة، وهو مذهب مالك بن دينار، وفرقد السنجي، وعبد الواحد بن زيد وأتباعهم من نساك البصرة، وقد كان أستاذهم الحسن البصري يتكلم في ذلك وعنه حملوا علم القلوب. **(وقال بعضهم هو)** طلب **(علم الباطن)** فريضة على أهله. قالوا **(وذلك يجب على أقوام**

....

مخصوصين) من أهل القلوب، فمن استعمل به واقتضي منه دون غيره من عوام المسلمين **(هم أهل ذلك)** العلم، ولأنه جاء في لفظ الحديث: تعلموا اليقين فمعناه اطلبوا علم اليقين، وعلم اليقين لا يوجد إلا عند الموقنين وهو من أعمال الموقنين المخصوصين في قلوب العارفين وهو العلم النافع الذي هو حال العبد عند الله تعالى ومقامه من الله تعالى كما شهد به الخبر الآخر من قوله ﷺ العلم علمان. فذكر وعلم باطن في القلب وهو العلم النافع، فهذا تفسير ما أجمل في غيره. وقال جندب: كنا مع رسول الله ﷺ فتعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيماناً، وسيأتي قوم يتعلمون القرآن قبل الإيمان بمعنى تعلمنا علم الإيمان، وهذا مذهب بعض نساك البصرة. **(وهؤلاء صرفوا اللفظ عن عمومه)** حيث خصوه بما ذكر، وقد ظهر من سياق المصنف ذكر خمسة أقوال: **الأول:** قول المتكلمين. **والثاني:** قول الفقهاء. **والثالث:** قول المفسرين والمحدثين. **والرابع:** قول الصوفية، ثم فصله إلى قولين، فصاروا خمسة سوى القول الأخير الذي نقله عن أبي طالب المكي، وسيأتي بيانه، وسنذكر لك تلك الأقوال بأحوالها بمجموعها على التفصيل الغريب، ثم نتبعها بما ذكره أبو طالب ولم يذكره المصنف، ثم ما ذكر غيره من العلماء فنقول:

اختلف العلماء في تفسير هذا الحديث وفهم معناه على أقوال شتى، فمن متكلم يحمله على علم الكلام ويحتج لذلك بأنه العلم المتقدم رتبة لأنه علم التوحيد الذي هو المبنى، والقائلون بهذا اختلفوا في كيفية الطلب كما تقدم، ويندرج في هذا القول قول آخر وهو مستقل عما قبله إلا أن قائله من المتكلمين هو طلب علم الشبهات والمشكلات من علم التوحيد، وقد تقدم أنه مذهب أبي ثور، وداود الظاهري، والكرابيسي، والمحاسبي ومن فقيه يحمله على علم الفقه مطلقاً. قال ابن عبد البر: وذلك هو المتبادر من إطلاق العلم في علم الشرع وتندرج فيه ثلاثة أقوال: فمن قائل هو علم العبادات بشروطها وفرائضها وسننها، وقد تقدمت الإشارة إليه من قول مالك. ومن قائل هو معرفة الحلال من الحرام، واستدل عليه بحديث ابن مسعود طلب الحلال فريضة بعد فريضة، وبحديث أنس طلب الحلال واجب على كل مسلم، وبحديث ابن عباس، وابن عمر طلب الحلال جهاد. ويروى أن من الذنوب ما لا يكفرها إلا الهم في طلب الحلال، وعند البيهقي في السنن، والديلمي في المسند: طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة. أي: لأن طلب كسب الحلال أصل الورع وأساس التقوى. وروى النووي في بستانه عن خلف بن تميم قال: رأيت ابراهيم بن أدهم بالشام فقلت: ما أقدمك؟ قال: لم أقدم لجهاد ولا لرباط، ولكن لأشبع من خبز حلال. وهذا قول عباد أهل الشام، وإليه مال يوسف بن أسباط، وحبيب بن حرب، ووهيب بن الورد، وابراهيم بن أدهم وآخرون. ومن قائل هو علم المعاملات وهو قول أهل الكوفة كسفيان الثوري، وأبي حنيفة وأتباعها، ومن مفسر يحمله على علم التفسير، ومن محدث يحمله على علم الحديث. وقد ذكرت علة كل من ذلك، ومن نحوي يحمله على علم العربية ويقول: الشريعة إنما تتلقى من الكتاب والسنة، وقد قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ [ابراهيم

....

عليه السلام: ٤]. فلا بدّ من اتقان علم البيان ذكره ابن عبد البر، ومن طبيب يحمله على علم الطب الذي يعرف به الصحة والمرض ويقول: العلم علمان، علم الابدان وعلم الأديان. وعلم الابدان مقدم على علم الأديان ذكره بعضهم وفيه نظر، وإيراده في فروض الكفايات أشبه كما سيأتي، ومن صوفي يقول: هو علم التصوف خاصة، وتندرج في هذا القول خمسة أقوال. **الأول:** هو علم حال العبد من مقامه وهو قول سهل التستري. **والثاني:** هو طلب علم المعرفة وقيام العبد بحكم ساعته وهو قول بعض العراقيين. **والثالث:** هو طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس وهو قول عبد الرحيم الأسود ومن تابعه من الشاميين. نقله أبو طالب في القوت، والسهروردي في عوارف المعارف. **والرابع:** طلب علم القلوب ومعرفة الخواطر وهو قول مالك بن دينار، وفرقد السنجي، وعبد الواحد بن زيد وأتباعهم نقله صاحب القوت، والسهروردي. **والخامس:** هو علم الباطن نقله صاحب القوت عن نساك البصرة. وقال السهروردي في العوارف: هو ما يزداد به العبد يقيناً، وهو الذي يكتسب بصحبة الأولياء فهم وارثو المصطفى ﷺ. فهذه الأقوال الخمسة مندرجة في علم التصوف، وقال بعض المتقدمين من علماء خراسان هو أن يكون الرجل في منزله، فيريد أن يعمل شيئاً من أمر الدين أو يخطر على قلبه مسألة لله تعالى فيها حكم وتعبد، وعلى العبد في ذلك اعتقاد أو عمل فلا يسعه أن يسكت على ذلك، ولا يجوز أن يعمل فيه برأيه ولا يحكم بهواه، فعليه أن يلبس نعليه ويخرج فيسأل عن أعلم أهل بلده فيسأله عن ذلك عند النازلة، فهذا فريضة. وحكي هذا عن ابن المبارك وبعض أصحاب الحديث قاله أبو طالب.

وروى البيهقي في المدخل بسنده إلى ابن المبارك انه سئل عن تفسير هذا الحديث فقال: ليس هو الذي يظنون إنما طلب العلم فريضة أن يقع الرجل في شيء من أمر دينه فيسأل عنه حتى يعلمه. وروى ابن عبد البر في كتابه بيان العلم عن ابن المبارك بمثل ما تقدم. وقال بعضهم: أراد به علم ما يطرأ للإنسان خاصة ذكره البيهقي في المدخل وهو قريب من قول ابن المبارك، ويروى عن أحمد بن محمد بن رشدين قال: سمعت أحمد بن صالح، وسئل عن هذا الحديث فقال: معناه عندي إذا قام به قوم سقط عن الباقين مثل الجهاد، ويقرب منه قول سفيان بن عيينة فيما رواه عنه أبو الفتح نصر بن المغيرة قال: طلب العلم والجهاد فريضة على جماعتهم ويجزىء فيه بعضهم عن بعض، وتلا هذه الآية: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾ الآية. [١٢٢ : من سورة التوبة]. ويقرب منها أيضاً قول من يقول: إنه فريضة على كل مسلم حتى يقوم من فيه الكفاية. ذكر هذه الأقوال الثلاثة البيهقي في المدخل.

وأما الإمام مالك رحمه الله؛ فقد اختلف عنه في تفسير هذا الحديث على ثلاثة أقوال:

الأول: نقله ابن وهب قال: سئل مالك عن طلب العلم أهو فريضة على الناس؟ فقال: لا ولكن يطلب منه المرء ما ينتفع به في دينه.

....

الثاني: رواه محمد بن معاوية الحضرمي قال: سئل مالك وأنا أسمع عن الحديث الذي يذكر فيه طلب العلم فريضة على كل مسلم. فقال: ما أحسن طلب العلم فأما فريضته فلا.

الثالث: قول ابن الماجشون قال: سمعت مالكاً سئل عن طلب العلم أواجب هو؟ فقال: أما معرفة شرائعه وسننه وفقهه الظاهر فواجب، وهذا قد قدمنا ذكره، ويقرب من هذا الأخير قول إسحاق بن راهويه فيما رواه عنه إسحاق بن منصور الكوسج قال: طلب العلم واجب، ولم يصح فيه الخبر إلا أن معناه انه يلزمه طلب علم ما يحتاج إليه من وضوئه وصلاته وزكاته إن كان له مال، وكذلك الحج وغيره، ومنهم من قال: إنَّ المراد به تعلم علم مكارم الأخلاق أي: اسعوا إلى تحصيله حتى لو لم يبقَ إلا أهل الصين لوجب السفر إليهم، وليس في مكارم الأخلاق شيء يعادل الشفقة على المخلوقات على ما يليق بكل نوع، وهذا القول ذكره العلاء علي بن محمد الشيرازي في كتابه (سلم السلوك للرعايا والملوك)، فتحصل مما ذكرناه نحو عشرين قولاً أو أزيد غير القول الأخير الذي نقله المصنف عن أبي طالب المكي، فسيأتي بيانه وشرحه.

قال المناوي: كل فرقة أقامت الأدلة على علمها وكل لكل معارض وبعض لبعض مناقض، وأجود ما قيل قول القاضي: هو العلم الذي مالنا مندوحة عن تعلمه كمعرفة الصانع ونبوّة رسله وكيفية الصلاة ونحوها، فإن تعلمه فرض عين اهـ.

وقال المصنف في كتابه المنهاج العلم المفروض في الجملة ثلاثة. علم التوحيد، وعلم السر وهو ما يتعلق بالقلب، وعلم الشريعة، والذي يتعين فرضه من علم التوحيد ما يعرف به أصول الدين، وهو أن تعلم أن لك إلهاً قادراً حياً مريداً متكلماً سميعاً بصيراً لا شريك له، متصفاً بصفات الكمال، منزهاً عن دلالات الحدوث، منفرداً بالقدرة، وأن محمداً رسوله الصادق فيما جاء به، ومن علم السر معرفة مواجبه ومناهيه حتى يحصل لك الإخلاص والنية وسلامة العمل، ومن علم الشريعة كل ما وجب عليك معرفته لتؤديه وما فوق ذلك من العلوم فرض كفاية اهـ.

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة: العلم الذي هو فرض عين لا يسع مسلماً جهله أنواع.

النوع الأول: علم أصول الايمان الخمسة الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فإن من لم يؤمن بهذه الخمسة لم يدخل في باب الايمان ولا يستحق اسم المؤمن. قال الله تعالى: ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ [البقرة: ١٧٧]. وقال: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾ [النساء: ١٣٦]، ولما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الايمان. قال: «تؤمن بالله وملائكته واليوم الآخر وكتبه ورسله». قال: صدقت. فالإيمان بهذه الأصول فرع معرفتها والعلم بها.

النوع الثاني: علم شرائع الإسلام واللازم منها ما يخص العبد من فعلها، كعلم الوضوء والصلاة والصيام والحج والزكاة وتوابعها وشروطها ومبطلاتها.

....

النوع الثالث: علم المحرمات الخمس التي اتفقت عليها الرسل والشرائع والكتب الإلهية، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ [الأعراف: ٣٣]، فهذه محرمات على كل أحد في كل حال على لسان كل رسول لا تباح قط، ولهذا أتي فيها بإنما المفيدة للحصر مطلقاً وغيرها محرم في وقت مباح في غيره كالميتة والدم ولحم الخنزير ونحوه، فهذه ليست محرمة على الإطلاق والدوام، فلم تدخل في التحريم المحصور المطلق.

النوع الرابع: علم أحكام المعاشرة والمعاملة التي تحصل بينه وبين الناس خصوصاً وعموماً، والواجب في هذا النوع يختلف باختلاف أحوال الناس ومنازلهم، فليس الواجب على الإمام مع رعيته كالواجب على الرجل مع أهله وجيرته، وليس الواجب على من نصب نفسه لأنواع التجارات من تعلم أحكام البياعات كالواجب على من لا يبيع ولا يشتري إلا ما تدعو الحاجة إليه، وتفصيل هذه الجملة لا ينضبط بحد لاختلاف الناس في أسباب العلم الواجب، وذلك يرجع إلى ثلاثة أصول، اعتقاد وفعل وترك، فالواجب في الاعتقاد مطابقته للحق في نفسه، والواجب في العمل معرفة موافقة حركات العبد الظاهرة والباطنة الاختيارية للشرع أمر أو إباحة، والواجب في الترك معرفة موافقة الكف والسكون لمرضاة الله تعالى، وأن المطلوب منه ابقاء هذا الفعل على عدمه المستعمل فلا يتحرك في طلبه أو كف النفس عن فعله على الطريقتين، وقد دخل في هذه الجملة علم حركات القلوب والابدان اهـ. وهو نفيس.

وفي منية السالكين وبغية العارفين قد اختلف العلماء في العلم الذي هو فريضة، ولا يسع الإنسان جهله وكثرت أقاويلهم في ذلك، وأقربها إلى المقصود من قال هو علم الأوامر والنواهي والمأمور ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه، والمأمورات والمنهيات منها ما هو لازم مستمر للعبد بحكم الإسلام، ومنها ما يتوجه الأمر فيه والنهي عنه عند وجود الحادثة، فما هو لازم مستمر لزومه متوجه بحكم الإسلام علمه واجب من ضرورة الإسلام، وما يتجدد بالحوادث ويتوجه الأمر والنهي عنه علمه عند تجدده فرض لا يسع مسلماً على الاطلاق أن يجهله، وينحصر ذلك في ثلاثة أنواع من العلوم. علم بالأوامر الشرعية، وعلم بالنواهي الشرعية، وعلم بالمباحات الدنياوية ومدارك الحواس الضرورية والضرورة العقلية، وتفصيل ذلك مستقصى في كتب الفقه والأصول، ولكن ننبهك بلمعة يسيرة تقف بالإشارة منها على مجمله وتفصيله. أما علم الأوامر فهو علم الفرائض والسنن والفضائل، وأما علم النهي فهو علم الحلال والحرام والكراهة والتنزيه، وأما علم المباحات فهو العلم بالدنيا وأهلها وكيفية آداب المخالطة واكتساب المعيشة، وهذه الأقسام الثلاثة تعلم من طريق الشرع والسمع، وأما مدارك الحواس والعلوم الضرورية، فقد اشترك فيها الحيوان العاقل فلا يحتاج إلى اكتساب، وإنما المراد هنا الكلام على الشرعية، فقد عمّ العلم الظواهر كلها، فلا يجوز لأحد أن يعمل عملاً إلا يعلم بعلم الأمر الظاهر وهو موجود كله

وقال أبو طالب المكي: هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الإسلام، وهو

مضبوط في كتب الفقه كالعلم بالاستنجاء والطهارة والصلاة وما يتعلق بها واختلاف أنواعها، والزكاة وأنواعها ومصارفها وعلى من تجب، والصوم والجهاد والحج وأنواعها، وغير ذلك من الأحكام المأمور بها. وأما علم النهي، فالعلم بالمحرمات كلها على اختلاف أنواعها كالعلم بما يفسد الطهارة والصلاة والصوم والحج وغير ذلك، وكالعلم بالأطعمة والأشربة المحرمة وأبواب الربا وغير ذلك، وكالعلم بالمكروه كله وذلك كله موجود في كتب الفقه. وأما علم المباح وأمور الدنيا فكالعلم بالصيد وآداب الأكل والشرب والجماع والمخالطة ومعرفة الدنيا وأسبابها. وهذا كله موجود في الكتب محرراً، فإذا أراد العبد أن لا يتحرك بحركة إلا بعلم وجد ذلك في العلم، لأن العلم واسع جداً مثال ذلك. إذا أراد أن يسبح أو يمشي في السوق فيقول: هل للسباحة والمشي في السوق أصل في العلم أم لا؟ فيجد ذلك منصوصاً عليه، وكذا المزح واللعب وغير ذلك، لكن مع سعة العلم قد ترك العمل به وأوثر العمل بالجهل، فعليك بالعلم في جميع الحركات والسكنات وهو العصمة في مواطن المهلكات، وليكن سبيلك في العلوم اختيار أشرفها منزلة والميل إلى أنفعها ثمرة للدين والدنيا، فتجعل نظرك في نيل ذلك الفرع من العلم مما لا بد لك منه ولا غنى لك عنه وتجعله مما ترضى أن ينسب إليك وتنسب إليه، وتنزل غيرها من العلوم في نفسك على قدر مراتبها ومواقع أقدارها من دينك ومنفعة نفسك في دنياك وآخرتك الأوكد فالأوكد والأنفع فالأنفع وبالله التوفيق.

(**وقال**) الإمام (**أبو طالب**) محمد بن علي بن عطية الحارثي (**المكي**) في كتابه قوت القلوب إلى لقاء المحبوب ترجمه الخطيب في التاريخ والذهبي في الميزان، فقال الزاهد الواعظ صاحب القوت: حدث عن علي بن أحمد المصيص والمفيد وكان مجتهداً في العبادة، حدث عنه ابن عبد العزيز الأزجي وغيره، وقال الخطيب: كان من أهل الجبل ونشأ بمكة ووعظ ببغداد مات سنة ست وثمانين وثلاثمائة اهـ.

قلت: وأخذ عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم، وأبي سعيد بن الأعرابي، وأبي عثمان المغربي، وعنه ولده عمر بن أبي طالب، وفي كتاب لطائف المنن نقلاً عن الشاذلي أن كتاب الاحياء يورث العلم، وكتاب القوت يورث النور، وكان يقول: عليكم بالقوت فإنه قوت وتلقاه كل الصوفية بقبول، وأثنوا عليه كسيدي عبد الجليل القصري صاحب شعب الإيمان، وابن العريف، وكان يسميه السهروردي ديوان الإسلام، وأثنى على مؤلفه في عوارفه، وابن عباد في رسائله قال رحمه الله في كتابه المذكور بعد أن أورد الأقوال التي ذكرناها ما نصه: فهذه أقوال العلماء في معنى هذا الخبر حكينا ذلك عن علمائنا بمذاهبهم على معنى مذهب كل طائفة واحتججنا لكل قول، فالألفاظ لنا والمعنى لهم، وهذا كله حسن ومحتمل، وهؤلاء كلهم وإن اختلفوا في تفسير الحديث بألفاظ فإنهم متقاربون في المعنى، إلا أهل الظاهر منهم فإنهم حملوه على ما يعلمون، وأهل الباطن تأولوه على علمهم. ولعمري إن الظاهر والباطن علمان لا يستغني

قوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس. شهادة أن لا إله إلا الله» إلى آخر الحديث، لأن

أحدهما عن صاحبه، بمنزلة الإسلام والإيمان مرتبط كل واحد منهما بالآخر كالجسم والقلب لا ينفك أحدهما عن صاحبه، وهؤلاء المختلفون في الأقوال مجمعون على أنه ﷺ لم يرد بذلك طلب علم الأقضية والفتاوى، ولا علم اختلاف المذاهب ولا كتب الحديث مما لا يتعين فرضه، وإن كان الله تعالى لا يخلي من ذلك من يقيمه بحفظه والذي عندنا في حقيقة هذا الخبر والله أعلم ان قوله ﷺ طلب العلم فريضة (**هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي**) ذكرت فيه (**مباني الإسلام وهو قوله ﷺ: بني الإسلام على خمس**) هكذا في النسخ وهي الرواية المشهورة. وفي نسخة على خمسة وهي رواية لمسلم، والتقدير خمسة أشياء أو أركان أو أصول. وفي رواية عبد الرزاق على خمس دعائم. ولنذكر أولاً تخريج هذا الحديث ثم نلم ببقية كلام الإمام أبي طالب.

قال العراقي: رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي من رواية عكرمة بن خالد، عن ابن عمر رفعه: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان». قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وأخرجه مسلم أيضاً من رواية عاصم بن زيد بن محمد بن عمر، عن أبيه، عن ابن عمر. ورواه الترمذي من رواية حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عمر وقال: حسن صحيح اهـ.

قلت: رواه البخاري في أول صحيحه فقال: حدثنا عبيدالله بن موسى، أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان، عن عكرمة بن أبي خالد، عن ابن عمر. ورواه في التفسير وقال فيه: وزاد عثمان بن وهب، أخبرني فلان، وحيوة بن شريح، عن بكر بن عمر، وعن بكير بن عبدالله الأشج، عن نافع، عن ابن عمر. وأخرجه مسلم في الإيمان، عن محمد بن عبدالله بن نمير، عن أبيه، عن حنظلة؛ وعن ابن معاذ. عن أبيه، عن عاصم بن محمد، عن أبيه، عن جده. وعن ابن نمير، عن أبي خالد الأحمر، عن سعد بن طارق، عن سعد بن عمير، عن ابن عمر. وعن سهل بن عثمان، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن سعد بن طارق به، فوقع لمسلم من جميع طرقه خماسياً، وللبخاري رباعياً، وزاد مسلم في روايته عن حنظلة قال: سمعت عكرمة بن خالد يحدث طاوساً أن رجلاً قال لعبدالله بن عمر: الا تنفروا. فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ فذكر الحديث. وقال البيهقي: اسم الرجل السائل حكيم كذا في شرح العيني على البخاري.

قلت: وفي المخلصيات من رواية يزيد بن بشر السكسكي عن سني والد عبادة كنت عند ابن عمر فسأله رجل من أهل العراق فذكره. ويزيد بن بشير مجهول، ورواه كذلك الإمام أحمد في مسنده، وممن روى عن حبيب بن أبي ثابت سعيد ابن الجمس ومسعر بن كدام، وهو في المخلصيات من رواية محمد بن ميمون الحناط، عن سفيان بن عيينة عنهما. وأخرجه المدني في مسنده عن سفيان عن سعير وحده عنه وهو في الغيلانيات من رواية حماد بن شعيب الحماني، عن حبيب بن أبي ثابت. وأخرجه أبو نعيم من رواية حجاج بن منهال، حدثنا همام ابن يحيى، عن

الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب. والذي ينبغي أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما سنذكره: وهو أن العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة، وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة. والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة: اعتقاد، وفعل، وترك؛ فإذا بلغ

محمد بن حجادة، عن طلحة بن مصرف، عن ابن عمر وفيه زيادة، وليس لطلحة عن ابن عمر شيء في الكتب الستة.

قال العراقي: ويروي عن جرير أيضاً رواه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما، والطبراني في الكبير من رواية عامر عن جرير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بني الإسلام على خمس» فذكرها ولم يقل أن محمداً رسول الله اهـ.

قلت: والمعنى واحد لأن الشهادة هي قولنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كما عرفت، (**لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب**) ونص القوت ثم ان العمل لا يصح إلا بعلمه، فأوّل العمل العلم به فصار علم العمل فرضاً من حيث افترض العمل، فلما لم يكن على المسلمين فرض من الأعمال إلا هذه الخمس صار طلب علم هذه الخمس فرضاً لأنه فرض الفرض اهـ.

(**والذي ينبغي أن يقطع به المحصل ولا يستريب**) أي لا يشك (**فيه**) هو (**ما نذكره**)، ونورده الآن وهذا الذي يذكره المصنف هو خلاصة ما ذكره أبو طالب في كتابه مع زيادة ايضاح وبيان لتقريره، كما يظهر لمن تأمل في كلاميهما: (**وهو أن العلم كما قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة، وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة**) أي علم المعاملة القلبية والقالبية. واعلم أن الفرض بعد التوحيد نوعان. **أحدهما:** ما يكون فرضاً على العبد بحكم الإسلام وهو علم المعاملة القلبية واصلاح الباطن لازدياد الانوار النفسية وازالة الاخلاق الردية واثبات الشمائل المرضية. **وثانيهما:** ما هو فرض عليه عند تجدد الحادثة كدخول وقت الصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها. وأما العبد إذا أسلم في وقت لم تجب عليه فيه هذه الأشياء فليس عليه أن يعلمها بفرض ادراك لأنه لم يدرك وقتها، وإنما يكون الفرض عليه حينئذ علم المعاملة القلبية، فلو وجد برهة بعد الإسلام وفراغاً ولم يشتغل في تحصيل علم المعاملة القلبية كان تاركاً للفرض مسؤولاً عنه يوم القيامة، وإن لم يتجدد له من تلك الفروض الظاهرة شيء كالصلاة ونحوها، فتأمل، فإنه إجمال سيفصله المصنف فيما بعد. (**والمعاملة التي كلف العبد العاقل بها ثلاثة، اعتقاد**) هو عقد القلب على الشيء واثباته في نفسه، وسيأتي ذكره في الباب السادس، (**وفعل**) قال الراغب، الفعل التأثير من جهة مؤثر وهو عام لما كان بإيجاده أو بغيره، ولما كان بعلم أو بغيره وبقصد أو بغيره ولما كان الإنسان والحيوان

الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلاً، فأول واجب عليه تعلم كلمتي

والعمل والصنع أخص منه. **(وترك)** هو رفض الشيء قصداً واختياراً أو قهراً واضطراراً، وهذا التقسيم فيه تصريح أن الترك غير الفعل كما صرح به غير واحد. وقال ابن السبكي في الطبقات: لقد وقفت على ثلاثة أدلة تدل على أن الكف فعل لم أر أحداً عثر عليها. **أحدها**: قوله تعالى: ﴿وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ [الفرقان: ٣٠] وتقريره أن الاتخاذ افتعال من الأخذ وهو التناول، والمهجور: المتروك. فصار المعنى تناولوه متروكاً وفعلوا تركه، وهذا واضح على جعل اتخذ في الآية متعدياً إلى مفعولين. **والثاني**: حديث أبي جحيفة أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ قال فسكتوا فلم يجبه أحد قال: «حفظ اللسان». **والثالث**: قول قائل من الأنصار، والنبي ﷺ يعمل بنفسه في بناء مسجده لقد قعدنا والنبي يعمل لذاك هو العمل المضلل اهـ.

(فإذا بلغ الرجل) فيه المجاز بالأول وفي معناه المرأة وسيأتي الاختلاف فيه. **(العاقل)** لأن المجنون لا تتوجه عليه الاحكام حتى يبرأ، لما روى ابن ماجه من حديث عائشة مرفوعاً: «رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق» **(بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلاً)** قال التقي السبكي في ابراز الحكم: أجمع العلماء على أن الاحتلام يحصل به البلوغ في حق الرجل، ومن الدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا﴾ [النور: ٥٩] والمراد بالاحتلام خروج المني سواء كان في اليقظة أم في النوم بحلم أو غير حلم، ولما كان في الغالب لا يحصل إلا في النوم بحلم أطلق عليه الحلم والاحتلام، ويكون الخروج بغير حلم مدلولاً عليه باللفظ إن اختلف اللفظ على الاقسام الثلاثة لوجود المعنى في جميعها أو لا يكون مدلولاً عليه، ولكن الحكم ثابت فيه إجماعاً لمشاركة في المعنى لما دل اللفظ عليه، ولو وجد الاحتلام من غير خروج مني فلا حكم له، ثم قالوا: إن وقت امكان خروج المني باستكمال تسع سنين ولا عبرة بما ينفصل قبل ذلك وقبل مضي الإمكان بستة أشهر من السنة العاشرة وقبل تمام العاشرة، ثم قال: واختلف أصحابنا في بلوغ النساء بالاحتلام، والصحيح انه بلوغ في حقهن كالرجال، وفيه أنه لا يوجب البلوغ فيهن لأنه نادر فيهن ساقط العبرة، وأما البلوغ بالسن فعن أبي حنيفة أن بلوغ الغلام بثمان عشرة سنة وفي الجارية عنه روايتان. إحداهما كذلك والثانية لسبع عشرة. وقال الشافعي: إن البلوغ فيهما بخمس عشرة، واختلف أصحابه في ضبطها، فالمذهب المشهور أن المعتبر تمام السنة الخامسة عشر. وفي وجه مشهور من طريق المراوزة أنه بالطعن فيها. وفي وجه غريب أنه بمضي ستة أشهر منها، واستندوا فيه إلى حديثين.

أحدهما: عن ابن عمر قال عرضت على النبي ﷺ يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني، وعرضت يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني متفق عليه. قال نافع: فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز في خلافته فقال: إن هذا لحد بين الصغير والكبير، وقيل: إن عمر

....

ابن عبد العزيز أمر بذلك بعد، وكان يجعل من دون خمس عشرة في الذرية وكتب إلى عماله إن افرضوا لابن خمس عشرة، وما كان سوى ذلك فالحقوه بالعيال والمخالفون اعتذروا عن هذا الحديث بأن الإجازة في القتال منوطة باطاقته والقدرة عليه، وأن إجازة النبي ﷺ لابن عمر في الخمس عشرة لأنه رآه مطيقاً للقتال ولم يكن مطيقاً له قبلها، لا لأنه أراد الحكم على البلوغ وعدمه، ولعمري ان هذا العذر يلوح، ولكن يرده ان جماعة مع ابن عمر اتفق لهم ذلك وأسنانهم متساوية، وكان فيمن رد من يتشوّق للقتال ويظهر من نفسه الجلادة والقوة، وذكر ابن عمر السن في المقامين دليل على أنه فهم ان ذلك منوط بالسن، ويعضد ذلك تفهم عمر بن عبد العزيز ومن وافقه، والأمر فيه محتمل، وأمر عمر بن عبد العزيز بجعل من دون خمس عشرة في الذرية ظاهر لما قدمناه، وكذلك سحب حكم عدم البلوغ على ما قبل تمامها فلا بلوغ قبل استكمال خمس عشرة سنة بغير الاحتلام، وإنما النظر في البلوغ بتمامها والإجازة في القتال لا تدل على البلوغ لأن الصبي القادر على القتال يجوز له الحضور وإن لم يجب عليه. وقد ذكر الرافعي في هذا الحديث زيادة وهي قول ابن عمر في المدة الأولى ولم يرني بلغت، وفي الخندق ورآني قد بلغت. وهذه الزيادة إن صحت كافية في الاستدلال على إمكان أن يجعلها الخصم على بلوغ القتال، ولكن الظاهر خلافه، وبعض هذه الزيادة رواه البيهقي وهو قول ابن عمر في يوم أُحد ولم يرني بلغت، ورواه ابن جرير، عن عبيدالله عن نافع، عن ابن عمر. وفي رواية جماعة عن عبدالله فاستصغرني.

وأما الحديث الثاني: فرواه الدارقطني على ما نقله إمام الحرمين أن النبي ﷺ قال: « إذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله وما عليه وأقيمت عليه الحدود ». وهذا الحديث نص على المقصود، فإن الذي دلت عليه السير أن ابن عمر يوم الخندق كان في ست عشرة سنة، لكن لم يحسب تلك الزيادة فقال: وأنا ابن خمس عشرة لأنه كان أكملها وزاد عليها، فإجازة النبي ﷺ له يحتمل أن تكون لقدرته على القتال مع صباه، ويحتمل أن تكون لاستكماله خمس عشرة، ويحتمل أن تكون لبلوغه قبل ذلك أو بعده. وأما هذا الحديث فنص في اعتبار كمال خمس عشرة سنة، وصريح في أنه يكتب ماله وما عليه وتقام عليه الحدود وهذا معنى التكليف، فإن صح هذا الحديث فلا ريبة في هذا الحكم، وإلاّ فنقول في اعتبار أبي حنيفة أيضاً لسبع عشرة أو ثمان عشرة لا دليل عليه وبقاء الصبا أبداً لا صائر إليه، وربما لا يحتلم شخص. وقد دل القرآن على بلوغ النكاح وهو السن الذي تتوق فيه نفسه إلى الجماع ويقدر عليه وهو مختلف باختلاف الأشخاص، والغالب وجوده في ابن خمس عشرة وما قاربها، وقد شهد له حديث ابن عمر والحديث الآخر فهو أولى بالاعتبار واقامته مظنة، فلذلك نختار موافقة الشافعي في الحكم بالبلوغ باستكمال خمس عشرة ظاهراً لا قطعاً، أما إذا استكمل سبع عشرة أو ثمان عشرة فيحكم بالبلوغ باتفاق منا ومن الحنفية، ومخالفة مالك بعيدة لأنه لا غاية بعدها. ثم قال: واختلف العلماء في إنبات العانة هل يقتضي الحكم بالبلوغ؛ فمن العلماء من أنكر ذلك وهو أبو حنيفة رحمه الله تعالى، ومنهم من قال

الشهادة وفهم معناهما وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، وليس يجب عليه أن

به في حق المسلمين والكفار وهو أحد وجهين لأصحابنا بناء على أنه بلوغ حقيقة كسائر أسباب البلوغ، أو أنه علامة يحتاج إليها عند الإشكال فيها وهو مذهب مالك، ومنهم من قال في حق الكفار خاصة وهو الصحيح عند أصحابنا بناء على أنه ليس ببلوغ، ولكنه دليل على البلوغ وأمارة لأنه يستعجل بالمعالجة، ولأن تواريخ المواليد في المسلمين يسهل الكشف عنها بخلاف الكفّار، فإنه لا اعتماد على قولهم، فجعل علامة في حق الكفار خاصة ثم قال: وإذا اعتبرنا البلوغ بخمس عشرة سنة فهو تحديد لأن كل عدد نص الشارع عليه فهو تحديد، وإنما يختلف فيما ليس مقدراً من جهة الشارع هذا كله نص التقي السبكي نقلته برمته لما فيه من الفوائد.

قلت: وما ذكره عن أبي حنيفة في بلوغ الغلام ثمان عشرة سنة هو الرواية المشهورة عنه، وقد ذكر صاحب الدرر وغيره عنه رواية أخرى تسع عشرة سنة. وقال بعضهم: المراد من ذلك أن يطعن في التاسع عشر فلا اختلاف بين الروايتين، وحاصل ما ذكره أصحابنا في متونهم وأجمعوا عليه أن بلوغ الغلام بإحدى ثلاث. الاحتلام والإحبال والإنزال، لأنها أمارات البلوغ، وإلاّ فحتى يتم ثمان عشرة سنة، وبلوغ الجارية بالحيض والاحتلام والحبل، وإلاّ فحتى يتم لها ثمان عشرة سنة، ويروى عن أبي حنيفة أيضاً بلوغهما بخمس عشرة سنة وهو قول الصاحبين وعليه الفتوى. قالوا: وأدنى المدة في حق الغلام اثنتا عشرة سنة وفي حقها تسع سنين، فإن راهقا الحلم وأقرا بالبلوغ صدقا بالإجماع. (**فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما**) ولو إجمالاً (**وهو قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله**) صار لفظ الشهادة علماً عليه لقول القائل: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والشهادة تطلق على معان كثيرة كما تقدم، ولكن المناسب هنا هو الاخبار بمعرفة الشيء عن شهادة وعيان لا تخمين وحسبان، ومعنى الشهادة في أشهد أن لا إله إلاّ الله تصديق بالجنان واقرار باللسان وهو مجاز لغوي وحقيقة شرعية شبه الاقرار والتصديق في البيان والكشف، فأطلق على ذلك الشهادة كما أطلق الأسد على الرجل الشجاع، فتكون استعارة، ثم أشهد هنا إن كان إخباراً عما مضى، ففائدته أن يكون التصديق والإقرار نصب عين الجنان، وورد اللسان بحيث يشغل المؤمن بهما ظاهره وباطنه، وإن كان انشاءً ففائدته النجاة واستحقاق الإحسان والاعلام بالإيمان حققه الكافيجي، وقال ابن السبكي في الطبقات: واعلم أن جميع ماسقناه في قول لا إله إلا الله المراد به في أكثر الأحاديث صيغة الشهادتين، وقد صارا كالشيء الواحد لأن الاعتبار باحدهما متوقف على الآخر، ومن ثم قال القاضي أبو الطيب الطبري وجماعة في تلقين الميت: يلقن الشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقد جاء مصرحاً في بعض ألفاظ الحديث، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر: « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا » الحديث. وفي رواية أخرى عندهما لأبي هريرة كذلك، وفي رواية أخرى للبخاري والثلاثة من حديث أنس رفعه: « حتى يقولوا وفيه فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » الحديث وكذلك حديث: « بني الإسلام على

يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة، بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزماً من غير اختلاج ريب واضطراب نفس، وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان، « إذا اكتفى رسول الله ﷺ من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل ». فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان

خمس » فجعل الشهادتين شيئاً واحداً وهو الأمر الذي بُني عليه الإسلام وإلاَّ فلو كانا شيئين لكان الإسلام مبنياً على ست لا خمس. (**وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر**) قد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص وهو أعم من القياس لأن كل قياس نظر ولا عكس، وعند الأصوليين هو الفكر المؤدي إلى علم أو ظن (**والبحث**) هو إثبات النسبة الإيجابية أو السلبية بين شيئين بطريق الاستدلال (**وتحرير الأدلة**) والتحقيق فيها، (**بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزماً**) أي حتماً يقال: حكم جزم لا ينقض ولا يرد (**من غير اختلاج ريب**) أي شك (**واضطراب نفس**)، والاختلاج هو الأضطراب، (**وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث وبرهان**) **أي يتبع غيره فيما يقوله معتقداً فيه من غير نظر وتأمل وبحث في الدليل، كأنه يجعل قول غيره قلادة في عنقه**، والبرهان ما يفصل الحق من الباطل، ويميز الصحيح من الفاسد بالبيان الذي فيه (**إذا اكتفى رسول الله ﷺ من أجلاف العرب**) وجفاتهم الذين لم يتزيوا بزي الحضر في رفقهم ولين أخلاقهم (**بالتصديق والاقرار**) فقط (**من غير تعليم دليل**).

قال العراقي: هو مشهور في كتب السير، وفي الصحيح: فمن ذلك حديث أنس المتفق عليه في قصة ضمام بن ثعلبة وفيه: فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد أتانا رسولك فزعم أنك تزعم ان الله أرسلك. قال: صدق. الحديث، وفي آخره فقال الرجل: آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد ابن بكر.

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي أيوب أن اعرابياً عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال يا رسول الله، أو يا محمد: أخبرني بما يقربني من الجنة وما يباعدني من النار وفيه: فقال « تعبد الله ولا تشرك به شيئاً » الحديث زاد مسلم فقال: « ان تمسك بما أمر به دخل الجنة ».

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي هريرة أن اعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: « تعبد الله ولا تشرك به شيئاً » الحديث وفيه فقال: « من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا ». والأحاديث في هذا كثيرة مشهورة اهـ.

وقال صاحب القوت: فإذا بطلت هذه الوجوه يعني التي ذكرها في حديث: اطلبوا العلم الخ. صح أن المراد به علم ما بني الإسلام عليه، فافترض على المسلمين علمه فريضة بدليل قوله ﷺ

العلم الذي هو فرض عين عليه في الوقت تعلم الكلمتين وفهمها، وليس يلزمه أمر وراء هذا في الوقت، بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعاً لله عز وجل غير عاص له، وإنما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضرورياً في حق كل شخص بل يتصوّر الانفكاك عنها، وتلك العوارض إما أن تكون في الفعل وإما في الترك وإما في

للاعرابي حين سأله ما افترض الله عليّ. وفي لفظ آخر أخبرنا بالذي أرسلك الله إلينا فاخبره بالشهادتين والصلوات الخمس والزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت فقال: هل عليَّ غيرها فقال: لا. إلاَّ أن تتطوّع، فقال: والله لا أزيد عليه شيئاً ولا أنقص منه شيئاً فقال: «أفلح. ودخل الجنة إن صدق». فكان علم هذه الخمس الفريضة من حيث هي كمال معلوم وفريضة إذ لا عمل إلا بعلم اهـ.

قلت: وحديث ضمام في أوّل كتاب البخاري رواه عن عبدالله بن يوسف التنيسي. ورواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه جميعاً عن عيسى بن حملة بن عتبة كلاهما عن الليث بن سعد عن سعيد المقبري، عن شريك بن عبدالله بن نمير، عن أنس. وأخرجه الترمذي، عن محمد بن إسماعيل الترمذي، عن علي بن عبد الحميد. والنسائي عن محمد بن محمد، عن ابن عامر العقدي، وعبد بن حميد عن أبي النضر هاشم بن القاسم. وأبو عوانة في صحيحه من رواية موسى بن إسماعيل خمستهم عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس، وفي رواياتهم اختلاف في اللفظ، وأكمل الروايات لهذا الحديث حديث ابن عباس وهو بطوله في الخلعيات من رواية محمد بن إسحاق. وحدثني محمد بن الوليد، عن كريب عنه وفي آخره يقول عبدالله بن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة، وقد وقع في هذه الطرق كلها ذكر الحج ما عدا رواية البخاري، وقدوم ضمام كان في سنة تسع وبه جزم ابن إسحاق وأبو عبيدة، ووقع في معجم الطبراني من حديث سعيد بن جبير، عن ابن عباس التصريح بأن قدوم ضمام كان بمكة والله أعلم.

(فإذا فعل ذلك فقد أدّى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عين في الوقت تعلم الكلمتين وفهمها) أي فهم معانيهما إجمالاً **(وليس يلزمه امر وراء هذا في ذلك الوقت بدليل إنه لو مات)** أي لو قدر موته **(عقب ذلك مات مطيعاً لله تعالى غير عاص)**، وكذلك من أيقن بالإيمان وحال بينه وبين النطق به الموت فهو ناج استنبطه المصنف من قوله ﷺ: «أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان» قال: وأما من قدر على النطق ولم يفعل حتى مات مع إيقانه بالإيمان بقلبه، فيحتمل أن يكون امتناعه منه بمنزلة امتناعه عن الصلاة فلا يخلد في النار، ويحتمل خلافه، ورجح غيره الثاني فيحتمل تأويله. كذا نقله القسطلاني. **(وإنما يجب غير ذلك بعارض يعرض)** والعارض للشيء ما يكون محمولاً عليه خارجاً، وهو أعم من العرض. إذ يقال للجوهر عارض كالصورة تعرض للهيولى، ولا يقال له عرض، **(وليس ذلك ضرورياً في حق كل شخص بل يتصوّر الانفكاك عنها)** أي

الاعتقاد. أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة، فإن كان صحيحاً وكان بحيث لو صبر إلى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم، فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت. ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال، وهكذا في بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم: وهو أن يعلم أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس؛ وأن الواجب فيه النية والامساك عن الأكل والشرب والوقاع، وإن ذلك يتمادى إلى رؤية الهلال أو شاهدين؛ فإن تجدد له

الانفصال، **(وتلك العوارض)** التي تعرض على المكلف **(إما أن تكون في الفعل أو في الترك وإما في الاعتقاد)** قدم الفعل والترك إهتماماً بشأنها، لأن غالب الشرائع مداره عليهما. **(أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة النهار)** مثلاً بعد أن يصير أهلاً لوجوب الصلاة عليه ببلوغ وإسلام **(إلى وقت الظهر)** الغاية هنا داخلة تحت المغيا بقرينة قوله: **(فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة)** من الأحداث والأخباث **(والصلاة)** أي صلاة الظهر وتقديم الطهارة لكونها من مقدمات الصلاة، **(وإن كان صحيحاً وكان بحيث لو صبر إلى زوال الشمس لم ينمكن من تمام التعلم والعمل)** ولا من بعضها **(في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن نقول الظاهر بقاؤه)** وهو الراجح، **(فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت)** وإنما عبر بقوله لا يبعد لأنه لم ير فيه تصريحاً، وإنما هو من تحقيقاته، ويكون المراد بالتعلم الذي وجب تقديمه قدر ما يستطيعه ويسعه فهمه، وإن جعل التعلم شرطاً للصلاة فلا محالة يقدم عليها تقدم العلة على المعلول. **(ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب)** أي لا يستدعي وجوبه **(قبل الزوال)** ويقال: هلا يكون المراد من قوله بعد وجوب العمل أي بعد معرفة وجوبه قبل دخول وقته فيكون مستدعياً تقدمه بالذات ولو لم يكن بالزمان، فالعلم ليس مقارناً له في الوجوب بالزمان فتدبر، **(وهكذا)** الحال **(في بقية الصلوات)** المفروضة **(فإن عاش إلى رمضان)** الشهر المعروف **(تجدد بسببه)** أي بسبب دخوله فيه **(وجوب تعلم الصوم: وهو أن يعلم أن وقته من)** طلوع **(الصبح إلى غروب)** قرص **(الشمس، وإن الواجب النية)** وهي إجماعية. ولكن اختلفوا في تعيينها فقال مالك، والشافعي وأحمد في أظهر روايتيه: لا بد من التعيين، فإن لم يعين لم يجز ولو نوى صوماً مطلقاً أو صوم التطوّع لم يجز، وقال أبو حنيفة: لا يجب التعيين وإن نوى مطلقاً أو نفلاً أجزأه وهي الرواية الأخرى عن أحمد، ثم اختلفوا في وقت النية على ما يأتي بيانه في الكتاب الثالث إن شاء الله تعالى **(والإمساك)** أي الامتناع **(عن الأكل)** والشرب **(والوقاع)** أي الجماع وما في معناه **(وان ذلك يتمادى)** أي تنتهي مدته **(إلى وقت رؤية الهلال)** أي هلال

مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة، ولكن لا يلزمه في الحال إنما يلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام؛ فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل، وكذلك في سائر الأصناف، فإذا دخل في أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور، ولكن ينبغي لعلماء الإسلام أن ينبهوه على أن الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد

شوّال، (**فإن تجدد له مال**) بكسب أو هبة أو إرث، والمراد بالمال النقدان (**عند بلوغه**) أو قبل أن يبلغ بقليل (**لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة**) أي من مسائلها (**لكن لا تلزمه** الزكاة (**في الحال إنما تلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام**) بتحديد الشارع والمعتبر فيه الشهور القمرية كما في البلوغ لا الشمسية؛ (**فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه تعلم زكاة الغنم**) وكذا في عكسه، (**وهكذا في سائر الأصناف**) من الأموال، (**فإذا دخل أشهر الحج**) وهي عند جمهور العلماء شوّال وذو القعدة وعشر ذي الحجة سمي بعضه شهراً مجازاً تسمية البعض باسم الكل، والعرب تفعل ذلك كثيراً من الأيام يقولون: زرتك العام وزرتك الشهر، والمراد وقت في ذلك قلّ أو كثر وهو من أفانين الكلام، وعن مالك ذو الحجة عملاً بظاهر اللفظ، لأن أقله ثلاثة. وعن ابن عمر والشعبي أربعة هذه الثلاثة والمحرم. (**فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخي**) أي امتداد الزمان (**فلا يكون علمه على الفور، ولكن ينبغي لعلماء الإسلام أن ينبهوه على ان الحج فرض**) على كل مسلم (**على التراخي**). هذا هو مذهب الشافعي وأحمد في رواية وقول لمحمد ابن الحسن قالوا: لأنه وظيفة العمر وظاهر المتون على الفور عند أبي حنيفة، وهو مذهب مالك وقول لأبي يوسف، واستدلوا بقوله ﷺ: «من أراد الحج فليتعجل فإنه قد يمرض المريض وتضل الراحلة وتعرض الحاجة». رواه أحمد والبيهقي وابن ماجه. قال العيني في شرح الكنز: فإن قلت حج رسول الله ﷺ في سنة عشر، وكان فرضه في سنة ست، فهذا يدل على التراخي. قلت: الحج وجب بقوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ [آل عمران: ٩٧] وهي نزلت سنة تسع، والذي نزل في سنة ست قوله تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ [البقرة: ١٩٦] وهو أمر باتمام ما شرع فيه وليس فيه دلالة على الإيجاب من غير شروع، وأما تأخيره عليه السلام إلى السنة العاشرة، فيحتمل أن يكون لعذر إما لانها نزلت بعد فوات الوقت أو لخوف من المشركين على أهل المدينة أو على نفسه، وأما ما قاله بعضهم أنه عليه السلام كان قد علم أنه يدرك الحج قبل موته فليس بشيء اهـ.

وقال مسكين البخاري في شرحه عليه ما نصه: فرض مرة على الفور عند أبي يوسف ومحمد، وهو إحدى الروايتين عنه أنه على التراخي وهو قول الشافعي، إلاّ انه يسعه التأخير بشرط أن لا يفوته بالموت، فإذا أخَّر حتى مات أثم في التأخير. وفي النهر لابن نجيم الحاصل أن الفورية واجبة احتياطاً حتى لو أتى به متراخياً كان أداء اتفاقاً، وثمرة الخلاف إنما تظهر في الفسق بالتأخير

والراحلة إذ كان هو مالكاً حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند ذلك إذا عزم

والإثم وردّ الشهادة، وقال أبو يوسف: نعم ونفاه محمد وأجمعوا على أنه لو حج في آخر عمره لم يأثم ولو مات ولم يحج أثم اهـ.

وقال صاحب الجوهرة عند أبي يوسف على الفور لأنه يختص بوقت خاص والموت في سنة واحدة غير نادر، وعند محمد على التراخي لأنه وظيفة العمر والخلاف فيما إذا كان غالب ظنه السلامة، أما إذا كان غالب ظنه الموت أما لسبب المرض أو الهرم، فإنه يتضيق عليه الوجوب إجماعاً فعند أبي يوسف لا يباح له التأخير عند الامكان، فان أخره كان آثماً وحجته الحديث من ملك زاداً وراحلة تبلغه إلى بيت الله الحرام فلا يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً، ثم احتج لمحمد بما ذكره العيني في نزول الآية. وقال صاحب الدرر: وقت الحج في اصطلاح الاصوليين يسمى مشكلاً لأن فيه جهة المعيارية والظرفية، فمن قال بالفور لا يقول بأن من أخره يكون فعله قضاء، ومن قال بالتراخي لا يقول بأن من أخره عن العام الأوّل لا يأثم أصلاً كما إذا أخّر الصلاة عن الوقت الأوّل بل جهة المعيارية راجحة عند من يقول بالفور، حتى أن من أخّره يفسق وترد شهادته، لكن إذا حج بالآخرة كان أداء لاقضاء وجهة الظرفية راجحة عند من يقول بخلافه، حتى إذا أداه بعد العام الأول لا يأثم بالتأخير، ولكن لو مات ولم يحج أثم عنده اهـ.

ورأيت لشمس الائمة الحلواني في رسالته الرد على من رد على أبي حنيفة في مسائل، فمنها أنه قال، قال: أبو حنيفة بوجوب الحج على الفور، مع أنه لم يرتبط به حاجة مسلم فنقول: لا نص عن أبي حنيفة في الحج على أنه على الفور أو على التراخي، وإنما أصحابه اختلفوا فيه، فقال أبو سهل ابن الزجاجي على قول أبي يوسف: يجب على الفور، وعلى قول محمد على التراخي، وروى محمد بن شجاع، عن أبي حنيفة انه من ملك ما يحج به، فأراد أن يتزوّج يحج به. قيل: هذا يدل على وجوبه على الفور عنده مع أن في كونه دليلاً عليه احتمالاً، فإن كان كذلك فمراده منه ما هو مراد أبي يوسف من وجوبه على الفور، فإن أبا يوسف نص على أن المراد به في حق الأداء احتياطاً لئلا يؤدي إلى الفوت، لأن موت المرء في السنة الواحدة لا يندر بخلاف وقت الصلاة يدل عليه أنه قال التي يستفاد منها وجوب الحج مطلقاً على الوقت، فقضيتها الوجوب على التراخي إلا أنا أظهرنا التقييد بالسنة الأولى في حق الاداء احتياطاً يدل على أن وجوبه على التراخي عندهم بالإجماع، على أنه لو أخّر الحج عشر سنين، ثم أدى يقع أداء لا قضاء، فلو كان الوجوب على الفور لفات بالتأخير عن وقته في السنة الأولى، فوقع أداؤه بعد ذلك قضاء، فلما لم يقع الاداء دل على أن وجوبه على التراخي عندهم، فلم يصح إضافة الوجوب على التراخي إلى أبي حنيفة لأنه نص عنده ولا إلى أصحابنا لما بيّنا اهـ.

(على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكاً) وذلك مما فضل عن مسكنه وعما لا بدّ له منه وعلى نفقة مدة ذهابه وإيابه ونفقة عياله، كما سيأتي ذلك. **(حتى ربما يرى**

عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله، فإن فعل ذلك نفل فعلمه أيضاً نفل فلا يكون تعلمه فرض عين، وفي تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه، وهكذا التدريج في علم سائر الأفعال لتي هي فرض عين.

وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال، وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام، ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر، ولا على البدوي تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن، فذلك أيضاً واجب بحسب ما يقتضيه الحال، فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الإسلام لابساً للحرير، أو جالساً في الغصب، أو ناظراً إلى غير ذي محرم، فيجب تعريفه بذلك وما ليس ملابساً له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه، حتى إذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب

الحزم لنفسه في المبادرة) إليه **(فعند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته)** مما يصح به حجه ويفسد بدونه **(دون نوافله؛ فإن فعل ذلك نفل فعلمه أيضاً نفل فلا يكون تعلمه فرض عين، وفي تحريم السكوت عن)** وفي بعض النسخ على **(التنبيه على وجوب أصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه)** وحكمه مبسوط في كتبه، **(وكذا التدريج في علم سائر الأفعال التي هي فرض عين)** قياساً على ما ذكر.

(وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص) أي باختلاف حاله. **(إذ لا يجب على الأبكم)** هو الذي لا يقدر على النطق **(تعلم ما يحرم)** عليه **(من الكلام، ولا على الأعمى)** هو فاقد البصر **(تعلم ما يحرم)** عليه **(من النظر، ولا على البدوي)** ساكن القفار **(تعلم ما يحل الجلوس فيه من المساكن، فذلك أيضاً واجب)** تعلمه **(بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أن ينفك عنه)** وينفصل منه **(لا يجب تعلمه وما هو ملابس له)** غير منفك عنه **(يجب)** على العلماء **(تنبيهه)** وتعليمه وإرشاده ليرتدع عما لا يجوز **(كما لو كان عند)** دخوله في **(الإسلام لابساً للحرير)** مثلاً **(أو جالساً على الغصب)** سواء كانت بقعة مغصوبة أو ما فرش تحته كذلك، وفي معناه ما إذا كان راكباً على دابة مغصوبة، أو متصرفاً فيما ليس له فيه حق شرعي **(أو ناظراً إلى غير محرم)** هو من لا يحل له نكاحها أبداً برحم أو رضاع أو مصاهرة **(فيجب تعريفه: ذلك)** وإرشاده بأن ذلك حرام في الشرع **(وما ليس ملابساً له)** حالاً **(ولكنه بصدد التعرض له على القرب)** منه بحيث أنه كاد أن يقع فيه بأن يكون حائماً حول حماه **(كالأكل)** ونحوه **(حتى إذا كان في**

الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه، وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه.

وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر، فإن خطر له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك، فإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وانه مرئي وأنه ليس محلاً للحوادث إلى غير ذلك مما ذكر في المعتقدات، فقد مات على الإسلام إجماعاً، ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع، وبعضها يخطر بالسماع من أهل البلد، فإن كان في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي أن يصان في أول بلوغه عنها بتلقين الحق، فإنه لو ألقى إليه الباطل لوجبت إزالته عن

بلد يتعاطى) أي يتناول (فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك) بأن تناول ذلك وتعاطيه حرام لا يجوز للمسلم (وتنبيهه عليه، وما وجب تعليمه وجب تعلمه) هذا في التروك.

(وأما الإعتقادات وأعمال القلوب) هو من عطف الخاص على العام أو عطف تفسير، فإن ما عقده القلب عمل له (فيجب عملها بحسب الخواطر) جمع خاطر إسم لما يتحرك في القلب من رأي أو معنى، ثم سمى محله باسم ذلك وهو من الصفات الغالبة يقال: خطر ببالي وعلى بالي أمر، وأصل التركيب يدل على الحركة والإضطراب قاله المطرزي، (فإن خطر له شك) وتردد (في) فهم (المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة) كلها أو بعضها (فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة) ذلك (الشك) والتردد ويكتفي على ذلك القدر ولا يتجاوز (وإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله قديم) غير حادث (وأنه) عز وجل (مرئي) أي يراه المؤمنون في الآخرة بانظارهم، (وأنه ليس محلاً للحوادث إلى غير ذلك) من المسائل الإعتقادية (مما تذكر في المعتقدات) في الكتاب الثاني، (فقد مات على الإسلام إجماعاً) من أهل السنة، وإن خالفهم المعتزلة والمبتدعة، فقد صرح غير واحد من العلماء إن مخالفة ذوي البدع، ونفاة القياس الجلي لا يعد خرقاً في الإجماع، (ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع) والجبلة، (وبعضها) يخطر (بالسماع) من أفواه الناس (من أهل البلد، فإن كان في بلد شاع فيها الكلام) أي علمه (وتناطق الناس بالبدع) والأمور المنكرة (فينبغي أن يصان) ويحفظ (في أول بلوغه) بالسن أو بالأحتلام (عنها) أي عن تلك المقالات (بتلقين الحق) إياه والقائه له في ذهنه كما قالوا:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلباً خالياً فتمكنا

(لأنه إذا ألقى) وفي نسخة: فإنه لو ألقي (إليه الباطل) ولقنه (لوجب إزالته) وإبعاده

قلبه، وربما عسر ذلك، كما أنه لو كان هذا المسلم تاجراً وقد شاع في البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا، وهذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب، فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين، وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدوّ ولمة الملك حق أيضاً ولكن في حق من يتصدى له، فإذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجاً إليه، وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله ﷺ: «ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه». ولا ينفك عنها بشر، وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب

(**من قلبه**) لئلا يرسخ فيه، (**وربما عسر ذلك**) وصعب لأنه يصير كالطبع له، (**كما أنه لو كان هذا المسلم تاجراً وقد شاع في البلد**) الذي هو فيه (**معاملة الربا**) وتعاطيه (**وجب عليه تعلم الحذر من الربا**) لئلا يقع فيه (**هذا هو الحق في العلم الذي هو فرض عين**) وعليه يحمل الحديث المذكور (**ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب**) إذ العلم لما كان روحه وثمرته العمل كان متقدم الوجود على العمل. إذ لا بد أن يحصل العلم أولاً، ثم بعد ذلك يقع التعبد بالعلم، لأن الجهل لا يوجب شيئاً من العمل، (**فمن علم العمل الواجب وقت وجوبه علم العلم الذي هو فرض عين، وما ذكره**) السادة (**الصوفية**) بأن المراد بالعلم المفروض هو القدر الواجب (**من فهم خاطر العدوّ**) وهو الشيطان (**ولمة الملك**) والتمييز بينهما، واعلم أن الخاطر عندهم ما يرد على القلب من الخطاب من غير إقامة وهو على أربعة أقسام. رباني وهو أول الخواطر ولا يخطىء أبداً وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الإندفاع، وملكي وهو الباعث على مندوب أو مفروض ويسمى إلهاماً، ونفسي وهو ما فيه حظ للنفس ويسمى هاجساً، وشيطاني وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق فذلك (**حق أيضاً ولكن**) ليس في حق كل أحد إنما هو (**في حق من يتصدى له**) ويتعرض ممن هو في سلوك طريق الحق، (**وإذا كان الغالب**) في الأحوال (**أن الإنسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد**) وغير ذلك من الأوصاف الذميمة، (**فيلزمه أن يتعلم من ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجاً إليه**) غير مستغن عنه، (**وكيف لا يجب**) عليه (**وقد قال ﷺ**) فيما رواه أبو بكر البزار في مسنده، وأبو نعيم في الحلية من رواية زائدة بن أبي الرقاد، عن زياد النميري، عن أنس بن مالك رفعه: «ثلاث كفارات وثلاث درجات وثلاث منجيات و(**ثلاث مهلكات**) أي موقعات في الهلاك لفاعلها، أما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة واسباغ الوضوء في البردات. ونقل الأقدام إلى الجماعات، وأما الدرجات فاطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام، وأما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وخشية الله في السر والعلانية، وأما المهلكات (**فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه». الحديث**) أي الخ إشارة إلى

كالكبر والعجب واخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات، وإزالتها فرض عين، ولا يمكن إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها؛ فإن من لا يعرف الشر يقع فيه، والعلاج هو مقابلة السبب بضده، وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب، فأكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الأعيان، وقد تركها الناس كافة اشتغالاً بما لا يغني. ومما ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى ملة أخرى: الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق،

أن الحديث له بقية، وهو الذي أوردناه، والمراد بالشح المطاع هو البخل الذي يطيعه الناس فلا يؤدون الحقوق. قال الراغب: خص المطاع لينبه أن الشح في النفس ليس مما يستحق بـه ذم. إذ ليس هو من فعله، وإنما يذم بالإنقياد له وقد أخرج هذا الحديث بتلك الزيادة أيضاً أبو الشيخ في التوبيخ. وقد روي مقتصراً على ذكر المهلكات، كما للمصنف من رواية أيوب بن عتبة، عن الفضل بن بكر، عن قتادة، عن أنس. وهكذا رواه البيهقي في شعب الإيمان، وكلا الإسنادين ضعيف، ورواه ابن حبان في الضعفاء، والطبراني في الأوسط من رواية حميد بن الحكم عن الحسن عن أنس، ويروى أيضاً عن ابن عمر أخرجه الطبراني في الأوسط من رواية ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير عنه. وأخرج ابن حبان في الضعفاء من رواية محمد بن عون الخراساني، عن محمد بن زيد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رفعه: «المهلكات ثلاث إعجاب المرء بنفسه وشح مطاع وهوى متبع». ورواه ابن عدي من هذا الوجه، ومن رواية عيسى ابن ميمون، عن محمد بن كعب عن ابن عباس. وفي الباب عن أبي هريرة، وابن أبي أوفى، وأبي ثعلبة. (**فلا ينفك عنها بشر، وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب**) وصفاتها (**كالكبر والعجب وأخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات**) ولما كانت هذه الثلاث كالأصول لبقية المهلكات وقع الإقتصار عليها لأنه ما من صفة ذميمة إلا وأصلها إحدى هذه الثلاثة (**وإزالتها**) عن القلب (**فرض عين، ولا يمكن**) ذلك (**إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاجها**) وهذه الثلاثة قد أشار إليها في أول كتابه (**فإن من لا يعرف الشر يقع فيه**). وسيأتي للمصنف في الباب السادس عند ذكر حذيفة بن اليمان وأنشد هناك قول بعضهم:

عـرفـت الشر لا للشر لكـن لتـوقيـه ... ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيـه

(**والعلاج**) عندهم (**هو مقابلة السبب بضده**). هذا هو المشهور عند الأطباء، وفي قول عندهم وهو مقابلة السبب بما يلائمه، (**فكيف يمكن**) ذلك (**دون معرفة السبب والمسبب**) وهو ظاهر، (**فأكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الأعيان**) التي ينبغي الإهتمام بمعرفتها (**وقد تركه الناس كافة**) جميعاً (**اشتغالاً**) عنها (**بما لا يغني**) طائلاً ولا يجدي نفعاً، (**ومما ينبغي أن يبادر في القائه إليه**) وتلقينه إياه (**إذا لم يكن قد انتقل عن ملة**

وهو من تتمة كلمتي الشهادة، فإنه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولاً ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها: وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة، ومن عصاه فله النار، فإذا انتبهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا، وتحققت أن كل عبد هو في مجاري أحواله في يومه وليلته لا يخلو من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالباً، فإذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المعرف بالألف واللام في قوله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير، فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه، والله أعلم.

أخرى: **الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر وعذاب القبر حتى يؤمن به ويصدق**) ذلك بقلبه، (**وهو من تتمة كلمتي الشهادة**) داخل في ضمنها في الإيمان التفصيلي، (**فإنه بعد التصديق بكونه** ﷺ **رسولاً**) من الله تعالى (**ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو**) أي الرسول (**مبلغها**) إليهم: (**وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار**) وضمير عصاه عائد إلى الله أو إلى الرسول ولم يأت بضمير التثنية حذراً من جمع الله ورسوله في ضمير واحد نظراً إلى إنكاره ﷺ على خطيب الإنصار إذ قال: من أطاع الله ورسوله فقد هدى ومن يعصهما فقد غوى، فقال: بئس خطيب القوم أنت. (**وإذا انتبهت لهذا التدريج**) الذي ذكرناه (**علمت أن المذهب الحق هو هذا**) لا غير، (**وتحققت أن كل عبد**) لله تعالى (**فهو في مجاري أحواله في يومه وليلته لا يخلو من وقائع**) تقع له (**في عباداته وفي معاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزم السؤال عن كل ما يقع له من النوادر**) والوقائع (**فيلزمه المبادرة والمسارعة إلى علم ما يتوقع**) ويرتجى (**وقوعه على القرب غالباً، فإذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنه إنما أراد بالعلم المعرف بالألف واللام**) أي المعهود المعروف بإدخال التعريف عليه (**في قوله**) ﷺ (**طلب العلم فريضة علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير، وقد اتضح وجه التدريج في وقت وجوبه**). وفي القوت بعد ما ذكر اختلاف الآراء في شرح الحديث المذكور ما نصه: وكلها ساقطة والخبر بلفظ العموم بذكر الكلية وبمعنى الإسم، فقال: طلب العلم فريضة، ثم قال: على كل مسلم بعد قوله: اطلبوا العلم، فكان هذا على الأعيان وكأنه ما وقع عليه اسم العلم ومعناه المعهود المعروف بإدخال التعريف عليه، فاشير بالألف واللام إليه اهـ.

وهذا آخر ما ذكره المصنف في بيان العلم الذي هو فرض عين، وقد قسم بعضهم العلم على ثلاثة أقسام. قسم ظاهر في مقام الإسلام وعالم الحس، وقسم باطن في مقام الإيمان وعالم الغيب، وقسم في مقام الإحسان وعالم الروح، ثم العلم ليس هو الإقرار بأن الله بعث الرسل وأنزل

(بيان العلم الذي هو فرض كفاية)

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم، والعلوم بالإضافة إلى

الكتب، وقولك بلسانك إن هذا القرآن حق وإن الذي جاء به صدق والتزام الشرائع بالإستسلام. إذ كل من انتسب إلى الإسلام مقر بهذا، ولكن لا يبلغ به منزلة العلم ولا يرتفع به عن منزلة الجهل، وإنما يفارق بذلك ملة الكفر ويتحرم بحرمة الشريعة، ثم يرتفع العالم عن الجهل بمعرفة حقائق ذلك معرفة يقين، فالعلم هو إثبات صورة المعلوم في نفس العالم، إلا أنه قد تتراءى وتثبت في النفس صورة ليس لها وجود في الحق، فيحتاج أن ينظر في هذا الباب نظراً شافياً، فإن أكثر ما تدخل الشبهة من هذا الباب، فأول طلب العلم أن يستمع الراغب فيه فيروي ما يسمعه بلسانه ويعي حروفه في حفظه أو صحيفته، فعلم اللسان هو حجة الله على ابن آدم، وعلم القلب هو العلم النافع، فعلم اللسان والأذن ليس له حقيقة في نفع وضر حتى يستقر بأحد الجانبين ويسلك به إحدى الجادتين، ثم الطالب للعلم إن استلهاه علم اللسان بالشهوة في تعرف وجوه الأخبار سماعاً ورواية وتراغبت نيته إلى التزين بها في الناس والتشوق والتطاول عليهم حرم علم الحقيقة في ذلك وشغل عن علم النورية من جهة القلب، فلم يعرف ما يشهد به قلبه فيعتقده مما ينفيه ويكذبه، وإن هو لم يستلهه علم اللسان ولم يفضل شهوة السمع والتلذذ بظاهر الخبر على شهوة الإنتفاع والوصول إلى ثمرة القلب، فكلما روي شيئاً عرضه على قلبه، فإن أدرك الحقيقة منه وإلا صبر على جادة الطريق في النظر حتى يعتقده صافياً قوياً من جهة اخلاص قلبه وطمأنينته بلا ريب ولا تقليد، فلا جرم ان الله يقبسه نور العلم في بصر قلبه فيدرك بقليل ذلك كثيراً، ثم العلوم ثلاثة. العلم الأعلى منها علم الدين وأفضله العلم بالله وأسمائه وصفاته، وعلم الأوسط وهو علم الدنيا الذي يكون معرفة الشيء بمعرفة نظيره، والعلم الأسفل، وهو أحكام الصناعات والأعمال التي لا نهاية لها. وقال أبو عبدالله الخوارزمي في كتابه (**مبيد الهموم ومفيد العلوم**) : الفرائض الواجبة على قسمين: منها ما هو فرض عين، وهو أن يجب على كل آدمي خاص وعام، أمير ووزير، حر وعبد، شيخ وشاب، مسلم وكافر ففرض العين ما يجب على كل مكلف ولا يسقط بفعل بعض الناس عن بعض، وذلك معرفة الله تعالى بوحدانيته والتنزيه، وإنه بعث الأنبياء وإنه بعث نبينا ﷺ إلى الناس كافة، فطاعته فريضة وشريعته مؤبدة، وإنه نبي في قبره ما بطلت رسالته، فمعرفة فرض العين أركان الشريعة الخمسة، وشرائط المعاملات إن كان تاجراً، وأحكام النكاح إن كان متأهلاً وأحكام الإمارة والوزارة إن كان أميراً، ويجب على الأمير أن يعرف حقوق الرعية وشروط السياسة وكيف استيفاء الحقوق، وعلى السوقي ما يحرم من البيع والشروط الفاسدة إلى غير ذلك كل من يتولى أمراً فيجب عليه فرض عين أن يحصل لنفسه علم ذلك الشيء من الحلال والحرام الذي لا يسعه جهله ومن تركها فلا يعذر في القيامة اهـ.

في العلم الذي هو فرض كفاية

(أعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم، والعلوم بالإضافة إلى

الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية؛ وأعني بالشرعية ما أستفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب، ولا التجربة مثل الطب، ولا السماع مثل اللغة؛ فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح، فالمحمود ما ترتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب، وذلك ينقسم إلى ما هو كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة: أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب، إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان. وكالحساب؛ فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما. وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين. فلا يتعجب من

الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية: وأعني بالشرعية ما يستفاد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل) علم (**الحساب ولا**) ترشد إليه (**التجربة مثل**) علم (**الطب ولا**) يرشد إليه (**السماع**) من الأفواه (**مثل**) علم (**اللغة**)، فهذه الثلاثة من العلوم لا يقال لها شرعية والشرعية المنسوبة إلى الشرع باعتبار كون تعلقها مستفاداً منه ومتوقفاً عليه، وفي التلويح ما لا يدرك لولا خطاب الشارع بنفس الحكم أو بأصله المقيس هو عليه اهـ.

والعلوم الشرعية ثلاثة: التفسير والحديث والفقه (**فالعلوم التي ليست شرعية تنقسم إلى ما هو محمود، وإلى ما هو مذموم، إلى ما هو مباح فالمحمود ما ترتبط به مصالح الدنيا**) وتنتظم به أمورها (**كالطب والحساب**) أحدهما لانتظام الأبدان، والثاني لضبط الأموال، (**وذلك ينقسم إلى ما هو فرض على الكفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة**). وسيأتي بيان ذلك، ثم إن الفرض اصطلاحاً الفعل المطلوب طلباً جازماً ويرادفه الواجب عند المصنف، ثم هو على قسمين كفاية وعين. (**أما فرض الكفاية فهو كل علم**) مهم يقصد حصوله من غير نظر بالذات (**ولا يستغني عنه في قوام أمر الدنيا**) ونظامه (**كالطب إذ هو**) أي العلم به (**ضروري في حاجة بقاء الأبدان وكالحساب فإنه ضروري**) أيضاً (**في المعاملات**) الدنيوية (**وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما**) فإن في كل منها مسائل يحتاج في معرفتها إلى علم الحساب، ولهذه الضرورة اللازمة أعد الملوك مواضع خاصة بالمرضى، ورتبوا على ذلك أوقافاً، وأول من عمل ذلك في الإسلام الوليد بن عبدالملك. كذا ذكره أبو بكر أحمد بن علي الحلواني في لطائف المعارف، وعينوا لقسمة التركات والمواريث قضاة يتولون ذلك خاصة دون غيرهم (**وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها**) أي بخدمتها وتحصيلها (**حرج أهل البلد**) أي أفضوا إلى الحرج المؤدي إلى هلاك الأبدان والأموال، (**وإذا قام بها واحد كفى**) واستغني به (**وسقط الفرض عن الآخرين**). قال أبو عبدالله الخوارزمي في مبيد الهموم:

قولنا أن الطب والحساب من فروض الكفايات فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة، فإنه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك.

فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه. فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله.

فرض الكفاية ما يجب على كل الخليقة إلا أنه إذا قام به البعض سقط عن الباقين لدفع الحرج كرماً ولطفا من الشارع كالجهاد والأمر بالمعروف وتجهيز الموتى والفتوى والقضاء والإمامة وعمارة المساجد والأذان وجواب السلام وإشباع الجائع. إلى غير ذلك كل ذلك فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وإذا تركوا بأجمعهم اثموا جميعاً اهـ (**ولا يتعجب من قولنا أن الطب والحساب من فروض الكفايات، فإن أصول الصناعات أيضاً من فروض الكفايات كالفلاحة**) هي الزراعة (**والحياكة**) هي القزازة (**والسياسة**) بأقسامها وكذلك البناية (**بل الحجامة**) وهي إخراج الدم بالمحاجم في حكمه الفصادة (**فلو خلا البلد عن الحجام تسارع الهلاك إليهم**) بنبوغ الدماء (**وحرجوا**) أي وقعوا في الحرج (**بتعريضهم أنفسهم للهلاك**)، وهذا بالنسبة للبلاد الحارة كمكة واليمن والصعيد، وأما أهل البلاد الباردة فقل ما يحتاجون إلى الحجامة (**فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء**). لما روى ابن ماجه عن ابن مسعود رفعه: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له الدواء». ورواه هو أيضاً وأبو نعيم في الطب عن أبي هريرة بلفظ: «إلا أنزل الله له شفاء» ورواه بهذا اللفظ الحاكم عن ابن مسعود، وعند الخطيب في حديث أبي هريرة زيادة وهي علمه من علمه وجهله من جهله، وهو عند البخاري في الطب بلفظ ابن ماجه، وزاد مسلم: «فإذا أصبت دواء الداء برىء باذن الله تعالى» واختلف في معنى الإنزال، فقيل: اعلامه عباده ومنع بأن في الحديث اخباراً بعموم الإنزال، وأكثر الخلق لا يعلمون ذلك. وقيل: انزال أسبابها من مأكل ومشرب، وقيل: انزالها خلقها ووضعها في الأرض كما يشير إليه خبر: إن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء، وتعقب بأن لفظ الإنزال أخص من لفظ الخلق والوضع وإسقاط خصوصية الألفاظ بلا موجب غير لائق، وقيل: إنزالها بواسطة الملائكة الموكلين بتدبير النوع الإنساني، وقيل: علامة الأدواء والأدوية وهي بواسطة إنزال الغيث الذي تتولد منه الأغذية والأدوية وغيرها. وقال بعضهم: إن العلة تحصل بغلبة بعض الأخلاط والشفاء رجوعها إلى الإعتدال بالتداوي، وقد يحصل بمحض لطف الله تعالى بلا سبب، ثم الموت إن كان داء فالخبر غير عام إذ لا دواء له، ولذا وقع الإستثناء منه في بعض الروايات. (**وأرشد إلى استعماله وأعدا الأسباب لتعاطيه**) وتناوله (**ولا يجوز التعرض للهلاك باهماله**) وتركه كما قال تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] ثم إن هذا الذي ذكره المصنف في بيان فرض الكفاية هو المشهور عند العلماء، وقد وافقه الخوارزمي في بعض ما ذكره.

وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك

وقال ابن القيم: أما فرض الكفاية فلا أعلم فيه ضابطاً صحيحاً، فإن كل أحد يدخل في ذلك ما يظنه فرضاً فيدخل بعض الناس في ذلك علم الطب وعلم الحساب وعلم الهندسة والمساحات، وبعضهم يزيد على ذلك علم أصول الصناعات الفلاحة والحياكة والحدادة والخياطة ونحوها. وبعضهم يزيد على ذلك علم المنطق، وربما جعله فرض عين وبناه على عدم صحة إيمان المقلد، وكل هذا هوس وخبط فلا فرض إلا ما فرضه الله تعالى ورسوله، فيا سبحان الله هل فرض الله على كل مسلم أن يكون طبيباً حجاماً حاسباً مهندساً، أو حائكاً، أو فلاحاً، أو نجاراً، أو خياطاً، فإن فرض الكفاية كفرض العين في تعلقه بعموم المكلفين، وإنما يخالفه في سقوطه بفعل البعض، ثم على قول هذا القائل يكون الله قد فرض على كل أحد جملة هذه الصنائع والعلم، فإنه ليس واحد منها فرضاً على معين، والآخر على معين آخر، بل عموم فرضيتها مشتركة بين العموم، فيجب على كل أحد أن يكون حاسباً أو حائكاً خياطاً نجاراً فلاحاً طبيباً مهندساً، فإن قال: المجموع فرض على المجموع لم يكن قولنا إن كل واحد منها فرض كفاية صحيحاً، لأن فرض الكفاية يجب على العموم، وأما المنطق فلو كان علماً صحيحاً كان غايته أن يكون كالمساحة والهندسة ونحوها، فكيف وباطله إضعاف حقه وفساده وتناقض أصوله واختلاف مبانيه يوجب مراعاتها للذهن أن يزيغ في فكره، ولا يؤمن بهذا إلا من قد عرفه وعرف فساده وتناقضه ومناقضة كثير منه للعقل الصريح، ومن الناس من يقول: إن علوم العربية من التصريف والنحو واللغة والمعاني والبيان ونحوها تعلمها فرض كفاية لتوقف فهم كلام الله ورسوله عليها، ومن الناس من يقول: تعلم أصول الفقه فرض كفاية لأنه العلم الذي يعرف به الدليل ومرتبته وكيفيه الإستدلال. وهذه الأقوال، وإن كانت أقرب إلى الصواب من القول الأول فليس وجوبها عاماً على كل أحد ولا في كل وقت، وإنما يجب وجوب الوسائل في بعض الأزمان وعلى بعض الأشخاص بخلاف الفرض الذي يعم وجوبه كل أحد وهو علم الإيمان وشرائع الإسلام، فهذا هو الواجب، وأما ما عداه فإن توقفت معرفته عليه فهو من باب ما لا يتم الواجب إلا به، ويكون الواجب منه القدر الموصل إليه دون المسائل التي هي فضلة لا يفتقر معرفة الخطاب وفهمه عليها فلا يطلق القول بأن علم العربية واجب على الإطلاق. إذ الكثير منه ومن مسائله وبحوثه لا يتوقف فهم كلام الله ورسوله عليها، وكذلك أصول الفقه القدر الذي يتوقف فهم الخطاب عليه منه يجب معرفته دون المسائل المقدرة والأبحاث التي هي فضله، فكيف يقال أن تعلمها واجب.؟

وبالجملة: فالمطلوب الواجب من العبد من العلوم والأعمال إذا توقف على شيء منها كان ذلك الشيء واجباً وجوب الوسائل ومعلوم إن ذلك التوقف يختلف باختلاف الأشخاص والألسنة والأذهان، فليس لذلك حد مقدر والله أعلم اهـ كلامه.

(وأما ما يعد فضيلة لا فريضة) أعلم أن العلم فريضة وفضيلة، فالفريضة ما لا بد للإنسان من معرفته ليقوم بواجب الدين، والفضيلة ما زاد على قدر حاجته مما يكسبه فضيلة في النفس.

مما يستغنى عنه. ولكنه يفيد زيادة قوّة في القدر المحتاج إليه. وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات. وأما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها، وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه.

(أما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان): فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها

(فالتعمق في دقائق) علم **(الحساب)** أي الدخول في عمق الفن كالمسائل الملغزة **(وخفايا)** وفي نسخة: وحقائق **(الطب)** ويلحق بذلك التوغل في دقائق التشريح، **(وغير ذلك مما يستغنى عنه، ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه)** وشرط فيه موافقة الكتاب والسنة إذ كل علم لا يوافق الكتاب والسنة وما هو مستفاد منها أو يعين على فهمها أو يستند إليها كائناً ما كان، فهو رذيلة وليس فضيلة يزداد الإنسان به هواناً ورذالة في الدنيا والآخرة. **(وأما المذموم منه فعلم السحر)** وهو العمل بما يقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه، وأصله صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكان الساحر لما رأى الباطل في صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته فقد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه.

وقال الفخر الرازي في الملخص: السحر والعين لا يكونان من فاضل ولا يقعان ولا يصحان منه أبداً، لأن من شرط السحر الجزم بصدور التأثير، وكذلك أكثر الأعمال من الممكنات من شرطها الجزم، والفاضل المتبحر بالعلوم يرى وقوع ذلك من الممكنات التي يجوز أن توجد وأن لا توجد فلا يصح له عمل أصلاً، وأما العين: فإنه لا بد فيها من فرط التعظيم للمرئي والنفس الفاضلة لا تصل في تعظيم ما تراه إلى هذه الغاية، فلذلك لا يصح السحر إلا من العجائز والتركمان والسودان، ونحو ذلك من النفوس الجاهلة انتهى نقله شيخ مشايخنا مصطفى ابن فتح الله الحمدي في تاريخه. **(والطلسمات)** جمع طلسم بكسر الطاء وفتح اللام المخففة وسكون السين وقد تشدد اللام، وهو على استنزال قوى الأرواح العلوية، وأجل كتاب ألف فيه السر المكتوم وهو للفخر الرازي، ونهاية الحكيم للمجريطي، وابن سينا ويجمع أيضاً على الطلاسم **(وعلم الشعبذة)** هو بالذال المهملة والمعجمة خفة في اليد ومخاريق وأخذ كالسحر يرى الشيء بغير ما عليه أصله في رأى العين، وقال بعضهم: وهو تصوير الحق في صورة الباطل، ويقال فيه الشعوذة أيضاً، وأنكر الثعالبي في مختصر عمار القلوب قولهم مشعبذ وقال: إنما هو مشعوذ بالواو وأثبته الزمخشري وغيره **(والتلبيسات)** وهي شبه ما تقدم، فكل ما ذكر من ذلك فهو مذموم شرعاً لا يباح الإشتغال به. **(وأما المباح منه فالعلم بالأشعار)** جاهلية وإسلاماً **(التي لا سخف فيها)** أي لا هذل ولا سخرية فيها، ولا المبالغة التي تدخل في حد الكذب ولا هجر ولا غيبة ولا طعن في الإنسان، وما اشبه ذلك فحسنها حسن وقبيحها قبيح، **(و)** علم **(تواريخ الأخبار)** جاهلية وإسلاماً **(وما يجري مجراه)** مما لا ضرر في معرفته.

(وأما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان فهي المحمودة كلها ولكن قد يلتبس بها

ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم إلى المحمودة والمذمومة. أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتمات وهي أربعة أضرب:

(الضرب الأول: الأصول): وهي أربعة، كتاب الله عز وجل، وسنّة رسوله عليه السلام، وإجماع الأمة، وآثار الصحابة، والاجماع أصل من حيث أنه يدل على السنّة فهو أصل في الدرجة الثالثة. وكذا الأثر فإنه أيضاً يدل على السنّة، لأن الصحابة

ما يظن في بادىء الرأي أنها شرعية و) الحال **(هي مذمومة)** باعتبار ما يترتب عليها. ومنها **(فتنقسم)** بهذا الإعتبار **(إلى المحمودة والمذمومة، وأما المحمودة)** منها **(فلها أصول وفروع ومقدمات ومتمات فهي أربعة أضرب.**

(الضرب الأول: الأصول): جمع أصل وهو في اللغة ما يبني عليه غيره ابتناء حسياً بمعنى أن يكون المبتنى عليه وغيره ابتناء حسياً لا بمعنى أن نفس الابتناء حسي، لأن ابتناء الشيء على غيره إضافة بينهما وهو أمر عقلي. كذا حققه السيد في شرح التنقيح. **(وهي أربعة: كتاب الله، وسنة رسوله، وإجماع الأمة، وآثار الصحابة)**. والكتاب لغة اسم للمكتوب غلب في عرف الشرع على كتاب الله المثبت في المصاحف، كما غلب في عرف العربية على كتاب سيبويه، والقرآن تفسير له لا تعريف كما في التلويح، والمراد بسنة رسوله قوله وفعله، وهما أصلان أصيلان في الدرجة الأولى، والمراد بالإجماع إجماع الأمة بعد وفاة نبيها في عصر على أي شيء كان. **(والاجماع أصل من حيث أنه يدل على السنة فهو أصل في الدرجة الثانية)** وهو على ثلاثة أقسام: قطعي فلا يجوز خرقه، وظني وهو على قسمين استدلالي وهو السكوتي أن يقول بعض المجتهدين حكماً ويسكت الباقون عليه بعد العلم به، ومنقول على لسان الآحاد، فيجوز خرقهما، ونعني بالاجماع الاتفاق وهو الاشتراك: أما في القول أو الفعل أو الاعتقاد، وفي باب الاجماع مسائل ينبغي معرفتها إذا اختلف العصر الأول على قولين لا يجوز بعدهم إحداث قول ثالث إن وقع مجمعاً عليه، وإلا فيجوز وإذا اجتمعت الأمة على عدم الفصل بين مسألتين لا يجوز لمن بعدهم الفصل بينهما إن ارتضوا بعدم الفرق واتحاد الجامع، وإلا فيجوز ويجوز حصول الاتفاق بعد الاختلاف في العصر الواحد، وفي اتفاقهم في العصر الثاني قولان. وانقراض العصر ليس شرطاً خلافاً لقوم، وإذا حكم بعض الأئمة وسكت الباقون، فليس بإجماع ولا حجة وهو نص الشافعي في الجديد؛ اللهم إلا إذا تكرر في وقائع كثيرة، فإنه يكون إجماعاً وحجة، وإذا اتفق أهل العصر الثاني على أحد قولي العصر الأول انعقد اجماعاً، والاجماع المروي بالآحاد حجة خلافاً للأكثر، وإذا استدل أهل العصر بدليل آخر فلا يجوز ابطال الأول، وأما الثاني، فإن لزم منه ابطال الأول بطل وإلا فلا وتعتبر مخالفة الواحد في إبطال الاجماع، ويجوز أن ينعقد الاجماع عن القياس والدلالة والامارة، وجوزه قوم بغير دليل بل بمجرد الشبه والبحث ولا تعتبر فيه جملة الأمة إلى يوم القيامة، والاعتبار في كل فن بأهله فيعتبر في الكلام المتكلمون، وفي الفقه الفقهاء

رضي الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه، وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن. فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم، وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن.

(الضرب الثاني: الفروع): وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل

ولا عبرة بالفقيه الحافظ للأحكام والمذاهب، إذا لم يكن مجتهداً، والله أعلم ذكره إسماعيل بن علي بن حسن الشافعي في الليث العابس **(وكذلك الأثر)** عن الصحابة **(فإنه يدل)** هو **(أيضاً على السنة لأن الصحابة)** رضوان الله عليهم **(قد شاهدوا الوحي والتنزيل)** أي نزولها، **(وأدركوا بقرائن الأحوال)** ونظائرها **(ما غاب عن غيرهم عيانة)** أي معاينة، **(وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم، وذلك بشرط مخصوص وعلى وجه مخصوص عند من رآه)**. واعتقده، وقد استدل اللالكائي في كتاب السنة على صحة مذاهب أهل السنة بما ورد في كتاب الله تعالى، وبما روي عن رسول الله ﷺ قال: فإن وجدت فيها جميعاً ذكرتها جميعاً وإن وجدت في أحدهما دون الآخرة ذكرته وإن لم أجد إلا عن الصحابة الذين أمر الله ورسوله أن يقتدي بهم ويهتدى بأقوالهم ويستضاء بأنوارهم لمشاهدتهم الوحي والتنزيل ومعرفتهم معاني التأويل احتججت بها، فإن لم يكن فيها أثر عن صحابي، ففي التابعين لهم بإحسان الذين في قولهم الشفاء والهدى والتدين بقولهم القربة إلى الله والزلفى، فإذا رأيناهم قد أجمعوا على شيء عوّلنا عليه اهـ.

فهؤلاء الأربعة وهي التي جعلها أصولاً ولم يذكر القياس، فإنه من وظيفة الأصوليين وهو فرع للثلاثة إذ العلة فيه مستنبطة من مواردها، فيكون الحكم بالقياس ثابتاً بتلك الأدلة الثلاثة. قال السيد في شرح التنقيح: وأمر القياس في إظهار الحكم وتغيير وضعه من الخصوص إلى العموم، فالقياس أصل بالنسبة إلى الحكم فرع بالنسبة إلى الثلاثة بخلاف الثلاثة، فإنها أصول مطلقة لأن كل واحد مثبت للحكم.

فإن قلت: يلزم من ذلك أن لا يكون الاجماع أصلاً مطلقاً لأنه مفتقر إلى السنة.

الجواب: أن الإجماع إنما يحتاج إلى السنة في تحققه وفي دلالته على الحكم، فإن المستدل به لا يحتاج إلى ملاحظة السنة بخلاف المستدل بالقياس، فإنه لا يمكن له الاستدلال به بدون ملاحظة واحد من الأصول الثلاثة منها والعلة المستنبطة منها اهـ. **(ولا يليق بيانه بهذا الفن)** لأن اللائق به فن أصول الفقه.

(الضرب الثاني: الفروع: وهو ما فهم من هذه الأصول) المذكورة واستنبط منها. **(لا بموجب ألفاظها)** وتراكيبها **(بل بمعان تنبه لها)** أي لادراكها **(العقول)** المضيئة الراجحة

بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام: « لا يقضي القاضي وهو غضبان إنه لا يقضي إذا كان حاقناً أو جائعاً أو متألماً بمرض. وهذا على ضربين:

(**فاتسع بسببها الفهم**) بالغوص عن أسرارها (**حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله ﷺ : « لا يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي وهو حاقن »**) أي حابس بول أو غائط (**أو جائع أو متألم بمرض**) ، والكلام عليه من ثلاثة أوجه.

الأول: قال العراقي: رواه الستة من حديث عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه، وهذا لفظ النسائي، وابن ماجه وزاد: بين اثنين. وقال البخاري: « لا يقضين حكم » وقال مسلم: « لا يحكم أحد » وقال أبو داود: « لا يقضي الحكم » وقال الترمذي: « لا يحكم الحاكم »، وقال فهذا حديث حسن صحيح اهـ.

قلت: وبمثل سياق ابن ماجه رواه الإمام أحمد أيضاً، وكذا أبو داود، وبمثل سياق مسلم رواه الترمذي والنسائي أيضاً، وبمثل سياق البخاري رواه أيضاً الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه. وأخرج ابن ماجه وضعفه، والدارقطني في سننه، والخطيب وسمويه في فوائده، عن أبي سعيد رفعه « لا يقضي القاضي بين اثنين إلا وهو شبعان ريان » وأخرج النسائي والطبراني في الكبير، عن أبي بكرة « لا يقضين أحد في قضاء بقضاءين ولا يقضي أحد بين خصمين وهو غضبان ».

الوجه الثاني: القضاء يطلق على معان الأنسب هنا معنى الحكم الشرعي، والغضبان من قام به الغضب، وهو في الأصل ثوران دم القلب إرادة الانتقام ومنه الحديث: « اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد في قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه » وقيل: الغضبان كالغضوب من صيغ المبالغة، والحاقن من حقن بوله أي حصره وأمسكه وجمعه. وقال ابن فارس يقال لما جمع من لبن وشد حقين، ولذلك سمي حابس البول حاقناً اهـ. ومنه: لا رأي لحاقن ولا حاذق.

الوجه الثالث: ذكر صدر الشريعة من علمائنا في تنقيح الأصول في المسائل من كتاب الاجماع ما نصه: وشرط بعضهم قيام النص في الحالين، وإنه لا حكم له نظيره إن المرء إذا قام إلى الصلاة وهو متوضىء لا يجب الوضوء، وإذا قعد وهو محدث يجب، فعلم ان الوجوب دائر مع الحدث، وقوله عليه السلام: « لا يقضي القاضي وهو غضبان فإنه يحل له القضاء وهو غضبان عند فراغ القلب ولا يحل له عند شغله بغير الغضب »، قال السيد في شرحه على قوله في الحالين أي في حال وجود الوصف، وفي حال عدمه قال: والحال انه لا حكم أي للنص، وقال عند قوله عند فراغ القلب، فالنص قائم في حالة عدم الغضب بدون شغل القلب مع عدم حكمه الذي هو حرمة القضاء، وقال عند قوله: بغير الغضب نحو جوع أو عطش مع عدم حكمه الذي هو إباحة القضاء عند عدم الغضب إما بطريق مفهوم المخالفة أو بالمخالفة الأصلية أو النصوص المطلقة في

أحدهما: يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا.

والثاني: ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضي عند الله تعالى، وما هو مكروه وهو الذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب، أعني جملة كتاب إحياء علوم الدين، ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها، وهو الذي يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب.

(والضرب الثالث: المقدمات): وهي التي تجري منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو، فإنهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنّة نبيه ﷺ، وليست اللغة والنحو من العلوم

القضاء عند عدم الغضب، إما بطريق مفهوم المخالفة، أو بالإباحة الأصلية أو النصوص المطلقة اهـ.

وزاد السعد في التلويح بعد هذا ويجعل من حكم النص المذكور مجازاً اهـ.

ومفهوم المخالفة هو أن يكون حكم المسكوت عنه مخالفاً ويسمى دليل الخطاب. **(وهذا على ضربين. أحدهما ما يتعلق بمصالح الدنيا)** أي التي تصلح به أمورها ويعتدل نظامها **(ويحويه)** أي يجمعه **(من الفقه)** بتمامه **(والمتكفل به)** أي ببيانه واتقانه وشرح ما أبهم فيه السادة **(الفقهاء)** المدرسون، وهم أصحاب الأساطين **(وهم من علماء الدنيا)** نظراً لما ذكرناه.

(والثاني: ما يتعلق بالآخرة): أي بأمورها وأحوالها التي لا تعلق للدنيا بها **(وهو علم أحوال القلب)** وما يعتريه من اللمم الملكية والشيطانية، **(و)** علم **(أخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي)** مقبول **(عند الله تعالى)** كما يجب وكما ينبغي، **(وما هو مكروه)** مسترذل **(وهو الذي يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب يعني جملة كتاب احياء علوم الدين)**، فإنه تكفل ببيان ما ذكر على وجه التفصيل كما سيأتي. **(ومنه العلم بما يترشح من القلب)** أي يفيض منه **(على الجوارح)** أي الأعضاء **(في عباداتها وعاداتها)** وسائر حركاتها، **(وهو الذي يحويه الشطر الأول)** من هذا الكتاب.

(الضرب الثالث: المقدمات وهو الذي يجري مجرى الآلات)، وتقدم إمام العلوم المقصودة بالذات لارتباط لها بها وانتفاع بها فيها سواء توقفت عليها أم لا.

(تعلم اللغة) وهو علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية التي وضعت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي وعما حصل من تركيب كل جوهر وهيئاتها من حيث الوضع والدلالة على المعاني الجزئية، **(و)** علم **(النحو)** وهو علم بقوانين تعرف بها أحوال التراكيب العربية من الدعوات والبناء وغيرهما، **(فإنهما)** أي كلاً منهما **(آلة)** موصلة **(لعلم كتاب الله وسنّة رسوله)** ﷺ، فهما من المقدمات ويجري مجراهما علم التصريف

الشرعية في أنفسها، ولكن يلزم الخوض فيها بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة، ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أن ذلك ليس ضرورياً إذ كان رسول الله ﷺ أمياً. ولو تصوّر

والاشتقاق (**وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسها**) أي في حد ذاتها (**ولكن يلزم الخوض فيها**) والاشتغال بها (**بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب**) بخلاف غيرها من الشرائع التي تقدمت فإنها باللغة السريانية، (**وكل شريعة**) من الله تعالى (**فلا تظهر إلا بلغة خاصة**) أي لغة كانت (**فيصير تعلم تلك اللغة آلة**) موصلة لفهمها، (**ومن جملة الآلات علم كتابة الخط**) وهو معرفة كيفية تصوير اللفظ بحروف هجائية والحاجة إليه أكيدة، لأنه لا يظهر فائدة التخاطب إلا بالألفاظ وأحوالها. (**إلا أن ذلك ليس ضرورياً**) فقد يستغنى عن أحواله التي هي النقوش والحركات والمدات والنقط والشكل والتركيب وغير ذلك. (**إذ كان رسول الله ﷺ أمياً**) أي لا يحسن الكتابة، قيل: نسبة إلى الأم لأن الكتابة مكتسبة فهو على ما ولدته من الجهل بالكتابة، وقيل: نسبة إلى أمة العرب لأنه كان أكثرهم أميين، كذا في المصباح، ويروى أنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب، فهم على جبلتهم الأولى. وقيل له ﷺ الأمي لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تحسب، وبعثه الله رسولاً وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب كانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة، لأنه ﷺ تلا عليهم كتاب الله منظوماً تارة بعد أخرى بالنظم الذي أنزل عليه، فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه، ففي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾ [العنكبوت: ٤٨].

قال ابن مردويه في تفسيره: حدثنا أحمد بن كامل، حدثنا محمد بن سعد، حدثنا أبي، حدثنا عمر، حدثنا أبي عن أبيه، عن ابن عباس قال: كان نبي الله ﷺ أميا لا يقرأ شيئاً ولا يكتب.

وروي أيضاً من رواية ابن لهيعة عن عبدالله بن هبيرة، عن عبدالرحمن بن جبير، عن عبدالله بن عمرو بن العاصي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً كالمودع فقال: « انا محمد النبي الأمي أنا محمد النبي الأمي » الحديث. وهكذا أخرجه أحمد أيضاً. وروى البخاري من حديث البراء في قصة صلح أهل مكة فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب الحديث، وروى ابن حبان والدارقطني والحاكم في المستدرك والبيهقي من رواية محمد بن عبدالله بن زيد، عن أبي مسعود البدري، عن النبي ﷺ في حديث قال: « إذا أنتم صليتم عليَّ فقولوا اللهم صلِّ على محمد النبي الأمي » الحديث. قال الدارقطني اسناده حسن، وقال الحاكم: هو حديث صحيح، وقال البيهقي: في المعرفة، هذا اسناد صحيح، وروى أحمد ومسلم والثلاثة من حديث أبي سعيد الأنصاري مثله، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الرافعي: إن مما حرم عليه ﷺ الخط والشعر، وإنما يتجه التحريم إن قلنا إنه كان لا يحسنها ولكن يميز بين جيد الشعر ورديئه وتمام البحث في

استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة، ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضرورياً.

(الضرب الرابع: المتممات): وذلك في علم القرآن، فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير؛ فإن اعتماده أيضاً على النقل. إذ اللغة بمجردها لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ

شرحنا على القاموس، **(ولا تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع)**. ويروى **(لاستغنى عن الكتابة والإنهاء ولكنه صار بحكم العجز)** عن ذلك **(في الغالب ضرورياً)** فإنه بها تمام إفادة أحد المتخاطبين.

(والضرب الرابع المتممات): لتلك الأصول والفروع والآلات قسم هذا الضرب على قسمين منها. قسم يتعلق بالقرآن، وقسم يتعلق بالاخبار والآثار، ثم قسم كلا منها إلى أقسام فقال: **(فذلك في علم القرآن فإنه ينقسم إلى)** ثلاثة أقسام منها: **(ما يتعلق باللفظ)** أي بلفظ القرآن **(كعلم القراءات)** وهو علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة الواصلة إلى حد الشهرة، **(و)** علم **(مخارج الحروف)** وهو من فروع علم القراءة والتصريف، **(وإلى ما يتعلق بالمعنى)** وهو القسم الثاني **(كالتفسير)**، وهو علم باحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية، وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية ومبادئه العلوم العربية، وأصول الكلام، وأصول الفقه والجدل وغير ذلك. والغرض منه معاني النظم، وفائدته حصول القدرة على استنباط الأحكام الشرعية على وجه الصحة وموضوعه كلام الله سبحانه الذي هو منبع كل حكمة ومعدن كل فضيلة وغايته التوصل إلى فهم معاني القرآن، واستنباط حكمه للفوز إلى السعادة الدنيوية والأخروية، وشرف العلم وجلالته باعتبار شرف موضوعه وغايته، فهو أشرف العلوم. هكذا ذكره أبو الخير وابن صدر الدين. **(فإن اعتماده أيضاً على النقل)** بالإسناد الصحيح إلى أحد الأئمة المشهورين فيه على اختلاف الطبقات **(إذ اللغة بمجردها)** أي وحدها **(لا تستقل به)**، فلا بد من النقل فيه وللمفسرين طبقات، فمن الأولى علي وابن عباس وابن مسعود وأبيّ، ودونهم كإنس، وأبي هريرة، وابن عمر، وابن عمرو وأبي موسى، ولكل هؤلاء طرق مشهورة. أما ابن عباس فمن الطرق الصحيحة إليه علي بن أبي طلحة عنه، وقيس بن مسلم، عن عطاء بن السائب عنه، وأوهى طرقه ابن الكلبي، والسري الصغير، وسليمان بن بشير الأزدي، وطريق الضحاك بن مزاحم منقطعة، فإنه لم يلقه، ورواية بشير بن عمارة ضعيفة جداً، وأما أبي بن كعب فعنه نسخة كبيرة رواها أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية عنه صحيحة. ومن الطبقة الثانية أصحاب هؤلاء، فمن أصحاب ابن عباس مجاهد بن جبير المكي، وسعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، وطاووس بن كيسان، ومن أصحاب ابن مسعود علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، وابراهيم النخعي، والشعبي، ثم من بعدهم طبقة اتباعهم وهم كثيرون، ومن بعدهم كذلك، ثم صنف من بعدهم

والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض، وهو

قوم برعوا في العلوم وملأوا كتبهم بما غلب على طبعهم من الفن واقتصروا فيه على ما تمهروا فيه. كان القرآن أنزل لأجل هذا العلم لا غير، مع أن فيه تبيان كل شيء، وأما كلام الصوفية في القرآن فليس بتفسير كما حققه ابن الصلاح، وهذا العلم يستدعي التبحر في كل الفنون، فلذا قل أربابه وانقرض خطابه، وقال بعضهم: تفسير القرآن على ثلاثة أقسام.

الأول: علم ما لا يطلع عليه الله أحداً من خلقه، وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه.

والثاني: ما اطلع عليه نبيه من أسراره واختص به، فلا يجوز الكلام فيه إلا له ﷺ أو لمن أذن له فيه. قيل: وأوائل السور من هذا القسم، وقيل: من الأول.

والثالث: ما اطلع عليه نبيه وأمره بتعليمه إياه وهو على قسمين: منه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، واللغات، وقصص الأمم، وأخبار ما هو كائن. ومنه ما يؤخذ بالنظر والاستنباط من الألفاظ وهو قسمان. قسم اختلفوا في جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات، وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والاعرابية لأن بناءها على الأقيسة، وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والأمثال والاشارات لا يمنع استنباطها لمن له أهلية ذلك، وما عدا هذه الأمور هو التفسير بالرأي الذي نهي عنه وهو على خمسة أقسام.

الأول: التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير.

والثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه.

والثالث: التفسير المقرر لمذهبه الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً له، فيرد إليه بأي طريق أمكن، وإن كان ضعيفاً.

الرابع: التفسير بأن مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى، **(وإلى ما يتعلق بأحكامه)** وهذا هو القسم الثالث **(كمعرفة الناسخ والمنسوخ)** ألف فيه جماعة كمكي بن أبي طالب القيسي، وابن جعفر النحاس، وأبي داود السجستاني، وأبي بكر بن العربي، والجلال السيوطي وغيرهم، والنسخ هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر، وهو جائز عقلاً وواقع سمعاً، ويجوز نسخ الشيء قبل وجود وقته، ونسخ الشيء إلى بدل ولا إلى بدل، ونسخ التلاوة دون الحكم، ونسخ السنة بالسنة، ونسخ الكتاب بالسنة المتواترة خلافاً للشافعي وأصحابه، وأما نسخ الكتاب بالآحاد فجائز عقلاً غير واقع سمعاً، ويجوز نسخ الفحوى ويستلزمه نسخ الأصل ولا عكس خلافاً لما في منهاج البيضاوي. وقال الكرخي: نقصان ما يتوقف عليه الصلاة كالجزء والشرط لا يكون نسخاً للعبادة بل لهما، **(و)** معرفة **(العام)** هو لفظ وضع وضعاً واحداً لكثير غير محصور يستغرق جميع ما يصلح له **(والخاص)**، وهو كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الانفراد، والمراد بالمعنى ما وضع له

العلم الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضاً. وأما المتممات في الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم، والعلم بالعدالة في الرواة، والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوي، والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند

اللفظ عينا كان أو عرضاً، وبالانفراد اختصاص اللفظ بذلك المعنى، وإنما قيد بالانفراد ليتميز عن المشترك وألفاظ العموم كل، والذي والتي وتثنيتها وجمعها، وأي في الشرط والاستفهام، ومن وما ومتى وأين وحيثما ونحوها حقيقة، وكذا الجمع المعرف باللام والإضافة ما لم يتحقق عهد، والمفرد المحلى مثله وجميع وسائر وإن كانت بمعنى الباقي واسم الجنس والنكرة في سياق الامتنان وإلا لم تعم بخلاف وقوعها في الخبر، والفعل في سياق النفي يعم، والنكرة في سياق الشرط أو النفي للعموم وضعاً إن بنيت على الفتح، وظاهراً إن لم تبن، ويستثنى من قولنا النكرة في سياق النفي تعم ما نقل عن العلماء نحو: لا رجل بالرفع، فإنه لا عموم فيه، وكذا سلب الحكم عن العمومات، ويسمى رفع الايجاب الكلي نحو: ليس كل بيع حلالاً، فإنه نكرة في سياق النفي ولا عموم له، لأنه سلب للحكم عن العموم لا حكم بالسلب على العموم. حققه السبكي في رسالة أحكام كل. **(و)** معرفة **(النص والظاهر)** النص: هو ما ازداد وضوحاً على الظاهر لمعنى في التكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، **(وكيفية استعمال البعض منه)** دون بعض، **(وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه)** يعرف منه استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها الاجمالية، والغرض منه تحصيل ملكة استنباط تلك الأحكام على وجه الصحة، **(ويتناول السنّة أيضاً)** لاتحاد أحكامها مع أحكام الكتاب في سائر ما ذكر. **(وأما المتممات في الاخبار والآثار)** وهذا هو القسم الثاني من القسمين الأوّلين، **(فالعلم بالرجال)** الذين يروى من طريقهم **(وأسمائهم)** بألقابهم وكناهم، وقد روى الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي بسنده إلى إسحاق التحيرمي إنه قال: أولى الأشياء بالضبط أسماء الناس، لأنه شيء لا يدخله القياس ولا قبله شيء يدل عليه ولا بعده شيء يدل عليه، **(وبأسماء الصحابة وصفاتهم)**، وقد ألف في كل من ذلك كتب مستقلة، **(والعلم بالعدالة في الرواة)** العدالة صفة توجب مراعاتها التحرز عما يخل بالمروءة ظاهراً، فالمرة الواحدة من صغائر الهفوات، وتحريف الكلام لا تخل بالمروءة ظاهراً لاحتمال الغلط والسهو والتأويل، بخلاف ما إذا عرف منه ذلك وتكرر، فيكون الظاهر الإخلال ويعتبر عرف كل شخص وما يعتاد من لبسه، وفي شرح جمع الجوامع: العدالة ملكة في النفس تمنع عن اقتراف كل فرد فرد من الكبائر، وصغائر الخسة كسرقة لقمة وتطفيف تمرة، والرذائل الجائزة كبول بطريق وأكل غير سوقي به، **(والعلم بأحوالهم)** جرحاً وتعديلاً **(ليتميز الضعيف)** منهم **(عن القوي)** والمتروك من المقبول، ويندرج في ذلك علم عقائد الجارح والمجروح من التي تؤثر في الجرح وما لا تؤثر، وقد أورد ذلك الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري، **(والعلم بأعمارهم)** بمعرفة المواليد والوفيات **(ليتميز المرسل من المسند)** وهذا بالنسبة إلى طبقة التابعين، **(وكذلك ما يتعلق به)** من الفنون والأنواع التي ذكرها أئمة

وكذلك ما يتعلق به؛ فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من فروض الكفايات.

فإن قلت: لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء بعلماء الدنيا، فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب، وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق، فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا ثم إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة أو إلى النار؛ فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم، وخلق الدنيا زاداً

المصطلح، (**فهذه هي العلوم الشرعية**) المنسوبة إلى الشرع (**وكلها محمودة**) شرعاً (**بل كلها من فروض الكفايات**). وقال ابن السبكي: علوم الشرع في الحقيقة ثلاثة. الفقه وإليه الإشارة في حديث ابن مسعود، وابن عمر بالإسلام، وأصول الدين وإليه الإشارة بالإيمان، والتصوف وإليه الإشارة بالإحسان، وما عدا هذه العلوم إما راجع إليه، وإما خارج عن الشريعة قال:

فإن قلت: علماء الشرع أصحاب التفسير والحديث والفقه فما لك أهملت التفسير والحديث، وذكرت بدلهما الأصول والتصوف، وقد نص الفقهاء على خروج المتكلم من سمة العلماء.

قلت: أما خروج المتكلم من اسم العلماء، فقد أنكره الشيخ الإمام والدي في شرح المنهاج وقال: الصواب دخوله إذا كان متكلماً على قوانين الشريعة، ودخول الصوفي إذا كان كذلك وهذا هو الرأي السديد عندنا، وأما أنا لم نعد أصحاب التفسير والحديث فما ذلك اخراج لهم معاذ الله، بل نقول التفسير والحديث من أصول الدين وفروعه فهما داخلان في العلمين اهـ.

(**فإن قلت: فلم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء**) المتكفلين بنشره (**بعلماء الدنيا**) ومعرفة الأحكام الشرعية هو المقصود الأعظم الذي ينال به الإنسان السعادة، **فهلا** يلحق بعلم الآخرة وحملتها بعلماء الآخرة، (**فاعلم أن الله**) عز وجل (**أخرج آدم**) عليه السلام (**من التراب**) أي خلقه منه. (**وأخرج ذريته**) ونسله (**من سلالة**) أي صفوة استلت من الأرض (**من طين ومن ماء دافق**) أي النطفة. (**فأخرجهم من الأصلاب**) أي من أصلاب الآباء (**إلى الأرحام**) أي أرحام الأمهات (**ومنها إلى الدنيا**) هذه الدار المحيط بها جبل قاف (**ثم إلى القبر**) أول منازل الآخرة وآخر منازل الدنيا (**ثم إلى العرض**) بين يدي الله تعالى في المحشر (**ثم إلى الجنة**) إن ختم له بصالح (**أو إلى النار**) إن كان بغير ذلك. (**فهذا**) أي خلقه من السلالة (**مبدؤهم وهذا**) أي خروجهم إلى الدنيا ثم القبر ثم العرض (**غايتهم**) وفي نسخة نهايتهم (**وهذه منازلهم**) التي يستقرون بها أشار بتقريره إلى الأسفار الستة.

فالأول: سفر السلالة من الطين. **الثاني**: سفر النطفة من الصلب إلى الرحم. **الثالث**: سفر الجنين من الرحم إلى الدنيا. **الرابع**: سفره منها إلى القبر. **الخامس**: سفره من القبر إلى العرض في

للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود، فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء، ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به؛ فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات؛ فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم في الدنيا، ولعمري انه متعلق أيضاً بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا، فإن الدنيا مزرعة الآخرة، ولا يتم الدين إلا بالدنيا. والملك والدين توأمان؛ فالدين أصل والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع، ولا يتم الملك والضبط إلا

الموقف. **السادس:** منه إلى أحد المنزلين، وبه يعلم أن الإنسان إذا نظر إليه في الحقيقة عابر سبيل.

(**وخلق الدنيا زاداً**) يبلغ المسافر (**للمعاد**) . ومن هنا قيل الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها (**ليتناول منها ما يصلح للتزوّد**) أي: اتخاذ الزاد، والمراد به الأعمال الصالحة، (**فلو تناولوها بالعدل**) والسوية (**لانقطعت الخصومات**) وارتفعت الظلامات (**وتعطل الفقهاء**) ولم يحتج إليهم، (**ولكن تناولوها**) وتعاطوا أمورها (**بالشهوات**) مما تميل له النفوس وتشتهيه (**فتولدت منها الخصومات**) وكثرت الشكايات وانتجت الظلامات (**فمست الحاجة إلى**) وجود (**سلطان**) أي حاكم متسلط (**يسوسهم**) يرعاهم وينظر أحوالهم فيما يختصمون فيه (**واحتاج السلطان**) نفسه (**إلى قانون**) يرجع إليه (**ويسوسهم به**)، والقانون هو الأمر الكلي الذي ينطبق على جميع جزئياته التي تتعرف أحكامها منه، (**فالفقيه هو العالم بقانون السياسة**) الشرعية (**وطريق التوسط بين الخلق**) في محاكماتهم (**إذا تنازعوا بحكم الشهوات**) وتجاذبوا فيها، (**فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده**) وهاديه (**إلى**) معرفة (**طريق سياسة الخلق وضبطهم لتنتظم استقامة أمورهم في الدنيا**) بالعدل والاصلاح والحلم والإحسان، وفي نسخة لتنتظم باستقامتهم أمورهم في الدنيا. (**ولعمري**) قسم بالعمر بالفتح وهو البقاء والحياة (**هو متعلق أيضاً بالدين**) حيث أن ذلك القانون الذي يستقيم به أمر السلطان والرعية لا يخرج عن الأحكام الشرعية (**ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا**) فتعلقه بالدين في الدرجة الثانية، (**فإن الدنيا مزرعة الآخرة**) وممر المعاد، (**ولا يتم**) نظام (**الدين إلا بالدنيا**) أي بعمارتها وصلاحها، (**والملك والدين توأمان**) أي قرينان، والتوأم أصله ووأم من الوئام وهو الموافقة والمشاكلة، وهذا توأم هذا وهما توأمان وأبي الليث قولهم توأمان وخطاه الأزهري قال: والقول ما قاله ابن السكيت وهو قول الفراء والنحويين الذين يوثق بعلمهم قالوا: يقال للواحد توأم وهما توأمان إذا ولدا في بطن واحد، (**والدين أصل والسلطان حارس**) له

بالسلطان، وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه. وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى، بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به، فكذلك معرفة طريق السياسة، فمعلوم أن الحج لا يتم إلا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق إلى الحج شيء ثان، والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج

وحامية **(وما لا أصل له فهو مهدوم)** أي ساقط **(وما لا حارس له فضائع)** وهالك، **(ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان)** .

وأخرج أبو نعيم في ترجمة عبدالله بن المبارك من رواية أبي بكر الصولي عن بعضهم قال: ورد على الرشيد كتاب صاحب الخبر من هيت أنه مات رجل بهذا الموضع غريب، فاجتمع الناس على جنازته، فسألت عنه فقالوا: عبدالله بن المبارك، فقال الرشيد: إنا لله وإنا إليه راجعون يا فضل: يعني وزيره فضل بن الربيع إئذن للناس يعزونا، فأظهر الفضل تعجباً فقال: ويحك إن عبدالله هو الذي يقول:

الله يرفع بالسلطان معضلة ... عن ديننا رحمة منه ورضوانا
لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

من سمع هذا القول من ابن المبارك مع فضله وزهده وعظمه في صدور العامة ولا يعرف حقنا.

قلت: هذه الأبيات من قصيدة له طويلة أوردها ابن السبكي في أوائل الطبقات، وفي كلام بعض الحكماء: نظام الدين منوط بنظام الدنيا ونظامها بالمال والمال يتحصل من الرعية، ونظام الرعية بعدل الحكام، والعدل إنما يتم بالعلم فنظام الدين منوط بالعلم. **(وطريق الضبط)** والمراعاة **(في فصل الخصومات)** والمنازعات **(بالفقه في الدين، وكما ان سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى، بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به)** فهو في الدرجة الثانية نظراً إلى هذا، وقد يكون في الدرجة الرابعة نظراً إلى قول الحكماء السابق **(فكذلك معرفة طريق السياسة)** ليس من علم الدين في الدرجة الأولى، بل هو من متعلقاته في الثانية، **(فمعلوم أن الحج لا يتم إلا ببذرقة)** بالدال المهملة. وقيل: بالمعجمة الخفارة فارسي معرب، كما في المحكم، وهو قول ابن دريد، ومثله لابن خالويه إلا أنه أنكر إهمال الدال، ومنه قول المتنبي:

أبذرق وسيفي معي وقاتل حتى قتل.

والمبذرق: الخفير نقله الصغاني **(تحرس من)** ذعار **(العرب)** وشياطينهم الذين يغيرون على ركب الحج في الطريق، **(ولكن الحج شئ وسلوك الطريق إلى الحج شئ ثان)** أي في الدرجة الثانية، **(والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج إلا بها شئ ثالث)**أي في الدرجة الثالثة، **(ومعرفة**

إلا بها شيء ثالث، ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع، وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسنداً «لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف»، فالأمير هو الإمام وقد كانوا هم المفتون، والمأمور نائبه، والمتكلف غيرهما، هو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحترزون عن الفتوى، حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه،

طريق الحراسة وحيلها وقوانينها شيٌ رابع) أي في الدرجة الرابعة، **(والحاصل في الفقه معرفة طريق السياسة والحراسة)** فهو بهذا الأعتبار في الرابعة من درجات علوم الدين وهي دقيقة يتفطن لها، **(ويدل على ذلك ماروي مسنداً)** أي مرفوعاً بالاسناد إلى النبي ﷺ: **(لا يفتى الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف)**. هكذا في سائر نسخ الكتاب، ومثله في قوت القلوب لأبي طالب، والذي في الأحاديث على ما سيأتي بيانها لا يقص بدل لا يفتى، ولكن المصنف تبع صاحب القوت.

أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث عوف بن مالك الأشجعي سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يقص إلا أمير أو مأمور أو متكلف». وفي المجلس الخامس عشر من أمالي عبد الله بن منده من رواية خالد بن عبد الرحمن، حدثنا عمرو بن زر، عن مجاهد، عن أبي هريرة رفعه: «لا يقص في مسجدي هذا إلا أمير أو مأمور أو متكلف». وأخرج الطبراني في الكبير عن عبادة ابن الصامت رفعه: «لا يقص إلا أمير أو مأمور أو متكلف» **(فالأمير هو الأمام)** الأعظم الذي يتولى أمور المسلمين،**(وقد كانوا)**أي الأمراء**(هم المفتون)**في الأقضية والأحكام قبل أن يشتغلوا بأمر الجهاد،**(والمأمور نائبه)**الذي ينوب عنه قد أذن له في ذلك. وقال المناوي: هو المأذون له في القص عن الحاكم، **(والمتكلف غيرهما)**أي لا أمير ولا مأمور، **(وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة)**إليه، ونص القوت: الأمير هو الذي يتكلم في أمر الفتيا والأحكام، وكذلك كان الأمراء يسألون ويفتون، والمأمور الذي يأمره الأمير بذلك فيقيمه مقامه فيستعين به لشغله بالرعية، والمتكلف هو القاص الذي يتكلم في القصص السالفة وبعض أخبار من مضى، لأن ذلك لا يحتاج إليه في الحال ولم يندب المتكلم إليه، وقد تدخله الزيادة والنقصان والأختلاف، فلذلك كره القصص فصار القاص من المتكلفين اهـ.

ووجدت لسياق المصنف وهو قوله: لا يفتى شاهداً حسناً وهو ما أخرجه أبن عساكر من حديث حذيفة بن اليمان إنما يفتي أحد ثلاثة من عرف الناسخ من المنسوخ، أو رجل ولي سلطاناً فلا يجد بداً من ذلك، أو متكلف، وأيضاً فالقص هو التكلم بالقصص والمواعظ والافتاء داخل فيها. وحمل الزمخشري القص في خصوص الخطبة محل نظر. **(وقد كان الصحابة يحترزون عنه)** أي عن الأفتاء المفهوم من القص، ولذا لم يظهر في زمانهم وإنما ظهر في آخر زمان معاوية لما أختلفت الأحوال **(حتى كان يحيل كل واحد منهم الفتيا على صاحبه)** حتى تعود إليه،

وكانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة، وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي؛ فإن من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال.

وهذا قد يأتي التفصيل فيه في الباب السادس من قول عبد الرحمن بن أبي ليلى وغيره، **(وكانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن)** والإيمان **(وطريق الآخرة)** وما أشبه ذلك. ونص القوت: ولم يكونوا يقولون ذلك في علم القلوب ولا علم الأيمان واليقين، بل كتب عمر إلى أمراء الأجناد أحفظوا ما تسمعون من المطيعين لله عز وجل، فانهم تجلى لهم أمور صادقة. **(وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي)**، وهكذا رواه الامام أحمد، وأبن ماجه، والترمذي، والحاكم في النوادر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده رفعه: « لا يقص على الناس إلا أمير أو مأمور أو مراء » رواه الدارمي في مسنده وزاد في آخره: قلت لعمرو بن شعيب: إنا كنا نسمع متكلف، فقال: هذا ما سمعت قلت: ويروى بدل المتكلف والمرائي المختال. رواه أبو داود من حديث عوف بن مالك سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال ». وأخرجه الطبراني في الكبير مثله، وأخرجه إبن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف. وقال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا يزيد بن هرون، أخبرنا العوام، حدثني عبد الجبار الخولاني قال: دخل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ المسجد، فإذا كعب يقص فقال: من هذا: قالوا: كعب يقص. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال » فبلغ ذلك كعباً فما رؤي يقص بعد. وفي القوت: وقد جاء في لفظ الحديث الآخر بتأويل معناه لا يتكلم على الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو مراء، فكان قوله أمير هو المفتي في الأحكام والأقضية، ومعنى مأمور هو العالم بالله عز وجل الزاهد في الدنيا يتكلم في علم الإيمان واليقين، وفي علم القرآن والحديث على صالح أعمال الدين بأمر من الله تعالى أذن الله في ذلك بقوله: ﴿وإذْ أخَذَ اللهُ ميثَاقَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ الآية [١٨٧ ، آل عمران] وبقوله ﷺ: « ما آتى الله عالماً علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينه ولا يكتمه ». ويقول أبي هريرة: لولا آيتان في كتاب الله تعالى ما حدثتكم حديثاً، وأما المرائي فهو المتكلم في علوم الدنيا الناطق عن الهوى يستميل بذلك أهلها ويجتلب بكلامه المزيد منها والرفعة فيها اهـ.

وإليه يشير قول المصنف: **(فإن من يتكلف خطر الفتوى)** أي يتحمل باعبائه **(وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال)** باستمالة قلوب أهل الدنيا بكلامه ووعظه. وقال الراغب في الذريعة: لا يصلح الحكيم لوعظ العامة لا لنقص فيه، بل لنقص في العامة إذ بينهما من تنافي طبعيهما وتنافر شكليهما من النفار، كما بين الماء والنار والليل والنهار، ثم قال: يحق للواعظ أن يكون له نسبة إلى الحكيم وإلى العامة يأخذ منهم ويعطيهم، كنسبة الغضاريف إلى اللحم والعظم جميعاً، ولولاها لم يكن للعظم إكتساب الغذاء من اللحم.

(فإن قلت): هذا إن استقام لك في أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات، فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام، فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة: الإسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام؛ فإذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة، وإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها أظهر. أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان. وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله ﷺ أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال: « هلا شققت عن قلبه »، للذي قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذراً بأنه قال ذلك من خوف السيف، بل يحكم الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف، مع

(فان قلت: هذا إن إستقام لك) وإتضح أمره **(في أحكام الحدود والجراحات والغرامات وفصل الخصومات)** فإنها التي يحتاج إلى الفقهاء فيها غالباً **(فلا يستقيم)** لك **(فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة)** وما يتعلق بهما من الأحكام، **(ولا فيما يشتمل عليه ربع المعاملات من بيان الحلال والحرام)** وغير ذلك. **(فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة أقسام. الاسلام)** وهو أعظمها، **(الصلاة)** لكونها شعار أهل الاسلام، **(والحلال والحرام؛ وإذا تأملت)** منتهى **(نظر الفقيه فيها)** ومرمى ملحظه **(علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة)** ولا يتعداها، **(فإذا عرفت هذا في هذه الثلاثة فهو في غيرها أظهر)** وأوضح. **(أما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفي شروطه)** من البلوغ وغير ذلك **(وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان)** فقط. فمتى وجدت شروطه وسمع منه الأقرار حكم باسلامه، **(أما القلب)** الذي هو محل التصديق **(فخارج عن ولاية الفقيه)** ليس له مدخل فيه ولا يحوم حماه **(لِعزل رسول الله ﷺ السيوف)** وفي نسخة: أرباب السيوف والسلطنة **(عنه حيث قال: « هلا شققت عن قلبه »)** فنظرت أصادق هو أم كاذب. قاله **(في الذي قتل من تكلم بكلمة الإسلام)** أي كلمة الشهادة **(معتذراً بأنه)** إنما **(قال ذلك من خوف السيف)** أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والطبراني في الكبير وابن أبي شيبة في المصنف من حديث جندب بن عبدالله البجلي رفعه، وهكذا هو في الجزء الرابع من فوائد أبي أحمد الحاكم بلفظه: « فهلا شققت على قلبه » وفي إسناده شهر بن حوشب وثقه أحمد وابن معين وتكلم فيه غيرهما.

قال العراقي: والحديث عند مسلم وليس فيه قوله: « هلا شققت على قلبه » قال: ويروى عن أسامة بن زيد أخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وكذا مالك في الموطأ، والأمام أحمد، وإبن

أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة، ولكنه مشير على صاحب السيف فإن السيف ممتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله، وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دامت له رقبة ومال، وذلك في الدنيا، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا

أبي شيبة والعدني في مسانيدهم، وأبو عوانة في صحيحه، وإبن حبان، والحاكم، والطحاوي، والبيهقي كلهم من رواية أبي ظبيان وإسمه حصين بن جندب، عن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلاً فقال: لا اله إلا الله فطعنته فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: قال لا إله إلا الله وقتلته؟ قال: قلت يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح. قال «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا؟ من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة» فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ. قال العراقي: والحديث عند البخاري أيضاً ولكن ليس فيه قوله: «أفلا شققت عن قلبه» (**بل يحكم الفقيه بصحة الأسلام تحت ظلال السيوف**) كما حكم النبي ﷺ وسلم بصحة إسلام هذا الرجل، ولذا عاتب أسامة في قتله، (**مع أنه يعلم**) قطعاً (**أن السيف لم يكشف له عن شبهة**) وريبة (**ولم يدفع عن قلبه غباوة الجهل**) وظلمته (**ولا الحيرة**) والتردد المستولى عليه (**ولكنه مشير على صاحب السيف فإن السيف ممتد إلى رقبته**) بالقتل (**واليد ممتدة إلى ماله**) بالنهب، (**وهذه الكلمة**) الشريفة (**تعصم رقبته**) عن السفك (**وماله**) عن النهب (**ما دامت له رقبة ومال وذلك في الدنيا**)

قال الفخر الرازي نقلاً عن بعضهم:إن الله تعالى جعل العذاب عذابين. أحدهما: السيف من يد المسلمين، والثاني: عذاب الآخرة. فالسيف في غلاف لا يرى، فقال لرسوله: من أخرج لسانه من الغلاف المرئي وهو الفم فقال لا إله إلا الله أدخلنا السيف في الغمد الذي يرى، ومن أخرج لسان القلب من الغلاف الذي لا يرى وهو السر فقال: لا إله الا الله أدخلنا سيف عذاب الآخرة في غمد الرحمة حتى يكون واحداً بواحد ولا ظلم ولا جور اهـ.

(**ولذلك قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم**) إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل». قال المناوي، قال الرافعي وبيّن الشافعي أن الحديث مخرجه عام ويراد به الخاص، والقصد به أهل الأوثان وهو أصل من أصول الأسلام، وفي بعض رواياته حتى يشهدوا أي يقرّوا ويبينوا. وهذا الحديث رواه ستة عشر من الصحابة كما قاله العراقي وهم: أبو هريرة، وعمر، وابن عمر، وجابر، وأنس، ومعاذ، وأوس بن أبي أوس، وأبو بكر الصديق، وسعد بن أبي وقاص، وجرير بن عبد الله، وسهل بن سعد، وابن عباس، وأبو بكرة، وأبو مالك الأشجعي، عن أبيه، وسمرة بن جندب، والنعمان بن بشير. أما حديث أبي هريرة فأخرجه الائمة الستة، وهذا لفظ الترمذي وأبن ماجه في الفتن

....

إلا أنهما لم يقولا فقد وكذا. قال أبو داود: إلا أنه قال: منعوا بدل عصموا. وقال الشيخان: فمن قال لا إله إلا الله قال مسلم عصم، وقال البخاري فقد عصم مني نفسه وما له إلا بحقه وحسابه على الله.

قلت: وأخرجه أبو بكر بن مردويه من رواية الحسن بن عمر، وعن منذر الثوري، عن محمد ابن الحنفية، عن أبي هريرة رفعه كسياق المصنف، وفي آخره: قيل له طفت على أبيك. قال: إني لم أفعل إن الناس انطلقوا إلى أبي فبايعوه طائعين غير مكرهين، فنكث ناكث فقتله، وبغى باغ فقتله، ومرق مارق فقتله، وابن الحنيفة هذا لم يخرج له عن أبي هريرة في شيء من الكتب الستة. وأخرجه الخلعي في فوائده من رواية مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ثم قال: وأما حديث عمر فرواه الستة خلا ابن ماجه من رواية أبي هريرة، عن عمر، عن النبي ﷺ نحوه.

قلت: أخرجه أحمد والبخاري. قال أحمد: حدثنا عاصم بن خالد وأبو اليمان. وقال البخاري حدثنا أبو اليمان قال: حدثنا شعيب بن أبي حمزة، عن الزهري، حدثنا عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس» الحديث بطوله. ورواه البخاري أيضاً ومسلم عن قتيبة عن الليث، ورواه عمرو بن عاصم الكلابي عن عمران القطان، عن معمر، عن الزهري، عن أنس، عن أبي بكر مرفوعاً: «أمرت أن أقاتل الناس» الحديث قال ابن أبي حاتم: سألت أبا زرعة عنه فقال هذا خطأ إنما هو الزهري عن عبيد الله بن عتبة، عن أبي هريرة أن عمر قال لأبي بكر القصة. قلت لابي زرعة: الوهم ممن؟ قال: من عمران، ثم قال العراقي: وأما حديث إبن عمر فأخرجه الشيخان وقالا: حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. قال البخاري: فإذا فعلوا ذلك، وقال مسلم: فإذا فعلوه عصموا مني دماءهم وأموالهم الحديث. وأما حديث جابر فرواه مسلم والترمذي والنسائي وأبن ماجه، ولفظ الترمذي كلفظ المصنف إلا أنه لم يقل فقد، وقال مسلم وابن ماجه فإذا قالوا لا إله إلا الله. وأما حديث أنس فرواه البخاري، وأبو داود، والترمذي والنسائي. زاد البخاري: «فإذا قالوها وصلوا صلاتنا وإستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم» الحديث. وقال أبو داود والترمزي: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن يستقبلوا قبلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا فإذا فعلوا ذلك حرمت» الحديث.

قلت: وأخرجه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير وقال: وأما حديث معاذ فرواه ابن ماجه ولفظه: «حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» وفي

مني دماءهم وأموالهم». جعل أثر ذلك في الدم والمال. وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها، وليس ذلك من فن الفقه، وإن خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض في الكلام والطب وكان خارجاً عن فنه. وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة إذ أتي بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وإن كان غافلاً في

إسناده شهر بن حوشب. وأما حديث أوس بن أبي أوس بن حذيفة فرواه النسائي، وأبن ماجه، ورجاله رجال الصحيح.

قلت: وأخرجه أيضاً الطبراني في المعجم الكبير من طريق شعبه عن النعمان بن سالم قال: سمعت أوس بن أبي أوس، وقال سماك بن حرب، عن النعمان بن سالم، عن أوس. وقال حاتم، عن النعمان، عن عمر بن أوس، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «أوحي إلي أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله». الحديث. قال أبو حاتم: وشعبة أحفظ القوم. قال: وأما حديث أبي بكر الصديق فرواه البزار في مسنده من رواية عمران القطان، عن معمر، عن الزهري، عن أنس عن أبي بكر. قال البزار: أحسب أن عمران أخطأ في إسناده، ولذا قال الترمذي في الجامع: إن حديث عمران خطأ، وكذا قال الدارقطني في العلل أنه وهم فيه على معمر، وأن الصواب رواية الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن أبي هريرة قال، قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما.

قلت: قد تقدم أن الذي رواه عن عمران القطان هو عمرو بن عاصم الكلابي، وتقدم أيضاً سؤال ابن أبي حاتم لأبي زرعة وجوابه له، وأن الوهم فيه من عمران القطان. قال: وأما حديث سعد فرواد الترمذي بقوله. وفي الباب قال: وأما حديث جرير، وسهل وأبي مالك الأشجعي عن أبيه فرواهما الطبراني في المعجم الكبير، وأما حديث سمرة فرواه الطبراني في الأوسط، وحديث أبن عباس وأبي بكرة رواهما في الكبير والأوسط، وحديث النعمان بن بشير رواه البزار وقال: أخطأ فيه أسود بن عامر اهـ.

قلت: ويروى هذا الحديث أيضاً من رواية عياض الأنصاري وهو صحابي أخرجه البزار في مسنده فتم العدد سبعة عشر، وهو متواتر صرح به غير واحد من المحدثين فانظر كيف **(جعل أثر ذلك في الدم والمال، وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأقوال)** الظاهرة **(بل أنوار القلوب)** الحاصلة من الأيمان الكامل **(وأسرارها)** الباهرة **(وأخلاقها)** المحمودة أخرج مسلم في الأدب وابن ماجه في الزهد، عن أبي هريرة رفعه: «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبهم وأعمالكم» وسيأتي الكلام عليه. **(وليس ذلك من فن الفقه)** في شيء **(وإن)** قدر أنه **(خاض الفقيه فيه)** واستعد لقبوله **(كان كما لو خاض في الكلام والطب وإن كان خارجاً عن فنه)** لأن كلاهما ذكر لا يتعلق به غرضه. هذا حال الاسلام. **(وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتي بصورة الأعمال مع)** مراعاة **(ظاهر الشروط)**

جميع صلاته من أوّلها إلى آخرها مشغولاً بالتفكر في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير، وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة، كما أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع، ولكن الفقيه يفتي بالصحة أي أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزيز، فأما الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجاً عن فنه، وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى انه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهراً حكم بأنه برئت ذمته.

وحكي أن أبا يوسف القاضي كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها

المذكورةفي الكتب **(وإن كان غافلاً)** بقلبه **(عن جميع صلاته من أولها إلى آخرها)** بغلبة الخواطر والوساوس والشواغل النفسانية **(مشغولاً في التفكير)** والتدبير **(في حساب معاملاته)** ومشاركاته **(في السوق)** أو في البيت **(إلا عند التكبير)** أي: عند إفتتاح الصلاة وهي تكبيرة الاحرام، فإنه يتعين إحضار القلب حينئذ ولا يكلف ما عداه، **(وهذه الصلاة)** بهذه الصفة **(لا تنفع في الآخرة)** لشوبها بالغفلة عن أعمال القلب، **(كما أن القول باللسان)** فقط **(في الاسلام لا ينفع)** في الآخرة، **(ولكن الفقيه يفتي بالصحة)** ويقول **(إن ما فعله حصل به إمتثال صيغة الأمر)** الدالة على الوجوب **(وإنقطع به عنه القتل والتعزيز)**، وهو التأديب دون الحد والتأديب نصرة بقهر مّاً. وفي بعض النسخ القتال أو التعزيز، **(فأما الخشوع)** والأطمئنان والاخبات **(وإحضار القلب)** ولو تكلفا **(الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه)** إلا قليلاً **(ولو تعرض له)** بالفرض والتقدير **(كان خارجاً من فنه)** ويقول: إنما كلفنا بإصلاح الظاهر، وأما الباطن فبيد الله تعالى وهو حق فيما يقول إذ التعرض لمثل ذلك ليس من فنه هذه حال الصلاة. **(وأما الزكاة)** وهي قرينة الصلاة في الذكر **(فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة السلطان)** ونظره قاصر عليه **(حتى أنه إذا امتنع)** من دفع الزكاة **(يأخذ السلطان منه)** ولو قهراً **(فهو يحكم بانه برئت ذمته)** بأخذه لها منه، وهذا إذا أخذ السلطان منه مما يجب عليه من الزكاة، أما لو صادره بمال ثم حال عليه الحول لا تجب الزكاة على صاحب المال عند أبي حنيفة.

(وقد حكي أن أبا يوسف) يعقوب بن إبراهيم بن خنيس، وقيل: حبيب بن سعد بن حبتة بفتح الحاء المهملة وسكون الموحدة وفتح المثناه الفوقية القاضي صاحب الإمام ولاه الهادي ثم الرشيد، وروى عن يحي بن سعيد الأنصاري والأعمش وأبي أسحاق الشيباني وعنه محمد بن الحسن وغيره ولد سنة ١١٤ وتوفي ببغداد سنة ١٨٣. وحبتة في نسبه هي إبنة مالك بن عمرو بن عوف الأنصارية الصحابية **(كان يهب ماله لزوجته في آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطاً**

إسقاطاً للزكاة، فحكي ذلك لأبي حنيفة رحمه الله فقال: ذلك من فقهه. وصدق فإن ذلك من فقه الدنيا، ولكن مضرته في الآخرة أعظم من كل جناية، ومثل هذا هو العلم الضار. وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين، ولكن الورع له أربع مراتب:

الأولى: الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة: وهو الذي يخرج بتركه الإنسان عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر.

للزكاة. **فحكي**) ذلك (**لأبي حنيفة فقال: ذلك من فقهه**) أي من معرفته بالأحكام، ومن هنا قول صاحب الملتقى من علمائنا. وتكرة الحيلة لأسقاطها عند محمد خلافاً لأبي يوسف. قال شارحه محمد بن محمد البهنسي الحنفي: إنما تكره عند محمد لتضمنها إبطال حق الفقراء بعد إنعقاد سبب الوجوب وعليه الفتوى خلافاً لأبي يوسف لأنه إمتناع عن الوجوب لإبطال حق ثابت، وعلى هذا الخلاف حيلة إسقاط الشفعة اهـ.

(**وصدق**) أبو حنيفة (**فإن ذلك من فقه الدنيا، ولكن مضرته في الآخرة أعظم من كل خيانة، ومثل هذا العلم هو الضار**)، وقد أورد هذه الحكاية صاحب القوت فقال: وقد حدثنا عن أبي يوسف انه كان إذا صار رأس الحول وهب ماله لأمرأته واستوهبها مالها فسقط عنهما الزكاة، فذكر ذلك لأبي حنيفة فقال: ذلك من فقهه، وإنما يطلب العلم لمعرفة الورع والاحتياط للدين فهذا هو العلم النافع، فإذا طلب لمثل هذا ولتأويل الهوى كان الجهل خيراً منه اهـ.

(**وأما الحلال والحرام فالورع من الحرام من الدين**) أي: معرفته من جملة أمور الدين والورع محركة التقوى والتحرج والكف عن المحارم، وقد ورع الرجل كورث وهي اللغة المشهورة وزاد اللحياني مثل وجل، ونقل سيبويه عن العرب مثل وضع ونقل عن غيره مثل كرم وراعة وورعاً بالفتح ويحرك ووروعاً يفتح ويضم، وأصل الورع الكف عن الحرام، ثم استعير للكف عن الحلال والمباح. هذا قول أئمة اللغة، وأما عند الصوفية فهو توق مستقصى على حذر أو تحرج على تعظيم وهو آخر مقامات الزهد للمريد قاله الهروي في منازل السائرين: (**ولكن الورع له أربع مراتب**.

الاولى: الورع الذي يشترط في عدالة الشهادة) عند التزكية (**وهو الذي يخرج به الأنسان عن أهلية الشهادة**) عند القضاة (**والقضاء**) على الأحكام الشرعية بالتولية عليها (**والولاية**) للمناصب الشرعية كالحسبة وغيرها (**وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر**)، وقد تقدم تعريف العدالة وقد قسمه الهروي في منازل السائرين على ثلاث درجات. فقال: الأولى تجنب القبائح لصون النفس وتوفير الحسنات وصيانة الإيمان اهـ.

الثانية: ورع الصالحين، وهو التوقي من الشبهات التي يتقابل فيها الاحتمالات. قال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». وقال ﷺ: «الإثم حزاز القلوب».

(**الثانية: ورع الصالحين وهو التوقي**) أي التحفظ (**من الشبهات التي تتقابل فيها الاحتمالات**) هل هو حرام أم حلال، وقال الهروي في منازل السائرين: الثانية حفظ الحدود عند ما لا بأس به إبقاء على الصيانة والتقوى وصيانة عند الدناءة وتخلصاً عند الأقتحام في الحدود اهـ.

(**قال ﷺ: «دع ما يُريبك**) بفتح الياء وضمها والفتح أفصح أي ما يوقعك في الريب (**إلى ما لا يريبك»**) والأمر للندب لما أن توقي الشبهات مندوب لا واجب على الأصح. أي: أترك ما تشك فيه وأعدل إلى ما لا تشك فيه من الحلال البين، لأن من اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، والمعنى أن من أشكل عليه شيء والتبس ولم يتبين أنه من أي القبيلين، فليتأمل فيه إن كان من أهل الاجتهاد، وليسأل المجتهدين إن كان من أهل التقليد، فإن وجد ما يسكن به نفسه ويطمئن به قلبه وينشرح به صدره، فليأخذه وإلا فليدعه وليأخذ بما لا شبهة فيه ولا ريبة. هذا طريق الورع والأحتياط.

قال العراقي: رواه الترمذي والنسائي من رواية أبي الجوزاء، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: فذكره. زاد الترمذي: «فإن الصدق طمأنينة وأن الكذب ريبة». وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه ابن حبان في صحيحه اهـ.

قلت: أخرجه من رواية شعبة. أخبرني يزيد بن أبي مريم، سمعت أبا الجوزاء السعدي يقول: قلت للحسن بن علي ما تذكر عن رسول الله ﷺ؟ قال: كان يقول فذكره. وأخرجه كذلك أحمد، والدارمي، وأبو يعلى، والطيالسي بتلك الزيادة. وعند الطبراني في الكبير، والبيهقي، والحاكم: وإن الشر ريبة بدل وإن الكذب. وعند ابن قانع بلفظ: فان الصدق ينجي. وقال الذهبي في حديث الحسن: هذا سنده قوي، وأخرجه الحاكم في التاريخ بهذا اللفظ، عن أبي الدرداء ووقفة عليه، ثم قال العراقي: ورواه أيضاً أبو يعلى الموصلي في مسنده من رواية عبيد بن القاسم، عن العلاء بن ثعلبة، عن أبي المليح الهذلي، عن واثلة أبن الاسقع، عن النبي ﷺ في اثناء حديث. وعبيد بن القاسم ضعيف جداً منسوب إلى الكذب والوضع. ورواه الطبراني في الكبير من رواية بقية بن الوليد، حدثني إسماعيل بن عبد الله الكندي، عن طاوس، عن وثيلة قال: قلت يا نبي الله فذكر الحديث. وفيه «فان الخير طمأنينة والشك ريبة». وإسماعيل مجهول اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو عبد الرحمن السلمي في أماليه، ثم العراقي: ورواه الطبراني في الصغير من رواية عبدالله بن أبي رومان، عن ابن وهب، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ. ولا أصل له من حديث مالكْ وابن أبي رومان ضعيف اهـ.

قلت: وأخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية أبي بكر بن راشد، عن عبد الله بن أبي رومان

....

وقال: إنه غريب من حديث مالك تفرّد به ابن أبي رومان، عن ابن وهب. وأخرجه الخطيب في التاريخ في ترجمة الباغندي من حديث قتيبة، عن مالك بزيادة: فإنك لن تجد فقد شيْ تركته لله، ثم قال: هذا باطل بهذا الوجه، وإنما اشتهر به ابن أبي رومان عن ابن وهب، عن مالك وهو ضعيف. والصحيح عن مالك من قوله، وقد سرقه ابن أبي رومان. وقال الجلال في جامعه الكبير نقلاً عن الخليل: الصواب وقفه على ابن عمر.

قال العراقي: ورواه أبو الشيخ في كتاب الطبقات من رواية صالح بن موسى، عن المغيرة، عن الشعبي، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. وصالح بن موسى القرشي منكر الحديث قاله البخاري. ورواه الطبراني في الكبير من رواية طلحة بن زيد، عن راشد بن أبي راشد قال: سمعت وابصة بن معبد يقول: سألت رسول الله ﷺ عن كل شيْ حتى سألته عن الوسخ الذي يكون في الأظفار فقال: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». وطلحة ضعيف. ورواه أحمد في مسنده من رواية أبي عبد الله الأسدي بسكون السين عن أنس رفعه فذكره، وأبو عبد الله الأسدي قال أبو حاتم مجهول تفرد عنه يحي بن أيوب المصري، وهو معروف، وسماه بعضهم عيسى بن عبد الرحمن.

قلت: وقال الهيثمي وهو رفيق العراقي في الشيوخ أبو عبد الله الأسدي لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح، ثم أن المصنف أورده، في المرتبة الثانية من الورع إشارة إلى أن المعنى به هم أرباب الصلاح ذوو البصائر والعقول المرتاضة والقلوب السليمة، كأن نفوسهم بالطبع تصبو إلى الخير وتنبو عن الشرفان الشيْ يتحبب إلى ما يلائمه وينفر عما يخالفه فيكون بما يلهمه الصواب غالباً، على أنه يمكن حمل هذا الحديث على سائر مراتب الورع لأن عمومه يقتضي وقوع الريبة في العبادات والمعاملات وسائر أبواب الأحكام الظاهرة والباطنة، وإن ترك الريبة في كل ذلك ورع قالوا: وهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين وأصل في الورع الذي عليه مدار اليقين. وقال العسكري: لو تأمل الحذاق هذا الحديث لتيقنوا أنه إستوعب كل ما يتجنب في الشبهات والله أعلم.

(وقال ﷺ: «الإثم حزاز القلوب») هكذا في النسخ بزاءين مكررتين الأولى مشددة فعال من الحز. حكاه ابن الأثير عن رواية شمر، ويروى حواز القلوب بتخفيف الواو بعد الحاء وآخره زاي مشددة جمع حاز، وبه جزم الهروي في الغريبين، وصدر ابن الأثير به كلامه في النهاية وقال: هي الأمور التي تؤثر في الشيء كما يؤثر الحز في الشيء، وهو ما يخطر فيها من أن يكون معاصي كفقد الطمأنينة إليها يقال: إذا أصاب مرفق البعير طرق كركرته فقطعه وأدماه، قيل: به حاز. وحكى الهروي عن الليث هو ما حز في صدرك وحك ولم يطمئن عليه القلب قال ابن الأثير. ويروى بتشديد الواو وتخفيف الزاي حكاه عن شمر أيضاً.

الثالثة: ورع المتقين، وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه أداؤه إلى الحرام. قال ﷺ: «لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس»، وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة، والتورع

قلت: وهذه أوردها الصغاني في التكملة وقال: معناه ما يحوز القلب ويغلب عليها، هذا ما يتعلق باللغة والروايات.

قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من طريق سعيد بن منصور، حدثنا سفيان، عن منصور، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبيه قال: قال عبدالله: قال رسول الله ﷺ: «الإثم حواز القلوب» قال: المعروف أنه من قول ابن مسعود قال: «الإثم حواز القلوب» وما كان من نظيره فإن للشيطان فيها مطمعاً، وإسناده صحيح رويناه في مسند المدني، حدثنا سفيان، عن منصور، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبيه، عن ابن مسعود، وكذا رواه الطبراني في الكبير موقوفاً اهـ.

قلت: وأخرجه أبو نعيم في الحلية كذلك موقوفاً على عبدالله، رواه من رواية جرير، عن منصور، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال: قال عبدالله: «إياكم وحزائز القلوب وما حز في قلبك من شيء فدعه».

قال العراقي: وقد ورد معناه مرفوعاً في عدة أحاديث منها: حديث النواس بن سمعان، الإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس، ومنها حديث وابصة بن معبد، والاثم ما حاك في نفسك وتردد في الصدر، ومنها حديث واثلة والإثم ما حاك في الصدر.

(**الثالثة: ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض**) أي الخالص الذي لا شبهة فيه ولا ريبة (**الذي يخاف منه أداؤه**) أي وقوعه وإفضاؤه (**إلى الحرام**) وإطلاق الورع عليه بطريق الاستعارة كما تقدمت الإشارة إليه. (**قال ﷺ: «لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس فيه حذراً مما به بأس»**) وفي رواية مخافة مما به بأس.

قال العراقي: رواه الترمذي، وابن ماجه من رواية عبدالله بن يزيد قال: حدثني ربيعة بن يزيد وعطية بن قيس، عن عطية السعدي، وكان من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين» فذكره وقال: «لما به بأس» قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ورواه الحاكم في المستدرك وقال: حديث صحيح الإسناد اهـ.

قلت: وأخرجه كذلك الطبراني في الكبير والبيهقي بهذا اللفظ، (**وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس**) وأمورهم التي تحدث لهم (**خيفة من الانجرار**) والانسحاب (**إلى الغيبة**) المحرمة، (**و**) مثل (**التورع عن أكل الشهوات**) أي مما تشتهيه النفس (**خيفة من**

عن أكل الشهوات خيفة هيجان النشاط والبطر المؤدي إلى مقارفة المحظورات.

الرابعة: ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفاً من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضي إلى حرام، فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى: وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة والقيام بذلك لا ينفي الإثم في الآخرة. قال رسول الله ﷺ لوابصة: «استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك».

هيجان) أي ثوران **(النشاط)** أي الخفة والإسراع **(والبطر)** وهو أخف من النشاط، لأنه دهش يعتري الانسان من سوء احتمال النعمة وعدم القيام بحقها وصرفها عن وجهها **(المؤدي)** أي الموصل **(إلى مقارفة)** أي ملابسة **(المحظورات)** الشرعية.

(الرابعة: ورع الصديقين وهوالإعراض عما سوى الله تعالى) وترك النظر عن السوى بالكلية **(خوفاً من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله تعالى)**، وإليه الإشارة بالحديث المتقدم «إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه تقرباً إلى الله تعالى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم». **(وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضي إلى حرام)** وجعل الهروي في منازل السائرين من هذه الرابعة ثالثة وفسرها بقوله: هو التورع عن كل داعية تدعو الى شتات الوقت والتعلق بالتفرق وعارض يعارض الوقت، واستدل على الكل بقوله تعالى: ﴿وثيابك فطهر﴾ [المدثر: ٤] اهـ.

والمنصف جعل له أربع مراتب وأضافها لأربابها، فالأولى: هي مرتبة أهل الظاهر من العلماء، والثانية: هي مرتبة الصالحين، والثالثة: هي مرتبة المتقين، وهم أعلى درجة من الصالحين، كما أن الصالحين أعلى رتبة من مطلق أهل العلم. والرابعة: هي مرتبة الصديقين وهي آخر المراتب الرفيعة، ولذلك جاز أن يعني بالصديقين ما هو أعم ليشمل النبيين إذ كل نبي صديق ولا عكس فتأمل. **(فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه)** لا يتكلم عليها **(إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاة)** وولاة الأحكام الشرعية **(وما يقدح في العدالة)**، فإن الفقيه يتكلم فيها **(و)** لا يخفى أن **(القيام بذلك لا ينفي الإثم في الآخرة)** ولا يقبل عذره في ترك التحقق ببقية المراتب. **(قال ﷺ لوابصة)** ابن معبد الأزدي يكنى أبا سالم وأبا الشعثاء وأبا سعيد من خيار الصحابة، ولد سنة تسع، روى عن النبي ﷺ وابن مسعود، وعنه ولداه سالم وعمر، وزر بن حبيش، وشداد مولى عياض، وراشد بن سعد، وزياد بن أبي الجعد نزل في الجزيرة كذا في الإصابة، وقال بكار: قبره بالرقة **(«استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وأفتوك»)** هكذا بالتكرار ثلاث مرات في سائر النسخ.

قال العراقي: رواه أحمد في مسنده، فقال: حدثنا يزيد بن هرون، حدثنا حماد بن سلمة، عن الزبير بن عبد السلام، عن أيوب بن عبدالله بن مكرز، عن وابصة قال: أتيت رسول الله ﷺ

والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها، بل فيما يقدح في العدالة فقط، فإذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة، فإن تكلم في شيء من صفات القلب وأحكام الآخرة، فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام، وكما تدخل الحكمة في

وفيه: «يا وابصة استفت نفسك البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك». وقال في رواية له عن الزبير عن أيوب ولم يسمعه منه قال: حدثني جلساؤه وقد رأيته عن وابصة وقال «استفت نفسك واستفت نفسك» ثلاث مرات الحديث اهـ.

قلت: وهكذا أخرجه أيضاً الدارمي وأبو يعلى في مسنديهما، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية من رواية أيوب، وسياق سند الدارمي حسن نبه عليه النووي في رياضه، وفي سياق سند الطبراني العلاء بن ثعلبة وهو مجهول. وأخرجه أيضاً البخاري في التاريخ وله أشار الجلال في جامعه الصغير مقتصراً عليه وهو قصور ولفظه: «استفت نفسك وإن أفتاك المفتون» ولم أر في طرق المخرجين لهذا الحديث تكرار قوله. وإن أفتوك ثلاث مرات، إلا أن صاحب القوت بعدما ذكر الحديث بالسياق المشهور قال: وقد جاء بلفظة مؤكدة بالتكرير والمبالغة فقال: «استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك» والمصنف تبعه في سياقه فتأمل. وسيأتي للمصنف التعرض لهذا الحديث فيما بعد، والمعنى استفت نفسك المطمئنة الموهوبة نوراً يفرق بين الحق والباطل، وعلى الرواية الثانية عوّل على ما في قلبك والتزم العمل بما أرشدك إليه، وإن أفتاك الناس بخلافه لأنهم إنما يطلعون على الظواهر، والكلام فيمن شرح الله صدره بنور اليقين فأفتاه غيره بمجرد حدس وتخمين من غير دليل شرعي، وإلا لزمه أتباعه وإن لم ينشرح له صدره، وهذا إذا كان الخطاب عاماً.

قال العراقي: وفي الباب عن واثلة ولفظه: «بأبي أنت وأمي يا رسول الله لتفتنا عن أمرنا فآخذه من بعدك قال: لتفتك نفسك. قال: فقلت وكيف لي بذلك؟ قال: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وإن أفتاك المفتون» الحديث. وقال السخاوي وفي الباب عن النواس بن سمعان وغيره. (**والفقيه لا يتكلم في حزازات القلوب**) التي تؤثر فيها (**وكيفية العمل بها**) ومعالجتها، (**بل فيما يقدح في العدالة**) الظاهرة مما يتعلق بالولايات في سقوط الشهادة وعدمه، (**فإذا جميع نظر الفقيه يرتبط بالدنيا التي فيها صلاح طريق الآخرة**) وفي بعض النسخ مرتبط وبها بدل فيها، (**فإن تكلم**) يوماً (**في الإثم**) وما ينشأ منه (**وصفات القلب**) المحمودة والمذمومة (**وأحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل**) والاستتباع غير مقصود بالذات، (**كما قد يدخل في كلامه**) تارة (**شيء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام**) فكل ذلك على سبيل التبعية، (**وكما تدخل الحكمة في النحو والشعر**) استطراداً. (**وكان**

النحو والشعر، وكان سفيان الثوري وهو إمام في علم الظاهر يقول: إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة، كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والاجارة والصرف، ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو مجنون، وإنما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات، والشرف هو علم تلك الأعمال.

(فإن قلت): لم سويت بين الفقه والطب إذ الطب أيضاً يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به أيضاً صلاح الدين، وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين؟ فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق، وإن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه:

سفيان بن سعيد الثوري) رحمه الله تعالى يأتي ذكره قريباً **(وهو إمام في علم الظاهر)** جليل القدر صاحب فتوى وحديث يقول مع جلالة قدره في العلم: **(إن طلب هذا)** أي علم الحديث **(ليس من زاد الآخرة)** نقله صاحب القوت، وإنما قال ذلك سفيان لأن حب الإسناد وشهوة الرواية غلبا على قلبه، حتى كان يحدث عن الضعفاء ومن لا يحتج بروايته، فمن اشتهر منهم باسمه ذكر كنيته تدليساً للرواية عنه، فخاف على نفسه من ذلك ولم يجعله من زاد الآخرة، وسيأتي الكلام عليه في آخر الباب الخامس من هذا الكتاب، **(كيف وقد اتفقوا)** وأجمعوا **(على أن الشرف)** المقصود لذاته **(في العلم العمل به)** على وجهه، **(فكيف يظن أنه علم اللعان والظهار والسلم والإجارة والصرف)** وغيرها من أحكام المعاملات، **(ومن تعلم هذه الأمور)** وانفرد في تدقيقاتها ومعرفة الراجح منها من المرجوح **(ليتقرب بتعاطيها)** وتناولها **(إلى الله تعالى فهو مجنون)** غطى على عقله وشبه عليه، **(وإنما الأعمال بالقلب)**أي بإحضاره **(والجوارح)** معاً **(في)** سائر **(الطاعات)** والتقربات **(والشريف هو علم تلك الأعمال)** وهذا تقرير واضح، وقد أنكر عليه المغاربة لما وصل إليهم الكتاب وأقاموا عليه النكير وقالوا: كيف يقول للعالم بالأحكام الشرعية أنه مجنون.

(فإن قلت: قد سويت بين الفقه والطب إذ الطب أيضاً يتعلق بالدنيا ومصالحها وهو صحة الجسد) التي فيها قوام المعاش **(وذلك يتعلق به أيضاً صلاح الدين)** من جهة القيام بالأوامر والنواهي، **(وهذه التسوية)** بينهما في المنزلة **(تخالف إجماع المسلمين)**، أي لما جعلت الفقه به نظام مصالح الدنيا المنوط به نظام مصالح الدين، فهو في الدرجة الثانية من علوم الآخرة وعلم الطب أيضاً، كذلك لأن موضوعه بدن الإنسان والبحث عن كيفية صحة المزاج وفساده، فهو أيضاً منوط به نظام مصالح الدنيا فيكون من علوم الآخرة بالمرتبة الثانية، ولزم بذلك التسوية بينهما وهو خلاف ما عليه الناس من شرف علم الفقه وعلو منزلته، فإذا ساواه علم الطب في منزلته لزم أن يكون مثله وليس كذلك. **(فاعلم أن التسوية غير لازمة)** أي إذا وجد التسوية بينهما من هذا الوجه فغير لازم أن يساويه في سائر المراتب **(بل بينهما فرق)** بوجوه أخر، وأشار لذلك بقوله: **(والفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه:**

أحدها: انه علم شرعي إذ هو مستفاد من النبوّة، بخلاف الطب فإنه ليس من علم الشرع.

الثاني: انه لا يستغني عنه أحد من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض. وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقلون.

والثالث: أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر في أعمال الجوارح، ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب، فالمحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة المنجية في الآخرة، والمذموم يصدر من المذموم، وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب. وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفات في المزاج والاخلاط وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب، فمهما أضيف الفقه إلى الطب ظهر شرفه، وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضاً شرف علم طريق الآخرة.

(فإن قلت): فصّل لي علم طريق الآخرة تفصيلاً يشير إلى تراجمه، وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله، فاعلم انه قسمان: علم مكاشفة وعلم معاملة.

(**أحدها: أنه علم شرعي**) مستنده الكتاب والسنة وآثار الصحابة والإجماع وهذا معنى قوله: (**أي مستفاد من النبوة بخلاف علم الطب، فإنه ليس هو من علم الشرع**) بل مداره على التجارب وهي تختلف.

(**والثاني: أنه لا يستغني عنه أحد**) في سائر الأحوال (**من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح والمريض، وأما الطب فلا يحتاج إليه الإ المرضى**) خاصة (**وهم الأقلون**) أي بالنسبة إلى الأصحاء ولا حكم للأقل.

(**والثالث: أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة**) باعتبارات كثيرة (**لأنه نظر في أعمال الجوارح ومصدر الأعمال ومنشؤها صفات القلوب والمحمود من الأعمال يصدر من الأخلاق المنجية**) أي المخلصة (**في الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب**) وبهذا الاعتبار، (**وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفات في المزاج**) وهي كيفية مشابهة من تفاعل عناصر متفقة الأجزاء المماسة بحيث يكسر سورة كل منها سورة الآخر (**والأخلاط**) جمع خلط وهي الطبائع الأربعة التي عليها بنية الانسان، (**وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فمهما أضيف**) أي نسب (**الفقه إلى الطب ظهر شرفه**) ومزيته، (**وإذا أضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر أيضاً شرف علم الآخرة**) وهو فرق ظاهر.

(**فإن قيل: فصل لي علم الآخرة تفصيلاً**) يتضح للأذهان (**يشير**) بذلك (**إلى تراجمه**) جمع ترجمة والتاء زائدة، وقيل: أصلية يقال ترجم كلام غيره إذا عبر عنه بلغة غير المتكلم واسم

(فالقسم الأوّل) : علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم ، فقد قال بعض العارفين : من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة ، وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله . وقال آخر : من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة ، أو كبر . وقيل : من كان محباً للدنيا أو مصراً على هوى لم يتحقق به وقد

الفاعل ترجمان وفيه لغات **(وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم أنه)** أي علم الآخرة **(قسمان: علم معاملة)** وقد تقدم ذكره **(وعلم مكاشفة وهو علم الباطن)** وهو العلم بالله عز وجل الدال عليه الراد إليه الشاهد بالتوحيد له من علم الإيمان واليقين وعلم المعرفة **(وذلك غاية العلوم)** كلها ، وإليه تنتهي همم العارفين لا يوجد وراءه مرمى للأنظار ، **(فقد قال بعض العارفين)** فيما نقله صاحب القوت : **(من لم يكن له نصيب)** أي حظ **(من هذا العلم)**أي علم الباطن **(أخاف عليه سوء الخاتمة)** ولا سبيل إلى معرفته إلا بالذوق الصحيح ، ولا يكاد يلتذ به إذا جاء من غير نبي إلا أصحاب الأذواق السليمة وهو فوق طور العقل ، ولذا ربما مجته العقول الضعيفة التي لم توف النظر والبحث حقه ، ولهذا كان صاحبه إذا أراد أن يفهم منه لأصحاب الظاهر فلا بد له من ضرب الأمثال الكثيرة والمخاطبات الشعرية ، وقد يتسارع إلى الإنكار على صاحبه ، وذلك لأنه فوق طور العقل ، ويحصل من نفث روح القدس يخص به تعالى النبي والولي لا يكون لغيرهما ، وعلوم المجتهدين كلها من هذا الباب ، لكنهم أفصحوا في العبارة ففهمها الناس ولم ينكروها عليهم ، وقال القطب الشعراني رحمة الله تعالى : وكان أخي أفضل الدين يتكلم على الآية من سبعين وجهاً ويقول : حقيقة العلوم التي تسمى باطناً إنما هي من علوم الظاهر ، لأنها ظهرت للقائل بها ، ولو أنها بطنت منه لما اهتدى لفهمها ولا لذكرها ، فقلت له ، صحيح ذلك ، ولكن ذلك خاص بأجل الكمل ، فقال : نعم فإن الظاهر هو المعقول والمقبول الذي تكون منه العلوم النافعة والأعمال الصالحة ، وأما الباطن فإنما هو المعارف الإلهية التي هي روح تلك العلوم والمعقولة المقبولة اهـ .

(وأدنى النصيب منه) إذا لم يمكنه التحلي به **(التصديق به)** جزماً من غير تردد ولا شك **(وتسليمه لأهله)** بعدم الإنكار عليهم بقبول ما يرد من جهتهم بانشراح صدر وعدم اختلاج باطن ، فيكون في منزلة المحبين لهم ، فإن من ينكر على أولياء الله الوارثين لعلوم أنبياء الله يخاف عليه سوء الخاتمة والسلام على أهل التسليم . **(وقال آخر)** فيما أورده أيضاً صاحب القوت : **(فمن كان فيه خصلتان)** أي من وجدتا فيه **(لم يفتح له شيء من هذا العلم)** أي علم الباطن **(بدعه)** وهي الفعلة المخالفة للسنّة **(أو كبر)** أن يرى نفسه أكبر من غيره ، وقال الجنيد : أعلى درجات الكبر أن ترى نفسك وأدناها أن تخطر ببالك يعني نفسك . **(وقيل : من كان محباً للدنيا)** مائلاً إلى شهواتها وكذا محباً لأهلها وللعلوم تقربة إليها **(أو مصراً على هوى)** نفسي أو شيطاني **(لم يتحقق به)** أي بعلم الباطن ولا يكون له منه نصيب ، **(وقد يتحقق بسائر**

يتحقق بسائر العلوم، وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيئاً وينشد على قوله:

وأرض لمن غـاب عنـك غيبتـه ... فـذاك ذنـب عقـابـه فيـه

وهو علم الصديقين، والمقربين، أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة، فتتضح إذ ذاك حتى تحصل

العلوم الظاهرة وأقل عقوبة من ينكره أن لا يرزق) وفي نسخة: أن لا يذوق **(منه شيئاً)** أي يكون سبباً لحرمانه من هذا العلم. وعبارة القوت: أن لا يرزق منه شيئاً أبداً، هكذا عن أبي محمد سهل التستري اهـ.

وقال أبو تراب النخشبي وهو من رجال الرسالة إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله أي لأنه أدبر عن النور وأقبل على الظلام، فقاس حال أهل الله على حال نفسه. وفي القوت: من لم يكن له مشاهدة من هذا العلم لم يعر عن شك أو عن نفاق، لأنه عار عن علم اليقين، ومن عرى عن علم اليقين وجد فيه دقائق الشك اهـ.

ونقل الشعراني عن القطب أبي الحسن الشاذلي قدس الله سره من لم يتغلغل في علوم القوم مات على غير سنة فيخشى عليه سوء الخاتمة اهـ.

وفي كتاب القصد والسداد لبعض السادة من أهل اليمن قال القطب السيد عبدالله بن أبي بكر العيدروس قدس الله سره: عليك بحسن الظن بالصالحين ومحب محب محبهم، فهو من أعلى المراتب وأجل المواهب ولصاحبه سابقة وعناية وتخصيص وهداية وسوء الظن مذموم مطلقاً. وقال آخر: عليك بحسن الظن، فإنه دليل على نور البصيرة وصلاح السريرة وكفى به سبباً لحصول السعادة ونيل الدرجات، ومن فوائده فائدة يندرج فيها كل فائدة وهي أنه يورث حسن الخاتمة، وثمرته قد لا تظهر إلا عند خروج الروح فيفضي بصاحبه الى السعادة المتضمنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **(وهو علم الصديقين والمقربين)**، وعبارة القوت: واتفقوا على أنه علم الصديقين وأن من كان له نصيب منه فهو من المقربين فوق درجة أصحاب اليمين (**(أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور)** إلهي **(يظهر في القلب)** أي قلب العارف يقذفه فيه **(عند تطهيره)** من الأدناس المعنوية، وإليه يشير قوله تعالى ﴿وثيابك فطهر﴾ [المدثر: ٤] عند من فسر الثياب بالقلب وعند تزكيته أي تصفيته **(من صفاته المذمومة)**، وهذا القول من مختارات أقواله كما سبقت الإشارة إليه في أول الكتاب، وقال بعضهم: المكاشفة الحضور بنعت البيان من غير افتقار إلى تأمل البرهان، فأضيف العلم إليه. وقال الشيخ الأكبر: قد تطلق المكاشفة بإزاء تحقيق الأمانة بالفهم وبإزاء تحقيق زيادة الحال وبإزاء تحقيق الإشارة، **(وتنكشف من ذلك النور)** أي تتجلى له **(أمور)** تخلقاً وتحققاً **(كان يسمع من قبل)** ذلك **(أسماءها)**

المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه، وبصفاته الباقيات التامّات، وبأفعاله، وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة، ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا، والمعرفة بمعنى النبوّة والنبي، ومعنى الوحي، ومعنى الشيطان، ومعنى لفظ الملائكة والشياطين، وكيفية معاداة الشياطين للإنسان، وكيفية ظهور الملك للأنبياء، وكيفية وصول الوحي إليهم، والمعرفة بملكوت السموات والأرض، ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه، ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب

نقلاً وتقليداً (**فيتوهم لها**) بحسب فهمه (**معاني مجملة**) غير مفصلة من غير تحقق فيها (**غير مفصحة**) عن أسرارها. وفي نسخة غير متضحة أي لغموضها ودقتها (**فتتضح**) وتنجلي (**إذ ذاك**) بعد تحققه بهذا العلم (**حتى تحصل**) له (**المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى**) وحقيقته (**وبصفاته التامات**) أي الكمالات الذاتية الثبوتية والسلبية والإضافية وغيرها (**وبأفعاله**) أشار بذلك إلى توحيد الذات والصفات والأفعال (**وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة**) وما فيهما من الأسرار العجيبة (**ووجه ترتيبه للدنيا على الآخرة**) وكونها مزرعة لها ومنظرة إليها، (**والمعرفة بمعنى النبوة والنبي و**) يندرج فيه معرفة (**معنى الوحي**) وأقسامه ودرجاته الآتي بيانها في آخر الباب السابع (**ومعنى لفظ الملائكة**) حملة الوحي وأقسامهم (**والشياطين**) ومراتبهم، وكيفية معاداة الشيطان للإنسان وما سببها وكيف التحرز منهم (**و**) يندرج في معنى الوحي وحامله معرفة (**كيفية ظهور الملك للأنبياء**) على الصور المختلفة ومخاطبتهم ومحادثتهم، (**وكيفية وصول الوحي إليهم**) وينتقل منه (**إلى المعرفة بملكوت السموات والأرض**) أي بحقيقة الأجرام العلوية وأنها خادمة مستغنى عنها وما فيها من الملائكة الموكلين بها والكواكب التي خلقت فيها زينة لها وهداية لخلقه وعلامات لحكم إلهيته، وكذلك الأرض التي جعلها الله مقراً لعباده وبما فيها مما أودعه فيها من العجائب لا كما تزعم الفلاسفة من أمور مخرومة القواعد كبيرة المفاسد، ويندرج فيها معرفة الخلق وسر التخليق مما تحار فيه العقول (**و**) يرجع بعد هذا إلى (**معرفة القلب**) الذي هو أنموذج لتلك العوالم وما فيه من العجائب (**و**) حينئذ تنكشف له (**كيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه**) في تعميره بالأنوار والفيوضات وإفساده بالكلام والأوصاف الذميمة ويندرج فيه (**معرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان**)، ففي بعض الأخبار أن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق بالحق، وأما لمة الشيطان فإيعاذ بالشر وتكذيب بالحق، ثم قرأ ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ الآية [البقرة: ٢٦٨]. وقال بعض الحكماء: إن ولي الله إذا أتته لمة الشيطان انزعج لذلك ورأى ببصيرته ظلمة ووجد روعة، فإذا أتته لمة الملك انشرح صدره، وأولياء الشيطان بخلافه، ويندرج في هذا معرفة الخاطر الذي يعرض من جهة الهوى، (**و**) يتدرج بعد هذا إلى (**معرفة**) دار (**الآخرة**) وعالمها وعجائبها ويندرج في هذا العلم معرفة (**الجنة والنار**) وما لهما من الأحكام، (**و**)

القبر والصراط والميزان والحساب، ومعنى قوله تعالى: ﴿اقرأ كِتابَكَ كَفَى بنفسِكَ الْيومَ عليْكَ حَسِيباً﴾ [الإسراء: ١٤] ومعنى قوله تعالى: ﴿وإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لهي الحيوان لو كانُوا يَعْلمون﴾ [العنكبوت: ٦٤] ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم، ومعنى القرب منه والنزول في جواره، ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين، ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدري في جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله، إذ للناس في معاني

ينكشف له هنا معرفة (**عذاب القبر**) الذي هو البرزخ بين العالمين، (**و**) يندرج في عالم الآخرة معرفة أسرار (**الصراط والميزان والحوض والحساب**) بكيفية المرور عليها واختلاف أحوال المارين، (**و**) بحقيقة وزن الأعمال وما فيه من الأسرار وبحقيقة الحوض ومعرفة من يرد ممن يذاد عنه وبحقيقة الحساب وكيفيته ومن يؤتى كتابه باليمين أو بالشمال، وحينئذ تنكشف له أسرار جملة من القرآن خصوصاً (**معنى قوله تعالى: اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**) [الإسراء: ١٤] أي محاسباً كالجليس بمعنى الجالس وقد يعبر عن المكافيء بالحساب وقوله: ﴿كفى بالله حسيباً﴾ أي محاسباً لهم لأنه لا يخفى عليه من أعمالهم شيء (**ومعنى قوله تعالى: وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون**) [العنكبوت: ٦٤] الحيوان في الأصل مقر الحياة، ثم يقال باعتبارين. أحدهما: ما له حاسة كالحيوانات الحساسة، والثاني: ما له بقاء سرمدي وهو ما وصفت به الآخرة في قوله ﴿لهي الحيوان﴾ ونبه بجر في التأكيد بأن الحيوان الحقيقي السرمدي الذي لا يفنى لا ما يبقى مدة ثم يفنى، وقيل: الحيوان يقع على كل شيء حي ومعناه من صار إلى الآخرة أفلح ببقاء الأبد (**و**) يندرج في عالم الآخرة (**معرفة لقاء الله عز وجل**) ومعنى (**النظر إلى وجهه الكريم**) ولذته (**و**) معنى (**القرب منه والنزول في جواره و**) معرفة معنى (**حصول السعادة**) الأبدية المعبر عنها بثمانية أشياء، كما تقدمت الإشارة إليه (**بمرافقة الملأ الأعلى**) والملأ جماعة تملأ العيون رواء والقلوب جلالة وبهاء (**ومقارنة الملائكة**) فيه تخصيص بعد تعميم (**والنبيين**) والصديقين (**و**) معرفة (**معنى تفاوت درجات أهل الجنان**) على اختلاف منازلهم (**حتى يرى بعضهم البعض كما يرى**) أحدنا (**الكوكب الدري**) أي المضيء (**في جو السماء وإلى غير ذلك مما يطول تفصيله**) فمما يندرج فيما ذكره علم العلوم التي تخلع على أهل الجنة إذا دخلوها وأهل النار إذا دخلوها، وقليل من يكاشف بهذا العلم في هذه الدار وعلم أحكام العوالم التي تحت الأرض السابعة ومعرفة أحكامهم وطبائعهم، وعلم أحكام الملائكة السفرة ومعرفة أماكنهم في السموات ومعرفة علم أسباب العداوات، وعلم كيفية الأفلاك العلوية وهل السماء أكرة في خيمة أو خيمة في أكرة أو تشبه ذلك، وهل تدور الأرض بدورانها أم لا، وهل النجوم

....

سائرة تسري في السماء والسماء ساكنة أو السموات دائرة بما فيها، وقليل من يكاشف بما الأمر عليه في نفسه، وعلم المشيئة الإلهية وكيف قبلها الوعيد في عدم الخلود دون الوعد، مع أن النصوص القطعية قد جاءت بعدم خروج الكفار من النار، وعلم شهود سريان الجنة في أجسام الموحدين وسريان النار في أجسام المشركين، وعلم أسباب الطرد عن دخول حضرة الله، وعلم المشاهدات للأعمال الصالحة الصادرة من العبد، وعلم أحكام الرؤية، وكيف صح للبشر مع غلظ حجابه، وعلم شهود الموت لسائر الجواهر والأعراض من جميع ما تضمنته هذه الدار، وعلم معرفة أصناف المعذبين من هذه الأمة ومعرفة من يعذب في الدنيا والآخرة ومن يعذب في الآخرة فقط وعلم الإلهام والنفث في الروع، وعلم معرفة آداب الملائكة مع ربهم، وعلم معرفة الشهود العام ومنه يعرف أن الوجود السفلي مرآة للعالم العلوي وعكسه، ومنه يشهد العبد الجسم الواحد في مكانين وفي ألف ألف مكان فيجد له صورة في كل ذرة ولا يشهد صورة أحق به من صور، وعلم انتقالات الأرواح في البرزخ، وعلم مراتب الأعمال وشروطها وأركانها وسننها في حضرة الإسلام وحضرة الإيمان وحضرة الإحسان وحضرة الإيقان، وحضرة إسلام الإسلام، وحضرة إيمان الإيمان، وحضرة إحسان الإحسان، وحضرة إيقان الإيقان، وعلم معرفة الدوائر الإلهية ومعرفة كتابها وكيف يكتبون، وعلم معرفة الأعمال التي يتوصل منها إلى معرفة منطق الطيور، وعلم الاستحالات الكونية في سائر أحوالها، وعلم التنزلات على القلوب والأبصار والأسماع، ومعرفة العلوم الخاصة بكل لطيفة من هذه الثلاث، وعلم آداب المعارج الروحية في حال الصلاة وما يصل إليه كل مؤمن في معراجه القلبي من الأماكن السماوية، وعلم آداب تلقي الملائكة المصاحبين للخواطر، وعلم الحياة والإحياء، وعلم أمهات عقائد الخلق من سائر الموحدين، وعلم آداب الجلوس على المنصات الإلهية حال التشهد في الصلاة وهي مائة ألف خصلة، وعلم التجليات الليلية والنهارية ومعرفة آدابها وهو خاص بأهل المراقبة، وعلم خواص الأسماء الإلهية وبيان أن كل إسم منها له خواص وإن كان في كل إسم قوة جميع الأسماء وأنها كلها ترجع إلى الاسم الله وهو علم شريف، وعلم جواهر القرآن ودرره، وعلم تلوينات النفوس والقلوب والأسرار، وعلم الكشف الإلهي وتمييزه من الكشف الشيطاني وسائر مراتبه، وعلم ما ينفرد به الحق تعالى من العلم دون عباده، وعلم ما ينفرد به النبي دون الولي والولي عن غيره من مسائل العبادات والمعاملات، وعلم منازل أهل القربة والآداب المتعلقة بها، وعلم مقامات الرسل وما يتميز بها عن غيره، وعلم حضرات الأسماء، وعلم الأخلاق الإلهية، وعلم آداب العبودية، وعلم علامات الساعة وهي ألف علامة كبرى، وعلم أصناف المقربين من جميع العالم حتى مراتب الجمادات، كما أشار إليه الحديث «أحد جبل يحبنا ونحبه» وعلم تطورات الأعمال الحسنة والقبيحة، وعلم أحكام الجنود في السموات والأرض، وعلم الحياة الدنيا ولماذا اختصت الدار الآخرة باسم الحيوان، مع أن الدنيا مثلها في هذه الصفة عند أهل الكشف، فهذه وأمثالها علوم شريفة لا تنكشف حقائقها إلا لمن قذف له نور اليقين في قلبه، وكل هذه العلوم داخلة في قسم علم المكاشفة، **(إذ للناس في)** معرفة

هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى، فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذي أعده الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء. وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها، وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته، وبعضهم يدعي أموراً عظيمة في المعرفة بالله عز وجل، وبعضهم يقول حد معرفة الله عز وجل ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام: وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم، فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحاً يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه، وهذا ممكن في جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها

(معاني هذه الأمور بعد التصديق) الجازم **(بأصولها مقامات)** ومراتب **(فبعضهم يرى)** ويعتقد **(أن جميع ذلك أمثلة)**، وذلك أنه لما رأى أنه لا يدرك شيء منها بقياس ولا يتصور بواسطة لفظ، ولا يحمل عليه حقيقة، وذلك لغرابتها وكثرة غموضها ودقة معناها وخروجها عن الحدود المألوفة ومباينتها لكل ما نشأوا عليه، ولم يشاهدوا غيره من المحسوسات ومعقولات وضروريات ونظريات، **(وأن الذي أعده الله)** وهيأ **(لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء)** فقط. قال المصنف في الإملاء ويحكى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ليس عند الناس من علم الآخرة إلا الأسماء، **(وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها، وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته)** ويقول العجز عن درك الإدراك إدراك، وهذه المقالة قد حكيت من حضرة الصديق رضي الله عنه ولفظه: العجز عن الإدراك إدراك، **(وبعضهم يدعي أموراً عظيمة في المعرفة بالله)** على قدر المقام الذي أقيم فيه وبحسب الفيض الذي أفيض عليه، **(وبعضهم يقول حد معرفة الله عز وجل ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام، وهو)** معرفته بذاته وصفاته **(أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم)** ويقتصر على ذلك، **(فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء)** وينكشف الحجاب الظلماني ثم النوراني **(حتى يتضح عنده)** ما هو **(الحق)**. وفي نسخة حتى تتضح جلية الحق **(في هذه الأمور اتضاحاً يجري مجرى العيان)** والمشاهدة **(الذي لا يشك فيها)** ولا يمترى وهو مرتبة حق اليقين، وقد ذكر خمسة أقوال في هذا المجال. **الأول:** أن جميع ذلك أمثلة من غير حقيقة، **والثاني:** أن بعضها أمثلة وبعضها حقائق. **والثالث:** أنه لا يعرف كنه ذلك من حيث الإحاطة لعجز عقول البشر، **والرابع:** الادعاء بالمعرفة من حيث الحقائق. **والخامس:** الاقتصار على ما انتهى إليه اعتقاد العوام، ثم قال: ولا يرفع الغطاء عن هذه الأمور ويبين الحق على ما في نفس الأمر إلا من رزق علم المكاشفة، **(وهذا ممكن في جوهر الإنسان)**

وخبثها بقاذورات الدنيا، وإنما نعني بعلم طريق الآخرة: العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله، وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في جميع أحوالهم، فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه، ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعها، وبالعلم والتعليم، وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله، وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة، وبطريق الأسرار، وهذا هو العلم

لما فيه من القابلية الذاتية التي أودعها (**لولا أن مرآة القلب**) المنيرة (**قد تراكم صدؤها وخبثها**) أي وسخها (**بقاذورات الدنيا**) أي نجاساتها، وفي حكم ذلك الاشتغال بالأعمال التي ليس للآخرة فيها نصيب، (**وإنما معنى علم طريق الآخرة**)، وفي نسخة وإنما نعني بتعلم طريق الآخرة (**العلم بكيفية تصقيل هذه**) المرآة (**عن هذه الخبائث**) والأدناس (**التي هي الحجاب**) المانع (**عن الله تعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله**) كما هي وأسرارها وما يترتب عليها، (**وإنما**) يتم (**تصفيتها وتطهيرها بالكف**) أي المنع والاحتماء (**عن الشهوات**) التي للنفس فيها تمام الحظ، وفي نسخة عن الشبهات وهذا هو التخلي (**والاقتداء بالأنبياء**) عليهم السلام أي اتباع طريقتهم (**في جميع أحوالهم**) وهذا هو التحلي (**فبقدر ما ينجلي**) وينكشف (**من القلب ويحاذي**) أي يقابل (**به شطر الحق**) نحوه (**تتلألأ فيه**) أي تظهر وتلمع (**حقائقه**) أي العلم المذكور، (**ولا سبيل إليه**) أي إلى انجلاء قلبه (**إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها**) أي بإذابة النفس في المجاهدات وتذليلها ولها آداب وشروط يأتي بيانها في هذا الكتاب (**في موضعه**) اللائق به (**وبالتعلم**) من مرشد حق على حد قوله:

ولا بد من شيخ يريك شخوصها

وفي نسخة: وبالعلم والتعليم (**وهذه هي العلوم التي**) أمر بكتمانها وأنها (**لا تسطر في الكتب**) لأنها علوم ذوقية كشفية تدرك عن مشاهدة لا عن دليل وبرهان، ولان المسطور في كتاب يقع في يد الأهل وغير الأهل، فإن لم يكن أهلاً لمعرفته يقع في حيرة عظيمة تترتب عليها مفاسد (**ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله**) وإلاَّ فقد وضع الشيء في غير محله، وقد نهى عن ذلك، (**وهو**) أي أهله (**المشارك فيه**) بذوقه السليم وفهمه المستقيم ويكون ذلك التحدث (**على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار**).

وقال المصنف في كتابه (**المنقذ من الضلال**): إنما يجب على العلماء بيان ما تبين لهم من الحق لا ما لا يتبين لهم، وليس أن يبينوا لكل أحد ما بيّن لهم الحق إنما يبينون لكل أحد ما يبلغه عقله وينتفع به لا غير اهـ.

الخفي الذي أراده ﷺ بقوله: « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى، فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالماً آتاه الله تعالى علماً منه، فإن الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه ».

وقال الشيخ الأكبر قدس سره في رسالة أرسلها إلى الشيخ فخر الدين الرازي يقول فيها: وأيضاً فإن العلم بالله خلاف العلم بوحدانيته، وغاية المعقول أن نعرف الله تعالى من حيث كونه موجوداً، أو من حيث السلب والاثبات، وهو خلاف ما عليه الجماعة أصحاب المقامات العلية من العقلاء والمتكلمين إلاَّ سيدنا أبا حامد الغزالي قدس الله سره وروحه، فإنه معنا في هذه القضية، والله تعالى أجل أن يعرفه العقل بفكره وينظره، ولذلك ينبغي للعالي الهمة ان لا يكون تلقيه عند هذا من عالم الخيال وهي الأنوار المتجسدة الدالة على معان وراءها، فإن الخيال من شأنه ان ينزل المعاني العقلية في القوالب الحسية يريك العلم في صورة اللبن، والقرآن في صورة الجبل، والدين في صورة القيد، ثم قال: وينبغي للعاقل أن لا يطلب من العلوم إلا ما تكمل به ذاته وينتقل معه إلى الدار الآخرة ليتأهب لها من هذه الدار بالإيمان والتسليم والخوف إلى آخر ما قال. **(وهذا هو العلم الخفي الذي أراده ﷺ بقوله: « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا أهل المعرفة بالله فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار به فلا تحقروا)** بكسر القاف مخففاً من حد ضرب **(عالماً آتاه الله علماً فإن الله لم يحقره إذ آتاه العلم »)**.

قال العراقي: رواه أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي في الأربعين التي جمعها في التصوّف من رواية عبد السلام بن صالح، عن سفيان بن عيينة، عن ابن جريج، عن عطاء، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله عز وجل، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرّة بالله عز وجل » ومن طريق السلمي رواه الديلمي في مسند الفردوس، وعبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروي ضعيف جدّاً اهـ.

قلت: وأورده السيوطي في اللآلىء المصنوعة فقال: أخرجه الطيسي في ترغيبه فقال: أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن أبو علي حامد بن محمد الرفاء، أخبرنا نصر بن أحمد، حدثنا عبد السلام بن صالح فساقه. وزاد بعد قوله: إلا أهل الاغترار بالله إن الله جامع العلماء يوم القيامة في صعيد واحد فيقول: إني لم أودعكم علمي وأنا أريد أعذبكم. وأورده كذلك في كتابه تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية من هذه الطريق إلا أن فيها: إلا أهل الغرة بالله عز وجل كما عند السلمي اهـ.

ثم قال: وهذا اسناد ضعيف. وعبد السلام بن صالح كان رجلاً صالحاً إلا أنه شيعي وهو من رجال ابن ماجه، وقد اختلف فيه فقال أبو حاتم لم يكن عندي بصدوق، وقال العقيلي: رافضي خبيث، وقال النسائي: ليس بثقة، وقال الدارقطني: رافضي متهم. وقال عباس الدهري: سمعت يحي يوثق أبا الصلت، وقال ابن محرز، عن يحي ليس ممن يكذب، وأثنى عليه أحمد بن

يسار في تاريخ مرو ، وقال السيوطي : فالحاصل أن حديثه في مرتبة الضعيف الذي ليس بموضوع. قال : وقد أورد القطب القسطلاني هذا الحديث في كتاب له في التصوّف وقال : إن له شاهداً من مرسل سعيد بن المسيب اهـ .

قال العراقي : وأما آخر الحديث فرواه أبو عبدالله الحسين بن فنجويه الدينوري في كتاب المعلمين من رواية كثير بن سليم عن أنس ، فذكر حديثاً طويلاً فيه ثم قال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل يقول : لا تحقروا عبداً أعطيته علماً فإني لم أحقره حين وضعت ذلك العلم في قلبه » . وكثير بن سليم ضعيف اهـ .

قلت : وأخرجه ابن عدي في الكامل في ترجمة طلحة بن زيد من حديث أبي موسى الأشعري رفعه « إن الله تبارك وتعالى يقول لا تحقروا عبداً آتيته علماً فإني لم أحقره حين علمته » . وطلحة بن زيد متروك . قال السيوطي : وقد أخرجه الطبراني من طريق صدقة بن عبدالله ، عن طلحة بن زيد به .

قلت : ووجدت في كتاب تأليف الشيخ صفي الدين أبي عبدالله الحسين بن علي بن أبي المنصور ظافر بن الحسين الازدي نازل القرافة في ترجمة شيخه عتيق الدمشقي أنه كان مع شيخه أبي النجاء بالموصل ، وذكر اجتماعه بقضيب البان ، فسأله عن الشيوخ الذين رآهم حال سياحته من المغرب ، فكان يقول : قضيب البان عند ذكر رجل منهم هذا وزنه كذا ، حتى ذكر شيخاً مشهوراً ببلاد المشرق فقال له عند ذكره من الرجال من يرفع صيته ما بين المشرق والغرب ولا يساوي عندالله جناح بعوضة ، ثم قال : قضيب البان يا أبا النجاء أن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا العلماء بالله ولا ينكره إلا أهل الغرة[1] تمم هذا الحديث قال له الشيخ : ما أعرف له تماماً . قال قضيب البان : تمامه : فلا تحقرن عبداً آتاه الله علماً فإن الله لم يحقره حين آتاه ذلك العلم ، وودع الشيخ ومضى وسافر اهـ .

قلت : وهذا الذي ذكره قضيب البان قد جاء في الخبر كما في القوت : إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة .

(وأما القسم الثاني : وهو علم المعاملة) فهو علم أحوال القلب مما يحمد منها ويذم ، قد سبق أن العلم منه المحمود والمذموم والمأمور بطلبه من العلوم قسمان . علم الله ، وعلم بأحكام الله ، ثم أحكام المكلفين على ضربين ظاهر وباطن ، والباطن على قسمين مكاشفة ومعاملة ، فلما فرغ من بيان علم المكاشفة شرع في بيان علم العاملة ، وقسمه كذلك على قسمين محمود ومذموم ، وذلك لأن علم المعاملة عبارة عن علم بالنفوس ومراتبها وتمامها ونقصها ومحاسنها ومعايبها ، ولاجل هذا قال تعالى : ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات : ٢١] وكانت أحكام النفوس منحصرة في

(١) هكذا في الأصل.

كالصبر، والشكر، والخوف، والرجاء، والرضا، والزهد، والتقوى، والقناعة، والسخاء، ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الأحوال والإحسان، وحسن الظن، وحسن الخلق، وحسن المعاشرة، والصدق، والإخلاص، **فمعرفة حقائق هذه الأحوال** وحدودها وأسبابها التي بها تكتسب وثمرتها وعلامتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة، وأما ما يذم، فخوف الفقر، وسخط المقدور، والغل، والحقد، والحسد، والغش، وطلب العلو، وحب الثناء، وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر، والرياء والغضب والانفة والعداوة والبغضاء، والطمع، والبخل،

وصفين. إما ازالة النقص أو تحصيل الكمال، فالأول: داخل في المذموم نظراً إلى تلك الأوصاف التي أمر بإزالتها. والثاني: هو المحمود. وقدم المصنف ما يحمد منها الذي يحصل به الكمال على ما يذم نظراً إلى ظاهر الأوصاف ولشرفها وإلاَّ فكان اللائق تقديم ما عنه يتخلى السالك على ما به يتحلى، فقال: (**أما ما يحمد منها**) أي يستحق الثناء على الاتصاف بها. وبه تحصيل كمال كل سالك (**فكالصبر والفكر**)، وفي نسخة: والشكر بدل الفكر (**والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الأحول والاحسان**) وفي نسخة: والإحساس بدل والإحسان، (**وحسن الظن، وحسن الخلق، وحسن المعاشرة، والصدق، والإخلاص**) وهي ستة عشر، ولكل من ذلك مراتب وأقسام يأتي تفصيلها وبيانها في مواضعها، ويلحق بها أيضاً مثل مجاهدة النفس، والورع، واليقين، والتوكل، والتفويض، والتسليم، والاحتساب في الأعمال، وسلامة الصدر، والمبادرة للأمر، والمراقبة، والمحاسبة، وحسن الطاعة لله تعالى، وحسن المعرفة بالله تعالى، فهذه وأشباهها داخلة في حد المحمود من علم المعاملة. قال: (**فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها**) التي تتميز بها عن غيرها (**وأسبابها**) الظاهرة والباطنة (**التي بها تكتسب**) وتحصل (**و**) معرفة (**ثمراتها**) الحاصلة منها (**و**) معرفة (**علاماتها**) الدالة عليها (**و**) معرفة طرق (**معالجة ما ضعف منها**) بحسب ضعف السالك (**حتى يقوى**) ذلك الحال (**وما زال**) كذلك (**حتى يعود من علم الآخرة، وأما ما يذم**) منها ويسترذل عند أهل الحق (**فخوف الفقر**) ومنشؤه عدم اليقين بالله عز وجل، (**وسخط المقدور**) ومنشؤه عدم التحلي بمقام الرضا، (**والغل**) هو تدرع الخيانة، (**والحقد**) هو الانطواء على العداوة، (**والحسد**) تمني زوال نعمة الغير، (**والغش**) عدم الامحاض في النصيحة، (**وطلب العلو**) والارتفاع والتميز عن الاخوان، (**وحب الثناء**) لنفسه، (**وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع**) بها والاشتغال بشهواتها ولذاتها، (**والكبر**) على اخوانه في سائر أحواله، (**والرياء**) في الأحوال والأفعال والأقوال، (**والغضب**) هو ثوران دم القلب ارادة الانتقام، (**والانفة**) محركة هي الحمية بغير الحق، (**والعداوة**) لأجل أمور الدنيا، (**والبغضاء**) هو نفار النفس عن الشيء الذي يرغب عنه، (**والطمع**) نزوع النفس إلى شيء شهوة له، (**والبخل**) وهو إمساك المال عن مستحقيه،

والرغبة، والبذخ، والأشر، والبطر، وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس، والمباهاة، والاستكبار عن الحق، والخوض فيما لا يعني، وحب كثرة الكلام، والصلف، والتزين للخلق، والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس، وزوال الحزن من القلب، وخروج الخشية منه، وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل، وضعف الانتصار للحق، واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر، والأمن من مكر الله سبحانه وتعالى في سلب ما أعطى، والاتكال على الطاعة، والمكر والخيانة والمخادعة وطول الأمل، والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالمخلوقين، والوحشة لفراقهم والجفاء، والطيش والعجلة، وقلة الحياء، وقلة

(**والرغبة**) هي السعة في الارادة، وقد تطلق على الحرص والشدّة، (**والبذخ**) محركة هو التطاول بالكلام والافتخار، (**والأشر**) محركة هو كفر النعمة، (**وتعظيم الأغنياء**) لأجل غناهم، (**والاستهانة**) أي الإذلال (**بالفقراء**) لأجل فقرهم، (**والفخر**) بالأحساب والأنساب، (**والْخُيَلاء**) بضم ففتح ممدوداً هو التكبر عن تخيل فضيلة تتراءى للإنسان في ضمير نفسه، (**والتنافس**) هو التعالي وقد يكون محموداً فيراد به مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر على غيره ويسمى حينئذ المنافسة، (**والمباهاة**) أي المفاخرة بما عنده من المال أو العلم والجاه، (**والاستكبار**) أي التأنف (**عن**) قبول (**الحق**) ومنشؤه من الاعجاب، (**والخوض فيما لا يعني**) أي لا يكون مقصوداً مهتماً بشأنه، (**وحب كثيرة الكلام**) في المجالس، (**والصلف**) محركة هو التيه، (**والتزين للخلق**) أي لاجل إرادتهم سواء كان في العادات أوالعبادات، (**والمداهنة**) أي الملاينة، (**والعجب**) بالضم تصوّر استحقاق رتبة لا يكون مستحقاً لها، (**والاشتغال عن عيوبه بعيوب الناس**) ومنشؤه الغفلة والاعجاب، (**وزوال الحزن من القلب**) ومنشؤه من عدم الاهتمام بأمور الآخرة، (**وخروج الخشية منه**) ومنشؤه من عدم التقوى، (**وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل**) من أحد وهو الانتصاف وارادة الانتقام، (**وضعف الانتصار للحق**) وعدم المبالاة به، (**واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السر**) أي الباطن، (**والأمن من مكر اللهِ في سلب ما أعطى**) من نعمة ظاهرة أو باطنة، والمكر من جانب الحق هو ارداف النعم مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الأدب، والاتكال على الطاعة ومنشؤه من غرور النفس، (**والمكر**) هو اعمال الحيلة في هدم بناء باهر، (**والخيانة**) هي مخالفة الحق بنقض العهد في السر، (**والمخادعة**) هو اظهار خلاف ما أبطنه، (**وطول الأمل**) في توقع حصول الشيء والأمل يستعمل فيما يستبعد حصوله بخلاف الطمع والرجاء بينهما، (**والقسوة والفظاظة**) هما مترادفان بمعنى غلظة القلب، (**والفرح بالدنيا**) وأحوالها مع الركون إليها، (**والأسف**) محركة أي التحسر (**على فواتها**) وعدم إدراكها، (**والانس بالمخلوقين**) ويدخل فيه عشق الصور الملاح ومنشؤه الغفلة، (**والحجاب والوحشة**

الرحمة؛ فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة. وأضدادها ـ وهي الأخلاق المحمودة ـ منبع الطاعات والقربات، فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة، وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة، فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة، كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا، فنظر الفقهاء في فروض العين بالإضافة إلى صلاح الدنيا، وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة. ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الإخلاص مثلاً أو عن التوكل أو عن وجه

لفراقهم) وهو من لازم الأنس بهم، فإن من أنس بشيء استوحش عند فراقه، **(والجفاء)** هو ترك الرفق في الأمور، **(والطيش)** هو الخفة، **(والعجلة)** أي في الأمور المذمومة، **(وقلة الحياء)** ومنشؤها من ضعف الإيمان، **(وقلة الرحمة)** ومنشؤها من قساوة القلب. **(فهذه)** سبعة وخمسون حالاً في ازالتها عن القلب تحصيل عين الكمال. **(وأمثالها)** من الحرص والقحة وسوء الخلق واتباع الهوى والركون إلى الدنيا والتجبر والظلم والعناد والبغي وغمض الحق والغيبة والنميمة وطلب المغالبة بالباطل والإنكار على أهل الله والاعتراض في المقادير، وغير ذلك مما سيأتي شرحه في ربع المهلكات **(من صفات القلب)** وأحواله التي تعتريه وتعرضه **(مغارس الفواحش)** أي بسببها تنبت فيه الفواحش. أي: القبائح وكل شيء جاوز الحد فهو فاحش، والمغارس: جمع مغرس على القياس أو جمع غرس، **(ومنابت الأعمال المحظورة)** أي الممنوعة شرعاً **(وأضدادها وهي الأخلاق المحمودة)** شرعاً **(منابع الطاعات والقربات)**. وفي تخصيص الغارس والمنابت بالاخلاق المذمومة والمنابع لأضدادها حسن لا يخفى على المتأمل، **(فالعلم بحدود هذه الأمور و)** معرفة **(حقائقها وأسبابها وثمرتها وعلاجها)**، ولم يذكر العلامات اكتفاء أو لوضوحها بخلاف الأحوال المحمودة **(هو علم الآخرة)** المأمور بمحافظته، **(وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة)** لا يتكلمون إلا فيها، وإذا أشكل في شيء منها يبادرون في تفسيرها، **(فالمعرض عنها)** إلى غيرها **(هالك بسطوة مالك الملك)**. وفي نسخة الملوك. وفي أخرى ملك الملوك **(في الآخرة كما ان المعرض من الأعمال الظاهرة)** من صلاة وصيام وحج وزكاه **(هالك بسيف سلاطين الدنيا)** إذا أنكر شيئاً منها **(بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالإضافة إلى صلاح)** أمور **(الدنيا)** ونظامها على وجه الاستدلال والسوية، **(و)** النظر **(في هذا بالإضافة إلى صلاح أمور الآخرة)** وانتظامها. **(ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني)** المذكورة **(حتى عن الاخلاص مثلاً)** الذي هو شرط في الأعمال ويتعلق غرضهم به في الأغلب وهو أوّل أحوال فقيه الآخرة وآخر أحوال فقيه الدنيا، **(أو عن التوكل)** الذي هو من الأمور الظواهر عندهم **(أو عن وجه الاحتراز عن الرياء)** في الأعمال **(لتوقف فيه)** عن الخوض **(مع أنه فرض عينه الذي**

الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الآخرة، ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج إلى شيء منها، وإن احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها، فلا يزال يتعب فيها ليلاً ونهاراً وفي حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين، وإذا روجع فيه قال: اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلمه، والفطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين، بل قدم عليه كثيراً من فروض الكفايات؛ فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه، ثم لا نرى أحداً يشتغل به، ويتهاترون

في إهماله وتركه.هلاكه في الآخرة ولو سألته عن) مسألة في (**اللعان والظهار**) والسلم والإجارة والشفعة (**والسبق والرمي**) وما أشبه ذلك (**لسرد عليك**) أي إملاء من حفظه ما يكون (**مجلدات**) أن جمع (**من التفريعات**) الغريبة (**الدقيقة**) بحيث تحير العقول (**التي تنقضي الدهور**) وتمر الاعصار (**ولا يحتاج إلى شيء منها**) لأنها لم تقع (**وإن احتيج**) إليها بفرض الوقوع (**لم يخل البلد عمن يقوم بها**) ويحررها (**ويكفيه مؤنة**) أي مشقة (**التعب فيها**) بالتحرير والنقل.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية ابن وهب قال: أخبرني موسى بن علي أنه سأل ابن شهاب عن شيءفقال: ما سمعت فيه بشيء وما نزل بنا. قلت: إنه قد نزل ببعض إخوانك فقال: ما سمعت فيه بشيء وما نزل بنا وما أنا بقائل فيه شيئاً اهـ. فهذا كله كان تحرز السلف في عدم الجواب لما لم يقع بهم (**فلا يزال يتعب فيها**) أي في تلك التفريقات الغريبة. وفي نسخة فيه (**ليلاً ونهاراً و**) يدأب (**في حفظه**) على الغيب (**ودرسه**) وتكراره (**وبغفل عما هو مهم نفسه في الدين**) ومقصود لذاته فيه (**وإذا روجع فيه**) بالإنكار عليه فيما هو عليه (**قال**) في الجواب (**اشتغلت به**) كما ترى (**لأنه من**) مسائل الفقه وهو (**علم الدين**) المتفق عليه في ذلك (**وفرض على الكفاية ويلبس**) في جوابه أي يغطي ويشبه (**على نفسه وعلى غيره في تعلمه**) .وفي نسخة في تعليله وهذا ربما يروج عند الأغبياء (**و**) أما (**الفطن**) العاقل النبيه (**يعلم**) ويتحقق (**أنه لو كان**) هذا (**غرضه أداء حق الأمر**) المخاطب (**في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين**) واشتغل به ولكنه عرف ثم أنكر (**بل قدم عليه كثيراً من فروض**) توجهت عليه (**من الكفايات**) مما غيره ليس بقائم به في عصره مع شدّة الاحتياج إليه (**فكم من بلدة من بلاد الإسلام ليس فيها طبيب**) مطلقاً اللهم (**إلاً من أهل الذمة**) كاليهود والنصارى وعبدة الأوثان على إختلاف مللهم (**ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء**) في أحكام الفقه لفقدان الأمانة والعدالة (**ثم لا ترى رأساً أحداً يشتغل به**) أي

على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع، فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإهمال ما لا قائم به؟ هـل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولي الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على الأعداء؟ هيهات هيهات، قد اندرس علم الدين بتلبيس علماء السوء، فالله تعالى المستعان وإليه الملاذ في أن يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان، وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب: كان الإمام الشافعي رضي الله عنه

بالطب قراءة وتعليماً وفي نسخة: يستغل به (**ويتهاترون**) أي يتنافسون ويترامون بأنفسهم (**على**) تحصيل فروع (**علم الفقه**) وما يستنبط بها من النوادر التي لا تقع غالباً (**لاسيما الخلافيات**) فيه (**والجدليات**) التي الغرض منها الزام الخصم باقامة الحجة (**والبلد مشحون**) أي مملوء (**من الفقهاء ممن يشتغل بالفتوى**) أي يحمله استقلالاً (**والجواب عن الوقائع**) والنوازل، (**فليت شعري**) أي ليت عملي حاضراً أو محيطاً بما صنعوا وأصله شعرتي حذفت التاء مع الإضافة لكثرة الاستعمال (**كيف يرخص فقهاء الدين**) أي كيف يرون رخصة وجوازاً (**في الإشتغال بفرض كفاية قام به جماعة**) منهم (**وإهمال ما لا قائم به**) وتركه رأساً (**هل لهذا سبب**) لم نعلمه و(**ليس إلا أن**) علم (**الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولي الأوقاف**) قبضاً واستحقاقاً بنظارة أو تدريس أو تنزل في إحدى المدارس (**والوصايا**) أي الدخول فيها (**وحيازة مال الإيتام**) بأن يكون وصياً عليهم أو قيماً على أموره نظراً إلى ديانته (**وتقلد**) منصب (**القضاء**) العام والخاص، وقد كان السلف يفرون من ذلك (**و**) تقلد (**الحكومة**) والرئاسة على قوم (**والتقدّم به على الأقران**) والأصحاب، ويندرج فيه مشيخة الجوامع والخوانق والتسلط على الاعداء (**بأن ينتصف لنفسه منهم بجاه علمه هيهات هيهات**) وهي كلمة تستعمل لتبعيد الشيء ومنه قول الشاعر:

فهيهات هيهات العقيق ومن به ... وهيهات خل بالعقيق نواصله

وفيها لغات ذكرتها في شرح القاموس (**قد اندرس علم الدين**) وانطمس أثره (**بتلبيس علماء السوء**) وتخليطهم وتصويرهم الباطل بصورة الحق، (**فالله المستعان**) لا غيره (**وإليه اللياذ أي الالتجاء وأصله اللواذ. في بعض النسخ الملاذ**) (**في أن يعيذنا**) أي يخلصنا (**من هذا الغرور**) وهو سكون النفس بما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع (**الذي يسخط الرحمن**) ويغضبه (**ويضحك الشيطان**) ويعجبه ثم لما أحس بأن أهل الظاهر ينكرون ذلك وأشباهه على من يعظهم من أهل الباطن وينسبونهم إلى الجهل شرع في الرد عليهم، فقال: (**وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب**)، وهذه العبارة منتزعة

يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله: كيف يفعل في كذا أو كذا؟ فيقال له: مثلك يسأل هذا البدوي؟ فيقول: إن هذا وفق لما أغفلناه.

من القوت ونصه: وقد كان علماء الظاهر إذا أشكل عليهم العلم في المسألة لاختلاف الأدلة سألوا أهل العلم بالله لأنهم أقرب إلى التوفيق عندهم وأبعد من الهوى والمعصية. **(وكان الشافعي)** رحمه الله ونص القوت منهم الشافعي رحمه الله: كان إذا اشتبهت عليه المسألة لاختلاف العلماء فيها وتكافىء الاستدلال عليها رجع إلى علماء أهل المعرفة فسألهم، وكان **(يجلس بين يدي شيبان الراعي)** أحد الأولياء العارفين المشهورين بالصلاح والتقوى ترجمه الحافظ أبو نعيم باختصار جداً، وكذا الحافظ الذهبي وهذا نصه: شيبان الراعي عبد صالح زاهد قانت لله لا أعلم متى توفي ولا من حمل عنه ولا ذكر له أبو نعيم في الحلية إلا حكاية واحدة عن محمد بن حمزة المربضي قال: كان شيبان الراعي إذا أجنب وليس عنده ماء دعا فجاءت سحابة فأظلته فاغتسل منها، وكان يذهب إلى الجمعة فيخط على غنمه فيجيء فيجدها على حالتها اهـ.

قلت: مات بمصر ودفن بقرب المزني بينه وبين قبر الخياط أحد الصالحين، وزعم أهل أسيوط أنه مدفون عندهم، وقد زرته حين دخلت بها، وذكر المناوي في طبقاته: أن أبا علي بن سينا كاتب شيبان الراعي بما نصه الحكمة صناعة نظرية يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود بأسره في نفسه، وما عليه الواجب فيما ينبغي أن يكتسبه بعلمه فتفوق بذلك نفسه، ويستكمل ويصير عالماً معقولاً مضاهياً للعالم الموجود ويستعد للسعادة القصوى في الآخرة، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية والعقل له مراتب وأسماء بحسب تلك المراتب، فالأوّل هو الذي استعد به الإنسان لقبول العلوم النظرية والصنائع الفكرية وحدة غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية، ثم يترقى في معرفة المستحيل، والممكن والواجب، ثم ينتهي إلى حد يقمع الشهوات البهيمية واللذات الحسية فتنجلي له صورة الملائكة إذا تحلى بحليها ويعلم بغايته وموضعه ولما خلق فأجاب من شيبان الإبله الألكن إلى الحبر أبي علي وصل كتابك مشتملاً على ماهية العقل وحقيقته، وقد ألفيته وافياً بمقصودك لا بمقصودي، وما أظنه أدرك شيبان ولا طبقة من روى عنه فتأمل ذلك، **(كما يقعد الصبي في المكتب بين يدي المعلم)** ونص القوت بين يدي المكتب، **(ويسأله كيف يفعل في كذا وكذا)** لمسائل يذكرها **(فيقال له)** يا أبا عبدالله: **(تسأل هذا البدوي)** أي لأنه كان على هيئتهم ويرعى الغنم ولا يخالط الناس ومعرفة العلوم بعيدة عن مثلهم **(فيقول: إن هذا وفق لما أغفلناه)** وفي القوت: لما علمناه أي قد كشف له الغطاء، فصارت المعلومات عنده يقينية. وفي المقاصد للحافظ السخاوي: أنكر الإمام ابن تيمية اجتماع الإمام الشافعي مع شيبان الراعي فقال ما نصه: ما اشتهر بأن الشافعي وأحمد اجتمعا بشيبان الراعي وسألاه فباطل باتفاق أهل المعرفة، لأنهما لم يدركاه اهـ.

أي: لم يدركا عصره لتقدم وفاته، وقد تقدم أن الذهبي قال: لا أعلم متى توفي وقد أثبت لقيهما إياه غير واحد من العلماء، ففي الفتوحات للشيخ الأكبر قدس سره ما نصه: لما سأله أحد

وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه ويحي بن معين يختلفان إلى معروف الكرخي ولم

والشافعي عن زكاة الغنم قال: على مذهبنا أو مذهبكم إن كان على مذهبنا فالكل لله لا نملك شيئاً، وإن كان على مذهبكم ففي كل أربعين شاة شاة، وعمن نسي صلاة من الخمس لا يدري ما هي ما يلزمه قال: هذا قلب غفل عن الله فيؤدب بإعادة الخمس حتى لا يغفل عن مولاه بعدها اهـ.

وزاد صاحب القوت وقد كان الشافعي اعتل علة شديدة وكان يقول: اللهم إن كان في هذا رضاك فزدني منه فكتب إليه المعافري من سوادمضر يا أبا عبدالله لست وإياك من رجال البلاء، فنسأل الرضا الأولى بنا أن نسأل الرفق والعافية فرجع الشافعي عن قوله هذا وقال: أستغفر الله وأتوب إليه فكان بعد ذلك يقول: اللهم اجعل خيرتي فيما أحب اهـ.

ثم قال صاحب القوت: (و) قد (**كان أحمد بن حنبل**) رحمه الله تعالى (و) أبو زكريا (**يحي بن معين**) بفتح الميم وكسر العين المهملة ابن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن، وقيل: يحي بن معين بن غياث بن زياد بن عون بن بسطام، وقيل: يحي بن معين بن عون بن زياد بن نهار بن خيار بن نهار بن بسطام المري الغطفاني البغدادي الحافظ مولى غطفان، وهو من أهل الأنبار قال أبو بكر الخطيب: كان إماماً ربانياً عالماً حافظاً ثبتاً متقناً. وقال أبو أحمد بن عدي: أخبرني شيخ كاتب ببغداد في حلقة أبي عمران بن الأشيب ذكر أنه ابن عم ليحي بن معين قال: كان معين على خراج الري فمات فخلف لابنه يحي ألف ألف درهم وخمسين ألف درهم فأنفقه كله على الحديث، حتى لم يبق له نعل يلبسه، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام انتهى العلم إلى أربعة. أبي بكر بن أبي شيبة أسردهم له، وأحمد بن حنبل أفقههم فيه، وعلي بن المديني أعلمهم به، ويحي بن معين أكتبهم له، وفي رواية أخرى ربانيو الحديث أربعة فاعلمهم بالحلال والحرام أحمد بن حنبل وأحسنهم سياقة للحديث وأدائه ابن المديني وأحسنهم وضعاً لكتابته ابن أبي شيبة وأعلمهم بصحيح الحديث وسقيمه يحي بن معين. وسئل أبو علي: من أعلم بالحديث ابن معين أو أحمد؟ فقال: أما أحمد فاعلم بالفقه والاختلاف، وأما يحي فأعلم بالرجال والكنى. وقال هارون بن بشير الرازي كاتب ابن معين: استقبل القبلة رافعاً يديه يقول: اللهم إن كنت تكلمت في رجل وليس هو عندي كذاباً فلا تغفر لي، وقال أبو بكر محمد بن مهرويه: سمعت علي بن الحسين بن الجنيد يقول: سمعت ابن معين يقول إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة أكثر من مائتي سنة. قال ابن مهرويه: فدخلت على عبدالرحمن بن أبي حاتم وهو يقرأ على الناس كتاب الجرح والتعديل، فحدثته بهذه الحكاية فبكى وارتعدت يداه حتى سقط الكتاب من يده وجعل يبكي ويستعيدني الحكاية، أو كما قال. ولد سنة ثمان وخمسين ومائة ومات بالمدينة لسبع ليال بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، وغسل على أعواد النبي ﷺ، وحمل على سريره ونودي بين يديه هذا الذي كان ينفي الكذب عن رسول الله ﷺ روى له البخاري ومسلم وأبو داود وروى له الباقون (**يختلفان**) أي يترددان (**إلى**) أبي محفوظ (**معروف**) ابن فيروز الكرخي من المشايخ الكبار مجاب الدعوة يستشفى بقبره يقول البغداديون قبر معروف

يكن في الظاهر بمنزلتها وكانا يسألانه وكيف وقد قال رسول الله ﷺ، لما قيل له: كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده في كتاب ولا سنّة؟ فقال ﷺ: «سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم». ولذلك قيل: علماء الظاهر زينة الأرض والملك، وعلماء الباطن

ترياق مجرب، وهو من موالي علي بن موسى الرضا مات سنة مائتين. وقيل: إحدى ومائتين. وكان استاذ السري السقطي كذا في رسالة القشيري، وقيل: في سنة أربع، والأول أصح والكرخ اسم لعدة مواضع، ومعروف من كرخ بغداد موضع بجانبه الغربي، وقيل: هو من كرخ حداق، وقد ذكرنا تفصيله في شرح القاموس وكان إماماً جليلاً زاهداً سمع الحديث من بكر بن خنيس، والربيع بن صبيح وعنه خلف بن هشام البزار، وله ترجمة واسعة في تاريخ الإسلام للذهبي، وفي الحلية **(ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتها)** أي لأنه غلب عليه الزهد، ونص القوت: ولم يكن يحسن من العلم والسنن ما يحسنانه، **(وكانا يسألانه)** عن المسائل زاد صاحب القوت، وحدثنا عن عبدالله بن أحمد قال: قلت لأبي: بلغني أنك كنت تختلف إلى معروف أكان عنده حديث فقال: يا بني كان عنده رأس الأمر تقوى الله عز وجل اهـ.

وقال الشعراني في الأجوبة المرضية عن العز بن عبد السلام في رسالته مما يدلك على أن القوم قعدوا على قواعد الشريعة وقعد غيرهم على الرسوم ما يقع على يد أحدهم من الكرامات والخوارق ولا يقع ذلك على يد فقيه قط، ولو بلغ الغاية في العلم إلا أن سلك طريقهم واعتقد صحتها، وكان الشيخ قبل ذلك يقول: وهل ثم طريق أو علم غير ما بأيدينا من مسائل الشريعة وأصولها وينكر طريق الصوفية لعدم ذوقه لها واعتقاده فيها انها طريقة زائدة على الشريعة، فلما اجتمع بالشيخ أبي الحسن الشاذلي وأخذ عنه قال ما قال، وكان امام الحرمين ينكر على الصوفية أولاً ثم لما رأى البرهان اعتقدهم، ثم قال: وقد كان الإمام أحمد إذا أشكل عليه أمر سأل عنه أبا حمزة البغدادي ويقول ما تقول في هذه المسألة يا صوفي؟ فإذا قال له معناه كذا وكذا رجع إليه، وكان ابن سريج يتردد إلى مجلس الجنيد والشبلي ويقول: قد استفدت من هؤلاء علوماً لم أجدها عند غيرهم وكانوا إذا سألوه عن شيء من مشكلات الطريق التي يسمعها من الجنيد والشبلي يقول: لم أفهم منها شيئاً لكن صولة الكلام ليست بصولة مبطل اهـ.

وقال صاحب القوت قيل لأحد: لأي شيء ذكر هؤلاء الأئمة ووصفوا؟ فقال: ما هو إلا الصدق الذي كان فيهم. قيل له: ما الصدق؟ قال: هو الإخلاص. قيل له: فما الاخلاص؟ قال: الزهد، قيل: وما الزهد فأطرق ثم قال: سلوا الزهاد وسلوا بشر بن الحرث **(كيف لا)** والذي في القوت بعد قوله سلوا بشر بن الحرث، **(وقد قال ﷺ لما قيل له كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده في كتاب الله ولا السنّة)** وفي نسخة في كتاب ولا سنّة فقال: في الجواب **(سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم»)** الشورى بالضم فعلى من الشورة.

قال العراقي فيه عن علي بن أبي طالب، وابن عباس. أما حديث علي فرواه الطبراني في

زينة السماء والملكوت. وقال الجنيد رحمه الله قال لي السري شيخي يوماً: إذا قمت من

الأوسط من رواية الوليد بن صالح، عن محمد بن الحنفية، عن علي قال: قلت يا رسول الله: إن نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ولا نهي فما تأمرنا؛ قال تشاور والفقهاء والعابدين ولا تمضوا فيه رأي خاصة. رجاله رجال الصحيح. ورواه ابن عبد البر في العلم من رواية ابراهيم بن أبي الفياض، عن سليمان بن بزيع، عن مالك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه منك سنة؟ قال: «اجمعوا له العالمين» أو قال: «العابدين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأي واحد». وفي رواية له: اجمعوا له العابدين من غير شك. قال ابن عبد البر: هذا حديث لا يعرف من حديث مالك إلا بهذا الاسناد، ولا أصل له في حديث مالك عندهم، ولا في حديث غيره، وابراهيم وسليمان ليسا بالقويين والله أعلم اهـ.

وقال ابن يونس: سليمان بن بزيع منكر الحديث، وابراهيم بن أبي الفياض روى عن أشهب مناكير.

وأما حديث ابن عباس فرواه الطبراني من رواية إسحاق بن عبدالله بن كيسان المروزي عن أبيه، عن عكرمة فذكر حديثاً قال فيه، قال علي يا رسول الله: أرأيت إن عرض لنا ما لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه سنة منك؟ قال: «تجعلونه شورى بين العابدين من المؤمنين» الحديث. وعبدالله بن كيسان منكر الحديث قاله البخاري، وابنه إسحاق نسبه الحاكم، وقد ورد من وجه آخر مرسلاً رواه الدارمي في مسنده من حديث أبي سلمة أن النبي ﷺ سئل عن الأمر يحدث ليس في كتاب ولا سنة. قال: «ينظر فيه العابدون من المؤمنين» وهذا إنما يصح من قول ابن مسعود موقوفاً رواه الطبراني وابن عبد البر في إثر طويل، وفيه: فإن أتاه أمر ليس في كتاب الله ولم يقض فيه رسول الله ﷺ، فليقض بما قضى به الصالحون، واسناده ثقات يحتج بهم اهـ.

وفي القوت، وقد روينا في خبر قيل يا رسول الله كيف نصنع؟ فذكر مثل سياق المصنف. وفي آخره ولا تقضوا فيه أمراً دونهم، ثم قال: وفي حديث معاذ، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ قال اقض فيه بما قضى الصالحون، فقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسوله، وفي بعضها اجتهد رأيي، وكان سهل يقول: لا تقطعوا أغراض الدين والدنيا إلا بمشورة العلماء تجدوا العاقبة عند الله تعالى. قيل: يا أبا محمد من العلماء؟ قال: الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله عز وجل على نفوسهم، وقد قال عمر رضي الله عنه في وصيته وشاور في أمورك الذين يخشون الله عز وجل اهـ.

(ولذلك قيل: علماء الظاهر زينة الأرض) كما أن الكواكب زينة السماء **(و)** زينة **(الملك)** وهو عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية، **(وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت)** وهو عالم الغيب المختص بأرواح النفوس، وفيه حسن المقابلة بين الأرض والسماء والملك

عندي فمن تجالس؟ قلت: المحاسبي، فقال: نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين، ثم لما وليت سمعته يقول: جعلك الله صاحب حديث

والملكوت والظاهر والباطن، وقد أورده صاحب القوت فقال: كانوا يقولون علم الظاهر من علم الملك، وعلم الباطن من عالم الملكوت يعنون أن ذلك من علم الدنيا لأنه يحتاج إليه في أمور الدنيا، وهذا من علم الآخرة لأنه من زادها، وهذا هو كما قالوه لأن اللسان ظاهر فهو من الملك وهو خزانة العلم الظاهر، والقلب خزانة الملكوت وهو باب العلم الباطن، فقد صار فضل العلم الباطن على الظاهر كفضل الملكوت على الملك وكفضل القلب على اللسان. **(وقال)** أبو القاسم **(الجنيد)** محمد بن الجنيد النهاوندي الأصل البغدادي القواريري سيد الطائفة، ومقدم الجماعة، وإمام أهل الخرقة، وشيخ طريقة التصوّف، وعلم الأولياء في زمانه، ومشهور العارفين تفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته، وهو ابن عشرين سنة، وسمع الحديث عن الحسن بن عرفة وغيره، واختص بصحبة السري السقطي، والحرث بن أسد المحاسبي، وأبي حمزة البغدادي، وكان ورده كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة توفي سنة ٢٩٨ كما في الطبقات لابن السبكي، وفي الرسالة سنة ٢٩٧ **(قال لي السري)** ابن المغلس أبو الحسن السقطي شيخي، وهو خال الجنيد ومربيه صاحب معروف الكرخي وغيره توفي سنة ٢٥٧ **(إذا قمت من عندي من تجالس؟ فقلت: المحاسبي)** هو أبو عبدالله الحرث بن أسد عالم العارفين في زمانه، وأستاذ السائرين الجامع بين علمي الظاهر والباطن، ويقال: إنما سمي بالمحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه. قال ابن السمعاني: هو إمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام، وكتبه في هذه العلوم أصول من يصنف فيها، وإليه ينسب أكثر متكلمي الصفاتية. قال ابن السبكي: روي عن يزيد بن هارون وطبقته، وعنه أبو العباس بن مسروق، وأحمد بن الحسين بن عبد الجبار، والشيخ الجنيد، وإسماعيل بن إسحاق السراج وغيرهم. قال الخطيب: له كتب كثيرة في الزهد وأصول الدين والرد على المعتزلة والرافضة، وقال جمع من الصوفية: كتبه تبلغ مائتي مصنف. قال الأستاذ أبو عبدالله محمد بن خفيف الشيرازي: اقتدوا بخمسة من مشايخنا والباقون سلموا إليهم أحوالهم. الحرث بن أسد، والجنيد بن محمد، وأبو محمد رويم، وأبو العباس بن عطاء، وعمر بن عثمان المكي لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق، توفي سنة ٢٤٣. **(فقال: نعم خذ من أدبه وعلمه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين)** قال ابن السبكي: وكان الحرث قد تكلم في شيء من المسائل في الكلام في الرد على المبتدعة. قال أبو القاسم النصر اباذي: بلغني أن الإمام أحمد هجره لأجل هذا السبب، أي لأن الإمام أحمد كان يشدد النكير على من يتكلم في علم الكلام خوفاً أن يجر ذلك إلى ما لا ينبغي. قال ابن السبكي: والظن بالحرث أنه إنما تكلم حيث دعت الحاجة ولكل مقصد، **(ثم لما وليت)** عنه بظهري **(سمعته يقول: جعلك الله صاحب حديث صوفياً ولا جعلك صوفياً صاحب حديث)**، وهذا القول أورده صاحب القوت بلفظ: كنت إذا قمت من عند السري قال لي: إذا فارقتني من تجالس؛ فساقه كسياق المصنف **(أشار إلى أن من**

صوفياً ولا جعلك صوفياً صاحب حديث: أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح، ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه.

فإن قلت: فلم لم تورد في أقسام العلوم: الكلام والفلسفة، وتبين أنهما مذمومان أو محمودان؟ فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها، فالقرآن

حصل الحديث والعلم بالأحكام أولاً ثم تصوف أفلح)، لأن التصوف عبارة عن تطهير السرائر وتزكيتها عن الأخلاق المذمومة وهو متوقف على تحصيل العلوم الشرعية يهتدي بها في سلوكه، والمراد من تحصيل الحديث أخذه عن الثقات وحفظه ثم العمل به، والمراد بالعلم التفقه في الدين فيكون من عطف العام على الخاص، **(ومن تصوف قبل)** تحصيل **(العلم)** المعهود **(خاطر بنفسه)** أي أوقعها في الخطر والهلاك ولا يفلح أبداً. وفي القوت بعد ما أورد قول السري هذا ما نصه: يعني انك إذا ابتدأت بعلم الحديث والأثر ومعرفة الأصول والسنن، ثم تزهدت وتعبدت تقدمت في علم الصوفية وكنت صوفياً عارفاً، وإذا ابتدأت بالتعبد والتقوى والحال شغلت به عن العلم والسنن، فخرجت إما شاطحاً أو غالطاً لجهلك بالأصول والسنن، فأحسن أحوالك أن ترجع إلى العلم الظاهر وكتب الحديث لأنه هو الأصل، وقد قيل: إنما حرموا الوصول لتضييع الأصول هي كتب الأصول ومعرفة الآثار والسنن اهـ.

وفي الرسالة للقشيري، ويحكى عن السري أنه قال: المتصوف اسم لثلاث معان وهو الذي لا يطفىء نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم لباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله. وقال الجنيد: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ. قال: وسمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت أبا عمر الأنماطي يقول: سمعت الجنيد يقول: من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يهتدي به في هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنّة، وسمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا نصر الأصفهاني يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول، عن الجنيد: مذهبنا هذا مقيد بالأصول والكتاب والسنّة اهـ.

فهذا وأمثال ذلك مما يؤيد قوله السابق في تقديم الحديث على التصوف، ومن هنا قال بعضهم: من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق.

(فإن قلت: فلم لم تورد في أقسام العلوم) علم **(الكلام وعلم الفلسفة)** مع شدة شهرتها وإكباب الناس على تحصيلها **(وتبين انهما مذمومان)** فيتركان **(أو محمودان)** فيعتنى بهما؛ **(فاعلم أن)** علم **(الكلام)** وهو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها، **(وحاصل ما يشتمل عليه)** علم **(الكلام من الأدلة التي ينتفع بها فالقرآن**

والأخبار مشتملة عليه، وما خرج عنها فهو إما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سيأتي بيانه، وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق، وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الأسماع، وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين

والاخبار) النبوية **(مشتملة عليه وما خرج عنها)** أي: عن الكتاب والسنّة **(فهو)** لا يخلو من حالتين. **(إما مجادلة مذمومة)** نهى الشارع عنها **(وهي من البدع كما سيأتي بيانه، وإما مشاغبة)** أي مخاصمة مع رفع الصوت **(بالتعلق بمناقضات الفرق)** أي المسائل التي ناقض بها بعضهم بعضاً، **(وتطويل)** وقت **(بنقل المقالات)** الكثيرة المختلفة **(التي أكثرها ترهات)** أي بواطل. قال الزمخشري: والترهات في الأصل للطرق الصغيرة المتشعبة من الجادة، ثم استعيرت في الأقاويل الخالية عن طائل **(وهذيانات)** لا مزية فيها **(تزدريها)** أي تحقرها **(الطباع)** السليمة **(وتمجها)** تلقيها **(الأسماع)** المستقيمة، **(وبعضها خوض)** واشتغال **(فيما لا يتعلق بالدين)** أصلاً.

وفي سياق هذا الكلام رد على بعض جهال المناطقة الزاعمين أن الشريعة خطاب للجمهور ولا احتجاج فيها، وأن الأنبياء دعوا الجمهور بطريق الخطاب والحجج للخواص، رهم أهل البرهان يعنون نفوسهم، ومن سلك طريقتهم وربما تعلق بعضهم بظاهر قوله تعالى: ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم﴾ [الشورى: ١٥]، وهذا الذي فهموه ليس بشيء، ومعنى الآية قد وضح الحق واستبان وظهر، فلا خصومة بيننا وبينكم بعد ظهوره ولا مجادلة، فإن الجدال شريعة موضوعة للتعاون على إظهار الحق، فإذا ظهر الحق ولم يبقَ به خفاء فلا فائدة في الخصومة والجدال على بصيرة، فمخاصمة المنكر ومجادلته عناد لا غنى فيه. هذا معنى هذه الآية.

وأما إنكارهم الاحتجاج في القرآن فمن جهلهم بالشريعة والقرآن، فإن القرآن مملوء من الحجج والأدلة والبراهين في مسائل التوحيد، وإثبات الصانع والمعاد، وإرسال الرسل وحدوث العالم، فلا يذكر المتكلمون وغيرهم دليلاً صحيحاً على ذلك إلا وهو في القرآن بأفصح عبارة وأتم معنى، وقد اعترف بذلك حذاقهم من المتقدمين والمتأخرين، فمن ذلك تقرير المصنف السابق، ومن ذلك قال الفخر الرازي في كتابه أقسام اللذات: لقد تأملت الكتب الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطريق طريقة القرآن أقرأ في الاثبات ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠] ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] وأقرأ في النفي ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي، وقال بعضهم: أفنيت عمري في الكلام أطلب الدليل، وإذا أنا لا أزداد إلا بُعداً عنه فرجعت إلى القرآن أتدبره وأتفكر فيه، وإذا أنا بالدليل حقاً معي وأنا لا أشعر به، فقلت: والله ما مثلي إلا كما قال القائل:

ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر الأول. وكان الخوض فيه بالكلية من البدع، ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنّة، ونبغت جماعة لفّقوا لها شبهاً ورتبوا فيها كلاماً مؤلفاً، فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذوناً فيه، بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة إلى البدعة، وذلك إلى حد محدود ـ سنذكره في الباب الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى ـ (وأما الفلسفة) فليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء.

أحدها: الهندسة والحساب، وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه

ومن العجائب والعجائب جمّة ... قرب الحبيب وما إليه وصولُ
كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمولُ

وإذا هو كما قيل بل فوق ما قيل:

كفى وشفى ما في الفؤاد فلم يدع ... لذي أرب في القول جداً ولا هزلا

والمقصود: أن القرآن مملوء بالاحتجاج وفيه جميع أنواع الأدلة والأقيسة الصحيحة، وأمر ﷺ فيه بإقامتها، وهذه مناظرات القرآن مع الكفار موجودة، ومناظراته ﷺ وأصحابه لخصومهم لا ينكرها إلا جاهل مفرط في الجهل، كما سيأتي بيان ذلك في كتاب قواعد العقائد، ثم اعتذر المصنف فقال: **(ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر الأوّل)** عند الصحابة والتابعين، **(فكان الخوض فيه بالكلية من البدع)** والمنكرات، **(ولكن تغير الآن حكمه)** باختلاف الأزمنة **(إذ حدثت البدع)** من المبتدعة **(الصارفة عن مقتضى نص القرآن والسنّة)**، ومقتضى النص ما لا يدل اللفظ عليه ولا يكون ملفوظاً لكن يكون من ضرورة اللفظ، **(ونبغت)** أي ظهرت **(جماعة لفّقوا)** أي جمعوا **(لها)** لتلك البدع **(شبهاً)** وايرادات **(ورتبوا فيها كلاماً مؤلفاً)** يقرؤه الناس، **(فصار ذلك المحذور)** أي الممنوع منه **(بحكم الضرورة)** والاحتياج **(مأذوناً)** بالتكلم **(فيه)** تعلماً وتعليماً، **(بل صار)** القدر المحتاج إليه **(من فروض الكفايات)**. وقال السبكي: ولا شك أن السكوت عنه ما لم تدع إليه الحاجة أولى، والكلام فيه عند فقد الحاجة بدعة وحيث دعت إليه الحاجة فلا بأس به، **(وهو القدر الذي يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة)** أي دعاء الناس **(إلى البدعة)** وحملهم عليها، **(وذلك إلى حد محدود)** معين، وما زاد وتجاوز عن ذلك الحد فمضر مذموم، وذلك المحدود **(سنذكره في الباب الذي يلي هذا)** إن شاء الله تعالى. **(وأما الفلسفة)** وهي معرفة علوم يحصل بها التشبه بأخلاق الإله بحسب الطاقة البشرية لتحصيل السعادة الأبدية في زعمهم، **(فليست علماً برأسها بل هي أربعة أجزاء)** يطلق على الكل بهذا الإسم.

(أحدها: الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق وما يمنع منهما إلا من يخاف عليه أن

أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة؛ فإن أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما إلى البدع، فيصان الضعيف عنهما ـ لا لعينهما ـ كما يصان الصبي عن شاطىء النهر خيفة عليه من الوقوع في النهر، وكما يصان حديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار خوفاً عليه، مع أن القوي لا يندب إلى مخالطتهم.

الثاني: المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه، ووجه الحد وشروطه، وهما داخلان في علم الكلام.

يتجاوزهما إلى علوم مذمومة) داخلة فيها كما يأتي بيانه، **(فإن أكثر الممارسين لهما)** المشتغلين بهما **(قد خرجوا منهما إلى البدع)** ولم يكتفوا بالوقوف عليها، **(فيصان الضعيف)** العقيدة **(عنه لا لعينه، كما يصان الصبي عن شاطىء النهر خيفة من الوقوع في النهر)** فيكون سبباً لهلاكه، **(وكما يصان حديث العهد بالإسلام)** قبل أن يتمكن الإيمان في قلبه **(عن مخالطة الكفار خوفاً عليه)** في إفساد عقيدته **(مع أن القوي)** في إسلامه **(لا يندب إلى مخالطتهم)** ولا يؤذن له مع أمنه على دينه وتحرير كلامه فيه إن أنواع الفلسفيات الأربعة: رياضية ومنطقية وإلهية وطبيعية، فالرياضة على أربعة أقسام:

الأول: علم الادثماطيقي وهو معرفة خواص العدد وما يطابقها من معاني الموجودات التي ذكرها فيتاغورس، وتحته علم الوفق وعلم الحساب الهندي، وعلم الحساب القبطي والزنجي، وعلم عقد الأصابع.

الثاني: علم الجومطريا وهو علم الهندسة بالبراهين المذكورة في اقليدس، ومنها علمية وعملية وتحتها علم المساحة، وعلم التكسير، وعلم رفع الأثقال، وعلم الحيل المائية والهوائية والمناظر والحرب.

الثالث: علم الأسطرقوميا وهو علم النجوم بالبراهين المذكورة في المجسطي، وتحته علم الهيئة والميقات والريح والتحويل.

الرابع: علم الموسيقى وتحته علم الايقاع والعروض، فهذا كله النوع الأول من الفلسفيات.

(والثاني: المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه). وفي المنقذ من الضلال للمصنف وهو نظر في طرق الأدلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان وكيفية تركيبها وشروط الصحيح وكيفية ترتيبها اهـ.

وهذا باعتبار الموضوع وباعتبار الغاية آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ، ويسمى أيضاً علم الميزان، وسماه أبو نصر الفارابي رئيس العلوم، ولكونه آلة في تحصيل العلوم الكسبية النظرية والعملية لا مقصوداً بالذات سماه ابن سينا بخادم العلوم، وهما داخلان في علم الكلام، وقد اختلف في الاشتغال به على أقوال: فمنهم من جعله فرض عين وبناه على عدم ايمان المقلد، وهو أبعد الأقوال وأليق بأن يقال لصاحبه:

....

أوردها سعد وسعد مشتمل	ما هكذا يا سعد تورد الإبل

ومنهم: من قال فرض كفاية، وإليه أشار السيد الجرجاني وغيره، وقد ردّه ابن القيم فقال: لا فرض إلا ما فرضه الله ورسوله. فيا سبحان الله هل فرض الله على كل مسلم أن يكون منطقياً، فإن فرض الكفاية كفرض العين في تعلقه بعموم المكلفين، وإنما يخالفه في سقوطه بفعل البعض، والمنطق لو كان علماً صحيحاً كان غايته أن يكون كالمساحة والهندسة ونحوها، فكيف وباطله إضعاف حقه وفاسده، وتناقض أصوله، واختلاف مبانيه يوجب مراعاتها للذهن أن يزيغ في فكره ولا يؤمن بهذا إلا من قد عرفه وعرف فساده وتناقضه اهـ.

ونقل عن المصنف في كتابه المستصفى في أوّله: هذه مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلمه أصلاً، وهذا الذي ردّ عليه أبو عمرو بن الصلاح، وأقام عليه النكير في ذلك، وحرم الاشتغال به، وتبعه الإمام النووي، وسيأتي الجواب عنه قريباً. وأوّل من بيّن فساده وتناقضه ومناقضة كثير منه للعقل الصريح، وألف فيه أبو سعيد السيرافي النحوي، ثم القاضي أبو بكر بن الطيب، والقاضي عبدالجبار، والجبائي وابنه، وأبو المعالي، وأبو القاسم الأنصاري، وخلق لا يحصون، وآخر من تجرد لذلك تقي الدين بن تيمية الحافظ، فإنه أتى في كتابيه الكبير والصغير بالعجب العجاب وكشف أسرارهم وهتك أستارهم، وبه أفتى الحافظ جلال الدين السيوطي وألف فيه (القول المشرق في تحريم المنطق) ونقل فيه عن الأئمة الأربعة ما يدل على تحريمه، وهو في الحقيقة مختصر ما في كتابي ابن تيمية مع زيادات فرعية، وقد رد عليه أبو عبدالله محمد بن عبد الكريم المغيلي من المغاربة. وقال ابن القيم في الرد على المنطق نظماً:

واعجبا لمنطق اليونان	كم فيه من افك ومن بهتان
مخبط لجيد الاذهان	ومفسد لفطرة الإنسان
ومبكم للقلب واللسان	مضطرب الأصول والمباني
على شفا هارٍ بناه الباني	أحوج ما كان عليه العاني
يخونه في السر والإعلان	يمشي به اللسان في الميدان
مشي مقيد على صفوان	متصل العثار والتواني
كأنه السراب من قيعان	بدا لعين الظامىء الحيران
فأمه بالظن والحسبان	يرجو شفاء علة الظمآن
فلم يجد ثم سوى الحرمان	فعاد بالخيبة والخسران
يقرع سن نادم حيران	قد ضاع منه العمر في أماني

وخائن الخفة في ميزان

ثم قال: وما كان من هوس النفوس بهذه المنزلة فهو بأن يكون جهلاً أولى منه بأن يكون علماً تعلمه فرض كفاية أو فرض عين، وهذا الشافعي وأحمد، وسائر أئمة الإسلام وتصانيفهم، وسائر

....

أئمة العربية وتصانيفهم، وأئمة التفسير وتصانيفهم لمن نظر فيها هل راعوا فيها حدود المنطق وأوضاعه، وهل صح لهم علمهم بدونه أم لا، بل كانوا أجل قدراً وأعظم عقولاً من أن يشغلوا أفكارهم بهذيان المنطقيين، وما دخل المنطق على علم إلا وأفسده وغيّر أوضاعه وشوّش قواعده اهـ.

وقال علي القاري: هو من العلوم المذمومة ويسمى دهليز الكفر. ونقل عن ابن تيمية أنه قال: ما أظن الله عز وجل يغفل على المأمون ولا بد أن يعاقبه بما أدخل على الأمة من نقل هذا العلم من اليونانية إلى العربية اهـ.

وأما الجواب عن الغزالي فيما أورده عليه ابن الصلاح على مقالته التي سبقت في أول كتابه المستصفى، فقال الشيخ تقي الدين السبكي بعد كلام طويل: ولا ننكر فضل الشيخ تقي الدين بن الصلاح وفقهه وحديثه وقصده الخير، ولكن لكل عمل رجال، وأما من ذكر أبا بكر وعمر رضي الله عنهم في هذا المقام، فالله يوفقنا وإياه لفهم مقامها على قدرنا، وأما على قدرهما فمستحيل بل وسائر الصحابة لا يصل أحد ممن بعدهم إلى مرتبتهم، لأن أكثر العلوم التي نحن نتبع ونداب فيها الليل والنهار حاصلة عندهم بأصل الخلقة من اللغة والنحو والتصريف وأصول الفقه، وما عندهم من العقول الراجحة، وما أفاض الله عليها من نور النبوة العاصم من الخطأ في الفكر يغني عن المنطق وغيره من العلوم العقلية، وما ألف الله بين قلوبهم حتى صاروا بنعمته إخواناً يغني عن الإستعداد في المناظرة والمجادلة، فلم يكونوا يحتاجون في علمهم إلا إلى ما يسمعونه من النبي ﷺ من الكتاب فيفهمونه أحسن فهم، ويحملونه على أحسن محمل، وينزلونه منزلته، وليس بينهم من يماري فيه ولا يجادل ولا بدعة ولا ضلالة، ثم التابعون على منوالهم قريباً منهم، ثم أتباعهم وهم القرون الثلاثة التي شهد النبي ﷺ بأنها خير القرون بعده، ثم نشأ بعدهم وربما في أثناء الثاني والثالث أصحاب بدع وضلالات، فاحتاج العلماء من أهل السنة إلى مقاومتهم ومجادلتهم ومناظرتهم حتى لا يلبسوا على الضعفاء أمر دينهم، ولا يدخلوا في الدين ما ليس منه. ودخل في كلام أهل البدع من كلام المنطقيين وغيرهم من أهل الإلحاد شيء كثير، ورتبوا عليها شبهاً كثيرة، فإن تركناهم وما يصنعون استولوا على كثير من الضعفاء وعوام المسلمين والقاصرين من فقهائهم وعلمائهم فأضلوهم وغيّروا ما عندهم من الاعتقادات الصحيحة، وانتشرت البدع والحوادث، ولم يكن كل واحد يقاومهم، وقد لا يفهم كلامهم لعدم اشتغاله به، وإنما يرد على الكلام من يفهمه، ومتى لم يرد عليه تعلو كلمته، ويعتقد الجاهلون والأمراء والملوك المستولون على الرعية صحة كلام ذلك المبتدع، كما اتفق في كثير من الأعصار وقصرت همم الناس عما كان عليه المتقدمون، فكان الواجب أن يكون في الناس من يحفظ الله به عقائد عباده الصالحين ويدفع به شبه الملحدين، وأجره أعظم من أجر المجاهد بكثير، وبه يحفظ أمر بقية الناس وعبادات المتعبدين واشتغال الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمقرين وانقطاع الزاهدين:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

فاللائق بابن الصلاح وأمثاله أن يشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه من الخير، وما قيض له الغزالي وأمثاله الذين تقدموه حتى حفظوا له ما يتعبد وما يشتغل به اهـ.

وقال العلامة الحسن اليوسي في حاشيته على الكبرى ما نصه: وممن تفوّه بذمه السيوطي ذكر في كتابه الحاوي في الفتاوي أنه سئل عن إنسان كان يقول أن توحيد الله متوقف على علم المنطق، وأن علم المنطق فرض عين على كل مسلم، وأن لكل متعلم منه بكل حرف عشر حسنات، ولا يصح توحيد من لا يعلمه وإن أفتى وهو لا يعلمه فما يفتي به باطل. فأجاب بأن المنطق خبيث مذموم يحرم الإشتغال به، وذكر أنه لا ثمرة له دينية أصلاً بل ولا دنيوية، وذكر جماعة نقل عنهم ذلك، ثم ذكر أن المنطق لو قدر أنه لا ضرر فيه وأنه حق لم ينفع في التوحيد أصلاً ولا يظن أنه ينفع فيه إلا من هو جاهل بالمنطق لا يعرفه، لأن المنطق إنما براهينه على الكليات والكليات لا وجود لها في الخارج، ولا تدل على جزئي أصلاً. قال: هكذا قرره المحققون والعارفون بالمنطق. قال: فهذا الكلام الذي ذكره القائل استدللنا به على أنه لا يعرف المنطق ولا يحسنه، فلزم بمقتضى قوله أنه مشرك لأنه قال: التوحيد متوقف على معرفته وهو لم يعرفه بعد هذا حاصل الغرض من كلامه، وقد علمت مما مر سقوط هذا الكلام وما احتوى عليه من التخيلات والأوهام. أما قوله: أنه خبيث مذموم فهو دعوى تقدم بيان فسادها، وأما قوله: إنه لا منفعة له فإنكار للمحسوس ولكن:

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وكيف يحكم عليه بعدم الفائدة وهو لا يعرفه لكن من جهل شيئاً عاداه.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

فإذا كنت بالمدارك غراً ثم أبصرت حاذقاً لا تمادي

وإذا لم تر الهلال فسلم لا ناس رأوه بالأبصار

وأما قوله: إن الكليات لا وجود لها في الخارج فأعجب أن يصدر هذا الكلام احتجاجاً في نحو هذا المقام عن عاقل فضلاً عن فاضل وما كنت أحسبه بهذه المنزلة، ولقد كنت أراه رحمه الله تعالى يرتفع عنها وممن له مشاركة، وهذا الكلام ينبىء أنه لم يشم رائحة المعقول وتلزمه عليه شناعات.

منها: أن هذا الكلام الذي استدل به يستدعي ويقتضي أنه يزعم أن جميع العلوم التي ينتحلها خارجية أي محسوسة، وهذا مع بداهة بطلانه ومضاهاته قول السمنية، وكونه من قبيل السوفطائية يقتضي أنه لم يدرك قانوناً فقهياً ولا أصولياً ولا نحوياً ولا غير ذلك، وإن جميع ما يذركه منها جزئيات خارجية إذ لو كان غير ذلك لكان مما يفيده المنطق فتكون له ثمرة، ولا خفاء إن من كان

....

بهذه المثابة ليس له من العلوم مشاركة، ولا يستحق جواباً ويقتضي أنه لم يدرك شيئاً من العلوم أصلاً، لأن جميع النسب ليست خارجية بل معان إما كلية أو جزئية، وهذه المنزلة لم يكن فيها شيء من الحيوانات الناطقة ولا العجم، أما الناطقة فلأنها تدرك الثلاثة أعني المعاني الكلية والصور الخارجية، والمعاني الجزئية موجودة في الصور أم لا، وأما العجم فلأنها تدرك الصور والمعاني الجزئية الموجودة فيها. أما الحاضر المدرك في الخارج فليس من الحيوانات أصلاً.

ومنها: أن هؤلاء العلماء الذين نقل عنهم هذا يلزمه أن لا يثق بنقلهم لأنهم فساق حيث اشتغلوا بالمنطق المحرم لاعترافه أنهم عارفون به.

ومنها: ما يفعله أئمة الأصول والكلام في تأليفهم بتصدير الكتاب بجملة من المنطق كصاحب المختصر، وصاحب الطوالع وغيرهما حرام، ويلزمه أن لا يقرأ شيئاً من هذه الكتب أو أن يتخطى ذلك الموضع.

منها: أنه يلزمه أن لا يدرك إلا الكتاب والسنة ويحرم ما سواهما كما تقدم من مذهب الحشوية، والظاهرية، لأن علم الكلام إنما هو على منوال المنطق إلى غير هذا من النكت السوء التي يسفر عنها وجه هذا الكلام مع ما قبله وما بعده، ومفاسد قلة التأمل أكثر من أن يحيط بها نطاق البيان، ومن ادعى على غير بصيرته فضحته شواهد العيان، ولو تصدينا لهذه المسألة لأسمعناك منها ما يثلج الصدور ويطلع في سمائها لوامع البدور، ولكن أعرضنا عنها مخافة السآمة، وقد كنت هممت لما اطلعت على ذلك الكلام أن أضع فيها جزءاً مستقلاً، فرأيت ذلك كالبطالة، ولولا أن يستميل البلداء ما في مقالتي من الإغراب، ويظنوا أنه هو فصل الخطاب لكان السكوت عن هذه المسألة رأساً هو الصواب وإعارتها أذناً صماء هو غاية الجواب.

ورب كلام طار فوق مسامعي　　　كما طار في لوح الهواء ذباب

وما قصدنا بهذا الكلام تنقيص العلماء ولا اهتضام الجلال السيوطي، وإنما ألزمناه ذلك لكلامه وإنا نعلم أنه من الفضلاء، وأنه ليس بتلك المنزلة التي ألزمناه، لكن وإن كان بعين التوقير والإجلال، فالحق أحق أن يتبع، ومن كلام أرسطو الحكيم في حق شيخه أفلاطون إنا نحب الحق ونحب افلاطون ما اتفقا فإذا اختلفا كان الحق أولى منه. هذا إن أراد تحريم المنطق رأساً، وأما إن أراد الزجر عن التوغل فيه والإفراط والإشتغال بتمشيدق فيه عن الكتاب والسنة، أو أراد نهي البليد عن الخوض فيه، فهذا مسلم صحيح، وكذا بطلان ذلك الكلام المسؤول عنه، وما ذكر في المنطق هو كذلك، وبعد كتبي هذا رأيت كلام الشيخ الماهر الفقيه المتبحر أبي عبدالله محمد بن عبد الكريم المغيلي في رده على السيوطي وكان السيوطي إذا ألف تأليفاً بعثه إليه، فلما ألف تأليفه الذي سماه (**القول المشرق في تحريم المنطق**) بعثه إليه فرد عليه المغيلي غاية الرد، وبالغ في الإنكار عليه، وقال في ذلك قصيدة منها:

....

سمعت بأمر ما سمعت بمثله	وكل حديث حكمه حكم أصله
أيمكن أن المرء في العلم حجة	وينهى عن الفرقان في بعض قوله
هل المنطق المعني إلا عبارة	عن الحق أو تحقيقه حين جهله
معانيه في كل الكلام فهل ترى	دليلاً صحيحاً لا يرد لشكله
أو هل هداك الله منه قضية	عن غير هذا تنفها عن محله
ودع عنك أبداه كفور وذمه	رجال وإن اثبت حجة نقله
خذ العلم حتى من كفور ولا تقم	دليلاً على شخص بمذهب مثله
عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن	به لا بهم إذ هم هداة لأجله
لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم	وكم عالم بالشرع باح بفضله

وأراد بالفرقان المنطق لأنه يفرق بين الخطا والصواب، وفي قوله: أن أثبت حجة نقله مع قوله قبله ما سمعت، وقوله عقبة: لئن صح عنهم ما ذكرت إشارة إلى عدم تسليم صحة ما نقله، وتأمل ما أشار إليه رحمة الله تعالى في أبياته من الردود القاطعة والأجوبة القامعة، ولولا خشية الإطالة لوشحنا هذه الأبيات بما يحرر في هذا المبحث أقصى الغايات وتنصب على منهجه سواطع الآيات اهـ كلام اليوسي رحمه الله تعالى.

قلت: أعلم أن الشيخ أبا الوفاء الحسن بن مسعود اليوسي، وأبا عبدالله محمد بن عبد الكريم المغيلي لا ينكر فضلها ولا جلالة قدرهما، وأين هما من معرفة مقام السيوطي، فإن لكل علم رجالاً، ولنقدم قبل الخوض في الكلام بمقدمة لطيفة، ثم نتكلم معهما بالإنصاف وإن لم أبلغ شأوهما إن الإنسان قد ينشأ في قطر ألف أهله فناً من الفنون وتعودوا على تحصيله فيربى عليه من الصغر حتى يصير ذلك عادة له وذيدناً، كما يتربى اللحم والعظام على القدر المعتاد، والعادة إذا قويت غلبت حكم الطبيعة، ولذا قيل: هي طبيعة ثانية ثم يأتيه ما يخالفه وهلة واحدة يريد إزالته واخراجه من قلبه، وإن يسكن موضعه فيعسر عليه الإنتقال ويصعب عليه الزوال، وهذا أغلب الأسباب على أرباب المقالات والنحل ليس على أكثرهم بل جميعهم، إلا ما عسى أن يشذ إلاّ عادة ومربى تربى عليه طفلاً لا يعرف غيره ولا يحس به، فالإنتقال عنه كالإنفكاك عن الطبيعة إلى طبيعة ثانية.

وكان قطر المغرب المحروس في أول ما نشأ فيه الإسلام الغالب على أهله الميل إلى علوم الشريعة، وعدم الخوض في علوم الفلسفة رأساً، فكان فيهم مثل الإمام الحافظ بقي بن مخلد القرطبي صاحب المسند المشهور، وابن حزم، وابن عبد البر وأمثالهم، ثم القاضي عياض، وأبو عبدالله المازري والطرطوشي وأمثالهم، فهؤلاء كانوا في غاية الصلابة في علوم الشريعة وذم الفلسفة وعدم النظر في كتبهم، ولما كان القرن الخامس وفد جماعة منهم إلى عراق العجم ونقلوا عنهم المنطق وغيره، فكان من الإمام المازري وابن حزم والقاضي عياض ما كان في افتائهم

....

بإحراق كتاب الأحياء لما رأوه على طريقه غريبة تخالف ظاهر طريقة الفقهاء، وكان من ابن رشد ما كان من الطامات، ثم في الأواخر ظهرت من جبال تقوسة والجربة قوم خوارج نظروا في الفلسفة وخالطوا علماء الإسلام وأوردوا عليهم شبهاً لفقوها، فاحتاج علماء ذلك العصر إلى الخوض في المنطق، وتوغلوا في الكلام لأجل الرد عليهم خوفاً منهم على ضعفاء العقائد من المؤمنين، حتى جاء القطب الكامل أبو عبدالله سيدي محمد بن السنوسي الحسني نفع به، فتصدى للرد عليهم وبالغ في الإنكار والتعصيب لمدافعتهم، فألف رسائل في المنطق والكلام وشغل الناس بها، وفي آخر الأمر دعا عليهم فأبادهم الله تعالى وكفى الله المؤمنين شرهم. وكان قصده في ذلك جميلاً لأنه ذب عن عقائد المسلمين وحماها عن التسلط بإيراد الشبه عليها، وأتى من بعده من العلماء والفضلاء فولع بطريقته مع صلاح المشار إليه وشهرته بالكرامات في ذلك القطر، وتلقاها خلف عن سلف وخاضوا فيها، صاروا أئمة في ذلك يشار إليهم بالبنان، ثم اختلط الأمر بعد ذلك ونشأ بعدهم من تلقى عنهم ذلك، أنه لا كمال إلا فيما هو مشتغل به، فصار ما يشتغل به من المنطق وغيره كالغذاء له، فلا يسمع فيه عذل عاذل ولا لوم لائم، حتى نزعت رواية الحديث والآثار الأخبارية بقيت على نهج الرعيل الأول، حتى ترى عصر شيوخ مشايخنا منهم الذين وفدوا مصر لم يكن عندهم من الرواية إلا شيء قليل فبسبب ذلك راج أمره في مصر، وكبوا على تحصيله بعد أن لم يكونوا يشتغلون به إلا مذاكرة في بعض الأحيان تشحيذاً للأذهان، وهذا هو السبب في اضمحلال علم الحديث ودروس آثاره وقلة حملته وذهاب أحباره، فإذا عرفت ما ذكرناه لك إجمالاً فاعلم أن قول السيوطي في جواب السائل أنه أي المنطق خبيث صحيح، وتقرير ذلك أن القلب يعترضه مرضان يتواردان عليه إذا استحكما فيه كان هلاكه وموته، وهما مرض الشهوات وهو أصعبها وأقتلها للقلب، وإليه يشير قوله تعالى في حق المنافقين: ﴿في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً﴾ [البقرة: ١٠] وقوله تعالى: ﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم﴾ [الحج: ٥٣] ومن أمراض القلب حب الرئاسة والعلو في الأرض، وهذا المرض مركب من مرض الشهوة والشبهة، فإنه لا بد فيه من تخيل فاسد وإرادة باطلة كالعجب والفخر والخيلاء والكبر المركب من تخيل عظمته وفضله، وإرادة تعظيم الخلق له ومحمدتهم، فلا يخرج مرضه عن شهوة أو شبهة أو مركب منهما، وهذه الأمراض إذ تدبرت لها بالفكر الصحيح مفسدة للقلب متولدة من المنطق، فهو أحرى بأن يسمى خبيثاً، لذلك فإن الخبيث ضد الطيب وما يفسد القلب الذي هو خزانة الله لأسرار معرفته فهو خبيث مخبث، وإذا فسد القلب فسد الفكر فلا يخطر بباله سوى مناقضات ومجادلات مذمومة بينها وبين علماء الآخرة فرق كثير، وأما قول السيوطي: أنه مذموم فصحيح أيضاً نظراً لما ذكرنا، وناهيك من ذمه من علماء الإسلام كأبي سعيد السيرافي النحوي، وأبي طالب المكي، والقاضي أبي بكر بن الطيب، والإمام أبي المعالي، وأبي القاسم الأنصاري وأبي عمرو بن الصلاح، والشرف النووي، والحافظ ابن تيمية وغيرهم وهم كثيرون، فهؤلاء أساطين الإسلام وعمد الدين، وكفى للسيوطي أسوة

....

بهؤلاء من جالينوس وأفلاطون، وكونه علماً برأسه مسلم، ولكن كم من علم هو معلوم لصاحبه وصاحبه يسمى بذلك عالماً إلا أنه ليس من العلوم التي ينفع صاحبه في الآخرة، بل من علوم الدنيا المورث للصفات المتقدمة وكونه وسيلة إلى العلوم مسلم، ولكن أكثر بحوثه ومسائله فضلة لا يفتقر معرفة الخطاب وفهمه عليها، بل أكثرها ترهات وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين أصلاً، فكيف يقال أن تعلمها واجب، ونحن نقول أن المطلوب الواجب من العبد من العلوم والأعمال إذ توقف على شيء منها كان ذلك الشيء واجباً وجوب الوسائل، ومعلوم أن ذلك التوقف يختلف باختلاف الأشخاص والألسنة والأذهان، وليس لذلك حد مقدر. ولعمري أن الشيطان حريص على إيقاع العبد في أسباب طرق الهلاك لا يفتر يقظة ولا مناماً، ولا بد له إذا أيس من أن يحول بينه وبين الإيمان الذي هو غاية مراده أن يوقعه في إحدى هؤلاء إما أن يحرضه على البدعة وهي أحب إليه من المعصية، فإن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها، لأن صاحبها يرى أنه على هدى، وإما أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه، وأما أن يسلط عليه حزبه يرمونه بالعظام ليشغل قلبه عما هواهم، وأيضاً فإن اشتغال الفكرة في صدر تحصيله مرض للقلب، وأمراض القلوب أصعب من أراض الأبدان لأن غاية مرض البدن أن ينضي بصاحبه إلى الموت، وأما مرض القلب فيقضي بصاحبه إلى الشقاء الأبدي، وأين هذا من قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ [يونس: ٥٧] بل جعل بعضهم الإشتغال به نوعاً من الغفلة وبمنزلة عشق الصور الذي سئل عنه بعض العلماء فقال: قلوب غفلت عن ذكر الله فابتلاها الله بعبودية غيره، وأنت لا تجد في كتب هؤلاء ذكر الله وذكر رسوله قط ما عدا الخطبة، ولا تجد مجالسهم إلا مشحونة بالجدال المذموم والخصام المنهي عنه، والرد والتعبير والطعن والتحقير، ومن مارسهم عرف منهم ذلك، وما كان بهذه المثابة فاحرى أن يبذر في القلب أنواع الأماني والشبهات والشهوات والخيالات فيثمر كل شوك وكل بلاء، ولا يزال يمده بسقيه حتى ينطوي على القلب ويعميه، وليس له دليل أوضح من المعاينة. وانظر إلى الحديث: « نعوذ بالله من علم لا ينفع » والمنطق لا ينفع صاحبه نعم في الدنيا لكونه يورث الجاه والسمعة والرئاسة والعلو على الإخوان، وانظر إلى الحديث: « من تعلم العلم ليماري به السفهاء أو يجاري به العلماء أو يصرف وجوه الناس إليه لم يرح رائحة الجنة ». وهذه الأوصاف الثلاثة موجودة في المنطق.

وأخرج أبو نعيم في الحلية: « من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يشم رائحة الجنة ». والمنطق ليس مما يبتغي به وجه الله، وإن فرض ذلك لكونه وسيلة فلا يتعلمه الإنسان إلا لإصابة غرض من الدنيا كالجاه والشهرة والرئاسة، وهذا في علماء العجم المتأخرين الذين أكبوا على تحصيله ليلاً ونهاراً وصرفوا نفائس أعمارهم عليه معلوم لا يحتاج إلى برهان، وإن كنت في ريب من ذلك فطالع تراجمهم وأحوالهم ومناظراتهم في مجالس الملوك.

....

وقول السيوطي أنه لا ينفع في التوحيد أصلاً فصحيح أيضاً، فإنه ليس المراد بقوة الإيمان الحاصل من التوحيد ما كان موثقاً بالبراهين المنطقية كما يوهمه قولهم، وإنما هو هجوم العلم بصاحبه على حقيقة الأمر، وعلامته إنشراح الصدر لمنازل الإيمان وانفساحه وطمأنينة القلب لأمر الله والإنابة إلى ذكر الله ومحبته والفوز بلقائه والتجافي عن دار الغرور، كما في الأثر المشهور: إذا دخل النور القلب انفسخ وانشرح. قيل: وما علامة ذلك قال: التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والإستعداد للموت قبل نزوله، وهذا هو العلم التام وهو العاصم من الخطأ في الفكر.

وقال الحافظ الذهبي: في زغل العلم المنطق نفعه قليل وضرره وبيل، وما هو من علوم الإسلام، والحق منه كامن في النفوس الزكية بعبارات غريبة، والباطل منه فاهرب منه، فإنك تنقطع مع خصمك وأنت تعرف أنك المحق، وتقطع خصمك وتعرف أنك على الخطأ، فهي عبارات دهاشة ومقدمات دكاكة، فنسأل الله السلامة، وإن قراءته للفرجة لا للحجة وللدنيا لا للآخرة، فقد عذبت الحيوان وضيعت الزمان والله المستعان، وأما الثواب فتيأس منه ولا تأمن من العقاب إلا بمتاب اهـ.

وأعلم أنه يستعين العالم عند المشكلات في الدين، ويحتاج إلى العارف عند شبهات حك الصدور كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا تزالوا بخير ما إذا حاك في صدور أحدكم شيء وجد من يخبره به ويشفيه منه، وأيم الله أوشك أن لا تجدوا ذلك، وقد حصلت في زمانك هذا في مثل ما خافه ابن مسعود لأن مشكلة لو وردت في معاني التوحيد، وشبهة لو اختلجت في صدر مؤمن من معاني صفة الموحد، وأردت كشف ذلك على حقيقة الأمر مما شهده القلب الموفق ويثلج له الصدر المشروح بالهدى، لكان ذلك عزيزاً في وقتك هذا، فإنك إن استكشفتها من المتكلمين المناطقة الذين هم رؤساء علم التوحيد الآن إفتاك بتصبور علمه عن شهادة الموقنين، وبقياس معقوله على ظاهر الدين، وهذا شبهة فكيف تنكشف شبهة بشبهة، ولقد أنكر أحمد بن حنبل على الحرث المحاسبي رحمهما الله تعالى في الرد على المعتزلة فقال له الحرث: الرد على المبتدعة فرض؟ فقال له أحمد: نعم، ولكن حكيت شبهتهم أولاً، ثم أجبت عنها فبم تأمن أن يطالع الشبهة من يتعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت إلى الجواب، أو ينظر في الجواب من لا يفهم كنهه، وكذا أنكر على المصنف إذ كشف عن تحقيق مذاهب المبتدعة للرد عليهم وهو ببغداد وقالوا له: هذا سعي لهم فإنهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل هذه الشبهة لولا تحقيقك.

وبالجملة: فالإشتغال بالمنطق اشتغال في فضول العلوم وغرائب الفهوم، فإن المقصود بشهادة التوحيد الخالصة من خفايا الشرك وشعب النفاق هو حسن الأدب في المعاملة بمعرفة ويقين، وذلك هو حال العبد من مقامه بينه وبين ربه عز وجل وحظه من مزيد آخرته والمشتغل به مشتغل بصلاح قالبه وظواهر أحواله عن باطن حاله وسبب ما بلي به حب الرئاسة وطلب الجاه عند

....

الناس والمنزلة بموجب السياسة والرغبة في عاجل الدنيا، فأذهب أيامه لأيامهم واذهب عمره في شهواتهم ليسمى عالماً، ويكون في قلوب الطالبين عندهم فاضلاً، وقد جعل الله لكل عمل عاملاً ولكل علم عالماً أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب كل ميسر لما خلق له، والمشتغل بالمنطق تراه في أكثر مناظراته يتكلم فيما لم يتكلف، ويجادل فيما لم ينطق فيه السلف، ويتعلم ويعلم ما علمه بتكلف. وقد ورد في بعض الأخبار: الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق، وفي بعضها مفسراً والعي عن اللسان لا عن القلب، وفي خبر آخر أن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتحلل الكلام بلسانه، كما تتحلل البقرة الخلا بلسانها، والخلا: الحشيش الرطب.

وقال الحافظ الذهبي في النصيحة وهي رسالة صغيرة أرسلها إلى بعض أصحابه ما نصه: ما أحلى قول الأوزاعي عليك بآثار من سلف ولو رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فنبيك ﷺ هو القائل: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» وخرج رسول الله ﷺ وهم يتنازعون في القدر فكأنه فقىء في وجهه حب الرمان وقال: أبهذا أمرتم وذكر الحديث، فمن خاض في علم الكلام والجدل والمراء والمنطق طالباً لحقيقة معرفة حق الله تعالى فقد أخطأ الطريق ومآله إلى ثلاثة أحوال. **أردؤها**: أن يتزلزل إيمانه ويشك فيما كان مستيقناً من التوحيد الفطري والإيمان القرآني وربما تزندق. **والثاني**: أن يتحير ويظلم قلبه ويتنكر عيشه من تلك الشبه الرديئة التي لا تشفي غليلاً في الغالب. **والثالث**: أنه لا يزداد بها إيماناً قبل النظر فيها فعلم الكلام داء الدين، وعلم السنة دواء الدين، وعلم الذكر والموعظة قوت الدين وحياة الدين، فمن أدخل نفسه في مرض، فإما أن يكون فيه خفه، وإما أن يصير جسده دائم العلة يفيق تارة وينتكس أخرى، وإما أن يعافى من مرضه فيقوم كما كان رأساً برأس اهـ.

ثم ذكر اليوسي رحمة الله تعالى أنه تلزم السيوطي في جوابه شناعات فذكرها.

ومنها: أن هؤلاء العلماء الذي نقل عنهم هذا يلزم أن لا يثق بنقلهم الخ. فالجواب عنه أن مثل هؤلاء الذين نقل عنهم يثق بنقلهم في خصوص ما يتعلق بهذا الفن، لأنهم زعماء فيه ولا يوثق بهم في علوم غيره، وكما يوثق بنقل الطبيب في علم الطب ولا يوثق بنقله في غيره، وكما يوثق بنقل بعض المبتدعة تقريرات قواعدهم لأجل الرد عليهم، وهذا ظاهر، ولكن شدة التعصب دعت الذابين عن الحق إلى تطويل النزاع، ثم قال:

ومنها: أن ما يفعله أئمة الأصول والكلام في تأليفهم بتصدير الكتاب بجملة من المنطق كصاحب المختصر وصاحب الطوالع وغيرهما حرام، ويلزمه أن لا يقرأ شيئاً من هذه الكتب أو أن يتخطى ذلك الموضع، فأقول: صاحب المختصر والطوالع وأضرابهم إنما صدروا كتبهم بجملة من المنطق بعض مسائل كتبهم عليها ولا يمتري أحد منهم أنه من جملة الفلسفة المنهي عن

....

الإشتغال بها، فلا يلزم السيوطي إن تخطي تلك الجمل واستفاد من بقية الكتاب، فيأخذ منه ما صفا ويدع ما كدر، ولا أن تركها رأساً فإنه ليس بمأمور في قراءتها.

فإن قلت: كيف يستفيد من الكتاب مع توقف مسائله على تلك الجمل؟

قلت: يستفيد منه كما يستفيد الإمام الشافعي رضي الله عنه الذي هو أول من استنبط علم أصول الفقه. أتظن أنه استعان في استنباطه ذلك على البراهين المنطقية، أو خلطه حين أملاه بالجمل المنطقية فتأمل غاية التأمل ودع ما تطابق عليه الناس، والحق أحق ان يتبع، وانظر إلى هؤلاء العلماء المتقنين الذين صنفوا في الإسلام كتباً هي مدار أهل الإسلام وعمدتهم في فنون شتى هل خلط أحد منهم بشيء من الجمل المنطقية وحشا فيه من العلوم الفلسفية؟ ولا أراك تنكر ذلك، فلماذا لا ترجع إلى الحق الصريح ولا تجد في العصر الأول من القرن الرابع والخامس من كان يتكلم فيه إلا القليل ممن أقامه الله لرد المبتدعة وضلال الفرق، مع أن هؤلاء الفرق كانت في العصور الأول أكثر من هذا الزمان ومن قبل هذا كثير، ثم هؤلاء الذين اشتغلوا بهِ لما فرغوا من القدر المحتاج إليه تنصلوا عنه وتباعدوا وانفصلوا واقبلوا على علوم الآخرة كما هو ظاهر من حال المصنف لمن طالع كتابه المنقذ من الضلال، ومن حال الفخر الرازي وغيره، ومن طالع تراجمهم وأحوالهم ظهر له ما ذكرت، ثم قال:

ومنها: أنه يلزمه أن لا يدرك إلا الكتاب والسنة ويحرم ما سواهما الخ فاعلم أن السيوطي لا يجهل أن مدارك العلوم بعد الكتاب والسنة آثار الصحابة والإجماع والقياس مثلاً، ولا يفهم من سياقه ما نسبه إليه الشيخ وأعيذه أن يوهمه بمجرد معنى يفهمه من لوازم منطوقه، وقوله: لأن علم الكلام على منوال المنطق أي داخل في حده، ولذلك ذم علم الكلام من ذم. وأخرج الحاكم من رواية الربيع بن سليمان قال: ناظر رجل الشافعي في مسألة فدقق والشافعي ثابت يجيب ويصيب، فعدل الرجل إلى الكلام في مناظرته فقال له الشافعي: هذا غير ما نحن فيه هذا الكلام لست أقول بالكلام واحدة فأخرى(١) ليست المسألة مقلوبة، ثم أنشأ يقول:

متى تعصبت بالباطل الحق يأبه ... وإن قدت بالحق الرواسي تنقد
إذا ما أتيت للأمر من غير بابه ... ضللت وإن تقصد إلى الباب تهتدي

وقال أبو يوسف رحمه الله: من طلب العلم بالكلام تزندق، وقال الإمام أحمد: العلم إنما هو ما جاء من فوق يعني إلهاماً. وقال أيضاً: علماء أهل الكلام زنادقة، وغير ذلك مما سيأتي للمصنف في قواعد العقائد، فإنما ذم الكلام لأجل هذه التهويلات والتشكيكات التي خلطت به حتى صار بعد أن كان شرعياً ملحقاً بالفلسفيات، ثم قال: وما قصدنا بهذا الكلام تنقيص العلماء ولا اهتضام الجلال الخ.

---

(١) هكذا في الأصل.

....

قلت: وهذا كما قال القاضي الحافظ أبو بكر في تاريخه في ترجمة الإمام أبي حنيفة رحمه الله ما نصه: قد سقنا عن أيوب السختياني، وسفيان الثوري، وابن عيينة، وأبي بكر بن موسى وغيرهم من الائمة أخباراً كثيرة تتضمن تقريظ أبي حنيفة والمدح له والمحفوظ عند نقلة الحديث من أئمة المتقدمين وهؤلاء المذكورين. منهم في أبي حنيفة خلاف ذلك وكلامهم فيه كثير لأمور حفظت عليه يتعلق بعضها بأصول الديانات، وبعضها بالفروع نحن ذاكروها بمشيئة الله تعالى ومعتذرون إلى من وقف عليها وكره سماعها بأن أبا حنيفة عندنا مع جلالة قدره أسوة غيره من العلماء اهـ.

ولا يخفى أن قصده خلاف ما ذكر من المعذرة، وإنما قصده الشناعة جرأة منه على هذا الشيخ، وإني لأتعجب في تقريره كلام المغيلي على تسميته بالفرقان غاية العجب، كيف سماه بأسماء الكتب المنزلة الإلهية، وكذا أنكر على الإمام أبي القاسم الرافعي حين سمى شرحه على الوجيز بالعزيز، ولكن له أسوة بابن سينا حيث سماه رئيس العلوم، وكذا في قوله في قصيدته: ما سمعت بمثله وهذا يرشدك إلى أن ما بلغه من كلام العلماء المحققين ممن ألف كتباً عديدة وبالغ في ذمه حيث أفهم كلامه ان السيوطي هو الذي أبدع في الذم، وخالف كلمة الإجماع، فإنه لو بلغه كلامهم لم يقل ما قال، وإنما كلام السيوطي وتأليفه فيه نقط في بحر كلام السلف، ولو علم بسبب قيام ابن الصلاح، ويوسف الدمشقي، وابن تيمية على المصنف لأعذر السيوطي في تقريره، مع أن المصنف قد أبدى عذراً لنفسه في كتابه (**المنقذ من الضلال**) وذكر سبب خوضه فيه، ثم التنصل عنه بعد ذلك، ثم قول المغيلي في قصيدته ودع عنك أبداه كفور وذمه، ثم قوله: خذ العلم حتى من كفور مما تمجه الطباع وتنفر عنه الاسماع، وكذا قوله: لئن صح عنهم ما ذكرت، وقول اليوسي أنه إشارة إلى عدم تسليم صحة ما نقله عجيب، وهل يجوز العقل أن يتلقى كلام الحكماء ومدحهم فيه ومن تمذهب بمذهبهم، ولا يسلم نقل حفاظ الإسلام ونقلة العلم وحماة الدين ويطرح كلامهم رأساً بمرة، فتأمل في هذا المقام غاية التأمل مع الإنصاف ودع الاعساف وفصل الخطاب فيه ما قاله المصنف في المنقذ من الضلال فاعتمده، واترك القيل والقال، وهذا نصه بعد ان ذكر أقسام علوم الفلسفة.

وأما المنطقيات؛ فلا يتعلق شيء منها بالدين نفياً وإثباتاً، بل هو نظر في طرق الأدلة والمقاييس وشروط مقدمات البرهان، وكيفية تركيبها، وشروط الحد الصحيح، وكيفية ترتيبها، وأن العلم بها إما تصوّر وسبيل معرفته الحد، وإما تصديق وسبيل معرفته البرهان، وليس فى هذا ما ينبغي أن ينكر، بل هو من جنس ما ذكره المتكلمون وأهل النظر في الأدلة، وإنما يفارقونهم في العبارات والإصطلاحات وبزيادة الاستقصاء في التفريقات والتشعبيات، ومثال كلامهم فيه قولهم: إذا ثبت أن كل «أ ب» لزم أن بعض «ب أ» فإذا ثبت ان كل إنسان حيوان لزم ان بعض الحيوانات إنسان، ويعبرون عن هذا بأن الموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية، وأي

والثالث: الإلهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته، وهو داخل في الكلام أيضاً، والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم، بل انفردوا بمذاهب: بعضها كفر وبعضها بدعة، وكما أن الاعتزال ليس علماً برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة، فكذلك الفلاسفة.

تعلق لهذا بمهمات الدين حتى يجحد وينكر، وإذا أنكر لم يحصل من إنكاره عند أهل المنطق إلا سوء الاعتقاد في عقل المنكر، بل في دينه الذي يزعم أنه موقوف على مثل هذا الانكار. نعم لهم نوع من الظلم في هذا العلم، وهو أنهم يجمعون للبرهان شروطاً تعلم أنه يورث علم اليقين لا محالة، لكنهم عند الانتهاء إلى المقاصد الدينية ما يمكنهم الوفاء بتلك الشروط بل يتساهلوا غاية التساهل، فربما ينظر في المنطق أيضاً من يستحسنه ويراه واضحاً فيظن أن ما ينقل عنهم من الكفريات مؤيد بتلك البراهين فيستعجل الكفر قبل الانتهاء إلى العلوم الإلهية، فهذه الآفة أيضاً يتطرق إليه اهـ كلامه والله أعلم.

(**والثالث: الإلهيات**) وهي خمسة أنواع. علم الواجب وصفته، وإليه الإشارة بقوله: (**وهو بحث عن ذات الله وصفاته**). الثاني: علم الروحانيات وهي معرفة الجواهر البسيطة العقلية العنائية التي هي الملائكة. الثالث: العلوم النفسانية وهي معرفة النفوس المتجسدة والأرواح السارية في الأجسام الملكية والطبيعية من الفلك المحيط إلى مركز الأرض. الرابع: علم السياسات وهي خمسة أنواع. الأول: علم سياسة النبوة. الثاني: علم سياسة الملك وتحته الفلاحة والرعاية. الثالث: علم قود الجيش ومكائد الحرب والبيطرة وآداب الملوك. الرابع: العلم المدني كعلم سياسة العامة وعلم سياسة الخاصة وهي سياسة المنزل. الخامس: علم سياسة الذات وهو علم الأخلاق، (**وهو أيضاً داخل في الكلام**) أي بالنظر إلى النوع الأول من أنواعه الخمسة. (**والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم، بل انفردوا بمذاهب بعضها بدعة وبعضها كفر، فكما أن الاعتزال ليس هو علم برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة**)، وقد أشبع المصنف في هذا المقام في كتابه المنقذ من الضلال، فقال: وأما الإلهيات ففيها أكثر أغاليطهم وما قدروا على الوفاء بها بالبراهين على ما شرطوا في المنطق، ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيه ومجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً يجب تكفيرهم في ثلاثة منها وتبديعهم في سبعة عشر، ولإبطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب (**التهافت**) وأما المسائل الثلاث: فقد خالفوا فيها كافة الإسلاميين، وذلك في قولهم: إن الأجسام لا تحشر، وإن المثاب والمعاقب هي الأرواح المجردة والعقوبات روحانية لا جسمانية، وكفروا بالشريعة فيما نطقوا بـه، ومن ذلك قولهم: إن الله يعلم الكليات دون الجزئيات، وهذا أيضاً كفر صريح، بل الحق أنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ومن ذلك قولهم: بقدم العالم وأزليته، فلم يذهب أحد من المسلمين إلى شيء من ذلك، وأما السياسات فجميع كلامهم يرجع إلى الحكم المصلحية المتعلقة بالأمور الدنيوية

والرابع: الطبيعيات، وبعضها مخالف للشرع والدين الحق، فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في أقسام العلوم، وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء، إلا أن الطبيب ينظر في بدن الإنسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح، وهم ينظرون في جميع الأجسام من حيثُ تتغير وتتحرك؛ ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج إليه. وأما علومهم في الطبيعيات فلا

والإمامة السلطانية، وإنما أخذوها من كتب الله المنزلة على الأنبياء، ومن الحكم المأثورة عن سلف الأولياء. وأما الخلقية؛ فجميع كلامهم فيها إلى حصر صفات النفس وأخلاقها وذكر أجناسها وأنواعها وكيفية معالجتها ومجاهدتها، وإنما أخذوها من كلام الصوفية وهم المتألهون المثابرون على ذكر الله تعالى، وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطريق إلى الله بالأعراض عن ملاذ الدنيا، وقد انكشف في حالاتهم من أخلاق النفس وعيوبها وآفات أعمالها ما صرّحوا به فأخذتها الفلاسفة ومزجوا بها كلامهم توسلاً بالتجمل إلى ترويج كلامهم الباطل، ولقد كان في عصرهم بل في كل عصر جماعة من المتألهين لا يخلي الله سبحانه وتعالى العالم عنهم، فإنهم أوتاد الأرض ببركاتهم تنزل الرحمة على أهل الأرض، كأصحاب الكهف فتولد من جهة كلام النبوّة وكلام الصوفية في كتبهم آفتان. آفة في حق القائل، وآفة في حق الراد، ثم أطال في ذلك بما ليس موضع ذكره هنا.

(**الرابع: الطبيعيات**) وهو النوع الرابع من علوم الفلسفة، والطبيعي علم يبحث فيه عن أحوال سائر الأجسام الطبيعية وموضوعه الجسم، وهو على سبعة أنواع. علم المبادىء وهو معرفة خمسة أشياء لا ينفك عنها جسم، وهي الهيولى، والصورة، والزمان، والمكان، والحكمة. الثاني: علم السماء والعالم وما فيه. الثالث: علم الكون والفساد. الرابع: علم حوادث الجوّ. الخامس: علم المعادن. السادس: علم النبات. السابع: علم الحيوان، ويدخل فيه علم الطب وفروعه. (**وبعضها مخالف للشرع والدين الحق، فهو جهل وليس بعلم حتى يورد في العلوم، وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها، وهو شبيه بنظر الأطباء إلا أن الطبيب ينظر في بدن الإنسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح، وهم ينظرون في جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك، ولكن للطب فضل عليه**) ومزية (**وهو أنه محتاج إليه**) لتعلقه ببدن الإنسان، (**وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة إليها**).

قال المصنف في (**المنقذ من الضلال**) وأما الطبيعيات؛ فهو بحث عن أجسام العالم. السموات وكواكبها، وما تحتها من الاجسام المفردة كالسماء والهواء والتراب والنار، ومن الأجسام المركبة كالحيوان والنبات والمعادن، وعن أسباب تغيرها واستحالتها وامتزاجها، وذلك يضاهي بحث الطبيب عن جسم الإنسان وأعضائه الرئيسة والخادمة، وأسباب استحالة مزاجها ولا ينكر فيه إلا على مسائل مبينة ذكرناها في كتاب (**تهافت الفلاسفة**) وما عداها مما تجب المخالفة فيها، فعند

حاجة إليها. فإذاً الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخيلات المبتدعة، وإنما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة الإنسان إلى استئجار البذرقة في طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق، ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج؛ فلذلك لو ترك

التأويل يتعين أنها مندرجة تحتها، وأصل جلتها أن تعلم أن الطبيعة مسخرة لله تعالى لا تعمل بنفسها، بل مستعملة من جهة فاطرها، والشمس والقمر والنجوم والطبائع مسخرات بأمره لا تعمل بنفسها بل لا فعل لشيء منها بذاته عن ذاته اهـ.

(**فإذاً الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية**)، وأيده ابن السبكي في مواضع من طبقاته، والمراد به علم العقائد بالحجج الشرعية والبراهين النقلية، وهو أشرف العلوم الدينية لانه يبحث فيه عما يتوقف صحة الإيمان عليه وتتماته اللازمة لديه، وأما ما تنصب فيه الأدلة العقلية وتنقل فيه أقوال الفلاسفة والحكماء الطبيعية، فقد نقل ذمه نص الإمام الشافعي رضي الله عنه: لأن يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام. وذكر في غياث المفتي عن أبي يوسف: أنه لا يجوز الصلاة خلف المتكلم وإن تكلم بحق لأنه مبتدع، ولا تجوز خلف المبتدع.

وقال صاحب القوت: اعلم أن علم الكلام ينقسم سبعة أقسام. العلم منه قسم واحد وسائر الستة لغو مطروح يلتقطه من لا يعرفه ولا يفرق بين العلم والجهل، والعرب تقول: لكل ساقطة لاقطة ولكل قائلة ناقلة، فالستة إفك وسفه وخطأ وظن وزخرف ووسوسة هذه أسماؤها عند العلماء يفصلون ذلك مما فصل الله تعالى من بيانه، واستحفظهم من كتابه، وجعلهم شهداء على دينه وعباده. والقسم السابع من أقسام الكلام هو ما عدا هذه الستة، ولم يقع على اسم منها إسم مذموم فهو علم وهو نص القرآن والسنة، أو ما دلا عليه واستنبط منهما أو وجد فيهما اسمه ومعناه من قول وفعل، والتأويل إذا لم يخرج من الإجماع داخل في العلم والاستنباط إذا كان مستودعاً في الكتاب يشهد له المجمل ولا ينافيه النص فهو علم اهـ.

(**حراسة**) أي حفظاً (**لقلوب العوام**) في اعتقاداتهم (**عن تخيلات المبتدعة**) وشبههم التي يلقونها (**وإنما حدث ذلك**) بعد عصر السلف (**بحدوث البدع**) المستنكرة (**كما حدثت حاجة استئجار البذرقة**) أي الخفراء (**في طريق الحج لحدوث ظلم العرب**) وتعديهم (**وقطعهم الطريق**) على الحاج، (**ولو ترك العرب عدوانهم**) وامتنعوا من قطع الطريق (**لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج**) إشارة إلى ما قاله الفقهاء من شروط الحج أمن الطريق، وهو أن يكون الغالب فيه السلامة. وقد اختلف عندنا هل هو شرط الاداء أو شرط الوجوب، وهو الصحيح وتظهر ثمرة الخلاف في وجوب الإيصاء على من لم يحج وأدركه الموت

المبتدع هذيانه لما افتقر إلى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة رضي الله عنهم، فليعلم المتكلم حدّه من الدين وأن موقعه منه موقع الحارس في طريق الحج؛ فإذا تجرد الحارس لم يكن من جملة الحاج، والمتكلم إذا تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلاً، وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التي يشاركه فيها سائر العوام وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان، وإنما يتميز عن العامي بصنعة المجادلة والحراسة، فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام، بل يكاد أن يكون الكلام حجاباً عليه ومانعاً عنه، وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾.

والطريق غير مأمون، فيجب على الثاني دون الأوّل، ولو كان الطريق بحراً لا يجب، ولو كان نهراً أو كان الغالب في البحر السلامة يجب كذا في شرح الملتقي للبهيتي، (**وكذلك لو ترك المبتدع هذيانه**) أي كلامه الذي لا فائدة فيه (**لما افتقر**) أي ما احتاج (**إلى الزيادة على ما عهد في عصر الصحابة**) رضي الله عنهم إذ كان علمهم عن مشاهدة ويقين، (**فليعلم المتكلم حدّه من الدين وأن موقعه موقع الحارس في طريق الحج**) قطعاً، (**والمتكلم**) كذلك (**إن تجرد للمناظرة والمدافعة**) عن العوام (**ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه**) من طرق الأوصاف الذميمة (**لم يكن من جملة علماء الدين أصلاً**) بهذا الاعتبار، فظاهر كلام السبكي في شرح المنهاج أن المتكلم من جملة علماء الدين إذا كان على قوانين الشرع ولم يخرج عنها إلى الفلسفة. (**وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التي يشاركه سائر العوام فيها وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان، وإنما تميز عن العامي بصنعة المجادلة**) والمناظرة (**والحراسة**) عما يرد عليها من الشكوك والشبهات، (**فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه في علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام**) ولا يثمره، (**بل يكاد يكون الكلام حجاباً عليه وصاداً عنه**) فلا يتجاوز عن الحد الذي هو فيه، (**وإنما الوصول إليه بالمجاهدة**) وهي مدافعة النفس والشيطان باستفراغ الوسع فيها (**التي جعلها الله سبحانه وتعالى مقدمة للهداية**) الحقيقة (**حيث قال: والّذين جاهدوا فينا**) أي لأجلنا أي لا للرياء والسمعة أو غيرهما ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] أي لنرشدنهم إليها وهو إشارة إلى مجاهدة النفس والشيطان وهو أصعب وأشق، ويعبر عنها بالجهاد الأكبر، فإن مراجعة النفس ومقاتلتها أصعب من قتال العدوّ. وقال المصنف في الاملاء في الردّ على من أنكر عليه هذا القول، وهو أن أئمة الكلام في الاعتقاد مع العوام سواء، وإنما فارقوهم في حراسة عقائدهم ونصه: ما رأيت في الاحياء صحيح، ولكن بقي في كشفه أمر لا يخفى عن

فإن قلت: فقد رددت حد المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة، كما ان حد البذرقة حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب، ورددت حد الفقيه إلى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض أهل العدوان عن بعض، وهاتان رتبتان

المستبصرين ولا يغيب عن الشاردين إذا كانوا منصفين، وهو أن المتكلمين من حيث صناعة الكلام فقط لم يفارقوا عقائد العوام، وإنما حرسوها بالجدل عن الانخرام إذ الكلام والجدل علم لفظي وأكثره احتمال وهمي وهو عمل النفس وتخليق الفهم وليس بشدة المشاهدة والكشف، ولهذا كان فيه السمين والغث وشاع في حال انتضاله إيراد القطعي وما هو في حكمه من غلبة الظن وإبداء الصحيح والزام مذهب الخصم والمقام المشار إليه بالذكر، وشبهه إنما هو علم الوجود وفهم الأحوال ومعرفة اليقين التام والعلم المضارع للضروري بأن لا إله إلا الله ولا فاعل غيره ولا حاكم سواه، ومشاهدته بالقلوب لما حجبه عن العيون، ومن أين للنازل طي المنازل، ولعلم الكلام مثل هذا المقام، بل هو في خدام الشـرع وحراس نواحيه من أهل الاختلاس والقُطع، وله بركة على قدره ونفع، ولكن شتان بين مطالع الأنوار ومدارك الاستبصار، والمراد في أوقات الضرورات والاختيار، وبين ما يراد لوقت حاجته إن عنت وخصام صاحب بدعة ومناضلة سخيف ذي ضلالة مما ينغص على ذي اليقين العيش ويشغل الذهن ويكدر النفس، وأما أهله الذين حفظ عنهم ذلك لا تقول في أكثرهم أنهم لا يختصون في التوحيد بمقام سواه مما هو أعلى منه، بل الظن بهم أنهم علماء بمثل ما ذكرنا، لكنهم لم يعد لهم العلم في الظاهر إلا ما كانت الحاجة إليه أمس والمصلحة به لتوجه الضرورة أعم وآكد حين ظهر في وقتهم من الأهواء والبدع، فإن ذلك كان أولى بهم من الاشتغال بفقه الأرواح والنفوس، فإن هذه وإن كانت أهنى فذلك من علم الخواص وهم مكفون المؤنة. والعامة أحق بالحفظ وعقائدهم أولى بالحراسة، ثم قال: ولقد كانـت رعـايـة رسول الله ﷺ لحال الجماهير أكثر، والخوف عليهم من الزيغ والهلاك أشد، واللطف في تخفيف الوظائف والأخذ بالرفق أبلغ، وكان يكل أهل القوّة وذوي البصائر بالحقائق إلى ما كانوا يأخذون به أنفسهم، ثم قال: ومع ذلك فالذي حفظ عنه ﷺ وعن أصحابه من بعده وفقهاء الأمصار وأعيان المتكلمين من الإشارات بتلك العلوم المذكورة كثير لا يحصى، وإنما القليل من حمله اليوم عنهم وتفقه فيه مثلهم، فابحث تجد وتصد لاقتباس المعارف تعلم، وطالع كتب الحديث والتاريخ ومصنفات العلوم توقن: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ [البقرة: ٢٦٩].

(فإن قلت: فقد رددت حد المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة) وإيراده الشبه عليها، **(كما ان حد البذرقة حراسة أقمشة)** جمع قماش بالضم وهو المتاع **(الحجيج عن نهب العرب)** وأخذهم إياها بالتعدي، **(ورددت حد الفقه إلى، حفظ القانون)** السياسي **(الذي به يكف السلطان)** أي يمنع **(شر بعض أهل العدوان)** أي التعدي **(عن بعض، وهاتان رتبتان نازلتان)** سافلتان **(بالإضافة إلى علم الدين، وعلماء**

نازلتان بالإضافة إلى علم الدين، وعلماء الأمة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى، فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة بالإضافة إلى علم الدين؟ فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال، فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكاً طريق الحق وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلوّ منصبهم، فقد أجمع الذين عرضت يذكرهم على تقدمهم وإنهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها، وما فضل أبو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام، ولكن بشيء وقِّر في صدره، كما شهد له سيد المرسلين ﷺ؛ فليكن حرصك في طلب ذلك

الأمة المشهورون بالفضل) والتقدم **(هم الفقهاء والمتكلمون)** وهم زعماؤه **(وهم أفضل الخلق عند الله تعالى)** لاقامتهم الدين وتصحيحهم عقائد المسلمين، **(فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة)** أي المنحطة **(بالإضافة إلى علم الدين؟ فاعلم أن)** الحق لا يعرف بالرجال و**(من عرف الحق بالرجال حار في متاهات الضلال)** والمتاهة ما يحملك على التيه وهو التحير، **(فاعرف الحق)** حيث كان **(تعرف أهله إن كنت سالكاً طريق الحق)**. وفي المنقذ من الضلال للمصنف عادة ضعفاء العقول معرفة الحق بالرجال، والعامل يقتدي بقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حيث قال: لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله، وهو ما روي أنه قال ذلك لمن قال له: أتظن أن طلحة والزبير كانا على الباطل؟ فقال: يا هذا انه ملبوس عليك أن الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله، أي: ان العاقل يسمع القول ثم ينظر في نفس القول، فإن كان حقاً قبله سواء كان قائله محقاً أو مبطلاً **(وإن قنعت بالتقليد)** المحض وأخلدت إليه **(و)** إلى **(النظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن)** أحوال **(الصحابة)** رضي الله عنهم **(و)** انظر إلى **(علو منصبهم)** الذي أقامهم الله فيه، **(فقد أجمع الذين عرضت بذكرهم)** من الفقهاء والمتكلمين **(على تقدمهم ورفعة قدرهم وأنهم لا يدرك في الدين شأوهم ولا يشق غبارهم)** لما روى البخاري في صحيحه من رواية شعبة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد رفعه: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه». وتابعه جرير ومعاوية ومحاضر عن الأعمش **(ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه)** أي بهذين العلمين، **(بل بعلم الآخرة)** الذي مداره على تطهير القلب وإخلاص النية **(وسلوك طريقها)** بالصبر وقمع النفس، **(وما فَضَلَ أبو بكر)** عبدالله بن عثمان التيمي الصديق **(رضي الله عنه الناس بفضل صلاة وبكثرة صيام ولا بكثرة رواية)** للحديث **(وفتوى وكلام، ولكن بسر)** وفي بعض النسخ: بشيء **(وقر في صدره: كما شهد له سيد البشر صلوات الله عليه)** وسلامه.

السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون، ودع عنك ما تطابق أكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها، فلقد قبض رسول الله ﷺ عن

قال العراقي: لا أصل لهذا مرفوعاً، وإنما يعرف في قول بكر بن عبدالله المزني، كذلك رواه الحكيم الترمذي في نوادره اهـ.

قلت: ولفظ الحكيم ما فضل أبو بكر بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ولكن بسر وقر في صدره. وبكر بن عبدالله المزني ثقة سمع من ابن عباس، وابن عمر، وعنه سليمان التيمي، ومبارك، وخلف توفي سنة ١٨٠. وعزاه ابن القيم إلى أبي بكر بن عياش من قوله ولفظه: ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه. قال: وهذا موضع المثل المشهور:

مـــن لي بمثـــل سيـــرك المذلـــل   تمشـــي رويـــــداً وتجـــي في الأوّلِ

أورد ذلك في بحث أفضلية العلم، فقال: العلم يعرف بمقادير الأعمال ومراتبها، وفاضلها من مفضولها، وراجحها من مرجوحها، فصاحبه لا يختار لنفسه إلا أفضل الأعمال والعامل بلا علم يظن أن الفضيلة في كثرة المشقة، فهو يتحمل المشاق وإن كان ما يعانيه مفضولاً، ورب عمل فاضل والمفضول أكثر مشقة منه، واعتبر هذا بحال الصديق رضي الله عنه، فإنه أفضل الأمة. ومعلوم أن فيهم من هو أكثر عملاً وحجاً وصوماً وقراءة اهـ.

(**فليكن حرصك**) واجتهادك (**في طلب ذلك السر**) المصوت (**فهو الجوهر النفيس والدر المكنون**) ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ [المطففين: ٢٦] (**ودع عنك ما تطابق**) أي توافق (**أكثر الناس على تفخيمه**) وتبجيله (**وتعظيمه لأسباب**) ظاهرة (**ودواع**) متوافرة (**يطول تفصيلها**) في هذا الموضع، (**فلقد قبض رسول الله ﷺ عن آلاف**) جمع ألف (**من الصحابة**). وعبارة القوت عن ألوف من الصحابة، وعد في الاصابة من حضر معه ﷺ حجة الوداع من أهل مكة والمدينة والطائف وما بينها من الاعراب، فكانوا أربعين ألفاً. وفي طبقات عبد القادر القرشي قال أبو زرعة: قبض رسول الله ﷺ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روي عنه وسمع منه.

قلت: حكى ذلك ابن الصلاح وغيره. قال السيوطي، قال الحافظ العراقي: وهذا القول عن أبي زرعة لم أقف له على إسناد ولا هو في كتب التواريخ المشهور، وإنما ذكره أبو موسى المديني في الذيل بغير إسناده. قال السيوطي: وقد وقفت أنا على إسناده في بعض كتب الخطيب البغدادي وأوردته في شرح التقريب اهـ.

وفي الاكليل للحاكم، عن أبي زرعة كانوا بتبوك سبعين ألفاً. ونقل ابن الأثير، عن أبي زرعة، وسئل عن عدة من روى عن النبي ﷺ فقال: ومن يضبط هذا شهد معه حجة الوداع تسعون ألفاً، وشهد معه تبوك أربعون ألفاً. قال ابن السمعاني: وكان بالشام عشر آلاف عين

آلاف من الصحابة رضي الله عنهم كلهم علماء بالله اثنى عليهم رسول الله ﷺ، ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام، ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلاً، ولقد كان ابن عمر رضي الله عنهما منهم، وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل: اذهب إلى فلان الأمير الذي تقلد أمور الناس وضعها في عنقه. إشارة إلى أن

رأت النبي ﷺ. وقال ابن حزم: قد غزا رسول الله ﷺ هوازن بحنين في اثني عشر ألف مقاتل كلهم يقع عليه إسم الصحبة، ثم غزا تبوك في أكثر من ذلك (**كلهم علماء بالله**) عز وجل (**أثنى عليهم رسول الله ﷺ**) كما ورد ذلك في عدة أخبار، (**ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام**) كما هو عليه الآن (**ولم ينصب نفسه للفتوى فيهم أحد**) زاد في القوت: ولا حملت عنه القضايا والأحكام في شيء (**إلا بضعة عشر رجلاً**) كابن عباس، وابن مسعود، وأبي الدرداء، وعلي، وحذيفة، ومعاذ، وأبي هريرة، وأنس، وزيد بن ثابت، وعمر بن الخطاب، وعائشة رضي الله عنهم. وأما الدين كانوا يفتون في عهد رسول الله ﷺ، فقد نظمهم السيوطي رحمه الله تعالى بمنه وكرمه في قوله:

وقد كان في عصر النبي جماعة ... يقومون بالافتاء قومة قانتِ
فأربعة أهل الخلافة معهم ... معاذ أبيّ ابن عوف ابن ثابتِ

ونظمهم الشيخ نجم الدين قاضي عجلون صاحب تصحيح المنهاج فقال:

لقد كان يفتي في حياة نبينا ... مع الخلفاء الراشدين أئمة
معاذ وعمار وزيد بن ثابت ... أبيّ ابن مسعود ابن عوف حذيفة
ومعهم أبو موسى وسلمان والتقي ... كذاك أبو الدرداء وهو تتمة
وأفتى بميراث أبو بكر الرضى ... وصدقه فيها وتلك مزية

(**وكان عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما منهم**) أي من الذين يفتون في عصر الصحابة، وقد روي أن النبي ﷺ قال: إن عبدالله رجل صالح. وقال جابر: ما منا أحد إلا مالت به الدنيا ومال لها إلا عبدالله بن عمر. قال ابن المسيب: مات وما أحد أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله مات سنة أربع وسبعين، (**فإذا سئل**) ونص القوت وكان ابن عمر إذا سئل (**عن الفتيا يقول**) وفي القوت قال: (**إذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس وضعها**) وفي القوت: فصعها (**في عنقه**). وروي ذلك عن أنس بن مالك، ثم عن جماعة من الصحابة والتابعين بإحسان، وكان من الفقهاء من يقول: لا أدري أكثر من أن يقول أدري منهم سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، والفضيل بن عياض، وبشر بن الحرث رضي الله عنهم، وكانوا في مجالسهم يجيبون عن بعض ويسكتون عن بعض، ولم يكونوا يجيبون عن كل ما يُسألون عنه. وسيأتي ذلك في الباب السادس بأبسط من ذلك (**إشارة إلى أن الفتيا في**

الفتيا في القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة، ولما مات عمر رضي الله عنه، قال ابن مسعود: مات تسعة أعشار العلم، فقيل له: أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة؟ فقال: لم أرد علم الفتيا والأحكام إنما أريد العلم بالله تعالى، أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل، فما بالك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذي مات بموت عمر تسعة أعشاره، وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب صبيغاً بالدرة لما أورد عليه سؤالاً في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره، وأما قولك: إن المشهورين

القضاء والأحكام) الشرعية (**من توابع الولاية والسلطنة**) لما مرّ: لا يفتي إلا أمير أو مأمور أو متكلف، وتقدم الكلام عند بيان هذا الحديث. (**ولما مات**) أمير المؤمنين (**عمر بن الخطاب رضي الله عنه**) في يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين (**قال**) عبدالله (**ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**مات تسعة أعشار العلم**). أخرجه أبو خيثمة في كتاب العلم عن جرير، عن الأعمش، عن ابراهيم بن عبدالله قال: إني لأحسب عمر قد ذهب بتسعة أعشار العلم. (**فقيل له: أتقول ذلك**) وفي القوت تقول: هذا (**وفينا جلة الصحابة**) أي عظماؤهم؟ ونص القوت وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون (**فقال: لست أريد علم الفتيا والكلام إنما أريد العلم بالله**)، ونص القوت فقال: إني لست أعني العلم الذين تذهبون إليه إنما أعني العلم بالله عز وجل (**أفترى**) أي تظن (**أنه**) أي ابن مسعود (**أراد**) بذلك العلم (**صنعة الكلام والجدل**) الذي هو معروف الآن (**فما بالك لا تحرص**) أيها الإنسان (**على معرفة، ذلك العلم الذي مات بموت عمر رضي الله عنه تسعة أعشاره**) وهو العلم بالله عز وجل، (**وهو**) أي سيدنا عمر (**الذي سد باب الكلام والجدل**) وحسم مادتها (**وضرب صبيغاً بالدرة**) بكسر الدال السوط جمعها درر كسدرة وسدر. وصبيغ بالصاد المهملة المفتوحة وكسر الموحدة وسكون التحتية وآخره غين معجمة هو ابن عِسْل بكسر العين وسكون السين المهملتين. هكذا ضبطه الحافظ ابن حجر في التبصير، ووقع في نسخة القاموس عسيل، فقيل: هو كأمير، وقيل: كزبير كلاهما غلط: وهو رجل من بني تميم، ثم من يربوع حدث عنه ابن أخيه عسل ابن عبدالله بن عسل. وقال ابن حصين: هو صبيغ بن شريك، قال الحافظ بن حجر: والقولان صحيحان هو شريك بن صبيغ بن المنذر بن قطن بن قشع بن عسل بن عمر بن يربوع التميمي، فمن قال صبيغ بن عسل فقد نسبه إلى جده الأعلى، وله أخ اسمه ربيعة شهد الجمل. قال: وهو الذي يعنت الناس بالغوامض والسؤالات في متشابه القرآن (**لما أورد عليه سؤالاً في تعارض آيتين من كتاب الله**)، فنفاه عمر إلى البَصرة (**وهجره**) بعد ضربه إياه (**وأمر الناس بهجره**) بأن كتب إلى والي البصرة أن لا يؤويه تأديباً له، فرأيت الحافظ الذهبي في كتاب له سماه (نعم السمر في سيرة عمر) ما نصه: حدثنا مكي بن ابراهيم، حدثنا الجعد بن عبد الرحمن، عن يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد قال: أتى رجل عمر فقال: يا أمير المؤمنين، إنا لقينا رجلاً يسأل عن تأويل القرآن، فقال: اللهم أمكني منه، فبينا عمر جالس إذ جاءه وعليه عمامة

من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون، فاعلم أن ما ينال به الفضل عند الله شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر، فلقد كانت شهرة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقّر في قلبه، وكانت شهرة عمر رضي الله عنه

وثياب فقال: يا أمير المؤمنين ﴿والذاريات ذروا فالحاملات وقراً﴾ [الذاريات:]. قال عمر: أنت هو فقام إليه وحسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته، فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت به رأسك ألبسوه ثيابه واحملوه على قتب وأخرجوه حتى تقدموا به بلاده، ثم ليقم خطيباً فليقل إن صبيغاً ابتغى العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعاً في قومه حتى هلك وكان سيد قومه. قال يزيد بن هارون: أخبرنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن صبيغ أنه سأل عمر عن المرسلات والذاريات والنازعات، فقال له عمر: الق ما على رأسك فإذا ليس له ضفران قال: لو وجدته محلوقاً لضربت الذي فيه عيناك، ثم كتب إلى أهل البصرة أن لا تجالسوه. قال أبو عثمان: كان لو أتانا ونحن مائة تفرقنا عنه، وقال أبو شهاب، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس قال: جاء رجل إلى عمر فسأله وقال: جئت أبتغي العلم. قال: بل جئت تبتغي الضلالة، ثم كشف عن رأسه فوجده ذا شعر فقال: لو كنت محلوقاً لضربت عنقك، وقال الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن الزهري أن عمر جلد صبيغاً التميمي عن مسألته حتى اضطربت الدماء في جلده، وقال حماد بن زيد، عن يزيد بن حازم، عن سليمان بن يسار أن صبيغ بن عسل قدم المدينة فجعل يسأل عن المتشابه، فبعث إليه عمر وأعدّ له عراجين النخل، فلما حضر قال له: من أنت؟ قال: عبدالله صبيغ. قال: وأنا عبدالله عمر، ثم قام فضرب رأسه بعرجون فشجه، ثم تابع ضربه حتى سال الدم على وجهه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين قد والله ذهب ما كنت أجد في رأسي. وقال حماد بن زيد، عن قطر المغربي، عن رجل، عن أبيه قال: لقد رأيت صبيغاً وإنه لمثل البعير الأجرب لا يجلس إلى قوم إلا تفرقوا وتركوه وحده. وقال هشام عن ابن سيرين قال: كتب عمر إلى أبي موسى أن لا يجالس صبيغ، وأن يحرم عطاءه ورزقه. ويروى عن ابراهيم التميمي انه كان لبث كذلك حولاً ثم أصابه الجهد، فقام إلى اسطوانة أمير المؤمنين واستغاث، وروجع عمر فكتب أن لا تخالطوه وأن تكونوا منه على حذر، ويروى عن سعيد بن المسيب انه حلف لأبي موسى الايمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان شيئاً، فكتب في ذلك إلى عمر فأجابه أظنه محل صدق فخلى بينه وبين الناس (**وأما قولك إن المشهورين من العلماء**) الذين يقتدى بهم (**هم الفقهاء والمتكلمون**) خاصة، (**فاعلم أن ما ينال به الفضل**) والرتبة والشرف (**عند الله**) عز وجل (**وما ينال به الشهرة**) بالنشر والتعليم (**عند الناس**) عامتهم وخاصتهم (**شيء آخر**) وهما مفترقان، (**فلقد كانت شهرة أبي بكر رضي الله عنه بالخلافة**) أي بأنه خليفة رسول الله ﷺ، (**وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره**) وأودع فيه، (**وكانت شهرة عمر**) رضي الله عنه (**بالسياسة**) العامة في انتظام أمور الإسلام وسد أفواه المجادلين، (**وكان فضله بالعلم بالله تعالى الذي**) أشار ابن مسعود يوم

بالسياسة، وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة أعشاره بموته، وبقصده التقرب إلى الله عز وجل في ولايته وعدله وشفقته على خلقه، وهو أمر باطن في سره، فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصوّر صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب في الشهرة، فتكون الشهرة فيما هو المهلك، والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه أحد، فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء، وقد انقسموا، فمنهم مَن أراد الله سبحانه وتعالى بعلمه وفتواه وذبه عن سنّة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة، فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولإرادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم، فإن كل علم عمل فإنه فعل مكتسب، وليس كل عمل علماً، والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثاباً على علمه من حيث أنه عامل لله سبحانه وتعالى به، والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضياً عند الله سبحانه ومثاباً، لا

موته إلى أنه (**مات تسعة أعشار العلم بموته**)، وكذا (**بقصده التقرب إلى الله تعالى في ولايته وعدله**) في الرعية (**وشفقته على خلقه**) مع كمال زهده وورعه واقتصاده في المعيشة كما هو معروف في مناقبه، (**وهو**) أي قصده التقرب إلى الله تعالى في تلك الأحوال (**أمر باطني في سره**) لا يطلع عليه إلا الله عز وجل، (**فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه**) عند ذي الثروة (**و**) طالب (**الإسم**) ليقال أنه كذا (**و**) طالب (**السمعة**) ليسمع به (**و**) من (**الراغب في الشهرة**) الظاهرة، (**فتكون الشهرة فيما هو المهلك، والفضل فيما هو سر**) خفي (**لا يطلع عليه أحد**) لبطونه عن الادراك، (**فالفقهاء والمتكلمون**) من طوائف العلماء (**مثل الخلفاء والقضاة**) في السياسة وإجراء الأحكام، (**وقد انقسموا**) على أقسام. (**فمنهم من أراد**) وجه (**الله**) تعالى فقط (**بعلمه**) الذي ينشره (**وفتواه**) في الأحكام الشرعية (**وذبه**) أي دفعه (**عن سنة نبيه**) أي طريقة الله عز وجل (**ولم يطلب فيه رياء ولا سمعة**) ولا شهرة ولا جاهاً ولا غير ذلك، (**فأولئك أهل رضوان الله تعالى**) الذين يحل عليهم رضاه في دار كرامته (**لعملهم بعلمهم**) أي لم يكتفوا بعلمهم حتى عملوا به (**ولإرادتهم وجه الله**) عز وجل (**بفتواهم**) عندما احتاج الناس إليه (**ونظرهم**) وبثهم، (**فإن كل علم عمل به**) أي بمقتضاه. وفي نسخة فإن كل علم عمل، ولكن لا يلائمه قوله: (**فإنه فعل مكتسب، وليس كل عمل علماً**) لصدور بعض الأعمال خالية عن الاخلاص والنية فلا يسمى علماً حقيقة، (**و**) ليس هذا الذي ذكرناه خاصاً في العلوم الشرعية بل (**الطبيب**) أيضاً (**يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه**) إذا أراد بذلك وجه الله تعالى (**فيكون مثاباً على علمه من حيث أنه عامل لله**) عز وجل (**به و**) كذلك (**السلطان يتوسط بين الخلق لله عز وجل**) في سياسته بانتظام الخلق وأحوالهم (**فيكون مرضياً عند الله لا من حيث أنه متكفل بعلم الدين**) ونشره وإفادته وقائم بإزائه، (**بل**) من حيث (**هو**

من حيث أنه متكفل بعلم الدين، بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عز وجل بعلمه. وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة: علم مجرد وهو علم المكاشفة، وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلاً وضبطه للناس، ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة، فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعاً، فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة في حزب علماء الله، أو عمال الله تعالى، أو في حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما، فهذا أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار، كما قيل:

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به ... في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

علي أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم من أشد خصمائهم يوم القيامة فإنهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى، وقد شوهد من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخرة كما سيأتي بيانه في باب علامات

متقلد لعمل) السياسة **(يقصد به التقرب إلى الله تعالى)** بامحاض النية فيه فهذه أقسام من يريد بعلمه وعمله وجه الله عز وجل من الفقهاء والسلاطين، **(وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة، علم مجرد)** عن العمل أي لا حظ له فيه **(وهو علم المكاشفة، وعمل مجرد)** عن العلم لا ينظر إليه **(كعدل السلطان مثلاً وضبطه للناس)** بالسياسة، **(و)** ما هو **(مركب من علم وعمل)** كل منهما ملاحظ **(وهو علم طريق الآخرة)** المنوط بهما، **(فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعاً)** عالم بالله وبأمر الله وعامل بما علم لوجه الله، **(فانظر)** أيها المتأمل **(إلى نفسك)** تحب أن **(تكون يوم القيامة في حزب عمال الله)** مع السلاطين، **(أو)** حزب **(علماء الله تعالى)** مع أهل المكاشفة، **(أو في حزبها)** معاً **(فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما)** أي تأخذ بحظك مع كل منهما، **(فهذا)** الذي ذكرناه لك **(أهم)** وأعلى **(من التقليد)** الصرف **(بمجرد الاشتهار)** فقط، **(كما قيل)** فيما نص في مثل هذا المقام:

(خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به ... في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل)

زحل كصرد ممنوعاً من الصرف. قال المبرد: للمعرفة والعدل كوكب من الخنس سمي به لأنه زحل أي بعد، ويقال: إنه في السماء السابعة، وفي بعض النسخ في طلعة البدر. **(على أنا سننقل)** في هذا الكتاب **(من سيرة فقهاء السلف)** أي طريقتهم **(ما يعلم به)** ويتحقق **(إن الذين انتحلوا)** أي اتخذوا **(مذاهبهم)** نحلة لهم أي نسبة، والإنتحال الانتساب والاعتزاء **(ظلموهم)** ونقصوا من قدرهم **(وأنهم)** أي أولئك الأئمة **(من أشد خصمائهم)** وأكبر أعدائهم **(يوم القيامة)** حين العرض بين يدي الله تعالى **(فإنهم)** أي الأئمة **(ما قصدوا بالعلم)** الذي حصلوه **(إلا وجه الله تعالى)** فقط، **(وقد شوهد من أحوالهم)** الظاهرة في حركاتهم وسكناتهم **(ما هو علامات)** دالة على **(أنهم من علماء الآخرة)** وهو الباب

علماء الآخرة، فإنهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه، بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها، ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس في الفقه، مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعي متيقنة، ولا حاجة إلى ذكرها.

ونحن الآن نذكر من أحوال فقهاء الإسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعناً فيهم، بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلاً مذاهبهم وهو مخالف لهم في أعمالهم وسيرهم، فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق. أعني الذين كثر أتباعهم في المذاهب خمسة: الشافعي، ومالك، وأحمد بن حنبل، وأبو حنيفة، وسفيان الثوري رحمهم الله تعالى. وكل واحد منهم كان عابداً وزاهداً وعالماً بعلوم الآخرة وفقيهاً في

السادس، (**وإنهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه**) أي لم تكن همتهم مصروفة إلى تحصيله فقط، (**بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب**) الذي هو الأهم لسالك الآخرة (**ومراقبين لها**) أي للقلوب حافظين لها مما يطرأ عليها من اللمم المختلفة، (**ولكن صرفهم**) أي منعهم (**عن التصنيف**) أي التأليف والتدريس أي التعليم والافادة لذلك (**فيه**) أي في علم القلوب (**ما صرف الصحابة**) رضي الله عنهم (**عن التصنيف والتدريس في الفقه مع أنهم كانوا فقهاء**) عرفاء (**مستقلين بعلم الفتاوى**) تلقى عنهم الأحكام (**والصوارف والدواعي متعينة، ولا حاجة إلى ذكرها**).

قال صاحب القوت: كان العلماء الذين هم أئمة هؤلاء العلماء من طبقات الصحابة الأربعة ومن بعد الطبقة الأولى من خيار التابعين الذين انقرضوا قبل وضع الكتب. كانوا يكرهون كتب الحديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل بها عن القرآن وعن التذكر والتفكر، وقالوا: احفظوا كما كنا نحفظ ولئلا يشتغل عن الله برسم أو وسم، وكذلك كانوا يتلقون العلم بعضهم من بعض ويحفظونه حفظاً ظاهراً لطهارة القلوب من الريب وفراغها من أسباب الدنيا وقوّة الإيمان وصفاء اليقين وعلو الهمة وحسن النية وقوة العزيمة اهـ.

(**ونحن الآن نورد من أحوال فقهاء الإسلام**) المشهورين بتقليد مذاهبهم (**ما يعلمُ به أن ما ذكرناه ليس طعناً فيهم**) ولا إزدراء بشأنهم، (**بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بمذاهبهم**) والاتباع لأقوالهم (**منتحلاً**) أي منتسباً (**مذهبهم وهو**) مع ذلك (**مخالف لهم في علمهم وسيرتهم**) أي طريقتهم، (**فالفقهاء**) السادة (**الذين هم زعماء الفقه**) أي رؤساؤه (**وقادة الخلق**) بهم يقتدون (**أعني الذين كثر أتباعهم**) ومقلدوهم (**في المذاهب خمسة**) المشهور منهم (**الآن**) أربعة لا غير. (**الشافعي، ومالك، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنبل، وسفيان الثوري رحمهم الله تعالى**). وكان مذهب سفيان باقياً إلى القرن الخامس، وكان من

مصالح الخلق في الدنيا ومريداً بفقهه وجه الله تعالى، **فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة، وهي التشمير والمبالغة في تفاريع الفقه، لأن الخصال الأربع لا تصلح إلا للآخرة، وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة إن أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا شمروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة، وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدادين، فلنورد الآن من أحوالهم ما يدل على هذه الخصال الأربع، فإن معرفتهم بالفقه ظاهرة.**

ينتحله موجوداً إلى زمان المصنف، وكان من مشاهير من كان على مذهبه أبو عبدالله الحسين بن محمد بن الحسين الدينوري، وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن الحسين الدوي الثوريان الأخير راوي سنن النسائي، عن أبي نصر الكسار توفي سنة إحدى وخمسمائة، وأما الآن فلم يبقَ من تقيد مذهبه أو يُعْتزى إليه، (**وكل واحد منهم كان**) متصفاً بهذه الأوصاف الخمسة كان (**عابداً**) أي عاملاً بعلمه (**وزاهداً**) في الدنيا (**وعالماً بعلوم الآخرة وفقيهاً في مصالح الخلق في الدنيا ومريداً بفقهه وجه الله تعالى، فهذه خمس خصال**) وهي العبادة والزهد والعلم الأخروي والعلم الدنيوي وحسن النية في الأخير (**اتبعهم فقهاء الفرق على كثرتهم من جلتها**) أي من جلة تلك الخصال الخمس (**على خصلة واحدة وهي التشمير**) بذل الجهد (**والمبالغة في**) حفظ (**تفاريع الفقه**) بأنواعها، (**لأن الخصال الأربعة**) وهي العبادة والزهد والعلم الأخروي وحسن النية (**لا تصلح إلا للآخرة، وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة وإن أريد بها الآخرة**) إذ الأعمال بالنية (**قلّ صلاحها**) ولياقتها (**بالدنيا**) ومتاعها (**تشمروا لها**) واجتهدوا في تحصيلها (**وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة**) في سائر أحوالهم، (**وهيهات**) أي بعيد ذلك (**أن يُقاس الملائكة**)، وفي بعض النسخ الملوك (**بالحدادين**)، وشتان ما بينهما لبعد ما بين المنزلتين، (**فلنورد من أحوالهم**) وأخبارهم (**ما يدل على هذه الخصال الأربع**) المذكورة، (**فإن معرفتهم بالفقه**) الظاهر (**ظاهرة**) فلا يحتاج إلى ايراد أدلة لذلك.

(**أما الشافعي رضي الله عنه**): هو الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد مناف، وجده شافع الذي ينسب إليه رؤية للنبي ﷺ. ذكره جماعة من الصحابة، وأبوه السائب أسر يوم بدر ففدى نفسه، ثم أسلم وكان يشبه النبي ﷺ، وأما عثمان ولد شافع فعاش إلى خلافة السفاح، وأما أم الإمام الشافعي؛ فالصحيح أنها أزدية، وقيل: هاشمية، واسمها فاطمة بنت عبدالله بن الحسن بن الحسن ولم يثبت هذا، ولد بغزة سنة خمسين ومائة، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين، وقيل: بعسقلان والجمع بينهما ممكن، وقال ابن طيش الذي عليه مجموع الروايات: إنه ولد بغزة ثم حمل منها إلى عسقلان ثم إلى مكة فنشأ بها. وروى ابن أبي حاتم أنه ولد باليمن. قال الذهبي: وهو خطأ ولعله أراد بالولاية النشأة. وأما

أما الإمام الشافعي رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابداً: ما روي أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء. ثلثاً للعلم، وثلثاً للعبادة، وثلثاً للنوم. قال الربيع: كان الشافعي

شيوخه الذين حمل عنهم العلم بالحرمين واليمن والعراق ومصر فكثيرون أوردهم الحافظ ابن حجر في توالي التأنيس، والقطب الخيضري في الألمعية، وكذا من أخذ عنه فيهم كثرة أوردهم التاج السبكي في طبقاته الكبرى والخيضري وابن كثير وغيرهم. وقال الربيع: أقام الشافعي بمصر أربع سنين فأملى ألفاً وخمسمائة ورقة، وخرّج كتاب الأم ألفي ورقة، وكتاب السنن وأشياء كثيرة كلها في مدة أربع سنين وتوفي سنة أربع ومائتين رضي الله عنه.

قلت: وأما المسند المنسوب إليه فمن تخريج أبي عمرو محمد بن جعفر بن مطر النيسابوري الأصم، عن الربيع عنه، والسنن المنسوب إليه فمن تخريج الحافظ أبي جعفر الطحاوي عن خاله المزني عنه، وكل منهما من مسموعاتنا بحمد الله تعالى، ومن مصنفات الإمام الرسالة الكبيرة في أصول الفقه. قال أبو ثور: كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن ويجمع قبول الاخبار فيه وحجة الاجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنّة، فوضع له كتاب الرسالة، **(فيدل على كونه عابداً)** وهي الخصلة الأولى من الخصال الأربعة. **(ما روي أنه كان)** كثير الصلاة بالليل **(يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً للعلم وثلثاً للصلاة وثلثاً للنوم)** رواه البيهقي عن الحاكم، حدثني أبو بكر محمد بن محمد البغدادي، حدثنا أبو الحسن علي بن قرير، عن الربيع فذكره بلفظ: كان قد قسم الليل ثلاثة أجزاء، فثلثه الأوّل للاشتغال، والثاني للصلاة، والثالث ينامه ليقوم إلى صلاة الفجر نشيطاً.

(وقال الربيع) ابن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي مولاهم أبو محمد المؤذن صاحب الشافعي وراوية كتبه: ولد سنة ١٧٤ واتصل بخدمة الشافعي وحمل عنه الكثير، وحدث عنه به، وروى عنه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وأبو زرعة الرازي، وأبو حاتم وابنه، وزكريا الساجي، وأبو جعفر الطحاوي، وأبو بكر بن زياد النيسابوري، وأبو العباس الأصم وآخرون، وآخرهم أبو الفوارس المسندي، وروى عنه الترمذي بالإجازة، وكان مؤذناً بجامع مصر، وكان الشافعي يحبه كثيراً ويميل إليه. قال الخليلي في الارشاد: ثقة متفق عليه توفي يوم الاثنين لإحدى وعشرين ليلة خلت من شوّال سنة ٢٢٠ قال: **(كان الشافعي يختم القرآن في كل شهر رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة)** روى ذلك ابن أبي حاتم، حدثنا الربيع بن سليمان المرادي المصري قال: كان الشافعي يختم القرآن في رمضان ستين مرة كل ذلك في صلاة، وروى الخطيب البغدادي، عن علي بن الحسن القاضي، عن أبي بكر محمد بن إسحاق بن ابراهيم الصفار، عن عبدالله بن محمد بن جعفر القزويني، عن الربيع قال: كان الشافعي كثير التلاوة للقرآن، ولا سيما في شهر رمضان كان يقرأ في اليوم والليلة ختمتين وفيما عداه في كل يوم وليلة ختمة. وقال البيهقي: أخبرنا عبد الرحمن السلمي، سمعت علي بن عمر الحافظ، سمعت أبا بكر

رحمه الله يختم القرآن في رمضان ستين مرة. كل ذلك في الصلاة، وكان البويطي أحد أصحابه يختم القرآن في رمضان في كل يوم مرة. وقال الحسن الكرابيسي: بت مع الشافعي غير ليلة فكان يصلي نحواً من ثلث الليل، فما رأيته يزيد على خمسين آية، فإذا أكثر فمائة آية، وكان لا يمر بآية رحمة إلاَّ سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوّذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين، وكأنما

النيسابوري، سمعت الربيع قال: كان الشافعي يختم في كل شهر ثلاثين ختمة، وفي رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة.

(وكان) أبو يعقوب يوسف بن يحي **(البويطي)** المصري **(أحد أصحابه)** المصريين منسوب إلى بويط كزبير قرية بصعيد مصر، كان إماماً جليلاً عابداً زاهداً متهجداً تالياً سريع الدمعة، روى عنه، وعن عبدالله بن وهب، وعنه الربيع المرادي وهو رفيقه، وابراهيم الحربي، ومحمد بن إسماعيل الترمذي، وأبو حاتم وقال: صدوق مات سنة ٢٣١ في سجن بغداد في القيد **(يختم القرآن في كل يوم مرة)** تبعاً لأستاذه، وقد نقل في مناقب البويطي أنه كان كثير التلاوة للقرآن لا يمر به يوم ولا ليلة غالباً حتى يختم مع اشتغاله بالفتوى، ثم إن للسلف عادات مختلفة في القدر الذي يختمون فيه، فمنهم في كل شهر ختمة، وآخرون في كل جمعة، وآخرون في كل يوم وليلة، وآخرون في كل ركعة، أَوْرَدَ ذلك النووي في الاذكار، وسيأتي ما يتعلق بذلك في آداب تلاوة القرآن من هذا الكتاب.

(وقال) أبو علي **(الحسين بن علي بن يزيد)** الكرابيسي: كان إماماً جليلاً تفقه أوَّلاً على مذهب أهل الرأي ثم للشافعي ولازمه واختص به وسمع منه الحديث ومن غيره، وله مصنفات إلا أن أحمد بن حنبل كان يتكلم فيه بسبب مسألة اللفظ وهو أيضاً كان يتكلم في أحمد فتجنب الناس الأخذ عنه لهذا السبب مات سنة ٢٤٥ قال: **(بت عند)** وفي بعض النسخ: مع **(الشافعي غير ليلة)** وثبت في بعض الروايات التصريح بثمانين ليلة، **(فكان يصلي نحواً من ثلث الليل)**. وفي رواية نحو ثلث الليل، **(فما رأيته)** وفي رواية: وما رأيته **(يزيد على خمسين آية)** أي من القرآن في الصلاة، **(فإذا أكثر فمائة)** آية، **(فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله لنفسه ولجميع المؤمنين)**. وفي رواية: وللمؤمنين أجمعين، **(ولا)** يمر **(بآية عذاب إلا تعوّذ بالله منه)** أي من العذاب، وفي غالب النسخ منها **(وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين)** أجمعين، وفي بعض النسخ ولجميع المؤمنين، **(فكأنه جمع له الرجاء والرهبة)** رواه زكريا الزاجي في مناقب الشافعي، حدثني محمد بن إسماعيل، حدثنا حسين بن علي الكرابيسي قال: بت مع الشافعي فكان يصلي فذكره، وقال الحافظ ابن كثير بعد ايراده قول الكرابيسي ما نصه: هكذا يكون تمام العبادة أن يجمع الرغبة والرهبة كما صح عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا مرَّ بآية رحمة وقف فسأل، وإذا مر بآية عذاب وقف وتعوّذ، وقال تعالى: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً

جمع له الرجاء والخوف معاً، فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره في أسرار القرآن وتدبره فيها.

وقال الشافعي رحمه الله: ما شبعت منذ ست عشرة سنة، لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة، فانظر إلى حكمته في ذكر آفات الشبع، ثم في جده في العبادة، إذ طرح الشبع لأجلها، ورأس التعبد تقليل الطعام. وقال الشافعي رحمه الله: ما حلفت بالله تعالى لا صادقاً ولا كاذباً قط، فانظر إلى حرمته وتوقيره لله تعالى، ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه. وسئل الشافعي رضي الله عنه عن مسألة فسكت، فقيل له: ألا تجيب رحمك الله؟ فقال: حتى أدري الفضل في سكوتي أو في جوابي؟ فانظر في مراقبته للسانه مع أنه أشد

يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ [الزمر: ٩] اهـ. (**فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية**) خاصة (**على تبحره**) وسعته (**في معرفة أسرار القرآن وتدبره فيها**) أي في معانيها.

(**وقال الشافعي**) فيما رواه ابن أبي حاتم، حدثنا الربيع قال، قال الشافعي رضي الله عنه: (**ما شبعت منذ ست عشرة سنة**) إلا شبعة أطرحها يعني فطرحتها، (**لأن الشبع يثقل البدن**) أي لامتلاء العروق بالطعام والشراب (**ويقسي القلب**) أي يغلظه (**ويزيل الفطنة**). ومنه قول الحكماء: البطنة تذهب الفطنة. (**ويجلب النوم**) أي: لارتخاء العروق (**ويضعف صاحبه عن العبادة**) قال المصنف: (**فانظر إلى حكمته في ذكر آفات الشبع**) الخمسة، (**ثم في جده**) وتشمره (**للعبادة، إذ طرح الشبع لأجلها و**) قد قالوا (**رأس التعبد**) وملاكه (**تقليل الطعام**) وافراغ الجوف منه.

(**وقال الشافعي**) فيما رواه عنه حرملة بن يحيى: (**ما حلفت بالله تعالى لا صادقاً ولا كاذباً قط**) رواه هكذا الزبير بن عبد الواحد الأسداباذي، سمعت ابراهيم بن الحسن الصوفي يقول: سمعت حرملة يقول: سمعت الشافعي يقول فذكره. إلا أنه ليس فيه قط، ورواه الربيع أيضاً عنه فزاد بعد قوله: ولا كاذباً جاداً ولا هازلاً، ويروى عن الربيع عنه قال: ما كذبت قط ولا حلفت بالله لا صادقاً ولا كاذباً ولا تركت غسل الجمعة في حر ولا برد ولا سفر ولا غيره. (**فانظر إلى حرمته وتوقيره**) أي تعظيمه (**لله تعالى**) حيث لم يحلف به قط، (**ودلالة ذلك على علمه بجلال الله**) وعظمته.

(**وسئل الشافعي**) يوماً (**عن مسألة فسكت**) ولم يجب، (**فقيل له: ألا تجيب رحمك الله؟ فقال: حتى أدري الفضل في سكوتي أو في الجواب**)، وهكذا كان شأن الأئمة يسكتون عن جلة من المسائل ويكلون علمها إلى الله تعالى. (**فانظر إلى مراقبته**) أي محافظته (**للسانه**)

الأعضاء تسلطاً على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر، وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب. وقال أحمد بن يحي بن الوزير: خرج الشافعي رحمه الله تعالى يوماً من سوق القناديل فتبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم، فالتفت الشافعي إلينا وقال: نزّهوا أسماعكم عن استماع الخنى كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به، فإن المستمع شريك القائل، وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء في أنائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم ولوردت كلمة السفيه لسعد رادّها كما شقي بها قائلها.

وقال الشافعي رضي الله عنه: كتب حكيم إلى حكيم: قد أوتيت علماً فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم.

بعدم النطق (**مع أنه**) أي اللسان (**أشد الأعضاء تسلطاً على الفقهاء وأعصاها على الضبط والقهر**). ومنه ما ورد في الحديث: « وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ». وفي الأحاديث التي لا طرق لها: « من حفظ ما بين لقلقه وذبذبه دخل الجنة ». (**وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب**) من الله تعالى.

(**وقال**) أبو عبدالله (**أحمد بن سبط**) يحي بن (**الوزير**) بن سليمان بن المهاجر السجيني المصري الحافظ النحوي مولاهم أحد الأئمة. روى عن عبدالله بن وهب، وشعيب بن الليث، وأصبغ بن الفرج، وعنه النسائي وقال: ثقة. وأبو بكر بن أبي داود ولد سنة ١٧١، وصحب الشافعي وتفقه له. مات في سجن أحمد بن محمد بن المدبر. لست خلون من شوّال سنة ٢٥١. (**خرج الشافعي يوماً من سوق القناديل**)، وكان بالقرب من جامع عمرو بمصر تباع فيه القناديل، وبإحدى أزقته ولد ابن الجواني النسابة وقد اندثر رسمه الآن، (**فتبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم**) أي يشتمه، (**فالتفت الشافعي إلينا فقال: نزّهوا أسماعكم عن استماع الخنى**) أي الفحش من الكلام (**كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به، فإن المستمع شريك القائل، وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء في وعائه**) أي في قلبه (**فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم**) أي في قلوبكم، (**ولو رُدّت كلمة السفيه لسعد رادها كما يشقى قائلها بها**)، وإلى هذا نظر ابن المنير فقال وأجاد:

الأذن كالوردة مفتوحة ... فلا تمرن عليها الخنى
فإنه أنتن من جيفة ... فاحرص على الوردة أن تنتنا

(**وقال الشافعي رضي الله عنه كتب حكيم إلى حكيم**): يا هذا (**قد أوتيت علماً**) بالله تعالى (**فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب**) لأن معاصي الله تعالى لها ظلمات، فلا يستقر النور مع تلك الظلمات لكونهما ضدين (**فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم**)،

وأما زهده رضي الله عنه فقد قال الشافعي رحمه الله: من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها في قلبه فقد كذب. وقال الحميدي: خرج الشافعي رحمه الله إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم، فضرب له خباء في موضع خارجاً من مكة، فكان الناس يأتونه، فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها.

وذلك يوم العرض بين يدي الله تعالى فيفوز المقربون بانصبائهم، ونور علمهم يدلهم إلى طريق الجنة، وأهل الذنوب يحتارون في ذنوبهم فلا يهتدون سبيلاً، وأورده الدينوري في المجالسة فقال: حدثنا محمد بن عبد العزيز قال: سمعت أبي يقول: سمعت ابن السماك يقول: كتب رجل إلى أخٍ له يا أخي: إنك قد أوتيت علماً فلا تطفيء نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم اهـ. فهذا الذي ذكره متعلق بعبادته رضي الله عنه.

(**وأما زهده رضي الله عنه**)؛ وهي الخصلة الثانية من الخصال الأربعة، (**فقد قال الشافعي رحمه الله من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وبين خالقها في قلبه فقد كذب**) أي لأنهما ضدان لا يجتمعان إذا نزل أحدهما بالقلب ارتحل الآخر عنه.

(**وقال**) أبو بكر عبدالله بن الزبير بن عيسى القرشي الأسدي (**الحميدي**) المكي منسوب إلى جده حميد بن زهير بن الحارث بن أسد. روى عن الشافعي وتفقّه عليه، وذهب معه إلى مصر، وعن سفيان بن عيينة، والداروردي، وفضيل بن عياض، ووكيع، وعنه البخاري، ومحمد بن يحيى الذهلي، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازايان توفي بمكة في سنة ٢١٩. (**خرج الشافعي إلى اليمن مع بعض الولاة**) تقدم أنه نشأ باليمن وولي نجران وبها بنو الحرث وموالي ثقيف، فشكوه إلى الخليفة فطلبه فدخل بغداد لأجل هذه الشكاية، واجتمع حينئذ بمحمد بن الحسن، ثم رجع إلى اليمن، (**وانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب خباءه في موضع خارج من مكة، فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه حتى فرقها كلها**). وقد اختلف في قول الحميدي هذا فقال ابن عساكر: أخبرنا أبو الحسن القرظي، حدثنا أبو نصر الخطيب، حدثنا أبو بكر بن الحديد، أخبرنا محمد بن بشر البكري، سمعت الربيع يقول: سمعت الحميدي يقول: قدم علينا الشافعي من صنعاء فضربت له الخيمة ومعه عشرة آلاف دينار، فجاء قوم وسألوه فما قلعت الخيمة ومعه منها شيء، ثم روي من طريق أبي جعفر الترمذي، عن الربيع، عن الحميدي قال: قدم الشافعي بثلاثة آلاف دينار فدخل عليه بنو عمه وغيرهم فجعل يعطيهم حتى قام وليس معه شيء. وقال البيهقي: أخبرنا الحاكم، سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب الأصم، سمعت الربيع بن سليمان يقول: سمعت الحميدي يقول: قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار في منديل، فضرب خباءه في موضع خارجاً عن مكة، وكان الناس يأتونه فيه فما برحت حتى ذهبت كلها. قال البيهقي: وقال غيره عن الربيع في هذه الحكاية: وفرق المال كله في قريش، ثم دخل مكة.

وخرج من الحمّـام مرة فأعطى الحمامي مالاً كثيراً، وسقط سوطه من يده مرة فرفعه إنسان إليه فأعطاه جزاء عليه خمسين ديناراً. وسخاوة الشافعي رحمه الله أشهر من

قلت: وروى ابن خزيمة عن الربيع بمثل رواية البيهقي الأول، وفيه: معه عشرون ألف دينار، وفيه: وأقام حتى فرقها. وقال الزبير بن عبدالواحد الاسداباذي، وأخبرني أبو محمد البستي السجستاني فيما كتب إليَّ قال: حدثني أبو ثور، قال: أراد الشافعي أن يخرج إلى مكة ومعه مال فقلت له: وقلّما كان يمسك الشيء من سماحته: ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك من بعدك، فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال ما فعل به. فقال: ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها أكثرها قد وقفت، ولكن قد بنيت بمنى مضرباً يكون لأصحابنا إذا حجوا ينزلون فيه. ورواه أبو عبدالله محمد بن أحمد غنجال الحافظ البخاري، حدثنا خلف بن محمد، حدثنا ابراهيم بن محمود بن حمزة، حدثني داود بن علي بن خلف، حدثني ابراهيم بن خالد الكلبي يعني أبا ثور الشافعي بهذا وزاد بعد قوله: ينزلون فيه قال: فكأني اهتممت فأنشد الشافعي قول ابن أبي حازم:

إذا أصبحت عندي قوت يوم ... فخل الهم عني يا سعيدُ
ولم تخطر هموم غد ببالي ... لأن غداً له رزق جديدُ
أسلم إن أراد الله أمرا ... وأترك ما أريد لما يريدُ
وما لإرادتي وجه إذا ما ... أراد الله لي ما لا أريدُ

(وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامي مالاً كثيراً) قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، حدثنا محمد بن روح، حدثنا الزبير بن سليمان القرشي، عن الشافعي قال: خرج هرثمة فاقرأني سلام أمير المؤمنين هارون، وقال: قد أمر لك بخمسة آلاف دينار. قال: فحمل إليه المال فدعا الحجام فأخذ من شعره فأعطاه خمسين ديناراً، ثم أخذ رقاعاً فصر من تلك الدنانير صرراً ففرقها في القرشيين الذين هم في الحضرة، ومن هم بمكة حتى ما رجع إلى بيته إلا بأقل من مائة دينار. وقال ابن عساكر: قرأت بخط أبي الحسين الرازي، عن الزبير بن عبد الواحد الأسداباذي، حدثني أحمد بن مروان، حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحنفي قال: سمعت أبي يقول، قال: خرجنا من بغداد مع الشافعي نريد مصر، فدخلنا حران وكان قد طال شعره فدعا حجاماً فأخذ من شعره فوهب له خمسين ديناراً، **(وسقط سوطه من يده فرفعه له إنسان فأعطى جزاء عليه خمسين ديناراً)**. قال البيهقي: أخبرنا الحاكم، أخبرنا نصر بن محمد، حدثنا أبو علي الحسن بن حبيب بن عبد الملك بدمشق قال: سمعت الربيع بن سليمان يقول: رأيت الشافعي راكب حمار، فمرَّ على سوق الحدادين فسقط سوطه من يده، فوثب غلام من الحدادين فأخذ السوط ومسحه بكمه وناوله إياه، فقال الشافعي لغلامه: ادفع تلك الدنانير التي معك إلى هذا الفتى. قال الربيع، قلت: لا أدري كانت تسعة دنانير أو سبعة دنانير. **(وسخاوة الشافعي أكثر من أن تحصى)**. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبدالله الحكم قال: كان الشافعي

أن تحصى ورأس الزهد السخاء ، لأن من أحب شيئاً أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد . ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة ما روي : أنه روى سفيان بن عيينة حديثاً في الرقائق فغشي على الشافعي فقيل له : قد مات؟ فقال : إن مات فقد مات أفضل أهل زمانه . وما روى عبدالله بن محمد البلوي قال : كنت أنا وعمر بن نباتة جلوساً نتذاكر العباد

أسخى الناس بما يجد ، وقال داود بن علي الظاهري : حدثنا أبو ثور قال : كان الشافعي من أجود الناس وأسمحهم كفاً . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، سمعت عمرو بن سواد الدجى قال : كان الشافعي أسخى الناس على الدينار والدرهم والطعام . وقال محمد بن عبيدالله بن محمد ، أخبرنا أبو عمر محمد بن الحسين البسطامي ، أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بن الجارود ، سمعت المزني ، سمعت الشافعي يقول : السخاء والكرم يغطيان عيوب الدنيا والآخرة بعد أن لا يلحقها بدعة . **(ورأس الزهد السخاء)** بما ملكته يداك من مال وطعام وملبوس ، **(لأن من أحب شيئاً أمسكه ولا يفارقه فلا يفرق المال إلا من صغرت الدنيا في عينه وهو معنى الزهد)** كما سيأتي بيان ذلك في باب الزهد ، **(و)** مما **(يدل على قوّة زهده)** عن الدنيا **(وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة ما روي : أنه روى سفيان بن عيينة)** هو أبو محمد الهلالي مولاهم الكوفي أحد الأعلام . روي عن الزهري ، وعمرو بن دينار ، وعنه أحمد وعلي الزعفراني ثقة ثبت حافظ إمام مات في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة **(حديثاً في الرقائق)** . وروى أبو سعيد بن زياد ، حدثنا تميم بن عبدالله أبو محمد ، سمعت سويد بن سعيد يقول : كنا عند سفيان بن عيينة بمكة فجاء الشافعي فسلم وجلس ، فروى ابن عيينة حديثاً رقيقاً **(فغشي على الشافعي فقيل له :)** يا أبا محمد **(قد مات)** ابن إدريس **(فقال)** ابن عيينة : **(إن مات)** ابن إدريس **(فقد مات أفضل أهل زمانه)** . هكذا رواه الحافظ ابن كثير . **(وما روى عبدالله بن محمد البلوي)** في كتابه رحلة الشافعي قال ابن كثير : هو كذاب وضاع اختلق في كتابه أشياء لا أصل لها ، فمن ذلك مناظرة الشافعي أبا يوسف بحضرة الرشيد ، وتأليب أبي يوسف عليه فهو مكذوب باطل اختلقه هذا البلوي قبحه الله تعالى ، فإن الشافعي قدم بغداد أول قدمته سنة أربع وثمانين ومائة بعد موت أبي يوسف بسنتين ، فلم يدركه ولا رآه ، وأبو يوسف كان أجل قدراً وأعلى منزلة مما نسب إليه ، وإنما أدرك في هذه القدمة محمد بن الحسن الشيباني فأنزله في داره وأجرى إليه نفقته وأحسن إليه بالكتب وغير ذلك ، وكانا يتناظران فيما بينهما كما جرت عادة الفقهاء . هذا على مذهب أهل الحجاز وهذا على مذهب أهل العراق وكلاهما لا يكدره الدلاء اهـ .

وقال الذهبي في الميزان في ترجمة أحمد بن موسى النجار ما لفظه : حيوان وحشي . قال محمد بن سهل الأموي : حدثنا عبدالله بن محمد البلوي فذكر محنة مكذوبة للشافعي فضيحة لمن تدبرها ، وذكر في ترجمة محمد بن عبدالله بن محمد البلوي أنه روى عن عمارة بن يزيد بخبر منكر ذكره ابن

والزهاد فقال له عمر : ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه ؛ خرجت أنا وهو والحرث بن أسد إلى الصفا وكان الحرث تلميذ الصالح المري فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت ، فقرأ هذه الآية عليه : ﴿ هذا يومُ لا ينطقونَ ولا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرون ﴾ [المرسلات : ٣٥ ، ٣٦] فرأيت الشافعي رحمه الله وقد تغيّر لونه واقشعر جلده واضطرب اضطراباً شديداً وخرَّ مغشياً عليه ، فلما أفاق جعل يقول : أعوذ بك من

الجوزي وكذبه. (**قال: كنت أنا وعمر بن نباتة**) لم أعرف من حاله شيئاً ولا وجدت له ذكراً في طبقة أصحاب الشافعي ولا غيرها ، وإن كان هو والد أبي نصر بن عبد العزيز فبعيد ، لأن هذا متأخر الوفاة في سنة ٤٠٥ فليتحقق من حاله. (**جلوساً نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر: ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعي خرجت أنا وهو الحرث ابن أسد**) هو أبو عبدالله الحاسبي المتقدم ذكره، وقد ذكره السمعاني في الطبقة الأولى من أصحاب الشافعي ممن صحبه، وقد رده ابن الصلاح فقال: وصحبته للشافعي لم أر أحداً ذكرها ، وليس يعتمد على قول السمعاني فيما تفرد به والقرائن شاهدة بانتفائها اهـ.

قال ابن السبكي : إن كان السمعاني صرح بأنه صحب الشافعي فالاعتراض عليه لائح ، وإلا فقد يكون أراد بالطبقة الأولى ممن عاصر الشافعي وكان في طبقة الآخذين عنه وقد ذكره في الطبقة الأولى أيضاً أبو عاصم العبادي وقال: كان ممن عاصر الشافعي واختار مذهبه ولم يقل كان ممن صحبه ، فلعل هذا القدر مراد السمعاني اهـ. وقد تقدم أن وفاته ببغداد سنة ٢٤٣ . (**إلى الصفا**) وهو الجبل المطل على الحرم ، (**وكان الحرث تلميذ الصالح المري**) هو الصالح بن بشير بن وادع بن أبي الأقعس أبو بشر القاضي المعروف بالمري. روي عن الحسن، وابن سيرين ، وقتادة وغيرهم. وعنه سيار بن حاتم ، ويونس بن محمد ، وعفان وغيرهم. اختلف كلام ابن معين فيه وقال ابن عدي : هو رجل قاص حسن الصوت وعامة أحاديثه مناكير ، وعندي مع هذا أنه لا يتعمد الكذب ، بل يغلط شيئاً نقله الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ، وفي الكاشف للذهبي صالح بن أبو بشر المري الواعظ الزاهد روى عن الحسن ومحمد ، وعنه يونس المؤدب ويحي بن يحي وخالد بن خراش ضعفوه. وقال أبو داود : لا يكتب حديثه. توفي سنة ١٧٨ اهـ.

وذكره العراقي في كتابه الباعث على الخلاص من حوادث القصاص في عدد يزيد الرقاشي ، والحرث بن أسد من المشهورين بالصلاح والزهد المعروفين بالضعف في رواية الحديث ، (**فافتتح**) أي الحرث (**يقرأ**) حزباً من القرآن ، (**وكان حسن الصوت فقرأ**) قوله تعالى : ﴿ هذا يوم لا ينطقون ★ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ [**المرسلات : ٣٥ ، ٣٦**] **فرأيت الشافعي قد تغير لونه واقشعر جلده فاضطرب اضطراباً شديداً وخر مغشياً عليه**) خوفاً من هول الموقف ، (**فلما أفاق قال : أعوذ بالله من مقام الكذابين**) بين يديك (**وإعراض الغافلين**) عنك .

مقام الكاذبين وإعراض الغافلين، اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين، إلهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك، قال: ثم مشى وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة إذ مرّ بي رجل فقال لي: يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك في الدنيا والآخرة، فالتفت فإذا أنا برجل يتبعه جماعة، فأسرعت في وضوئي وجعلت أقفو أثره، فالتفت إليّ فقال: هل لك من حاجة؟ فقلت: نعم، تعلمني مما علمك الله شيئاً، فقال لي: اعلم ان من صدق الله نجا، ومن أشفق على دينه سلم من الردى، ومن زهد في الدنيا قرّت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غداً، أفلا أزيدك؟ قلت: نعم، قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان: من أمر بالمعروف وائتمر ونهي عن المنكر وانتهى، وحافظ على حدود الله تعالى، ألا أزيدك؟ قلت: بلى، فقال: كن في الدنيا زاهداً وفي الآخرة راغباً وأصدق الله تعالى في جميع أمورك تنج مع الناجين، ثم مضى فسألت: من هذا، فقالوا: هو الشافعي. فانظر إلى سقوطه مغشياً عليه، ثم إلى وعظه

(**اللهم لك خضعت قلوب العارفين و**) لك (**ذلت هيبة المشتاقين**) وفي نسخة: رقاب المشتاقين (**الهي هب لي جودك وجللني**) أي غطني (**بسترك واعف عن تقصيري بكرم وجهك قال:**) أي عمر بن نباتة (**ثم قمنا**) من المجلس (**فانصرفنا**) من مكة، (**فلما دخلت بغداد وكان هو**) أي الشافعي بالعراق إقليم معروف يذكر ويؤنث، وهما عراقان عراق العرب وعراق العجم، وبغداد والكوفة من عراق العرب (**فقعدت على الشط**) أي شط دجلة (**أتهيأ للصلاة**) بالوضوء (**إذ مربي رجل فقال يا غلام: أحسن وضوءك أحسن الله إليك في الدنيا والآخرة فالتفت فإذا أنا برجل تتبعه جماعة فأسرعت في وضوئي وجعلت أقفـو**) أي أتتبع (**أثره**) خلفه، (**فالتفت إليّ فقال: هل من حاجة؟ قلت: نعم تعلمني مما علمك الله شيئاً**) أراد النصيحة (**فقال لي: اعلم أن من صدق الله**) أي في معاملاته (**نجا**) أي من عذابه، (**ومن أشفق**) أي خاف (**على دينه سلم من الردى**) أي الهلاك، (**ومن زهد في الدنيا**) بالأعراض عن لذاتها (**قرت عيناه مما يرى من ثواب الله غداً**) ثم قال: لما رأى من حرصه على الملتقى، (**أفلا أزيدك؟ قلت: نعم. قال: من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان من أمر**) غيره (**بالمعروف**) هو كل ما عرف في الشرع (**وائتمر**) بنفسه (**ونهى**) غيره (**عن المنكر**) هو كل ما أنكره الشرع (**وانتهى**) بنفسه، (**وحافظ على حدود الله تعالى**) فلم يتجاوزها، ثم قال: (**ألا أزيدك؟ قلت: نعم. قال: كن في الدنيا زاهداً**) أي مقللاً منها (**وفي الآخرة راغباً واصدق الله في جميع أمورك**) سراً وعلانية (**تنج مع الناجين، ثم مضى فسألت من هذا؟ فقالوا: هو الشافعي**).

كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه؟ ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل، فإنه: ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر: ٢٨] ولم يستفد الشافعي رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والإجارة وسائر كتب الفقه، بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار، إذ حكم الأولين والآخرين مودعة فيها.

وأما كونه عالماً بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه. روي أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة: الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا إليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم. وقال الشافعي رحمه الله: إذا أنت

وفي هذه الحكاية نظر من وجوه. أما أولاً اجتماع الحرث بالشافعي وقد تقدم أنه لم يثبت، وثانياً كون الحرث تلميذاً للمري وسنة وفاة المري كان الحرث لم يولد أو كان رضيعاً، وثالثاً قوله فسألت من هذا بعد قوله أولاً ما رأيت أورع ولا أفصح الخ. وعند التأمل يظهر فيها غير ما ذكرت والآفة فيها من البلوي، فإنه اختلقها، وفي الصحيح من الأقوال الدالة على زهد الشافعي وخشيته مما نقله غير واحد من أصحابه مقنع عن هذا الذي اختلفه البلوي، (**فانظر إلى سقوطه**) على الأرض (**مغشياً عليه، ثم**) قال (**انظر إلى وعظه**) لعمر (**كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه**) من الله تعالى، (**ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله تعالى فإنما يخشى الله من عباده العلماء**). وكان الشافعي أخشى الناس لأنه كان أعلم الناس، ومن كان أعلم الناس كان أخشى الناس، وهذا مركب من الضرب الأول من الشكل الأول، والمقدمة الصغرى ينبغي أن تكون محققة باتفاق أو غيره، فكأن كونه أعلم الناس أمر مفروغ منه حتى استنتج منه كان أخشى الناس. (**ولم يستفد الشافعي رحمه الله هذا الخوف**) والخشية والزهد (**من علم كتاب السلم والإجارة وسائر كتب الفقه، بل**) استفاده (**من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار إذ حكم الأولين والآخرين مودعة فيها**) أي في الكتاب والسنة علمها من علمها وجهلها من جهلها.

(**وأما كونه عالماً بأسرار القلب**) وعجائبه (**وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه**) مما جمعها غير واحد، كالبيهقي، والخطيب، والحاكم، وقد أفردت بتآليف (**روي عنه أنه سئل عن الرياء**) أي عن حقيقته (**فقال**) في الجواب (**على البديهة: الرياء فتنة عقدها الهوى**) أي هوى النفس وميلها إلى الشهوات (**حيال**) بالكسر أي تجاه (**أبصار قلوب العلماء**) أثبت للقلوب أبصاراً على سبيل المجاز (**فنظروا إليها**) أي تلك الفتنة (**بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم**) أي أفسدت وأهدرت، ويروى عنه أيضاً أنه قال: لا يعرف الرياء إلا مخلص قال النووي: أي لا يتمكن في معرفة حقيقته والإطلاع على غوامض خفياته ودقائقه إلا من أراد الإخلاص فإنه يجتهد أزماناً متطاولة في البحث والفكر والتفتيش

خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب؟ وفي أي ثواب ترغب؟ ومن أيّ عقاب ترهب؟ وأيّ عافية تشكر؟ وأيّ بلاء تذكر؟ فإنك إذا تفكرت في واحدة من هذه الخصال صغر في عينك عملك، فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب؟ وقال الشافعي رضي الله عنه: من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه. وقال رحمه الله: مَن أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره. وقال: ما من أحد إلا له محب ومبغض، فإذا كان كذلك فكن مع أهل طاعة الله عز وجل.

ورُوي أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلاً صالحاً ورعاً وكان يسأل الشافعي رضي الله عنه عن مسائل في الورع، والشافعي رحمه الله يقبل عليه لورعه، وقال للشافعي يوماً: أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين؟ فقال الشافعي رحمه الله: التمكين درجة الأنبياء، ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر وإذا صبر مكّن،

عليه حتى يعرفه أو يعرف بعضه، ولا يحصل هذا لكل أحد، وإنما يحصل للخواص. ومن يزعم من آحاد الناس أنه يعرف الرياء فهو جاهل بحقيقته.

(**وقال الشافعي رحمه الله: إذا أنت خفت على عملك العجب فاذكر رضا من تطلب وفي أي نعيم ترغب، ومن أي عقاب ترهب، وأي عاقبة تشكر، وأي بلاء تذكر؟ فإنك إذا فكرت في واحدة من هذه الخصال**) الخمسة (**صغر في عينيك عملك**). أورده ابن كثير في ترجمته إلى قوله ترهب، وقال بعده فحينئذ يصغر عندك عملك. (**فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب، وهما من كبار آفات القلب**) فدل ذلك على تبحره في معرفة علوم الآخرة.

وقال الشافعي): من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في الفقه رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، (**ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه. وقال**) أيضاً: (**ومن أطاع الله بالعلم تنبه سره**) وفي نسخة: نفعه سره. وفي أخرى: تفقه سره (**وقال**) أيضاً: (**ما من أحد إلا له محب ومبغض، فإذا كان**) الأمر (**كذلك فكن من أهل طاعة الله**) مصلحاً بينك وبين الله، فالمحب لك يسعد ويرحم، والمبغض يمقت ويرجم.

(**ويروى أن عبد القادر بن عبد العزيز كان صالحاً ورعاً**) لم أعرف من حاله شيئاً، (**وكان يسأل الشافعي عن مسائل في الورع**) والإحتياط، (**والشافعي يقبل عليه لورعه**) وصلاحه (**فقال**) له يوماً. (**أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين؟**) وهو ثلاث مقامات للعارفين، (**فقال الشافعي: التمكين درجة الأنبياء**) عليهم الصلاة والسلام، وهو غاية قصد الكاملين ويعبر عنه بالإستقامة أيضاً، (**ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة**) والإبتلاء، (**فإذا**

ألا ترى أن الله عز وجل امتحن ابراهيم عليه السلام ثم مكنه، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكاً، والتمكين أفضل الدرجات، قال الله عز وجل: ﴿وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض﴾ [يوسف: ٥٦] وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن، قال الله تعالى: ﴿وآتيناه أهله ومثلَهُم معهم﴾ الآية. فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره في أسرار القرآن وإطلاعه على مقامات السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء، وكل ذلك من علوم الآخرة. وقيل للشافعي رحمه الله: متى يكون الرجل عالماً؟ قال: إذا تحقق في علم الدين فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند

امتحن) العبد **(صبر)** على المحنة، **(وإذا صبر تمكن)** وفي نسخة: مكن ثم استدل عليه فقال: **(ألا ترى أن الله تعالى امتحن إبراهيم)** عليه السلام بأنواع المحن **(ثم مكنه)** بعد، **(وامتحن موسى)** عليه السلام كذلك **(ثم مكنه، وامتحن أيوب)** عليه السلام كذلك **(ثم مكنه، وامتحن سليمان)** عليه السلام كذلك **(ثم آتاه ملكاً)** ومكنه فيه **(صلوات الله عليهم أجمعين)** وإليه يشير قوله تعالى: ﴿الم★ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ [العنكبوت: ١، ٢] وقوله تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا﴾ الآية [البقرة: ٢١٤] **(والتمكين أفضل الدرجات)** لأنه حال أهل الوصول **(قال الله تعالى: وكذلك مكنا ليوسف في الأرض)** [يوسف: ٥٦] يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء، وذلك بعد أن امتحن بالسجن والجب والأسر وغير ذلك **(وأيوب)** عليه السلام **(بعد المحنة العظيمة)** المشهورة في كتب النفائس **(مكن قال الله تعالى: وآتيناه أهله ومثلهم معهم)** إلى آخر **(الآية)** وهو قوله عز وجل: ﴿رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾. **(فهذا الكلام من الشافعي يدل على تبحره في)** معرفة **(أسرار القرآن)**.

وروى الربيع قال: كنت يوماً عند الشافعي إذ جاءه كتاب من الصعيد يسألونه عن قوله عز وجل: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥] فكتب لما حجب قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا. قلت له: أوتدين بهذا يا سيدي؟ فقال: والله لو لم يؤمن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا، وقد رواه إبراهيم بن محمد بن هرم عن الشافعي، فهذا أيضاً يدل على تبحره في أسرار القرآن **(و)** يدل على ذلك أيضاً على **(إطلاعه على مقامات السائرين إلى الله عز وجل من الأنبياء والأولياء وغير ذلك، وكل ذلك من علوم الآخرة)** لا تعلق له بعلوم الدنيا أصلاً. **(وقيل للشافعي: متى يكون الرجل عالماً)** أي كاملاً في العلم؟ **(قال: إذا تحقق في علم يعلمه)** أي عرفه معرفة جيدة، **(وتعرض)** بعد ذلك **(لسائر العلوم فنظر فيها)** بأمعان **(فإنه قيل جالينوس)** أحد حكماء اليونان: **(إنك**

ذلك يكون عالماً، فإنه قيل لجالينوس: إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجتمعة؛ فقال: إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتسكن حدته، لأن الافراد قاتل، فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته في معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة.

وأما إرادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى: فيدل عليه ما روي عنه أنه قال: وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إليّ شيء منه فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له، وكيف كان منزه القلب عن الالتفات إليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى. وقال الشافعي رضي الله عنه: ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطىء، وقال: ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من

تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجتمعة) مع اختلاف طبائعها. **(قال: إنما المقصود منها)** أي من تلك الأدوية **(واحد)** أي جزء واحد مضاد لذلك الداء، **(وإنما يجعل معه غيره)** بالإضافة عليه **(يسكن حدته)** وقوته، ولقد صدق فيا قال، **(لأن الإفراد قاتل)** بما فيه من الحدة والقوة فإذا لاقى الدواء الواحد حدة الداء تصاكا وعجز المريض عن تحمله، وإنما يداوى بما يلائم المريض، فكذلك الإنفراد في العلم الواحد يورث حدة المزاج فإذا صاحبته علوم أخر فإنما تكون ملائمة له مسكنة لحدته ولكن الواحد هو المقصود بالذات، **(فهذا وأمثاله مما لا يحصى)** مما نقل عنه **(يدل على عظم رتبته)** وجلالة قدره **(في معرفة الله سبحانه و) في (علوم الآخرة)**.

(وأما إرادته بالفقه خاصة وبالمناظرة فيه) مع الإقران **(وجه الله)** تعالى وهي الخصلة الرابعة **(يدل عليه ما روي عنه أنه قال: وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إليّ منه شيء)**. قال ابن حاتم: حدثنا الربيع قال: سمعت الشافعي ودخلت عليه وهو مريض فذكر ما وضع من كتبه فقال: وددت أن الخلق تعلمه ولا ينسب إلي منه شيء أبداً. وحدثناأبي قال: حدثنا حرملة قال: سمعت الشافعي يقول: وددت أن كل علم أعلمه يعلمه الناس أؤجر عليه ولا يحمدوني. **(فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم به، وكيف كان منزه القلب عن الإلتفات إليه بمجرد النية فيه لوجه الله تعالى، وقال الشافعي ما ناظرت أحداً قط فأحببت أن يخطىء)**. وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب يقول: سمعت الربيع بن سليمان المرادي يقول: دخلت على الشافعي وهو مريض فسألني عن أصحابنا فقلت له: إنهم يتكلمون. فقال لي الشافعي: ما ناظرت أحداً قط على الغلبة وبودّي أن جميع الخلق تعلموا هذا الكتاب يعني كتبه على أن لا ينسب إليّ منه شيء. قال هذا الكلام يوم الأحد، ومات هو يوم الخميس، وانصرفنا من جنازته ليلة الجمعة، فرأينا هلال شعبان سنة أربع ومائتين. **(وقال)** أيضاً: **(ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان**

الله تعالى وحفظ، وما كلمت أحداً قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو على لسانه. وقال: ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته، ولا كابرني أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عيني ورفضته، فهذه العلامات هي التي تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط، ثم كيف خالفوه فيها أيضاً، ولهذا قال أبو ثور رحمه الله: ما رأيت ولا رأى الراؤن مثل الشافعي رحمه الله تعالى. وقال أحمد بن

ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ). أورده النووي في بعض مصنفاته بإسناد صحيح. قال: **(وما كلمت أحداً قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق على لساني أو لسانه)**. وروى النووي بإسناد له: وددت إذا ناظرت أحداً أن يظهر الحق على يديه. **(وقال)** أيضاً في مسألة: **(ما أوردت الحق والحجة)** أي الدليل على إثبات ذلك الحق **(على أحد فقبلها مني)** بالإنصاف وحسن القبول **(إلا هبته)** أي وقعت هيبته في قلبي **(واعتقدت محبته)** لخلوص نيته وميله إلى الحق. وفي نسخة: مودته، **(ولا كابرني)** أي نازعني **(أحد على الحق ودافع الحجة)** عناداً وتعنتاً **(إلا سقط)** مقامه **(من عيني ورفضته)** أي تركت صحبته. والمكابرة هي المنازعة في مسألة لا لإظهار الصواب، بل لإلزام الخصم. ويروى من وجه آخر قال: ما عرضت الحجة على أحد فقبلها إلا عظم في عيني ولا عرضتها على أحد فردها إلا سقط من عيني. **(فهذه العلامات هي التي تدل على إرادته وجه الله تعالى بالفقه والمناظرة)** دون غيره.

(فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط) وهي التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه، **(ثم كيف خالفوه فيها)** بعد الإخلاص، **(ولهذا قال أبو ثور)** إبراهيم بن خالد بن اليمان الكلبي البغدادي، ويقال كنيته أبو عبدالله، ولقبه أبو ثـور. روى عن سفيان بن عيينة، وابن علية، وعبد بن حميد، وعبد الرحمن بن مهدي والشافعي، ويزيد بن معروف، وعنه مسلم خارج الصحيح وأبو داود، وابن ماجه، وأبو القاسم البغوي، ومحمد ابن إسحاق والسراج. قال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً توفي سنة ٢٤٠. **(ما رأيت ولا رأى الراؤن مثل الشافعي)**.

أخرجه البيهقي، عن الحاكم، سمعت إسحاق بن سعد بن الحسن بن سفيان يقول: سمعت أبا ثور يقول: ما رأينا مثل الشافعي ولا رأى الشافعي مثل نفسه. وذكر ابن السبكي في ترجمة أبي ثور من طبقاته بمثل المصنف وزاد: كان أصحاب الحديث ونقاده يجيئون إليه فيعرضون عليه، فربما وقفهم على غوامض الحديث لم يقفوا عليها فيقومون وهم يتعجبون. وقال الخطيب: أخبرنا محمد بن علي المقري، أخبرنا محمد بن جعفر التميمي بالكوفة، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن حاتم ابن إدريس البلخي، أخبرنا نصير بن المكي، حدثنا ابن عبد الحكم قال: ما رأينا مثل الشافعي كان أصحاب الحديث ونقاده يجيئون، فساقه مثل قول أبي ثور وزاد بعد قوله: وهم يتعجبون،

حنبل رضي الله عنه: ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى، فانظر إلى انصاف الداعي وإلى درجة المدعوّ له وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى الاقتداء بهؤلاء، ولكثرة دعائه له قال له ابنه: أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له

ويأتيه أصحاب الفقه المخالفون والموافقون فلا يقومون إلا وهم مذعنون له بالحذق والدراية، ويجيئه أصحاب الأدب فيقرأون عليه الشعر فيفسره، ولقد كان يحفظ عشرة آلاف بيت شعر من أشعار هذيل بإعرابها وغريبها ومعانيها، وكان من أضبط الناس للتاريخ، وكان يعينه على ذلك شيئان وفور عقل وصحة دين .وكان ملاك أمره صحةالعمل لله تعالى .وأخرج الخطيب من رواية الزبير بن بكار قال: قال لي عمي مصعب، لم تر عيناي مثل الشافعي قال: قلت يا عم أنت تقول لم تر عيناي مثل الشافعي. قال: نعم لم تر عيناي مثله. وقد روي مثل هذا عن أيوب بن سويد، وكان قد رأى الأوزاعي. وروي ذلك أيضاً عن ابن عبد الحكم والزعفراني وغيرهم.

(وقال أحمد بن حنبل) الإمام: **(ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى)** قال زكريا بن يحي الساجي: حدثني محمد بن خلاد البغدادي، حدثني الفضل بن زياد، عن أحمد بن حنبل قال: هذا الذي ترون كله أو عامته من الشافعي، وما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو الله للشافعي وأستغفر له. وأخرج الخطيب من رواية أبي عثمان محمد بن محمد بن إدريس الشافعي قال: قال لي أحمد بن حنبل: أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم في السجود.

قلت: وقال الميمون قال أحمد: ستة أدعو لهم سحراً منهم الشافعي وأخرج الخطيب أيضاً من رواية خطاب بن بشر قال: سمعت أحمد بن حنبل يذكر أبا عثمان أمر أبيه فقال: يرحم الله أبا عبدالله ما أصلي صلاة إلا دعوت فيها لخمسة هو أحدهم وما يتقدمه منهم أحد. ويروى مثل هذا القول، عن عبد الرحمن بن مهدي قال: ما أصلي صلاة إلا وأنا أدعو للشافعي فيها.

(فانظر إلى انصاف الداعي) في نفسه **(وإلى درجة المدعو له)** عند الله تعالى مع معرفة كل منهما قدر صاحبه، فقد روى حرملة عن الشافعي قال: خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أورع ولا أزهد ولا أعلم من أحمد رضي الله عنه. **(وقس به الأقران والأمثال من العلماء في هذه الإعصار وما)** يجري **(بينهم)** **(من المشاحنة)** والعداوة **(والبغضاء)** وقلة المعاونة **(لتعلم تقصيرهم في دعوى الإقتداء بهؤلاء)** الأئمة، **(ولكثرة دعائه له قال له ابنه)**: هو أبو عبد الرحمن عبدالله بن أحمد بن حنبل ولد في سنة ٢١٣، وحدث عن أبيه وعبد الأعلى بن حماد، وكامل بن طلحة، ويحي بن معين، وأبي بكر، وعثمان ابني أبي شيبة وشيبان بن فروخ، وعباس بن الوليد النرسي، وابن خيثمة، وزهير بن حرب، وسويد بن سعيد، وأبي الربيع الرواني، وعلي بن حكيم الأودي، ومحمد بن جعفر الوركاني، ويحي بن عبد ربه، وزكريا بن يحي

كل هذا الدعاء؟ فقال أحمد: يا بني كان الشافعي رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف، وكان أحمد رحمه الله يقول: ما مسّ أحد بيده محبرة إلا وللشافعي رحمه الله في عنقه منّة. وقال يحي بن سعيد القطان: ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلاّ وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه. ولنقتصر على هذه النبذة من أحواله، فإن ذلك خارج عن الحصر، وأكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسي رحمه الله تعالى. في مناقب الشافعي رضي الله عنه وعن جميع المسلمين.

ابن حمويه، وعبدالله بن عمر بن أبان الجعفي، ومحمد بن أبي بكر، وسفيان بن وكيع، وسلمة بن شبيب، وداود بن عمر الضبي، ومن في طبقتهم. وروى عنه أبو القاسم البغوي، وعبدالله بن إسحاق المدائني، ومحمد بن خلف، ووكيع ويحي بن صاعد، وعبدالله النيسابوري، والقاضيان والمحاملي، وأحمد بن كامل، وأبو علي بن الصواف، وأبو بكر النجاد، وأبو الحسين بن المنادي، ومحمد بن مخلد، وأبو بكر الخلال وآخرون وكان ثبتاً فهماً ثقة. **(أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء؟ فقال أحمد: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس)** وفي نسخة: للإبدان **(وانظر هل لهذين)** أي الشمس والعافية **(من خلف)** أي عوض **(وقال أحمد)** فيما أخرجه الحاكم فقال: حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد بن السري المقري، حدثنا أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن، حدثنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن الأشعري البغدادي، سمعت الفضل بن زياد العطار يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: **(ما يمس)** وفي رواية الحاكم: ما مسَّ **(أحد محبرة)** زاد الحاكم ولا قلماً. والمحبرة الدواة **(إلا وللشافعي في عنقه منة)**. ويقرب منه قول أبي زرعة الرازي: ما أعلم أحداً أعظم منه على أهل الإسلام من الشافعي.

(وقال) أبو سعيد **(يحي بن سعيد)** ابن فروخ التميمي مولاهم **(القطان)** الحافظ أحد الأعلام. روى عن هشام وحميد والأعمش. وعنه أحمد وابن معين وابن المديني قال أحمد: ما رأت عيناي مثله، وكان رأساً في العلم والعمل. ولد سنة ١٥٨ وتوفي سنة ١٩٨: **(ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعي لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه)**. رواه ابن أبي حاتم عن الزعفراني قال: أخبرت عن يحي بن سعيد القطان. قال: إني لأدعو الله للشافعي في كل صلاة أو في كل يوم لما فتح الله عليه من العلم ووفقه للسداد فيه. **(ولنقتصر على)** ذكر هذه **(النبذة)** المختصرة **(من أحواله)** رضي الله عنه، **(فإن ذلك خارج عن الحصر)** والتعداد، **(وأكثر هذه المناقب نقلناها من الكتاب الذي صنفه الشيخ)** الفقيه الزاهد أبو الفتح **(نصر بن إبراهيم)** بن داود **(المقدسي)** تفقه على الفقيه سليم بصور، ثم رحل إلى ديار بكر، وتفقه على محمد بن نبات الكازوني، ودرس ببيت المقدس مرة، ثم

(وأما الإمام مالك رضي الله عنه)، فإنه كان أيضاً متحلياً بهذه الخصال الخمس،

انتقل إلى صور وأقام بها عشر سنين ينشر العلم، ثم إلى دمشق فأقام بها تسع سنين يحدث ويفتي ويدرس، وهو على طريقة واحدة من الزهد والتصنيف وسلوك منهاج السلف. ومن تصانيفه كتاب الحجة على تارك المحجة والتهذيب والكافي والمقصود وشرح الإشارة لشيخه سليم الرازي. ومن شيوخه في الحديث عبد الرحمن بن الطبيز، وعلي بن السمسار، ومحمد بن عوف المزني، وابن سلوان، وأبو علي الأهوازي هؤلاء بدمشق وسمع بغزة من محمد بن جعفر المياسي، وبآمد من هبة الله ابن سليان، وبصور من الفقيه سليم وآخرون، وأملى مجالس. روى عنه أبو بكر الخطيب وهو من شيوخه، وأبو القاسم النسيب، وأبو الفضل يحي بن علي، وجمال الإسلام أبو الحسن السلمي، وأبو الفتح نصر الله المصيصي وهما من أخص تلامذته، وأبو علي حمزة الجيوبي توفي يوم الثلاثاء تاسع محرم سنة ٥٠٦ بدمشق وقبره معروف في باب الصغير تحت قبر معاوية رضي الله عنه. قال النووي: سمعت الشيوخ يقولون: الدعاء عند قبره يوم السبت مستجاب **(في مناقب الشافعي رحمه الله تعالى)**.

وهذا بيان من صنف في مناقبه، فأولهم داود بن علي الظاهري، ثم زكريا بن يحي الساجي، وعبد الرحمن بن أبي حاتم، وأبو الحسن محمد بن الحسين الهمداني المعروف بابن حكان، قال ابن كثير: وهو ضعيف. وفيما ينقله نكارة ولا يكاد يخلو ما رواه عن غرابة ونكارة، وأبو الحسين الرازي والد تمام، وأبو عبدالله بن شاكر القطان، والزاهد إسماعيل بن محمد السرخسي، وعبد القاهر بن طاهر البغدادي، والحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، والحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخه، والحافظ أبو عبدالله محمد بن محمد بن أبي زيد الأصبهاني المعروف بابن المقري، وأبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي، والفقيه نصر المقدسي، والحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه ذكر ترجمة بليغة أطنب فيها، وذكر أشياء من ترجمة ابن حكان، وهو ضعيف، وأشياء من كتاب البلوي وهو وضاع كذاب، وكذلك جمع في مناقب الإمام أبو عبدالله فخر الدين محمد ابن عمر الرازي أستاذ المتكلمين في زمانه في مجلد، وأطال العبارة فيها. قال ابن كثير: ولكنه اعتمد على منقولات كثيرة مكذوبة ولا معتمد عنده في ذلك، فلهذا كثر فيها الغرائب، وكذلك الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام، والحافظ عماد الدين بن كثير في أوّل[1] طبقاته، والتاج السبكي في أول طبقاته الكبرى، والحافظ ابن حجر في كلام مستقل سماه **(توالي التأنيس)** والحافظ قطب الدين الخيضري في أول كتابه **(اللمع الألمعية)** والحافظ السيوطي في كتاب سماه **(شافي العي بمناقب الشافعي)** فهؤلاء الذين بلغنا ممن صنف في مناقبه، شكر الله سعيهم وجزاهم عن الإسلام خيراً.

(وأما مالك رضي الله عنه). قال السيوطي في **(تزيين الآرائك في مناقب الإمام مالك)** ما حاصله: هو إمام الأئمة أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحرث

---

(١) بياض في الأصل.

فإنه قيل له: ما تقول يا مالك في طلب العلم؟ فقال: حسن جميل ولكن انظر إلى الذي يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله تعالى في تعظيم علم الدين

ابن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحرث هوذ وأصبح بن سويد بن عمرو بن سعيد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمر بن قبيل بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير الأكبر بن سبأ الأكبر بن عبد شمس بن يعرب بن يشجب بن قحطان. قال أبو مصعب: مالك بن أنس من العرب وحلفه من قريش في بني تيم بن مرة. قال الغافقي: وأمه العالية ابنة شريك الأزدية، وقيل: اسمها طليحة، وذكر القاضي بكر بن العلاء القشيري: أن أبا عامر جد مالك له صحبة وابنه مالك جد مالك من كبار التابعين، ويقال: أن جده أبا عامر تابعي مخضرم. ولد الإمام مالك سنة ثلاث وتسعين في ربيع الأول. وقيل: سنة أربع قاله محمد بن عبد الحكم. وقيل: سنة ثلاث وسبعين، وقيل: غير ذلك. قال ابن سعيد: وأخبرنا مطرف بن عبدالله قال: كان مالك بن أنس طويلاً عظيم القامة أصلع أبيض الرأس واللحية أبيض شديد البياض إلى الشقرة، وكان لباسه الثياب المدنية الجياد، وكان يكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثل. وشيوخه كثيرون قد أفردوا بالتآليف، منهم نافع، والزهري، والمقري، وربيعة الرأي وغيرهم. وروى عنه ألف رجل سوى سبعة عدهم الحافظ أبو بكر الخطيب مرتباً على حروف المعجم من كبارهم: إبراهيم بن أدهم الزاهد، والإمام الشافعي، والإمام أبو حنيفة، ومحمد بن الحسن الشيباني، ووالد البخاري صاحب الصحيح، وإسماعيل بن حماد بن أبي حنيطة، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي صاحب الأغاني، وأشهب بن عبد العزيز المصري، وبشر بن الحرث أبو نصر الزاهد، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وذو النون المصري، وسفيان الثوري، ومات قبله. وسفيان بن عيينة، والحسين الكرابيسي وابن المبارك، وعبدالله بن عبد الحكم، والأوزاعي وهو أكبر منه، والأصمعي، والليث بن سعد وهو من أقرانه، والزهري وهو من شيوخه، وابن أبي ذؤيب، ومحمد الباقر، ويحيى بن سعيد الأنصاري وهو من شيوخه وتوفي في ربيع الأول سنة ١٧٩. وقال مصعب في صفر: وصلى عليه عبدالله بن محمد بن إبراهيم الهاشمي أمير المدينة، وكان أحد من حمل نعشه، وخلف من الأولاد يحيى ومحمداً وحمادة وأم أبيها، وبلغت تركته ثلاثة آلاف دينار وثلاثمائة دينار ونيفاً، (**فإنه كان متحلياً بهذه الخصال الخمس**) المذكورة (**فإنه سئل ما يقول مالك**) وفي نسخة يا مالك ما تقول (**في طلب العلم**): المفهوم من حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم. (**فقال في جوابه:**) هو (**حسن جميل ولكن انظر الذي يلزمك**) تعلمه (**من حين تصبح إلى حين تمسي فالزمه**). وهذه المقالة قد رويت عنه من أوجه ثلاثة.

الأول: رواه ابن عبد البر في كتاب بيان العلم من طريق ابن وهب قال: سئل مالك عن طلب العلم أهو فريضة على الناس؟ فقال: لا والله ولكن يطلب منه المرء ما ينتفع به في دينه.

الثاني: من طريق محمد بن معاوية الحضرمي قال: سئل مالك وأنا أسمع عن الحديث الذي

مبالغاً، حتى كان إذا أراد أن يحدّث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرّح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث، فقيل له في ذلك فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ. وقال مالك: العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية، وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوّة معرفته بجلال الله تعالى.

وأما إرادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله: الجدال في الدين ليس بشيء، ويدل عليه قول الشافعي رحمه الله: إني شهدت مالكاً وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة

يذكر فيه طلب العلم فريضة على كل مسلم؟ فقال: ما أحسن طلب العلم، فأما فريضته فلا.

الثالث: من طريق عبد الملك بن حبيب أنه سمع عبد الملك بن الماجشون قال: سمعت مالكاً وسئل عن طلب العلم أواجب؟ فقال: أما معرفة شرائعه وسننه وفقهه الظاهر فواجب وغير ذلك منه من ضعف عنه فلا شيء عليه، وهذه الأقوال مع غيرها ذكرناها مبسوطة فيما سلف عند ذكر الحديث المذكور. (**وكان رحمه الله في تعظيم علم الدين مبالغاً حتى**) روي عنه أنه (**كان إذا أراد أن يحدّث توضأ وجلس على صدر فراشه**) أي أعلاه (**وسرح لحيته**) بالمشط (**واستعمل الطيب وتمكن في الجلوس**) على ركبتيه (**على وقار وهيبة**) وخشوع وسكون، (**ثم يحدث فقيل له في ذلك فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ**). ويروى عن معن بن عيسى قال: كان مالك إذا أراد أن يجلس للحديث اغتسل وتبخر وتطيب، فإن رفع أحد صوته في مجلسه زبره وقال، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ [الحجرات: ٢] فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ، فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ اهـ.

ومن هنا قال بعض الحفاظ ما أعهد من نفسي أني أمسكت جزءاً من الحديث وأنا على غير طهارة. (**وقال مالك: العلم نور**) إلهي (**يجعله الله تعالى حيث يشاء**) من عباده. وفي نسخة؟ فيمن يشاء (**وليس**) العلم (**بكثرة الرواية**) وهذه الجملة الأخيرة قد رويت عن عبدالله بن مسعود. أخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عون بن عبدالله بن مسعود قال، قال عبدالله بن مسعود: ليس العلم بكثرة الرواية لكن العلم الخشية، وسيأتي ذلك. (**وهذا الاحترام والتوقير**)للعلم (**يدل على قوة معرفته بجلال الله عز وجل**) وخوفه منه.

(**وأما إرادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله الجدال في الدين**) أي المعاداة في علومه (**ليس بشيء**) أي لا ثمرة له وهو مذموم عند السلف. وأخرج الخطيب من رواية سعيد ابن بشير بن ذكوان قال: كان مالك إذا سئل عن مسألة فظن أن صاحبها غير متعلم وأنه يريد المغالطة نزع له بهذه الآية. يقول قال الله تعالى: ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ [الأنعام: ٩] (**ويدل عليه**) أيضاً (**قول الشافعي**) فيما روي عنه: (**إني شهدت مالكاً و**) قد (**سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنين وثلاثين منها لا أدري**)، وأجاب عن الباقي. وهكذا كان

فقال في اثنتين وثلاثين منها: لا أدري ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدري، ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه: إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب، وما أحد أمنّ عليَّ من مالك. وروي أن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله، فرُوي على ملأ من الناس: ليس على مستكره طلاق، فضربه بالسياط، ولم يترك رواية الحديث. وقال

عبدالله بن عمر إذا سئل عن عشرة يجيب عن واحدة ويسكت عن تسعة. وسيأتي أن لا أدري نصف العلم، وفي رواية ثلث العلم. وقال أحمد بن شيبان: سمعت عبد الرحمن بن مهدي قال: كنا عند مالك فجاءه رجل فقال من مسيرة ستة أشهر حملني أهل بلادي مسألة. قال: سل فسأله عنها، فقال: لا أحسن. قال: فبأي شيء أقول لأهل بلادي؟ قال: تقول قال مالك لا أحسن. وأخرج أبو نعيم من طريق أبي مصعب قال: سمعت مالكاً يقول: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك. **(ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه)** بمقتضى جبلتها **(بأن يقر على نفسه بأنه لا يدري)**، بل يحب أن يجيب في كل مسألة مهما أمكن لئلا ينسب الجهل إلى نفسه، **(فلذلك قال الشافعي رضي الله عنه)** فيما رواه عنه يونس بن عبد الأعلى الصوفي: **(إذا ذكر العلماء فمالك نجم)** ويروى إذا جاء مالك فمالك النجم، وفي الحلية من طريقه إذا جاء الأثر فمالك النجم، وقال يونس وسمعته يقول: لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز. وأخرج البخاري في تاريخه عن يحي بن سعيد القطان قال: مالك أمير المؤمنين في الحديث، وقوله **(الثاقب)** ليس في الرواية المذكورة. وقد سقط من بعض النسخ. وقال ابن عساكر في تاريخه: أنشدنا أبو بكر يحي بن إبراهيم، أنشدني والدي عن عبدالله الحميدي الأندلسي:

إذا قيل من نجم الحديث وأهله ... أشار أولو الألباب يعنون مالكا
إليه تناهى علم دين محمد ... فوطأ فيه للرواة المسالكا
ونظم بالتصنيف أشتات نشره ... وأوضح ما لولاه قد كان حالكا
وأحيا دروس العلم شرقاً ومغرباً ... تقدم في تلك المسالك سالكا
وقد جاء في الآثار من ذاك شاهد ... على أنه في العلم خص بذلكا
فمن كان ذا طعن على علم مالك ... ولم يقتبس من نوره كان هالكا

وروى يونس عن الشافعي أنه قال: **(ما أحد أمنّ عليّ من مالك)** أي أكثر منة منه. **(وروي أن أبا جعفر من الخلفاء)** وهو المنصور عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس ثاني الخلفاء العباسية **(منعه من رواية الحديث في طلاق المكره)**. هكذا في النسخ أبا جعفر، والصحيح أن المانع له من ذلك هو جعفر بن سليمان الهاشمي لا أمير المؤمنين كما هو نص الحلية وغيرها، **(ثم دس عليه)** خفية **(من يسأله)** عن هذا الحديث، **(فروى على ملأ من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث)**.

مالك رحمه الله: ما كان رجل صادقاً في حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف.

أخرج أبو نعيم في الحلية أن جعفر بن سليمان ضرب مالكاً في طلاق المكره. قال ابن وهب: وحمل على بعير فقال: ألا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس بن عامر، وأنا أقول طلاق المكره ليس بشيء فبلغ جعفر بن سليمان أنه ينادي على نفسه بذلك، فقال: أدركوه وانزلوه. وفي تاريخ الذهبي قال المفضل بن زياد: سألت أحمد من الذي ضرب مالكاً؟ قال: ضربه بعض الولاة في طلاق المكره كان لا يجيزه فضربه لذلك، وقال أبو داود السنجي: ضرب جعفر بن سليمان العباسي مالكاً في طلاق المكره، فحدثني بعض أصحاب ابن وهب أن مالكاً ضرب وحلق وحمل على بعير فقيل له: ناد على نفسك فنادى فذكر مثل ما تقدم من سياق الحلية، وعن إسحاق القروي وغيره قال: ضرب مالك ونيل منه وحمل مغشياً عليه. وعن مالك قال: ضربت فيما ضرب فيه سعيد بن المسيب ومحمد بن المنكدر وربيعة، ولا خير فيمن لا يؤذى في هذا الأمر. وعن الليث بن سعد قال: إني لأرجو أن يرفعه الله بكل سوط درجة في الجنة. قال مصعب بن عبدالله، ضربوه ثلاثين سوطاً. ويقال: ستين سوطاً، وذلك في سنة ست وأربعين ومائة. قال الأصمعي: ضربه جعفر بن سليمان ثم بعد مشيت بينهما حتى جعله في حل، وقال الواقدي: حسدوا مالكاً وسعوا به إلى جعفر بن سليمان وهو على المدينة، وقالوا: إنه لا يرى بيعتكم هذه شيئاً ويأخذ بحديث في طلاق المكره إنه لا يجوز فغضب ودعا به وجرد ومدت يده حتى انخلع كتفه، وفي رواية يداه حتى انخلعت كتفاه، قال الواقدي: فوالله ما زال بعد ذلك الضرب في علو ورفعة. وروى الحافظ أبو الوليد الباجي قال: حج المنصور فأقاد مالكاً من جعفر بن سليمان فامتنع مالك وقال: معاذ الله.

قلت: وطلاق المكره غير صحيح، وخالفهم أبو حنيفة فصححه، ودليلهم ما رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم عن عائشة: «لا طلاق ولا عتاق في أغلاق». وقال الحاكم بعدما أخرجه من طريقين أنه صحيح على شرط مسلم. ورده الحافظ الذهبي بأن فيه من إحدى طريقيه محمد بن عبيد بن صالح لم يحتج به مسلم وضعفه أبو حاتم. وفي الأخرى نعيم بن حماد صاحب مناكير، ولذا ضعفه الحافظ ابن حجر. والاغلاق: الاكراه. قال ابن الأعرابي: أغلق زيد عمراً على شيء يفعله إذا أكرهه عليه، واعتبر الإمام أبو حنيفة وجود اللفظ المعتبر من أصله في محله، ولم يعتبر وجود الرضا بثبوت الحكم. ومنهم من فسر الإغلاق بمعنى أنه لا تغلق التطليقات كلها دفعة واحدة حتى لا يبقى منها شيء، ولكن يطلق طلاق السنة. وقيل: غير ذلك ومحله كتب الفقه. (**وقال مالك: ما كان رجل صادقاً في حديثه**) أي عود لسانه بالصدق (**لا يكذب**) فيه (**إلا متع بعقله**) أمتعه الله به (**ولم يصبه مع الهرم**) أي كبر السن (**آفة**) في بدنه وحواسه (**ولا خرف**) أي فساد العقل، وهذا ظاهر في أهل الحديث المشتغلين به يموت أحدهم عن التسعين وأكثر وأقل ممتعاً بحواسه ببركة صدقه في الحديث وروايته له.

وأما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روي أن المهدي أمير المؤمنين سأله فقال له: هل لك من دار؟ فقال: لا، ولكن أحدثك. سمعت ربيعة بن أبي عبدالرحمن يقول: «نسب المرء داره» وسأله الرشيد: هل لك دار؟ فقال: لا، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال: اشترِ بها داراً فأخذها ولم ينفقها، فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك رحمه الله: ينبغي أن تخرج معنا فإني عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان

(**وأما زهده في الدنيا**) وتقلله منها (**فيدل عليه ما روي أن المهدي أمير المؤمنين**) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس ثالث الخلفاء العباسية (**سأله وقال: هل لك دار؟**) أي بالملك (**فقال لا، ولكن أحدثك فيه حديثاً، سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن**) هو أبو عثمان ربيعة بن فروخ مولى آل المنكدر، فقيه المدينة المعروف بالرأي. روى عن أنس، والسائب، وربيعة بن عبدالله بن المهدي، وعنه مالك، والليث والدراوردي، وأبو حمزة توفي بالأنبار سنة ١٣٠ (**يقول: نسب المرء داره**) وهذا من قوله موقوف عليه وسماه حديثاً تجوزاً. (**وسأله الرشيد**) هارون بن محمد بن عبدالله بن عباس رابع الخلفاء العباسية، وذلك في سنة حجه وهي السنة التي توفي فيها مالك (**هل لك دار؟ فقال: لا. فأعطاه ثلاثة آلاف دينار قال اشتر بها داراً**). ووصله أيضاً يحي بخمسمائة دينار (**فأخذها ولم ينفقها**) أي لم يصرف منها شيئاً، **فلما أراد الرشيد الشخوص**) أي الخروج من الحجاز إلى العراق بعد أداء نسكه (**قال لمالك رحمه الله ينبغي أن تخرج معنا**) إلى العراق (**فإني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ**) أي على العمل بما فيه (**كما حمل**) أمير المؤمنين (**عثمان**) بن عفان (**الناس على القرآن**) وأبطل جميع المصاحف. قال أبو الحسن بن فهر في كتاب فضائل مالك: أخبرنا أحمد بن ابراهيم بن فراس، سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أحمد الخلنجي يقول: سمعت بعض المشايخ يقول، قال مالك: عرضت كتابي هذا على سبعين فقيهاً من فقهاء المدينة فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ، قال ابن فهر: ولم يسبق مالكاً أحد إلى هذه التسمية، فإن من ألف في زمانه بعضهم سمى بالجامع، وبعضهم سمي بالمصنف، وبعضهم بالمؤلف، والموطأ بمعنى الممهد المنقح المحرر المصفى. قال الشافعي: ما بعد كتاب الله أصح من الموطأ. وفي رواية: أصح من كتاب مالك، وقال السيوطي: أطلق جماعة على الموطأ اسم الصحيح، واعترضوا على ابن الصلاح في قوله: أول من صنف في الصحيح البخاري بأن مالكاً تقدمه، وقال النووي في التقريب: أول من صنف في الصحيح المجرد فزاد المجرد احترازاً عن الموطأ، فإن مالكاً لم يجرد فيه الصحيح، بل أدخل فيه المرسل والمنقطع والبلاغات، وقال الحافظ مغلطاي: لا فرق بين الموطأ والبخاري في ذلك لوجوده أيضاً في البخاري من التعاليق ونحوها. قال الحافظ ابن حجر: كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرهما لا على الشرط الذي استقر عليه العمل في حد الصحة. قال: والفرق بين ما فيه من المنقطع وبين ما في البخاري أن الذي في الموطأ هو كذلك مسموع لمالك غالباً وهو حجة عنده،

رضي الله عنه الناس على القرآن، فقال له: أما حمل الناس على الموطأ فليس إليه سبيل، لأن أصحاب رسول الله ﷺ افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا، فعند كل أهل مصر علم، وقد قال ﷺ: «اختلاف أمتي رحمة». وأما الخروج معك فلا سبيل إليه. قال

والذي في البخاري قد حذف إسناده عمد الأغراض قررت في التعليق قال: فظهر بهذا أن الذي في البخاري من ذلك لا يخرجه عن كونه جرد فيه الصحيح بخلاف الموطأ، **(فقال)** مالك: **(أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل لأن أصحاب رسول الله ﷺ افترقوا بعده في الأمصار فحدّثوا)**، وقد تقدم أن بالشام كانت عشرة آلاف عين رأت رسول الله ﷺ، **(فعند كل أهل مصر علم)** ما ليس عند أهل مصر أخرى، **(وقد قال ﷺ: «اختلاف أمتي رحمة»)**.

قال العراقي: ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية بغير إسناد بهذا اللفظ، وأسنده في المدخل من رواية سليمان بن أبي كريمة، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس رفعه: فذكر حديثاً في آخره «واختلاف أصحابي لكم رحمة». وسليمان وجويبر ضعيفان جداً، والضحاك بن مزاحم مختلف فيه، وكان شعبة ينكر أن يكون سمع من ابن عباس اهـ.

قلت: وأول الحديث الذي في المدخل مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحد في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية فإن لم تكن سنة مني فما قال أصحابي إن أصحابي كالنجوم في السماء فأيما أخذتم به اهتديتم واختلاف أصحابي لكم رحمة. قال السخاوي: ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني والديلمي في مسنده بلفظه سواء.

قلت: وكذا أبو نصر السجزي في الإبانة وقال غريب، والخطيب، وابن عساكر في تاريخهما كذا في الجامع الكبير للسيوطي. وقال ابن السبكي في تخريج أحاديث المنهاج: هذا شيء لا أصل له، وقال والده: لم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع اهـ.

وأورده الحليمي في كتاب الشهادات من تعليقه، والقاضي حسين وإمام الحرمين، وقال ابن الملقن في تخريج أحاديث المنهاج: لم أر من خرّجه مرفوعاً بعد البحث الشديد عنه، وإنما نقله ابن الأثير في مقدمة جامعه من قول مالك، وقال الزركشي في تذكرته: رواه الشيخ نصر المقدسي في كتاب الحجة مرفوعاً، ورواه البيهقي في المدخل، عن القاسم بن محمد قوله، وعن يحيى بن سعيد نحوه، وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يقول: ما سرني لو أن أصحاب محمد ﷺ لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة اهـ كلام الزركشي.

وقال العراقي: وله إسناد آخر مرسل رواه آدم بن أبي إياس في كتاب العلم والحلم قال: حدثنا بقية، حدثنا أبو الحجاج مهدي، حدثني شيخ من لخم قال، قال رسول الله ﷺ: «اختلاف أصحابي لأمتي رحمة» وهذا إسناد فيه جهالة. والمعروف أن هذا من قول القاسم بن محمد أنه قال: اختلاف أمة محمد ﷺ رحمة رواه البيهقي في المدخل اهـ.

رسول الله ﷺ: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون». وقال عليه الصلاة والسلام:

قال السخاوي وقد عزاه الزركشي إلى كتاب الحجة لنصر المقدسي مرفوعاً من غير بيان لسنده ولا صحابيه، وكذا عزاه العراقي لآدم بن أبي إياس في كتاب العلم والحلم قال: هو مرسل ضعيف، وبهذا اللفظ يعني لفظ ابن إياس ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية بغير إسناد. وفي المدخل من حديث سفيان، عن أفلح بن حميد، عن القاسم بن حميد قال: اختلاف أصحاب محمد رحمة لعباد الله، ومن حديث قتادة أن عمر بن عبد العزيز كان يقول ثم ساق بمثل سياق الزركشي، ومن حديث الليث بن سعد عن يحي بن سعيد قال: أهل العلم أهل توسعة وما برح المفتون يختلفون فيحل هذا ويحرم هذا ولا يعيب هذا على هذا، ثم قال السخاوي: وقرأت بخط شيخنا يعني ابن حجر الحافظ أنه أي هذا الحديث مشهور على الألسنة، وقد أورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث القياس بلفظ «اختلاف أمتي رحمة للناس». وكثر السؤال عنه، وزعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له، لكن ذكره الخطابي في غريب الحديث مستطرداً. وقال: اعترض على هذا الحديث رجلان، أحدهما أباضي والآخر ملحد، وهما إسحاق الموصلي، وعمرو بن بحر الجاحظ. وقالا جميعاً: لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذاباً، ثم تشاغل الخطابي فرد هذا الكلام ولم يقع في كلامه شفاء في عزو الحديث، ولكنه أشعر بأن له أصلاً عنده اهـ.

ثم إن المراد من الأمة في الحديث المجتهدون، منهم في الفروع التي يسوغ الاجتهاد فيها. قال السبكي: ولا شك أن الاختلاف في الأصول ضلال وسبب كل فساد، كما أشار إليه القرآن، وأما ما ذهب إليه جمع من أن المراد الاختلاف في الحرف والصنائع، فهو مردود إذ كان المناسب على هذا أن يقال اختلاف الناس رحمة إذ لا خصوص للأمة بذلك، فإن كل الأمم مختلفون في الحرف والصنائع، ولا بد من خصوصية، قال: وما ذكره الحليمي كإمام الحرمين في النهاية من أن المراد اختلافهم في المناصب والدرجات والمراتب، فلا ينساق الذهن من لفظ الاختلاف إليه. ورحمة نكرة في سياق الإثبات لا يقتضي العموم، فيكفي في صحته أن يحصل الاختلاف رحمة ما في وقت ما في حال ما على وجه ما اهـ.

ونقل السمهودي هذه القصة عن مالك وقال: هو كالصريح في أن المراد الاختلاف في الأحكام كما نقله ابن الصلاح عن مالك أنه قال: في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ فمخطئ ومصيب فعليك بالاجتهاد قال: وليس كما قال ناس فيه توسعة على الأمة، إنما هو بالنسبة إلى المجتهد لقوله: فعليك بالاجتهاد فالمجتهد مكلف بما أداه إليه اجتهاده فلا توسعة عليه في اختلافهم، وإنما التوسعة على المقلد فقوله: «اختلاف أمتي رحمة للناس» أي لمقلديهم وسياق قول مالك مخطئ ومصيب إنما هو الرد على من قال: من كان أهلاً للاجتهاد فله تقليد الصحابة دون غيرهم، وفي العقائد لابن قدامة الحنبلي: أن اختلاف الأمة رحمة واتفاقهم حجة.

(وأما الخروج معك) إلى العراق **(فلا سبيل إليه)** لأنه **(قال ﷺ: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»)**.

« المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد ». وهذه دنانيركم كما هي إن شئتم

قال العراقي: قد رواه كذلك ابن أبي حاتم في مقدمة الجرح والتعديل، عن مالك، عن النبي ﷺ بغير إسناد، وهو مسند متصل من حديث مالك وغيره من حديث سفيان بن أبي زهير، وأبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص، وجابر، وأبي أيوب، وزيد بن ثابت، وأبي أسيد.

وأما حديث سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه فأخرجه البخاري والنسائي من طريق مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبدالله بن الزبير، عن سفيان، عن أبي زهير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « تفتح اليمن فيأتي قوم يبسون فيتحملون لأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون». الحديث رواه مسلم من رواية وكيع، وابن جريج والنسائي من رواية عبدة بن سليمان ثلاثتهم عن هشام بن عروة.

قلت: لفظ مسلم: « يفتح الشام فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » ثم ذكر اليمن ثم العراق بهذا اللفظ.

قال العراقي: وأما حديث أبي هريرة فرواه مسلم في إفراده من رواية العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يأتي عِلى الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » الحديث.

قلت: أخرجه مسلم من طريق الدارودي، عن العلاء، عن أبيه.

قال: وأما حديث سعد فرواه مسلم والنسائي من رواية عثمان بن حكيم، حدثني عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: « إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن تقطع عضاهها أو يقتل صيدها » وقال: « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ».

وأما حديث جابر فرواه أحمد في المسند من طريق أبي الزبير، عن جابر، والبزار من طريق الحريري، عن أبي بصرة عن جابر ورجاله ثقات.

وأما حديث أبي أيوب، وزيد بن ثابت، وأبي أسيد فرواها الطبراني في الكبير بأسانيد جيدة.

(وقال) ﷺ: (« المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد ») الخبث: محركة ما يلقى من وسخ الفضة والنحاس وغيرهما إذا أذيبت قاله ابن الأثير.

وقال العراقي: وهو متصل من حديث مالك وغيره من حديث أبي هريرة، وجابر، وزيد بن ثابت.

أما حديث أبي هريرة فرواه البخاري، ومسلم، والنسائي من طريق مالك، عن يحي بن سعيد قال: سمعت أبا الحباب سعد بن يسار يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: « أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد ». ورواه مسلم من رواية ابن عيينة وعبد الوهاب الثقفي كلاهما عن يحي بن سعيد.

فخذوها، وإن شئتم فدعوها يعني أنك إنما تكلفني مفارقة المدينة لما اصطنعته إليّ فلا أؤثر الدنيا على مدينة رسول الله ﷺ، فهكذا كان زهد مالك في الدنيا. ولما حملت إليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لانتشار علمه وأصحابه كان يفرقها في وجـوه الخير، ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال؛ وإنما الزهد فراغ

وأما حديث جابر، فرواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طريق مالك، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن أعرابياً بايع النبي ﷺ فذكر حديثاً في آخره، فقال: قال رسول الله ﷺ: «إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها». ورواه البخاري والنسائي من رواية سفيان الثوري عن ابن المنكدر. وفي رواية لأحمد من رواية زهير عن زيد بن أسلم عن جابر فذكر حديثاً فيه خروج المنافقين والمنافقات من المدينة إلى الدجال، ثم قال: ذلك يوم تنفي المدينة الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد، وذكر بقية الحديث ورجاله رجال الصحيح.

وأما حديث زيد بن ثابت فرواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من رواية عبدالله بن زيد بن ثابت، عن النبي ﷺ: «أنها طيبة» يعني المدينة «وأنها تنفي الخبث كما تنفي النار خبث الفضة» اهـ.

قلت: ولفظ البخاري من حديث جابر جاء أعرابي فبايعه يعني النبي ﷺ، ثم جاء من الغد محموماً فقال: أقلني بيعتي فأبى، ثم جاء فأبى، ثم جاء فقال: أقلني بيعتي فأبى، فخرج الأعرابي، فقال النبي ﷺ: إنما المدينة» الحديث. قاله ابن السبكي في تخريج أحاديث المنهاج، وقال ابن الملقن في تخريج أحاديث الكتاب المذكور أخرجه الشيخان في صحيحيهما من طرق.

أحدها: عند أبي هريرة مطولاً وفيه: «ألا إن المدينة كالكير تخرج الخبث لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبثه».

الثاني: عن جابر مطولاً أيضاً بقصة وفيه: «إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها».

الثالث: عن زيد بن ثابت ولفظه: «انها طيبة». يعني المدينة وساق كسياق العراقي قال: وفي بعض طرق البخاري تنفي الذنوب ذكره في المغازي.

(**وهذه دنانيركم**) موضوعة (**كما هي ان شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها**) أي اتركوها يعني أنك إنما تكلفني مفارقة المدينة بما اصطنعته لدي من المواساة بالمال (**فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله**) ﷺ، (**فهكذا كان زهد مالك**) رحمه الله (**في الدنيا**) وحقارتها في عينه. (**ولما حملت إليه الأموال**) والهدايا الكثيرة (**من أطراف الدنيا**) خاصة من المغرب الأقصى (**لانتشار علمه**) وفضله (**وأصحابه كان يفرقها في وجوه الخير**) ولا يمسكها لنفسه إلا بقدر الحاجة، (**ودلّ سخاؤه**) وكرم نفسه (**على زهده وقلة حبه للدنيا**) ونزاهة

القلب عنه، ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد، ويدل على احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي رحمه الله أنه قال: رأيت على باب مالك كراعاً من أفراس خراسان وبغال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت لمالك رحمه الله: ما أحسنه. فقال: هو هدية مني إليك يا أبا عبدالله، فقلت: دع لنفسك منها دابة تركبها، فقال: إني أستحي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها نبي الله ﷺ بحافر دابة، فانظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة وإلى توقيره لتربة المدينة. ويدل على إرادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره للدنيا ما روى عنه أنه قال: دخلت على هارون الرشيد فقال لي: يا أبا عبدالله ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ. قال: فقلت أعز الله مولانا الأمير إن هذا العلم منكم خرج، فإن أنتم أعززتموه عز، وإن أنتم أذللتموه ذلّ،

ساحته فيها (وليس) حقيقة (الزهد) عندهم (فقد المال) وذهابه، (وإنما الزهد فراغ القلب عنه) أي خروج حبه عن القلب، (فلقد كان سليمان عليه السلام في ملكه) الذي لا ينبغي أن يكون لأحد من بعده (من الزهاد) واشتغاله باعباء الملك ظاهراً لا يمنع الزهد، (ويدل على احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي انه قال: رأيت على باب مالك كراعاً) الكراع: اسم لجميع الخيل والسلاح (من أفراس خراسان) كورة مشهورة بالعجم يجلب منها جياد الخيل (وبغال مصر) أي مما أرسلت إليه في الهدايا (ما رأيت أحسن منها فقلت لمالك: ما أحسنه، فقال: هو هدية مني إليك يا أبا عبدالله، فقلت: دع لنفسك منها دابة تركبها فقال: أما أستحي من الله أن أطأ تربة) أي أرضاً (فيها نبي الله ﷺ بحافر دابة فانظر إلى سخاوته) وكرمه (إذ وهب جميع ذلك) أي من الدواب للشافعي (دفعه واحدة) بمجرد قوله له: ما أحسنه. (وإلى توقيره لتربة المدينة التي فيها النبي ﷺ)، وإنما نشأ هذا من مراقبة الله تعالى في أحواله كلها وعدم الالتفات إلى زهرة الدنيا، (ويدل على إرادته بالعلم وجه الله واستحقاره للدنيا ما روى عنه انه قال: دخلت على هارون الرشيد) حين جاء إليه يحي بن خالد يطلبه (فقال لي: يا أبا عبدالله) وهي كنية مالك والشافعي وأحمد وسفيان (ينبغي ان تختلف إلينا) أي تتردد (حتى يستمع صبياننا منك الموطأ. قال، قلت) له: (أعز الله الأمير إن هذا العلم منكم خرج) يعني قريشاً ر(فإن أنتم اعززتموه عز) أي صار عزيزاً (وإن أذللتموه ذل) صار ذليلاً (والعلم يؤتى) إليه لرفعة قدره (ولا يأتي) وفي المدارك للقاضي عياض أنه قال لهارون: أدركت أهل العلم يؤتون ولا يأتون ومنكم خرج العلم وأنتم أولى الناس باعظامه، ومن اعظامكم له أن لا تدعوا حملته إلى أبوابكم، وقال السخاوي في المقاصد: العلم يسعى إليه هو من قول مالك، ويروي: العلم أولى أن يوقروه ويؤتى إليه قاله للمهدي حين استدعى به لولديه ليسمعا منه، ويروى بلفظ: العلم يزار ولا يزور ويؤتى ولا يأتي اهـ.

والعلم يؤتى ولا يأتي، فقال: صدقت اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس.

(وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى): فلقد كان أيضاً عابداً زاهداً عارفاً بالله تعالى

وقرأت في أمالي الحافظ ولي الدين أبي زرعة ابن العراقي قال: أنشدنا أبو الحرم القلانسي حضوراً في الثالثة، وإجازة أنشدها أبو المعالي الايرقوهي حضوراً في الرابعة، وإجازة أنبأنا أبو عبدالله محمد بن ظفر اليزدي لنفسه:

ارع الحديث وعظم أهله أبداً واعلم بأن لهم فيه ولايات
ان كنت تطلبه قم فأت صاحبه فالعلم يا سيدي يؤتى ولاياتِ

(فقال: صدقت)، ثم قال للصبيان: (اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس).

وهذه القصة أوردها ابن عساكر بسياق آخر فقال: أخبرنا أبو الحسن المالكي، أخبرنا أبو العباس الفقيه، أخبرنا عبد الوهاب: أخبرنا أبو يعلي عبد العزيز الحراني، أخبرنا أبو بكر بن هارون، أخبرنا إبراهيم بن نصر النهاوندي، أخبرنا عتيق بن يعقوب الزبيري قال: قدم هارون الرشيد المدينة وكان قد بلغه أن مالك بن أنس عنده الموطأ يقرؤه على الناس، فوجه إليه البرمكي فقال: اقرأه السلام وقل له: احمل إليّ الكتاب فتقرأه علي فأتاه البرمكي فقال له مالك: اقرأه السلام وقل له: إن العلم يؤتى ولا يأتي فأتاه البرمكي فأخبره، وكان عنده أبو يوسف القاضي فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني الزهري، عن خارجة بن زيد، عن أبيه قال: كنت أكتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾ [النساء: ٩٥] وابن أم مكتوم عند النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني رجل ضرير وقد أنزل الله عليك في فضل الجهاد ما علمت، فقال النبي ﷺ: لا أدري، وقلمي رطب فما جف حتى وقع فخذ النبي ﷺ على فخذي ثم أغمي عليه، ثم جلس فقال: يا زيد اكتب ﴿غير أولي الضرر﴾ ويا أمير المؤمنين حرف واحد بعث فيه جبريل والملائكة عليهم السلام من مسيرة خمسين ألف عام ألا ينبغي له ان تعزه وتجله، وان الله تعالى رفعك وجعلك في هذا الموضع بعلمك، فلا تكن أنت أوّل من يضيع عز العلم فيضيع الله عزك، فقام الرشيد يمشي مع مالك إلى منزله فسمع منه الموطأ وأجلسه معه على المنصة، فلما أراد ان يقرأه على مالك قال: تقرأه عليَّ، قال ما قرأته على أحد منذ أزمان. قال: فيخرج الناس عني حتى أقرأه انا عليك فقال: إن العلم إذا منع عن العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصة، فأمر له معن بن عيسى الغزاني ليقرأه عليه، فلما بدأ ليقرأه قال مالك لهارون يا أمير المؤمنين: أدركت أهل العلم ببلدنا وانهم ليحبون التواضع للعلم، فنزل هارون عن المنصة فجلس بين يديه.

(وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى؛ فلقد كان أيضاً عابداً) لله تعالى **(زاهداً)** للدنيا **(عارفاً بالله تعالى، خائفاً منه، مريداً وجه الله بعلمه)**. هو الإمام الأعظم والمجتهد الأفخم النعمان بن ثابت بن زوطي كسكري بن ماه الكوفي الفقيه مولي بني تيم الله بن ثعلبة على قول.

خائفاً منه، مريداً وجه الله تعالى بعلمه. فأما كونه عابداً فيعرف بما روي عن ابن

وقيل: يتصل نسبه إلى كسرى أحد الائمة الاربعة. قال أبو نعيم، الفضل بن دكين: ولد أبو حنيفة سنة ثمانين، ورأى أنس بن مالك غير مرة بالكوفة قال ابن سعد في الطبقات، وروي عن عطاء بن أبي رباح قال: ما رأيت أفضل منه، وعن عطية العوفي، ونافع، وسلمة بن كهيل، ومحمد الباقر، وولده جعفر، وعدي بن ثابت، وقتادة، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وعمرو بن دينار، ومنصور بن المعتمر، وأبي الزبير، وحماد بن أبي سليمان، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وشعبة بن الحجاج، والاوزاعي، وعاصم بن أبي النجود وغيرهم ينيفون على أربعة آلاف على اختلاف طبقاتهم.

وأما الرواة عنه فلا ينحصرون، وفيهم من هو من رجال الستة. وقد أوردهم البدر العيني، وقاسم بن قطلوبغا على حروف المعجم منهم: الامامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن، ويعرفان بالصاحبين، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وزفر بن الهذيل، وابنه حماد بن أبي حنيفة، وحفص ابن غياث، وجرير بن حازم، وحماد بن زيد بن درهم، وخارجة بن مصعب، وابراهيم بن أدهم الزاهد، وشقيق ابن إبراهيم البلخي الزاهد، وداود بن ناصر الطائي الزاهد، وفضيل بن عياض الزاهد، والليث بن سعد، وعبدالله بن المبارك المروزي، وأبو عاصم النبيل، والقاسم بن معن، وقتادة وهاشم بن القاسم، والوليد بن مسلم، ويحيى بن اليمان، ويزيد بن زريع، وأبو أحمد الزبيري، وأبو أسامة حماد بن أسامة، وأبو معاوية الضرير، ونوح بن أبي مريم المروزي، وأبو مطيع الحكم بن عبدالله البلخي، وأسد بن عمرو، ومغيرة بن معسم، ومسعر وسفيان وزائدة وشريك والحسن بن صالح بن حي، وعلي بن مسعر، ووكيع وإسحاق الأزرق وسعد بن الصلت، وعبد الرزاق، وعبيدالله بن موسى، وهوذة بن خليفة، وجعفر بن عوف، وأبو عبدالرحمن المقري وغيرهم. وقد روى عنه الإمام مالك أيضاً، كما ذكره السيوطي، وابن حجر المكي. قال محمد بن عمر الواقدي: مات أبو حنيفة في شعبان سنة خمسين ومائة في خلافة أبي جعفر المنصور رضي الله عنه وعمن أحبه.

(فأما كونه عابداً فيعرف بما روي عن) عبدالله **(ابن المبارك)** ابن واضح الحنظلي مولاهم سلطان المحدثين أبو عبد الرحمن المروزي رحل إلى اليمن ومصر والشام والبصرة والكوفة كان من رواة العلم وأهل ذلك كتب عن الصغار والكبار. قال شعبة: ما قدم علينا مثله، وقال سفيان بن عيينة لما نعي إليه ابن المبارك: رحمه الله لقد كان فقيهاً عالماً عابداً زاهداً سخياً شجاعاً شاعراً، وصنف كتباً كثيرة في فنون العلم حملها عنه قوم وكتبها الناس عنهم. توفي سنة ١٨١عن ثلاث وستين، وقيل: غير ذلك. وكان في عداد طبقات تلامذة الإمام أبي حنيفة لازمه واستملى عنه فوائد، ونقل قاسم ابن قطلوبغا الحافظ عن البدر العيني ان ابن المبارك روى عن الإمام حكاية، فإن كان المراد منه أنه روى عنه حكاية بعينها، فالأمر سهل، وإلاَّ فظاهر سياقه دال على أنه لم يرو عنه سوى هذه، كيف وقد أخرج الحافظ ابن عساكر في تاريخه أخبرني أبو

المبارك أنه قال: كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة. وروى حماد بن أبي

بشر الوكيل، وأبو الفتح الضبي قالا: حدثنا عمر بن أحمد الواعظ، حدثنا أحمد بن محمد، عن عصمة الخراساني، حدثنا أحمد بن بسطام، حدثنا الفضل بن عبد الجبار، سمعت أبا عثمان حمدون ابن أبي الطوسي، سمعت عبدالله بن المبارك يقول: قدمت الشام على الاوزاعي فقال لي: يا خراساني، من هذا الذي خرج بالكوفة؟ يعني أبا حنيفة، فرجعت إلى بيتي فأقبلت على كتب أبي حنيفة فأخرجت منها مسائل من جياد المسائل، وبقيت في ذلك ثلاثة أيام فجئته يوم الثالث وهو مؤذن مسجدهم وإمامهم والكتاب في يدي، فقال: أي شيء في هذا الكتاب فناولته فنظر في مسألة منه وقف عليها. قال النعمان بن ثابت، فما زال قائماً بعدما أذن حتى قرأ صدراً من الكتاب، ثم وضع الكتاب في كمه ثم أقام وصلى، ثم أخرج الكتاب حتى أتى عليه، فقال لي يا خراساني: من النعمان بن ثابت هذا؟ قلت: شيخ لقيته بالعراق. فقال: هذا نبل من المشايخ اذهب فاستكثر منه، فقلت: هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه اهـ.

فقوله: فاقبلت على كتب أبي حنيفة أي الفوائد التي تلقاها عنه في حال ملازمته له لأنه لم يكن إذ ذاك كتاب خاص مؤلف في المسائل التي اجتهد فيها، وإنما حدثت الكتب بعد وفاته على أن عندي في سياق الخطيب نوع توقف، فإن الاوزاعي معدود من حملة مشايخه وهو من أقرانه. ولد بعد الإمام بسبع سنين ومات بعده بسبع سنين، فإذا كان كذلك كيف يعقل منه من هذا الذي بالكوفة، وكيف يخفى عليه اسمه. إذ قال لابن المبارك: من النعمان بن ثابت هذا، ولم يكن إذ ذاك من يقال له ابن ثابت غير الإمام أبي حنيفة فتأمل ذلك.

وفي تاريخ الذهبي قال حبان بن موسى: سئل ابن المبارك أمالك أفقه أم أبو حنيفة؟ قال: أبو حنيفة.

(**قال: كان أبو حنيفة له مروءة**) وهي قوّة للنفس هي مبدؤ لصدور الأفعال الجميلة منها: المستتبعة للمدح شرعاً وعقلاً وعرفاً (**وكثرة صلاة**) أي بالليل لما سيأتي أنه كان يحي الليل كله أو نصفه، وروى عن شريك قال: كان أبو حنيفة يسمى الوتد لكثرة صلاته. (**وروى**) أبو إسماعيل (**حماد بن سليمان**) واسمه مسلم الأشعري الكوفي الفقيه مولى أبي موسى الأشعري، روى عن إبراهيم النخعي، وأنس بن مالك، وابن المسيب، وعنه ابنه اسماعيل،، وابن أبي خليفة، ومسعر، وشعبة إمام مجتهد كريم جواد قال مغيرة: قلت لابراهيم إن حماداً قعد يفتي، فقال: وما يمنعه وقد سألني هو وحده عما لم تسألوني كلكم عن عشره اهـ.

وعن أبي إسحاق الشيباني قال: ما رأيت أحداً أفقه منه. قيل: ولا الشعبي. قال: ولا الشعبي، وقال شعبة، كان صدوق اللسان، وقال أبو حاتم: صدوق لا يحتج بحديثه وهو مستقيم في الفقه، فإذا جاء الأثر تشوّش، وقال العجلي، والنسائي: هو ثقة مات سنة عشرين ومائة. وقال البخاري في الصحيح، وقال حماد: إذا أقر مرة عند الحاكم زجر يعني الزاني. وروى له مسلم مقروناً بغيره والباقون. ذكره ابن أبي العوام السعدي في مسنده فيمن روى عن أبي حنيفة.

سليمان أنه كان يحي الليل كله. وروي أنه كان يحي نصف الليل فمرَّ يوماً في طريق، فأشار إليه إنسان وهو يمشي فقال لآخر: هذا هو الذي يحي الليل كله، فلم يزل بعد ذلك يحـي الليل كله، وقال: أنا أستحـي من الله سبحانه أن أوصف بما ليس فيَّ من عبادته.

وأما زهده، فقد روي عن الربيع بن عاصم قال: أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبي حنيفة عليه، فأراده أن يكون حاكماً على بيت المال فأبى فضربه عشرين

قلـت: وقد ذكر أيضاً في شيوخه كما تقدم (**أنه كان يحي الليل كله**)وذلك في أواخر عمره، (**وروي**) عن غيره (**أنه كان يحي نصف الليل**) أولاً (**فمر في طريق**) من طرق الكوفة، (**فسمع انساناً يقـول**) وروي فـأشـار إليـه إنسـان وهـو يمشي (**هـذا الذي يحي الليل كله، فلم يزل**) أبو حنيفة (**بعد ذلك يحي كل الليل**). وفي نسخة: الليل كله، (**وقال: أنا أستحي من الله تعالى أن أوصف بما ليس فيّ من عبادته**) وفي رواية: بعبادة ليست فيَّ يعني احترازاً من دخوله في قوله تعالى يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، وروى بشر بن الوليد، عن أبي يوسف قال: بينما أمشي مع أبي حنيفة إذ سمعت رجلاً يقول لآخر هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال أبو حنيفة: والله لا يتحدث عني بما لم أفعل، فكان يحي الليل صلاة ودعاء وتضرعاً. وقد روي من وجهين: إنه ختم القرآن في ركعة كل ليلة. رواه علي بن إسحاق السمرقندي، عن أبي يوسف، وعن أسد بن عمرو أن أبا حنيفة صلى العشاء والصبح بوضوء واحد أربعين سنة. وروى يحي بن عبد الحميد الحماني، عن أبيه أنه صحب أبا حنيفة ستة أشهر قال: فما رأيته صلّى الغداة إلا بوضوء العشاء الأخيرة، وكان يختم القرآن في كل ليلة عند السحر. وقال الحسين بن محمد السمناني في كتابه خزانة المفتين ووفاته سنة ١٧٤. حكي أن أبا حنيفة لما حجّ حجة الوداع دخل الكعبة وقام بين العمودين على رجله اليمنى حتى قرأ نصف القرآن وركع وسجد، ثم قام على رجله اليسرى وقد وضع قدمه اليمنى على ظهر رجله اليسرى حتى ختم القرآن، فلما سلم بكى وناجى وقال: إلهي ما عبدك هذا العبد الضعيف حق عبادتك، ولكن عرفك حق معرفتك فهبه نقصان عبادته لكمال معرفته.

(**وأما زهده، فقد روي عن الربيع بن عاصم**) لم أجده هكذا في الرواة عن أبي حنيفة. وفي الميزان الربيع بن إسماعيل أبو عاصم، عن الجعدي من ولد جعفر بن هبيرة، وعنه بكر بن الأسود. ومحمد بن اسماعيل الأحمسي، فلعله هو هو، وتصحف على النساخ، ثم وجدت بعد ذلك هذا السياق بعينه في كتاب التاريخ لابن أبي خيثمة. أورده بسنده من طريق الربيع بن عاصم هكذا. (**قال: أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة**) وإلى الكوفة من قبل مروان بن محمد، وإليه نسب قصر ابن هبيرة بالكوفة، (**فقدمت بأبي حنيفة عليه فأراده**) أن يوليه (**على بيت المال**)، وقيل: القضاء (**فلم يله وضربه عشرين سوطاً**).

....

وأخرج الخطيب من طريق أبي بكر بن عياش أن أبا حنيفة ضرب على القضاء. زاد أبو معمر الراوي عن أبي بكر بن عياش مائة سوط في أيام باردة، وذلك في ولاية مروان بن محمد، فإنه أمرّ ابن هبيرة على العراق فأكره أبا حنيفة فلم يل. وأخرج العسكري من طريق يحيى بن أكثم، عن أبي داود قال: أراد ابن هبيرة أن يولي الإمام قضاء الكوفة فأبى، فحلف إن لم يقبله يضربه بالسياط على رأسه ويحبسه، فخالف الإمام على أنه لا يلي منه، فقيل له: إنه حلف على أن يضربك، فقال: ضربه في الدنيا أهون من معالجة مقامع الحديد في العقبى، والله لا أفعل ولو قتلني، فقيل: إنه حلف لا يخليك وأنه يريد بناء قصر فتولى له عد اللبن، فقال: لو سألني ان أعدّ له أبواب المسجد ما فعلت، فذكر للأمير فقال: أبلغ قدره أن يعارضني في اليمين؛ فدعاه فشافهه وحلف إن لم يقبل يضرب على رأسه عشرين سوطاً، فقال: اذكر مقامك بين يدي الله تعالى، فإنه أذل من مقامي هذا ولا تهددني فإني أقول لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله، والله يسألك عني حيث لا يقبل منك الجواب إلا بالحق، فأومأ إلى الجلاد أن أمسك وبات في السجن، وأصبح وقد انتفخ وجهه ورأسه من الضرب.

وأخرجه الخطيب من هذا الطريق وزاد: فرأى ابن هبيرة النبي ﷺ في المنام يعاتبه فيه، فأخرجه من السجن فاستحله، وروي عن أبي عبدالله بن حفص الكبير البخاري قال: إن الفتنة لما ظهرت بخراسان دعا ابن هبيرة العلماء كابن أبي ليلى، وابن شبرمة، وداود بن أبي هند وولى كل واحد منهم شيئاً من عمله، وعرض على أبي حنيفة أن يكون الخاتم بيده ولا ينفذ كتاباً إلاَّ من تحت يده، وأمر بذلك فأبى، فحلف الأمير إن لم يله يضربه في كل جمعة سبعة أسواط، فقال الفقهاء لأبي حنيفة: إن إخوانك يناشدونك على أن لا تهلك نفسك وكلنا نكره عمله، ولكن لم نجد بدأ منه، فقال: لو أراد مني أن أعد أبواب مسجد واسط. لم أعدّ له، فكيف وهو يريد أن يكتب في دم رجل وأختم له، والله لا أدخل في ذلك، فقال ابن أبي ليلى: دعوه فإنه مصيب، فحبسه الشرطي وضربه أربعة عشر سوطاً، ثم اجتمع مع الأمير فقال الا ناصح لهذا أن يستمهلني فاستمهله، وقال: أشاور اخواني فخلاه فهرب إلى مكة سنة مائة وثلاثين اهـ.

وأخرج الخطيب من طريق الحسن بن المبارك، بن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال: مررت مع أبي بالكناسة فبكى، فقلت: يا أبت مايبكيك؟ فقال: يا بني في هذا الموضع ضرب ابن هبيرة أبي عشرة أيام كل يوم عشرة أسواط على أن يلي القضاء فلم يفعل.

وأخرج ابن أبي العوام السعدي من رواية أبي عبدالله، وسمعت محمد بن مقاتل يقول: بلغني أن أبا حنيفة حبس في الشمس وصب على رأسه الزيت فمرَّ به سفيان الثوري فقال: قد علمت الآن إنك طلبت هذا الشأن لله عز وجل، وفي تاريخ الذهبي عن أبي معاوية قال: حبّ أبي حنيفة من السنّة أنه ضرب أياماً ليلي القضاء فأبى، وقال أبو عبدالله الصيمري: لم يقبل العهد بالقضاء فضرب وحبس ومات في السجن.

سوطاً. فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب. قال الحكم بن هشام الثقفي: حدثت بالشام حديثاً في أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم له على عذاب الله تعالى. وروي أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك، فقال: أتذكرون رجلاً عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففرّ منها. وروي عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه انه قيل لأبي حنيفة:

فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب). ويروى عن ابن المبارك إنه قال: إن الرجال في الاسم سواء حتى يقع في البلوى، فقد ضرب أبو حنيفة على رأسه في السجن فصبر على الذل والضرب في الحبس طلباً للسلامة في دينه، وروى ابن داسة قال: سمعت أبا داود يقول: رحم الله مالكاً كان إماماً رحم الله الشافعي كان إماماً رحم الله أبا حنيفة كان إماماً. **(وقال الحكم بن هشام الثقفي)** مولى آل عقيل كوفي، نزل دمشق، روى عن منصور وقتادة، وعنه ابن عائد وهشام وثقه جماعة. **(حدثت بالشام عن أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان)** أي ابن هبيرة من قبل آل مروان **(أن يتولى مفاتيح خزائنه)** أي خزائن أمواله، **(أو يضرب ظهره)** بالسياط **(فاختار عذابهم)** في الدنيا ولم يل العمال **(على عذاب الله)** في الآخرة. **(وروي انه ذكر أبو حنيفة)** يوماً **(عند ابن المبارك)** كأنه بسوء **(فقال: أتذكرون)** بالسوء **(رجلاً عرضت عليه الدنيا بحذافيرها)** أي بأجمعها **(ففرَّ منها)** خوفاً على دينه.

وأخرج ابن أبي العوّام السعدي في مسنده من طريق ابن شجاع، حدثنا الحسن بن أبي مالك، سمعت عبدالله بن المبارك يقول: وذكر أبو حنيفة بين يديه ماذا يقال في رجل عرضت عليه الدنيا والأموال العظيمة، فنبذها وضرب بالسياط فصبر عليها ولم يدخل فيما كان غيره يستدعيه. رحم الله أبا حنيفة ما كان أشده في دين الله عز وجل، وتقدم في خاتمة الفصول ما نقله ابن عبد البر في كتاب العلم أن ابن المبارك قيل له فلان يتكلم في أبي حنيفة فأنشد:

حسدوك لما رأوك فضلك ... الله بما فضلت به النجباء

وقيل لأبي عاصم النبيل فلان يتكلم في أبي حنيفة فقال: هو كما قال نصيب:

في مثل هذا سلمت وهل حي ... من الناس سالم

وقال أبو الاسود الديلي:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم

قلت: وأخرج ابن عساكر في ترجمة نصيب من رواية أبي الحسن علي بن محمد السكري أنشدنا أبو عمر اللغوي الزاهد السياري عن الناشي لنصيب:

وما زال بي الكتمان حتى كأنني ... برجع جواب السائلي عنك أعجم

لاسلم من قول الوشاة وتسلمي ... هديت وهل حي على الناس يسلم

قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم. قال: فما رضي أبو حنيفة، قال: فلما كان اليوم الذي توقع أن يؤتى بالمال فيه صلّى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم، فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه، فلم يكلمه، فقال بعض من حضر: ما يكلمنا، إلا بالكلمة بعد الكلمة، أي هذه عادته. فقال: ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت، ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه: إذا مت

(**وروي عن محمد بن شجاع**) الثلجي بالمثلثة والجيم الفقيه البغدادي الحنفي. أبو عبدالله صاحب التصانيف قرأ على اليزيدي، وروي عن ابن عسيلة ووكيع، وتفقه بالحسن بن زياد اللؤلؤي وغيره، وآخر من حدّث عنه محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة وقد تكلم فيه ابن عدي بالوضع وزكريا الساجي بالكذب وقال الحاكم: رأيت عند محمد بن أحمد بن موسى القمي، عن أبيه، عن محمد ابن شجاع كتاب المناسك في نيف وستين جزءاً كبار دقاق، وقال أحمد بن كامل القاضي: كان فقيه العراق في وقته، وقال أبو الحسين بن النادي: كان يتفقه ويقرىء الناس القرآن مات ساجداً في صلاة العصر سنة ٢٤٨ عن ست وثمانين سنة كذا في الميزان (**عن بعض أصحابه**) فيما أخرجه ابن أبي العوام السعدي، عن أبي بشر، عن محمد بن شجاع، والمراد ببعض أصحابه هنا هو الحسن بن عمارة أبو محمد الكوفي الفقيه من رجال الترمذي، وابن ماجه عن ابن أبي مليكة، والحاكم، وعنه شبابة، وعبد الرزاق، وولي قضاء بغداد للمنصور، ومات سنة ١٥٣. (**أنه قيل لأبي حنيفة قد أمر لك أبو جعفر**) المنصور (**أمير المؤمنين**)، وذلك بعد رجوع أبي حنيفة من مكة (**بعشرة آلاف درهم**)، وفي رواية أخرى: وجارية. وكان الرسول في ذلك الحسن بن قحطبة (**قال فما رضي أبو حنيفة**) أن يقبلها، فلما أحس أبو حنيفة بأنه يرسل بهذا إليه تمارض، (**فلما كان اليوم الذي توقع**) أي ترجى (**أن يؤتى**) إليه (**بالمال**) فيه (**صلى الصبح ثم تغشى بثوبه**) أي اشتمل به من رأسه إلى قدمه (**فلم يتكلم**). وفي رواية أصبح لا يكلم أحداً كأنه مغمى عليه، (**فجاء رسول**) أبي الحسين (**الحسن بن قحطبة**) ابن اياد بن شبيب بن خالد بن معدان بن شمس بن قيس بن كلب بن سعد بن عمرو بن غنم بن مالك بن سعد بن نبهان الطائي. أحد رجال الدولة العباسية، وأخوه حميد أحد الدعاة السبعين بعد العشرين والاثني عشر، وإليه نسب ربض حميد ببغداد وأبوهما قحطبة أحد النقباء الاثني عشر (**بالمال فدخل عليه فلم يكلمه**) وأظهر المرض (**فقال بعض من حضر**) في مجلسه هو (**ما يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة أي هذه عادته**) اعتذاراً عن عدم كلامه، وفي رواية فقالوا: ما تكلم اليوم بكلمة، (**فقال**) رسول الحسن لما أيس من كلامه: (**ضعوا المال في هذا الجراب**) ثم خلوه (**في زاوية البيت**) وفي رواية فقال رسول الحسن: كيف أصنع؟ قالوا: انظر ما ترى. قال: فوضعها في مسجد في ناحية البيت وانصرف قال؛ فمكثت تلك البدرة في ذلك الموضع إلى أن مات أبو حنيفة، (**ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته، فقال**) في وصيته (**لابنه**): وهو الإمام ابن الإمام حماد بن النعمان بن إسماعيل تفقه على أبيه فأفتى في زمنه،

ودفنتموني فخذ هذه البدرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له: خذ وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة. قال ابنه: ففعلت ذلك، فقال الحسن: رحمة الله على أبيك فلقد كان شحيحاً على دينه. وروي أنه دعي إلى ولاية القضاء فقال: أنا لا أصلح لهذا، فقيل له لِـمَ؟ فقال: إن كنت صادقاً فما أصلح لها، وإن كنت كاذباً فالكاذب لا يصلح

وروى عنه، وعن مالك، وحماد بن أبي سليمان، وكان الغالب عليه الورع. قال الفضل بن دكين: تقدم حماد ابن النعمان إلى شريك بن عبدالله في شهادة، فقال له شريك: والله إنك لعفيف البطن والفرج توفي سنة ١٧٩ (**إذا مت**)، وقوله: هذا كان في كتاب وصيته، وذلك لأن حماداً كان غائباً فقدم بعد موت والده، فحمل البدرة فأتى بها باب الحسن بن قحطبة فاستأذن فأذن له فدخل، فقال: إني وجدت في وصية أبي إذا أنامت (**ودفنتموني فخذ هذه البدرة**) التي في زاوية البيت، (**فاذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له هذه وديعتك التي أودعتها أبا حنيفة**)، ويروى كانت عندنا. (**فقال الحسن**) لما رأى البدرة (**رحمة الله على أبيك لقد كان شحيحاً على دينه**)، ويروى رحم الله أباك لقد شحّ على دينه إذ سخت به أنفس أقوام. وذكر عبد القادر القرشي في ترجمة حماد من طبقاته ولما توفي أبوه كان عنده ودائع للناس كثيرة من ذهب وفضة وغير ذلك، وأربابها غائبون، وفيهم أيتام، فحملها حماد إلى القاضي ليتسلمها منه فقال له القاضي: ما نقبلها منك ولا تخرجها من يدك، فأنت أهل بوضعها، فقال له حماد: زنها واقبضها حتى تبرأ ذمة أبي حنيفة، ثم افعل ما بدا لك، ففعل القاضي ذلك وبقي في وزنها أياماً، فلما كمل وزنها استتر حماد فلم يظهر حتى دفعها إلى غيره اهـ.

وأخرج ابن قطلوبغا الحافظ في شرح المسانيد من رواية محمد بن عبد الرحمن المسعودي، عن أبيه. ومن رواية هلال بن يحيى عن يوسف السمي قالا: إن أبا جعفر المنصور أجاز أبا حنيفة بثلاثين ألف درهم في دفعات، فقال يا أمير المؤمنين: إني ببغداد غريب وليس لها عندي موضع، فاجعلها في بيت المال، فأجابه المنصور إلى ذلك، فلما مات أبو حنيفة أخرجت ودائع الناس من بيته، فقال المنصور: خدعنا أبو حنيفة، وأخرج أيضاً من طريق مغيث بن مدرك قال، قال خارجة بن مصعب أجاز المنصور أبا حنيفة بعشرة آلاف درهم فدعي لقبضها فشاورني، وقال: هذا رجل إن رددتها عليه غضب وإن قبلتها دخل عليّ في ديني ما أكرهه، فقلت: إن هذا المال عظيم في غيبته فإذا دعيت لقبضها فقل له لم يكن هذا أملي من أمير المؤمنين فدعي لقبضها، فقال ذلك ورفع إليه خبره فحبس الجائزة قال: وكان أبو حنيفة لا يشاور أحداً في أمره سوى خارجة بن مصعب. (**وروي أنه دعي إلى ولاية القضاء**) الأكبر ببغداد بعد أن أشخص من الكوفة في أيام المنصور، فامتنع فحبسه فبقي خمسة عشر يوماً ثم مات. وقيل: ستة أيام، وقيل: إنه سقي سماً في سويق فنال مرتبة الشهادة. كل ذلك أخرجه الخطيب من طريق الواقدي، وفي رواية أخرى دعاه من الكوفة وأراده على القضاء (**فقال: أنا لا أصلح له ولا يحل لك أن توليني**) ذلك، (**فقيل له: لم**) ذلك (**فقال: إن كنت صادقاً فلا أصلح له**) لصدقي في

للقضاء، وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله عز وجل فيدل عليه شدّة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا، وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى. وقال شريك النخعي: كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس، فهذا من أوضح الامارات

المقال. **(وإن كنت كاذباً)** كما تزعمون، **(فالكاذب لا يصلح للقضاء)** لسقوط عدالته بالكذب، وقد رويت هذه القصة من أوجه كثيرة. ففي تاريخ الذهبي قال إسحاق بن ابراهيم الزهري، عن بشر بن الوليد الكندي قال: طلب المنصور أبا حنيفة فأراده على القضاء وحلف ليلين فأبى، وحلف أن لا يفعل فقال الربيع حاجب المنصور: ترى أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف. قال أمير المؤمنين على كفارة يمينه أقدر مني، فأمر به إلى السجن فمات فيه، وعن مغيث بن بديل قال: دعا المنصور أبا حنيفة على القضاء فامتنع فقال: أترغب عما نحن فيه؟ فقال: لا أصلح. قال: كذبت. قال أبو حنيفة: فقد حكم أمير المؤمنين علي أني لا أصلح فإن كنت كاذباً فلا أصلح، وإن كنت صادقاً فقد أخبرتكم أني لا أصلح فحبسه. وقال إسماعيل بن أبي إدريس، سمعت الربيع بن يونس الحاجب يقول: رأيت المنصور تناول أبا حنيفة في أمر القضاء فقال: والله ما أنا بمأمون الرضا، فكيف أكون مأمون الغضب فلا أصلح لذلك. فقال: كذبت بل تصلح، فقال: كيف يحل لك أن تولى من يكذب. **(وأما علمه بطريق)** وفي نسخة بأمور، وفي أخرى بعلوم **(الآخرة وطريق الدين ومعرفته بالله تعالى، فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده في الدنيا، وقد قال)** أبو الوليد عبد الملك بن عبدالعزيز **(ابن جريج)** القرشي مولاهم المكي الفقيه أحد الأعلام، روي عن مجاهد، والحسن، وابن أبي مليكة، وعطاء، وعنه القطان، وروح، وحجاج بن محمد، وهو أوّل من صنف الكتب، وقال أحمد: كان من أوعية العلم روى عن ست عجائز من عجائز المسجد الحرام توفي سنة تسع وأربعين ومائة وقد جاوز المائة **(قد بلغني عن كوفيكم هذا)** يعني **(النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى)**. وفي تاريخ الذهبي قال يزيد بن كميت: سمعت رجلاً يقول لأبي حنيفة اتّق الله فانتفض واصفر لونه وأطرق وقال: جزاك الله خيراً ما أحوج الناس كل وقت إلى من يقول لهم مثل هذا. وروى محمد بن سماعة، عن محمد بن الحسن، عن القاسم بن معين أن أبا حنيفة قام ليلة يردّد قوله تعالى: ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ﴾ [القمر: ٤٦]. ويبكي ويتضرع إلى الفجر، فكل ذلك يدل على شدة خوفه من الله تعالى. **(وقال)** أبو عبدالله **(شريك)** بن عبدالله بن أبي شريك، وهو الحرث بن أوس بن الحرث بن الأذهل بن وهبيل بن سعد بن مالك بن النخع **(النخعي)** الكوفي القاضي ولد ببخارى سنة ٩٥، وكان جده شهد القادسية وهو أحد الأعلام، روى عن زياد بن علاقة وسلمة بن كهيل وعلي بن الأقمر وأبي إسحاق ومنصور، وعنه أبو بكر بن أبي شيبة، وعلي بن حجر وإسحاق بن يوسف الأزرق وغيرهم. قال ابن معين: ثقة زاد العجلي حسن الحديث مات سنة سبع وسبعين ومائة استشهد به البخاري، وروى له مسلم في

على العلم الباطني والاشتغال بمهات الدين، فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله، فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة.

المتابعات واحتج به الباقون، **(كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكر)** في جلال الله وعظمته **(قليل المحادثة للناس)** أي إلا فيما يعنيه. وروى حماد قال: كان أبي هيوباً لا يتكلم إلا جواباً ولا يخوض فيما لا يعنيه، **(وهذا من أوضح الأمارات)** أي العلامات **(على العلم الباطن والاشتغال بمهات الدين)** وضرورياته، **(فمن أوتي الصمت والزهد فقد أوتي العلم كله)** لأنهما يدلان على العلم الباطن، وسيأتي قول من أوتي صمتاً نجا من السوء على أن الكامل إذا نطق نطق بحكمة، وإذا صمت صمت عن حكمة، فجميع أحواله يدل على العلم الباطن. وبقي من ترجمة الإمام شيء أورده الذهبي في تاريخه أوردته هنا ليكون كالذيل لما ذكره المصنف. قال: كان أبو حنيفة خرازاً ينفق من كسبه ولا يقبل شيئاً من جوائز السلطان تورّعاً، وكان له دار وضياع ومعاش متسع، وكان معدوداً في الأجواد الأسخياء والألباب الأذكياء مع الدين والعبادة والتهجد وكثرة التلاوة وقيام الليل. قال خزاز بن صرد: سئل يزيد بن هارون أيما أفقه أبو حنيفة أم الثوري؟ فقال: أبو حنيفة أفقه وسفيان أحفظ للحديث. وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، وقال يزيد بن هارون: ما رأيت أحد، أورع ولا أعقل من أبي حنيفة، وقال صالح جرزة: سمعت يحي بن معين يقول: أبو حنيفة ثقة. وعن النضر بن محمد قال: كان أبو حنيفة جميل الوجه سري الثوب عطراً. وقال أبو يوسف كان ربعاً من أحسن الناس صورة، وأبلغهم نطقاً، وأعذبهم نغمة، وأبينهم عما في نفسه، وعن ابن المبارك ما رأيت رجلاً أوقر في مجلسه ولا أحسن سمتاً وحلماً من أبي حنيفة. وروى ابراهيم بن سعد الجوهري عن المثنى بن رجاء قال: جعل أبو حنيفة على نفسه إن حلف بالله صادقاً أن يتصدق بدينار، وكان إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها. وقال أبو بكر بن عياش: لقي أبو حنيفة من الناس عنتاً لاقلال مخالطته، فكانوا يرونه من زهوّ فيه، وإنما كان غريزة. وقال جبارة بن المفلس: سمعت قيس بن الربيع يقول: كان أبو حنيفة ورعاً تقياً مفضلاً على اخوانه، وقال زيد بن أحرم: حدثنا داود الخربيني قال: كنا عند أبي حنيفة فقال رجل له إني وضعت كتاباً على خطك، إلى فلان فوهب لي أربعة آلاف درهم، فقال أبو حنيفة: إن كنتم تنتفعون بهذا فافعلوه. وروى نوح الجامع أنه سمع أبا حنيفة يقول: ما جاء عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة اخترنا، وما كان غير ذلك فهم رجال ونحن رجال، وقال أبو حنيفة: لا ينبغي للرجل أن يحدث إلا بما يحفظه في وقت ما سمعه. روى أبو يوسف ذلك عنه. وقال أحمد بن الصباح قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته. وقال الخربيني ما يقع في أبي حنيفة إلا حاسد أو جاهل. وقال يحي القطان، لا نكذب والله ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة وقد أخذنا بأكثر أقواله. وقال علي بن عاصم: لو وزن علم أبي حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح عليهم. وقال حفص بن غياث: كلام أبي حنيفة في الفقه أدق

(وأما الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى) فأتباعهما أقل من أتباع هؤلاء، وسفيان أقل أتباعاً من أحمد، ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر، وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن،

من الشعر لا يعيبه إلا جاهل. وقال الحميدي: سمعت ابن عيينة يقول شيئان ما ظننتهما يجاوزان قنطرة الكوفة قراءة حمزة وفقه أبي حنيفة وقد بلغا الآفاق. وعن الأعمش أنه سئل عن مسألة فقال: إنما يحسن هذا النعمان بن ثابت وأظنه بورك له في علمه. وقال جرير قال لي مغيرة جالس أبا حنيفة تتفقه، فإن ابراهيم النخعي لو كان حياً لجالسه، وأخبار أبي حنيفة كثيرة وترجمته واسعة، وفيما ذكرناه كفاية (**فهذه أحوال الأئمة الثلاثة**) الدالة على الخصال الخمس رضي الله عنهم.

(**وأما أحمد بن حنبل، وسفيان الثوري فأتباعهما أقل من**) أتباع (**هؤلاء، وسفيان أقل اتباعاً من أحمد**)، وأما الآن فليس لهم وجود ولا ذكر، وشوكة الحنابلة ببغداد ونواحيها وبلاد الشام والنجد، ولم يبق بمصر الآن مع أنها حاضرة العلم من يفتي منهم أحد، (**ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر**) وأكثر، (**وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أحوالهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن**) ولا بأس أن نلم بذكرهما تبركاً لئلا يخلو الكتاب عن محاسنهما.

فالإمام أحمد أبو عبدالله بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبدالله بن حيان بن عبدالله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكاشة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الشيباني المروزي ثم البغدادي هكذا نسبه ابنه عبدالله، واعتمده أبو بكر الخطيب وغيره، وأما قول عباس الدوري، وأبي بكر بن أبي داود أنه كان من بني ذهل بن شيبان فغلط إنما كان من بني شيبان بن ذهل بن ثعلبة، وذهل بن ثعلبة عم ذهل بن شيبان بن ثعلبة، وهو الإمام الجليل صاحب المذهب الصابر على المحنة الناصر للسنة شيخ العصابة مقتدي الطائفة. قال عبد الرزاق: ما رأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولا أورع. وقال أبو مسهر وقيل له: هل تعرف أحداً يحفظ على هذه الأمة أمر دينها. قال: لا أعلمه إلا شاباً في ناحية المشرق يعني أحمد بن حنبل ولد ببغداد سنة ١٦٤، إذ جيء به إليها من مرو حملاً، وسمع الحديث سنة تسع وسبعين، ومن شيوخه هشيم، وابن عيينة وابراهيم بن سعد، وجرير بن عبد الحميد، ويحي القطان، والوليد بن مسلم، واسماعيل بن علية، ومعتمر بن سليمان، وغندر، وبشر بن الفضل، ويحي بن أبي زائدة، وأبو يوسف القاضي، ووكيع، وابن نمير، وعبد الرحمن بن مهدي، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق، والشافعي. وممن روى عنه من شيوخه عبد الرزاق، والحسن بن موسى الأشيب، والشافعي لما يقول أخبرنا الثقة. ومن أقرانه علي بن المديني، ويحي بن معين، ورحيم. وروى عنه البخاري بواسطة، ومسلم وأبو داود وابناه صالح وعبدالله. قال الخطيب: ورحل إلى الكوفة والبصرة والحرمين واليمن والشام والجزيرة. وقال ابنه عبدالله: كتب

....

أبي عشرة آلاف ألف حديث لم يكتب سواداً في بياض إلا حفظه وألف مسنده وهو أصل من أصول هذه الأمة أحاديثه ثلاثون ألفاً.

وأما زهده وورعه؛ فقد سارت به الركبان، وقد أفرد جماعة في مناقبه كالبيهقي وأبي إسماعيل الأنصاري، وابن الجوزي، وابن المغراء وغيرهم، وتوفي سنة ٢٤١ لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأوّل، وكان عدد المصلين عليه ألف ألف وثلاثمائة ألف سوى من كان في السفن، وقال ابن المغراء، قال الربيع بن سليمان، قال لي الشافعي: أحمد إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنّة، وهذا القدر كاف في معرفة علو مقامه رضي الله عنه.

وأما سفيان الثوري؛ فهو أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبدالله بن موهبة بن أبي عبدالله بن منقذ بن نصر بن الحرث بن ثعلبة بن ملكان بن ثور الثوري الكوفي. هكذا نسبه الهيثم بن عدي، وقيل في سياق نسبه مسروق بن حمزة بن حبيب وبإسقاط منقذ والحرث. ولد سنة سبع وتسعين، وحدّث وهو ابن ثلاثين سنة، روى عن عمرو بن مرة، وسلمة بن كهيل، وحبيب بن ثابت، وعبدالله بن دينار، وعمرو بن دينار، وأبي إسحاق، ومنصور، والأعمش، وعبد الملك بن عمير، وصالح مولى التوأمة، وأبي الزناد، واسماعيل بن أبي صالح، وأيوب السختياني. ويقال إنه أدرك مائة وثلاثة من التابعين. روى عنه مسعر، وابن جريج، ومحمد بن عجلان، والأوزاعي، ومحمد بن إسحاق، وأبو حنيفة وهو أكبر منه وأقدم، وشعبة والحمادان، وابن أبي ذئب، ومالك وسليمان بن بلال، وزائدة، وزهير بن معاوية وهم من أقرانه، وابن المبارك، ووكيع، ويحيى القطان، وأبو نعيم الفضل بن دكين، وعبد الرحمن بن مهدي، ومحمد بن يوسف الفريابي، ويحيى بن يمان، وعبيدالله الأشجعي، وعبد الرزاق، وقبيصة بن عقبة، وأبو حذيفة النهدي، ومحمد بن كثير، وأحمد بن عبدالله بن يونس، وعلي بن الجعد وغيرهم. قال ابن الجوزي: الذين رووا عنه أكثر من عشرين ألفاً.

وأما سعة علمه وآدابه وأخلاقه وشمائله وزهده وورعه وتواضعه وخموله وشدّة خوفه وتفكره وبلائه وتعبده ومجاهدته والاقتصاد في معيشته وصدعه بالحق وأمره بالمعروف وثناء أئمة العصر ومن بعدهم عليه، فقد سارت بأخباره الركبان. وقال علي بن شيبان: مرض سفيان بالكوفة فبعث بمائه إلى ابن أبي ذئب فلما رآه قال: ويلك بول من هذا. قال: ما تسأل. قال: أرى بول رجل قد أحرق الحزن والخوف قلبه. وفي رواية أبي أسامة ذهبت ببوله إلى الديراني، فنظر إليه فقال: بول من هذا ينبغي أن يكون هذا البول بول زاهد. هذا بول رجل فتت الحزن كبده، ما أرى لهذا دواء. قال أبو سعد: أجمعوا على انه مات سنة إحدى وستين ومائة في أوّلها. وقال الواقدي: في شعبان، وأما قول خليفة أنه في اثنين وستين غلط رضي الله عنه وأرضاه عنا. نقلت ذلك من كتاب الحافظ الذهبي الذي اختصره من كتاب ابن الجوزي في ترجمته وهو مجلد.

فانظر الآن في سير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال في الأعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار والإيلاء واللعان، أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه، وانظر إلى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا في دعواهم أم لا ؟.

(فانظر الآن) وتأمل **(في سير هؤلاء الأئمة)** وأحوالهم، **(وتأمل هذه الأحوال والأقوال والأعمال في الاعراض عن الدنيا)** والهروب منها **(والتجرد لله تعالى هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والكفالة والظهار واللعان، أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه، وانظر الآن إلى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا في دعواهم أم لا ؟ والله أعلم)** .

الباب الثالث

فيما يعدّه العامة من العلوم المحمودة وليس منها:

وفيه بيان الوجه الذي قد يكون به بعض العلوم مذموماً، وبيان تبديل أسامي العلوم، وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة، وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها.

(بيان علة ذم العلم المذموم):

لعلك تقول: العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى، فكيف

الباب الثالث

(**فيما تعده العامة**) وتحسبه (**من العلوم المحمودة**) ويكبون على تحصيلها (**و**) الحال انه (**ليس منها**) وفي بعض النسخ منه، وفي أخرى وليست منها.

(**وفيه بيان الوجه الذي به يكون بعض العلوم مذموماً، وبيان تبديل أسامي العلوم، وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة، وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها**) اعلم أن لفظ العلم كما يطلق على ما ذكر بيانه في أوّل الكتاب يطلق على ما يراد به وهو أسماء العلوم المدوّنة، كالنحو والفقه، فيطلق كأسماء العلوم تارة على المسائل المخصوصة، وتارة على التصديقات بتلك المسائل عن دليلها، وتارة على الملكة الحاصلة من تكرر تلك التصديقات أي ملكة استحضارها، فإطلاق لفظ العلم على كل منها إما حقيقة عرفية أو اصطلاحية أو مجاز مشهور، وقد يطلق على مجموع المسائل والمبادىء التصورية والتصديقية والموضوعات، وقد يطلق أسماء العلوم على مفهوم كلي إجمالي يفصل في تعريفه، فإن فصل نفسه كان حداً رسمياً، وإن بين لازمه كان رسماً اسمياً. وأما حده الحقيقي، فإنما هو بتصوّر مسائله أو بتصوّر التصديقات المتعلقة بها. كذا في مفتاح السعادة.

(**بيان علة ذم العلم المذموم، لعلك تقول**) أصل (**العلم**) إدراك الشيء على حقيقته وهو (**معرفة الشيء على ما هو به**) وعليه، (**وهو من صفات الله سبحانه**) الذاتية، (**فكيف يكون الشيء علماً ويكون مع كونه علماً مذموماً**)، وهو اشكال ظاهر، وبمثل هذا طعن بعض من لا خلاق له من العجم على العرب بأنهم يمدحون شيئاً ويذمونه. والجواب: أن مدحهم للشيء وذمه باعتبار الوجوه المختلفة كمدح الدينار من حيث تقضي الحاجة به، وذمه لكونه مجلبة

يكون الشيء علماً ويكون مع كونه علماً مذموماً؟ فاعلم أن العلم لا يذم لعينه، وإنما يذم في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة:

(**الأول**): أن يكون مؤدياً إلى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره، كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق، إذ شهد القرآن له، وإنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين، وقد سحر رسول الله ﷺ ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك، وأخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر، وهو نوع يستفاد من العلم بخواص

للأوصاف الذميمة مثلاً، فمدحه من وجه وذمه من وجه آخر، وهذا لا بأس به كما بينه الشريشي في شرح المقامات الدينارية للحريري، وإليه أشار الشيخ بقوله: **(فاعلم ان العلم)** من حيث هو هو **(لا يذم لعينه)** أي من حيث كونه علماً **(وإنما يذم)** لوجه آخر **(في حق العباد لأحد أسباب ثلاثة)**.

(الأول: أن يكون مؤدياًإلى ضرر) أي نوع من أنواع الضرر **(إما بصاحبه)** وهو الحامل له **(وإما بغيره)**، فكما ان الضرر مذموم مطلقاً، فكذلك ما يتأذى بسببه فإنما جاء ذمه من هذا الوجه، **(كما يذم علم السحر والطلسمات)** تقدم بيانهما **(وهو)** أي علم السحر **(حق)** ثابت **(إذ شهد القرآن له)** في قصة هاروت وماروت. قال تعالى: ﴿ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾ [البقرة: ١٠٢]. وقال تعالى: ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ [طه: ٦٩]. وقال تعالى: ﴿أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ [الأنبياء: ٣]. وقال تعالى: ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ [طه: ٦٦]. وقال تعالى: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ [الفلق: ٤]. والنفاثات السواحر، **(وانه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين)**، كما شهد بذلك قوله تعالى: ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقونه به بين المرء وزوجه﴾ **(و)** قد **(سحر رسول الله ﷺ ومرض بسببه حتى أخبره جبريل، وأخرج السحر من تحت حجر في قعر بئر)**.

قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة اهـ.

قلت: أخرجه البخاري في كتاب الطب من طريق عيسى بن يونس، وسفيان بن عيينة، وأبي أسامة. ثلاثتهم عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها.

أما الطريق الأولى ففيها قالت: سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه، انه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي دعا ودعا ثم قال: يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني

....

رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في أي شيء؟ قال: في مشط أو مشاطة وجف طلع من نخلة ذكـر. قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذروان، فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: يا عائشة، كأن ماءها نقاعة الحناء، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين. قلت يا رسول الله، أفلا استخرجته؟ قال: قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس شراً فأمر بها فدفنت. قال البخاري: تابعه أبو أسامة وأبو حمزة وابن أبي الزناد عن هشام، وقال الليث وابن عيينة عن هشام من مشط ومشاقة، ويقال: المشاطة ما يخرج من الشعر إذا مشط والمشاقة من مشاقة الكتان.

وأما الطريق الثانية ففيها؛ قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقاً، وفيها في جف طلعة ذكر تحت رعوفة في بئر ذروان، وفيها فقالت فقلت أفلا تنشرت؟ فقال: أما والله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً والباقي سواء.

وأما الطريق الثالثة ففيها في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذروان. قال: فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظروا إليها وعليها نخل وفيها فأمر بها فدفنت والباقي سواء، وقد أخرجه كذلك مسلم، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه كلهم من رواية هشام.

قال العراقي: وفي الباب، عن ابن عباس، وزيد بن أرقم. أما حديث ابن عباس، فأخرجه ابن مردويه في تفسيره من رواية عصام، عن سليمان بن عبدالله، عن عكرمة عنه وعصام ضعيف، وأما حديث زيد بن أرقم، فرواه ابن سعد في الطبقات من رواية الثوري، عن الأعمش، عن ثمامة المحملي عنه. وقال ابن الملقن في شرحه على البخاري في تفسير المعوذتين، ويقال ان العقد عقدها بنات لبيد وهي إحدى عشرة عقدة في وتر ومشط ومشاطة أعطاها لغلام يهودي يخدمه، وصورة من عجين فيها إبر مغروزة، فبعث علياً والزبير وعماراً فاستخرجوه وشفاه الله تعالى، وقال المهلب في شرحه: مدار هذا الحديث على هشام بن عروة وأصحابه مختلفون في استخراجه، فأثبته سفيان في رواية من طريقين، وأوقف سؤال عائشة على النشرة، ونفى الاستخراج عن عيسى بن يـونس، وأوقـف سـؤالها النبي ﷺ على الاستخـراج، ولم يـذكـر انـه جـاوب على الاستخراج بشيء، وحقق أبو أسامة جوابه ﷺ إذ سألته عائشة عن استخراجه بلا، فكان الاعتبار يعطي أن سفيان أولى بالقول لتقدمه في الضبط وأن الوهم على أبي أسامة في أنه لم يستخرجه، ويشهد لذلك انه لم يذكر النشرة، وكذلك عيسى بن يونس لم يذكر أنه ﷺ جاوب على استخراجه بلا، وذكر النشرة، والزيادة من سفيان مقبولة، لأنه أثبتهم، لا سيما فيما حقق من الاستخراج، وفي ذكر النشرة هي جواب للنبي ﷺ مكان الاستخراج ويحتمل أن يحكم بالاستخراج لسفيان، ويحكم لأبي أسامة بقوله: لا، على أنه استخرج الجف بالمشاقة، ولم يستخرج

الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم، فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة

صورة ما في الجف لئلا يراه الناس فيتعلمونه، ثم اعلم أن السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل غير قادح في نبوّته، وطاح بذلك طعن الملحدة قاتلهم الله، وأنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله، فذلك مما يجوز طرقه عليه في أمر دنياه دون ما أمر بتبليغه، وقد روي عن ابن المسيب وعروة سحر حتى كاد ينكر بصره، وعن عطاء الخراساني حبس عن عائشة سنة. قال عبد الرزاق: وحبس عنها خاصة حين أنكر بصره لكن رواية ثلاثة أيام أو أربعة هي أصوب.

(وهو نوع يستفاد بخواص الجواهر وبأمور حسابية في مطالع النجوم) .

اعلم أن السحر هو علم يبحث فيه عن معرفة الكواكب وأحوال الأوضاع وارتباط كل منها بأمور أرضية، وعن معرفة المواليد والبروج والمنازل، ومقادير سير القمر في كل منها دائرة يكون منها على وجه خاص ليظهر من ذلك الارتباط والامتزاج، فيظهر من بين ذلك أفعال غريبة وأسرار عجيبة تخفى عللها وأسبابها على ذوي العقول بتركيب الساحر لها في أوقات مناسبة للأوضاع الفلكية مع مقارنة الكواكب وتوافق المواليد الثلاث، فيظهر عند ذلك ما خفي سببه مع أوضاع عجيبة بكيفية غريبة تحير العقول وتعجز عن حل خفاياها أفكار الفحول. وقال الحراقي: هو قلب الحواس في مدركاتها عن الوجه المعتاد لها في صحتها من سبب باطن لا يثبت مع ذكر الله عليه. وقال السعد في حاشية الكشاف: هو مزاولة النفس الخبيثة لأقوال وأفعال يترتب عليها أمور خارقة للعادة. وقال التاج السبكي: السحر والكهانة والتنجيم والسيمياء من واد واحد. وقال المجريطي في كتابه: (غاية الحكيم) وأحق النتيجتين بالتقديم ما نصه: السحر حقيقة على الاطلاق كل ما سحر العقول وانقادت إليه النفوس من جميع الأقوال والأعمال وهو ما يصعب على العقل إدراكه وتستتر عن الفهم أشباهه، وذلك انه قوّة إلهية بأسباب متقدمة موضوعة لإدراكه وهو علم غامض، ومنه أيضاً عملي موضوعه روح في روح، وهذا هو النرنج والتخميل، كما أن موضوع الطلسم روح في جسد، وموضوع الكيمياء روح في جسد، فبالجلمة؛ السحر هو ما خفي على عقول الأكثر سببه وضعف استنباطه، وحقيقة الطلسم أن يتطوّس إسمه وهو المسلط لأنه من جوهر القمر، وفي التسليط يفعل فيما له ركب فعل غلبة، وقهر بنسب عددية، وأسرار ملكية موضوعة، وأجساد مخصوصة في أزمنة موافقة، وبخورات مقويات جالبات لروحانيات ذلك الطلسم، فحاله كحال الأكسير الذي يحيل الأجساد إلى نفسه ويقهرها إذ هو خمير، ثم قال: اعلم أن السحر على قسمين. علمي وعملي، فالعلمي هو معرفة مواضع الكواكب الثابتة إذ موضوعها محل الصور وكيفية القاء أشعتها على السيارة وهيئات بنسب الفلك عند طلب كون المراد، وتحت هذا جميع ما وضعته الأوائل من الاختيارات والطلسمات. والعملي هو الموقوف على المولدات الثلاث وما أثبتت فيها من قوى الكواكب السيارة، وهي المعبر عنها بالخواص عند القائلين بها، ولا يعلمون لها علة ولا حقيقة إلى كشف سر الأوائل، ثم مزاج بعضها مع بعض بالعمل ويتوخى بها حرارة عنصرته، فذلك قبيل الدخنات كي يستعان بالقوى الكاملة على الناقصة، أو يتوخى

الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع، ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين، ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص المسحـور، ومعرفة هذه الأسباب من حيث انها معرفة ليست بمذمومة، ولكنها ليست تصلح إلا للاضرار

بها حرارة طبيعية، فذلك قسم المطعومات، وما كان لا يتعدى بها ولا يستعان إلا بالنفس الإنسانية أو الحيوانية، والحيل المسماة نيرنجات أحسن أنواع السحر العملي، ثم قال: ولم يكن للحكماء قدرة على هذا العلم إلا بمعرفة علم الفلك اهـ.

(فيتخذ من ذلك الجواهر هيكل على صـورة الشخـص المسحـور ويترصـد لـه وقـت مخصوص في طالع) مخصوص وفي بعض النسخ: من المطالع **(وتقرن به)** أي عند عمله **(كلمات)** أعجمية لا يعرف معناها **(يتلفظ بها)** لقهر الملائكة الموكلة بهذه الأسماء على فعل ما أقسم به المقسم، وتلك الكلمات لا تخلو **(من الكفر)** الصريح **(والفحش المخالف للشرع)**، كما هو صريح في قسم دعوة الزهرة في كتاب السر المكتوم للرازي، ويستثنى من ذلك ما ثبت صحته بمعنى الأسماء الحسنى عن كبار المشايخ الكاملين المقطوع لهم بالولاية مع العلوم الشرعية، كما ورد في أهيا إشراهيا اذوناي اصبات آل شداي هملوخيم، والأسماء التي في أوّل الدائرة الشاذلية وهي طهور يدعى محببه صوره محببه سقفاطين سقاطيم أهون وادم حم هاء آمين. والأسماء التي في أثناء خرب سيدي ابراهيم الدسوقي قدس سره، والبرهتية المسماة بالعهد السليماني وأمثالها. **(ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين)** فيقهر بها الملائكة الموكلة بتلك الأسماء، ثم إن لهم في السحر طرقاً مختلفة، فطريق الهند بتصفية النفوس بأنواع الرياضات وحبس الأنفاس، وطريق النبط بعمل العزائم في الأوقات المناسبة لها، وطريق اليونان بتسخير روحانية الأفلاك والكواكب، وطريقة العبرانيين والقبط والعرب بذكر الأسماء التي تقدم ذكرها، ولكل هؤلاء مؤلفات، فمن المشهورات على طريقة العبرانيين الإيضاح والبساتين في استخدام الانس والجن والشياطين وبغية الناشد ومطلب القاصد، وعلى طريقة اليونانيين رسائل أرسطو وغاية الحكيم للمجريطي، وكتاب طيماوس، وكتاب الوقوفات. وعلى طريقة الهند والنبط القماعيل الكبير والقماعيل الصغير ومراتب المعاني والبرهان، وعلى طريقة القبط والعرب عالم المعاني في إدراس العالم الإنساني وحقيقة المعارف وأسرار الاجرام وبهجة النفوس وغاية الأمل والمقصد الأتم وسرور النفوس وغير ذلك. **(ويحصل من مجموع ذلك)** ممّا ذكرناه **(الحكم بإجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور)** تحير لها الأفكار وتتلاشى منها العقول، وكل ما كان ويكون بقضاء الله تعالى وقدره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويرضى ﴿لا يُسئل عما يفعل وهم يسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣] **(ومعرفة هذه الأسباب من حيث انها معرفة ليست بمذمومة)** إذا احترز عن العمل بها إلا أن قام شقي ساحر يدعي النبوّة ويظهر بقوّة السحر أموراً خارقة يقول هذه معجزتي على النبوّة، فعند ذلك يفترض وجود شخص قادر لدفعه بالعمل، ولذلك قال بعض

بالخلق والوسيلة إلى الشر شر ، فكان ذلك هو السبب في كونه علماً مذموماً ، بل من اتبع ولياً من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز إذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه ؛ بل وجب الكذب فيه ؛ وذكر موضعه ارشاد وإفادة علم بالشيء على ما هو عليه ، ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر .

العلماء تعلم العلم خير من جهله ، ومن تعلمه بقصد دفع الضرر كان ذلك في حقه فرض كفاية ، **(ولكنها)** أي تلك المعرفة **(ليست تصلح إلا للإضرار بالخلق)** غالباً وهو حرام **(والوسيلة إلى الشرشر)** أي ما يتوسل به إلى الشرشر **(فكان ذلك هو السبب في كونه مذموماً)** .

وقد وردت في ذمة أحاديث ما بين صحاح وحسان ، فمنها ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة « اجتنبوا الموبقات الشرك بالله والسحر » . وفي رواية مسلم ، وأبي داود ، والنسائي » اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » . والموبقات : هي المهلكات . وقول التاج السبكي : الموبقة أخص من الكبيرة ، وليس في حديث أبي هريرة أنها الكبائر . تعقبه الحافظ ابن حجر بالرد . قال المناوي : السحر إن اقترن بكفر فكفر وإلا فكبيرة عند الشافعي وكفر عند غيره ، وتعلمه إن لم يكن لذب السحرة عند نشره حرام عند الأكثر ، وعلى ذلك يحمل قول الإمام الرازي في تفسيره : اتفق المحققون على أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محذور ، لأن العلم شريف وللعموم : ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر : ٩] ولأن السحر لو لم يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة ، والعلم بكون المعجز معجزاً واجب وما يتوقف عليه الواجب واجب . قال : فهذا يقتضي كون العلم به واجباً وما يكون واجباً فكيف يكون حراماً أو قبيحاً اهـ .

(بل من اتبع ولياً من أولياء الله تعالى ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز) أي منيع **(إذا سأله الظالم عن محله)** الذي هو فيه **(لم يجز تنبيهه عليه)** وتعريفه إياه ، **(بل يجب الكذب في ذلك)** للمصلحة الشرعية ، **(وذكر موضعه)** له **(إرشاد)** في الظاهر وصدق **(وإفادة علم بالشيء على ما هو عليه ، ولكنه مذموم لأدائه إلى الضرر)** بقتل الرجل الصالح .

وأخرج ابن عساكر في تاريخه في ترجمة ميمون بن مهران من رواية ابن أبي الدنيا ، حدثني أبي ، حدثنا اسماعيل بن عليه ، أخبرنا سوار بن عبدالله قال : بلغني أن ميمون بن مهران كان جالساً وعنده رجل من قُرّاء الشام فقال : إن الكذب في بعض المواطن خير من الصدق ، فقال : الصدق في كل موطن خير ، فقال ميمون : أرأيت لو رأيت رجلاً يسعى وآخر يتبعه بالسيف فدخل الدار فانتهى إليك ، فقال : أرأيت الرجل ما كنت قائلاً ؟ قال : كنت أقول لا . قال : فذاك اهـ .

....

وقول الشيخ: بل يجب الكذب في دلك هو أحد المواضع التي تكلموا عليه فيه، ونحن نبين لك حاصل ما قاله المحققون. أخرج البخاري في صحيحه من طريق الزهري أن حميد بن عبد الرحمن أخبره أن أمه أم كلثوم بنت عقبة أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً». وزاد مسلم في هذا الحديث قالت: ولم أسمعه يرخص في شيء مما تقول الناس إلا في ثلاث في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها، وجعل يونس ومعمر هذه الزيادة عن الزهري. قال الخطيب: القول قولهما والحق معهما، وذكره أيضاً موسى بن هرون وقال: آخر حديث رسول الله ﷺ، أو يقول خيراً يعني كما عند البخاري، وللترمذي «لا يحل الكذب إلا في ثلاث يحدث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس». قال ابن الملقن، قال الطبري: واختلف العلماء في ذلك فقالت طائفة الكذب المرخص فيه في هذه الثلاثة هو جميع معاني الكذب، وحمله قوم على الاطلاق، وأجازوا قول ما لم يكن في ذلك لما فيه من المصلحة، فإن الكذب المذموم إنما هو فيما فيه مضرة للمسلمين، وقال آخرون: لا يجوز الكذب في شيء من الأشياء ولا الخبر عن شيء بخلاف ما هو عليه، وما جاء في هذا إنما هو على التورية. وروى مجاهد عن أبي معمر، عن ابن مسعود قال: لا يصلح الكذب في جد ولا هزل، وقال آخرون: بل الذي رخص فيه هو المعاريض، وهو قول سفيان وجمهور العلماء، وقال المهلب: ليس لأحد أن يعتقد إباحة الكذب، وقد نهى النبي ﷺ عن الكذب نهياً مطلقاً، وأخبر أنه يجانب الإيمان فلا يجوز استباحة شيء منه، وإنما أطلق عليه الصلاة والسلام للصلح بين الناس أن يقول: ما علم من الخير بين الفريقين ويسكت عما سمع من الشر بينهم، وبعد أن يسهل ما صعب ويقرب ما بعد لا إنه يخبر بالشيء على خلاف ما هو عليه، لأن الله قد حرم ذلك ورسوله، وكذلك الرجل يعد المرأة يمنيها وليس هذا من طريق الكذب، لأن حقيقة الكذب الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه، والوعد لا يكون حقيقة حتى ينجز والإنجاز مرجو في الاستقبال، فلا يصلح أن يكون كذباً، وكذلك في الحرب إنما يجوز فيها المعاريض والإيهام بألفاظ تحتمل وجهين يؤدي بهما عن أحد المعنيين ليغر السامع بأحدهما عن الآخر، وليس حقيقة الاخبار عن الشيء بخلافه وضده، قال الطبري: والصواب من ذلك قول من قال الكذب الذي أذن فيه الشارع هو ما كان تعريضاً ينحو به نحو الصدق، وأما صريح الكذب فهو غير جائز لأحد، كما قال ابن مسعود لما روى عن رسول الله ﷺ في تحريمه، والوعيد عليه.

وأما ما رواه الأعمش عن عبد الملك بن ميسرة، عن النزال بن برة قال: كنا عند عثمان وعنده حذيفة فقال له عثمان: بلغني عنك أنك قلت كذا وكذا، فقال حذيفة: والله ما قلته. قال: وقد سمعناه. قال ذلك، فلما خرج قلنا له أليس قد سمعناك تقوله؟ قال: بلى. قلنا: فلم حلفت؟ قال: إني أشتري ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله، فهذا خارج من معاني الكذب الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه أذن فيها، وإنما ذلك من جنس إحياء الرجل نفسه عند

(الثاني) : أن يكون مضراً بصاحبه في غالب الأمر ، كعلم النجوم ، فإنه في نفسه غير مذموم لذاته ، إذ هو قسمان :

قسم حسابي ، وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب ، إذ قال عز وجل : ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ . [الرحمن : ٥] .

الخوف ، كالذي يضطر إلى الميتة ولحم الخنزير فيأكل ليحيي نفسه ، وكذلك الخائف له أن يخلص نفسه ببعض ما حرم الله عليه وله أن يحلف على ذلك ولا حرج عليه ولا إثم . وقال الراغب في الذريعة : ذهب كثير من المتكلمين أن الصدق يحسن لعينه والكذب يقبح لعينه ، وقال كثير من الحكماء والمتصوفة : إن الكذب يقبح لما يتعلق به من المضار الحاصلة والصدق يحسن لما يتعلق به من المنافع الحاصلة ، وذلك أن الأقوال من جملة الأفعال وشيء من الأفعال لا يحسن ولا يقبح لذاته ، بل إنما يحسن ما يحسن لما يتعلق به في النفع . قالوا : والكذب إنما يقبح بثلاث شرائط أن تكون الخبر بخلاف المخبر عنه ، وأن يكون المخبر قد اختلقه قبل الإخبار به ، وأن لا يقصد إيراد ما في نفسه لاندفاع ضرر أعظم من ضرر ذلك الكذب ، مع شرط أن لا يمكن الوصول إلى ذلك النفع بغيره ، ومع أنه إذا ظهر كان للكاذب عذر واضح عاجلاً وآجلاً ، قالوا : ولا يلزم على هذا أن يقال جوزوا الكذب فيما يرجى منه نفع دنيوي ، فالمنعفة الدنيوية ولو كانت ملك الدنيا بحذافيرها لا توفى على ضرر هذا ، بل الذي قلناه يتصور في نفع أخروي يكون الإنسان فيه عاجلاً وآجلاً معذوراً كمن سألك عن مسلم استتر في دارك وهو يريد قتله ، فيقول : هل فلان في دارك ؟ فتقول : لا ، فهذا يجوز فإن نفع هذا الكذب موف على ضرره وهو فيه معذور ، وأما الصدق فإنه يحسن حيث يتعلق به نفع ولا يلحق ضرر بأحد ، فمعلوم قبح النميمة والغيبة والسعاية وإن كانت صدقاً ، فاتضح بما ذكرناه صحة قول الشيخ رحمه الله تعالى ولا عبرة بجمهور المخالفين له فيه .

(الثاني : أن يكون مضراً بصاحبه في غالب الأمر ، كعلم النجوم فإنه في نفسه غير مذموم لذاته إذ هو قسمان) . اعلم أن علم النجوم علم بأحكام يستدل بها إلى معرفة الحوادث الكائنة في عالم الكون من الصلاح والفساد بالتشكلات الفلكية ، وهي أوضاع الأفلاك والكواكب كالمقارنة والمقابلة والتثليث والتربيع إلى غير ذلك ، وهو عند الإطلاق ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، **(قسم حسابي)** وهو يقيني في علمه شرعاً ، **(وقد نطق القرآن بأن سير الكواكب محسوب إذ قال تعالى : الشمس والقمر بحسبان)** أي يجريان بحسبان وتقدير لا يعلمه إلا من أطلعه من خلقه عليه ، فلا يجاوز أن ما قدر لهما من جريهما ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾ [يس : ٤٩] قيل : الحسبان جمع حساب ، والأصوب أنه مصدر . يقال : حسب الشيء يحسبه حسباناً ، وأصل الحساب استعمال العد والتقدير ؟ قال عبد بن حميد في سننه : حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا سفيان ، عن اسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي مالك :

وقال عز وجل: ﴿والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾. [يس: ٣٩]

والثاني: الأحكام، وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث بالأسباب، وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض، وهو معرفة لمجاري سنّة الله تعالى وعادته في خلقه، ولكن قد ذمه الشرع. قال ﷺ: « إذا ذكر القدر

﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ قال: بحساب ومنازل. وقال مجاهد في تفسيره فيما رواه عبد بن حميد، عن شبابة عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح عنه قال: كحسبان الرحى، والقولان ذكرهما البخاري في صحيحه.

(وقال تعالى: والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) [يس: ٣٩] منازل القمر ثمان وعشرون، وهو السرطان، والبطين، والثريا، والدبران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرفة، والجبهة، والزبوة، والصرفة، والعواء، والسماك، والغفر، والزبانا، والاكليل، والقلب، والشولة، والنعيم، والبلوة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرع الدلو المقدم، وفرع الدلو المؤخر، والرشا، والعرجون فعلون من الانعراج أي الانعطاف، والمراد به عود الكباسة التي عليها التماريخ للعذق، فإذا قدم تقوس واصفر، ولذلك شبه به الهلال في آخر الشهر وأوله.

(والثاني) قسم طبيعي كالاستدلال بانتقال الشمس في البروج الفلكية على تغير الفصول بالحر والبرد والاعتدال وهذا ليس بمردود شرعاً أيضاً.

والثالث قسم وهمي ويسمى علم **(الأحكام)** وفي مفتاح السعادة اعلم أن أحكام النجوم غير علم النجوم، لأن الثاني يعرف بالحساب، فيكون من فروع الرياضة، والأول يعرف بدلالة الطبيعة على الآثار، فيكون من فروع الطبيعي، ولهما فروع منها. علم الاختيارات، وعلم الرمل، وعلم الفال، وعلم القرعة، وعلم الطيرة والزجر اهـ.

وهذا الذي ذكره من الفرق لا بأس به، ولكن هذا أهم متى أطلق في العقليات أريد به الأحوال الغيبية المنتجة من مقدمات معلومة هي الكواكب من جهة حركاتها ومكانها وزمانها. **(وحاصله يرجع إلى الاستدلال على الحوادث الكونية بالأسباب)** من اتصال الكواكب بطريق العموم والخصوص، وهذا لا استناد له إلى أصل شرعي فهو مردود شرعاً، **(وهو يضاهي)** أي يشبه **((استدلال الطبيب بالنبض)** أي بجسه **(على ما سيحدث)** للمريض **(من المرض وهو معرفة بمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكنه مذموم في الشرع)** قال المولى أبو الخير، واعلم أن كثيراً من العلماء على تحريم علم النجوم مطلقاً، وبعضهم على تحريم اعتقاد أن الكواكب مؤثرة بالذات، وقد ذكر عن الإمام الشافعي رضي الله عنه قال: إن اعتقد المنجم أن المؤثر الحقيقي هو الله تعالى، لكن عادته تعالى جارية على وقوع الأحوال بحركاتها وأوضاعها المعهودة، ففي ذلك لا بأس عندي، وحديث الذم ينبغي أن يحمل على من يعتقد

فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا » . وقال ﷺ :

تأثير النجوم، كذا ذكره ابن السبكي في طبقاته الكبرى، وعلى هذا يكون إسناد ذلك إلى النجم مذموماً، فقد قال العلماء: إن اعتقاد التأثير لها في شيء ما حرام إذا أول وإذا لم يؤول فهو كفر والعياذ بالله تعالى اهـ.

ونقل الخطيب من كتاب الأنواء لأبي حنيفة المنكر من النظر في النجوم نسبة الآثار إلى الكواكب، وأنها هي المؤثرة، وأما من زعم التأثير إلى خالقها، وزعم أنه نصبها إعلاماً على ما يحدثه فلا جناح عليه اهـ.

قلت: وذكر صاحب مفتاح السعادة أن ابن القيم الجوزي أطنب في الطعن على مرتكبه، بل ذهب الى تكفيره اهـ.

قلت: وذكر بعضهم أن مما يشهد بصحة علم الأحكام بنية بغداد، فقد أحكمها الواضع والشمس في الأسد، والعطارد في السنبلة، والقمر في القوس، فقضى الحق أن لا يموت فيها ملك ولم يزل كذلك، وهذا بحسب العموم، وأما بالخصوص فمتى علمت مولد شخص سهل عليك الحكم لكل ما يتم له من مرض وعلاج وكسب وغير ذلك. كذا في تذكرة داود، ويمكن المناقشة في شاهده بعد الإمعان في التواريخ، لكن لا يلزم من الجرح بطلان دعواه.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون بعض الأجرام العلوية أسباباً للحوادث السفلية، فيستدل المنجم العاقل من كيفية حركات النجوم باختلاف مناظرها وانتقالاتها من برج إلى برج على بعض الحوادث الكائنة قبل وقوعها، كما يستدل الطبيب الحاذق بكيفية حركة النبض على حدوث العلة قبل وقوعها.

يقال: يمكن هذا على طريق إجراء العادة أن يكون بعض الحوادث سبباً لبعضها، لكن لا دليل فيه على كون الكوكب أسباباً وعللاً للسعادة والنحوسة لا حساً ولا عقلاً ولا سماعاً. إما عقلاً فسيأتي بيانه قريباً في الوجه الثاني من الأوجه الثلاثة في الزجر عنه، وأما سماعاً فقد **قال رسول الله ﷺ: « إذا ذكر القدر فامسكوا، وإذا ذكرت النجوم فامسكوا، وإذا ذكر أصحابي فامسكوا »)** .

قال العراقي: أخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن اهـ.

أي في معجمه الكبير من رواية مسهر بن عبد الملك بن سلع الهمداني، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبدالله رفعه. وفيه تقديم الجملة الأخيرة ثم الثانية ثم الأولى، ورواه الخطيب في كتاب القول في علم النجوم بلفظ المصنف من رواية أبي مخذم عن أبي قلابة، عن ابن مسعود، وأبو مخذم اسمه النصر بن سعيد ليس بشيء قاله ابن معين، وأبو قلابة لم يسمع من ابن مسعود، ورواه الطبراني أيضاً من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ نبه عليه الحافظ ابن حجر وابن عدي في الكامل عن عمر بن الخطاب بسند ضعيف. وقال الهيثمي: فيه يزيد بن ربيعة وهو

« أخاف على أمتي بعدي ثلاثاً. حيف الأئمة، والإيمان بالنجوم، والتكذيب بالقدر ».
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم أمسكوا، وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه:

ضعيف. ورواه أبو الشيخ في كتاب الطبقات من رواية الحسن، عن أبي هريرة مرفوعاً في أثناء حديث. وقال ابن رجب: روي من وجوه في إسنادها كلها مقال، وقد رمز السيوطي لحسنه تبعاً لابن حصري ولعله اعتضد، قال المناوي في شرح هذا الحديث، أي: لما في الخوض في الثلاثة من المفاسد التي لا تحصى.

(وقال ﷺ « أخاف على أمتي بعدي ثلاثاً حيف الأئمة وإيمان بالنجوم وتكذيب بالقدر »).

قال العراقي: أخرجه ابن عبد البر من حديث أبي محجن بسند ضعيف اهـ.

قلت: هو من رواية علي بن يزيد الصدائي، حدثنا أبو سعيد البقال، عن أبي محجن قال: أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال: فذكره. وأخرجه ابن عساكر كذلك من طريقه، وأبو محجن اسمه عمرو بن حبيب الثقفي فارس شاعر صحابي، والرواية إيماناً وتكذيباً بالنصب فيهما، وإنما نكر إيماناً ليفيد الشيوع، فيدل على التحذير من التصديق بأي شيء كان من ذلك جزئياً أو كلياً مما كان من أحد، فسمى علم النجوم وهو علم التأثير لا التسيير، فإنه غير ضار كما تقدم.

وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة رفعه. « إن أخوف ما أخاف على أمتي في آخر زمانها النجوم وتكذيب بالقدر وحيف السلطان ».

وأخرج أحمد، والبزار، وأبو يعلى، والطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث جابر بن سمرة بلفظ: « ثلاثاً أخاف على أمتي استسقاء بالانواء وحيف السلطان وتكذيب بالقدر ».

وأخرج أبو يعلى في مسنده، وابن عدي في الكامل، والخطيب في كتاب النجوم، عن أنس بسند حسن « أخاف على أمتي بعدي خصلتين تكذيباً بالقدر وتصديقاً بالنجوم ».

ومن شواهد الحديثين ما أخرجه الديلمي في الفردوس، وابن حصري في أماليه، عن عمر بن الخطاب مرفوعاً « لا تسألوا عن النجوم ولا تماروا في القدر ولا تفسروا القرآن برأيكم ولا تسبوا أحداً من أصحابي فإن ذلك الإيمان الإيمان المحض ». هكذا أخرجه السيوطي في الجامع الكبير.

قلت: وأخرجه الخطيب في ذم النجوم من حديث اسماعيل بن عياش، عن النجتري بن عبيد، عن أبيه، عن أبي ذر عن عمر موقوفاً، كذا في شرح ابن الملقن على البخاري.

(وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في البر والبحر ثم أمسكوا) عزاه الشيخ إلى عمر بن الخطاب ووقفه عليه، ولم يتعرض له العراقي في تخريجه، وقد روي ذلك مرفوعاً عن ابن عمر. أخرجه ابن مردويه في التفسير، والخطيب

أحدها: أنه مضر بأكثر الخلق فإنه إذا ألقي إليهم ان هذه الآثار تحدث عقيب

البغدادي في كتاب ذم النجوم ولفظهم: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا. قال المناوي، قال عبد الحق: وليس إسناده مما يحتج به انتهى، وقال ابن القطان: فيه من لا أعرف انتهى، لكن رواه ابن زنجويه من طريق آخر وزاد: وتعلموا ما يحل لكم من النساء ويحرم عليكم ثم انتهوا. قال المناوي في شرح قوله: ثم انتهوا ما نصه؟ فإن النجامة تدعو إلى الكهانة، والمنجم كاهن، والكاهن ساحر، والساحر كافر، والكافر في النار كذا علله علي كرم الله وجهه، قال ابن رجب: فالمأذون في تعلمه علم التسيير لا علم التأثير، فإنه باطل محرم قليله وكثيره، وفيه ورد الخبر: من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من الكفر. وأما علم التسيير فتعلم ما يحتاج إليه منه لاهتداء ومعرفة القبلة وما زاد عليه لا حاجة إليه لشغله عما هو أهم منه، وربما أدى بتدقيق النظر فيه إلى إساءة الظن بمحاريب المسلمين، كما وقع من أهل هذا العلم قديماً وحديثاً، وذلك مفض إلى اعتقاد خطأ السلف في صلاتهم وهو باطل اهـ.

قال الزمخشري: كان علماء بني إسرائيل يكتمون علمين من أولادهم النجوم والطب لئلا يكون سبباً لصحبة الملوك فيضمحل دينهم اهـ.

وفي صحيح البخاري قال قتادة: هذه النجوم لثلاث جعلها زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به. قال ابن الملقن: هذا التعليق قد أخرجه عبد بن حميد في مسنده، عن يونس، عن سفيان عنه بلفظ: «فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه: «قال الداودي وهو قول حسن إلا قوله أخطأ وأضاع فقصر فيه، لأن من قال فيه بالعصبية كافر اهـ.

وأخرج الخطيب في ذم النجوم من حديث عبيد الله بن موسى، عن الربيع بن حبيبة، عن قويد بن عبد الملك، عن أبيه، عن علي: نهاني رسول الله ﷺ عن النظر في النجوم. وعن أبي هريرة، وعائشة، وابن مسعود، وابن عباس نحوه، وعن الحسن: أن قيصر سأل قس بن ساعدة الأيادي: هل نظرت في النجوم؟ قال: نعم نظرت فيما يراد به الهداية، ولم أنظر فيما يراد به الكهانة، وقد قلت في النجوم أبياتاً وهي:

علم النجوم على العقول وبال ... وطلاب شيء لا ينال ضلالُ
ماذا طلا بك علم شيء غيبت ... من دونه الخضراء ليس ينالُ
هيهات ما أحد بغامض فطنة ... يدرى متى الأرزاق والآجالُ
إلا الذي من فوق عرش ربنا ... فلوجهه الإكرام والإجلالُ

وقال المأمون: علمان نظرت فيهما وامتنعت فلم أرهما يصحان النجوم والسحر، **(وإنما زَجَرَ عَنْهُ)** أي عن تعلم علم النجوم **(من ثلاثة أوجه)**:

(أحدها: أنه مضر بأكثر الخلق) سيما من لم يحكم عقيدته على سنن السلف الصالحين،

سير الكواكب، وقع في نفوسهم أن الكواكب هي المؤثرة، وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية، ويعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتاً إليها، ويرى الخير والشر محذوراً أو مرجوًّا من جهتها، وينمحي ذكر الله سبحانه عن القلب، فإن الضعيف يقصر نظره على الوسائط، والعالم الراسخ هو الذي يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى، ومثال نظر الضعيف إلى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس، مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر إلى سواد الخط يتجدّد، فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى في نظرها إلى مشاهدة الأصابع، ثم منها إلى اليد، ثم منها إلى الارادة المحركة لليد، ثم منها إلى الكاتب القادر المريد، ثم منه إلى خالق اليد والقدرة والإرادة، فأكثر نظر الخلق

(**فإنه إذا ألقي إليهم**) في تفسير ما قرروه (**أن هذه الآثار**) من الحوادث والحركات (**تحدث**) وتقع (**عقيب سير الكواكب**) أو عند مقابلاتها (**وقع في نفوسهم**) في أول وهلة (**أن الكواكب هي المؤثرة**) بأنفسها لتلك الحوادث، (**وأنها**) أي تلك الكواكب (**الآلهة المؤثرة**) في الكون، كما وقع ذلك لكثير من جهلاء اليهود والنصارى والفلاسفة (**لأنها جواهر شريفة سماوية**)، فلا يبعد الظن عن نسبة التأثير والتدبير إليها، (**ويعظم وقعها في القلوب**) لغرابتها ويحسن له الشيطان ويزينه في القلوب (**فيبقى القلب ملتفتاً إليها**) أي إلى الكواكب باستمالة الشيطان ويتمكن ذلك في اعتقاده، (**ويرى الشر والخير محذوراً**) أي ممنوعاً (**ومرجواً من جهتها و**) حينئذ (**يتنحى**) أي يبعد (**ذكر الله تعالى عن القلب**)، فإنه ليس له إلا وجهة واحدة، (**فإن الضعيف**) الإيمان والاعتقاد (**يقصر نظره**) لقصوره (**على الوسائط**) ولا يتجاوز عنها (**والراسخ**) في العلم (**هو الذي يطلع على**) أسرار أقوال الله تعالى ورسوله ﷺ، ويعتقد (**أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره تعالى**) أي: جارية لمنافع العباد ويتدرج في معرفة ذلك إلى معرفة سر التسخير الذي هو القهر والإذلال، وأنها لو كانت مؤثرة أو آلهة مدبرة لم تقهر ولم تسخر، (**ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس، مثل النملة لو خلق لها عقل**) مثلاً إذ لها إدراك ما (**و**) فرض أنها (**كانت على سطح**) أي موضع مسطح (**في قرطاس**)، وفي بعض النسخ كانت في ظهر قرطاس، وفي أخرى في سطح قرطاس (**وهي تنظر إلى سواد الخط ينحدر**)، وفي نسخة: يتجدد، (**فتعتقد أنه فعل القلم ولا يترقى نظرها إلى مشاهدة الأصابع**) التي تملك القلم، (**ثم منها إلى اليد**) التي تركبت فيها تلك الأصابع، (**ثم منها إلى الإرادة المحركة لليد**) وهي القوة المركبة من شهوة وحاجة وأمل، وهذا بالنظر إلى أصل اللغة، (**ثم منها إلى الكاتب القادر المريد، ثم منه إلى خالق اليد والقدرة والإرادة**) فهو نظر خامس في الترقي، (**فأكثر نظر الخلق مقصور على**) المرتبة الأولى وهي (**الأسباب القريبة السافلة مقطوع**)

مقصور على الأسباب القريبة السافلة مقطوع من الترقي إلى مسبب الأسباب، فهذا أحد أسباب النهي عن النجوم:

وثانيها: أن أحكام النجوم تخمين محضٍ ليس يدرك في حق آحاد الأشخاص لا يقيناً ولا ظناً فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث أنه جهل لا من حيث أنه علم، فلقد كان ذلك معجزة لإدريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس وانمحى ذلك العلم وانمحق وما يتفق من إصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لأنه قد يطلع على بعض الأسباب، ولا يحصل المسبب عقيبها إلا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع على حقائقها، فإن اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب وقعت

مقصور (**عن**) النظر في (**الترقي إلى مسبب الأسباب**) جل وعز باديْ بدء، (**وهذا أحد أسباب النهي في**) تعلم علم (**النجوم**). وفي نسخة: عن النجوم.

(**وثانيها: أن أحكام النجوم**) غالبها (**تخمين محض**) وحدس (**ليس يدرك في حق آحاد الأشخاص لا يقيناً ولا ظناً والحكم به حكم بجهل**)، لأن أكثر القواعد التي قرروها تقديرية عقلية فما تفرع منها من الأحكام في الحوادث الكونية أحرى أن تكون كذلك، (**فيكون ذمه**) الوارد في الأحاديث المتقدمة (**من حيث أنه جهل لا من حيث أنه علم**). هذا وقد ورد من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه: أن من العلم جهلاً كما سيأتي، وفسّر بكونه علماً مذموماً والجهل خير منه، أو المراد أن من العلوم ما لا يحتاج إليه فيشتغل به عن تعلم ما يحتاج إليه في دينه فيصير علمه بما لا يعنيه جهلاً بما يعنيه، (**ولقد كان ذلك**) أي علم النجوم (**معجزة لإدريس صلوات الله عليه فيما يحكى**). ويروى أن نبياً من الأنبياء قد خط فمن وافق خطه خطه أصاب قيل: هو إدريس، وقيل: دانيال عليه السلام، وأن المراد بالخط هو علم النجوم أو علم الرمل أو غير ذلك، (**وقد اندرس ذلك العلم**) بعد وفاته (**وانمحق وانمحى**) وزال (**و**) أما (**ما يتفق من إصابة**) أمر (**المنجم على ندور**) في بعض الأحيان (**فهو اتفاق**) ومصادفة، (**لأنه قد يطلع على بعض الأسباب**) بحسب ظاهر قواعده، (**ولا يحصل المسبب عقيبها**) كما وقع ذلك لبعضهم أثناء المائة أنه أخبر عن يوم مخصوص في شهر كذا تهب رياح شديدة لا تبقي شجراً ولا بناء إلا هدمتها، وحذر الناس بذلك وكتب قصيدته المتضمنة على الفضائح إلى البلاد، حتى وصلت إلى المغرب، وقد صدقه في كلامه أكثر الناس من المشارقة والمغاربة وتهيأوا للجلاء عن بيوتهم واتخاذهم سراديب في البوادي والقفار، فاتفق أن جاء ذلك اليوم ولم يكن فيه مما ذكر شيء ذكره البلوي في كتابه ألف با. (**إلا بعد شروط كثيرة**) وإحالات على أمور (**ليس في قدرة البشر الإطلاع عليها**) وتفنى الإعمار دون تحصيلها، فمن ذلك ما ذكروه في شروط عمل السحر معرفة الطالع من البروج المستقيمة والمعوجة الطلوع، ومعرفة السعود والنحوس منها، ومعرفة نقاء القمر من الاعراض التي تصيبه، وما لكل كوكب

الإصابة، وإن لم يقدر أخطأ، ويكون ذلك كتخمين الإنسان في أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك، وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم، وربما يكون بخلاف، ومجرد الغيم ليس كافياً في مجيء المطر وبقية الأسباب لا تدرى، وكذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتماداً على ما ألفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها، فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطىء، ولهذه العلة يمنع القول عن النجوم أيضاً.

وثالثها: أنه لا فائدة فيه، فأقل أحواله أنه خوض في فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو أنفس بضاعة الإنسان بغير فائدة، وذلك غاية الخسران، فقد مرَّ رسول الله ﷺ برجل والناس مجتمعون عليه فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل علاّمة، فقال بماذا؟ قالوا: بالشعر وأنساب العرب، فقال: «علم لا ينفع وجهل لا يضر». وقال ﷺ:

وكل برج وما تصلح له، ومعرفة كونه تحت شعاع القمر حتى ينحل من العقدة، ومعرفة احتراقه بملاقاة جرمه جرم الشمس وهو أشد المناحس، وأشباه ذلك من الخرافات التي يشترطونها في كتبهم، (**فإن اتفق أن قدر الله بقية الأسباب**) مع توفيته الشروط (**وقعت الإصابة، وإن لم يقدر أخطأ**) في حكمه ذلك، (**ويكون ذلك كتخمين الإنسان في أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم**) في آفاقها (**يجتمع وينبعث من الجبال**) فيتراكم بعضه على بعض (**فيتحرك ظنه لذلك**) وتظهر له أمارات المطر فيحكم به، (**وربما يحمي النهار بالشمس**) وتأتي رياح مخالفة (**ويتبدد**) أي يتفرق ذلك (**الغيم، وربما يكون بخلافه**) أي تمطر ناحية والشمس مضيئة، (**ومجرد الغيم ليس كافياً في**) حصول (**المطر وبقية الأسباب لا تدرى**) أي تعلم، (**وكذلك تخمين الملاح**) وهو من يلازم خدمة السفن (**أن السفينة تسلم**) من الغرق (**اعتماداً على ما ألفه من**) جاري (**العادة في الرياح ولتلك الرياح أسباب خفية**) المدرك (**هو لا يطلع عليها**) إلا قليلاً ممن رسخ منهم، (**فتارة يصيب في تخمينه**) فيسلم، (**وتارة يخطىء**) فيهلك، (**ولهذه العلة يمنع القول**) في إيمانه واعتقاده (**من**) النظر في (**النجوم أيضاً**) وهو ظاهر.

(**وثالثها: أنه لا فائدة فيه**) ولا طائل تحته (**فأقل أحواله أنه خوض في فضول**) هو جمع فضل إلا أنه استعمل استعمال المفرد فيما لا خير فيه (**لا يُغني شيئاً**) وفي نسخة: يغني شأنه (**وتضييع للعمر الذي هو أنفس بضاعة الانسان بغير فائدة**) شرعية تترتب عليها المصالح (**غاية الخسران**)، فإن الوقت سيف إن لم تقطعه في خير قطعك، (**فقد مرّ رسول الله ﷺ برجل والناس مجتمعون عليه فقال: ما هذا؟**) أي الاجتماع (**قالوا: رجل علامة. فقال: بماذا؟ فقالوا: بالشعر وأنساب العرب، فقال: «علم لا ينفع وجهل لا يضر»**).

....

قال العراقي: أخرجه ابن عبد البر من حديث أبي هريرة وضعفه. وفي آخر الحديث: « إنما العلم آية محكمة » الخ اهـ.

قلت: وقال ابن عبد البر نفسه: لعمري لم ينصف من زعم أن علم النسب علم لا ينفع وجهل لا يضر قال المناوي: وكأنه لم يطلع على كونه حديثاً أو رأى فيه قادحاً يقتضي الرد.

قلت: كيف يقال أنه لم يطلع على الحديث، وهو الذي خرّجه من حديث أبي هريرة، فالوجه هو القول الثاني الذي ذكره، وأخرج الرشاطي من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن أبي هريرة علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر، وفي القوت، وقد روينا عن رسول الله ﷺ من طريق مرسل أنه مر برجل والناس مجتمعون عليه فقال: « ما هذا؟ » فقالوا: رجل علامة. قال بماذا؟ قالوا: بالشعر والأنساب وأيام العرب، فقال: هذا علم لا يضر جهله » وفي لفظ آخر: « علم لا ينفع وجهل لا يضر ».

وأخرج الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في البر والصدقة، والحاكم عن أبي هريرة رفعه: « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محببة في الأهل، مثراة في المال، منساة في الاثر ». وصححه الحاكم، وأقره الذهبي وقال الهيثمي: رجال أحمد وثقوا، وقال الحافظ ابن حجر: هذا الحديث له طريق أقواها ما أخرجه الطبراني من حديث العلاء بن خارجة، وجاء هذا عن عمر أيضاً ساقه ابن حزم باسناد رجاله موثقون إلاّ أن فيه انقطاعاً اهـ.

قلت: وأخرج ابن زنجويه من حديث أبي هريرة: « تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا، وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله ثم انتهوا » وبهذا يظهر الجمع بين الحديثين وأن محل النهي إنما هو في التوغل فيه والاسترسال بحيث يشتغل به عما هو أهم منه.

وفي التخريج الكبير للعراقي رواه أبو نعيم في رياضة المتعلمين من رواية بقية، عن ابن جريج، عن عطاء، عن أبي هريرة، وفيه أن النبي ﷺ دخل المسجد فرأى جمعاً من الناس على رجل فقال: « ما هذا؟ قالوا يا رسول الله رجل علامة. قال: وما العلامة؟ قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب، وأعلم الناس بالشعر وما اختلفت فيه العرب، فقال: هذا علم لا ينفع وجهل لا يضر ». ثم قال: « العلم ثلاثة ما خلاهن فهو فضل آية محكمة أو سنّة قائمة أو فريضة عادلة » اهـ.

قلت: وقال ابن حزم في كتاب النسب: علم النسب منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية، ومنه مستحب، فمن ذلك أن تعلم أن محمداً رسول الله ﷺ هو ابن عبدالله الهاشمي، فمن زعم انه غير هاشمي كفر، وأن يعلم ان الخليفة من قريش وأن يعرف من يلقاه بنسب في رحم محرم ليجتنب تزويج ما يحرم عليه، وأن يعرف ما يتصل به ممن يرثه أو يجب بره من صلة أو نفقة أو معاونة، وأن يعرف أمهات المؤمنين، وأن نكاحهن حرام، وأن يعرف الصحابة وان حبهم مطلوب، ويعرف الأنصار ليحسن إليهم لثبوت الوصية بذلك ولان حبهم إيمان وبغضهم

« إنما العلم آية محكمة أو سنّة قائمة أو فريضة عادلة » ، فإذاً الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض في جهالة من غير فائدة ، فإن ما قدر كائن ، والاحتراز منه غير ممكن ، بخلاف الطب فإن الحاجة ماسة إليه وأكثر أدلته مما يطلع عليه ، وبخلاف التعبير وإن كان تخميناً لأنه جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوّة ولا خطر فيه .

نفاق ، ومن الفقهاء من يفرق في الحرية والاسترقاق بين العرب والعجم ، فحاجته إلى علم النسب آكد ، ومن يفرق بين نصارى بني تغلب وغيرهم في الحرية وتضعيف الصدقة ، وما فرض عمر الديوان إلا على القبائل ، ولولا علم النسب ما تخلص له ذلك وتبعه علي وعثمان وغيرهما اهـ .

(وقال) ﷺ : (« إنما العلم آية محكمة أو سنّة قائمة أو فريضة عادلة ») .

أخرجه أبو داود ، وابن ماجه من حديث عبدالله بن عمرو ، وقد رواه ابن عبد البر مع الحديث السابق عن أبي هريرة قاله العراقي ، وفي تجريد الصحاح لرزين من طريق النسائي ، عن ابن عمر ورفعه : « العلم ثلاثة وما سوى ذلك فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » . وفي القوت : ويروى « العلم ثلاثة آية محكمة وسنّة قائمة ولا أدري » وأخرجه أبو نعيم في رياضة المتعلمين بمثل رواية النسائي تقدم قريباً قبل هذا وهو آخر الحديث ، ورواه كذلك أبو داود ، وابن ماجه كما تقدم عن العراقي من رواية عبد الرحمن بن زياد ، عن عبد الرحمن بن رافع ، عن ابن عمرو ، ورواه الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الكتاب المذكور من رواية إسماعيل بن عياش ، عن عبد الرحمن بن زياد ، عن عبدالله بن يزيد ، عن ابن عمرو . قال العراقي : وقد ورد موقوفاً عن ابن عمر نحوه . رواه الطبراني في الأوسط من رواية حصين ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، ورواه الدارقطني من رواية عمر بن عصام ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر « العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنّة ماضية ولا أدري » . وأخرجه الخطيب أيضاً هكذا ، وقال : تابعه أبو طاهر محمد بن موسى المقدسي ، وأبو حذافة السهمي . قال : وخالفهم سعيد بن داود الزبيري ، فرواه عن مالك ، عن داود بن الحصين ، عن طاوس ، عن ابن عمر .

قلت : ويحتمل أن المصنف أوردهما على أنه حديث واحد ، فإنه عقب بقوله ، والله أعلم .

(فإذاً الخوض في) علم **(النجوم)** والتوغل فيه **(و)** في **(ما يشبهه اقتحام خطر)** أي دخول في خطر عظيم **(وخوض في)** بحر **(جهالة من غير فائدة)** تترتب عليه المصالح الشرعية ، **(فإن ما قدر)** أي قدره الله تعالى في سابق علمه **(كائن)** لا محالة لا يدفعه دافع . **(والاحتراز)** منه **(غير ممكن بخلاف)** علم **(الطب فإن الحاجة إليه)** والضرورة **(ماسة)** ، وفي نسخة : داعية **(إليه وأكثر أدلته مما يطلع عليها)** . وفي نسخة عليه ، **(وبخلاف)** علم **(التعبير)** للرؤيا **(وإن كان تخميناً)** وحدساً **(لأنه مما يطلع عليه وهو جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة ولا خطر فيه)** .

(السبب الثالث) : الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم ، فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها ، وخفيها قبل جليها ، وكالبحث عن الأسرار الإلهية ، إذ يطلع الفلاسفة والمتكلمون إليها ولم يستقلوا بها ولا يستقل بها ، وبالوقوف

واخرج البخاري ، عن أبي سعيد ، ومسلم عن ابن عمر ، وعن أبي هريرة ، والإمام أحمد ، وابن ماجه عن ابن رزين ، والطبراني في الكبير ، عن ابن مسعود : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة » .

وقد روى ذلك من حديث أنس أيضاً عند الإمام أحمد ، والبخاري والنسائي وابن ماجه ولفظهم : « الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح » وأخرجه الترمذي وصححه وزاد وهي على رجل طائر ما لم يحدّث بها ، وإذا حدّث بها وقعت ، وأخرجه أبو عوانة في صحيحه ، والترمذي في الشمائل ، وابن أبي شيبة في مسنده ، وكذا أحمد والشيخان كلهم عن أنس ولفظهم : « رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة » وأخرجه كذلك الداري ، وأبو داود ، وأحمد ، والترمذي ، والشيخان عن أنس ، عن عبادة بن الصامت مثله . وأخرج ابن النجار ، عن ابن عمر « جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوّة » وأخرج الإمام أحمد ، وابن ماجه ، عن ابن عمر . والإمام أحمد أيضاً عن ابن عباس « جزء من سبعين جزءاً من النبوّة ، ورواه ابن أبي شيبة ، عن أبي سعيد فقال : « رؤيا المؤمن الصالح » وأخرج الترمذي ، والحاكم في الكنى ، والطبراني في الكبير ، والبيهقي ، عن أبي رزين « رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءاً من النبوة » .

ثم اعلم أن علم الرؤيا من جملة الفراسة ، وقد عظم الله أمر الرؤيا في جميع كتبه المنزلة وهي من فعل النفس الناطقة ، ولو لم تكن لها حقيقة لم يكن لإيجاد هذه القوّة في الإنسان فائدة ، والله يتعالى عن الباطل وهي ضربان . ضرب وهو الأكثر أضغاث أحلام وأحاديث النفس من الخواطر الرديئة ، وضرب وهو الأقل صحيح ، وذلك قسمان . قسم لا يحتاج إلى تأويل ، وقسم يحتاج إلى تأويل ، ولهذا يحتاج المعبر إلى مهارة الفرق بين الأضغاث وبين غيرها وليميز بين طبقات الناس إذ كان فيهم من لا يصح له رؤيا ، وفيهم من يصح رؤياه ، ثم من يصح له ذلك منهم من يرشح أن يلقى إليه في المنام الأشياء الخطيرة ، ومنهم من لا يرشح لذلك ، وسيأتي لذلك تحقيق إن شاء الله تعالى .

(السبب الثالث : الخوض في علم) من العلوم إذا كان **(لا يستقل الخائض به)** أي لا يقدر على حمل أعبائه ، **(فإنه مذموم في حقه)** فإنه مكلف نفسه ما لا يطيقه **(كتعلم دقيق العلوم)** التي لا تعرف إلا بدقة النظر والبحث **(قبل جليها)** أي واضحها ، وفي نسخة : قبل جليلها ، وقالوا في معنى الرباني هو الذي يعلم بصغار العلوم قبل كبارها ، ومن يتعلم خفايا العلوم قبل استكمال معرفة جليها كالمتزبب قبل أن يتحصرم **(وكالبحث)** والتنقير **(عن الاسرار الإلهية)** المكتومة **(إذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون إليوا)** . وفي نسخة : عايها **(ولم يستقلوا**

على طرق بعضها إلا الأنبياء والأولياء، فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم إلى ما نطق به الشرع، ففي ذلك مقنع للموفق، فكم من شخص خاض في العلوم واستضربها ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين مما صار إليه ولا تنكر كون العلم ضاراً لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع، بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور، فلقد حكي أن بعض الناس شكا إلى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد، فجس الطبيب نبضها وقال: لا حاجة لك إلى دواء الولادة، فإنك ستموتين إلى أربعين يوماً، وقد دل النبض عليه فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرقتها، وأوصت وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت، فجاء زوجها إلى الطبيب وقال له: لم تمت، فقال الطبيب:

بها) لانها ذوقية كشفية (**ولا يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها إلا**) السادة (**الأنبياء**) عليهم الصلاة والسلام بما يتلقون من الوحي (**والأولياء**) رحمهم الله تعالى بمجاهداتهم ورياضاتهم فيفيض الله على قلوبهم أنواراً يكشفون بها ما خفي عن كثيرين، وسيأتي عن سهل أن للإلهية سراً لو انكشف لبطلت النبوات وللنبوات سراً لو انكشف لبطل العلم وللعلم سراً لو انكشف لبطلت الأحكام، (**فيجب كف الناس**) ومنعهم (**عنها**). وفي نسخة: عن البحث عنها (**وردهم إلى ما نطق به الشرع**) وأرشدنا لمعرفته، (**ففي ذلك مقنع**) أي كفاية (**للموقن**). وفي نسخة: للمؤمن. وفي أخرى: للموفق، (**وكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها**) أي وجد الضرر بها بأن استحالته إلى فساد في العقيدة أو حيرته فلم يجد له عنها مخلصاً (**ولو لم يخض فيها**) ومشى على سنن ظاهر الشريعة (**لكان حاله أحسن في الدين منه قبل الخوض فيها ألبتة**) أي قطعاً ولأن يعيش الإنسان خلف البقر عامياً يصلي فرضه ويصوم شهره خير له من هذه العلوم التي يتضرر بها في دينه (**ولا تنكر**) أيها المعاند (**كون العلم ضاراً لبعض الناس**) دون بعض (**كما يضر لحم الطير**) مطلقاً (**وأنواع الحلوى**) وفي نسخة: الحلاوى (**اللطيفة بالصبي الرضيع**). وفي نسخة: المرضع أي لضعف معدته، (**بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور**) أحياناً، (**فلقد حكي أن بعض الناس شكا إلى الطبيب**) وكان حاذقاً بصيراً بالأمور (**عقم زوجته وأنها لا تلد**) هذه مفسرة للأولى، (**فجس الطبيب نبضها**) أي عرق يدها فرآها ليس بها من مرض يمنعها من الولادة (**فقال لها: لا حاجة بك إلى دواء الولادة فإنك ستموتين إلى**) انتهاء (**أربعين يوماً، وقد دل النبض عليه**) أي أماراته (**فاستشعرت المرأة خوفاً عظيماً**) أي لبست شعاره (**وتنغص عليها عيشها**) أي تكدر (**وأخرجت أموالها**) في وجوه البر (**وفرقتها**) على الفقراء، (**وأوصت بوصايا وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة**) الموعود بها (**فلم تمت، فجاء زوجها إلى الطبيب وقال له**) إنها (**لم تمت فقال الطبيب: علمت ذلك فجامعها الآن**

قد علمت ذلك فجامعها الآن فإنها تلد فقال: كيف ذاك؟ قال: رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت انها لا تهزل إلا بخوف الموت فخوّفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة، فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله ﷺ: « نعوذ بالله من علم لا ينفع ». فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثاً عن

فإنها) تحمل و(**تلد. قال: كيف ذلك)** وفي نسخة. وكيف ذلك؟ أي: ما السر في ذلك؟ (**قال: رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها)** وهو أحد أسباب العقم في المرأة كما ذكره الأطباء وإذابته غير متيسرة بالأدوية إلا الهزال، (**وعلمت أنها لا تهزل إلا بخوف الموت)** ولا خوف أعظم منه (**فخوّفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة)**.

ومثل هذه الحكاية نقل السخاوي في المقاصد قال أورد البيهقي في مناقب الشافعي من طريق الحسين بن إدريس الحلواني عنه انه قال: ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن، فقيل: ولم؟ قال: لأنه لا يخلو العاقل من إحدى حالتين، إما أن يهتم لآخرته ومعاده، أو لدنياه ومعاشه، والشحم مع الهم لا ينعقد، فإذا خلا من المعنيين صار في حد البهائم.

ثم قال الشافعي: كان ملك في الزمان الأوّل وكان مثقلاً كثير اللحم لا ينتفع بنفسه فجمع المتطببين وقال: احتالوا لي حيلة يخف عني لحمي هذا قليلاً فما قدروا له على صنعة. قال: فنعت له رجل عاقل أديب متطبب فبعث إليه فأشخص، فقال: تعالجني ولك الغنى؟ قال: أصلح الله الملك أنا رجل متطبب منجم دعني أنظر الليلة في طالعك أي دواء يوافق طالعك فأشفيك فغدا عليه فقال: أيها الملك الأمان. قال: لك الأمان. قال: رأيت طالعك يدل على أن عمرك شهر، فإن أحببت حتى أعالجك وإن أردت بيان ذلك فاحبسني عندك، فإن رأيت لقولي حقيقة فخل عني وإلاّ فاستقص عليّ. قال: فحبسه ثم رفع الملك الملاهي واحتجب عن الناس وخلا وحده مغتماً يعد أيامه كلما انسلخ يوم ازداد غماً حتى هزل وخف لحمه، ومضى لذلك ثمانية وعشرون يوماً فبعث إليه فأخرجه، فقال: ما ترى، فقال: أعز الله الملك أنا أهون على الله من أن أعلم بالغيب، والله ما أعرف عمري، فكيف أعرف عمرك إنه لم يكن عندي دواء إلا الغم، فلم أقدر أن أجتلب إليك الهم إلا بهذه العلة، فأذابت شحم الكلى فأجازه وأحسن إليه اهـ.

(**فهذا)** الذي ذكرنا لك (**ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله ﷺ: «نعوذ بالله من علم لا ينفع»)** أخرجه ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن، وهو عند ابن ماجه بلفظ: « تعوذوا بالله » كما تقدم قاله العراقي وفي القوت: والخبر المشهور قوله ﷺ: « أعوذبك من علم لا ينفع » فسماه علماً إذ له معلوم وإذ أصحابه علماء ثم رفع المنفعة عنه واستعاذ بالله عز وجل اهـ.

وفي الباب عن زيد بن أرقم، وأبي هريرة، وعبدالله بن عمر، وأنس، وابن مسعود، وابن عباس، وقدم تقدم في أحاديث الخطبة. (**فاعتبر بهذه الحكاية)** التي أسلفناها لك (**ولا تكن**

علوم ذمها الشرع وزجر عنها، ولازم الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم، واقتصر على اتباع السنّة، فالسلامة في الاتباع، والخطر في البحث عن الأشياء والاستقلال، ولا تكثر اللجج برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك اني أبحث عن الأشياء لأعرفها على ما هي عليه، فأي ضرر في التفكر في العلم، فإن ما يعود عليك من ضرره أكثر، وكم من شيء تطلع عليه فيضرك إطلاعك عليه ضرراً يكاد يهلكك في الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته.

واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذلك الأنبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية، فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك، فكم من شخص يصيبه عارض في أصبعه فيقتضي عقله أن يطليه، حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلي الكف من الجانب الآخر من البدن

بحاثاً) كثير البحث والتنقير **(عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها)**. وفي بعض النسخ: وازدجر عنها **(ولازم الاقتداء)** الاتباع **(بالصحابة)** في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، **(واقتصر على اتباع السنّة)** الشريعة مع التجنب عن البدع الحادثة، **(فالسلامة)** كل السلامة **(الاتباع، والخطر)** كل الخطر **(في البحث)** عن العلوم الغريبة **(والاشتغال)** بما لا يعني، وفي نسخة: والاستقلال. ولقد سمعت غير واحد من الشيوخ يقول: خير الدنيا والآخرة في ثلاث كلمات اتبع ولا تبتدع، اتضع ولا ترتفع، اعتقد ولا تنتقد. **(ولا تكثير التبجح)** أي التعظم والإفتخار **(برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك)** في نفسك **(إني أبحث عن الأشياء)** والعلوم **(لأعرفها على ما هي عليه)**، وفي نسخة: عليها أي أحق المعرفة بالغوص في مشكلاتها **(فأي ضرر)** يرى **(في التفكر في العلم)** والبحث عنه. **(فإن)** أي فاعلم أن **(ما يعود عليك من ضرره)** آخراً **(أكثر، وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضرراً يكاد)** أن **(يهلكك في الآخرة إن لم يتداركك الله تعالى برحمته)** وعظيم عفوه.

(واعلم أنه كما يطلع الطبيب الحاذق) الماهر في صنعته **(على أسرار المعالجات)** الخفية التي **(يستبعدها من لا يعرفها)** من أهل الجهل بالحكمة **(فكذلك الأنبياء)** صلوات الله عليهم **(أطباء القلوب)** المريضة **(والعلماء)** العارفون **(بأسباب الحياة الأخروية)** وما به نجاتهم وهلاكهم، **(فلا تتحكم على سننهم)** التي سنوها للعباد **(بمعقولك)** الفاسد **(فتهلك، فكم من شخص يصيبه عارض)** علة **(في أصبعه)** مثلاً **(فيقتضي عقله أن يطليه)**. وفي بعض النسخ: أن يطليها، وفي بعض: أن يقطعها، **(حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلي الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن)** ومن ذلك أنهم يأمرون للذي

فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن، فهكذا الأمر في طريق الآخرة، وفي دقائق سنن الشرع وآدابه، وفي عقائده التي تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوّته الاحاطة بها، كما ان في خواص الاحجار أموراً عجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد؛ فالعجائب والغرائب في العقائد والأعمال وإفادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها وإصلاحها للترقي إلى جوار الله تعالى، وتعرضها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقاقير، وكما ان العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع ان التجربة سبيل إليها؛ فالعقول تقصر عن ادراك ما ينفع في حياة الآخرة مع ان التجربة غير متطرقة إليها، وإنما كانت التجربة تتطرق إليها لو رجع إلينا بعض الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة

تشققت شفته السفلى عن يبس أو برد باطلاء السرة بشيء من دهن اللوز أو الزبدة، ولمن به صداع بغسل الرجلين بماء بارد في الحمام، ولمن به وجع العين عن حرارة بطلاء الحناء في باطن القدمين، وما أشبه ذلك ولهم فيه دقائق غريبة، (**فكهذا الأمر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشراع وآدابه**) الظاهرة والباطنة، (**وفي عقائدها التي تعبد الناس بها**) أي كلفوا بمعرفتها (**أسرار لطيفة**) ورموز شريفة وفي بعض النسخ: أسرار ولطائف (**ليس في سعة العقل وقوته الإحاطة بها**)، وإنما ينفع التسليم لما أمر به والتفويض إلى الشارع (**كما أن في خواص الأحجار**) المتكوّنة في المعادن (**أموراً**) غريبة، وزاد في بعض النسخ بعد قوله أموراً عجائب (**غاب عن أهل الصنعة**) الحكمية (**علمها**) فهم في تحقيقها ومعرفة ما قيل فيها في حيرة عظيمة (**حتى لم يقدر أحد**) من أهل الصنعة (**أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد**) لخاصية فيه، (**والعجائب والغرائب في العقائد**) الدينية (**والأعمال**) الشرعية (**وإفادتها صفاء القلوب ونقاءها**) أي نظافتها (**وطهارتها**) عن الأدناس المعنوية (**وتزكيتها**) أي تنميتها (**واصلاحها للترقي**) والوصول (**إلى جوار الله سبحانه**) في مقعد صدق (**وتعرضها لنفحات فضله**) ورشحات رحمته (**أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقاقير**). قال الجوهري: هي أصول الأدوية، وقال الأزهري: العقاقير الأدوية التي يستمشى بها، وقال غيره: واحدها عقار ككتاب وعقير كسكيت، وقال أبو الهيثم: العقار كل نبت ينبت مما فيه شفاء. قال؛ ولا يسمى شيء من العقاقير فرها وفي اللسان هو ما يتداوى به من النبات والشجر، (**وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الأدوية**) على وجه الاستقصاء (**مع أن للتجربة سبيلاً إليها**) أي إلى تلك المنافع على سبيل الادراك (**فالعقول تقصر**) أيضاً (**عن ادراك ما ينفع في حياة الآخرة**) وما ينشأ منها، (**مع ان التجربة غير متطرقة إليها**) أي لا سبيل إلى معرفتها بالتجارب، (**وإنما كانت تتطرق إليها**) التجربة (**لو رجع إلينا بعض**

النافعة المقربة إلى الله تعالى زلفى، وعن الأعمال المبعدة عنه، وكذا عن العقائد، وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي ﷺ، ويفهمك موارد إشاراته، فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم إلاَّ به والسلام؛ ولذلك قال ﷺ: «إن من العلم جهلاً وإن من القول عيا». ومعلوم ان العلم لا يكون جهلاً ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الاضرار. وقال أيضاً ﷺ: «قليل من

الأموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة) عنـد الله **(النافعة)** للعبد **(المقربة إلى الله زلفى، و)** كذا أخبرنا **(عن الأعمال المبعدة عنه)** جل وعز، **(وكذلك عن العقائد)** مما صح منها أو فسد **(وذلك لا مطمع فيه)** لأحد **(فيكفيك من منفعة العقل أن يهديـك)** ويـرشـدك **(إلى صدق النبي ﷺ)** وصدق ما جاء به **(ويفهمك موارد إشاراته)** في كلامه، **(فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف)** فيما لا يعني **(ولازم الاتباع)**. فقد نقل رزين في جامعه عن عمر بن عبد العزيز ينميه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إنه قال: تركتم على الواضحة ليلها كنهارها. كونوا على دين الاعراب والغلمان والكتاب. قال ابن الأثير في جامع الأصول: أراد بقوله دين الاعراب والغلمان الوقوف عند قبول ظاهر الشريعة واتباعها من غير تفتيش عن الشبه وتنقير عن قول أهل الزيغ والأهواء ومثله قوله: عليكم بدين العجائز اهـ.

وعند الديلمي من حديث محمد بن عبد الرحمن ابن البيلماني، عن أبيه، عن ابن عمر مرفوعاً: «إذا كان في آخر الزمان واختلفت الأهواء فعليكم بدين أهل البادية والنساء». وابن البيلماني ضعيف جداً أورده السخاوي في المقاصد. **(فلا تسلم)** عن المهالك **(إلا به)** أي بالاتباع **(والسلام)** على أهل التسليم، وفي نسخة: فإنك لا تسلم إلا به. **(ولذلك قال النبي ﷺ: «إن من العلم جهلاً وإن من القول عبالاً»)**. قال العراقي: أخرجه أبو داود من حديث بريدة وفي اسناده من يجهل اهـ.

قلـت: أخرجه في الأدب من حديث أبي جعفر عبدالله بن ثابت، عن صخر بن عبدالله ابن بريدة، عن أبيه، عن جده بريدة بن الخصيب قال عبدالله: بينما هو يعني بريدة جالس بالكوفة في مجلس مع أصحابه قال: سمعت رسول الله ﷺ: «إن من البيان سحراً وإن من العلم جهلاً وإن من الشعر حكماً وان من القول عبالاً». وفي القوت: وروينا في خبر: «إن من العلم جهلاً وإن من القول عياً».

قلـت: وقد يروى من حديث علي أخرجه الهروي في ذم الكلام وفيه زيادة، وقد وجد في بعض نسخ الكتاب عياً بدل عبالاً كما هو نص القوت.

(ومعلوم أن العلم لا يكون جهلاً ولكن يؤثر تأثير الجهل في الأضرار) بالناس كما تقدم في ذم النجوم. قال المناوي: إن من العلم جهلاً أي لكونه علماً مذموماً والجهل به خير منه، أو المراد أن من العلوم ما لا يحتاج إليه فيشتغل به عن تعلم ما يحتاجه في دينه فيصير علمه بما لا

التوفيق خير من كثير من العلم». وقال عيسى عليه السلام: ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر، وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب، وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع.

يعنيه جهلاً بما يعنيه. والعبال: كسحاب عرض الحديث على من لا يريده قال ابن الأثير، وقال الراغب: العبال جمع عبل لما فيه من الثقل.

(وقال ﷺ أيضاً: «قليل من التوفيق خير من كثير من العلم») قال العراقي: لم أجد له أصلاً وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء وقال: العقل بدلاً من العلم ولم يخرجه ولده في مسنده اهـ.

قلت: وأخرجه ابن عساكر، عن أبي الدرداء بمثل ما في الفردوس وزاد. والعقل في أمر الدنيا حقرة والعقل في أمر الدين مسرة. وروى الطبراني عن ابن عمر: وقليل الفقه خير من كثير من العبادة وكفى بالمرء فقهاً إذا عبدالله، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه. وأورد ابن عبد البر كذلك في العلم، وأبو نصر السجزي في الابانة وقال: غريب عن ابن عمر. وأخرج البخاري في التاريخ عن ابن عمر، وأبو موسى المديني في المعرفة عن رجاء، غير منسوب: «قليل من العلم خير من كثير من العبادة» تبع المصنف صاحب القوت فإنه أورده هكذا وزاد. وفي خبر غريب: كل شيء يحتاج إلى العلم والعلم يحتاج إلى التوفيق، قال المناوي في شرح الحديث الذي أورده المصنف ما نصه، قال التوفيق: هو رأس المال فعلى العاقل الاستيثاق بالله تعالى بزيادة العمل والتقوى واللجوء إليه في افاضته عليه من ذلك السبب الأقوى. وفي رواية: قليل التوفيق خير من كثير العلم، وفي أخرى: من كثير العبادة. قال بعض العارفين: ما قلّ عمل برز من قلب موفق زاهد ولا كثر عمل برز من قلب غافل لاهٍ وحسن الأعمال نتائج الأحوال.

(وقال عيسى عليه السلام: ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر، وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب، وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع). أخرجه الخطيب في اقتضاء العلم العمل فقال: أخبرنا أحمد بن الحسن الجوهري، أخبرنا محمد بن عمران المرزباني، حدثنا أحمد بن محمد ابن عيسى المكي، حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد، حدثنا عبد الغفور بن عبد العزيز، عن أبيه، عن وهب بن منبه أن عيسى بن مريم عليه السلام قال: ويلكم يا عبيد الدنيا ماذا يغني عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها، كذلك لا يغني عن العالم كثرة علمه إذا لم يعمل به. ما أكثر أثمار الشجر وليس كلها ينفع ولا يؤكل، وما أكثر العلماء وليس كلهم ينتفع بما علم فاحتفظوا من العلماء الكذبة، الذين عليهم لباس الصوف منكسين رؤوسهم للأرض يرمقون من تحت حواجبهم كما ترمق الذئاب قولهم مخالف فعلهم من يجتني من الشوك العنب ومن الحنظل التين، كذلك لا يثمر قول العالم الكذاب إلا زوراً، لأن البعير إذا لم يوثقه صاحبه في البرية نزع إلى وطنه وأهله، وأن العلم إذا لم يعمل به صاحبه خرج من صدره وتخلى منه وعطله، وإن الزرع

بيان ما بدل من ألفاظ العلوم:

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول، وهي خمسة ألفاظ: الفقه، والعلم، والتوحيد، والتذكير، والحكمة، فهذه أسامٍ محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين، ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة، فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامي عليهم.

(اللفظ الأول: الفقه): فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل؛ إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوي والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها، وحفظ المقالات المتعلقة بها، فمن كان أشد تعمقاً فيها وأكثر اشتغالاً بها يقال

لا يصلح إلا بالماء والتراب كذلك لا يصلح الإيمان إلا بالعلم والعمل. ويلكم يا عبيد الدنيا إن لكل شيء علامة يعرف بها ويشهد له أو عليه، وأن للدين ثلاث علامات يعرف بهن الإيمان والعلم والعمل اهـ.

(بيان ما بدل من الفاظ العلوم):

(اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأوّل، وهي خمسة ألفاظ: الفقه، والعلم، والتوحيد، والتذكير، والحكمة) يتصف بكل واحدة منها، فيقال: هو الفقيه والعالم والموحد والمذكر والحكيم، **(فهي)** وفي نسخة: فهذه **(أسام محمودة)** في الحقيقة **(والمتصفون بها)** هم **(أرباب المناصب في الدين)** في كل عصر، **(ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة وصارت القلوب تنفر)** وتشمئز **(عن مذمة من يتصف بمعانيها)** تلك **(لشيوع اطلاق هذه الأسامي عليهم)** أي صار إطلاقها عليهم شائعاً ظاهراً في الأمة.

(اللفظ الأوّل: الفقه:) فإنهم **(قد تصرفوا فيه بالتخصيص)**. قال الراغب: هو تفرد بعض الشيء بما لا تشارك فيه الجملة اهـ.

وعبر عنه الأصوليون بقولهم: هو قصر العام على بعض إفراده بدليل مستقل مقترن به، واحترز بالمستقل عن الاستثناء والشرط والغاية والصفة، فإنها وإن لحقت العام لا تسمى تخصيصاً وبمقترن به عن النسخ نحو: خالق كل شيء إذ يعلم أن الباري تقدس مخصوص منه **(لا بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة)** من مسائله **(في الفتاوى)** جمع فتوى وقد تقدم، **(والوقوف)** أي الاطلاع **(على دقائق عللها)** الخفية **(واستكثار الكلام فيها)** من هنا وهنا، **(وحفظ المقالات المتعلقة بها)** مع كثرتها، **(فمن كان أشد تعمقاً فيها)** أي

هو الأفقه ، ولقد كان اسم الفقه في العصر الأوّل مطلقاً على علم طريق الآخرة ، ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال ، وقوّة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة ، واستيلاء الخوف على القلب ، ويدلك عليه قوله عز وجل : ﴿ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ﴾ [التوبة : ١٢٢] وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والاجارة ، فذلك لا يحصل به انذار ولا تخويف ، بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له . وقال تعالى : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ [الأعراف : ١٧٩] وأراد به معاني الإيمان

دخولاً في عمقها (**وأكثر اشتغالاً بها يقال هو الأفقه**) أي أكثرهم فقهاً ، (**ولقد كان اسم الفقه في العصر الأوّل**) كأنه يعني عصر الصحابة (**مطلقاً على علم طريق الآخرة**) وهو ما يحويه علم المكاشفة والمعاملة ، (**و**) على (**معرفة دقائق آفات النفوس**) وفي نسخة النفس (**ومفسدات الأعمال و**) على (**قوّة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب**) ، ولذا فسره الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى بمعرفة النفس مالها وما عليها ؛ أي : سواء كان من الاعتقاديات أو الوجدانيات أو العمليات ، فدخل في الاعتقاديات علم الكلام ، وفي الوجدانيات علم الاخلاق والتصوّف كالزهد والصبر والرضا وحضور القلب في الصلاة ونحو ذلك ، وفي العمليات الصلاة والزكاة والصوم والبيع ونحوها . (**ويدلك عليه قوله تعالى**) : ﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة(**ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم**) لعلهم يحذرون ﴾ [التوبة : ١٢٢] (**وما يحصل به الإنذار والتخويف هو هذا العلم وهذا الفقه**) الذي أشرنا إليه . وفي القوت في الباب الثلاثين : لان علم الإيمان وصحة التوحيد وإخلاص العبودية للربوبية واخلاص الأعمال من الهوى الدنيوية ، وما تعلق بها من أعمال القلب هو من الفقه في الدين ونعت أوصاف المؤمنين ، إذ مقتضاه الإنذار والتخويف لقوله تعالى : ﴿ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم ﴾ الآية . (**دون تفريعات الطلاق واللعان**) والظهار والإيمان والكفارات والنذور (**والسلم والإجارة**) وما أشبهها ، (**فذلك لا يحصل به إنذار وتخويف**) الذي في الآية . وفي القوت في قوله : ﴿ ليتفقهوا في الدين ﴾ وصفان ظهرا عن الفقه . **أحدهما** : النذارة وهو مقام في الدعوة إلى الله تعالى ، ولا يكون المنذر إلا مخوّفاً ولا يكون المخـوّف إلا خائفاً والخائف عالم . **والثاني** : الحذر وهو حال من المعرفة بالله عز وجل وهو الخشية له . (**بل التجرد له**) أي الاشتغال به (**على الدوام يقسي القلب**) ويورث الغفلة عن تحصيل مقام الاخلاص في الأعمال (**وتنزع الخشية منه كما يشاهد**) ذلك (**من المتجردين له**) ، وهذا في زمان المصنف وهو في القرن الخامس فما بالك بزماننا الآن . اللهم وفقنا للخير واهدنا للصواب آمين .

(**وقال تعالى : لهم قلوب لا يفقهون بها**) [الأعراف : ١٧٩] أي لا يعلمون بها العلم

دون الفتوى. ولعمري أن الفقه والفهم في اللغة إسمان بمعنى واحد، وإنما يتكلم في عادة

الشرعي، (وأراد به معاني الإيمان دون) علم (الفتاوي). قال صاحب القوت في حق الموسومين بالفقه ولا يشعر أن حسن الأدب في المعاملة بمعرفة ويقين هو من صفات الموقنين، وذلك هو حال العبد من مقامه بينه وبين ربه عز وجل، ونصيبه من ربه تعالى، وحظه من مزيد آخرته وهو معقود بشهادة التوحيد الخالصة المقترنة بالإيمان من خفايا الشرك وشعب النفاق بالفرائض وفرض فرضها الإخلاص بالمعاملة، وأن علم ما سوى هذا قد أشرب قلبه وحبب إليه من فضول العلوم وغرائب الفهوم، وإنما هو حوائج الناس ونوازلهم فهو حجاب عن هذا واشغال عنه فآثر هذا الغافل بقلة معرفته بحقيقة العلم النافع ما زين له طلبه وحبب إليه قصده وآثر حوائج الناس وأحوالهم على حاجته وحاله، وعمل في انصبتهم منه في عاجل دنياهم من نوازل طوارقهم وفتياهم، ولم يعمل في نصيبه الأوفر من ربه الأعلى عز وجل لأجل آخرته التي هي خير وأبقى إذ مرجعه إليها ومثواه المؤبد فيها فآثر التقرب منهم على قربه عز وجل وترك للشغل بهم حظه من الله تعالى الأجزل، وقدم التفرغ لهم على فراغ قلبه لما قدم لقوة عن تقواه بالشغل بخدمة مولاه وطلب رضاه، واشتغل بصلاح ألسنتهم عن صلاح قلبه وظواهر أحوالهم عن باطن حاله. وكان سبب ما بلي به حب الرئاسة وطلب الجاه عند الناس، والمنزلة بموجب السياسة، والرغبة في عاجل الدنيا وغيرها بقلة الهمة وضعف النية في آجل الآخرة وذخرها، فأفنى أيامه لأيامهم وأذهب عمره في شهواتهم ليسميه الجاهلون بالعلم عالماً، وليكون في قلوب الطالبين عندهم فاضلاً، فورد القيامة مفلساً وعند ما يراه من أنصبه المقربين مبلساً إذ فاز بالقرب العاملون وربح الرضا العاملون اهـ.

وقال في موضع آخر من كتابه بعد أن ذكر حديث: «استفت قلبك وإن أفتاك المفتون، وهذا مخصوص لمن كان له قلب أو ألقى سمعه وشهد قيام شاهده وعري عن شهواته، لأن الفقه ليس من أوصاف اللسان ألم تسمع قوله سبحانه وتعالى: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ فمن كان له قلب سميع شهيد فقه به الخطاب فاستجاب لما سمع وأناب. (ولعمري أن الفقه والفهم في اللفظ إسمان لمعنى واحد). ونص القوت: والفقه والفهم إسمان لمعنى واحد العرب تقول: فقهت بمعنى فهمت اهـ.

قلت: الفقه لغة الفهم. قال ابن سيده في المخصص: فقه ككبر فقاهة وهو فقيه من قوم فقهاء. وقال غيره: فقه كعلم فقها بكسر وفتح معاً ويُعدّى فيقال فقهته، كما يقال: علمته. وقال سيبويه: فقه فقهاً فهو فقيه كعلم علماً فهو عليم، وقد أفقهته وفقهته علمته وفهمته، والتفقه تعلم الفقه وفقهت عليك فهمت. وقال عيسى بن عمر: شهدت عليك بالفقه أي بالفطنة، وفي المحكم الفقه العلم بالشيء والفهم له وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم. وفي المواهب لأبي التياني: فقه فقهاً مثال حذر إذا فهم، وأفقهة بينت له. وفي الصحاح فاقهته باحثته في العلم. وقال القزاز في جامعه: تفقه الرجل كثر علمه وفلان ما يتفقه ولا يفقه أي: لا يعلم ولا

الاستعمال به قديماً وحديثاً . قال تعالى : ﴿ لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ﴾ [الحشر الآية : ١٣] .فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه ، فانظر إن كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى ، أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم . وقال ﷺ : « علماء حكماء فقهاء » للذين وفدوا عليه . وسئل سعد بن إبراهيم الزهري رحمة

يفهم وقالوا : كل عالم بشيء فهو فقيه به . وفي الغريبين : فقه فهم وفقه صار فقيهاً . وقال ابن قتيبة ، يقال للعلم : الفقه لأنه عن الفهم يكون وللعالم فقيه لأنه إنما يعلم بفهمه على تسمية الشيء بما كان له سبباً . وقال ابن الأنباري : معنى قولهم فقيه أي عالم . قال السمين : أصل الفقه الفهم ، وقيل : فقه الأشياء الخفية فهو أخص من مطلق الفهم ، وقيل : هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص أيضاً من مطلق الفهم ، ولذلك قال تعالى : ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ [الإسراء : ٤٤] أي ليس في وسعهم معرفة حقيقة ذلك ، ويقال : فقه بالضم صار الفقه سجية له وطبعاً ، وفقه بالكسر أي حصل له فهم ، وفقه بالفتح أي غلب غيره في الفقه هذا ما تيسر لنا بيانه في تحقيق لفظ الفقه .

وأما الفهم ؛ فقال الجوهري : فهمت الشيء علمته ، فالفهم والعلم بمعنى واحد وقال البدر العيني في شرحه على البخاري : تفسير الفهم بالعلم غير صحيح ، لأن العلم عبارة عن الإدراك الجلي والفهم جودة الذهن ، والذهن قوة تقتنص بها الصور والمعاني وشمل الإدراكات العقلية والحسية . قال الليث يقال فهمت الشيء أن عقلته وعرفته . قال العيني : وهذا قد فسر الفهم بالمعرفة وهو غير العلم اهـ .

وقال ابن بطال : التفهم للعلم هو التفقه فيه ولا يتم العلم إلا بالتفهم ، ولذلك قال علي رضي الله عنه : والله ما عندنا إلا كتاب الله ، أو فهم أوتيه رجل مؤمن ، فجعل الفهم درجة أخرى بعد حفظ كتاب الله لأنه بالفهم له تتبين معانيه وأحكامه ، وقد نفي ﷺ العلم عمن لا فهم له بقوله : « رب حامل فقه لا فقه له » . وقال صاحب القوت بعد ما ذكر أن الفقه والفهم لمعنى واحد ما نصه : وقد فضل الله عز وجل الفهم عنه على العلم والحكمة ، ورفع الأفهام على الأحكام والقضاء ، فقال عز من قائل : ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ [الأنبياء : ٧٩] فأفرده بالفهم عنه ، وهو الذي فضله به على حكم أبيه في القضية بعد أن أشركهما في الحكم والعلم . **(وإنما تكلم في عادة الإستعمال)** بينهم **(قديماً وحديثاً . قال)** الله **(تعالى : لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون)** [الحشر : ١٣] أي خفي عليهم الفرق بين الخوفين فلم يعرفوا الله حق المعرفة **(فأحال قلة خوفهم من الله)** تعالى الناشيء عن عدم اليقين بالله **(واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه)** ، بل عدمه . **(فانظر إن كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى)** في الأحكام الشرعية **(أو نتيجة عدم ما ذكرنا من العلوم)** . وقد فضل الحسن بين علماء الهداية إلى الله الدالين عليه وسماهم العلماء وحققهم بالعلم في كلام روي عنهم في ذلك . **(وقال ﷺ : « علماء حكماء فقهاء »)** قاله **(للذين وفدوا عليه)** . وفي نسخة قدموا عليه . قال العراقي :

الله أي أهل المدينة أفقه؟ فقال: أتقاهم لله تعالى، فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه، والتقوى ثمرة العلم الباطني دون الفتاوى والأقضية.

أخرجه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد، والخطيب في التاريخ من حديث سويد بن الحرث بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: وكذا أبو موسى المديني في كتابه في الصحابة الذي ذيل به على ابن منده. كلهم من رواية علقمة بن يزيد بن سويد الأزدي، حدثني أبي، عن جدي سويد ابن الحرث قال: وفدت على رسول الله ﷺ سابع سبعة من قومي، فلما دخلنا عليه وكلمنا أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا، فقال: ما أنتم؟ قلنا: مؤمنون. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «إن لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وإيمانكم»؟ قال سويد: قلنا خمس عشرة خصلة خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها، وخمس منها أمرتنا رسلك أن نعمل بها، وخمس منها تخلقنا بها في الجاهلية. فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئاً فقال رسول الله ﷺ: «وما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها» قلنا: أمرتنا رسلك أن نؤمن بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت. قال: «وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها». قلنا: أمرتنا رسلك أن نقول لا إله إلا الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت من استطاع إليه سبيلاً. قال: «وما الخمس التي تخلقتم بها أنتم في الجاهلية»؟ قلنا: الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء، والصدق في مواطن اللقاء، والرضا بمر القضاء، والصبر عند شماته الأعداء. فقال النبي ﷺ: «علماء حكماء كادوا من صدقهم أن يكونوا أنبياء».

وفي مشيخة الأنصاري فقال: «أدباء حلماء عقلاء فقهاء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء». وقال الحافظ ابن حجر: هو في كتاب المعرفة لأبي نعيم من رواية أبي سليمان الداراني عن زاهد بالشام سماه عن أبيه عن جده سويد اهـ.

قلت: قال الذهبي في الميزان علقمة بن يزيد بن سويد، عن أبيه، عن جده لا يعرف وأتى بخبر منكر لا يحتج به فلينظر.

(وسئل) أبو إسحاق. ويقال: أبو إبراهيم **(سعد بن إبراهيم)** ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري قاضي المدينة أمه أم كلثوم بنت سعد بن أبي وقاص. روى عن أنس، وأبي أمامة بن سهل، وعنه أبو إبراهيم، وشعبة، وابن عيينة. ثقة إمام يصوم الدهر ويختم كل يوم توفي سنة ١٢٧. وحفيده سعد بن إبراهيم بـن سعد أبو إسحاق قاضي واسط توفي سنة ٢٠١. قال صاحب القوت: قال مسعر، عن سعد بن إبراهيم وسأله سائل: **(أي أهل المدينة أفقه؟ فقال: أتقاهم لله)** عز وجل، **(فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه)** أي العلم الباطن، **(والتقوى ثمرة العلم الباطن دون الفتاوى والأقضية)** وانظر إلى قوله تعالى: ﴿واتقوا الله واسمعوا﴾ [المائدة: ١٠٨] ﴿واتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾ [الأحزاب: ٧٠] فجعل مفتاح القول السديد والعلم الرشيد

وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه؟ قالوا: بلى، قال: مَن لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه». ولما روى أنس بن مالك قوله ﷺ: «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إليَّ من أن أعتق أربع رقاب». قال: فالتفت

والسمع المكين التقوى، وهي وصية الله عز وجل من قبلنا وإيانا. إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ [النساء: ١٣١] وهذه الآية قطب القرآن ومداره عليها كمدار الرضا على الحسبان.

(وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه؟ قالوا: بلى. قال: من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه»). قال العراقي: أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق، وأبو بكر بن السني في رياضة المتعلمين، وابن عبد البر في العلم من حديث علي. كلهم من طريق ابن وهب. قال: أخبرني عقبة بن نافع عن إسحاق بن أسيد، عن أبي مالك، وأبي إسحاق عن علي رفعه. وقال ابن عبد البر: أكثرهم يوقفونه على علي ولم يرو مرفوعاً إلا بهذا الإسناد اهـ.

قلت: وفي رواية الثلاثة تقديم لم يؤيسهم على لم يؤمنهم مع زيادة في آخره وهي: «ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا في علم ليس فيه تفهم، ولا في قراءة ليس فيها تدبر» وهكذا هو في الفردوس بتلك الزيادة.

(ولما روي أنس بن مالك) ابن النضر بن ضمضم بن حرام النجاري الأنصاري خادم رسول الله ﷺ جاوز المائة توفي نسة ٩٣ روى عنه خلق كثير **(قول رسول الله ﷺ)** وفي القوت: وروينا عن أنس بن مالك أنه لما حدث عن النبي ﷺ في فضل مجالس الذكر: **(«لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب»)**. أخرجه أبو داود بإسناد حسن قاله العراقي قلت: تبع المصنف صاحب القوت في سياقه، والحافظ العراقي سكت عليه وعزاه بهذا السياق إلى أبي داود، والذي في سننه من رواية موسى بن خلف، عن قتادة، عن أنس رفعه «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إليّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلي من أعتق أربعة». وموسى بن خلف العمي قال فيه ابن مغيث ضعيف، وقال مرة: لا بأس به. ورواه أيضاً هكذا أبو نعيم في المعرفة، والبيهقي في السنن، والضياء المقدسي في المختارة. كلهم عن أنس.

وأخرج أبو يعلى الموصلي في سننه وفيه: «لأن أقعد مع أقوام» بدل قوم وفيه زيادة: «دية كل رجل منهم إثنا عشر ألفاً في الموضعين. وأخرج أبو داود الطيالسي في مسنده، وابن السني في عمل يوم وليلة، والبيهقي في السنن عن أنس أيضاً بلفظ: «لأن أجالس قوماً يذكرون الله من

إلى يزيد الرقاشي وزياد النميري **قال**: لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سرداً، إنما كنا نقعد فنذكر الإيمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا تفقهاً، **فسمى** تدبر القرآن وعدّ النعم

صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إلي من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل دية كل واحد إثنا عشر ألفاً». كذا في الجامع الكبير. ورواه ابن السني في رياضة المتعلمين، والخطيب في الفقيه والمتفقه نحوه وفيه: «كلهم مسلم». وليس عندهما ذكر الدية. وفي الباب عن حسن بن علي، وسهل بن سعد، والعباس بن عبد المطلب، وابن عمر، وابن عمرو، وعتبة بن عبدالله، وعلي، وعمر بن الخطاب، ومعاذ بن أنس، وأبي أمامة، وأبي هريرة، وعائشة سيأتي ذكرها حيث ذكرها المصنف في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى. **(قال)** صاحب القوت: **(فالتفت)** أي أنس **(إلى)** صاحبيه **(يزيد)** ابن أبان **(الرقاشي)** القاص العابد. روى عن أنس والحسن، وعنه صالح المري وحماد بن سلمة ضعيف **(وزياد)** ابن عبدالله **(النميري)** روى عن أنس، وعنه عمارة بن زاذان، وأبو سعيد المؤدب. وثقة ابن حبان. **(وقال: لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم)** كذا في النسخ. وفي القوت: يقص أحدهم **(ويخطب على أصحابه)**. وفي بعض نسخ الكتاب: يقص أحدهم وعظه على أصحابه وهو تصحيف، **(ويسرد الحديث سرداً)** وليس في القوت سرداً **(إنما كنا نقعد فنذكر الإيمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا)**. وأخرج الخطيب البغدادي من طريق يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ: «لأن أجلس مع قوم يذكرون الله من غداة إلى طلوع الشمس أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ومن العصر إلى غروبها أحب إليّ من كذا وكذا». **قال يزيد**: كان أنس إذا حدث بهذا الحديث أقبل عليّ وقال: والله ما هو بالذي تصنع أنت وأصحابك، ولكنهم قوم يتعلمون القرآن والفقه. كذا في تحذير الخواص للسيوطي. وروى أبو يعلى في مسنده، حدثنا خلف بن هشام، حدثنا حماد بن زيد، عن جعفر بن ميمون، عن يزيد الرقاشي قال: كان أنس إذا حدثنا هذا الحديث أنه والله ما هو بالذي تصنع أنت وأصحابك يعني يقعد أحدكم فيجتمعون حوله فيخطب. إنما كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقاً حلقاً يقرأون القرآن ويتعلمون الفرائض والسنن. وفي القوت: وكان عبدالله بن رواحة يقول لأصحاب رسول الله ﷺ تعالوا حتى نؤمن ساعة فيجلسون إليه فيذكرهم العلم بالله تعالى والتوحيد في الآخرة. وكان يخلف رسول الله ﷺ بعد قيامه فيجتمع الناس إليه ويذكرهم الله تعالى وأيامه ويفقههم فيما قال رسول الله ﷺ، فربما خرج عليهم رسول الله ﷺ وهم مجتمعون عنده فيسكتون فيقعد إليهم ويأمرهم أن يأخذوا فيما كانوا فيه. ويقول ﷺ: «بهذا أمرت وإلى هذا دعوت». وروي نحو هذا عن معاذ بن جبل وكان يتكلم في هذا العلم. وقد روينا هذا مفسراً في حديث جندب كنا مع رسول الله ﷺ فيعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن اهـ. **(فسمي تدبر القرآن وعد النعم تفقهاً)**

تفقهاً. قال ﷺ: «لا يفقه العبد كل الفقه حتى :بقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة». وروي أيضاً موقوفاً على أبي الدرداء رضي الله عنه مع قوله: «ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتاً». وقد سأل فرقد السبخي الحسن عن شيء فأجابه فقال: إن الفقهاء يخالفونك، فقال الحسن رحمه الله: ثكلتك أمك فريقد وهل

كما سمى ابن رواحة علم الإيمان إيماناً لأن علم الإيمان وصف الإيمان، والعرب تسمي الشيء بوصفه وتسميه بأصله كما في الحديث: «تعلموا اليقين» أي علم اليقين وكما في قوله تعالى: ﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ أي من البكاء، فسماه بأصله لأن الحزن أصل البكاء.

(**وقال ﷺ: «لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة»**) قال العراقي: أخرجه ابن عبد البر من رواية عبدالله بن أبي مريم، حدثنا عمرو بن أبي سلمة التنيسي، حدثنا صدقة بن عبدالله، عن إبراهيم عن أبي بكر، عن أبان بن أبي عياش، عـن أبي قلابة، عن شداد بن أوس وقال: لا يصح مرفوعاً اهـ.

قلت: وهذا أورده الخطيب في المتفق والمفترق من حديث شداد أيضاً ولفظه: «لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى لا يكون أحد أمقت إليه من نفسه».

(**وروي أيضاً موقوفاً على أبي الدرداء**) رضي الله عنه رواه ابن عبد البر من طريق عبد الرزاق. أخبرنا معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الدرداء بلفظ «لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة ولن تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في ذات الله». (**مع**) زيادة (**قوله: «ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتاً»**). وعند ابن عبد البر: ثم تقبل على نفسك فتكون لها أشد مقتاً منك للناس. وقد أخرجه أبو بكر بن لال في فوائده من رواية الحكم بن عبدة، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن جابر وابن الديلمي في مسند الفردوس من طريقه ولفظه: «لا يفقه العبد كل الفقه حتى يبغض الناس في ذات الله ثم يرجع إلى نفسه فتكون أمقت عنده من الناس أجمعين». وفي المجلس الخامس عشر من أمالي ابن منده من هذا الوجه بلفظ: «لا يكون المرء فقيهاً حتى يمقت الناس كلهم في ذات الله وحتى لا يكون أحد أمقت إليه من نفسه» قال ابن منده: وهو حديث غريب من حديث قتادة لا يعرف عنه مرفوعاً إلا من هذا الوجه. (**وسأل فرقد**) ابن يعقوب (**السبخي**) بفتح الموحدة وكسر الخاء المعجمة نسبة إلى السبخة موضع بالبصرة قاله ابن الأثير، وهو البصري الحافظ الزاهد. روى عن أنس وجمع، وعنه الحمادان، وهمام ضعفوه، لكن قال عثمان الداري عن ابن معين ثقة يقال شغله التعبد عن حفظ الحديث. مات بالبصرة سنة ١٣١ (**الحسن**) ابن يسار البصري سيد التابعين (**عن شيء فأجابه**) عنه (**فقال**) يا أبا سعيد: (**إن الفقهاء يخالفونك**) أي فيما أفتيت، (**فقال الحسن رحمه الله ثكلتك أمك**) يا (**فريقد**) صغر إسمه للترحم، (**وهل**

رأيت فقيهاً بعينك إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم، ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوي، ولست أقول أن اسم الفقه لم يكن متناولاً للفتاوي في الأحكام الظاهرة، ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستتباع، فكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والإعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب، ووجدوا على ذلك معيناً من الطبع، فإن علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به إلى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر، فوجد الشيطان مجالاً لتحسين ذلك في

رأيت فقيهاً بعينك إنما الفقيه) حقيقة هو (**الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة البصير بدينه**). وفي بعض النسخ بذنبه (**المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين**) وفي بعض النسخ: الناس (**العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم**)، أورد هذه القصة هكذا صاحب القوت وقال: جمعنا قوله هذا في روايات عنه مختلفة فوصف وصف العارفين، وأخرج أبو نعيم في الحلية بسنده إلى علي بن معاذ عن ليث قال: كنت أسأل الشعبي فيعرض عني ويجبهني بالمسألة فقلت: يا معشر الفقهاء تروون عنا أحاديثكم وتجبهونا بالمسألة، فقال الشعبي، يا معشر العلماء، يا معشر الفقهاء: لسنا بفقهاء ولا علماء ولكنا قوم قد سمعنا حديثاً فنحن نحدثكم بما سمعنا إنما الفقيه من ورع عن محارم الله والعالم من خاف الله انتهى. (**ولم يقل في جميع ذلك**) الفقيه (**هو الحافظ لفروع الفتاوي**) والأحكام والأقضية، (**ولست أقول أن إسم الفقه لم يكن متناولاً**) أي شاملاً (**للفتاوي في الأحكام الظاهرة، ولكن كان بطريق العموم والشمول**). قال أبو البقاء: هما بمعنى واحد، وهو الإكثار وإيصال الشيء إلى جماعة. وقال غيره: العموم ما يقع من الإشتراك في الصفات، وفي الليث العابس حد العام وهو اللفظ المستغرق لما يصلح له من غير حصر، والصحيح دخول الصور النادرة تحته وإن لم تخطر بالبال (**أو بطريق الإستتباع**) بأن يجعل علم الفتاوي تابعاً لبقية علوم الآخرة، (**و**) لكن (**كان اطلاقهم له**) أي لعلم الفقه (**على علم الآخرة أكثر**) وذلك في الصدر الأول، (**فبان من هذا التخصيص**) بعلم الفتاوي خاصة أي قام منه وانبعث (**تلبيس**) تخليط (**بعث الناس**) وحملهم (**على التجرد له**) أي الإنفراد لطلبه والإقبال عليه (**والإعراض عن علم الآخرة و**) علم (**أحكام القلوب ووجدوا على ذلك**) أي على طلبه (**معيناً**) مساعداً (**من الطبع**) والجبلية، (**فإن علم الباطن**) الذي سبق بيانه (**غامض**) خفي المدرك يحتاج إلى رياضة (**والعلم به**) بالتوصل إليه (**عسير**) على غالب الناس. وفي نسخة: والعمل به عسير (**والتوصل به إلى طلب**) المناصب الدنيوية مثل (**الولاية والقضاء و**) كذا التوصل به إلى تحصيل (**الجاه والمال**) كذلك (**متعذر**). قل من يصل إلى ما ذكر

القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع.

(اللفظ الثاني: العلم) : وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه حتى أنه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله: لقد مات تسعة أعشار العلم فعرفه بالألف واللام، ثم فسره بالعلم بالله سبحانه، وقد تصرفوا فيه أيضاً بالتخصيص حتى شهروه في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها، فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم، ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء، ولا يعدونه في زمرة أهل العلم، وهذا أيضاً تصرف بالتخصيص، ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى

بعلم الباطن بل علمه ينهاه عن اختيار شيء من ذلك، **(فوجد الشيطان مجالاً)** في إغوائه **(لتحسين ذلك في القلوب)** وتزيينه **(بواسطة تخصيص إسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع)** فلم يزل بأحدهم يحسن له في ذلك حتى يوقعه في هوة الهلاك، فيأتي يوم القيامة مفلساً من الأعمال ملجماً بلجام الحيرة حيث لا تنفعه. نسأل الله العفو والإحسان.

(اللفظ الثاني: العلم وقد كان يطلق ذلك) في العصر الأول **(على العلم بالله تعالى وبآياته وأفعاله في عباده وخلقه)**، وعلى المعرفة واليقين والإخلاص ومعرفة أحوال القلب وما يصلحه ويضره **(حتى أنه لما مات)** أمير المؤمنين **(عمر)** ابن الخطاب **(رضي الله عنه قال)** عبدالله **(ابن مسعود)** الهذلي رضي الله عنه فيما رواه صاحب القوت بلا سند، وأخرجه أبو خيثمة في كتاب العلم فقال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم قال، قال عبدالله: إني لأحسب أنه قد **(مات تسعة أعشار العلم)** بموته. ولفظ أبي خيثمة: إني لأحسب عمر قد ذهب بتسعة أعشار العلم، ثم قال صاحب القوت **(فعرفه بالألف واللام)** للعهد الذهني **(ثم فسره بالعلم بالله سبحانه)**، وذلك لما قيل له: أتقول هذا وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون؟ فقال: إني لست أعني العلم الذي تذهبون إليه إنما أعني العلم بالله عز وجل، **(وقد تصرفوا فيه أيضاً بالتخصيص)** وهو قصر العام على بعض مسمياته **(حتى شهروه)** أي جعلوه مشهوراً **(في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها)**، ويحتج كل منهم بأقوال الأئمة ويخوضون فيه، وربما صنفوا في تلك المسائل رسائل غريبة **(فيقال)** لمن هذه صفته **(هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم)** والليث الصادم في مضائق الوهم، **(ومن لا يمارس ذلك)** أي لا يتمرن فيه **(ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء)** الجبناء الجهلاء. وفي بعض النسخ: من جملة الضعفة، **(ولا يعدونه في زمرة أهل العلم)** ولا يرفعون له رأساً، **(وهذا أيضاً تصرف فيه بالتخصيص)** كما عرفت، **(وقد كان)** لفظ العلم **(يطلق)** عليه **(على العموم)** والشمول، **(وكل ما ورد)** في نسخة، ولكن ما ورد **(في فضائل العلم والعلماء)**

وبأحكامه وبأفعاله وصفاته وقد صار الآن مطلقاً على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية، فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والأخبار وعلم المذهب وغيره، وصار ذلك سبباً مهلكاً لخلق كثير من أهل الطلب للعلم.

(اللفظ الثالث: التوحيد): وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة، وإثارة الشبهات، وتأليف الالزامات حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد، وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصية هذه

من الآيات والأخبار **(أكثره في العلماء بالله عز وجل وبأحكامه وأفعاله وصفاته)** قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: العلم ثلاثة أنواع علم بالله، وعلم بتدبير الله وبربوبيته، وعلم بأمر الله. وروي لنا عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال: العلماء ثلاثة عالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله، وعالم بالله عالم بأمر الله، **(وقد صار الآن مطلقاً على من لا يحيط من علوم الشريعة بشيء سوى رسوم جدلية)** يجادل بها الخصم **(في مسائل خلافية)** في المذهب **(فيعد به)** أي بمعرفة هذه الرسوم **(من فحول العلماء)** وأساطينهم ويشار إليه بالاصابع **(مع جهله بالتفسير)** وما يتفرع منه من العلوم **(والأخبار)** المروية **(وعلم المذهب)** من الفقه **(وغيره)**، وإن اشتغل فرد منهم بعلم التفسير والأخبار، فعلى طريقة المعقوليين بحيث أنه يقرر في كل آية وحديث وجوهاً من الإعراب والقراآت بوجوهها وتفاريعها، فإذا سئل أن هذه الآية ما شأن نزولها وما معناها الباطن وما اشارتها أو كيف العمل بمضمونها، لفتل أصابعه شزراً، وكذا الحال في الأخبار مع عدم معرفة مخرجيها، ولا التمييز لصحيحها من سقيمها ولا من خرّجها ولا أحوال رواتها كما هو مشاهد الآن والله المستعان **(وصار ذلك)** أي الإشتغال بالجدل والخلاف **(سبباً مهلكاً لخلق كثير من الطلبة)** . وفي نسخة: لحق كثيراً من الطلبة. وفي نسخة: من طلبة العلم.

(اللفظ الثالث: التوحيد): وهو في الأصل معرفة وحدانية الله عز وجل بكمال نعوته، **(وقد جعل الآن عبارة عن صنعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة)** مع الخصوم **(والإحاطة بمناقضة)** أدلة **(الخصوم)** إجمالاً وتفصيلاً **(والقدرة على التمشدق)**. وفي نسخة: على التشدق أي التكلم بملء الأشداق **(فيها)** أي في تلك المناقضة **(بتكثير الأسئلة)** عليهم **(وإثارة الشبهات)** لارتداعهم، **(وتأليف الإلزامات)** التي تبهتهم وتسكتهم **(حتى لقب طوائف منهم أنفسهم بأهل العدل والتوحيد)** وهم المعتزلة، **(وسمي المتكلمون)** وهم علماء الكلام **(العلماء بالتوحيد)** خاصة **(مع أن جميع ما هو خاصية هذه الصناعة)** أعني الكلامية

الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الأول، بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح باباً من الجدل والمماراة. فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان إلى قبولها في أوّل السماع، فلقد كان ذلك معلوماً للكل، وكان العلم بالقرآن هو العلم كله، وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين، وإن فهموه لم يتصفوا به، وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط، فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جلّ جلاله، فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل، كما سيأتي بيانه في كتاب التوكل. ومن ثمراته

من ذكر البراهين وإيراد الشبه **(لم يكن يعرف منها شيء في العصر الاول)** هو عصر الصحابة والتابعين، **(بل كان يشتد النكير)** أي الإنكار **(منهم على من كان يفتح باب الجدل والمماراة)** أي المخاصمة، كما سيأتي ذلك عن سيدنا عمر، وتقدم ضربه صبيغاً بالدرة، وكذا غيره من الصحابة ومن بعدهم، فإنهم كانوا يفرون من ذلك ويجعلون المشتغل به مبتدعاً، **(فأما ما يشتمل عليه القرآن)** ظاهره، **(ومن الأدلة الظاهرة)** والبراهين القاطعة الدالة على توحيده عز وجل **(التي تسبق الأذهان)** السليمة عن الشكوك **(إلى قبولها في أول السماع)** والتلقي. **(فلقد كان معلوماً للكل)** لا يختلف فيه إثنان، **(وكان العلم بالقرآن)** أي بما تضمنه من الأحكام **(وهو العلم كله)** لا يخرج عنه شيء **(وكان التوحيد عندهم)** في العصر الأول **(عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين)** ولا يحومون حماه، **(وإن)** كشف لجماعة منهم **و(فهموه لم يقوموا به)** وفي نسخة: لم يتصفوا به أي لم تظهر عليهم آثار ذلك الأمر لعدم انفعال طبيعته المحجوبة لقبول ذلك الأثر **(وهو أن ترى الأمور كلها من الله عز وجل)** وهذا مشهد من يفرغ إناءه الذي هو القلب من الأغيار وإليه الإشارة بقوله: **(رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط)** وهو أعلى درجات الموحدين السالكين يرجون رحمته. أي: رؤيته ويخافون عذابه أي حجابه، وهم التاركون للمساوىء الدينية المتلبسون بالمحاسن السنية هم أهل المحبة اللدنية ومحبة العبد. هذه هي السبب في محبة الله له بشرط فنائه في رؤية هذا السبب وسائر الحظوظ بنفي نسبة شيء من ذلك كله إليه، **(فلا يرى الخير والشر إلا منه)** تعالى، وللموحدين في هذا مراتب. أعلاها هو التوحيد الخالص ويتحقق به الموحد بعد نفي رؤية الفناء لأنها تسمى عندهم الشرك الأصغر، **(وهذا أمر شريف)** يحصل به كل الهناء، لأن هذه الحضرة شرابها صرف وهي تسمي حضرة الجمال. أي: جمال ذات الله والتي قبلها مزاج وتسمى حضرة الجلال، والسالكون ثلاثة جلالي وهو إلى الشريعة أميل، وجمالي إلى الحقيقة أميل، وكمال جامع لهما على حد سواء هو منهما أفضل وأكمل لترقيه إلى حضرة الجمال والمشاهدة، للوفاء بحقوق الحقيقة وتدليه إلى حضرة الجلال للمجاهدة، والقيام بحقوق الشريعة **(إحدى ثمراته التوكل)** على الله عز وجل **(كما سيأتي في كتاب التوكل)** إن شاء الله تعالى. **(ومن ثمراته أيضاً ترك**

أيضاً ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى. وكانت إحدى ثمراته قول أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه لما قيل له في مرضه: أنطلب لك طبيباً؟ فقال: الطبيب أمرضني، وقول آخر لما مرض فقيل له: ماذا قال لك الطبيب في مرضك؟ فقال: قال لي اني فعال لما أريد. وسيأتي في كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك.

والتوحيد جوهر نفيس وله قشران: أحدهما أبعد عن اللب من الآخر، فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر، وأهملوا اللب بالكلية، فالقشر الأول هو

شكاية الخلق وترك الغضب عليهم) في أمر من الأمور لأن الشكاية والغضب ينافيان التوحيد **(و)** من ثمرات التوحيد الخالص **(الرضا)** بما قدره الله تعالى **(والتسليم لحكم الله تعالى)** بانشراح صدر **(وكان إحدى ثمراته قول أبي بكر)** الصديق **(رضي الله عنه لما قيل له في مرضه: أنطلب لك الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني. وقول آخر لما مرض وقيل له: ماذا قال لك الطبيب؟ فقال، قال: إني فعّال لما أريد)**.

قلت: هذا القول الأخير الذي نسبه لآخر هو المروي الثابت عن حضرة الصديق أخرجه ابن الجوزي في كتاب الثبات للمهات، وأبو نعيم في الحلية كلاهما من طريق عبدالله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا وكيع، عن مالك بن مغول، عن أبي السفر قال: مرض أبو بكر فعاده الناس فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رآني. قالوا: فأي شيء قال؟ قال: إني فعال لما أريد، وأما القول الأوّل؛ فلم أرَه لحضرة الصديق، وقد أخرجه أبو عبدالله الثقفي في فوائده من رواية أبي ظبية قال: مرض عبدالله بن مسعود فعاده عثمان رضي الله عنهما. فقال له: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: ما تشتهي؟ قال رحمة ربِّي قال: ألا أدعو لك الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني الحديث بطوله. وأخرجه الحرث ابن أبي أسامة، وأبو يعلى، وابن السني، والبيهقي في الشعب، وابن عبدالبر في التمهيد، والبقلي بأسانيد كلها تدور على السري بن يحيى، عن أبي شجاع، عن أبي ظبية وقد تكلم في الحديث بسبب انقطاعه، فإن أبا ظبية لم يدرك ابن مسعود أمليته في جامع شيخو الغمري. وأخرج أبو نعيم في ترجمة أبي الدرداء رضي الله عنه بسنده إلى معاوية بن قرة أن أبا الدرداء اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا: ما تشتكي؟ قال: اشتكي ذنوبي قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة. قالوا: أولا ندعو لك جليساً قال: هو أفجعني **(وستأتي شواهده في كتاب التوكل)** إن شاء الله تعالى **(وكان التوحيد جوهراً نفيساً)** وفي بعض النسخ. فكان للتوحيد جوهر نفيس **(وله قشران: أحدهما أبعد عن اللب من الآخر فخص الناس الاسم)** أي اسم التوحيد **(بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر)** أي الحفظ له،**(وأهملوا)** أي تركوا **(اللب)** الذي هو التوحيد الخالص **(بالكلية)** أي بمرة واحدة، **(فالقشر الأوّل أن تقول بلسانك)** هذه الكلمة المباركة **(لا إله إلا الله، وهذا يسمى توحيداً مناقضاً للتثليث**

أن تقول بلسانك لا إله إلا الله، وهذا يسمى توحيداً مناقضاً للتثليث الذي صرح به النصارى، ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره، والقشر الثاني: أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول؛ بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده والتصديق به، وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة، والثالث: هو اللباب أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط، وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد

الذي يصرح به النصارى في كتبهم) وهو قولهم: إن الله ثالث ثلاثة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، **(لكنه)** أي هذا التوحيد **(قد يصدر عن المنافق الذي يخالف سره جهره)** فيعد بذلك من أهل الإسلام ولكنه على غير إيقان وإخلاص من قلبه **(والقشر الثاني: أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول)** بل بانشراح الصدر وعدم التردد فيه، **(بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده ذلك)** ولا يخالف اللسان **(والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق)** كما أن الأوّل لبعض العوام أيضاً **(والمتكلمون كما سبق حراس هذه القشرة)** وفي نسخة: هذا القشر **(عن تشويش المبتدعة)** أي عن إدخالهم الشبه في هذا التوحيد ما يشوش بها أذهانهم والتشويش مولدة. **(الثالث: هو اللباب)** المحض **(أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط)** والأسباب كما تقدم قريباً، **(وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره)**.

قال القشيري في الرسالة: سئل ذو النون المصري عن التوحيد، فقال: أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج وصنعه للإنسان بلا علاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه ومهما تصوّر في فهمك ونفسك شيء فالله تعالى بخلافه. وسئل الجنيد عن التوحيد فقال: إقرار الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد ينفي الأضداد والأنداد والاشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١]. وسئل مرة عن توحيده الخاص فقال: أن يكون العبد شبحاً بين يدي الله عز وجل تجري عليه تصاريف تدبيره في مجاري أحكام قدرته في لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه، وعن دعوة الخلق له وعن استجابته بحقائق وجوده ووحدانيته في حقيقة قربه بذهاب حسه وحركة لقيام الحق له فيما أراد منه، وهو أن يرجع آخر العبد إلى أوّله فيكون كما كان قبل أن يكون، وقال مرة: التوحيد الذي انفرد به الصوفية هو إفراد القدم عن الحدث والخروج عن الأوطان وقطع المحاب وترك ما علم وجهل، وأن يكون الحق مكان الجميع، وقال أيضاً: علم التوحيد طوى بساطه منذ عشرين سنة والناس يتكلمون في حواشيه، وقال أبو سعيد الخراز: أوّل مقام لمن وجد علم التوحيد وتحقق بذلك فناء ذكر الأشياء عن قلبه وانفراده بالله تعالى اهـ ما لخصته من الرسالة.

اتباع الهوى، فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده. قال الله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الجاثية: ٢٣]. وقال ﷺ: « أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى ». وعلى التحقيق: من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم، وإنما يعبد هواه، إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى، ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات إليهم، فإن من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره، فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين، فانظر إلى ماذا حول وبأيّ قشر قنع منه، وكيف

(**ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى**) وهو ميل النفس إلى الشيء وقد غلب على الميل المذموم، وأخرج القشيري في الرسالة من حديث جابر رفعه: أخوف ما أخاف على أمتي اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة. وقال ذو النون: مفتاح العبادة الفكرة، وعلامة الإصابة مخالفة النفس والهوى وعلامة مخالفتها ترك شهواتها. وقال سهل: ما عبدالله تعالى بمثل مخالفة النفس والهوى، (**وكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده**) وهو ينافي توحيد الله تعالى (**قال الله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾**) [الجاثية: ٢٣]، أي ما تميل إليه نفسه، والأصل من اتخذ هواه إلهه فقلب. (**وقال ﷺ: « أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى »**) قال العراقي: أخرجه الطبراني من رواية إسماعيل بن عياش، عن الحسن بن دينار، عن الخطيب بن مجدر، عن راشد بن سعد، عن أبي أمامة رفعه بلفظ: « ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع ». ورواه أبو نعيم في الحلية من رواية بقية، عن عيسى بن ابراهيم، عن راشد، وكل من الخطيب وعيسى متروكان انتهى. (**وعلى التحقيق؛ من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم إنما يعبد هواه**) أي ما أمالته نفسه إليه (**إذ نفسه مائلة إلى دين آبائه**) وجدوده (**فيتبع ذلك الميل**) فيكون عابداً له، (**وميل النفس إلى المألوفات**) والشهوات (**أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى**) أشار به إلى اختلافهم في معنى الهوى، فقيل: هو ميل النفس إلى الشيء ومحبتها إياه، وقد غلب على الميل المذموم؛ قال تعالى: ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ [النازعات: ٤٠]. وقال بعضهم: هو على الإطلاق مذموم ثم يضاف إلى ما لا يذم؟ فيقال: هو أي مع صاحب الحق أي ميلي، وقيل: هو ميل النفس إلى المألوفات. وقيل: سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية. وفي الآخرة إلى الهاوية قاله السمين. ومما ذكره المصنف فسر قوله تعالى: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ [ابراهيم: ٣٥]، وتقدمت الإشارة إلى ذلك في أحد فصول المقدمة فراجعه. (**ويخرج من هذا التوحيد**) بالمعنى السابق (**ترك التسخط**) وهو التغضب على الخلق (**والالتفات إليهم**) في أمر من الأمور (**فإن من يرى**) في عقيدته (**أن الكل من الله**) تعالى (**كيف يتسخط على غيره**) أم كيف يلتفت إلى ما سواه، (**فقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين**) وإليه أشار رويم

اتخذوا هذا معتصماً في التمدح والتفاخر بما إسمه محمود مع الإفلاس عن المعنى الذي

فقال: التوحيد محو آثار البشرية وتجرد الإلاهية. وقال ابن عطاء: حقيقة التوحيد نسيان التوحيد وهو أن يكون القائم به واحداً، ويقال: من الناس من يكون في توحيده مكاشفاً بالأفعال يرى الحادثات بالله، ومنهم من هو مكاشف بالحقيقة فيضمحل إحساسه بما سواه فهو يشاهد الجمع سراً بسر وظاهره بوصف التفرقة، وقد ذكر المصنف في كتابه الإملاء على مشكل الاحياء سر انقسام التوحيد على أربعة أقسام تشبهاً بالجوز لأنه لا يخلو العاقل أن يوجد فيه أثر التوحيد أو لا يوجد، ومن يوجد فيه لا يخلو أن يكون مقلداً في عقده أو عالماً به، فالمقلدون هم العوام، والعلماء بحقيقة عقدهم لا يخلو واحد منهم أن يكون بلغ الغاية المطلوبة التي أعدت لصنفه دون النبوّة أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ، فالذي لم يبلغ وكان على قرب هم المقربون وهم أهل المرتبة الثالثة، والبالغون هم الصديقون وهم أهل المرتبة الرابعة، ثم قسَّم أرباب النطق إلى أربعة أصناف. **أحدهم:** نطقوا بكلمة التوحيد ثم لم يعتقدوا معنى ما نطقوا به. **الثاني:** نطقوا ولكن أضافوا إلى قولهم ما لا يحصل مع الإيمان وهم الزنادقة. **الثالث:** نطقوا ولكنهم أسروا التكذيب واستبطنوا ما ظهر منهم من الإقرار وهم المنافقون. **الرابع:** نطقوا وهم على الجهل بما يعتقدون فيها، وحكم الصنف الأوّل والثاني والثالث من زمرة الهالكين، ولما كان اللفظ المنبىء عن التوحيد إذا انفرد عن العقد لم يقع له في حكم الشرع منفعة ولا لصاحبه نجاة إلاَّ مدة حياته عن السيف واليد حسن فيه أن يشبه بقشر الجوز الأعلى، ثم قسم أهل الاعتقاد المجرد إلى ثلاثة أصناف. **الأول:** اعتقدوا مضمون ما أقروا به من غير ترديد غير عارفين بالاستدلال. **الثاني:** اعتقدوا مع ذلك ما قام في نفوسهم أنها أدلة وبراهين وليست كذلك. **الثالث:** مع ذلك استبعدوا طريق العلم وقنعوا بالقعود في حضيض الجهل، ثم ذكر في أصناف أهل الاعتقاد تفصيلاً آخر، ثم قال: ولما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بصحته ضعيفاً ألقي عليه شبه القشر الثاني من الجوز، ولأن ذلك القشر يؤكل مع ما هو عليه صوان، وإذا انفرد أمكن أن يكون طعاماً للمحتاج، ثم ذكر لتوحيد المقربين ثلاثة حدود والأسباب الموصلة إليه وحقيقته وثمراته، ثم ذكر لأرباب هذا المقام ثلاثة أصناف وقال: إنما سموا أهل هذه المرتبة المقربين لبعدهم عن ظلمات الجهل وقربهم من نيرات المعرفة، ثم قال في توحيد الصديقين: وأما أهل المرتبة الرابعة فهم قوم رأوا الله تعالى وحده، ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به، فلم يروا في الدارين غيره ولا اطّلعوا في الوجود على سواه، وأهل هذه المرتبة صنفان مريدون ومرادون، فالمريدون في الغالب لا بدَّ لهم أن يحلوا في المرتبة الثالثة وهي توحيد المقربين ومنها ينتقلون إلى المرتبة الرابعة، وأما المرادون فهم في الغالب مبتدؤن بمقامهم الأخير وهي المرتبة الرابعة ومتمكنون فيها، ومن أهل هذا المقام يكون القطب والأوتاد والبدلاء، ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء والشهداء والصالحون والله أعلم.

(فانظر إلى ماذا حوّل) لفظ التوحيد، **(وبأي قشر قنع منه وكيف اتخذوا هذا)** الذي سموه توحيداً **(معتصماً)** ومتمسكاً **(في التمدح)** به **(والتفاخر بما)** بالذي **(اسمه محمود عن الافلاس)** أي الخلو والفروغ. وفي بعض النسخ: على الإخلاص وهو بمعناه **(عن المعنى الذي**

يستحق الحمد الحقيقي، وذلك كإفلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول: ﴿وجّهت وجهيَ للذي فطر السموات والأرض حنيفاً﴾ [الأنعام: ٧٩]، وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجهاً إلى الله تعالى على الخصوص، فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات، والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتى يكون المتوجه إليها متوجهاً إليه تعالى عن ان تحده الجهات والأقطار. وإن أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق في قوله وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والجاه واستكثار الأسباب ومتوجه بالكلية إليها، فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والأرض، وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد، فالموحد هو الذي لا يرى إلا الواحد ولا يوجه وجهه إلا إليه، وهو امتثال قوله تعالى: ﴿قل الله ثم ذرهم

يستحق الحمد الحقيقي وذلك كإفلاس من يصبح بكرة) أي يأتي في أوّل النهار **(ويتوجه)** بعد تطهيره **(إلى القبلة)** لصلاة الصبح **(وهو يقول: وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً)** وما أنا من المشركين، أي: قصدت بعبادتي وتوجهي **(وهو أوّل كذب يفاتح الله تعالى به كل يوم)** عند قيامه إلى الصلاة **(إن لم يكن وجه قلبه متوجهاً إلى الله تعالى على الخصوص)** أي بالإخلاص وتحري الاستقامة بحيث لا يكون له التفات في ذلك إلى ما سواه **(فإنه إن أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجَّه)** هو **(وجهه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات)** ما عدا مكة، **(والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتى يكون المتوجه إليها)** خاصة **(متوجّهاً إليه تعالى أن تحده الجهات والأقطار، وإن أراد به وجه القلب)** كما هو المتبادر **(وهو المطلوب)** من العبد **(المتعبد به)**. وفي بعض النسخ: للتعبد به **(فكيف يصدق)** فيه **(وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية)** كيف يفعل في كذا وكيف يترك عن كذا **(ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والجاه)** وهو الحظوة عند الأمراء **(واستكثار الأسباب)** والعوارض واسترباحها **(ومتوجه بالكلية إليها)** أي إلى تلك الأمور المذكورة **(فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والأرض، وهذه الكلمة)** الشريفة **(خبر عن حقيقة التوحيد)** لكونها مشيرة إلى الإخلاص في التوجه والإمحاض في العبودية والتحري في الاستقامة، ومن هنا قال الشبلي: من اطلع على ذرة من علم التوحيد ضعف عن حمل بقيته لثقل ما حمل، **(فالموحد)** الحقيقي **(هو الذي لا يرى إلا الواحد)** أي لا يرى الشيء من حيث هو وإنما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرة وميزه بالإرادة على سابق العلم القديم، ثم أدام القطر عليه في الوجود فصح قوله لا يرى إلا الواحد **(ولا يتوجه بوجهه إلا إليه)**، ومن هنا قال بعض أهل التحقيق: إن التوحيد هو نفي القسيم لذاته ونفي الشبيه في حقه وصفاته ونفي الشريك معه في أفعاله ومصنوعاته،

في خوضهم يلعبون﴾ [الأنعام : ٩١] ، وليس المراد به القول باللسان ، فإنما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى ، وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه .

(اللفظ الرابع : الذكر والتذكير) : فقد قال الله تعالى : ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات : ٥٥] ، وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله ﷺ : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . وقيل : وما رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر » وفي

(وهو امتثال) الأمر في **(قوله تعالى : ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾)** [الأنعام : ٩١] أصل الخوض الدخول في الماء ثم استعير للدخول في الحديث والحرب ، ويقال : فلان يخوض أي يتكلم ما لا ينبغي وغلب على الرديء من الكلام ، **(وليس المراد به القول باللسان)** فقط **(إنما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى)** فلا عبرة به عند أهل الحق ، **(وإنما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه وهو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه)** ، وتقدم حديث : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم ونياتكم » .

(اللفظ الرابع : الذكر والتذكير وقد قال الله تعالى) في كتابه العزيز : ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات : ٥٥] الذكرى بمعنى التذكر وذكر بنفسه وذكر غيره والتذكير يكون بعد النسيان والذكر تارة يقال باعتبار هيئة للنفس بها يتمكن الإنسان من حفظ ما يقتنيه من المعارف فهو كالحفظ إلا أن الفرق بينهما أنه يقال باعتبار حضوره بالقلب واللسان ، ومنه قيل : الذكر ذكران ذكر بالقلب وذكر باللسان ، وكل منهما على نوعين ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان ، بل يقال باعتبار إدامة الحفظ ، **(وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله ﷺ : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قيل : وما رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر »)** قال العراقي : أخرجه الترمذي من حديث أنس وحسنه اهـ .

قلت : هو من رواية محمد بن ثابت ، حدثني أبي ، عن أنس بن مالك ، وأورده أبو طالب المكي في القوت ، والقشيري في الرسالة كلاهما من غير سند إلا أن في سياق الرسالة : إذا رأيتم رياض الجنة والباقي سواء . وقول العراقي أنه أخرجه الترمذي فنصه في سننه : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر » أخرجه هكذا الإمام أحمد في مسنده ، والبيهقي في الشعب كلهم عن أنس . وقال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه . وفي حديث ابن عباس فيما أخرجه الطبراني في الكبير من رواية مجاهد عنه وفيه قال : « مجالس العلم » قال الهيثمي : فيه رجل لم يسم أي : قول الحرث بن عطية أحد رواته حدثنا بعض أصحابنا ، عن أبي نجيح عن مجاهد . وفي حديث أبي هريرة فيما أخرجه الترمذي في الدعوات من رواية حميد المكي أن عطاء بن أبي رباح حدثه عنه وقال : غريب ، وفيه : قيل وما رياض الجنة ؟ قال : « المساجد » قيل : وما الرتع ؟ قال : « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » . وقال القشيري في

الحديث: « إن لله تعالى ملائكة سياحين في الدنيا سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضاً ألا هلموا إلى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون. ألا فاذكروا الله وذكروا أنفسكم». فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان

رسالته: أخبرنا أبو الحسين علي بن بشر ببغداد، أخبرنا أبو علي الحسين بن صفوان، حدثنا ابن أبي الدنيا، حدثنا الهيثم بن خارجة، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عثمان بن عبدالله أن خالد بن عبدالله بن صفوان أخبره عن جابر بن عبدالله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: « يا أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة. قلنا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر».

قلت: وأخرجه هكذا البزار وأبو يعلى في مسنديها، والطبراني في الأوسط، والحاكم في المستدرك من رواية عمر بن عبدالله مولى غفرة. قال: سمعت أيوب بن خالد بن صفوان يقول قال جابر: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: « يا أيها الناس إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض فارتعوا في رياض الجنة. قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر فاغدوا وروحوا في ذكر الله، وذكروه أنفسكم» الحديث، ثم أنه فسر الرياض تارة بحلق الذكر، وتارة بمجالسه، وتارة بحلق العلم ومجالسه، وتارة بالمساجد. ولا مانع من إرادة الكل وإنه إنما ذكر في كل حديث بعضها لأنه خرج جواباً عن سؤال معين، فأجاب كلا بما يليق بحال سؤاله. وقال السيوطي في تحذير الخواص، وأخرج الخطيب عن ابن مسعود رفعه: « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا أما إني لا أعني حلق القصاص ولكن أعني حلق الفقه».

قلت: هو في كتاب الفقيه والمتفقه للخطيب، وبمثل هذا روي عن عبدالله بن عمر وابن عمرو **(وفي الحديث: « إن لله تعالى ملائكة سياحين في الهواء سوى ملائكة الخلق إذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضاً ألا هلموا إلى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون. ألا فاذكروا الله تعالى وذكروا بأنفسكم»)** وفي نسخة: واذكروا بأنفسكم. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله سياحين في الهواء، وللترمذي سياحين في الأرض. وقال مسلم: سيّارة اهـ.

قلت: أخرجه صاحب القوت بلا سند ولفظه كلفظ المصنف إلا أنه قال فضلاً عن كتاب الخلق إذا رأوا مجالس الذكر تنادوا بعضهم بعضاً، وفيه: فيأتونهم حتى يجلسوا إليهم فيحفون بهم ويستمعون منهم والباقي سواء. وأخرج البخاري من رواية الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. قال الترمذي: أو عن أبي سعد الخدري، وقال البخاري: ورواه شعبة، عن الأعمش ولم يرفعه. ورواه سهل، عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً. ورواه مسلم من هذا الوجه، وليس في الصحيحين ولا عند الترمذي ما ذكره المصنف في آخر هذا الحديث. وقد تقدم في الحديث الذي قبله حديث جابر ولفظه: « فاغدوا وروحوا في ذكر الله وذكروه بأنفسكم».

وأخرج البيهقي في الشعب، وابن ماجه من حديث أبي هريرة بأتم من هذا بلفظ: « إن لله

يواظبون عليه وهو القصص والاشعار والشطح والطامات، أما القصص فهي بدعة وقد ورد نهى السلف عن الجلوس إلى القصّاص. وقالوا: لم يكن ذلك في زمن رسول الله

ملائكة سياحين في الأرض فضلاً عن كتاب الناس يطوفون في الكون يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم ما يقول عبادي فيقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا. والله، فيقول كيف لو رأوني، فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً. فيقول: فما يسألوني؟ فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ فيقولون: لو أنهم رأوها لكانوا أشدّ لها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة. قال: ممّ يتعوّذون؟ فيقولون: من النار؟ فيقول الله: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا رب ما رأوها. فيقول: كيف، لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشدّ منها فراراً وأشد لها مخافة. فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، فيقول: هم القوم لا يشقى جليسهم». كذا في الذيل للسيوطي. وأخرجه السهروردي هكذا في عوارف المعارف من طريق الحافظ أبي نعيم من حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. وأخرج البزار من رواية زائدة بـن أبي الرقاد، عن زياد النميري عن أنس رفعه: «إن لله سيّارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر» الحديث. (**فنقل ذلك إلى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو**) أربعة أشياء (**القصص والاشعار والشطح والطامات، أما القصص فهي بدعة**) رواه أبو الأشهب عن الحسن. قال ابن الحاج في المدخل مجلس العلم الذي يذكر فيه الحلال والحرام واتباع السلف لا مجلس القصاص والوعاظ، فإن ذلك بدعة. وأخرج ابن أبي شيبة، والمروزي في كتاب العلم، عن خباب أنه رأى ابنه عبدالله عند قاص، فلما رجع اتزر وأخذ السوط وقال: أمع العمالقة هذا قرن قد طلع. قال ابن الأثير في النهاية: أراد قوماً أحداثاً نبغوا بعد أن لم يكونوا يعني القصاص، وقيل: أراد بدعة حدثت لم تكن في عهد النبي ﷺ. وأخرج الخطيب في تاريخه عن أبي جعفر الخلوي سمعت الجنيد يحكي عن الخواص، سمعت بضعة عشر من مشايخ الصنعة أهل الورع والدين مجمعون على أن القصص في الأصل بدعة. (**وقد نهى السلف عن الجلوس إلى القصاص**). أخرج العقيلي، وأبو نعيم في الحلية بسند صحيح عن عاصم بن بهدلة قال: كنا نأتي أبا عبد الرحمن السلمي ونحن غلمة أيفاع فيقول: لا تجالسوا القصاص، وأخرج العقيلي من وجه آخر، عن عاصم قال: كان أبو عبد الرحمن السلمي يقول: اتقوا القصاص. وقال العلامة ابن أبي زيد المالكي في الجامع، وأنكر مالك القصص في المسجد. وقال ابن الحاج في المدخل: سئل مالك عن الجلوس إلى القصاص فقال: ما أرى أن يجلس إليهم وأن القصص لبدعة. وقال ابن رشد: كراهة القصص معلوم من مذهب مالك. وقال الإمام الطرطوشي، قال مالك: ونهيت أبا قدامة أن يقوم بعد الصلاة فيقول افعلوا كذا وكذا. وقال أبو ادريس الخولاني، فيما أخرجه المروزي وأبو نعيم كلاهما من طريقه: لأن أوى في

ﷺ ولا في زمن أبي بكر ولا عمر رضي الله عنهما، حتى ظهرت الفتنة وظهر القصّاص.

وروي أن ابن عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد فقال: ما أخرجني إلا القاص، ولولاه لما خرجت. وقال ضمرة: قلت لسفيان الثوري نستقبل القاص

ناحية المسجد ناراً تأجج أحب إليَّ من أن أرى في ناحية قاصاً يقص. **(وقالوا: لم يكن ذلك)** أي القص **(في زمن رسول الله ﷺ، ولا في زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، حتى ظهرت الفتنة فظهر القصاص)** هكذا أورده الطرطوشي في جامعه. وقال العراقي: أخرجه ابن ماجه من رواية عبدالله بن عمر بن حفص العمري، عن نافع، عن ابن عمر بإسناد حسن اهـ.

قلت: وهكذا ذكره العراقي أيضاً في كتابه: (الباعث على الخلاص). قال: وروى الإمام أحمد والطبراني عن السائب بن يزيد قال: إنه لم يكن يقص على عهد رسول الله ﷺ، ولا زمن أبي بكر، ولا زمن عمر. هكذا هو في الكتاب المذكور. وفي التخريج الكبير للعراقي من رواية الزهري، عن السائب فيما أخرجه أحمد والطبراني إلى قوله: ولا زمن أبي بكر، ثم قال: وأوّل من قصّ تميم الداري استأذن عمر بن الخطاب أن يقص قائماً فأذن له اهـ.

قال السيوطي: وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن نافع وغيره من أهل العلم. قالوا: لم يقص في زمان النبي ﷺ، ولا زمان أبي بكر، ولا زمان عمر، وإنما القصص محدث أحدثه معاوية حين كانت الفتنة، فهذا موقوف على نافع. وأخرج ابن أبي شيبة والمروزي، عن ابن عمر قال: لم يقص على عهد النبي ﷺ، ولا عهد أبي بكر، ولا عهد عمر، ولا عهد عثمان إنما كان القصص حين كانت الفتنة. وروى الحاكم في مستدركه، عن أبي عامر عبد بن يحي قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان، فلما قدمنا مكة أخبر بقصاص على أهل مكة مولى بني فروخ، فأرسل إليه فقال: أمرت بهذا القصص؟ قال: لا. قال: فما حملك على أن تقص بغير إذن؟ قال: نفسر علماً علمناه الله عز وجل. قال معاوية: لو كنت تقدمت عليك لقطعت منك طائفة.

(وروي ان ابن عمر خرج من المسجد وقال: ما أخرجني إلا القاص ولولاه ما خرجت) أخرجه صاحب القوت من طريق الزهري، عن سالم عنه. وأخرج المروزي من هذا الطريق ان ابن عمر كان يلقى خارجاً من المسجد فيقول: ما أخرجني إلا صوت قاصكم هذا. وأخرج أيضاً عن سعد بن عبيدة ان ابن عمر قال لقاص يقص عنده: قم عنا فقد آذيتنا. وأخرج ابن أبي شيبة والمروزي عن عتبة بن حريث قال: سمعت ابن عمر وجاءه رجل قاص فجلس في مجلسه فقال له ابن عمر: قم من مجلسنا، فأبى أن يقوم فأرسل إلى صاحب الشرطة فأرسل إليه شرطياً فأقامه، وأخرج عبدالله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد أن ابن عمر مرَّ بقاص وقد رفعوا أيديهم فقال: اللهم اقطع هذه الأيدي **(وقال ضمرة)** بن ربيعة الرملي أبو عبدالله مفتي أهل الشام في زمانه **(قلت للثوري)** هو سفيان بن سعيد: **(نستقبل القاص**

بوجوهنا فقال ولّوا البدع ظهوركم. وقال ابن عون: دخلت على ابن سيرين فقال: ما كان اليوم من خبر؟ فقلت: نهى الأمير القصاص أن يقصوا. فقال: وفق للصواب، ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصاً يقص ويقول: حدثنا الأعمش، فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر ابطه، فقال القاص: يا شيخ ألا تستحي؟ فقال: لِـمَ أنا في سنة وأنت في كذب، أنا الأعمش. وما حدثتك وقال أحمد أكثر الناس كذباً

بوجوهنا) وفي رواية بوجهنا. (**فقال: أولوا البدعة ظهوركم)** هكذا أورده صاحب القوت (**وقال)** محمد (**ابن عون)** الخراساني (**دخلت على)** أبي بكر محمد (**ابن سيرين)** روى عن أبي هريرة وعمران بن حصين. وعنه ابن عون، وهشام بن حسان، وداود بن أبي هند، وقرة وجرير وآخرون وكان ثقة حجة (**فقال: ما كان اليوم من خبر؟ فقال: نهى الأمير القصّاص أن يقصوا)** هكذا أورده صاحب القوت.

قال السيوطي: وفي تاريخ الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري في حوادث سنة ٢٧٩ في خلافة المعتضد نودي ببغداد أن لا يقعد على الطرائق ولا في مسجد الجامع قاص ولا صاحب نجوم ولا زاجر، وحلف الوراقون أن لا يبيعوا علم الكلام والجدل والفلسفة. قال؛ وفي سنة ٢٨٤ نودي في المسجد الجامع بنهي الناس عن الاجتماع على قاص وبمنع القصاص عن القعود اهـ.

وأخرج ابن الجوزي في كتاب القصاص والمذكرين بسنده إلى جرير بن حازم قال: سأل رجل محمد بن سيرين عن القصص، فقال: بدعة أول ما أحدث الحرورية القصص. (**ودخل)** سليمان بن مهران (**الأعمش)** الحافظ أبو محمد الكاهلي أحد الاعلام، عن ابن أبي أوفى وزر وأبي وائل، وعنه شعبة ووكيع توفي سنة ١٤٨ (**جامع البصرة)** وكان فيها غريباً (**فرأى قاصاً)** يقص في المسجد و (**يقول: حدثنا الأعمش)** عن أبي إسحاق عن أبي وائل، (**فتوسط)** الأعمش (**الحلقة)** ورفع يده (**فأخذ في نتف شعر إبطه)**فبصر به القاص (**فقال: يا شيخ ألا تستحي) .** نحن في علم وأنت تفعل هذا؛ (**وقال)** الأعمش: الذي أنا فيه أفضل من الذي أنت فيه. قال: (**لِمَ)**؟ ويروى: كيف؟ قال: (**أنا)** ويروى لأني (**في سنة وأنت في كذب. أنا الأعمش ومتى حدثتك)** كذا في النسخ. والصواب: وما حدثتك زاد بعضهم مما تقول بشيئاً، فلما سمع الناس ذكر الأعمش إنفضوا عن القاص وإجتمعوا حوله وقالوا: حدثنا يا أبا محمد أورد هكذا أبو طالب المكي في قوته، وأبو الوليد الطرطوشي في الحوادث والبدع، ونظير هذا ما أخرجاه أيضاً واللفظ لصاحب القوت قال: وحدثنا عن أبي معمر، عن خلف بن خليفة قال: رأيت سياراً أبا الحكم يستاك على باب المسجد وقاص يقص في المسجد فجاءه رجل فقال: يا أبا الحكم إن الناس ينظرونك فقال إني في خير مماهم فيه أنا في سنة وهم في بدعة. وأخرج أبو الحسن الفراء في فوائده عن الفضل بن موسى الشيباني قال: أتيت الرقاشي وهو يقص فجعلت أستاك، فقال: أنت ههنا؟ قلت: أنا ههنا في سّنة وأنت في بدعة.

القصاص والسؤال. وأخرج علي رضي الله عنه: القصاص من مسجد جامع البصرة، فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه إذ كان يتكلم في علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها، ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد في شكره، ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها، وخطر الآخرة وأهوالها، فهذا هو التذكير المحمود شرعاً الذي ورد

(وقال) الإمام **(أحمد)** ابن حنبل: **(أكثر الناس كذباً القصاص والسؤال)** أورده صاحب القوت من طريق محمد أبن جعفر أن أبا الحرث حدثه انه سمع أحمد بن حنبل يقول: أكذب الناس والباقي سواء. قال السيوطي: وأخرج السلفي في الطيوريات من طريق الفضل بن زياد قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول أكذب الناس السؤال والقصاص. وأخرجه الطرطوشي أيضاً هكذا إلاّ انه زاد في آخره. قيل له: لو رأيت قاصاً صدوقاً أكنت مجالسهم؟ قال: لا. **(وأخرج علي رضي الله عنه: القصاص من جامع البصرة)** حين دخلها. وقال: لا يقص في المسجد. أورده هكذا صاحب القوت والطرطوشي، وأخرج أبو بكر المروزي في كتاب العلم، وأبو جعفر النحاس في كتاب الناسخ والمنسوخ عن أبي البحتري قال: دخل علي بن أبي طالب المسجد، فإذا رجل يخوّف، ولفظ المروزي يقص، فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يذكر الناس فقال ليس برجل يذكر الناس ولكنه يقول: أنا فلان بن فلان فاعرفوني فأرسل إليه، فقال: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا. قال: قم من مسجدنا ولا تذكر فيه. وأخرج ابن أبي شيبة، وأبو خيثمة، والمروزي معاً في كتاب العلم، وأبو داود والنحاس في كتاب الناسخ والمنسوخ، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: مرَّ عليّ أبن أبي طالب برجل يقص فقال: أعرفت الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال هلكت وأهلكت. **(ولما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه)** هذا السياق من كتاب القوت. قال: ولما دخل علي رضي الله عنه البصرة جعل يخرج القصاص من المسجد ويقول: لا يقص في مسجدنا حتى انتهى إلى الحسن وهو يتكلم في هذا العلم فإستمع إليه ثم إنصرف ولم يخرجه **(إذ كان يتكلم في علم الآخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها، ويذكر بآلاء الله سبحانه ونعمائه وتقصير العبد في شكره ويعرف حقارة الدنيا وتصرمها)** أي إنقطاعها وذهابها عن قريب **(وقلة عهدها وعظم)** وفي نسخة: خطر **(الآخرة وأهوالها)**. قال صاحب القوت: وقد كان الحسن البصري أحد المذكرين وكانت مجالسه مجالس الذكر يخلو فيها مع إخوانه وأتباعه من النساك والعباد في بيته مثل مالك بن دينار، وثابت البناني، وأيوب السختياني، ومحمد بن واسع، وفرقد السبخي، وعبد الواحد بن زيد فيقول: هاتوا انشروا النوى فيتكلم عليهم في هذا العلم من علم اليقين والقدرة. وفي خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس، فربما قنع بعض أصحاب الحديث رأسه فاختفى من ورائهم ليسمع ذلك، فإذا رآه الحسن قال له: يا لكع وأنت ما تصنع ههنا إنما خلوْنا مع أصحابنا نتذاكر، ثم قال: وكان الحسن أول من أنهج سبيل هذا العلم وفتق

الحث عليه في حديث أبي ذر رضي الله عنه حيث قال: « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة، وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض، وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة فقيل يا رسول الله: ومن قراءة القرآن؟ قال: وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم ». وقال عطاء رحمه الله: مجلس ذكر يكفر سبعين مجلساً من

الألسنة به ونطق بمعانية وأظهر أنواره وكشف قناعه، وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من إخوانه، فقيل له يا أبا سعيد: إنك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك فممن أخذت هذا؟ فقال: من حذيفة بن اليمان. قيل؛ وقالوا لحذيفة نراك تتكلم في هذا العلم بكلام لا نسمعه من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فممن أخذته؟ فقال خصني به رسول الله ﷺ كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه، وعلمت أن الخير لا يسبقني اه.

قلت: وهذا الكلام الأخير أخرجه مسلم في باب الأمر بلزوم الجماعة من طريق بشر بن عبد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني الحديث بطوله، وسيأتي هذا في آخر الباب السادس، **(فهذا هو التذكير)** النافع **(المحمود)** عاقبة **(شرعاً)** قال ابن الجوزي في كتاب القصاص والمذكرين في أوله: سأل سائل، فقال: نرى كلام السلف يختلف في مدح القصاص وذمهم، فبعضهم يحرض على الحضور عندهم، وبعضهم ينهى عن ذلك، ونحن نسأل أن تذكر لنا فصلاً يكون فصلاً لهذا الأمر، فأجبت لا بدّ من كشف حقيقة هذا الأمر ليبين المحمود منه والمذموم. إعلم أن لهذا الفن ثلاثة أسماء قصص وتذكير ووعظ، فالقصاص هو الذي يتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها. وذلك القصص، وهذا في الغالب عبارة عمن يروي أخبار الماضين وهذا لا يذم لنفسه، لأن في ذلك عبرة لمعتبر وعظة لمزدجر، وإنما كره بعض السلف القصص لأحد ستة أشياء فذكرها ثم قال: وأما التذكير فهو تعريف الخلق نعم الله عز وجل عليهم وحثهم على شكره وتحذيرهم من مخالفته، وأما الوعظ فهو تخويف يرق له القلب وحذار محمود إن قال، وقد صار كثير من الناس يطلقون على الوعاظ إسم القاص وعلى القاص إسم المذكر والتحقيق ما ذكرنا اهـ وقوله **(الذي ورد الحث عليه في حديث أبي ذر)** جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه **(حيث قال: « حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة، وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض، وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة. قيل يا رسول الله: ومن قراءة القرآن؟ قال: وهل تنفع قراءة القرآن إلا بالعلم)** هذا الحديث قد تقدم في أول الكتاب أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق عبيدة السلماني عن عمر، وتقدم الكلام عليه والذي روي عن أبي ذر بمعناه ولفظه: « يا أبا ذر لأن تغدو ولتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة » الحديث. هكذا أخرجه السيوطي في الجامع الكبير، وفي الذيل على الصغير من طريق ابن ماجه والحاكم في التاريخ. وقال ابن القيم، وذكر ابن عبد البرعن معاذ مرفوعاً: « لأن تغدو فتعلم باباً

مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم، ونقلوا اسم التذكير إلى خرافاتهم، وذهلوا عن طريق الذكر المحمود، واشتغلوا بالقصص التي تتطرف إليها الاختلافات والزيادة والنقص، وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها، فإن من القصص ما ينفع سماعه، ومنها ما يضر وإن كان صدقاً. ومن

من أبواب العلم خير لك من أن تصلي مائة ركعة» وهذا لا يثبت رفعه، ولكن المصنف تابع في أكثر ما يورده من الأحاديث صاحب القوت، فإنه هكذا أخرجه في كتابه فقال: وقد روينا حديث أبي ذر فذكره. وفي كتاب الإيمان من موضوعات السيوطي قال الذهبي في الميزان الجويباري ممن يضرب به المثل بكذبه ومن طاماته عن إسحاق بن نجيح الكذاب، عن هشام بن حسان، عن رجالة: «حضور مجلس علم خير من حضور ألف جنازة ومن ألف ركعة ومن ألف حجة ومن ألف غزوة» اهـ.

قلت: وأخرجه سعيد بن منصور في سننه، وابن أبي داود في المصاحف، وأبو طالب المكي في القوت من طريق عون بن موسى عن معاوية بن قرة قال: سألت الحسن أعود مريضاً أحب إليك أو تجلس إلى قاص؟ فقال: عد مريضك. قلت: أشيع جنازة أحب إليك أو أجلس إلى قاص، فقال: شيع جنازتك. قلت: وإن استعان بي رجل على حاجة أعينه أو أجلس إلى قاص. قال: أذهب في حاجتك حتى جعله خيراً من مجالس الفراغ. قال صاحب القوت: فلو كانت مجالس الذكر عندهم هي مجالس القصاص وكان القصص هو الذكر لما وسع الحسن أن يثبط عنه ولا يؤثر عليه كثيراً من الأعمال لأن الذاكرين لله تعالى في أرفع مقام وحضور مجالس الذكر من مزيد الإيمان، ثم قال: **(وقال)** بعض السلف حضور مجلس ذكر يكفر عشر مجالس من مجالس الباطل. وأما **(عطاء)** فقال: **(مجالس ذكر يكفر سبعين مجلساً من مجالس اللهو)**، وقد تقدم كلام هذا في أول الكتاب، **(فقد اتخذ المزخرفون هذه الأحاديث)** الواردة في فضل الذكر وأهله ومجالسه **(حجة على تزكية أنفسهم)** وتطهيرها عن أن يتطرق إليها الوصم، **(ونقلوا إسم التذكير إلى خرافاتهم)** التي يذكرونها والخرافات هي الأباطيل من الأحاديث، **(وذهلوا)** أي غفلوا **(عن طريق الذكر المحمود)**. وفي بعض النسخ: المقصود **(واشتغلوا بالقصص)** والحكايات عن الأمم السالفة **(التي يتطرق إليها الاختلاق والزيادة والنقصان)** فإن مثل ذلك مما يندر صحته خصوصاً ما ينقل عن بني إسرائيل. وفي قصة داود ويوسف من المحال الذي ينزه عنه الأنبياء بحيث إذا سمعه الجاهل هانت عنده المعاصي، **(وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها فإن من القصص ما ينفع سماعه)**. وأخرج الخطيب البغدادي عن حنبل بن إسحاق قال: قلت لعمي في القصاص، فقال: القصاص الذين يذكرون الجنة والنار والتخويف ولهم نية وصدق الحديث، فأما هؤلاء الذين أحدثوا وضع الأخبار والأحاديث الموضوعة فلا أراه، **(ومنها ما يضر سماعه وإن كان صادقاً)** أخرج أحمد في الزهد عن أبي المليح قال: ذكر ميمون بن مهران القصاص فقال: لا يخطىء للقاص

فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار، فمن هذا نهي عنه، ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله: ما أحوج الناس إلى قاص صادق، فإن كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم، وكان القاص صادقاً صحيح الرواية فلست أرى به بأساً، فليحذر الكذب وحكايات أحوال، تومىء إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطي عليها، فإن العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذراً فيه ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر، فكلنا بصدد المعاصي، فلا غرو إن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر مني ويفيده ذلك جرأة على الله تعالى من حيث لا يدري، فبعد الاحتراز عن هذين

ثلاثاً إما أن يسمر قوله بما يهزل دينه وإما عجب بنفسه، وإما أن يأمر بما لا يفعل فلهذا قال ﷺ القاص ينتظر المقت» (**ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فمن**) أجل (**هذا نهي عنه**) وفي بعض النسخ فعن هذا نهي، (**ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله: ما أحوج الناس إلى قاص صادق**) ويروى: صدوق لأنهم يذكرون الميزان وعذاب القبر. قيل له: أنت كنت تحضر مجالسهم؟ قال: لا. هكذا أورده صاحب القوت، وقد تقدم قريباً من رواية الطرطوشي. قال صاحب القوت: وأخبرونا عن محمد بن أبي هارون أن إسحاق بن حنبل حدثه قال: صليت مع أحمد بن حنبل صلاة العيد فإذا قاص يقص يلعن المبتدعة ويذكر السّنة، فلما قضينا الصلاة وصرنا ببعض الطريق ذكر أبو عبد الله القاص فقال: ما أنفعهم للعامة وإن كان عامة ما يحدثونه كذباً اهـ.

(**فإن كانت القصة**) التي يقصها القاص (**من قصص الأنبياء**) عليهم السلام (**فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القاص صادقاً**) فيما ينقله (**صحيح الرواية**) غير مخلطها من طرق صحيحة(**فلست أرى به بأساً**) وليس بمذموم في نفسه لأن في ذلك اقتداء بصواب لمتبع، (**فليحذر**) القاص (**الكذب**) فيما ينقله عن الشيوخ وليحذر (**حكاية أحوال تومئ**) أي تشير. وفي نسخة: تؤدي (**إلى هفوات**) أي سقطات (**أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها**) فيفسد قلوبهم بذلك (**و**) يقصر فهمهم (**عن**) درك (**كونها هفوة نادرة**) الوقوع (**ومردفة**) أي متبعة (**بتكفيرات**) أي بما يكفرها (**ومتداركة بحسنات تغطي عليها**). هذا هو المناسب في حضرات السلف، (**فإن العامي**) الجاهل حين يسمع (**يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته**) مع نفسه (**ويمهد لنفسه عذراً فيه**) فيقع في الخطأ (**ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن المشايخ وبعض الأكابر وكلنا بصدد المعاصي**) ومن الذي عصم منا، (**فلا غرو**) أي لا عجب (**ان عصيت الله فقد عصى أكبر مني**) مقاماً وحالاً (**ويفيده ذلك جرأة على الله تعالى من حيث لا يدري**)، وهذا الذي ذكره أحد الوجوه

المحذورين فلا بأس به، وعند ذلك يرجع إلى القصص المحمودة وإلى ما يشتمل عليه القرآن ويصح في الكتب الصحيحة من الاخبار، ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات، ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق إلى الحق، فهذه من

الستة لكراهة بعض السلف القصص، وذكره بعد الكذب فهما وجهان من الوجوه الستة، وقد أفصح عنها ابن الجوزي في كتاب القصاص والمذكرين، وسيأتي للمصنف مزيد على ذلك في المهلكات في ذم الغرور، (**فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين**) وهما الكذب والمحالات (**فلا بأس به**) ولا يكون مذموماً، (**وعند ذلك ترجع القصص المحمودة إلى ما يشتمل عليه القرآن**). أخرج ابن أبي شيبة والمروزي عن ابن سيرين قال: بلغ عمر أن قاصاً يقص بالبصرة فكتب إليه: ﴿الر تِلْكَ آياتُ الكِتاب المبين★ إنا انزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون★ نحنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ﴾ [يوسف: ٣١] إلى آخر الآيات قال فعرف الرجل فتركه. وأخرج عبد بن حميد في تفسيره، عن قيس بن سعد قال: جاء ابن عباس حتى قام على عبيد بن عمير وهو يقص فقال: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صدِّيقاً نبياً﴾ [مريم: ٤١] ﴿واذكر في الكتاب اسماعيل﴾ الآية [مريم: ٥٤] ﴿واذكر في الكتاب إدريس﴾ الآية [مريم: ٥٦] ذكرنا بأيام الله وأثن على من أثنى الله عليه، (**و**) إلى (**ما صح في الكتب الصحيحة من الأخبار**) كالكتب الستة الصحاح، ومن كتب التفاسير مع وقع الاتفاق على صحتها والوثوق بها.

قال الحافظ العراقي: الباعث على الخلاص من حوادث القصاص أنهم ينقلون حديث رسول الله ﷺ من غير معرفة بالصحيح والسقيم قال؛ وإن اتفق انه نقل حديثاً صحيحاً كان آثماً في ذلك لأنه ينقل ما لا علم به وان صادف الواقع كان آثماً باقدامه على ما لا يعلم قال: ونظر أحدهم في بعض التفاسير المصنفة لا يحل له النقل منها لأن كتب التفاسير فيها الأقوال المنكرة والصحيحة، ومن لا يميز صحيحها عن منكرها لا يحل له الأعتماد على الكتب قال: وليت شعري كيف يقدم من هذه حاله على تفسير كتاب الله أحسن أحواله أن لا يعرف صحيحه من سقيمه. قال: وأيضاً فلا يحل لأحد ممن هو بهذا الوصف أن ينقل حديثاً من الكتب، بل ولو في الصحيحين ما لم يقرأه على من يعلم ذلك من أهل الحديث. وقد حكى الحافظ أبو بكر بن خير اتفاق العلماء على أنه لا يصح لمسلم أن يقول قال رسول الله ﷺ: كذا حتى يكون عنده ذلك القول مروياً. ولو على أقل وجوه الروايات اهـ.

قلت: فالذي تلخص مما ذكرنا أنه لا ينبغي أن يقص على الناس إلا العالم المتقن فنون العلم، الحافظ لحديث رسول الله ﷺ، العارف بصحيحه وسقيمه ومسنده ومقطوعة ومنفصلة، العالم بالتواريخ وبسير السلف، الحافظ لأخبار الزهاد، الفقيه في دين الله، العالم بالعربية واللغة ومدار كل ذلك على تقوى الله، وأنه يخرج الطمع في أموال الناس من قلبه. كذا حققه ابن الجوزي وسيأتي لذلك مزيد في ربع المهلكات إن شاء الله تعالى. (**ومن الناس من يستجيز**) أي يجوّز (**وضع الحكايات المرغبة في الطاعات**) المزهدة عن الدنيا وآفاتها، (**ويزعم أن قصده**

نزعات الشيطان، فإن في الصدق مندوحة عن الكذب، وفيما ذكر الله تعالى ورسوله ﷺ غنية عن الاختراع في الوعظ، كيف وقد كره تكلف السجع وعدّ ذلك من التصنع. قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع: هذا الذي يبغضك إلي لا قضيت حاجتك أبداً حتى تتوب، وقد كان جاءه في حاجة، وقد قال ﷺ لعبدالله بن رواحة في سجع من ثلاث كلمات: « إياك والسجع يا ابن رواحة ».

فيه)حسن وهو **(دعوة الخلق إلى الحق)** وترغيبهم إليه وردعهم عن الدنيا الفانية، وأعظم من ذلك من جوّز وضع الأحاديث على رسول الله ﷺ وأباح روايتها في الترغيب والترهيب تعلقاً بما ورد في بعض روايات حديث: « من كذب عليّ متعمداً ليضل به الناس فليتبوأ مقعده من النار » فاعلم أن كل ذلك باطل باتفاق الأئمة. **(وهذا)** الذي صار إليه بما زعمه لا شك في انه **(من نزعات الشيطان)** سوّل لهم بذلك وحسنه، **(فإن في الصدق مندوحة عن الكذب)** أي سعة. ومنه حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه: إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب. أي في التعريض في القول من الأتساع ما يغني الرجل عن الأضطرار إلى الكذب المحض، وفي كتاب لحن العوام للزبيدي يقال له عن هذا مندوحة ومنتدح. أي: متسع وهو الندح أيضاً. وقال أبو عبيد: المندوحة الفسحة والسعة، **(وفيما ذكر الله سبحانه)** في كتابه العزيز من القصص العجيبة **(و)**ذكره **(رسوله)** ﷺ من الأحاديث التي نقلها الثقات **(غنية عن الأختراع)** أي الأبتداع **(في الوعظ)** والتذكير. **(كيف وقد كره تكلف السجع)** وهو الكلام المقفى الموزون **(وعد ذلك من التصنع)** أي التكلف.

(قال سعد بن أبي وقاص) مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري، فارس الاسلام وأحد العشرة. روى عنه بنوه إبراهيم وعمر ومحمد وعامر ومصعب وعائشة، أسلم سابع سبعة، توفي سنة ٥٥ **(لابنه عمر)** روى عنه ابنه إبراهيم، وأبو إسحاق، وأرسل عنه الزهري وقتادة. قال ابن معين: كيف يكون من قتل الحسين ثقة قتله المختار سنة ٦٧، **(وقد سمعه يسجع)** في كلام. وفي نسخة يتسجع **(هذا الذي يبغضك إليّ لاقضيت حاجتك أبداً)** إذ رأى ذلك بدعة حدثت في الأقوال، **(وقد كان جاءه في حاجة)** يتقضاها منه فقال عن رسول الله ﷺ: ما أوتي امرؤ شراً من طلاقة لسانه. أورده صاحب القوت، ثم قال **(وقد قال ﷺ العبد الله بن رواحة)**ابن ثعلبة الانصاري من بني الحرث بن الخزرج. أبو محمد الأمير بدري نقيب أستشهد بمؤتة روى عنه أنس ابن مالك، وابن عباس وأرسل عنه جماعة **(في سجع)** ونص القوت حين سجع فوالى **(بين ثلاث كلمات)** أي تابع بينها: **(إياك والسجع يـابن رواحة)**.
قال العراقي: لم أجده مرفوعاً، ولأحمد وأبي يعلى وابن السني وأبي نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين باسناد صحيح من رواية الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لكاتب: إياك والسجع، فإن النبي ﷺ وأصحابه كانوا لا يسجعون. زاد ابن السنى بعد قولها: اياك والسجع لا تسجيع، ورواه ابن حبان في صحيحه من رواية الشعبي، عن ابن أبي السائب قاص

فكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين، ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين: كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل، ومثل ذلك يطل. فقال النبي ﷺ: «أسجع كسجع الأعراب».

أهل المدينة قال، قالت عائشة فذكر كلاماً لها وفيه: واجتنب السجع من الدعاء، فإني عهدت النبي ﷺ وأصحابه يكرهون ذلك. وروى البخاري من رواية عكرمة، عن ابن عباس قال: حدث الناس كل جمعة مرة فذكر الحديث، وفيه: وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فاني عهدت النبي ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك اهـ.

وفي القوت: ومما أحدثوا السجع في الدعاء والتغريب فيه، وما لم يرد الكتاب به، ولا نقل عن الرسول ﷺ ولا الصحابة بل كانوا ينهون عن الأعتداء في الدعاء. وروينا عن رسول الله ﷺ: «إياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل» وسمع عبد الله بن مغفل ابنه يدعو بما يعمق فيه، فقال: يا بني إياك والحديث وإياك الاعتداء **(فكان السجع المحذور)** أي الممنوع **(المتكلف)** المتصنع فيه **(ما زاد على كلمتين)**، وأصل السجع صوت الحمامة وهديرها، وسمي السجع في الكلام لكونه مشبهاً بذلك لتقارب فواصله، وسجع الرجل كلامه كما يقال نظمه إذا جعل لكلامه فواصل كقوافي الشعر ما لم يكن موزوناً، وتقدم ذكر أقسامه وأنواعه في شرح الخطبة، **(ولذلك)** قال ﷺ **(لما قال ذلك الرجل)** من عصبة القاتلة؟ يقال: هو حمل بن النابغة الهذلي **(في دية الجنين كيف ندي)** أي نعطي دية **(من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل)** الاستهلال: أوّل صوت المولود **(ومثل ذلك يطل)** أي يهدر، **(فقال ﷺ: «اسجع كسجع الاعراب»)** وهم أهل البادية، وكانوا يستعملون الاسجاع في كلامهم. قال العراقي: ورد من حديث المغيرة بن شعبة، وأبي هريرة، وابن عباس، وجابر، وأسامة بن عمير الهذلي، وحمل بن مالك، وعويم بن ساعدة الهذلي رضي الله عنهم.

أما حديث المغيرة؛ فرواه مسلم، وأبو داود، والنسائي من رواية عبيد بن فضيلة الخزاعي عن المغيرة بن شعبة قال: ضربت أمرأة ضرتها بعمود فسطاط فذكر الحديث وفيه: فقال رجل من عصبة القاتلة انغرم دية من لا أكل ولا شرب ولا استهل. فمثل ذلك يطل. الحديث بلفظ مسلم، وفي رواية له: أندي من لا طعم ولا شرب ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل الحديث، وأصل الحديث عند البخاري، والترمذي، وابن ماجه، مختصراً دون ذكر السجع المذكور.

وأما حديث أبي هريرة؛ فرواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي من رواية ابن شهاب، عن ابن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: اقتتلت أمرأتان من هذيل الحديث وفيه: فقال حمل بن النابغة الهذلي يا رسول الله: كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك يطل؛ فقال رسول الله ﷺ: «إنما هذا من أخوان الكهان من أجل

سجعه الذي سجع » لفظ مسلم ولم يسم البخاري الرجل فإنما قال فقال ولي المرأة ولم يقل من أجل سجعه الذي سجع .

قلت : وأخرجه مسلم أيضاً من رواية معمر ، عن الزهري وفيه : فقال قائل كيف نفعل ولم يسم حمل بن مالك اهـ .

ثم قال العراقي : ورواه الترمذي وابن ماجه من رواية محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة ففيه فقال الذي قضى عليه أنعطي من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل فمثل ذلك يطل ، فقال النبي ﷺ : إن هذا ليقول بقول الشاعر .

وأما حديث ابن عباس ؛ فرواه أبو داود والنسائي من رواية أسباط ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت إمرأتان جارتان كان بينهما صخب الحديث وفيه فقال أبو القاتلة : إنه والله ما أستهل ولا شرب ولا أكل فمثله يطل ، فقال النبي ﷺ : « أسجع الجاهلية وكهانتها إن في الصبي غرة » قال ابن عباس : كانت أحداهما مليكة والأخرى أم عفيف لفظ النسائي ولم يقل أبو داود ولا أكل وقال فيه عن ابن عباس في قصة حمل فأدخله المزي في الأطراف في حديث حمل ولم يذكره في حديث ابن عباس وليس بجيد .

وأما حديث جابر ؛ فرواه أبو يعلى في مسنده من رواية مجالد بن سعيد قال : حدثني الشعبي ، عن جابر أن أمرأتين من هذيل قتلت أحداهما الأخرى الحديث . وفيه : فخاف عاقلة القاتلة أن يضمنهم قال : فقالوا يا رسول الله لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل ، فقال رسول الله ﷺ : « أسجع الجاهلية » والحديث عند أبي داود وابن ماجه وليس فيه ذكر السجع المذكور .

وأما حديث أسامة بن عمير وهو والد أبي المليح ؛ فرواه الطبراني باسناد جيد من رواية أيوب قال : سمعت أبا المليح عن أبيه ، وكان قد صحب رسول الله ﷺ قال : كانت فينا إمرأتان ضربت إحداهما الأخرى الحديث . وفيه فقال رجل من أهل القاتلة : كيف نعقل يا رسول الله من لا أكل ولا شرب ولا صاح فاستهل فمثل ذلك يطل فقال رسول الله ﷺ : « أسجاعة أنت » الحديث . وفي رواية له من رواية سلمة بن تمام عن أبي المليح أن الذي قال السجع رجل يقال له عمران بن عويمر ، فقال رسول الله ﷺ : « دعني من رجز الاعراب » .

وأما حديث حمل بن مالك بن النابغة ؛ فرواه الطبراني من رواية مجاهد عن الهذلي أنه كان عنده إمرأة فتزوّج عليها أخرى فذكر الحديث وفيه فجاء وليها فقال : أندي من لا أكل ولا شرب ولا أستهل فمثل ذلك يطل فقال : « رجز الاعراب » .

وأما حديث عويم الهذلي : فرواه الطبراني من رواية محمد بن سليمان بن مسمول ، عن عمرو بن تميم بن عويم ، عن أبيه عن جده قال : كانت أختي مليكة وإمرأة منا يقال لها أم عفيف بنت مسروح تحت حمل بن النابغة فضربت أم عفيف مليكة بمسطح بيتها وهي حامل فقتلتها وذا

وأما الأشعار ؛ فتكثيرها في المواعظ مذموم ، قال الله تعالى : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ★ ألم ترَ أنهم في كل واد يهيمون ﴾ [الشعراء : ٢٤ ـ ٢٥] . وقال تعالى : ﴿ وما علمناه الشعر وما

بطنها ، فقضى رسول الله ﷺ فيها بالدية وفي جنينها بالغرة عبداً وأمة فقال أخوها العلاء بن مسروح يا رسول الله : أنغرم من لا أكل ولا شرب ولا نطق ولا استهل فمثل هذا يطل فقال رسول الله ﷺ : « اسجع كسجع الجاهلية » . ورواه ابن منده في معرفة الصحابة ، ومحمد بن سليمان بن مسمول ضعيف ، وعمرو بن تميم وأبوه لم أجد لهما ذكراً في مظان وجودهما .

(وأما الاشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم) قال السمين : الشعر في الأصل إسم للعلم الدقيق في قولهم ليت شعري ، وسمي الشاعر لفطنته ثم صار في التعارف اسماً للموزون المقفى من الكلام والشاعر المختص بصناعته ، وقوله تعالى حكاية عن الكفار : ﴿ بَلِ افتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [الأنبياء : ٥٠] حمله كثير من المفسرين على إنهم رموه بكونه آتياً بشعر منظوم ومقفى حتى تأوّلوا ما جاء في القرآن من كل لفظ شبيه الموزون . وقال بعض المحصلين : لم يقصدوا هذا القصد فيما رموه به . وذلك أنه ظاهر من هذا الكلام أنه ليس من أساليب الشعر ولا يخفى ذلك عليهم ، وإنما رموه بالكذب فإن الشعر يعبّر به عن الكذب والشاعر الكاذب حتى سموا الأدلة الكاذبة الشعرية . **(قال الله تعالى)** في وصف عامة الشعراء : **(والشعراء يتبعهم الغاوون الآية)** أي إلى آخرها وهو : ﴿ ألم تَرَ أنَّهم في كل واديهيمون ★ وانهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ [الشعراء : ٢٤ ـ ٢٦] ولأن الشعر مقر الكذب . قالوا أحسن الشعر أكذبه . وقال بعض الحكماء : لم ير متدين صادق اللهجة مفلقاً في شعره ، ولذا لما أسلم منهم جماعة وكانوا مفلقين ضعف شعرهم كحسان ولبيد ، وقد فطن حسان من نفسه ذلك اهـ .

والغاوون جمع غاو وهو الضال المنهمك في ضلاله لا يرده شيء وقد يعبر بالغي عن الجهل ، لأنه سببه . وقيل : الغواية شدة الجهل .

(وقال تعالى : وما علّمناه الشعر وما ينبغي له) قال الراغب : انبغى مطاوع بغى ، فاذا قيل : ينبغي أن يكون كذا فهو باعتبارين . أحدهما يكون مسخراً للفعل نحو النار ينبغي أن تحرق الثوب ، والثاني : بمعنى الاستئهال نحو فلان ينبغي أن يعطى الكرامة وعلى المعنيين جاء قوله تعالى المتقدم ذكره . أي : لا يتسخر له ولا يستأهل قال : ألا ترى لسانه لم يكن يجري به . قال السمين : ولذلك كان إذا تمثل بشيء من الشعر أتى به على غير نظمه ، وقد نقل أنه تكلم بشيء من الشعر على سبيل الاتفاق ، واختلفوا في انه هل كان مصروفاً عن ذلك بطبعه أو كان في قدرته ، ولكنه لم يقله أقوال واختلفوا في ذم الشعر ومدحه ، وأحسن ما قيل فيه قول الأمام الشافعي رحمه الله حين سئل عن ذلك الشعر : كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح .

وقد روى مثل ذلك أيضاً عن عائشة رضي الله عنها . قال ابن السبكي في الطبقات : وقد سمع النبي ﷺ الشعر وأجاز عليه ، وذلك برهان على انه لم يكن يمنع من ذلك ، وكذلك نطق به

ينبغي له﴾ [يس : ٦٩] وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال، وألم الفراق، والمجلس لا يحوي إلا أجلاف العوام، وبواطنهم مشحونة بالشهوات، وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات إلى الصور المليحة ؛ فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها فتشتغل فيها نيران الشهوات، فيزعقون ويتواجدون؛ وأكثر ذلك أو كله يرجع إلى نوع فساد، فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر إلا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استشهاد واستئناس، وقد قال ﷺ : « إن من الشعر لحكمة » ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم

جماهير الصحابة وعدد بالغ من أحبار الأمة، وأما ما ورد من الأحاديث في ذم الشعر، فالمراد منه الشعر الذي هو هجو له ﷺ حملاً لمطلق الحديث على مقيده على انه قد ثبت في بعض طرق حديث أبي هريرة رفعه « لأن يملأ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلىء شعراً هجيت به » رواه ابن عدي في الكامل اهـ.

(**وأكثر ما اعتاده الوعاظ من**) إنشاد (**الأشعار**) في مواعظهم (**ما يتعلق بالتواصف في العشق**)وهو الإفراط في المحبة (**وجمال المعشوق**) وهو المحبوب (**وروح الوصال**) والتشوق إليه، (**و**) التشكي من (**ألم الفراق**) وما يترتب عليه (**والمجلس**) ذاك (**لا يحوي**) أي لا يجمع غالباً (**إلا أجلاف العوام**) والأغبياء الطغام (**وبواطنهم**) غير متهيئة لتلقي أسرار الحقائق بل (**مشحونة بالشهوات**) النفسانية (**وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات**) والميل (**إلى الصور المليحة**)المستحسنة، (**ولا تحرك**) تلك (**الأشعار من قلوبهم**) وخواطرهم (**إلا ما هي مستكنة**) أي مستترة (**فيها**) من الخبث (**فتشتعل فيها نيران الشهوات**) لا محالة بتسويل الشيطان، (**فيزعقون**) أي يصيحون من غير اختيار، ومنهم من يتمكن منه ذلك الخاطر فيغيب عن إحساسه (**ويتواجدون**) أي: يتراقصون ويكونون سبباً لضحكة الشيطان، (**وأكثر ذلك أو كله يرجع الى نوع فساد**) في الدين تترتب به جمل من المضرات (**فينبغي**) للواعظ (**أن لا يستعمل**) في وعظه للعامة (**من**) إنشاد (**الشعر إلا ما فيه موعظة**) ظاهرة يرتدع بها عن خبث الباطن (**أو حكمة**) نادرة يتعظ بها في كشف السر الكامن (**كل ذلك على سبيل استشهاد**) لكلامه (**واستئناس**) لما يورد من أحكامه، (**وقد قال رسول الله ﷺ : « إن من الشعر لحكمة »**) قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبيّ بن كعب اهـ.

قلت: وكذا الإمام أحمد، وأبو داود، وابن ماجه كلهم من رواية عبد الرحمن بن الأسود أن أبيّ بن كعب أخبره بلفظ: « إن من الشعر حكمة »، وأخرجه أبو القاسم الحسين بن محمد بن ابراهيم الحنائي في جزء له من طريق هشام بن عروة، عن جده، عن أبيه الزبير رفعه، وذكره الدارقطني في العلل فقال: يرويه شيخ يعرف بعبد الملك بن محمد البلخي ، عن أبي بزة، عن هشام

بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم، فإن أولئك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره إلى الخلق، فإن المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولي على قلبه كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السماع، ولذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلاً، فإن كثروا لم يتكلم، وما تم أهل مجلسه قط عشرين. وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له، تكلم فقد حضر أصحابك، فقال: لا ما هؤلاء أصحابي، إنما هم أصحاب المجلس، إن أصحابي هم الخواص.

قال: ووهم فيه، ورواه الشافعي مرسلاً عن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث. ورواه الترمذي، وأبو يعلى من رواية عاصم عن أبي النجود، عن زر عن ابن مسعود، وقال الترمذي: غريب من هذا الوجه إنما رفعه أبو سعيد الأشج عن ابن عيينة. وروى غيره عنه موقوفاً. رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه من رواية سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس بلفظ: « إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكماً » قال الترمذي: حسن صحيح. وفي أوله: قصة عند أبي داود، ورواه ابن حبان في صحيحه بلفظ: حكمة. وفي الباب عن بريدة وعبدالله بن عمرو، وابن عمر، وأبي بكرة، وأبي موسى، وعائشة، وأنس، وعمرو بن عوف. **(ولو حوى المجلس الخواص)** من عباد الله العارفين المستكملين **(الذين وقع الاطلاع)** والاتفاق **(على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى)** أي امتلائها به **(ولم يكن معهم)** هناك **(غيرهم)** من الأجانب، **(فإذ ذاك)** وفي نسخة، فإن أولئك **(لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره إلى الخلق)** بذكر الأوصاف المناسبة لهم من جمال ووصال وفراق، **(فإن المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولي على قلبه)** بحسب المقامات فالألفاظ هي هي والمعاني مختلفة وكل إناء بالذي فيه يرشح، **(ولذلك كان)** أبو القاسم **(الجنيد)** وفي القوت، وقال بعض الشيوخ: كان الجنيد رحمه الله **(يتكلم على بضعة عشر)** ونص القوت على بضع عشرة **(رجلاً فإن كثروا لم يتكلم)**. قال: **(وما تم أهل مجلسه قط عشرين)** رجلاً. قال: وكان أبو محمد سهل رحمه الله يجلس إلى خمسة أو ستة إلى العشرة **(وحضر جماعة دار)** أبي الحسن محمد **(ابن سالم)** البصري أحد مشايخ أبي طالب المكي، **(فقيل له: تكلم فقد حضر أصحابك)**. قال في القوت: وقد حدثت عن أبي الحسن بن سالم شيخنا رحمه الله أن قوماً اجتمعوا في مسجده، فأرسلوا إليه بعضهم ان أخوانك قد حضروا ويحبون لقاءك والاستماع منك، فإن رأيت أن تخرج إليهم فعلت، وكان المسجد على باب بيته ولم يكن يدخل عليه في منزله، فقال للرسول بعد أن خرج إليه من هم فقال فلان وفلان وسماهم، **(فقال: لا ما هؤلاء أصحابي)** ونص القوت ليس هؤلاء من أصحابي **(إنما هم أصحاب المجلس، إن أصحابي هم الخواص)** ونص القوت: هؤلاء أصحاب المجلس ولم يخرج كأنه رآهم عموماً لا يصلحون لتخصيص علمه فلم يذهب وقته بوقتهم، وكذلك العالم وقته أعز عليه، فإن وافق خصوص إخوانه آثرهم على نفسه فكان ذلك مزيداً، وإن لم يوافق هم لم يؤثر على خلوته ووقته غيره فيكون مناخاً للطالبين،

وأما الشطح: فنعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية.

(**أحدهما**): الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب، فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا، ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله:

وقد كان أبو الحسن رحمه الله يخرج لأخوانه ممن يراه أهلاً لمكان علمه فيجلس إليهم ويذاكرهم، وربما أدخلهم إليه نهاراً أو ليلاً، ولعمري إن المذاكرة تكون بين النظراء والمحادثة مع الإخوان والجلوس للعلم يكون للأصحاب، والجواب عن المسائل نصيب العموم، وكان عند أهل هذا العلم إن علمهم مخصوص لا يصلح إلا للخصوص والخصوص قليل، فلم يكونوا ينطقون به إلا عند أهله ويرون أن ذلك من حقه وأنه واجب عليه هذا كله كلام صاحب القوت.)

(**وأما الشطح**)؟ وهو عند أهل الحقيقة كلام يعبر عنه اللسان مقرون بالدعوى ولا يرتضيه أهل الطريقة من قائله وإن كان محقاً (**فنعني به صنفين من الكلام**) الذي (**أحدثه بعض الصوفية**) أي الغلاة منهم.

(**أحدهما: الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال**) به (**المغني عن الأعمال الظاهرة**) المكلف بها (**حتى ينتهي قوم**) منهم (**إلى دعوى**) الحلول و(**الاتحاد**) مع الله تعالى، وهو كفر صريح وضلال مبين، ولم يقل به أحد من المعتبرين وحاشاهم من ذلك، بل ما زال المعتبرون من الصوفية ينبهون على تضليل من قال به وتكفيره ويحذرون منه منهم المنصف، كما سيأتي له في باب السماع، ومنهم الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في أول الحلية، والقاضي تاج الدين البيضاوي في تفسير سورة المائدة، والقاضي عياض في الشفاء، وقال العز بن جماعة في شرح الكوكب: الوقاد يجب أن ينزه الله تعالى عن الحلول خلافاً للنصارى، وبعض الصوفية جل الله وتعالى عن قولهم علواً كبيراً (**و**) من دعاويهم (**ارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب**). قال الجنيد: المشاهدة إقامة الربوبية بإزاء العبودية مع فقدان الكل دونه. قال: وهي على ثلاث طبقات مشاهدة بالحق وهي نظر الموجودات بوجوه الاستدلالات على وحدانية الذات ومشاهدة للحق وهي نظر الحق في قيام المصنوعات وتمام المبدعات وصيانتها عن الآفات ومشاهدة الحق وهي نظره قبل الأشياء ورؤيته سابقاً على الأشياء وهي رؤية خالية عن الكيف عارية عن الوصف عالية عن الكشف، وقال سهل بن عبدالله: المشاهدة التبرىء عما سواه، فهذه أقوال الأكابر الصوفية دالة على فساد دعاويهم (**فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور**) بن أبي بكر بن عمر بن عبد الله بن الليث بن أبي بكر بن أبي صالح الشامي بن عبدالله بن أبي أيوب الأنصاري، ابن مغيث، وأبي عبدالله(**الحلاج**) صحب الجنيد والنووي وغيرهما من

أنا الحق، وبما حكي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: سبحاني سبحاني، وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى، فإن هذا الكلام يستلذه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال، فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا

الطبقة، وإنما لقب بالحلاج لأنه سأل قطاناً حاجته فاعتذر بشغله، فقال: أنا أحلج عنك فلما عاد وجد قطنه كله محلوجاً، وقيل: لأنه كان حلاج الأسرار يعني يظهرها. ومن ولده بالبيضاء من أعمال فارس الشهاب أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الصمد بن الحسين عرب يعرب، وهم بيت رئاسة وجلالة. ومنهم بقية إلى الآن. واختلف الناس في شأن الحلاج فأفتى كثير من العلماء بإباحة دمه، وتوقف آخرون، ولما استفتى أبو العباس بن سريج عنه وكان من أقرانه قال: هذا رجل خفي على حاله فلا أقول فيه شيئاً كأنه لم يثبت عنده أنه ما قال تلك المقالة في صحو، قتل يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٣٠٩. وكان آخر قوله حب الواحد إفراد الواحد له (**الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله: أنا الحق**)، وقد اعتذر عنه المشايخ بجواز أن يكون ذلك صدر منه في حال سكر وغيبة، وإن الله رفع التكليف عمن غاب عقله فلا يؤاخذ بذلك ولا يحل الوقيعة فيه بسبب ذلك، وإنما الإنكار على من يتلقى ذلك الكلام على ظاهره ويعتقده ويعتمده، فهذا ينكر عليه أشد النكير.

قال السيوطي: وهكذا الحال في كلام كثير ممن نسب إلى السداد والاستقامة ما يشعر بذلك، فإن حسن الظن بآحاد المسلمين واجب فضلاً عمن تواترت الألسنة بالشهادة له بالولاية، فإن ثناء الناس بذلك شاهد صدق كما نص عليه رسول الله ﷺ، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً اهـ.

(**و**) من ذلك (**ما يحكون**) وفي نسخة، وبما يحكون (**عن**) القطب (**أبي يزيد**) طيفور بن عيسى بن سروشان (**البسطامي**). قال القشيري في الرسالة: وكان جده مجوسياً أسلم وكانوا ثلاثة أخوة آدم وطيفور وعلي، وكلهم كانوا زهاداً عباداً، وأبو يزيد كان أجلهم، قيل: مات سنة إحدى وستين، وقيل: أربع وستين ومائتين اهـ. (**أنه قال: سبحاني سبحاني**) وسيأتي الجواب عنه قريباً (**وهذا فن من الكلام**) أي ضرب منه (**عظم ضرره في العوام**) وتحيرت الأفهام (**حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة**) أي الزراعة (**فلاحتهم**)، وكذا أهل الصناعة صناعتهم (**وأظهروا مثل هذه الدعاوى**) تقليداً وتشبيهاً، (**فإن هذا الكلام يستلذه الطبع**) ويجد له راحة (**إذ فيه البطالة من الأعمال**) والاتكال على الأقوال (**مع تزكية النفس**) ونسبتها إلى الطهارة (**بدرك المقامات**) العلية (**والأحوال**) السنية التي لا يحصلها السالك إلا بعد رياضات ومجاهدات، (**ولا يعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم**) من غير مجاهدة سبقت لهم ولا فازوا بشهود مقامه (**ولا عن تلقف كلمات مختلفة المعنى**). وفي نسخة مخبطة

عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة، ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا هذا إنكار مصدره العلم والجدل، والعلم حجاب، والجدل عمل النفس، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق، فهذا ومثله مما قد استطار في البلاد شرره وعظم في العوام ضرره، حتى من نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله من إحياء عشرة.

وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى، وإن سمع ذلك منه،

(مزخرفة) الظاهر، **(ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا أن يقولوا أن هذا إنكار)** على أهل الحقيقة **(مصدره)** أي منشؤه **(العلم)** الظاهر **(والجدل و)** أن **(العلم حجاب)** عن معرفة مثل هذا **(والجدل عمل النفس، وهذا الحديث لا يلوح إلا من الباطن بمكاشفة نور الحق)** قال القطب القسطلاني في كتابه: اقتداء الفاضل باقتداء العاقل. أما قولهم، العلم حجاب الله وأن طلبه من أعظم الحجاب، فهي كلمة حق أريد بها باطل وصفة نقص تحلى بها من هو عن الكمال عاطل، وإنما ذكر أهل الطريق ذلك في قوم من صفتهم أنهم حصلوا ما تميزوا به عند أهل الشأن من علمي الشريعة والحقيقة، ففوتحوا من الغيب بما يشهد لهم بنجاتهم فهم بالله مع الله معرضون عن ملاحظة صفاتهم، فمن كان كذلك فإنه مشغول بما هو فيه عن النظر في العلم، وأما من هو عري عن علم الظاهر والباطن فحقه أن يعلم ما يحتاج إليه في الطريق التي يسلكها فإن أبى واستكبر فإنه بعيد عن الوصول إلى منهج السعادة اهـ. **(فهذا ونحوه)** وفي نسخة، ومثله **(مما قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم ضرره)** فليتنبه الفطن لذلك **(ومن تكلم)** وفي نسخة: ومن نطق **(بشيء منه فقتله افضل في دين الله من إحياء عشرة)** لما في إبقاء مثله من لحوق الضرر العظيم والفساد العميم للأمة المحمدية.

(وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى) لجواز أن يكون مدسوساً عليه إما من عدوّ حاسد مريد شينه بذلك وتنقيصه، كما وقع كثيراً للعلماء، وإما من زائغ ملحد أراد ترويج أمره ونصرة معتقده. فدس هذا الكلام ليأخذه الناس بالقبول لإحسانهم الظن بهؤلاء الأخيار.

قال السيوطي: وقد أخبرني بعض القضاة ممن أثق به أن الشيخ عبد الكبير الحضرمي أحد السادة الكبار وقد اجتمعت أنا به بمكة المشرفة في مرض موته سئل عن بيت من كلام ابن الفارض وهو قوله:

وإذا سألتك أن أراك حقيقة ... فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى

فقال: ليس هذا من كلامه، فإن ابن الفارض عارف والعارف لا يقول مثل هذا، **(وان سمع ذلك منه)** وصح عزوه إليه من طريق صحيح **(فلعله كان يحكيه عن الله تعالى في كلام**

فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه، كما لو سمع وهو يقول: إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني، فإنه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية.

يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول: إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني فإنه كان ينبغي أن لا يفهم ذلك منه إلا على سبيل الحكاية) قال السهروردي في عوارف المعارف في ذكر من إنتمى إلى الصوفية وليس منهم ما نصه: ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول والأتحاد ويزعمون أن الله تعالى في الاجسام ويسبق إلى مفهومهم قول النصارى في اللاهوت والناسوت، ومنهم من يستبيح النظر إلى المستحسنات إشارة إلى هذا الوهم ويتخايل له: إن من قال كلمات في بعض غلباته كان مضمراً لشيء مما زعموه مثل قول الحلاج: أنا الحق، وما يحكى عن أبي يزيد من قوله سبحاني، وحاشى الله أن يعتقد في أبي يزيد إنه يقول ذلك إلا على معنى الحكاية عن الله تعالى، وهكذا ينبغي أن يعتقد في الحلاج قول ذلك، ولو علمنا أنه ذكر هذا القول مضمراً لشيء من الحلول رددناه كما نردهم، وقد أتانا رسول الله ﷺ بشريعة بيضاء نقية يستقيم بها كل معوج وقد دلتنا عقولنا على ما يجوز وصف الله تعالى به وما لا يجوز، والله تعالى منزه أن يحل بـه شيء أو يحل بشيء حتى لعل بعض المفتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات تعلقت بباطنه فيتألف له في فكره كلمات ينسبها إلى الله تعالى وأنها مكالمة الله تعالى إياه مثل أن يقول قال لي وقلت له، وهذا إما رجل جاهل بنفسه وحديثها جاهل بربه وبكيفية المكالمة والمحادثة، وإما عالم ببطلان ما يقول يحمله هواه على الدعوى بذلك ليوهم أنه ظفر بشيء وكل هذا ضلال، ويكون سبب تحريه على هذا ما سمع من كلام بعض المحققين من مخاطبات وردت عليهم بعد طول معاملات لهم ظاهرة وباطنة وتمسكهم بأصول القوم من صدق التقوى وكمال الزهد في الدنيا، فلما صفت أسرارهم تشكلت في سرائرهم مخاطبات موافقة للكتاب والسنّة نزلت بهم تلك المخاطبات عند استغراق السرائر ولا يكون ذلك كلامـاً يسمعـونـه، بـل كحـديـث في النفس يجدونه ويرونه موافقاً للكتاب والسنّة مفهوماً عند أهله موافقاً للعلم، ويكون ذلك مناجاة لسرائرهم إياه، فيثبتون لنفوسهم مقام العبودية ولمولاهم الربوبية، فيضيفون ما يجدونه إلى نفوسهم وإلى مولاهم، وهم مع ذلك عالمون بأن ذلك ليس كلام الله تعالى، وإنما هو علم حادث أحدثه الله تعالى في بواطنهم، فطريق الأصحاء في ذلك الفرار إلى الله تعالى من كل ما تحدث نفوسهم به، حتى إذا برئت ساحتهم من الهوى وألهموا في بواطنهم شيئاً ينسبونه إلى الله تعالى نسبة الحادثات إلى المحدث لا نسبة الكلام إلى المتكلم ليصانوا عن الزيغ والتحريف اهـ.

وقال السيوطي في تأييد الحقيقة العلية: وأما التأويل فبأمور، ثم قال: الثالث أن يكون ما وقع في ألفاظهم مضافاً إلى أنفسهم، وهو مما يضاف إلى الله تعالى لم يقصدوا به حكاية عن أنفسهم، وإنما أوردوه مورد الحكاية عن الله، فان الكلام ينقسم إلى ما يحكيه المتكلم عن نفسه وإلى ما يحكيه عن غيره، وإن لم يصرح بالاضافة إليه كحديث البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما

(الصنف الثاني) : من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة، وفيها عبارات هائلة، وليس وراءها طائل، وذلك إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل مصدرها عن خلط في عقله وتشويش في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر، وإما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وايرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة،

لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلى الجنة » فهذا إنما قاله ﷺ حكاية عن ربه وان لم يصرح به. وقال تعالى ﴿وما مِنَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]فهذا على لسان الملائكة. وقال: ﴿وما نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤] فهذا على لسان جبريل. وهذا نوع لطيف حررت الكلام فيه في الاتقان، وأما حسن الظن وعدم الوقيعة فذاك هو الذي دلت عليه الآيات والأحاديث والآثار ونصوص العلماء، ولان يخطئ الانسان في عدم السّب خير من أن يخطئ في السب. وفي الحديث « لأن يخطئ الانسان في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة » والمقصد الشرعي من التحذير حاصل بالتنفير من ذلك الكلام من غير وقيعة فيمن نسب إليه، وقد قال بعض الائمة: لو عاش الانسان عمره كله لم يلعن إبليس فلا يسأله الله عن ذلك.

وقال السبكي في فتاويه: اعلم أنّا نستصعب القول بالتكفير لأنه يحتاج إلى تحرير المعتقد وهو صعب من جهة الاطلاع على ما في القلب وتخليصه عما يشبهه وتحريره، ويكاد الشخص يصعب عليه تحرير اعتقاد نفسه فضلاً عن غيره واعتراف الشخص به هيهات أن يحصل، وأما البينة في ذلك فصعب قبولها لانها تحتاج إلى ما قدمناه اهـ.

(الصنف الثاني: من الشطح) تلفيق **(كلمات غير مفهومة)** معانيها **(لها ظواهر رائقة)** معجبة، **(وفيها عبارات هائلة)** عظيمة تهول سامعها **(وليس وراءها طائل)** فائدة يستفاد منها، **(وذلك)** لا يخلو من حالين.**(إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل مصدرها)** أي منشؤها **(عن خلط في عقله)** وجهل في مقامه **(وتشويش)** أي تخبيط **(في خياله لقلة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه)** وهذا هو الجهل بنفسه وحديثها والجهل بربه كما تقدم في كلام السهـروردي **(وهذا هو الأكثر)** من أحوالهم وإن علم من نفسه جهله بتلك الكلمات، وإنما حمله على ذلك هواه ليوهم أنه ظفر بشيْ فالمصيبة أعظم، **(وإما أن تكون)** تلك الكلمات **(مفهومة له)** متحققاً بمعانيها **(ولكنه لا يقدر على تفهيمها)** لغيره **(ولا)** على **(إيرادها)** والقائها **(بعبارة)** سهلة **(تدل على ضميره)** وفحواه، وذلك **(لقلة ممارسته العلم)** ومعاناته فيه **(وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني)** الدقيقة **(بالألفاظ)** الرائقة **(الرشيقـة)**، فـإن العبارة عن المعاني المدركة بالوجدان على ما هي عليه عسيرة جداً. ألا ترى أن الشخص لو أراد أن يصف لذة الجماع لمن لم يباشره بعبارة توصل ذلك إلى فهمه على حقيقته لم يستطع ذلك أبداً،

ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام إلا أنه يشوّش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان، أو يحمل على أن يفهم منها معاني ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه. وقد قال ﷺ: «ما حدّث أحدكم قوماً بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم». وقال ﷺ: «كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون. أتريدون

وسيأتي للمصنف في الفناء. قال: إن العلماء به قصرت عباراتهم عن إيضاحه وبيانه بعبارة مفهمة موصلة للغرض إلى الأفهام، وكما قال ابن عباد في مراتب الشهود: إن التفرقة بين حقائقها على ما هي تعسر العبارة عنه، وانه زلت بسبب ذلك أقدام كثير من الناس. وقال صاحب التعرف: مشاهدات القلوب ومشاهدات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق بل تعلم بالمنازلات والمواجيد ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال اهـ.

(و) لكن (**لا فائدة لهذا الجنس من الكلام**) لما يترتب عليه من الزيغ لكثيرين، وهذا في حد ذاته لا بأس به في الجملة (**إلا أنه يشوش القلب ويدهش العقول ويحير الأذهان ويحمل**) الإنسان (**على أن يفهم منها معاني**) بتأويلات (**ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد**) منها (**على مقتضى هواه وطبعه**) وهذا كذلك يتسبب لضرر عظيم، كيف لا (**وقد قال ﷺ: «ما حدَّث أحدكم قوماً بحديث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم»**) قال العراقي: أخرجه العقيلي في الضعفاء، وابن السني وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث ابن عباس باسناد ضعيف، ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفاً على ابن مسعود نحوه. وقال في التخريج الكبير رواه أبو نعيم في رياضة المتعلمين من رواية عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن عثمان بن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس رفعه بلفظ: «ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان على بعضهم فتنة» وقد اختلف فيه عن ابن ثوبان، فقال ابن السني في رياضة المتعلمين، والعقيلي في تاريخ الضعفاء من طريق ابن ثوبان قال: حدثني عثمان بن داود، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس قال: قالوا يا رسول الله مانسمع منك نحدث به كله. قال: «نعم إلاّ أن تحدث قوماً لا تضبطه عقولهم فتكون على بعضهم فتنة». قال: ورواه ابن السني أيضاً في الكتاب المذكور من رواية عباد بن كثير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رفعته: «من حدث بحديث لا يعلم تفسيره لا هو ولا الذي حدثه فإنما هو فتنة عليه وعلى الذي حدثه» ثم قال: وإنما يصح هذا الحديث موقوفاً على ابن مسعود كما رواه مسلم في مقدمة صحيحه من رواية عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود أن عبد الله بن مسعود قال: فساقه كسياق حديث ابن عباس بعينه.

(**وقال ﷺ: «كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله**) قال العراقي: أخرجه البخاري موقوفاً على علي وهو الصواب بلفظ: «حدثوا الناس والباقي سواء» وهكذا رواه البيهقي في المدخل بتقديم أتريدون على حدثوا، ورفعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم، وسيأتي في آخر الباب الخامس من حديث ابن عمر

أن يكذب الله ورسوله ». وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع، فكيف فيما لا يفهمه قائله، فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره. وقال عيسى عليه السلام: لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء. وفي لفظ آخر: من وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل، ومن منعها أهلها فقد ظلم، إن للحكمة حقاً وإن لها أهلاً فاعط كل ذي حق حقه.

موقوفاً: « أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » أي قدر ماتحتمله عقولهم وهو شاهد جيد، ويأتي الكلام عليه هنالك اهـ.

وقد ورد ما يقاربه من حديث المقدام مرفوعاً رواه البيهقي في المدخل بلفظ: « إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يغرب عنهم ويشق عليهم ». وعند ابن عدي في الكامل بما يفزعهم. **(وهذا فيما يفهمه صاحبه)** ولا يقدر أن يعبره بلسانه لقصوره في التعبير **(ولا يبلغه عقل المستمع، فكيف فيما لا يفهمه قائله، فإن كان يفهمه القائل دون السامع فلا يحل ذكره.**

وقال عيسى عليه السلام: لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم، كونوا كالطبيب الرفيق) الذي **(يضع الدواء في موضع الداء)** هكذا أخرجه صاحب القوت قال: **(وفي لفظ آخر : من وضع الحكمة في غير أهلها جهل، ومن منعها أهلها ظلم. إن للحكمة حقاً وإن لها أهلاً فاعط لكل ذي حق حقه)** وفي الحلية من طريق سفيان بن عيينة قال عيسى عليه السلام: إن للحكمة أهلاً فإن وضعتها في غير أهلها ضيعت، وإن منعتها من أهلها ضيعت. كن كالطبيب يضع الدواء حيث ينبغي اهـ.

وفي معنى ذلك رُويَ عن سفيان الثوري أنه سئل عن العالم من هو؟ قال: من يضع العلم موضعه ويؤتي كل شيء روي حقه. قال صاحب القوت، وقال بعض العارفين: من كلم الناس مبلغ علمه وبمقدار عقله ولم يخاطبهم بقدر حدودهم فقد بخسهم حقهم ولم يقم بحق الله تعالى فيهم، وحدثني بعض أشياخنا من هذه الطائفة عن أبي عمران وهو المزين الكبير المكي قال سمعته يقول لأبي بكر الكتاني وكان سمحاً بهذا العلم بذولاً له لجميع الفقراء فجعل أبو عمران يعاتبه وينهاه عن بذله وكثرة كلامه فيه إلى أن قال: أنا منذ عشرين سنة أسأل الله عز وجل أن ينسيني هذا العلم. قال: ولم؟. قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فسمعته يقول: « إن لكل شيء عند الله حرمة ومن أعظم الأشياء حرمة الحكمة فمن وضعها في غير أهلها طالبه الله تعالى بحقها ومن طالبه خاصمه ». وأورد أبو نعيم في الحلية في ترجمة محمد بن كعب القرظي بسنده إليه قال: حدثنا ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: « إن عيسى بن مريم قام في بني إسرائيل فقال يا بني إسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ».

وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح، وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الافهام فائدة، كدأب الباطنية في التأويلات، فهذا أيضاً حرام وضرره عظيم، فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ، وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ، فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به، والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى، وهذا أيضاً من البدع الشائعة العظيمة الضرر، وإنما قصد أصحابها الإغراب لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له، وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم، كما حكيناه من مذاهبهم في كتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية،

(**وأما الطامات**) جمع طامة وهي المصيبة التي تطم على غيرها أي تزيد (**فيدخلها ما ذكرناه في الشطح**) أولاً (**و**) يدخلها (**أمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع**) الظاهرة (**عن ظواهرها المفهومة**) ومعانيها. وفي نسخة: عن ظواهر المفهوم (**إلى باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة**) وفي نسخة: شيْ يوثق به (**كدأب**) الطائفة (**الباطنية**) وهم جماعة من الملاحدة نسبوا أنفسهم إلى علم الباطن وحرفوا الألفاظ إلى معان أخر غير مفهومه إلا لهم بادعائهم في ذلك (**في التأويلات**) البعيدة (**وهو أيضاً حرام**) في الشرع (**وضرره عظيم**) على الأمة، (**فان الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه**) وتمسك (**بنقل**) صحيح (**عن صاحب الشرع**) ﷺ، أو عن أصحابه الذين شاهدوه رضي الله عنهم، (**و**) كذلك إذا صرفت (**من غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ**)، وقد تعبدنا الله سبحانه بالعمل بمفهوم ظاهر الألفاظ، (**فإن ما سبق منه إلى الفهم لا يوثق به**) إن خرج عن جادة الشريعة (**والباطن لا ضبط له**) ولا معوّل عليه فيما يخالف ظاهر الشرع (**بل تتعارض فيه الخواطر**) والهواجس (**ويمكن تنزيله على وجوه شتى**) بحسب اختلاف ما يطرأ عليها، (**وهذا أيضاً من البدع**) المنكرة (**الشائعة**) في البلاد (**العظيم ضررها**) وإفسادها على الأمة، (**وإنما قصد أصحابها الإغراب**) الاتيان بشيْ غريب (**فإن النفوس**) على جبليتها (**مائلة إلى**) الأمر (**الغريب**) أي المستغرب الذي ما عهدته (**ومستلذة له**) أي واجدة به اللذة (**وبهذا الطريق**) وفي نسخه: وهذا الطريق (**توصل الباطنية**) أولئك الطائفة (**إلى هدم**) أركان (**جميع الشريعة بتأويل ظواهرها**) عن معانيها (**وتنزيلها**) على معان أخر (**على رأيهم**) الفاسد، (**كما حكيناه عن مذهبهم في كتاب المستظهري المصنف في الرد على**) دعاوى (**الباطنية**) ألفه باسم المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن المقتدر بالله أبي القاسم

ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى: ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ [طه: ٢٤] إنه إشارة إلى قلبه، وقال: هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل إنسان، وفي قوله تعالى: ﴿وأن ألق عصاك﴾ [القصص: ٣١] أي كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل، فينبغي أن يلقيه. وفي قوله ﷺ: « تسحروا فإن في السحور بركة ». أراد به

عبد الله العباسي الثاني والعشرين من الخلفاء توفي سنة ٥١٣ وله كتاب آخر في الرد عليهم سماه مواهم الباطنية قد تقدم ذكرهما في أول هذا الكتاب ولما ألف السيوطي كتابه المتوكلي استغرب الناس هذا الاسم فاستشهد بأن القدماء من العلماء قد وقع لهم مثل ذلك. منهم: الامام الغزالي ألف باسم الخليفة كتاباً وسماه المستظهري (**ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى:﴿اذهب إلى فرعون انه طغى﴾ [طه: ٢٤] إنه أشار إلى قلبه)** أي نفسه الأمارة بالسوء (**وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان**) وهذا القول قد نقل عن القاشاني الذي ملأ تفسيره بأمثال هذه الطامات وقد طالعته كله فقضيت منه عجباً، (و) قالوا (**في قوله تعالى ﴿ألق عصاك﴾ [القصص: ٣١] أي كلما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله تعالى فينبغي أن يلقيه**) عنه، وكذا في قوله تعالى: ﴿اخلع نعليك﴾ [طه: ١٢] أي نفسك كل ذلك مما نقله القاشاني في تأويلاته، والمبتدع ليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد بحيث أنه لو لاح له إشارة شاردة من بعيد اقتنصها أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال سارع إليه، والملحد فلا تسأل عن الحاده في آيات الله تعالى وافترائه على الله تعالى ما لم يقله كقول بعضهم ﴿إن هي إلاَّ فتنتك﴾ [الأعراف: ١٥٥] ما على العباد أضر من ربهم تعالى الله علوّا كبيراً، ومن ذلك في قوله تعالى ﴿ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به﴾ [البقرة: ٢٨٦] انه الحب والعشق، ومن ذلك قولهم في قوله: ﴿ومن شر غاسق إذا وقبَ﴾ إنه الذكر إذا قام. وقولهم في: ﴿من ذا الذي يشفع عنده﴾ [البقرة: ٢٥٥] معناه من ذل أي من الذل ذي إشارة إلى النفس يشف من الشفاء جواب وع أمر من وعى. وسئل البلقيني عمن فسَّر بهذا فأفتى بأنه ملحد، ثم أن التفسير هو كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل رد أحد المحتملين أي ما يطابق الظاهر. وقيل؛ التفسير شرح ما جاء مجملاً من القصص في الكتاب الكريم وتعريف ما تدل عليه ألفاظه الغريبة وتبيين الأمور التي أنزلت بسببها الآي، والتأويل هو تبيين معنى المتشابه والمتشابه ما لم يقطع بفحواه من تردد فيه وهو النص، وأما تفسير الغاسق بالذكر ووقوبه بقيامه: فقد نقله صاحب القاموس عن ابن عباس وجماعة من المفسرين وهو غريب، وذكر في وقب نقله عن الغزالي والنقاش وجماعة كلهم عن ابن عباس. وقال ابن الصلاح في فتاويه: وجدت عن الامام الواحدي انه قال: صنف السلمي حقائق التفسير إن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر، وقال النسفي في عقائده: النصوص تحمل على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد. وقال السعد في شرحه: سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها بل لها معان باطنة. قال: وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من

الاستغفار في الأسحار، وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوّله إلى آخره عن ظاهره

أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك منها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال العرفان ومحض الايمان. وقال ابن عطاء الله في لطائف المنن: أعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسوله ﷺ بالمعاني الغريبة ليست إحالة الظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ودلت عليه في عرف اللسان وثم افهام باطنه يفهم منه الآية والحديث من فتح الله عن قلبه. وقد جاء في الحديث: « لكل آية ظهر وبطن » فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل هذا احالة لكلام الله تعالى وكلام رسوله، فليس ذلك باحالة، وإنما يكون إحالة لو قال: لا معنى للآية إلا هذا وهم لا يقولون ذلك بل يفسرون الظواهر على ظاهرها مراداً بها موضوعاتها اهـ.

ـ (و) قالوا (**في قوله ﷺ: « تسحروا فإن في السحور بركة »**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس اهـ.

قلت: هو من رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس، وأخرجه هكذا الإمام أحمد في مسنده، ومسلم أيضاً والترمذي والنسائي، وابن ماجة كلهم في رواية قتادة عن أنس، وانفرد النسائي باخراجه عن أبي هريرة، وعن ابن مسعود، والإمام أحمد، عن أبي سعيد. أما حديث أبي هريرة؛ فرواه من رواية عبد الملك بن أبي سليمان، وابن أبي ليلى فرقهما كلاهما عن عطاء عنه، ومن رواية يحيي بن سعيد بن أبي سلمة وقال: اسناده حسن. وأما حديث ابن مسعود: فرواه عن زرعة، ورواه أيضاً موقوفاً على ابن مسعود. وحكى المزي عنه في الأطراف أن الموقوف أولى بالصواب، وأما حديث أبي سعيد فرواه أحمد والطبراني في الأوسط من رواية ابن أبي ليلى عن عطية عنه، وروى أحمد أيضاً من رواية يحيي بن أبي كثير عن أبي رفاعة عن رفاعة عنه بلفظ: « السحور كله بركة فلا تدعوه ولو ان يجرع أحدكم بجرعة من ماء ». وفي الباب عن جابر، وابن عباس وعرباض. أما حديث جابر، فرواه ابن عدي في الكامل من رواية محمد بن عبيدالله العزرمي عن ابن المنكدر عنه، والعزرمي ضعيف. وأخرجه أئمة السنن الأربعة والبخاري في الأدب من حديث أنس: « تسحروا ولو بجرعة من ماء ». وأخرجه ابن عساكر، عن عبدالله بن سراقة « تسحروا ولو بالماء » وأخرج ابن عدي في الكامل عن علي « تسحروا ولو بشربة من ماء وافطروا ولو على شربة من ماء ». وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي الوليد عقبة بن عبد السلمي، وأبي الدرداء « تستحروا من آخر الليل هذا الغذاء المبارك ». (**أراد به الاستغفار بالأسحار**) وهو مردود بما ذكرناه في الأحاديث ولو بجرعة من ماء ولا ينطبق المعنى، (**وأمثال ذلك**) كقولهم في حديث الإيمان والإحسان: فإن لم تكن تراه أي إن أفنيت نفسك تشرفت بالرؤية مع مخالفته للقواعد العربية (**حتى حرفوا القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره**) كما هو مشاهد في تأويلات القاشاني وغيره (**وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر**

وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء، وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعاً، كتنزيل فرعون على القلب، فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده، ودعوة موسى له كأبي جهل وأبي لهب وغيرهما من الكفار، وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه، وكذلك حمل السحور على الاستغفار، فإنه كان ﷺ يتناول الطعام ويقول: «تسحروا وهلموا إلى الغذاء المبارك».

العلماء). أما تفسير ابن عباس فهو مختصر في مجلد ممزوج، ومن أصحابه مجاهد بن جبر المكي الذي قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، واعتمد على تفسيره الشافعي والبخاري، ومن أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير عكرمة مولاه، وطاوس، وابن كيسان، وعطاء ابن أبي رباح، ومن هذه الطبقة أصحاب ابن مسعود وهم علماء الكوفة وغيرهم **(وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعاً كتنزيل فرعون على القلب)** أو النفس، **(فإن فرعون شخص محسوس)** وهو الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبي شمس بن هلوان بن ليث بن قاران من بني لاود بن سام بن نوح عليه السلام **(تواتر إلينا النقل بوجوده، ودعوة)** نبي الله **(موسى)** ابن عمران **(عليه السلام له كأبي لهب)** عبد العزيز عبد المطلب كني به لجماله أو لماله **(وأبي جهل)** عمرو بن هشام كني به لطغيانه وعتوه وجهله **(وغيرهما من الكفار، وليس)** فرعون **(من جنس الشياطين والملائكة وما لم يدرك بالحس حتى يتطرق إلى ألفاظها)**. وفي نسخة: ألفاظه. ولذلك شنع على الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي قدس سره ما ينسب إليه في كتابه الفصوص في الفص الموسوي القول بإسلام فرعون على الإطلاق، وبالغوا في النكير عليه حتى زلت أقدام جماعة من فحول العلماء، فألفوا رسائل في إثبات الإيمان له، كالجلال الدواني وغيره نظراً إلى ظاهر قوله، مع أن الشيخ رحمه الله لم يقصد بذلك معارضة القرآن ولا ما أجمع عليه أهل الإيمان مع الإجماع على صحة عقيدته التي ساقها في أول كتابه الفتوحات، وإنما مراده إسلام فرعون النفس بدليل ما ذكر في الباب الثاني والستين من فتوحاته عند قوله: وقسم آخر أبقاهم الله في النار، وهذا القسم هم أهل النار لا يخرجون منها، فذكر منهم فرعون وأمثاله ممن ادعى الربوبية لنفسه ونفاها عن الله تعالى، وحكى الله عنه في القرآن، وقد أشار إلى كفره في كتابه عنقاء مغرب، وفي شرح ترجمان الأشواق، وفي تاج التراجم، وقال في كتاب الأسفار له مشيراً لذلك، فإن إله الخلق ربي قد قضى بموت عدوّ الدين في غمة البحر، فكل ذلك يدل أنه إنما أراد بفرعون النفس، وأبقى الآيات على ظاهرها ولم يحلها إلى ما يخالفها. وقد نبه على ذلك الشيخ كريم الدين الخلوتي نفع به في رسالة سماها البرهان القدسي، **(وكذلك حمل)** لفظ **(التسحر على الإستغفار، فإنه كان ﷺ يتناول الطعام)** مع أصحابه في ذلك الوقت كما روى البخاري من حديث أنس أن النبي ﷺ، وزيد بن ثابت تسحرا. زاد ابن عاصم في كتاب الصوم فأكلا تمراً وشربا ماءً، **(و)** كان **(يقول: «تسحروا)** فإن في السحور بركة» وتقدم

فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلاً، وبعضها يعلم بغالب الظن، وذلك في أمور لا يتعلق بها الإحساس، فكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق، ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم، فلا يظهر لقوله ﷺ: « من فسر القرآن برأيه فليتبوّأ

مثله من حديث أنس وابن مسعود وأبي هريرة وجابر، وورد فيه أيضاً عن علي وابن عمرو وأبي سعيد وأبي أمامة وعتبة بن عبد وأبي الدرداء وميسرة الفجر.

(و) كان يقول: **(هلموا إلى الغذاء المبارك)** يعني السحور. قال العراقي: أبو داود، والنسائي، وابن حبان من حديث العرباض بن سارية وضعفه ابن القطان اهـ.

أي لضعف رواية الحرث بن زياد عن أبي رهم، عن العرباض. وقال ابن عبد البر: هو مجهول، ولكن ذكره ابن حبان في الثقات، وقوله: يعني السحور كأنه مدرج من الراوي. أخرجه كذلك الإمام أحمد، وابن حبان من حديث العرباض. وفي الباب عن المقدام بن معدي كرب، وعتبة بن عبد، وأبي الدرداء، وعائشة، وعمر بن الخطاب. ومعنى المبارك أي الكثير الخير لما يحصل بسببه من قوة وقدرة على الصوم.

(فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلاً، وبعضها يعلم بغالب الظن، وذلك في أمور لا يتعلق بها الإحساس وذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق، و) قد زلت أقدام كثير في ذلك، فينبغي عدم الإلتفات إلى ما قالوا لأنه **(لم ينقل شيء من ذلك)** عن صاحب الشرع ولا **(عن الصحابة ولا عن التابعين)** مع سعة روايتهم وكثرة تلقيهم، **(ولا عن)** سيد التابعين **(الحسن)** ابن يسار **(البصري مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم)**. قال صاحب القوت: ما زال يعي الحكمة أربعين سنة حتى نطق بها، وقد لقي سبعين بدرياً ورأى ثلاثمائة صحابي، وكان كلامه يشبه بكلام رسول الله ﷺ، وكان أول من أنهج سبيل هذا العلم وفتق الألسنة به ونطق بمعانيه وأظهر أنواره وكشف قناعه، وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من إخوانه، **(ولا يظهر لقوله ﷺ: « من فسَّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار »)** قال العراقي: أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه، وهو عند أبي داود في رواية ابن العبد وعند النسائي في الكبير اهـ.

قلت أخرجه الترمذي وصححه، وابن الأنباري في المصاحف، والطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب كلهم من رواية عبد الأعلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس بلفظ: « من قال في القرآن بغير علم » بدل قوله: « برأيه ». وأخرجه أبو داود والترمذي وقال: غريب. والنسائي في الكبير، وابن جرير، والبغوي، وابن الأنباري، وابن عدي، والطبراني، والبيهقي كلهم من رواية سهيل بن أبي حزم القطفي، عن ابن عمران الجوني، عن جندب بن عبدالله: « من قال في القرآن

مقعده من النار » معنى إلا هذا النمط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه، ويحمله عليه من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية، ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر، فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة، ويعلم أن جميعها غير مسموع من النبي ﷺ، فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع، فيكون ذلك مستنبطاً بحسن الفهم وطول الفكر.

برأيه فأصاب فقد أخطأ». وفي رواية للترمذي وغيره: «من قال في كتاب الله» وفي رواية «من تكلم في القرآن». وفي الباب عن ابن عمرو جابر وأبي هريرة فحديث ابن عمر لفظه: «من فسر القرآن برأيه فأصاب كتبت عليه خطيئة لو قسمت بين العباد لوسعتهم». ولفظ حديث جابر: «من قال في القرآن برأيه فقد اتهمني» ولفظ حديث أبي هريرة: «من فسر القرآن برأيه وهو على وضوء فليعد وضوءه». أخرج هؤلاء الثلاثة أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وطرقهن ضعاف بل الأخير منكر جداً (**معنى إلا هذا النمط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر تحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه ويحمله عليه من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية، ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالإستنباط والفكر في الآيات بل من الآيات**) وفي نسخة: فإن من الآيات (**ما نقل فيها عن الصحابة**) والتابعين (**و**) من بعدهم من (**المفسرين خمسة معان وستة وسبعة**) وأكثر، (**ونعلم أن جميعها غير مسموع من النبي ﷺ فإنها تكون متنافية**) مع بعضها (**لا تقبل الجمع، فيكون ذلك مستنبطاً بحسن الفهم وطول الفكر**). قال صاحب القوت: التأويل إذا لم يخرج عن الإجماع داخل في العلم والإستنباط إذا كان مستودعاً في الكتاب يشهد له المجمل ولا ينافيه النص فهو علم اهـ.

قال ابن الأثير: النهي يحتمل وجهين:

أحدها: أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفقه محتجاً به لغرضه ولو لم يكن له هوى لم يلح له منه ذلك المعنى، وهذا يكون تارة مع العلم كمن يحتج بآية منه على تصحيح بدعته عالماً بأنه غير مراد بالآية، وتارة يكون مع الجهل بأن تكون الآية محتملة فيميل فهمه إلى ما يوافقه غرضه ويرجحه برأيه وهواه فيكون فسر برأيه إذ لولاه لم يترجح عنده ذلك الإحتمال، وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن فيستدل بما يعلم أنه لم يرد به كمن يدعو إلى مجاهدة القلب بقوله: ﴿إذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ [طه: ٢٤] ويشير إلى قلبه ويومىء إلى أنه المراد بفرعون، وهذا يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام وترغيباً للسامع وهو ممنوع.

ولهذا قال ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالألفاظ، ويزعم انه يقصد بها دعوة الخلق إلى الخالق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله ﷺ لما هو في نفسه حق، ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يراها حقاً حديثاً عن النبي ﷺ، فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من

الثاني: أن يسارع إلى تفسيره بظاهر العربية بغير استظهار بالسماع والنقل يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة والإختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر القرآن بغير علم، فالنقل والسماع لا بدَّ منها أولاً، ثم هذه تستتبع التفهم والإستنباط، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر اهـ.

قال الزمخشري: من حق تفسير القرآن أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليماً من القادح، وأما الذين تأيدت فطرتهم النقية بالمشاهدات الكشفية فهم القدوة في هذه المسالك ولا يمنعون أصلاً عن التوغل في ذلك.

(**ولهذا قال ﷺ لابن عباس**) رضي الله عنه فيما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما من رواية عبيدالله بن أبي يزيد، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ دخل الخلاء فوضعت له وضوأً قال: « من وضع هذا ؟ فأخبر، فقال (**اللهم فقهه في الدين** ») . ولم يقل مسلم في الدين. وزاد الإمام أحمد في مسنده، والحاكم من رواية عبيدالله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن جبير (« **وعلمه التأويل** ») وقال الحاكم: صحيح الإسناد، قال العراقي: ووهم أبو مسعود الدمشقي في الأطراف حيث عزا للصحيحين هذه الزيادة.

قلت: وفي أول حديث هؤلاء زيادة وهي قول ابن عباس أن النبي ﷺ وضع يده على كتفي أو على منكبي شك شعبة، ثم قال: « اللهم ». الحديث. وعند البخاري من رواية عكرمة عنه ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال: « اللهم علمه الحكمة ». وفي رواية له: « اللهم علمه الكتاب ». ورواه ابن ماجه فقال: « اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب » والتأويل هو التفسير على ما نقله ثعلب عن ابن الأعرابي: وقال آخرون: بالفرق بينهما وقد ذكر قريباً، (**ومن يستجيز**) أي يتجوز (**من أهل الطامات مثل هذه التأويلات**) البعيدة عن فحوى المراد (**مع علمه بأنها غير مرادة بألفاظ القرآن**) وإنما حمله عليه ميله إلى هواه، (**ويزعم**) بعد ذلك (**أنه يقصد به دعوة الخلق إلى الحق**) فمثله مثل من (**يضاهي**) أي يشابه (**من يستجيز الإختراع**) أي الإختلاق (**والوضع**) في الأخبار (**على النبي ﷺ بما هو في نفسه حق، ولكن لم ينطق به الشرع**) ولا ينقل عنه ذلك (**كمن يضع في كل مسألة يراها حقاً حديثاً عن النبي ﷺ**) كما فعله

قوله ﷺ : « من كذب عليَّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار ». بل الشر في تأويل هذه

الجويباري وغيره من الوضاعين، **(وذلك ظلم)** أي تعد عن الحدود **(وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله ﷺ : « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »)** قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة وعلي وأنس اهـ.

قلت: هذا الحديث قد روي أيضاً عن الزبير، والمغيرة وسلمة بن الأكوع، وعبدالله بن عمرو، وابن مسعود، وجابر وأبي قتادة، وأبي سعيد، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، وسعيد بن زيد، ومعاوية بن أبي سفيان، وخالد بن عرفطة، وأبي موسى الغافقي، وعقبة بن عامر، وزيد بن أرقم، وقيس بن سعيد، وعمران بن حصين، والبراء بن عازب، وأبي موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل وعمرو بن مرة، ونبيط بن شريط، وعمار بن ياسر، وعمرو بن عتبة، وعمرو بن حريث، وابن عباس، وعتبة بن غزوان، والعرس بن عميرة، ويعلي بن مرة، وطارق ابن أشيم وسليمان بن خالد الخزاعي، وصهيب بن سنان، والسائب بن يزيد، وأبي أمامة، وأبي قرصافة، ورافع بن خديج، وأوس بن أوس الثقفي، وحذيفة بن اليمان، وأبي ميمون جابان، وبريدة بن الخصيب، وسعد بن الرحاس، وعمرو بن عوف، والمنقع التميمي، وعبدالله بن عمر، وأبي كبشة الأنماري، وأبي رافع، وواثلة بن الأسقع، وأبي الحمراء، وأسامة بن زيد، ومعاوية بن حيدة، وعبدالله بن الزبير، وأبي عبيدة بن الجراح، وسلمان الفارسي، وأبي ذر، وحذيفة بن أسيد وعبدالله بن أبي أوفى وأبي رمثة، ويزيد بن أسد، وعفان بن حبيب، وعائشة، وأم أيمن، والعباس ابن عبد المطلب، وسفينة، وزيد بن ثابت، وكعب بن قطبة، وجابر بن عابس، وعبدالله ابن زغب، ووالد أبي العشراء. فهؤلاء جميع من عُزِيَ إليهم هذا الحديث بألفاظ وإن اختلفت فإنها متقاربة المعنى، ونحن نسوق لك تفصيل ذلك حسبما استفدته من مقدمة ابن الجوزي وكتاب العراقي.

فأما حديث أبي هريرة فأخرجه الشيخان، والنسائي من رواية أبي عوانة، عن ابن حصين، عن أبي صالح عنه. ورواه ابن ماجه من رواية محمد بن عمر، وعن أبي سلمة عنه بلفظ: « من يقول عليّ ما لم أقل ».

وأما حديث علي: فرواه الشيخان، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه من رواية ربعي بن حراش عنه بلفظ: « فإنه من يكذب علي يلج النار » وقال البخاري: « من كذب ». ورواه أبو بكر بن الشخير بلفظ: الكتاب من رواية ابن أبي ليلى عن علي، وحديث أنس أخرجه الشيخان والنسائي من رواية عبد العزيز بن صهيب عنه بلفظ: « من تعمد علي كذباً » ورواه الترمذي، وابن ماجه من رواية الزهري عنه وزاد فيه، حسبته قال متعمداً. وقال الترمذي بيته بدل مقعده. وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. ورواه النسائي من رواية سليمان التميمي عنه بلفظ: الكتاب، ورجاله رجال الصحيح، وحديث الزبير رواه البخاري، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه من رواية ابنه عبدالله عنه. وحديث المغيرة رواه الشيخان من رواية علي بن ربيعة عنه، وحديث سلمة

....

ابن الأكوع رواه البخاري، عن بكر بن إبراهيم، عن يزيد بن أبي عبيد عنه بلفظ: «من يقل علي ما لم أقل» وهو أحد ثلاثياته. وحديث عبدالله بن عمرو، رواه البخاري والترمذي من رواية أبي كبشة السلولي عنه في أثناء حديث بلغوا عني، وقد روي الطبراني في الأوسط في أوله قصة هي سبب له من رواية عطاء بن السائب، عن أبيه، عن ابن عمر. وحديث عبدالله بن مسعود رواه الترمذي من رواية عاصم عن زرعنه، ورواه أبو بكر بن الشخير في العلم من رواية عاصم عن شقيق عنه، ورواه ابن ماجة من رواية سماك، عن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود، عن أبيه. ورواه البزار من رواية عمرو ابن شرحبيل عنه وزاد فيه ليضل به الناس، وحديث جابر رواه ابن ماجة من رواية ابن الزبير عنه. وحديث أبي قتادة رواه ابن ماجة من رواية ابن إسحاق عن سعيد بن كعب عنه بلفظ: «من تقول علي ما لم أقل». ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم. ورواه أيضاً من وجه آخر بلفظ الأصل، وحديث أبي سعيد رواه النسائي من رواية عطاء ابن يسار عنه، ورواه ابن ماجه من رواية عطية العوفي عنه. وحديث أبي بكر رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط من رواية جارية بن هرم، عن عبدالله بن بسر الحيراني، عن أبي كثبة الأنماري عنه، ورواه ابن الشخير في كتاب العلم من رواية القاسم بن عبدالله، عن ابن المنكدر، عن جابر، عن عائشة عنه، وفيه رواية صحابي عن صحابي عن صحابي. وحديث عمر بن الخطاب رواه أبو يعلى من رواية دحين بن ثابت اليربوعي، وأبو بكر بن الشخير في كتاب العلم من رواية عبد الرحمن بن ثابت كلاهما عن أسلم عنه. وحديث عثمان بن عفان رواه أحمد، والبزار، وأبو يعلى من رواية محمود بن لبيد عنه. وعند الآخرين من رواية عامر بن سعد عنه بلفظ: «من قال علي ما لم أقل». وحديث طلحة بن عبيدالله رواه أبو يعلى والطبراني من رواية سليمان بن أيوب بن سليمان بن عيسى بن موسى بن طلحة بن عبيدالله بن عبيدالله، عن أبيه، عن جده، عن موسى بن طلحة، عن طلحة، ورواه الخطيب في التاريخ من رواية محمد بن عمر بن معاوية بن يحيي بن معاوية بن إسحاق بن طلحة بن عبيدالله، عن أبيه، عن جده، عن أبيه، عن جده. وحديث سعيد بن زيد رواه البزار، وأبو يعلى من رواية رباح بن الحرث عنه، وحديث معاوية بن أبي سفيان رواه أحمد والطبراني من رواية أبي الفيض عنه. وحديث: خالد بن عرفطة رواه أحمد أبو يعلى والطبراني من رواية مسلم مولاه عنه. وحديث أبي موسى الغافقي رواه أحمد والبزار والطبراني من رواية إسحاق بن ميمون الحضرمي عنه بلفظ: «من قال علي ما لم أقل». وحديث عقبة بن عامر رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني من رواية هشام بن أبي رقبة عنه، ورواه أحمد والطبراني أيضاً من رواية ابن عشانة عنه. وحديث زيد بن أرقم رواه أحمد والبزار والطبراني من رواية يزيد بن حبان عنه، ورواه الطبراني في الأوسط من رواية موسى بن عثمان الحضرمي عن إسحاق عنه. وحديث قيس بن سعد بن عبادة رواه أحمد وأبو يعلى من رواية ابن لهيعة، عن أبي هبيرة سمعت شيخاً من حمير انه سمع قيس بن سعد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كذب علي كذبه متعمداً فليتبوأ مضجعاً من النار» أو بيتاً في جهنم. وحديث عمران بن حصين رواه الطبراني من رواية عبد المؤمن بن سالم المسمعي، حدثنا

....

هشام، عن محمد بن سيرين عنه. وحديث البراء بن عازب رواه أبو يعلى في مسنده رواية ابن المقري من رواية محمد بن عبيدالله الفزاري وهو العزرمي، عن طلحة بن مصرف، عن عبد الرحمن بن عوسجة عنه. ورواه الطبراني في الأوسط من رواية موسى بن عثمان الحضرمي عن أبي إسحاق عنه، وعن زيد بن أرقم أيضاً وقد تقدم. وحديث أبي موسى الأشعري رواه الطبراني من رواية خالد بن نافع عن سعيد بن أبي بردة عنه. وحديث معاذ بن جبل رواه الطبراني في الأوسط، والخطيب في التاريخ من رواية عبدالله بن سلمة عنه. ورواه ابن الشخير من رواية خصيب بن جحدر عن النعمان بن نعيم، عن عبد الرحمن بن غنم عنه. وحديث عمرو بن مرة الجهني رواه الطبراني من رواية الهيثم بن عدي عن الضحاك بن زميل السكسكي، عن أبي أسماء السكسكي عنه. وحديث نبيط بن شريط رواه الطبراني في الصغير، عن أحمد بن إسحاق ابن إبراهيم بن نبيط بن شريط عن أبيه عن أبيه نبيط. وحديث عمار بن ياسر رواه الخطيب في التاريخ من رواية علي بن الحزور، عن أبي مريم قال: سمعت عمار بن ياسر يقول لأبي موسى: أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «من كذب علي» الحديث. ورواه أبو يعلى والطبراني بلفظ ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول: وحديث عمرو بن عبسة رواه الطبراني من رواية محمد بن أبي النوار، عن بريد بن أبي مريم، عن عدي بن أرطأة عنه. وحديث عمرو بن حريث رواه الطبراني من رواية عبد الكريم بن أبي المخارق عن عامر بن عبد الواحد عنه وزاد فيه: «ليضل به». وحديث ابن عباس رواه الطبراني من رواية عبد الأعلى الثعلبي، عن سعيد بن جبير عنه. وحديث عتبة بن غزوان رواه الطبراني من رواية غزوان بن عتبة عن أبيه. وحديث العرس بن عميرة رواه الطبراني والبزار وابن عدي في مقدمة الكامل من رواية يحيى بن زهدم عن أبيه زهدم بن الحرث عنه، وقيل: يحيى عن أبيه عن جده عنه. وحديث يعلى بن مرة رواه الدارمي في مسنده، والطبراني وابن عدي من رواية عمرو بن عبدالله بن يعلى بن مرة عن أبيه عن جده. وحديث طارق بن أشيم والد أبي مالك الأشجعي رواه البغوي والطبراني في معجمي الصحابة من رواية خلف بن خليفة عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه طارق بن أشيم وإسناده صحيح. وحديث سليمان بن خالد الخزاعي رواه الطبراني من رواية عبدالله بن محمد بن الحنفية عنه. وحديث صهيب بن سنان رواه أبو يعلى والطبراني من رواية عمرو بن دينار عن بعض ولد صهيب عنه، ورواه أبو بكر بن الشخير في كتاب العلم من رواية الدفاع بن دغفل عن عبد الرحمن بن صيفي بن صهيب عن أبيه عن جده. وحديث السائب بن يزيد رواه الطبراني من رواية محمد بن يوسف عنه. وحديث أبي أمامة الباهلي رواه الطبراني من رواية شهر بن حوشب عنه بلفظ: «من حدث عني حديثاً كذباً متعمداً». ورواه أيضاً من رواية محمد بن الفضل بن عطية عن الأحوص بن حكيم عن مكحول عنه بلفظ «مقعده بين عيني جهنم». وحديث أبي قرصافة واسمه جندرة بن خيثنة رواه الطبراني من رواية عزة بنت عياض عنه بلفظ: «من كذب علي» أو قال: «على غير ما قلت بني له بيت في جهنم». وحديث رافع بن خديج رواه الطبراني من رواية أبي مدرك عن عباية بن رفاعة عنه بلفظ:

....

« وليتبوأ من كذب علي مقعده من جهنم ». وحديث أوس بن أوس الثقفي رواه الطبراني من رواية إسماعيل بن عياش، عن عبدالله بن محيريز عنه بلفظ: « من كذب على نبيه لم يرح رائحة الجنة ». وحديث حذيفة بن اليمان رواه الطبراني من رواية أبي بلال الأشعري، حدثنا شريك، عن منصور، عن ربعي عنه. ورواه أبو نعيم من رواية أبي عمار عن عمرو بن شرحبيل عنه. وحديث أبي ميمون الكردي واسمه جابان رواه الطبراني في الأوسط من رواية أبي خلوة عن ميمون الكردي عن أبيه وإسناده حسن. وحديث بريدة بن الخصيب رواه أبو يعلى وابن عدي في مقدمة الكامل من رواية صالح بن حيان عن أبي بريدة عن أبيه. وحديث سعد بن الدحاس رواه الطبراني من رواية ابن عائذ عنه، ورواه ابن منده أيضاً في الصحابة. وحديث عمرو بن عون المزني رواه ابن الشخير من رواية الفضل بن عطية عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عون عن أبيه عن جده. وحديث المنقع التميمي رواه البخاري في التاريخ الكبير من رواية سيف بن هارون سمع عصمة بن بشر سمع المقرع سمع المنقع. وحديث عبدالله بن عمر رواه أحمد، والبزار، والطبراني من رواية أبي بكر بن سالم عن أبيه عن جده، ورواه أبو بكر بن الشخير في كتاب العلم من رواية جابر بن نوح عن عبيدالله بن عمر، عن نافع عنه. وحديث أبي كبشة الأنماري رواه محمد بن جرير الطبري قال: حدثنا عمرو بن مالك، حدثنا جارية بن هرم، حدثنا عبدالله بن بشر الجراني سمعت أبا كبشة وقد اختلف فيه على جارية مع ضعفه فقيل: هكذا وقيل: عن أبي كبشة عن أبي بكر وقد تقدم. وحديث أبي رافع مولى رسول الله ﷺ رواه ابن الشخير من رواية عاصم بن عبيدالله، عن عبدالله بن رافع، عن أبيه. وحديث واثلة بن الأسقع رواه الطبراني من رواية ابنته خصلة عنه بلفظ: « إن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل عليّ ما لم أقل ». وحديث أبي الحمراء رواه ابن الشخير من رواية نفيع بن داود عنه. وحديث أسامة بن زيد رواه الطبراني من رواية علي بن ثابت الجزري عن الوازع بن نافع عن أبي سلمة عنه بلفظ: « من قال علي ما لم أقل ». وحديث معاوية ابن حيدة رواه أبو بكر بن المقري من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده. وحديث عبدالله بن الزبير رواه الدارقطني من رواية الزبير بن خبيب عن أبيه عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه. وحديث أبي عبيدة بن الجراح رواه الخطيب من رواية ميسرة بن مسروق العبسي عنه، ورواه ابن الشخير من رواية أبي عبيدة بن فلان عنه. وحديث سلمان الفارسي رواه الطبراني من رواية هلال الوزان عن سعيد بن المسيب عنه. ورواه الخطيب في التاريخ من رواية أبي البختري عنه. وحديث أبي ذر الغفاري رواه المحاملي من رواية عبد الرحمن ابن عمرو بن نضلة القسري عن أبيه عن جده عنه. وحديث حذيفة بن أسيد رواه ابن الجوزي في مقدمة الموضوعات من طريق عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي، حدثنا المثنى بن سعيد، عن قتادة، عن أبي الطفيل عنه. وحديث عبدالله بن أوفى رواه ابن الجوزي أيضاً من طريق ابن قانع، حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي، حدثنا سالم بن قادم، حدثنا علي بن إبراهيم، عن فائد بن أبي العوام عنه. وحديث أبي رمثة البلوي رواه الدارقطني في الإفراد من رواية موسى بن إسماعيل،

....

عن حماد بن سالم، عن عاصم بن عبيدالله. وحديث يزيد بن أسد القسري رواه الخطيب من رواية خالد بن يحي بن سعيد بن خالد بن عبيدالله بن يزيد بن أسد القسري عن أبيه عن جده يزيد ابن أسد. وحديث عفان بن حبيب رواه الحاكم في تاريخ نيسابور من رواية ابنه داود ابن عفان عنه، وقال في عفان أنه كان ورد نيسابور مع عبدالله بن عامر. وحديث عائشة رواه ابن الشخير من رواية حصين الدمشقي عن أبي سلمة عنها. وحديث أم أيمن رواه الدارقطني من رواية بشر ابن عاصم عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عنها. وحديث سفينة رواه ابن المقري من رواية بريدة بن عمر بن سفينة عن أبيه عن جده. وحديث زيد بن ثابت رواه ابن الشخير من رواية الفضل بن عبدالله الفارسي عن محمد بن جابر عن ابن المنكدر عنه. وحديث كعب بن قطبة رواه أبو نعيم من رواية علي بن ربيعة عنه. وحديث جابر بن عابس ويقال حابس العبدي رواه ابن منده في معرفة الصحابة من رواية حصين بن حبيب عن أبيه عنه بلفظ: « من قال علي ما لم أقل ». ورواه أبو نعيم فقال حصين بن عمير عن أبيه عن جابر بن عابس بالعين. وحديث عبدالله بن زغب رواه أبو نعيم من رواية عبد الرحمن بن عائذ عنه. وحديث والد أبي العشراء رواه تمام في جزء له جمع فيه حديث أبي العشراء من رواية أبي عمير الضرير، حدثنا حماد ابن سلمة، عن أبي العشراء الدارمي عن أبيه، واسمه مالك بن قهطم على المشهور، وقد روي الحديث أيضاً عن النعمان بن بشير، والعباس بن عبد المطلب، وغزوان، ومالك بن عتاهية. وذكر ابن منده في مستخرجه أنه ورد أيضاً من رواية سمرة بن جندب، والنواس بن سمعان، وعبدالله بن الحرث ابن جزء، وعبدالله بن جعفر الهاشمي، وعبدالله بن جراد، وأبي بن كعب، وسلمان بن صرد، وعمرو بن الحق، وعمرو بن العاصي، وجندب بن عبدالله، وجهجاه الغفاري، وسبرة ومرة البهزي وسنجرة، وأبي أسيد وأبي أيوب، وحفصة بنت عمر، وخولة بنت حكيم.

وذكر ابن الجوزي في نسخة الموضوعات الأولى. رواه أحد وستون من الصحابة وقال في النسخة الثانية وهي أطول من الأولى رواه ثمانية وتسعون من الصحابة.

قال العراقي: وحكى النووي في شرح مسلم عن بعضهم انه رواه مائتان من الصحابة.

قلت: وقد روي أيضاً من حديث الرجل الذي من أسلم رواه الطبراني، وقد تقدم في ترجمة سلمان بن خالد الخزاعي وفي أوّله قصة هي سبب للحديث، وحديث الرجل الآخر الذي لم يسم رواه أحمد من رواية عمرو بن مرة عنه، والظاهر أنه ابن مسعود وقد تقدم، وحديث الآخر الذي لم يسم رواه ابن الجوزي في مقدمة الموضوعات من رواية خالد بن دريك عنه، وفيه عن رجل آخر لم يسم بلفظ آخر من رواية عبد الأعلى بن هلال الحمصي عنه، وبمجموع من ذكر يبلغ العدد إلى قريب من المائة.

الألفاظ أطم وأعظم لأنها مبطلة للثقة بالألفاظ، وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من

قال ابن الجوزي في الموضوعات بإسناده إلى أبي بكر محمد بن أحمد بن عبد الوهاب الاسفرايني: ليس في الدنيا حديث اجتمع عليه العشرة غير هذا الحديث.

قلت: وهذا قد ردّه العراقي فقال: ليس كذلك فقد ذكر الحاكم والبيهقي في حديث رفع اليدين في الصلاة رواه العشرة وقال إنه ليس حديث رواه العشرة غيره. وذكر أبو القاسم بن منده أن حديث المسح على الخفين رواه العشرة أيضاً اهـ.

ثم قال ابن الجوزي: ما وقعت لي رواية عبد الرحمن بن عوف إلى الآن اهـ.

قلت: قال العراقي حديث عبد الرحمن بن عوف رويناه من رواية ابنه ابراهيم عنه. وفي إسناده أحمد بن منصور الشيرازي أحد الحفاظ إلاّ أن الدارقطني رماه بأنه كان يدخل على الشيوخ أحاديث بمصر اهـ.

قلت: أورده الذهبي في الميزان ولفظه: أدخل عليّ جماعة من الشيوخ بمصر وأنابها وكان يتقرب إليّ ويكتب إليّ كتباً. وهكذا ذكره في ديوان الضعفاء. قال السيوطي في تحذير الخوّاص: لا أعلم شيئاً من الكبائر قال أحد من أهل السنّة بتكفير مرتكبه إلّا الكذب على رسول الله ﷺ، فإن الشيخ أبا محمد الجويني من أصحابنا وهو والد إمام الحرمين قال: إن من تعمد الكذب عليه ﷺ يكفر كفراً يخرجه عن الملة. وتبعه على ذلك طائفة منهم. الإمام ناصر الدين بن المنير من أئمة المالكية، وهذا يدل على أنه أكبر الكبائر لأنه لا شيء من الكبائر يقتضي الكفر عند أحد من أهل السنة اهـ.

وقال ابن الصلاح في علوم الحديث: لا تحل رواية الحديث الموضوع لأحد علم حاله في أي معنى كان إلا مقروناً ببيان وضعه بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التي يحتمل صدقها في الباطن حيث جاز روايتها في الترغيب وقال بعد ذلك: يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد، ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الحديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما، وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال اهـ.

قال السيوطي: وقد أطبق على ذلك علماء الحديث فجزموا بأنه لا يحل رواية الحديث الموضوع في أي معنى كان إلا مقروناً ببيان وضعه بخلاف الضعيف، فإنه يجوز روايته في غير الأحكام والعقائد، وممن جزم بذلك الشيخ النووي في الارشاد والتقريب، والبدر بن جماعة في المنهل الروي، والطيبي في الخلاصة، والسراج البلقيني في محاسن الاصطلاح، والزين العراقي في ألفيته وشرحها. **(بل الشر في تأويل هذه الألفاظ)** وصرفها عن ظواهرها **(أطم)** أي أزيد وأكثر **(وأعظم لأنها مبطلة للثقة بالألفاظ)** أي للوثوق بها، **(وقاطعة طريق الاستفادة والفهم**

القرآن بالكلية، فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق عن العلوم المحمودة إلى المذمومة فكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الأسامي، فإن اتبعت هؤلاء اعتماداً على الاسم المشهور من غير التفات إلى ما عرف في العصر الأول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيماً، فإن إسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم في هذا العصر، وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ.

(اللفظ الخامس): وهو الحكمة، فإن اسم الحكم صار يطلق على الطبيب والشاعر

من القرآن بالكلية)، وإذا تأملت ما ذكرنا (**فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق**) جمع داعية وهو ما يدعو الإنسان إلى الشيء (**عن العلوم المحمودة إلى**) العلوم (**المذمومة، وكل ذلك بتلبيس علماء السوء**) وتخليطهم الحق بالباطل (**بتبديل الأسامي**) وتفسيرها، (**فإن تبعت هؤلاء**) وسلكت سننهم (**اعتماداً على الإسم المشهور**) عندهم (**من غير التفات إلي ما عرف في العصر الأوّل**) ونهجه أهل الطريق الاعدل (**كنت كمن طلب الشرف بالحكمة**) الإلهية (**باتباع من يسمى حكيماً فإن اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم في هذا العصر، وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ.**

اللفظ الخامس، وهو الحكمة) إعلم أن لها تعريفاً عند أهل الشرع من الفقهاء، وتعريفاً عند أهل الحقيقة، وتعريفاً عند الحكماء.

فتعريفها عند الفقهاء قالوا: جاءت بإزاء معان كثيرة، فمنها النبوّة قال تعالى: ﴿وآتاه الله الملك والحكمة﴾ [البقرة: ٢٥١]، قيل النبوة على المشهور. ومنها السنّة كما في قوله تعالى: ﴿ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾ [البقرة: ١٥١] على أحد الأقوال. وقيل المراد علوم القرآن، وعلى هذا هو نظير قوله تعالى: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ [البقرة: ٢٦٩] على أحد الأقوال ومنها الموعظة كما في قوله تعالى: ﴿حكمة بالغة﴾ [القمر: ٥] ومنها الفهم المصيب كما في قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ [لقمان: ١٢] وهي تنقسم إلى قولية وفعلية، ولما أراد الله سبحانه أن يعرفنا كمال حكمته القولية ابتدأ سورة لقمان بقوله: ﴿الّم تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ ناصاً بذلك على الحكمة القولية وأدرج في أثنائها ما يدل بالتصريح والتلويح على كمال الحكمة الفعلية، وبسط سبحانه عقب كل من الأمرين ما هو كالدليل على المذكور وكالشرح والبيان لمجمله فقال سبحانه عقب الجملة الأولى الدالة على الحكمة القولية ﴿هدى ورحمة للمحسنين ★ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة يوقنون ★ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ [لقمان: ٣ ـ ٥]، وهذا تقرير الاستدلال على كمال حكمته سبحانه في وصفي الحكمة القولية والفعلية. والحكيم من وضع الأشياء مواضعها.

وأما تعريفها عند أهل الحقيقة؛ فإنها تطلق عندهم على حقائق حكم سنية. **الأولى:** الحكمة المطلقة وهي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه من حيث هي هي. **الثانية:** الحكمة المنطوق بها

والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على أكف السوادية في شوارع الطرق، والحكمة هي التي أثنى الله عز وجل عليها فقال تعالى: ﴿ يؤتي الحكمة مَن يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وقال ﷺ: « كلمة من الحكمة يتعلّمها الرجل خير

وهي العلوم الشرعية. **الثالثة:** الحكمة المسكوت عنها وهي أسرار الحقيقة. **الرابعة:** الحكمة المجردة وهي ما خفي علينا وجه الحكمة في إيجاده كإيلام بعض العباد وموت الأطفال والخلود في النار. **والخامسة:** الحكمة الجامعة وهي معرفة الحق والعمل به ومعرفة الباطل والاجتناب عنه.

وأما في اصطلاح الحكماء صناعة نظرية يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه وما عليه الواجب مما ينبغي أن يكتسب تعلمه لتشرف بذلك نفسه ويكمل ويصير عالماً فضولاً مضاهياً للعالم الموجود ويستعد للسعادة القصوى الأخروية، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية وهي قسمان، نظري وعملي مجرد. فالقسم النظري؛ هو الذي الغاية فيه الاعتقاد اليقيني بحال الموجودات التي لا تتعلق وجوداتها بفعل الإنسان، ولكن المقصود حصول رأي فقط مثل علم التوحيد وعلم الهيئة. والقسم العملي: هو الذي ليس الغاية منه حصول الاعتقاد اليقيني بالموجودات فقط، وإنما يكون المقصود منه حصول رأي في أمر يحصل بالكسب ليكتسب ما هو الخير منه، فغاية النظري اعتقاد الحق وغاية العملي فعل الخير كل ذلك ذكره شيخ مشايخنا أبو الحسن الطولوني في أماليه على البخاري، وقد ذكر ابن خلدون في مقدمة تاريخه تعريف الحكمة، وقسمها إلى العلمية والعملية والنظرية، وقسم كلاً منها إلى أقسام وذكر حكمة الإشراق والمشاءين وغير ذلك نقل ذلك كله يخرجنا عن المقصود، فمن أراد الزيادة فليراجع كتابه.
(فإن اسم الحكيم صار يطلق) الآن **(على الطبيب)** الماهر إذ الطب من جملة الصناعة النظرية **(والشاعر والمنجم)**، وكل هؤلاء من أقسام الفلسفة كما تقدم **(حتى على الذي يدحرج القرعة)** ويلقيها **(على أكف السوادية)** وهم الأكارون نسبوا إلى سواد الأرض وريفها لملازمتهم له **(في شوارع الطرق)** أي أسواقها، **(والحكمة)** في الحقيقة **(هي التي أثنى الله عز وجل عليها)** في كتابه العزيز على لسان نبيه ﷺ **(فقال: ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً)** وقد تقدم أن المراد بها علوم القرآن والسنّة أو الفهم المصيب والفطنة أو غير ذلك. قال صاحب القوت: النور إذا جعل في الصدر انشرح القلب بالعم ونظر باليقين فنطق اللسان بحقيقة البيان كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ [ص: ٢٠] أي الإصابة في القول فكأنه يوفقه للحقيقة عنده فحسن التوفيق والإصابة في العلم مواهب من الله عز وجل واثرة يخص بها من يشاء من عباده.

(وقال ﷺ: « كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها ») قال العراقي: تقدم بنحوه اهـ. وكأنه يشير إلى ما ذكره المصنف أولاً باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها، وذكر أنه موقوف على الحسن البصري أو إلى حديث كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة، وذكر أنه من مراسيل زيد بن أسلم،

له من الدنيا وما فيها ». فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه، وإلى ماذا نقل، وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء، فإن شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين. إذ الشيطان بواسطتهم يتذرع إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق، ولهذا لما سئل رسول الله ﷺ عن شر الخلق أبى وقال: « اللهم غفراً » حتى كرروا عليه فقال: « هم علماء السوء »، فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس وإليك الخيرة في أن تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور،

وقد أخرج الديلمي، عن أبي هريرة: كلمة حكمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة وسنده ضعيف. **(فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه)** في العصر الأول **(وإلى ماذا نقل)** الآن، **(وقس به بقية الألفاظ)** التي لم تذكر **(واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء)** وارهاصاتهم، **(فإن شرهم أعظم على الدين من شر الشياطين إذ الشيطان بواسطتهم)** أي بواسطة علماء السوء **(يتذرع)** أي يتخذ ذريعة أي وسيلة **(إلى انتزاع الدين)** وسلبه **(من قلوب الخلق)** أجمعين، **(ولهذا لما سئل ﷺ عن شر الخلق أبى)** أي امتنع من الجواب **(وقال: « اللهم غفراً »)** منصوب بفعل محذوف على أنه مفعول مطلق **(حتى كرر عليه)** في السؤال، **(ثم قال)** عليه السلام **(« هم علماء السوء »)**. قال العراقي: أخرجه الدارمي بنحوه من حديث الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلاً وهو ضعيف، ورواه البزار في مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف اهـ.

قلت: قال الدارمي في مسنده: حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا بقية، عن الأحواص بن حكيم: عن أبيه قال: سأل رجل النبي ﷺ عن الشر فقال: « لا تسألوني عن الشر واسألوني عن الخير » يقولها ثلاثاً. ثم قال: « إلا إن شر الشر شرار العلماء، وإن خير الخير خيار العلماء » وأحوص بن حكيم حمصي رأى أنساً وسمع خالد بن معدان وطاوساً وعنه بقية ومحمد بن حرب وعدة ضعيف. كذا في الكاشف للذهبي، وأشار عليه لابن ماجه، وأما أبوه فهو حكيم بن عمير العنسي الحمصي روى عن عمر وثوبان. وعنه ابنه أحوص ومعاوية بن صالح صدوق.

وأما حديث معاذ فقد أخرجه صاحب الحلية فقال: حدثنا أحمد بن يعقوب بن المهرجان، حدثنا الحسن بن محمد بن نصر، حدثنا محمد بن عثمان العقيلي، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الطغاوي، حدثنا الخليل بن مرة، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن مالك بن يخامر، عن معاذ بن جبل قال: تصديت لرسول الله ﷺ، وهو يطوف فقلت: يا رسول الله، أرنا شر الناس. فقال: « سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر. شرار الناس شرار العلماء في الناس ». ورواه البزار من رواية الخليل بن مرة وفيه تعرضت أو قال تصديت، وفيه وهو يطوف بالبيت، وفيه أي الناس شر، وفيه: اللهم غفراً سل عن الخير ولا تسأل عن الشر، والباقي سواء. والخليل بن مرة ضعيف. **(فقد عرفت العلم المحمود والمذموم)** وعرفت **(مثار الالتباس)** أي ما يوثر

وتتشبه بالخلف، فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس، وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث، وقد صح قول رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء». فقيل ومن الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي والذين يحيون ما أماتوه من سنتي». وفي خبر آخر: «هم المتمسكون بما أنتم

به الاختلاط **(وإليك الخيرة)** أي الاختيار **(في أن تنظر لنفسك)**، وفي بعض النسخ بعد قوله: مثار الالتباس والشك والحيرة، فانظر الآن أترى خيراً لنفسك **(فتقتدي بالسلف)** الصالحين **(أو تتدلى)** أي تنزل إلى أسفل متمسكاً **(بحبل الغرور)** أي الاغترار بما يوهمك إعجاباً **(وتتشبه بالخلف)** المتأخرين **(فكل ما ارتضاه السلف من العلوم)** الجليلة **(قد اندرس)** أثرها وعفا، **(وما أكب الناس عليه)** مشتغلين بتحصيله **(فأكثره)** في الحقيقة **(مبتدع محدث)** لم يكن يعرف فيما سلف.

قال صاحب القوت: اعلم أن العلوم تسعة، أربعة منها سنة معروفة من الصحابة والتابعين، وخمسة محدثة لم تكن تعرف فيما سلف، فأما الأربعة المعروفة، فعلم الايمان، وعلم القرآن، وعلم السنن، والآثار وعلم الفتاوى والأحكام. وأما الخمسة المحدثة؛ فالنحو والعروض وعلم المقاييس والجدل في الفقه وعلم المعقول بالنظر وعلم علل الحديث وتطريق الطرقات إليه وتعليل الضعفاء وتضعيف النقلة للآثار، فهذا العلم من المحدث إلا أنه علم لأهله يسمعه أصحابه منهم اهـ.

(وقد صح قول رسول الله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء») هكذا رواه مسلم وابن ماجه من رواية يزيد بن كيسان عن حازم عن أبي هريرة، ورواه مسلم من رواية عاصم بن محمد العمري، عن أبيه، عن ابن عمر بلفظ: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى حجرها»، وقال فيه البزار: فطوبى للغرباء. وروى الطبراني من رواية عيسى بن ميمون، عن عون بن شداد، عن أبي عثمان، عن سلمان مختصراً هكذا في قوله: كما بدأ. وروي في الأوسط من رواية عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري مثله إلى قوله: فطوبى للغرباء. وروى ابن ماجه من رواية سنان بن سعد عن أنس هكذا مختصراً.

وقال السخاوي في المقاصد؛ وأخرج البيهقي في الشعب من حدث شريح بن عبيد مرسلاً وفيه زيادة وهي: «الا إنه لا غربة على مؤمن من مات في أرض غربة غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض». **(فقيل: ومن الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي والذين يحيون ما أماتوه من سنتي»)** رويت هذه الزيادة من طرق. فأخرج الترمذي من رواية كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده رفعه، فذكر الحديث وفيه: «إن الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي» وقال: هذا حديث حسن.

عليه اليوم » وفي حديث آخر: « الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير، مَن يبغضهم في الخلق أكثر ممن يحبهم ». وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك

وروى عبدالله بن أحمد في زيادات المسند، والطبراني في الكبير من رواية إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة عن يوسف بن سليمان، عن جدته ميمونة، عن عبدالرحمن بن سنة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « بدأ الإسلام غريباً ثم يعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء ». قيل: يا رسول الله؛ ومن الغرباء؟ قال: « الذين يصلحون إذا فسد الناس ».

وأخرج الطبراني في معاجيمه الثلاثة من رواية بكر بن سليم الصواف، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي رفعه: « إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء ». قالوا: يا رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: « الذين يصلحون عند فساد الناس ».

وأخرج أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتاب صفة الغرباء والطبراني في الكبير من رواية عبدالله بن يزيد بن آدم الدمشقي، عن أبي الدرداء، وأبي أمامة، وواثلة وأنس رفعوه وفيه فقالوا: ومَن الغرباء؟ قال: « الذين يصلحون إذا فسد الناس ».

وأخرج أحمد، وأبو يعلى، والبزار في مسانيدهم من رواية أبي صخر، عن أبي حازم عن ابن سعد قال؛ وأحسبه عامر بن سعد. وقال أحمد وأبو يعلى سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الإيمان بدأ غريباً وسيعود » قال أحمد: غريباً ثم اتفقوا « كما بدأ فطوبى للغرباء يومئذ إذا فسد الناس » ولم يقل البزار يومئذ الخ. وقد عرف بمجموع ما سقناه أن قول المصنف والذين يحيون إلخ ليس في سياقهم للحديث المذكور ونظر المصنف أوسع.

وأخرج الترمذي، وابن ماجه من رواية أبي إسحاق عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود رفعه: « إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ». زاد الترمذي: « كما بدأ » ثم اتفقا « فطوبى للغرباء » زاد ابن ماجه قال قيل: ومن الغرباء؟ قال: « النزاع من القبائل » قال الترمذي: حسن صحيح غريب، أي الذين نزعوا عن أهلهم وعترتهم. قيل: وهم أصحاب الحديث فإن هذا المعنى صادق عليهم. قال المناوي: هو تخصيص بغير مخصص. وفي الباب عن عبدالله بن عمرو وأبي موسى الأشعري. **(وفي خبر آخر: « المتمسكون بما أنتم عليه اليوم »)** أي ورد ذلك في تفسير الغرباء المذكور في الحديث المتقدم. قال العراقي: لم أقف له على اسناد إلا أن في أثناء حديث أبي الدرداء وأبي امامة وواثلة وأنس، وفيما أخرجه الطبراني في الكبير، وأبو بكر الآجري في كتاب صفة الغرباء ذكر افتراق الأمم كلهم على الضلالة إلا السواد الأعظم. قالوا: ما السواد الأعظم؟ قال: « من كان على ما أنا عليه وأصحابي » الحديث اهـ.

قلت: وبه يصح حملهم على أهل الحديث كما لا يخفى.

(وفي حديث آخر: « الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم أكثر ممن يحبهم ») قال العراقي: رواه أحمد في مسنده، قال: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة،

قال الثوري رحمه الله: إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم انه مخلط، لأنه إن نطق بالحق أبغضوه.

(بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة)

اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام: قسم هو مذموم قليله وكثيره، وقسم هو محمود قليله وكثيره، وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل، وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه، وهو مثل أحوال البدن فإن منها ما

حدثنا الحرث بن يزيد، عن جندب بن عبدالله أنه سمع سفيان بن عوف يقول: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص يقول، قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده: « طوبى للغرباء » فقيل؛ من الغرباء يا رسول الله؟ قال: « أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم » وابن لهيعة مختلف فيه اهـ.

قلت: وهكذا أخرجه السيوطي في الجامع الكبير، عن ابن عمرو، وعزاه لأحمد بلفظ: « طوبى للغرباء أناس صالحون في أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم ». **(وقد صارت تلك العلوم)** المشار إليها **(غريبة)** عن أهلها **(بحيث يمقت)** أي يبغض **(ذاكرها)** بينهم، **(ولذلك قال)** سفيان بن سعيد **(الثوري)** رحمه الله تعالى: **(إذا رأيت العالم كثير الأصدقاء فاعلم أنه مخلط)** هكذا نقله صاحب القوت عنه. زاد المصنف **(لأنه إذا نطق بالحق أبغضوه)**.

قال ابن الجوزي في ترجمة سفيان بسنده إلى سليمان بن داود، حدثنا يحي بن المتوكل، سمعت سفيان الثوري يقول: إذا أثنى على الرجل جيرانه أجمعون فهو رجل سوء. قيل: كيف ذلك؟ قال: يراهم يعملون بالمعاصي فلا يغير عليهم ويلقاهم بوجه طلق.

وقال فضيل بن عياض: سمعت سفيان يقول: إذا رأيت القارىء محبباً إلى اخوانه محموداً في جيرانه، فاعلم أنه مداهن. وفي القوت، وقال أيضاً: إذا رأيت الرجل محبباً إلى اخوانه محموداً في جيرانه فاعلم أنه مراء. وفي تاريخ الذهبي قبيصة عن سفيان قال: كثرة الاخوان من سخافة الدين.

(بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة):

(اعلم أن العلم بهذا الاعتبار) الذي عرفته ينقسم على **(ثلاثة أقسام)** منها: **(قسم هو مذموم قليله وكثيره)** وقد ذكر ابن ساعد في إرشاد القاصد أن العلم من حيث هو علم ليس بمذموم، وإنما ذمه لعدم اعتبار الشروط التي تجب مراعاتها في العلم والعلماء، فإن لكل علم حداً لا يجاوز، ولكل عالم ناموس لا يخل به. **(قسم هو محمود قليله وكثيره)** نظراً إلى موضوعه وغاياته **(و)** هذا القسم **(كل ما كان أكثر كان أحسن وأفضل)** فإن ما حمدت عواقبه فالكثرة منه فضيلة حسنة. **(و)** منها **(قسم يحمد منه مقدار الكفاية)** لا غير **(ولا يحمد**

يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال، ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق، ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال، فإن التبذير لا يحمد فيه وهو بذل، وكالشجاعة فإن التهوّر لا يحمد فيها وإن كان من جنس الشجاعة، فكذلك العلم.

فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه في دين ولا دنيا إذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم، فبعضه لا فائدة فيه أصلاً، وصرف العمر الذي هو أنفس ما يملكه الإنسان إليه إضاعة، وإضاعة النفيس مذمومة. ومنه ما فيه ضرر يزيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطرٍ في الدنيا، فإن ذلك لا يعتد به بالإضافة إلى الضرر الحاصل عنه.

الفاضل) أي الزائد (**عليه)** ولا يحمد (**الاستقصاء فيه)** أي بذل الجهد لتحصيله على أقصى مراتب الكمال، (**وهو)** هذه الأقسام الثلاثة مثلها (**مثل أحوال البدن)** من الإنسان (**فإن منه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال)** . قال صاحب المصباح: الصحة في البدن حالة طبيعية تجري أفعاله معها على المجرى الطبيعي اهـ. والجمال رقة الحسن ذكره سيبويه. وقال الراغب: هو الحسن الكثير، (**و)** منه (**ما يذم قليله وكثيره كالقبح)** أي قبح الصورة (**وسوء الخلق)** فإنهما مذمومان كذلك، فالقبح ذمه نظراً إلى الظاهر وسوء الخلق نظراً إلى الباطن كما أن الجمال محمود مطلقاً نظراً إلى الظاهر وهو يقتضي غالباً حسن الخلق وصحة البدن نظراً إلى الباطن، (**ومنه ما يحمد الاقتصاد)** أي التوسط. (**فيه كبذل المال)** أي صرفه، (**فإن التبذير)** وهو بذله في غير موضعه (**لا يحمد فيه)** أي في المال (**وهو بذل)** في الجملة، (**وكالشجاعة)** وهي هيئة حاصلة للقوة الغضبية بها يقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها، (**فإن التهور)** وهو الوقوع في أمر بقلة مبالاة وفكر (**لا يحمد)** لكونه على غير بصيرة فيه (**وإن كان من جنس الشجاعة)**، وقال بعض: الشجاعة ما بين التهور والجبن، (**فكذلك العلم)** فإن القدر المذموم منه ولو كان من جنسه إلا أنه لا يحمد.

(**فالقسم المذموم قليله وكثيره ما لا فائدة فيه)** ولا عاقبة حميدة (**في دين ولا دنيا إذ فيه ضرر)** إما بصاحبه أو بغيره (**يغلب نفعه كعلم الطلسمات والسحر والنجوم)** والكيمياء والسيمياء والشعبذة وما أشبهها، (**فبعضه لا فائدة فيه أصلاً وصرف العمر الذي هو أنفس ما يملكه الإنسان إليه)** أي إلى تحصيل مثله (**إضاعة)** له وقالوا: الوقت سيف إن لم تقطعه في الخير قطعك، (**وإضاعة النفائس مذمومة)** عند أهل الحق، (**ومنه ما فيه ضرر يزيد)** ويظهر (**على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطر)** أي حاجة أو نفع (**في الدنيا فإن ذلك لا يعتد به)** ولا يعتبر (**بالإضافة)** أي بالنسبة (**إلى الضرر الحاصل منه)** . قال ابن ساعد: ومن الوجوه الموهمة كون العلم ضاراً أن يظن بالعلم فوق غايته، أو فوق مرتبته، أو أن يقصد بالعلم غير غايته وأن يتعاطاه من ليس من اكفائه.

وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله، وسنّته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا، فإن هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة، وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب، فإنه البحر الذي لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم، وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون في العلم

(وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء، فهو العلم بالله سبحانه وبصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وترتيب الآخرة على الدنيا)، وهو علم اليقين والمعرفة والتبصر في فقه القلوب، وكان سهل يقول: العلم ثلاثة. علم بالله، وعلم لله، وعلم بحكم الله. أشار بالأول إلى علم اليقين، وبالثاني الى علم الإخلاص والأحوال والمعاملات، وبالثالث إلى تفصيل الحلال والحرام، **(فإن هذا علم مطلوب لذاته)** لشرف موضوعه وأشار إلى سرّ غايته بقوله. **(وللتوصل إلى سعادة الآخرة)** الباقية **(وبذل المقدور)** أي صرفه **(فيه)** أي في تحصيله **(إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب، فإنه البحر)** الزاخر **(الذي لا يدرك)** آخره ولا يسبر **(غوره وإنما يحوم)** أي يدور ويطوف **(المحومون)**. وفي نسخة: الحائمون. يقال: حام على الماء إذا ورده، وكذلك حوّم **(على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم، وما خاض أطرافه)** المنتهية **(إلا الأنبياء)** صلوات الله عليهم وسلامه **(والأولياء)** في عباده الصالحين **(والراسخون في العلم)**.

قال أبو يزيد البسطامي خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله. قال أبو العباس المرسي: إنما يشكو بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء، ومراده أن الأنبياء خاضوا بحر التوحيد ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق إلى الخوض. أي: فلو كنت كاملاً لوقفت حيث وقفوا. قال ابن عطاء الله: وهذا الذي فسّر به الشيخ كلام أبي يزيد هو اللائق بمقام أبي يزيد، فإن المشهور عنه التعظيم لمراسم الشريعة والقيام بكمال الأدب، ثم ان هذه العبارة التي ذكرها المصنف من ذكر الأولياء بعد الأنبياء وتقديمهم على العلماء الراسخين سيأتي نظيرها في ذكر معرفة الله والعلم به أن الرتبة العليا في ذلك للأنبياء، ثم للأولياء العارفين، ثم للعلماء الراسخين، ثم للصالحين، فقدم الأولياء على العلماء وفضلهم عليهم، وقد سئل عن ذلك العز بن عبد السلام هل هو صحيح أم لا ؟ فأجاب: لا يشك عاقل أن العارفين بما يجب لله من أوصاف الجلال ونعوت الكمال أفضل من العارفين بالأحكام، فإن العارفين بالله أفضل من أهل الفروع والأصول، وكيف يسوي بين العارفين والفقهاء والعارفون أفضل الخلق وأتقاهم لله سبحانه، وأما قوله تعالى: ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر: ٢٨]، فإنما أراد العارفين به وبصفاته وأفعاله دون العارفين بأحكامه، ولا يجوز حمل ذلك على علماء الأحكام، لأن الغالب عليهم عدم الخشية وخبر الله تعالى صدق، ولا يحمل إلا على من عرفه وخشيه هذا حاصل ما قاله في الجواب

على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوّتهم وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم، وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب، ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة، كما سيأتي علامتهم هذا في أوّل الأمر ويعين عليه في الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد، ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد، فالمجاهدة مفتاح الهداية، لا مفتاح لها سواها.

(على اختلاف درجاتهم) عند الله تعالى **(بحسب اختلاف قربهم)** منه سبحانه **(وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم، وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب)** وهو المشار إليه في الحديث المتقدم إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله» الحديث. وهذا من جملة المواضع التي أنكر عليه أبو عبدالله المازري وغيره من المالكية وتقدم الجواب عنه في مقدمة الكتاب **(ويعين على التنبه له)** والتفطن لأسراره **(التعلم)** من أهله بشروطه **(ومشاهدة أحوال علماء الآخرة)**. قال صاحب القوت: وكان ذو النون يقول اجلس إلى من تعلمك أفعاله ولا تجلس إلى من يخاطبك مقاله، وقد كان طائفة يصحبون كثيراً من أهل المعرفة للتأدب والنظر إلى هديهم وأخلاقهم، وإن لم يكونوا علماء لأن التأدب يكون بالأفعال، والتعلم يكون بالمقال. **(هذا في أول الأمر)** وابتدائه حين شروعه في السلوك **(ويعين عليه في الآخر)** أي آخر الأمر **(المجاهدة)** في النفس **(والرياضة)** الشرعية بمنعها عن كل ما تميل إليه من المباحات **(وتصفية القلب)** عن الأوصاف الذميمة **(وتفريغه)** أي تخليته **(عن علائق الدنيا)** وشواغلها الصارفة عن الحضور مع الله تعالى **(والتشبه فيه)**. وفي نسخة: فيها **(بأنبياء الله تعالى وأوليائه)** والصالحين من أخصائه **(ليتضح منه لكل ساع إلى طلبه)** أي مطلوبه **(بقدر الرزق)** أي بقدر ما رزقه الله تعالى ويسّر له في نصيبه من الأزل **(لا بقدر الجهد)** والاستطاعة، **(ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد)** وبذل الوسع **(فالمجاهدة مفتاح الهداية)** قال الله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] **(لا مفتاح لها)** أي لا بواب الهداية الربانية **(سواها)** أي سوى المجاهدة، ولنذكر هنا ما يتعلق بالمجاهدة والجهاد ونبين مراتب ذلك ليكون السالك على بصيرة.

قال ابن القيم في الهدي النبوي: الجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين. فجهاد النفس؛ أربع مراتب أيضاً، **إحداها:** أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح له ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين. **الثانية:** أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها. **الثالثة:** أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه لمن لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله. **الرابعة:** أن

وأما العلوم التي لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص، فهي العلوم التي أوردناها في فروض الكفايات، فإن في كل علم منها اقتصاراً وهو الأقل، واقتصاداً وهو الوسط،

يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله، وإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق ويعمل به ويعلمه، فمن علم وعمل وعلّم فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماء.

وأما جهاد الشيطان فمرتبتان. **إحداهما**: جهاده على رفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان، **والثانية**: جهاده على دفع ما يلقى إليه من الإرادات والشهوات، فالجهاد الأول يكون بعد اليقين، والثاني بعد الصبر قال تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ [السجدة: ٢٤]، فأخبر أن إمامة الدين إنما تنال بالصبر واليقين، فبالصبر تدفع الشهوات والإرادات واليقين يدفع الشكوك والشبهات.

وأما جهاد الكفار والمنافقين؛ فأربع مراتب بالقلب واللسان والمال والنفس. وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص بالبيان. وأما جهاد أرباب الظلم والمنكرات والبدع فثلاثة مراتب. الأولى باليد إذا قدر فإن عجز انتقل إلى اللسان فإن عجز جاهد بقلبه، فهذه ثلاث عشرة مرتبة من الجهاد، ثم قال: وفرض عليه جهاد نفسه في ذات الله وجهاد شيطانه وهذا كله فرض عين لا ينوب فيه أحد عن أحد. وأما جهاد الكفار والمنافقين فقد يكتفي فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصوده وأكمل الخلق عند الله من كمل مراتب الجهاد كلها والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله تعالى تفاوتهم في مراتب الجهاد، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله تعالى خاتم أنبيائه ورسله، فإنه كمل مراتب الجهاد وجاهد في الله حق جهاده ﷺ، ثم قال: والمقصود إن الله تعالى اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس ويبتليها ويخلصها بكثير الامتحان كالذهب الذي لا يصفو ولا يخلص من غشه إلا بالامتحان إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية، فإن خرج في هذه الدار وإلا ففي كير جهنم، فإذا هذب العبد ونقي أذن له في دخوله الجنة اهـ.

وهذا هو الذي أشار إليه الشيخ بالمجاهدة والرياضة ليكون بها أهلاً للدخول في حضرة المشاهدة، ومن جاهد في الله هدي إلى صراط مستقيم وفاز بالنعيم المقيم.

(**وأما العلوم التي لا يحمد منها**) للمشتغل (**إلا مقدار مخصوص**) لا يتجاوز عنه، (**فهي العلوم التي أوردناها**) ببيانها (**في فروض الكفايات**) في أوّل الباب، (**فإن في كل علم**) وفي بعض النسخ فإن لكل علم (**منها اقتصاراً**) على القدر الواجب (**هو الأقل**) مما يحتاج إليه (**واقتصاداً هو الوسط**) بتحريك السين وهو ماله طرفان متساويا القدر، ويقال ذلك في الكمية المتصلة كالجسم الواحد، وفي الكمية المنفصلة كشيء يفصل بين جسمين والطرفان قد يكونان مذمومين فيستعمل استعمال القصد المصون من الإفراط والتفريط فيمدح به، وتارة

واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مردّ له إلى آخر العمر، فكن أحد رجلين: إما مشغولاً بنفسك وإما متفرغاً لغيرك بعد الفراغ من نفسك، وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك، فإن كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك، وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم، وإنما الأهم الذي أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم، إذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها، وجميع ذلك مهلكات، وإهمالها مع الاشتغال بالأعمال الظاهرة

يقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر، **(واستقصاء وراء الاقتصاد)** وهي المرتبة الثالثة **(لا مردّ له إلى آخر العمر)** أي شيء لا نهاية له يعجز العمر عن تحصيله، **(فكن أحد رجلين)** وفي نسخة: أحد الرجلين **(إما)** رجل **(مشغول بنفسك)** في إصلاحها **(وإما)** رجل **(متفرغ إلى غيرك بعد الفراغ من نفسك)** وفي بعض النسخ أما مشغولاً وإما متفرغاً بالنصب فيهما **(وإياك)** ثم إياك **(أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك)**، فإن إصلاح النفس مقدم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول. قال صاحب القوت: العبد يسئل غداً فيقال ماذا عملت فيما علمت ولا يقال له فيما علم غيرك اهـ. فالاشتغال بما يصلح علم الغير قبل الاشتغال بما يصلح النفس مضر مهلك كيف، وقد قال الله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان﴾ [الروم: ٥٦] ففرق بينهما فمن أوتي إيماناً ويقيناً أوتي علماً كما أن من أوتي علماً نافعاً أوتي إيماناً، وهذا لا يحصل إلا بمعرفة خواطر النفس وإزالة ما يهلكها، **(فإن كنت مشغولاً بنفسك)** بإصلاحها، وفي نسخة: فإن كنت المشغول بنفسك **(فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عليك)** ما فرض الله عليك **(بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة)** المتعلقة بالجوارح **(من تعلم الصلاة والطهارة والصوم)** وما يصحح كلا من ذلك وما يفسده وقدم الصلاة هنا في الذكر لكونها المقصود الأعظم، وإن كانت الطهارة تتقدمها تقدم الوسائل، وكذا تعلم الحج إن وجب عليه وغير ذلك، **(وإنما الأهم الذي أهمله الكل)** وأعرضوا عنه **(علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم)** إذ علم الألسنة والفتيا مردود إلى علم القلوب وقد درس معرفة هذا العلم فصار كل من نطق بكلام غريب على السامعين لا يعرف حقه من باطله سمي عالماً، وكل كلام مستحسن زخرف رونقه لا أصل له يسمى صاحبه عالماً لجهل العالم بالعلم أي شيء هو. **(إذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة)** التي ركبت فيه **(من الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها)** مما سيأتي بيانها في المهلكات، **(وجميع ذلك)** صفات **(مهلكات)** للإنسان **(وإهمالها)** رأساً **(مع الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي)** أي يشابه **(الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب)** والحكة

يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والدماميل والتهاون بإخراج المادة بالفصد والإسهال، وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الأطباء بطلاء ظاهر البدن، وعلماء الآخرة لا يشيرون إلا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بإفساد منابتها وقلع مغارسها من القلب، وإنما فزع الأكثرون إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب، كما يفزع إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في المواد وتتضاعف به الأمراض، فإن كنت مريداً للآخرة وطالباً للنجاة وهارباً من الهلاك الأبدي فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات، ثم ينجر بك ذلك إلى المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة، فإن القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود، والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف

(والدماميل) جمع دمل وهو الخرّاج **(والتهاون باخراج المادة)** التي نشأ منها ذلك العارض **(بالفصد)** وهو إخراج الدم وفي معناه الحجامة بحسب اختلاف أمزجة البلاد **(والإسهال)** بالأدوية المناسبة لإخراج تلك المادة **(وحشوية العلماء)** وهم الذين يقتنعون بالقشر عن اللباب وينظرون إلى ظاهر الأمور دون الاطلاع على الأسرار الباطنة **(يشيرون بالأعمال الظاهرة)** ويحثون الناس على تحصيلها **(كما يشير الطرقية من الأطباء)** وهم الذين يجلسون على الطرق ويداوون الناس على جهل منهم **(بطلاء ظاهر البدن)** فيما لا يتم النفع به، **فهؤلاء** علماء الدنيا الذين يتأكلون الدين بالدنيا، **(و)** أما **(علماء الآخرة)** فإنهم **(لا يشيرون)** على الناس **(إلا بتطهير الباطن)** كما أن الكمل من الأطباء لا يشيرون على المرضى إلا بمداواة الباطن، **(وقطع مواد الشر بإفساد مبانيها)** وفي نسخة: منابتها **(و)** هو المناسب لقوله: **(قلع مغارسها)** والضمير فيها راجع إلى مواد الشر **(من القلب)**، ثم اعتذر عنهم فقال: **(وإنما فزع الأكثرون)** من العلماء والتجأوا **(إلى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلب)** وتزكيته **(لسهولة أعمال الجوارح)** على كل أحد **(واستصعاب أعمال القلوب)** لتوقفها على وجود مرشد كامل يريه الطرق، **(كما يفزع إلى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرة)** المنفرة **(فلا يزال)** من حاله كذلك **(يتعب في الطلاء)** الظاهر **(وتزيد المواد)** وتجتمع في أعماق البدن **(وتتضاعف الأمراض)** فيكون سبباً لإهلاك البدن بالمرة، **(فإن كنت مريداً للآخرة وطالباً للنجاة)** من الهلاك **(وهارباً من هلاك الأبد فاشتغل بعلم العلل الباطنة)** وكيف طروّها على القلب، **(و)** معرفة **(علاجها)** في إزالتها **(على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجر ذلك بك إلى)** معرفة **(المقامات المحمودة المذكور في ربع المنجيات)** والتحلي بها **(لا محاله، فإن القلب إذا فرغ)** أي خلا **(من)** الخلق **(المذموم امتلأ بالمحمود)** كما قالوا: القلب إذا خلا من الكفر دخله الإيمان وضرب لذلك مثلاً لأجل فهم العامة فقال:

الزروع والرياحين، وإن لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذاك، فلا تشتغل بفروض الكفاية لا سيما وفي زمرة الخلق من قد قام بها، فإن مهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه، فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب إذا همّت به. وإن تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدناً لك وعادة متيسرة فيك وما أبعد ذلك منك ـ فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها، فابتدىء بكتاب الله تعالى ثم بسنّة رسوله ﷺ، ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ، والمفصول والموصول، والمحكم

(فالأرض إذا نقيت) ونظفت **(من الحشيش)** الذي يضر بالأرض ويأخذ قوتها ولا ينتفع به **(نبتت فيها)** أي صلحت لأن تنبت فيها **(أصناف الزروع)** المنتفع بها، **(و)** أنواع **(الرياحين)** الطيبة، **(فإن لم يفرغ)** أي إن لم يخل القلب **(من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات)** اشتغالاً كلياً **(لاسيا وفي الخلق من قد قام به)** كثيراً وهي فيها صلاح الغير، **(فإن مهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه)** ناقص العقل والرشد **(فما أشد حماقة)** أي فساداً في العقل **(منْ دخلت الأفاعي)** وهي الحيات **(والعقارب داخل ثيابه وهمت)** أي قصدت **(بقتله)** بالنهش واللسع **(وهو يطلب)** لنفسه **(مذبة)** وهي بكسر الميم المنشة **(يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه)** ولا يخلصه **(مما يلاقيه من)** ضرر **(تلك الحيات والعقارب إذا هممن)** وقصدت إتلافه، **(فإن تفرغت من)** النظر إلى **(نفسك وتطهيرها وقدرت)** بتوفيق الله تعالى وحسن إعانته **(على ترك ظاهر الإثم وباطنه)**. قال السمين: ظاهر الإثم ما يطلع عليه الخلق وباطنه ما يختص بعلمه تعالى **(وصار ذلك ديدناً لك وعادة متيسرة)** أي مسهلة **(فيك وما أبعد ذلك)** عنك إلاَّ أن صادفتك العناية الربانية، **(فاشتغل بفروض الكفايات)** حينئذ **(وراع التدريج)** والترتيب **(فيها)** وقدم الأهم فالأهم بحسب الاقتضاء، **(فابدأ بكتاب الله تعالى)** بالترتيل والتدبير في معانيه وحكمه وإشاراته، **(ثم سنّة رسول الله ﷺ)** بتلقيها عن أربابها حفظاً في كل منها وضبطاً، **(ثم بعلم التفسير)** بما تيسر لك من الكتب المؤلفة فيه كما سيأتي بيانها وإياك ثم إياك من مطالعة مثل الكشاف وتفسير الفخر، ففي كل منها إشكالات وتشكيكات لا ينبغي سماعها، فإنها تحير وتمرض وتردي ولا تشفي غليلاً، وأقوال السلف في التفسير مليحة لكنها ثلاثة أقوال وأربعة أقوال، فيضيع الحق بين ذلك، فإن الحق لا يكون في جهتين، وربما احتمل اللفظ معنيين فأكثر عبر كل منهم عن واحد منها فهذا لا بأس به. **(وسائر علوم القرآن)** المتعلقة به **(من علم الناسخ والمنسوخ)**. قال الراغب: النسخ إزالة شيء بشيء يعقبه، فتارة يفهم منه الإزالة، وتارة يفهم منه الاثبات، وتارة الأمران ونسخ الكتاب إزالة حكم بحكم يعقبه. وقال الأصوليون:

والمتشابه وكذلك في السنّة، ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون

النسخ رفع الحكم الشرعي بخطاب، وقد ألف في ناسخ القرآن ومنسوخه مكي بن أبي طالب القيسي، وأبو جعفر النحاس، وأبو بكر بن العربي، وأبو داود السختياني، وأبو عبيدة القاسم بن سلام، وأبو سعيد عبد القاهر بن طاهر التميمي، وأبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي المفسر، وأبو الحسين بن المناوي، والجلال السيوطي وغيرهم **(والمفصول والموصول)** وقد ألف فيه مكي بن أبي طالب القيسي وغيره، **(والمحكم والمتشابه)** المحكم ما خلا المراد به على التبديل والتغيير أي التخصيص والتأويل والنسخ كقوله تعالى: ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ [العنكبوت: ٦٢] والنصوص الدالة على ذات الله وصفاته لأن ذلك لا يحتمل النسخ، فإن اللفظ إذا ظهر منه المراد، فإن لم يحتمل النسخ فمحكم وإلّا فإن لم يحتمل التأويل فمفسر، وإلاَّ فإن سيق الكلام لأجل ذلك المراد فنص، وإلاَّ فظاهر وإذا خفى فإن خفي لعارض أي لغير الصيغة فخفي وان خفي أي لنفس الصيغة وأدرك عقلاً فمشكل أو نقلاً فمهمل أو لم يدرك أصلاً فمتشابه، وأوّل من ألف في متشابه القرآن الكسائي كما قاله السيوطي في الاتقان، وقد نظمه أبو الحسن السخاوي المقري، ومن الكتب المؤلفة فيه البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان للبرهان أبي القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرماني المقري الشامي المعروف بتاج القراء، ودرة التأويل في متشابه التنزيل لأبي القاسم حسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصبهاني، ودرة التنزيل وغرة التأويل للإمام فخر الدين الرازي، وكشف المعاني للبدر بن جماعة، وقطف الأزهار للجلال السيوطي وغيرها، وكل ذلك من فروع علم التفسير، لكن آكدها وأهمها معرفة علم الناسخ والمنسوخ. **(وكذلك في السنّة)** من الناسخ والمنسوخ والمتشابه، فممن ألف في ناسخ الحديث ومنسوخه أبو محمد قاسم بن أصبغ القرطبي، وأبو بكر محمد بن عثمان المعروف بالجعد الشيباني أحد أصحاب ابن كيسان، وأحمد بن إسحاق الأنباري، وأبو جعفر النحاس، وأبو بكر الحازمي، وأبو القاسم هبة الله بن سلامة المفسر، وأبو حفص عمر بن شاهين البغدادي، والإمام أبو القاسم القشيري، ومحمد بن بحر الأصبهاني، وبدل بن أبي المعمر التبريزي وآخرون. وممن جمع بين متشابه القرآن والحديث شمس الدين محمد بن اللبان في مجلد صغير نافع في بابه قال: بدل بن أبي المعمر في كتابه المذكور أوّل من دوّن في علم ناسخ الحديث ومنسوخه الزهري، ثم لا نعلم أحداً جاء بعده تصدى لهذا الفن ولخصه إلاَّ ما يوجد من بعض الإيماء في عوص الكلام عن آحاد الائمة حتى جاء الإمام أبو عبدالله الشافعي، فإنه كشف أسراره واستفتح بابه، ثم ذكر بسنده إلى عبد الرحمن السلمي أنه مرَّ على قاص فقال: تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال هلكت وأهلكت، ومثل ذلك قد روي عن ابن عباس أيضاً، ثم قال: والآثار في هذا الباب كثيرة، وإنما أوردنا نبذة منها لتعلم شدة اعتناء الصحابة بمعرفة الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ إذا شأنهما واحد، **(ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه)** مما يتعلق بالعبادات الظاهرة، ومما تحتاج إليه **(دون)** السلم والكفارات والإيمان والنذور والظهار والإجارة ودون **(الخلاف)** والجدل مع مخالفى المذهب، **(ثم أصول الفقه)** على قدر مسيس

الخلاف، ثم بأصول الفقه، وهكذا إلى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت، ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلباً للاستقصاء، فإن العلم كثير والعمر قصير، وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها، وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه، فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به، ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث، ودع التعمق فيه، واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنّة فما من علم إلّا وله اقتصار

الحاجة، وهذا إن تطلعت نفسك إلى مرتبة الاجتهاد وانفت التقليد لإمامك، وأما إن زعمت أن الاجتهاد قد انقطع فلا فائدة في تعلم هذا العلم إلا لمن يصير محصله مجتهداً به، فإذا عرفه ولم يفك تقليد إمامه لم يصنع شيئاً، بل أتعب نفسه وركب على نفسه الحجة في مسائل وإن كان تحصيله لأجل الوظائف وليقال، فهذا من الوبال وضرب من الخبال والكتب المؤلفة فيه كثيرة تغني شهرتها عن ذكرها، فمن الكتب المتوسطة فيه المنار للنسفي، وجمع الجوامع لابن السبكي، والمنهاج للبيضاوي. **(وهكذا إلى بقية العلم على ما يتسع لك العمر ويساعد فيه الوقت)** وتحتاج إليه مع زيادة ونقص حسب اقتضاء الحال، **(ولا تستغرق عمرك في فن واحد منه)** أي مما ذكر حاله كونك **(طالباً الاستقصاء)** فيه والبلوغ إلى نهايته، **(فإن العلم كثير)** بأقسامه وأنواعه **(والعمر قصير)** فخذ من كل شيء أحسنه **(وهذه العلوم)** التي ذكرناها كلها **(آلات)** ووسائل **(ومقدمات)** يصل بها الإنسان إلى المقاصد، **(وليست)** هي **(مطلوبة بعينها)** أي لذاتها **(بل لغيرها)** التي هي المقاصد **(وكلما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب)** الأعظم **(ويستكثر منه فاقتصر من علم اللغة على)** قدر **(ما تفهم به كلام العرب وتنطق به)**، فعليك بمطالعة مختصر الصحاح للرازي والمصباح للفيومي، وإن أردت الزيادة فلا تعدون عيناك عن الصحاح للجوهري، أو العباب للصاغاني، أو المجمل لابن فارس، وإن أردت الزيادة فالقاموس المحيط للفيروزابادي الجامع للغات العرب فصحيحه وغريبه وحواشيه أو التهذيب للأزهري أو المحكم لابن سيده، **(و)** اقتصر **(من غريبه)** أي علم اللغة **(على غريب القرآن وغريب الحديث)**. **قال الخطابي**: الغريب من الكلام هو الغامض البعيد من الفهم وهو على وجهين. **أحدهما**: أن يراد به انه بعيد المعنى غامضه لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر، **والثاني**: أن يراد به كلام من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من كلامهم استغربناها اهـ.

ومن الكتب المؤلفة في غريب القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى والعزيزي، وأما غريب الحديث فقد اعتنى كثيرون بتأليفه وتهذيبه أشهرهم الحرمي، وأبو عبيد، وأبو موسى المديني، وممن جمع بينهما أبو سليمان الخطابي، وأبو عبيد الهروي، وابن الأثير صاحب النهاية، والزمخشري في الفائق وغير هؤلاء. **(ودع التعمق فيه)** فإنه لا نهاية له **(واقتصر من)** علم **(النحو على**

واقتصاد واستقصاء ونحن نشير إليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها، فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار، كما صنفه علي الواحدي النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن، كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مردّ له إلى انتهاء العمر.

وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخه على رجل خبير بعلم متن الحديث.

ما يتعلق بالكتاب والسنّة) بقراءة كتاب صغير فيه كمقدمة الآجرومية مثلاً، وان أردت الزيادة فيه فالكافية لابن الحاجب، أو الالفية لابن مالك، ثم مراجعة شروح كل من ذلك، وأما الإكثار منه فإنه يـورث الجمود في القلب كما نقله صاحب القوت. وقال الذهبي: الاكثار منه يورث التحامق والتكبر على الناس (**فما من علم إلاّ وله**) ثلاث مراتب (**اقتصار واقتصاد واستقصاء**) وفي الأولين جناس محرف، (**ونحن نشير إليها**) أي إلى تلك المراتب (**في الحديث والتفسير والفقه والكلام**) ذكر الثلاثة الأول لشرفها، وذكر علم الكلام لشهرته أو نظراً إلى الأصل باعتبار الموضوع وهو أشرف من علم الفقه (**ليعبر بها عن غيرها**) وفي بعض النسخ لتقيس بها غيرها، (**فالاقتصار في**) علم (**التفسير**) تحصيل (**ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار**)، وفي بعض النسخ: ما يبلغ في المقدار ضعف القرآن وفي أخرى نصف القرآن وهو خطأ (**كما صنفه**) الشيخ الإمام أبو الحسن (**علي**) بن أحمد بن محمد بن علي (**الواحدي**) المفسر (**النيسابوري**) أصله من ساوة كان واحد عصره في التفسير لازم أبا إسحاق الثعلبي المفسر، وأخذ العربية عن أبي الحسن القهنوزي الضرير، واللغة عن أبي الفضل العروضي صاحب الازهري، وسمع الحديث عن أبي محمش الزيادي، وأبي بكر الحيري، وخلق روى عنه أحمد بن عمر الأرغياني، وعبد الجبار بن محمد الخواري وآخرون. صنف التصانيف الثلاثة في التفسير البسيط والوسيط والوجيز، وأسباب النزول والتحبير في شرح الأسماء الحسنى، وشرح ديوان المتنبي، وكتاب الدعوات، وكتاب المغازي، وكتاب الأعراب في الإعراب، وكتاب تفسير النبي ﷺ، وكتاب نفي التحريف عن القرآن الشريف توفي بنيسابور في جمادى الأخيرة سنة ٤٦٨. (**وهو الوجيز**) أحد كتبه الثلاثة وعلى نمطه تفسير الجلالين (**والاقتصاد**) فيه (**ما يبلغ ثلاثة أضعاف**). وفي نسخة: أرباع (**القرآن**) في المقدار، (**كما صنفه من الوسيط فيه**) وهو الكتاب الثاني من كتبه، وعلى أسماء هذه الكتب الثلاثة سمى المصنف كتبه الثلاثة في الفقه كما سيأتي بيانها (**وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه ولا مردّ له إلا انتهاء العمر**) وفي نسخة إلى آخر العمر، وهذا الذي ذكره بالنظر إلى زمانه، وأما الآن فلا يعرف من تلك الكتب شيء فالاقتصار الآن فيه تفسير الجلالين، والتوسط فيه تفسير الخطيب الشربيني، وتفسير ملاّ علي، ومن أراد الزيادة فيه فتفسير أبي السعود، والمدارك للنسفي، وتفسير القاضي البيضاوي.

(**وأما**) علم (**الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما في الصحيحين**) صحيح الإمام أبي

وأما حفظ أسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك، ولك أن تعوّل على كتبهم، وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلاً تقدر منه على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة، وأما الاقتصاد فيه فان تضيف إليها ما خرج عنهما مما ورد في المسندات الصحيحة، وأما الاستقصاء فما وراء ذلك إلى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم.

وعبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزيه الجعفي مولاهم البخاري، وصحيح الإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رحمهما الله تعالى، ويعرفان بالصحيحين لاتفاق الأمة على قبول ما فيهما (**بتصحيح نسخة**) منهما (**على رجل خبير**) من الحفاظ أو المحدثين (**بعلم متن الحديث**) على أحد رواه الكتابين. أما البخاري؛ فاتصلت رواية كتابه من طريق المستملي، والسرخسي، والكشميهني، وابن علي بن السكن، والأخسيكني، وأبي زيد المروزي، وأبي علي بن شبويه، وأبي أحمد الجرجاني، والكشاني وهو آخر من حدّث عن الفربري بالصحيح، وأما مسلم، فالمشهور من رواة كتابه إبراهيم بن سفيان الزاهد، ورواه عنه أيضاً مكي بن عبدان وأبو حامد بن الشرقي، وأبو محمد القلانسي.

(**وأما حفظ أسامي الرجال**) المذكورة فيهما (**فقد كفيت فيه ما تحمله غيرك**) وفي بعض النسخ قد يكفيك فيه ما حمله عنك (**من قبلك**) كأبي طاهر المقدسي وغيره ممن صنف في أسماء رجالها (**ولك أن تعوّل**) وتعتمد (**على كتبهم**) في المراجعة عند الاشتباه (**وليس يلزمك**) أيضاً (**حفظ متون الصحيحين**) على ظهر قلبك، (**ولكن**) المطلوب (**أن تحصله تحصيلاً تقدر**) به (**على طلب ما تحتاج إليه عند الحاجة**) وهو في كتاب مسلم أسهل من كتاب البخاري لتفريقه الحديث الواحد في مواضع شتى. (**وأما الاقتصاد فيه؛ فإن تضيف إليها ما خرج عنها مما أورد في المسندات الصحيحة**) وفي نسخة: في مسندات الصحيح أي كبقية السنن الأربعة والمستخرج عليها للحافظ أبي نعيم وللإسماعيلي، ولابن منده. (**وأما الاستقصاء**) فيه (**فما وراء ذلك إلى استيفاء**). وفي نسخة إلى استيعاب (**كل ما نقل من الضعيف والقوي والصحيح والسقيم**) والمتواتر والمشهور والحسن والصالح والمضعف والمرفوع والمسْند والموقوف والموصول والمرسل والمقطوع والمعضل والمعلق والغريب والمعلل والعالي والنازل، (**مع معرفة الطرق الكثيرة**) للحديث الواحد (**في النقل ومعرفة أحوال الرجال**) جرحاً وتعديلاً (**و**) معرفة (**أسمائهم**) وكناهم وبلدانهم (**وأوصافهم**)، فكل ذلك داخل في حد الاستقصاء. وبما ذكره المصنف في حدّ الاقتصار والاقتصاد لا يسمى المشتغل بها محدثاً، فقد قال ابن السبكي في كتابه (**معيد النعم ومبيد النقم**) المحدث من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال والعالي والنازل، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون، وسمع الكتب الستة، ومسند الإمام أحمد، وسنن البيهقي، ومعجم الطبراني، وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء

وأما الفقه فالاقتصار فيه على ما يحويه مختصر المزني رحمه الله، وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر، والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذي أوردناه في

الحديثية كان هذا أقل درجاته، فإذا سمع ما ذكرناه وكتب الطباق ودار على الشيوخ وتكلم في العلل والوفيات والأسانيد عدّ في أوّل درجات المحدثين، ثم يزيد الله تعالى من شاء ما شاء اهـ.

قال السخاوي في الجواهر والدرر: والمقتصر على السماع لا يسمى محدثاً، ويروى عن مالك، أن المقتصر على السماع لا يؤخذ عنه العلم. وقال الإمام أبو شامة: علوم الحديث الآن ثلاثة. **أشرفها:** حفظ متونه ومعرفة غريبها وفقهها. **والثاني:** حفظ أسانيدها ومعرفة رجالها وتمييز صحيحها من سقيمها، وهذا كان مهماً وقد كفيه المشتغل بالعلم بما صنف وألف في ذلك فلا فائدة تدعو إلى تحصيل ما هو حاصل. **الثالث:** جمعه وكتابته وسماعه وتطريفه وطلب العلو فيه والرحلة بسببه إلى البلدان والمشتغل بهذا مشتغل عما هو الأهم من علومه النافعة، فضلاً عن العمل فيه الذي هو المطلوب الأوّل اهـ.

قال الحافظ ابن حجر: وهذا في بعضه نظر، لأن قوله: وهذا قد كفيه المشتغل بالعلم بما صنّف فيه قد أنكره العلامة أبو جعفر بن الزبير وغيره، ويقال عليه إن كان التصنيف في الفن يوجب الاتكال على ذلك وعدم الاشتغال به، فالقول كذلك في الفن الأوّل، فإن فقه الحديث وغريبه لا يحصى كم صنف فيه، بل لو ادعى مدع أن التصانيف التي جمعت في ذلك أجمع من التصانيف التي جمعت في تميز الرجال، وكذا في تميز الصحيح من السقيم لما أبعد، بل ذلك هو الواقع، فإن كان الاشتغال بالأوّل مهماً، فالاشتغال بالثاني أهم إلى آخر ما قاله، وسيجيء لنا بحث إن شاء الله تعالى في ذم غرور المحدثين ونوسع الكلام هناك.

(وأما الفقه؛ فالاقتصار فيه على ما يحويه مختصر) الإمام أبي إبراهيم إسماعيل بن يحي ابن عمرو بن إسحاق **(المزني)** ولد سنة ١٧٥، وحدّث عن الشافعي، ونعيم بن حماد وغيرهما. روى عنه خزيمة، والطحاوي، وزكريا، وأبو الساجي، وابن جوصاء، وابن أبي حاتم. قال الشافعي: المزني ناصر مذهبي، ومن تأليفه هذا المختصر، والجامع الكبير، والجامع الصغير، والمنثور، والمسائل المفيدة، والترغيب في العلم، وكتاب الوثائق، وكتاب نهاية الاختصار. وتوفي لست بقين من رمضان سنة ٢٦٤. ومختصره هذا أكثر الكتب المتداولة السائرة في كل الأمصار على ما ذكره النووي في التهذيب، وقد شرحه كثير من العلماء، كابن سريج، وأبي الطيب الطبري، وأبي الفتوح بن عيسى، وأبي إسحاق المروزي، وأبي حامد المروزي، وابن سراقة، وأبي عبدالله المسعودي، وأبي علي الطبري، وأبي بكر الشاشي، وأبي علي السنجي، وابن عدلان، والشرف يحي المناوي، وزكريا الأنصاري وغيرهم. **(وهو الذي رتبناه في)** كتابنا المسمّى **(خلاصة المختصر)** وهو مفيد جداً ملخص من أصله مع زيادات نافعة **(ويسمى خلاصة الوسائل إلى علم المسائل)** كما تقدم، وهو غير عنقود المختصر ونقاوة المقتصر للمصنف أيضاً **(والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله)** في المقدار **(وهو القدر الذي أوردناه في)** كتابنا

الوسيط من المذهب، والاستقصاء ما أوردناه في البسيط إلى ما وراء ذلك من المطوّلات.

(**الوسيط من المذهب**) وهو ملخص من بسيطه مع زيادات وأحد الكتب الخمس المتداولة بين الشافعية ذكره النووي في تهذيبه، وقد شرحه تلميذه الخبوشاني وسماه (**المحيط**) في ستة عشر مجلداً، وابن الرفعة في ستين مجلداً سماه (**البحر المحيط**) والموفق الحموي سماه (**منتهى الغايات**) والظهير الترمنتي، ومحمد بن عبد الحاكم، والعز المدلجي، وأبو الفتوح العجلي، وابن أبي الدم، وابن الصلاح على الربع الأوّل. في جزأين، وابن الاستاذ في أربع مجلدات، ويحيى بن أبي الخير اليمنى وغير هؤلاء، وخرج أحاديثه السراج بن الملقن في مجلد، (**والاستقصاء**) فيه (**ما أوردناه في**) كتابنا المسمى (**البسيط**) وهو كالمختصر لنهاية المطلب في رواية المذهب لشيخه إمام الحرمين الذي جمعها بمكة وأتمها بنيسابور. قال ابن خلكان في حق النهاية ما صنف في الإسلام مثله (**إلى ما وراء ذلك من المطولات**).

وقال ابن ساعد في ارشاد القاصد: من كتب الشافعية المختصرة التعجيز والتنبيه والتحرير ومختصر الوسيط للبيضاوي، ومن المتوسطة المهذب والوسيط والروضة للنواوي، ومن المبسوطة الحاوي للماوردي، والكافي والوافي وّالبسيط وبحر المهذب والنهاية، وشرح الوجيز

ومن كتب الحنفية المختصرة: البداية والنافع ومختار الفتوى ومختصر القدوري وله تكملة مهمة، ومن المتوسطة الهداية والمشتملة، ومن المبسوطة المحيط والمنسوط والتحرير.

ومن كتب المالكية المختصرة التلقين والجلاب، ومختصر ابن الحاجب، ومن المتوسطة نظم الدر للشارمساحي، والتهذيب، ومن المبسوطة الذخيرة. وابن يونس والبيان والتحصيل.

ومن كتب الحنابلة المختصرة العمدة والنهاية الصغرى لابن رزين، ومن المتوسطة المقنع والكافي، ومن المبسوطة المغني لابن قدامة اهـ.

وهذا الذي ذكره كالمصنف بالنظر إلى زمانهم، فأما الآن فالاعتماد في مذهب الشافعي من الكتب المختصرة على مختصر أبي شجاع وشروحه، ومتن الزبد وشروحه، والارشاد لابن المقري، ومن المتوسطة على الروض والمنهج كلاهما لشيخ الإسلام زكريا، وعلى شرح الأخير للرملي ولابن حجر، فالأوّل عليه اعتماد المصريين، وعلى الثاني اعتماد الحرمين. وفي مذهب أبي حنيفة من الكتب المختصرة على الكنز للنسفي والملتقى لابن نجيح وشروحهما والمقدمة وشروحها. وفي مذهب مالك من المختصرة على رسالة ابن تركي، ومختصر خليل وشروحها. وفي مذهب سيدنا أحمد من المختصرة على دليل الطالب للشيخ مرعي الحنبلي والاقناع وغيرهما، وهذا كله يختلف باختلاف البلدان في المذاهب، فرب كتاب يكون كثير الاستعمال والانتفاع في بلد لم يشتهر في بلد آخر، وهذا ظاهر ثم إن المقتصر على ما ذكر، وكذا المقتصد لا يكون فقيهاً كما إن المقتصر

وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها أهل السنّة من السلف الصالح لا غير، وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور مـن غير طريقتها، ومقصود حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر، وهو القدر الذي أوردناه في كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب، والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة، وهو الذي أوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد، ويحتاج إليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي، وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم، وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً فقلما ينفع معه الكلام، فإنك إن أفحمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جواباً

على سماع الصحيحين لا يسمى محدثاً، فقد قال ابن السبكي: إن المقتصر على ما عليه الفتيا هو المضيع للفقه، فإن المرء إذا لم يعرف الخلاف والمآخذ لا يكون فقيهاً إلى أن يلج الجمل في سم الخياط، وإنما يكون رجلاً قلاً نقلاً محيطاً حامل فقه إلى غيره لا قدرة له على تخريج حادث بموجود، ولا قياس مستقبل بحاضر، ولا إلحاق شاهد بغائب، وما أسرع الخطأ إليه وأكثر تزاحم الغلط عليه وأبعد الفقه لديه اهـ.

(**وأما**) علم (**الكلام فمقصوده حماية**) أي حفظ المعتقدات التي نقلها أهل السنة) والجماعة (**من السلف**) الصالحين (**لا غير ما وراء ذلك**) فإنه (**طلب لكشف حقائق الأمور**) وإفشاء لسر الربوبية (**من غير طريقه**) من إيراد نقل البراهين والحجج وجلب الكلام من كل جهة، (**ومقصود حفظ السنة تحصل رتبة الإقتصار منه بمعتقد مختصر وهو الذي أوردناه في كتاب قواعد العقائد**) وهو الكتاب الثاني (**من جلة هذه الكتب**) العشرة من الإحياء، وسيأتي بيانه. (**والإقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة**) في المقدار (**وهو الذي أوردناه في كتاب**) لنا يسمى (**الإقتصاد في الإعتقاد**) ذكره ابن السبكي وغيره من جملة كتبه، كما مرت الإشارة إليه في مقدمة هذا الشرح، وأما الآن فاشتغالهم الكثير في المختصر على أم البراهين لمحمد بن يوسف السنوسي وهو مختصر مفيد، وعلى شروحه للمصنف وللشهاب القاسمي، وعلى الجوهرة للشيخ إبراهيم اللقاني وشروحه الثلاثة وشروح ولده الشيخ عبد السلام، (**ويحتاج إليه**) أي إلى الإقتصاد فيه (**لمناظرة مبتدع**) ودفع شبهه (**ومعارضة بدعته**) التي يورد حججها (**بما يفسدها**) وبنقضها (**وينزعها عن قلب العامي**) الذي لم ينظر في العلوم، (**وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم**) في الدين، (**أما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل**) ويتعلم طرق المناظرة (**ولو شيئاً يسيراً**) أي قليلاً (**فقلما ينفـع معـه الكلام**) في المعتقـدات، (**فإنك إن أفحمته**) أي أسكته بإيراد البراهين عليه (**لم يترك مذهبه**) الذي إليه يذهب، ولا مورده الذي إليه يرد ومنه يشرب، (**وأحال بالقصـور**) عـن الجواب (**على نفسـه وقـدر أن عنده جواباً وهو عاجز عنه**) أي عن بيانه. وفي بعض النسخ. وقال إن عند غيره جواباً ما

ما وهو عاجز عنه، وإنما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة، وأما العامي إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه بمثله قبل أن يشتد التعصب للأهواء، فإذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم، إذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من آفات العلماء السوء، فإنهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار، فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة، وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل، ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه، ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة ـ لا في معرض التعصب والتحقير ـ لنجحوا فيه، ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا بالاستتباع ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم، اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم، وسموه ذباً عن الدين ونضالاً عن المسلمين، وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس.

هو عاجز عنه، **(وإنما أنت ملبس بقوة المجادلة عليه)** هكذا شأن المبتدعة إذا أفحموا، **(وأما العامي إذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد إليه)** أي إلى الحق **(بمثله)** لكن ذلك **(قبل أن يشتد التعصب)** منه **(للأهواء)** المتصلة بفراغ قلبه عن الهوى وتزلزله، فأي معتقد ورد عليه قبله ثم عن قريب إذا رد إلى شيء آخر قبله، كذلك **(فإذا اشتد تعصبهم)** للأهواء ومرنوا على ذلك وتمكن فيهم ذلك المعتقد الفاسد **(وقع اليأس منهم)**، ولم ينفع العلاج فيهم **(إذ التعصب سبب)** قوي **(يرسخ)** أي يثبت **(العقائد في النفوس)** ويركزها فيها، **(وهذا أيضاً من آفات العلماء السوء)** الآكلين بدنياهم **(فإنهم يبالغون للتعصب للحق)** أي لإظهاره **(وينظـــرون إلى المخـــالفين)** لهم **(بعين الازدراء والاستحقـــار)** والإنكـــار الشديد، **(فينبعث)** أي يتحرك **(منهم)** من المخالفين **(الدواعي)** المهيجة **(بالمكافأة)** أي المجازاة **(والمقابلة)** فيسبوا الله عدواً بغير علم، **(وتتوفر بواعثهم على نصرة باطلهم)**. وفي نسخة: نصرة الباطل. **(ويقوي غرضهم)** وقصدهم **(في التمسك بما نسبوا إليه)** من فساد العقيدة، وهذا منشؤه من سوء النظر في البحث وتشنيعهم عليهم في المجالس على ملأ من الناس، **(ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة)** والشفقة عليهم مع خلوص القلب من التعصبات **(والنصح في الخلوة)** عن الناس، **(لا في معرض التعصب)** عليهم **(والتحقير)** لشأنهم **(لنجحوا فيه)** وأفادوا، **(ولكن لما كان الجاه لا يقوم)** ركنه **(إلا بالاستتباع)** أي طلب الاتباع **(ولا يستميل)** خواطر **(الإتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم)** والإزدراء بهم بكل ما أمكن، **(واتخذوا التعصب عادتهم)** وتساوى في ذلك صغارهم وقادتهم **(و)** جعلوا ذلك **(آلتهم)** وحرفتهم، **(وسموه)** بحسب ظنهم الفاسد **(ذباً عن الدين)** أي دفعاً عنه **(ونضالاً)** أي مناضلة ومدافعة **(عن المسلمين، وفيه على التحقيق)** إذا تأملوا **(هلاك الخلق)** لتقليدهم إياه في ذلك **(ورسوخ البدعة في النفوس)** فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما الخلافيات التي أحدثت في هذه الأعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف فإياك وأن تحوم حولها، واجتنبها اجتناب السم القاتل فإنها الداء العضال وهو الذي ردّ الفقهاء كلهم إلى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها. وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال: الناس أعداء ما جهلوا فلا تظن ذلك، فعلى الخبير سقطت، فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زماناً، وزاد فيه على الأوّلين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلاً وبياناً، ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه، فلا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله إلا بعلم الخلاف، فإن علل المذهب مذكورة في

(**وأما الخلافيات**) وهي المسائل التي فيها خلاف المذاهب (**التي أحدثت في هذه الأعصار**) أي الأزمان (**المتأخرة**) وهو القرن الرابع (**وأبدع فيها من التحريرات**) المستقصية (**والتصنيفات**) المستفيضة (**والمجادلات**) الهائلة (**ما لم يعهد مثلها**) ولم يعرف (**في**) أيام (**السلف**) المتقدمين، (**فإياك**) أيها السالك طريق الآخرة (**وأن تحوم حولها**) وتتعب في تحصيلها وتعول عليها، (**فاجتنبها اجتناب السم القاتل**) ولو حسنت عباراتها وراقت معانيها فإنما مثل من يحاولها كمن يحاول حية نظر اللين بجسها وحسن شكلها فيجعلها طوقاً في عنقه فتلدغه، (**فإنه الداء العضال**) الذي لا برء له (**وهو الذي رد الفقهاء كلهم**) وصرفهم بسببه (**إلى طلب المنافسة**) والإعجاب والكبر (**والمباهاة**) أي المفاخرة مع التعصب الشديد (**على ما سيأتيك تفصيل غوائلها**) أي مهلكاتها (**وأفاتها**) في كتاب ذم الغرور. (**وهذا الكلام ربما يسمع من قائله**) المنكر لذلك (**فيقال: الناس أعداء ما جهلوا**) فينزل قائله غير منزلته وينسبه إلى الجهل والتسفيه وعدم الذوق السليم من الفطرة وهي كلمة حق أريد بها باطل، (**فلا تظن ذلك**) بالقائل فإن بعض الظن إثم، (**فعلى الخبير**) العارف الماهر (**سقطت**) أي نزلت (**فيه**) وهو مثل مشهور، (**واقبل هذه النصيحة**) المحضة (**ممن ضيع العمر**) ونقد صرفه (**فيه زماناً**) واشتغل به كثيراً (**وزاد فيه على الأولين**) ممن سبق في كل فن (**تصنيفاً وتحقيقاً جدلاً وبياناً**) حتى في علم السحر والسيمياء والنجوم والكيمياء، كما هو معروف لمن أمعن في ترجمته، (**ثم ألهمه الله رشده**) وبصره بنفسه (**وأطلعه على عيبه**) بتوفيق من الله تعالى وحسن عنايته، وذلك بعد رجوعه من أرض الحرمين (**فهجره**) أي تركه كله وساح وتجرد (**واشتغل بنفسه**) باستعمال الرياضات والمجاهدات والإقتناع باقل الأقوات مع كثرة من يعظمه من أرباب الدنيا ويأتون إليه بالأموال، فلم يرفع رأسه إليهم ولا إليها، ومضى على ذلك إلى آخر عمره على جميل وسداد وهو يشير إلى قول من قال: سل المجرب ولا تسأل طبيباً، (**ولا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع**) وركنه الذي يأوي إليه (**ولا تعرف علله**) الخفية (**إلا بعلم الخلاف**) ولا تظهر ثمرتها إلا به، (**فإنه علل المذهب**

المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأوّلون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم، بل هي مع انها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه، فإن الذي يشهد له حدس المفتي إذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في أكثر الأمر، فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعـن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه، وإنما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب، وقد ينقضي عليه العمر ولا تنصرف همته إلى علم المذهب، فكن من شياطين الجن في أمان، واحترز من شياطين الانس، فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال، وبالجملة فالمرضى عند العقلاء أن تقدر

مذكورة في) كتب **(المذهب)** لم يغادر شيئا منها **(والزيادات عليها مجادلات)** وخصومات **(لم يعرفها الأولون)** من السلف في عصر إتباع التابعين ومن فوقهم عصر التابعين **(ولا الصحابة)** رضوان الله عليهم، بل كانوا ينكرون على ما يجادل ويحسمون مادة الخلافيات كما هو مشهور من سيرتهم **(وكانوا أعلم الناس بعلل الفتاوى من غيرهم)** لتنور بصائرهم واقتباسهم من مشكاة النبوة **(بل هي)** أي علل الفتاوى **(مع أنها غير مفيدة في علم المذهب)** لعدم احتياجه إليها **(فهي ضارة)** للفقيه **(مفسدة لذوق الفقه)** وسره، **(فإن الذي يشهد له حدس المفتي)** وتخمينه **(إذا صح ذوقه في الفقه)** وتمكن منه **(لا يمكن تمشيته على شروط الجدل)** التي يذكرونها **(في أكثر الأمر فمن ألف طبعه)** من أصل جبلته **(رسوم الجدل)** وتعلق بها **(أذعـن ذهنه)** وإنقاد **(لمقتضيات الجدل)** والخلافيات **(وجبن)** أي تأخر ونكص **(عن الإذعان لذوق الفقه)** والإنقياد له، **(و)** الحق **(إنما يشتغل به)** صارماً عمره إليه **(من يشتغل بطلب الصيت)** وشهرة الإسم **(و)** تحصيل **(الجاه)** والمنزلة عند الأمراء والملوك **(ويتعلل)** للناس **(بأنه يطلب علل المذهب)** لا غير، وإن قصده بذلك رفع عماد المذهب ونصرته، **(وقد ينقضي عليه العمر)** النفيس **(ولا يصرف همته إلى علم المذهب)** إلا قليلاً **(فكان من شياطين الجن في أمان)** فإنهم ينطردون عنك بالآيات والإذكار، ولا يقربونك بمضرة، وعداوتك وعداوتهم لك ظاهرة، فيمكن دفعهم بأيسر شيء **(واحترز من شياطين الإنس)** وهم العلماء السوء، **(فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب)** والمشقة **(في الأغواء والإضلال)**، ولكثرة مخالطتهم مع الناس وكونهم على سمة العلماء ولا يمكن الإحتراز عنهم فيستفيد معاشرهم الإنحياد عن السلوك السوي ويقع في مخاطرة عظيمة، وأعلم أن الشياطين على نوعين نوع يرى عياناً وهو شيطان الإنس وهم العلماء السوء، ونوع لا يرى هو شيطان الجن، وقد أمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يكتفي من شيطان الإنس بالإعراض عنه والعفو والدفع بالتي هي أحسن، ومن شيطان الجن بالإستعاذة بالله منه، وجمع بين النوعين في سورة الأنعام وسورة فصلت، والإستعاذة والقراءة والذكر أبلغ في دفع شياطين الجن والإعراض، والدفع بالإحسان أبلغ في دفع شياطين الإنس:

نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار، وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك، ودع عنك ما سواه والسلام.

وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له: ما خبر تلك العلوم التي

فما هـو إلا الإستعـاذة ضـارعـاً أو الدفع بـالحسنى هما خير مطلـوب
فهذا دواء الدين من شر مـن تـرى وذاك دواء له مـن شر محجـوب

(**وبالجملة**): أي حاصل الكلام (**فالمرضى**) المقبول (**عند العقلاء**) العرفاء (**الأكياس أن تعد**) وفي بعض النسخ: أن تقدر (**نفسك في العالم وحدك مع الله تعالى**) إنه العليم البصير المطلع على أمورك وحركاتك وسكناتك (**وبين يديك الموت**) كأنه اقترب (**والعرض**) بين يديه كأنك وقفت له (**والحساب**) على القليل والكثير (**والجنـة والنـار**) كـأنهما قـد أزلفتـا. (**وتأمل**) بفكرك (**فيما يعينك**) في تلك الأهوال الكائنة (**فيما بين يديك**). وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما قال له ابن عباس عند موته كأنه يزيل جزعه ويهون عليه الأمر بذكر محاسنه: لو أن تلاع الأرض ذهباً لافتديت به من هول المطلع، كما رواه البخاري من حديث ابن أبي مليكة عنه. وأخرج الخطيب في اقتضاء العلم من طريق يزيد بن إبراهيم سمعت الحسن يقول: قال أبو الدرداء: ابن آدم اعمل كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى واتق دعوة المظلوم، (**ودع عنك ما سواه**) فإنه مضمحل وآيل إلى البطلان، وهذه الكلمة القليلة جامعة لمحاسن علم التصوف ولقد أحسن من قال:

دع ما سوى الله فالأكـوان قـاطبـة ظـل يـزول فلا تغـررك زينتهـا

وقال آخر:

إذا رمـت مـن تهـوى دع الدنيـا وأهلهـا

وقال آخر

فمـن سره أن لا يـرى مـا يسـوءه فلا يتخـذ شيئـاً يخاف لـه فقـدا

(**والسلام**) على أهل التسليم.

(**وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء**) ونص القوت: ورأى بعض أهل الحديث بعض فقهاء أهل الكوفة بعد موته (**في المنام فقال له**). ونص القوت قال فقلت له: ما فعلت فيما كنت عليه من الفتيا والرأي قـال فكـره وجهه وأعرض عني وقال: ما وجدناه شيئاً ولا حمدنا عاقبته. وحدثونا عن نصر بن علي الجهضمي عن أبيه قال: رأيت الخليل بن أحمد في النوم بعد موته فقلت: ما أحد أعقل من الخليل لاسألته فقال لي رأيت ما كنا فيه فإني لم أره شيئاً ما رأيت أنفع من قول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وحدثونا عن بعض الأشياخ قال: رأيت بعض العلماء في المنام فقلت: (**ما خبر**) ونص القوت: ما فعلت (**تلك العلوم التي**

كنت تجادل فيها وتناظر عليها؟ فبسط يده ونفخ فيها وقال: طاحت كلها هباء منثوراً وما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل.

وفي الحديث: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم قرأ: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾ [الأعراف: ٥٨]. وفي الحديث في معنى قوله تعالى: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ﴾ [آل عمران: ٧] الآية. هم أهل الجدل الذين عناهم الله

كنت تجادل فيها وتناظر عليها)، ونص القوت كنا نجادل فيها ونناظر عليها. قال (**فبسط يده ونفخ فيها وقال: طاحت**) أي ذهبت (**كلها هباء منثوراً ما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل**) وفي القوت: حصلتا لي، وهذا الذي أوردناه عن صاحب القوت في سياق قصة الخليل فقد أخرجه الحافظ أبو بكر الخطيب في كتاب الإقتضاء من وجهين. أحدهما من طريق عبدالله بن أحمد، حدثنا نصر بن علي الجهضمي، حدثني محمد بن خالد، حدثني علي ابن نصر يعني أباه قال: رأيت الخليل فساقه كما هو في القوت، ومن طريق أحمد بن عبدالله الترمذي سمعت نصر بن علي يقول: سمعت أبي يقول رأيت الخليل بن أحمد في المنام فقلت له: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي. قلت: بما نجوت؟ قال: بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قلت: كيف وجدت علمك أعني العروض والأدب والشعر. قال: وجدته هباء منثوراً.

(**وفي الحديث: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم قرأ: ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون**) [الأعراف: ٥٨] هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد. وقال العراقي: أخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي أمامة. قال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: أخرجاه من رواية حجاج بن دينار، عن أبي غالب، عن أبي أمامة، وأبو غالب اسمه حزور، وقيل: سعيد بن خرور، وقد أخرجه أيضاً الإمام أحمد في مسنده، والحاكم في التفسير وصححه، والطبراني في الكبير، والضياء المقدسي في المختارة، واللالكائي في السنة. كلهم من رواية أبي غالب عن أبي أمامة رضي الله عنه واقتصروا على الحديث وليس في سياقهم ثم قرأ الخ إلا اللالكائي. فإنه ساقه بتمامه، وأقره الذهبي في التلخيص. قال المناوي: يعن من ترك سبيل الهدى وركب سنن الضلال لم يمش حاله إلا بالجدل أي الخصومة بالباطل. وقال القاضي في تفسيره: المراد التعصب لتخريج المذاهب الفاسدة والعقائد الزائغة لا المناظرة لإظهار الحق. واستكشاف الحال واستعلام ما ليس معلوماً عنده، فإنه فرض كفاية خارج عما نطق به الحديث اهـ.

(**وفي الحديث في معنى قوله تعالى: فأما الذين في قلوبهم زيغ**) [آل عمران: ٧] فيتبعون ما تشابه منه (**قال: هم أهل الجدل الذين عناهم الله تعالى بقوله: فاحذرهم**). هكذا أورده صاحب القوت بلا سند، وقال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها اهـ.

بقوله تعالى: ﴿ فاحذرهم ﴾، وقال بعض السلف: يكون في آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل. وفي بعض الأخبار أنكم في زمان أُلهمتم فيه العمل، وسيأتي قوم يلهمون الجدل. وفي الخبر المشهور: «أبغض الخلق إلى الله تعالى الألد الخصم» وفي الخبر: «ما أوتي قوم المنطق إلا منعوا العمل» والله أعلم.

قلت: وكذا أبو داود والترمذي كلهم من رواية ابن أبي مليكة عن القاسم عنها بلفظ: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب إلى قوله أولوا الألباب قالت قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم». وقد رواه ابن ماجه من رواية أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة وفيه فقال: «يا عائشة إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم» الحديث فلم يذكر بين ابن أبي مليكة وعائشة القاسم. والزيغ: الميل عن الإستقامة والجدل هو المخاصمة والمقاومة على سبيل المغالبة، وأصله من جدلت الحبل إذا فتلته محكماً فكان كلا المتجادلين يفتل صاحبه عن قوله إلى قوله، وقيل أصله من الجدل وهو القوة فكان كلا المتجادلين يقوي قوله ويضعف قول صاحبه، وقيل أصله من الجدالة وهي الأرض فكان كلا منهما يريد أن يصرع صاحبه ويجعله بمنزلة من يلقيه بالجدالة.

(**وقال بعض السلف: يكون في آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل**) أورده صاحب القوت هكذا ونصه: وعن بعض السلف يكون في آخر الزمان علماء بدل قوم والباقي سواء. (**وفي بعض الأخبار أنكم في زمان ألهمتم فيه، وسيأتي قوم يلهمون الجدل**) هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد. وقال العراقي: لم أجد له أصلاً اهـ.

ومن شواهده ما أخرجه الخطيب في الإقتضاء من طريق العباس بن الوليد بن مزيد قال: أخبرني أبي سمعت الأوزاعي يقول: إذا أراد الله بقوم شراً فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل، وأخرج اللالكائي في السنة من رواية يحي بن معين قال: حدثنا عثمان بن صالح، حدثنا بكر بن مضر، عن الأوزاعي فساقه إلا أنه قال: ألزمهم الجدل والباقي سواء. وأخرج الخطيب من طريق عبدالله بن حنيف، سمعت إبراهيم البكاء يقول: سمعت معروف بن فيروز الكرخي يقول: إذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد بعبد شراً فتح له باب الجدل وأغلق عنه باب العمل.

(**وفي الخبر المشهور**) عن رسول الله ﷺ قال: (**أبغض الخلق إلى الله الالد الخصم**) قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها اهـ.

قلت: هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد، وقد أخرجه أيضاً الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي كلهم من رواية ابن جريج، عن ابن أبي مليكة عن عائشة وسياقهم كلهم أبغض الرجال وقال الترمذي: حديث حسن. قال المناوي: وإنما خص الرجال لأن اللدد فيهم أغلب، ولأن

غيرهم تبع لهم في جميع المواطن، والألد هو الشديد الخصومة بالباطل الآخذ في كل لدد. أي: في كل شق من المراء والجدال والخصم المولع بالجدال الماهر فيه، الحريص عليه المتمادي فيه بالباطل، وهو يظهر أنه على الحسن الجميل ويوجه كل شيء من خصامه وجهاً بحيث صار ذلك عادته، فالأوّل ينبيء عن الشدة، والثاني عن الكثرة.

(وفي الخبر: «ما أوتي قوم المنطق إلا منعوا العمل») قال العراقي: لم أجد له أصلاً اهـ.

قلت: أورده صاحب القوت من طريق الحكم بن عيينة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى رفعه.

قلت: عبد الرحمن بن أبي ليلى تابعي عالم الكوفة. روى عن أبيه، وعمر، ومعاذ وعنه ابنه عيسى وحفيده عبدالله وثابت. مات سنة ٨٣، والصحبة لابن أبي ليلى فهذا الحديث مرسل.

الباب الرابع

في سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط اباحتها:

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله ﷺ تولاها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا أئمة

الباب الرابع

في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها

أما علم الخلاف فهو علم يعرف به كيفية إيراد الحجج الشرعية ودفع الشبهة وقوادح الأدلة الخلافية بإيراد البراهين القطعية، وهو الجدل الذي هو قسم من المنطق، إلا أنه خص بالمقاصد الدينية وقد يعرف بأنه علم يقدر به على حفظ أي وضع وهدم أي وضع كان بقدر الإمكان، ولهذا قيل: الجدل إما مجيب يحفظ وضعاً أو سائل يهدم وضعاً. وذكر ابن خلدون في مقدمة تاريخه: إن الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وانظارهم، خلافاً لا بد من وقوعه واتسع في الملة اتساعاً عظيماً وكان للمقلدين أن يقلدوا من شاءوا، ثم لما انتهى ذلك إلى الأئمة الأربعة وكانوا بمكان من حسن الظن اقتصر الناس على تقليدهم، فأقيمت هذه الأربعة أصولاً للملة، وأجرى الخلاف بين المتمسكين بها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب إمامه يجري على أصول صحيحة ويحتج بها كل على صحة مذهبه، فتارة يكون الخلاف بين الشافعي ومالك وأبو حنيفة يوافق أحدهما. وتارة بين غيرهم كذلك، وكان في هذه المناظرات بيان مآخذ هؤلاء، فيسمى الخلافيات ولا بد لصاحبه من معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام كما يحتاج إليه المجتهد الأول، والمجتهد يحتاج إليها للاستنباط، وصاحب الخلاف يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل من أن يهدمها المخالف بأدلته وهو علم جليل الفائدة. وكتب الحنفية والشافعية أكثر من تآليف المالكية لأن أكثرهم أهل المغرب وهو بادية. وللغزالي فيه كتاب المأخذ، ولأبي بكر ابن العربي كتاب التلخيص جاء به من المشرق، ولأبي زيد الدبوسي كتاب التعليقة، ولابن القصار من المالكية عيون الأدلة اهـ.

ومن الكتب المؤلفة فيه أيضاً المنظومة النسفية، وخلافيات الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي جمع فيه المسائل المختلف فيها بين الشافعي وأبي حنيفة.

وأما علم الجدل: فهو علم باحث عن الطرق التي يقتدر بها على إبرام ونقض، وهو أحد أجزاء

....

علم المنطق لكنه خص بالعلوم الدينية ومبادئه بعضها نظرية وبعضها خطابية وبعضها أمور عادية، وله استمداد من علم المناظرة المشهور بآداب البحث، ولا يبعد أن يقال إن علم الجدل هو علم المناظرة لأن المآل منهما واحد، إلا أن الجدل أخص منها. ويؤيده كلام ابن خلدون في مقدمه كتابه حيث قال: الجدل هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول المستفاد من الإستدلال ما يكون صواباً وما يكون خطأ، فاحتاج إلى وضع آداب وقواعد يعرف منه حال المستدل والمجيب، ولذلك قيل فيه: إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الإستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره وهو طريقان. طريق البزدوي وهي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والإجماع والإستدلال، وطريق ركن الدين العميدي وهي عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان والمغالطات فيه كثيرة، وإذا اعتبر بالنظر المنطقي كان في الغالب أشبه بالقياس المغالطي والسوفسطائي إلا أن صور الأدلة والأقيسة فيه محفوظة مراعاة تتحرى فيها طرق الإستدلال كما ينبغي، وهذا العميدي أول من كتب فيها ونسبت الطريقة إليه ووضع كتابه المسمى بالإرشاد مختصراً، وتبعه من بعده من المتأخرين كالنسفي وغيره وكتب في الطريقة التآليف وهي لهذه العهد مهجورة لنقص العلم في الأمصار وهي مع ذلك كمالية وليست ضرورية اهـ.

وقال المولى أبو الخير: وللناس فيه طرق أحسنها طريق ركن الدين العميدي، وأول من صنف فيه من الفقهاء أبو بكر القفال الشاشي المتوفي سنة ٣٣٦. وقال بعض العلماء: إياك أن تشتغل بهذا الجدل الذي ظهر بعد انقراض الأكابر من العلماء، فإنه يبعد عن الفقه ويضيع العمر ويورث الوحشة والعداوة وهو من إشراط الساعة كذا في حديث ولله درّ القائل:

أرى الفقهاء في ذا العصر طراً ... أطاعوا العلم واشتغلوا بلم لم
إذا ناظرتهم لم تلق منهم ... سوى حرفين لم لم لا نسلم

وأما علم المناظرة المعروف الآن بآداب البحث، فقد ذكر ابن طاشكبري في مفتاح السعادة، والمولى لطفي في موضوعاته أنه علم يبحث فيه عن كيفية إيراد الكلام بين المناظرين وموضوعه الأدلة من حيث أنها يثبت بها المدعي على الغير ومبادئه أمور بيّنة بنفسها، والغرض منه تحصيل ملكة طرق المناظرة لئلا يقع الخبط في البحث فيتضح الصواب. وفي الخاقانية لابن صدر الدين وهذا العلم كالمنطق يخدم العلوم كلها، لأن البحث والمناظرة عبارة عن النظر في الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب وإلزاماً للخصم، إلا أنه بشرائط معتبرة وإلا كان مكابرة غير مسموعة فلا بد من قانون تعرف به مراتب البحث على وجه يتميز به المقبول عما هو المردود، وتلك القوانين هي آداب البحث اهـ.

وفيه مؤلفات أكثرها مختصرات وشروح للمتأخرين، وأول من صنف فيه الشمس محمد بن

علماء بالله تعالى فقهاء في أحكامه، وكانوا مشتغلين بالفتاوى في الأقضية، فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادراً في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة، فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها، وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا، وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم، كما نقل من سيرهم، فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام، اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم،

شرف الحسين السمرقندي المتوفي سنة ٦١٠. والعلامة عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الدلجي المتوفي سنة ٧٥٦.

(**أعلم أن الخلافة بعد رسول الله ﷺ تولاها الخلفاء الراشدون**) وهم الخلفاء الأربعة، وعمر بن عبد العزيز، (**وكانوا أئمة**) على الحق (**وعلماء بالله تعالى**) أي بذاته وصفاته (**فقهاء في أحكامه**) وأوامره (**مشتغلين**) بأنفسهم (**بالفتاوى في الإقضية**) أي الأحكام، (**فكانوا لا يستعينون بالفقهاء**) من الصحابة (**إلا نادراً في**) بعض (**وقائع**) ونوازل (**لا يستغنى فيها عن المشاورة**) كمسألة الجد والاخوات وغيرها، كما سيأتي فكان الذي يتولى أمور الناس هو الذي يفتي في الأحكام (**فتفرغوا**) وفي نسخة: فتفرع العلماء (**لعلم الآخرة**) كعلم الإيمان واليقين المستفادين من القرآن والحديث (**وتجردوا له**) بهممهم وكليتهم، (**وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا**). قال صاحب القوت: وروينا عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من أحد يسأل عن حديث أوفتيا إلا ود أن أخاه كفاه ذلك. وفي لفظ آخر: كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر، ويردها الآخر إلى الآخر حتى ترجع إلى الذي سئل عنها أول مرة. وسيأتي أنهم كانوا يتدافعون أربعة أشياء. الإمامة، والوديعة، والوصية، والفتوى. وكان شغلهم في خمسة أشياء قراءة القرآن، وعمارة المساجد، وذكر الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (**واقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم**) أي خالصة وحقيقته (**كما نقل من سيرهم**) وشمائلهم، ومن طالع كتاب الحلية لأبي نعيم وجد ما يشفي الغليل. (**فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام**) تغلبوا عليها بالمال والجاه (**وتولوها بغير إستحقاق**) لها، ولا أهلية للقيام بأركانها (**ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام**) الشرعية لغلبة الجهل عليهم أو لاشتغالهم باللذات النفسية (**اضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء**) واحتاجوا لهم (**وإلى استصحابهم**) ومرافقتهم (**في جميع أحوالهم**) سفراً وحضراً (**لاستفتائهم في مجاري أحكامهم**). وفي القوت قال عبد الرحيم الأسود وغيره من العلماء: إن علم الأحكام والفتاوى كان الولاة والأمراء يقومون به، وترجع العامة إليهم فيه، ثم ضعف الأمر وعجزت الولاة عن ذلك لميلهم إلى الدنيا وشغلهم بالحروب عنها، فصاروا يستعينون على ذلك بعلماء الظاهر بالمفتين

وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأوّل وملازم صغو الدين ومواظب على سمت علماء السلف، فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا، فاضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات، فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إعراضهم عنهم، فاشرأبـوا لطلب العلم توصلاً إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة، فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة، وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم، فمنهم من حرم ومنهم من أنجح، والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال، فأصبح الفقهاء ـ بعد أن كانوا

في الجوامع، وكان الأمير إذا جلس للمظالم قعد عن يمينه وشماله مفتيان يرجع إليهما في القضاء والأحكام ويأمر الشرط بمثل ذلك، فكان من الناس من يتعلم علم الفتيا والقضاء ليستعين بهم الولاة على الأحكام والقضاء، حتى كثر المفتون رغبة في الدنيا وطلبا للجاه والرئاسة، ثم أخلق الأمر بعد ذلك حتى تركت الولاة الإستعانة بالعلماء اهـ. **(وكان قد بقي من)** طبقة **(علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول)** أصل الطراز علم الثوب ثم استعير للنمط والطريقة، وبه فسر قول حسان:

بيض الوجـه كـريمة أحسـابهم   شم الأنـوف مـن الطـراز الأول

(وملازم صغو الدين) هو بكسر الصاد المهملة وسكون الغين المعجمة الجانب والناحية **(ومواضب على سمت)** أي طريقة **(علماء السلف)** من الصحابة، **(وكانوا إذا طلبوا)** لتوليه القضاء والفتيا في الأحكام **(هربوا)** من بلد إلى بلد، ومنهم من أظهر الجنون والتحامق **(واعرضوا)** عن ذلك بالكلية، كما سيأتي تفصيله عن زيد بن أبي خراش أن الثوري لقي شريكاً فقال بعد الفقه والخير تلي القضاء قال يا أبا عبدالله: وهل بد للناس من قاض؟ فقال سفيان: وهل بد للناس من شرطي؟ **(واضطر الخلفاء)** والأمراء **(إلى الإلحاح)** والحث في طلبهم **(لتوليه القضاء والحكومات)** في أمور الخلق فلم يمكنهم ذلك، ومنهم من أدرك وولي كرهاً، **(فرأى أهل تلك الأعصار)** الموجودين **(عز العلماء)** بالله تعالى **(وإقبال الائمة والولاة عليهم)** والإصغاء لقولهم **(مع إعراضهم عنهم)** وعدم التفاتهم إليهم، كما هو معلوم لمن طالع تراجم الإمام أبي حنيفة، وسفيان الثوري، ومن في عصرهما من الأئمة، **(فاشرأبوا)** أي مالت نفوسهم **(لطلب العلم)** أي علم الفتيا والأحكام **(توصلاً إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة)** والحكام، **(فاكبوا)** أي واظبوا. وفي نسخة: فاقبلوا **(على علم الفتيا)** وما يتعلق به تحصيلاً واكتساباً **(و)** حين توشحوا بذلك **(عرضوا بأنفسهم)** وفي نسخة: نفوسهم **(على الولاة)** ليولوا تلك المناصب، **(وتعرفوا إليهم)** بالـوسـائـط والشفـاعـات **(وطلبـوا الولايات)** للأعمال **(والصلات)** أي العطايا **(منهم، فمنهم من حرم)** قصده أي منع، **(ومنهم من أنجح)** أي أعطيَ له ما تمناه، **(والمنجح)** منهم **(لم يخل عن ذل الطلب ومهانة الإبتـذال)**

مطلوبين - طالبين، وبعد أن كانوا أعزة بالاعراض عن السلاطين أذلة بالاقبال عليهم، إلاّ من وفقه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله، وقد كان أكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات، ثم ظهر بعدهم من الصدور والأمراء من يستمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها. فغلبت رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام فانكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف، ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات، وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة، كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد أمور المسلمين - إشفاقاً على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم

لأنها لوازم السائل، (**فأصبح**) السادة (**الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين، وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن**) الملوك و (**السلاطين**) والأمراء يقربون منهم (**أذلة بالإقبال عليهم**) والإتصال بحواشيهم، وكم من فرق بين المطلوب والطالب والعزيز والذليل، (**إلا من وفقه الله عز وجل في كل عصر من علماء دينه**). وفي نسخة: من العلماء بالله تعالى، وهذا في زمانه وأما الآن فقد أخلق الأمر جداً وتضعضع ركن العلماء، فصاروا أذل من كل ذليل وترك الإستعانة بهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، والله المستعان.

(**وقد كان أكثر الاقبال في تلك الاعصار على علم الفتاوى والأقضية**) دون غيره (**لشدة الحاجة**) أي حاجة الأمراء (**إليها في الولايات والحكومات**) والعامة تبع لهم، (**ثم ظهر بعدهم من الصدور**) أي الأكابر الذين يتصدرون في المجالس (**والأمراء من سمع مقالات الناس**) أي أقاويلهم (**في قواعد العقائد**) الإسلامية (**ومالت نفسه إلى سماع الحجج فيها**) والتطلع إلى أقوال المخالفين والرد على كلامهم بالبراهين. (**فغلبت رغبته إلى المناظرة**) أي ميله إلى المباحثة على قواعد النظر (**والمجادلة**) على قواعد الجدل (**في الكلام فانكب الناس**) أي اجتمعوا مشتغلين (**على علم الكلام**) وتحصيله (**واكثروا فيه التصانيف**) وفي نسخة: التعاليق، (**ورتبوا فيه طرق المجادلات**) على طريقة ركن الدين العميدي (**واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات**) بتكثير الكلام فيها، (**وزعموا**) قائلين (**أن غرضنا**) من هذا (**الذب**) أي الدفع (**عن دين الله عز وجل**) وحماية حوزته (**والنضال**) أي المدافعة (**عن السنّة**) الشريفة (**وقمع**) الطائفة (**المبتدعة**) من المعتزلة والقدرية وغيرهما من الفرق الضالة، (**كما زعم من قبلهم**) من المشتغلين (**أن غرضهم الاشتغال بفتاوى الدين**) حسبة لله تعالى (**وتقلد أمور المسلمين**) بحسن التوسط بينهم (**إشفاقاً على خلق الله ونصيحة لهم**) وربما تعلقوا بحديث النصح لكل مسلم ونزلوا معناه على أفعالهم. (**ثم ظهر بعد**

يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه. لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية إلى اهراق الدماء وتخريب البلاد، ومالت نفسه إلى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص. وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى وغيرهم، وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل

ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض) أي لم يرَ الخوض **(في الكلام وفتح باب المناظرة)** والمجادلة **(فيه)** صواباً **(لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة)** والحميات الشيطانية **(والخصومات الفاشية)** الظاهرة. وفي نسخة الناشئة بالنون **(المفضية)** أي الموصلة **(إلى إهراق الدماء وإخراب البلاد)**. ومن أعظمها فتنة الوزير أبي نصر منصور بن محمد الكندي الذي كان معتزلياً خبيث العقيدة متعصباً للكرامية والمجسمة في زمن السلطان طغرلبك السلجوقي فأدت إلى خروج إمام الحرمين، والحافظ البيهقي، والإمام أبي القاسم القشيري وغيرهم من أئمة السنة من نيسابور، وقد طار شرر هذه الفتنة فملأ الآفاق، وطال ضررها فشمل خراسان والشام والحجاز والعراق، وعظم خطبها ونهبت البلاد وأخرجت البلدان. وفي ذلك صنف القشيري رسالة إلى البلاد سماها (شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة). وقد جالت هذه الرسالة في البلاد وانزعجت نفوس أهل العلم بسببها حسبما أوردها مع تفصيل الفتنة ابن السبكي في طبقاته، فراجعه إن شئت **(ومالت نفسه)** لذلك **(إلى المناظرة في الفقه)** فقط بالرد والنقض على المخالفين **(و)** اختار من ذلك **(بيان الأولى)** والأرجح **(من مذهب)** الإمام **(الشافعي)** والإمام **(أبي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص)** لشهرتها وكثرة من قلد مذهبها في غالب الأقطار، **(فترك الناس الكلام وفنون العلم وأقبلوا)**. وفي نسخة: انثالوا **(على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص)**. وقد تقدم عن ابن خلدون قال في مقدمة تاريخه: لما انتهى الأمر إلى الأئمة الأربعة وكانوا بمكان من حسن الظن اقتصر الناس على تقليدهم، فأقيمت هذه الأربعة أصولاً للملة وأجري الخلاف بين المتمسكين بها فجرى الخلاف في النصوص الشرعية وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب إمامه يجري على أصول صحيحة ويحتج بها كل على صحة مذهبه اهـ.

(وتساهلوا في الخلاف مع مالك رحمه الله) لأن أكثر مقلدي مذهبه مغاربة وهم بادية، فلذلك لم يصنفوا فيه كتباً إلا ما كان من المتأخرين منهم **(وسفيان)** بن سعيد الثوري **(وأحمد)** بن حنبل لقلة مقلدي مذهبها بالنسبة إلى الأولين **(وغيرهم)** من الأئمة. **(وزعموا أن غرضهم)** من ذلك **(استنباط)** أي استخراج **(دقائق الشرع)** وبيان المأخذ **(و)** معرفة القواعد التي يعرف منها **(تفريع)** وفي نسخة: تقرير **(علل المذهب وتمهيد**

المذهب وتمهيد أصول الفتاوى، وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه إلى الآن، ولسنا ندري ما الذي يحدث الله فيما بعدنا من الاعصار؟ فهذا هو الباعث على الإكباب على الخلافيات والمناظرات لا غير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة أو إلى علم آخر من العلوم لمالوا أيضاً معهم، ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب إلى رب العالمين.

أصول الفتاوى) مع المحافظة عليها من هدم مخالف أو نقض مصادم، **(فأكثروا فيها التصانيف)** والتعاليق منظومة ومنثورة. **(والاستنباطات)** الغريبة **(ورتبوا فيها أنواع المجادلات)** والخصومات **(والتصنيفات)**، فمن ذلك تعليقة أبي زيد الدبوسي من الحنفية، وخلافيات الحافظ البيهقي وغير هؤلاء. **(وهم مستمرون عليه إلى الآن)** أي إلى زمان تأليف الكتاب وهو سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ولسنا ندري ما الذي قدر الله تعالى فيما بعدنا من الأعصار).

قلت: ثم تعاظم الأمر في ذلك وأوسعوا فيه الكلام ومالوا إليه مرة واحدة، بحيث لا يعد العالم فيما بينهم إلا إذا استكمل الخلاف والجدل، وحصلت المناظرات بين الحنفية والشافعية وترتب على ذلك تخريب بعض البلاد وإجلاء بعض العلماء، ومن أعظمها ما حصل بمرو أم مدن خراسان بسبب ابن السمعاني وغيره، **(فهذا)** الذي ذكرت **(هو الباعث)** لهم **(على الإكباب)** والإقدام **(على الخلافيات والمناظرة)** والجدل **(لا غير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا)** وأمرائها **(إلى الخلاف مع إمام آخر من الأئمة)** غير من ذكروا **(أو إلى علم آخر من العلوم لمالوا أيضاً معهم)**، كما اتفق لملوك الروم وميلهم إلى علوم الفلاسفة، فاشتغل الناس بتحصيلها من كل وجه، وامتلأت المدارس الشرعية بمن يحصلها وأوسعوا فيها من التأليف، ووقعت الحكومات والمنافسات وأعطوا على ذلك أموالاً، فوجب صرف العناية إليها ولم تندثر تلك العلوم من بلاد الروم إلا عن قريب، وهذا كما قيل: الناس على دين ملوكهم، **(ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم)** من تحصيله **(سوى التقرب إلى رب العالمين)** وقد أخطأوا فيما زعموا.

وكل يدَّعي وصلاً بليلى ... وليلى لا تقرّ لهم بذاك

ثم ان الشيخ رحمه الله تعالى ذكر سبب الإقبال على علم الخلاف والانكباب عليه، ولم يذكر الأسباب الموجبة للخلاف في هذه الملة وهي ثمانية. **الأول:** اشتراك الألفاظ والمعاني. **الثاني:** الحقيقة والمجاز. **والثالث:** الافراد والتركيب. **والرابع:** الخصوص والعموم. **والخامس:** الرواية والنقل. **والسادس:** الاجتهاد فيما لا نص فيه، **والسابع:** الناسخ والمنسوخ، **والثامن:** الإباحة والتوسيع وتفصيل ذلك في كتاب ألفه أبو محمد عبدالله بن السيد البطليوسي وهو حسن في بابه فراجعه إن شئت.

(بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف) :

اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك بأن غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح، فإن الحق مطلوب والتعاون على النظر في العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر، هكذا كانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في مشاوراتهم كتشاورهم في مسألة الجد والأخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الإمام إذا أخطأ، كما نقل من إجهاض المرأة جنينها خوفاً من عمر رضي الله عنه، وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعي وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبي يوسف، وغيرهم من

(بيان التلبيس) : أي التخليط **(في تشبيه هذه المناظرات)** التي تجري بينهم **(بمشاورات الصحابة رضي الله عنهم ومفاوضات السلف)** الصالحين.

(اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس إلى ذلك) أي يأخذونهم على طريق الاستدراج **(بأن غرضنا من المناظرة المباحثة عن الحق)** والتفحص عنه لنتبعه **(وليتضح)** وضوحاً كلياً، **(فإن الحق مطلوب)** لا محالة **(والتعاون على النظر)** أي طلب المعنى بالقلب من جهة الفكر كما يطلب إدراك المحسوس بالعين **(وتوارد الخواطر)** بعضها على بعض **(مفيد ومؤثر)** تأثيراً بليغاً **(و)** يزعمون أنه **(هكذا كانت عادة الصحابة)** الكرام رضي الله عنهم **(في مشاوراتهم)** مع بعضهم في مسائل إذا اختلف فيها **(كتشاورهم)** أي كما تشاوروا **(في مسألة الجد والاخوة)**، فأفتى فيها أبو بكر الصديق بمشاورة الصحابة بأن أنزله أباً، وبه أفتى ابن الزبير لأهل الكوفة كما في البخاري في مناقب الصديق، وبه أخذ الإمام أبو حنيفة، وأفتى زيد بن ثابت بأن له مع الأخوة خير الأمرين من المقاسمة وأخذ ثلث المال، وبه أخذ الشافعي وباقي الأئمة. **(وحد شرب الخمر)** فقيل: أربعين كما في صحيح مسلم، وقيل ثمانين كما في البخاري وفي مسلم أن عبدالله بن جعفر جلد الوليد بن عقبة بين يدي عثمان، وكان أخاً لأمه وعلي يعده حتى بلغ أربعين، فقال: أمسك. ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين، وأبو بكر أربعين، وعثمان ثمانين. وكل سنة وهذا أحب إليّ. **(ووجوب الغرم على الإمام إذا أخطأ)** في اجتهاده، **(كما نقل من إجهاض)** أي إلقاء **(امرأة جنينها)** من بطنها لغير تمام **(خوفاً من عمر)** رضي الله عنه فوداه من عنده، **(وكما نقل في مسائل الفرائض)** وهي كثيرة **(وغيرها)** مما تشاور فيه الصحابة رضي الله عنهم، **(وما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن)** الشيباني **(ومالك)** بن أنس **(وأبي حنيفة)** النعمان **(وأبي يوسف)** يعقوب، **(وغيرهم من العلماء)** كأحمد، وإسحاق بن راهويه، وأبي ثور في مناظراتهم مع بعضهم، وبعض ذلك مذكور في الطبقات الكبرى لابن السبكي، فهذا هو الذي أوقع الناس في التلبيس. **(ويطلعك على هذا**

العلماء رحمهم الله تعالى. ويطلعك على هذا التلبيس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان.

الأوّل: ان لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الأعيان، ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو كذاب. ومثاله من يترك الصلاة في نفسه ويتجرد في تحصيل الثياب ونسجها ويقول: غرضي أستر عورة من يصلي عرياناً ولا يجد ثوباً، فإن ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن، كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرات مهملون لأمور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال فقام وأحرم بالصلاة التي هي أقرب القربات إلى الله تعالى عصى به، فلا يكفي في كون الشخص مطيعاً كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب.

الثاني: أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة، فإن رأى ما هو أهم وفعل غيره

التلبيس ما أذكره لك) مفصلاً (**وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين**). وقد ورد في الحديث «طلب الحق غربة». (**ولكن له شروط وعلامات**) بها ينتظم أمره وبها يظهر حقه من باطله.

(**الأول**): من الشروط (**أن لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات**) كما تقدم (**من لم يتفرغ عن**) تحصيل (**فروض الأعيان**) الواجبة عليه، (**ومن**) كان (**عليه فرض عين**) فتركه (**واشتغل بفرض كفاية وزعم ان مقصوده**) طلب (**الحق فهو كذاب**) وفي نسخة: كاذب (**ومثاله**) مثال (**من يترك الصلاة**) المفروضة عليه (**في نفسه ويتجسرأ**). وفي نسخة: يتجرد (**في تحصيل الثياب ونسجها**) وخياطتها (**ويقول: غرضي به ستر عورة من يصلي عرياناً ولا يجد ثوباً**) يستتر به، (**فإن ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن**) في الخارج، (**كما يزعم الفقيه أن وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن**) الوقوع (**والمشغولون في المناظرة مهملون**) وفي بعض النسخ: والمستغرق بالمناظرة مهمل (**لأمور**) أي تارك لها (**هن**) وفي نسخة: هي أي تلك الأمور (**فرض عين**) عليه (**بالاتفاق، ومن توجه عليه ردّ وديعة في الحال**) وترك ذلك (**فقام يحرم بالصلاة**) وفي نسخة فقام وتحرم بالصلاة (**التي هي أقرب القربات إلى الله تعالى**) مع بقاء وقتها (**عصى**) الله (**بذلك، فلا يكفي في كون الشخص مطيعاً**) لله تعالى (**كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت**) الذي يؤدي فيه (**والشرط**) الذي يتم به (**والترتيب**) الذي به يقبل.

(**الثاني**): من الشروط (**أن لا يرى فرض كفاية**) من فروض الكفايات التي ذكرت

عصى بفعله وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء، فاشتغل بتعلم الحجامة، وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس، وإذا قيل له في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول: هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية. فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها، فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء إليها، وأقربها الطب إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعوّل فيه على قول الطبيب شرعاً، ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به، وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات، وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته

(**أهم من المناظرة**) وأكثر اعتناء منها، (**فإن رأى ما هو أهم عصى بفعله**) هذا (**وكان مثاله**) مثال (**من رأى جماعة من العطاش**) جمع عطشان قد (**أشرفوا على الهلاك**) لعدم الماء (**وقد أهملهم الناس**) أي تركوهم (**وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء**) وترك ذلك، (**فاشتغل بتعليم الحجامة**) مثلاً، (**وزعم انه من فروض الكفايات**) وانه مما ينبغي الاعتناء بها (**و**) أنه (**لو خلا البلد عنها لهلك الناس، وإذا قيل له في البلد جماعة من الحجامين**) قد قاموا بهذا العلم (**وفيهم غنية**) وكفاية (**فيقول**) مناظراً: (**وهذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية، فحال من يفعل هذا ويهمل**) أي يترك (**الاشتغال بالواقعة الملمة**) أي الحادثة النازلة (**لجماعة العطاش من المسلمين**) وقد أشرفوا على الهلاك (**كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد**) جملة من (**فروض كفايات مهملة**) متروكة (**لا قائم بها**) ولا سائل عنها، (**وأما الفتوى فقد قام بها جماعة**) من العلماء (**ولا يخلو بلد**) من البلاد (**عن جملة من الفروض المهملة**) قد تركوها (**ولا يلتفت الفقهاء إليها**) أصلاً، (**وأقربها**) وفي نسخة: وأكبرها (**الطب**) فقد ضيعوه رأساً (**إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم**) عارف ماهر (**يجوز اعتماد شهادته فيما**) يصف من الأدوية و (**يعوّل فيه على قول الطبيب فيه شرعاً**) كما هو مشاهد في هذه الأزمان والبلاد، (**ولا يرغب أحد من العلماء في الاشتغال به**) لما تقدم انه لا تحصل به المشيخة والرئاسة ولا الوصايا وحيازة الأموال. قال صالح جزرة عن الربيع، قال الشافعي: لا أعلم بعد الحلال والحرام أنبل من الطب، إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه. وقال حرملة: كان الشافعي يلتهف على ما ضيع المسلمون من الطب ويقول: ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى، (**وكذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من فروض الكفايات**) كما تقدم، (**وربما يكون المناظر في مجلس مناظرته مشاهداً للحرير مفروشاً وملبوساً**)، وهو من جملة لمنكرات الشرعية، ولكن في المفروش

مشاهداً للحرير ملبوساً ومفروشاً وهو ساكت ويناظر في مسألة لا يتفق وقوعها قط وإن وقعت قام بها جماعة من الفقهاء، ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفروض الكفايات. وقد روى أنس رضي الله عنه أنه قيل يا رسول الله: متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ فقال عليه السلام: «إذا ظهرت المداهنة في خياركم والفاحشة في شراركم وتحوّل الملك في صغاركم والفقه في أراذلكم».

خلاف لأبي حنيفة كما سيأتي بيانه فيما بعد. **(وهو ساكت)** لا ينهى عن ذلك. وروى أبو محمد البستي السختياني نزيل مكة: حدثني الحرث بن شريح قال: دخلت مع الشافعي على خادم الرشيد وهو في بيت قد فرش بالديباج، فلما وضع الشافعي رجله على العتبة أبصره فرجع ولم يدخل، فقال له الخادم: ادخل، فقال: لا يحل افتراش هذا فقام الخادم متبسماً حتى دخل بيتاً له فرش بالأرمني، فدخل الشافعي ثم أقبل عليه، فقال: هذا حلال وذاك حرام وهذا أحسن من ذاك وأكثر ثمناً منه فتبسم الخادم وسكت، **(و)** الحال أنه **(يناظر في مسألة)** نادرة **(لا يتفق وقوعها وإن وقعت قام بها جماعة من الفقهاء)** وكفوه مؤنتها، **(ثم يزعم)** في معتقده **(أنه يريد أن يتقرب إلى الله تعالى بفرض الكفاية)**.

قلت[1]: هكذا أورده ابن عبد البر من طريق ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن أبي أمية وأورد أبا أمية في الصحابة وذكر هذا الحديث له وقال لا أعرفه بغير هذا وقال ذكره بعضهم في الصحابة وفيه نظر.

وأخرج الخطيب في كتاب الاقتضاء فقال: أخبرنا أبو نصر أحمد بن علي بن عبدوس الاهوازي إجازة قال: سمعت محمد بن ابراهيم الأصبهاني يقول: سمعت عبدالله بن الحسين الملطي يقول: سمعت محمد بن هارون يقول: سمعت ابن أبي أويس يقول: حضر رجل من الأشراف عليه ثوب حرير قال، فتكلم مالك بكلام لحن فيه. قال؛ فقال الشريف: ما كان لأبوي هذا درهمان يعلمانه النحو. قال، فسمع مالك كلام الشريف، فقال: لأن تعرف ما يحل لبسه مما يحرم عليك خير لك من ضرب عبدالله زيداً وضرب زيد عبدالله.

(وقد روى أنس) رضي الله عنه **(قيل: يا رسول الله، متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: «إذا ظهرت المداهنة)** وفي رواية: إذا ظهر الادهان أي الملاينة وترك المجادلة، وأصل ذلك من الدهن الذي يمسح به الرأس، ثم جعل عبارة عما ذكرنا **(في خياركم والفاحشة في شراركم وتحول الملك في صغاركم والفقه في أرذالكم»)**. وفي نسخة في رذالكم وفي أخرى: في أراذلكم. قال العراقي: أخرجه ابن ماجه باسناد حسن، وقال في التخريج الكبير رواه أحمد، وابن ماجه، وابن عبد البر في بيان آداب العلم واللفظ له باسناد حسن من رواية

---

(١) هذه الزيادة من قوله: قلت إلى قوله وأخرج الخ لا معنى لها هنا والصواب اسقاطها كما في بعض النسخ اهـ. مصححة.

الثالث: أن يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما حتى إذا ظهر له الحق من مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وأفتى بما ظهر له، كما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم والأئمة، فأما من ليس له رتبة الاجتهاد، وهو حكم كل أهل العصر وإنما يفتي فيما يسئل عنه ناقلاً عن مذهب صاحبه. فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له أن يتركه، فأي فائدة له في المناظرة ومذهبه معلوم وليس له

أبي معبد حفص بن غيلان عن مكحول عن أنس بزيادة في أوله. وقال ابن ماجه: إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم قالوا: يا رسول الله، وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: «الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم والعلم في رذالكم» قال زين بن يحي أحد رواة الحديث معنى والعلم في رذالكم إذا كان العلم في الفساق اهـ.

قلت: ويروى هذا الحديث عن عائشة وجدته في الأول من مشيخة أبي يوسف يعقوب بن سفيان القوسي قال: حدثنا الحسن بن الخليل بن يزيد المكي، حدثنا الزبير بن عيسى، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: يا رسول الله؛ متى لا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر؟ قال: «إذا كان البخل في خياركم، وإذا كان العلم في رذالكم، وإذا كان الادهان في كباركم، وإذا كان الملك في صغاركم» اهـ.

ومن شواهد هذ ما أخرجه البخاري في أول صحيحه من حديث أبي هريرة رفعه: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة». وفي الرقاق منه: إذا أسند. قال الحافظ: فيه إشارة إلى أن اسناد الأمر إلى غير أهله، إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم، وذلك من جملة الاشراط. ومعناه أن العلم ما دام قائماً ففي الأمر فسحة، وكأنه أشار إلى أن العلم إنما يؤخذ من الاكابر تلميحاً لما رُوي عن أبي أمية الجمحي رفعه قال: «من أشراط الساعة أن يلتمس العام عند الأصاغر».

(**الثالث: أن يكون المناظر**) في مباحثته (**مجتهداً**) الاجتهاد عرفاً استفراغ الفقيه وسعه لتحصيل ظن بحكم شرعي (**يفتي برأيه لا بمذهب الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما**) من الأئمة (**حتى إذا ظهر له الحق**) في مثله بعد ارتياض الفكر فيه (**من مذهب أبي حنيفة**) مثلاً (**ترك ما يوافق**) مذهب إمامه (**الشافعي**) مثلاً، (**وأفتى بما ظهر له**) من استنباطه، (**كما كان يفعله الصحابة**) رضوان الله عليهم لتلقيهم من أنوار النبوة (**والأئمة**) المتقدمون، (**فأما من ليس له رتبة الاجتهاد**) وهو الاستقلال في الاجتهاد وهو شيء قد عدم منذ إعصار. تلك أمة قد خلت. (**وهو حكم أهل هذا العصر**) أي عصر المصنف (**وإنما يفتي فيه ناقلاً**) بطريق التقليد (**عن مذهب صاحبه**) وإمامه الذي قلده، (**فلو ظهر له**) فيما تأمله (**ضعف مذهبه لم يجز له أن**) ينسب الضعف إليه ولا أن (**يتركه**) والعمل به والافتاء للناس، (**فأي فائدة له في المناظرة**) مع خصمه (**ومذهبه معلوم**) مدون (**ليس له الفتوى بغيره**) لتقيده

الفتوى بغيره؟ وما يشكل عليه يلزمه أن يقول: لعل عند صاحب مذهبي جواباً عن هذا، فإني لست مستقلاً بالاجتهاد في أصل الشرع، ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه، فإنه ربما يفتي بأحدهما فيستفيد من البحث ميلاً إلى أحد الجانبين ولا ترى المناظرات جارية فيها قط، بل ربما ترك المسألة التي فيها وجهان أو قولان وطلب مسألة يكون الخلاف فيها مشبوتاً.

فيه؟ (**وما يشكل عليه**) من المسألة ويتوقف فيه (**يلزمه أن يقول**) لم يظهر لي الآن وجه الصواب في هذه المسألة: (**ولعل عند صاحب مذهبي**) أي إمامي الذي أقلده (**جواباً**) واضحاً (**عن هذا، فإني لست مستقلاً بالاجتهاد**) أي لست مجتهداً مستقلاً (**في أصل الشرع**) وقواعده فيتعلل بذلك، وقوله: هذا صحيح واعتذاره ظاهر، (**ولو كانت مباحثته**) في مناظراته (**عن المسائل التي فيها وجهان أو قولان لصاحبه**) كما هو مشاهد في كثير من المسائل في مذهبي أبي حنيفة والشافعي (**لكان أشبه**) بالصواب، (**فإنه ربما يفتي بأحدهما فيستفيد من البحث**) مع صاحبه (**ميلاً إلى أحد الجانبين**) وركوناً إلى أحد القولين واستناداً إلى أحد الوجهين، (**و**) أنت (**لا ترى المناظرات**) والمباحثات الآن (**جارية فيها قط**) لأن مثل تلك المسائل عندهم كأنها لا طائل تحتها. (**بل ربما ترك المسألة التي فيها وجهان أو قولان**)، والوجه في المسألة أن تكون المسألة غير مصرح بها في نصوص إلا أنها مقاسة على أصول قواعد المذهب. وأما القول فما كان مصرحاً به من الإمام. فهذا الفرق بين الوجه والقول (**وطلب مسألة يكون الخلاف فيها مشبوتاً**) لكثرة الكلام وصحبة المجادلة مع المخالفين. وسيأتي بيان ذلك قريباً بعد هذا، وبيان هذا المحل يستدعي إلى بسط في العبارة ليكون المناظر عند معرفتها على بصيرة، فنقول:

ذكر العماد أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد العلي السكري مدرس منازل العز في كتابه الارشاد إلى طريق الاجتهاد ما نصه: إن رعاع الفقهاء وضعفة الطلبة يخيل إليهم أن النظر في مسائل الشرع قد انسدت طرقه وعميت مسائله، وأن الغاية القصوى عندهم أن يسأل واحد منهم عن مسألة فيقول فيها وجهان أو قولان. وقال الشافعي في القديم كذا، وفي الجديد كذا، وقال أبو حنيفة كذا، ومالك كذا. ويرى أنه علم قد أبرزه وتراهم أبداً يقدحون في المجتهدين ويجادلون لطالبين ويحثون على تحصيل الأم للشافعي أو لباب المحاملي أو غير ذلك من الكتب المبسوطة حتى إذا وقعت واقعة كشف الكتاب، فإن رأى المسألة مسطورة حكم بها وإن رأى مسألة أخرى فزعم أنها تشابهها حكم بحكم تلك المسألة فهم حشوية الفروع، كما أن المشبهة حشوية الأصول، والعجب أنهم لا يقنعون بقصورهم حتى يضيفوا القصور إلى من سبق من الأئمة ويقول بعضهم: ما بقي بعد الشافعي مجتهد، ويقول: ما بقي بعد ابن شريح مجتهد، فانظروا إلى قدح هؤلاء في الأئمة المبرزين وأنهم كانوا يقدمون على ما لا يعلمون، فإن الأئمة ما زالوا في جميع الأقطار يراجعون في الفتاوى ويفتون باجتهادهم مع اختلاف أصنافهم كالمعروفين بنشر مذهب الشافعي

....

كأبي إسحاق صاحب المهذب وأشياخه من أئمة العراق كلهم مبرزون مفتون، وكذلك أئمة خراسان كإمام الحرمين وأشياخه وتلاميذه أبي حامد الغزالي والكيا والخوافي، وكذلك أتباعهم كمحمد بن يحيى، ومن كان في درجته من أصحاب الغزالي وكلهم قد طبق فتاويهم وجه الأرض مع صريح من فقه الشافعي، ومن تأمل فتاويهم رأى ما ذكرناه. وكذلك الأئمة المشهورون في مذهب مالك وأبي حنيفة لم يزالوا يفتون ويجتهدون في جميع الأقطار والمناكرة في ذلك مكابرة، ثم قال: واعلم انه لا يجوز الكلام في أحكام الله تعالى بمحض الشهوة والرأي، بل لا بد من طريق نصبها الشارع، وللشارع طريقان نصبهما طريق في حق المجتهد، وطريق في حق العامي المقلد، وطريق المجتهد النظر في الأدلة الشرعية المنصوصة من قبل الشارع والتوصل بها إلى أحكام الله تعالى، كما كان دأب الصحابة والتابعين، وطريق في حق العوام هو تقليد أرباب الاجتهاد كما كان في زمن الصحابة والتابعين، وهذان متفقان على نصبهما، ثم أطال العبارة وذكر مسائل مهمة لا بدّ من معرفتها.

الأولى: إذا نقلت لكم أقوال الشافعي في الواقعة الواحدة أتعملون بكل قول أم بالبعض دون البعض؟ فإن قالوا: نعمل بكل قول سقطت مقالتهم، فإن الفعل الواحد كيف يكون حلالاً حراماً في وقت واحد من وجه واحد بالنسبة إلى شخص واحد، فهذا مما لا يمكن أن يقال به، فإن قالوا: نعمل بالمتأخر دون المتقدم. فنقول: ما بالكم تنقلون المتقدم وتقولون في أكثر محاوراتكم يصح على قول، وبيع الغائب صحيح على قول الشافعي، وتعتمدون عليه. وهذا لا يجوز أن يفعل على هذا الوجه، بل ينبغي إذا نقلتموه لمن ساءلكم أن تقولوا هو قول مرجوع عنه لا يجوز الاعتماد عليه، وإنما ذكرناه لفقهه لا لحكمة فيكونون ملتبسين بهذا الإطلاق مع أني رأيت بعضهم إذا أنكر عليه أمر فعله اعتذر بأنه قول الشافعي.

الثانية: العمل بالأرجح، فالأرجح من الأقوال، فيقول: الترجيح طرف من أطراف الاجتهاد فلا حظ لك فيه لأنك اعترفت أنك من جملة العوام المقلدين وترجيح أحد القولين على الآخر إن كنت تنقله عن الشافعي أو من عندك، ولا يمكنك نقل الترجيح إلى الشافعي فلزم الثاني، فأنت إذاً تعمل باجتهادك لا باجتهاد الشافعي، ولعل الإمام ترجح عنه القول الآخر بترجيح آخر لم تطلع عليه أنت، ولعله لا يدري ما ذكرته مرجحاً. فقد تعذر عليهم تقليد الشافعي في مثل هذه المسائل، ووجب عليهم الكف عن الحكم فيها، فإنهم ليسوا مجتهدين وقد تعذر عليهم التقليد. وكذلك الكلام في المسائل ذوات الوجوه المنقولة عن الأصحاب، وعند ذلك يجب عليهم الكف عن الكلام في معظم مسائل المذهب، ثم أن قولهم ترجيح أحد القولين على الآخر على الاطلاق خطأ، فإن الترجيح لا يتصوّر في المذاهب بوجه من الوجوه، فإن كون هذا حراماً أو مباحاً فما في التحريم نقصان ولا في الاباحة زيادة ولا يتصوّر الزيادة والنقصان في الأحكام بوجه من الوجوه، وإنما يكون الترجيح بزيادة في أحد الأمرين لم يوجد في الثاني، وهذا

....

إنما يتصور في الأدلة بأن يختص أحدهما بزيادة تؤكد الظن الحاصل فيه، ولم توجد في الآخر فإن أرادوا هذا المعنى فقد أصابوا في المراد وأخطأوا في الاطلاق، وإذا آل الأمر إلى الترجيح في الأدلة، فلا بد للمرجح من معرفة الدليل وشروطه وأوصافه، وبعد هذا يتحقق عنده مقابل الأدلة وإلاّ كيف يتصور ممن لا يعرف الأدلة وشروطها أن يكون بحكم مقابلها، ثم يخوض بعد ذلك في ترجيح بعضها على بعض، وأنتم قد حكمتم على أنفسكم بالعجز عن استخراج الأدلة، وإذا فقد معرفة الأدلة التي هي شرط معرفة الترجيح لزم ضرورة انتفاء الشرط وهي معرفة الترجيح، ثم إن المسألة إذا كان فيها قولان مختلفان يحرم على العامي العمل بها إذا لم يعرف المتقدم من المتأخر وتصير في حقه كأن لم يكن للمنقول فيها عند قول أصلاً وتعين عليه أن يراجع المنقول عنه إن أمكن أو تقليد غيره ممن يجوز الاعتماد عليه والمسائل التي قد نقل فيها قولان عن أبي حنيفة والشافعي كثيرة، وربما يكون معظم المذهب وكان يجب عليكم الكف عن الكلام فيها. ولو فعلتم ذلك لذهبت شهامتكم واختلت مناصبكم ونسبتم إلى قلة العلم.

فإن قيل: كيف يجوز لكم الفتوى فيما لم ينقل عن مقلدكم فيه حكم وأنتم لستم بأهل الاجتهاد باعترافكم؟ قالوا: نقيسها على مسألة مسطورة وربما تحدث فيحدث، ويقول: أصول الشافعي تقتضي كذا في هذه المسألة: فيقال لهم: أتردّون الحكم إلى اجتهادكم أو إلى اجتهاد الشافعي؟ الأوّل: لا تعرفون به، وأما الثاني فيقال عليه قد افتريتم على الشافعي، فإنه لم يتكلم في هذه المسألة فكيف يحل لكم أن تنسبوا إليه ما لم يقل؟ فإن قالوا: نعني بكونها منسوبة إليه أنها مقاسة على ما نص عليه، فاعلم أن في هذا الاطلاق تدليساً فإنه يفهم منه حكم الشافعي، وقد علمتم أن سائلكم إنما سأل عما ذكره الإمام الشافعي، فيحق لكم أن لا تطلقوا النسبة إليه، وأيضاً قولكم هذا إن كان عن اجتهاد فلا يمكنكم أو عن تقليد فلا يمكن أيضاً لأنه انطوى بساط الاجتهاد بالشافعي أو بابن سريج كما زعمتم فما بعدهما لا يجوز الاعتماد على اجتهاده، ثم قال: اعلم أن الإجتهاد جنس تندرج تحته أنواع متعددة فإن الاجتهاد في المسائل القياسية غير الاجتهاد في المسائل التي مستندها ألفاظ الشارع وغير الاجتهاد في المسائل التي مستندها أفعال النبي ﷺ، وكل نوع من هذه الأنواع يمكن العلم به مع عدم العلم بغيره، فيمكن أن يكون الواحد ماهراً في القياس وشروطه ومراتبه وموارده، ولا يكون عالماً بتفاصيل الاخبار ولا مطلعاً على صحيحها وفاسدها، وبالعكس هذا بالنظر إلى جملة الأنواع، وكل نوع مشتمل على صور أيضاً، فإن القياس يستعمل في مسائل متعددة في البيوع والنكاح والقصاص فيمكن أن يكون الواحد منا مطلعاً على مسائل النكاح عالماً بأقيستها معتنياً فيها، ولا يكون مطلعاً على مسائل البيع، فليس الاجتهاد خطة واحدة لا تتعدد أنواعه ولا تتكثر مسائله، فعند هذا يمكن أن يكون الواحد مجتهداً في بعض المسائل مجيباً عن البعض ولا يكون عالماً بالبعض، فليس من شرط المجتهد أن يكون مجيباً عن كل ما يُسْأَل عنه، ولذلك توقف كثير من الائمة في الجواب عن بعض المسائل، فلا يجوز لأحد أن يفتي في مسألة من المسائل إلّا إذا كان محيطاً بأدلتها وما لا فيمسك عن الفتيا فيها ولا يبقى

....

بعد هذه الحالة إلا تحصيل الأدلة الجزئية في آحاد المسائل من نصوص أو أقيسة، فإذا اطلع على دليل مسألة كان من أهل الفتيا في تلك المسألة ولا يضره كونه غير مطلع على دليل المسألة الأخرى، ثم قال: واعلم أن الاجتهاد عبارة عن بذل الجهد في طلب حكم من الأحكام الشرعية ممن هو عارف بسلوك طرقها وله شروط وهي قسمان. قسم في المنظور فيه، وقسم في الناظر. أما المنظور فيه فيشترط فيه أن لا يكون في محل القطع، فإن محال القطع لا مجال للاجتهاد فيها كأصل وجوب الصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مما يحكم فيه بأدلة قطعية لا يسوغ خلافها. وأما الناظر فيشترط فيه أمران. **أحدهما**: أن يكون عارفاً بقوانين الأدلة وشروطها وكيفية استخراجها. **والثاني**: أن يكون متمكناً من استخراج الدليل خاصاً في المسألة التي يجتهد فيها، ثم أطال الكلام في ذلك ونحن قد اختصرنا لك ما ناسب في هذا المقام، وعلى نمطه ألف السيوطي كتاب **(الأصعاد إلى رتبة الاجتهاد)**. وذكر الشهاب أحمد بن محمد بن الهائم المصري نزيل بيت المقدس في كتابه **(نزهة النفوس)** ما نصه فائدة قال أبو عمرو بن الصلاح: المفتون قسمان. مستقل وغيره، ثم بيّن المستقل قال وهو شيء قد عدم من اعصار.

والقسم الثاني الذي ليس بمستقل وهذا أيضاً قد عدم من دهر طويل وصارت الفتوى إلى المنتسبين إلى المذاهب المتبوعة، وللمفتي المنتسب أربعة أحوال.

أحداها: أن لا يكون مقلداً لإمامه لا في المذهب ولا في دليل لاتصافه بصفة المستقل وإنما ينسب إليه لسلوك طريقته في الاجتهاد، ثم حكى من قال ذلك من أئمة أصحابنا، ثم قال: ودعوى انتفاء التقليد عنهم مطلقاً لا يستقيم ولا يلائم المعلوم من حالهم أو حال أكثرهم. قال: ثم فتوى المفتي في هذه الحالة كفتوى المستقل في العمل بها في الإجماع والخلاف. قال الاذرعي: وهذا شيء قد انطوى أيضاً.

الحالة الثانية: أن يكون مجتهداً مقيداً في مذهب إمامه مستقلاً بتقرير أصوله بالدليل غير أنه لا يتجاوز في أدلته أصول إمامه وقواعده وشرطه، كونه عالماً بالفقه وأصوله وأدلة الأحكام نفصيلاً بصيراً بمسالك الأقيسة والمعاني تام الارتياض في التخريج والاستنباط قيماً بالحاق ما ليس منصوصاً لإمامه بأصوله ولا يعرى عن شوب تقليد له لا خلاله ببعض أدوات المستقل إلى أن قال: وهذه صفة أصحاب الوجوه ولكنه فقيه النفس حافظ مذهب إمامه عارف بأدلته قائم بتقريرها يصور ويحرر ويقرر ويمهل ويزيف ويرجح، لكنه قصر عن أولئك لقصوره عنهم في حفظ المذهب أو الارتياض في الاستنباط أو معرفة الأصول أو نحوها من أدواتهم. وهذه صفة كثير من المتأخرين إلى أواخر المائة الرابعة الذين رتبوا المذهب وحرروه وصنفوا فيه تصانيف فيها معظم اشتغال الناس اليوم ولم يلحقوا الذين قبلهم في التخريج[١].

---

(١) الحالة الثالثة ساقطة من الأصل.

الرابع: أن لا يناظر إلا في مسألة واقعة أو قريبة الوقوع غالباً، فإن الصحابة رضي الله عنهم ما تشاوروا إلا فيما تجدد من الوقائع أو ما يغلب وقوعه كالفرائض، ولا ترى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التي تعم البلـوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي يتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر، وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسألة خبرية أو هي من الزوايا وليست من الطبوليات، فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسألة لأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الاخبار أو لأنها

الحالة الرابعة: أن يقدم المذهب ونقله وفهمه في الواضحات والمشكلات، ولكن عنده ضعف في تقرير أدلته وتحرير أقيسته، فهذا يعتمد نقله وفتواه فيما يحكيه من مسطورات مذهبه من نصوص إمامه وتفريع المجتهدين فيه وما لا يجده منقولاً إن وجد في المنقول معناه بحيث يدرك بغير كبير فكر أنه لا فرق بينهما جاز إلحاقه به والفتوى به، وهكذا ما يعلم اندراجه تحت ضابط ممهد في المذهب، وما ليس كذلك يجب إمساكه عن الفتوى فيه. قال النووي: فهذه أصناف المفتين وكل صنف منها يشترط فيه حفظ المذهب وفقه النفس، فمن تصدى للفتيا وليس بهذه الصفة باء بأمر عظيم. قال ابن الهائم بعد نقله هذا الكلام: وليت ابـن الصلاح أثبت حالة خامسة على طريق الرخصة بحسب همم أهل هذا العصر وقصور قواهم عن بلوغ هذه المرتبة الرابعة، فلا تكاد تجد مفتياً بالشرط الذي اعتبره في المرتبة الرابعة اهـ.

(**الرابع: أن لا يناظر إلا في مسألة واقعة**) أو نازلة مهمة احتاج الأمر إلى الكشف عن حقيقتها ومعانيها اضطراراً (**أو**) في مسألة (**قريبة الوقوع غالباً**) بحيث يخاف أنها تقع فيحتاج إلى التنبيه لوقوعها، وهذا هو الشرط الأكمل لمن يناظر بالاخلاص وحسن النية، (**فإن الصحابة**) رضوان الله عليهم (**ما تشاوروا**) مع بعضهم برد الفتوى إليهم (**إلا فيما تجدد من الوقائع**) والنوازل (**أو ما يغلب وقوعه كالفرائض**)، وقد تقدمت الإشارة إليه، وأما في غير ذلك فإنهم كانوا يفتون بما اقتبسوه من مشكاة النبوّة ولا يمتنع أحد منهم من إباحة العلم أشار لذلك العماد السكري في الارشاد، (**وأنت**) الآن (**لا ترى المناظرين يهتمون**) ويفتون (**بانتقاد المسائل التي تعم البلوى بالفتوى فيها**) ولا يحومون حولها (**بل يطلبون**) المسائل (**الطبوليات**) التي يدق لها بالطبل وهي كناية عن الاشتهار والاجتماع لها وهي (**التي يتسع مجال الجدل**) ومثار نقع الخلاف (**فيها كيفما كان الأمر**) لأجل الشهرة فقط، وأن يقال فلان مناظر جدلي عالم كبير فيرتفع قدره عند عوام الناس لأجل تكالبه على حطام الدنيا، (**وربما يتركون**) البحث في (**ما يكثر وقوعه**) في الزمان ويقولون (**هذه مسألة خبرية**) قد أخبر بها فلان من الشيوخ ونص عليها فلان في الكتاب الفلاني (**أو هي من**) مسائل (**الزوايا**) التي من شأنها أن لا يحدث به إلا في الخلوة وما دروا كم في الزوايا من خبايا، (**و**) يقولون أنها (**ليست من**) مسائل (**الطبـول**) التي يضرب لها بـالطبـل، (**فمـن العجـائـب أن يكـون**

ليست من الطبول فلا نطوّل فيها الكلام والمقصود في الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول.

الخامس: أن تكون المناظرة في الخلوة أحب إليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين، فإن الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق، وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقاً كان أو مبطلاً، وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله وأن الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه، وربما يقترح عليه فلا يجيب وإذا ظهر مقدم

المطلب) والمقصد بذلك البحث (**هو**) تحقيق (**الحق**) في نفس الأمر (**ثم تترك المسألة لانها خبرية و**) الحال ان (**مدرك الحق**) ومقطعه (**الأخبار**) عما جاء من السلف الصالحين (**أو**) تترك (**لأنها**) من مسائل الزوايا و (**ليست من الطبول: فلا نطول فيها الكلام**) مع الخصم لوقوف كل منهما عند النصوص، وليس من شرط الناظر المجتهد المناقشة في مجال القطع إذ لا مجال للاجتهاد فيها كما تقدم. (**و**) الحال أن (**المقصود في**) اظهار (**الحق**) والصواب عند العارفين (**أن يقصر الكلام**) ويقل الجدال (**ويبلغ**) مع ذلك (**الغاية**) التي يريدها من تلك المسألة بالوُقوف على ما هو الحق فيها سواء وافق مقلده أو لم يوافق (**لا أن يطول**) وبالميدان يجول لأنه قلما مناظر طال كلامه في بحثه إلا وخرج عن حد الاعتدال، واحتاج إلى إيراد الغث والسمين، ومن كان بهذه الأوصاف بعيد عن إخلاص النية وحسن الطوية أجارنا الله من ذلك بمنه وكرمه آمين.

(**الخامس: أن تكون المناظرة في الخلوة**) عن الناس (**أحب إليه**) حباً لازماً (**وأهم من**) المناظرة في (**المحافل**) جمع محفل وهو مجمع الناس (**و**) من (**بين أظهر الأكابر**) من الأمراء (**والسلاطين**) والملوك أي في حضورهم وبين أيديهم، (**فإن الخلوة أجمع للفهم**) وفي نسخة: للهم أي تجمع هم المرء ولا تشتته (**وأحرى**) أي أليق (**بصفاء التفكر**) لجلاء الذهن فيها (**و**) أقرب إلى (**درك الحق**). وقد أشار إلى ذلك التقي السبكي في كتاب إلى ولده التاج يحرضه بذلك ويشير إلى ما في الخلوة من الفوائد ويمنعه عن مباحثته في المحاضر فإنها تشتت الأذهان، (**وفي حضور الجمع**) الكثير والجماء الغفير (**ما يحرك دواعي الرياء**) أي ما يستدعيه إلى ارتكاب المراآة والمباهات (**ويوجب الحرص**) والميل (**على نصرة كل واحد لنفسه**) حتى لا يقال بين هؤلاء أفحم فلان في مناظرته عن فلان (**محقاً كان أو مبطلاً**)، وربما إذا كان محقاً ونوى نصرة نفسه فإنه كذلك وبال عظيم، (**وانت أعلم**) الآن (**أن حرصهم**) وميلهم (**على حضور المحافل والمجامع**) والمحاضر لا يناظرون إلا فيها (**وان الواحد**) منهم (**يخلو بصاحبه مدة فلا يكلمه**) ولا يعتني به، (**وربما يقترح عليه**) مسألة (**فلا يجيب**) ولا يبدي فيه ولا يعيد، (**فإذا ظهر مقدم**) مصدر ميمي أي قدوم أحد من

أو انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعاً حتى يكون هو المتخصص بالكلام.

السادس: أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق، كما لو أخذ طريقاً في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر، فإنه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به، فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم حتى أن امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملأ من الناس فقال: أصابت امرأة وأخطأ رجل. وسأل رجل علياً رضي الله عنه

الرؤساء فاجتمعوا لملاقاة القادم (**أو انتظم مجمع**) الناس كالولائم والدعوات وحضور الجنائز والموالد (**لم يغادر**) أي لم يترك (**في قوس الاحتيال**) أي الحيلة (**منزعاً**) إلا نزعه (**حتى يكون هو المتخصص بالكلام**) من غير أن يلقى الله أو يقترح عليه. يقال: نزع في القوس ينزعها نزعاً ومنزعاً إذ مدّها بالوتر أو جذب الوتر بالسهم.

(**السادس: أن يكون**) المناظر (**في طلب الحق**) وانشاده حيث كان (**كمنشد ضالة**) أي كطالبها. والضالة: كل متاع ضل للإنسان أي غاب بعيراً أو غيره والجمع ضوال (**لا يفرق**) بحسن إخلاصه (**بين أن تظهر**) تلك الضالة (**على يده**) فيبينها (**أو على يد من يعاونه**) على وجدانها، (**ويرى رفيقه**) الذي يناظره (**معيناً**) له في الحقيقة على طلب الحق (**لا خصماً**) يجادله (**ويشكره إذ عرفه**) في تقريره (**الخطأ**) عن الصواب أو الغفلة (**وأظهر له الحق**)، فقد ورد لا يشكر الله من لا يشكر الناس، وتعريفه الخطأ لصاحبه نعمة جليلة حيث نبهه عليه وأرشده، فلذا ألزمه الشكر وهو ظاهر ثم أوضح ذلك بمثال فقال: (**كما لو أخذ**) أحدكم (**طريقاً**) وسار (**في طلب ضالته**) مع كمال حيرته (**فنبهه صاحبه**) الناصح (**على ضالته**) المطلوبة (**في موضع آخر، فإنه**) لا محالة (**بشكره**) على هذه النعمة (**ولا يذمه**) وهذا أقل الدرجات (**أو يفرح به ولا يكرهه**) وهذا أقل الدرجات، (**فهكذا كانت مشاورات الصحابة**) ومفاوضاتهم رضوان الله عليهم (**حتى ردت أمرأة**) من قريش (**على**) أمير المؤمنين (**عمر**) بن الخطاب رضي الله عنه في مسألة صداق النساء (**ونبهته على الحق**) فيها (**وهو**) على المنبر (**في خطبته على ملإٍ من الناس فقال**) منصفاً ولم يتوقف: (**أصابت امرأة وأخطأ رجل**).

قال السخاوي في المقاصد: رواه الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبدالله عن جده قال، قال عمر: لا تزيدوا في مهور النساء فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، ثم ذكر ردّ أمرأة عليه وفيه فقال عمر: امرأة أصابت ورجل أخطأ.

قلت: وليس فيه ذكر المنبر والخطبة. وقرأت في مناقب عمر للحافظ الذهبي ما نصه مجالد عن الشعبي عن مسروق قال: خطب عمر فقال: ما إكثاركم في صدقات النساء، فقد كان رسول

فأجابه فقال: ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا، فقال: أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم. واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما فقال أبو موسى: لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين أظهركم، وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال: هو في الجنة. وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال: أعده على الأمير فلعله لم يفهم فأعادوا عليه فأعاد الجواب، فقال ابن

الله ﷺ وأصحابه والصدقات فيما بين أربعمائة درهم فما دونها فلأعرفن ما زاد رجل في صداق على ذلك فنزل، فاعترضته امرأة من قريش فقال: أنهيت الناس أو يزيدوا النساء في صداقهن على أربعمائة أو ما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: وأين ذلك؟ قالت: ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً﴾ [النساء: ٢٠] فقال: اللهم غفراً كل انسان أفقه من عمر، ثم رجع فركب المنبر وقال أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة فمن شاء أن يعطي ما أحب فليفعل اهـ.

وقال السخاوي في مقصاده: رواه أبو يعلى في مسنده الكبير من طريق مجالد وفي آخره قال أبو يعلى وأظنه قال: فمن طابت نفسه فليفعل وسنده جيد وهو في سنن البيهقي من هذا الوجه بدون مسروق، ولذ قال عقبة: إنه منقطع ولفظه قريب من الأوّل.

وأخرجه عبد الرزاق من جهة أبي العجاء السلمي قال: خطبنا عمر فذكر نحوه فقامت امرأة فقالت له ليس ذلك لك يا عمر إن الله يقول: ﴿وآتيتم احداهن قنطاراً﴾ الآية. فقال إن امرأة خاصمت عمر فخصمته. ورواه ابن المنذر من طريق عبد الرزاق أيضاً بزيادة قنطاراً من ذهب. قال؛ وكذلك في قراءة ابن مسعود اهـ.

ويقرب من ذلك ما ذكره السمين في عمدة الحفاظ، ويحكى أن عمر سمع رجلاً يقول في دعائه: اللهم اجعلني من عبادك القليل. فقال يا أخي: ما هذا الدعاء؟ فقال: يا أمير المؤمنين سمعت الله يقول: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [سبأ: ١٣] فأنا أطلب أن أكون من أولئك القليل، فقال: كل الناس أعلم من عمر، **(و)** من ذلك **(سأل رجل علياً)** عن مسألة **(فأجاب)** بما ظهر له **(فقال: ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا، فقال: أصبت)** أنت في فهمك **(وأخطأت)** أنا في جوابي **(وفوق كل ذي علم عليم. واستدرك)** عبدالله **(ابن مسعود)** الهذلي **(على أبي موسى الأشعري)** رضي الله عنهما، وأبو موسى على الكوفة. **(فقال أبو موسى: لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين أظهركم، وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل)**. ونص القوت عن رجل قتل نفسه في سبيل الله مقبلاً غير مدبر أين هو: **(فقال: هو في الجنة)** ونص القوت قال في الجنة. **(وكان)** أبو موسى **(أمير الكوفة)** أي متولياً عليها بالإمارة. **(فقال ابن مسعود)** للسائل: **(أعد على الأمير)** فتياك **(فلعله لم يفهم فأعاد)** السائل وقال أيها الأمير: ما قولك في رجل قاتل في

مسعود: وأنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو في الجنة، فقال أبو موسى: الحق ما قال. وهكذا يكون إنصاف طالب الحق. ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال: لا يحتاج إلى أن يقال أصاب الحق، فإن ذلك معلوم لكل أحد، فانظر إلى مناظري زمانك اليوم كيف يسودّ وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه، وكيف يخجل به، وكيف يجتهد في مجاحدته بأقصى قدرته، وكيف يذم من

سبيل الله فقتل مقبلاً غير مدبر أين هو؟ **(وأعاد)** أبو موسى الجواب وقال هو في الجنة، فقال ابن مسعود: أعد على الأمير فلعله لم يفهم فأعاد عليه ثلاثاً كل ذلك يقول أبو موسى في الجنة، ثم قال: ما عندي غير هذا فما تقول أنت؟ **(فقال ابن مسعود)**: لكن لا أقول هكذا. قال: فما قولك؟ قال: **(أنا أقول إن قتل)** في سبيل الله **(فأصاب الحق فهو في الجنة، فقال أبو موسى: هو ما قال)**. وفي القوت صدق لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر بين أظهركم. هكذا ذكره صاحب القوت بتمامه.

قلت: وفي الحلية من طريق مجالد عن عامر قال أبو موسى: لا تسألوني عن شيء ما دام هذا الحبر فيكم يعني ابن مسعود، ونظير هذه القصة ما قال أبو داود في سننة: حدثنا عبد السلام بن مظهر أن سليمان بن المغيرة حدثهم عن أبي موسى، عن أبيه، عن ابن لعبدالله بن مسعود عن ابن مسعود قال: لارضاع إلا ما شد العظم وأنبت اللحم، فقال أبو موسى: لا تسألونا وهدا الحبر فيكم. قال صاحب القوت: فهؤلاء أصحاب النبي ﷺ يردون الأمور في الفتيا في علم اللسان إلى من هو دونهم في القدر والمنزلة، وهو في علم التوحيد والمعرفة والإيمان فوقهم درجات، فهذا كما قيل: العلم نور يقذفه الله تعالى في قلوب أوليائه فقد يكون ذلك تفضيلاً للنظراء بعضهم على بعض، وقد يكون تخصيصاً للشباب على الشيوخ ولمن جاء بعد السلف من التابعين، وربما كان تكرمة للخاملين المتواضعين لينبه عليهم ليرفعوا اهـ.

(فهكذا يكون إنصاف صاحب الحق) يرد العلم إلى أهله ولا يستأنف، **(ولو ذكر الآن مثل هذا لأقل فقيه)** له دراية في العلم **(لأنكر)** ذلك **(واستبعد)** وانتصب للخصام **(وقال: لا يحتاج)** الأمر **(إلى ان يقال أصاب الحق)** أي لا حاجة إلى ذكر هذا القيد، **(فإن ذلك معلوم)** بديهة **(لكل أحد)**، ثم إن هذا القيد الذي أتى به ابن مسعود هو المفهوم من قوله ﷺ على ما أخرجه البخاري: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في الجنة». وقد فهم أبو موسى ذلك فرجع عن اطلاق القول بأن القتل قد يكون رياء وقد يكون سمعة وقد يكون لغير ذلك، وهذا القيد هو مناط الفائدة والجواب الذي يصح عليه السكوت فمن قال باستبعاده وكونه معلوماً مجادلة فتأمل. **(فانظر)** الآن **(إلى مناظري زمانك)** إذا اجتمعوا في محفل وتكلم بعضهم على بعض **(كيف يسود وجهه)** من تغير طبعه **(إذا اتضح الحق على لسان خصمه)** وعلم الحاضرون ذلك، **(وكيف يخجل به)** باحمرار لونه عندهم، **(وكيف يجتهد)**

أفحمه طول عمره، ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابة رضي الله عنهم في تعاونهم على النظر في الحق؟

السابع: أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل إلى دليل، ومن إشكال إلى إشكال، فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة

على الإمكان **(في مجاحدته)** ومناكرته على طريق المكابرة **(بأقصى قدرته)** أي نهاية ما يقدر عليه، **(وكيف يذم)** لساناً وقلماً **(من أفحمه)** في المجلس وأسكته **(طول عمره)** ويعاديه ويقع في مقاتله، **(ثم لا يستحي)** هذا **(من تشبيه نفسه)** الخسيسة **(بالصحابة)** والسلف الصالحين **(في تعاونهم على النظر في الحق)** وتفاوضهم فيما بينهم هيهات كيف تقاس الملائكة بالحدادين.

(السابع: أن لا يمنع معينه في النظر) وهو الذي يبحث معه وهو المعين له في صورة الخصم **(من الانتقال من دليل إلى دليل)** آخر، والدليل عند الاصوليين ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى مطلوب خبري أي فإذا أورد دليلاً على إقامة مسألة فوجده منقوضاً فانتقل إلى دليل آخر ليس لخصمه أن يمنعه من ذلك، **(و)** كذا ليس له أن يمنعه من الانتقال **(من إشكال إلى إشكال)** آخر إذ المراد طلب الضالة فبأي وجه طلب لا يمنع فيه، **(فهكذا كانت مناظرات السلف)** الصالحين، فمن ذلك مناظرة إسحاق بن راهويه مع الشافعي وأحمد بن حنبل حاضر قرأت في كتاب الناسخ والمنسوخ للحافظ أبي الحسن بدل بن أبي المعمر التبريزي الشافعي ما نصه: وأخبرني أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي الخطيب، أخبرنا يحي بن عبد الوهاب العبدي، أخبرنا محمد بن أحمد الكاتب، أخبرنا أبو الشيخ الحافظ قال: حكي أن إسحاق بن راهويه ناظر الشافعي وأحمد بن حنبل حاضر في جلود الميتة إذا دبغت، فقال الشافعي: دباغها طهورها، فقال له إسحاق. ما الدليل؟ فقال: حديث الزهري عن عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس عن ميمونة أن النبي ﷺ قال: «هلا انتفعتم بإهابها» فقال له إسحاق: حديث ابن عكيم كتب إلينا النبي ﷺ قبل موته بشهر: أن لا تنتفعوا من الميتة لا بإهاب ولا عصب، فهذا يشبه ان يكون ناسخاً لحديث ميمونة لأنه قبل موته بشهر، فقال الشافعي: هذا كتاب وذاك سماع، فقال إسحاق: إن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر فكانت حجة بينهم عند الله فسكت الشافعي، فلما سمع بذلك أحمد ذهب إلى حديث ابن عكيم وأفتى به، ورجع إسحاق إلى حديث الشافعي.

قلت: وقد حكى الخلال في كتابه أن أحمد توقف في حديث ابن عكيم لما روى تزلزل الرواة فيه. وقال بعضهم: رجع عنه وطريق الانصاف فيه أن يقال إن حديث ابن عكيم ظاهر الدلالة في النسخ لو صح، ولكنه كثير الاضطراب ثم لا يقاوم بحديث ميمونة في الصحة. وقال أبو عبد الرحمن النسوي. أصح ما في هذا الباب حديث ميمونة، وروينا عن ابن عباس أنه قيل ليحي بن معين: أيما أعجب إليك من هذين الحديثين؟ فاشار إلى حديث ميمونة اهـ.

فما له ولقوله: هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك الأوّل فلا يقبل منك، فإن الرجوع إلى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله. وأنت ترى أن جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلة يظنها. فيقال له: ما الدليل على أن الحكم في الأصل معلل بهذه العلة؟ فيقول: هذا ما ظهر لي، فإن ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه، فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا أذكرها إذ لا يلزمني ذكرها، ويقول المستدل: عليك إيراد ما

وهذه المناظرة قد أوردها التاج السبكي في طبقاته كما سقناه وقال في آخر ذلك: فانظر إلى سكوت الشافعي ومحبته لظهور الحق، وربما يظن فيه قاصر الفهم ان الشافعي انقطع فيها مع إسحاق، ولو تأمل رجوع إسحاق إليه لظهر له الحق، وتحقيق هذا ان اعتراض إسحاق فاسد الموضع لا يقابل بغير السكوت بيانه أن كتاب عبدالله بن عكيم كتاب عارضه سماع ولم يتيقن انه مسبوق بالسماع، وإنما ظن ذلك ظناً لقرب التاريخ ومجرد هذا الأمر لا ينهض بالنسخ، وأما كتاب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر فلم يعارضها شيء فعضدتها القرائن وساعدتها بالتواتر الدال على أن هذا النبي ﷺ جاء بالدعوة إلى ما في هذا الكتاب فلاح بهذا أن السكوت من الشافعي تسجيل على إسحاق بان اعتراضه فاسد الموضع فلم يستحق عنده جواباً. وهذا شأن الخارج عن البحث عند الجدليين، فإنه لا يقابل بغير السكوت ورب سكوت أبلغ من نطق، ومن ثم رجع إليه إسحاق فافهم. (**ويخرج من كلامه**) الذي يقرره (**جميع دقائق الجدل المبتدعة**) على طريقة العميدي أو البزدوي (**فماله ولقوله**) فيما بعد (**هذا**) القول (**لا يلزمني ذكره**) في هذا البحث، (**وهذا**) إن تأملت (**يناقض كلامك الأوّل فلا يقبل منك**) والانتقال من دليل إلى دليل قد يوجد فيه ذلك، (**فإن الرجوع إلى الحق أبداً يكون مناقضاً للباطل ويجب قبوله**) ولا عبرة بمناقضة الكلام الثاني الأول والجدلي لا يسلم ذلك. (**وأنت ترى أن جميع المجالس**) في زمانك (**تنقضي**) على غير طائل (**في المدافعات والمجادلات**) مع الخصوم لألفتهم في العنادة وضراوة الاعتياد على داعية المخالفة (**حتى يقيس المستدل على أصل**) من الأصول (**بعلة**) موجبة له (**يظنها فيقال له: وما الدليل أن الحكم في الأصل معلل بهذه العلة**). قال المناوي؟ العلة عند الأصوليين المؤثر للحكم وقيل المؤثر بذاته بإذن الله تعالى، وقيل: الباعث عليه والعلة القاصرة عندهم هي التي لا تتعدى محل النص اهـ.

وقد أورد ما يتعلق بالعلة ومسائلها المصنف في كتاب مستقل سماه شفاء الغليل في بيان مسائل التعليل، وذكر فيه أن العلة القاصرة صحيحة عند الشافعي باطلة عند أبي حنيفة؟ (**فيقول: هذا ما ظهر لي**) في هذا الحكم (**فإن ظهرلك**) فيه (**ما هو أوضح وأولى منه فاذكره**) لي (**حتى أنظر فيه**) فإن كان حقاً تبعه، (**فيصر**) أي يبقى مصراً (**للتعرض**) أي على التعرض وفي نسخة: فيصر المعترض (**ويقول فيه معان**) أخرى (**سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا أذكرها**) لك أو يقول (**ولا يلزمني ذكرها**) لك، (**ويقول المستدل عليك**

تدعيه وراء هذا ويصر المعترض على أنه لا يلزمه ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف هذا المسكين أن قوله: إني أعرفه ولا أذكره إذ لا يلزمني كذب على الشرع، فإنه إن كان لا يعرف معناه وإنما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها، وإن كان صادقاً فقد فسق بإخفائه ما عرفه من أمر الشرع، وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه، فإن كان قوياً رجع إليه وإن كان ضعيفاً أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل إلى نور العلم، ولا خلاف أن إظهار ما علم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله: لا يلزمني أي في شرع الجدل الذي أبدعناه بحكم التشهي والرغبة في طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني وإلاَّ فهو لازم بالشرع، فإنه بامتناعه عن الذكر إما كاذب وإما فاسق، فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضي الله عنهم هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس، وهل منع

ابراز) إظهار **(ما تدعيه)** وفي نسخة: ادعيته **(وراء هذا ويصر المعترض على أنه لا يلزمه)** ابرازه **(ويترجى)** وفي نسخة: ويتوخى وفي أخرى، **(فتنقضي مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله)** ويتبجح بذلك بين اقرانه المناضلين **(ولا يعرف هذا المسكين)** في عقله وفهمه **(أن قوله أني أعرف ولا أذكره أو لا يلزمني)** ذكره **(كذب)** محض **(على الشرع فإنه إن كان لا يعرف معناه)**، حقيقة **(وإنما يدعيه)** ادعاء **(ليعجز خصمه)** ويسكته، **(فهو)** حينئذ **(فاسق)** في فعله **(عصى الله تعالى وتعرض لسخطه)** ومقته **(بدعواه معرفة)** معنى **(هو خال)** منها وعار **(عنها، وإن كان صادقاً)** فيما يقول **(فقد فسق باخفائه ما عرفه من أمر الشرع)**، فكيف يكتم علماً **(وقد سأله أخوه المسلم)** استشفاء لغليله **(ليفهم وينظر)** نظر تدبر، **(فإن كان قوياً)** راجحاً **(رجع إليه وإن كان ضعيفاً)** مرجوحاً **(أظهر له ضعفه)** وبيّن له مرجوحيته، **(وأخرجه عن ظلمة الجهل)** والحيرة **(إلى)** مقام **(نور العلم)** فكان مرشداً له لا محالة، **(ولا خلاف أن اظهار ما علم من علم الدين)** وتعليمه **(بعد السؤال)** والبحث عنه **(واجب لازم)**. وقد ورد في كتمان العلم للسائلين وذمه أحاديث تقدم ذكرها في أوّل الكتاب، **(فمعنى قوله: لا يلزمني أي في شرع الجدل الذي أبدعناه)** وجعلنا له أركاناً وقواعد **(بحكم التشهي)** النفساني **(والرغبة)** المردية إلى مهاوي الضلال **(في طريق الاحتيال)** والمكر **(والمصارعة بالكلام)** أي المواثبة به **(لا يلزمني)** ذكره، **(وإلاَّ فهو لازم في الشرع)** المحمدي، **(فإنه بامتناعه عن الذكر إما كاذب)** في قوله **(وأما فاسق)** فعله، **(فتفحص)** رحمك الله **(عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف)** رحمهم الله تعالى **(هل سمعت فيها ما يضاهي)** أي يشبه **(هذ الجنس)** من المجادلات، **(وهل منع أحد من الانتقال من دليل إلى دليل)** آخر، **(ومن قياس)** عقلي

أحد من الانتقال من دليل إلى دليل ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية؟ بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه.

الثامن: أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابر خوفاً من ظهور الحق على ألسنتهم، فيرغبون فيمن دونهم طمعاً في ترويج الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة، ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك إلى من يناظر لله ومن يناظر لعلة. واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستولٍ على قلبه وهو أعدى عدوّ له ولا يزال يدعوه إلى

(إلى أثر نبوي، ومن خبر إلى آية)؟ كلا: والله **(بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ كانوا يذكرون)** ما عندهم **(كلما يخطر لهم)** في افهامهم **(كما يخطر وكانوا ينظرون فيه)** نظر تدبر، فإن رأوا حقاً رجعوا إليه. وانظر رجوع إسحاق بن راهويه إلى قول الشافعي بعد مناظرته في إهاب الميتة المدبوغة واستدلاله بحديث ابن عكيم كما تقدم له ظهر له الحق فيه وتصمم أحمد فلم يرجع، ثم لما ظهر له ترجيح حديث ميمونة رجع إليه كما نقل عنه.

(الثامن: أن يناظر) مع **(من يتوقع)** أي يرجو **(الاستفادة منه ممن هو مستقل بالعلم)** كامل الأحوال عارف الأصول الدينية متمحض في خدمة العلم غير راكن إلى الدنيا وأربابها **(والغالب)** على مناظري الزمان **(أنهم يحترزون)** ويتجنبون **(من مناظرة الفحول)** من العلماء **(والأكابر)** من الفضلاء **(خوفاً من ظهور الحق على لسانهم)**، فلا محالة من اتباعه وترك مذهب مقلده أو خوفاً من تبكيته والتسجيل عليه بكونه صار مغلوباً، **(ويرغبون فيمن دونهم)** من أوساط الطلبة وصغارهم **(طمعاً في ترويج الباطل عليهم)** وهم لقصور أفهامهم لا يطيقون على رد ذلك الباطل فيدخلون عليهم بهذه التمويهات المزخرفة فيتحيرون ويروج عليهم ذلك الكلام، فهذه شروط في المناظرة ثمانية. **(ووراء هذا شروط)** أخر **(دقيقة)** يطول الكلام في بيانها، **(ولكن في هذه الشروط الثمانية)** المذكورة **(ما يهديك)** ويرشدك **(إلى)** الفرق بين **(من يناظر لله)** تعالى وقصده ظهور الحق واتباعه، **(و)** بين **(من يناظر لعلة)** دنيوية وأغراض فاسدة، ثم لما فرغ من بيان الشروط الثمانية شرع في ذكر الآفات التي تحدث في المناظرة بمناسبة لطيفة ودخول غريب فقال: **(واعلم بالجملة)** فإن التفصيل مما يمل منه **(أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه)** بوساوسه وشركه **(وهو أعدى أعدائه)** وأكبر خصمائه، إعلم أن جهاد أعداء الله في الخارج فرع على جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله والمهاجر من هجر عما نهى الله عنه» ولذلك كان جهاد النفس مقدماً على جهاد العدو في الخارج وإضلاله، فإنه ما لم يجاهد أولاً نفسه ويناظرها لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه، ويحاربها في الله لم يمكنه جهاد عدوه في

هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في المسائل التي المجتهد فيها مصيب، أو مساهم للمصيب في الأجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين، ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي نعددها ونذكر تفاصيلها، فنسأل الله حسن العون والتوفيق.

(بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق):

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام وإظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدوّ الله إبليس، ونسبتها إلى الفواحش

الخارج، وكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه، **(ولا يزال يدعـوه)** ويحمله **(إلى هلاكه)** ملاحظ له في حركاته وسكناته لا ينفك عنه ولا يفتر إما بسلب إيمانه إن أمكنه، وإلاّ بإلقائه في المعاصي التي هي بريد الكفر، ثم يثبطه عن التوبة، فمن لم يناظره في الله لم يمكنه مناظرة عدوه في الخارج، فهذان عدوان قد امتحن العبد بجهادهما ومناظرتهما، وبينهما عدوّ ثالث لا يمكنه جهادهما إلا بجهاده وهو واقف بينهما يخذل العبد عن جهادهما ولا يزال يحيل له الخداع والمكر ويحسن له اللذات والشهوات، فكان جهاده ومناظرته هو الأصل بجهادهما وهو الشيطان، قال الله تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾ [فاطر: ٦] فالأمر باتخاذه عدواً تنبيه على استفراغ الوسع في مجاهدته فإنه عدوه لا يفتر ولا يقصر عن محاربته العبد على عدد الأنفاس، فمن تـرك الجهـاد والمنـاظـرة مـع هـذا العـدو الخبيـث، **(ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسائل)** معلومة **(المجتهد فيها مصيب)** الأجر **(أو يساهم)** أي يشارك في السهم **(للمصيب في الأجر فهو ضحكة للشياطين)** أي يضحكون عليه ويستهزؤن به، والضحكة بضم فسكون من يضحك عليه، وأما الضحكة بضم ففتح هو من يضحك على الناس كثيراً **(وعبرة للمخلصين)** يعتبرون بأحواله، **(ولذلك شمت)** أي فرح **(الشيطان به بما غمسه فيه)** وأغرقه **(في)** بحار **(ظلمات الآفات)** العشرة التي **(نعددها ونذكر تفصيلها)** إن شاء الله تعالى.

(بيان آفات المناظرة وما يتولد منها:)

في الجانبيـن **(من مهلكات الأخلاق)** وقواتلها.

إعلم) أيها الانسان **(وتحقق)** في نفسك **(أن المناظرة الموضوعة)** التي ابتدعوها الآن **(لقصـد الغلبـة)** على الخصم **(والإفحـام)** أي الإسكـات **(وإظهـار الفضـل)** والمزيـة **(والتشرف)** وفي نسخة: والشرف **(عند الناس)** في المحافل **(وقصد المباهاة)** أي المفاخرة **(والمماراة)** أي المخاصمة **(واستمالة)** أي طلب ميل، وصرف **(وجوه الناس)** بالالتفات **(هي منبع جميع الأخلاق المذمومة)** المعكوسة **(عند الله)** تعالى **(المحمودة عند عدو الله**

الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة، وكما أن الذي خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره، فكذلك من غلب عليه حب الإفحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك إلى اضمار الخبائث كلها في النفس وهيج فيه جميع الأخلاق المذمومة، وهذه الأخلاق ستأتي أدلة مذمتها من الاخبار والآيات في ربع المهلكات، ولكنا نشير الآن إلى مجامع ما تهيجه المناظرة.

فمنها: الحسد وقد قال رسول الله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار

إبليس) لعنه الله، والشيء قد يكون محموداً ومذموماً باختلاف النسب والإضافات، **(ونسبتها)** أي المناظرة **(إلى الفواحش الباطنة)** المعقولة **(من)** نحو **(الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية لنفس وحب الجاه وغيرها)** على ما سيأتي بيانها في المهلكات.

(نسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة) المحسوسة **(من)** نحو **(الزنا والقذف والقتل والسرقة)** وغيرها، **(وكما أن الذي خيَّر بين الشرب)** أي بين أن يشرب الخمر **(و)** بين ارتكاب **(سائر الفواحش)** كقتل وزنا وغير ذلك **(استصغر الشرب)** أي عدّه صغيراً **(فأقدم عليه)** فشربه، **(فدعاه ذلك)** وحمله **(إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره)** فزنى وقتل وفعل ما فعل، وذلك لكونه جماع الإثم ومفسد العقل ومفسداً للدنيا والدين، وقد ورد في شربه أحاديث يأتي بيانها في مواضعها، **(وكذلك من غلب عليه حب الإفحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه)** عند ذويه **(والمباهاة به دعاه ذلك)** وجره **(إلى إضمار الخبائث كلها في النفس وهيج فيه)** أي في الانسان **(جميع الأخلاق)** الرذيلة **(المذمومة)** المعكوسة. **(وهذه الأخلاق)** بتمامها **(سيأتي)** بيانها وتأتي **(أدلة مذمتها)** المستنبطة **(من الأخبار)** الواردة **(والآيات في ربع المهلكات)** إن شاء الله تعالى **(ولكنا نشير الآن)** بحسب المقام **(إلى مجامع ما تهيجه المناظرة)** وتبعثه عليه.

فمنها: الحسد) وهو تسخط قضاء الله والاعتراض عليه وهو مذموم، قال الله تعالى: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ [الفلق: ٥] **(وقد قال ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»)** لأنه اعتراض على الله فيما لا عذر للعبد فيه لأنه لا يضره نعمة الله على عبده، فالله لا يعبث ولا يضع الشيء في غير محله، فكأنه نسب ربه للجهل والسفه ولم يرض بقضائه. والحاسد معاقب بالغيظ الدائم في الدنيا وفي الآخرة بإحباط الحسنات. قال العراقي: أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة. قال البخاري: لا يصح، وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف، وفي تاريخ بغداد بإسناد حسن اهـ.

قلت: أما أبو داود فأخرجه من رواية إبراهيم بن أبي أسيد عن جده عن أبي هريرة بلفظ

الحطب »، ولا ينفك المناظر عن الحسد فإنه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره. فما دام يبقى في الدنيا واحد يذكر بقوّة العلم والنظر أو يظن انه أحسن منه كلاماً وأقوى نظراً فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه إليه. والحسد نار محرقة فمن بلي به فهو في العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة أشدّ وأعظم، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: - ذوا العلم

« إياكم والحسد فإن الحسد » فذكره. وجده قال الذهبي لعله سالم البراد ثقة. وقول البخاري لا يصح هو في تاريخه الكبير. وأما حديث أنس الذي أخرجه ابن ماجه فمن رواية عيسى الحناط عن أبي الزناد عنه، وعيسى الحناط ضعيف. وفي ترجمته رواه ابن عدي في الكامل وقال: هو متروك الحديث. وفي هذا الحديث زيادة في آخره « والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار والصلاة نور المؤمن والإيمان جنة من النار ». وقال ابن عدي في الكامل ورواه واقد بن سلامة وقيل: سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس هكذا. ورواه الليث بن سعد، عن محمد بن عجلان، عنه، عن بريد. ورواه ابن لهيعة عن محمد بن واقد عن أنس ولا يصح. قال أبو بكر بن أبي داود، والصواب عن يزيد عن أنس وفيه زيادات ذكر الصلاة والصيام والصدقة اهـ.

ورواه الخطيب في تاريخ بغداد وليس فيه عيسى الحناط. وفي الباب عن ابن عمر، ومعاوية ابن حيدة، فحديث ابن عمر رواه الدارقطني في غرائب مالك من رواية مالك والليث عن نافع عنه وقال: باطل. ورواية معاوية أخرجه الديلمي عن معاوية بن حيدة « الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل » وفي الباب أيضاً حديث الزبير أخرجه ابن عبد البر في كتاب العلم بلفظ: « دب اليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ». **(ولا تنفك المناظرة عن الحسد فإنه)** أي المناظر **(تارة يغلب)** على خصمه **(وتارة يغلب)** منه، **(وتارة يحمد كلامه وأخرى)** وفي نسخة: وتارة **(يحمد كلام غيره)** بحسب المقامات، **(فما دام يبقى في الدنيا واحد)** أي في الحياة **(يذكر بقوة العلم و)** حدة **(النظر)** وحسن الفهم **(أو يظن أنه أحسن منه كلاماً)** وسياقاً وسرداً **(أو أقوى نظراً)** في المسائل، **(فلا بد أن يحسده)** ويتسخط عليه باطناً **(ويحب زوال النعم عنه وانصراف الوجوه والقلوب عنه إليه)**، بل يحب هلاكه كيف أمكن ليخلو له الميدان وهذا محسوس مشاهد، **(والحسد)** في الحقيقة **(نار محرقة)** وإليه يشير قول الشاعر:

اصبر على غصص الحسود فإن صبرك قاتله
كالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

(من بلي به فهو في العذاب الدائم في الدنيا) معاقب بغيظه لا ينفك عنه **(ولعذاب الآخرة أشد وأعظم)** بإحباط الحسنات، ومن ثم كان من الكبائر، وقال بعضهم: ينشأ من الحسد إفساد الطاعات وفعل المعاصي والشرور والتعب والهم بلا فائدة وغم القلب حتى لا يكاد

حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض، فإنهم يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزّريبة.

ومنها: التكبر والترفع على الناس، فقد قال ﷺ: «من تكبّر وضعه الله ومن

يفهم حكماً من أحكام الله تعالى والحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراد، **(ولذا قال ابن عباس)** رضي الله عنه فيما روى من قوله: **(خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم في بعض، فإنهم يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزريبة)**. رواه ابن عبد البر في كتاب العلم بلفظ: استمعوا قول القراء ولا تصدقوا بعضهم على بعض، فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغايراً من التيوس في زروبها. قال: وعن مالك بن دينار يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء إلا قول بعضهم في بعض اهـ.)

وقال ابن السبكي: رأيت في كتاب معين الحكام لا بن عبد البر المالكي وقع في المبسوطة عن قول عبدالله بن وهب أنـه لا يجوز شهـادة القـارىء على القـارىء يعني العلماء لأنهم أشـد النـاس تحاسداً وتباغضاً وقاله سفيان ومالك بن دينار اهـ.

قال ابن السبكي: وليس هذا على الإطلاق، ولكن من ثبتت عدالته لا يلتفت فيه إلى قول من تشهد القرائن بأنه متحامل عليه. إما لتعصب مذهبي أو غيره اهـ.

قلت: والجملة الأولى من قول ابن عباس لها شاهد قوي من قوله فيما رواه سليمان بن معاذ عن عكرمة عنه: خذوا الحكمة ممن سمعتموه.

وفي المدخل للبيهقي من رواية حسن بن صالح عن عكرمة عند خذ الحكمة ممن سمعت، وأما قول مالك بن دينار فأورده أبو نعيم في الحلية بسنده إليه قال: تجوز شهادة في كل شيء إلا شهادة القراء بعضهم على بعض، فإنهم أشد تحاسداً من التيوس في الزروب، وأخرج في ترجمة كعب الأحبار من قوله يوشك أن تروا جهال الناس يتباهون في العلم ويتغايرون عليه، كما تتغاير النساء على الرجال فذلك حظهم من العلم اهـ.

والتغاير تفاعل من الغيرة. والزريبة: حظيرة للغنم تتخذ من خشب كالزرب والجمع الزرائب وجمع الزرب الزروب.

(ومنها: التكبر) أن يرى نفسه أكبر من غيره وفي نسخة: ومنها الكبر **(و) في** معناه **(الترفع على الناس)** وأعظم التكبر التكبر على الله تعالى بالامتناع من قبول الحق والإذعـان، وأصل التكبر يقال على وجهين. **أحدهما**: أن تكون الأفعال حسنة كثيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره وعليه وصف الله بالمتكبر. **الثاني**: أن يكون متكلفاً لذلك متشبعاً، وذلك وصف عامة الناس، ومن وصف بالتكبر على الوجه الأول فمحمود، وعلى الثاني فمذموم، **(وقد قال ﷺ: «من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله»)** قال العراقي: أخرجه الخطيب من

تواضع رفعه الله ». وقال ﷺ حكاية عن الله تعالى: « العظمة إزاري والكبرياء ردائي

حديث عمر بإسناد صحيح وقال: غريب من حديث الثوري، ولابن ماجه نحوه من حديث أبي سعيد بسند حسن اهـ.

قلت: هو في تاريخ الخطيب بلفظ: « خفضه الله » مكان « وضعه » وفي الأوسط للطبراني « قصمه الله » مكان وضعه. أخرجاه هكذا من رواية عابس بن ربعة قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: أيها الناس تواضعوا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكراه. وقال الخطيب غريب، ولفظ ابن ماجه من رواية ابن لهيعة، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد: « من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ». وهكذا اورده أيضاً أحمد وأبو يعلى في مسنديهما.

وقال ابن حجر في الفتح خرَّجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد رفعه بلفظ: « من تواضع لله رفعه الله حتى يجعله في أعلى عليين » قال: وصححه ابن حبان، بل خرجه مسلم في الصحيح، والترمذي في الجامع بلفظ: « ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » هكذا خرجاه معاً عن ابي هريرة مرفوعاً. ورواه أحمد والبزار عن عمر بلفظ: « من تواضع لله رفعه الله ». وقال: انتعش نعشك الله فهو في أعين الناس عظيم وعند الله كبير. وفي الأوسط للطبراني من رواية أبي معشر، عن المقري، عن أبي هريرة: « من تواضع لأخيه المسلم رفعه الله ومن ارتفع عليه وضعه الله ».
وأخرجه أبو نعيم، وكذا القضاعي كلاهما عن أبي هريرة مرفوعاً، وزاد أبو نعيم في الحلية في رواية: « ومن تكبر على الله وضعه الله حيث يجعله في أسفل سافلين » ووجدت أيضاً في الحلية في ترجمة سلمان من طريق الأعمش، عن أبي ظبيان، عن جرير قال: قال سلمان يا جرير: « تواضع لله فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة ».

وفي الباب عن طلحة، وابن عباس، ومعاذ بن جبل، وأوس بن خولى ثم معنى قوله: تواضع لله أي لأجل عظمة الله تواضعاً حقيقياً، وهو كما قال ابن عطاء الله ما كان ناشئاً عن شهود عظمة الحق وتجلي صفته، فالتواضع للناس مع اعتقاد عظمة في النفس واقتدار ليس بتواضع حقيقي، بل هو بالتكبر أشبه، وقيل، التواضع لله أن يضع نفسه حيث وضعها الله من العجز وذل العبودية تحت أوامره سبحانه بالامتثال، وزواجره بالانزجار، وأحكامه بالتسليم للأقدار ليكون عبداً في كل حال فيرفعه بين الخلائق وإن تعدى طوره وتجاوز حده وتكبر وضعه بين الخلائق.
(وقال) ﷺ (حكاية عن الله عز وجل: « العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته ») هكذا في النسخ، وفي بعضها بتقديم الكبرياء على العظمة وهي نسخة العراقي.
قال العراقي: أخرجه أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان من حديث أبي هريرة، وهو عند مسلم بلفظ: « الكبرياء رداؤه » من حديث أبي هريرة، وأبي سعيد اهـ.

وفي المقاصد أخرجه مسلم، وابن حبان، وأبو داود، وابن ماجه كلهم عن أبي هريرة مرفوعاً يقول الله: « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما ألقيته في النار ». ولفظ ابن ماجه في جهنم، وعند أبي داود قذفته في النار، وعند مسلم عذبته، وقال: رداؤه وإزاره بالغيبة، وزاد مع

فمن نازعني فيهما قصمته». ولا ينفك المناظر عن التكبر على الاقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى أنهم ليقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه في الارتفاع والانخفاض والقرب من وسادة الصدر والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضائق الطرق. وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بأنه يبغي صيانة عز العلم، وأن المؤمن منهي عن الإذلال لنفسه. فيعبر عن التواضع الذي أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل

أبي هريرة أبا سعيد، ورواه الحاكم في مستدركه من وجوه أخر بلفظ: **قصمته** وبدون ذكر العظمة. وقال صحيح على شرط مسلم.

وممن أخرجه بلفظ الترجمة القضاعي في مسنده من حديث عطاء بن السائب، عن أبيه، عن أبي هريرة بزيادة: «يقول الله» وللحكيم الترمذي، عن أنس رفعه: «يقول الله عز وجل لي العظمة والكبرياء والفخر والقدر سري فمن نازعني واحدة منهن كببته في النار» اهـ.

قلت: أخرجه مسلم، وأبو داود، وابن ماجه من رواية الأغر بن مسلم، عن أبي هريرة إلا أن لفظها «فمن نازعني واحداً منهما». وقد رواه أحمد من رواية الثوري، عن عطاء بن السائب، عن أبيه بلفظ: «ألقيته في النار» والحاكم رواه من رواية ابن المسيب، عن أبي هريرة. وفي الباب، عن ابن عباس، وعبدالله بن عمرو، وعلي بن أبي طالب. **(ولا تنفك المناظرة)** والمباحثة **(عن)** لحوق وصف **(التكبر على الأقران)** من مناظريه **(والأمثال)** منهم **(والترفع)** في حالاته **(إلى فوق قدره)**، فيقع في التجاوز عن الحدود **(حتى أنهم)** أي أولئك المناظرين **(ليقاتلون)** ويدافعون بمناكبهم **(على مجلس من المجالس)** وتراهم **(يتنافسون فيها)** ويتفاخرون **(في الارتفاع)** في جلوسهم **(والانخفاض)** عن مرتبتهم **(و)** يتباهون **(في القرب من وسادة الصدور)** وإلا كابر، وهو الموضع الذي يتوسد فيه الصدور ويتكىء عليه، والمراد به صدر المجلس، **(و)** يتنزهون عن **(البعد منه)** ويرون ذلك ازدراء لشأنهم واحتقاراً لهم **(و)** تراهم يؤثرون **(التقدم في الدخول)** في المجالس **(عند مضائق الطرق)** ومصاعبها، فيختارون أن لا يتقدم عليهم أحد في حالة مشيهم، **(وربما يتعلل)** وفي نسخة، يتخابث **(الغبي)** الذي أشرب قلبه هوى الجاه والرفعة **(أو المكاثر الخداع منهم)** الذي كثر كلامه وإرهاصاته وخدع الناس بظاهر حاله. وفي نسخة: والمكار الخداع وهو قريب في المعنى ويحتج في فعله هذا **(بأنه يبغي)** أي يطلب **(صيانة العلم)** وحفظ حوزته وحمايته. وفي نسخة: صيانة عن العلم، **(وأن المؤمن منهي عن إذلال نفسه)** . ورد ذلك من حديث حذيفة، وعلي، وأبي بكرة، وابن عمر.

أما حديث حذيفة: فرواه الترمذي، وابن ماجه من رواية علي بن زيد، عن الحسن، عن جندب عنه رفعه: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه» قال الترمذي: حسن صحيح غريب قاله العراقي.

وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفاً للاسم واضلالاً للخلق به، كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما.

قلت: وكذلك رواه الإمام أحمد وزاد أبو يعلى في مسنده، والضياء في المختارة قيل: كيف يذل نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يطيق، وفي بعض رواياتهم لا ينبغي للمسلم.

وأخرجه ابن عدي في الكامل فقال: حدثناه محمد بن عبد السلام البصري السلمي، عن هدبة ابن خالد، عن حماد بن سلمة، عن الحسن، عن جندب، عن حذيفة فذكره. قال؛ وهذا ليس عند هدبة إنما يعرف هذا لعمرو بن عاصم، عن حماد، وقد ادعاه عمر بن موسى الحارثي عن الكديمي وهو ضعيف، وابن عبد السلام أبطل روايته هذا الحديث عن هدبة عن حماد اهـ.

وأما حديث علي، فرواه الطبراني في الأوسط من رواية عاصم بن ضمرة عن علي رفعه: «ليس للمسلم أن يذل نفسه قالوا يا رسول الله: وكيف يذل نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يطيق» وقال: لا يروى عن علي إلا بهذا الإسناد. تفرّد به الجارود.

وأما حديث أبي بكرة؛ فرواه الحرث بن أبي أسامة، عن الخليل بن زكريا، عن حبيب بن الشهيد، عن الحسن عنه رفعه «ليس للمؤمن أن يذل نفسه» والخليل بن زكريا البصري ضعيف.

وأما حديث ابن عمر، فرواه ابن عدي في الكامل في ترجمة ابي حفص عمر بن موسى بن سليمان الحارثي، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد عنه رفعه «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه» وقال: ضعيف يسرق الحديث. قال: وهذا يعرف بعمرو بن عاصم عن حماد فسرقه منه عمر هذا.

قال العراقي: وله طريق آخر رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط من رواية مجاهد عن ابن عمر مثله وزاد فيه

قلت يا رسول الله: كيف يذل نفسه؟ الحديث وإسناده جيد.

قلت: وقد روي أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري، رواه أبو يعلى في مسنده أشار له الجلال في جامعه الكبير، وقرأت في الحلية لأبي نعيم في ترجمة الفضيل بن عياض قال له الفضل بن الربيع، وهو مع هرون الخليفة ودق عليه الباب فلم يفتح أليس قد روي عن النبي ﷺ أنه قال «ليس للمؤمن أن يذل نفسه» فنزل ففتح الباب اهـ.

(**فيعبر عن التواضع الذي أثنى الله**) عليه في مواضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ [الفرقان: ٦٣] (**وسائر أنبيائه**) عليهم الصلاة والسلام كما هو مشهور في أقوالهم وكلماتهم (**بالذل**) على حسب زعمه (**ويعبر عن التكبر**) الوارد في ذمه أحاديث (**الممقوت**) أي المبغوض (**عند الله**) أشد البغض (**بعز الدين**). وهذا من فساد معقوله (**تحريفاً للاسم**) وتغييراً لمعانيه ووضعه إياه في غير مواضعه (**وإضلالاً للخلق به**) وإهلاكاً لهم بهذا الوصف الذميم، (**كما**

ومنها: الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه، وقد قال ﷺ: «المؤمن ليس بحقود». وورد في ذم الحقد ما لا يخفى. ولا ترى مناظراً يقدر على أن لا يضمر حقداً على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف في كلامه، فلا يقابله بحسن الاصغاء، بل يضطر إذا شاهد ذلك إلى إضمار الحقد وتربيته في نفسه وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه إلى الظاهر لا محالة في غالب الأمر، وكيف ينفك عن هذا ولا يتصوّر اتفاق جميع المستمعين على ترجيج كلامه واستحسان جميع أحواله في ايراده وإصداره؟ بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر إلى آخر العمر.

ومنها: الغيبة وقد شبهها الله بأكل الميتة ولا يزال المناظر مثابراً على أكل الميتة فإنه

فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرها) كالوعظ والتذكير والفقه على ما عرف في أول الكتاب.

(ومنها): أي ومن آفات المناظرة **(الحقد)**؛ وهو الانطواء على العداوة والبغضاء **(ولا يكاد المناظر)** وفي نسخة: ولا تكاد المناظرة **(يخلو عنه، وقد قال ﷺ «المؤمن ليس بحقود»)** قال العراقي: لم أقف له على أصل اهـ. وتبعه على ذلك الحافظ السخاوي في مقاصده **(و)** قد **(ورد في ذم الحقد)** من الأحاديث **(ما لا يخفى)** على المتبصر، وسيأتي ذكر شيء من ذلك في الربع الثالث، **(و)** أنت **(لا ترى مناظراً)** في مجلس من المجالس **(يقدر على أن لا يضمر)** أي يكتم في نفسه **(حقداً على من يحرك رأسه)** ويشير به **(على كلام خصمه)** الذي يناظره **(ويتوقف في كلامه)** ولو كان صريحاً **(فلا يقابله)** وفي نسخة: ولا يقابله **(بحسن الإصغاء)** والاستماع لما يورده، **(بل يضطر إذا شاهد ذلك)** منه ولم يجد محيصاً **(إلى إضمار الحقد وترتيبه في النفس)** أي تسكينه فيها. وفي نسخة: وتزيينه من الزينة **(وغاية تماسكه)** عن إظهار ما في نفسه **(الإخفاء بالنفاق)** المذموم المنهي عنه، **(ويترشح منه)** أي من هذا الحال من باطنه **(إلى الظاهر لا محالة في غالب الأمر)** من كلامه وحركاته وسكناته، فمن أسر سريرة ألبسه الله رداءها، **(وكيف ينفك)** المناظر **(عن هذا)** الوصف **(ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين)** حوله **(على ترجيح كلامه)** على المخالف **(واستحسان جميع أحواله في)** حالتي **(إيراده وإصداره)** لا بد من نقص في ذلك إلا من عصمه الله، **(ثم لو صدر من خصمه)** في حالة مناظرته **(أدنى تشبث)** كذا في النسخ. وفي أخرى: أدنى تشتيت من الشت وهو الخلاف والتباعد، وفي أخرى: أدنى سبب **(فيه قلة مبالاة)** وفي نسخة: واعتناء بكلامه **(انغرس في صدره)**. وثبت. وفي نسخة: في قلبه **(حقد لا تقطعه يد الدهر)** أبداً **(إلى آخر العمر)** نسأل الله السلامة من ذلك بمنه وكرمه.

(ومنها): أي ومن آفات المناظرة **(الغيبة)**؛ أن تذكر أخاك بما يكرهه أو ذكر العيب

لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته، وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية عنه، فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة، فأما الكذب، فبهتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغي إلى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة.

ومنها: تزكية النفس قال الله تعالى: ﴿ فلا تُزَكُّوا أنفُسَكُم هُوَ أَعْلَم بِمَنْ اتَّقَى ﴾ [النجم: ٣٢] وقيل لحكيم: ما الصدق القبيح؟ فقال: ثناء المرء على نفسه. ولا يخلو المناظر من الثناء

بظهر الغيب، (**وقد شبهها الله تعالى**) في كتابه العزيز (**بأكل الميتة**) فقال: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾ وقال تعالى: ﴿هماز مشاء بنميم﴾ [القلم: ١١] وسيأتي ما يتعلق بذلك في الربع الثالث. (**ولا يزال المناظر**) في المجالس (**مثابراً**) أي مجتهداً صابراً (**على**) هذا الوصف الذميم الذي هو (**أكل الميتة**) واستذواق الجيفة، (**فإنه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه**) وإيراده إياه في المجلس (**ومذمته**) إياه، (**وغاية تحفظه**) وتماسكه (**أن يصدق عليه**) فيما ينقله عنه ويحكيه، (**ولا يكذب في الحقيقة فيحكى عنه لا محالة ما يدل على قصور**) فهمه وفتور (**كلامه وعجزه**) في تقريره (**ونقصان فضله و**) هذا (**هو الغيبة**) التي مر تعريفها، (**فأما الكذب فبهتان**) أي إن كان فيه ذلك الوصف الذي ذكره فقد اغتابه وإلا فقد بهته أي قال عليه ما لم يفعله، (**وكذلك لا يقدر**) المناظر (**على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه**) ولا يميل إليه (**ويصغي إلى خصمه ويقبل عليه**) بأنواع الوقيعة بلسانه والمذام (**حتى ينسبه إلى الجهل والحماقة**) أي: فساد العقل (**وقلة الفهم والبلادة**)، ولو كان هو على صريح الحق نعوذ بالله من الخذلان.

(**ومنها**): أي ومن آفات المناظرة (**تزكية النفس**)؛ وهو نماؤها بمدحها (**قال الله تعالى**) في كتابه العزيز: ﴿فلا تزكوا أنفسكم) هو أعلم بمن اتقى﴾ [النجم: ٣٢] أي لا تنسبوها إلى التطهير المقتضى لأن تكونوا عدولاً أتقياء ولذلك قال: ﴿بل الله يزكي من يشاء﴾ [النساء: ٤٩] أي ينسب من يشاء من عباده إلى ذلك، ومن هذا قال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ [البقرة: ١٤٣] ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ [آل عمران: ١١٠] **فهذه** والله التزكية قاله السمين. (**وقيل لحكيم**) من الحكماء: (**ما الصدق القبيح**)؟ مع أن الصدق لا يوصف بالقبح، ولكن قد يكون ذلك. (**فقال: ثناء المرء على نفسه**) فإنه في الجملة صدق مطابق لما هو الواقع إلا أنه لنفسه قبيح، وفي الذريعة: وأما ثناء المرء على نفسه فشناعة وفظاعة، فقد قيل لحكيم: ما الذي يحسن وإن كان حقاً؟ فقال: مدح الرجل نفسه. وقال معاوية رضي الله عنه لرجل: من سيد قومك؟ قال: أنا. قال: لو كنته لما قتلته، ولقد أحسن ابن الرومي حيث اعتذر عن مدح نفسه قصداً إلى الدلالة على مكانه فقال:

على نفسه بالقوّة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك في أثناء المناظرة عن قوله: لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الأمور، وأنا المتفنن في العلوم والمستقل بالأصول وحفظ الأحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة إلى ترويج كلامه. ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعاً وعقلاً.

ومنها: التجسس وتتبع عورات الناس، وقد قال تعالى: ﴿ولاَ تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢] والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر إلى بلده، فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة

وعـزيـز عليَّ مـدحـي لنفسي   غير أني حسمته للدلالة
وهـو عيـب يكـاد يسقـط فيـه   كـل حـر يـريـد إظهـار آلـه

(**ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه**) بحسن أوصافه وكثرة كمالاته (**بالقوة**) في العلم (**والغلبة**) على الخصم (**والتقدم على الأقران**) والأمثال أبداً (**بالفضل، ولا ينفك في أثناء المناظرة من قوله**) إذا قال له خصمه قولاً ينبهه عليه أو دليلاً لم يخطر بباله: (**لست ممن يخفى عليه هذه الأمور**) ينسب بذلك إلى نفسه الكمال والإجلال (**ويقول**) في أثناء كلامه: (**أنا المتفنن في العلوم**) العقلية والنقلية، (**وأنا المستقل بالأصول**) الدينية أي حامل أعبائها على وجه الاستقلال، (**و**) أنا المتوحد في (**حفظ الأحاديث**) النبوية، (**وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف**) والتكبر، (**وتارة للحاجة**) الداعية (**إلى ترويج**) أي تزيين (**كلامه، ومعلوم أن**) كلاً (**من الصلف والتمدح**) وفي نسخة: البذخ (**مذموم شرعاً وعقلاً**)، فينبغي التجنب عن ذلك، نسأل الله الإعانة والتوفيق.

ومنها): أي ومن آفات المناظرة (**التجسس**)، وهو التعبير عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر، ولذلك يقال: الجاسوس لصاحب سر الشر. (**و**) قيل: التجسس هو (**تتبع عورات الناس**) ومساوئهم (**وقد قال تعالى: ولا تجسسوا**) [الحجرات: ١٢] أي لا تتبعوا عورات الناس ولا تطلعوا على سرائرهم، وقال مجاهد في تفسيره: خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله. وورد في الحديث «لا تجسسوا ولا تحسسوا» بالجيم والحاء (**والمناظر**) في أغلب حالاته (**لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه**) والعثرة ما يسقط الإنسان في عثار قال الشاعر:

يموت الفتى مـن عثرة بلسـانـه   وليس يموت المرء من عثرة الرجلِ

(**وتتبع عورات خصومه**). والعورة: هو ما يلحق الانسان العار عند ظهورها (**حتى أنه ليخبر**) أي يعطي خبراً (**بورود مناظر إلى بلده**) قادماً (**فيطلب**) من الناس (**من يخبره**) (**بواطن أحواله**) من حال نشأته (**ويستخرج بالسؤال**) والبحث (**مقابحه**) ومذامه (**حتى يعده ذخيرة لنفسه**) يدخرها عنده إلى حين حضوره في مجلس المناظرة (**في إفضاحه**) على

لنفسه في إفضاحه وتخجيله إذا مست إليه حاجة، حتى أنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره، ثم إذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرض به إن كان متماسكاً ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف التسبب ولا يمتنع عن الافصاح به إن كان متبجحاً بالسفاهة والاستهزاء، كما حكي عن قوم من أكابر المناظرين المعدودين من فحولهم.

ومنها: الفرح لمساءة الناس والغم لمسارهم ومن لا يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين، فكل من طلب المباهاة بإظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه في الفضل، ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر، فكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها

رؤوس الأشهاد (**وتخجيله**) وتبكيته (**إذا مست إليه حاجته**) ودعت ضرورته (**حتى أنه ليستكشف**) ويبحث (**عن أحوال صباه**) ونشأته (**وعن عيوب**) في (**بدنه فعساه**) ولعله (**يعثر**) أي يطلع (**على هفوة**) نادرة (**أو على عيب**) في بدنه (**من قرع**) وهو بالتحريك سقوط شعر الرأس وهو عن علة (**أو غيره**) كبرص وما أشبهه من الأمراض الخفية تحت الثياب، (**ثم إذا أحس**) وعلم (**بأدنى غلبة من جهته عرض به**) أي حكاه من باب التعريض (**إن كان متماسكاً**) في نفسه، (**ويستحسن ذلك منه**) عند من حضر (**ويعد من لطائف التسبب**). وفي نسخة: التشذيب بل يعد. بعض العوام إلهاماً وكرامة (**ولا يمتنع عن الإفصاح**) تصريحاً. وفي نسخة: عن الإفصاح بالمهملة (**إن كان متبجحاً**) مفتخراً (**بالسفاهة**) وطول اللسان (**والاستهزاء**) والاحتقار، (**كما يحكى عن جماعة من أكابر المناظرين والمعدودين من فحولهم**) الأجلة، فإنه نقلت عنهم في مناظراتهم الطامات من التسافه والتفاحش فاللائق بعلماء الآخرة الاعراض عن ذلك نسأل الله الهداية والتوفيق.

(**ومنها**): أي ومن آفات المناظرة (**الفرح بمساءة الناس**)، أي بما يسوءهم (**و**) حصول (**الغم**) والكذب (**مما يسرهم**)، وذلك لأن خصمه إن بهت في مناظرته واسكت فخصمه يفرح لذلك، وإن اسكت هو فذلك مما يسر خصمه فيضيق صدره لذلك وليس ذلك من صفات المؤمنين، (**ومن لا يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه**) من الخير (**فهو بعيد من أخلاق المؤمن**) الكامل. وفي نسخة: المؤمنين لما ورد في الصحيحين: «من الإيمان أن تحب لأخيك كل ما تحب لنفسك» (**وكل من يطلب المباهاة**) والمفاخرة (**بإظهار الفضل**) والكمال (**يسره لا محالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه في الفضل**). وهذه حال المناظرين في الأغلب (**ويكون التباغض بينهم**) جارياً (**كما بين الضرات**) جمع ضرة وتجمع أيضاً على الضرائر، (**وكما أن إحدى الضرائر إذا رأت صاحبتها**) مقبلة (**ارتعدت**) اضطربت (**فرائصها**) جمع فريصة. وهي اللحمة المتدلية على القلب وتسمى البوادر أيضاً (**واصفر

واصفرّ لونها، فهكذا ترى المناظر إذا رأى مناظراً تغير لونه واضطرب عليه فكره، فكأنه يشاهد شيطاناً مارداً أو سبعاً ضارياً، فأين الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتساهم في السراء والضراء، حتى قال الشافعي رضي الله عنه: العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل؟ فلا أدري كيف يدعى الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة! فهل يتصوّر أن ينسب الانس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات، وناهيك بالشر شراً أن يلزمك أخلاق المنافقين ويبرئك عن أخلاق المؤمنين والمتقين.

ومنها: النفاق فلا يحتاج إلى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون إليه، فإنهم يلقون الخصوم ومحبيهم وأشياعهم ولا يجدون بداً من التودد إليهم باللسان وإظهار

لونها) وتغير حالها، (**فكذا ترى المناظر إذا رأى مناظراً**) من بعيد (**يربد**) أي يتغير (**لونه ويضطرب عليه فكره**) لما داخله منه خوف المغلوبية، (**وكأنه شاهد**) في صورته هذه (**شيطاناً**) مارداً (**أو سبعاً ضارياً**) أي لهجاً بأخذ الصيد، (**فأين الاستئناس**) مع الاخوان على صراط الحب المستقيم (**والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين**) في الخلوة والمحافل (**عند اللقاء**) مع بعضهم، فكانوا يرتاحون بمذاكرة العلم ويستأنسون بها معهم ويحب أحدهم لا يفارق صاحبه مدى الدهر، (**وما نقل عنهم**) في سيرهم (**من المؤاخاة**) والمؤازرة والتعاون (**والتناصر والتساهم**) أي التقاسم (**في**) حالتي (**السراء والضراء**) والمنشط والمكره، (**حتى قال**) الامام (**الشافعي**) رحمه الله تعالى: (**العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل**). والرحم في الأصل ما يشتمل على الولد من أعضاء التناسل، ومنه استعير للرحم بمعنى القرابة لخروجهم من رحم واحد، فمعنى قول الإمام: إن العلم هو سبب القرابة والمؤانسة بينهم فصاروا في الاتصال كأنهم خرجوا من رحم واحدة. (**ولا أدري كيف يدعي**) بزعمهم (**الاقتداء**) أي الاتباع (**بمذهبه جماعة صار العلم بينهم**) بتباغضهم (**عداوة قاطعة**) ومجافاة مانعة، (**فهل يتصور أن يستتب**) أي يستتم (**الانس**) والحب (**مع طلب**) الغلو و(**الغفلة والمباهاة**) والترفع. (**هيهات هيهات**) بعيد منهم ذلك (**فناهيك**) أي كافيك بالشر (**شراً**) وبعداً ومقتاً (**أن يلزمك**) ويورثك (**أخلاق المنافقين**) والكاذبين، (**ويبرئك**) أي يبعدك (**عن أخلاق المؤمنين والمتقين**) من أهل اليقين.

(**ومنها**): أي ومن آفات المناظرة (**النفاق**) وهو إبطان غير الظاهر، وقيل: هو الدخول في الشرع من باب والخروج من باب آخر وفي تسمية المنافق منافقاً وجوه ثلاثة ذكرها أئمة اللغة، (**ولا يحتاج إلى ذكر الشواهد**) المتعلقة به وما ورد (**في ذمه**) فإنه كثير والكتب مشحونة بذكره (**وهم**) أي المناظرون (**مضطرون**) أي محتاجون (**إليه**) ضرورة، (**فإنهم يلقون الخصوم ومحبيهم**) ومن تودّد إليهم (**وأشياعهم**) أي أتباعهم الملازمين لهم بوجه طلق، (**ولا

الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم، ويعلم ذلك المخاطَب والمخاطِب وكل من يسمع منهم أن ذلك كذب وزور ونفاق وفجور، فإنهم متوددون بالألسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله العظيم منه، فقد قال ﷺ: « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم » رواه الحسن. وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحالة.

يجدون بدأ من التودد) إليهم **(باللسان)** واللين في الكلام وأنواع المؤانسات **(وإظهار الشوق)** في أثناء المحاورات **(والاعتداد)** أي الاعتبار **(بمكانهم)** وشأنهم **(و)** سائر **(أحوالهم)** بغاية التفحص والاعتناء، **(ويعلم المخاطب)** بفتح الطاء **(والمخاطب)** بكسرها **(وكل من يسمع ذلك منهم)** أي من المتخاطبين وأشياعهم **(أن ذلك)** أي إظهار التودد والبشاشة **(كذب)** منهم غير مطابق لسانهم بما في قلوبهم **(وزور)** محض **(ونفاق)** خالص **(وفجور)** هو شق ستر الديانة قاله الراغب، **(وانهم متواددون بالألسنة)** في الظواهر **(متباغضون بالقلوب)** في البواطن **(نعوذ بالله منه)**، فإنه وصف قبيح لا يتحلى به مؤمن يخشى الله تعالى. كيف وقد **(قال ﷺ: « إذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا بالأرحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم »)** فهذا حال النفاق وترك العمل بما علم وإظهار ما يخالف باطنه من الحب والبغض ومقاطعة الأرحام التي أمروا بوصلها وهي أرحام العلم، فالمتصف به يستحق الطرد والبعد من رحمة الله وقوله: فاصمهم أي عن استماع الحق، وأعمى أبصارهم أي عند رؤية الحق **(رواه الحسن)** أي البصري، فإنه هو المراد عند إطلاقه عند المحدثين فالحديث مرسل. وقال العراقي: أخرجه الطبراني من حديث سلمان بإسناد ضعيف نحوه اهـ.

وقال في التخريج الكبير، وقد ورد متصلاً من حديث سلمان وابن عمر.

أما حديث سلمان فأخرجه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط من رواية الحجاج بن مرافعة عن ابن عمر، وعن سلمان رفعه: « إذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الألسن وتباغضت القلوب وقطع كل ذي رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله فأصمهم الله وأعمى أبصارهم » واسناده حسن. وقد رويناه في الخبر الثالث من حديث أبي عمرو بن حمدان من وجه آخر وفي اسناده محمد بن عبدالله بن علاثة مختلف فيه، ورواه البيهقي في المدخل موقوفاً على سلمان ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً.

وأما حديث ابن عمر روينا في الجزء الثالث المذكور من رواية أبي عمر وعنه بلفظ: « يوشك أن يظهر العلم ويخزن العمل ويتواصل الناس بألسنتهم ويتباعدون بقلوبهم فإذا فعلوا ذلك طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ». وفي سنده بشر بن ابراهيم الخلوع ضعيف جداً. وفي ترجمته رواه ابن عدي في الكامل.

ومنها: الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى أن أبغض شيء إلى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق، ومهما ظهر تشمر لجحده وإنكاره بأقصى جهده وبذل غاية إمكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية، فلا يسمع كلاماً إلا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في أدلة القرآن وألفاظ الشرع، فيضرب البعض منها بالبعض، والمراء في مقابلة الباطل محذور إذ ندب رسول الله ﷺ إلى ترك المراء بالحق على الباطل؛ قال ﷺ: «من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتاً في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتاً في أعلى الجنة». وقد سوّى الله تعالى بين من افترى على الله كذباً

قلت: وهكذا أخرجه الديلمي أيضاً في مسند الفردوس عن ابن عمر. (**وقد صح ذلك**) أي ما ذكرناه (**مشاهدة**) فلا مجال للإنكار فيه وفي نسخة بمشاهدة الحال.

(**ومنها**): أي ومن آيات المناظرة (**الاستكبار عن**) قبول (**الحق**) والامتناع منه (**وكراهته**) له (**والحرص على المعاداة**) أي المخاصمة (**فيه حتى ان أبغض شيء**) يكون (**إلى المناظر أن يظهر الحق**) الصريح (**على لسان خصمه**) ويأبى ذلك (**ومهما ظهر**) الحق على لسان خصمه (**تشمر**) أي تهيأ (**لجحده وإنكاره**) ومنعه (**بأقصى**) أي نهاية (**جهده**) وطاقته، (**وبذل**) أي صرف (**غاية امكانه على المخادعة**) والمراوغة (**و**) أنواع (**المكر و**) نصب (**الحيلة لدفعه**) وإزالته ويستمر على ذلك زماناً (**ثم تصير المماراة**) والمجادلة بهذا الوجه (**عادة**) مستمرة له (**طبيعية**) غريزية جبلية، (**فلا يسمع كلاماً**) من الخصم فيما يورده (**إلا وينبعث**) أي يعتور ويتحرى من طبعه (**داعية الاعتراض عليه**) من كل الجهات (**حتى يغلب ذلك على قلبه**) ويستمر عليه فينشأ من ذلك الخوض والمماراة (**في أدلة القرآن**) الظاهرة (**وألفاظ الشرع**) الباهرة التي هي مقاطع الحق، (**فيضرب البعض منها بالبعض**) ويركض على هذا المنوال أي ركض، (**والمراء في مقابلة الباطل محذور**) وغوائله كثيرة (**إذ ندب رسول الله ﷺ**) وحث أمته (**إلى ترك المراء بالحق على الباطل**) فكيف في المراء في مقابلة الباطل (**فقال: «من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة»**) الربض: محركة الساحة. قال العراقي: أخرجه الترمذي، وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف. قال الترمذي: حديث حسن اهـ.

قلت: هكذا أخرجاه من رواية سلمة بن وردان عن أنس بلفظ: «من ترك الكذب وهو باطل بني له بيت في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بني له بيت في وسطها ومن حسن خلقه بني له في أعلاها» وحسنه الترمذي وقال: لا نعرفه، إلا من حديث سلمة بن وردان عن أنس، وضعفه ابن عدي في الكامل. وأخرجه ابن منده، عن مالك بن أوس بن الحدثان عن أبيه.

وبين من كذب بالحق فقال تعالى: ﴿ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً أو كَذّبَ بالحقِّ لما جاء﴾، وقال تعالى: ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله وكذّب بالصّدْقِ إذْ جَاءَهُ﴾. [العنكبوت: ٦٩].

ومنها: الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم. والرياء هو الداء العضال الذي يدعو إلى أكبر الكبائر ـ كما سيأتي في كتاب الرياء ـ والمناظر لا يقصد إلا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه، فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدي إلى

وأخرجه أبو داود بسند جيد من حديث أبي امامة رفعه: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً وببيت في وسطها لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه».

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس رفعه: «أنا الزعيم ببيت في رباض الجنة، وببيت في أعلاها وببيت في أسفلها لمن ترك الجدال وهو محق وترك الكذب وهو لاعب وحسن خلقه».

وأخرج الطبراني في الكبير من رواية عبدالله بن يزيد الدمشقي قال: حدثني أبو الدرداء، وأبو امامة، وواثلة بن الأسقع، وأنس بن مالك قالوا: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن نتمارى فذكر حديثاً فيه: «ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة أبيات في الجنة في رباضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق» الحديث. (**وقد سوى الله تعالى**) في كتابه العزيز (**بين من افترى على الله كذباً**) بأن نسب إليه ما لا يليق بجلاله وعظمته (**وبين من كذب بالحق**) المنزل (**فقال: ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه**) ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ [العنكبوت: ٦٩] (**وقال**) في موضع آخر من كتابه العزيز (**فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه**).

(**ومنها**): أي ومن آفات المناظرة (**الرياء و**) وهو الفعل المقصود به (**ملاحظة الخلق**) ورؤيتهم غفلة عن الخالق وعماية عنه (**و**) في معنى بذل (**الجهد في استمالة**) أي طلب ميل (**قلوبهم وصرف وجوههم**) إليه، (**والرياء**) على ما سيأتي في الربع الثالث (**هو الداء العضال**) أي الشديد من أعضل الأمر إذا اشتد (**الذي يدعو**) ملتبسه (**إلى أكثر الكبائر**) والفواحش (**كما سيأتي**) تفصيله (**في كتاب الرياء**) من المهلكات (**والمناظر**) غالباً (**لا يقصد إلا الظهور**) والشهرة (**عند الخلق**) بتبجحاته وترهاته (**وإطلاق ألسنتهم بالثناء عليه**) بأنه أعلم العلماء وسيد المناظرين والمناضلين، (**فهذه**) التي ذكرت (**عشر خلال من أمهات الفواحش الباطنة**) وأصولها وهي مخفية عن عيون الناس راسخة في الطبائع (**سوى ما يتفق**) غيرها (**لغير المتماسكين منهم**) والمستقلين باعباء العلوم الراسخين فيها (**من**) خلال ذميمة، كذلك نحو (**الخصام المؤدي**) أي الموصل (**إلى الضرب**) بآلات الحرب (**واللكم**)

الضرب واللكم واللطم وتمزيق الثياب والأخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الأستاذين والقذف الصريح، فإن أولئك ليسوا معدودين في زمرة الناس المعتبرين، وإنما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الخصال العشر، نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته، ولا ينفك أحد منهم عنه مع إشكاله المقارنين له في الدرجة. ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطوّل بذكرها وتفصيل آحادها مثل: الأنفة، والغضب، والبغضاء، والطمع، وحب طلب المال، والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة، والأشر، والبطر، وتعظيم الأغنياء والسلاطين

باليد، والفرق بينه وبين اللطم أن اللطم ما كان بالكف مبسوطة وقد يطلق أحدهما على الآخر توسعاً (**وتخريق الثياب**) وتمزيقها بالتجاذب. (**والأخذ باللحى**) جمع لحية معروفة (**وسب الوالدين**) بما لا يليق بهما (**وشتم الاستاذين**) أي المشايخ والاستاذ لفظة أعجمية (**والقذف الصريح**). وأصل القذف الرمي البعيد ثم استعير للشتم والعيب، (**فإن أولئك**) أي المتصفين بهذه الأوصاف (**ليسوا معدودين**) محسوبين (**في زمرة**) أي جماعة (**المعتبرين**) من العلماء والأشياخ (**وإنما الأكابر**) جمع كبير على غير قياس أو جمع أكبر (**والعقلاء**) ذوو الفطانة (**منهم لا ينفكون**) أي لا يفارقون (**عن هذه الخصال العشرة**) المذكورة.

فإن قال قائل: هذا الذي ذكره على اطلاقه غير متجه فإنا نرى بعضاً منهم لا يظهر عليه عند المناظرة أثر من هذه الخلال.

فأجاب بقوله: (**نعم قد يسلم بعضهم عن بعضها**) أي بعض تلك الخلال، لكن (**مع من هو ظاهر الانحطاط**) أي النزول (**عنه**) في المرتبة (**أو ظاهر الارتفاع عليه**) في المنزلة (**أو**) مع من هو (**بعيد عن بلده**) في المسافة (**أو**) بعيد (**عن أسباب معيشته**) فإن غالب التقاطع لا يكون إلا عن حسد في المعايش من جهة القلة والكثرة (**ولا ينفك أحد منهم عنه**) أي عن ذلك الخصام (**مع اشكاله**) وأشباهه (**المقارنين له**) المحاذين (**في الدرجة**) والمنزلة، كالمدرسين مع المدرس، والمفتين مع المفتي، وشيخ مدرسة مع شيخ مدرسة أخرى، (**ثم يتشعب**) أي يتفرع. وفي نسخة: يتشعب وفي أخرى: ينبعث (**من كل واحدة من هذه الخصال العشر**) المذكورة (**عشرة أخرى من الرذائل**) المستقبحة (**لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها**)، وإنما نلم على تعديدها على سبيل الاجمال وهي (**مثل الأنفة**) محركة هي الحمية، (**والغضب**) نسباً إلى الأنف وهي الجارحة حتى قالوا: شمخ فلان بأنفه للمتكبر، (**والبغضاء**) هو نفور النفس عن الشيء الذي يرغب عنه، (**والطمع**) وهو نزوع النفس إلى الشيء شهوة له، (**وحب طلب المال والجاه**) عند الرؤساء، (**والتمكن من الغلبة**) على الاخصام، (**والمباهاة**) أي المفاخرة، (**والأشر**) وهو كفر النعمة، (**والبطر**) ويقال: الأشر شدة البطر، والبطر أبلغ من الفرح إذ الفرح وإن كان مذموماً غالباً فقد يحمد على قدر ما يجب. وفي الموضع الذي يجب

والتردد إليهم، والأخذ من خزائنهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المخطورة والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء، والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ما صلّى وما الذي يقرأ ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة، مع انها لا تنفع في الآخرة: من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر إلى غير ذلك من أمور لا تحصى. والمناظرون

فبذلك فليفرحوا، وذلك لأن الفرح قد يكون من سرور بحسب قضية العقل، والأشر لا يكون إلا فرحاً بحسب قضية الهوى (**وتعظيم الأغنياء**) من ذوي الأموال نظراً لما بيدهم (**و**) تعظيم (**السلاطين**) ومن في حكمهم من النواب والوزراء نظراً إلى جاههم وشوكتهم (**والتردد إليهم**) لحصول ذلك (**والأخذ من خزائنهم**) من الأموال وأنواع البر والصلة (**والتجمل**) أي التزين (**بالخيول**) المسوّمة (**والمراكب**) الفارهة. وفي حكمها البغال المثمنة (**والثياب المخطورة**) أي ذوات الخطر وهي المثمنة وفي حكمها لبس الفراوي والتشاريف السلطانية (**واستحقار الناس**) واستصغارهم (**بالفخر والخيلاء**) أي التكبر (**والخوض**) أي الدخول (**فيما لا يعني**) من الكلام، (**وكثرة الكلام**) من غير داع ولا موجب، (**وخروج الرحمة**) أي رقة القلب، (**والخشية**) أي الخوف من الله تعالى (**من القلب واستيلاء الغفلة**) وتحكمها (**عليه**) أي على القلب (**حتى لا يدري المصلي منهم**) إذا دخل (**في صلاته**) مفروضة كانت أو نافلة كم صلى و(**ما الذي يقرؤه**) في صلاته (**ومن الذي يناجيه**) في توجهه ويخاطبه، (**ولا يحس**) أي لا يدرك (**بالخشوع**) الذي هو روح العبادة (**من قلبه**) فإذا كان هذا حاله في الصلاة يمضي غافلاً فهو في غيرها أشغل من ذات النحيين[1] (**واستغراق العمر**) واستيفائه (**في**) تحصيل (**العلوم**) العقلية النظرية (**التي تعين**) وتساعد (**في المناظرة**) مع الخصم فيتقنون النحو والمنطق والكلام والجدل والفرائض والحساب، لأنها هي التي تفتق ألسنتهم في المحافل ويلقون العلوم الشرعية سواها وراء ظهورهم، (**مع أنها**) أي تلك العلوم التي يحصلونها (**لا تنفع في الآخرة**) أصلاً، وإنما هي وبال على صاحبها. وقد مضت حكاية نصر بن علي الجهضمي حين رأى الخليل بن أحمد في المنام وجوابه له، وكذلك حكاية بعض المحدثين حين رأى بعض فقهاء الكوفة في منامه وجوابه له، (**حتى تحسين العبارة**) وتلخيصها إذا كان بتكلف وأعمال نظر، (**وتسجيع اللفظ**) حتى في الدعاء كما مرت إليه الإشارة، وما ورد فيه من النهي الصريح، فإن كل ذلك مما يمنع منه (**وحفظ النوادر**) والحكايات الغريبة مما توجد في المجالس بقصد الاستغراب منثورة أو منظومة (**إلى غير ذلك في أمور لا تحصى**) يدركها المتأمل الحاذق، (**والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم**) ورتبهم (**ولهم درجات**

---

(١) من أمثال العرب. والنحيان تثنية نحي بكسر النون وهو الزق الذي يجعل فيه السمن خاصة (انظر جمهرة أمثال العرب للعسكري: ج٢ ص ٢٥٥).

يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى، ولا ينفك أعظمهم ديناً وأكثرهم عقلاً عن جل من مواد هذه الأخلاق، وإنما غايته إخفاؤها ومجاهدة النفس بها.

واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضاً إذا كان قصده طلب القبول وإقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهي لازمة أيضاً للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى إذا كان قصده طلب القضاء وولاية الأوقاف والتقدم على الأقران. وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى في الآخرة، فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الأبد أو يحييه حياة الأبد، ولذلك قال ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه». فلقد ضره مع أنه لم ينفعه، وليته نجا منه رأساً برأس،

شتى) عالية ونازلة، (**فلا ينفك أعظمهم ديناً**) أي معرفة فيه (**وأكثرهم عقلاً**) وذكاء (**عن**) تحمل (**جل**) كثيرة (**من مواد هذه الأخلاق**) المذكورة (**وإنما غايته**) التي ينتهي إليها (**اخفاؤها**) في النفس (**ومجاهدة النفس فيها**)، فإن غلب عليها نجا من تلك الرذائل وإن غلبت عليه أخلدته إلى الهون والمقاتل. نسأل الله سبحانه الإعانة عليها والتوفيق لما يرضاه.

(**واعلم**) أيها السالك (**أن هذه الرذائل**) التي ذكرت ليست خاصة في حق المناظرين فقط، بل (**لازمة للمستقل بالتذكير والوعظ**) على الكراسي على ملأ من الناس (**أيضاً إذا كان قصده طلب القبول**) والشهرة عند الناس (**وإقامة**) ركن (**الجاه**) والحشمة (**ونيل الثروة**) أي الغنى (**والعز**) من ذوي الأموال، (**وهي لازمة أيضاً للمشتغل بعلم**) فقه (**المذهب و**) كتابة (**الفتاوى إذا كان قصده**) بذلك (**طلب**) منصب (**القضاء والفتاوى وولاية الأوقاف**) السلطانية. وفي حكم ذلك مشيخة المدارس والزوايا (**والتقدم على الأقران**) والنظراء، ولا يخفى أن الذي يشتغل بعلم المذهب الآن، فإنه لا يتصور منه الانفكاك عن هذه النيات. (**وبالجملة هي لازمة لكل من طلب بالعلم**) أي بتحصيله (**غير ثواب الآخرة**) الموعود به آجلاً، (**والعلم**) من حيث هو هو من خواصه أنه (**لا يهمل**) أي لا يترك (**العالم**) أي حامله المتلبس به، (**بل**) إما أن (**يهلكه هلاك الأبد**) إذا لم يعمل بما علم (**أو يحييه حياة الابد**) إذا عمل بما علمه، (**ولذلك قال ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه»**) قد تقدم هذا الحديث في المقدمة، وأنه أخرجه الطبراني في الصغير، والبيهقي في شعب الايمان، عن أبي هريرة باسناد ضعيف ولفظهم: «لم ينفعه الله بعلمه». وأخرجه ابن عدي أيضاً ولفظه: «لم ينفعه علمه». وقال الحافظ ابن حجر: غريب الاسناد والمتن، وأورده الذهبي في الميزان في ترجمة عثمان بن عقيم وهو ضعيف. قال ابن عدي: حديثه لا يتابع عليه اسناداً ومتناً، ولكن للحديث أصل أصيل قد روى الحاكم في مستدركه من حديث ابن عباس مرفوعاً: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً أو قتله نبي والمصوّرون وعالم لا ينتفع بعلمه». قال المناوي: لأن عصيانه عن علم، ولذا كان المنافقون في

وهيهات هيهات فخطر العلم عظيم، وطالبه طالب الملك المؤبد، والنعيم السرمد، فلا ينفك عن الملك أو الهلك، وهو كطالب الملك في الدنيا، فإن لم يتفق له الإصابة في الأموال لم يطمع في السلامة من الإذلال، بل لا بد من لزوم أفضح الأحوال.

فإن قلت: في الرخصة في المناظرة فائدة وهي ترغيب الناس في طلب العلم إذ لولا حب الرئاسة لاندرست العلوم. فقد صدقت فيما ذكرته من وجه، ولكنه غير مفيد إذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان في المكتب، وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة، ولولا حب الرئاسة لاندرس العلم. ولا يدل ذلك على

الدرك الأسفل لكونهم جحدوا بعد العلم، وكان اليهود شراً من النصارى لكونهم أنكروا بعد المعرفة؛ قال عبد الحق: ومفهوم الحديث أن أعظمهم ثواباً عالم ينفعه علمه، (**فلقد ضره**) علمه ضرراً كثيراً حيث كان أشد الناس عذاباً (**مع انه لم ينفعه**) لعدم انفتاح عين بصيرته مع عذاب الحجاب عن مشاهدة الحق تعالى، فعذاب الحجاب إنما يحصل للعلماء الذين تنبهوا للذة لقاء الله في الجملة ولم يتوجهوا إلى تحصيل ذلك واتبعوا الشهوات الحسية المانعة لذلك، (**وليته نجا منه رأساً برأس**) لا عليه ولا له، (**وهيهات**) ذلك (**فخطر العلم عظيم**) ووباله جسيم، وإليه الإشارة بقولهم: العلم حجاب الله الأكبر. أي للذي لم ينتفع به فإنه مانع له عن مشاهدته وعذابه أعظم من عذاب الجحيم، (**وطالبه طالب آلة الملك المؤبد والنعيم السرمد**) أي الدائم (**فلا ينفك عن الملك أو الهلك**) وفي بعض النسخ. وطالبه طالب الملك المؤبد أو العذاب السرمد لا ينفك عن الملك أو الهلك (**وهو يطلب**) وفي بعض النسخ: وهو كطلب (**الملك في الدنيا فإن لم يتفق الاصابة**) له فيها (**لم يطمع في سلامة الارذال**) أي الذين يعيشون سالمين من الأكدار لعدم توجه الأعين إليهم، (**بل لا بد من فضوح الأحوال**) في ذلك اليوم الشديد الأهوال وفي نسخة: بل لا بد من لزوم أفضح الأحوال فنسأل الله السلامة.

(**فإن قلت**): قد بالغت في النكير على المناظرة والمناظرين ومن يختار هذه الطريقة مع أن (**في الرخصة في المناظرة فائدة**) ظاهر (**وهو ترغيب الناس**) وتنشيطهم (**في طلب العلم**) وتحصيله وكثرة الطلبة وإظهار كلمة الحق (**إذ لولا حب الرئاسة**) في مناصب العلوم (**لاندرست العلوم**) وانطمست آثارها.

(**قلت: فقد صدقت فيما ذكرته**) وأوردته (**من وجه**) أي من هذا الوجه فقط (**ولكنه غير مفيد**) ولا محمود (**إذ لولا الوعد**) أي وعد الآباء أو المعلمين للصبيان (**بالكرة والصولجان**) الكرة: هي العصاة يضرب بها الصولجان وهو يكبب من غزل أو خرق أو غير ذلك يلعب بها الصبيان، وكانت هذه من ملاعب الجاهلية وبقيت رسومها في بلاد العجم (**واللعب بالعصافير**) والحمام (**ما رغب الصبيان في**) دخولهم (**المكتب**) وهو محل قراءتهم، ويقال له أيضاً الكتاب، (**وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة**) لكونه باعثاً

أن طالب الرئاسة ناج بل هو من الذين قال ﷺ : « إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ». وقال ﷺ : « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » فطالب الرئاسة

لتعليم الأطفال بل هو مذموم من وجوه كثيرة، ومع النظر إلى هذه الوجوه الكثيرة الدالة على ذمه لا ينظر إلى هذا الوجه الواحد لقلته وندرته، (و) قولك (**لولا حب الرئاسة لاندرس العلم**) صحيح، (و) لكنه (**لا يدل**) وفي نسخة: وليس فيه دليل (**على أن طالب الرئاسة ناج**) خالص من عذاب الله كلا والله (**بل هو من الذين قال**) في حقهم رسول الله (ﷺ : « **إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم** ») يؤيد أي يقوّي وينصر من الأيـد وهو القوة كأنه يأخذ معه بيده في الشيء الذي يقوى فيه، وذكر اليد مبالغة في تحقق الوقوع وهذا الدين أي الدين المحمدي والخلاق في الأصل ما اكتسبه الإنسان بخلقه من الفضيلة واستعير لمطلق الحظ والنصيب وقيده بعضهم بالنصيب الوافر قاله السمين.

وهذا الحديث لم يذكره العراقي في تخريجه وهو موجود في سائر النسخ الموجودة من الإحياء، وقد أخرجه ابن عدي في الكامل من طريق جعفر بن جبير بن فرقد، عن أبيه، عن الحسن، عن أبي بكرة قال: وجعفر هذا يروي المناكير وأبوه ضعيف.

وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة مالك بن دينار عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ : « ليؤيدن الله هذا الدين بقوم لا خلاق لهم » قلت: يا أبا سعيد، عمن؟ قال: عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ وله شاهد قوي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أخرجه الطبراني في الكبير ولفظه: « إن الله تعالى ليؤيد الإسلام برجال ما هم من أهله. (**وقال**) ﷺ : (« **إن الله تعالى ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر** ») وهو الشاق ستر الديانة.

أخرجه الطبراني في الكبير، عن عمرو بن النعمان بن مقرن المزني. قال ابن عبد البر: له صحبة وأبوه من أجلة الصحابة قتل النعمان شهيداً بوقعة نهاوند سنة إحدى وعشرين، ولما جاء نعيه خرج عمر فنعاه على المنبر وبكى. هكذا هو في الجامع الصغير للسيوطي قال المناوي في شرحه. وظاهر صنيعه أن هذا لا يوجد مخرجاً في الصحيحين ولا أحدهما وهو ذهول شنيع وسهو عجيب، فقد قال الحافظ العراقي: أنه متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ: « إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » رواه البخاري في القدر، وفي غزوة خيبر، ورواه مسلم مطوّلاً، وممن رواه الترمذي في العلل عن أنس مرفوعاً، ثم ذكر أنه سأل عنه البخاري فقال حديث حسن، حدثناه محمد بن المثنى اهـ فعزو المصنف الحديث للطبراني وحده لا يرتضيه المحدثون فضلاً عمن يدعي الاجتهاد اهـ.

وقد رد عليه شيخ مشايخ شيوخنا الحافظ شهاب الدين العجمي فقال: هو غير متجه من وجوه أولاً، فإنه لم يقل ما رواه إلا الطبراني بصيغة الحصر ولم يلتزم في كل حديث أن يذكر جميع من رواه، وثانياً أن ما نقله عن العراقي أنه متفق عليه إنما هو من حديث أبي هريرة فهو في

في نفسه هالك، وقد يصلح بسببه غيره إن كان يدعو إلى ترك الدنيا، وذلك فيمن كان ظاهر حاله في ظاهر الأمر ظاهر حال علماء السلف، ولكنه يضمر قصد الجاه، فمثاله مثال الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح غيره في هلاكه،

الصحيحين لا من حديث عمرو بن النعمان، وثالثاً: إن المصنف نفسه قد نسبه في درر البحار للصحيحين من حديث أبي هريرة، وللطبراني من حديث عمرو المذكور، ومن حديث ابن مسعود فأفاد فيه أن الحديث رواه ثلاثة من الصحابة، وبذلك تضمحل جميع هذه الخرافات والله أعلم بالنيات. قال: ثم رأيت في المشارق للصغاني هذا الحديث من رواية البخاري، عن أبي هريرة والنعمان بن مقرن وقال شارحه ابن عبد الملك انفرد البخاري برواية هذا الحديث عن النعمان بن مقرن اهـ.

قلت: حديث أبي هريرة اتفقا عليه فأخرجه البخاري في الجهاد وغزوة خيبر والقدر، ومسلم في الإيمان. وأما حديث النعمان بن مقرن فليحرر أين أخرجه البخاري، فإنه ليس في الأطراف ولا في جمع عبد الحق ومختصره اهـ.

قلت: أخرجه البخاري ومسلم من رواية الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة في أثناء حديث الرجل الذي قال فيه: انه من أهل النار فتلخص من مجموع ذلك ان هذا الحديث روي من طرق خمسة من الصحابة أبي هريرة، وابن مسعود، وأنس، وعمرو بن النعمان، وأبيه النعمان بن مقرن. هكذا وقع عمرو بن النعمان، والنعمان هو ابن مقرن، وقيل: النعمان بن عمرو بن مقرن كما وقع عند الطبراني هنا في الاسناد وسماه في الترجمة عمرو بن النعمان بن مقرن وهو وهم نبه عليه العراقي، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في ترجمة عمرو بن النعمان من الاصابة ان روايته عن النبي ﷺ مرسلة قاله أبو حاتم الرازي وطريق ابن مسعود ظفرت به في الكامل لابن عدي رواه حميد بن الربيع، عن أبي داود الحضري، عن الثوري، عن عاصم، عن ذر، عن عبدالله قال ابن عدي وهذا بهذا الاسناد غير محفوظ لا يرويه غير حميد بن الربيع وهو كذاب، وقد رواه الطبراني أيضاً في الكبير وفي اسناده ضعف، وورد هذا الحديث أيضاً عن كعب بن مالك وهو أيضاً في المعجم الكبير للطبراني، (**وطالب الرئاسة**) الدنيوية (**في نفسه هالك**) بمرة (**وقد يصلح بسببه**) وعلى يده. وفي نسخة: بسعيه (**غيره**) وهو لا يخلو عن حالتين (**فإن كان**) بعلمه (**يدعو**) غيره ويرغبه (**إلى ترك الدنيا**) ودواعيها، (**وذلك فيمن حاله**) وديدنه (**في ظاهر الأمر حال علماء السلف**) الماضين، فإنهم كانوا كذلك في أحوالهم (**ولكنه يضمر**) في نفسه قصد (**الجاه**) وطلب الرئاسة (**فمثاله الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره**). وقد أخرج الطبراني في الكبير من طريقين، والضياء المقدسي في المختارة، عن جندب رضي الله عنه رفعه: «مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه» أي يضيء للناس في الدنيا ويحرق نفسه في الآخرة (**فصلاح غيره في هلاكه**) هذا إذا لم يدع إلى طلب الدنيا، (**فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا**) والرئاسة

فأما إذا كان يدعو إلى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التي تأكل نفسها وغيرها، فالعلماء ثلاثة. إما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها، وإما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطناً، وإما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق وإقامة الجاه، فانظر من أي الأقسام أنت، ومن الذي اشتغلت بالاعتداد له؟ فلا تظنن أن الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل، وسيأتيك في كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات ما ينفي عنك الريبة فيه إن شاء الله تعالى.

(**فمثاله النار المحْرقة التي تأكل كل نفسها وغيرها، فالعالم**) وفي نسخة: فالعلماء (**ثلاثة. إما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا**) الداعون إليها (**والمقبلون عليها**) سعياً واهتماماً في تحصيلها، (**وإما منقذ**) أي مخلص (**نفسه وغيره وهم الراغبون إلى الله تعالى**) بحسن اخلاصهم في أعمالهم (**المعرضون عن الدنيا**) ودواعيها (**ظاهراً وباطناً**) سراً وجهراً، (**وإما مهلك نفسه**) بميله إليها باطناً (**منقذ غيره**) بتعليمه الأحكام (**وهو الذي يدعو إلى الآخرة**) ويشوّق إليها (**وقد رفض الدنيا**) وتركها (**في ظاهره و**) لم يعمل بعلمه إنما (**قصده في الباطن**) حصول (**قبول**) له من (**الخلق وإقامة**) ركن (**الجاه**) واستمالة وجوه الناس إليه، وهذا وعيد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وكان علماء الصحب على غاية من الخوف والوجل، ولذلك قالت عائشة لفتى اختلف إليها يسألها وتحدثه، فجاءها ذات يوم فقالت: أي شيء عملت بعدما سمعت؟ قال: به. قالت: فما تستكثر من حجج الله علينا وعليك. (**فانظر من أي الأقسام أنت**) وإلى أي طائفة ملت، (**ومن الذي اشتغلت بالاعتذار له**) وهو عالم سرك ونجواك، (**ولا تظن أن الله يقبل غير الخالص لوجهه**) الكريم (**من العلم والعمل**) إنما لكل امرىء ما نوى. (**وسيأتيك في كتاب الرياء**) خاصة (**بل في جميع ربع المهلكات**) من الأقوال الصريحة (**ما ينفي**) ويزيل (**عنك الريبة**) والشك (**فيه إن شاء الله وحده**) جل جلاله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم.

الباب الخامس

في آداب المتعلم والمعلم

(أما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل):

(الوظيفة الأولى): تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف. إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى، وكما لا تصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والاخباث، فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وانجاس الأوصاف. قال ﷺ: «بني الدين على النظافة». وهو كذلك ظاهراً وباطناً، قال الله

الباب الخامس

من هذا الكتاب (في) بيان (آداب المتعلم والمعلم) مما ينبغي لهما أن يستعملاه.

(**أما المتعلم**) وتقديمه باعتبار الأوّلية والسابقية لأنه مبدأ حال المعلم وكل معلم فقد كان متعلماً (**فآدابه ووظائفه كثيرة**) اختصت بالتأليف، (**ولكن ينظم تفاريعها**) أي أقسامها المفرعة منها (**تسع جمل**)[1] وما عداها يرجع إليها.

(**الوظيفة الأولى:**) وأصل الوظيفة ما يوظفه الإنسان أي يقدره لآخر في زمان معين من طعام أو رزق أو علف للدابة ذكره شراح الشفاء. قال شيخنا: ويبقى النظر هل هو عربي أو مولد والأظهر الثاني والجمع وظائف (**تقديم طهارة النفس**) وتنظيفها (**عن رذائل الاخلاق**) المعنوية (**ومذموم الأوصاف**)، من نحو شهوة وكبر وحسد وميل إلى الدنيا وبغض وحقد وغل وغش، وغير ذلك مما تقدم ذكر بعضها ويأتي ذكر بقيتها. (**إذ العلم**) من حيث هو هو (**عبادة القلب**) وعمارته (**وصلاة السر وقربة الباطن**) الذي لا يصل (**إلى الله تعالى**) إلاّ به، (**وكما لا تصح الصلاة**) المعروفة (**التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة**) نظراً إلى القيام والقعود والقراءة (**إلا بتطهير الظاهر**) من بدن المصلي (**عن الأحداث**)، وسيأتي الفرق بينهما في كتاب أسرار الطهارة، (**فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وإنجاس الأوصاف**)، وهذا ظاهر (**قال عليه**) الصلاة و(**السلام «بني الدين على النظافة»**). قال العراقي: لم أجد هكذا، وفي الضعفاء لا بن

---

(١) ترك المصنف الوظيفة العاشرة كما سيتبين لك ذلك في تضاعيف الكتاب.

تعالى: ﴿ إنَّما المشركون نَجسٌ ﴾ [التوبة: ٢٨] تنبيهاً للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس، فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر، أي باطنه ملطخ بالخبائث. والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه،

حبان من حديث عائشة: « تنظفوا فإن الإسلام نظيف ». وللطبراني في الأوسط بسند ضعيف جداً من حديث ابن مسعود « تخللوا فإنه نظافة والنظافة تدعـو إلى الإيمان » اهـ.

قلـت: وأورد الجلال في جامعه ورمز للخطيب عن عائشة: « أن الإسلام نظيف فتنظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف » والمعنى الإسلام نقي من الدنس فنقوا ظواهركم من دنس نحو مطعم وملبس حرام وملابسة قذر وبواطنكم بإخلاص العقيدة ونفي الشرك ومجانبة الأهواء وقلـوبكـم من غل وحقد وحسد، فإنه لا يدخل الجنة إلا طاهر الظاهر والباطن، ومن لم يكن كذلك طهرته ثم لا بد من حشر عصاة الموحدين مع الابرار في دار القرار، فالمنفي الدخول الأوّلي قاله المناوي، وأشار إلى ضعف الحديث.

قال السخاوي: وعند الطبراني في الاوسط والدارقطني في الافراد من حديث نعيم بن موزع، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة مرفوعاً « الإسلام نظيف » ثم ساق كما عند الخطيب ونعيم ضعيف.

وأخرج الترمذي وغيره من حديث مهاجر بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه مرفوعاً: « ان الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة كريم يحب الجود » وقال غريب، وللدارقطني من حديث عبدالله بن إبراهيم الغفاري عن المنكدر بن محمد بن أبيه، ومن حديث عبدالله بن أبي بكر بن المنكدر، عن عمه محمد بن جابر مرفوعاً. « إن الله يحب الناسك النظيف » ولأبي نعيم من حديث الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن محمد بن المنكدر عن جابر أن النبي ﷺ رأى رجلاً وسخة ثيابه فقال: « أما وجد هذا شيئاً ينقي به ثيابه ». ورأى رجلاً شعث الرأس فقال: « أما وجد هذا شيئاً يسكن به شعره ». وفي لفظ: « رأسه » وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة شواهد لما ذكره المصنف، **(وهو كذلك ظاهراً)** من الأحداث والأخباث **(وباطناً)** من تطهير الأخلاق. **(وقال)** الله **(تعالى: ﴿ إنما المشركون نجس ﴾)** [التوبة: ٢٨] أي ذو نجس، وقيل: جعلهم نجساً مبالغة، والنجس كل مستقذر **(تنبيهاً للعقول)** السليمة **(على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس)**، ولذا قال بعضهم: النجاسة ضربان. ضـرب يدرك بالحاسة، وضرب يدرك بالبصيرة. وعلى الثاني وصف الله المشركين بالنجاسة، **(فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن)** في الظاهر، **(ولكنه نجس الجوهر أي باطنه متلطخ بالخبائث)** من الشرك بالله وفساد العقيدة، **(والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه)** نظراً إلى أصل المعنى، ثم أطلق على القذارة لكونها مما يطلب البعد منها، **(وخبائث صفات الباطن)** من نحو غل وحسد وكبر وكفر **(أهم بالاجتناب)** والردع

وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فإنها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل. ولذلك قال ﷺ: « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب »، والقلب بيت هو منزل الملائكة

عنها (**فإنها مع خبثها في الحال**) الراهن (**مهلكات في المآل**) في آخر الأمر، (**ولذلك قال عليه**) الصلاة و(**السلام « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب »**) ونص الذريعة حق المترشح لتعلم الحقائق أن يراعى ثلاثة أمور. الأول: أن يطهر نفسه من رديء الاخلاق تطهير الأرض للبذر من خبائث النبات، وقد تقدم أن الطاهر لا يسكن إلا بيتاً طاهراً وان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب اهـ.

فانظر هذا الكلام المختصر المفيد وقد زاد عليه المصنف في تقريره وبسطه كما ترى، والحديث قال العراقي متفق عليه من حديث أبي طلحة الأنصاري اهـ.

قلت: وبقية الحديث ولا صورة، وهكذا أخرجه أيضاً الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه كلهم من طريق أبي طلحة. وأخرجه الطبراني في الكبير والضياء في المختارة، عن أبي أيوب رفعه مثله، وعند أبي داود والنسائي والحاكم عن علي مرفوعاً « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا جنب ». وعند الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس عن أبي طلحة « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة تماثيل ». وفي الباب عن ابن عمر وعائشة وميمونة وابن عباس وأسامة وبريدة وابن عمرو وأبي أمامة وأبي رافع. قال المناوي: المراد بالملائكة ملائكة الرحمة والبركة والطائفون على العباد للزيارة واستماع الذكر لا الكتبة فإنهم لا يفارقون المكلف فهو عام أريد به الخصوص، والمراد بالكلب ولو لنحو زرع أو حرث كما رجحه النووي خلافاً لما جزم به القاضي لأن كلب وصورة نكرتان في سياق النفي اهـ.

وقد أورد المصنف هذا الحديث في كتابه الذي سماه الإملاء على الاحياء إذ كتب على أسئلة وردت عليه في مواضع معينة من مشكلاته وانجر إلى هذا البحث استطراداً في الجواب عن أوّل الأسئلة، ونحن نورده لك ممزوجاً بكلامه هنا حسب المناسبة. قال؛ فإن قلت فما الذي ضر هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن النظر والبحث حتى يعلموا أو عن الاعتقاد حتى يخلصوا من عذاب الله، وهم في الظاهر قادرون على ذلك، وما المانع الخفي الذي أبعدهم عنه وهم يعلمون أن ما عليهم في ذلك كبير مؤنة ولا عظيم مشقة، واعلم أن هذا السؤال يفتح باباً عظيماً ويجر قاعدة كبرى يخاف من التوغل فيها أن نخرج عن المقصود، ولكن لا بد إذ وقع في الاسماع ووعته قلوب الطالبين واشرأبت إلى سماع الجواب عنه أن نورد في ذلك قدر ما يقع به الكفاية وتقنع به النفوس بحول الله عز وجل. نعم ما سبق في العلم القديم لا تجري المقادير بخلافه في الحديث منعهم من ذلك اراد الله عز وجل واختصاص قلوبهم بالاخلاق الكلابية والشيم الذئابية والطباع السبعية وغلبتها عليها والملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب، (**والقلب بيت**) تولى الله بناءه بيده و(**هو منزل الملائكة**) الكرام (**ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم**) أعده أن

ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب ناجحة فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ [الشورى : ٥١] ، وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب إنما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون والمطهرون المبرؤن عن الصفات المذمومات ، فلا يلاحظون إلاَّ طيباً ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلاَّ طيباً طاهراً . ولست أقول المراد بلفظ « البيت » هو

يكون خزانه علمه ومسرب مكنوناته ومغشى أنواره ومهب نفحاته ومحل مكاشفاته ومجرى رحمته وهيأه لتحصيل المعرفة (**والصفات الرديئة**) والاخلاق المذمومة (**مثل الغضب والشهوة الحقد والحسد والكبر والعجب**) والغل والغش (**وأخواتها كلاب ناجحة**) وذئاب عادية وسباع ضارية ، (**فأنَّى**) وفي نسخة : فلا (**تدخله الملائكة وهو مشحون**) أي مملوء (**بالكلاب**) أي بصفاتها أي متى كان فيها شيء من تلك الاخلاق لم تدخله الملائكة ولم ينزل عليه شيء من الخير من قبله (**ونور العلم لا يقذفه الله في القلب إلا بواسطة الملائكة**) إذ هي الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه وهم الوفود منه بالخيرات والواصلون إليه وعنه بالباقيات الصالحات . قال الله عز وجل : (**﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاَّ وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه﴾**) [الشورى : ٥١] أي ما يرد عن الله عز وجل إما بواسطة ملك أو القاء في روع أو مكاشفة بحقيقة أو ضرب لمثل مع العلم بتأويله ، (**فهكذا**) وفي نسخة : وهكذا في جمع (**ما يرسل من رحمة العلوم**) المفاضة (**إلى القلوب وإنما يتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون**) من الأدناس (**المبرأون عن المذمومات فلا يلاحظون**) بوارداتهم (**إلاَّ طيباً**) من الأصل ؛ (**ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا ظاهراً**) في الباطن والظاهر قال : ولولا تلك الاخلاق المذمومة التي حلت فيهم وهي التي ذم الكلب لأجلها لما احترمت الملائكة بإذن الله عز وجل عن حلولها فيها ، وهي لا تخلو من خير تنزل به ويكون معها بحيث ما حلت حل الخير في ذلك القلب بحلولها ، وإنما هي مرتصدة لها ، فحيثما وجدت قلباً خالياً ولو حيناً من الدهر وزمناً نزلت عليه ودخلته وثبت ما عندها من الخير حوله ، فإن لم يطرأ على الملائكة ما يزعجها عنه من تلك الأخلاق بواسطة الشياطين الذين هم في مقابلة الملائكة ثبتت عنده وسكنت فيه ولم تبرح عنه ، وعمرته بقدر سعة البيت وانشراحه من الخير ، فإن كان البيت كبير الاتساع أكثرت فيه من متاعها واستعانت بغيرها حتى يمتلىء القلب من متاعها وجهازها ، وهو الإيمان والصلاح وضروب المعارف النافعة عند الله تعالى ، فإذا طرق ذلك البيت المعمور طارق شيطان ليسرق من ذلك الخير الذي هو متاع الملك ، ونكت فيها خلقاً مذموماً لا يوجد إلا في الكلب وهو متاع الشيطان قابله الملك وطرده عن ذلك المحل ؛ فإن جاء للشيطان مدد من

القلب. « وبالكلب » هو الغضب والصفات المذمومة، ولكني أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تغيير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر، ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فإن هذه طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء والأبرار، إذ معنى الاعتبار أن يعبر ما ذكر إلى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها إلى التنبه لكونه أيضاً عرضة للمصائب، وكون الدنيا بصدد الانقلاب، فعبوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى

الهوى من قبل النفس ولم يجد الملك نصرة من عزم اليقين من قبل الروح انهزم الملك وأخلى البيت ونهب المتاع وخرب بعد عمارته وأظلم بعد إنارته وضاق بعد انشراحه. وهكذا حال من آمن وكفر وأطاع وعصى واهتدى وضل قال.

فإن قلت: كيف آمن من كفر، وأطاع من عصى، واهتدى من ضل إذ كانت الشياطين لا تفارق قلب الكافر والعاصي والضال بما يبثون فيه من الأخلاق المذمومة وأصناف الخير إنما ترد من الله عز وجل بواسطة الملائكة وهي لا تدخل موضعاً يحل فيه شيء مما ذكر، وإذا لم تدخل لم يصل إلى الخير الذي يكون معها ولم تصل إليه، فعلى هذا يجب أن يبقى كل كافر على حاله، ومن لم يخلق مؤمناً معصوماً فلا سبيل له إلى الإيمان على هذا المفهوم.

فالجواب: إن للشياطين غفلات وللأخلاق المذمومة عزفات، كما أن للملائكة غيبات ولتواتر الخير عليها فترات، فإذا وجد الملك قلباً خالياً ولو زمناً فرداً حل فيه وأراه ما عنده من الخير، فإن صادف منه قبولاً ولما عرض عليه تشوّقاً ونزوعاً أورده عليه ما يملؤه ويستغرق لبه، وإن صادف منه ضجراً وسمع منه لجنود الشياطين استغاثة وبالاخلاق الكلابية استعانة رحل عنه وتركه. **(ولست أقول المراد بلفظ « البيت »)** في الحديث **(هو القلب وبالكلب هو الغضب و)** بقية **(الصفات)** المذمومة، **(ولكن أقول: هو)** أي ما ذكر من التأويل **(تنبيه عليه)** لأهل الباطن **(وفرق بين تغيير الظواهر إلى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر)** على ما هي عليها، وعلى هذا **(بفارق الباطنية)** وهم طائفة من الملاحدة **(بهذه الدقيقة)**. وقد ذكر شيء مما يتعلق بتأويلاتهم في أوّل الكتاب، **(فإن هذا طريق الاعتبار وهو مسلك)** السادة من **(العلماء والأبرار)**، ومن نحا منهجهم من أهل الأسرار. **(إذ معنى الاعتبار أن يعبر)** أي يتجاوز **(مما ذكر إلى غيره ولا تقتصر عليه)**. هذا هو الأصل نظراً إلى أنه افتعال من العبور **(كما يرى العاقل مصيبة)** نزلت **(بغيره فيكون له فيها عبرة بأن يعبر منها إلى)** حال **(التنبه)** من الغفلة **(لكونه أيضاً عرضة)** أي معروضاً **(للمصائب)** والتوازل، **(وكون الدنيا بصدد الانقلاب)** والزوال ولقد أجاد من قال: من حلقت لحية جاره★ فليسكب الماء على لحيته. **(فعبوره من غيره إلى نفسه ومن نفسه إلى أصل الدنيا عبرة محمودة)** عند أهل الحق، **(فاعتبر أنت**

أصل الدنيا عبرة محمودة، فاعبر أنت أيضاً من البيت الذي هو بناء الخلق إلى القلب الذي هو بيت من بناء الله تعالى، ومن الكلب الذي ذم لصفته ـ لا لصورته ـ وهو ما فيه من سبعية ونجاسة إلى الروح الكلبية وهي السبعية.

من) لفظ **(البيت الذي هو بناء الخلق)** من اللبن والطين **(إلى القلب الذي هو بيت من بناء الله سبحانه)** ومهبط أنواره وملائكته، **(و)** اعتبر أيضاً **(من)** لفظ **(الكلب الذي هو ذم لصفته لا لصورته)** الظاهرة، **(وهو ما فيه من سبعية ونجاسة إلى روح الكلبية وهي السبعية)** وقد أورد الشيخ المصنف رحمه الله هذا البحث في إملائه الذي تقدم ذكره فقال:

فإن قلت: فأي بيت فهم عن النبي ﷺ في الخطاب، وأي كلب أراد هل بيت القلب وكلب الخلق أو بيت اللبن وكلب الحيوان؟

فاعلم ان الحديث خارج على سبب ومعناه وجلته أن المقصود بالأخبار بيت اللبن وكلب الحيوان المعلوم، ولا شك في ذلك، ولكن يستقرأ منه ما قلناه لك، ويستنبط من مفهومه ما نبهناك عليه وتتخطى منه إلى ما أشرنا لك نحوه، ولا نكير في ذلك إذ دل عليه العلم وجلة الاستنباط ولم تمجه القلوب المستفتاة ولم يصادم به شيء من أركان الشريعة، فلا تكن جامداً ولا تجزع من تشنيع جاهل ولا من نفور مقلد، وكثيراً ما ورد شرع مقرون بسبب، فرأى أهل الاعتبار وجه تعديه عن سببه إلى ما هو في معناه ومشابه له من الجهة التي يصلح أن يتعدى بها إليها، ولولا ذلك ما قال عليه الصلاة والسلام: «رب مبلغ علم أوعى من سامع، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه».

ثم قال: فإن قلت: قد علم السبب الذي جاء هذا الحديث عليه وفيه فهل يعدى عن سببه ويترقى منه إلى مثل ما ترقى من الحديث الآخر؟

فالجواب نعم يترقى منه إلى قريب من ذلك وشبهه ويكون هذا الحديث منبهاً عليه، وهو أن الصورة المنحوتة قد اتخذت آلهة وعبدت من دون الله عز وجل، وقد نبه الله تعالى قلوب المؤمنين على عيب فعل من رضي بذلك ونقص إدراك من دان به. قال تعالى مخبراً عن إبراهيم ﷺ: ﴿أتعبدون ما تنحتون★ والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦] فكان امتناع دخول الملائكة من دخول بيت فيه صورة لأجل أن فيه ما عبد من دون الله تعالى أو ما يكون به ما هو على مثاله ويترقى من ذلك المعتبر إلى أن القلب الذي هو بيت بناه الله تعالى ليكون مهبط الملائكة ومحلاً لذكره ومعرفته وعبادته وحده دون غيره، وإذا أدخل فيه معبود غير الله تعالى وهو الهوى لم تقربه الملائكة أيضاً.

فإن قيل: فظاهر الحديث يقتضي منافرة الملائكة لكل صورة عملوها وما ذكرته الآن تعليلاً ينبغي أن لا يقتضي إلا منافرة ما عبدوا ما نحت على مثاله.

قلت: إن مشابهة الصورة المنحوتة كلها في المعنى الذي قصد بها المقصور من أجله وهو

واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره إلى الدنيا والتكلب عليها والحرص على التمزيق لأعراض الناس كلب في المعنى وقلب في الصورة فنور البصيرة يلاحظ المعاني لا الصور. والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها. وفي الآخرة تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني، فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية. « فيحشر الممزق لاعراض الناس كلباً ضارياً والشره إلى أموالهم ذئباً عادياً والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرئاسة في صورة أسد ». وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوي البصائر والأبصار.

مضارعة ذوات الأرواح وما نحت للعبادة إنما قصد به تشبيه ذوي روح، فلما كان هذا المعنى هو الجامع لها وجب تحريم كل صورة ومنافرة الملائكة لها.

فإن قيل: فما وجه الترخيص فيما هو رقم في ثوب؟

قلت: إن ذلك لأجل انها ليست مقصودة في نفسها وإنما المقصود الثوب الذي رقمت فيه، هذا آخر ما أورد المصنف في إملائه فتأمل.

(**واعلم أن القلب المشحون**) أي المعلق (**بالغضب والتشرف**) أي التطلع. وفي نسخة: والشره (**إلى الدنيا والتكلب عليها**) أي على تحصيلها (**والحرص على التمزيق**) أي التشقيق (**لأعراض الناس كلب في المعنى**) لاشتماله على هذه الصفات الثلاثة المذمومة فهو اياه نظراً إلى ذلك (**وقلب في الصورة**) الظاهرة (**ونور البصيرة**) الذي قذف فيه (**يلاحظ المعاني**) المعقولة (**دون الصورة**) المحسوسة، (**والصورة في هذا العالم**) بفتح اللام (**غالبة على المعاني**) لظهورها (**والمعاني باطنة فيها**) بطون الماء في العود، (**وفي**) عالم (**الآخرة**) تكشف الحجب (**وتتبع الصور المعاني وتغلب المعاني**) عليها، (**فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية**) التي مات عليها (**فيحشر الممزق لأعراض الناس**) في الدنيا (**كلباً ضارياً**) أي على صورته، (**و**) يحشر (**الشره**) النهم (**إلى أموالهم**) أخذاً واختلاساً. وفي نسخة: وآخذ أموالهم (**ذئباً عادياً و**) يحشر (**المتكبر عليهم في صورة نمرو**) يحشر (**طالب الرئاسة**) فيهم (**في صورة أسد**) واختص كل حيوان بهذه الأوصاف، فمن وجدت فيه صفة وفارق الدنيا عليها ولم ينفصل عنها حشر على صورته، ويشير إلى ذلك ما رواه ابن ماجه عن جابر رفعه: « يحشر الناس على نياتهم ». (**وقد وردت بذلك الأخبار**) والآثار (**وشهد به الاعتبار عند ذوي البصائر والأبصار**). قال العراقي: أما حديث حشر الممزق لأعراض الناس كلباً ضارياً فقد أخرجه الثعلبي في التفسير من حديث البراء بسند ضعيف وقال في تخريجه الكبير: لم أجد لذلك أصلاً إلا ما رواه الثعلبي في التفسير باسناد ضعيف من حديث البراء بن عازب بنحو من ذلك اهـ.

قلت: وقد وجدت في حشر المتكبر حديثاً إلا أنه ليس كما أورده المصنف أنه في صورة نمر

(فإن قلت): كم من طالب رديء الأخلاق حصل العلوم فهيهات ما أبعده عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة، فإن من أوائل ذلك العلم أن يظهر له أن المعاصي سموم قاتلة مهلكة، وهل رأيت من يتناول سماً مع علمه بكونه سماً قاتلاً

وذلك فيما رواه الإمام أحمد والترمذي وحسنه من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه. عن جده رفعه: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال».

وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة كعب الأحبار من ثلاثة طرق. إحداهن عن معمر، عن أبي مصعب، عن أبيه، عن كعب بنحو هذا السياق. والثانية والثالثة من رواية موسى بن عقبة، عن عطاء بن أبي غروان، عن أبيه عن كعب: «والذي فلق البحر لموسى أن فيما أنزل الله في التوراة أنه يحشر المتكبرون يوم القيامة» فساق نحوه.

(**فإن قلت: كم من طالب رديء الأخلاق**) ذميم الأوصاف اجتهد في هذا الطريق و(**حصل العلوم**) وفي نسخة: العلم وسمى عالماً واقتدى به الناس، (**فهيهات ما أبعده عن**) معرفة (**العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة**) الكبرى، (**فإن من أوائل ذلك**) وعلاماته الصادقة (**أن يظهر له**) بتوفيق من الله تعالى (**أن المعاصي**) في اعسالها (**سموم مهلكة**) قتالة لا تقبل البرء، (**وهل رأيت**) في العقلاء (**من يتناول سماً**) باختياره (**مع علمه بكونه سماً**) قاتلاً، فهذا الذي حصله من العلوم مما بعثه على تحصيل الحطام الفاني لا مما قربه وأدناه إلى الحبيب الداني. وقد أورد هذا الحديث ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة بأبسط من هذا فقال: فضيلة الشيء تعرف بضده ولا ريب أن الجهل أصل كل فساد وكل ضرر يلحق، فهو نتيجة الجهل وإلَّا فمع العلم التام بأن هذا الطعام مثلاً مسموم من أكله قطع أمعاءه في وقت معين لا يقدم على أكله، وإن قدر أنه أقدم عليه بغلبة جوع أو استعجال وفاة فهو لعلمه بموافقة أكله لمقصوده الذي هو أحب إليه من العذاب بالجوع أو بغيره، ثم ذكر الاختلاف في مسألة هل العلم يستلزم الاهتداء أم لا؟ اختلف المتكلمون وأرباب السلوك واحتجت كل فرقة بدليل من الآيات والأحاديث، ثم قال: المقتضي قسمان. قسم لا يتخلف عن موجبه ومقتضاه لقصوره في نفسه، بل يستلزمه استلزام العلة التامة لمعلولها ومقتض غير تام يتخلف عنه مقتضاه لقصوره في نفسه عن التمام أو لفوات شرط اقتضائه أو قيام مانع منع تأثيره، فإن أريد بكون العلم مقتضياً للاهتداء الاقتضاء التام الذي لا يتخلف عنه أثره بل يلزمه الاهتداء بالفعل. فالصواب قول الطائفة الثانية وأنه لا يلزم من العلم الاهتداء المطلوب وإن أريد كونه موجباً أنه صالح للاهتداء مقتض وقد تخلف عنه مقتضاه لما ذكر، فالصواب قول الطائفة الأولى، ثم ذكر أسباب التخلف وهو نفيس فراجعه. (**وإنما الذي تسمعه من المترسمين**) الآخذين برسوم العلم الظاهرية وفي

إنما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بألسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم أخرى، وليس ذلك من العلم في شيء. قال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم نور يقذف في القلب. وقال بعضهم: إنما العلم الخشية لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، كأنه أشار إلى أخص ثمرات العلم، ولذلك قال بعض المحققين: معنى قولهم: «تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله» إن العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته، وإنما حصل لنا حديثه وألفاظه.

نسخة: المتوسمين (**حديث تلقفوه**) أي أخذوه بأفواههم ولقف الفم شدته. وفي نسخة، بألسنتهم وبقلوبهم بصيغة الجمع فيها (**وليس ذلك من العلم**) النافع الموصل (**في شيء**) أصلاً. (**قال**) الإمام الجليل عبدالله (**ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**ليس العلم بكثر الرواية وإنما العلم نور يقذف في القلب. وقال بعضهم: إنما العلم الخشية إذ قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨]**).

قلت: الذي في الحلية لأبي نعيم في ترجمة عبدالله بن مسعود ما نصه: حدثنا أبو أحمد الغطريفي، حدثنا أبو خليفة، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا قرة بن خالد، عن عون بن عبدالله قال، قال عبدالله: ليس العلم بكثرة الرواية لكن العلم الخشية، فعلم من سياقه أن الجملتين من كلام ابن مسعود، فيكون المراد من قوله: وبعضهم هو هو وقوله إذ قال تعالى الخ هذه الزيادة ليست عند أبي نعيم، وقوله: إنما العلم نور الخ قد أورده صاحب القوت في سياق كلامه في أحوال السلف ما نصه، فهذا كما قيل: العلم نور يقذفه الله تعالى في قلوب أوليائه كما تقدم ذلك في سادس شروط المناظرة أي فليس كل قلب يقذف فيه النور، (**وكأنه**) أي صاحب هذا القول (**أشار**) بذلك (**إلى أخص ثمرات العلم**) وأعلاها وأنماها، كما دل على ذلك الحصر بإنما، وقد تقدم البحث في معنى الآية والخشية في أول الكتاب، (**ولذلك قال بعض المحققين**) من السلف: أن (**معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله**)، وطالما كنت أسمع الشيوخ يعزون هذه المقالة إلى المصنف، وأنه أبو عذرتها وكنت أفهم من تقاريرهم في معناها أن تعلمنا في المبادىء لم يكن يخلو من عدم الإمحاض في تحصيله، فأبى الا أن يجرنا إلى طريق السلوك والهداية إلى الله تعالى، وتقدم في أثناء ترجمة المصنف حين أمره وأخاه وصيهما أن ينزلا مدرسة من المدارس ليتقوتا فيها ويحصلا العلم وكان ما كان، فقال المصنف: هذا الكلام إذ ذاك والآن قد ظهر في سياق المصنف أن المقالة المذكورة لأحد من المتقدمين ليست له، وإنما هو ناقل بل هو مقلد لصاحب القوت فإنه هو الذي نقلها هكذا وفسرها بما يأتي وأن تفسيرها (**أي أن العلم أبى وامتنع علينا**) بحسب قصورنا في الإجتهاد وعجزنا عن كثير من الشروط، (**فلم تنكشف لنا حقيقته**) من حيث هو هو (**وإنما حصل لنا حديثه**) الظاهر (**وألفاظه**) ومثله ورسومه فقط، فهذا تأويل آخر لتلك المقالة غيرها كنا نسمعه من الشيوخ ونفهمه.

(فإن قلت): إني أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا في الفروع والأصول وعدّوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها؟ **فيقال**: إذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علماً، وإنما غناؤه من حيث كونه عملاً لله تعالى إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى، وقد سبقت إلى هذا إشارة. وسيأتيك فيه مزيد بيان وإيضاح إن شاء الله تعالى.

(الوظيفة الثانية): أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا يبعد عن الأهل والوطن، فإن العلائق شاغلة وصارفة و ﴿ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَين في جوفه﴾ [الأحزاب: ٤].

(فإن قلت: إني أرى جماعة) كثيرة **(من الفقهاء المحققين)** المدققين **(برزوا في الفروع والأصول)** أي ظهروا على الناس في معرفتها واستباط الأحكام الشرعية منها **(وعدّوا)** بذلك **(من جملة الفحول و)** مع ذلك **(أخلاقهم)** التي جبلوا عليها **(ذميمة)** ردية، **(ولم يتطهروا منها)** ولم يتخلصوا من أدناسها؟ **(فيقال)** في الجواب عن ذلك: **(إذا عرفت مراتب العلوم)** النافعة **(وعرفت مقاديرها)** بميزان الاخلاص **(بحكم الآخرة)** لا بحكم الدنيا **(استبان)** أي ظهر **(لك أن ما اشتغلوا به)** وتعبوا عليه كثير العناء **(قليل الغناء)** أي الجدوى **(من حيث كونه علماً وإنما غناؤه)** وفائدته **(من حيث كونه عملاً لله تعالى)** موصلاً إليه **(إذا قصد به التقرب إلى الله تعالى)** لا ما إذا قصد به غير الله من نحو تحصيل جاه أو حطام دنيوي أو مباهاة أو غير ذلك. **(وقد سبقت إلى هذه إشارة)** في عدة مواضع. **(وسيأتيك فيه بيان مزيد وايضاح)** إن شاء الله تعالى في ذكر العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة في مواضع أخر غيرها، والله أعلم.

(الوظيفة الثانية: أن يفرغ) المتعلم بعد تقديم طهارة النفس **(علائقه)** جمع علاقة بكسر العين. وفي بعض النسخ: أن يقلل علائقه **(من أشغال الدنيا)** جمع شغل بالضم وهو ما يشغله. وفي بعض النسخ: من اشتغال الدنيا أي من الاشتغال وهو صرف نفائس الأوقات في أمورها، وعلى النسخة الأولى أمر بتفريغه للعلائق الدنيوية بحيث لا يشغله منها شيء، وهذا أوفق للمتجرد. وعلى النسخة الثانية أمر بقطع الاطماع في أمورها فيقلل منها على التدريج وهذا أوفق للمتزوّج، **(و)** على كل حال لا يتمكن من ذلك كل منها حتى **(يبعد عن الأهل)** والأقارب **(والوطن)** والدار والرباع ويهاجر عنهم وعنها حتى يثبت له أجر المهاجرة، وفي ذلك قال بعض المقادسة:

ما للمعيل وللمعالي إنما يسعى اليهن الفريد الفارد

(فإن العلائق) وهي على قسمين ظاهرية وباطنية وهي بأنواعها **(شاغلة وصارفة)** عن

ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق، ولذلك قيل: « العلم لا يعطيك بعضه

تحصل المطلوب، (و) قد قال الله تعالى في كتابه العزيز في سورة الأحزاب ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ [الاحزاب: ٤] أصل الجوف الخلاء، ثم استعير لما يقبل الشغل والفراغ فقيل جوف الدار لداخلها وباطنها وجوف الإنسان بطنه، واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال الحافظ السيوطي في الدر المنثور: وأخرج أحمد، والترمذي، وحسنه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والضياء في المختارة عن ابن عباس قال: قام النبي ﷺ يوماً يصلي فخطر خطرة فقال: « المنافقون الذين يصلون معه ألا ترى أن له قلبين قلباً معكم وقلباً معهم » فأنزل الله هذه الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق حصين عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة قالوا: كان رجل يدعى ذا القلبين فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، عن ابن عباس قال: كان رجل من قريش يسمى من دهائه ذا القلبين فأنزل الله هذا في شأنه. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن قال: كان رجل على عهد رسول الله ﷺ يسمى ذا القلبين كان يقول نفسي تأمرني ونفسي تنهاني فأنزل الله فيه.

وأخرج الفريابي وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: إن رجلاً من بني فهر قال: إن في جوفي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ﷺ فنزلت.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي أنها نزلت في رجل من قريش من بني جمح يقال له جميل بن معمر.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: ﷺ صلاة فنسي فيها فخطرت منه كلمة فسمعها المنافقون وأكثروا، فقالوا: إن له قلبين ألم تسمعوا إلى قوله وكلامه في الصلاة إن له قلباً معكم وقلباً مع أصحابه فنزلت: ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ إلى قوله: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ [الأحزاب: ١ - ٤].

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، عن الزهري قال: بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثلاً تقول ابن رجل آخر ابنك ونص الذريعة الثاني أن يقلل من الأشغال الدنيوية ليتوفر فراغه عن العلوم الحقيقية، وقد قال الشاعر:

فما صاحب التطواف يعمر منهلاً   وربعاً إذا لم يخل ربعاً ومنهلا

وقد قال الله تعالى: ﴿ما جعل الله لرجل﴾ الآية، (ومهما توزعت) أي تقسمت (الفكرة) المستبععة في نفسها وهي القوة المطرقة للعلم (قصرت عن درك الحقائق) العلمية وفهمها واشتغال البال بالعلائق من أعظم الموانع لطلب العلم، (ولذلك قيل) فيما مضى: (العلم لا

حتى تعطيه كلك، فإذا أعطيته كلك فأنت من عطائه إياك بعضه على خطر ». والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزارع.

(الوظيفة الثالثة) : أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم، بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق. وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته. قال الشعبي: « صلى

يعطيك بعضه) أي بعضاً من حقائقه وثمراته **(حتى تعطيه كلك)** أي تتوجه إلى تحصيله بكليتك غير ناظر إلى أهل ووطن ولا مال وجاه مع جوع وعري وغربة، **(فإذا أعطيته كلك)** أي صرفت إليه همتك الكلية **(فأنت من اعطائه إياك بعضه على خطر)** إما أن تحصله أولا، فإذا لم تعطه كلك لم تظفر منه بشيء أبداً. أورده صاحب الذريعة هكذا قال وكأنما عني من قال:

خدم العلى فخدمته وهي التي لا تخدم الأقوام ما لم تخدم

(والفكرة المتوزعة) أي المنقسمة **(على أمور متفرقة)** إنما مثلها عند الإعتبار **(كجدول)** وهو نهر صغير يسقي الحائط **(تفرق ماؤه)** في أماكن شتى وليس بمجتمع في موضع واحد **(فتنشف الأرض بعضه)** لقلته **(واختطف الهواء)** من الجو **(بعضه ولا يبقى منه ما يجتمع)** مع بعضه **(ويبلغ المزارع)** المطلوب سقيها. ونص الذريعة والفكرة متى توزعت تكون كجدول يفرق ماؤه فيشفه الحر وتشربه الأرض فلا يقع به نفع، وإن جمع بلغ المزروع فانتفع به اهـ.

ولذا كرهوا للمتعلم من الإشتغال في درسين في علمين مستقلين لئلا تتوزع الفكرة، ومن الإنتقال من فن إلى فن آخر قبل إستكمال الأول كما يأتي بيانه.

(الوظيفة الثالثة: أن لا يتكبر) المتعلم **(على العلم)** نفسه بأن يراه بعين الأزدراء ولا تقع مهابته وشرفه وكرامته عنده موقعاً **(ولا يتأمر)** أي لا يصير أميراً **(على المعلم)** فإنه ثمرة عدم معرفة حقه **(بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية)**، وأصل الزمام ما يزم به البعير بحبل فيقاد، والمراد هنا تدبير أموره **(في كل تفصيل)** وإجمال **(ويذعن)** أي ينقاد **(لنصحه)** وما يبديه من إشاراته **(إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق)** في صنعته، وإنما قيد المريض بالجاهل لأن العارف من المرضى ربما خالف طبيبه في دواء من الأدوية فلم يتلق منه بالقبول فلا ينجع فيه ذلك الدواء، وقيد الطبيب بوصفين الإشفاق والحذق، ولعمري هما وصفان جليلان لا يوجدان في أكثر الأطباء، وإنما ضرب المثل في ذلك لأن المعلم يشفيه من أمراضه الباطنة التي أعظمها الجهل، كما أن الطبيب يداويه لإذهاب الأمراض العارضة في الظاهر، وإذا وجد في المعلم الكمال في نفسه وتهذب لتكميل الغير مع الإشفاق والفطانة وجب على المتعلم أن يكون بين يديه

زيد بن ثابت على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء. فقبّل زيد بن ثابت يده وقال: هكذا أمرنا ان نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ». وقال ﷺ: «ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا في طلب العلم». فلا ينبغي

مثل ذلك المريض الجاهل، بل كالميت بين يدي الغاسل أو القشة في جرية الماء. (**وينبغي أن يتواضع**) بعين قلبه (**لمعلمه**) ومرشده (**ويطلب الثواب**) والأجر (**والشرف**) الأكبر والسعادة العظمى (**بخدمته**) والملازمة لسدته. (**قال**) الإمام المتفق على ورعه وجلالة قدره أبو عمرو عامر بن شراحيل (**الشعبي**) من شعب همدان. قال مكحول: ما رأيت أفقه منه مات بعد المائة وله نحو من ثمانين. أخرج حديثه الجماعة (**صلى زيد بن ثابت**) ابن الضحاك بن لوذان الأنصاري النجاري أبو سعيد وأبو حارثة صحابي مشهور كتب الوحي. قال مسروق: كان من الراسخين في العلم مات سنة ثمان أو خمس وأربعين، وقيل: بعد الخمسين (**على جنازة**) هي جنازة أمه كما وقع التصريح بذلك في الرواية الآتية، (**فقربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس**) رضي الله عنهما (**فأخذ بركابه**) تبركاً وتشرفاً، (**فقال زيد: خل عنه**) وفي رواية ذر (**يا ابن عم رسول الله ﷺ، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء**) والكبراء أي ذوي الأسنان والشيوخ (**فقبل زيد بن ثابت يده وقال: هكذا أمرنا أن نفعلُ بآل بيت رسول الله ﷺ**). قال العراقي. في التخريج الصغير أخرجه الطبراني، والحاكم، والبيهقي في المدخل إلا أنهم قالوا: هكذا نفعل. قال الحاكم صحيح الإسناد على شرط مسلم اهـ.

وقال في التخريج الكبير رواه الطبراني في الكبير، وابن السني، وأبو نعيم في كتابيهما رياضة المتعلمين، والبيهقي في المدخل من رواية رزين الرماني، عن الشعبي أن زيد بن ثابت كبر على أمه أربعاً وناشدها خيراً، ثم أتى بدابته فأخذ ابن عباس بالركاب، فقال زيد بن ثابت: دعه أو ذر، فقال ابن عباس: هكذا نفعل بالعلماء الكبراء لفظ الطبراني وإسناده صحيح، ورواه الحاكم في المستدرك من رواية أبي سلمة عن ابن عباس أنه أخذ بركاب زيد بن ثابت، فقال له: تنح ابن عم رسول الله ﷺ فقال: إنا هكذا نفعل بكبرائنا وعلمائنا وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه اهـ.

وقد تقدم الكلام على هذا في أول الكتاب. ورزين الرماني هو رزين بن حبيب الجهني الكوفي بياع الانماط أخرج له الترمذي ووثقه أحمد وابن معين.

وقال ﷺ: («**ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم**») قال العراقي: أخرجه ابن عدي من حديث معاذ، وأبي أمامة بإسنادين ضعيفين اهـ.

وقال ابن القيم قال ابن قتيبة: جاء في الحديث: «ليس الملق من أخلاق المؤمن إلا في طلب العلم» ثم قال: وهذا أثر عن بعض السلف.

....

قلت: قال ابن الجوزي في الموضوعات فيه عن معاذ وأبي أمامة وأبي هريرة.

فأما حديث معاذ فأخرجه ابن عدي من طريق الحسن بن واصل، عن الخصيب بن حجدر، عن النعمان بن نعيم، عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ رفعه بالسياق السابق.

قلت: هكذا هو بزيادة عبد الرحمن بن غنم بين النعمان ومعاذ في نسخ الموضوعات، وفي بعضها بإسقاطه وهو الأشبه، وهكذا رواه بإثباته أبو بكر بن السني من رواية بقية بن الوليد عن إسماعيل بن عياش، عن الحسن بن دينار وهو الحسن بن واصل الذي في نص ابن الجوزي، ودينار زوج أمه فنسب إليه واسم أبيه واصل. قال ابن الصلاح: وكان هذا خفي على ابن أبي حاتم حيث قال: الحسن بن دينار بن واصل. قال العراقي: وعكس ذلك أبو العرب في كتاب الضعفاء فروى عن يحي بن محمد بن يحي بن سلام عن أبيه. قال الحسن بن واصل بن دينار ودينار جده وهذا وهم. ورواه الديلمي من طريق أبي نعيم من رواية عمر بن إبراهيم الكردي، عن الحسن بن صالح، عن النعمان بن نعيم. ورواه القضاعي في مسند الشهاب من رواية عبد العزيز أبان، عن الحسن بن دينار، عن النعمان ابن نعيم، ثم قال ابن الجوزي:

وأما حديث أبي أمامة فأخرجه ابن عدي أيضاً من طريق عمر بن موسى الوجيهي، عن القاسم، عن أبي أمامة رفعه مثله.

وأما حديث أبي هريرة فأخرجه ابن عدي أيضاً من طريق ابن علاثة، عن الأوزاعي، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً لا حسد ولا ملق إلا في طلب العلم» قال: ليس شيء من هذه الأحاديث يصح.

أما الأول فمداره على الخصيب وقد كذبه شعبة والقطان وابن معين، وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات.

قلت: وأيضاً الحسن بن واصل ضعيف جداً منسوب إلى الكذب.

وأما الثاني: فإن عمر بن موسى الوجيهي قال النسائي، والدارقطني: متروك.

وأما الثالث فإن ابن علاثة اسمه محمد بن عبدالله بن علاثة لا يحتج به. قال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات قال الحافظ السيوطي في كتابه اللآلىء المصنوعة بعد نقله لما تقدم: ابن علاثة روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه ووثقه ابن معين، وقال أبو سعيد: ثقة إن شاء الله تعالى وقال أبو زرعة: صالح. وقال أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال الذهبي هذا الحديث لعل آفته من عمرو فإنه متروك قال؟ وقد أورد لابن علاثة أحاديث حسنة، وقال: أرجو أنه لا بأس به، وقال الأزدي: حديثه يدل على كذبه. قال الخطيب أفرط الأزدي وأحسبه وقعت إليه روايات عمرو بن الحسين عنه فكذبه لأجلها، وإنما الآفة من ابن الحصين، فإنه

لطالب العلم أن يتكبر على المعلم، ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة، فإن العلم سبب النجاة والسعادة، ومن يطلب مهرباً من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الهرب مشهور أو خامل، وضراوة سباع النار بالجهال بالله تعالى أشد من ضراوة كل سبع، فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها إليه كائناً من كان، فلذلك قيل:

كذاب، وأما ابن علاثة فقد وصفه يحي بن معين بالثقة. قال: ولم أحفظ لأحد من الائمة خلاف ما وصفه به يحي اهـ.

وهذا الحديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وقا: هذا الإسناد ضعيف، وكذا حديث معاذ وقال ضعيف. قال: وقد روي من أوجه كلها ضعيفة اهـ.

وورد هذا الحديث أيضاً عن ابن عمر. قال العراقي: روي من طريق هشام بن بشير، وأزهر ابن سعد السمان، عن عبدالله بن عون، عن محمد بن سيرين، عن ابن عمر قال ابن طاهر في الكشف عن أخبار الشهاب وهو منكر من حديث ابن عون. قال: والحمل فيه على من قبل هشام، فإنهم إلى الجهالة أقرب اهـ.

وقال السيوطي: قد أورد الديلمي في مسند الفردوس من طريق ابن السني، حدثنا الحسين بن عبدالله القطان، عن عامر بن سيار، عن أبي الصباح، عن عبد العزيز بن سعيد، عن أبيه، عن النبي ﷺ: «من غض صوته عند العلماء كان يوم القيامة من الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى من أصحابي ولا خير في التملق والتواضع إلا ما كان في الله أو طلب العلم» اهـ.

وإذا عرفت ذلك (**فلا ينبغي للطالب**) في طريق الحق (**أن يتكبر على المعلم**) بوجه من الوجوه، بل يتملق له ويتواضع بمخالفته للنفس والهوى في ذلك (**ومن**) جلة (**تكبره على المعلم أن يستنكف**) أي يتكبر ويأنف (**عن الاستفادة**) والأخذ (**إلا عن المرموقين**) أي المنظور إليهم من المشهورين من أهل التدريس والجاه (**وهو عين الحماقة**) أي فساد العقل نقله الأزهري، (**فإن العلم**) من حيث هو هو (**سبب النجاة**) من عذاب الجهل والضلال (**و**) سبب (**السعادة**) الكبرى في الدنيا والأخرى، (**ومن يطلب مهرباً**) أي هروباً (**من سبع ضار**) رام أن (**يفرسه**) وينشب فيه مخالبه (**لم يفرق بين أن يرشده إلى الهرب**) والخلاص منه (**مشهور أو خامل**) الذكر، وذلك معلوم بالضرورة لكل أحد، (**وضراوة سباع النار**) أي ولعهم ولهجهم (**بالجهال بالله عز وجل أشد**) وأقوى (**من ضراوة كل سبع**) في كل وقت، (**والحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها**). والجملة الأولى وقعت في حديث رواه الترمذي في أواخر باب العلم من جامعه من طريق إبراهيم بن الفضل عن سعيد المقري عن أبي هريرة رفعه: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها» وقال: انه غريب وإبراهيم يضعف، وعند البيهقي في المدخل من حديث سعيد بن أبي بردة قال: كان يقال: «الحكمة

العلم حـــرب للفتى المتعـــالي   كالسيل حرب للمكـان العـالي

فلا ينال العلم إلا بالتواضع و إلقاء السمع ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق : ٣٧] . ومعنى كونـه ذا قلـب أن يكـون قـابلاً

ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها » وقد تقدم شيء من ذلك في أول الكتاب . وفي شرح المناوي على الجامع الصغير قال النووي رحمه الله في الحكمة أقوال كثيرة مضطـربـة اقتصر كل مـن قـائليهـا على بعض صفاتها ، وقد صفا لنا منها أنها عبارة عن العلم المتصف بالأحكام المشتمل على المعرفة بالله المصحوب بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس والأخلاق وتحقيق الحق والعمل به والصد عن إتباع الهوى والباطل والحكيم من له ذلك اهـ .

(ويتقلد المنة) أي الشكر **(لمن ساقها إليه)** أي أوصلها له **(كائناً من كان)** وقد روى العسكري من حديث عتبة بن عبد الرحمن عن شبيب بن بشير عن أنس رفعه « العلم ضالة المؤمن حيث وجدها أخذها » . وعند القضاعي في آخر هذا الحديث : « حيثما وجد المؤمن ضالة فليجمعها إليه » ويروى عن ابن عمر رفعه « خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت » ونحو هذا يروى عن قول علي رضي الله عنه . قال العسكري : أراد ﷺ أن الحكيم يطلب الحكمة أبداً وينشدها فهو بمنزلة المضل ناقة يطلبها ، ثم أسند عن مبارك بن فضالة . قال : خطب الحجاج فقال أن الله أمرنا بطلب الآخرة وكفانا مؤنة الدنيا فليته كفانا مؤنة الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا ، فقال الحسن : ضالة المؤمن عند فاسق فليأخذها . وعن يوسف بن أسباط قال : كنت مع سفيان الثوري وحازم بن خزيمة يخطب فقال في خطبته : إن يوماً أسكر الكبار وشيب الصغار ليوم عسير شره مستطير ، فقال سفيان : حكمة من جوف خرب ، ثم أخرج سريحة يعني لوحاً فكتبها . نقله السخاوي في المقاصد ، ومن كلام علي رضي الله عنه انظر إلى ما قال . ولا تنظر إلى من قال ، ومن أمثالهم المشهورة : العق العسلَ ولا تسل ، **(ولذلك قيل)** فيما مضى :

(العلم حـــرب للفتى المتعـــالي   كالسيل حرب للمكـان العـالي)

أي أن العلم عدو المتكبر حرب عليه لا يجتمعان معاً والمتعالي هو المفتخر المتكبر بما عنده ، كما أن السيل عدو المكان المرتفع المحدودب ، فإنه لم يزل بأمواجه وهيجانه حتى يوطئه وذلك مشاهد ، **(فلا ينال)** العلم يا أخي **(إلا بالتواضع)** والتملق والإنقياد للمعلم **(والقاء السمع)** . وهذا شرط ثان بعد التواضع فإنه إذا انقاد وتملق له ولكنه لم يلق سمعه لما يقوله لم يستفد شيئاً . **(قال الله تعالى)** في كتابه العزيز : **(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد)** [ق : ٣٧] قال الراغب ، والسمين في تفسير قوله : ﴿لمن كان له قلب﴾ أي عقل وفهم وقد يعبر بالقلب عن المعاني التي تختص به من العلم ، وعليه خرجت الآية وإلقاء السمع هو الإصغاء بإذن قلبه ، وهو شهيد أي يشهد ما يسمعه بقلبه على حد من قيل فيهم أولئك ينادون من مكان بعيد اهـ .

....

وقال ابن القيم: تأمل ما تحت هذه الألفاظ من كنوز العلم وكيف تفتح مراعاتها للعبد أبواب العلم والهدى، وكيف ينغلق باب العلم عنه من إهمالها وعدم مراعاتها فإنه سبحانه ذكر أن آياته المسموعة والمرئية المشهورة إنما تكون تذكرة لمن كان له قلب، فإن من عدم القلب الواعي عن الله لم ينتفع بكل آية تمر عليه ولو مرت به كل آية، فإذا كان له قلب كان بمنزلة البصير إذا مرت به المرئيات فهو يراها، ولكن صاحب القلب لا ينتفع بقلبه إلا بأمرين. أحدهما: أن يحضره ويشهد لما يلقي إليه فإذا كان غائباً عنه مسافراً في الأماني والشهوات والخيالات لا ينتفع به، فإذا أحضره وأشهده لم ينتفع إلا بأن يلقي سمعه ويصغي بكليته إلى ما يوعظ به. قال ابن عطية: القلب هنا عبارة عن العقل إذ هو محله. وقال بعض المتأولين في معنى وهو شهيد أي شاهد مقبل على الأمر غير معرض عنه. وقال قتادة: هي إشارة إلى أهل الكتاب. كأنه قال لمن سمعها من أهل الكتاب فشهد بصحتها لعلمه بها، فشهد على الأول من المشاهدة وعلى الثاني من الشهادة، وهذا القول عن قتادة نقله ابن عطية، وأشار له الزجاج والزمخشري ولم يختلفوا في أن المراد بالقلب القلب الواعي، وان المراد بإلقاء السمع إصغاؤه وإقباله على الذكر، وإنما اختلفوا في الشهيد على أربعة أقوال.

أحدها: أنه من المشاهدة وهي الحضور وهذا أصح الأقوال، ولا يليق بالآية غيره.

والثاني: أنه من الشهادة وفيه على هذا ثلاثة أقوال. **أحدها:** أنه شاهد على صحته بما معه من الإيمان. **الثاني:** أنه شاهد من الشهداء على الناس يوم القيامة. **الثالث:** أنه شهادة من الله عنده على صحة نبوة رسول الله ﷺ بما علمه من الكتب المنزلة، والصواب القول الأول فإن قوله وهو شهيد جلة حالية، والواو فيها واو الحال أي ألقى السمع في هذه الحال، وهذا يقتضي أن يكون حال القائه السمع شهيداً وهذا هو المشاهدة والحضور، ولو كان المراد به الشهادة في الآخرة وفي الدنيا لما كان لتقييدها بالقاء السمع معنى. إذ يصير الكلام أن في ذلك لآية لمن كان له قلب أو ألقى السمع حال كونه شاهداً بما معه في التوراة أو حال كونه شهيداً يوم القيامة، ولا ريب أن هذا ليس هو المراد بالآية، وأيضاً فالآية عامة في كل من له قلب وألقى السمع، فكيف يدعي تخصيصها بمؤمني أهل الكتاب الذين عندهم شهادة في كتبهم على صفة النبي ﷺ، وأيضاً فالسورة مكية والخطاب فيها لا يجوز أن يختص بأهل الكتاب، ولا سيا مثل هذا الخطاب الذي علق فيه حصول مضمون الآية ومقصودها بالقلب الواعي وإلقاء السمع، فكيف يقال هي في أهل الكتاب؟

فإن قيل: المختص بهم قوله وهو شهيد، فهذا أفسد وأفسد لأن قوله وهو شهيد يرجع الضمير فيه إلى جملة من تقدم وهو من له قلب أو ألقى، فكيف يدعي عوده إلى شيء غايته أن يكون بعض المذكور أولاً ولا دلالة في اللفظ عليه، فهذا في غاية الفساد، وأيضاً فإن المشهود به محذوف ولا دلالة في اللفظ عليه، فلو كان المراد وهو شاهد بكذا لذكر المشهود به إذ ليس في

للعلم فهماً، ثم لا تغنيه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقي إليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة. فليكن المتعلم لمعلمه كأرض رمثة نالت مطراً غزيراً فتشربت جميع أجزائها وأذعنت بالكلية

اللفظ ما يدل عليه، وهذا بخلاف ما إذا جعل من الشهود وهو الحضور فإنه لا يقتضي مفعولاً مشهوداً به، فيتم الكلام بذكره وحده، وأيضاً فإن الآية تضمنت تقسيماً وترديداً بين قسمين. أحدهما **(من كان له قلب)** والثاني: من ألقى السمع وحضر بقلبه ولم يغب فهو حاضر القلب شاهد لا غائب، وهذا والله أعلم سر الإتيان بأو دون الواو اهـ.

وإلى هذا أشار المصنف حيث قال: **(ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلاً للعلم)** باستعداده الأزلي ومحلاً له **(فهما)** بحسن إدراكه وتصوره قادراً عليه، **(ثم لا تغنيه القدرة على الفهم)** أي لا يكفيه مجرد إستعداده وإدراكه لما يلقى إليه **(حتى يلقى السمع)** بحسن اصغائه مع التدبر **(وهو شهيد)** أي **(حاضر القلب)** غير غائبه **(يستقبل)** بثواقب أذهانه الصافية **(كل ما ألقي إليه)** من المعلم **(بحسن الإصغاء)** أي الإستماع **(والضراعة)** أي التواضع **(والشكر)** في مقابلة هذه النعمة بل النعم، فإن الطالب إذا تفكر في نفسه بأن الله تعالى أراد به خيراً حيث وفقه من الأزل لطلب ما ينجيه من عذابه ويوصله إليه، ثم يتفكر بأنه أنعم عليه بالعقل والفهم وتوجه القلب إلى تعليم ذلك فيجدها كلها نعماً جليلة مطوية في مضمرها نعم أخرى **(و)** إذا انصبغ بهذا المعنى ظهرت عليه أمارات **(الفرح)** والسرور اللذين هما صقيلا الفهم، فإن الطالب إذا فهم بين يدي معلمه ما يقوله ظهر السرور في وجهه وهذه علامة وقوعه على القلب وقبوله له من حيث الفهم، ويحكى أن جالينوس كان يقرر يوماً في مسألة مشكلة والطلبة به محدقون فقال لهم: فهمتم؟ قالوا: نعم. قال: لا لو فهمتم لظهر السرور على وجوهكم. **(وقبول المنة)** من المعلم باب كبير للمتعلم وهو في معنى الضراعة للمعلم، فإنه إن لم يقبل منه استاذه بقي على جهله، **(فليكن المتعلم لمعلمه)** أي بين يديه كالريشة الملقاة في الفلاة تقلبها الرياح كيف شاءت أو الحشيشة اليابسة في الماء الجاري تجري بها الأمواج حيث أرادت، أو الميت بين يدي الغاسل يحركه كيف شاء، **(أو كارض ميتة)** أي جدبة **(نالت مطراً غزيراً فشربته بجميع أجزائها)** وعروقها **(وأذعنت)** أي انقادت **(بالكلية لقبوله)** وهذا يستدعي إلى فراغ ذهنه عما يخالفه على حد قولهم:

فصادف قلباً خالياً فتمكن.

حتى يتم التشبيه بما ذكره الشيخ ونص الذريعة.

الثالث: أن لا يتكبر على معلمه ولا على العلم.

فـــالعلم حـــرب للفتى المتعـــالي ... كـالسيـل حـرب للمكـان العـالي

ولهذا قيل: العلم لا يعطيك بعضه الخ. وهذه الجملة بتمامها قد ذكرها المصنف في التي قبلها،

لقبوله. ومهما أشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه، فإن خطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها، فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوّته إلى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من لا خبرة له به. وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر: ﴿إنّكَ لَنْ تستطيعَ معي صبراً وكَيفَ

ثم قال الراغب: ومتى لم يكن المتعلم من معلمه كأرض رمثة نالت مطراً غزيراً فتتلقاه بالقبول لم ينتفع به، فحقه أن يتفرغ له كما قال تعالى: ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾ أي لمن له بنفسه علم يستغني به أو تذلل لاستماع الحق واقتباسه من عند المعلم. وقال بعض العلماء في قوله عليه السلام: «اليد العليا خير من اليد السفلى» إشارة إلى فضل المعلم على المتعلم وفي تبيين فضل المعلم حث المتعلم على الإنقياد له اهـ.

(**ومهما أشار عليه المعلم**) وفي معناه المرشد في المواضع كلها (**بطريق**) من الطرق (**في التعليم**) خاص به أو عام (**فليقلده**) وليهتد به (**وليدع**) أي يترك (**رأيه**) وإن كان صواباً، (**فإن خطأ مرشده**) على الفرض والتقدير (**أنفع له من صوابه في نفسه**) بحسب الظاهر (**إذ التجربة**) في الأشياء كلها (**تطلع**) الإنسان (**على دقائق**) ونكات (**يستغرب سماعها**)، ولذلك قيل: من جرب المجرب حلت به الندامة. وقال آخر: سل المجرب ولا تسأل طبيباً. وقالوا: أكبر منك بشهر أعقل منك بسنة. (**مع أنه يعظم نفعها**) في الحقيقة، (**فكم من مريض محرور**) المزاج إذ أصابه المرض (**يعالجه الطبيب**) الحاذق (**في بعض أوقاته بالحرارة**) أي بالأدوية الحارة (**ليزيد في قوته إلى**) أن يصل إلى (**حد يحتمل صدمة العلاج**) فيعالجه بما يزيل الحرارة ويقطعها عنه استئصالاً. وذلك لأن الأدوية المبردة إذا وردت على حرارة ضعيفة صدمتها فجأة ولم تحتملها، فربما أورث ذلك إلى أمراض أخر عسرة البرء (**فيتعجب منه من لا خبرة له**) ولا علم في دقائق الطب والأطباء ونص الذريعة، وكما أن من حق المريض أن يكل إلى الطبيب الناصح الذي وقف على دائه ليطلب الطبيب دواءه وعزله، فإنه إن يشته لم يشته إلا ما فيه دواؤه ولم يختر إلا ما فيه شفاؤه، كذلك حق المتعلم إذا وجد معلماً ناصحاً أن يأتمر له ولا يتأمر عليه ولا يراده فيما ليس بصدد تعلمه اهـ.

(**وقد نبه الله تعالى**) في كتابه العزيز على الحرص على لقاء العالم وعلى التعلم منه، ثم على آدابه التي يستعلمها عند لقائه (**بقصة الخضر وموسى عليهما السلام**) ونص الذريعة وكفى على ذلك تنبيهاً ما حكى الله تعالى عن العبد الصالح أنه قال لموسى الخ اهـ.

وذلك فيما روي أن موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخول مصر خطبة بليغة فأعجب بها، فقيل له: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ فقال: لا. فأوحى الله إليه بلى عبدنا

تَصْبِر على ما لم تُحِطْ به خُبْراً﴾ [الكهف: ٦٧ ، ٦٨] ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال: ﴿فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ [الكهف: ٧٠] ثم لم يصبر ،

الخضر وهو بمجمع البحرين، وكان الخضر في أيام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى. وقيل: أن موسى سأل ربه: أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني قال: فأي عبادك أقضى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى. قال: فأي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى، فقال: إن كان في عبادك أعلم مني فدلني عليه. قال: أعلم منك الخضر. قال: أين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخر. قال: كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مكتل فحين فقدته فهو هناك. (**حيث قال الخضر**) عليه السلام حين رحل إليه سيدنا موسى عليه السلام ليزداد علماً إلى علمه. وقال لفتاه ﴿أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً﴾ [الكهف: ٦٠] حرصاً منه على لقائه والتعلم منه، فلما لقيه سلك مسلك المتعلم مع معلمه فبدأ بعد السلام بالإستئذان على متابعته وأنه لا يتبعه إلا باذنه وقال له: ﴿**هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً**﴾ [الكهف: ٦٦] فلم يجيء مستمحناً ولا متعنتاً وإنما جاء متعلماً مستزيداً علماً إلى علمه فلما لقيه وعرفه بنفسه قال له الخضر: (**إنك لن تستطيع معي صبراً**) نفي عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله: (**وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا**) أي كيف تصبر وأنت نبي على ما أتولى من أمور ظواهرها مناكر وبواطنها لم يحط بها خبرك، وحينئذ قال في الجواب: ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً﴾ أي معك غير منكر عليك ﴿ولا أعصى لك أمراً﴾ [الكهف: ٦٩] فعلق وعده بالمشيئة إما للتيمن أو لعلمه بصعوبة الأمر، فإن مشاهدة الفاسد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلاف فيه، (**ثم شرط عليه السكوت والتسليم**) والاذعان كما هو عادة المعلم مع متعلمه، (**فقال: فإن اتبعتني**) كما أمرتك (**فلا تسألني**) أي لا تفاتحني بالسؤال (**عن شيء**) أنكرته مني ولم تعلم وجه صحته (**حتى أحدث لك منه ذكراً**) أي حتى ابتدأك ببيانه، (**ثم**) لما انطلقا إلى الساحل يطلبان السفينة فلما ركباها أخذ الخضر فأساً فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها (**لم يصبر**) على ذلك حتى سأله فاعتذر له وقال: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ [الكهف: ٧٣] أي لا تعترض على بنسياني إياها وهو اعتذار بالنسيان أخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها، وقيل: أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة، وقيل: هو من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه، (**ولم يزل في مراددته**) ثانياً وثالثاً بقتل الغلام وإقامة الجدار بغير أجرة وإنكاره عليه فيها. ثم طلب العذر من قبله لما خالفه ثلاث مرات بعدم مصاحبته له (**إلى أن كان ذلك سبب فراق ما بينهما**) وهو المفهوم من قوله تعالى: ﴿قال هذا فراق بيني وبينك﴾ [الكهف: ٧٨] الإشارة إلى الفراق الموقور بقوله: فلا

ولم يزل في مراددته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما. وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رأياً واختياراً دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران.

(فإن قلت) : فقد قال الله تعالى : ﴿ فاسألوا أهْلَ الذِّكْر إنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُـون ﴾ [النحل : ٤٣] ، فالسؤال مأمور به ؟ (فاعلم) أنه كذلك ولكن فيما يأذن المعلم في السؤال عنه ، فإن السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم ، ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال : أي دع السؤال قبل أوانه ، فالمعلم أعلم بما أنت أهل له وبـأوان الكشـف . ومـا لم

تصاحبني أو إلى الاعتراض الثالث أو الوقت وإضافة الفراق إلى البين إضافـة المصـدر إلى الظـرف على الإتساع.

ويروى عن النبي ﷺ قال: « رحم الله أخي موسى استحيي فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب ». قال ابن القيم: وكفى بهذا شرفاً وفضلاً للعلم فإن نبي الله وكليمه سار ورحل حتى لقي النصب في سفره في تعلم ثلاث مسائل من رجل عالم، ولما سمع به لم يقر له قرار حتى لقيه وطلب متابعته وتعليمه وفي قصها عبر وآيات وحكم ليس هذا موضع ذكرها.

(وبالجملة) . أي حاصل الكلام أن **(كل متعلم)** في أي علم كان إن **(إستبقى لنفسه رأياً واختياراً)** يراه ويختاره **(دون اختيار المعلم فاحكم عليه)** قطعاً **(بالاخفاق)**أي الخيبة والحرمان **(والخسران)** نعوذ بالله من الخذلان.

(فإن قلت): إن المتبادر إلى الأذهان في قصة الخضر وموسى عليهما السلام عدم السؤال حيث شرط الخضر على موسى السكوت والتسليم، وقوله: فلا تسألني عن شيْ حيث دل على عدم المفاتحة بالسؤال وهذا على ظاهره غير متجه، **(فقد قال الله تعالى)** في موضع آخر من كتابه العزيز: **(فاسألوا أهل الذكر)** أي أهل العلم **(﴿ إن كنتم لا تعلمون ﴾ [النحل: ٤٣] فالسؤال مأمور به)** بمقتضى هذه الآية. وكذلك الخبر الذي من طريق أهل البيت العلم خزائن ومفتاحها السؤال، والخبر الآخر لا ينبغي للجاهل أن يستقر على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه. وقال ذو النون المصري: حسن سؤال الصادقين مفتاح قلوب العارفين. **(فاعلم)** أيها السالك **(انه كذلك)** أي ما ذكرته صحيـح وأن السـؤال مطلـوب لما ورد شفـاء العـي السـؤال، **(ولكـن)** ليس في كـل حـال بل **(فيما يأذن)** به **(المعلم في السؤال عنه)** ويرى شفاء جهله به، **(فإن السؤال إلى ما لا تبلغ)** عداه بإلى يتضمن السؤال معنى الاحتياج أي عما لا تصل **(رتبتك)** ومقامك **(إلى فهمه)** وإدراكه **(مذموم)** كالعويصات والغوامض التي لا يدركها إلا العارفون الكاملون وليس للمبتدىء الخوض في مسالكها، **(ولذلك)** أي لهذا السر **(منع الخضر موسى)** عليهما السلام **(عن السؤال)** أي عن مفاتحته، فان إفشاء سر الربوبية صعب **(أي دع السؤال قبل أوانه)** فمن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، ولذلك قيل: لو صبر موسى عليه السلام لأبصر أعجب العجائب كما ورد، **(فالمعلم أعلم بما أنت أهله)** لتلقيه **(وبأوان الكشف)** عن

يدخل أوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه، وقد قال علي رضي الله عنه: إن من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب، ولا تلح عليه إذا كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تفشي له سراً، ولا تغتابن أحداً عنده، ولا تطلبن عثرته وإن زلّ قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه

مضاربه،(**ومالم يدخل أوان الكشف**) عن الأسرار (**في كل درجة من مراقي الدرجات**) في الحضرات الإلهية (**لا يدخل أوان السؤال**) فلا يؤذن للمعلم بالكشف عن تلك الأحوال، ونص الذريعة. وقول الله تعالى فقال: ﴿لا تسألني عن شئ حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ [الكهف: ٧٠] نهي عن المراجعة وليس ذلك نهياً عن الذي حث تعالى عليه بقوله: ﴿فاسألوا أهلَ الذكر إن كنتُم لا تعلمون﴾ [النحل: ٤٣] وذلك النهي إنما هو نهي عن نوع من العلم لم يبلغ منزلته بعد والحث إنما هو عن السؤال تفاصيل ما خفي عليه من النوع الذي هو بصدد تعلمه وحق من هو بصدد تعلم علم من العلوم أن لا يصغي إلى الأختلافات المشككة ما لم يتهذب في قوانين ما هو بصدده لئلا تتولد له شبهة تصرفه عن التوجه فيه فيؤدي إلى الارتداد اهـ. كيف (**وقد قال علي**) ابن أبي طالب (**رضي الله عنه**) وكرم وجهه فيما رُويَ عنه فيما يجب على المتعلم لمعلمه (**إن من حق العالم**) الكامل المرشد إلى الله تعالى بأنوار علومه (**أن لا تكثر عليه في السؤال**) لأن كثرة السؤال تسقط حرمته عنده، بل يكون سبباً لغرور النفس ولا سيما إذا كان على الملأ (**ولا تعنته في الجواب**) أي لا تشدد عليه فيه وتلزمه بما يصعب عليه . هذا معنى التعنت في الأصل كما قاله ابن الانباري، (**ولا تلح عليه**) من الإلحاح (**اذا كسل**)وفتر عن أداء الجواب لعذر ما أو هو بالجيم من اللجاج والمعنى صحيح (**ولا تأخذ بثوبه**) أي طرف ردائه وما أشبه ذلك (**إذا نهض**) إلى القيام فإنه يؤدي إلى التضجر والتبرم (**ولا تفش له سراً**) عمن لا يحبه، ولذلك قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين سأله أن يتزوج ابنته حفصة حين تأيمت من خنيس بن حذافة السهمي،فصمت ولم يجب وفي آخره لم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ أي لأنه سمعه يذكرها. وقد أخرجه البخاري في النكاح وفي غزوة بدر، وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية الشعبي عن ابن عباس قال: قال لي أبي أي بني: أرى أمير المؤمنين يقربك ويدعوك ويستشيرك مع أصحاب رسول الله ﷺ فاحفظ عني ثلاث خصال. اتق لا يجربن عليك كذبه، ولا تفشين له سراً، ولا تغتابن عنده أحداً. قال الشعبي: فقلت كل واحدة خير من ألف، فقال: كل واحدة خير من عشرة آلاف، (**ولا تغتابن عنده**) أي في مجلسه سواء كان الخطاب له أو لغيره ممن في مجلسه (**أحداً**) من المسلمين لا تصريحاً ولا تعريضاً، (**ولا تطلبن عثرته**) أي سقوطه أي لا تكون رقيباً تعد عثراته في سائر أحواله (**وإن ذلّ**) عن إصابة الحق (**قبلت معذرته**) وحملته على العادة البشرية، (**وعليك أن توقره**) وتبجله (**وتعظمه لله تعالى**) لا لعلة أخرى (**ما دام يحفظ أمر الله تعالى**) متأدباً بآداب الشريعة، (**ولا تجلس**) في حضرته (**أمامه**) إلا عند التلقي ولا فوقه إلا لعذر (**وإن كانت له حاجة**) عرضت من

لله تعالى ما دام يحفظ أمر الله تعالى، ولا تجلس أمامه وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته.

(الوظيفة الرابعة): أن يحترز الخائض في العلم في مبدأ الأمر عن الإصغاء إلى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة؛ فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه عن الادراك والاطلاع، بل ينبغي أن يتقن أوّلاً الطريقة الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه، ثم بعد ذلك يصغي إلى المذاهب والشبه. وإن لم يكن أستاذه مستقلاً باختيار رأي واحد، وإنما عادته نقل

المهات الدينية أو الدنيوية **(سبقت القوم إلى خدمته)** وقضاء حاجته، فهذه اثنتا عشرة جملة تضمنت الآداب وكشفت عن وجه الحق النقاب، والمقصود من إيراد هذا الكلام هو الجملة الأولى المشتملة على النهي عن كثرة السؤال عليه، ومفهومها أن كثرة السؤال ليس بممنوع، وإنما الممنوع منه الكثرة الموجبة لملل المعلم ولحدوث الغرور في نفس المتعلم، والمفهوم من سياق المصنف عدم المفاتحة بالسؤال عليه مطلقاً فيما لم يأن أوانه، ولعله فهم من قول سيدنا علي في النهي عن كثرة السؤال في مثل هذا واضرابه فتأمل. وأما بقية الجمل فإنها دلت كذلك على جملة من الآداب ساقها بتمامها لما فيها من الحكم والنصائح، وقد اندرج بيانها في أثناء هذه الوظائف التسعة، وقد اقتصر صاحب الذريعة على هذه الوظائف الثلاثة وزاد المصنف عليه ما سيأتي ذكره.

(الوظيفة الرابعة) من الوظائف التسعة **(أن يحترز الخائض في العلم)** أي الواغل في تحصيله وقد تقدم مراراً أن أصل الخوض هو الدخول في الماء ثم استعير لغيره **(في مبدأ الأمر)** أي في أوّله **(عن الأصغاء)** أي الاستماع والميل **(إلى اختلافات الناس)** وتشعب آرائهم **(سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا)** كهذه العلوم التي ولع المتأخرون بتحصيلها وسموها بزعمهم أسباباً موصلة إلى علوم الآخرة، **(أو علوم الآخرة)** كعلم معرفة القلب وما يرد عليه وعلم محاسبة النفس والدقائق وغير ذلك، **(فان ذلك)** أي النظر إلى اختلاف الناس فيه **(يذهل)** وفي نسخة: يذهب **(عقله)** بتشتته **(ويحير ذهنه)** بالوساوس **(ويفتر رأيه)** عن الاقبال إلى الحق **(ويؤيسه عن الأدراك)** الحقيقي **(والأطلاع)** لما هو بصدده، وكل من الذهول والتحير وفتور الرأي واليأس من أسباب الحرمان للطالب، **(بل ينبغي أن يتقن أولاً الطريقة الواحدة)** أي يحكمها في عقله بقوة همته وصرف جهده إلى تحصيلها وهي **(المرضية عند أستاذه)** المقبولة لديه، **(ثم بعد ذلك)** أي بعد اتقانها وحلولها في القلب قبل كل شيء كالأساس المحكم على حد قولهم:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلباً خالياً فتمكنا

(يصغي إلى) معرفة اختلافات **(المذاهب)** وكيفية حججها ودلائلها **(والشبه)** وتقريرها

المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه، فإن إضلاله أكثر من إرشاده، فلا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم، ومن هذا حاله فهو يعد في عمى الحيرة وتيه الجهل، ومنع المبتدىء عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار، وندب القوي إلى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار، ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له. ومن الغفلة عن هذه الدقيقة

وكيف ردها، **(وإن لم يكن أستاذه)** أي معلمه **(مستقلاً باختيار رأي واحد)** ولا متضلعاً في تلك الطريقة التي يتعلمها منه، **(وإنما عادته)** وطريقته **(نقل المذاهب)** إلى أقوالها **(وما قيل فيها)** من الحجج والبراهين، **(فليحذر منه)** الطالب ولا يصاحبه **(فإن إضلاله أكثر من إرشاده)** فإن كل متعلم يحذو حذو معلمه، فإذا كان المعلم بذلك الوصف **فهو** كالمتحير الذي لم يبصر الطريق فمتى حذاه المتعلم وصار ينقل طريقته **فهو في الحيرة أكثر** فاستمر الاضلال إلى ما شاء الله تعالى، ولذا منع فيما سبق من الزمان من تدريس العلوم من لم يتدرب بين يدي الرجال ولم يتقنه الابطال خوفاً بأن يضر العوام ويهلك بجهله الطغام، **(فلا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم)** أي لا يصلح الجاهل لارشاد الجهال ولذلك قيل

ومن عجب الدنيا طبيب مصفر ... وأعمش كحال وأعمى منجم

(ومن هذا حاله فهو يعد في عمى الحيرة ورتبة الجهل) فلا يصلح منه الارشاد والتسليك بحال من الاحوال، ولهذا فسد الاوان وعم الطغيان، وقد ورد في الحديث «إذ وسّد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة» **(ومنع المبتدئ)** في العلوم **(من الشبه)** والغوامض **(يضاهي)** أي يشبه **(منع الحديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار)** ومجالستهم كيلا يسري إليه بعض تهويلاتهم فيتمكن في قلبه لضعفه، **(وندب القوي)** في العلم أي حثه وحمله **(إلى النظر في الاختلافات)** مع كثرتها **(يضاهي حث القوي)** الكامل أداة سلاحه **(على مخالطة الكفار)** إذ قد تمكن فيه العلم بالله تعالى فلا تزلزله عقائد الكفار، فلو خالطهم لم يضروه بتمويهاتهم وتهويلاتهم، **(ولذلك يمنع العاجز)** وهو عادم القوة الجبان **(عن التقحم)** أي الدخول، وفي نسخة: عن التهجم **(على صف الكفار)** وهم أقوياء **(ويندب الشجاع له)** أي للتقحم لشجاعته وقوته، وهذا السياق في كتاب الذريعة ونصه: وحق من هو بصدد تعلم علم من العلوم أن لا يصغي إلى الاختلافات المشكلة والشبه الملبسة ما لم يتهذب في قوانين ما هو بصدده لئلا يتولد له شبهة تصرفه عن التوجه فيه فيؤدي ذلك إلى الارتداد، ولذلك نهى الله سبحانه من لم يكن بقوي في الاسلام عن مخالطة الكفار، فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا﴾ [آل عمران: ١١٨] وقال: ﴿لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾ [المائدة: ٧٦] ومن أجل ذلك كره للعامة أن يجالسوا أهل الأهواء لئلا يغووهم، والعامي إذا خلا بذوي البدع كالشاة إذا خلت بالسبع. وقال بعض الحكماء: إنما

ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز، ولم يدرِ أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء. وفي ذلك قال بعضهم: من رآني في البداية صار صديقاً ومَن رآني في النهاية صار زنديقاً. إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن وتسكن الجوارح إلا عن رواتب الفرائض، فيتراءى للناظرين أنها بطالة وكسل

حرم الله تعالى في الابتداء لحم الخنزير لأنه تعالى أراد أن يقطع العصمة بين العرب وبين الذين كانوا يشككونهم باجتماعهم معهم من اليهود والنصارى، فحرم على المسلمين ذلك إذ هو معظم مأكولاتهم، وعظم الأمر في تناوله ومسه لينتهي المسلمون عن الاجتماع في المؤاكلة والانس. وقال عليه السلام في المؤمن والكافر لا تتراءى ناراهما لذلك، وأما الحكيم فإنه لا بأس بمجالسته أياماً فإنه جار مجرى سلطان ذي عدة وأجناد وعتاد لا يخاف عليه العدو وحيثما توجه الاستماع إلى الشبه، بل أوجب عليه أن يتبع بقدر جهده كلامهم ويسمع شبههم ليجاهدهم ويدافعهم، فالعالم أفضل المجاهدين الذابين عن الدين، فالجهاد جهادان. جهاد باللسان وجهاد بالبنان، ولما تقدم سمى الله تعالى الحجة سلطاناً في غير موضع من كتابه كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿إنّي آتيكم بسلطان مبين﴾ اهـ. [الدخان: ١٩]

(**ومن الغفلة**) الظاهرة (**عن هذه الدقيقة**) الفاخرة (**ظن بعض الضعفاء**) أي ضعفاء العقول (**أن الاقتداء**) أي الإتباع (**بالاقوياء**) أي أصحاب القوى الراسخة (**فيما ينقل عنهم**) ويروى، (**من المساهلات**) في الأعمال والأقوال (**جائز ولم يدر**) وفي نسخة: ولم يدرك (**أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء**)، وذلك بحسب اختلاف مقاماتهم وقربهم من الحضرة وبعدهم، فكما لا يقاس أحدهما بالآخر فكذلك لا تقاس وظائفهما، (**ولذلك قال بعضهم**) أي من العارفين: (**من رآني**) أي أبصرني بعين إعتباره مع الاتباع لطريقتي (**في البداية**) أي في أوّل السلوك (**صار صديقاً**) أي بلغ هذه المرتبة العلية وهي مرتبة التكاليف الشاقة، (**ومن رآني في النهاية**) أي في منتهى سلوكي (**صار زنديقاً**) ثم علله بقوله: (**إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن**) فتكون العبادة كلها تفكراً. ونقل السراج البلقيني في شرحه على البخاري قولاً لبعض: في أن عبادته ﷺ كانت الفكر، وقال غيره: معنى قولهم (**أن النهاية ترد الأعمال إلى الباطن**) أي يشتغل السالك حينئذ بالاذكار القلبية والافكار في الصفات الالهية والمصنوعات الآفاقية والانفسية والتهذيب بالأخلاق السنية والشمائل البهية من الرحمة والتحمل والصبر والشكر والرضا والتفويض والتوكل بحال الفناء ومقام البقاء، وهذا مقام كمل الاصفياء (**وتقبض الجوارح**) وفي نسخة: وتسكن عن سائر الأعمال الشاقة (**إلا عن رواتب الفرائض**)، وقد قيل بداية الأنبياء نهاية الأولياء. هذا هو المعروف عند السادة الصوفية، وأما ما نقل عن بعضهم في أن بداية الولي نهاية النبي، فإنما هو باعتبار التكاليف الشرعية من الأوامر الفرضية في الزواجر المنهية فلما لم يتصف السالك بما إنتهى أمر دينه ﷺ لم يدخل في باب الولاية ولا يكون له حظ من حسن الرعاية وحفظ الحماية، وهو تأويل حسن إن صح هذا القول عنهم،

وإهمال، وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذي هو أفضل الأعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوي فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهي اعتذار من يلقى نجاسة يسيرة في كوز ماء ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقى في البحر والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز، ولا يدري المسكين أن البحر بقوّته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته،

ويشير إليه قول الجنيد رحمة الله تعالى كما سبق طريقتنا هذه مربوطة بالكتاب والسّنة، ومن هنا قال بعض السادة: بدايتنا نهاية غيرنا (**فيتراءى للناظر**) في أوّل وهلته (**انها**)أي تلك الحالة (**بطالة وكسل**) وفتور عن الأعمال المأمور بها، (**واهمال**) لأصل العبادات، (**وهيهات فذلك**) الذي هو عليه هو بعينه (**مرابطة للقلب**) الصنوبري عن حضور ما سوى الله تعالى (**في عين الشهود**) الإلهي (**والحضور**) القربى، فهو قائم مع الحقيقة وملحظه الفضل والتزام الحرمة كما هو شأن أهل النهاية، كما أن شأن أهل البداية القيام مع الشريعة ومبنى أمرهم على المجاهدة والخدمة، وشتان بين مقامي المجاهدة والمنّة، فصاحب المجاهدة غارق في الفرق وهو بمعاملته محجوب، وصاحب المنة غارق في الفضل وهو في سائر حركاته وسكناته محبوب إن نطق فبالله وإن عمل فلله وإن رجع فمن الله وإن ذهب فإلى الله، فهو بالله ولله ومن الله وإلى الله لا يعرف إلا الله ولا يشهد إلا الله كما قيل: من عرف الله شهده في كل شيْ فيستوحش من كل شيْ ويأنس به كل شيْ صار مشهوداً له معنى: ﴿فأينما تولوّا فثّم وجهُ الله﴾ [البقرة: ٧٥] سجية وحقيقة ﴿وهو معكم أينما كُنتم﴾ [الحديد: ٤] منطوية في قلبه (**وملازمته للذكر**) والتفكير (**الذي هو أفضل الاعمال**) للعبد (**على الدوام**) لما ورد من طرق ضعيفة تفكر ساعة خير من عبادة الثقلين، وهذه هي العبادة الباطنية التي كانت عليها كمل الأصفياء: ﴿وترَى الجبالَ تَحسبُها جامدةً وهي تمرُّ مرَّ السَّحاب﴾ [النحل: ٨٨] ولقد كانت الصحابة رضوان الله عليهم يتفكرون ويتذكرون. وقد روى الاصبهاني في ترغيبه، وأبو نعيم في الحلية من طريق شهر ابن حوشب، عن ابن عباس انه ﷺ خرج على أصحابه فقال: «إجتمعنا نذكر ربنا ونتفكر في عظمته. فقال: «تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره.» (**وتشبه الضعيف بالقوي فيما يرى من ظاهره أنه هفوة**) ونقص مقام (**يضاهي**) أي يشابه (**اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة**) أي قليلة (**في كوز ماء**) مثلاً (**بأن أضعاف هذه النجاسات**) على كثرتها (**قد يلقى في البحر**) ويرمى فيه فلا يكدره، (**و**) لا شك أن (**البحر أعظم من الكوز**)جرماً وأكثر ماء (**فما جاز للبحر**) من عدم حمله للنجاسة (**فهو للكوز أجوز**) أي أكثر جوازاً. ولعمري هذا قياس لكنه باطل (**ولا يدري المسكين أن البحر لقوّته**) وسعته (**يحيل النجاسة ماء**) بتلاشي أجزائها (**فتنقلب النجاسة باستبلائه**) أي غلبته وقوّته يعني البحر (**إلى صفته**) أي البحر التي هي الطهورية في نفسه والتطهير لغيره، (**والقليل من النجاسة يغلب**) الماء الذي في (**الكوز**) لضعفه (**ويحيله إلى صفته**) التي هي

والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله إلى صفته، ولمثل هذا جوّز للنبي ﷺ ما لم يجوّز لغيره حتى أبيح له تسع نسوة، إذ كان له من القوّة ما يتعدى منه صفة العدل إلى نسائه وإن كثرن، وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما بينهنّ من الضرار إليه حتى ينجر إلى معصية الله تعالى في طلبه رضاهن. فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين.

(الوظيفة الخامسة): أن لا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودة ولا نوعاً من

التنجس في نفسه، فقد بأن بذلك بطلان قياس القائس، **(وبمثل هذا جوّز النبي ﷺ)** خاصة مما يتعلق به**(ما لم يجوز لغيره)** من سائر أمته **(حتى أبيح له)** الجمع بين **(تسع نسوة)** بنكاح صحيح وهو معروف. قال العراقي: وفي الصحيحين من حديث ابن عباس كان عند النبي ﷺ تسع نسوة كان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة. ورواه النسائي كذلك. كلهم من رواية ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال؛ وأخرج البخاري والنسائي من رواية سعد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس، أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة. وفي رواية لهما من رواية هشام الدستوائي عن قتادة: كان يدور على نسائه في الساعة الواحدة في الليل والنهار وهن إحدى عشرة. قلت لانس: أكان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين. **(إذ كان له)** ﷺ **(من القوّة)** التي أعطيها **(ما تتعدى)** أي تتجاوز **(منه صفة العدل)** الذي هو أحسن الصفات، وهو الأمر المتوسط بين الافراط والتفريط **(إلى نسائه وإن كثرن)**، وأما ما اشتهر عند العامة من أنه ﷺ شكا إلى جبريل من ضعف الباه، فانزل له من السماء الكفيت وهي قدر فيها هريسة فأكل منها فعادت قوّته، فهذا شيٌ لا أصل له ولا يعتمد عليه، وأما القوّة المطلقة من غير أن تتعدى صفة العدل فقد أعطيها جماعة من آحاد أمته، كما بلغنا عن شيخ من السادة النقشبندية وهو حي الآن انه غاب عن زوجته أياماً، فلما رجع طالبته بحقها في الجماع، فقال لها: كم نقص لك من العدد؟ قالت أربعين فجامعها أربعين مرة على التوالي من غير نقص ولا فتور، **(وأما غيره فلا يقدر على العدل)** والمساواة، **(بل يتعدى ما بينهن من الضرار)** أي المضارة **(إليه حتى ينجر)** الحال منه **(إلى)** إرتكاب **(معصية الله)** تعالى **(في طلب رضاهن)** وهذا مشاهد. وروى أصحاب السنن الأربعة وابن حبان في صحيحه من رواية عبد الله بن يزيد عن عائشة أن النبي ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل فيقول: « اللهم هذه قسمتي فيما أملك ولا تلمني فيما تملك ولا أملك » لفظ الترمذي وقال: ومعنى قوله فيما تملك ولا أملك إنما يعني به الحب والمودة. **(فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين)** شتان بينهما .ووجدت في هامش النسخة بخط الشمس الحريري ما نصه: المراد بالحدادين المشاعلي الذي يقيم الحد، أو الجان أو على ظاهره أقوال.

(الوظيفة الخامسة: أن لا يدع) أي لا يترك **(طالب العلم فناً من)** فنون **(العلوم**

أنواعه إلا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلاَّ اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية، فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله، فإن الناس أعداء ما جهلوا. قال تعالى: ﴿وإذْ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾. [الأحقاف: ١١].

المحمودة) الذي تقدم ذكرها **(ولا نوعاً من أنواعه)**، والفن في الأصل إسم للغصن من الشجرة ويطلق ويراد به النوع فهما مترادفان **(إلا وينظر فيه)** بتدبر وتأمل **(نظراً يطلع به على مقصده)** الذي اشتمل ذلك الفن عليه **(وغايته)** التي ينتهي إليها، وإنما اقتصر عليهما لأنه بهما يدرك شرف الفن، فتارة بالمقصد، وتارة بالغاية فلا بد من الاطلاع عليهما؟ **(ثم إن ساعده العمر)** بأن طال والوقت بأن صفا **(طلب التبحر)** أي التوسع **(فيه)** ولا بأس بذلك **(وإلا)** أي إن لم ير مساعدة العمر والوقت بأن خاف على نفسه بالموت العاجل أو ابتلي بالمحن والأكدار **(اشتعل بالاهم)** فالأهم **(فاستوفاه)** فهماً وحفظاً ومدارسة **(وتطرف من البقية)** أي أخذ منها الطرف والنوادر المحتاج إليها في حال طلبه، **(فإن العلوم)** وإن تفاوتت **(متعاونة)** يعين بعضها بعضاً **(وبعضها مرتبط بالبعض)** إرتباطاً كلياً تارة. وجزئياً أخرى **(ويستفيد من ذلك في الحال)** أي عند معرفته ولو على المشاركة **(الانفكاك)** أي الانفصال **(عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله)** وهذا أقل المراتب فيه، **(فان الناس أعداء ما جهلوا)** يروى ذلك من قول سيدنا علي رضي الله عنه. **(قال الله تعالى: وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفْكٌ قديمٌ)** [الأحقاف: ١١]. المراد بهم قريش، وقيل: بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع، وقيل: اليهود على اختلاف في ذلك، والاهتداء هنا التوفيق أي إذ لم يوفقوا بالإيمان وبما أتى به محمد ﷺ فسيقولون **(هذا إفك قديم)** والافك لغة صرف الشيء عما يحق أن يكون عليه، والمراد هنا أشد الكذب. والقديم: السابق. وهو مثل قولهم **(أساطير الأوّلين)**.

وفي كتاب الذريعة للراغب حق الانسان أن لا يترك شيئاً من العلوم أمكنه فيه واتسع العمر له وينجر بشمه عرفه وبذوقه طيبه، ثم إن ساعده القدر على التغذي به، وإلاَّ لم يصر بجهله بمحله وغباوته عن منفعته إلا معادياً له بطبعه، كما قال القائل وأنشد البيت الآتي ثم قال: ومن جهل شيئاً عاداه والناس أعداء ما جهلوا، بل قال الله تعالى: ﴿وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾.

وحكي عن بعض فضلاء القضاة أنه رؤي بعدما طعن في السن وهو يتعلم أشكال الهندسة، فقيل له في ذلك. فقال: وجدته علماً نافعاً فكرهت أن أكون بجهلي معادياً له، ولا ينبغي للعاقل أن يستهين بشيْ من العلوم، بل يجب أن يجعل لكل واحد حظه الذي يستحقه، ومنزله الذي يستوجبه، ويشكر من هداه لفهمه وصار سبباً لعلمه، فقد حكي عن بعض الحكماء انه قال: يجب

قال الشاعر:

ومن يك ذا فم مرٍّ مريض   يجد مرّاً به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى، أو معينة على السلوك نوعاً من الإعانة، ولها منازل مرتبة في القرب والبُعد من المقصود والقوّام بها حفظة كحفاظ

أن نشكر أيادي الذين ولدوا لنا الشكوك إمتناناً لمن حرك خواطرنا بالنظر في العلم عن شكر من أفادنا طرفاً من العلم، ولولا مكان فكر من تقدمنا لأصبح المتأخرون حيارى قاصرين عن معرفة مصالح دنياهم. فضلاً عن مصالح أخراهم، فمن تأمل حكمة الله تعالى في أقل آلة يستعملها الناس كالمقراض جمع بين سكينين مركباً على وجه يتوافى أحدهما على نمط واحد للقرض أكثر تعظيم الله وشكره وقال: ﴿سُبحانَ الَّذي سخّر لنا هذا وما كُنّا لهُ مُقْرنين﴾ [الزخرف: ١٣].

(**وقال الشاعر**) وهو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الكوفي في قصيدة له لامية خمسون بيتاً يمدح بدر بن عمار بن إسماعيل الاسدي، وقبل هذا البيت:

أرى المتشاعرين عزوا بذمي   ومن ذا يحمد الداء العضالا

(ومن يكُ ذا فم مرٍّ مريضٍ   يجد مرّا به الماء الزلالا)

أي لا يعادي الانسان شيئاً إلا بعلة ناشئة منه هي المانعة له عن محبته إياه. ألا ترى إلى الماء الزلال وهو البارد العذب الصافي إذا شربه من به غلبة الصفراء أو مريض آخر يغير لذة الفم، فانه يجده مراً على غير صفته، فهذا الوجدان راجع إلى الشارب والمشروب على صفته لم يتغير. وقال شارح الديوان: هذا مثل ضربه يقول مثلهم معي كمثل المريض مع الماء الزلال يجده مراً لمرارة فمه، كذلك هؤلاء يذمونني لنقصانهم وجهلهم لفضلي، فالنقص فيهم لا فيَّ ولو صحت حواسهم لعرفوا فضلي.

(**فالعلوم**) كلها (**على**) تفاوت (**درجاتها**) على أقسام (**إما سالكة بالعبد إلى الله عز وجل**) سلوكاً حقيقياً كعلم معرفة الله سبحانه وما يتعلق به، (**أو معينة له على السلوك**) إلى الله تعالى كل الأعانة، أو (**نوعاً من الأعانة**).

فالأول: كمعرفة الخواطر وما يرد عليها من الهواجس الملكية والشيطانية إذ بتفريغ باطنه عن الهواجس تكون فيه القابلية لمعرفة الله تعالى.

والثاني: كعلم الأعراب (**ولها منازل**) ودرجات (**مرتبة**) ترتيباً غريباً (**في القرب والبعد من المقصود**) الأعظم، فمنها ما يقرب من المقصود قرباً كلياً لشدة الارتباط بينهما، ومنها ما يقرب قرباً جزئياً، وكذلك في البعد، ولكل من هذه المراتب مراتب (**والقوّام بها**) أي القائمون بخدمتها وتحصيلها (**حفظة**) لحوزتها يمنعون عن تطرق الخلل والفساد إليها فهم قائمون بازائها واقفون على حدودها (**كحفظة الرباطات والثغور**) وهي المواضع التي فيها المجاهدون

الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى.

(الوظيفة السادسة) : أن لا يخوض في فنّ من فنون العلم دفعة، بل يراعي الترتيب ويبتدىء بالأهم. فإن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشمة ويصرف جمام قوّته في الميسور من علمه، إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة. أعني قسمي المعاملة

حفظاً لحوزة الإسلام كيلا يهجم عليه العدو غرة، **(ولكل واحد)** من هؤلاء الطلبة **(رتبة)** معلومة **(وله بحسب درجته)** واجتهاده **(أجر)** عند الله **(في الآخرة اذا قصد به وجه الله)** تعالى، فان قصد به المباهاة أو مفاخرة أو التوثب في المجالس فليس له ثواب عند الله تعالى وتعبه ضائع، وهذا السياق بعينه لصاحبه الذريعة كما سيأتي نص حروفه في آخر الوظيفة التي تليها، وقد فرقها المصنف في الموضعين كما ترى وستقف عليه أن شاء الله تعالى.

(الوظيفة السادسة)، من وظائف المتعلم التسعة. اعلم **(أن العمر)** ولو طال **(إذا كان لا يتسع لجميع العلوم)** أي لتحصيلها على طريق الحصر والاستيعاب **(غالباً)** كما هو مشاهد ولو مارسه ألف سنة، **(فالحزم)** كل الحزم أي الرأي الوثيق **(أن يأخذ)** الطالب في اثناء طلبه **(من كل شيْ أحسنه)**، والأخذ أعم من التلقي والكتابة والحفظ، فيتلقى من كل علم أحسنه، ويكتب منه أحسن ما يكتب مما ينتفع به هو وغيره، ويحفظ منه أحسن ما يحفظ وأنفعه، وإليه يشير قول القائل:

ما حوى العلم جميعاً أحد ... لا ولو مارسه ألف سنة
إنما العلم كبحر زاخر ... فخذوا من كل شيْ أحسنه

(ويكتفي منه بشمة) أي بقليل مما يكون له معيناً وزاد للآخرة، وفي الذريعة للراغب: من كان قصده الوصول إلى جوار الله تعالى وتوجه نحوه كما قال تعالى: ﴿ففرُّوا إلى الله﴾ [الذاريات: ٥٠] وكما في الحديث: « سافروا تغنموا » فحقه أن يجعل أنواع العلم كزاد موضوع في منازل السفر، فتناول منه في كل منزل قدر البلغة فلا يعرج على تقصيه واستفراغ ما فيه فتقصي الانسان نوعاً واحداً من العلوم على الاستقصاء يستفرغ عمراً بل أعماراً، ثم لا يدرك قعره ولا يسبر غوره، وقد نبهنا الباري تعالى على أن نفعل ذلك بقوله: ﴿الذين يستمعُون القول فيتبعون أحسنه﴾ [الزمر: ١٨] وقال علي رضي الله عنه: العلم كثير فخذوا من كل شيء أحسنه. وقال الشاعر:

قالوا خذ العين من كل فقلت لهم ... في العين فضل ولكن ناظر العين

(ويصرف جمام قوته) بكسر الجيم أي كل قوته وتمامها **(في الميسور من علمه)** أي مما تيسر منه **(إلى)** متعلق بيصرف أي يصرف جمام قوته إلى **(استكمال العلم الذي هو أشرف**

والمكاشفة، وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى، ولست أعني به الاعتقاد الذي يتلقفه العامي وراثة أو تلقفاً، ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصين الكلام من مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم، بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث، حتى ينتهي إلى رتبة إيمان أبي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن بإيمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر ﷺ. فما

العلوم) أي إلى تحصيله بطريق الاستيعاب والتكميل، **(وهو علم الآخرة)** وأشرفيته باعتبار ما يؤول إليه من ثمراته وغاياته، ثم فسره بقوله: **(أعني)** أي أقصد بذلك العلم أي هو أشرف العلوم **(قسمين المعاملة والمكاشفة)**، ولما كان شرفها بالغايات أشار لذلك بقوله: **(فغاية المعاملة المكاشفة، وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى)** من غير افتقار إلى تأمل البرهان، **(ولست أعني به)** أي بغاية المكاشفة **(الاعتقاد الذي تلقفه)** من التلقف وهو الأخذ بالفم، وفي نسخة تلقنه بالنون وهو الأصح **(العامي وراثة)** من شيوخه **(وتلقفاً)** من فم إلى فم، **(ولا)** أعني أيضاً **(طريق تحرير الكلام)** بالبراهين الدالة على مقصوده **(والمجادلة)** بأقيسة ظنية **(في تحصين ذلك)** الاعتقاد وحمايته **(من مراوغات الخصوم)** ومطاولاتهم **(كما هو غاية)** حال **(المتكلم)** عند استكماله، **(بل)** أعني به **(نوع يقين)** هو رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة والبرهان أو مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب، بل ملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار **(وهو ثمرة نور)** رباني **(يقذفه الله تعالى)** بواسطة ملائكته **(في قلب عبد)** أحبه الله قد **(طهر)** ظاهره عن الأحداث المذمومة **(بالمجاهدة)** الحقيقية والخروج عن المألوفات النفسية ونزه **(باطنه)** المعمور بأسرار الله المغمور بأنواره **(عن الخبائث)** الإبليسية والرذائل الخسيسة **(حتى ينتهي)** في سيره مع الملازمة على مجاهدته **(إلى رتبة إيمان)** أمير المؤمنين **(أبي بكر)** الصديق رضي الله عنه **(الذي)** ما سبق الناس بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في صدره وهو الذي **(لو وزن)** إيمانه **(بإيمان العالمين)** أجمعين **(لرجح كما شهد له به سيد البشر ﷺ)**. قال العراقي: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح أخرجه ابن عدي من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف، ورواه البيهقي في الشعب موقوفاً على عمر بإسناد صحيح اهـ.

قلت: الذي رواه البيهقي في الشعب من قول عمر لفظه!! لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الناس لرجح أيمان أبي بكر» وهكذا هو في مسند إسحاق بن راهويه، قال الحافظ السخاوي، وراويه عن عمر هزيل بن شرحبيل.

قلت: وهو الأودي الكوفي ثقة مخضرم من رجال البخاري والأربعة اهـ.

قال وهو عند ابن المبارك في الزهد، ومعاذ بن المثنى في زيادات مسند مسدد اهـ.

ورأيت في ذخيرة الحناط لابن طاهر المقدسي الذي رتب فيه الكامل لابن عدي وهو بخط المصنف ما نصه: «لو وزن أيمان أبي بكر بأيمان أهل الأرض لرجح» رواه عبدالله بن

عندي أن ما يعتقده العامي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي إلا في صنعة الكلام، ولأجله سميت صناعته كلاماً كان يعجز عنه عمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم، حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ

عبد العزيز بن أبي رواد، عن أبيه، عن نافع، عن ابن عمر. وعبدالله لم يتابع عليه، وهذا الذي أشار له العراقي أنه بإسناد ضعيف، ولكن ليس فيه (بإيمان العالمين) وكذا أخرجه ابن عدي في ترجمة عيسى بن عبدالله بن سليمان العسقلاني، عن رواد بن الجراح، عن عبدالعزيز بن أبي رواد، عن نافع وعيسى ضعيف الحديث ولفظه: «لو وضع إيمان أبي بكر على إيمان هذه الأمة لرجح بها».

قلت: وقد رواه الديلمي أيضاً في مسند الفردوس من هذه الطريق بهذا اللفظ، وقول السخاوي أن عيسى، وإن كان ضعيفاً، لكنه لم ينفرد به، فقد أخرجه ابن عدي من طريق آخر اهـ.

كأنه يشير إلى طريق عبدالله بن عبد العزيز بن أبي رواد، فربما يفهم من سياق هذا أنه طريق صحيح وليس كذلك، فإن عبدالله لم يتابع عليه كما تقدم، فعلى كل حال حديث ابن عمر من طريقيه لا يخلو من ضعف فتأمل.

قال الحافظ السخاوي: وله شاهد في السنن أيضاً عن أبي بكرة مرفوعاً إن رجلاً قال يا رسول الله: «رأيت كأن ميزاناً نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت ثم وزن أبو بكر بمن بقي فرجح» الحديث. **(فما عندي)** أي ليس عندي **(أن ما يعتقده العامي)** أي يجعله عقيدة له **(ويرتبه المتكلم)** ترتيباً بالبراهين والأدلة **(الذي لا يزيد على العامي)** في عقيدته **(إلا في الكلام)** من البحث في ذات الله وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد، **(ولهذا سميت صناعته كلاماً)** إشارة إلى وجه تسميته، وقد تقدم ما يتعلق به في أول الكتاب **(كان يعجز عنه عمر وعلي وسائر الصحابة)** رضوان الله عليهم أجمعين، ولكنهم لم يكونوا ملتفتين لمثل ذلك، وإنما كانوا في حضرة الشهود والكشف الأتم، فلو كلفوا إيراد مثل هذه الدقائق التي أبدتها المتكلمون في محاولاتهم لأعجبوا، وشتان بين من توحيده عن كشف وعيان، وبين من هو رهين أسر البراهين، **(حتى كان)** وفي نسخة: حين كان **(يفضلهم)** سيدنا **(أبو بكر)** رضي الله عنه **(بالسر الذي وقر في صدره)** إشارة إلى ما ورد: «ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه» قال العراقي: لم أجده مرفوعاً. وقال السخاوي: وهو عند الحكيم الترمذي في نوادره من قول بكر بن عبدالله المزني، وقد سبق الإيماء الى ذلك. **(والعجب ممن يسمع هذه الأقوال)** مثل وزن إيمان أبي بكر وسبقه على الناس ورجحانه بما أعطيه **(من صاحب الشرع صلوات الله عليه)** وسلامه، **(ثم يزدري)** أي يحتقر، وفي نسخة:

ثم يزدري ما يسمعه على وفقه يزعم أنه من ترهات الصوفية، وان ذلك غير معقول فينبغي أن تتئد في هذا فعنده ضيعت رأس المال، فكن جريصاً على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك إليه إلا حرصك في الطلب.

وعلى الجملة، فاشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره، وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء ثم الأولياء ثم الذين يلونهم، وقد روي أنه رؤي صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي يد أحدهما رقعة فيها. إن

ثم يرد (**ما يسمعه على وفقه**) ولا يعتبره ولا يقيم له رأساً، (**ويزعم أنه من ترهات الصوفية**) وخرافاتهم، والترهات: الأباطيل، (**وإن ذلك غير معقول**) أي غير داخل في العقل، وفي نسخة: غير مقبول، (**فينبغي**) لك أيها الطالب (**أن تتئد**) أي تتأنى (**في هذا**) المقام والق سمعك لفهمه (**فعنده ضيعت**) وفي نسخة: ضيعة (**رأس المال**) وهو مثل ضربه فإن من ضيع رأس ماله لم يستفد شيئاً، (**فكن**) أيها الطالب (حريصاً **على معرفة ذلك السر**) الذي فضل به أبو بكر على العالمين (**الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين**) لكونه غير محتاج إلى تركيب الأدلة والبراهين، وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من شاء من عباده بعد تطهيره من الخبائث الظاهرية والمعنوية. ونقل صاحب القوت عن بعض العارفين قال: من نظر في توحيده إلى عقله لم ينجه توحيده من النار، ومن كان توحيده في الدنيا معلقاً بمعقوله لم يحمل توحيده معه إلى اليقين، (**فلا يرشدك إليه إلا حرصك في الطلب**) وهمتك في إنشاد هذه الضالة ممن درج ودب.

(**وعلى الجملة فأشرف العلوم**) على الإطلاق (**وغايتها**) التي تنتهي إليها الهمم (**معرفة الله عز وجل**) عارية عن شوائب الحجج والبراهين (**وهو بحر لا يدرك منتهى قعره**) قد تاهت فيه ألباب العارفين، وكل منهم نال فيه مقاماً بحسب همته وقوته وتطهيره وتقربه وليس كل معرفة معرفة، ألا ترى إلى الذي رأى الله تعالى سبعين مرة فقيل له: لو رأيت أبا يزيد لأغناك عن رؤيتك الله تعالى، فتعجب من هذا القول، فلما وقع بصره عليه ظهر له سر المعرفة على غير الوجه الذي كان عرف فاندهش ولم يتحمل فمات لوقته، وسبب هذا صدقه في مقام المعرفة وسيأتي هذا للمصنف في آخر الكتاب وتقدم الإيمان إليه في خلال فصول المقدمة. (**وأقصى درجات البشر فيه رتبة الأنبياء**) صلوات الله عليهم إذ هم الفائزون بالقدح المعلى في ذلك، (**ثم الأولياء**) ودخل فيهم الصديقون، (**ثم الذين يلونهم**) من العلماء على حسب درجاتهم ومقاماتهم، فأولئك الذين صفى قلبهم بنور اليقين، وأيد عقلهم بالتوفيق والتمكين، وتجرد هممهم من تعلق الخلق وتأله سرهم بالعكوف على الخالق، وخلت نفوسهم عن الهوى، وسرت أرواحهم فجالت في الملكوت الأعلى فشهدوا على الكشف أوصاف ما عرفوا فقاموا حينئذ بشهادة ما عرفوا. (**وقد**) روي أنه (**رؤي صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين**)

أحسنت كل شيء فلا تظنن أنك أحسنت شيئاً حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء. وفي يد الآخر: كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظمأ حتى إذا عرفته رويت بلا شرب.

أي فيما سبق من الزمان وكأنهم من حكماء اليونان. وفي نسخة: المتعبدين **(في مسجد)** أي في معبد من معابدهم. ونص الذريعة والنهاية من العلوم النظرية معرفة الله تعالى على الحقيقة المصدوقة والعلوم كلها خدم لها وحي حرة. وروى أنه رؤي صورة حكيمين من القدماء المتألهين في بعض مساجدهم **(في يد أحدهما رقعة)** مكتوبة **(وفيها)** ما نص ترجمته **(إن أحسنت كل شيء)** أي اتقنت في صنعته **(فلا تظنن أنك أحسنت شيئاً حتى تعرف الله)** حق معرفته، **(وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء)**. وهذا هو التوحيد الخالص فكأنه يقول منتهى المعارف كلها معرفة الله بوحدانيته، ومن لا يصل إليه فلا يظن في نفسه أنه أحسن شيئاً حتى تعرف الله) حق معرفته، **(وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء)**. وهذا هو التوحيد الخالص فكأنه يقول منتهى المعارف كلها معرفة الله بوحدانيته، ومن لا يصل إليه فلا يظن في نفسه أنه أحسن شيئاً، **(وفي يد الآخر)** رقعة فيها مكتوب: **(كنت قبل أن عرفت الله سبحانه أشرب فأظمأ)** فلا يحصل لي الري **(حتى إذا عرفته رويت بلا شرب)** زاد في الذريعة بعد هذا ما نصه: بل قد قال الله تعالى ما أشار به إلى ما هو أبلغ من حكمة كل حكيم: ﴿قل الله ثم ذرهم﴾ أي اعرفه حق المعرفة ولم يقصد بذلك أن يقول قولاً باللسان اللحمي، فذلك قليل الغناء ما لم يكن عن طوية خالصة ومعرفة حقيقية، وعلى ذلك قوله عليه السلام: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة» اهـ.

قلت: وقول الحكيم رويت بلا شرب هذا هو الشرب المعنوي الذي لا ظمأ بعده والعارف بالله تعالى ريان دائماً وإن لم يشرب ومن لم يعرفه فهو ظمآن دائماً وإن شرب وفي ذلك قيل:

من عرف الله فلم تغنه ... معرفة الله فذاك الشقي
يزعم أن العز في ماله ... والعز كل العز للمتقي

وفي القوت قال بعضهم: في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى شيء ولم يتسوحش، قيل: وما هي؟ قال: معرفة الله تعالى. ويروى عن علي رضي الله عنه: ما يسرني أن الله تعالى أماتني طفلاً وأدخلني الدرجات العلى من الجنة، قيل: ولم؟ قال: لأنه أحياني حتى عرفته. وقال مالك بن دينار: خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء منها، قيل: وما هو؟ قال: المعرفة ثم أنشأ يقول:

إن عرفان ذي الجلال لعز ... وضياء وبهجة وسرور
وعلى العارفين أيضاً بهاء ... وعليهم من المحبة نور
فهنيئاً لمن عرفك إلهي ... هو والله دهره مسرور

(الوظيفة السابعة) : أن لا يخوض في فنّ حتى يستوفي الفنّ الذي قبله ، فإن العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق إلى بعض ، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج . قال الله تعالى : ﴿ الذين آتيناهم الكِتَاب يَتلونه حَقّ تلاوته ﴾ [البقرة : ١٢١] ، أي لا يجاوزون فناً حتى يحكموه علماً وعملاً وليكن قصده في كل علم يتحراه الترقي إلى ما هو فوقه ، فينبغي أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ولا بخط واحد أو آحاد فيه ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل ، فترى جماعة تركوا النظر في العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها ، وقد مضى كشف هذه الشبه في كتاب (معيار العلم) وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب ، وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد ، وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر . والكل خطأ بل ينبغي أن يعرف الشيء في نفسه ، فلا كل علم يستقل بالإحاطة به كل شخص ، ولذلك قال علي رضي الله عنه : لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله .

(الوظيفة الثامنة) : أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم ، وان ذلك يراد به شيئان . **أحدهما** : شرف الثمرة ، **والثاني**: وثاقة الدليل وقوته ، وذلك كعلم الدين وعلم الطب ، فإن ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمرة الآخر الحياة الفانية ، فيكون علم الدين أشرف . ومثل علم الحساب وعلم النجوم ، فإن علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته

(الوظيفة السابعة)[1] من وظائف المتعلم التسعة **(أن تعرف السبب الذي به)** أي بتحصيله **(يدرك شرف العلوم)** وكمالها ومزيتها **(وأن ذلك يراد به شيئان)** لا غير ، **(أحدهما)** وهو أفضلهما **(شرف الثمرة)** والنتيجة **(والثاني: وثاقة الدليل)** أي متانته **(وقوته)** عطف تفسير ، قال الحراني: الوثاقة شد الربط وقوة ما به يربط ، **(وذلك كعلم الدين)** وعلوم الدين ثلاثة . التفسير ، والحديث ، والفقه . **(وكعلم الطب)** بأنواعه ، **(فإن ثمرة أحدهما)** الوصول إلى **(الحياة)** الأبدية وهو علم الدين **(وثمرة الآخر)** الوصول إلى الحياة الدنيوية المنقطعة **(الفانية)** وهو علم الطب لأنه به يحصل تعديل المزاج وتقويمه ليجري على مجاري الصحة وينقطع ذلك بالموت بخلاف علوم الدين ، فإن ثمراتها لا تنقطع ، **(فيكون علم الدين أشرف)** نظراً إلى ذلك **(و)** من القسم الثاني وهو الذي يراد به وثاقة الدليل **)** مثل علم الحساب بأنواعه **(وعلم النجوم)** بقسميه المأذون في الاشتغال بها دون باقي الأقسام على ما

---

(١) وجد هنا في نسخ المتن المنقول منها الهامش زيادة الوظيفة السابعة ولعلها نسخة لم يطلع عليها الشارح فلذا لم يكتب عليها . ونبه آخراً أن المتن أسقط الوظيفة العاشرة اهـ .

وقوتها، وإن نسب الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته، والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظة الثمرة أولى، ولذلك كان الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين. وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله، والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم، فإياك وإن ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه.

تقدم، وفي نسخة: وعلم النحو (**فإن**) علم (**الحساب أشرف**) نظراً (**لوثاقة أدلته وقوتها**) وترتيبها على قواعد مضبوطة، (**وإذا نسب**) علم (**الحساب إلى**) علم (**الطب كان**) علم (**الطب أشرف من**) علم (**الحساب باعتبار ثمرته**) التي هي الحياة، (**و**) علم (**الحساب أشرف**) من علم الطب (**باعتبار**) وثاقة (**أدلته**) ومتانتها، (**و**) لا يخفى أن (**ملاحظة الثمرة أولى**) من النظر إلى وثاقة الدليل، (**ولذلك كان**) علم (**الطب أشرف وإن كان أكثره بالتخمين**) والحدس والتجارب قد تخطئ مع اختلاف الأمزجة والأهوية في الذريعة، ورب علم يوفى على غيره في أحد وجهين، وذلك الغير يوفى عليه بالوجه الآخر كالطب مع الحساب، فالطب شريف الثمرة إذ هو يفيد الصحة والحساب وثاقة الدلالة إذ كان العلم به ضرورياً غير مفتقر إلى التجربة اهـ.

(**وبهذا يتبين**) ويتضح (**أن أشرف العلوم**) مطلقاً علم الدين بأنواعه وأجلها (**العلم بالله**) تعالى أي: بوحدانيته وقيوميته وأنه موجد الأشياء كلها ومسبب الأسباب بأسرها (**وملائكته**) بأنهم عباد الله المعصومون لا يتصفون بذكورة ولا أنوثة وأنهم الوسائط في الإفاضات (**وكتبه**) بتصديق ما أنزل فيها من الأحكام والقصص والأمثال (**ورسله**) بأنهم أمناء الله على خلقه في تبليغ ما أمروا به، (**والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم**) فإن حكم ذلك كحكم أصله، (**فإياك وأن ترغب إلا فيه**) وأن تميل إلا إليه (**و**) أن (**تحرص إلا عليه**)، وأن تحوم إلا حول حماه فهو رأس مالك وإليه مآلك، وأورد ابن القيم هذا البحث في كتابه مفتاح دار السعادة بأبسط من ذلك فقال: شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا ريب أن العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأشرفها ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومة إلى سائر المعلومات، فكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها، كما أن كل موجود فهو مستند في وجوده إلى الملك الحق ومفتقر إليه في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم كما أنه سبحانه رب كل شيء ومليكه وموجده، ولا ريب أن كمال العلم بالسبب التام وكونه سبباً يستلزم العلم بمسببه، كما أن العلم بالعلة التامة ومعرفة كونها علة مستلزم العلم بمعلولها، وكل موجود سوى الله فهو مستند في وجوده إليه استناد المصنوع الى صانعه والمفعول إلى فاعله، فالعلم بذاته سبحانه وصفاته وأفعاله يستلزم العلم بما سواه، فمن عرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل اهـ.

(الوظيفة التاسعة): أن يكون قصد المتعلم في الحال تخلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين، ولا يقصد به الرئاسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران، وإذا كان هذا مقصوده طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة، ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم، أعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنّة وغير ذلك مما أوردناه في المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية، ولا تفهمن من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم، فالمتكلفون بالعلم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها، والغزاة المجاهدين في سبيل الله،

(**الوظيفة الثامنة**) من الوظائف التسعة: (**أن يكون قصد المتعلم في الحال**) صحيحاً بصدق نية وخلوص عزم وبقصد **تخلية باطنه**) من الشوائب النفسية (**وتجميله**) وفي نسخة: تحليته (**بالفضيلة**) والأوصاف النفسية (**و**) أن يكون قصده (**في المآل القرب من الله تعالى**) أي بما يوصله إليه (**والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين**) من عباده (**ولا يقصد به الرئاسة**) في الدنيا (**و**) جمع (**المال**) وتحصيل الجاه (**ومماراة السفهاء**) ومجاراتهم في كلامهم، وفي نسخة: مباراة (**ومباهاة الأقران**)، فإن كلاً من ذلك يجر إلى الدنب ويركنه الى حبها والسعي في تحصيلها فيحرم من الوصول الى المقصود الأعظم، (**وإذا كان هذا مقصده**) يعني الوصول الى الله تعالى (**طلب لا محالة**) أي البتة (**الأقرب إلى مقصوده**) والمعين على أصوله (**وهو علم الآخرة**) وما يتعلق به وما يوصله اليه، (**ومع هذا فلا ينبغي**) له (**أن ينظر بعين الحقارة**) والنقص (**إلى سائر العلوم**) التي هي سوى علم الآخرة (**أعني علم الفتاوى**) والأقضية (**وعلم النحو و**) علم (**اللغة**) بأنواعها (**المتعلقين بالكتاب والسنة**) تعلقاً شديداً بحيث لا طريق إلى وصول الفهم فيهما إلا بهما، (**وغير ذلك**) من العلوم (**مما أفردناه**) وذكرناه (**في المقدمات والمتممات من ضروب العلم الذي هو فرض كفاية**). وقد ذكر الشهاب السمين في مقدمة تفسيره: إن أصح علوم القرآن وآكدها بعد تجويد ألفاظه بالتلاوة خمسة علوم. علم الأعراب، وعلم التصريف، وعلم اللغة، وعلم المعاني والبيان وهي متجاذبة شديدة الاتصال بعضها ببعض لا يحصل للناظر في بعضها كبير فائدة بدون الاطلاع على باقيها، فإن من عرف كون هذا فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأ مثلاً ولم يعرف كيفية تصريفه ولا اشتقاقه ولا كيف موقعه من النظم لم يحل بطائل، وكذا لو عرف موقعه من النظم ولم يعرف باقيها اهـ.

أقول: وآكد هذه الخمسة أولاً التصريف، ثم الإعراب، ثم اللغة، ثم المعاني، ثم البيان على هذا الترتيب. (**ولا يفهمن**) فاهم (**من غلونا**) أي تجاوزنا (**في الثناء على علم الآخرة**) وتحسينه بالإجمال تارة وبالتفصيل أخرى (**تهجير هذه العلوم**) التي ذكرت أي تشييهنا والحط عليها، (**فالمتكلفون بالعلوم**) التي ذكرت أي الحاملون لها (**كالمتكفلين**) أي المحافظين (**للثغور**)

فمنهم المقاتل، ومنهم الردء، ومنهم الذي يسقيهم الماء، ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم، ولا ينفك أحد منهم عن أجر إذا كان قصده إعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم، فكذلك العلماء. قال الله تعالى: ﴿يرفعُ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: ١١]. وقال تعالى: ﴿هم درجات عند الله﴾ [آل عمران: ١٦٣]، والفضيلة نسبية. واستحقارنا للصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين،

الإسلامية التي تحاذي الكفار (**والمرابطين لها**)، ولما كانت هذه العلوم صارت الآن مقصودة بالذات سمى المغاربة طالب العلم مرابطاً نظراً الى هذا المعنى وهو غريب، (**والغزاة**) كلهم (**مجاهدون في سبيل الله**) لإعلاء كلمة الله، (**ومنهم المقاتل**) بنفسه، (**ومنهم الردء**) أي العون لهم والمدد، (**ومنهم الذي يسقيهم الماء**)، ومنهم الذي يربط على جراحاتهم ويداويها، (**ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدها**) كيلا تنفر، ومنهم الذي يحفظ أثاثهم وأمتعتهم وخيامهم كيلا يكسبها العدو، (**ولا ينفك واحد منهم عن أجر**) وثواب من الله (**إذا كان قصده**) صحيحاً وهو (**إعلاء كلمة الله**) عز وجل (**دون حيازة الغنائم**) ودون الرياء والسمعة ودون إظهار الشجاعة ليقال إنه شجاع، كما صرح بذلك الحديث الصحيح الذي تقدم ذكره، (**وكذلك العلماء**) بمراتبهم ودرجاتهم يتفاوتون تفاوت الغزاة في سبيل الله وبين تلك المراتب مسافات وغايات تنقطع دونها الأكباد.

كيف الوصول إلى سعاد ودونها ... قلل الجبال ودونهن حتوف

(**قال الله تعالى**) في كتابه العزيز في سورة المجادلة: (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾ [المجادلة: ١١] قال ابن عباس في تفسيره فيما أخرجه ابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في المدخل عنه قال: يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات، وعن ابن مسعود فيما أخرجه سعيد بن منصور، وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه قال: يرفع الله الذين آمنوا منكم وأتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات. وأخرج ابن المنذر، عن ابن مسعود أيضاً قال: ما خص الله العلماء في شيء من القرآن كما خصهم في هذه الآية. فضل الله الذين آمنوا وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم.

(**و**) قال تعالى في سورة آل عمران ﴿أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط مِنَ اللهِ ومأوَاهُ جَهَنَّم وبئسَ الْمَصيرِ. هم دَرَجَات عِند اللهِ والله بصير بما يعملون﴾ [آل عمران: ١٦٣] قال البيضاوي شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب أو هم ذوو درجات اهـ.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن أنه سئل عن هذه الآية فقال: للناس درجات في أعمالهم من الخير والشر. وأخرج ابن المنذر عن الضحاك: هم درجات عند الله قال: أهل الجنة بعضهم فوق بعض فيرى الذي فوق فضله على الذي أسفل منه، ولا يرى الذي أسفل منه أنه فضل عليه أحد، (**والفضيلة**) بين هؤلاء (**نسبية**) إضافية، (**واستحقارنا**) طائفة (**الصيارفة**) الذين

فلا تظنن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر، بل الرتبة العليا للأنبياء، ثم الأولياء، ثم العلماء الراسخين في العلم، ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم.

وبالجملة؛ ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره★ ومَن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ومَن قصد الله تعالى بالعلم أي علم كان نفعه ورفعه لا محالة.

ينقدون الدراهم والدنانير ويميزون بين جيدها ورديئها **(عند قياسهم بالملوك)** والأمراء وأحوالهم **(لا يدل على حقارتهم)** ونقص منزلتهم **(إذا قيسوا بالكناسين)** والزباليّن مثلاً، **(ولا تظنن)** في نفسك **(أن ما نزل عن المرتبة القصوى)** في الدرجة **(ساقط القدر)** والمنزلة مطلقاً، **(بل الرتبة العليا)** في معرفة الله سبحانه التي هي أشرف المعلومات **(للأنبياء)** صلوات الله عليهم، **(ثم الأولياء)** العارفين، **(ثم العلماء الراسخين)** في علومهم، **(ثم الصالحين)** من عباده **(على تفاوت درجاتهم)** بحسب اختلاف قربهم منه سبحانه. وهذا السياق أعني تقديم ذكر الأولياء على العلماء مرّ له في بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة استشكلوه على المصنف، وسئل عنه العز بن عبد السلام، فأجاب بصحة العبارة بما تقدم اجماله وهو بطوله في كتاب **(تأييد الحقيقة العلية)** للحافظ السيوطي.

(وبالجملة) ﴿من يعمل مثقال ذرة خيراً يره★ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. الذرة: النملة الصغيرة، وقيل: الهباء. قيل: أراد بها حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر انها تؤثران في نقص الثواب والعقاب، وقيل: الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة أو الأولى مخصوصة بالسعداء، والثانية بالاشقياء لقوله: أشتاتاً قاله البيضاوي. وهذه الآية هي الفاذة الجامعة كما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي الدر المنثور للسيوطي أخرج ابن مردويه، عن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه يأكلان إذ نزلت هذه السورة فأمسك رسول الله ﷺ يده عن الطعام، ثم قال: « من عمل منكم خير فجزاؤه في الآخرة ومن عمل منكم شراً يره في الدنيا مصيبات وأمراضا ومن يكن فيه مثقال ذرة من خير دخل الجنة ».

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن زيد بن أسلم أن النبي ﷺ دفع رجلاً إلى رجل يعلمه فعلمه حتى بلغ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. قال: حسبي، فقال النبي ﷺ: « دعه فقد وفق » **(ومن قصد الله)** عز وجل أي أراد السلوك إلى معرفته **(بالعلم أي علم كان)** بشرط الاخلاص فيه **(نفعه)** في دنياه وآخرته **(ورفعه)** فيهما **(لا محالة)** البتة. وهذا الفصل أيضاً بتمامه في كتاب الذريعة ونصه: العلم طريق إلى الله تعالى ذو منازل قد وكل الله بكل منزل منها حفظة كحفظة الرباطات والثغور في طريق الحج والغزو، فمن منازله معرفة اللغة التي عليها مبنى الشرع، ثم حفظ كلام رب العزة، ثم سماع الحديث، ثم الفقه، ثم علم الاخلاق والورع، ثم علم المعاملات، وما بين ذلك من الوسائط من معرفة أصول البراهين والادلة، ولهذا

(الوظيفة العاشرة) : أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد، والمهم على غيره، ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك إلا شأنك في الدنيا والآخرة، وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان، فالأهم ما يبقى أبد الآباد، وعند ذلك تصير الدنيا منزلاً والبدن مركباً والأعمال سعياً إلى المقصد، ولا مقصد إلا لقاء الله

قال تعالى: ﴿هم درجات عند الله﴾ [آل عمران: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ وكل واحد من هؤلاء الحفظة إذا عرف مقدار نفسه ومنزلته ودنا ووفى حق ما هو بصدده فهو في جهاد يستوجب من الله لحفظ مكانه ثواباً على قدر عمله، لكن قلما ينفك كل منزل منها من شرير في ذاته وشره في مكسبه وطالب في رئاسته وجاهل معجب بنفسه بصير لاجل تنفق سلعته صارفاً عن المنزل الذي فوق منزلته من العلم وعائباً له، فلهذا ترى كثيراً ممن حصل في منزل من منازل العلوم دون الغاية عائباً لما فوقه وصارفاً عنه من رآه فإن قدر أن يصرف عنه الناس بشبهة من صرفه فعل من قال الله تعالى فيهم: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ الآية [فصلت: ٢٦]. وما أرى من هذا صنعه إلا من الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾. [ابراهيم: ٣].

(الوظيفة التاسعة) من وظائف المتعلم التسعة: **(أن يعلم بنسبة العلوم)** كلها **(إلى المقصد)** الأعظم ويميز بين كل من ذلك **(كما يؤثر)** أي يختار **(الرفيع القريب على البعيد)** الوضيع، **(والمهم)** المقصود بالذات **(على غيره ومعنى المهم)** لغة **(ما)** يهمك أي يحزنك فيما نويته وأردته وعزمت عليه في نفسك **(ولا يهمك إلا شأنك)** الذي أنت فيه وعليه **(في الدنيا والآخرة)** أي فيما يتعلق بهما، ولذا أجاب الشافعي حين قال: ما أفلح سمين قط إلا محمد بن الحسن، وسئل عن ذلك أن المرء لا يخلو إما أن يكون مهتماً في أمور دنياه أو أمور آخرته ولا خير في غيرهما وهما لا يبقيان شحماً. هكذا ذكره غير واحد. وأورده الخطيب في تاريخه، ولذا كان أصدق الأسماء همام والحرث، **(وإذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة)** لأن ملاذ الدنيا زائلة فمن آثرها على نفسه حرم نعيم الآخرة فهما كالمتضادين لا يجتمعان بحسب الكمال فما نقص من الملاذ الدنيوية زيد له في النعيم الأخروي، ومن اختار النعيم الأخروي لم ينظر الى ملاذ الدنيا، وهذه أغلبية وإلا فمنهم من يجمع الله له بينهما فهو سعيد الدنيا والآخرة كما أن منهم من يشقى فيهما جميعاً فأحرق دنياه وآخرته **(كما نطق به القرآن)** في غير ما موضع **(وشهد له)** أي لصدقه **(من نور البصائر ما يجري مجرى العيان)** والمشاهدة **(فالأهم)** في الحقيقة **(ما يبقى)** نفعه **(أبد الآباد)** بلا نفاد، **(وعند ذلك تصير الدنيا)** في التشبيه والتمثيل **(منزلاً)** نزله ليتجاوز إلى غيره **(و)** هذا **(البدن)** الذي ركب فيه الروح **(مركباً ركبه)** ليوصله إلى مراده **(والأعمال)** الصادرة منه **(سعياً)** يسعى بها **(إلى المقصد)** الأعظم، **(ولا مقصد)** في الحقيقة **(إلا لقاء الله تعالى)**

تعالى ففيه النعيم كله، وإن كان لا يعرف في هذا العالم قدره إلا الأقلون. والعلوم بالإضافة إلى سعادة لقاء الله سبحانه والنظر إلى وجهه الكريم أعني النظر الذي طلبه الأنبياء وفهموه دون ما يسبق إلى فهم العوام. والمتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال، وهو أن العبد الذي علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له: إن حججت وأتممت وصلت إلى العتق والملك جميعاً، وإن ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل. **الأول:** تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة. **والثاني:** السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه إلى الكعبة منزلاً بعد منزل. **والثالث:** الاشتغال بأعمال الحج ركناً بعد ركن ثم بعد

والفناء فيه دونه تقطع الأعناق ويضيق عن وصفه النطاق (**ففيه النعيم كله**) وما عداه زائل لا يعتد به، (**وإن كان لا يعرف في هذا العلم**) كما ينبغي. وفي نسخة: في هذا العالم قدره (**إلا الأقلون**) وقليل ما هم، (**والعلوم بالإضافة**) والنسبة (**إلى سعادة لقاء الله عز وجل**) في دار كرامته ورضوانه (**والنظر إلى وجهه الكريم**) من غير حجاب (**أعني**) أي أريد بالنظر (**النظر الذي طلبه الأنبياء**) صلوات الله عليهم بما يليق بمقاماتهم العلية (**وفهموه**) إرشاداً من الله الكريم وهي المعرفة الخاصة بعد الفحص (**دون ما سبق الى فهم العوام والمتكلمين**). قال بعضهم: استعمال النظر في البصر وهو تقليب الحدقة وتوجيهها إلى المنظور إليه أكثر عند العامة وفي البصيرة أكثر عند الخاصة فنظر الخواص غير نظر العوام (**على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال**) أي: بضرب مثال يوازنها ليكون أدخل في الأذهان وأسرع إلى معرفتها، (**وهو أن العبد**) مثلاً (**الذي علق عتقه**) من الرقبة (**وتمكينه من الملك**) بضم الميم (**بالحج**) متعلق بقوله علق، (**و**) قد فسر ذلك بقوله (**قيل له**) أي لذلك العبد (**إن حججت**) بيت الله الحرام (**وتممت**) المناسك كلها أداء (**وصلت إلى العتق والملك جميعاً**) أي الى المقصدين العظيمين، (**وإن ابتدأت**) شرعت السفر (**بطريق الحج والاستعداد له**) بإحضار الزاد والراحلة (**وعاقك**) أي منعك (**في الطريق مانع**) وفي نسخة: عائق وهو بمعناه (**ضروري**)اضطرك الى ذلك(**فلك العتق فقط و**) هو (**الخلاص من شقاء الرق**) وتعبه (**دون سعادة الملك**) وبين السعادة والشقاء تضاد، (**فله**) أي لهذا العبد المذكور (**ثلاثة أصناف من الشغل**) الشغل. (**الأول: تهيئة الأسباب**) والاستعداد لها (**بشراء الناقة**) أو ما في حكمها (**وخرز الراوية**) لحمل الماء أو شرائها مخروزة (**وإعداد الزاد**) ما يقوت به نفسه في الطريق على قدر الحال، فمجموع ما ذكر أول أشغاله وتندرج في تلك أشغال أخرى والآخر أي الشغل. **الثاني** (**السلوك**) أي المشي (**ومفارقة الوطن**) والأهل والأصحاب (**بالتوجه إلى**) سمت (**الكعبة**) المشرفة (**منزلاً بعد منزل**) ومنهلاً بعد منهل. (**الثالث: الاشتغال**

الفراغ والنزوع عن هيئة الإحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة، وله في كل مقام منازل من أوّل اعداد الأسباب إلى آخره، ومن أول سلوك البوادي إلى آخره، ومن أول أركان الحج إلى آخره. وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في إعداد الزاد والراحلة، ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو أقرب منه، فالعلوم أيضاً ثلاثة أقسام: قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة، وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا. وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الأوّلون والآخرون إلا الموفقين، فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله. وكما لا يغني علم المنازل

بأعمال الحج) جيعاً **(ركناً بعد ركن)** على الترتيب المعروف، **(ثم بعد النزوع)** أي الخروج والفراغ **(عن هيئة الإحرام وطواف الوداع)** وهو آخر أركان الحج، وهل هو داخل فيه أم لا ؟ فيه خلاف يأتي بيانه في ربع العبادات **(استحق)** الخلاص من الرق و **(التعرض للملك والسلطنة)** اي: استحق الوصول لهذين المقصدين **(وله في كل مقام)** من هذه المقامات **(منازل)** ومراتب **(من أول إعداد الأسباب إلى آخره)** وذلك أول الشغل، **(ومن أول سلوك البوادي)** والقفار **(إلى آخره)** وهو الشغل الثاني، **(ومن أول أركان الحج الى آخرها)** وهو الشغل الثالث، **(وليس قرب من ابتدأ في أركان)** وفي نسخة: بأركان **(الحج)** وشرع في تمام المناسك **(من السعادة)** الكبرى **(كقرب من هو بعد في إعداد الزاد والراحلة)** وهو الشغل الأول، **(ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك)** في الفيافي وهو الشغل الثاني **(بل أقرب منه)** لأن تلك وسائل للوصول الى هذه المقاصد، **(فالعلوم أيضاً ثلاثة أقسام. قسم)** أول من ذلك **(يجري مجرى)** أي يقوم مقام **(إعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة)** كذا في سائر النسخ وكأنه عطف تفسير لما قبله، **(وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا)** فإن كلاًّ من ذلك وسائل، فعلم الطب به صلاح البدن الذي لا تقوم العبادات إلا به، وعلم الفقه فيه صلاح الظاهر من جهة التطهير وغيره، **(وقسم)** ثان **(يجري مجرى سلوك البوادي)** جمع بادية وهي الصحراء **(وقطع العقبات)** وهي الثنايا بين الجبال **(وهو تطهير الباطن)** بالرياضيات **(عن كدورات الصفات)** الذميمة **(وطلوع تلك العقبات الشامخة)** أي المرتفعة العالية **(التي عجز عنها)** أي عن رقيها **(الأولون والآخرون إلا الموفقون)** الذين وفقهم الله تعالى لقطعها بلطف الهداية وخفي العناية في كل عصر لا يخلو منهم وقت ولا زمان، **(فهذا سلوك الطريق)** الباطني والظاهر عنوان الباطن **(وتحصيل علمه)** أي علم تطهير الباطن **(كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله)** وشعابه ومناهله وأوديته وما توصل السالك وما تضله، **(وكما لا يغني علم المنازل)** والمجاهل **(و)** علم **(طرق**

وطرق البوادي دون سلوكها، كذلك لا يغني علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب، ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن. وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله، وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق إذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة، وأما الفوز بالسعادة فلا يناله إلا العارفون بالله تعالى، وهم المقربون المنعمون في جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم، وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله عز وجل: ﴿فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان * وجنة نعيم * وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩١]. وكل من لم يتوجه إلى المقصد ولم ينتهض له أو

البوادي) المضلة **(دون سلوكها)** وقطع رسومها، فكذلك **(لا يغني علم تهذيب الأخلاق)** وتصفيتها من الرذائل **(دون مباشرة التهذيب)** بتدريب من المرشد الناصح اللبيب، **(لكن المباشرة)** في أمر **(دون العلم)** به أولاً **(غير ممكن)**، ولذلك أجري علم الطب والفقه مجرى إعداد الزاد والراحلة. **(وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج وأركانه)** الذي هو المقصود لذاته من إعداد الزاد وقطع البوادي، **(وهو العلم بالله وصفاته وملائكته وأفعاله)** وما في ذلك من الأسرار الغريبة والمشاهد العجيبة، بل **(وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة وههنا)** أيها السالك **(نجاه)** من الهلاك **(وفوز بالسعادة)** الأبدية أي فالتنكير فيها إشارة للتقليل **(والنجاة حاصلة لكل سالك)** في هذا **(الطريق)** بعد المباشرة **(إذا كان غرضه المقصد وهو السلامة)** من الهلاك الأبدي، **(وأما الفوز بالسعادة)** الكبرى **(فـ)** ـإنه **(لا يناله إلا العارفون)** المتمكنون في معرفتهم باعتبار المقامات وبحسب الدرجات **(فهم المقربون)** في حضرة الله جل جلاله وهم السابقون المشار إليهم بقوله: ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم﴾ **(المنعمون في جوار الله)** وكنفه **(بالروح)** الاستراحة، وقرئ بالضم وفسر بالرحمة لأنها كالسبب لحياة المرحوم، وفسر أيضاً بالحياة الدائمة وبالفرج من الغم والتعب، **(والريحان)** الرزق والطيب، وقيل: ريحان الجنة **(وجنة النعيم وأما الممنوعون دون ذروة الكمال)** أي لم ينهضوا إلى تحصيله بالكلية فمنعوا من الوصول **(فلهم النجاة والسلامة)** من العذاب والمقت، **(كما قال تعالى: فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة)** ذات **(نعيم)**، ثم إن المراد بالسابقين الذين ثبت لهم التقريب هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان أو سبقوا في حيازات الفضائل والكمالات أو هم الأنبياء صلوات الله عليهم فإنهم متقدمو أهل الأديان، **(وأما إن كان من أصحاب اليمين)** أصحاب المنزلة السنية أو الذين يؤتون صحفهم بإيمانهم **(فسلام لك)** يا صاحب اليمين أي نجاة لك **(من أصحاب اليمين)** [الواقعة: ٨٨ - ٩١] من إخوانك وأصحاب اليمين هم الذين

انتهض إلى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية، بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم.

واعلم أن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعني أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هي أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع،

أخبر الله عنهم في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة. وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال تأتيه الملائكة من قبل الله تعالى وتسلم عليه وتخبره أنه من أصحاب اليمين. وأخرج عبد ابن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة بن النعمان رضي الله عنه قال: سلام من عذاب الله وتسلم عليه ملائكة الله. **(وكل من يتوجه إلى المقصد)** نوع توجه **(ولم ينتهض له)** بكليته ووسع رحمانيته **(أو انتهض إلى جهته)** بكليته لكن **(لا على قصد الامتثال والعبودية)** وهو الانقياد والتذلل لأوامر الله تعالى، **(بل لغرض عاجل)** وعلة دنيوية **(فهو من أصحاب الشمال)** الذين هم مشائيم على أنفسهم بمعصيتهم منزلته خسيسة، بل **(ومن)** المكذبين **(الضالين)** الذين ضل سعيهم **(وله نزل)** وهو ما يقدم بين يدي الضيف **(من حميم)** ماء حار يكلف بشربه لا يقدر على إساغته **(وتصلية جحيم)** أي إدخال في جحيم النار.

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فقالت عائشة رضي الله عنها: إنا لنكره الموت. فقال: «ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه وأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشّر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره عليه مما أمامه وكره لقاء الله وكره الله لقاءه».

وأخرج ابن مردويه، والديلمي عن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: «ما من ميت يموت إلا وهو يعرف غاسله ويناشد حامله إن كان بخير فروح وريحان وجنة نعيم أن يعجله وإن كان بشر فنزل من حميم وتصلية جحيم أن يحبسه».

(واعلم أن هذا) قد بيّن المشار إليه فيما بعد بقوله، أعني إلخ **(هو حق اليقين)**، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إن هذا لهو حق اليقين﴾ [الواقعة: ٩٥] أي المذكور في السورة لهو حق الخبر اليقين. وعن ابن عباس إن هذا أي ما قصصناه عليك في هذه السورة لحق اليقين. **(أعني أنهم أدركوه بمشاهدة)** ومطالعة **(من)** أنوار **(الباطن)** بعد تصفيته، وهو **(أقوى وأجلى)** أي أكثر جلاء عند أهل الاعتبار **(من مشاهدة الأبصار)** ومطالعتها **(وترقوا فيه)** على قدر هممهم على مراتب علياء ووسطى **(عن حد التقليد)** المحض **(بمجرد السماع)** من غير تلعثم ولا توان. وهذا من افاضة الحق سبحانه عليهم حيث أهلهم لوصول هذا المقام،

وحالهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد فحقق، وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والإيمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان. فالسعادة وراء علم المكاشفة، وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات، وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات، وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك في ذلك وراء علم سلامة البدن، ومساعدة أسباب الصحة. وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوصل به إلى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في ضبط الناس على منهج العدل والسياسة في ناصية الفقيه. وأما أسباب الصحة ففي ناصية الطبيب ومن قال: «العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان» وأشار به إلى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة.

(**وحالهم**) عند التحقيق (**حال من أخبر**) عن الشيء مثلاً (**فصدق**) أولاً (**ثم شاهد**) بعين بصيرته (**فتحقق**) بفحواه وانصبغ بمعناه، وكم بين التخلق التقليدي والتحقق الشهودي وإليه أشار بقوله: (**وحال غيرهم**) من السالكين (**حال من قبل**) الحكم مثلاً (**بحسن التصديق والإيمان**)، كأنه أراد بذلك الإذعان لما صدقه إشارة إلى ما ذكره السعد في شرح العقائد: أنه ليس حقيقة التصديق تصديق حكم الخبر أو المخبر، بل الاذعان لذلك كما سيأتي البحث في ذلك عند ذكر الايمان والاسلام. (**ولم يحظ بالمشاهدة والعيان**) أي لم يحظ بهذا المقام بتخصيص من الله المنان إذ الله يختص برحمته من يشاء، (**والسعادة**) الكبرى والنيل بها (**وراء علم المكاشفة**) وتحصيله، (**وعلم المكاشفة**) عند أهل السلوك (**وراء**) علم (**المعاملة التي هي سلوك طريق الآخرة**) قيده بذلك لئلا يتوهم من المعاملة ما هو المشهور بين الناس من سلوك الطرق التي عليها مدار أمور الدنيا (**وقطع عقبات الصفات**) بمراتبها (**وسلوك طريق محق**). وفي نسخة: محو (**الصفات المذمومة وراء**) تحصيل (**علم الصفات وعلم طريق المعالجة**) لإزاحة تلك الصفات المذمومة (**وكيفية السلوك**) والتحلي به بعد ذلك التخلي (**وذلك**) أي معرفة ما ذكر (**وراء علم**) أي معرفة ما به (**سلامة البدن ومساعدة أسباب**) تتحصل بها (**الصحة**) للمزاج، (**وسلامة البدن**) من الآفات المانعة على أنواعها (**بالاجتماع والتعاون الذي يتوصل به إلى**) تحصيل (**الملبس والمطعم والمسكن**)، وقدم الملبس الذي به ستر العورات على المطعم لشدة الاحتياج إليه في حال الاجتماع وما بعده على المسكن لأنه به قوام البدن والمشرب داخل فيه لكونه من لوازمه غالباً (**وهو منوط بالسلطان**) الأعظم أو من ينوب منابه (**وقانونه**) الشرعي والعرفي (**في ضبطه**) أحوال (**الناس**) على اختلافها (**على نهج العدل**) والاستقامة (**والسياسة**) الشرعية التي بها يحصل انتظام أمر الملك والرعية (**في ناحية الفقيه**)، فإنه الذي يعرفهم بقوانينها. (**وأما أسباب الصحة ففي ناحية الطبيب**) فهو الذي يعرفهم بقوانين ذلك من تشخيص أمراض ومعرفة العلل وإزالتها بالأدوية، (**ومن قال**) في تفسير القول المشهور

(فإن قلت): لم شبهت علم الطب والفقه باعداد الزاد والراحلة؟ فاعلم أن الساعي إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن، ولست أعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس، ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة، والشرع يعبّر عنه بالقلب لأنه المطية الأولى لذلك السر، وبواسطته صار جميع البدن مطية وآل لتلك اللطيفة، وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة في ذكره، وغاية المأذون فيه أن

الدائر على الألسنة: («العلم علمان: علم الابدان وعلم الأديان») والمشهور أنه حديث إلا أنه موضوع كما في الخلاصة. نقله منلا علي في موضوعاته، والصحيح أنه من قول الإمام الشافعي نقله غير واحد، (**وأشار**) بالجملة الأخيرة (**إلى**) علم (**الفقه**) إنما (**أراد به العلوم الظاهرة الشائعة**) في المدارس المبوّبة في المصنفات من السلم والظهار والاجارة والكفارات وغيرها، (**لا العلوم العزيزة الباطنة**) مما يؤول نفعها في تصفية القلب وسلوك طريق الآخرة.

(**فإن قلت: لم شبهت علم الفقه والطب باعداد الزاد والراحلة**) تحرير السؤال، حيث ذكرت أن العلم بأنواعه منحصر في الاثنين فدل مقتضاه على أنهما أشرف العلوم وأساسها، فما السر في تشبيههما في أوّل كلامك باعداد الزاد والراحلة فإن ما كان مشبهاً به جدير أن يكون خير مقصود للذات؟

(**فاعلم أن الساعي**) في سلوكه باجتهاده (**إلى**) الوصول لمعرفة (**الله**) جل وعز (**لينال**) بذلك (**قربه هو القلب**) خاصة (**دون البدن**) كما يرى في الظاهر، (**ولست أعني بالقلب**) الساعي (**اللحم**) الصنوبري (**المحسوس**) المشاهد، (**بل**) هو (**سر من أسرار الله تعالى**) غامض (**لا يدركه الحس**) لقصوره عن إدراكه، (**ولطيفة من لطائفه**) المعنوية لا تعتورها الأفهام إلا بعد التوقيف من مرشد كامل (**وتارة يعبر عنه بالروح**) الإنساني، وبه فسر قوله تعالى: ﴿ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ [الحج: ٤٦] وهذا هو الظاهر في تفسيره. وقيل: العقل. وأنكره الراغب، وتحقيق المقام أن القلب لغة التصريف سمي به لكثرة تقلبه ويعبّر به عن المعاني التي تختص به الروح والعلم والشجاعة، فمن الأوّل قوله تعالى: ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ [الأحزاب: ١٠] ومن الثاني قوله تعالى: ﴿لمن كان له قلب﴾ [ق: ٣٧] أي علم وفهم. ومن الثالث قوله تعالى: ﴿ولتطمئن به قلوبكم﴾ [الأنفال: ١٠] أي تثبت به شجاعتكم، (**وأخرى**) يعبر (**بالنفس المطمئنة**) أي الساكنة لما علمت من رضا ربها بامتثال أمره واجتناب نهيه، والأنفس ثلاثة. أمارة ولوّامة ومطمئنة. وأعلاها الثالثة وأدناها الأولى، وسيأتي التفصيل في ذلك عند ذكر النفوس، (**والشرع يعبر عنه بالقلب**) لنكتة خاصة وهي (**لأنه المطية الأولى لذلك السر**) الذي لا يدركه الحس (**وبواسطته صار جميع البدن مطية**) لسريان سره فيه (**وآلة لتلك اللطيفة**) يتوصل إلى معرفتها بسببه، (**وكشف الغطاء**) باللسان (**عن ذلك السر**) الغامض (**من**) جلة (**علم المكاشفة وهو مضنون به**) أي مبخول به في الذكر، (**بل**

يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية، وإنما هو أمر إلهي كما قال تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء: ٨٥] وكل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى، ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن، فلله الخلق

لا رخصة في ذكره). وقد روي عن الحسن، عن حذيفة سألت النبي ﷺ عن علم الباطن ما هو؟ فقال: «سألت جبريل عنه فقال عن الله هو سر بيني وبين أحبائي وأوليائي وأصفيائي أودعه في قلوبهم لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل»، وقد تكلم في سماع الحسن عن حذيفة وحكم على هذا الحديث بالوضع، **(وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز)**. أراد بالجوهر المعنى اللغوي لمناسبة ما بعده لا المعنى الذي ذكره الحكماء هو انه ماهية إذا كانت في الأعيان كانت لا في موضوع وحصروه في خمسة هيولى وصورة وجسم ونفس وعقل **(أشرف من هذه الأجرام)** أي المشاهدة والأجرام الأجساد، وقد يطلق الجرم على اللون أيضاً كقولهم: نجاسة لا جرم لها، **(وإنما هو أمر إلهي كما قال تعالى)** في سورة بني اسرائيل **(ويسألونك عن الروح)** قال البيضاوي: أي الروح الذي يحيا به بدن الإنسان وتدبره **(قل الروح من أمر ربي)** [الاسراء: ٨٥] من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة تولد من أصل كأعضاء جسده أو وجد بأمره وحدث بتكوينه عن السؤال من قدمه وحدوثه. وقيل: ما استأثر الله بعلمه لما روي أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح، فإن أجاب عنها وسكت فليس بنبي، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي، فبيَّن لهم قصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة. وقيل: الروح جبريل، وقيل خلق أعظم من الملك، وقيل القرآن ومن أمره معناه من وحيه اهـ.

وقال ابن الكمال: الروح الإنساني اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان الراكبة على الروح الحيواني نازل من عالم الأمر تعجز العقول عن إدراك كنهه، وتلك الروح قد تكون مجردة وقد تكون منطبعة على البدن، وأما الروح الحيواني فجسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجساد البدن، والروح الأعظم الذي هو الروح الإنساني مظهر الذات الالهية من حيث ربوبيتها، ولذلك لا يمكن أن يحوم حولها حائم ولا يروم وصلها رائم لا يعلم كنهها إلا الله، ولا ينال هذه البغية سواه وهو العقل الأول والحقيقة المحمدية والنفس الواحدة والحقيقة الاسمائية، وهو أول موجود خلقه الله تعالى على صورته وهو الخليفة الأكبر وهو الجرم النوراني. جوهريته مظهر للذات النورانية وسمي باعتبار الجوهرية نفساً واحدة وباعتبار النورانية عقلاً أولاً، وكما ان له مظاهر وأسماء من العقل الأول والعلم الأعلى والنور والنفس الكلية واللوح المحفوظ، وغير ذلك له في العالم الصغير الإنساني مظاهر بحسب ظهوراته ومراتبه في اصطلاح أهل الله، وهي السر والخفاء والروح والقلب والكلية والفؤاد والصدر والعقل والنفس فتأمل ذلك ترشد. **(و)** إن قال قائل: **(كل المخلوقات منسوبة إلى الله تعالى)** فما وجه تخصيصه بالإضافة إليه فأجاب بقوله: **(ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء**

والأمر جميعاً، والأمر أعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال إذ أبين أن يحملنها وأشفقن منها من عالم الأمر، ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدومها، فإن القائل بقدم الأرواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول، فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده. والمقصود أن هذه اللطيفة هي الساعية إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فمنه مصدرها وإليه مرجعها، وأما البدن فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها، فالبدن لها في طريق الله تعالى كالناقة للبدن في طريق الحج، وكالراوية الخازنة للماء الذي يفتقر

البدن)، فالإضافة هنا تشريفية كما يقال: بيت الله وناقة الله، (ولله) عز وجل (الخلق والأمر جميعاً) لا يشاركه أحد فيهما سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف: ٥٤]، أي فإنه الموجد والمتصرف خلق العالم على ترتيب قويم وتدبر حكيم، فأبدع الأفلاك ثم زينها بالكواكب، وعمد إلى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسماً قابلاً للصور المتبدلة والهيئات المختلفة، ثم قسمها لصور نوعية متضادة الآثار والأفعال، ثم نشأ المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولاً وتصويرها ثانياً، ثم لما تم له عالم الملك عمد إلى تدبيره، فدبر الأمر من السماء إلى الأرض بتحريك الأفلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والأيام، ثم صرح بما هو فذلكة التقدير ونتيجته فقال: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ (والأمر أعلى من الخلق) نظراً إلى ما ذكرنا. (وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى) قيل: هي كلمة التوحيد، وقيل العقل، وقيل: الطاعة قاله الحسن. وقيل: العبادة، وقيل: حروف التهجي، وقيل: غير ذلك (المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرض والجبال إذ أبين) أي امتنعن (أن يحملنها) لثقلها (وأشفقن منها) أي خفن بمهابة (من عالم الأمر)، ولذا أضيف إلى الله تعالى (ولا يفهم من هذا) الذي أوردناه (تعريضاً) وتلويحاً (بقدمه) أي الروح نظراً إلى كونه من أمر الرب، (فالقائل بقدم الأرواح) كالفلاسفة ومن على قدمهم (مغرور) في زعمه (جاهل) فيما يبديه (لا يدري ما يقول) ولا يميز خطأه من صوابه، ولما أطال في بحث هذه المسألة أداه تحقيقه لها إلى الخروج عن أصل كلامه الذي أبداه فأشار لذلك وقال: (ولنقبض عنك البنان) أي نمسك (عن) التوغل في (هذا الفن) الذي هو الكلام (فهو وراء ما نحن بصدده) أي طلبه وبيانه، (والمقصود) من ذلك كله (أن هذه اللطيفة) الحاملة لأمانة ربها (هي الساعية إلى قرب الرب) عز وجل (لأنه من أمر الرب) تعالى، (فمنه مصدره وإليه مرجعه) ومآله، (وأما البدن فمطيته التي تركبها) في قطع بوادي السلوك (وتسعى بواسطتها) إلى ملك الملوك، (فالبدن لها) أي للروح (في) سلوك (طريق الله) عز وجل (كالناقة) مثلاً (للبدن في طريق الحج أو كالراوية الحاوية) أي الحاملة. وفي نسخة: الخازنة (للماء الذي يفتقر) أي يحتاج (إليه البدن) في حفظ صحته،

إليه البدن، فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية. ولا يخفى أن الطب كذلك، فإنه قد يحتاج إليه في حفظ الصحة على البدن، ولو كان الإنسان وحده لاحتاج إليه، والفقه يفارقه في انه لو كان الإنسان وحده ربما كان يستغني عنه، ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده إذ لا يستقل بالسعي وحده في تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والخبز والطبخ، وفي تحصيل الملبس والمسكن، وفي إعداد آلات ذلك كله فاضطر إلى المخالطة والاستعانة، ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا

(فكل علم مقصده) الأعظم **(صحة)** وفي نسخة: مصلحة **(البدن فهو من جملة مصالح)** تلك **(المطية)** المذكورة، **(ولا يخفى أن)** علم **(الطب كذلك فإنه يحتاج إليه)** أحياناً **(في حفظ الصحة على البدن)** إذا خالف المزاج، **(ولو كان الإنسان وحده لاحتاج إليه)** في حفظ الصحة **(و)** علم **(الفقه يفارقه في أنه لو كان الإنسان وحده)** مثلاً **(ربما كان يستغني عنه)** ولا يحتاج إليه، **(ولكنه)** أي الإنسان **(خلق)** مدني الطبع **(على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده)** لا بد من افتقاره إلى الغير **(إذ)** من المعلوم البين أنه **(لا يستقل)** أي لا ينفرد بنفسه **(بالسعي)** والاهتمام **(في تحصيل طعامه)** الذي يتناوله **(بالحراثة والزرع والخبز والطبخ)**، فافتقر إلى أكار وزراع وخباز وطباخ، وكأنه أراد بالحراثة حفر الأرض وتهيئتها للزرع، فلذلك قلنا إلى أكار وإلا فهي والزرع من واد واحد. **(وفي تحصيل الملبس والمسكن)** الذي يأوي إليه **(وفي)** تحصيل **(اعداد آلات ذلك كله)** فلحفر الأرض آلات من حديد فاحتاج إلى الحداد ومن خشب كالجبان ونحوه، فاحتاج إلى نجار، وللطبخ آلات متعددة أعظمها الأواني إن كانت من طين فإلى فخار أو من نحاس فإلى نحاس، وآلات الملبس والمسكن كثيرة ويندرج بعضها في بعض، **(فاضطر)** قطعاً **(إلى المخالطة)** مع الناس **(والاستعانة)** في أموره بهم.

وهذا البحث قد أورده صاحب الذريعة في الفصل السادس منه فقال: لما صعب على كل أحد أن يحصل لنفسه أدنى ما يحتاج إليه إلا بمعاونة عدة له فلقمة طعام لو عددنا عدد تحصيلها من الزرع والطحن والخبز وصناع آلاتها لصعب حصره، فلذلك احتاج الناس أن يجتمعوا فرقة متظاهرين ولأجل ذلك قيل الإنسان مدني بالطبع لا يمكنه التفرد عن الجماعة لعيشه، بل يفتقر بعضهم إلى بعض في مصالح الدين والدنيا، وعلى ذلك نبه عليه السلام بقوله: « المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وقوله: « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا تألم بعضه تداعى سائره » وقيل: الناس كجسد واحد متى عاون بعضه بعضاً استقل ومتى خذل بعضه بعضاً اختل اهـ.

(ومهما اختلط الناس) بعضهم ببعض على اختلاف مراتبهم **(وثارت)** أي هاجت

أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج، كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل، وبالطب يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل، وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج، وعلم طريق اعتدال الاخلاط طب، وعلم طريق اعتدال أحوال الناس في المعاملات والأفعال فقه. وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطية، فالمتجرد لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه ولا يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها شراء الراوية وخرزها إذا لم يسلك بادية الحج. والمستغرق عمره في دقائق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقائق الأسباب التي بها تستحكم الخيوط التي تخرز بها الراوية للحج. ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب الموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكي طريق الحج أو ملابسي أركانه فتأمل هذا أولاً

(**شهواتهم**) التي جبلوا عليها (**تجاذبوا أسباب الشهوات**) وتعاوروها بمقتضى بشريتهم من ترفع وتكبر تحاسد، (**وتنازعوا**) لذلك وتخاصموا بل (**وتقاتلوا**) بالأسلحة (**وحصل من قتالهم**) مع بعضهم (**هلاكهم**) بزهاق الأرواح من الأجساد (**بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط**) الأربعة (**من داخل**) أي من داخل البدن، (**وبالطب**) أي بمعرفته (**يحفظ الاعتدال في الاخلاط المتنازعة من داخل**) البدن، (**وبالسياسة والعدل**) أي بمعرفتها (**يحفظ الاعتدال في التنافس من خارج وعلم طريق اعتدال الاخلاط**) وجريها على نهج الصحة (**طب**) اصطلاحاً، (**وعلم طريق اعتدال أحوال الناس**) بتباينها (**في المعاملات**) الدنيوية (**والأفعال**) الصادرة منهم (**فقه**) إذ به حراستهم عن الوقوع فيما لا ينبغي، (**وكل ذلك لحفظ البدن**) إما من داخل أو من خارج (**الذي هو مطية**) للوصول في السير، (**فالمتجرد**) بهمته (**لعلم الفقه أو الطب إذا لم يجاهد نفسه**) بالرياضات الشاقة (**ولم يصلح قلبه**) بإخلائه عما سوى الله تعالى (**كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها**) وما تحتاج إليه، (**وشراء الراوية وخرزها**) ودهنها (**إذا لم يسلك بادية الحج**) بنفسه، (**و**) مثل (**المستغرق عمره**) الباذل جهده (**في**) تحصيل (**دقائق الكلمات**) ونكاتها ومشكلاتها (**التي تجري في مجادلات الفقه**) ومباحثاته (**كالمستغرق عمره في دقائق الأسباب التي بها تستحكم الخيوط**) والسيور (**التي**) بها (**تخرز**) أي تخاط (**راوية الحج ونسبة هؤلاء**) أي المشتغلين بالفقه (**من السالك لطريق إصلاح القلب**) بالرياضات الشرعية (**والواصل إلى علم المكاشفة**) في منتهى سيره (**كنسبة أولئك**) أي المشتغلين بشراء الناقة والراوية (**إلى سالكي طريق الحج أو ملابسي أركانه**). الأول: بالنسبة إلى اصلاح القلب، والثاني بالنسبة إلى علم المكاشفة، (**فتأمل**) بفكرك الصحيح (**هذا أولاً**) مع قطع النظر عن الحال التي درج عليها مشايخك ولا تقل ﴿إنا وجدنا آباءنا﴾ هكذا ﴿وإنا على آثارهم مقتدون﴾

واقبل النصيحة مجاناً ممن قام عليه ذلك غالباً ولم يصل إليه إلا بعد جهد جهيد وجرأة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة، **فهذا القدر** كاف في وظائف المتعلم.

(بيان وظائف المرشد المعلم) :

اعلم أن للإنسان في علمه أربعة أحوال كحاله في اقتناء الأموال، إذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسباً وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنياً عن السؤال، وحال

[الزخرف: ٢٣] **(واقبل النصيحة)** الخالصة **(مجاناً)** بلا عوض **(ممن)** أي من مرشد مخلص مجرب **(قام عليه)** أي على وجدانه. وفي نسخة: قامت عليه **(غالباً)** على نفسه **(ولم يصل إليه إلا بعد جهد شديد)** ومعاناة الأمور **(وجرأة تامة)** أي إقدام كامل **(على مباينة الخلق)** من **(الخاصة والعامة في النزوع)** أي الاقلاع **(من تقليدهم)** المحض **(بمجرد الشهوة)** النفسية، وهذا في زمانه والشريعة رطبة غضة والدين غاص بأركانه واعلامه، فما بالك في زماننا الآن والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(فهذا القدر) الذي حررناه **(كاف في وظائف المتعلم)** لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وقد ترك المصنف وظيفة أخرى من وظائف المتعلم ذكرها صاحب الذريعة وهي انه يجب أن لا يخوض في فن حتى يتناول من الفن الذي قبله على الترتيب بلغته ويقضي منه حاجته فازدحام العلم في السمع مضلة الفهم وعلى هذا قال الله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ [البقرة: ١٢١]، أي لا يتجاوزون فناً حتى يحكموه علماً وعملاً، فيجب أن يقدم الأهم، فالأهم من غير إخلال في الترتيب وكثير من الناس منعوا الوصول لتركهم الأصول وحقه أن يكون قصده من كل علم يتحراه التبلغ به إلى ما فوقه حتى يبلغ النهاية، ثم شرع في بيان وظائف المعلم فقال:

(بيان وظائف المعلم المرشد) :

وفي بعض النسخ بتقديم المرشد على المعلم، وفي أخرى وبواو العطف وإنما وصفه بالمرشد لأن القصد من التعليم في الحقيقة هو الارشاد في سبيل الله تعالى، ومتى فارقه لم ينفعه وذهب نصبه مجاناً، وقد يكون المراد بالعلم لطريق الظاهر وبالمرشد لطريق الباطن وجمع بينهما ليعم جميع أنواع التعليم.

(اعلم أن للإنسان في علمه) إذا أراد تحصيله ونص الذريعة في استفادة العلم وإفادته **(أربعة أحوال)** لا يخلو منها، **(كما أن له في اقتناء الأموال)** وتحصيلها أربعة أحوال أيضاً **(إذ لصاحب المال حالة استفادة)** من أي وجه كان، **(فيكون)** بها **(مكتسباً و)** له أيضاً **(حال ادخار)** وجمع **(لما اكتسبه)** وحصله، **(فيكون به غنياً عن السؤال)** أي يحصل له

إنفاق على نفسه فيكون منتفعاً، وحال بذل لغيره فيكون به سخياً متفضلاً وهو أشرف أحواله، فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال فله حال طلب واكتساب، وحال تحصيل يغني عن السؤال، وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به، وحال تبصير وهو أشرف الأحوال، فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيمًا في ملكوت السموات، فإنه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها، وكالمسك الذي يطيب

بذلك حالة عفة عن التطلع إلى الغير، **(وحال انفاق على نفسه)** بصرفه فيما يحتاج إليه من مطعم ومشرب وملبس ومنكوح ومسكن ومركوب **(فيكون به منتفعاً)** قاصراً ذلك على نفسه. وفي معناه إذا أنفق على عياله فيما يحتاجون إليه لأنهم في الحقيقة بمنزلة نفس الإنسان **(وحال بذل لغيره)** من المستحقين وذوي الحاجات، ونص الذريعة وحال إفادته غيره **(فيكون به سخياً متفضلاً)** والسخاء إعطاء ما ينبغي لما ينبغي وتحته أنواع والتفضل هو التطوع زاد المصنف **(وهو أشرف أحواله)** وأكملها وأجلها التعدي نفعه إلى الغير قاله صاحب الذريعة، **(فكذلك العلم يقتنى)** ويجمع **(كالمال فله)** أي للعلم أربعة أحوال أيضاً **(حال طلب واكتساب)** من هنا ومن هنا، **(وحال تحصيل)** وادخار **(يغني عن السؤال)** والالتفات إلى الغير، **(وحال استبصار)** واستنارة **(وهو التفكر)** والتدبر **(في المحصل)** أي فيما حصله **(والتمتع)** أي الانتفاع **(به وحال تبصير)** لغيره وهو التعليم وهو بمنزلة انفاق المال للغير، **(وهو أشرف الأحوال)** وأكملها التعدي نفعه. أما شرف العلم فظاهر بما سبق، وأما شرف العمل فإن العلم إنما يراد له فإنه بمنزلة الدليل للسائر فإذا لم يسر خلف الدليل لم ينتفع بدلالته فنزل منزلته من لم يعلم شيئاً، كما ان من ملك ذهباً وفضة وجاع وعريَ ولم يشترِ منها ما يأكل ويلبس فهو بمنزلة الفقير العادم كما قيل:

ومن ترك الانفاق عند احتياجه مخافة فقر فالذي فعل الفقر

فإذا ثبت للمرء العلم والعمل وهما شريفان، فالتعليم أشرف كما قال، وقد أشار إلى مقام التحصيل والتمتع والتبصير بقوله: **(فمن علم)** أي حصل العلم باكتسابه **(وعمل)** أي انتفع به بعد تحصيله **(وعلم)** أي انفقه على غيره **(فهو الذي يدعى عظيماً في ملكوت السماء)** وهذا قد تقدم للمصنف في باب فضيلة التعليم وعزاه إلى سيدنا عيسى عليه السلام، وذكرنا هنالك أن العراقي لم يخرجه ولم يشر إليه، وقد أخرجه أبو خيثمة زهير بن حرب في كتاب العلم من طريق عبد العزيز بن ظبيان قال: قال المسيح عيسى بن مريم: من تعلم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماء، **(فإنه كالشمس)** المنيرة **(تضيء لغيرها)** بأنوارها **(وهي مضيئة في نفسها)**. وقد كثر تشبيه العلماء العاملين المفيدين بالشمس وبالقمر في كلامهم وسياقاتهم نظماً ونثراً. **(وكالمسك)** أيضاً وهو طيب معروف، وقد ورد: أطيب الطيب المسك **(الذي يطيب)** غيره بمجرد المجاورة ولو لم يلامسه **(وهو طيب)** في نفسه، واقتصر في تشبيهه لهم بالشمس

غيره وهو طيب، والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم، وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع، والإبرة التي تكسو غيرها وهي عارية، وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق كما قيل:

ما هو إلا ذبالة وقدت ... تضيء للناس وهي تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمراً عظيماً وخطراً جسيماً، فليحفظ آدابه ووظائفه.

والمسك لكون كل منهما أشرف في جنسه وأعم نفعاً، فالشمس أشرف الأجرام العلوية ونفعها بيّن، والمسك أشرف الروائح الطيبة ومنافعه مشهورة، وأما تضرر بعضهم منه فلضعف المزاج. ونص الذريعة: ومن أصاب مالاً فانتفع به ونفع مستحقيه كان كالشمس تضيء غيرها وهي مضيئة، والمسك الذي يطيب وهو طيب وهذا أشرف المنازل ثم بعده من استفاد علماً فاستبصر به، **(والذي يعلم)** أي يحصّل العلم **(ولا يعمل به)** فإنه **(كالدفتر)** كجعفر. وحكي كسر الدال عن الفراء وحكاه كراع عن اللحياني وهو عربي صحيح. كما في المصباح فيلحق بنظائر درهم وهو جماعة الصحف المضمومة. وقال الجوهري: واحد الدفاتر وهي الكراريس، وفي القاموس جماعة الصحف المضمومة. وقال ابن دريد ولا يعرف له اشتقاق، وبعض العرب يقول: تفتر بالتاء على البدل، وقيل: هو جريدة الحساب، ونص الذريعة. فأما من أفاد غيره علمه ولم ينتفع هو به كالدفتر **(الذي يفيد غيره)** بالمطالعة فيه والاستفادة منه **(وهو خال عن العلم)** بنفسه. ونص الذريعة: يفيد غيره الحكمة وهو عادمها، ثم قال: وهو أيضاً **(مثل المسن)** بكسر الميم حجر معروف يسن عليه الحديد جمعه مسان **(الذي يشحذ)** أي يسن **(غيره)** من الحديد **(ولا يقطع)** بنفسه ولذلك قيل:

فما أنت إلا كشبه المسن ... يسن الحديد ولا يقطع

(و) هو أيضاً مثل: **(الابرة)** وهي المخيط **(التي تكسو غيرها)** بعملها **(وهي عارية)** دائماً. ونص الذريعة: وكالمغزل يكسو ولا يكتسي، ثم قال **(و)** هو أيضاً مثل **(ذبالة المصباح)** بالضم أي فتيلته وفي معناه ذبالة الشمع **(تضيء لغيرها)** بأنوارها **(وهي تحترق)** بنفسها من غير فائدة لها **(كما قيل)** في معناه: **(ما هي إلا ذبالة وقدت)**. وفي مختصر الأصل للمراغي:

صرت كأني ذبالة نصبت ... **(تضيء للناس وهي تحترق)**

وقد أخرج الطبراني في الكبير، وابن ماجه، والضياء المقدسي في المختارة من حديث جندب رضي الله عنه رفعه: «مثل العالم الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه». وأخرج الطبراني أيضاً، والبزار عن أبي برزة الأسلمي بسند فيه ضعف «مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه مثل الفتيلة التي تضيء للناس وتحرق نفسها». وقد ترك المصنف قسماً ثالثاً ذكره صاحب الذريعة وهو: من استفاد علماً ولم ينتفع به هو ولا غيره فإنه كالنخل يشرع شوكاً لا يذود به عن حمله كف جار ولا منتهب. **(ومهما اشتغل بالتعليم)** بعد

(الوظيفة الأولى) : الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه ، **قال** رسول الله ﷺ : « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده » بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم

تهذيب نفسه بالعلم **(فقد تقلد أمراً عظيماً)** أي تحمل أمراً يعظم وقعه في النفوس **(وخطراً جسياً)** الخطر بالتحريك في الأصل السبق يتراهن عليه ، ثم استعير للشرف والمزية وقدر الرجل ، ويقال: هو على خطر عظيم أي اشراف على الهلاك ، والجمع الاخطار . **(فليحفظ آدابه)** اللازمة له **(و)** يستعمل **(وظائفه)** التي تذكر هنا .

(الوظيفة الأولى) : من الوظائف السبعة **(الشفقة على المتعلمين)** بصرف الهمة إلى إزالة المكروه عنهم ، **(وانه يجريهم مجرى بنيه)** في تلك الشفقة . **(قال ﷺ : « إنما أنا لكم مثل الوالد)** قال العراقي: أخرجه أبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان من حديث أبي هريرة اهـ .

قلت: ونص أبي داود في سننه في باب كراهة استقبال القبلة عند الحاجة حدثنا عبدالله بن محمد النفيلي ، حدثنا ابن المبارك عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه » وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهي عن الروث والرمة . قال الحافظ المنذري في مختصره: وأخرجه أيضاً مسلم مختصراً والنسائي وابن ماجه تاماً اهـ .

قلت ، قال السيوطي في جامعه أخرجه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان أي كلهم في الطهارة عن أبي هريرة . قال المناوي وفيه محمد بن عجلان وفيه كلام اهـ .

قلت: وفي ترتيب الكامل لابن عدي للحافظ أبي طاهر المقدسي رواه معدان بن عيسى ، عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع عن أبي صالح ، عن أبي هريرة . ومعدان هذا قال ابن عدي لا أعرفه حدث عن محمد بن عجلان بأحاديث الكبار ، حدثنا عنه أبو عيسى الدارمي محمد بن غسان بن خالد ، ولا أعلم حديث عنه غيره . وهذه أحاديث صفوان بن عيسى عن محمد فحدثنا بها أبو عيسى قال: حدثنا معدان ولم يتهيأ له أن يذكر صفوان بن عيسى ، لأنه لم يلحق أيامه فقال معدان بن عيسى اهـ .

قال المناوي في شرح هذا الحديث: إنما أنا لكم أي لأجلكم بمنزلة الوالد في الشفقة والحنو لا في الرتبة والعلو ، فعليّ تعليم ما لا بد منه فكما يعلم ولده الأب فأنا أعلمكم ما لكم وما عليكم. وقدم هذا إمام المقصود إعلاماً بأنه يجب عليه تعليمهم أمر دينهم ، كما يلزم الوالد وايناساً للمخاطبين لئلا يحتشموا عن السؤال عما يعرض لهم ومما يستحيا منه اهـ .

وقوله: **(« لولده »)** ليس في سياق النسائي وابن حبان كذا قاله العراقي .

قلت: وكذا ليس في سياق أبي داود **(بأن يقصد انقاذهم)** أي تخليصهم **(من)** عذاب

من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا، ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين، فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية، والمعلم سبب الحياة الباقية. ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم، وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة. أعني معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا، فاما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه، وكما

(نار الآخرة وهو أهم من انقاذ الأبوين ولدهما من نار الدنيا) أي من مشاقها، **(ولذلك صار حق المعلم)** لطريق الخير **(أعظم من حق الوالدين)** إذا تعارضا، **(فإن الولد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية)** وهما يضمحلان، **(والعلم سبب الحياة الباقية)** الأبدية. **(ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب)** وفي نسخة: من جهة الوالدين **(إلى الهلاك الدائم وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة)** والسبب الأكبر للانعام عليه بتلك الحياة والخلود في دار النعيم، فأبو الافادة أقوى من أبي الولادة وهو الذي أنقذه الله به من ظلمة الجهل إلى نور الإيمان. وقال ابن الحاج في المدخل: أمة النبي ﷺ في الحقيقة أولاده، لأنه السبب للانعام عليهم بالنعمة السرمدية، فحقه أعظم من حقوق الوالدين. قال عليه الصلاة والسلام: «ابدأ بنفسك» فقدم نفسه على غيره والله قدمه في كتابه على نفس كل مؤمن، ومعناه إذا تعارض حقان حق لنفسه وحق لنبيه فأكرمها وأوجبها حق النبي ﷺ، ثم يعجل حق نفسه تبعاً للحق الأول، وإذا تأملت الأمر في الشاهد وجدت نفع المصطفى ﷺ أعظم من نفع الآباء والأمهات وجميع الخلق، فإنه أنقذك وأنقذ آباءك من النار، وغاية أمر أبويك انهما أوجداك في الحس فكانا سبباً لإخراجك إلى دار التكليف والبلاء والمحن اهـ.

ويلحق به ﷺ كل معلم لطريقته على وجه الإرشاد والإصلاح والهداية، وبهذا التقرير يظهر لك سر كلام المصنف وبدؤه بحديث أبي هريرة، فتأمل ذلك ترشد. وعبارة الذريعة: حق المعلم أن يجري متعلميه مجرى بنيه، فإنه في الحقيقة لهم أشرف الأبوين، كما قال الاسكندر وقد سئل عن ذلك: أمعلمك أكرم عليك أم أبوك؟ فقال: معلمي لأنه سبب حياتي الباقية ووالدي سبب حياتي الفانية، وقد نبه النبي ﷺ على ذلك بقوله: «إنما أنا لكم مثل الوالد» فحق معلم الفضيلة أن يقتدي بالنبي ﷺ إذ هو في ارشاد الناس خليفة ويشفق عليهم اشفاقه ويتحنن عليهم تحننه كما قال الله تعالى في وصفه عليه السلام: ﴿حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة: ١٢٨] اهـ.

(أعني) بذلك **(معلم علوم الآخرة)** على وجه الإرشاد والتربية والتسليك على طريقته ﷺ وسلم إذا العلماء ورثة الأنبياء فهم من مقام إرشاد الأمة، **(أو)** معلم **(علوم الدنيا على قصد)** الوصول إلى ما ينفع في **(الآخرة لا على قصد)** الوصول إلى حصول أمور **(الدنيا، فأما التعليم)** والتعلم **(على قصد)** تحصيل حطام **(الدنيا)** والتمكن في زينتها والتفاخر بها في الملابس والمآكل والراكب **(فهو هلاك)** في نفسه **(وإهلاك)** لغيره. **(نعوذ بالله منه)** آمين،

أن حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها، فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد، ولا يكون إلا كذلك إن كان مقصدهم الآخرة، ولا يكون إلا التحاسد والتباغض إن كان مقصدهم الدنيا، فإن العلماء وأبناء الآخرة مسافرون إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق من الدنيا، وسنوها وشهورها منازل الطريق، والترافق في الطريق بين المسافرين إلى الأمصار سبب التواد والتحاب، فكيف السفر إلى الفردوس الأعلى والترافق في طريقه؟ ولا ضيق في سعادة الآخرة، فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا، فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم، والعادلون إلى طلب الرئاسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠] وداخلون في مقتضى قوله تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين﴾ [الزخرف: ٦٧].

(وكما أن حق أبناء الرجل الواحد) من الأب والأم (أن يتحابوا) بالألفة المعنوية (ويتعاونوا على المقاصد) غير متحاسدين، (فحق تلامذة الرجل الواحد) جمع تلميذ وهو المتعلم (التحاب) مع البعض والتواد، (ولا يكون) الحال (إلا كذلك إن كان مقصودهم) من اجتماعهم على الشيخ الإستفادة والإهتداء إلى طريق (الآخرة ولا يكون إلا التحاسد والتباغض) وقطع الاعراض والاعراض مع المفاخرة (إن كان مقصدهم) طلب (الدنيا، فإن العلماء) بالله تعالى (وأبناء الآخرة مسافرون) على مطايا هممهم (إلى الله تعالى وسالكون إليه الطريق) على تباين مراتبهم في سلوكهم قوة وضعفاً (من الدنيا وسنوها) جمع سنة (وشهورها) وجمعها (منازل الطريق) بمثابة منازل الحج المعلومة، (والترافق في الطريق) بمقتضى الرفيق قبل الطريق (بين المسافرين) سفراً ظاهرياً (إلى الأمصار) والقرى لأغراض معلومة (سبب التواد والتحاب) لأنه الذي يجمع كلمتهم ويضم شملهم. هذا حال السفر في منازل الدنيا، (فكيف) حال (السفر) المعنوي الذي يحتاج إلى اهتمام زائد إلى عالم البرزخ أولاً ثم إلى الجنة ثم (إلى الفردوس الأعلى) الذي هو أعلى منازلها، وقد ورد إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس الأعلى، (و) انظر كيف يكون (الترافق في طريقه) والتعاون على الوصول إليه (ولا ضيق في سعادات الآخرة) لكونها إفاضات والمهيع واسع، (فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع) ولا تنافس، وكل وارد على ذلك المهيع على قدر اجتهاده (ولا سعة في سعادات الدنيا) لكونها مشوبة بالأكدار ممزوجة بركوب الأخطار، (فلذلك لا ينفك) أبداً (عن ضيق التزاحم) والتنافس والتوثب على البعض بموجب الشهوات النفسية على قلة وكثرة واختلاف مراتب حسب الدواعي، (والعادلون) أي المائلون (إلى طلب الرئاسة) والوجاهة ومتاع الدنيا الزائلة (بالعلوم) أي بتحصيلها (خارجون عن موجب قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون اخوة) فاصلحوا بين أخويكم﴾

(الوظيفة الثانية): أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ولا يقصد به جزاء ولا شكراً، بل يعلم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه، ولا يرى لنفسه منّة عليهم، وإن كانت المنة لازمة عليهم، بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها، كالذي يعيرك الأرض لتزرع فيها لنفسك زراعة، فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب

[الحجرات: ١٠] قال السمين وفي الآية إشارة إلى الحق وتشاركهم في الصفة المقتضية لذلك. وقال ابن عرفة: الأخوة إذا كانت في غير الولادة كانت المشاركة والإجتماع في الفعل **(داخلون في مقتضى قوله تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾)** [الزخرف: ٦٧] والموجب المقتضي واحد إذ أن مقتضى النص ما لا يدل اللفظ عليه ولا يكون ملفوظاً، لكن يكون من ضرورة اللفظ أعم من أن يكون شرعياً أو عقلياً. ونص الذريعة: كما أن من حق أولاد الأب الواحد أن يتحابوا فيتعاضدوا ولا يتباغضوا، كذلك حق بني المعلم بل بني الدين الواحد أن يكونوا كذلك، فاخوة الفضيلة فوق أخوة الولادة، ولذلك قال تعالى: ﴿إنما المؤمنون اخوة﴾ وقال تعالى: ﴿الأخلاّء يوم بعضهم لبعض عدوّ الا المتقين﴾ اهـ.

فهذا أصل العبارة. وزاد المصنف عليه كما ترى.

الوظيفة الثانية: من الوظائف السبعة **(أن يقتدي)** المعلم **(بصاحب الشرع صلوات الله عليه)** وسلامه في تبليغه وإفادته **(فلا يطلب على إفادة العلم أجراً)** أي عوضاً لما ورد في النهي عن أخذ الأجرة على التعليم أحاديث. منها ما أخرجه الحسين بن محمد التفليسي في كتاب الاعداد بسند فيه مجاهيل عن أنس رفعه «ألا أحدثكم عن أجر ثلاثة» فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أجر المعلمين والمؤذنين والأئمة حرام». وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وسكت عليه الحافظ السيوطي. **(ولا يقصد به جزاء)** يصل إليه من قبل المتعلم وهذا أعم مما قبله **(ولا شكراً)** أي ثناء بلسانه في مقابلة تلك النعمة التي هي الإفادة. وقال الراغب: الجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وفيه إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾ [الإنسان: ٩] **(بل يعلم)** وقصده في تعليمه **(لوجه الله)** تعالى أي لذاته **(وطلبا)** لمرضاته وحسن مثوبته، و**(للتقرب إليه)** بهذه الوسيلة العظيمة **(ولا يرى لنفسه)** في نفسه **(منة عليهم)** يمتن بها، **(وإن كانت المنة لازمة عليهم)** لزوم الأطواق على الأعناق لأنه السبب الأكبر لهدايتهم إلى الحق، **(بل يرى الفضل)** والمنة **(لهم إذ هدفوا)** أي رموا **(قلوبهم)** إليه بكمال الإنقياد **(لأن تتقرب إلى الله)** تعالى **(بزراعة العلوم فيها)** أي في تلك القلوب المشبهة بالأراضي، وأراد بزراعة العلوم وضعها فيها كما توضع الحبة في الأرض **(كالذي يعيرك الأرض)** أي يعطيكها على سبيل العارية **(لتزرع فيها لنفسك)** والأرض له **(زراعة)** تنتفع بها. ولا ريب أن **(منفعتك بها)** أي بالقلوب بوضع

الأرض، فكيف تقلده منة وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى؟ ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الأجر إلاَّ من الله تعالى، كما قال عز وجل: ﴿ويَا قَوم لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه مالاً إن أجْريَ إلاَّ عَلَى اللهِ﴾ [هود: ٢٩] فإن المال وما في الدنيا خادم البدن، والبدن مركب النفس ومطيتها، والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس. فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه، فجعل المخدوم خادماً والخادم مخدوماً، وذلك هو الانتكاس على أم الرأس، ومثله هو الذي يقوم في العرض

العلم فيها (**تزيد على منفعة صاحب الأرض**) التي أعارها لغيره، وشتان بينهما (**وكيف تقلد به**) أي بالتعليم (**منة**) تمنن بها (**وثوابك في التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله**) تعالى لما ورد في ذلك أحاديث تقوي بعضها؟ (**ولولا المتعلم**) وجلوسه بين يديك (**ما نلت هذا الثواب**) الموعود به. وفي الذريعة: وأي عالم لم يكن له من يفيده العلم صار كعقيم لا نسل له فيموت ذكره بموته، ومتى استفيد علمه كان في الدنيا موجوداً وإن فقد شخصه كما قال علي: العلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة. وقال بعض الحكماء في قوله تعالى: ﴿هب لي من لدنك ولياً ★ يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ [مريم: ٥، ٦] إنه سأله نسلاً يرث علمه لا من يرث ماله، فاعراض الدنيا أهون عند الأنبياء أن يشفقوا عليها وكذا قوله تعالى: ﴿وإني خفت الموالي من ورائي﴾ [مريم: ٥] أي خفت أن لا يراعوا العلم، وعلى هذا قال عليه السلام: « العلماء ورثة الأنبياء » اهـ.

(**ولا تطلب الأجر إلا من الله**) تعالى فإنه الذي وعدك به وهو الذي يثيبك عليه. (**قال الله تعالى**) في كتابه العزيز: (**قل**) يا محمد (**لا أسألكم عليه**) أي على تبليغ الرسالة وأداء الأمانة (**أجراً**) [الشورى: ٢٣] أي عوضاً وفي الذريعة: ومن حق المعلم مع من يفيده العلم أن يقتدي بالنبي ﷺ فيما علمه الله تعالى حيث قال: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾ فلا يطمع في فائدة من جهة من يفيده علماً ثواباً لما يوليه اهـ.

(**فإن المال**) بأجناسه وأنواعه بل (**وما في الدنيا خادم البدن**) وتابعه في مصالحه، (**و**) قد تقدم أن (**البدن مركب النفس**) الروحاني (**ومطيته**) التي بها يبلغ إلى الوصول (**والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس**) وكماله، وقد ثبتت مخدومية العلم على المال وما في الدنيا بمرتبتين لأنه مخدوم النفس، والنفس مخدوم البدن، والبدن مخدوم المال، (**فمن طلب العلم بالمال**) فقد قلب الموضوع و(**كان كمن مسح أسفل مداسه ونعله**) عطف مرادف واختلف في ميم المداس فقيل زائدة وهو الأشبه، وقيل أصلية (**بمحاسنه**) هكذا في سائر النسخ، وفي بعضها. بوجهه وإليه يعود معنى المحاسن (**لينظفه**) عما تكون به، (**فجعل المخدوم**) الذي هو الوجه (**خادماً والخادم**) الذي هو النعل (**مخدوماً**) وفي الذريعة: ولهذا أن من باع علماً بعرض دنيوي فقد صادم الله تعالى في ذلك إن الله تعالى جعل المال خادماً للمطاعم

الأكبر مع المجرمين ناكسي رؤوسهم عند ربهم. وعلى الجملة، فالفضل والمنة للمعلم، فانظر كيف انتهى أمر الدين إلى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب إلى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما؟ فإنهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف إليهم، ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعادي عدوه وينتهض حماراً له في حاجاته ومسخراً بين يديه في أوطاره، فإن قصر في

والملابس، وجعل المطاعم والملابس خادماً للبدن، وجعل البدن خادماً للنفس، وجعل النفس خادمة للعلم، والعلم مخدوم غير خادم، والمال خادم غير مخدوم، فمن جعل العلم ذريعة إلى اكتساب المال فقد جعل ما هو مخدوم غير خادم خادماً لما هو خادم غير مخدوم اهـ.

(**وذلك**) إذا تأملت (**هو الإنتكاس**) أي السقوط منكوساً (**على أم الرأس**) أي الدماغ (**ومثله**) أي الذي يفعل ذلك (**هو الذي يقوم**) يوم الحشر (**في العرض الأكبر مع المجرمين**) أي المذنبين حالة كونهم (**ناكسي رؤوسهم**) وهو إشارة إلى قول الله تعالى: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم (**عند ربهم**) [السجدة: ١٢] قال السمين: أي مميلوها مطرقين بها ذلاً وخجلاً، وأصل النكس القلب وهو أن تجعل أعلى رجل الإنسان إلى فوق ورأسه إلى تحت، فبولغ في وصف المجرمين بذلك، ويجوز أن يكونوا كذلك حقيقة. (**وعلى الجملة**) مع قطع النظر عن التفصيل (**فالفضل**) الأوفى (**والمنة**) الكبرى (**للمعلم وانظر كيف انتهى أمر الذين يزعمون**) في أنفسهم (**أن مقصدهم التقرب إلى الله**) ورفع الدرجات (**بما هم فيه من علم الفقه والكلام**) بالإكباب على كل منهما باختلاف انظارهم (**والتدريس فيهما وفي غيرهما**) كالمنطق والمعاني والبيان، وربما تجد اشتغالهم بالكلام في بعض البلاد كالمغرب ومصر أكثر من اشتغالهم بالفقه وغيره، (**فإنهم يبذلون**) أي يصرفون (**المال**) بأنواعه (**والجاه ويتحملون أصناف الذل**) والترمي على الأبواب (**في خدمة السلاطين**) وفي معنى ذلك الأمراء ومن دونهم من ذوي الجاه (**لاستطلاق الجرايات**) لخلوصها على إسمه طلقاً من غير مشاركة والجراية بالكسر ما يجري من الرواتب المعلومة على الإنسان من نقد وغلة وغير ذلك، (**ولو تركوا ذلك**) أي الدخول إلى بيوت الأمراء (**لتركوا**) أي تركهم الناس (**ولم يختلف إليهم**) كما هو مشاهد، (**ثم**) من البلايا الموقعة في الملاك أن (**يتوقع المعلم**) أي يرجو الوقوع (**من المتعلم أن يقوم له**) ومعه (**في كل نائبة**) أي واقعة شديدة وقعت له دنيوية (**وينصر**) فيها (**وليه**) الذي يواليه ولو على غير الحق، (**ويعادي**) فيها (**عدوّه**) ولو على الحق، (**و**) يطلب منه في حالاته كلها أن (**ينتهض**) أي يقوم (**حماراً له**) أي بمنزلة الحمار (**في**) التردد إلى (**حاجاته**) الواقعة (**ومسخراً**) أي مذللاً (**بين يديه في أوطاره**) وسائر شؤونه، (**فإن قصر منه**) وفي بعض النسخ فيه ولو في حاجة واحدة (**ثار عليه**) أي قام عليه منكراً ومشدداً

حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه، فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحـي من أن يقول: غرضي من التدريس نشر العلم تقرباً إلى الله تعالى ونصرة لدينه؛ فانظر إلى الأمارات حتى ترى ضروب الاغترارات.

(الوظيفة الثالثة): أن لا يدع من نصح المتعلم شيئاً، وذلـك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي، ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرئاسة والمباهاة والمنافسة، ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده،

ومفشيا عيوبه في المجالس **(وصـار)** بـذلـك **(مـن أعـدى أعـدائـه)** أي أكبر مبغضيـه، **(فاخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة)** الخسيسة ويطمئن إليها **(ثم يفرح بها)** مفتخراً على أقرانه **(ثم لا يستحي)** من الله ورسوله **(من أن يقول)** مصرحاً: إنما **(غرضي من التدريس)** والتعليم **(نشر العلم)** وإفادته **(تقرباً إلى الله تعالى ونصرة لدينه)** وطلباً لمرضاته، **(فانظر)** أيها المتأمل **(إلى الأمارات)** الدالة على قبح سيرتهم وفساد النيات **(كيف ترى)** فيها **(صنوف الإغترارات)** الشيطانية المهلكات أعاذنا الله منها.

(الوظيفة الثالثة: أن لا يدخر) أي لا يبقى المعلم **(من نصح المتعلم شيئاً)** ما والتنكير للتقليل، **(وذلك بأن يمنعه من التصدي)** أي التعرض **(لرتبة قبل إستحقاقها)** أي قبل الإستئهال لها كالتدريس مثلاً لما في الحديث: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة». **(والتشاغل بعلم)** من العلوم **(خفي)** المدرك بعيد الغور **(قبل الفراغ من)** العلم **(الجلي)** وتحصيله، وذلك كأن يتشاغل بمعرفة دقائق أسرار الشريعة قبل تكميل ظواهرها، وكذلك التعرض لأسرار الحقيقة لمن لم يتهذب في ظاهر العلوم، وهذا ضرر كبير فسد به جلة من الطـالبين ومنعوا عن الوصول إلى المطلوب، وهذا الذي يقال فيه: ظفر ظفرة النظام وتزبب قبل أن يتحصرم، **(ثم)** على المعلم **(أن ينبهه)** مرة بعد مرة **(على أن مطلب العلوم)** والمقصد من تحصيلها إنما هو **(القرب من الله)** تعالى والوصول إليه **(دون الرئاسة)** الظاهرية **(والمباهاة)** والمفاخرة **(والمنافسة)** مع الاقران في مجالس الأمراء والكبار ليقال: إنـه عـالم وإنـه مبرِّز وإنـه فارس الميدان، **(ويقدم تقبيح ذلك في نفسه)** أي المتعلم **(بأقصى ما يمكن)** ونهاية ما يستطيع بلطف تدبير وحسن احتيال في إيصال ذلك إلى ذهنه إذ النفوس بجبلتها مائلة إلى الرئاسة ومشغوفة بتحصيل الشهرة، فلا يمكن إخراج ذلك منه إلا بما ذكرنا وهذا هو عين الإرشاد، **(فليس ما يصلح العالم الفاجر)** وهو الشاق ستر الديانة أو الذي يباشر الأمور على خلاف الشرع والمروءة **(بأكثر مما يفسده)** لأن طلب الرئاسة هلاك في نفسه، وصاحبها إذا صلح على يده غيره فهو نادر بالنسبة إلى ما يترتب على فساده وإفساده من التداعي إلى الدنيا والجاه ظاهراً أوإلى تركها ظاهراً وحبها باطناً وكلاهما مهلكان، وقد تقدم شيء من ذلك في كلام المصنف في

فإن علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا نظر إلى العلم الذي يطلبه، فإن كان هو علم الخلاف في الفقه، والجدل في الكلام، والفتاوى في الخصومات والأحكام، فيمنعه من ذلك، فإن هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها: « تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله » وإنما ذلك علم التفسير وعلم الحديث. وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها، فإذا تعلمه الطالب وقصده الدنيا فلا بأس أن يتركه، فإنه يتشمر له طمعاً في الوعظ والاستتباع، ولكن قد يتنبه في أثناء الأمر أو آخره إذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة، وذلك يوشك أن يؤدي إلى الصواب في الآخرة حتى

أثناء آفات المناظرة. وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة وهيب بن المورز المكي بسنده إليه قال: بلغنا أن العلماء [1] ثلاثة. فعالم يتعلمه لنفد به عند التجار وعالم يتعلمه لنفسه لا يريد به إلا أنه خاف ان يعمل بغير علم فيكون ما يفسد أكثر مما يصلح، (**فإن علم**) المعلم (**من باطنه**) أي المتعلم (**أنه لا يطلب العلم**) ويشتغل به عليه (**إلا للدنيا**) أي تحصيلها وفي معناه طلب الرئاسة والجاه فإن عليهما مدار حصول الدنيا (**نظر**) المعلم (**إلى العلم الذي يطلبه**) ويشتغل به، (**فإن كان هو علم الخلاف في الفقه**) أي علم خلاف فقهاء الأمصار أو فقهاء المذهب خاصة، وهو علم الفروع (**و**) علم (**الجدل في الكلام**) الذي يتوصل بمعرفته إلى معرفة مذاهب الموافق والمخالف والردود على الفرق الضالة التي أفسدت عقائدها، (**و**) علم (**الفتاوى في الخصومات**) الحاصلة بين الناس، (**و**) معرفة (**الأحكام**) المتعلقة بذلك، (**فيمنعه من ذلك**) باللطف والتدريج، (**فإن هذه العلوم**) التي ذكرت (**ليست من العلوم التي قيل فيها**) فيما سلف (**« تعلمنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله »**). وقد تقدم هذا القول في كلام المصنف، وذكرنا ما يتعلق به، (**وإنما ذلك**) العلم (**علم التفسير وعلم الحديث**) ومتعلقاتها (**وما كان الأولون**) من السلف (**يشتغلون به**) من العلوم النافعة (**وعلم**) معرفة (**الآخرة**) وأحكامها (**و**) علم (**معرفة أخلاق النفس**) ممدوحها ومذمومها (**وكيفية تهذيبها**) بالرياضات الشرعية، (**فإذا تعلمه الطالب**) واشتغل به (**و**) لكن (**قصده**) حصول متاع (**الدنيا فلا بأس أن يتركه**) وفي نسخة: أن يترك أي على قصده، (**فإنه يتشمر له**) أي يتهيأ لتحصيله (**طمعاً في الوعظ**) أي يكون واعظاً (**والإستتباع**) أي طلب تبع الناس له، (**ولكن قد يتنبه**) من غير قصد منه (**في أثناء الأمر**) وتضاعيفه (**أو آخره**) على اختلاف نيته (**إذ فيه العلوم المخوفة**) أي في مجموع ما ذكر علوم تورث الخوف والخشية من الله (**المحقرة للدنيا**) ومتاعها (**المعظمة للآخرة**) وما أعد الله فيها، (**وذلك يوشك**) بكسر الشين وفتحها لغة ضعيفة أي يقرب (**أن يرد**) وفي نسخة: يؤدي (**إلى الصواب في**

---

(١) قوله ثلاثة هكذا في النسخ بإسقاط الثاني ولينظر ما هو اهـ مصححه.

يتعظ بما يعظ به غيره، ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالى الفخ ليقتنص به الطير، وقد فعل الله ذلك بعباده إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النسل، وخلق أيضاً حب الجاه ليكون سبباً لاحياء العلوم، وهذا متوقع في هذه العلوم، فأما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة، فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها إلا قسوة في القلب وغفلة عن الله تعالى وتمادياً في الضلال وطلباً للجاه إلا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية، ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة، فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان. وقد رؤي سفيان الثوري رحمه الله حزيناً فقيل له:

الآخرة) وفي نسخة: بالآخرة **(حتى يتعظ)** بنفسه **(بما يعظه به غيره)** عملا بما يعلم غيره، **(ويجري)** بذلك **(حب القبول)** في الخلق **(والجاه)** عندهم **(كالحب الذي ينثر)** ويرمى **(حوالي الفخ)** الذي ينصب **(ليقتنص به الطير)** أي يصطاد، **(وقد فعل الله)** عز وجل **(ذلك بعباده)** حكمة بالغة **(إذ خلق الشهوة)** في أصل التركيب وأودعها فيه **(ليصل الخلق بها)** وفي نسخة: به وهو خلاف الظاهر **(إلى بقاء)** نظام العالم بوجود **(النسل)** والذرية، **(وخلق أيضاً حب الجاه)** والقبول وركزها في بعض النفوس **(ليكون سبباً لإحياء العلوم)**، ولولا ذلك لاندرست، وهذه العبارة منتزعة من سياق القوت ولفظه، وقال الحسن رحمه الله: يتعلم هذا العلم قوم لا نصيب لهم منه في الآخرة يحفظ الله بهم العلم على الأمة لئلا يضيع. وقال المأمون: لولا ثلاث لخربت الدنيا. لولا الشهوة لانقطع النسل، ولولا حب الجمع لبطلت المعايش، ولولا طلب الرئاسة لذهب العلم اهـ.

(وهذا متوقع) ومرجو **(في هذه العلوم)** التي ذكرت، **(فأما)** معرفة **(الخلاف المحض ومجادلة الكلام ومعرفة التفريعات الغريبة)** من المسائل الفقهية الفرعية **(فلا يزيد التجرد لها)** والإهتمام بها **(مع الإعراض)** الكلي **(عن غيرها إلا قسوة في القلب)** وظلمة **(وغفلة عن الله)** تعالى، لأن هذه العلوم لا تكاد أن يوجد فيها ذكر الله ورسوله ﷺ ما عدا الخطب **(وتمادياً في الضلال وطلب الجاه)** وتطاولاً فيها **(إلا من تداركه الله تعالى برحمته)** فعصمه من الغفلة والقسوة **(أو مزج به غيره من العلوم الدينية)** غير متفرد عليه، **(ولا برهان على هذا)** أي الذي ذكرت **(كالتجربة)** في نفسه **(والمشاهدة)** في علماء عصره وأقرانه. **(فانظر يا أخي واعتبر)** بفكرك **(واستبصر)** بعين قلبك **(لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد)** مع اختلافهم وتباينها **(والله المستعان)** وعليه التكلان.

(وقد رؤي) الإمام الزاهد الورع **(سفيان)** بن سعيد بن مسروق **(الثوري)** رحمه الله تعالى **(حزيناً)** أي مغموماً **(فقيل)** أي: قال له بعض أصحابه: **(مالك)** أي لأي شيء أراك

ما لك؟ فقال: صرنا متجراً لأبناء الدنيا يلزمنا أحدهم حتى إذا تعلم جعل قاضياً أو عاملاً أو قهرماناً.

(الوظيفة الرابعة): وهي من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف، ويهيج الحرص على

محزوناً؟ **(فقال: صرنا متجراً لأبناء الدنيا فيلزمنا أحدهم)** في طلب علم الحديث، **(حتى إذا تعلم)** رغب إلى الدنيا ورغب إليه الناس، فإما **(جعل عاملاً)** على الخراج السلطاني **(أو قاضياً)** يقضي بالأحكام **(أو قهرماناً)** يلي أمور السلطان. أخرجه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في مناقب سفيان بالسند، وهي في حلية الأولياء لأبي نعيم الحافظ في ترجمته، وأوردها كذلك صاحب القوت، وعنه أخذ المصنف ولفظه. قال بعض أصحاب الحديث: رأيت سفيان الثوري حزيناً فسألته، فقال وهو مبرم: ما صرنا إلا متجراً لأبناء الدنيا، فقلت: وكيف؟ قال: يلزمنا أحدهم حتى إذا عرف بنا وحمل عنا جعل عاملاً أو جابياً أو قهرماناً.

(الوظيفة الرابعة): من وظائف المعلم **(وهي من دقائق صناعة التعليم)** تستدعي المحافظة عليها **(وهي أن يزجر المتعلم)** وينهاه **(عن)** ارتكاب **(سوء الأخلاق)** لكن **(بطريق التعريض ما أمكن)** بأن يفهمه مراده بكناية **(ولا يصرح و)** يورد زجره **(بطريق الرحمة)** والشفقة عليه **(لا بطريق التوبيخ)** وهو اللوم والتقريع الشديد العنيف، **(فإن التصريح)** باللوم **(يهتك حجاب الهيبة)** خصوصاً إذا كان على ملأ من الناس، **(و)** ربما **(يورث الجرأة)** والإقدام **(على الهجوم بالخلاف)** على مقتضى الجبلة البشرية المنطوية على الكبر، **(و)** ذلك **(يهيج الحرص)** ويثيره **(على الإصرار)** والبقاء على ما لم عليه. ونص الذريعة: وحق المعلم أن يصرف من يريد إرشاده عن الرذيلة إلى الفضيلة بلطف في المقال وتعريض في الخطاب، فالتعريض أبلغ من التصريح لوجوه.

أحدها: أن النفس الفاضلة لميلها إلى استنباط المعنى تميل إلى التعريض شغفاً باستخراج معناه بالفكر، ولذلك قيل: رب تعريض أبلغ من تصريح.

الثاني: أن التعريض لا تنهتك به سجف الهيبة ولا يرتفع ستر الحشمة.

الثالث: أن ليس للتصريح إلا وجه واحد وللتعريض وجوه، فمن هذا الوجه يكون أبلغ.

الرابع: للتعريض عبارات مختلفة فيمكن إيراده على وجوه مختلفة، ولا يمكن إيراد التصريح إلا على وجه واحد إذ ليس له إلا عبارة واحدة.

والخامس: أن صريح النهي داع إلى الإعتداء، ولذلك اللوم إغراء قال الشاعر:

دع اللوم إن اللوم يغري وإنما ... أراد صلاحاً من يلوم فافسدا

الاصرار إذ قال ﷺ وهو مرشد كل معلم: «لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه إلا وفيه شيء» وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه، فما ذكرت القصة معك لتكون سمراً بل لتتنبه بها على سبيل العبرة، ولأن التعريض أيضاً يميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه، فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك مما لا يعزب عن فطنته.

(قال رسول الله ﷺ وهو مرشد لكل معلم) إذ به عرف طريق التعليم والإرشاد بنصحه لأمته وشفقته عليهم: (**«لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا نهينا عنه إلا وفيه شيء»**) ونص الذريعة: لو نهي الناس والباقي سواء. قال العراقي: لم أجده إلا من حديث الحسن مرسلاً وهو ضعيف. رواه ابن شاهين اهـ.

قلت: ووجدت بخط الداودي ما نصه: ولفظ ابن شاهين: «لو منع الناس فت الشوك لقالوا فيه الند». وفي المعنى حديث أبي حجيفة: «لو نهيتم أن تأتوا الحجون لأتيتموها» الحديث اهـ.

قلت: للسيوطي في الجامع الكبير «لو نهيت رجالاً أن يأتوا الحجون لأتوها وما لهم بها حاجة». أخرجه أبو نعيم عن عبدة بن حرب اهـ.

قلت: رواه الطبراني من رواية أبي إسحاق عن أبي حجيفة قال: كان رسول الله ﷺ قاعداً ذات يوم وقدامه قوم يصنعون شيئاً يكرهونه من كلامهم ولغطاً، فقيل يا رسول الله: ألا تنهاهم؟ فقال: «لو نهيتهم عن الحجون لأوشك أحدهم أن يأتيه وليست له حاجة». قال العراقي: ورجاله ثقات إلا أنه اختلف فيه على الأعمش، فقيل عنه عن أبي إسحاق هكذا، وقيل عن أبي إسحاق وعن عبدة السوائي. ورواه الطبراني أيضاً وعبدة السوائي مختلف في صحبته. (**وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه**) بقوله تعالى: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ [البقرة: ٣٥] وقول الشيطان: ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ [الأعراف: ٢٠] ومن هذه القصة يؤخذ حديث الحسن، ونص الذريعة: وكفى بذلك شهادة ما كان من أمر آدم وحواء في نهي الله تعالى إياهما عن أكل الشجرة اهـ.

(**فما ذكرت القصة معك لتكون سمراً**) أي يحكى بها في المسامرة، (**بل لتتنبه بها على سبيل العبرة**) أي الإعتبار. وفي الذريعة: سئل بعض الحكماء عن الفكرة والعبرة. فقال: الفكرة أن تجعل الغائب حاضراً والعبرة أن تجعل الحاضر غائباً، (**ولأن التعريض**) أي إفهامه المراد بالكناية (**أيضاً يميل النفوس الفاضلة**) هي المهذبة بالآداب الشرعية المجملة بالإفاضات الرحمانية (**والأذهان الذكية**) هي المصقلة بالأنوار المحفوفة بالأسرار (**إلى استنباط**) أي استخراج (**معانيه**) واستكشاف غوامضه المبهمة (**فيفيد فرح التفطن لمعناه**) والسرور بذلك أبداً (**رغبة في العمل به**) أي بمقتضاه (**ليعلم أن ذلك مما لا يعزب**) أي لا يغيب (**عن**

(الوظيفة الخامسة) : إن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه، ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير، وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول: ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن؟ فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره، وإن كان متكفلاً بعلوم، فينبغي أن يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة.

فطنته) الوقادة وقريحته المستجادة، وهذا الذي ذكره المصنف أحد وجوه أبلغيه التعريض على التصريح كما تقدم نقلاً عن الذريعة، وهذا كما قاله المصنف من دقائق هذه الصناعة والله الموفق للصواب.

الوظيفة الخامسة: من وظائف المعلم **(أن يعلم)** المعلم **(أن المتكفل)** أي الحامل والمشتغل **(ببعض العلوم)** أي بتحصيلها وإحاطتها بالمعرفة الصحيحة **(لا ينبغي أن يقبح في نفس المتعلم)** أي يرى قبيحاً مذموماً **(العلوم التي وراءه)** أي ما عداه **(كمعلم)** علم **(اللغة)** والمشتغل به **(إذ عادته تقبيح)** علم **(الفقه)** والازدراء بحال مشتغله، **(ومعلم)** علم **(الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير)** مع أنهما مأخذاه **(و)** يقول في أثناء ذلك: **(إن ذلك نقل محض)** . قال مالك، قال الشافعي، قال أبو حنيفة **(وسماع)** فلان عن فلان **(وهو شأن العجائز)** أين النسوة العاجزات عن كثير من الأمور **(و)** أن **(لا نظر)** ولا مجال **(للعقل فيه)** فالمشتغل بها معقول بعقال النقل لا يتجاوزه، **(ومعلم)** علم **(الكلام)** والجدل **(ينفر عن)** الإشتغال في **(الفقه)** وينهاه **(ويقول: ذلك فرع)** والكلام أصل والإشتغال بالأصل أولى من الفرع، **(و)** يقول أيضاً هو مع كونه فرعاً **(كلام في حيض النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن)** جل جلاله، وما يجب في حقه وما يستحيل، ثم أن تقبيح تلك الطوائف بعضهم بعضاً إنما يخرج مخرج الغالب، وقد يوفق الله من يتكلف ببعض العلوم ثم يعلي شأن علوم أخر ليس له بها اشتغال ولا ميل. **(فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين)** لا يكون المتصف بها مرشداً في الحقيقة، **(وينبغي أن يجتنب)** تلك الأخلاق حتى يكون تعليمه على الحق الرضي والنهج العدل السوي، **(بل المتكفل بعلم واحد)** أي علم كان **(ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعليم في غيره)** بأن يريه من يتعلم عليه، **(وإن كان)** بنفسه **(متكفلاً بعلوم)** كثيرة **(ينبغي أن يراعي التدريج)** والترتيب **(في ترقية المتعلم)** وتكميله **(من رتبه إلى رتبة)** فازدحام العلم في السمع مضلة الفهم ووجد هنا في بعض النسخ زيادة قوله **(والله أعلم)** أتى به للتبرك.

(الوظيفة السادسة): أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفره، أو يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر ﷺ حيث قال: « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم ». فليبث إليه

الوظيفة السادسة: من وظائف المعلم **(أن يقتصر)** المعلم **(بالمتعلم على قدر فهمه)** وذلك هو الجلي اللائق بحاله من تقريراته، **(فلا يلقي عليه ما لا يبلغه عقله)** ولا ينتهي إليه ولا يسعه لصعوبته ودقته **(فينفره)** فيكون ذلك سبباً لقطعه عن طريق العلم، **(أو يخبط عليه عقله)** فيقع في مقام الحيرة والذهول **(اقتداء في ذلك)** وإتباعاً **(بسيد البشر ﷺ حيث قال: « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازهم ونكلم الناس على قدر عقولهم »)** قال العراقي: رويناه في جزء من حديث أبي بكر بن الشخير من حديث ابن عمر أخصر منه. وعند أبي داود من حديث عائشة « انزلوا الناس منازلهم » اهـ.

فهما حديثان مقلان أوردهما المصنف في سياق واحد، وربما يوهم أنهما حديث واحد. وربما يوهم أنهما حديث واحد. قال الحافظ السخاوي في كتابه **(الجواهر والدرر في مناقب شيخه الحافظ ابن حجر)** بعد أن ساق لفظ المصنف ما لفظه ما وقفت عليه بهذا اللفظ في حديث واحد، بل الشق الأول في حديث عائشة كما سيأتي بيانه، والثاني رويناه في الجزء الثاني من حديث ابن الشخير من حديث ابن عمر مرفوعاً « أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس عى قدر عقولهم » اهـ.

أما حديث عائشة ففي الحلية لأبي نعيم من طريق ابن هشام الرفاعي، وفي جزء لأبي سعد الكنجرودي من طريق إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قالا: واللفظ لابن الشهيد يحي ابن يمان. عن الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب قال: جاء سائل إلى عائشة رضي الله عنها فأمرت له بكسرة، وجاء رجل ذو هيبة فاقعدته معها، فقيل لها: لم فعلت ذلك؟ قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم. قال الحافظ السخاوي: هذا حديث حسن أورده مسلم في مقدمة صحيحه بلا إسناد حيث قال: ويذكر عن عائشة الخ. فقال النووي نقلاً عن ابن الصلاح ما معناه: إن ذلك لا يقتضي الحكم له بالصحة نظراً لعدم الجزم في إيراده ويقتضيه نظراً لاحتجاجه بروايته لا يراده إيراد الأصول والشواهد اهـ.

قال السخاوي: لكن قد جزم الحاكم بتصحيحه في النوع السادس عشر من معرفة علوم الحديث له فقال: صحت الرواية عن عائشة وساقها بلا إسناد، وكذا صححه ابن خزيمة حيث أخرجه في كتاب السياسة من صحيحه، وكذا أخرجه البزار في مسنده كلاهما عن إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد. وأخرجه أبو داود في الأدب من سننه عن علي بن إسماعيل وابن أبي خلف ثلاثتهم عن ابن يمان به، ثم قال أبو داود: وميمون لم يدرك عائشة. وأخرجه أبو أحمد العسكري في كتاب الأمثال له عن عبد الوهاب بن عيسى وصالح بن أحمد فرقهما كلاهما عن

الحقيقة إذا علم انه يستقل بفهمها. وقال ﷺ: « ما أحد يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم ». وقال علي رضي الله عنه، وأشار إلى صدره: « إن ههنا لعلوماً جمة لو وجدت لها حملة » وصدق رضي الله عنه، فقلوب الابرار قبور

محمد بن يزيد الرفاعي هو أبو هشام. ورواه أبو يعلى في مسنده عن أبي هشام. ورواه البيهقي في الأدب من طريق أبي هريرة محمد بن أيوب الجبلي، عن يحي بن يمان بالمتن فقط.

قلت: ومن طريق أبي هريرة هذا أخرجه أبو نعيم في الحلية بسياق يأتي للمصنف نظيره في أثناء الكتاب يذكر هناك إن شاء الله تعالى. وقال البزار عقب تخريجه لهذا الحديث: ويروى عن عائشة من غير هذا الوجه موقوفاً. قال السخاوي: ويشير إلى ما رواه أبو أسامة بن زيد، عن عمر بن مخراق عن عائشة، لكن قد أخرجه الخطيب في المتفق والمفترق والجامع كلاهما له، والبيهقي في الشعب والطبراني كلهم من طريق أحمد بن راشد البجلي الكوفي، والبيهقي والطبراني أيضاً من طريق محمد بن عمار الموصلي، والبيهقي وحده من طريق مسروق بن المرزبان ثلاثتهم عن يحي بن يمان، عن الثوري، عن أسامة مرفوعاً. وقال الإمام أحمد: إن رواية عمر عن عائشة مرسلة، وكذا قال البيهقي في الشعب. وقال السخاوي عمر بن مخراق عن رجل عن عائشة مرسل روى عنه أسامة. وقال البيهقي في الأدب: وكان يحي رواه على الوجهين جميعاً.

قال السخاوي: وفي الباب عن معاذ وجابر رضي الله عنهما. فأما الأول فرواه الخرائطي في مكارم الأخلاق له من رواية عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ رضي الله عنه رفعه: « أنزل الناس منازلهم من الخير والشر وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة » ولا يصح إسناده.

وأما الثاني، فرويناه في جزء الفسوي بسند ضعيف ولفظه: « جالسوا الناس على قدر أحسابهم، وخالطوا الناس على قدر أديانهم، وأنزلوا الناس على قدر منازلهم، وداروا الناس بعقولكم ». وفي مسند الفردوس من حديث جابر « أنزلوا الناس على قدر مروءاتهم » **(فليبث)** أي يظهر **(إليه)** أي المتعلم **(الحقيقة إذا علم أنه يستقل فهمه لها)** أي يتحمله فهمه لمعرفتها.
(قال ﷺ: « ما أحد يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم ») قد تقدم هذا الحديث عند ذكر الصنف الثاني من الشطح. وقال العراقي: هناك ما لفظه: أخرجه العقيلي في الضعفاء، وابن السني، وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث ابن عباس باسناد ضعيف، ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفاً على ابن مسعود نحوه.

قلت: لفظ الحديث الذي تقدم في الباب الثالث « ما حدث أحدكم قوماً بحديث لا يفهمونه إلا كان فتنة عليهم » ولفظ حديث ابن عباس « ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان على بعضهم فتنة » **(وقال علي كرم الله وجهه)** في حديث طويل يأتي ذكره قريباً، ثم تنفس الصعداء **(وأشار إلى صدره)** الشريف وقال: هاه **(إن ههنا علوماً جمة)** أي كثيرة.

الأسرار، فلا ينبغي أن يفشي العالم كل ما يعلم إلى كل أحد. هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلاً للانتفاع به. فكيف فيما لا يفهمه؟ وقال عيسى عليه السلام: «لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير، فإن الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير». ولذلك قيل: كلْ لكل عبد بمعيار عقله وزِنْ له بميزان فهمه حتى تسلم

ونص القوت: علماً جماً (**لو وجدت لها حملة**) ونص القوت: لو أجد لها حملة أي من يحملها ويفهمها ويعمل بها، وهذا في زمانه مع كثرة العارفين ووفرة أنوارهم وإخلاصهم، ثم قال رضي الله عنه: بل أجد لَقِناً غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا، ويستطيل بنعم الله تعالى على أوليائه، ويستظهر بحججه على خلقه أو منقاداً لأهل الحق منزوع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له وليسا من وعاة الدين في شيء لا ذا ولا ذلك إلى آخر ما قال. (**وصدق عليه السلام**) في قوله هذا، (**فقلوب الأبرار قبور الأسرار**). وهذه الجملة رويت كذلك من جملة كلماته البديعة أي أن الأسرار المكتومة التي أفاض الله بها على قلوب عبيده الأبرار والمتقين الأخيار قد قبرت ودفنت في تلك الصدور لعدم حامليها، فدثرت لذلك من غير إفشائها، (**فلا ينبغي أن يفشي**) أي يظهر (**العالم كل ما يعلمه**) من معلوماته الى كل أحد. هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلاً للانتفاع به، فكيف (**فيما لا يفهمه**) هكذا في النسخ وفي بعضها: هذا إذا كان من يفهمه من المستقلين، ولم يكن أهلاً للانتفاع به، والباقي سواء وهو قريب من الأول وهذا الذي أورده المصنف منتزع من سياق عبارة القوت فإنه قال بعدما أورد من انقباض شيخه أبي الحسن بن سالم من الاجتماع ما لفظه: وقد كان أبو الحسن رحمه الله تعالى يخرج إلى أخوانه ممن يراه أهلاً لمكان علمه فيجلس إليهم ويذاكرهم، وربما أدخلهم إليه نهاراً أو ليلاً، ولعمري أن المذاكرة تكون بين النظراء والمحادثة مع الاخوان والجلوس للعلم يكون للأصحاب، والجواب عن المسائل نصيب العموم وكان عند أهل هذا العلم أن علمهم مخصوص لا يصلح إلا للخصوص والخصوص قليل فلم يكونوا ينطقون به إلا عند أهله، ويرون أن ذلك من حقه وأنه واجب عليه كما وصفهم علي رضي الله عنه في قوله: حتى يودعوه أمثالهم ويزرعوه في قلوب أشكالهم، وكذلك جاءت الآثار بذلك عن نبينا ﷺ. (**وقال عيس**) ونص القوت: وفي حديث عيس (**عليه السلام: «لا تعلقوا الجواهر**) ونص القوت: الجوهر (**في أعناق الخنازير فإن الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير»**)، ونص القوت: من الخنزير، وهكذا هو في نسخة أيضاً.

وأخرج الخطيب عن كعب قال: اطلبوا العلم لله وتواضعوا له ثم ضعوه في أهله، فإنه قال بعض الأنبياء: لا تلقوا دركم في أفواه الخنازير يريعني بالدر العلم، كذا في اللآلئ المصنوعة للسيوطي، وأورد صاحب القوت هنا قولاً آخر لسيدنا عيسى عليه السلام وهو: لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها الخ. قد تقدم ذكره للمصنف عند الصنف الثاني من الشطح مع ذكر أحاديث أخر مناسبة للمقام. وذكر صاحب القوت عن أبي عمران المكي أنه رأى النبي

منه وينتفع بك ، وإلاّ وقع الإنكار لتفاوت المعيار ، وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل : أما سمعت رسول الله ﷺ قال : « من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار » ؟ فقال : اترك اللجام واذهب ، فإن جاء من يفقه وكتمته فليلجمني فقد قال الله تعالى : ﴿ولا تـؤتـوا السفهـاء أمـوالكـم﴾ [النسـاء : ٥] تنبيهـاً على أن حفـظ العلم

ﷺ في المنام فسمعه يقول: « إن لكل شيء عند الله حرمة ومن أعظم الأشياء حرمة الحكمة فمن وضعها في غير أهلها طالبه الله بحقها ومن طالبه خصمه ». وقد سبق شيء من ذلك وذكر أيضاً بعد نقله قول سيدنا عيسى المتقدم ذكره ما لفظه. وكان بعض هذه الطائفة يقول نصف هذا العلم سكوت ونصفه تدري أين تصنع. وقد قال بعض العارفين: من كلم الناس مبلغ علمه وبمقدار عقله ولم يخاطبهم بمقدار حدودهم فقد بخسهم حقهم ولم يقض بحق الله تعالى فيهم، ثم إن المراد بالجوهر في قول سيدنا عيسى عليه السلام علم الباطن، وقد أخرج الخطيب في تاريخه من طريق يحي بن عقبة بن أبي الغرار، عن محمد بن جحادة، عن أنس رفعه: « لا تعلقوا الدر في أعناق الخنازير » وفي لفظ « لا تطرحوا الدر في أفواه الكلاب » يعني العلم ويحي ضعيف. وله متابع عند الخليلي في الإرشاد من طريق شعبة العياب عن محمد بن جحادة عن أنس ولفظه: « لا تطرحوا الدر في أفواه الخنازير » يريعني العلم. وعند ابن ماجه « وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر والدر والذهب ». **(ولهذا قيل)** ونص القوت وكان يحي بن معاذ يقول: اغرف لكل واحد من نهرك واسقه بكأسه، ونحن نقول بمعناه **(كل لكل عبد بمعيار عقله، وزن له بميزان علمه)** وفي بعض النسخ: بميزان فهمه **(حتى تسلم منه وينتفع بك وإلا وقع الإنكار لتفاوت المعيار)** هذا كله نص القوت، وعلم بذلك أن المراد بهذا القائل هو صاحب القوت، لأنه قال: ونحن نقول بمعناه أي معنى قول يحي بن معاذ الرازي أحد العارفين الأكابر وإليه يشير قول الحريري صاحب المقامات:

وكلـت للخـل كما كـال لي ... على وفـاء الكيـل أو بخسـه
ولم أخسـره وشـر الـورى ... مـن يـومـه أخسر مـن أمسـه

وفي القوت **(سئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب)** عنه، **(فقال السائل: أما سمعت رسول الله ﷺ قال)** أي أما بلغك قوله: **(« من كتم علماً نافعاً جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار » فقال)** في جوابه **(اترك اللجام واذهب فإن جاء من يفقه)** وفي نسخة: يفهمه ثم سألني **(وكتمته فليلجمني)** . فإن إيداع الأسرار لا يكون إلا لمن تلقن بفهم ثم انتفع به، **(فقد قال الله عز وجل)** في كتابه العزيز ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ [النساء : ٥] التي جعل الله لكم قياماً ، والسفيه من لا يعرف رشده فلا يمكن بالأموال فإنه يتصرف فيها بالتبذير وسوء التدبير ، فإذا كانت الأموال وهي عوار ظاهرة منعت عن تمكن السفهاء فيها فالعلوم الإلهية التي من عمل الباطن بطريق الأولى، ومن هنا ظهر أن السائل إنما سأله عن دقيقة من دقائق

الحقيقة ولما لم يجده أهلاً لتحملها قال ما قال، ثم رأيت هذا الفصل برمته في كتاب الذريعة للراغب الأصبهاني، وفيه فوائد زوائد، والمنصف إنما انتزعه من كتاب القوت ولا بأس أن نلم بكلام الذريعة فإن سياقه أتم من سياق القوت. قال: واجب على الحكيم والعالم النحرير أن يقتدي بالنبي ﷺ فيما قال: « إنا معاشر الأنبياء » فذكر الحديث وأن يتصور ما قاله علي للكميل بن زياد وأومأ بيده إلى صدره، فذكره، وروى هو عن النبي ﷺ « كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون » إلى آخر الحديث. وقال ﷺ « ما أحد يحدث قوماً الخ. وقال عيسى عليه السلام: لا تضعوا الحكمة الخ. وقيل: تصفح طلاب علمك كما تتصفح طلاب حرمك، وبهذا ألم أبو تمام:

وما أنا بالغيران من دون جارتي ... إذا أنا لم أصبح غيوراً على العلم

وقيل لبعض الحكماء: ما بالك لا تطلع كل أحد على حكمة يطلبها منك؟ فقال: اقتداء بالباري عز وجل حيث قال ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾ [الأنفال: ٢٣] فبين أنه منعهم لما لم يكن فيهم خير وبين أن في أسماعهم ذلك مفسدة لهم، وسأل جاهل حكيماً مسألة من الحقائق، فأعرض عنه ولم يجبه، فقال: أما سمعت قول النبي ﷺ: « من كتم علماً » الخ فقال: نعم. سمعته اترك اللجام هنا واذهب فإذا جاء من ينفعه ذلك وكتمته فليلجمني به. وقال بعض الحكماء في قوله عز وجل: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ [النساء: ٥] الآية أنه نبه به على هذا المعنى، وذلك أنه لما منعنا عن تمكين السفيه من المال الذي هو عارض حاضر يأكل منه البر والفاجر تعادياً أنه ربما يؤديه إلى الهلاك الدنيوي، فكان يمنع من تمكينه من حقائق العلوم الذي إذا تناوله السفيه أداه إلى ضلال وإضلال وهلاك وإهلاك أولى فإنه:

إذا ما اقتنى العلم ذو شره ... تضاعف ما ذم من مخبره
وصادف من علمه قوة ... يصول بها الشر من جوهره

وكما أنه واجب على الحكام إذا وجدوا من السفهاء رشداً أن يدفعوا إليهم أموالهم، فواجب على الحكماء إذا وجدوا من المسترشدين قبولاً أن يدفعوا إليهم العلوم بقدر استحقاقهم، فالعلم قنية يتوصل بها الى الحياة الأخروية، كما أن المال قنية في المعاونة على الحياة الدنيوية اهـ.)

والحديث قال العراقي: أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد، فلفظه عند السيوطي في الجامع الكبير. « من كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ».

وأما حديث أبي هريرة الذي تقدم فلفظه: « من علم علماً فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححه. وقال الترمذي: حديث حسن، وقد تقدم الكلام عليه في أول الكتاب، وقد أخرجه أيضاً ابن النجار في تاريخه عن عبدالله بن عمرو بهذا اللفظ والإسناد مصريون. وفي الباب عن جابر وابن مسعود وابن

ممن يفسده ويضره أولى، وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق (شعر):

أأنثر دراً بين سارحة النعم | فأصبح مخزوناً براعية الغنم
لأنهم أمسوا بجهل لقدره | فلا أنا أضحى أن أطوّقه البهم
فإن لطف الله اللطيف بلطفه | وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم
نشرت مفيداً واستفدت مودة | وإلاّ فمخزون لديّ ومكتتم
فمن منح الجهال علماً أضاعه | ومن منع المستوجبين فقد ظلم

(الوظيفة السابعة): أن المتعلم القاصر ينبغي أن يلقي إليه الجلي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه، فإن ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوّش عليه قلبه ويوهم إليه البخل به عنه، إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق. فما من

عباس وأنس تقدم بيان ألفاظهم في أول الكتاب عند ذكر حديث أبي هريرة فليراجع، وفي لفظ ابن مسعود: «من كتم علماً عن أهله» وتنكير علم في حيز الشرط يوهم شمول العلوم لكل علم حتى غير الشرعي وفي رواية ابن ماجه تقييده بنافع وخصه بعضهم بالشرعي، والمراد به ما أخذ من الشرع أو توقف هو عليه توقف وجود أو كمال، والحديث نص في تحريم الكتم وخصه آخرون بما يلزمه تعليمه وتعين عليه، **(فنبه على أن حفظ العلم)** وصيانته **(ممن يفسده)** أي يفسد حاله **(ويضره)** لعدم استئهاله له **(أولى)**، بل واجب دل على ذلك قوله في بعض الروايات المتقدمة عن أهله **(وليس الظلم في إعطاء غير المستحق بأولى)**. وفي بعض النسخ: بأقل **(من الظلم في منع المستحق)** ولله در القائل:

فمن منح الجهال علماً أضاعه | ومن منع المستوجبين فقد ظلم

قال المناوي: وجعل بعضهم حبس كتب العلم من صور الكتم سيما أن عزت نسخة، وأخرج البيهقي عن الزهري: إياك وغلول الكتب. قيل: وما غلولها؟ قال: حبسها اهـ.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية حماد بن عبدالله قال: سمعت الشعبي يقول: لا تمنعوا العلم أهله فتأثموا ولا تحدثوا غير أهله فتأثموا.

(الوظيفة السابعة): من وظائف المعلم **(أن المتعلم القاصر)** فهمه **(ينبغي)** للمعلم **(أن يلقى إليه الجلي)** الواضح المبين **(اللائق به)** اي بحاله وحال امثاله، ويكتفي بما ألقاه إليه **(ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقاً)** وتحقيقاً غير ما ذكره **(و)** يوهمه في مطاوي كلامه **(أنه يدخره)** ويكتمه **(عنه)** لعدم تأهله بحمله، **(فإن ذلك يفتر)** أي يسكن **(رغبته في)** ما هو **(الجلي ويشوش قلبه)** ويصرف همته **(ويوهم إليه البخل به)** أي: إنما ادخره عنه ضناً به وبخلاً عليه **(إذ يظن كل أحد)** في نفسه **(أنه أهل كل علم دقيق)**، ولو كان في الحقيقة

أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله، وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلاً هو أفرحهم بكمال عقله. وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سيرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك، فلا ينبغي أن يشوّش عليه اعتقاده، بل ينبغي أن يُخلّى وحرفته، فإنه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص، فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطاناً مريداً يهلك نفسه وغيره. بل لا ينبغي أن يخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة، بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة

قاصر الفهم (**فما من أحد إلا وهو راض عن الله عز وجل في كمال عقله**) قد أقامه الله على ذلك، ولولا ذلك لفسد نظام الكون. (**وأشدهم حماقة**) أي فساداً في العقل (**وأضعفهم**) وفي نسخة: وأصغرهم (**عقلاً هو أفرحهم**) أشدهم فرحاً (**بكمال عقله**) وتصويب رأيه (**وبهذا يعلم**) هذه العبارة منتزعة من كتاب الذريعة للراغب قال: وإذا ثبت ذلك وجب (**أن يكون من تقيد من العوام**)، ولفظ الذريعة: من العامة (**بقيد الشرع**) بحسب حاله (**ورسخ**) أي ثبت (**في نفسه**) اعتقاد (**العقائد المأثورة**) المنقولة (**عن السلف**) الصالحين (**من غير تشبيه**) فيه بما لا يليق ولا تعطيل (**ومن غير تأويل**) لظاهر ما ورد (**وحسن مع ذلك سيرته**) وطريقته (**ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك**) لقصوره، (**فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده**) فإن ذلك موجب لحرمانه، (**بل ينبغي أن يُخلّى**) أي يترك (**وحرفته**) أي صنعته التي هو فيها وطريقته التي هو سالكها، (**فإنه لو ذكر له تأويلات الظواهر**) وما اختلف فيها بالدلائل والبراهين (**انحل عنه عقد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص**) فبقي مذبذباً بين هؤلاء وهؤلاء، (**فيرتفع عنه الستر**) وفي نسخة: السد (**الذي بينه وبين المعاصي**) فيرتكبها متهاوناً بها فيقع في محظور (**وينقلب**) في أفعاله (**شيطاناً مريداً**) متمرداً، وحينئذ (**يهلك نفسه**) بما يصدر منه من المخالفات (**و**) يهلك (**غيره**) لأنهم يرونه فيقتدون به فيهلكون، (**بل لا ينبغي أن يخاض**) أي يفاوض (**بالعوام في حقائق العلوم الدقيقة**) مداركها، وهذا مشاهد في عوام الصوفية إذ يسمعون من مشايخهم بعض كلمات دقيقة في علم الحقيقة فيتمشدقون بها فيهلكون ويهلكون، (**بل يقتصر معهم**) الخائض (**على تعليم العبادات**) الدينية كالصلاة والصوم والحج والزكاة ومتعلقات كل ذلك من غير تدقيق في مسائلها ولا اختلاف في نقولها، (**و**) بعد ذلك يفاوضهم (**في تعليم الأمانة**) خاصة (**في الصناعة التي هو بصددها**) ليكون ذلك أوقع في قلوبهم وأنفع بحسب ما هم فيه، (**و**) في أثناء ذلك (**يملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة بالجنة والنار**) أي بذكر كل منهما بما فيهما من النعيم المقيم الأبدي والعقاب الأليم السرمدي، (**بما نطق به القرآن**) وصرحت به الأحاديث

والرهبة في الجنة والنار، كما نطق به القرآن. ولا يحرك عليهم شبهة، فإنه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك، وبالجملة؛ لا ينبغي أن يفتح للعوام باب البحث فإنه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص.

(الوظيفة الثامنة): أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله، لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار، وأرباب الأبصار أكثر. فإذا خالف العمل

والآثار ممزوجة بأقاويل السادة الأخيار، **(ولا يحرك عليه شبهة)** أي لا يفتح عليه في خلال ذلك باب شبهة ورد وإشكال، **(فإنه ربما تعلقت الشبهة بقلبه)** لخلوه **(ويعسر عليه حلها)** والجواب عنها، **(فيهلك)** أي فيكون سبباً لهلاكه **(ويشقى)** أي سبباً لشفاوته. **(وبالجملة لا ينبغي أن يفتح للعوام)** عامة **(باب البحث)** والجدال **(فإنه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق)** ونظامهم **(و)** بها **(دوام عيش الخواص)** لافتقارهم ضرورة إلى تلك الصناعات، وعبارة الذريعة وجب على من تقيد بقيد العامة أن لا يصرف عما هو بصدده فيؤدي ذلك إلى انحلاله عن قيده، ثم لا يمكن أن يقيد بقيد الخواص فيرتفع السد الذي بينه وبين الشرور، ومن اشتغل بعمارة الأرض من بين تجارة أو مهنة فحقه أن يقتصر به من العلم على مقدار ما يحتاج إليه من هو في مرتبته في عبادة الله المعافية، وأن يملأ نفسه من الرهبة والرغبة الوارد بهما القرآن، ولا يولد له الشبه والشكوك وإن اتفق اضطراب نفس بعضهم إما بانبعاث شبهة تولدت أو ولدها ذو بدعة دفع إليه، فتاقت نفسه الى معرفة حقيقتها فحقه أن يختبره، فإن وجده ذا طبع للعلم موافق وفهم ثاقب وقصد صائب خلي بينه وبين التعلم وسوعد عليه بما يوجد من السبيل إليه، فإن وجد شر يراً في طبعه أو ناقصاً في فهمه منع أشد المنع، ففي اشتغاله بما لا سبيل له إلى إدراكه مفسدتان تعطله عما يعود بنفع إلى العباد والبلاد، واشتغاله بما تنتشر منه شبهة وليس فيه نفعة. وكان بعض الأمم السالفة إذا ترشح أحدهم ليتخصص بمعرفة الحكم وحقائق العلوم والخروج من جملة العامة الى الخاصة اختبره، فإن لم يوجد خيراً في الخلق أو غير متهيئ للعلم منعه أشد المنع، فإن وجده كذلك شورط أن يقيد قيداً في دار الحكمة ويمنع أن يخرج حتى يحصل له العلم أو يأتي عليه الموت، ويزعمون أن من شرع في حقائق العلوم ثم لم يفرغ منها تولدت له الشبه وكثرت، فيصير ضالاً مضلاً فيعظم على الناس ضرره وبهذا النظر تعوذ بالله من نصف متكلم.

(الوظيفة الثامنة): من وظائف المعلم **(أن يكون المعلم)** بنفسه **(عاملاً بعلمه)** ظاهراً أثر ذلك على جوارحه، **(فلا يكذب قوله فعله)**، ولا يخالف باطنه ظاهره **(لأن العلم)** نور إلهي **(يدرك بالبصائر)** وهو محجوب عن الإحساس، **(والعمل)** شغل الجوارح وهو **(يدرك)** ظاهراً **(بالأبصار، وأرباب الأبصار)** المشاهدون بإحساساتهم **(أكثر)** من أرباب البصائر، **(فإذا خالف العمل العلم)** ولو في بعض الجزئيات **(منع الرشد)** في نفسه والإرشاد لغيره لا محالة. ونص الذريعة: والواعظ ما لم يكن مع مقاله فعاله لا ينتفع به، وذلك أن عمله

العلم منع الرشد، وكل من تناول شيئاً وقال للناس: لا تتناولوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه، فيقولون: لولا أنه أطيب الأشياء وألذها لما كان يستأثر به، ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود، فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج؟ ولذلك قيل في المعنى:

يدرك بالبصر وعلمه يدرك بالبصيرة، وأكثر الناس أصحاب الأبصار دون البصائر، فيجب أن تكون عنايته بإظهار عمله الذي يدركه جماعتهم أكثر من عنايته بالعلم الذي لا يدرك إلا بالبصيرة اهـ.

(**ومن**) المعلوم (**كل من تناول شيئاً**) وتعاطاه واختاره لنفسه (**وقال للناس لا تتناولوه**) ولا تقربوا منه (**فإنه سم مهلك**) يضرّ بآخرتكم أو دنياكم (**سخر الناس به**) استهزأوا به (**واتهموه**) في دينه وعلمه وورعه (**وزاد حرصهم عليه**) أي: على تناول المنهي عنه، وكذلك بالعكس إذا نهي عن شيء ثم ارتكبه وهذا أصل أصيل في إرشاد الطالبين وتسليك المبتدئين، ولا سيما في الوعظ ومجالس العامة، فإن الائتمار بما سيأمره لهم أولاً والانصباغ به أوقع في قلوب السامعين وأقرب إلى أذهان الراغبين، ولذلك كان بعض الوعاظ لا يذكر لهم في فضائل العتق حتى أمكنه الله من شراء رقيق فأعتقه فذكر لهم فضل من أعتق لله تعالى حتى يكون له تأثير في قلوبهم، ومن لم يكابد الليل وسهره وقيامه فكيف يسمع منه فضل من قامه وأحياه؟ ومتى اختار لنفسه وصفاً ونهاهم عن ارتكابه يعجبون (**فيقولون لولا أنه أعظم الأشياء وألذها**) عنده (**لما كان يستأثر به**) ويختص لنفسه. ونص الذريعة. ومنزلة الواعظ من الموعوظ منزلة المداوي من المداوى، فكما أن الطبيب إذا قال للناس: لا تأكلوا هذا فإنه سم ثم رأوه آكلاً له عد سخرية وهزواً، كذلك الواعظ إذا أمر بما لا يعمله، وبهذا النظر قيل يا طبيب طب نفسك، (و) إنما (**مثل المعلم المرشد من**) المتعلم (**المسترشد مثل النقش من الطين**) الذي يبنى به الجدار ونحوه، (و) مثل (**العود**) أي عود الشجرة (**من الظل وكيف ينقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج فإذا اعوج العود اعوج الظل**) وفي الذريعة: وأيضاً فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى الطابع من المطبوع، فكما أنه محال أن ينطبع الطين على الطابع بما ليس منتقشاً به، كذلك محال أن يحصل في نفس الموعوظ ما ليس بموجود من الواعظ، فإذا لم يكن الواعظ إلا ذا قول مجرد من الفعل لم يتلق عنه الموعوظ إلا القول دون الفعل، وأيضاً، فإن الواعظ يجري مجرى الظل من ذي الظل، وكما أنه محال أن يعوج ذا الظل والظل مستقيم كذلك محال أن يعوج الواعظ ويستقيم الموعوظ اهـ.

وقال ابن السمعاني: قرأت في كتاب كتبه الغزالي إلى أبي حامد أحمد بن سلامة بالموصل فقال في خلال فصوله: أما الوعظ فلست أرى نفسي أهلاً له لأن الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ، فمن لا

لا تنه عـن خُلُـق وتـأتي مثلـه   عـار عليـك إذ فعلـت عظيم

وقال الله تعالى: ﴿أتأمرون النَّاس بالبرِّ وتَنْسَوْن أنفسكم﴾ [البقرة: ٤٤]، ولذلك كان وزر العالم في معاصيه أكبر من وزر الجاهل، إذ يزل بزلته عالم كثير ويقتـدون به. ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها. ولذلك قال علي رضي الله عنه: قصم ظهـري

نصاب له كيف يخرج الزكاة، وفاقد النور كيف يستنير به غيره، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج إلى آخر ما ذكر. وقد ذكر في خلال فصول المقدمة وسيأتي شيء من ذلك في الباب السادس، ولا يخفى أن هذا وما في الذريعة في مورد الوعظ. وقاس المنصف عليه التعليم والإرشاد لقرب منزلتها وقوله: متى يستقيم الخ مصراع بيت كاملٍ جرى مجرى الأمثال المشهورة المفيدة **(ولذلك قيل في المعنى)**:

لا تنـه عـن خلُقـق وتـأتي مثلـه   عـار عليـك إذا فعلـت عظيم

وقال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿أتأمرون الناس بالبر) قال البيضاوي: تقرير مع توبيخ وتعجيب، والبر يتناول كل خير **(وتنسون أنفسكم)** وتتركونها. قال ابن عباس: نزلت في أحبار المدينة كانوا يأمرون سراً من نصحوه باتباع محمد ﷺ ولا يتبعونه، وأنتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله **(وأنتم تعلمون)** أي تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد ومخالفة القول العمل، ومثله في قوله عز وجل بذم الشعراء فقال ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾) [الشعراء: ٢٢٦] وكذلك قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون★ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [الصف: ٢، ٣] وأخرج عبد بن حميد عن أبي خالد الوالي قال: جلسنا عند خباب ابن الأرت فسكتنا فقلنا: ألا تحدثنا فإنما جلسنا إليك لذلك؟ فقال: أتأمرون أن أقول ما لا أفعل **(ولذلك كان وزر العالم)** بكسر اللام **(في معاصيه)** إذا ارتكبها **(أكثر)** من وزر الجاهل لما سيأتي من قول أبي الدرداء رضي الله عنه: ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات. **(إذ يزل بزلته عالم فيقتدون به)** مقرين عليه، ومنه زلة العالم زلة العالم وفي العالم والعالم جناس كامل، **(و)** قد ورد **(من سَنَّ)** في الإسلام **(سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها)** وهي قطعة من حديث وتمامه: «من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً أخرجه الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه من طرق، والدارمي، وأبو عوانة، وابن حبان كلهم عن جرير، وأوله: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً» وفي الباب عن حذيفة وأبي جحيفة وأبي هريرة وواثلة رضي الله عنهم، وقد تقدم في خطبة هذا الشرح إيماء إلى ذلك فراجعه، ولم يذكره الحافظ العراقي في تخريجه، وكأنه لعدم ذكر المنصف في أوله قال رسول الله ﷺ بل ساقه مساق كلامه وإلا فلا يخفى مثل ذلك عليه، وقد ساق صاحب الذريعة هذا السياق وفيه زيادة لم يذكرها المنصف فقال: وأيضاً فكل شيء له حالة يختص بها، فإنه يجر غيره إلى نفسه بقدر وسعه بإرادة

رجلان. عالم متهتك وجاهل متنسك، فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه. والله أعلم.

منه أو غير إرادة كالماء الذي يحيل ما يتلقاه من العناصر إلى نفسه بقدر وسعه، وكذلك النار والأرض والهواء، فالواعظ إذا كان غادياً جر بفيه غيره إلى نفسه، فمن ترشح للو ظ ثم فعل فعلاً قبيحاً اقتدى به غيره، فقد جمع وزره ووزرهم، كما قال عليه السلام «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» وقال تعالى: ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم﴾ [النحل: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم﴾ [العنكبوت: ١٣] الآية اهـ.

(ولذلك قال علي رضي الله عنه: قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بنسكه، والعالم ينفرهم بتهتكه) هذا الأثر لم أجده في الحلية بلفظه. وفي القوت: وروينا عن علي رضي الله عنه: ما قطع ظهري في الإسلام إلا رجلان عالم فاجر ومبتدع ناسك، فالعالم الفاجر يزهد الناس في علمه لما يرون من فجوره، والمبتدع الناسك يرغب الناس في بدعته لما يرون نسكه اهـ.

ونص الذريعة حق الواعظ أن يتعظ ثم يعظ، ويبصر ثم يبصر، ويهتدي ثم يهدي ولا يكون دفتراً يفيد ولايستفيد، ومسنا يشحذ ولا يقطع، بل يكون كالشمس التي تفيد القمر الضوء ولها أفضل مما تفيده، وكالنار التي تحمي الحديد ولها من الحمو أكثر مما تفيد، ويجب أن لا يخدج مقاله بفعاله ولا يكذب لسانه بحاله، فيكون ممن وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله﴾ [البقرة: ٢٠٤] الآية ونحو ما قال علي رضي الله عنه: **قصم ظهري** فساقه الخ ولكن بتقديم الجاهل على العالم والباقي سواء.

الباب السادس

في آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء

قد ذكرنا ما ورد من فضائل العلم والعلماء، وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذاباً يوم القيامة. فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة، ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها، قال ﷺ: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه». وعنه ﷺ أنه قال: «لا يكون

الباب السادس

في آفات العلم:

والعلماء (**وبيان علامات**) فارقة بين (**علماء الآخرة و**) بين (**العلماء السوء**) وهم علماء الدنيا.

فاعلم أنه (**قد ذكرنا**) فيما سبق بعض (**ما ورد**) في الآيات والأحاديث والآثار (**في فضائل العلم والعلماء**) بالله بما فيه مقنع للطالب المجد، (**و**) الآن عن لنا أن نذكر شيئاً مما يتعلق بعلماء الدنيا، فاعلم أنه (**قد ورد في**) حق (**العلماء السوء تشديدات**) وتهديدات (**عظيمة**) في الآيات والأحاديث والآثار (**دلت على أنهم أشد الخلق عذاباً يوم القيامة**) كما سيأتي بيانه. (**فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة الفارقة**) المميزة (**بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة**) ليكون السامع لما يتلى عليه من ذلك على بصيرة تامة، فلا يحمل ما ورد في علماء الآخرة من الفضائل على علماء الدنيا، (**ونعني بعلماء الدنيا علماء السوء**) وصفهم بذلك لخسة منزلتهم عند الله تعالى ودناءة همتهم حيث استعملوا ما به يمدح فيما يذم، وهم (**الذين قصدهم من**) تحصيل (**العلم التنعم بالدنيا**) والترفه بزخارفها بتزيين المنازل بالفرش الطيبة وتعليق الستور عليها وتزيين الملابس الفاخرة والتجمل بالمراتب الفارهة (**والتوصل**) بذلك (**إلى الجاه والمنزلة**) الرفيعة (**عند أهلها**) أي الدنيا.

(**قال ﷺ: «إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»**) قد تقدم في خطبة الكتاب الكلام على تخريج هذا الحديث، وأنه رواه أبو هريرة رضي الله عنه وما يتعلق به من المعنى، وهو أول حديث ذكره في الخطبة وقد كرره في ثلاثة مواضع هذا ثالثها. (**ويروى**

المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً ». وقال ﷺ: « العلم علمان: علم على اللسان، فذلك حجة الله تعالى على خلقه، وعلم في القلب فذلك العلم النافع ». وقال ﷺ: « يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق ». وقال ﷺ: « لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء

عنه ﷺ: « لا يكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً ») قال العراقي في التخريج الكبير: لم أجده مرفوعاً. ورواه ابن حبان في كتاب روضة العقلاء والبيهقي في المدخل موقوفاً على أبي الدرداء بزيادة في أوله إنك لن تكون عالماً حتى تكون متعلماً ولن تكون عالماً حتى تكون لما علمت عاملاً اللفظ للبيهقي وفيه انقطاع اهـ.

قلت: وأخرج الخطيب في كتاب الاقتضاء من رواية هشام الدستوائي، عن برد، عن سليمان قاضي عمر بن عبد العزيز قال، قال أبو الدرداء: « لا تكون عالماً حتى تكون متعلماً، ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملاً » وأما ما عزاه العراقي لابن حبان والبيهقي، فقد أخرجه الخطيب في الكتاب المذكور من رواية وكيع عن جعفر بن برقان، عن فرات بن سلمان، عن أبي الدرداء.

(وقال ﷺ: « العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله عز وجل على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع ») أورده صاحب القوت في خلال كلامه فقال: روينا عن الحسن البصري، يروى عن رسول الله ﷺ قال: « العلم علمان فعلم باطن في القلب فذاك هو النافع وعلم ظاهر على اللسان فذلك حجة الله على خلقه » اهـ.

وقد رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم من رواية قتادة عن أنس رفعه: « العلم علمان فعلم ثابت في القلب فذلك العلم النافع، وعلم في اللسان فذلك حجة الله على عباده » وفي إسناده أبو الصلت الهروي اسمه عبد السلام بن صالح اتهمه الدارقطني بالوضع، وبنحو هذا أخرجه الخطيب في تاريخه باسناد جيد من رواية الحسن عن جابر رفعه، وأعله ابن الجوزي برواية يحي بن اليمان. قال أحمد: ليس بحجة، ولكن قال العراقي في تخريجه: احتج به مسلم. وقال يحي بن معين: ثقة. وقال ابن المديني: صدوق. قال العراقي: وقد جاء من حديث الحسن مرسلاً دون ذكر جابر باسناد صحيح رواه الحكيم الترمذي في النوادر، وابن عبد البر في العلم من رواية هشام عن الحسن، عن النبي ﷺ.

قلت: وكذلك ابن أبي شيبة في المصنف قال: وفي الباب عن علي، وعائشة رضي الله عنها.

(وقال ﷺ: « يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق ») هكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية يوسف بن عطية، عن ثابت، عن أنس رفعه، ثم قال: هذا حديث ثابت لم نكتبه إلا من حديث يوسف بن عطية، عن ثابت وهو قاض بصري في حديثه نكارة اهـ.

وأخرجه كذلك من طريقه الحاكم في الرقاق من المستدرك، وابن عدي في الكامل ولفظهما « وعلماء فسقة » وابن النجار في تاريخه كما في الكبير للسيوطي ولفظه: « وقراء فسقة ». وقال الحاكم: صحيح، وشنع عليه الذهبي والعراقي. قال الأول: يوسف بن عطية الصفار هالك، وقال

ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار».

الثاني: مجمع على ضعفه. وفي الميزان عن البخاري منكر الحديث، وساق له هذا الخبر، وفي الديوان قال أبو زرعة، والدارقطني: ضعيف. ورواه البيهقي في الشعب من هذا الوجه، وقال: يوسف كثير المناكير، ومن شواهده ما أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر من رواية أبان عن أنس رفعه: «يكون في آخر الزمان ديوان القراء فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم وهو الانتنون». وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق سليان التيمي، عن أبي عثمان النهدي عن أسامة رفعه إلاّ أنه قال: ذئبان القراء بدل ديوان. وقال: غريب من حديث سليان أفادناه الدارقطني الحافظ، ونقل القرطبي عن مكحول: «يأتي على الناس زمان يكون عالمهم أنتن من جيفة حمار» وأخرج الخطيب، عن أبي هريرة «يكون في آخر الزمان أمراء ظلمة ووزراء فسقة وقضاة خونة وفقهاء كذبة فمن أدركهم فلا يكوننن لهم عريفاً ولا جابياً ولا خازناً ولا شرطياً.

(وقال ﷺ: «لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء وتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار») . أخرجه ابن ماجه من رواية بشير بن ميمون، عن أشعث بن سوار، عن ابن سيرين، عن حذيفة رضي الله عنه رفعه ولفظه: «لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء أو لتماروا به السفهاء أو لتصرفوا والباقي سواء». قال العراقي: وبشير ابن ميمون الخراساني متهم بالوضع قال البخاري، وأشعث بن سوار مختلف فيه، ولكن أخرج ابن ماجه أيضاً من رواية ابن جريج عن أبي الزبير، عن جابر رفعه: «لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا لتجترؤا به في المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار» قال العراقي: واسناده على شرط مسلم.

قلت: وأخرجه كذلك الحاكم، وابن حبان، والضياء المقدسي في المختارة، وبه يتقوى حديث حذيفة السابق. قال العراقي: وفي الباب عن عبدالله بن عمرو، وكعب بن مالك، وأبي هريرة، ومعاذ، وأنس، وأم سلمة رضي الله عنهم.

فحديث ابن عمر رواه ابن ماجه من رواية أبي كرب الازدي عن نافع عنه رفعه: «من طلب العلم ليماري به االسفهاء أو ليباهي به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار» وأبو كرب مجهول وروى الترمذي من حديث خالد بن دريك، عن ابن عمر رفعه: «من تعلم علماً لغير الله وأراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار» وإسناده جيد.

وأما حديث كعب بن مالك، فرواه الترمذي من رواية إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيدالله قال: حدثني ابن كعب بن مالك عن أبيه رفعه: «من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار». وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. واسحاق بن يحيى تكلم فيه من قبل حفظه.

قلت: وأخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة، والطبراني في هذا الطريق ولفظها «من طلب العلم

....

لإحدى ثلاث ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار ».

وأما حديث أبي هريرة، فرواه ابن ماجه أيضاً من رواية عباد بن سعيد المقبري، عن جده عنه رفعه: « من تعلم العلم ليباهي به العلماء ويباري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم ». وعباد بن سعيد المقبري ضعيف قاله العراقي.

وأما حديث معاذ، فرواه الطبراني من رواية شهر بن حوشب، عن عبدالرحمن بن غنم عنه رفعه: « من طلب العلم ليباهي به العلماء ويباري به السفهاء في المجالس لم يرح رائحة الجنة ». وشهر بن حوشب مختلف فيه.

وأما حديث أنس، فرواه أبو بكر البزار، والطبراني في الأوسط من رواية سليمان بن زياد بن عبدالله: حدثنا سفيان أبو معاوية، عن قتادة عن أنس رفعه: « من طلب العلم ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه فهو في النار ». قال البزار: لا نعلمه يروي عن أنس إلا بهذا الاسناد، تفرّد به سليمان ولم يتابع عليه، ورواه عنه غير واحد قاله العراقي.

قلت: وأخرجه أيضاً ابن عساكر في تاريخه، وأبو نعيم في المعرفة من هذا الطريق إلاّ انهما قالا: « ليماري به السفهاء أو يكاثر به العلماء أو يصرف وجوه الناس إليه فليتبوّأ مقعده من النار ». وأخرجه ابن أبي عاصم في الوجدان، والدارقطني في الأفراد، والديلمي في مسند الفردوس من هذا الوجه ولفظهم: « من تعلم العلم والباقي سواء ». وأخرج ابن عساكر أيضاً من رواية نافع بن مالك أبي سهل عم مالك بن أنس قال: قلت للزهري: أما بلغك أن رسول الله ﷺ قال: « من طلب شيئاً من هذا العلم الذي يراد به وجه الله ليطلب به شيئاً من عرض الدنيا دخل النار »، فقال الزهري: لا ما بلغني. فساقه وفيه قصة تقدمت في خاتمة الفصول.

قال العراقي: وأما حديث أم سلمة، فرواه الطبراني من رواية عبد الخالق بن زيد، عن أبيه، عن محمد بن عبد الملك بن مروان، عن أبيه عنها رفعته: « من تعلم العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء فهو في النار ». وعبد الخالق بن زيد بن واقد منكر الحديث قاله البخاري. وعبدالملك بن مروان أورده الذهبي في الميزان وقال: أنى له العدالة وقد سفك الدماء وفعل الأفاعيل.

قلت: عبد الخالق المذكور قال الذهبي في الديوان، قال النسائي: ليس بثقة، وقوله: أنى له العدالة الخ صحيح، ولكن قد يقال يحتمل أنه تحمل هذا الحديث في حال استقامته قبل ان تصدر منه الأفاعيل. وهكذا أخرجه تمام الرازي في فوائده أيضاً. وأخرج ابن النجار في تاريخه، عن أم سلمة « من طلب علماً ليباهي به العلماء فهو في النار وأخرجه ابن عساكر أيضاً ولكن عنده من طلب علماً يباهي به الناس والباقي سواء ». وأخرجه الدارمي في مسنده من رواية مكحول عن ابن عباس رفعه « من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يريد أن يقبل بوجوه الناس إليه أدخله الله جهنم ».

وقال ﷺ: « من كتم علماً عنده ألجمه الله بلجام من نار ». وقال ﷺ: « لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال، فقيل: وما ذلك؟ فقال: من الأئمة المضلين ». وقال ﷺ: « من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً ». وقال عيسى

(وقال ﷺ: « من كتم علماً عنده ألجم بلجام من نار ») تقدم هذا الحديث قريباً. وفي الباب الأوّل من هذا الكتاب دون قوله « عنده ». قال العراقي: وهذه اللفظة في بعض طرق حديث أبي هريرة رواها ابن الجوزي في العلل المتناهية، وأعلها باسماعيل بن عمرو، وذكر قول الدارقطني فيه أنه ضعيف إلا ان ابن حبان ذكره في الثقات.

(وقال ﷺ: « لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل: وما ذاك؟ فقال من الائمة المضلين »). وفي نسخة: فقال: « أئمة مضلون » أخرجه الإمام أحمد من رواية أبي تميم الجيشان واسمه عبدالله بن مالك قال: سمعت أبا ذر يقول: كنت مخاصر النبي ﷺ إلى منزله فسمعته يقول: « غير الدجال أخوف على أمتي من الدجال » فلما خشيت ان يدخل قلت يا رسول الله أي شيء أخوف على أمتك من الدجال؟ قال « الائمة المضلون ». قال العراقي، في إسناده عبدالله بن لهيعة مختلف فيه، ورواه أبو يعلى من رواية جابر، عن عبدالله بن يحيى، عن علي بن أبي طالب رفعه « غير الدجال أخوف عليكم أئمة مضلون ». وجابر هو أبو يزيد الجعفي ضعفه الجمهور. وروى أحمد من طريق أبي المخارق زهير بن سالم، عن عمير بن سعد الأنصاري أن عمر قال لكعب: ما أخوف شيء تخوّفه على أمة محمد ﷺ؟ قال: أئمة مضلون. قال عمر: صدقت قد أسر إلى ذلك وأعلمنيه رسول الله ﷺ، وأبو المخارق ذكره ابن حبان في الثقات، وعمير بن سعد معدود في الصحابة، والظاهر أنه منقطع بينه وبين أبي المخارق.

وأخرج مسلم وأصحاب السنن من رواية جبير بن نفير عن النواس بن سمعان في حديثه الطويل في الدجال وفيه فقال « غير الدجال أخوفني عليكم ».

وأخرج الإمام أحمد، والطبراني في الكبير، عن أبي الدرداء رفعه: « إن أخوف ما أخاف على أمتي الائمة المضلون ». قال الهيثمي: فيه راويان لم يسميا. وأخرج العلائي بسنده إلى ابن عمر قيل له: ما يهدم الإسلام؟ قال: زلة عالم وجدال منافق وحكم الائمة المضلين وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية صفوان بن عمر، وعن أبي المخارق، عن كعب، عن عمر رفعه: « أخوف ما أخاف على أمتي الائمة المضلون » فقال كعب فقلت: والله ما أخاف على هذه الأمة غيرهم. قال الشيخ: غريب من حديث كعب تفرّد به صفوان رواه عنه بقية بن الوليد والقدماء.

(وقال ﷺ: « من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلاّ بعداً ») أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق موسى بن إبراهيم، عن موسى بن جعفر الصادق، عن آبائه عن علي رضي الله عنه رفعه إلا انه قال: « ولم يزدد في الدنيا زهداً » مكان « هدى ». كذا في الجامع الكبير للسيوطي. وأشار له العراقي وقال: وقد روينا من طريق إبراهيم بن

عليه السلام: إلى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين، فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم، فإن العالم إما متعرض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد، وأنه بالخوض في العلم قد حرم السلامة إن لم يدرك السعادة.

عبدالله، عن عبدالله بن الحسن، عن أبيه، عن جده رفعه: «من ازداد بالله علماً ثم ازداد بالدنيا حباً ازداد الله عليه غضباً» قال: والمشهور أن هذا الحديث من قول الحسن البصري رواه ابن حبان في روضة العقلاء، وابن عبد البر في بيان العلم بلفظ. «من ازداد علماً ثم ازداد على الدنيا حرصاً لم يزدد من الله إلا بعداً» لفظ ابن حبان. وقال ابن عبد البر: «بغضاً» بدل «بعداً» وزاد ولم يزدد من الدنيا إلا بعداً. قال: وقد روي مثل قول الحسن هذا مرفوعاً، وكأنه أشار إلى حديث علي المتقدم.

قلت: وحديث عليّ المتقدم سنده ضعيف لأن موسى بن إبراهيم قال الذهبي؛ قال الدارقطني: متروك كذا قاله المناوي، وعندي في ذلك نظر لأن الذي قال فيه الدارقطني متروك وهو مروزي يروي عن ابن لهيعة كما هو نص الديوان للذهبي، والذي يروي عن موسى ابن جعفر رجل من أهل البيت فتأمل. والحديث الذي بعده رواه أبو الفتح الازدي في الضعفاء. ومن الشواهد ما أخرجه أبو نعيم في الحلية، حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا الحسن بن إبراهيم بن يسار، حدثنا سليمان بن داود، حدثنا ابن عيينة قال: كان يقال: إن العاقل إذا لم ينتفع بقليل الموعظة لم يزدد على الكثير منها إلا شراً. وفي معنى ذلك قول مالك بن دينار: من لم يؤت من العلم ما يقمعه فما أوتي من العلم ما ينفعه.

(وقال عيسى عليه السلام) فيما أخرجه الخطيب في اقتضاء العلم العمل له: حدثنا محمد بن أحمد بن رزقويه، حدثنا جعفر بن محمد الخلدي، حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا عباس العنبري، حدثني عبد الصمد قال: سمعت سعيد بن عطارد وكان بكى حتى قرح قال قال عيسى ابن مريم: **(إلى ستى تصفون الطريق)** أي إلى الله تعالى **(إلى المدلجين)** ولفظ الخطيب إلى الدالجين أي لهم وهم السائرون بالليل، والمراد بهم الزهاد السالكون إلى الله تعالى **(وأنتم مقيمون)** أي بأعمالكم **(مع المتحيرين)** الواقفين أي: فلا يصح وصف الطريق إلا من المتصف بالسير والسلوك في طريق الحق، زاد الخطيب بعد قوله: المتحيرين إنما ينبغي من العلم القليل ومن العمل الكثير، **(فهذا)** الذي ذكرناه لك **(وغيره من الأخبار)** الكثيرة **(يدل على عظيم خطر العلم و)** على **(أن العالم)** من حيث هو هو **(متعرض)** بعلمه **(إما لهلاك الأبد)** فيكون أشقى الأشقياء **(أو لسعادة الأبد)** فيكون أسعد السعداء **(وأنه بالخوض)** والاشتغال **(في العلم قد حرم)** منع **(السلامة)** من الهلاك **(إن لم يدرك السعادة)** بمنة من الله تعالى وتوفيق منه.

وتحقيق هذا المقام أن أصل العلم ...بة وثمرته السعادة، وأصل الزهد الرهبة وثمرته العبادة،

(وأما الآثـار): فقد قال عمر رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم. قالوا: وكيف يكون منافقاً علياً؟ قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل.

فإذا اقترن العلم والزهد فقد تمت السعادة وعمت الفضيلة، وإن افترقا فيا ويح مفترقين ما أضر افتراقها وأقبح انفرادهما. وقد فصل المصنف في ذلك تفصيلاً حسناً يأتي في أثناء كتابة الناس في طلب العلم ثلاثة. رجل طلبه ليتخذه زاده إلى المعاد لم يقصد إلا وجه الله، فهذا من الفائزين، ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال به الجاه والمال، ومع ذلك يعتقد خسيسة مقصده وسوء فعله، فهذا من المخاطرين فإن عاجله أجله قبل التوبة خيف عليه سوء الخاتمة وان وفق لها فهو من الفائزين، ورجل استحوذ عليه الشيطان فاتخذ علمه ذريعة إلى التأثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الاتباع وهو مع ذلك يضمر أنه عند الله بمكان لا تسامه بسمة العلماء، فهذا من الهالكين المغرورين إذ الرجاء منقطع عن توبته لظنه أنه من المحسنين.

(وأما الآثار فقد قال عمر) بن الخطاب (**رضي الله عنه**: **إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم. قالوا: كيف يكون منافقاً علياً؟ قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل**). اتخذ العلم حرفة يتأكل بها وهيئة وأبهة يتعزز بها، يدعو الناس إلى الله ويفر هو منه ويستقبح عيب غيره ويفعل ما هو أقبح منه، ويظهر للناس النسك والتعبد ويسارر ربه بالعظائم، ذئب من الذئاب لكن عليه ثياب، فهذا هو الذي حذر منه الشارع ﷺ حذراً من أن يخطفك بحلاوة لسانه ويحرقك بنار عصيانه ويقتلك بفتن باطنه وجنانه. وقال الطيبي: أضاف أفعل إلى ما وهي نكرة موصوفة ليدل على أنه إذا استقصى الأشياء المخوفة لم يوجد أخوف منه.

قال العراقي: وهذا الذي ذكره أثراً فقد ذكره أحمد مرفوعاً من حديث عمر بإسناد صحيح من رواية أبي عثمان النهدي قال: إني لجالس تحت منبر عمر بن الخطاب وهو يخطب الناس فقال في خطبته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان».

قلـت: وهذا قد أخرجه ابن عساكر في تاريخه من رواية مالك بن دينار، عن ميمون الكردي، عن أبي عثمان النهدي قال: خطبنا عمر بن الخطاب قال: حذرنا رسول الله ﷺ «كل منافق عليم» اهـ.

ثم قال العراقي: وصح أيضاً من حديث عمران بن حصين رواه الطبراني من رواية عبدالله ابن بريدة عنه رفعه: «إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان» اهـ.

قلـت: وبمثل رواية أحمد رواه أيضاً البزار وأبو يعلى. قال المنذري: رواتهم محتج بهم في الصحيح. وقال الهيثمي: رجاله موثوقون في بعض نسخ المسند «على أمتي» بدل «هذه الامة» وفي القوت: وعن عمر ورويناه مسنداً أيضاً اتقوا كل منافق عليم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل

وقال الحسن رحمه الله: لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء. وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه: أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه؛ فقال: كفى بترك العلم إضاعة له. وقيل لإبراهيم بن عتبة: أيّ الناس أطول ندماً؟ قال: أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره، وأما عند الموت فعالم مفرط. وقال الخليل بن أحمد: الرجال أربعة، رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم فأيقظوه، ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فارشدوه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه

ما تنكرون. وكان المصنف لم ينظر إلى قوله: وروينا مسنداً أيضاً تقوية لجانب الموقوف وسيأتي عن الدارقطني إنه قال: الموقوف أشبه بالصواب.

(وقال) أبو محمد **(الحسن)** بن سعيد البصري: **(لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في العمل مجرى السفهاء)** أي: ممن عمله يخالف قوله فإنه عين الهلاك. **(وقال رجل لأبي هريرة)** رضي الله عنه: **(أريد أن أتعلم وأخاف أن أضيعه، فقال: كفى بترك العلم إضاعة له)**. هذا موقوف على أبي هريرة رضي الله عنه، ويعضده ما يروى عن الأعمش معضلاً: «آفة العلم النسيان واضاعته أن تحدث به غير أهله» أخرجه الدارمي في مسنده، والعسكري في الأمثال، وابن عدي من عدة طرق، ويروى عن علي مرفوعاً «آفة العلم النسيان» أخرجه الدارقطني في مسنده، وابن عدي في الكامل، ويروي ذلك عن ابن مسعود أيضاً موقوفاً أشار له البيهقي في المدخل والنسيان ترك ضبط ما استودع. **(وقيل لإبراهيم بن عتبة)** أحد الزهاد: **(أي الناس أطول ندماً؟ قال: أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره)** أي لا يجازيه على معروفه ولو بالثناء، **(وأما عند الموت فعالم مفرط)**. أي الذي فرط في نفسه في عدم عمله لما علمه.

(وقال) إمام النحو واللغة **(الخليل بن أحمد)** بن عبد الرحمن الفراهيدي البصري شيخ العربية والعروض أحد الاعلام. روى عن أيوب، وعاصم الأحول، والعوام بن حوشب، وغالب القطعان، وجماعة. وعنه سيبويه، والأصمعي، والنضر بن شميل، وهارون بن موسى، ووهب بن جرير، وعلي بن نصر الجهضمي، وكان رأساً في علم اللسان خيراً متواضعاً ذا زهد وعفاف. ولد سنة مائة وتوفي سنة سبعين ومائة. وقيل: ستين، وقيل خمس وسبعين، وقيل: غير ذلك. كذا في تاريخ الذهبي: **(الرجال أربعة رجل يدري ويدري أنه يدري)** المراد به العامل بعلمه فإنه إذا درى أنه عالم لزمه اتباع علمه ضرورة **(فذلك عالم)** حقاً **(فاتبعوه)** واستفيدوا منه، **(ورجل يدري)** في نفس الأمر **(ولا يدري أنه يدري)** بل شبه عليه **(فذلك نائم)** أي غافل **(فأيقظوه)** أي نبهوه، **(ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري)** أي جاهل جهلاً بسيطاً **(فذلك مسترشد)** أي طالب الرشد **(فعلموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري**

لا يدري فذلك جاهل فارفضوه. وقال سفيان الثوري رحمه الله: يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل. وقال ابن المبارك: لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذلّ،

فذلك جاهل) جهلاً مركباً **(فارفضوه)** أي اتركوه. وتحقيق هذا المقام ما أورده أبو القاسم الراغب في كتاب الذريعة ما لفظه: وأما التقصير فأربعة أشياء.

الأوّل: أن يكون انساناً لا يعرف الحق من الباطل والجميل من القبيح فيبقى غفلاً ودواؤه سهل وهو التعليم الصائب.

الثاني: أن يكون من قد عرف ذلك لكن لم يتعوّد فعل الصالح وزين له سوء عمله فرآه حسناً فتعاطاه وأمره أصعب من الأوّل، لكن يمكن أن يقهر على العادة الجميلة حتى يعوّدها وإن كان قد قيل ترك العادة شديد.

والثالث: أن يعتقد في الباطل والقبيح أنه حق وجميل فتربى على ذلك ومداواة ذلك أصعب جداً، فقد صار ممن طبع على قلبه إذ قد ينقش بنقش خسيس ككاغد كتب فيه ما يؤدي حذفه إلى خرقه وفساده.

والرابع: أن يكون مع جهله وتربيه على الفساد شديداً في نفسه يرى الخلاف وقهر النفس فضيلة، وذلك أصعب الوجوه وإلى نحوه قصد من قال: من التعذيب تأديب الذيب ليتهذب وغسل المسح ليتبيض، فالأوّل من هؤلاء الأربعة يقال له جاهل، والثاني يقال له جاهل وضال، والثالث يقال له جاهل وضال وفاسق، والرابع يقال له جاهل وضال وفاسق وشديد.

(وقال) سفيان بن سعيد **(الثوري)** رحمه الله: **(يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلاّ ارتحل)**. وعزاه صاحب القوت إلى سهل التستري، وأورده الخطيب في كتاب الاقتضاء من وجهين. **الأوّل:** من طريق الحرث بن عبيدالله قال: سمعت ابن أبي ذئب يحدث عن ابن المنكدر قال: العلم يهتف بالعمل مثل لفظ الثوري، **والثاني:** من طريق أبي الفرج عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي عن آبائه مسلسلاً بالسماع، عن علي رضي الله عنه قال: هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلاّ ارتحل. قال الخطيب: عدد الآباء تسعة.

(وقال) أبو عبد الرحمن بن عبدالله **(ابن المبارك)** بن واضح المروزي تقدمت ترجمته. **(لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل)**، ووجهه أنه إذا ظن في نفسه أنه صار عالماً كسل عن طلب العلم وهو عمل، فانقطع عن العمل فصار علمه منفكاً عن العمل وهذا جهل.

(وقال) الإمام الزاهد أبو علي **(الفضيل)** بن عياض بن منصور بن بشر التميمي المروزي المكي. روى عن الأعمش وابن المعتمر. أدرك أنس بن مالك، وعبدالله بن أبي أوفى رضي الله

وغني قوم افتقر، وعالماً تلعب به الدنيا. وقال الحسن: عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة. وأنشدوا:

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشتري دنياه بالدين أعجبُ
وأعجب من هذين من باع دينه ... بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال ﷺ: «إن العالم ليعذب عذاباً يطيف به أهل النار استعظاماً لشدة عذابه»،

عنها، ومنهم عطاء بن السائب، وحصين بن عبد الرحمن، ومسلم الأعور، وأبان بن أبي عياش، وكلهم أدركوا أنس بن مالك. روى عنه الأئمة الثوري، وابن عيينة، ويحي بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، والحسين بن علي الجعفي، ومؤمل بن إسماعيل، وعبدالله بن وهب المصري، وأسد بن موسى، وثابت بن محمد العابد، ومسدد، ويحي بن يحي النيسابوري، وقتيبة ابن سعيد في أشكالهم ونظرائهم، وترجمته في الحلية طويلة. وفي تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ثقة عابد إمام مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل: قبلها بمكة، وقبهر بالمعلى مشهور خرّج حديثه الجماعة ما عدا ابن ماجه: (**إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذلّ، وغنياً افتقر، وعالماً تلعب به الدنيا**). وهذا قد روي مرفوعاً من حديث ابن عباس وأنس وأبي هريرة. أما حديث ابن عباس؛ فأخرجه ابن عدي من طريق وهب بن وهب، عن ابن جريج، عن عطاء عنه ولفظه: «ارحموا ثلاثة عزيز قوم ذلّ وغني قوم افتقر وعالماً يتلاعب به الصبيان». وأما حديث أنس؛ فاخرجه الخطيب من طريق سمعان بن مهدي عنه ولفظه: «ارحموا ثلاثة غني قوم افتقر، وعزيز قوم ذل، وفقيهاً يتلاعب به الجهال». وأخرج ابن حبان من طريق عيسى بن طهمان عنه ولفظه مثل الأوّل إلا أنه قال: وعالماً بين جهال، وقد حكم ابن الجوزي على هذه الاحاديث بالوضع فقال: وهب كذاب، وسمعان مجهول، وعيسى ينفرد بالمناكير عن المشاهير ولا يحتج به، وإنما يعرف هذا من قول الفضيل بن عياض اهـ.

وأما حديث أبي هريرة؛ فأخرجه الديلمي من طريق ابن علية، عن أيوب، عن الحسن عنه ولفظه «بكت السموات السبع ومن فيهن ومن عليهن لعزيز ذل، وغني افتقر، وعالم تلعب به الجهال». هكذا أورده السيوطي في اللآلىء المصنوعة، وهو شاهد قوي لما تقدم واسناده جيد (**وأنشدوا في**) هذا (**المعنى لبعض الشعراء**):

(**عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... ومن يشتري دنياه بالدين أعجبُ**)

والابتياع: هو الشراء، وأشار صاحب هذا القول إلى عالم السوء الذي يأكل دينه بدنياه.

(**وقال ﷺ: إن العالم ليعذب عذاباً يطيف به أهل النار استعظاماً لشدة عذابه»**) قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ وهو بمعنى حديث أسامة بن زيد الآتي بعده. (**أراد به العالم الفاجر**) أي أن اللام في العالم ليست للجنس وإنما هي للعهد.

أراد به العالم الفاجر. وقال أسامة بن زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون: ما لك؟ فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه». وإنما يضاعف عذاب العالم في معصيته لأنه عصى عن علم، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] لأنهم جحدوا بعد العلم،

(وقال أسامة بن زيد) بن حارثة بن شراحيل الكلبي الأمير أبو محمد وأبو زيد حب رسول الله وابن حب رسول الله صحابي مشهور مات سنة أربع وخمسين وهو ابن خمس وسبعين (سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون: مالك؟ فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه»). وفي بعض النسخ بعد قوله: «اقتابه» يعني أمعاءه وهو مدرج من الراوي. قال العراقي: أخرجه البخاري ومسلم من رواية أبي وائل شقيق ابن سلمة عن أسامة بن زيد، واللفظ لمسلم إلا أنه قال: «يؤتى بالرجل» وقال «اقتاب بطنه» وقال «فيجتمع إليه الناس فيقولون يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه». ولفظ البخاري: «يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن بها كما يطحن الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون: أي فلان ألست كنت تأمر بالمعروف». فذكره إلا أنه قال: ولا أفعله وقال وأفعله. وفي رواية لأحمد في مسنده فيقولون: مالك يا فلان ما أصابك. وفي رواية له: يؤتى بالرجل الذي يطاع في معاصي الله الحديث وفيه فيقول: كنت آمركم بأمر وأخالفكم إلى غيره اهـ.

قلت: وأخرج أبو نعيم في الحلية، عن أسامة بن زيد «يجاء بالأمير يوم القيامة فيلقى في النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار بطاحونته فيقال له: ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: بلى، ولكن لم أكن لأفعله». كذا في الذيل للسيوطي.

وأخرج أبو نعيم في ترجمة الشعبي من الحلية من طريق سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي قال: «يشرف قوم دخلوا الجنة على قوم دخلوا النار فيقولون: ما لكم في النار وإنما كنا نعمل بما تعلموننا فيقولون إنما نعلمكم ولا نعمل به». وأخرج في ترجمة منصور بن زاذان بسنده إليه قال: نبئت أن بعض من يلقى في النار يتأذى أهل النار بريحه فيقال له: ويلك ما كنت تعمل أما يكفينا ما نحن فيه من النتن حتى ابتلينا بك وبنتن ريحك؟ فيقول: كنت عالماً لم أنتفع بعلمي». (وإنما يضاعف عذاب العالم في معصيته لأنه عصى عن علم، ولذلك قال) الله (عز وجل) في كتابه العزيز: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ [النساء: ١٤٥] قال صاحب القاموس في البصائر: الدرك إسم في مقابلة الدرج وبمعنى أن الدرج مراتب باعتبار الصعود، والدرك مراتب باعتبار الهبوط، ولهذا عبروا عن منازل الجنة بالدرجات، وعن منازل

وجعل اليهود شراً من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولداً ولا قالوا: أنه ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله: ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ [البقرة: ١٤٦]. وقال تعالى: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ [البقرة: ٨٩]. وقال تعالى في قصة بلعام بن باعوراء: ﴿واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾ [الأعراف: ١٧٥]، حتى قال: ﴿فَمَثَلَه كَمَثَلِ الكَلْبِ إنْ

جهنم بالدركات، وقول الله تعالى السابق قرأ الكوفيون غير الأعمش والبرجي بسكون الراء والباقون بفتحها (**لأنهم حجدوا**) أي أنكروا (**بعد العلم**) والمعرفة. (**وجعل اليهود شراً من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولداً**) أي أكثرهم، ولو أنه قال بعضهم في عُزير هو ابن الله لما رأوه حفظ التوراة عن ظهر قلبه، (**ولا قالوا ثالث ثلاثة**). وهذا القول خاصة للنصارى، (**ولكن أنكروا**) النبي ﷺ (**بعد المعرفة إذا قال تعالى يعرفونه**) أي النبي ﷺ (**كما يعرفون أبناءهم**) أي غاية المعرفة، ﴿وقال عز وجل: فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) [البقرة: ٨٩]. وقد تقدم للمصنف أن من لم ينفعه علمه لا ينجو به رأساً برأس هيهات فخطره عظيم ووباله جسيم.

(**وقال تعالى في**) حق (**بلعم بن باعوراء**) ابن برم بن برهم بن مازر بن هاران بن تارح بن تاحور بن سروع بن ارغو بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام من عشيرة سيدنا لوط بن هاران عليه السلام، ونقل السهيلي عن ابن عباس ومجاهد هو بلعم بن باعوراء ويقال بلعام وأصله من بني إسرائيل اهـ.

وقال محمد بن علي الأوسي في كتابه التكميل لتعريف السهيلي الأظهر أنه لم يكن من بني إسرائيل. وحكى المسعودي في نسبه أنه بلعام بن باعور بن سموم بن فرستم بن ماب بن لوط بن هاران وكان بقرية من قرى البلقاء من بلاد الشام. وقال الأوسي ويقال فيه بلعام بن عابر، ويقال آبر، وسيأتي للمصنف في أثناء هذا الكتاب، وسمعت بعض العلماء يقول: إنه كان في أول أمره بحيث يكون في مجلسه إثنا عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه العلم، ثم صار بحيث كان أول ما صنف كتاباً أن ليس للعالم صانع نعوذ بالله من ذلك وذلك بميله إلى الدنيا واتباعه للهوى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى: (**واتل عليهم**) أي على اليهود (**نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منه**) أي من الآيات بأن كفر بها أو أعرض عنها، فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين، وهذا الذي ذهب إليه المصنف أنه في حق بلعم المذكور هو قول ابن عباس ومجاهد وغيرها. ويروى عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن الآية نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي، وكان قد قرأ التوراة والإنجيل في الجاهلية، وكان يعلم بأمر النبي ﷺ قبل بعثته فطمع أن يكون هو فلما بعث رسول الله ﷺ وصرفت النبوّة عن أمية حسد وكفر (**حتى قال**) بعد قوله: ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه (**فمثله**) أي صفته التي هي مثل في الخسة (**كمثل الكلب**) كصفته في أخس أحواله (**إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث**) ﴿ذلك

تَحْمل عَلَيْهِ يَلْهَثْ أو تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾. فكذلك العالم الفاجر. فإن بلعام أوتي كتاب الله تعالى فأخلد إلى الشهوات فشبه بالكلب أي سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث إلى الشهوات.

وقال عيسى عليه السلام: مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع، ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن، ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى، فهذه

مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ★ ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ★ من يهدِ الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون﴾ [الأعراب: ١٧٥ - ١٧٨] (**وكذلك العالم الفاجر**) المعرض عن آيات الله بعد معرفته بها، (**فإن بلعم**) المذكور (**أوتي كتاب الله عز وجل**). وقال البيضاوي: أوتي علم بعض كتاب الله. وقال السهيلي: كان أوتي اسم الله الأعظم. وقال محمد بن علي الأوسي، وكانت لـه حمارة إذا ركبها وذكر الإسم الأعظم الذي علمه الله سارت مسيرة خمسمائة يوم في يوم واحد. ويروى في ساعة واحدة ذكره الطبري، وكان بحيث إذا نظر يرى العرش. وقال السهيلي: وكان مع الجبارين فسألوه أن يدعو على موسى وجيشه فأبى وأرى في المنام أن لا يفعل فلم يزالوا به حتى فتنوه فقلب لسانه، فأراد الدعاء على موسى فدعا على قومه وخلع الإيمان من قلبه ونسي الإسم الأعظم (**فأخلد إلى الشهوات**) أي مال إليها واتبع هواه في إيثار الدنيا واسترضى قومه وأعرض عن مقتضى الآيات (**فشبه بالكلب**) الذي هو أخس الحيوانات (**أي سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث**) وإيماء (**إلى الشهوات**) كالكلب يلهث دائماً سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده، واللهث: إدلاع أي إخراجه من العطش. قال البيضاوي: والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثاً في الحالتين. وقال السمين: مثل الله تعالى حال بلعام بحال كلب هذه صفته، فإذا كان لاهثاً لم يملك دفع ضر ولا جلب نفع، فلم يكتفِ بأن جعل مثله مثل الكلب بل مثل كلب متصف بما ذكر، فقوله: ﴿أن تحمل عليه﴾ في محل الحال لا ان الكلب لا يزال كذلك دائماً فنبهك بذلك لأن بعض الناس قد توهمه اهـ.

(**وقال عيسى عليه السلام**) ونص القوت وروينا عن عيسى عليه السلام: (**مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي شربت**) وفي القوت: لا هي تشرب (**الماء ولا هي تترك الماء يخلص**) أي يصل (**إلى الزرع**)، وكذلك علماء الدنيـا قعـدوا على طـريـق الآخرة فلا هم نفذوا ولا تركوا العباد يسلكون إلى الله تعالى. وأخرج الخطيب في كتابه الاقتضاء بسنده إلى محمد بن يزيد بن خنيس قال: سمعت وهيب بن الورد يقول: ضرب مثل للمعلم السوء فقيل: إنما مثل العالم السوء كمثل حجر وقع في ساقية فلا هو يشرب من الماء ولا هو يخلي عن الماء فيحيا به الشجر اهـ.

قال: (**ومثل علماء السوء مثل قناة الحش**) أصل الحش النخل المصطف، ثم استعير لموضع

الأخبار والآثار تبين أن العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخس حالاً وأشد عذاباً من الجاهل، وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات:

فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه، فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها، ويعلم أنهما متضادتان، وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى، وانهما

قضاء حاجة الإنسان (**ظاهرها جص**) أي مطليّ بالنورة (**وباطنها نتن**) أي نجس قذر، ومنه قول الحريري: فما أنت في جثة باطنك إلا كروث مفضض أو كنيف مبيض. قال: (**و**) مثل علماء السوء (**مثل القبور**) المشيدة (**ظاهرها عامر**) بالبناء والتراكيب والستور والقناديل (**وباطنها عظام الموتى**) إلى هنا كلام سيدنا عيسى عليه السلام على ما أورده صاحب القوت، وأورده كذلك في مواضع أخر ولفظه: وكان عيسى عليه السلام يمثل علماء الدنيا بالكنف فيقول: ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة حش ظاهرها جص وباطنها نتن ويلكم علماء السوء، إنما أنتم مثل قبور مشيدة ظاهرها مشيد وباطنها عظام الموتى. يا علماء الدنيا إنما أنتم مثل شجرة الدفلى نورها حسن وطعمها مر، أو قال سم يقتل. يا علماء الدنيا مثلكم مثل صخرة في فم النهر فذكره، وأورد أبو نعيم في الحلية في ترجمة الفضيل بن عياض بسنده إلى عبد الصمد قال: سمعت الفضيل يقول: إذا ظهرت الغيبة ارتفعت الأخوة في الله إنما مثلكم في ذلك الزمان مثل شيء مطلي بالذهب والفضة داخله خبيث وخارجه حسن. (**فهذه الأخبار**) الشريفة (**والآثار**) المنيفة (**تبين**) وتصرح لك (**أن العالم الذي من أبناء الدنيا**) وعلمه لأجل تحصيلها (**أخس**) الناس (**حالاً**) وأرادهم (**وأشد عذاباً**) يوم القيامة (**من الجاهل**). وقال بعض السادة الصوفية: وإنما كان عذابه أشد لأنه مضاعف فوق عذاب مفارقة الجسد بقطعه عن اللذات الحسية المألوفة ولعدم وصوله إلى ما هو أكمل منها لعدم انفتاح بصيرته، مع عذاب الحجاب عن مشاهدة الحق تعالى، فعذاب الحجاب إنما يحصل للعلماء الذين تنبهوا للذة لقاء الله في الجملة ولم يتوجهوا لتحصيل ذلك واتبعوا الشهوات الحسية المانعة لذلك، وأما غيرهم فلا يعذب عذاب الحجاب الذي هو أعظم من عذاب الجحيم لعدم تصوّرهم له بالكلية وعدم ذوقهم له رأساً، (**وإن الفائزين**) بمشاهدة الحق تعالى (**المقربين**) عنده (**هم علماء الآخرة ولهم علامات**) تميزهم عن غيرهم. ذكر المصنف اثني عشر علامة.

(**فمنها: أن لا يطلب الدنيا بعلمه**) والدنيا أعم من أن تكون مالاً أو جاهاً، (**فأقل درجات العالم**) المتبين في أمره (**أن يدرك**) بفهمه (**حقارة الدنيا**) عند الله عز وجل (**وخستها**) ودناءتها (**وانصرامها**) وانصرام لذتها (**و**) أن يدرك (**عظم**) أمر (**الآخرة**) وما أعدّ لله فيها (**ودوامها وصفاء نعيمها**) من الكدر (**وجلالة ملكها**) الأبدي، (**و**) أن (**يعلم أنهما**) أي الدنيا والآخرة (**متضادتان**) يستحيل اجتماعهما كالخير والشر والسواد

ككفتي الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى، وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر، وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ما تصب منه في الآخر حتى يمتلىء يفرغ الآخر. فإن من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بألمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل، فإن المشاهدة والتجربة ترشد إلى ذلك، فكيف يكون من العلماء من لا عقل له؟ ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الإيمان، فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له

والبياض، وشرط في المتضادين أن يكونا تحت جنس واحد وينافي كل الآخر في أوصافه الخاصة، ثم بين ذلك بقوله: **(وأنهما كالضرتين)** ومن شأنهما أنك إن **(أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى)**. أخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة وهب بن منبه بسنده إليه قال: مثل الدنيا والآخرة كمثل ضرتين إن أرضيت إحداهما سخطت الأخرى، ثم زاد إيضاحاً فقال: **(وانهما ككفتي الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى، وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت من الآخر)**. وهذه الثلاثة الأمثال في الدنيا من كلام علي رضي الله عنه كما قاله الراغب في الذريعة، **(وانهما كقدحين أحدهما مملوء)** من الماء مثلاً **(والآخر فارغ)** منه، **(فبقدر ما تصبه في الآخر حتى يمتلىء يفرغ الآخر)**. وهده الجملة الأخيرة وجدتها في القوت في آخر المجلد الأول ما لفظه: وكان ابن عمر يقول: إذا ذكر الدنيا والآخرة والله إنهما بمنزلة قدحين ملىء أحدهما فما هو إلا أن تفرغ أحدهما في الآخر. قال صاحب القوت: يعني انك إن امتلأت بالدنيا تفرغت من الآخرة، وإن امتلأت بالآخرة فرغت من الدنيا، وإن كان لك ثلث قدح الآخرة أدركت ثلثي قدح الدنيا، وإن كان لك ثلثي قدح الآخرة يكون لك ثلثه في الدنيا، وحينئذ قال: وهذا تمثيل حسن وتعديل صحيح اهـ.

وهذه أمثلة ضربها في مباينة الدنيا مع الآخرة ومباينة سالكيها، وإن كانت الدنيا جعلت وسيلة للآخرة فما يصح عليه وصف الضدية الذي هو شغل العبد عن مولاه وقطعه عن السلوك إليه وما لا فليس بضد فإن من أمورها ما يتوسل به إلى الله تعالى، وقد تقدم تحقيقه في أثناء كلام المصنف في أوائل الكتاب، **(فإن من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها)** الحسية **(بألمها)** الأبدي **(ثم انصرام ما يصفو منها)** سريعاً **(فهو فاسد العقل)** محتاج إلى الارشاد والتهذيب، **(فإن المشاهدة)** بعين البصر **(والتجربة)** من أهلها **(ترشد إلى ذلك)** ولا برهان أعظم منها، **(فكيف يكون من العلماء)** أي كيف يعد في زمرتهم **(من لا عقل له)** صحيح؟ **(ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها)** وانصرام أمور الدنيا بأجمعها **(فهو)** إذاً **(كافر مسلوب الايمان)** أي قد نزع منه الإيمان وانسلخ عن أموره باتباعه لشهوات نفسه وايثاره الدنيا على الآخرة، **(فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له)**.

وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة محمد بن كعب القرظي بسنده إليه عن أبي هريرة رفعه: «لا

ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وان الجمع بينهما طمع في غير مطمع؟ فهو جاهل بشرائع الأنبياء كلهم، بل هو كافر بالقرآن كله من أوّله إلى آخره، فكيف يعد من زمرة العلماء؟ ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من خرب العلماء من هذه درجته؟

وفي أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى: إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي، يا داود لا تسأل عني عالماً قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي، يا داود إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً، يا داود من رد إليَّ هارباً كتبته جهبذاً، ومن كتبته جهبذاً لم أعذبه

إيمان لمن لا عقل له ولا دين لمن لا عقل له». **(ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة و)** من لا يعلم **(أن الجمع بينهما طمع في غير مطمع)** أي في غير محله، وفيه رد على من يزعم أنه يجمع بينهما مع إعطاء كل منهما حقه. كلا والله **(فهو جاهل بشريعة الأنبياء عليهم السلام كلهم)** أي بأسرارها وإذ قد ركز في قلبه ذلك فإزالته مستصعب إلا بتوفيق من الله وعنايته، **(بل هو كافر بالقرآن كله من أوله إلى آخره)**، لأنه مصرح من أوله إلى آخره بأحكامه وقصصه وأمثاله ومواعظه على حقارة الدنيا وعظم أمر الآخرة، فهو يقرأه باللسان ولا يجاوز إلى قلبه، **(فكيف يعد)** هذا الذي شأنه كذا **(من زمرة العلماء)** الأبرار. كلا والله حتى يلج الجمل في سم الخياط. **(ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير)** حبائل **(الشيطان)** مغرور في نفسه قد مسخه الله تعالى لا يبالي الله به بالة بأي واد هلك **(قد أهلكته شهوته)** النفسانية بغلبتها عليه وأوثقته معاصيه، **(وغلبت عليه شقوته)** فلا يقبل العلاج، **(فكيف يعد من أضراب العلماء من هذه درجته)** عند الله وهذه رتبته ومنزلته:

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

(وفي أخبار) النبي **(داود)** بن إيشا بن عبيد بن بهيس بن قارب بن يهوذا بن يعقوب عليهم السلام، وذلك فيما أورده صاحب القوت ما لفظه: إن الله تعالى أوحى إليه يا داود **(إن أدنى ما أصنع بالعلم إذا آثر)** أي اختار **(شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسأل عني عالماً)** ولفظ القوت: لا تسألن عني عالماً قد **(أسكرته الدنيا)** أي جعلته كهيئة السكران **(فيصدك)** أي يمنعك **(عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي)** ولفظ القوت: قطاع طريق عبادي المريدين. **(يا داود، إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً يا داود: من رد إليَّ هارباً كتبته)** عندي **(جهبذاً)** هو بالكسر النقاد الخبير بغوامض الأمور البارع العارف بطرق النقد، وهو معرب صرح به الشهاب الخفاجي وابن التلمساني. كذا في شرحي على القاموس، وفي عبارات بعضهم هو الحاذق الكيس، **(ومن كتبته جهبذاً لم أعذبه**

أبداً، ولذلك قال الحسن رحمه الله عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة، ولذلك قال يحيي بن معاذ: إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا. وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لص، وقال عمر رضي الله عنه: إذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتهموه على دينكم، فإن كل محب يخوض فيما أحب، وقال مالك بن دينار رحمه الله. قرأت في بعض الكتب السالفة أن الله تعالى يقول: إن أهون ما أصنع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه. وكتب رجل إلى أخ له: إنك قد أوتيت علماً فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم، وكان يحيي بن معاذ

أبداً). هذا كله نص القوت إلا أنه بتقديم الجملة الثانية على الأولى، **(ولذلك قال الحسن رضي الله عنه)**: كذا في النسخ. فالمراد به الحسن بن علي بن أبي طالب **(عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة)**، والأشبه أن يكون هذا من كلام الحسن البصري **(وقال يحيي بن معاذ)** الرازي الآتي ترجمته **(إنما يذهب بهاء العلم والحكمة)** أي نورهما **(إذا طلبت الدنيا بهما. وقال عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه: إذا رأيتم العالم محباً للدنيا)** أي مائلاً إليها **(فاتهموه على دينكم)** الذي تستفيدونه منه **(فإن كل محب يخوض فيما أحب)**، فإن حبك للشيء يعمي ويصم، **(وقال مالك بن دينار)** البصري أحد الزهاد المشهورين. كنيته أبو يحيي أخرج له البخاري في التاريخ والأئمة الأربعة. قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب: هو من موالي بني ناجية أبوه من سبي سجستان، وقيل: من كابل. روى عن أنس بن مالك، والحسن، وابن سيرين، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبي غالب صاحب أبي أمامة وغيرهم. روى عنه أخوه عثمان، وأبان بن يزيد العطار، وسعيد بن أبي عروبة، وعبدالسلام بن حرب وآخرون. قال النسائي: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ١٣٠. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبدالله بن جعفر، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن ابراهيم، حدثني محمد بن عبدالله العبدي، حدثنا جعفر عن مالك **(قرأت في بعض الكتب)** أي التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه عليهم السلام، ونص الحلية: إن في بعض الكتب **(أن الله عز وجل يقول: إن أهون ما أصنع)** ونص الحلية: ما أنا صانع **(بالعلم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه)**، ونص الحلية: حلاوة ذكري وكأنه عنى به ما خاطب الله تعالى به داود عليه السلام كما تقدم قريباً. **(وكتب رجل إلى أخ له إنك قد أوتيت)** من الله **(علماً فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم)**، وهذا بعينه قد تقدم للمصنف في ترجمة الشافعي **(وكان يحيي بن معاذ)** بن جعفر أبو زكريا الرازي أوحد وقته في زمانه أقام ببلخ مدة، ثم عاد إلى نيسابور ومات بها سنة ٢٥٨. قال صاحب القوت: وهو أول من جلس على كرسي للوعظ في

الرازي رحمه الله يقول لعلماء الدنيا: يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية، وبيوتكم كسروية، وأثوابكم طاهرية، وأخفافكم جالوتية، ومراكبكم قارونية، وأوانيكم فرعونية، ومآتمكم جاهلية، ومذاهبكم شيطانية، فأين الشريعة المحمدية؟ قال الشاعر:

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

(وقال آخر):

يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد؟

مصر (**يقول لعلماء الدنيا**) متعجباً من حالهم: يا أصحاب العلم (**قصوركم قيصرية**) أي عالية تشبه قصور قيصر ملك الروم وفيها جناس اشتقاق، (**وبيوتكم كسروية**) أي مثل بيوت كسرى ملك الفرس في زخارفها، (**وأثوابكم**) جمع ثوب (**طاهرية**) منسوبة إلى عبدالله بن طاهر بن الحسين الوزير، وكان يتغالى في الثياب أي رفيعة، (**وأخفافكم جالوتية**) أي مزينة كاخفاف جالوت، وكان جباراً من الجبابرة جاء ذكره في القرآن، (**ومراكبكم قارونية**) أي كمراكب قارون في التفاخر بها لكونها مزينة بالذهب والفضة والحرير، (**وأوانيكم فرعونية**) أي فاخرة ثمينة كأواني فرعون، (**ومآتمكم جاهلية**) أي من أفعال الجاهلية. وفي بعض النسخ: موائدكم، (**ومذاهبكم شيطانية**) تتبعون النفس والهوى والشيطان فتذهبون إلى ما مالت به النفوس، فبإطاعة الشيطان صارت مذاهبكم منسوبة إليه. (**فأين**) الطريقة (**المحمدية**)؟ فإن اعلاء القصور وزخرفة المساكن والتزين بالمراكب والملابس والفرش والأواني كل ذلك من أفعال الجبابرة والمترفهين المؤثرين الدنيا على الآخرة. ليس شيء من ذلك في طريقته ﷺ يؤثر الخمول على نفسه ويقنع بالقليل ويزهد في الدنيا وجُدر حجرته الشريفة لم تبلغ ما فوق القامة ويركب الحمار بإكاف وغير إكاف، ويردف خلفه إنساناً، وكان فراشه أدم حشوه ليف، وكان له قدح من خشب يشرب منه، إلى غير ذلك من أحواله وأموره ﷺ يعرفها من مارس كتب الحديث، فمن كان مدعياً اتباع سنته السنية فعليه أن يتبع طريقته ويتبع أحواله حتى يكون محمدياً وفي أحواله مرضياً. (**وأنشدوا**) في هذا المعنى:

(وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب)

أي: إن العلماء هم الرعاة للناس يصلحون من أمورهم ما أفسدوا، فإذا تلبست العلماء بأمور الدنيا وتفاخروا بها كانوا ذئاباً، وكيف تصلح الذئاب أن تكون رعاة أصلاً. (**وقيل**) في معنى ذلك (**أيضاً**):

(يا معشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد)

المراد بالقراء العلماء شبههم بالملح بجامع الإصلاح، وأخرج أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا عبدالله بن أبي داود، حدثنا عمرو بن عثمان ومحمود بن خالد قالا: حدثنا الوليد، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير قال: العلماء مثل الملح هو صلاح كل شيء،

وقيل لبعض العارفين: أترى أن من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله؟ فقال: لا أشك ان من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة انه لا يعرف الله تعالى. وهذا دون ذلك بكثير، ولا تظنن أن ترك المال يكفي في اللحوق بعلماء الآخرة، فإن الجاه أضر من المال. ولذلك قال بشر: «حدثنا» باب من أبواب الدنيا، فإذا سمعت الرجل يقول «حدثنا» فإنما يقول: أوسعوا لي. ودفن بشر بن الحرث بضعة عشر ما بين قمطرة

فإذا فسد الملح لم يصلحه شيء، وينبغي أن يوطأ بالاقدام ثم يلقى، وقال في ترجمة سفيان بن عيينة: حدثنا أبو بكر، حدثنا عبدالله، حدثني أبو معمر، عن سفيان قال، قال عيسى عليه السلام: إنما أعلمكم لتعلموا ليس لتعجبوا يا ملح الأرض لا تفسدوا فإن الشيء إذا فسد إنما يصلح بالملح، وإن الملح إذا فسد لم يصلح بشيء **(وقيل لبعض العارفين: أترى إن من تكون المعاصي قرة عينه: لا يعرف الله)** تعالى أي معرفة كاملة أو لا يذوق لذة معرفته. **(قال)** مجيباً **(ما أشك أن من تكون الدنيا عنده آثر)** أي أخص **(من الآخرة لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير)** أي: فكيف يعرف الله تعالى من كانت المعاصي قرة عينه، فإن ايثار الدنيا دون من أقر عينه بعصيان. وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة هشام الدستوائي بسنده إليه قال: قرأت في كتاب بلغني انه من كلام عيسى عليه السلام فقال: كيف يكون من أهل العلم من دنياه آثر عنده من آخرته وهو في دنياه أفضل رغبة، **(ولا تظنن)** في نفسك **(أن ترك المال)** صامتاً أو ناطقاً هو ترك الدنيا وأنه **(يكفي في اللحوق بعلماء الآخرة)**، وقد وقع في ذلك كثير من العلماء، فظنوا أن اللحوق بأهل الآخرة يتم بالزهد عما ملكت يد الإنسان والتخلي عنه، وركنوا إلى ذلك فأبطأوا في سيرهم ولم يعرفوا أن هناك ما هو أضر منه، **(فإن الجاه)** عند الأمراء والملوك والأغنياء **(أضر من المال)** يفسد الأعمال، **(ولذلك قال)** الإمام أبو نصر **(بشر)** بن الحرث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال المروزي نزيل بغداد الشهير بالحافي، الزاهد الجليل المشهور ثقة عابد قدوة، روى عن حماد بن زيد، وابراهيم بن سعد، وفضيل بن عياض، ومالك وأبي بكر بن عياش، وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم. وعنه أحمد بن حنبل، وابراهيم الحربي، وابراهيم بن هانيء، وعباس العنبري، ومحمد بن حاتم، وأبو خيثمة وخلق. وقال ابن سعد: طلب الحديث وسمع سماعاً كثيراً ثم أقبل على العبادة واعتزل عن الناس فلم يحدث. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال ثوري المذهب في الفقه والورع. وقال الدارقطني: ثقة زاهد ليس يروي إلا حديثاً صحيحاً مات سنة سبع وعشرين ومائتين، وله ست وسبعون. أخرج له أبو داود في كتاب المسائل له، والنسائي في كتاب مناقب علي له **(حدثنا)** وأخبرنا **(باب من أبواب الدنيا)** هكذا نقله صاحب القوت عنه، **(و)** قال أيضاً **(إذا سمعت الرجل يقول حدثنا)** وأخبرنا **(فإنما يقول أوسعوا لي)** نقله صاحب القوت عنه، ويروى عن علي أو ابن مسعود أنه مرّ على رجل يتكلم فقال: هذا يقول اعرفوني **(ودفن بشر)**، ولفظ القوت: وحدثنا عن بعض أشياخنا عن بعض شيوخه قال دفنا له **(بضعة عشر ما بين قوصرة وقمطرة من**

وقوصرة من الكتب، وكان يقول: أنا أشتهي أن أحدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت، وقال هو وغيره: إذا اشتهيت أن تحدث فاسكت فإذا لم تشته فحدث. وهذا لأن التلذذ بجاه الإفادة ومنصب الإرشاد أعظم لذة من كل تنعم في الدنيا. فمن أجاب

الكتب)، ولفظ القوت: كتباً لم يحدث منها بشيء إلا ما سمع منه نادراً في الفرد إلى هنا نص القوت. وقال الخطيب في تاريخه: كان كثير الحديث إلا أنه لم ينصب نفسه للرواية كان يكرهها، ودفن كتبه لأجل ذلك وكل ما سمع منه، فإنما هو على طريق المذاكرة اهـ.

والقوصرة بتشديد الراء وتخفف وعاء للتمر من قصب، وقيل: من البواري، وقيّد صاحب المغرب بأنها قوصرة ما دام بها التمر ولا تسمى زنبيلاً في عرفهم. هكذا نقله شيخنا في حاشية القاموس.

قلت: وهو المفهوم من كلام الجوهري والقمطر بكسر ففتح فسكون شبه سفط يسوّى من قصب يصان فيه الكتب كالقمطرة، وأنشد الخليل بن أحمد:

ليس بعلم مـــا حـــواه القمطـــر   إنما العلم مـــا حـــواه الصـــدر

وبالتشديد شاذ. **(وكان)** بشر **(يقول: أنا أشتهي أن أحدث ولو ذهبت عني شهوة الحديث لحدثت)** هكذا نقله عنه صاحب القوت وزاد ما نصه: وأنا أجاهد نفسي منذ أربعين سنة. **(وقال هو وغيره)** أيضاً **(إذا اشتهيت أن تحدث فلا تحدث، وإذا لم تشته)** أن تحدث **(فحدث)** هكذا نقله صاحب القوت.

وأخرج الخطيب في كتاب شرف أصحاب الحديث قال: أخبرنا أبو بكر البرقاني قال: قرأت على محمد بن علي بن النضر، حدثكم أحمد بن عمرو بن عثمان، حدثنا عبدالله بن أبي سعد، حدثنا محمد بن عبدالله بن علوان قال: قلت لبشر بن الحرث ألا تحدث؟ قال: أنا أشتهي أحدث وإذا اشتهيت شيئاً تركته اهـ.

وزاد صاحب القوت، وقال رحمه الله مرة: الحديث ليس من زاد الآخرة اهـ.

وأخرج الخطيب في كتاب اقتضاء العلم العمل بسنده إلى عباس بن عبد العظيم العنبري قال: قال بشر بن الحرث: إن أردت أن تنتفع بالحديث فلا تستكثر منه، ولا تجالس أصحاب الحديث، وأخرج أيضاً فيه بسنده إلى إسحاق بن الضيف قال، قال لي بشر بن الحرث: إنك قد أكثرت مجالستي ولي إليك حاجة إنك صاحب حديث، فأخاف أن تفسد علي قلبي فأحب أن لا تعود عليّ فلم أعد إليه. **(وهذا لأن التلذذ بجاه الإفادة ومنصب الإرشاد)** والتعليم **(أعظم من كل نعيم في الدنيا)**، فقد أخرج الخطيب في كتاب شرف أصحاب الحديث بسنده إلى القاضي يحي بن أكثم قال، قال لي الرشيد: ما أنبل المراتب؟ قلت: ما أنت فيه. قال: لكني اعرفه رجل في حلقة يقول: حدثنا فلان عن فلان قال، قال رسول الله ﷺ قال، قلت: يا أمير

شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا ، ولذلك قال الثوري : فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد ، وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين ﷺ : ﴿ولولا أن ثبتناك لَقَدْ

المؤمنين، هذا خير منك وأنت ابن عم رسول الله ﷺ وولي عهد المسلمين. قال: نعم ويلك هذا خير مني لأن اسمه مقترن باسم رسول الله ﷺ لا يموت أبداً نحن نموت ونفنى والعلماء باقون ما بقي الدهر. وأخرج أيضاً بسنده إلى عمر بن حبيب العدوي القاضي قال، قال لي أمير المؤمنين المأمون: ما طلبت مني نفسي شيئاً إلا وقد نالته ما خلا هذا الحديث فإني كنت أحب أن أقعد على كرسي ويقال: من حدثك؟ فأقول: حدثني فلان قال: فقلت: يا أمير المؤمنين فلم لا تحدث؟ قال: لا تصلح الخلافة مع الحديث للناس. قال الحافظ أبو بكر الخطيب: كان المأمون أعظم خلفاء بني العباس عناية بالحديث كثير المذاكرة به شديد الشهوة لروايته، مع أنه قد حدث أحاديث كثيرة لمن كان يأنس به من خاصته، وكان يحب إملاء الحديث في مجلس عام يحضر سماعه كل أحد، وكان يدافع نفسه بذلك حتى عزم على فعله. وأخرج أيضاً بسنده إلى الحرث بن أبي أسامة قال: قال بعض أصحابنا سمعت يحي بن أكثم القاضي يقول: وليت القضاء وقضاء القضاة والوزارة، وكذا وكذا ما سررت بشيء كسروري بقول المستملي من ذكرت رضي الله عنك، **(فمن أجاب شهوته فيه فهو في أبناء الدنيا)** لأنه أعطى النفس مشتهاها، **(ولذلك قال)** سفيان **(الثوري)** رحمه الله تعالى: **(فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد)**، وكانت رابعة العدوية تقول: نعم الرجل سفيان لولا أنه يحب الحديث. وقالت مرة: لولا أنه يحب الدنيا يعني اجتماع الناس حوله للحديث. هذا نص القوت بتمامه.

وأخرج الخطيب في شرف أصحاب الحديث، أخبرنا محمد بن الحسين القطان، حدثنا عبدالله بن جعفر بن درستويه، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثني أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن يمان قال: سمعت سفيان يقول: فتنة الحديث أشد من فتنة الذهب والفضة، ونقل مثل ذلك عن بشر بن الحرث فيما أخرجه الخطيب في كتاب الاقتضاء بسنده إلى حمزة بن الحسين بن عمر قال: سمعت ابراهيم بن هانىء النيسابوري يقول: سمعت بشر بن الحرث يقول: ما لي وللحديث ما لي وللحديث، إنما هو فتنة إلا لمن أراد الله به، ومثل كلام رابعة في سفيان يروى عن يحي بن سعيد انه قال: ما أخشى على سفيان شيئاً في الآخرة إلا حبه للحديث، ويروى عن محمد بن هارون بن شيبة الحربي قال: لقيني بشر بن الحرث في الطريق فنهاني عن الحديث وأهله وقال: أقبلت إلى يحي بن سعيد القطان فبلغني أنه قال: أنا أحب هذا الفتى وأبغضه، فقيل له: لم تحبه وتبغضه؟ فقال: أحبه لمذهبه وأبغضه لطلبه الحديث. كل ذلك في كتاب الاقتضاء للخطيب، وفي كتاب شرف أصحاب الحديث له بسنده إلى علي بن قادم قال: سمعت الثوري يقول: لوددت أني لم أكن دخلت في شيء منه يعني الحديث، ولوددت أني أفلت منه لا عليّ ولا لي. وقال محمد بن بشر: سمعت سفيان يقول: ليتني أنجو منه كفافاً يعني الحديث، **(وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد البشر ﷺ : ولولا إن ثبتناك)** وقرنا صدرك بنور اليقين **(لقد كدت تركن)**

كِدتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِم شيئاً قليلاً﴾ [الإسراء : ٧٤] . وقال سهل رحمه الله : العلم كله دنيا

أي تميل (**إليهم شيئاً قليلاً**) [الإسراء : ٧٤]. وقد رويت مثل مقالة سفيان وبشر أخبار عن أساطين العلماء ، فربما أشكلت على سامعيها ، ونحن نبين لك ونجيب عنه على حسب الاختصار ، فمن ذلك يذكر عن الفضيل قال، قال المغيرة: ما طلب أحد هذا الحديث إلا قلّت صلاته، ويروى عن شعبة بن الحجاج أن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون. ويروى عن الشعبي أنه قال: لوددت أني لم أتعلم من هذا العلم شيئاً. ويروى عن الأعمش: لأن أتصدق بكسرة أحب إلي من أن أحدث بسبعين حديثاً. ويروى عنه أيضاً ما في الدنيا شر من أصحاب الحديث. قال أبو بكر بن عياش الراوي عنه فأنكرتها عليه حتى رأيت منهم ما أعلم، ويروى عن محمد بن هشام العيشي قال: كنا نأتي أبا بكر بن عياش، فإذا كان طيب النفس قال حين رآنا خير قوم على وجه الأرض يحيون سنة النبي ﷺ ، فإذا أتيناه على غير ذلك يقول، شر قوم على وجه الأرض عقوا الآباء والأمهات وتركوا الصلوات في الجماعات إلى غير ذلك من أقوال رويناها بالأسانيد.

أما الجواب عن كلام بشر بن الحرث فقد تقدم في ترجمته أنه دفن كتبه وترك الحديث وأقبل على العبادة فلكراهته ذلك قال ما قال، وأخرج الخطيب في شرف أصحاب الحديث بسنده إلى محمد بن نعيم بن الهيصم قال: رأيت بشر بن الحرث وقد جاء أصحاب الحديث فقال لهم بشر: ما هذا الذي أرى معكم قد أظهرتموه؟ قالوا: يا أبا نصر، نطلب العلم لعل الله ينفع به قوماً. قال: علمتم أنه يجب عليكم فيه زكاة كما يجب على أحدكم إذا ملك مائتي درهم خمسة دراهم، فكذلك يجب على أحدكم إذا سمع مائتي حديث فليعمل منها بخمسة أحاديث، وإلا فانظروا إيش يكون هذا عليكم غداً.

وأخرج أيضاً في كتاب الاقتضاء بسنده إلى أبي بكر عبدالله بن جعفر قال: سمعت أحمد بن حنبل، وسئل عن رجل يطلب الحديث فيكثر قال: ينبغي أن يكثر العمل به على قدر زيادته في الطلب، ثم قال: سبيل العلم سبيل المال إن المال إذا زاد زادت زكاته، فذم بشر للحديث وطلبه ليس لذاته، بل لما يعرض له من عدم القيام بحقوق واجباته.

وأما سفيان فإنما قال ما قال منعاً للناس عن الشهوة الخفية والركون إليها، وخوفاً على نفسه أن لا يكون قام بحق الحديث والعمل به، فخشي أن يكون ذلك حجة عليه، كما خاف من ذلك بشر بن الحرث، وكان حب الإسناد وشهوة الرواية غلبا على قلب سفيان حتى كان يحدث عن الضعفاء ومن لا يحتج بروايته، فخاف على نفسه من هذا ومن ذلك قول شعبة نعم الرجل سفيان لولا أنه يقمش يعني يأخذ من الناس كلهم، وكأنه أراد بقوله ذم من يطلب شواذ الحديث وغرائبه والإكثار من طلب الأسانيد الغريبة والطرق المستنكرة، وليس يجوّز الظن بالثوري أنه قصد بقوله الذي قاله صحاح الحديث ومعروف السنن، وكيف يكون ذلك وهو القائل: أكثروا من الأحاديث فإنها سلاح، وقال: ينبغي للرجل أن يكره ولده في طلب الحديث، فإنه مسؤول

والآخرة منه العمل به. والعمل كله هباء إلا الاخلاص. وقال: الناس كلهم موتى إلا

عنه. وقال: ما أعلم شيئاً يطلب به الله هو أفضل من الحديث فقال له إنسان؛ فإنهم يطلبونه بغير نية. قال: طلبهم له نية، وكان ربما حدث بعسقلان وصور فيبتدؤهم ثم يقول: انفجرت العيون انفجرت العيون يعجب من نفسه، وربما حدث الرجل فيقول له: هذا خير لك من ولايتك عسقلان وصور.

وأما قول المغيرة فإنه خرج منه على حال نفسه ولعله كان يكثر صلاة النوافل، فإذا سعى في طلب الحديث الى المواضع البعيدة كان ذلك قاطعاً له عن بعض نوافله، ولو أمعن المغيرة النظر لعلم أن سعيه في طلب الحديث أفضل من صلاته، كيف وقد قال ابن المبارك: لو علمت أن الصلاة أفضل من الحديث ما حدثتكم ومرّ عن الشافعي: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.

وأما قول شعبة؛ فقد سئل عنه ابن حنبل فأجاب لعل شعبة كان يصوم فإذا طلب الحديث وسعى فيه يضعف فلا يصوم فهو أخبر عن حال نفسه، وليس يجوز لأحد أن يقول أن شعبة كان يثبط عن طلب الحديث، وكيف يكون ذلك وقد بلغ من قدره أن سمي أمير المؤمنين في الحديث كل ذلك لأجل طلبه له واشتغاله به، ولم يزل على ذلك حتى مات على غاية الحرص فيجمعه لا يشتغل بشيء سواه، ويروى عنه أنه قال: إني لأذكر الحديث فيفوتني فأمرض.

وأما الأعمش، فإنه مع جلالة قدره وصدقه وحفظه فإنه كان سيء الخلق جداً عسراً على استماع الحديث وأخباره في ذلك مشهورة، فالذي قاله تبرأمن طلبة الحديث، فلذا كان يستقبلهم بالذم، ثم يصالحهم بعد بالأسماع كيف ويروى عنه أنه قال: من لم يطلب الحديث أشتهي أن أصفعه بنعلي، وقال سفيان: سمعت الأعمش يقول: لولا هذه الأحاديث لكنا مع البقالين بالسوية، ولو كنت باقلانياً لاستقذرتموني.

وأما أبو بكر بن عياش فإنه كان عسراً في إسماع الحديث كالأعمش، فلما أضجره أصحاب الحديث قال ما قال، وقد يروى عنه قول ظاهر بفضلهم، قال حمزة بن سعيد المروزي: سمعت أبا بكر بن عياش وضرب بيده على كتف يحي بن آدم فقال: ويلك يا يحي في الدنيا قوم أفضل من أصحاب الحديث، فهذا الذي ذكرناه مختصراً كاف في الجواب عما عسى أن يستشكل من أقوال بعض الأئمة وبالله التوفيق.

(**وقال**) الإمام أبو محمد (**سهل**) بن عبدالله بن يونس التستري سكن البصرة، صاحب كرامات، صحب ذا النون المصري بمكة سنة خروجه للحج توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقيل ثلاث وسبعين: (**العلم كله دنيا إلا ما أريدَ به الآخرة**)، كذا في نسختنا، وفي بعضها والآخرة منه العمل به. وهكذا أخرجه الخطيب في كتاب الاقتضاء فقال: أخبرنا محمد بن الحسن الأهوازي، سمعت ابن دينار الصوفي يقول: سمعت محمد بن المنذر يقول: سمعت سهل بن عبدالله يقول: العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به، وهكذا هو في القوت أيضاً، لكن من غير

العلماء والعلماء سكـارى إلا العـاملين، والعـاملـون كلهـم مغـــرورون إلا المخلصين، والمخلص على وجل حتى يدري ماذا يختم له به. وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: إذا طلب الرجل الحديث أو تزوّج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا، وإنما أراد به طلب الأسانيد العالية أو طلب الحديث الذي لا يحتاج إليه في طلب الآخرة،

إسناد. ويروى عنه أيضاً فيما أخرجه الخطيب بالسند إلى بشر بن حسن الصابوني قال، قال سهل: العلم أحد لذات الدنيا، فإذا عمل به صار للآخرة، وزاد صاحب القوت بعد قوله السابق: **(والعمل كله هباء إلا الإخلاص)**. وهذه الزيادة لم أجدها في قول سهل، وإنما هي في قوله الآتي فيما بعد، والمنصف تابع في إيراده صاحب القوت إلا أنه بدون لفظة كله، **(وقال)** سهل أيضاً: **(الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء سكارى إلا العاملين، والعاملون مغرورون إلا المخلصين، والمخلصــون على وجـــل حتى يعلم بما يختم لهم بــــه)** هكـــذا أورده القـــوت إلا أنه قال: والمخلص على وجل حتى يختم له به، وقال الخطيب في كتاب الاقتضاء: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الخلال، أخبرنا أبو المفضل الشيباني قال: سمعت عبد الكريم بن كامل الصواف يقول: سمعت سهل بن عبدالله التستري يقول: الناس كلهم سكارى إلا العلماء، والعلماء كلهم حيارى إلا من عمل بعلمه، ثم قال: أخبرنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد النيسابوري بالري، أخبرنا أبو أحمد الغطريفي، حدثنا أبو سعيد العبدي بالبصرة قال، قال سهل بن عبدالله: الدنيا جهل وموات إلا العلم والعلم كله حجة إلا العمل به، والعمل كله هباء إلا الإخلاص.

(وقال) الإمام الزاهد) **(أبــو سليمان)** عبـد الرحمن بــن أحمد بــن عطيــة **(الداراني)** منسوب إلى داريـا قرية بغوطة دمشق من رجال الرسالة واسطي سكن دمشق وروى عن الربيع بن صبيح وأهل العراق. وعنه صاحبه أحمد بن أبي الحواري، والقاسم الجويجي. مات سنة خمسة عشر ومائتين.

قلت: وهو غير أبي سليمان الداراني الكبير، فإن هذا اسمه عبد الرحمن بن سليمان بن أبي الجون العنسي الدمشقي له رحلة في الحديث: روى عن الأعمش، وليث بن أبي سليم، ويحيى بن سعيد الأنصاري، واسماعيل بن أبي خالد، وعنه هشام بن عمار، وعبدالله بن يوسف التنيسي، وصفوان بن صالح، وجماعة وثقه رحيم. قال الذهبي: بقي إلى قرب التسعين ومائة؛ **(إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا)** هكذا أورده صاحب القوت، ولفظه: من تزوج أو طلب الحديث أو طلب معاشاً، وفي موضع آخر أو سافر كما للمصنف، ولم يذكر في طلب المعاش، والباقي سواء زاد المصنف في تفسيره، **(وإنما أراد به الأسانيد العالية)** أي إنما أراد بطلبه للحديث طلب أسانيده العالية الغريبة والاستكثار من الطرق المستنكرة كأسانيد حديث الطائر. وحديث المغفر، وغسل الجمعة، وقبض العلم، ومن كذب ولا نكاح إلا بولي، وغير ذلك مما يتتبع أصحاب الحديث طرقه ويعتنون بجمعه، والصحيح من طرقه أقلها وأكثر من يجمع ذلك الأحداث منهم فيحتفظون بها ويتذاكرون، ولعـل

وقال عيسى عليه السلام: كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه، وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به؟

أحدهم لا يعرف من الصحاح حديثاً وتراه يذكر من الطرق الغريبة والأسانيد العجيبة التي أكثرها موضوع وجلها مصنوع مما لا ينتفع به، وهذه العلة هي التي قطعت أكثر العلماء عن التفقه واستنباط الأحكام كفعل من رغب عن سماع السنن من المحدثين وشغلوا أنفسهم بتصانيف المتكلمين، فكلا الطائفتين ضيع ما يعنيه وأقبل على ما لا فائدة فيه، ثم إن علو الإسناد عند حذاق المحدثين إنما يعتبر بعدالة رجال الإسناد لا القرب مطلقاً وإلا فقد يكون نزولاً، ففي مشيخة عبد الرحمن بن علي الثعلبي تخريج الحافظ العراقي بسنده إلى ابن المبارك قال: ليس جودة الحديث قرب الإسناد، جودة الحديث صحة الرجال، وأنشد الحافظ أبو طاهر السلفي لنفسه:

ليس حسن الحديث قرب رجال ... عند أرباب علمه النقاد
بل علو الحديث بين أولي الحفـ ... ـظ والإتقان صحة الإسناد
وإذا ما تجمعا في حديث ... فاغتنمه فذاك أقصى المرادِ

(**وتطلب الحديث**) الشاذ المنكر، وإليه يشير قول عبدالله بن إدريس: كنا نقول الإكثار من الحديث جنون. قال الطنافسي الراوي عنه صدق وكذا تطلب (**الذي لا يحتاج إليه في طريق الآخرة**). قال ابن وهب: يذكر عن مالك قال: ما أكثر أحد من الحديث فانجح. وقال عبد الرزاق: كنا نظن أن كثرة الحديث خير، فإذا هو شر كله. وقال المروزي: سمعت أحمد ابن حنبل يقول: تركوا الحديث وأقبلوا على الغرائب ما أقل الفقه فيهم، وقد سبق إنكار ابن القيم قول الداراني هذا وتقرير المصنف إياه، وسبق أيضاً الجواب عنه في خلال فصول المقدمة. (**وقال**) أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبي حدثنا محمد بن إبراهيم بن الحكم، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدوركي، حدثنا سعيد بن عامر، حدثنا هشام صاحب الدستوائي قال: قرأت في كتاب بلغني أنه من كلام (**عيسى**) بن مريم (**عليه السلام**) تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير العمل ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل، ويلكم علماء السوء الأجر تأخذون والعمل تضيعون، يوشك رب العمل أن يطلب عمله (**كيف يكون من أهل العلم من سيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه**) وما يضره أشهى إليه، أو قال أحب إليه مما ينفعه. (**و**) قال أبو نعيم أيضاً: حدثنا أبي، حدثنا ابراهيم بن محجن بن الحسن، حدثنا الفضل بن الصباح، حدثنا أبو عبيدة الحداد، عن هشام الدستوائي قال: كان عيسى عليه السلام يقول: معشر العلماء (**كيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به**) و (**لا**) يطلبه (**ليعمل به**)، والعلم فوق رؤوسكم والعمل تحت أقدامكم فلا أحرار كرام ولا عبيد أتقياء. (**وقال صالح بن كيسان أبو الحرث**) (**البصري**) كذا في النسخ، والصواب النضري بفتح النون والضاد المعجمة المحركة منسوب إلى بني النضير قاله ابن أبي حاتم، وهو مدني نزيل البصرة، روى عن أبيه وغيره، ومحمد بن كعب، وهشام بن عبدة وغيرهم، وعنه سعيد بن محمد الوراق، وعابد بن

وقال صالح بن كيسان البصري: أدركت الشيوخ وهم يتعوّذون بالله من الفاجر العالم بالسنّة.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من طلب علماً مما يبتغي به وجه الله تعالى ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة». وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم، ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد، فقال عز وجل في علماء الدنيا: ﴿وإذ أخَذَ الله ميثاقَ ٱلّذين أوتوا الكِتابَ لتبيننَّه للناس وَلاَ

حبيب، وعبد الحميد الحماني، وأبو داود الحفري قال ابن عدي: بعض أحاديثه فيها إنكار وهو إلى الضعف أقرب. وقال الحافظ ابن حجر: له ذكر في مقدمة مسلم ونقل عن ابن حبان أنه كان صاحب قينات وسماع وممن يروي الموضوعات عن الإثبات: **(أدركت الشيوخ)** أي بالمدينة وغيرها **(وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة)** هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه قال أدركت المشيخة والفجور كما تقدم خرق ستر الديانة، وهو مثل قول سيدنا عمر رضي الله عنه السابق أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان.

(وروى أبو هريرة) رضي الله عنه، واسمه عبد الرحمن بن صخر في أشهر الأقوال، وهو من مكثري الصحابة رواية وزهداً وورعاً وترجمته واسعة **(أنه ﷺ قال: «من طلب علماً مما يبتغي به وجه الله ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»)** قال العراقي: رواه أبو داود، وابن ماجه من رواية سعيد بن يسار، عن أبي هريرة بلفظ: «من تعلم» وقال: «لا يتعلمه إلا ليصيب» وإسناده صحيح رجاله رجال البخاري اهـ.

قلت: وقد رواه كذلك الإمام أحمد، والحاكم، والبيهقي وأخرج الديلمي في مسند الفردوس، عن أبي سعيد رفعه: «من تعلم الأحاديث ليحدث بها الناس لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام». قال العراقي: وفي الباب عن ابن عمر رواه الترمذي، وابن ماجه. وقول المنذري في مختصر السنن أن الترمذي روى حديث أبي هريرة وهو إنما روى حديث ابن عمر ولفظها مختلف فيه اهـ.

قلت: الذي عن ابن عمر في هذا المعنى: «من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار» رواه الترمذي وقال: حسن غريب، ولعل هذا الحديث الذي أشار له العراقي، **(و)** في القوت ما نصه: **(قد وصف الله تعالى)** في كتابه **(علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم)** أي بأكلهم إياها به وطلبهم بتحصيله إياها، **(ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد)**. قال الليث: الخشوع قريب المعنى من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والخشوع في القلب والبصر والصوت اهـ.

والزهد في الشيء قلة الرغبة فيه والقناعة بقليله **(فقال في)** حق **(علماء الدنيا: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيينه للناس ولا تكتمونه﴾ إلى قوله ﴿ثمناً قليلاً﴾ الى**

تكتمونَهُ فنبذُوه وراءَ ظُهُورِهِمْ واشتَرَوْا بهِ ثمناً قليلاً﴾ [آل عمران: ١٨٧]. وقال تعالى في علماء الآخرة: ﴿إنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ باللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم خَاشِعِينَ للهِ لاَ يَشْتَرُونَ بآياتِ اللهِ ثمناً قليلاً أولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُم عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٩]. وقال بعض السلف: العلماء يحشرون في زمرة الأنبياء، والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين. وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه.

وروى أبو الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «أوحى الله عز وجل إلى بعض الأنبياء: قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا

قوله: (فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً﴾ فبئس ما يشترون [آل عمران: ١٨٧] فقوله ﴿فنبذوه﴾ أي تركوه ورموه وراء ظهورهم ولم يعملوا به ولبوا به متاع الدنيا الفانية، فهذا أكلهم الدنيا بالعلم. (وقال في) وصف (علماء الآخرة: وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم) أي من الأحكام وغيرها (خاشعين لله إلى قوله أجرهم عند ربهم) أي قوله: ﴿لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم﴾ [آل عمران: ١٩٩] وأخرج أبو نعيم في الحلية بسنده إلى الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً﴾ [البقرة: ٤١] قال: لا تأخذ على ما علمته أجراً فإنما أجر العلماء والحكماء والحلماء على الله، وهم يجدونه مكتوباً عندهم يا ابن آدم علم مجاناً كما علمت مجاناً. وقال صاحب القوت: ومما يدلك على الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة أن كل عالم بعلم إذا رآه من لا يعرفه لم يتبين عليه أثر علمه ولا عرف أنه عالم إلا العلماء بالله عز وجل، فإنما يعرفون بسيماهم للخشوع والسكينة والتواضع والذلة، فهذه صبغة الله لأوليائه ولبسة للعلماء به﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ [البقرة: ١٣٨] كما قال: ما ألبس الله عز وجل لبسة أحسن من خشوع في سكينة هي لبسة الأنبياء وسيما العلماء، فمثلهم في ذلك كمثل الصناع إذ كل صانع لو ظهر لمن لا يعرفه لم يعرف صنعته دون سائر الصنائع، ولم يفرق بينه وبين الصناع إلا الصناع فإنه يعرف بصنعته لأنها ظاهرة عليه إذ صارت له لبسة وصفة لالتباسها بمعاملته فكانت سيماه.

(وقال بعض السلف) أي من العلماء المتقدمين (العلماء يحشرون في زمرة الأنبياء) أي لكونهم ورثتهم، (والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين) لكونهم حكاماً بين الناس فسبيلهم سبيل الملوك والسلاطين. هكذا أخرج هذا القول صاحب القوت. قال المصنف: (وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه) أي فيكون حشره مع السلاطين. وقال صاحب القوت: ومثل العالم مثل الحاكم وقد قسم النبي ﷺ الحكام ثلاثة أقسام. فقال: «القضاة ثلاثة» الحديث.

(وروى أبو الدرداء) عويمر بن عامر رضي الله عنه تقدمت ترجمته (أنه ﷺ قال: أوحى الله إلى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل

بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب، وألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرّ من الصبر إياي يخادعون وبي يستهزئون لأتيحن لهم فتنة تذر الحليم حيراناً».

وروى الضحاك عن ابن عباس رضيَ الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «علماء

ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش) جمع مسك بالفتح فالسكون هو الجلد إشارة إلى لباس الصوف **(وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل)** أي في الفصاحة **(وقلوبهم أمر من الصبر إياي يخادعون وبي يستهزئون لأتيحن)** أي لأقدرن **(لهم فتنة تدر الحليم فيهم حيراناً)** قال العراقي: رواه ابن عبد البر في العلم بإسناد ضعيف فيه عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي، قال البخاري: تركوه. وقال يحي بن معين: ليس بشيء. وقال النسائي، والدارقطني: متروك اهـ.

قلت: هو عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبي وقاص أبو عمرو المدني ويقال له المالكي أيضاً نسبة إلى جده الأعلى أبي وقاص مالك مات في خلافة الرشيد، روى عن عمة أبيه عائشة، وابن أبي مليكة، والزهري، ومحمد الباقر، ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم، وعنه يونس ابن بكر الشيباني، وحجاج بن نصر، والهذيل بن إبراهيم الحمامي، وإسماعيل بن أبان الوراق، وصالح بن مالك الخوارزمي، ومحمد بن يعلى بن زنبور، وأبو عمر الدوري، ويحي بن بشر الحريري وآخرون. روى له الترمذي حديثاً واحداً في ذكر ورقة بن نوفل، قال البخاري في التاريخ: سكتوا عنه، وجده عمر بن سعد من رجال النسائي نزيل الكوفة صدوق، لكنه مقته الناس لكونه كان أميراً على الجيش الذين قتلوا الحسين بن علي.

قال العراقي: وفي الباب عن أبي هريرة رواه ابن المبارك في الزهد نحوه دون ذكر كونه وحياً إلى بعض الأنبياء، وعن أنس رواه الطبراني في الكبير بلفظ آخر مختصراً وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: وجدت هذا الحديث في الحلية في ترجمة وهب بن منبه، ولفظه: حدثنا عبدالله، حدثنا علي، حدثنا حسين، حدثنا عبدالله بن المبارك أخبرنا بكار بن عبدالله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: قال الله عز وجل فيما يعتب به أحبار بني إسرائيل: «تتفقهون لغير الدين وتتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة تلبسون جلود الضأن وتخفون أنفس الذئاب وتنقون الغذاء من شرابكم وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام وتثقلون الدين على الناس أمثال الجبال، ثم لا تعينونهم برفع الخناصر. تطيلون الصلاة وتبيضون الثياب تقتنصون بذلك مال اليتيم والأرملة، فبعزتي حلفت لأضربنكم بفتنة يضل فيها رأي ذوي الرأي وحكمة الحكيم» وأخرجه الخطيب في الاقتضاء فقال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، حدثنا محمد بن العباس الخزاز، حدثنا يحي بن محمد بن صاعد. قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزي، أخبرنا ابن المبارك فذكره سواء.

(وروى الضحاك) ولفظ القوت، وقد روينا عن الضحاك **(عن ابن عباس)** رضي الله

هذه الأمة رجلان: رجل آتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعاً ولم يشترِ به ثمناً، فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين، ورجل آتاه الله علماً في الدنيا فَضَنَّ به على عباد الله وأخذ عليه طمعاً واشترى به ثمناً فذلك يأتي يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ينادي مناد على رؤوس الخلائق هذا فلان ابن فلان آتاه الله علماً في الدنيا فضنّ به على عباده وأخذ به طمعاً واشترى به ثمناً فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس».

عنهما (عن النبي ﷺ أنه قال: «علماء هذه الأمة رجلان: فرجل آتاه الله علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعاً) أي أجرة (ولم يشتر به ثمناً) أي عوضاً (فذلك) الذي (يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى يوم القيامة سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين، ورجل آتاه الله علماً في الدنيا فضن به) أي بخل به (على عباد الله وأخذ به طمعاً واشترى به ثمناً) فذلك الذي (يأتي يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ينادي مناد على رؤوس الخلائق). وفي نسخة الأشهاد (هذا فلان ابن فلان آتاه الله علماً فضنّ به على عباده). وفي نسخة: على عباد الله عز وجل (وأخذ به طمعاً واشترى به ثمناً يعذب حتى يفرغ من حساب الناس). وفي نسخة: الخلق هكذا أورده صاحب القوت.

وقال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من رواية عبدالله بن خراش، عن العوام بن حوشب، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ فذكره إلا أنه قال: «فذلك يستغفر له حيتان البحر ودواب البر والطير في جو السماء» ولم يقل «والكرام الكاتبون» وقال: فبخل وقال فذلك يلجم يوم القيامة بلجام من نار. وقال: هذا الذي آتاه الله علماً فبخل به، وقال كذلك حتى يفرغ من الحساب. وعبدالله بن خراش بن حوشب متفق على ضعفه وشهر ابن حوشب مختلف فيه، وذكر المصنف أنه من رواية الضحاك عن ابن عباس، والمعروف رواية شهر بن حوشب عنه. وقال الطبراني: بعد تخريجه لم يرو هذا الحديث عن العوام إلا عبدالله بن خراش، ولا يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد اهـ.

قلت: قد علمت أن المصنف تبع في قوله هذا صاحب القوت، فلعله وقع له طريق إلى ابن عباس غير الذي أشار إليه الطبراني لكونه ثقة، والضحاك المذكور هو ابن مزاحم الهلالي أبو القاسم الخراساني، روى عن ابن عمر، وابن عباس، وأبي سعيد، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، وقد تكلم في سماعه عن ابن عباس، بل من الصحابة، وروى أيضاً عن الأسود بن يزيد النخعي، وعطاء، وأبي الأحوص، والنزال بن سبرة، وعبد الرحمن بن عوسجة، وعنه جويبر بن سعيد، وسلمة بن نبيط، وعبد العزيز بن أبي رواد، واسماعيل بن أبي خالد، وعمارة بن حفصة وأبو حباب الكبي، ومقاتل بن حيان وجماعة، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: لقي جماعة من

وأشد من هذا ما روي: «أن رجلاً كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول: حدثني موسى صفي الله، حدثني موسى نجي الله، حدثني موسى كليم الله، حتى أثرى وكثر ماله ففقده موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبراً حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل أسود فقال له موسى عليه السلام: أتعرف فلاناً؟ قال: نعم. هو هذا الخنزير فقال موسى: يا رب أسألك أن ترده إلى حاله حتى أسأله بِمَ أصابه هذا؟ فأوحى الله عز وجل إليه لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه، ولكن أخبرك لِمَ صنعت هذا به لأنه كان يطلب الدنيا بالدين». وأغلظ من هذا ما روى معاذ بن جبل رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً في

التابعين ولم يشابه أحداً من الصحابة، ومن زعم أنه لقي ابن عباس فقد وهم. وقال ابن عدي: عرف بالتفسير، وأما رواياته عن ابن عباس وأبي هريرة ففيه نظر مات سنة ست ومائة.

(**وأشد من هذا ما روي**) ولفظ القوت: ومن أغلظ ما سمعت من أكل الدنيا بالعلم ما حدثونا عن عبيد بن واقد عن عثمان بن أبي سليمان قال: (**إن رجلاً**) ولفظ القوت: (**كان**) رجل (**يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول: حدثني موسى نبي الله، حدثني موسى كليم الله**) ولفظ القوت: صفي الله بدل نبي الله، وزاد: حثني موسى نجي الله قبل الجملة الأخيرة (**حتى أثرى وكثر ماله ففقده**)، وفي القوت: وفقده (**موسى عليه السلام فسأل عنه فلا يحس**) أي لم يجد (**له موسى خبراً**) ولفظ القوت: فجعل يسأل عنه فلا يحس منه أثراً (**حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير في عنقه حبل أسود فقال له يا موسى**) كذا في النسخ، ولفظ القوت: فقال له موسى عليه السلام: (**أتعرف فلاناً؟ قال**) الرجل: (**نعم هو هذا الخنزير**). هكذا في القوت ونسخ الكتاب كلها. قال: نعم. قال: هو هذا الخنزير. وهذه الحكاية إنما أخذها المصنف من الكتاب المذكور، فالعهدة في الاختلاف عليه. (**فقال موسى عليه السلام: يا رب أسألك ان ترده إلى حاله حتى أسأله بما**) وفي القوت. فيا (**أصابه هذا فأوحى الله عز وجل إليه**) يا موسى. (**لو دعوتني بالذي دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه، ولكن**) وفي القوت: ولكني (**أخبرك لم صنعت هذا به**). وفي القوت: ولكني أخبرك صنعت هذا به لأنه (**كان يطلب الدنيا بالدين**) وفي عدم إجابة دعوة موسى عليه السلام فيه تغليظ على حال مثله. (**وأغلظ من هذا ما روي عن معاذ بن جبل**) رضي الله عنه (**موقوفاً**) عليه (**ومرفوعاً إلى النبي ﷺ**)، ولفظ القوت: وقد روينا في مقامات علماء السوء حديثاً شديداً نعوذ بالله من أهله، ونسأله أن لا يبلونا بمقام منه، وقد رويناه مرة مسنداً من طريق، ورويناه موقوفاً على معاذ بن جبل رضي الله عنه، وإنما أذكره موقوفاً أحب إليّ. حدثونا عن مندل بن علي، عن أبي نعيم السامي، عن محمد بن زياد، عن معاذ بن جبل يقول فيه، قال رسول الله ﷺ: ووقفته أنا على معاذ. (**قال: «من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه**

رواية عن النبي ﷺ قال: «من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع» وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ، وفي الصمت سلامة وعلم.

ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك في الدرك الأول من النار، ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان إن رد عليه شيء من علمه أو تهوّن بشيء من حقه غضب، فذلك في الدرك الثاني من النار. ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلاً، فذلك في الدرك الثالث من النار. ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيافيفتي بالخطأ والله تعالى يبغض المتكلفين، فذلك في الدرك الرابع من النار. ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه، فذلك في الدرك الخامس من النار. ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلاً وذكراً في الناس، فذلك في الدرك السادس من النار. ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فإن وعظ عنف وإن وعظ أنف، فذلك في الدرك السابع من النار. فعليك يا أخي بالصمت فبه تغلب الشيطان وإياك أن تضحك من غير عجب أو تمشي في غير أرب.

من الاستماع، وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفي الصمت سلامة وعلم») كذا في النسخ، ومثله في القوت. وقد أصلح العراقيّ في نسخته التي قرأها عليه ولده وقال: سلامة وغنم.

(**ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك في الدرك الأول من النار**) قد تقدم أن الدركات مثل الدرجات إلا أن الدرجات استعملت في الجنة والدركات في النار. (**ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان فإن رد عليه شيء من علمه أو تهون بشيء من حقه غضب، فذلك في الدرك الثاني من النار، ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه**) ولفظ القوت: من يجعل حديثه في غرائب علمه (**لأهل الشرف واليسار**) أي النعمة (**ولا يرى أهل الحاجة**) أي الاحتياج والفقر (**له**) أي لاستماع حديثه ذاك (**أهلاً فذلك في الدرك الثالث من النار. ومن العلماء من ينصب نفسه للفتوى**) وفي القوت: للفتيا (**فيفتي بالخطأ، والله**) عز وجل (**يبغض المتكلمين فذلك في الدرك الرابع من النار. ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه، فذلك في الدرك الخامس من النار، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلاً وذكراً في الناس**) أي شهرة، (**فذلك في الدرك السادس من النار، ومن العلماء من يستفزه**) أي يحمله (**الزهو**) أي التكبر (**والعجب فإن وعظ**) غيره (**عنف**) في وعظه (**وإن وعظ أنف**) أي استكبر عن قبول وعظه، (**فذلك في الدرك السابع من النار عليك بالصمت فبه**) أي بالصمت (**تغلب**

....

الشيطان وإياك أن تضحك من غير عجب) وقد يروى عن معاذ من المقت الضحك من غير عجب **(أو تمشي في غير إرب)** أي حاجة، هكذا أورده بطوله صاحب القوت.

قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم الأصبهاني قال: حدثنا أبو الهيثم أحمد بن محمد الكندي، حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا جبارة بن المفلس، حدثنا مندل بن علي، عن أبي نعيم السامي، عن محمد بن زياد، عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ: «إن من فتنة العالم فذكره. وقال: فإن رد عليه شيء من قوله. وقال: من يجعل حديثه وغرائب علمه، وقال: من يتعلم من اليهود والنصارى: وجبارة بن المفلس ومندل بن علي ضعيفان، وأبو نعيم السامي مجهول ومحمد بن زياد الحمصي لم يدرك معاذاً، ورواه الديلمي أيضاً فيه من رواية خالد بن يزيد أبي الهيثم المقري، عن مندل بن علي مثله. وخالد بن يزيد ثقة احتج به البخاري. ورواه ابن الجوزي في الموضوعات، وهذا الكلام معروف من قول يزيد بن أبي حبيب رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق في الباب الثاني منه اهـ.

قلت: أخرجه ابن الجوزي فقال: أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه، أخبرنا محمد بن أحمد الحافظ، أخبرنا محمد بن عبدالله الشافعي، حدثنا جعفر الصائغ، حدثنا خالد ابن يزيد أبو الهيثم، حدثنا جبارة بن مفلس فذكره. فقول العراقي: ورواه ابن الجوزي في الموضوعات أي من رواية خالد بن يزيد، عن مندل بن علي كما يعطيه ظاهر سياقه فيه نظر. وقال ابن الجوزي: خالد كذاب، وجبارة ومندل ضعيفان اهـ.

وقال الذهبي في الديوان: خالد بن يزيد أبو الهيثم المكي. قال أبو حاتم كذاب فينظر هذا مع قول العراقي أنه ثقة واحتج به البخاري، وقوله أيضاً محمد بن زياد الحمصي لم يدرك معاذاً قد جاء وصفه بالسلمي، وعده الذهبي في المجاهيل، وقوله: وهذا الكلام معروف من قول يزيد بن حبيب الخ.

قلت: وقد روي من طريق يزيد بن أبي حبيب مرفوعاً وموقوفاً. إما مرفوعاً فقد أخرجه ابن مردويه فقال: حدثنا أحمد بن عبدالله، حدثنا علي بن الحسن، حدثنا أبو الأزهر النيسابوري، حدثنا فردوس الكوفي، حدثنا طلحة بن رجاء الحمصي عن عمرو بن الحرث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي يوسف المعافري عن معاذ فذكره بمعناه موقوفاً قاله ابن الجوزي أي موقوفاً على معاذ، ثم قال: باطل طلحة متروك.

قلت: لم أر له ذكراً في ديوان الضعفاء للذهبي، وشيخه عمرو بن الحارث بن الضحاك الزبيدي بالضم الحمصي مقبول من السابعة أخرج له البخاري في التاريخ وأبو داود. قال الحافظ السيوطي في اللآلئ المصنوعة: أخرج له المرهبي في فضل العلم قال: أخبرنا أبي قراءة عليه، حدثنا جبارة به، فزالت تهمة خالد، ثم قال: وأخرجه ابن المبارك في الزهد قال: أخبرنا رجل من أهل الشام، عن يزيد بن أبي حبيب قال: إن فتنة العالم فذكره موقوفاً على يزيد. وأخرجه ابن عبد

وفي خبر آخر: «أن العبد لينشر له من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة». وروي أن الحسن حمل إليه رجل من خراسان كيساً بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز. وقال يا أبا سعيد: هذه نفقة وهذه كسوة، فقال الحسن: عافاك الله تعالى، ضم إليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك إنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له، وعن جابر رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً قال. قال رسول الله ﷺ: «لا تجلسوا عند كل عالم إلا إلى عالم يدعوكم من خمس إلى

البر في العلم من طريق ابن المبارك، ثم قال: روى مثل قول يزيد بن أبي حبيب هذا كله من أوله إلى آخره عن معاذ بن جبل من وجوه منقطعة اهـ.

(**وفي خبر آخر أن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة**). هكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: لم أجد له أصلاً بهذا اللفظ. وفي الصحيحين من رواية أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة رفعه: «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة». اهـ.

قلت: قد تقدم في أول الكتاب عند ذكره حديث: «إن من العلم كهيئة المكنون» ما ذكره الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في ترجمة شيخ عتيق نقلاً عن قضيب البان الموصلي أنه قال: من الرجال من يرفع صوته ما بين المشرق والمغرب ولا يسوي عند الله جناح بعوضة. (**وروي أن**) ونص القوت: وروينا عن (**الحسن**) هو البصري أنه (**انصرف**) يوماً (**من مجلسه**) الذي كان يذكر فيه (**فحمل إليه رجل من خراسان**) ونص القوت: فاستأذن عليه رجل من أهل خراسان فوضع بين يديه (**كيساً فيه خمسة آلاف درهم و**) أخرج من حضنه رزمة فيها (**عشرة أثواب من رقيق البز**) أي بزخراسان، فقال الحسن: ما هذا؟ (**فقال يا أبا سعيد هذه نفقة**) وأشار إلى الدراهم، (**وهذه كسوة**) وأشار إلى الرزمة (**فقال**) له (**الحسن: عافاك الله ضم إليك كسوتك ونفقتك**) وفي القوت بتقديم نفقتك (**فلا حاجة لنا بذلك**) وفي القوت: لا حاجة بلافاء (**أنه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله عز وجل يوم القيامة**). وفي القوت: يوم يلقاه (**ولا خلاق له**) أي لا حظ له ولا نصيب له.

(**وروي عن جابر**) بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه (**موقوفاً**) عليه (**ومرفوعاً إلى رسول الله ﷺ**) ونص القوت: وروينا عن شقيق بن إبراهيم، عن عباد بن كثير، عن أبي الزبير، عن جابر ذكره عن رسول الله ﷺ ووقفته أنا على جابر (**أنه قال: «لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالماً يدعوكم من خمس**) خصال (**إلى خمس**) خصال يدعوكم (**من الشك إلى**

خمس: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة». وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي

اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة) قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية من رواية شقيق عن عباد عن أبي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجلسوا مع كل عالم» فذكره. وقدم العداوة ثم الكبر على الرياء، وآخرها من الرغبة إلى الرهبة. وعباد بن كثير البصري نزيل مكة كان رجلاً صالحاً ولكنه متروك. قاله النسائي وغيره، وشقيق أحد الزهاد العباد من أهل المجاهدة والجهاد. قال صاحب الميزان: منكر الحديث، ثم قال لا يتصور أن نحكم عليه بالضعف لأن النكارة من جهة الرواة عنه اهـ.

قلت: نص أبي نعيم في الحلية أسند شقيق عن جماعة فما يعرف بمفاريده ما حدثنا أبو القاسم زيد بن علي بن أبي بلال، حدثنا علي بن مهروية، حدثنا يوسف بن حمدان، حدثنا أبو سعيد البلخي، حدثنا شقيق بن إبراهيم الزاهد، حدثنا عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله ﷺ فذكره، ثم أبو سعيد إسمه محمد بن عمرو بـن حجر، ورواه أيضاً أحمد بن عبدالله، عن شقيق، حدثناه أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد الأدريسي، حدثنا أحمد بن نصر الأعمشي البخاري، حدثنا سعيد بن محمود، حدثنا عبدالله بن محمد الأنصاري، حدثنا أحمد بن عبد الله، حدثنا شقيق بن إبراهيم الزاهد، عن عباد بن كثير مثله. رواه يحي بن خالد المهلبي عن شقيق فخالفهما. حدثناه أبو سعد الأدريسي، حدثنا محمد بن الفضل القاضي بسمرقند، حدثنا محمد بن زكريا الفارسي ببلخ، حدثنا يحي بن خالد، حدثنا شقيق، حدثنا عباد، عن أبان، عن أنس، عن النبي ﷺ مثله. وفي هذا الحديث كلام. كان شقيق كثيراً ما يعظ به أصحابه والناس فوهم فيه الرواة فرفعوه وأسندوه اهـ كلام أبي نعيم.

قلت: قال الحافظ السيوطي نقلاً عن اللسان أحمد بن عبدالله هو الجويباري أحد الكذابين، ثم قال العراقي: ورواه ابن الجوزي في الموضوعات، ثم قال: ليس هذا من كلام رسول الله ﷺ ثم ذكر كلام أبي نعيم المذكور اهـ.

قلت: وقد وجدت لهذا الحديث طريقاً آخر. قال السيوطي قال ابن النجار، في تاريخه: أخبرنا أبو القاسم الأزجي، عن أبي الرجاء، أحمد بن محمد الكسائي قال: كتب إلي أبو نصر عبد الكريم بن محمد الشيرازي، حدثني أبو القاسم عمر بن حمد بن خزيم الخويبي، حدثنا أبو بكر عمر ابن يمني بن عيسى الخويبي، حدثنا أبو عبدالله الحسين بن هلال الخويبي، حدثنا أبو يوسف يعقوب ابن نعيم البغدادي، حدثنا يحي بن محمد بن أعين المروزي، حدثنا شقيق بن إبراهيم البلخي، أخبرنا عباد بن كثير، عن أبي الزبير، عن جابر مرفوعاً «لا تقعدوا مع كل ذي علم إلا عالم يدعوكم من الخمس إلى الخمس من الرغبة إلى الزهد، ومن الكبر إلى التواضع، ومن العداوة إلى المحبة، ومن الجهل إلى العلم، ومن الغنى إلى التقلل». ووجدت له طريقاً آخر من طريق أهل

زِينَتِهِ قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْل ما أوتيَ قَارُونَ إنه لَذُو حظٍّ عظيم★ وقال الَّذين أوتوا العِلم ويلكم ثواب الله خيرٌ لمن آمن﴾ [القصص: ٧٩ ، ٨٠] الآية. فعرف أهل العلم بإيثار الآخرة على الدنيا.

ومنها: أن لا يخالف فعله قول بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أوّل عامل به. قال الله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبرِّ وتَنْسَوْنَ أنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿كَبُرَ مقتاً عِند الله أن تَقُولوا مَا لاَ تَفْعَلُون﴾ [الصف: ٣]. وقال تعالى في قصة شعيب: ﴿وما

البيت. قال السيوطي، وقال العسكري في المواعظ: حدثنا الحسن بن علي بن عاصم، حدثنا الهيثم ابن عبدالله، حدثنا علي بن موسى الرضى، حدثني أبي، عن أبيه جعفر، عن أبيه محمد، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «لا تقعد إلا إلى عالم يدعوك من الخمس إلى الخمس من الرغبة إلى الزهد، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكبر إلى التواضع، ومن المداهنة إلى المناصحة، ومن الجهل إلى العلم» اهـ.

(**وقال**) الله (**تعالى**) في كتابه العزيز في قصة قارون: (**فخرج**) أي قارون (**على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليست لنا مثل ما أوتي قارون إنّه لذو حظ عظيم ★وقال الذين أوتوا العلم**) وهو علم القلوب والمشاهدات الذي هو نتيجة التقوى، وعلم المعرفة واليقين الذي هو مزيد الإيمان وثمرة الهدى (**ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً**) ثم قال: ﴿ولا يلقاها إلا الصابرون[القصص: ٧٩ ، ٨٠] أي لا يلقى هذه الحكمة إلا الصابرون عن زينة الدنيا التي خرج فيها قارون (**فعرف**) الله عز وجل (**أهل العلم**) المشار إليه (بإيثار الآخرة على الدنيا والزهد فيها) والاستصغار لها، ووصفهم بعمل الصالحات للإيمان بها، كما وصف أهل الدنيا بالرغبة فيها والاستعظام لها.

(**ومنها**): أي ومن علامات علماء الآخرة (**أن لا يخالف فعله قوله**) لأن مخالفة الفعل القول من جلة موانع الإرشاد، (**بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أول عامل به**) ليكون قوله أوقع في قلوب السامعين. (**قال الله تعالى**) في كتابه العزيز: (**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**). [البقرة: ٤٤] أي تتركونها فتخالفون بأقوالكم أعمالكم. وقد تقدم في آخر الباب الخامس أن الآية نزلت في أحبار المدينة قاله ابن عباس. (**وقال عز وجل**): يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون (**كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**) [الصف: ٣] قال السيوطي في الدر المنثور: أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن ميمون بن مهران قيل له: أرأيت قول الله تعالى. هذا أهو الرجل يقرر نفسه فيقول: فعلت كذا وكذا من الخير أم هو الرجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن كان فيه تقصير فقال كلاهما ممقوت. وأخرج عبد بن حميد، عن أبي خالد الوالبي قال: جلسنا عند خباب بن الأرت فسكتنا فقلنا: ألا تحدثنا فإنا جلسنا إليك لذلك فقال: أتأمرون أن أقول ما لا أفعل. (**وقال تعالى في قصة**) سيدنا (**شعيب**) بن يوبب عليه

أريد أن أخالفكم إلى ما أنْهَاكم عنه﴾ [هود : ٨٨] . وقال تعالى : ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ [البقرة : ٢٨٢] . وقال تعالى : ﴿واتقوا الله واعلموا﴾ [البقرة : ١٩٦] . ﴿واتّقوا الله واسمعوا﴾ [المائدة : ١٠٨] . وقال تعالى لعيسى عليه السلام : « يا ابن مريم عظ نفسك ، فإن اتعظت فعظ الناس وإلاّ فاستحي مني » . وقال رسول الله ﷺ : « مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، فقلت : من أنتم ؟ فقالوا : كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهي عن الشر ونأتيه » . وقال ﷺ : « هلاك أمتي

السلام : (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) [هود : ٨٨] أي أمنعكم عنه . (وقال تعالى : واتقوا الله ويعلمكم الله) هما جملتان مستقلتان طلبية وهي الأمر بالتقوى وخبريه أي والله يعلمكم ما تتقون ، وليست جواباً للأمر ، ولو أريد الجزاء لأتى بها مجزومة من الواو . (وقال) تعالى : ﴿واتقوا الله واسمعوا﴾ [المائدة : ١٠٨] و ﴿اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾ [الأحزاب : ٧٠] فجعل مفتاح القول السديد والعلم الرشيد والسمع المكير التقوى وهي وصية الله عز وجل من قبلنا وإيانا إذ يقول سبحانه : ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ [النساء : ١٣١] هذه الآية قطب القرآن ومداره عليها كمدار الرحى على الحسبان . (وقال) الله (عز وجل لعيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك) أي أولاً (فإن اتعظت) هي (فعظ الناس ، وإلا فاستحي مني) . قال ابن السمعاني قرأت في كتاب كتبه الغزالي إلى أبي حامد أحمد بن سلامة بالموصل فقال في خلال فصوله : أما الوعظ فلست أرى نفسي أهلاً له لأن الوعظ زكاة نصابه الإتعاظ ، فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة ، وفاقد النور كيف يستنير به غيره ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ، وقد أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم عليه السلام فذكره .

(وقال رسول الله ﷺ : « مررت ليلة أسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت : من أنتم ؟ فقالوا : إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونأتيه ») قال العراقي : أخرجه ابن حبان في صحيحه من رواية مالك بن دينار ، عن أنس رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « رأيت ليلة أسري بي رجالاً تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالخير وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون » . قال ابن حبان رواه أبو عتاب الدلال ، عن هشام ، عن المغيرة ، عن مالك ابن دينار عن ثمامة عن أنس قال : ووهم فيه لأن يزيد بن زريع أتقن من مائتين من مثل ابن عتاب وذويه .

قال العراقي ، قلت : طريق ابن عتاب هذه رواه أبو نعيم في الحلية ، وأبو عتاب احتج به مسلم ، ووثقه أحمد وأبو زرعة وأبو حاتم واسمه سهل بن حماد اهـ .

قلت : نص أبي نعيم في الحلية ، حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ، حدثنا إبراهيم بن هشام ، حدثنا محمد بن المنهال ، حدثنا هشام الدستوائي ، عن المغيرة بن حبيب ، عن مالك بن دينار ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « أتيت ليلة أسري بي إلى السماء فإذا أنا

عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء، وخير الخيار خيار العلماء». وقال

برجال تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هم خطباء من أمتك» تفرد به يزيد بن زريع عن هشام. ورواه أبو عتاب سهل بن حماد، عن هشام عن المغيرة، عن مالك، عن ثمامة، عن أنس بن مالك. كذلك. رواه صدقة عن مالك، حدثنا محمد بن أحمد ابن علي بن مخلد، حدثنا أحمد بن الهيثم الوزان، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا صدقة بن موسى، عن مالك بن دينار، عن ثمامة، عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرأون كتاب الله ولا يعلمون» اهـ.

قلت: وأخرج الخطيب من طريق مسلم بن إبراهيم، عن صدقة والحسن بن أبي جعفر قالا: حدثنا مالك بن دينار عن ثمامة فذكره.

وأخرج في ترجمة إبراهيم بن أدهم الزاهد فقال: حدثنا أبو نصر النيسابوري، حدثنا إبراهيم أبو الحسن، حدثنا محمد بن سهل العطار، حدثنا أحمد بن سفيان النسائي، حدثنا ابن مصفى، حدثنا إبراهيم بن أدهم، حدثنا مالك بن دينار عن أنس قال قال رسول الله ﷺ فساقه بمثل سياق ابن حبان. وقال: مشهور من حديث مالك عن أنس غريب من حديث إبراهيم عنه، ثم قال العراقي: وللحديث طرق أخرى: **أحدها**: من رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس رواه أحمد والبزار. **والثاني**: من رواية عيسى بن يونس، عن سليمان التيمي عن أنس رواه الطبراني في الأوسط بإسناد صحيح. **والثالث**: من رواية عمر بن نبهان، عن قتادة، عن أنس رواه البزار اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الإمام أحمد وعبد بن حميد في مسنديهما وأبو داود الطيالسي وسعيد بن منصور وأبو يعلي وألفاظ كلهم متقاربة، ففي بعضها: مررت ليلة أسري بي على قوم، وفيها: قال خطباء من أهل الدنيا ويأمرون الناس بالبر بدل الخير والباقي سواء.

(وقال ﷺ: «هلاك أمتي عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء») قال العراقي: أما أول الحديث فلم أجد له أصلاً، وأما آخره فرواه الدارمي في مسنده من رواية بقية عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال: سأل رجل النبي ﷺ عن الشر فقال: «لا تسألوني عن الشر وسلوني عن الخير» يقولها ثلاثا، ثم قال: «إن شر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء» وهذا مرسل ضعيف، فبقية مدلس وقد رواه بالعنعنة، والأحوص ضعفه ابن معين والنسائي وأبوه تابعي لا بأس به اهـ.

قلت: ومن الشواهد للجملة الأولى ما أورده صاحب القوت، وروينا عن عمر وغيره كم من عالم فاجر وعابد جاهل فاتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين.

الأوزاعي رحمه الله: شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فأوحى الله إليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: ويل

وأخرج أبو نعيم في ترجمة معاذ من رواية ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن مالك بن يخامر، عن معاذ قال: تصديت لرسول الله ﷺ وهو يطوف فقلت يا رسول الله: أرنا شر الناس. فقال: «سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر شرار الناس شرار العلماء في الناس». ويروى معضلاً من طريق سفيان عن مالك بن مغول قال قيل يا رسول لله فأي الناس شر؟ قال: «اللهم غفراً. قالوا: أخبرنا يا رسول الله. قال: «العلماء إذا فسدوا». **(وقال)** أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو **(الأوزاعي)** الفقيه الثقة الجليل مات سنة سبع وخمسين ومائتين **(شكت النواويس)** جمع ناووس هي القبور **(ما تجد من نتن جيف الكفار)** من الأذى **(فأوحى الله تعالى إليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه)** فلما سمعت ذلك سكتت. **(قال)** أبو علي **(الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان)**.

قلت: هذا قد جاء مرفوعاً. قال الطبراني: حدثنا موسى بن محمد بن كثير، حدثنا عبد الملك ابن إبراهيم الجدي، حدثنا عبدالله بن عبد العزيز العمري عن أبي طوالة عن أنس مرفوعاً: «للزبانية أسرع إلى فسقة حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان» فيقولون يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان، فيقال لهم: «ليس من يعلم كمن لا يعلم».

وأخرج الجوزقاني من طريق قتيبة بن سعيد، حدثنا جابر بن مرزوق الجدي شيخ من أهل جدة حدثنا عبدالله بن عبد العزيز العمري الزاهد عن أبي طوالة عن أنس مرفوعاً «إذا كان يوم القيامة يدعى بفسقه العلماء فيؤمر بهم إلى النار قبل عبدة الأوثان ثم ينادي مناد ليس من علم كمن لا يعلم». قال ابن الجوزي موضوع. جابر ليس بشيء ولعل عبد الملك أخذه منه اهـ.

قال السيوطي: ولذا قال ابن حبان إنه باطل وجابر متهم حدث بما لا يشبه حديث الإثبات، ولم أر لعبد الملك ذكراً في الميزان ولا في اللسان، وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية، عن الطبراني وقال: غريب من حديث أبي طوالة عن أنس تفرد به العمري اهـ.

قلت: وهذا غريب من الحافظ السيوطي عبد الملك الجدي ثقة من رجال البخاري وأبي داود والترمذي والنسائي، فالصواب الحكم على حديث الطبراني بعدم البطلان لأن رجاله ثقات غير شيخ الطبراني موسى بن محمد بن كثير فقد ذكره الذهبي في الميزان، وأورد له هذا الحديث وقال منكر وله شاهد صحيح. رواه الترمذي وحسنه، وابن خزيمة، وابن حبان، عن أبي هريرة.

قلت: ومسلم أيضاً نحوه وأشار له الحافظ المنذري ثم قال السيوطي: وأخرج المرهبي في فضل العلم من رواية عمرو بن جميع بن جعفر، عن أبيه، عن علي بن الحسين ربعه «للزبانية إلى فسقة

لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات. وقال الشعبي: يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم: ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم؟ فيقولون: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهي عن

حلة القرآن أسرع» فساقه كسياق حديث الطبراني إلا أن فيه يا رب بدىء بنا يارب سورع إلينا. وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس من رواية عمرو بن الحارث، حدثنا عكرمة بن عمار، عن طاوس، عن ابن عباس رفعه «يدخل فسقه حملة القرآن قبل عبدة الأوثان بألفي عام». وأخرج الخطيب في الإقتضاء من طريق زكريا بن يحي المروزي، حدثنا معروف الكرخي قال: قال بكر بن خنيس إن في جهنم وادياً ثم ساق حديثاً طويلاً وفي آخره: يبدأ بفسقه حملة القرآن فيقولون أي رب بدىء بنا قبل عبدة الأوثان قيل ليس من يعلم كمن لا يعلم.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: (ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات) قال الخطيب في كتاب الإقتضاء: حدثنا محمد بن أحمد، أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدثنا حسين بن أبي معشر، أخبرنا وكيع، عن جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران قال أبو الدرداء فذكره إلا أنه قال: «ويل للذي» بدل «لمن» في الموضعين. وأخرج من طريق عبدالله بن داود الحزيبي قال: حدثنا جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران قال قال أبو الدرداء: ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة وويل لم علم ولم يعمل سبع مرات، وقد يروي ذلك أيضاً عن عبدالله بن مسعود موقوفاً عليه أخرج أبو نعيم في ترجمته من طريق معاوية بن صالح عن عدي بن عدي قال قال ابن مسعود: ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه وويل لمن يعلم ثم لا يعلم سبع مرات، وقد يروى هذا القول مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ رفعه حذيفة بن اليمان فيما أخرجه الخطيب في كتابه المذكور من طريق أبي أحمد الزبيري قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان فيما أعلم قال قال رسول الله ﷺ: «ويل لمن لا يعلم وويل لمن يعلم ثم لا يعمل» ثلاثا. وكذا رفعه سليمان بن الربيع مولى العباس روى الخطيب بسنده إلى إسماعيل بن عمرو البجلي قال: حدثنا عوج ابن فضالة، عن سليمان بن الربيع مولى العباس عن رسول الله ﷺ قال: «ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات» وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق سفيان بن عيينة قال: سمعت الفضل بن عياض يقول: يغفر للجاهل سبعون ذنباً ما لم يغفر للعالم ذنب واحد.

(وقال) أبو عمرو بن شراحيل (الشعبي) الفقيه الفاضل المشهور: قال مكحول: ما رأيت أفقه منه مات بعد المائة وله نحو من ثمانين: (يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار فيقولون ما أدخلكم النار وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم فيقولون: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهي عن الشر ونفعله) أورد المصنف هذا القول موقوفاً على الشعبي، وهكذا أورده صاحب الحلية في ترجمته من طريق ابن حنبل قال: حدثنا علي بن حفص، حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال: يشرف قوم دخلوا الجنة على قوم

الشر ونفعله. وقال حاتم الأصم رحمه الله: ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علماً فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو. وقال مالك بن دينار: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا. وأنشدوا:

دخلوا النار فيقولون: ما لكم في النار، وإنما كنا نعمل بما تعلموننا فيقولون إنا كنا نعلمكم ولا نعمل به اهـ.

وقد جاء مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ من طريقه قال الخطيب في كتاب الإقتضاء: حدثنا أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد الأصبهاني قال: حدثنا أبو القاسم الطبراني، حدثنا أحمد بن يحي بن جبلة الرقي، حدثنا زهير بن عباد، حدثنا أبو بكر الداهري، عن إسماعيل بن خالد عن الشعبي، عن الوليد بن عقبة قال قال رسول الله ﷺ: «إن أناساً من أهل الجنة يتطلعون إلى أناس من أهل النار فيقولون لم دخلتم النار، فوالله ما دخلنا الجنة إلا بما تعلمنا منكم. فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل». قال الطبراني: لم يروه عن ابن خالد إلا الداهري تفرد به زهير.

قلت: والوليد بن عقبة هو ابن أبي معيط القرشي أخو عثمان لأمه له صحبة وعاش إلى خلافة معاوية. وأخرج من طريق أبي الضياء قال: حدثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، عن ابن الزبير عن جابر رفعه «اطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فقالوا: بم دخلتم النار، وإنما دخلنا الجنة بتعليمكم. قالوا: إنا كنا نأمركم ولا نفعل».

قلت: وأخرجه أبو علي بن شاذان من هذا الطريق وقال فيه غريب تفرد به أبو الضياء عن أبي عاصم، والحديث في أول المشيخة الصغرى له، وهذا السياق أقرب إلى سياق المصنف الذي عزاه للشعبي.

(وقال) أبو عبد الرحمن **(حاتم)** بن علوان ويقال ابن يوسف **(الأصم)**. قال القشيري في رسالته: من أكابر مشايخ خراسان كان تلميذاً لشقيق وأستاذ أحمد بن خضرويه. قيل: لم يكن أصم إنما تصامم مرة فسمي به، وقال أبو نعيم في الحلية هو مولى للمثنى بن يحي المحاربي قليل الحديث. **(ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علماً فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك)**، ويشهد له ما أخرجه ابن عساكر في تاريخه عن أنس رفعه: «أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل أمكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه ورجل علم علماً فانتفع به من سمعه منه دونه». **(وقال مالك بن دينار)** فيما أخرجه الخطيب في كتاب الإقتضاء، أخبرنا أبو عبدالله أحمد بن عبدالله المحاملي، حدثنا عبد الرحمن بن العباس البزاز من لفظه، وأصله حدثنا محمد بن إبراهيم الخزاز، حدثنا عبدالله يعني ابن أبي زياد، حدثنا سيار عن جعفر، عن مالك قال: قرأت في التوراة: **(إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا)**، ثم قال: وأخبرنا أبو سعيد الحسن بن محمد الأصبهاني، حدثنا أحمد بن

يا واعظ الناسِ قد أصبحت متهماً | إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً | فالموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناساً راغبين لها | وأنت أكثر منهم رغبة فيها

(وقال آخر):

لا تَنْهِ عَن خُلُق وتأتي مثله | عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله: مررت بحجر بمكة مكتوب عليه: اقلبني تعتبر فقلبته فإذا عليه مكتوب: «أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم». وقال

جعفر السمسار، وحدثنا أبو بكر بن النعمان، حدثنا زيد بن عمرو، وحدثنا جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار، قال: «العالم الذي لا يعمل بمنزلة الصفا إذا وقع عليها القطر زل عنه **(ولذلك قيل:**

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً | إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها)

أي أصبحت متهماً في دينك إذ نهيت الناس بما أتيت به فخالف قولك العمل. **(وقال آخر:**

لا تنه عن خلق وتأتي مثله | عار عليك إذا فعلت عظيم)

وقد تقدم للمصنف إنشاد هذا البيت في الباب الذي قبله أعاده هنا لشدة المناسبة ولا ضرر فيه إذا كان المقصود الإفادة، وقال محمد بن العباس اليزيدي أنشدنا أبو الفضل الرقاشي:

ما من روى علماً ولم يعمل به | فكيف عن وقع الهوى بأريب
حتى يكون بما تعلم عاملاً | من صالح فيكون غير معيب
ولقلما تجدى إصابة صائب | أعماله أعمال غير مصيب

(وقال) الإمام الزاهد أبو إسحاق **(إبراهيم بن أدهم)** بن منصور العجلي، وقيل: التميمي البلخي. صدوق مات سنة إثنين وستين ومائة **(مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته فإذا عليه «أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لا تعلم»)** والذي في كتاب الإقتضاء للخطيب، أنبأنا القاضي أبو العلاء الواسطي، أخبرنا أبو الفتح الموصلي، أنبأنا عبدالله بن علي العمري، أنبأنا الفتح بن شنجرف، حدثنا عبدالله بن خبيب قال: أنبأنا عبدالله ابن السفري السندي، عن إبراهيم بن أدهم قال: خرج رجل يطلب العلم فاستقبله حجر في الطريق فإذا فيه منقوش اقلبني ترى العجب وتعتبر. قال: فأقلبت الحجر فإذا فيه مكتوب «أنت بما تعلم لا تعمل كيف تطلب ما لا تعلم». قال: فرجع الرجل انتهى. وأخرج أبو نعيم في الحلية بسنده إلى إبراهيم بن بشار خادم إبراهيم بن أدهم قال: وحدثني إبراهيم بن أدهم قال: مررت في بعض بلاد الشام فإذا حجر مكتوب عليه نقش بين بالعربية والحجر عظيم.

ابن السماك رحمه الله: كم من مذكر بالله ناس لله، وكم من مخوف بالله جريء على الله، وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله، وكم من داع إلى الله فارّ من الله، وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله؟ وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله: لقد أعربنا في كلامنا

كـل حـي وإن بقـي فمـن العيـش يستقـي
فـاعمـل اليـوم واجتهـد واحـذر المـوت يـا شقـي

قال، فبينا أنا واقف أقرأه وأبكي، فإذا أنا برجل أشعث أغبر عليه مدرعة من شعر فسلم علي فرددت عليه السلام، ورأى بكائي فقال: ما يبكيك؟ فقلت: قرأت هذا النقش فأبكاني. قال: وأنت لا تتعظ وتبكي حتى توعظ ثم قال: سر معي حتى أقرئك غيره فمضيت معه غير بعيد، فإذا بصخرة عظيمة شبيهة بالمحراب فقال: اقرأ وابك ولا تعص، ثم قام يصلي وتركني، وإذا في أعلاه نقش بين عربي:

لا تبغين جاهاً وجاهك ساقط عند المليك وكن لجاهك مصلحاً

وفي الجانب الآخر:

ما أزين التقى وما أقبح الخنا وكل مأخوذ بما جنى

وعند الله الجزاء ★ وفي أسفل المحراب فوق الأرض بذراع أو أكثر ★ إنما العز والغنى ★ في تقى الله والعمل ★ فلما تدبرته وفهمته التفت إلى صاحبي فلم أره فلا أدري مضى أو حجب عني.

(وقال) أبو العباس محمد بن صبيح مولى بني عجل **(ابن السماك)** المذكر زاهد حسن الكلام. روى عن إسماعيل بن أبي خالد، وهشام والأعمش. وعنه أحمد وحسين بن علي الحنفي مات سنة ثلاث وثمانين ومائة. **(كم من مذكر بالله ناس لله، وكم من مخوف بالله جريء على الله، وكم من مقرب إلى الله بعيد من الله، وكم من داع إلى الله فار من الله، وكم من تال لكتاب الله منسلخ عن آيات الله)**. أي: فلا ينفع التذكير والتخويف والتقريب والدعاء إلا بالتحلي بالأعمال الصالحة، كما أن تلاوة الكتاب لا تصلح للمنسلخ من آيات الله تعالى وحججه، فيكون مثل بلعام ابن باعوراء. وأخرج البخاري في تاريخه في ترجمة عمر بن الحسن المناطقي بسنده إليه قال: حدثنا جعفر بن محمد الخلدي، حدثنا الحرث بن أبي أسامة، حدثنا داود، حدثنا عباد، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر رفعه: «كم من عاقل عقل من أمر الله وهو حقير عند الناس ذميم المنظر ينجو غداً، وكم من ظريف جميل المنظر عند الناس يهلك غداً في القيامة».

(وقال إبراهيم بن أدهم) فيما أخرجه الخطيب في الإقتضاء فقال: حدثنا أبو القاسم الأزهري، حدثنا محمد بن العباس الخزاز، حدثنا ابن أبي داود، حدثنا عبدالله بن حنيف قال: سمعت شيخاً من أهل دمشق يقول قال إبراهيم بن أدهم: **(لقد)** هكذا هو في القوت، وليس هو عند الخطيب **(أعربنا في كلامنا فلم نلحن)** وعند الخطيب في الكلام: فما نلحن **(ولحنا في**

فلم نلحن ولحنا في أعمالنا فلم نعرب. وقال الأوزاعي: إذا جاء الاعراب ذهب الخشوع. وروى مكحول، عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال: حدثني عشرة من أصحاب رسول الله

أعمالنا فلم نعرب). وعند الخطيب: في الأعمال فما نعرب. وأخرج أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا أحمد بن الحسن، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا الحكم بن موسى، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا بعض إخواننا قال: دخلنا على إبراهيم بن أدهم فسلمنا عليه فرفع رأسه إلينا فقال: اللهم لا تمقتنا فاطرق رأسه ساعة ثم رفع رأسه فقال: إنه إذا لم يمقتنا أحبنا ثم قال تكلمنا أو نطقنا بالعربية فما نكاد نلحن، ولحنا بالعمل فما نكاد نعرب، وسياق المصنف أخرجه الخطيب بعينه لبعض الزهاد فقال بسنده إلى المرزباني قال أخبرني الصولي قال، قال بعض الزهاد: أعربنا في كلامنا فما نلحن ولحنا في أعمالنا فما نعرب. وأخرج أيضاً من طريق سلمة بن كلثوم قال: سمعت إبراهيم بن أدهم عن مالك بن دينار قال: تلقى الرجل وما يلحن حرفاً وعمله لحن كله وأنشد الخطيب:

لم نــؤت مــن جهــل ولكننــا ... نستر وجــه العلــم بــالجهــل
نكــره أن نلحــن في قــولنــا ... ولا نبــالي اللحــن في الفعــل

وأنشد لهلال بن العلاء الباهلي:

سبيلي لسـان كـان نعـرب لفظـه ... فيـا ليتـه في وقعـة العـرض يسلم
وما ينفع الإعراب إن لم يكـن تقـي ... ومـا ضر ذا تقـوى لسـان معجـم

وأخرج أبو نعيم في الحلية بسنده إلى أحمد بن أبي الحواري قال: حدثنا مروان بن محمد قال، قيل لابراهيم بن أدهم: إن فلاناً يتعلم النحو. قال: هو إلى أن يتعلم الصمت أحوج، وأخرج الخطيب بسنده إلى الضحاك بن أبي حوشب قال: سمعت القاسم بن مخيمرة يقول تعلم أوّله شغل وآخره بغي. (**وقال**) أبو عمرو (**الأوزاعي**) رحمه الله تعالى: (**إذا جاء الاعراب ذهب الخشوع**). نقله صاحب القوت.

(وروى) أبو عبدالله (**مكحول**) الشامي فقيه ثقة كثير الإرسال مات سنة بضع عشرة ومـائـة. (**عن عبد الرحمن بن غنم**) بن كريب بن هانئ بن ربيعة الأشعري. ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين قيل له صحبة ولم تثبت. وقال ابن عبد البر: كان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ ولم يره، ولازم معاذ بن جبل إلى أن مات، وكان أفقه أهل الشام مات سنة ثمان وسبعين روى عن جماعة من الصحابة يأتي ذكرهم قريباً، وروى عنه ابنه وعطية بن قيس، ومالك بن أبي مريم، وأبو سلام الأسود، ومكحول، وشهر بن حوشب، ورجاء بن حيوة، وعبادة بن نسي، وصفوان بن سليم وجماعة (**أنه قال: حدثني عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ**) الذين سمع منهم من الصحابة عمر، وعثمان، وعلي، وأبو ذر،

ﷺ قالوا: كنا ندرس العلم في مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا». وقال عيسى عليه السلام:

ومعاذ، وأبو عبيدة بن الجراح، وأنس بن مالك الأشعري وأبو موسى الاشعري، وأبو هريرة، وعمرو بن خارجة، وشداد بن أوس، وعبادة بن الصامت، وثوبان، ومعاوية جملتهم أربعة عشر نفساً. **(إنا كنا ندرس العلم في مسجد قباء إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله عز وجل حتى تعملوا»)** قال العراقي: ذكره ابن عبد البر في بيان العلم هكذا من غير أن يصل إسناده، وقد رُوي من حديث معاذ، وابن عمر، وأنس.

أما حديث معاذ فرواه الخطيب في كتاب الاقتضاء من رواية عثمان بن عبد الرحمن الجمحي، عن يزيد بن جابر، عن أبيه، عن معاذ، عن النبي ﷺ فذكر مثله. وأخرجه أيضاً من رواية بكر بن خنيس عن حمزة النصيبي، عن يزيد بن يزيد بلفظ: «فلن ينفعكم مكان يأجركم» وهكذا رواه ابن عدى في الكامل، وأبو نعيم في الحلية، ثم قال: وقد رواه الدرامي في مسنده، وابن المبارك في الزهد والرقائق موقوفاً على معاذ باسناد صحيح اهـ.

قلت: الذي في الحلية حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا الحسين ابن الحسن، حدثنا عبدالله بن المبارك، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن يزيد بن يزيد بن جابر قال: قال معاذ قال «اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلم حتى تعملوا قال الشيخ: رفعه حمزة النصيبي عن ابن جابر، عن أبيه، عن معاذ، ثم ساق سنده إليه كسياق الخطيب.

ثم قال العراقي، وأما حديث ابن عمر: فرواه الدارقطني في غرائب مالك ومن طريقه الخطيب في أسماء الرواة عن مالك بسند محمد بن روح وهو ضعيف، ولا يصح هذا عن مالك.

وأما حديث أنس: فروي عنه مرفوعاً وموقوفاً رواه ابن عبد البر في العلم من رواية عباد بن عبد الصمد عن أنس موقوفاً قال: وهو أولى من رواية من رواه مرفوعاً قال: وعباد متفق على تركه اهـ.

قلت: وقد أخرج ابن عساكر في التاريخ عن أبي الدرداء أشار له السيوطي وسياقه كسياق الخطيب، ورواه الحسن بن الأخرم المديني في أماليه عن أنس أشار له السيوطي وسياقه كسياق الخطيب، وأخرج الخطيب في الاقتضاء من طريق وكيع، عن جعفر بن برقان، عن فرات بن سليمان، عن أبي الدرداء قال: إنك لن تكون عالماً حتى تكون متعلماً ولن تكون متعلماً حتى تكون بما علمت عاملاً. وأخرج من طريق هشام الدستوائي، عن برد، عن سليمان قاضي عمر بن عبد العزيز قال: قال أبو الدرداء: لا تكون عالماً حتى تكون متعلماً ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملاً. **(وقال عيسى عليه السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل إمرأة زنت في**

مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الاشهاد. وقال معاذ رحمه الله: احذروا زلة العالم لأن قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته. وقال عمر رضي الله عنه: إذا زلّ العالِم زل بزلته عالَم من الخلق. وقال عمر رضي الله عنه: ثلاث بهن ينهدم الزمان إحداهن زلة العالِم. وقال ابن مسعود: سيأتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء، فلا يوجد لها عذوبة، وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا وإيثارها على الآخرة، فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفىء مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم

السر فحملت فظهر حملها فافتضحت، فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تبارك وتعالى يوم القيامة على رؤس الاشهاد). نقله صاحب القوت. **(وقال معاذ)** رضي الله عنه: **(احذروا زلة العالم)** بكسر اللام **(لأن قدره عند الخلق عظيم)** أي يهابونه إجلالاً **(فيتبعونه على زلته)** لمهابته عندهم، وذكر له الطبراني في الأوسط مرفوعاً إني أخاف عليكم ثلاثاً وهي كائنات زلة عالم الحديث. كما سيأتي. ومن كلامه رضي الله عنه أيضاً واحذركم زيغة الحكيم فان الشيطان يقول عليّ في الحكيم كلمة الضلالة وقد يقول المنافق كلمة الحق فاقبلوا الحق فان على الحق نوراً. **(وقال عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه: إذا زلّ العالم زل بزلته عالم من الخلق)**، وبين العالم والعالم جناس. **(وقال)** أيضاً: **(ثلاث)** خصال **(بهن يهدم الاسلام)** فذكرهن وقال: **(إحداهن زلة العالم)** وهي أشدهن لأنه يقتدى به في الحلال والحرام، وقد جاء ذكر هذه الثلاثة في حديث معاذ. زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تفتح عليكم كما سيأتي قريباً، ومثله في حديث أبي الدرداء، ولكن فيه الثالث التكذيب بالقدر وسيأتي أيضاً.

(وقال) أبو عبد الرحمن عبدالله **(بن مسعود)** بن غافل بن حبيب الهذلي رضي الله عنه من السابقين الاوّلين صاحب علوم وأمرّه عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثمانين أو في التي بعدها بالمدينة. **(سيأتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب)** أي تنقلب حلاوة القلوب التي هي ثمرة الايمان الكامل مرارة وملوحة، **(فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه)** وإذا لم ينتفع **(فتكون قلوب علمائهم)** إذ ذاك **(مثل السباخ)** جمع سبخة وهي الأرض المالحة **(من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا توجد لها عذوبة)** وفي نسخة له. فكذلك إذا صادف القلوب التي نزعت منها حلاوة الايمان ثم بين ذلك بقوله: **(وذلك إذا مالت قلوب العلماء إلى حب الدنيا)** أي والجاه والرئاسة **(وايثارها على الآخرة، فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة وتطفأ مصابيح الهدى من قلوبهم)** أي: فلا يكاد يصدر منهم

حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر في عمله، فما أخصب الألسن يومئذ وما أجدب القلوب، فوالله الذي لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى. وفي التوراة والإنجيل مكتوب: لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم. وقال حذيفة رضي الله عنه: إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك، وسيأتي زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وذلك لكثرة البطالين.

الأرشاد حينئذ **(فيخبرك عالمهم حين تلقاه أنه يخشى الله)** يقول ذلك **(بلسانه والفجور)** هو خرق ستر الديانة **(بين)** أي ظاهر **(في عمله فما أخصب الألسن يومئذ)** وأرطبها بالفصاحة وكثرة الكلام **(وأجدب القلوب)** وأيبسها: **(فوالله الذي لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن المعلمين علموا)** العلم **(لغير الله والمتعلمين تعلموا لغير الله)**. فحل بهم ما حل، وكأنه رضي الله عنه نطق بما هو واقع الآن بل وقبلنا بكثير فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية إبراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رفعه: «كيف أنتم إذا التبستكم فتنة فتتخذ سنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير وإذا ترك منها شيء قيل تركت سنة. قالوا: متى ذلك يا رسول الله. قال: كثر قراؤكم وقلت علماؤكم وكثرت أمراؤكم وقلت أمناؤكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة وتفقه لغير الله». قال عبدالله. فأصبحتم فيها. قال الشيخ. كذا روي مرفوعاً والمشهور من قول عبد الله موقوف. **(وفي التوراة والانجيل مكتوب: لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم)** هكذا أورده صاحب القوت. وأخرج أبو نعيم في ترجمة محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس قال: رقي رسول الله ﷺ المنبر فقال: «قال موسى عليه السلام يا بني إسرائيل ورآهم يبكون فقال، كم تعملون ولا تعلمون وأنتم لا تعلمون ولا تعملون». وأخرج في ترجمة مالك بن دينار بسنده إليه قال: كنت مولعاً بالكتب أنظر فيها فدخلت ديراً من الديارات ليالي الحجاج فأخرجوا كتاباً من كتبهم فنظرت فيه، فإذا فيه يا ابن آدم: لم تطلب علم ما لم تعلم وأنت لما تعمل فيما تعلم. **(وقال حذيفة رضي الله عنه)** ولفظ القوت: وروينا عن حذيفة بن اليمان **(إنكم)** اليوم **(في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك، وسيأتي زمان)** ولفظ القوت: ويأتي بعدكم زمان **(من عمل فيه)** ولفظ القوت: من عمل منهم **(بعشر ما يعلم نجا)**. وقال صاحب القوت في موضع آخر، وفي حديث أبي هريرة: يأتي على الناس زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا، وفي بعضها بعشر ما يعلم. وفي حديث علي: يأتي على الناس زمان ينكر الحق تسعة أعشار أعشارهم لا ينجو منه يومئذ إلا كل مؤمن نؤمة يعني صموتاً متغافلاً. وذكر في موضع آخر قال بعض التابعين: من عمل بعشر ما يعلم علمه الله تعالى ما يجهل ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة، ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار اهـ.

وأخرج أبو نعيم في ترجمة العلاء بن زياد بسنده إليه قال: إنكم في زمان أقلكم الذي ذهب

واعلم أن مثل العالم مثل القاضي، وقد قال ﷺ: «القضاة ثلاثة: قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة، وقاضٍ قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو في النار، وقاضٍ قضى بغير ما أمر الله به فهو في النار». وقال كعب رحمه الله: يكون في آخر

عشر دينه، وسيأتي عليكم زمان أقلكم الذي يبقى عشر دينه، **(وذلك لكثرة البطالين)** هكذا في النسخ، ولفظ القوت عقيب كلام حذيفة: هذا لقلة العاملين وكثرة الطالبين. وقال في موضع آخر، وقال بعض الخلف: أفضل العلم في آخر الزمان الصمت، وأفضل العمل النوم يعني لكثرة الناطقين بالشبهات، فصار الصمت للجاهل علماً ولكثرة الغافلين بالشهوات، فصار النوم عبادة البطال. ولعمري أن الصمت والنوم أدنى أحوال العالم وهما أعلى حال الجاهل.)

(واعلم أن مثل العالم مثل القاضي) وهذا مثل قوله فيما سبق قريباً وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا فاللام في العالم للعهد، وقد أخذ هذه العبارة من القوت ونصه: ومثل العالم مثل الحاكم. (**وقد**) قسم الحاكم على ثلاثة أقسام. (**وقال ﷺ: «القضاة ثلاثة: قاض قضى بالحق وهو يعلم فذاك في الجنة، وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو في النار، وقاضي قضى بغير ما أمر الله به فهو في النار»**) قال المناوي: قال في المطامح هذا تقسيم بحسب الوجود الحكم، ومعروف أن مرتبة القضاء شريفة ومنزلته رفيعة منيفة لمن اتبع الحق وحكم على علم بغير هوى وقليل ما هم، وقيل: معناه من كان الغالب على أقضيته العدل والتسوية بين الخصمين فله الجنة، ومن غلب على أحكامه الجور والميل إلى أحدهما فله النار، والحاصل أنه فيه إنذار عظيم للقضاة التاركين للعدل والأعمال والمقصرين في تحصيل رتب الكمال. قالوا: والمفتي أقرب إلى السلامة من القاضي لأنه يلزم بفتواه، والقاضي يلزم بقوله فخطره أشد فيتعين على كل من ابتلي بالقضاة أن يتمسك من أسباب التقوى بما يكون له جنة اهـ. بخ.

قال العراقي: رواه بريدة بن الخصيب، وعبدالله بن عمر. أما حديث بريدة فرواه أبو داود والترمذي والنسائي في الكبرى وابن بريدة عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاض في الجنة. رجل قضى بغير الحق فعلم ذاك فذلك في النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاض قضى بالحق فذلك في الجنة» لفظ رواية الترمذي ورجالها رجال الصحيح وإسناد النسائي وابن ماجه أيضاً صحيح اهـ.

قلت: ورواه الحاكم كذلك وصححه. قال الذهبي والعهدة عليه، ولفظ الحاكم: «القضاة ثلاثة إثنان في النار وواحد في الجنة رجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار» ورجل عرف الحق في الحكم فهو في النار» قال العراقي: وابن بريدة الذي لم يسم في روايتهم هو عبدالله بن بريدة كما ذكره ابن عساكر والمزني كلاهما في الأطراف، ثم قال وأما حديث ابن عمر، فرواه الطبراني في الكبير من رواية محارب بن دثار عن ابن عمر رفعه «القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاض في الجنة. قاض قضى بالهوى فهو في النار. وقاض قضى بغير علم فهو في النار، وقاض قضى بالحق فهو في الجنة» وإسناده جيد رجاله رجال الصحيح.

الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون، ويخوفون الناس ولا يخافون، وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم، ويؤثرون الدنيا على الآخرة، يأكلون بألسنتهم يقربون الأغنياء دون الفقراء، يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال، يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره، أولئك الجبارون أعداء الرحمن. وقال ﷺ: « إن الشيطان ربما يسوّفكم بالعلم »، فقيل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال ﷺ يقول: « اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال للعلم قائلاً وللعمل مسوّفاً حتى يموت وما

قلت: وكذا رواه أبو يعلي في معجمه، وقال الهيتمي رجاله ثقات. وقد أفرد الحافظ ابن حجر فيه جزء.

(**وقال كعب**) بـن مانع الحميري ولقبه (**الأحبار**) على المشهور كنيته أبو إسحاق ثقة مخضرم. كان من أهل اليمن فسكن الشام مات في آخر خلافة عثمان، وقد زاد على المائة. قال الحافظ ابن حجر: وليس له في البخاري رواية ولا في مسلم إلا حكاية. ويروى كذلك عن علي وابن عباس (**يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفـون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم**). ونص القوت: ولا ينهون ويؤثرون الدنيا على الآخرة (**يأكلون**) وفي القوت: ويأكلون الدنيا (**بألسنتهم**) أكلاً (**ويقربون الأغنياء دون الفقراء**). ونص القوت: يقربون الاغنياء ويباعدون الفقراء (**يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال. يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره**) ذلك حظهم من العلم. هكذا أورده صاحب القوت، ثم يقال: وفي حديث علي رضي الله عنه: علماؤهم شر الخليقة منهم الفتنة وفيهم تعود. وفي حديث ابن عباس: (**أولئك الجبارون أعداء الرحمن**) فعلم من سياق القوت أن هذه الجملة الأخيرة ليست من كلام كعب. وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية ابن عبد الحكم أن ابن وهب أخبرهم، عن عبد الله بن عياش، عن يزيد بن قورد قال، قال كعب: يوشك أن تروا جهال الناس يتباهون بالعلم ويتغايرون عليه كما تتغاير النساء على الرجال، فذلك حظهم من العلم. وأخرج الخطيب في الاقتضاء من رواية سفيان الثوري، عن ثور بن فاختة عن يحي بن جعدة، عن علي قال: يا حملة العلم اعملوا به فإنما العالم من عمل وسيكون قوم يحملون العلم يباهي بعضهم بعضاً حتى ان الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره أولئك لا تصعد أعمالهم إلى السماء.

(**وقد روي عنه ﷺ انه قال: « إن الشيطان ربما يسبقكم بالعلم**) هكذا في نسخ الكتاب التي بأيدينا. وفي نسخة بخط الكمال الدميري ربما سبقكم بلفظ الماضي وهو هكذا نص القوت وعوارف المعارف، ووجدت في نسخة المغني للحافظ العراقي التي قرئت عليه وعليها خطه « ربما يسبعكم » بالعين المهملة مكان القاف وعليه التصحيح ولم أجد له معنى، (**فقيل يا رسول الله: وكيف ذلك قال: يقول « أطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال في العلم قائلاً وللعمل**

عمل». وقال سري السقطي: (اعتزل رجل للتعبد كان حريصاً على طلب علم الظاهر فسألته فقال: رأيت في النوم قائلاً يقول لي: «إلى كم تضيع العلم ضيعك الله»؟ فقلت: إني لأحفظه، فقال: «حفظ العلم العمل به» فتركت الطلب وأقبلت على العمل). وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية) وقال الحسن: تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همتهم الرواية

مسوّفاً حتى يموت وما عمل) من شيء أورده صاحب القوت ولفظه، وقد روينا في خبر وفيه قلنا يا رسول الله كيف يسبقنا بالعلم والباقي سواء. وقال العراقي أخرجه الخطيب في كتاب الجامع لآداب الرواي والسامع من رواية عمرو بن عبد الجبار بن حسان السنجاري، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أنس رفعه ولفظه «إن الشيطان ليسبقكم بالعلم» قالوا: كيف يسبقنا يا رسول الله؟ قال «لا يزال العبد للعلم طالباً وللعمل تاركاً حتى يأتيه الموت» قال واسناده غريب وعمرو بن عبد الجبار ذكره ابن عدي في الكامل وأورد له أحاديث وقال: كلها غير محفوظة، والراوي محمد بن المغيرة أورده الذهبي في الميزان، وقال: روى خبراً باطلاً متنه في الجنة نهر يقال له رجب اهـ.

قلت: الذي ذكره الذهبي في الديوان في عمرو بن الجبار قال ابن عدي روى عن عمه مناكير وعنه علي بن حرب فمقتضى سياقه ان النكرة مقيدة فيما إذا روى عن عمه وهنا ليس كذلك، وقال في ذيل الديوان: محمد بن المغيرة بن بسام عن منصور بن يزيد، وعنه البخاري صاحب الصحيح حديث «في الجنة نهر يقال له رجب» وسكت عنه.

(وقال سري السقطي) بن المفلس تقدمت ترجمته **(اعتزل للتعبد رجل كان حريصاً على طلب العلم الظاهر فسألته)** ولفظ القوت: وحدثونا عن سري السقطي قال: كان شاب يطلب علم الظاهر ويواظب عليه، ثم ترك ذلك وانفرد واشتغل بالعبادة فسألت عنه فاذا هو قد اعتزل الناس وقعد في بيته يتعبد، فقلت: كنت حريصاً على طلب العلم الظاهر فما بالك انقطعت؟ **(فقال)** لي: **(رأيت في المنام قائلاً يقول إلى كم)** وفي القوت يقول لي كم **(تضيع العلم ضيعك الله؟ فقلت: إني لاحفظه. قال: حفظ العلم العمل به فتركت الطلب وأقبلت على العمل)**. ولفظ القوت: وأقبلت على النظر فيه للعمل. **(وقال ابن مسعود)** ولفظ القوت: وقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: **(ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية)** أخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية قرة بن خالد، عن عون عبدالله قال، قال عبد الله فذكره إلا إنه قال «لكن» مكان «إنّما» وهذا القول قد تقدم للمصنف في أثناء الوظيفة الأولى من وظائف المتعلم. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى فيما رواه صاحب القوت قال: كان يقول **(اعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا)** وهذا قد روي مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ من حديث معاذ أخرجه أبو نعيم والخطيب كما تقدم، **(فان السفهاء همتهم**

والعلماء همتهم الرعاية. وقال مالك رحمه الله: إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية، ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فلا تؤثرون عليه شيئاً. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملاً، وسيأتي قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها. وفي مثله قوله

الرواية والعلماء همتهم الدراية). وهذه الجملة أخرجها الخطيب في الاقتضاء من رواية لوين قال: حدثني أبو محمد الإطرابلسي، عن أبي معمرٍ، عن الحسن قال: همة العلماء الرعاية وهمة السفهاء الرواية. وأخرج من طريق صالح بن رستم قال، قال قلابة لأيوب يا أيوب لا تكونن إنما همك أن تحدث به الناس، وفي القوت وقد كان الحسن يقول: إن الله لا يعبأ بصاحب رواية إنما بصاحب فهم ودراية. وقال أيضاً: من لم يكن له عقل يسوسه لم تنفعه كثرة رواية الحديث. **(وقال مالك)** بن أنس رحمه الله تعالى حين سئل عن حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم، فقال في الجواب: **(إن طلب العلم لحسن وان نشره لحسن إذا صحت فيه النية، ولكن أنظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسى)** ومن حين تمسى إلى حين تصبح **(فلا تؤثرون عليه شيئا)**. وقد روي عنه هذا الكلام من ثلاثة طرق بألفاظ مختلفة والمعنى واحد من رواية ابن وهب، وابن الماجشون، ومحمد بن معاوية الحضرمي، وقد تقدم في أوّل الكتاب. أورده صاحب القوت في الفصل الثاني من كتاب العلم من رواية ابن وهب قال: ذكر طلب العلم عند مالك فقال فذكره. **(وقال)** أبو عبد الرحمن عبدالله **(بن مسعود)** رضي الله عنه: **(نزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملاً وسيأتي قوم يثقفونه)** أي يعدلونه باخراج الحروف من مخارجها **(مثل القنا)** أي الرمح حين يثقفه الرماح أولئك **(ليسوا بخياركم)**. هكذا أورده صاحب القوت قال: وفي لفظ آخر يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه. وأخرج الخطيب في كتاب الاقتضاء من رواية عبد الصمد بن يزيد قال: سمعت الفضيل يقول: إنما نزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس قراءته عملاً قال، قيل كيف العمل به؟ قال: أي ليحلوا حلاله ويحرموا حرامه ويأتمروا بأوامره وينتهوا عن نواهيه ويقفوا عند عجائبه. **(و)** مثل **(العالم الذي)** يعلم و **(لا يعمل)** بعلمه **(كالمريض الذي يصف الدواء)** بلسانه عن علم فيه ولا يستعمله، **(وكالجائع الذي يصف لذائذ الأطعمة)** بأنواعها يصف كيفية صنعها وتركيبها **(ولا يجدها)** قال صاحب القوت: فمثل العالم يعلم غيره مثل الواصف لأحوال الصالحين العارف بمقامات الصديقين ولا حال له ولا مقام فليس يعود عليه من وصفه إلا الحجة بالعلم والكلام، وسبق العلماء بالله في الحجة بالأعمال والمقام **(وفي مثله قال تعالى: ولكم الويل مما تصفون)** [الأنبياء: ١٨] وقال تعالى: ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا﴾ [البقرة: ٢٠] لا يرجع إلى بصيرة في طريقه بما اشتبه عليه من ظلمات الشبه مما اختلف العلماء فيه ولا يتحقق

تعالى: ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ [الأنبياء: ١٨]. وفي الخبر: إنما أخاف على أمتي زلة عالِم وجدال منافق في القرآن.

بوجه منه يجده عن حال ألبسها بوجده، وإنما هو واجد بتواجيد غيره فغيره هو الواجد وشاهد على شهادة سواه فالسوي هو الشاهد.

(**وفي الخبر: مما أخاف على أمتي زلة العالم وجدال منافق في القرآن**) قال العراقي: فيه عن أبي الدرداء، ومعاذ، وعمر، وعلي، وعمران بن الحصين. أما حديث أبي الدرداء فرواه الطبراني من رواية أبي ادريس الخولاني عنه رفعه: « أخاف على أمتي ثلاثاً زلة عالم وجدال منافق بالقرآن والتكذيب بالقدر ». وأما حديث معاذ فرواه الطبراني في معجمه الصغير والأوسط من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عنه رفعه « إني أخاف عليكم ثلاثاً وهن كائنات زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تفتح عليكم » ورواه في الأوسط من رواية عمرو بن مرة لم يسمع من معاذ، وذكره الدارقطني في العلل من رواية عبدالله بن سلمة بكسر اللام عن معاذ رفعه قال: « إن أخوف ما أخاف عليكم ثلاث جدال منافق بالقرآن وزلة عالم ودنيا تقطع أعناقكم » وأعله ابن الجوزي في العلل المتناهية برواية المذكور. قال الدارقطني: وقد وقفه شعبة عن عمرو بن مرة يعني على معاذ قال: والوقف هو الصحيح.

وأما حديث عمر؛ رواه أحمد من رواية أبي عثمان النهدي عنه بلفظ « إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان » وقد ذكره المصنف فيما تقدم موقوفاً على عمر قال الدراقطني: والموقوف أشبه بالصواب.

قلت: حديث عمر هذا رواه عبد بن حميد وأبو يعلى مرفوعاً بلفظ « إنما أخاف عليكم كل منافق عليم يتكلم بالحكمة ويعمل بالجور » ورواه إسحاق بن راهويه، والحرث بن أسامة ومسدد بسند صحيح عن عبدالله بن بريدة أن وفداً قدموا على عمر فقال لآذنه فساق الحديث وهو طويل، وفي آخره: ثم قال عمر: عهد الينا رسول الله ﷺ أن أخوف ما أخشى عليكم منافق عليم اللسان. واللفظ لمسدد، ثم رواه مسدد موقوفاً من طريق أبي عثمان النهدي سمعت عمر بن الخطاب يقول وهو على المنبر منبر رسول الله ﷺ: أكثر من أصابعي هذه إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم. قال؟ وكيف يكون منافق عليم يا أمير المؤمنين؟ قال: عالم اللسان جاهل القلب، وقال حماد، وقال ميمون الكردي، عن أبي عثمان عن عمر نحوه. وروى إسحاق في مسنده من رواية حماد عن أبي سويد عن الحسن قال: لما قدم أهل البصرة على عمر فيهم ألاحنف بن قيس سرحهم وحبسه عنده، ثم قال: أتدري لم حبستك إن رسول الله ﷺ حذرنا كل منافق عالم اللسان وإني أتخوف أن تكون منهم، وأرجو أن لا تكون منهم فالحق بأهلك.

ثم قال العراقي وأما حديث علي، رواه الطبراني في الصغير والأوسط من رواية الحرث الأعور عنه رفعه « إني لا أتخوف على أمتي مؤمناً مشركاً أما المؤمن فيحجزه إيمانه وأما المشرك فيقمعه

ومنها: أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعة مجتنباً للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال. فمثال من يعرض عن علم الأعمال ويشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيباً حاذقاً في وقت ضيق يخشى فواته، فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمة الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفه. وقد روي «أن رجلاً جاء رسول

كفره ولكن أتخوف عليكم منافقاً عالم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون» وقال: لا يروى عن علي إلا بهذا الأسناد. والحرث الاعور ضعيف.

قلت: لكن وثقه ابن حبان، وكذلك رواه إسحاق بن راهويه في مسنده بسند ضعيف لجهالة التابعي، ورواه أيضاً من طريق إسحاق الفروي وهو ضعيف عن سعيد بن المسيب قال، قال رجل بالمدينة في حلقة: أيكم يحدثني عن رسول الله ﷺ حديثاً؟ فقال علي: أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره وفيه: ولكن رجلاً بينهما يقرأ القرآن حتى إذا دلق به يتأوّله على غير تأويله فقال ما تعلمون وعمل ما تنكرون فضل وأضل.

ثم قال العراقي وأما حديث عمران بن حصين: رواه أحمد وابن حبان من رواية عبد الله بن بريدة عنه رفعه بلفظ «أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان» اللفظ لأحمد. وقال ابن حبان: جدال منافق اللسان، وذكر الدارقطني في العلل انه رواه عن معاذ بن معاذ، عن حسين المعلم، عن ابن بريدة، عن عمران رفعه. قال: ووهم فيه. قال: ورواه عبد الوهاب بن عطاء، وروح بن عبادة وغيرهما عن حسين، عن ابن بريدة، عن عمر وهو الصواب في قصة طويلة. قال العراقي: وهو عند ابن حبان من رواية خالد بن الحرث عن حسين المعلم مثل معاذ اهـ.

قلت: تقدم رواية ابن بريدة عن عمر، وهكذا رواه إسحاق بن راهويه والحرث ومسدد.

(**ومنها**) أي: ومن العلامات المميزة بين علماء الدنيا والآخرة (**أن تكون عنايته**) وهمته (**بتحصيل العلم النافع في الآخرة**) لا غير، (**و**) كذلك العلم (**المرغب في الطاعة**) حالة كونه (**متجنباً للعلوم التي يقل نفعها**) ولا يحتاج إليها في أكثر الحالات (**و**) هي العلوم التي (**يكثر فيها الجدال**) والخصومات (**والقيل والقال**)، حتى يؤدي إلى تمزيق الثياب والمسافهة والمصافعة بالاكف والنعال، (**فمثال من يعرض عن علم الأعمال ويشتغل**) عنها (**بالجدال**) وعلم القيل والقال (**مثال رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف**) أي وجد (**طبيباً حاذقاً**) أي ماهراً بفنه (**في وقت ضيق يخشى فواته**) بسفره أو غيره (**فاشتغل بالسؤال عن**) مسائل مثل (**خاصية العقاقير والادوية**) أي مفرداتها (**وغرائب الطب**) ونوادره التي لا يحتاج إليها (**وترك مهمة الذي هو**) مقصود له و(**مؤاخذ به**) لدفع علله،(**وذلك محض السفه**) وعين الحماقة وقلة الادراك في تصوره.

الله ﷺ فقال: علمني من غرائب العلم، فقال له: ما صنعت في رأس العلم؟ فقال: وما رأس العلم؟ قال ﷺ: هل عرفت الرب تعالى؟ قال: نعم. قال: فما صنعت في حقه؟ قال: ما شاء الله، فقال ﷺ: هل عرفت الموت؟ قال: نعم. قال: فما أعددت له؟ قال: ما شاء الله. قال ﷺ: اذهب فاحكم ما هناك ثم تعالَ نعلمك من غرائب العلم».

بل ينبغي أن يكون المتعلم من جنس ما روي عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخي رضي الله عنهما أنه قال له شقيق: منذ كم صحبتني؟ قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة.

(وروي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له: علمني من غرائب العلم. فقال له: ما صنعت في رأس العلم؟ قال: وما رأس العلم؟ فقال له ﷺ: هل عرفت الرب سبحانه؟ قال: نعم. قال: فما صنعت في معرفته؟ قال: ما شاء الله. قال: هل عرفت الموت؟ قال: نعم. قال: فما أعددت له؟ قال: ما شاء الله. قال: اذهب فاحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم). قال العراقي: رواه أبو بكر بن السني، وأبو نعيم كل واحد في كتابه رياضة المتعلمين، وابن عبد البر في بيان العلم من رواية خالد بن أبي كريمة، عن عبدالله بن المسور قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أتيتك لتعلمني من غرائب العلم فذكره وهو مرسل ضعيف جداً. قال ابن أبي حاتم عبدالله بن مسور بن عبدالله بن عون بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي المدائني. سألت أبي عنه فقال: الهاشميون لا يعرفونه وهو ضعيف الحديث يحدث بمراسيل لا يوجد لها أصل في أحاديث الثقات. وقال أحمد بن حنبل: أحاديثه موضوعة كان يضع الحديث ويكذب اهـ.

قلت: وفي الديوان للذهبي عبد الله بن مساور تابعي مجهول. وأما الراوي عنه خالد بن أبي كريمة فمن رجال النسائي، وابن ماجه وثق. وقال أبو حاتم ليس بالقوي ثم أنه قد يكون المراد بغرائب العلم الأحاديث الغرائب التي لا خير في روايتها، وقد ورد عن جماعة من العلماء كراهية الاشتغال بها وذهاب الأوقات في طلبها، فقد أخرج الخطيب في مناقب شرف أصحاب الحديث له من طريق محمد بن جابر، عن الأعمش، عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون غريب الكلام وغريب الحديث. وأخرج من طريق بشر بن الوليد قال: سمعت أبا يوسف يقول: لا تكثروا من الحديث الغريب الذي لا يجيء به الفقهاء، وآخر أمر صاحبه أن يقال كذاب. وأخرج من طريق المروزي قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: تركوا الحديث وأقبلوا على الغرائب ما أقل الفقه فيهم، فعلم من ذلك أن السؤال في غرائب الكلام والحديث مذموم والمدار على معرفة رأس العلم الذي هو معرفة الله سبحانه ثم ثم.

(بل ينبغي أن يكون التعلم) في العلم **(من جنس ما روي عن حاتم)** بن علوان **(الأصم تلميذ شقيق)** بن ابراهيم **(البلخي)** الزاهد رحمهما الله تعالى **(أنه قال له شقيق منذ كم صحبتني)** أي في السلوك؟ **(قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة. قال: فما تعلمت مني في**

قال: فما تعلمت مني في هذه المدة؟ قال: ثماني مسائل. قال شقيق له: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثماني مسائل؟ قال يا أستاذ: لم أتعلم غيرها وإني لا أحب أن أكذب، فقال: هات هذه الثماني مسائل حتى أسمعها.

قال حاتم: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوباً فهو مع محبوبه إلى القبر، فإذا وصل إلى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي، فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي، فقال: أحسنت يا حاتم فما الثانية؟

فقال: نظرت في قول الله عز وجل: ﴿وأمَّا من خَافَ مَقَامَ ربهِ ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى★ فإن الجنَّة هِي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى.

الثالثة: أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل: ﴿ما عِنْدكُم ينْفذ وما عِنْد الله باقٍ﴾ [النحل: ٩٦] فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله ليبقى عنده محفوظاً.

الرابعة: إني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى

هذه المدة. قال: ثمان مسائل. قال شقيق: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثمان مسائل. قال يا أستاذ: لم أتعلم غيرها ولا أحب أن أكذب) في قولي، **(فقال)** شقيق **(هات هذه الثمان مسائل حتى أسمعها. قال حاتم نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوباً)** له **(فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل القبر فارقه)** ورجع إلى ما فيه **(فجعلت الحسنات محبوبي)** وهي الأعمال الصالحة **(فإذا دخلت القبر دخل معي محبوبي)** فهي لا تفارقني دنيا وأخرى.

(قال أحسنت يا حاتم فما الثانية؟ قال: نظرت في قول الله عز وجل: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى★ فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] فعلمت أن قوله سبحانه هو الحق فاجهدت نفسي) وكلفتها **(في دفع الهوى)** المذكور في الآية **(حتى استقرت)** وثبتت **(على طاعة الله تعالى)** واطمأنت بها.

(الثالثة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار عنده رفعه) في أحسن المحل **(وحفظه)** وصانه عن وصول اليد إليه، **(ثم نظرت في قول الله تعالى: ما عندكم ينفد)** أي يفرغ ﴿وما عند الله باقٍ﴾ [النحل: ٩٦] أي لا يفنى ولا ينفد **(فكلما وقع معي شيء له)** عندي **(مقدار وقيمة وجهته إليه)** ذخيرة **(ليبقى عنده محفوظاً)**.

(الرابعة: إني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع) في الكرم **(إلى**

الحسب والشرف والنسب، فنظرت فيها فإذا هي لا شيء ثم نظرت إلى قول الله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريماً.

الخامسة: إني نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضاً، وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ [الزخرف: ٣٢] فتركت الحسد واجتنبت الخلق، وعلمت أن القسمة عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عني.

السادسة: نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضاً فرجعت إلى قول الله عز وجل: ﴿إن الشيطان لَكُم عدوّ فاتخذوه عدوًّا﴾ [فاطر: ٦] فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدوّ لي فتركت عداوة الخلق غيره.

السابعة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له، ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض

المال) فيقتنيه ويضن به (و) إلى (**الحسب**) فيفتخر به، وفي نسخة: والنسب والشرف (**فإذا هو لا شيء ثم نظرت إلى قوله عز وجل: ﴿إن أكرمكم عندالله أتقاكم﴾**) [الحجرات: ١٣] وعرفت سره (**فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريماً**) وفي نسخة: شريفاً كريماً.

(**الخامسة: نظرت إلى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض بذكر المعايب والمخازي**) (**ويلعن بعضهم بعضاً**. وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل: **﴿نحن قسّمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ [الزخرف: ٣٢] فتركت**) ما هو سبب لذلك وهو (الحسد) واجتنبت الخلق، (**وعلمت أن القسمة من الله تعالى وتركت عداوة الخلق عني**).

(**السادسة: نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض**) بالتعدي (**ويقاتل بعضهم بعضاً**) على حب المال والجاه والرئاسة (**فرجعت إلى قوله تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدوٌّ فاتخذوه عدوّاً﴾ [فاطر: ٦] فعاديته وحده**) إذ هو رأس الاعداء وأصل كل بلاء، (**واجتهدت في أخذ حذري منه**) واتقيته (**لأن الله تعالى شهد عليه**) في كتابه العزيز (**أنه عدوّ لي فتركت عداوة الخلق**) وسلمت من شره.

(**السابعة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة**) من الخبز (**فيذل نفسه**) في تحصيلها (**ويدخل فيما لا يحل له**) الدخول فيه: (**ثم نظرت إلى قوله**

إلا على الله رزقها﴾ [هود : ٦] ، فعلمت إني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى عليّ وتركت ما لي عنده.

الثامنة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق. هذا على ضيعته، وهذا على تجارته، وهذا على صناعته، وهذا على صحة بدنه ـ وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله، فرجعت إلى قوله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق : ٣] فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي، قال شقيق: يا حاتم وفقك الله تعالى، فإني نظرت في علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل، فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة، فهذا الفن

تعالى: **﴿ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود : ٦] فعلمت)** أن الله قد تكفل بالرزق و **(أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله عليّ)** من الائتمار بأوامره والانتهاء عن مناهيه **(وتركت مالي عنده)** فاسترحت.

(الثامنة: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد) منهم **(متوكلاً)** ومستنداً **(هذا على ضيعته)** أي قريته التي يستغل منها الرزق، **(وهذا على تجارته، وهذا على صناعته، وهذا على صحة بدنه)** فيستغل بالأجرة **(وكل مخلوق متوكل على مخلوق)** معتمد عليه في حوائجه ومهماته **(فرجعت إلى قوله عز وجل: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾)**. أي كافيه عن غيره **(فتوكلت على الله وهو حسبي)** وتركت التوكل على المخلوق. **(قال شقيق: يا حاتم وفقك الله فإني نظرت في التوراة والانجيل والزبور والقرآن العظيم وهم يدورون)** وفي نسخة: فهي تدور **(على هذه الثمان المسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة)**. هكذا أورده المصنف بهذا السياق.

وساقها أبو نعيم في الحلية في ترجمة حاتم الأصم بما يخالفه قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبدالله بن محمد بن زكريا، حدثنا أبو تراب قال: قال شقيق لحاتم الأصم: مذ أنت صحبتني أي شيء تعلمت؟ قال: ست كلمات. قال: ما أولهن؟ قال: رأيت كل الناس في شك من أمر الرزق وإني توكلت على الله تعالى قال: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ فعلمت أني من هذه الدواب واحد فلم أشغل نفسي بشيء قد تكفل لي به ربي. قال: أحسنت فما الثانية؟ قال: رأيت لكل إنسان صديقاً يفشي إليه سره ويشكو إليه أمره، فقلت أنظر من صديقي فكل صديق راح رأيته قبل الموت فأردت أن أعد صديقاً يكون لي بعد الموت، فصادقت الخير ليكون معي إلى الحساب ويكون معي على الصراط ويثبتني بين يدي الله عز وجل. قال: أصبت فما الثالثة؟ قال: رأيت كل الناس لهم عدوّ فقلت أنظر من عدوي، فأما من اغتابني فليس هو عدوي، وأما من أخذ مني شيئاً فليس هو عدوي، ولكن عدوي الذي إذا كنت في طاعة الله أمرني بمعصية الله، فرأيت ذلك إبليس وجنوده فاتخذتهم عدواً فوضعت الحرب بيني

من العلم لا يهتم بإدراكه والتفطن له إلا علماء الآخرة، فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام. وقال الضحاك بن مزاحم: أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام.

ومنها: أن يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس والتجمل في الأثاث والمسكن، بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى، ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك، وكلما زاد إلى طرف القلة ميله ازداد

وبينهم ووترت قوسي ووصلت سهمي فلا أدعه يقربني. قال: أحسنت. فما الرابعة؟ قال: رأيت كل الناس لهم طالب كل واحد منهم واحداً فرأيت ذلك ملك الموت ففزعت له نفسي حتى إذا جاء لا ينبغي أن أمسكه فأمضي معه. قال: أحسنت. فما الخامسة؟ قال: نظرت في هذا الخلق فأحببت واحداً وأبغضت واحداً فالذي أحببته لم يعطني والذي أبغضته لم يأخذ مني شيئاً، فقلت: من أين أتيت هذا فرأيت أني أتيت هذا من قبل الحسد، فطرحت الحسد من قلبي فأحببت الناس كلهم، فكل شيء لم أرضه لنفسي لم أرضه لهم. قال: أحسنت فما السادسة؟ قال: رأيت الناس كلهم لهم بيت ومأوى ورأيت مأواي القبر فكل شيء قدرت عليه من الخير قدمته لنفسي حتى أعمر قبري، فإن القبر إذا لم يكن عامراً لم يستطع القيام فيه، فقال شقيق: عليك بهذه الخصال الستة فإنك لا تحتاج إلى علم غيره انتهى.

(**فهذا الفن**) والنوع (**من العلم**) إنما (**يهتم بادراكه**) ويقوم بأود تحصيله (**والتفطن له**) والانصباغ به (**علماء الآخرة**) كحاتم واضرابه، (**وأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه**) والرئاسة (**ويهملون**) أي يتركون (**أمثال هذه العلوم**) النفيسة (**التي بعث بها الأنبياء والرسل كلهم عليهم**) الصلاة و (**السلام. وقال الضحاك**) بن مزاحم الهلالي أبو القاسم، ويقال: أبو محمد الخراساني صدوق كثير الإرسال مات بعد المائة (**أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع**) المراد عصر الصحابة، فإن الضحاك تابعي (**وهم اليوم يتعلمون الكلام**) ويتركون السؤال عن الورع وهذا القول أورده صاحب القوت.

(**ومنها**): أي ومن علامات علماء الآخرة (**أن يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم**) فيعطي للنفس منه مناها (**و**) لا (**التنعم في الملبس**) بأن يلبس رقاق الثياب ورفيعها وما يشار إليها بالبنان (**و**) لا (**التجمل في الأثاث**) فرش البيت (**والمسكن**) بسعته ورفعة بنائه وكذا التجمل في المركب وقد نهي عن كل من ذلك (**بل يؤثر**) يختار (**الاقتصاد**) أي التوسط (**في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف**) الصالحين، (**ويميل فيه بالاكتفاء بالأقل في جميع ذلك**)، فهذه علامة علماء الآخرة.

من الله قربه وارتفع في علماء الآخرة حزبه. ويشهد لذلك ما حكي عن أبي عبدالله الخواص، وكان من أصحاب حاتم الأصم - قال: دخلت مع حاتم إلى الري ومعنا ثلاثمائة وعشرون رجلاً نريد الحج وعليهم الزرنبانقات وليس معهم جراب ولا طعام، فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة، فلما كان من الغد قال لحاتم: ألك حاجة فإني أريد أن أعُودَ فقيهاً لنا هو عليل؟ قال حاتم: عيادة

وقد أشار لذلك القطب سيدي علي وفا في بعض مؤلفاته وبين الاقتصاد في كل ذلك وزاد. فأفاد؛ قال رضي الله عنه: يكفيك من الغذاء ما تهن لتركه القوى، ومن الملبس ما لا يسفهك به العاقل ولا يزدريك به الغافل، ومن المركب ما حمل رحلك وأراح رجلك ولا يزدرى بركوبه مثلك، ومن المسكن ما واراك، عمن لا تريده أن يراك، ومن الحلائل الودود الولود، ومن الخدم الأمين المطيع، ومن الأصحاب من يعينك على كمالك في جميع أحوالك، ومن الأدب ما يقيك غضب الكريم والعالم وجرأة اللئيم والظالم، ومن العلم ما طابق الذوق الصحيح، ومن الاعتقاد ما يعينك على طاعة المعتقد من غير اعتراض، ومن معرفة الحق ما أسقط اختيارك لغيره، ومن معرفة الباطل ما منعك من اختياره، ومن المحبة ما حققتك بإيثار محبوبك على سواه، ومن حسن الظن بالخلق ما لا يقبل معه سوء التأويل ولا قول العائب بغير دليل، ومن الحذر ما يمنع من مراكنة تجر إلى مباينة، ومن الظن بالله ما لا يجر إلى معصيته ولا يؤيس من رحمته، ومن اليقين ما تعصم به من صرف وجه الطلب عن حيرة، ومن التوحيد ما لا يبقى معه أثر لغيره، ومن الفكر ما وصل إلى فهم مراده، ومن الخواطر ما بعث على تعظيم ما عظم وهضم ما هضم. وقد وضحت لك الأنوار فإن شئت فاقتبس، وقد بينت الأصول فافهم الجامع واتق المانع ثم قس انتهى. أوردته بتمامه تبركاً به وإن كانت الأنفاس متفاوتة لكن المآل إلى واحد.

(**وكلما ازداد إلى طرف القلة**) من جميع ذلك (**منزلة**) وفي نسخة: ميله (**ازداد من الله سبحانه قربة**) ومرتبة (**وارتفع في علماء الآخرة درجة**) وفضيلة (**ويشهد لذلك ما حكي عن أبي عبدالله الخواص**) فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة حاتم، ومن طريقة أخرجه الشهاب السهروردي بطوله في عوارف المعارف. قال أبو نعيم: حدثنا محمد بن أحمد بن محمد، حدثنا العباس بن أحمد الشاشي، حدثنا أبو عقيل الرصافي، حدثنا أبو عبدالله الخواص (**وكان من أصحاب حاتم الأصم**) وتلامذته (**قال: دخلت مع**) أبي عبدالله (**حاتم إلى الري**) وهي من أكبر مدن خراسان (**ومعنا ثلاثمائة وعشرون رجلاً نريد الحج**) إلى بيت الله الحرام (**وعليهم**) الصوف و(**الزرنبانقات**) بضم الزاي وفتح الراء وسكون النون وبعد الموحدة المفتوحة ألف ثم نون مكسورة ثم قاف هي الجيب من الصوف (**ليس معهم جراب ولا طعام**) أي على قدم التوكل، (**فدخلنا**) الري فدخلنا (**على رجل من التجار متقشف يحب المساكين**) ونص الحلية: متنسك يحب المتقشفين (**فأضافنا تلك الليلة، فلما كان من الغد قال لحاتم**) يا أبا عبد الرحمن: (**ألك حاجة فإني أريد أن أعود فقيهاً**) أي عالماً (**لنا**) أي في

المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضاً أجيء معك. وكان العليل محمد بن مقاتل - قاضي الري - فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرق حسن فبقي حاتم متفكراً يقول: باب عالم على هذه الحالة؟ ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار حسناء قوراء واسعة نزهة وإذا بزة وستور، فبقي حاتم متفكراً ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه، وإذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة، فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس، فقال: لا أجلس. فقال: لعل لك حاجة فقال: نعم، قال: وما هي؟ قال: مسألة أسألك عنها. قال: سل. قال: قم فاستوِ جالساً حتى أسألك. فاستوى جالساً. قال حاتم: علمك هذا من أين أخذته؟ فقال: من

بلدنا (**هو عليل**) أي مريض. (**فقال حاتم: عيادة مريض فيها فضل**). ونص الحلية فقال حاتم: إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل. (**والنظر إلى الفقيه عبادة**). أما عيادة المريض؛ فقد ورد في فضلها أحاديث تدل على فضلها وكون النظر إلى الفقيه عبادة لأنه يذكر الله عز وجل (**وأنا أيضاً أجيء معك، وكان**) ذلك (**العليل محمد بن مقاتل**) الرازي (**قاضي الري**) حدّث عن وكيع ومحمد بن الحسن وجرير وأبي معاوية وغيرهم. روى عنه عيسى بن محمد المروزي، وأحمد بن عيسى الأشعري، ومحمد بن علي الحكيم الترمذي وغيرهم، وهو ضعيف سمع منه البخاري ولم يحدث عنه، فروى الخليل في الارشاد من طريق مهيب بن سليم سمعت البخاري يقول: حدثنا محمد بن مقاتل فقيل له الرازي فقال: لأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إليَّ من أن أحدث عن محمد بن مقاتل الرازي ذكره الخطيب في المتفق والمفترق، وأورده الحافظ في التقريب لأجل التمييز بينه وبين محمد بن مقاتل المروزي فقال التاجر مر بنا يا أبا عبد الرحمن، (**فلما جئنا إلى الباب**) أي باب محمد بن مقاتل، (**فإذا هو يشرق حسنه**) وفي نسخة: فإذا هو مشرق حسن وهكذا هو نص الحلية، (**فبقي حاتم متفكراً يقول: يا رب يا رب عالم على هذه الحال ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار قوراء**) أي واسعة (**وإذا بزة**) حسنة (**وأمتعة**) وفي الحلية: ومنعة (**وستور**) وجع (**فبقي حاتم متفكراً**) من هذه الحالة. (**ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه فإذا بفرش وطيئة**) أي لينة (**و**) إذا (**هو راقد عليها**) أي على تلك الفرش (**وعند رأسه غلام**) أي وضيء الوجه (**بيده مذبة**) بكسر الميم وهي المروحة، (**فقعد الزائر**) وهو التاجر (**عند رأسه وسلم**) وسأل، (**حاتم**) الأصم (**قائم**) لم يقعد (**فأومأ إليه ابن مقاتل أن اجلس**). وفي الحلية: اقعد (**فقال: لا أجلس**). وفي الحلية: لا أقعد. (**فقال**) ابن مقاتل: (**لعل لك حاجة؛ قال: نعم. قال**) و (**ما هي؟ قال: مسألة أسألك عنها. قال: سل**). وفي الحلية: سلني. (**قال: قم فاستوِ جالساً**) وفي الحلية؛ قال: نعم فاستوِ (**حتى أسألك عنها**). وفي الحلية: حتى أسألكها (**فاستوى جالساً**) وفي الحلية: فأمر غلمانه فأسندوه (**قال**) وفي الحلية فقال له (**حاتم: علمك هذا من أين أخذته**) وفي الحلية: من

الثقات حدثوني به. قال: عمن؟ قال: عن أصحاب رسول الله ﷺ. قال: وأصحاب رسول الله ﷺ عمن؟ قال: عن رسول الله ﷺ، قال: ورسول الله ﷺ عمن؟ قال: عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل. قال حاتم: ففيما أدّاه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله ﷺ، وأداه رسول الله ﷺ إلى أصحابه، وأصحابه إلى الثقات، وأداه الثقات، إليك هل سمعت فيه من كان في داره أشراف وكانت سعتها أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكبر. قال: لا. قال: فكيف سمعت؟ قال: سمعت أنه من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كانت له عند الله المنزلة. قال له حاتم: فأنت بمن اقتديت أبـالنبي الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم والصالحين رحمهم الله، أم بفرعون ونمروذ أوّل من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها، فيقول العالم على هذه الحالة: أفلا أكون أنا شراً منه. وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضاً، وبلغ أهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له: إن الطنافسي بقزوين أكثر توسعاً

أين جئت به؟ (**قال: من الثقات**) وفي الحلية: قال: الثقات (**حدثوني به قال: عمن؟ قال: عن أصحاب رسول الله ﷺ. قال، وأصحاب رسول الله ﷺ أخذوه عمن؟ قال: عن رسول الله ﷺ. قال ورسول الله ﷺ عمن؟ قال: عن جبريل عليه السلام عن الله سبحانه وتعالى**). وفي الحلية: ورسول الله ﷺ من أين جاء به؟ قال: عن جبريل (**قال حاتم: ففيما أداه جبريل عن الله سبحانه وتعالى إلى رسول الله ﷺ، وأداه رسول الله ﷺ إلى أصحابه، وأداه أصحابه إلى الثقات، وأداه الثقات إليك هل سمعت فيه**) وفي الحلية: في العلم (**من كان في داره أميراً**) وفي نسخة: من كانت داره دار أمير (**وكانت سعته أكثر كانت له عند الله المنزلة أكبر. قال: لا قال: فكيف سمعت؟ قال: من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله المنزلة أكبر. قال حاتم: فأنت بمن اقتديت أبـالنبي ﷺ وأصحابه والصالحين، أم بفرعون ونمروذ أول من بنى بالجص والآجر**) إذ قال: ﴿يا هامان ابنِ لي صرحاً﴾ [غافر: ٣٦] (**يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المكب**) وفي نسخة: المتكالـب (**على الدنيـا**). وفي نسخـة: الطـالـب للـدنيـا (**الراغب فيها، فيقول العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شراً منه**). قال هذا الكلام (**وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضاً**) على مرضه، (**وبلغ أهل الري ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا**) له يا أبا عبد الرحمن: (**إن الطنافسي**) بفتح الطاء والنون وكسر الفاء والسين نسبة إلى بيع الطنفسة (**بقزوين**) بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخاً، والمنسوب هكذا عبيد بن أبي أمية الكوفي الحنفي مولاهم حدث، وأولاده أبو حفص عمر المتوفي سنة سبع وثمانين ومائة وأبو عبدالله محمد الأحدب، ويعلى، وابراهيم، وإدريس حدثوا. قال الدارقطني:

منه فسار حاتم متعمداً فدخل عليه فقال: رحمك الله أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة؟ قال: نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء فأتي به فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً، ثم قال: هكذا فتوضأ. فقال حاتم: مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد، فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعاً أربعاً، فقال الطنافسي: يا هذا أسرفت. قال له حاتم: فبماذا؟ قال: غسلت ذراعيك أربعاً. فقال حاتم: يا سبحان الله العظيم أنا في كف من ماء أسرفت وأنت في جميع هذا كله لم تسرف، فعلم الطنافسي أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج إلى الناس أربعين يوماً، فلما دخل حاتم بغداد اجتمع إليه أهل بغداد فقالوا: يا أبا عبد الرحمن: أنت رجل ألكن أعجمي وليس يكلمك أحد إلا قطعته، قال: معي ثلاث خصال أظهر بهن على خصمي. أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه. فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل

كلهم ثقات، ولعل المراد من النسبة المذكورة أحد أولاد عبيد ممن تولى قضاء قزوين، وأكبر ظني انه محمد الأحدب فقد كان بقزوين وروى عنه من أهلها محمد بن رافع وغيره (**أكثر شأناً منه**) أي من قاضي الري قال، (**فسار حاتم**) إليه (**متعمداً**) أي قاصداً لنصحه، (**فدخل عليه فقال: رحمك الله. أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة. قال: نعم وكرامة**) لعينيك (**هات إناء فيه ماء فأتي به**) فأتاه فيه ماء. (**فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثاً ثلاثاً ثم قال**) يا هذا (**هكذا فتوضأ. قال حاتم: مكانك**) يرحمك الله (**حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد، فقام الطنافسي**) من موضعه (**وقعد حاتم فتوضأ**) ثلاثاً ثلاثاً (**ثم غسل**). وفي الحلية: حتى إذا بلغ غسل (**الذراعين**) غسل (**أربعاً أربعاً فقال**) له (**الطنافسي يا هذا أسرفت. قال له حاتم في ماذا؟ قال: غسلت ذراعيك أربعاً. فقال حاتم يا سبحان الله أنا في كف من ماء أسرفت وأنت في جميع هذا كله لم تسرف**) وفي الحلية: وأنت في هذا الجمع كله لم تسرف وهكذا هو في نسخة أيضاً، (**فعلم الطنافسي أنه قصد ذلك دون التعلم**). وفي الحلية أنه أراده بذلك لم يرد أن يتعلم منه شيئاً (**فدخل**) إلى (**البيت فلم يخرج إلى الناس أربعين يوماً**) كأنه وجد لقوله تأثيراً عظيماً في قلبه فرجع إلى حال نفسه. قال أبو نعيم: فكتب تجار الري وقزوين بما جرى بينه وبين ابن مقاتل والطنافسي، (**فلما دخل بغداد اجتمع عليه**) وفي نسخة: إليه (**أهل بغداد فقالوا يا أبا عبد الرحمن أنت**) الكن (**أعجمي ليس يكلمك أحد إلا قطعته**) أي أسكنه. (**قال: معي ثلاث خصال بهن أظهر**) أي أغلب (**على خصمي**). قالوا: أي شيء هي؟ قال: (**افرح إذا أصاب**) خصمي، (**واحزن إذا أخطأ، وأحفظ نفسي أن لا أجهل**). وفي الحلية أن لا أتجهل (**عليه فبلغ ذلك**) الإمام (**أحمد بن حنبل**) رحمة الله (**فقال: يا سبحان**

فقال: سبحان الله ما أعقله قوموا بنا إليه، فلما دخلوا عليه قال له: يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا؟ قال يا أبا عبدالله: لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال: تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم، وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيساً، فإذا كنت هكذا سلمت ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال: يا قوم أية مدينة هذه؟ قالوا: مدينة رسول الله ﷺ. قال: فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أصلي فيه؟ قالوا: ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطـىء بالأرض، قال: فأين قصور أصحابه رضي الله عنهم؟ قالوا: ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطِئة بالأرض. قال حاتم: يا قوم فهذه مدينة فرعون فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان، وقالوا: هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون، قال الوالي: ولـمَ ذلك؟ قال حاتم: لا تعجل عليَّ أنا رجل

الله ما أعقله)، ثم قال لأصحابه: **(قوموا بنا)** حتى نسير **(إليه، فلما دخلوا عليه قالوا له يا أبا عبد الرحمن: ما السلامة من الدنيا؟ قال)** حاتم **(يا أبا عبدالله)** يعني به الإمام أحمد: **(لا تسلم من الدنيا حتى تكون معك أربع خصال)**. قال: أي شيء هي يا أبا عبدالرحمن: قال. **(تغفر للقوم من جهلهم)** ولفظ الحلية: للقوم جهلهم وهكذا في نسخة أيضاً، **(وتمنع جهلك عنهم)** ومنه قول عنترة[1]:

ألا لا يجهلـــن أحـــد علينـــا   فنجهـل فــوق جهــل الجاهلينـا

(وتبذل لهم شيئك) أي تعطيهم ما ملكت يداك من المال وغيره، **(وتكون من شيئهم)** مما في أيديهم **(آيساً)** غير طامع فيه، **(فإذا كنت هكذا سلمت)** وفي نسخة: فإذا كان هكذا سلمت. ومثله في الحلية إلى هنا، ثم سياق عوارف المعارف. قال أبو نعيم: **(ثم سار)** حاتم من بغداد **(إلى المدينة)** المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام **(فاستقبله أهل المدينة فقال)** لما نظر إلى أبنيتها وقصورها **(يا قوم: أية مدينة هذه)** وفي الحلية: أي مدينة هذه؟ **(قالوا: مدينة رسول الله ﷺ. قال: فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أصلي فيه)** وفي الحلية: فأصلي فيه ركعتين. **(قالوا: ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطىء بالأرض)** أي لاصق بها. **(قال: فأين قصور أصحابه)** بعده؟ **(قالوا: ما كانت لهم قصور إنما كانت لهم بيوت لاطئة بالأرض. فقال حاتم: فهذه مدينة فرعون)** وجنوده، لكون فرعون أوّل من طبخ الطين وعمل الآجر، وبنى الصرح وأخرج أبو نعيم في ترجمة ابن عيينة قال بلغ عمر أن رجلاً بني بالآجر فقال ما كنت أحسب أن في هذه الأمة مثل فرعون قال يريد قوله: ﴿ابن لي صرحاً﴾ [غافر: ٣٦] ﴿وأوقد لي يا هامان على الطين﴾ [القصص: ٣٨]. وأخرج أيضاً في ترجمة من رواية إسحاق بن ابراهيم قال: سمعت سفيان يقول: بلغني أن الدجال يسأل بناء الآجر هل ظهر بعد، **(فأخذوه فذهبوا به إلى السلطان)** أي الأمير الذي يتولاها من طرف الخليفة، **(فقالوا: هذا الأعجمي يقول: هذه مدينة فرعون)** وجنوده. **(قال الوالي)** المذكور لحاتم: **(ولم**

---

(١) كذا بالأصل والصواب عمرو بن كلثوم؛ فالبيت المذكور له.

أعجمي غريب دخلت البلد فقلت: مدينة من هذه؟ فقالوا: مدينة رسول الله ﷺ، فقلت: فأين قصره وقص القصة، ثم قال وقد قال الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب: ٢١]، فأنتم بمن تأسيتم أبرسول الله ﷺ أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر فخلوا عنه وتركوه، فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى.

وسيأتي من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك في مواضعه. والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام، ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به حتى

ذاك؟ قال) حاتم: **(لا تعجل علي أنا رجل أعجمي غريب دخلت البلد)** وفي الحلية: المدينة **(فقلت: مدينة من هذه؟ قالوا: مدينة رسول الله ﷺ. فقلت: أين)** وفي الحلية: قلت؛ فأين **(قصره حتى أصلي فيه)**؟ فقالوا: ما كان له قصر. **(وقص القصة)** أي: أوردها بتمامها. **(ثم قال)** حاتم: **(ولقد قال الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب: ٢١] فأنتم بمن تأسيتم)** أي: اقتديتم **(أبرسول الله ﷺ)** وأصحابه، **(أم بفرعون)**؛ وفرعون **(أول من بنى بالجص والآجر)** فأسكتهم **(فخلوا عنه وتركوه)** وفي الحلية: وعرفوه بدل وتركوه **(هذه حكاية)** حاتم **(الاصم)**.

وزاد أبو نعيم بعد قوله وعرفوه ما نصه: فكان حاتم كلما دخل المدينة يجلس عند قبر النبي ﷺ يحدث ويدعو، فاجتمع علماء المدينة فقالوا: تعالوا حتى نخجله في مجلسه فجاؤوه ومجلسه غاص بأهله، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن؛ مسألة نسألك. قال: سلوا. قالوا: ما تقول في رجل يقول اللهم ارزقني. قال حاتم: متى طلب هذا العبد الرزق في الوقت أم قبل الوقت؟ قالوا: ليس نفهم هذا يا أبا عبد الرحمن. قال: إن كان هذا العبد طلب الرزق من ربه في وقت الحاجة فنعم وإلا فأنتم عندكم خرثى ودراهم في أكياسكم وطعام في منازلكم وأنتم تقولون: اللهم ارزقنا قد رزقكم الله فكلوا واطعموا إخوانكم حتى إذا بقيتم ثلاثاً فاسألوا الله حتى يعطيكم أنت عسى تموت غداً وتخلف هذا للأعداء وأنت تسأله أن يرزقك زيادة، فقال أهل المدينة: نستغفر الله يا أبا عبد الرحمن إنما أردنا بالمسألة تعنتاً اهـ.

قال القشيري في الرسالة: لم يكن حاتم أصم وإنما تصامم مرة فسمي به سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: جاءت امرأة فسألت حاتماً عن مسألة فاتفق أنه خرج منها في تلك الحالة صوت فخجلت، فقال حاتم: ارفعي صوتك فأرى من نفسه أنه أصم، فسرّت المرأة بذلك وقالت: إنه لم يسمع الصوت فغلب عليه اسم الأصم اهـ.

(وسيأتي من سيرة السلف) الصالحين وطريقتهم التي سلكوها **(في البذاذة)** هي رثاثة الهيئة **(وترك التجمل)** في سائر الأسباب الضرورية **(ما يشهد لذلك)** أي: لما ذكرناه **(في مواضعه)** من هذا الكتاب على حسب المناسبات، **(والتحقيق فيه أن التزين بالمباح ليس بحرام)**، وذلك عام في كل المأكل والملبس والمسكن بدليل قوله تعالى: ﴿قل من حرم زينة

يشق تركه، واستدامة الزينة لا تمكن إلا بمباشرة أسباب في الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراءاتهم وأمور أخرى هي محظورة، والحزم اجتنـاب ذلك لأن من خاض في الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان ﷺ لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المطرز بالعلم، ونزع خاتم الذهب في أثناء الخطبة إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه.

الله﴾ [الأعراف: ٣٢] الآية. **(ولكن الخوض فيه يوجب الأنس به)** والميل إليه **(حتى يشق تركه)** ويصعب هجره لتمرن النفس عليه حتى تصير عادة غير منفكة وترك العادة صعب، وأصل الزينة تحسين الشيء بغيره من لبسته أو حليته أو هيئته. وقال الراغب: الزينة الحقيقية ما لا يشين الإنسان في شيء من أحواله لا في الدنيا ولا في الآخرة، أما ما يزينه في حالة دون حالة، فهو من وجه شين وهي على ثلاثة أقسام نفسية وبدنية وخارجية الأولى كالعلم والاعتقادات الحسنة، والثانية كالقوّة وطول القامة وحسن الوسامة، والثالثة المال والجاه. والآية محولة على القسم الأخير. **(واستدامة الزينة)** على الوجه الذي يرومها المزين **(لا تمكن)** ولا تتصور **(إلا بمباشرة أسباب)** وأمور خارجية **(في الغالب يلزم من مراعاتها)** والالتفات إليها **(ارتكاب)** أنواع **(المعاصي من)** أكبرها **(المداهنة)** في الحق، **(و)** منها **(مراعاة الخلق)** في أحوالهم اجتماعاً وافتراقاً **(ومراءاتهم)** في أحواله ليكون معظماً عندهم، **(وأمور أخـر هي محظورة)** شرعاً، **(والحزم)** كل الحزم **(اجتناب ذلك)** التزين الذي يؤدي إلى ما ذكر والعود إلى الاقتصاد، فبه يملك رأس الأمر **(لأن من خاض في الدنيا)** وآثر أسبابها واشتغل بها **(لا يسلم منها البتة)**، فلا بد لوازن العسل من لعق الأصابع **(و)** اعلم أنه **(لو كانت السلامة)** منها **(مبذولة)** أي حاصلة **(مع الخوض)** فيها **(لكان النبي ﷺ أولى بذلك وكان لا يبالغ في ترك الدنيا)** ورفض أسبابها، **(حتى نزع القميص المطرز بالعلم)** أي المعلم بعلم. قال العراقي: المعروف نزعه للخميصة المعلمة اهـ.

قلت: اطلاق القميص على الخميصة مجاز، فإن القميص هو الثوب المخيط بكمين غير مفرج يلبس تحت الثياب ولا يكون من الصوف غالباً. والخميصة كساء أسود مربع له علمان، فإن لم يكن معلماً فليس بخميصة كما قاله الجوهري، وكانت من لباس الناس قديماً.

قال العراقي: وحديث الخميصة أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه من رواية الزهري، عن عائشة رضي الله عنها قالت صلى رسول الله ﷺ في خميصة لها اعلام فنظر إلى اعلامها نظرة فلما سلم قال: «اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي وائتوني بانبجانية أبي جهم بن حذيفة». لفظ البخاري اهـ.

قلت: رويناه في أول الحربيات من حديث سفيان بن عيينة، عن الزهري، وهشام بن عروة.

وقد حكي أن يحي بن يزيد النوفلي كتب إلى مالك بن أنس رضي الله عنهما: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد في الأولين والآخرين، من يحي بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس أما بعد، فقد بلغني أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطيء وتجعل على بابك حاجباً وقد جلست مجلس العلم وقد

كلاهما عن عروة به. (**ونزع الخاتم الذهب**) ونبذه (**في أثناء الخطبة**). قال العراقي: رواه ابن عمر وابن عباس.

أما حديث ابن عمر، فأخرجه الأئمة الستة إلا ابن ماجه فاتفق عليه الشيخان والنسائي من رواية الليث، ورواه البخاري من رواية جويرية. ومسلم والترمذي من رواية موسى بن عقبة ثلاثتهم عن نافع أن عبدالله بن عمر حدثه أن النبي ﷺ اصطنع خاتماً من ذهب وجعل فصّه في بطن كفه إذا لبسه فاصطنع الناس خواتيم من ذهب، فرقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال: «إني كنت اصطنعته وإني لا ألبسه فنبذه» فنبذ الناس لفظ رواية البخاري من رواية جويرية عن نافع، واتفقا عليه. وأبو داود والنسائي من رواية عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر دون ذكر المنبر، وكذا رواية مسلم، وأبو داود، والنسائي من رواية أيوب بن موسى، عن نافع. والبخاري من طريق مالك، والنسائي من رواية إسماعيل بن جعفر كلاهما عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر دون ذكر المنبر.

وأما حديث ابن عباس فرواه النسائي من رواية سليمان الشيباني عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً فلبسه قال: «شغلني هذا عنكم منذ اليوم إليه نظرة وإليكم نظرة ثم ألقاه» (**إلى غير ذلك مما سيأتي**) في أثناء هذا الكتاب.

(**فقد حكي أن يحي بن يزيد**) بن عبد الملك بن المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم (**النوفلي**) المدني. روى عن أبيه. أورده الحافظ الذهبي في الميزان، وقال: قال أبو حاتم: منكر الحديث. وقال ابن عدي: الضعف على أحاديثه، وأورد أباه كذلك. وقال: روى عن المقبري، ويزيد بن رومان. وعنه ابنه يحي، وعبدالعزيز الأوسي، وخالد بن مخلد ضعفه أحمد وغيره. وقال أبو زرعة: ضعيف. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ. وقال النسائي: متروك الحديث مات سنة خمس وستين ومائة. (**كتب إلى**) الإمام (**مالك بن أنس**) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته والمكتوب ما نصه: (**«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأوّلين والآخرين من يحي بن يزيد بن عبد الملك إلى مالك بن أنس أما بعد؛ فقد بلغني**) عنك (**أنك تلبس الدقاق**) أي الثياب الرفيعة وهي دق الثياب من كتان وقطن، ولو روي بالراء لكان له معنى. (**وتأكل الرقاق**) بالضم أي الخبز المرقق الذي عجن من دقيق منخول (**وتجلس على الوطيء**) أي الفرش اللين (**وتجعل على بابك حاجباً**) لا يدع الناس من الدخول عليك إلا بإذن (**و**) الحال أنك (**قد جلست مجلس العلم**) تنشر للناس

ضربت إليك المطي وارتحل إليك الناس واتخذوك إماماً ورضوا بقولك فاتقِ الله تعالى يا مالك وعليك بالتواضع. كتبت إليك بالنصيحة مني كتاباً ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام». فكتب إليه مالك: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم. من مالك بن أنس إلى يحي بن يزيد سلام الله عليك أما بعد؛ فقد وصل إليَّ كتابك فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والأدب أمتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيراً وأسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، فأما ما ذكرت لي أني آكل الرقاق وألبس الدقاق واحتجب وأجلس على الوطيء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى، فقد قال الله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ [الأعراف: ٣٢] وإني لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام، فانظر إلى إنصاف مالك

وتفيده (**وضربت إليك المطيّ**) أي بأكبادها (**وارتحل الناس**) إليك لأخذ العلم (**فاتخذوك إماماً**) وقدوة في دينهم (**ورضوا بقولك**) الذي تذهب إليه (**فاتّق الله**) في نفسك (**يا مالك وعليك بالتواضع**). وقد (**كتبت إليك بالنصيحة مني كتاباً**) هو هذا الكتاب (**ما اطلع عليه إلا الله تعالى**). وهكذا تكون النصائح إذا كانت لله تعالى لا لغرض ولا علة (**والسلام»**) عليك. (**فكتب إليه مالك**) لأن من السنة ردّ جواب الكتاب (**«بسم الله الرحمن الرحيم. من مالك بن أنس إلى يحي بن يزيد سلام عليك أما بعد؛ فقد وصل إليَّ كتابك**) فقرأته (**فوقع مني موقع النصيحة والإشفاق والأدب**) أي مع الله تعالى (**أمتعك الله بالتقوى**) أي أطال إيناسك به (**وجزاك بالنصيحة**) في الله (**خيراً وأسأل الله التوفيق**) أي لمرضاته، (**ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. فأما ما ذكرت لي**) أي في كتابك (**أني آكل الرقاق وألبس**) الثياب (**الدقاق واحتجب**) عن الناس (**واجلس على**) الفرش (**الوطيء فنحن نفعل ذلك**) أي يصدر منا ذلك أحياناً من غير تصميم عليه، (**ونستغفر الله**) تعالى من ذلك كله، (**وقد قال الله عز وجل**) في كتابه العزيز: (**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق**﴾ [الأعراف: ٣٢] وقد استدل بهذه الآية على قول الأصوليين أن الأصل في المنافع الإباحة، وفي المضار التحريم، فإنه يدل على الذم بسبب تحريم زينة الله المخرجة لعباده، وإذا ورد الذم على التحريم لم يكن حراماً فيكون مباحاً، والمراد من الطيبات ما يستطاب طبعاً وهو النافع فيكون مباحاً، وليس المراد منها الحلال وإلا لزم التكرار في قوله: ﴿أحل لكم الطيبات﴾ قاله القزويني في شرح المنهاج، (**وإني لأعلم**) يقيناً (**أن ترك ذلك**) جلة (**خير من الدخول فيه**) والركون إليه (**ولا تدعنا**) أي لا تهملنا (**من كتابك**) أي من إرساله إلينا، (**فلسنا ندعك**) نتركك (**من كتابنا والسلام**) هذا آخر الجواب. (**فانظر**) وتأمل (**إلى انصاف**) الإمام (**مالك**) وأدبه مع الله تعالى (**إذ اعترف**)

إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بأنه مباح وقد صدق فيهما جميعاً، ومثل مالك في منصبه إذا سمحت نفسه بالإنصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة فتقوى أيضاً نفسه على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراءاة والمداهنة والتجاوز إلى المكروهات، وأما غيره فلا يقدر عليه، فالتعريج على التنعم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله تعالى الخشية، وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر.

ومنها: أن يكون مستقصياً عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة ما دام يجد إلى الفرار عنهم سبيلاً بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم وإن جاؤوا إليه، فإن الدنيا حلوة

بما نسب إليه، ولو كتب هذا إلى أقل علماء زماننا بأقل من ذلك لاشمأز واحتد غضباً ولم يرد الجواب. فقال من جلة اعترافه: وإني لأعلم (**ان ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتى بأنه مباح**) أي مما أباح الله به لعباده وليس هو في حد المحرمات (**وقد صدق**) رحمه الله تعالى (**فيهما جميعاً**) أي في الإباحة المفهومة من نص الآية الشريفة وفي أولوية ترك الخوض والدخول في العلائق الدنيوية وإن كانت مباحة، (**ومثل مالك**) وناهيك به (**إذا سمحت نفسه بالانصاف**) منها (**والاعتراف**) بالانكسار (**في مثل هذه النصيحة**) المفيدة (**فتقوى أيضاً نفسه على الوقوف على حدود المباح**) فلا يتجاوزها (**حتى لا يحمله ذلك على المراءاة**) مع الخلق (**والمداهنة**) في الحق (**و**) على (**التجاوز**) منها (**إلى**) الوقوع في (**المكروهات**) لعلو مقامه واستغراقه في حضرة الحق سبحانه، (**وأما غيره فلا يقدر عليه**) فإن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، (**فالتعريج**) أي الميل (**على التنعم في المباح**) والوقوف عليه (**خطر عظيم**) ووبال جسيم إلا من عصمه الله وأيد بالتوفيق وكحلت بصيرته بالتأييد (**وهو بعيد من**) مقامي (**الخوف**) من الله (**والخشية**) له (**وخاصية علماء الله تعالى**) التي لا تنفك عنهم في حال من الأحوال (**الخشية**) إذ هي ثمرة علمهم بالله تعالى، (**وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر**) والاقتصار على أقل الضرورات، وهو مقام النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ففي الحديث: «لا يكون العبد من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس». وفي تاريخ الذهبي. قال إسماعيل بن أبي أويس كتب عبدالله بن عبد العزيز العمري إلى مالك وابن أبي ذئب وغيرهما بكتب أغلظ لهم فيها وقال: أنتم علماء تميلون إلى الدنيا وتلبسون اللين وتدعون التقشف، فكتب له ابن أبي ذئب كتاباً أغلظ له وجاوبه مالك جواب فقيه.

(**ومنها**): أي ومن العلامات اللازمة لعلماء الآخرة (**أن يكون مستقصياً عن**) مخالطة (**السلاطين**) ومن في معناهم من الأمراء والحكام (**بل لا يدخل عليهم البتة**) أي بوجه من الوجوه (**ما دام يجد إلى الفرار عنهم سبيلاً**) ومخلصاً وممكناً، (**بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم**) ومخاللتهم (**وإن جاؤوا إليه**) أي لزيارته. (**فإن الدنيا حلوة خضرة**) نضرة

خضرة وزمامها بأيدي السلاطين. والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة. ويجب على كل متدين الإنكار عليهم وتضييق صدورهم بإظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم، فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه، أو يسكت عن الإنكار عليهم فيكون مداهناً لهم، أو يتكلف في كلامه كلاماً لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح، أو أن يطمع في أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت، وسيأتي في كتاب الحلال والحرام ما يجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الإدرار والجوائز وغيرها. وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط. وقد قال ﷺ: «من بدا جفا ـ يعني من سكن البادية جفا ـ ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن». وقال ﷺ:

(وزمامها) في الحقيقة (**بأيدي السلاطين**) إذ هم حياتها وإليهم مآلها (**والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم**) كما هو مشاهد (**واستمالة قلوبهم**) إليه بما أمكن (**مع أنهم ظلمة**) على رقابهم مظالم العباد وظلموا نفوسهم بارتكاب المحظورات. (**ويجب على كل متدين**) أي متقيد بالدين (**الإنكار عليهم**) بلسانه وقلبه (**وتضييق قلوبهم بإظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم**) تصريحاً إن أمكن، كما فعله أبو حازم حين دخل على سليمان بن عبد الملك وعنده الزهري، وكما فعله شقيق حين جاءه هارون الرشيد زائراً، فإن لم يتمكن من التصريح فالتعريض. (**فالداخل عليهم**) في مجالسهم لا يخلو (**إما أن يلتفت إلى تجملهم**) وتزينهم في الملابس والفرش والستور فينخزل باطناً وتميل نفسه إلى حصول مثل ذلك أو بعضه (**فيزدري**) أي يستحقر (**نعمة الله**) عز وجل التي أنعمها (**عليه، أو يسكت عن الانكار**) عليهم مع وجوبه (**فيكون مداهناً لهم**) بسكوته (**أو يتكلف في كلامه**) الذي يورده طلباً (**لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح**) والافتراء الخالص (**أو يطمع في أن ينال**) ويصيب (**من دنياهم**) التي بأيديهم (**وذلك هو السحت**)، أي الحرام الخالص، وقد يجتمع بعض الأحيان في بعض الأشخاص من الذين يداخلونهم من هذه الأوصاف الخمسة اثنان وثلاثة وأكثر وأقل، وعلى كل حال تقرب السلاطين نار محرقة إن لم تحترق تكون تحت رق، (**وسيأتي في كتاب الحلال والحرام**) في أثناء هذا الكتاب (**ما يجور أن يؤخذ من أموال السلاطين وما لا يجوز من الإدرار**) أي الوظائف والجرايات (**والجوائز**) أي العطايا (**وغيرها**) كإلباس الخلع والتشاريف. (**وعلى الجملة**) مع قطع النظر عن التفصيل (**فمخالطتهم مفتاح للشرور**) وأصل أصيل للوقوع في النكد والغرور (**وعلماء الآخرة طريقتهم الاحتياط**) أي الأخذ بالأحوط في أمور دينهم ودنياهم. كيف (**وقد قال ﷺ: «من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلاطين افتتن»**) لأنه إن وافقه على مرامه فقد خاطر بدينه، وإن خالفه فقد خاطر بروحه. وربما استخدمه فلا يسلم من الإثم في الدنيا والعقوبة في العقبى. أخرجه

« سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون، فمن أنكر فقد بريء ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع أبعده الله تعالى. قيل: أفلا نقاتلهم؟ قال ﷺ: « لا ما صلوا »، وقال سفيان: في جهنم واد لا يسكنه، إلا القراء الزائرون للملوك، وقال

الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي والنسائي، وابن ماجه، والبيهقي في الشعب، والطبراني في الكبير، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية وأبو قرة كلهم من رواية سفيان، عن أبي موسى، عن وهب بن منبه، عن ابن عباس رفعه. ولفظهم كلهم ما عدا الترمذي. « ومن أتى السلطان » والباقي سواء. ولفظ الترمذي: ومن أتي أبواب السلطان وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الثوري. وقال سفيان مرة: لا أعلمه إلا عن النبي ﷺ، وقال أبو نعيم في الحلية: أبو موسى هو اليماني لا نعرف له اسماً. وقال الذهبي في الميزان: شيخ يماني يجهل. ما روي عنه غير الثوري، ولعله اسرائيل بن موسى وإلا فهو مجهول. ونقل المنذري في مختصر السنن قال الكرابيسي: حديثه ليس بالقائم. وفي الباب عن أبي هريرة والبراء بن عازب، ولفظ حديث أبي هريرة: « من بدى فقد جفا » والباقي سواء. وزاد في آخره: « وما ازداد أحد من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً »، رواه أبو يعلى في مسنده، وابن عدي في الكامل، وابن حبان في الضعفاء كلهم من رواية الحسن بن الحكم النخعي، عن عدي بن ثابت، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، وضعفوه كالمنذري في مختصر السنن، ولكن حسنه العراقي قال: وقد رواه أبو داود في رواية ابن داسة، وابن العبد من طريق الحسن بن الحكم هذا إلا أنه قال: عن عدي بن ثابت، عن شيخ من الأنصار عن أبي هريرة بلفظ حديث وهب بن منبه عن ابن عباس، وقد رواه أيضاً أبو يعلى في مسنده هكذا. وأما حديث البراء فرواه أحمد مختصراً من طريق شريك، عن الحسن بن الحكم، عن عدي بن ثابت عنه رفعه: « من بدى جفا » وذكره الدارقطني في العلل فقال: تفرد به شريك، واختلف فيه على الحسن بن الحكم، فرواه شريك عنه هكذا، وخالفه اسماعيل بن زكريا فرواه عنه عن عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة كما تقدم، وخالفهما محمد بن عبيد الطنافسي فرواه عنه عن عدي بن ثابت عن شيخ من الأنصار لم يسمعه اهـ.

قلت: وأخرجه العقيلي في الضعفاء، والروياني وسعيد بن منصور كلهم عن البراء نحوه بزيادة: « ومن تبع الصيد غفل ». **(وقال ﷺ: « ستكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون، فمن أنكر فقد بريء ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع أبعده الله قيل: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا »)**. قال العراقي: أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي من رواية ضبة بن محصن، عن أم سلمة، عن النبي ﷺ أنه قال واللفظ للترمذي إلا أنه قال: « أئمة » بدل « أمراء » ولم يقل « أبعده الله ». وقال: حسن صحيح. وفي رواية لمسلم: « أنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد بريء ومن أنكر فقد سلم ». فذكره دون قوله: « أبعده الله » وفيه: قالوا يا رسول الله بدل قيل. وفي رواية له: « فمن أنكر فقد بريء ومن كره فقد سلم ». وفي رواية: « ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف بريء ومن أنكر سلم » اهـ.

حذيفة: إياكم ومواقف الفتن قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه. وقال رسول الله ﷺ: «العلماء أمناء الرسل على عباد الله تعالى ما لم يخالطوا السلاطين، فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم». رواه أنس. وقيل للأعمش: لقد أحييت العلم لكثرة من

قلت: وأخرج ابن أبي شيبة عن عبادة بن الصامت رفعه: «ستكون عليكم أمراء يأمرونكم بما تعرفون ويعملون بما تنكرون فليس لأولئك عليكم طاعة». وأخرج ابن جرير والطبراني في الكبير والحاكم، عن عبادة بن الصامت أيضاً ولفظهم: «سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم بما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون فمن أدرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله عز وجل». وأخرج ابن ماجه، وابن عساكر، عن أبي هريرة رفعه: «سيكون بعدي خلفاء يعملون بما لا تعلمون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن أنكر عليهم برىء ومن أمسك يده سلم ولكن من رضي وتابع». **(وقال سفيان)** بن سعيد الثوري: **(في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزوّارون)** أي الكثيرو الزيادة **(للملوك)** أخرجه البيهقي عن بكر بن محمد العابد قال: سمعت سفيان الثوري يقول فذكره بلفظ: إن في جهنم لجباً تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء الزائرين للسلاطين، وقد تقدم عن بكر بن خنيس ما يعضده. وقال السيوطي: ما رواه الأساطين من عدم المجيء إلى السلاطين ما نصه. وأخرج ابن عدي عن أبي هريرة رفعه: «إن في جهنم وادياً تستعيذ منه كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين بأعمالهم وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى عالم السلطان». **(وقال حذيفة)** بن اليمان رضي الله عنه فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا إسحاق بن ابراهيم، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن إسحاق، عن عمارة بن عبد، عن حذيفة قال: **(إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما هي)** يا أبا عبدالله؟ **(قال أبواب الأمراء يدخل أحدهم)** ونص الحلية: أحدكم. ومثله في نسخة أخرى **(فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه)**. وأخرجه كذلك البيهقي في الشعب، وابن أبي شيبة في المصنف.

(وقد قال ﷺ: «العلماء أمناء الرسل على عباد الله) فإنهم استودعهم الشرائع التي جاؤوا بها، وهي العلوم والأعمال وكلفوا الخلق طلب العلم فهم أمناء عليه وعلى العمل به **(ما لم يخالطوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل)** في أماناتهم لأن مخالطهم لا يسلم من النفاق والمداهنة والاطراء في المدح وفيه هلاك الدين **(فاحذروهم)** أي خافوا من شرهم **(واعتزلوهم»)** أي تأهبوا لما يبدو منهم من الشر. **(رواه)** أبو جعفر العقيلي في الضعفاء في ترجمة حفص الأبري عن إسماعيل بن سميع الحنفي، عن **(أنس)**، عن النبي ﷺ. قال العقيلي: وحفص كوفي حديثه غير محفوظ. قال العراقي: وقد رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق الحاكم، ومن طريق أبي نعيم الأصبهاني من رواية ابراهيم بن رستم، عن أبي حفص العبدي، عن

يأخذه عنك فقال: لا تعجلوا؛ ثلث يموتون قبل الإدراك، وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق، والثلث الباقي لا يفلح منه إلا القليل. ولذلك قال سعيد بن

اسماعيل بن سميع عن أنس وزاد بعد قوله: «ما لم يخالطوا السلطان ويداخلوا الدنيا». وقال في آخره: «فاحذروهم واخشوهم». اهـ.

قلت: لفظ الحاكم: «ويدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا في الدنيا وخالطوا السلطان». وفي آخره: «فاعتزلوهم». وأخرجه الحسن بن سفيان في مسنده عن محمد بن مالك عن ابراهيم بن رستم. قال العراقي: ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من رواية ابراهيم بن رستم، عن عمر بن حفص العبدي عن اسماعيل بن سميع قال: تابعه محمد بن معاوية النيسابوري، عن محمد بن يزيد عن اسماعيل، ثم قال: وأما عمر العبدي قال يحي ليس بشيء. وقال النسائي: متروك. وأما ابراهيم بن رستم فقال: ابن عدي: ليس بمعروف ومحمد بن معاوية قال فيه أحمد كذاب إلى هنا كلام ابن الجوزي. قال العراقي: أما ابراهيم بن رستم فقال فيه عثمان بن سعيد الدارمي عن يحي بن معين أنه ثقة اهـ.

قال السيوطي: الحديث ليس بموضوع وابراهيم بن رستم معروف مروزي جليل. قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان، عن أبي حاتم: يذكر بفقه وعبادة ومحله الصدق، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخطىء. وقال الدارقطني: مشهور وليس بالقوي، وله طريق آخر أخرجه الديلمي من رواية محمد بن النضر، حدثنا محمد بن يزيد بن سابق، حدثنا نوح ابن أبي مريم، عن اسماعيل بن سميع، وقد ورد هذا الحديث بهذا اللفظ عن علي بن أبي طالب مرفوعاً أخرجه العسكري، وورد موقوفاً على جعفر بن محمد أخرجه أبو نعيم في الحلية. وله شاهد نحوه من حديث عمر بن الخطاب أخرجه الديلمي في مسند الفردوس، وله شواهد بمعناه كثيرة صحيحة وحسنة فوق الأربعين حديثاً. وهذا الحديث الذي نحن في الكلام عليه يحكم له على مقتضى صناعة الحديث بالحسن والله أعلم اهـ.

قلت: والموقوف الذي أخرجه أبو نعيم في الحلية رواه من طريق هشام بن عباد قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: الفقهاء أمناء الرسل، فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين فاتهموهم.

(وقيل للأعمش) وهو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم أبو محمد الكوفي رأى أنس بن مالك وأبا بكرة الثقفي وأخذ له بالركاب فقال له: يا بني إنما أكرمك ربك عز وجل. قال ابن معين: كل ما روى الأعمش عن أنس فهو مرسل. وقال عيسى بن يونس: ما رأيت الأغنياء والسلاطين عند أحد أحقر منهم عند الأعمش مع فقره وحاجته. مات سنة ثمان وأربعين ومائة. **(لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذ عنك)** أي فيبقى في صدورهم فيلقونه إلى من يأخذ عنهم، **(فقال: لا تعجلوا ثلث)** منهم **(يموتون قبل الادراك)** أي قبل أن يدركوا ثمرة العلم التي هي العمل، **(والثلث)** الثاني **(يلزمون أبواب السلاطين فهم شرار الخلق،**

المسيب رحمه الله: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحترزوا منه فإنه لص. وقال الأوزاعي: ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملاً. وقال رسول الله ﷺ: « شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء »، وقال

والثلث الباقي لا يفلح منهم إلا القليل) فأشار بقوله: فهم شرار الخلق إن مخالطة السلاطين شر محض. وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية أحمد بن شيبان قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول، ونظر إلى كثرة أصحاب الحديث ثلث يتبعون السلطان، وثلث لا يفلحون، وثلث يموتون. **(ولذلك قال)** أحد العلماء الاثبات **(سعيد بن المسيب)** بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي. قال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه. مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين. **(إذا رأيتم العالم يغشى أبواب الأمراء فاحترزوا منه فإنه لص)** بتثليث اللام أي سارق محتال على اقتناء الدنيا وجذبها إليه من حرام وغيره، كما يحاول السارق اخراج المتاع عن الحرز، وهذا الذي ذكره المصنف عن سعيد بن المسيب فقد ورد مرفوعاً عن أبي هريرة بلفظ: « إذا رأيتم العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص ». أخرجه الديلمي أي قد سلب وصف الأمانة وكسي ثوب الخيانة فلا يؤتمن على أداء العلم الذي من أسرار الله تعالى. ويروى عن سفيان الثوري: إذا رأيت القارىء يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص، وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مراء. أخرجه البيهقي عن يوسف بن أسباط قال قال لي الثوري فذكره، وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية محمد بن علي بن الحسن قال، قال عمر بن الخطاب: إذا رأيتم القارىء يحب الأغنياء فهو صاحب الدنيا، وإذا رأيتموه يلزم السلطان من غير ضرورة فهو لص. **(وقال)** عبد الرحمن بن عمرو **(الأوزاعي: ما من شيء أبغض على الله من عالم يزور عاملاً)** أي من عمال الملوك، وشاهده من حديث أبي هريرة رفعه. أخرجه ابن ماجه: « إن أبغض الخلق إلى الله العالم يزور العمال ». وسيأتي في الذي بعده.

(وقال ﷺ: « شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء ») قال العراقي: لم أره بهذا اللفظ. وروى ابن ماجه من رواية أبي معاذ البصري، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ في أثناء حديث أوله: « تعوذوا بالله من جب الحزن » إلى أن قال « وإن أبغض القراء إلى الله الذين يأتون الأمراء » وأول الحديث عند الترمذي دون هذه الزيادة إلا أنه قال: أبو معان بالنون وهو الصحيح، ثم قال: وروى أبو بكر أحمد بن علي بن لال الفقيه في كتاب مكارم الأخلاق من رواية عصام بن داود العسقلاني، عن بكير بن شهاب الدمغاني، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رفعه: « إن أبغض الخلق إلى الله عز وجل العالم يزور العمال » اهـ.

قلت: وهكذا هو في مسند الفردوس للديلمي، وتاريخ قزوين للرافعي، وأخرجه أبو الفتيان الحافظ في كتاب التحذير من علماء السوء بلفظ: « إن أهون الخلق على الله »، وفي هذا المعنى قال: « حكيم من الحكماء ». وسيأتي للمصنف أنه محمد بن مسلمة: « الذباب على العذرة أحسن حالاً من

مكحول الدمشقي رحمه الله: من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقاً إليه وطمعاً فيما لديه خاض في بحر من نار جهنم بعدد خطاه. وقال سمنون: ما أسمج بالعالم أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال: هو عند الأمير! قال: وكنت أسمع أنه يقال إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك وأنتم

العالم على باب هؤلاء». وقالوا: نعم الأمير على باب الفقير وبئس الفقير على باب الأمير، وقال أبو حازم فيما وعظ به سليمان بن هشام: إن بني إسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى حيث كان أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبة في علمهم، فلما نكسوا وتعسوا وسقطوا من عين الله عز وجل وآمنوا بالجبت والطاغوت كان علماؤهم يأتون إلى أمرائهم فشاركوهم في دنياهم وشركوا في فتنتهم. أورده أبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي حازم، وقال أيضاً بسنده إلى يوسف بن أسباط: أخبرني مخبر أن بعض الأمراء أرسل إلى أبي حازم فأتاه، وعنده الأفريقي والزهري وغيرهما فقال له: تكلم يا أبا حازم. فقال أبو حازم: إن خير الأمراء من أحب العلماء وإن شر العلماء من أحب الأمراء، وأنه كان فيما مضى إذا بعث الأمراء إلى العلماء لم يأتوهم، وإذا أعطوهم لم يقبلوا منهم، وإذا سألوهم لم يرخصوا لهم. وكان الأمراء يأتون العلماء في بيوتهم فيسألونهم فكان في ذلك صلاح للعلماء وصلاح للأمراء، فلما رأى ذلك ناس من الناس قالوا: ما لنا لا نطلب العلم حتى نكون مثل هؤلاء؟ فطلبوا العلم فأتوا الأمراء فحدثوهم فرخصوا لهم وأعطوهم فقبلوا منهم فخربت العلماء على الأمراء وخربت الأمراء على العلماء.

(وقال) أبو عبدالله **(مكحول الدمشقي)** الفقيه: **(من تعلم القرآن وتفقّه في الدين وصحب السلطان تملقاً إليه)** أي خضوعاً له **(وطمعاً لما في يديه)** من المال وغيره **(خاض في جهنم بعدد خطاه)** جزاء وفاقاً.

قلت: وهذا قد روي مرفوعاً من حديث معاذ. أخرجه أبو الشيخ في كتاب الثواب له، وكذا الحاكم في تاريخه بلفظ: «إذا قرأ الرجل القرآن وتفقه في الدين ثم أتى باب السلطان تملقاً إليه وطمعاً لما في يده خاض بقدر خطاه في نار جهنم». ولفظ الحاكم: ثم أتى صاحب سلطان كذا أفاده الجلال السيوطي.

(وقال) أبو الحسن ويقال أبو القاسم **(سمنون)** بن حمزة تلميذ السري ومات قبل الجنيد. وفي كتاب السيوطي وقال: إسحاق بدل سمنون. **(ما أسمج بالعالم)** أي ما أقبح **(أن يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد)** فيه **(فيسأل عنه فيقال: إنه عند الأمير. قال: وكنت أسمع أنه يقال: إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم)** أي فإنه كالسارق المحتال على جمع الحطام إلى نفسه من حيث أمكن **(حتى جرّبت)** ذلك. قال: **(وما دخلت قط على السلطان إلا حاسبت نفسي بعد الخروج)** من عنده في سائر أحوالها بالتدقيق **(فأرى عليها الدَّرك)** أي

ترون ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه، ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كفافاً مع أني لا آخذ منه شيئاً ولا أشرب له شربة ماء، ثم قال: وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم.

وقال الحسن: كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الإسلام وصحبة لرسول الله ﷺ ـ قال عبدالله بن المبارك عني به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ـ قال؛ وكان لا

في بعض أمرها (**وأنتم ترون ما ألقاه**) أي السلطان (**به من الغلظة**) في الكلام (**والفظاظة**) في الخلق (**وكثرة المخالفة لهواه**) أي لهوى نفسه فيما يخالف ظاهر الشريعة، (**ولوددت أن أنجو**) أي أخلص (**من الدخول**) عليه (**كفافاً**) لا عليّ ولا لي (**مع أني لا آخذ منهم شيئاً**) من الأموال وغيرها (**ولا أشرب عندهم شربة ماء**) فضلاً عن الأكل أي: فكيف حال الداخل إليه وهو يطمع في دنياه أو يتناول عنده شيئاً. وهكذا ساقه السيوطي إلا أن في سياقه حتى جربت إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت، وفيه: مع ما أواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم والباقي سواء. (**قال: وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل**) فإنهم (**يخبرون السلاطين**) إذا سئلوا في الواقعات (**بالرخص**) والمساهلات (**وما يوافق هواهم**) فيفتون لهم بذلك (**ولو أخبروهم بالذي عليهم وفيه نجاتهم**) من العذاب (**لاستثقلوهم وكرهوا دخولهم عليهم، وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم**) حيث بلغوا ما أمروا به. وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي حازم ما نصه: قال سليمان بن هشام لأبي حازم: يا أبا حازم، ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين. قال: بل نصيحة تلقيها إليّ. قال: إن آباءك غصبوا الناس هذا الأمر فأخذوه عنوة بالسيف من غير مشورة ولا اجتماع من الناس، وقد قتلوا فيه مقتلة عظيمة وارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وقيل لهم: قال رجل من جلساء سليمان: بئسما قلت. قال أبو حازم: كذبت فإن الله تعالى أخذ على العلماء الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه. وأخرج في ترجمة الفضيل من رواية ابراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: لأن يدنو الرجل من جيفة منتنة خير له من أن يدنو إلى هؤلاء يعني السلطان، وسمعته يقول: رجل لا يخالط هؤلاء ولا يزيد على المكتوبة أفضل عندنا من رجل يقوم بالليل ويصوم بالنهار ويحج ويعتمر ويجاهد في سبيل الله ويخالطهم اهـ.

(**وقال الحسن**) بن سعيد البصري (**كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الإسلام**) أي سبق وتقدم (**وصحبة لرسول الله ﷺ قال عبدالله بن المبارك**) راوي هذا الأثر (**عني**) الحسن (**به**) أحد العشرة أبا إسحاق (**سعد بن أبي وقاص**) مالك بن أهيب الزهري أبهمه الحسن وفسره ابن المبارك فهو مدرج (**قال: وكان لا يغشى السلاطين ولا يقعد عندهم**)

يغشى السلاطين وينفر عنهم. فقال له بنوه: يأتي هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الإسلام فلو أتيتهم، فقال: يا بني آتي جيفة قد أحاط بها قوم والله لئن استطعت لا أشاركهم فيها، قالوا: يا أبانا إذاً نهلك هزالاً، قال: يا بني لأن أموت مؤمناً مهزولاً أحبَّ إليَّ من أن أموت منافقاً سميناً. قال الحسن: خصمهم والله إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن، دون الإيمان. وفي هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للإيمان. وقال أبو ذر لسلمة: يا سلمة لا

أراد بهم خلفاء زمانه كالصديق والفاروق وذي النورين، ولعل هذا في آخر أمره وإلا ففي أول أمره ابتلي بالإمارة والسياسة والحجابة والحراسة ففتح الله على يديه السواد والبلدان، ومنح عدة من الإناث والذكران، ثم رغب عن ذلك وآثر العزلة والرعاية وتلاقى ما بقي من عمره بالعناية، وكان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك، وكان أميراً على الكوفة فعزله عمر وولى عماراً، ثم عزله وأعاد سعداً فأبى عليه ورام ابنه عمر بن سعد أن يدعو إلى نفسه بعد قتل عثمان فأبى، وكذلك رامه ابن أخيه هاشم بن عقبة بن أبي وقاص فأبى فلحق هاشم بعلي، وكان سعد ممن قعد ولزم بيته في الفتنة وأمر أهله أن لا يخبروه بشيء من أخبار الناس حتى تجتمع الأمة على إمام فقال له بنوه) إبراهيم وعامر وعمر ومحمد ومصعب: (**يأتي هؤلاء**) أي الملوك (**من ليس له مثلك**) أي مثل مالك (**في الصحبة**) لرسول الله ﷺ (**والقدم**) في الإسلام (**فلو أتيتهم**)أي واستفدت منهم (**فقال: يا بني**) بفتح الموحدة وكسر النون (**إن الدنيا جيفة**) أي مآلها كذلك (**وقد أحاط بها قوم**) يتجاذبونها (**والله لئن استطعت لا أشاركهم**) اي الداخلين على الأمراء (**فيها**) أي في تحصيلها (**قالوا يا أبانا: إذاً نهلك هزلاً أي فقراً وقلة (قال يا بني: لأن أموت مؤمناً مهزولاً أحب إلي من أن أموت منافقاً سميناً**)، فلم يزل رضي الله عنه في حال التقشف والصبر حتى لحق بربه معتزلاً في قصره بالعقيق في سنة خمس وخمسين على المشهور، وحمل على الأعناق ودفن بالبقيع وهو آخر العشرة موتاً فهو قدوة من ابتلى في حاله بالتلوين وحجة من تحصن بالوحدة والعزلة من التفتين (**قال الحسن**) راوي الأثر: (**خصمهم والله**) أي غلبهم في الخصومة (**إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن**) في القبر (**دون الإيمان**) فإنه محفوظ، (**وفي هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق**) والمداهنة (**البتة وهو**) أي النفاق (**مضاد الإيمان**) الكامل لا يجتمعان معاً.

(**وقال أبو ذر**) جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه من السابقين أول من تكلم في علم البقاء والفناء، وثبت على المشقة والعناء، وحفظ العهود والوصايا، وصبر على المحن والرزايا، واعتزل البرايا إلى أن حل بساحة المنايا. مات معتزلاً بالربذة سنة إثنين وثلاثين، وصلى عليه عبدالله بن مسعود وكان يوازيه في العلم. وقدم ابن مسعود المدينة فمات بعده بعشرة أيام (**لسلمة**) بن عمرو بن الأكوع الأسلمي أبي مسلم، ويقال: أبو إياس، ويقال أبو عامر له صحبة

تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب شيئاً من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه. وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو، إذ لا يزال الشيطان يلقي إليه أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع إلى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين، ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والإطراء وفيه هلاك الدين. وكان يقال: العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا فقدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا.

ورواية. قال أبو نعيم: استوطن الربذة بعد قتل عثمان وتوفي سنة أربع وتسعين **(يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك أفضل منه)** أي مما أصبت من دنياهم، وهو كما قال الثوري. وإياك أن تخدع فيقال تدفع عن مظلوم، فإن هذه خدعة إبليس اتخذها القراء سلماً، **(وهذه)** أي المخالطة للملوك **(فتنة للعلماء عظيمة)** طار شررها في الآفاق **(وذريعة)** أي وسيلة **(صعبة للشيطان عليهم)** يخدعهم بلطف احتياله بذلك **(لا سيما من له)** بهجة مرموقة و**(لهجة مقبولة)** أي فصاحة اللسان **(وكلام حلو)** يورده على ترتيب حسن ومناسبات قريبة مما تليق بمجالسهم **(لا يزال الشيطان يلقي إليه)** في روعه **(أن في وعظك لهم)** بهذه الصفة **(ودخولك عليهم)** بالاستمالة **(ما يزحزحهم)** أي يخرجهم **(من)** ارتكاب أنواع **(الظلم)** ويمنعهم من المحرمات **(ويقيم من شعائر الإسلام)** ويثبت حبة في قلوبهم **(إلى أن يخيل إليه)** في تخيلاته **(أن الدخول إليهم من)** جملة أمور **(الدين)** فلا حول ولا قوة إلا بالله، **(ثم إذا دخل)** باغواء إبليس **(لم يلبث أن)** يظهر الفصاحة ورفعة شأنه في العلم وفي أثنائه **(يتلطف في الكلام)** ويرققه **(ويداهن)** ويستميل **(ويخوض في الثناء)** عليه **(والإطراء)** بمدحه، **(وفيه)** أي من مجموع ما ذكر **(هلاك الدين)** والخسران المبين. **(وكان يقال: العلماء إذا علموا عملوا فإذا علموا شغلوا)** أي بالله تعالى وهو نتيجة العمل الصادق **(فإذا شغلوا)** بالله **(فقدوا)** عن الأوصاف البشرية واتصفوا بالأوصاف الملكوتية **(فإذا فقدوا)** وحصلت لهم هذه المرتبة انزل الله حبهم في قلوب أهل السماء والأرض و**(طلبوا فإذا طلبوا هربوا)** من الخلق سلامة لدينهم وجمعاً لخواطر قلوبهم. أورده صاحب القوت عن سفيان الثوري ولفظه: كان الناس إذا طلبوا العلم عملوا فإذا عملوا أخلصوا فإذا أخلصوا هربوا. وقال آخر: العالم إذا هرب من الناس فاطلبه وإذا طلب الناس فاهرب منه اهـ.

وأخرج أبو نعيم في الحلية وابن عساكر في التاريخ من رواية الوليد بن مسلم عن الأوزاعي قال: قدم عطاء الخراساني على هشام، فنزل على مكحول فقال لمكحول: ههنا أحد يحركنا. قال: نعم يزيد بن ميسرة فأتوه، فقال عطاء: حركنا رحمك الله. قال: نعم كانت العلماء إذا علموا

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن: أما بعد؛ فأشر عليَّ بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى. فكتب إليه: أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالأشراف فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة. هذا في عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وكان أزهد أهل زمانه! فإذا كان شرط أهل الدين الهرب منه فكيف يستنسب طلب غيره ومخالطته؟ ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وابراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما لميلهم إلى الدنيا وإما لمخالطتهم السلاطين.

عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا فقدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا. قال: أعد علي فأعاد فرجع عطاء ولم يلق هشاماً.

(**وكتب**) أمير المؤمنين أبو حفص (**عمر بن عبد العزيز**) بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي المدني ثم الدمشقي أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من تابعي أهل المدينة وصلى أنس خلفه وقال: ما رأيت أحداً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من هذا الفتى، وكان ثقة مأموناً له فقه وعلم وورع، وروي حديثاً كثيراً وكان إماماً عدلاً رحمه الله ورضي عنه، ومات سنة إحدى ومائة بدير سمعان (**إلى الحسن**) البصري (**رحمه الله تعالى**) قال صاحب القوت: حدثونا عن زكريا بن يحي الطائي قال: حدثني عمي زحر بن حصين ان عمر بن عبد العزيز كتب إلى الحسن (**أما بعد؛ فأشر علي بقوم**) أي عرفني بهم أصاحبهم و(**أستعين بهم على أمر الله فكتب إليه**) الحسن بعد الحمدلة والصلاة، (**أما أهل الدين فلا يريدونك**) أي لما أنت فيه من تحمل أعباء الملك، (**وأما أهل الدنيا فلا تريدهم**) لميلهم إليها فلا ينصحونك، (**ولكن عليك بالأشراف**) ذوي الأنساب الصريحة (**فإنهم يصونون شرفهم**) أي يحفظونه (**من أن يدنسوه**) أي يوسخوه (**بالخيانة**) في النصح في أوامر الله تعالى. (**هذا في عمر بن عبد العزيز وكان أزهد أهل زمانه**) وأعبدهم وأعلمهم. قال خصيف: ما رأيت رجلاً قط خيراً منه، وقال مجاهد: أتيناه نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه، وقال ميمون بن مهران: ما كانت العلماء عنده إلا تلامذة (**فإذا كان شرط أهل الدين**) والعلماء المتقين (**الهرب منه**) والفرار من مخالطته (**فكيف يستتب**) أي يستقيم (**طلب غيره ومخالطته**) وليس فيه شيء من تلك الأوصاف، (**ولم يزل السلف**) الصالحون (**مثل الحسن**) البصري، (**و**) سفيان (**الثوري و**) عبدالله (**ابن المبارك والفضيل**) بن عياض، (**وإبراهيم بن أدهم**) الزاهد، (**ويوسف بن أسباط يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام**) ونص القوت بعد ذكره جواب الحسن لعمر ابن عبد العزيز ما نصه: وكان الحسن يتكلم في بعض علماء البصرة ويذمهم، وكان أبو حازم وربيعة المدنيان يذمان علماء بني مروان، وقد كان الثوري، وابن المبارك، وأيوب، وابن عون

ومنها: أن لا يكون مسارعاً إلى الفتيا بل يكون متوقفاً ومحترزاً ما وجد إلى الخلاص سبيلاً، فإن سئل عما يعلمه تحقيقاً بنص كتاب الله أو بنص حديث أو اجماع أو قياس جلي أفتى، وإن سئل عما يشك فيه قال: لا أدري! وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان في غيره غنية. هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم. وفي الخبر: «العلم ثلاثة: كتاب ناطق وسنّة قائمة ولا

يتكلمون في بعض علماء الدنيا من أهل الكوفة وكان الفضيل، وإبراهيم بن أدهم، ويوسف بن أسباط يتكلمون في بعض علماء الدنيا من أهل مكة والشام كرهنا أن نسمي المتكلم فيهم لأن السكوت أقرب إلى السلامة إلى هنا كلامه. وقد اختصر المصنف كما ترى وهو اختصار مضر إذ الثوري وابن المبارك لم يتكلما في علماء مكة والشام وتفصيل ذلك يظهر لمن طالع تراجمهم في الحلية وغيرها، ثم قال المصنف: (**إما لميلهم إلى الدنيا**) وإيثارهم إياها على الآخرة، (**أو لمخالطتهم السلاطين**) والأمراء فكان كلامهم في هؤلاء نصيحة لهم في دين الله تعالى لا لغرض نفساني حاهم الله تعالى من ذلك.

(**ومنها**) أي ومن علامات علماء الآخرة (**أن لا يكون متسارعاً إلى الفتوى**) إذا سئل (**بل يكون متوقفاً**) عن الإقدام عليه (**ومتحرزاً**) أي صائناً نفسه عنه (**ما وجد إلى الخلاص**) منه (**سبيلاً**) ومخلصاً (**فإن سئل عما يعلمه تحقيقاً بنص**) ظاهر (**من كتاب الله**) عز وجل (**أو بنص**) من (**حديث رسول الله ﷺ مما جاء عنه من طريق موثوق** (**أو إجماع**) من فقهاء الأمصار (**أو قياس جلي**) دون الخفي (**أفتى**) لأنه أقدم عليه ببصيرة وتمكين وقطع بالأمر على علم وخبر وهذا هو اليقين. وهذه صفة العلماء الموثوق بعلمهم، (**وإن سئل عما يشك فيه**) ولم يتحققه (**قال: لا أدري**) إخباراً عن صدق وهو مأجور فيه، (**وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين**) وفي نسخة: اجتهاداً (**احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره**) ولا يوقع نفسه في حرج، (**وإن كان في غيره غنية**) أي كفاية لمثل هذا المهم (**هذا**) الذي ذكرناه في أمر الفتيا (**هو الحزم لأن تقلد خطر الإجتهاد عظيم**) وله شروط وأركان ذكرناها بالتفصيل في باب بيان التلبيس في تشبيه هذه المناظرات من الكتاب، وكذلك ذكرنا هناك مراتب المفتين.

(**وفي الخبر: «العلم ثلاثة كتاب ناطق**) أي بين واضح (**وسنة قائمة**) أي ثابتة دائمة محافظ عليها معمول بها عملاً متصلاً وفي رواية: ماضية أي جارية مستمرة (**ولا أدري»**) أي قول المجيب لمن سأله عن مسألة لا يعلم حكمها: «لا أدري» هكذا أورده صاحب القوت. قال العراقي: أخرجه الدارقطني في غرائب مالك، والخطيب في أسماء من روى عن مالك من رواية عمر بن عصام، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر موقوفاً عليه. وقد رواه ابن عدي في الكامل في ترجمة أبي حذافة السهمي عن مالك قال: وهذا من منكرات أبي حذافة سرقة من عمر. قال

أدري». قال الشعبي: «لا أدري» نصف العلم، ومن سكت حيث لا يدري لله تعالى

العراقي: ولم يصرح المصنف بأنه مرفوع، وإنما قال وفي الخبر: والظاهر أنه أراد هذا فذكر به احتياطاً لاحتمال أن يكون روي مرفوعاً اهـ.

قلت: المصنف تبع في ذلك صاحب القوت، فإنه هو الذي قال وفي الخبر: ثم إن الحديث المذكور رواه أيضاً الديلمي في الفردوس موقوفاً، وكذلك أبو نعيم والطبراني في الأوسط، وقال الحافظ ابن حجر: والموقوف حسن الإسناد، ثم قال العراقي: وأول الحديث مرفوع من حديث عبدالله بن عمر رواه أبو داود، وابن ماجه من رواية عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن عبد الرحمن بن رافع، عن عبدالله بن عمر ورفعه: «العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادله» اهـ وسكت عليه.

وقد أخرجه أيضاً الحاكم في الرقاق، وقد قال الذهبي في المهذب، وتبعه الزركشي فيه عبد الرحمن بن أنعم ضعيف. وقال في المنار: فيه أيضاً عبد الرحمن بن رافع التنوخي في أحاديثه مناكير. قال المناوي: وفي طريق ابن ماجه رشد بن سعد وهو ضعيف، ومن ثم قال ابن رجب: فيه ضعفاء مشهورون. **(قال الشعبي)** وهو عامر بن شراحيل تقدم **(«لا أدري» نصف العلم)** هكذا أورده صاحب القوت عقب الحديث، وزاد يعني أنه من الورع والمرء إذا قال: لا أدري فقد عمل بعلمه وقام بحاله فله من الثواب بمنزلة من درى فقام بحاله وعمل بعلمه فأظهر، فلذلك كان قول لا أدري نصف العلم اهـ.

وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة الشعبي من رواية وهب بن إسماعيل الأسدي عن داود الأودي قال قال الشعبي: ألا أحدثك بثلاثة أحاديث لها شأن؟ قلت: بلى. قال: إذا سئلت عن مسألة فأجبت فيها فلا تتبع مسألتك أرأيت أرأيت، فإن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿أرأيت من اتخذ إلهَهُ هواه﴾ [الفرقان: ٤٣] حتى فرغ من الآية. وحديث آخر أحدثك به إذا سئلت عن شيء فلا تقس فتحرم حلالاً وتحل حراماً، والثالث لها شأن إذا سئلت عما لا علم لك فقل لا أعلم وأنا شريكك. وأخرج أيضاً من رواية أبي عبيدة عن أبي سلمة الواسطي، عن أبي زيد قال: سألت الشعبي عن شيء فغضب وحلف أن لا يحدثني، فذهب فجلست على بابه فقال يا أبا زيد: إنما وقعت على نيتي فرغ لي قلبك واحفظ عني ثلاثاً. لا تقولن لشيء لا تعلمه إني أعلمه وذكر البقية، ثم قال قم عني يا أبا زيد اهـ.

قال المناوي: أخذ من الحديث المتقدم أن على العالم إذا سئل عما لا يعلمه أن يقول لا أدري، ولا أتحققه، أو لا أعلم، أو الله أعلم. وقول المسؤول لا أعلم لا يضع من قدره كما يظنه بعض الجهلة لأن العالم المتمكن لا يضره جهله ببعض المسائل بل يرفعه قوله: «لا أدري» أنه دليل على عظم محله وقوة دينه وتقوى ربه وطهارة قلبه وكمال معرفته وحسن نيته، وإنما يأنف من ذلك من

فليس بأقل أجراً ممن نطق لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس. فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضي الله عنهم. كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال: اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس فضعها في عنقه، وقال ابن مسعود رضي الله عنه:

ضعفت ديانته وقلت معرفته لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين ولا يخاف من سقوطه من عين رب العالمين وهذا جهالة ورقة دين اهـ.

وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿آلله أذن لكم أم على الله تفترون﴾ [يونس: ٥٩] كفى بهذه الآية زاجرة زجراً بليغاً عند التجوز فيما يسأل عنه من الأحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيها، وأن لا يقول أحد في شيء إلا بعد إتقان وإيقان، فمن لم يتقن ولم يوقن فليتق الله وليصمت، وإلا فهو مفتر على الله عز وجل، (**ومن سكت**) إذا سئل في مسألة (**حيث لا يدري**) **ولا يتحققه تعظيماً (لله سبحانه)** وإيكالاً للعلم إليه (**ليس بأقل أجراً ممن ينطق**) بل هو مساوٍ له في الأجر (**لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس**) لأنها مجبولة على الاغترار بالفخر فمتى مقتها في الله تعالى فإنه مأجوره وفي القوت: ولأن حسن من سكت لأجل الله تعالى تورعاً كحسن من نطق لأجله بالعلم تبرعاً اهـ.

وقال ابن عطاء الله: من علامة جهل السالك لطريق علم الظاهر أو الباطن أن يجيب عن كل ما يسئل عنه، ويعبر عن كل ما شهد، ويذكر كل ما علم لـدلالتـه على أنـه لم يكـن بـالله ولا لله، بـل كـان لنفسه إذ النفس مع العقل والتمييز، ومن طلب الحق بالعقل ضل وكان دليلاً على جهله. وقال أبو الحسن الماوردي: ليس بمتناه في العلم إلاَّ ويجد من هو أعظم منه بشيء إذ العلم أكثر من أن يحيط به بشر. وقال الشعبي: ما رأيت ولا آمـر رجـلاً أعلم مني إلا اتبعته، وهذا لم يقله تفضيلاً لنفسه بل تعظيماً للعلم أن يحاط به، وقلما تجد بالعلم معجباً وبما أدركه منه مفتخراً إلا من كان فيه مقلاً مقصراً لأنه يجهل قدره ويظن أنه نال بالدخول فيه أكثره، وأما من كان فيه متوجهاً ومنه مستكثراً فهو يعلم من بعد غايته والعجز من إدراك نهايته ما يصده عن العجب به، وقالوا العلم ثلاثة أشبار، فمن نال منه شبراً شمخ بأنفه وحلف أنه هو، ومن نال منه الثاني صغرت إليه نفسه وعلم أنه ما ناله، وأما الثالث فهيهات أين يناله أحد، ثم قال: فليس لمن تكلف ما لا يحسن غاية ينتهي إليها ولا له حد يقف عنده، ومن كان تكلفه غير محدود فأخلق به أن يضل ويضل، وإذا لم يكن إلى الإحاطة بالعلم من سبيل فلا عار أن تجهـل بعضـه، وإذا لم يكـن في جهـل بعضـه عـار فلا تستـح أن تقول لا أعلم فيما لا تعلم. إلى هنا كلام الماوردي.

(**فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف**) الصالحين (**رضي الله عنهم**) ثم بين ذلك بقوله: (**كان**) عبدالله (**بن عمر**) بن الخطاب رضي الله عنهما (**إذا سئل عن الفتوى قال: إذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس فضعها في عنقه**) لأن الولاة هم الذين يقومون به وإليهم ترجع العامة. هكذا نقله صاحب القوت زاد وروى مالك عن أنس بن مالك ثم عن جماعة من الصحابة والتابعين اهـ.

إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون، وقال: جنة العالم «لا أدري» فإن أخطأها فقد أصيبت مقاتله. وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله: ليس شيء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم، يقول: انظروا إلى هذا سكوته أشدّ عليَّ من

وأخرج الدارمي في مسنده أن رجلاً سأل ابن عمر عن مسألة فقال: لا علم لي بها فولى الرجل فقال ابن عمر: نعم ما قال ابن عمر. وأخرج أبو داود في الناسخ والمنسوخ، وابن مردويه عن خالد بن أسلم قال: خرجنا نمشي مع ابن عمر فلحقنا أعرابي فسأله عن إرث العمة فقال: لا أدري، قال: أنت ابن عمر ولا تدري؟ قال: نعم إذهب إلى العلماء فلما أدبر قبل ابن عمر يديه قال: نعم ما قلت. **(وقال ابن مسعود)** ونص القوت: وكان ابن مسعود يقول: **(إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون)**. أخرجه أبو خيثمة فقال: حدثنا محمد بن حازم، حدثنا الأعمش، عن شقيق، عن عبدالله قال: والله إن الذي يفتي الناس في كل ما يسألونه لمجنون. قال الأعمش: قال لي الحكم: لو كنت سمعت منك هذا الحديث قبل اليوم ما كنت أفتي في كثير ما أفتي اهـ. إذ العلم أكثر من أن يحيط به بشر، فالنطق في كل مسألة لا يخلو عن جنون فيه، ومثله قول مالك بن أنس: من إزالة العلم أن يجيب عن كل ما يُسأل عنه. **(وقال)** أيضاً **(جنة العالم)** التي يستتر بها قوله **(« لا أدري)**. وأخرج الهروي عن ابن مسعود: وإذا سئل أحدكم عما لا يدري فليقل لا أدري، فإنه ثلث العلم. وأخرج البخاري عنه من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم. ورواه الدارمي بلفظ: إذا سئل العالم عما لا يعلم قال: الله أعلم. **(فإن أخطأها)** ونص القوت في موضع آخر، وقال علي بن الحسين ومحمد بن عجلان: إذا أخطأ العالم قول لا أدري **(أصيبت مقاتله)**.

قلت: وهذا القول قد أخرجه الحازمي في سلسلة الذهب، عن أحمد، عن الشافعي، عن مالك، عن ابن عجلان. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا إبراهيم، حدثنا محمد قال: سمعت محمد ابن الصباح يقول: أخبره سفيان بن عيينة قال: إذا ترك العالم لا أدري أصيبت مقاتله. وأخرج الدارمي في مسنده من طرق عن علي رضي الله عنه أنه سئل عن مسألة فقال: لا علم لي بها، ثم قال: وأبردها على كبدي إذا سئلت عما لا علم لي به فقلت: لا أعلم. **(وقال إبراهيم بن أدهم)** الزاهد المشهور: **(ليس شيء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا إلى هذا سكوته أشد علي من كلامه)** والذي في القوت وقد قال إبراهيم بن أدهم وغيره: سكوت العالم أشد على الشيطان من كلامه لأنه يسكت بحلم وينطق بعلم، فيقول الشيطان: انظروا إلى هذا سكوته أشد علي من كلامه اهـ.

أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمته فقال: حدثنا القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن محمد بن السكن، حدثنا عبد الرحمن بن يونس، حدثنا بقية بن الوليد، عن إبراهيم بن أدهم قال: كان يقال ليس شيء أشد على إبليس من العالم الحليم إن تكلم تكلم بعلم وإن سكت سكت بحلم، ثم قال: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا

كلامه. ووصف بعضهم الأبدال فقال: أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة، أي لا يتكلمون حتى يُسألوا، وإذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا، فإن اضطروا أجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام. ومرَّ علي وعبدالله رضي الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقالا: هذا يقول اعرفوني. وقال بعضهم: إنما العالم الذي إذا سئل عن المسألة فكأنما يقلع ضرسه. وكان ابن عمر يقول: تريدون أن

محمد بن عمرو بن حبان، حدثنا بقية، حدثنا إبراهيم بن أدهم، عن ابن عجلان قال: ليس شيء أشد على إبليس من عالم حليم إن تكلم تكلم بعلم، وإن سكت سكت بحلم. وقال إبليس: لسكوته أشد عليَّ من كلامه، ثم قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد، حدثنا عبد الرحمن بن داود، حدثنا سلمة بن أحمد، حدثنا جدي، حدثنا بقية، حدثني إبراهيم بن أدهم عن ابن عجلان مثله.

(ووصف بعضهم الأبدال) وهم طائفة من الأولياء. قال أبو البقاء: كأنهم أرادوا أنهم أبدال الأنبياء وخلفاؤهم وهم عند القوم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون وفي تحقيق ذلك اختلاف كثير **(فقال: أكلهم فاقة)** أي لا يأكلون إلا عن شدة الحاجة **(وكلامهم ضرورة)** أي لا يتكلمون إلا فيما اضطروا فيه. وقال المصنف في تفسيره: **(أي ما يتكلمون حتى يُسألوا)** أي فلا يبتدئون بالكلام، **(وإذا سُئلوا ووجدوا من يكفيهم)** مؤنة ذلك السؤال **(سكتوا)** وأحالوا عليه، **(فإن اضطـروا أجابوا)**. هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه قال بعد الجملة الثانية: وكانوا لا يتكلمون حتى يُسألوا عن شيء فيجيبوا ولم يقل وإذا سئلوا الخ، ثم قال: ومن لم يتكلم حتى يسأل فليس يعد لاغياً ولا متكلماً فيما لا يعنيه لأن الجواب بعد السؤال كالفرض بمنزلة رد السلام، وكما قال ابن عباس إني لأرى رد الجواب واجباً كرد السلام. وقال أبو موسى، وابن مسعود: من سئل عن علم فليقل به ومن لا فيسكت وإلا كتب من المتكلمين، ورويناه عن ابن عباس أيضاً مرق من الدين. **(وكانوا يعدون الإبتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام)**. وفي القوت: وقد يكون الإبتداء بالشيء من خفايا الشهوات والشهوات من الدنيا. وقال مالك بن أنس: من إزالة الكلام أن ينطق به قبل أن يسئل عنه، وكان يقال إذا تكلم بالعلم قبل أن يُسأل عنه ذهب ثلثا نوره. وعن القاسم بن محمد قال: من إكرام المرء نفسه أن يسكت على ما عنده حتى يُسأل عنه، وكذلك هو لعمري لأنه إذا تكلم بعد السؤال فهو صاحبها وربما كان فرضاً، وليس الحاجة إلى القيام بالفرض من الشهوات. قال: **(ومرَّ علي وعبدالله)** ابن عباس **(رضي الله عنهما برجل يتكلم على الناس)** أي يقص عليهم **(فقالا)**: أي قال كل واحد منهما: **(هذا يقول)** أي بلسان حاله **(اعرفوني)**. هكذا أورده صاحب القوت، وفي بعض الروايات: أو إسعوا إليَّ. **(وقال بعضهم: إنما العالم الذي إذا سئل عن المسألة فكأنما يقلع ضرسه)** أي من شدة ما يجده في اداء الجواب، والذي في القوت. وقال بعضهم: إنما العالم الذي إذا سئل عن العلم كانما يسعط الخردل، ثم قال: وقد رويناه عن الأعمش، وقد كان محمد ابن سوقة يسأله عن الحديث فيعرض عنه ولا يجيبه فالتفت الأعمش إلى رقبة فقال: هو إذاً أحق

تجعلونا جسراً تعبرون علينا إلى جهنم. وقال أبو حفص النيسابوري: العالم هو الذي يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت؟ وكان ابراهيم التميمي إذا سئل عن مسألة يبكي ويقول: لم تجدوا غيري حتى احتجتم إليَّ. وكان أبو العالية الرياحي وابراهيم بن أدهم والثوري يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير، فإذا

مثلك إن كان يدع فائدته بسوء خلقي، فقال محمد بن سوقة: ويحك إنما أجعله بمنزلة الدواء على مرارته لما أرجو من منفعته.

قلت: وهذا الذي ذكره صاحب القوت عن بعضهم، فقد أخرج الخطيب في كتاب شرف أصحاب الحديث، أخبرنا أبو الحسن الأهوازي، أخبرنا محمد بن مخلد، حدثنا علي بن سهل، حدثنا عفان، حدثنا أبو عوانة قال: جاء رقبة بن مصقلة إلى الأعمش فسأله عن شيء فكلح وجهه فقال له رقبة: أما والله ما علمتك لدائم القطوب سريع المآل مستخف بحق الزوار لكأنما تسعط الخردل إذا سئلت الكلمة، (و) في القوت و(**كان ابن عمر**) رضي الله عنهما (**يقول: تريدون أن تجعلونا جسراً تعبرون عليه**) وفي نسخة: علينا (**إلى**) ونص القوت في (**جهنم**) تقولون أفتى لنا ابن عمر بهذا. (**وقال أبو حفص**) عمر بن سالم الحداد (**النيسابوري**) من قرية يقال لها كوزدابا على باب مدينة نيسابور على طريق بخارى أحد الأئمة والسادة مات سنة نيف وستين ومائتين. كذا في الرسالة للقشيري، ونص القوت: وحدثني بعض علماء خراسان عن شيخ له عن أبي حفص النيسابوري الكبير، وكان هذا هناك نظير الجنيد هنا إنه قال: (**العالم هو الذي**) ونص القوت: إنما العالم الذي (**يخلف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت**) ونص القوت الذي يَسأل عن مسألة في الدين فيغتم حتى لو جرح لم يخرج منه دم من الفزع، ويخاف أن يُسأل في الآخرة عما سئل عنه في الدنيا ويفزع أن لا يتخلص من السؤال إلا أن يرى أنه قد افترض عليه الجواب لفقد العلماء إلى هنا كلامه وكان المصنف اختصره ورواه بالمعنى.

(**وكان إبراهيم**) بن يزيد بن شريك (**التيمي**) تيم الرباب أبو سماء الكوفي وكان من العباد روى عنه الأعمش، ويونس بن عبيد. قال ابن معين: ثقة وكان يقول إني لأمكث ثلاثين يوماً لا آكل. مات ولم يبلغ أربعين سنة. وذلك سنة إثنين وتسعين ومائة. (**إذا سئل عن مسألة يبكي ويقول: لم تجدوا غيري حتى احتجتم إلي**) ونص القوت: لم تجد من تسأله غيري أو احتجتم إلي قال: وجهدنا بإبراهيم النخعي أن نسنده إلى ساريه فأبى، وكان إذا سئل عن شيء بكى وقال: قد احتاج الناس إليَّ (**وكان أبو العالية**) نفيع (**الرياحي**) من بني رياح بن يربوع روى عن ابن عباس وغيره وعنه قتادة وغيره (**وإبراهيم بن أدهم**) الزاهد، (**و**) سفيان (**الثوري يتكلمون على الإثنين والثلاثة والنفر اليسير فإذا كثروا انصرفوا**)، ونص القوت: وأما أبو العالية، الرياحي فكان يتكلم على الإثنين والثلاثة، فإذا صاروا أربعة قام، وكذلك كان إبراهيم والثوري وابن أدهم رحمه الله تعالى يتكلمون على النفر، فإذا كثر الناس

كثروا انصرفوا. وقال ﷺ: « ما أدري أعزير نبي أم لا؟ وما أدري أتُبّع ملعون أم لا؟ وما أدري ذو القرنين نبي أم لا؟ ولما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع في الأرض وشرها قال: « لا أدري » حتى نزل عليه جبرائيل عليه السلام فسأله فقال: « لا أدري » إلى أن أعلمه الله عز وجل: « أن خير البقاع المساجد وشرها الأسواق ». وكان

انصرفوا. وكان أبو محمد سهل يجلس إلى خمسة أو ستة إلى العشرة، وقال لي بعض الشيوخ: كان الجنيد يتكلم على بعض عشرة. قال: وما تم لأهل مجلسه عشرون اهـ.

(و) قول المسؤول: لا أدري أو لا أعلم لا يضع من قدره بل دليل على كمال معرفته ومن ثم (**قال** ﷺ) في مسائل سئل عنها فقال: « لا أدري » وناهيك بهذا مستنداً فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: (**« ما أدري اعزير نبي أم لا، وما أدري أتبع ملعون أم لا، وما أدري ذو القرنين نبي أم لا »**) أخرجه أبو داود والحاكم من رواية ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رفعه إلا أن فيه تقديم تبع على عزير، ولم يذكر أبو داود الجملة الأخيرة إنما ذكرها الحاكم فقال: وما أدري ذا القرنين أنبياً كان أم لا، ولم يذكر عزيراً وزاد: وما أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا؟ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا أعلم له علة ولم يخرجاه نقله العراقي.

قلت: وبمثل رواية الحاكم رواه البيهقي وابن عساكر، وبمثل رواية أبي داود مع ذكر الجملة الأخيرة رواه ابن عساكر أيضاً. كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه إلا أن في روايتهم لعيناً كان أم لا بدل ملعون وتبع الحميري أول من كسا الكعبة، وذو القرنين اختلف في اسمه وأخبارها مشهورة في كتب السير والتواريخ (و) من ذلك (**لما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع وشرها فقال ﷺ: « لا أدري » حتى نزل جبريل عليه السلام فسأله فقال: لا أدري إلى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد**) لأنها محل فيوض الرحمة وإمداد النعمة (**وشرها السوق**) ولفظ الحديث: الأسواق، وإنما قرن المساجد بالأسواق مع أن غيرها قد يكون شراً منها ليبين أن الديني يرفعه الأمر الدنيوي فكأنه قال: خير البقاع محصلة لذكر الله مسلمة من الشوائب الدنيوية. فالجواب من أسلوب الحكيم فكأنه سئل أي البقاع خير؟ فأجاب به وبضده.

قال العراقي: وهذا الحديث رواه ابن عمر، وجبير بن مطعم، وأنس.

أما حديث ابن عمر، فرواه ابن حبان في صحيحه من رواية جرير بن عبد الحميد، عن عطاء بن السائب، عن محارب بن دثار، عن ابن عمر أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي البقاع شر؟ قال: « لا أدري حتى أسأل جبريل » فسأل جبريل، فقال لا أدري حتى أسأل ميكائيل، فجاء فقال: « خير البقاع المساجد وشرها الأسواق ».

وأما حديث جبير بن مطعم، فرواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني من رواية زهير بن

ابن عمر رضي الله عنهما يُسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع. وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول: «لا أدري» أكثر ممن يقول «أدري» منهم سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وأحمد بن حنبل، والفضيل بن عياض، وبشر بن الحرث. وقال عبد الرحمن بن

محمد، عن عبدالله بن محمد بن عقيل، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أي البلدان شر؟ قال: «لا أدري» فلما أتاه جبريل قال يا جبريل: أي البلدان شر؟ قال: لا أدري حتى أسأل ربي عز وجل، فانطلق جبريل فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم جاء فقال يا محمد: إنك سألتني أي البلدان شر، فقلت: لا أدري وإني سألت ربي عز وجل أي البلدان شر؟ فقال: أسواقها. لفظ أحمد. وقال أبو يعلى فلما جاءه جبريل ولم يقل أن يمكث، وقال البزار إن رجلاً قال يا رسول الله أي البلدان أحب إلى الله تعالى، وأي البلدان أبغض إلى الله تعالى؟ فقال: «لا أدري حتى أسأل جبريل» فأتاه جبريل فاخبره إن أحب البقاع إلى الله عز وجل المساجد، وأبغض البلاد إلى الله عز وجل الأسواق ورواه الطبراني أيضاً من رواية قيس بن الربيع، عن عبدالله بن محمد بن عقيل باللفظ الأول إلا أنه قال: أي البلاد في المواضع الأربعة، ولم يقل يا رسول الله، وقال: فلما أتى جبريل رسول الله ﷺ، ولم يقل يا جبريل، ولم يقل أن يمكث.

وأما حديث أنس، فرواه الطبراني في الأوسط من رواية عمار بن عمارة الأزدي قال: حدثني محمد بن محمد بن عبدالله، عن أنس قال، قال رسول الله ﷺ لجبريل: «أي البقاع خير؟ قال لا أدري. قال: فسل عن ذلك ربك عز وجل. قال: فبكى جبريل وقال يا محمد: ولنا أن نسأله هو الذي يخبرنا بما شاء، فعرج إلى السماء ثم أتاه فقال خير البقاع بيوت الله عز وجل في الأرض. قال: فأي البقاع شر؟ فعرج إلى السماء ثم أتاه فقال: شر البقاع الأسواق». وقد روي الحديث أيضاً عن أبي هريرة رواه مسلم في صحيحه من رواية عبد الرحمن بن مهران عنه، وليس فيه موضع الاستدلال به من قوله «لا أدري».

(وكان ابن عمر رضي الله عنهما يُسأل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسعة). هكذا أورده صاحب القوت، وذلك لشدة الاحتياط. **(وكان ابن عباس رضي الله عنهما)** بخلاف ذلك **(يجيب عن تسعة ويسكت عن واحدة)**. وكل منهما على هدى، والأغراض تختلف باختلاف المسائل والسائلين وأوقات الاحتياج وعدمها. **(وكان في الفقهاء من يقول لا أدري أكثر من أن يقول أدري)** تأدباً مع الله تعالى وصيانة لجانب العلم: إذ يخاف على نفسه الوقوع في الخطأ فيكل أمره إلى الله تعالى. **(منهم سفيان الثوري)**، وأبو حنيفة، **(ومالك بن أنس)**، والشافعي، **(وأحمد بن حنبل)**، والشعبي، **(والفضيل بن عياض)**، وعلي بن الحسين، ومحمد بن عجلان، **(وبشر بن الحرث)** الحافي وغير هؤلاء من

أبي ليلى: أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم أحد يسأل عن حديث أو فتيا إلاَّ ودَّ أن أخاه كفاه ذلك. وفي لفظ آخر: كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول، وروي أن أصحاب الصفة أهدى إلى واحد منهم رأس مشوي وهو في غاية

أئمة الدين. زاد صاحب القوت: وكانوا في مجالسهم يجيبون عن بعض ويسكتون في بعض، ولم يكونوا يجيبون في كل ما يُسألون عنه.

(**وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى**) واسمه يسار وقيل: بلال الأنصاري المدني ثم الكوفي من ثقات التابعين ولد لست بقين من خلافة عمر ومات بوقعة الجماجم غريقاً بدجيل سنة ثلاث وثمانين ومائة. (**أدركت في هذا المسجد**) أي بالمدينة (**مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ**) منهم أبوه، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعد، وحذيفة، ومعاذ، والمقداد، وابن مسعود، وأبو ذر، وأُبيّ بن كعب، وبلال بن رباح، وسهل بن حنيف، وابن عمر، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وقيس بن سعد، وأبو أيوب، وكعب بن عجرة، وعبدالله بن زيد ابن عبد ربه، وأبو سعيد، وأبو موسى، وأنس، والبراء، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وصهيب، وعبد الرحمن بن سمرة، وعبدالله بن عكيم، هؤلاء الذين روى عنهم. وأما الذين رآهم ولم يرو عنهم فكثيرون وفي سماعه من عمر وعبدالله بن زيد خلاف وهذا القول الذي ذكره المصنف تبعاً لصاحب القوت رواه الخطيب في التاريخ فقال أخبرنا محمد بن عيسى بن عبد العزيز ثم ساق سنده إلى سفيان بن عيينة قال أخبرني عطاء بن السائب، عن ابن أبي ليلى قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار، ففي هذا القول تخصيص بالأنصار، وقال عبد الملك بن عمير: لقد رأيت عبد الرحمن في حلقة فيها نفر من الصحابة منهم البراء يستمعون لحديثه وينصتون إليه (**ما فيهم أحد**) ونص القوت: ما منهم من أحد (**يُسأل عن حديث أو فتوى إلا ودّ أن أخاه كفاه ذلك**) زاد صاحب القوت (**وفي لفظ آخر: كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول**) ونص القوت. حتى ترجع الى الذي سُئل عنها أول مرة. وقال في موضع آخر وقال مرة: أدركت ثلاثمائة يُسأل أحدهم عن الفتيا والحديث فيرد ذلك إلى الآخر ويحيل الآخر على صاحبه. وعند الخطيب بالسند المتقدم إن كان أحدهم يُسأل عن المسألة فيردها إلى غيره فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول، وإن كان أحدهم ليقول في شيء وأنه ليرتعد.

(**وروي أن أصحاب الصفة**) وهم جماعة من فقراء الصحابة كانوا يلازمون صفة المسجد على قدم التجريد والتوكل، وكانوا يزيدون تارة وينقصون تارة، وقد ذكرهم أبو نعيم في الحلية على التفصيل وحقق الخلاف في عددهم، وروى مجاهد عن أبي هريرة قال: أهل الصفة أضياف الإسلام لا يلوون على أهل ولا مال إذا أتت النبي ﷺ صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها صحيح متفق عليه فمما ذكر من

الضر فأهداه إلى الآخر وأهداه الآخر إلى الآخر، وهكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأوّل. فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار المهروب منه مطلوباً والمطلوب مهروباً عنه؟ ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ما روي مسنداً عن بعضهم. أنه قال: لا يفتي الناس إلا ثلاثة: أمير أو مأمور أو متكلف. وقال بعضهم: كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء: الإمامة والوصية والوديعة والفتيا. وقال بعضهم: كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علماً وأشدهم دفعاً لها أورعهم. وكان شغل الصحابة والتابعين رضي الله

إيثارهم: (**أهدي إلى واحد منهم رأس مشوي**) أي رأس كبش قد شوي أو عجل (**وهم في غاية الضر**) والجهد والفاقة فلم يأكله (**فأهداه إلى الآخر**) من أصحابه إيثاراً (**وأهدى الآخر إلى الآخر دار بينهم حتى رجع إلى الأول**)، فهذا هو مقام الإيثار، ولقد كانوا رضي الله عنهم مع ضيق عن الحطام الزائل البائد معتصمين بما حاهم به الوافي الزائد، فاجترأوا من الدنيا بالفلق ومن ملبوسها بالخرق لم يعدلوا إلى أحد سواه ولم يعولوا إلا على محبته ورضاه، وكبت الملائكة في زيارتهم وخلتهم وأمر الرسول بالصبر على محادثتهم ومجالستهم، وإنما أورد المصنف هذه القصة هنا ليقاس عليه أمر الفتوى حتى يعيدها إلى الآخر. (**فانظر كيف انعكس أمر العلماء**) اليوم (**فصار المهروب منه مطلوباً والمطلوب**) الحقيقي (**مهروباً عنه**)، وذلك في زمان المنصف، وأما الآن فالله المستعان وعليه التكلان.

(**ويشهد لحسن الاحتراز من تقليد الفتوى**) والاجتناب من الأقدام عليه (**ما روي مسنداً**) عن رسول الله ﷺ (**أنه قال**)، وعبارة القوت: وروي عن ابن مسعود وابن عمر وغيرهما من التابعين، وقد روينا مسنداً (**لا يفتي الناس إلا ثلاثة: أمير أو مأمور أو متكلف**) تفصيل ذلك أن الأمير هو الذي يتكلم في علم الفتيا والأحكام، كذلك الأمراء يُسألون ويفتون والمأمور الذي أمره الأمير بذلك فيقيمه مقامه فيستعين به لشغله بالرعية، والمتكلف هو القاص الذي يتكلم في القصص السالفة وبعض أخبار من مضى، لأن ذلك لا يحتاج إليه في الحال ولم يندب إليه المتكلم وقد يدخله الزيادة والنقصان والاختلاف، فلذلك كره القصص فصار القاص من المتكلفين، وقد جاء في لفظ الحديث الآخر بتأويل معناه «لا يتكلم على الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو مراء» هذا كله كلام صاحب القوت. وأما تخريج الحديث وتحقيقه فقد تقدم مبسوطاً في الباب الثاني. (**وقال بعضهم**) ونص القوت: وقال بعض العلماء: (**كان الصحابة**) والتابعون بإحسان (**يتدافعون أربعة أشياء**) أي يدافعون أنفسهم عن ارتكابها. (**الإمامة**) وهو التقدم على المصلين (**والوديعة**) من المال وغيره (**والوصية**) عن الأموات (**والفتوى**) هكذا هو نص القوت، (**وقال بعضهم: كان أسرعهم الى الفتيا أقلهم علماً وأشدهم دفعاً**) لها وتوقفاً عنها (**أورعهم**) هكذا نص القوت. وأخرج الدارمي في مسنده من طريق عبيد الله بن أبي جعفر المصري مرسلاً. أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار، قال المناوي:

عنهم في خمسة أشياء: قراءة القرآن، وعمارة المساجد، وذكر الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وذلك لما سمعوه من قوله ﷺ: «كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة: أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله تعالى». وقال تعالى: ﴿ولا خَيْرَ في كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إلاَّ مَنْ أمَرَ بصَدَقَةٍ أوْ مَعْرُوفٍ أوْ إصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] الآية.

ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأي من أهل الكوفة في المنام فقال: ما رأيت

أي أقدمكم على دخولها لأن المفتي يبين عن الله حكمه، فإذا أفتى على جهل أو بغير ما علمه أو تهاون في تحريره أو استنباطه، فقد تسبب في إدخال نفسه النار لجرأته على المجازفة في أحكام الجبار، وقال ابن المنذر: المفتي يدخل بين الله وبين عباده، فلينظر كيف يفعل، فعليه التوقف والتحرز لعظم الخطر. وقال الحكماء: من العلم أن لا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من لا يعلم، فحسبك خجلاً من نفسك وعقلك أن تنطق بما لا تفهم. **(وكان شغل الصحابة والتابعين)** لهم بإحسان **(في خمسة أشياء قراءة القرآن)** دراسه وتعلماً، **(وعمارة المسجد)** بالصلوات في الجماعات، **(وذكر الله تعالى)** سراً وجهراً في كل الأحيان، **(والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)** شرعاً. نقله صاحب القوت عن بعض السلف.

قلت: أخرج اللالكائي في كتاب السنة من رواية صبيح بن عبدالله الفرغاني قال: حدثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الاوزاعي قال: كان يقال خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنَّة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله **(وذلك لما سمعوا من قوله ﷺ: «كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاث أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله تعالى»)** هكذا أورده صاحب القوت بلا سند. وقال العراقي: رواه الترمذي، وابن ماجه من رواية صفية بنت شيبة، عن أم حبيبة رضي الله عنها رفعته فذكرته دون قوله «ثلاث». وقال ابن ماجه: إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتعريف. قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس، قال العراقي: وهو ثقة. وذكره ابن حبان في كتاب الثقات.

قلت: وأخرجه ابن السني والطبراني في الكبير، وابن شاهين في الترغيب في الذكر، والعسكري في الأمثال، والحاكم والبيهقي من هذا الطريق ولفظهم: «كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكر الله عز وجل» **(وقال الله تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم الآية﴾)** وتمامها ﴿إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ [النساء: ١١٤] هكذا أورد صاحب القوت هذه الآية هنا بعد الحديث. **(ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأي من الكوفة)** ونص القوت: ورأى بعض أهل الحديث بعض فقهاء أهل الكوفة من أهل الرأي بعد موته **(في المنام فقال: ما رأيت فيما كنت عليه)** ونص القوت. قال:

فيما كنت عليه من الفتيا والرأي؟ فكره وجهه وأعرض عنه وقال: ما وجدناه شيئاً وما حمدنا عاقبته. وقال أبو حصين: إن أحدهم ليفتي في مسألة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر. فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند

فقلت له ما فعلت فيما كنت عليه **(من الفتيا والرأي؟)** قال: **(فكره وجهه وأعرض عنه)** ونص القوت: عني **(وقال: ما وجدنا شيئاً)** ونص القوت: ما وجدناه شيئاً **(وما حمدنا عاقبته)**، ثم ذكر صاحب القوت: هنا منام نصر بن علي الجهضمي في حق الخليل بن أحمد، وقد تقدم ذكره للمصنف وشرحناه هناك، ثم قال وحدثونا عن بعض الأشياخ قال: رأيت بعض العلماء في المنام فقلت: ما فعلت تلك العلوم التي كنا نجادل فيها ونناظر عليها؟ قال: فبسط يده ونفخ فيها وقال: طاحت كلها هباء منثوراً ما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل، ثم قال وحدثونا عن أبي داود السجستاني قال: كان بعض أصحابنا كثير الطلب للحديث حسن المعرفة به فمات فرأيته في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فسكت فأعدت عليه فسكت. فقلت: غفر الله لك؟ قال: لا. قلت: لم؟ قال: الذنوب كثيرة والمناقشة دقيقة، ولكن قد وعدت بخير وأنا أرجو خيراً. قلت: أي الأعمال وجدتها فيما هنالك أفضل؟ قال: قراءة القرآن والصلاة في جوف الليل. قلت: فأيما أفضل ما كنت تقرأ أو تقرىء؟ فقال: ما كنت أقرأ. قلت: وكيف وجدت قولنا فلان ثقة وفلان ضعيف؟ فقال: إن خلصت فيه النية لم يكن لك ولا عليك، ثم ذكر بعد ذلك مناماً آخر عن أحمد بن عمر الخلقاني أعرضت عن ذكره هنا لطوله. **(وقال أبو حصين)** كأمير هكذا هو في القوت وهكذا ضبطه ابن حبيب عن الكلبي وهو عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي الذي روى عنه سفيان الثوري، وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة الشعبي من رواية مالك بن مغول قيل للشعبي: أيها العالم! فقال: ما أنا بعالم وما أرى عالماً وأن أبا حصين رجل صالح، وفي بعض نسخ الكتاب وقال ابن حصين: وفي بعضها وقال أبو حفص، وكل ذلك خطأ والصواب الأول. قال الواقدي: عداده في مرة بن الحرث وهو من بني جشم بن الحرث توفي سنة ثمان وعشرين ومائة. قال البخاري: سمع سعيد بن جبير، والشعبي، وشريحاً. وسمع منه الثوري، وشعبة، وابن عيينة. أثنى عليه أحمد وابن معين **(أن أحدهم ليفتي في المسألة)** ونص القوت. في مسألة **(لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر)** هكذا أورده صاحب القوت أي: يتسارعون في الفتيا من غير مشورة ومن غير إتقان ومن غير إيقان.

قلت: وهذا القول أورده الإمام أبو بكر البيهقي عن الحاكم أبي عبدالله الحافظ، أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا عباس بن محمد، حدثنا منصور بن سلمة، أخبرنا أبو شهاب قال: سمعت أبا حصين يقول: أحدهم ليفتي في المسألة ولو وردت ثم ساقه كسياق المنصف. هكذا أخرجه ابن عساكر في التاريخ عن أبي المعالي محمد بن اسماعيل، عن البيهقي بالإسناد السابق.

الضرورة. وفي الحديث: «إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتاً وزهداً فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة». وقيل: العالم إما عالم عامة وهو المفتي وهم أصحاب الأساطين أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب، وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون. وكان يقال: مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل أحد يغترف منها، ومثل بشر بن الحرث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد. وكانوا يقولون: فلان عالم وفلان

وأخرج أيضاً من طريق الحميدي، عن سفيان قال: كان أبو حصين إذا سئل عن مسألة قال: ليس لي بها علم والله أعلم، وفي رواية: ليس لي علم والله بها أعلم اهـ.

زاد صاحب القوت وقال غيره يُسأل أحدهم عن الشيء فيسرع الفتيا ولو سئل عنها أهل بدر لأعضلتهم اهـ.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية أحمد بن حنبل، عن سفيان، عن الشعبي أنه إذا سألوا عن الملتبس قال: زباء ذات وبر لا تنقاد ولا تنساق، ولو سئل عنها أصحاب محمد ﷺ لعضلت بهم **(فلم يزل السكوت دأب أهل العلم)** والمعرفة **(إلا عند الضرورة)** الداعية فيحل لهم الكلام، بل يجب في بعض المقام كما تقدم.

(وفي الحديث: «إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتاً وزهداً فاقتربوا منه فإنه يلقن الحكمة») كذا في نسخ الكتاب والرواية يلقى الحكمة، هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد. وقال العراقي: رواه ابن ماجه من رواية أبي فروة عن أبي خلاد وكانت له صحبة قال قال رسول الله ﷺ فذكره بلفظ «قد أعطي زهداً في الدنيا وقلة منطق» وأبو فروة تكلم في سماعه عن أبي خلاد وأشار البخاري في التاريخ الكبير فقال: أبو فروة عن ابن مريم عن أبي خلاد، عن النبي ﷺ قال: وهذا أصح.

قلت: وأخرجه كذلك أبو نعيم في الحلية، والبيهقي إلا أن في رواية أبي نعيم «إذا رأيتم العبد يعطي» والباقي مثل سياق ابن ماجه، والمعنى من اتصف بذلك فأعماله منتجة وأفعاله محكمة وينظر بنور الله، ومن كان هذا وصفه أصاب في منطقه. **(وقيل: العالم إما عالم عامة)** ونص القوت، وقال بعض العلماء كان أهل العلم على ضربين عالم عامة وعالم خاصة فأما عالم العامة **(وهو)** ونص القوت: فهو **(المفتي)** في الحلال والحرام، **(وهم)** ونص القوت: **فهؤلاء (أصحاب الأساطين)** جمع أسطوانة وهي سواري المسجد، **(أو عالم خاصة وهم العلماء)** ونص القوت: وإما عالم الخاصة فهو العالم **(بالتوحيد وأعمال القلوب)** ونص القوت: بعلم المعرفة والتوحيد **(وهم أرباب)** ونص القوت: وهؤلاء أهل **(الزوايا)** جمع زاوية وهم **(المنفردون)** أي عن الناس، **(وكان يقال)** ونص القوت: وقد كانوا يقولون: **(مثل)** الإمام **(أحمد بن حنبل)** رحمه الله **(مثل دجلة)** بفتح الدال النهر المعروف **(كل واحد منها يغرف)** ونص القوت: كل أحد يغرفها، **(ومثل بشر)** بن الحرث الحافي **(مثل بئر عذبة)**

متكلم وفلان أكثر كلاماً وفلان أكثر علمـاً ، وقال أبو سليمان: المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام. وقيل: إذا كثر العلم قلَّ الكلام، وإذا كثر الكلام قلَّ العلم، وكتب سلمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما ، وكان قد آخى بينهما رسول الله ﷺ : يا أخي بلغني أنك قعدت طبيباً تداوي المرضى، فانظر فإن كنت طبيباً فتكلم فإن كلامك شفاء ، وإن كنت متطبباً فالله الله لا تقتل مسلماً. فكان أبو الدرداء يتوقف بعد

الماء في فلاة (**مغطاة**) بالحجارة ونحوها (**لا يقصدها إلا واحد بعد واحد**)، وهذا لأن الإمام أحمد كان يفتي للعامة والخاصة، وأما بشر فإنه كان بعيد الغور لا يستفيد منه إلا كل عارف، (**و**) قد (**كانوا يقولون: فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلاماً**) إلى هنا نص القوت. زاد المنصف (**وفلان أكثر علماً**) زاد صاحب القوت، وقال حماد بن زيد. قيل: لأيوب: العلم اليوم أكثر أو فيما مضى؟ فقال: العلم فيما مضى كان أكثر والكلام اليوم أكثر ففرق بين العلم والكلام، (**وقال أبو سليمان**) عبد الرحمن بن عطية الداراني ونص القوت: وكان أبو سليمان يقول: (**المعرفة إلى السكوت أقرب منها الى الكلام**). وقال بعض العارفين: هذا العلم على قسمين نصفه صمت ونصفه تدري أين تضعه، وزاد آخر نصفه جد ونصفه نظر يعني تفكر واعتبار، وسئل سفيان عن العالم من هو؟ قال: من يضع العلم في مواضعه ويوفي كل شيء حقه، (**وقيل**) ونص القوت. وقال بعض الحكماء: (**إذا كثر العلم قلّ الكلام**) ومن ذلك قول بعض العارفين: من عرف الله قلّ كلامه، وكان إبراهيم الخواص يقول: الصوفي كلما زاد علمه نقصت طينته كذا.

(**وكتب**) أبو عبدالله (**سلمان**) الفارسي الملقب بالخير أصله من أصبهان له صحبة وأول مشاهده الخندق توفي سنة أربع وثلاثين يقال: بلغ ثلاثمائة سنة. وفي الحديث: «اشتاقت الجنـة إلى أربعة علي والمقداد وعمار وسلمان، وكان أميراً بالمدائن على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين ولا يأكل إلا من كدّ يده، وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها (**إلى أبي الدرداء**) رضي الله عنهما (**وكان قد آخى بينهما رسول الله ﷺ**) فيمن آخى، أخرجه البخاري من رواية عون بن أبي جحيفة عن أبيه، وفيه: فزار سلمان أباد الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة. الحديث. ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح قاله العراقي.

قلت: وأخرجه أبو نعيم في الحلية من هذا الطريق إلا أنه ليس فيها ذكر المؤاخاة، وقد أنكر المؤاخاة الحافظ ابن تيمية في كتابه الذي ألفه في الرد على المطهر الرافضي، ونسبه إلى وضع الروافض، وهذا رده عليه الحافظ ابن حجر في فتح الباري وأوسع فيه الكلام فراجعه. (**يا أخي بلغني أنك قعدت** (كذا في النسخ، ونص القوت: **أقعدت**) (**طبيباً تداوى المرضى، فانظر فإن كنت طبيباً فتكلم فإن كلامك شفاء، وإن كنت متطبباً فالله الله لا تقتل مسلماً، فكان**

ذلك إذا سئل، وكان أنس رضي الله عنه إذا سئل يقول: سلوا مولانا الحسن، وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل يقول: سلوا حارثة بن زيد، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: سلوا سعيد بن المسيب.

أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل) عن شيء. هكذا أورده صاحب القوت، وقال: كتب سلمان من المدائن إلى أبي الدرداء الخ زاد، وسأله إنسان فأجابه، ثم قال: ردوه، فقال: أعد علي فأعاد فقال: متطبب والله فرجع في جوابه، ثم قال صاحب القوت: ولعمري أنه قد جاء عن رسول الله ﷺ: « من تطبب ولم يعلم منه طب فقتل فهو ضامن ».

قلت: وهذا الذي ذكره المصنف تبعاً لصاحب القوت فقد أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة سلمان فقال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني مصعب ابن عبدالله، حدثني مالك بن أنس، عن يحي بن سعيد أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان: هلم إلى الأرض المقدسة فكتب إليه سلمان أن الأرض لا تقدس أحداً وإنما يقدس الإنسان عمله، وقد بلغني أنك جعلت طبيباً، فإن كنت تبرئ فنعماً لك، وإن كنت متطبباً فاحذر ان تقتل إنساناً فتدخل النار، فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنين فأدبرا عنه نظر إليهما وقال: متطبب والله ارجعا إلي أعيدا قصتكما. رواه جرير، عن يحي بن سعيد، عن عبدالله بن ميسرة أن سلمان كتب اليه فذكره، ثم قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبدالله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبد الصمد بن حسان، حدثنا السري بن يحي، عن مالك بن دينار أن سلمان كتب إلى أبي الدرداء أنه بلغني أنك أجلست طبيباً تداوى الناس فانظر أن تقتل مسلماً فتجب لك النار.

(وكان أنس) بن مالك **(رضي الله عنه يقول: إذا سئل)** عن مسألة **(سلوا مولانا الحسن)** يعني البصري، فإنه قد حفظ ونسينا. هكذا أورده صاحب القوت زاد غيره قالوا: يا أبا حمزة نسألك فتقول: سلوا الحسن مولانا. قال: سلوا مولانا الحسن فإنه سمع وسمعنا وحفظ ونسينا، وإنما قال: مولانا لكون ولائه للأنصار. قيل لزيد بن ثابت، وقيل لجابر بن عبدالله، وقيل لجميل بن قطبة، وقيل لأبي اليسر، ويقال: من سبي ميسان فاشترته الربيع بنت النضر عمة أنس فأعتقته، فلذلك قال مولانا. **(وكان ابن عباس رضي الله عنهما)** إذا سئل **(يقول: سلوا جابر بن زيد)** فلو نزل اهل البصرة على فتياه لوسعهم، وكان من صالحي التابعين. هكذا أورده صاحب القوت.

قلت: وجابر بن زيد هو الأزدي ثم الجوفي البصري، أبو الشعثاء مشهور بكنيته ثقة فقيه مات سنة ثلاث وتسعين، وهذا الذي أورده صاحب القوت. وتبعه المصنف، فقد أخرج أبو نعيم في الحلية من رواية سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: سمعت عطاء قال قال ابن عباس: لو نزل أهل البصرة بجابر بن زيد لأوسعهم علماً عن كتاب الله تعالى. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً أعلم بفتيا من جابر بن زيد. وأخرج من رواية عرعرة بن البرند، حدثني تيم بن

وحكي أنه روى صحابي في حضرة الحسن عشرين حديثاً فسئل عن تفسيرها فقال: ما عندي إلا ما رويت، فأخذ الحسن في تفسيرها حديثاً حديثاً، فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه! فأخذ الصحابي كفاً من حصى ورماهم به وقال: تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم.

ومنها: أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة

حدير السلمي عن الرباب قال: سألت ابن عباس عن شيء، فقال تسألوني وفيكم جابر بن زيد، وأخرج من طريق زياد بن جبير قال: سألت جابر بن عبدالله الأنصاري عن مسألة فقال فيها، ثم قال: تسألوني وفيكم أبو الشعثاء. **(و)** كان **(ابن عمر رضي الله عنهما يقول: سلوا سعيد بن المسيب)** هكذا أورده صاحب القوت، وهو من فقهاء التابعين، **(ويحكى أنه روى صحابي في مجلس فيه الحسن عشرين حديثاً فسئل عن تفسيرها)** ونص القوت: وقال بعض البصريين: قدم علينا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فأتينا الحسن فقلنا ألا نذهب إلى هذا الصحابي فنسأله عن حديث رسول الله ﷺ وتجيء معنا، قال: نعم فاذهبوا. قال: فجعلنا نسأله عن حديث رسول الله ﷺ، وجعل يحدثنا حتى حدثنا عشرين حديثاً. قال: والحسن ينصت يستمع إليه، ثم جثا الحسن على ركبتيه فقال: يا صاحب رسول الله أخبرنا بتفسير ما رويت عن رسول الله ﷺ حتى نفقه فيه فسكت الصحابي **(فقال: ما عندي إلا ما رويت)**. ونص القوت وقال: ما سمعت بدل ما رويت، **(فأخذ الحسن في تفسيرها حديثاً حديثاً)** وفي القوت: فابتدأ الحسن تفسير ما رواه، فقال: أما الحديث الذي حدثتنا به فإن تفسيره كيت وكيت، والحديث الثاني تفسيره كذا وكذا حتى سرد عليه الأحاديث كلها كما حدثنا بها وأخبرنا بتفسيرها، **(فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه)**. ونص القوت قال: فلا ندري نعجب من حسن حفظه إياه وأدائه للحديث أو من علمه وتفسيره. قال: **(فأخذ الصحابي كفاً من حصى ورماهم به)** ونص القوت: وحصبنا به، **(وقال)** ونص القوت، ثم قال **(تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم)** زاد صاحب القوت: فهؤلاء أصحاب النبي ﷺ يردون الأمور في الفتيا وعلم اللسان إلى من هو دونهم في القدر والمنزلة، وهم في علم التوحيد والمعرفة والإيمان فوقهم درجات ولا يرجعون إليهم في الشبهات، ولا يردون إليهم في علم المعرفة واليقين، فهذا كما قيل: العلم نور يقذفه الله تعالى في قلوب أوليائه، فقد يكون ذلك تفضيلاً للنظراء بعضهم على بعض، وقد يكون تخصيصاً للشباب على الشيوخ، ولمن جاء بعد السلف من السابقين، وربما كان تكرمة للخاملين المتواضعين لينبه عليهم ويعرفوا ليرفعوا كما قال الله تعالى: ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة﴾ [القصص: ٥] اهـ.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية علي بن المديني قال: كان سفيان بن عيينة إذا سئل عن شيء يقول: لا أحسن، فيقول: من نسأل: فيقول: سل العلماء وسل الله التوفيق.

(ومنها): أي ومن علامات الآخرة **(أن يكون أكثر اهتمامه)** واعتنائه **(بعلم الباطن)**

وسلوكه وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة، فإن المجاهدة تفضي إلى المشاهدة، ودقائق علوم القلب تنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب، وأما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك، بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد، إنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه، فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف، فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة، وكم من

وهو العلم بالله عز وجل الدال على الله، الشاهد بالتوحيد له من علم الإيمان واليقين وعلم المعرفة والمعاملة دون سائر علوم الفتيا والأحكام، وبذلك فضل على العمل وفضل صاحبه على غيره في قولهم: ذرة من علم أفضل من كذا وكذا من العمل، وركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من عابد، وغير ذلك من الأحاديث والآثار التي تقدم ذكرها في أول الكتاب. (و) من علاماته أن يكون مهتماً في (**مراقبة القلب**) ومحافظته من مداخله، الوساوس ومخالطة النفثات الشيطانية، (و) أن يكون مهتماً في (**معرفة طريق الآخرة و**) كيفية (**سلوكه**) بواسطة مرشد كامل أو عارف حاذق يستفيد ذلك بمجالسته (**وصدق الرجاء**) وتحقيق الأمنية (**في انكشاف ذلك**) وتحصيله (**من المجاهدة**) الباطنية بالرياضات الشرعية (**والمراقبة**) مع الله تعالى بذكره دائماً، (**فإن المجاهدة**) أساس هذا السلوك ولا يتم الأمر إلا بها وهي (**تفضي**) وتوصل (**إلى**) مقام (**المشاهدة في دقائق**) أسرار (**علم القلب وتنفجر بها**) أي بالمجاهدة (**ينابيع الحكمة من القلب**)، وإليه الإشارة بما ورد، من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، لأن إخلاص العبودية للربوبية وإخلاص الأعمال من الهوى الدنيوي هو عين المجاهدة، والنور إذا جعل في الصدر انشرح القلب بالعلم ونظر باليقين فنطق به اللسان بحقيقة البيان، وهو الحكمة التي أودعها الله عز وجل في قلوب أوليائه. (**أما كتب التعليم**) وما استودع فيها مما سمعه من غيره عمن قدم طريقه السمع ومفتاحه الاستدلال وخزائنه العقل يتلقاها الصغير عن الكبير باقية ببقاء الإسلام وهي محجة العموم من خلق الله تعالى، (**فلا تفي بذلك**) ولا ترشد السالك (**بل الحكمة**) الإلهية (**الخارجة عن الحصر والعد إنما تنفتح**) وتنكشف (**بالمجاهدة والمراقبة**) في القلب (**ومباشرة الأعمال الظاهرة**) على قوانين الشريعة (**والباطنة**) على ميزان الطريقة (**والجلوس مع الله تعالى**) بغاية الخشوع والخشية (**مع حضور القلب**) لكونه خزانة الملكوت وهو باب علم الباطن، ويكون ذلك (**بصافي الفكر**) وخالصه عن المكدرات الظاهرية والباطنية (**والانقطاع الى الله تعالى**) في جميع أحواله (**عما سواه، فذلك مفتاح الإلهام**) الرباني (**ومنبع الكشف الصمداني**) يرشدك إليه قوله عز وجل: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] (**وكم من متعلم**) في العلوم الظاهرة

مقتصر على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الألباب، ولذلك قال ﷺ: « من عمل بما علم أورثه

(طال تعلمه) وامتد طلبه حتى أضاع لياليه وأيامه **(ولم يقدر على مجاوزة مسموعه)** الذي تلقفه عن الشيوخ والكتب **(بكلمة)** واحدة، كما هو مشاهد في كثير من علماء العصر فتراهم يقفون فيما سمعوه ويترددون بأنواع المحاورات ولا يكادوا أن يتجاوزوا، **(وكم من مقتصر على)** تحصيل **(المهم في)** قوانين **(التعلم ومتوفر على العمل)** أي مباشرته **(و)** مقبل على **(مراقبة القلب)** بخالص فكره **(فتح الله عز وجل عليه)** في أدنى زمان وأقرب أوان **(من لطائف الحكم)** ودقائقها **(ما تحار فيه عقول ذوي الألباب)** موهبة من الله تعالى. كما اتفق ذلك لكثير من الأولياء العارفين ممن علومهم مأخوذة عن الله تعالى. وفي القوت: أهل الذكر لله تعالى وأهل التوحيد والعمل لله تعالى لم يكونوا يتلقون هذا العلم دراسة من الكتب، ولا يتلقاه بعضهم عن بعض بالألسنة، إنما كانوا أهل عمل وحسن معاملات، وكان أحدهم إذا انقطع إلى الله تعالى واشتغل به واستعمله المولى بخدمته بأعمال القلوب وكانوا عنده في الخلوة بين يديه لا يذكرون سواه ولا يشتغلون بغيره، فإذا ظهروا للناس فسألوهم ألهمهم الله تعالى رشدهم ووفقهم لتسديد قولهم وآتاهم الحكمة ميراثاً لأعمالهم الباطنة عن قلوبهم الصافية وعقولهم الزاكية وهممهم العالية، فأمرهم بحسن توفيقه إذ ألهمهم حقيقة العلم وأطلعهم على مكنون السر حتى آثروه بالخدمة وانقطعوا إليه بحسن المعاملة، فكانوا يجيبون عما عنه يُسألون بحسن أثرة الله تعالى وجيل أثره عندهم، فتكلموا بعين القدرة وأظهروا وصف الحكمة ونشروا علوم الإيمان وكشفوا بواطن القرآن. وهذا هو العلم النافع الذي يقربه إلى ربه ويكون من الموقنين، **(ولذلك قال ﷺ « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم »)** رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه. قال العراقي: وأورده صاحب القوت بلا سند إلا أنه قال « بما يعلم » بدل « بما علم ».

وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة أحمد بن أبي الحواري بسنده إليه قال: التقى أحمد بن حنبل وأحمد ابن أبي الحواري بمكة فقال أحمد: حدثنا بحكاية سمعتها من أستاذك أبي سليمان الداراني فقال: يا أحمد قل سبحان الله بلا عجب، فقال ابن حنبل: سبحان الله وطوّلها بلا عجب، فقال ابن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول إذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت في الملكوت وعادت إلى ذلك العبد بطرائق الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالم علماً. قال؛ فقام أحمد بن حنبل ثلاثاً وجلس ثلاثاً وقال: ما سمعت في الإسلام حكاية أعجب من هذه إليّ، ثم قال أحمد بن حنبل: حدثني يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس رفعه: « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » ثم قال لابن أبي الحواري صدقت يا أحمد وصدق شيخك. قال أبو نعيم: ذكر أحمد هذا الحديث عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم فظن بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ، ومن شواهده ما أخرج أبو نعيم من رواية نصير بن حمزة عن أبيه، عن جعفر بن

الله علم ما لم يعلم». وفي بعض الكتب السالفة: يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به إلى الأرض، ولا في تخوم الأرض من يصعد به، ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به. العلم مجعول في قلوبكم، تأدبوا بين يديّ بآداب الروحانيين، وتخلقوا لي بأخلاق الصديقين أظهر العلم في قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم. وقال سهل بن عبدالله التستري رحمه الله: خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآية. ولولا ان إدراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال ﷺ: «استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك». وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى: «لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي

محمد، عن محمد بن علي بن الحسين، على الحسين بن علي، عن علي رفعه: «من زهد في الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيراً وكشف عنه العمى».

(**وفي الكتب السالفة**) ونص القوت: وروينا في بعض الأخبار أن في بعض الكتب المنزلة (**يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الأرض من يصعد به، ولا من وراء البحار من يعبر**) و(**يأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين**) أي الملائكة (**وتخلقوا إليَّ بأخلاق الصدّيقين أظهر العلم في قلوبكم حتى يغطيكم فيغمركم**). كذا في النسخ. ونص القوت: حتى يغطيكم ويسترکم. (**وقال**) أبو محمد (**سهل**) بن عبدالله التستري: (**خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة**) أي عليها أقفال الغفلة، (**ولم تفتح إلا قلوب الصديقين والشهداء، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعملها إلا هو﴾**) [الأنعام: ٥٩]، أورده صاحب القوت وزاد: يعني مقفلة عن مفتاح المعرفة وعين التوحيد، واعلم أن الفقه صفة القلب، والخوف موجب الفقه. وعلم العقل داخل في علم الظاهر، والعلم بالله داخل في علم اليقين. (**ولولا أن ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال ﷺ: «استفت قلبك»**) وإن أفتاك المفتون فردّه إلى فقه القلب وصرفه عن فتيا المفتين، فلولا أن القلب فقيه لم يجز أن يدله ﷺ على غير فقيه، ولولا أن علم الباطن حاكم على علم الظاهر ما رده إليه، ولا يجوز أن يرده من فقيه إلى فقيه دونه. كيف وقد جاء في بعض الروايات بلفظة مؤكدة بالتكرير والمبالغة فقال: (**وإن أفتوك وأفتوك»**). وهذا مخصوص لمن كان له قلب وألقى سمعه وشهد قيام شاهده وعري عن شهواته ومعهوده، لأن الفقه ليس من وصف اللسان. حققه صاحب القوت، وتخريج الحديث قد تقدم في الباب الثاني.

(**وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً» الحديث**) أي إلى آخر الحديث. وهو قوله: يداً

يسمع به » الحديث. فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير، ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين، وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم العالية الموجهة إليه وكذلك في علوم

ومؤيداً. أخرجه أبو نعيم بهذا اللفظ في الحلية من حديث أنس واسناده ضعيف، وأخرجه البخاري في صحيحه، وأبو نعيم في أول الحلية، وهو أول أحاديث الكتاب. كلاهما من رواية محمد بن عثمان بن كرامة: حدثنا خالد بن مخلد، عن سليمان بن بلال، عن شريك ابن أبي نمر، عن عطاء، عن أبي هريرة رفعه: « إن الله عز وجل قال من عادى لي ولياً فقد آذنني بالحرب وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعذته وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ». قال الحافظ الذهبي في الميزان في ترجمة خالد بن مخلد الراوي، عن ابن كرامة هذا حديث غريب جداً لولا هيبة الجامع الصحيح لعدّ من منكرات خالد بن مخلد، وذلك لغرابة لفظه ولأنه مما تفرد به شريك وليس بالحافظ اهـ.

وروى البيهقي في الزهد من رواية ابن زجر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة رفعه، قال: « إن الله عز وجل يقول: ما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فأكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به وقلبه الذي يعقل به فإذا دعاني أجبته وإذا سألني أعطيته وإذا استنصرني نصرته وأحب ما يعبد به عبدي النصح لـي ». وفي الباب عن عائشة وميمونة رضي الله عنهما. فحديث عائشة عند البزار، وحديث ميمونة عند أبي يعلى. (**فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن**) وخواصه (**تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير، ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين**). قال سيدي علي وفا قدّس سره: من داوم إخلاص الذكر بفؤاده صار ما بين العرش والفرش طوع مراده. وقال أيضاً: الوسائل مدد مصابيح المقاصد، فبحسب صفاء المدد يكون ضياء المصباح، (**فإذا انكشف ذلك للمراقب وعرض على المفسرين**) المنصفين المحفوظين من علائق الشهوة (**استحسنوه**) وقبلوه، (**وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية**) وارداتها الإلهية (**وألطاف الله تعالى**) ومواهبه المفاضة (**بالهمم المتوجهة إليه**) عما سواه. هذه العبارة بتمامها منتزعة من القوت بتغيير يسير. ونص القوت: ولم يكونوا إذا سئل أحدهم عن مسألة من علم القرآن أو علم اليقين والإيمان يحيل على صاحبه ولا يسكت عن الجواب، وقد قال الله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [النحل: ٤٣] فهم أهل الذكر لله وأهل التوحيد والعمل لله عز وجل، ولم يكونوا يلقنون هذا العلم دراسة من الكتب ولا يتلقاه بعضهم

المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب، فإن كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه، وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق منه وبحسب ما وفق له من حسن العمل، وفي وصف هؤلاء العلماء قال علي رضي الله عنه في حديث طويل:

عن بعض بالألسنة، إنما كانوا أهل عمل وحسن معاملات، وكان أحدهم إذا انقطع إلى الله تعالى فاشتغل به واستعمله المولى لخدمته بأعمال القلوب، وكانوا عنده في الخلوة بين يديه لا يذكرون سواه ولا يشتغلون بغيره، فإذا ظهروا للناس فسألوهم ألهمهم الله رشدهم ووفقهم لسديد قولهم وآتاهم الحكمة ميراثاً لأعمالهم الباطنة عن قلوبهم الصافية وعقولهم الزاكية وهممهم العالية، فأمدهم بحسن توفيقه. إذ ألهمهم حقيقة العلم، وأطلعهم على مكنون السرّ حين آثروه بالخدمة، وانقطعوا إليه بحسن المعاملة، فكانوا يجيبون عما عنه يسألون بحسن أثرة الله سبحانه وجميل أثره عندهم، فتكلموا بعين القدرة وأظهروا وصف الحكمة، ونطقوا بعلوم الأعمال، وكشفوا بواطن القرآن. وهذا هو العلم النافع الذي بين العبد وربه وهو الذي يلقاه به ويسأله عنه ويثيبه عليه، وهو ميزان جميع الايمان، وعلى قدر علم العبد بربه ترجح أعماله وتضاعف حسناته. وبه يكون عند الله من المقربين لأنه لربه من الموقنين اهـ.

فمن ذلك كلام القطب سيدي علي وفا على قصة سيدنا موسى في سورة القصص، وشرحه لحديث أم زرع بلسان القوم، فكل من طالعهما بعين الإنصاف قضى عجباً، وفي المتأخرين القطب أبو الحسن البكري أملى بالجامع الأزهر على سورة الفاتحة نحو ثلاثمائة مجلس كل ذلك مشحون بالأسرار والمعارف، ومثل هذا الفيض لا ينكره إلا من حرمه. **(وكذلك)** الحال **(في علوم المكاشفة)** بتجلي الذات وإظهار الأفعال الدالة على معاني الأوصاف الباطنة **(وأسرار علوم المعاملة)** وعلوم الورع والاخلاص **(ودقائق خواطر القلوب)** وتلوينات الشواهد على المريدين وتفاوت مشاهدات العارفين، **(فإن كل علم من هذه العلوم بحر)** واسع **(لا يدرك عمقه)** ولا ينتهي إلى غوره، **(وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق)** من سعة همته وقوّة اجتهاده، **(وبحسب ما وفق له من حسن العمل)** بتأييد من ربه وعصمة منه. **(وفي وصف هؤلاء العلماء)** أي علماء الآخرة **(قال)** أمير المؤمنين **(علي)** بن أبي طالب **(رضي الله عنه في حديث طويل)** أورده ابن القيم في مفتاح دار السعادة، وأبو طالب المكي في القوت، والراغب في الذريعة مفرقاً. كلهم من غير سند.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة علي فقال: حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا موسى بن إسحاق، وحدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قالا: حدثنا أبو نعيم ضرار بن صردح، وحدثنا أبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد الحافظ، حدثنا محمد بن الحسين الخثعمي، حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري قالا: حدثنا عاصم بن حميد الخياط، حدثنا ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الثمالي، عن عبد الرحمن بن جندب، عن كميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان، فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد!

القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير، والناس ثلاثة: عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال. والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه الانفاق، والعلم دين يدان به تكتسب به الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد وفاته؛ العلم حاكم والمال محكوم عليه، ومنفعة المال تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء أحياء باقون ما بقي الدهر، ثم تنفس الصعداء وقال: هاه إن ههنا علماً جماً لو وجدت له حملة، بل أجد طالباً غير مأمون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه، أو منقاداً لأهل الحق لكن ينزرع الشك في قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا

(**القلوب أوعية وخيرها**) كذا في النسخ. والرواية: فخيرها (**أوعاها و**) أحفظ ما أقول لك (**الناس ثلاثة**)، وليس في نص الحلية الواو بعد أوعاها (**عالم رباني**) ونص الحلية: فعالم رباني (**ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكيه العلم**) ونص الحلية: يزكو على الانفاق. وفي رواية: على العمل (**والمال تنقصه النفقة محبة**) ونص الحلية: ومحبة. (**العلم دين يدان به**) ونص الحلية بها (**تكتسب به الطاعة**) ونص الحلية: العلم يكسب العالم الطاعة (**في حياته وجميل الأحدوثة بعد موته، العلم حاكم والمال محكوم عليه**) وجدت هذه الجملة في بعض الروايات (**ومنفعة**) هكذا في النسخ. والرواية: وضيعة (**المال تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر**) أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة. (**ثم تنفس الصعداء وقال**): ليست هذه في رواية الحلية، ولا عند ابن القيم، ووجدت في كتاب الذريعة والقوت: والذي عند الأولين بعد قوله ما بقي الدهر (**هاه**) مرة واحدة. وعند ابن القيم: مرتين (**إن ههنا**) وأشار بيده إلى صدره (**علماً جماً**) وليس في الحلية جماً، ولا عند ابن القيم (**لو وجدت**) وعند أبي نعيم وابن القيم: لو أصبت (**له حمل بل أجد طالباً**) كذا في النسخ، وعند أبي نعيم وابن القيم: بلى اصبته لقناً (**غير مأمون**) عليه. وفي بعض نسخ الحلية: لفتاً من اللفت بدل لقناً (**يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا**) وفي الحلية: للدنيا (**ويستطيل بنعم الله عز وجل على أوليائه**) هذه الجملة هكذا في القوت، وليست عند أبي نعيم ولا ابن القيم (**ويستظهر بحججه على خلقه**) هكذا في القوت، والذي عند أبي نعيم وابن القيم: يستظهر بحجج الله على كتابه وبنعمه على عباده، (**أو منقاداً لأهل الحق**) لا بصيرة له في إحنائه (**ينقدح**) كذا في نسخة ومثله عند ابن القيم. وفي القوت: ينزرع. وفي الحلية: يتقدح (**الشك في قلبه بأول عارض من شبهة**) لا بصيرة له (**لا ذا ولا ذاك**) وفي القوت بعد قوله: لا بصيرة له وليسا من وعاة الدين في شيء

ذاك؛ أو منهوماً باللذات سلس القياد في طلب الشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والإدخار منقاداً لهواه أقرب شبهاً بهم الأنعام السائمة، اللهم هكذا يموت العلم إذا مات حاملوه ثم لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور لكي لا تبطل حجج الله تعالى وبيناته، وكم وأين أولئك هم الأقلون عدداً الأعظمون قدراً أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها من ورائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم. هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه

لا ذا ولا ذاك. ونص الحلية بعد قوله من شبهة: لا ذا ولا ذاك كما عند المصنف، (**فمنهوم باللذة سلس القياد في طلب الشهوات أو مغرم**) وفي القوت: أو جريء (**بجمع الأموال والإدخار منقاداً لهواه**) ونص الحلية بعد قوله: لا ذا ولا ذاك أو منهوماً باللذات سلس القياد للشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والادّخار وليسا من دعاة الدين في شيء (**أقرب شبهاً بهم**) كذا عند ابن القيم. وفي الحلية والقوت: بها (**الانعام السائمة، ثم قال: اللهم هكذا**) وليس في القوت ثم قال: وفي الحلية بعد قوله السائمة؛ كذلك (**يموت العلم إذا مات حاملوه**) وفي الحلية: بموت حامليه، (**بل لا تخلو**) كذا في القوت. وفي الحلية: اللهم بلى لن تخلو (**الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهر مكشوف وإما خائف مقهور**) كذا في القوت، وهذه الجملة ليست في الحلية، بل قال ابن القيم: هذه زيادة الكذابين من الروافض في الحديث ونصه: إما ظاهراً مشهوراً وإما خفياً مستوراً قال: وظنوا أن ذلك دليل لهم على القول بالمنتظر، والحديث مشهور عن علي لم يقل أحد عنه هذه المقالة إلا كذاب، وحجج الله لا تقوم بخفي مستور لا يرى له شخص ولا تسمع منه كلمة ولا يعلم له مكان، ولقد أحسن القائل:

ما آن للسرداب أن يلد الذي ... حملتموه بزعمكم ما آنا
فعلى عقولكم الصفاء فإنكم ... ثلثتم العنقاء والغيلانا

ونص الحلية بعد قوله بحجة، لكيلا (**تبطل حجج الله وبيناته، وكم وأين**) كذا في النسخ، وفي القوت: من غير وكم (**أولئك**) هم (**الأقلون عدداً الأعظمون**) عند الله (**قدراً أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة**) هذه الجملة هكذا وقعت هنا في القوت، وهي في رواية الحلية في أول الحديث، وقد أشرنا لذلك. (**يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم**) كذا في القوت. ونص الحلية بعد قوله قدراً بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها إلى نظرائهم (**ويزرعوها في قلوب أشباههم. هجم بهم العلم على حقيقة الأمر**) كذا في الحلية، وفي القوت: على حقائق الأمر (**فباشروا روح اليقين**) هكذا هذه الجملة في القوت، وليست في الحلية (**فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون**) كذا في القوت. وفي الحلية: الجاهلون. (**صحبوا الدنيا بأبدان**

الغافلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وأمناؤه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه ثم بكى وقال: واشوقاه إلى رؤيتهم، فهذا الذي ذكره أخيراً هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة.

أرواحها معلقة بالمحل الأعلى) كذا في القوت، وفي الحلية: بالمنظر الأعلى، وعند ابن القيم: بالملأ الأعلى **(أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه والدعاة إلى دينه)** كذا في القوت، ونص الحلية: أولئك خلفاء الله في بلاده ودعاته إلى دينه، **(ثم بكى وقال: واشوقاه إلى رؤيتهم)** كذا في القوت. وفي الحلية بعد قوله إلى دينه: هاه هاه شوقاً إلى رؤيتهم وأستغفر الله لي ولكم إذا شئت فقم هذا آخر الحديث على ما في الحلية، وعند ابن القيم **(فهذا الذي ذكره آخراً هو وصف علماء الآخرة)** الذين هم أهل الحقائق وفضلهم على الخلائق **(وهو العلم الذي يستفاد أكثره من العمل)** المقرون بالإخلاص **(والمواظبة على المجاهدة)**.

ولنتكلم على الحديث الماضي ذكره قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة، قال أبو بكر الخطيب: هذا حديث حسن من أحسن الأحاديث معنى وأشرفها لفظاً، وتقسيم أمير المؤمنين للناس في أوله تقسيم حسن في غاية الصحة ونهاية السداد، لأن الإنسان لا يخلو من أحد الأقسام التي ذكرها مع كمال العلم وإزاحة العلل، إما أن يكون عالماً أو متعلماً أو مهملاً للعلم، وطلبه ليس بعالم ولا طالب له، فالعالم الرباني هو الذي لا زيادة على فضله لفاضل، وأما المتعلم على سبيل النجاة فهو الطالب بتعلمه والقاصد به نجاته من التفريط في تضييع الواجبات، وأما القسم الثالث فهم المهملون لأنفسهم الراضون بالمنزلة الدنية، وما أحسن ما شبههم بالهمج الرعاع، والرعاع: المتبدد المتفرق، والناعق: الصائح وهو في هذا الموضع الراعي، ثم قال ابن القيم: ونحن نشير إلى بعض ما في الحديث من الفوائد وأنا أذكر ذلك اختصاراً قال: فقوله رضي الله عنه: القلوب أوعية القلب يشبه بالوعاء والإناء والوادي لأنه وعاء الخير والشر، وقوله: خيرها أوعاها أي أكثرها وأسرعها وأثبتها وأحسنها وعياً أي حفظاً ويوصف بالوعي القلب والأذن كقوله تعالى: ﴿وتعيها أذن واعية﴾ [الحاقة: ١٢] لما بين القلب والأذن من الرباط، فالعلم يدخل من الأذن إلى القلب فهي بابه، وإنما توصل بذلك لأنها إذا وعت وعى القلب. وقوله: الناس ثلاثة إعلم أن العبد إما أن يكمل في العلم والعمل أو لا. فالأول العالم الرباني، والثاني إما أن تكون نفسه متحركة في طلب ذلك الكمال أو لا. والثاني هو المتعلم على سبيل النجاة. والثالث هو الهمج الرعاع. فالأول هو الواصل، والثاني هو الطالب، والثالث هو المحروم، ولا يكون العالم ربانياً حتى يكون عاملاً بعلمه، والثاني متعلم على سبيل نجاة أي على الطريق التي تنجيه وليس حرف على وما عمل فيه متعلقاً بمتعلم إلا على وجه التضمين أي يفتش مطلع على سبيل نجاته ليسلكه، فبعلمه يفتش على سبيل نجاته لا للمباراة أو غيره، فإنه على سبيل هلكة. والقسم الثالث المحروم المعرض فلا عالم ولا متعلم بل همج رعاع، والهمج من الناس: حمقاؤهم وجهلتهم، والرعاع الذين لا يعتد بهم.

....

أتباع كل ناعق أي صائح بهم سواء دعاهم إلى هدى أو ضلال. فإنهم لا علم بالذي يدعون إليه أحق هو أم باطل، فهم مستجيبون لدعوته. وهؤلاء من أضر الخلق على الأديان ويسمى داعيهم ناعقاً تشبيهاً بالأنعام التي ينعق بها الراعي فتذهب معه أينما ذهب قوله: يميلون مع كل ريح. وفي رواية: مع كل صائح شبه عقولهم الضعيفة بالغصن الضعيف وشبه الأهوية والآراء بالرياح، فعقولهم تذهب مع كل ذاهب، ولو كانت كاملة كانت كالشجرة الكبيرة التي لا تلاعبها الرياح لثباتها. قوله: لم يستضيئوا إلخ بيّن السبب الذي جعلهم بتلك المثابة وهو أنه لم يحصل لهم من العلم نور يفرقون به بين الحق والباطل ويمتنعون من دعاة الباطل، فإن الحق متى استقر في القلب قوي به وامتنع مما يضره، والعلم والقوّة قطبا السعادة. وفيه معنى أحسن من هذا وهو الأشبه بمراد علي رضي الله عنه، وهو أن هؤلاء ليسوا من أهل البصائر الذين استضاؤوا بنور العلم، ولا لجأوا إلى عالم مستبصر فقلدوه، ولا متبعين لمستبصر، فإن الرجل إما أن يكون بصيراً، أو أعمى متمسكاً ببصير يقوده، أو أعمى يسير بلا قائدة. قوله: العلم خير من المال تقدم شرحه في أول الكتاب، وكذا قوله: العلم يزكو على الانفاق والمال تنقصه النفقة، وكذا قوله: العلم حاكم والمال محكوم عليه. قوله: محبة العلم يدان بها أي لأنه ميراث الأنبياء والعلماء وراثهم، فمحبة العلم وأهله من علامات السعادة، وهذا في علم الرسل الذي جاءوا به وورثوه للأمة لا في كل ما يسمى علماً، وأيضاً فإن محبة العلم تحمل على تعلمه واتباعه وذلك هو الدين. قوله: العلم يكسب العالم الطاعة في حياته. يقال، كسبه واكتسبه لغتان أي يجعله مطاعاً فكل أحد محتاج إلى طاعته لكونه يدعو إلى طاعة الله ورسوله، فالعالم العامل أطوع في أهل الأرض من كل أحد. قوله: وجميل الأحدوثة أي إذا مات العالم أحيا الله ذكره ونشر له في العالمين أحسن الثناء، فالعالم بعد وفاته ميت وهو حي بين الناس، والجاهل في حياته حي وهو ميت بين الناس كما قيل:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... وليس لهم حتى النشور نشورُ
وأرواحهم في وحشة من قبورهم ... وأجسامهم قبل القبور قبورُ

وقال الآخر:

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم ... وعاش قوم وهم في الناس أمواتُ

وقال آخر:

وما دام ذكر العبد بالفضل باقياً ... فذلك حي وهو في الترب هالكُ

ومن تأمل أحوال أئمة الإسلام تحقق أنه لم يفقد إلا صورهم، وإلا فذكرهم والثناء عليهم غير منقطع وهي هذه الحياة حقاً حتى عدّ ذلك حياة ثانية كما قال المتنبي:

ذكر الفتى عيشه الثاني وحاجته ... ما فاته وفضول العيش اشغالُ

قوله: وصنيعة المال تزول بزواله أي: كل صنيعة صنعت للرجل من أجل ماله من إكرام

....

وتقديم واحترام وغير ذلك، فإنما هي مراعاة لماله، فإذا زال زالت وهجر حتى ممن كان يختص به، وفيه قال بعض العرب:

وكانوا بني عمي يقولون مرحباً ... فلما رأوني معسراً مات مرحبا

وهذا أمر لا ينكر في الناس حتى أنهم ليكرمون لثيابهم، فإذا نزعت لم يكرموا وهذا بخلاف صنيعة العلم، قوله: مات خزان المال تقدم شرحه في أول الكتاب. قوله: وأمثالهم في القلوب موجودة المراد بأمثالهم صورهم العلمية فهي لا تفارق القلوب، وهذا هو الوجود الذهني العلمي لأن محبة الناس لهم وانتفاعهم بعلومهم يوجب أن لا يزالوا نصب عيونهم وقبلة قلوبهم. وقوله: هاه إن ههنا علماً وأشار إلى صدره فيه جواز إخبار الرجل بما عنده من الخير والعلم ليقتبس منه وينتفع به لا للمباهاة. فإنه مذموم، وإذا أثنى الرجل على نفسه ليخلص بذلك من مظلمة أو يستوفي بذلك حقاً له يحتاج فيه إلى التعريف بحاله أو عند خطبة إلى من لا يعرفه فلا بأس فيه، والأحسن أن يوكل في مثله إلى غيره، فإن لسان المرء على نفسه قصير وهو في الغالب مذموم، ثم ذكر أصناف حملة العلم الذين لا يصلحون لحمله وهم أربعة.

أحدهم: من ليس هو بمأمون عليه وهو الذي أوتي ذكاء وحفظاً، لكن جعل العلم آلة للدنيا يستجلبها به وهذا غير أمين على ما حمله من العلم، فقد خان الله وخان عباده، فإن الأمين المأمون هو الذي لا غرض له ولا إرادة لنفسه إلا اتباع الحق وموافقته، فلهذا قال: غير مأمون عليه. قوله: يستظهر بحجج الله إلخ هذه صفة هذا الخائن ومعنى استظهاره بالعلم على كتاب الله تحكيمه عليه وتقديمه وإقامته دونه واشتغاله بغيره، وهذه حال كثير من العلماء الذي يجعل كتاب الله وراء ظهره، فالمستظهر به على كل ما سواه موفق سعيد والمستظهر عليه مخذول شقي.

الصنف الثاني: من حملة العلم المنقاد الذي لم يثلج له صدره ولم يطمئن به قلبه، بل هو ضعيف البصيرة فيه لكنه منقاد لأهله، وهذا حل اتباع الحق من مقلديهم. وهؤلاء وإن كانوا على سبيل نجاة فليسوا من دعاة الدين قوله: لا بصيرة له في إحنائه جمع حنو بالكسر وهي الجوانب والنواحي. يقولون: ازجر أحناء طيرك أي أمسك جوانب خفتك وطيشك. قلت: الأولى أن يفسر الاحناء هنا بالمتشابهات، والمعنى الذي ذكره هو الذي في الصحاح والذي ذكرته من كتاب العباب. قوله: ينقدح الشك إلخ هذا لضعف علمه وقلة بصيرته إذا وردت على قلبه أدنى شبهة قدحت فيه الشك والريب، بخلاف الراسخ في العلم لو وردت عليه أمواج البحار ما أزالت يقينه ولا قدحت فيه شكاً، بل يردها بقوة يقينه، وضعيف اليقين إن تداركها وإلا تتابعت على قلبه أمثالها حتى يصير مرتاباً.

الصنف الثالث: رجل نهمته في نيل لذته فهو منقاد لداعي الشهوة أين كان ولا ينال درجة وراثة النبوة مع ذلك، فمن آثر الراحة فاتته الراحة، وقال ابراهيم الحربي: أجمع عقلاء كل أمة أن النعيم لا يدرك بالنعيم، فمن لم يغلب لذة إدراكه للعلم على شهوة نفسه لم ينل درجة العلم أبداً.

ومنها: أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين، فإن اليقين هو رأس مال الدين. قال رسول الله ﷺ: «اليقين الإيمان كله». فلا بد من تعلم علم اليقين أعني أوائله ثم ينفتح

الصنف الرابع: من حرصه وهمته في جمع الأموال وتثميرها وادخارها فلا يرى شيئاً أطيب له مما هو فيه، فمن أين له درجة العلم؟ فهؤلاء الأصناف الأربعة ليسوا من دعاة الدين ولا من طلبة العلم الصادقين، ومن تعلق منهم بشيء فهو من المشتاقين عليه المتشبهين بجملته المدعين لوصاله المبتوتين من حباله، وفتنة هؤلاء لكل مفتون، قوله: أقرب شبهاً بالأنعام السائمة هو كقوله تعالى: ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤] والسائمة الراعية شبهوا بها في رعي الدنيا وحطامها. قوله: كذلك يموت العلم بموت حامليه، أي ذهاب العلم إنما هو بذهاب العلماء. وهو مأخوذ من حديث قبض العلم في البخاري. قوله: اللهم بلى لن تخلو الأرض الخ يدل عليه حديث: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من ناوأهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». واعلم أن هذه الأمة أكمل الأمم جعل الله العلماء فيها خلفاء الأنبياء لئلا تطمس أعلام الهدى كما كان بنو إسرائيل كلما هلك نبي خلفهم نبي، فكانت تسوسهم الأنبياء والعلماء لهذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل، والفرق بين الحجج والبينات أن الحجج هي الأدلة العلمية التي يعقلها القلب وتسمع بالآذان، والبينات الآيات التي أقامها الله تعالى دلالة على صدقهم من المعجزات. قوله: أولئك الأقلون عدداً الخ وهذا سبب غربتهم فإنهم قليلون في الناس والناس على خلاف طريقتهم، وإياك أن تعترف بأنهم لو كانوا على حق لم يكونوا أقل الناس عدداً، فاعلم أن هؤلاء هم الناس ومن سواهم فمشبهون بهم ليسوا بناس. قوله: حتى يردوها إلى نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم أي: ما أقام الله بهذا الدين من يحفظه ثم قبضه إليه إلا وقد زرع ما علمه من العلم والحكمة إما في قلوب أمثاله، وإما في كتب ينتفع بها الناس بعده، وبهذا وبغيره فضلوا على غيرهم. قوله: هجم بهم العلم إلخ الهجوم على الرجل الدخول عليه بلا إذن أي أنهم لكمال علمهم وقوته تقدم بهم إلى حقيقة الأمر فعاينوا ببصائرهم واطمأنت قلوبهم به وعملوا على الوصول إليه لما باشرها من روح اليقين رفع لهم علم السعادة، فشمروا إليه وزهدوا عما سواه واستيقنت قلوبهم ما أعد لأوليائه من كرامة الله، ومن وصل إلى هذا استلان ما يستوعره المترفون وأنس بما يستوحش منه الجاهلون، وهذا هو العلم التام والحب الخالص. فهذا تفسير الحديث. وقد اختصرت في العبارة كثيراً وحذفت ما رأيت الاستغناء عنه.

(ومنها): أي ومن علامات علماء الآخرة **(أن يكون شديد العناية)** كثير الاهتمام **(بتقوية اليقين فإن اليقين هو رأس مال الدين)** وهو من جملة علوم الايمان متضمن له بكل ما يجب الايمان به، ومن ثم قال جمع اليقين قوة الإيمان بالقدر والسكون إليه، وإذا باشر القلب اليقين امتلأ نوراً وانتفى عنه كل ريب، فالعلم أوّل درجات اليقين، ولهذا قيل: العلم يستعملك واليقين يحملك، فاليقين أفضل مواهب الرب لعبده ولا يثبت قدم الرضا إلا على درجة اليقين.

(قال رسول الله ﷺ: «اليقين الايمان كله»). قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد وأبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة من رواية يعقوب بن حميد بن كاسب. قال: أخبرنا

للقلب طريقه، ولذلك قال ﷺ: «تعلموا اليقين»، ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين، وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم، وقليل من اليقين خير من كثير من العمل. وقال ﷺ لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب

محمد بن خالد المخزومي، عن سفيان بن سعيد، عن زبيد، عن أبي وائل، عن عبدالله، عن النبي ﷺ وزادوا في أوله: «الصبر نصف الايمان» هكذا قال أبو نعيم والبيهقي في اسناده. وقال اللالكائي: عن زبيد، عن مرة، عن عبدالله. قال البيهقي: تفرّد به يعقوب بن حميد، عن محمد بن خالد، وقد أعله ابن الجوزي في العلل المتناهية بها. فقال محمد بن خالد، مجروح، ويعقوب بن حميد ليس بشيء.

قال العراقي: أما محمد بن خالد المخزومي فلم أجد أحداً من الأئمة جرحه، وأما يعقوب فأورده ابن حبان في الثقات، ثم قال: والصحيح المعروف أن هذا من قول ابن مسعود. وهكذا ذكره البخاري في صحيحه تعليقاً موقوفاً عليه، ووصله الطبراني والبيهقي في الزهد من رواية الأعمش عن أبي ظبيان، عن علقمة، عن عبدالله قوله: قال البيهقي هذا هو الصحيح موقوف اهـ.

قال: المراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين معرفة أن المعصية ضارة والطاعة نافعة، ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل، فكان الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار، (**فلا بد من تعلم علم اليقين أعني أوائله**) وذلك في حق المبتدئ (**ثم ينفتح للعبد طريقه**) بالإمداد الباطني مع المجاهدة ومخالطة الكمل من العارفين، (**ولذلك قال ﷺ: «تعلموا اليقين»**) قال صاحب القوت: (**ومعناه جالسوا الموقنين**) أي المتصفين بعلم اليقين (**واسمعوا منهم علم اليقين**) لأنهم علماؤه إلى هنا نص القوت. زاد المصنف: (**وواظبوا على الاقتداء بهم**) أي بأفعالهم في حركاتهم وعند سكونهم (**ليقوى يقينكم كما قوي يقينهم**). قال العراقي: الحديث رواه أبو نعيم، عن ثور بن يزيد مرسلاً وهو معضل، وهو مروي من قول خالد بن معدان، ورويناه في كتاب اليقين لابن أبي الدنيا من رواية بقية، عن العباس بن الأخنس، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان. قال: «تعلموا اليقين كما تعلمون القرآن حتى تعرفوه فإني أتعلمه» والعباس بن الأخنس مجهول قاله الذهبي في الميزان. (**وقليل من اليقين خير من كثير من العمل**) لأن اليقين هو رأس المال وهو يصحح الأعمال، وما قلّ عمل برز من قلب مؤمن ولا كثر عمل برز من قلب غافل، وحسن الأعمال حسن نتائج الأحوال. وأخرج ابن عساكر في تاريخه، عن أبي الدرداء رفعه «قليل من التوفيق خير من كثير العمل» وهو قريب إلى سياق المصنف.

(**قال رسول الله ﷺ: لما قيل له**) ونص القوت. وقد روينا مسنداً قيل يا رسول الله (**رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال: «ما من**

ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين، فقال ﷺ: « ما من آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ». ولذلك قال ﷺ: « إن من أقل ما أوتيتم: اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل

آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كانت) وفي نسخة: من كان **(غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة »)**. هكذا أخرجه صاحب القوت بلا إسناد.

وقال العراقي: رواه الحكيم الترمذي في الأصل السادس بعد المائتين من نوادر الأصول قال: حدثنا مهدي هو ابن عباس، حدثنا الحسين هو ابن حازم، عن منصور، عن الرازي، عن أنس قال: قيل يا رسول الله: رجل يكون قليل العمل كثير الذنوب قال: « كل بني آدم خطاء فمن كانت له سجية عقل وغريزة يقين لم تضره ذنوبه شيئاً. قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: كلما أخطأ لم يلبث أن يتوب فتمحى ذنوبه ويبقى فضل يدخل به الجنة » وإسناده مجهول اهـ.

قلت: وأخرج الإمام أحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، والدارمي، والحاكم، والبيهقي كلهم عن أنس رفعه « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ». وهذا يصلح أن يكون شاهداً لبعض الحديث المذكور.

وفي القوت: جاء رجل إلى معاذ بن جبل فقال أخبرني عن رجلين أحدهما مجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب إلا أنه ضعيف اليقين يعتريه الشك في أموره، فقال معاذ: ليحبطن شكه أعماله. قال: فأخبرني عن رجل قليل العمل إلا أنه قوي اليقين وهو في ذلك كثير الذنوب، فسكت معاذ. وقال الرجل: والله لئن أحبط شك الأول أعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها. قال: فأخذ معاذ بيده وقام قائماً ثم قال: ما رأيت الذي هو أفقه من هذا اهـ.

فهذا وإن كان موقوفاً على معاذ شاهد جيد بمعناه لما أورده المصنف. **(ولذلك قال ﷺ: « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار »)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً في الأحاديث المرفوعة هكذا اهـ.

قلت: أورده صاحب القوت فقال: وروينا في حديث أبي أمامة عن رسول الله ﷺ: « ومن أقل ما أوتيتم » الخ. هكذا بزيادة الواو وهو يدل على أن هذا ليس بأول الحديث، ثم رأيته بعد أورده في شرح مقام الصبر فقال: روى شهر بن حوشب الأشعري، عن ابي أمامة الباهلي، عن النبي ﷺ قال: « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أُعطيَ حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب إليّ من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم، ولكن أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضاً

وصيام النهار ». وفي وصية لقمان لابنه: يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه، ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه، وقال يحي بن معاذ: إن للتوحيد نوراً وللشرك ناراً، وان نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين، وأراد به اليقين، وقد أشار الله تعالى في القرآن إلى ذكر الموقنين في مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات.

(فإن قلت): فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بدّ من فهمه أوّلاً ثم

وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ »[النحل: ٩٦] اهـ.

قال العراقي: وروى ابن عبد البر في كتاب العلم من حديث معاذ رفعه قال: « ما أنزل شيء أقل من اليقين ولا قسم أقل من الحلم ». ولا يصح إسناده. وقد روي نحوه مختصراً من قول بعض الأشياخ رويناه في كتاب اليقين لابن أبي الدنيا قال: أخبرنا إبراهيم بن سعيد، أخبرنا خالد بن خراش، أخبرنا بشير بن بكر، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن الأشياخ قال: « ما نوفل في الأرض شيء أقل من اليقين ولا قسّم بين الناس أقل من الحلم » هذا حديث مقطوع ضعيف اهـ.

(وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه، ولا يفتر عامل حتى ينقص يقينه). هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه قال: « ولا قصر عامل » بدل « ولا يفتر » والباقي سواء وزاد: وقد يكون يعمل العمل الضعيف إذا كان مستيقناً أفضل من العمل القوي الضعيف في يقينه ومن يضعف يقينه تغلبه المحقرات من الإثم.

(وقال يحي بن معاذ) الرازي: **(إن للتوحيد نوراً وللشرك ناراً وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين)**. أورده صاحب القوت هكذا بلفظ: وكان يحي بن معاذ يقول فساقه. زاد المصنف فقال: **(وأراد)** أي يحي بن معاذ بنور التوحيد **(اليقين)** دل على ذلك سياق صاحب القوت. هذا القول في هذا المبحث، **(وقد أشار القرآن)** المجيد **(إلى ذكر الموقنين في)** عدة **(مواضع دلّ بها على أن اليقين هو الرابطة)** والواسطة **(للخيرات)** العالية **(والسعادات)** الباقية فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ [الذاريات: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿الآيات لقوم يوقنون﴾ [البقرة: ١١٨] وكذلك في السنة وردت عدة أحاديث في رفع شأن أهل الإيقان فنبهت على أنهم من خلاصة أهل الإيمان.

(فإن قلت): أيها السائل قد ذكرت اليقين ورفعت من شأنه وذكرت أنه يقوى ويضعف **(فما معنى اليقين)** لغة واصطلاحاً، **(وما معنى قوّته وضعفه فلا بد من فهمه أولاً)** كما ينبغي، **(ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه، فإن ما لا تفهم صورته)** بمدرك الحس **(لا يمكن**

الاشتغال بطلبه وتعلمه فإن ما لا تفهم صورته لا يمكن طلبه؟ فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين. أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس إلى التصديق بالشيء له أربع مقامات.

الأول: أن يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك، كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله تعالى يعاقبه أم لا؟ وهو مجهول الحال عندك، فإن نفسك لا تميل إلى الحكم فيه بإثبات ولا نفي، بل يستوي عندك إمكان الأمرين فيسمى هذا شكاً.

طلبه)، فالجواب ما تراه وهو قوله: (**فاعلم أن اليقين لفظ مشترك**) أي وضع لمعنى كثير بوضع كثير، ومعنى الكثرة هنا ما يقابل الوحدة لا ما يقابل القلة (**يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين، أما النظار**) وهم أهل النظر في المعقولات (**والمتكلمون**) هم أهل الكلام (**فيعنون به عدم الشك**) فالشك نقيضه، وهذا هو مذهب أهل اللغة. قال الجوهري: اليقين العلم وزوال الشك يقال: يقنت الأمر بالكسر يقيناً واستيقنت وأيقنت وتيقنت كله بمعنى واحد. وفي القاموس: يقن كفرح يقناً ويحرك وأيقنه وتيقنه واستيقنه وبه علمه وتحققه، واليقين إزاحة الشك. وفي عبارات بعض اللغويين: اليقين العلم الذي لا يشك معه، وهذا الذي ذكرناه هو المشهور عند أصحابنا من أئمة اللغة وعباراتهم، وإن اختلفت فمآلها إلى ما ذكر بقي أن الجوهري وجماعة من المتقدمين قالوا: وربما عبروا عن الظن باليقين وباليقين عن الظن، واستدلوا بآيات وقول الشعراء، وهذا قد نورده لك إن شاء الله تعالى عند ذكر المصنف القسم الثاني منه قريباً المسمى بالظن، ثم قال: (**إذ ميل النفس إلى التصديق بالشيء له**) في الحقيقة (**أربع مقامات**) لا يتعدى العقل إلى غيرها.

(**الأول: أن يعتدل التصديق والتكذيب**) سواء (**ويعبر عنه بالشك**) ثم أتى له بمثال ليتضح فقال: (**كما إذا سئلت عن شخص معين أن الله يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك**) غير معلومه، (**فإن نفسك لا تميل فيه إلى الحكم بإثبات ونفي بل يستوي عندك إمكان الأمرين، فهذا يسمى**) عندهم (**شكاً**) وفي اللمع لأبي إسحاق الشيرازي: الشك تجويز أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر، كشك الإنسان في الغيم غير المشف أنه يكون منه المطر أم لا اهـ.

وقيل: هو الوقوف بين النقيضين من شك العود فيما ينفذ فيه لأنه يقف بذلك للشك بين جهتيه، وقيل: هو وقوف بين المعنى ونقيضه، وقيل: هو المتردد بين النقيضين لا ترجيح لأحدهما عند الشاك.

وقال الراغب في مفرداته: هو اعتدال النقيضين عند الانسان وتساويهما قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عنده في النقيضين أو لعدم الإمارة والشك، ربما كان في الشيء هل هو موجود أم لا، وربما كان في جنسه من أي جنس هو، وربما كان في صفة من صفاته، وربما كان في

الثاني: أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين مع الشعور بإمكان نقيضه ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الأول، كما إذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب؟ فإن نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب، وذلك لظهور علامات الصلاح. ومع هذا فأنت تجوّز اختفاء أمر موجب للعقاب في باطنه وسريرته، فهذا التجويز مساوٍ لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه، فهذه الحالة تسمى ظناً.

الغرض الذي لأجله وجد، ثم قال: والشك ضرب من الجهل وهو أخص منه لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأساً فكل شك جهل ولا عكس، والشك خرق الشيء وكأنه بحيث لا يجد الرأي مستقراً يثبت فيه ويعتمد عليه، ولذلك يعدى بفي ويجوز كونه مستعاراً من الشك وهو لصوق العضد بالجنب، وذلك أن يتلاصق النقيضان فلا مدخل للرأي والفهم لتخلل ما بينهما، ويشهد له قولهم: التبس الأمر واختلط وأشكل، ونحو ذلك من الاستعارات.

(**الثاني: أن تميل نفسك إلى أحد الأمرين**) إما التصديق وإما التكذيب (**مع الشعور**) أي العلم (**بإمكان**) وجود (**نقيضه**) أي رافعه، (**ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح**) الأمر (**الأول**) ومثاله: (**كما إذا سئلت عن**) حال (**رجل**) معين (**تعرفه بالصلاح والتقوى**) وغير ذلك من أعمال البر (**أنه بعينه لو مات على هذه الحالة**) التي أنت تعرفها فيه (**هل يعاقب**) أم لا؟ (**فإن نفسك تميل إلى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها إلى العقاب، وذلك لظهور علامات الصلاح**) وأماراته، (**ومع هذا فأنت تجوّز اختفاء أمر يوجب العقاب في باطنه وسريرته**) أي: تجعل ذلك جائزاً في نفسك لأن الإمارات إنما يستدل بها على الظواهر. (**وهذا التجويز مساوٍ لذلك الميل**) أي قد سيق له (**ولكنه غير دافع رجحانه**) على الطرف الثاني. (**فهذه الحالة تسمى ظناً**)، ومثله صاحب اللمع بقوله: كظن الإنسان في الغيم المشف الثخين أنه سيجيء منه المطر، وأن جوزانه ينقشع من غير مطر، وكاعتقاد المجتهدين فيما يفتون به من مسائل الخلاف، وإن جوز أن يكون الأمر بخلاف ذلك وغير ذلك مما لا يقطع به اهـ.

وقال السمين: الظن ترجيح أحد الطرفين نفياً وإثباتاً وقد يعبر به عن اليقين والعلم، كما يعبر بالعلم عنه مجازاً. وقال غيره: الظن الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ويستعمل في اليقين والشك. وقال الراغب: الظن ما يحصل عن أمارة فإذا قويت أدت إلى العلم، ومتى ضعفت لم تتجاوز حد الوهم. وقال بعضهم: إنما جاز استعمال كل من الظن والعلم في موضع الآخر لعلاقة أن كلاً منهما فيه رجحان أحد الطرفين، إما جزماً وهو العلم، أو وهماً وهو الظن، فمن استعمال العلم بمعنى الظن قوله تعالى: ﴿فإن علمتموهنَّ مؤمناتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠] ليس الوقوف على الاعتقادات يقيناً، ومن استعمال العكس قوله: ﴿الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم﴾ [البقرة: ٤٦] أي يتيقنون إذ لا يناسب حالهم وصفهم بظن ذلك حقيقة، ولو شكوا في ذلك لم يكونوا موقنين فضلاً عن

الثالث: أن تميل النفس إلى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره، ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله، ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والاصغاء إلى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز، وهذا يسمى اعتقاداً مقارباً لليقين وهو اعتقاد العوام في الشرعيات كلها إذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع، حتى أن كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة أمامها

أن يمدحوا بهذا المدح، وكذا قوله تعالى: ﴿قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله﴾ [البقرة: ٢٤٩] الآية وكذا قوله تعالى: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنَّهم مواقعوها﴾ [الكهف: ٥٣] واستدل الجوهري بقول أبي سدرة الهجيمي:

تحسب هواس وأيقن أنني بها مفتد من واحد لا أغامره

يقول: تشمم الأسد ناقتي يظن أني أفتدي بها منه واستحمي نفسي فاتركها له، ولا أقتحم المهالك بمقاتلته. واستدل غيره بقول دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد

أي أيقنوا: بهذا العدد، فإن المقام يقتضي ذلك وأبى ذلك طائفة وقالوا: لا يكون اليقين إلا للعلم، وأما الظن فمنهم من وافق على أنه يكون بمعنى العلم، ومنهم من قال لا يكون الظن في موضع اليقين، وأجابوا عما احتج به من جوّز ذلك بأن قالوا: هذه المواضع التي زعمتم أن الظن وقع فيها موضع اليقين كلها على بابها فإنا لم نجد ذلك إلا في علم بمغيب، ولم نجدهم يقولون لمن رأى الشيء ولا لمن ذاقه أظنه، وإنما يقال لغائب: قد عرف بالظن والعلم، فإذا صار إلى المشاهدة امتنع إطلاق الظن عليه. قالوا: وبين العيان والخبر مرتبة متوسطة باعتبارها أوقع على العلم بالغائب الظن لفقد الحال التي تحصل المدركة بالمشاهدة، وعلى هذا خرجت سائر الأدلة التي ذكرت، وفي إبداء الجواب عن كل آية تقدمت وتقريراتها طول يخرجنا عن المقصود، ولذا وقع الاكتفاء بما ذكرت.

(**الثالث: أن تميل النفس إلى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها**) أي ذلك التصديق على النفس ويغمرها (**ولا يخطر بالبال غيره**) أي غير ذلك المعنى الذي حصل للنفس، وفي نسخة: نقيضه بدل غيره (**ولو**) فرض أنه (**خطر بالبال**) نقيضه (**تأبى**) أي تمتنع (**النفس عن قبوله، ولكن ليس ذلك مع معرفة تحقيق**) وفي نسخة: عن معرفة محققة (**إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل و**) أعار إذن فهمه إلى (**الإصغاء إلى التشكيك والتجويز**) وهما المقامان الأولان (**اتسعت نفسه للتجويز**) أي: مالت إليه وانشرحت له (**وهذا يسمى اعتقاداً مقارباً لليقين**) لأنه قد عقد قلبه عليه وأثبته في نفسه (**وهو اعتقاد العوام**) من الأمة (**في الشرعيات كلها إذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع**) من أفواه الشيوخ، (**حتى أن كل فرقة**) من فرق المذاهب على كثرتها (**يثق بصحة مذهبه**) ويعتمد عليه (**وإصابة

ومتبوعها، ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نفر عن قبوله.

الرابع: المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك فيه ولا يتصوّر الشك فيه، فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقيناً عند هؤلاء، ومثاله أنه إذا قيل للعاقل: هل في الوجود شيء هو قديم؟ فلا يمكنه التصديق به بالبديهة، لأن القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر، فإنه يصدق بوجودهما بالحس، وليس العلم بوجود شيء قديم أولياً ضرورياً مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، بل مثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال، فإن هذا أيضاً ضروري فحق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة، ثم من الناس من يسمع ذلك ويصدق بالسماع تصديقاً جزماً ويستمر عليه، وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام. ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له: إن لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة، فإن كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب أو فيها حادث

إمامه) الذي قلده (و) إصابة **(متبوعه وإذا ذكر له)** وفي نسخة: لأحدهم **(إمكان خطأ إمامة نفر عن قبوله)** واستبعده إلى الغاية.

(الرابع: المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان) والاستدلال **(الذي لا شك فيه)** في حدّ ذاته **(ولا يتصور الشك فيه)** وفي نسخة: التكشيك بدل الشك، **(فإذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقيناً عند هؤلاء)** أي النظار والمتكلمين. **(ومثاله إذا قيل للعاقل: هل في الوجود شيء هو قديم؟ فلا يمكنه)** إذاً **(التصديق به)** أي بهذا القول **(بالبديهة)** والارتجال **(لأن القديم غير محسوس)** بالأبصار **(لا كالشمس والقمر)** وغيرهما من الكواكب، **(فإنه يصدق بوجودهما بالحسّ)** والمشاهدة، **(وليس العلم بوجود شيء قديم أولياً ضرورياً)** وفي نسخة: أزلياً ضرورياً أي: ليس العلم به يدرك بأول وهلة من غير برهان **(مثل العلم بأن الاثنين أكثر من الواحد)** فإنه ضروري لا محالة، **(بل مثل العلم بأن حدوث حادث بلا سبب محال فإن هذا أيضاً ضروري)** لا يحتاج إلى النظر فيه. وفي نسخة: ومثل العلم بدل بل مثل العلم **(فمن غريزة العقل أن يتوقف عن)** قبول **(التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة)** ويتطلع إلى النظر في البرهان، **(ثم من الناس من يسمع ذلك)** من الأفواه والكتب **(ويصدق بالسماع تصديقاً جزماً)** قاطعاً عن الشبهات **(ويستمر عليه، وذلك هو الاعتقاد)** كأنه عقد قلبه عليه ولم يمل إلى سواه. **(وهو حال جميع العوام)** من الأمة. **(ومن الناس من يصدق به بالبرهان)** والنظر فيه **(وهو أن يقال له: إن لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة)**الا محالة **(وإن كانت كلها حادثة فهي)** كلها **(حادثة بلا سبب أوفيها حادث بلا سبب وذلك)** أي حدوث الكل أو البعض بلا سبب

بلا سبب، وذلك محال، فالمؤدي إلى المحال محال، فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة، لأن الاقسام ثلاثة: وهي أن تكون الموجودات كلها اما قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة، فإن كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم، وإن كان الكل حادثاً فهو محال إذ يؤدي إلى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول. وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقيناً عند هؤلاء سواء حصل بنظر مثل ما ذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب، أو بتواتر كالعلم بوجود مكة أو بتجربة كالعلم بأن السقمونيا المطبوخ مسهل. أو بدليل كما ذكرنا، فشرط إطلاق هذا الإسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقيناً عند هؤلاء، وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لا تفاوت في نفي الشك.

(**محال فالمؤدي إلى المحال محال، فيلزم في العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة**) نظراً إلى ما ذكر، (**لأن الأقسام ثلاثة: وهو**) إما (**أن تكون الموجودات كلها قديمة، أو**) تكون (**كلها حادثة أو بعضها قديمة وبعضها حادثة، فإن كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم**) لأن السؤال إنما كان عن شيء هو قديم في الوجود، (**وإن كان الكل حادثاً**) وهو الشق الثاني (**فهو محال إذ يؤدي إلى حدوث بغير سبب**) وما يؤدي الى المحال محال، (**فثبت القسم الثالث**) وهو أن بعضها قديمة وبعضها حادثة، (**أو**) القسم (**الأول**) الذي يفهم منه ثبوت القديم في الجملة، (**وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقيناً**) عند هؤلاء (**سواء حصل**) ذلك العلم (**بنظر**) واستدلال (**مثل ما ذكرناه أو حصل بحس**) كالعلم بالشمس والقمر مثلاً (**أو بغريزة العقل**) وسجيته (**كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو**) حصل (**بتواتر**) وتتابع (**كالعلم بوجود مكة**) مثلاً، (**أو**) حصل (**بتجربة**) صحيحة (**كالعلم بأن السقمونيا المطبوخ**) هو كل دواء طبخ لقصد الإسهال (**مسهل**). ولو قال السقمونيا بدل المطبوخ كان أظهر (**أو**) صح (**بدليل**) وبرهان (**كما ذكرنا**) آنفاً، (**فشرط إطلاق الاسم عندهم عدم**) وجود (**الشك**) فيه بأي وجه كان، (**فكل علم لا شك فيه يسمى يقيناً عند هؤلاء**)، ولذا عرفوه بأنه اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابق للواقع غير ممكن للزوال، فالقيد الأول جنس يشمل الظن، والثاني يخرجه، والثالث يخرج الجهل المركب، والرابع يخرج اعتقاد المقلد المصيب. (**وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف**) والنقص والفتور والقلة (**إذ لا تفاوت في نفي الشك**) وقسم صاحب القوت مقامات اليقين إلى ثلاثة، فقال بعد أن ذكر المقامين. والمقام الثالث من اليقين هو يقين ظن يقوى بدلائل العلم والخبر وأقوال العلماء، ويجد هؤلاء المزيد من الله عز وجل والنصيب منه لهم ويضعف بفقد الأدلة وصمت القائلين، وهذا يقين الاستدلال وعلوم هذا في المعقول وهو يقين المتكلمين من علوم المسلمين من أهل الرأي وعلوم القياس والعقل والنظر اهـ.

(الاصطلاح الثاني) : اصطلاح الفقهاء والمتصوّفة وأكثر العلماء ، وهو أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك ، بل إلى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال : فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لا شك فيه ، ويقال : فلان قوي اليقين في إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه ، فمهما مالت النفس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف في النفس بالتجويز والمنع سمي ذلك يقيناً ، ولا شك في أن الناس مشتركون في القطع بالموت والانفكاك عن الشك

وهذا السياق ظاهره دال على قبوله الضعف والقوة على رأي المتكلمين أيضاً ، ولكن ما حرره المصنف هو الأقوى فتأمل.

(الاصطلاح الثاني) في اليقين **(للفقهاء)** عامة **(والمتصوّفة وأكثر العلماء)** رحمهم الله تعالى ، **(وهو)** أي اليقين **(أن لا يلتفت فيه إلى اعتبار التجويز والشك)** المتقدم ذكرهما ، **(بل إلى استيلائه وغلبته على القلب)** حتى يغمره على سائر جهاته **(حتى يقال : فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لا يشك فيه)** بأنه واقع لا محالة ، **(ويقال : فلان قوي اليقين)** مع الله **(في إتيان الرزق)** وحصوله **(مع أنه قد يجوز) في نفسه (أنه لا يأتيه فمهما مالت النفس إلى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى)** عليه **(حتى صار هو المتحكم المتصرف في النفس بالتجوز والمنع)** كما هو شأن المستولي **(سمي ذلك يقيناً)** . وقد أشارت إلى ذلك المعنى عباراتهم ، فقال سيد الطائفة الجنيد : هو استقرار العلم الذي لا يتقلب ولا يتحول ولا يتغير في القلب ، وقال سهل : حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله ، وقال غيره : من علامات اليقين الالتفات إلى الله في كل نازلة والرجوع إليه في كل أمر والاستعانة به في كل حال وإرادة وجهه بكل حركة وسكون. وقال القشيري ، قال الجنيد : سئل بعض العلماء عن التوحيد ، فقال : هو اليقين ، فقال السائل : بيّن لي ما هو ؟ فقال : هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم فعل الله تعالى وحده لا شريك له ، فإذا عرفت ذلك فقد وجدته. قال شارح الرسالة : أجاب أولاً بأنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له ، فلما لم يفهم نزل له قليلاً نزل إلى الأفعال خاصة وكلمه على حسب فهمه وخاطبه بالأفعال دون الذات والصفات اهـ.

وقال السري : اليقين سكونك عند جولان المراد في صدرك لتيقنك أن حركتك فيها لا تنفعك ولا ترد عنك مقضياً. قال ابن القيم عند ذكره لقول السري : هذا إذا لم تكن الحركة مأموراً بها ، فإذا كانت مأموراً بها فاليقين في بذل الجهد فيها واستفراغ الوسع ، وقال بعضهم : هو رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة والبرهان ، وقيل : مشاهدة الغيوب بصفات القلوب وملاحظة الأسرار بمخالطة الإذكار. وقيل : إذا استكمل المرء حقيقة اليقين صار البلاء عنده نعمة والمحنة منحة. وقال تعالى : ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ [التغابن : ١١] قال ابن مسعود : هو العبد تصيبه المصيبة فيعلم أنها من الله فيرضى ويسلم ، فهذا لم

فيه، ولكن فيهم من لا يلتفت إليه ولا إلى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعاً لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوّة اليقين، ولذلك قال بعضهم: ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت، وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف

يحصل له هداية القلب والرضا والتسليم إلا بيقينه. **(ولا شك في أن الناس مشتركون في القطع بالموت)** بأنه حق وواقع **(والانفكاك عن الشك فيه، ولكن فيهم من يلتفت إليه وإلى الاستعداد له)** أي لنزوله **(وكأنه غير مؤمن به)** أي غير مصدق به، وهم المنهمكون على لذات الدنيا والمؤثرون بشهواتها على لذات الآخرة، **(ومنهم من استولى ذلك)** أي ذكره **(على قلبه حتى استغرق همه)** وتوجهت عنايته **(بالاستعداد له)** بأنواع الطاعات **(ولم يغادر)** أي لم يترك **(فيه متسعاً لغيره)** كما هو معلوم من سيرة فضلاء الصحابة وأكابر التابعين، ومن بعدهم طبقة بعد طبقة وجيلاً بعد جيل يعلم ذلك من شاهد سيرتهم وسير مناقبهم المسطرة في الكتب، **(فيعبر عن مثل هذه الحالة اليقين)** ومن تعداهم متصف بضعف اليقين. **(ولذلك قال بعضهم)** أي من العلماء العارفين: **(ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت)**، وهذا القول مشهور عن المصنف نسبه إليه غير واحد من العلماء. قال ملاّ علي في شرحه على الشمائل، قال الغزالي: ما رأيت يقيناً أشبه بالشك من الموت، والصحيح أن المصنف ناقل لهذا القول وليس أبا عذره. وقد فسر غالب المفسرين قوله تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ [الحجر: ٩٩] بالموت وهو معنى صحيح ذكره أئمة اللغة، ومال كثيرون إلى أنه إطلاق حقيقي وصوّب بعضهم أنه مجازي من تسمية الشيء بما يتعلق به حققه شيخنا في حاشية القاموس. وهذا التفسير الذي ذكرناه متفق عليه عند المفسرين خلافاً للزنادقة، فإنهم قالوا: إن العبد إذا وصل إلى مقام حقيقته ارتفعت عنه العبادة، وهذا تلبيس وافتراء منهم على أهل الله العارفين، ثم أن المراد بمفاد الآية الكريمة أن دُم على طاعة ربك كما حققه غير واحد **(وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة)**.

وقال صاحب القوت: واليقين على ثلاث مقامات: يقين معاينة وهذا لا يختلف خبره والعالم به خبير وهو للصديقين والشهداء، ويقين تصديق واستسلام وهذا في الخبر والعالم به مخبر مستسلم وهذا يقين المؤمنين وهم الأبرار منهم الصالحون ومنهم دون ذلك لقوله عز وجل: ﴿وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً﴾ [الأحزاب: ٢٢] وقد يضعف هؤلاء بعدم الأسباب ونقصان المعتاد ويقرون بوجودها وجريان العادة ويحجبون بنظرهم إلى الوسائط ويكاشفون بها، ويجعل مزيدهم وأنسهم بالخلق، ويكون نقصهم ووحشتهم بفقدهم، ويكون من هؤلاء الاختلاف لتلوين الأشياء وتغييرها عليهم، ثم ذكر المقام الثالث الذي قدمنا ذكره آنفاً، ثم قال بعد ذلك: وكل مؤمن بالله عز وجل فهو على علم من التوحيد والمعرف به، ولكن علمه ومعرفته على قدر يقينه ويقينه من نحو صفاء إيمانه وقوته وإيمانه على معنى معاملته ورعايته، فأعلى العلوم علم المشاهدة عن عين

....

اليقين، وهذا مخصوص بالمقربين في مقامات قربهم ومحادثات مجالستهم ومأوى أنسهم ولطيف تملقهم، وأدنى العلوم علم التسليم والقبول بعدم الإنكار وفقد السكون، وهذا لعموم المؤمنين وهو من علم الإيمان ومزيد التصديق، وهذا لأصحاب اليمين. وبين هذين مقامات لطيفات من أعلى طبقات المقربين إلى أوسط المقامات، ومن أدنى طبقات أصحاب اليمين إلى أعالي أواسط الأعلين اهـ سياق القوت.

وهنا فوائد يحتاج إلى التنبيه عليها وهو الفرق بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وما للقوم فيه من العبارات. قال القشيري في رسالته: هذه عبارات عن علوم جلية، فاليقين هو العلم الذي لا يتداخل صاحبه ريب على مطلق العرف، فعلم اليقين هو اليقين، وكذلك عين اليقين نفس اليقين وحق اليقين نفس اليقين، فعلم اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان، وعين اليقين ما كان بحكم البيان، وحق اليقين ما كان بنعت العيان، فعلم اليقين لأرباب العقول، وعين اليقين لأصحاب العلوم، وحق اليقين لأصحاب المعارف، قال شارحها: اليقين عند أهل اللغة توالي العلم بالمعلوم حتى لا يكاد يغفل عنه. يقال: أيقن الماء إذا صفا من كدورته وما يخالطه مما ينجر مع الماء، فإذا استقر في مفيضه واستقر قراره وصفاً يقال أيقن الماء، فتبين من هذا أن العلم في اصطلاح يباين اليقين، وذلك أن الشخص قد يعلم مرة واحدة فلا يسمونه موقناً إلا إذا توالى ولم يتخلله غفلة، فإذا تقرر ذلك قلنا فعلم اليقين ما كان العلم به ثابتاً عن البرهان، فسمي علم يقين لتحقيق كونه علماً لأنه قد يسمى الظن علماً للسكون إلى أحد المحتملين، فإذا قالوا: علم اليقين أرادوا العلم المتيقن الذي لا يقبل الاحتمال، ولذلك كان بشرط البرهان، وعين اليقين حصول العلم وتوالي أمثاله من غير نظر في دليل، بل صار العلم مذكوراً وقلّت الغفلات في تواليه على القلب، فلم يحتج صاحبه إلى تأمل برهان وحق اليقين هو حصول اليقين بالمعلوم الذي صار غالباً على القلب حتى لا يبقى لغيره ذكره منه، وبهذا الاعتبار سموه حق اليقين لثبوت الحقيقة لمن تحقق به، فحاصل ما ذكر أن علم اليقين إشارة للعلم الحق الذي لا يقبل الاحتمال وأن لم يتوال على القلب وعين اليقين هو المتوالي على القلب ذكره، حتى قلت غفلات المتصف به عنه وإن كان قد يذكر غيره، وحق اليقين هو الذي غلب ذكر معلومه على القلب حتى شغل عن غيره وثبتت حقيقته فيمن تحقق به. وهذه الاصطلاحات الثلاثة في مراتب العلم الحق، وإنما اختلفت في دوامها وعدم دوامها وفي غلبتها على القلب حتى شغلته عن ذكر غيره اهـ

وفي عبارات بعضهم علم اليقين ما أعطاه الدليل بتصور الأمر على ما هو عليه، وعين اليقين ما أعطته المشاهدة والكشف، وحق اليقين ما حصل من العلم بما أريد له ذلك الشهود. وقال غيره: حق اليقين فناء العبد في الحق والبقاء به علماً وشهوداً فعلم كل عاقل بالموت علم يقين، فاذا عاين الملائكة فعين يقين، فاذا فارق الروح فهو حق اليقين. وقال صاحب القوت: المعرفة على مقامين معرفة سمع ومعرفة عيان، فمعرفة السمع في الأسلام وهو أنهم سمعوا به فعرفوه وهذا هو

والقوّة، ونحن إنما أردنا بقولنا: « إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين » بالمعنيين جميعاً وهو نفي الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها المتصرف فيها، فإذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا: أن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام: بالقوّة والضعف، والكثرة والقلة، والخفاء والجلاء، فأما بالقوّة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب، ودرجات معاني اليقين في القوّة والضعف لا تتناهى، وتفاوت الخلق في الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني، وأما التفاوت بالخفاء والجلاء في الاصطلاح

التصديق من الايمان، ومعرفة العيان في المشاهدة وهو عين اليقين، والمشاهدة أيضاً على مقامين مشاهدة الاستدلال ومشاهدة الدليل، فمشاهدة الاستدلال قبل المعرفة وهذه معرفة الخبر وهو في السمع لسانها القول والواجد بها بعلم اليقين من قوله تعالى: ﴿بنبأ يقين★ إني وجدتُّ﴾ [النمل: ٢٢ ؛ ٢٣] فهذا العلم قبل الوجد وهو علم السمع، وقد يكون سببه التعليم، ومنه الحديث: « تعلموا اليقين » أي جالسوهم فاسمعوا منهم. وأما مشاهدة الدليل فهي بعد المعرفة التي هي العيان وهو اليقين لسانه الوجد، والواجد بها واجد قرب وبعد هذا الوجد علم من عين اليقين، وهذا يتولاه الله تعالى بنوره عن يده بقدرته. ومنه الحديث « فوجدت بردها فعلمت » فهذا التعليم بعد الوجد من عين اليقين باليقين، وهذا من أعمال القلوب وهؤلاء علماء الآخرة وأهل الملكوت وأرباب القلوب، وهم المقربون من أصحاب اليمين، وعلم الظاهر من علم الملك وهو من أعمال اللسان والعلماء به موصوفون بالدنيا وصالحوهم أصحاب اليمين اهـ.

وهذا كله الذي ذكرناه لك كالمقدمة لما سيأتي في سياق المصنف بعد. قال: **(ونحن أردنا بقولنا « إن من شأن علماء الآخرة صرف العناية إلى تقوية اليقين » باقسام في المعنيين جميعاً وهو نفي الشك)** والريب والتردد عن القلب أولاً وهو أول المعنيين **(ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب)** المستولي عليه **(وهو المتصرف)** والمتحكم فيه دون غيره، فلا يصدر منه إلا بشاهد منه ولا يعرض له شيء إلا وهو دافعه عنه، **(وإذا فهمت هذا)** القدر **(علمت أن المراد من قولنا إذا قلنا أن اليقين ينقسم)** باعتبار ما يعتريه **(إلى ثلاثة أقسام: بالقوّة والضعف)** هذا هو القسم الأوّل، **(والقلة والكثرة)** وهو القسم الثاني، **(والخفاء والجلاء)** وهو القسم الثالث، **(فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني)** وهو اصطلاح الفقهاء والصوفية، **(وذلك في الغلبة والاستيلاء على القلب)** حتى يغمره، **(ودرجات اليقين في القوة والضعف لا تتناهى)** باختلاف الأسباب والمعتاد، **(وتفاوت الخلق في إستعدادهم للموت)** بالقوة والضعف **(بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني)** على ما تقدم ذكره، **(وأما التفاوت)** فيه **(بالخفاء والجلاء فلا ينكر أيضاً)** فقد يكون خفياً بحجاب صاحبه والالتفات إلى الانس بالخلق، وقد يكون جلياً بزوال ذلك عنه **(أما فيما يتطرق**

الأول فلا ينكر أيضاً، أما فيما يتطرق إليه التجويز فلا ينكر - أعني الاصطلاح الثاني - وفيما انتفى الشك أيضاً عنه لا سبيل إلى انكاره فإنك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلاً، وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع انك لا تشك في الأمرين جميعاً إذ مستندهما جميعاً التواتر، ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك من الثاني، لأن السبب في أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين، وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات المعروفة بالأدلة، فإنه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح له بالأدلة الكثيرة مع تساويهما في نفي الشك، وهذا قد ينكره المتكلم الذي يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال. وأما القلة والكثرة؛ فذلك بكثرة متعلقات اليقين، كما يقال: فلان أكثر علماً من فلان، أي معلوماته أكثر. ولذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوى اليقين في بعضه.

إليه التجويز) وهو المقام الثاني من الاصطلاح الاوّل **(فلا ينكر أعني الاصطلاح الثاني)** للصوفية **(وفيما انتفى الشك عنه)** وهو المقام الثالث من الاصطلاح الاوّل **(أيضاً لا سبيل إلى انكاره فإنك تدرك)** في نفسك **(تفرقة بين تصديقك بوجود مكة)** شرفها الله تعالى **(ووجود فدك مثلاً)** وهي قرية من قرى خيبر، **(وبين تصديقك بوجود موسى صلى الله)** على نبينا و**(عليه وسلم ووجود يوشع)** فتاه عليه السلام **(مع أنك لا تشك في الأمرين جميعاً)** أي في مكة وفدك، وموسى ويوشع عليهما السلام **(إذ مستندهما)** واحد وهو **(التواتر)** أي تتابع الأخبار، **(ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح في قلبك من الثاني)** ضرورة **(لأن السبب في أحدهما أقوى)** من الثاني **(وهو كثرة المخبرين)** عن مكة وموسى **(وكذلك يدرك الناظر هذا في النظريات)** التي هي **(المعلومة بالأدلة)** أي بالنظر فيها، **(فإنه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد)** فقط **(كوضوح ما لاح له بأدلة كثيرة مع تساويهما في نفي الشك، وهذا)** ظاهر لاغبار عليه ولكن **(قد ينكره المتكلم الذي يأخذ العلم من الكتب والسماع)** ويدفعه في تقريره **(ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال)** ولو راجع نفسه لسلم. **(وأما القلة والكثرة؛ فذلك)** لا ينكر أيضاً لأنه يكون **(بكثرة متعلقات اليقين)** وبقلتها ومتعلقاته يأتي بيانها قريباً فقد يعرض لصاحبه التلون بالاختلاف فيكون سبباً لقلته وقد يقوى في المتعلقات فيكون أكثر، **(كما يقال: فلان)** اعلم أي **(أكثر علماً من فلان أي معلوماته أكثر)** فكذلك متعلقات اليقين كلما زادت اتصف صاحبه بالأكثرية، **(فلذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به)** من الأوامر والمنهيات، وقد يكون ضعيف اليقين في جميعه، **(وقد يكون اليقين في بعضه)** ضعيفه في بعضه.

(**فإن قلت**) : قد فهمت اليقين وقوّته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاء بمعنى نفي الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب ، فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه ، وفيما ذا يطلب اليقين فإني ما لم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه ؟ فاعلم أن جميع ما ورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله إلى آخره هو من مجاري اليقين ، فإن اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في إحصائها ، ولكني أشير إلى بعضها وهي أمهاتها .

فمن ذلك التوحيد ؛ وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت إلى الوسائط ، بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا موقن ، فإن انتفى عن قلبه مع الإيمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين ، فإن غلب على قلبه مع الإيمان غلبة أزالت عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ، ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع ، فإنه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما ،

(**فإن قلت: فقد فهمت اليقين**) وأقسامه الثلاثة (**و**)هي (**قوّته وضعفه وكثرته وقلته وجلاؤه وخفاؤه**) وما اصطلحوا عليه في اطلاقاتهم (**بمعنى نفي الشك**) والتردد (**وبمعنى الاستيلاء على القلب**) ، وقد ذكرت في بيان قسمه الثالث أن قلته وكثرته بالنظر إلى المتعلقات (**فما متعلقات اليقين ومجاريه وفي ماذا يطلب اليقين فإني ما لم أعرف**) وفي نسخة: متى لم أعرف (**ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه**) والجهد في تحصيله؟ (**فاعلم أن جميع ما ورد به الانبياء عليهم**) الصلاة و(**السلام**) في شرائعهم (**من أوّله إلى آخره**) من الأوامر والنواهي (**هو من مجاري اليقين**) ومتعلقاته ، (**فإن اليقين عبارة عن معرفة مخصوصة**)وهو الذي لا يتداخل صاحبه ريب ولا يقبل الأحتمال (**ومتعلقة المعلومات التي وردت بها الشرائع**) على كثرتها (**فلا مطمع في إحصائها**) في الصحائف على حسب الاستقراء ، (**ولكن أشير إلى بعض أمهاتها**) أي أصولها .

(**فمن ذلك التوحيد**) وهو من أمهات الشرائع التي اتفقت فيها الملل ، (**وهو**) أي اليقين فيه (**أن يرى الأشياء كلها من**)الله تعالى وحده لا شريك له (**مسبب الأسباب**) أي جاعل الأسباب سبباً (**و**) من علامة هذه الرؤية أن (**لا يلتفت إلى الوسائط**) الظاهرة ، (**بل يرى الوساطة مسخرة**) مذللة (**لا حكم لها**) في الحقيقة وإليه يشير كلام الجنيد وغيره من العارفين فيما تقدم (**فالمصدق بها موقن**) أي متصف بصفة اليقين ، (**فإن انتفى من قلبه مع الايمان إمكان الشك**) والتردد (**فهو موقن باحد المعنيين**) المتقدم ذكرهما ، (**وأن غلب**) ذلك (**على قلبه غلبة**) قوية بحيث (**أزال منه الغضب على الوسائط**) إذا تأخرت عن التسخير (**والرضا عنهم والشكر لهم**) إذا جرت على خدمته ، (**ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم**) للكتاب (**و**) منزلة (**اليد في حق المنعم بالتوقيع**) وهو أثر الكتابة في الكتاب ، (**فإنه لا**

بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقناً بالمعنى الثاني، وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته، ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بأمره حسب تسخير القلم في يد الكاتب، وان القدرة الأزلية هي المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم، وصار موقناً بريئاً من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق، فهذا أحد أبواب اليقين.

ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق في قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود: ٦] واليقين بان ذلك يأتيه وإن ما قدر له سيساق إليه، ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملاً في الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على ما فاته، وأثمر هذا اليقين أيضاً جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة.

ومن ذلك: أن يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال

يشكر القلم ولا اليد) ان أحسن إليه بسببها **(ولا يغضب عليها)** إن لم يحسن إليه، **(بل يراهما آلتين وواسطتين)** فإذا انصبغ بهذا المقام **(فقد صار موقناً بالمعنى الثاني)** من المعنيين. **(وهذا)** المقام **(هو الاشرف)** في مقامات اليقين **(وهو ثمرة اليقين الأول)** وخلاصته **(وروحه وفائدته)** وقوامه، **(ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم و)** كذلك **(الجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق)** لله تعالى **(فهي مسخرات)** مذللات **(بأمره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وأن القدرة الأزلية هي المصدر للكل)** منها بدت وإليها تعود **(استولى عليه)** نور مقامات اليقين **(التوكل والرضا والتسليم)**، وهذه الثلاثة من مقامات اليقين التسعة على ما يأتي بيانها في مواضعها، **(وصار يأمن الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق)** وغيرهما من الاخلاق المذمومة. **(فهذا أحد أبواب اليقين.**

ومن ذلك الثقة) أي الوثوق **(فضمان الله سبحانه وتعالى بالرزق)** أي أنه ضامن وكفيل بايصال الرزق إليه **(في قوله تعالى: ﴿وما مِن دابَّة في الأرض إلاَّ على الله رزقُها﴾ [هود: ٦] فيتحقق أنه دابة من جملة الدواب بالمعنى اللغوي، (واليقين)** فيه **(بأن ذلك يأتيه)** ألبتة **(وأن ما قدر له)** في الأزل **(يساق إليه ومهما غلب ذلك على قلبه)** واستولاه **(كان مجملاً في الطلب)** أي كان طلبه في الرزق بطريق جميل، ومنه الحديث «فأجلوا في الطلب» **(ولم يشتد حرصه وشرهه)** وهو أشد الطمع **(وتأسفه)** أي تحزنه **(على ما فاته)** من رزق معلوم، **(وأثمر هذا اليقين أيضاً جملة من الطاعات)** والعبادات **(والأخلاق الحميدة)** والأوصاف الزكية.

(ومن ذلك) أي من ثمرات اليقين **(أن يغلب على قلبه أن ﴿من يعمل مِثقالَ ذرةٍ خيراً يره* ومن يعمل مِثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة: ٧؛ ٨] وهو اليقين بالثواب**

ذرة شراً يره، وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشبع، ونسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك، فكما يحرص على التحصيل للخبز طلباً للشبع فيحفظ قليله وكثيره، فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها، وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها، فكذلك يجتنب المعاصي قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها، فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين، أما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون، وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والتحرز عن كل السيئات، وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ.

ومن ذلك اليقين: بأن الله تعالى مطلع عليك في كل حال، ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك، فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأول وهو عدم الشك، وأما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون، وثمرته أن

والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات إلى الثواب كنسبة الخبز إلى الشبع ونسبة المعاصي إلى العقاب كنسبة السموم والأفاعي إلى الهلاك)، فأنه يتسبب منها ذلك، (**وكما يحرص**) ويدأب (**على تحصيل الخبز طالب الشبع فيحفظ قليله وكثيره**) بمباشرة أنواع الأسباب، (**فكذلك**) ينبغي أن (**يحرص على الطاعات قليلها وكثيرها**) فإنها متسببة له إلى حصول الثواب، (**وكما يتجنب قليل السم وكثيره، فكذلك يتجنب قليل المعاصي وكثيرهاوصغيرها وكبيرها**) فإنها سميات، (**واليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين**) وهم الأبرار منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، (**أما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون**) من أصحاب اليمين وهؤلاء هم علماء الآخرة وأهل الملكوت وأرباب القلوب، (**وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة**) أي الصدق في المراقبة مع الله تعالى (**في**) كل من (**الحركات والسكنات والخطرات**) مما تخطر على القلب وهي الواردات (**والمبالغة في**) تحصيل (**التقوى**) بتوثيق عرى أسبابها (**و**) كمال (**الاحتراز**) والامتناع (**عن**) التحوّم حول حمى (**السيئآت**) والبعد عما يقرب إليها (**وكلما كان اليقين**) في ذلك (**أغلب كان الاحتراز**) مما ذكر (**أشد**) وأعظم (**والتشمر**) والتهيئة (**أبلغ**) وبين أغلب وأبلغ جناس.

(**ومن ذلك اليقين بأن الله**) عز وجل (**مطلع عليك في كل حال**) ومراقب (**مشاهد لهواجس ضميرك**) أي مما يخطر به من الواردات (**وخفايا خواطرك وفكرك**) مما ينتقش فيها من خير وشر، (**فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الأوّل وهو عدم الشك**) والتردد في ذلك، (**وأما بالمعنى الثاني وهو المقصود**) بالذات (**فهو عزيز**) الوجود، وإليه الاشارة في الحديث «أقل ما أوتيتم اليقين» (**يختص به الصدّيقون**) والشهداء ويسمى يقين معاينة والعالم

يكون الإنسان في خلوته متأدباً في جميع أحواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر إليه، فإنه لا يزال مطرقاً متأدباً في جميع أعماله متماسكاً محترزاً عن كل حركة تخالف هيئة الأدب، ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره، فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكالئة أشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس، وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق المحمودة، وهذه الأخلاق تورث أنواعاً من الطاعات رفيعة، فاليقين في كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة، وهذه الأخلاق في القلب مثل الأغصان المتفرعة منها،

به خبير كما تقدمت الاشارة إليه عن القوت، **(وثمرته أن يكون الانسان في)** حال **(خلوته)** أي اختلائه عن أعين الناس **(متأدباً في جميع أحواله)** بالآداب الشرعية **(كالجالس بمشهد)** أي بمحضر **(من ملك عظيم ينظر إليه)** ويرمق أحواله في حركاته وسكناته **(فلا يزال مطرقاً)** خافضاً بصره إلى الأرض **(متأدباً متمسكاً)** كذا في النسخ أي لبعضه، ولو كان بزيادة النون بعد الكاف ناسب السياق، وربما يؤيد ما في النسخ قوله بعد **(متحرزاً عن كل هيئة تخالف الأدب)**. ومن جملة الحركات التي تخالف هيئات الأدب إدارة البصر وتكريره إلى نحو السقف والحيطان والتلاعب بثيابه أو بملبوسه أو بشئ موضوع عنده، والجلوس متربعاً، وإلى غير القبلة وتمديد الرجل لغير علة والاتكاء لغير حاجة، والتغني بأبيات، وهذه وغيرها هيئات تخالف الأدب في الظاهر، وأما باطناً فاستعمال الفكر وتسريحه من موضع إلى موضع ووقوفه على محل الشهوة والتأمل في محاسن ما تميل نفسه إليه ونسيان الذكر والموت والقبر وما يؤول الحال إليه في الحشر والنشر، فهذه كلها مما يتعلق بالباطن، ولذلك قال: **(ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة)** أي: تكون أعماله الظاهرة مساوية لأعماله الباطنة في صدق الإخلاص والخضوع للمولى بحيث لا يميز أحدهما عن الآخر **(إذا تحقق)** وفي نسخة: إذ يتحقق **(أن الله تعالى مطلع على سريرته)** وباطنه **(كما يطلع الخلق على ظاهره)**، فاذا علم ذلك **(فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره)** من الأرجاس والأدناس **(والتزين لعين الله سبحانه الكالئة)** أي الحافظة له **(أشد مبالغة في تزين ظاهره لسائر الناس)**، ومتى وصل هذا المقام ذاق ثمرة الإحسان الذي ورد فيه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك وللسادة الصوفية في هذا المقام تقريرات شريفة كل منهم فيه قال وجال في المجال بحسب ما أفاض عليه المولى المتعال. **(وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق الحميدة)** والأوصاف الجميلة، **(وهذه الاخلاق)** إذا ثبت فيها وتمكن **(تورث أنواعاً من الطاعات رفيعة)** المقدار جليلة الاعتبار، **(فاليقين في كل باب من هذه الابواب)** المذكورة مثله **(مثل الشجرة)** العظيمة الكثيرة الغصون وهي المرتبة الأولى، **(وهذه**

وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالأنوار المتفرعة من الأغصان، فاليقين هو الأصل والأساس وله مجار وأبواب وأكثر مما عددناه، وسيأتي ذلك في ربع المنجيات إن شاء الله تعالى. وهذا القدر كاف في معنى اللفظ الآن.

ومنها: أن يكون حزيناً منكسراً مطرقاً صامتاً يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره مذكراً لله

الأخلاق في القلب مثل الأغصان المتفرعة منها) وهي المرتبة الثانية، **(وهذه الأعمال)** الصالحة **(والطاعات)** المقبولة **(الصادرة من الأخلاق كالثمار والأنوار المتفرعة من الأغصان)** وهي المرتبة الثالثة، **(فاليقين هو الأساس والأصل)**، والأعمال والأخلاق والأوصاف كلها من لواحقه ومنشآته. وقد تقدم عن القوت بيان مقامات الثلاثة وأنه قال بعد ذلك إذ كل موقن بالله فهو على علم من التوحيد والمعرفة به، ولكن عمله ومعرفته على قدر يقينه، ويقينه من نحو صفاء إيمانه على معنى معاملته ورعايته، فأعلى العلوم علم المشاهدة عن عين اليقين، وقال أيضاً: ومثل المشاهدة من المعرفة من اليقين من الايمان كمثل النشا من الدقيق من السويق من الحنطة والحنطة تجمع ذلك كله، كذلك الايمان أصل ذلك والمشاهدة أعلى فروعه كالحنطة أصل هذه المعاني والنشا أعلى فروعها، فهذه المقامات موجودة في أنوار الايمان يمدها علم اليقين، **(وله مجار وأبواب أكثر مما عددنا)** هنا. **(وسيأتي في ربع المنجيات إن شاء الله تعالى)** ونلم هناك على تحقيقات بحول الله وقوته. اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً فسهل يا كريم. **(وهذا القدر)** الذي ذكرناه **(كاف في تفهيم معنى اللفظ الآن)** لأنه إنما ذكره استطراداً.

(ومنها): أي ومن علامات علماء الآخرة **(أن يكون)** في نفسه في أكثر أحواله **(حزيناً)**. فقد أخرج أبو نعيم في الحلية من رواية جعفر بن سليمان، عن مالك بن دينار قال: إذا لم يكن في القلب حزن خرب كما إذا لم يكن في البيت ساكن خرب اهـ. **(منكسراً)** والانكسار من علامة الحزن **(مطرقاً)** أي جاعلاً رأسه ونظره إلى الأرض **(صامتاً)** أي ساكناً سكوت تفكر في عظمة الله وجلاله ولا يضره الكلام إذا احتاج إليه أو لضرورة خاصة. وأخرج أبو نعيم من رواية عمرو بن محمد بن أبي رزين قال: سمعت وهيباً يقول ان العبد ليصمت فيجتمع له لبه **(يظهر أثر الخشية)** والخوف **(على هيئته)** الظاهرة **(وكسوته)** بأن لا تكون من ثياب الشهرة ولا رفيعة الأثمان، ولا من دق الثياب، فان كل ذلك ليست من ثياب علماء الآخرة، **(وسيرته)** الباطنة أي طريقته بل**(و)** جميع **(حركته وسكونه ونطقه وسكوته)** وسائر شؤونه **(لا ينظر إليه ناظر إلا وكان نظره)** له **(مذكراً الله تعالى)**، فإنه إذا كان متصفاً بما ذكر من الأوصاف فكل من وقع نظره عليه فإنه يميل له ويحبه، فإذا رآه ذكر الله الذي أعطاه هذه الأوصاف وجمله بها، ويتوجه بكليته إلى الله تعالى في أن يكون مثل هذا وأشباه ذلك، فإنه ذكر الله تعالى، وهذا شأن الأولياء العارفين إذا رأوا ذكر الله وهم علماء الآخرة. وأخرج أبو نعيم

تعالى، وكانت صورته دليلاً على عمله، فالجواد عينه فراره وعلماء الآخرة يعرفون بسياهم في السكينة والذلة والتواضع، وقد قيل: ما ألبس الله عبداً لبسة أحسن من خشوع في سكينة، فهي لبسة الأنبياء وسيا الصالحين والصديقين والعلماء، وأما التهافت في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق، فكل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه، وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به، وهذا لأن العلماء ثلاثة كما قاله سهل التستري

من رواية زهير بن محمد، عن هدبة، عن خرم سمعت مالك بن دينار يقول: يا عالم انت عالم تفخر بعملك لو كان هذا العلم طلبته لله عز وجل لرؤي فيك وفي عملك، **(وكانت صورته دليلاً على عمله)** أي صورته الظاهرة تكون كالمرآة يرى فيها ما أبطن من أعماله، فالعمل إذا كان حسناً يظهر في صورته وهيئته، فلذا تكون الصور دلائل على الاعمال حسناً وقبحاً، **(فالجواد عينه فراره)** وهو مثل يضرب لمن يدل ظاهره على باطنه. وفي الصحاح أن الجواد عينه فراره أي يغنيك شخصه ومنظره من أن تختبره، وان تفرَّ أسنانه.

وفي الأساس فرَّ الجواد عينه أي علامات الجود فيه ظاهرة فلا يحتاج إلى أن تفره اهـ.

ويقال أيضاً: الخبيث عينه فراره أي تعرف الخبيث في عينه إذا أبصرته، **(فعلماء الآخرة يعرفون بسياهم)** ويتميزون تميز الورد من السلم **(في السكينة والذلة والتواضع)**، فهذه الأوصاف الثلاثة من لوازمهم لا تفارقهم في الأحيان كلها وهي من ثمرات اليقين، **(وقد قيل: ما ألبس الله تعالى عبداً لبسة أحسن من خشوع في سكينة)** أي: مع سكينة. هذه العبارة منتزعة من القوت. قال: ومما يدلك على الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة أن كل عالم بعلم إذا رآه من لا يعرفه لم يتبين عليه أثر علمه ولا عرف أنه عالم، إلا العلماء بالله عز وجل فإنهم يعرفون بسياهم للخشوع والسكينة والتواضع والذلة، فهذه صبغة الله تعالى لأوليائه ولبسته للعلماء به: ﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ [البقرة: ١٣٨] كما قيل: ما ألبس الله عز وجل عبداً ألحَّ ثم قال: **(فهي لبسة الأنبياء وسيا الصالحين والصديقين والعلماء)** فمثلهم في ذلك كمثل الصناع إذ كل صانع لو ظهر لمن لا يعرفه، لا يعرف صنعته دون سائر الصنائع ولم يفرق بينه وبين الصناع إلا الصناع فإنه يعرف بصنعته لأنها ظاهرة عليه إذ صارت له لبسة وصنعة لالتباسها بمعاملته فكانت سياه. **(وأما التهافت في الكلام)** أي التساقط فيه والتزاحم عليه **(والتشدق)** أي إدارة الشدقين فيه بالفصاحة **(والاستغراق في الضحك)** أي الامتلاء فيه **(والحدة)** أي العجلة **(في الحركة والنطق)** بأن يبتدئ في الكلام قبل صاحبه ويبادره به، **(فكل ذلك من آثار البطر)** أي من سوء احتمال النعمة وقلة القيام بحقها **(والأمن)** أي ومن آثار الأمنية كأنه أزيل عنه الخوف وصار مأموناً في نفسه **(والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه)**، فإن من تيقن ذلك لم يطع نفسه في غفلاتها. **(وهذا دأب أبناء الدنيا)** وطريقتهم **(الغافلين عن الله تعالى)** المنسحبين تحت إمارة النفس الأمارة **(دون العلماء به)** عز وجل، **(وهذا لأن العلماء**

رحمه الله: عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله وهم المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية، وعالم لله تعالى لا بأمر الله ولا بأيام الله وهم عموم المؤمنين، وعالم بالله تعالى وبأمر الله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصديقون، والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم، وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي أفاضها على القرون السالفة واللاحقة، فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه. قال عمر رضي

ثلاثة) أقسام **(كما قال)** أبو محمد **(سهل التستري)** فيما نقله عنه صاحب القوت فقال: عالم بالله تعالى، وعالم لله تعالى، وعالم بحكم الله تعالى. معنى العالم بالله تعالى العارف الموقن، والعالم لله هو العالم بعلم الاخلاص والأحوال والمعاملات، والعالم بحكم الله هو العالم بتفصيل الحلال والحرام. فسرنا ذلك على معاني قوله ومعرفة مذهبه، وقد قال مرة في كلام أبسط من هذا. **(عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله تعالى وهم المفتون في الحلال والحرام)**، وهذه الجملة متأخرة في نص القوت. زاد المصنف: **(وهذا العلم لا يورث الخشية)** هذه الزيادة ليست في القوت، ثم قال سهل: **(وعالم بالله لا بأمر الله ولا بأيام الله وهم عموم المؤمنين)**. هذه الجملة أول الأقسام، ونص القوت: وهم المؤمنون: **(وعالم بالله تعالى وبأيام الله تعالى وهم الصديقون)** زاد المصنف: **(والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم)** لا على غيرهم. قال صاحب القوت: **(وأراد)** سهل بقوله: **(بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمة الباطنة)**، ونص القوت: بنعمه الباطنة وبعقوباته الغامضة. زاد المصنف: **(التي أفاضها على القرون السالفة)** الماضية **(واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه)**.

قلت: وأصل ذلك في قوله تعالى: ﴿وذكرهم بآيام الله﴾ [ابراهيم:٥] أي بنعمائه وشدائده والأيام يعبر بها عن الشدائد والوقائع، ومنه أيام العرب. وقال بعضهم: إضافة الايام إلى الله للتشريف طالما أفاض عليهم من نعمه فيها.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية علي بن خيشوم قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول، قال بعض الفقهاء: كان يقال العلماء ثلاثة. عالم بالله، وعالم بأمر الله، وعالم بالله وبأمر الله، فأما العالم بأمر الله فهو الذي يعلم السنة ولا يخاف الله، وأما العالم بالله فهو الذي يخاف الله ولا يعلم السّنة، وأما العلم بالله وبأمر دينه، فهو الذي يعلم السّنة ويخاف الله، فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السموات، وأخرج أيضاً من رواية محمد بن جهضم قال: أخبرنا سفيان بن عيينة قال: أفضل العلم العلم بالله والعلم بأمر الله، فإذا كان العبد عالماً بأمر الله، فقد بلغ ولم يصل إلى العباد نعمة أفضل من العلم بالله والعلم بأمر الله، ولم يصل إليهم عقوبة أشد من الجهل بالله والجهل بأمر الله اهـ.

وأورد صاحب القوت هذا القول عن سفيان ولم يصرح أنه الثوري أو ابن عيينة فقال: وفرقوا بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة فقال سفيان: العلماء ثلاثة: عالم بالله تعالى وبأمر الله تعالى فذاك العالم الكامل، وعالم بالله تعالى غير عالم بأمر الله تعالى فذاك التقي الخائف، وعالم بأمر الله

الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم. ويقال: ما آتى الله عبداً علماً إلا آتاه معه حلماً وتواضعاً وحسن خلق ورفقاً، فذلك هو العلم النافع. وفي الأثر: من آتاه الله علماً وزهداً وتواضعاً وحسن خلق فهو إمام المتقين.

تعالى غير عالم بالله تعالى فذلك العالم الفاجر، وقيل أيضاً: عالم لله تعالى وهو العامل بعلمه، وعالم بأيام الله تعالى وهو الخائف الراجي. وكان سهل يقول: طلاب العلم ثلاثة. واحد يطلبه للعمل به، وآخر يطلبه ليعرف الاختلاف فيتورع ويأخذ بالاحتياط، وآخر يطلبه ليعرف التأويل فيتأول الحرام فيجعله حلالاً، فهذا يكون هلاك الخلق على يديه.

(وقال عمر) بن الخطاب **(رضي الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلهم)**. هكذا أورد صاحب القوت بلا سند. قال: وروينا عن عمر أيضاً فساقه.

قال العراقي: ورد هذا مرفوعاً رواه ابن عدي في ترجمة عباد بن كثير البصري، عن أبي الزناد، عن الاعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. وروي من حديث عمر أيضاً مرفوعاً رواه أبو نعيم من رواية عبد المنعم بن بشير، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا العلم وتعلموا للعلم الوقار». وعباد بن كثير متروك الحديث، وعبد المنعم بن بشير البصري يكنى أبا الخير منكر الحديث اهـ.

قلت: أخرجه أبو نعيم من حديث حبوش بن رزق الله، عن عبد المنعم بن بشير. وقال في آخره: غريب من حديث مالك لم نكتبه إلا من حديث حبوش عن عبد المنعم، والسياق الاول فقد أخرجه أيضاً الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة الآ أنه إلى قوله: لمن تعلمون منه ولم يذكر شيئاً بعد ذلك وتعلمون بحذف إحدى التاءين والسكينة والطمأنينة والوقار الحلم والرزانة. أي ينبغي للعالم أن يلزم هذه الأوصاف في مراقبته مع الله تعالى في سائر حركاته وسكناته، فإنه أمين على ما استودع من العلوم. قال ابن المبارك: كنت عند مالك فلدغته عقرب ست عشرة مرة فتغير لونه وتصبر ولم يقطع الحديث، فلما فرغ سألته فقال: صبرت إجلالاً لحديثه ﷺ وليتواضع لمن يتعلم منه لأنه رفعة له وزيادة عز لكونه من ورثة الأنبياء. **(ويقال ما آتى الله عز وجل عبداً علماً إلا آتاه معه حلماً وتواضعاً وحسن خلق ورفقاً)** هكذا أورده صاحب القوت، ثم قال: **(فذلك هو)** ونص القوت: فذلك علامة **(العلم النافع. وفي الخبر)** ونص القوت وقد روينا معناه في الأثر: **(من آتاه الله زهداً وتواضعاً وحسن خلق فهو إمام المتقين)** هكذا أورده صاحب القوت، وتبعه المصنف، ولم يتعرض له العراقي، ولا وجدته في

وفي الخبر: « إن من خيار أمتي قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة الله ويبكون سراً من خوف عذابه، أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء، أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة، يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة ». وقال الحسن: الحلم وزير العلم والرفق

غير كتاب القوت. (**وفي الخبر: « إن من خيار أمتي قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة الله عز وجل ويبكون سراً من خوف عذاب الله أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة**) لأنه لا راحة للمؤمن دون لقائه ربه، والدنيا سجنه حقاً فلذا يجد المؤمن بدنه في الدينا وروحه في السماء. وفي الحديث المرفوع « إذا قام العبد وهو ساجد باهى الله به الملائكة فيقول انظروا إلى عبدي بدنه في الأرض وروحه عندي. » رواه تمام وغيره، وهذا معنى قول بعض السلف: القلوب جوّالة، فقلب حول الحشر، وقلب يطوف مع الملائكة حول العرش. قال ابن القيم: ولا يبادر إلى إنكار كون البدن في الدنيا والروح في الملأ الأعلى، فللروح شأن وللبدن شأن، والنبي ﷺ كان بين أظهر أصحابه وهو عند ربه يطعمه ويسقيه فبدنه بينهم وروحه وقلبه عند ربه. وقال أبو الدرداء: إذا نام العبد عرج بروحه إلى تحت العرش فان كان طاهراً أذن له بالسجود، فان لم يكن طاهراً لم يؤذن له بالسجود، فهذه والله أعلم هي العلة التي أمر الجنب لأجلها أن يتوضأ إذا أراد النوم، وهذا الصعود إنما كان لتجرد الروح عن البدن بالنوم، فإذا تجردت بسبب آخر حصل لها من الترقي والصعود بحسب ذلك التجرد، وقد يقوى الحب بالمحب حتى لا يشاهد منه بين الناس إلا جسمه وروحه في موضع آخر عند محبوبه (**يمشون بالسكينة**) وهو السكون والاطمئنان (**ويتقربون بالوسيلة**).

قال العراقي: رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان بزيادة فيه، واللفظ من رواية حماد بن أبي حميد، عن مكحول، عن عياض بن سليمان، وكانت له صحبة. قال: قال رسول الله ﷺ: « خيار أمتي فيما أنبأني العلي الأعلى قوم يضحكون جهراً من سعة رحمة الله ويبكون سراً من خوف شدة عذاب ربهم. يذكرون ربهم في الغداة والعشي في البيوت الطيبة المساجد ويدعونه بألسنتهم رغباً ورهباً ويسألونه بأيديهم خفضاً ورفعاً يقبلون بقلوبهم عوداً وبدءاً فمؤونتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة، يدبون في الأرض حفاة على أقدامهم كدبيب النمل بلا مرح ولا بذخ، يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة ويقرأون القرآن ويقربون القربان ويلبسون الخلقان من الله شهود حاضرة وعين حافظ يتوسمون العباد وينقلبون في البلاد. أرواحهم في الدنيا وقلوبهم في الآخرة ليس لهم هم إلا أمامهم. أعدوا الجهاز لقبورهم والجواز لسبيلهم والاستعداد لمقامهم، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ [إبراهيم: ١٤] » قال البيهقي: تفرد بهذا حماد بن أبي حميد وليس بالقوي عند أهل العلم، قال العراقي: ولم ينفرد به حماد كما قال البيهقي، بل روي أيضاً من رواية خالد بن المغيرة بن قيس، عن مكحول. رواه أبو نعيم في الحلية، وخالد بن المغيرة لم أر له ذكراً في مظان وجوده، وكذلك راويه عنه شيبان بن مهران والله أعلم اهـ.

أبوه والتواضع سربـاله. وقال بشر بن الحرث: من طلب الرئاسة بالعلم فتقرب إلى الله تعالى ببغضه فإنه ممقوت في السماء والأرض. ويروى في الإسرائيليات: أن حكيماً صنف ثلاثمائة وستين مصنفاً في الحكمة حتى وصـف بـالحكيم فـأوحـى الله تعـالى إلى نبيهـم: قـل لفلان قد ملأت الأرض بقاقاً ولم تردني من ذلك بشيء وإني لا أقبل من بقاقك شيئاً. فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى في الأسواق وواكل بني اسرائيل وتواضع في نفسه، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم: قل له الآن وفقت لرضاي. وحكى الأوزاعي

قلت: أورده الحافظ السيوطي في الجامع الكبير، وعزاه لأبي نعيم والحاكم قال: وتعقب والبيهقي وضعفه وابن النجار كلهم عن عياض بن سليمان وكانت له صحبة. قال الذهبي: هذا حديث عجيب منكر وعياض لا يدري من هو. قال ابن النجار: ذكره أبو موسى المديني في الصحابة. **(وقال الحسن)** البصري **(الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله)** هكذا أورده صاحب القوت بلفظ وكان الحسن يقول فساقه. والسربال: بالكسر القميص. أو كلما لبس. **(وقال بشر بن الحرث)** الحافي **(من طلب الرئاسة بالعلم فتقرب إلى الله ببغضه فهو مقيت في السماء والأرض)**. أورده صاحب القوت، ولفظه: «من العلماء» بدل «بالعلم» وفيه: فإنه مقيت فهو فهو. والمقيت الممقوت وهو المبغوض أشد البغض. وأخرج أبو نعيم من رواية محمد بن السماك، عن سليمان، عن مالك بن دينار أنه قال: من طلب العلم للعمل وفقه الله تعالى، ومن طلب العلم لغير العمل يزداد بالعمل فخراً.

(وروي في الاسرائيليات) وفي القوت: وروينا في الاسرائيليات **(أن حكيماً من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصنفاً)** كذا في النسخ، ونص القوت: مصحفاً **(في الحكمة حتى وصف بالحكيم فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل لفلان: قد ملأت الأرض بقاقاً)** هو بقافين كسحاب كثرة الكلام، وقيل: الهذيان **(ولم تردني بشيء من ذلك)** أي لم ترد وجهي **(وإني لم أقبل من بقاقك شيئاً فندم الرجل وترك ذلك)**. ونص القوت قال: فسقط في يديه وحزن فترك ذلك **(وخالط العامة)** من الناس، **(ومشى في الأسواق وواكَلَ بني إسرائيل وتواضع في نفسه فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم)** ونص القوت: إلى النبي عليه السلام **(قل له الآن)** ونص القوت: قل لفلان الآن **(وافقت رضاي)**. وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي يوسف يزيد بن ميسرة فقال: حدثنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا إسماعيل بن عياش عن سليمان بن سالم الكناني، عن يحيى بن جابر الطائي، عن يزيد ميسرة أن حكيماً من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصحفاً حكماً فبثها في الناس، فأوحى الله إليه إنك ملأت الأرض بقاقاً، وأن الله لم يقبل من بقاقك شيئاً.

(وحكى الأوزاعي) عبد الرحمن بن عمرو فقيه أهل الشام **(عن بلال بن سعد)** بن تميم الأشعري أو الكندي أبو عمرو، أو أبو زرعة الدمشقي ثقة فاضل مات في خلافة هشام **(أنه**

رحمه الله عن بلال بن سعد: أنه كان يقول: ينظر أحدكم إلى الشرطي فيستعيذ بالله منه، وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوقين إلى الرئاسة فلا يمقتهم وهم أحق بالمقت من ذلك الشرطي. وروي أنه قيل: يا رسول الله أيّ الأعمال أفضل؟ قال: « اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطباً من ذكر الله تعالى » قيل: فأيّ الأصحاب خير؟ قال ﷺ: « صاحب ان ذكرت الله أعانك وإن نسيته ذكرك ». قيل: فأيّ الأصحاب شر؟ قال ﷺ: « صاحب إن نسيت لم يذكرك وإن ذكرت لم يعنك ». قيل: فأيّ الناس أعلم؟ قال: « أشدهم لله خشية ». قيل: فاخبرنا بخيارنا نجالسهم. قال ﷺ: « الذين إذا رأوا ذكر الله » قيل: فأي الناس شر؟ قال: « اللهم غفراً » قالوا: أخبرنا يا رسول الله. قال: « العلماء إذا فسدوا ». وقال ﷺ: « إن أكثر الناس أماناً يوم القيامة

كان يقول: ينظر أحدكم إلى الشرطي) قال في المصباح: الشرط على لفظ الجمع أعوان السلطان لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها للأعداء الواحد شرطة مثل غرفة وغرف، فإذا نسب إلى هذا قيل شرطي بالسكون رداً إلى الواحد (**فيستعيذ بالله منه وينظر إلى علماء الدنيا المتصنعين**) أي المتكلفين في صنعهم (**إلى الخلق المتشوفين**) أي المتطلعين (**إلى الرئاسة فلا يمقته هذا أحق بالمقت من ذلك الشرطي)**. أورده صاحب القوت. ولفظه وكان الأوزاعي يروي عن بلال بن سعد أنه كان يقول: ينظر أحد إلى الشرطي والعون فيستعيذ بالله من حال ويمقته، وينظر إلى عالم الدنيا قد تصنع للخلق وتشوف للطمع والرئاسة فلا يمقته. هذا العالم أحق بالمقت من ذلك الشرطي.

(وروي أنه قيل يا رسول الله: أي الأعمال أفضل؟ قال: « اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطباً من ذكر الله تعالى » قيل: فأي الأصحاب خير؟ قال: « صاحب إن ذكرت أعانك وإن نسيت ذكرك » قيل: فأي الأصحاب شر » قال: « صاحب إن نسيت لم يذكرك وإن ذكرت لم يعنك » قيل: فأي الناس أعلم؟ قال: « أشدهم لله خشية » . قيل: فأخبرنا بخيارنا نجالسهم. قال: « الذين إذا رأوا ذكر الله تعالى » قالوا فأي الناس شر؟ قال: « اللهم غفرا » قالوا: أخبرنا يا رسول الله. قال: « العلماء إذا فسدوا ») .

قال العراقي: لم أجده هكذا مجموعاً بطوله وهو متلفق بعضه من أحاديث، فروينا في كتاب الزهد والرقائق لابن المبارك من رواية محمد بن عدي، عن يونس، عن الحسن قال: سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: « أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله » وروي ذلك أيضاً من حديث عبدالله بن بسر المازني مرفوعاً أخرجه الديلمي في مسند الفردوس وإسناده جيد. وروي أيضاً من حديث معاذ بن جبل. وذكر المصنف في آداب الصحبة حديثاً متنه « إذا أراد بعبد خيراً جعل له أخاً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه ». وسيأتي ذلك في بابه. وروى الثعلبي باسناده عن الشعبي إنما العالم من يخشى الله ». وروي البزار من رواية جعفر بن أبي المغيرة، عن

أكثرهم فكراً في الدنيا، وأكثر الناس ضحكاً في الآخرة أكثرهم بكاء في الدنيا، وأشد الناس فرحاً في الآخرة أطولهم حزناً في الدنيا». وقال علي رضي الله عنه في خطبة له: ذمتي رهينة وأنا به زعيم إنه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل، وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره، وإن أبغض الخلق إلى الله تعالى رجل قمش علماً أغار به في أغباش الفتنة سماه أشباه له من الناس وارذالهم عالماً ولم يعش في

سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال، قال رجل يا رسول الله: من أولياء الله؟ قال: «الذين إذا رأوا ذكر الله عز وجل». وروى البزار أيضاً من حديث معاذ قال: قلت يا رسول الله أي الناس شر؟ فقال: «اللهم غفراً سل عن الخير ولا تسأل عن الشر شرار الناس شرار العلماء». وإسناده ضعيف. وروى الدارمي في مسنده من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلاً. وقد تقدم في الباب الثالث.

قلت: هذا الحديث بطوله أورده صاحب القوت، وإياه تبع المصنف ولفظه: وقد روينا حديثاً حسناً مقطوعاً عن سفيان، عن مالك بن مغول قال: قيل يا رسول الله فساقه وفيه: «وصاحب إن سكت» بدل «نسيت» والباقي سواء.

(وقال ﷺ: «إن أكثر الناس أماناً) وفي نسخة: أمناً **(يوم القيامة أكثرهم فكراً في الدنيا، وأكثر الناس ضحكاً في الآخرة أكثرهم بكاء في الدنيا وأشد الناس فرحاً في الآخرة أطولهم حزناً في الدنيا»)**. أورده صاحب القوت عن عامر بن عبدالله المقبري، وكان من أقران الحسن، سمعت مشيختنا فيما يروون عن نبينا ﷺ أنه كان يقول: «أصفى الناس إيماناً يوم القيامة أكثرهم فكرة في الدنيا وأكثر الناس ضحكاً في الجنة» والباقي سواء.

قال العراقي: لم أجد له أصلاً بجملته في الأحاديث المرفوعة، ولأول الجملة شاهد في صحيح ابن حبان من حديث أبي هريرة رفعه فيما يروى عن ربه جل وعلا «وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة» وللجملة الأخيرة من رواية مالك بن دينار قال: رأيت الحسن في منامي مشرق اللون، وفي آخره «أطول الناس حزناً في الدنيا أطولهم فرحاً في الآخرة» رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الهم والحزن.

(وقال علي كرم الله وجهه في خطبته: ذمتي رهينة وأنا زعيم) هكذا في القوت. وفي رواية وأنا زعيم لمن صرحت له العبرات **(لا يهيج)** أي لا يذوي وييبس **(على التقوى زرع قوم ولا يظمأ)** أي لا يعطش **(على الهدى سنخ)** بكسر السين المهملة وسكون النون وآخره خاء معجمة هو الأصل **(أصل وإن أجهل الناس من لا يعرف قدره)** هكذا في القوت، وزاد: وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره، وفي رواية أخرى بعد قوله سنخ أصل ألا. **(وأن أبغض الخلق إلى الله)** وفي أخرى: أبغض خلق الله إلى الله **(رجل قمش علماً)** التقميش جمع الشيء من هنا وهنا **(أغار في اغباش الفتنة)**. هكذا في القوت والأغباش جمع غبش وهي

العلم يوماً سالماً بكر فاستكثر فما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى حتى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس معلماً لتخليص ما التبس على غيره، فإن نزلت به إحدى المهمات هيأ لها من رأيه حشو الرأي فهو من قطع الشبهات في مثل نسج العنكبوت لا يدري أخطأ أم أصاب؟ ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم، تبكي منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملىء والله باصدار ما ورد عليه ولا هو أهل لما فوّض إليه. أولئك

الظلمة. وفي رواية غاراً في غباش الفتنة زاد في القوت عمي عما في غيب الهدنة، وفي رواية عمياً بما في غيب الهدنة، (**سماه أشباه الناس وأرذالهم عالماً**) وفي القوت ورذلاهم. وفي رواية سماه أشباهه من الناس عالماً (**ولم يعش**) كذا في النسخ، والصواب ولم يعن أي لم يهتم (**في العلم يوماً سالماً بكر**) أي غدا في تحصيله وفي بعض النسخ: تكثر وهو غلط (**فاستكثر**) أي أخذ بالكثرة (**فما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى**) هكذا في النسخ، والرواية فما قل منه فهو خير مما كثر (**حتى إذا أرتوى من ماء آجن**) أي متغير شبه به العلم الذي لا ينتفع به (**وأكثر من غير طائل جلس**). وفي رواية قعد (**للناس مفتياً ليخلص**). كذا في النسخ والرواية لتخليص (**ما التبس على غيره**) أي اشتبه (**وإن نزلت به إحدى المهمات**). كذا في النسخ والرواية المبهمات أي المشكلات (**هيأ**) لها (**حشو الرأي من رأيه**). وفي رواية: هيأ حشواً من رأيه (**فهو من قطع الشبهات في مثل غزل العنكبوت**). أي: في غاية الضعف والوهي، وإذا أرادوا فساد أمر وعدم انتظامه شبهوه بحق الكهدل وهي العنكبوت. يقولون: هي أضعف من حق الكهدل. أي بيت العنكبوت (**لا يدري أخطأ أم أصاب**). وفي رواية: لا يعلم إذا أخطأ لأنه لا يعلم أخطأ أم أصاب (**ركاب جهالات خباط عشوات**). وفي بعض الروايات بالتقديم والتأخير أي كثير الركوب على متن عمياء وكثير الخبط للعشواء وكلاهما مثل (**لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم**) أي: لا يكل علم ما لا يعلمه إلى الله تعالى، فيسلم من الورطة استنكافا عن نسبة الجهل إليه فيقدم في جواب كل مسألة (**ولا يعض على**) وفي رواية: في (**العلم بضرس قاطع فيغنم**) أي: لم يأخذ من العلم بحظه الوافر واجتهاده القوي فينال غنيمة وزاد في رواية (**ذر الرواية ذر الريح المشيم**) أي: ليس عنده إلا الرواية من غير العمل بما علمه فهو يذرها على الإسماع كما ذرت الريح العاصف اليابس من الكلأ. (**تبكي منه الدماء**) أي لأنه يفتي فيها بغير وجه شرعي بل بجهل منه (**وتستحل بقضائه**) أي بحكمه (**الفروج الحرام**) أي لجهله في مسائل النكاح. وفي رواية قبل هذه الجملة: وتصرخ منه المواريث (**لا ملىء والله باصدار ما ورد عليه**) وهو مثل في تنزيل الشيء غير موضعه وأنشدوا:

أوردها سعد وسعد مشتمل ... ما هكذا يا سعد تورد الإبل

(**ولا هو أهل لما فوض إليه**) وفي رواية: ولا أهل لما فرط به زاد في القوت. (**أولئك**

الذين حلت عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا. وقال علي رضي الله عنه: إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب. وقال بعض السلف: العالم إذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة. وقيل: إذا جمع المعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على المتعلم. الصبر والتواضع وحسن الخُلُق، وإذا جمع المتعلم ثلاثاً تمت النعمة بها على المعلم. العقل والأدب وحسن الفهم. وعلى الجملة فالأخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرئاسة. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها، وما ينبغي أن يقف عنده

الذين حلت عليهم) المثلات وحقت عليهم **(النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا)**. قال السيوطي في القسم الثاني من الجامع الكبير، رواه المعافى بن زكريا، ووكيع، وابن عساكر في التاريخ.

قلت: وأورده صاحب القوت فقال: وقد وصف علي كرم الله وجهه علماء الدنيا الناطقين عن الرأي والهوى بوصف غريب. رواه خالد بن طليق، عن أبيه عن جده، وجده عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: خطبنا علي رضي الله عنه فقال: فساقه.

(وقال علي رضي الله عنه: إذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب). هكذا أورده صاحب القوت، وعزاه السيوطي في الجامع الكبير في القسم الثاني منه إلى عبدالله بن الإمام أحمد، والخطيب في الجامع الكبير ولفظه: تعلموا العلم فإذا علمتموه فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك وباطل فتمجه القلوب.

(وقال بعض السلف: من ضحك ضحكة مج من العلم مجة) هكذا أورده صاحب القوت، وأخرجه أبو نعيم من قول علي رضي الله عنه: **(وإذا جمع المعلم ثلاثاً)** أي ثلاثة أوصاف فقد **(تمت النعمة بها)** وفي نسخة: به **(على المتعلم الصبر)** على تعليمه **(والتواضع)** لمن يتعلم **(وحسن الخلق)** معه، **(وإذا جمع المتعلم ثلاثاً)** فقد **(تمت النعمة بها)** وفي نسخة: به **(على المعلم العقل)** الكامل لما يتعلمه **(والأدب)** مع علمه **(وحسن الفهم)** لما يتلقاه. هكذا أورده صاحب القوت، **(وعلى الجملة فالأخلاق التي ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة)** أي: عن العمل بها **(لأنهم يتعلمون القرآن للعمل)** بما فيه **(لا للرئاسة) والإفتخار والمباهاة.**

(وقال ابن عمر رضي الله عنهما: عشنا برهة) أي زماناً **(من الدهر وأن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة فيعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يتوقف عنده منها، ولقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين**

منها، ولقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره وما زاجره، وما ينبغي أن يقف عنده ينثره نثر الدقل. وفي خبر آخر بمثل معناه: كنا أصحاب رسول الله ﷺ أوتينا الإيمان قبل القرآن، وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن اقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا؟ فذلك حظهم. وفي لفظ آخر: أولئك

فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف عنده وينشره نشر الدقل). هكذا أورده صاحب القوت ولفظه: وروينا عن ابن عمر وغيره: لقد عشنا برهة من دهرنا وفيه: فيتعلم بدل فيعلم، وفيه بعد قوله: يتوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن والباقي سواء.

قال العراقي: أخرجه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك من رواية قاسم بن عوف الشيباني قال: سمعت ابن عمر يقول فساقه كسياق القوت، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه اهـ.

قلت: وأخرج ابن جرير في تفسيره عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ ذكر «أن في أمته قوماً يقـرأون القرآن ينشرونه نشر الدقل يتأولونه على غير تأويله ولا يجاوز تراقيهم تسبق قراءتهم إيمانهم» والدقل: محركة أردأ التمر. وقال السرقسطي: هو تمر الروم. **(وفي خبر آخر بمثل معناه)** ونص القوت بمعناه: **(كنا أصحاب رسول الله ﷺ اوتينا الإيمان قبل الفرآن، وسيأتي بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الإيمان ويقيمون حروفه ويضيعون حدوده ويقولون: قرأنا القرآن فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم)** منه. **(وفي لفظ آخر: أولئك شرار هذه الأمة)**. هكذا أورده صاحب القوت بعد إيراده حديث جندب البجلي.

وقال العراقي روي ذلك من حديث جندب بن عبدالله البجلي. رواه ابن ماجه مختصراً مقتصراً على القدر المرفوع منه من رواية أبي عمران الجوني عن جندب قال: كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان خزاورة فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً وإسناده صحيح فزاد الطبراني فيه: وإنكم اليوم تعلمون القرآن قبل الإيمان وهو صحيح أيضاً. وروى مسلم وابن ماجة من رواية عبدالله بـن الصامت عن أبي ذر ورافع بن عمر والغفاري مرفوعاً «إن بعدي من أمتي يقـرأون القرآن لا يجاوز حلاقيمهـم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه هم شر الخلق والخليقـة». وروى البيهقي في سننه في أبواب الإمامة من حديث حذيفة نحو حديث جندب اهـ.

وأورد صاحب القوت حديث جندب المتقدم، ثم قال: وعن ابن مسعود قال: «أنزل القرآن

شرار هذه الأمة. وقيل: خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عز وجل: الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد، فأما الخشية فمن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وأما الخشوع فمن قوله تعالى: ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ١٩٩]، وأما التواضع فمن قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]. وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وأما الزهد فمن قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [القصص: ٨٠] ولما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] فقيل له: ما هذا الشرح؟ فقال: « إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح » قيل: فهل لذلك من علامة؟ قال ﷺ: « نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ».

ليعمل به فاتخذتم دراسته عملاً. وسيأتي قوم يثقفونه تثقيف الغناء ليسوا بخياركم » وفي لفظ آخر « يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه، وهذا قد تقدم للمصنف.

(**وقيل: خمس من الأخلاق هن من علامات علماء الآخرة مفهومة من**) سياق (**خمس آيات**) ونص القوت: لا بد للعالم بالله تعالى من خمس هن من علامة علماء الآخرة (**الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وإيثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد وهو الأصل**) الأكبر الذي تتفرع منه الأخلاق الطيبة، (**أما الخشية فمن قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨]. أي العلماء بالله هم الذين يخشون الله حق خشيته فهي مقصورة عليهم،** (**وأما الخشوع فمن قوله تعالى: ﴿خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً﴾ [آل عمران: ١٩٩] وأما التواضع فمن قوله: ﴿واخفض جناحك للمؤمنين**) وقل إني أنا النذير المبين﴾ [الحجر: ٨٨] أي. تواضع لهم وهذا مما أمر به ﷺ فما كان له فلورثته من بعده، (**وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم**) [آل عمران: ١٥٩] ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ فهو دال على لين جانبه ﷺ وهو ينشأ من حسن الخلق، (**وأما الزهد**) في الدنيا (**فمن قوله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً﴾ [القصص: ٨٠] فمن وجد فيه هذه الأخلاق فهو من العالمين بالله عز وجل. هكذا أورده صاحب القوت والمصنف أخذه بالمعنى بتغيير يسير،** (**ولما تلا رسول الله ﷺ**) قوله تعالى: (**﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ [الأنعام: ١٢٥] فقيل**) يا رسول الله: (**ما هذا الشرح؟ فقال: إن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح. قيل: فهل لذلك من علامة؟ قال نعم التجافي**) أي التباعد (**عن دار الغرور والإنابة**) أي الرجوع (**إلى دار الخلود**

ومنها: أن يكون أكثر بحثه عن علم الأعمال وعما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر، فإن أصل الدين التوقي من الشر، ولذلك قيل:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

والاستعداد للموت قبل نزوله). أورده صاحب القوت هكذا. وزاد فذكر سببه الزهد في الدنيا والإقبال على خدمة المولى، فحسن التواضع والإصابة في العلم مواهب من الله عز وجل وأثرة يخص بها من يشاء.

وقال العراقي: رواه الحاكم في المستدرك من رواية عدي بن الفضل عن عبد الرحمن بن عبدالله المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن ابن مسعود قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿فمن يرد الله﴾ الآية. فقال رسول الله ﷺ: «إن النور إذا دخل الصدر انفسح» فقيل يا رسول الله هل لذلك من علم يعرف؟ قال «نعم» فذكره قال: وقد سكت عليه الحاكم وهو ضعيف، ورواه البيهقي في الزهد من رواية عمرو بن مرة، عن عبدالله بن الحرث، عن ابن مسعود. ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق قال: أخبرنا عبد الرحمن المسعودي، عن عمرو بن مرة، عن أبي جعفر رجل من بني هاشم وليس بمحمد بن علي قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فذكر مثل رواية الحاكم إلا أنه قال قيل هل لذلك من آية يعرف بها؟ وقال: في آخره قبل الموت. وهذا مرسل ضعيف وهو الصواب في رواية هذا الحديث، وما قبله ضعيف كما بينه الدارقطني في العلل، وسئل عنه فقال يرويه عمرو بن مرة واختلف فيه عنه فرواه مالك بن مغول، عن عمرو بن مرة، عن عبيدة عن عبدالله قاله عبدالله بن محمد بن المغيرة تفرد بذلك. ورواه زيد بن أنيسة عن عمرو بن مرة، عن أبي عبيدة عن عبدالله قاله أبو عبد الرحيم عن زيد، وخالفه يزيد بن سنان، فرواه عن زيد عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة، عن عبدالله وكلها وهم. والصواب عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر عبدالله بن المسور مرسلاً عن النبي ﷺ كذلك قاله الثوري قال: وعبدالله بن المسور هذا متروك.

(ومنها): أي ومن علامات علماء الآخرة **(أن يكون أكثر بحثه)** وسؤاله وطلبه **(في علوم الأعمال)** أي العلوم المتعلقة بها أصلاً وفرعاً **(عما يفسد الأعمال)** ويصححها على قانون الشرع **(و)** عما **(يشوش القلوب)** ويزيلها عن مواضعها بطرق الخواطر **(و)** عما **(يهيج الوسواس)** الشيطاني فيها **(ويثير الشر)** ويحركه، **(فإن أصل الدين)** وأساسه **(التوقي)** أي التحفظ **(من الشر)**، فإن الخير كل أحد يسأل عنه ويطلبه. وسيأتي من قول حذيفة ما يؤكده، **(ولذلك قيل: عرفت الشر لا للشر * لكن لتوقيه)** أي عرفت الشر لأتجنبه وأتحفظ من سلوك منهاجه لا لأتلبس به. **(ومن لا يعرف الشر * من الناس يقع فيه)** أي من لا يعرف الشر الحاصل من اختلاط الناس، فيوشك أن يقع فيه ولا يدري، ولا يمكنه التخلص منه لعدم معرفته بأصله، **(ولأن الأعمال الفعلية)** أي التي متعلقها الأفعال **(قريبة)**

ولأن الأعمال الفعلية قريبة وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان، وإنما الشأن في معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه، وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة إليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة، وأما علماء الدنيا فإنهم يتبعون غرائب التفريعات في الحكومة والأقضية ويتعبون في وضع صور تنقضي الدهور ولا تقع أبداً، وإن وقعت فإنما تقع لغيرهم لا لهم، وإذا وقعت كان في القائمين بها كثرة، ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهمّ نفسه اللازم بمهم غيره النادر إيثاراً للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله

المأخذ (**وأقصاها المواظبة**) أي المداولة (**على ذكر الله تعالى**) لما تقدم أنه ﷺ سئل عن أفضل الأعمال فقال: «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله» وذكر الله تعالى إما (**بالقلب و**) إما (**باللسان**) وكل منهما مطلوب وأحدهما أفضل من الآخر، فاما ذكر اللسان فله آداب وشروط مذكورة في رسائل السادة الصوفية، وأما ذكر القلب فاختصت به السادة النقشبندية. وكان شيخ المصنف أبو علي الروذباري أحد أركان هذه الطريقة وله آداب تختص به وشروط غريبة يقطع بها السالك سفر سنين في ليلة واحدة، والحاصل أن هذه الأعمال أمرها سهل والسالكون يتلقون ذلك من أفواه شيوخهم، (**وإنما الشأن**) كل الشأن (**في معرفة ما يفسدها ويشوشها**) وهو أهم ما يكون عند أهل المعرفة في الطريق ويشيرون إلى ذلك في نبذ من الكلام ولا يحوم حوله إلا الإفراد، (**وهذا**) الذي أشرنا إليه (**مما يكثر شعبه ويطول تفريعه**) لأنه يستدعي إلى ذكر مقدمات وإبراز فصول مهمات، (**وكل ذلك مما يغلب**) ويكثر (**مسيس الحاجة إليه ويعم البلوى في سلوك طريق الآخرة**) إذ هو حقيقة العلم النافع المقرب إلى ربه لا يعتني به إلا علماء الآخرة، (**وأما علماء الدنيا فإنهم**) لا يحومون حوله إنما (**يتبعون غرائب التفريعات**) ونوادرها (**في**) مسائل (**الحكومات والأقضية**) ويحفظونها في صدورهم للإفتاء بها (**ويتعبون**) بسهر الليالي وإيداع البصر والفكر (**في وضع صور**) مجهولة الأثر (**تنقضي الدهور**) وتمضي الأعصار (**ولا تقع**) منها واحدة، (**وإن وقعت**) فرضاً (**وإنما تقع لغيرهم**) في عصر آخر (**لا لهم**) فقد بذلوا نفيس أعمارهم مجاناً لعمارة الغير إنما مثلهم مثل الذي يثرد ويأكله الغير ومن يبني بيتاً فيسكنه الغير ويتمتع به وخرج بنفسه صفر اليدين فيا لضلالة سعي هؤلاء، (**وإذا وقعت**) تقديراً (**كان في القائمين بها كثرة**) وبركة (**و**) من العجب أنهم (**يتركون ما يلزمهم**) لزوماً كلياً (**ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار في خواطرهم**) وهواجسهم (**ووساوسهم وأعمالهم**) في حركاتهم وسكناتهم، (**وما أبعد عن السعادة**) الأبدية (**من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر**) كلا تلك صفقة غير رابحة ونتيجة غير صالحة إنما هو (**إيثار للقبول**) لدى العامة (**والتقرب من**

سبحانه وشرها في أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلاً محققاً عالماً بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق، بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلساً متحسراً على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين. ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاماً

الخلق) بصفة ذلك **(على القرب من الله تعالى وشرها)** أي طمعاً **(في أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلاً محققاً)** للعلوم العقلية **(عالماً بالدقائق)** من العبارات والمسائل **(وجزاؤه من الله تعالى أن لا ينتفع في الدنيا)** بعلمه ولا يمتع **(بقبول الخلق)** الذي جعله نصب عينه، **(بل يتكدر عليه صفوه)** وأنسه **(بنوائب الزمان)** ومكدراته وشدائده بتسليط من يعينه في أموره عليه أحياناً وتنغيص عيشه بعدم وجدان مطلوبه أحياناً، فإن الذي يرجو القبول معه إما صاحب جاه أو صاحب مال، وصاحب الجاه لا يمكن استعارة جاهه في كل الأمور، وصاحب المال إما أن يفيده أو يمنعه، فإن أفاده مرة تطلعت نفسه لمثلها وصارت عادة ثابتة ولا يمكنه بذل ماله له في كل مرة لأن المال حبيب نفسه فينغص عليه بالعداوة وإن منعه فهو مبغوض عنده على كل حال، وبالجملة فالمراعي لهم أحواله لا تخلص من أنواع الأكدار **(فيرد القيامة)** مع من ورد **(مفلساً)** من الأعمال الصالحة. يقال: أفلس الرجل إذا عدم فلوسه **(فيتحسر)** غاية التحسر ويندم غاية التندم **(على ما يشاهده من ربح)** العلماء **(العاملين)** لله تعالى **(و)** من **(فوز المقربين)** لديه في أصحاب اليمين **(وذلك)** في الحقيقة **(هو الخسران المبين)**.

وقد انتزع المصنف رحمه الله تعالى هذه العبارة من القوت ورواها بالمعنى وسياق القوت أتم وأجلى فلا بأس أن نلم بذكره ليكشف ما عسى التبس في سياق المصنف ويزيده وضوحاً قال: واعلم أنه إنما يستبين العالم عند المشكلات في الدين ويحتاج إليه العارف عند حك الشبهات في الصدر، وقد حصلنا في زماننا هذا لو وردت في معاني التوحيد مشكلة واختجلت في صدر مؤمن من معاني صفات الوحدة، وأردت كشف ذلك على حقيقة الأمر مما يشهده القلب الموقن ويثلج له الصدر المشروح بالهدى، لكان ذلك عزيزاً في وقتك هذا، ولكنت في استكشاف ذلك بين خمسة نفر: مبتدع ضال يخبرك برأيه عن هواه فيزيدك حيرة، أو متكلم يفتيك بقياس معقوله على ظاهر الدين، أو صوفي شاطح يجيبك بالحدس والتخمين ويسقط العلم والأحكام ويذهب الأسماء والرسوم، وهؤلاء تائهون ليسوا على المحجة، أو مفت عالم عند نفسه مرسوم بالفقه عند أصحابه يقول لك هذا من أحكام الآخرة ومن علم الغيب لا نتكلم فيه لأنا لم نكلفه، وهو في أكثر مناظرته يتكلم فيما لم يكلف، ويجادل فيما لم ينطق فيه السلف، ويتعلم ويعلم ما علمه بتكلف، ولا يعلم المسكين أنه كلف علم يقين الإيمان وحقيقة التوحيد ومعرفة إخلاص المعاملة وعلم ما يقدح في الإخلاص ويخرج من جملته قبل ما هو فيه، وأنه متكلف لبعض ما هو يبتغيه لأن علم الإيمان وصحة التوحيد وإخلاص العبودية للربوبية وإخلاص الأعمال من الهوى الدنيوية، وما تعلق بها من أعمال

بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأقربهم هدياً من الصحابة رضي الله عنهم.

القلب من الفقه في الدين ونعت أوصاف المؤمنين، ولا يشعر أن حسن الأدب في المعاملة بمعرفة ويقين هو من صفات الموقنين، وذلك هو حال العبد من مقامه بينه وبين ربه عز وجل ونصيبه من ربه وحظه من مزيد آخرته، وهو معقود بشهادة التوحيد الخالصة المقترنة بالإيمان من خفايا الشرك وشعب النفاق بالفرائض وفرض فرضها الإخلاص بالمعاملة، وإن علم ما سوى هذا مما قد أشرب قلبه وحبب إليه من فضول العلوم وغرائب الفهوم، إنما هو حوائج الناس ونوازلهم فهو حجاب عن هذا واشتغال عنه، فآثر هذا الغافل بقلة معرفة بحقيقة العلم النافع ما زين له طلبه وحبب إليه قصده آثر حوائج الناس وأحوالهم على حاجته وحاله، وعمل في أنصبتهم منه في عاجل دنياهم من نوازل طوارقهم وفتياهم ولم يعمل في نصيبه الأوفر من ربه عز وجل لأجل آخرته التي هي خير وأبقى. إذ مرجعه إليها ومثواه المؤبد فيها فآثر التقرب منهم على القرب من ربه عز وجل، وترك للشغل بهم حظه من الله تعالى الأجزل، وقدم التفرغ لهم على فراغ قلبه لما قدم لغده من تقواه بالشغل لخدمة مولاه وطلب رضاه، واشتغل بصلاح ألسنتهم عن صلاح قلبه وظواهر أحوالهم عن باطن حاله، وكان سبب ما بلي به حب الرئاسة وطلب الجاه عند الناس، والمنزلة بوجوب السياسة، والرغبة في عاجل الدنيا وغيرها بقلة الهمة وضعف النية في آجل الآخرة وذخرها، فأفنى أيامه لأيامهم، واذهب عمره في شهواتهم ليسميه الجاهلون بالعلم عالماً، وليكون في قلوب الطالبين عندهم فاضلاً، فورد القيامة مفلساً، وعندمـا يراه من أنصبة المقربين مبلساً إذ فاز بالقرب العاملون وربح بالرضا العاملون، ولكن أنى له وكيف بنصيب غيره، وقد جعل الله تعالى لكل عمل عاملاً ولكل علم عالماً أولئك ينالهم نصيبهم من الكتب كل ميسر لما خلق له هذا فصل الخطاب، والرجل الخامس من العلماء هو صاحب حديث وآثار ونوافل ورواية الأخبار يقول لك إذا سألته: اعتقد التسليم وأمر الحديث كما جاء ولا تفتش، وهذا يتلـو المفتي في السلامة وهو أحسنهم طريقة وأشبههم بسلف العامة خليقة، ليس عنده شهادة يقين ولا معرفة بحقيقة ما رواه، ولا هو شاهد واصف لمعنى ما نقله إنما هو للعلم راوية، وللخبر والأثر ناقلة، فهو على بينة من ربه وليس يتلوه شاهد منه اهـ.

(ولقد كان الحسن) هو ابن أبي الحسن واسمه يسار **(البصري)** أبو سعيد **(رحمه الله تعالى)** مولى الأنصار وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر فيذكرون أن أمه كانت ربما غابت فيبكي فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به إلى أن تجيء أمه فدر عليه ثديها فشربه، فلذا كان **(أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء)** في الحكمة والفصاحة، ويروى أن ذلك من بركة تلك الشربة. ونشأ الحسن بوادي القرى ورأى علياً وطلحة وعائشة ولا يصح له سماع من أحد منهم، **(و)** كان **(أقربهم هدياً من الصحابة)** يروى أن أم سلمة كانت تخرجه إلى أصحاب رسول الله ﷺ وهو صغير، وكانوا يدعون له فأخرجته إلى عمر فدعا له، فقال: اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس. **(اتفقت الكلمة في حقه على ذلك)**

اتفقت الكلمة في حقه على ذلك، وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس. وقد قيل له: يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته؟ قال: من حذيفة بن اليمان. وقيل لحذيفة: نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين

فقال بلال بن أبي بردة: سمعت أبي يقول: والله لقد أدركت أصحاب محمد ﷺ فما رأيت أحداً أشبه بأصحاب محمد من هذا الشيخ يعني الحسن، وعن أبي قتادة ألزموه فما رأيت أحداً أشبه رأياً بعمر بن الخطاب منه، وسئل أنس بن مالك عن مسألة فقال: سلوا مولانا الحسن، وهذا قد تقدم للمصنف، وعن العوام بن حوشب ما أشبه الحسن إلا بنبي أقام في قومه ستين عاماً يدعوهم الى الله عز وجل. قال ابن سعد، قالوا: كان الحسن جامعاً عالماً رفيعاً فقيهاً ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جيلاً وسيماً. **(وكان)** الحسن أحد المذكرين، وكانت مجالسه مجالس الذكر يخلو فيها مع أصحابه وأتباعه من النساء والعباد في بيته مثل مالك بن دينار، وثابت البناني، وأيوب السختياني، ومحمد بن واسع، وفرقد السبخي، وعبد الواحد بن زيد فيقول: هاتوا انشروا النور فيتكلم عليهم، وكان **(أكثر كلامه)** في هذه المجالس والخلوات **(في)** علم اليقين والقدرة وفي **(خواطر القلوب وفساد الأعمال ووساوس النفوس و)** في **(الصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس)**، فربما قنع بعض أصحاب الحديث رأسه فاختفى من ورائهم ليسمع ذلك. فإذا رآه الحسن قال له: يا لكع وأنت ما تصنع ههنا؟ إنما خلونا مع أصحابنا نتذاكر.

قال صاحب القوت: والحسن رحمه الله تعالى إمامنا في هذا العلم الذي نتكلم به،أثره نقفو وسبيله نتبع ومن مشكاته نستضيء. أخذنا ذلك بإذن الله تعالى إماماً عن إمام إلى أن ينتهي ذلك إليه، وكان من خيار التابعين بإحسان، قيل: ما زال يعي الحكمة أربعين سنة حتى نطق بها، ولقد لقي سبعين بدرياً ولقي ثلاثمائة صحابي، وكانوا يقولون: كنا نشبهه بهدى إبراهيم الخليل صلوات الله عليه في حلمه وخشوعه وشمائله **(و)** كان أول من أنهج سبيل هذا العلم وفتق الألسنة به ونطق بمعانيه وأظهر أنواره وكشف به قناعه، وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من أخوانه، فـ **(قيل له يا أبا سعيد: إنك تتكلم)** في هذا الفن **(بكلام لا يسمع من)** أحد **(غيرك)** من أقرانك **(فمن أين أخذته)**، ونص القوت: فممن أخذت هذا؟ **(فقال: من حذيفة بن اليمان)** بن جابر بن ربيعة بن عمرو، ويقال: حذيفة بن حسيل بن جابر بن أسيد بن عمرو العبسي. أبو عبدالله حليف بني عبد الأشهل، واليمان لقب جده جروة لأنه أصاب دماً في الجاهلية فهرب إلى المدينة وحالف الأنصار، وقيل: هو لقب والده حسيل توفي سنة ست وثلاثين قبل قتل عثمان بأربعين ليلة. **(وقيل)** قالوا **(لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة)** رضوان الله عليهم **(فمن أين)** ونص القوت: فممن:

أخذته؟ قال: خصني به رسول الله ﷺ، كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه. وقال مرة: فعلمت أن من

(أخذته؟ فقال: خصني به رسول الله ﷺ. كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه). رواه البخاري ومسلم هكذا مختصراً. وفي آخره زيادة من رواية أبي إدريس الخلافي أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم» قلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال «نعم» وفيه دخن الحديث بطوله قاله العراقي.

قلت: أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن جابر، حدثني بسر بن عبيدالله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول: سمعت حذيفة يقول فساقه بطوله. **(وعلمت أن الخير لا يسبقني)** هكذا هو في القوت.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية أبي داود الطيالسي قال: حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثني حميد بن هلال، حدثنا نصر بن عاصم الليثي قال: أتيت اليشكري في رهط من بني ليث فقال: قدمت الكوفة فدخلت المسجد، فإذا فيه حلقة كإنما قطعت رؤوسهم يستمعون إلى حديث رجل فقمت عليهم، فقلت: من هذا؟ فقيل: حذيفة بن اليمان، فدنوت منه فسمعته يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، فعرفت أن الخير لم يسبقني، ثم ساق الحديث بطوله قال أبو نعيم: ورواه قتادة عن نصر بن عاصم، وسمي اليشكري خالداً اهـ.

وقال العراقي: ورواه أبو داود من رواية سبيع بن خالد قال: أتيت الكوفة زمن فتحت تستر الحديث، وفيه بعد ذكر الشر الأول.

قلت: فما العصمة من ذلك؟ فساقه إلى آخره وسمي التابعي في رواية أخرى خالد بن خالد اليشكري، وروى مسلم من رواية أبي سلام قال: قال حذيفة قلت يا رسول الله: إنا كنا بشرّ فجاء الله بخير فنحن فيه فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال «نعم» قلت: كيف؟ قال: «تكون بعدي أئمة» الحديث بطوله.

وروى البخاري من رواية قيس بن أبي حازم عن حذيفة قال: تعلم أصحابي الخير وتعلمت الشر اهـ.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية خلاد بن عبد الرحمن أن أبا الطفيل حدثه أنه سمع حذيفة يقول: يا أيها الناس ألا تسألون فإن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، أفلا تسألوني عن ميت الأحياء فساق الحديث بطوله.

(وقال مرة: فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير). هكذا أورده صاحب

لا يعرف الشر لا يعرف الخير ، وفي لفظ آخر : كانوا يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا ؟ يسألونه عن فضائل الأعمال ، وكنت أقول يا رسول الله : ما يفسد كذا وكذا ؟ فلما رآني أسأله عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم . وكان حذيفة رضي الله عنه أيضاً قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن ، فكان عمر

القوت ، وأخرج ابن عساكر في تاريخه من رواية أبي البحتري قال حذيفة : لو حدثتكم بحديث لكذبني ثلاثة أثلاثكم إن أصحاب محمد ﷺ كانوا يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر ، فقيل له : ما حملك على ذلك ؟ قال : إن من اعترف بالشر وقع في الخير ، وأخرج ابن ماجه في الزهد ، وابن عساكر في التاريخ عن حذيفة قال : كنتم تسألونه عن الرخاء وكنت أسأله عن الشدة لأتقيها . قال الدارقطني في الإفراد : تفرد به عيسى الحناط عن الشعبي عن حذيفة ، وتفرّد به عبدالله بن سيف عنه . وأخرج ابن أبي شيبة في مسنده ، ونعيم بن حماد في الفتن عن حذيفة قال : هذه فتن قد أطلت جباه البقر يهلك فيها أكثر الناس إلا من كان يعرفها قبل ذلك . **(وفي لفظ آخر : كان الناس يقولون يا رسول الله : ما لمن يعمل كذا وكذا يسألونه عن الأعمال وفضائل الأعمال ، وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا ، فلما رآني أسأل عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم)** ، هكذا أورده صاحب القوت ، ولم أر هذا السياق عند غيره ، **(وكان حذيفة رضي الله عنه أيضاً قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن)** .

ونص القوت : وكان حذيفة قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وسرائر العلم ودقائق الفهم وخفايا اليقين من بين الصحابة ، فإن كان لفظ الفتن في سياق المصنف تصحيفاً من الكاتب لمناسبة اليقين بالمقام ، أو قصد بذلك المصنف وهو صحيح أيضاً ، فإنه كان أعطي علم الفتن كلها كما أعطي علم اليقين . روى مسلم من رواية قيس بن أبي حازم عن عمار : أخبرني حذيفة قال : قال النبي ﷺ : « في أصحابي اثنا عشر منافقاً منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » . وروى البخاري من رواية زيد بن وهب ، عن حذيفة قال : « ما بقي من أصحاب هذه الأمة ولا من المنافقين إلا أربعة » . الحديث . وروى أبو داود من رواية قبيصة بن ذؤيب عن أبيه قال ، قال حذيفة : ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته . وروى مسلم من رواية أبي ادريس الخولاني كان يقول : قال حذيفة : والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة . وروى البخاري ، ومسلم ، وأبو داود من رواية شقيق عن حذيفة قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك فيه شيئاً يكون في مقامه إلى قيام الساعة إلا حدث حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء . الحديث قاله العراقي .

قلت : وأخرج الإمام في المسند ونعيم بن حماد في الفتن والروياني بسند حسن عن حذيفة قال :

وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة، وكان يُسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقي منهم ولا يخبر بأسمائهم، وكان عمر رضي الله عنه

أنا أعلم الناس بكل فتنة هي كائنة إلى يوم القيامة وما لي أن يكون رسول الله ﷺ أسر إليّ في ذلك شيئاً لم يحدث به غيري، ولكن رسول الله ﷺ حدّث مجلساً أنبأهم فيه عن الفتن منها صغار ومنها كبار، فذهب أولئك الرهط كلهم غيري. وأخرج الدارقطني من رواية هبيرة قال: شهدت علياً وسئل عن حذيفة قال: سأل عن أسماء المنافقين فأخبر بهم، وأخرج الطبراني في الكبير من رواية صلة بن زفرة قال: قلنا لحذيفة كيف عرفت أمر المنافقين ولم يعرفه أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر. قال: إني كنت أسير خلف رسول الله ﷺ فنام على راحلته فسمعت ناساً منهم يقولون لو طرحناه عن راحلته فاندقت عنقه فاسترحنا منه، فسرت بينهم وبينه وجعلت أقرأ وأرفع صوتي فانتبه النبي ﷺ فقال: من هذا؟ قلت: حذيفة. قال: من هؤلاء؟ قلت: فلان وفلان حتى عددتهم. قال: وسمعت ما قالوا؟ قلت: نعم ولذلك سرت بينك وبينهم، فقال: أما أنهم منافقون فلان وفلان لا تخبرن أحداً.

قلت: وعن نافع بن جبير قال: لم يخبر رسول الله ﷺ بأسماء المنافقين الذين نخسوا به ليلة العقبة بتبوك غير حذيفة وهم اثنا عشر رجلاً ليس منهم قريشي، وكلهم من الأنصار أو من حلفائهم، وقد ذكرهم الزبير بن بكار في كتاب النسب فقال: مغيب بن قشير بن مليل وهو الذي قال: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا، ووديعة بن ثابت وهو الذي قال إنما كنا نخوض ونلعب، وجد بن عبدالله بن نبتل، والحرث بن يزيد الطائي، وهو الذي سبق الوشل بتبوك، وأوس بن قبطي وهو الذي قال: إن بيوتنا عورة، والجلاس بن سويد بن الصامت قال، وبلغنا أنه تاب بعد ذلك، وسعد بن زرارة وكان أصغرهم سناً وأخبثهم، وقيس بن فهد، وسويد وداعس، وقيس بن عمرو بن سهل، وزيد بن اللصيت، وكان من يهود قينقاع، وسلالة ابن الحمام. **(فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة)**، ويرجعون إليه في العلم الذي خص به، فروى الأئمة الستة خلا أبا داود من رواية شقيق عن حذيفة قال: كنا عند عمر فقال: أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا الحديث قاله العراقي.

وأخرج أبو نعيم من رواية ربعي بن خراش، عن حذيفة أنه قدم من عند عمر فقال: لما جلسنا إليه سأل أصحاب محمد ﷺ أيكم سمع قول رسول الله ﷺ في الفتن التي تموج موج البحر؟ فاسكت القوم وظننت أنه إياي يريد. قال فقلت: أنا. قال: أنت لله أبوك. قلت: تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير فساق الحديث. وفي آخره: وحدثته أن بينك وبينها باباً مغلقاً يوشك ان يكسر كسراً، فقال عمر: كسراً لا أبا لك، قال الدارقطني في الافراد: غريب من حديث الشعبي عن ربعي تفرّد به مجالد عنه. **(وكان يسئل عن المنافقين فيخبر بأعداد**

يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيئاً من النفاق؟ فبرأه من ذلك، وكان عمر رضي الله عنه إذا دعي إلى جنازة ليصلي عليها نظر، فإن حضر حذيفة صلى عليها وإلاّ ترك، وكان يسمى صاحب السر. فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لأن القلب هو الساعي إلى قرب الله تعالى، وقد صار هذا الفن غريباً مندرساً وإذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل: هذا تزويق المذكرين فأين التحقيق؟ ويرون أن التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال:

من بقي ولا يخبر بأسمائهم)، ولفظ القوت: ويسألونه عن المنافقين وهل بقي من ذكر الله سبحانه وأخبر عنهم أحد، فكان يخبر بأعدادهم ولا يذكر أسماءهم اهـ.

وذلك لما سبق في حديث الطبراني لا تخبرن أحداً. **(وكان عمر رضي الله عنه يسأله)** ونص القوت: يستكشفه **(عن نفسه هل يعلم فيه شيئاً من النفاق فيبرئه من ذلك)**، ثم يسأله عن علامات النفاق وآية المنافق، فيخبر من ذلك بما يصلح مما أذن له فيه، ويستعفي عما لا يجوز أن يخبر به فيعذر في ذلك، **(وكان عمر رضي الله عنه إذا دعي إلى جنازة ليصلي عليها نظر فإن رأى حذيفة صلى عليها وإلا تركها)**. هكذا أورده صاحب القوت إلا أن فيه فإن حضر حذيفة وفيه: وإن لم ير حذيفة لم يصل عليها.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن حذيفة قال: مر بي عمر بن الخطاب وأنا جالس في المسجد فقال لي يا حذيفة: إن فلاناً قد مات فاشهده ثم مضى، حتى إذا كاد أن يخرج إلى المسجد التفت إليّ فرآني وأنا جالس فعرف فرجع، فقال يا حذيفة: أنشدك الله أمن القوم أنا؟ قلت: اللهم لا، ولن أبرىء أحداً بعدك، فرأيت عيني عمر جادتا. **(وكان)** حذيفة **(يسمى صاحب السر)**. كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سئلوا عن علم يقول أحدهم: تسألوني عن هذا وصاحب السر فيكم يعني حذيفة. كذا في القوت. وروى البخاري: إن أبا الدرداء قال لعلقمة: أليس فيكم أو منكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره يعني حذيفة، **(فالعناية)** أي صرف الهمة **(بمقامات القلب وأحواله)** التي تعرضه **(هو دأب علماء الآخرة)** وطريقتهم، **(لأن القلب هو الساعي إلى قرب الرب عز وجل)**، والبدن مطيته كما سبق ذلك للمصنف أولاً. **(و)** لعمري **(قد صار هذا الفن غريباً)** وطلابه غرباء **(مندرساً)** عفت آثاره وطمست، **(وإذا تعرض العالم لشيء منه)** يحصله لنفسه **(استبعد واستغرب)** أي عد بعيد عن الأفهام وطالبه غريباً **(وقيل له: هذا تزويق المذكرين)** أي الوعاظين والقصاص، **(فأين التحقيق في دقائق المجادلات)** ورقائق المخاصمات؟ **(ولقد صدق القائل)** هو عبد الواحد بن زيد. قال صاحب القوت: وقد قال عبد الواحد بن زيد إمام الزاهدين كلاماً في هذا المعنى يفرد العلماء بالله تعالى ويرفع طريقهم فوق كل طريق أنشدونا عنه:

(الطرق شتى وطرق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفرادُ

الطرق شتى وطرق الحق مفـردة   والسالكون طريـق الحق أفـرادُ
لا يعرفون ولا تدري مقاصدهم   فهـم على مهـل يمشـون قصّـادُ
والناس في غفلـة عما يُـراد بهم   فجلّهم عـن سبيـل الحق رقـادُ

وعلى الجملة، فلا يميل أكثر الخلق إلا إلى الأسهل والأوفق لطباعهم، فإن الحق مرّ والوقوف عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر، ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة، فإن ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء، وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت، ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل: إنه كان في البصرة مائة وعشرون متكلماً في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة: منهم سهل التستري،

لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهـم   فهـم على مهـل يمشـون قصـادُ

ونص القوت: «ولا تسلك» بدل «تدرى»

والنـاس في غفلـة عما يـراد بهم   فجلهم عـن سبيـل الحق رقـادُ)

وإلى البيت الأخير أشار الطغرائي في لاميته:

قد رشحوك لأمـر لـو فطنـت لـه   فاربأ بنفسك أن ترعـى مـع الهمـل

(**وعلى الجملة؛ فلا يميل أكثر الخلق**) في تحصيلاتهم (**إلا إلى الأسهل والأرفق**) والأوفق (**إلى طباعهـم**)، وهم إذا منعوا مما هم فيه لأبوا قبوله، (**فإن الحق مرّ**) الطعم (**والوقوف عليه صعب**) المرام (**وإدراكه شديد**) أي ينال بالشدة، (**وطريقه مستوعر**) لا سبيل إلى سلوكه لكل أحد وهي علوم الإيمان (**لا سيما معرفة صفات القلب**) الحميدة (**وتطهيره عن الأخلاق الذميمة**) حتى يستقر فيه نور الإيمان وضياء المعرفة، (**فإن ذلك نزوع للروح على الدوام**) وتنزل عن الفخر والاحتشام، (**وصاحبه ينزل منزلة شارب الدواء**) المر (**يصبر على مرارته**) ويعض على مثل الجمر من حرارته (**رجاء للشفاء**) من أمراضه الباطنة، (**وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه**) وينقطع عن لذائذ المأكولات (**فهو يقاسي الشدائد**) ويعاينها (**ليكون فطره عند الموت**) بتلقـي الملائكـة لـه إلى الجنـة، (**ومتى تكثر الرغبة في**) تحصيل (**هذه الطريق**) مع ما ذكر، (**ولذلك قيل**) ونص القوت: وقال بعض علمائنا: (**كان في البصرة مائة وعشرون متكلماً في الوعظ والتذكير**) ولفظ القوت: في الذكر والوعظ (**ولم يكن منهم من يتكلم في علم**) المعرفة و(**اليقين**) والمقامات، (**وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة**). ولفظ القوت: إلا ستة منهم أبو محمد (**سهل**)

والصبيحي، وعبدالرحيم وكان يجلس إلى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى وإلى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة، لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب.

ومنها أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره، وإنما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله، وإنما يقلد الصحابة رضي الله عنهم من حيث أن فعلهم

بن عبدالله التستري، (**والصبيحي**) بالضم منسوب إلى جده صبيح، (**وعبد الرحيم**) بن يحي الأسود، (**وكان يجلس إلى هؤلاء**) أي أهل الوعظ والتذكير (**الخلق الكثير الذي لا يحصى**)، ولفظ القوت: وكان يجتمع في مجالس القصاص والمذكرين والواعظين مئون من عهد الحسن إلى وقتنا هذا (**و**) يجلس (**إلى هؤلاء**) يعني أهل علم صفات القلب (**عدد يسير قلما يجاوز العشرة**)، فكان سهل يجلس عنده خمسة أو ستة إلى العشرة، وكان الجنيد يتكلم على بضع عشرة، وما تم أهل الجلسه عشرون ولم ير في مجالس أهل هذا العلم فيما سلف ثلاثون رجلاً ولا عشرون إلا نادراً غير لزام ولا دوام إنما كانوا بين الأربعة والعشرة بضعة عشر. وقال الأوزاعي: مات عطاء بن أبي رباح يوم مات وهو أرضى أهل الأرض عند الناس، وما كان يشهد مجلسه إلا سبعة أو ثمانية. قال صاحب القوت: فهذا أيضاً من الفرق بينهما (**لأن النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص**) من اختصهم الله لقربه (**وما يبذل للعموم فأمره قريب**) وفي القوت: إن العلم مخصوص لقليل، وإن القصص عام لكثير. وقال في موضع آخر. ولعمري إن المذاكرة بين النظراء والمحادثة بين الإخوان والجلوس للعلم يكون للإخوان، والجواب في المسائل نصيب العموم، وكان عند أهل هذا العلم أن علمهم مخصوص لا يصلح إلا للخصوص، والخصوص قليل فلم يكونوا ينطقون به إلا عند أهله، ويرون أن ذلك من حقه وأنه واجب عليه.

(**ومنها**): أي ومن العلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة (**أن يكون اعتماده في**) أخذ (**العلوم**) وتلقيها (**على بصيرته**) التي ترى حقائق الأشياء وبواطنها (**وإدراكه**) أي معرفته وتحققه (**بضياء قلبه**) المنور بنور القدس (**لا على الصحف**) جمع صحيفة (**والكتب**) جمع كتاب أي: لا يكون عمدة أخذه في العلوم من الأوراق المكتتبة، وإنما يكون اعتماده على ما أدركه بقوّة قلبه ونوره مما قبله بصفائه وظهر في مرآته، فإن هذا هو النافع له في علوم الأعمال الموصلة إلى درجات الآخرة، (**ولا**) يكون اعتماده أيضاً (**على تقليد ما يسمعه من غيره**) ويروونه، (**وإنما المقلد**) الذي أمرنا باتباعه (**صاحب الشرع صلوات الله عليه** وسلامه لا غير (**فيما أمر به وقاله**) أي: في الأوامر والنواهي، (**وإنما يقلد الصحابة**) رضي الله عنهم (**من حيث أن فعلهم يدل على سماعهم عن النبي ﷺ**) أي تلقوا ذلك الفعل

يدل على سماعهم من رسول الله ﷺ، ثم إذا قلد صاحب الشرع ﷺ في تلقي أقواله وأفعاله بالقبول، فينبغي أن يكون حريصاً على فهم أسراره، فإن المقلد إنما يفعل الفعل لأن صاحب الشرع ﷺ فعله، وفعله لا بدّ وأن يكون لسرٍّ فيه، فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالماً، ولذلك كان يقال: فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالماً إذا كان شأنه الحفظ من غير إطلاع على الحكم والأسرار. ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور

بمشاهدة منه ﷺ فهم وسائط في إيصال التلقي إلينا في المأمورات والمنهيات، **(ثم إذا قلد صاحب الشرع)** ﷺ **(من تلقى أقواله وأفعاله بالقبول)** وأجمع نفسه على ذلك، فليبحث عن الأخبار الصحيحة الدالة على تلك الأقوال والأفعال من طرق صحيحة أمنت من الكذابين والوضاعين، ثم من معرفة الناسخ من ذلك من منسوخه؟ فإذا تمت له هذه النعمة، **(فينبغي أن يكون حريصاً)** متشوّفاً **(على فهم أسراره)** ولطائفه ونكاته ودقائقه، **(فإن المقلد)** بكسر اللام **(إنما يفعل الفعل لأن النبي ﷺ فعله)** وإنما ينتهي عن منهي لأنه ﷺ نهى عنه، **(وكلما كان الرسول ﷺ فعله لا بدّ أن يكون لسرّ فيه)** خفي عن المدرك، **(فينبغي أن يكون شديد البحث)** والتطلب **(عن أسرار الأعمال والاقوال)** ليكون أتباعه كاملاً ولتحصيل الأجور كافلاً **(فإنه إن اكتفى بحفظ ما يقال)** ويكتب في الصحف **(كان وعاء للعلم)** أي ظرفاً حافظاً له **(ولم يكن عالماً)** حقيقة، **(ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم ولا يسمى عالماً)**. هذا قول الزهري كما سيأتي قريباً **(إذ كان من شأنه الحفظ)** والجمع فقط **(من غير إطلاع على الأسرار والحكم)**. قال صاحب القوت: ولم يكن العالم عند العلماء من كان عالماً بعلم غيره ولا حافظاً لفقه سواه، هذا كان إسمه واعياً وراوية وناقلاً، وكان أبو حازم الزاهد يقول: ذهب العلماء وبقيت علوم في أوعية سوء، وكان الزهري يقول: كان فلان وعاء للعلم، وحدثني فلان وكان من أوعية العلم، ولا يقول: وكان عالماً، وكذلك جاء الخبر: رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وكانوا يقولون: حماد الراوية يعنون أنه كان راوياً اهـ.

قلت: أبو حازم هو سلمة بن دينار الأعرج من كبار التابعين أخرج أبو نعيم من رواية يحي ابن عبد الملك بن أبي غنية قال: حدثنا زمعة بن صالح قال: قال الزهري لسليمان بن هشام: ألا تسأل أبا حازم ما قال في العلماء؟ قال: ما عسيت أن أقول في العلماء إلا خيراً إني أدركت العلماء، وقد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا، ولم يستغن أهل الدنيا بدنياهم عن علمهم، فلما رأى ذلك هذا وأصحابه تعلموا العلم فلم يستغنوا به واستغنى أهل الدنيا بدنياهم عن علمهم، فلما رأوا ذلك قذفوا بعلمهم إلى أهل الدنيا ولم ينلهم أهل الدنيا من دنياهم شيئاً. إن هذا وأصحابه ليسوا علماء إنما هم رواة. وأما قول الزهري فأخرج أبو نعيم أيضاً من رواية إبراهيم بن سعيد قال: سمعت

الهداية صار في نفسه متبوعاً مقلداً، فلا ينبغي أن يقلد غيره. ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله ﷺ. وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه، وقرأ على أبيّ بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعاً، وقال بعض السلف: ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلناه على الرأس والعين، وما جاءنا

سفيان يقول: كنت أسمع الزهري يقول: حدثني فلان وكان من أوعية العلم ولا يقول كان عالماً. **(ومن)** تأدب بآداب الله وخالط أهل المعرفة **(كشف عن قلبه الغطاء)** أي الحجاب **(واستنار بنور الهداية)** واليقن، و **(صار في نفسه متبوعاً مقلداً فلا ينبغي أن يقلد غيره)** لأن الفقيه في العلماء هو الفقيه بفقه علمه وقلبه لا بحديث سواه، ومثل العالم بعلم غيره مثل الواصف لأحوال الصالحين العارف بمقامات الصديقين ولا حال له ولا مقام، فليس يعود عليه من وصفه إلا الحجة بالعلم والكلام، وسبق العلماء بالله في المحجة بالأعمال والمقام، فمثله كما قال تعالى: ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ [الأنبياء: ١٨] وكقوله: ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه﴾ [البقرة: ٢٠] وإذا أظلم عليهم قاموا لا يرجع إلى بصيرة في طريقه بما اشتبه عليه من ظلمات الشبه مما اختلف العلماء فيه، ولا يتحقق بوجد منه يجده عن حال ألبسها بوجده، وإنما هو واجد بتواجد غيره فغيره هو الواجد وشاهد على شهادة سواه، فالسوي هو الشاهد، وقد كان الحسن يقول: إن الله لا يعبأ بصاحب رواية إنما يعبأ بذي فهم ودراية، وقال أيضاً: من لم يكن له عقل يسوسه لم ينفعه كثرة رواية الحديث، **(ولذلك قال ابن عباس)** رضي الله عنهما: **(ما من أحد إلا ويؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله ﷺ)** أورده صاحب القوت بلفظ: ليس أحد إلا ويؤخذ من قوله ويترك والباقي سواء.

وقال العراقي: رواه الطبراني في الكبير من رواية مالك بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس رفعه فساقه بلفظ القوت وإسناده حسن.

(وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه) هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان الأنصاري النجاري أبو سعيد، ويقال أبو خارجة المدني أحد كتاب رسول الله ﷺ، قال الشعبي: وابن سيرين غلب زيد على اثنين الفرائض والقرآن، وكان من أصحاب الفتوى من الصحابة إليه انتهى علمهم. وقال سعيد بن المسيب: لما دلي زيد في قبره قال ابن عباس: من سره أن يعلم كيف ذهاب العلم فهكذا ذهاب العلم، والله لقد دفن اليوم علم كثير، ووفاته سنة خمس وأربعين وهو ابن ست وخمسين، وقيل: غير ذلك. **(وقرأ على أبيّ بن كعب)** القرآن هو أبي ابن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد الأنصاري النجاري المدني أبو المنذر، ويقال: أبو الطفيل سيّد الأقران واحد من جمع القرآن توفي في خلافة عثمان على الصحيح، **(ثم خالفهما)** فخالف زيداً **(في الفقه)** أي أفتى في بعض المسائل بخلاف ما أفتى به زيد، **(و)** خالف أبياً **(في القراءة)** أي في بعض الوجوه.

(وقال بعض) الفقهاء من **(السلف: ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلناه على الرأس**

عن الصحابة رضي الله عنهم فنأخذ منه ونترك، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال. وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله ﷺ واعتلاق قلوبهم أموراً أدركت بالقرائن فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوّة ما يحرسهم في الأكثر عن الخطأ. وإذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليداً غير مرض، فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد، بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين، وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجله التابعين

والعين، وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ ونترك وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال) قالوا: ونقول هكذا أورده صاحب القوت، وهذا القول قد عزي إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى. قال صاحب القوت: واعلم أن العبد إذا كاشفه الله تعالى بالمعرفة وعلم اليقين لم يسعه تقليد أحد من العلماء، وكذلك كان المتقدمون إذا أقيموا هذا المقام خالفوا من حلوا عنه العلم لمزيد اليقين والإفهام، ثم أورد قول ابن عباس، وقول بعض السلف المتقدم ذكرهما. قال: ولأجل ذلك كان الفقهاء يكرهون التقليد ويقولون: لا ينبغي لرجل أن يفتي حتى يعرف اختلاف العلماء أي فيختار منها على علمه الأحوط للدين والأقوى باليقين، فلو كانوا لا يستحسنون أن يفتي العالم بمذهب غيره لم يحتج أن يعرف الاختلاف، ولكان إذا عرف مذهب صاحبه كفاه، ومتى قيل: إن العبد يسئل غداً فيقال: ما عملت فيما علمت ولا يقال له فيما علم غيرك، وهذا العالم الذي هو من أهل الاستنباط والاستدلال من الكتاب والسنة، فأما الجاهل والعامي الغافل فله أن يقلد العلماء ولعالم العموم أيضاً أن يقلد عالم خصوص، وللعالم بالعلم الظاهر أن يقلد من فوقه ممن حمل عن علم باطن من القلوب اهـ.

(وإنما فضل الصحابة) رضي الله عنهم بخصوص التقليد **(بمشاهدتهم)** معاينة **(قرائن أحوال رسول الله ﷺ)** لملازمتهم له في أكثر الأوقات **(واعتلاق قلوبهم أمور الادراك)** مع البصيرة النافذة **(فسددهم ذلك إلى الصواب)** ومعرفة الحق **(من حيث لا يدخل في الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة)** بإشراقه في صدورهم **(ما يحرسهم)** ويمنعهم **(في الأكثر)** من أحوالهم **(عن)** الوقوع في **(الخطأ)**، فلأجل هذه الخصوصية خصوا بالتقليد لهم دون غيرهم من بعدهم، لأنهم بعدوا قليلاً عن تلك الأنوار، فلم ينالوا مقام أولئك الأبرار، **(وإذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليداً غير مرض)** كما قرر، **(فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد)** من أن يكون مرضياً. **(بل الكتب والتصانيف محدثة)** أي أحدثت فيما بعد **(لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين، وإنما حدثت بعد)**، ولفظ القوت: لأن الكتب المجموعات محدثة، والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب الواحد من الناس وانتحاء قوله، والحكاية له في كل شيء والتفقه على مذهبه محدث لم يكن الناس قديماً على ذلك في القرن الأول والثاني، وهذه المصنفات من الكتب حادثة بعد **(مائة وعشرين من**

رضي الله عنهم، وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين، بل كان الأوّلون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر، وقالوا: احفظوا كما كنا نحفظ. ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم تصحيف القرآن في مصحف وقالوا: كيف نفعل شيئاً ما فعله رسول الله ﷺ، وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا: نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم، حتى أشار عمر

الهجرة) الشريفة **(وبعد وفاة جميع الصحابة و)** علية **(التابعين)**، وآخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ أنس بن مالك بالبصرة، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبو الطفيل بمكة، وعبدالله بن أبي أوفى بالكوفة، وأبيض بن حمال المازني باليمن، وأبو قرحافة بالشام، وبريدة الأسلمي بخراسان، وعبدالله بن الحرث الزبيدي بمصر، **(و)** إنما وضع الكتب **(بعد وفاة سعيد بن المسيب)** بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي أبو محمد المدني سيد التابعين وأفقههم وأعلمهم، وكان يسمى راوية عمر لأنه كان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته مات سنة أربع وتسعين وهي سنة الفقهاء لكثرة من مات منهم فيها، **(و)** بعد وفاة **(الحسن)** بن أبي الحسن البصري مات سنة عشر ومائة في خلافة هشام، **(وخيار التابعين)** من أقرانهما كعمرو بن دينار، وأبي حازم الأعرج وغيرهما، وفيهم كثرة. زاد صاحب القوت بعد قوله. وخيار التابعين، وبعد سنة عشرين أو ثلاثين ومائة من تاريخ الهجرة **(بل كان الأول)** الذين هم أئمة هؤلاء العلماء من طبقات الصحابة الأربعة، ومن بعد موت الطبقة الأولى من خيار التابعين الذين انقرضوا قبل وضع الكتب كانوا **(يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغلوا بها عن الحفظ)** في الصدور، **(وعن القرآن وعن التدبر)** في معانيه وأسراره **(و)** التذكر و **(التفكر وقالوا: احفظوا)** ما تسمعون منا **(كما كنا نحفظ)**. وأخرج أبو نعيم من رواية داود بن رشيد قال: حدثنا أبو المليح قال: كنا لا نطمع أن نكتب عند الزهري حتى أكره هشام الزهري فكتب لبنيه، فكتب الناس يعني الحديث. وأخرج أيضاً من رواية ابراهيم بن سعيد قال: سمعت سفيان يقول: قال الزهري: كنا نكره الكتاب حتى أكرهنا هشام عليه فكرهنا أن نمنعه الناس قال صاحب القوت: **(و)** لئلا يشتغلوا عن الله تعالى برسم ولا وسم، **(و)** لذلك ونص القوت كما **(كره أبو بكر)** عبدالله بن عثمان الصديق **(رضي الله عنه وجماعة من الصحابة)** ونص القوت: وعلية الصحابة **(شكل القرآن في المصحف)**. وفي نسخة: تصحيف القرآن في مصحف وهو بعينه نص القوت، **(وقالوا)**: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ وخشوا اشتغال الناس بالصحف واتكالهم على المصاحف؟ فقالوا: **(نترك القرآن يتلقاه بعضهم عن بعض)** تلقياً **(بالتلقين والإقراء ليكون)** هو **(شغلهم وهمهم)** وفكرهم، **(حتى أشار)** عليه **(عمر رضي الله عنه وبقية الصحابة فكتب القرآن)** في

رضي الله عنه وبقية الصحابة بكتب القرآن خوفاً من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذراً من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلمة أو قراءة من المتشابهات فانشرح صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد.

وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيفه الموطأ ويقول: ابتدع ما لم تفعله الصحابة رضي الله عنهم.

وقيل: أول كتاب صنف في الإسلام كتاب ابن جريج في الآثار وحروف التفاسير

المصاحف (**خوفاً من تخاذل الناس وتكاسلهم**) في جمعه وحفظه، (**وحذراً من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع إليه في كلمة أو قراءة من الشبهات**). ولفظ القوت: حتى أشار إليه عمر وبقية الصحابة أن تجمع القرآن في المصاحف لأنه أحفظ له، وليرجع الناس إلى المصحف لما لا يؤمن من الاشتغال بأسباب الدنيا عنه، (**فانشرح**) وفي القوت: فشرح الله (**صدر أبي بكر لذلك فجمع القرآن**) من الصحف المتفرقة (**في مصحف واحد**)، وكذلك كانوا يتلقون العلم بعضهم من بعض ويحفظونه حفظاً هذا لطهارة القلوب من الريب وفراغها من أسباب الدنيا وقوة الايمان وصفاء اليقين وعلو الهمة وحسن النية وقوة العزيمة.

(**وكان أحمد بن حنبل**) الإمام (**ينكر على مالك**) الإمام (**تصنيفه الموطأ ويقول: ابتدع ما لم تفعله الصحابة**) ولعل هذا الانكار كان في مبادي أمره وإلا فقد جمع حديثه بنفسه على المسانيد، وذلك لما رأى احتياج الناس إلى ذلك.

(**وقيل: أوّل كتاب صنف في الإسلام كتاب**) عبد الملك بن عبد العزيز (**بن جريج**) القرشي الأموي مولاهم مات سنة تسع وأربعين ومائة (**في الآثار**) سئل أحمد بن حنبل: من أول من صنف الكتب؟ قال: ابن جريج، وابن أبي عروبة، وعن ابن جريج قال: ما دوّن العلم تدويني أحد، وقال يحيى بن سعيد: كنا نسمي كتب ابن جريج كتب الأمانة، وإن لم يحدثك ابن جريج من كتابه لم تنتفع به. وأخرج أبو نعيم من رواية الزبير بن بكار قال: حدثني محمد بن الحسن بن زبالة، عن مالك بن أنس قال: أوّل من دون العلم ابن شهاب، (**وحروف التفاسير عن عطاء ومجاهد وأصحاب ابن عباس بمكة**). هكذا أورده صاحب القوت.

أما عطاء، فهو ابن أبي رباح أبو محمد المكي كان أسود أعور أفطس أشل أعرج ثم عمي، وكان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث، إليه انتهت الفتيا بمكة في زمانه، أدرك مائتين من أصحاب رسول الله ﷺ، وقدم ابن عمر مكة فسألوه فقال: أتسألوني وفيكم ابن أبي رباح. مات سنة أربع عشرة ومائة.

وأما مجاهد؛ فهو ابن جبر المكي أبو الحجاج مولى بني مخزوم. قال الفضل بن ميمون: سمعت مجاهداً يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة. وقال خصيب: كان أعلمهم بالتفسير مجاهد، وبالحج عطاء مات سنة اثنين ومائة بمكة.

عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس رضي الله عنهم بمكة، ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سنناً مأثورة نبوية، ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس، ثم جامع سفيان الثوري.

(ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه سنناً منثورة مبوبة) . هكذا أورده صاحب القوت. ومعمر بن راشد هو أبو عروة بن أبي عمرو الأزدي مولاهم الحداني البصري. سكن اليمن وكان شهد جنازة الحسن، وقال أبو حازم: انتهى الإسناد إلى ستة نفر أدركهم معمر، وكتب عنهم لا أعلم اجتمع لأحد غيره من الحجاز: الزهري، وعمرو بن دينار، ومن الكوفة أبو اسحاق، والأعمش، ومن البصرة قتادة، ومن اليمامة يحي بن أبي كثير، وقال ابن معين: أثبت الناس في الزهري مالك ومعمر ويونس وعقيل وشعيب وابن عيينة، وقال ابن جريج: عليكم بهذا الرجل، فإنه لم يبقَ أحد من أهل زمانه أعلم منه، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال: كان فقيهاً متفنناً حافظاً ورعاً مات سنة أربع وخمسين ومائة.

(ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس) الأصبحي الإمام تقدمت ترجمته توفي سنة تسع وسبعين ومائة وشأن كتابه الموطأ مشهور، وفيه قال الشافعي: ما تحت أديم السماء كتاب أصح من الموطأ.

(ثم جامع سفيان) بن سعيد **(الثوري)** في الفقه والأحاديث، ثم جمع ابن عيينة كتاب الجامع في السنن والأبواب، وكتاب التفسير في أحرف من علم القرآن، فهذه أول ما صنف ووضع من الكتب بعد وفاة ابن المسيب والحسن. وقال الحافظ ابن حجر في أول مقدمة فتح الباري: واعلم أن آثار النبي ﷺ لم تكن في عصر أصحابه وكبار تبعهم مدوّنة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين. **أحدهما**: انهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك، كما ثبت في صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم، **وثانيهما**: السعة حفظهم وسيلان أذهانهم، ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة حتى حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار لما انتشرت العلماء في الأمصار، وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكرين الأقدار، فأول من جمع ذلك الربيع بن صبيح، وسعيد بن أبي عروبة وغيرهما. وكانوا يصنعون كل باب على حدة إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدوّنوا الأحكام، فصنف مالك الموطأ وتوخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز، ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم، وصنف ابن جريج بمكة، والأوزاعي بالشام، والثوري بالكوفة، وحماد بن سلمة بالبصرة، ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم في النسج على منوالهم، إلى أن رأى بعض الأئمة منهم أن يفرد حديث النبي ﷺ خاصة، وذلك على رأس المائتين، فصنف عبدالله بن موسى العبسي الكوفي مسنداً، وصنف مسدد بن مسرهد البصري مسنداً، وصنف أسد بن موسى الأموي مسنداً، وصنف نعيم بن حماد الخزاعي نزيل مصر مسنداً، ثم اقتفى الأئمة بعد ذلك أثرهم فقلَّ إمام من الحفاظ إلا وصنف حديثه على المسانيد، كالإمام أحمد، واسحاق بن راهويه، وعثمان بن أبي شيبة وغيرهم من النبلاء، ومنهم من صنف على الأبواب والمسانيد معاً كأبي بكر بن أبي شيبة اهـ.

ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض في الجدال والغوص في إبطال المقالات، ثم مال الناس إليه وإلى القصص والوعظ بها، فأخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان، فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكائد الشيطان، وأعرض عن ذلك إلا الأقلون فصار يسمي المجادل المتكلم عالماً، والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالماً، وهذا لأن العوام هم المستمعون إليهم فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره، ولم تكن سير الصحابة رضي الله عنهم وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم، فاستمر عليهم إسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف، وأصبح علم الآخرة مطوياً وغاب

(**ثم**) بعد سنة مائتين وبعد تقضي ثلاثة قرون (**في القرن الرابع**) المرفوض (**حدثت**) وظهرت (**مصنفات الكلام**) وكتب المتكلمين بالرأي والمعقول والقياس (**وكثر الخوض في الجدال**) مع القدرية والجهمية والروافض (**والغوص في إبطال المقالات**) بالبراهين والأدلة، (**ثم مال الناس إليه**) أخذاً وتحصيلاً (**وإلى القصص والوعظ بها**) على الكراسي، (**فأخذ علم اليقين**) والمعرفة. وفي نسخة: علم التيقن (**في الاندراس**) والاضمحلال وغابت معرفة الموقنين من علم التقوى وإلهام الرشد، فخلف من بعدهم خلف فلم نزل في الخلوف إلى هذا الوقت، (**فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس**) الامارة (**ومكائد الشيطان**) وحيله (**وأعرض عن ذلك إلا الأقلون**) من القليل، ثم اختلط الأمر بعد ذلك في زمانك هذا (**فصار المجادل**) والمتكلم يسمى (**عالماً، والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة**) الرائقة (**عالماً**) عارفاً، والراوي للحديث والناقل له يسمى عالماً من غير فقه في دين ولا بصيرة من يقين. قال صاحب القوت: وروينا عن ابن أبي عبلة قال: كنا نجلس إلى عطاء الخراساني بعد الصبح فيتكلم علينا فاحتبس ذات غداة فتكلم رجل من المؤذنين لا بأس به بمثل ما كان يتكلم به عطاء، فأنكر صوته رجاء بن حيوة فقال: من هذا المتكلم؟ فقال: أنا فلان. فقال: اسكت فإنه يكره أن يسمع العلم إلا من أهله الزاهدين في الدنيا، وكرهوا أن يسمعوه من أبناء الدنيا وزعموا انه لا يليق بهم اهـ.

(**وهذا لأن العوام**) من الناس (**هم المستمعون إليهم**) في حلق دروسهم (**وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره**) لقصور مرتبتهم، (**ولم تكن سيرة الصحابة**) وطريقتهم (**وعلومهم**) وما كانوا عليه (**ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها**) أي بتلك السيرة. وفي نسخة: به (**مباينة هؤلاء لهم**) في الأقوال والأحوال، (**فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطوياً**) وفي القوت: ثم درس معرفة هذا أيضاً فصار كل من نطق بكلام وصفه غريب على السامعين لا يعرف حقه من باطله يسمى عالماً، وكل كلام مستحسن مزخرف رونقه لا أصل له يسمى عالماً لجهل العامة بالعلم أي شيء هو، ولقلة

عنهم الفرق بين العلم والكلام، إلا عن الخواص منهم كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان يقولون: فلان أكثر علماً وفلان أكثر كلاماً، فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام.

هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الانكار يستهدف لنسبته إلى الجنون، فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه ويسكت.

ومنها، أن يكون شديد التوقي من محدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور فلا يغرنه أطباق الخلق على ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم، وليكن حريصاً على

معرفة السامع بوصف من سلف من العلماء كيف كانوا، فصار كثير من متكلمي الزمان فتنة المفتون، وصار كثير من الرأي والمعقول الذي حقيقته جهل كأنه علم عند الجاهلين، **(وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام)** وبين المتكلم والعالم **(إلا على الخواص منهم كانوا إذا قيل لهم فلان أعلم من فلان)** وفي نسخة: أم فلان **(يقولون: فلان أكثر علماً وفلان أكثر كلاماً فكان الخواص)** منهم **(يدركون الفرق)** والتمييز **(بين العلم وبين القدرة على الكلام)** وبين العالم والمتكلم، وخصوص الجهال يشبهون العلماء فيشتبهون على مجالسهم في الحال، فاعلم الناس في زمانك أعرفهم بسيرة المتقدمين، وأعلمهم بطرائق السالكين، ثم أعلمهم بالعلم أي شيء هو وبالعالم من هو وبالمتعلم من هو، وهذا كالفرض على طالبي العلم أن يعرفوه حتى يطلبوه. إذ لا يصح طلب ما لا يعرف، ثم معرفة العالم من هو ليطلبوا عنده العلم إذ العلم عرض لا يقوم إلا بجسم فلا يوجد إلا عند أهله.

(هكذا ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا) في القرن الخامس؟ **(وقد انتهى الأمر إلى أن مظهر الانكار)** في شيء من ذلك **((يستهدف)** ويرمي **(بنفسه إلى الجنون)**، وقلة العقل والله المستعان ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم. **(فالأولى أن يشتغل الإنسان بنفسه)** في توجهه إلى المولى جل وعز **(ويسكت)**، فإنه لا فائدة في نصيحته ولا سامع لها ولا حامل لحديثه ولا ناقل له ويفوض أمره إلى الله تعالى، فهو المطلع على سرائر عباده وهو المجازي لهم.

(ومنها): أي ومن العلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة **(أن يكون شديد التوقي)** أي التحرز **(من محدثات الأمور)** التي أحدثها الناس فيما بعد، **(وإن اتفق عليه الجمهور)** جميع الناس ومعظمهم **(فلا يغرنه إطِباق الخلق)** وإجماعهم **(على ما أحدث)** وابتدع **(بعد)** عصر **(الصحابة)** والقرون الأول، فاخرج اللالكائي في السنة من رواية شبابة قال: حدثنا هشام بن الغاز، عن نافع، عن ابن عمر قال: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة. **(وليكن**

التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم، وما كان فيه أكثر همهم أكان في التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولي الأوقاف والوصايا وأكل مال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في العشرة؟ أم كان في الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الإثم وجليله والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكائد الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن؟ واعلم تحقيقاً أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف، فمنهم أخذ الدين. ولذلك قال علي رضي الله عنه: «خيرنا أتبعنا لهذا الدين». لما قيل له: خالفت فلاناً فلا ينبغي أن يكترث بمخالفة أهل العصر في موافقة أهل عصر رسول الله ﷺ، فإن الناس رأوا رأياً فيما هم فيه لميل طباعهم إليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف

حريصاً على التفتيش) والبحث **(عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم)** وما كانوا عليه من ايثار الآخرة على الدنيا، **(وما كان فيه أكثر هممهم)** ورغباتهم **(أكان)** ذلك **(في التصنيف والتدريس والمناظرة)** مع الأقران **(و)** تولية **(القضاء والولاية)** للأعمال **(وتولي الأوقاف)** بالنظر والتحدث فيها **(والوصايا و)** تولية **(مال الأيتام ومخالطة السلاطين)** والأمراء والتجار **(ومجاملتهم في العشرة)** ومؤانستهم إياهم فيها، **(أو)** كان **(في الخوف)** من الله تعالى **(والحزن)** في أنفسهم **(والتفكر)** في نعم الله تعالى **(والمجاهدة)** مع النفس **(ومراقبة الباطن والظاهر واجتناب دقيق الاثم وجليله والحرص على ادراك خفايا شهوات النفس و)** معرفة **(مكائد الشيطان)** ومدافعته. **(إلى غير ذلك من علوم الباطن)**، كعلم الورع في المكاسب والمعاملات، والفرق بين نفاق العلم والعمل، والفرق بين خواطر الروح والنفس، وبين خاطر الايمان واليقين والعقل، وتفاوت مشاهدات العارفين، وعلم القبض والبسط. وغير ذلك مما يأتي كل ذلك مصرحاً مبسوطاً في كلام المصنف. **(واعلم تحقيقاً أن أعلم أهل الزمان وأقربهم إلى الحق)** والتوفيق والرشد **(أشبههم بالصحابة)** أي بطرائقهم **(وأعرفهم بطرائق السلف، فمنهم أخذ الطريق)** ونص القوت: فاعلم الناس في هذا الوقت وأقربهم من التوفيق والرشد اتبعهم لمن سلف وأشبههم بشمائل صالحي الخلق. كيف، وقد روينا عن رسول الله ﷺ أنه سئل من أعلم الناس! قال: «أعرفهم بالحق إذا اشتبهت الأمور». وقال بعض السلف: اعلم الناس أعرفهم باختلاف الناس، **(ولذلك قال عليّ كرّم الله وجهه: خيرنا أتبعنا لهذا الدين لما قيل له)** إنك **(خالفت فلاناً)** في كذا. هكذا أورده صاحب القوت. زاد: وكما قيل لسعدان بن المسيب يقرأ ما ننسخ من آية أو ننساها، فقال: إن القرآن لم ينزل على المسيب ولا على ابنه، ثم قرأ: ﴿أو ننسها﴾ **(فلا ينبغي أن تكترث بمخالفة أهل العصر في موافقة أهل عصر رسول الله ﷺ، فإن الناس رأوا رأياً فيما هم فيه)**. كذا في أكثر النسخ. وفي بعضها رأوا الفضل فيما هم فيه **(لميل طباعهم إليه)** بمجرد حظ **(ولم**

بأن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه، ولذلك قال الحسن: محدثان أحدثا في الإسلام: رجل ذو رأي سيء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه، ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوهما إلى النار، وإن رجلاً أصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه إلى دنياه، وصاحب هوى يدعوه إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن إلى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم ويقتفي آثارهم متعرض لأجر عظيم، فكذلك كونوا.

وقد روي عن ابن مسعود موقوفاً ومسنداً أنه قال: « إنما هما إثنان الكلام والهدى، فأحسن الكلام كلام الله تعالى وأحسن الهدى هدى رسول الله ﷺ، ألا وإياكم

تسمح طباعهم) وفي نسخة: نفوسهم **(بالاعتراف)** والتسليم لطريقة السلف، **(فإن ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لا سبيل إلى الجنة سواه)** أي سوى طريقه الذي سلكه. وأخرج اللالكائي في السنّة من رواية ابراهيم بن أبي حفصة. قال: قلت لعلي بن الحسين: ناس يقولون لا ننكح إلا من كان على رأينا ولا نصلي إلا خلف من كان علي رأينا. قال علي بن الحسين: ننكحهم بالسنّة ونصلي خلفهم بالسنة، **(ولذلك قال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى. ولفظ القوت: وكان الحسن البصري يقول: **(محدثان أحدثا في الإسلام. رجل ذو رأي سوء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه)** وفي بعض النسخ: برأيه **(ومترف)** أي متنعم **(يعبد الدنيا)** حيث جعلها أكبر همه **(لها يغضب ولها يرضى وإياها يطلب فارفضوهما إلى النار)** أي اتركوهما، فإن مصيرهما إلى النار. زاد في القوت: اعرفوا انكارهم لربهم بأعمالهم **(إن رجلاً أصبح في الدنيا بين مترف يدعو إلى دنياه وصاحب هوى يدعو إلى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما)** أي: من اتباعهما **(يحن إلى)** طريقة **(السلف الصالح)** ويميل إلى شمائلهم **(يسأل عن أفعالهم)** وفي القوت عن فعلهم **(ويقتص)** أي يتتبع **(آثارهم متعرض لأجر)** وفي القوت: لتعرض لأجر **(عظيم فكذلك)**) وفي القوت: وكذلك **(فكونوا)**.

وأخرج اللالكائي في السنة من رواية سعيد بن عامر قال: أخبرنا حزم عن غالب القطان قال: رأيت مالك بن دينار في النوم وهو قاعد في مقعده الذي كان يقعد فيه وهو يشير بأصبعيه وهو يقول: صنفان في الناس لا تجالسوهما، فإن مجالستهما فاسدة لقلب كل مسلم. صاحب بدعة قد غلا فيها، وصاحب دنيا مترف فيها. قال، ثم قال حدثني بهذا حكيم، وكان رجلاً من جلسائه قال: وكان معنا في الحلقة قال: قلت يا حكيم أنت حدثت مالكاً بهذا الحديث؟ قال: نعم. قلت: عمن قال؟ عن المتقانع من المسلمين.

(وقد روى عن ابن مسعود) رضي الله عنه **(موقوفاً)** عليه **(و)** روي أيضاً **(مسنداً)** إلى رسول الله ﷺ قال: **(إنما هما اثنان الكلام والهدى)** أي السيرة والطريقة **(فأحسن الكلام كلام الله عز وجل)** المنزل على رسله في الكتب وأعظمها الكتب الأربعة **(وأحسن**

ومحدثات الأمور، فإن شر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة، وأن كل بدعة ضلالة، ألا لا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم إلا كُل ما هو آت قريب ألا إن البعيد ما ليس بآتٍ».

الهدي هدي محمد ﷺ ألا وإياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور ومحدثاتها وأن كل محدثة بدعة) أي خصلة محدثة **(وأن كل بدعة ضلالة ألا لا يطولن عليكم الأمد)** بالدال محركة الزمان، ومن رواه بالراء فقد صحف **(فتقسو قلوبكم)** وهو من قوله عز وجل ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم﴾ [الحديد : ١٦] **(ألا كل ما هو آت قريب الا ان البعيد ما ليس بآت)** . هكذا أورده صاحب القوت.

وقال العراقي: رواه ابن ماجه من رواية أبي إسحاق السبيعي، عن أبي الأحوص، عن عبدالله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال فذكره إلا أنه قال: «وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» وقال: «ألا إن ما هو آت قريب وإنما البعيد ما ليس بآت» وزاد: «ألا إنما الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره». الحديث. واسناده جيد وزاد الطبراني بعد قوله: «وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» اهـ.

والحديث طويل وفي آخره بعد قوله: «من وعظ بغيره ألا ان قتال المؤمن كفر وسبابه فسوق ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ألا وإياكم والكذب فإن الكذب لا يصلح لا بالجد ولا بالهزل ألا لا يعد الرجل صبيه فلا يفي له وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الصدق يهدي الى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإنه يقال للصادق صدق وبر، ويقال للكاذب كذب وفجر، ألا وإن العبد يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً». هكذا عند ابن ماجه بطوله.

وأخرجه اللالكائي في السنة من هذا الطريق إلى قوله: فتقسو قلوبكم وفيه: «إن كل محدثة» بلا واو، وفيه «الا لا يطول» من غير نون ثقيلة.

وأخرج أيضاً من رواية الأعمش عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال قال: قال عبدالله: «إن أحسن الهدي هدي محمد وإن أحسن الكلام كلام الله، وإنكم ستحدثون ويحدث لكم فكل محدثة ضلالة وكل ضلالة في النار».

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية عمرو بن ثابت، عن عبدالله بن عابس قال، قال عبدالله بن مسعود: «إن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة ابراهيم، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ، وخير الهدي هدي الأنبياء، وأشرف الحديث ذكر الله، وخير القصص القرآن، وخير الأمور عواقبها وشر الأمور محدثاتها» الحديث بطوله.

قال العراقي: وفي الباب عن جابر بن عبدالله رواه مسلم، والنسائي وابن ماجه، من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه الحديث.

وفي خطبة رسول الله ﷺ: « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكم وجانب أهل الزلل والمعصية، طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنّة ولم يعدها إلى بدعة ».

وفيه ويقول: « أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ».

قلت: وأخرج أبو داود، والترمذي، واللالكائي، وأبو بكر الآجري، وعياض في الشفاء من طريقه، كلهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فساقوا الحديث وفيه: « وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ».

وأخرج اللالكائي في السنة من رواية سفيان بن عيينة، عن هلال الوزان، حدثنا عبدالله بن حكيم، وكان قد أدرك الجاهلية قال: أرسل إليه الحجاج يدعوه، فلما أتاه قال: كيف كان عمر يقول؟ قال: كان عمر يقول: « إن أصدق القيل قيل الله ألا وإن أحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة ضلالة؟ ألا وإن الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم ولم يقم الصغير على الكبير، فإذا قام الصغير على الكبير فقد ».

وأخرج أيضاً من رواية واصل الأحدب، عن عاتكة بنت جزء قالت: أتينا ابن مسعود فسألناه عن الدجال قال: « أنا لغير الدجال أخوف عليكم من الدجال أمور تكون من كبرائكم فأيما مرية ورجيل أدرك ذلك الزمان فالسمت الأول السمت الأول فأنا اليوم على السنة ».

وأخرج أيضاً من حديث معاذ: « ستكون فتنة » الحديث وفيه: « فإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة ».

(وفي خطبة رسول الله ﷺ: « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة. طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره. طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من أقواله ووسعته السنة ولم يعدها إلى بدعة ») هكذا أورده صاحب القوت بلفظ وفي خطبة النبي ﷺ التي رويناها وفيه بعد قوله وخالط أهل الفقه والحكمة زيادة وجانب أهل الذل والمعصية. وقال العراقي: فيه عن الحسين بن علي، وأبي هريرة وركب المصري.

أما حديث الحسين بن علي؛ فرواه أبو نعيم في الحلية من رواية القاسم بن محمد بن جعفر عن آبائه من أهل البيت إلى الحسين بن علي قال: رأيت رسول الله ﷺ خطيباً على أصحابه فذكره

بزيادة في أوله وهي: كان الموت في هذه الدنيا على غيرنا كتب الحديث وفيه: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها إلى البدعة».

وأما حديث أبي هريرة؛ فرواه ابن لال في مكارم الأخلاق من رواية عصمة بن محمد الخزرجي، عن يحي بن سعيد عن سليمان بن يسار، عن أبي هريرة رفعه فساقه بمثل حديث الحسين بن علي.

وأما حديث ركب المصري؛ فرواه الطبراني والبيهقي من رواية إسماعيل بن عياش، عن عنبسة بن سعيد الكلاعي، عن نصيح العبسي، عن ركب المصري رفعه: «طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة وأنفق مالاً جمعه في غير معصية ورحم المساكين وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن ذل في نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله».

وأما حديث أنس؛ فرواه البزار في مسنده مختصراً بإسناد ضعيف ولفظه: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها إلى بدعة» اهـ.

قلت: وحديث ركب أخرجه أيضاً البخاري في التاريخ، والبغوي في معجم الصحابة، والبارودي، وابن قانع. وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية كثير بن هشام عن جعفر بن برقان: قال بلغنا أن وهب بن منبه كان يقول: «طوبى لمن فكر في عيبه عن عيب غيره، وطوبى لمن تواضع لله عز وجل من غير معصية وجالس أهل العلم والحلم وأهل الحكمة ووسعته السنة ولم يتعدها إلى البدعة». وقال صاحب القوت بعد أن أورد الخطبة المذكورة ما نصه، وقال بعض العلماء الأدباء كلاماً منظوماً في وصف زماننا هذا كأنه شاهده:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم ... بعضاً ليدفع معور عن معورِ
أبني أيَّ من الرجال بهيمة ... في صورة الرجل السميع المبصرِ
فطن بكل مصيبة في ماله ... فإذا أصيب بدينه لم يشعرِ
فسل اللبيب تكن لبيباً مثله ... من يسع في علم بلب يظفرِ

(وكان ابن مسعود يقول: حسن الهدي في آخر الزمان خير من كثير من العمل) هكذا أورده صاحب القوت أي حسن السيرة والطريقة بمجانبة أهل البدع. وأخرج اللالكائي في السنة من رواية الأعمش، عن عمارة، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبدالله قال: الإقتصاد في السنة خير من الإجتهاد في البدعة. **(وقال)** أيضاً في وصف زمانه باليقين وفي وصف زماننا

من العمل، وقال: أنتم في زمان خيركم فيه المسارع في الأمور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات. وقد صدق فمن لم يتوقف في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا. وقال حذيفة رضي الله عنه: أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى، وان منكركم اليوم معروف زمان قد أتى، وأنكم لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به. ولقد صدق، فإن أكثر معروفات هذه الأعصار منكرات في عصر

بالشك، وأنتم في زمان خيركم فيه المسارع في الأمور، وسيأتي بعدكم **(زمان يكون خيرهم)** فيه **(المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات)** هكذا أورده صاحب القوت، ولم يقل في الأمور، **(وقد صدق)** ابن مسعود **(فمن لم يتثبت في هذا الزمان)** على دينه **(ووافق الجماهير)** في آرائهم **(فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا هلك كما هلكوا. وقال حذيفة)** بن اليمان رضي الله عنه: **(أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى، وأن منكركم معروف زمان قد يأتي، وأنكم لن تزالوا بخير ما عرفتم الحق، وكان العالم فيكم غير مستخف به)**. هكذا أورده صاحب القوت من غير لفظة به في آخره، وأراد من قوله غير مستخف من الخفاء لا من الخفة كما يقتضيه سياق المصنف، وزاد: وكان يقول أيضاً: يأتي على الناس زمان يكون العالم بينهم بمنزلة الحمار الميت لا يلتفتون إليه، ويستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فينا اليوم. والمؤمن فيهم أذل من الأمة. وفي حديث علي: يأتي على الناس زمان ينكر الحق تسعة أعشارهم لا ينجو منهم يومئذ إلا كل مؤمن نومة يعني صموتاً متغافلاً. وفي الخبر يأتي على الناس زمان من عرف فيه الحق نجا. قيل: فأين العمل؟ قال: لا عمل يومئذ لا ينجو فيه إلا من هرب من شاهق إلى شاهق، وفي حديث أبي هريرة: يأتي على الناس زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا. وفي بعضها: بعشر ما يعلم. وقال بعض الخلف: أفضل العلم في آخر الزمان الصمت، وأفضل العمل النوم يعني لكثرة الناطقين بالشبهات فصار الصمت للجاهل علماً ولكثرة الناطقين بالشبهات، فصار النوم عبادة البطال. ولعمري أن الصمت والنوم أدنى أحوال العالم وهما أعلى حال الجاهل، وكان يونس بن عبيد يقول: أصبح اليوم من يعرف السنة غريباً وأغرب منه من يعرفه يعني طريقة السلف يقول: فمن عرف طريق من مضى فهو غريب أيضاً، لأنه قد عرف غريباً. وقال حذيفة المرعشي: كتب إلى يوسف بن أسباط ذهبت الطاعة ومن يعرفها وكان أيضاً يقول ما بقي من يؤنس به، وقال: ما ظنك بزمان مذاكرة العلم فيه معصية؟ قيل: ولم ذلك؟ قال: لأنه لا يجد أهله، وقد كان أبو الدرداء يقول: إنكم لن تزالوا بخير ما أحببتم خياركم، وقيل: فيكم الحق فعرف ويل لكم إذا كان العالم فيكم كالشاة النطيح، وأخرج اللالكائي في السنة من رواية حميد بن هلال قال: حدثني مولى لابن مسعود قال: دخل ابن مسعود على حذيفة فقال: اعهد إلي ألم يأتك اليقين؟ قال: بلى وعزة ربي. قال: فاعلم أن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر، وإن كنت تنكر ما كنت تعرف وإياك والتلون في دين الله فإن دين الله واحد. **(ولقد صدق)**

الصحابة رضي الله عنهم إذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتجميرها وإنفاق الأموال العظيمة في دقائق عمارتها وفرش البسط الرفيعة فيها، ولقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة، وقيل: إنه من محدثات الحجاج فقد كان الأولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزاً. وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من أجل

حذيفة (**فأكثر معروفات هذه الأعصار**) من الأقوال والأفعال كانت (**منكرات في عصر الصحابة**) رضوان الله عليهم (**إذ من غرر المعروف في زماننا تزيين المساجد**)، وفي نسخة: فرش المساجد (**وتجميرها**) أي تزويقها بأنواع الصباغات والفسيفساء والرخام الملون (**وإنفاق الأموال العظيمة**) وصرفها (**في دقائق عمارتها وفرش البسط**) الرومية والانماط (**الرفيعة**) الأثمان (**فيها**)، وكذلك تلوين القبلة بالزخرف لأن ذلك يشغل القلب ويلهي عن الخشوع والتدبر والحضور مع الله تعالى.

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وابن المبارك في الزهد، عن أبي الدرداء رفعه « إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مساجدكم فالدبار عليكم. قال المناوي: والذي عليه الشافعية أن تزويق المسجد ولو الكعبة بذهب أو فضة حرام مطلقاً وبغيرهما مكروه، وإن تحلية المصحف بذهب يجوز للمرأة لا للرجل وبالفضة يجوز مطلقاً. (**ولقد كان**) إخراج الحصى والرمل و(**فرش البواري**) جمع بورياء وهي الحصير فارسية معربة (**في المسجد بدعة، وقيل: إنه من محدثات الحجاج**) بن يوسف الثقفي المشهور كما روي أن قتادة سجد فدخل في عينه قصبة، وكان ضريراً فقال: لعن الله الحجاج ابتدع هذه البواري يؤذي بها المصلين، (**وقد كان الأولون**) من السلف (**ما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزاً**) ويستحبون السجود عليه تواضعاً لله تعالى وتخشعاً وذلاً، وهذا الذي ذكره المصنف من بدع الأفعال، ويدخل في ذلك تشييد البناء بالجص والآجر يقال: أول من طبخ الطين هامان أمره به فرعون، ويقال هو بناء الجبابرة، وكذلك النقوش والتزويق في السقوف والأبواب سواء في المساجد أو البيوت، وكانوا يغضون النظر عن النظر إلى ذلك.

غاب الأحنف بن قيس غيبة فرجع وقد خضروا سقف بيته وصفروه، فلما نظر إليه خرج من منزله وحلف أن لا يدخله حتى يقلعوا ذلك منه ويعيدوه كما كان.

وقال يحي بن يمان: كنت أمشي مع الثوري في طريق فمررنا بباب منقوش مزوق فنظرت إليه فجذبني سفيان حتى جزت، فقلت: ما تكره من النظر؟ فقال: إنما بنوه لينظر إليه، ولو كان كل من مر به لا ينظر إليه ما بنوه فكأنه خشي أن يكون بنظره معاوناً له على بنيانه.

(**وكذلك**) من محدثات الأقوال (**الإشتغال بدقائق الجدل والمناظرة**) والتدقيق في القياس والتبحر فيها، وهذا (**من أجل علوم الزمان**) وأرفعها قدراً لديهم (**ويظنون أنه**) أي

علوم أهل الزمان ويزعمون انه من أعظم القربات، وقد كان من المنكرات. ومن ذلك التلحين في القرآن والأذان. ومن ذلك التعسف في النظافة والوسوسة في الطهارة، وتقدير الأسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الأطعمة وتحريمها إلى

الإشتغال به (**من أعظم القربات**) عند الله تعالى، (**وقد كان ذلك**) عند الأولين (**من المنكرات**)، ويدخل في ذلك التبحر في علوم العربية والنحو. قال بعض السلف: النحو بذهب الخشوع من القلب، وقال بعضهم: من أراد أن يزدري بالناس فليتعلم النحو، وذكرت العربية عند القاسم بن مخيمرة فقال: أولها كبر وآخرها بغي، (**ومن ذلك**) أي من محدثات الأقوال (**التلحين في**) قراءة (**القرآن**) حتى لا يفهم التلاوة وحتى تجاوز إعراب القرآن والكلمة بمد المقصور وقصر الممدود وإدغام المظهر وإظهار المدغم ليستوي بذلك التلاحن، ولا يبالى باعوجاج الكلم وإحالته عن حقيقته، فهذا بدعة ومكروه استماعه. قال بشر بن الحارث: سألت عبدالله بن أبي داود الحريبي أمر بالرجل يقرأ فاجلس إليه. قال يقول بطرب؟ قلت: نعم. قال: لا هذا قد أظهر بدعة (**و**) من ذلك التلحين في (**الآذان**) وهو من البغي فيه والإعتداء. قال رجل من المؤذنين لابن عمر إني لأحبك في الله تعالى، فقال: لكن أبغضك في الله تعالى قال: ولم يا أبا عبد الرحمن؟ قال: لإنك تبغي في أذانك وتأخذ عليه أجراً. وكان أبو بكر الآجري يقول: خرجت من بغداد ولم يحل لي المقام بها قد ابتدعوا في كل شيء حتى في قراءة القرآن وفي الآذان يعني الإدارة والتلحين (**ومن ذلك**) أي من محدثات الأفعال (**التعسف**) أي مجاوزة الحد (**في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الأسباب البعيدة في نجاسات الثياب**) والتشديد فيها بكثرة غسلها من عرق الجنب ولبس الحائض، ومن أبوال ما يؤكل لحمه وغسل يسير الدم ونحو ذلك. وكان السلف يرخصون في كل هذا. (**مع التساهل في حل الأطعمة وتحريمها**) وأمر المكاسب وترك التحري فيها (**إلى نظائر ذلك**) كالكلام فيا لا يعني والخوض في الباطل والغيبة والنميمة والإستماع إليها والنظر إلى الزور واللهو ومجالسه والمشي في هوى نفسه والتعصب وشدة الحرص على الدنيا، فهذا كله تساهلوا فيه كان السلف والقدماء يشددون فيه، وقد اقتصر المصنف على هذا الذي أورده من ذكر الحوادث والبدع وهي كثيرة ولم يذكر من بدع الحجاج إلا فرش البواري في المسجد وهي كثيرة أيضاً فلا بأس أن نلم بما لم يذكره.

فأقول: من جملة بدع الأقوال والأفعال قولهم: كيف أصبحت كيف أمسيت هذا محدث إنما كانوا إذا التقوا قالوا: السلام عليكم ورحمة الله، وإنما حدث هذا زمان طاعون عمواس. كان الرجل يلقى أخاه غدوة فيقول: كيف أصبحت من الطاعون، ويلقاه عشية فيقول كيف أمسيت منه؟ لأن أحدهم كان إذا أصبح لم يمس وإذا أمسى لم يصبح، فبقي هذا إلى اليوم، ونسي سببه، وكان من عرف حدوثه من المتقدمين يكره ذلك. قال رجل لابي بكر بن عياش: كيف أصبحت أو كيف امسيت؟ فلم يكلمه. وقال: دعونا من هذه البدعة. وروى أبو معشر عن الحسن إنما كانوا يقولون السلام عليكم سلمت والله القلوب، فأما اليوم كيف أصبحت أصلحك

....

الله كيف أنت عافاك الله، فإن أخذنا بقولهم كانت بدعة ألا ولا كرامة فإن شاءوا غضبوا علينـا، ومن هذا قولهم الله معكم وقويت وفي الخبر: من بدأكم بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه، ومن ذلك الإشارة بالسلام باليد أو الرأس من غير نطق به، فكل ذلك من المحدثات، ومن ذلك ابتداء االرجل في عنوان الكتاب باسم المكتوب إليه، وإنما السنة يبتدىء بنفسه، فيكتب من فلان إلى فلان، ويقال أول من أحدثه زياد فعابه العلماء عليه وعدوه من أحداث بني أمية، وقد بقي سنة هذا في كتب الأمراء والملوك اليوم.

ومنها قول الرجل إذا جاء منزل أخيه يا غلام أو يا جارية، فقد كان السلف يقرع أحدهم باب أخيه ثم يسلم ثلاثاً يقف بعد كل تسليمه، فإن أذن له دخل، وقد لا يحب صاحب البيت، أن يدخل عليه في ذلك الوقت لعذر أو سبب، فيقول: وعليكم السلام ورحمة الله ارجع عافاك الله، فاني على شغل فيرجع غير كاره لرجوعه غير مؤثر في قلبه من ذلك شيئاً فربما رجع في اليوم مرتين أو ثلاثاً بعد رده، وهذا لو فعل ببعض الناس من أهل عصرنا لكرهه، ولعله لا يعود يومه ذلك. هؤلاء عامة الناس. وأما العلماء، فكان من الناس من لا يستأذن عليهم إلا لمهـم لا بـد منه بل كانوا يقعدون على أبوابهم أو في مساجدهم ينتظرون خروجهم لأوقات الصلاة إجلالاً للعلم وهيبة للعلماء، ومن ذلك استقصاء أحدهم في المسألة عن حال الرجل وخبره، وقد كره ذلك. وكان الأعمش يقول: يلقى أحدكم أخاه فيسأله عن كل شيء حتى عن الدجاج في البيت، ولو سأله درهماً ما أعطاه، ومن ذلك قول الرجل لصاحبه: إذا لقيه ذاهباً في الطريق إلى أين تريد، أو من أين جئت؟ فقد كره هذا. وليس من السنة والأدب وهو داخل في التجسس والتحسس.

ومن ذلك بيع المصاحف وشراؤها وكان بعضهم لبيعها اكره منه لاشترائها؛ ومن ذلك أخذ القرآن بالإدارة وتنازع الآيتين أو تنازع الرجلين الآيتين في مكان واحد بمنزلة الإختلاس والنهبة من غير خشوع للقرآن ولا هيبة، ومـن ذلـك أخـذ المقـرىء على الاثنين وليتـه قـام بقـراءة الواحـد لسهو القلب. ومن ذلك دخول النساء الحمام من غير ضرورة، ودخول الرجل بغير مئزر وهو فسوق. وقال بعض العلماء يحتاج داخل الحمام إلى مئزرين مئزر لوجهه ومئزر لعورته، وإلا لم يسلم في دخوله. ومنها جلوس العلماء على الكراسي، وأول من قعد على كـرسي يحي بـن معـاذ الرازي بمصر، وتبعه أبو حمزة ببغداد فعاب الأشياخ عليهما ذلك ومنها جلوس العلماء متربعين في الدروس، إنما هي جلسة المتكبرين والنحويين وأبناء الدنيا. ومن التواضع الإجتماع في الجلسة، ومن ذلك طرح السنور والدابة على المزابل في الطرقات فيتأذى المسلمون بروائح ذلك، وكان شريح وغيره إذا مات لهم سنور دفنوها في بيوتهم، ومن ذلك إخراج الميازيب إلى الطرقات فإنه بدعة. وكان أحمد بن حنبل وأهل الورع يجعلون ميازيبهم إلى داخل بيوتهم، ومن ذلك الصلاة في المقصورة وهي أول بدعة أحدثت في المساجد، ومنها كثرة المساجد في المحلة الواحدة، وقد كرهه أنس بن مالك وغيره من الصحابة، ويقال: أول ما حدث من البدع أربع: الموائد والمناخل

نظائر ذلك. ولقد صدق ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: أنتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم، وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعاً للهوى. وقد كان

والاشنان والشبع، وكانوا يكرهون أن تكون أواني البيت غير الخزف، ولا يتوضأون في آنية الصفر، ومن ذلك لبس الثياب الرقاق وكانوا يقولون هي من لباس الفساق، ومن رق ثوبه رق دينه وهي من كتان مصر وقطن خراسان، وإنما كانت ثياب السلف السنبلاني والقطواني وعصب اليمن ومعافري مصر والقباطي مثل كسوة الكعبة والثياب السحولية والكرابيس الحضرمية وهذه غلاظ كلها كثيفة قليلة أثمانها. ومن ذلك البيع والشراء على الطريق، وكان الورعون لا يشترون شيئاً ممن قعد يبيعه على طريق، وكذلك إخراج الرواشن في البيوت وتقويم العضايد بين يدي الحوانيت إلى الطريق، وكذلك البيع والشراء من الصبيان لأنهم لا يملكون وكلامهم غير مقبول.

وأما منكرات الحجاج ومحدثاته التي صارت الآن معارف، فكان الشعبي يقول: يأتي على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج أي يترحمون عليه، وهذا قد أتى من منذ زمان لأن الحجاج ابتدع أشياء أنكرها الناس عليه في زمانه، وهي اليوم سنن معروفة يترحم الناس على من أحدثها ويحسبون أنه مأجور عليها ولأنه ظهرت بعده ولاة جور، فابتدعوا بدعاً من الفسوق وصارت سنناً بعدهم، فوجب بذلك الترحم على الحجاج إلى جنب ما أظهروا، فمما أحدث هذه المحامل والقباب التي خالف بها هدى السلف، وإنما كان الناس يخرجون على الرواحل والزوامل ليكثر رفاهية إبلهم وينالوا أجر التعب فصاروا يخرجون في بيوت ظليلة مع الحمل على الإبل ما لا تطيق فيكون سبباً لتلفها وفيه يقول القائل:

أول من اتخذ المحاملا ... عليه لعنة ربي عاجلاً وآجلاً

وفي معناه الشقادف، والمسطحات، وابتدع أيضاً الأخماس، والعواشر، ورؤس الآي، وحمر السواد، وصفره وخضره، فأدخل في المصحف ما ليس فيه من الزخرف. وكان السلف يقولون: جردوا والقرآن كما أنزله الله تعالى، ولا تخلطوا به غيره، فأنكر العلماء عليه ذلك حتى قال أبو رزين: يأتي على الناس زمان ينشأ فيه نشء يحسبون أن ما أحدث الحجاج في المصاحف هكذا أنزله الله تعالى يذمه بذلك. وكان ابن سيرين يكره النقط في القرآن وقال فراس بن يحي: وجدت ورقاً منقوطاً بالنحو في سجن الحجاج فعجبت منه، وكان أول نقط رأيته فأتيت الشعبي فقال لي: اقرأ عليه ولا تنقطه أنت بيدك، ومنها أنه جمع من القراء ثلاثين رجلاً فكانوا يعدون حروف المصحف وكلمه شهراً، ولو رآهم عمر أو عثمان، أو علي يصنعون هذا لأوجعهم ضرباً، وهذا الذي كرهته الصحابة ووصفوا به قراء آخر الزمان أنهم يحفظون حروفه ويضيعون حدوده، وكان الحجاج اقرأ القراء وأحفظهم لحروف القرآن. وكان يقرأ القرآن في كل ثلاث، وكان أضيع الناس لحدوده.

(ولقد صدق ابن مسعود) رضي الله عنه **(حيث قال: أنتم اليوم في زمان الهوى فيه**

أحمد بن حنبل يقول: تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم والله المستعان. وقال مالك بن أنس رحمه الله: لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم، ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال، ولكن أدركتهم يقولون مستحب ومكروه. (ومعناه أنهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهة والاستحباب، فأما الحرام فكان فحشه ظاهراً). وكان هشام بن عروة يقول: لا تسألوهم اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فإنهم قد أعدوا له جواباً، ولكن سلوهم عن السنّة فإنهم لا يعرفونها. وكان

تابع للعلم، وسيأتي عليكم زمان يكون العلم تابعاً للهوى). هكذا أورده صاحب القوت. قال: والمراد بالعلم هو نص القرآن والسنة، أو ما دلا عليه واستنبط منهما أو وجد فيهما اسمه ومعناه من قول وفعل، والتأويل إذا لم يخرج من الإجماع داخل في العلم والإستنباط إذا كان مستودعاً في الكتاب شهد به المجمل ولا ينافيه النص فهو علم، والمراد من الهوى ما عدا ذلك من العلوم.

(وكان أحمد) بن حنبل رحمه الله تعالى **(يقول: تركوا العلم واقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم والله المستعان)**. أورده صاحب القوت: هكذا إلا أنه قال ما أقل الفقه فيهم. وأخرج الخطيب في شرف أصحاب الحديث فقال: حدثنا عبد العزيز بن الحسن القرميسيني، حدثنا عبدالله بن موسى الهاشمي، حدثنا ابن بدينا قال: سمعت المروزي يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: فساقه كسياق القوت، وليس في آخره والله المستعان. وأخرج أيضاً من رواية بشر ابن الوليد قال: سمعت أبا يوسف يقول: لا تكثروا من الحديث الغريب الذي لا يجيء به الفقهاء فآخر أمر صاحبه أن يقال كذاب. **(وقال مالك بن أنس)** الإمام رحمه الله تعالى: **(لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الأمور كما يسأل الناس اليوم، ولم يكن العلماء يقولون حلال و)** لا **(حرام)** في أكثر الأمور **(أدركتهم يقولون مكروه ومستحب)**، وقد كان مالك كثير التوقف في الأجوبة إذا سئل ويكثر أن يقول: لا أدري سل غيري. وقال رجل لعبد الرحمن بن مهدي: ألا ترى إلى قول فلان في العلم حلال وحرام، وقطعه في الأمور بعلمه يعني رجلاً من أهل الرأي، وإلى قول مالك أحسب أحسب إذا سئل، فقال عبد الرحمن: ويحك قول مالك، أحسب أحب إليَّ من قول فلان اشهد اشهد **(معناه أنهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهية والإستحباب، فاما الحرام فكان تجنبه ظاهراً)** بما كانوا يتكلمون فيه.

(وكان هشام بن عروة) بن الزبير بن العوام القرشي أبو المنذر رأى أنساً وجابراً وسهل بن سعد وعبدالله بن عمر بن الخطاب ومسح رأسه ودعا له، وكان صدوقاً. مات ببغداد عند أبي جعفر المنصور سنة سبع وأربعين ومائة. **(يقول: لا تسألوهم اليوم عما أحدثوا بأنفسهم قد أعدوا له جواباً، ولكن سلوهم عن السنة فإنهم لا يعرفونها)**. هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه ليس فيه بأنفسهم، وفيه سلوهم عن السنن. وكان الشعبي: إذا نظر ما أحدث

أبو سليمان الداراني رحمه الله يقول: لا ينبغي لمن ألهم شيئاً من الخير أن يعمل به حتى يسمع به في الأثر فيحمد الله تعالى إذ وافق ما في نفسه، وإنما قال هذا لأن ما قد أبدع من الآراء قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب، وربما يشوّش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقاً فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار، ولهذا لما أحدث مروان المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام إليه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال: يا مروان ما هذه البدعة؟ فقال: إنها ليست ببدعة إنها خير مما تعلم. إن الناس قد كثروا، فأردت أن يبلغهم الصوت، فقال أبو سعيد: والله لا تأتون بخير مما أعلم أبداً ووالله لا صليت وراءك اليوم! وإنما أنكر ذلك عليه « لأن رسول الله ﷺ كان يتوكأ في خطبة العيد

الناس من الرأي والهوى يقول لقد كان القعود في هذا المسجد أحب إليّ مما يعدل به فمذ صار فيه هؤلاء الرائيون،فقد بغضوا إلى الجلوس فيه، ولأن أقعد على مزبلة أحب إليّ من أن أجلس فيه، وكان يقول: ما حدثوك عن السنن والآثار فخذ به وما حدثوك بما أحدثوا من رأيهم فالحظ عليه، وقال مرة: فبل عليه.

(**وكان أبو سليمان**) عبد الرحمن بن عطية (**الداراني**) رحمه الله تعالى (**يقول: لا ينبغي لمن ألهم شيئاً من الخير أن يعمل به حتى يسمع به في الأثر فيحمد الله تعالى عليه إذا وافق ما في نفسه**) هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه قال: إذا وافق ولم يقل ما في نفسه. وقال بعض العارفين: ما قبلت خاطراً من قلبي حتى يفتح لي شاهدي عدل من كتاب وسنة. وقال سهل التستري: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى تكون فيه هذه الأربع أداء الفرائض بالسنة، وأكل الحلال بالورع، واجتناب النهي من الظاهر والباطن، والصبر على ذلك إلى المات، (**وإنما قال**) أبو سليمان (**هذا**) الذي ذكره (**لأن ما أبدع**) وأحدث (**من الآراء**) المختلفة (**قد قرع الأسماع وعلق بالقلوب**) إلا من عصمه الله. كيف؟ وقد قال ابن مسعود: يظهر المنكر والبدع حتى إذا غير منها قيل غيرت السنة، وقال في آخر حديثه: أكيسهم في ذلك الزمان الذي يروغ بدينه روغان الثعالب، (**فربما يشوش صفاء القلوب فيتخيل بسببه الباطل حقاً فيحتاط فيه بالإستظهار بشهادة الآثار**) والسنن (**ولهذا لما أحدث مروان**) ولفظ القوت: وروينا أن مروان لما أحدث (**المنبر في صلاة العيد عند المصلى**) وهو مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي، ولد بعد الهجرة بسنتين وليس يصح له سماع، وكان كاتباً لعثمان، وولي أمرة المدينة لمعاوية بالموسم، وبويع له بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية بالجابية، ومات بالشام سنة خمس وستين. (**قام إليه أبو سعيد**) مالك بن سنان (**الخدري**) رضي الله عنه (**فقال يا مروان: ما هذه البدعة؟ فقال: إنها ليست بدعة هي خير مما تعلم. ان الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت، فقال أبو سعيد: والله لا تأتوني**) ولفظ القوت: لا تأتوني (**بخير مما أعلم أبداً و**) و (**الله لا صليت وراءك اليوم**) فانصرف ولم يصل معه صلاة العيد والخطبة على منبر

والاستسقاء على قوس أو عصا لا على المنبر ». وفي الحديث المشهور: « من أحدث في ديننا ما ليس منه فهو ردّ ». وفي خبر آخر: « من غشّ أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل يا رسول الله: وما غش أمتك؟ قال: أن يبتدع بدعة يحمل الناس

في صلاة العيد وخطبة الإستسقاء بدعة، **(وإنما أنكر ذلك)** أبو سعيد على مروان **(لأن النبي ﷺ كان يتوكأ في خطبة العيد والإستسقاء على قوس أو عصا لا على المنبر)**.

روى أبو داود من رواية شعيب بن زريق الطائفي قال: جلست إلى رجل له صحبة يقال له الحكم بن حزن الكلبي فأنشأ يحدثنا فذكر حديثاً فيه فأقمنا بها أياماً شهدنا فيها الجمعة مع النبي ﷺ، فقام يتوكأ على عصا أو قوس، فحمد الله وأثنى عليه.

وروى الطبراني في الصغير من رواية عبد الرحمن بن سعد عمار بن قرظ قال: حدثني أبي، عن جدي، عن أبيه سعد أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب في العيدين خطب على قوس، وإذا خطب في الجمعة خطب على عصا. ورواه بن ماجه بلفظ: كان إذا خطب في الحرب خطب على قوس، وإذا خطب في الجمعة خطب على عصا. ورواه الحاكم في المستدرك من رواية عبدالله بن عمار بن سعد القرظي قال: حدثني أبي عن جدي أن رسول الله ﷺ فذكر حديثاً طويلاً فيه: وكان إذا خطب في الحرب خطب على قوس، وإذا خطب في الجمعة خطب على عصا. وروى الطبراني في الكبير من رواية أبي خباب الكلبي قال: حدثني يزيد بن البراء، عن أبيه قال: كنا جلوساً ننتظر النبي ﷺ يوم أضحى إلى أن قال: ثم أعطي قوساً أو عصا اتكأ عليه الحديث قاله العراقي، والحافظ ابن حجر.

قلت: وبمثل رواية الحاكم وأبي داود أخرجه البيهقي في السنن، وأخرج الشافعي في مسنده في باب إيجاب الجمعة عن عطاء مرسلاً: كان إذا خطب يعتمد على عنزة أو عصا. قال ابن القيم: ولم يحفظ عنه ﷺ أنه توكأ على سيف خلافاً لبعض الجهلة.

(وفي الحديث المشهور) على الألسنة: **(« من أحدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد »)** أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وابن ماجه من رواية سعد بن إبراهيم، عن القاسم، عن عائشة، عن النبي ﷺ بلفظ في أمرنا ما ليس منه» وقال أبو داود: « ما ليس فيه » وفي رواية لمسلم « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » قاله العراقي.

قلت: الذي في روايتهم في أمرنا هذا، وقوله: ردّ أي مردود، وهذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده. قال النووي: ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات.

(وفي حديث آخر: « من غش أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » قيل يا رسول الله: وما غش أمتك؟ قال: « أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها ») هكذا أورده صاحب القوت.

عليها ». وقال ﷺ: « إن الله عز وجل ملكاً ينادي كل يوم من خالف سنّة رسول الله ﷺ لم تنله شفاعته » ومثال الجاني على الدين بإبداع ما يخالف السنّة بالنسبة إلى مَن يذنب ذنباً مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة إلى من خالف أمره في خدمة معينة، وذلك قد يغفر له فأما قلب الدولة فلا. وقال بعض العلماء: ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء، وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف، وقال غيره: الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى. وقال ﷺ: « عليكم بالنمط الأوسط الذي يرجع إليه العالي ويرتفع إليه التالي ». وقال ابن عباس رضي الله

وقال العراقي، والسيوطي: أخرجه الدارقطني في الإفراد من رواية محمد بن المنكدر بن محمد، عن أبيه، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ فذكره إلا أنه قال قيل يا رسول الله: وما الغش؟ قال: « أن يبدع لهم بدعة ضلالة فيعمل بها » قال الداقطني غريب من حديث محمد بن المنكدر عن أنس تفرد به ابنه المنكدر.

(وقال النبي ﷺ: « إن لله ملكاً ينادي كل يوم من خالف سنة محمد ﷺ لم ينل شفاعته ») قال العراقي: لم أقف له على أصل.

قلت أورده هكذا صاحب القوت بلفظ. وروينا عن النبي ﷺ وفيه: « من خالف سنة رسول الله ﷺ لم تنله شفاعة رسول الله » وفي بعض النسخ « لم تنله شفاعته » ووجدت بخط بعض المحدثين ما نصه: رواه الخطيب في أثناء حديث بسند فيه مجهول، وقال الذهبي: هو خبر كذب. **(ومثال الجاني على الدين بإبداع)** أي أحداث **(ما يخالف السنة)** الماضية **(بالنسبة إلى من يذنب ذنباً مثال)** ولفظ القوت: ومثل من ابتدع في الأمة مخالفاً لطريق الأئمة إلى ما أساء بالذنوب إلى نفسه مثل **(من عصى الملك في قلب دولته)** وتظاهر عليه في ملكه بالإزالة **(بالنسبة إلى من)** ولفظ القوت إلى جنب من **(خالف أمره في خدمة معينة)** ولفظ القوت: من عصا أمره وقصر في حقه من الرعية، **(وذلك قد يعفو، وأما قلب الدولة فلا)**، وقد قال الحكماء ثلاث من الملك لا يحسن أن يغفرها من قلب دولة من رعيته أو عمل فيما يوهن الملك أو أفسد حرمة من حرمه. **(وقال بعض العلماء: ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء، وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف)** هكذا أورده صاحب القوت والتكلف أن يتأول السنن بالرأي والمعقول، أو ينطق بما لم يسبق إليه السلف من القول أو بمعناه. **(وقال آخر: الحق ثقيل من جاوزه ظلم، ومن قصر عنه عجز، ومن وقف معه اكتفى)** هكذا أورده صاحب القوت، والمراد بالوقوف معه أن يدور معه حيث دار ولا يتعدى عن حدوده فيفرط ولا يقصر عن قبوله فيفرط.

(وقال ﷺ: « عليكم بالنمط الأوسط الذي يرجع إليه العالي ويرتفع إليه التالي ») قال العراقي: لم أجده مرفوعاً، وإنما هو موقوف على علي بن أبي طالب رضي الله عنه. رواه أبو

عنها: الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها. قال الله تعالى: ﴿وَذرِ الذين اتّخذوا دينَهم لِعباً وَلهواً﴾ [الأنعام: ٧٠]. وقال تعالى: ﴿أفَمَنْ زَيّن له سُوءَ عمله فرآه حسناً﴾ [فاطر: ٨]، فكل ما أحدث بعد الصحابة رضي الله عنهم مما جاوز قدر الضرورة والحاجة، فهو من اللعب واللهو. وحكي عن إبليس لعنه الله انه بث جنوده في وقت الصحابة رضي الله عنهم فرجعوا إليه محسورين، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئاً وقد أتعبونا! فقال: إنكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم، ولكن

عبيد في غريب الحديث بلفظ: «خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي» ورجال إسناده ثقات إلا أن فيه انقطاعاً اهـ.

قلت: والمصنف أخذه من القوت ولفظه. وقال علي كرم الله وجهه. فساقه. وأورده الجوهري في الصحاح، فقال: وفي الحديث فساقه كسياق أبي عبيد، وقد جاء في حديث مرفوع «خير الناس هذا النمط الأوسط» وقد ذكرته في شرح القاموس وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية إسماعيل بن عبد الكريم قال: حدثني عبد الصمد سمعت وهباً يقول: إن لكل شيء طرفين ووسطاً فإذا أمسكت بأحد الطرفين مال الآخر، وإذا أمسكت بالوسط اعتدل الطرفان ثم قال عليكم بالأوسط من الأشياء اهـ.

والنمط: الطريقة يقال الزم هذا النمط أي هذا الطريق، والغالي إن كان بالغين المعجمة فمن العلو وهو التجاوز والإفراط، وإن كان بالعين المهلمة فمن العلو بمعنى ارتفاع الشأن والتالي من تلاوة وقال أبو عبيد معنى قول على أنه الغلو والتقصير في الدين إذا تبعه.

(**وقال ابن عباس**) رضي الله عنهما. (**إن الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها قال الله تعالى: ﴿اتخذوا دينهم لعباً ولهواً﴾ [الأنعام: ٧٠] وقال تعالى: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً﴾**) [فاطر: ٨] هكذا أورده صاحب القوت بلفظ إن للضلالة حلاوة، وزاد في آخره كما قال الله تعالى: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ [هود: ١٧] فالعلم رحمك الله هو الذي كان عليه السلف الصالح المقتفي آثارهم، والخلف التابع المقتدي بهديهم وهم الصحابة أهل السكينة والرضا، ثم التابعون لهم بإحسان من أهل الزهد والنهي، والعالم هو الذي يدعو الناس إلى مثل حاله حتى يكونوا مثله، فإذا نظروا إليه زهدوا في الدنيا لزهده فيها، (**فكل ما أحدث**) وابتدع (**بعد**) عصر (**الصحابة**) والتابعين لهم بإحسان (**مما جاوز قدر الضرورة والحاجة، فهو من اللهو واللعب**) داخل في منطوق الآية الكريمة.

(**وحُكي عن إبليس لعنه الله تعالى أنه بث جنوده**) أي نشر أعوانه (**في وقت الصحابة**) رضوان الله عليهم ليغووهم (**فرجعوا إليه محسورين**) ممنوعين لم يقدروا على فعل شيء من الاغواء ولفظ القوت: محصورين بالصاد المهملة، (**فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: ما رأينا مثل هؤلاء**) القوم (**ما نصيب منهم شيئاً وقد أتعبونا، فقال**) إبليس: (**إنكم لا تقدرون**

سيأتي بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم، فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا إليه منكسين، فقالوا: ما رأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشيء من الذنوب فإذا كان آخر النهار أخذوا في الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات! فقال: إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئاً لصحة توحيدهم واتباعهم لسنّة نبيهم، ولكن سيأتي بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعباً وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون، فيبدل الله سيئاتهم حسنات. قال: فجاء قوم بعد القرن الأوّل فبثّ فيهم الأهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها ديناً لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها، فسلط عليهم الأعداء وقادوهم أين شاءوا.

فإن قلت: من أين عرف قائل هذا ما قاله إبليس ولم يشاهد. إبليس ولا حدثه بذلك؟ فاعلم أن أرباب القلوب يكاشفون بأسرار الملكوت تارة على سبيل الإلهام بأن

عليهم) إنهم **(قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزل الوحي)** ولفظ القوت: تنزيل ربهم، **(ولكن سيأتي بعدهم قوم تنالون حاجتكم، فلما جاء التابعون)** أي عصرهم **(بث جنوده)** فيهم **(فرجعوا إليه)** منكسرين **(منكسين)** ولفظ القوت: منكوسين **(فقالوا)** ولفظ القوت: فقال ما شأنكم؟ قالوا: **(ما رأينا أعجب من هؤلاء)** القوم **(نصيب منهم الشيء بعد الشيء من الذنوب، فإذا كان)** من **(آخر النهار أخذوا في الإستغفار فتبدل سيآتهم حسنات، فقال: إنكم لن تنالوا من هؤلاء شيئاً لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم، ولكن سيأتي بعدهم قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعباً وتقودونهم بأزمة أهوائكم كيف شئتم إن استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فتبدل سيآتهم حسنات، قال، فجاء قوم بعد القرون الأول)** كذا لفظ القوت، وفي بعض النسخ: بعد القرن الأول **(فبث فيهم الأهواء)** وحسنها لهم **(وزين لهم البدع فاستحلوها)** بتشديد اللام وبتخفيفها **(واتخذوها)** أي تلك البدع **(ديناً)** وطريقة **(لا يستغفرون منها ولا يتوبون)** إلى الله تعالى **(عنها)** قال: **(فسلط)** كذا في النسخ ولفظ القوت: فتسلطت **(عليهم الأعداء وقادتهم أين شاءوا)** . هكذا ساق هذه الحكاية بطولها صاحب القوت وهي دالة على أن الأحداث والإبتداع في الدين ضلالة وإضلال وفساد وإفساد. وقد ورد في ذلك أحاديث وآثار غير ما ساقها المصنف مما هو في الحلية لأبي نعيم والقوت لأبي طالب، والسنة للالكائي وغيرها، ولو استوفينا الكل أطال علينا الكتاب وامتلأ الوطاب، ولكن اقتصرنا على تبيين ما أورده المصنف فقط.

(فان قلت: من أين عرف قائل هذا ما قاله) أي هذه الحكاية التي أوردها عن ابليس من أين مأخذها **(و)** ذلك فإنه معلوم قطعاً بأنه **(لم يشاهد إبليس ولا حدثه بذلك)** في نشر جنوده؟ **(فاعلم أن)** هذا وأمثاله يُعدّ في جلة مكاشفات أرباب القلوب لأن **(أرباب القلوب)** الصافية **(يكاشفون بأسرار الملكوت)** ويشاهدونها والملكوت ما بطن من الكون ولا تدركه

يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون، وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة، وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة ـ كما يكون في المنام ـ وهذا أعلى الدرجات وهي من درجات النبوّة العالية، كما أن الرؤيا الصادقة

الحواس الخمس ولا يقبل القسمة والتجزىء، ويقابله الملك ويعبران بالغيب والشهادة أيضاً (**تارة على سبيل الالهام**) الرباني (**بأن يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون**) وهو صنف من أصناف الوحي الثلاثة، (**وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة**) في النوم وهو أيضاً صنف من أصناف الوحي التسعة، (**وتارة في اليقظة على سبيل كشف المعاني بمشاهدة الأمثلة**)، وذلك فإن الانسان إذا إرتقى من قوة الحس إلى قوّة التخيل، ومنها إلى قوّة الفكر، ومنها إلى إدراك حقائق الأمور التي في العقل وهذي القوى متصلة إتصالاً روحانياً فربما عرض لها من قوّة قبول بعضها من بعض الآثار أن ينعكس في بعض الأمزجة منحطة كما تصاعدت على سبيل الفيض، فيؤثر حينئذ العقل في القوة الفكرية، والقوّة الفكرية في القوّة المتخيلة، وتؤثر القوّة المتخيلة في الحس فيرى الانسان أمثلة الأمور المعقولة. أعني حقائق الأشياء ومبادئها وأسبابها كأنها خارجة عنه وكأنها يراها ببصره ويسمعها بأذنه، (**كما يكون في المنام**) أي كما أن النائم يرى أمثلة الأشياء المحسوسة في القوّة المتخيلة، ويظن أنه يراها من خارج، وربما كانت صحيحة مبشرة أو منذرة في المستأنف، وربما رأى الامور بأعيانها من غير تأويل، وربما رآها مرموزة تحتاج إلى تأويل. كذلك حال هذا المستيقظ إذا استقرت فيه هذه القوّة العالية أخذته عن المحسوسات حتى كانت غابت عنها فيشاهد في القوّة المتخيلة ما إنحدر إليها من علو الخفا بارادة الله اياه إلى العقل، ومن العقل إلى الفكر، ومن الفكر إلى المتخيلة ويسمع ما لا يشك فيه، وتلك الأمور ليست في زمان فمستقبلها وماضيها واحد لأنها حاضرة معاً، فالأمور لائحة فيه له فيشاهد مستقبلها كما يشاهد ماضيها وإذا أخبر بها كانت صحيحة وكانت وحياً والله أعلم.

(**وهذا أعلى الدرجات**) لأنه من مقام الأنبياء وهو غاية شرف الانسانية والأفق الأعلى منه، فلم يبق له الارتقاء من هذا المقام بسعيه وجهده بل تنحط إليه الأمور الالهية والجذبات الربانية وحيا وإلهاماً (**وهي من درجات النبّوة العالية**) الشأن والقدر، (**كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**) أخرجه الأمام أحمد، وابن ماجه، عن ابن عمر، والإمام أحمد أيضاً عن ابن عباس ولفظهم: «الرؤيا الصالحة» وقد تقدم تخريج هذا الحديث في أوّل الكتاب، واعلم أن الانسان إذا جعل أقصى سعيه بما يستفيده من حواسه ترقية قواه إلى ما يقرب من الرب عز وجل بطريق الرياضات النفسانية والمجاهدات الشرعية أيده الله تعالى بحقيقة الضد واستكملت صورة الانسانية فيه وتصورت نفسه بحقائق الاشياء، فيبلغ في هذه المرتبة متصاعداً فيها إلى غاية أفقه التي إن تجاوزها لم يكن إنساناً، بل صار ملكاً كريماً إلى أن تدركه العناية الأزلية وتهب نفحات ألطاف الحق فتنخرق الحجب النورانية ويشاهد الأنوار الربانية ويتقوى بقوة لم تكن في استعداد الإنسان مجبولة تسمى خفياً لأنها كانت متمكنة لم يخرجها من القوة

جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة. فإياك أن يكون حظك من هذا العلم إنكاره ما جاوز حد قصورك، ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمون أنهم أحاطوا بعلوم العقول، فالجهل خير من عقل يدعو إلى انكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى، ومن

إلى الفعل إلا سطوات الأنوار الربانية فبالارتقاء إلى مقام الخفي يستعد للترقي من أواخر الأفق الإنساني إلى أوائل آفاق ما فوقها فيستعد لقبول الفيض الرباني بلا واسطة، وهذا مقام الأنبياء ينبئه الحق تعالى باراءة آياته في آفاق نفسه عما يشاء كما يشاء، أما الاولياء بالالهام، وأما الأنبياء بالوحي بحسب استعداد كل واحد منهم. وقد ذكرنا آنفاً أن الالهام صنف من أصناف الوحي الثلاثة والرؤيا الصادقة صنف من أصناف الوحي التسعة، فربما تتشوّق نفسك إلى معرفة ذلك تفصيلاً .فاعلم أن الله جل شأنه جعل أقسام كلامه مع عباده ثلاثة وحياً بلا واسطة، وكلاماً من وراء حجاب، وارسال الرسول وهو جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة، ثم جعل أصناف الوحي ثلاثة وحياً للعجماء بالاجراء والتسخير، وحياً للأولياء بالالهام، ووحياً للأنبياء تارة بواسطة وتارة بغير واسطة، ولكل ذلك أمثلة وأدلة ليس هذا محل ذكرها. وقال بعض الحكماء الاسلاميين إن أصناف الوحي يجب أن يكون بعد أصناف قوى النفس. وذلك ان الفيض الذي يأتي النفس، إما أن تقبله بجميع قواها أو ببعضها وقوى النفس تنقسم إلى قسمين وهما الحس والعقل، وكل واحد من هذين ينقسم إلى أقسام كثيرة وأقسامها إلى أقسام كثيرة حتى ينتهي إلى الجزئيات التي لا نهاية لها، وإنما عرض هذا الانقسام بحسب الآلات والمدركات الكثيرة، فأما قواها التي هي الحواس فمنها ما هو في أفق الحيوان البهيمي، ومنها ما هو في أفق الانسان، وأعلاها مرتبة ما هو في أفق الانسان أعني حس البصر والسمع إلى آخر ما ذكره وأيد به قوله، وأما ما جاء على لسان العلم من أصناف الوحي على نبينا ﷺ فمنها الرؤيا الصالحة، ومنها ما يبدو في اليقظة فيسمع صوتاً أو يرى ضوءاً، ومنها ما يرى ملكاً فيكلمه، ومنها ما يظهر الملك في أفق الملكية ومنها ما ينفث الملك في الروع، ومنها ما نزل به جبريل على قلبه، ومنها ما يلقيه الله في القلب من غير واسطة، ومنها ما يأتي الملك متمثلاً في صورة إنسان، ومنها ما كان سراً بينه وبين ربه فلم يحدث به أحداً، ومنها ما يحدث به الناس وذلك على صنفين: فمنه ما كان مأموراً بكتبه قرآناً ومنه ما لم يكن مأموراً بكتبه قرآنا فلم يكن قرآنا والله أعلم.

(**وإياك**) أيها السامع لما أوردناه (**أن يكون حظك**) ونصيبك (**من العلم**) الذي حلته في باطنك (**إنكار كل ما جاوز حد قصورك**) وتعدى عن طور فهمك، (**ففيه هلك المتحذلقون من العلماء**) أي المتكيسون، والحذلقة: والتحذلق التصرف بالظرف، وقيل المتحذلق هو الذي يريد أن يزداد على قدره، وانه ليتحذلق في كلامه ويتبلتع أي يتظرف ويتكيس (**الزاعمون انهم أحاطوا**) على المعلومات بأسرها (**بعلم المعقول**)، ولو وكل ما لا يحيط به ادراكه إلى علم الله تعالى لكان أحسن الحالين له، (**والجهل خير من عقل يدعو**) ويتسبب (**إلى إنكار مثل هذه الأمور لأولياء الله تعالى**) لأن أشرف أقوال الجاهلين التسليم

أنكر ذلك للأولياء لزمه إنكار الأنبياء وكان خارجاً عن الدين بالكلية. قال بعض العارفين إنما انقطع الابدال في أطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت، لأنهم عندهم جهال بالله تعالى، وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء. قال سهل التستري رضي الله عنه: إن من أعظم المعاصي الجهل بالجهل، والنظر إلى العامة واستماع كلام أهل الغفلة، وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي أن يصغى إلى قوله، بل ينبغي أن يتهم في كل ما يقول لأن كل إنسان يخوض فيما أحب

والتفويض لما لا يعلمون، وهو أقل أحوال العالمين فبالنظر إلى ذلك كان بعض الجهل خيراً من العلم. (**ومن أنكر ذلك لأولياء الله تعالى**) ولم يثبت لهم ذلك (**لزمه إنكار الانبياء**)، لأن طريق الفيض واحد وإنما يختلف تلقيه بحسب الاستعدادات فما كان للأنبياء فهو للأولياء مع مباينة الاستعداد ما عدا مرتبة النبوّة التي لا يلحقها لاحق ولا يشق غبارها سابق، فإنكارها ما للأولياء يورثه الانكار لما للأنبياء، (و) متى ارتسم في صورته الطبيعية رد إلى أرذل الأحوال و (**كان خارجاً عن**) ربقة (**الدين بالكلية**) وهذا يسقط معه الكلام.

(**قال بعض العارفين إنما انقطع الابدال في أطراف الارض واستتروا عن أعين الجمهور لانهم**) ولفظ القوت: ويقال أن الابدال إنما انقطعوا لأطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور (**لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت**) ولا يصبرون على إستماع كلامهم، (**لأنهم عندهم جهال بالله تعالى**) أي العلماء عند الابدال (**وهم**)أي العلماء (**عند أنفسهم وعند الجاهلين**) والعامة (**علماء**)، وقد ذكر السادة الصوفية أن الابدال في كل زمن سبعة لا يزيدون كل واحد في إقليم، والاوتاد أربعة لا يزيدون، والنجباء ثمانية لا يزيدون، والنقباء اثنا عشر لا يزيدون، ولكل هؤلاء أحوال ليس هذا محل ذكرها: قال صاحب القوت وقد صاروا من أهل الجهل بالجهل على الوصف الذي (**قال**) أبو محمد (**سهل التستري رحمه الله تعالى**) أن (**من أعظم المعاصي الجهل بالجهل**) أي أن يجهل أنه يجهل فجهله بسيط، وقد تم كلام سهل، ثم ابتدأ صاحب القوت فقال (**والنظر إلى**) أحوال (**العمة وإستماع كلام أهل الغفلة**) أيسر عندهم أي عند الابدال لانهم لا يعدمون ذلك حيث كانوا من أطراف الأرض، وقد ظهر لك مما تقدم أن كلام سهل التستري من أعظم المعاصي الجهل بالجهل هو هذا القدر، وأما ما بعده فإنه من ايراد صاحب القوت، وظن المصنف كله من كلام سهل فأورد الجمل الثلاثة معاً وحذف الخبر الذي هو قوله أيسر عندهم، فليتفطن لذلك وهذا لا يعرفه إلا من أطلعه الله تعالى على مآخذ عبارات المصنف. (**وكل عالم**) ناطق بظواهر العلوم (**خائض في**)أمور (**الدنيا**) محب لها، فانه آكل للمال الباطل، وكل من أكل أموال الناس بالباطل فإنه يصد عن سبيل الله لا محالة وإن لم يظهر ذلك في مقالته ولكنا نعرفه في لحن معناه بدقائق الصد عن مجالسة غيره. وبلطائف المنع من طرقات الآخرة، (**فلا ينبغي أن يصغي**) أي يمال الاذن (**إلى**)استماع

ويدفع ما لا يوافق محبوبه، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾ [الكهف: ٢٨]، والعوام العصاة أسعد حالاً من الجهال بطريق الدين المعتقدين أنهم من العلماء، لأن العامي العاصي معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب، وهذا الجاهل الظانّ أنه عالم فإن ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله إلى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر، بل لا يزال مستمراً عليه إلى الموت. وإذ غلب هذا على أكثر الناس إلا من عصمه الله تعالى وانقطع الطمع من إصلاحهم فالأسلم لـذي الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم - كما سيأتي في كتاب العزلة بيانه إن شاء الله تعالى - ولذلك كتب يوسف بن اسباط إلى حذيفة المرعشي: ما ظنك بمن بقي

(قوله، بل ينبغي أن يتهم في كل ما يقول لأن كل انسان) إنما (يخوض فيما أحب) ومالت إليه نفسه، (ويدفع ما لا يوافق محبوبه) فحب الدنيا وغلبة الهوى يحكمان عليه بالصد عن سبيل الحق شاء أم أبى. (ولذلك قال تعالى ﴿ولا تُطعْ من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتّبع هواهَ وكانَ أمرُهُ فرطاً﴾) [الكهف: ٢٨] أي مضيعاً متهاوناً به. وقال أبو عبيدة: أي ندماً وقيل: سرفاً، (والعوام) من الناس (العصاة أسعد حالاً) وأقرب إلى الرحمة (من) خواص العلماء (الجهال بطريق الدين) والصراط المستقيم (المعتقدين) في أنفسهم وعند العامة (أنهم من العلماء، لأن العامي العاصي) لا يموّه في الدين ولا يغر المؤمنين ولا يدعى أنه عالم لأنه يتعلم و (معترف) بالجهالة و (بتقصيره) مقر (فيستغفر ويتوب) فهو للرحمة أقرب ومن المقت أبعد، (وهذا الجاهل الظان) في نفسه (أنه عالم وان ما هو مشتغل به من العلوم التي هي وسائل إلى الدنيا) ووسائط وأسباب لتحصيلها (عن سلوك طريق الدين فلا يتوب) إلى الله تعالى (ولا يستغفر) فهو (لا يزال مستمراً) على حاله (إلى الموت). وكان سهل التستري يقول: قسوة القلب بالجهل أشد من القسوة بالمعاصي، لأن الجاهل بالعلم تارك ومدع، والعاصي بالفعل معترف بالعلم، وكان يقول أيضاً: العلم دواء يصلح الأدواء فهو يزيل فساد الأعمال بالتدارك، والجهل داء يفسد الأعمال بعد صلاحها فهو يزيل الحسنات ويجعلها سيئات، فكم بين ما يصلح الفساد وبين ما يفسد الصالحات، وقد قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يُصلِحُ عملَ المفسدينَ﴾ [يونس: ٨١] وقال تعالى: ﴿انا لا نُضيعُ أجْرَ المُصلحينَ﴾ [الأعراق: ١٧٠] (وإذا غلب هذا) الوصف (على أكثر الناس) من المتسمين بسمه العلم (إلا من عصمه الله تعالى). وهم أقل من القليل (انقطع) الرجاء من ارشادهم وخاب (الطمع من اصلاحهم)، لأنه داء نحيس لا يرجى برؤة، (فالأسلم) الاحوط (لدين المحتاط) الوجل المشفق على حاله (العزلة والانفراد عنهم) كيلا يراهم ولا يروه، (كما سيأتي في كتاب العزلة) من هذا الكتاب (بيانه ان شاء الله تعالى، ولذلك كتب) أبو محمد (يوسف بن أسباط) المتوفي سنة نيف وتسعين ومائة (إلى حذيفة المرعشي) المتوفي سنة سبع ومائتين وكلاهما من أكابر العارفين:

لا يجد أحداً يذكر الله تعالى معه إلا كان آثماً أو كانت مذاكرته معصية، وذلك انه لا يجد أهله ولقد صدق فإن مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر، وإن أحسن أحواله أن يفيد علماً أو يستفيده، ولو تأمل هذا المسكين وعلم أن إفادته لا تخلو عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرئاسة علم أن المستفيد، إنما يريد أن يجعل ذلك آلة إلى طلب الدنيا ووسيلة إلى الشر، فيكون هو معيناً له على ذلك ورداً وظهيراً ومهيئاً لأسبابه كالذي يبيع السيف من قطاع الطريق. فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو، ولذلك لا يرخص له في البيع ممن يعلم بقرائن أحواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق.

فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف، فكن أحد رجلين: إما متصفاً بهذه الصفات، أو معترفاً بالتقصير

(**ما ظنك بمن بقي لا يجد أحداً يذكر الله تعالى معه إلا كان آثماً، وكانت مذكراته معصية، وذلك انه لا يجد أهله**). هكذا أورده صاحب القوت وزاد: قلت ليوسف يا أبا محمد وتعرفهم؟ قال: يخفون علينا. وقوله: قلت الخ إنما هو حكاية صاحب القوت عمن روى ذلك عن يوسف بن أسباط لا أنه أدركه وسأله، وذلك لأن صاحب القوت وفاته سنة ست وثمانين وثلاثمائة ويوسف بن أسباط متقدم عنه بكثير، وقال في موضع آخر، وقال حذيفة المرعشي: كتب إلى يوسف بن أسباط ذهبت الطاعة ومن يعرفها، وكان أيضاً يقول ما بقي من يؤنس به، وقال: ما ظنك بزمان مذكراة العلم فيه معصية؟ قيل: ولم ذاك؟ قال لأنه لا يجد أهله، (**ولقد صدق**) يوسف بن أسباط في قوله (**فإن مخالطة الناس**) ومجالستهم (**لا تنفك عن**) كثير من الغوائل من نحو (**غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر**)وكل من الثلاثة مهلكات، (**وأحسن أحواله أن يفيد علماً**) للغير. (**ولو تأمل**) حق التأمل (**علم أن المستفيد**)من ذلك العلم (**إنما يريد أن يجعل ذلك آلة طلب الدنيا ووسيلة إلى الشرفيكون هو معيناً له**) في سائر أحواله (**ورداً وظهيراً**) وناصراً (**ومهيئاً**) حاضراً (**لأسبابه**) المنوطة به وهذا في الحقيقة (**كالذي يبيع السيف**) وما في معناه من آلات الحرب (**من قطاع الطريق**) على المسلمين واللصوص، (**فالعلم كالسيف**) بجامع كل منهما في كونه آلة للحرب، فالعلم آلة لحرب أعداء الباطن، والسيف آلة لحرب أعداء الظاهر (**وصلاحه للخير**) ببذلة لأهله (**كصلاح السيف للغزو**) والجهاد، (**وذلك لا يرخص**) أي لا يجوز (**في البيع من يعلم بقرائن الأحوال**) القائمة الدالة على (**انه يريد**) به (**الاستعانة على قطع الطريق**) والضرر بالمسلمين.

(**فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة**) منها (**جملاً من أخلاق علماء السلف**) وأحوالهم وسيرهم (**فكن**) أيها السامع لذلك (**أحد رجلين إما متصفاً**

مع الإقرار به، وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بأن بدلت آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وإنكارك بزمرة الهالكين الآيسين. تعوذ بالله من خدع الشيطان، فبها هلك الجمهور فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور.

بهذه الصفات) بعد التخلية عن الأوصاف المذمومة بالمجاهدات الشرعية وهو أعلى المقام، **(أو معترفاً بالتقصير)** عن لحوق ذلك لموانع وقواطع **(مع الإقرار به)** والتسليم لما فيه وهو المقام الثاني؛ **(واياك أن تكون الثالث)** أي لا متصفاً ولا معترفاً بل منكراً **(فتلبس على نفسك)** أي تشبه عليها **(بأن بدلت آلة الدنيا بالدين وسيرة البطالين)** عن الاعمال الصالحة **(بسيرة العلماء الراسخين)** الثابتين القدم في علومهم ومعارفهم وأذواقهم، **(وتلحق بجهلك)** في نفسك **(وانكارك)** بمقاماتهم **(بجملة الهالكين)** في عذاب الله **(الآيسين)** من رحمة الله. قال القطب سيدي علي وفا قدس سره: سبقت كلمة الله التي لا تتبذل وجرت سّنة الله التي تتحوّل أن ينفخ روح علمه في مخصوص إلا انقسم الخلق له بين ملكي ساجد وشيطاني حاسد، فاحرص على أن تكون لأهل النعم العلمية محباً خاضعاً لتسلم أو تنعم أو ترحم، واياك أن تكون لهم مبغضاً أو حاسداً فتسلب أو ترجم أو تحرم. **(نعوذ بالله من خدع الشيطان فبها هلك الجمهور)** معظم الناس، **(ونسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تضره الحياة الدنيا)** بزينتها وزهرتها **(ولا يغره بالله الغرور)** وهو كما قال ابن عرفة: ما رأيت له ظاهراً تحبه وفيه باطن تكرهه أو تجهله، وبه ختم المصنف الباب السادس من كتاب العلم.

الباب السابع

في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه.

(بيان شرف العقل) :

اعلم ان هذا مما لا يحتاج إلى تكلف في إظهاره، لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل، والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه، والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين، فكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا

الباب السابع

في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه

(بيان شرف العقل) :

قدم بيان شرفه على بيان حقيقته وأقسامه لان ما لا يعرف شرفه لا يدرك حقيقته وأقسامه فقال.

(اعلم أن هذا) يعني بيان شرفه **(لا يحتاج إلى تكلف)** بجلب البراهين والادلة **(في إظهاره)** إذ هو كالضروري **(لا سيا وقد ظهر)** واستبان **(شرف العلم من قبل)** بالشواهد النقلية والعقلية، **(والعقل)** في الحقيقة **(منبع العلم)** الذي ينتشر منه، **(ومطلعه)** الذي من أفقه يطلع، **(وأساسه)** الذي تنبني عليه أركانه **(والعلم يجري فيه)** أي في العقل **(مجرى الثمر من الشجرو)** مجرى النور من الشمس، ومجرى **(الرؤية من العين)**، وإذا كان العلم نتيجة العقل وحال النتيجة في العلو والشرف ما عرف، فألاصل كيف يكون، وتحقيق هذا المقام ان العقل هو الشرف في الإنسان. وهو المتهيء لقبول الوحي، والايمان بـه يحصـل عنـه العلم والمعـرفـة والدراية والحكمة والذكاء والذهن والفهم والفطنة وجودة الخاطر وجودة الوهم والخيال والبديهة والرؤية والكياسة والخبرة وإصابة الظن والفراسة والزكانة والكهانة ودقة النظر والرأي والتدبير وصحة الفكر وسرعة الذكر وجودة الحفظ والبلاغة والفصاحة، فهذه سبع وعشرون من توابع العقل، والعقل أساس لكل واحد منها ومطلع لأسرار معارفها. واقتصر المصنف على واحد منها وهو العلم. ولكل منها حدود وتعاريف لا نطوّل بها الكتاب، ولعلنا نلم ببعض من ذلك في أثناء شرح كلام المصنف حيث اتفق الحال بحسب المناسبة، فالعلم إدراك الشيء بحقيقته وهو ضربان أحدهما حصول صور لمعلومات في النفس، والثاني حكم النفس على الشيء بوجود شيء له هو موجود أو نفي شيء عنه هو غير موجود له نحو: الحكم على زيد بأنه خارج أو ليس هو طائراً،

والآخرة؟ أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل، حتى ان أعظم البهائم بدناً وأشدها ضراوة وأقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من إدراك الحيل، ولذلك قال ﷺ: «الشيخ في قومه كالنبي في أمته». وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته، بل

فالأوّل هو الذي قد يسمى في الشرع وفي كلام الحكماء العقل المستفاد، وفي النحو المعرفة ويتعدى إلى مفعول واحد، والثاني يسمى العلم دون العقل ويتعدى إلى مفعولين، ولا يجوز الاقتصار على أحدهما من حيث أن القصد إذا قيل علمت زيداً منطلقاً إثبات العلم بانطلاق زيد دون العلم بزيد، ثم أن العلم والعقل بقياس أحدهما على الآخر على ثلاثة أوجه. **أحدها**: عقل ليس بعلم وهذا العقل الغريزي، **والثاني**: علم ليس بعقل وهو المتعدي إلى مفعولين، **والثالث**: عقل هو علم وعلم هو عقل، وهو العقل المستفاد. والعلم الذي يقال له المعرفة ولم يصح أن يعدى العقل إلى مفعولين فيقال: عقلت زيداً منطلقاً، كما يقال في علمت لكون العقل موضوعاً للعلم البسيط دون المركب، وسمي عقلاً من حيث انه مانع لصاحبه أن تقع أفعاله على غير نظام ويسمى علماً من حيث أنه علامة على الشيء وهذا إذا اعتبر حقيقته مما يتبين به شرف اللغة العربية حققه الراغب في الذريعة، (**وكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والآخرة**). أما السعادة الدنيوية فمن أعظمها أن الانسان به يصير خليفة الله في أرضه، وأما الاخروية فإنه يحصل حرث الآخرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿من كان يُريد حرثَ الآخِرة نَزد لهُ حرثِه﴾ [الشورى: ٢٠] وثمرة حرث الآخرة على التفصيل سبعة أشياء: بقاء بلا فناء، وقدرة بلا عجز، وعلم بلا جهل، وغنى بلا فقر، وأمن بلا خوف، وراحة بلا شغل، وعز بلا ذل. (**أو كيف يستراب**) ويشك (**فيه والبهيمة على قصور تمييزها تحتشم العقل**). قال الشيخ نجم الدين دابه: إعلم أن الله تعالى خص العقل برتبة هي أعلى مراتب المبدعات، وأن جميعها محتاجة إليه، وهو الذي يمدها بفضائله وإن كان بعضها لأجل بعده عنه وقلة حظه منه يتمرد عليه وعلى ذلك، فانه لا محالة يخضع له إذا ظهر له أدنى ظهور، فمثله كمثل الملك الذي يحتجب عن بعض عبيده ويطلع عليهم من حيث لا يرونه ولا يعلمون انه يراهم، فإن أحسّوا به أدنى إحساس انقبضوا ضرورة وهابوا طبعاً، ويظهر هذا المعنى ظهوراً تاماً في البهائم فانها تخدم الانسان وتهابه بالطبع وتتبع العدة الكثيرة الراعي الواحد، ربما كانت قوّة واحد منها تزيد على قوى عدة كثيرة منهم (**حتى أن أعظم البهائم بدناً وأشدهم ضراوة وأقواهم سطوة**) نحو الجمل والفيل (**إذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه**) خافه (**لشعوره**) وإدراكه (**باستيلائه عليه**) وغلبته (**لما خص به إدراك الحيل**) وقال الراغب في الذريعة: العقل حيثما كان محتشماً حتى ان الحيوان إذا رأى انساناً احتشمه بعض الاحتشام وانزجر بعض الانزجار، ولذلك تنقاد الإبل للراعي اهـ.

(**ولذلك قال ﷺ: «الشيخ في قومه كالنبي في أمته»**) قال السخاوي في المقاصد: جزم

لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله. ولذلك ترى الأتراك والأكراد واجلاف العرب

شيخنا وغيره بأنه موضوع وإنما هو من كلام بعض السلف، وربما بلفظ الشيخ في جماعته كالنبي في قومه يتعلمون من علمه ويتأدّبون من آدابه وكله باطل اهـ.

وقال العراقي: وسئل عنه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في جلة أحاديث فأجاب بأنه لا أصل له، ثم قال العراقي: وقد روى من حديث ابن عمر وأبي رافع، أما حديث ابن عمر فرواه ابن حبان في تاريخ الضعفاء، ومن رواية عبدالله بن عمر بن غانم، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: فذكره. أورده في ترجمة ابن غانم المذكور قاضي افريقية، وقال روي عن مالك ما لم يحدث به مالك قط لا يحل ذكر حديثه ولا الرواية عنه في الكتب الا على سبيل الاعتبار. قال العراقي: روى له أبو داود في سننه وقال: أحاديثه مستقيمة، وذكره ابن يونس في تاريخ مصر وقال انه أحد الثقات الاثبات، ومع ذلك فالحديث باطل، ولعل الآفة فيه من الراوي عن ابن غانم، وهو عثمان بن محمد بن خشيش القيرواني قاله الذهبي في الميزان.

وأما حديث أبي رافع فرواه ابن عساكر في معجمه والديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن عبد الملك الكوفي، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أبيه، عن رافع بن أبي رافع، عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ «الشيخ في أهله كالنبي في قومه» ومحمد بن عبد الملك يعرف بالقناطري كذاب، وفي الميزان حديث باطل اهـ.

قلت: وحديث أبي رافع هذا أخرجه أيضاً الخليلي في مشيخته وابن النجار في تاريخه كلاهما من حديث أحمد بن يعقوب القرشي الجرجاني عن القناطري، وقال ابن حبان: هو موضوع، وقال الزركشي: ليس هو من كلام النبي ﷺ. وفي اللسان قال الخليلي: هو الموضوع.

وأما حديث ابن عمر فأخرجه أيضاً الشيرازي في الألقاب ولفظه: «الشيخ في بيته كالنبي في قومه» هذا حال الحديث من جهة رواته قد حكم عليه بالوضع، ولكن معناه صحيح يؤيده قوله تعالى ﴿فاسألوا أهلَ الذّكرِ إن كُنتم لا تعلمونَ﴾ [النحل: ٤٣] وقولَه ﷺ «العلماء ورثة الانبياء». وغير ذلك **(وليس ذلك لكثرة ماله)** ومتاعه **(ولا لكبر شخصه)** وجثته **(ولا زيادة قوته)** وكثرة جرأته وبطشه، **(بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله)** أي لتناهي عقله وكماله فيتعلمون من علمه ويتأدبون من آدابه، وقد وجدت هذه الزيادة في بعض كما أشار له السخاوي، ومنهم من شرح الحديث بغير ما ذهب إليه المصنف، فقال أي له من التوقير مثل ما للنبي في أمته، وهو وإن كان صحيحاً ولكن المعنى الأوّل أنسب للمقام، وقد قال الشيخ الاكبر قدس سره: الشيوخ نواب الحق كالرسل في زمانهم فهم ورثوا الشريعة وعليهم حفظها بما فيها لا التشريع وحفظ القلوب ورعاية الآداب فهم من العلماء بالله بمنزلة الطبيب من العالم بعلم الطبيعة، والطبيب لا يعرف الطبيعة إلا بما هي مدبرة للبدن، والعالم بالطبيعة يعرفها مطلقاً وإن لم يكن طبيباً وقد يجمع الشيخ بينهما ومهما نقص عما يحتاجه المريد في تربيته فلا يحل له القعود على منصة الشيخوخة فإنه يفسد أكثر مما يصلح ويفتن كالمتطبب يعل الصحيح ويقتل المريض اهـ.

وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبع. ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله ﷺ، فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوّة، وإن كان

المقصود منه ونعود إلى شرح كلام المصنف ولما سبق أن العقل أشرف المبدعات وأن جميعها محتاجة إليه حتى أن البهائم ظهر فيها هذا المعنى من الانقياد لصاحب العقل والاحتشام له ذكران على هذا يجري أمر الناس بعضهم مع بعض، فإن عامتهم إذا وجدوا بينهم واحداً أكثر حظاً من العقل، فإنهم يهابونه ويخضعون له ويتبعونه منقادين مستسلمين كشبه البهائم إذ الطينة واحدة بعينها فقال: **(ولذلك ترى الأتراك)** وهم جيل من الناس معروفون الواحد تركي، **(والأكراد)** جيل من الناس معروفون مساكنهم الجبال وفي نسبتهم اختلاف كثير بيناه في شرحنا على القاموس، **(وأجلاف العرب)** وهم الجفاة منهم الذين لم يتزيوا بزي أهل الحضر في رفقهم ولين أخلاقهم مأخوذ من جلف الشاة أو البعير كان المعنى عربي بجلده، كما قال: غلام بغباره أي لم يتغير عن جهته، **(وسائر الخلق)** أي من سائر الأجناس **(مع قرب رتبتهم من)** رتبة **(البهائم)** وتحقيق المقام أن الإنسان وإن كان هو بكونه إنساناً هو أفضل موجود، فذلك بشرط أن يراعى ما به صار إنساناً وهو العلم والعمل المحكم، فبقدر وجود ذلك المعنى فيه يفضل، فأما من حيث ما يتغذى وينسل فنبات، ومن حيث ما يتحرك ويحس فحيوان، ومن حيث الصورة التخطيطية فكصورة في جدار، وإنما فضيلته بالنطق وقواه ومقتضاه، ولهذا قيل: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة أو صورة ممثلة، فمن صرف همته كلها إلى رتبة القوة الشهوية باتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام، فخليق بأن يلحق بأفق البهائم فيصير إما غمراً كثور أو شرهاً كخنزير، أو ضرعاً ككلب، أو حقوداً كجمل، أو متكبراً كنمر، أو ذا روغان كثعلب، أو يجمع ذلك كله فيصير كشيطان مريد، فهذه الأوصاف غالباً توجد في الأصناف التي ذكرها المصنف إما على الانفراد أو على الاشتراك أو الجمعية **(يوقرون المشايخ بالطبع)** والجبلة ويعظمونهم أجلالاً لمقامهم ويتبعون آراءهم خاضعين منقادين، وفي الذريعة وكذلك جماعة الرعاة إذا رأوا منهم من كان أوفر عقلاً وأغزر فضلاً فيما هم بصدده انقادوا له طوعاً، فالعلماء إذا لم يعاندوا انقادوا ضرورة لأكثرهم علماً وأكبرهم وأفضلهم نفساً وأوفرهم عقلاً ولا ينكر فضله إلا متدنس بالمعايب ومتطلب للرئاسة وحافظ على غرض دنيوي، وقد جعل عقله خادماً لشهوته فلحفظه لرئاسته ينكر فضل الفاضل اهـ.

وقال الشيخ نجم الدين داية: وكذلك يفعل العقلاء لمن فوقهم في العقل من الطاعة والانقياد وشدة التهيب، ولقوة هذا الأمر الطبيعي ربما ظن بواحد من الناس أكثر مما فيه من العقل، فينقاد له فقد بان بما ذكرنا أن العقل ملك مطاع بالطبع، **(ولذلك)** أي لفضيلة العقل الوافر **(قصد قتل النبي ﷺ كثير من المعاندين)** لجفاء طباعهم وقسوة قلوبهم، **(فلما وقعت أعينهم عليه واكتحلوا بغرته)** أي غرة وجهه **(الكريمة هابوه)** واحتشموه **(وتراءى لهم**

ذلك باطناً في نفسه بطون العقل، فشرف العقل مدرك بالضرورة، وإنما القصد أن تورد ما وردت به الأخبار والآيات في ذكر شرفه، وقد سماه الله نوراً في قوله تعالى: ﴿اللهُ نورُ السمواتِ والأرض مَثَلُ نُوره كمشكاةٍ﴾ [النور: ٣٥]، وسمي العلم المستفاد منه روحاً ووحياً وحياة، فقال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ [الشورى: ٥٢].

ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة) المضيء، (**وإن كان باطناً في نفسه بطون العقل**) وسيأتي في ذلك المزيد في أخلاق النبوة من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى. ونص الذريعة: ولفضيلة العقل كان كثير ممن كانوا يعاندون النبي ﷺ قصدوه ليقتلوه، فما كان إلا أن وقع طرفهم عليه فيتراءى لهم نور الله تعالى معرّباً عنه فألقى في قلوبهم منه روعة فهابوه، فمن مذعن له طائع وخبيث لا ينكره بعد إلا جاحداً ولهذا قال الشاعر:

لو لم تكن فيه آيات منزلة　　كانت بداهته تغنيك عن خبره

وبين السياقين تفاوت لا يخفى للمنصفين (**وشرف العقل**) وجلالته (**مدرك بالضرورة**) فلا يحتاج إلى التطويل في جلب الكلام فيه من هنا ومن هنا، (**وإنما المقصد أن نورد ما وردت به الأخبار**) الصحيحة (**والآيات**) الصريحة (**في ذكر شرفه، وقد سماه الله تعالى نوراً في قوله ﴿الله نور السموات والأرض﴾ [النور: ٣٥] وإنما سمي بذلك لنورانيته**) وهذا قد ذكره الراغب في كتابيه الذريعة والمفردات، ونصه في الذريعة: وإلى العقل أشار بقوله تعالى الله نور السموات والأرض أي منوّرهما، والنور: هو العقل ونقله في المفردات عن ابن عرفة. وقال الشيخ نجم الدين دايه: وقد سماه الله تعالى في القرآن نوراً في قوله ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ [المائدة: ١٥] فالنور محمد ﷺ اهـ.

ونقل الراغب في أول الذريعة ما نصه: جعل المصباح مثلاً للعقل، والمشكاة مثلاً لصدر المؤمن، والزجاجة لقلبه والشجرة المباركة وهي الزيتونة الدين وجعلها لا شرقية ولا غربية تنبيهاً على أنها مصونة عن التفريط والإفراط، والزيت القرآن وبين أن القرآن يمد العقل مد الزيت المصباح، وأنه يكاد يكفي لوضوحه، وإن لم يعاضده العقل، ثم قال ﴿نور على نور﴾ أي نور القرآن ونور العقل وبين أنه يخص بذلك من يشاء اهـ.

واعلم أن الإنسان لم يتميز عن الحيوان والبهائم إلا بالعقل ولم يشرف إلا بالعلم ومن شرف العلم إن كل حياة انفكت عنه فهي غير معتد بها بل ليست في حكم الموجودة، فإن الحياة الحيوانية لا تحصل ما لم يقارنها الإحساس فيلتذ بما يوافقه ويطلبه ويتألم مما يخالفه فيهرب منه، وذلك أحسن المعارف فلأجل أن الحياة تقارب العلم (**سمي**) الله تعالى (**العلم المستفاد منه**) أي من العقل روحاً لأنه يحيا به الناس الحياة الأخروية، ولما كان مقتضى الحياة الانسانية أنها إذا تعرت من المعارف المختصة بها أن لا يعتد بها لهذا سمى الله ذلك العلم المستفاد (**حياة فقال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾**) [الشورى: ٥٢] ما كنت تدري ما

وقال سبحانه: ﴿أو مَنْ كَانَ ميْتاً فأحييناه وجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يمشي به فيالنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١١٢] وحيث ذكر النور والظلمة أراد به العلم والجهل كقوله: ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [البقرة: ٢٥٧]. وقال ﷺ: «يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه، واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم، واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم المنظر حقير الخطر دنيء المنزلة رثّ الهيئة، وإن الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحاً نطوقاً فالقردة والخنازير أعقل عند

الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نوراً. ومن هنا سمي القرآن أيضاً روحاً لكونه أساس العلوم كلها يحصل بها الحياة ويتسبب إلى الحياة الأخروية المشار لها بقوله تعالى: ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ [العنكبوت: ٦٤] وكذلك فسر قوله تعالى: ﴿كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾ [المجادلة: ٢٢] والضمير عائد إلى الله تعالى على أحد الوجوه، أو عائد إلى الإيمان. أي قوّاهم بعلم الإيمان، فعلم الإيمان هو روحه (**وقال تعالى: ﴿أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾**) [الأنعام: ١١٢] فقد سمي من لم يكن له روح القلب ميتاً وكذلك قوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ [النمل: ٨٠] (**وحيث ذكر النور والظلمة أراد به**) أي بالنور (**العلم**) وبالظلمة (**الجهل**)، أو أراد بهما الإيمان والشرك، وأصل الظلمة عدم النور وهما متقابلان، وهما من أحسن الاستعارات لهذين الضدين. (**كقوله**) تعالى: **﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقد يعبر بالظلمة عن الفسق أيضاً، كما يعبر عن أضداد هؤلاء الثلاثة. أعني الشرك والجهل والفسق بالنور**، (**وقد قال ﷺ: «أيها الناس اعقلوا عن ربكم»**) أي اعلموه وافهموه منه يقال: عقلت عنه كذا (**وتواصوا بالعقل**) أي بكماله (**تعرفوا به ما أمرتم به وما نهيتم عنه واعلموا أنه**) أي العقل (**منجدكم عند ربكم**) هكذا في نسخة العراقي، وفي بعضها: ينجدكم عند ربكم (**واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم**) بالدال المهملة أي قبيح (**المنظر**) بالنسبة إلى ما يظهر منه (**حقير الخطر**) أي القدر والقيمة (**دنيء المنزلة**) أي خسيسها (**رث الهيئة**) بالنسبة الى ملبوسه وما يلحقه من العناء والمشقة، فيحصل له بذلك التشعيث (**وأن الجاهل**) أورده في مقابلة العاقل لأن العلم والعقل يتواردان مورداً واحداً، كما أشرنا إليه آنفاً (**من عصى الله وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة**) وهذه أربعة أوصاف في مقابلة أربعة أوصاف، وإن أول ما يروع الانسان جمال منظره، فإذا عظم مع ذلك خطره فهي مرتبة علياء وبها تكون منزلته شريفة وهيئته حسنة، ثم زاد في أوصافه وصفين فقال: (**فصيحاً نطوقاً**) فما أقبح بالمرء أن يكون حبس جسمه باعتبار قبح نفسه جنة يعمرها بوم وحرمة يحرسها ذئب، كما قال حكيم لجاهل صبيح الوجه: أما البيت فحسن وأما ساكنه فرديء، وما أقبح به أن يكون اعتباره بكثرة ماله وحسن أثاثه، فقد سمى بعض الحكماء الأغنياء تيوساً صوفها درر وحر إجلالها حبر (**والقردة والخنازير أعقل عند الله**

الله تعالى ممن عصاه، ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا إياكم فإنهم من الخاسرين». وقال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله العقل فقال له: أقبل. فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال الله عز وجل: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك، بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب».

ممن عصاه) إذ قبيح بذي العقل أن يكون بهيمة، وقد أمكنه أن يكون إنساناً أو إنساناً وقد أمكنه أن يكون ملكاً:

فلم نر في عيوب الناس نقصاً كنقص القادرين على التمام

(ولا تغتروا بتعظيم أهل الدنيا إياكم فإنهم من الخاسرين). قال العراقي: رويناه في كتاب العقل لداود بن المحبر من رواية أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال فذكره، إلا أنه قال: «فإنهم عدوا من الخاسرين» ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده، عن داود بن المحبر، وداود بن المحبر اختلف فيه، فروى عباس الدوري عن يحي بن معين أنه قال: ما زال معروفاً بالحديث، ثم تركه وصحب قوماً من المعتزلة فأفسدوه وهو ثقة، وقال أبو داود: ثقة شبه الضعيف، وقال أحمد: لا يدرى ما الحديث، وقال الدارقطني متروك، وروى عبد الغني بن سعيد الأزدي المصري عن الدارقطني قال: كتاب العقل وضعه أربعة. أولهم ميسرة ابن عبد ربه، ثم سرقه منه داود بن المحبر فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، وسرقه عبد العزيز ابن أبي رجاء فركبه بأسانيد أخر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السنجري فأتى بأسانيد أخر أو كما قال، وعلى ما ذكره الدارقطني فقد سرقه عن داود عبد العزيز بن أبي رجاء فاختصره، وجعل له إسناداً آخر، فرواه عن مالك عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ «ابن آدم أطع ربك تسمى عاقلاً ولا تعصه تسمى جاهلاً» رواه أبو نعيم في الحلية، والخطيب في أسماء من روى عن مالك من رواية ابن أبي رجاء المذكور، وقال الخطيب: منكر من حديث مالك، وقال الدارقطني: عبد العزيز بن أبي رجاء متروك. وقال الذهبي في الميزان هذا باطل على مالك اهـ.

قلت: داود بن المحبر بن مخرم البكراوي يكنى أبا سليمان البصري نزيل بغداد مات سنة ست ومائتين، والمحبر كمحدث روى أبوه عن هشام بن عروة، وروى ابنه داود عن شعبة وهمام وجماعة، وعن مقاتل بن سليمان، وعنه أبو أمية والحرث بن أبي أسامة وجماعة، وأورد الذهبي في الميزان من طريقه حديثاً في فضل قزوين أخرجه ابن ماجه في سننه، ثم قال: فلقد شان ابن ماجه سننه بإدخاله هذا الحديث الموضوع فيها اهـ.

وكل من ميسرة وابن أبي رجاء وسليمان بن عيسى متروكون.

(وقال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله العقل فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك بك آخذ وبك أعطي

....

وبك أثيب وبك أعاقب») قال الشيخ نجم الدين دابـة رحمة الله تعالى: استدل به على أن العقل متهيء لقبول الوحي والإيمان به، وفي رواية وبك أعبد إذ كان هو اول من اختص من الله بالوحي والخطاب والمحبة والمعرفة والعبادة والعبودية والنبوة بأنباء الحق تعالى. إذ نبأه عن معرفة نفسه ومعرفة ربه، وإذا أمعنت النظر وأيدت بنور الله تحقق لك أن المعرفة بالعقل والموصوف باختصاص الوحي والخطاب والمحبة والمعرفة والعبادة والعبودية والنبوة هو روح حبيب الله، ونبيه محمد ﷺ فإنه الذي قال أول ما خلق الله روحي، وفي رواية نوري فروحه جوهر نوراني ونوره هو العقل وهو عرض قائم بجوهره، ومن هنا قال ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد» أي لم يكن يعد روحاً ولا جسداً، ومن هنا قال: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» لأنه عرف نفسه بتعريف الله إذ قال له ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك، وعرف الله أيضاً بتعريف الله نفسه إياه إذ قال: «وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك» فعرف أنه الإله الذي من صفاته العزة والجلال والخالقية والمحبة، وهو المعروف لكل عارف وله القدرة والحكم على الأخذ والعطاء والثواب والعقاب، وهو المستحق للعبادة، وقد جاء عن بعض الكبراء من الأئمة أن أول المخلوقات ملك كروبي يسمى العقل وهو صاحب القلم بدليل توجه الخطاب إليه في قوله: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ولما سماه قلماً قال له أخبر بما هو كائن إلى يوم القيامة وتسميته قلماً كتسمية صاحب السيف سيفاً، ولا يبعد أن يسمى روح النبي ﷺ ملكاً لغلبة صفات الملكية عليه، كما يسمى جبريل عليه السلام روحاً لغلبة الروحانية عليه كقوله: فلان شعلة نار لحدة ذهنه، ويسمى عقلاً لوفور عقله وقلماً لكتابة المكونات ونوراً لنورانيته، وقد يكون العقل في اللغة بمعنى العاقل، فعلى هذا التقدير والتأويل يكون روح النبي ﷺ هو المخلوق الأول؟ ولكنه بهذه الاعتبارت ملك وعقل ونور وقلم، والقلم قريب المعنى من العقل قال الله تعالى ﴿علم بالقلم﴾ [العلق: ٤] جاء في التفسير عن بعضهم أي بالعقل لأن الأشياء تعلم بالعقل وفي قوله: أقبل الخ إشارة إلى أن العقل إقبالاً وإدباراً فورث إقباله المقبلون وهم السابقون المقربون من الأنبياء والأولياء وهم أصحاب الميمنة وهم أهل الجنة، وورث إدباره المدبرون وهم أصحاب المشأمة وهم أهل النار يدل عليه قوله تعالى: ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾ [الواقعة: ٧] الآية. والله أعلم اهـ كلامه سقته بتمامه لارتباط بعضه ببعض ولما فيه من الفوائد.

وأما الكلام على تخريج الحديث فقال العراقي: روي من حديث أبي أمامة، وعائشة، وأبي هريرة، وابن عباس والحسن عن عدة من الصحابة.

فأما حديث أبي أمامة، فرواه الطبراني في الأوسط، وأبو الشيخ في كتاب فضائل الأعمال من رواية سعيد بن الفضل القرشي: حدثنا عمر بن أبي صالح العتكي، عن أبي غالب، عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ «لما خلق الله العقل» الحديث ولم يقل وجلالي. وقال: أعجب إليّ منك، وقال: وبك الثواب وبك العقاب وعمر بن أبي صالح ذكره العقيلي في الضعفاء وأورد له هذا

....

الحديث. وقال الذهبي في الميزان: لا يعرف. قال: ثم إن الراوي عنه من المنكرات قال: والخبر باطل اهـ.

قلت: ونص العقيلي في الضعفاء هذا حديث منكر عمر وسعيد الراوي عنه مجهولان جميعاً بالنقل ولا يتابع على حديثه ولا يثبت.

ثم قال العراقي وأما حديث عائشة، فرواه أبو نعيم في الحلية قال: أخبرنا أبو بكر عبدالله بن يحي بن معاوية الطلحي بإفادة الدارقطني، عن سهل بن المرزبـان بن محمد التميمي، عن عبدالله ابن الزبير الحميدي، عن ابن عيينة، عن منصور، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ «أول ما خلق الله العقل» فذكر الحديث هكذا أورده في ترجمة سفيان بن عيينة، ولم أجد في إسناده احداً مذكوراً بالضعف، ولا شك أن هذا مركب على هذا الإسناد، ولا أدري ممن وقع ذلك والحديث منكر اهـ.

قلت: ولفظ حديث عائشة على ما في الحلية قالت عائشة: حدثني رسول الله ﷺ «إن أول ما خلق الله العقـل قال أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال ما خلقت شيئاً أحسن منك بك آخذ وبك أعطي». قال أبو نعيم: غريب من حديث سفيان ومنصور والزهري لا أعلم له راوياً عن الحميدي إلا سهلاً. وأراه واهياً فيه.

ثم قال العراقي وأما حديث أبي هريرة، فرواه الحكيم الترمذي في الأصل السادس بعد المائتين قال: حدثنا الفضل بن محمد، حدثنا هشام بن خالد الدمشقي، حدثنا يحي وهو عندي يحي الغساني، حدثنا أبو عبدالله مولى بني أمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن أول ما خلق الله القلم ثم خلق النور وهي الدواة» الحديث وفيه: ثم خلق الله العقل فقال: وعزتي لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصنك فيمن نقصت. وأبو عبدالله هذا لا أدري من هو اهـ.

قلت: وأخرج ابن عساكر في تاريخه فقال: وأخبرنا أبو العز أحمد بن عبدالله، أخبرنا محمد بن أحمد بن حسنون، أخبرنا أبو الحسين الدارقطني، حدثنا القاضي أبو طاهر محمد بن أحمد بن نصر، حدثنا جعفر بن محمد الغرياني، حدثنا أبو مروان هشام بن خالد الأزرق، حدثنا الحسين بن يحي الخشني، عن أبي عبدالله مولى بني أمية، عن أبي صالح، عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن أول شيء خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة، ثم قال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب ما يكون وما هو كائن من عمل أو أثر أو رزق أو أجل فكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، فذلك قوله: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ [القلم: ١] ثم ختم على القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل فقال: وعزتي لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصنك فيمن أبغضت» فهذه متابعة جيدة لشيخ الحكيم الترمذي إلا أن في شيخ هشام اختلافاً كما ترى.

قلت: أبو عبدالله مولى بني أمية اسمه ناصح ذكره ابن عساكر وقد رواه عن أبي صالح أيضاً

....

سمي، قال ابن عدي: حدثنا عيسى بن أحمد الصوفي بمصر: حدثنا الربيع بن سليمان الجيزي: حدثنا محمد بن وهب الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا مالك بن أنس. عن سمي، فساقه إلا أن فيه من عمل أو أجل أو أثر فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وفيه فقال الجبار: ما خلقت خلقاً أعجب إلي منك والباقي سواء. قال ابن عدي: باطل منكر آفته محمد بن وهب له غير حديث منكر، وقال في الميزان: صدق ابن عدي في أن هذا الحديث باطل، وقد أخرجه الدارقطني في الغرائب عن علي بن أحمد الأزرق عن أحمد بن جعفر بن أحمد الفهري، عن الربيع بن سليمان الجيزي به. وقال: هذا الحديث غير محفوظ عن مالك، ولا عن سمي، والوليد بن مسلم ثقة، ومحمد بن وهب ومن دونه ليس بهم بأس، وأخاف أن يكون دخل على بعضهم حديث في حديث. وأخرج ابن عدي والبيهقي كلاهما من رواية حفص بن عمر، حدثنا الفضل بن قيس الرقاشي، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي هريرة رفعه فساقه بمثل سياق حديث أبي أمامة السابق. والفضل قال فيه يحيى رجل سوء، وحفص بن عمر قاضي حلب، قال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات لا يحل الاحتجاج به. وأخرجه الدارقطني من رواية الحسن بن عرفة: حدثنا سيف بن محمد عن سفيان الثوري عن الفضيل بن عثمان، عن أبي هريرة به. وسيف كذاب بالإجماع.

ثم قال العراقي وأما حديث الحسن، عن عدة فرواه الترمذي الحكيم أيضاً قال: حدثنا عبد الرحيم بن حبيب، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا الحسن بن دينار قال: سمعت الحسن قال: حدثني عدة من أصحاب رسول الله ﷺ، عن رسول الله ﷺ «أنه لما خلق الله العقل» الحديث وزاد فيه ثم قال له: اقعد فقعد، ثم قال له: انطلق فانطلق، ثم قال له اصمت فصمت، فقال: وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي وسلطاني وجبروتي ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك ولا أكرم علي منك بك أعرف وبك أحمد وبك أطاع وبك آخذ وبك أعطي وإياك أعاتب ولك الثواب وعليك العقاب، ورجاله كلهم هلكى إلا الحسن البصري، وعبد الرحيم بن حبيب القاريابي ليس بشيء قاله يحيى بن معين. وقال ابن حبان: لعله وضع أكثر من خمسمائة حديث. وداود تقدم، والحسن بن دينار ضعيف أيضاً، وقد رواه داود بن المحبر في العقل مرسلاً فقال: حدثنا صالح المري عن الحسن بن أبي الحسين فذكره أخصر من هذا، وبالجملة فطرقه كلها ضعيفة اهـ.

قلت: وقال الترمذي الحكيم أيضاً: وحدثنا الفضل بن محمد، حدثنا هشام بن خالد، عن بقية، عن الاوزاعي، عن رسول الله ﷺ به. وقوله: وقد رواه داود بن المحبر في العقل مرسلاً الخ.

أخرجه البيهقي بعد أن ساق الحديث من رواية حفص بن عمر السابق، وقال: إسناد غير قوي وهو مشهور من قول الحسين، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمش، أخبرنا أبو طاهر المحمدابادي، حدثنا الفضل بن محمد بن المسيب، حدثنا عبدالله بن محمد العابسي، حدثنا صالح المري، عن الحسن قال: لما خلق الله تعالى فساقه. وقال عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد، حدثنا

فإن قلت: فهذا العقل إن كان عرضاً فكيف خلق قبل الأجسام، وإن كان جوهراً فكيف يكون جوهراً قائماً بنفسه ولا يتحيز؟ فاعلم أن هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم المعاملة، وغرضنا الآن ذكر علوم المعاملة.

علي بن مسلم، حدثنا سيار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك بن دينار، عن الحسن يرفعه «لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال ما خلقت شيئاً أحسن منك بك آخذ وبك أعطي» فهذا كما ترى سند جيد، فقول الحافظ العراقي، وبالجملة فطرقه كلها ضعيفة محل تأمل وكذا إيراد ابن الجوزي في الموضوعات، وتبعه ابن تيمية والزركشي وغير هؤلاء فغاية ما يقال فيه أنه ضعيف في بعض طرقه.

وقد روي الحديث أيضاً عن علي رضي الله عنه قال الحافظ السيوطي في اللآلىء المصنوعة، وقال الخطيب: أخبرني علي بن أحمد الرزاز، أخبرنا الفرج علي بن الحسين الكاتب، أخبرني أبو جعفر أحمد بن محمد بن نصر القاضي، حدثني محمد بن الحسن الرقي، حدثني موسى بن عبدالله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب، حدثتني فاطمة ابنة سعيد بن عقبة بن شداد بن أمية الجهني، عن أبيها عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده عن علي، عن النبي ﷺ قال «أول ما خلق الله القلم ثم خلق الدواة فساقه وفيه: وخلق العقل فاستنطقه فأجابه ثم قال له اذهب فذهب، ثم قال له أقبل فأقبل، ثم استنطقه فأجابه ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت من شيء أحب إلي منك ولا أحسن منك» إلى آخر ما ذكره.

(**فإن قلت: فهذا العقل إن كان عرضاً فكيف خلق قبل الأجسام**) لأن الاعراض لا تقوم بأنفسها، (**وإن كان جوهراً فكيف يكون قائماً بنفسه لا يتحيز فاعلم أن هذا في**) مسائل (**علم المكاشفة ولا ينبغي ذكره**). وفي نسخة: ولا يليق ذكره (**بعلم المعاملة، وغرضنا**) الآن هنا (**علم المعاملة**). وهذا البحث قد أورده الراغب في الذريعة مختصراً فقال: العقل أول جوهر أوجده الله تعالى وشرفه بدليل الحديث المرفوع «أول ما خلق الله العقل» الخ. ولو كان على ما توهمه قوم أنه عرض لما صح أن يكون أول مخلوق لأنه محال وجود شيء من الأعراض قبل وجود جوهر يحمله اهـ.

وتحقيق المقام أن الجوهر ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع وهو منحصر في خمسة: هيولى وصورة وجسم ونفس وعقل لأنه إما أن يكون مجرداً أولاً، والأول إما أن لا يتعلق بالبدن تعلق تدبير وتصريف أو يتعلق والأول العقل، والثاني النفس وغير المجرد إما أن يكون مركباً أم لا والاول الجسم، والثاني إما حال أو محل الأول الصورة، والثاني الهيولى وتسمى الحقيقة، فالجوهر ينقسم إلى بسيط روحاني كالعقول والنفوس المجردة وإلى بسيط جسماني كالعناصر، وإلى مركب في العقل دون الخارج كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والفصل وإلى مركب منهما كالمولدات الثلاثة.

(**وقال**) داود بن المحبر في كتاب العقل: حدثنا سلام بن المنذر عن موسى بن بابان، عن

وعن أنس رضي الله عنه قال: أثنى قوم على رجل عند النبي ﷺ حتى بالغوا فقال ﷺ: كيف عقل الرجل؟ فقالوا: نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله؟ فقال ﷺ: «إنَّ الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم». وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله». وقال ﷺ: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن

(**أنس**) بن مالك رضي الله عنه قال: (**أثنى قوم على رجل عند رسول الله ﷺ حتى بالغوا**) ولفظ داود: حتى أبلغوا في الثناء في خصال الخير (**فقال**) النبي ﷺ (**«كيف عقل الرجل؟ فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله» فقال**) رسول الله ﷺ: (**إن الأحمق يصيب بجهله**) كذا في النسخ، وعند العراقي: بحمقه (**أعظم من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات الزلفى**) كذا في النسخ، وعند العراقي: زلفى (**من ربهم على قدر عقولهم»**) ولفظ داود: وينالون الزلفى من ربهم.

قال العراقي: سلام هو ابن أبي الصهباء ضعفه ابن معين، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، وأما أحمد فقال: إنه حسن الحديث، ورواه الحكيم الترمذي في نوادره مختصراً قال: حدثنا مهدي، حدثنا الحسين عن عبد ربه، عن موسى بن أبان، عن أنس بن مالك رفعه «إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يقرب الناس الزلف على قدر عقولهم» وفي إسناده جهالة اهـ.

(**وقال**) داود بن المجبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا عباد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن (**عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «ما اكتسب رجل مثل فضل عقل**) ولفظ داود: «**ما اكتسب أحد مكتسباً مثل فضل العقل**» (**يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى، وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله»**). قال العراقي: ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده عن داود بن المحبر اهـ.

قلت: وأخرجه البيهقي عن عمر ولفظه: «ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه الى هدى أو يرده عن ردى» وأخرجه الطبراني في الأوسط عنه أيضاً ولفظ: «ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدي صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردى ولا استقام دينه حتى يستقيم عقله».

(**وقال**) داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا مقاتل بن سليمان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن (**النبي ﷺ**) قال: (**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك يتم إيمانه**) كذا في النسخ. وعند العراقي: تم إيمانه (**وأطاع ربه وعصا عدوه إبليس»**). ولفظ داود يعني إبليس.

خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوّه إبليس ». وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته. أما سمعتم قول الفجار في النار: ﴿لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾ [الملك: ١٠]. وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لتميم الداري: ما السؤدد فيكم؟ قال: العقل. قال: صدقت. سألت رسول الله ﷺ كما سألتك فقال كما قلت، ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السؤدد؟ فقال: العقل. وعن البراء بن

قال العراقي: ومقاتل بن سليمان المفسر ليس بشيء قاله يحي بن معين، وقال الجوزجاني كان دجالاً جسوراً، وقال البخاري: سكتوا عنه، وقال النسائي وابن حبان: كان يكذب، وقال ابن عيينة: سمعت مقاتلاً يقول: إن لم يخرج الدجال في سنة خمسين ومائة فاعلموا أني كذاب فيقال له قد علمنا ذلك، وأول الحديث صحيح رواه أبو داود من رواية المطلب بن عبدالله بن حنطب، عن عائشة دون قوله: ولا يتم الخ وإسناده صحيح اهـ.

قلت: وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي أمامة بلفظ. « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل الظامىء بالهواجر » وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف. ورواه الحاكم من حديث أبي هريرة وقال: هو على شروطهما، وأقره الذهبي في التلخيص.

(و) قال داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا عباد، حدثنا سهل عن أبيه، **(عن أبي سعيد الخدري)** رضي الله عنه **(أنه ﷺ قال « لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته)** لربه عز وجل **(أما سمعتم قول الفاجر)** عند ندامته **(لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)** [الملك: ١٠] » قال البيضاوي: لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتماداً على ما لاح من صدقهم بالمعجزات، أو نعقل فنفكر في حكمه ومعانيه فكر المستبصرين ما كنا في عداد أصحاب السعير ومن جملتهم. قال العراقي: ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده عن داود اهـ.

(و) قال داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا عباد عن زيد بن أسلم عن أبيه **(عن عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه أنه قال لتميم)** بن أوس بن خارجة **(الداري)** أبي رقية صحابي مشهور مات سنة أربعين: **(ما السؤدد فيكم)**؟ السؤدد كقنفذ بغير همز ومهموزاً في لغة طيء وكجندب السيادة والشرف **(قال: العقل قال)** عمر: **(صدقت سألت رسول الله ﷺ كما سألتك فقال كما قلت، ثم قال: سألت جبريل عليه السلام ما السؤدد؟ فقال العقل)** ولفظ داود: سألت جبريل عن السؤدد في الناس. قال العراقي: ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده عن داود، ورواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق عن عبد الرحمن بن حمدان الجلاب عن الحرث.

(و) قال داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا غياث بن إبراهيم، عن الربيع بن

عازب رضي الله عنه قال: كثرت المسائل يوماً على رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إن لكل شيء مطية ومطية المرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلاً». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة أُحُد سمع الناس يقولون: فلان أشجع من فلان وفلان أبلى ما لم يبل فلان ونحو هذا، فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فلا علم لكم به» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل. وكانت نصرتهم ونيّتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم». وعن البراء بن عازب أنه ﷺ قال: «جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على

لوط الأنصاري، عن أبيه عن جده، **(عن البراء بن عازب)** بن الحرث بن عدي الأوسي صحابي ابن صحابي نزل الكوفة. مات سنة اثنتين وسبعين **(قال: كثرت المسائل يوماً على رسول الله ﷺ)** ولفظ داود: كثرت المسائل على رسول الله ﷺ ذات يوم **(فقال: «يا أيها الناس إن لكل شيء مطية وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلاً»)** وعند العراقي: أحسنهم وأفضلهم بضمير الغائب في الموضعين، ولفظ داود: إن لكل شيء سبيل مطية وثيقة ومحجة واضحة وأوثق الناس مطية وأحسنهم دلالة ومعرفة بالمحجة الواضحة أفضلهم عقلاً. قال العراقي: ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده، عن داود، وغياث بن ابراهيم النخعي أحد الوضاعين.

(و) قال داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا عباد بن عبدالله بن طاووس، **(عن أبي هريرة)** رضي الله عنه **(قال: لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة أُحد)** وكانت في شوال سنة ثلاث من الهجرة **(سمع الناس يقولون)**: كان **(فلان أشجع من فلان)** زاد داود هنا، وكان فلان أجرأ من فلان **(وفلان أبلى)** أي امتحن في ذات الله **(ما لم يبل غيره ونحو هذا)** زاد داود يطرونهم، **(فقال النبي ﷺ «أما هذا فلا علم لكم به»)** ولفظ داود: لا علم لكم به. **(قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل، وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى، فإذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم»)** ولفظ داود: على قدر حسن نياتهم. قال العراقي: ولعله سقط منه ذكر طاوس وإلا فعبد الله بن طاوس إنما روى عن التابعين.

(و) قال داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا ميسرة عن حنظلة بن وداعة الدؤلي، عن أبيه، **(عن البراء بن عازب)** رضي الله عنهما **(أنه قال)** ولفظ داود: سمعت النبي (ﷺ) يقول: **(«جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه بالعقل وجد المؤمنون**

قدر عقولهم فاعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلاً »، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: بمَ يتفاضل الناس في الدنيا؟ قال: « بالعقل » قلت: وفي الآخرة؟ قال: « بالعقل » قلت: أليس إنما يجزون بأعمالهم، فقال ﷺ: « يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون »، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله

من بني آدم) زاد داود هنا: واجتهدوا في طاعة ربهم **(على قدر عقولهم فاعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلا »)** قال العراقي: ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده، عن داود. وهكذا غير داود عما حدث به ميسرة بن عبد ربه، فجعله داود عن البراء بن عازب، وإنما هو أبو عازب رجل آخر ذكر في الصحابة. هكذا رواه أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة قال: حدثني محمد بن علي الجوزجاني، حدثنا حسين بن محمد أبو أحمد، حدثنا ميسرة بن عبد ربه، وحسين بن المروروزي البغدادي ما علمنا فيه جرحاً، وقد أتاه أبو حاتم الرازي يسمع منه تفسير شيبان فلم يتفق، فهو أولى من داود ابن المحبر والله أعلم اهـ.

قلت: قد تقدم شيء من حال ميسرة وهو ميسرة بن عبد ربه الفارسي، ثم البصري التراس إلا كال في الميزان. قال ابن حبان: كان يروي الموضوعات عن الإثبات، وهو واضع أحاديث فضائل القرآن. وقال أبو داود: أقر بوضع الحديث، وقال أبو زرعة: وضع في فضل قزوين أربعين حديثاً، وكان يقول احتسب في ذلك.

(و) قال داود في كتابه المذكور أيضاً: حدثنا ميسرة، عن محمد بن زيد، عن عمرو، **(عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله بم)** وفي نسخة العراقي: بأي شيء **(يتفاضل الناس في الدنيا؟ قال: « بالعقل » قلت وفي الآخرة؟ قال: « بالعقل » قلت: أليس إنما يجزون بأعمالهم)** ولفظ داود: بقدر أعمالهم **(فقال يا عائشة: « وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله من العقل فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون »)**. قال العراقي: رواه الحكيم الترمذي في نوادره، فقال: حدثنا محمد بن الحسن، حدثنا أبي، عن هشام بن القاسم، عن ميسرة، عن عباد بن كثير، عن محمد بن زيد فزاد في إسناده بين ميسرة ومحمد بن زيد عباد بن كثير، ولفظه: « بأي شيء يتفاضل الناس » قال، بالعقل في الدنيا والآخرة ».

قلت: أليس يجزي الناس بأعمالهم؟ قال يا عائشة: « وهل يعمل بطاعة الله إلا من عقل فبقدر عقولهم يعملون وعلى قدر ما يعملون يجزون » اهـ.

قلت وفي اللآلىء المصنوعة للحافظ السيوطي الحرث بن أبي أسامة، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا عباد بن كثير، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس انه دخل على عائشة فقال يا أم المؤمنين: الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده أيهما أحب إليك، فقالت:

ﷺ : « لكل شيء آلة وعدة وإن آلة المؤمن العقل، ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل، ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل، ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل، ولكل قوم داع وداعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل، ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل، ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل، ولكل امرىء عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون إليه ويذكرون به العقل، ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل ». وقال ﷺ : « إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب في طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح ». وقال ﷺ : « أتمكم

سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال: أحسنها عقلاً فقلت: يا رسول الله: أسألك عن عبادتها، فقال: « يا عائشة إنما يسألان عن عقولها فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة » قال ابن الجوزي: موضوع.

(و) قال داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا ميسرة عن غالب، عن ابن جبير، **(عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ : « لكل شيء آلة وعدة وأن آلة المؤمن العقل)** ولفظ داود: وإن آلة المؤمن وعدته العقل **(ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل)** وفي نسخة العراقي: ومطية المؤمن العقل: **(ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل، ولكل قوة)** وفي بعض النسخ: قوم بدل قوة، وفي نسخة العراقي: ولكل شيء **(غاية وغاية العباد)** كذا في النسخ وفي نسخة العراقي: العبادة **(العقل، ولكل قوم داعٍ وداعي العابدين)**. هكذا بالدال في سائر النسخ في الموضعين، وعند العراقي: بالراء فيهما **(العقل، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل، ولكل أهل بيت قيم)** كسيد وهو من يقوم بأمور البيت **(وقيم بيوت الصديقين العقل، ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل، ولكل امرىء عقب ينسب إليه)** ولفظ داود: عمل ينسب إليه **(ويذكر به وعقب الصديقين الذي ينسبون إليه ويذكرون به العقل، ولكل سفر فسطاط)** وهي الخيمة **(وفسطاط المؤمنين العقل »)** ولفظ داود: ولكل سفر فسطاط يلجأون إليه. قال العراقي: ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده عن داود.

(وقال) داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور، حدثنا ميسرة، عن محمد بن سالم بن عبدالله، عن أبيه أن النبي (ﷺ) قال: **« (إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب في طاعة الله ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه)**، وعند داود بعد قوله عقله وتفقه وصح يقينه، **(فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح وأنجح »)** ولفظه داود « وعمل لله » بدل « به ». قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية حبيب كاتب مالك، عن محمد بن عبد

عقلاً أشدكم لله تعالى خوفاً وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظراً وإن كان أقلكم تطوّعاً ».

(بيان حقيقة العقل وأقسامه) :

اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته، وذهل الأكثرون عن كون هذا الاسم مطلقاً على معان مختلفة، فصار ذلك سبب اختلافهم، والحق الكاشف للغطاء فيه

السلام، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه فجعله من حديث عبدالله بن عمر، وحبيب بن أبي حبيب كاتب مالك متفق على ضعفه. وقال أبو داود: كان من أكذب الناس اهـ.

قلت: وزاد في الميزان قال ابن عدي: أحاديثه كلها موضوعة. وقال ابن حبان: كان يورق بالمدينة على الشيوخ ويروي عن الثقات الموضوعات. كان يدخل عليهم ما ليس من حديثهم.

(وقال) داود بن المحبر أيضاً في كتابه المذكور: حدثنا ميسرة، عن محمد بن زيد، عن أبي سلمة، عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: أرأيت قول الله عز وجل: ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ [هود: ٧] فقال (ﷺ **أتمكم عقلاً أشدكم لله خوفاً وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظراً**) ولفظ داود: فيما أمر الله به ونهى عنه **(وإن كان)** ولفظ داود: وإن كانوا **(أقلكم تطوعاً »)**.

وأخرج ابن عدي من رواية محمد بن وهب الدمشقي، عن الوليد بن مسلم، عن مالك، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رفعه « أكمل الناس عقلاً اطوعهم لله وأعملهم بطاعته، وأنقص الناس عقلاً أطوعهم للشيطان وأعملهم بطاعته » قال في الميزان: هو حديث باطل منكر آفته من محمد بن وهب، وقال الدارقطني: هو حديث غير محفوظ، والله أعلم.

بيان حقيقة العقل وأقسامه:

حقيقة الشيء ما به الشيء هو هو كالحيوان الناطق للإنسان بخلاف نحو: الضاحك والكاتب مما يتصور الإنسان بدونه، وقد يقال: إن ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه حقيقة، وباعتبار تشخصه هوية ومع قطع النظر عن ذلك ماهية.

(اعلم أن الناس اختلفوا في حد العقل وحقيقته) على أقوال شتى **(وذهل الأكثرون)** أي غفلوا **(عن علم هذا الإسم)** ومعرفته، **(لكونه يطلق على معان مختلفة، فصار ذلك سبب اختلافهم)** فيه، ولم يقتصروا على الخلاف في حقيقته فقط، بل اختلفوا فيه من جهات هل له حقيقة تدرك أولا ؟ قولان. وعلى أن له حقيقة هل هو جوهر أو عرض؟ قولان وهل محله الرأس والقلب ؟ قولان. وهل العقول متفاوتة أو متساوية ؟ قولان. وهل هو إسم جنس أو جنس أو نوع ؟ ثلاثة أقوال. فهي أحد عشر قولاً، ثم القائلون بالجوهرية أو العرضية اختلفوا في إسمه على أقوال أعدلها قولان، فعلى أنه عرض هو ملكة للنفس تستعد بها للعلوم والإدراكات،

أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان ـ كما يطلق اسم العين مثلاً على معانٍ عدة، وما يجري هذا المجرى، فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه ـ.

(فالأول): الوصف الذي يفارق الإنسان به سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو الذي أراده الحرث بن أسد المحاسبي حيث قال في حد العقل: أنه غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم النظرية، وكأنه نور يقذف في القلب، به يستعد لادراك الأشياء . ولم ينصف من أنكر هذا ورد

وعلى أنه جوهر جوهر لطيف تدرك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدات خلقه الله في الدماغ وجعله نوره في القلب نقله الأبشيطي، وأما الإختلاف في حده وحقيقته، فالعقل العلم وعليه اقتصر كثيرون وفي الصحاح والعباب هو الحجر والنهية، وفي المحكم ضد الحمق، أو هو علم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها، أو هو علم بخير الخيرين وشر الشرين أو مطلق الأمور أو لقوة يكون بها التمييز بين القبح والحسن ولمعان مجتمعة في الذهن يكون بمقدمات يستتب بها الأغراض والمصالح، ولهيئة محمودة في الإنسان في حركاته وكلامه. إلى غير ذلك من الحدود والتعاريف، **(والحق الكاشف للغطاء)** أي الحجاب **(فيه)** أي في هذا البحث **(أن العقل اسم ينطلق بالإشتراك على أربعة معان مختلفة كما يطلق اسم العين)** بالوضع الكثير **(مثلاً على معان عدة)** أي: كثيرة. ومعنى الكثرة ما يقابل الوحدة لا ما يقابل القلة **(وما يجري هذا المجرى، فلا ينبغي أن يطلب لجميع أقسامه حد واحد)** يجمعه، **(بل يفرد كل قسم)** من أقسامه **(بالكشف عنه)** والبحث فيه.

(فالاول من معانيه) هو **(الوصف الذي يفارق الإنسان)** ويتميز به **(عن سائر البهائم، وهو الذي استعد به لقبوله العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية)** أي الخفية المدرك الدقيقة التي تحتاج إلى أعمال الفكر **(وهو الذي أراده)** أي عنى به الإمام أبو عبدالله الحرث بن أسد **(المحاسبي)** رحمه الله تعالى، وقد تقدمت ترجمته في أول الكتاب **(حيث قال)** في كتابه الرعاية **(في حد العقل: أنه غريزة يتهيأ به إدراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف في القلب به يستعد لإدراك الأشياء)** .

وأخرج ابن السبكي في طبقاته في ترجمة الحرث المذكور من رواية أبي سعد الماليني قال: أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد النسائي، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الملطي، أخبرنا محمد ابن أحمد بن أبي شيخ قال قال لي أحمد بن حسن الأنصاري: سألت الحرث المحاسبي عن العقل. فقال: نور العزيزة مع التجارب يزيد ويقوى بالعلم والحلم. قال ابن السبكي: هذا الذي قاله الحرث في العقل قريب مما نقل عنه أنه غريزة يتأتى به درك العلوم، وقال إمام الحرمين في

العقل إلى مجرد العلوم الضرورية، فإن الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار

البرهان عند الكلام في معرفة العقل: وما حوم عليه أحد من علمائنا غير الحرث المحاسبي فإنه قال: العقل غريزة يتأتى بها درك العلوم وليست منها اهـ.

وقد ارتضى الإمام كلام الحرث هذا كما ترى، وقال عقبة: أنه صفة إذا ثبتت يتأتى بها التوصل إلى العلوم النظرية ومقدماتها من الضروريات التي هي مستند النظريات اهـ.

قال ابن السبكي: وهو منه بناء على أن العقل ليس بعلم والمفرد إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري أنه العلم، وقال القاضي أبو بكر أنه بعض العلوم الضرورية والإمام حكى في الشامل مقالة الحرث هذه التي استحسنها، وقال: أنا لا أرضاها ونتهم فيها النقلة عنه، ثم قال: ولو صح النقل عنه فمعناه أن العقل ليس بمعرفة الله تعالى، وهذا إذا أطلق المعرفة أراد بها معرفة الله تعالى، فكأنه قال: ليس العقل بنفسه معرفة الله تعالى، ولكنه غريزة وعنى بالغريزة أنه عالم لأمر جبل الله عليه العاقل ويتوصل به إلى معرفة الله تعالى اهـ كلامه في الشامل.

قال ابن السبكي: والمنقول عن الحرث ثابت عنه، وقد نص عليه في كتاب الرعاية، وكان إمام الحرمين نقل كلام الحرث بعد ذلك ثم لاحت له صحة ذلك بعد ما كان يرضاه اهـ سياق ابن السبكي.

قلت: واختلف كلام إمام الحرمين في كتابه الإرشاد فنقل شيخنا عن ابن مرزوق قال قال الإمام في الإرشاد: العقل هو علوم ضرورية بها يتميز العاقل عن غيره إذا اتصف وهي العلم بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات وجواز الجائزات قال، هو تفسير العقل الذي هو شرط في التكليف، ولسنا نذكر تفسيره بغير هذا وهو عند غيره من الهيئات والكيفيات الراسخة من مقولة الكيف فهو صفة راسخة توجب لمن قامت به إدراك المدركات على ما هي عليه ما لم يتصف بضدها اهـ.

وقال في موضع آخر من كتابه: العقل علوم ضرورية، والدليل على أنه من العلوم استحالة الاتصاف به مع تقدير الخلق من جميع العلوم، وليس العقل من العلوم النظرية إذ شرط النظر تعذر العقل، وليس العقل جميع العلوم الضرورية، فإن الضرير ومن لا يدرك يتصف بالعقل مع انتفاء علوم ضرورية عنه، فبان بهذا أن العقل من العلوم الضرورية وليس كها اهـ.

وإلى هذا الكلام الأخير نظر المصنف فقال: **(ولم ينصف من أنكر هذا)** أي مقالة المحاسبي **(ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية)**. وقال ابن السبكي في الطبقات: وأعلم أنه ليس في ارتضاء مذهب الحرث واعتقاده ما ينتقد ولا يلزمه قوله بالطبائع ولا شيء من مقالات الفلاسفة، كما ظنه بعض شراح البرهان، وقول إمام الحرمين أنه أراد معرفة الله ممنوع، فقد قدمنا عن الحرث بالإسناد قوله: نور الغريزة يقوى ويزيد بالتقوى نعم الحرث لا يريد بكونه نوراً ما تدعيه الفلاسفة اهـ.

وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم. وكما ان الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والإدراكات الحسية، فكذلك العقل غـريـزة بها تتهيـأ بعـض الحيوانات للعلوم النظريـة. ولـو جـاز أن يسـوّى بين الإنسـان والحمار في الغـريـزة والادراكات الحسية. فيقال لا فرق بينهما إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق في الإنسان علوماً وليس يخلقها في الحمار والبهائم، لجاز أن يسوّى بين الحمار والجماد في الحياة، ويقال لا فرق إلا أن الله عز وجل يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم إجراء العادة، فإنه لو قدر الحمار جماداً ميتاً لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه، فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد. وكما وجب أن يقال لم يكن مفارقته للجماد في الحركات إلا بغريزة اختصت به عبّر عنها بالحياة، فكذا مفارقة الإنسان البهيمة في إدراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل، وهو كالمرآة التي تفارق غيرها من الأجسام في حكاية الصور والألوان بصفة اختصت بها، وهي الصقالة، وكذلك العين تفارق الجبهة في صفات وهيئات بها استعدت للرؤية، فنسبة هذه الغريزة إلى العلوم كنسبة العين إلى الرؤية، ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الغريزة

(فإن الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما) واتصاف كل منهما بها، **(مع فقد العلوم)** الضرورية **(وكما أن الحياة)** وهي صفة توجب للمتصف بها العلم والقدرة **(غريزية بها يتهيأ)** ويستعد **(بعض الحيوانات للعلوم النظرية، ولو جاز أن يستوي بين الإنسان والحمار في الغريزة، ويقال: لا فرق إلا أن الله تعالى بحكم إجراء العادة يخلق في الإنسان علوماً وليس يخلقها في الحمار والبهائم لجاز أن يسوى بين الحمار والجماد في الحياة)** نظراً إلى القوة النامية **(ويقال: لا فرق إلا أن الله عز وجل يخلق في الحمار حركات مخصوصة بحكم إجراء العادة، فإنه لو قدر الحمار جماداً ميتاً لوجب القول بأن كل حركة تشاهد منه، فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد، وكما وجب أن يقال لم يكن مفارقته للجماد في الحركة إلا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة، فكذا مفارقة الإنسان البهيمة في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل)**، فثبت بما ذكر تصحيح قول المحاسبي، **(وهو)** أي العقل **(كالمرآة)** المجلوة **(التي تفارق غيرها من الأجسام في حكاية الصور والألوان)** كما هي **(بصفة اختصت بها وهي الصقالة)** والجلاء، **(وكذلك العين تفارق الجبهة)** وهي ما بين الجبينين **(في صفات وهيئات بها استعدت)** وتهيأت **(للرؤية)** ترى بها المرئيـات على اختلاف أنواعها وأجناسها. **(ونسبة هذه الغريزة إلى العلوم نسبة العين إلى الرؤية، ونسبة القرآن والشرع إلى هذه الغريزة في سياقها إلى إنكشاف العلوم لها)** بالظهور التام **(كنسبة نور**

في سياقها إلى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس إلى البصر، فهكذا ينبغي أن تفهم هذه الغريزة.

(الثاني): هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد، وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد، وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل: أنه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، وهو أيضاً صحيح في نفسه، لأن هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلاً ظاهر، وإنما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة ويقال: لا موجود إلا هذه العلوم.

(الثالث): علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال، فإن من حنكته التجارب

الشمس إلى البصر، فهكذا ينبغي أن تفهم هذه الغريزة) ولا عليك ممن أنكرها. وقال الراغب في الذريعة والمصنف والفخر في كتاب أسرار التنزيل: العقل عقلان غريزي وهو القوة المتهيئة لقبول العلوم ووجوده في الطفل كوجود النخل في النواة والسنبلة في الحبة اهـ.

وسيأتي ذكر القسم الثاني قريباً.

الثاني: من معاني العقل **(هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل)** وهو الولد الصغير **(المميز)** يقال: يبقى عليه هذا الإسم حتى يميز ثم لا يقال له بعد ذلك طفل بل صبي ونوزع بما في التهذيب أنه يقال له: طفل حتى يحتلم **(بجواز الجائزات واستحالة المتسحيلات)**، ووجوب الواجبات **(كالعلم بأن الإثنين أكثر من الواحد وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين)** مختلفين، **(وهو الذي عناه بعض المتكلمين)** وكأنه أشار بذلك إلى إمام الحرمين **(حيث قال في حد العقل: أنه بعض العلوم الضرورية)** لا كلها قال، والدليل على أنه من العلوم استحالة الإتصاف به مع تقدير الخلو من جميع العلوم، وليس العقل جميع العلوم الضرورية، فإن الضرير ومن لا يدرك يتصف بالعقل مع انتفاء علوم ضرورية عنه، فبات بهذا أن العقل من العلوم الضرورية وليس كلها كما تقدم ذلك نقلاً عن الإرشاد، وقال فيه أيضاً: أن العقل علوم ضرورية بها يتميز العاقل من غيره إذا اتصف **(كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات)** ووجوب الواجبات **(وهو أيضاً صحيح في نفسه لأن هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلاً ظاهر، وإنما الفاسد أن تنكر تلك الغريزة، ويقال: لا موجود إلا هذه العلوم.**

الثالث: من معاني العقل **(علوم تستفاد)** وتتحصل **(من التجارب بمجاري الأحوال)** وتصاريفها، **(فإن من حنكته التجارب)** أي فعلت به ما يفعل بالفرس إذا حنك حتى عاد

وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة، ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال أنه غبي غمر جاهل، فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلاً.

(الرابع): أن تنتهي قوّة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها فإذا حصلت هذه القوّة سمي صاحبها عاقلاً من حيث أن إقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة. وهذه أيضاً من خواص الإنسان التي بها يتميز عن سائر الحيوان، فالأوّل: هو الأس

مجرباً مذللاً (**وهذبته المذاهب**) بالتقلب فيها. (**يقال إنه عاقل في العادة ومن لا يتصف به يقال أنه غبي**) من الغباوة وهي الغفلة (**غمر**) بالضم هو الجاهل فقوله (**جاهل**) بعد ذكر الغمر من العطف المترادف، (**فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلاً**) وهذا القسم الذي جعله المصنف ثالثاً جعله الراغب في الذريعة ثانياً، فقال: ومستفاد وهو الذي تتقوى به تلك القوة، وهذا المستفاد ضربان ضرب يحصل للإنسان حالاً فحالاً بلا اختيار منه وضرب باختيار فيعرف كيف حصله ومن أين حصله وحصوله بقدر اجتهاده في تحصيله ويقال له: العلم الضروري والعقل الغريزي للنفس بمنزلة البصر للجسد والمستفاد لها بمنزلة النور، فكما أن الجسد متى لم يكن له بصر فهو أعمى، كذلك النفس متى لم يكن لها بصيرة أي عقل غريزي، فهي عمياء، وكما أن البصر متى لم يكن له نور من الحق لم يفد بصره، كذلك النفس متى لم يكن لها نور من العلم مستفاد لم تجد بصيرتها اهـ.

الرابـع: أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب تلك الأمور ويقمع الشهوات الداعية إلى) تحصيل (**اللذة العاجلة**) وهي الدنيوية (**ويقهرها فإذا حصلت هذه القوة**) في إنسان (**سمي صاحبها عاقلاً من حيث أن اقدامه وأحجامه**) أي كفه (**بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب**) أي عواقب الأمور وسمي تدبيراً وهو من جملة توابع العقل وقد سمي به مجازاً كما سيأتي قريباً (**لا بحكم الشهوة العاجلة وهذه أيضاً خواص الإنسان التي يتميز بها عن الحيوان وإليه يشير قول الشاعر:**

ومن تـرك العـواقـب مهملات ... فـأكثر سعيـه أبـداً تبـار

فهذه أربعة أقسام في العقل وقسمه بعضهم من وجه آخر فقال: العقل هيولاني وبالملكة وبالفعل ومستفاد فالعقل الهيولاني الإستعداد المحض لإدراك المعقولات وهو محضة خالية عن الفعل كما في الأطفال، وإنما نسب إلى الهيولى لأن النفس في هذه المرتبة تشبه الهيولي الأولى الخالية في حد ذاتها عن الصور كلها، والعقل بالملكة العلم بالضروريات وإستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات، والعقل بالفعل أن تصير النظريات مخزونة عند القوة العاقلة بتكرار الإكتساب بحيث تحصل لها ملكة الإستحضار متى شاءت من غير تجشم كسب جديد، والعقل المستفاد أن تحضر عنده النظريات التي أدركها بحيث لا تغيب عنه اهـ وهو تفصيل حسن

والسنح والمنبع. والثاني: هو الفرع الأقرب إليه، والثالث: فرع الأول والثاني، إذ بقوّة الغريزة والعلـوم الضرورية تستفاد علوم التجارب، والرابـع: هو الثمرة الأخيرة وهي الغاية القصوى، فالأوّلان بالطبع والأخيران بالاكتساب. ولذلك قال علي كرّم الله وجهه:

رأيــت العقـــل عقليـــن　　فمطبـــوع ومسمـــوع
ولا ينفـــع مسمـــوع　　إذا لم يـــك مطبـــوع
كمـــا لا تنفـــع الشمـــس　　وضـــوء العيـــن ممنـــوع

والأول: هـو المراد بقوله ﷺ: «ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم عليه من

(**فالأول**) من الأقسام (**هوالاس**) بتثليث الهمزة (**والسنح**) بكسر السين المهملة وسكون النون وآخره جاء مهملة وهو الأصل (**والمنبع**) لأنه بمنزلة البصر من الجسد، والثاني من الأقسام (**هو الفرع الأقرب إليه**) إذ بقوة الغريزة تدرك العلوم الضرورية (**والثالث**) من الأقسام (**فرع الأول والثاني إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب، والرابع**) من الأقسام (**هي الثمرة الأخيرة وهي الغاية القصوى**) ومن هنا قال من قال في حقيقة الحق أنه نور روحاني يقذف في القلب أو الدماغ به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية، فانتصاره على هذا إنما هو نظراً إلى أنه الغاية (**فالأوليان**) أي الغريزة والعلوم الضرورية (**بالطبع**) والجبلة فهو مبدع (**والأخريان**) أي التجارب ومعرفة عواقب الأمور (**بالإكتساب**) فهو مكتسب قال صاحب الذريعة: ولاختلاف النظرين قال قوم: وهو مبدع، وقال قوم: هو مكتسب وكلا القولين صحيح من وجه وفاسد من وجه، (**ولذلك**) أي لكون العقل غريزياً ومستفاداً (**قال علي كرم الله وجهه**) فيما أورده صاحب القوت والذريعة والفخر في أسرار التنزيل: (**رأيت العقل**) هكذا في نسخ الكتاب، وفي الذريعة ثم العقل وفي المفردات وأسرار التنـزيـل: العقـل (**عقلين**) وفي القـوت: العلم علمان بـدل العقـل عقلان (**فمطبـوع ومسموع**) ولا ينفع مطبوع إذا لم يك مسموع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع) وفي الذريعة: إذا لم يك مسموع كما لا ينفع ضوء الشمس، (**والأول**) أي العقل الغريزي المطبوع (**هو المراد**) ولفظ الذريعة فإلى الأول أشار (**بقوله ﷺ: «ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم عليه من العقل**) قال العراقي: رواه الحكيم الترمذي في النوادر بإسناد ضعيف من رواية الحسن البصري قال: حدثني عدة من أصحاب رسول الله ﷺ، عن رسول الله ﷺ فذكر حديثاً فيه «إن الله تعالى قال: ما خلقت خلقاً أحب إلي منك ولا أكرم علي منك» الحديث وقد تقدم في ثالث حديث الباب اهـ.

قلت: وأشار إلى أنه ضعيف لكون الترمذي المذكور رواه عن عبد الرحمن بن حبيب عن

العقل » والأخير هو المراد بقوله ﷺ: « إذا تقرّب الناس بأبواب البر والأعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك »، وهو المراد بقول رسول الله ﷺ لأبي الدرداء رضي الله عنه: « ازدد عقلاً تزدد من ربك قرباً، فقال: بأبي أنت وأمي! وكيف لي بذلك؟ فقال: اجتنب محارم الله تعالى وأدِّ فرائض الله سبحانه تكن عاقلاً واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل في آجل العقبى بها من ربك عز وجل

داود بن المحبر عن الحسن بن دينار قال: سمعت الحسن ورجاله ما عدا الحسن هلكى، وقد رواه داود أيضاً في كتابه مرسلاً فقال: حدثنا صالح المري عن الحسن فذكره **(والأخير)** أي العقل المستفاد **(هو المراد بقوله)** ولفظ الذريعة والمفردات، إلى الثاني أشار بقوله **(ﷺ)** لعلي رضي الله عنه: **(« إذا تقرب الناس بأبواب البر فتقرب أنت بعقلك »)** ولفظ الذريعة إذا تقرب الناس إلى خالقهم بالبر فتقرب إليه أنت بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند الله في الدنيا والآخرة اهـ.

وأخرج أبو نعيم بإسناد ضعيف من رواية عاصم بن ضمرة، عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: « إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا عز وجل فاكتسب أنت أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة ». وفي الجزء الثالث من أمالي أبي القاسم بن عليك النيسابوري قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، أخبرنا محمد بن منصور العتكي، حدثنا محمد بن أشرس السلمي، حدثنا سليمان بن عيسى السنجري، عن سفيان الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « إذا اكتسب الناس إلى خالقهم بأنواع البر فاكتسب إليه بأنواع العقل تسبقهم بالقربة والراحة والدرجات في الدنيا.

(وهو المراد بقول رسول الله ﷺ لأبي الدرداء) رضي الله عنه فيما أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر فقال: حدثنا مهدي، حدثنا الحسن عن منصور، عن موسى، عن أبان، عن لقمان بن عامر، عن أبي الدراداء قال قال رسول الله ﷺ يا عويمر **(« ازدد عقلاً تزدد قرباً »)** ولفظ النوادر: « رحباً » بدل « قرباً » **(فقال بأبي أنت وأمي! وكيف لي بذلك)**؟ ولفظ النوادر: قلت يا رسول الله من لي بالعقل؟ **(فقال ﷺ: « اجتنب محارم الله »)** ولفظ النوادر « مساخط الله » **(وأد فرائض الله تكن عاقلاً وأعمل بالصالحات من الأعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعزة »)** ولفظ النوادر ثم تنقل بالصالحات من الأعمال تزدد في الدنيا عقلاً ومن ربك قرباً وعليه عزاً. قال العراقي: وأبان بن أبي عياش ضعيف، وقد رواه بسياق المصنف داود بن المحبر في كتاب العقل، ومن طريقه رواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده اهـ.

قلت: وأخرج البيهقي، وابن عدي من حديث ابن مسعود رفعه « أد ما أفترض الله عليك تكن من أعبد الناس واجتنب ما حرم الله عليك تكن من أورع الناس وارض بما قسمه الله لك تكن من أغنى الناس ».

القرب والعز »، وعن سعيد بن المسيب ان عمر وأبيّ بن كعب وأبا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله: من أعلم الناس؟ فقال ﷺ: « العاقل » قالوا: فمن أعبد الناس؟ قالَ: « العاقل » قالوا: فمن أفضل الناس؟ قال: « العاقل » قالوا: أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته؟ فقال ﷺ: « وإنَّ كُلّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعَ الحياةِ الدُّنْيَا والآخِرةُ عِنْدَ رَبِّكَ للمتَّقين ﴾ [الزخرف: ٣٥]، أن العاقل هو المتقي وإن كان في الدنيا خسيساً ذليلاً »، قال ﷺ في حديث آخر: « إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ». ويشبه أن يكون أصل الاسم في أصل اللغة لتلك الغريزة، وكذا في الاستعمال، وإنما أطلق على العلوم من حيث أنها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته، فيقال: العلم هو الخشية والعالم من يخشى

(و) روي داود بن المحبر في كتاب العقل فقال: حدثنا ميسرة، عن محمد بن زيد، (**عن سعيد بن المسيب**) بن حزن المخزومي من كبار التابعين (**أن عمر**) بن الخطاب (**وأبي بن كعب، وأبا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس؟ فقال « العاقل »**) ولفظ داود قال « العاقل » (**فقالوا**): ولفظ داود: قالوا (**من أعبد الناس؟ فقال « العاقل » قالوا فمن أفضل الناس، قال « العاقل » قالوا: ليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته**) إشارة إلى الفضائل النفسية، وهذه الأربعة خيارها فتمام مروءة الإنسان جمال معنوي، وحسن النطق جمال ظاهري، والسخاء من المتمات ورفعة المنزلة عند الناس من الغايات (**فقال ﷺ: ﴿ إن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين**) [الزخرف: ٣٥] ولفظ داود بعد قوله: الحياة الدنيا إلى آخر الآية (**« إن العاقل هو المتقي وإن كان في الدنيا خسيساً ذليلاً**) ولفظ داود خسيساً قصياً. قال العراقي: وقول المصنف عن ابن المسيب يريد أنه مرسل وهو كذلك.

(**وقال ﷺ في حديث آخر**) رواه ابن المحبر في العقل لقال: حدثنا عدي، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن سعيد بن المسب قال اشرف النبي ﷺ على خيبر فذكر زيادة في أوله ثم قال: (**إنما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته »**) ولفظ داود: « بطاعة الله عز وجل » وهو مرسل أيضاً كالذي قبله، وفي الذريعة قال رجل لمن وصف نصرانياً بالعقل « مه إنما العاقل من وحد الله وعمل بطاعته » (**ويشبه أن يكون الاسم**) أي اسم العقل (**في أصل اللغة لتلك الغريزة**) التي تقدم وصفها، (**وكذا في الإستعمال**) الخاص والعام، (**وإنما أطلق على العلوم**) الضرورية كما ذهب إليه المتكلمون (**من حيث أنها ثمرتها**) ونتيجتها، (**كما يعرف الشيء بثمرته فيقال**) مثلاً (**العلم هو الخشية**)، ومعلوم أنه ليس بحد له حقيقة، (و) إذا ثبت ذلك ثبت قولهم (**العالم من يخشى الله تعالى، فإن الخشية**) وهو الخوف المشوب

الله تعالى. فإن الخشية ثمرة العلم فتكون كالمجاز لغير تلك الغريزة، ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة.

والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة والإسم يطلق على جميعها، ولا خلاف في وجود جميعها إلا في القسم الأول، والصحيح وجودها بل هي الأصل. وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة، ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج، وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء في الأرض، فإنه يظهر بحفر البئر ويجتمع ويتميز بالحس لا بأن يساق إليها شيء جديد، وكذلك الدهن في اللوز وماء الورد في الورد، ولذلك قال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم مِن ظُهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فالمراد به إقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة، فإنهم

بتعظيم (**ثمرة العلم**) ونتيجته (**فيكون كالمجاز**) إذا أطلق (**لغير تلك الغريزة**)، وإنما قال: كالمجاز ولم يقل مجازاً لأنه أورده بحثاً، ولذا قال في أوله: ويشبه وهذا بظاهره لا غبار عليه إلا أنه خالف فيه سائر أئمة اللغة وغالب المتكلمين، فإنهم ما فسروه إلا بالعلم ولا أحد منهم جعل الغريزة أصلاً في معناه، حتى يكون إطلاقه على العلوم مجازاً، ولذا أنكروا على المحاسبي مقالته المذكورة آنفاً، (**ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة**) أشار بهذه إلى أنه خالفهم فيما اطبقوا عليه.

(**والمقصود أن هذه الأقسام الأربعة موجودة**) كما عرفت، (**و**) هذا (**الاسم**) أي اسم العقل (**يطلق على جميعها**) إطلاقاً صحيحاً (**إلا القسم الأول**) أي الغريزة فمختلف فيه، (**والصحيح وجودها**) أي الغريزة (**بل هي الأصل**) للأقسام الثلاثة. (**وهذه العلوم كلها منضمة في تلك الغريزة**) مركوزة فيها (**بالفطرة**) الأصلية، (**ولكن تظهر في الوجود إذا جرى سبب**) قوي (**يخرجها**) من أصل الفطرة (**إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة**) أي مختفية (**فيها فظهرت**) وبرزت، (**ومثاله**) في الظاهر (**الماء في الأرض فإنه**) يختفي فيها، وإنما (**يظهر بحفر القني**) بضم القاف وكسر النون وتشديد التحتية جمع قناة وهي الجدول الصغير (**ويجتمع**) مع بعضه (**ويتميز**) ذلك (**بالحس**) والمشاهدة (**لا بأن يساق إليه شيء جديد**) من خارج، (**وكذلك الدهن**) فإنه مستكن (**في**) قلب (**اللوز**) وهو ثمر شجر معروف، (**وماء الورد**) فإنه مستكن (**في الورد**)، وإنما يخرجان منها بسبب قوى في الاخراج، (**ولذلك قال تعالى**) في كتابه العزيز (**﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ [الاعراف: ١٧٢] فالمراد به اقرار نفوسهم**) المجردة عن الهياكل (**لا اقرار الألسنة فإنهم انقسموا في إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة**

انقسموا في إقرار الألسنة حيث وجدت الألسنة والأشخاص إلى مقر وإلى جاحد، ولذلك قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ [الزخرف: ٨٧]، معناه أن اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ [الروم: ٣٠]، أي كل آدمي فطر على الإيمان بالله عز وجل، بل على معرفة الأشياء على ما هي عليه أعني: أنها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك، ثم لما كان الإيمان مركوزاً في النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين: إلى من أعرض فنسي وهم الكفار، وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها، ولذلك قال عز وجل: ﴿لعلهم يتذكرون﴾ [البقرة: ٢٢١] ﴿وليتذكر أولو الألباب﴾ [ص: ٢٩] ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم

والأشخاص) على قسمين، فمنهم من بقي على اقراره الأصلي من أول وهلة، ومنهم من راجع اقراره فيما بعد بتوفيق من الله تعالى، ومنهم من لم يقر مطلقاً فالإقرار ثابت بنص الآية. ولكن لا بالألسنة، وهذا الذي أورده المصنف أشار به إلى ثمرة العقل من معرفة الله الضرورية، وغاية ما يبلغ إليه الإنسان من ذلك، فأشرف ثمرة العقل معرفة الله سبحانه وتعالى وحسن طاعته والكف عن معصيته، فمعرفة الله الضرورية مركوزة في النفس وهي معرفة كل أحد أنه مفعول، وأن له فاعلاً فعله ونقله من الأحوال المختلفة، وإليه أشار بقوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم﴾ الآية. فهذا القدر من المعرفة في نفس كل أحد، وتنبيه الغافل عنه إذا تنبه عليه فيعرفه كما يعرف أن من هو مسار لغيره فذلك الغير مساو له، **(ولذلك)** أي من هذا الوجه **(قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ [الزخرف: ٨٧] وكذا قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ [الزخرف: ٩] . وقال في مخاطبة المؤمنين والكافرين ﴿ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون★** ثم إذا كشف الضر عنكم﴾ [البقرة: ١٣٨] الآية. **(معناه إن اعتبرت أحوالهم)** المختلفة **(شهدت بها نفوسهم وبواطنهم)** وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾) [الروم: ٣٠] وقوله: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾ [البقرة: ١٣٨] **(أي كل آدمي فطر)** وجبل **(على الايمان بالله عز وجل)** والانقياد لطاعته، **(بل على معرفة الأشياء على ما هي عليها)**، ولم يقل بل على معرفة الله تعالى، فإنه إنما عني بالإيمان معرفة الله الضرورية. وهي معرفة كل أحد انه مفعول، وأن له فاعلاً فعله ونقله من الأحوال المختلفة لا المعرفة المكتسبة، فإنه قد تقدم بيانها في أول الكتاب. **(أعني: إنها كالمتضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك)** وتهيئها لقبوله، **(ثم لما كان الايمان مركوزاً في النفوس)** مودوعاً فيها **(بالفطرة)** الأصلية **(انقسم الناس من أعرض)** عنه **(فنسي)** لتمادي العهد وهم الكفار، **(وإلى من أجال خاطره)** وأداره بحسن تفكره **(فتذكر)** ما كان منسياً، **(فكان كمن حل شهادة فنسيها بغفلة)** عنها **(فتذكرها)** فيما بعد، فإن أصل التذكر محاولة القوة العقلية لاسترجاع ما فات بالنسيان، **(ولذلك قال عز وجل: ﴿لعلهم يتذكرون﴾ [البقرة: ٢٢١]**

به﴾ [المائدة: ٤٧] ﴿ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مُدّكر﴾ [القمر: ١٧] وتسمية هذا النمط تذكراً ليس ببعيد، فكأن التذكر ضربان، **أحدهما**: أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه لكن غابت بعد الوجود. **والآخر**: أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة. وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يستر وجه السماع والتقليد دون الكشف والعيان، ولذلك تراه يتخبط في مثل هذه الآيات، ويتعسف في تأويل التذكر وإقرار النفوس أنواعاً من التعسفات، ويتخايل إليه في الأخبار والآيات ضروب من المناقضات، وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر إليها بعين الاستحقار ويعتقد

وقال تعالى: ﴿وليتذكر أولو الألباب﴾) [ص: ٢٩] أي العقول، وقال تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به﴾ [المائدة: ٧]. وقال تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾ [القمر: ١٧]، وغير ذلك من الآيات التي فيها الذكر والتذكر، **(وتسمية هذا النمط)** أي النوع **(تذكراً ليس ببعيد)** لغة **(وكأن التذكر ضربان)** وتحقيق المقام أن التذكر فرع عن الذكر، والذكر هو وجود الشيء في القلب. أو في اللسان، وذلك أن الشيء له أربع درجات، وجوده في ذاته، ووجوده في قلب الإنسان، ووجوده في لفظه، ووجوده في كتابته، فوجوده في ذاته هو سبب لوجوده في لسانه ولوجوده في كتابته، ويقال للموجودين أي الوجود في القلب، والوجود في اللسان الذكر، ولا اعتداد بذكر اللسان ما لم يكن ذلك عن ذكر في القلب بل لا يكون ذلك ذكراً والذكر بالقلب ضربان: **(أحدهما: أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه)** باستثباته لها **(لكن غابت)** عنه **(بعد الوجود)** وانمحت عنه بنسيان أو غفلة فيستعيدها، وهذا هو في الحقيقة الذكر، **(والآخر أن يكون)** التذكر **(عن صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة)** المراد ثبات وجودها في القلب من غير نسيان أو غفلة، وذكر الله تعالى على نحو الأول غير مرتضى عند الأولياء، وإنما يحمد إذا كان على النوع الثاني، ثم أن ذكر الله تارة يكون لعظمته فيتولد منه الإجلال والهيبة، وتارة يكون لقدرته فيتولد منه الخوف والحزن، وتارة لفضله فيتولد منه الرجاء، وتارة لنعمه فيتولد منه الشكر، وتارة لأفعاله الباهرة فيتولد منه العبرة، ومن القسم الرابع قوله تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ **(وهذه حقائق)** جليلة **(ظاهرة للناظر بنور البصيرة)** لا يمتري فيها ولا يتلعثم يدركها بأول وهلة **(ثقيلة على)** افهام **(من يستر وجه السماع والتقليد)**، أي يكون التقليد والسماع من الافواه والاقتصار عليه يكون رائجاً عنده، فمثله لا يدرك تلك الحقائق **(دون الكشف والعيان)** أي: المشاهدة وهو مقام اليقين، **(ولذلك تراه)** أبداً **(يتخبط في مثل هذه الآيات)** أي يختلف كلامه فيها لعدم بصيرته **(ويتعسف)** أي يركب العسف والجور **(في تأويل التذكر)** والذكر **(وإقرار النفوس)** عند أخذ العهود **(أنواعاً)** ضروباً **(من التعسفات)** الباطلة عند أهل الحق **(وتتخايل إليه في الاخبار)** النبوية **(والآيات)** الالهية **(ضروب)** أنواع **(من المناقضات)** الباطلة، **(وربما يغلب ذلك عليه)** فيصير طبعاً مركوزاً

فيها التهافت، ومثاله مثال الأعمى الذي يدخل داراً فيعثر فيها بالأواني المصفوفة في الدار فيقول: ما لهذه الأواني لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها، فيقال له: إنها في مواضعها، وإنما الخلل في بصرك، فكذلك خلل البصيرة يجري مجراه وأطم منه وأعظم إذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر. قال الله تعالى: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم: ١١]، وقال تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ [الأنعام: ٧٥] الآية. وسمى ضده عمى فقال تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصارُ وَلَكِن تَعمى القُلوب التي في الصدور﴾ [الحج: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾ [الإسراء:

فيه (**حتى ينظر إليها بعين الاستحقار**) والمذلة. (**ويعتقد فيها**) من عدم بصيرته (**التهافت**) والتناقض فيقدم على الجمع بينها بقوة علمه الظاهر ولم يستضيء من نور المشاهدة والمعرفة عقله فيقع في محظور عظيم ضرره على العامة أكثر من ضرر غيره، (**ومثاله مثال الأعمى**) فاقد البصر (**الذي يدخل داراً**) عظيمة المبنى مصفوفة فيها صفوف الأمتعة في مواضعها (**فيعثر**) برجله (**فيها بالأواني المصفوفة**) من الخزف الصيني والزجاج وغيرها، (**فيقول**) بلسانه الذي يعبره عن عقله القاصر: (**ما لهذه الأواني لا ترفع من الطرق. وترد إلى مواضعها؛ فيقال له: هي موضوعة في مواضعها**) التي تليق بها، (**وإنما الخلل في البصر، وكذلك خلل البصيرة يجري مجراه**) أي مجرى خلل البصر، بل (**وأطم منه**) أي أكثر (**وأعظم**) لأن بارتفاع البصيرة ارتفاع النفع بالبصر (**إذ النفس كالفارس والبدن كالفرس**) يتبعه حيث يريد. (**وعمى الفارس**) بنفسه (**أضر**) أي أشد ضرراً (**من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى**) في كتابه العزيز في حق حبيبه ﷺ: ﴿**ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾ [النجم: ١١]. قال البيضاوي: أي ما رأى ببصره من صورة جبريل أو الله تعالى أي: ما كذب بصره ما حكاه له، فإن الأمور القدسية تدرك أولا بالقلب ثم تنتقل منه إلى البصر (**وقال تعالى: ﴿وكذلك نُري ابراهيم ملكوت السموات والأرض﴾**) [الأنعام: ٧٥] وليكون من الموقنين، واعلم أن النفوس القدسية إذا اطمأنت إلى الله تعالى تشعشعت بصيرتها كشعاع البصر، وعند تعطيل الحواس بالنوم أو بالمراقبة ترجع النفس إلى عالم الملكوت. ولها عروج في العلويات بحسب قوتها في الترقي والسير في عالم الملكوت، فيعلو شعاع بصيرتها إلى عالم الروحانيات كشعاع البصر في السموات، وقد أثبت الله تعالى للعقل رؤية في هاتين الآيتين في قوله: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ [الفرقان: ٤٥] وأثبت له ابصاراً في قوله: ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾ [الأعراف: ١٩٨] (**وسمي ضده عمى فقال تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ [الحج: ٤٦] وقال تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾**)

٧٢] ، وهذه الأمور التي كشفت للأنبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة ، وسمى الكل رؤية . وبالجملة ؛ من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين إلا قشوره وأمثلته دون لبابه وحقائقه ، فهذه أقسام ما ينطلق اسم العقل عليها .

(بيان تفاوت الناس في العقل) :

قد اختلف الناس في تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله ، بل الأولى والأهم المبادرة إلى التصريح بالحق . والحق الصريح فيه أن يقال أن التفاوت يتطرق إلى الأقسام الأربعة سوى القسم الثاني ، وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ، فإن من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضاً استحالة

[الاسراء ٧٢] قذفهم بفقدان البصيرة تنبيهاً ان فقدانها اختياري إذ هو بتركهم استفادة العلم ، وأكثر فقدان البصر ضروري قال الله تعالى : ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ [الكهف : ١٠١] فلولا أن العين أراد بها البصيرة لما قال تعالى ﴿عن ذكري﴾ لأن الذكر لا يدرك بحاسة العين ، وقال ابن عباس لمن عيره بفقدان البصر : إنا نصاب بأبصارنا وأنتم تصابون في بصائركم . **(وهذه الأمور التي كشفت للأنبياء)** عليهم السلام **(بعضها كان بالبصر ، وبعضها كان بالبصيرة ، وسمي الكل رؤية)** كما في الآية المتقدمة . وكذا في قوله تعالى : ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ [فصلت : ٥٣] لأن للنفوس القدسية في سيرهم وترقيهم إلى عالم الملكوت معارج على قدر تبدل صفاتها بالسير عن خصائصها ، وبحسب تلطف ذاتها بالتزكية عن أوصافها . **(وبالجملة ؛ من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة)** أي متوقدة مضيئة **(لم يعلق به من الدين إلا قشوره وأمثلته)** أي رسومه الظاهرة **(دون لبابه وحقائقه)** ومحضه وخلاصته . **(وهذه حقائق ما ينطلق عليه اسم العقل)** . وفي أثناء ذلك الاشارة إلى ثمراته وما يتولد منه .

(بيان تفاوت الناس في العقل) :

اعلم انه **(قد اختلف الناس في تفاوت العقل)** فمنهم من منعه مطلقاً ، ومنهم من أثبته والمثبتون ، اختلفوا كذلك على أنحاء شتى هل يتطرق إلى بعض أقسامها أو كلها ، **(ولا ينبغي الاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله)** ، فرمى عن قوس علم الظاهر من غير تأييد باطني ولا مشاهدة أمر يقيني ، فتحرير كلام مثله لا يجدي نفعاً ، وإنما هو تسويد في بياض ، **(بل الأولى المبادرة)** أي المسارعة **(إلى التصريح بالحق)** والتبيين له ، **(والحق الصريح)** أي الخالص **(فيه أن التفاوت)** فيه **(يتطرق إلى الأقسام الأربعة)** منه **(سوى القسم الثاني)** من أقسامه ، **(وهو العلم الضروري بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ، فإن من عرف)** بعقله **(أن الاثنين أكثر من واحد عرف أيضاً استحالة كون الجسم)** الواحد **(في**

كون الجسم في مكانين وكون الشيء الواحد قديماً حادثاً. وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه إدراكاً محققاً من غير شك. وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها. أما القسم الرابع، وهو استيلاء القوّة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه، بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه، وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة إذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض، ولكن غير مقصور عليه، فإن الشاب قد يعجز عن ترك الزنا، وإذا كبر وتم عقله قدر عليه، وشهوة الرياء والرئاسة تزداد قوّة بالكبر لا ضعفاً، وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة، ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الأطعمة المضرة، وقد لا يقدر من يساويه في العقل على ذلك إذا لم يكن طبيباً، وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة، ولكن إذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد، فيكون الخوف جنداً للعقل وعدة له في قمع الشهوات وكسرها، وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصي من الجاهل

مكانين) مختلفين، **(و)** استحالة **(كون الواحد قديماً حادثاً)** لمضادتها، **(وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه العاقل إدراكاً محققاً من غير شك)**، فهذا لا يتطرق إليه التفاوت، **(وأما الأقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق إليها)** كما يأتي بيانه، **(أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات)** وردعها **(فلا يخفى تفاوت الناس فيه)** بالقلة والكثرة حتى ترى واحداً كعشرة بل واحداً كمائة وعشرة أخرى هدر دون واحد، **(بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد)** في نفسه، **(وهذا التفاوت تارة يكون لتفاوت الشهوة)** في حد ذاتها **(إذ قد يقدر العاقل)** بقوة عقله **(على ترك بعض الشهوات دون بعض)** كأن يترك الشهوة الظاهرة ولا يقدر على ترك الشهوة الخفية، **(ولكن غير مقصور عليه، فإن الشاب قد يعجز عن ترك الزنا)** لشدة شبقه وثوران شهوته، **(وإذا كبر وتم عقله قدر عليه)** وارتدع منه بمقتضى السن **(وشهوة الرياء)** والسمعة **(والرئاسة)** وما أشبهها **(تزداد قوة)** وتنمو **(بالكبر)** أي بالطعن في السن **(لا ضعفاً)**، لما ورد: يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان الحرص وطول الأمل، **(وقد يكون سببه التفاوت في العلم المعرف)** المبين **(لغائلة تلك الشهوة)** ومضراتها، **(ولهذا يقدر الطبيب)** الماهر العارف **(على الاحتماء عن بعض الأطعمة)** والأشربة **(المضرة)** المؤدية إلى الضرر، **(وقد لا يقدر)** على ذلك **(من يساويه)** ويماثله **(في العقل. إذا لم يكن طبيباً)** لعدم معرفته بالخواص والطبائع، **(وإن كان يعتقد على الجملة فيه مضرة، ولكن إذا كان علم الطبيب أتم)** وأكثر **(كان خوفه أشد)** وأعظم، **(فيكون الخوف جنداً للعقل وعدة له في قمع الشهوات وكسرها)**. إذ لولا خوفه لما منعه عنها، **(وكذلك يكون العالم)** العامل بعلمه **(أقدر على تزك المعاصي)** وكسر شهوتها عنه **(من العامي لقوة علمه بضرر المعاصي)** وما يترتب عليه منها. **(وأعني به العلم**

لقوة علمه بضرر المعاصي، وأعني به العالم الحقيقي دون أرباب الطيالسة وأصحاب الهذيان، فإن كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع إلى تفاوت العقل، وإن كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلاً أيضاً، فإنه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه، وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل، فإنها إذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة أشد.

وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فإنهم يتفاوتون بكثرة الإصابة وسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوتاً في الغريزة وإما تفاوتاً في الممارسة، فأما الأول، وهو الأصل أعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده، فإنه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادىء اشراقه عند سنّ التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نمواً خفي التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة، ومثاله

الحقيقي) الذي علمه لله ولأمر الله **(دون أرباب الطيالسة)** جمع طيلسان وهو كساء أسود مربع، والمراد به علماء الدنيا والقضاة والمخالطون على الملوك والأمراء أصحاب السواري، **(وأصحاب الهذيان)** محركة هو الكلام الكثير، والمراد به أرباب الجدال والمناظرات، **(فإن كان التفاوت من جهة الشهوة)** وهو القسم الأول **(لم يرجع إلى تفاوت العقل، وإن كان)** سبب التفاوت **(من جهة العلم)** المعرف بغائلة المضرة وهو القسم الثاني، **(فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلاً فإنه يقوي غريزة العقل)** ويشدها **(فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه، وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل، فإنها إذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة أشد)** وأكثر.

(وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فإنهم) أي: أهل هذه العلوم المستفادة **(يتفاوتون)** تارة **(بكثرة الإصابة و)** تارة **(بسرعة الإدراك ويكون سببه إما تفاوت)** في **(أصل الغريزة وإما تفاوت في)** نفس **(الممارسة)** والتجربة، **(وإما الأول وهو الأصل)** أي أصل هذه الأقسام **(أعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده)** وإنكاره، **(فإنه نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادىء اشراقه عند بدو سن التمييز)** أي البلوغ، **(ثم لا يزال ينمو ويزداد نمواً خفي التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة)** هذا هو المشهور، وقد ذكر صاحب القاموس تبعاً لبعض الحكماء أن ابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو ويزيد إلى أن يكمل عند البلوغ، فظاهره أن كماله يكون عند سن البلوغ وهو محل تأمل. وقد ورد في الحديث: «ما من نبي إلا نبىء بعد الأربعين» وقول ابن الجوزي: انه موضوع لأن عيسى عليه السلام رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، كما في حديث آخر فاشتراط الأربعين ليس بشرط مردود لكونه مستنداً إلى زعم

نور الصبح، فإن أوائله يخفى خفاء يشق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطلوع قرص الشمس، وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر، بل سنة الله عز وجل جارية في جميع خلقه بالتدريج في الإيجاد حتى ان غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة، بل تظهر شيئاً فشيئاً على التدريج، وكذلك جميع القوى والصفات، ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل، ومن ظن ان عقل النبي ﷺ مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادي فهو أخس في نفسه من آحاد السوادية، وكيف ينكر تفاوت

النصارى، والصحيح أنه رفع وهو ابن مائة وعشرين. وما ورد فيه غير ذلك، فلا يصح كذا في تذكرة المجدولي. **(ومثاله نور الصبح، فإن أوائله يخفى)** عن الأعين **(خفاء يشق إدراكه ثم يتدرج إلى الزيادة)** تدريجاً **(إلى أن يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر)** في القلة والكثرة والزيادة والنقص، **(والفرق مدرك بين الأعمش)** الذي بعينه عمش وهو سيلان الدمع في أكثر الأوقات مع ضعف البصر، **(وبين الحاد البصر)** السالم من العلل، **(بل سنة الله جارية في جميع خلقه بالتدريج في الايجاد)**، فمن ذلك ايجاد الإنسان في المراتب السبعة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين★ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين★ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤] **(حتى أن غريزة الشهوة لا تركب في الصبي عند البلوغ دفعة)** واحدة **(وبغتة، بل تظهر شيئاً فشيئاً على التدريج، وكذا جميع القوى والصفات)** منها قوة الغذاء، وقوة الحس وقوة التخيل، وقوة النزوع، وقوة التفكر. فهذه خمس قوى ركبها الله تعالى في الإنسان وجعل المدركة خمساً: الحواس والخيال والتفكر والعقل والحفظ، وجعل الحواس خمساً ظاهرية وخمساً باطنية، وجعل للبدن خمس قوى وهي: الجاذبة والممسكة والهاضمة والدافعة، وباعتدالها تكمل الصحة. وأما الصفات فمحمودة ومذمومة ولكل منها أقسام، **(ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة، فكأنه منخلع عن ربقة العقل)** لم يتحل بها. **(ومن ظن أن عقل النبي ﷺ مثل)** عقل **(آحاد السوادية)** وهم أهل الأرياف **(أو أجلاف البوادي)** الذين يلازمون البادية، **(فهو أخس في نفسه من آحاد السوادية)**.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من رواية الحرث بن أبي أسامة، عن داود بن المحبر، حدثنا عباد بن كثير عن أبي ادريس، عن وهب بن منبه قال: قرأت أحداً وسبعين كتاباً فوجدت في جميعها أن الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقل محمد ﷺ إلا كحبة رمل من جميع رمال الدنيا، وأن محمداً ﷺ أرجح الناس عقلاً وأفضلهم رأياً، **(وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم)** الخفية المدرك، **(ولما انقسموا**

الغريزة ولولاه لما اختلفت الناس في فهم العلوم، ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم، وإلى ذكي يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم؟ كما قال تعالى: ﴿يكادُ زيتُها يضيءُ ولَوْ لم تمسسه نارٌ نورٌ على نورٌ﴾ [النور: ٣٥]، وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ يتضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع، ويعبر عن ذلك بالالهام، وعن مثله عبر النبي ﷺ حيث قال: « إن روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ما

إلى) ثلاثة أقسام. (**بليد**) جامد الطبع غير فطن (**لا يفهم**) ما يلقى إليه (**بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من التعليم، وإلى ذكي**) يتوقد ذهنه ذكاء (**يفهم بأدنى رمز و**) أقرب (**اشارة**) من غير تعب في مراجعته، (**وإلى كامل**) مهذب (**تنبعث من نفسه حقائق الأمور**) وتتفجر دقائقها (**دون التعليم**) وفي مثله قال الله تعالى: ﴿**يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار**﴾ [**النور: ٣٥**] **وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام إذ تتضح لهم في باطنهم**) المقدس (**أمور غامضة من غير تعلم وسماع**) من ملك وغيره، وقال ابن عرفة: هذا مثل ضربه الله لرسوله ﷺ يقول: يكاد منظره، وإن لم يتل قرآناً وأنشد في المعنى لعبدالله بن رواحة:

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تغنيك بالخبرِ

(**ويعبر عن ذلك بالالهام**) وهو إلقاء الشيء في الروع بطريق الفيض، ويختص بما كان من جهة الله تعالى، أو من جهة الملأ الأعلى، وقيل: هو ايقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر يخص الله به بعض أصفيائه. (**وعن مثله عبّر رسول الله ﷺ حيث قال: « إن روح القدس** ») المراد به جبريل عليه السلام وقيل: هو الله تعالى (**نفث**) أي ألقى وهو مجاز من النفخ، وقيل: معناه أوحى إلى ذلك (**في روعي** ») أي نفسي ويعبر عن ذلك بلمة الملك أيضاً. وبقية هذا الحديث أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فأجلوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته هكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية، عن أبي أمامة الباهلي. ورواه ابن أبي الدنيا والحاكم، عن ابن مسعود. وقال البيهقي في الداخل: انه منقطع، وسيأتي بيان الحديث حيث ذكره المصنف في الباب الأول من آداب الكسب والمعاش.

وأخرج الطبراني في الصغير والأوسط من طريق أهل البيت من رواية حسن بن الحسين بن زيد العلوي عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال لي جبريل عليه السلام: « يا محمد: (**أحبب من أحببت فإنك مفارقة**) ورواية الطبراني من شئت بدل من أحببت (**وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزي به** ») وعند الطبراني؛ فإنك ملاقيه

شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزىٌ به». وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الأذن، ومشاهدة الملك بحاسة البصر، ولذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروع، ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة، بل هو من علم المكاشفة. ولا تظنن أن معرفة

وفيه تقديم هذه الجملة على الثانية، وفي آخره وقال رسول الله ﷺ: «أوجز لي جبريل في الخطبة» قال: ولا يروى عن علي إلا بهذا الاسناد، وقد روي هذا الحديث عن سهل بن سعد، وسياق المصنف أشبه به إلا أن فيه تقديماً وتأخيراً، وزيادة في الآخر أخرجه الطبراني أيضاً في الأوسط من رواية زافر بن سليمان، عن محمد بن عيينة، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «يا محمد عش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به واحبب من شئت فإنك مفارقه»، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس، وراويه عن زافر تابعه محمد بن حميد الرازي وتابعه عليه إسماعيل بن توبة فيما رواه الشيرازي في الألقاب، إلا أنه قال: واجمع ما شئت فإنك تاركه بدل واعمل ما شئت.

(**وهذا النمط من تعريف الملائكة للأنبياء**) عليهم السلام (**يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر، ولذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروع**)، وظاهره يؤذن باختصاصه بالأنبياء إذ جعله من أقسام الوحي، ولكن صرح الشيخ الأكبر قدس سره بأنه يقع للأولياء أيضاً. وعبارته: العلوم ثلاث مراتب علم العقل وهو كل علم يحصل ضرورة أو عقب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل. الثاني: علم الأحوال ولا سبيل له إلا بالذوق فلا يمكن العاقل وجدانه ولا إقامة دليل على معرفته كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والوجد والشوق، فهذه علوم لا يعلمها إلا من يتصف بها ويذوقها. الثالث: علم الأسرار وهو فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروع ويختص به النبي والولي وهو نوعان. والعالم به يعلم العلوم كلها ويستغرقها وليس أصحاب تلك العلوم كذلك اهـ.

(**ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة، بل هو من علم المكاشفة**). اعلم أن الله تعالى جعل أقسام كلامه مع عباده ثلاثة وحياً بلا واسطة كما أخبر عن حال النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ [النجم: ١٠] وكلاماً من وراء حجاب كما أخبر عن حال موسى عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ [النساء: ١٦٤] والذي يدل على انه كلمه من وراء حجاب قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿قال رب أرني أنظر إليك﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي ارفع الحجاب عني أنظر إليك وارسال الرسول وهو جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة يرسلهم إلى الرسل عليهم السلام، ثم جعل أصناف الوحي ثلاثة وحيا للعجماء وهو بالاجراء والتسخير. كما أخبر عن حال النحل بقوله: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً﴾ [النحل: ٦٨] الآية. ووحيا للأولياء

درجات الوحي تستدعي منصب الوحي إذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة، ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة، وإن كان خالياً عنها، فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر، فلا كل من عرف النبوّة والولاية كان نبياً ولا ولياً، ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقياً، وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضاً ولا التنبيه كانقسام الأرض إلى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيوناً، وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس، وذلك لاختلاف جواهر

وهو بالالهام كما قال تعالى: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين﴾ [المائدة: ١١١] ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ [القصص: ٧] ووحيا للأنبياء وذلك تارة بواسطة وتارة بغير واسطة في النوم، فمن الأول نزل به الروح الأمين على قلبك ومن الثاني أني أرى في المنام أني أذبحك. وقال ﷺ: «نوم الأنبياء وحي» ومن أصناف هذا الوحي ما يبدو في اليقظة فيسمع صوتاً أو يرى ضوءً، ومنها ما يرى ملكاً فيكلمه كما وقع في غار حراء، ومنها ما يظهر الملك في أفق الملائكة، ومنه حديث البخاري «زملوني زملوني»، ومنها ما ينفث الملك في الروع، وتقدم شاهده ومنها ما نزل جبريل به على قلبه، ومنها ما يلقيه الله تعالى في القلب من غير واسطة جبريل، كالذي ورد في الأحاديث القدسية، ومنها ما يأتي به جبريل متمثلاً في صورة إنسان كدحية والأعرابي، ومنها ما يأتي به غيره من الملائكة كما جاء في بعض الأحاديث، ومنها ما كان سراً بين الله وبين رسوله فلم يحدث به أحداً، ومنها ما يحدث الناس، وذلك على صنفين فمنه ما كان مأموراً بكتابته قرآناً ومنه ما لم يكن مأموراً بكتابته قرآناً، فلم يكن من القرآن، وقال الرافعي: واحتج بالحديث المتقدم الشافعي على أن من الوحي ما يتلى قرآناً ومنه غيره كما هنا وله نظائر، فهذه درجات الوحي التي أشار المصنف إلى أنه من علوم المكاشفة. (**ولا تظنن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي**) كلاّ والله، (**إذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة**) ومعرفة القوى التي باعتدالها تدرك الصحة، (**و**) يعرف (**المعلم الفاسق درجات العدالة**) والتزكية (**وإن كان**) الفاسق (**خالياً عنها**) أي عن درجات العدالة لفسقه، (**فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر**) ولا يلزم من وجود العلم بشيء وجود ذلك المعلوم، (**ولا كل من عرف النبوة والولاية**) بدرجاتها ومراتبها (**كان نبياً ولا ولياً**) وأنّى له ذلك (**ولا كل من عرف التقوى**) وحقيقته وشروطه وثمراته، (**و**) عرف (**الورع ودقائقه كان تقياً**) ورعاً، (**وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم**) بنور من الله تعالى، (**وإلى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم**) وإرشاد، (**وإلى من لا ينفعه التعليم أيضاً ولا التنبيه كانقسام الأرض إلى ما يجتمع فيها الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيوناً**) تجري على الأرض فتنتفع بها المزارع والمنابت وسائر الحيوانات، (**وإلى ما يحتاج إلى الحفر**) بالآلات (**فيخرج في القنوات**) أي الجداول،

الأرض في صفاتها، فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل. ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي أن عبدالله بن سلام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش، وأن الملائكة قالت: «يا ربنا هل خلقت شيئاً أعظم من العرش؟ قال: نعم العقل، قالوا: وما بلغ من قدره؟ قال: هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل؟ قالوا: لا. قال الله عز وجل: فإني خلقت العقل أصنافاً شتى كعدد الرمل، فمن الناس من أعطى حبة، ومنهم من أعطي حبتين، ومنهم من أعطي الثلاث والأربع، ومنهم من اعطي فرقاً، ومنهم من اعطي وسقاً، ومنهم من أعطي أكثر من ذلك».

فإن قلت: فما بال أقوام من المتصوّفة يذمون العقل والمعقول؟ فاعلم أن السبب فيه

لكنه بسبب قوى مخرج، (**وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس**) المستحجر يكدي حافره ويتعب نابطه، (**وذلك لاختلاف جواهر الأرض في صفاتها**) وكذلك الاختلاف في سائر الجواهر على هذه الصفة، (**فكذلك هذا الاختلاف في النفوس وغريزة العقل**) على ما عرفت.

(**ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي أن ابن سلام**) هو عبدالله بن سلام بن الحرث الإسرائيلي أبو يوسف حليف القوافلة من الأنصار. أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة، وشهد له بالجنة. وشهد مع عمر فتح ببيت المقدس والجابية. مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين (**سأل رسول الله ﷺ في حديث طويل في آخره: وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت يا رب: هل خلقت شيئاً أعظم من العرش؟ قال: «نعم العقل. قالوا: وما بلغ من قدره؟ قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل؟ قالوا: لا قال تعالى: فإني خلقت العقل أصنافاً شتى كعدد الرمل، فمن الناس من أعطي حبة، ومنهم من أعطي حبتين، ومنهم من أعطي الثلاث والأربع، ومنهم من أعطي فرقاً، ومنهم من أعطي وسقاً، ومنهم أكثر من ذلك»**) قال العراقي: رواه داود بن المحبر في كتاب العقل فقال: حدثنا ميسرة، عن موسى بن جابان، عن أنس بن مالك فذكره، مع اختلاف يسير ورواه الترمذي الحكيم في النوادر مختصراً فقال: حدثنا مهدي، حدثنا الحسن، عن منصور، عن موسى بن خالد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق العقل أكثر من عدد الرمل فمن الناس من أعطي حبة من ذلك، ومنهم من أعطي حبتين، ومنهم من أعطي مداً، ومنهم من أعطي صاعاً، ومنهم من أعطي فرقاً وبعضهم وسقاً» فقال ابن سلام: من هم يا رسول الله؟ قال: «العمال بطاعة الله على قدر عقولهم ويقينهم وجدهم والنور الذي في قلوبهم» اهـ.

(**فإن قلت: فما بال أقوام من المتصوفة**) والعباد (**يذمون العقل والمعقول**) ويتمسكون

أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام، فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم انكم أخطأتم في التسمية، إذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه في القلوب، فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم، فإما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصوّر ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه، وإن ذم فما الذي بعده يحمد؟ فإن كان المحمود هو الشرع فبمَ علم صحة الشرع، فإن علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع أيضاً مذموماً ولا يلتفت إلى من يقول: أنه يدرك بعين

في ذلك بالنقول فهل لذمهم إياه من سبب؟ (**فاعلم أن السبب**) الباعث لذمهم (**فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات**) مع الخصوم (**والإلزامات**) عليهم (**وهو صنعة الكلام**) الذي يأتي بيان ذمه في الكتاب الذي يليه، (**فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم**) يثبتوا (**إنكم أخطأتم في التسمية**) لمذه (**إذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم**) ولا يزول بوجه من الوجوه (**بعد تداول الالسنة**) وتلقى الخلف عن السلف، (**فذموا العقل والمعقول وهو المسمى عندهم**)، فهم يذمون غير مذمم، (**فأما نور البصيرة الباطنة**) في القلب (**التي بها يعرف الله ويعرف صدق رسله**) عليهم السلام، (**فكيف**) يكون مذموماً أم كيف (**يتصور ذمه، وقد أثني الله تعالى عليه**) في عدة مواضع في كتابه العزيز فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وما يعقلها إلا العَالِمونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] (**وإن ذم**) أي أريد به إياه (**فما الذي يحمد**) في الدنيا، (**فإن كان المحمود هو الشرع**) الذي جاء به النبي ﷺ (**فبم علم صحة الشرع؟ فإن**) قال: (**علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به**) ولا يعبأ (**فيكون الشرع أيضاً مذموماً**)، فإن ما توقف عليه صحة شيء إذا كان واهياً فالمتوقف عليه نفسه واه. كذلك وقد عقد لذلك صاحب الذريعة باباً فقال: تعذر إدراك العلوم النبوية على من لم يتهذب في الأمور العقلية.

أعلم أن المعقولات تجري مجرى الأدوية الجالبة للصحة، والشرعيات تجري مجرى الأغذية الحافظة، وكما أن الجسم متى كان مريضاً لم ينتفع بالأغذية بل يستضر بها، كذلك من كان مريض النفس لم ينتفع بسماع القرآن الذي هو موضوع الشرعيات، بل صار ذلك ضاراً مضرة الغذاء للمريض، وأيضاً فالجهل بالمعقولات جار مجرى ستر مرخى على البصر، وغشاء على القلب، ووقر في الأذن، والقرآن لا يدرك خفياته إلا من كشف غطاؤه ورفع غشاؤه وأزيل وقره، وأيضاً فالمعقولات كالحياة التي بها الأبصار والإسماع، والقرآن كالمدرك بالسمع والبصر، وكما أنه من المحال أن يسمع ويبصر الميت قبل أن يجعل الله فيه الروح ويجعل له السمع والبصر، كذلك من المحال أن يدرك من لم يحصل المعقولات حقائق الشرعيات اهـ.

(**ولا يلتفت إلى من يقول أنه**) أي الشرع (**يدرك بعين اليقين ونور الإيمان**) وصفاته

اليقين ونور الإيمان لا بالعقل، فإنا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الإيمان، وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور. وأكثر هذه التخبيطات إنما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخبطوا فيها لتخبط إصطلاحات الناس في الألفاظ، فهذا القدر كاف في بيان العقل والله أعلم.

تمَّ كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنّه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء. يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد وحده أوّلاً وآخراً.

(لا بالعقل)، كما ذهب إليه بعض الصوفية، **(فإنا نريد بالعقل ما نريده بعين اليقين ونور الإيمان وهي الصفة الباطنة التي يتميز بها الآدمي عن البهائم حتى أدرك بها)** بتلك الصفة **(حقائق الأمور)** وشاهد عرائس الستور فقولهم انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان صحيح، وقوله: لا بالعقل غير صحيح. وهذا الذي أنكر عليهم الشيخ.

(وأكثر هذه التخبيطات) والتعسفات **(إنما تأثرت)** وحصلت **(من جهل أقوام طلبوا الحقائق)** المعنوية **(من)** ظاهر **(الألفاظ فتخبطوا)** تخبطاً واسعاً **(لتخبط اصطلاحات الناس في الألفاظ)** لكون كلهم تكلم في الحقائق على مشربه وذوقه الذي أدركه فنزلها في قوالب الألفاظ، كابن عربي والقاشاني. تراهما يفسران الألفاظ بحسب ما عندهم، فقد يكون مطابقاً لما عند غيره، وقد يكون مخالفاً. وهذا الحراني، وابن الكمال تكلما في حدود الألفاظ وحقائقها فترى هذا يشرق وهذا يغرب ومن أحاط بكلامهم وجد ذلك فيه. **(وهذا القدر)** الذي ذكرته **(كاف في بيان العقل)** وشرفه وجلالته وثمرته **(والله أعلم)** وبه تم كتاب العلم.

تتمات ختم بها الشارح كتاب العلم:

وهنا مهمات هي للباب متمات لم يشر إليها المصنف أردت أن أختم بها الباب.

الأولى: بيان منازل العقل واختلاف أسبابها بحسبها: اعلم أن العقل اسم عام لما يكون بالقوة وبالفعل ولما يكون غريزياً ومكتسباً، كما تقدم ذلك وهو في اللغة قيد البعير لئلا ينـدو سمـي هـذا الجوهرية تشبيهاً على عادتهم في استعارة أسماء المحسوسات للمعقولات ويخص بناء المصدر به لما كان يستعمل مرة للحدث ومرة للفاعل نحو: عدل وصوم وزور، ومرة للمفعول نحو: خلق وأمر، لكن يتصور منه كونه سبباً ليتقيد الإنسان به، وكونه مقيداً له عن تعاطي ما لا يجمل، وكونه مقيداً به من بين الحيوان وأشار ابن الهمام في التحرير أنه مأخوذ من المعقل وهو الملجأ لالتجاء صاحبه إليه، والنهي في الأصل جمع نهية إسم مفرد نحو: جعل وصرد أو وصف نحو: دليل ختع وسائق حطم، وجعل إسماً للعقل الذي انتهى من المحسوسات إلى معرفة ما فيه من المعقولات، ولهذا أحيل أربابه على تدبر معاني المحسوسات في قوله: ﴿أو لم يهد لهم كم أهلكنا﴾ [السجدة:

....

٢٦] الآية. وقال: ﴿وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾ إلى قوله: ﴿لأولي النهي﴾ [طه: ١٢٨] والحجر أصله من الحجر أي المنع وهو اسم لما يلزم الإنسان من خطر الشرع والدخول في أحكامه وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ [الفجر: ٥] وسمي العقل حجاً من حجاه أي قطعه سمي بذلك لكونه للإنسان قاطعاً عما يقبح: وأما اللب فهو الذي خلص من عوارض الشبه وترشح لاستفادة الحقائق من دون المفزع إلى الحواس، ولذلك علق الله في كل موضع ذكره بحقائق المعقولات دون الأمور المحسوسة، ومن أسمائه القلب لأنه لما كان مبدأ تأثير الروحانيات والفضائل سمي به، ولذلك عظم الله أمره لاختصاصه بما قد أوجد الله لاجله وقال تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [ص: ٣٧] فنبه أن القلب إنما يكون في الحقيقة قلباً إذا كان متخصصاً بما أوجد لأجله وما أوجد لأجله هو المعارف الحقيقية، ولما كان أشرف المعارف هو ما يتخصص به القلب قال تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] فخصه بالذكر. ومن أسمائه النور والروح وقد تقدم ذكرهما والماء في قوله تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى﴾ على قول بعض المفسرين.

الثانية: أشار المصنف إلى فضائل العقل الكثيرة فما يقول في حديث «أكثر أهل الجنة البله» وهو جمع أبله من لا عقل له، فكيف يكون من لا عقل له من أكثر أهل الجنة؛ والجواب عنه بوجوه. **الأول:** أن المراد بالبله الجاهلون بأمر الدنيا العالمون بأمر الآخرة، **الثاني:** أن من عبدالله للجنة فهو أبله في جنب من يعبده لكونه رباً مالكاً. **الثالث:** المراد بهم أهل المعاصي الذين عفا الله عنهم، وأما العقلاء المطيعون فهم أهل الدرجات العلى.

الثالثة: العقل المكتسب ضربان: أحدهما التجارب الدنيوية، والثاني المعارف الإلهية، وطريقاهما متنافيان. ومن تصور اختلاف الطريقين لم تعترض له الشبهة التي اعترضت لقوم، وقالوا: لو أن ما هنا حق لما جهله الذين لا يلحق شأوهم في تدبير الدنيا ودقائق الصناعات ووضعوا الحكم والسياسات، وذلك أنه كما من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما لا يوجد إلا في طريق المغرب، أو يظفر سالك طريق المغرب بما لا يوجد إلا في طريق المشرق، كذلك من المحال أن يظفر سالك طريق معارف الدنيا بمعارف طريق الآخرة، ولا يكاد يجمع بين معرفة طريق الدنيا والآخرة معاً على التحقيق والتصديق إلا من وشحهم الله لتهذيب الناس في أمور معاشهم ومعادهم كالأنبياء جميعاً وبعض الحكماء.

الرابعة: المعقول اختلف فيه هل هو مصدر أو صفة، فالأول ظاهر سياق اللغويين يقولون: عقل الرجل عقلاً ومعقولاً، ويقولون ذهب طولاً وعدم معقولاً وما لفلان منقول ولا معقول وأنشد ابن بري:

فقد أفادت لهم حلماء موعظة ... لمن يكون له إرب، ومعقولُ

....

وأنكر سيبويه ذلك وقال: هو صفة، وكان يقول أن المصدر لا يأتي على بناء مفعول ألبتة ويتأول المعقول فيقول: كأنه عقل له شيء أي حبس عليه عقله وأيد وسدد. قال: ويستغنى بهذا عن الفعل الذي يكون مصدراً كما في الصحاح والعباب.

الخامسة: في بيان منازعة الهوى للعقل. اعلم أن مثل الإنسان في بدنه كمثل وال في بلدة وقواه وجوارحه بمنزلة صناع وعملة والعقل له كمشير ناصح عالم والشهوة فيه كعبد سوء جالب للميرة والحمية له كصاحب شرطة، والعبد الجالب للميرة خبيث ماكر يتمثل للوالي بصورة الناصح وفي نصحه دبيب العقرب ويعارض الوزير في تدبيره ولا يغفل ساعة عن منازعته ومعارضته، وكما أن الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته وزيره دون هذا العبد الخبيث وأدب صاحب شرطته وجعله مؤتمراً لوزيره وسلطة على هذا العبد وتباعه حتى يكون هذا العبد مسوساً لا سائساً ومدبراً لا مدبراً استقام أمر بلده. كذا النفس متى استعانت بالعقل في التدبير وأدبت الحمية وسلطتها على الشهوة وقوتها استتب أمرها، وإلاّ فسدت، ولهذا حذرنا الله تعالى غاية الحذر من اتباع الهوى: فقال: ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾[ص: ٢٦] وقال في ذم من اتبعه: ﴿أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم﴾ [ص: ٢٦] وقال تعالى: ﴿أخلدا إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب﴾ [الأعراف:١٧٦] وقال في مدح من عصاه: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى★ فإنّ الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] والعقل وإن كان أشرف القوى وبه صار الإنسان خليفة الله في العالم فليس دأبه إلا الإشارة الى الصواب كطبيب يشير إلى المريض بما يرى فيه برأه فإن قبل منه وإلا سكت عنه ولذلك جعل له الحمية لتكون نائبة عنه في المدافعة ولهذا لا تتبين فضيلة العقل لمن لا حمية له وبهذا النظر قيل: المهين من لا سفيه له. وقال الشاعر:

تعـدو الذئـاب على مـن لا كلاب لـه وتتقـي مـربـض المستـأسـد الحامـي

وأيضاً مثل النفس في البدن مثل المجاهد بعث إلى ثغر لكي يرعى أحواله وعقله خليفة مولاه ضم إليه ليسدده ويرشده ويشهد له وعليه فيما يفعله إذا عاد إلى حضرة الملك، وبدنه بمنزلة فرس دفع إليه ليركبه وشهوته كسائس حيث ضم إليه ليتفقد فرسه ولا قدر لهذا السائس عند المولى والقرآن بمنزلة كتاب أتاه من مولاه وقد ضمن كل ما يحتاج إليه عاجلاً وآجلاً والنبي ﷺ آتاه الكتاب وبين له ما يشكل عليه مما يقرؤه من الكتاب ويقبح أن ينسى هذا الولي مولاه ويهمل خليفته فلا يراجعه فيما يبرمه وما ينقضه ويصرف همه كله إل تفقد فرسه وسائسه ويقيم سائس فرسه مقام خليفة ربه ومن وجه آخر، إن الإنسان من حيثما جعله الله عالماً صغيراً وجعل بدنه كمدينة والعقل كملك مدبر فيها وقواه من الفكرة والخيال والحواس كجنده وأعوانه والأعضاء كرعيته والشهوة كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في إهلاك رعيته صار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط، فإن جاهد عدوه فهزمه فأسره وقهره على ما يجب وكما يجب جد أثره إذا

....

عاد إلى حضرته، وإن ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره إذا عاد إليه، كما جاء في الحديث « إن الله تعالى يقول للكافر يوم القيامة يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم أنتقم منك». وأيضاً مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه، فمتى كان الفارس حاذقاً وفرسه مروضاً وكلبه معلماً فقمين بإدراك حاجته من الصيد، ومتى كان أخرق وفرسه جموحاً أو حروناً وكلبه عقوراً، فلا فرسه ينبعث تحته منقاداً أو لا كلبه يستكين معه مطيعاً، فهو قمن أن يعطب، فضلاً عن ان يدرك ما طلب. وهذه الأمثلة ما عدا الثاني ستأتي للمصنف في شرح عجائب القلب وللإنسان مع هواه ثلاثة أحوال. **الأولى:** أن يغلبه الهوى فيهلكه، **الثانية:** أن يغالبه فيقهرها مرة وتقهره مرة. **الثالثة:** أن يغلب هواه ككثير من الأنبياء وبعض صفوة الأولياء. وهذا المعنى قصد بقوله تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى﴾ [النازعات: ٤٠] الآية. وقصد النبي ﷺ بقوله: « ما من أحد إلا وله شيطان وأن الله قد أعانني على شيطاني حتى ملكته» فإن الشيطان يتسلط على الإنسان بحسب وجود الهوى فيه.

السادسة: في الفرق بين ما يسومه العقل وما يسومه الهوى. اعلم أن من شأن العقل أن يرى ويختار أبداً الأفضل والأصلح في العواقب، وإن كان على النفس في المبدأ مؤنة ومشقة والهوى على الضد من ذلك، فإنه يؤثر ما يدفع به المؤذى في الوقت، وإن كان يعقبه مضرة من غير نظر منه في العواقب كالصبي الرمد الذي يؤثر أكل الحلوات واللعب في الشمس على أكل الهليلج والحجامة، ولهذا قال ﷺ « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» وأيضاً فإن العقل يرى صاحبه ما له وما عليه، والهوى يريه ما له دون ما عليه ويعمي عليه ما يعقبه من المكروه، ولهذا قال ﷺ: « حبك للشيء يعمي ويصم» ولذلك ينبغي للعاقل أن يتهم رأيه أبداً في الأشياء التي هي له لا عليه، ويظن أنه هوى لا عقل، ويلزمه أن يستقصي النظر فيه قبل إمضاء العزيمة، وحتى: قيل: إذا عرض لك أمران فلم تدر أيها أصوب، فعليك بما تكرهه لا بما تهواه، فأكثر الخير في الكراهة، قال الله تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾ [البقرة: ٢١٦] وقال: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ [النساء: ١٩] وأيضاً فإن ما يرى العقل يتقوى عليه إذا فزع فيه إلى الله عز وجل بالاستخارة، وتساعد عليه العقول الصحيحة إذا فزع إليها بالاستشارة وتنشرح له الصدور إذا استعين فيه بالعبادة وما يشير به الهوى، فبالضد من ذلك. وأيضاً فإن العقل يرى ما يرى بحجة وعذر، والهوى يرى ما يرى بشهوة وميل، وربما تشبه الهوى بالعقل فيتعلق بشبهة مزخرفة ومعذرة مموهة، كالعاشق إذا سئل عن عشقه، والمتناول لطعام رديء إذا سئل عن فعله. قال بعض العلماء: إذا مال العقل نحو مؤلم جميل، والهوى نحو ملل قبيح فتنازعا بحسب عرضيهما وتحاكما إلى القوة المدبرة بادر نور الله إلى نصرة العقل، ووساوس الشيطان إلى نصرة الهوى. كما قال الله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم

....

الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ [البقرة: ٢٥٧] فمن كانت القوة المدبرة فيه من أولياء الشيطان ومحبيه لم تر نور الحق فعميت عن نفع الآجل واغترت بلذة العاجل فجنحت إلى الهوى، كما قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ الآية [الجاثية: ٢٣] ومتى كانت من حزب الله وأوليائه اهتدت بنوره واستهانت بلذة العاجل وطلبت الآجل، كما قال تعالى: ﴿وإما ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم★ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف﴾ [الأعراف: ٢٠٠، ٢٠١] الآية. ومما نبه على فساد الهوى قوله تعالى: ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾ [المؤمنون: ٧١] أي لو أعطي كل إنسان ما يهواه مع أن كل واحد يهوى أن يكون أغنى الناس وأعلاهم منزلة، وأن ينال في الدنيا الخير الأبدي بلا مزاولة ولا تعلم لكان في ذلك فساد العالم وقيل في قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ [إبراهيم: ٢٤] الآية. ضرب الله الشجرة الطيبة مثلاً للعقل والخبيثة مثلاً للهوى ففرع الطيبة النور والإسلام وفرع الخبيثة الكفر والضلال. إن قيل: ما الفرق بين الشهوة والهوى؟ قيل: الشهوة ضربان محمودة ومذمومة، فالمحمودة من فعل الله تعالى وهي قوة جعلت في الإنسان لينبعث بها النفس لنيل ما يظن فيه صلاح البدن، والمذمومة من فعل البشر وهي استجابة النفس لما فيه لذتها البدنية، والهوى هو هذه الشهوة الغالبة إذا استتبعت الفكرة، وذاك أن الفكرة بين العقل والشهوة والعقل فوقها، والشهوة تحتها فمتى ارتفعت الفكرة ومالت نحو العقل صارت رفيعة، فولدت المحاسن، وإذا اتضعت ومالت نحو الهوى والشهوة صارت وضيعة فولدت القبائح، والنفس قد تريد ما تريد بمشورة العقل تارة وبمشورة الهوى تارة، ولهذا قد تسمى الهوى إرادة.

السابعة: قال بعض الحكماء خير ما أعطي الانسان عقل يردعه، فإن لم يكن فحياء يمنعه فإن لم يكن فخوف يقمعه، فإن لم يكن فمال يستره، فإن لم يكن فصاعقة تحرقه فتريح منه العباد والبلاد. وتحقيقه: أن البواعث على فعل الخيرات الدنيوية ثلاث. أدناها: الترغيب والترهيب ممن يرجى نفعه ويخشى ضره، والثاني: رجاء الحمد وخوف الذم ممن يعتد بحمده وذمه، والثالث: تحري الخير وطلب الفضيلة، وكذلك البواعث إلى الخيرات الأخروية ثلاث: **الأولى:** الرغبة في ثواب الله والمخافة من عقابه وتلك منازل العامة. **والثانية:** رجاء حمده ومخافة ذمه وتلك منزلة الصالحين، **والثالثة:** طلب مرضاة الله في المتحريات وتلك منزلة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهي أعزها وجوداً، ولذلك قيل لرابعة: ألا تسألين في دعائك الجنة؟ فقالت: الجار قبل الدار، وبهذا النظر قال بعضهم: من عبد الله بعوض فهو لئيم.

الثامنة: أورد المصنف في فضل العقل أحاديث غالبها من كتاب داود بن المحبر، وقد تقدم ما يتعلق به وبكتابه وبقيت عليه أحاديث من الكتاب المذكور ومن غيره لم يوردها.

فمن ذلك ما رواه المذكور في كتابه، حدثنا عباد عن ابن جريج، عن عطاء، عن أبي سعيد

....

مرفوعاً « قسم الله العقل ثلاثة أجزاء فمن كن فيه كمل عقله ومن لم يكن فيه فلا عقل له. حسن المعرفة بالله وحسن الطاعة لله وحسن الصبر على أمر الله » وهكذا أخرجه الحرث في مسنده من طريقه، ورواه أبو نعيم من طريقين: إحداهما: من رواية سليمان بن عيسى، عن ابن جريج به، والثانية: من رواية عبد العزيز بن أبي رجاء حدثنا ابن جريج به. وأخرجه الترمذي الحكيم في نوادره عن مهدي بن ميمون، حدثنا الحسن بن منصور، عن ابن جريج به وفي طرق الكل مقال.

وقال داود أيضاً: حدثنا ميسرة، عن موسى بن جابان، عن لقمان، عن عامر، عن أبي الدرداء مرفوعاً « إن الجاهل لا تكشفه إلا عن سوأة. وإن كان حصيناً ظريفاً عند الناس، والعاقل لا تكشفه إلا عن فضل وإن كان عيياً مهيناً عند الناس » موضوع آفته ميسرة. وقد تقدم التعريف بحاله.

وقال داود أيضاً: حدثنا ميسرة، عن موسى بن عبيدة عن الزهري، عن أنس رفعه « من كانت له سجية من عقل وغريزة يقين لم تضره ذنوبه شيئاً قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: لأنه كلما أخطأ لم يلبث أن يتوب توبة تمحو ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة فالعقل نجاة للعاقل بطاعة الله وحجة على أهل معصية الله ». موضوع آفته ميسرة. وأخرجه العقيلي في الضعفاء من طريقه، وأخرجه الترمذي الحكيم في النوادر، عن مهدي بن عامر، حدثنا الحسن بن حازم، عن منصور، عن الربذي وهو موسى بن عبيدة به، وأخرجه أبو نعيم في الحلية من رواية سليمان ابن عيسى. حدثنا مالك، عن ابن شهاب، عن أنس قال قلت يا رسول الله: ما تقول في القليل العمل الكثير الذنوب؟ فقال: « كل ابن آدم خطاء فمن كانت له سجية عقل وغريزة يقين لم تضره ذنوبه شيئاً وذكر بقية الحديث. قال أبو نعيم: تفرد به سليمان بن عيسى وهو السنجري، وفيه ضعف.

قلت: وقد تقدم التعريف بحاله.

وقال داود أيضاً في كتابه: حدثنا عباد بن كثير، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس أنه دخل على عائشة فقال: أم المؤمنين: الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده أيهما أحب إليك؟ فقالت سألت رسول الله ﷺ كما سألتني فقال « أحسنهما عقلاً » فقلت يا رسول الله، أسألك عن عبادتهما. فقال « يا عائشة إنما يسألان عن عقولهما فمن كان أعقل كان أفضل في الدنيا والآخرة ».

وقال داود أيضاً في كتابه: حدثنا عباد بن كثير، عن أبي إدريس، عن وهب بن منبه « إني وجدت في بعض ما أنزل الله تعالى على أنبيائه أن الشيطان لم يكابد شيئاً أشد عليه من مؤمن عاقل، وأنه يكابد مائة ألف جاهل فيشدهم حتى يركب رقابهم فينقادون له حيث شاء، ويكابد المؤمن العاقل فيصعب عليه حتى ينال منه شيئاً من صاحبه » وبهذا الإسناد قال وهب أيضاً لإزالة الجبل صخرة صخرة وحجراً حجراً أيسر على الشيطان من مكايدة المؤمن العاقل لأنه إذا كان

....

مؤمناً عاقلاً ذا بصيرة، فلهو أثقل على الشيطان من الجبال، وأصعب من الحديد وأنه ليزاوله بكل حيلة، فإذا لم يقدر على أن يستزلـه قال: يا ويله ما له، ولهذا لا حاجة لي بهذا ولا طاقة لي بهذا فيرفضه ويتحول إلى الجاهل فيستأسره ويتمكن من قياده حتى يسلمه إلى الفضائح التي يتعجل بها في عاجل الدنيا وإن الرجلين ليستويان في أعمال البر فيكون بينهما كما بين المشرق والمغرب أو أبعد إذا كان أحدهما أعقل من الآخر أخرجه أبو نعيم في الحلية هكذا من طريق الحرث بن أبي أسامة عن داود المذكور.

وأما من غير كتاب داود فأخرج الخطيب من رواية أبي سمعان عن الزهري والطبراني من رواية منبه بن عثمان: حدثني عمر بن محمد بن زيد كلاهما، عن سالم، عن أبيه عن عمر مرفوعاً «إن لكل شيء معدناً ومعدن التقوى قلوب العارفين».

وأخرج الخطيب أيضاً من رواية عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر رفعه «إن الرجل ليكون من أهل الجهاد ومن أهل الصلاة والصيام ومن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر وما يجزى يوم القيامة إلا على قدر عقله».

وأخرج الخطيب أيضاً من رواية إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة، عن نافع، عن ابن عمر رفعه «لا تعجبوا بإسلام امرىء حتى تعرفوا عقدة عقله».

وأخرج البيهقي في الشعب من رواية خليد بن دعلج، عن معاوية بن قرة رفعه «الناس يعملون بالخير وإنما يعطون أجورهم على قدر عقولهم» خليد ضعيف.

وأخرج ابن عدي من رواية الربيع الجيزي، حدثنا محمد بن وهب الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا مالك بن أنس، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رفعه «أكمل الناس عقلاً أطوعهم لله وأعملهم بطاعته، وأنقص الناس عقلاً أطوعهم للشيطان وأعملهم بطاعته» قال ابن عدي: هو باطل منكر.

وأخرج البيهقي، وابن عدي من رواية أحمد بن بشير، حدثنا الأعمش، عن سلمة بن كهيل، عن عطاء، عن جابر بن عبدالله رفعه «تعبد رجل في صومعته فمطرت السماء واعشبت الأرض فرأى حماراً له يرعى فقال يا رب: لو كان لك حمار رعيته مع حماري فبلغ ذلك نبياً من أنبياء بني إسرائيل، فأراد أن يدعو عليه فأوحى الله تعالى إليه إنما أجازي العباد على قدر عقولهم» قال البيهقي: تفرد به أحمد بن بشير، وقد رُويَ من وجه آخر موقوفاً على جابر، وهو الأشبه وقد ورد في فضل العقل غير ما حديث وهذا الذي ذكرت فيه كفاية.

التاسعة: قال الزين العراقي: وهذه الأحاديث التي ذكرها المصنف في العقل كلها ضعيفة، وتعبير المصنف في بعضها بصيغة الجزم مما ينكر عليه، وبالجملة فقد قال غير واحد من الحفاظ: إنه لا يصح في العقل حديث ذكره عمر بن بدر الموصلي في كتاب له سماه:

....

المغني عن الحفظ، والكتاب بقولهم لم يصح شيء في هذا الباب، وبعض ما ذكره فيه منتقض. وقد ورد في العقل أحاديث صححها بعض الأئمة والله أعلم إلى هنا انتهى بنا الكلام على شرح كتاب العلم من إحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام الغزالي قدس الله سره ونفع به،
وأرجو من فضل الله وحسن توفيقه ومعونته أن يعينني على إتمام شرح باقي
الكتاب إنه جواد مفضال وهاب، والحمد لله رب العالمين على نعمائه،
والصلاة والسلام على سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه وسائر
أوليائه. نجز ذلك في يوم الجمعة بعد الصلاة لخمس بقين
من محرم الحرام افتتاح سنة ثلاث وتسعين
ومائة، وألف على يد مؤلفه أبي الفيض
محمد مرتضى الحسيني أفاض
الله عليه حامداً لله
ومصلياً ومسلماً
ومستغفراً

(تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني أوله كتاب قواعد العقائد)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً الله ناصر كل صابر. الواجب الوجود ذاتي الحمد. سبحان من تعالى في أزل الأزل، فلا يزال ليس له قبل وليس له بعد، فهو الأوّل بلا أولية، والآخر بلا آخرية وصلواته وتسليماته على عبده الذي بين معالم التوحيد، وشاد دعائم الدين، وساد عند مولاه كافة الصفوة من العبيد. سيدنا ومولانا محمد الحبيب الحميد، وعلى آله وصحبه وأتباعه على التأبيد. آمين.

(وبعد): فهذا شرح كتاب قواعد العقائد وهو الثاني من كتاب إحياء علوم الدين، للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي الطوسي رحمه الله تعالى المتكفل لبيان القواعد الدينية، المشتمل على محاسن معتقدات الطائفة السنية العلية، التي هي غاية مطامح أنظار العلماء العاملين، وفي تحصيلها فتوح باب الرشد واليقين. استمددت في تفصيل مجملها وإيضاح مبهمها وتبيين مشكلها بالكتب المؤلفة في طريقتي إمامي السنة والهدى وبدري المعالي في سماء الاهتداء والاقتداء الإمام أبي الحسن الأشعري، والإمام أبي منصور الماتريدي مستعيناً بحول الله وقوّته، متوكلاً عليه راجياً حسن معونته، إنه بالفضل جدير، وعلى ما يشاء قدير.

وهذا تفصيل أسامي الكتب المشار إليها. ليعتمد الواقف على نقوله المعتمد عليها، وهي سوى ما ذكر بيانه في مقدمة شرح كتاب العلم، فمن كتب الأشاعرة كتاب الأسماء والصفات للإمام أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي وهو أجمع كتاب رأيته في الفن، وكتاب السنّة للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن الطبري اللالكائي، والتذكرة القشيرية للإمام أبي نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري، والمدخل الأوسط إلى علم الكلام للإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك والكافي في العقد الصافي للإمام الفقيه أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الصمد الإسكاف النيسابوري، وعمدة العقائد والفوائد باثبات الشواهد للإمام يوسف بن ذوناس الفندلائي المالكي، ومعتقد أهل السنة والجماعة للإمام ركن الإسلام أبي محمد عبدالله بن يوسف الجويني، واعتقاد أهل السنة للإمام زين الإسلام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، وتحرير المطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب لمحمد بن عبد الرحمن البكي قاضي الجماعة بتونس، ولمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنّة لإمام الحرمين وشرحه للإمام شرف الدين بن التلمساني، وشرح الكبرى للشريف أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي، وحاشية العلامة أبي الوفاء الحسن ابن مسعود اليوسي عليه، ومختصر شرح السنوسي على الجزائرية لابن تركي، وهداية المريد شرح جوهرة التوحيد للبرهان اللقاني، والحاشية على أم البراهين للشهاب أحمد بن محمد الغنيمي، والعقيدة للإمام أبي إسحاق الشيرازي صاحب التنبيه، والعقيدة للإمام عز الدين عبد العزيز بن

عبد السلام، وشرح عقيدة المصنف لبعض العلماء الفضلاء وهي عقيدة صغيرة الحجم في نحو ورقة وشارحها ألفه بمكة في رابع رجب ستة خمس وعشرين وثمانمائة سماه منار سبل الهدى في مجلد، ومشكاة الأنوار وكيمياء السعادة والمقصد الأسنى في معاني أسماء الله الحسنى، والمعارف العقلية، ولباب الحكمة الإلهية، والمنقذ من الضلال، والمفصح عن الأحوال، والجام العوام في علم الكلام، والأربعين في أصول الدين سبعتهم للمصنف، وكتاب أسرار التنزيل للفخر الرازي، ومحجة الحق ومنجاة الخلق لأبي الخير أحمد بن إسماعيل الطالقاني القزويني، وتبيين كذب المفتري على الإمام أبي الحسن الأشعري للحافظ بن عساكر، وتأويل المتشابهات لشمس الدين ابن اللبان.

ومن كتب الماتريديه شرح عقيدة الإمام أبي جعفر الطحاوي لأبي المحاسن محمود بن أحمد بن مسعود القونوي الحنفي، وشرح العقائد النسفية لمؤلفه الإمام نجم الدين عمر بن محمد النسفي، وللإمام حافظ الدين عبدالله بن أحمد النسفي، والإمام شهاب الدين أحمد بن أبي المحاسن الطيبي الأسدي الحنفي، وللإمام الكستلي، والإمام سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، وحاشية أحمد ابن موسى الخيالي عليه، وكتاب المسايرة للكمال بن الهمام مع شرح تلميذه ابن أبي شريف عليه، وشرح الفقه الأكبر للعلامة ملاّعلي القاري، ونظم الفرائد وجمع الفوائد للفاضل عبد الرحيم بن علي الرومي، وإشارات المرام من عبارات الإمام للعلامة بياض زاده جمع فيه الكتب الخمسة المنسوبة للإمام وشرحها، والعمدة للإمام ناصر الحق نور الدين أبي المحامد أحمد بن محمود الصابوني البخاري وهو غير عمدة النسفي، وشرح بحر الكلام للبخاري، وتلخيص الأدلةُ للصفار ،وغير هؤلاء مما سيأتي التصريح بالنقل عنها في مواضع من هذا الكتاب.

مقدمة وفيها فصول

الفصل الأول

في ترجمة إمامي السنة أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي:

فأما أبو الحسن الأشعري، فهو الإمام الناصر للسنة إمام المتكلمين علي بن إسماعِيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، واسم أبي موسى عبدالله بن قيس صاحب رسول الله ﷺ ورضي عنه. ترجمه الحافظان أبو القاسم ابن عساكر في كتاب تبيين المفتري على أبي الحسن الأشعري، وأبو عبد الله الذهبي في تاريخ الإسلام، وقبلهما الحافظ أبو بكر الخطيب في التاريخ، ثم التاج السبكي في الطبقات، والعماد بن كثير الحافظ في الطبقات أيضاً ما بين مطوّل ومختصر ما حاصله:ولد سنة ستين ومائتين. وقيل: سنة سبعين، والأول أشهر. أخذ علم الكلام أوّلاً عن شيخه أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي شيخ المعتزلة، ثم فارقه لمنام رآه ورجع عن الاعتزال، وأظهر ذلك اظهاراً، فصعد منبر البصرة يوم الجمعة ونادى بأعلى صوته من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنا فلان بن فلان،

كنت أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الدار الآخرة بالأبصار، وأن العباد يخلقون أفعالهم، وها أنا تائب من الاعتزال معتقد الرد على المعتزلة، ثم شرع في الـرد عليهم والتصنيف على خلافهم، ودخل بغداد وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي أحد أئمة الحديث والفقه، وعن أبي خليفة الجمحي، وسهل بن سرح، ومحمد بن يعقوب المقري، وعبد الرحمن بن خلف الضبي البصريين وروى عنهم كثيراً في تفسيره، وصنف بعد رجوعه من اعتزاله الموجز وهو في ثلاث مجلدات كتاب مفيد في الرد على الجهمية والمعتزلة، ومقالات الاسلاميين، وكتاب الإبانة.

وقال الخطيب: هو بصري سكن بغداد إلى أن توفي، وكان يجلس في أيام الجمعات في حلقة أبي إسحاق المروزي الفقيه في جامع المنصور، وممن أخذ عنه أبو عبدالله محمد بن أحمد بن محمد ابـن يعقوب بن مجاهد الطائي، وأبو الحسن الباهلي، وبندار بن الحسن الصوفي، وأبو الحسن علي ابـن محمد بن مهدي الطبري وهؤلاء الأربعة أخص أصحابه، فابن مجاهد هو شيخ أبي بكر الباقلاني وهو مالكي كما صرح به عياض في المدارك، والباهلي شيخ الاستاذين أبي إسحاق الاسفرايني وأبي بكر بن فورك وشيخ الباقلاني أيضاً إلاّ أنه أخص بابن مجاهد، والأستاذان أخص بالباهلي، ومن الآخذين عن الأشعري الاستاذ أبو سهل الصعلوكي، وأبو بكر القفال، وأبو زيد المروزي، وأبو عبدالله بن خفيف الشيرازي، وزاهر بن أحمد السرخسي، والحافظ أبو بكر الجرجاني الإسماعيلي، والشيخ أبو بكر الأودني، والشيخ أبو محمد الطبري العراقي، وأبو جعفر السلمي النقاش وغيرهم، هؤلاء أصحابه. وأما الذين جالسوا أصحابه وأصحاب أصحابه وهلم جراً؛ فهم كثيرون على طبقاتهم، وأما اجتهاد الشيخ في العبادة والتأله، فأمر غريب ذكر بندار خادمه أنه مكث عشرين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء، وكان يأكل من غلة قرية وقفها جده بلال بن أبي بردة على نسله. قال؛ وكانت نفقته في كل سنة سبعة عشر درهماً كل شهر درهم وشيء يسير. قال ابن كثير، قال الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايني: كنت في جنب أبي الحسن الباهلي كقطرة في البحر، وسمعته يقول: كنت أنا في جنب أبي الحسن الأشعري كقطرة في البحر. وقال القاضي الباقلاني: أحسن أحوالي أن أفهم كلام أبي الحسن الأشعري. وقال ابن السبكي: ومن أراد معرفة قدر الأشعري وأن يمتلىء قلبه من حبه فعليه بكتاب تبيين المفتري للحافظ أبي القاسم بن عساكر، وهو من أجلّ الكتب وأعظمها فائدة وأحسنها، ويقال: لا يكون الفقيه شافعياً على الحقيقة حتى يحصل هذا الكتاب، وكان مشيختنا يأمرون الطلبة بالنظر فيه. قال: وقد زعم بعض الناس أن الشيخ كان مالكي المذهب وليس ذلك بصحيح إنما كان شافعياً تفقه على أبي إسحاق المروزي. نص على ذلك الأستاذ أبو بكر بن فورك في طبقات المتكلمين، والأستاذ أبو إسحاق الاسفرايني فيما نقله الشيخ أبو محمد الجويني في شرح الرسالة، والمالكي هو القاضي أبو بكر الباقلاني شيخ الأشاعرة اهـ.

قلـت: والذي قال أنه مالكي المذهب جماعة. منهم: القاضي عياض فذكره في طبقاتهم في كتابه المدارك واعتمد عليه وتبعه على ذلك غير واحد، ومنهم أبو عبدالله محمـد بـن موسى بن عماد الكلاعي اليورقي، وهو من أئمة المالكية فإنه صرح في ترجمة الشيخ بأنه كان مالكي المذهب

في الفروع، وحكى أنه سمع الإمام رافع الحمال يقول ذلك. هكذا نقله الذهبي. قال ابن السبكي: وقد وقع لي أن سبب الوهم فيه أن القاضي أبا بكر كان يقال له الأشعري لشدة قيامه في نصرة مذهب الشيخ، وكان مالكياً على الصحيح الذي صرح ابن السمعاني في القواطع وغيره من النقلة الاثبات، ورافع الحمال قرأ على من قرأ على القاضي، فأظن اليورقي سمع رافعاً يقول: الأشعري مالكي فتوهمه يعني الشيخ، وإنما يعني رافع القاضي أبا بكر هذا ما وقع لي ولا أشك فيه واليورقي رجل معتزلي بعيد الدار عن بلاد العراق، متأخر عن زمان أصحاب الشيخ وأصحاب أصحابه، فيبعد عليه تحقيق حاله. وقد تقدم كلام الشيخ أبي محمد الجويني عن الاستاذ أبي إسحاق وكفى به، فإنه أعرف من رافع، ولا أحد في عصر الاستاذ أخبر منه بحال الشيخ إلا أن يكون الباقلاني اهـ.

وهذا الذي ذكره آخره مسلم، ولكن توجيهه لكلام رافع مستبعد كما لا يخفى، ولم لا يكون الشيخ عارفاً بالمذهبين يفتي بهما كما كان ابن دقيق العيد وغيره من جهابذة العلماء، ويكون دعوى كل من الفريقين صحيحاً فتأمل.

وقال ابن كثير: ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال. أوّلها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة. الحال الثاني: اثبات الصفات العقلية السبعة وهي: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وتأويل الجزئية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك. والحال الثالث: اثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جرياً على منوال السلف، وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخراً وشرحها الباقلاني ونقلها ابن عساكر وهي التي مال إليها الباقلاني وإمام الحرمين وغيرهما من أئمة الأصحاب المتقدمين في أواخر أقوالهم والله أعلم.

واختلف في وفاته على أقوال فقال الاستاذ ابن فورك، والحافظ أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم القراب، وأبو محمد بن حزم: أنه مات سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. وقال غيرهم: سنة ثلاثين، وقيل: سنة نيف وثلاثين، وقيل: سنة عشرين، والأوّل أشهر. **قلت:** وصححه ابن عساكر.

وأما الإمام أبو منصور الماتريدي؟ فهو محمد بن محمد بن محمود الحنفي المتكلم وماتريد ويقال: ماتريت بالمثناة الفوقية بدل الدال في آخره محلة بسمرقند أو قرية بها، ويلقب بإمام الهدى، وترجمه الإمام المحدث محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفا القرشي الحنفي في الطبقات المسمى بالجواهر المضيئة، والإمام مجد الدين أبو الندى إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن علي بن موسى الكناني البلبيسي القاهري الحنفي في كتاب الأنساب. كل منهما على الاختصار. وكذا يوجد بعض أحواله في انتساب كتب المذهب، وحاصل ما ذكروه أنه كان إماماً جليلاً مناضلاً عن الدين موطداً لعقائد أهل السنّة قطع المعتزلة وذوي البدع في مناظراتهم وخصمهم في محاوراتهم حتى أسكتهم، تخرج بالإمام أبي نصر العياضي، وكان يقال له إمام الهدى، وله مصنفات منها: كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب ردّ

أوائل الأدلة للكعبي، وكتاب بيان وهمُ المعتزلة، وكتاب تأويلات القرآن وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب، بل لا يدانيه شيء من تصنيف من سبقه في ذلك الفن، وله غير ذلك. وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بعد وفاة أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند. كذا وجد بخط الحافظ قطب الدين عبد الكريم بن المنير الحلبي الحنفي. ووجدت في بعض المجاميع بزيادة محمد بعد محمود وبالأنصاري في نسبه، فإن صح ذلك فلا ريب فيه، فإنه ناصر السّنة وقامع البدعة ومحيي الشريعة، كما أن كنيته تدل على ذلك أيضاً. ووجدت في كلام بعض الأجّلاء من شيوخ الطريقة أنه كان مهدي هذه الأمة في وقته.

ومن شيوخه: الإمام أبو بكر أحمد بن إسحاق بن صالح الجوزجاني صاحب الفرق والتمييز، وأما شيخه المذكور أبو نصر العياضي الذي تخرج به هو أحمد بن العباس بن الحسين بن جبلة بن غالب بن جابر بن نوفل بن عياض بن يحي بن قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الفقيه السمرقندي ذكره الادريسي في تاريخ سمرقند، وقال: كان من أهل العلم والجهاد ولم يكن أحد يضاهيه لعلمه وورعه وجلادته وشهامته إلى أن استشهد. خلّف أربعين رجلاً من أصحابه كانوا من أقران أبي منصور الماتريدي، وله ولدان فقيهان فاضلان: أبو بكر محمد وأبو أحمد، ومن مشايخ الماتريدي نصير بن يحي البلخي ويقال: نصر بكرامات سنة ثمان وستين ومائتين. ومن مشايخ الماتريدي محمد بن مقاتل الرازي قاضي الري ترجمه الذهبي في الميزان، وقال: حدث عن وكيع وطبقته، وقد تقدم ذكره في الباب السادس من كتاب العلم في قصة دخول حاتم الأصم عليه، فأما أبو بكر الجوزجاني، وأبو نصر العياضي، ونصير بن يحي فكلهم تفقهوا على الإمام أبي سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني، وهو على الإمامين أبي يوسف، ومحمد بن الحسن، وتفقه محمد بن مقاتل ونصير بن يحي أيضاً على الإمامين أبي مطيع الحكم بن عبدالله البلخي، وأبي مقاتل حفص بن مسلم السمرقندي، وأخذ محمد بن مقاتل أيضاً عن محمد بن الحسن أربعتهم عن الإمام أبي حنيفة.

قال ابن البياضي من علمائنا: وليس الماتريدي من أتباع الأشعري لكونه أوّل من أظهر مذهب أهل السنة كما ظن، لأن الماتريدي مفصل لمذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه المظهرين قبل الأشعري مذهب أهل السنّة، فلا يخلو زمان من القائمين بنصرة الدين وإظهاره كما في التبصرة النسفية، وكيف لا وقد سبقه أيضاً في ذلك الإمام أبو محمد عبدالله بن سعيد القطان، وله قواعد وكتب وأصحاب ومخالفات للحنفية لا تبلغ عشر مسائل كما في سير الظهيرية، والإمام أبو العباس أحمد بن إبراهيم القلانسي الرازي، وله أيضاً قواعد وكتب وأصحاب، وألف الإمام ابن فورك كتاب اختلاف الشيخين القلانسي والأشعري كما في التبصرة النسفية اهـ.

قلت: أما عبد الله بن سعيد القطان، فهو أبو محمد المعروف بابن كلاب بالضم والتشديد، ويقال فيه عبد الله بن محمد أيضاً أحد الأئمة المتكلمين، ووفاته بعد الأربعين ومائتين فيما يظهر ذكره أبو عاصم العبادي الشافعي في طبقة أبي بكر الصيرفي، وابن النجار في تاريخ بغداد، وذكر

بينه وبين عباد بن سليمان مناظرة. وعباد بن سليمان هذا من رؤوس المعتزلة، وابن كلاب من أئمة السنّة كان يقول: إن صفات الذات ليست هي الذات ولا غيرها، ثم زاد على سائر أهل السنّة، فذهب كعباد بن سليمان ان كلامه تعالى لا يتصف بالأمر والنهي والخبر في الآزال لحدوث هذه الأمور وقدم الكلام النفسي، وإنما يتصف بذلك فيما لا يزال فالزمهما أئمتنا أن يكون القدر المشترك موجوداً بغير واحد من خصوصياته، فهذه هي مقالة ابن كلاَّب التي ألزما أصحابنا وجود الجنس دون النوع وهو غير معقول. وكان عباد ينسبه للكفر لعله لتلك المقالة، أو لأن المعتزلة بأسرهم يقولون للصفاتية أعني مثبتي الصفات: لقد كفرت النصارى بثلاث وكفرتم بسبع، وهو تشنيع من سفهاء المعتزلة على الصفاتية. ما كفرت الصفاتية ولا أشركت وإنما وحدت وأثبتت صفات قديم واحد بخلاف النصارى، فإنهم أثبتوا قدماء فأنَّى يستويان أو يتقاربان. وقد ذكره والد الفخر الرازي في آخر كتاب **(غاية المرام في علم الكلام)** فقال: ومن متكلمي أهل السنة في أيام المأمون عبدالله بن سعيد التميمي الذي ذم المعتزلة في مجلس المأمون وفضحهم ببيانه، وهو أخو يحي بن سعيد القطان صاحب الجرح والتعديل اهـ.

قال التاج السبكي: وكشفت عن يحي بن سعيد القطان هل له أخ أسمه عبد الله فلم أتحقق إلى الآن شيئا، وإن تحققت شيئاً ألحقته إن شاء الله.

قلت: الرجل معروف بابن كلاب، واسمه عبد الله، واختلف في اسم أبيه على قولين: محمد أو سعيد. وظاهر سياق أئمة النسب أن كلاباً إسم جدّ له أو لقب جدّ له، وإن كان سبق في أوّل الترجمة خلاف ذلك، فإنه مبني على غير مشهور. ويحي بن سعيد القطان جدّه فروخ وهو من موالي تميم، ولم أر من ذكر له أخاً إسمه عبد الله. ولم يأت بهذه الغريبة إلا والد الفخر فيحتاج إلى متابعة قوية والله أعلم.

وأما أبو العباس القلانسي؛ فإنه من طبقة ابن فورك، بل من طبقة أصحابه، فكيف يصح قوله وقد سبقه أي الاشعري كما في التبصرة النسفية، والذي يظهر أن صاحب المقالات إنما هو والده أبو إسحاق ابراهيم بن عبد الله القلانسي وهو أيضاً في الطبقة الثانية من أصحاب أبي الحسن الأشعري معاصر لابن فورك، ولا بد من التأمل والنظر في هذا المقام، والله أعلم.

الفصل الثاني

إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية:

قال الخيالي في حاشيته على شرح العقائد: الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة. هذا هو المشهور في ديار خراسان والعراق والشام وأكثر الأقطار وفي ديار ما وراء النهر. يطلق ذلك على الماتريدية أصحاب الإمام أبي منصور، وبين الطائفتين إختلاف في بعض المسائل كمسألة التكوين وغيرها اهـ.

وقال الكستلي في حاشيته عليه: المشهور من أهل السنّة في ديار خراسان والعراق والشام وأكثر

الاقطار هم الاشاعرة أصحاب أبي الحسن الأشعري، أوّل من خالف أبا علي الجبائي، ورجع عن مذهبه إلى السنة أي طريق النبي ﷺ والجماعة أي طريقة الصحابة رضي الله عنهم، وفي ديار ما وراء النهر الماتريدية أصحاب أبي منصور الماتريدي تلميذ أبي نصر العياضي تلميذ أبي بكر الجوزجاني صاحب أبي سليمان الجوزجاني، صاحب محمد بن الحسن، صاحب الإمام أبي حنيفة. وبين الطائفتين اختلاف في بعض الأصول كمسألة التكوين، ومسألة الاستثناء في الإيمان، ومسألة إيمان المقلد والمحققون من الفريقين لا ينسب أحدهما الآخر إلى البدعة والضلالة اهـ.

وقال ابن السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: اعلم أن أهل السنّة والجماعة كلهم قد اتفقوا على معتقد واحد فيما يجب ويجوز ويستحيل، وإن اختلفوا في الطرق والمبادىء الموصلة لذلك، أو في لمية ما هنالك. وبالجملة؛ فهم بالاستقراء ثلاث طوائف.

الأولى: أهل الحديث ومعتمد مبادئهم الأدلة السمعية أعني الكتاب والسنة والإجماع.

الثانية: أهل النظر العقلي والصناعة الفكرية وهم الأشعرية، والحنفية، وشيخ الأشعرية أبو الحسن الأشعري. وشيخ الحنفية أبو منصور الماتريدي، وهم متفقون في المبادىء العقلية في كل مطلب يتوقف السمع عليه، وفي المبادىء السمعية فيما يدرك العقل جوازه فقط والعقلية والسمعية في غيرها. واتفقوا في جميع المطالب الاعتقادية إلا في مسألة التكوين ومسألة التقليد.

الثالثة: أهل الوجدان والكشف، وهم الصوفية ومبادئهم مبادىء أهل النظر والحديث في البداية والكشف والإلهام في النهاية اهـ.

وليعلم أن كلاً من الإمامين أبي الحسن وأبي منصور رضي الله عنهما وجزاهما عن الإسلام خيراً لم يبدعا من عندهما رأياً ولم يشتقا مذهباً إنما هما مقرران لمذاهب السلف مناضلان عما كانت عليه أصحاب رسول الله ﷺ، فأحدهما قام بنصرة نصوص مذهب الشافعي وما دلت عليه. والثاني قام بنصرة نصوص مذهب أبي حنيفة وما دلت عليه، وناظر كل منهما ذوي البدع والضلالات حتى انقطعوا وولوا منهزمين. وهذا في الحقيقة هو أصل الجهاد الحقيقي الذي تقدمت الإشارة إليه، فالإنتساب اليهما إنما هو باعتبار أن كلاً منهما عقد على طريق السلف نطاقاً وتمسك وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدى به في تلك المسائل والدلائل يسمى أشعرياً وماتريدياً. وذكر العز بن عبد السلام أن عقيدة الأشعري أجمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة، ووافقه على ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو بن الحاجب، وشيخ الحنفية جمال الدين الحصيري، وأقره على ذلك التقي السبكي فيما نقله عنه ولده التاج. وفي كلام عبد الله الميورقي المتقدم بذكره ما نصه: أهل السنة من المالكية والشافعية وأكثر الحنفية بلسان أبي الحسن الاشعري يناضلون وبحجته يحتجون، ثم قال: ولم يكن أبو الحسن أوّل متكلم بلسان أهل السنّة إنما جرى على سنن غيره أو على نصرة مذهب معروف، فزاد المذهب حجة وبياناً ولم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهباً انفرد به. ألا ترى أن مذهب أهل المدينة نسب إلى مالك ومن كان على مذهب أهل المدينة يقال له مالكي، ومالك إنما جرى على سنن من كان

قبله. وكان كثير الاتباع لهم إلا أنه لما زاد المذهب بياناً وبسطاً عزيَ إليه، كذلك أبو الحسن الأشعري لا فرق ليس له في مذهب السلف أكثر من بسطه وشرحه وتواليفه في نصرته، ثم عدد خلقاً من أئمة المالكية كانوا يناضلون عن مذهب الأشعري ويبدعون من خالفه اهـ.

قال التاج: المالكية أخص الناس بالأشعري إذ لا نحفظ مالكياً غير أشعري ويحفظ من غيرهم طوائف جنحوا إما إلى اعتزال أو إلى تشبيه، وإن كان من جنح إلى هذين من رعاع الفرق. وذكر ابن عساكر في التبيين أبا العباس الحنفي يعرف بقاضي العسكر، ووصفه بأنه من أئمة أصحاب الحنفية، ومن المتقدمين في علم الكلام، وحكى عنه جملة من كلامه، فمن قوله: وجدت لأبي الحسن الأشعري كتباً كثيرة في هذا الفن يعني أصول الدين وهو قريب من مائتي كتاب، والموجز الكبير يأتي على عامة ما في كتبه. وقد صنف الأشعري كتاباً كبيراً لتصحيح مذهب المعتزلة فإنه كان يعتقد مذهبهم، ثم بيَّن الله ضلالتهم فبان عما اعتقده من مذهبهم، وصنف كتاباً ناقضاً لما صنف للمعتزلة، وقد أخذ عامة أصحاب الشافعي بما استقر عليه مذهب أبي الحسن. وصنف أصحاب الشافعي كتباً كثيرة على وفق ما ذهب إليه الأشعري إلاَّ أن بعض أصحابنا من أهل السنّة والجماعة خطأ أبا الحسن في بعض المسائل مثل قوله: التكوين والمكون واحد ونحوها. فمن وقف على المسائل التي أخطأ فيها أبو الحسن وعرف خطأه فلا بأس له بالنظر في كتبه، فقد أمسك كتبه كثير من أصحابنا من أهل السنّة والجماعة ونظروا فيها.

ذكر البحث عن تحقيق ذلك:

قال التاج السبكي: سمعت الشيخ الإمام الوالد يقول: ما تضمنته عقيدة الطحاوي هو ما يعتقده الأشعري لا يخالف إلا في ثلاث مسائل اهـ.

قلت: وكانت وفاة الطحاوي بمصر في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، فهو معاصر لأبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي.

ثم قال التاج السبكي: وأنا أعلم أن المالكية كلهم أشاعرة لا استثني أحداً والشافعية غالبهم أشاعرة لا استثني إلا من لحق منهم بتجسيم أو اعتزال ممن لا يعبأ الله به، والحنفية أكثرهم أشاعرة أعني يعتقدون عقيدة الأشعري لا يخرج منهم إلا من لحق منهم بالمعتزلة،
والحنابلة أكثر فضلاء متقدميهم أشاعرة لا يخرج منهم إلا من لحق بأهل التجسيم وهم في هذه الفرقة من الحنابلة أكثر من غيرهم، وقد تأملت عقيدة أبي جعفر الطحاوي فوجدت الأمر على ما قال الشيخ الإمام الوالد، وعقيدة الطحاوي زعم أنها الذي عليه أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد، ثم تصفحت كتب الحنفية فوجدت جميع المسائل التي بيننا وبينهم خلاف فيها ثلاث عشرة مسألة منها معنوي ست مسائل والباقي لفظي، وتلك الست المعنوية لا تقتضي مخالفتهم لنا ولا مخالفتنا لهم منها تكفيراً ولا تبديعاً. صرح بذلك الاستاذ أبو منصور البغدادي وغيره من أئمتنا وأئمتهم وهو غني عن التصريح لوضوحه، ومن كلام الحافظ الذهبي الأصحاب كلهم مع اختلافهم في بعض المسائل كلهم أجمعوا على ترك تكفير بعضهم بعضاً مجمعون بخلاف من عداهم من سائر

الطوائف وجميع الفرق، فإنهم حين اختلف بهم مستشنعات الأهواء والطرق كفر بعضهم بعضاً، ورأى تبرئة ممن خالفه فرضاً.

قال التاج السبكي: ثم هذه المسائل الثلاثة عشر لم يثبت جميعها عن الشيخ ولا عن أبي حنيفة رضي الله عنهما، ولكن الكلام بتقدير الصحة. ولي قصيدة نونية جمعت فيها هذه المسائل، وضممت إليها مسائل اختلفت الأشاعرة فيها مع تصويب بعضهم بعضاً في أصول العقيدة ودعواهم أنهم أجمعوا على السنّة، وقد ولع كثير من الناس بحفظ هذه القصيدة لاسيما الحنفية وشرحها من أصحابي الشيخ العلامة نور الدين محمد بن أبي الطيب الشيرازي الشافعي، وهو رجل مقيم في بلاد كبلان ورد علينا دمشق في سنة سبع وخمسين وسبعمائة، وأقام يلازم حلقتي نحو عام ونصف، ولم أر فيمن جاء من العجم في هذا الزمان أفضل منه ولا أدين، وأنا أذكر لك قصيدتي في هذا المكان لتستفيد منها مسائل الخلاف وما اشتملت عليه:

الورد خدك صيغ من إنسان	أم في الخدود شقائق النعمان
والسيف لحظك سُلّ من أجفان	فسطا كمثل مهند وسنان
بالله ما خلقت لحاظك باطلاً	وسدى تعالى الله عن بطلان
وكذاك عقلك لم يركب يا أخي	عبثاً ويودع داخل الجثماني
لكن ليسعد أو ليشقى مؤمن	أو كافر فبنو الورى صنفان

ومنها:

كذب ابن فاعلة يقول بجهله	الله جسم ليس كالجثماني
واعلم بأن الحقّ ما كانت عليه	صحابة المبعوث من عدنان
قد نزّهو الرحمن عن شبه وقد	دانوا بما قد جاء في القرآن
ومضوْا على خيرٍ وما عقدوا	مجالس في صفات الخالق الدّيان
وأتت على أعقابهم علماؤنا	غرسوا ثماراً يجتنيها الجاني
كالشافعي ومالك وكأحمد	وأبي حنيفة والرضى سفيان
وكمثل اسحق وداود ومن	يقفو طرائقهم من الأعيان
وأتى أبو الحسن الإمام الأشعري	مبيناً للحقّ أي بيان
ومناضلاً عما عليه أولئك الأ	سلاف بالتحرير والاتقان
ما ان يخالف مالكاً والشافـ	ـعي وأحمد بن محمد الشيباني
لكن يوافق قولهم ويزيده	حسناً وتحقيقاً وفضل بيان

ومنها:

والكل معتقدون أن الهنا	متوحد فرد قديم داني
حي عليمٌ قادر متكلم	عال ولا يعني علو مكان
باق له سمع وأبصار يـ	ـد جميع ما يجري من الإنسان

إلى أن قال:

يـا صـاح إن عقيـدة النعما ... ن والأشعـري حقيقـة الإيمـان
كـلاهمـا والله صـاحـب سنـة ... بهـدي نبي الله مقتـديـان
لاذا يبـدع ذا ولا هـذا وإن ... تحسب سـواه وهمـت في الحسبان
مـن قـال أن أبـا حنيفـة مبـدعٌ ... رأيـا فـذلـك قـائـل الهذيـان
أو ظـن أن الاشعـري مبـدع ... فلقـد أسـاء وبـاء بـالخسران
كـل إمـام مقتـدي ذو سنّـة ... كـالسيـف مسلولاً على الشيطـان
والخلـف بينهما قليـل أمـره ... سهـل بلا بـدع ولا كفـران
فيما يقـل مـن المسـائـل عـده ... ويهون عنـد تطـاعـن الاقـران
ولقـد يـؤول خلافهـا إمـا إلى ... لفـظ كـالاستثنـاء في الإيمـان
وكمنعـه أن السعيـد يضـل أو ... يشقـى ونعمـة كـافـرٍ خـوّان

الأشعري يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، وأبو حنيفة يقول أنا مؤمن حقاً، والأشعري يقول: السعيد من كتب في بطن أمه سعيداً والشقي من كتب في بطن أمه شقياً لا يتبدلان، وأبو حنيفة يقول: قد يكون سعيداً ثم ينقلب والعياذ بالله شقياً وبالعكس، والأشعري يقول: ليس على الكافر نعمة وكل ما يتقلب فيه استدراج، وأبو حنيفة يقول: عليه نعمة ووافقه من الأشاعرة أبو بكر الباقلاني فهو مع الحنفية في هذه، كما الماتريدي معنا في مسألة الاستثناء، ثم ساق في قصيدته هذه المسائل التي عزيت إلى الأشعري، فمنها إنكار الرسالة بعد الموت وهي من الكذب عليه وفي كتبه وكتب أصحابه خلاف ذلك، ثم ذكر مسألة الرضا والإرادة وقال: فاعلم أن المنقول عن أبي حنيفة اتحادهما، وعن الأشعري افتراقهما، وقيل: إن أبا حنيفة لم يقل بالاتحاد فيهما، بل ذلك مكذوب عليه، فعلى هذا انقطع النزاع، وإنما الكلام بتقدير صحة الاتحاد عنده وعند أكثر الأشاعرة على ما يعزى إلى أبي حنيفة من الافتراق. منهم: إمام الحرمين وغيره آخرهم الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى قال: هما شيء واحد، ولكن أنا لا أختار ذلك، والحق عندي أنهما مفترقان كما هو منصوص الشيخ أبي الحسن، ثم ذكر ما نسب إلى الأشعري من عدم صحة إيمان المقلد، وقد أنكر القشيري ذلك في رسالته شكاية أهل السنة وقال: إنه مكذوب عليه ثم قال:

وكـذاك كسـب الأشعـري وأنـه ... صعـب ولكـن قـام بـالبرهـان
من لم يقل بالكسب مال إلى اعتـزا ... ل أو مقـال الجَبر ذي الطغيـان

كسب الاشعري كما هو مقرر في مكانه أنه يضطر إليه من ينكر خلق الأفعال وكون العبد مجبراً، والأوّل اعتزال، والثاني جبر، فكل أحد يثبت واسطة لكن يعسر التعبير عنها، وتمثلوا بها بالفرق بين حركة المرتعش والمختار، وقد اضطرب المحققون في تحرير هذه الواسطة والحنفية يسمونها الاختيار، والذي تحرر لنا أن الاختيار والكسب عبارتان عن معبر واحد، ولكن

الأشعري آثر لفظ الكسب على لفظ الاختيار لكونه منطوق القرآن، والقوم آثروا لفظ الاختيار لما فيه من إشعار قدرة العبد، وللقاضي أبي بكر مذهب يزيد على مذهب الأشعري، فلعله رأي القوم. ولإمام الحرمين والغزالي مذهب يزيد على المذهبين جميعاً ويدنو كل الدنوّ من الاعتزال وليس هو هو. ثم قال: وقد عرفناك أن الشيخ الوالد كان يقول: إن عقيدة الطحاوي لم تشتمل إلا على ثلاث، ولكنا نحن جمعنا الثلاث الأخر من كلام القوم. أوّلها: أن الرب تعالى له عندنا أن يعذب الطائعين ويثيب العاصين. كل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، ولا حجر عليه في ملكه ولا داعي له إلى فعله، وعندهم يجب تعذيب العاصي وإثابة المطيع ويمتنع العكس:

ووجوب معرفة الإله الأشعري ... يقول ذاك بشرعة الدَّيان
والعقل ليس بحاكِم لكن له الإ ... دراك لا حكم على الحيوان
وقضَوْا بأنّ العقلَ يوجبها وفي ... كتب الفروع لصحبنا وجهان
وبأن أوصاف الفعال قديمة ... ليست بحادثة على الحدثان
وبأن مكتوب المصاحف منزلٌ ... عين الكلام لمنزل القرآن
والبعض أنكر ذا فإن يصدق فقد ... ذهبت من التعداد مسألتان
هذي ومسألة الإرادة قبلها ... أمران فيما قال مكذوبان
وكما انتفى هاذاك عنهم هكذا ... عنا انتفى مما يقال اثنان
قالوا وليس بجائز تكليف ما ... لا يستطاع فتى من الفتيان
وعليه من أصحابنا شيخ العرا ... ق وحجة الإسلام ذو الاتقان

مسألة: تكليف ما لا يطاق وافقهم من أصحابنا الشيخ أبو حامد الاسفرايني شيخ العراقين، وحجة الإسلام الغزالي، وابن دقيق العيد.

قالوا:

وتمتنع الصغائر من نبيـ ... ـي للإله وعندنا قولان
والمنع مروي عن الأستاذ والـ ... ـقاضي عياض وهو ذو رجحان
وبه أقول وكان مذهب والدي ... رفعاً لرتبتهم عن النقصان
والاشعري إمامنا لكننا ... في ذا نخالفه بكل لسان

إلى أن قال:

هذا الإمام وقبله الـ ... ـقاضي يقولان البقا لحقيقة الرحمٰن
وهما كبير الأشعرية وهو قا ... ل بزائد في الذات للإمكان
والشيخ والاستاذ متفقان في ... عقدٍ وفي أشياء مختلفان
وكذا ابن فورك الشهيد وحجة الإ ... سلام خصما الافك والبُهتان
وابن الخطيب وقوله أن الوجو ... د يزيد وهو الاشعري الثاني
والاختلاف في الاسم هل هو والـ ... ـمسمّى واحد لا اثنان أو غيران

والأشعـريــة بينهــم خلــف إذا ... عــدت مســائلــه على الإنســان
بلغــت مئين وكلهــم ذو سنــة ... أخـذت عـن المبعـوث مـن عـدنـان

ومنها:

وكذاك أهل الرأي مع أهـل الحد ... يـث في الاعتقـاد الحق متفقـان
مـا أن يكفـر بعضهـم بعضـاً ولا ... أزرى عليــه وســامــه بهوان
إلا الذيــن بمعــزل عنهــم فهـم ... فيــه تنحــت عنهــم الفئتـــان
هــذا الصــواب فلا تظنــن غيره ... واعقــد عليــه بخنصرٍ وبنــان

وهي طويلة أوردت منها القدر المذكور مع البيان الإجمالي، وأما التفصيل في المسائل المختلف فيها بين الفريقين، فإنها بلغت خمسين مسألة، وسأذكرها في فصل مختص به. وهذه القصيدة على وزان قصيدة لابن زفيل رجل من الحنابلة وهي ستة آلاف بيت ردّ فيها على الأشعري وغيره من أئمة السنّة، وجعلهم جهمية تارة وكفاراً أخرى، وقد ردّ عليها شيخ الإسلام التقي السبكي في كتاب سماه **(السيف الصقيل)** ونحن نورد منه ما ذكر في مقدمته في الجمل النافعة المفيدة، وما أظن ولده التاج أراد في قصيدته المذكورة:

كذب ابـن فـاعلـة يقــول بجهلـه ... الله جســم ليــس كــالجسمان

إلا الإشارة إلى هذا الرجل وإن لم يصرح به، وهذا أوّل قصيدة ابن زفيل:

إن كنـت كـاذبـة الذي حـدثتنـي ... فعليــك إثـمُ الكــاذب الفتّــان
جهـم بـن صفـوان وشيعتـه الأولى ... جحدوا صفــات الخالــق الدَّيــان
بـل عطلـوا منــه السمــوات العلى ... والعــرش أخلــوه مـــن الرحمٰن
والعبـد عنـدهـم فليس بفــاعــل ... بــل فعلــه كتحــرك الرجفــان

إلى آخر ما قال. وهذا نص الشيخ تقي الدين السبكي في شرحه على هذه القصيدة لا تشتغل من العلوم إلا بما ينفع. وهو القرآن والسنّة والفقه وأصول الفقه والنحو، وبأخذها عن شيخ سالم العقيدة وبتجنب علم الكلام والحكمة اليونانية والاجتماع بمن هو فاسد العقيدة أو النظر في كلامه، وليس على العقائد أضر من شيئين: علم الكلام والحكمة اليونانية، وهما في الحقيقة علم واحد وهو العلم الإلهي، لكن اليونان طلبوه بمجرد عقولهم، والمتكلمون طلبوه بالعقل والنقل، وافترقـوا ثلاث فرق. إحداها: غلب عليها جانب العقل وهم المعتزلة، والثانية: غلب عليها جانب النقل وهم الحشوية. والثالثة: استوى الأمران عندها وهم الأشعرية وجميع الفرق الثلاثة في كلامها مخاطرة إما خطأ في بعضه، وإما سقوط هيبة، والسالم من ذلك كله ما كان عليه الصحابة والتابعون وعموم الناس الباقون على الفطرة السليمة، ولهذا كان الشافعي رضي الله عنه ينهي الناس عن الاشتغال بعلم الكلام ويأمر بالاشتغال في الفقه وهو طريق السلامة، ولو بقي الناس على ما كانوا عليه في زمن الصحابة كان الأولى للعلماء تجنب النظر في علم الكلام جملة، لكن حدثت بدع

أوجبت للعلماء النظر فيه لمقاومة المبتدعين ودفع شبههم عن أن تزيغ بها قلوب المهتدين، والفرقة الأشعرية هم المتوسطون في ذلك وهم الغالبون من الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة وسائر الناس. وأما المعتزلة؛ فكانت لهم دولة في أوائل المائة الثالثة ساعدهم بعض الخلفاء ثم انخذلوا وكفى الله تعالى شرهم، وهاتان الطائفتان الأشعرية والمعتزلة هما المتقاومتان وهما فحولة المتكلمين من أهل الإسلام، والأشعرية أعدلها لأنها بنت أصولها على الكتاب والسنّة والعقل الصحيح. وأما الحكمة اليونانية فالناس مكتفون شرّها لأن أهل الإسلام كلهم يعرفون فسادها ومجانبتها للإسلام. وأما الحشوية فهي طائفة رذيلة جهال ينتسبون إلى أحمد وأحمد مبرأ منهم، وسبب نسبتهم إليه أنه قام في دفع المعتزلة وثبت في المحنة رضي الله عنه، ونقلت عنه كلمات ما فهمها هؤلاء الجهال فاعتقدوا هذا الاعتقاد السيء، وصار المتأخر منهم يتبع المتقدم إلا من عصمة الله تعالى، وما زالوا من حين نبغوا مستذلين ليس لهم رأس ولا من يناظر، وإنما في كل وقت لهم ثورات ويتعلقون ببعض اتباع الدول، ويكفي الله تعالى شرهم وما تعلقوا بأحد إلاّ وكانت عاقبته إلى سوء وأفسدوا اعتقاد جماعة شذوذ من الشافعية وغيرهم، ولا سيما من بعض المحدثين الذين نقصت عقولهم أو غلب عليها من أضلهم فاعتقدوا انهم يقولون بالحديث ولقد كان أفضل المحدثين بزمانه بدمشق ابن عساكر يمتنع من تحديثهم ولا يمكنهم أن يحضروا بمجلسه. وكان ذلك أيام نور الدين الشهيد، وكانوا مستذلين غاية الذلة، ثم جاء في أواخر المائة السابعة رجل له فضل ذكاء واطلاع ولم يجد شيخاً يهديه وهو على مذهبهم وهو جسور متجرد لتقرير مذهبه ويجد أموراً بعيدة، فبجسارته يلتزمها فقال بقيام الحوادث بذات الرب سبحانه وتعالى، وأن الله سبحانه وتعالى ما زال فاعلاً، وأن التسلسل ليس بمحال فيما مضى كما هو فيما سيأتي. وشق العصا وشوّش عقائد المسلمين وأغرى بينهم، ولم يقتصر على العقائد في علم الكلام حتى تعدّى وقال: إن السفر لزيارة قبر النبي ﷺ معصية، وقال: إن الطلاق الثلاث لا يقع وإن من حلف بطلاق امرأته وحنث لا يقع عليه طلاق، واتفق العلماء على حبسه الحبس الطويل، فحبسه السلطان ومنعه من الكتابة في الحبس وأن لا يدخل عليه بدواة ومات في الحبس، ثم حدث من أصحابه من يشيع عقائده ويعلم مسائله ويلقي ذلك إلى الناس سراً ويكتمه جهراً، فعم الضرر بذلك حتى وقفت في هذا الزمان على قصيدة نحو ستة آلاف بيت يذكر فيها عقائده وعقائد غيره، ويزعم بجهله ان عقائده عقائد أهل الحديث، فوجدت هذه القصيدة تصنيفاً في علم الكلام الذي نهى العلماء من النظر فيه لو كان حقاً، وفي تقرير للعقائد الباطلة فيه وبرع بها وزيادة على ذلك وهي حمل العوام على تكفير كل من سواه وسوى طائفته، فهذه ثلاثة أمور هي مجامع ما تضمنته هذه القصيدة، والأوّل من الثلاثة حرام لأن النهي عن علم الكلام إن كان نهي تنزيه فيما تدعو الحاجة إلى الرد على المبتدعة فيه فهو نهي تحريم فيما لا تدعو الحاجة إليه، فكيف فيما هو باطل، والثاني من العلماء مختلفون في التكفير به، ولم ينته إلى هذا الحد أما مع هذه المبالغة ففي بقاء الخلاف فيه نظر، وأما الثالث فنحن نعلم بالقطع أن هؤلاء الطوائف الثلاثة الشافعية والمالكية والحنفية وموافقيهم من الحنابلة مسلمون وليسوا بكافرين. فالقول بأن جميعهم كفار، وحمل

الناس على ذلك كيف لا يكون كفراً وقد قال ﷺ : « إذا قال المسلم لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما » ولضرورة أوجبت بأن بعض من كفرهم مسلم، والحديث أقتضى أنه يبوء بها أحدهما، فيكون القائل هو الذي باء بها، ثم حكى ردّ إمام الحرمين على الستجري وأطال في العبارة، وقد اقتصرنا على القدر المذكور لأني لست بصدد بيان اعتقادهم والرد على أقوالهم، وله محل غير هذا، والله أعلم.

الفصل الثالث

في تفصيل ما أجمل آنفاً من ذكر المسائل المختلف فيها بين الأشاعرة والماتريدية ليكون المطالع لها على بصيرة:

أعلم أنه تقدم النقل عن التقي السبكي أن الاختلاف بين الفريقين في ثلاث مسائل فيما استنبطه من عقيدة أبي جعفر الطحاوي، وزاد ولده التاج ثلاثة أخرى استخرجها من كتاب الماتريدية، وزاد غيره سبعة أخرى، وأورد الفاضل عبد الرحيم بن علي الحنفي في كتابه نظم الفرائد وجمع الفوائد أربعين مسألة ببراهينها وحججها، وأطال الكلام فيها جداً، وكذا العلامة ملاّ علي القاري في شرح الفقه الأكبر، وذكر العلامة ابن البياضي في كتابه إشارات المرام من عبارات الإمام خمسين مسألة، ولنقتصر على إيراد عبارته لاختصارها وجمعها لما تشتت من الأقوال.

قال رحمه الله تعالى: فمن الخلافيات بين جمهور الماتريدية والأشعرية الوجود، والوجود عين الذات في التحقيق، واختاره الأشعري خلافاً لهم، والاسم إذا أريد به المدلول عين المسمى ولا ينقسم كالصفات إلى ما هو عين وإلى ما هو غيره وإلى ما ليس هو ولا غيره، واختاره كثير منهم ويعرف الصانع حق المعرفة، واختاره بعضهم وهو الحق كما في المنائح للآمدي، وصفات الأفعال راجعة إلى صفة ذاتية هي التكوين أي مبدأ الإخراج من العدم إلى الوجود، وليس عين المكون. واختاره الحرث المحاسبي كما في معالم السنن للخطابي، والبقاء هو الوجود المستمر وليس صفة زائدة، واختاره الباقلاني والأستاذ وكثير منهم والسمع بلا جارحة صفة غير العلم وكذا البصر، واختاره إمام الحرمين والرازي وكثير منهم، وليس إدراك الشم والذوق واللمس صفة غير العلم في شأنه تعالى، وليس إحساس الشيء بإحدى الحواس الخمس علماً به بل آلته، والعقل ليس علما ببعض الضروريات، واختاره كثير منهم ويجب بمجرد العقل في مدة الاستدلال معرفة وجوده تعالى ووحدته وعلمه وقدرته وكلامه وإرادته وحدوث العالم ودلالة المعجزة على صدق الرسول، ويجب تصديقه ويحرم الكفر والتكذيب لأمر البعثة وبلوغ الدعوة، والحسن بمعنى استحقاق المدح والثواب، والقبح بمعنى استحقاق الذم والعقاب على التكذيب عنده إجمالاً عقلياً أي يعلم به حكم الصانع في مدة الاستدلال في هذه العشرة، كما في التوضيح وغيره لا لإيجاب العقل للحسن والقبح ولا مطلقاً كما زعمته المعتزلة. أما كيفية الثواب وكونه بالجنة وكيفية العقاب وكونه بالنار فشرعي، واختار ذلك الإمام القفال الشاشي والصيرفي والحليمي وأبو بكر الفارسي والقاضي أبو حامد وكثير من متقدميهم، كما في القواطع للإمام أبي المظفر السمعاني الشافعي

والكشف الكبير وهو مختار الإمام القلانسى كما في التبصرة البغدادية، ولا يجوز نسخ ما يقبل حسنه أو قبحه السقوط كوجوب الايمان وحرمة الكفر واختاره المذكورون، والقبح والحسن بمعنى الأمر والنهي لحكمة الآمر الناهي، والحسن بمعنى كون الفعل بحيث يدرك بالعقل اشتماله على عاقبة حميدة، والقبح بمعنى كونه يدرك به عدم اشتماله على ذلك لما يتصوّر أن يفعله الله تعالى، لكنه لحكمته لا يفعل ذلك كما في التبصرة والتعديل والتسديد، وكل ما صدر منه تعالى فهو حسن إجماعاً، ويستحيل عقلاً اتصافه تعالى بالجور، وما لا ينبغي فلا يجوز تعذيب المطيع ولا العفو عن الكفر عقلاً لمنافاته للحكمة فيجزم العقل بعدم جوازه كما في التنزيهات، ولا يجوز التكليف بما لا يطاق لعدم القدرة أو الشرط، واختاره الاستاذ أبو إسحاق الاسفرايني كما في التبصرة، وأبو حامد الاسفرايني كما في شرح ابن السبكي لعقيدة أبي منصور، وأفعاله تعالى معلله بالمصالح والحكم تفضلاً على العباد، فلا يلزم الاستكمال ولا وجوب الأصلح، واختاره صاحب المقاصد وفقهاؤهم كما في كاشف الطوالع ولا تؤوّل المتشابهات ويفوّض أمرها إلى الله تعالى مع التنزيه عن إرادة ظواهرها، واختاره مالك والشافعي وابن حنبل والحرث المحاسبي والقطاني والقلانسي كما في التبصرة البغدادية، ولا يسمع الكلام النفسي بل الدال عليه، واختاره الاستاذ ومن تبعه كما في التبصرة لأبي المغين النسفي والنفسي ما ذكره الله عز وجل في الأزل بلا صوت ولا حرف، كما في الارشاد للإمام أبي الحسن الرستغفني وهو مذهب السلف كما في نهاية الاقدام وهو إخبار في الأزل، واختاره الأشعري كما في المنائج وكثير من الأشاعرة كما في الصحائف، والرؤيا نوع مشاهدة للروح قد يشاهد الشيء بحقيقته وقد يشاهده بمثاله كما في التأويلات الماتريدية والتيسير، واختاره مالك والشافعي والاستاذ والغزالي، والدليل النقلي يفيد اليقين عند توارد الادلة على معنى واحد بطرق متعددة وقرائن متضمنة، واختاره صاحب الأبكار والمقاصد وكثير من المتقدمين، والمحبة بمعنى الاستحماد لا مطلق الإرادة فلا يتعلق بغير الطاقة، واختاره كثير منهم، والإستطاعة صالحة للضدين على البدل، واختاره القلانسي وابن شريح البغدادي كما في التبصرة البغدادية وكثير منهم كما في شرح المواقف واختيار العبد مؤثر فالقدرتان المؤثرتان في محلين وهو الكسب لا مقارنة الاختيار بلا تأثير أصلاً واختاره الباقلاني كما في المواقف وهو مذهب السلف كما في المنطوقة للمحقق المرغوي، واختاره الاستاذ أبو إسحاق الاسفرايني وإمام الحرمين في قوله الأخير ان اختياره مؤثر في المراد بمعاونة قدرة الله تعالى، ولا تجتمع القدرتان المؤثرتان بالاستقلال ولا يلزم تماثل القدرتين، لأن المماثلة بالمساواة من وجه يقوي المتماثلان فيه، وإن لم يكن من كل وجه ولا يزيد ولا ينقص الإيمان أي التصديق البالغ حق الجزم، واختاره إمام الحرمين والرازي والآمدي والنووي كما في شرح السبكي وغيره وليس مشككاً متفاوت الإفراد قوّة وضعفاً فإنه في التصديق بمعنى العلم وهو شرط للتصديق بالكلام النفسي المعتبر في الإيمان كما في التعديل والمسايرة على ما اختاره الأشعري في رواية الباقلاني وكثير منهم كما في المسايرة وغيره، والتفاوت في العصر الأوّل بزيادة المؤمن به وبعده بحسب الكيفيات من الأشراف واستدامة الثمرات، ويعتمد إيمان النائي عن العمران تقليداً

للمخبر، واختاره مالك والشافعي وابن حنبل والقطاني والمحاسبي والكرابيسي والقلانسي كما في التبصرة البغدادية، ولا استثناء في الإيمان بوجود اعتبار الحال لإيهامه الشك ولو باعتبار المآل، واختاره الباقلاني وابن مجاهد كما في التبصرة البغدادية، والشقي في الحال قد يسعد واختاره الباقلاني كما في شرح السبكي. وينعم الكافر في الدنيا لكونها نعمة في الحال وتقبل توبة اليأس واختاره كثير منهم كما في شرح المقاصد، والأنبياء معصومون عن الصغائر قصداً وعن الكبائر قطعاً واختاره الاستاذ. قال النووي: وهو مذهب المحققين من المتكلمين والمحدثين والذكورة شرط النبوة، واختاره كثير منهم والمجتهد يخطىء ويصيب، والحق عند الله واحد واختاره المحاسبي والقطاني والاستاذ أبو إسحاق وعبد القاهر البغدادي وكثير منهم كما في الكشف الكبير، وتصح إمامة المفضول واختاره الباقلاني وكثير منهم كما في المواقف، وبالموت يحصل الخروج للروح والازهاق لا قطع البقاء فهو وجودي كما في التبصرة النسفية واختاره القلانسي كما في التبصرة البغدادية. والاعراض لا تعاد واختاره القلانسي وهو أحد الروايتين عن الأشعري كما في المواقف. فهذه خمسون مسألة خلافية في التفاريع الكلامية ذهب إليه جمهور الماتريدية وخالفهم فيه جمهور الأشاعرة. كل ذلك مأخوذ من كلام الإمام أبي حنيفة ومستفادها منه إما من العبارة أو الإشارة أو الدلالة أو الاقتضاء أو مفهوم المخالفة فإنه يعتبر أكثرها في الرواية، والله أعلم.

الفصل الرابع

هذه المسائل التي تلقاها الإمامان الأشعري والماتريدي هي أصول الأئمة رحمهم الله تعالى فالأشعري بنى كتبه على مسائل من مذهب الإمامين مالك والشافعي أخذ ذلك بوسائط فأيّدها وهذّبها، والماتريدي كذلك أخذها من نصوص الإمام أبي حنيفة وهي في خمسة كتب: الفقه الأكبر، والرسالة، والفقه الأبسط، وكتاب العلم والمتعلم، والوصيــة نسبت إلى الإمام، واختلف في ذلك كثيراً فمنهم من ينكر عزوها إلى الإمام مطلقاً وأنها ليست من عمله، ومنهم من ينسبها إلى محمد بن يوسف النجاري المكنّى بأبي حنيفة، وهذا قول المعتزلة لما فيها من إبطال نصوصهم الزائغة وادعائهم كون الإمام منهم كما في المناقب الكردرية، وهذا كذب منهم على الإمام، فإنه رضي الله عنه وصاحباه أوّل من تكلم في أصول الدين وأتقنها بقواطع البراهين على رأس المائة الأولى، ففي التبصرة البغدادية أوّل متكلمي أهل السنة من الفقهاء أبو حنيفة ألف فيه الفقه الأكبر والرسالة في نصرة أهل السنة، وقد ناظر فرقة الخوارج والشيعة والقدرية والدهرية، وكانت دعاتهم بالبصرة فسافر إليها نيفاً وعشرين مرة، وفضّهم بالأدلة الباهرة، وبلغ في الكلام إلى أنه كان المشار إليه بين الأنام واقتفى به تلامذته الأعلام اهـ.

وفي مناقب الكردري عن خالد بن زيد العمري أنه كان أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد، وزفر، وحماد بن أبي حنيفة قد خصموا بالكلام الناس أي الزموا المخالفين وهم أئمة العلم، وعن الإمام أبي عبد الله الصيمري أن الإمام أبا حنيفة كان متكلم هذه الأمة في زمانه وفقيهم في الحلال

والحرام، وقد علم مما تقدم أن هذه الكتب من تأليف الإمام نفسه، والصحيح أن هذه المسائل المذكورة في هذا الكتب من أمالي الإمام التي أملاها على أصحابه كحماد، وأبي يوسف، وأبي مطيع الحكم بـن عبدالله البلخي، وأبي مقاتل حفص بن مسلم السمرقندي، فمنهم الذين قاموا بجمعها، وتلقاها عنهم جماعة من الائمة كإسماعيل بن حماد، ومحمد بن مقاتل الرازي، ومحمد بن سماعة، ونصير بن يحيي البلخي، وشداد بن الحكم وغيرهم إلى ان وصلت بالإسناد الصحيح إلى الإمام أبي منصور الماتريدي، فمن عزاهن إلى الامام صح لكون تلك المسائل من إملائه، ومن عزاهن إلى أبي مطيع البلخي أو غيره ممن هو في طبقته أو ممن هو بعدهم صح لكونها من جمعه، ونظير ذلك المسند المنسوب للإمام الشافعي، فإنه من تخرج أبي عمر ومحمد بن جعفر بـن محمد بن مطر النيسابـوري لأبـي العباس الأصم من أصول الشافعي، ونحن نذكر لك من نقل من هذه الكتب واعتمد عليها، فمن ذلك فخر الإسلام علي بن محمد البزدوي قد ذكر في أوّل أصوله جملة من الفقه الأكبر وكتاب العالم والرسالة، وذكر بعض مسائل الكتب المذكورة في كل من شروح الكافي لحسام الدين السغناقي، والشامل للقوّام الاتقاني، والشافي لجلال الدين الكولاني، وبيان الأصول للقوّام السكاكي، والبرهانْ للنجاري، والكشف لعلاء الدين النجاري، والتقرير لكمال الدين البابرتي، وذكرت الرسالة بتمامها في أواخر خزانة الأكمل للهمداني، وذكرها الإمام الناطفي في الأجناس، وذكر كثير من مسائل كتاب العالم في المناقب للإمام نجم الدين النسفي، وللخوارزمي، والكشف لأبي محمد الحارثي الحافظ، وبعضها في نكاح أهل الكتاب في المحيط البرهاني، وذكر بعض مسائل الفقه الأكبر شيخ الإسلام محمد بن إلياس في فتاويه وابن الهمام في المسايرة، وذكر بعض مسائل الفقه الأبسط الإمام أبو المعين النسفي في التبصرة في فصل التقليد وغيره، ونور الدين البخاري في الكفاية في فصل التنزيه، وحافظ الدين النسفي في الاعتماد شرح العمدة، وكشف المنار والناطفي في الأجناس، والقاضي أبو العلاء الصاعدي في كتاب الاعتقاد، وأبو شجاع الناصري في البرهان الساطع شرح عقائد الطحاوي، وأبو المحاسن محمود القونوي في شرحها أيضاً، وشرحه الفقيه عطاء بن علي الجوزجاني شرحاً نفيساً، وذكر الوصية بتمامها الإمام صارم المصري في نظم الجمان. ومن المتأخرين القاضي تقي الدين التميمي في الطبقات السنية، والقاضي أبو الفضل محمد بن الشحنة الحلبي في أوائل شرح الهداية، وذكر بعض مسائلها ابن الهمام في المسايرة، وشرحها الشيخ أكمل الدين البابرتي، فقد ذكر جملاً من مسائل الكتب الخمسة منقولاً عنها في نحو ثلاثين كتاباً من كتب الأئمة، وهذا القدر كاف في تلقي الأمة لها بالقبـول، والله أعلم.

الفصل الخامس

قال السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: أعلم أن لكل علم موضوعاً ومبادىء ومسائل. إذ بها تنوعت العلوم وتمايزت في الفهوم، ثم من المعلوم أن الناظرين في هذا الشأن. أعني علم

التوحيد. والباحثين عنه على قسمين، فمنهم من نظر نظراً عاماً في المعلوم من حيث هو معلوم، وإن كان المقصود أولاً بالذات العلم بواجب الوجود، ومنهم من نظر نظراً خاصاً وذلك فيما يجب لله ويستحيل عليه ويجوز في أفعاله وما يوصل إلى ذلك إجمالاً وتفصيلاً، والعلم الحاصل من الأول هو المسمى بعلم الكلام، والثاني يسمى بعلم العقائد وهذا مندرج تحت الأوّل إندراج الأخص تحت الأعم، ولذلك كانت المطالب التي تحصل من الأوّل أكثر لشمولها لشؤون الواجب وأحوال الممكن، ولذلك حدّ هذا العلم بأنه الباحث عن أحوال الواجب وأحوال الممكنات من حيث المبدأ والمعاد وما يعم قصدا للتحقيق، وأما الثاني: فلا يحصل منه إلا ما عبدنا باعتقاده فقط كما في هذه العقيدة يعني عقيدة ابن الحاجب والنسفية واللمع وغيرها، ويدل على هذا ما اقتصر عليه من ينكر طريق الكلام كما هو طريق الفقهاء والمحدثين وغيرهم حيث اقتصروا على تحصيل العقائد من غير نظر في العالم بنظر المتكلم، بل اقتصروا على المبادىء السمعية وما قرب من المبادىء العقلية، ولذلك يحد هذا العلم بأنه العلم بالأحكام الشرعية الاعتقادية عن قاطع عقلي أو سمعي أو وجداني، فعن قاطع يخرج التقليد وعقلي يدخل المتكلم وسمعي يدخل المحدث ووجداني يدخل الصوفي، وما حدّ به المحقق سعد الدين الكلام حيث قال: الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن أدلتها اليقينية، فحدّ له باعتبار المقصود منه، إلاَّ فهو مشكل لإمكان ورود منع الجميع، وإذا تقرر هذا فنقول: لا يكفي في معرفة موضوع هذا العلم أعني علم العقائد ومسائله ومبادئه معرفة موضوع الكلام ومسائله ومبادئه، فلا بدّ من التعرض لذلك بخصوصه، فموضوع علم العقائد ذات الواجب إذ الناظر في علم العقائد يبحث عن لواحق الواجب الذاتية أعني صفاته وأفعاله، وكل ما يبحث في علم عن لواحقه الذاتية فهو موضوع لذلك العلم لا يقال موضوع العلم لا يتبين وجوده في ذلك العلم، بل في علم آخر، ومن المعلوم أن العلم بوجود الصانع يتبين في هذا العلم فكيف يكون هذا موضوعه لأنَّا نقول: نمنع أن موضوع كل علم إنما يتبين وجوده في غيره ولئن سلمنا ذلك فنمنع أن صانع العالم يتبين وجوده في هذا العلم بل وجوده بديهي، والمذكور إنما هو على جهة التنبيه قال تعالى: ﴿أفي الله شَكٌ﴾ [إبراهيم: ١٠] وبهذا قال جماعة من المحققين كابن البناء في مراسيمه، أو أنه مبين في علم آخر وهو علم الكلام الذي هو أوسع وأشمل. كما نبهنا عليه. وأما مسائله؛ فكل ما جعل الشرع العلم به إيماناً والجهل به كفراً وابتداعاً، وأما مبادئه فالقواطع العقلية والسمعية والإدراكات الوجدانية والحسية.

الفصل السادس

أعلم أنه قد اصطلح أهل هذا الفن على ألفاظ فيما بينهم، فلا بدّ في ابتداء التعليم من تعلمها، ولنذكر هنا مشاهيرها.

فمنها: العالم وهو ما نصب علماً على العلم بصانعه مأخوذ من العلم بمعنى العلامة، فمن ثم تعددت العوالم فيقال: عالم الانسان وعالم الجن وعالم الملائكة وغيرهم، كما نبه عليه صاحب الكشاف، ولما كان منشأ التسمية في الجميع العلامة، وكانت في مجموع العوالم أجلى وأوضح خص

المتكلمون العالم بجملته بما سوى واجب الوجود تغليباً واقتصاراً لأنه تعالى يعلم به من حيث أسماؤه وصفاته، وينقسم العالم أيضاً على قسمين كبير وهو الفلك وما حواه من جوهر وعرض، وصغير وهو الإنسان لأنه مخلوق على هيئة العالم الكبير، وأوجد الله فيه كل ما أوجده في العالم الكبير.

ومنها: الجوهر وهو ممكن قائم بنفسه هذا عند المتكلمين، وينقسم إلى قسمين فرد وهو ما لا ينقسم حساً ولا وهماً ولا عقلاً، وجسم وأقل ما تركب منه الجسم جوهران، وقيل: أن الجوهر ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وهو منحصر في خمسة هيولي وصورة وجسم ونفس وعقل، لأنه إما أن يكون مجرداً أو لا، والأوّل ما لا يتعلق بالبدن تعلق تدبير وتصرف أو يتعلق والأوّل العقل، والثاني النفس وغير المجرد إما مركب أو لا والأوّل الجسم والثاني اما حال أو محل الأول الصورة، والثاني الهيولي وتسمى الحقيقة، فالجوهر ينقسم إلى بسيط روحاني كالعقول والنفوس المجردة، وإلى بسيط جسماني كالعناصر وإلى مركب في العقل دون الخارج كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والفصل، وإلى مركب منهما كالمولدات والممكن ما لا يقتضي وجوداً ولا عدماً لذاته، والممكن بالذات ما يقتضي لذاته عدمه، والقائم بنفسه هو ما يكون تحيزه بنفسه غير تابع في تحيزه لتحيز شيء آخر، وقد يقال: القائم بنفسه ما استغنى بذاته عن محل يقوم به.

ومنها: العرض وهو في مقابلة الجوهر هو الممكن القائم بغيره، ومعنى القائم بالغير هو أن يكون تابعاً في تحيزه لتحيز غيره، ومن ثم امتنع قيام العرض بالعرض عند المتكلم، وقد يقال: القيام بالغير هو الاختصاص الناعت، وهذا التعريف أولى لشموله قيام الصفات الازلية دون الأوّل إذا هو مختص بالمحدث الجسماني، والعرض ينقسم عند المتكلمين إلى أحد وعشرين نوعاً، وعند بعضهم ثلاثة وعشرين أو أربعة وعشرين على خلاف في ذلك يراجع في محله.

الفصل السابع

اعلم أن الكتب الموضوعة في هذا الفن الذي هو علم العقائد على قسمين: منهم من يخليها من ذكر الأدلة بالكلية كما فعل النسفي وابن الحاجب والمصنف في هذه العقيدة المختصرة المذكورة هنا، وكذا في الأربعين له والعز بن عبد السلام وغيرهم، ومنهم من يقتضب الأدلة اقتضاباً كما فعل إمام الحرمين في اللمع، وابن القشيري في التذكرة الشرقية، والمصنف في الرسالة القدسية وهي التي بعد هذه المختصرة وغيرهم، والأوّلون ذكروا المعتقدات وأهملوها من الأدلة ونبهوا على أنه لا بد من تحصيلها بالقاطع وتركوها قابلة للجميع، حتى يمكن تبينها بأي طريق من الطرق الثلاثة التي هي طريقة أهل الحديث وطريقة أهل النظر الشاملة للأشاعرة والماتريدية وطريقة أهل التصوّف. وهذه العقيدة المختصرة التي قدمها المصنف في هذا الكتاب وأهمل فيها الأدلة بالكلية تعريضاً بذلك، فلنشرحها على الطرق الثلاث بحسب الامكان، ولكن فلتعلم أن الوجدان الإلهامي حصول العلم به قاصر على واجده فلا يمكن تعليمه، ولكن ننبه عليه لمن كان له

قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ومن أجل أن هذه العقيدة على مذهب أهل السنّة والجماعة نقتصر على ما بينهم من المتفق فيه والمختلف، ولا نتعرض لخلاف غيرهم إذ هم خارجون عن الجماعة ولأن ذكرهم يمنع المقتصر ويشوش على المقتصد، وبه تمت المقدمة بما فيها.

ولنرجع إلى المقصود من كلام المصنف ونقول: قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في كتاب التبيين: سمعت الشيخ الفقيه الإمام سعد بن علي بن أبي القاسم ابن أبي هريرة الاسفرايني الصوفي الشافعي بدمشق قال: سمعت الإمام الأوحد زين القراء جمال الحرم أبا الفتح عامر بن نجا بن عامر الساري بمكة حرسها الله تعالى يقول: دخلت المسجد الحرام يوم الأحد فيما بين الظهر والعصر الرابع عشر من شوّال سنة خمس وأربعين وخمسمائة، وكان في نوع تكسر ودوران رأس بحيث أن لا أقدر أن أقف أو أجلس لشدة ما فيَّ، فكنت أطلب موضعاً أستريح فيه ساعة على جنبي، فرأيت باب بيت الجماعة للرباط الرامشتي عند باب العروة مفتوحاً فقصدته ودخلت فيه ووقعت على جنبي الأيمن بحذاء الكعبة المشرفة مفترشاً يدي تحت خدي لكيلا يأخذني النوم فتنقض طهارتي، فإذا رجل من أهل البدعة معروف بها جاء ونشر مصلاه على باب ذلك البيت، وأخرج لويحاً من جيبه أظنه كان من الحجرة وعليه كتابة فقبّله ووضعه بين يديه وصلى صلاة طويلة مرسلاً يديه فيها على عادتهم، وكان يسجد على ذلك اللويح في كل مرة، وإذا فرغ من صلاته سجد عليه وأطال فيه، وكان يمعك خده من الجانبين عليه ويتضرع في الدعاء، ثم رفع رأسه وقبله ووضعه على عينيه، ثم قبله ثانياً وأدخله في جيبه كما كان. قال: فلما رأيت ذلك كرهته واستوحشت ذلك وقلت في نفسي: ليت كان رسول الله ﷺ حياً فيما بيننا ليخرجهم بسوء صنيعهم وما هم عليه من البدعة، ومع هذا التفكر كنت أطرد النوم عن نفسي كي لا يأخذني فتفسد طهارتي، فبينما أنا كذلك إذ طرأ عليَّ النعاس وغلبني فكأني بين اليقظة والنوم، فرأيت عرصة واسعة فيها ناس كثيرون واقفون وفي يد كل واحد منهم كتاب مجلد تحلق كلهم على شخص، فسألت الناس عن حالهم، وعمن في الحلقة قالوا هو رسول الله ﷺ، وهؤلاء أصحاب المذاهب يريدون أن يقرؤا مذاهبهم واعتقادهم من كتبهم على رسول الله ﷺ ويصححوها عليه. قال: فبينا أنا أنظر إلى القوم إذ جاء واحد من أهل الحلقة وبيده كتاب قيل: إن هذا هو الشافعي رضي الله عنه فدخل في وسط الحلقة وسلم على النبي ﷺ قال: فرأيت رسول الله ﷺ في جماله وكماله متلبساً بالثياب البيض المغسولة النظيفة من العمامة والقميص وسائر الثياب على زي أهل التصوّف، فردَّ عليه الجواب ورحب به، وقرأ الشافعي بين يديه، وقرأ من الكتاب مذهبه واعتقاده عليه، وبعد ذلك جاء شخص آخر قيل هو أبو حنيفة رضي الله عنه وبيده كتاب فسلَّم وقعد بجنب الشافعي وقرأ من الكتاب مذهبه واعتقاده، ثم أتى بعده كل صاحب مذهب إلى أن لم يبق إلا القليل، وكل من يقرأ يقعد بجنب الآخر، فلما فرغوا إذا واحد من المبتدعة الملقبة بالرافضة قد جاء وفي يده كراريس غير مجلدة فيها ذكر عقائدهم الباطلة، وهمَّ أن يدخل الحلقة يقرؤها على رسول الله ﷺ فخرج إليه واحد ممن كان مع رسول الله ﷺ وزجره وأخذ الكراريس من يده ورمى بها إلى خارج الحلقة وطرده وأهانه. قال: فلما

رأيت القوم قد فرغوا وما بقي أحد يقرأ عليه شيئاً تقدمت قليلاً وكان في يدي كتاب مجلد، فناديت وقلت يا رسول الله: هذا الكتاب معتقدي ومعتقد أهل السنّة لو أذنت لي حتى أقرأه عليك، فقال رسول الله ﷺ: وايش ذلك؟ قلت يا رسول الله: هو قواعد العقائد الذي صنّفه الغزالي فأذن لي في القراءة. قال: فقعدت وابتدأت.

بسم الله الرحمن الرحيم

(كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول)

الفصل الأول

في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام

فنقول وبالله التوفيق: الحمد لله المبدىء المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب قواعد العقائد
وفيه أربعة فصول

الفصل الأوّل

في ترجمة عقيدة أهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي أحد مباني الإسلام

(فنقول؛ وبالله التوفيق الحمد لله المبدىء المعيد الفعال لما يريد) وذكر أنه قرأ الخطبة والعقيدة حتى وصل إلى قول الغزالي في العقيدة: وأنه تعالى بعث النبي الأمي محمداً ﷺ إلى كافة العرب والعجم والانس والجن. قال: فلما بلغت إلى هذا رأيت البشاشة والبشر في وجهه ﷺ. قال: فالتفت إليّ وقال: أين الغزالي؟ فإذا بالغزالي كأنه واقف على الحلقة بين يديه فقال: ها أناذا يا رسول الله وتقدم وسلم على رسول الله ﷺ، فرد عليه الجواب وناوله يده العزيزة والغزالي يقبّل يده ويضع خديه عليها تبركاً به وبيده العزيزة المباركة، ثم قعد قال: فما رأيت رسول الله ﷺ أكثر استبشاراً بقراءة أحد مثل ما كان بقراءتي عليه قواعد العقائد، ثم انتبهت من النوم وعلى عيني أثر الدمع مما رأيت من تلك الأحوال والمشاهدات والكرامات، فإنها كانت نعمة جسيمة من الله تعالى سيما في آخر الزمان مع كثرة الأهواء، فنسأل الله تعالى أن يثبتنا على عقيدة أهل الحق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم اهـ.

قوله: في ترجمة أي بيان. عقيدة وهي فعيلة من العقد هو الربط لغة، ثم نقل لتصميم القلب على ادراك تصوّري أو تصديقي، والمراد بالعقيدة هنا هو ما يدين الإنسان به واعتقد كذا عقد

....

عليه قلبه وضميره، وأهل السنة تقدم المراد بهم، وأصل السنّة الطريقة، والمراد هنا طريقته ﷺ خاصة، وكلمتا الشهادة هي لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وهي أحد مباني الإسلام إشارة إلى حديث: «بني الإسلام على خمس» فذكر شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وقد تقدم الحديث وما فيه مفصلاً في كتاب العلم، وإنما اقتصر على هاتين الكلمتين لاشتمالها على جميع مسائل التوحيد، كما أشار له السنوسي وغيره. وتفصيل ذلك أن معنى لا إله إلا الله لا مستغنى عن كـل ما سواه ومفتقر إليه كل ما عداه إلا الله، ومعنى الالوهية استغناء الإله عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه إليه فدخل تحت الاستغناء ثمانية وعشرون عقيدة: الوجود والقـدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس ووجوب السمع له والبصر والكلام ولوازمها وهي كونه سميعاً بصيراً متكلماً، وتنزهه عن الغرض في أفعاله وأحكامه، وعن وجوب شيء عليه فعلاً وتركاً، وعن كون شيء من الممكنات يؤثر بقوّة أودعها الله فيه وأضدادها. فجملتها ثمانية وعشرون عقيدة، ودخل تحت الافتقار اثنان وعشرون عقيدة: الحياة وعموم القدرة والإرادة والعلم ولوازمها وهي كونه حياً وقادراً ومريداً وعالماً، والوحدانية وحدوث العالم بأسره وأن لا تأثير لشيء من الكائنات في أثر مّا بالطبع واضدادها فجملتها اثنان وعشرون عقيدة، ودخل تحت قولنا محمد رسول الله إثنتا عشرة عقيدة: وجوب الصدق للرسل والأنبياء والأمانة والتبليغ وأضدادها والإيمان بسائر الأنبياء والملائكـة والكتـب السماويـة واليـوم الآخـر رجـواز وقـوع الاعراض البشرية عليهم وعدم وقوعها، فقد ظهر لك أن قولنا لا إله إلا الله محمد رسول الله تتضمن إثنتين وستين عقيدة. منها خمسون عقيدة تحت لا إله إلا الله، وإثنتا عشرة عقيدة تحت محمد رسول الله. كذا أملاه شيخ مشايخنا الشيخ علي الطولوني المحدث من تقرير شيخه سيدي علي الجزائري المغربي الحنفي رحمه الله تعالى.

قوله: وبالله التوفيق قال أبو البقاء: هو الهداية إلى وفق الشيء وقدره وما يوافقه، وقال غيره: هو جعل الله فعل عبده موافقاً لما يحبه ويرضاه. وقوله المبدىء المعيد قال المصنف في شرح أسماء الله الحسنى: معناه الموجد لكن الإيجاد إذا لم يكن مسبوقاً بمثله سمي ابداء، وإذا كان مسبوقاً بمثله سمي إعادة، والله تعالى بدأ خلق الناس، ثم هو الذي يحشرهم والأشياء كلها منه بدت، وإليه تعود وبه بدت وبه تعود اهـ.

وقال أبو منصور البغدادي: أجمع المسلمون على أن الله عز وجل هو المبدىء المعيد يبدأ الخلق ثم يعيده، واختلفوا في تأويل ذلك، فقال الجمهور: يبدأ الخلق بإيجاده أوّلاً على غير مثال سبق ويعيده بعد افنائه إياه كما كان قبل الفناء، ومنهم من قال: يبدأ الأبدان ويعيدها تارة بعد تارة توكيداً للحجة. الفعال لما يريد: أي: لا يمتنع عليه مراد من أفعاله وأفعال غيره، وقال: الفعال معناه يفعل ما يريد على ما يراه لا يعترض عليه أحد ولا يغلبه غالب، فيدخل أولياءه الجنة لا يمنعه مانع، ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر، ويمهل العصاة على ما يشاء إلى أن يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة إذا شاء فهو يفعل ما يريد. **(ذي العرش)** أي خالقه ومالكه،

والبطش الشديد، الهادي صفوة العبيد إلى المنهج الرشيد والمسلك السديد، المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد، السالك بهم إلى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الأكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد،

والعرش: الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي به لارتفاعه. وقيل: هو الفلك الأعلى والكرسي فلك الكواكب، وورد في الحديث: ما السموات السبع والأرضون السبع في جنب الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكرسي عند العرش كذلك، وقال الراغب: عرش الله مما لا يعلمه البشر إلا بالاسم، وقال غيره: العرش في الأصل سرير الملك فعبّر به عن ملكوت ربنا لأنه ملك الملوك، وإليه يشير قول البيضاوي، وقيل: المراد بالعرش الملك. (**المجيد**) يحتمل أن يكون صفة للعرش ومجده علوه وعظمه أو صفة لله تعالى. أي: العظيم في ذاته وصفاته، فإنه واجب الوجود قام بالقدرة والحكمة، ونقل مكي عن بعض إنكار أن يكون المجيد نعتاً للعرش، لأنه من صفات الله وهو ممنوع فإن العرش قد وصف بالكريم في آخر المؤمنين، (**والبطش الشديد**) معطوف على ما قبله، والبطش أخذ بعنف وصولة ومعنى شدة بطشه مضاعفة عنفه، وهكذا فسر قوله تعالى: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ [البروج: ١٢] فقال: مضاعف عنفه، وقال السمين: ويقال هو سرعة الانتقام وعدم التؤدة في العفو، وقوله: إن بطش ربك لشديد تنبيه على أنه سريع الانتقام كما صرح به في غير موضع، ولم يكفه أن ذكره بلفظ البطش حتى وصفه بالشدة، وفي هذه الجمل إشارة إلى أن جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنه تعالى لا يجب عليه شيء لأنها دالّة على أنه يفعل ما يريد. (**الهادي**) أي المرشد فيقال: هداه هداية إذا أرشده (**صفوة العبيد**) أي خلاصتهم اسم من الاصطفاء وهو الاختيار، والعبيد: جمع العبد (**إلى المنهج**) بفتح الميم وسكون النون بالطريق الواضح وكذلك المنهاج والنهج وقد نهج الطريق من حد منع نهوجاً وضح واستبان وأنهج بالألف مثله (**الرشيد**) أي المستقيم المصلح (**والمسلك السديد**) من السداد وهو كل ما يسد به الخلل، والمراد هنا الاستقامة فهو يرجع إلى معنى الرشيد، (**المنعم عليهم**) أي على العبيد (**بعد شهادة التوحيد**). الشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة، وقد يعبر بها عن الاقرار والبيان والحكم والاعلام والتوحيد مصدر وحّد إذا أوقع نسبة الواحد إلى موضوعه (**بحراسة**) أي حفظ وصيانة (**عقائدهم**) التي عقدوا عليها القلوب والضمائر (**عن ظلمات**) أي شبهات (**التشكيك والترديد**) أي ايقاع الشك والتردد فيها وتصميم القلب على ادراك تصوري أو تصديقي، والتصديقي علم إن كان جزماً ومطابقاً عن موجب، وجهل ان لم يطابق واعتقاد إن طابق لغير موجب ويسمى تقليداً وظن ان لم يجزم بها وكان راجحاً (**السائق لهم**) بمحض عنايته (**إلى اتباع**) طريقة (**رسوله**) وحبيبه (**المصطفى**) المختار ﷺ (**واقتفاء**) أي اتباع (**آثار صحبه**) جمع صاحب كركب وراكب، وهم الذين تشرفوا بمشاهدة وجهه وتلقي الأحكام عنه (**الأكرمين المكرمين**) أي المعظمين المبجلين المفضلين (**بالتأييد**) الإلهي (**والتسديد**) أي

المتجلي لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد، المعرف إياهم انه في ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له

موافقة الصواب (**المتجلي لهم**) أي الظاهر لهم ومنه قوله تعالى: ﴿فلما تجلى ربه﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي ظهر أمره (**في ذاته**) أي نفسه وعينه، وهذا اللفظ ليس من كلام العرب إنما يستعمله المتكلمون، فيقولون: ذات الشيء بالمعنى الذي ذكرناه ويستعملونه مفرداً ومضافاً لظاهر تارة ومضمر أخرى وينكرونه مقطوعاً عن الإضافة ومعرفة ومعرفاً بأل، فيقولون: ذاتك وذات من الذوات فيجرونه مجرى النفس نبه عليه الراغب (**وأفعاله**) الإبداعية (**بمحاسن أوصافه**) جمع وصف هو والنعت مترادفان، وبعضهم جعل النعت أخص منه فلا يقال نعت إلا فيما هو محقق بخلاف الوصف والظاهر الأول، والمحاسن: جمع حسن على غير قياس (**التي لا يدركها**) إدراكاً كما ينبغي ويليق (**إلاَّ من**) كان له قلب واعٍ متيقظ لتلقي أسرار تلك المحاسن بالانكشاف، ثم (**ألقى السمع**) وأصغى (**وهو شهيد**) حاضر القلب وفي هذا السياق رمز صريح إلى أنه لا يحيط مخلوق حق حقيقة ذات الخالق إلا بالحيرة والدهشة، وأما اتساع المعرفة والإدراك فإنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته، وكل يعطى على قدر مقامه واجتهاده فتفاوت المراتب إنما هو في معرفة الأسماء والصفات فتأمل. (**المعرف إياهم في ذاته**) تعريفاً لا يشوبه شك ولا تردد (**أنه**) جل وعز (**واحد**) أكثر العلماء أن الواحد والأحد بمعنى واحد. وقال الازهري: الفرق بين الواحد والأحد في صفاته تعالى أن الأحد بني لنفي ما يذكر معه العدد، والواحد اسم لمفتتح العدد، وتقول: ما أتاني منهم واحد، وجاءني منهم واحد، والواحد بني لانقطاع النظير وعوز المثل. وقال بعضهم: الواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له ألبتة. ثم يطلق في كل موجود حتى أنه ما من عدد إلاَّ ويصح وصفه به، فيقال: عشرة واحدة ومائة واحدة. وقال الراغب: الواحد لفظ مشترك يستعمل في ستة أوجه.

الأول: ما كان واحداً في الجنس أو في النوع كقولنا: الإنسان والفرس واحد في الجنس، وزيد وعمرو واحد في النوع.

الثاني: ما كان واحداً بالإتصال إما من حيث الخلقة كقولنا: شخص واحد، وإما من حيث الصناعة كقولنا حرفة واحدة.

الثالث: ما كان واحد العدم نظيره إما في الخلقة كقولنا الشمس واحدة. وإما في دعوى الفضيلة كقولنا فلان واحد دهره. مثل: نسيج وحده.

الرابع: ما كان واحداً لإمتناع التجزيء فيه إما لصغره كالبهاء، وإما لصلابته كالالماس.

الخامس: للمبدأ اما لمبدأ الاعداد كقولنا: واحد إثنان أو لمبدأ الخط كقولنا النقطة الواحدة والوحدة في كلها عارضة. قال: وإذا وصف الله تعالى به فمعناه أنه لا يجري عليه التجزىء ولا التكثر.

....

وقال المصنف في المقصد الأسنى: الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يتثنى أما الذي لا يتجزأ فكالجوهر الواحد الذي لا ينقسم فيقال: إنه واحد بمعنى أنه لا جزء له، وكذلك النقطة لا جـزء لها، والله تعالى واحد بمعنى أنه يستحيل تقدير الإنقسام في ذاته، وأما الذي لا يتثنى فهو الذي لا نظير له كالشمس مثلاً فإنها وإن كانت قابلة للإنقسام بالفعل بتجزئة في ذاتها لأنها من قبيل الأجسام فهي لا نظير لها إلا أنه يمكن أن يكون لها نظير فإن كان في الوجود موجود ينفرد ويتوحد بخصوص وجوده تفرداً أو وحدة **(لا شريك له)** أي لا يتصـور أن يشاركه غيره فيـه أصلاً فهو الواحد المطلق أزلاً وأبداً، والعبد إنما يكون واحداً إذا لم يكن له في أبناء جنسه نظير في خصلة من خصال الخير، وذلك بالإضافة إلى أبناء جنسه، وبالإضافة إلى الوقت إذ يمكن أن يظهر في وقت آخر مثله، وبالإضافة إلى بعض الخصال دون الجميع فلا وحدة على الإطلاق إلا لله عز وجل اهـ.

وذكر الشيخ أبو منصور البغدادي في الفرق بين الواحـد والأحد أقوالاً منهـا قد تقدم ذكرها آنفاً، ومنها ما لم يذكر. فمن ذلك قال بعض المتكلمين: أنه واحد في ذاته أحد في صفاته، وقال آخرون: أنه واحد بلا كيف أحد بلا حيث، وقال آخرون: وصفه بأنه الواحد يدل على أوليته وأزليته، لأن الواحد في العدد أول الأعداد والأحد في ذاته إشارة إلى توحيده في صفاته. وقال آخرون انه واحد بلا شريك في الصنع لانفراده بالخلق والإختراع، ولذلك قال الله تعالى: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾ [الرعد: ١٦] أحد بنفي الإبتداء والإنتهاء والتشبيه عنه لقوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد ★ لم يلد ولم يولد★ ولم يكن له كفواً أحد﴾ [سورة الإخلاص] فلما نفى الشرك من الصنع والإختراع وصف نفسه بأنه واحد، ولما نفي عن نفسه الإبتداء والإنتهاء ونفي التشبيه وصف نفسه بأنه أحد **(فـرد لا مثـل له)** يطلق الفرد في أوصافه تعالى، ويراد به أن يخالف الأشياء كلها في الازدواج المنبه عليه بقوله: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ [الذاريات: ٤٩] وقيل: هـو المستغني عـن كـل شيء المنبـه عليـه بقـولـه: ﴿إن الله لغني عـن العـالمين﴾ [العنكبوت: ٦] وإذا قيل: إنه منفرد بوحدانيته فمعناه أنه مستغن عن كل تركيب وازدواج تنبيهاً على أنه بخلاف كل موجود، والمثلية عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أي معنى كان، وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة، وسيأتي لذلك مزيد تحقيق.

تنبيه:

قال أبو منصور البغدادي: قد أجمعت الأمة على إطلاق إسم الفرد على الله تعالى، وخالفهم عباد بن سليمان الصيمري من المعتزلة، فإنه زعم أنه لا يجوز تسميته تعالى به، وقال: إنما يصح إطلاق لفظ الفرد على الواحد الذي يجوز أن يكون له زوج لأنهم يقولون في العدد فرد وزوج، وقد أجمعت الأمة قبل ظهور عباد على إطلاق هذا الإسم عليه في قولهم: يا واحد يا فرد، فلا

....

اعتبار بخلاف المبتدع الضال لأهل الإجماع مع صحة معناه فيه، لأن الفرد هو الذي لا يتنصف، والله سبحانه وتعالى ليس له نصف ولا شيء من الأجزاء والأبعاض، ويلزم على قوله المتقدم أن لا يسموا الإله الواحد لأن الحساب قرنوا الواحد بالإثنين وأكثر منه فقالوا: واحد وإثنان، كما قالوا فـرد وزوج (**صمد لا ضد له**) قيل: في الصمد ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه الذي لا يطعم. روي ذلك عن الأعمش، واستدل بقوله عز وجل ﴿هو يطعم ولا يطعم﴾ [الأنعام: ١٤] وفي ذلك إبطال قول من زعم من النصارى أن عيسى عليه الصلاة والسلام إله، وقال الله تعالى في عيسى وأمه عليهما الصلاة والسلام: ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ [المائدة: ٧٥] فبين ذلك أن الذي يأكل ويشرب لا يكون إلهاً، وفي ذلك دلالة على أن كل محتاج إلى شيء فهو غير إله والإله هو الغني عما سواه.

القول الثاني: أن الصمد هو الذي لا جوف له. قاله السدي، ففيه إبطال قول المشبهة من اليهود والهشامية الذين زعموا أن معبودهم صورة مجوّفة، وقالوا: نصفه الأعلى مجوّف ونصفه الأسفل مصمد. كما ذهب إليه هشام وسالم، فأخبر الله أنه صمد ليس له جوف ولا صورة ولا تركيب. تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

القول الثالث: ما ذهب إليه أهل اللغة بلا اختلاف أن الصمد السيد الذي انتهى إليه السؤدد والمصمود في النوائب الذي يصمد إليه فيها، وقيل: هو السيد الذي صمد له كل شيء أي قصد قصده، وتأويل صمود الأشياء لله تعالى دلالة كل شيء عليه بأنه الصانع الأحد القديم الماجد من عرفه قصده بالرغبة إليه والرهبة منه، واقتصر المصنف في المقصد الأسنى من معانيه على الذي يصمد إليه في الحوائج ويقصد إليه في الرغائب إذ ينتهي إليه منتهى السؤدد ثم قال: من جعله الله مقصداً لعباده في مهمات دينهم ودنياهم وأجرى على لسانه ويده حوائج خلقه، فقد أنعم عليه بحظ من معنى الوصف، لكن الصمد المطلق هو الذي يقصد إليه في جميع الحوائج وهو الله سبحانه وتعالى اهـ.

وقال الشيخ الأكبر في حقائق الأسماء: الصمد هو الذي يلجأ ويقصد إليه في الحوائج والنوائب. فصمدية الحق من حيث أنه ما من شيء إلا عنده خزائنه، والخزائن غير متناهية، لكن أقسام كلياتها ترجع إلى العلوية والسفلية والغيبية والشهادية والثبوتية والوجودية، وكلها عند الحق ومفاتيحها بيده يفتحها لمن شاء إذا شاء بما شاء ثم أطال الكلام وقال: ولما كانت الكفايات والإفتقار موزعة على أفراد أشخاص خزائن الوجود، فلكل عين من أعيان الموجود حظ من الصمدية فيما لا يظهر إلا به، ولذلك نهينا أن نصمد في صلاتنا إلى السترة صمداً وهو إشارة إلى الغيرة الالهية وأنه لا ينبغي للعبد أن يصمد صمداً إلا إلى الصمد المطلق عز سلطانه اهـ.

بقي هنا شيء أشار له أبو منصور البغدادي وهو أنه إن كان الصمد بمعنى السيد الذي انتهى إليه السؤدد، فيكون من صفات الذات وإن كان بمعنى من يصمد إليه في النوائب كان من

منفرد لا ندّ له وأنه واحد قديم لا أول له أزلي لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له

صفاته الفعلية، و إذا قلنا انه الذي لا جوف له والذي لا يطعم كان من صفاته الأزلية التي استحقها لنفسه وكان في الأزل صمداً على هذا التأويل **(منفرد لانده له)** الإنفراد والتفرد والفردية شيء واحد وليس المطاوعة في الإنفراد مراداً. هكذا هو في بعض النسخ، وفي بعضها متفرد بالتاء الفوقية وهو الصحيح لأن المنفرد بالنون قد منع إطلاقه عليه سبحانه. الإمام أبو منصور البغدادي قال: وقد نطق الكتاب والسنة بأنه تعالى واحد، وفي معناه المتوحد والمتفرد، ولذلك قال أصحابنا: إن الإله متفرد بالإلهية متوحد بالفردانية اهـ.

والند: بالكسر هو المثل المساوي، وقيل: هو أخص من المثل، فإن الند هو المشارك للشيء في جوهره، وذلك ضرب من المماثلة فإن المثل يقال في أي مشارك كان، وكل ند مثل وليس كل مثل نداً، وقيل: لا يقال إلا للمثل المخالف المتساوي، وقيل: هو بمعنى المثل من غير عموم ولا خصوص وهذا أولى لأن المطلوب النهي عن أن يجعل لله تعالى مثلاً على الإطلاق لأنه لا يلزم من النهي عن الأخص النهي عن الأعم، وقيل: الند هو النظير، وقيل: الضد. قاله أبو عبيدة وهو ليس كذلك بدليل قولهم: ليس لله ند ولا ضد. وقال في تفسيره: أنه نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه، فدَل ذلك على أنهما غيران، وقيل الند الإشتراك في الجوهر، والضد هو أن يعقب الشيئان المتنافيان على جنس واحد، والله تعالى منزه عن أن يكون له جوهر فإذاً لا ضد له. **(قديم لا أول له)** اشتهر وصف الباري تعالى بالقديم في عبارات المتكلمين، ولم يرد في شيء من القرآن والآثار الصحيحة وصفه تعالى به، لكنه قد ورد في بعض الأدعية وأحسبها مأثورة يا قديم الإحسان قاله الراغب.

قلت: قد أجمعت الأمة على وصفه تعالى به وورد ذكره في بعض الأخبار التي ذكرت فيها الأسماء الحسنى، ودل عليه من القرآن قوله عز وجل ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ [الواقعة: ٦٠] والخبر الذي ورد فيه ذكره هو ما أخبربه الشيخ المسند الجليل عمر بن أحمد بن عقيل إجازة عن الإمام الحافظ عبدالله بن سالم البصري، أخبرنا محمد بن علاء الدين، أخبرنا علي بن يحيى، أخبرنا عبدالله بن يوسف، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا عبد الرحيم بن محمد، أخبرنا عبد الرحيم بن محمد، أخبرنا عبد الوهاب .بن علي بن عبد الكافي، أخبرنا أبو محمد بن عبدالله بن محمد ابن إبراهيم البزدوي قراءة عليه وأنا أسمع بقاسيون، أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي، أخبرنا أبو القاسم عبد الواحد بن أبي المطر الصيدلاني إجازة، أخبرنا أبو سعيد إسماعيل بن أحمد بن عبد الملك النيسابوري، أخبرنا أبو الرجاء خلف بن عمر بن عبد العزيز الفارسي، حدثنا الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي،أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر، حدثنا عبدالله بن زيدان البجلي بالكوفة، حدثنا محمد بن عمرو بن الوليد الكندي، حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا عبد العزيز بن حصين، حدثني أيوب السختياني وهشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: « إن لله تسعة

أبدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت

وتسعين إسماً من أحصاها كلها دخل الجنة». فساقها وذكر فيها بعد الفتاح القديم الوتر الفاطر الرازق، واختلف في وصفه بأنه قديم، فمنهم من قال استحقه لنفسه، وبه قال أبو الحسن الأشعري، فعلى هذا هو من صفة الذات، ومنهم من قال: إنه تعالى قديم لمعنى يقوم به، وهو قول عبدالله بن سعيد فيكون من أسماء الصفات الأزلية القائمة به، وشرح هذا القول أن الأشعري يقول: إن القديم معناه المقدم في وجود ما يكون بعده والتقدم نوعان: أحدهما تقدم بلا ابتداء كتقدم الباري عز وجل وصفاته القائمة بذاته على الحوادث كلها، وهذا هو المراد من قول المصنف قديم لا أول له. والثاني: تقدم بغاية كتقدم بعض الحوادث على بعض، وأجاز وصف القديم على الله تعالى وعلى صفاته الأزلية، وقال: إن القديم قديم لنفسه لا لمعنى يقوم به، فلا ينكر وصف صفاته الأزلية بهذا الوصف، كما لم ننكر وصفها بالوجود إذ كان موجوداً لنفسه. وقال عبدالله بن سعيد، وأبو العباس القلانسي وهما من قدماء الأشاعرة أن القديم قديم بمعنى يقوم به، فهم يقولون أن الإله سبحانه قديم لمعنى قائم به، ويقولون: إن صفاته قائمة به موجودة أزلية، ولا يقال أنها قديمة ولا محدثة. وزعمت المعتزلة أن الله تعالى لا يوصف بأنه قديم ولا بأنه كان عالماً في الأزل بنفسه، وسيأتي البحث في ذلك والرد عليهم إن شاء الله تعالى: **(أزلي لا بداية له)** الأزل استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي، والأزلي ما ليس بمسبوق بالعدم، ويقال: إن أصله يزلي منسوب إلى قولهم للقديم لم يزل، ثم نسب إلى هذا فلم يستقم إلا باختصار، فقالوا :يزلي ثم أبدلت الياء ألفاً للخفة فقالوا أزلي كما قالوا في الرمح المنسوب إلى ذي يزن أزني، وإلى يثرب نصل اثربي نقله الصغاني عن بعض أهل العلم، والبداية بالكسر الإبتداء وهي بالياء لغة الأنصار ولغة غيرهم البداءة بالهمز **(مستمر الوجود لا آخر له)** الوجود صفة نفسية على المشهور لا توصف بالوجود أي في الخارج ولا بالعدم أي في الذهن لأنها من جملة الأحوال عند القائل بها، وهو زائد على الذات، كما ذهب إليه الفخر الرازي والجمهور، وأما على القول بأنه عين الذات كما ذهب إليه الأشعري فجعله صفة للذات نظراً إلى أنها توصف به في اللفظ فيقال ذات الله موجودة **(أبدي لا نهاية له)** الأبد استمرار الوجود في أزمنة[1] مقدرة غير متناهية في الماضي، وعبر عنه الراغب بأنه مدة الزمان المعتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان فهو أخص من الزمان، والأبدي ما لا يكون منعدماً والموجود ثلاثة أقسام لا رابع لها أزلي أبدي وهو الحق سبحانه، ولا أزلي ولا أبدي وهو الدنيا، وأبدي غير أزلي وهو الآخرة وعكسه محال إذا ما ثبت قدمه استحال عدمه. **(قيوم لا انقطاع له)** القيوم: فيعول قلبت الواو الأولى ياء لأجل الياء قبلها، ثم أدغمت الياء الأولى فيها، ومعناه الحافظ القائم على كل شيء والمعطي له ما به قوامه، وقال أبو عبيد: هو الدائم الذي لا يزول، وقيل: هو

---

(١) قوله: مقدرة إلخ يتأمل في هذا الكلام وأيضاً فإنه لا يوافق التقسيم الآتي فإن الأبدي عليه هو المستمر فيما لا يزال اهـ مصححه.

القائم بأمور الخلق ولا يجوز اطلاق هذه اللفظة على غير الباري تعالى لما فيها من المبالغة كما ذكروا ذلك في الرحمن وغيره.

وقال المصنف في المقصد الأسنى: القيوم هو الذي قوامه بذاته وقيام كل شيء به وليس ذلك إلا لله تعالى، فإن الأشياء تنقسم إلى ما لا يقوم بنفسه ويفتقر إلى محل كالاعراض والأوصاف، فيقال فيها: انها ليست قائمة بأنفسها أو إلى ما لا يحتاج إلى محل، فيقال: قائم بنفسه كالجواهر إلا أن الجوهر وإن استغنى عن محل يقوم به فليس مستغنياً عن أمور لا بد منها لوجوده، وتكون شرطاً في وجوده فلا يكون قائماً بنفسه لأنه محتاج في قوامه إلى وجود غيره، وإن لم يحتج مع ذلك إلى محل فإن كان موجود يكفي ذاته بذاته ولا قوام له بغيره ولا يشترط في دوام وجوده وجود غيره فهو القائم بنفسه مطلقاً، فإن كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصوّر للأشياء وجود ولا دوام وجود إلا به، فهو القيوم لأن قوامه بذاته وقوام كل شيء به، وليس ذلك إلا لله سبحانه وتعالى ومدخل العبد في هذا الوصف بقدر استغنائه عما سواه تعالى اهـ.

وقال الشيخ الأكبر قدس سره: إعلم أن طائفة من أرباب الطريقة منعت من التخلق بالقيومية وقالت: أنها من خصائص الحق، وعند أهل الكشف هذه الصفة أحق بالتخلق والإتصاف لشمول سريانها وقيام الحقائق الكونية وظهور الأسماء الإلهية بها، ولما كانت القيومية من صفات الحي لذاته ونعوته استصحب القيوم الحي حيث كان، وقد ثبتت الحياة لكل شيء من سريان إسم الحي، فكما أن كل شيء حي فكذلك كل شيء قائم بسريان القيومية، ولولا هذا السريان ما قام أعيان الممكنات لأمر الحق بقوله: ﴿وقوموا لله قانتين﴾ [البقرة: ٢٣٨] فسرت أحكام القيومية وآثارها في الحقائق المعنوية، ومراتب الشؤون الغيبية، وبسائط الارواح النورية، وتجليات الأسماء الإلهية أولاً، وفي النفوس والانفاس الإنسانية الكمالية الجمعية الإحاطية ثانياً، وفي حقائق الحروف الرقمية واللفظية والذهنية الدالة على الحقائق المعنوية ثالثاً، فلولا سريانها في حقائق العلوية المعنوية ما خرجت الأعيان الوجودية من مكامن الثبوت، ولولا آثارها في الأنفاس ما ظهرت صور الحروف البسيطة، ولو لا حكم التأليف للحروف المشيرة الدالة ما كان للكلمات الوجودية ظهور اهـ.

وقال الإمام أبو منصور البغدادي: إن أخذنا القيوم من معنى القيام على النفس بأرزاقها وآجالها والجزاء على اكتسابها كان من أوصافه المشتقة من أفعاله، ولم يكن من صفاته الأزلية، وإن أخذناه من معنى الدائم كان من الأزلية الذاتية لأنه يكون بمعنى الباقي وبقاؤه عندنا صفة أزلية، وفي صحة هذا الإسم لله تعالى فوائد منها: دوام بقائه ودوام مقدوراته وقدرته عليها وإثبات قيامه على النفوس بما كسبت وإثبات جزائه لها على اكتسابها، وفي كل منها رد على المخالفين على ما سيأتي وإطلاق المتكلمين فيه أنه القائم بنفسه، فإنهم يريدون به استغناءه عن محل يحله أو يقله وقال بعض أصحابنا: لا قائم بنفسه في الحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى فأما الجوهر فإنه

الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل: ﴿هو الأولُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ وهُوَ بِكُلِّ شيء عليم﴾ [الحديد : ٣].

وإن صح وجوده لا في مكان فلا يصح وجوده بنفسه، بل هو مفتقر في وجوده إلى صانعه، وهؤلاء يقولون: إن المحدثات كلها قائمة بالله تعالى على معنى أنه هو الموجد لها لا على معنى حلولها فيه، والله عز وجل قائم بنفسه لأن وجوده واجب لذاته من غير موجد أوجده، بل لم يزل موجوداً ولا يزال باقياً أبداً **(دائم لا انصرام له)**. أصل الدوام السكون، ويعبر به عن البقاء، فيقال: الدائم هو الباقي، ويكون الدوام بالضم بمعنى الدوران، ولا يجوز وصف الله بالدائم إلا بمعنى الباقي، فهو من صفاته الأزلية الذاتية، فأما الدائم بمعنى الساكن والدائر، فإنما يصح وصفه بذلك على مذهب الكرامية المجسمة والمشبهة الجواربية والهشامية، فإن هؤلاء وصفوه بأنه جسم مماس بالعرش، وأجازوا وصفه بالسكون عليه والإنتقال عنه، والحلولية وصفوه بالدوران والإنتقال تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. والإنصرام: الإنقطاع **(لم يزل ولا يزال)** هو عبارة عن القدم والبقاء قال الزمخشري: في الأساس قولهم كان في الأزل قادراً عالماً وعلمه أزلي وله الأزلية مصنوع لا من كلامهم، وكأنهم نظروا إلى لفظ لم يزل **(موصوفاً بنعوت الجلال)** أشار به إلى الصفات السلبية وهي سلب ما يستحيل ويمتنع لقدوسيته سبحانه، ومنه أيضاً قول المصنف في عقيدة أخرى له لم يزل ولا يزال مقدساً عن كل نقص وآفة لا يوصف بصفات المحدثين، ولا يجوز عليه ما يجوز على المخلوقين **(لا يقضى عليه بالإنقضاء)** أي لا يحكم عليه به (**بتصرم**) أي انقطاع (**الآباد**) جمع أبد وهو الدهر الطويل الذي ليس بمحدد، **(وانقراض الآجال)** جمع أجل وهو المدة والوقت **(بل: هو الأول)** قبل كل شيء بالوجوب وابتدائه بالإحسان **(والآخر)** بعد كل شيء برجوع الأمر إليه وبفضله بالغفران، فللحق الأولية من حيث أنه موجد كل شيء وله الآخرية من حيث رجوع الأمر كله إليه وظهور مراتب الإلهية كلها فيما بين الأولية والآخرية.

قال المصنف في المقصد الأسنى: أعلم أن الأول يكون أولاً بالإضافة إلى شيء وأن الآخر يكون آخراً بالإضافة إلى شيء وهما متناقضان، فلا يتصور أن يكون الشيء الواحد من وجه بالإضافة إلى شيء واحد أولاً وآخراً جميعاً، بل إذا نظرت إلى ترتيب الوجود ولاحظت سلسلة الموجودات المرتبة، فالله تعالى بالإضافة إليها أول إذ الموجودات كلها استفادت الوجود منه، وأما هو فموجود بذاته ما استفاد الوجود من غيره، ومهما نظرت إلى ترتيب السلوك ولاحظت مرتبة السائرين إليه فهو آخر ما ترتقي إليه درجات العارفين، وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهي مرقاة إلى معرفته، والمنزل الأقصى هي معرفة الله تعالى فهو آخر بالإضافة إلى السلوك إليه، وأول بالإضافة إلى الوجود فمنه المبدأ أولاً وإليه المرجع والمصير آخراً **(والظاهر)** بنفسه لنفسه والمظهر لغيره، ولكمال ظهوره وجلالة بروزه أورثت شدة ظهوره خفاء، فسبحان من احتجب بإشراق نوره واختفى عن الأبصار والعقول لشدة ظهوره، **(والباطن)** عن خلقه فلم يزل باطناً

(التنزيه): وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر، وانه لا يماثل

فهو الظاهر بالكفاية والباطن بالعناية وقال المصنف في المقصد الأسنى: هذان الوصفان أيضاً من المضافات فإن الظاهر يكون ظاهراً من وجه وباطناً من وجه، فلا يكون من وجه واحد ظاهراً وباطناً، بل يكون ظاهراً من وجه، وبالإضافة إلى إدراك وباطناً من وجه آخر، وبالإضافة إلى إدراك فإن الظهور والبطون إنما يكون بالإضافة إلى إدراكات، والله سبحانه وتعالى باطن إن طلب من إدراك الحواس وخزانة الخيال ظاهر إن طلب من خزانة العقل بطريق الإستدلال اهـ.

وهذه الأسماء الأربعة مع ما تقدم من كونه واحداً فرداً صمداً متفرداً قديماً دائماً أزلياً قيوماً عبارة عن معنى ذاته على الوصف الذي يستحقه بنفسه، وفي الأخير خلاف لاختلافهم في تفسيره، ولذا عدّه بعضهم في القسم الذي يفيد الخبر عن أفعاله.

(التنزيه): وهو تبرئة الله عز وجل عما لا يليق بجلاله وقدسه من كل عيب ونقص، ومن كل صفة لا كمال فيها ولا نقصان على قول، والفرق بين العيب والنقص بالعموم والخصوص فكل عيب نقص وليس كل نقص عيباً، كفوات الكمال أو كمال الكمال، وضد العيب السلامة وضد النقص التمام والكمال، والمراد تنزيه الله عن هذه الثلاثة في ذاته وصفاته وأفعاله. أما الذات؛ فيجب أن يسلب عنها الثلاثة عيب الحدوث والفناء والتكثر والجوهرية والعرضية والجسمية والإفتقار إلى الموجد والموجب، وكذا من النقص الذي يعتري الحادثات، ومن كل صفة لا كمال فيها ولا نقصان فإن إثبات ذلك من الإلحاد في الأسماء، وكذلك يجب سلب ذلك عن الصفات والأفعال هذا على طريق الإجمال، وقد اشتمل سياق المصنف الآتي على جمل من ذلك بالرموز والإشارات، وأما تنزيهه عن عيب الحدوث في ذاته، فقد أشار به آنفاً بقوله: قديم لا أول له أزلي لا بداية له أي لا أول لوجوده، ومن كان كذلك لا يجوز عليه الحدوث، **(وأنه)** تعالى **(ليس بجسم)** لأن الجسم ماله طول وعرض وعمق قاله الراغب، وقال غيره: هو ما يتألف عن جوهرين فأكثر، وقال بعضهم: هو جواهر مجتمعة والله تعالى متعال عن حال الأجسام وافتقارها وقبولها للإنقسام، فمن وصفه بالجسمية ضل وأضل، وقد حكى البيهقي عن الحليمي أن قوماً زاغوا عن الحق فوصفوا الباري جل وعز ببعض صفات المحدثين، فمنهم من قال أنه جسم تعالى الله عن ذلك اهـ.

ومنهم من زاد على ذلك فقال: إنه **(مصور)** أي حسن الصورة معتدلها يقال: رجل مصور بهذا المعنى عند أهل اللغة، وقد أجمع أهل السنة أن الله تعالى خالق الصور كلها ليس بذي صورة ولا يشبه شيئاً وفي ذلك خلاف لفرق من اليهود والمعتزلة والمغيرية وغلاة الروافض والهشامية **(ولا جوهر محدود مقدر)** والجوهر هو الجزء الذي لا ينقسم، وهو أصل الشيء وهو ما يتركب منه الجسم، والمحدود الذي له حد يقف عنده وغاية ينتهي إليها، والمقدر الذي يدخل تحت التقدير، وكل ذلك مما ينزه الباري تعالى عنه **(وأنه لا يماثل)** أي لا يشابه **(الأجرام)** أي الأجساد **(لا في التقدير)** والتحديد **(ولا في قبول الإنقسام)**، كما هو

الأجسام لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الأعراض، بل لا يماثل موجوداً ولا يماثله موجـود ﴿لَيْس كَمِثْلِهِ شَيء﴾ [الشورى: ١١] ولا هو مثل شيء وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنِفه الأرضون ولا السموات. وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده استواء منزهاً عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال.

شأن الأجسام والله منزه عن ذلك، **(وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض)** لأنه لو كان جوهراً أو عرضاً لجاز عليه ما يجوز على الجواهر والإعراض، وإذا جاز ذلك لم يصح أن يكون خالقاً والله خالق كل شيء فالأشياء كلها مخلوقة غير الله وصفاته، وأيضاً الأعـراض صفـات الأجسـام كـاللـون والطعـم والرائحـة والحرارة والبرودة والإجتماع والإفتراق والحركة والسكون والإختصاص بالجهات والتحيز في المكان والعرض لا يبقى زمانين ولا يقوم بنفسه وإنما يقوم بغيره. وكل ذلك حادث مخلوق متغير، وجميع المخلوقات من العوالم العلوية والسفلية ينقسم إلى ذلك والله خالقه جل جلاله، **(بل لا يماثل مـوجـوداً ولا يماثلـه مـوجـود)** لأنه لو كان كذلك لكان مخلوقاً مثل ذلك من حيث أنه يماثله، لأن الموجودات كلها مخلوقة لله تعالى غير الله وصفاته **(و)** أنه **(ليس كمثله شيء)** والكاف زائدة أي ليس مثله شيء. أو المراد بالمثل ذاته **(ولا هو مثل شيء)** وسيأتي البحث فيه **(و)** أنه تعالى **(لا يحده المقدار ولا تحويه)** أي لا تضمه **(الأقطار)** جمع قطر بالضم أي الأطراف **(ولا تحيط به الجهات الست)**. بل هو المحيط بكل شيء بعلمه وقدرته وسلطانه، **(ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات)** يقال: اكتنفه القوم كانوا منه يمنة ويسرة أي أنه سبحانه لا مكان له ولا جهة. قال الشافعي رحمه الله تعالى: والدليل عليه هو أنه تعالى كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفة الأزلية كما كان قبل خلقه المكان لا يجوز عليه التغيير في ذاته ولا التبديل في صفاته. وقال إمام الحرمين في لمع الأدلة: والدليل على تقدسه تعالى عن الإختصاص بجهة والإتصاف بالمتحاذيات، وأنه لا تحده الإقطار ولا تكتنفه الأقدار، ويجل عن قبول الحد والمقدار إن كل مختص بجهة شاغل لها، وكل متحيز قابل لملاقاة الجواهر ومفارقتها، وكل ما يقبل الإجتماع والإفتراق لا يخلو عنهما وما لا يخلو من الإفتراق والإجتماع حادث كالجواهر، فإذا ثبت تقدس الباري عن التحيز والاختصاص بالجهات فيترتب على ذلك تعاليه عن الإختصاص بمكان وملاقاة أجرام وأجسام، فقد بان لك تنزيه ذاته سبحانه عن كل ما لا يليق بجلاله وقدوسيته **(وأنه)** تعالى **(مستوٍ على العرش على الوجه الذي قاله)** في كتابه العزيز: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] **(وبالمعنى الذي أراده)** بما يليق به هو سبحانه أعلم به، كما جرى عليه السلف في المتشابه من التنزيه عما لا يليق بجلال الله تعالى مع تفويض علم معناه إليه، لا كما قاله بعض من أجاز أن يكون على العرش قاعداً كما يكون الملك على سريره على شيء **(بل استواء منزهاً عن المماسة)** والمحاذاة **(والإستقرار والتمكن)** على شيء **(والحلول)** في شيء **(والإنتقال)** من مكان إلى آخر لقيام

لا يحمله العرض، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش والسماء، وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعداً عن الأرض والثرى، بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد ﴿وهو على كل شيء شهيد﴾ [سبأ: ٤٧] إذ لا

البراهين القطعية باستحالة ذلك في حقه تعالى، فإن ذلك كله من صفة استواء الأجسام بالأجسام **(لا يحمله العرش)** كما يقوله بعض المجسمة نظراً إلى ظاهر لفظ فوق **(بل العرش وحملته)** وهم الملائكة الموكلون بحمله **(محمولون بلطف قدرته)** الباهرة **(ومقهورون في قبضته)** القاهرة، **(وهو)** تعالى **(فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى)** أي حدود الأرض جمع تخم كفلوس وفلس، وقال ابن الأعرابي، وابن السكيت: الواحد تخوم والجمع تخم كرسول ورسل **(فوقية)** تليق بجليل ذاته بحيث **(لا تزيده قرباً إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعداً عن الأرض والثرى)** قال أبو إسحاق الشيرازي: فلو كان في جهة فوق لما وصف العبد بالقرب منه إذا سجد بل هو تعالى **(رفيع الدرجات)** والرفعة: العلو يقال: هو رفيع القدر أي عالي المنزلة والشرف، والدرجات: جمع درجة والمراد بها المرتبة المعنوية **(عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى)** ولم يرد رفيع في أسمائه تعالى إلا مقيداً بمضاف إليه وهو الدرجات.

وقال أبو منصور البغدادي: تفسير رفيع الدرجات فيما يليه وهو ذو العرش لأن العرش هو الدرجات الرفيعة إذ لا جسم أعلى من العرش، وليس معنى رفيع الدرجات كونه على درجات مرتفعة لأنه يستحيل كونه في مكان، لكن معناه أنه رفيع العرش أي أن العرش الرفيع له وهو خالقه ومالكه فهو بأن يكون مالكاً خالقاً لما دونه أولى اهـ.

ولا يخفي ما فيه من التكلف، وسياق المصنف يأباه كذلك فتأمل. **(وهو مع ذلك قريب من كل موجود)** وإطلاق لفظ القريب عليه تعالى دل عليه في القرآن قوله عز وجل: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ [البقرة: ١٨٦] ومعناه القرب على معنى العلم منه بعباده وبأحوالهم، **(وهو أقرب إلى العبيد من حبل الوريد)** عرق بين الحلقوم والعلباوين وهو ينبض أبداً، وهو من الأوردة التي فيها الحياة ولا يجري فيها دم، بل هي تجاري النفس بالحركات قاله الفراء كما في المصباح، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق: ١٦] أي أعلم منه بنفسه وقوله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿واسجد واقترب﴾ [العلق: ١٩] دليل على أن المراد به قرب المنزلة لا قرب المكان كما زعمت المجسمة أنه مماس لعرشه إذ لو كان كذلك لازداد بالسجود منه بعداً لا قرباً **(وهو على كل شيء شهيد)** أي شاهد حاضر وحفيظ عالم لا يغيب عنه شيء، فعلى هذا هو من صفاته الأزلية التي استحقها

يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام، وأنه لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان، بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان. وإنه بائن عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه ولا في سواه ذاته وأنه مقدس عن التغير والانتقال. لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزهاً عن الزوال وفي صفات كماله مستغنياً عن زيادة الاستكمال، وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالأبصار نعمة منه ولطفاً بالأبرار في دار القرار وإتماماً منه بالنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم.

لأجل علمه القديم ولم يزل شهيداً. **(إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا تماثل ذاته)** الشريفة **(ذات الأجسام، وأنه)** تعالى **(لا يحل في شيء)** لا ذاته ولا صفاته. أما ذاته فلأن الحلول هو الحصول في الحيز تبعاً، والله تعالى منزه عن التحيز، ولأن الحلول ينافي الوجوب الذاتي لافتقار الحال إلى المحل، وأما صفاته فلأن الإنتقال من صفات الأجسام والله تعالى منزه عن الجسمية كما مرَّ، **(ولا يحل فيه شيء تعالى)** وتقدس **(عن أن يحويه مكان)** فيشار إليه أو تضمه جهة، وإنما اختصت السماء برفع الأيدي إليها عند الدعاء لأنها جعلت قبلة الأدعية، كما أن الكعبة جعلت قبلة للمصلي يستقبلها في الصلاة، ولا يقال: أن الله تعالى في جهة الكعبة **(كما تقدس عن أن يحده زمان)** لأن المحدود محتو على أجزاء الماهية، والله تعالى منزه عن ذلك كما تقدم، **(بل كان)** تعالى **(قبل أن خلق الزمان والمكان)** والعرش والكرسي والسموات والأرضين، **(وهو الآن على ما عليه)** من صفة الأزلية كما **(كان)** قبل خلقه الزمان والمكان وغيرهما، **(وأنه)** تعالى **(بائن عن خلقه بصفاته)** العلية **(ليس في ذاته سواه جل وعزّ ولا في سواه ذاته)** الشريفة **(وأنه)** تعالى **(مقدس)** منزه **(عن التغير)** من حال إلى حال **(والإنتقال)** من مكان إلى مكان، وكذا الإتصال والإنفصال فإن كلاً من ذلك من صفات المخلوقين **(لا تحله الحوادث)** ولا تقوم به، لأنه لو جاز ذلك لزم عدم خلوه عن الحادث لاتصافه قبل ذلك الحادث بضده الحادث لزواله وبقابليته هو **(ولا تعتريه العوارض)** وهي الآفات العارضة والأكدار والكثافات والادناس، وهو سبحانه وتعالى منزه عن ذلك، **(بل لا يزال في نعوت جلاله)** وأوصاف كماله **(منزهاً عن)** نقص **(الزوال وفي زيادة كماله مستغنياً عن زيادة الإستكمال)**: إذ كل كمال فإنما يفاض منه بدأ وإليه يعود، **(وأنه)** تعالى **(في ذاته معلوم الوجود بالعقول)** إن طلب من خزانة العقل بطريق الإستدلال **(مرئي الذات بالأبصار منة منه)** وفضلاً **(ولطفاً بالأبرار)** في دار الدنيا و **(في دار القرار)** عقلاً وسمعاً وعليه أجمعت العلماء وفي جواز الرؤية في الدنيا سمعاً اختلاف فأثبته قوم ونفاه آخرون كما سيأتي تفصيله **(وإتماماً للنعيم بالنظر إلى وجهه الكريم)** لقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلى

(الحياة والقدرة) : وأنه تعالى حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، ولا يعارضه فناء ولا موت ، وأنه ذو الملك والملكوت والعزة

ربها ناظرة﴾ [القيامة : ٢٢ ، ٢٣] ثم أعلم أن صفات الله تعالى على ثلاثة أقسام : نفسية ، وسلبية ، ومعان . ومن أثبت الأحوال زاد المعنوية . فالصفة النفسية ، الوجود وهي الحال الواجب للذات ما دامت الذات غير معللة بعلة ، فخرج من قول الحال المعاني ، والسلبية ومن قوله غير معللة الأحوال المعنوية ، ككون الذات عالمة وقادرة ومريدة مثلاً فإنها معللة بقيام العلم والقدرة والإرادة بالذات . وأما القسم الثاني : وهو خمس صفات القدم والبقاء ومخالفته تعالى للحوادث أي لا يماثله شيء منها مطلقاً لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال وقيامه تعالى بنفسه أي غير مفتقر إلى محل ومخصص والوحدانية وهي سلب التعدد في الذات والصفات والأفعال ، وقد أشار المصنف إلى كل ذلك تصريحاً تارة وتلميحاً أخرى ، ولما فرغ منها شرع في بيان صفات المعاني ، ويقال لها أيضاً : صفات الذات ، وصفات الإكرام ، وصفات الثبوت وتقديم السلبية عليها من باب تقديم التخلية على التحلية ، وإنما سميت صفات المعاني لأنها صفات موجودة في نفسها ، وكل صفة موجودة في نفسها تسمى صفة معنى لأنها معان زائدة على معنى الذات العلية وعند المتقدمين لا فرق بين المعاني والمعنوية .

قال المصنف رحمه الله (**القدرة**) : وهي صفة أزلية تؤثر في الممكن عند تعلقها به إيجاداً أو إعداماً (**وأنه**) تعالى (**حي**) بحياة هي صفة أزلية له لا يجوز عدمها ولا زال حياً أبداً ، وليست حياته عن روح ، ولا عن لحمية ورطوبة ، ولا عن تركيب ، ولا عن نفس ، ولا عن سبب يوجب حدوثاً أوعياً ، وهذه هي الصفة الرابعة من صفات المعاني في تعبير المتأخرين أوردها المصنف في ضمن صفة القدرة (**قادر**) بقدرة هي صفة أزلية له ولا يزال قادراً أبداً (**جبار**) قيل : معناه الذي جبر الخلق على ما أراده من أمره ، وهو قول الزجاج . وقيل : معناه جابر كل كسير ، وقيل : هو القاصم للجبابرة والطغاة والمبيد للظلمة والعتاة وقيل : معناه ذو الجبروت ، وقيل : معناه الذي يتعظم ويتعاظم . وقال ابن الأنباري : هو الذي لا ينال أي هو المتعالي عن أن يدرك بحد ، وقيل : معناه القهار ومنه قوله تعالى : ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ [ق : ٤٥] أي قهار . قال أبو منصور البغدادي : إن أخذ من معنى الإمتناع عن أن ينال بحد أو تشبيه ، فهو إذاً من الصفات الذاتية التي استحقها لنفسه ، وإن أخذ من معنى الإجبار الذي هو الإكراه على ما أراده من أمر أو من معنى جبراً لكسر أو من معنى القهر والغلبة ، فهو إذاً من أوصافه التي استحقها لفعله دون ذاته . (**قاهر**) أي غالب على أمره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (**لا يعتريه قصور ولا عجز**) خلافاً للثنوية والمجوس والقدرية (**ولا تأخذه سنة ولا نوم**) والسنة بالكسر ما يعتري من النعاس فهو أخص من النوم (**ولا يعارضه فناء ولا موت**) تعالى الله عن ذلك كله ، فالقهر صفة فعل بمعنى الغلبة ، فيكون القاهر من أوصافه المشتقة من أفعاله ، ولا يكون من أوصافه الأزلية ، وتأوله بعضهم على معنى القدرة ، وعلى هذا يكون في الأزل قاهراً كما كان في الأزل

والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه، والخلائق مقهورون في قبضته. وإنه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور، ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته.

(العلم): وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الأرضين إلى أعلى

قادرا، والأول أصوب، والمعنى أن الله تعالى هو الذي قهر الجبابرة في الدنيا بالدمار ويقهر جميع أعدائه في الآخرة بالبوار، وهذه الجمل الثلاثة مسوقة لإيضاح الأسماء لأربعة أي من كان متصفا في الأزل بهذه الأوصاف يستحيل عليه طرق القصور والعجز والغفلة ومعارضة الفناء والموت. **(وأنه ذو الملك)** هو عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية **(والملكوت)** هو عالم الغيب المختص بارواح النفوس، وقيل: هما مصدران والمعنى أنه تعالى هو المالك حقيقة، وكل مالك سواه فإنما يصير مالكاً لمملوكه بتمليك الله عز وجل إياه من وجه مأذون فيه والله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد ما أوجد وأعدم منها فمنه بدء كل مملوك وإليه يعود **(والعزة)** أي المنعة **(والجبروت)** أي العظمة **(له السلطان)** أي القوة **(والقهر)** أي الغلبة **(والخلق والأمر والسموات)** وما فيها **(مطويات)** أي ملفوفات **(بيمينه)** أي: قدرته، **(والخلائق)** أجمعون **(مقهورون في قبضته)** وقهره وهو الغالب على كل شيء ولا يغلبه شيء **(وأنه المتفرد بالخلق والإختراع المتوحد بالإيجاد والإبداع)** أشار بذلك إلى وحدانية الأفعال وهي تنفي أن يكون فعل واختراع أو إيجاد أو إبداع لغيره تعالى من الممكنات، وأما وحدانية الذات التي هي عبارة عن سلب التعدد في الذات والصفات والأفعال. ووحدانية الصفات وهي نفي التعدد المتصل والمنفصل. فقد أشار بذلك أولاً وكل من الخلق والإختراع والإيجاد والإبداع خاص بالمولى عز وجل إلا أن الخلق هو الإيجاد مطلقاً والإختراع هو الإيجاد لا على مثال سابق. فلذلك قال: **(خلق الخلق)** بقدرته **(و)** خلق **(أعمالهم)** لقوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦] والخلق: هو إنشاء الشيء واختراعه وإحداثه من العدم إلى الوجود، وهذا لا يكون إلا من الله عز وجل عند أهل الحق. وعلى هذا يحمل غالب ما في القرآن من هذا اللفظ إلا ما شذ فيه بمعنى التقدير والتصوير **(وقدر أرزاقهم)** وأقواتهم وأعطاهم منها ما قدره لهم **(و)** قدر **(آجالهم)** وهي المدد التي ينتهون إليها، فالمقدر بهذا المعنى من أوصافه الفعلية دون الأزلية **(لا يشذ)** أي: لا يخرج **(عن قبضته)** القاهرة **(مقدور)** لكمال قهره، **(ولا يعزب)** أي لا يغيب **(عن قدرته)** الباهرة **(تصاريف الأمور)** وتدبيراتها **(لا تحصى مقدوراته)**. فإن كل ما صح حدوثه وتوهم كونه ولم يستحل في العقل وجوده، فالله تعالى قادر على إيجاده واحداثه فإذا مقدوراته لا تحصى **(ولا تتناهى معلوماته)** أي: لا تدخل تحت العد والاحصاء لأن علمه محيط بها جملة وتفصيلاً.

(العلم): وهي الصفة الثانية من صفات المعاني وهو المتعلق بكل واجب وكل مستحيل وكل

السموات، وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويدرك حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر وأخفي، ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفاً به في أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال.

الإرادة: وأنه تعالى مريد للكائنات مدبر للمحادثات فلا يجري في الملك

جائز، وهو صفة أزلية لها تعلق بالشيء على وجه الإحاطة به على ما هو عليه دون سبق خفاء (**وأنه**) تعالى (**عالم بجميع المعلومات**) موجوداً كان ذلك المعلوم أو معدوماً محالاً كان أو ممكناً قديماً كان أو حادثاً متناهياً كان أو غير متناه جزئياً كان أو كلياً مركباً كان أو بسيطاً (**محيط بما يجري من تحت تخوم الأرضين إلى أعلى السموات**) قال تعالى: ﴿أحاط بكل شيء علماً﴾ [الطلاق: ١٢] أي علمه أحاط بالمعلومات كلها، فعلى هذا التأويل يكون المحيط من أوصافه الأزلية لأنه لم يزل عالماً بالمعلومات كلها، ودليل هذه الإحاطة قوله تعالى: «لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات»[١] وكذلك قوله عز وجل: ﴿وأحاط بما لديهم﴾ [الجن: ٢٨] بل أطبق المسلمون على أنه تعالى (**يعلم دبيب**) أي: حركة (**النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء**) وكيف وهو خالقها ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك: ١٤] وإيراد هذه الأوصاف تنبيهاً على كمال الدقة والخفاء (**ويدرك**) بلا آلة (**حركة الذر**) وهو الهباء المنتشر في ضوء الشمس (**في جو الهواء و**) أنه تعالى (**يعلم السر وأخفى**) من السر وهو ما يطرأ وجوده في ضمير صاحبه فيعلمه قبل أن يقع بخاطر صاحبه، وقيل: أخفى فعل أي وأخفى ذلك من خلقه ثم زاده أيضاحاً بقوله: (**ويطلع على هواجس الضمائر**) هي ما تقع فيه (**وحركات الخواطر**) مما تخطر بها (**وخفيات السرائر**) مماتكنها فيها (**بعلم قديم**) موصوف بالقدم (**أزلي**) غير مسبوق بالعدم بحضورها عنده بلا إنتزاع صورة ولا انتقال ولا اتصاف بكيفية (**لا بعلم حادث متجدد حاصل في ذاته بالحلول والإنتقال**)، كما ذهب إليه جهم بن صفوان والرافضة، وسيأتي تفصيل أقوالهم والرد في شرح الرسالة القدسية.

(**الإرادة**): وهي الصفة الثالثة من صفات المعاني ويذكرها المتأخرون مع القدرة لتعلقها بجميع الممكنات دون الواجبات والمستحيلات إلا أن جهة تعلقها بالممكنات مختلفة، فالقدرة كما مر صفة أزلية تؤثر في الممكن عند تعلقها به إيجاداً أو إعداماً والإرادة صفة أزلية تؤثر في اختصاص أحد طرفي الممكن من وجود وعدم أو طول وقصر ونحوها. بالوقوع بدلاً عن مقابلة فصار تأثير القدرة فرع تأثير الإرادة إذ لا يوجد عز وجل من الممكنات أو يعدم بقدرته إلا ما

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٣ وتصويب الآية: ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾.

والملكوت قليل أو كثير، صغير أو كبير، خير أو شر، نفع أو ضر، ايمان أو كفر، عرفان أو نكر، فوز أو خسران، زيادة أو نقصان، طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته. فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر، بل هو المبدىء المعيد الفعال لما يريد لا رادّ لأمره ولا معقب لقضائه

أراد تعالى وجوده أو إعدامه. وقال شيخ مشايخنا: أعلم أن في نسبة التأثير للقدرة مسامحة إذ التأثر في الحقيقة إنما هو للذات الموصوفة بالصفات فإسناد التأثير للقدرة مجاز قال: وكان شيخنا الطوخي يمنع إسناد التأثير للقدرة ولو مجازاً لما فيه من الإيهام، (**وأنه**) تعالى (**مريد للكائنات**) على الحقيقة، والإرادة شرط في كون كل فاعل فاعلاً وكما لا يكون الفاعل إلا قادراً كذلك لا يكون إلا مريداً مختاراً لفعله خلافاً لمن زعم أن وصفه بالإرادة مجاز وهو قول النظام والكعبي (**مدبر للحادثات**) بجليل حكمته (**فلا يجري في الملك والملكوت**) أي العالم السفلي والعلوي (**قليل أو كثير صغير أو كبير**) دقيق أو جليل (**خير أو شر نفع أو ضر إيمان أو كفر عرفان أو نكر**) صحة أو سقم (**فوز أو خسران، زيادة أو نقصان، طاعة أو عصيان إلا بقضائه وقدره**) معنى قضائه تعالى علمه أزلاً بالأشياء على ما هي عليه، ومعنى قدره إيجاده إياه على ما يطابق العلم (**وحكمه ومشيئته**) وهي والإرادة مترادفتان أراد تعالى حدوث كل ما علم حدوثه على الوجه الذي علم حدوثه عليه، ولا يكون في سلطانه إلا ما يريد كونه ولا ينتفي من ملكه إلا ما أراد انتفاءه، (**فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن**) ولا يكون وهذه هي الإرادة الكونية ولا يتخلف متعلقها متى تعلقت بشيء وجب وجوده، وفي إطلاق القول بإرادته للمعاصي والكفر على التفصيل اختلاف، وظاهر سياق المصنف يدل على جوازه. ومنهم من يقول ذلك في الجملة ويمنع التفصيل، ويكتفي بقوله ما شاء الله كان الخ. وهذا كقول المسلمين في الجملة: يا خالق الأجسام ورازق الأنعام، ولم يقولوا في التفصيل يا خالق الكلاب والخنازير، وإن كان في الحقيقة هو خالقها، كذلك يقول في الجملة أنه مريد لكل ما علم حدوثه، ولا يقول في التفصيل أنه مريد الكفر وسائر المعاصي، وإن كان حدوثها بمشيئته وإرادته وهذا تفصيل قدماء الأشاعرة. ومنهم من قال بجواز إطلاقه مع قرينة لولاها لم يجز إطلاقها لما في إطلاقها من إيهام الخطأ وهو قول الأشعري يقول: كل معصية أراد تعالى حدوثها من العاصي بها كسباً له قبحاً منه مذموماً، وهذا كقولهم: إن المؤمن لا يقال له كافر على الإطلاق، ولكن يقال بقيد أنه كافر بالجبت والطاغوت (**لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر، بل هو المبدىء المعيد الفعال لما يريد**) خلافاً لمن زعم أن المعاصي كلها كانت غير مشيئة له فيها، وقد يريد كون الشيء فلا يكون، ودليلنا قوله: الفعال لما يريد فإنه يدل على أن إرادته ليست من فعله لأنها لو كانت فعلاً له لوجب أن يكون مريداً لها لأنه أخبر إنما يفعل ما يريد الدليل على شمول إرادته جميع المرادات قيام الدلالة على أنها صفة له أزلية، والصفة الأزلية تعم جميع ما يتعلق بها من الإشتقاق كالعلم والقدرة، وإذا صح لنا كونها أزلية وجب أن

ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته، ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته، فلو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك. وإن ارادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفاً بها. مريداً في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدت في أوقاتها كما أراده في أزله من غير تقدم ولا تأخر، بل وقعت على وفق علمه وإرادته من غير تبدل ولا تغير. دبر الأمور لا بترتيب أفكار ولا تربص زمان، فلذلك لم يشغله شأن عن شأن.

تكون إرادة لكل مراد على الوجه الذي أراده، ومما يدل على صحة قولنا في هذه المسألة أنه لو جاز حدوث ما لا يريده الله تعالى وجاز أن يريد شيئاً فلا يتم مراده، كما قالت القدرية لأدى ذلك إلى إبطال دلالة التمانع على توحيد الصانع، وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى. **(لا رادّ)** أي لا دافع ولا مانع ولا صارف **(لأمره)** الذي شاءه **(ولا معقب لقضائه)** وحكمه أي لا متبع له ولا مكر له بنقض، والمعقب الذي يكر على الشيء ويتبعه لينظر ما فيه من الخلل لينقضه وقيل: معناه لا يقضي بعد قضائه قاض، وقيل: معناه لا أحد يتعقبه ويبحث عن فعله **(لا مهرب لعبد عن معصيته)** ومخالفته أمره **(إلا بتوفيقه له ورحمته، ولا قوة له على طاعته)** وإتيان مأموراته **(إلا بمحبته وإرادته)** وهذا هو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله. وفي هذا السياق إشارة إلى أن المحبة والإرادة شيء واحد وهو مذهب المصنف وعند الماتر يديه فرق بينهما وسيأتي بيان ذلك، **(فلو اجتمع الجن والإنس والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته عجزوا عن ذلك)** فلا يجري في ملكه شيء إلا بمشيئته في أقضيته ومراداته سبحانه جل شأنه **(وأن إرادته صفة أزلية له قائمة بذاته)** أراد بها مراداته **(في جملة صفاته)** كالعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام **(لم يزل كذلك موصوفاً بها)** في الأزل، كما أنه لم يزل عالماً بعلم محيط بجميع المعلومات على التفصيل، وكما أنه لم يزل قادراً بقدرة شاملة لجميع المقدورات على التفصيل سامعاً بسمع رائياً برؤية محيطين بجميع المسموعات والمرئيات على التفصيل **(مريداً في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدهت في أوقاتها كما أراده في أزله)** وهي الإرادة الكونية. وقد سبق أنها متى تعلقت بشيء وجب وجوده **(من غير تقدم)** عن وقته **(ولا تأخر)** عنه، **(بل وقعت على وفق علمه وإرادته)**. قال شيخ مشايخنا: تأثير الإرادة عند أهل الحق على وفق العلم، فكل ما علم الله تعالى أنه يكون من الممكنات أو لا يكون فذلك مراده عز وجل **(من غير تبدل ولا تغير)**، وفي ذلك خلاف للمعتزلة يأتي بيان قولهم والرد عليهم **(دبر الأمور)** لما كان التدبير في صفات البشر هو التفكر في عواقب الأمور ولا يوصف سبحانه وتعالى به، فإنه لم يزل عالماً قبل وقوعها فلذلك أعقبه بقوله: **(لا بترتيب أفكار وتربص زمان)** فإذاً المراد بالتدبير في الأمور هنا إمضاؤها، وبه فسر قوله تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ [السجدة: ٥] فيكون المدبر على هذا

السمع والبصر: وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دقّ. ولا يحجب سمعه بُعد ولا يدفع رؤيته ظلام. يرى من غير حدقة وأجفان ويسمع من غير أصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق.

من أوصافه المشتقة من فعله، ولا يكون من أوصافه الأزلية أو بمعنى دبر الأمور علم بها، فعلى هذا يكون المدبر من أسمائه الأزلية فلا مدبر ولا مقدر لما يجري من السموات والأرض غيره. كل حادث فيهن وما بينهن واقع بتقديره وجار على تدبيره فله التدبير والتقدير، (**فلذلك لم يشغله شأن عن شأن**) وهو الآن كما عليه كان، ثم أعلم أن للقدرة والإرادة تعلقين صلوحي وتنجيزي. فالصلوحي قديم وحقيقته صحة الإيجاد والإعدام بالقدرة وصحة التخصيص بالإرادة بمعنى أن القدرة في الأزل صالحة للإيجاد والإعدام على وفق تعلق الإرادة الأزلية والتنجيزي حادث وحقيقته صدور الممكنات عن القدرة والإرادة، وللإرادة تعلق ثالث وهو تنجيزي قديم وحقيقته قصد إيجاد الله تعالى الأشياء في أوقاتها المعلومة.

(**السمع والبصر**): وهما الصفة الرابعة والخامسة من صفات المعاني المتعلقان بجميع الموجودات، وحقيقة السمع صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات فتدرك أي الموجودات إدراكاً تاماً لا على سبيل التخيل والتوهم، ولا على طريق تأثير حاسة ولا وصول هواء، وحقيقة البصر صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات فتدرك أي الموجودات إدراكاً تاماً لا على سبيل التخيل والتوهم، ولا على سبيل طريق تأثر حاسة ولا وصول شعاع، ومعنى المتعلقان الطالبان بالإنكشاف لجميع الموجودات، (**وأنه تعالى سميع بصير يسمع ويرى ولا يعزب**) أي لا يغيب (**عن سمعه مسموع وإن خفي**) كوقع أرجل النملة على الأجسام اللينة وكلام النفس، فإنه تعالى يسمع كلاً منهما، (**ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق**) كالذرة في الهواء يسمع النداء ويجيب الدعاء، (**ولا يدفع سمعه بعد ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام**) بل (**يرى من غير حدقة**) يقلبها (**أو أجفان**) يحركها تعالى الله عن ذلك (**ويسمع من غير أصمخة**) جمع صماخ بالكسر وهو الثقب الذي في الأذن (**ولا آذان**) كما أنه تعالى (**يعلم بغير**) دماغ و (**قلب، ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة**) منزه عن سمات البرايا (**إذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق**) أي ليس علمه كعلم المخلوق المختلف في محله أهو الدماغ أو القلب، ولا كسمع المخلوق الذي هو بقوة مودعة في مقعر الصماخ يتوقف إدراكها للأصوات على حصول الهواء الموصل لها إلى الحاسة وتأثير الحاسة، ولا كبصر المخلوق الذي هو قوة مودعة في العصبتين المجوفتين الخارجتين من الدماغ فلذلك لم تشبه صفاته صفات الخلق، كما لم تشبه ذاته ذات الخلق لما ثبت تنزيهه وتقديسه عما لا يليق به جل جلاله. **قال المنجوري في حواشيه على الصغرى، والفجيجي على أم البراهين أن السمع والبصر ليس لهما إلا**

(الكلام) : وأنه تعالى متكلم آمر ناهٍ واعد متوعد بكلام أزلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك اجرام، ولا بحرف ينقطع باطباق شفة أو تحريك لسان. وأن القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه

تعلق واحد تنجيزي، وهو ينقسم إلى قسمين تنجيزي قديم كانكشاف ذات الله تعالى وصفاته الوجودية له في الأزل، وتنجيزي حادث كانكشاف ذات الحوادث وصفاتها الوجودية له فيما لا يزال، فحينئذ ليس لها تعلق صلاحي لقولهم أن صفة الإنكشاف لا صلاحي لها علماً وسمعاً وبصراً وإدراكاً وأفهم قوله المتعلقان بجميع الموجودات أنهما لا يتعلقان بالمعدومات، ولو كانت ممكنة. قال شيخ مشايخنا وهذه المسألة مما خولف فيها الشيخ السنوسي. أعني تعلق السمع والبصر بخصوص الموجود، وقد سبقه إلى ذلك الفخر، والإمام، والشهر ستاني في النهاية وهو قول الأشعري وسيأتي لذلك تحقيق.

(الكلام) : وهي الصفة السادسة من صفات المعاني، وهي صفة أزلية قائمة بذاته تتعلق بما تعلق به العلم وهو كل واجب، وكل مستحيل، وكل جائز. لا تقبل العدم، ولا ما في معناه من السكوت، ولا التجديد، ولا البعض، ولا الكل، ولا التقديم، ولا التأخير، ولا اللحن، ولا الإعراب، ولا الحرف، ولا الصوت، ولا سائر أنواع التغيرات فقال: **(وأنه تعالى متكلم)** لا خلاف في ذلك لأرباب المذاهب والملل، وإنما اختلفوا في معنى كلامه تعالى وحقيقته كما سيأتي بيانه **(آمر ناهٍ)** مخاطب قائل مخبر **(واعد متوعد)** أجمعوا على ذلك، وعلى أن كلامه أمر ونهي وخبر وخطاب، وهذا بحسب المتعلق فإن تعلق بتحصيل الفعل فأمر أو بالكف عنه فنهي وبوقوع النسبة أو لا وقوعها فخبر، وأما النداء والوعد والوعيد فالكل راجع إما إلى الخبر أو إلى الطلب، وعلى أنه لا يوصف بانه ناطق وإنما اختلفوا في مسائل من فروع هذا الباب من طريق العبارة وخالفهم طوائف في أصول هذا الباب وفروعه، ودليل المتكلم والمحدث على إثبات الكلام له تعالى قوله عز وجل: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ [النساء : ١٦٤] وأما الصوفي يقول: الكلام صفة كمالية إذ مرجع ذلك الانباء عن الشيء وكل الأشياء قابلة للانباء، فلا بد من حصول تلك الصفة على كمالها، وحصولها على الكمال لا يكون إلا بحيث لا ترتفع لنقيضها، وذلك لا يكون إلا في واجب الوجود، فواجب الوجود له تلك الصفة الكمالية إذ هو الذي له الكمال المطلق وهو المطلوب **(بكلام أزلي قديم قائم بذاته)** لأن ثبوت المشتق للشيء يدل على ثبوت مأخذ الإشتقاق لذلك الشيء **(لا يشبه كلام الخلق)** إذ كلام الخلق كله عرض، وكلام الله تعالى لا يوصف بجسم ولا عرض، ثم بيَّن وجه عدم شبهه كلام الخلق فقال: **(فليس بصوت يحدث من بين انسلال هواء أو اصطكاك اجرام، ولا بحرف يتقطع بإطباق شفة أو تحرك لسان)**، فكل ذلك من صفات كلام الخلق. قال أبو الحسن الأشعري: الكلام كله ليس من جنس الحروف ولا من جنس الأصوات، بل الحروف والأصوات على وجه مخصوص دلالات على الكلام القائم بنفس المتكلم، وقال عبدالله بن سعيد، وأبو العباس القلانسي وأصحابها وهم من

المنزلة على رسله عليهم السلام، وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب، وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى، لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق، وأن موسى ﷺ سمع كلام الله بغير

قدماء الأشاعرة: إن كلام المخلوق حروف وأصوات لأنه تكون لها مخارج الحروف والأصوات، وكلام الله ليس بحروف ولا أصوات لأنه غير موصوف بمخارج الحروف والأصوات، وإذا قرأ القارىء منا كلام الله تعالى فقراءته حروف وصوت، ومقرؤه ليس بحروف ولا أصوات. وهذا القول هو اختيار أكثر أصحاب الحديث. قال أبو منصور البغدادي: وبه نقول. وقال الإمام أبو المعالي: مذهب أهل الحق جواز سماع ما ليس بحرف ولا صوت أي فهو منزه عن جميع ما تقدم لأنه قديم، والقديم لا يوصف بأوصاف الحوادث وكيفيته مجهولة لنا، كما لا نحيط بذاته وبجميع حقائق صفاته، فليس لأحد أن يخوض في الكنه بعد معرفة ما يجب لذاته تعالى ولصفاته **(وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله)** أي الحروف إنما هي عبارة عنه، والعبارة غير المعبر عنه، فلذلك اختلفت باختلاف الألسنة، وإذا عبرت عن تلك الصفة القائمة بذاته تعالى بالعربية فقرآن، وبالعبرانية فتوراة، وبالسريانية فانجيل وزبور، والإختلاف في العبارات دون المسمى، فحروف القرآن حادثة والمعبر عنه بها هو المعنى القائم بذات الله تعالى قديم، فالتلاوة والقراءة والكتابة حادثة، والمتلو والمقروء والمكتوب قديم أي: ما دلت عليه الكتابة والقراءة والتلاوة كما إذا ذكر الله بألسنة متعددة ولغات مختلفة فإن الذكر حادث والمذكور وهو رب العباد قديم، **(وأن القرآن)** كلام الله تعالى غير مخلوق وأنه مسموع بالآذان **(مقروء بالألسنة)**. قال الخراشي في شرحه على أم البراهين: الفرق بين التلاوة والقراءة أن التلاوة أخص من القراءة لأن التلاوة لا تكون في كلمة واحدة، والقراءة تكون فيها (تقول فلان قرأ اسمه ولا تقول تلا اسمه، فالقراءة اسم لجنس هذا الفعل **(مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب والصدور وأنه مع ذلك قديم)** لا يوصف بالحدوث والخلق **(قائم بذات الله تعالى)** لا تفاقهم على ذلك، وهذا كله حق واجب الإيمان به لأن القرآن يقال عليه الكلام. فيقال: على المعنى القائم بذاته عز شأنه المعبر عنه باللسان العربي المبين، ومعنى الإضافة في قولنا كلام الله تعالى إضافة الصفة إلى الموصوف كعلم الله، والقرآن بهذا المعنى قديم قطعاً، ويقال على الكلام العربي المبين الدال على هذا المعنى القديم، ومعنى الإضافة على هذا التقدير هي معنى إضافة الفعل إلى الفاعل كخلق الله ورزقه وكلا الإطلاقين حقيقة على المختار خلافاً لمن زعم أنه حقيقة في أحدهما مجاز في الآخر، ومعنى أن القرآن مسموع بما يدل عليه وهو العبارة متلو بالألسنة، كذلك محفوظ بالرقوم والخطوط الحسية، والحاصل أنه مسموع بما يدل عليه من الحروف المرسومة في قوة السمع مكتوب بما يدل عليه رقماً متلو بما يدل عليه نطقاً محفوظ بما يدل عليه تخيلاً، وهذا كما يقال الله مذكور بالألسنة معناه مذكور بما يدل عليه من حيث النطق اللساني، وسيأتي لذلك بحث في الرسالة القدسية. **(لا يقبل الإنفصال والإفتراق بالإنتقال إلى القلوب**

صوت ولا حرف، كما يرى الأبرار ذات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض، وإذا كانت له هذه الصفات كان حياً عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً متكلماً بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات.

والأوراق)، كما لا يقبل العدم ولا ما في معناه من السكوت ولا التجديد ولا البعض ولا الكل ولا التقديم ولا التأخير ولا اللحن ولا الإعراب ولا سائر التغييرات، **(وأن موسى ﷺ سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف)**

قال الإمام أبو المعالي: مذهب أهل الحق جواز سماع ما ليس بحرف ولا صوت اهـ. وقد تقدم ذلك.

وفي التأويلات لأبي منصور الماتريدي أن موسى عليه السلام سمع صوتاً دالاً على كلام الله تعالى، وخص بكونه كليم الله لأنه سمع من غير واسطة الكتاب والملك، لا أنه ليس فيه واسطة الحرف والصوت اهـ.

قلت: وإليه ذهب أبو إسحاق الاسفرايني من الأشاعرة، وجمهور الأشاعرة ذهبوا إلى أن الكلام القديم سمع لا بواسطة ما يدل عليه. وقد نقل عن الأستاذ أنه قال: اتفقوا على أنه لا يمكن سماع غير الصوت إلاَّ أن منهم من أطلق القول بذلك، ومنهم من قال لما كان المعنى القائم بالنفس معلوماً بواسطة الصوت كان مسموعاً فالاختلاف لفظي، **(كما يرى الابرار)** وهم الأخيار من عباد الله **(ذات الله تعالى في الآخرة)** رؤية تليق بذاته تعالى **(من غير جوهر ولا عرض، وإذا كانت له هذه الصفات العلية كان حياً عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً متكلماً بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام)** الأزليات **(لا بمجرد الذات)**. أشار بذلك إلى أن صفات المعاني زائدة على الذات العلية بأن المعنى الذي يفهم من العلم أبلغ من القدرة الذي هو التمكن من الفعل أو الترك، وكذا باقي صفات المعاني فإنها صفات ثابتة موجودة في نفسها قديمة باقية بالذات العلية وهي كمالات ونقائضها نقائص والله منزه عن النقائص، ولا يضرنا تعدد القديم حيث كان صفة للذات، وإنما الممنوع تعدد ذات قديمة ونحن لا نقول بذلك، ثم أن تلك الصفات سبعة كما ساقها المصنف آخراً إجمالاً، وأما في التفصيل فقد أدرج صفة الحياة عند ذكره صفة القدرة بناء على أصولهم القديمة في حدها بأنها ما كان شرطاً في وجود القدرة لاجماعهم على أن العلم والقدرة والإرادة لا يصح وجود شيء منها فيما ليس بحي، وزعم بعض المعتزلة أن الحياة تفيد معنى القدرة، وأن الحي هو القادر روي ذلك عن عباد بن سليمان. وذهب أبو عمر والمازني من الكرامية أن الحياة من جملة القادر لأن القدرة اسم جامع لكل صفة لا تصح الحياة دونها، فالحياة من جملتها فتأمل. ثم إن صفات المعاني ليست عين الذات ولا غير الذات لأنها لو كانت عينها لزم الاتحاد في المفهوم بلا تفاوت أصلاً، ولو كانت غيرها لزم الانفكاك بينها. وأيضاً العينية بالاتحاد يلزم منها أن يكون العلم مثلاً سمعاً وقدرة، والكلام بصراً، وهذا خبط عظيم. ثم أن صفات المعاني تنقسم أربعة أقسام: قسم لا يتعلق بشيء أي لا

(الأفعال) : وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها ، وأنه حكيم في أفعاله عادل في أقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد إذ العبد يتصوّر منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ،

يطلب أمراً زائداً على القيام بمحلها وهي الحياة ، وقسم يتعلق بالممكن فقط وهما القدرة والإرادة ، وقسم يتعلق بجميع الموجودات وهما السمع والبصر ، وقسم يتعلق بجميع أقسام الحكم العقلي وهما العلم والكلام ، وإن شئت قلت صفات المعاني تنقسم ثلاثة أقسام : قسم لا يتعلق بنفسه ولا بغيره وهي الحياة ، وقسم لا يتعلق بنفسه ويتعلق بغيره وهما القدرة والإرادة ، وقسم يتعلق بنفسه وبغيره وهو العلم والكلام والسمع والبصر ، وبين متعلق القدرة والإرادة ، وبين متعلق السمع والبصر عموم وخصوص من وجه يجتمعان في الممكن الموجود ، وتنفرد القدرة والإرادة بالممكن المعدوم ، وينفرد السمع والبصر بالواجب الموجود ، وبين متعلق السمع والبصر والعلم والكلام عموم وخصوص مطلق يشاركان السمع والبصر في الموجود الواجب والجائز ، ويزيدان عليهما بالمستحيل والممكن المعدوم ، وبين متعلق القدرة والإرادة والسمع والبصر ومتعلق العلم والكلام عموم وخصوص مطلق ، فالعلم والكلام يشاركان القدرة والإرادة في الممكن ، ويشاركان السمع والبصر في الموجود الواجب والجائز ، ويزيدان على القدرة والإرادة بالواجب والمستحيل ، ويزيدان على السمع والبصر بالمستحيل والممكن المعدوم . ولما فرغ المصنف من توحيد الذات وما لها من الصفات النفسية والسلبية والمعاني شرع في توحيد الأفعال فقال :

(**الأفعال : وأنه تعالى لا موجود سواه إلا وهو حادث**) أي ناشيء (**بفعله**) قد سبق الفرق بين الاختراع والايجاد والخلق والابداع بأن الاختراع خاص بالله تعالى ، وكذا الايجاد والابداع والخلق ، وأما الفعل فإنه يطلق على القديم والحادث إلا أنه في حقه تعالى حقيقة لأنه هو الذي اخترعه ، وأما في حق الحادث فمجاز ، وإنما هو عبارة عن مباشرتهم للأشياء وتحريكهم لها . واعلم أن وحدانية الذات تنفي التعدد المتصل بأن يكون ذاتاً مركبة من جواهر وأعراض ، والتعدد المنفصل بأن يكون ذات تماثل ذات الله عز وجل ، ووحدانية الصفات تنفي التعدد المتصل بأن يكون له قدرتان واردتان وعلمان فأكثر إلى آخرها ، والتعدد المنفصل بأن تكون صفة في ذات تماثل صفاته الأزلية ، ووحدانية الأفعال تنفي أن يكون فعل أو اختراع أو ايجاد لغيره تعالى من الممكنات (**وفائض**) أي سائل (**من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها**) وأبدعها ، (**وأنه حكيم في أفعاله**) بإصابة مراده على حسب قصده (**عادل في أقضيته**) على الحقيقة لا يوصف بالجور والظلم (**لا يقاس عدله بعدل العباد**) فيه إشارة إلى قول بعض الأشاعرة : إن العدل لا يصح تحديده بجنس ولا نوع مخصوص ولا بوصف خاص له ، لا سيما على ما يعرفه الناس به ، وكذا نقيضه أيضاً لأن العدل الذي هو الحق عدول والجور أيضاً عدل وعدول عن الحق ، ولهذا قالوا : إن الجور ليس بضد العدل لأن كل فعل كان منا عدلاً بموافقة أمر الله تعالى ، فقد يجوز أن يكون جوراً بموافقة نهيه ، ومنهم من قال : يصح تحديده ،

ولا يتصوّر الظلم من الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكاً حتى يكون تصرفه فيه ظلماً، فكل ما سواه من انس وجن وملك وشيطان وسماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعاً، وأنشأه إنشاءً بعد أن لم يكن شيئاً إذ كان في الأزل موجوداً وحده، ولم يكن معه غيره، فأحدث الخلق بعد ذلك إظهاراً لقدرته وتحقيقاً لما سبق من إرادته، ولما حق في الأزل من كلمته لا لافتقاره إليه وحاجته، وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن

وللعادل حينئذ معنيان: **أحدهما**: عدوله من صفات النقص والعيب، وعلى هذا فهو من صفاته الأزلية الواجبة له في الأزل، **والثاني**: رجوعه عن ايقاع الجور وهو فعله، فيكون حينئذ من أوصافه الفعلية المشتقة من فعله. وفي المقصد الأسنى للمصنف: العادل هو الذي يصدر منه فعل العدل المضاد للجور والظلم ولمن يعرف العادل من لم يعرف عدله، ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله، فمن أراد أن يفهم هذا الوصف فينبغي أن يحيط علماً بأفعال الله تعالى من ملكوت السموات إلى منتهى الثرى، حتى إذا بهره جمال الحضرة الربوبية وحيره اعتدالها وانتظامها تعلق بفهمه شيء من معاني عدل الله في خلقه. (**إذ العبد يتصوّر منه الظلم**) والجور (**بتصرفه في ملك غيره**) أو مجاوزة الحد أو بوضع الشيء في غير محله بنقص أو زيادة، (**ولا يتصوّر الظلم**) بهذه المعاني (**من الله تعالى**) تقدس عن ذلك، (**فإنه لا يصادف لغيره ملكاً**) على الحقيقة (**حتى يكون تصرفه فيه ظلماً**) وتعدياً، (**فكل ما سواه من إنس وجن وشيطان وسماء وأرض وحيوان ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس**) بأنواعها وأجناسها (**حادث**) بالذات والزمان، ثم أشار إلى حدوث الزمان فقال: (**اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعاً**) على غير مثال سابق، ثم أكد ذلك بقوله: (**وأنشأه انشاءً**) بعد أن لم يكن شيئاً. (**وأعطى كل شيء خلقه**) وهو بذلك جواد ورتبه في موضعه اللائق به، وهو بذلك عدل (**إذ كان في الأزلي موجوداً وحده، ولم يكن معه غيره**) يشاركه أو يماثله في ذاته وصفاته وأفعاله إشارة إلى ان احداثه تعالى ذلك كان باختياره لا هو استكمال كمال زائد على ما كان قبل إحداثه، (**فأحدث**) وأنشأ (**بعد عدمه**) المحض (**إظهاراً لقدرته**) الباهرة (**وتحقيقاً لما سبق من إرادته**) الأزلية بكونه ووجوده، (**ولما حق في الأزل من كلمته**) التي لا تبدل. وفيه إشارة إلى أن تأثير القدرة فرع تأثير الإرادة، إذ لا يوجد تعالى شيئاً من الممكنات أو يعدم بقدرته إلا ما أراد تعالى وجوده أو إعدامه وتأثير الإرادة على وفق العلم، فكل ما علم تعالى أنه يكون من الممكنات أو لا يكون فذلك مراده (**لا لافتقاره إليه**) أي إلى ذلك الإنشاء (**وحاجته**) تعالى الله عن ذلك وهو الغني المطلق، وكل موجود سواه فقير إليه في وجوده وبقائه وسائر ما يمده به، (**وأنه تعالى متفضل**) جواد (**بالخلق**) وهو الايجاد مطلقاً (**والاختراع**) وهو الايجاد لا على مثال سابق، ونعمة الايجاد شاملة لكل موجود، (**والتكليف**) وهو إلزام ما فيه كلفة لا طلب

وجوب ومتطوّل بالأنعام والاصلاح لا عن لزوم، فله الفضل والإحسان والنعمة والامتنان إذ كان قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام والأوصاب، ولو فعل ذلك لكان منه عدلاً ولم يكن منه قبيحاً ولا ظلماً، وأنه عز وجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم له إذ لا يجب عليه لأحد فعل ولا يتصوّر منه ظلم، ولا يجب لأحد عليه حق. وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على ألسنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل، ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده، فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤوا به.

ما فيه كلفة خلافاً للباقلاني أي هو تعالى متفضل عليهم به حيث جعلهم أهلاً لأن يخاطبهم بالأمر والنهي. (**لا عن وجوب**) وهو عبارة عن طلب تفريغ الذمة خلافاً للمعتزلة في إيجاب التكليف. (**ومتطول بالأنعام**) على العباد (**والإصلاح لهم لا عن لزوم**) والمتفضل والمتطوّل بمعنى واحد، ولم يـردا في أسمائه الحسنى، ولكن دل عليهما قوله تعالى: ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ [آل عمران: ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿ذي الطول﴾ [غافر: ٣] ومعناه ذو الفضل والبسطة والمقدرة، فإن أخذ الطول من الغني والمقدرة، فذو الطول من الأسماء الأزلية لأنه لم يزل غنياً قادراً وإن أخذ من الأفضال والانعام على العباد فهو من أوصافه المشتقة من أفعاله، (**فله الفضل**) والمنة (**والإحسان**) والمعروف الدائم (**والنعمة والامتنان إذ كان**) عز وجل (**قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب**) وهي العقوبة المؤلمة جزاء على سوء أفعالهم، (**ويبتليهم**) أي يمتحنهم (**بضروب الآلام والأوصاب**) وهي الأسقام اللازمة، (**ولو فعل ذلك لكان منه عدلاً**) محضاً (**ولم يكن منه قبيحاً ولا ظلماً**). فهو سبحانه وتعالى العادل الذي لا يعترض عليه في تدبيره وحكمه وجميع أفعاله. وافق مراد العبد أو لم يوافق وكل ذلك عدل منـه وهـو كما ينبغـي. (**وأنـه عـز وجـل يثيـب**) أي يجازي (**عبـاده المؤمنين على الطاعات**) الصادرة منهم، وهي ما وافقت أمره جل جلاله لا إرادته كما زعمته المعتزلة (**بحكم الكرم**) المحض (**والوعد**) السابق (**لا بحكم الاستحقاق**) والاستيجاب (**واللزوم، إذ لا يجب لأحد عليه فعل ولا يتصوّر منه ظلم**) لأنه غير واضع للشيء في غير موضعه، ولا عادل عن طريق الحكمة والعدل في شيء من أفعاله، ولا يجوز أن يلحقه نقص في ملكه ولا في إرادته فلم يكن موصوفاً بالظلم بحال، (**ولا يجب لأحد عليه حق**) لكون كل ما سواه من مخترعاته ومخلوقاته ومصنوعاته فأنى يكون للمخلوق حق على الخالق، والحق لغة هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره وهو الواجب اللازم من قولهم لفلان على حق أي دين واجب لازم. (**وأن حقه في الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على ألسنة أنبيائهم عليهم السلام لا بمجرد العقل**) لأن العقل لا يستقل بإدراك كون الفعل أو الترك متعلق المؤاخذة الشرعية، (**ولكنه بعث الرسل**

معنى (الكلمة الثانية): وهي الشهادة للرسول بالرسالة وأنه بعث النبي الأمي

وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة) وهي الأمور الخوارق للعادات المقرونة بالتحدي والموافقة للدعوى السالمة من المعارض على يد من يدعي النبوّة. وقول إمام الحرمين: أنه لا يمكن نصب دليل على النبوّة سوى المعجزة محمول على ما يصلح دليلاً على الإطلاق والعموم، ويصلح أن يكون حجة على المنكرين، **(فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤوا به)**. وهذه المسألة معروفة بالتحسين والتقبيح العقليين. قالت الأشاعرة: لا تحسين ولا تقبيح عقلاً أي أن الأفعال إنما توصف بالحسن والقبح من حيث تعلق خطاب الشرع بها، ودليله السمعي قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ [الإسراء: ١٥] وبه تمسك المحدث أيضاً، وأما الصوفي فيقول: الأفعال كلها نسبتان: نسبة التكوين ونسبة التكليف. أما نسبة التكوين فعامة لأن الأفعال كلها لله تعالى، وبهذه النسبة لا توصف بحسن ولا قبح لاستواء الايجاد، بل هي حسنة من حيث علم الفاعل وإرادته. وأما نسبة التكليف، وهي الطلب فهي مختصة بأفعال المكلف، ومن المعلوم أن الطلب للشيء فرع العلم به، ولا علم بالحقيقة إلا لله تعالى فلا تكليف ولا طلب إلا لله تعالى، وأيضاً فإن تعلق الطلب بفعل أو ترك غيب فلا يعلم إلا بالتوقيف السمعي النبوي، فإذاً الحسن والقبح لا يدرك بمجرد العقل فلا حسن ولا قبح عقلاً وهو المطلوب. وقالت الحنفية: إن العقل قد يستقل بإدراك الحسن والقبح الذاتيين أو لصفة، فيدرك القبح المناسب لثبوت حكم الله تعالى بالمنع من الفعل على وجه ينتهض معه الاتيان به سبباً للعقاب، ويدرك الحسن المناسب لثبوت حكمه تعالى فيه بالإيجاب والثواب بفعله والعقاب بتركه وهو بعينه قول المعتزلة، إلا أن المعتزلة أطلقوا القول بعدم توقف حكم العقل بذلك على ورود الشرع، وسيأتي تحقيق ذلك على التفصيل في شرح الرسالة القدسية. وهذا الذي ذكره المصنف أشار به إلى النوع الثالث عند المتأخرين، وهو معرفة ما يجوز في حق الله تعالى وهو فعل كل ممكن وتركه، ومن فروعه بعثة الأنبياء إلى العباد وإثابة المطيع ومعاقبة العاصي، وقد أشار إليها المصنف وله فروع كثيرة وكلها مما لا يجب شيء منها على الله تعالى ولا يستحيل، بل وجودها وعدمها بالنسبة إليه سواء. ولفظ الجائز والممكن مترادفان على معنى واحد وهو ما يصح في العقل وجوده وعدمه، ثم لما كانت المباحث المتعلقة بهذا العلم منقسمة على ثلاثة أقسام. قسم يتعلق بالالهيات أي المسائل المتعلقة بالإله عز وجل، وقسم بالنبويات، وقسم بالسمعيات. وقد فرغ من قسم الإلهيات شرع في بيان القسم الثاني وهو النبويات وهي المسائل المبحوث فيها عن النبوة وأحوالها، والثالث وهو السمعيات وهي المسائل التي لا تتلقى أحكامها إلا من السمع ولا تؤخذ إلا من الوحي فقال:

(معنى الكلمة الثانية): من الشهادتين **(وهي شهادة)** هكذا في سائر النسخ. وكأن تأنيث الضمير باعتبار ما أضيف إليه **(للرسول)** هكذا في سائر النسخ، وقد وقع له هكذا في أوّل كتاب العلم، وسبق التنبيه بأن التاج السبكي نقل في طبقاته عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه

القرشي محمداً ﷺ برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والانس، فنسخ بشريعته

كان يمنع من هذا التعبير، وإنما يقال رسول الله (ﷺ) لأنه أقرب للتعظيم، وأكثر والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصر أو بصيرة وجلة الصلاة أتي بها للتبرك، **(وأنه)** تعالى **(بعث)** أي أرسل ومطاوعه انبعث، وكل شيء ينبعث بنفسه فإن الفعل يتعدى إليه بنفسه. يقال: بعثته وما هنا كذلك، وكل شيء لا ينبعث بنفسه كالكتابة والهدية، فإن الفعل يتعدى إليه بالباء. يقال: بعث به أي وجهه **(النبي)** وحقيقته إنسان خصه الله بسماع وحي ولم يؤمر بالتبليغ، وحقيقة الرسول إنسان بعثه الله إلى خلقه ليبلغهم ما أوحي إليه من الأحكام الشرعية، وحقيقة الرسالة الأمر بتبليغ الوحي، وحقيقة النبوّة الاختصاص بالوحي. قيل: النبي أعم لأنه يطلق على من أوحي إليه أمر بالتبليغ أو لم يؤمر، والرسول أخص والكلية تدخل على الأخص، فكل رسول نبي ولا عكس. وإنما بعض النبي رسول إذا أمر، وليس برسول إذا لم يؤمر. وقيل: الرسول أعم لأنه يطلق على الملائكة وعلى البشر، بخلاف النبي، فإنه خاص بالبشر، والكلية تدخل على الأخص فتقول: كل نبي رسول ولا عكس، وإنما البعض كالنبي ﷺ وسائر إخوانه المرسلين من البشر وبعض من كان رسولاً ولم يكن نبياً كجبريل عليه السلام، ومنهم من اعتبر ما يزيد به كل واحد منهما فقال: بينهما عموم وخصوص من وجه يجتمعان فيمن أوحي إليه وأمر بالتبليغ من البشر، وتنفرد النبوّة فيمن أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ وتنفرد الرسالة بالملائكة **(الأمي)** منسوب إلى الأم لكونه لم يقرأ ولم يكتب كما تقدم تحقيقه في كتاب العلم، أو إلى أم القرى وهي مكة لولادته بها، أو إلى أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ لأن علمه منه أو غير ذلك. وقد بسطناه في شرحنا على القاموس **(القرشي)** نسبة إلى قريش على غير قياس، وهو لقب جده النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ومن لم يلده فليس بقرشي. نقله السهيلي وغيره، وسبب تلقيبه بذلك والاختلاف فيه بسطناه في شرح القاموس. **(محمداً)** هو إسم مفعول من التحميد وهو المبالغة في الحمد، وذلك لأنه إذا بلغت خصال المرء النهاية وتكاملت فيه المحاسن فهو محمد.

قال المناوي في شرح الجامع الصغير: لكن ذكر بعض المحققين أنه إنما هو من صيغ المبالغة باعتبار ما قيل فيه من معنى الكثرة بخصوصه لا من جهة اللغة، إذ لا يلزم من زيد مفضل على عمرو المبالغة في تفضيله عليه إذ معناه له جهة تفضيل عليه، وبفرض كونه للتكثير لا يلزم منه المبالغة لأنها لا تتجاوز حد الكثرة، ولحصرهم صيغ المبالغة في عدد مخصوص، وكونه أجل من حمد وأفضل من حمد لا يستلزم وضع الاسم للمبالغة، لأن ذلك ثابت له لذاته، وإن لم يسم به. نعم المناسبة قائمة به مع ما سبق من دلالة البناء عرفاً على بلوغ النهاية في ذلك الوصف اهـ.

وقد ألف شيخ شيوخنا الشمس محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي رسالة خاصة لما يتضمن هذا الإسم الكريم من المعاني والأسرار. (ﷺ) من الصلاة وهي من الله تعالى الرحمة، وتعلق لفظ على بها لتضمن معنى النزول والسلام التسليم من الآفات المنافية لغاية الكمال، وجمع بينهما

الشرائع إلا ما قرره منها. وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر. ومنع كمال

لكراهة إفراد أحدهما أي لفظاً لا خطاً أو مطلقاً، وقد تقدم البحث فيه في أوّل كتاب العلم في الخطبة. **(برسالته)** وهي السفارة بين الله وبين ذوي الألباب لإزاحة عللهم فيما يحتاجونه من مصالح الدارين **(إلى كافة)** قال الأزهري: هو مصدر على فاعلة كالعافية والعاقبة ولا يثنى ولا يجمع. وفي المصباح: وجاء الناس كافة. قيل منصوب على الحال نصباً لازماً لا يستعمل إلا كذلك وعليه قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ [سبأ: ٢٨] أي إلاّ للناس جميعاً. **(العرب والعجم والجن والإنس)**. وقال أبو البقاء: إضافة كافة إلى ما بعدها خطأ لأنه لا يقع إلا حالاً وإنما قيل: للناس كافة لأنه ينكف بعضهم إلى بعض، وبالإضافة تصير إضافة الشيء إلى نفسه اهـ.

هذا إذا أريد بالكافة الجماعة، وإذا ذهب به إلى أنه مصدر كما قاله الأزهري فلا يلزم منه إضافة الشيء إلى نفسه فتأمل. والعرب إسم مؤنث، ولهذا يوصف بالمؤنث فيقال: العرب العرباء والعرب العاربة، وهم خلاف العجم سموا بذلك لأنهم سكنوا بلاداً يقال لها العربات والخلاف في ذلك. وفي نسبهم بسطناه في شرح القاموس. والجن: بالكسر خلاف الإنس سموا بذلك لاستتارهم عن الأعين، كما أن الإنس من أنس إذا ظهر أو ألف، وتفصيل ذلك كله في شرح القاموس، ثم أن المراد بهذا التعبير أنه مبعوث إلى الثقلين الإنس والجن. والعرب والعجم داخلون في الانس، وقد يعبر عنهما بالأسود والأحمر، وكونه مبعوثاً إلى الثقلين خاصة اختاره الحليمي والبيهقي، بل حكى الفخر الرازي والنسفي عليه الاجماع، ومنهم من زاد والملائكة. وانتصر له السبكي مستدلاً بآية ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾ [الفرقان: ١] وخبر أرسلت إلى الخلق كافة، ونازع فيما حكي عن الحليمي بأن البيهقي نقله عنه وتبرأ منه، والحليمي وإن كان سنياً لكن وافق المعتزلة في تفضيل الملك على البشر، فظاهر حاله بناؤه عليه وبأن الاعتماد على تفسيرهما في حكاية إجماع انفردا بحكايته لا ينهض حجة عند أئمة النقل، لأن مدارك نقل الاجماع إنما تتلقى من كلام أصحاب المذاهب المتبوعة. ومن يلحق بهم في سعة دائرة الاطلاع والحفظ والاتقان والشهرة عند علماء النقل، **(فنسخ بشريعته)** الواضحة السهلة الغراء **(الشرائع)** المتقدمة كلها **(إلا ما قرره منها)** والنسخ رفع الحكم الشرعي بخطاب، **(وفضله على سائر الأنبياء)** بأنواع من الفضائل لخصوصية فضله بها في ذاته بها ارتفع كمالاً فوق المراتب الكمالية إنسانية كانت أو ملكية. قال الله تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾ [البقرة: ٢٥٣] ذلك البعض هو الحقيقة المحمدية، إذ هو أوّل نور تلقى من حضرة الوجوب، بل لا متلقى على الحقيقة إلا هو، فكان له ﷺ حيثيتان: حيثية ابتدائية وبها حصل الكمال الاختصاصي المتوحد، وحيثية انتهائية وبها حصل الكمال المتكثر الذي انقسم على الحقائق النبوية. وله عليه السلام منه الحظ الأوفر الجامع بين كمالاتهم كلهم، فمن حيث الكمال الاختصاصي كان رسولاً لجميع العالم، ومن حيث كماله الجمعي الاشتراكي كان رسولاً للإنس

الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول: « لا إله إلا الله » ما لم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك: « محمد رسول الله » وألزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة، وأنه لا يتقبل إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت، وأوّله سؤال

والجن. فاعلم من ذلك رسالته ﷺ العامة منه والخاصة وكماله الخصوصي المتحد وكماله العلمي المشترك أوليته وآخريته. **(وجعله سيد البشر)** ورئيسهم والفائق عليهم بالفضائل والكمالات، والسيد لغة هو الذي يفوق قومه أو ما هو من جنسه ونوعه، والسيد الرئيس والحكيم والسخي وقد ساد سيادة وسؤدداً، وكان ﷺ في كل أوصافه موصوفاً بالسيادة والتفوّق، وكان يقال له أيضاً: سيد قريش، وسيد العرب وفي شعر الأعشى:

يا سيد الناس وديان العرب

ويروى: يا ملك الناس. وأخرج مسلم في المناقب وأبو داود في السنّة عن أبي هريرة رفعه: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأوّل من ينشق عنه القبر » الحديث.

وأخرج الإمام أحمد، والترمذي في المناقب، وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري رفعه:« أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » الحديث. قال المناوي في شرحه: خصه لأنه يوم مجموع له الناس فيظهر سؤدده لكل أحد عياناً. وصف نفسه بالسؤدد المطلق المقيد للعموم في المقام الخطابي على ما تقرر في علم البيان، فيفيد تفوّقه على جميع ولد آدم حتى أولي العزم من الرسل واحتياجهم إليه. كيف لا وهو واسطة كل فيض وتخصيصه ولد آدم ليس للاحتراز فهو أفضل حتى من خواص الملائكة، كما نقل الإمام عليه الاجماع ومراده اجماع من يعتدّ به من أهل السنّة، **(ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد، وهو قول)** المؤمن **(« لا إله إلا الله » ما لم تقترن به شهادة الرسول)** الحق **(وهو قولك « محمد رسول الله »)** ﷺ، فصارت الكلمتان كلمة واحدة عبّر عنها بكلمة التوحيد والإخلاص، **(وألزم الخلق)** كلهم **(تصديقه)** وتلقيه بالقبول **(في جميع ما أخبر)** به **(وعنه من أمور الدنيا والآخرة)** أي المتعلقة بهما بعد أن خصه كما خص إخوانه من الأنبياء والرسل الكرام بالصدق والأمانة والتبليغ والفطانة. فهذه أربع صفات تجب في حقهم، فالصدق هو الاخبار بالحق الثابت في نفس الأمر أي كون ما بلغوا به عن الله تعالى موافقاً لما عند الله تعالى إيجاباً كان أو سلباً، والأمانة كونهم لا تصدر عنهم مخالفة أصلاً، وهي المعبر عند بعضهم بالعصمة والتبليغ هو أنهم بلغوا جميع ما أمروا به اعتقادياً كان أو عملياً ولم يكتموا منه شيئاً، والفطانة هي التيقظ لإلزام الخصوم وطرق إبطال تحيلهم ودعاويهم الباطلة، ولما فرغ من ذكر النبويات شرع في بيان السمعيات فقال: **(وأنه لا يتقبل ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به)** ﷺ **(بعد الموت)**. وفي ضمن ذلك اعتقاد حقيقة الموت وابتلائه به كل ذي روح، لأنه من مجوّزات العقول التي ورد الشرع بها فوجب اعتقادها، وهو كيفية وجودية تضاد الحياة فلا يعرى الجسم الحيواني عنهما ولا يجتمعان فيه. هذا قول الأشعري. وقيل: عدم الحياة عما

منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره سوياً ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له: من ربك وما دينك ومَن نبيك وهما فتّانا

من شأنه الحياة وهو قول الاسفراييني والأكثرين، وقال بعض الصوفية: ليس الموت بعدم محض ولا فناء صرف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقة وحيلولة بينهما وتبدل حال بحال وانتقال من دار إلى دار. ثم شرع المصنف في بيان ما أخبر به ﷺ للأحوال التي تعرض بعد الموت فقال: **(وأوّله سؤال منكر ونكير)**. ويتقدم على ذلك وجوب اعتقاد أن ملك الموت يقبض روح كل ذي روح، أي: يخرجها ويأخذها بإذن ربه من مقرها أو من يد أعوانه، والمراد جميع أرواح الثقلين والملائكة والبهائم والطير وغيرهم ولو بعوضة، بل قيل: حتى روح نفسه والأرواح: أجسام لطيفة متخللة في البدن تذهب الحياة بذهابها. وقيل: جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر، وبه جزم النووي. وملك الموت إسمه عزرائيل ومعناه عبد الجبار عظيم هائل المنظر رأسه في السماء العليا ورجلاه في تخوم الأرض السفلى، ووجهه مقابل اللوح المحفوظ والخلق بين عينيه، وله أعوان بعدد من يموت يترفق بالمؤمن ويأتيه في صورة حسنة. ومن ذلك أيضاً وجوب اعتقاد أن الأجل بحسب علم الله تعالى واحد لا تعدد فيه، وأن كل مقتول ميت بسبب انقضاء عمره وعند حضور أجله في الوقت الذي علم الله في الأزل حصول موته فيه بإيجاده تعالى وخلقه من غير منع ومدخلية للقاتل فيه لا مباشرة ولا توليد، أو انه لو لم يقتل لجاز أن يموت في ذلك الوقت وأن لا يموت من غير قطع بامتداد العمر ولا بالموت بدل القتل، ثم يجب اعتقاد أن السؤال في القبر حق أي أن الموتى تُسئل في قبورها بعد تمام الدفن وعند انصراف الناس بأن يعيد الله الروح إلى الميت جميعه وتكمل حواسه فيرد إليهم ما يتوقف عليه فهم الخطاب، ويتأتى معه الجواب من الحواس والعلم والعقل حتى يسأله الملكان، **(وهما شخصان)** أسودان أزرقان **(مهيبان هائلان)** أي: فظان غليظان شعورهما إلى أقدامهما تلمع النار بين أنيابهما يشقان الأرض بهما. كلامهما كالرعد القاصف، وأعينهما كالبرق الخاطف بأيديهما مقامع من حديد. **(يقعدان العبد في قبره)** أي: بعد تمام دفنه. هذا في حق المقبور وفي غيره بعد الموت **(سوياً)** تاماً **(ذا روح وجسد)** كامل الحواس، وأفتى الشمس الرملي بأن السؤال على الرأس وحده إن انفصل لوجود أدلة النطق، وأفتى الحافظ السيوطي بأن الميت إذا نقل لا يُسأل حتى يدفن. قال بعضهم: ومثله المصلوب، **(فيسألانه)** أو أحدهما يترفقان بالمؤمن وينتهران المنافق والكافر، ولو تمزقت أعضاؤه أو أكلته السباع في أجوافها. وكذا الغريق والحريق وإن ذري في الريح **(عن التوحيد)** أي: وحدانية الله تعالى، **(والرسالة)** أي: رسالة الأنبياء عليهم السلام وما بلغوا. وقال القرطبي: اختلفت الأحاديث في كيفية السؤال والجواب، وذلك بحسب الأشخاص، فمنهم من يُسأل عن بعض اعتقاداته، ومنهم مَن يُسأل عن كلها، اهـ.

وهذا السؤال خاص بهذه الأمة، والمراد بها أمة الدعوة، فيدخل المؤمنون والمنافقون والكافرون، وورد في حق جماعة أنهم لا يسألون كالمرابط والشهيد بأنواعه، والمراد به التخفيف

القبر، وسؤالها أوّل فتنة بعد الموت. وأن يؤمن بعذاب القبر، وأنه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء. وأن يؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في

لا مطلقاً. وفي سؤال الأطفال الوقف. وجزم السيوطي بعدم السؤال لعدم تكليفهم كالملائكة لا الجن، **(ويقولان له)**: كل أحد بلسانه أو بالسريانية أو بالعربية مطلقاً ثلاثة أقوال: **(من ربك)** الذي خلقك وسوّاك ورزقك، **(وما دينك)** الذي كنت عليه، **(ومن نبيك)** الذي أرسل إليك وأمرت باتباعه. ونقل السيوطي أن السؤال يقع بالسريانية وهذا صورته: اتره كاره اترح سالح حين وهي خمس كلمات تعريبها اتره: قم يا عبد الله: كاره: إلى ملائكة الله، اترح: ما كنت تصنع في دار الدنيا، سالح: من ربك وما دينك وعقيدتك. حين: ما هذا الذي مت عليه، **(وهما فتانا القبر)** مثنى فتان مبالغة في التفتين والامتحان، وقد يلحق بهما غيرهما من الصور الهائلة، فيقال للكل فتانات أعاذنا الله منها. **(وسؤالها أوّل فتنة بعد الموت)** يحصل في القبر أي هذا السؤال هو نفس الفتنة، وهي الاختبار والامتحان بالنظر إلى الميت أو إلينا أو إلى الملائكة لإحاطة علمه بكل شيء، **(وأن يؤمن بعذاب القبر)** ومنه ضغطته، وهو انضمام اللحد بعضه إلى بعض، ومنه الحديث: «لو سلم أحد من ضغطة القبر لسلم منها سعد». وفي رواية: لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه. وفي أخرى: لقد ضمه ثم فرج الله عنه، **(وأنه حق)** ثابت لما في حديث مسلم المرفوع «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل ﷺ بوجهه علينا فقال تعوّذوا بالله من عذاب القبر» الحديث. وفي البخاري، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً فذكر فتنة القبر التي يفتتن بها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة، ثم قال: **(و)** أنه **(حكمة)** من الله تعالى **(وعدل)** منه، لأنه مالك الأعيان حقيقة، وللمالك التصرف في ملكه كيف يشاء الأمر أمره والحكم حكمه لا يسئل عما يفعل **(على الجسم والروح)** معاً كما هو مذهب أهل السنّة **(على ما يشاء)** لمن يكون من أهل العذاب، وحكمة الله تعالى فيه اظهار ما كتمه العباد في الدنيا من كفر أو إيمان أو طاعة أو عصيان ليباهي الله بهم الملائكة أو ليفضحوا عندهم. ومجمل القول فيه: أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، وأضيف إلى القبر لأنه الغالب، والاّ فكل ميت أراد الله تعذيبه ناله ما أراده قُبِر أو لم يقبر، ومحله الروح والبدن جميعاً باتفاق، وبعد إعادة الروح إليه أو إلى جزء منه على قول من قال: إن المعذب بعض الجسد وهو قسمان: دائم وهو عذاب الكفار ومنقطع وهو عذاب العصاة، ومما يجب اعتقاده أن نعيم القبر حق لما ورد في ذلك من النصوص ولا يختص بمؤمني هذه الأمة، كما أنه لا يختص بالمقبور ولا بالمكلفين، فيكون لمن زال عقله أيضاً، وتعتبر الحالة التي زال عقله وهو عليها من كفر وإيمان ونحوهما. ومن نعيمه توسيعه وفتح طاق فيه من الجنة ووضع قنديل فيه وامتلاؤه بالروح والريحان وجعله روضة من رياض الجنة، وكل هذا محمول على الحقيقة عند العلماء، ومما يجب اعتقاده أن البعث حق وهو اعادتهم بعد إحيائهم بجميع أجزائهم الأصلية التي من شأنها

العظم أنه مثل طبقات السموات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى، والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقاً لتمام العدل، وتوضع صحائف الحسنات في صورة

البقاء من أوّل العمر إلى آخره. قد ورد بذلك الآيات والآثار، وأكثرها لا يحتمل التأويل لا فرق في ذلك بين من يحاسب كالمكلف وغيره، كما صححه النووي واختاره. والبعث والنشور عبارة عن معنى واحد وهو الإخراج من القبور بعد جمع جميع الأجزاء الأصلية وإعادة الروح إليها، وأن إعادة الأجسام عن عدم محض فيوجدها الله تعالى بعد انعدامها بالكلية، وقيل: عن تفريق محض فيذهب الله العين والأثر جميعاً بحيث لا يبقى في الجسم جوهران فردان على الاتصال، وعلى القول الأوّل يكون الجسم الثاني هو الأوّل المعدوم بعينه لا مثله، وفي إعادة العرض القائم بالأجسام تبعاً لمحله مذهبان: الأوّل: تعاد بأشخاصها التي كانت في الدنيا قائمة بالجسم حال الحياة وهو قول الأشعري، والثاني: امتناع إعادتها مطلقاً لأن المعاد إنما يعاد بمعنى فيلزم قيام المعنى بالمعنى وهو قول الفلاسفة، وبعض المعتزلة، والكرامية، والخوارزمي. والأوّل الراجح. وفي جواز إعادة الزمن قولان، ومما يجب اعتقاده أن اليوم الآخر حق وهو من يوم الحشر إلى ما لا يتناهى، أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ويدخل في جملة أمور الآخرة اعتقاد أن أخذ الصحف حق وهي كتب الأعمال التي تكتبها الملائكة ما فعلوها في الدنيا، والرافع للصحف الريح من خزانة تحت العرش، وأن كل أحد يدعى فيعطى صحيفته إما باليمين وهو المؤمن الطائع، أو بالشمال وهو الكافر، والمؤمن العاصي ملحق بالطائع على المشهور، ومن أمور اليوم الآخر الميزان وغيره، وقد ذكر ذلك في قوله: **(وأن يؤمن بالميزان)** والوزن: لغة معرفة كمية بأخرى على وجه مخصوص والحمل على الحقيقة ممكن، لكن نمسك على تعيين جوهره ونصب الموازين بعد الحساب، ثم عرف المصنف الميزان فقال: **(ذي الكفتين واللسان)** كفة للحسنات وهي من نور، والأخرى من ظلمة وهي للسيئات **(وصفته)** أي الميزان **(في العظم أنه)** أي كل كفة منه **(مثل طباق السموات والأرض)**. وفي حديث سلمان رضي الله عنه أنه قال: توضع الموازين يوم القيامة ولو وضعت فيهن السموات والأرض لوسعتهن، وفي حديث آخر: أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن شماله ويؤتى بالميزان فتنصب بين يدي الله تعالى كفة للحسنات عن يمين العرش مقابلة للجنة، وكفة للسيئات عن يسار العرش مقابلة للنار، ثم ان المشهور أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال، فما ورد بصيغة الجمع في الآيات والآثار للتعظيم. وقيل: يجوز أن يكون للعامل الواحد موازين يوزن بكل منها صنف من عمله **(توزن فيه الأعمال)** أي أعمال العباد المكلفين، فخرج بذلك الملائكة لأنه فرغ عن الحساب وعن كتابة الأعمال خصوصاً على القول بأن الصحف هي التي توضع في الميزان كما يأتي، وكذا خرج منه الأطفال والأنبياء عليهم السلام تشريفاً لقدرهم، وكذا من يدخل من الباب الأيمن من هذه الأمة كما ورد في حديث: **(بقدرة الله تعالى)** ولطيف حكمته وبديع صنعته، والممسك للميزان جبريل عليه السلام، **(والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل)**. الصنج: بالصاد والسين

حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيئات في صورة قبيحة في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله، وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحدّ من السيف وأدق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه، فتهوي بهم إلى النار وتثبت عليه

المهملتين لغتان والنون ساكنة وآخرها جيم معربة. يقال: اتزن مني بالصنجة الراجحة. وأنكر الجوهري السين، والمثاقيل جمع مثقال، والذر ما يرى في ضوء الشمس، والخردل معروف. (**تحقيقاً لتمام**) صفة (**العدل**) بمقتضى الحكمة، وهل الموزون الكتب التي اشتملت على أعمال العباد أو أعيان الأعمال قولان.

الأول: ذهب إليه جمهور المفسرين، والإمام أبو المعالي، واستقر به ابن عطية، وأشار إليه المصنف بقوله: (**وتطرح صحائف الحسنات**) وهي الأعمال الصالحة بعد أن تصوّر (**في صورة حسنة**) نورانية (**في كفة النور**) وهي اليمنى المعدة للحسنات، (**فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله تعالى بفضل الله**) سبحانه وتعالى، (**وتطرح صحائف السيئات**) وهي الأعمال السيئة بعد أن تصور (**في صورة قبيحة**) ظلمانية (**في كفة الظلمة**) وهي الشمال المعدة للسيئات، (**فيخف بها الميزان بعدل الله**) سبحانه وتعالى، ولا يمتنع قلب الحقائق خرقاً للعادة. وقيل: يخلق الله أجساماً على عدد تلك الأعمال من غير قلب لها. ومن فوائد الوزن امتحان العباد بالإيمان بالغيب في الدنيا، وجعل ذلك علامة لأهل السعادة والشقاوة، وتعرف العباد ما لهم من الجزاء على الخير والشر وإدامة الحجة عليهم والله الموفق.

(**وأن يؤمن بأن الصراط حق**) ثابت بالكتاب والسنّة وإجماع الأمة (**وهو**) لغة الطريق الواضح، لأنه يبلغ المارة، وشرعاً (**جسر ممدود على متن جهنم**) يرده الأوّلون والآخرون ذاهبين إلى الجنة لأن جهنم بين الموقف والجنة (**أحدّ من السيف وأدق من الشعر**). ومذهب أهل السنّة بقاؤه على ظاهره مع تفويض علم حقيقته إليه سبحانه وتعالى خلافاً للمعتزلة، وطوله ثلاثة آلاف سنة. ألف صعود وألف هبوط وألف استواء، وجبريل في أوّله وميكائيل في وسطه، وفي حافتيه كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، وفيه سبع قناطر يسأل العبد عند كل واحد عن نوع من العبادات، ومرور العباد عليه متفاوت في سرعة النجاة وعدمها، وهم فريقان. وقد أشار إلى ذلك المصنف بقوله: (**تزل به أقدام الكافرين**) والمنافقين (**بحكمة الله تعالى فتهوي به في النار**) اما على الدوام والتأبيد كهؤلاء، واما إلى مدة يريدها الله تعالى ثم ينجو كبعض عصاة المؤمنين من قضى الله عليه بالعذاب هذا القسم الأوّل.

وأشار إلى القسم الثاني بقوله: (**وتثبت عليه أقدام المؤمنين**) وهم أهل رجحان الأعمال

أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار، وأن يؤمن بالحوض المورود حوض محمد ﷺ يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط. من شرب منه

الصالحة والسالمون منهم من السيئات ممن خصهم الله بسابقة الحسنى (**بفضل الله تعالى**)، وهم الذين يجوزون كطرفة العين وبعدهم كالبرق الخاطف، وبعدهم كالريح العاصف، وبعدهم كالطير، وبعدهم كالجواد السابق، ثم الجواز سعياً ومشياً وحبواً على حسب تفاوت الأعمال، ويتسع الصراط ويدق بحسب انتشار النور وضيقه، ومن هنا كان دقيقاً في حق قوم وعريضاً في حق آخرين وهو واحد في نفسه، (**فيساقون إلى دار القرار**) أي: الجنة. والحكمة فيه ظهور النجاة من النار، وان تصير الجنة أسر لقلوبهم وليتحسر الكافر بفوز المؤمنين بعد إشتراكهم في العبور، ومما يجب اعتقاده أن العرش حق ثابت وهو جسم عظيم نوراني علوي محيط بجميع الأجسام، وهو أوّل مخلوق لله تعالى في قول، ومما يجب اعتقاده أن الكرسي حق ثابت وهو جسم عظيم نوراني بين يدي العرش ملتصق به فوق السماء السابعة وهو غير العرش على الصحيح، ومما يجب اعتقاده أن القلم حق ثابت وهو عظيم نوراني خلقه الله تعالى وأمره بكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، ومما يجب اعتقاده أن اللوح حق ثابت وهو جسم عظيم نوراني كتب فيه القلم بإذن الله تعالى ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، ومما يجب اعتقاده أن كلاً من الكاتبين على العباد أعمالهم في الدنيا، والكاتبين في اللوح المحفوظ ما في صحف الملائكة الموكلين بالتصرف في العالم، والكاتبين في صحف الحفظة كتاباً يوضع تحت العرش حق ثابت، (**وأن يؤمن بالحوض المورود**) وهو (**حوض**) نبينا (**محمد ﷺ**) الذي يعطاه في الآخرة، وهو جسم مخصوص متسع الجوانب ترده هذه الأمة. وعند مسلم من حديث أنس في نزول ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ «هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة» وعندهما من حديث ابن مسعود، وعقبة بن عامر، وجندب، وسهل بن سعد: «أنا فرطكم على الحوض». ومن حديث ابن عمر «أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح». وقال الطبراني: «كما بينكم وبين جرباء وأذرح» وهو الصواب. وذكر الحوض في الصحيح من حديث أبي هريرة، وأبي سعيد، وعبدالله بن عمرو، وحذيفة، وأبي ذر، وجابر بن سمرة، وحارثة بن وهب، وثوبان، وعائشة، وأم سلمة، وأسماء. وقد خرج أحاديثه الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في جزء استوعب فيه، وظواهر الأحاديث أنه بجانب الجنة كما قاله الحافظ ابن حجر، (**ويشرب منه المؤمنون**) الذين وفوا بعهد الله وميثاقه، وماتوا على ذلك لم يغيروا ولم يبدلوا. وهذا الوصف وإن شمل جميع مؤمني الأمم السابقة، لكنه خلاف ظواهر الأحاديث أنه لا يرده إلا مؤمنو هذه الأمة لأن كل أمة إنما ترد حوض نبيها، وتخصيص حوض نبينا ﷺ بالذكر لوروده بالأحاديث البالغة مبلغ التواتر بخلاف غيره لوروده بالآحاد (**قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط**) على الصحيح، ولكن جهل تقدمه على الصراط أو تأخره عنه لا يضر بالاعتقاد، وإنما الواجب اعتقاد ثبوته (**من شرب**

شربة لم يظمأ بعدها أبداً، عرضه مسيرة شهر، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل. حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء. فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر، وأن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه إلى مناقش في الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون، فيسأل الله تعالى من شاء من الأنبياء عن تبليغ

منه **شربة لم يظمأ)** أي لم يعطش **(بعدها)** أي بعد تلك الشربة **(أبداً عرضه ميسرة شهر، ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل. حوله أباريق عدد نجوم السماء)**، ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما رفعه: « حوضي ميسرة شهر زواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبداً » ولهما في حديث أنس: « فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء » وفي رواية لمسلم « أكثر من عدد نجوم السماء » وفي رواية أخرى: « له عدد النجوم » وفيما أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام من صفة نبينا عليه الصلاة والسلام: له حوض أبعد من مكة الى مطلع الشمس، فيه آتية مثل عدد نجوم السماء وله لون كل شراب الجنة وطعم كل ثمار الجنة. **(فيه ميزابان يصبان من الكوثر)**. وفي صحيح مسلم من حديث ثوبان « يصب فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق ». ويروى أن الصحابة قالوا يا رسول الله: أين نطلبك يوم المحشر؟ فقال: « على الصراط فإن لم تجدوني فعلى الميزان فإن لم تجدوني فعلى الحوض ». وفي هذا تنبيه على ترتيب الصراط والميزان والحوض، وهي مسألة توقف فيها أكثر أهل العلم. **(وأن يؤمن بالحساب)** جاء ذكره في حديث عمر رفعه. أخرجه البيهقي في البعث، وهو توقيف الله عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم، وأوّل من يحاسب هذه الأمة، **(وتفاوت فيه الناس إلى مناقش في الحساب)** ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: « من نوقش الحساب عذب. قالت: قلت أليس يقول الله تعالى: ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ [الانشقاق: ٨] قال: ذلك العرض ». **(وإلى مسامح فيه)** كل ذلك بكيفية مختلفة فمنه اليسير والعسير والسر والجهر والتوبيخ والفضل والعدل، **(وإلى من يدخل الجنة بغير حساب)** كالسبعين ألفاً **(وهم المقربون)**، وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه فلا يحاسب لما روي مرفوعاً عن عائشة رضي الله عنها « الناس كلهم يحاسبون إلا أبا بكر » وفي الصحيحين من حديث ابن عباس « عرضت علي الأمم فقيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ». ولمسلم من حديث أبي هريرة وعمران بن حصين « يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب » زاد البيهقي في البعث من حديث عمرو بن حزام « وأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً » زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر بعد هذه الزيادة قال عمر: « فهلا استزدته ». قال: « قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً » قال عمر: فهلا استزدته؟ قال « قد استزدته فأعطاني هكذا » وفرج عبد الله بن بكر بين يديه الحديث،

الرسالة، ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين، ويسأل المبتدعة عن السنّة. ويسأل المسلمين عن الأعمال، وأن يؤمن بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يخلد في النار موحد. وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين. كل على حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى، ومن

(فيسأل الله تعالى من يشاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة، ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين) ففي البخاري من حديث أبي سعيد رفعه « يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته، فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته ». الحديث. ولابن ماجة « يجيء النبي يوم القيامة » الحديث وفيه فيقال: « هل بلغت قومك » الحديث. **(ويسأل المبتدعة عن السنّة)** فعند ابن ماجه من حديث عائشة « من تكلم في شيء من القدر سئل عنه يوم القيامة، ومن حديث أبي هريرة « ما من داع يدعو إلى شيء إلا وقف يوم القيامة لازماً لدعوة ما دعا إليه وإن دعا رجل رجلاً » **(ويسأل المسلمين عن الأعمال)** قولاً كانت أو فعلاً أو اعتقاداً مكسوبة أولاً بعد أخذها كتبها خيراً كانت أو شراً تفصيلاً لا بالوزن، وعند أصحاب السنن الأربعة من حديث أبي هريرة « أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته » الحديث. وسيأتي في الصلاة. **(وأن يؤمن باخراج عصاة الموحدين من النار)** هي دار العذاب بجميع طباقها السبع ولا جر لها سوى بني آدم والأحجار المتخذة آلهة من دون الله. قيل وكذا أحجار الكبريت لشدة اتقادها **(بعد الانتقام)**، ولا يدوم عذابهم مدة بقائهم بل يموتون بعد الدخول لحظة مّا يعلم الله مقدارها فلا يحيون حتى يخرجوا منها، **(حتى لا يبقى في جهنم)** وهي الطبقة العليا من النار وهي التي فيها العصاة من الموحدين، وهذه الطبقة هي التي تخلى وأما ما عداها فلا تخلى من أهلها معذبين فيها تخليداً كتخليد أهل الجنة، وينبت على شفير الطبقة العليا فيما قيل الجرجير. **(موحد)** بفضل الله تعالى، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة في حديث طويل « حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله» الحديث. وفي حديث عبد الله بن عمرو « يأتي على النار زمان تخفق الرياح أبوابها ليس فيها أحد. يعني من الموحدين أهل الطبقة العليا فإذا لم يبق فيها أحد غير الكفار أتي بالموت في صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار، ويعرفه كل أحد من الفريقين» كما في السنن الأربعة. **(وأن يؤمن بشفاعة الأنبياء)** عليهم الصلاة والسلام، **(ثم العلماء ثم الشهداء)** هكذا أخرج ابن ماجه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه رفعه: « وفيه يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » وقد تقدم في كتاب العلم.

واعلم أن الشفاعة لغة الوسيلة والطلب وعرفاً سؤال الخير للغير، وهنا واجبات ثلاثة يتعين اعتقادها على كل مكلف. **الأوّل:** كونه ﷺ شافعاً. **والثاني:** كونه ﷺ مشفعاً أي مقبول

بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد في النار مؤمن، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان. وأن يعتقد فضل الصحابة رضي

الشفاعة. **والثالث:** كونه ﷺ مقدماً على غيره من جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة، فيتعين اعتقاد أنه ﷺ وإن كان له شفاعات إلا أن أعظمها شفاعته ﷺ المختصة به للاراحة من طول الموقف، وهي أول المقام المحمود، **ثانيها:** في ادخال قوم الجنة بغير حساب وهي مختصة به ﷺ كما قاله النووي، **ثالثها:** فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها. وتردد النووي في اختصاصها به ﷺ. قال السبكي: لأنه لم يرد نص صريح بثبوت الاختصاص ولا بنفيه. **رابعها:** في اخراج الموحدين من النار، ويشاركه في هذه الأنبياء والملائكة والمؤمنون، وفصّل القاضي عياض فقال: إن كانت هذه الشفاعة لإخراج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان اختصت به ﷺ وإلاّ شاركه غيره فيها. **خامسها:** في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها. وجوّز النووي اختصاصها به ﷺ. **سادسها:** في جماعة من صلحاء أمته ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات. **سابعها:** فيمن دخل في النار من الكفار أن يخفف عنهم العذاب في أوقات مخصوصة كما في حق أبي طالب وأبي لهب. **ثامنها:** في أطفال المشركين أن لا يعذبوا ذكره الجلال السيوطي، وإياك واعتقاد امتناع شفاعته ﷺ في أهل الكبائر وغيرهم لا قبل دخولهم النار ولا بعده، ومما يجب اعتقاده شفاعة غيره ﷺ من الأنبياء والمرسلين والملائكة، **(ثم سائر المؤمنين)** يشفع **(كل على حسب جاهه وقدر منزلته)** ومقامه **(عند الله تعالى)** في أرباب الكبائر، كما جاء في الأخبار الدالة على ذلك، **(ومن بقي من المؤمنين)** في النار **(ولم يكن له شفيع)** خاصة. **(أخرج بفضل الله عز وجل)** ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد: «فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج قوماً لم يعملوا خيراً قط» الحديث. **(فلا يخلد في النار مؤمن، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)**. ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان» وفي رواية: «من خردل من خير». وقد استنبط المصنف من قوله: اخرجوا من كان الخ نجاة من أيقن بالإيمان وحال بينه وبين النطق به الموت قال: وأما من قدر على النطق ولم يفعل حتى مات مع إيقانه بالإيمان بقلبه، فيحتمل أن يكون امتناعه منه بمنزلة امتناعه عن الصلاة فلا يخلد في النار ويحتمل خلافه، ورجح غيره الثاني فيحتاج إلى تأويل ثم ينبغي أن يعلم أنه لا يشفع واحد ممن ذكر إلا بعد انتهاء مدة المؤاخذة.

تنبيه:

هذه الأمور السمعية التي تقدم بيانها يتحد فيها المتكلم والصوفي والمحدث، إذ مبادئها هو النقل إذ النظر إنما هو في وقوعها، وأما جوازها فضروري، والعقل لا يهتدي إلى وقوع جائز

الله عنهم وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد النبي ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم. وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله ﷺ عليهم أجمعين، فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار، فمن اعتقد جميع ذلك موقناً به كان من أهل الحق وعصابة السنّة وفارق رهط الضلال وحزب

فاضطروا جميعا إلى السمع، وان كان الصوفي يزيد عليها بالكشف إلا ان الكشف قاصر حكمه عليه فلا يتعدى العلم المستفاد منه إلى غيره.

ولما فرغ المصنف من ذكر السمعيات شرع في ذكر لواحق المعتقد فقال: **(وان يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم ورتبتهم)** ودرجاتهم ومنازلهم فيعطى كلاً منهم ما يستحقه من التعظيم، **(و)** يعتقد **(أن أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر)** الصديق، **(ثم عمر)** بن الخطاب، **(ثم عثمان)** بن عفان، **(ثم علي)** بن أبي طالب **(رضي الله عنهم)** هكذا ترتيب أفضليتهم على ترتيب خلافتهم. هكذا أجمع عليه أهل السنّة إذ المسلمون كانوا لا يقدمون أحداً في الإمامة تشهياً منهم، وإنما يقدمونه لاعتقادهم أنه أفضل وأصلح للأمة من غيره، وفي البخاري من حديث ابن عمر قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان، ولأبي داود: كنا نقول ورسول الله ﷺ حي أفضل أمة النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان. زاد الطبراني ويسمع ذلك رسول الله ﷺ فلا ينكره. **(وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله ﷺ عليهم أجمعين)**. أما ثناء الله عز وجل عليهم بعمومهم وخصوصهم ففي آي من القرآن وشهدت نصوصه بعدالتهم والرضا عنهم ببيعة الرضوان، وكانوا حينئذ أكثر من ألف وسبعمائة وعلى المهاجرين والأنصار خاصة بقوله تعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ وقوله تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين﴾ الآيات.

وعند الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي» وللشيخين من حديث أبي سعيد: «لا تسبوا أصحابي» وللطبراني من حديث ابن مسعود: «إذا ذكر أصحابي فامسكوا». ومناقب الصحابة وفضائلهم عديدة، وحقيق على المتدين أن يستصحب لهم ما كانوا عليه في عهد رسول الله ﷺ فإن نقلت هناة فليتدبر العاقل النقل وطريقه، فإن ضعف ردّه وإن ظهر وكان آحاداً لم يقدح فيما علم تواترا وشهدت به النصوص، **(فكل ذلك)** أي مما ذكره من قواعد العقائد **(مما وردت به الأخبار)** من روايات الأئمة الكبار **(وشهدت به)** أي بصحته **(الآثار)** من السلف الأخيار، **(فمن اعتقد جميع ذلك)** جلة وتفصيلاً **(موقناً به)** معتمداً عليه **(كان من أهل الحق)**، وهو عبارة عن كل ما يحسن اعتقاده فالمعنى كان من الذين حسنت عقائدهم، **(وعصابة السنة)** أي جماعتها. والسنّة طريقة النبي ﷺ وطريقة أصحابه، **(وفارق رهط الضلال)** الرهط: ما دون العشرة من الرجال، وقيل: من سبعة إلى عشرة، وقيل: إلى أربعين. والضلال عن الطريق المستقيم وتضاده الهداية،

البدعة. فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى.

الفصل الثاني

في وجه التدريج إلى الارشاد وترتيب درجات الاعتقاد:

اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أوّل نشأه ليحفظه حفظاً ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئاً فشيئاً، فابتداؤه الحفظ، ثم الفهم ثم

(**وحزب البدعة**) أي أنصارها، والبدعة الفعلة المخالفة للسنّة، أو ان المراد بالحزب الجماعة فيكون بحذف مضاف أي جماعة أهل البدعة، والمراد بهم فرق الضلال المبتدعة كالمعتزلة والخوارج والكرامية والروافض بأنواعها وأقسامها: (**فنسأل الله**) سبحانه وتعالى من فضله (**كمال اليقين**) في مراتب الايمان والإحسان (**والثبات في الدين**)، والمراد في العقائد المتعلقة بالدين، ونسأل ذلك كذلك (**لكافة المسلمين**) وعامتهم (**أنه**) جل وعز (**أرحم الراحمين**) يجيب دعوة الداعين، (**وصلى الله على سيدنا**) ومولانا وهادينا (**محمد وعلى آله وعلى كل عبد مصطفى**) هكذا في بعض النسخ. وفي بعضها انتهاء الكلام إلى قوله أرحم الراحمين. فتكون هذه الجملة من زيادة النساخ، وقد جرت العادة في الختم به تبركاً والله أعلم.

وهذا آخر شرح كتاب قواعد العقائد فرغت من تحريره بعد صلاة الظهر من يوم الخميس لليلتين بقيتا من ربيع الأوّل سنة ١١٩٣ بمنزلي بسويقة لا لا من مصر. اللهم يسر لنا اتمام ما بقي. قال مؤلفه: وكتبه العبد المقصر المذنب أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله له بمنه وكرمه حامداً لله ومصلياً ومسلماً ومستغفراً انتهى. بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً الله ناصر كل صابر.

الفصل الثاني

من الفصول الأربعة:

(**في**) بيان (**وجه التدريج**) والتمهل (**إلى الإرشاد**) والهداية (**وترتيب درجات الإعتقاد**) بالنسبة إلى أهل البداية والتوسط والنهاية.

(**أعلم أن ما ذكرناه**) آنفاً (**في ترجمة العقيدة**) المختصرة (**ينبغي أن يقدم**) ذلك (**إلى الصبي**) وهو الغلام الصغير بتعليمه إياها (**في أول نشأه**) أي في حال صباه (**ليحفظه**) في صدره (**حفظاً**) يأمن به عن الإغفال عنه ويتمكن ذلك المحفوظ في باطنه حتى يكون نقشاً على الحجر ولا يطرأ عليه ما يخالفه، (**ثم لا يزال**) مستمراً على ذلك حتى (**ينكشف له معناه**)

الاعتقاد والايقان والتصديق به، وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان، فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشئه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان، وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مبادئها التلقين المجرد والتقليد المحض؟ نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه، فلا بد من تقويته واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل. وليس الطريق في تقويته واثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه

وسره وحقيقته (**في**) حالة (**كبره**) وهو البلوغ وما بعده (**شيئاً فشيئاً**) وهذا هو التدريج والترتيب المشار إليها (**فابتداؤه**) في حقه وحق غيره (**الحفظ**) بضبط صورها المدركة في النفس وبتعهدها ورعايتها، (**ثم الفهم**) بالتحقق في معانيها، (**ثم الإعتقاد**) أي عقد القلب بإثباتها في النفس (**والإيقان**) بها (**والتصديق**) لما فيها. فهذه ثلاث مراتب. **الأولى**: الفهم أي لمعانيها الحاصلة من ظواهر تلك الألفاظ. **الثانية**: عقد القلب على ذلك المعنى الذي فهمه. **الثالثة**: التصديق بذلك بأنه حق بالمعنى الذي أراده الله ورسوله على الوجه الذي قاله وإن كان لا يقف على حقيقته، فالتصديق لا يكون إلا بعد التصور والإيمان إنما يكون بعد التفهيم، ولا يعتقد صدق قائلها فيها إلا إذا فهم معاني ألفاظها، فلذلك قدم الفهم على الإعتقاد على التصديق، (**وذلك**) القدر (**مما يحصل**) ويتيسر (**في الصبي**) والعامي (**بغير برهان**) ودليل، (**فمن فضل الله تعالى**) وكمال نعمته (**على قلب الإنسان شرحه**) وانفساحه (**في أول نشئه**) وظهوره (**إلى الإيمان من غير حاجة إلى**) إقامة (**حجة**) على إثباته (**أو برهان**) بإيراد الأدلة الذي يقتضي الصدق أبداً لأن التصديق بالأمور الجملية ليس بمحال، وكل عاقل يعلم أنه أريد بهذه الألفاظ معان وأن كل اسم فله مسمى إذا نطق به من أراد مخاطبة قوم قصد ذلك المسمى فيمكنه أن يعتقد كونه كاذباً مخبراً عنه على خلاف ما هو عليه، ويمكنه أن يعتقد كونه صادقاً مخبراً عنه على ما هو عليه، فهذا معقول على سبيل الإجمال يمكن أن يفهم من هذه الألفاظ أموراً جلية غير مفصلة ويمكنه التصديق بها، (**وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام**) من السوقة وأهل البادية (**مبادئها التلقين المجرد**) عن الأدلة (**والتعليم المحض**) الخالص من غير أن يشوبه شيء آخر سواه. (**نعم يكون الإعتقاد المحض الحاصل بمجرد التقليد**) للغير (**غير خال من نوع من الضعف**) والوهاء (**في الإبتداء**) أي في أول الأمر لكن (**على معنى أن يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقى إليه فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترشح**) ذلك فيه (**فلا يتزلزل**) بالإضطراب، (**وليس الطريق في تقويته وإثباته**) في نفسها (**أن يعلم**) كل منهما (**صنعة الجدل والكلام**) كما هو المتبادر إلى الأذهان إذ الكلام والجدل علم لفظي وأكثره احتمال وهمي وهو عمل النفس وتخليق الفهم، (**بل**) طريقه اللائق لأحواله أن (**يشتغل**

ويشتغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يـرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها وبما يسري إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيئاتهم في الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له، فيكون أول التلقين كإلقاء بذر في الصدر، وتكون هذه الأسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة، فإن ما يشوّشه الجدل أكثر مما يمهده وما

بقراءة القرآن). وفي نسخة: بتلاوة القرآن وهي والقراءة مترادفان، ومنهم من فرق بينهما كما تقدم آنفاً. وهذا الإشتغال أعم من أن يكون حفظاً في الصدر أو التكرار فيه **(و)** معرفة **(تفسيره)** أي: الكشف عن معاني ظواهر ألفاظه على قدر ما يصل إليه فهمه **(و)** أن يشتغل في **(قراءة الحديث)** المجموع في كتب معلومة موثوق بها ويمضي فيها بتلقي ذلك عن الشيوخ المعروفين بحملها **(و)** معرفة **(معانيه)** الظاهرة للافهام، **(و)** أن **(يشتغل)** مع ذلك **(بوظائف العبادات)** وأجلها المحافظة على الفرائض بواجباتها وأركانها وسننها، ولم يذكر الإشتغال بعلم الفقه لأنه حاصل من القرآن والحديث إذ كتب الحديث المؤلفة غالبها على ترتيب أبواب الفقه، وأن يشتغل في أثناء ذلك بمجالسة الأخيار الصالحين من أهل المعارف والأذواق الذين سيماهم في وجوههم من أثر السجود، وإذا ذكر الله **(فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً)** وثباتاً **(بما يقرع سمعه من أدلة القرآن)** الباهرة وحججه القاهرة وقرعها للسمع كناية عن وصولها إليه بشدة، **(وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث)** الدالة على المقصود **(وفوائدها)** المستنبطة فيها، **(وبما يسطع عليه)** أي على قلبه ويلوح **(من أنوار العبادات)** أي الحاصلة منها **(و)** من **(وظائفها)** اللائحة على ظاهره وباطنه، فمن كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار أي وجه قلبه **(وبما يسري إليه من)** بركات **(مشاهدة الصالحين)** من عباد الله **(ومجالستهم)** وملاحظتهم ومؤانستهم وآدابهم **(وسيماهم)** الظاهر المعمور بالأنوار **(وهيئاتهم)** في حركاتهم وسكناتهم **(في الخضوع لله تعالى)** بسكون الجوارح وتلقي الواردات الإلهية **(والخوف منه)** والإستشعار بهيبته **(والإستكانة)** أي: التذلل وشغل اللسان بذكره وحفظ القلب عن حضور ما سواه فيه، **(فيكون من أول اليقين كإلقاء بذرفي)** أرض **(الصدر، وتكون هذه الأسباب)** المذكورة بجملتها **(كالسقي والتربية له)**. فشواهد القرآن والحديث بمنزلة الماء لذلك البذر، ومنها حياته الأصلية إذ لولاها لذوي، وأنوار العبادات ومجالسة الأخيار بمنزلة التربية له بحفظه عما يضره **(حتى ينمو ذلك البذر)** نمواً ظاهراً **(ويقوي)** أصله **(ويرتفع)** على ساق المتانة **(شجرة طيبة)** نافعة **(راسخة)** قوية **(أصلها ثابت)** في أرض القلب **(وفرعها)** الزاكي مرتفع **(في السماء)** تجتني منها المعارف والإهتداء، **(وينبغي أن يحرس)** أي يصان **(سمعه)** في أثناء ذلك **(من)** طرق **(الجدال)** والمخاصمات **(والكلام)**

يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها ، وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب. والمشاهدة تكفيك في هذا بياناً فناهيك بالعيان برهاناً. فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من

والمناقضات (**غاية الحراسة**) على قدر الإمكان، (**فإن ما يشوشه الجدل**) والكلام (**أكثر مما يمهده**) ويوطئه (**وما يفسده أكثر مما يصلحه**) نظراً إلى ما يودع في قلبه شبهاً للخصوم، فربما أنها لا تزول وتبقى آثارها فيتعلق قلبه بها ، فهذا أول إفساده له ، وأما ما يترتب عليه بعد ذلك فأكثر من أن يذكر ، (**بل تقويته بالجدل يضاهي**) أي يشابه (**ضرب الشجرة بالمدقة**) بكسر الميم (**من الحديد**) ، أو بإيداع المسامير فيها (**رجاء تقويتها فإن تكسير أجزائها**) بآلات الحديد (**ربما تفتتها وتكسرها**) وفي نسخة: ويفسدها أي يكون سبباً لتكسير كلها وإعدامها بالمرة (**وهو الأغلب**) في الأحوال، (**والمشاهدة تكفيك في هذا بياناً**) واضحاً. (**وناهيك بالعيان**) أي المعاينة (**برهاناً**) جلياً لا يحتاج إلى تقريره ببرهان آخر.

قال المصنف في الجام العوام: فإن قلت: إن لم ينصرف قلب العامي عن التفكر لتشوفه إلى البحث فما طريقه؟ فأقول: طريقه أن يشغل نفسه بالعبادة وقراءة القرآن والذكر ، وإن لم يقدر فبعلم آخر لا يناسب هذا الجنس من لغة أو نحو أو حساب أو طب أو فقه، فإن لم يمكنه فبحرفة أو صناعة ولو الحراثة أو الحياكة، فإن لم يقدر فبلعب أو لهو ، فإن لم يقدر فيحدث نفسه هول القيامة والحشر والنشر والحساب، وكل ذلك خير له من الغوص في هذا البحر البعيد عمقه العظيم خطره وضرره، بل لو اشتغل العامي باللهو لا بالعبادات البدنية ربما كان أسلم له من أن يخوض في البحث عن معرفة الله تعالى، فإن ذلك عاقبته الفسق وهذا عاقبته الشرك ﴿فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء : ٤٨] .

فإن قلت: العامي إذا لم تستكن نفسه إلى الإعتقادات الدينية إلا بدليل، فهل يجوز أن يذكر له الدليل، فإن جوزت ذلك فقد رخصت له في التفكر والنظر وأي فرق بين هذا النظر وغيره، وإن منعت منه فكيف تمنعه ولا يتم إيمانه إلا به؟ فالجواب: إني أجوز له أن يسمع الدليل على معرفة الخالق ووحدانيته وعلى صدق الرسول وعلى اليوم الآخر وأن لا يماري فيه إلا مراء ظاهراً ولا يتفكر فيه إلا تفكراً سهلاً جلياً ، ولا يمعن في التفكر ولا يوغل فيه غاية الايغال في البحث، وأدلة هذه الأمور الأربعة مذكورة في القرآن وهي قريبة من خمسمائة جمعناها في جواهر القرآن، فلا ينبغي أن يزاد عليه.

فإن قيل: هذه هي الأدلة ولا يمنعون عنها وكل ذلك يدرك بنظر العقل وتأويله، فإن فتح للعامي في باب النظر فليفتح مطلقاً أو يسد مطلقاً بطريق النظر ، وليكلف ليقلد من غير نظر؟ فالجواب: أن الأدلة تنقسم إلى ما يحتاج فيه إلى تفكر وتدقيق خارج عن تدقيق العامي وقدرته، وإلى ما هو جلي سابق إلى الإفهام ببادىء الرأي وأقل النظر ، بل يشترك كافة الناس بسهولة لا خطر فيه، وما يفتقر إلى التدقيق فليس على قدم وسعة، فأدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل

عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق، وعقيدة المتكلم الحارس واعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد، فتلقفه تقليداً كما تلقف نفس الاعتقاد تقليداً إذ لا فرق في التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم المدلول، فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه، ثم الصبي إذا وقع نشوءه على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد أهل الحق، إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق

إنسان، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الأكثرون، بل أدلة القرآن كالماء ينتفع به الصبي والرجل القوي، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة ويمرضون بها أخرى ولا ينتفع بها الصبيان أصلاً، ولهذا قلنا أن أدلة القرآن أيضاً ينبغي أن يصغي إليها إصغاءه إلى كلام جلي، ولا يماري فيه إلا مراءً ظاهراً. ولا يكلف نفسه تدقيق الفكر وتحقيق النظر، وما أحدثه المتكلمون من تفسير وسؤال وتوجيه إشكال ثم اشتغاله بحله فهو بدعة وضرره في حق عموم الخلق ظاهر، فهذا الذي ينبغي أن يتوقى، والدليل على تضرر الخلق به المشاهدة والتجربة، وما ثار من الفتن بين الخلق منذ نبغ المتكلمون وفشا صناعة الكلام مع سلامة العصر الأول عن مثل ذلك ودليله أنهم ما خاضوا في ذلك ولا سلكوا مسلك المتكلمين في تقسيماتهم وتدقيقاتهم لا لعجز منهم عن ذلك، ولو علموا أن ذلك نافع لأطنبوا فيه وخاضوا في تحرير الأدلة خوضاً يزيد على خوضهم في مسائل الفرائض.

(**فقس عقيدة أهل الصلاح**) والرشد (**والتقى من عوام الناس**) وطائعها (**بعقيدة المتكلمين والمجادلين**) أي علماء الكلام والجدل، (**فترى اعتقاد العامي**) منهم (**في الثبات**) والرسوخ (**كالطود الشامخ**) أي الجبل العالي الذي (**لا تحركه الدواهي**) أي الشدائد (**والصواعق**) جمع صاعقة، (**و**) ترى (**عقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل**) وأنواعه بالأدلة العقلية الجدلية (**كخيط مرسل في الهواء تفيئه**) أي تحركه (**الريح**) وفي نسخة: الرياح (**مرة هكذا ومرة هكذا**)، فأمره إلى غاية الضعف (**إلا من سمع منهم دليل الإعتقاد فتلقفه**) أي تلقاه وتلقنه (**تقليداً كما تلقف نفس الإعتقاد**) كذلك (**تقليداً، ولا فرق في التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم**) نفس (**المدلول**) الذي أقيم عليه ذلك الدليل، (**فتلقين الدليل شيء والإستقلال بالنظر**) والبحث فيه (**شيء آخر بعيد عنه**) وهذا ظاهر. (**ثم الصبير إذا وقع نشؤه**) أي مبدأ حاله (**على هذه العقيدة**) وتمكنت من قلبه (**إن اشتغل بكسب الدنيا**) كالتجارة والفلاحة وغيرهما من الصنائع والحرف (**لم ينفتح له غيرها**) لعدم انتقاله منها إلى حالة أخرى منها، (**ولكنه سلم في الآخرة**) عن المؤاخذة والمعاتبة (**باعتقاد الحق**) المطابق للواقع. أشار لذلك غير واحد من الأئمة (**إذ لم يكلف**

الجازم بظاهر هذه العقائد، فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه

الشرع أجلاف العرب) من أهل البوادي **(أكثر من التصديق الجازم)** القاطع **(بظاهر هذه العقيدة)** ثم تم، **(فأما البحث والتفتيش)** وإمعان النظر وإجالة الفكر **(وتكلف نظم الأدلة)** وتنسيق البراهين **(فلم يكلفوه أصلاً)**. ومن شاهد أحوال الأولين انكشف له الأمر.

قال المصنف في الإملاء: أعلم أن أهل الإعتقاد المجرد عن تحصينه بالعلم وتوثيقه بالأدلة ينقسمون من وجه على ثلاث حالات:

الأولى: أن يعتقد أحدهم جميع أركان الإيمان على ما يكمل عليه في الغالب لكنه على طريق التقليد.

الثانية: أن لا يعتقد إلا بعض الأركان مما فيه خلاف إذا انفرد ولم ينضف إليه في اعتقاده سواه هل يكون به مؤمناً أو مسلماً مثل أن يعتقد وجود الواحد فقط أو يعتقد أنه موجود حي لا غير، وأمثال هذه التقريرات. ويخلو عن اعتقاد باقي الصفات خلواً كاملاً لا يعتقد فيها حقاً ولا باطلاً.

الثالثة: أن يعتقد الوجود كما قلناه أو الوجود والوحدانية والحياة، وفي باقي الصفات على ما لا يوافق الحق بما هو بدعة أو ضلالة وليس بكفر صراح، والذي يدل عليه العلم ويستنبط من ظواهر الشرع أن أرباب الحالة الأولى والله أعلم على سبيل نجاة ووصف إيمان وإسلام، وأما أهل الحالة الثانية فالمتقدمون من السلف لم يشتهر عنهم في صورة هذه المسألة ما يخرج صاحب هذه العقيدة عن حكم الإيمان والإسلام والمتأخرون مختلفون وكثير خاف أن يخرج من اعتقد وجود الله تعالى وإظهار الإقرار ونبيه ﷺ من الإسلام، ولا يبعد أن يكون كثير ممن أسلم من الأجلاف والرعيان وضعفاء النساء والأتباع هذا عقده بلا مزيد عليه، ولو سئلوا واستكشفوا عن الله عز وجل هل له إرادة أو كلام أو بقاء أو ما شاكل ذلك، وهل له صفات معنوية ليست هي هو ولا هي غيره ربما وجدوا يجهلون ذلك ولا يعقلون وجه ما يخاطبون به، وكيف يخرج من اعتقد وجود الله تعالى ووحدانيته تعالى مع الإقرار بالنبوة من حكم الإسلام، والنبي ﷺ قد رفع القتال والقتل عنهم، فأوجب حكم الإيمان والإسلام لمن قال لا إله إلا الله وعقد عليها. وهذه الكلمة لا تقتضي أكثر من اعتقاد الوجود والوحدة في الظاهر، وعلى البديهة من غير نظر، ثم سمعنا عمن قالها في صدر الإسلام ولم يعلم بعدها إلا فرائض الوضوء والصلاة وهيئات الأعمال البدنية والكف عن أذى المسلم، ولم يبلغنا أنهم تدارسوا علم الصفات وأحوالها، ولأهل الله عالم بعلم أو عالم بنفسه أو هو باق ببقاء أو بنفسه وأشباه هذه المعارف ولا يدفع ظهور هذا إلا معاند أو جاهل بسيرة السلف وما جرى بينهم، ويدل على قوة هذا الجانب في الشرع أن من استكشف منه على هذه الحالة وتحققت منه وأبى أن يذعن إلى تعلم ما زاد على ما عنده لم يفت أحد بقتله ولا باسترقاقه والحكم عليه بالخلود في النار عسير جداً وخطر عظيم مع ثبوت الشرع بأن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة اهـ المقصود منه.

أصلاً، وإن أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقاً لوعده عز وجل. إذ قال: ﴿والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينا لَنَهدينهم سُبُلَنَا وإنَّ الله لمع المحسنين﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية إيمان الصديقين والمقربين، وإليه الاشارة بالسر الذي وقر في صدر أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه حيث فضل به الخلق، وانكشاف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب

(**وإن أراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة**) وقطع عنه شواغل الدنيا (**وساعده**) مع ذلك (**التوفيق**) الإلهي (**حتى اشتغل بالعمل**) بما علمه (**ولازم التقوى**) والخشية (**ونهي النفس**) الأمارة (**عن الهوى**) عن كل ما تستلذه وتميل إليه (**واشتغل بالرياضة**) الشرعية (**والمجاهدة**) المعنوية (**انفتحت له أبواب**) وطرق (**من الهداية**) ما (**تكشف عن حقائق**) هذه (**العقيدة**) وتفصح عن رموزها وأسرارها (**بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب**) تلك (**المجاهدة تحقيقاً لوعده تعالى**) السابق (**إذ قال**) في كتابه العزيز: (**والذين جاهدوا فينا**) أي أعداءهم لأجلنا (**لنهدينهم سبلنا**) أي الطرق الموصلة إلينا (**وإن الله لمع المحسنين**) [العنكبوت: ٦٩] بالنصر والإعانة والتوفيق. وقد تقدم أقسام الجهاد وما يتعلق بهذه الآية في كتاب العلم، (**وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية إيمان الصديقين والمقربين**). أما المقربون، فهم أرباب المقام الثالث في التوحيد وهؤلاء رأوا علامة الحدوث في المخلوقات لائحة، وعاينوا حالات الإفتقار إلى الله عز وجل واضحة، وسمعوا جميعها تدل على التوحيد راشدة ناصحة، ثم رأوا الله عز وجل بإيمان قلوبهم وشاهدوه بغيب أرواحهم ولاحظوا جلاله وجماله بخفي أسرارهم، وهم مع ذلك في درجات القرب على قدر حظ كل واحد منهم في اليقين وصفاء القلب. وأما الصديقون؛ فهم أهل المرتبة الرابعة في التوحيد، وهؤلاء رأوا الله عز وجل ثم رأوا الأشياء بعد ذلك، فلم يروا في الدارين غيره ولا اطلعوا في الوجود على سواه، والمريدون في الغالب لا بد لهم أن يحلوا في المرتبة الثالثة وهي توحيد المقربين ومنها ينتقلون وعليها يعبرون إلى المرتبة الرابعة. وأما المرادون؛ فهم في الغالب مبتدؤن بمقامهم الأخير وهي المرتبة الرابعة ومتمكنون فيها، ومن أهل هذا المقام يكون القطب والأوتاد والبدلاء، ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء والشهداء والصالحون (**وإليه الإشارة بالسر الذي وقر في قلب أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث فضل به الخلق**) لما تقدم في كتاب العلم: «ما سبقكم أبو بكر بكثرة صيام ولكن بسر وقر في صدره». (**وانكشاف ذلك السر**) الذي سبق حضرة الصديق في سيرة الناس هو رؤية الله وحده وعدم رؤية الأشياء قبله، (**بل تلك الأسرار**) التي تنشأ لأرباب المقام الثالث (**له درجات**) متنوعة لأهله في القرب والبعد (**بحسب درجات**

درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى. وفي الاستضاءة بنور اليقين، وذلك كتفاوت الخلق في أسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة، وكما لا تنحصر تلك الدرجات، فكذلك هذه.

المجاهدة و) بحسب **(درجات الباطن في النظافة والطهارة)** بتفريغه **(عمن سوى الله وفي الإستضاءة بنور اليقين)** والمعرفة والعقل وفي عمارة السر بمشاهدة المحبوب، **(وذلك كتفاوت الخلق في أسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الإجتهاد)** والرياضات **(واختلاف الفطرة)** التي فطر عليها **(في الذكاء والفطنة)** واتقاد الباطن، وانقسام كل منهم في الحالين كانقسام حفاظ القرآن مثلاً. فمن حافظ لبعضه ويكون ذلك البعض أكثر أو كثيراً منه دون كماله، ومن حافظ لجميع لكنه متلعثم فيه، ومن حافظ له ماهر في تلاوته غير متوقف فيه، **(فكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه)** وكل على قدر حظه منه بما أتيح له من الأزل، وبسبب اختلاف تلك الدرجات اختلفت أحوالهم.

والحاصل مما سبق من كلام المصنف أن الصبيان والعوام لا ينبغي أن يلقنوا بأكثر مما ذكر في العقيدة المختصرة، فإن فيها مقنعاً لهم وزجراً عن الوقوع فيما يضرهم، وفي معنى العوام كل ما لا يوصف بهذه الصفات وهي التجرد لطلب المعرفة والإستعداد لها والخلو عن الميل إلى الدنيا والشهوات والتعصبات للمذاهب وطلب المباهاة بالمعارف والتظاهر بذكرها مع العوام كما ستأتي الإشارة إليها في كلام المصنف فيما بعد، فالحق الصريح الذي لا مراء فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف. أعني مذاهب الصحابة والتابعين، وقد قال المصنف في الجام العوام: أن حقيقة مذهب السلف وهو الحق عندنا أن عوام الخلق يجب عليهم في معتقدهم سبعة أمور. أحدها: التقديس، ثم التصديق، ثم الإعتراف بالعجز، ثم السكوت، ثم الكف، ثم الإمساك، ثم التسليم لأهل المعرفة. أما التقديس فأعني به تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها، وأما التصديق فهو الإيمان بما قاله ﷺ وأن ما ذكره حق وهو فيما قاله صادق، وأنه حق على الوجه الذي قاله وأراده. وأما الإعتراف بالعجز فهو أن يقرّ بأن معرفة مراده ليس على قدر طاقته، وأن ذلك ليس من شأنه وحرفته. وأما السكون فإنه لا يسأل عن معناه ولا يخوض فيه ويعلم أن سؤاله عنه بدعة وأنه في خوضه فيه مخاطر بدينة، وأنه يوشك أن يكفر إن خاض فيه من حيث لا يشعر. وأما الإمساك فهو أن لا يتصرف في تلك الألفاظ الواردة بالتصريف والتبديل بلغة أخرى والزيادة فيه والنقصان منه والجمع والتفريق، بل لا ينطق إلا بذلك اللفظ، وعلى ذلك الوجه من الإيراد والإعراب والتصريف والصيغة. وأما الكف فإن يكف باطنه عن البحث عنه والتفكر والتصرف فيه. وأما التسليم لأهله فأن يعتقد أن ذلك وإن خفي عليه لعجزه فقد لا يخفى على الرسول ﷺ أو على الأنبياء أو على الصديقين والأولياء. فهذه سبعة وظائف اعتقد كافة السلف وجوبها على كل العوام. لا ينبغي أن يظن بالسلف الخلاف في شيء منها.

مسألـة: فإن قلت: تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب إليه؟ فاعلم أن للناس في هذا غلواً وإسرافاً في أطراف. فمن قائل أنه بدعة وحرام وأن العبد إن لقي الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام، ومن قائل أنه واجب وفرض إما على الكفاية أو على الأعيان، وأنه أفضل الأعمال وأعلى القربات، فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى. وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف.

قال ابن عبد الأعلى رحمه الله: سمعت الشافعي رضي الله عنه يوم ناظر حفصاً الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول: لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا

(**مسألة: فإن قلت: تعلم الجدل والكلام**) هل هو (**مذموم كعلم النجوم**) وما يجري مجراه (**أو هو مباح**) لا يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه (**أو**) هو (**مندوب إليه**) ما الجواب عن ذلك؟ (**فاعلم أن للناس في هذا**) المبحث (**غلواً**) أي تجاوزاً عن الحد (**وإسرافاً**) أي إبعاداً في المجاوزة عنه (**في أطراف فمن قائل أنه بدعة**) قبيحة (**وحرام**) لا يحل الإشتغال به (**وأن العبد إن لقي الله بكل ذنب سوي**) وفي نسخة ما خلا (**الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام**) وهو قول الشافعي كما سيأتي سنده، (**ومن قائل أنه واجب**) تعلمه (**وفرض إمـا على الكفاية**) وهو قول أكثر المتأخرين من المتكلمين (**أو على الأعيان**) وهو أبعد الأقوال، فإن الله سبحانه وتعالى لم يفرض على كل إنسان أن يكون متكلماً جدلياً والقائلون بوجوبه يقولون (**أنه أفضل الأعمال**) أي الإعتقادية (**وأعلـى القربات**) إلى الله تعالى (**فإنه تحقيق لعلم التوحيد**) الذي هو متضمن على معرفة وحدانية الله تعالى بما يليق بذاته وصفاته (**ونضال**) أي دفاع (**عن دين الله تعالى**) برد شبه المخالفين وإبطال براهين الزائغين والواجب العيني في التوحيد ما يخرج المكلف من التقليد إلى التحقيق وأقله معرفة كل عقيدة بدليل ولو جميلاً، والكفائي فيه ما يقتدر معه على تحقيق مسائله وإقامة الأدلـة التفصيليـة عليهـا وإزالة الشبه عنها إذ يجب كفاية على أهل كل قطر يشق الوصول منه إلى غيره أن يكون فيهم من هو متصف بذلك، ولا يخفى أن حصول ذلك متوقف على تعلم علم الكلام، (**وإلى التحريم ذهب الأئمة**) الأربعة أبو حنيفة و (**الشافعي ومالك وأحمد بن**) محمد بن (**حنبل وسفيان**) الثوري وأبو يوسف (**وجميع أهل الحديث من السلف**) الصالحين.

(**قال أبو عبد الأعلى**) هكذا في النسخ، وهو يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة الصوفي. أبو موسى المصري الفقيه المقرىء ولد سنة ١٧٠، وسمع الحديث عن ابن عيينة وابن وهب والوليد بن مسلم ومنصور بن عيسى والشافعي واختص به. روى عنه مسلم والنسائي وابن ماجة وأبو عوانة وأبو الطاهر المديني وخلق: (**سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول يوماً وقد ناظر حفصاً الفرد وكان من متكلمي المعتزلة**). قلت: حفص هذا يلقب بالفرد تفقه

الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام. ولقد سمعت من حفص كلاماً لا أقدر أن أحكيه، وقال أيضاً: قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط. ولأن يبتلي العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام.

وحكى الكرابيسي: أن الشافعي رضي الله عنه سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال: سل عن هذا حفصاً الفرد وأصحابه، أخزاهم الله، ولما مرض الشافعي رضي الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له: من أنا؟ فقال: حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه. وقال أيضاً: لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء

على الإمام أبي يوسف وكان من آصحابه، ثم مال إلى رأي المعتزلة وصار يناضل عنهم حتى صار من متكلميهم، وقال الربيع: كان الشافعي يقول له حفص المنفرد ولا يقول الفرد، (**لأن يلقى الله تعالى العبد بكل خطيئة ما خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من الكلام**). روي هذا القول عن الإمام من وجوه. أخرجه ابن أبي حاتم في كتاب المناقب له قال: سمعت الربيع قال، أخبرني من سمع الشافعي يقول: لأن يلقى الله المرء بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء، ورواه غير واحد عن الربيع أنه سمع الشافعي يقول، وقال ابن خزيمة سمعت الربيع لما كلم الشافعي حفصاً الفرد فقال حفص: القرآن مخلوق، فقال له الشافعي: كفرت بالله العظيم. ورواه ابن أبي حاتم عن الربيع، حدثني من أثق به وكنت حاضراً في المجلس فساقه. (**ولقد سمعت من حفص كلاماً ما أقدر أن أحكيه**) وهو قوله القرآن مخلوق. (**وقال أيضاً: قد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط**). أخرجه اللالكائي من رواية عبدالرحمن بن أبي حاتم، حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال، قال لي الشافعي: تعلم يا أبا موسى لقد اطلعت من أصحاب الكلام على شيء ما ظننت أن مسلماً يقول ذلك، (**ولأن يبتلي العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في الكلام**). أخرجه اللالكائي من رواية أبي نعيم عبد الملك بن محمد الجرجاني يقول: سمعت الربيع يقول: سمعت الشافعي يقول: وناظره رجل من أهل العراق فخرج إلى شيء من الكلام فقال: هذا من الكلام دعه. قال: وسمعت الشافعي يقول: لأن يبتلي الله المرء بكل ذنب نهى الله عنه ما عدا الشرك به خير له من الكلام.

(**وحكى**) الحسين بن علي أبو علي (**الكرابيسي أن الشافعي سئل عن شيء من الكلام فغضب وقال: سل عنه هذا يعني حفصاً الفرد وأصحابه أخزاهم الله**). وكان الكرابيسي من متكلمي أهل السنة أستاذاً في علم الكلام كما هو استاذ في الحديث والفقه، وكان الإمام أحمد يتكلم فيه بسبب مسألة اللفظ، وهو أيضاً كان يتكلم في أحمد فلذلك تجنب الناس الأخذ عنه، (**و**) يروى أنه (**لما مرض الشافعي دخل عليه حفص الفرد وقال: من أنا؟ قال: حفص الفرد لاحفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه**) أي: من القول بخلق القرآن. وأخرج اللالكائي في السنة من رواية محمد بن يحيى بن آدم المصري، أخبرنا الربيع قال: سمعت أبا

لفروا منه فرارهم من الأسد. وقال أيضاً: إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى؟ فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له. قال الزعفراني، قال الشافعي: حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنّة وأخذ في الكلام. وقال أحمد بن حنبل: لا يفلح

شعيب قال: حضرت الشافعي وحفص الفرد سأل الشافعي فاحتج عليه بأن كلام الله غير مخلوق وكفر حفص المنفرد. قال الربيع: ولقيته فقال: أراد الشافعي قتلي.

(وقال أيضاً: لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد) رواه محمد بن عبدالله بن عبد الحكم قال: سمعت الشافعي يقول فساقه إلا أنه قال في الأهواء بدل من الأهواء هكذا هو في نسخة ابن كثير. وأخرج اللالكائي من رواية عبد الرحمن بن أبي حاتم قال، قال الحسن بن عبد العزيز الجروي قال: كان الشافعي ينهي النهي الشديد عن الكلام في الأهواء ويقول أحدهم إذا خالفه صاحبه قال كفرت، والعلم فيه إنما يقال أخطأت وقال ابن كثير، قال محمد بن إسماعيل الكرابيسي يقول: قال الشافعي: كل متكلم على الكتاب والسنة فهو الجد وما سواه فهو هذيان.

(وقال أيضاً إذا سمعت الرجل يقول: الإسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له). أخرجه ابن عبد البر في كتاب العلم ولفظه: قال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: إذا سمعتم الرجل يقول: الإسم غير المسمى أو الإسم المسمى فاشهدوا عليه أنه من أهل الكلام ولا دين له. قال ابن السبكي: وهذا وأمثاله مما روي في ذم الكلام وقد روي ما يعارضه، وللحافظ ابن عساكر في التبيين على أمثال هذه الكلمة كلام لا مزيد على حسنه.

(وقال الزعفراني) هو الحسن بن محمد بن الصلاح أبو علي البغدادي، **(قال الشافعي: حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد)** أي جريد النخل تعزيراً، **(ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام)**. وهذا قد رواه أيضاً أبو ثور عن الشافعي إلا أنه فيه: وأقبل على الكلام مكان وأخذ في الكلام وأخرجه الخطيب في شرف أصحاب الحديث من رواية زكريا بن يحيى البصري: حدثنا محمد بن إسماعيل سمعت أبا ثور والحسين بن علي يقولان: سمعنا الشافعي يقول فساقه. وزاد بعد قوله: بالجريد ويحملوا على الإبل وقال أبو نعيم بن عدي وغيره، قال داود بن سليمان عن الكرابيسي، سمع الشافعي يقول: حكمي في أهل الكلام حكم عمر في ضبيغ. وأخرج اللالكائي من رواية أحمد بن أصرم المعقلي قال، قال أبو ثور، سمعت الشافعي يقول: ما تردى أحد بالكلام قد أفلح. وأخرج أيضاً من رواية ابن أبي حاتم، حدثنا الربيع قال: رأيت الشافعي وهو نازل من الدرجة وقوم في المسجد يتكلمون بشيء من الكلام فصاح فقال: إما أن تجاورونا بخير، وإما أن تقوموا عنا. فهذه الآثار وغيرها دالة على أن الشافعي كان شديد النهي عن علم الكلام.

صاحب الكلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل، وبالغ في ذمه حتى هجر الحرث المحاسبي مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة. وقال له: ويحك ألست تحكي بدعتهم أولاً ثم ترد عليهم، ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر في تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأي والبحث؟ وقال أحمد رحمه الله: علماء الكلام زنادقة. وقال مالك رحمه الله: أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد؟ يعني أن أقوال المتجادلين

(**وقال أحمد بن**) محمد بن (**حنبل**) الشيباني رحمه الله تعالى: (**لا يفلح صاحب الكلام أبداً ولا تكاد ترى أحداً نظر في**) علم (**الكلام إلا وفي قلبه غلّ**) وهو تدرع الخيانة والعداوة (**وبالغ فيه**) أي في ذمه (**حتى هجر الحرث بن أسد بن عبدالله المحاسبي**) شيخ الجنيد (**مع زهده وورعه**) وتقواه وجمعه بين علمي الظاهر والباطن (**بسبب تصنيفه كتاباً في الرد على المبتدعة**) من المعتزلة والرافضة، فإن الإمام أحمد كان يشدد النكير على من يتكلم في علم الكلام خوفاً أن يجر ذلك إلى ما لا ينبغي، ولا شك أن السكوت عنه ما لم تدع إليه الحاجة أولى والكلام فيه عند فقد الحاجة بدعة. وكان الحرث قد تكلم في مسائل من علم الكلام. قال أبو القاسم النصراباذي: بلغني أن الإمام أحمد هجره بهذا السبب، وقال له الإمام أحمد لما أنكر عليه تلك المقالات، وأجابه الحرث بأنه إنما ينصر السنة ويرد على البدعة: (**ويحك ألست تحكي بدعتهم أولاً**) أي أقوالهم التي أحدثوها بدلائلها وبراهينها (**ثم ترد عليهم**) بعد ذلك بنقض أدلتها. (**ألست تحمل الناس بتصنيفك**) هذا (**على مطالعة**) أقوال (**البدع**) والتفكر في تلك الشبهات (**فيدعوهم فعلهم ذلك إلى**) إحداث (**الرأي**) في الدين (**والبحث**) في مسائل الإعتقاد، فكأنه قصد بذلك سد هذا الباب رأساً، وكل منهما من رؤساء الأئمة وهداة هذه الأمة، والظن بالحرث أنه إنما تكلم حيث دعت الحاجة ولكل مقصد والله يرحمها.

(**وقال أحمد**) أيضاً: (**علماء الكلام زنادقة**). قال صاحب البارع: زنديق وزنادقة وزنادق وزناديق وليس ذلك من كلام العرب في الأصل، وقال الأزهري: زندقة الزنديق أنه لا يؤمن بالآخرة ولا بوحدانية الخالق، وقال غيره: المشهور أن الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة ويقول بدوام الدهر، وتعبر العرب عن هذا بقولهم ملحد أي طاعن في الأديان.

(**وقال مالك**) بن أنس الامام (**أرأيت إن جاء من هو أجدل منه**) أي أكثر جدلاً (**أيدع دينه**) الذي اعتقده (**كل يوم لدين جديد يعني أن أقوال المتجادلين تتقاوم**) أي: فلا يعتمد على تلك الأقوال لكونها في معرض الإزالة بما هو أقوى. وأخرج اللالكائي في السنّة من رواية الحسن بن علي الحلواني قال: سمعت إسحاق بن عيسى يقول، قال مالك بن أنس: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لجدله. وأخرج من رواية محمد بن حاتم بن بزيغ قال: سمعت ابن الطباع يقول: جاء رجل إلى مالك بن أنس فسأله عن

تتفاوت. وقال مالك رحمه الله أيضاً: لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء، فقال بعض أصحابه في تأويله إنه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أي مذهب كانوا. وقال أبو يوسف: من طلب العلم بالكلام تزندق. وقال الحسن: لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم، وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا. ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا: ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف

مسألة فقال: قال رسول الله ﷺ: كذا. فقال: أرأيت لو كان كذا. قال مالك: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [النور: ٦٣]. قال: وقال مالك: أو كلما جاء رجل أجدل من رجل آخر ردّ ما أنزل جبريل على محمد ﷺ. وأخرج أيضاً من رواية القضبي، عن مالك قال: مهما تلاعبت به من شيء فلا تلاعبن بأمر دينك. **(وقال مالك)** أيضاً: **(لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء)** إذا كانت بدعتهم تحمل على الكفر والخروج من الدين. وفي كتاب معين الحكام لابن عبد الرفيع من المالكية وقع في المبسوط من قول عبد الله بن وهب أنه لا تجوز شهادة القارىء على القارىء لأنهم أشد الناس تحاسداً وتباغضاً، ولعل هذا الذي رواه ابن وهب هو الذي اقتضاه قول مالك. **(فقال بعض أصحابه في تأويله: أنه أراد بأهل الأهواء)** والبدع **(أهل الكلام على أي مذهب كانوا)** أي لما ينشأ منه من التحاسد والتباغض والعصبية والأغراض الفاسدة. وهذا الذي ذكره المصنف من السياقين إنما دلالتها على المقصود بطريق المفهوم كما لا يخفى، وقد قال اللالكائي في كتاب السنة، قال مصعب: بلغني عن مالك بن أنس انه كان يقول: الكلام في الدين كله أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يعني أهل المدينة ينهون عن الكلام في الدين ولا أحسب الكلام إلا فيما كان تحته عمل، وأما الكلام في الله فالسكوت عنه.

(وقال أبو يوسف) يعقوب بن ابراهيم القاضي الأنصاري، وهو الإمام المقدم من أصحاب الإمام أبي حنيفة: **(من طلب العلم بالكلام تزندق)** أخرجه اللالكائي في السنّة فقال: أخبرنا أحمد بن محمد بن ميمون النهر سابسي بها، حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الخطيب، أخبرنا أبو جعفر بن أبي الدميك قال: سمعت بشر بن الوليد الكندي يقول: سمعت أبا يوسف يقول: من طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب الدين بالكلام تزندق وأورده الذهبي في التاريخ، والخطيب في شرف أصحاب الحديث من رواية بشر بن الوليد بزيادة: من تتبع غريب الحديث كذب.

(وقال الحسن) بن يسار أبو سعيد البصري: **(لا تجالسوا أهل الأهواء)** يعني أهل البدع **(ولا تجادلوهم)** أي لا تفتحوا لهم باب المجادلة في الدين **(ولا تسمعوا منهم)** أي مقالاتهم، فكل من ذلك مضر. **(وقد اتفق أهل الحديث)** من السلف الصالحين **(على هذا)** الذي ذكر من ذم علم الكلام والنهي عن الاشتغال به وأجمعوا عليه، **(ولا ينحصر ما نقل عنهم من**

بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر، ولذلك قال النبي ﷺ: «هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون» أي المتعمقون في البحث والاستقصاء، واحتجوا أيضاً بأن ذلك لو كان من الدين لكان

التشديدات) والتهديدات **(فيه، وقالوا)** مستدلين بأن **(ما سكت عنه الصحابة)** رضوان الله عليهم **(مع أنهم أعرف بالحقائق)** اللغوية والشرعية **(وأفصح بترتيب الألفاظ)** بعضها مع بعض **(من غيرهم)** ممن أتى بعدهم **(إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر)**.

فمن ذلك ما أخرجه اللالكائي في السنّة من رواية يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، أخبرنا عبدالله بن محمد بن زياد، ومالك بن أنس، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «ذروني ما تركتكم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» أخرجه البخاري من رواية مالك، ومسلم من رواية سفيان عن أبي الزناد. وأخرج من رواية أبي العوام عن قتادة: ومن الناس من يجادل في الله بغير علم. قال: صاحب بدعة يدعو إلى بدعته، **(ولذلك قال النبي ﷺ: «هلك المتنطعون هلك المتنطعون» ثلاث مرات)**. هكذا أخرجه مسلم في القدر من صحيحه قال: قال ذلك ثلاثاً. وأخرجه الإمام أحمد في القدر أيضاً، وأبو داود في السنّة، وليس عندهما ذكره ثلاث مرات كلهم عن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه. **(أي المتعمقون)** المتقعرون **(في البحث والاستقصاء)** يقال: تنطع الرجل إذا تنطس في عمله. قال الزمخشري في الفائق: أراد النهي عن التمادي والتلاحي في القراءات المختلفة وأن مرجعها إلى واحد من الحسن والصواب اهـ.

وقال النووي: فيه كراهة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم اهـ.

وقال غيره: المراد بالحديث الغالبون في خوضهم فيما لا يعنيهم، وقيل: المتعنتون في السؤال من عويص المسائل التي يندر وقوعها. وقيل: المبالغون في العبادة بحيث تخرج عن قوانين الشريعة ويسترسل مع الشيطان في الوسوسة. وقال الحافظ ابن حجر: قال بعض الأئمة: التحقيق أن البحث عما لا يوجد فيه نص قسمان. **أحدهما**: أن يبحث في دخوله في دلالة النص على اختلاف وجوهها، فهذا مطلوب لا مكروه، بل ربما كان فرضاً على من تعين عليه. **الثاني**: أن يدقق النظر في وجوه الفروق فيفرق بين المتماثلين بفرق ولا أثر له في الشرع مع وجود وصف الجمع أو بالعكس بأن يجمع بين متفرقين بوصف طردي مثلاً، فهذا الذي ذمه السلف وعابه، وعليه ينطبق خبر هلك المتنطعون فرأوا أن فيه تضييع الزمان بما لا طائل تحته، ومثله الإكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها في كتاب ولا سنّة ولا إجماع وهي نادرة الوقوع فيصرف فيها زمناً كان يصرفه في غيرها أولى. سيما إن لزم منه إغفال التوسع في بيان ما يكثر وقوعه، وأشد منه البحث عن أمور معينة ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها. ومنها ما يكون له شاهد في عالم الحس كالسؤال

ذلك أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ ويعلم طريقه ويثني عليه وعلى أربابه، فقد علمهم الاستنجاء وندبهم إلى علم الفرائض وأثنى عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر، وقال: أمسكوا عن القدر. وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله عنهم، فالزيادة على الأستاذ طغيان وظلم، وهم الأستاذون والقدوة ونحن الأتباع والتلامذة. وأما الفرقة الأخرى

عن الساعة والروح ومدة هذه الأمة. إلى أمثال ذلك مما لا يعرف ذلك إلا بالنقل الصرف، وأكثر ذلك لم يثبت فيه شيء فيجب الايمان به بغير بحث. (**واحتجوا أيضاً بأن ذلك لو كان من**) جملة (**الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ**) أصحابه إذ هو مأمور بتبليغ أمور الدين (**ويعظم طريقه**) الموصل إليه (**ويثني على أربابه**) أي حملته. وفي نسخة: عليه وعلى أربابه، (**فقد علمهم الاستنجاء**) فيما أخرجه مسلم في صحيحه عن سلمان رضي الله عنه، (**وندبهم إلى علم الفرائض**) فيما أخرجه ابن ماجة، والحاكم، والبيهقي، عن أبي هريرة رضي الله عنه: « تعلموا الفرائض وعلموه الناس فإنه نصف العلم وهو ينسى وهو أوّل شيء ينزع من أمتي ». قال الحافظ الذهبي: فيه حفص بن عمر بن أبي العطاف واه بمرة. وقال ابن حجر الحافظ: مداره على حفص وهو متروك. وقال البيهقي: تفرّد به حفص وليس بقوي، وفي رواية فإنه من الدين. وأخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وصححه بلفظ: « تعلموا الفرائض وعلموها الناس فإني امرؤ مقبوض وأن العلم سيقبض حتى يختلف إثنان في الفريضة فلا يجدان من يفصل بينهما ». قال الحافظ في الفتح: رواته موثقون إلا أنه اختلف فيه على عوف الاعرابي، وأخرج الترمذي من حديث أنس، وأفرضهم زيد بن ثابت (**وأثنى عليهم**) حيث قال: « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ». وقال في افتراق الأمم الناجية منهم واحدة، فقيل: من هم؟ فقال: « ما أنا عليه وأصحابي » (**ونهاهم عن الكلام في القدر وقال: أمسكوا**) فيما أخرجه الطبراني في الكبير، عن ابن مسعود، وعن ثوبان، وابن عدي في الكامل، عن عمر بن الخطاب رفعوه: « إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا »، أي لما في الخوض في الثلاثة من المفاسد التي لا تحصى، وقد مر هذا الحديث في كتاب العلم، وأشبعنا الكلام عليه من جهة الصناعة الحديثية. قال البغوي: القدر سر الله لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً لا يجوز الخوض في البحث عنه من طريق العقل، بل يعتقد أنه تعالى خلق الخلق فجعلهم فريقين أهل يمين خلقهم للنعيم فضلاً، وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلاً. (**وعلى هذا استمر الصحابة**) رضي الله عنهم. يروى أنه سأل رجل علياً كرم الله وجهه عن القدر فقال: طريق الظلم لا تسلكه فأعاد فقال: بحر عميق لا تلجه فأعاد فقال سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه، (**فالزيادة على الأستاذ**) بضم الهمزة وآخره ذال معجمة رئيس الصنعة أعجمي اشتهر استعماله في الشيخ الكامل (**طغيان**) وتجاوز عن الحد (**وظلم**) أي: وضع في غير موضعه، (**وهم**) أي الصحابة رضي الله عنهم (**الأستاذون**) الكاملون (**والقدوة**) لمتبعيهم، (**ونحن الاتباع التلامذة**) جمع تلميذ بالكسر. قيل: أعجمي معرب، وقيل: أصله من الثلم وهو شق الأرض

فاحتجوا بأن قالوا: إن المحذور من الكلام إن كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تعهدها الصحابة رضي الله عنهم فالأمر فيه قريب، إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم، كالحديث والتفسير والفقه، ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع إلى جميع الأسئلة التي تورد على القياس لما كانوا يفقهونه. فاحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كإحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح، وإن كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به إلا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته، كما جاء في الشرع: فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل، وإن كان المحذور هو التشغب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي إليه الكلام، فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه، كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرئاسة مما يفضي إليه علم الحديث

ووضع البذر فيها لينبت، وبالجملة فعلم الكلام والجدل كما أفصح عنه المصنف في إملائه على هذا الكتاب أنه علم لفظي وأكثره احتمال وهمي، وهو عمل النفس وتخليق الفهم وليس بشدة المشاهدة والكشف، ولأجل هذا كان فيه السمين والغث وشاع في حال المناضلة فيه إيراد القطعي وما هو في حكمه من غلبة الظن وابداء الصحيح وإلزام مذهب الخصم، وسيأتي لذلك زيادة إيضاح قريباً إن شاء الله تعالى.

(**وأما الفرقة الأخرى**) القائلون بوجوب الاشتغال به (**احتجوا بأن المحذور**) أي الممنوع (**من الكلام**) وما يتعلق به (**إن كان هو في لفظ الجوهر والعرض**) والهيولي والماهية والتحيز، (**وهذه الاصطلاحات الغريبة**) كالموضوع والمحمول، وهذا مركب من الشكل الفلاني والملازمة ممنوعة والصغرى والكبرى والمقدمة والنتيجة (**التي لم يعهدها الصحابة**) رضوان الله عليهم ولا التابعون لهم بإحسان (**فالأمر قريب**) أي سهل (**إذ ما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم**) والتعليم (**كالحديث والتفسير والفقه**) وأصول كل من ذلك، (**فلو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعديد وفساد الوضع**) وما أشبه ذلك (**لما كانوا يفهمونه**) إذ لم يعهدوا ذلك ولا ألفوه (**فاحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح**) لا ينكر (**كاحداث آنية على هيئة جديدة**) لم تسبق (**لاستعمالها في مباح**) شرعي، (**وإن كان المحذور هو المعنى**) المقصود لذاته. (**فنحن لا نعني به إلا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق جل وعز و**) معرفة (**صفاته، كما جاء به الشرع. فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل**) بل هو مطلوب بهذا الوجه، (**وإن كان المحذور هو التشغب**) أي المخاصمة ورفع الأصوات (**والتعصب**) في ذلك (**والعداوة والبغضاء وما يفضي إليه الكلام**) من إلزام مذهب الخصم وتكثير الآراء الوهمية فيه، (**فذلك محرم**) إتفاقاً لا نقول بجوازه في حال من الأحوال، بل (**يجب الاحتراز**

والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه، ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه إليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظوراً وقد قال الله تعالى: ﴿قُل

منه) والاجتناب عنه، **(كما أن الكبر والرياء وطلب الرئاسة)** والتكالب عليها **(أيضاً مما يفضي إليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم أيضاً يجب الاحتراز منه، ولكن لا يمنع عن العلم)** والاشتغال به والسعي في تحصيله **(لأجل إدائه إليه)** وكونه مفضياً إليه، وقد ألم بهذا البحث أبو الوفاء اليوسي في شرحه على الكبرى تحقيقاً لمطلوبه الذي هو أن العلوم كلها وسائل إلى المقصود لا يقال فيها مذموم ولا محرم، ومن حرم بعضها فليحرم جميعها وإلاَّ فمن أين التخصيص، ومن أنكر أن يكون بعض ذلك وسيلة فالعيان يكذبه، فقال: ولما تكاثرت الأهواء والبدع وافترقت الأمة على فرق وعظمت على الحق شبه المبطلين انتهض علماء الأمة إلى مناضلتهم باللسان كمناضلة السلف بالسنان، فاحتاجوا إلى مقدمات كلية وقواعد عقلية واصطلاحات وأوضاع يجعلونها على النزاع ويتفقهون بها مقاصد القوم عند الدفاع، فدوّنوا ذلك وسموه علم الكلام وأصول الدين ليكون بإزاء أصول الفقه.

ثم قال فإن قيل: إن الكلام والمنطق مبتدعان وكل بدعة يجب اجتنابها. قلنا: لا نسلم أن كل بدعة تجتنب إذ منها ما يستحسن ولو سلمناها فغيرهما من العلوم كالحساب والطب والتنجيم وصناعتي الأصول والحديث والأدب ونحوها كذلك فإن قال السلف: كانوا يحسبون ويعالجون ويجتهدون ويحدثون، وإنما أحدث في هذه الصناعة الألقاب. قلنا: وكذلك كانوا يفسرون ويستدلون ويعللون ولا معنى للمنطق إلا هذا كيف وهو الذي في الطباع مركوز ولا ينفك عنه عاقل. فمن حرمه إما أن يحرمه لكونه حراماً بوجه آخر، فإن أراد الأوّل قلنا: لا نسلم أن مركوزيته توجب حصوله وعدم الفائدة في تعلمه. إذ النفس غافلة حتى تنتبه، والمركوز إنما هو العقل الفطري والوجدان حاكم بأن النفس خالية عن العلوم، بل وعن الاستعداد حتى تشحذ بالقوانين. نعم لا ننكر أن يكون ذو فطرة سليمة لا يحتاج إلى تعلمه كالعربي المستغني عن تعلم العربية، فإن زعم هذا المنكر أن فطرته هكذا لا يحصل له أن يقيس سائر العقول بعقله ولا أن يسد الباب على غيره، إذ وجدانه لا ينهض دليلاً على ما أراد، وإن أراد الثاني قلنا: ما وجه حرمته؟ فإن قال: لكونه بدعة. قلنا: تقدم جوابه، وإن كان لشيء آخر فعليه بيانه اهـ. كلام اليوسي.

أما ادعاؤه أن العلوم كلها نافعة ووسائل إلى المقصود، فهو على الاطلاق غير متجه كما سيأتي بيانه في سياق المصنف، فإن فيه مقنعاً. وأما غلوه في الثناء على المنطق وكونه مركوزاً في الطباع السليمة فعجيب، وتقدم ما يتعلق به في شرح كتاب العلم عند ذكر العلوم المحمودة والمذمومة ما يغني عن إعادته هنا، وإنما أوردنا كلامه هنا لمناسبته مع كلام الفرقة الثانية بأن علم الكلام غاية ما فيه ذكر الحجة والمطالبة بالدليل والنقض والمنع. **(وكيف يكون ذكر الحجة**

هاتوا برهانكم﴾ [البقرة: ١١١]. وقال عز وجل: ﴿ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من حي عن بينة﴾ [الأنفال: ٤٢]. وقال تعالى: ﴿إنْ عندكم من سلطان بهذا﴾ [يونس: ٦٨] أي حجة وبرهان. وقال تعالى: ﴿قل فللّه الحجة البالغة﴾ [الأنعام: ١٤٩]. وقال تعالى: ﴿ألم ترَ إلى الذي حاجّ ابراهيم في ربه﴾ إلى قوله: ﴿فبهت الذي كفر﴾ [البقرة: ٢٥٨] إذ ذكر سبحانه احتجاج ابراهيم ومجادلته وافحامه خصمه في معرض الثناء عليه. وقال عز وجل: ﴿وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه﴾ [الأنعام: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا﴾ [هود:

والمطالبة والبحث عنها محظوراً) أي ممنوعاً، **(وقد قال)** الله **(تعالى)** في كتابه العزيز: **﴿قل هاتوا برهانكم﴾** ﴿إن كنتم صادقين﴾ [البقرة: ١١١] فطلب منهم البرهان **(وقال عز وجل: ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة﴾)** [الأنفال: ٤٢] فجعل الهلاك الذي هو كناية عن الانهزام والمغلوبية والحياة التي هي كناية عن الظفر بالغلبة مقصورين على البينة. **(وقال تعالى: ﴿فلله الحجة البالغة﴾)** [الأنعام: ١٤٩] أي الكافية أو المنتهية في التوكيد والبلاغ، وقيل: المراد بالحجة هنا الكلام المستقيم. **(وقال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذي حاجّ ابراهيم في ربه﴾)** أي خاصمه فيه بطلب الاحتجاج على ربوبيته جل وعز **(إلى قوله: ﴿فبهت الذي كفر﴾)** [البقرة: ٢٥٨] أي الآيات بتمامها والبهت التحير والدهش، والمراد هنا انقطاع الحجة **(إذ ذكر احتجاج ابراهيم)** عليه الصلاة والسلام **(ومجادلته وإفحامه)** أي إسكاته **(خصمه)** وهو النمروذ ملك زمانه. وكان يدعي الإلهية **(في معرض الثناء عليه)** والمدح له. واعلم أن لابراهيم عليه السلام في الاحتجاج مقامات.

أحدها: مع نفسه وهو قوله تعالى: ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي﴾ [الأنعام: ٧٦] إلى آخر الآية وهذا طريقة المتكلمين فإنه استدل بأفولها وتغيرها على حدوثها، ثم استدل بحدوثها على وجود محدثها.

وثانيها: حاله مع أبيه وهو قوله: ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر﴾ [مريم: ٤٢] إلى آخر الآيات.

وثالثها: حاله مع قومه تارة بالقول وتارة بالفعل. أما القول فهو قوله: ﴿ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾ [الأنبياء: ٥٣] وأما الفعل فقوله: ﴿فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم﴾ [الأنبياء: ٥٨].

ورابعها: حاله مع ملك زمانه وهو الذي ذكره المصنف، ثم إنه عليه السلام لما استدل بحدوثها على وجود محدثها كما أخبر الله تعالى عنه في قوله: ﴿يا قوم إني بريء مما تشركون ★ إني وجّهت وجهي للذي فطر السموات والأرض﴾ [الأنعام: ٧٨، ٧٩] عظم شأنه بذلك **(وقال: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه)** نرفع درجات من نشاء﴾ [الأنعام: ٨٣] فهذه رفعة بعلم الحجة. **(وقال تعالى)** حكاية عن الكفار أنهم: **(قالوا: يا نوح قد جادلتنا**

٣٢]. وقال تعالى في قصة فرعون: ﴿وما رب العالمين﴾ إلى قوله: ﴿أو لو جئتك بشيء مبين﴾ [الشعراء: ٢٣ ـ ٣٠].

فأكثرت جدالنا) [هود: ٣٢] ومعلوم أن مجادلة الرسول مع الكفار لا تكون في تفاصيل الأحكام الشرعية فلم يبق إلا أنها كانت في التوحيد والنبوّة **(وقال تعالى في قصة)** موسى عليه السلام ومباحثته مع **(فرعون)** قال: **(وما رب العالمين إلى قوله: ﴿أو لو جئتك بشيء مبين﴾)** [الشعراء: ٢٣ ـ ٣٠]. واعلم أن موسى عليه السلام ما كان يقول في الاستدلال زيادة على دلائل ابراهيم عليه السلام، وذلك لأنه حكى الله تعالى عنه في سورة طه أن فرعون قال له ولهارون: ﴿فمن ربكما يا موسى ★ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [طه: ٤٩؛ ٥٠]، وهذا هو الدليل الذي ذكره ابراهيم عليه السلام حيث قال: ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ [الشعراء: ٧٨]، ثم حكى الله تعالى عن موسى في الشعراء أنه قال لفرعون: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ [الشعراء: ٢٦]. وهذا هو الذي عول عليه ابراهيم عليه السلام في قوله: ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ [البقرة: ٢٥٨] فلما لم يكتف فرعون بذلك وطالبه بدليل آخر، قال موسى: ﴿رب المشرق والمغرب﴾ [الشعراء: ٢٨]، وهذا هو الذي عوّل عليه ابراهيم عليه السلام في قوله: ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب﴾ [البقرة: ٢٥٨] ثم أن موسى عليه السلام لما فرغ من تقرير دلائل التوحيد ذكر بعده دلائل النبوة فقال: ﴿أو لو جئتك بشيء مبين﴾ [الشعراء: ٣٠]، وهذا يدل على أنه عليه السلام فرع بيان النبوة على بيان التوحيد والمعرفة.

فإن قيل: ابراهيم وموسى عليهما السلام قدّما دلائل النفس على دلائل الأفلاك، فإن ابراهيم عليه السلام قال أوّلاً: ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾، ثم قال: ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق﴾ وموسى عليه السلام قال أولاً: ﴿ربكم ورب آبائكم الأوّلين﴾، ثم قال: ﴿رب المشرق والمغرب﴾ فلِمَ عكس سيدنا سليمان عليه السلام هذه الترتيب، فقدم دلائل السموات على دلائل النفس فقال: ﴿الذي يخرج الخبء في السموات والأرض﴾ [النمل: ٢٥].

قلنا: إبراهيم وموسى عليهما السلام كانت مناظرتهما مع من ادعى إلهية البشر، فإن نمروذ وفرعون كل واحد منهما كان يدعي الإلهية فلا جرم أنهما عليهما السلام ابتدآ بابطال إلهية البشر، ثم انتقلا إلى ابطال إلهية الأفلاك والكواكب، وأما سليمان عليه السلام فإنه كان مناظرته مع من يدعي إلهية الشمس، فإن الهدهد قال: ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ [النمل: ٢٤] فلا جرم ابتدأ بذكر السموات، ثم بذكر الأرضيات، ثم لما تمم دلائل التوحيد قال بعده: ﴿لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ [النمل: ٢٦] ثم ان المصنف ذكر البرهان والبينة والحجة، وفي معناها السلطان، وقد سمى الله الحجة العلمية سلطاناً. قال ابن عباس: كل سلطان في القرآن فهو حجة كقوله تعالى: ﴿إن عندكم من سلطان بهذا﴾ [يونس: ٦٨] أي ما عندكم من حجة بما قلتم. وقوله تعالى: ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ [النجم: ٢٣] أي حجة ولا

وعلى الجملة؛ فالقرآن من أوّله إلى آخره محاجة مع الكفار، فعمدة أدلة المتكلمين في التوحيد قوله تعالى: ﴿لو كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللهُ لَفَسَدَتا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وفي النبوّة: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ [البقـرة: ٢٣] وفي البعث: ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ [يس: ٧٩] إلى غير ذلك من الآيات

برهاناً، بل من تلقاء أنفسكم. وقوله تعالى: ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ [الصافات: ١٥٦] يعني حجة واضحة، وإنما سمى علم الحجة سلطاناً لأنها توجب تسلط صاحبها واقتداره فله بها سلطان على الجاهلين، بل سلطان العلم أعظم من سلطان الجهل، ولهذا ينقاد الناس للحجة ما لا ينقادون لليد، فإن الحجة تنقاد لها القلوب، ومن لم يكن له اقتدار في علمه فهو إما لضعف حجته وسلطانه وإما لقهر سلطان اليد والسيف له، وإلا فالحجة ناصرة نفسها ظاهرة على الباطل قاهرة له، والفرق بين الحجة والبينة هو أن الحجج هي الأدلة العلمية التي يعقلها القلب وتسمع بالآذان، والحجة هي اسم لما يحتج به من حق وباطل، وإذا أضيفت إلى الله فلا تكون إلا حجة حق وقد تكون بمعنى المخاصمة كقوله تعالى: ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ [الشورى: ١٥] أي قد ظهر الحق واستبان فلا خصومة بيننا بعد ظهوره ولا مجادلة، فإن الجدال شريعة موضوعة للتعاون على إظهار الحق، فإذا ظهر الحق ولم يبقَ به خفاء فلا فائدة في الخصومة. والبينة إسم لكل ما يبين الحق من علامة منصوبة أو أمارة أو دليل علمي، فالبينات هي الآيات التي أقامها الله دلالة على صدقهم من المعجزات، وكان إلقاء العصا وانقلابها حية هو البينة، وجرت سنّة الله في خلقه أن الكفار إذا طلبوا آية واقترحوها وأجيبوا ولم يؤمنوا عوجلوا بعذاب الاستئصال. وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ [الاسراء: ٥٩] بخلاف الحجج، فإنها لم تزل متتابعة يتلو بعضها بعضاً وهي كل يوم في مزيد. وقد أشرنا إلى ذلك في كتاب العلم.

(**وعلى الجملة؛ فالقرآن من أوّله إلى آخره**) توحيد صرف وأحكام وقصص وأمثال و(**محاجة الكفار**) مملوء من الحجج والأدلة والبراهين في مسائل التوحيد واثبات الصانع والمعاد وإرسال الرسل وحدوث العالم، فلا يذكر المتكلمون وغيرهم دليلاً صحيحاً على ذلك إلا وهو في القرآن بأفصح عبارة وأوضح بيان وأتم معنى وأبعده عن الايراد والأسئلة. وقد اعترف بهذا حذاق المتكلمين من المتقدمين والمتأخرين، (**فعمدة أدلة المتكلمين في التوحيد**) أي في اثبات وحدانية الله تعالى (**قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾**) [الأنبياء: ٢٢] وسيأتي الكلام على هذه الآية في شرح الرسالة القدسية. (**وفي النبوة: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾**) [البقرة: ٢٣]. (**وفي البعث**) والحشر (**قوله**) تعالى: **﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾** [يس: ٧٩]، وسيأتي الكلام عليها أيضاً (**إلى غير ذلك من الأدلة**) بجميع أنواعها والأقيسة الصحيحة.

والأدلة، ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون المنكرين ويجادلونهم. قال تعالى:

وقد تقدم للمصنف في كتاب العلم ما حاصله: أن حاصل ما يشتمل عليه الكلام من الأدلة فالقرآن والاخبار مشتملة عليه، وما خرج عنها فهو إما مجادلة مذمومة وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها توهمات إلى آخر ما قال ومر الكلام هناك.

وذكرنا هناك أيضاً كلام الفخر الرازي في كتابه أقسام اللذات: لقد تأملت الكتب الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطريق طريق القرآن اقرأ في الإثبات: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠] ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] واقرأ في النفي ﴿ليس كمثله شيء﴾ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي اهـ.

قال ابن القيم: وهذا الذي أشار إليه بحسب ما فتح له من دلالة القرآن بطريق الخبر، وإلا فدلالته البرهانية العقلية التي يشير إليها ويرشد إليها، فتكون دليلاً سمعياً عقلياً أمر تميز به القرآن، وصار العالم به من الراسخين في العلم، وهو العلم الذي يطمئن إليه القلب، وتسكن عنده النفس، ويزكو به العقل، وتستنير به البصيرة، وتقوى به الحجة، ولا سبيل لأحد من العالمين إلى قطع من حاجّ به بل من خاصم بـه فلحت حجته وكسر شبهة خصمه، وبه فتحت القلوب واستجابت لله ولرسوله، ولكن أهل هذا العلم لا تكاد الأعصار تسمح منهم إلا بالواحد بعد الواحد، فدلالة القرآن سمعية عقلية قطعية يقينية لا تعترضها الشبهات، ولا تتداولها الاحتمالات، ولا ينصرف القلب عنها بعد فهمها أبداً. وقال بعض المتكلمين: أفنيت عمري في الكلام أطلب الدليل وإذا أنا لا أزداد إلا بُعداً منه، فرجعت إلى القرآن أتدبره وأتفكر فيه، وإذا أنا بالدليل حقاً معي وأنا لا أشعر به. وقد أشرنا إلى بقية هذا الكلام في كتاب العلم. **(ولم تزل الرسل)** عليهم الصلاة والسلام **(يحاجّون المنكرين ويجادلونهم)** أوّلهم آدم عليه السلام وقد أظهر الله الحجة على فضله بأن أظهر علمه على الملائكة وذلك محض الاستدلال، وتقدم محاجة نوح وابراهيم وموسى عليهم السلام، ولسيدنا سليمان عليه السلام مقامان. أحدهما: في اثبات التوحيد، والآخر في إثبات النبوّة. وقد تقدمت الاشارة إلى ذلك. وعيسى عليه السلام فانه أوّل ما تكلم شرح أمر التوحيد فقال: إني عبدالله، وشهادة حاله كانت دالة على صدق مقالته، وقد دلت على التوحيد والنبوّة وبراءة أمه راداً بذلك على اليهود الطاعنين فيها، وأما نبينا ﷺ فمحاجته مع الكفار أظهر من أن يحتاج فيه إلى مزيد تقرير كالدهرية، ومثبتي الشريك على اختلاف الأنواع، ونافي القدرة والطاعنين في أصل النبوّة وخاصته في نبوّته ﷺ بجميع أنواعه، ومنكري الحشر. **(قال تعالى)** ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة **(وجادلهم بالتي هي أحسن﴾)** [النحل: ١٢٥]، وليس المراد منه المجادلة في فروع الشرائع لأن من أنكر نبوّته فلا فائدة في الخوض معه في تفاريع الأحكام، ومن أثبت نبوّته فلا يخالفه ولا يحتاج إلى الجدال، فعلمنا أن هذا الجدال المأمور كان في تقرير مسائل الأصول، وإذا ثبت هذا في حقه ﷺ ثبت في حق أمته، وإليه أشار بقوله: **(والصحابة)** رضوان الله عليهم **(أيضاً كانوا يجادلون عند الحاجة)**

﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ [النحل: ١٢٥]. فالصحابة رضي الله عنهم أيضاً كانوا يحاجون المنكرين ويجادلون، ولكن عند الحاجة. وكانت الحاجة إليه قليلة في زمانهم.

وأول من سنَّ دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحق علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ بعث ابن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج فكلمهم فقال: ما تنقمون على إمامكم؟ قالوا: قاتل ولم يسب ولم يغنم، فقال: ذلك في قتال الكفار، أرأيتم لو سبيت عائشة رضي الله عنها في يوم الجمل فوقعت عائشة رضي الله عنها في سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي أمكم في نص الكتاب؟ فقالوا: لا، فرجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألفان.

أي لا في كل وقت، **(وكانت الحاجة إليه قليلة في زمانهم)** وقد أشار لذلك المصنف في كتاب العلم بقوله: ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر الأول، ولكن لما تغير الآن حكمه إذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنّة لفقت لها شبهاً ورتبت لها كلاماً مؤلفاً، فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذوناً فيه، وقد أشار إلى مثل ذلك في كتابه الإملاء أيضاً، وكذلك قوله تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ [العنكبوت: ٤٦]، والمقصود أن مناظرات القرآن مع الكفار موجودة فيه، وكذا مناظراته ﷺ وأصحابه لخصومهم وإقامة الحجج عليهم لا ينكر ذلك إلا جاهل مفرط في الجهل.

(وأوّل من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحق) أمير المؤمنين **(علي)** بن أبي طالب **(رضي الله عنه إذ بعث)** عبد الله **(بن عباس)** رضي الله عنهما **(إلى الخوارج)** وهم الحرورية الذين خرجوا على علي رضي الله تعالى عنه **(يكلمهم فقال: ما تنقمون على إمامكم)** يعني علياً رضي الله عنه؟ **(قالوا: قاتل ولم يسب ولم يغنم)** أي: إن كان قتاله حقاً فَلِمَ ترك السبي والغنيمة ونهى عن ذلك؟ **(قال)** ابن عباس في الجواب: **(ذلك)** مخصوص **(في قتال الكفار)** لا المسلمين بعضهم مع بعض **(أرأيتم لو سبي عائشة)** رضي الله عنها **(في يوم الجمل)** وهي وقعة مشهورة مذكورة في السِيَر **(فوقعت عائشة في سهم أحدكم كنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي أمكم في نص الكتاب)** حيث قال: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ [الأحزاب: ٦] **(فقالوا: لا ورجع منهم إلى الطاعة)** والإنقياد **(بمجادلته ألفان)** منهم. وهذه القصة أوردها المصنف مختصرة وهي بطولها في كتاب الحلية لأبي نعيم قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي ح.

وحدثنا سليمان، حدثنا إسحاق، حدثنا عبد الرزاق قالا: حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا أبو زميل الحنفي، عن عبدالله بن عباس قال: لما اعتزلت الحرورية قلت لعلي يا أمير المؤمنين: أبرد عن الصلاة لعلّي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم. قال: إني أتخوّفهم عليك. قال: قلت كلا إن شاء

وروي أن الحسن ناظر قدرياً فرجع عن القدر. وناظر علي بن أبي طالب كرّم الله

الله، فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قوماً قط أشد اجتهاداً منهم. أيديهم كأنها ثفن الإبل ووجوههم معلبة من آثار السجود. قال: فدخلت فقالوا مرحباً بك يا بن عباس ما جاء بك؟ قال: جئت أحـ ـثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ نزل الوحي وهم أعلم بتأويله، فقال بعضهم: لا تحدثوه. قال بعض: لنحدثنه. قال قلت: أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه، وأوّل من آمن به من أصحاب رسول الله ﷺ؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثاً. قلت: ما هن؟ قالوا: أولاهن أنه حكم الرجال في دين الله، وقد قال الله: ﴿إن الحكم إلا لله﴾ [الأنعام: ٥٧] قال قلت: وماذا؟ قالوا: قاتل ولم يسب ولم يغنم لئن كانوا كفاراً لقد حلت له أموالهم ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم. قال قلت: وماذا؟ قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين. قال قلت: أرأيتم قولكم أنه حكم الرجال في دين الله، فإن قرأت عليكم في كتاب الله المحكم، وحدثتكم عن سنّة نبيكم ما تنكرونه أترجعون؟ قالوا: نعم. قلت: أما قولكم: أنه حكم الرجال في دين الله فإنه يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء﴾ إلى قوله: ﴿ذوا عدل منكم﴾ [المائدة: ٩٥] وقال في المرأة وزوجها: ﴿وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها﴾ [النساء: ٣٥] أنشدكم الله أفحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟ قالوا: اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم. قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم. قال: وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم أتسبون أمكم أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم وإن زعمتم أنها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام. إن الله تعالى يقول: ﴿النَّبِيُّ اوْلَى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ [الأحزاب: ٦] تترددون بين ضلالتين فاختاروا أيتهما شئتم أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم. قال: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله ﷺ دعا قريشاً يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتاباً فقال: اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ، فقالوا: والله لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني أكتب يا علي محمد بن عبد الله، فرسول الله كان أفضل من علي أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم فرجع معه عشرون ألفاً وبقي أربعة آلاف فقتلوا اهـ.

ثم أن قول المصنف أوّل من سنّ الخ ظاهره يخالف ما نقله اليوسي في شرحه على الكبرى أن ممن نظر في علم الكلام من السلف عمر بن الخطاب وابنه عبدالله بن عمر، والحق أنه لا خلاف في العبارتين كما يظهر في بادىء الرأي، فإن النظر فيه شيء ودعوة المبتدعة بالمجادلة شيء آخر فتأمل.

(وروي أن الحسن) البصري رحمه الله **(ناظر قدرياً)** أي رجلاً ممن ينكر القدر **(فرجع**

وجهه رجلاً من القدرية. وناظر عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يزيد بن عميرة في

عن) إنكار **(القدر، و)** يروى أيضاً أنه **(ناظر علي بن أبي طالب)** رضي الله عنه **(رجلاً من القدرية)** فيما روي أنه سأله رجل من الشام عن مسيره إليه أكان بقضاء الله وقدره؟ فقال رضي الله عنه: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما قطعنا وادياً ولا علونا تلعة إلاّ بقضاء وقدر، فقال الشامي: عندي احتسب عناك ما أرى لي من الأجر شيئاً، فقال علي: بلى أيها الشيخ قد عظم لكم الأمر على مسيركم وأنتم سائرون وعلى منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين. فقال الشيخ: فكيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا؟ فقال علي: لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حتماً. لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد والأمر والنهي من الله تعالى، ولما كانت تأتي محمدة من الله لمحسن ولا مذمة لمسيء، ولما كان المحسن بثواب الاحسان أولى من المسيء والمسيء بعقوبة الذنب أولى من المحسن. تلك مقالة عبدة الأوثان وجنود الشيطان وخصماء الرحمن. إن الله لم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً ولم يرسل الرسل هزلاً، ولم ينزل القرآن عبثاً، ولم يخلق السموات والأرض وعجائب الأمور باطلاً. فويل للذين كفروا. فقال الشيخ: ما القضاء والقدر اللذان ما وطئنا موطئاً إلا بهما؟ فقال علي: الأمر من الله والحكم، فنهض الشيخ وهو مسرور. هكذا وجدت السياق في بعض الكتب ولم أطلع على سنده، وإنما ظن الشيخ أن علياً رضي الله عنه أراد أن الله تعالى أجبرهم على المسير والإنصراف بقضاء الله وقدره، وقال: لم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين فاستنبه الشيخ وقال: كيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا يريد أنهما ساقانا سوقاً لا امتناع عنه، فنفى علي رضي الله عنه ذلك وأنهم ليسوا بمجبورين. وقال: ظننت قضاء لازماً وقدراً حتماً أي إنما وقع ذلك باختيار منكم، ولو كنتم مجبرين لبطل الثواب والعقاب إلى آخر كلامه.

ويروى أنه مرَّ بقوم فقال له رجل منهم يا أمير المؤمنين: إن هذا يزعم أنه يصنع شيئاً، فأقبل علي رضي الله عنه على الرجل فقال له: هل ملكك الله شيئاً فأنت تملكه؟ فقال: ملكني صلاتي وصومي وعتق رقيقي وطلاق امرأتي وحجي وعمرتي ما افترض عليّ، فقال له علي: هذا زعمت أنك تملكه أتملكه من دون الله أو تملكه مع الله؟ قال له الرجل: ما أدري ما تقول. فقال: أكلمك بلسان عربي وتقول ما أدري ما تقول؟ فاعادها علي رضي الله عنه فلم يجبه الرجل، فقال له علي: إن زعمت أنك تملكه من دون الله فقد جعلت نفسك من دون الله مالكاً، وإن زعمت أنك تملكه مع الله فقد جعلت نفسك مع الله شريكاً ومالكاً. ألا فالملك لله الواحد القهار.

(وناظر عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه **(يزيد بن عميرة)** بفتح العين المهملة الزبيدي، ويقال: الكلبي، ويقال الكندي السكسكي الحمصي. قال الحافظ في تهذيب التهذيب: روى عن أبي بكر، وعمر، ومعاذ بن جبل، وابن مسعود، ومعاوية. وعنه أبو إدريس، وعطية ابن قيس، وأبو قلابة الجرمي، وراشد بن سعد، ومعبد الجهني، وشهر بن حوشب. ذكره أبو

الايمان، قال عبد الله: لو قلت أني مؤمن لقلت أني في الجنة؟ فقال له يزيد بن عميرة: يا صاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الإيمان إلا أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة؟ ولنا ذنوب لو نعلم أنها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة، فمن أجل ذلك نقول إنا مؤمنون ولا نقول إنا من أهل الجنة. فقال ابن مسعود: صدقت والله إنها مني زلة، فينبغي أن يقال كان خوضهم فيه قليلاً لا كثيراً قصيراً لا طويلاً وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة، فيقال: أما قلة خوضهم فيه فإنه كان لقلة الحاجة إذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان، وأما القصر فقد كان الغاية إفحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق وإزالة الشبهة، فلو طال إشكال الخصم أو لجاجه لطال لا محالة إلزامهم. وما كانوا يقدرون

زرعة الدمشقي في الطبقة العليا التي تلي الصحابة، وذكره ابن سميع فيمن أدرك الجاهلية من أصحاب معاذ. وقال العجلي: شامي تابعي ثقة من كبار التابعين، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال البخاري: قدم الكوفة وسمع ابن مسعود.

قلـت: وهو من رجال أبي داود والترمذي والنسائي (**في الإيمان، فقال عبد الله: لو قلت أني مؤمن لقلت أني من أهل الجنة، فقال ابن عميرة: يا صاحب رسول الله هذه زلة منك**) أي سقطة، (**وهل الإيمان إلا أن تؤمـن بـالله وملائكتـه وكتبـه ورسلـه والبعـث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة والحج، ولنا ذنوب لو علمنا انها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة، فمن أجل ذلك نقول إنّا مؤمنون ولا نقول أنا من أهل الجنة. فقال ابن مسعود: صدقت والله إنها مني زلة**) فرجع رضي الله عنه إلى قوله معترفاً على نفسه، وهذا من إنصافه وميله إلى الحق الذي جبل عليه، (**فينبغي أن يقال كان خوضهم فيه قليلاً**) بحسب الحاجة (**لا كثيراً قصيراً**) أي يقصرون فيه. (**لا طويلاً**) لا شتغالهم بما هو أهم، (**و**) أنه كان ذلك (**عند الحاجة**) إليه في دفع معاند أو إرشاد ضال (**لا بطريق التصنيف**) فيه أي تسطيره صنفاً صنفاً (**والتدريس**) أي إلقائـه درساً درساً (**و**) لا (**اتخاذه صناعة**) يتميز بها عن غيره وإليها ينتسب، (**فيقال: أما قلة خوضهم فيه كان لقلة الحاجة**) الداعية إليه (**ولم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان**) أي الآراء المحدثة إنما ظهرت فيا بعد، (**وأما القصر فقد كان الغاية القصوى إفحام الخصم**) أي إسكاته (**واعترافه**) بالحق (**وانكشاف الحق**) له من أوّل وهلة، (**فلو طال إشكال الخصم أو لجاجه**) في محاورته (**لطال لا محالة الزامهم**) بدفع كل اشكال اشكال، وأيضاً فإنهم كانوا محتاجين إلى محاجة اليهود والنصارى في إثبات نبوّة محمد ﷺ وإلى إثبات الإلهية مع الاصنام. وإلى اثبات البعث مع منكريه، ثم ما زادوا في هذه القواعد التي هي أمهات العقائد على أدلة القرآن، فمن اتبعهم في ذلك قبلوه ومن لم يقنع قتلوه وعدلوا إلى السيف والسنان بعد إنشاء أدلة القرآن، وما ركبوا ظهر

قدر الحاجة بميزان ولا مكيال بعد الشروع فيها، وأما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه، فهكذا كان دأبهم في الفقه والتفسير والحديث أيضاً، فإن جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق إلا على الندور، إما ادخاراً ليوم وقوعها وإن كان نادراً أو تشحيذاً للخواطر، فنحن أيضاً نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشحيذ الخاطر أو لإدخال الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال، كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال، فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين.

فإن قلت: فما المختار عندك فيه؟ فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بذمه في كل حال أو بحمده في كل حال خطأ، بل لا بدَّ فيه من تفصيل. فاعلم أوَّلاً أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة وأعني بقولي: «لذاته» أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو

اللجاج في وضع المقاييس العقلية وترتيب المقدمات واستنباطها وتحرير طرق المجادلة، **(وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا بمكيال بعد الشروع فيه)** ولا بقاعدة معلومة، وإنما هو بحسب الوارد، كل ذلك لعلمهم بأن ذلك مثار الفتن ومنبع التشويش، وأن من لا تقنعه أدلة القرآن فلا يقنعه إلا السيف والسنان فما بعد بيان الله بيان، **(وأما عدم تصديهم)** أي تعرضهم **(للتدريس والتصنيف)** فيه **(فهكذا كان في الفقه والتفسير والحديث أيضاً)** لأن الكتب المؤلفة في العلوم محدثة باتفاق كما سبقت الإشارة إليه في كتاب العلم، **(فإن جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة)** الغريبة **(التي)** لم تقع و**(لا تتفق إلا على)** سبيل **(الندور)** والقلة **(أما إدخاراً)** وحفظاً لها **(ليوم وقوعها وإن كان نادراً أو تشحيذاً للخاطر)** من شحذ الحديدة شحذاً من باب نفع، والذال المعجمة إذا أحددتها. وفي بعض النسخ أو لتشحيذ الخاطر **(أو لادخار الحجة)** عنده **(حتى لا يعجز عنها عند)** مسيس **(الحاجة على البديهة والارتجال)** يقال بدهه بدها إذا بغته، وسميت البديهة لأنها تبغت وتسبق، والارتجال إتيان الكلام من غير روية ولا فكر **(كمن يعد السلاح)** أي يهيئه **(قبل القتال)** أي قبل حضوره وملابسته له **(ليوم القتال فهذا)** الذي قرر **(مما يمكن أن يذكر للفريقين)** أي في احتجاج كل منهما على جواز الاشتغال به وعدمه.

(فإن قلت: فما المختار فيه) وفي نسخة: منه **(عندك)** أي ما الذي تختاره وتذهب إليه؟ **(فاعلم أن الحق فيه أن إطلاق القول بذمه)** أي كونه مذموماً مطلقاً **(في كل حال أو بحمده)** أي كونه محموداً مطلقاً **(في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل)** يظهر سياقه وجه الحق، **(فاعلم أوّلاً أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة، وأعني بقولي لذاته أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الإسكار)** في الخمر **(والموت)** في الميتة، **(وهذا إذا سئلنا**

الإسكار والموت. وهذا إذا سئلنا عنه أطلقنا القول بأنه حرام، ولا يلتفت إلى اباحة الميتة عند الاضطرار، واباحة تجرع الخمر إذا غص الإنسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر وإلى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم في وقت الخيار والبيع وقت النداء، وكأكل الطين فإنه يحرم لما فيه من الأضرار، وهذا ينقسم إلى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره، وإلى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالإباحة كالعسل، فإن كثيره يضر بالمحرور، وكأكل الطين، وكأن اطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العسل التفات إلى أغلب الأحوال، فإن تصدى شيء تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل فنعود إلى علم الكلام ونقول: إن فيه منفعة وفيه مضرة، فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال أو مندوب إليه أو واجب كما يقتضيه الحال، وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام. أما مضرته فإثارة الشبهات وتحريك العقائد وإزالتها

عنه أطلقنا القول بأنه حرام) نظراً إلى هذه العلة، **(ولا يلتفت إلى إباحة الميتة عند الاضطرار وإباحة تجرع الخمر إذا غص الإنسان بلقمة)** أي نشبت في حلقه **(ولم يجد ما يسيغها)** وينزلها **(سوى الخمر)**. وكان هذا جواب عن سؤال مقدر بقول القائل: كيف يجوز إطلاق القول فيها بالحرمة مع أنها قد يباحان في وقت، فأجاب بأن ذلك نادر ولا حكم للنادر، **(وإلى ما يحرم لغيره)** لا لذاته **(كالبيع على بيع أخيك في وقت الخيار)** أي الاختيار **(والبيع وقت النداء)** أي الآذان فكل منها ورد النهي عنها في عدة أحاديث، **(وكأكل الطين فإنه يحرم لما فيه من الضرر)** للبدن، **(وهذا ينقسم إلى ما يضر قليله وكثيره فيطلق عليه بأنه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره)** وهو أنواع كثيرة ما بين حيواني ونباتي ومعدني، **(وإلى ما يضر عند الكثرة)** فقط **(فيطلق القول عليه بالإباحة كالعسل فإن كثيره يضر بالمحرور)** المزاج في البلاد الحارة، **(وكأكل الطين)** فإنه كذلك كثيره يضر بالبدن **(وكأن اطلاق التحريم على الخمر والتحليل على العسل التفاتاً)** أي نظراً **(إلى أغلب الأحوال، فإن تصدى شيء)** أي تعرض **(تقابلت فيه الأحوال فالأولى والأبعد عن الالتباس أن يفصل)** فيها، فإذا عرفت ذلك **(فنعود إلى علم الكلام)** إذ هو المقصود لذاته من هذا البحث **(فنقول: فيه منفعة وفيه مضرة، فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال أو مندوب أو واجب كما يقتضيه الحال)** باعتبار مسيس الحاجة الشديدة وأشد منها، **(وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام)** ثم شرع في ذكر مضرته ومنفعته فقال: **(أما مضرته فإثارة الشبهات)** الملتبسة **(وتحريك العقائد)** الفاسدة **(وإزالتها عن الجزم والتصميم)**، وقد تقدم تشبيهه بخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح، **(فلذلك مما يحصل في الابتداء)** أو ابتداء الأمر.

عن الجزم والتصميم، فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه، ويختلف فيه الأشخاص، فهذا ضرره في الاعتقاد الحق. وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة وتثبيته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه، ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل، ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن أن يزول اعتقاده باللطف في أسرع زمان إلا إذا كان نشوءه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب، فإنه لو اجتمع عليه الأوّلون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره، بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من إدراك الحق حتى لو قيل له: هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء ويعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه؟ وهذا هو الداء العضال التي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب، فهذا ضرره.

فإن قلت: لا نسلم إزالتها من الجزم، فإن الدليل عليها مما يقوّيها ويشدها. (و) الجواب: أن (**رجوعها بالدليل مشكوك فيه**) فإن المدلول إذا لم يصمم به لعروض شبهة، فالدليل عليه بطريق الأولى، (**وتختلف فيه الأشخاص**) بالقوّة والضعف (**فهذا ضرره في الاعتقاد الحق**) الثابت، (**وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة وتثبيتها في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم**) المحركة (**ويشتد حرصهم على الإصرار عليه**) والوقوف لديه، (**ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب**) للمذهب وطلب المباهاة بالمعارف والتظاهر بذكرها مع العوام (**الذي يثور وينبعث من الجدل**) والمناظرة، (**ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن أن يزول اعتقاده باللطف في أسرع زمان**) لعدم رسوخه في قلبه (**إلا إذا كان نشأته**) ونموّه (**في بلد يظهر فيه الجدل والتعصب**) كبلاد الرافضة مثلاً، (**فإنه لو اجتمع عليه الأوّلون والآخرون**) بأنواع الأدلة (**لم يقدروا على نزع البدعة من صدره**) لتمكنها فيه ورسوخها، (**بل الهوى**) النفساني (**والتعصب**) المذهبي والمباهاة بالمعارف (**وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه**) استيلاء كلياً (**ويمنعه من إدراك الحق**) الصحيح ومن وصوله إلى قلبه (**حتى لو**) فرض، (**وقيل له**) بعد العجز عن إيصال ذلك إلى فهمه: (**هل تريد أن يكشف الله لك الغطاء**) والحجاب عن فهمك (**فيعرفك بالعيان**) والمشاهدة الحقيقية (**أن الحق مع خصمك لكره ذلك**) من نفسه (**خيفة أن يفرح به خصمه**) إذا علم منه رجوعه إلى الحق، (**وهذا هو الداء العظيم**) والخطب الجسيم (**الذي استطار في البلاد والعباد**) شرره وعم ضرره، (**وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب**) للمذاهب، (**فهذا ضرره**) ومنه تنشأ أنواع الضرر المهلكة.

وأما منفعته، فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه، وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف، وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا، فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخر تناسب نوع الكلام، وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود. ولعمري

(**وأما منفعته: فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليها**) وهو مقام الكشف والمشاهدة وعمارة السر بأنوار اليقين وحصول العلم المضارع للضروري، (**ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف**) إذ أكثره عمل النفس وتخليق الفهم، (**وهذا**) الكلام (**إذا سمعته من محدث**) وهو المشتغل بعلم الحديث بسائر فنونه العارف برجاله ومتونه (**أو حشوي**) هو بالتحريك من يتتبع ظواهر الأحاديث. قال اليوسي في حاشية الكبرى نسبة إلى الحشاء أي الجانب والطرف، سموا بذلك لقول الحسن البصري وكان أوائلهم يجلسون إليه بين يديه ثم وجد كلامهم ساقطاً. ردوا هؤلاء إلى حشاء الحلقة أي جانبها أو بسكون الشين من الحشو لقولهم بذلك في القرآن حيث زعموا أن في الكتاب والسنة ما لا معنى له اهـ.

(**ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا**) ومن جهل شيئاً عاداه، (**فاسمع هذا ممن خبر الكلام**) وسبره ودخل فيه وخرج وألف فيه عدة تآليف (**ثم قلاه**) أي أبغضه وتركه (**بعد حقيقة الخبرة**) أي الاختبار الكلي (**وبعد التغلغل فيه**) أي الدخول في وسطه (**إلى**) أن وصل (**منتهى درجة المتكلمين**) وأقصى رتبتهم، (**وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخر تناسب نوع الكلام**) من العلوم الفلسفية، (**وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة**) كما هي عليها (**من هذا الوجه مسدود**) كما ذكر ذلك في كتابه المنقذ من الضلال فقال في أوّله: ولم أزل في عنفوان شبابي عندما راهقت البلوغ قبل العشرين إلى الآن، وقد أناف سني على الخمسين أقتحم لجة هذا البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور، وأتوغل في كل مضلة، وأهم على كل مشكلة، وأقتحم كل ورطة، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة لأميـز بين محق ومبطل ومستن ومبتدع إلى أن قال: وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور أي من أوّل أمري غريزة وفطرة من الله تعالى وضعها في جبلتي لا باختياري وحيلتي حتى انحلت عني رابطة التقليد، ثم ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت فيه ما أردت أن أصنف، فصادفته علماً وافياً بمقصوده غير وافٍ بمقصودي اهـ وسيأتي بقية هذه العبارة فيما بعد.

(**ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور ولكن على**)

لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور، ولكن على الندور في أمور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام، بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل، فإن العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وإن كان فاسداً، ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه. والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم، وأجمع السلف الصالح عليها، والعلماء يتعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب، وإذا وقعت

سبيل (**الندور**) والقلة (**وفي أمور جلية**) ظاهرة (**تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام**) بأصل الفطرة والجبلة، (**بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل**). وقال المصنف في الإملاء: اعلم أن المتكلمين من حيث صناعة الكلام فقط لم يفارقوا اعتقاد العوام وإنما حرسوها بالجدل عن الإنخرام فهم حراس نواحي الشرع من أهل الاختلاس والقطع وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك أيضاً في كتاب العلم: (**فإن العامي ضعيف يستفزه**) ويحركه (**جدل المبتدع وإن كان فاسداً ومعارضة الفاسد بالفاسد مدفعة والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها إذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم واجتماع السلف عليها**). وقال المصنف في كتابه المنقذ: وإنما المقصود منه حفظ عقيدة أهل السنّة وحراستها عن تشويش أهل البدع فقد ألقى الله تعالى إلى عباده على لسان رسول الله ﷺ عقيدة هي الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمقدماته القرآن والأخبار (**والعلماء متعبدون بحفظ ذلك على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تقحمات**). وفي نسخة عن تهجمات (**الظلمة والغصاب**) جمع غاصب وهو الذي يأخذ المال قهراً. وقال المصنف في المنقذ: ولما كان أكثر خوض المتكلمين في استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلماتهم وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات شيئاً لم يكن الكلام في حقي كافياً ولا لدائي الذي أشكوه شافياً. نعم لما نشأت صنعة الكلام وكثر الخوض فيه وطالت المدة تشوّف المتكلمون إلى مجاوزة الذب عن الشبهة بالبحث عن حقائق الأمور وخاضوا في البحث عن الجواهر والاعراض وأحكامها، ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى، فلم يحصل منه بالكلية ما يمحو ظلمات الحيرة في اختلاف الخلق، فلا أبعد أن يكون حصل ذلك لغيري بل لست أشك في حصول ذلك لطائفة، ولكن حصولاً مشوباً بالتقليد في بعض الأمور التي ليست من الأوليات، والغرض الآن حكاية حالي لا إنكاراً على من استشفى به، فإن أدوية الشفاء مختلفة باختلاف الداء فكم من دواء ينتفع به مريض ويستضر به آخر اهـ.

(**وإذا وقعت الإحاطة**) وكمال المعرفة (**بضرره ومنفعته، فينبغي أن يكون الناظر**

الاحاطة بضرره ومنفعته، فينبغي أن يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا في موضعه، وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة. وتفصيله أن العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه، فإن تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم شكاً ويزلزل عليهم الاعتقاد، ولا يمكن القيام بعد ذلك بالإصلاح.

وأما العامي المعتقد للبدعة فينبغي أن يدعى إلى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق أدلة القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير، فإن ذلك أنفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين، إذ العامي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها المتكلم ليستدرج الناس إلى اعتقاده، فإن عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضاً يقدرون على دفعه. فالجدل مع هذا ومع الأول حرام، وكذا مع من وقع في شك

فيه) بعد تلك الاحاطة **(كالطبيب الحاذق)** الماهر **(في استعمال الدواء الخطر)** الذي فيه بعض سميات مثلاً **(إذ لا يضعه إلا في موضعه)** الذي يليق بوضعه **(وذلك في وقت الحاجة وعند قدر الحاجة)**، فإنه إذا لم يصادف الوقت والقدر كان عين الضرر، وهذا لا تبينه إلا المهرة في الفن. **(وتفصيله أن العوام)** من الناس **(المشغولين بالحرف)** والصناعات وجميع أنواع الاكتسابات **(يجب أن يتركوا على سلامة عقائدهم)** وهي **(التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه)** آنفاً. ويكتفى به معهم على هذا القدر ولا يعلمون المناظرة والجدال، **(فإن تعليمهم الكلام)** وصفة الجدال **(ضرر محض)** خالص **(في حقهم إذ ربما يثير لهم شكاً)** أي يبعث من الكلام يتعلق بفهمه **(ويزلزل عليهم الاعتقاد)** الذي تلقنوه، **(فلا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح)** أي بإزالة ذلك الشك العارض في قلبه لرسوخه فيه وعدم التفاته إلى ما يزيله أو نظر فيه ولم يفهم كنهه هذا حال أرباب الحرف.

(وأما العامي المعتقد البدعة فينبغي أن يدعى إلى) المعتقد **(الحق باللطف)** واللين في المحاورة **(لا بالتعصب)** وسوء القول، **(وبالكلام اللطيف)** السهل اللين **(المقنع للنفس المؤثر)** بوقعه **(في القلب القريب من سياق أدلة القرآن والحديث)** فما بعد بيانها بيان **(الممزوج بالوعظ والتحذير)** ولا يماري إلا مراء ظاهراً، **(فإن ذلك أنفع من الجدل الموضوع)**. وفي نسخة: المصوغ **(على شرط المتكلمين)** فإنه يخبط الذهن ويشوّشه **(إذ العامي إذا سمع ذلك الاعتقاد اعتقد أنه نوع صنعة تعلمها المتكلم يستدرج الناس بها إلى اعتقاده)** أي يستميلهم إليه على طريق الاستدراج، **(فإن عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من مذهبه)** ومن طريقته **(أيضاً يقدرون على دفعه)** ورد ما أورده **(والجدل مع**

إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام. واستقصاء الجدل إنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله، فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الانس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية، فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه منها إلا دواء الجدل فجاز أن يلقى إليه. وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة، فإن وقعت ذكر بقدر الحاجة فإن كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا بأس أن يعلموا القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سبباً لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت إليهم. وهذا مقدار مختصر، وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره، فإن كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه

هذا) أي العامي (**ومع الأوّل**) أي معتقد البدعة (**حرام**) أما مع العامي فلزلزلة اعتقاده وأما مع المبتدع فلتعصبه، (**وكذا مع من وقع له شك**). وفي نسخة: في شك (**إذ يجب إزالته باللطف والوعظ**) لا بالعنف والقهر (**والأدلة القرآنية المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام**) بكلام جلي يفهمه ولا يكلف نفسه تدقيق الفكر وتحقيق النظر (**والاستقصاء بالجدل**) في تفسير وسؤال وتوجيه وإشكال ثم الاشتغال بحله (**إنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه**) وطرق إلى اسماعه، (**فيقابل ذلك الجدل بمثله**) ليزيله (**فيعود إلى اعتقاد الحق**) بسهولة، (**وذلك فيمن ظهر له من الانس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية**) بعدم ميل قلبه إليها، وإنما يستأنس بالمجادلة (**فقد انتهى هذا إلى حال لا يشفيه**) أي لا يزيل داء اعتقاده (**إلا دواء الجدل، فجاز أن يلقى إليه**) بالقدر المحدود، (**وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب**) بل يكونون على مذهب واحد، فإن غالب التعصبات إنما يثور من اختلاف المذاهب (**فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد**) المختصر (**الذي ذكرناه**) آنفاً (**ولا يتعرض للأدلة**) أي العقلية أو مطلقاً (**ويتربص**) أي: ينتظر (**وقوع شبهة**) عرضت له على جزئي من جزئيات الاعتقاد، (**فإن وقعت ذكر**) الأدلة (**بقدر الحاجة**) بشرط أن لا يوغل فيه غاية الإيغال وإن اقتصر على أدلة القرآن كفى وشفى، (**وإن كانت البدعة شائعة**) أي ظاهرة منتشرة (**وكان يخاف على الصبيان**) والأطفال (**أن يخدعوا**) بها (**فلا بأس أن يعلموا القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية**) الآتي ذكرها في الفصل الثالث من هذا الكتاب (**ليكون ذلك سبباً لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت إليهم**) أي: إن فرض وقوعها، فما في الرسالة القدسية من الأدلة القرآنية والعقلية كفاية في الرد على المخالفين كما سيأتي ذلك (**وهو مقدار مختصر**) في أوراق يسيرة. (**وقد أودعناه هذا الكتاب**) في الفصل الثالث

لموضع سؤال أو ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء، فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ـ وهو قدر خمسين ورقة ـ وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين. فإن أقنعه ذلك كف عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالباً والمرض سارياً، فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى فيه إلى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه، أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له،

(لاختصاره) وجمعه، (**فإن كان فيه ذكاء**) وتوقد ذهن بالاستطلاع على الغوامض (**وتنبه بذكائه لموضع سؤال**) يرد عليه (**أو ثارت في نفسه شبهة**) عرضت له (**فقد بدت العلة المحذورة**) منها (**وظهر الداء**) بعد كمونه، (**فلا بأس أن يترقى منه إلى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ـ وهو قدر خمسين ورقة ـ**). وقد يكون أزيد أو أقل بحسب الخطوط والمساطر، وهو كتاب جليل مرّ ذكره في شرح خطبة الكتاب وشرحه غير واحد من الأئمة، (**وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحثة المتكلمين**)، بل الأدلة المذكورة فيه دائرة بين قرآنية وحديثية وعقلية وليس فيها تعرض للمباحث العويصة، (**فإن أقنعه ذلك**) وكفاه (**كف عنه**) ولم يدعه يخوض في المطوّلات (**وإن لم يشفه ذلك**) بل زاد (**فقد**) عسر علاجه لأنه (**صارت العلة**) فيه (**مزمنة**) وصار (**الداء غالباً**) على قلبه (**والمرض سارياً**) في جسمه، (**فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه**) إذ علم الكلام راجع إلى علم معالجة المرضى بالبدع كما قاله المصنف في الجام العوام (**وينتظر قضاء الله تعالى فيه إلى أن ينكشف له الحق**) بارتفاع المانع (**بتنبيه من الله سبحانه**) بنفث يلقى في روعه أو إلهام أو غير ذلك، (**أو يستمر على**) ما رسخ فيه من (**الشك والشبهة إلى ما قدر له**) من الأزل.

وفي الجام العوام للمصنف: فإن قيل: إذا فرضنا عامياً مجادلاً لجوجاً ليس مقلداً ولا يقنعه التقليد ولا أدلة القرآن ولا الأقاويل الجلية المقنعة، فماذا يصنع به؟ قلنا: هذا مريض مال طبعه من صحة الفطرة الأصلية فينظر في شمائله فإن وجد اللجاج والجدل غالباً عليه وعلى طبعه لم نجادله، وطهرنا وجه الأرض منه إن كان يجادلنا في أصل من الإيمان، وإن تفرسنا بالقرائن مخايل الرشد والقبول. لو جاوزنا به من الكلام الظاهر إلى تدقيق الأدلة عالجناه بما قدرنا عليه من ذلك وداويناه بالجدال المسدد والبراهين الجلية، وترخيصنا في هذا المقدار من المداواة لا يدل عن فتح الباب في الكلام مع الكافة، فإن الأدوية تستعمل في حق المرضى وهم الأقلون وما يعالج به المريض بحكم الضرورة يجب عليه أن يوقى عنه الصحيح والفطرة الصحيحة الأصلية تعد لقبول الإيمان دون المجادلة، وتحرير حقائق الأدلة، وليس الضرر في استعمال الداء مع الأصحاء بأقل من الضرر في إهمال المداواة مع المرضى فليوضع كل شيء في محله اهـ.

فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه.

فأما الخارج منه فقسمان: **أحدهما:** بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكوان وعن الادراكات وعن الخوض في الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو العمى؟ وإن كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى أو ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده إلى غير ذلك من الترهات المضلات.

والقسم الثاني: زيادة تقرير لتلك الأدلة في غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة، وذلك أيضاً استقصاء لا يزيد إلاَّ ضلالاً وجهلاً في حق من لم يقنعه ذلك

(**فالقدر الذي يحويه هذا الكتاب وحده من المصنفات**) يريد به كتاب الإقتصاد (**هو الذي يرجى نفعه**) للسالك في سبيل الحق.

(**وأما الخارج عنه**) أي عن ذلك القدر، فإنه (**قسمان: أحدهما: بحث على غير قواعد العقائد**) الإسلامية (**كالبحث عن الإعتمادات**) كقول أبي هاشم أن الموجب لهوى الثقيل هو الإعتمال دون الحركة ذكره في مسألة التولد (**والأكوان**) جمع كون وهو استحالة جوهر ما إلى ما هو أشرف منه ويقابله الفساد وهو استحالة جوهر ما إلى ما هو دونه ولهم في الكون إطلاقاً أخر، (**وعن الإدراكات**) في ثبوتها ونفيها. ومذهب أهل السنة أن الإدراكات كلها من فعل الله سبحانه وأنه ليس شيء منها فعلاً للإنسان ولا كسباً له كما سيأتي بيانه، (**والخوض أن في الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو العمى وإن كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى أو ثبت بكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده**). هكذا سياق العبارة في غالب النسخ، وفي بعضها أو يثبت بكل مرئي، وفي بعضها وإن كان كل واحد هو منع جميع ما لا يرى أو ثبت لكل مرئي، فذلك يمكن رؤيته منع بحسب عدده. واعلم أن الممنوع بوجود الصمم والعمى معنيان هما إدراكاً للمسموع والمرئي، وإنها غير ذاته. فإن قالت المعتزلة: العمي والصمم مانعان له عن أن يكون مدركاً قبل: ما معنى منعها عن كونه مدركاً هل هو منع عن نفسه أو عن معنى سواه، ولا يجوز أن يكون منعاً عن نفسه. فوجب أن يكون المنع إنما وقع عن معنى سواه وهو إدراك إذ لا يجوز أن يكون المنع منعاً لا عن شيء، وهذا البحث أورده أبو منصور التميمي في كتاب الأسماء والصفات، وسنشير إليه إن شاء الله تعالى (**إلى غير ذلك من الترهات**) أي الأباطيل (**المضلة**) للفهم.

(**والقسم الثاني: زيادة تقرير**) وفي بعض النسخ: تقدير و(**لتلك الأدلة**) العقلية (**في غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة**) وشبه تنبعث من الأفكار، وفي بعض النسخ إسقاط أسئلة (**وذلك أيضاً استقصاء لا يزيد**) المستقل به (**إلا ضلالاً**) عن الطريق (**وجهلاً في حق من لم يقنعه ذلك القدر**) ولم يكتف به، (**فرب كلام يزيده الإطناب**) هو أداء

القدر، فرب كلام يزيده الاطناب والتقدير غموضاً، ولو قال قائل: البحث عن حكم الإدراكات والاعتمادات فيه فائدة تشحيذ الخواطر، والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كقوله: لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين أيضاً، وذلك هوس، فإن الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام، والحال التي يذم فيها والحال التي يحمد فيها، والشخص الذي ينتفع به والشخص الذي لا ينتفع به.

فإن قلت: مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع المبتدعة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة فلا بدّ أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرهما؟ وما لم يشتغل العلماء

المقصود بأكثر من العبارة المتعارفة (**والتقرير غموضاً**) وخفاء (**ولو قال قائل: البحث عن حكم الإدراكات والإعتمادات فيها فائدة**) نافعة وهي (**تشحيذ الخاطر**) وتنبيهها عن الغفلة (**والخاطر آلة الدين**) أصل الخاطر لما يتحرك في القلب من رأي أو معنى، ثم سمى محله باسم ذلك وهو من الصفات الغالبة (**كالسيف آلة للجهاد**) أي بالخاطر تنكشف أسرار أحكام الدين، كما أن السيف تتم به أمور المجاهدين (**فلا بأس بتشحيذه**) أي فلأي شيء يمنع من الخوض في القسم الأول مع كونه مفيداً من وجه، فأجاب بقوله: (**كان**) أي هذا القول (**كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر**) ويهيئه لتلقي التدبيرات (**فهو من الدين**) أي من جملة أموره (**وذلك هوس**) واختلاط، (**فإن الخاطر يشحذ بسائر علوم الشرع فلا يخاف فيها مضرة**) ثم أن الشطرنج معرب. واختلف في أصله فقيل: صدرنات يعني مائة حيلة، وقيل: صدرنج يعني مائة تعب، وقيل شدرنج أي صار تعباً، واختلف في ضبطه فقيل بالفتح وهو المشهور وقيل بالكسر وهو المختار. قال ابن الجواليقي في كتاب ما يلحن فيه العامة ومما يكسر والعامة تفتحه أو تضمه وهو الشطرنج بكسر الشين. قال: وإنما كسر ليكون نظير الأوزان العربية مثل جردحل إذ ليس في أبنية العرب فعلل بالفتح حتى يحمل عليه، وأما أول من وضعه ولأي شيء وضعه، وأقوال الأئمة في جواز اللعب به أو كراهته فقد ذكره الحافظ السنحاوي في عمدة المحتاج مستوفى، وأشرنا إلى بعضها في شرحنا على القاموس ليس هذا محل ذكرها. (**فقد عرفت بهذا**) الذي تقدم ذكره (**القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام**) بعد تقريره لذلك في كتاب العلم بنحو مما ذكره هنا (**و**) عرفت أيضاً (**الحال التي يذم فيها والحال التي يحمد فيها و**) عرفت (**الشخص الذي ينتفع به، والذي لا ينتفع به. فإن قلت: مهما اعترفت بالحاجة إليه في دفع المبتدع**) ورد شبهة، (**والآن فقد ثارت البدع**) وهاجت (**وعمت البلوى**) الناس (**وأرهقت الحاجة**) أي دنت وقرب وقوعها (**فلا بدّ أن يصير القيام بهذا العلم**) والتصدي له (**من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال**) وحفظها

بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم، فينبغي أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضاً من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضي الله عنهم، فإن الحاجة ما كانت ماسة إليه. فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة، وذلك يدوم بالتعليم، ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير، فإن هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر، فالعالم به ينبغي أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال.

إحداها: التجرد للعلم والحرص عليه، فإن المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت.

من النهاب (**وسائر الحقوق**) كذلك (**وكالقضاء والولاية وغيرهما**) من المناصب العامة والخاصة، (**وما لم يشتغل العلماء بنشر ذلك**) وتعليمه (**والتدريس فيه والبحث عنه**) والتحقيق فيه (**لا يدوم ولو ترك**) الإشتغال به (**لاندرس**) بمرة وانمحى أثره، ولقائل أن يقول: لا يحتاج إلى نشره وتعليمه بل يكتفي منه في رد شبه المبتدعة بما ركز في الجبلة والطباع، فأجاب بقوله: (**وليس في مجرد الطباع**) ولو كانت سليمة (**كفاية**) تامة (**لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم**) ويدأب فيه، لأن أكثر هذا العلم أمور دقيقة نظرية (**فينبغي أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضاً من فروض الكفايات**) ، وهذا (**بخلاف زمان الصحابة**) رضوان الله تعالى عليهم (**فإن الحاجة ما كانت ماسة إليه**) أما لعدم ظهور البدع في زمانهم، أو لاكتفائهم بما أشرق الله من أنوار المشاهدة في صدورهم، فكانت الأمور الخفية بالنسبة إلينا جلية عندهم، (**فاعلم أن الحق**) الذي لا محيد عنه (**أنه لا بد في كل بلد**) من بلاد الإسلام (**من قائم بهذا العلم**) أي يازائه (**مستقل بدفع شبه المبتدعة الذين ثاروا في تلك البلدة**) ونبغوا (**وذلك يدوم بالتعليم**) ويحفظ بالنشر والإفادة، (**ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم**) أي على عامة الناس (**كتدريس الفقه والتفسير**) ولوازمها، (**فإن هذا**) أي علم الكلام (**مثل الدواء**) الذي لا يحتاج إليه في كل وقت وينتفع به آحاد الناس ويستضر به الآخرون، (**والفقه مثل الغذاء**) للأبدان الذي لا يستغنى عنه بحال في إقامة ناموس البدن (**وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر**) التي لا تحصى، (**فالعالم به ينبغي أن يخصص بتعليم هذا العلم من**) وجدت (**فيه ثلاث خصال**):

(**احداها التجرد للعلم**) والإستعداد لطلب المعرفة (**والحرص عليه**) بالإكباب على درسه وتعلمه، (**فإن المحترف**) أي المشتغل بالحرفة والصناعة (**يمنعه الشغل**) الذي هو فيه (**عن الإستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت**) لعدم استعداده لذلك.

والثانية: الذكاء والفطنة والفصاحة، فإن البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه.

والثالثة: أن يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه، فإن الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فإن ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد الذي بينه وبين الملاذ فلا يحرص على إزالة الشبهة، بل يغتنمها ليتخلص من أعباء التكليف، فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه.

(**الثانية: الذكاء**) وهو سرعة الإدراك وحدة الفهم، وقيل: هو سرعة اقتراح النتائج، (**والفطنة**) وهي سرعة هجوم على حقائق معان مما توررده الحواس عليها، (**والفصاحة**) وهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود، (**فإن البليد**) المتحير في أمره الذي لا يوصف بذكاء ولا فطنة (**لا ينتفع بفهمه**) بل هو دائماً حيران في أمره، (**والفدم**) وهو البطيء الفهم (**لا ينتفع بحجاجه**) أي بمحاجته (**فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه**).

الثالثة: أن يكون في طبعه الصلاح) وهو ضد الفساد ويختصان في أكثر الإستعمال بالأفعال وقوبل في القرآن تارة بالفساد وأخرى بالسيئة، (**والديانة**) وهي التمسك بأمور الدين، (**والتقوى**) وهي تجنب القبيح خوفاً من الله تعالى (**ولا تكون الشهوات**) النفسية (**غالبة عليه**) وفي معنى الشهوات التعصبات للمذاهب والمباهاة بالمعارف، (**فإن الفاسق بأدنى شبهة**) إذا عرضت (**ينخلع عن**) ربقة (**الدين فإن ذلك يحل عنه الحجز**) أي الستر الحاجز (**ويرفع الستر بينه وبين الملاذ**) الشهوانية (**فلا يحرص على إزالة الشبهة**) ودفعها، (**بل يغتنمها ليتخلص من اعباء التكليف**) ومشقاته (**فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه**).

وقال المصنف في الجام العوام: التحدث في هذا العلم للعالم إنما يكون على أربعة أوجه: إما أن يكون مع نفسه، أو مع من هو مثله في الإستبصار، أو مع من هو مستعد للإستبصار بذكائه وفطنته وتجرده لطلب معرفة الله، أو مع العامي فإن كان قاطعاً أي لا ظاناً أي غير حاكم مع نفسه بموجب ظنه حكماً جازماً فله أن يحدث نفسه به ويحدث من هو مثله في الإستبصار وهو متجرد لطلب المعرفة مستعد لها خال عن الميل إلى الدنيا والشهوات والتعصبات للمذاهب وطلب المباهاة بالمعارف والتظاهر بذكرها مع العوام، فمن اتصف بهذه الصفات فلا بأس بالتحدث معه لأن الفطن المتعطش إلى المعرفة للمعرفة لا لغرض يحيك في صدره إشكال الظواهر، وربما يلقيه في التأويلات الفاسدة لشدة شرهه عن الفرار عن الظواهر ومقتضاها ومنع العلم أهله ظلم كبثه إلى غير أهله، وأما العامي فلا يحدث به وفي معنى العامي كل من لا يوصف بالصفات المذكورة، وأما المظنون فيحدث به مع نفسه اضطراراً فإن ما ينطوي عليه الذهن من ظن وشك وقطع لا تزال النفس تحدث به ولا قدرة على الخلاص منه ولا منع منه ولا شك في منع التحدث به مع العوام،

وإذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة في الكلام، إنما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها أكثر الناس، وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس، فإذا قابله مثله في الصنعة قاومه. وعرفت أن

بل هو أولى بالمنع من المقطوع إما تحدثه به مع من هو في مثل درجته في المعرفة أو مع المستعد له فيه نظر، فيحتمل أن يقال هو جائز إذ لا يزيد على أن يقول: أظن كذا وهو صادق ويحتمل المنع لأنه قادر على تركه وهو بذكره متصرف بالظن في صفة الله تعالى أو في مراده من كلامه وفيه خطر، وإباحته إنما تعرف بنص أو إجماع أو قياس على منصوص ولم يرد شيء من ذلك بل ورد قوله تعالى: ﴿لا تقف ما ليس لك به علم﴾ [الإسراء: ٣٦] اهـ.

(وإذا عرفت هذه الإنقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة في الكلام إنما هو من جنس حجج القرآن) والأخبار الصحيحة **(من الكلمات اللطيفة)** المختصرة **(المؤثرة في القلوب)** بوقعها **(المقنعة للنفوس)** الكافية لها **(من دون التغلغل)** والخوض **(في التقسيمات)** الغريبة **(والتدقيقات)** العجيبة **(التي لا يفهمها أكثر الناس)** ولا يحوم فكرهم حولها، **(وإذا فهموها)** بعد جهد **(اعتقدوا أنها شعوذة)** لا حقيقة لها **(وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس)** والتخليط، **(فإذا قابله مثله في الصنعة قاومه)**.

قال المصنف في الجام العوام: العامي إذا منع من البحث والنظر ولم يعرف الدليل كان جاهلاً بالمدلول، وقد أمر الله كافة عبادة بمعرفته بالإيمان والتصديق بوجوده أولاً، بتقديسه عن سمات الحوادث ومشابهة غيره ثانياً، وبوحدانيته ثالثاً، وبصفاته من العلم والقدرة ونفوذ المشيئة وغيرها رابعاً، وهذه الأمور ليست ضرورية فهي إذاً مطلوبة، وكل علم مطلوب ولا سبيل إلى اقتناصه وتحصيله إلا بالأدلة فلا بد من النظر في الأدلة والتفطن لوجه دلالتها على المطلوب وكيفية انتهاجها له، وذلك لا يتم إلا بمعرفة شروط البراهين وكيفية ترتيب المقدمات واستنتاج النتائج ويستجر ذلك بالضرورة شيئاً فشيئاً إلى تمام البحث وإستيفاء علم الكلام إلى آخر النظر في علم المعقولات، وكذلك يجب على العامي أن يصدق الرسول في كل ما جاء به وصدقه ليس بضروري بل هو بشر كسائر الخلق، فلا بد من دليل يميزه عن غيره ممن تحدى بالنبوة كاذباً ولا يمكن ذلك إلا بالنظر في معجزاته ومعرفة حقيقة المعجزة وشروطها إلى آخر النظر في النبوات وهو ثلث علم الكلام. قلنا: الواجب على الخلق الإيمان بهذه الأمور، والإيمان عبارة عن تصديق جازم لا تردد فيه ولا يشعر صاحبه بجواز وقوع الخطأ فيه، وهذا التصديق يحصل على ست مراتب.

الأولى: وهو أقصاها ما يحصل بالبرهان المستقصى المستوفى بشروطه المحرر بأصوله ومقدماته درجة درجة كلمة كلمة، حتى لا يبقى مجال احتمال وممكن التباس، وذلك هو الغاية القصوى،

الشافعي وكافة السلف إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نبهنا

وربما يتفق في كل عصر واحد وإثنان ممن ينتهي إلى تلك الدرجة، وقد يخلو العصر عنه، ولو كانت النجاة مقصورة على مثل تلك المعارف لقلت النجاة وقل الناجون.

الثانية: أن يحصل بالأدلة الرسمية الكلامية المبينة على أمور مسلمة مصدق بها لاشتهارها بين أكابر العلماء وشناعة إنكارها ونفرة النفوس عن إبداء المزيد فيها، وهذا الجنس أيضاً يفيد في بعض الأمور وفي حق الناس تصديقاً جازماً بحيث لا يتغير صاحبه بإمكان خلافه أصلاً.

الثالثة: أن يحصل التصديق بالأدلة الخطابية التي جرت العادة باستعمالها في المحاورة والمخاطبات الجارية في العادات، وذلك يفيد في حق الأكثرين تصديقاً ببادىء الرأي وسابق الفهم إذا لم يكن الباطن مشحوناً بالتعصب، وبرسوخ اعتقاد على خلاف مقتضى الدليل، ولم يكن المستمع مشغوفاً بتكلف المماراة والتشكيك ومنهاجه بتحذلق المجادلين في العقائد، وأكثر أدلة القرآن من هذا الجنس من الدليل الظاهر المفيد للتصديق، والدليل المستوفى هو الذي يفيد التصديق بعد تمام الأسئلة وجوابها بحيث لا يبقى للسؤال مجال والتصديق يحصل قبل ذلك.

الرابعة: التصديق بوجود السماع ممن حسن فيه الإعتقاد بسبب كثرة ثناء الخلق، فإن من حسن اعتقاده في أبيه وأستاذه أو رجل من الأفاضل المشهورين قد يخبر عن شيء فيسبق إليه اعتقاد جازم وتصديق بما أخبر عنه بحيث لا يبقى مجال لغيره في قلبه ومستنده حسن اعتقاده فيه وكذلك اعتقاد الصبيان في آبائهم ومعلمهم فلا جرم يسمعون الإعتقادات ويصدقونه ويستمرون عليه من غير حاجة إلى دليل ومحاجة.

الخامسة: التصديق الذي يسبق إليه عند سماع الشيء مع قرائن الأحوال لا يفيد القطع عند المحقق، ولكن يلقى في حق العوام اعتقاداً جازماً.

السادسة: أن يسمع القول فيناسب طبعه وأخلاقه فيبادر إلى التصديق بمجرد موافقته لطبعه لا من حسن اعتقاد في قائله ولا من قرينة تشهد له، لكن لمناسبة ما في طبعه، وهذه أضعف التصديقات وأدنى الدرجات لأن ما قبله استند إلى دليل ما، وإن كان ضعيفاً من قرينة أو حسن اعتقاد في المخبر أي نوع من ذلك فهي أمارات يظنها العامي أدلة، وإذا علم مراتب التصديق وعلم أن مستند إيمان العوام هذه الأسباب، فأعلى الدرجات في حقه أدلة القرآن وما يجري مجراه مما يحول القلب إلى التصديق فلا ينبغي أن يجاوز بالعامي إلى ما وراء أدلة القرآن وما في معناه من الجليات المقنعة المسكنة للقلوب المستجرة لها إلى الطمأنينة والتصديق فما وراء ذلك ليس على قدر طاقته اهـ باختصار.

(وعرفت أن) الإمام **(الشافعي وكافة السلف)** رحمهم الله ممن تقدم ذكرهم **(إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نبهنا عليه)** أي: فإن أقوالهم محمولة على نهي المتعصب في الدين، أو القاصر عن تحصيل اليقين، أو القاصد إفساد عقائد المسلمين، أو

عليه. وإن ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من مناظرة الخوارج، وما نقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام الجلي الظاهر وفي محل الحاجة، وذلك محمود في كل حال. نعم قد تختلف الأعصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد أن يختلف الحكم لذلك، فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها، فأما إزالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه وإدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والإقبال بالكلية على الله تعالى، وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات وهي رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق وبحسب التعرض وبحسب قبول المحل وطهارة القلب، وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله.

الخائض فيما لا يفتقر إليه من غوامض المتفلسفين وإلا فلا يتصور من شريف تلك الحضرات وقوع المنع فيما هو أصل الواجبات وأساس المشروعات، **(وإن ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه من مناظرة الخوارج)** في المسائل الأربعة. **(وما نقل عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر)** مع رجل من الشام **(وغيره كان من الكلام الجلي)** الواضح **(الظاهر)** الذي لا يحتاج إلى فتح باب جدال **(وفي محل الحاجة)** وقدر الحاجة، **(وذلك)** لا ريب فيه أنه **(محمود في كل حال)** غير مذموم عند الرجال **(نعم قد تختلف الأعصار)** والأزمان **(في كثرة الحاجة)** إليه **(وقلتها فلا يبعد أن يختلف الحكم لذلك)** ولأجل ذلك ما خاض فيه الأولون إلا قليلاً لعدم حدوث البدع في زمانهم فلم يحتاجوا إلى ابطالها وافحام منتحلها، **(فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها)** وكلفوا بمعرفتها **(وحكم طريقه النضال)** والمدافعة **(عنها وحفظها)** في الصدور، **(فأما إزالة الشبهة)** الخفية عن القلب **(وكشف أسرار الحقائق)** الإلهية **(ومعرفة الأشياء على ما هي عليه)** باليقين التام، **(وإدراك الأسرار)** الباطنة **(التي يترجمها)** ويبينها **(ظاهر ألفاظ هذه العقيدة)** ومنطوقها **(فلا مفتاح له إلا المجاهدة)** المشار إليها في قوله عز وجل: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] **(و)** في معنى المجاهدة **(قمع الشهوات)** النفسانية **(والإقبال بالكلية على الله تعالى)** بحيث لا يخطر في خاطره خاطر لسواه، **(وملازمة الفكر الصافي عن شوائب المجادلات)** والمخاصمات **(وهي)** أي تلك الحالة الحاصلة من هذه الأمور **(رحمة من الله عز وجل)** ونعمة **(تفيض على من يتعرض لنفحاتها)** لما ورد تعرضوا لنفحات الله فإن لله نفحات **(بقدر الرزق)** الذي قدر له من الأزل **(وبحسب قبول المحل)** وانفساحه **(وطهارة القلب)** واتساعه لقبول تلك النفحات الواردات، **(وذلك البحر)** العجاج **(الذي لا يدرك غوره)** ومنتهاه **(ولا يبلغ ساحله)** أي طرفه.

مسألة: فإن قلت: هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار وبعضها جلي يبدو أولاً، وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من أشغال الدنيا سوى المطلوب، وهذا يكاد يكون مخالفاً للشرع إذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن، بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فيه؟ فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة وإنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا في أوائل الصبا شيئاً وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترق إلى شأو العلا ومقامات العلماء والأولياء، وذلك ظاهر من أدلة الشرع. قال ﷺ: «إن للقرآن ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً». وقال علي رضي الله عنه ـ وأشار إلى صدره ـ:

(**مسألة**): أخرى (**فإن قلت: هذا الكلام**) الذي تقدم ذكره (**يشير**) ظاهره (**إلى أن العلوم**) المحمودة (**لها ظواهر وأسرار**) وأن (**بعضها جلي**) ظاهر لكل الناس (**يبدو أولاً**) ويظهر، (**وبعضها خفي**) المدرك ولا (**يتضح**) إلا (**بالمجاهدة**) والرياضة ومكابدة النفس (**والطلب الحثيث**) في كشف سره، (**والفكر الصافي**) عن علائق الكدر (**والسر الخالي عن كل شيء**) يضاده (**من أشغال الدنيا سوى المطلوب**) المأمور بها، (**وهذا يكاد**) أن (**يكون مخالفاً للشرع إذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن، بل الظاهر السر والعلن واحد**) فأجاب بقوله: (**فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى خفية وجلية**) من الواضحات التي (**لا ينكرها ذو بصيرة**) قادحة (**وإنما ينكرها القاصرون في المعارف**) الإلهية (**الذين تلقنوا في أول الصبا**) من المشايخ (**شيئاً**) لم ينتقلوا منه، بل (**جمدوا عليه**) أي استمروا على ذلك القدر اليسير إذ التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، (**فلم يكن لهم ترق**) وصعود (**إلى شأو العلا**) أي غايته وأمده (**و**) لا نصيب إلى بلوغ (**مقامات العلماء**) العارفين (**والأولياء**) الصالحين، فهؤلاء إذا ورد عليهم شيء من افراد تلك المقامات أول وهلة قاموا بالإنكار عليه وبالغوا وشددوا، وهذه الحالة تسببت لكثير من علماء الظاهر بسبق الإنكار على علماء الباطن وتبديعهم وإخراجهم من جادة الشريعة وهم معذورون لجمودهم على ما لقنوا، (**وذلك**) الذي ذكرناه (**ظاهر من أدلة الشرع. قال ﷺ: «إن للقرآن ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً**) قال العراقي: أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه اهـ.

وأورده ابن الأثير في نهايته في موضعين قال في ح د د حديث في صفة القرآن له حد أي غاية، وحد كل شيء منتهى أمره، وقال في ط ل ع وعليه علامة السين المهملة أي أن هذا الحديث من كتاب أبي موسى المديني: لكل حرف حد ولكل حد مطلع أي: لكل حد مصعد يصعد إليه من معرفة علمه، والمطلع مكان الإطلاع من موضع عال. قال: ويجوز أن يكون مطلع كمصعد زنة ومعنى. وقال المصنف في آخر كتابه مشكاة الأنوار حديث: للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع، وربما نقل هذا عن علي موقوفاً. (**وقال علي رضي الله عنه**) فيما أخرجه أبو نعيم في

إن ههنا علوماً جمة لو وجدت لها حملة؛ وقال ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»، وقال ﷺ: «ما حدث أحد قوماً بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم». وقال الله تعالى: ﴿وتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُها إلاَّ العَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]. وقال ﷺ: «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العالمون بالله تعالى» الحديث إلى آخره كما أوردناه في كتاب العلم. وقال ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» فليت شعري إن لم يكن ذلك سراً منع

كتاب الحلية بطوله من طريقين، (**وأشار**) بيده (**إلى صدره**) هاه هاه (**إن ههنا علوماً جمة**) أي كثيرة (**لو وجدت لها حملة**) وقد تقدم بطوله في كتاب العلم مع شرح معانيه. (**وقال ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»**) تقدم بيانه في كتاب العلم (**وقال ﷺ: «ما حدث أحد قوماً بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كانت فتنة عليهم»**) تقدم في كتاب العلم، ونسبه صاحب القوت إلى بعض السلف بلفظ: «ما من عالم يحدث قوماً بعلم لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم» وأورده المصنف في الجام العوام بلفظ: «لا يفهمونه كان فتنة على بعضهم». (**وقال الله تعالى**) في كتابه العزيز: **﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾** [العنكبوت: ٤٣] تقدم ما يتعلق به في أول كتاب العلم. (**وقال ﷺ: «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العالمون بالله تعالى» الحديث**) أي إلى آخره وهو فإذا علموه لا ينكر عليهم إلا أهل الغرة بالله تعالى، (**كما أوردناه في كتاب العلم**) ووسعنا الكلام عليه هنالك ويوجد هنا في بعض النسخ قبل هذا الحديث. وقال أبو هريرة: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم، وليس ذلك في نسخة العراقي. (**وقال ﷺ: «لو علمتم»**) كذا في النسخ الكثيرة، وفي بعضها لو تعلمون وهو نسخة العراقي وهو نص الجماعة المخرجين لهذا الحديث (**ما أعلم**) أي من انتقام الله من أهل الجرائم وأهوال القيامة (**لضحكتم قليلاً**) أي: كان ضحككم على القلة، وقيل: معناه لما ضحكتم أصلاً وهذا لمناسبة السياق لأن لو حرف امتناع لامتناع (**ولبكيتم كثيراً**) وقدم الضحك لكونه من المسرة، وفيه من أنواع البديع مقابلة الضحك بالبكاء والقلة بالكثرة ومطابقة كل منهما بالآخر. وقال العراقي: أخرجاه من حديث عائشة وأنس اهـ.

قلت: وأخرجه أيضاً الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة كلهم عن أنس قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت قط بمثلها ثم ذكره.

وأخرج الحاكم في المستدرك من رواية يوسف بن حبان، عن مجاهد، عن أبي ذر رفعه: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما ساغ لكم الطعام والشراب». وقال على شرطهما ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بأنه منقطع. ورواه أيضاً من طريقه ابن عساكر في التاريخ بتلك الزيادة.

من إفشائه لقصور الافهام عن إدراكه أو لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم؟ وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿اللهُ الَّذِي خلَقَ سَبْعَ سَموات ومِنَ الأرْضِ مِثْلَهُنَّ يتنزّل الأمْرُ بينَهنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] لو ذكرت تفسيره لرجمتموني. وفي لفظ آخر: لقلتم أنه كافر. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: أما أحدهما فبثثته وأما الآخر لو بثثته لقطع هـذا الحلقـوم. وقال ﷺ: « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقّر في صدره »

وأخرجه الحاكم أيضاً في كتاب الرقاق، والبيهقي في الشعب، عن أبي الدرداء رفعه: « لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون لا تدرون تنجون أو لا تنجون ». وقال الحاكم: صحيح. وأقره الذهبي. وقال الهيثمي: رواه الطبراني من طريق ابنة أبي الدرداء عن أبيها ولم أعرفها، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وأخرجه الحاكم أيضاً في الأهوال عن أبي هريرة رفعه: « لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً يظهر النفاق وترفع الأمانة وتقبض الرحمة ويتهم الأمين ويؤتمن غير الأمين أناخ بكم الشر الجور الفتن كأمثال الليل والمظلم ». وقال صحيح وأقره الذهبي.

(فليت شعري إن لم يكن ذلك سراً) باطنياً **(ومنع من إفشائه)** وإظهاره **(لقصور الفهم عن إدراكه)** وفي نسخة: عن دركه **(أو لمعنى آخر فلم لم يذكره)** مع أنه أمين على تبليد ما أمر به، **(ولا شك أنهم كانوا يصدقـونـه لـو ذكـره لهم)** وينكشـف ذلـك بتسليم أصلين:

الأول: أن النبي ﷺ أفاض إلى الخلق ما أوحي إليه وأنه ما كتم شيئاً من الوحي، فلذلك كان رحمة للعالمين، فما ترك شيئاً مما يقربهم إلى رضا الله تعالى إلا دلهم عليه وأمرهم به، ولا مما يسخط الله إلا حذرهم ونهاهم عنه في العلم والعمل جميعاً.

الثاني: أن أعرف الناس بمعاني كلامه وأحراهم بالوقوف على كنه درك أسراره الذين شاهدوا الوحي والتنزيل وصحبوه ولازموه متشمرين لتلقي ما يقوله بالقبول للعمل به أولاً، والنقل إلى من بعدهم ثانياً، والتقرب إلى الله بسماعه وحفظه ونشره، وهم الذين حضهم رسول الله ﷺ على السماع والفهم والحفظ والاداء فقال: « نضر الله أمرأ سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها » الحديث. **(وقال ابن عباس رضي الله عنه)** في تفسير **(قوله عز وجل ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن﴾)** [الطلاق: ١٢] ما نصه: **(لـو ذكرت تفسيره)** كما علمته **(لرجمتموني)** أي لم تحتمل عقولكم لدركه فتنكرون علي ذلك **(وفي لفظ آخر لقلتم أنه كافر. وقال ﷺ: « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في صدره »)** تقدم في كتاب العلم، **(ولا شك في أن ذلك كان متعلقاً**

رضي الله عنه ولا شك في أن ذلك السر كان متعلقاً بقواعد الدين غير خارج منها، وما كان من قواعد الدين لم يكن خافياً بظواهرها على غيره، وقال سهل التستري رضي الله عنه: للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يسعه اظهاره إلا لأهله، وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد. وقال بعض العارفين: إفشاء سر

بقواعد الدين غير خارج عنها، وما كان من قواعد الدين لم يكن خافياً بظواهرها على غيره) من الصحابة رضوان الله عليهم. **(وقال)** أبو محمد **(سهل)** بن عبدالله **(التستري)** رحمه الله تعالى: **(للعالم ثلاثة علوم. علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر، وعلم باطن لا يسعه إظهاره إلا لأهله، وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لاحد)**. هكذا أورده صاحب القوت عن سهل إلا أنه قال: وعلم هو سر بين الله وبين العالم هو حقيقة إيمانه لا يظهره لأهل الظاهر ولا لأهل الباطن. **(وقال بعض العارفين: إفشاء سر الربوبية كفر)** هذا القول أورده صاحب القوت في الباب الثالث والثلاثين في آخر أخبار الصفات ما نصه: وحقيقة علم التوحيد باطن المعرفة وهو سبق المعروف إلى من به تعرف بصنعة مخصوصة بحبيب مقرب مخصوص، ولا يسع معرفة ذلك الكافة وإفشاء سر الربوبية كفر. وقال بعض العارفين: من صرح بالتوحيد وأفشى الوحدانيـة فقتله أفضل من إحياء غيره اهـ.

وقد علم من هذا السياق أن المراد ببعض العارفين في قول المصنف هو أبو طالب المكي صاحب القوت، وقد أنكر على المصنف هذا القول في زمنه فأجاب عنه في كتابه الإملاء ما نصه: فصل، وأما معنى إفشاء سر الربوبية كفر فيخرج على وجهين.

أحدهما: أن يراد به كفر دون كفر سمي بذلك تغليظاً لما أتى به المفشي وتعظيماً لما ارتكبه، ويعترض هذا بأن يقال: لا يصح أن يسمى هذا كفراً لأنه ضد الكفر إذ الكافر الذي سمي هذا على معناه ساتر، وهذا المفشي للسر ناشر، وأين النشر من الستر، والإظهار من التغطية، والإعلان من الكتم، واندفاع هذا بين بأن يقال: ليس الكفر الشرعي تابع الإشتقاق وإنما هو حكم لمخالفة الأمر وارتكاب النهي، فمن رد إحسان محسن أو جحد نعمة متفضل فيقال له كافر لجهتين: أحدهما: من جهة الإشتقاق ويكون إذ ذاك إسماً بناء على وصف، والثانية: من جهة الشرع ويكون إذ ذاك حكماً يوجب عقوبة، والشرع قد ورد لشكر المنعم، فافهم لا تذهب مع الالفاظ ولا تحجبك التسميات وتفطن لخداعها، واحترس من استدراجها، فإذا من أظهر ما أمر بكتمه كمن كتم ما أمر بنشره وفي مخالفة الأمر فيهما حكم واحد على هذا الإعتبار، ويدل على ذلك قوله ﷺ: «لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم». وفي ارتكاب النهي عصيان، ويسمى في باب القياس على المذكور كفرانا».

والوجه الثاني: أن يكون معناه كفرا للسامع دون المخبر بخلاف الوجه الأول، ويكون هذا مطابقاً لحديث: لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم. أتريدون أن يكذب الله ورسوله، فمن

الربوبية كفر. وقال بعضهم: للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوّة، وللنبوّة سر لو كشف لبطل العلم، وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام، وهذا القائل إن لم يرد بذلك بطلان النبوّة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق، بل الصحيح أنه لا تناقض فيه وأن الكامل من لا يطفىء نور معرفته نور ورعه، وملاك الورع النبوّة.

حدث أحداً بما لم يصل إليه عقله ربما سارع إلى التكذيب وهو الأكثر، ومن كذب بقدرة الله تعالى أو بما أوجد بها فقد كفر ولو لم يقصد الكفر، فإن أكثر اليهود والنصارى وسائر النحل ما قصدت الكفر ولا تظنه بأنفسها وهم كفار بلا ريب، وهذا وجه واضح قريب ولا يلتفت إلى ما مال إليه بعض من لا يعرف وجوه التأويل ولا يعقل كلام أولى الحكم والراسخين في العلم، حتى ظن أن قائل ذلك إن أراد به الكفر الذي هو نقيض الإيمان والإسلام يتعلق بمخبره ويلحق قائلة، وهذا لا يخرج إلا على مذاهب أهل الأهواء الذين يكفرون بالمعاصي، وأهل السنة لا يرضون بذلك وكيف يقال لمن آمن بالله واليوم الآخر وعبدالله بالقول الذي ينزهه والعمل الذي يقصد به التعبد لوجهه والأمر الذي يستزيده إيماناً ومعرفة، ثم يكرمه الله على ذلك بفوائد المزيد وينيله ما يشرف من المنح ويريه إعلام الرضا، ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه والإيمان لا يخرج عنه إلا بنبذه وإطراحه وتركه واعتقاد ما لا يتم الإيمان معه ولا يحصل بمفارقته، وليس في إفشاء الولي شيء مما يناقض الإيمان اللهم إلا أن يريد بإفشائه وقوع الكفر من السامع له، فهذا عابث متمرد وليس بولي، ومن أراد من خلق الله أن يكفروا بالله فهو لا محالة كافر، وعلى هذا يخرج قوله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ [الأنعام: ١٠٨] ثم أنه من سب أحداً منهم على معنى ما يجدله من العداوة والبغضاء قيل له أخطأت وأثمت من غير تكفير وإن كان إنما فعل ذلك ليسمع سب الله وسب رسوله فهو كافر بالإجماع اهـ. **(وقال بعضهم)** أي العارفين ومثله في القوت أيضاً، ولكن سياق المصنف في الإملاء الآتي ذكره صريح في أنه قول سهل التستري، وهو محل تأمل: **(للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة، وللنبوة سرّ لو كشف بطل العلم، وللعلم سر لو ظهر لبطلت الأحكام)** وهذا القول أيضاً أورده صاحب القوت إلا أنه قال: وللعلماء بالله سر لو أظهره الله تعالى لبطلت الأحكام، ثم قال: فقوام الإيمان واستقامة الشرع بكتم السر به وقع التدبير وعليه انتظم الأمر والنهي والله غالب على أمره اهـ.

(وهذا القائل) من العارفين **(إن لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم)** عن إدراك المعارف الخفية **(فما ذكره ليس بحق، بل الصحيح أنه لا تناقض وان الكامل من لا يطفىء نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة)**.

قال المصنف في الإملاء فإن قيل: فما معنى قول سهل الذي ينسب إليه للإلهية سر الخ. وجاء في الإحياء على أثر هذا القول: وقائل هذا إن لم يرد به بطلان النبوة في حق الضعفاء فما قاله ليس بحق، فإن الصحيح لا يتناقض، والكامل من لا يطفىء نور معرفته نور ورعه، وهذا وإن لم

....

يكن من الأسئلة المرسومة فهو متعلق منها بما فرع من الكلام فيه آنفاً وناظر إليه إذا ما أدى افشاؤه إلى بطلان النبوة والأحكام فهو كفر. والجواب أن الذي قاله رحمه الله وإن كان مستعجماً في الظاهر فهو قريب المسلك بادي الصحة للمتأمل الذي يعرف مصادر أغراضهم ومسالك أقوالهم، وسر الألوهية الذي بمعرفته يستحق النبوة من وصل إلى الله باليقين الذي لولاه لم يكن نبياً يخلو إما أن يكون انكشافه من الله تعالى مما يطلع على القلوب من الأنوار التي كانت غائبة عنها بأن كانت القلوب ضعيفة طرأ عليها من الدهش والإصطلام والحيرة والتيه ما يبهر العقول ويفقد الإحساس ويقطع عن الدنيا وما فيها وذلك لضعفه، ومن انتهى إلى هذه الحالة فتبطل النبوة في حقه أن يعرفها أو يعقل ما جاء من قبلها إذ قد شغله عنها ما هو أعظم لديه منها، وربما كان ذلك سبب موته لعجزه عن حمل ما يطرأ عليه، كما حكي أن شاباً من سالكي طريق الآخرة عرض عليه أبو يزيد ولم يره من قبل، فلما نظر إليه الشاب مات لساعته فقيل له في ذلك، فقال: كان في صدره أمر لم تنكشف له حقيقته فلما رآني انكشف له. وكان في مقام الضعفاء من المريدين فلم يطق حمله فمات به، وإما أن يكون انكشافه من عالم به على جهة الخبر عنه فتبطل النبوة في حق المخبر حيث نهى عن الإفشاء فأفشى وأمر أن لا يتحدث فلم يفعل فخرج بهذه المعصية عن طاعة النبي ﷺ فيها، فلهذا قيل في ذلك بطلت النبوة في حقه باخباره.

فإن قلت: فلم لا تكفروه على هذا الوجه إذا بطلت النبوة في حقه باخباره؟ قلنا: لم يبطل في حقه جميعها وإنما بطل في حقه منها ما خالف الأمر الثابت من قبلها، ويعد مقوله من الكلم إغلاء وتغليظاً لحق الإفشاء. وقد سبق الكلام عليه في معنى إفشاء سر الربوبية، وأما سر النبوة الذي أوجب بطلان العلم لمن رزقها أو رزق معرفتها على الجملة إذ النبوة لا يعرفها بالحقيقة إلا نبي، فإن انكشف ذلك لقلب أحد بطل العلم في حقه باعتبار المحبة له بالأمر المتوجه عليه بطلبه والبحث عنه والتفكر، فيكون كالنبي إذا سئل عن شيء أو وقعت له واقعة لم يحتج إلى النظر فيها ولا إلى البحث عنها، بل ينتظر ما عوّد من كشف الحقائق بأخبار ملك أو ضرب مثل يفهم إياه، أو إطلاع على اللوح المحفوظ، أو القاء في روع فيعود ذلك أصلاً في العلم ونسخاً له ومعنى يقيس عليه غيره، وإما أن يكون كشفه بخبر ممن رزق علم ذلك كان بطلان العلم في حق المخبر إذا أفشاه لغير أهله وأهداه لمن لا يستحقه، كما روي أن عيسى عليه السلام قال: لا تعلقوا الدر في أعناق الخنازير وإنما أراد أن لا يباح العلم غير أهله، وقد جاء: لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم ولا تضعوها عند غير أهلها فتظلموها. وأما سر العلم الذي يوجب كشفه بطلان الأحكام، فإن كان كشفه من الله تعالى لقلوب ضعيفة بطلت الأحكام في حقها لما تطلع عليه في ذلك السر من معرفة مآل الأشياء ومواقف الخلق وكشف أسرار العباد، وما بطن من المقدور فمن عرف نفسه مثلاً أنه من أهل الجنة لم يصل ولم يصم ولم يتعب نفسه في خير، وكذلك لو انكشف له أنه من أهل النار كمل إنهماكه فلا يحتاج إلى تعب زائد ولا نصب مكابد، فلو عرف كل واحد عاقبته ومآله بطلت الأحكام الجارية عليه وإن كان كشفها من مخبر استروح الضعيف

مسألة: فإن قلت: هذه الآيات والأخبار يتطرق إليها تأويلات فبيّن لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن، فإن الباطن إن كان مناقضاً للظاهر ففيه إبطال الشرع، وهو قول من قال: إن الحقيقة خلاف الشرع وهو كفر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن، وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشي بل يكون الخفي والجلي واحداً؟ فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطباً عظيماً، وينجر إلى علوم المكاشفة، ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب، فإن العقائد التي ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بأن يتوصل إلى أن ينكشف لنا حقائقها، فإن ذلك لم يكلف به كافة الخلق، ولولا أنه من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب، ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه في الشطر الأول من الكتاب، وإنما

إلى ما يسمع من ذلك فيتعطل وينخرم حاله وينحل قيده، وبعد هذا فلا يحمل كلام سهـل رحمه الله إلا على ما نعذر لا على ما يوجد، ولذلك جعله مقروناً بحرف «لو» الدال على امتناع لامتناع غيره، كما يقال: لو كان للإنسان جناحان لطار، ولو كان للسماء درج لصعد إليها، ولو كان البشر ملكاً لفقد الشهوة، فعلى هذا يخرج كلام سهل رحمه الله في ظاهر الأمر والله أعلم اهـ.

(**مسألة**): أخرى (**فإن قلت: هذه الآيات**) القرآنية (**والأخبار**) الواردة من طريق الثقات (**تتطرق إليها تأويلات**) تصرفها عن ظواهرها (**فبين**) لنا وأوضح (**اختلاف كيفية الظاهر والباطن، فإن الباطن إن كان مناقضاً للظاهر ففيه إبطال الشرع وهو قول من قال: إن الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر**) وضلال (**فإن الشريعة عبارة عن الظاهر**) أي ظاهر الأحكام المتلقاة عن لسان الشرع، (**والحقيقة عبارة عن الباطن**) وهو العلم المستفاد من باطن هذه الأحكام، (**وإن كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو**) بعينه (**فيزول به الإنقسام**) أي انقسام العلوم إلى خفية وجلية (**ولا يكون**) على هذا (**للشرع سر لا يفشي**) ويؤمر بالكتمان، (**بل يكون الخفي والجلي**) منه (**واحداً**)، وقد أجاب عن هذا الإشكال بقوله: (**فاعلم أن هذا السؤال يحرك خطباً عظيماً**) وأمراً جسيماً. (**وينجر إلى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة**) الذي نحن بصدده (**وهو غرض هذه الكتب، فإن العقائد التي ذكرناها**) في هذا الكتاب (**من أعمال القلوب فقد تعبدنا**) وألزمنا (**بتلقيها بالقبول**) والإذعان (**والتصديق بعقد القلب عليها**) وربطه عليها أشار بذلك إلى معناها اللغوي (**لا بأن يتوصل**) بها (**إلى أن تنكشف لنا حقائقها**) كما هي هي، (**فإن ذلك لم يكلف به كافة الناس**) وإلا وقعوا في حرج عظيم، (**ولولا أنه**) أي مجموع ما ذكر من العقائد (**من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب، ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا باطنه لما أوردناه في الشطر الأول من الكتاب، وإنما الكشف الحقيقي**) الذي هو معرفة الأشياء على ما

الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه، ولكن إذا انجر الكلام إلى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بدّ من كلام وجيز في حله. فمن قال: إن الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الايمان، بل الأسرار التي يختص بها المقربون بدركها ولا يشاركهم الأكثرون في علمها ويمتنعون عن إفشائها إليهم ترجع إلى خمسة أقسام.

القسم الأول: أن يكون الشيء في نفسه دقيقاً تكل أكثر الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم أن لا يفشوه إلى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك، واخفاء سر الروح وكف رسول الله ﷺ عن بيانه من هذا القسم فإن حقيقته مما تكل الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصوّر

هي عليها (**هو صفة سر القلب**) وباطنه، (**ولكنه إذا انجر الكلام**) والبحث (**إلى تحريك خيال**) وإثارة شبهة (**في مناقضة الظاهر للباطن**) في بادىء الرأي (**فلا بد من**) إيراد (**كلام وجيز**) مختصر (**في حله**) والكشف عن مظانه، (**فمن قال: إن الحقيقة تخالف الشريعة أو**) زعم أن (**الباطن يناقضه الظاهر فهو إلى الكفر**) والضلال (**أقرب منه إلى الإيمان**) والرشد، (**بل الأسرار التي تختص بها المقربون**) إلى الحضرات الإلهية (**بدركها**) ومعرفتها وإحاطتها (**ولا يشاركهم الأكثرون**) من العلماء (**في عملها**) أي معرفتها (**ويمنعون من افشائها**) وإظهارها لهم و(**إليهم**) فإنها (**ترجع إلى خمسة أقسام**) بالحصر والإستقصاء وما عداها مما تسبق إليه الأذهان راجع إليها عند التأمل التام.

(**الأول: أن يكون الشيء في نفسه**) أي حد ذاته (**دقيقاً**) خفياً لشدة خفائه (**تكل أكثر الأفهام**) وتمنع (**عن دركه**) على حقيقته، (**فيختص بدركه الخواص**) من عباد الله الذي اختصهم الله لقربه وجعلهم من أهل الإختصاص، وهم المفتوح عليهم باب الواردات الإلهية (**وعليهم**) أنهم إذا كشف لهم عن سر ذلك الشيء (**أن لا يفشوه إلى غير أهله**) الذي ليس من أرباب ذلك الدرك (**فيصير**) ذلك الإفشاء (**فتنة عليهم**) ومصيبة لهم (**حيث تقصر أفهامهم**) الجامدة (**عن الدرك وإخفاء سر الروح وكف رسول الله ﷺ عن بيانه من هذا القسم**).

أخرج البخاري، ومسلم من حديث عبدالله بن مسعود حين سأله اليهود عن الروح قال: فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً الحديث وقال ابن عباس: قالت اليهود للنبي ﷺ: أخبرنا ما الروح وكيف تعذب الروح التي في الجسد وإنما الروح من أمر الله، ولم يكن نزل إليه فيه شيء. فلم يجبهم فأتاه جبريل عليه السلام بالآية ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء: ٨٥] (**فإن حقيقته مما تكل الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن**

كنهه. ولا تظنن أن ذلك لم يكن مكشوفاً لرسول الله ﷺ، فإن من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه، ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه؟ ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفاً لبعض الأولياء والعلماء وإن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه، بل في صفات الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه، ولم يذكر رسول الله ﷺ منها إلا الظواهر للأفهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها إلى علمهم وقدرتهم، إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علماً وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة. ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه، بل لذة الجماع إذا ذكرت للصبي أو العنين لم يفهمها إلا بمناسبة إلى لذة المطعوم الذي يدركه ولا

تصور كنهه)، ولذلك اختلف فيه الإختلاف الكثير على ما تقدم بيانه وتفصيله في آخر كتاب العلم. **(ولا تظنن أن ذلك لم يكن مكشوفاً لرسول الله ﷺ، فإن من لم يعرف الروح)** الذي به قوام كل ذات **(فكأنه لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه)** وعليه يخرج قولهم: من عرف نفسه فقد عرف ربه، **(ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفاً)** أيضاً **(لبعض الأولياء)** العارفين بما ألقى في روعهم بالنفث والإلهام، بل **(والعلماء)** الراسخين **(وأن لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه)** أي: من حيث أنه ﷺ أمسك عن الأخبار عن الروح وماهيته بإذن الله تعالى ووحيه، وهو ﷺ معدن العلم وينبوع الحكمة لا يسوغ لغيره الخوض فيه والإشارة إليه. لا جرم لما تقاضت النفس الإنسانية المتطلعة إلى الفضول المتشوفة إلى المعقول المتحركة بوضعها إلى كل ما أمرت بالسكوت فيه والمستورة بحرصها إلى كل تحقيق وكل تمويه، وأطلقت عنان النظر في مسارح الفكر وخاضت غمرات ماهية الروح تاهت في التيه وتنوعت آراؤها فيه، ولم يوجد الإختلاف بين أرباب النقل والعقل في شيء كالإختلاف في ماهية الروح، ولو لزمت النفوس حدّها معترفة بعجزها كان ذلك أجدر بها وأولى، **(بل في صفات الله تعالى من الخفايا)** أي الأسرار الخفية **(ما تقصر أفهام الجماهير)** أي كثير من الناس **(عن دركه)** ومعرفته **(ولم يذكر رسول الله ﷺ منها إلا الظواهر للأفهام من لعلم والقدرة وغيرهما)** من الصفات **(حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها إلى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علماً وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة. ولو ذكر من صفاته)** عز وجل **(مما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه)** ولنفر الناس عن قبوله ولبادروا بالإنكار، وقالوا: هذا عين المحال ووقعوا في التعطيل في حق الكافة إلا الأقلين، وقد بعث ﷺ داعياً للخلق إلى سعادة الآخرة ورحمة للعالمين، فكيف ينطق بما فيه هلاك الأكثرين؟ **(بل لذة الجماع إذا ذكرت للصبي)** لم يدركها **(أو العنين)** هو الذي لا يقدر على إتيان النساء أو لا يشتهيهن **(لم يفهمها إلا بمناسبة لذة المطعوم الذي**

يكون ذلك فهماً على التحقيق. والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل. وبالجملة؛ فلا يدرك الإنسان إلاَّ نفسه وصفات نفسه مما هي حاضرة له في الحال أو مما كانت له من قبل، ثم بالمقايسة إليه يفهم ذلك لغيره، ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتاً في الشرف والكمال، فليس في قوّة

يدركه) كالسكر أو العسل مثلاً، **(ولا يكون ذلك فهماً على التحقيق)** كما ينبغي، فإن اللذة التي تحصل من الجماع خلاف اللذة التي تحصل من استعمال السكر مثلاً **(والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والأكل)** وهذا لا يستراب فيه.

وقال المصنف في المقصد الأسنى، فإن قلت: لو كان لنا صبي أو عنين ما السبيل إلى معرفته لذة الوقاع وإدراك حقيقته؟ قلنا: ههنا سبيلان. أحدهما: أن نصفه لك حتى تعرفه والآخر تصبر حتى تظهر فيك غريزة الشهوة ثم تباشر الوقاع حتى تظهر فيك لذته فتعرفه، وهذا السبيل الثاني هو السبيل المحقق المفضي إلى حقيقة المعرفة، فأما الأول فلا يفضي إلا إلى توهم الشيء بما لا يشبهه إذ غايتنا أن نمثل لذة الوقاع عنده بشيء من اللذات التي يدركها العنين كلذة الطعام الحلو مثلاً، فنقول له: أما تعرف أن السكر لذيذ فلا تجد عند تناوله حالة طيبة وتحس في نفسك راحة؟ قال: نعم. قلنا: الجماع أيضاً كذلك افترى أن هذا يفهم حقيقة لذة الجماع كما هي حتى ينزل في معرفتها منزلة من ذاق تلك اللذة وأدركها هيهات هيهات وإنما غاية هذا الوصف إيهام وتشبيه ومشاركة في الإسم لكن يقطع التشبيه بأن يقال: ليس كمثله شيء فهو حي لا كالإحياء، وقادر لا كالقادرين كما يقال: الوقاع لذيذ كالسكر، ولكن تلك اللذة لا تشبه هذه البتة، ولكن تشاركها في الإسم وكان إذا عرفنا أن الله تعالى حي عالم قدير. عالم فلم نعرف أولاً إلا بأنفسنا إذ الأصم لا يتصور أن يفهم معنى قولنا: أن الله سميع، ولا الأكمه معنى قولنا: إن الله بصير، وكذلك إذا قال القائل: كيف يكون الله عالماً بالأشياء فنقول له: كما تعلم أنت أشياء، فلا يمكنه أن يفهم شيئاً إلا إذا كان فيه ما يناسبه، فيعلم أولاً ما هو متصف به، ثم يعلم غيره بالمناسبة إليه فإذا كان الله تعالى وصف وخاصية ليس فينا ما يناسبه ويشاركه ولو في الإسم لم يتصور فهمه البتة، فما عرف أحد إلا نفسه، ثم قايس بين صفات الله تعالى وبين صفات نفسه وتتعلى صفات الله وتتقدس عن أن تشبه صفاتنا.

(وبالجملة؛ فلا يدرك الإنسان إلا نفسه وصفات نفسه مما هي حاضرة له في الحال) موجودة لديه **(أو مما كانت له من قبل)** فيتذكرها **(ثم بالمناسبة إليه يفهم ذلك لغيره)** مقايسة **(ثم)** أنه **(قد يصدق)** في نفسه **(بأن بينهما تفاوتاً)** وتمييزاً **(في الشرف والكمال)** والعلو، **(فليس في قوة البشر إلا أن يثبت لله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم**

البشر إلاَّ أن يثبت لله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكمل وأشرف، فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال، ولذلك قال ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك. أنت كما أثنيت على نفسك». وليس المعنى أني أعجز عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلاله. ولذلك قال بعضهم: ما عرف الله

والقدرة وغيره من الصفات) التي يتوهم فيها الإشتراك **(مع التصديق)** الحازم **(بأن ذلك** أي ما ثبت لله تعالى **(أكمل وأشرف)** وأعلى، **(فيكون معظم تحويمه)** وتعريجه **(على صفات نفسه)** فقط **(لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال)** والعظمة.

قال المصنف في المقصد الأسنى: ولا ينبغي أن يظن أن المشاركة، بكل وصف توجب المماثلة أترى إلى الضدين يتماثلان وبينهما غاية البعد الذي لا يتصور أن يكون بعد فوقه وهما متشاركان في أوصاف كثيرة إذ السواد يشارك البياض في كونه عرضاً وفي كونه مدركاً بالبصر وأموراً أخر سواه افترى من قال: إن الله تعالى موجود لا في محل وانه سميع بصير عالم مريد متكلم حي قادر فاعل وللإنسان أيضاً كذلك، فقد شبه قائل هذا إذ لا أقل من إثبات المشاركة في الوجود وهو موهم للمشابهة، بل المماثلة عبارة عن المشاركة في النوع والماهية، فكون العبد رحيماً صبوراً شكوراً لا يوجب المماثلة ولا لكونه سميعاً بصيراً عالماًقادراً حياً فاعلاً اهـ.

(ولذلك قال ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك») أخرج مسلم من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك في سجوده قاله العراقي.

قلت: قال مسلم، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة هو حماد بن أسامة، عن عبدالله بن عمر، عن محمد بن يحي بن حبان، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك». وأخرجه الإمام أحمد عن أبي أسامة. قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الإذكار، وفي السند لطيفة وهي رواية صحابي عن صحابي أبو هريرة عن عائشة **(وليس المعنى أني أعجز عن التعبير عما أدركت، بل هو اعتراف بالقصور عن إدراك كنه جلاله)**

وقال المصنف في المقصد الأسنى: ولم يرد به أنه عرف منه ما لا يطاوعه لسانه في العبارة عنه، بل معناه أني لا أحيط بمحامدك وصفات إلهيتك وإنما أنت المحيط بها وحدك، فإذاً لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته إلا بالحيرة والدهشة، وأما إتساع المعرفة فإنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته اهـ.

بالحقيقة سوى الله عز وجل. وقال الصديق رضي الله عنه: الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته. ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط

(ولذلك قال بعضهم): وهو أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى كما صرح به المصنف في المقصد الأسنى: **(ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل)**. قال المصنف: بل أقول يستحيل أن يعرف النبي ﷺ غير النبي، وأما من لا نبوة له أصلاً فلا يعرف من النبوة إلا اسمها وإنها خاصية موجودة لإنسان بها يفارق من ليس نبياً، ولكن لا يعرف ماهية تلك الخاصية إلا النبي خاصة، فأما من ليس بنبي فلا يعرفها البتة ولا يفهمها إلا بالتشبيه بصفات نفسه بل أزيد، وأقول: لا يعرف أحد حقيقة الموت وحقيقة الجنة والنار إلا بعد الموت ودخول الجنة والنار، وقال في موضع آخر منه: الخاصية الإلهية ليست إلا الله تعالى ولا يعرفها إلا الله تعالى، ولا يتصور أن لا يعرفها إلا هو أو من هو مثله وإذا لم يكن له مثل فلا يعرفها غيره، فإذاً الحق ما قاله الجنيد لا يعرف الله إلا الله تعالى، ولذلك لم يعط أجل خلقه إلا أسماء حجبه، فقال: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١] فوالله ما عرف الله غير الله في الدنيا والآخرة، وقيل لذي النون وقد أشرف على الموت: ماذا تشتهي؟ قال: أن أعرفه قبل أن أموت ولو بلحظة اهـ.

(وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه) في بعض خطبه على المنبر: **(الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته)**. ويروى عنه أيضاً: العجز عن درك الإدراك إدراك.

قال المصنف في كتابه المذكور: نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة، ومعرفتهم بالحقيقة هي أنهم لا يعرفونه وأنهم لا يمكنهم البتة معرفته، وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالى: فإذا انكشف لهم ذلك انكشافاً برهانياً فقد عرفوه أي بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته، ثم قال: وللمعرفة سبيلان. أحدهما: السبيل الحقيقي وذلك مسدود إلا في حق الله تعالى، فلا يهتم أحد من الخلق لنيله وإدراكه إلا ردته سبحات الجلال إلى الحيرة، ولا يشرئب أحد لملاحظته إلا غطى الدهش طرفه. وأما السبيل الثاني: وهو معرفة الصفات والأسماء فذلك مفتوح للخلق وفيه تتفاوت مراتبهم، فليس من يعلم أنه عالم قادر على الجملة كمن شاهد عجائب آياته في ملكوت السموات والأرض وخلق الأرواح والأجساد، واطلع على بدائع المملكة وغرائب الصنعة ممعناً في التفصيل ومستغرقاً في دقائق الحكمة ومستوفياً لطائف التدبير ومتصفاً بجميع الصفات الملكية المقربة من الله تعالى نائلاً تلك الصفات نيل اتصاف بها، بل بينهما من البون البعيد ما لا يكاد يحصى وفي تفاصيل ذلك ومقاديره تتفاوت الأنبياء والأولياء ولن يصل ذلك إلى فهمك إلا بمثال ولله المثل الأعلى، ولكنك تعلم أن العالم التقي الكامل مثلاً مثل الشافعي رضي الله عنه يعرفه بواب داره ويعرفه المزني تلميذه، والبواب يعرف أنه عالم بالشرع ومصنف فيه ومرشد خلق الله تعالى إليه على الجملة، والمزني يعرفه لا كمعرفة البواب، بل يعرفه بمعرفة محيطة بتفاصيل صفاته ومعلوماته، بل

ولنرجع إلى الغرض، وهو أن أحد الأقسام ما تكل الأفهام عن إدراكه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى، ولعل الإشارة إلى مثله في قوله ﷺ: « إن لله سبحانه سبعين حجاباً من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره ».

العالم الذي يحسن عشرة أنواع من العلوم لا يعرفه بالحقيقة تلميذه الذي لم يحصل إلا نوعاً واحداً فضلاً عن خادمه الذي لم يحصل شيئاً من علومه، بل الذي حصل علماً واحداً فإنما عرف على التحقيق عشرة إذا ساواه في ذلك العلم حتى لم يقصر عنه، فإن قصر عنه فليس يعرف بالحقيقة ما قصر عنه إلا بالإسم وإيهام الجملة، وهو أنه يعرف أنه يعلم شيئاً سوى ما علمه، فكذلك فافهم تفاوت الخلق في معرفة الله تعالى، فبقدر ما انكشف له من معلومات الله تعالى وعجائب مقدوراته وبدائع آياته في الدنيا والآخرة والملك والملكوت تزداد معرفتهم بالله تعالى وتقرب معرفتهم من معرفته الحقيقية.

فإن قلت: فإذا لم يعرفوا حقيقة الذات واستحال معرفتها، فهل عرفوا الأسماء والصفات معرفة تامة حقيقية؟ قلنا: هيهات ذلك لا يعرفه بالكمال في الحقيقة إلا الله تعالى لأنا إذا علمنا ذاتاً عالمة فقد علمنا شيئاً مبهماً لا ندري حقيقته، لكن ندري أن له صفة العلم، فإن كانت صفة العلم معلومة لنا حقيقة كان علمنا بأنه عالم أيضاً علماً تاماً بحقيقة هذه الصفة وإلا فلا، ولا يعرف أحد حقيقة علم الله تعالى إلا من له مثل علمه وليس ذلك له فلا يعرفه سواه تعالى، وإنما يعرفه غيره بالتشبيه بعلم نفسه كما أوردناه من مثال التشبيه بالسكر، وعلم الله تعالى لا يشبهه علم الخلق البتة فلا يكون معرفته به معرفة تامة حقيقية أصلاً بل إيهامية تشبيهية.

(**ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط**) فقد خضنا لجة بحر لا ساحل له، وأمثال هذه الأسرار لا ينبغي أن تبذل بإيداعها في الكتب وإذا جاء هذا غرضاً غير مقصود فلنكشف عنه (**ولنرجع إلى الغرض وهو أن أحد الأقسام**) المذكورة (**ما تكل الأفهام عن إدراكه**) ومعرفة حقيقته (**ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى، ولعل الإشارة إلى مثله في قوله ﷺ: « إن لله سبحانه سبعين حجاباً من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره »**) وهكذا أورده المصنف في كتابه مشكاة الأنوار إلا أنه قال: من نور وظلمة والباقي سواء. قال: وفي بعض الروايات سبعمائة، وفي بعضها سبعين ألفاً اهـ.

وفي كتاب الأسماء والصفات لأبي منصور التميمي أنه ﷺ وصف ربه عز وجل فقال: حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركته وفي رواية دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة اهـ.

وقال العراقي: أخرج أبو الشيخ بن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة: « بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجاباً من نور » وإسناده ضعيف، وفيه أيضاً من

....

حديث أنس، قال رسول الله ﷺ لجبريل: «هل ترى ربك؟ قال: إني بيني وبينه لسبعين حجاباً من نور». وفي الكبير للطبراني من حديث سهل بن سعد «دون الله تعالى سبعون ألف حجاب من نور وظلمة». ولمسلم من حديث أبي موسى: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه». ولابن ماجة «كل شيء أدركه بصره» اهـ.

قال أبو منصور التميمي في كتابه المذكور: كل خبر ذكر فيه الحجاب فإنه يرجع معناه إلى الخلق لأنهم هم المحجوبون عن رؤية الله عز وجل، وليس الخالق محجوباً عنهم لأنه يراهم ولا يجوز أن يكون مستوراً بحجاب لأن ما ستره غيره فساتره أكبر منه، وليس لله عز وجل حدّ ولا نهاية فلا يصح أن يكون بغيره مستوراً، ودليله قوله عز وجل: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥] ولم يقل إنه محجوب عنهم، ويؤيد ذلك ما رواه ابن أبي ليلى، عن علي رضي الله عنه أنه مرّ بقصاب فسمعه يقول في يمينه: لا والذي احتجب سبعة أطباق فعلاه بالدرة، وقال له: يا لكع إن الله لا يحتجب عن خلقه بشيء، ولكنه حجب خلقه عنه، فقال له القصاب: أولا أكفّر عن يميني يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا إنك حلفت بغير الله، فأما قوله: لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه، فقد تأوّله أبو عبيد على أن المراد به لو كشف الرحمة عن النار لأحرقت من على الأرض، وكذلك قوله دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة معناه أنها أجمع حجاب لغيره لأنه غير محصور في شيء، وقيل: معناه أن الله عز وجل علامات ودلالات على وحدانيته لو شاهدها الخلق لقامت مقام العيان في الدلالة عليه، غير أنه خلق دون تلك الدلائل سبعين ألف حجاب من نور وظلمة ليتوصل الخلق إلى معرفته بالأدلة النظرية دون المعارف الضرورية اهـ.

وفصل الخطاب في هذا المقام ما قاله المصنف في مشكاة الأنوار في تفسير هذا الحديث ما نصه: إن الله متجلي في ذاته بذاته لذاته ويكون الحجاب بالإضافة إلى محجوب لا محالة، وان المحجوبين من الخلق ثلاثة أقسام: منهم من يحجب بمجرد الظلمة، ومنهم من يحجب بالنور المحض، ومنهم من يحجب بنور مقرون بظلمة، وأصناف هذه الأقسام كثيرة. ويمكنني أن أتكلف حصرها لكني لا أثق بما يلوح من تحديد وحصر إذ لا أدري أنه المراد بالحديث أم لا. أما الحصر إلى سبعمائة أو سبعين ألفاً فتلك لا يستقل بها إلاّ القوّة النبوية مع أن ظاهر ظني ان هذه الأعداد مذكورة للتكثير لا للتحديد، وقد تجري العادة بذكر أعداد ولا يراد به الحصر بل التكثير، والله أعلم بتحقيق ذلك. وذلك خارج عن الوسع وإنما الذي يمكنني الآن أن أعرفك هذه الاقسام وبعض أصناف كل قسم.

القسم الأوّل: المحجوبون بمحض الظلمة وهؤلاء صنفان، والصنف الثاني منها ينقسمون أربعة فرق، وأصناف الفرقة الرابعة لا يحصون وكلهم محجوبون عن الله بمحض الظلمة وهي نفوسهم المظلمة، والقسم الثاني طائفة حجبوا بنور مقرون بظلمة وهم ثلاثة أصناف: صنف منشأ ظلمتهم

القسم الثاني: من الخفيات التي تمتنع الأنبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه، ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ولا يضر بالأنبياء

من الحس، وصنف منشأ ظلمتهم من الخيال، وصنف منشأ ظلمتهم عن مقايسات عقلية فاسدة، وفي الصنف الأوّل طوائف ستة لا يخلو واحد منهم عن مجاوزة الالتفات إلى نفسه وا نشوق إلى معرفة ربه، وفي الصنف الثاني أيضاً طوائف وأحسنهم رتبة المجسمة ثم الكرامية، وفي الثالث أيضاً فرق، فهؤلاء كلهم أصناف.

القسم الثاني: الذين حجبوا بنور مقرون بظلمة.

والقسم الثالث: هم المحجوبون بمحض الأنوار وهم أربعة أصناف: الواصلون منهم الصنف الرابع، وهم الذين تجلى لهم أن الرب المطاع موصوف بصفة لا تتناهى في الوحدانية المحضة والكمال البالغ، وأن نسبة هذا المطاع إلى الموجودات الحسية نسبة الشمس في الأنوار المحسوسة منه فتوجهوا من الذي يحرك السموات ومن الذي أمر بتحريكها إلى الذي فطر السموات وفطر الأرض بتحريكها، فوصلوا إلى موجود منزه عن كل ما أدركه بصر الناظرين وبصيرتهم. إذ وجودهم من قبله فأحرقت سبحات وجهه وجه الأوّل إلا على جميع ما أدركه الناظرون وبصيرتهم إذ وجدوه مقدساً منزهاً، ثم هؤلاء انقسموا، فمنهم من أحرق منه جميع ما أدركه بصره وانمحق وتلاشى، ولكن بقي هو ملاحظاً للجمال والقدس وملاحظاً ذاته في جماله الذي ناله بالوصول إلى الحضرة الإلهية، وانمحقت منه المبصرات دون المبصر، وجاوز هؤلاء طائفة منهم خواص الخواص فأحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال وأمحقوا وتلاشوا في ذاته، ولم يبق لهم لحاظ إلى أنفسهم بفنائهم عن أنفسهم، ولم يبق إلا الواحد الحق، وصار معنى قوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص: ٨٨] لهم ذوقاً وحالاً. فهذه نهاية الواصلين، ومنهم من لم يتدرج في الترقي والعروج عن التفصيل الذي ذكرناه ولم يطل عليه العروج فسبقوا في أوّل وهلة إلى معرفة القدس وتنزيه الربوبية عن كل ما يجب تنزيهه عنه، فغلب عليهم أوّلاً ما غلب على الآخرين آخراً وهجم عليهم التجلي دفعة فأحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن أن يدركه بصر حسي أو بصيرة عقلية، ويشبه أن يكون الأوّل طريق الخليل، والثاني طريق الحبيب صلوات الله وسلامه عليهما، والله أعلم بأسرار اقدامهما وأنوار مقامهما. فهذه إشارة إلى أصناف المحجوبين، ولا يبعد أن يبلغ عددهم إذا فصلت المقامات وتتبع حجب السالكين سبعين ألفاً، وإذا فتشت لا تجد واحداً منهم خارجاً عن الأقسام التي حصرناها، فإنهم إنما يحجبون بصفاتهم البشرية أو بالحس أو بالخيال أو بمقايسة العقل أو بالنور المحض كما سبق والله أعلم اهـ.

(**القسم الثاني: من الخفيات التي تمتنع الأنبياء**) عليهم السلام (**والصديقون**) ومن على قدمهم من الأولياء العارفين والعلماء الراسخين (**عن ذكرها**) وبيانها (**ما هو مفهوم في نفسه**) أي في حد ذاته (**لا يكل الفهم عنه**) ولا يقصر عن إدراكه، (**ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين**) بالافتتان في دينه (**ولا يضر بالأنبياء والصديقين**) لرسوخ قدمهم وعدم تزلزلهم

والصديقين. وسر القدر الذي منع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضراً ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل، وكيف يبعد هذا وقولنا أن الكفر والزنا والمعاصي والشرور كله بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيئته حق في نفسه، وقد أضر سماعه بقوم إذ أوهم ذلك عندهم أنه دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم؟ وقد ألحد ابن الراوندي وطائفة من المخذولين بمثل ذلك. وكذلك سر القدر لو أفشي

في المعرفة الحقيقية، وأكثر المستمعين لا يخلو إما أن يكون جاهلاً فذكره له توريط في الكفر من حيث لا يشعر، أو عارفاً فعجزه عن تفهيمه كعجز البالغ عن تفهيم ولده الصبي مصالح بيت وتدبيره، بل عن تفهيمه مصلحته في خروجه إلى المكتب، بل عجز الصانع عن تفهيم النجار دقائق صناعته، فإن النجار وإن كان بصيراً في صناعته فهو عاجز عن دقائق الصناعة، فالمشغولون بالدنيا وبالعلوم التي ليست من قبيل معرفة الله تعالى عاجزون عن معرفة الأمور الإلهية كعجز كافة المعرضين عن الصناعات وعن فهمها، (**وسر القدر الذي منع أهل العلم من إفشائه من هذا القسم**) وقد أنكر ﷺ على قوم يتكلمون في القدر ويسألون عنه وقال: «أبهذا أمرتم». (**فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضراً ببعض الخلق**) مفتناً لهم في دينهم، (**كما يضر نور الشمس بأبصار الخفافيش**) جمع خفاش وهو طائر معروف، (**وكما تضر رياح الورد بالجعل**) بضم الجيم وفتح العين نوع من الخنافس يدحرج العذرة وقد نظمه ابن الوردي في لاميته بقوله:

أيها الجاعل قولي عبثاً   إن طيب الورد مؤذٍ بالجعل

(**وكيف يبعد هذا وقولنا: أن الكفر والزنا و**) سائر (**المعاصي والشرور بقضاء الله تعالى وإرادته ومشيئته حق في نفسه**) أي في حد ذاته، (**وقد أضر سماعه بقوم**) من المعتزلة (**إذ أوهم ذلك عندهم دلالة على السفه**) ضد الرشد (**ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم**)، فنسبوا ذلك إلى فعل العبد وتخليقه فراراً مما أوهموا فيه وتوهموه وسموا أنفسهم بأهل العدل في التوحيد وهم بعيدون عن العدل، (**وقد ألحد ابن الراوندي**) رجل من مشهوري الملاحدة وله كتاب أيضاً في بيان معتقد المعتزلة، وكلامه محشو بالكفريات يتناشده الناس، وراوند التي نسب إليها هي قرية بقاشان من أعمال أصبهان وأصلها شيعة. (**وطائفة من المخذولين**) الذين على قدمه في سوء الاعتقاديات (**بمثل ذلك**) أي بمثل قول المعتزلة، فزعم جمهورهم أن المعاصي كلها كانت من غير مشيئة لله فيها، وزعم البغداديون منهم أن الله تعالى لم يخلق لأحد شهوة الزنا ولا شهوة شيء من المعاصي، كما زعموا أنه ما خلق لأحد إرادة المعصية، وزعم البصريون منهم أنه خالق الشهوات للإنسان الزنا والمعاصي، ولا يجوز أن يخلق إرادة الزنا والمعصية، (**وكذلك سر القدر لو أفشي**) أي أظهر (**أوهم أكثر الخلق عجزاً**) في قدرة الله

لأوهم عند أكثر الخلق عجزاً إذ تقصر أفهامهم عن إدراك ما يزيل ذلك الوهم عنهم، ولو قال قائل: إن القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوماً، ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفاً من الضرر، فلعل المدة إليها بعيدة فيطول الأمد وإذا استبطأت النفوس وقت العقاب قلّ اكتراثها، ولعلها كانت قريبة في علم الله سبحانه، ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الأعمال وخربت الدنيا، فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالاً لهذا القسم.

القسم الثالث: أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحاً لفهم ولم يكن فيه ضرر، ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب وله مصلحة في أن يعظم وقع ذلك الأمر في قلبه، كما لو قال قائل: رأيت فلاناً يقلد الدر في أعناق الخنازير، فكني به عن إفشاء العلم وبثّ الحكمة إلى غير أهلها، فالمستمع قد

تعالى: (**إذ تقصر أفهامهم عن إدراك ما يزيل ذلك الوهم**) ويصرفه عنهم بأوّل وهلة، فلذلك جاء الأمر بالكتمان في بعض الحقائق دون بعض. (**ولو قال قائل: إن القيامة لو ذكر ميقاتها**) المعلوم (**وأنها**) تقوم (**بعد**) مضي (**ألف سنة**) من الهجرة مثلاً (**أو أكثر أو أقل لكان ذلك مفهوماً**) أي معلوماً في الأذهان، (**ولكن لم يذكر**) ذلك نظراً (**لمصلحة العباد وخوفاً من**) وقوع الناس في (**الضرر**) والفساد، (**فلعل المدة إليها بعيدة فيطول الأمد**) فتقسو قلوبهم (**وإذا استبطأت النفوس**) البشرية (**العقاب**) وعلمته بعيداً (**قل اكتراثها**) في أمور الآخرة، (**ولعلها كانت قريبة في علم الله تعالى و**) لكن (**لو ذكرت**) أي ذكر ميقاتها (**لعظم الخوف**) وامتلأت الصدور من الرهبة (**وأعرض الناس عن الأعمال**) الخيرية (**وخربت الدنيا**) وبطل نظامها فلأجل هذه النكتة أخفي أمرها، (**فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالاً لهذا القسم**) الثاني في أن أصل ذلك مفهوم لا يكل الفهم عنه، ولكن ذكره مضر بالأكثرين.

(**القسم الثالث: أن يكون الشيء بحيث لو ذكر صريحاً**) ظاهراً (**لفهم**) معناه (**ولم يكن فيه ضرر**) يصيب السامع، (**ولكن يكنى عنه**) أي يؤتى بالكناية (**على سبيل الاستعارة والرمز**) أي الإشارة والاستعارة ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين (**ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب**) وأقوى مما ذكر مصرحاً (**وله مصلحة**) ظاهرة (**في أن يعظم وقع ذلك الأمر في قلبه كما لو قال قائل:**) لقيت أسداً يعني رجلاً شجاعاً، فلا يخفى أن هذا أوقع في القلب من قوله لقيت رجلاً شجاعاً وأخصر، وكذا قوله: (**رأيت فلاناً يقلد الدر في أعناق الخنازير فكنى به عن إفشاء العلم**) ونشره (**وبث الحكمة إلى غير أهلها فالمستمع قد يسبق إلى فهمه**) أوّل وهلة

يسبق إلى فهمه ظاهر اللفظ، والمحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الإنسان لم يكن معه در، ولا كان في موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس في ذلك، ومن هذا قال الشاعر:

رجلان خياط وآخر حائك ... متقابلان على السماك الاعزل
لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ... ويخيط صاحبه ثياب المقبل

فإنه عبر عن سبب سماوي في الإقبال والإدبار برجلين صانعين، وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى أو مثله، ومنه قوله ﷺ: «إن المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة على النار». وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة، ومعناه أن روح المسجد كونه معظماً ورمي النخامة فيه تحقير له

(ظاهره) الذي هو تقليد الدر في أعناق الخنازير حقيقة، (والمحقق) الكامل (إذا نظر) ببصيرته (وعلم أن ذلك الإنسان لم يكن معه در) وهو الجوهر المعروف (ولا كان في موضعه خنزير) وهو الحيوان المعروف (تفطن لدرك السر الباطن)، فوجده أراد بالدر العلم والحكمة، وأراد بالخنزير الجهال والبلداء، وأراد بالتعليق البث والإفادة (فيتفاوت الناس بذلك) أي من هنا جاء التفاوت في فهوم الناس، (ومن هذا) القسم (قال الشاعر:

رجلان خياط وآخر حائك ... متقابلان على السماك الأوّل)

السماك: بالكسر نجم نير وينزله القمر، وهما سماكان: أعزل ورامح، وفي بعض النسخ: السماك الأعزل ورامح، وفي بعضها على السماء الأوّل.

(لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ... ويخيط صاحبه ثياب المقبل)

وفي البيت لف ونشر غير مرتب وبين المقبل والمدبر حسن مقابلة، (فإنه) أي الشاعر (عبّر عن سبب سماوي) هكذا قالوا ومنسوب إلى السماء، والهمزة تقلب واواً عند النسب، وفي نسخة: سمائي (وفي الاقبال والإدبار برجلين صانعين) الخياط والحائك (وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى) المراد (بالصور التي تتضمن عين المعنى أو مثله) وله نظائر كثيرة. (ومثله قوله ﷺ: «إن المسجد لينزوي) أي ينقبض (من النخامة) وهي بالضم ما يلقيه الإنسان من فمه أو أنفه (كما تنزوي الجلدة عن النار») أي عن مماستها. قال العراقي: هذا لم أر له أصلاً في المرفوع، وإنما هو في قول أبي هريرة. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه اهـ.

قلت: ورواه كذلك عبد الرزاق موقوفاً على أبي هريرة. وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً، أن رسول الله ﷺ رأى نخامة في المسجد في القبلة فقال: «ما بال أحدكم مستقبل ربه فينخع أمامه أيحب أحدكم أن يستقبل فينخع في وجهه». (وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة و) الذي يظهر فيه أن (معناه روح المسجد، وكونه معظماً) في

فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء الجلدة، وكذلك قوله ﷺ: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار». وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون، ولكن من حيث المعنى هو كائن إذ رأس الحمار لم يكن لحقيقته للونه وشكله، بل لخاصيته وهي البلادة والحمق، ومن رفع رأسه قبل الإمام فقد صار رأسه رأس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى، إذ من غاية الحمق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فإنهما متناقضان، وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر إما بدليل عقلي أو شرعي. أما العقلي؛

القلوب لكونه محل التقرب إلى الله تعالى، (**ورمي النخامة فيه تحقير له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء الجلدة، وكذلك قوله ﷺ**) فيما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: (**«أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحوّل الله رأسه رأس حمار»**)، أو يجعل الله صورته صورة حمار وأخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه كذلك كلهم في الصلاة. وفي رواية: «ألا يخشى أحدكم إذا رفع رأسه» أي من السجود فهو نص فيه. وعند أبي داود زيادة: «والإمام ساجد» وهو دليل على التخصيص، وألحق به الركوع لكونه في معناه، وإنما نص على السجود لمزيد مزية فيه إذ المصلي أقرب ما يكون من ربه فيه وهو غاية الخضوع المطلوب، كذا في الفتح. وعند ابن خزيمة: قبل الإمام في صلاته، وقوله: رأسه أي التي خبث بالرفع تعدياً رأس حمار. وفي رواية ابن حبان رأس كلب، (**وذلك من حيث الصورة قط لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن إذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته للونه وشكله بل بخاصيته اللازمة فيه وبلادته**) وحمقه، (**ومن رفع رأسه قبل الإمام**) في ركوعه أو سجوده (**فقد صار رأسه رأس حمار في**) جامع هو (**معنى البلادة والحمق، وهو المقصود**) من الحديث (**دون الشكل الذي هو قالب المعنى إذ من غاية الحمق أن يجمع بين الاقتداء**) بإمام (**وبين التقدم**) عليه (**فإنهما متناقضان**)، وفي حكمه الذي يسبق الإمام في حركاته كلها، ولكن النص إنما أتى فيمن يرفع قبله وهذا الذي ارتضاه المصنف في تقرير معنى الحديث هو صحيح لا غبار عليه، وعلم منه أنه كبيرة للتوعد عليه بأشنع العقوبات وأبشعها وهو المسخ المعنوي، ولكن لا تبطل صلاته عند الشافعية، وأبطلها أحد كالظاهرية. ويجوز أن يحمل معنى الحديث على الحقيقة على ما عليه الأكثر من قوع المسخ في هذه الأمة ولا يلزم من الوعيد الوقوع. وقال صاحب الفيض: ليس للتقدم على الإمام سبب إلا الاستعجال ودواؤه أن يستحضر بانه لا يسلم قبله، ويروى عن جابر ابن سمرة رفعه: «أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه في الصلاة أن لا يرجع إليه بصره» أخرجه الإمام مسلم، وابن ماجه. (**وإنما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر**) أي من منطوق اللفظ (**إما بدليل عقلي أو شرعي. أما العقلي**) **وهو الذي يكون مستنده من طريق العقل**

فإن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله ﷺ: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن». إذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين فلم نجد فيها أصابع فعلم أنها كناية عن القدرة التي هي سر الأصابع وروحها الخفي، وكني بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعاً في تفهم تمام الاقتدار، ومن هذا القبيل في كنايته عن الاقتدار قوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناهُ أنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾ [النحل: ٤٠] فإن ظاهره ممتنع إذ قوله: «كن» إن كان خطاباً للشيء قبل وجوده فهو محال إذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين. ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل إليها، وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكناً، ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله

(**بأن يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله ﷺ: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن»**) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، (**فأقره السلف رحمهم الله تعالى على ظاهره من غير تفسير**)، وسيأتي أن الإمام أحمد حسم باب التأويل إلا لثلاثة ألفاظ. أحدها: هذا الحديث كما سيأتي قريباً في كلام المصنف، (**وخالف فيه قوم**) من المتأخرين فقالوا: لا بد من تأويله (**إذ لو فتشنا عن صدور المؤمنين لم نجد فيها أصابع، فعلم انها ليست**) عبارة عن جسم مخصوص بصفات مخصوصة، والجسم عبارة عن متقدر له طول وعرض وعمق يمنع غيره من أن يوجد بحيث هو إلا أن يتنحى عن ذلك المكان، بل (**كناية عن**) معنى آخر ليس ذلك المعنى بجسم أصلاً وهي (**القدرة التي هي سر الأصابع وروحها الخفي**) فيها، (**و**) إنما (**كني بالأصابع عن القدرة لأن ذلك أعظم وقعاً**) في النفوس (**في تفهيم تمام الاقتدار**) فقال: فلان يلاعب فلاناً على أصبعه، أو البلدة الفلانية في أصبع الأمير، فعلى العامي وغير العامي أن يتحقق قطعاً ويقيناً أن النبي ﷺ لم يرد بذلك اللفظ جسماً وهو عضو مركب من لحم ودم، لأن ذلك على الله تعالى محال وهو عنه مقدس. (**ومن هذا القبيل في كنايته عن الاقتدار**) أي كمال القدرة (**بقوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل: ٤٠] فإن ظاهره ممتنع إذ قوله: «كن» إن كان خطاباً للشيء قبل وجوده فهو محال إذ المعدوم**) الذي لم يوجد بعد (**لا يفهم الخطاب حتى يمتثل**)، فالامتثال فرع عن فهم الخطاب، وفهم الخطاب فرع عن أهليته له وذلك فرع عن الوجود فما لا يوجد كيف يخاطب، (**وإن كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين**) وهو إيجاد شيء مسبوق بمادة، (**ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع في النفوس في تفهم غاية الاقتدار عدل إليها**) أي: الكناية، فهذا هو الدليل العقلي. (**وأما المدرك بالشرع**) دون العقل (**فهو أن يكون إجراؤه على الظاهر ممكناً، ولكنه يروى**) من طرق صحيحة (**أنه أريد به غير الظاهر**) مثال هذا (**كما ورد في تفسير قوله**) عز وجل: ﴿**أنزل من السماء ماء**

تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسَالَتْ أودية بقدرها﴾ [الرعد: ١٧] الآية. وأن معنى الماء ههنا هو القرآن، ومعنى الأودية هي القلوب وأن بعضها احتملت شيئاً كثيراً وبعضها قليلاً وبعضها لم يحتمل، والزبد، مثل الكفر والنفاق، فإنه وإن ظهر وطفا على رأس الماء، فإنه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث. وفي هذا القسم تعمق جماعة فأوّلوا ما ورد في الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة إذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية واجراؤه على الظاهر غير محال فيجب اجراؤه على الظاهر.

فسالت أودية بقدرها الآية﴾ [الرعد: ١٧] أي إلى آخر الآية، وهو قوله: ﴿فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ [الرعد: ١٧] **(وإن معنى الماء)** النازل من السماء **(هو القرآن)** الذي أنزله على رسوله، فالتشبيه لما يحصل بكل واحد منهما من الحياة ومصالح العباد في معاشهم ومعادهم، **(ومعنى الأودية هي القلوب وأن بعضها احتملت شيئاً كثيراً)** لاتساعه كوادٍ عظيم يسع ماء كثيراً، **(وبعضها)** احتملت **(قليلاً)** كوادٍ صغير إنما يسع ماء قليلاً، **(وبعضها لم يحمل)** شيئاً كالوادي الذي فيه قيعان، وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والعلم حين تخالط القلوب بشاشته، **(والزبد مثل الكفر)** والشبهات الباطلة فتطفو على وجه القلب، فالقرآن أو العلم يستخرج ذلك الزبد كما يستخرج السيل من الوادي زبداً يعلو فوق الماء، وأخبر سبحانه أنه راب يطفو ويعلو على الماء، **(فإنه)** أي الزبد **(وإن ظهر وطفا على رأس الماء)** وفي نسخة: على وجه الماء **(فإنه لا يثبت)** في أرض الوادي ولا يستقر، كذلك الكفر والشبهات الباطلة إذا أخرجها العلم المستنبط من القرآن ربت فوق القلوب وطفت فلا تستقر فيه بل تجفى وترمى **(والهداية التي تنفع الناس تمكث)** في القلب وتستقر كما يستقر في الوادي الماء الصافي ويذهب الزبد جفاء، ثم ضرب سبحانه لذلك مثلاً آخر فقال: ﴿ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله﴾ يعني ان ما يوقد عليه بنو آدم من الذهب والفضة والنحاس والحديد) يخرج منه خبثه، وهو الزبد الذي تلقيه النار وتخرجه من ذلك الجوهر بسبب مخالطتها، فإنه يقذف ويلقى فيه ويستقر الجوهر الخالص وحده، وضرب سبحانه مثلاً لما فيه من الحياة والتبريد والمنفعة، ومثلاً بالنار لما فيها من الإضاءة والاشراق والاحراق، فآيات القرآن تحيي القلوب كما تحيي الأرض بالماء، وتحرق خبثها وشبهاتها وشهواتها وسخائمها كما تحرق النار ما يلقى فيها، وتميز زبدها من زبدها كما تميز النار الخبث من الذهب والفضة والنحاس ونحوه، فهذا بعض ما في هذا المثل العظيم من العبرة والعلم قال الله تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت: ٤٣] **(وفي هذا القسم تعمق جماعة)** من المبتدعة وتجاوزوا عن الحدود، **(فأوّلوا ما ورد في)** أمور **(الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما)**، كوزن الأعمال وتطاير الصحف في اليمين والشمال وغير ذلك، **(وهو)** أي التأويل في مثل هذه الأمور **(بدعة)** قبيحة إذ **(لم ينقل ذلك**

القسم الرابع: أن يدرك الإنسان الشيء جملة، ثم يدركه تفصيلاً بالتحقيق والذوق بأن يصير حالاً ملابساً له فيتفاوت العلمان ويكون الأول كالقشر والثاني كاللباب، والأول كالظاهر والثاني كالباطن. وذلك كما يتمثل للإنسان في عينه شخص في الظلمة أو على البعد، فيحصل له نوع علم، فإذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما، ولا يكون الأخير ضد الأول بل هو استكمال له. فكذلك العلم والإيمان والتصديق، إذ قد يصدق الإنسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه، ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع بل للإنسان في الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة، الأول: تصديقه بوجوده قبل وقوعه، والثاني: عند وقوعه. والثالث: بعد تصرمه، فإن تحققك بالجوع بعد زواله

بطريق الرواية) عن الثقات. وليت شعري ما الذي حملهم على تأويلها **(واجراؤها على الظاهر غير محال فيجب اجراؤه على الظاهر)** ويسد باب التأويلات في مثل ذلك.

(القسم الرابع: أن يدرك الإنسان الشيء جملة) أي على وجه الإجمال **(ثم يدركه)** بعد **(تفصيلاً)** وذلك **(بالتحقيق)** أي الاثبات بدليل **(والذوق)** وهو التجربة **(بأن يصير حالاً ملابساً له فيتفاوت العلمان)**، فالعلم الأوّل اجمالي، والثاني تفصيلي هبه بدليل أو تجربة، **(ويكون الأوّل كالقشر)** الخارج عن اللب، **(والثاني كاللباب)** المحض الذي يحيط به القشر، **(ويكون الأوّل كالظاهر، والآخر كالباطن)** وكل من التعبيرين صحيحان **(وذلك كما يتمثل للإنسان في عينه)** ويتراءى **(شخص)** أي شبح **(إما في الظلمة)** الحاجبة من الإنكشاف، **(أو على البعد)** منه في المسافة **(فيحصل له)** من ذلك التمثيل **(نوع علم فإذا رآه بالقرب)** منه بان قرب الرائي منه أو المرئي، **(أو بعد زوال الظلام)** المانع له من انكشافه **(أدرك تفرقة بينهما)** أي بين العلمين، **(ولا يكون الآخر ضد الأوّل)** لعدم منافاة أحدهما الآخر في أوصافه الخاصة، **(بل هو استكمال له)** أي طلب كمال له، **(فكذلك في العلم والإيمان والتصديق)** يكون أوّلاً شيئاً قليلاً ثم يكمل **(إذ قد يصدق الإنسان بوجود العشق)** وهو الافراط في المحبة **(والمرض)** وهو خروج البدن عن الاعتدال الخاص، **(والموت)** وهو صفة وجودية خلقت ضد الحياة **(قبل وقوعه)**. أي كل منها، **(ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع)** وهي مرتبة حق اليقين، **(بل للإنسان في الشهوة)** وهي نزوع النفس لما تريده **(والعشق)** بل **(و)** في **(سائر الأحوال ثلاثة أحوال)**. وفي بعض النسخ: بل الإنسان في الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال **(متفاوتة و)** ثلاثة **(إدراكات متباينة. الأوّل: تصديقه بوجوده قبل وقوعه، والآخر عند وقوعه، والآخر بعد تصرمه)** وانقضائه وهذا ظاهر، **(فإن تحققك بالجوع)** مثلاً

يخالف التحقق به قبل الزوال، وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقاً فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك، ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها، ففي هذه الأقسام الأربعة تتفاوت الخلق وليس في شيء منها باطن يناقض الظاهر، بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والسلام.

القسم الخامس: أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقاً، والبصير بالحقائق يدرك السِّر فيه، وهذا كقول القائل: قال الجدار للوتد: لم تشقني؟ قال: سل من يدقني فلم يتركني وراء الحجر الذي ورائي؟

(**بعد زواله**) بالأكل (**يخالف التحقق به قبل الزوال**) فالإدراك الذي يحصل في الأوّل غير الذي يحصل في الثاني، (**وكذلك في علوم الدين**) منها (**ما يصير ذوقاً**) محققاً (**فيكمل**) بعد أن كان ناقصاً (**فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك**) وهو الحاصل عن غير تحقيق وذوق، (**ففرق بين علم المريض بالصحة**) في البدن وهي حالة طبيعية تجري أفعاله معها على المجرى الطبيعي (**وبين علم الصحيح بها، ففي هذه الأقسام الأربعة**) المذكورة (**تتفاوت الخلق وليس في شيء منه**) أي من مجموع تلك الأقسام (**باطن يناقض الظاهر**) ولا ظاهر يناقض الباطن، (**بل يتممه**) ويكمله (**كما يتمم اللب القشر والسلام**) على أهل التسليم.

(**القسم الخامس: أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال**) ، فلسان المقال هي الجارحة وله نغمة مخصوصة يميزها السمع كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر، ولسان الحال ما أنبأ عن حال قام به ولو لم يكن نطقاً، (**فالقاصر الفهم**) الذي فهمه مقصور على ما تلقفه وجامد عليه (**يقف على الظاهر**) ولا يتجاوزه (**ويعتقده نطقاً بالحقيقة**)، والنطق في العرف العام الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الآذان، ولا يقال إلا للإنسان ولا يقال لغيره إلا على سبيل التبع.

وقال المصنف في كتاب المعارف الإلهية: النطق معنى زائد على الكلام والقول، وذلك لأن الجنين يوصف بالنطق لأنه ناطق بالقوّة ولو لم يكن ناطقاً لم يعد من الناس، ولا يقال له قائل لأن قوله بالفعل، ثم قال: والنطق أشرف الأحوال وأجل الأوصاف وهو أصل الكلام، والقول وماهيته تصوّر النفس صور المعلومات وقدرة النفس على الاستماع لغيرها بما ينتج في العقل بأي لغة كانت وبأي عبارة اتفقت، (**والبصير بالحقائق**) أي المتبصر بمعرفة حقائق الأشياء كما هي (**يدرك السر**) الذي هو مخفى (**فيه وهذا كقول**) بعضهم:

امتلأ الحوض وقال قطني ... مهلاً رويداً قد ملأت بطني

وكقول (**القائل: قال الجدار للوتد**) ككتف والمشهور على الألسنة للمسمار: (**لم تشقني**) من

فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ثم اسْتَوى إلى السماءِ وهي دُخَانٌ فَقَالَ لَها وللأرض ائتيا طَوْعاً أو كَرْهاً قَالَتَا أتينا طائِعين﴾ [فصلت: ١١]. فالبليد يفتقر في فهمه إلى أن يقدر لهما حياة وعقلاً وفهماً للخطاب وخطاباً هو صوت وحرف تسمعه السماء والأرض فتجيبان بحرف وصوت وتقولان: ﴿أتينا طائعين﴾ والبصير يعلم أن ذلك لسان الحال وأنه أنباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين إلى التسخير، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبحُ بحمده﴾ [الإسراء: ٤٤]. فالبليد يفتقر فيه إلى أن يقدر للجمادات حياة وعقلاً ونطقاً بصوت وحرف حتى يقول: « سبحان الله » ليتحقق تسبيحه. والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان بل كونه مسبحاً بوجوده ومقدساً بذاته وشاهداً بوحدانية الله سبحانه، كما يقال:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحدُ

وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسنِ التدبير وكمال العلم لا بمعنى

شقه إذا أوقعه في المشقة؟ (**قال: سل من يدقني فلم يتركني وراء**) فعل أمر من رآى يرائي أي انظر (**الحجر الذي ورائي، فهذا**) وأمثاله (**تعبير عن لسان الحال بلسان المقال، ومن هذا قوله تعالى: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاًأوكرها قالتا أتينا طائعين﴾**) [فصلت: ١١] الإتيان هو المجيء مطلقاً. وقيل: بسهولة. والطوع الانقياد ويضاده الكره، وطائعين أي منقادين أي لم يمتنعا عليه مما يريدهما به، (**فالبليد**) الذهن (**يفتقر في فهمه**) لهذه الآية (**إلى أن يقدر لهما حياة مخلوقة**) وفي بعض النسخ بزيادة الأرض والسماء بدون لهما (**وعقلاً وفهماً للخطاب ويقدر خطاباً من صوت وحرف**) بحيث (**تسمعه الأرض والسماء فتجيب بحرف وصوت وتقول: «أتينا طائعين»، والبصير**) العارف (**يعلم أن ذلك لسان الحال، وأنه انباء**) أي اخبار (**عن كونها مسخرة بالضرورة ومضطرة إلى التسخير**)، والانقياد والتسخير سياقة الشيء إلى الغرض المختص به. (**ومن هذا**) أيضاً (**قوله تعالى: ﴿وإن من شي إلا يسبح بحمده﴾**) [الإسراء: ٤٤] ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ [الإسراء: ٤٤] (**فالبليد يفتقر فيه إلى ان يقدر للجمادات حياة وعقلاً ونطقاً بصوت وحرف حتى يقولوا: سبحان الله**) وبحمده (**ليتحقق تسبيحه، والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان**) بحرف وصوت، (**بل**) أريد به (**كونه مسبحاً بوجوده ومقدساً بذاته وشاهداً بوحدانية الله تعالى كما يقال**) وهو قول أبي العتاهية وأوّله:

واعجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحدُ

(**وفي كل شيء له آية**) أي علامة دالة (**تدل على أنه واحد**) لا شريك له.

(**وكما يقال هذه الصنعة المحكمة**) المتقنة (**تشهد لصاحبها بحسن التدبير**) وإصابة

أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال. وكذلك ما من شيء إلا وهو محتاج في نفسه إلى موجد يوجده ويبقيه ويديم أوصافه ويردده في أطواره، فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر، ولذلك قال تعالى: ﴿ولَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تسبيحهم﴾ [الاسراء: ٤٤]. وأما القاصرون فلا يفقهون أصلاً، وأما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله إذ لكل شيء شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسبيحه، ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته، وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة. فهذا الفن أيضاً مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر. وفي هذا المقام لأرباب المقامات إسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى إلى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى: ﴿وتُكَلِّمُنَا أيْديهم وتَشْهد أرجلهم﴾ [يس: ٦٥]

الفعل (**وكمال العلم**) وجودة المعرفة (**لا بمعنى أنها تقول: أشهد بالقول**) باللسان الظاهر، (**ولكن بالذات و**) لسان (**الحال، وكذلك ما من شيء**) من الأشياء (**إلا وهو محتاج في نفسه إلى موجد يوجده**) أي يخرجه من العدم إلى الوجود (**ويتقنه**) أي يحكمه (**ويديم أوصافه ويردده في أطواره**) المختلفة، (**فهي بحالها تشهد لخالقها بالتقديس**) والتنزيه والضمير راجع إلى الأشياء، وفي بعض النسخ فهو بحاجته يشهد لخالقه (**يدرك شهادتها ذوو البصائر**) الكاملة (**دون الجامدين على الظواهر**) فلا حظ لهم في ادراك تلك الشهادة، ولذلك قال تعالى: ﴿**ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾ [الاسراء: ٤٤]، يعني ليس في وسعكم أن تعرفوا حقيقة ذلك، وأصل الفقه فهم الأشياء الخفية. وقيل: هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من مطلق الفهم. (**أما القاصرون**) عن نيل الكمال (**فلا يفقهون**) ذلك (**أصلاً، وأما المقربون**) إلى الله تعالى وهم فوق أهل اليمين (**والعلماء الراسخون**) في علومهم (**فلا يفقهون كنهه وكماله**)، وكنه الشيء حقيقته ونهايته (**إذ لكل شيء شهادات شتى**) أي على أنواع كثيرة (**على تقديس الله سبحانه وتسبيحه**) وتنزيهه، (**ويدرك كل واحد**) من أهل هذه المراتب (**بقدر رزقه**) ونصيبه الذي أعطيه (**وبصيرته**) التي خص بها دون غيره (**وتعداد تلك الشهادات**) أي كل شهادة شهادة تفصيلاً (**لا تليق بعلم المعاملة**) بل هو من علم المكاشفة. (**فهذا الفن أيضاً مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر في علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر**) بخلاف الأقسام الأربعة المتقدمة (**وفي هذا المقام لأرباب المقامات إسراف**) أي مجاوزة الحدود (**واقتصاد**) أي الوقوف على مقام بين مقامين (**فمن مسرف**) مفرط (**في دفع**) وفي نسخة: رفع (**الظواهر انتهى**) حالة (**إلى تغيير جميع الظواهر أو أكثرها**) المتعلقة بالآخرة (**حتى حملوا قوله تعالى: ﴿وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم﴾**) [يس: ٦٥] أي بما كسبت (**وقوله تعالى: ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم**

وقوله تعالى: ﴿وقَالُوا لجلودِهِم لِمَ شَهِدْتُم عَلَيْنا قَالُوا أنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أنْطَقَ كُلَّ شيءٍ﴾ [فصلت: ٢١]، وكَذَلِكَ المخاطبات التي تجري من منكر ونكير، وفي الميزان والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة في قولهم: ﴿أفيضُوا علَيْنا من الماء أو مِمَّا رَزَقَكُم الله﴾ [الأعراف: ٥٠] زعموا أن ذلك كله بلسان الحال. وغلا آخرون في حسم الباب. منهم أحمد بن حنبل رضي الله عنه حتى منع تأويل قوله: ﴿كن فيكون﴾ [النحل: جزء من الآية ٤٠] وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كون كل مكوّن حتى سمعت بعض أصحابه يقول: إنه حسم باب التأويل إلا ثلاثة ألفاظ قوله ﷺ: «الحجر الأسود يمين الله في

علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾) [فصلت: ٢١] أي جعله ناطقاً **(وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر ونكير)** حين حلول الإنسان في القبر، وتلك المخاطبة أول فتانات القبور، **(و)** كذلك **(في الميزان)** ذي الكفتين ووزن الأعمال **(وفي الحساب)** وتطاير الصحف في اليمين أو الشمال، **(ومناظرات أهل النار وأهل الجنة وقولهم: ﴿أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾)** [الأعراف: ٥٠] وأمثال ذلك. **(زعموا أن ذلك كله لسان الحال)** لا المقال حقيقة، **(وغلا الآخرون)** منهم **(في حسم الباب)** أي سد باب التأويل مطلقاً وهم من السلف. **(منهم)** الإمام **(أحمد بن)** محمد بن **(حنبل)** رحمه الله تعالى **(حتى منع تأويل قوله تعالى: ﴿كن فيكون﴾)** وهذا يعني سد باب التأويل على الإطلاق هو المفهوم من ظاهر مذهبه كما نقله الثقات عنه، **(وزعموا)** أي اتباعه ومقلدوه **(أن ذلك خطاب)** من الله تعالى **(بحرف وصوت يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كون كل مكوّن)**. وقد ذكر أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي في كتابه: **(تحرير الأصول وتهذيب المنقول)** أن الكلام عند الإمام أحمد وجميع أصحابه ليس مشتركاً بين العبارة ومدلولها، بل هو الحروف المسموعة فهو حقيقة فيها مجاز في مدلولها، ونقل عن بعض العلماء أن مذهب أحمد أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصوت يسمع، وسيأتي البحث فيه في موضعه ونشبع الكلام هناك، **(حتى سمعت بعض أصحابه)** أي الإمام أحمد **(يقول: إنه حسم باب التأويل إلا لثلاثة ألفاظ)** وردت.

أحدها: **(قوله ﷺ: «الحجر الأسود يمين الله في أرضه»)** قال العراقي: أخرجه الحاكم وصححه من حديث عبدالله بن عمرو بلفظ: الحجر يمين الله في الأرض» اهـ.

قلت: وأخرج الخطيب وابن عساكر عن جابر رفعه: «الحجر يمين الله في الأرض يصافح بها عباده». قال ابن الجوزي في سنده إسحاق بن بشير كذبه ابن شيبة وغيره، وقال الدارقطني: هو في عداد من يضع. وأخرج الديلمي عن أنس رفعه «الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله» وفي سنده علي بن عمر السكري ضعفه البرقاني، وأيضاً العلاء بن سلمة الروّاس. قال الذهبي:

أرضه». وقوله ﷺ: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن». وقوله ﷺ: «إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن». ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر والظن بأحمد بن حنبل رضي الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار، والنزول ليس هو الانتقال، ولكنه منع من التأويل حسماً للباب ورعاية لصلاح الخلق، فإنه إذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الأمر عن الضبط وجاوز حد الاقتصاد إذ حد ما جاوز الاقتصاد لا ينضبط، فلا بأس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف، فإنهم كانوا

متهم بالوضع، ثم أن معنى قوله: يمين الله أي هو بمنزلة يمينه ولما كان كل ملك إذا قدم عليه الوافد قبل يمينه، والحاج أول ما يقدم يسن له تقبيله، فلذا نزل منزل يمين الكعبة.

والثاني: (**قوله ﷺ: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن»**) أخرجه مسلم من حديث عبدالله بن عمرو وقد تقدم.

والثالث: (**قوله ﷺ: «إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن»**) أخرج أحمد من حديث أبي هريرة في حديث قال فيه: «وأجد نفس ربكم من قبل اليمن» ورجاله ثقات. قاله العراقي (**ومال إلى حسم الباب أرباب الظواهر والظن**) الحسن (**بأحمد بن حنبل**) رحمه الله تعالى حسبما يقتضي جلالة قدره ورفعته في معرفة العلوم (**أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار على شيء، والنزول ليس هو الانتقال**) من مكان إلى مكان، (**ولكنه منع من التأويل حسماً للباب ورعاية لصلاح الخلق**) كما يشهد لذلك حاله مع الكرابيسي وقوله فيه، وكذلك هجره الحرث المحاسبي على ما سبق الإيماء إلى شيء من ذلك في كتاب العلم، (**فإنه إذا فتح الباب اتسع الخرق**) على الراقع (**وخرج عن حد الضبط وجاوز**) مرتبة الاقتصاد إذ حد الاقتصاد لا ينضبط بقاعدة، (**فلا بأس بهذا الزجر**) والمنع وسد الباب، (**وتشهد له سيرة السلف**) الصالحين (**فإنهم كانوا يقولون أمروها**) أي الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة (**كما جاءت**).

روى الحسن بن إسماعيل الضراب في مناقب مالك من طريق الوليد بن مسلم قال: سألت مالكاً والأوزاعي وسفيان، وليثاً عن هذه الأحاديث التي فيها ذكر الرؤية والصورة والنزول فقالوا: أوردوها كما جاءت. وقال عبدالله بن أحمد في كتاب السنة له في باب ما جحدته الجهمية من كلام الله مع موسى بن عمران عليه السلام، سألت أبي عن قوم يقولون لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت. قال أبي: بلى تكلم بصوت هذه الأحاديث نمررها كما جاءت اهـ.

وهذه المسألة يأتي ذكرها والاختلاف فيها. وقال ابن اللبان: قد كان السلف الصالح نهوا الناس عن اتباع أرباب البدع وعن الاصغاء إلى آرائهم وحسموا مادة الجدال في التعرض بالآي المتشابهة سداً للذريعة واستغناء عنه بالمحكم، وأمروا بالإيمان وبإمراره كما جاء من غير تعطيل ولا

يقولون: أمروها كما جاءت، حتى قال مالك رحمه الله، لما سئل عن الاستواء: الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

تشبيه، (حتى قال مالك) بن أنس إمام المدينة رحمه الله تعالى (لما سئل عن) معنى (الاستواء) في قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف: ٥٤]، وفي قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥]، وقد جاء ذكره في ست آيات فقال مالك: (الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة) وهذا القول من مالك جاء بألفاظ مختلفة وأسانيد متنوعة، وقد أورده المصنف هكذا في آخر إلجام العوام، وأورده ابن اللبان في كتابه بلفظ أنه سئل كيف استوى؟ فقال: كيف غير معقول، والاستواء غير مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة. وقال اللالكائي في كتاب السنة: أخبرنا علي بن الربيع المقري مذاكرة، حدثنا عبدالله بن أبي داود، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا مهدي بن جعفر بن عبدالله قال جاء رجل إلى مالك بن أنس فقال له: يا أبا عبدالله الرحمن على العرش استوى كيف استوى؟ قال: فما رأيت مالكاً وجد من شيء كموجدته من مقالته وعلاه الرحضاء يعني العرق وأطرق القوم وجعلوا ينتظرون ما يأتي منه، فقال: فسري عنه فقال: الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة، فإني أخاف أن تكون ضالاً وأمر به فأخرج، وأخرجه كذلك أبو الشيخ وأبو نعيم وأبو عثمان الصابوني ونصر المقدسي كلهم من رواية جعفر بن عبدالله. رواه الصابوني من وجه آخر من رواية جعفر بن ميمون، عن مالك، ورواه عثمان بن سعيد بن السكن من رواية جعفر بن عبدالله عن رجل قد سماه عن مالك. ورواه ابن ماجة عن علي بن سعيد، عن بشار الخفاف أو غيره عن مالك.

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أحمد بن محمد بن إسماعيل بن مهران، حدثنا أبي، حدثنا أبو الربيع بن أخي رشدين بن سعد قال: سمعت عبدالله بن وهب قال: كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبدالله، الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه؟ قال: فاطرق مالك وأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه. قال: فأخرج الرجل. وقد يروى هذا القول أيضاً عن ابن عيينة.

قال اللالكائي: أخبرنا عبدالله بن أحمد النهاوندي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمود النهاوندي سنة ست عشرة وثلاثمائة، حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة، حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، عن يحيى بن آدم، عن ابن عيينة قال: سئل عن قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾. قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق. وقد يروى أيضاً لربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ مالك. أخرج اللالكائي بسنده المتقدم إلى يحيى بن آدم عن ابن عيينة قال: سئل ربيعة عن الاستواء فساقه بعينه، ورواه أبو الشيخ من رواية عبدالله بن صالح بن مسلم قال: سئل ربيعة بمعناه أي فيحتمل أن ابن عيينة أجاب السائل بما

....

أجاب به ربيعة، كما أن مالكاً كذلك أجاب بما أجاب به ربيعة، وإن اختلفت ألفاظهم، وأوّل من وفق لهذا الجواب السيدة أم سلمة رضي الله عنها، والكل تابعون على منهجها.

أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل إجازة، أخبرنا عبدالله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ. أخبرنا علي بن يحيى، أخبرنا يوسف بن عبدالله، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا أبو الفضل بن أبي الحسن الحافظ، أخبرنا عبد الرحيم بن الحسين.الحافظ، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، أخبرنا ابن عبد الدائم، أخبرنا ابراهيم بن البرقي، أخبرنا مالك بن أحمد، أنا أبو الفتح بن أبي الفواريس الحافظ، ثنا إسحاق بن محمد، ثنا عبدالله بن إسحاق المدائني، ثنا أبو يحيى الوراق، ثنا محمد بن الأشرس الأنصاري، ثنا أبو المغيرة عمير بن عبد الحميد الحنفي، عن قرط بن خالد، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة رضي الله عنها في قوله عز وجل: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، قالت: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والاقرار به إيمان والجحود به كفر.

وأرويه أعلى من هذا بالسند المتقدم إلى محمد بن عبد الرحمن الحافظ قال: أخبرني محمد بن مقبل الصيرفي بحلب، أخبرنا الصلاح بن عمر المقدسي، أخبرنا أبو الحسن السعدي، أخبرنا عمر بن محمد بن طبرزد، أخبرنا هبة الله بن الحصين، أخبرنا أبو طالب بن غيلان، أخبرنا ابراهيم بن محمد المزكي، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الأزهر، ثنا محمد بن الأشرس أبو كنانة بصري، ثنا أبو المغيرة الحنفي وهو عمير بن عبد المجيد، ثنا قرة بن خالد.

قلت: وهذا هو الصواب يعني عبد المجيد وقرة، وفي سياق السند الأوّل عبد الحميد وقرط كذا وجد بخط قديم وهو ليس بصحيح وفيه: «والإيمان به واجب» بدل قولها: «والاقرار به ايمان» والباقي سواء. وأبو يحيى الوراق في السند الأوّل هو الهندي، واسمه محمد بن عمر بن كيسة.

وقد أخرج هذا الحديث من طريقة اللالكائي من رواية عبد الصمد بن علي عنه قال: سمعه منه بالكوفة في جبانة سالم عن أبي كنانة محمد بن أشرس الأنصاري فساقه، ورواه أبو بكر الخلال، عن محمد بن أحمد البصري، عن أبي يحيى الوراق هو ابن كيسة به. ورواه أبو عثمان الصابوني من رواية محمد بن عبيد الحافظ، عن أبي يحيى بن كيسة به. وقال فيه: عن محمد بن الأشرس الوراق أبي كنانة. ورواه أبو نعيم الأصبهاني في كتاب الحجة عن ابراهيم بن عبدالله بن إسحاق المعدل سمعه منه بنيسابور، عن أبي العباس أحمد بن محمد الأزهري الحافظ، عن محمد بن الأشرس أبي كنانة البصري به. وقد تفرد بهذا الحديث أبو كنانة واختلف عليه فيه، فرواه أبو عبدالله بن منده الحافظ، عن أحمد بن مهران الفارسي، ثنا الحسين بن حميد، ثنا محمد بن أشرس أبو كنانة، ثنا النضر بن إسماعيل، ثنا قرة بن خالد فذكره. ورواه أيضاً في التوحيد عن محمد بن إسحاق البصري، عن الحسن بن الربيع الكوفي، عن محمد بن أشرس أبي كنانة الكوفي، عن أبي

وذهبت طائفة إلى الاقتصاد وفتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية. وزاد المعتزلة عليهم حتى أوّلوا من صفاته تعالى الرؤيا، وأولوا كونه سميعاً بصيراً، وأوّلوا المعراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد، وأولوا عذاب القبر والميزان والصراط، وجملة من أحكام الآخرة. ولكن أقروا بحشر الأجساد وبالجنة واشتمالها على المأكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق

المغيرة النضر بن إسماعيل الحنفي الكوفي عن قرة بن خالد البصري، وقد ذكر هذا الاختلاف أبو إسماعيل الأنصاري في إسم أبي المغيرة ثم قال: إن الأشبه عنده أنه غير النضر بن إسماعيل لأن النضر كوفي والحديث بصري السند والله أعلم.

وقال ابن اللبان في تفسير قول مالك: قوله كيف غير معقول أي كيف من صفات الحوادث، وكل ما كان من صفات الحوادث فاثباته في صفات الله تعالى ينافي ما يقتضيه العقل فيجزم بنفيه عن الله تعالى. قوله والاستواء غير مجهول أي: أنه معلوم المعنى عند أهل اللغة، والايمان به على الوجه اللائق به تعالى واجب لأنه من الايمان بالله وبكتبه، والسؤال عنه بدعة أي حادث لأن الصحابة كانوا عالمين بمعناه اللائق بحسب اللغة، فلم يحتاجوا للسؤال عنه، فلما جاء من لم يحط بأوضاع لغتهم ولا له نور كنورهم يهديه لصفات ربه شرع يسأل عن ذلك، فكان سؤاله سبباً لاشتباهه على الناس وزيغهم عن المراد اهـ.

(وذهبت طائفة إلى الاقتصاد ففتحوا باب التأويل في كل ما يتعلق بصفات الله تعالى وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها) كما جاءت **(ومنعوا)** فيه **(التأويل وهم الأشعرية)** أي: فرقة الأشاعرة عامة. وقد سبق في ترجمة الأشعري أن هذا قول لأبي الحسن الأشعري، وأن له قولاً ثانياً وهو أن تمر أخبار الصفات كما جاءت، وإليه مال في الإبانة، وتبعه الباقلاني، وإمام الحرمين والمصنف. **(وزاد المعتزلة عليهم)** بجميع أصنافهم **(حتى أوّلوا من صفاته تعالى تعلق الرؤية، وأوّلوا قوله سميعاً بصيراً)** فقال أصحاب أبي هاشم الجبائي: معنى قولنا للحي أنه سميع بصير يفيد أنه حي يصح أن يسمع المسموع إذا وجد، ويصح أن يرى المرئي إذا وجد، ومتى وجد المسموع أو المرئي ولم تكن بالحي آفة مانعة من إدراكها وجب أن يكون سامعاً للمسموع، ورائياً للمرئي من غير حصول معنى هو سمع أو بصر فيه. وسيأتي البحث في ذلك، **(وأولوا المعراج، وزعموا أنه لم يكن بالجسد)** بل بالروح، **(وأوّلوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة)** أي المتعلقة بها، **(ولكن أقروا بحشر الأجساد)** من القبور **(و)** كذلك أقروا **(بالجنة)** وأنها موجودة **(واشتمالها على)** أنواع **(المأكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ المحسوسة، و)** كذلك أقروا **(بالنار)** إلا أنهم قالوا: ليست موجودة الآن وإنما توجد يوم الجزاء **(واشتمالها على جسم محسوس يحرق)**

يحرق الجلود ويذيب الشحوم. ومن ترقيهم إلى هذا الحد زاد الفلاسفة فأولوا كل ما ورد في الآخرة وردوه إلى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وأنكروا حشر الأجساد وقالوا ببقاء النفوس، وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس، وهؤلاء هم المسرفون. وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه إلا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهي لا بالسماع، ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف أوّلوه، فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم. ولا يتعين له موقف. والأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله، والآن فكشف الغطاء عن

أجساد الكفار والعصاة (**ويمزق الجلود ويذيب الشحوم**)، ولا قائل بخلق الجنة دون النار فثبوتها ثبوتها. وقد أجمع العلماء على أن التأويل في أكثر أمور الآخرة من غير ضرورة إلحاد في الدين، (**ومن ترقيهم إلى هذا الحد زاد الفلاسفة**) وهم حكماء اليونان وإليهم نسبت الفلسفة، (**فأوّلوا كل ما ورد في**) أمور (**الآخرة وردوها إلى آلام عقلية وروحانية**) غير محسوسة (**ولذات عقلية، وأنكروا حشر الأجساد**) مطلقاً واستبعدوه (**وقالوا ببقاء النفوس**) المجردة (**وأنها تكون إما معذبة وإما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس**)، وإنما بتعقل. (**وهؤلاء هم المسرفون**) المفرطون، (**وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال**) عن ربقة الشريعة (**وبين جمود الحنابلة**) ووقوفهم على السمع المجرد (**دقيق غامض**) المدرك خفي (**لا يطلع عليه إلا الموفقون**) من الأزل (**الذين يدركون الأمور بنور إلهي**) قذف في بصائرهم (**لا بالسماع**) المجرد من العقل، (**ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور**) بواسطة ذلك النور واتضحت الأشياء على ما هي عليها (**نظروا إلى السمع**) المتلقي من الثقات (**والألفاظ الواردة**) في تلك الأخبار الصحيحة، (**فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين أقروه**) وأثبتوه، (**وما خالف**) ذلك (**أوّلوه**) بما يقتضيه أسلوب اللغة العربية، (**فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد**) عن العقل (**فلا يستقر له قدم**) فيه (**ولا يتعين له موقف**) يطمئن إليه، (**والأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام**) سيدنا (**أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى**) وهو طريقة السلف.

وقد ذكر المصنف في إلجام العوام أنها تتضمن سبعة أمور: التقديس، ثم التصديق، ثم الاعتراف بالعجز، ثم السكوت، ثم الكف، ثم الامساك، ثم التسليم لأهل المعرفة، ثم بين ذلك بقوله: التقديس: فهو تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها. وأما التصديق؛ فهو الايمان بما قاله ﷺ وأن ما ذكره حق على الوجه الذي قاله وأراده. وأما الاعتراف بالعجز فهو أن يقر بأن معرفة مراده ليس على قدر طاقته. وأن ذلك ليس من شأنه وحرفته. وأما السكوت فإن لا يسأل

....

عن معناه ولا يخوض فيه ويعلم أن سؤاله عنه بدعة. وأما الإمساك؛ فهو أن لا يتصرف في تلك الألفاظ بالتبديل بلغة اخرى والزيادة فيه والنقصان منه والجمع والتفريق، بل لا ينطق إلا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الايراد والإعراب والتصريف والصيغة. وأما الكف؛ فإن يكف باطنه من البحث والتفكر والتصرف فيه. وأما التسليم لأهله، فإن يعتقد أن ذلك إن خفي عليه لعجزه فقد لا يخفى على الرسل عليهم السلام أو على الصديقين والأولياء. فهذه سبعة وظائف لا ينبغي أن يظن بالسلف الخلاف في شيء منها. ثم قال بعد كلام طويل، ولهذا أقول: يحرم على الوعاظ على رؤوس المنابر الجواب عن هذه الأسئلة بالخوض في التأويل والتفصيل، بل الواجب عليهم الاقتصار على ما ذكره السلف وهو المبالغة في التقديس والتنزيه ونفي التشبيه، وأنه تعالى منزه عن الجسمية وعوارضها، وله المبالغة في هذا بما أراد حتى يقول: كل ما يخطر في بالكم وهجس في ضمائركم وتصوّر في خواطركم فالله تعالى خالقها وهو منزه عنها وعن مشابهتها، وإنه ليس المراد بالأخبار شيئاً من ذلك، وإما هو حقيقة المراد فلستم من أهل معرفته والسؤال عنه بدعة فاشتغلوا بالتقوى، وما أكرمكم الله به فافعلوه وما نهاكم عنه فاجتنبوه، وهذا قد نهيتم عنه فلا تسألوا عنه، ومهما سمعتم شيئاً من ذلك فاسكتوا وقولوا: آمنا وصدقنا وما أوتينا من العلم إلاّ قليلاً، وليس هذا مما أوتينا، وقال أيضاً في التأويل: هو بيان معناه بعد إزالة ظاهره، وهذا إما أن يقع من العامي، أو من العارف مع العامي، أو من العارف مع نفسه بينه وبين ربه. فهذه ثلاثة مواضع.

الأول: تأويل العامي على سبيل الاستقلال بنفسه وهو حرام يشبه خوض البحر لمغرق لمن لا يحسن السباحة، فلا شك في تغريقه، وبحر المعرفة أبعد غوراً وأكثر مهالك من بحر الماء، لأن هلاك هذا البحر لا حياة بعده، وهلاك بحر الدنيا لا يزيل إلا الحياة الزائلة وذلك يزيل الحياة الأبدية فشتان بين الخطرين.

الموضع الثاني: أن يكون ذلك من العالم مع العامي، وهذا أيضاً ممنوع ومثاله: أن يجر السابح الغوّاص مع نفسه عاجزاً عن السباحة مضطرب القلب والبدن وذلك حرام، فإنه عرضة لخطر الهلاك فإنه لا يقوى على حفظه في لجة البحر، ولو أمره بالوقوف بقرب الساحل لا يطيعه، ولو أمره بالسكون عند التطام الأمواج واقبال التماسيح فاتحة فاها للالتقام اضطرب قلبه وبدنه ولم يكن على حسب مراده لقصور طاقته، وفي معنى العوام الأديب النحوي، والمحدث، والمفسر، والفقيه، والمتكلم، بل كل عالم سوى المتجردين لعلم السباحة في بحر المعرفة القاصرين أعمارهم عليه، الصارفين وجوههم عن الدنيا والشهوات، المعرضين عن المال والجاه والخلق وسائر اللذات، المخلصين لله تعالى في العلوم والأعمال، القائمين بجميع حدود الشريعة وآدابها في القيام بالطاعات وترك المنكرات، المفرغين قلوبهم من غير الله، المستحقرين للدنيا بل للآخرة والفردوس الأعلى في جنب محبة الله تعالى. فهؤلاء هم أهل الغوص في بحر المعرفة، وهم مع ذلك كله على خطر عظيم يهلك من العشرة تسعة إلى أن يسعد واحد منهم بالدر المكنون والسر المخزون أولئك

....

﴿الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ [الأنبياء : ١٠١] ، فهم الفائزون وربك أعلم بما تكن صدورهم وما يعلنون.

الموضع الثالث: تأويل العارف مع نفسه في سر قلبه بينه وبين ربه وهو على ثلاثة أوجه. فإن الذي انقدح في سره أنه المراد من لفظ الفوق والاستواء مثلاً إما أن يكون مقطوعاً به، أو مشكوكاً فيه، أو مظنوناً ظناً غالباً، فإن كان قطعياً فليعتقده، وإن كان مشكوكاً فليتجنبه ولا يحكمن على مراد الله ورسوله ﷺ من كلامه باحتمال معارض بمثله من غير ترجيح، بل الواجب على الشاك في المشكوك فيه التوقف، وإن كان مظنوناً فاعلم أن للظن تعلقين. أحدهما: في المعنى الذي انقدح عنده هل هو جائز في حق الله تعالى أم هو محال؟ والثاني: أن يعلم قطعاً جوازه ولكن يتردد هل هو المراد باللفظ أم لا. وبينهما تفاوت لأن كل واحد من الظنين إذا انقدح في النفس وحاك في الصدر، فلا يدخل تحت الاختيار دفعه على النفس، فلا يمكنه أن لا يظن، فإن للظن أسباباً ضرورية ولا يمكن دفعها، و﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦] لكن عليه وظيفتان جديدتان. إحداهما: لا يدع نفسه تطمئن إليه جزماً من غير شعور بإمكان الغلط فيه، فلا ينبغي أن يحكم مع نفسه بموجب ظنه حكماً جازماً، والثانية: أنه ان ذكره لم يطلق القول بأن المراد بالاستواء كذا وبالفوق كذا لأنه حكم لما لا يعلم، وقد قال: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ [الاسراء: ٣٦] لكن يقول أنا أظن أنه كذا فيكون صدقاً في خبره عن نفسه وعن ضميره ولا يكون حكماً على صفة الله تعالى ولا على مراده وكلامه، بل حكماً على نفسه وبناء على ضميره ثم أورد في بيان التصرفات الممنوعة الجمع بين المفترقات والتفريق بين المجتمعات فقال: ولقد بعد من التوفيق من صنف كتاباً في جمع هذه الأخبار خاصة، ورسم في كل عضو باباً فقال: باب في اثبات الرأس، وباب في اثبات اليد، وباب في اثبات العين وغير ذلك. فإن هذه كلمات متفرقة متباعدة اعتماداً على قرائن مختلفة في فهم السامعين معاني صحيحة، فإذا ذكرت مجموعة على مثال خلق الإنسان صار جمع تلك المتفرقات في السمع دفعة واحدة قرينة عظيمة في تأكيد الظواهر وايهام التشبيه، وصار الإشكال في أن رسول الله ﷺ لم ينطق بما يوهم خلاف الحق أعظم في النفس وأوقع، بل الكلمة الواحدة المفردة يتطرق إليها الاحتمال، فإذا اتصل بها ثانية وثالثة ورابعة من جنسها وصار متوالياً ضعف بالإضافة إلى الجملة، ولذلك يحصل بقول مخبرين وثلاثة ما لا يحصل بقول الواحد، بل يحصل من العلم القطعي بخبر التواتر ما لا يحصل بالآحاد، ويحصل من العلم القطعي باجتماع القرائن ما لا يحصل بالآحاد. وكل ذلك نتيجة الاجماع إذ يتطرق الاحتمال والضعف إلى قول كل عدل وإلى كل واحدة من القرائن فإذا اجتمعت انقطع الاحتمال والضعف فلذلك لا يجوز جمع المتفرقات. وأما التفريق بين المجتمعات فإنه كذلك لا يجوز لأن كل حكمة سابقة على حكمه أو لاحقة له مؤثرة في تفهيم معناه ومرجحة للاحتمال الضعيف فيه، فإذا فرقت وفصلت سقطت دلالتها مثاله قوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨] ولا يسلط على أن يقول القائل وهو فوق مطلقاً لأنه إذا ذكر القاهر مع

حد الاقتصاد في هذه الأمور داخل في علم المكاشفة، والقول فيه يطول فلا نخوض فيه، والغرض بيان موافقة الباطن الظاهر وأنه غير مخالف له، فقد انكشف بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة. وإذا رأينا أن نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وأنهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الأولى إلا إذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة، فيرقى في الدرجة الثانية إلى عقيدة فيها لوامع من الأدلة مختصرة من غير تعمق، فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لأهل القدس

المقهور وهي فوقية الرتبة ولفظ القاهر يدل عليه، بل لا يجوز أن يقول وهو القاهر فوق غيره، بل ينبغي أن يقول فوق عباده، لأن ذكر العبودية في وصف من الله فوقه يؤكد احتمال فوقية السيادة، إذ يحسن أن يقول: السيد فوق عبده، والأب فوق الابن، والزوج فوق الزوجة وإن كان لا يحسن أن يقول: زيد فوق عمرو قبل أن يبين تفاوتهما من السيادة والعبودية، أو غلبة القهر ونفوذ الأمر بالسلطنة، أو بالابوة، أو بالزوجة. فهذه دقائق يغفل عنها العلماء فضلاً عن العوام، فكيف يتسلط العوام في مثل ذلك على التصريف بالجمع والتفريق والتأويل والتفسير وأنواع التغيير؟ ولأجل هذه الدقائق بالغ السلف في الجمود والاقتصار على موارد التوقيف على الوجه الذي ورد باللفظ الذي ورد، والحق ما قالوه والصواب ما رأوه، فأهم المواضع بالاحتياط ما هو تصرف في ذات الله تعالى وصفاته، وأحق المواضع بالجام اللسان وتقييده عن الجريان بما يعظم فيه الخطر. وأي خطر أعظم من الكفر والله أعلم.

(**والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الأمور داخل في علم المكاشفة والقول فيه يطول**) إذ هو بحر لا ساحل له وقف لديه الفحول وتحيرت فيه العقول. (**فلا نخوض فيه**) إذ الخوض فيه يخرج عن بيان الغرض المهم، (**و**) ذلك (**الغرض**) المهم هو (**بيان موافقة الباطن الظاهر ومخالفته له، وقد انكشف**) سره (**بهذه الأقسام الخمسة**) المذكورة بأمثلتها. (**وإذا رأينا أن نقتصر بكافة العوام**) وقد دخل فيهم أكثر العلماء ممن لم يتصف بصفات الخواص التي ذكرت (**على ترجمة**) أي بيان (**العقيدة التي حررناها**)، وقد سبقت وهي في أوراق يسيرة (**وأنهم لا يكلفون غير ذلك**) أي مما زاد عليها، وذلك (**في الدرجة الأولى**)، ثم تم المقصود (**إلا إذا كان خوف تشويش**) أي يكون في بلد يشوّش عليه في عقيدته (**لشيوع البدعة**) الحادثة وانتشارها، فيحتاج إلى معرفة أدلة تفصيلية عقلية وسمعية، (**فيرقى في الدرجة الثانية**) بالتدريج (**إلى**) النظر في (**عقيدة**) جامعة مانعة (**فيها لوامع**) جمع لامعة (**من الأدلة**) العقلية والنقلية، وقد سمى إمام الحرمين شيخ المصنف كتابه لمع الأدلة في قواعد أهل السنّة والجماعة نظراً إلى هذا (**مختصرة**) بالنسبة إلى المطوّلات (**من غير تعمق**) فيها بإرسال الرسن في أبحاث خارجة عن أصل المقصد، (**فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع**) المضيئة أنوارها الواضحة أسرارها (**ولنقتصر فيها**) أي في تلك اللوامع (**على ما**

وسميناه « الرسالةُ القدسية في قواعد العقائد » وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب.

حررناه لأهل القدس) الشريف حين وفد عليه زائراً ومجاوراً، وذلك في أيام سياحته وتركه علائق الدنيا وخروجه من بغداد، **(وسميناه)** لأجل ذلك **(الرسالة القدسية)** إسماً دالاً على مسماه، **(وهي)** كما ترى **(مودعة في هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب)**.

وأعلم أن للمصنف عدة رسائل مختصرة أرسلها إلى بلدان شتى متضمنة على صريح الإعتقاد والمواعظ والنصائح، فمنها رسالة أرسلها إلى الموصل مسماة بالقدسية أيضاً يخاطب فيها بعض المشايخ وهي نحو ثلاثة أوراق ذكر في آخرها ما نصه: وأما أقل ما يجب على المكلفين فهو ما يترجه قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم إذا صدق الرسول ﷺ، فينبغي أن يصدقه في صفات الله عز وجل، وفي اليوم الآخر، وكل ذلك مما يشتمل عليه القرآن من غير تأويل، أما في الآخرة فالإيمان بالجنة والنار والحساب وغيره، وأما صفات الله تعالى أنه حي قادر عالم متكلم مريد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وليس عليه بحث عن حقيقة هذه الصفات، وأن الكلام والعلم وغيرهما قديم أو حادث، بل لو كان لا يخطر له هذه المسألة حتى مات مات مؤمناً وليس عليه تعلم الأدلة التي حررها المتكلمون، بل مهما حصل في قلبه التصديق بالحق بمجرد الإيمان من غير دليل وبرهان، فهو مؤمن ولم يكلفه رسول الله ﷺ أكثر من ذلك، وعلى هذا الإعتقاد المجمل استمر الأعراب وعوام الخلق إلا من وقع في بلدة يقرع سمعه فيها هذه المسائل، كقدم الكلام وحدوثه، ومعنى الإستواء أو النزول وغيره، فإن لم يجد لذلك أثراً في قلبه واشتغل بعبادته فلا حرج عليه، وإن أخذ ذلك بقلبه فأقل الواجبات عليه ما اعتقده السلف، فيعتقد في القرآن القدم كما قال السلف: القرآن كلام الله غير مخلوق، ويعتقد أن الإستواء حق والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة والكيفية مجهولة، ويؤمن بجميع ما جاء به الشرع إيماناً مجملاً من غير بحث على الحقيقة والكيفية فإن لم يقنعه ذلك وغلب على قلبه الاشكال والشك فإن أمكن إزالة شكه وأشكاله بكلام قريب من الإفهام وإن لم يكن قوياً عند المتكلمين ولا مرضياً عندهم، فذلك كاف ولا حاجة به إلى تحقق الدليل، بل الأولى أن يزال شكه من غير ذكر حقيقة الدليل، فإن الدليل لا يتم إلا بذكر الشبهة والجواب عنها. ومهما ذكرت الشبهة لم يؤمن أن تتشبث بقلبه وبكل فهمه عن درك جوابها إذ الشبهة قد تكون جلية والجواب دقيقاً لا يحتمله فهمه بل عقله، فلهذا زجر السلف عن البحث والتفتيش في الكلام، وإنما زجروا عنه ضعفاء العوام، فأما المشتغلون بدرك الحقائق فلهم خوض غمرة الإشكالات، ومنع العوام من الكلام يجري مجرى منع الصبيان على شاطىء الدجلة خوف الغرق، ورخصة الأقوياء فيه يضاهي الرخصة للماهر في صفة السباحة إلا أن هنا موضع غور ومذلة قدم، وهوان كل ضعيف في عقله راض من الله بكمال عقله ويظن بنفسه أنه يقدر على درك الحقائق كلها وأنه من جملة الأقوياء، فربما يخوضون ويغرقون في بحر الجهالات من حيث لا يشعرون، فالصواب للخلق كلهم إلا الشاذ

الفصل الثالث

من كتاب قواعد العقائد في لوامع الأدلة للعقيدة التي ترجناها بالقدس.

فنقول بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد لله الذي ميز عصابة السنّة بأنوار اليقين، وآثر رهط الحق بالهداية إلى دعائم

النادر التي لا تسمح الأعصار إلا بواحد منهم أو إثنين أن يسلكوا مسلك السلف في الإيمان المرسل والتصديق المجمل بكل ما أنزل الله تعالى وأخبر به رسوله ﷺ من غير بحث ولا تفتيش، والإشتغال بالتقوى ففيه شغل شاغل إذ قال رسول الله ﷺ حيث رأى أصحابه يختصمون بعد أن غضب حتى احرت وجنتاه «أبهذا أمرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا إلى ما أمركم الله به فافعلوه وما نهاكم فانتهوا» فهذا ينبه على نهج الصواب والحق، وإستيفاء ذلك قد شرحناه في كتاب قواعد العقائد فليطلب منه انتهى. وبهذا تم الفصل الثاني من هذا الكتاب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

الفصل الثالث:

من كتاب قواعد العقائد في) * بيان (لوامع الأدلة للعقيدة التي ترجناها بالقدس).

وسميناها بالرسالة القدسية لكون تأليفها كان حين مجاورته به.

(**فنقول**) بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآل وصحبه وسلم تسليماً الحمد لله الذي تفرد بوجوب وجوده، ففاضت الحوادث عن كرمه وجوده، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد أفضل موجوده، وأكرم ودوده، الصادق في وعوده، وعلى آله الآيلين إليه في مراتب شهوده، وأصحابه الفائزين لديه بالتمسك في مراقي صعوده. أما بعد: فهذا شرح الرسالة القدسية للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي قدس سره حوى من بدائع المسائل الكلامية ما هو كالفرائد اليتيمة في العقد الفريد من الجيد. رجوت من الله تعالى أن ينفع به كل سالك ومريد، وأن يصرف إليه من الراغبين في إصلاح عقائدهم القلوب، وأن يرفع لديهم قدره المرغوب، وأن يجعله تذكرة لأولي الألباب لا ينسى ولا يهجر، وروضة نفع للطلاب لا يترك ولا يضجر، وأن يكسبنا جميعاً به ذكراً جميلاً، وفي الآخرة ثواباً جزيلاً، وها أنا أشرع في المقصود بعون الملك المعبود.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**بسم الله الرحمن الرحيم**) الباء للإستعانة بمحذوف تقديره أؤلف ونحوه، وهو يعم جميع أجزاء التأليف فيكون أولى من افتتح ونحوه، لايهام قصر التبرك على الإفتتاح فقط كما حققه البرهان اللقاني والله علم على الذات الواجب الوجود، والرحمن المنعم بجلائل النعم كمية أو كيفية، والرحيم المنعم بدقائقها كذلك، وقدم الأول لدلالته على الذات، ثم الثاني لاختصاصه به، ولأنه أبلغ من الثالث فقدم عليه ليكون له كالتتمة والرديف.

(الحمد لله) سبقت مباحث الحمد مبسوطة في شرح خطبة كتاب العلم فأغناها عن إيراده ثانياً

الدين، وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين، ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين، وسددهم للتأسي بصحبه الأكرمين، ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الأوّلين وعقائدهم بالمنهج المبين،

(الذي ميز عصابة أهل السنة) التمييز مبالغة في الميز وهو عزل الشيء وفصله عن غيره، وذلك يكون في المشتبهات كقوله تعالى: ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾ [الأنفال: ٣٧] وفي المختلطات نحو قوله: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ [يس: ٥٩] وتميز الشيء انفصل عن غيره، ويستعمل تمييز الأشياء في تفريقها بعد معرفتها، والعصابة بالكسر الجماعة من الناس، والسنة الطريق المسلوكة، والمراد بها طريقة النبي ﷺ خاصة، والمراد بأهل السنة هم الفرق الأربعة المحدثون والصوفية والأشاعرة والماتريدية على ما تقدم بيانه في مقدمة الفصل الثاني. **(بأنوار اليقين)** أي: فصلهم عن غيرهم بهذه الأنوار التي أشرقت في صدورهم ثم التمعت في وجوههم فهم بها عن غيرهم متميزون ﴿سيماهم في وجوههم﴾ [الفتح: ٢٩] وأما أهل البدع فلا زالو يعرفون بظلام قلوبهم ووجوههم ﴿فلعرفتهم بسيماهم﴾ [محمد ﷺ: ٣٠] **(وآثر)** بالمد أي أختار **(رهط الحق)**. قال ابن السكيت: الرهط والعشيرة بمعنى، وقال الأصمعي في كتاب المصادر: الرهط ما فوق العشرة إلى الأربعين، ونقله ابن فارس أيضاً، والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره سواء كان قولاً أو فعلاً أو عقيدة أو ديناً أو مذهباً **(بالهداية)** وهي دلالة بلطف إلى ما يوصل **(إلى)** المطلوب وذلك المطلوب هنا إقامة **(دعائم الدين)** أي أركانه جمع دعامة بالكسر وهي ما يشد به الحائط إذا مال يمنعه السقوط، والدين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول، **(وجنبهم زيغ الزائغين)** الزيغ: الميل عن الإستقامة والخروج عن نهج الحق، والمراد بالزائغين هم أهل البدع القبيحة الذين أحدثوا في العقائد بمجرد التشهي ما يؤدي إلى تشبيه أو تعطيل **(وضلال الملحدين)** أي غوايتهم، والملحد المائل عن الحق، والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب فالأول: ينافي الإيمان ويبطله، والثاني يوهي عراه ولا يبطله. والإلحاد في أسمائه تعالى على وجهين. أحدهما: أن يوصف بما لا يصح وصفه به. والثاني: أن تتأول أوصافه على ما لا يليق به، **(ووفقهم)** التوفيق تفعيل من الوفاق الذي هو المطابقة وعدم المنافرة واختص في العرف بالخير **(للاقتداء)** أي الإتباع **(بسيد المرسلين)** ﷺ في سائر أقواله وأفعاله وأحواله، **(وسددهم)** وهو من السداد وهو الوفق الذي لا يعاب **(للتأسي)** أي الإقتداء والإسوة بالكسر والضم القدوة، وقيل: التأسي إتباع الغائب **(بصحبه الأكرمين)** أي المشرفين بمشاهدة أنواره وأسراره، **(ويسر لهم)** أي سهل لهم **(اقتفاء)** أي إتباع **(آثار السلف الصالحين)** من التابعين وأتباعهم بإحسان، وأصل السلف من تقدم من الآباء والجدود. وفي العرف الطبقة الثالثة ويطلق على الثانية أيضاً **(حتى اعتصموا)** أي وثقوا **(من مقتضيات)** أي مما تقتضيه **(العقول)** المجردة عن الشرع **(بالحبل المتين)** أي القوي الذي لا ينقطع بمن تعلق به واستمسك، وبهذا المعنى جاءت صفة القرآن في الحديث، وفيه تلميح الرد على المعتزلة والفلاسفة فإنهم تصرفوا في الألفاظ بمقتضى

فجمعوا بالقول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول، وتحققوا أن النطق بما تعبدوا به من قول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ليس له طائل ولا محصول ان لم تتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول، وعرفوا أن كلمتي الشهادة على ايجازها تتضمن إثبات ذات الإله واثبات صفاته واثبات أفعاله واثبات صدق الرسول، وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهي أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول:

عقولهم فأولوا وبدلوا (و) تمسكوا (**من سير الأولين وعقائدهم**) على اختلافها (**بالمنهج**) وفي بعض النسخ بالنهج وهو الطريق (**المبين**) الواضح المسلوك أي سبروا في سير الأولين ونحلهم التي انتحلوها فما وافق الكتاب والسنة وآثار السلف أخذوا به وما خالف تركوه، (**فجمعوا القول بين نتائج العقول**) أي ما تنتجه العقول السليمة عن الأهواء والشكوك (**وقضايا الشرع المنقول**) أي التي قضى بها الشرع، ونقل لنا ذلك الثقات، والقضية قول يصح أن يقال لقائله صادق أو كاذب فيه وفيه تلميح إلى رفع شأن أهل النظر والبحث في العقائد على مقتضى الكتاب والسنة حيث جمعوا بين العقل والنقل.

وقد تقدم النقل عن السبكي في خطبة هذا الكتاب أن اليونان طلبوا العلم بمجرد عقولهم، والمتكلمون طلبوه بالعقل والنقل معاً، وافترقوا ثلاث فرق. إحداها غلب عليها جانب العقل وهم المعتزلة. والثانية: غلب عليها جانب النقل وهم الحشوية. والثالثة: غلب الأمران عندها وهم الأشعرية، وجميع الفرق الثلاثة في كلامها مخاطرة إما خطأ في بعضه، وإما سقوط هيبة. والسالم عن ذلك كله ما كان عليه الصحابة والتابعون وعموم الناس الباقون على الفطرة السليمة اهـ.

(**وتحققوا أن النطق**) باللسان (**بما تعبدوا به من قول**) هذه الكلمة الطيبة (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**) ﷺ (**ليس له طائل**) أي نفع (**ولا محصول**) يتحصل منه (**إن لم تتحقق الإحاطة**) أي المعرفة التامة (**بما تدور عليه**) أرحية (**هذه الشهادة من الأقطاب والأصول**) وقطب الرحى ما تدور عليه، والمراد هنا من الأقطاب والأصول الأركان، (**وعرفوا أن كلمتي الشهادة**) المذكورتين (**على إيجازها**) واختصارها (**تتضمن**) سائر العقائد الدينية المذكورة فيما بعد إجمالاً. وتفصيل ذلك أن معنى الألوهية استغناء الإله عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه إليه، فدخل فيه (**إثبات ذات الإله وإثبات صفاته**) كلها السبعة ولوازمها (**وإثبات أفعاله**) ودخل تحت قولنا محمد رسول الله (**إثبات صدق الرسل**) عليهم السلام والأمانة والتبليغ وأضدادها، وجملتها إثنان وستون عقيدة على ما تقدم تفصيلها في أواخر الفصل الأول (**فعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهي أربعة**) وهو استعارة بالكناية لأنه شبه الإيمان بمبنى له دعائم فذكر المشبه وطوى ذكر المشبه به وذكر ما هو من خواص المشبه به وهو البناء ويسمى هذا استعارة ترشيحية، ويجوز أن يكون إستعارة تمثيلية بأن تمثل حالة

الركن الأول: في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة أصول: وهي العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأنه سبحانه ليس مختصاً بجهة ولا مستقراً على مكان وانه يرى وانه واحد.

الركن الثاني: في صفاته، ويشتمل على عشرة أصول: وهو العلم بكونه حياً عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً متكلماً متزهاً عن حلول الحوادث وأنه قديم الكلام والعلم والإرادة.

الركن الثالث: في أفعاله تعالى ومداره على عشرة أصول: وهي أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها مكتسبة للعباد وأنها مرادة لله تعالى وأنه متفضل بالخلق والاختراع

الإيمان مع أركانه بحالة خباء أقيمت على خمسة أعمدة، وقطبها الذي تدور عليه الأركان شهادة أن لا إله إلا الله وبقية شعب الإيمان كالاوتاد للخباء، ويجوز أن يكون استعارة تبعية بأن تقدر الإستعارة في البناء والقرينة الإيمان شبه ثباته على هذه الأركان ببناء الخباء على الأعمدة الأربعة، وهذه الإستعارة أعني التبعية تقع أولاً في المصادر ومتعلقات معاني الحروف ثم تسري في الأفعال والصفات والحروف وفيه تكلف لأن البناء اسم عين لا مصدر إلا أن يراد به الفعل، وقد تقدم شيء من ذلك في أول الكتاب. (**يدور كل ركن**) من هذه الأركان الأربعة المذكورة (**على عشرة أصول**):

(**الركن الأول**): من الأركان الأربعة (**في معرفة ذات الله**) عز وجل (**ومداره على عشرة أصول، وهي العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر**) يتحيز (**ولا جسم ولا عرض وأنه تعالى ليس مختصاً بجهة**) من الجهات الست (**ولا مستقراً على مكان**) كالعرش ونحوه (**وأنه مرئي وأنه واحد**) يذكر كل واحد من هذه العشرة في أصل مستقل وما يتفرع منها من المسائل فهي راجعة إليها.

(**الركن الثاني**): في صفاته تعالى، (**ويشتمل**) أيضاً (**على عشرة أصول**) هي العلم بكونه تعالى (**حياً عالماً قادراً مريداً**) لأفعاله (**سميعاً بصيراً متكلماً منزهاً عن حلول الحوادث، وأنه قديم الكلام**) القائم بالنفس (**و**) قديم (**العلم و**) قديم (**الإرادة**) فهذه العشرة هي كونه حياً عالماً قادراً مريداً سميعاً بصيراً متكلماً، قديم العلم والإرادة والكلام، وقوله: منزهاً عن حلول الحوادث غير معدود في هؤلاء.

(**الركن الثالث: في أفعاله تعالى**) بالخلق (**ومداره على عشرة أصول: وهي أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى**) لا خالق سواه (**وأنها**) وإن كانت كذلك لا يخرجها عن كونها (**مكتسبة للعباد وأنها**) وإن كانت كسباً للعباد فلا تخرج عن أن تكون (**مرادة لله تعالى، وأنه تعالى متفضل بالخلق**) والإقتراح، (**و**) من الجائزات (**أن له تعالى تكليف ما لا**

وأن له تعالى تكليف ما لا يطاق، وأن له إيلام البريء ولا يجب عليه رعاية الأصلح، وانه لا واجب إلا بالشرع وان بعثه الأنبياء جائز وأن نبوّة نبينا محمد ﷺ ثابتة مؤيدة بالمعجزات.

الركن الرابع: في السمعيات، ومداره على عشرة أصول: وهي إثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر والميزان والصراط وخلق الجنة والنار وأحكام الإمامة، وأن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم وشروط الإمامة.

(فأما الركن الأول من أركان الايمان):
في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى
وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول:

الأصل الأول: معرفة وجوده تعالى وأول ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من

يطاق و) أنه (له إيلام البريء) وتعذيبه وأنه (**لا يجب عليه رعاية الأصلح**) لعباده، (**وأنه لا واجب إلا بالشرع**) دون العقل، (**وان بعث الأنبياء جائز**) ليس بمستحيل، (**وان نبوة نبينا محمد ﷺ ثابتة مؤيدة بالمعجزات**) الباهرة، ثم أن هذه الأركان الثلاثة التي تقدم ذكرها في الإلهيات والنبوّات.

(**الركن الرابع: في السمعيات**) وهي المتلقاة من السمع بما أخبر به ﷺ (**ومداره على عشرة أصول: وهي إثبات الحشر**) والنشر، (**وسؤال منكر ونكير، وعذاب القبر، والميزان، والصراط، وخلق الجنة والنار، وأحكام الإمام**) الحق، وفيه ذكر الخلفاء الأربعة وإمامة أبي بكر رضي الله عنه بنص أو اختيار (**وأن فضل الصحابة على حسب تقديمهم وترتيبهم**) في الخلافة، (**وشروط الإمامة**) بعد الإسلام والتكليف، (**ولنه لو تعذر وجود الورع والعلم**) فيمن يتصدى للإمامة (**حكم بانعقادها**) **فهذه عشرة** فصار المجموع أربعين عقيدة هذا على طريق الإجمال، ثم شرع في تفصيل ذلك فقال.

(فأما الركن الأول من أركان الإيمان في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة أصول.

الأصل الأول: معرفة وجوده تعالى) وعبارة ابن الهمام في المسايرة العلم بوجوده تعالى، وهو سهل لأن العلم والمعرفة لغة شيء واحد وأعلم أولاً أن الإلهيات وهي المسائل المبحوث فيها عن الإله جل وعز أنواع ثلاثة. **الأول:** فيما يجب لله عز وجل. **الثاني:** فيما يستحيل في حقه تعالى. **الثالث:** فيما يجوز في حقه تعالى.

النوع الأول: فيما يجب له تعالى فمما يجب له تعالى عشرون صفة، وهل صفاته تعالى تنحصر

طريق الاعتبار ما أرشد إليه القرآن، فليس بعد بيان الله سبحانه بيان، وقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً * وَالجِبَالَ أَوْتَاداً * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً *

في هذه العشرين أم لا؟ والصحيح أنها تابعة لكمالاته وكمالاته لا نهاية لها، لكن العجز عن معرفة ما لم ينصب لنا عليه دليل عقلي ولا نقلي ولا نؤاخذ به بفضل الله تعالى، ومفهومه أن ما قام عليه الدليل نؤاخذ بتركه وهي هذه العشرون صفة، ومعنى كمالاته لا نهاية لها هل هو باعتبار علمنا أو باعتبار علم الله تعالى؟ أما باعتبار علمنا فظاهر لنقصه وضعفه، وإما باعتبار علم الله فمعناه علمها على ما هي عليه من عدم النهاية. ويحتمل أن تكون لا نهاية لها باعتبار لغة العرب لأن العرب إذا كثر الشيء يحكمون عليه بعدم النهاية وإن كان في نفسه متناهياً، كما تقول غنم فلان لا حصر لها. ويحتمل أن تكون حكم عليها بعدم النهاية مراعاة للنفسية والسلبية لأنها لا نهاية لها. وأما المعاني والمعنوية فهي متناهية لأن كل ما دخل في الوجود فهو متناه فتضم ما يتناهى وهي المعاني والمعنوية إلى ما لا يتناهى وهي النفسية والسلبية وتحكم على الجميع بعدم النهاية. وأعلم أن هذه الصفات العشرين في الحقيقة أقسام أربعة: نفسية، وسلبية، ومعان، ومعنوية، وهذا على القول بثبوت الأحوال والأصح أنه لا حال وحينئذ تكون الأقسام ثلاثة وعليه درج غالب المتكلمين، فالأول من الصفات العشرين النفسية الوجود وهي التي أشار لها المصنف بقوله الأصل الأول معرفة وجوده ولم يمثلوا للنفسية بغير الوجود، واتفقوا على تقديمه على غيره من الصفات لكونه كالأصل لها. إذ وجوب الواجبات له تعالى واستحالة المستحيلات عليه وجواز الجائزات في حقه كالفرع عنه، وإنما قلنا كالأصل ولم نقل أصلاً لان الوجود لو كان أصلاً حقيقة للزم حدوث بقية الصفات، لأن الأصل يتقدم على الفرع وليس كذلك، والوجود صفة نفسية على المشهور لا توصف بالوجود أي في الخارج ولا بالعدم أي في الذهن، لأنها من جملة الأحوال عند القائل بها وهي الحال الواجب للذات ما دامت الذات غير معللة بعلة، كالتحيز مثلاً للجرم فإنه واجب للجرم ما دام الجرم، وليس ثبوته له معللاً بعلة، وقوله الحال أخرج المعاني والسلبية، وقوله غير معللة بعلة أخرج الأحوال المعنوية، ككون الذات عالمة وقادرة ومريدة مثلاً، فإنها معللة بقيام العلم والقدرة و والإرادة بالذات. وأعلم أن لفظ الوجود مشترك بين الواجب والممكن والفرق بينهما أن الله سبحانه وتعالى واجب الوجود لذاته وما سواه ممكن الوجود، فالله تعالى موجود واجب الوجود، فلو قال قائل: ما الدليل على وجوده تعالى؟ فأشار المصنف إلى الجواب بأن له دليلين نقلي وعقلي وقدم النقلي فقال: (**وأول ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من طريق الإعتبار ما أرشد الله به**) إلى وجوده (**عباده في القرآن**) العزيز، (**فليس بعد بيان الله بيان**) أرشدهم فيه بالآيات الدالة على وجوده تعالى، (**وقد قال تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾**) أي كالمهد للصبي مصدر سمي به ما يمهد ليقوم عليه (**والجبال أوتاداً**) للأرض ولولاها لما استقرت (**وخلقناكم أزواجاً**) ذكراً وأنثى (**وجعلنا نومكم سباتاً**) قطعاً من الإحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وإزاحة لكلالها (**وجعلنا الليل لباساً**) غطاء يستتر

وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وهَّاجاً★ وأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً★ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتاً★ وَجَنَّاتٍ أَلفافاً﴾ [النبأ: ٦-١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ في خَلْقِ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ واختلافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ والفُلْكِ الَّتِي تجرِي في البَحْرِ بما يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وبَثَّ فيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ والسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقاً★ وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً★ واللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً★ ثُمَّ يُعِيدُكُم فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً﴾ [نوح: ١٥ـ ١٨]. وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ★

بظلمته من أراد الإختفاء (**وجعلنا النهار معاشاً**) وقت معاش تتقلبون لتحصيل ما تعيشون به أو حياة تبعثون فيها عن نومكم (**وبنينا فوقكم سبعاً شداداً**) سبع سموات أقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهر (**وجعلنا سراجاً وهاجاً**) أي متلالئاً وقاداً. والمراد الشمس (**وأنزلنا من المعصرات**) هي السحابة المتكاثفة أو الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب أو الرياح ذوات الأعاصير (**ماء ثجاجاً**) أي منصباً بكثرة (**لنخرج به حباً ونباتاً**) ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش (**وجنات ألفافاً﴾**) [النبأ: ٦ ـ ١٦] أي ملتفة بعضها ببعض، ففي كل ذلك تذكير ببعض ما يعاينه الإنسان من عجائب صنعه الدالة على وجوده وكمال قدرته. (**وقال تعالى: إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك**) أي السفينة (**التي تجري في البحر بما ينفع الناس**) والفلك: لفظ مفرده كلفظ جمعه وهو جمع تكسير. وعند الأخفش مما اشترك فيه لفظ الواحد والجمع كجنب وشلل، ورد سيبويه هذا بقولهم فلكان في التثنية (**وما أنزل الله من السماء**) أي: السحاب (**من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها**) أي: بعد يبسها وخلوها من النبات (**وبث فيها من كل دابة**) أي نشر فيها، وفرق أنواع الدواب وفيه تلميح إلى إيجاد ما لم يكن موجوداً (**وتصريف الرياح**) أي تقليبها من جهة إلى أخرى تكون شمالاً تصير جنوباً ثم دبوراً ثم نكباء (**والسحاب المسخر**) أي المذلل المنقاد (**بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون**) [البقرة: ١٦٤] أي يتدبرون ويفهمون إن هذه الآيات نصبت لماذا وما الغرض منها؟ (**وقال تعالى: ﴿أم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً**) أي متطابقة بعضها فوق بعض كل منها طبق لما تحته (**وجعل القمر فيهن نوراً**) أي منوراً (**وجعل الشمس سراجاً**) يتلألأ (**والله أنبتكم من الأرض نباتاً**) وهو مصدر أو حال، وهذا من حيث ان بدء الإنسان ونشأته من التراب وأنه ينمو نموه وإن كان له وصف زائد على النبات (**ثم يعيدكم فيها ويخرجكم**) أي إلى أرض المحشر (**إخراجاً﴾** [**نوح: ١٥ ـ ١٨**] **وقال تعالى: ﴿أفرأيتم ما تمنون**) أي ما تقذفونه في الأرحام من النطف (**أأنتم تخلقونه**) تجعلونه بشراً سوياً (**أم نحن الخالقون﴾ إلى قوله ﴿للمقربين﴾**). وهو قوله تعالى ﴿ نحن قدرنا بينكم

أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ إلى قوله: ﴿للمقوين﴾ [الواقعة: ٥٨ - ٧٣]، فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات، وأدار نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره، بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره. ولذلك قال الله تعالى: ﴿أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾ [إبراهيم: ١٠]، ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا « لا إله

الموت وما نحن بمسبوقين ★ على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون ★ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ★ أفرأيتم ما تحرثون ★ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ★ لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون ★ إنا لمغرمون ★ بل نحن محرومون ★ أفرأيتم الماء الذي تشربون ★ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ★ لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون ★ أفرأيتم النار التي تورون ★ أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ★ نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين﴾ [الواقعة: ٥٨ - ٧٣] (**فليس يخفي على من معه أدنى مسكة**) بضم الميم العقل. يقال: ليس له مسكة أي عقل، وليس به مسكة أي قوة (**إذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات**) الكريمة (**وأدار نظره على عجائب خلق الأرض والسموات**) وما بينهن (**وبدائع فطرة الحيوان والنبات**) وسائر ما اشتملت عليه الآيات (**أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم**) الغريب (**لا يستغني**) كل منها (**عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره**). وعبارة المسايرة عن صانع أوجده أي من هذا العدم وحكيم رتبه أي على قانون أودع فيه من الحكم، (**بل تكاد فطرة النفوس**) وجبلتها (**تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره**) وعلى هذا درجت كل العقلاء إلا من لا عبرة بمكابرته وهم بعض الدهرية وإنما كفروا بالإشراك بأن دعوا مع الله إلهاً آخر كالمجوس بالنسبة إلى النار، والوثنيين بسبب الأصنام، والصابئة بسبب الكواكب حيث عبدوها من دون الله تعالى وكفروا أيضاً بنسبة بعض الحوادث إلى غيره تعالى كهؤلاء أيضاً، فإن المجوس ينسبون الشر إلى أهرش، والوثنيين ينسبون بعض الآثار إلى الاصنام، والصابئين ينسبون بعض الآثار إلى الكواكب تعالى الله عما يشركون والكل معترفون بأن خلق السموات والأرض والألوهية الأصلية لله تعالى، (**ولذلك**) أي لكون الإعتراف بما ذكر ثابتاً في فطرهم (**قال الله تعالى: ﴿أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾**) [إبراهيم: ١٠] أي مبتدعها ومنشئها من غير مثال احتذاه (**يدعوكم**) أي إلى توحيده، (**وبهذا بعث الأنبياء كلهم بدعوة الخلق إلى التوحيد**) ولم يسمع منهم إلا ذلك، والمراد من التوحيد هنا عدم التشريك في الألوهية وخواصها كتدبير العالم واستحقاق العبادة وخلق الأجسام بدليل قوله: (**ليقولوا لا إله إلا الله**) ويشهدوا بذلك، (**وما أمروا أن يقولوا لنا إله وللعالم إله**،

إلا الله » وما أمروا أن يقولوا لنا إله وللعالم إله. فإن ذلك كان مجبولاً في فطرة عقولهم من مبدأ نشأتهم وفي عنفوان شبابهم، ولذلك قال الله عز وجل: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [الزمر: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠]، فإذا في فطرة الإنسان وشواهد القرآن ما يغني عن إقامة البرهان. ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول: من بديهة العقول أن الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه، والعالم حادث فإذاً لا يستغني في حدوثه عن سبب. أما قولنا: « إن الحادث لا يستغنى في حدوثه عن سبب » فجلي فإن كل حادث مختص بوقت يجوز في العقل تقدير تقديمه وتأخيره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده

فإن ذلك مجبول في فطرة عقولهم من بدء نشأتهم وفي عنفوان شبيبتهم) ثابتاً مركوزاً، ثم استدل على هذا الإعتراف بدليل آخر من القرآن فقال **(ولذلك قال تعالى: ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ [الزمر: ٣٨] وقال تعالى: فأقم وجهك للدين حنيفاً)** مائلاً عن ضلالتهم **(فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)** ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [الروم: ٣٠] **(فإذا في فطرة الإنسان)** أي ما ركز فيه من قوته على معرفة التوحيد، **(وشواهد القرآن)** التي تقدمت **(ما يغني عن إقامة برهان)** والبرهان هو الدليل القاطع فهو أخص من الدليل الواضح. وقال الراغب: البرهان أوكد الأدلة وهو ما يقتضي الصدق أبداً لا محالة، ودلالة تقتضي الكذب أبداً. ودلالة إلى الصدق أقرب، ودلالة إلى الكذب أقرب، ودلالة لهما على السواء. واختلفوا في نونه فقيل: أصلية، وقيل: زائدة، وعلى الثاني اشتقاقه من البره وهو البياض سمى الدليل القاطع به لظهوره وسطوعه تخيلا لبياضه وإضاءته، ولذلك وصفوه بالساطع. ثم لما فرغ المصنف من البراهين النقلية على إثبات وجوده تعالى شرع في بيان البرهان العقلي، فقال: **(ولكنا على سبيل الإستظهار)** أي التقوية **(والإقتداء بالعلماء النظار)** من المتكلمين نرتب على ذلك دليلاً و**(نقول: من بديهة العقول)** ترتيب إثبات وجود الواجب بمقدمتين: إحداهما: العالم حادث. الثانية: **(أن الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب)** أي لا يستغني عن سبب يحدثه أي يرجح وجوده على عدمه، **(أما قولنا بأن الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب)** وهي المقدمة الثانية **(فجلي)** أي ضروري، ومعلوم أن ما كان جلياً ضرورياً لا يستدل لإثباته، وإنما ينبه عليه وقد نبه عليه بقوله: **(فإن كل حادث)** وهو ما كان معدوماً، ثم وجد أي الممكن **(مختص بوقت يجوز في العقل تقدير تقدمه وتأخره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده)** من الأوقات **(يفتقر بالضرورة إلى مخصص)**، لأن كلاً من تقدمه على ذلك الوقت وتأخره عنه ووقوعه فيه أمر ممكن فلا بد من مرجح لوقوعه في ذلك الوقت على تقدمه وتأخره، لأن الترجيح من

يفتقر بالضرورة إلى المخصص، وأما قولنا: «العالم حادث»، **فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث. ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى.**

الأولى: قولنا: «إن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون»، وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيها إلى تأمل وافتكار، فإن من عقل جسماً لا ساكناً

غير مرجح محال. ونقل ابن التلمساني في شرح لمع الأدلة ما نصه: وقد يدعي بعض الأصحاب أن افتقار الترجيح إلى مرجح ضروري، والصحيح أنه قريب من الضروري. **(وأما قولنا العالم حادث)** وهي المقدمة الأولى، والمراد هو ما سوى الله تعالى من الموجودات جواهر كانت أو إعراضاً فالجوهر ماله قيام بذاته بمعنى أنه لا يفتقر إلى محل يقوم به، والعرض ما يفتقر إلى محل يقوم به، وقد يعبر بعضهم بدل الجواهر بالأجسام، وعليه جرى المصنف وهما في اللغة بمعنى، وإن كان الجسم أخص من الجوهر اصطلاحاً لأنه المؤلف من جوهرين أو أكثر على الخلاف في أقل ما يتركب منه الجسم على ما بين في المطولات، والجوهر يصدق بغير المؤلف وبالمؤلف إذا تقرر ذلك، فاعلم أن المصنف قد استدل كغيره لإثبات المقدمة الأولى بحدوث الأجسام المعبر بها عن الجواهر، وفي ضمن ذلك حدوث الأعراض فإنه إذا ثبت حدوث الأجسام ثبت حدوث الأعراض لا محالة لافتقارها في تحققها إلى الأجسام، **(فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون)** فالحركة هي الخروج من القوة إلى الفعل تدريجاً ويقال شغل حيز بعد أن كان في حيز آخر، وقيل: كونان في آنين في مكانين كما أن السكون كونان في آن في مكان واحد، والحركة في الكم انتقال الجسم من كمية إلى أخرى كالنمو والذبول ولا تكون إلا للجسم، وفي الكيف كتسخن الماء أو تبرده وتسمى حركة استحالة وحركة الأين حركة الجسم من محل إلى آخر وتسمى نقلة، وحركة الوضع هي المستديرة المتنقل بها الجسم من محل لآخر، فإن المتحرك بالإستدارة إنما تبدل نسبة أجزائه إلى اجزاء مكانه وهو ملازم لمكانه غير خارج عنه، والحركة العرضية ما يكون عروضها للجسم بواسطة عروضها لآخر بالحقيقة كجالس السفينة، والحركة الذاتية ما يكون عروضها لذات الجسم نفسه، والحركة القسرية ما يكون مبدؤها بسبب ميل مستفاد من خارج كحجر مرمي إلى فوق، والحركة الإرادية ما لا يكون مبدأها بسبب آخر خارج مقارن للشعور، والإرادة كحركة الحيوان بإرادته، والحركة الطبيعية ما لا يحصل بسبب أمر خارج وليس بشعور وإرادة كحركة الحجر إلى السفل، والسكون عدم الحركة عما من شأنه أن يتحرك فعدم الحركة عما من شأنه أن لا يتحرك لا يكون سكوناً فللموصوف بهذا لا يكون متحركاً ولا ساكناً **(وهما حادثان وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ففي هذا البرهان ثلاث دعاوي)** جمع دعوى وهو قول يطلب به الإنسان إثبات حق.

(الأول: أن الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه) ظاهرة **(مدركة بالبديهة والاضطرار فلا تحتاج إلى تأمل وافتكار، فإن من عقل جسماً لا ساكناً ولا متحركاً كان**

ولا متحركاً كان لمتن الجهل راكباً وعن نهج العقل ناكباً.

الثانية: قولنا: «انهما حادثان» ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض، وذلك مشاهد في جميع الأجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد فما من ساكن إلا والعقل قاض بجواز حركته، وما من متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارىء منهما حادث لطرئانه والسابق حادث لعدمه، لأنه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه ـ على ما سيأتي بيانه وبرهانه في اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس ـ.

الثالثة: قولنا: «ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث» وبرهانه أنه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها، ولو لم تنقض تلك الحوادث بجملتها

لمتن الجهل راكباً) أي سالكاً طريق الجهالة. **(وعن نهج العقل)** أي طريقه **(ناكباً)** أي معرضاً. وهذا السياق للمصنف مأخوذ من سياق شيخه إمام الحرمين في الرسالة النظامية.

الدعوى **(الثانية: قولنا أنهما حادثان)** وقد استدل عليها المصنف بطريقين أشار إلى الأوّل منهما بقوله **(يدل على ذلك تعاقبهما)** أي كون كل واحد منهما يعقب الآخر أي يخلفه في محله عند ذهابه، **(ووجود البعض منهما دون البعض)** وانقضاؤهما أي ذهاب كل منهما عند وجود الآخر **(وذلك)** أي التعاقب والانقضاء **(مشاهد في جميع الأجسام وما لم يشاهد)** من الأجسام إلا ساكناً أو متحركاً، **(فما من ساكنٍ إلاّ والعقل قاضٍ بجواز حركته)** كالجبال مثلاً، فالعقل قاض بجواز الحركة فيها بزلزلة مثلاً، وكذا قاض عليها بقلبها ذهباً أو فضة أو نحاساً أو حديداً، **(وما من متحرك إلا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارىء منها حادث بطرئانه والسابق حادث لعدمه)** أي تجويز ما ذكر من الحركة والقلب تجويز عروض الحوادث على محلها ومحل الحوادث حادث، ثم أشار إلى الطريق الثاني في الاستدلال بقوله **(لأنه)** أي السابق من الحركة والسكون **(لو ثبت قدمه لاستحال عدمه)**، وتجويز طرئان الضد على محل هو تجويز العدم على ضده الذي كان بذلك المحل أوّلاً ضرورة أن الضدين يمتنع عقلاً اجتماعهما بمحل، فالتجويز المذكور باعتبار النظر إلى الضد الطارىء تجويز الطرئان، وبالنظر إلى ضده هو تجويز العدم على هذا الضد. قال ابن أبي شريف في شرح المسايرة: والأولى أن تجويز الطرئان يستلزم تجويز العدم لا أنه هو **(على ما سيأتي بيانه وبرهانه)** في الأصل الثالث **(في اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس)** وأن وجوده مقتضى ذاته فلا يتخلف عنها.

الدعوى **(الثالثة)**: وهي **(قولنا «ما لا يخلو عن الحوادث فهو محدث» وبرهانه)** أنه **(لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أوّل لها)** مرتبة، كما يقول الفلاسفة في دورات الأفلاك أي حركاتها اليومية، **(ولو لم تنقض تلك بجملتها)** أي ما لا أوّل له من الحوادث **(لا تنتهي النوبة إلى وجود الحادث الحاضر في الحال)** لأن الحركة اليومية المعينة

لا تنتهي النوبة إلى وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال، ولأنه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شفعاً أو وتراً، أو شفعاً ووتراً جميعاً، أو لا شفعاً ولا وتراً، ومحال أن تكون شفعاً ووتراً جميعاً أو لا شفعاً ولا وتراً، فإن ذلك جمع بين النفي والاثبات، إذ في اثبات أحدهما نفي الآخر، وفي نفي أحدهما اثبات الآخر. ومحال أن يكون شفعاً لأن الشفع يصير وتراً بزيادة واحد. وكيف يعوز ما لا نهاية له واحد؟ ومحال أن يكون وتراً إذ الوتر يصير شفعاً بواحد، فكيف يعوزها واحد مع أنه لا نهاية لاعدادها. ومحال أن يكون لا شفعاً ولا وتراً إذ له نهاية. فتحصل من هذا أن العالم لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو إذاً حادث. وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث من المدركات بالضرورة.

مشروط وجودها بانقضاء ما قبلها، وكذلك الحركة التي قبلها مشروطة بمثل ذلك وهلم جرا. **(وانقضاء ما لا نهاية له)** ووقع في نسخ المسايرة «ما لا أوّل له» بدل «ما لا نهاية له». **(محال)** لأنك إذا لاحظت الحادث الحاضر، ثم انتقلت إلى ما قبله فلا حظته وهلم جرا على الترتيب لم تفض إلى نهاية ودخول ما لا نهاية له من الحوادث في الوجود محال، وإن لم يكن عدم إفضائك إلى نهاية لكان لتلك الحوادث أوّل وهو خلاف المفروض، ثم شرع في الرد على الفلاسفة القائلين بكون قبل كل حادث حوادث لا أوّل لها، فقال: **(ولأنه لو كان للفلك دوران لا نهاية له لكان لا يخلو عددها عن أن يكون شفعاً ووتراً جميعاً)** أي زوجاً وفرداً **(أو لا شفعاً ولا وتراً، ومحال أن يكون شفعاً ووتراً جميعاً)** أي زوجاً وفرداً **(أو لا شفعاً ولا وتراً، ومحال أن يكون شفعاً ووتراً جميعاً أو لا شفعاً ولا وتراً فإن ذلك جمع بين النفي والاثبات)** وهما ضدان. **(اذ في اثبات أحدهما نفي الآخر وفي نفي أحدهما إثبات الآخر، ومحال أن يكون شفعاً)** فقط **(لأن الشفع يكون وتراً بزيادة واحد)** أي إذا ضم على العدد المشفوع آخر صار باعتبار ذلك وتراً **(فكيف يعوز ما لا نهاية له واحد)** وفي نسخة يعوزها واحد **(مع أنه لا نهاية لأعدادها، فحصل من هذا ان العالم لا يخلو من الحوادث فهو إذاً حادث)** أي حصل مما قرر أولاً أن وجود الحادث الحاضر محال لأنه لازم للمحال وهو وجود حوادث لا أوّل لها، لكن الحادث الحاضر ثابت ضرورة فانتفى ملزومه وهو وجود حوادث لا أوّل لها فلإنتفاء وجود حوادث لا أوّل لها انتفى ملزومه، وهو كون ما لا يخلو من الحوادث قديماً فثبت نقيضه وهو ما لا يخلو عن الحوادث حادث. **(وإذا ثبت حدوثه كان افتقاره إلى المحدث)** أي الموجد **(من المدركات بالضرورة)** كما قدمه في صدر الاستدلال. وذلك الموجد هو الله سبحانه المقصود بالإسم الذي هو الله، فالله اسم للذات الواجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال الذي يستند إليه إيجاد كل موجود.

....

وقال إمام الحرمين شيخ المصنف في لمع الأدلة: حدوث الجواهر بني على أصول: منها اثبات الاعراض، ومنها اثبات حدوثها، ومنها استحالة تعري الجواهر منها، ومنها إثبات استحالة حوادث لا أوّل لها، ومنها أن ما لا يسبق الحوادث حادث. ثم بين ذلك في أصول إلى أن قال: وأما إيضاح استحالة حوادث لا أوّل لها، فالدليل على ذلك أن دورات الأفلاك تتعاقب وتقع كل دورة على أثر انقضاء التي قبلها، فلو انقضى قبل الدورة التي نحن فيها دورات لا نهاية لأعدادها ولا غاية لآحادها لكان ذلك مؤذناً بانتهاء ما لا نهاية لها. إذ ما لا يحصره عدد ولا يضبطه حد لا يتقرر في العقول انقضاؤه ولا يتحقق في الأوهام انتهاؤه، فلما انقضت الدورات التي قبل الدورة الناجزة دل ذلك على نهاية أعدادها، وإذا تناهت انتهت إلى أوّل، ويطرد هذا الدليل في جملة المتعاقبات كالأولاد والوالدين والبذر والزرع ونحوها، فإذا ثبتت هذه المقدمات ترتب عليها استحالة خلوا الجواهر من الحوادث المستندة إلى أوّل، وما لا يخلو عن الحوادث لا يسبقها وما لا يسبق الحوادث حادث على اضطرار من غير حاجة إلى نظر واعتبار اهـ.

وقال شارحه شرف الدين بن التلمساني: اعلم أن هذه الحجة إلزامية لا برهانية فإنا لا يمكننا الاحتجاج بها على صحة مذهبنا ابتداء، فإنها تطرأ في نعيم الجنان فإنه يمكن أن تقتطع منه عشر دورات مثلا، ثم تطابق ما بين الجملتين ويطرد الدليل إلى آخره ولأنا نقول ان علمه تعالى يتعلق بما لا نهاية له، وكذلك ارادته وقدرته. ومتعلقات العلم أكثر من متعلقات القدرة والارادة مع أن متعلقات العلم بعضها أكثر من بعض، وكذلك تضعيف الآحاد والعشرات والمئين والألوف كل مرتبة منها لا تتناهى مع تطرق الزيادة والنقصان والأقل والأكثر، وأما قوله: فإذا ثبتت هذه المقدمات الخ فواضح إلا أنه يرد عليه أنه ادعى حدوث العالم وفسر العالم بكل موجود سوى الله تعالى، واستدل على حدوث الجواهر والأعراض، ولا تتم دعواه ما لم يبين انحصار العالم فيها، فإن الخصم يدعي وجود جواهر عقلية ممكنة في نفسها واجبة بغيرها يسميها عقولاً ونفوساً ملكية ويثبتها وسائط ومعدات، ولم يقم دليلاً على إبطالها والجواب من وجهين.

أحدهما: أن القائل قائلان أحدهما يقول بالإيجاب الذاتي وقدم الأجسام وإثبات الوسائط المذكورة وهو الفيلسوف، والآخر يقول بحدوث الأجسام ونفي الإيجاب الذاتي ونفي الوسائط وهم الموحدون. وقد أقام الدليل على حدوث الأجسام بالاخبار فلزم نفي الإيجاب الذاتي والوسائط المذكورة إذ لا قائل بالفصل.

الثاني: أن تلك العقول والنفوس المجردة لا تخلو إما أن تكون متناهية أو غير متناهية، فإن كانت غير متناهية لزم أن يدخل الوجود من الممكنات ما لا نهاية له وقد أبطلناه وفي ضمنه اثبات علل ومعلولات لا تتناهى وهم يأبونه، وإن كانت متناهية محصورة في عدم لزم افتقار ذلك إلى مخصص والمخصص لا يخلو إما أن يكون موجباً بالذات أو فاعلاً بالاختيار، والموجب

....

بالذات لا يخصص والمخصص لا يخلو إما أن يكون موجباً بالذات أو فاعلاً بالاختيار، والموجب بالذات لا يخصص مثلاً على مثل ونسبته إلى ما زاد على ذلك العدد وإلى ما دونه نسبة واحدة وان خصص ذلك بإيجاده واختياره فكل واقع حادث إذ الفاعل المختار لا بدّ أن يقصد إلى ايجاد فعله، والقصد إلى إيجاد الموجود محال فلا بد أن يسبق عدمه وجوده ليصح القصد إلى إيجاده، فيكون حادثاً. إلى هنا كلام ابن التلمساني.

ثم قال إمام الحرمين: إذا ثبتت الحوادث فهي جائزة الوجود إذ يجوز تقدير وجودها ويجوز تقدير استمرار العدم بدلاً من الوجود، فإذا اختصت بالوجود الممكن افتقرت إلى مخصص، ثم يستحيل أن يكون المخصص طبيعة عند مثبتيها لا اختيار لها وهي موجبة آثارها عند ارتفاع الموانع وانقطاع الدوافع، فإن كانت الطبيعة قديمة لزم قدم آثارها، وقد وضح حدوث العالم، وإن كانت حادثة افتقرت إلى محدث ثم الكلام في محدثها كالكلام فيها، وينساق هذا الكلام إلى اثبات حوادث لا أوّل لها، وقد تبين بطلان ذلك فوضح أن مخصص العالم صانع مختار موصوف بالاختيار والاقتدار اهـ.

قال ابن التلمساني: هذا الفصل اشتمل على ثلاثة أمور: الأوّل احتياج العالم إلى محدث ومقتض، والثاني تقسيم المقتضى إلى ثلاثة: فاعل بالاختيار، وموجب بالذات، ومقتض بالطبع. والثالث: إبطال العلة والطبيعة ليتعين أنه فاعل مختار.

أما الأوّل: فاحتج عليه بأن وجود العالم في الوقت المعين مع جواز أن يتقدم على زمن وجوده بأوقات أو يتأخر عنه بساعات يفتقر إلى مخصص لامتناع ترجح الممكن بنفسه لأن كل ما ليس له الترجح من نفسه فترجحه من غيره.

الثاني: وهو تقسيم المقتضى إلى ثلاثة أمور فلأن كل مقتض لا يخلو إما أن يصح منه الامتناع من الفعل أولا. فإن صح فهو الفاعل المختار وإن لم يصح فلا يخلو إما أن يتوقف اقتضاؤه على شرط وانتفاء مانع أولا. فإن توقف فهو الطبيعة وان لم يتوقف فهو العلة.

وأما الثالث: وهو إبطال كون المقتضي لتخصيص العالم علة فلأن العلة لا تخلو إما أن تكون قديمة أو حادثة، فإن كانت قديمة لزم قدم مقتضاها وهو العالم وقد أقمنا الدليل على حدوثه، وإن كانت حادثة لزم الدور أو التسلسل. وأما ابطال كون المقتضي له طبيعة فلأنها لا تخلو أيضاً إما أن تكون قديمة أو حادثة، فإن كانت حادثة لزم الدور أو التسلسل وهما محالان، وإن كانت قديمة فلا تخلو إما أن يكون معها مانع في الأزل أولا، فإن كان معها مانع في الأزل وجب أن يكون قديما، وإذا كان قديماً استحال عليه العدم فوجب أن لا يوجد مقتضاها، وقد وجد هذا خلف. وإن لم يكن معها مانع في الأزل وجب حصول مقتضاها أزلاً فيلزم قدم العالم وقد أقمنا الدليل على حدوثه اهـ.

وقال شيخ مشايخنا أبو الحسن الطولوني في املائه على البخاري: اعلم أن لفظ الوجود مشترك

....

بين الواجب والممكن، والفرق بينهما أن الله سبحانه وتعالى واجب الوجود لذاته وما سواه ممكن الوجود، فالله تعالى موجود واجب الوجود، فلو قال قائل: ما الدليل على وجوده تعالى؟ يقال: حدوث هذا العالم فإنه موجود وله حقائق ثابتة مشاهدة، وإنه منحصر في جواهر واعراض. فلو قال القائل: ما الدليل على حدوثه؟ يقال: مشاهدة تغيره فإن كل متغير حادث وتغيره من حركة إلى سكون ومن سكون إلى حركة مشاهد لكل أحد، وملازم الحادث حادث فلو لم يكن له محدث بل حدث بنفسه لزم أن يكون أحد الأمرين المتساويين راجحاً على مساويه بلا سبب وهو محال، فدل على أن الذي رجح جانب الوجود بعد العدم وأحدث هذا العالم هو الله سبحانه وتعالى، ويستحيل أن يكون الحادث وهو الذي ممكن الوجود موجوداً ويكون الذي أوجده بعد أن لم يكن شيئاً ليس بموجود بل هو موجود واجب الوجود اهـ.

وقال السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب: اعلم أن حكم الجواهر والاعراض كلها الحدوث، فإذاً العالم كله حادث. وعلى هذا إجماع المسلمين بل كل الملل، ومن خالف في ذلك فهو كافر لمخالفة الإجماع القطعي، وهذا المطلب مما يكفي السمع لعدم توقفه عليه لحصول العلم بوجود الصانع بامكان العالم وإمكانه ضروري، ثم أقام البرهان على حدوث الجوهر وأن الجوهر لا يخلو عن عرض والعرض حادث، فالجوهر لا يخلو عن الحادث وما لا يخلو عن الحادث لا يسبقه إذ لو سبقه لخلا عنه وما لا يسبق الحادث حادث، فالجوهر حادث. قال: وهو أشهر حجج أهل النظر العقلي. قال: وقد يقال على وجه أخص وأتم وهو أن كل ما سوى الواجب ممكن وكل ممكن حادث، فالعالم حادث. أما المقدمة الأولى فظاهرة، وأما الثانية فلأن الممكن يحتاج في وجوده إلى موجد والموجد لا يمكن أن يوجد حال وجوده، وإلاّ لكان ايجاداً للموجد وهو محال. فيلزم أن يوجده حال لا وجوده فيكون وجوده مسبوقاً بعدمه وذلك حدوثه وهو المطلوب. قال: وأما أهل الحديث فقد ثبت عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كان الله ولا شيء قبله» وفي طريق «ولا شيء غيره» وفي طريق «ولا شيء معه». وقد ثبت الإجماع بل إجماع الكتب السماوية كلها كما نقله الفخر في شرح عيون الحكمة، وجعل العمدة في هذه المسألة الاجماع قال: وأما طريق الصوفي فيقول بما تقدم، ثم يقول بلسان التنبيه مشيراً إلى ما يخصه من وجود كل شيء له اعتباران: اعتبار من حيث صورة ذاته، واعتبار من حيث صورة العلم به، فالصورة الأولى صورة عينية، والثانية صورة علمية. واعتبر نفسك فإنك تجد الآثار التي تبدو عنك لها صورتان: صورتها العلمية من حيث أنها في ذهنك، وصورتها العينية وهو ما بدا عنك مطابقاً لعلمك، فالأشياء إما من حيث صورتها العينية فحادثة قطعاً وذلك هو وجودنا الذي يدرك منه وفيه تعيننا وهذا يجده كل مدرك عاقل من نفسه والعالم كله متماثل. ولا تفاوت فيه، وقد ارتفع النزاع في ذلك قال الله تعالى: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ [الملك: ٣] وقال: ﴿ان كل من السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾ [مريم: ٩٣] وقال عليه السلام: «اللهم ربي ورب كل شيء أنا شهيد أن العباد كلهم اخوة». وأما من حيث

الأصل الثاني: العلم بأن الله تعالى قديم لم يزل، أزلي ليس لوجوده أول بل هو أول

صورتها العلمية أعني علم الله بها، فذلك غيب عنا، والله أعلم بغيبه. فهذا ما نبه عليه الصوفي وغايته الرجوع إلى العجز الذي هو كمال الادراك والتسليم لما في علم الله من حيث علم الله، ومن فهم هذا التنبيه فهم المسألة الصعبة التي أشار إليها الشيخ ابن عطاء الله في أوّل التنوير اهـ.

تنبيه:

جعل الوجود صفة ظاهر على القول بانه زائد على الذات، وهو الذي عليه الفخر والجمهور، وأما على القول بانه عين الذات مطلقاً كما عليه الأشعري فجعله صفة للذات نظراً إلى انها يوصف بها في اللفظ، فيقال: ذات الله موجودة.

وقال السبكي: اختلفوا في أن وجود الشيء هل هو عين ذاته أو زائد عليه أو الفرق بين الواجب والممكن. ثالثها إن كان واجباً فهو عين ذاته، ورابعها لأصحاب الأحوال انه صفة نفسية في الواجب ليس عينه ولا غيره. ومذهب أبي الحسن الأشعري انه عينه مطلقاً اهـ.

وفي شرح جمع الجوامع: والأصح أن وجود الشيء في الخارج واجباً كان وهو الله، أو ممكناً وهو الخلق عينه أي ليس زائدا عليه. وقال كثير من المتكلمين غيره: أي زائد عليه بأن يقوم الوجود بالشيء من حيث هو أي من غير اعتبار الوجود والعدم، وان لم يخل منهما ذات. وقال الحكماء: انه عينه في الواجب غيره في الممكن، فعلى الأصح المعدوم الممكن الوجود ليس في الخارج، وإنما يتحقق بوجوده فيه وكذا على القول الآخر عند أكثر القائلين به. وذهب كثير من المعتزلة إلى أنه شيء أي حقيقة متقررة.

تتميم:

الموجودات أربعة أقسام: موجود لا أوّل له ولا آخر له وهو مولانا جل وعز، وموجـود لـه أوّل وآخر وهو ما سواه من عالم الدنيا، وموجود له أوّل وليس له آخر وهو عالم الآخرة، وموجود له آخر وليس له أوّل وهو عدم العالم المنقطع بوجوده.

الأصل الثاني: لما فرغ من ذكر الصفة النفسية التي هي الوجود من جملة الصفات العشرين وهو القسم الأوّل في ذكر الصفات السلبية، فأشار إلى أوّلها وهو القدم بقوله: **(العلم بأن الباري تعالى قديم لم يزل)**، وأما بقية صفات السلب التي ذكرها المتأخرون ولاء في كتبهم وهي البقاء ومخالفته للحوادث وقيامه بنفسه والوحدانية، فإنها تؤخذ من سياق المصنف على طريقة المتقدمين مفرقة على طريق التلويح والإشارة من غير ترتيب، ثم القدم هي صفة سلبية على الأصح أي ليست بمعنى موجود في نفسه كالعلم مثلاً، وإنما هي عبارة عن سلب العدم السابق على الوجود، وإن شئت قلت هو عبارة عن سلب الأوّلية للوجود، وإن شئت قلت هو عبارة عن سلب الافتتاح للوجود والثلاثة بمعنى واحد. هذا معنى القدم في حقه تعالى وفي حق صفاته، ويطلق القدم على معنى آخر وهو توالي الأزمنة على الشيء وإن كان محدثاً ومنه قوله تعالى: ﴿حتَّى عاد

كل شيء وقبل كل ميت وحي، وبرهانه أنه لو كان حادثاً، ولم يكن قديماً لافتقر هو

كالعرجون القديم﴾ [يس: ٣٩] وهذا المعنى محال في حقه سبحانه وتعالى لأن وجوده جل وعز لا يتقيد بزمان ولا مكان لحدوث كل منها فلا يتقيد بواحد منها إلا ما هو حادث، وهل يجوز أن يتلفظ بالقديم في حقه تعالى، فمن راعي معناه جوّزه، ومن راعى كونه لم يرو نصاً منع لأن الأسماء توقيفية، ومنهم من أورده فيه نصاً من السنّة فعلى هذا يصح، وقد أشرنا إلى ذلك في الفصل الأوّل فراجعه ودل عليه من القرآن قوله تعالى: ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ [الواقعة: ٥٩] **(أزلي)** نسبة إلى الأزل وهو القديم كما في الصحاح والتهذيب فهو حينئذ بمعنى القديم، وقيل: منسوب إلى لم يزل قاله الزمخشري، وتقدم البحث فيه في الفصل الأوّل **(ليس لوجوده أوّل بل هو الأوّل قبل كل شيء وقبل كل ميت وحي)** أي: لم يسبق وجوده عدم يعني أن القدم في حقه تعالى بمعنى الأزلية التي هي كون وجوده غير مستفتح.

قال المصنف في الاقتصاد: ليس تحت لفظ القديم يعني في حق الله تعالى سوى إثبات موجود ونفي عدم سابق، فلا تظنن أن القدم معنى زائد على ذات القديم، فيلزمك أن تقول ذلك المعنى أيضاً قديم بقدم زائد عليه ويتسلسل إلى غير نهاية اهـ.

وقال أبو منصور التميمي: اختلف المتكلمون فيما يجوز إطلاق وصف القديم عليه تعالى وفي معناه على أربعة مذاهب. وكان شيخنا الأشعري يقول: إن معناه المتقدم في وجود ما يكون بعده، والتقدم نوعان: تقدم بلا ابتداء كتقدمه تعالى وصفاته القائمة بذاته على الحوادث كلها، وتقدم بغاية كتقدم بعض الحوادث على بعض. وأجاز إطلاق وصف القديم عليه تعالى وعلى صفاته الأزلية. وقال: إن القديم قديم لنفسه لا لمعنى يقوم به، فلا ننكر وصف صفاته الأزلية بهذا الوصف كما لم ننكر وصفها بالوجود إذ كان موجوداً لنفسه. وقال عبد الله بن سعيد، وأبو العباس القلانسي: ان القديم قديم بمعنى يقوم به، فهؤلاء يقولون: انه تعالى قديم لمعنى قائم به، ويقولون: ان صفاته قائمة به موجودة أزلية، ولا يقال انها قديمة ولا محدثة، وزعم معمر وأتباعه من المعتزلة: الحق أن الله لا يوصف بأنه قديم ولا بأنه كان عالماً في الأزل بنفسه، لأن امن شرط المعلوم عنده أن يكون غير العالم ونفسه ليس لغيره، وزعم الباقون من القدرية أن القديم هو الإله ونفوا صفاته الأزلية وقالوا: لو كانت الصفات أزلية لشاركته في القدم ولوجب أن تكون آلهة لأن الاشتراك في القدم يوجب التماثل. وقد بينا في أوّل الكتاب أن الاشتراك في القديم لا يوجب تماثلاً كما أن الاشتراك في صفة الحدوث لا يوجب تماثلاً اهـ.

وقال السبكي: اعلم أن الأشاعرة اختلفوا في صفة القدم، فنقل عن الشيخ أنها من صفات المعاني وهو قول عبد الله بن سعيد، وقيل: من الصفات النفسية وإليه رجع الشيخ، والحق أنها من الصفات السلبية فلا يكون من الصفات النفسية، ولا المعنوية إذ السلب داخل في مفهومه إذ القدم هو عدم سبقية العدم على الوجود، وقد تقدم ذلك اهـ.

قال المصنف: **(وبرهانه أنه لو كان حادثاً ولم يكن قديماً لافتقر)** أي احتاج **(إلى**

أيضاً إلى محدث، وافتقر محدثه إلى محدث وتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية، وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهي إلى محدث قديم هو الأول، وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه.

محدث)، وبيانه: أنه لو لم يكن قديماً لكان حادثاً لوجوب إنحصار كل موجود في القدم والحدوث، فمهما انتفى أحدهما تعين الآخر، والحدوث على الله عز وجل مستحيل لأنه يستلزم له محدث لما تقدم في حدوث العالم أن كل حادث لا بدّ له من محدث، فينقل الكلام إلى ذلك المحدث فإن كان قديماً فهو المراد بمسمى كلمة الجلالة وإن لم يكن قديماً كان حادثاً، **(وافتقر محدثه إلى محدث ويتسلسل ذلك إلى غير نهاية وما تسلسل)** لا إلى نهاية **(لم يتحصل)** أي أن تسلسل هكذا لزم عدم حصول حادث منها أصلاً لما سبق أن المحال وهو وجود حوادث لا أوّل لها يستلزم استحالة وجود الحادث الحاضر، وأيضاً فإن التسلسل يؤدي إلى فراغ ما لا نهاية له وذلك لا يعقل، وإن كان الأمر ينتهي إلى عدد متناه فيلزم الدور وهو محال أيضاً لأنه يلزم عليه تقدم الشيء على نفسه وتأخره عنها، فإذا كان الحدوث يؤدي إلى الدور أو التسلسل المحالين لزم أن يكون محالاً، **(أو ينتهي إلى محدث قديم هو الأوّل)** وهو مسمى كلمة الجلالة، **(وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم وبارئه ومحدثه ومبدئه)** على غير مثال سابق.

قال ابن الهمام في المسايرة وتلميذه ابن أبي شريف في شرحه: بل اللزوم هنا بطريق أولى من الطريق الذي ذكر في استلزام حوادث لا أوّل لها استحالة وجود الحادث الحاضر، لأن هذا الترتيب على أي ترتب معلول على علة، فكل مرتبة من مراتبه علة لوجود ما يليها غير أن إيجاد كل للآخر الذي يليه بالاختيار كما ينبه عليه قولهم افتقر إلى محدث. قال الشارح: وهذا الاستدراك للتنبيه على أن قولنا على ليس على طريقة الفلاسفة وهو أن العلة توجب المعلول، وذلك أي الطريق المذكور في حوادث لا أول لها لم يفرض فيه غير ترتب تلك الحوادث في الوجود دون تعرض لكون كل منها علة لوجود ما يليه، لكن حصول الحوادث ثابت ضرورة بالحس والعقل، فيجب أن ينتهي حصولها في الوجود إلى موجد لا أول له ولا يراد بالاسم الذي هو الله إلا ذلك.

وقال إمام الحرمين في الإرشاد: فإن قيل: إثبات موجد لا أوّل له إثبات أوقات متعاقبة لا نهاية لها إذ لا يعقل استمرار وجود إلا في أوقات وذلك يؤدي إلى اثبات حوادث لا أول لها وقد تبين بطلانها. قلنا: هذا زلل ممن ظنه فإن الأوقات يعبر بها عن موجودات تقارن موجوداً وكل موجود أضيف إلى مقارنة موجود فهو وقته، والمستمر في العادات التعبير بالأوقات عن حركات الفلك وتعاقب الجديدين، فإذا تبين ذلك في معنى الوقت فليس من شرط وجود الشيء أن يفارقه موجود آخر إذا لم يتعلق أحدهما بالثاني في قضية عقلية، ولو افتقر كل موجود إلى وقت وقدرت الأوقات موجودة لافتقرت إلى أوقات، وذلك يجر إلى جهالات لا ينتحلها عاقل فالباري تعالى قبل حدوث الحوادث منفرد بوجوده وصفاته لا يقارنه حادث اهـ.

....

وهذا الذي ذكره إمام الحرمين قد زاده وضوحاً ابن التلمساني في شرح اللمع لإمام الحرمين فقال ما نصه: فإن قيل: القول بالقدم يلزم منه وجود أزمنة لا نهاية لها إذ لا يعقل استمرار وجود وبقاؤه إلا بزمان، وأنتم لا تقولون به. قلنا: الزمان يطلق باعتبارات ثلاث وكلها منتفية بالنسبة إلى الباري تعالى. الأوّل: الإطلاق العرفي وهو مرور الليالي والأيام وذلك تابع لحركات الافلاك، وقد أقمنا الدليل على حدوث العالم فقد كان الله ولا زمان بهذا الاعتبار وكان الله ولا شيء معه. الثاني: ما اصطلح عليه المتكلمون وهو مقارنة متجدد لمتجدد توقيتاً للمجهول بالمعلوم، وذلك يختلف بالنسبة إلى السامع فتقول: ولد النبي ﷺ عام الفيل فتجعله وقتاً لمولده ﷺ وزماناً له لمن يعلم عام الفيل ولا يعلم مولده ﷺ، وتقول عام الفيل مولد النبي ﷺ فتوقته بمولده ﷺ لمن يعلمه ولا يعلم عام الفيل فهو أمر فرضي، وذلك لا يتحقق في الأزل أو لا يتجدد في الأزل ويطلق في اصطلاح الحكماء على أمر حركة الفلك وهو تابع لحركات الافلاك فلا يكون أزلياً فبأي معنى فسر الزمان لا يكون أزلياً اهـ.

ثم هذا الذي ذكره المصنف من الاستدلال على قدم الباري تعالى هو المشهور بين المتكلمين وهو الذي اقتصر عليه الجماهير من المتقدمين، وزاد بعضهم فقال: ودليل ثان وهو أنه تعالى واجب لذاته والواجب لذاته لا يقبل الانتفاء بحال فيلزم قدمه وبقاؤه قاله ابن التلمساني.

واقتصر على هذا الدليل السبكي في شرح عقيدة ابن الحاجب وقرره بما نصه: صانع العالم واجب الوجود، وكل واجب الوجود فوجوده من ذاته، وكل ما هو موجود من ذاته فعدمه محال، وكل ما عدمه محال لم يمكن عدمه قط، وكل ما لا يمكن عدمه قط فهو قديم فصانع العالم قديم. وبالجملة؛ فالقدم من اللوازم البينة لذات الواجب وثبوت مستلزم المستلزم مستلزم لثبوت اللازم اهـ.

وهذا كقولهم مساوي المساوي مساوٍ، وأما دليل قدمه تعالى عند المحدث فيقول قال تعالى: ﴿لم يلد ولم يولد﴾، وقال تعالى: ﴿هو الأول﴾. وقال ﷺ: «أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء» الحديث أخرجه أبو داود والترمذي، فلو لم يكن قديماً لكان حادثاً ولو كان حادثاً لكان قبله شيء، وأما الصوفي فإنه يقول كل قضية بديهية فلوازمها البينة بديهية، وهذا لازم بيّن لثبوت الوجود الذاتي إذ كلما تصور القدم ووجود الواجب لزم جزم العقل بوجوبها.

تنبيه:

قال شيخ مشايخنا في إملائه: اعلم أن القديم أخص من الأزلي لأن القديم موجود لا ابتداء لوجوده، والأزلي ما لا ابتداء لوجوده وجودياً كان أو عدمياً، فكل قديم أزلي ولا عكس، ويفترقان أيضاً من جهة أن القديم يستحيل أن يلحقه تغير أو زوال بخلاف الأزلي الذي ليس بقديم كعدم الحوادث المنقطع بوجوده.

الأصل الثالث: العلم بأنه تعالى مع كونه أزلياً أبدياً ليس لوجوده آخر، **فهو الأوّل** والآخر والظاهر والباطن لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه، وبرهانه أنه لو انعدم لكان لا يخلو إما أن ينعدم بنفسه أو بمعدم يضاده، ولو جاز أن ينعدم شيء يتصوّر دوامه

تكميل:

قال ابن جماعة: التقدم خمسة: الأوّل: بالعلة كحركة الأصبع على الخاتم، الثاني: بالذات كالواحد على الاثنين، والثالث: بالشرف كأبي بكر على عمر، والرابع: بالرتبة كالجنس على النوع، والخامس بالمكان كالإمام على المأموم.

(**الأصل الثالث: العلم بأنه تعالى مع كونه أزلياً**) كونه (**أبديـاً**) أي (**ليس لـوجـوده آخر**) أي يستحيل أن يلحقه عدم، وهذه الصفة هي الصفة الثانية من الصفات السلبية على الأصح المعبر عنها بالبقاء، وهو عبارة عن سلب العدم اللاحق للوجود، وإن شئت قلت: هو عبارة عن سلب الانتهاء للوجود، وإن شئت قلت: هو عبارة عن سلب الانقضائية للوجود والثلاثة بمعنى واحد هذا معنى البقاء في حقه تعالى وحق صفاته، ويطلق البقاء بمعنى آخر وهو مقارنة الوجود لزمانين فصاعداً، وهذا محال في حقه تعالى لما عرفت من استحالة تقييد وجوده بالزمان. وقال أبو منصور التميمي: اختلف أصحابنا في معنى الباقي وحقيقته فمن قال منهم: ان الباقي ما قام به البقاء امتنع من وصف صفات الله تعالى القديمة بذاته بأنها باقية، وقال: انها موجودة أزلية قائمة بالله عز وجل، ولا يقال فيها انها باقية ولا فانية هذا قول عبدالله بن سعيد وأبي العباس القلانسي. ومن قال: ان الباقي ما له بقاء ولم يشرط قيام البقاء به كما ذهب إليه أبو الحسن الأشعري فإنه يقول: إن الصفات الأزلية القائمة بالله باقية دائمة واختلف أصحابه في كيفية وصفها بالبقاء، فمنهم من قال: كل صفة منها باقية لنفسها ونفسها بقاء لها وبقاؤه بقاء لنفسه وهذا اختيار أبي إسحاق الاسفرايني، ومنهم من قال: بقاء الباري بقاء لنفسه ولسائر صفاته الأزلية وهذا اختيار أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك وبه نقول اهـ.

ثم أشار المصنف إلى دليله النقلي فقال: (**فهو الأوّل**) وهو دليل كونه أزلياً (**والآخر**) وهو دليل كونه أبدياً (**والظاهر والباطن**) وهو في كتابه العزيز وجاء بمثله في الحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي كما تقدم، وهذا هو دليل المحدث أيضاً، وأما الصوفي فدليله في الأبدية كدليله في الأزلية، (**لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه**) وهذا القول مبني على المشهور من أن القديم أخص من الأزلي كما تقدم بيانه. قال شيخ مشايخنا: فليست الاعدام أزلية قديمة حتى يرد ما قاله ابن التلمساني: من أن الاعدام الأزلية قديمة ولم يستحل عدمها فيما لا يزال لانعدامها بالوجود ويمكن أن يجاب على تسليم الترادف بأن ما عبارة عن موجود فلا تدخل الاعدام، ثم شرع في ذكر الدليل العقلي فقال: (**وبرهانه أنه لو انعدم لكان لا يخلو إما أن ينعدم بنفسه**) بأن يكون انعدامه أثراً لقدرته (**أو**) ينعدم (**بمعدم يضاده**) فيمتنع وجوده

بنفسه لجاز أن يوجد شيء يتصوّر عدمه بنفسه فكما يحتاج طرئان الوجود إلى سبب، فكذلك يحتاج طرئان العدم إلى سبب. وباطل أن ينعدم بمعدم يضاده لأن ذلك المعدم لو كان قديماً لما تصوّر الوجود معه. وقد ظهر بالأصلين السابقين وجوده وقدمه، فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده؟ فإن كان الضد المعدم حادثاً كان محالاً، إذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده، بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث.

معه. قال ابن أبي شريف: وسكت عن المثل والخلاف، لأنه لا يتوهم صلاحيتها لغلبة انعدام المثل والخلاف، (و) انعدامه بنفسه باطل **(لأنه لو جاز أن ينعدم شيء يتصوّر دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شيء بنفسه، فكما يحتاج طرئان الوجود إلى سبب، فكذلك يحتاج طرئان العدم إلى سبب)**.

وقرره ابن الهمام بوجه آخر فقال: لأنه لما ثبت أنه الموجد الذي استندت إليه كل الموجودات ثبت عدم استناد وجوده إلى غيره، فيلزم أن يكون وجوده له من نفسه أي اقتضت ذاته المقدسة اقتضاء تاماً، فإذا ثبت أن وجوده مقتضى ذاته المقدسة استحال أن تؤثر ذاته عدمها لأن ما بالذات أي ما تقتضيه الذات اقتضاء تاماً لا يتخلف عنها اهـ.

وقد تختصر العبارة عن ذلك فيقال: لأنه واجب الوجود لا يقبل الانتفاء بحال فيلزم بقاؤه كما يلزم قدمه، وإليه أشار ابن التلمساني. ومنهم من قال في برهان بقائه تعالى: أنه لو لحقه العدم لزم أن يكون من جملة الممكنات التي يجوز عليها الوجود والعدم، وكل ممكن لا يكون وجوده إلا حادثاً تعالى الله عن ذلك ويلزم الدور أو التسلسل فتبين ان وجوب القدم يستلزم وجوب البقاء وهو المطلوب، **(وباطل)** أيضاً **(أن ينعدم بمعدم يضاده لأن ذلك المعدم)** أي الضد المقتضى نفيه إما قديم أو حادث لا يجوز الأوّل لأنه **(لو كان قديماً لما تصوّر الوجود معه)** أي لزم انتفاء وجود الباري تعالى مع ذلك الضد من الابتداء أصلاً، لأنّ التضاد يمنع الاجتماع بين الشيئين اللذين اتصفا به، **(وقد ظهر بالأصلين السابقين)** الأوّل والثاني **(وجوده)** تعالى بنفسه **(وقدمه)** أزلاً **(فكيف كان وجوده في القدم ومعه ضده)** أي: هذا محال لما مرّ من أن التضاد يمنع الاجتماع، **(فإن كان الضد المعدم حادثاً كان محالاً)** أي: ولا يجوز الثاني أيضاً وهو كون الضد حادثاً **(إذ ليس الحادث في مضادته)** أي باعتبار مضادته للقديم **(حتى يقطع)** أي بحيث يقطع الحادث **(وجوده)** أي وجود ضده القديم **(بأولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع)** أي: بحيث يدفع القديم **(وجوده)** أي وجود ضده الحادث، **(بل)** القديم أولى بدفع وجود ضده الحادث من الحادث في قطع وجود ضده القديم ورفعه لأن **(الدفع أهون من القطع والقديم أقوى من الحادث)**.

وقرر هذا البرهان ابن التلمساني في شرح اللمع بأبسط من ذلك فقال: عدم الشيء متى كان

الأصل الرابع: العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز، بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحين. وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من أن يكون ساكناً فيه أو متحرّكاً عنه، فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم، فإن سماه مسمٍّ جوهراً ولم يرد به المتحيز كان مخطئاً من حيث اللفظ لا من حيث المعنى.

جائزاً قديماً يكون معدوماً لانتفاء ما يوجده أو لوجود ما ينفيه، وكل ما يتوقف وجوده عليه فهو شرط في وجوده، فلو انعدم لعدم ذلك لم يخل ذلك إما أن يكون حادثاً أو قديماً، ولا جائز أن يكون القديم مشروطاً بشرط حادث لما فيه من تقدم المشروط على الشرط. وإن كان قديماً فالقول في عدمه كالقول في عدم المشروط ويتسلسل، وإن فرض عدمه لوجود ما ينفيه فلا يخلو ذلك المعدم إما أن يعدمه بذاته أو بإيثاره واختياره، فإن أعدمه بذاته فلا يخلو إما أن يعدمه بطريق التضاد، فإن التضاد مفعول واحد من الجانبين فليس إعدام الطارىء الحاصل لما فاته له بأولى من منع الحاصل الطارىء أولاً بطريق التضاد لا جائز أن يعدمه بطريق التضاد، فإن أعدمه لا بطريق التضاد فلا يخلو إما أن يقوم به أو لا. فإن قام به وهو مقتض لعدمه لزم أن يجامع وجوده عدمه، فإنه من حيث كونه محلا يستدعي أن يكون حاصلاً موجوداً ومن حيث كونه أثراً يستدعي أن يكون معدوماً وإن لم يقم به فنسبته إليه وإلى غيره نسبة واحدة فليس اعدامه بأولى من اعدامه بغيره، وإن أعدمه بايثاره واختياره فالمؤثر المختار لا بدّ له من فعل والعدم لا شيء، ومن فعل لا شيء لم يفعل شيئاً، ولأن المعدم له أيضاً إما أن يكون نفسه أو غيره لا جائز أن يعدم نفسه ضرورة وجود الفاعل حال وجود فعله فيجامع وجوده عدمه ولا جائز أن يعدمه غيره لقيام الدليل على وحدانيته، وقد قيل: إن العقلاء لم يتفقوا على مسألة نظرية إلا هذه المسألة وهو أن القديم لا يعدم.

(**الأصل الرابع: العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز**) أي يختص بالكون في الحيز خلافاً للنصارى وقوله: يتحيز صفة كاشفة لا مخصصة لأن من شأن الجوهر الاختصاص بحيزه وحيز الجوهر عند المتكلمين هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجوهر، (**بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز، وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من أن يكون ساكناً فيه**) أي: في ذلك الحيز (**أو متحركاً عنه**) لأنه لا ينفك عن أحدهما، (**فلا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان**) لما عرفته فيما سبق فكان لا يخلو عن الحوادث، (**وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث**) والحكم بحدوثه ثابت بما قدمناه في الأصل الأوّل من الدليل، وقد علم من استحالة كونه تعالى جوهراً استحالة لوازم الجوهر عليه تعالى من التحيز ولوازمه كالجهة. وسيأتي بيان ذلك في أصل مستقل. (**ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم**) وهو باطل، (**فإن سماه مسمٍّ جوهراً ولم يرد به المتحيز**) أي قال: لا كالجواهر في

الأصل الخامس: العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر. إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر، وإذا بطل كونه جوهراً مخصوصاً بحيز بطل كونه جسماً لأن كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر، فالجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدوث. ولو جاز أن يعتقد أن صانع

التحيز ولوازمه من اثبات الجهة والإحاطة ونحوهما **(كان مخطئاً من حيث اللفظ لا من حيث المعنى)** لمثل ما سيأتي في اطلاق الجسم، إذ لم يرد إطلاق لفظ الجوهر عليه تعالى لا لغة ولا شرعاً، وفي اطلاقه ايهام نقص تعالى الله أن يتطرق إليه نقص، فإن الجوهر يطلق على الجزء الذي لا يتجزأ وهو أحقر الأشياء مقداراً.

قال النسفي في شرح العمدة: وقالت النصارى وابن كرام: يجوز إطلاقه على الله تعالى لأنه إسم للقائم بالذات، والله تعالى قائم بالذات فيكون جوهراً. قلنا: الجوهر في اللغة عبارة عن الأصل. وسمي الجزء الذي لا يتجزأ جوهراً لأنه أصل المركبات، والله تعالى ليس بأصل للمركبات فلم يكن جوهراً، ولأن الجوهر هو المتحيز الذي لا ينقسم ولا يخلو عن الحركة والسكون فيكون حادثاً لما مرّ. ولفظ الجوهر لا ينبيء عن القائم بالذات لغة بل ينبيء عن الاصل وتحديد اللفظ بما لا ينبيء عنه لغة، وإخراج ما ينبيء عنه لغة عن كونه حداً له جهل فاحش اهـ.

وقال السبكي: اعلم أن الجوهر على اصطلاح المتكلمين هو المتحيز القائم بنفسه، وعلى اصطلاح غيرهم هو الموجود لا في موضوع، والموضوع هو الجسم فهو تعالى ليس بجسم ولا جوهر على الاصطلاح الأول لضرورة افتقار الجوهر إلى الحيز ولا على الثاني، وإلا لكان وجوده زائداً على ذاته فيكون ممكناً ضرورة. لأن المعنى من قولهم: الموجود لا في موضوع أي الذي إذا وجد كان لا في موضوع، وذلك يقتضي الزيادة قطعاً وكل من وجوده زائد فهو ممكن كما علم في محله. وأيضاً فإن ذلك التفسير للجوهر الذي هو أحد أقسام الممكن ضرورة أن الممكن جوهر وغير جوهر، وأما من فسّر الجوهر بأنه قائم بنفسه كالنصارى فلا نزاع إلا في الاطلاق، إذ الاطلاق موقوف على التوقيف ولم يرد في ذلك توقيف اهـ.

(الأصل الخامس: العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر) فردة وهي الأجزاء التي لا تتجزأ **(إذ الجسم عبارة عن المؤلف من تلك الجواهر، وإذا بطل كونه جوهراً مخصوصاً متحيزاً)** كما بيّن في الأصل الذي قبله **(بطل كونه جسماً)** أي إبطال كونه جوهراً يستقل بابطال كونه جسماً، **(لأن كل جسم مختص بحيز)** هو الفراغ المتوهم الذي يشغله شيء ممتد أو غير ممتد **(ومركب من جوهر، والجوهر يستحيل خلوه عن)** الأكوان مثل **(الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار)** فهذه لوازم توجد في الجسمية زيادة عن الجوهر. **(وهذه سمات الحدوث)** فإن كلاً منها ينافي الوجوب الذاتي لاقتضائها الاحتياج.

العالم جسم لجاز أن يعتقد الإلهية للشمس والقمر أو لشيء آخر من أقسام الأجسام، فإن تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسماً من غير إرادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطاً في الإسم مع الإصابة في نفي معنى الجسم.

وقال السبكي: لو كان تعالى جسماً لكان مركباً ولو كان مركباً لكان مفتقراً ضرورة أن كل مركب متوقف وكل متوقفٍ مفتقر، ولو كان مفتقراً لكان ممكناً وقد فرض واجب الوجود هذا خلف، وقد يقال: لو كان الصانع مركباً فصفات الألوهية كالعلم مثلاً لا يخلو إما أن تقوم بكل جزء فيلزم تعداد الإله وهو محال، أو وجود المعنى الواحد في متعدد وهو محال، أو بالبعض دون البعض فيلزم الاختصاص بالغير، أو بالترجيح من غير مرجح، أو بالمجموع بما هو مجموع فيلزم التسلسل لأن المجموع إن كانت له جهة واحدة نقل الكلام إليها، وإلاّ فليس إلا الأجزاء المتلاصقة فما تقدم لازم اهـ.

وقال النسفي في شرح العمدة: الجسم اسم للمتركب؛ فمن أطلقه وعني به المتركب كاليهود وغلاة الروافض والحنابلة فهو مخطيء في الاسم والمعنى، لأنه إن قام علم واحد وقدرة واحدة وإرادة واحدة بجميع الأجزاء فهو محال لامتناع قيام الصفة الواحدة بالمحال المتعددة، وإن قام بكل جزء من أجزائه علم على حدة وقدرة على حدة وإرادة على حدة فيكون كل جزء موصوفاً بصفات الكمال فيكون كل جزء إلهاً فيفسد القول به كما فسد بإلهين، فإن لم يكن موصوفاً بهذه الصفات فيكون موصوفاً بأضدادها من سمات الحدوث إذ كل قائم بالذات يجوز قبوله للصفات، وما لا يقوم به فإنما لا يقوم لقيام الضدية، ولو كان موصوفاً بصفات النقصان لكان محدثاً ولا ناقـد دللنا على أن العالم بجميع أجزائه محدث والأجسام من العالم فيكون محدثاً وإلاّ لم يجب أن يكون قديماً أزلياً فيمنع أن يكون جسماً ضرورة، (**ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن تعتقد الإلهية للشمس والقمر**) كما ضل فيه الصابئة (**أو لشيء آخر من أقسام الأجسام**) كما ضلّ فيه الوثنية والسمنية، (**فإن تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسماً من غير إرادة التأليف من الجواهر**) وقال: لا كالأجسام يعني في لوازم الجسمية كبعض الكرامية والحنابلة حيث قالوا: هو جسم بمعنى موجود أو بمعنى أنه قائم بنفسه (**كان ذلك غلطاً في الإسم**) لا في المعنى (**مع الإصابة في نفي معنى الجسم**) وامتناع اطلاق كل من الجسم والجوهر ظاهر على قول القائلين بالتوقيف، وأما على القول بجواز اطلاق المشتق مما ثبت سمعاً اتصافه بمعناه وما يشعر بالجلال ولم يوهم نقصاً وإن لم يرد توقيف، كما ذهبت إليه المعتزلـة وأبو بكر الباقلاني فخطأ أيضاً لأنه لم يوجد في السمع ما يسوغ إطلاقه، ولأن شرطه بعد السمع أن لا يوهم نقصاً فيكتفون حيث لا سمع بدلالة العقل على اتصافه تعالى بمعنى ذلك اللفظ، ومن قال بإطلاق الألفاظ التي هي أوصاف دون الأسماء الجارية مجرى الأعلام كالمصنف في المقصد الأسنى، والإمام الرازي؛ فالشرط عنده كذلك فما أجازه دون توقيف، وإسم الجسم يقتضي النقص من حيث اقتضائية الافتقار إلى أجزائه التي يتركب منها وهو أعظم مقتض

الأصل السادس: العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال في محل لأن العرض ما يحل في الجسم، فكل جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجوداً قبله، فكيف يكون حالاً في الجسم وقد كان موجوداً في الأزل وحده وما معه غيره، ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده؟ ولأنه عالم قادر مريد خالق ـ كما سيأتي بيانه ـ

للحدوث، فمن أطلقه عليه تعالى فهو عاص، بل قد كفره الإمام ركن الإسلام فيمن أطلق عليه إسم السبب والعلة وهو أظهر، فإن اطلاقه إياه غير مكره عليه بعد علمه بما فيه من اقتضاء النقص استخفاف بجناب الربوبية وهو كفر إجماعاً، ولما ثبت انتفاء الجسمية بالمعنى المذكور ثبت انتفاء لوازمها، وانتفاء الملزوم يستلزم انتفاء لازمه المساوي، ولوازم الجسمية هي الاتصاف بالكيفيات المحسوسة بالحس الظاهر أو الباطن من اللون والرائحة والصورة، والعوارض النفسانية من اللذة والألم والفرح والغم ونحوها، ولأن هذه الأمور تابعة للمزاج المستلزم للتركيب المنافي للوجوب الذاتي، ولأن البعض منها تغيرات وانتقالات وهي على الباري تعالى محال، وما ورد في الكتاب والسنّة من ذكر الرضا والغضب والفرح ونحوها يجب التنزيه عن ظاهره على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

(**الأصل السادس: العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم**) وهو وصف كاشف لا مخصص (**أو حال في محل**)، والمراد بالحلول هنا الاستقرار، ومنه حلول الجوهر أو الجسم في الحيز، واستدل له من وجهين.

الأول: ما تضمنه قوله: (**لأن العرض يحل في الجسم**) وفي الاقتصاد للمصنف: هو ما يحتاج إلى الجسم أو الجوهر في تقومه أي في قيام ذواته وتحققها، (**وكل جسم فهو حادث ويكون محدثه موجوداً قبله، فكيف يكون حالاً في الجسم وقد كان موجوداً في الازل وحده وما معه غيره، ثم أحدث الأجسام والأعراض بعده**)، كما ثبت بالأدلة السابقة أي: فيستحيل وجوده قبله ضرورة استحالة وجود ما يتوقف وجوده على شيء قبل ذلك الشيء، والله تعالى قبل كل شيء وموجده.

وقال النسفي في شرح العمدة: العرض يستحيل بقاؤه لأنه لو كان باقياً، فإما أن يكون البقاء قائماً به وهو محال لأن العرض لا يقوم بالعرض باتفاق المتكلمين، والبقاء عرض لأن العرض عبارة عن أمر زائد على الذات ولم يصح وحده ولم يوجد بخلاف اتصال السواد باللونية لأنها ليست بزائدة على ذاته بل هي داخلة في ماهيته، أو قائماً بغيره فيكون الباقي ذلك الغير لأن العرض وما يستحيل بقاؤه لا يكون قديماً لأن القديم واجب الوجود لذاته لما مرّ فيكون مستحيل العدم اهـ.

وقال السبكي: صانع العالم لا يحل في شيء لأنه لو حل في شيء إما عرضاً أو جوهراً أو

وهذه الأوصاف تستحيل على الاعراض بل لا تعقل إلا لموجود قائم بنفسه مستقل

صورة والجميع محال ضرورة افتقار الحال لما حل فيه ولا شيء من المفتقر بواجب الوجود، وكل حال في شيء مفتقر فلا شيء من واجب الوجود بحال في شيء وهو المطلوب اهـ.

والثاني: ما تضمنه قوله: **(ولأنه)** تعالى **(عالم قادر مريد خالق)** أي موصوف بالعلم والقدرة والإرادة والخلق **(كما سيأتي بيانه)** فيما بعد. **(وهذه الأوصاف تستحيل على الاعراض بل لا تعقل)** هذه الأوصاف **(إلا لموجود)** وفي بعض النسخ: لموجد **(قائم بنفسه مستقل بذاته)**، وأشار لهذا الوجه النسفي في شرح العمدة فقال: ولأن العرض يفتقر إلى محل يقوم به وما لا قيام له بذاته يستحيل منه الفعل إذ الفعل المحكم المتقن لا يتأتى إلا من حي قادر عليم.

تنبيه:

قد علم من هذه الأصول وهي الرابع والخامس والسادس مخالفته تعالى للحوادث وقيامه بنفسه، وهما الصفة الثالثة والرابعة من الصفات السلبية، فمخالفته تعالى للحوادث معناه لا يماثله شيء منها مطلقاً لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال، وبرهانه أنه لو ماثل شيئاً منها لكان حادثاً مثلها وذلك محال لما عرفت من وجوب قدمه وبقائه، لأن كل مثلين لا بدّ أن يجب لكل واحد منهما ما وجب للآخر، ويستحيل عليه ما استحال عليه ويجوز عليه ما جاز عليه وقد وجب للحوادث الحدوث، فلو ماثلها مولانا عز وجل لوجب له ما وجب لها من الحدوث واستحالة القدم، ولو كان كذلك لافتقر إلى محدث ولزم الدور أو التسلسل. وبالجملة؛ لو ماثل تعالى شيئاً في الحوادث لوجب له القدم لألوهيته والحدوث لفرض مماثلته للحوادث وذلك جمع بين متنافيين ضرورة، وأما قيامه تعالى بنفسه فهو عبارة عن سلب افتقاره إلى شيء من الأشياء فلا يفتقر إلى محل ولا مخصص، والمراد بالمحل هنا الذات كما درج عليه الشيخ السنوسي لا الحيز الذي يحل فيه الجسم كما يتوهم، وإن كان يطلق عليه أيضاً والمراد بالمخصص الفاعل، فإذاً القيام بالنفس هو عبارة عن الغنى المطلق. أما برهان غناه عن المحل أي ذات يقوم بها فهو أنه لو احتاج إلى ذات أخرى يقوم بها لكان صفة لأنه لا يحتاج إلى الذات إلا الصفات، والصفة لا تتصف بصفات المعاني وهي القدرة والإرادة والعلم إلى آخرها، ولا بالصفات المعنوية وهي كونه قادراً ومريداً وعالماً إلى آخرها، فلا يكون تعالى صفة لأن الواجب له نقيض ما وجب للصفة لأنه يجب اتصافه بالمعاني والمعنوية، والصفة يستحيل عليها ذلك إذ الصفة لو قبلت صفة أخرى يلزم أن لا تعرى عنها ولزم أن تقبل الأخرى أخرى، إذ لا فرق بينهما إلى غير غاية، وذلك التسلسل وهو محال، وبرهان غناه عن المخصص أي الفاعل هو أنه لو احتاج إليه لكان حادثاً وذلك محال لما تقدم من وجوب قدمه تعالى وبقائه، فتبين بهذين الغنى المطلق له جل وعز وهو معنى قيامه بنفسه.

بذاته. وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض، وأن العالم كله جواهر واعراض وأجسام. فإذاً لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء وأنّى يشبه المخلوق خالقه والمقدور مقدره

تكميل:

الموجودات بالنسبة إلى المحل والمخصص أقسام أربعة: قسم غني عن المحل والمخصص وهو ذاته تعالى غني عن المحل لكونه ذاتاً وعن المخصص لكونه قديماً باقياً، وقسم غني عن المخصص وموجود في المحل وهو صفاته تعالى غنية عن المخصص لكونها قديمة باقية وموجودة في المحل لأن الصفة لا تقوم بنفسها، وقسم غني عن المحل مفتقر إلى المخصص وهي ذوات الأجرام غنية عن المحل لكونها ذاتاً، والذات لا تحتاج إلى محل ومفتقرة إلى المخصص لكونها حادثة، والحادث لا بدّ له من محدث، وقسم مفتقر إلى المحل والمخصص وهي الاعراض مفتقرة إلى المحل لكونها اعراضاً والعرض لا يقوم بنفسه ومفتقرة إلى المخصص لكونها حادثة والحادث لا بدّ له من محدث. **(وقد تحصل من هذه الأصول)** أي من أوّلها إلى هنا **(أنه)** تعالى **(موجود)** واجب الوجود قديم لا أوّل له باق لا آخر له **(قائم بنفسه)** مخالف للحوادث **(ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض)** ولا حال في شيء ولا يحله شيء، **(وأن العالم كله)** وهو ما سوى الله تعالى **(جواهر واعراض وأجسام)**. وذكر الجواهر يغني عن الأجسام لأن الأجسام جواهر مؤلفة كما تقدم، **(فإذاً لا يشبه شيئاً)** من خلقه **(ولا يشبهه شيء)** من خلقه. والمشابهة تتحقق من الطرفين إذ العالم جواهر واعراض والله تعالى خالقها كلها، **(بل هو الحي القيوم)** لما ثبت أن الله سبحانه وتعالى لا يشبه شيئاً من خلقه. أشار إلى ما يقع به التفرقة بينه وبين خلقه بما يتصف به تعالى دون خلقه، فمن ذلك أنه قيوم لا ينام إذ هو مختص بعدم النوم والسِنة دون خلقه، فإنهم ينامون وأنه تعالى حي لا يموت لأن صفة الحياة الباقية مختصة به دون خلقه فإنهم يموتون، ثم قال: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] أي ليس مثله شيء يناسبه ويزاوجه والمراد من مثله ذاته المقدسة كما في قولهم: مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه بطريق الكناية، فإنه إذا نفي عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه أولى، وقيل: مثل صفته أي ليس كصفته صفة والمخالفة بينه وبين سائر الذوات لذاته المخصوصة تعالى لا لأمر زائد هذا مذهب الأشعري. وأوّل هذه الآية تنزيه وآخرها اثبات، فصدرها يرد على المجسمة، وعجزها يرد على المعطلة النافين لجميع الصفات، وبدأ بالتنزيه ليستفاد منه نفي التشبيه له تعالى مطلقاً حتى في السمع والبصر اللذين ذكرا بعد. وقال أبو منصور التميمي اعترض بعض المشبهة على هذه الآية بأن قال: إن هذه تقتضي اثبات مثل ونفي مثل عن ذلك المثل، وهذا جهل منهم بكلام العرب في مخاطباتها مع انتقاضه في نفسه، أما جهلهم بكلام العرب فلأن العرب تزيد المثل تارة في الكلام وتزيد الكاف أخرى مع الاستغناء عنها، وذلك كقول القائل لصاحبه: أعرفك كالهين العاجز أي أعرفك هيناً عاجزاً، وقال الشاعر:

والمصور مصوره. والأجسام والاعراض كلها من خلقه وصنعه **فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته.**

وقبلي كمثل جذوع النخيل

يغشاهم سيل منهم أراد أنهم كجذوع النخل فزاد المثل صلة في الكلام. وقال الآخر:

فصيروا كمثل عصف مأكول

أراد مثل عصف فزاد الكاف. وقد تزيد العرب الكاف على الكاف، كقول الشاعر:

وصاليات ككما توثقني

أراد كما توثقني فزاد عليه كافاً فكذلك قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ الكاف فيه زائدة. والمراد ليس مثله شيء ومعناه ليس شيء مثله، وأما وجه مناقضة السؤال في نفسه، فمن حيث أن السائل زعم أن له مثلاً لا نظير له، وإذا لم يكن للمثل نظير بطل أن يكون مثلاً له لأن مثل الشيء يقتضي أن يكون المضاف إليه بالتماثل مثلاً له، وذلك متناقض، وإذا تناقض السؤال في نفسه لم يستحق جواباً. **(وأنَّى يشبه)** أي كيف يشبه **(المخلوق خالقه والمقدور مقدره والمصوَّر مصوِّره والأجسام والأعراض كلها)** أي ما سواه تعالى **(من خلقه وصنعه)** وابداعه **(فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته)**.

اعلم أن أهل ملة الإسلام قد أطلقوا جميعاً القول بأن صانع العالم لا يشبه شيئاً من العالم، وأنه ليس له شبه ولا مثل ولا ضد، وأنه سبحانه موجود بلا تشبيه ولا تعطيل، ثم اختلفوا بعد ذلك فيما بينهم، فمنهم من اعتقد في التفصيل ما يوافق اعتقاده في الجملة ولم ينقض أصول التوحيد على نفسه بشيء من فروعه، وهم المحققون من أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث وأهل الرأي الذين تمسكوا بأصول الدين في التوحيد والنبوّات، ولم يخلطوا مذاهبهم بشيء من البدع والضلالات المعروفة بالقدر والارجاء والتجسيم والتشبيه والرفض ونحو ذلك. وعلى ذلك أئمة الدين جميعهم في الفقه والحديث والاجتهاد في الفتيا والأحكام كمالك والشافعي وأبي حنيفة والأوزاعي والثوري وفقهاء المدينة وجميع أئمة الحرمين وأهل الظاهر، وكل من يعتبر خلافه في الفقه وبه قال أئمة الصفاتية المثبتة من المتكلمين كعبدالله بن سعيد القطان، والحرث بن أسد المحاسبي، وعبدالعزيز المكي، والحسين بن الفضل البجلي، وأبي العباس القلانسي. وأبي الحسن الأشعري، ومن تبعهم من الموحدين الخارجين عن التشبيه والتعطيل، وإليه ذهب أيضاً أئمة أهل التصوّف كأبي سليمان الداراني، وأحمد بن أبي الحواري، وسري السقطي، وابراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، والجنيد، ورويم، والنووي، والخراز، والخواص، ومن جرى مجراهم دون من انتسب إليهم وهم بريئون منهم من الحلولية وغيرهم، وعلى ذلك درج من سلف من أئمة المسلمين في الحديث كالزهري، وشعبة، وقتادة، وابن عيينة، وعبدالرحمن بن مهدي، ويحي بن سعيد، ويحي بن معين، وعلي بن المدائني، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ويحي بن يحي

الأصل السابع: العلم بأن الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات، فإن الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمين وإما شمال أو قدام أو خلف، وهذه الجهات هو

التميمي، وجميع الحفاظ لحديث رسول الله ﷺ الذين نقل قولهم في الجرح والتعديل والتمييز بين الصحيح والسقيم من الأخبار والآثار، وكذلك الأئمة الذين أخذت عنهم اللغة والنحو والقراءات وإعراب القرآن. كلهم كانوا على طريقة التوحيد من غير تشبيه ولا تعطيل، كعيسى بن عمر الثقفي، وأبي عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، والأصمعي، وأبي زيد الأنصاري، وسيبويه، والأخفش، وأبي عبيدة، وأبي عبيد، وابن الأعرابي، والأحمر، والفراء، والمفضل الضبي، وأبي مالك، وعثمان المازني، وأحمد بن يحي ثعلب، وأبي شمر، وابن السكيت، وعلي بن حمزة الكسائي، وابراهيم الحربي والمبرد، والقراء السبعة قبلهم، وكل من يصح اليوم الاحتجاج بقوله في اللغة والنحو والقراءات من أئمة الدين فإنهم كلهم منتسبون إلى ما انتسب إليه أهل السنة والجماعة في التوحيد، واثبات صفات المدح لمعبودهم، ونفي التشبيه عنه. ومنهم من أجرى على معبوده أوصافاً تؤدّيه إلى القول بالتشبيه مع تنزيه منه في الظاهر كالمشبهة والمجسمة والحلولية على اختلاف مذاهبهم في ذلك، فأما الخارجون عن ملة الإسلام ففريقان، أحدهما دهرية ينكرون الصانع فلا يكلمون في نفي التشبيه عنه، وإنما يكلمون في اثباته، والفريق الثاني مقرون بالصانع ولكنهم مختلفون، فمنهم من يقول بإثبات صانعين هما النور والظلمة، ومنهم من ينسب الأفعال والحوادث إلى الطبائع الأربعة، ومنهم من يقر بصانع واحد قديم، وهؤلاء مختلفون فيه، فمنهم من يقول أنه لا يشبه شيئاً من العالم ويفرط في نفي الصفات عنه حتى يدخل في باب التعطيل وهم أكثر الفلاسفة وفيهم المفرط في اثبات الصفات والجوارح له تعالى حتى يدخل في باب التشبيه بينه وبين خلقه، كاليهود الذين زعموا أن معبودهم على صورة الإنسان في الأعضاء والجوارح والحد والنهاية. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً، ومعهم على هذا القول جماعة من المنتسبين إلى الإسلام مع تنزيههم من القول بالتشبيه في الظاهر خوفاً من إظهار العامة على عوار مذاهبهم، وهؤلاء فرق منهم أصحاب هشام بن الحكم الرافضي، والجواربية أصحاب داود الجواربي، والحلولية أصحاب أبي حلمان الدمشقي، والبيانية أصحاب بيان بن سمعان التميمي، والتناسخية أصحاب عبدالله بن منصور بن عبدالله بن جعفر، والمغيرية أصحاب المغيرة بن سعيد. وغير هؤلاء ولهم مقالات يقشعر منها البدن قد ذكرها أصحاب الملل والنحل، وفيما أشرنا إليه كفاية.

(**الأصل السابع: العلم بأن الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات**) أي ليست ذاته المقدسة في جهة من الجهات الست ولا في مكان من الأمكنة، (**فإن الجهة**) وهي منتهى الإشارة ومقصد المتحرك بحركته من حيث حصوله فهي من ذوات الأوضاع المادية ومرجعها إلى نفس الأمكنة أو حدودها وأطرافها وهي تنقسم بحسب المشير إلى ستة، وأشار إلى ذلك بقوله: (**إما فوق وإما أسفل**) وهو التحت (**وإما يمين أو شمال أو قدّام أو خلف**). وقد تنحصر في قسمين باعتبار وسط كرة العالم ومحويها فما كان إلى نقطة مركز العالم ووسطه فهو سفل، وما

الذي خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان إذ خلق له طرفين: أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلاً، والآخر يقابله ويسمى رأساً. فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم السفل لما يلي جهة الرجل، حتى أن النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتاً وإن كان في حقنا فوقاً. وخلق للإنسان اليدين وإحداهما أقوى من الأخرى في الغالب، فحدث اسم اليمين للأقوى واسم الشمال لما يقابله، وتسمى الجهة التي تلي اليمين يميناً والأخرى شمالاً، وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرك إليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها، فالجهات حادثة بحدوث الإنسان ولو لم يخلق الإنسان بهذه الخلقة، بل خلق مستديراً كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة. فكيف كان في الأزل مختصاً بجهة والجهة حادثة؟ أو كيف صار مختصاً بجهة بعد إن لم يكن له؟ أبأن خلق العالم فوقه

كان إلى محيطه ومحويه فهو جهة علو، وهذا لا يكاد يختلف. ومن ثم ادعى فيهما أنها جهتان على الحقيقة حقيقة وطبعا كما قرر في محله. **(وهذه الجهات هو الذي خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان)** أي حادثة باحداث الإنسان ونحوه مما يمشي على رجلين **(إذ خلق له طرفين: أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلاً، والآخر يقابله ويسمى رأساً فحدث إسم الفوق لما يلي جهة الرأس)** أي معنى الفوق ما حاذى رأسه من جهة السماء، **(وإسم الأسفل لما يلي جهة الأرض)** مما يحاذي رجله **(حتى أن النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتاً)** لأنه المحاذي لظهرها **(وإن كان في حقنا فوقاً)** أي معنى الفوق فيما يمشي على أربع أو على بطنه بالنسبة إليهما ما يحاذي ظهره من فوقه فهي كلها إضافية، **(وخلق للإنسان اليدين واحداهما أقوى من الأخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للأقوى)** أي اليمين ما يحاذي أقوى يديه غالباً **(والشمال لما يقابله)** وإنما قيده بالغالب فإن في الناس من يساره أقوى من اليمين ولكنه نادر، **(وتسمى الجهة التي تلي اليمين يميناً والأخرى شمالاً، وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرك إليه فحدث له اسم القدام)** ويسمى الأمام أيضاً وهو ما يحاذي جهة الصدر **(للجهة التي)** يبصر منها و**(يتقدم إليها بالحركة، واسم الخلف)** وكذلك الوراء **(لما يقابلها. فالجهات)** على ما ذكر **(حادثة بحدوث الانسان)** فقبل خلق العالم لم يكن فوق ولا تحت، إذ لم يكن ثم حيوان فلم يكن ثم رأس ولا رجل ولا ظهر وهي مع ذلك اعتبارية لا حقيقية لا تتبدل، **(ولو لم يخلق الإنسان بهذه الخلقة)** المعروفة وكذا كل حادث، **(بل خلق مستديراً كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة)** أي لم توجد واحدة من هذه(إذ لا رأس ولا رجل ولا يمين ولا شمال ولا ظهر ولا وجه، **(فكيف كان)** تعالى **(في الأزل مختصاً بجهة والجهة حادثة)** وهو تعالى كان موجوداً في الأزل ولم يكن شيء من الموجودات لأن كل موجود سواه حادث، **(أو كيف صار بجهة بعد أن لم يكن له، أبأن خلق الإنسان تحته**

ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس، والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته، فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رِجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرِجل، وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولأن المعقول من كونه مختصاً بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العرض، وقد ظهر استحالة كونه جوهراً أو عرضاً فاستحال كونه مختصاً بالجهة، وإن أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطاً في الإسم مع المساعدة على

ويتعالى عن أن يكون فوق إذ تعالى أن يكون له رأس، والفوق عبارة عما يلي جهة الرأس، أو خلق العالم تحته فتعالى أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل)، فهذا طريق الاستدلال.

قال أبو منصور التميمي: وأما إحالة كونه في جهة فإن ذلك كإحالة كونه في مكان لأن ذلك يوجب حدوث كون ومحاذاة مخصوصة فيه، وذلك دليل على حدوث ما حل فيه فلذلك أحلنا إطلاق اسم الجهة على الله تعالى اهـ.

وقد نبه المصنف على طريق ثان في الاستدلال بقوله: **(ولان المعقول من كونه مختصاً بجهة أنه مختص بحيز)** هو كذا أي معنى من الأحياز، وقد فسره بقوله **(اختصاص الجواهر أو مختص بالجوهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهراً أو عرضاً)** أو جسماً إذا الحيز مختص بالجوهر والجسم، وقد مرّ تنزيهه سبحانه عنها. وأما العرض فلا اختصاص له بالحيز إلا بواسطة كونه حالاً في الجوهر فهو تابع لاختصاص الجوهر، ولما ظهر بطلان الجوهرية والجسمية **(فاستحال كونه مختصاً بالجهة)**.

وقال النسفي في شرح العمدة: الصور والجهات مختلفة واجتماعها عليه تعالى مستحيل لتنافيها في أنفسها، وليس البعض أولى من البعض لاستواء الكل في إفادة المدح والنقص، وعدم دلالة المحدثات عليه، فلو اختص بشيء منها لكان تخصيص مخصص وهذا من أمارات المحدث اهـ.

وقال السبكي: صانع العالم لا يكون في جهة لأنه لو كان في جهة لكان في مكان ضرورة انها المكان أو المستلزمة له، ولو كان في مكان لكان متحيزاً، ولو كان متحيزاً لكان مفتقراً إلى حيزه ومكانه فلا يكون واجب الوجود، وثبت أنه واجب الوجود وهذا خلف، وأيضاً فلو كان فـي جهة فإما في كل الجهات وهو محال وشنيع، وإما في البعض فيلزم الاختصاص المستلزم للافتقار إلى المخصص المنافي للوجوب اهـ.

(وإن أريد بالجهة غير هذين المعنيين) مما ليس فيه حلول حيز ولا جسمية **(كان غلطاً في الإسم مع المساعدة على المعنى)**، ولكن ينظر فيه أيرجع ذلك المعنى إلى تنزيهه سبحانه عما لا يليق بجلاله فيخطأ من أراد في مجرد التعبير عنه بالجهة لايهامه بما لا يليق ولعدم وروده في

المعنى، ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذياً له، وكل محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر، وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة إلى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر، فأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء. وفيه أيضاً إشارة إلى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيهاً بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء، فإنه تعالى فوق كل موجد بالقهر والاستيلاء.

اللغة، أو يرجع إلى غيره فيرد قوله صوناً عن الضلالة. ثم نبه المصنف على طريق ثالث في الاستدلال بقوله: (**ولأنه لو كان فوق العالم**) كما يقوله بعض المجسمة (**لكان محاذياً له**) أي مقابلاً، (**وكل محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر منه**) كما يقوله هشام بن الحكم الرافضي (**أو أكبر**) منه، (**وكل ذلك**) مستحيل في حقه تعالى إذ هو (**تقدير يحوج إلى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر**) جل سبحانه.

وقال المصنف في إلجام العوام اعلم أن الفوق إسم مشترك يطلق لمعنيين: أحدهما نسبة جسم إلى جسم بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل يعني أن الأعلى من جانب رأس الأسفل، وقد لا بهذا المعنى فيقال الخليفة فوق السلطان والسلطان فوق الوزير، والأوّل يستدعي جسماً حتى ينسب إلى جسم، والثاني لا يستدعيه فليعتقد المؤمن أن الأوّل غير مراد وانه على الله تعالى محال فإنه من لوازم الاجسام أو لوازم اعراض الاجسام، فإن قيل: فما بال الأيدي ترفع إلى السماء وهي جهة العلو؟ فأشار المنصف إلى الجواب بقوله: (**فأما رفع الأيدي عند السؤال**) والدعاء (**إلى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء**)، كما أن البيت قبلة الصلاة يستقبل بالصدر والوجه والمعبود بالصلاة، والمقصود بالدعاء منزه عن الحلول بالبيت والسماء. وقد أشار النسفي أيضاً فقال: ورفع الأيدي والوجوه عند الدعاء تعبد محض كالتوجه إلى الكعبة في الصلاة فالسماء قبلة الدعاء كالبيت قبلة الصلاة. (**وفيه أيضاً إشارة إلى ما هو وصف للمدعوّ من الجلال**) والعظمة (**والكبرياء تنبيهاً بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلا، فإنه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء**)، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨] لأن ذكر العبودية في وصف من الله فوقه يؤكد إحتمال فوقية القهر والاستيلاء. وقد ذكر المصنف في الاقتصاد سر الإشارة بالدعاء إلى السماء على وجه فيه طول فراجعه.

فإن قيل: نفيه عن الجهات الست إخبار عن عدمه إذا لا عدم أشد تحقيقاً من نفي المذكور عن الجهات الست، وهذا سؤال سمعه محمود بن سبكتين من الكرامية وألقاه على ابن فورك؟ **قلت:** النفي عن الجهات الست لا يكون ذلك اخباراً عن عدم ما لو كان لكان في جهة من النافي لا نفي ما يستحيل أن يكون في جهة منه. ألا ترى أن من نفى نفسه عن الجهات الست لا يكون ذلك إخباراً عن عدمه لأن نفسه ليست بجهة منه. وأما قول المعتزلة: القائمان بالذات يكون واحد منهما بجهة صاحبه لا محالة. فالجواب عنه هذا على الإطلاق أم بشريطة أن يكون كل

الأصل الثامن: العلم بأنه تعالى مستوٍ على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى

واحد منهما محدداً متناهياً الأوّل: ممنوع، والثاني: مسلم. ولكن الباري تعالى يستحيل أن يكون محدوداً متناهياً.

تنبيه:

هذا المعتقد لا يخالف فيه بالتحقيق سني لا محدث ولا فقيه ولا غيره ولا يجيء قط في الشرع على لسان نبي التصريح بلفظ الجهة، فالجهة بحسب التفسير المتقدم منفية معنى ولفظاً، وكيف لا والحق يقول ﴿ليس كمثله شيء﴾ ولو كان في جهة بذلك الاعتبار لكان له أمثال فضلاً عن مثل واحد، وما نقله القاضي عياض من أن المحدثين والفقهاء على الجهة ليس المعنى ما قام القاطع بخلافه ولم ينقل عن أحد منهم أنه تعالى في جهة كذا تعالى الله عن ذلك، لكن لما ثبت سمعاً قرآناً ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨] ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل: ٥٠] وسنّة حيث قال ﷺ للسوداء: «أين الله». فأشارت نحو السماء فقال: «أعتقها فإنها مؤمنة» إلى غير ذلك من الظواهر، وكان أصلهم ثبوت المعتقدات من السمع فاعتقدوا أن هناك صفة تسمى بالاستواء على العرش لا تشبه استواء المخلوقين، وصفة أخرى تسمى بفرق أي فوق عباده أي العرش ومن دونه الله أعلم بذلك الاستواء، واعلم بتلك الفوقية بهذا صرح الإمام أحمد بن حنبل على ما نقل عنه المقدسي في رسالة الاعتقاد، واعلم أن المنظور إليهم إنما هم الأئمة القدوة والعلماء الجلة ولا عبرة بالمقلدة الواقفة مع ظاهر المنقول الذين لم يفرقوا بين المحكم منه والمتشابه. وسيأتي تمام البحث فيه في الأصل الذي يليه. وأما الصوفي فيقول: محال أن يكون الباري في جهة إذ تلك الجهة إما أن تكون غيره أو لا. فإن لم تكن غيره فلا جهة، وإن كانت غيره فإما قديمة أو حادثة والجميع باطل. قال ﷺ: «كان الله ولا شيء معه».

تكميل:

ذكر الإمام قاضي القضاة ناصر الدين ابن المنير الاسكندري المالكي في كتابه المنتقى في شرف المصطفى لما تكلم على الجهة وقرر نفيها قال: ولهذا أشار مالك رحمه الله تعالى في قوله ﷺ: «لا تفضلوني على يونس بن متى» فقال مالك: إنما خص يونس بالتنبيه على التنزيه لأنه ﷺ رفع إلى العرش ويونس عليه السلام هبط إلى قاموس البحر ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جل جلاله نسبة واحدة، ولو كان الفضل بالمكان لكان عليه السلام أقرب من يونس بن متى وأفضل، ولما نهى عن ذلك، ثم أخذ الإمام ناصر الدين يبدي أن الفضل بالمكانة لأن العرش في الرفيق الأعلى فهو أفضل من السفلى فالفضل بالمكانة لا بالمكان هكذا نقله السبكي في رسالة الرد على ابن زفيل.

بالاستواء، وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء، وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال في القرآن: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر:

بالاستواء) هذا الأصل معقود لبيان أنه تعالى غير مستقر على مكان كما قدمه صريحاً في ترجمة أصول الركن الأوّل، ونبه عليه هنا بالجواب عن تمسك القائلين بالجهة والمكان، فإن الكرامية يثبتون جهة العلو من غير استقرار على العرش والحشوية وهم المجسمون مصرحون بالاستقرار على العرش وتمسكوا بظواهر منها قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وحديث الصحيحين: «ينزل ربنا كل ليلة» الحديث. وأجيب عنه بجواب إجمالي هو كالمقدمة للأجوبة التفصيلية، وهو أن الشرع إنما ثبت بالعقل فإن ثبوته يتوقف على دلالة المعجزة على صدق المبلغ، وإنما تثبت هذه الدلالة بالعقل، فلو أتى الشرع بما يكذبه العقل وهو شاهده لبطل الشرع والعقل معاً. إذا تقرر هذا فنقول: كل لفظ يرد في الشرع مما يستند إلى الذات المقدسة بأن يطلق إسماً أو صفة لها وهو مخالف للعقل، ويسمى المتشابه لا يخلو إما ان يتواتر أو ينقل آحاداً والآحاد إن كان نصاً لا يحتمل التأويل قطعنا بافتراء ناقله أو سهوه أو غلطه، وإن كان ظاهراً فظاهره غير مراد، وإن كان متواتراً فلا يتصوّر أن يكون نصاً لا يحتمل التأويل، بل لا بدّ وأن يكون ظاهراً وحينئذ نقول الاحتمال الذي ينفيه العقل ليس مراداً منه، ثم إن بقي بعد انتفائه احتمال واحد تعين أنه المراد بحكم الحال، وإن بقي احتمالان فصاعدا فلا يخلو إما أن يدل قاطع على واحد منهما أولا، فإن دل حمل عليه وإن لم يدل قاطع على التعيين، فهل يعين بالنظر والاجتهاد دفعاً للخبط عن العقائد أولا خشية الإلحاد في الأسماء والصفات؟ الأوّل: مذهب الخلف، والثاني مذهب السلف. وستأتي أمثلة التنزيل عليهما. وأما الأجوبة التفصيلية فقد أجيب عن آية الاستواء بأنا نؤمن بأنه تعالى استوى على العرش مع الحكم بأنه ليس كاستواء الأجسام على الأجسام من التمكن والمماسة والمحاذاة لها لقيام البراهين القطعية باستحالة ذلك في حقه تعالى، بل نؤمن بأن الاستواء ثابت له تعالى بمعنى يليق به تعالى: **(وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا تتطرق إليه سمات الحدوث والفناء، وهو الذي أريد بالاستواء إلى السماء حيث قال في القرآن: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾)** [فصلت: ١١] وقال أيضاً: ﴿ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات﴾ [البقرة: ٢٩] وفي طه: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وفي الاعراف، ويونس والرعد، والسجدة، والحديد ﴿ثم استوى على العرش﴾ وفي الفرقان: ﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾ **(وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء)** أي قهره على العرش واستيلاؤه، وهذا جرى عليه بعض الخلف. واقتصر عليه المصنف هنا وهذا يعني كون المراد أنه الاستيلاء، فعند الماتريدية أمر جائز الإرادة أي يجوز أن يكون مراد الآية، ولا يتعين كونه المراد خلافاً لما دل عليه كلام المصنف من تعيينه إذ لا دليل على ارادته عيناً. فالواجب عيناً ما ذكر من الإيمان به مع نفي التشبيه، وإذا خيف على العامة لقصور أفهامهم عدم

قد استوى بشرٌ على العراقِ من غير سيف ودمٍ مهراقِ

فهم الاستواء إذا لم يكن بمعنى الاستيلاء إلا بالاتصال ونحوه من لوازم الجسمية وأن لا يقفوا تلك اللوازم فلا بأس بصرف فهمهم إلى الإستيلاء صيانة لهم من المحذور، فإنه قد ثبت إطلاقه وإرادته لغة، (كما قال الشاعر) وهو البعيث. كما قاله ابن عباد. أو الأخطل كما قاله الجوهري في بشر بن مروان:

(قد استوى بشرٌ على العراق من غير سيف ودم مهراقِ)

كذا نسبه الصاحب إسماعيل بن عباد في كتابه نهج السبيل، ثم قال: فإن قيل فهو مستول على كل شيء فما وجه اختصاصه العرش بالذكر؟ قيل: كما هو رب كل شيء وقال ﴿ربّ العرش العظيم﴾ فإن قيل: فما معنى قولنا عرش الله إن لم يكن عليه؟ قيل: كما تقول بيت الله، وإن لم يكن فيه، والعرش في السماء تطوف به الملائكة كما أن الكعبة في الأرض تطوف بها الناس. إلى هنا كلام الصاحب، وهو وإن كان يميل إلى رأي الاعتزال غير أنه وافق أهل السنّة فيما قاله هنا، ومثل ذلك أيضاً قول الشاعر:

فلما علونا واستوينا عليهم جعلناهم مرعى لنسرٍ وطائرِ

وقال الجاحظ في كتاب التوحيد له ما نصه: قد زعم أصحاب التفسير عن عبد الله بن عباس وهو صاحب التأويل والناس عليه عيال أن قوله: استوى استولى. وهذا القول قد ردّه ابن تيمية الحافظ في كتاب العرش وقال: إن الجاحظ رجل سوء معتزلي لا يوثق بنقله.

قال التقي السبكي: وكتاب العرش من أقبح كتبه، ولما وقف عليه الشيخ أبو حيان ما زال يلعنه حتى مات بعد أن كان يعظمه قال فيه: استوى في سبع آيات بغير لام، ولو كانت بمعنى استولى لجاءت في موضع، وهذا الذي قاله ليس بلازم فالمجاز قد يطرد، وحسنه أن لفظ استوى أعذب وأخصر وليس هو من الاطراد الذي يجعله بعض الأصوليين من علامة الحقيقة، فإن ذلك الإطراد في جميع موارد الاستعمال، والذي حصل هنا اطراد استعمالها في آيات فأين أحدهما من الآخر، ثم إن استوى وزنه افتعل فالسين فيه أصلية، واستولى وزنه استفعل فالسين فيه زائدة ومعناه من الولاية فهما مادتان متغايرتان في اللفظ والمعنى، والاستيلاء قد يكون بحق وقد يكون بباطل، والاستواء لا يكون إلا بحق والاستواء صفة للمستوي في نفسه بالكمال والاعتدال، والاستيلاء صفة متعدية إلى غيره، فلا يصح أن يقال: استولى حتى يقال على كذا، ويصح ان يقال استوى ويتم الكلام. فلو قال: استولى لم يحصل المقصود ومراد المتكلم الذي يفسر الاستواء بالاستيلاء التنبيه على صرف اللفظ عن الظاهر الموهم للتشبيه، واللفظ قد يستعمل مجازاً في معنى لفظ آخر ويلاحظ معه معنى آخر في لفظ المجاز لو عبر عنه باللفظ الحقيقي لاختل المعنى، وقد يريد المتكلم أن الاستواء من صفات الأفعال كالاستواء المتمحض من كل وجه ويكون السبب في لفظ الاستواء عذوبتها واختصارها دون ما ذكرناه، ولكن ما ذكرناه أحسن وأمكن مع مراعاة معنى الاستواء، وانظر قول الشاعر:

....

قد استوى بشرٌ على العراق

لو أتى بالاستيلاء لم تكن له هذه الطلاوة والحسن، والمراد بالاستواء كمال الملك وهو مراد القائلين بالاستيلاء، ولفظ الاستيلاء قاصر عن تأدية هذا المعنى فالاستواء في اللغة له معنيان. أحدهما: الاستيلاء بحق وكمال فيفيد ثلاثة معان، ولفظ الاستيلاء لا يفيد إلا معنى واحداً، فإذا قال المتكلم في تفسير الاستواء الاستيلاء مراده المعاني الثلاثة وهو أمر يمكن في حقه سبحانه وتعالى، فالمقدم على هذا التأويل لم يرتكب محذوراً ولا وصف الله تعالى بما لا يجوز عليه، والمفوض المنزه لا يجزم على التفسير بذلك لاحتمال أن يكون المراد خلافه وقصور أفهامنا عن وصف الحق سبحانه وتعالى مع تنزيهه عن صفات الأجسام قطعاً. والمعنى الثاني للاستيلاء في اللغة الجلوس والقعود ومعناه مفهوم من صفات الأجسام لا يعقل منه في اللغة غير ذلك والله تعالى منزه عنها، ومن أطلق القعود وقال: أنه لم يرد صفات الأجسام قال شيئاً لم تشهد له به اللغة فيكون باطلاً وهو كالمقر بالتجسيم المنكر له فيؤاخذ بإقراره ولا يفيده إنكاره. واعلم ان الله تعالى كامل الملك أزلاً وأبداً والعرش وما تحته حادث فأتى قوله تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ لحدوث العرش لا لحدوث الاستواء اهـ.

وقال البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باب: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ [هود: ٧] ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ [التوبة: ١٢٩] قال الحافظ ابن حجر في شرحه: ذكر قطعتين من آيتين وتلطف في ذكر الثانية عقيب الأولى لرد من توهم من قوله في الحديث. كان الله ولم يكن شيء قبله. وكان عرشه على الماء: إن العرش لم يزل مع الله تعالى وهو مذهب باطل، وكذا قول من زعم من الفلاسفة أن العرش هو الخالق الصانع، فأردف بقوله: رب العرش العظيم إشارة إلى أن العرش مربوب وكل مربوب مخلوق، وختم الباب بالحديث الذي فيه فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فإن في اثبات القوائم للعرش دلالة على أنه جسم مركب له أبعاض واجزاء والجسم المؤلف محدث مخلوق. وقال البيهقي في الأسماء والصفات: اتفقت أقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم خلقه الله تعالى وأمر الملائكة بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به كما خلق في الأرض بيتاً وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة. وفي الآيات والأحاديث والآثار دلالة على ما ذهبوا إليه، ثم قال البخاري، وقال أبو العالية: استوى إلى السماء ارتفع. وقال مجاهد: استوى علا على العرش قال ابن بطال: اختلفوا في الاستواء هنا فقالت المعتزلة معناه الاستيلاء بالقهر والغلبة. وقالت المجسمة: معناه الاستقرار، وقال بعض أهل السنّة: معناه ارتفع، وبعضهم معناه علا، وبعضهم معناه الملك والقدرة، وقيل: معنى الاستواء التمام والفراغ من فعل الشيء وخص لفظ العرش لكونه أعظم الأشياء، وقيل: إن على بمعنى إلى، فالمراد على هذا انتهى إلى العرش أي فيما يتعلق بالعرش لأنه خلق الخلق شيئاً بعد شيء قال ابن بطال: أما قول المعتزلة ففاسد لأنه لم يزل قاهراً غالباً مستولياً. وقوله: ثم استوى

واضطر أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطل إلى تأويل قوله تعالى: ﴿وهو مَعَكم أينما كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم، وحمل قوله

يقتضي افتتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ولازم تأويلهم أنه كان مغالباً فيه فاستولى عليه بقهر من غالبه، وهذا منتف عن الله تعالى، وقول المجسمة أيضاً فاسد لأن الاستقرار من صفات الاجسام ويلزم منه الحلول والتناهي وهو محال في حق الله تعالى ولائق بالمخلوقات. قال: وأما تفسيره بعلا فهو صحيح وهو المذهب الحق، وقول أهل السنّة لأنه تعالى وصف نفسه بالعلي وهي صفة من صفات الذات، وأما من فسّره بارتفع ففيه نظر لأنه لم يصف به نفسه. قال: واختلف أهل السنّة هل الاستواء صفة ذات أو صفة فعل؟ فمن قال معناه علا قال هي صفة ذات، ومن قال غير ذلك قال هي صفة فعل، وأن الله فعل فعلاً سماه استوى على عرشه لا أن ذلك قائم بذاته لاستحالة قيام الحوادث به اهـ ملخصاً.

قال الحافظ: وقد ألزمه من فسره بالاستيلاء بمثل ما ألزم هو به من أنه صار قاهراً بعد أن لم يكن، فيلزم أنه صار عالياً بعد أن لم يكن والانفصال عن ذلك للفريقين بالتمسك بقوله تعالى: ﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾ [الفتح: ٤] فإن أهل العلم بالتفسير قالوا معناه لم يزل كذلك، وبقي من معاني استوى ما نقل عن ثعلب استوى الوجه اتصل، واستوى القمر امتلأ، واستوى فلان وفلان تماثلا، واستوى إلى المكان أقبل، واستوى القائم قاعداً والنائم قاعداً. ويمكن رد بعض هذه المعاني إلى بعض، وكذا ما تقدم عن ابن بطال. وقد نقل أبو إسماعيل الهروي في الفاروق بسنده إلى داود بن علي بن خلف قال: كنا عند أبي عبدالله بن الأعرابي يعني محمد بن زياد اللغوي فقال له رجل: الرحمن على العرش استوى فقال: هو على العرش كما أخبر، قال يا أبا عبدالله: إنما معناه استولى، فقال: اسكت لا يقال استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد. ونقل البغوي في تفسيره عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه ارتفع وبنحوه قال أبو عبيدة والفراء وغيرهما اهـ.

(واضطر أهل الحق إلى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطل إلى تأويل قوله تعالى: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ [الحديد: ٤] إذ حمل ذلك بالاتفاق على الإحاطة والعلم).

قال أبو نصر القشيري في التذكرة الشرقية فإن قيل: أليس الله يقول: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ فيجب الأخذ بظاهره؟ قلنا الله يقول أيضاً: ﴿وهو معكم أين ما كنتم﴾ ويقول تعالى: ﴿ألا انه بكل شيء محيط﴾ [فصلت: ٥٤] فينبغي أيضاً أن تأخذ بظاهر هذه الآيات، حتى يكون على العرش وعندنا ومعنا ومحيطاً بالعالم محدقاً به بالذات في حالة واحدة. والواحد يستحيل أن يكون بذاته في حالة بكل مكان قالوا قوله تعالى: ﴿وهو معكم﴾ يعني بالعلم ﴿وبكل شيء محيط﴾ إحاطة العلم. قلنا: وقوله تعالى: ﴿على العرش استوى﴾ قهر وحفظ وابقى اهـ.

ﷺ : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » على القدرة والقهر، وحمل قوله ﷺ : « الحجر الأسود يمين الله في أرضه » على التشريف والإكرام لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال، فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون

(و) كذا (حمل قوله ﷺ : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ») رواه مسلم في صحيحه وفيه أيضاً : أن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبلها كقلب واحد يصرفه كيف شاء (على القدرة والقهر) مجاز بعلاقة أن اليد في الشاهد محل لظهور سلطان القدرة والقهر فحسن اطلاق اليد وارادة القدرة والقهر قصداً للمبالغة إذ المجاز أبلغ، (وكذا حمل قوله ﷺ : « الحجر الاسود يمين الله في أرضه ») أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام بلفظه. وروى ابن ماجه نحواً من معناه من حديث أبي هريرة رفعه بلفظ: « من فاوض الحجر الأسود فإنما يفاوض يد الرحمن ». (على التشريف والإكرام) والمعنى انه وضع في الأرض للتقبيل والاستسلام تشريفاً له كما شرفت اليمين وأكرمت بوضعها للتقبيل دون اليسار في العادة فاستعير لفظ اليمين للحجر لذلك أو لان من قبله أو استلمه، فقد فعل ما يقتضي الإقبال عليه والرضا عنه وهما لازمان عادة لتقبيل اليمين. والحاصل أن لفظ اليمين استعير للحجر للمعنيين أو لأحدهما، ثم أضيف إضافة تشريف وإكرام، (لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال، فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه) المحال، ويتأمل بعض الآيات والاخبار دون بعض على حكم التمني والتشهي ليس في الشرط، والمقصود من هذه المعارضة انه يعرف أن الخصم يضطر إلى التأويل، فلتكن التأويلات على وقف الأصول.

فإن قيل: فهذا يشعر بكونه مغلوباً مقهوراً قبل الاستواء. قيل: إنما يشعر بما قلتم أن لو كان للعرش وجود قبل الخلق وكان قديماً والعرش مخلوق وكل ما خلقه حصل مسخراً تحت خلقه فلولا خلقه إياه لما حدث، ولولا ابقاؤه إياه لما بقي ونص على العرش لأنه أعظم المخلوقات فيما نقل إلينا، وإذا نص على الأعظم فقد اندرج تحته ما دونه.

قال ابن القشيري: ولو أشعر ما قلنا توهم غلبته لأشعر قوله: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨] بذلك أيضاً حتى يقال: كان مقهوراً قبل خلق العباد. هيهات إذ لم يكن للعباد وجود قبل خلقه إياهم، بل لو كان الأمر على ما توهمه الجهلة من أنه استواء بالذات لأشعر ذلك بالتغيير واعوجاج سابق على وقت الاستواء، فإن الباري تعالى كان موجوداً قبل العرش، ومن أنصف علم أن قول من يقول: العرش بالرب استوى أمثل من قول من يقول: الرب بالعرش استوى، فالرب إذاً موصوف بالعلو وفوقية الرتبة والعظمة منزه عن الكون في المكان وعن المحاذاة، ثم قال: وقد نبغت نابغة من الرعاع لولا استزلالهم للعوام بما يقرب من أفهامهم ويتصوّر في أوهامهم لأجللت هذا المكتوب عن تلطيخه بذكرهم. يقولون: نحن نأخذ بالظاهر ونجري الآيات الموهمة تشبيهاً والأخبار المقتضية حداً وعضواً على الظاهر، ولا يجوز أن نطرق التأويل إلى شيء من ذلك ويتمسكون بقول الله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران:

المتمكن جسماً مماساً للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر، وذلك محال، وما يؤدي إلى المحال فهو محال.

٧] وهؤلاء والذي أرواحنا بيده أضر على الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان، لأن ضلالات الكفار ظاهرة يتجنبها المسلمون، وهؤلاء أتوا الدين والعوام من طريق يغتر به المستضعفون، فأوحوا إلى أوليائهم بهذه البدع وأحلوا في قلوبهم وصف المعبود سبحانه بالاعضاء والجوارح والركوب والنزول والاتكاء والاستلقاء والاستواء بالذات والتردد في الجهات، فمن أصغى إلى ظاهرهم يبادر بوهمه إلى تخيل المحسوسات فاعتقد الفضائح فسال به السيل وهو لا يدري اهـ.

ثم ذكر المصنف المحال الذي يلزم من تفسير الاستواء بالاستقرار والتمكن فقال: هو **(كون المتمكن جسماً مماساً للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر، وذلك محال وما يؤدي إلى المحال محال)**. وتحقيقه أنه تعالى لو استقر على مكان أو حاذى مكاناً لم يخل من أن يكون مثل المكان أو أكبر منه أو أصغر منه، فإن كان مثل المكان فهو إذاً متشكل بأشكال المكان حتى إذا كان المكان مربعاً كان هو مربعاً أو كان مثلثاً كان هو مثلثاً وذلك محال، وإن كان أكبر من المكان فبعضه على المكان ويشعر ذلك بأنه متجزىء وله كل ينطوي على بعض وكان بحيث ينتسب إليه المكان بأنه ربعه أو خمسه وإن كان أصغر من ذلك المكان بقدر لم يتميز عن ذلك المكان إلاّ بتحديد، وتتطرق إليه المساحة والتقدير، وكل ما يؤدي إلى جواز التقدير على الباري تعالى فتجوّزه في حقه كفر من معتقده، وكل من جاز عليه الكون بذاته على محل لم يتميز عن ذلك المحل إلا بكون وقبيح وصف الباري بالكون، ومتى جاز عليه موازاة مكان أو مماسته جاز عليه مباينته، ومن جاز عليه المباينة والمماسة لم يكن إلا حادثاً، وهل علمنا حدوث العالم إلا بجواز المماسة والمباينة على أجزائه؟ وقصارى الجهلة قولهم كيف يتصوّر موجود لا في محل، وهذه الكلمة تصدر عن بدع وغوائل لا يعرف غورها وقعرها إلا كل غوّاص على بحار الحقائق وهيهات، طلب الكيفية حيث يستحيل محال، والذي يدحض شبههم أن يقال لهم قبل أن يخلق العالم أو المكان، هل كان موجوداً أم لا؟ فمن ضرورة العقل أن يقول: بلى فيلزمه لو صح قوله: لا يعلم موجوداً إلا في مكان أحد أمرين إما أن يقول المكان والعرش والعالم قديم، وإما أن يقول الرب تعالى محدث وهذا مآل الجهلة والحشوية ليس القديم بالمحدث والمحدث بالقديم ونعوذ بالله من الحيرة في الدين.

قال ابن الهمام في المسايرة: على نحو ما ذكرنا في الاستواء يجري كل ما ورد في الكتاب والسنّة مما ظاهره الجسمية في الشاهد كالأصبع والقدم واليد والعين فيجب الايمان به مصحوباً بالتنزيه، فإن كلاً منها صفة له تعالى لا بمعنى الجارحة بل على وجه يليق به وهو سبحانه وتعالى أعلم به، وقد يؤوّل كل من ذلك لأجل صرف فهم العامة عن الجسمية وهو ممكن أن يراد ولا يجزم

....

بإرادته خصوصاً على رأي أصحابنا يعني الماتريدية أنها من المتشابهات وحكم المتشابه انقطاع رجاء معرفة المراد منه في هذه الدار وإلاّ لكان قد علم اهـ.

قال تلميذه ابن أبي شريف: وهذا بناء على القول بالوقت في الآية على قوله: ﴿إلا الله﴾ وهو قول الجمهور. واعلم أن كلام إمام الحرمين في الارشاد يميل إلى طريق التأويل ولكنه في الرسالة النظامية اختار طريق التفويض حيث قال: والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقداً اتباع السلف، فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها وكأنه رجع إلى اختيار التفويض لتأخر الرسالة. ومال الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى التأويل فقال في فتاويه: طريقة التأويل بشرطها أقربها إلى الحق، ويعني بشرطها أن يكون على مقتضى لسان العرب، وتوسط ابن دقيق العيد فقال: نقبل التأويل إذا كان المعنى الذي أوّله به قريباً مفهوماً من تخاطب العرب ونتوقف فيه إذا كان بعيداً، وجرى شيخنا المصنف يعني ابن الهمام على التوسط بين أن تدعو الحاجة إليه لخلل في فهم العوام وبين أن لا تدعو الحاجة إلى ذلك اهـ.

وقال والد إمام الحرمين في كفاية المعتقد: أما ما ورد من ظاهر الكتاب والسنّة ما يوهم بظاهرها تشبيهاً فللسلف فيه طريقان.

إحداهما: الإعراض فيها عن الخوض فيها وتفويض علمها إلى الله تعالى، وهذه طريقة ابن عباس وعامة الصحابة وإليها ذهب كثير من السلف، وذلك مذهب من يقف على قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ ولا يستبعد أن يكون لله تعالى سرّ في كتابه، والصحيح أن الحروف المقطعة من هذا القبيل ويعلم بالدليل يقيناً أن ركناً من أركان العقيدة ليس تحت ذلك السر لأن الله تعالى لا يؤخر البيان المفتقر إليه عن وقت الحاجة ولا يكتم كتماناً.

والطريقة الثانية: الكلام فيها وفي تفسيرها بأن يردها عن صفات الذات إلى صفات الفعل فيحمل النزول على قرب الرحمة، واليد على النعمة، والاستواء على القهر والقدرة. وقد قال ﷺ: «كلتا يديه يمين» ومن تأمل هذا اللفظ انتفى عن قلبه ريبة التشبيه، وقد قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، وقال: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾ [المجادلة: ٧]، فكيف يكون على العرش ساعة كونه سادسهم إلا أن يرد ذلك إلى معنى الإدراك والاحاطة لا إلى معنى المكان والاستقرار والجهة والتحديد اهـ.

وقول والد إمام الحرمين وذلك مذهب من يقف على قوله إلخ. ومثله ما مر عن ابن أبي شريف قد ردّه الإمام القشيري في التذكرة الشرقية حيث قال: وأما قول الله عز وجل ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾، إنما يريد به وقت قيام الساعة، فإن المشركين سألوا النبي ﷺ عن الساعة أيان مرساها ومتى وقوعها، فالمتشابه إشارة إلى علم الغيب، فليس يعلم عواقب الأمور إلا الله عز وجل، ولهذا قال: هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله أي هل ينظرون إلا قيام الساعة، وكيف يسوغ لقائل أن يقول في كتاب الله تعالى ما لا سبيل لمخلوق إلى معرفته ولا يعلم تأويله

....

إلا الله. أليس هذا من أعظم القدح في النبوّات؟ وأن النبي ﷺ ما عرف تأويل ما ورد في صفات الله تعالى ودعا الخلق إلى علم ما لا يعلم. أليس الله يقول: بلسان عربي مبين فإذاً على زعمهم يجب أن يقولوا كذب، حيث قال: بلسان عربي مبين إذ لم يكن معلوماً عندهم، وإلاَّ فأين هذا البيان؟ وإذا كان بلغة العرب فكيف يدعي انه مما لا تعلمه العرب لما كان ذلك الشيء عربياً، فما قول في مقال مآله إلى تكذيب الرب سبحانه؟ ثم كان النبي ﷺ يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى فلو كان في كلامه وفيما يلقيه إلى أمته شيء لا يعلم تأويله إلاَّ الله تعالى لكان للقوم أن يقولوا بين لنا أوّلاً من تدعونا إليه وما الذي تقول؟ فإن الإيمان بما لا يعلم أصله غير متأتٍ ونسبة النبي ﷺ إلى أنه دعا إلى رب موصوف بصفات لا تعقل أمر عظيم لا يتخيله مسلم، فإن الجهل بالصفات يؤدّي إلى الجهل بالموصوف، والغرض أن يستبين من معه مُسكة من العقل أن قول من يقول استواؤه صفة ذاتية لا يعقل معناها، واليد صفة ذاتية لا يعقل معناها، والقدم صفة ذاتية لا يعقل معناها تمويه ضمنه تكييف وتشبيه ودعاء إلى الجهل، وقد وضح الحق لذي عينين. وليت شعري هذا الذي ينكر التأويل يطرد هذا للإنكار في كل شيء وفي كل آية أم يقنع بترك التأويل في صفات الله تعالى، فإن امتنع من التأويل أصلاً فقد أبطل الشريعة والعلوم إذ ما من آية وخبر إلا ويحتاج إلى تأويل وتصرف في الكلام لأن ثم أشياء لا بدّ من تأويلها لا خلاف بين العقلاء فيه إلا الملحدة الذين قصدهم التعطيل للشرائع والاعتقاد لهذا يؤدي إلى ابطال ما هو عليه من التمسك بالشرع، وإن قال: يجوز التأويل على الجملة إلا فيما يتعلق بالله وبصفاته فلا تأويل فيه فهذا يصير منه إلى أن ما يتعلق بغير الله تعالى يجب أن يعلم، وما يتعلق بالصانع وصفاته يجب التقاصي عنه وهذا لا يرضى به مسلم وسر الأمر ان هؤلاء الذين يمتنعون عن التأويل معتقدون حقيقة التشبيه غير أنهم يدلسون ويقولون له: يد لا كالأيدي، وقدم لا كالأقدام، واستواء بالذات لا كما نعقل فيما بيننا، فليقل المحقق هذا كلام لا بدّ من استبيان قولكم نجري الأمر على الظاهر ولا يعقل معناه تناقض إن أجريت على الظاهر فظاهر السياق في قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ [القلم: ٤٢] هو العضو المشتمل على الجلد واللحم والعظم والعصب والمخ، فإن أخذت بهذا الظاهر والتزمت بالاقرار بهذه الأعضاء فهو الكفر، وإن لم يمكنك الأخذ بها فأين الأخذ بالظاهر؟ ألست قد تركت الظاهر وعلمت تقدس الرب تعالى عما يوهم الظاهر، فكيف يكون أخذاً بالظاهر، وإن قال الخصم: هذه الظواهر لا معنى لها أصلاً فهو حكم بأنها ملغاة وما كان في ابلاغها إلينا فائدة وهي هدر وهذا محال. وفي لغة العرب ما شئت من التجوّز والتوسع في الخطاب وكانوا يعرفون موارد الكلام ويفهمون المقاصد، فمن تجافى عن التأويل فذلك لقلة فهمه بالعربية ومن أحاط بطرق من العربية هان عليه مدرك الحقائق، وقد قيل: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾ [آل عمران: ٧] فكأنه قال: والراسخون في العلم أيضاً يعلمونه ويقولون آمنا به، فإن الايمان بالشيء إنما يتصوّر بعد العلم أما ما لا يعلم، فالإيمان به غير متأت، ولهذا قال ابن عباس: أنا من الراسخين في العلم اهـ.

....

قلت: وهذا الذي ذهب إليه هو مختار شيخ جده ابن فورك، وإليه ذهب العز بن عبد السلام في رسائله. منها رسالته التي أرسلها جواباً للملك الأشرف موسى وهي بطولها في طبقات ابن السبكي وهو بظاهره مخالف لمذهب السلف القائلين بإمرارها على ظواهرها، وقد مرت في آخر الفصل الثاني شروط للتأويل راجع النظر إليها لتعلم أنه كيف يجوز ولمن يجوز ومتى يجوز، ولنذكر نص إمام الحرمين في الرسالة النظامية في هذه المسألة وهي آخر مؤلفاته على ما زعم ابن أبي شريف.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، قال إمام الحرمين في الرسالة النظامية: اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والتزم ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل واجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الله عز وجل، والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع أن اجماع الأمة حجة، فلو كان تأويل هذه الظواهر حتماً فلا شك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الاضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع اهـ.

قال الحافظ: وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث وهم فقهاء الأمصار كالثوري، والأوزاعي، ومالك، والليث، ومن عاصرهم. وكذا من أخذ عنهم من الأئمة، فكيف لا يوثق بما اتفق عليه القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة اهـ.

قلت: وإلى هذا مال المصنف في إلجام العوام فقد عقد في الكف عن التأويل والخوض فيه باباً وذكر فيه ثلاثة أمثلة: مثال في الفوقية، ومثال في الاستواء، ومثال في النزول. وقال في أوّل كتابه المذكور: إن الحق الصريح الذي لا مراء فيه هو مذهب السلف أعني مذهب الصحابة والتابعين وهو الحق عندنا أن كل من بلغه حديث من هذه الأخبار من عوام الخلق يجب عليه سبعة أمور التقديس والتصديق والاعتراف بالعجز والسكوت والكف والامساك والتسليم لأهل المعرفة، وقد تقدم شيء من ذلك في الفصل الثاني فراجعه.

وقال الحافظ ابن حجر: وقسم بعضهم أقوال الناس في هذا الباب إلى ستة أقوال: قولان لمن يجريها على ظاهرها. أحدهما: من يعتقد أنها من جنس صفات المخلوقين وهم المشبهة وتتفرع من قولهم عدة آراء، والثاني: من ينفي عنها شبه صفة المخلوقين لأن ذات الله لا تشبه الذوات فصفاته لا تشبه الصفات، فإن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، وقولان لمن يثبت كونها صفة ولكن لا يجريها على ظاهرها. أحدهما: يقول لا نؤوّل شيئاً منها بل نقول الله أعلم بمراده، والآخر يؤوّل فيقول مثلاً معنى الاستواء الاستيلاء واليد القدرة ونحو ذلك، وقولان لمن لا يجزم بأنها صفة. أحدهما: يجوز أن يكون صفة وظاهرها غير مراد ويجوز أن لا تكون صفة،

....

والآخر يقول: لا يخاض في شيء من هذا بل يجب الإيمان به لأنه من المتشابه الذي لا يدرك معناه اهـ.

وقال البكي في شرح الحاجبية: اختلف أهل السنّة في اتصاف الباري تعالى بهذه الصفات التي ظاهرها محال على ثلاثة أقوال:

الأوّل: قول السلف انها هي صفات زائدة على السبع الله أعلم بحقائقها وهي أحد قولي الأشعري وهو قول مالك، وإليه يشير الإمام أحمد بقوله: الآيات المتشابهات خزائن مقفلة حلها تلاوتها.

الثاني: كلها مجازات يدل بها على تلك الصفات الثمانية عقلاً وسمعاً وهذا قول الحذاق من الأشاعرة.

الثالث: الوقف وهو اختيار صاحب المواقف والمقترح، ثم أهل التأويل اختلفوا على طريقين: **الأول:** طريق الأقدمين كابن فورك يحملها على مجازاتها الراجعة إلى الصفات الثابتة عقلاً. **الثاني:** طريق المتأخرين وهي التي كانت مركوزة في قلوب السلف قبل دخول العجمة برد هذه المتشابهات إلى التمثيل الذي يقصد به تصوّر المعاني العقلية بإبرازها في الصور الحسية قصداً إلى كمال البيان اهـ الخ.

وقال الحافظ ابن حجر لأهل الكلام في هذه الصفات كالعين والوجه واليد ثلاثة أقوال: **أحدها:** أنها صفات ذات أثبتها السمع ولا يهتدي إليها العقل، **والثاني:** أن العين كناية عن صفة البصر، واليد كناية عن صفة القدرة، والوجه كناية عن صفة الوجود. **والثالث:** إمرارها على ما جاءت به مفوّضاً معناها إلى الله تعالى.

وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب العقيدة له: أخبر الله في كتابه وثبت عن رسوله ﷺ في الاستواء والنزول والنفس واليد والعين فلا يتصرف فيها بتشبيه ولا تعطيل إذ لو لا إخبار الله ورسوله ما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى.

قال الطيبي: هذا هو المذهب المعتمد، وبه يقول السلف الصالح. وقال غيره: لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك ولا المنع من ذكره، ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه وينزل عليه ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٣]، ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته إليه مما لا يجوز مع حضه على التبليغ عنه حتى نقلوا عنه أقواله وأفعاله وأحواله وصفاته وما فعل بحضرته، فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذي أراده الله منها، ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم وبالله التوفيق اهـ.

الأصل التاسع: العلم بأنه تعالى مع كونه منزهاً عن الصورة والمقدار مقدساً عن الجهات والأقطار مرئي بالأعين والأبصار في الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى:

تكميل:

قول من قال طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أحكم. نقل الحافظ ابن حجر عن بعضهم أنه ليس بمستقيم لأنه ظن أن طريقة السلف مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه في ذلك، وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات فجمع هذا القائل بين الجهل بطريقة السلف والدعوى في طريقة الخلف وليس الأمر كما ظن، بل السلف في غاية المعرفة بما يليق بالله تعالى وفي غاية التعظيم له والخضوع لأمره والتسليم لمراده وليس من سلك طريقة الخلف واثقاً بأن الذي يتأوّله هو المراد، ولا يمكنه القطع بصحة تأويله اهـ.

قلت: وقد أشار إلى ذلك المصنف في إلجام العوام بما لا مزيد على تحريره.

(**الأصل التاسع: العلم بأن الله تعالى مع كونه منزهاً عن الصورة والمقدار**) المفهوم من قوله: لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء، (**مقدساً عن الجهات والأقطار**) وعن الأمكنة والأزمنة والتحديد وغير ذلك، (**مرئي للمؤمنين بالأعين والأبصار في الدار الآخرة بعد دخولهم دار القرار**) . نظم المصنف هذا الأصل في سلك أصول الركن المعقود لمعرفة الذات نظراً إلى أن نفي الجهة يوهم أنه مقتضٍ للإنتفاء فاقتضى المقام دفع هذا التوهم ببيان جواز الرؤية عقلاً ووقوعها سمعاً، فهو كالتتمة للكلام في نفي الجهة والمكان.

قال ابن أبي شريف: الكلام في الرؤية في ثلاث مقامات الأول: في تحقيق معناها تحريراً لمحل النزاع بيننا وبين المعتزلة فنقول: إذا نظرنا إلى الشمس مثلاً فرأيناها ثم أغمضنا العين فإنا نعلم الشمس عند التغميض علماً جلياً، لكن في الحالة الأولى أمر زائد، وكذا إذا علمنا شيئاً علماً تاماً جلياً، ثم رأيناه فإنا ندرك بالبديهة تفرقة بين الحالتين، وهذا الادراك المشتمل على الزيادة نسمّيه الرؤية.

قلت: يشير إلى أن المعنى من الرؤية ما نجده من التفرقة من إدراك الشمس حالة تقليب الحدقة وصرف البصر إليه، ومن ادراكنا لها حالة انصراف البصر أو تغميضه عنها، فالادراك الأوّل هو المسمى بالرؤية، والثاني هو المسمى بالعلم.

ثم قال: ولا تتعلق في الدنيا إلا بمقابلة لما هو في جهة ومكان فهل يصح أن تقع بدون المقابلة والجهة والمكان ليصح تعلقه بذات الله تعالى مع التنزيه عن الجهة والمكان.

المقام الثاني: في جوازها عقلاً والثالث: في وقوعها سمعاً. أما المقام الثاني فقال الآمدي أجمع الأئمة من أصحابنا على أن رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة جائزة عقلاً واختلفوا في جوازها سمعاً في الدنيا فأثبته قوم ونفاه آخرون، وهل يجوز أن يرى في المنام؟ فقيل: لا. وقيل: نعم.

﴿وجُوهٌ يَومَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] ولا يرى في

والحق أنه لا مانع من هذه الرؤيا وإن لم تكن رؤيا حقيقية، ولا خلاف عندنا انه تعالى يرى ذاته المقدسة والمعتزلة حكموا بامتناع رؤيته عقلاً لدى الحواس، واختلفوا في رؤيته لذاته.

وأما المقام الثالث: فقد أطبق أهل السنّة على وقوع الرؤية في الآخرة واختلفوا في وقوعها في الدنيا. ومقصود المصنف في هذا المقام الاستدلال على وقوعها في الآخرة، فقدم الاستدلال عليه بالنقل ثم بالعقل، ثم استدل بالنقل أيضاً على الجواز على أنه يلزم من ثبوت الوقوع في الآخرة بدليله ثبوت الجواز، ثم استدل بالعقل على الجواز فقال: (**لقوله تعالى: ﴿وجوهٌ يومئذ﴾**) أي يوم القيامة (**﴿ناضرة﴾**) أي: ذات نضرة وهي تهلل الوجه وبهاؤه (**﴿إلى ربها ناظرة﴾**) [القيامة: ٢٢ ؛ ٢٣] أي مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه، فتقديم المعمول على هذا للحصر ادعاء ويصح ويصح كونه لمجرد الاهتمام ورعاية الفاصلة دون الحصر، ويكون المعنى مكرمة بالنظر إلى ربها.

قال البكي: وتقرير هذا الدليل عند الأئمة أن النظر الموصل بإلى إما بمعنى الرؤية أو هو ملزوم للرؤية بشهادة النقل عن أئمة اللغة، فهو إما حقيقة أو مجاز عن الرؤية لكونه عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي طلباً لرؤيته، وقد تعذرت هنا الحقيقة لامتناع المقابلة والجهة فتعينت الرؤية لكونها أقرب المجازات إلى الحقيقة، ثم اشتهر هذا المجاز بحيث التحق بالاستعمال الحقيقي كما يشهد به العرف اهـ.

وقال النسفي: النظر المضاف إلى الوجه المقيد بكلمة إلى لا يكون إلا نظر العين، وبهذا بطل قول من قال من المعتزلة ان معنى الآية نعمة ربها منتظرة لأن إلى واحد الآلاء، كذا في تهذيب الأزهري إذ النظر إذا أريد به الانتظار فإنه لا يعلق بالوجه ولا يتعدى بإلى كما في قوله تعالى: ﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ [النمل: ٣٥] أي منتظرة، ولأن حمل النظر على الانتظار المفضي للنعم في دار القرار سمج لما قيل الانتظار موت أحمر اهـ.

ومن الدلائل على جواز الرؤية من الكتاب قوله تعالى: ﴿كلاّ إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥]، خص الكفار بالحجاب تحقيراً لهم وإهانة، فلو لم تكن المؤمنون بخلافهم لعم التحقير وبطل التخصيص. وقال النسفي: تخصيص الحجاب للكفار دليل على عدمه للأبرار اهـ.

وقال الربيع: سمعت الشافعي يقول في هذه الآية: علمنا بذلك أن قوماً غير محجوبين ينظرون إليه لا يضامون في رؤيته، ومما دلّ على الرؤية من الكتاب أيضاً قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس: ٢٦]، فقد ورد من طرق صحيحة مرفوعة إلى النبي ﷺ أنه سئل عن الزيادة فقال: « النظر إلى الله تعالى ». وأما في السنة، فلما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: « هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب » قالوا: لا يا رسول

....

الله. قال: « فإنكم ترونه كذلكَ ». وفي بعض الروايات: « هل تضامون » وفي بعضها: « فإنكم ترون ربكم كذلك ». والمقصود به تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي. وأخرج القشيري في رسالته حديثاً طويلاً من رواية جابر بن عبدالله رضي الله عنه. وفيه: « فيكشف لهم الحجاب فينظرون الله تعالى فيتمتعون بنور الرحمن سبحانه حتى لا يبصر بعضهم بعضاً ». وأحاديث الرؤية متواترة معنى، فقد وردت بطرق كثيرة عن جمع كثير من الصحابة، ثم انهم بعد الجواز اختلفوا هل الوقوع مخصوص بالآخرة وهو قول جماعة وأحد قولي الأشعري، وظاهر قول مالك وإليه أشار بقوله: (**ولا يرى في الدنيا تصديقاً لقوله عز وجل: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾**) ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قال النسفي في شرح العمدة، وتبعه القونوي في أكثر سياقه في شرح عقيدة الطحاوي: ولا تعلق للمعتزلة بهذه الآية لأن الأبصار صيغة جمع وهي تفيد العموم، فسلبه يفيد سلب العموم وذلك لا يفيد عموم السلب، فإن قوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ نقيض لقوله: ﴿تدركه الأبصار﴾. وقولنا: تدركه الأبصار نقيض لمن يدركه كل أحد باعتبار الاستغراق الحاصل من الألف واللام، ولما كان نقيض الموجبة الكلية السالبة الجزئية كان معنى الآية: لا يدركه جميع الأبصار، ونحن نقول بموجبه، فإنه لا يراه الجميع، فإن الكافرين لا يرونه بل يراه المؤمنون، ولأن المنفي هو الادراك دون الرؤية وهما غيران، فكان نفي الادراك لا يدل على نفي الرؤية، وهذا لأن الإدراك هو الوقوف على جوانب المرئي وحدوده، وما يستحيل عليه الادراك من الرؤية نازلاً منزلة الإحاطة من العلم ونفي الاحاطة التي هي نقيض الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضي نفي العلم به. وكذا هنا، ثم مورد الآية وهو وجه التمدح يوجب ثبوت الرؤية إذ نفي إدراك ما يستحيل رؤيته لا تمدح فيه إذ كل ما لا يرى لا يدرك كالمعدومات، وإنما التمدح بنفي الادراك مع تحقق الرؤية إذ انتفاؤه مع ثبوتها دليل ارتفاع نقيضه التناهي والحدود عن الذات، فكانت الآية حجة لنا عليهم، ولو أمعنوا النظر في الآية وعرفوا مواقع الحجاج لاغتنموا التقصي عن عهدة الآية اهـ.

رجع للأوّل، ومنهم من قال: وقوع الرؤية غير مخصوصة بالآخرة، بل تقع في الدنيا وهو قول الكثير من السلف والخلف من أهل الحديث والتصوّف والنظر، وإذا قلنا بأنه غير مخصوص بالآخرة فهل هو مخصوص بالأنبياء أو غير مخصوص؟ بل يجوز للولي قولان للأشعري، وعلى أنه مخصوص بالأنبياء فهل هو خاص بنبينا ﷺ أو غير خاص. وبالجملة فقد اتفق الكل على وقوعها في الآخرة لجميع المؤمنين. وأما في الدنيا فاختلف فيه ﷺ على ثلاثة أقوال. **الأوّل:** أنه رأى ربه وهو قول أكثر السلف وجماعة الصوفية. قال النووي: وهو الصحيح. **الثاني:** أنه لم ير وهو قول أكثر الأشاعرة وبعض السلف. **الثالث:** الوقف وهو اختيار القاضي عياض. وبالجملة؛ فاختلاف الصحابة في هذه المسألة دليل على اعتقادهم جوازها، ثم هل يجوز ذلك لأولياء أمته

الدنيا تصديقاً لقوله عز وجل: ﴿لا تُدرِكه الأبصارُ وهُو يُدْرِكُ الأبْصَار﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ولقوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام: ﴿لَنْ تراني﴾ [الأعراف: من الآية ١٤٣] وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفات رب الأرباب ما جهله موسى عليه السلام؟ وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالاً؟ ولعل الجهل بذوي البدع والأهواء من الجهلة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات

على سبيل الكرامة وطريق التبعية في ذلك قولان للأشعري، وأكثر أهل التصوّف خصوصاً المتأخرين على أن ذلك يجوز كرامة وكرامة أولياء الله تعالى معجزة له ﷺ هذا حال اليقظة، وأما في النوم فاتفق الأكثر على جوازه ووقوعه ثم هذا المعتقد أما جوازه فيصح التمسك فيه بالسمع والعقل، وأما الوقوع فليس إلا بالسمع إذ العقل لا يهتدي. وقد أورد المصنف على جوازه دليلاً من الكتاب وأوردناه معه دلائل أخرى من الكتاب، ثم أورد دليلاً ثانياً فقال: (**ولقوله تعالى في خطاب موسى عليه السلام**) حكاية عنه إذ قال: ﴿رب أرني أنظر إليك قال (**لن تراني**) ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾ [الأعراف: ١٤٣] ووجه الاستدلال من وجهين.

أحدهما: أنه لو لم تجز الرؤية لما طلبها موسى عليه السلام واللازم باطل بالاجماع، وتواتر الاخبار بيان اللزوم أن موسى عليه السلام عالم بما يجوز على الله تعالى وما يستحيل عليه وإلا يلزم الجهل وهو محال على الأنبياء، وإذا كان عالماً بما لا يجوز والرؤية مما لا يجوز على ذلك التقدير يكون طلبه للرؤية عبثاً وذلك على الأنبياء محال، وإليه أشار المصنف بقوله: (**وليت شعري كيف عرف المعتزلي**) القائل بعدم جواز الرؤية (**من صفات رب الأرباب ما جهله موسى عليه السلام**) مع أنه نبي كريم من أولي العزم من الرسل؟ أرأيت المعتزلي أعرف بالله تعالى منه، مع أن المقصود من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الدعوة إلى العقائد الدينية الحقة والأعمال الصالحة. (**وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالاً، ولعل الجهل بذوي البدع**) المضلة (**والأهواء**) المختلفة (**من الجهلة**) بمعاني كلام الله تعالى (**الأغبياء**) البلداء (**أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم**) وسلامه، وحاصل هذا الاستدلال أن سؤال موسى عليه السلام إياها دليل على أنه كان يعتقد أنه كان جائز الرؤية.

والوجه الثاني: أنه تعالى علق الرؤية بشرط متصوّر الكون وهو استقرار الجبل، فدل على أنه جائز الوجود إذ تعليق الفعل بما هو جائز الوجود يدل على جوازه، كما أن التعليق بما هو ممتنع الوجود أو متحقق الوجود يدل على امتناعه أو تحققه، والدليل على أن استقرار الجبل ممكن الثبوت قوله تعالى: ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً﴾ [الأعراف: ١٤٣] أخبر أنه جعله دكاً لا أنه اندك بنفسه، وما أوجده الله تعالى كان جائزاً أن لا يوجد لو لم يوجده الله تعالى، إذ الله تعالى مختار فيما يفعل، فإذا جعل الجبل دكاً باختياره وكان جائزاً أن لا يفعل دل على جواز وجوده قاله النسفي.

الله عليهم، وأما وجه اجراء آية الرؤية على الظاهر، فهو أنه غير مؤدٍّ إلى المحال، فإن الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتم وأوضح من العلم، فإذا جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة، وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس في

وفي الآية وجوه أخـر دالة على جوازها. منها: انه تعالى ما آيسه وما عاتبه عليه ولو كان ذلك جهلاً منه بالله تعالى خارجاً عن الحكمة لعاتبه كما عاتب نوحاً عليه السلام بقوله: ﴿إني أعِظك أن تكون من الجاهلين﴾ [هود: ٤٦]، حيث سأل إنجاء ابنه من الغرق، بل هذا أولى بالعتاب لأن هذا لو كان جهلاً منه بربه لبلغ مرتبة الكفر وذلك لم يبلغ هذه الرتبة، فإن قالوا: مراده أرني آية من آياتك؟ قلنا: لو كان المراد كذلك لقال أنظر إليها، ولقال لن ترى آياتي. ومنها: قوله: ﴿لن تراني﴾ فإنه يقتضي نفي الوجود لا الجواز إذ لو كان ممتنع الرؤية لكان الجواب أن يقول لست بمرئي. أو لا تصح رؤيتي، ولما لم يقل ذلك دل على أنه مرئي إذ الموضع موضع الحاجة إلى البيان. ألا ترى أن من في كمه حجر فظنه إنسان طعاماً وقال له أعطنيه لآكله كان الجواب الصحيح أنه لا يؤكل. أما إذا كان طعاماً صح أن يقول المجيب أنك لن تأكله ويجوز على الأنبياء الريب في أمر يتعلق بالغيب، فيحمل على أن ما اعتقده جائز ولكن ظن أن ما اعتقد جوازه تأخر فيرجع النفي في الجواب إلى السؤال، وقد سألها في الدنيا فينصرف النفي إليها إذ الجواب يكون على قضية السؤال فتأمل.

وأما الإستدلال عقلاً فأشار المصنف إلى ذلك بقوله: **(وأما وجه إجراء آية الرؤية)** وهي قوله تعالى: ﴿إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٣] **(على الظاهر)** فقد دل العقل على جوازه وذلك **(إنه غير مؤد إلى المحال)** فوجب أن لا يعدل عن الظاهر. إذ العدول إنما يجوز عند عدم إمكانه لا مع إمكانه، ثم علل قوله غير مؤد إلى المحال بقوله: **(فإن الرؤية نوع كشف وعلم)** للمدرك بالمرئي، يخلق الله هذا النوع عند مقابلة الحاسة للمرئي بحسب ما جرت به العادة الإلهية **(إلا أنه أتم وأوضح من العلم)** أي: أن مسمى الرؤية هو الإدراك المشتمل على الزيادة على الإدراك الذي هو علم جلي كما قدمنا أول هذا الأصل: إذ هو العلم الذي لا ينقص منه قدر من الإدراك، **(فإذا جاز تعلق العلم به)** من غير أن ينقص منه قدر الإدراك **(وليس في جهة)** أي من غير مقابلة بين الباصرة والمرئي في جهة مع تلك المقابلة مسافة خاصة بين الحاسة والمرئي الكائن في تلك الجهة ومن غير إحاطة بمجموع المرئي **(جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة)** وقولي من غير مقابلة الخ فيه دفع لقول المعتزلة والحكماء القائلين بأن من شرائط الرؤية مقابلة المرئي للباصرة في جهة من الجهات، وقولي مع تلك المقابلة، مسافة خاصة رد على قولهم أن من شرائط الرؤية عدم غاية البعد بحيث ينقطع إدراك الباصرة وعدم غاية القرب، فإن المبصر إذا التصق بسطح البصر بطل إدراكه بالكلية، ولذلك لا يرى باطن الأجفان. وقولي من غير إحاطة بمجموع المرئي إشارة إلى نفي كون الرؤية تستلزم الإحاطة بالمرئي لتكون ممتنعة في حقه تعالى لأنه لا يحاط به. قال تعالى: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ [طه: ١١٠] والحاصل أنه يجوز عقلاً

مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة، وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك.

أن يخلق القدر المذكور من العلم في الحي على وفق مشيئته تعالى من غير مقابلة لجهة أخرى. وقولي بمجموع المرئي فيه تنبيه على أنه إذا ثبت أن المجموع المتركب من أجزاء متناهية يرى دون إحاطة، فالذات المنزهة عن التركيب والتناهي والحدود والجهة أولى بأن تنفك رؤيتها عن الإحاطة. والدليل على جواز أن يخلق الله قدراً من العلم من غير مقابلة بحاسة البصر أصلاً ما ورد في الصحيحين من حديث أنس رفعه «أتموا صفوفكم فإني أراكم من وراء ظهري» وعند البخاري وحده عن أنس «أقيموا صفوفكم وتراصوا» وعند النسائي «استووا استووا استووا فوالذي نفسي بيده إني أراكم من خلفي كما أراكم من بين يدي» والدليل على قولنا من غير إحاطة رؤيتنا السماء فإنا نراها ولا نحيط بها، وقد ظهر مما تقدم أن المصنف استدل لجواز الرؤية من غير جهة صريحاً، ومن غير إحاطة ضمناً بوقوع أمور ثلاثة: الأولى والثالث منها لجوازها من غير مقابلة لجهة ومن غير مسافة خاصة، والثاني لجوازها من غير إحاطة. وقد أشرنا إلى الأول والثاني، وأشار إلى الثالث بقوله: **(وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق)** أي كون ذلك القدر من العلم المسمى بالرؤية مشبهاً في كونه دون مقابلة رؤية الله تعالى إيانا، فإنه تعالى يرى خلقه **(وليس في مقابلتهم)** في جهة بإتفاق منا ومن المعتزلة **(جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة)**، فالرؤية نسبة خاصة بين طرفي راء ومرئي فإن فرض أن تلك النسبة تقتضي عقلاً كون أحدهما في جهة اقتضت كون طرفها الآخر كذلك في جهة لاشتراكهما في التعلق، فإذا ثبت بوفاق الخصمين عدم لزوم ذلك في أحد طرفيها لزم في الطرف الآخر مثله، فكان الثابت عقلاً نقيض ما فرض فثبت انتفاء ما فرض، وإن فرض اللزوم في أحد الطرفين وعدمه فهو تحكم محض، ويقال في الإستدلال على جواز الرؤية أيضاً **(كما جاز أن يعلم)** الباري سبحانه **(من غير كيفية وصورة)** لما قلنا أن الرؤية نوع علم خاص يخلقه الله تعالى في الحي غير مشروط بمقابلة ولا غيرها مما ذكر. لا يقال أن الرؤية في الشاهد لا تنفك عن حصول المقابلة في الجهة والمسافة بين الرائي والمرئي، وحصول إحاطة الرائي ببعض المرئيات، وحصول إدراك صورة المرئي فليكن في الغالب كذلك وأن ذلك في حقه باطل تنزه الباري تعالى عن ذلك فانتفت الرؤية في حقه لانتفاء لازمها لأن نقول: حصول المسافة والمقابلة والإحاطة والصورة في الرؤية في الشاهد لاتفاق كون بعض المرئيات كذلك. أي: تتصف بالمقابلة على المسافة المخصوصة بالإحاطة به، وبالصورة لكونه جسماً لا لكون الأمور المذكورة معلولاً عقلياً لهذا النوع من العلم المسمى رؤية مع انتفاء العلوم المذكورة على ما بين بالإستدلال السابق، والمعلوم لا يثبت مع انتفاء علته وإلا لم يكن علة له فتأمل.

وقال النسفي في شرح العمدة: زعمت المعتزلة والزيدية والفلاسفة والخوارج أن في العقل دلالة استحالة رؤيته لأنه لا بد لها من مقابلة بين الرائي والمرئي، وذا لا يصح إلا في المتحيز ومسافة

....

مقدرة بين الرائي والمرئي بحيث لا يكون قرباً مفرطاً وإتصال شعاع عين الرائي بالمرئي، وكل ذلك مستحيل على الله تعالى وأكدوا هذا المعقول بقوله تعالى ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ [الأنعام: ١٠٣] فقد تمدح بانتفاء الرؤية عن ذاته إذ الإدراك بالبصر هو الرؤية كما تمدح بأسمائه الحسنى في سياق الآية وسباقها، وكل ما كان عدمه مدحاً كان وجوده نقصاً وهو على الباري لا يجوز في الدارين، والدليل على أنه تمدح به وروده بين المدحين إذ إدراج غير المدح بين المدائح مما تمجه الأسماء وتنفر عنه الطباع، وأكثر المعتزلة على أنه تعالى يرى ذاته ويرى العالم، ثم أورد الجواب عن الآية بما تقدم بيانه قريباً، ثم قال: وما قالوا من اشتراط المقابلة وثبوت المسافة وإتصال الشعاع وتحقق الجهة باطل؟ فإن الله تعالى يرانا من غير مقابلة، ولا إتصال شعاع ولا ثبوت مسافة بيننا وبينه ولا جهة، ومن أنكر ذلك منهم فهو محجوج بقوله تعالى: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى وهو السميع البصير﴾ والعلل والشرائط لا تتبدل بالشاهد والغائب، وقد تبدلت فعلم أنها من أوصاف الوجود دون القرائن اللازمة للرؤية فلا يشترط تعديها، وهذا لأن الرؤية تحقق الشيء بالبصر كما هو، فإن كان في الجهة يرى في الجهة وإن كان لا فيها يرى لا فيها، كالعلم فإن كل شيء يعلم كما هو فإن كان في الجهة يعلم في الجهة وإن كان لا في الجهة يعلم لا في الجهة. وبهذا تبين أن العلة المطلقة للرؤية الوجود لأنها تتعلق بالجسم والجوهر والعرض، فلا نفرق بين السواد والبياض والإجتماع والإفتراق بحاسة البصر، فعلم أن العرض مرئي وكذا غيره لأنا نرى الطويل والعريض، وذلك ليس بجواهر متألفة في صفة مخصوصة والحكم المشترك يقتضي علة مشتركة لأن تعليل الأحكام المتساوية بالعلل المختلفة ممتنع، والمشترك بين هذه الأشياء إما الوجود أو الحدوث. والحدوث لا يصلح للعلية لأنه عبارة عن وجود حاصل بعد عدم سابق، والعدم لا يصلح أن يكون علة ولا شطر العلة، فلم يبق إلا الوجود والله تعالى موجود فوجب القول بصحة رؤيته، وما لا يرى من الموجودات فلعدم إجراء الله تعالى العادة في رؤيتنا لا لاستحالة والوجود علة مجوزة للرؤية لا موجبة للرؤية ولا يلزم من كون الشيء جائزاً لرؤية أن نراه ما لم يخلق الله فينا رؤيته. ألا ترى أن الهرة ترى الفأرة بالليل ونحن لا نراها، وكذا المصروع يبصر الجن ولا يراه الحاضرون، وكذا النبي ﷺ كان يرى جبريل ومن عنده من الصحابة لا يرونه.

فإن قيل: هنا مشترك آخر وهو أن يكون ممكن الوجود لذلك قلنا: الإمكان لا يصلح علة للرؤية لأن الإمكان عدم فلا يصلح للعلية ولأن الإمكان قائم في المعدومات ولا يصلح رؤيتها.

قال الفخر الرازي: هذا التعليل ضعيف لأنه يقال الجوهر والعرض مخلوقان، فصحة المخلوقية حكم مشترك بينهما فلا بد من علة مشتركة بينهما ولا مشترك إلا الحدوث والوجود، والحدوث ساقط من حيز الإعتبار لما ذكرتم فيبقى الوجود والله تعالى موجود موجب صحة كونه مخلوقاً، وكما أن هذا باطل فكذا ما ذكرتموه، ثم قال: مذهبنا في هذه المسألة ما اختار الشيخ

....

الإمام أبو منصور الماتريدي رحمه الله إنا نتمسك بالدلائل السمعية ونتمسك بالدلائل العقلية في دفع شبهتهم، وقولهم لو كان مرئياً لكان شبيهاً بالمرئيات باطل لأن الرؤية تتعلق بالمتضادات كالسواد والبياض والحركة والسكون ولا مشابهة بينهما والله أعلم.

وقال البكي في شرح الحاجبية: أما الدليل العقلي على جواز الرؤية فتقريره أنه تعالى الباري موجود وكل موجود يصح أن يرى، فالباري يصح أن يرى، أما الصغرى فضرورية، وأما الكبرى فلأنا نرى الجواهر والاعراض قطعاً، والرؤية مشتركة بينهما وكل مشترك يجب تعليله بما هو مشترك بين تلك الأشياء، ولا مشترك بين الجواهر والاعراض عملاً بالإستقرار إلا أحد أمور ثلاثة: وهو الوجود والحدوث والإمكان، لا جائز أن يكون الحدوث أو الإمكان إذ هما عدميان، والعلة يجب أن تكون وجودية فيتعين أن يكون الوجود والوجود مشترك بالإشتراك المعنوي بين الموجودات كما برهن عليه في محله، فكل موجود يصح أن يرى عملاً بالوجود المشترك وهو المطلوب وفيه نظر في جميع مقدماته. ثم قال: ولكن هنا اعتراض قوي وهو أن يقال: وجود الصانع هو الوجود المجرد الذي هو عين ذاته، وذلك لم يقع به إشتراك وإنما وقع الإشتراك في الوجود العارض المقول على وجوده ووجود الممكنات بالتشكيك، والشيء المقول بالتشكيك لا يلزم إتحاد معروضاته في جميع أحكامه وما يقال أن علة صحة الرؤية هو متعلقها ومتعلقها هو الوجود المطلق أي كون الشيء ذا هوية ما لا خصوصية الوجودات والهويات فضعيف إذ الهوية المطلقة المقولة بإزاء الهويات ليس إلا من الإعتبارات وأن مقوليتها عليها بالعرض لا بالذات، وما يقال بالعرض لا يلزم إتحاد معروضاته في أحكامه، ولا يخفى على ذي فطنة أن المدرك إنما هو خصوصية الوجودات لا الهوية المشتركة، ثم الدليل منقوض بالملموسات فإنا نلمس الجواهر والاعراض واللمس محال أن يتعلق به. قال الشيخ سعد الدين وهو قوي، وقال الآمدي: اختلف الأصحاب فمنهم من عم وقال: الباري يدرك بالإدراكات الخمس للدليل المذكور لكن لا ينجو المعتاد بها بل كما يرى وهو قول الشيخ، ومنهم من قال: إن سائر الإدراكات لا تعم كل موجود فإن إدراك السمع خاص بالمسموعات وإدراك اللمس خاص بالملموسات والباري ليس بصوت ولا الصوت صفة له ولا كيفية ملموسة ولا هي صفة له، وكذا يقال في سائر المدركات الخمس ما عدا البصر، وعلى القول بأن هذه الإدراكات تتعلق به على قول الشيخ فليس المراد خصوصيتها، وإنما هو أن نطلق الإدراك من غير كيفية على مقتضى هذا الدليل أيضاً جوز الشيخ تعلق الرؤية بصفاته جل وعلا وهذا لا يقتضي الوقوع إذ العقل لا مجال له فيه ولا يقتضي وقوعها، وغاية الدليل أن سلم الجواز، ولأجل ضعف هذا الدليل اختار المتأخرون دليل السمع ثم ساق تقريره والإستدلال من وجهين حسبما بيناه آنفاً، ثم قال: وما تتعرض به الخصوم فجهالة لا تسمع وأكثرها لا يصدر عن مسلم معترف بحق الأنبياء، وأما الوقوع فثابت بنص الكتاب والسنة وإجماع الأمة، أما الإجماع فقد اتفقت الأمة قبل حدوث المخالفين على وقوع الرؤية وأن الآيات والأحاديث الواردة في ذلك على ظاهرها، ولقد روى

....

حديث الرؤية أحد وعشرون رجلاً من كبار الصحابة، ثم ساق الآيات وبعض الأحاديث حسبما ذكرناه أولاً، ثم قال: وأما المحدث فحاله في هذه المسألة لا يزيد على حال الأشعري إلا بتصحيح الأحاديث الدالة على هذا المعتقد على ما يليق بجلاله تعالى، ولا عبرة بالمشبهة إذ دخولهم في أهل السنة والجماعة محل نظر إذ ليسوا منهم، وأما الصوفي فيقول بجميع ما تقدم ويزيد بإشارته الوجدية فيقول: العبودية نسبة العبد إلى ربه، والربوبية نسبة الرب إلى العبد. ومن المعلوم عقلاً أن معقول كل واحد من النسبتين متوقفة على الأخرى تعقلاً ووجوداً فإدراك العبودية يكون معه إدراك الربوبية لا محالة، وإدراك العبودية على مراتب تخيل وهمي، وعلم يقيني، وذوق كشفي، وشهود حسي. وهذا كله خاص بالمتوجهين فالأولى لأهل الفرق من المريدين، والثانية لأهل الجمع من السالكين، والثالثة لأهل جمع الجمع من الواصلين والرابعة لأهل وحدة الجمع والوجود من المقربين، وقد سئل سهل رحمه الله عن المشاهدة فقال: العبودية. وقال أيضاً أربعون سنة أخاطب الحق والناس يظنون إني أخاطبهم، وقد نبه المعلم الأعظم ﷺ بقوله: « إنكم سترون ربكم » وقال تعالى ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ [الإسراء: ١] فخص مواطن المشاهدة والرؤية بذكر إسم العبد والرب تنبيهاً على ما أشرنا إليه فاعرف ذلك وتحقق بعبوديتك فإن الخير فيها ومنها فافهم اهـ.

وقال ابن فورك في المدخل الأوسط: أعلم أن رؤية الله تعالى جائزة من جهة النظر واجبة من جهة خبر الصادق، فدلالة جوازه من جهة النظر أن الوصف له بأنه راء من صفات نفسه، كما أن وصفه بأنه عالم من صفات نفسه واستحال أن يعلم غيره من لا يعلم نفسه كذلك يستحيل أن يرى غيره من لا يرى نفسه فثبت أنه مرئي لنفسه، وإذا جاز أن يرى نفسه جاز أن نراه نحن كما أنه لما جاز أن يعلم غيره جاز أن يعلم نفسه لأن وصفه بالرؤية من صفات نفسه وليس شرط ما يرى غيره أنه يستحيل أن يرى نفسه، كما أن شرط من يقدر أن يستحيل أن يقدر على نفسه ولأن كل وصف لا يوجب حدثه ولا حدث معنى فيه ولا قلب عن حقيقته فجائز عليه، والرؤية لا توجب حدث المرئي لأنا نرى ما حدث أمس فلا يكون بالرؤية حادثاً ولا حدث معنى فيه لأنا نرى اللون لا يصح أن يحدث فيه معنى ولا قلبه عن حقيقته لأنا نرى المختلفات فلا ينقلب أحدها عن حقيقته إلى حقيقة غيره، واللمس والشم والذوق يقتضي حدوث معنى فيه فلذلك لم يجز عليه اهـ.

وقد أوسع الكلام في هذا المعتقد ابن التلمساني في شرح لمع الأدلة ونحن نورد لك من تقريره ما تعلق به المقصود في هذا المحل قال: اعلم أن المراد بالرؤية والأبصار حالة زائدة على العلم وعلى تأثير الحدقة بالمرئي، وهل الإدراك المقتضي لهذه الحالة خارج عن جنس العلم. أو من جنسه؟ اختلف الأشعريون فيه. ونقل عن الأشعري قولان مع الإتفاق على موافقته للعلم في أنه يقتضي كشفاً ويتعلق بالشيء على ما هو عليه إلا أنه لا يتعلق إلا بالموجود المعين، والعلم يتعلق بالموجود

....

والمعدوم والمعين والمطلق. وزعمت المعتزلة أن الرؤية مشروطة بشروط: منها كون المرئي مختصاً بجهة مقابلاً للرائي أو في حكم المقابل كرؤية الإنسان نفسه بالشعاع المنعكس، ومنه إنبعاث الأشعة من الحدقة وإتصالها بالمرئي وتشبيهها به، ومنها انتفاء البعد المفرط والقرب المفرط، ومنها زوال الحجب الكثيفة وصفاء الهواء، فلذلك يرى الجالس حول النار في الليل وإن بعد ولا يرى من في ظله وإن قرب ولما كان الباري سبحانه ليس في جهة زعموا أنه يستحيل رؤيته. وساعدهم الفلاسفة على استحالة جواز رؤية واجب الوجود وإن اختلفت مناهجهم فإنهم يزعمون أن الرؤية ترجع إلى انطباع صورة في الحدقة والصورة مركبة ولا ينطبع إلا في مركب، فلأجل ذلك قالوا: لا يرى الباري ولا يرى، وأما الحشوية والكرامية وإن ساعدوا على جواز رؤية الله تعالى فإنما حكموا بجواز رؤيته لاعتقادهم أنه في جهة أما نحن فنقضي بجواز رؤيته مع نفي اختصاصه بالجهات فهم مخالفون لنا في المعنى وإن وافقوا في اللفظ، ثم قال: وقول إمام الحرمين والدليل على جواز رؤيته عقلاً فإشارة منه إلى أنه يمكن أن يستدل على جواز الرؤية سمعاً، وذلك لأن المطالب الإلهية منقسمة إلى ما لا يدرك إلا بالعقل وهو كل ما يتوقف صدق الرسول عليه، فإن مستند صحة الأدلة السمعية كلها قول الرسول المدلول على صدقه فلو أثبتنا ما يتوقف إثبات المعجزة عليه بالسمع وهي لا تثبت إلا بثبوته لدار. ومنها ما لا يمكن إثباته إلا بالسمع وهو وقوع الجائزات الغيبية كالحشر والنشر والحساب والخلود في إحدى الدارين ووقوع الرؤية للمؤمنين في الدار الآخرة من هذا القسم، فلا جرم أن الإمام قال: ونستدل على وجوب الرؤية وأنها ستكون وعداً من الله صدقاً وعنى بوجوب الرؤية ههنا تحتم الوقوع للخبر والوعد الصدق، وأما ما لا يكون أصلاً للمعجزة ولا يرجع إلى وقوع جائز فيصح الإستدلال عليه بالعقل والسمع إن وجد أو جواز الرؤية من هذا القسم، فلأجل ذلك تمسك الأصحاب فيه بالمعقول والمنقول، فمما تمسكوا به عقلاً أن قالوا: حاصل الإدراك علم مخصوص يخلقه الله تعالى في العين وكما صح خلقه في القلب صح خلقه في العين وضعف هذا المسلك بأنا نجد من أنفسنا فرقاً ضرورياً بين حالة تغميض أجفاننا عن الشيء مع العلم به وبين حالة فتحها وتعلقها بالمرئي، وذلك يدل على أن الإدراك معنى زائد على العلم مغاير له وأن درجته في الكشف والظهور فوق درجة الشعور بالشيء حال غيبته وإدراكه بعوارضه أو بإدراك ماهيته، وللمحتج بهذه الطريقة أن يقول الفرق يرجع إلى كثرة العلم بالمتعلقات فإن الرؤية تتعلق بالهيئات الإجتماعية التي لا يحيط بها الذهن والوصف مع الغيبة. وهذه الحجة مفرعة على أن الرؤية من جنس العلوم المسلك الثاني: أن إدراك الرؤية من الصفات التي تتعلق بالشيء ولا تؤثر كالعلم والخبر، وإذا كانت لا تؤثر في متعلقها فلا مانع من تعلقها بالقديم والحادث، وضعف هذا المسلك بأن حاصله راجع إلى إبطال مانع واحد من صحة الرؤية وهو التأثير ولا يلزم من نفي مانع واحد ثبوت الشيء ما لم يحقق مصححه وانتفاء جميع موانعه. المسلك الثالث: ما تمسك به الإمام وعليه اعتماد أكثر الأشعرية وهو أن الباري تعالى

موجود وكل موجود يصح أن يرى، فالباري يصح أن يرى، أما أن الباري موجود فقد سبق الدليل عليه، وأما أن كل موجود يصح أن يرى فلأن الرؤية تعلقت في الشاهد بالمختلفات بدليل رؤية الجواهر والاعراض وهي مختلفة، فلا تخلو صحة الرؤية إما أن يكون لما به الإفتراق أو لما به الإشتراك، فإن كانت لما به الإفتراق لزم تعليل الأحكام المتساوية في النوع بعلل مختلفة وتعليل الواحد بالنوع بالعلل المختلفة محال، فتعين أن يكون لما به الإشتراك وما به الإشتراك هو الوجود أو الحدوث، والحدوث لا يصح أن يكون علة لصحة الرؤية فإنها حكم ثبوتي والحدوث عبارة عن وجود حاضر وعدم سابق والسابق لا يكون علة للحاضر والعدم لا يجوز أن يكون جزءاً من المقتضي، وإذا سقط الحدوث عن درجة الإعتبار لم يبق إلا الوجود ومعقول أن الوجود لا يختلف شاهداً وغائباً والباري تعالى موجود، فصح أن يرى وقد أورد الفخر الرازي على هذا المسلك اعتراضات عديدة وأكد ورودها بقوله: وإني غير قادر على الجواب عنها ونحن نلخصها ونجيب عنها بحسب الإمكان إن شاء الله تعالى.

الأول: لا نسلم أن صحة الرؤية أمر ثبوتي والذي يحقق أن صحة الرؤية أمر عدمي أن الصحة معقول عدمي، فتكون صحة الرؤية أمراً عدمياً إنما قلنا أن الصحة أمر عدمي لأن صحة وجود العالم سابقة على وجوده، فلو كانت الصحة أمراً ثبوتياً لاستدعت محلاً ثانياً لاستحالة قيام الأمر الثبوتي بالنفي المحض، ولو كان محلها ثابتاً للزم قدم الهيولي على ما تزعم الفلاسفة أو اشبيه المعدوم كما صار إليه بعض المعتزلة، فالصحة إذاً ليست حكماً ثبوتياً وإذا كانت الصحة ليست حكماً ثبوتياً لزم أن لا يكون صحة الرؤية أمراً ثبوتياً لأنها من افراد الصحة.

الثاني: سلمنا أن الصحة أمر ثبوتي لكن لا نسلم صحة التعليل أصلاً ورأساً. كيف والشيخ أبو الحسن ممن ينفي الأحوال من المتكلمين لا يقول بالتعليل العقلي فإنه لا واسطة عنده بين الوجود والعدم لا يعلل والوجوب إما واجب لذاته وهو مستغن بوجوبه عن المقتضى أو ممكن والممكنات كلها تستند إلى الله تعالى خلقاً واختراعاً فلا علة عنده ولا معقول في العقل.

الثالث: سلمنا صحة أصل التعليل فلم قلتم أن صحة الرؤية من الأحكام المعللة، فإن صحة كون الشيء معلوماً حكم وهو غير معلل.

الرابع: سلمنا صحة تعليل الرؤية، لكن لا نسلم أن صحة الرؤية حكم مشترك، فإن صحة كون السواد مرئياً مخالفة لصحة رؤية الجوهر، ولو كانتا متساويتين لصح أن تقوم إحداهما مقام الأخرى، ولو قامت إحداهما مقام الأخرى لصح أن يرى السواد جوهراً والجوهر سواداً.

الخامس: سلمنا أن صحة الرؤية حكم عام مشترك، لكن لا نسلم امتناع تعليل الأحكام المتساوية لعلل مختلفة، فإن اللونية قدر مشترك ووجودها معلل بخصوصيات الألوان وهي مختلفة.

السادس: سلمنا أن الحكم المشترك لا بد له من علة مختلفة، لكن لا نسلم أن الوجود مقول

....

على الواجب والممكن بالإشتراك المعنوي، وإنما هو مقول بالإشتراك اللفظي أو بالتشكيك لأنه لو كان مقولاً بالتواطؤ لكان جنساً للواجب لذاته والممكن لذاته، ولو كان جنساً لها لاستدعى الواجب لذاته فصلاً ويلزم منه تركيب ماهية واجب الوجود. كيف والشيخ أبو الحسن ممن يوافق على أنه معقول الإشتراك.

السابع: سلمنا أنه حكم عام وأن الحكم العام يستدعي علة مشتركة، لكن لا نسلم أنه لا مشترك بين الجواهر والاعراض سوى الحدوث والوجود والإعتاد في نفي الإشتراك فيا سواهما على الإستقراء لا يصح فإنه عدم علم لا علم بالعدم.

الثامن: خرم الحصر بالإمكان وبالمركب من الجواهر والإعراض ويحقق ذلك أنا لم نر قط جوهراً عرياً عن الإعراض ولا عرضاً عرياً عن الجوهر، فما المانع أن يكون المصحح للرؤية كونه جوهراً على الحالة المخصوصة.

التاسع: سلمنا أنه لا مشترك سوى الوجود والحدوث، لكن لا نسلم سقوط الحدوث عن درجة الإعتبار. قولكم أن معقوله يرجع إلى عدم سابق ووجود حاضر والعدم لا يكون علة للأمر الثابت قلنا: لا نسلم أن جزء الحدوث هو العدم السابق، بل الحدوث عبارة عن الوجود المسبوق بالعدم والوجود بصفة كونه مسبوقاً كيفية حاصلة بثبوته لأنها صفة للوجود، والصفة العدمية يمتنع قيامها بالأمر الوجودي.

العاشر: سلمنا أن الوجود علـة مشتركة، لكن لم قلتم أنه علة بالنسبة إلى القديم، فإن العلة إنما توجب أثرها إذا وجدت في محلها بشرطها، فإن الحكم كما يعتبر في ثبوته وجود مصححه يعتبر فيه وجود شرطه وانتفـاء مانعه، وحينئذ لا يلزم من وجود المصحح صحة رؤيته فإن الحياة مصححة لكثير من الأحكام في الشاهد كالألم واللذة والجهل واضداد السمع والبصر والكلام والباري تعالى حي وجميع ذلك ممتنع عليه.

الحـادي عشر: سلمنا وجود المصحح بشرطه، لكن لم قلتم أنه يكون مصححاً في حقنا، ولا يلزم من كون الشيء مصححاً أن يكون مصححاً بالنسبة إلى كل واحد، فإن صحة كون الجواهر مخلوقة معللة بإمكانها ولا يصحح نسبة خالقيتها إلينا وكذلك كثير من الاعراض بالإتفاق.

الثاني عشر: ما ذكرتموه منقوض ببقية الإدراكات من الشم والذوق واللمس، فإن جميع ذلك أحكام مشتركة ويستدعي مصححاً مشتركاً ولا مشترك سوى الوجود بغير ما ذكرتم، فيلزم كون الباري تعالى مذوقاً مشموماً ملموساً، وذلك يفضي إلى السفسطة والكفر.

الثالث عشر: ما أورده البهشمية قالوا: لو كان علة صحة الرؤية الوجود والوجود يشترك في سائر الموجودات للزم أن لا يدرك اختلاف المختلفات، لكن يدرك ذلك عند الرؤية، فدل على

....

أن الرؤية تتعلق بالأخص ويتبعه العلم بالوجود الأعم، وحينئذ لا يلزم من صحة رؤية بعض الممكنات لتعلق الرؤية بأخصها تعلقها بكل أخص، وهو كقول الأشعري: أن بعض المحدثات مكسوب للعباد وبعضها غير مكسوب لتعلق الكسب بالأخص والخصوصيات مختلفة. قال الفخر الرازي بعد قوله: وأنا غير قادر على الجواب عنها كما تقدم فمن أجاب عنها أمكنه أن يتمسك بهذه الطريقة.

قال ابن التلمساني: والجواب عنها بحسب الأمكان مع التنبيه على أوقعها قوله: لا نسلم أن صحة الرؤية أمر ثبوتي قلنا :الدليل عليه أن الصحة نقيض لا صحة المحمول على الممتنع فالصحة أمر ثبوتي لاستحالة تقابل سلبين. قوله: صحة وجود العالم سابقة على وجوده الخ. قلنا: لا نسلم تقدم الإمكان وما المانع أن يكون إمكان وجود الماهية متقدماً عليها بالذات وإن كانا معاً في الوجود كتقدم سائر أجزاء الماهيات عليها، فإن إمكان الممكن من صفات نفسه الذاتية وسائر الصفات الذاتية متقدمة على ما هي ذاتية له، وإن كانا معاً في الوجود كما أن المعنوية والكونية سابقة على وجود السواد، وإن كانا لا يوجدان متجردين عن السوادية.

قوله في السؤال الثاني لا نسلم صحة التعليل أصلاً ورأساً وأنه مبني على إثبات الأحوال والواسطة. قلنا: الحق أن هذا الدليل لا يتم إلا على إثبات الأحوال والواسطة، والدليل على إثباتها أن السواد والبياض يشتركان في المعنوية والكونية ويفترقان بالسوادية والبياضية وما به الإشتراك غير ما به الإفتراق، فهذه الوجوه وكل وجه تقع به المماثلة أو المخالفة بين سائر الأنواع لا يخلو إما أن تكون موجودة أو معدومة، أو لا موجودة ولا معدومة، أو موجودة معدومة معاً، والأخير باطل بالقطع، والأول باطل وإلا لكان للشيء الواحد وجودان فيتعين الثالث وهو أنها صفات لا موجودة ولا معدومة وهي المعبر عنها بالثابت، والحال لا يقال فالأحوال أيضاً مشتركة في الحالية ومفترقة بالعموم والخصوص وما به الإشتراك غير ما به الإفتراق. وقد زعمتم أن ما به الإشتراك والإفتراق أحوال، فيلزم إثبات الأحوال للأحوال، ثم يعود التقسيم في تلك الأحوال الثانية والثالثة ويلزم التسلسل لأنا نقول إنما يلزم التسلسل أن لو كان تمايز الأحوال بصفات نفسية كتمايز الأنواع لكنا نقول: إن الأحوال إنما تتمايز بالإضافات لأنها لو تمايزت بأنفسها لزم إثبات الحال للحال وتكون ذواتاً فتمتاز حالة التميز عن غيرها بإضافتها إلى ذات الجوهر، وتمتاز العالمية بإضافتها إلى ذات العلم، وكذلك القادرية بإضافتها إلى ذات القدرة، وعلى هذا التقدير لا يلزم التسلسل.

قوله في السؤال الثالث: سلمنا صحة تعليل بعض الأحكام فلم قلتم ان صحة الرؤية من الأحكام المعللة وأنها تتوقف على مصحح؟ قلنا: الدليل على توقفها أنها لو لم تتوقف، لصح رؤية المعدوم والموجود كما صح أن يعلما ولما تخصص محلها ولم يعم دل على افتقارها إلى المصحح.

قوله في السؤال الرابع لا نسلم أن صحة الرؤية حكم عام مشترك بل الصحة تختلف بحسب ما

....

يضاف إليه. قلنا: لا نعني بكون الحكم عاماً بالنسبة إلى شيئين فصاعداً إلا أن المعقول من كل واحد منها من ذلك كالمعقول من الآخر بحيث لو سبق أيها كان إلى الذهن لم يدرك العقل تفرقة بينه وبين الآخر، كالعلم من حيث هو علم بالاشياء المختلفة، ولو اقتضى اختلاف المتعلق اختلاف نوع المتعلق لما عقل عموم بين شيئين البتة، كذلك صحة الرؤية لا تختلف بكون المرئي جوهراً ولا عرضاً. ومن الدليل على أنها مشتركة صحة إنقسامها إلى رؤية كذا ورؤية كذا، ومورد التقسيم لا بدّ أن يكون مشتركاً.

قوله في السؤال الخامس: لا نسلم امتناع تعليل الأحكام المتساوية بعلل مختلفة. قلنا: لأن الأحكام العقلية كالعالمية والقادرية لا تتميز باعتبار ذاتها إذ لا حقيقة لها من نحو ذاتها وإنما تتميز باعتبار المعاني الموجبة لها، فلو عللنا العالمية بغير العلم لكان ذلك قلباً لجنسها، وقلب الاجناس محال لا يقال لا يمتنع اشتراك المختلفات في لازم واحد وذلك يوجب تعليل الواحد بالنوع بالعلل المختلفة كما تقدم من أن الحصة من اللونية الموجود معللة بخصوصيات الألوان لأنا نقول لا نمنع اشتراك المختلفات في لازم واحد كما مثلتم، وإنما نمنع كون الأخص علة للحصة النوعية ولأن الفصل قد يكون صفة كالباقي، والصفة تفتقر في وجودها إلى وجود ذلك الأعم، فكيف يكون علة في وجوده.

قوله في السؤال السادس: لا نسلم أن الوجود مشترك بمعنى أنه مقول بالتواطؤ. قلنا: الدليل عليه أنا نعلم بالضرورة انقسام الوجود إلى واجب لذاته وممكن لذاته، ومورد التقسيم لا بد أن يكون مشتركاً، ومن زعم أنه مقول بالاشتراك وأن وجود كل شيء حقيقته والحقائق مختلفة فيكون مختلفاً لا يصح، لأن وجود الباري معلوم لنا وماهيته غير معلومة لنا والمعلوم غير ما ليس بمعلوم، وأما من زعم انه بالتشكيك على الممكن والواجب وأنه لواجب الوجود أولى وأولى، فنقول: كون الوجود لواجب الوجود أوّلياً وأولوياً لا يخلو إما أن يتوقف معقول الوجود على هذا القيد أو لا، فإن توقف وجوده عليه لزم التركيب في وجود واجب الوجود وهو محال وإن لم يتوقف على تلك الزيادة لزم التواطؤ قوله لو كان متواطئاً لكان جنساً. قلنا: لا نسلم لأنه لو كان جنساً لتوقف فهم ماهية ما يقال عليه على فهمه، لأن الجنس ذاتي ولما أمكننا أن نعقل ماهية الجنة والنار وأن نطلب الدليل على أنها هل هما موجودتان معدتان أم لا علم أن وجودهما غير ماهيتهما.

قوله في السؤال السابع: لم قلتم أنه لا مشترك إلا الوجود والحدوث ليلزم من ابطال التعليل بالحدوث التعليل بالوجود؟ قلنا: إذا تقرر أن الرؤية تعلقت بالمختلفات فنقول: ما به الاشتراك من هذه المختلفات لا يخلو إما أن يكون نفياً أو إثباتاً، والنفي لا يصلح أن يكون مصححاً للرؤية وإلاّ لصحت رؤية المعدوم ولامتنعت رؤية الموجود، والإثبات إما أن يتقيد بالوجود أولا، فإن لم يتقيد كان حالاً ويلزم أن لا يرى الموجود، وإن تقيد بالوجود فلا يخلو إما أن يتقيد بكونه صفة أو موصوفاً لا جائز أن يتقيد بكونه صفة وإلا لما رؤي الموصوف ولا بكونه

....

موصوفاً وإلا لما رؤيت الصفة، فتعين أن يكون موجوداً مطلقاً ثم لا يخلو أما أن يكون وجود المرئي أو غيره لا جائز أن يكون غيره لوجوب اختصاص العلم بمحل، فتعين أن يكون إنما رؤي لوجوده.

قوله في السؤال الثامن: وهو خرم الحصر بالإمكان فإنه أيضاً مشترك وبالمركب والجوهر والعرض. فنقول: ما ذكرناه من التقسيم جائز فإن الإمكان لا يخلـو إما أن يكون عدماً أو ثبوتاً لا يتقيد بالوجود، فإن كان عدماً أو ثبوتاً لا يتقيد بالوجود لزم أن لا يرى الموجود وإن تقيدا بالوجود لزم التركيب في العلة العقلية وهو محال، وإنما قلنا أن التركيب في العلة العقلية محال لأنه لو جاز التركيب فيها لزم نقض العلة العقلية وتخلف الحكم عن العلة وهو محال بيان اللزوم أنه لو كان المجموع علة للثبوت لكان عدم كل واحدة من ذلك المجموع علة لعدم تلك العلية، فإن المجموع يكفي في عدمه عدم بعض أجزائه، فإن انعدمت بعدم أحد جزأيهـا ثم انعدم بعد ذلك الجزء الآخر فلا يخلو إما أن يوجب عدم ذلك الجزء الثاني عدم العلية أو لا. فإن لم يوجب عدمها لزم أن لا يكون عمد أحد الجزأين علة لعدم المركب. وقد فرضناه علة هذا خلف وإذا وجب عدمه كان تحصيلاً للحاصل وأنه محال، وبهذا يندفع ما ذكره من احتمال التعليل بالمركب من الجوهر والعرض ويبطل التعليل بموجودين بوجه آخر، وهو أن العلة يقتضي حكمهـا لنفسهـا وجهة الاقتضاء وصف لها ويمتنع حصول الصفة الواحدة بموجودين.

قوله في السؤال التاسع: لا نسلم سقوط الحدوث عن درجة الاعتبار وأن الحدوث هو الوجود المقيد بمسبوقية العدم والمسبوقية أمر يقارب الوجود، وأن ذلك كيفية وصفة للموجود. قلنا: الحدوث صفة اعتبارية لا حقيقية لأنها لو كانت صفة حقيقية ثبوتية لامتنع القول بقدمها، ولو كانت حادثة وحدوثها صفة ثابتة قائمة بها لزم قيام المعنى بالمعنى والتسلسل، فتعين أن الحدوث لا يعقل إلا بشركة من العدم والعدم لا يصح أن يكون علة ولا جزأ من العلة.

قوله في السؤال العاشر: انه كما يعتبر في ثبوت الحكم ثبوت العلة ولا بدّ أن تكون مـوجـودة بشرطها وانتفاء مانعها فلم قلتم أن الامر ههنا كذلك بالنسبة إلى القديم؟ قلنا: العلة يقتضي حكمها لنفسها أينما وجدت وما يقتضي لنفسه وذاته ولا يتأخر مقتضاه عن تحقق ذاته فلو توقف اقتضاؤه على شرط وانتفاء مانع لكان ذلك الشرط والانتفاء جزءاً من علة اقتضائه ويعود المحذور من تركيب العلة لا يقال، فالعلم يقتضي كون محله عالماً وهو مشروط بالحياة لأن مقول الحياة شرط في وجود العلم في اقتضائه.

قوله في السؤال الحادي عشر: لم قلتم آنه إذا كان مصححاً في الحكم يلزم أن يكون مصححاً بالنسبة إلى كل أحد حتى يلزم أن يصحح رؤيته لنا؟ قلنا: حكم العلة العقلية يجب طرده، وقد حققنا أنه مصحح بالنسبة أيضاً فيما تعلقت به رؤيتنا وأنه مشترك، وقوله آن صحة خلق الجواهر معللة بإمكانها ولا يصح بالنسبة إلينا. قلنا: لا نسلم ثبوت حكم الخالقية لنا في صورة ما ليلزم

....

من تعين علتها أن يطرد في صحة خلق الجواهر لنا، فإن قيل: فيلزم منكم ذلك في الكسب الذي أثبتموه، فإنكم وإن نفيتم عن العبد الخالقية لم تنفـوا عن الكسب؟ قلنا: لا نسلم أن تعلق أكسابنا ببعض الأفعال كان بمعنى يوجد بالنسبة إلى حدوث الجواهر ولا يتم النقض ما لم تعينوا مشتركاً وهو علة الكسب لنا وتحققوه فيما سلم امتناع تحقق الكسب فيه.

قوله في السؤال الثاني عشر: ما ذكرتموه ينتقض ببقية الادراكات كالشم والذوق واللمس فإن دليلكم مطرد فيه ولا يصح تعلقها به تعالى؟ قلنا: من مقدمات دليلنا أن الأبصار تتعلق بالمختلفات بالجواهر والاعراض بالضرورة. وهذه قضية مدركة بالحس ولا نسلم تعلق بقية الإدراكات بالمختلفات، فإن كل إدراك منها يتعلق بنوع من الأعراض، فلم يطرد الدليل؟ وأجاب بعض الأصحاب بأن هذه لا تنفك عن إتصالات جسمانية فيمتنع تعلقها به تعالى بخلاف الرؤية، ولقائل أن يقول: على هذا إن صح اثبات الرؤية بدون اشتراط بنية مخصوصة وانبعاث أشعة واتصالها بالمرئي وأن المرئي في غير جهة من الرائي وأن جميع ذلك شروط في العادة لا في العقل فما المانع من تعلق هذه الادراكات بدون الاتصالات وأن تلك الاتصالات شرط في العادة لا في العقل.

قوله في السؤال الثالث عشر: لو كان المصحح هو الوجود لم ندرك اختلاف الأشياء. قلنا: إذا شاهدنا وجود شيء أدركنا ذلك منه شيئاً لإدراك وجوده، كما قالت البهشمية أن الرؤية تتعلق بأخص وصف الشيء ويتبعها العلم بوجوده مع حكمهم بأن الحال لا يوصف بأنها معلومة وإن لم تكن معلومة فكيف يقضى بأنها مدركة بالحس؟ فإن قالوا: ما صرنا إليه أدخل في العقول، فإن العلم بالاخص يستلزم العلم بالأعم والوجود أعم وما صرتم إليه غير لازم في العقل، وهو أن إدراك الأعم وهو الوجود يتبعه ادراك الأخص؟ قلنا: العلم بالاخص إنما يستلزم العلم بالاعم الذاتي. أما الاعم العارض فغير مستلزم له والوجود عندكم عارض على الماهيات فإنكم أثبتموها في العدم عرية عن الوجود، ثم زعمتم أن الوجود يعرض لها من الفاعل المختار، فإذا لم يلزم من إدراك ماهية مّا وتميزها على أصولكم إدراك كونها موجودة أما نحن فنعتقد أن وجود الماهية لا يفارقها بل متى ثبتّا ثبتا معاً ومتى انتفيا انتفيا معاً، وإذا كان كذلك فلا مانع أنه متى أدرك أحدهما أدرك الآخر، ونحن لا ندعي ذلك لزوماً عقلياً بل بمجرد العادة. وأقدح هذه الأسئلة منع أصل التعليل والنقض ببقية الإدراكات، فمن ثم اعتمد بعض الأصحاب في الجواز على السمع، وأنا أقول أن هذه الطريقة مبنية على مغالطة وهي أنهم بنوا الأمر فيها على أن الرؤية لا بدّ لها من مصحح، والمصحح هو ما لا يثبت الشيء إلا مع ثبوته كالحياة بالنسبة إلى العلم والعلم بالنسبة إلى الإرادة، ولا يلزم من وجود مصحح وجود ما هو مصحح له، فإذاً المصحح من قبيل الشروط لا من قبيل العلل. وقد اعتمدوا في تعيين الوجود على الزام العلل من امتناع التعليل بالعدم ووجوب تعليل المشترك بعلة مشتركة ووجوب الإطراد ومنع التركيب والشروط ليست كذلك، فإن الشيء الواحد يصح أن يكون مشروطاً بأشياء، ويصح أن يكون شرطاً في أشياء

....

والشرط لا يؤثر في المشروط فيصح أن يكون وجوداً وعدماً، ثم قدر احتجاج أبي الحسن على جواز الرؤية بالسمع بقول الكليم عليه السلام بما تقدم ذكره وزاد قالوا: إنما سأل لقومه لا لنفسه، لأنه عالم بامتناعه عليه. قلنا: لو كان كذلك لكان ذلك تأخيراً للبيان عن وقت الحاجة، وأنه لا يجوز. ألا ترى انهم لما قالوا له: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾ [الأعراف: ١٣٨] عجّل الجواب فقال: إنكم قوم تجهلون. قالوا: سأل خلق علم ضروري لما علمه بالنظر. قلنا: العلوم بعد حصولها كلها ضرورية، فلا معنى لطلب تحصيل الحاصل، ثم قرر هذا الدليل من وجه ثان ونسبه للفخر بأنه علق رؤيته على استقرار الجبل على ما سبق بيانه وزاد، ولا يرد عليه أنه لا يلزم من كونه ممكناً في نفس الأمر أن يكون ممكنا مع تقدير التجلي، فإن الممكن في نفسه قد يمتنع لغيره. كيف وسياق الآية يدل على خلاف ما ذكره، فإن المفهوم منه التنبيه على غاية البعد وهو كقوله: ﴿حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ [الأعراف: ٤٠] ثم قال: وأقرب من هذا كله أن الله تعالى أخبر أن الرؤية ستكون للمؤمنين في الدار الآخرة، وقوله حق ووعده صدق، ولا يقع إلا جائزاً، فكل ما يدل من السمع على أنه سيقع يدل على جوازه، ثم قال: وزعموا في جواب موسى الكليم عليه السلام **(لن تراني)** أنَّ «لن» تقتضي النفي على التأبيد. قلنا: «لن» لا تدل إلا على مجرد النفي في الاستقبال ولا اشعار لها بالتأبيد بدليل قوله تعالى في عدم تمني اليهود الموت ﴿ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ وهم يتمنونه في النار، ولو سلم إشعارها بالتأبيد فهو بحسب ما سأله الكليم وهو إنما يسأل رؤية في الدنيا فلا ينفي ذلك وقوع الرؤية في الآخرة.

فصل

قال النسفي في شرح العمدة: زعمت طائفة من مثبتي الرؤية باستحالة رؤيته تعالى في المنام لأن ما يرى في المنام خيال ومثال والله يتعالى عن ذلك، ولأن النوم حدث فلا يليق حالة الحدث بهذه الكرامة، وجوّزها بعض أصحابنا بلا كيفية وجهة ومقابلة وخيال ومثال كما عرفناه في اليقظة تمسكاً بما روي عن النبي ﷺ: رأيت ربي في المنام البارحة وتشبثاً بالمحكي عن السلف فإنه روي عن أبي يزيد أنه قال: رأيت ربي في المنام فقلت: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعال. ورأى أحمد بن خضرويه ربه في المنام فقال يا أحمد: كل الناس يطلبون مني إلاَّ أبا يزيد فإنه يطلبني، وروي عن أحمد الزيات وأبي الفوارس شاه بن شجاع الكرماني، ومحمد بن علي الترمذي، والعلامة شمس الأئمة الكردري رحمهم الله انهم رأوه، وقد حكى لي متعلم زاهد كان يختلف إليَّ ببخارى أنه رآه، وقد رأيت فيها شاباً متعبداً لا يختلط بالناس وكان يرى في الليالى فسألت عن حاله فقالوا: إنه رأى ربه، ولأنه ما جاز رؤيته في ذات لا يختلف بين النوم واليقظة وذلك لأن الرائي في النوم هو الروح لا العين وذلك نوع مشاهدة يحصل في النوم، وإذا جاز هذا في اليقظة لقوله عليه الصلاة والسلام: «أعبد الله كأنك تراه» فلأن يجوز في النوم والروح في

حالة النوم أصفى أولى، والرائي في النوم الروح وهو لا يوصف بالحدث. وقولهم ما يرى في النوم خيال ومثال لا نسلم بأنه منحصر في ذلك. وهذا الكلام منكم نظير قول المعتزلة أن ما يرى في الشاهد جسم أو عرض أو جوهر، والباري منزه عن ذلك فلا يرى فكل ما أجبنا لهم ثم فهو جواب لكم.

فصل

قال النسفي: المعدوم ليس بمرئي كما أنه ليس بشيء، وهاتان مسألتان.

أما الأولى: فقد جرت المناظرة فيها بين الإمام الزاهد نور الدين الصابوني، والشيخ رشيد الدين، فقال الإمام: الطريق فيه النقل والعقل، أما النقل فقد أفتى أئمة سمرقند وبخارى على أنه غير مرئي، وقد ذكر الإمام الزاهد الصفار في آخر كتاب التلخيص على أن المعدوم مستحيل الرؤية، وكذا المفسرون ذكروا في التفاسير أن المعدوم لا يصلح أن يكون مرئي الله تعالى، وكذا قول السلف من الأشعرية والماتريدية أن الوجود علة جواز الرؤية ناطق بهذا إذ العلة العقلية شرطها أن تكون مطردة منعكسة. وأما العقل، فلأن الشعر الأسود بياضه معدوم في الحال لا يخلو إما أن يراه في هذا الشعر أو في شعر آخر أو لا في محل، فإن رآه في هذا الشعر فقد رآه أسود وأبيض في حالة واحدة وهو محال، وإن رآه لا في محل فهو محال والمحال ليس بمرئي إجماعاً، وكذا في الشخص الحي إن رأى موته فيه فقد رآه حياً وميتاً في زمان واحد، وإن رآه في شخص آخر فيكون الموت صفة ذلك الشخص وإن لا في محل فكما مرّ. قال الشيخ: فإن كانت موجودة في الأزل على هذه الهيئات، وكان الله رائياً لها في الأزل كما هو راء لها في الحال. قال الإمام: هذا قول بقدم العالم لأنك صرحت بانها موجودة في الأزل، وإن قيدت بقولك في علم الله وفيه تناقض لأن المحدث لا يكون موجوداً في الأزل فإنها لو كانت موجودة في الأزل لكان إيجاد الباري إياها ايجاد الموجود، ولأن المحدثات لو كانت موجودة في علم الله تعالى لكان الله تعالى رائياً للموجود لا للمعدوم، وهذا بمعزل عن الخلاف والخلاف إنما وقع في رؤية المعدوم. قال الشيخ: الرؤية صفة الله تعالى وهي كاملة غير قاصرة كسائر صفاته، ولو لم يكن المعدوم مرئياً له لتطرق القصور في صفته وهو منزه عنه. قال الإمام: نعم لا قصور في صفته، ولكن الواحد تحت صفاته ما لا تستحيل إضافته إليه لا ما لا تستحيل، فالقدرة صفة الله تعالى ثم ما يستحيل أن يكون مقدوراً لا يستقيم إضافة القدرة إليه كذات الله تعالى وصفاته والمستحيلات، كالولد والصاحبة والجمع بين الضدين، فكذا هنا رؤية كاملة، ولكن المعدوم لما لم يصلح أن يكون مرئياً لا تستقيم اضافة رؤيته إليه. قال الشيخ: لما كان الباري قديماً بصفاته كانت رؤيته قديمة، فلو لم تكن المحدثات مرئية له في الأزل والخلق صفة قديمة له والمخلوق لم يكن في الأزل، وحين أوجده صار مخلوقاً له بعد أن لم يكن مخلوقاً في حال العدم، ولم يقع التغير في

....

صفة الخلق هكذا هنا المحدثات حين كانت معدومة لم تكن مرئية له لإستحالة رؤيته، وحين وجدت صارت مرئية له ولا يقع التغير في صنعته. واعلم أنا لا نقول أنه تعالى راء للعالم في الأزل، ولا كنا نقول أنه رأى في الأزل لأنا لو قلنا بأنه راء للعالم في الأزل لاقتضى وجود العالم في الأزل وهو محال، وحين وجد العالم نقول بأنه خالق للعالم وهذا التغير وقع في المض ف إليه لا في المضاف. قال الشيخ: إذا جاز أن يكون العالم معلوماً في الأزل وإن لم يكن موجوداً فلم لا يجوز أن يكون مرئياً له في الأزل وإن لم يكن موجوداً. قال الإمام: قياس الرؤية على العلم لا يستقيم لأن العلم يتعلق بالمعدوم والموجود، وأما الرؤية فلا تتعلق إلا بالموجود، فلما آل البحث إلى هذا رجع الشيخ وقال: إن المعدوم ليس بمرئي. وهذه الأسئلة والأجوبة كانت بالفارسية فنقلتها بالعربية.

قلت: وقد نقلت هذا السياق من الكتاب من نسخة سقيمة فليتأمل الناظر فيه ثم قال:

وأما المسألة الثانية فنقول: إن المعدوم إذا كان ممتنع الوجود فقد اتفقوا على أنه نفي محض وليس بشيء ولا بذات، وأما المعدوم الذي يجوز وجوده ويجوز عدمه فقال أصحابنا: انه قبل الوجود نفي محض وليس بشيء ولا بذات وهو قول أبي الحسن البصري من المعتزلة. وقال جمهور المعتزلة: انها ماهيات وحقائق وذوات حالتي وجودها وعدمها، والحاصل انه لا يمكن تقرر الماهيات منفكة عن صفة الوجود عندنا لأن الماهيات لو كانت متقررة حال عدمها لكانت موجودة حال عدمها، فيلزم كونها موجودة حال كونها معدومة وهو محال، وهذا لأن الماهيات لو كانت متحققة في الخارج حال عرائها عن الوجود لكانت متشاركة في كونها متحققة خارج الذهن أمراً مشتركاً زائداً على خصوصياتها ولا معنى للوجود إلا هذا التحقق، فيلزم أن يكون حال عرائها عن الوجود كانت موصوفة بالوجود، واحتجوا بأن المعدومات متميزة في أنفسها وكل ما يتميز بعضه عن البعض فهي حقائق متعينة في أنفسها، ولا معنى لقولنا المعدوم شيء إلا هذا، وهذا لأنا نعلم أن غداً تطلع الشمس من مشرقها لا من مغربها، وهو أن الطلوعين معدومان في الحال، ونحن نعلم الآن امتياز كل واحد منها عن الآخر، وهذا يدل على وقوع الامتيار في المعدومات، والدليل على أن كل متميز ثابت متحقق لأن المتميز هو الموصوف بصفة لأجلها امتاز عن الآخر، وما لم تكن حقيقته متقررة امتنع كونها موصوفة بالصفة الموجبة للامتياز.

والجواب أن ما ذكرتم منقوض بالممتنعات فإنا نقول شريك الإله محال، والجمع بين الوجود والعدم ممتنع، وحصول الجسم الواحد في آن واحد في مكانين محال وتميز بين كل واحد منها مع أن هذه الممتنعات نفي محض وليست ذوات ولا حقائق وماهيات بالاتفاق ولأن الوجود والثبوت مترادفان عند العقلاء، فلو كانت ثابتة في الأزل لكانت موجودة فيه وهو محال، وقوله تعالى: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ [الحج: ١] عند وجودها وتمسكهم بقوله تعالى: ﴿إنما قولنا

الأصل العاشر: العلم بأن الله عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ندّ له، انفرد بالخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناوئه.

لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل: ٤٠] وقوله: ﴿ولا تقولن لشيء إن فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله﴾ [الكهف: ٢٣] حيث سمى ما سيكون أو سيفعله غداً شيئاً ليس بشيء لأن هذا من قبيل اطلاق اسم الشيء باسم ما يؤول إليه على أن هذا يقتضي اطلاق الشيء على المعدوم ولا يقتضي كون المعدوم ذاتاً وماهية وحقيقة وعرضاً وحركة، وأنتم قائلون بذلك كله وكان ما ذكرتم من النقوض مختلاً والله أعلم.

(**الأصل العاشر: العلم بأن الله عز وجل واحد**) إن قلت: لم أخّر المنصف التوحيد مع أنه المقصود الأهم الذي دعا إليه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟ قلت: لما كان التوحيد وهو اعتقاد الوحدانية في الذات والصفات والأفعال وكان ما تقدم من الوجود والقدم وسائر ما عقد عليه الأصول السابقة أوصافاً للباري سبحانه كل منها من متعلقات التوحيد اقتضى ذلك تقديمها ليعلم ما توحدت به ذاته تعالى من سائر الذوات من الأزلية والأبدية والتعالي عن الجسمية والجوهرية والعرضية. فإن قلت: فلم لم يقدم التوحيد على الكلام في الاستواء والرؤية؟ قلت: لأن الكلام في ذلك تتمة للكلام على نفي الجسمية ونحوها. واعلم أن الوحدة تكلف بمعنى انتفاء قبول الانقسام وبمعنى انتفاء الشبيه، والباري تعالى واحد بكل من المعنيين أيضاً، أما الأوّل فلتعاليه عن الوصف بالكمية والتركب من الأجزاء والحد والمقدار، وأما الثاني فحاصله انتفاء المشابه له تعالى بسائر الوجوه حتى يستحيل أن يوجد واجبان فأكثر، وهذه الاستحالة هي التي عقد هذا الأصل لاثباتها بالدليل. وقوله: (**لا شريك له**) الشريك فعيل من الشركة وهو كون الشيء بحيث يتحد مع غيره في شيء موضوعاً كان أو محمولاً صفة أو موصوفاً متعلقاً أو أثراً، ثم أكده بقوله: (**فرد**) أي منفرد بصفات الجلال وصفات الإكرام (**لا ندّ له**) أي لا شبيه له، ثم أن الوحدانية هي الصفة الخامسة من الصفات السلبية، كما أشرنا إليه أوّلاً وهي عبارة عن سلب التعدد في الذات والصفات والأفعال، فوحدانية الذات تنفي التعدد المتصل بأن يكون ذاتاً مركبة من جواهر وأعراض، والتعدد المنفصل بأن تكون ذات تماثل ذاته ووحدانية الصفات تنفي التعدد المتصل بأن تكون له قدرتان وإرادتان وعلمان فأكثر إلى آخرها، والتعدد المنفصل بأن تكون صفة في ذات تماثل صفاته الأزلية ووحدانية الأفعال تنفي أن يكون فعل أو اختراع أو إيجاد لغيره تعالى من الممكنات وإليه أشار بقوله: (**انفرد بالخلق والإبداع واستبد**) أي استقل (**بالايجاد والاختراع**). وقد تقدم أن الاختراع خاص بالله عز وجل، والفعل يطلق على القديم والحادث إلا أنه في حق الله تعالى حقيقة لأنه هو الذي اخترعه، وأما في حق الحادث فمجاز وإنما هو عبارة عن مباشرتهم للأشياء وتحريكهم لها، والإيجاد والخلق أيضاً خاصان بالله تعالى، (**لا مثل له يشابهه ويساويه**) المثل هو ما يسد مسد الشيء وقد يقال للذي يشاركه في الصفات النفسية، وقد يقال هو الذي يشارك الشيء فيما يجب ويجوز ويستحيل، (**ولا ضد له**)

وبرهانه قوله تعالى: ﴿لو كَان فِيهِمَا آلِهَة إلاَّ الله لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وبيانه

فى ملكه (**فينازعه ويناوئه**) أي يعارضه، والمناواة والمنازعة يكونان على سبيل المعاندة والمعاندة هي كون الشيء بحيث يستلزم كل منهما نقيض لازم الآخر، وقد يقال: إنه يفهم من سياق المصنف ان الوحدانية عبارة عن مجموع أمور ثلاثة: نفي الكثرة في ذاته، ونفي النظير في ذاته وصفاته وانفراده بالخلق والاختراع. وفي عبارة بعض المتأخرين الوحدانية عدم الاثنينية في الذات العلية والصفات والأفعال، وإن شئت قلت: هو نفي الكمية المتصلة والمنفصلة، ونفي الشريك في الأفعال عموماً، فجعل الأفعال مندرجة تحت العدم، وجعل نفي الشريك في الأفعال عموماً معطوفاً على نفي الكمية المتصلة والمنفصلة، فاقتضى أنه ليس منها. فليتأمل.

وإذا جعلنا الوحدانية مجموع تلك الأمور لا أن كل واحد منها تتحقق به الوحدانية فيقال: إن اشتمال الوحدانية على تلك الثلاثة لا يصح أن يكون من اشتمال الكل على أجزائه ولا الكلي على جزئياته. أما الأوّل: فهو مناف لقول بعض المتأخرين بأن الوحدانية عدم الاثنينية فجعلها شيئاً واحداً وهو العدم المضاف إلى تلك الأمور فتلك الأمور ليست بأجزاء لها. وأما الثاني: فظاهر لعدم وجود ضابط تقسيم الكلي إلى جزئياته من صدق اسم المقسم على كل من الأقسام، فلا يصح هنا أن يقال نفي الكثرة عن الذات وحدانية الخ. أشار لذلك الشهاب الغنيمي في حاشية أم البراهين.

فصل

قال السنوسي في شرح الكبرى ما حاصله: إن عقود التوحيد على ثلاثة أقسام:

الأوّل: ما لا يثبت إلا بالدليل العقلي وهو كل ما يتوقف ثبوت المعجزة عليه كوجوده تعالى وقدمه وبقائه وعلمه وقدره وإرادته وحياته، إذ لو استدل بالسمع على هذه العقود لزم الدور.

الثاني: ما لا يثبت إلا بالسمع وهو كل ما يرجع إلى وقوع جائز كالبعث وسؤال الملكين والصراط والميزان والثواب والعقاب ورؤيته سبحانه وغير ذلك لأن غاية ما يدرك العقل من هذه الأمور جوازها. أما وقوعها فلا طريق له إلا السمع.

الثالث: ما يثبت بالأمرين بحيث يستقل كل منهما بالدلالة وهو ما ليس بوقوع جائز ولا يتوقف ثبوت المعجزة عليه كالسمع والبصر والكلام وكجواز الأمور التي أخبر الشرع بوقوعها، وكحدوث العالم. وقد اختلف في معرفة الوحدانية هل هي من القسم الثالث فيصح الاستناد فيها إلى كل من السمع والعقل. وقيل: بل هي من القسم الأوّل الذي لا يثبت إلا بالعقل. قال: والحاصل أنه لا خلاف في صحة الاستناد إلى العقل وحده في عقد الوحدانية، واختلف في صحة الاستناد فيها إلى السمع وحده فقيل: نعم، وقيل: لا. والأوّل رأي إمام الحرمين والفخر

....

الرازي، والثاني رأي بعض المحققين وإليه مال شرف الدين ابن التلمساني وهو الذي اخترت في هذه العقيدة اهـ.

قال الغنيمي: فأنت ترى الشيخ قد مال إلى عدم صحة الاستناد إلى السمع وحده في معرفة الوحدانية لكن ينبغي أن يتيقظ أن هذا الخلاف هل هو جار في وحدة الذات وفي وحدة الصفات وفي وحدة الأفعال، أو هو خاص ببعضها يحتاج إلى تأمل.

وقال الجلال الدواني: اعلم أن التوحيد إما بحصر وجوب الوجود، أو بحصر الخالقية، أو بحصر المعبودية. قال: ولقد مرت الإشارة إلى دليله في نفي المثل، وقد يستدل عليه بأنه لو تعدد الواجب لكان مجموعها ممكناً لاحتياجه إلى كل واحد منها، فلا بد له من علة فاعلية مستقلة. وتلك العلة لا تكون نفس المجموع ولا أحدها ولا غيرها. أما الأول: فلاستحالة كون الشيء فاعلاً لنفسه، وأما الثاني والثالث: فلامتناع كون الواجب معلولاً لغيره فتأمل، والثاني أشير إليه في الآية وقد قيل أنه دليل إقناعي لجواز أن يتفقا فلا يلزم الفساد، والثالث وهو حصر المعبودية وهو أن لا يشرك بعبادة ربه أحداً، فقد دل عليه الدلائل السمعية وانعقد عليه إجماع الانبياء عليهم السلام وكلهم دعوا المكلفين أوّلاً إلى هذا التوحيد ونهوهم عن الاشراك بالله في العبادة. قال الله تعالى: ﴿اتعبدون ما تنحتون★ والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦] اهـ. وبه تعلم تفصيل ما أجمل في كلام الشيخ السنوسي آنفاً في اعتماده على ما مال إليه ابن التلمساني.

فصل

وقعت لهم عبارات في تفسير التوحيد، ففي شرح الكبرى للسنوسي نقلاً عن ابن التلمساني التوحيد اعتقاد الوحدة لله تعالى والإقرار بها. وفي شرح الوسطى حقيقة التوحيد اعتقاد عدم الشركة في الألوهية وخواصها. وفي بعض حواشي شرح العقائد النسفية مثل ذلك زاد: وأراد بالألوهية وجوب الوجود -والقدم الذي أوتي بمعنى عدم المسبوقية بالغير وبخواصها مثل تدبير العالم وخلق الأجسام واستحقاق العبادة والقدم الزماني والقيام بنفسه. وقال بعض المحققين: حقيقته اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات، فليس كذاته ذات ولا كصفته صفة. وقال ذو النون: حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا علاج وصنعه بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه. وقال بعضهم: من ترك أربعاً كمل توحيده وهي كيف ومتى وأين وكم. فالأوّل سؤال عن الكيفية وجوابه ﴿ليس كمثله شيء﴾، والثاني سؤال عن الزمان وجوابه: ليس يتقيد بزمان، والثالث سؤال عن المكان وجوابه ليس يتقيد بمكان. والرابع سؤال عن العدد وجوابه هو الواحد الأحد.

ثم شرع المصنف في الاستدلال على الوحدانية فقال: (**وبرهانه قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾**) [الأنبياء: ٢٢]، وهل هذا البرهان اقناعي أو قطعي؟ يأتي الخلاف

أنه لو كانا إثنين وأراد أحدهما أمراً، فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته كان هذا الثاني مقهوراً عاجزاً ولم يكن إلهاً قادراً، وإن كان قادراً على مخالفته ومدافعته كان الثاني قوياً قاهراً والأول ضعيفاً قاصراً، ولم يكن إلهاً قادراً.

فيه، **(وبيانه)** أي البرهان وهو الآية أي بيان وجه دلالتها **(أنه لو كانا اثنين)** أي لو فرض وجود اثنين كل منهما متصف بصفات الألوهية التي منها الإرادة وتمام القدرة، **(وأراد أحدهما أمراً فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته كان هذا الثاني مقصوراً)** قد قصرت قدرته **(مقهوراً عاجزاً ولم يكن إلهاً قادراً وإن كان قادراً على مخالفته ومدافعته كان الثاني قوياً قاهراً، وكان الأوّل ضعيفاً قاصراً ولم يكن إلهاً قادراً)**. وفي بعض النسخ: قاهراً. ويسمى هذا البرهان عند القوم برهان التمانع، ويقال له أيضاً: برهان التطارد. وقد اختلفت عبارات القوم في تقرير هذا البرهان بعبارات مختلفة، فقال شيخ مشايخنا في إملائه على البخاري ما نصه: إنه قد قام البرهان القاطع على وجوب عموم قدرته وإرادته لجميع الممكنات، فلو قدر موجود له من القدرة على ايجاد ممكن مّا مثل ما له تعالى لزم عند تعلق تينك القدرتين أن لا يوجد شيء من العالم بهما لما يلزم عليه من تحصيل الحاصل، أو كون الأثر الواحد أثرين لأن المسألة مفروضة فيما لا ينقسم كالجوهر الفرد، فلا بد من عجزهما إن لم يوجد بهما ومن عجز أحدهما إن وجد بأحدهما دون الآخر ويلزم من عجز أحدهما عجز الآخر لأنه مثله، وإذا لزم عجزهما في هذا الممكن لزم عجزهما في سائر الممكنات إذ لا فرق، وذلك يستلزم استحالة وجود الحوادث وهو محال لأنه خلاف الحس والعيان، وإذا استبان وجوب عجزهما مع الاتفاق فمع الاختلاف أبين، وإليه الاشارة بالآية.

وقال ابن القشيري في التذكرة الشرقية: الدليل على وحدانيته تعالى أنه لو كان للعالم صانعان فصاعداً لم يخل إما أن يكونا قادرين، فلو كانا قادرين على الكمال لجاز في العقول تمانعهما بأن يريد أحدهما بقاء الجسم في حالة معينة ويريد الآخر فناءه في تلك الحالة، فإذا قدرا على تنفيذ إرادتيهما أدى ذلك إلى المحال، وهو أن يكون الجسم الواحد موجوداً معدوماً في حالة واحدة، وما أدى إلى المحال فهو محال، وإن كانا عاجزين أو كان أحدهما عاجزاً فالعاجز لا يصلح للإلهية، لأنا بيّنا أن الصانع قديم وعجز قديم محال، لأن العجز لا يكون إلا عن فعل يعجز عنه وما لم يتصوّر الفعل لم يتصوّر العجز وتقدير الفعل في الأزل محال، وإن لم يكونا قادرين على الكمال فلنفرض الدليل في أن يريد أحدهما وجود جوهر ويريد الآخر أن لا يوجد هذا إذا لم يقدر أحدهما على شيء من الاعراض، فلنفرض الدليل في أن يريد الآخر ضده ويذكر الدليل بأسره اهـ.

وقال إمام الحرمين في لمع الأدلة: الدليل على وحدانية الإله أنا لو قدرنا إلهين وفرضنا عرضين فإن جوّزنا إرادة أحدهما لأحد الضدين وإرادة الثاني للثاني استحال نفوذ إرادتيهما واستحال أن لا تنفذ إرادتاهما جميعاً لامتناع وجود الضدين والخلو منهما، وإن نفذت إرادة

....

أحدهما كان الثاني مغلوباً مستكرهاً، وإن لم يجز اختلافهما في الإرادة كان محالاً إذ وجود أحدهما ووجود صفاته يستحيل أن يمنع الثاني من أن يريد ما يصح إرادته عند تقدير الإنفراد والعاجز منحط عن رتبة الإلهية وذلك مضمون الآية والمعنى لتناقضت أحكامهما من تقدير قادرين على الكمال، وقال شارحه ابن التلمساني ما نصه: الوحدة عبارة عن سلب الكمية والكثرة والباري تعالى واحد في ذاته لا انقسام له وواحد في صفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وملكه وتدبيره لا شريك له ولا رب سواه ولا خالق غيره، والغرض من هذا الفصل إقامة الدليل على استحالة موجودين يوصف كل واحد منهما بالإلهية، والإله هو العام القدرة العام الإرادة العام العلم، وسائر الصفات الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلو فرضنا إلهين بهذا النعت وقدرنا فعلين متقابلين لا يمكن الجمع بينهما ولا الخلو عنهما، كفرض جسم أراد أحدهما تحريكه والآخر تسكينه أو أراد أحدهما احياءه وأراد الآخر إماتته، فلا يخلو إما أن ينفذ مرادهما معاً أو لا، أو مراد أحدهما دون الآخر ولا مزيد في العقل على هذه القسمة، فإن نفذ مرادهما لزم أن يكون الجسم ساكناً متحركاً حياً ميتاً في حالة واحدة، وذلك محال لأنه جمع بين الضدين، وإن لم ينفذ مرادهما لزم الخلو عن المتقابلين ويلزم قصورهما معاً ونقصهما لعدم نفوذ إرادتهما، وإن نفذ مراد أحدهما دون الآخر كان النافذ الإرادة هو الإله الحق، والثاني عاجز ناقص منحط عن رتبة الإلهية، ثم قال: وهذه الدلالة هي التي أرشد إليها الكتاب العزيز بقوله: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء: ٢٢] اهـ.

وقال النسفي في شرح العمدة: تقرير دلالة التمانع التي عوّل عليها جمهور المتكلمين هو أنه إن فرض إلهان قادران متماثلان في صفات الألوهية يؤدي إلى اجتماع الضدين، أو عجز القادرين المتماثلين، أو عجز أحدهما والكل محال. وما يؤدي إلى المحال محال. وهذا لأنا إن فرضنا إلهين قادرين على جميع المقدورات، فإن أراد أحدهما أن يخلق في شخص حياة والآخر أراد أن يخلق فيه موتاً، فإن حصل مرادهما لزم الجمع بين الضدين، وإن تعطلت إرادتهما لم يحصل في المحل لا هذا ولا ذاك ثبت عجز كل واحد عنهما لتعطل إرادته وامتناع ما يريد اثباته بمنع صاحبه إياه، إذ لولا إرادة صاحبه ضد مراده لحصل مراده ونفذت مشيئته، وإن نفذت إرادة أحدهما دون الآخر كان الذي تعطلت إرادته عاجزاً، والعاجز مستحيل أن يكون إلهاً لأن العجز من مراتب الحدوث اهـ.

وقال البكي في شرح الحاجبية عمدة الأشاعرة في اثبات الواحدية من جهة العقل الدليل الموسوم بدلالة التمانع وحاصله: أن يقال صانع العالم واحد بمعنى أنه ليس مؤلفاً من أجزاء حتى ينقسم إليها فيلزم نفي الكم، أعني المقدار عنه وإنه واحد بمعنى أنه لا ثاني له، فيلزم نفي الكم المنفصل عنه. أما الواحد بالمعنى الأوّل فقد تقدم، وأما الثاني فلأنه لو كان صانع العالم أكثر من واحد لزم أن لا يوجد شيء من العالم، والتالي باطل بالضرورة، فالمقدم مثله إما الملازمة فلأنه

على ذلك التقدير لو أراد أحد الآلهة وجود شيء من العالم، فإما أن يريد الآخر وجوده أم لا. وعلى ذلك فإما أن يريد العدم أم لا يريد لا عدماً ولا وجوداً، والتالي باطل بأقسامه، فالمقدم مثله إما الملازمة فلضرورة الحصر، وأما بطلان التالي فالقسم الأوّل وهو أن يريد الآخر الوجود فهو محال لما يؤدي إليه من اجتماع مؤثرين على أثر واحد ومقدور واحد بين قادرين ان نفذت إرادتهما والعجز والترجيح من غير مرجح إن نفذت إرادة أحدهما والعجز ومخالفة الواقع أو وقوع الممكن بنفسه إن لم تنفذ إرادة واحد منهما. وأما القسم الثاني وهو أن يريد الآخر عدمه فهو محال أيضاً لما يؤدي إليه من اجتماع النقيضين إن نفذتا معاً أو ارتفاعهما إن لم تنفذا مع العجز والترجيح من غير مرجح إن نفذت إرادة أحدهما. وأما القسم الثالث؛ وهو أن لا يريد الآخر وجوداً ولا عدماً فعدم إرادته لا يخلو إما أن يكون لأجل إرادة الآخر وهو محال لما يلزم من العجز وترجح أحد المثلين أو لا لأجلها فإرادته للوجود أو للعدم ممكنة الوقوع على ذلك التقدير. وكل ممكن لا يلزم من فرض وقوعه محال فيفرض وقوع إرادته لأحدهما، لكن إرادته محال على ذلك التقدير فيكون محالاً. وما استلزم المحال فهو محال فالإله الزائد على الإله الواحد محال وهو المطلوب اهـ.

قلت: وهذا السياق الذي أورده فيه خلط برهان التمانع مع برهان التوارد، والآية محمولة على كل منهما. ولكن لم يشر إلى برهان التوارد أحد إلا الكستلي في شرح العقائد النسفية ونص تحريره: أنه لو وجد إلهان يلزم أن لا يوجد شيء من الممكنات وبطلان التالي ظاهر، إما الملازمة فلأنه لو وجد ممكن فاما أن لا يستند إليهما معاً فلا يكون واحد منهما إلهاً أو إلى كل منهما فيلزم مقدور بين قادرين أو إلى أحدهما. فيلزم الترجح بلا مرجح إذ صلاحته المبدئية مشتركة بين الممكنات فاحتياج بعضها في وجودها إلى أحدهما دون الآخر ترجح بلا مرجح.

فإن قلت: هو محتاج إلى مطلق المبدأ وتأثير أحدهما بمجرد اختياره دون الآخر؟ قلت: حاجة خصوصية المعلول إلى خصوصية العلة ضرورية، وهذا البرهان يتمسك به في شمول قدرته تعالى وفي كون أفعال العباد مخلوقة لله تعالى اهـ.

وقد ذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في عقيدته، وأبو الخير القزويني في محجة الحق، والإمام نور الدين الصابوني في عمدته، وابن فورك في المدخل الأوسط بنحو ما تقدم من السياقات بأدنى مخالفة في التعبير، ولم أتقيد بايراد تلك النصوص إذ كان مآلها إلى ما سقت من عبارات المذكورين أوّلاً.

فصل

قال السعد في شرح المقاصد: إن أريد بالفساد في الآية عدم التكوّن فتقريره أن يقال: لو تعدد الإله لم تتكوّن السماء والأرض لأن تكوّنها إما بمجموع القدرتين أو بكل منها أو بأحدهما

....

والكل باطل. أما الأول فلأن من شأن الإله كمال القدرة، وأما الثاني فلامتناع توارد العلتين المستقلتين، وأما الثالث فلأنه يلزم ترجح بلا مرجح وإن أريد به الخروج عما هو عليه من النظام فتقريره: أنه لو تعدد الإله لكان بينهما التمانع والتغالب وتميز صنع كل منهما عن صنع الآخر بحكم اللزوم العادي، فلم يحصل بين أجزاء العالم هذا الالتئام الذي باعتباره صار الكل بمنزلة شخص واحد ويختل الانتظام الذي به بقاء الأنواع وترتب الآثار اهـ.

وقد اقتصر الخيالي في حاشيته على العقائد على الجملة الأولى منها إلى قوله بلا مرجح وقال: ويرد عليه أن الترديد على تقدير التمانع الفرضي، فحينئذ يرد منع الملازمة لأن وجودهما لا يستلزم وقوع ذلك التقدير عقلاً، وأما على الاطلاق فحينئذ يمكن اختيار الأول، وكمال القدرة في نفسها لا ينافي تعلقها بحسب الإرادة على وجه يكون للقدرة الأخرى مدخل كما في أفعال العباد عند الأستاذ، وكذا يمكن اختيار الثالث بأن يريد أحدهما الوجود بقدرة الآخر أو يفوض بإرادته تكوين الأمور إلى الآخر فلا استحالة فيه اهـ.

فصل

قد أوسع الكلام في أدلة التوحيد فيما رأيت الإمام أبو منصور التميمي في الأسماء والصفات فأورد فيه خمسة أدلة، وشرط في برهان التمانع شروطاً لم أرَ من تعرض لها من المتكلمين، ونحن نورد لك كلامه بتمامه ليكون تبصرة للناظر يستفيد منه، ولغرابة هذا الكتاب ربما لا يوجد في أكثر البلاد، فنقول:

قال في بيان أدلة الموحدين على توحيد الصانع: ومما يدل على ذلك أنه إذا ثبت لنا حدوث العالم وثبت أنه لا بدّ له من محدث لاستحالة وجود فعل بلا فاعل كاستحالة وجود ضرب بلا ضارب ووجود نسخ وكتابة بلا ناسخ وكاتب كان اثبات محدث واحد لجميع الحوادث صحيحاً، وكانت الاعداد ما زاد عليه متعارضة، فلو جاز أن يكون للعالم صانعان لجاز أن يكون له ثلاثة صانعين ولجاز أربعة وأكثر منها لا إلى نهاية، ولا يلزمنا على هذا الدليل إذا أوجبنا صانعاً واحداً أن نجيز أكثر منه لأن الواحد أوجبه الدليل بوجود الصنع وظهور الحوادث والزيادة على الواحد لا يوجبها دليل لأن الصنع لا يقتضي أكثر من صانع واحد.

ودليل آخر هو أنه لو جاز أن يكون للعقلاء والجمادات وسائر الحوادث صانعان أو أكثر من صانع واحد لم يصل الواحد من العقلاء إلى معرفة صانعه بعينه ليعبده بعينه ويشكره على إنعامه عليه، ولم يكن صانعه قادراً على تعريفه إياه وأنه هو الذي صنعه دون غيره لأن غيره قد يصنع مثل صنعه. وفي هذا تعجيز الصانع عن تعريف مصنوعه العاقل ما يدل عليه، والعاجز لا يكون إلهاً صانعاً.

ودليل ثالث لو كان للأجسام صانعان أو أكثر لم يخل أن يكون كل جزء من العالم فعلهما

جميعاً، أو يكون بعض العالم فعل أحدهما وبعضه فعل الآخر، ويستحيل حدوث كل واحد من فاعلين محدثين له لأنه باختراع أحدهما يوجد فلا معنى للاختراع الآخر منهما له، ولأن قدرة كل واحد منهما إن كانت لا تصلح لاختراع الشيء إلا مع قدرة الآخر استحال صلاحهما مجموعتين لاختراعه، لأن ما يصلح للاختراع مع ما لا يصلح للاختراع لا يقع بهما الاختراع لأن ما استحال في الآحاد لم يتغير بالاجتماع، وما وجب في الآحاد لم يتغير بالاجتماع وليس كالحجر يحمله الجماعة ولا يحمله كل واحد منهما، ولا كجواز الكذب على الآحاد وانتفائه عن أهل التواتر لأن هذا من باب الجواز في الآحاد وما كان في الآحاد على طرفي جواز جاز أن يتغير حكمه في الاجتماع، وما لزم في الآحاد طريقة واحدة لم يتغير بالاجتماع والكثرة، وإن كان كل واحد من الصانعين فاعلاً لبعض العالم دون بعض لم يخل من أن يكون فعل كل واحد منهما من جنس فعل الآخر أو خلافه، فإن اختلف فعلاهما مثل أن يكون أحدهما فاعلاً للأجسام والآخر فاعلاً للأعراض لم يجز اختصاص قدرة أحدهما بالأجسام دون الأعراض إلا بمخصص يخصصها بها، وهذا يقتضي حدوث قدرتهما، والقدرة المحدثة لا تحدث في ذات الإله القديم، لأن القديم لا يجوز أن يكون محلاً للحوادث، وإن كان فعل كل واحد منهما من جنس فعل الآخر وقدر كل واحد منهما على مثل ما قدر عليه الآخر من الأجسام والأعراض لم يخل من أن يكون مقدور كل واحد منهما مقدور الآخر أو غيره، وإن كان من جنسه، فإن كان مقدورات كل واحد منهما هي بعينها مقدورات الآخر وهما مع ذلك يجوز أن يتفقا في إرادة ايقاع مقدور واحد لوجب حدوثه منهما ويستحيل وقوع حادث من محدثين كما يستحيل وقوع حركة واحدة من متحركين، فإن كان مقدورات كل واحد منهما غير مقدورات الآخر مع كونهما من جنسها فهو محال لأن كل شيئين من جنس واحد متماثلان يصح على كل واحد منهما ما يصح على الآخر، وهذا يقتضي إذا كان مقدور أحدهما بقدرته أن تتعلق قدرة الآخر أيضاً به وأن تتعلق قدرته بمقدور الآخر، لأنه ليس من جنس مقدوره المتعلق بقدرته، وإذا وجب هذا وآل الأمر إلى اشتراكهما في المقدورات كلها أدى إلى ما أفسدناه من حدوث مقدور واحد بقدرتين وليس ذلك كما نجيز وقوع كسب المكتسب بقدرته وحدوثه بقدرة الإله سبحانه لأنا لم نقل انها مكتسبة بقدرتين، بل قلنا: ان حدوثه كان بقدرة واحدة وهي قدرة الإله واكتسابه بقدرة واحدة وهي قدرة المكتسب له، وكان يصح حدوثه بقدرة إله غيره مكتسب لمكتسبه، فبان الفرق بينهما.

ودليل رابع: وهو أنه لو كان للعالم صانعان وكان كل واحد منهما قادراً على احداث كل ما يحدثه الآخر، فلا يخلو إذا أحدث أحدهما جسماً أو عرضاً أن يكون الآخر قادراً على إحداثه كما قدر عليه قبل حدوث ذلك الحادث أو لا يكون قادراً عليه، فإن قدر عليه قدر على إحداث ما هو موجود حادث وهذا محال، وإن خرج عن كونه قادراً عليه فصاحبه هو الذي منعه من ايجاد مقدوره وأخرجه عن القدرة عليه، وهذا يوجب أن يكون ممنوعاً والممنوع العاجز لا يكون إلهاً صانعاً، ولا يلزم على هذا وجود المقدور الواحد لأن الواحد لا يكون ممنوع نفسه، وقد

....

يكون ممنوع غيره كما لا يصح أن يريد خلاف مراد نفسه، ويجوز أن يريد خلاف مراد غيره، والتمانع إنما يصح مع الاختلاف في المراد.

ودليل خامس: وهو أنه لا بد للصانع من أن يكون حياً قادراً عالماً مريداً مختاراً، ومن نازع في هذه الصفات للصانع بنينا الكلام معه عليها، فإذا ثبت وصف الصانع بما ذكرناه قلنا: لو كان للعالم صانعان وجب أن يكون كل واحد منهما حياً قادراً عالماً مريداً مختاراً، والمختار أن يجوز اختلافهما في الاختيار لأن كل واحد منهما غير مجبر على موافقة الآخر في اختياره، فإذا صح هذا فلو أراد أحدهما خلاف مراد الآخر في شيء لم يخل من أن يتم مرادهما أو لا يتم مرادهما، أو يتم مراد أحدهما ولا يتم مراد الآخر، ومحال تمام مراديهما لتضادهما، وإن لم يتم مرادهما فهما عاجزان، وإن تم مراد أحدهما ولم يتم مراد الآخر، فإن الذي لم يتم مراده عاجز ولا يكون العاجز إلهاً ولا قديماً.

وهذه الدلالة معروفة عند الموحدين بدلالة التمانع ولها شروط منها: تفسير معنى التمانع وهو تفاعل من المنع، وذلك أن يقصد كل واحد منهما أن يمنع صاحبه. والشرط الثاني: هو العلم بأن التمانع بين القادرين إنما يقع في مخالفة أحدهما صاحبه في المراد بأن يريد ما يكرهه صاحبه فيكون حينئذ من لم يتم مراده منهما ممنوعاً عن ايقاع مراده، وزعم بعض القدرية أن التمانع يقع في الفعلين المقدورين لقادرين بأن يفعل أحدهما مقدوره في محل يمتنع به القادر الآخر عن ايقاع مقدوره فيه، ويلزمهم على هذا الأصل أن يكون الباري سبحانه ممنوعاً من فعل السكون في محل قدرة غيره عندهم فيه حركة وهذا فاسد فما يؤدي إليه مثله. والشرط الثالث: أن الحيين القادرين المتصرفين بإرادتين لا يستحيل منهما أن يريد أحدهما ما يكرهه الآخر، لأن الذي ينفي إرادة أحدهما ليس هو النافي لإرادة الآخر، لأن الشيئين لا يتضادان في محلين، ولولا جواز اختلاف المريدين في المراد لما صح التمانع بينهما. والشرط الرابع: أن التمانع بين القادرين لا يصح إلا بعد أن يكون محل فعلهما واحداً لولا ذلك لصح من أحدهما أن يوقع في محل فعلاً ويوقع الآخر خلافه في محل آخر، لأن المتضادين لا يتضادان في محلين كالسواد والبياض في محلين. والشرط الخامس: العلم بأن ارادة أحدهما يجب أن تكون بحيث لا يصح وجود إرادة الآخر منه، إذ لو كان محل إرادتهما واحداً لوجب أن يصيرا معاً مريدين بإرادة واحدة، ولم يختلفا حينئذ في المراد لوجوب كون كل واحد مريداً لما يريده الآخر بإرادته. والشرط السادس: العلم بأن إرادة كل واحد منهما يجب أن تكون غير مراده، لأنه لو كانت الإرادة من المراد لكان كلما أراد أحدهما شيئاً حصل مراده في حال كونه مريداً ولم يصر ممنوعاً عن مراده بحال. والشرط السابع: العلم بأن المتمانعين يجب أن يكون إرادة كل واحد منهما قبل مراده لأن إرادته لو حصلت مع مراده لما صح منعه عن مراده، لأن الحي لا يكون ممنوعاً من فعل ما قد وجد، ولا يقع التمانع بين المتمانعين في المراد ممنوعاً عن إتمام مراده عاجزاً عنه، والعاجز لا يجوز أن يكون قديماً، والدليل على استحالة وجود قديم عاجز أن الفاعل القديم القادر قد وجب حصوله بدلالة الحوادث عليه، فلو

صح كون قديم عاجز معه، وقد صح من أصلنا أن القادر يكون قادراً بقدرة والعاجز يكون عاجزاً بعجز لوجب أن يكون اختصاص أحدهما بالقدرة والآخر بالعجز بعد استوائهما في الوجود والقدم والحياة والقيام بالنفس وسائر الأوصاف التي استحقها لأنفسها بمخصص خصهما أو خص أحدهما بإحدى الصفتين، وذلك يقتضي قيام معنى حادث بأحدهما وأن يكون محدث الحوادث محدثاً غير قديم، فهذا وجه بيان دلالة التمانع على التوحيد اهـ. سياق الشيخ أبي منصور التميمي.

وقال الشيخ نور الدين الصابوني البخاري، فإن قيل: إذا علم أحدهما أن الآخر يريد الحياة في جسم يوافقه في ذلك ولا يخالفه بإرادة الموت فيه خصوصاً. على أصلكم أن الإرادة تلازم العلم. قلنا: هذه الموافقة بينهما لا يخلو إما أن تقع ضرورة أو اختياراً، إن قلت بضرورة كان كل واحد منهما مضطراً إلى موافقة صاحبه فيكونان عاجزين، وإن قلت: اختياراً يمكن تقدير الاختلاف بينهما فيتوجه التقسيم، وأما ان الإرادة تلازم العلم فعندنا الإرادة تلازم الفعل دون العلم بدليل أن ذات الله تعالى وصفاته معلوم له وليست بمراد له، وكذا المعدوم الذي ليس بموجود تعلم إذا وجد كيف يوجد معلوم له وليس بمراد له اهـ.

وقال النسفي في شرح العمدة؛ فإن قيل: هذه الأقسام إنما تتفرع على وقوع المخالفة في الإلهين، فلم لا يجوز فرض إلهين متوافقين في الإرادة بحيث يمتنع وقوع المخالفة بينهما؛ على أنا نفرضهما حكيمين عالمين بجميع المعلومات فلا يختلفان؟ سلمنا انه يصح وقوع الموافقة بينهما، لكن المحالات التي التزمتموها إنما تلزم من وقوع المخالفة لا من صحة المخالفة، فلم لم تثبتوا أن هذه المخالفة تدخل في الوجود ولا محالة لا يتم دليلكم. قلت: الموافقة بينهما إن كانت عن ضرورة فقد ثبت عجزهما واضطرارهما إلى الموافقة، وإن كانت عن اختيار فيمكن تقدير الخلاف بينهما فيتوجه التقسيم، ولأنه لو انفرد هذا لصحت منه ارادة الحياة، ولو انفرد ذلك لصحت منه إرادة الموت فعند اجتماعهما تنفي الصحتان لأن كل واحد من الصحتين أزلي والأزلي يمتنع زواله. وقوله: هذه المحالات إنما تلزم من وقوع المخالفة لا من صحة المخالفة. قلنا: هنا مقدمة يقينية وهي أن كل ما كان ممكناً لا يلزم من فرض وقوعه محال، ولو كانت المخالفة ممكنة لا يلزم من فرض وقوعها محال، لكن المحال قد لزم من فرض وقوعها. وعند هذا نقول: لو فرضنا إلهين لكانت المخالفة بينهما، أما إن كانت ممكنة أو لم تكن والقسمان باطلان، فبطل القول بوجود إلهين، وإذا لم يتصوّر اثبات الصانعين للعالم كان الصانع واحداً ضرورة اهـ.

فصل

رجع إلى تحقيق سياق المصنف، وبيان لهذه الحجة هل هي قطعية تفيد القطع أو اقناعية تفيد الاقناع للمسترشد وإن لم يفد إفحاماً للجاحد؟ وصريح كلام السعد في شرح العقائد النسفية انها اقناعية وفي آخره ما ينافيه كما سيأتي بيانه.

....

قال الكمال بن الهمام في المسايرة، وتلميذه ابن أبي شريف في شرحه، وقد جمعت بين عبارتهما بما حاصله: وهذا الذي ذكره حجة الإسلام ابتداء لتقرير برهان التوحيد لا للزوم الفساد المذكور في الآية، وليس بياناً للآية، وإنما بيانها بيان لزوم الفساد على تقدير التعدد، ولك أن تقول: بل ما ذكره الحجة بيان للآية وتقرير لدلالتها ببرهان التوحيد المعروف ببرهان التمانع بناء على ما في الآية من الإشارة إليه، وإنما يكون ابتداء التقرير بالنظر إلى عبارة الآية، فإن معناها لزوم الفساد بتقدير التعدد، وتحقيق هذا المحل أن الكلام في اثبات التوحيد إما أن يكون مع الملي أو مع غيره، والملي هنا هو الذي اعتقد حقية ملة نبينا محمد ﷺ، فأما الملي فيلزمه القطع بوقوع فساد هذا النظام على تقدير تعدد الآلهة، إذ هو قاطع بأن الله تعالى أخبر بوقوعه مع التعدد، وما أخبر بوقوعه فهو واقع لا محالة لاستحالة الخلف في خبره تعالى، وأما غير الملي فيلزمه ذلك أيضاً جبراً أي من جهة الجبر أي القهر له أو علماً توجبه العادة، والعلوم العادية يحصل بها القطع داخلة في مسمى العلم المأخوذ فيه عدم احتمال النقيض، ومثال العلوم العادية التي يحصل بها القطع كالعلم حال الغيبة عن جبل عهدناه حجراً بأنه حجر الآن لم ينقلب ذهباً مثلاً، ولدخول العلم العادي في مسمى العلم أجيب عن ايراد خروجه عن تعريف العلم بأنه صفة توجب لمحلها تمييزاً لا يحتمل متعلقه نقيض ذلك التميز، فإنه قد أورد على تعريفهم العلم بذلك أنه غير منعكس لأنه يخرج عنه العلوم العادية لاحتمالها النقيض لجواز خرق العادة مع أن العلم العادي داخل في مسمى العلم ومعدود من أقسامه، وتحرير الجواب أن احتمال النقيض في العلم العادي بمعنى أنه لو فرض العقل خلافه لم يكن ذلك فرض محال لأن تلك الأمور العادية ممكنة في ذواتها، والممكن لا يستلزم في شيء من طرفيه محالاً، وذلك الاحتمال لهذا المعنى لا يوجب عدم الجزم المطابق للواقع بأن الواقع الآن خلاف ذلك الممكن فرضه، لأن احتمال المنافي لهذا الجزم هو أن يكون متعلق التمييز محتملاً لأن يحكم فيه المميز بنقيضه في الحال كما في الظن أو في المآل. كما في الجهل المركب والتقليد ومنشؤه ضعف ذلك التمييز، إمّا لعدم الجزم أو لعدم المطابقة أو لعدم استناده إلى موجب، وهذا الاحتمال هو المراد في التعريف لا الاحتمال بالمعنى الأوّل، فاثبتوا في العلم العادي ثبوت الجزم والمطابقة للواقع والموجب، وأعني بالموجب العادة القاضية التي لم يوجد قط خرمها، وهي أحد أقسام الموجب في قولهم في تعريف العلم أنه حكم الذهن الجازم المطابق للواقع لموجب، إذ الموجب الذي يستند إليه الجزم إما حس أو عقل أو عادة، وما ثبت فيه الجزم والمطابقة والموجب هو معنى العلم القطعي بأن الواقع كذا فيحصل الفساد على تقدير تعدد الآلهة، لأن العادة المستمرة التي لم يعهد قط اختلالها في ملكين مقتدرين في مدينة واحدة عدم الإقامة على موافقة كل الآخر في كل جليل وحقير من الأمور، بل تأبى نفس كل منهما دوام الموافقة وطلب الانفراد بالمملكة والقهر للآخر، فكيف بالالهين والحال أن الإله يوصف بأقصى غايات الكبر؟ فكيف لا تطلب نفسه الانفراد بالملك والعلو على الآخر كما أخبر الله سبحانه بقوله: ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ [المؤمنون: ٩١]، هذا أمر إذا تؤمل لا يكاد لنفس يخطر

....

نقيضه أصلاً، فضلاً عن أخطار فرض النقيض مع الجزم بأن الواقع هو الطرف الآخر، وعلى هذا التقدير هو علم قطعي لا تردد فيه بوجه من الوجوه، وإنما غلط من قال: ان الآية حجة إقناعية من قبل أنه إذا خطر بباله النقيض أعني درام اتفاقهما لم يجده مستحيلاً في العقل، وينسى ما ذكرناه من أنه لم يؤخذ في مفهوم العلم القطعي استحالة النقيض، بل المأخوذ فيه مجرد الجزم الكائن عن موجب بأن الطرف الآخر المقابل للنقيض هو الواقع، وإن كان نقيضه لم يستحل وقوعه، وبهذا يظهر أن الآية حجة برهانية تحقيقية لا اقناعية.

قال ابن أبي شربف: وقد صدر من الشيخ عبد اللطيف الكرماني وهو من معاصري السعد تشنيع بليغ على قول السعد في شرحه على العقائد: أن الآية حجة إقناعة والملازمة عادية أي لا عقلية، والمعتبر في البرهان الملازمة العقلية، واستند هذا المعاصر في تشنيعه إلى أن صاحب التبصرة كفر أبا هاشم بقدحه في دلالة الآية، وما تقدم في كلام شيخنا ابن الهمام يفيد منع كون الملازمة العادية غير معتبرة في البرهان، ووجهه أن المقصود من البرهان حصول العلم بالمدلول والملازمة العادية تحصله اهـ.

قلت: وقال الخيالي في حاشيته على السعد: والتحقيق في هذا المقـام أنه إن حل الآية على نفي التعدد للصانع مطلقاً فهي حجة اقناعية، لكن الظاهر من الآية نفي تعدد الصانع المؤثر في السماء والأرض. إذ ليس المراد التمكن فيهما، فالحق حينئذ أن الملازمة قطعية إذ التوارد باطل فتأثيرهما إما على سبيل الإجماع أو التوزيع، فيلزم انعدام الكل أو البعض عند عدم كون أحدهما صانعاً لأنه جزء علة أو علة تامة فيفسد العامل أي لا يوجد هذا المحسوس كلاً ولا بعضاً، ويمكن أن توجه الملازمة بحيث تكون قطعية على الإطلاق، وهو أن يقال: لو تعدد الواجب لم يكن العالم ممكناً فضلاً عن الوجود، إلا لأمكن التمانع المستلزم للمحال لأن إمكان التمانع لازم لمجموع الأمرين من التعدد وإمكان شيء من الأشياء، فإذا فرض التعدد يلزم أن لا يمكن شيء من الأشياء حتى لا يمكن التمانع المستلزم للمحال اهـ.

رجع لعبارة ابن أبي شريف قال: واعلم أن العلامة المحقـق الزاهـد علاء الديـن محمد بـن محمد ابن محمد البخاري الحنفي تلميذ المولى سعد الدين قد أجاب عن الإعتراض والتفكير بما رأيت أن أسوقه بلفظه لاشتماله على فوائد. قال رحمه الله: الإفاضة في الجواب على وجه يرشد إلى الصواب تتوقف على ما أورده الإمام حجة الإسلام رضي الله عنه بما حاصله: أن الأدلة على وجود الصانع وتوحيده تجري مجرى الأدوية التي يعالج بها مرض القلب، والطبيب إن لم يكن حاذقاً مستعملاً للأدوية على قدر قوة الطبيعة وضعفها كان إفساده أكثر من إصلاحه كذلك الإرشاد بالأدلة إلى الهداية إذا لم يكن على قدر إدراك العقول كان الإفساد للعقائد بالأدلة أكثر من إصلاحها، وحينئذ يجب أن لا يكون الإرشاد لكل أحد على وتيرة واحدة، فالمؤمن المصدق سماعاً أو تقليـداً لا ينبغي أن تحرك عقيدته بتحرير الأدلة، فإن النبي ﷺ لم يطالب العرب في مخاطبته إيـاهـم بـأكثر

....

من التصديق ولم يفرق بين أن يكون ذلك إيمان عقد تقليدي أو يقين برهاني، والجافي الغليظ الضعيف العقل الجامد على التقليد المصر على الباطل لا ينفع معه الحجة والبرهان، وإنما ينفع معه السيف والسنان، والشاكون الذين فيهم نوع ذكاء ولا تصل عقولهم إلى فهم البرهان العقلي المفيد للقطع واليقين ينبغي أن يتكلف في معالجتهم بما أمكن من الكلام المقنع المقبول عندهم لا بالدلالة اليقينية البرهانية لقصور عقولهم عن إدراكها، لأن الإهتداء بنور العقل المجرد عن الأمور العادية لا يخص الله تعالى به إلا الآحاد من عباده، والغالب على الخلق القصور والجهل فهم لقصورهم لا يدركون براهين العقول كما لا تدرك نور الشمس أبصار الخفافيش، بل تضرهم الأدلة القطعية البرهانية كما تضر رياح الورد بالجعل، وأما الفطن الذي لا يقنعه الكلام الخطابي فتجب المحاجة معه بالدليل القطعي البرهاني. إذا تمهد هذا فنقول لا يخفي أن التكليف بالتصديق بوجود الصانع وبتوحيده يشمل الكافة من العامة والخاصة، وأن النبي ﷺ مأمور بالدعوة للناس أجمعين، وبالمحاجة مع المشركين الذين عامتهم عن إدراك الأدلة القطعية البرهانية قاصرون، ولا يجدي معهم إلا الأدلة الخطابية على الأمور العادية والمقبولة التي ألفوها وحسبوا أنها قطعية وأن القرآن العظيم مشتمل على الأدلة العقلية القطعية البرهانية التي لا يعقلها إلا العالمون، وقليل ما هم بطريق الإشارة على ما بينه الإمام الرازي في عدة آيات القرآن، وعلى الأدلة الخطابية النافعة مع العامة لوصول عقولهم إلى إدراكها بطريق العبارة تكميلاً للحجة على الخاصة والعامة على ما يشير لذلك قوله: ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [الأنعام: ٥٩] وقد اشتمل عليهما وإشارة قوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة﴾ الآية. أما الدليل الخطابي المدلول عليه بطريق العبارة؛ فهو لزوم فساد السموات والأرض لخروجهما عن النظام المحسوس عند تعدد الآلهة ولا يخفى أن لزوم فسادهما إنما يكون على تقدير لزوم الإختلاف، ومن البين أن الاختلاف ليس بلازم قطعاً لإمكان الإتفاق، فلزوم الفساد لزوم عادي وقد أشار إليه الإمام الرازي حيث قال: أجرى الله تعالى الممكن مجرى الواقع بناء على الظاهر، ولا يخفى على ذوي العقول السليمة أن ما لا يكون في نفس الأمر لازماً وقطعياً لا يصير بجعل الجاعل وتسميته إياه برهاناً زعماً أن تسميته قطعياً وبرهاناً صلابة في الدين ونصرة للإسلام والمسلمين. هيهات هيهات! فإن ذلك مدرجة لطعن الطاعنين، ونصرة الدين لا تحتاج إلى إدعاء ما ليس بقطعي قطعياً لاشتمال القرآن على الأدلة القطعية التي لا يعقلها إلا العالمون بطريق الإشارة النافعة للخاصة، وعلى الأدلة الخطابية النافعة للعامة بطريق العبارة. وأما البرهان القطعي المدلول عليه بطريق الإشارة فهو برهان التمانع القطعي بإجماع المتكلمين المستلزم لكون مقدور بين قادرين ولعجزهما أو عجز أحدهما على ما بين في علم الكلام وكلاهما محالان عقلاً، كما بين فيه أيضاً لا التمانع الذي تدل عليه الآية بطريق العبارة، بل التمانع قد يكون برهانياً وقد يكون خطابياً، ولا ينبغي أن يتوهم أن كل تمانع عند المتكلمين برهان، وقطعية لزوم الفساد المدلول عليه بالإشارة تنافي خطابية لزوم الفساد المدلول عليه بالعبارة لأن الفساد المدلول عليه بالإشارة هو كون مقدور بين قادرين، وعجز الإلهين المفروضين أو عجز أحدهما، والفساد

المدلول عليه بالعبارة هو خروج السموات والأرض عن النظام المحسوس، فأين أحدهما من الآخر وحينئذ لا ينبغي أن يتوهم أنه يلزم من انتفاء جواز الإتفاق على تقدير الفساد المدلول عليه بطريق الإشارة بناء على أنه يستلزم امتناع تعدد الآلهة عقلاً، فيلزم منه انتفاء جواز الإتفاق لأنه فرع إمكان التعدد انتفاء جواز الإتفاق على طريق الفساد المدلول عليه بطريق العبارة لعدم استلزامه امتناع التعدد عقلاً، وإنما يستلزمه عادة والإستلزام العادي لا ينافي عدم الإستلزام العقلي فليتأمل.

ثم ذكر بقية الجواب وضمنه التعجب من تكفير صاحب التبصرة لمن قال: أن دلالة الآية ظنية ونحو ذلك. قال ابن أبي شريف: ولا يخفى بعد معرفة ما قررناه من كلام شيخنا وجه رد قول هذا المجيب: أن الآية دليل خطابي أي ظني، ثم قال: وأعلم أنه قد وقع للسعد أواخر شرح العقائد ما ينافي بظاهره كلامه في أوائله، ويوافق كلام شيخنا فإنه قال في الكلام على المعجزة ما نصه: وعند ظهور المعجزة يحصل الجزم بصدقه بطريق جري العادة بأن الله تعالى يخلق العلم بالصدق عقيب ظهور المعجزة إلى آخر كلامه، وهو مبسوط واضح والله ولي الهداية والتوفيق.

فصل

قد تقدم آنفاً أن هذا المطلب مما يصح فيه التمسك بالسمع وأدلته من السمع كثيرة. منها: الآية التي سبقت، ومنها قوله تعالى: ﴿وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو إله واحد﴾ [النحل: ٥١] وقوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١] ولاعتناء الحق به أكده خبراً بقوله: ﴿والهكم إله واحد﴾ [البقرة: ١٦٣] وشهادة بقوله: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ [آل عمران: ١٨] وقسماً عليه بقوله: ﴿والصافات صفاً﴾ إلى قوله: ﴿إن إلهكم لواحد﴾ [الصافات: ١ - ٤] وتكررت آي التهليل في القرآن في ست وثلاثين موضعاً منه وهي متمسك المحدث ويزيد بأن الأنبياء والرسل عليهم السلام إنما بعثوا من أجل التوحيد. ويستدل على ذلك بأحاديث. وأما الصوفي فيقول بما تقدم ويزيد إشارة بأن الكمال المطلق واحد إذ لو كان متعدداً لما كان مطلقاً. بل كان مقيداً ولو بنفي ما يدخل تحت العدد معه عنه، والإله لا يكون إلا كاملاً بالكمال المطلق، والكمال المطلق لا يتعدد فالإله لا يتعدد، ويقول أيضاً الإله لو كان متعدداً لكان العدد ذاتياً له إذ لو لم يكن ذاتياً لكان لغيره، ولو كان لغيره لاحتاج في تعدده إلى الغير ولا شيء من المحتاج بإله، وباطل أن يكون التعدد ذاتياً له، وإلا كان موقوفاً على ما يتعدد معه من ذاته وما يتعدد معه غيره فيكون موقوفاً على غيره من ذاته، وكل ما هو موقوف على غيره من ذاته فهو ناقص لذاته، وأيضاً كمال كل موجود في العالم بحصول حقيقة نوعه على التمام كالإنسان مثلاً وحقيقة كل نوع على التمام واحدة، وإنما التعدد في الأشخاص ثم كل شخص وجوده

....

بحصول شخصه وشخصه واحد، فإذاً لكل شيء وحدة بشخصه دائماً أو وقتاً ما هو بها إما نوعاً أو شخصاً، وكل ما زاد على وحدته التي هو بها واحد فهو وحدة لغيره، فإذاً جميع الموجودات كلها وحدات وهي كلها أثر للإله فالإله واحد ومن هنا قيل:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فقد ثبت أن صانع العالم واحد، وإذا كان واحداً فهو لا مثل له يماثله في حقيقة ذاته ولا في حقائق صفاته لا من غير الممكنات، وإلا لما كان واحداً ولا واجب الوجود لما يلزم من التركيب على ذلك التقدير ولا من الممكنات، وإلا لكان ممكناً أن ما يماثل الممكن ممكن، لأن المثلين هما المشتركان في صفات، وذلك كله محال وهو أحد المطالب الإعتقادية وهو متحصل ما تقدم في الصفات التنزيهية فاعرف ذلك والله أعلم.

تنبيه:

ثبت مما تقدم أن الإله هو الذي لا يمانعه شيء وأن نسبة الأشياء إليه على السوية، وبهذا يبطل قول المجوس وكل من أثبت مؤثراً غير الله من علة أو طبع أو ملك أو إنس أو جن، إذ دلالة التمانع تجري في الجميع، ولذلك لم يتوقف علماء ما وراء النهر في تكفير المعتزلة حيث جعلوا التأثير للإنسان، ولم يتوقف علماء ما وراء النهر في تكفير من اعتقد تأثير النجوم أو طبيعة أو ملك أو غير ذلك والله أعلم.

تكميل:

قال في مقاصد الرحمة: صفات الله تعالى على أربعة أقسام: إما سلوبة محضة، أو إضافة محضة، أو حقيقة عارية عن الإضافة [والحقيقة التي تلزمها الإضافة] (١).

فمثال السلوب كونه ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم ولا متحيز ونحو ذلك.

ومثال الإضافة كونه أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

ومثال الحقيقة العارية من الإضافة الوجود والحياة، ومثال الحقيقة التي تلزمها الإضافة العلم والقدرة والإرادة ثم هذه الصفات السلبية قد عدّها الشيخ السنوسي وغيره خمسة القدم والبقاء ومخالفته تعالى للحوادث، وقيامه بنفسه، والوحدانية وحقيقة السلب نفي أمر لا يليق بالباري تعالى وهذا هو الصحيح المعقول المنقول.

وقال بعضهم السلبية منسوبة إلى السلب على معنى أن السلب داخل في مفهومها من غير أن يكون هناك أداة سلب، ويشهد له قول السنوسي يعني أن مدلول كل واحد منها عدم أمر لا يليق بمولانا تعالى، وهذا هو المفهوم من كلام السعد وغيره. وفي حاشية سيدي عبد القادر بن

(١) ما بين معقوفين إضافة يوجبها سياق ما بعده.

الركن الثاني

العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة أصول:

خدة الراشدي ما نصه: قوله سلبية أي مدلول كل واحدة سلبت أمراً لا يليق بالباري تعالى، ولم يقل سالبة لأن السالب أعم من السلبي، فكل سلبي سالب، وليس كل سالب سلباً، فبعض السالب سلبي كالمسلوب وبعض السالب ليس بسلبي كالمعاني مثلاً، والفرق بينهما أن السلبي هو الأمر الذي يدل على سلب ما ينافيه مطابقة كالقدم مثلاً فإنه يدل على نفي العدم السابق الذي هو معنى الحدوث مطابقة، فكذا سائر المسلوبات، وإن دل على سلب منافيه بالإلتزام فهو السالب، وليس كلفظ القدرة يدل على صفة يتأتى بها إيجاد كل ممكن واعدامه بالمطابقة، ويدل على سلب العجز عنه بالإلتزام الحاصل هو الذي يفسر بالسلب اهـ.

قال الشهاب الغنيمي بعد أن نقل هذه العبارة: ولم أر هذا التفصيل والتفرقة بين السلبي والسالب على هذا الوجه إلا في كلام هذا الإمام.

قلت: وهو غريب ولا يخلو عن تكلف والأحسن ما تقدم تفسيره في كلام السنوسي وغيره. إذ لا محيد عنه وهذا ما وقع الإختيار عليه في شرح المباحث المتعلقة بالركن الأول، ثم شرع المصنف رحمه الله تعالى في بيان الركن الثاني فقال:

الركن الثاني

أي من الأركان الأربعة: **(العلم بصفات الله تعالى)** أعلم أن صفات الله تعالى منها ما هو جار على الذات بحيث يحمل عليها كالحي والقادر والعالم والمريد والمتكلم والسميع والبصير وغير ذلك، وبعضهم يسميها أحكاماً ومنها ما هو ليس بجار ولا محمول على الذات، بل هو قائم به قيام الإختصاص كالحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام وغير ذلك. واختلفت الأشاعرة في إثبات الحال فمن نفاها منهم وهم الأكثر، فمعنى القادر مثلاً عندهم هو الذات من حيث قيام القدرة به فهو اسم للذات باعتبار المعنى القائم بها، فليس عند هؤلاء إلا الذات والقدرة القائمة به، فتارة يعبر عن الذات بما لا يشعر بالصفة كما يعبر بأسماء الذات كالله، وتارة يعبر عن تلك المعاني بما يشعر بها فقط لا بالذات كما يقال القدرة مثلاً معبراً عن الصفة الخاصة، وتارة يعبر بما يشعر بهما معاً وأن المدلول من ذلك هو الذات باعتبار قيام المعنى به، وهذا المتبادر من التعبير. ونقل عن الشيخ أن المدلول من قولنا القادر والعالم مثلاً هو نفس الصفة التي هي القدرة والعلم من حيث قيامها بالذات، وعلى هذا جرى في أسماء الصفات حيث قال: لا هي عين المسمى ولا هي غيره، وأما من أثبت الحال فيقول: إن هناك ثلاثة أمور: الذات والمعنى القائم به والحال وهو كون الذات قادرة، والأولان موجودان والحال ثابتة وليس

الأصل الأول: العلم بأن صانع العالم قادر، وأنه تعالى في قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ

بموجودة ولا معدومة. وبالجملة فمن نفى الأحوال ينظر في الصفات الجارية على الذات، وفي الصفات القائمة في تعلقها، ومن أثبت ينظر في ذلك ويزيد بالنظر في إثبات الحال وفي تعبير المتأخرين بعد ذكر الصفات السلبية ذكر صفات المعاني وهي سبعة: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، ويقال لها أيضاً صفات الذات، وصفات الإكرام، وصفات الثبوت، وتقديم صفات السلب عليها من تقديم التخلية على التحلية، كما في تقديم النفي على الإثبات في لا إله إلا الله، وتقديم المعاني على المعنوية لتوقفها عليها إشتقاقاً وتحقـقاً إذ العالم مثلاً المأخوذ من كونه عالماً مشتق من العلم وثبوته للذات فرع ثبوته لها وقيامه بها، وبعضهم قدم المعنوية للإتفاق عليها ولأنها دلائل على صفات المعاني، وإنما سميت في الإصطلاح صفات المعاني لأنهاصفات موجودة في نفسها سواء كانت حادثة كبياض الجرم مثلاً وسـواده أو قديمة كعلمه تعالى وقدرته، فكل صفة موجودة في نفسها تسمى صفة معنى لأنها معان زائدة على معنى الذات العلية، وهذا في إصطلاح المتأخرين. وأما المتقدمون كالمصنف وغيره فلا فرق عندهم بين المعاني والمعنوية ويطلقون صفات المعاني عليهما معاً، لأن ما يسميه غيرهم صفات معنوية هو عندهم عبارة عن قيام المعاني بالذات، فمعنى كونه عالماً قيام العلم بالذات وإن كانت الصفة غير موجودة في نفسها، فإن كانت واجبة للذات ما دامت الذات غير معللة بعلة سميت صفة نفسية أو حالاً نفسية، ومثالها التحيز للجرم وكونه قابلاً للإعراض مثلاً، وإن كانت الصفة غير موجودة في نفسها إلا أنها معللة بأنها تجب للذات ما دامت علتها قائمة بالذات سميت صفة معنية أو حالاً معنوية، ومثالها كون الذات عالمة أو قادرة مثلاً. **(ومداره على عشرة أصول):**

(الأصل الأول: العلم بأن الله صانع العالم قادر) أي ذو قدرة وهي عبارة عن المعنى الذي به يوجد الشيء مقدراً بتقدير الإرادة والعلم واقعاً على وفقهما، فالقادر هو الذي إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل وليس من شرطه أن يشاء لا محالة، فإن الله تعالى قادر على إقامة القيامة الآن، فإنه لو شاء أقامها وإن كان لا يقيمها فإنه لم يشاءها، ولا يشاؤها لما جرى في سابق علمه من تقدير أجلها ووقتها، وذلك لا يقدح في القدرة والقادر المطلق هو الذي يخترع كل موجود اختراعاً ينفرد به ويستغني فيه عن معاونة غيره هو الله سبحانه وتعالى قاله المصنف في المقصد الاسنى، **(وأنه تعالى في قوله)** الكريم في كتابه العزيز **(وهو على كل شيء قدير﴾** [الملـك: ١] **صادق)**

قال أبو منصور التميمي: قد وردت السنة بذكر القادر والمقتدر في أسماء الله تعالى، وجاء القرآن بهذين الإسمين وبالقدير أيضاً، والقدير أبلغ من القادر، والمقتدر أبلغ من القادر، وللقادر معنيان يكون بمعنى القدير من القدرة على كل شيء وذلك صفة لله عز وجل وحده من دون غيره، وإنما يوصف القادر منا بالقدرة على بعض المقدورات دون بعض. الوجه الثاني: أن

شيء قدير﴾ [الملك: ١]، صادق لأن العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته، ومن رأى ثوباً من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف، ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا إستطاعة له أو عن إنسان لا قدرة له كان منخلعاً عن غريزة العقل ومنخرطاً في سلك أهل الغباوة والجهل.

يكون بمعنى المقدور يقال قدر بالتخفيف وقدر بالتشديد، وجائز في كلام العرب أن يقال قدر واقتدر بمعنى واحد مثل جذب واجتذب.

ثم أقام المصنف الدليل على ذلك فقال: (**لأن العالم محكم في صنعته إحكاماً عجيباً مرتب في خلقته**) ترتيباً غريباً (**ومن رأى ثوباً من ديباج**). قال صاحب المصباح: هو ثوب سداه ولحمته إبريسم، ويقال: هو معرب (**حسن النسخ والتأليف متناسب التطريز والتطريف**) يقال: طرز الثوب تطريزاً إذا جعل له طرازاً وهو العلم في الثوب والتطريف بمعناه. يقال: ثوب مطرف إذا كان من خز له أعلام وقد طرفه وأطرفه بمعنى، (**ثم توهم**) أي ظن (**صدور نسجه**) وتأليفه (**عن ميت لا استطاعة له أو عن إنسان لا قدرة له**). قال الراغب: الإستطاعة وجود ما يصير به الفعل ممكناً، وعند المحققين اسم للمعاني التي يتمكن المرء بها مما يريده من إحداث فعل والإستطاعة أخص من القدرة (**كان منخلعاً عن غريزة العقل**) كأنه عدمها (**ومنخرطاً في سلك أهل الغباوة والجهل**).

وفي كتاب محجة الحق لأبي الخير القزويني ما نصه: أما الأصل الأول في معرفة كون الباري تعالى عالماً قادراً، والدليل عليه صدور الأفعال المحكمة المتقنة عنه مثل خلق السموات والأرض وغيرها من الصنائع والبدائع في عجائب التركيب والترتيب، ويدل ذلك قطعاً على كون صانعها عالماً بها قادراً عليها، فإن من يرى خطاً منظوماً أو ديباجاً منسوجاً ويجوز صدوره من جاهل به عاجز عنه يكون عن حيز العقل خارجاً وفي تيه الجهل والجا اهـ. وسياقه قريب من سياق المصنف إلا أنه جعل العلم والقدرة معاً في أصل واحد.

قال البكي في شرح الحاجبية: أعلم أن القادر عند أهل السنة هو المتمكن من الفعل والترك بحسب الداعي الذي هو الإرادة، وإن شئت تقول: هو الذي إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، وتقول: هو الفاعل على مقتضى العلم والإرادة، وأهل النظر العقلي من أهل السنة يقولون: إن كل ما تتوقف دلالة السمع عليه لا يكفي فيه السمع، فأقوى دليل لهم على أنه تعالى قادر بذلك التفسير أن يقال: قد ثبت حدوث العالم كما مر فصانعه لو لم يكن قادراً للزم تخلف المعلول عن علته وهو محال أما الملازمة فلأن صانع العالم قديم فلو لم يكن على ذلك التقدير قادراً فكان موجباً بالذات لزم التخلف المذكور، وأيضاً لو كان موجباً لزم من ارتفاع العالم ارتفاعه لأن ارتفاع الملزوم من لوازم ارتفاع اللازم، لكن ارتفاع الواجب محال.

الأصل الثاني: العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات. ﴿لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء﴾ [١] صادق في قوله: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ [البقرة: ٢٩]، ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى: ﴿ألا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وهُوَ اللَّطِيفُ الخبيرُ﴾ [الملك: ١٤] أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم، لأنك لا

فصل

والمحدث يقول قال الله تعالى: ﴿قل هو القادر﴾ [الأنعام: ٦٥] ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ وأما الصوفي فيقول: كيف لا يكون قادراً وهو قد أقدر العباد على طاعته وجعل ذلك صفة كمال فيهم وهو أولى بالكمال بل هو متفرد به، فلا قادر في التحقيق إلا هو إذ لا فاعل إلا هو، وأيضاً فإنا إذا انظرنا في أنفسنا واستقرينا من أحوالنا وجدنا ما يبدو في ذواتنا من الأفعال على قسمين: منها ما يكون مصحوباً باعتبارنا كزيادة مقدار أجسامنا طولاً وعرضاً، وما كان من هذا القبيل فهو يقف عند أمر خاص ولا يمر إلى غير نهاية فنسبة وقوفه عند ذلك الحد كنسبة وقوفنا في المتحرك فيه ووقوفنا فيما يتحرك فيه فعل اختياري ووقوف أجسامنا عند حدها فعل اختياري وكل اختياري لا يكون عن موجب ولا عن طبع، وما لا يكون عن موجب ولا عن طبع فهو عن قادر، فالفاعل لذاوتنا قادر ولا يكون ذلك الفاعل إلا الله إذ ما سواه مثلنا والكلام فيه كالكلام فينا.

(**الأصل الثاني: العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات**) وعلمه محيط بجميع المعلومات على التفصيل (**فلا يعزب**) أي لا يغيب (**عن علمه**) الأزلي الواجب (**مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء صادق في قوله**) جل وعلا: (**وهو بكل شيء عليم**) [البقرة: ٢٩] ظاهره وباطنه دقيقه وجليله، أوله وآخره عاقبته وخاتمته، وهذا من حيث الكشف على أتم ما يكن فيه بحيث لا يتصور مشاهدة وكشف أظهر منه ولا يكون مستفاداً من المعلومات بل تكون المعلومات مستفادة منه (**ومرشد إلى صدقه بقوله تعالى: ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**) [الملك: ١٤] قال المصنف: من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دق منها وما لطف، ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح على سبيل الرفق دون العنف، فإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف والإدراك تم معنى اللطف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل إلا لله تعالى، فأما إحاطته بالدقائق والخفايا فلا يمكن تفصيل ذلك بل الخفي عنده كالجلي من غير فرق، وأما رفقه في الأفعال ولطفه فيها فلا يدخل أيضاً تحت الحصر إذ لا يعرف اللطف في فعله إلا من عرف تفاصيل أفعاله وعرف دقائق اللطف فيها وبقدر اتساع المعرفة فيها تتسع بمعنى اسم اللطيف، وأما الخبير فهو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة فلا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم، إلا أن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمي خبرة ويسمى صاحبها خبيراً (**أرشدك على الإستدلال**

---

(١) سورة يونس: الآية: ٦١. وتصويبها: ﴿وما يعزبُ عن ربِّك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء﴾.

تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب **ولو في الشيء الحقير الضعيف** على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف، **فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية** والتعريف.

الأصل الثالث: العلم بكونه عز وجل حيًّا **فإن من ثبت علمه وقدرته ثبت**

بالخلق) الذي هو الإيجاد على وفق التقدير **(على العلم)** الذي هو الإحاطة بكل شيء على ما هو عليه دون سبق خفاء بحصول الأشياء عنده بلا انتزاع صورة ولا انفعال ولا اتصاف بكيفية، **(لأنك لا تستريب)** أي لا تشك **(في دلالة الخلق اللطيف)** والإيجاد المنيف **(والصنع المزين)** بالترتيب الغريب، **(ولو في الشيء الحقير اللطيف على علم الصانع)** جل وعلا **(بكيفية الترتيب والترصيف)**، ولما كان برهانه عين برهان الأصل الأول ذكرهما أبو الخير القزويني في محجة الحق وغيره من الأئمة في أصل واحد كما أشرنا إليه، **(فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية)** وعليه المعول في **(التعريف)**.

قال المصنف في المقصد الأسنى: للعبد حظ من وصف العلم، ولكن يفارق علمه علم الله عز وجل في خواص ثلاث: **إحداها:** المعلومات في كثرتها فإن معلومات العبد وإن اتسعت فهي محصورة في قلبه فأنى تناسب ما لا نهاية له. **والثانية:** أن كشفت أوان الفتح فلا يبلغ الغاية التي لا ممكن وراءها بل يكون مشاهدته الأشياء كأنه يراها وراء ستر رقيق ولا تتكرر درجات الكشف، فإن البصيرة الباطنة كالبصر الظاهر، وفرق بين ما يتضح وقت الأسفار وبين ما يتضح أول ضحوة النهار. **والثالثة:** أن علم الله تعالى بالأشياء غير مستفاد من الأشياء، بل الأشياء مستفادة منه، وعلم العبد بالأشياء تابع الأشياء وحاصل بها، وشرف العبد من سبب العلم من حيث أنه من صفات الله تعالى ولكن العلم الأشرف ما معلومه أشرف، وأشرف المعلومات هو الله تعالى فلذلك كانت معرفته أفضل المعارف، بل معرفة سائر الأشياء إنما تشرف لأنها معرفة لأفعال الله تعالى أو معرفة للطريق الذي يقرب العبد من الله تعالى، فلا نظر إذاً إلا في الله تعالى اهـ.

وأما المحدث فيستدل بقوله تعالى: ﴿قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة﴾ [الزمر: ٤٦] وبحديث الإستخارة وفيه: «فإنك تعلم ولا أعلم». وأما الصوفي فيقول: العلم حقيقته من كانت الأشياء حاضرة لديه وليس من تكون الأشياء حاضرة لديه إلا من أفادها الشيئية، ولا مفيد الأشياء شيئية إلا الله تعالى فلا عالم إلا الله تعالى. إذ هو المفيد لكل حقيقة عين تلك الحقيقة حتى المحال إن كانت له حقيقة عقلية أو وهمية فهو المفيد لها وهو المجلي لها في الأذهان، وبالضرورة من أجلى الحقائق لعبده فكيف لا تكون منجلية له بل لم تنجل بالتحقيق إلا له إذ ليس لغيره على التحقيق إحاطة بشيء والله أعلم.

(الأصل الثالث: العلم بكونه عز وجل حياً) مطلقاً، وهو الذي تندرج جميع المدركات

بالضرورة حياته، ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حياً لجاز أن يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات، بل في حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انغماس في غمرة الجهالات والضلالات.

تحت إدراكه وجميع الموجدات تحت فعله حتى لا يشذ عن علمه مدرك ولا عن فعله مفعول، وذلك هو الله تعالى فهو الحي الكامل المطلق، وكل حي سواه فحياته بقدر إدراكه وفعله. وكل ذلك محصور في قلة. ثم أشار المصنف إلى برهانه فقال: **(فإن من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته)** أي: أن الدليل عليه ما دلنا على كون الباري تعالى عالماً قادراً، ومن شرط العالم القادر أن يكون حياً، وأيضاً على أن العالم فعله ويستحيل صدور الفعل عن الميت والجماد، إذ **(لو تصور قادر عالم فاعل مدبر)** للكائنات **(دون أن يكون حياً لجاز أن يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات والسكنات، بل في حياة أرباب الحرف والصناعات)** إذ لا يتصور قيام هذه الأوصاف المذكورة من القدرة والعلم والعقل والتدبير بغير حي، **(وذلك)** أي تصور قيامها بغير حي جحود وعناد، بل **(انغماس في غمرة الجهالات)** أعاذنا الله منها.

تنبيه:

ظاهر سياق المصنف يشعر أن تأخير صفة الحي بعد ذكر القادر والعالم لتوقفها فقط على هذه، وان الحياة شرط في كل منها لا غير، والصحيح توقف الإرادة والسمع والبصر والكلام وترتبها على الحياة أيضاً، وأن صفة الحياة شرط في كل منها ولزم ان يكون المشروط مفتقر الى الشرط ويتأخر عنه في العقل وهل الحياة شرط في كل منها ابتداء أو بعضها شرط في بعض، فتكون الحياة شرطاً في بعض ابتداء وفي بعض بالواسطة يحتاج إلى تأمل فيه.

قال الشيخ السنوسي في شرح صغرى الصغرى بعد قوله في المتن، ويجب له تعالى الحياة لاستحالة وجود الصفات السابقة بدونها ما نصه: مراده بالصفات السابقة القدرة وما ذكر بعدها إلى الكلام، فإن كل واحدة من هذه الصفات يستحيل وجودها بغير الحي، ولهذا أخر ذكر الحياة إلى هذا الموضع وهو من باب تأخير المدلول على الدليل، وإلاً فهي من جهة أنها شرط في تلك الصفات مقدمة بالذات عليها لتوقف وجود المشروط على وجود شرطه. إلا ان التوقف هنا توقف معية لا توقف تقدم إذ صفات الباري تعالى كلها أزلية يستحيل تقدم بعضها بالوجود اهـ.

وقوله: وما ذكر بعدها إلى الكلام هو القدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام مترتبة على الحياة. قال الغنيمي: وظاهره أن ذلك الترتيب من غير واسطة بعض لبعض كأن يقال مثلاً: إن الإرادة مترتبة على العلم والعلم مترتب على الحياة ونحو ذلك، وربما يرد على القول السابق فيلزم أن يكون المشروط مفتقراً إلى الشرط. إن الافتقار مناف للوجوب إذ الواجب مستغن على

الأصل الرابع: العلم بكونه تعالى مريداً لأفعاله فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته وصادر عن إرادته، فهو المبدىء المعيد والفعال لما يريد، وكيف لا يكون مريداً

الاطلاق وذلك ينافي الافتقار، والجواب أن المراد بالافتقار الملازمة وعدم إنفكاك أحد الموجودين عن الآخر ولم يكن الافتقار بهذا المعنى ينافي الوجوب، وإليه الإشارة في قول السنوسي إلا أن التوقف هنا توقف معية فتأمل.

وكون أن الحياة شرط في تلك الصفات المذكورة قد ذكره شيخ الإسلام في حاشيته على شرح جمع الجوامع حيث قال: وظاهر أنها أي الحياة شرط لغير العلم أيضاً من الصفات المذكورة، فإذا عرفت ذلك ظهر لك ان المصنف لو أخر هذه الصفة عقيب الصفات المذكورة لكان أوجه، وأما ترتب تعلق القدرة على تعلق الإرادة على تعلق العلم؛ فسيأتي ذلك في سياق عبارة ابن الهمام وتلميذه إن شاء الله تعالى.

(الأصل الرابع: العلم بكونه تعالى مريداً لأفعاله فلا موجود إلا وهو مستند إلى مشيئته وصادر عن إرادته) . اعلم ان المريد لم يرد به السمع على هذه الصيغة وإنما ورد بصيغة الفعل، ولكن اطلاق مريد مما ثبت بالإجماع. وبالجملة؛ فالمريد أو الذي يريد أو أراد هو الذي يخصص فعله بحالة دون حالة لصفة قائمة به اقتضت ذلك، وتلك الصفة هي الإرادة، وهي كما قال السنوسي: صفة أزلية تؤثر في اختصاص أحد طرفي الممكن من وجود وعدم أو طول أو قصر ونحوها بالوقوع بدلاً عن مقابله اهـ.

وقال النسفي في شرح العمدة: حدها عند المتكلمين معنى يوجب تخصيص المعقولات بوجه دون وجه، وقيل: صفة تنفي عمن قامت به الجبر والاضطرار، وفائدتها على هذا الحد أن يكون الموصوف بها مختاراً فيما فعله غير مضطر إليه، ثم صانع العالم أوجده باختياره إذ من لا اختيار له في فعله فهو مضطر والمضطر عاجز فيكون حادثاً ولا اختيار بدون الإرادة فكان مريداً اهـ.

وفي المقدمات للسنوسي: هي صفة يتأتى بها تخصيص بدلاً عن مقابله، وقال في شرح الوسطى: صفة يتأتى بها ترجيح وقوع أحد طرفي الممكن، وإن شئت قلت: هي القصد لوقوع أحد طرفي الممكن. وقال في شرح الكبرى: هي قصد للفاعل إلى فعل ذلك الجائز وإن شئت قلت: اختياره له اهـ.

وقال أبو منصور التميمي: الإرادة والمشيئة عندنا بمعنى القصد والاختيار، وزعمت الكرامية أن المشيئة الأزلية صفة واحدة يتناول ما شاء الله عز وجل بها من حدث يحدث وإرادة الله غيرها وإرادته حادثة في ذاته قبل حدوث مراداته على عدد مراداته. وقلنا: مشيئة إرادته وهي متعلقة بحدوث جميع الحوادث على حسب تعلق علمه بها في معنى أنه أراد حدوث كل ما علم منها على ما علم من حدوثه عليه اهـ.

(فهو المبدىء المعيد والفعال لما يريد) قد تقدم تفسير هذه الألفاظ في أوّل هذا

وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده؟ وما لا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده. والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة، فلا بد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد المقدورين. ولو أغنى العلم عن الإرادة في تخصيص

الكتاب، ثم أشار إلى برهانها فقال: **(فكيف لا يكون مريداً وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده)**؟ أي كل صادر عنه تعالى من الممكنات في وقت من الأوقات كان من الممكن صدور ضده فيه أي ضد ذلك الصادر بدله في ذلك الوقت، **(وما لا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه)** أي: كان من الممكن صدور ذلك الصادر بعينه في وقت آخر **(قبله)** أي قبل ذلك الوقت الذي صدر فيه **(أو بعده، والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة، فلا بد من إرادة صارفة للقدرة إلى أحد المقدورين)** أي فتخصيصه بصدوره في ذلك الوقت دون ذلك الممكن الآخر، ودون ما قبل ذلك الوقت وما بعده لا بد من كونه يصرف القدرة المناسبة للضدين والوقتين على السواء عن إيجاد ذلك الممكن في غير ذلك الوقت، أو إيجاد غيره بدله في ذلك الوقت إلى تخصيص ذلك الممكن دون غيره بذلك الوقت المخصوص، ولا نعني بالإرادة إلا ذلك المعنى المخصص وهو صفة حقيقية قائمة بذاته توجب تخصيص المقدور دون غيره بخصوص وقت إيجاده دون ما قبله وما بعده من الأوقات. هكذا عبّر به ابن الهمام في المسايرة.

وقال السعد في شرحه على العقائد: وهما أي الإرادة والمشيئة عبارتان عن صفة في الحي توجب تخصيص أحد المقدورين في أحد الأوقات بالوقوع مع استواء نسبة القدرة إلى الكل وكون تعلق العلم تابعاً للوقوع اهـ.

قال ابن قاسم في نسخته على هامشها تحت قوله، المقدورين ما نصه: وهما الوجود والعدم، وعبارة شيخ الإسلام في حاشيته على السعد عند قوله: أحد المقدورين أي من الفعل والترك بمعنى أنها صفة واحدة تتعلق بالفعل تارة وبالترك أخرى، ومثله في حاشية الكمال بن أبي شريف. وفي ظاهر سياقهم نوع تخالف لا يخفى. قال الغنيمي: ويحتمل أن يكون مراد السعد بقوله: أحد المقدورين ما يصح اتصافه بالوجود لا ما يشمل الترك، فإنه ليس بمقدور مثلاً السواد مع البياض مقدوران، فالإرادة تخصص السواد وهو أحد المقدورين بوقوعه في هذا المحل المخصوص في هذا الوقت دونما قبله وما بعده دون البياض أو عكسه، وكذا الكلام في نحو الطول والقصر، وحينئذ فللارادة كما قال بعضهم تخصيصان: أحدهما تخصيص أحد المقدورين بالوقوع، والثاني تخصيصه بالوقوع في هذه الوقت دون ما قبله وما بعده، ثم قال: وينبغي أن لا تفهم مما هو مصرح به في كلامهم من قولهم أن نسبة القدرة إلى الضدين أو الاضداد متساوية بخلاف الارادة. إن المراد بالضدين ما يشمل العدم والوجود فإن الوجود كما هو مصرح به عند أئمة الأصول لا ضد له ولا مثل له، وقد استدلوا على ذلك بأدلة ساطعة فلا عليك بمن نقل خلاف ذلك بمجرد نقل عبارات الأئمة مع عدم فهمها على وجهها، ثم وإياك أن تفهم أيضاً من قولهم: ان نسبة

المعلوم حتى يقال إنما وجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز أن يغني عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لأنه سبق العلم بوجوده فيه.

القدرة إلى الضدين على السواء أن المراد خصوص الضدين، بل المراد أن نسبتها إلى جميع الممكنات على السواء لا فرق في ذلك بين الضدين كالسواد والبياض والمتخالفين والمتماثلين، وإنما فرض الكلام من فرض في الضدين في مقام الاستدلال، فان بينهما غاية الخلاف، فإذا ثبت أن نسبة القدرة إليهما على السواء ثبت نسبتها إلى بقية الممكنات بالطريق الأولى اهـ.

وقال الكستلي في شرح النسفية: اعلم أن للقدرة عند المحققين بالمقدور تعلقين: تعلق معنوي لا يترتب عليه وجود المقدور، بل يمكن القادر من إيجاده وتركه وهذا التعلق لازم للقدرة قديم بقدمها ونسبته إلى الضدين على السواء، وتعلق آخر يترتب عليه وجود المقدور أو عدمه عند القائلين بأن العدم مقدور وهو المعبر عنه بالتأثير أو التكوين والإيجاد ونحو ذلك. والاظهر أنه حادث عند حدوث المقدور. وفي كلامهم ما يشعر بأنه قديم لكنه متعلق بوجود المقدور لا في الأزل بل بوقت وجوده فيما لا يزال اهـ.

وبما أوردنا لك من نقول الائمة ظهر لك ما ساقه المصنف في هذا البرهان ثم قال: **(ولو أغنى العلم عن الإرادة في تخصيص المعلوم حتى يقال: إنما يوجد في الوقت الذي سبق العلم بوجوده لجاز أن يغني عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لانه سبق العلم بوجوده)**. وهذه الجملة أوردها إمام الحرمين في سياق الرد على الكعبي من المعتزلة ونصه: وزعم الكعبي أن كون الإله عالماً بوقوع الحوادث في أوقاتها على خصائص صفاتها يغني عن تعلق الإرادة بها وهذا باطل إذا لو أغنى كونه عالماً عن كونه مريداً لأغنى كونه عالماً عن كونه قادراً وقد وافقنا على افتقار أفعال المحدثين إلى ارادتهم اهـ.

وقد اختلفت عباراتهم في برهان الإرادة، ففي التذكرة الشرقية لابن القشيري ما نصه: لأن فعله مرتب مختص بأوقات وأوصاف وترتيب الفعل دال على كون فاعله مريداً له قاصداً إليه، وفي المدخل الأوسط لابن فورك ظهور فعله دليل على قدرته لأن الفعل لا يظهر ممن لا قدرة له كما لا يظهر ممن به عجز أو موت. وكونه محكماً متقناً دليل على علمه لأنه على أحكامه واتقانه لا يتأتى ممن لا علم له، وكونه متقناً دليل على إرادة فاعله إذ كما لا يصح ظهوره من غير ذي علم، كذلك لا يصح ظهوره من غير ذي قصد إليه لولاه لم يكن وقوعه على وجه أولى من وقوعه على وجه آخر. وقال أبو القاسم الإسكاف في الكافي: وهو مريد لأن قدرته تساوي بالاضافة إليها جمع المقدورات. وليس يقع منها إلا البعض على وجوه خاصة فلا بد من إرادة تخصص بالوجود ما تخصص على الوجه الذي تخصص. وقال والد إمام الحرمين في كفاية المعتقد: والدليل على إرادته تعالى وأنه مريد أن تخصيص حدوث المحدث بزمان دون زمان في مكان دون مكان على صفة دون صفة لا يصير معقولاً إلا بارادة مريد. وقال أبو القاسم القشيري في كتاب

....

الاعتقاد: الدليل عليه أن أفعاله مرتبة ترتيب الأفعال واختصاصها ببعض المجوّزات يوجب أن يكـون فاعله قاصداً إلى ترتيبه. وقال أبو الخير القزويني في محجة الحق: والدليل على كونه تعالى مريداً ان اختصاص الفعل شاهد يدل على كون فاعله مريداً، ونحن نرى أفعال الباري تعالى مخصوصة بأوقات موصوفة بصفات مخصوصة جاز في العقل وقوعها على خلافها، فتدل على كون فاعلها مريداً لها. وقال شيخ مشايخنا في إملائه: والدليل على ارادته تعالى أنه لو لم يكن مريداً لكان كارهاً لأن الإرادة هي القصد إلى تخصيص الجائز ببعض ما يجوز عليه، وقد تقرر أن إرادة الله تعالى عامة التعلق بجميع الممكنات فيستحيل وقوع شيء منها بغير إرادة منه تعالى لوقوع ذلك الشيء. وقال السبكي في شرح الحاجبية: قد ثبت أن صانع العالم فاعل بالاختيار، وكل فاعل بالاختيار مريد، فصانع العالم مريد، أما الصغرى، فلما مرّ من حدوث العالم الدال على أنه قادر مختار وهو الذي إذا شاء فعل وإذا لم يشأ لم يفعل، وأما الكبرى، فلأن تخصيص الحوادث بحالة دون حالة وهو الارادة أو تعلقها والتخصيص حاصل فالارادة ثابتة وهو المطلوب اهـ.

ونقل الغنيمي عن السنوسي في شرح النظم: الإرادة صفة يترجح بها وقوع أحد طرفي الممكن على مقابله، وبرهان وجوبها له تعالى أن الحوادث قد اختصت من كل نوع من أنواع ستة وهـي: الوجود والعدم والمقادير والصفات والأزمنة والأمكنة والجهات بأحد أمرين جائزين متساويين في قبول كل ذات حادثة لهما، واختصاص أحد الطرفين المتساويين بدلاً عن مقابله بغير مرجح مستحيل، وإذا وجب الافتقار إلى المرجح فلا يصح أن يكون المرجح ذات الممكن لأنه يلزم عليه اجتماع أمرين متساويين وهما الاستواء بالذات والرجحان بالذات وذلك مستحيل لا يعقل، وأيضاً لو ترجح للممكن من ذاته الوجود بدلاً عن العدم لكان واجب الوجود لذاته فيلزم قدمه، ولو ترجح له من ذاته العدم لوجب استمرار عدمه فلا يوجد أبداً لأن المرجح الذاتي يستحيل زواله، وكلا القسمين باطل فتعين أن يكون المرجح لاختصاص كل ممكن بأحد الطرفين الجائزين عليه خارجاً عن ذاته، والسر التام يقتضي أن لا مرجح لاختصاص الممكن بأحد الجائزات عليه بدلاً عن مقابله إلا الارادة وهي قصد الفاعل إلى وقوع ذلك الجائز دون مقابله اهـ المراد منه.

فصل

وأما المحدث فيقول: قد ثبت سمعاً أن الله تعالى أراد الأشياء ويريدها، وقد خاطبنا بذلك من جهة معهود اللسان العربي والمعهود في اللسان العربي أن الذي يريد الشيء هو الذي يخصصه على الحقيقة، ومن يخصص الشيء على الحقيقة فهو مريد، فصانع العالم مريد على الحقيقة. وأما الصوفي فيقول: لا بدّ من تخصيص على الحقيقة، والمخصص على الحقيقة هو الذي لا يدافع تخصيصه إلا العالم على الحقيقة ولا عالم على الحقيقة إلا الله تعالى.

الأصل الخامس: العلم بأنه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير

تنبيه:

هذه الأصول الأربعة التي ذكرها المصنف ولاء وذكر في كل أصل صفة من الصفات قد ضم إليها ابن الهمام في مسايرته الثامن والتاسع، وهما في بيان قدم العلم والإرادة، وأورد الكل في فصل واحد، وقال: حاصل ستة منها العلم بأنه تعالى قادر عالم حي مريد، ثم قرر ما تضمنه الأصلان الأوّلان بما أورده هنا ممزوجاً بشرح تلميذه ابن أبي شريف قال: لما ثبتت وحدانيته في الالوهية ثبت إسناد كل الحوادث إليه تعالى. والألوهية الاتصاف بالصفات التي لأجلها استحق أن يكون معبوداً وهي صفاته التي توحد بها سبحانه فلا شريك له في شيء منها وتسمى خواص الألوهية، ومنها الايجاد من العدم وتدبير العالم والغنى المطلق على الموجب والموجد في الذات وفي كل من الصفات، فثبت افتقار الحوادث في وجودها إليه، فكل حادث من السموات وحركاتها بكواكبها الثابتة وحركات كواكبها السيارة على النظام الذي لا اختلاف فيه والأرضين وما فيها وما عليها من نبات وحيوان وجماد وما بينهما من السحاب المسخر، ونحو ذلك كل مستند في وجوده إلى الباري سبحانه وهو مشاهد لنا منها كمال الإحسان في إيجادها من اتقان صنعها وترتيب خلقها، وما هديت إليه الحيوانات من مصالحها، وما أعطيته من الآلات على مقتضى الحكمة البالغة البارعة التي يطلع على طرف منها علم التشريح ومنافع خلقة الإنسان وأعضائه، ويستلزم ذلك قدرته أي ثبوت صفة القدرة له وعلمه بما يفعله ويوجده، والعلم بهذا الاستلزام فيهما ضروري، ولكن ينبه عليه بأن من رأى خطاً حسناً يتضمن ألفاظاً عذبة رشيقة تدل على معان دقيقة علم بالضرورة أن كاتبه المنشىء له عالم بتأليف الكلام والكتابة قادر عليهما، وينضم إلى هذا أي إلى ثبوت العلم له تعالى أنه هو الموجد لأفعال المخلوقات، فيلزمه أي يلزم ما ذكر من المنضم والمنضم إليه علمه بكل جزئي جزئي خلافاً للفلاسفة في قولهم: أنه تعالى يعلم الكليات وأنه إنما يعلم الجزئيات على وجه كلي لا على الوجه الجزئي وهو باطل. إذ كيف يوجد ما لا يعلم، وقد أرشد إلى هذا الطريق قوله تعالى: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك: ١٤] هذا ما تضمنه الأصلان، وأما ما تضمنه الأصل الثالث فقد قرره بقوله: والعلم والقدرة أي الاتصاف بهما بلا اتصاف بحياة محال. أي: وليس معنى الحياة في حقه تعالى ما يقوله الطبيعي من قوّة الحس ولا قوة التغذية ولا القوّة التابعة للاعتدال النوعي التي يفيض عنها سائر القوى الحيوانية ولا ما يقوله الحكماء، وأبو الحسن البصري من المعتزلة من أن معنى حياته تعالى كونه يصح أن يعلم ويقدر، بل هي صفة حقيقية قائمة بالذات تقتضي صحة العلم والقدرة والارادة، ثم قرر ما تضمنه الأصل الرابع بما قد ذكرناه في أثناء كلام المصنف قريباً. وأما ما تضمنه الأصل الثامن والتاسع فسيأتي بيانه في موضعه قريباً إن شاء الله تعالى.

(الأصل الخامس: أنه تعالى سميع بصير) بلا جارحة وحدقة ولا اذن، كما أنه تعالى عليم بلا دماغ وقلب، فليس سمعه كسمع المخلوق الذي هو قوة مودعة في مقعر الصماخ يتوقف

وخفايا الوهم والتفكير، ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء. وكيف لا يكون سميعاً بصيراً والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص؟ فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع؟ وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعته، أو كيف

إدراكها للأصوات على حصول الهواء الموصل إلى الحاسة وتأثر الحاسة، ولا كبصر المخلوق الذي هو قوّة مودعة في العصبتين المجوّفتين الخارجتين من الدماغ، بل المراد بالسمع صفة وجودية قائمة بالذات شأنها إدراك كل مسموع وإن خفي، والمراد بالبصر صفة وجودية قائمة بالذات شأنها إدراك كل مبصر وإن لطف، وقد أشار المصنف إلى ذلك، فقال: على طريق اللف والنشر غير مرتب (**لا يعزب**) أي لا يغيب (**عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم**) والهاجس ما يخطر بالبال والوهم بمعناه (**والتفكير**) أي ما خفي عنه وهو مصدر فكره مشدداً إذا أورده في فكره. وقال المصنف في المقصد الأسني: البصير هو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى مع التنزيه عن أن يكون بحدقة وأجفان والتقديس عن أن يرجع إلى انطباع الصور والألوان في ذاته، كما ينطبع في حدقة الإنسان فإن ذلك من التغير والتأثر المقتضي للحدثان، وإذا نزه عن ذلك كان البصر في حقه عبارة عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات، وذلك أوضح وأجلى مما تفهمه من إدراك البصر القاصر على ظواهر المرئيات. (**ولا يشذ**) أي لا ينفرد ولا يبعد (**عن سمعه**) مسموع وإن خفي فيسمع السر والنجوى، بل ما هو أرق من ذلك وأخفى يسمع (**صوت دبيب**) أي حركة أرجل (**النملة**) الصغيرة المسماة بالذرة، ثم وصفها فقال: (**السوداء**) لأنها إذا كانت كذلك كانت أشد في الخفاء (**في الليلة الظلماء**) الشديدة السواد (**على الصخرة الصماء**) الملساء بغير أصمخة وآذان منزه سمعه من أن يتطرق إليه الحدثان، ومهما نزهت السميع عن تغير يعتريه عند حدوث المسموعات وقدسته عن أن يسمع بآذان أو آلة علمت أن السمع في حقه عبارة عن صفة ينكشف بها كمال صفات المسموعات، ومن لم يدقق نظره فيه وقع بالضرورة في محض التشبيه فخذ منه حذرك ودقق فيه نظرك قاله المصنف في المقصد الأسنى. ثم اعلم أن ثبوت صفتي السمع والبصر بالسمع فقد ورد وصفه تعالى بهما فيما لا يكاد يحصى من الكتاب والسنّة وهو مما علم ضرورة من دينه ﷺ فلا حاجة بنا إلى الاستدلال عليه كسائر ضروريات الدين، ومع ذلك فقد استدل عليه المصنف وقال: (**وكيف لا يكون سميعاً بصيراً والسمع والبصر صفتا كمال**) وقد اتصف بهما مخلوق (**وليس بنقص**) فهو تعالى أحق بالإتصاف بهما من المخلوق، وقد أشار إلى ذلك بقوله: (**فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أسنى**) أي أرفع (**وأتم من الصانع، وكيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعته**) هذا لا يتصوّره عاقل. وفي هذا الاستدلال الذي ذكره المصنف اختلفت عباراتهم، ولكن المآل إلى ما ذكره.

قال أبو القاسم القشيري في كتاب الاعتقاد: والدليل عليه أنهما صفتا مدح في ثبوتها نفي

تستقيم حجة ابراهيم ﷺ على أبيه إذ كان يعبد الأصنام جهلاً وغياً فقال له: ﴿لِمَ تعبدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ ولاَ يُغْني عَنْكَ شيئاً﴾ [مريم: ٤٢] ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى: ﴿وتلك حجّتنا

نقص لا ينتفي ذلك النقص إلا بهما، والاله سبحانه وتعالى مستحق لأوصاف الكمال. وقال ابن فورك في المدخل الأوسط: الدليل عليه أنه تعالى موجود حي لا تليقه به الآفات التي تضاد السمع والبصر وكل حي ليس به آفة تضاد السمع والبصر فهو سميع بصير. وقال إمام الحرمين في لمع الأدلة إذ قد ثبت كونه حياً والحي لا يخلو عن الاتصاف بالسمع والبصر والكلام واضدادها واضداد هذه الصفات نقائص والرب يتقدس عن سمات النقص. وقال ابن القشيري في التذكرة الشرقية: إذ لو لم يتصف بهما لاتصف بضدهما وقد وجدنا الحي فيما بيننا يجوز أن يكون سميعاً بصيراً، ولم نجد لقبول السمع والبصر علة إلا كونه حياً، فعلمنا ان كل حي قابل للسمع والبصر والباري تعالى حي، فهو إذاً قابل للسمع والبصر فلو لم يتصف بهما لاتصف بضدهما لأن كل ذات قبلت معنى، ولذلك المعنى ضد استحال خلوه من ذلك المعنى وعن ضده وفيه احتراز عن الحركة والسكون وبيان مراعاة العلل دون اعتبار مجرد الشاهد في محكم الغائب. وقال شيخ مشايخنا في إملائه: لو لم يكن سميعاً بصيراً لكان أصم أعمى، وذلك نقص والنقص عليه تعالى محال لاحتياجه إلى من يكمله وذلك يستلزم حدوثه. وقال البكي في شرح الحاجبية: أما كونه سميعاً بصيراً فقد اتفق عليه أهل السنّة أما الأشعري فيقول: قد ثبت أن الباري تعالى عالم مريد حي وكل حي سميع أو قابل لذلك والواجب لا يتصف بالقبول بل كل ما يجوز له فهو واجب له، وأيضاً فإنهما صفتا كمال والخلو عنهما نقص أو قصور في الكمال، وأيضاً قد أجمعت عليه الكتب السماوية وخصوصاً القرآن وهذا دليل المحدث. وأما الصوفي فيقول: حديث التقرب بالنوافل بيّن لكل من هو إلى عبوديته واصل أن السميع والبصير هو الله فقط، ثم أشار المصنف رحمه الله تعالى إلى أن عدم السمع والبصر نقص في المعبود وأيده بقوله: (**أو كيف تستقيم حجة**) سيدنا (**إبراهيم**) الخليل (**صلى الله عليه**) وعلى نبينا (**وسلم على أبيه**) آزر كما هو نص القرآن، أو هو تارخ كما هو قول النسابة. وآزر عمه واستعمال الأب على العم شائع في الاستعمال (**إذ كان**) أي آزر (**يعبد الأصنام**) والتماثيل (**جهلاً**) منه (**وغياً**) عن طريق الرشد، (**فقال له**) إبراهيم عليه السلام كما حكي عنه في الكتاب العزيز: يا أبت ﴿لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً﴾ [مريم: ٤٢] فأفاد أن هذه صفات لا يليق بالمعبود أن يسلبها (**ولو انقلب ذلك عليه في معبوده**) بحيث سلبت عنه تلك الصفات (**لأضحت حجته**) التي احتج بها على خصمه (**ودلالته**) التى استدل بها على تحقيق مقصوده (**ساقطة**) في حد ذاتها ولم تكن ملزمة له أصلاً (و) إذاً (**لم يصدق قوله تعالى**) في قصته: (﴿**وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه**﴾) ﴿نرفع درجات من نشاء﴾ [الأنعام: ٨٣] الآية. والفرق بين الحجة والبينة قد تقدم في أول الكتاب، ثم أشار بالرد على من زعم أن إثبات صفتي السمع

آتيناها إبراهيم على قومه﴾ [الانعام: ٨٣]، **وكما عقل كونه فاعلاً بلا جارحة وعالماً بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيراً بلا حدقة وسميعاً بلا أذن إذ لا فرق بينهما.**

الأصل السادس: أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف، بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره،

والبصر يستدعي حدقة وأذناً فقال: **(وكما عقل كونه)** عز وجل **(فاعلاً)** مختاراً **(بلا جارحة)** من الجوارح **(وعالماً بلا قلب ودماغ)**، وإنما ذكرهما جميعاً لما أن علم المخلوق قد اختلف في محله أهو الدماغ أو القلب فجمع بين القولين، **(فليعقل كونه)** تعالى **(بصيراً بلا حدقة)** وهي محركة التي فيها انسان العين ويجمع على احداق **(وسميعاً بلا أذن)** بضمتين معروف، وجمعه: آذان **(إذ لا فرق بينهما)**. إذا تأملت حق التأمل.

(الأصل السادس): في بيان أحد صفات المعاني التي هي الكلام فقال: **(إنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام)** إعلم أن مسألة الكلام ذات تشعب كثير وبحث المبتدعة منتشر شهير، حتى قيل: إنما سمي فن أصول الدين بعلم الكلام لأجله فلا كبير جدوى في تطويل مباحثه. وقد قال بعض المحققين: الحق أن التطويل في مسألة الكلام، بل وفي جميع صفاته تعالى بعد ما يستبين الحق في ذلك قليل الجدوى لأن كنه ذاته وصفاته محجوب عن العقل، وعلى تقدير التوصل إلى شيء من معرفة الذات فهو ذوقي لا يمكن التعبير عنه، ولذلك لا أذكر في هذا المبحث إلا ما يقتضيه المقام من التكلم على عبارة المصنف رحمه الله تعالى، فما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى.

فأقول: اعلم أن البحث في هذا المقام يرجع إلى أمرين: الأول: انه تعالى متكلم، والثاني: أنه تعالى متكلم بكلام نفسي قائم بذاته. وفي أثناء ذلك بيان صحة إطلاق الكلام عليه لغة، وأن اطلاقه عليه هل يكون مجازاً أو حقيقة؟ وقد أشار المصنف إلى كل ذلك بقوله: إنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام **(وهو وصف قائم بذاته)** أما قيامه بذاته؛ فلأنه تعالى وصف نفسه بالكلام في قوله تعالى: ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً﴾ [البقرة: ٣٨]، وقوله: ﴿وقلنا يا آدم﴾ [البقرة: ٣٥] ومواضع أخرى كثيرة، والمتكلم الموصوف بالكلام لغة من قام الكلام بنفسه لا من أوجد الحروف في غيره **(ليس بصوت ولا حرف)**. أما الصوت؛ فهو كيفية قائمة بالهواء تحملها إلى الصماخ. وقال الراغب: الهواء المنضغط عن قرع جسمين وذلك ضربان: مجرد عن انتفاء شيء لشيء كالصوت الممتد، ومنتقش بصورة. والمنتقش ضربان: ضروري كما يكون من الحيوان والجماد، واختياري كما من الإنسان، وذلك ضربان: ضرب باليد كصوت العود، وضرب بالفم، وما بالفم ضربان: نطق وغيره كصوت النائي. والنطق: إما مفرد من الكلام أو مركب، وأما الحرف فهو كيفية عارضة للصوت، ولذا قيل: لو قدم الحرف على الصوت في التعبير كان أولى لأن الصوت بمنزلة العام، والحرف بمنزلة الخاص. ولا يلزم من نفي الخاص نفي العام إذ قد يوجد صوت بدون حرف ولا ينعكس، فكان تأخيره أتم في الفائدة، ولكن قد

والكلام بالحقيقة كلام النفس، وإنما الأصوات قطعت حروفاً للدلالات كما يدل

وجهه بعض المحققين. فقال: قدمه على الحرف لكونه معروضا له متقدما عليه بالطبع فتأمل. **(بل لا يشبه كلامه كلام غيره)** لأنه صفة من صفات الربوبية ولا مشابهة بين صفات الباري وصفات الآدميين، فإن صفات الآدميين زائدة على ذواتهم لتكثر وحدتهم فتقوم أنفسهم بتلك الصفات، وتتعين حدودهم ورسومهم بها، وصفة الباري تعالى لا تحد ذاته ولا ترسم فليست إذاً بشيء زائد على الباري تعالى، **(كما لا يشبه وجوده وجود غيره)** ومن ظن أن صفاته تشابه صفات غيره فقد أشرك، لأن الخالق لا يشبه المخلوق. ثم اعلم أن الكلام عند أهل الحق يقال على المعنيين. يقال على النظم المركب من الاصوات والحروف وهو الكلام اللساني، وعلى المعنى القائم بالنفس وهو المسمى بالكلام النفساني. وهذا الاطلاق بالاشتراك اللفظي والحقيقة والمجاز والمختار عند الأشاعـرة الأوّل: أي أنه مشترك بين الألفاظ المسموعة وبين الكلام النفسي، وذلك لأنه قد استعمل لغة وعرفاً فيهما، والأصل في الاطلاق الحقيقة فيكون مشتركاً. أما استعماله في العبارة فكثير كقوله تعالى: ﴿منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه﴾ [البقرة: ٧٥] فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه، ويقال: سمعت كلام فلان وفصاحته يعني ألفاظه الفصيحة. وأما استعماله في المعنى النفسي، وهو مدلول العبارة فكقوله سبحانه: ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ [المجادلة: ٨] ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ [الملك: ١٣]، وقول عمر رضي الله عنه يوم السقيفة: زورت في نفسي قولاً، والقول يقال على ما يقال عليه الكلام إما بترادف أو تباين الخاص والعام، وقيل: حقيقة في اللساني مجاز في النفساني، وقيل: بالعكس. وإليه أشار المصنف بقوله: **(والكلام بالحقيقة كلام النفس، وإنما الأصوات قطعت حروفاً للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات)**، فهذا منه تصريح أن الكلام النفسي هو الحقيقة، وأن العنى القائم بالنفس هو الكلام حقيقة، والحروف والأصوات دلالات عليه ومعرفات له، وأنه حقيقة واحدة هي الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وأنها صفات لها لا أنواع إن عبر عنه بالعربية كان عربياً أو بالسريانية كان سريانياً، وكذلك في سائر اللغات، وأنه لا يتبعض ولا يتجزأ، وهذا قول الأشاعرة، ثم اختلفوا فقال إمام الحرمين وغيره: الكلام المطلق حقيقة هو ما في النفس شاهداً وغائباً وإطلاق الكلام على الحروف والأصوات مجاز وإليه مال المصنف كما ترى. وقال الجمهور منهم: يطلق على كل منهما بالاشتراك اللفظي، وإليه أشرنا أوّلاً بقولنا، والمختار ثم انهم استدلوا على ثبوت الكلام النفسي بأن قالوا: لا شك في وجود معنى قائم بنا نجده من أنفسنا عند التعبير أو الإشارة والكتابة، كما يجده الطالب مع الاستدعاء لحصول المطلوب وتطلبه إياه وليس ذلك هو الإرادة لوجوده بدونها فيمن أمر عبده معتذراً للسلطان من عدم امتثاله عند توعده، فإن السيد يأمره ولا يريد وليس هو العلم لأنه قد يخبر عن غير معلومه، ولا غير ذلك من المعاني النفسانية لنفي لوازمها عنه، فثبت أن هناك أمراً قائماً بأنفسنا هو المسمى بالكلام، والأقرب في تعريفه أنه نسبة بين مفردين قائمة بالمتكلم، وقيل: هو حديث النفس عن معلومها حصولاً واستدعاء، ويعني بالنسبة بين المفردين أي بين المعنيين

عليها تارة بالحركات والإشارات، وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حيث قال قائلهم:

إن الكلام لفـي الفـؤاد وإنما   جعل اللسـان على الفـؤاد دليلاً

المفردين تعلق أحدهما بالآخر أو إضافته إليه على جهة الإسناد الإفادي. أي: بحيث إذا عبر عن تلك النسبة بلفظ يطابقها ويؤدي معناها كان ذلك اللفظ إسناداً إفادياً.

وقال النسفي في الاعتماد صانع العالم متكلم بكلام واحد أزلي، وهو صفة قائمة بذاته ليست من جنس الحروف والأصوات غير متحيز مناف السكوت والآفة وهو به آمر ناه مخبر.

قلت: ودليل الأشاعرة والماتريدية في إثبات صفة الكلام واحد. قالوا: لو لم يكن صانع العالم متكلماً للزم النقص وهو محال. أما الملازمة فإن صانع العالم حي وكل حي فهو إما متكلم أو مؤف، والآفة نقص فتعين أن يكون متكلماً وهو المطلوب، وأما دليل السمع فقوله عز وجل: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ [النساء: ١٦٤] إلاّ أن عند الأشاعرة كلامه تعالى مسموع لما أن كل موجود كما يجوز أن يرى يجوز أن يسمع عنه. وعند ابن فورك المسموع عند قراءة القارىء شيئان: صوت القارىء، وكلام الله تعالى. وعند الشيخ أبي منصور الماتريدي: كلامه غير مسموع لاستحالة سماع ما ليس بصوت إذ السماع في الشاهد يتعلق بالصوت ويدور معه وجوداً وعدماً. وذكر في التأويلات أن موسى عليه السلام سمع صوتاً دالاً على كلام الله تعالى وخص بكونه كليم الله لأنه سمع من غير واسطة الكتاب والملك لا أنه ليس فيه واسطة الحرف والصوت، اهـ.

وقد يستدل المحدث أيضاً على اثبات صفة الكلام له تعالى بما تقدم، وأما الصوفي فيقول: الكلام صفة كمالية إذ مرجع ذلك إلى الانباء عن الشيء وكل الأشياء قابلة للانباء، فلا بد من حصول تلك الصفة على كمالها، وحصولها على الكمال لا يكون إلا بحيث لا موقع لنقيضها. وذلك لا يكون في واجب الوجود فواجب الوجود له تلك الصفة الكمالية إذ هو الذي له الكمال المطلق وهو المطلوب، ثم استشعر المصنف كلام المخالفين لمعتقد الأشاعرة وهم الحنابلة والمعتزلة، فإنهم أنكروا الكلام النفسي وقالوا: ليس الكلام مشتركاً بين العبارة ومدلولها، بل الكلام هو الحروف المسموعة فهو حقيقة فيها مجاز في مدلولها، فقال رادًّا عليهم متعجباً منهم بقوله: (**وكيف التبس هذا**) أي كيف خفي أمره (**على طائفة من الأغبياء**) جمع غبي وهو الفدم الذي لا يدري شيئاً. وأصل الغباوة الغفلة والجهل وتركيبها يؤذن بالخفاء، ومنه قول الشاعر:

وإذا خفيـت على الغبي فعـاذر   إن لا تـراني مقلـة عميـاء

(**ولم يلتبس**) ذلك (**على جهلة الشعراء**) جمع جاهل، والمراد به الأخطل كما وقع التصريح بذلك في أكثر كتب الأشاعرة والماتريدية وأوّله:

لا يعجبنـك مـن أمير خطبـة   حتى يكـون مـع الكلام أصيلا
(إن الكلام لفـي الفـؤاد إنما   جعل اللسان على الفـؤاد دليلا)

ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن أن يقول: لساني حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم، فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك. ومن لم يفهم

وقد أنكره العلاء المرداوي من الحنابلة في شرح تحرير الأصول وقال: هو موضوع على الأخطل، وليس هو في نسخ ديوانه وإنما هو لابن صمصام ولفظه: إن البيان اهـ.

وقد استرسل بعض علمائنا من الذين له تقدم ووجاهة وهو علي بن علي بن محمد بن الغزي الحنفي، فقال في شرح عقيدة الإمام أبي جعفر الطحاوي ما نصه: وأما من قال أنه معنى واحد واستدل بقول الأخطل المذكور، فاستدلال فاسد. ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين لقالوا هذا خبر واحد، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول والعمل به. فكيف وهذا البيت قد قيل أنه مصنوع منسوب إلى الأخطل وليس هو في ديوانه؟ وقيل: إنما قال: إن البيان لفي الفؤاد، وهذا أقرب إلى الصحة، وعلى تقدير صحته عنه فلا يجوز الاستدلال به. فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام، وزعموا أن عيسى عليه السلام نفس كلمة الله واتحد اللاهوت بالناسوت أي شيء من الإله بشيء من الناس، فيستدل بقول نصراني قد ضل في معنى الكلام عن معنى الكلام، ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب، وأيضاً فمعناه غير صحيح إذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلماً لقيام الكلام بقلبه، وإن لم ينطق به ولم يسمع. وهذا معنى عجيب وهو أن هذا القول له شبه قوي بقول النصارى القائلين باللاهوت والناسوت اهـ. إلخ.

ولما تأملته حق التأمل وجدته كلاماً مخالفاً لأصول مذهب إمامه، وهو في الحقيقة كالرد على أئمة السنّة كأنه تكلم بلسان المخالفين وجازف وتجاوز عن الحدود حتى شبه قول أهل السنّة بقول النصارى، فليتنبه لذلك. ثم تحامل المصنف عليهم بقوله: (**ومن لم يعقله عقله**) أي الكامل (**ولا نهاه نهاه**) بالضم جمع نهية، وهي العقل لكونه ينهى عن القبيح، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآياتٍ لأولي النهى﴾ [طه: ١٢٨] وبين نهاه ونهاه جناس تام مع الاشتقاق (**عن أن يقول لساني**) الذي أنطق به (**حادث، ولكن**) العرض القائم به وهو (**ما يحدث فيه**) أي ينشأ فيه (**بقدرتي الحادثة**) هو (**قديم**) قائم بالذات ولم يفهم أن الأجسام التي لها أوّل إذا جعلت على كيفية مخصوصة صارت قديمة (**فاقطع عن عقله**) أي عن رجوعه إلى عقله والتدبر في الحق الصريح، وفي بعض النسخ: عن فهمه (**طمعك**) أي رجاءك في رجوعه إلى ما تقرره بل (**وكف**) أي: امنع (**عن خطابه**) ومذاكرته (**لسانك**)، فقد رسخ في ذهنه ما تخيله فلا ينفك عنه إذ صار له ذلك كالطبع والجبلة، فإزالة ذلك عسر جداً، ثم لما كان من مذهب المخالفين القول بقدم الحروف والأصوات وإنها قائمة بذات الحق سبحانه أشار بالرد عليهم بقوله: (**ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبل كل شيء**) والمحدث ما لم يكن

أن القديم عبارة عما ليس قبله شيء ، وإن الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديماً ، فنزه عن الالتفات إليه قلبك ، فلله سبحانه سر في ابعاد بعض العباد : ﴿ومن يضلل الله فما له من هادٍ﴾ [الرعد : ٣٣] ، ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاماً ليس بصوت ولا حرف . فليستنكر أن يرى في الآخرة موجوداً ليس بجسم ولا لون وإن عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو

فكان . **(وإن الباء)** الموحدة **(قبل)** حرف **(السين)** المهملة **(في قولك بسم الله)** الرحمن الرحيم ونحوه من الألفاظ المنتظمة الحروف يحس فيها بعدم الحرف الثاني من الكلمة قبل تمام التلفظ بالأول ، **(فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديماً)** لكونه مسبوقاً بالباء ، وهذا مكابرة للحسن وخروج عن مقتضيات العقول المحيلة **(فنزه عن الالتفات إليه قلبك)** أي ابعده عنه ولا تخالط به ، فإن شيطانه المريد لا يسمع التفنيد وبمعاشرته يكثر اللجاج والمراء ، ويترتب عليهما فساد النظام وضياع الوقت فيما لا يجدي إلى المرام ، وهذا حال أغبيائهم فإنهم لا يفهمون معنى القديم ولا يميزون بينه وبين الحادث ، ولا يتحاشون من رفض بداهة العقول ، والمتغافلون منهم لم يرضوا بركوب متن الجهل واللجاج فقالوا : الحروف قديمة بالنوع ورجعوا كرامية عند التحقيق ، **(فلله سبحانه)** وتعالى **(سر)** عظيم **(في ابعاد بعض العباد)** عن منصة التقريب والإرشاد ، **(ومن يضلل الله)** إياه **(فما له من هاد)** [الرعد : ٣٣] يرشده إلى سلوك سبيل السداد ، ثم لما كان من قول المخالفين كيف يعقل كلام ليس بحرف ولا صوت أجاب عنه رادّاً عليهم بقوله : **(ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام)** وعلى نبينا **(في الدنيا كلاماً ليس بصوت)** ولا حرف ، **(فليستنكر أن يرى في الآخرة موجوداً)** متكلماً حيا **(ليس بجسم)** أي ليس بذي جسم ملموس ومحسوس غير متحيز ، **(ولا)** بذي **(لون)** ولا قابل للحوادث . والمقصود نفي الكيفية على كل حال . وكذلك إذا استبعدوا كيف سمع جبريل عليه السلام والمؤمنون غداً كيف يسمعون؟ فالجواب : سمع كلاماً ليس بحرف ولا صوت من متكلم حتى ليس له لسان وشفة . وهذه الجملة من كلام المصنف قد ردّها الطوخي من الحنابلة فقال : هو تكلف وخروج عن الظاهر ، بل عن القاطع من غير ضرورة وما ذكره معارض بأن المعاني لا تقوم شاهداً إلا بالأجسام ، فإن أجازوا معنى قام بالذات القديمة وليست جسماً فليجيزوا خروج صوت من الذات القديمة وليست جسماً إذ كلا الأمرين خلاف للشاهد ومن أحال كلاماً لفظياً من غير جسم فليحل ذاتاً مرئية غير جسم ولا فوق اهـ . من شرح التحرير للمرداوي .

وهذا الذي ذكره المصنف من أن الكلام النفسي مما يسمع هو قول الأشعري قاسه على رؤية ما ليس بلون ولا جسم قياساً ألزم به من خالفه من أهل السنّة لاتفاقهم على جواز الرؤية ووقوعها في الآخرة ، ثم قال : **(وإن عقل أن يرى ما ليس بلون)** محسوس **(ولا جسم)**

إلى الآن لم يرَ غيره فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر. وإن عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات. وإن عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار

متحيز (**ولا قدر**) معلوم (**ولا كمية**) متصلة، أو منفصلة (**وهو إلى الآن لم يرَ غيره فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر**) أي: فليعقل سماع ما ليس بصوت وهو لا يكون إلا بطريق خرق العادة، كما نبّه عليه الباقلاني. وفي لباب الحكمة الإلهية للمصنف كلام الله تعالى ليس سوى إفاضة مكنونات علمه على من يريد إكرامه كما قال تعالى: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾ [الأعراف: ١٤٣] شرفه الله بعزه وقربه بقدسه وأجلسه على بساط انسه وشافهه بأجل صفاته وكلمه بعلم ذاته، كما شاء كلمه وكما أراد سمع لا يندرج كلامه تحت الكيفية ولا يحتاج إلى سؤال العلمية ولا يوصف بالماهية والكمية، بل كلامه كعلمه وعلمه كإرادته وإرادته كصفته وصفته كذاته وذاته أجل من التنزيه والتكبر وصفاته أجلى من التفسير والتفصيل خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير.

قلت: وقد تقدم أن الماتريدي استحال سماع ما ليس بصوت ووافقه الأستاذ الاسفرايني واختاره ابن الهمام وقال: وهو الأوجه عندي لأن المخصوص باسم السمع من العلم ما يكون إدراك صوت، وإدراك ما ليس صوتاً قد يخص باسم الرؤية وقد يكون له الاسم الأعم. أعني: العلم مطلقاً عن التقييد بمتعلق. قال ابن أبي شريف: ولمن انتصر للأشعري أن يقول بل المخصوص باسم السمع من العلم ما يكون إدراكاً بالقوّة المودعة في مقعر الصماخ، وقد يخلق لها إدراك ما ليس بصوت خرقاً للعادة فيسمى سمعاً، ولا مانع من ذلك بل في كلام الماتريدي في كتاب التوحيد له ما يشهد لذلك على ما نقله عنه صاحب التبصرة؛ وهو جواز سماع ما ليس بصوت، والخلاف إنما هو في الواقع للسيد موسى عليه السلام، فأنكر الماتريدي سماعه الكلام النفسي وقال: إنما سمع صوتاً دالاً على كلام الله تعالى كما تقدم فتأمل.

ثم قال: (**وإن عقل أن يكون علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات**) من أمر ونهي واخبار، وقد جاز في الشاهد أن يكون الشيء الواحد أمراً ونهياً وخبراً واستخباراً، فكذلك يجوز في الغائب ولم يكن مستحيلاً. وهذه العبارات مخلوقة لأنها أصوات وهي أعراض سميت تلك العبارات كلام الله لدلالتها عليه وتأديه بها، والاختلاف في العبارات المؤدية لا الكلام.

وقال ابن التلمساني: كل آمر وناه يجد في نفسه اقتضاء وطلباً يعبر عنه بالعبارات المختلفة والكتابة والإشارة وما في النفس لا يختلف لاختلاف الدلالات، فكذلك المخبر يجد في نفسه حديثاً يعبر عنه بالألفاظ المختلفة، وهذا الوجدان ضروري لا نزاع فيه، ثم قال: ومن أنكر كلام النفس فقد أنكر أخص وصف الإنسانية، فإن الآدمي يشاركه البهائم في إدراك

مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة من القلب وإن كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة من غير أن تحل ذات السموات والأرض والجنة والنار في الحدقة والقلب والورقة، فليعقل كون الكلام مقروءاً بالألسنة محفوظاً في القلوب مكتوباً في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها إذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام في الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه في الورق، وحلت ذات النار بكتابة إسمها في الورق ولاحترق.

المحسوسات والوجدانيات، ويختص الآدمي عنها بالقدرة على استحضار العلوم في الذهن وتركيبها وترتيبها ترتيباً يتوصل به إلى إدراك الغائبات، وكل ذلك يعتمد الكلام النفسي اهـ.

ثم قال: **(وإن عقل كون السموات السبع)** والعرش والكرسي **(والأرض وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في تعداد ذرة من القلب و)** عقل **(أن ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة)** التي فيها إنسان العين **(من غير أن تحل ذات السموات والأرض)** والعرش والكرسي **(والجنة والنار في الحدقة والورقة، فليعقل كون الكلام مقروءاً بالألسنة)** الظاهرة **(محفوظاً في القلوب)** الباطنة **(مكتوباً في المصاحف بالاحبار المتنوّعة من غير حلول ذات الكلام فيها)**. أي: في تلك المصاحف قطعاً **(إذ لو حلت بكتاب ذات الكلام)** فرضاً وتقديراً **(لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه في الورق، ولحلت ذات النار بكتابة اسمها في الأوراق ولاحترقت)**. ولكان من نطق بالنار احترق فمه، والجنة والنار مكتوبتان في المصاحف، ثم أحد لا يتخيل أنهما مدرجتان فيها بالذات، وكذا النبي ﷺ مكتوب في التوراة والإنجيل لا على معنى أنه حال فيهما، ولكن فيهما دلالة عليه وهو المكتوب ﷺ بتلك الكتابة.

وقد أوضحه المصنف في إلجام العوام بوجه آخر فقال: اعلم أن لكل شيء في الوجود أربع مراتب: وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البياض المكتوب عليه كالنار مثلاً، فإن لها وجوداً في التنور ووجوداً في الخيال والذهن، وأعني بهذا الوجود العلم بصورة النار وحقيقتها، ولها وجود في اللسان وهي كلمة دالة عليها أعني لفظ النار، ولها وجود في البياض المكتوب عليه بالرقوم، والاحراق صفة خاصة للنار والمحرق من هذه الجملة هي التي في التنور دون التي في الأذهان. وفي اللسان وعلى البياض إذ لو كان المحرق هو الذي في البياض أو اللسان لاحترق، ثم قال: وكذلك القدم وصف كلام الله تعالى وما يطلق عليه القرآن له وجود على أربع مراتب: أولاها: وهي الأصل وجود قائم بذات الله تعالى، والثانية: وجود العلم في أذهاننا عند التعلم قبل أن ننطق بلساننا، ثم وجوده في لساننا بتقطع أصواتنا، ثم وجوده في الأوراق بالكتابة، فإذا سئلنا عما في أذهاننا من علم القرآن قبل النطق به؟ قلنا: علمنا صفتنا وهي مخلوقة لكن المعلوم به قديم، فإذا سئلنا عن صوتنا وحركة لساننا؟ قلنا: ذلك صفة لساننا

....

ولساننا حادث وصفته توجد بعده وما هو بعد الحادث حادث بالضرورة، ولكن منطوقنا ومذكورنا ومقروءنا ومتلوّنا بهذه الأصوات الحادثة قديم، ثم قال: فهذه أربع درجات في الوجود تشكل على العوام ولا يمكنهم إدراك تفاصيلها، ثم قال: فكما أن ما يرى في المرآة يسمى إنساناً بالحقيقة لكن على معنى انه صورة محكية له، فكذا ما في اللسان من الكلمة يسمى باسمه بمعنى أنه دلالة على ما في الذهن، ومهما فهم اشتراك لفظ القرآن وكل شيء بين هذه الأمور الأربعة، فإذا ورد في الخبر أن القرآن في قلب العبد، وأنه في المصحف وأنه في لسان القارىء، وأنه صفة في ذات الله تعالى صدق بالجميع مع الاحاطة بحقيقة المراد اهـ. المقصود منه.

وذكر ابن التلمساني في شرح لمع الأدلة عند قول الماتن: فصل كلام الله مقروء بالسنة القراء محفوظ في صدور الحفظة مكتوب في المصاحف على الحقيقة، والقراءة: أصوات القارئين ونغماتهم، وكلام الله تعالى هو المعلوم والمفهوم فيها الخ. قال في الإيضاح: إن القراءة غير المقروء، والحفظ غير المحفوظ، والكتابة غير المكتوب، وأن المفهوم من هذه المصادر غير المفهوم من أسماء المعقولات. وذهبت الحشوية) إلى أن القراءة التي هي حروف وأصوات وهي فعل العبد وكسبه وهي اعراض لا تبقى باتفاق من زعم ان الأعراض لا تبقى هي عين كلام الله تعالى وهي قديمة. وقالوا: إن الحروف المكتوبة في المصاحف التي ينسب حصولها للكاتبين قديمة وبالغوا فقالوا: لو أخذت زفر من حديد وقطع من نحاس أو شيء من الكلس وجعلت حروفاً تقرأ، كما لو جعلت صورة صارت تلك الأجسام قديمة اهـ.

وقال أبو نصر القشيري: والعجب كل العجب من تجاهل أقوام في المصير إلى أن كلام الله تعالى إذا كتب على الآجر أو شيء من الاصباغ ينقلب عين الآجر والصبغ قديماً، فإذا صار الجهل إلى هذا القدر والحكم بأن المحدث يصير قديماً والقديم يفارق ذات الباري تعالى ويحل في المحدثات، فالأولى السكوت. ثم قال ابن التلمساني: ومما يداني هذا المذهب في جحد الضرورات أن الجبائي من المعتزلة لما لم يعتقد كلاماً سوى الحروف والأصوات، ونفى كلام النفس وكان ما يقرأه العبد فعله يثاب عليه وينفرد باختراعه عنده، وكذلك ما يكتبه في المصحف. وقد أجمع المسلمون على أن لله كلاماً مسموعاً عند التلاوة وكلاماً مكتوباً في المصاحف تحير في ذلك فقال: إذا قرأ القارىء القرآن قارن خروج كل حرف يفعله العبد حرف يخلقه الله تعالى معه يسمع، وهذا افتراء على الحس وخروج عن المعقول، فإن المحل الواحد لا يقوم به مثلان، ثم قال: إذا تراسل جماعة في القراءة صحب كلام جميعهم كلام واحد لله تعالى وهو حروف مخلوقة في لهواتهم، وكيف يتصوّر وجود حرف واحد في محالٍ متعددة؟ ثم قال: إذا سكت بعضهم عدم كلام الله تعالى بالنسبة إلى الساكت وبقي بالنسبة إلى القارىء، وكيف يتصوّر في الشيء الواحد أن يكون موجوداً معدوماً في آن واحد. وقال: إذا كتبت الحروف في المصاحف كان مع كل حرف حرف يخلقه الله تعالى هو كلام ولا يرى، ونقل هذه المذاهب كاف في ردها ﴿ومن يضلل الله فما له من هادٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

....

تنبيه:

قال ابن الهمام في المسايرة: وبعد اتفاق أهل السنّة أي من الفريقين على أنه تعالى متكلم أي بكلام نفسي هو صفة له قائمة به لم يزل متكلماً به. اختلفوا في أنه تعالى هل هو مكلم لم يزل مكلماً، فعن الأشعري: نعم هو تعالى كذلك، وعن بعض متكلمي الحنفية: لا. قال: وهو عندي حسن، فإن معنى المكلمية لا يراد به هنا نفس الخطاب الذي يتضمنه الأمر، والذي يتضمنه النهي كـ﴿اقتلوا المشركين﴾ [التوبة: ٥] ﴿لا تقربوا الزنا﴾ [الإسراء: ٣٢] لأن معنى الطلب يتضمنه أي يتناول ذلك الخطاب وهو قسمان: الطلب الذي يتضمنه الأمر، والخطاب الذي يتضمنه النهي، فلا يختلف في أن ذلك الخطاب ليس تكليماً، بل هو تكلم إذ هو أي ذلك الخطاب داخل في الكلام القديم الذي به الباري تعالى متكلم، وإلا يراد بمعنى المكلمية اسماع لمعنى ﴿اخلع نعلَيْك﴾ [طه: ١٢] مثلاً ولمعنى ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ [طه: ١٧]، وحاصل هذا عروض إضافة خاصة للكلام القديم بإسماعه لمخصوص بلا واسطة كما قاله الأشعري، وبلا واسطة معتادة كما قاله الماتريدي، ولا شك في انقضاء هذه الإضافة بانقضاء الاسماع، فإن أريد به غير هذين الأمرين فليبين حتى ينظر فيه والله أعلم.

قال ابن أبي شريف: والتحقيق أن الذي يثبته الأشعري المكلمية بمعنى آخر غير الأمرين المذكورين وهو مبني على أصل له خالفه فيه غيره، وبيان ذلك أن المتكلمية والمكلمية مأخوذان من الكلام. لكن باعتبارين مختلفين. عند الأشعري فالمتكلمية مأخوذة من الكلام باعتبار قيام الكلام بذات الباري تعالى وكونه صفة له وهذا محل وفاق، وأما المكلمية فمأخوذة عند الأشعري من الكلام القائم بذات الله تعالى لكن باعتبار تعلقه أزلاً بالمكلف بناء على ما ذهب إليه هو واتباعه من تعلق الخطاب أزلاً بالمعدوم الذي سيوجد، وشدّد سائر الطوائف النكير عليهم في ذلك، فالأشعري قائل بالمكلمية بمعنى تعلق الخطاب في الأزل بالمعدوم، والمنكرون لهذا الأصل ينفونها بهذا المعنى ويفسرونها بالاسماع المذكور، فقد ظهر أن المكلمية عند الأشعري بمعنى سوى الأمرين المذكورين وبالله التوفيق.

فإن قيل: اعتراضاً على الأشعري التعلق ينقطع بخروج المكلف عن أهلية التكليف بموت ونحوه، ولو كان قديماً لما انقطع.

قلنا: المنقطع التعلق التنجيزي وهو حادث. أما الأزلي؛ فلا ينقطع ولا يتغير لما قلنا في الكلام على الاخبار القائم بالذات من أن التغير في اللفظ الدال عليه لا فيه نفسه، وإن التغير في المعلوم لا في العلم فإنه يؤخذ من ذلك أن التغير في متعلق الكلام وتعلقه التنجيزي لا في التعلق المعنوي الأزلي اهـ.

استطراد: خلف كلام ابن الهمام السابق وهو قوله: وهذا عروض إضافة خاصة للكلام القديم باسماعه لمخصوص بلا واسطة، ولا شك في انقضاء هذه الاضافة بانقضاء الاسماع، وهو ان الشيخ

الأصل السابع: أن الكلام القائم بنفسه قديم، وكذا جميع صفاته إذ يستحيل أن

السنوسي قال في شرح الكبرى ما حاصله: أن من المحال أن يطرأ على كلامه سكوت. وقد استدل على ذلك ثم قال: وما ورد في الحديث مما يخالف ذلك الذي قررناه فمؤوّل وذكر حديثاً وتكلم على تأويله، ثم قال: ولهذا تعرف أن ليس معنى ﴿كلم الله موسى تكليماً﴾ [النساء: ١٦٤] أنه ابتدأ الكلام له بعد أن كان ساكتاً، ولا أنه بعدما كلمه انقطع كلامه وسكت. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً، وإنما المعنى أنه تعالى أزال بفضله المانع عن موسى عليه السلام وخلق له سمعاً وقواه، حتى أدرك به كلامه القديم ثم منعه بعد ورده إلى ما كان قبل سماع كلامه اهـ. فانظره مع الكلام السابق هل بينهما مخالفة أو موافقة؟

مهمة:

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، قال البيهقي: الكلام ما ينطق به المتكلم وهو مستقر في نفسه كما جاء في حديث عمر في السقيفة: كنت زورت في نفسي مقالة. وفي رواية كلاماً. قال: فسماه كلاماً قبل التكلم به. قال: فإن كان المتكلم ذا مخارج سمع كلامه ذا حروف وأصوات وإن كان غير ذي مخارج فهو بخلاف ذلك، والباري عز وجل ليس بذي مخارج، فلا يكون كلامه بحروف وأصوات. ثم ذكر حديث جابر عن عبدالله بن أنس وقال: اختلف الحفاظ في الاحتجاج بروايات ابن عقيل لسوء حفظه، ولم يثبت لفظ الصوت في حديث صحيح عن النبي ﷺ غير حديثه، فإن كان ثابتاً فإنه يرجع إلى غيره كما في حديث ابن مسعود يعني الذي يليه، وفي حديث أبي هريرة يعني الذي بعده أن الملائكة يسمعون عند حضور الوحي صوتاً، فيحتمل أن يكون الصوت للسماء أو للملك الآتي بالوحي أو لأجنحة الملائكة، وإذا احتمل ذلك لم يكن نصاً في المسألة، وأشار في موضع آخر أن الراوي أراد فينادي نداء فعبّر عنه بصوت اهـ.

قال الحافظ: وهذا حاصل كلام من نفي الصوت من الأئمة، ويلزم منه أن الله تعالى لم يسمع أحداً من ملائكته ولا رسله كلامه، بل ألهمهم إياه. وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين لأنها التي عهد أنها ذات مخارج ولا يخفى ما فيه إذ الصوت قد يكون من غير مخارج، كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة كما سبق. سلمنا لكن يمنع القياس المذكور وصفة الخالق لا تقاس على صفة المخلوق، وإذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة وجب الايمان به، ثم إما التفويض وإما التأويل وبالله التوفيق اهـ.

ولقد أجاد رحمه الله تعالى وانصف واتبع الحق الذي لا محيد عنه، ويفهم من هذا أن من قال بالصوت نظراً للأحاديث الواردة فيه لا ينسب إلى الجهل والتبديع والعناد كما فعله السعد وغيره فتأمل ذلك.

(الأصل السابع) في بيان قدم الكلام النفسي فقال: **(أعلم أن الكلام القائم بذاته)** المختص بنفسه أزلي **(قديم)** لا ابتداء لوجوده، فلا يجوز أن يكون متكلماً بكلام في غيره إذ

يكون محلاً للحوادث داخلاً تحت التغير، بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات، بل لم يزل في قدمه موصوفاً بمحامد الصفات ولا يزال في أبده كذلك منزهاً عن تغير الحالات لأن ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث. وإنما ثبت نعت الحدوث للأجسام من

المتكلم إنما كان متكلماً لقيام الكلام به لا لكونه فعلاً له لأنا متكلمون، والباري تعالى خالق لكلامنا وليس هو المتكلم بكلامنا، ولو جاز أن يقال بأنه تعالى متكلم بكلام في الغير لجاز أن يقال أنه متحرك بحركة تخلق في الغير وهو محال، ولولا اختصاص كلامه به لكان محدثاً، وإذا ثبت أن كلامه مختص به ليس مفارقاً له ثبت أنه قديم، **(وكذا)** نعتقد في **(جميع صفاته)** فإنها قائمة به ومختصة به لا انفكاك لها عنه، وهي قديمة على معنى أنه ليس لوجودها ابتداء، ثم أعلم أن القرآن يقال على ما يقال عليه الكلام، فيقال على المعنى القائم بذاته جل وعز المعبر عنه باللسان العربي المبين، ومعنى الإضافة في قولنا كلام الله إضافة الصفة إلى الموصوف كعلم الله والقرآن بهذا المعنى قديم قطعاً، ويقال على الكلام العربي المبين الدال على هذا المعنى القديم، ومعنى الإضافة على هذا التقدير هو معنى إضافة الفعل إلى الفعل كخلق الله ورزقه، وكلا الإطلاقين حقيقة على المختار خلافاً لمن زعم أنه حقيقة في أحدهما مجاز في الآخر، ثم استدل المصنف على قدم الكلام بامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى فقال: **(إذ يستحيل أن يكون)** الباري تعالى **(محلاً للحوادث داخلاً تحت التغير)** وما كان محلاً للحوادث يعتريه التغير، والمراد بالحوادث التي امتنع الباري تعالى أن تحل هي به ماله وجود حقيقي مسبوق بالعدم لا المتجدد من الصفات الإضافية التي لا وجود لها، ككونه تعالى قبل العالم وبعده ومعه أو السلبية، ككونه مثلاً غير رازق لزيد الميت ولا ما يتبع تعلق صفاته كالخالق والرازق، فإن هذا كله ليس محل النزاع. وبالجملة ففرق بين الحادث والمتجدد فيجوز اتصافه بالمتجدد إذ الصفات المتجددة محض اعتبار وإضافة، فلم يلزم من ذلك محال، وبهذا يعلم محل النزاع، **(بل يجب للصفات)** المقدسة **(من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات)** ولا يتصف بقبولها، ولا يقال أنها اغيار له لأن حقيقة الغيرين ما يجوز مفارقة أحدهما لصاحبه بزمان أو مكان، ولا يجوز أن تفارق صفات الباري تعالى ذاته فإطلاق لفظ الغيرية بعيد، **(بل لم يزل)** جل وعز **(في قدمه موصوفاً بمحامد الصفات)** أي بالصفات المحمودة **(ولا يزال)** تعالى **(في أبده كذلك)** موصوفاً بها **(منزهاً عن تغير الحالات)**. وذهبت المعتزلة والنجارية والزيدية والإمامية والخوارج إلى أن كلام الله حادث، وامتنع طائفة من هؤلاء من إطلاق القول بكونه مخلوقاً وسموه حادثاً، وأطلق المتأخرون من المعتزلة كونه مخلوقاً، ونحن نقول: لو كان كلام الله حادثاً لم يخل من أمور ثلاثة: إما أن يقوم بذات الباري أو بجسم من الأجسام، أو لا بمحل وباطل قيامه به، فإن الحوادث يستحيل قيامها بذات الباري تعالى، **(لأن ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها)** أي عن الحوادث **(وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث)** لأنه لا

حيث تعرضها للتغير وتقلب الأوصاف، فكيف يكون خالقها مشاركاً لها في قبول التغير؟ وينبني على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وإنما الحادث هي الأصوات الدالة عليه، وكما عقل قيام طلب التعلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده حتى

تقوم الحوادث إلا بحادث، ولو قام بجسم لكان المتكلم ذلك الجسم، ويبطل وجود الكلام لا في محل لأنه عرض من الأعراض، ويستحيل قيام الأعراض بأنفسها إذ لو جاز ذلك في ضرب منها لجاز في سائرها، (**وإنما ثبت نعت الحدث للأجسام من حيث تعرضها للتغير**) وقبولها له وحلوله فيها (**وتقلب الأوصاف، فكيف يكون خالقها**) أي تلك الأجسام (**مشاركاً لها**) أي تلك الأجسام (**في**) أوصافها اللازمة لها (**قبول التغير**) وتقلب الوصف؟ (**وينبغي على هذا**) الذي ذكر آنفاً من الإستدلال (**أن كلامه قديم قائم بذاته، وإنما الحادث هي الأصوات الدالة عليه**)، ولتعلم أن القرآن بالمعنى الأزلي لا يدخل تحت الزمان ولا يوصف بماض ولا مستقبل ولا حال ضرورة أن الأزلي مناف للزمان، لأن الزمان من لواحق الحادث ولا شيء من الحوادث بأزلي، وأما بمعنى الفعل الدال على ذلك أو بعض ما هو متعلق ذلك فنعم فنحو قوله تعالى: ﴿وقال موسى﴾ [إبراهيم: ٨] ﴿وعصى فرعون﴾ [المزمل: ١٦] فالداخل تحت الزمان من ذلك هو الدال لا المدلول القديم والمتعلق به اسم مفعول والتعلق التنجيزي لا المتعلق اسم فاعل الذي هو صفة واحدة لا تعداد فيها ولا التعلق الصلاحي ونحو قوله تعالى: ﴿وهو العلي العظيم﴾ [البقرة: ٢٥٥] فالدال وحده حادث، وأما المدلول الذي هو الصفة والمتعلق الذي هو الذات المسند إليه، والصفة التي هي المسند والنسبة التي هي الوقوع والتعلق بجميع ذلك قديم. ونحو قوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا نوحاً﴾ [نوح: ١] ﴿الله الذي يرسل الرياح﴾ [الأعراف: ٥٧] فالدال حادث والمدلول الذي هو الصفة قديمة والمتعلق بعضه قديم وهو الذات المسند إليه، والحاصل أن المتعلق قد يكون كله قديماً، وقد يكون كله حادثاً، وقد يكون بعضه وبعضه، فاعلم ذلك.

ودليل آخر على قدم الكلام، هو أنه لو كان كلامه تعالى مخلوقاً لكان قبل أن يخلق لنفسه الكلام بضد الكلام موصوفاً وهو باطل، أو كان ذلك الضد قديماً والقديم لا يعدم، فيجب في سياق ذلك أن لا يكون الباري تعالى قط متكلماً وهو كفر، فقد ثبت أن كلام الباري تعالى قديم، وأورد ابن الهمام في المسايرة ما استدل به المصنف على طريق التنزل فقال: لو لم يمتنع قيام الحوادث به وقام بذاته معنى فترددنا في قدمه معه وحدوثه فيه ولا معنى لأحدهما، وجب إثبات قدم ذلك المعنى، لأن الأنسب بالقديم من حيث هو قديم قدم صفاته. إذ القديم بالقدم أنسب من الحادث بالقديم لاتحادهما في وصف القدم، ولأن الأصل من صفات القديم من حيث هو قديم عدم الحدوث، فكيف لا يجب إثبات قدم المعنى القائم بذاته إذا بطل قيام الحوادث به بأدلته المبينة في محالها، فقد وجه المقتضي لثبوت قدم المعنى القائم بذاته تعالى مع أنه لا مانع من قدم كلامه النفسي، وإذا ثبت وجود المقتضي وانتفاء المانع ثبت المدعي.

إذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علماً متعلقاً بما في قلب أبيه من الطلب صار مأموراً بذلك الطلب الذي قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ولده له، فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله عز وجل: ﴿اخلع نعليك﴾ [طه: ١٢] بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطباً به بعد وجوده إذ خلقت له معرفة بذلك الطلب، وسمع لذلك الكلام القديم.

وقد أشار المصنف إلى انتفاء المانع بقوله: **(وكما عقل قيام طلب العلم وإرادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده حتى إذا)** فرض أنه **(خلق ولده وعقل)** الأشياء **(وخلق الله سبحانه وتعالى له علماً بما قام في قلب أبيه من)** ذلك **(الطلب صار)** ذلك الولد **(مأموراً بذلك الطلب الذي قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفة ابنه)**.

فإن قيل: القائم بذات الأب العزم على الطلب وتخيله لانفس الطلب لأن وجود الطلب بدون من يطلب منه شيء محال. قلنا: المحال طلب تنجيزي لا معنوي قائم بذات من هو عالم بوجود المطلوب منه وأهليته وكلامنا فيه، والعلم بهما كاف في اندفاع الإستحالة. **(فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله عز وجل: ﴿اخلع نعليك﴾ [طه: ١٢] بذات الله)** تعالى أزلاً **(ومصير موسى عليه السلام مخاطباً به)** أي بذلك الطلب **(بعد وجوده)** أي بعد وجود السيد موسى. **(إذ خلقت له معرفة بذلك)** الطلب، **(وسمع لذلك الكلام القديم)** وسمع يتعدى باللام تارة كما جرى عليه المصنف، ومثله سمع الله لمن حمده وبلا لام أخرى، ومنه: **﴿قد سمع الله قول التي تجادلك﴾** [المجادلة: ١] وهذا قول الأشعري، وأنكر الماتريدي سماعه الكلام النفسي وعنده أنه سمع صوتاً دالاً على كلام الله تعالى. وقد تقدم الإختلاف فيه، وفي التذكرة الشرقية لأبي نصر بن القشيري.

فإن قيل: فهل تسمون كلام الله تعالى في الأزل أمراً ونهياً؟ قلنا: بلى هو أمر بشرط وجود المأمور به ونهي بشرط وجود المنهي.

فإن قيل: فكيف يؤمر من هو معدوم، وكيف قال لموسى عليه السلام **(اخلع نعليك)** وهو بعد في كتم العدم؟ قلنا: إنما هو أمر بشرط الوجود أي إذا كنت وعقلت فافعل كذا، فالمأمور يدخل في الوجود بعد أن لا يكون موجوداً فالمتجدد عائد إليه لا إلى كلام الباري سبحانه، وهذا كما أن الله سبحانه كان عالماً بأن العالم سيكون، والآن فهو عالم بأن العالم كائن، ثم علمه لم يتغير ولم يتجدد بل تجدد المعلوم، ثم من يعتقد أن كلام الله تعالى غير قديم ليس يجوز عليه البقاء، فإذا أمر العبد بفعل فالفعل المأمور به غير موجود في حالة الأمر، فإذا وجد فالأمر غير موجود لأنه عدم، فكيف يستبعدون هنا القول بأمر والمأمور معدوم وهم يصرحون بأمر والمأمور به معدوم؟ وقد أجمع المسلمون على أن موسى عليه السلام مخاطب الآن بقوله عز وجل **(اخلع نعليك)** وهو الآن غير مكلف، فقد بان ما استبعدوا. فلا طائل تحته، وقد قال تعالى: ونادوا يا مالك ليقض علينا

الأصل الثامن: أن علمه قديم فلم يزل عالماً بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته. ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلي. إذ لو

ربك وبعد أهل النار لم يدخلوا، والمعنى سينادون. ولو أخبرنا بهذا بعد دخول أهل النار النار فالخبر انهم قد نادوا، فكذلك لو أخبرنا عن حال موسى عليه السلام قبل وجوده، فالخبر سيقول لموسى اخلع نعليك، وبعد موسى فالخبر قلنا لموسى اخلع نعليك. فهذا الإختلاف لا يعود إلى نفس كلام الله عز وجل فتفهم اهـ.

وفي شرح العمدة للنسفي فإن قيل: لو كان كلامه قديماً لكان آمراً ناهياً في الأزل وهو سفه سواء كان عبارة عن الحروف والأصوات أو عن المعنى القائم بالنفس. وهذا لأنه ما كان في الأزل مأمور ولا منهي، والأمر والنهي بدون حضور المأمور والمنهى سفه، فإن الواحد منا لو جلس في بيته وحده ويقول: يا زيد قم ويا بكر اجلس لكان سفهاً، فكيف يصح أن يقول في الأزل (**اخلع نعليك**) أو (**خذ الكتاب بقوة**) وموسى ويحيى معدومان؟ قلنا: نعم لو كان الأمر ليجب وقت الأمر، فأما الأمر ليجب وقت وجود المأمور، والنهي ليجب عليه الإنتهاء عند وجوده، فهذا حكمه. ألا ترى أن المنزل على النبي ﷺ كان أمراً ونهياً لمن كان موجوداً ولمن يوجد إلى يوم القيامة، وكل من وجد وبلغ وعقل وجب عليه الأقدام على المأمور والإنتهاء عن المنهي عنه بذلك الأمر والنهي ولم يكن ممتنعاً كذا هنا.

فإن قيل: أخبر الله تعالى عن أمور ماضية كقوله: ﴿وجاء إخوة يوسف﴾ [يوسف: ٥٨] ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ [نوح: ١] ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر: ١] وهذا إنما يصح أن لو كان المخبر عنه سابقاً على الخبر، فلو كان هذا الخبر موجوداً في الأزل لكان الأزلي مسبوقاً بغيره وهو محال، ولو لم يكن المخبر عنه سابقاً على الخبر لكان كاذباً قلنا: اخبار الله تعالى لا يتعلق بزمان لأنه أزلي والمخبر عنه متعلق بالزمان والتغير على المخبر عنه لا على الاخبار الأزلي اهـ.

(**الأصل الثامن: أن علمه**) تعالى (**قديم**) أزلي لا ابتداء لوجوده (**فلم يزل**) ولا يزال (**عالماً بذاته**) المقدسة (**وصفاته**) المشرفة (**وما يحدثه**) ويوجده (**من مخلوقاته**) الكائنة في علمه. وهذا ضروري أيضاً فإنه تعالى لا يتصف بحادث لأنه لو جاز إتصافه بالحوادث لجاز النقصان عليه والنقصان عليه باطل ومحال إجماعاً. بيان اللزوم أن ذلك الحادث إن كان من صفات الكمال كان الخلو عنه مع جواز الإتصاف به نقصاً وقد خلا عنه قبل حدوثه، وإن لم يكن من صفات الكمال امتنع اتصاف الواجب به لأن كل ما يتصف به الواجب يكون كمالاً، وأيضاً لو اتصف بالحادث لكان قابلاً له ولو كان قابلاً له لما خلا عنه أو عن ضده، والإلزام الترجيح من غير مرجح وضد الحادث حادث، وما لا يخلو عن الحادث حادث لما مر. وأيضاً لو اتصف بالحادث لكان محلاً للإنفصال، وكل منفصل مفتقر إلى ما انفصل عنه، وكل مفتقر ليس بواجب الوجود وقد فرض واجباً هذا خلف. (**ومهما حدثت المخلوقات**) في أزمنة مختلفة (**لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلي**)

خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديراً حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوماً لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر، فهكذا ينبغي أن يفهم قدم علم الله تعالى.

الأصل التاسع: إن إرادته قديمة وهي في القدم تعلقت باحداث الحوادث في أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الأزلي. إذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث، ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريداً لها كما لا تكون أنت متحركاً بحركة ليست

والأزلي لا ابتداء لوجوده كما أنه تعالى كان عالماً في الأزل بأنه سيخلق العالم، ثم لما خلقه فما يزال كان عالماً بأنه خلقه والتجدد على المعلوم لا على العلم، و (إذ) قد علمت ذلك فاعلم أن المحوج لتجدد العلم بتجدد المعلوم هو ذهاب العلم بالغفلة عنه وعزوبه، فـ (لو) فرض عدم العزوب بأن (**خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس**) مثلاً (**ودام ذلك العلم تقديراً**) ولم يعزب بل استمر بعينه (**حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوماً لنا بذلك العلم**) أي بعين ذلك العلم (**من غير تجدد علم آخر**)، وعلم الله تعالى بالأشياء قديم، فاستحال لقدمه عزوبه لأنه عدمه، وما ثبت قدمه استحال عدمه (**فهكذا ينبغي أن يفهم قدم علم الله تعالى**) وهو ظاهر بأدنى تأمل والله أعلم.

(**الأصل التاسع: أن إرادته**) جل وعز لجميع الكائنات (**قديمة**) قائمة بالذات (**وهي**) أي الإرادة (**في القدم**) أي أزلاً (**تعلقت باحداث الحوادث في أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الأزلي**) بمعنى أن كل كائن في الوجود من خير وشر وطاعة ومعصية بإرادته وأن كل ما تتعلق به إرادته يكون لا محالة وهو معنى ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ثم أن التعلق هو كون الصفة بحيث يكون لها منسوب يرتبط بها ارتباط المتضايفين وهو على قسمين: صلاحي إن لم يكن المنسوب لها موجوداً في الخارج، وتنجيزي إن كان موجوداً وهل التعلق صفة اعتبارية لا وجود له في الخارج إذ هو يرجع إلى معقول الإضافة؟ واختاره المتأخرون أو وجودية إذ التعلق مرجعه إلى الصفات النفسية للمعاني، واختاره ابن الحاجب تبعاً لغيره. (**إذ لو كانت**) الإرادة (**حادثة**) لكان بضدها موصوفاً وضدها نقص، والنقص لا يجوز في وصفه تعالى. وأيضاً لو كانت حادثة (**لصار**) الباري تعالى (**محلاً للحوادث**) وقابلاً لها، ولو كان محلاً للحوادث لما خلا عنها وما لا يخلو عن الحادث حادث لما مر. ومن هنا بطل قول الكرامية: إن إرادته تعالى حادثة قائمة بذاته وهو ظاهر، والعلم متعلق أزلاً بذلك التخصيص الذي أوجبته الإرادة أي تخصيص المقدور بخصوص وقت إيجاده، كما أن الإرادة في الأزل متعلقة بتخصيص الحوادث بأوقاتها، ولا يتغير العلم ولا الإرادة بوجود المعلوم والمراد، ومن هنا بطل قول جهم بن صفوان، وهشام بن الحكم من أن علمه تعالى بأن هذا قد وجد وذاك قد عدم حادث.

دليل آخر على قدم الإرادة أن يقال: (**لو حدثت في غير ذاته**) تعالى (**لم يكن**) هو تعالى

في ذاتك وكيفمـا قدرت فيفتقر حدوثها إلى إرادة أخرى، وكذلك الإرادة الأخرى تفتقر إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير نهاية، ولو جاز أن يحدث إرادة بغير إرادة لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة.

الأصل العاشر: ان الله تعالى عالم بعلم، حي بحياة، قادر بقدرة، ومريد بإرادة، ومتكلم بكلام، وسميع بسمع، وبصير ببصر، وله هذه الأوصاف من هذه الصفات

(مريداً بها) بل الذي قامت به وهو باطل **(كما لا تكون أنت متحركاً بحركة ليست في ذاتك)** وهو ظاهر، **(وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها)** أي تلك الإرادة **(إلى إرادة أخرى)** ثانية **(وكذلك الإرادة الأخرى تفتقر إلى)** إرادة **(أخرى)** ثالثة **(ويتسلسل الأمر)** أي هذا الإفتقار **(إلى غير نهاية، ولو جاز أن تحدث إرادة)** أي بعض الإرادات **(بغير إرادة)** تخصصها بخصوص وقت إيجادها **(لجاز أن يحدث العالم بغير إرادة)** فلا يمكن حدوث بعضها بلا إرادة، مع أن المقتضي لثبوت صفة الإرادة ذلك الخصوص وهو ملازم للحدوث لا ينفك عنه لما مر من أنه لا بد لكل حادث من مخصص له بخصوص وقت إيجاده، والفرض أن تلك الإرادة حادثة بزعم الخصم، فلا بد لها من إرادة تخصصها فيلزم التسلسل المحال فتأمل.

(الأصل العاشر): أعلم أن المتكلمين على قسمين: منهم من يثبت الأحوال، ومنهم من ينفيها. فمن يثبت الأحوال كالقاضي والإمام والمصنف فعبارته. أن يقول: **(إن الله تعالى عالم بعلم حي بحياة قادر بقدرة مريد بإرادة، ومتكلم بكلام، وسميع بسمع، وبصير ببصر)** أي بصفة تسمى بصراً، وإنما يعبر بهذا في البصر خاصاً دفعاً لسبق الوهم إلى العين من إطلاق البصر، ولذا صرح غير واحد منهم من أن المعنى بالسمع والبصر نفس الإدراك لا الحاسة، فيثبتون ذاتاً موجودة وصفات موجودة وهي نفس العلم والقدرة والإرادة وأحوالاً ثابتة للذات باعتبار قيام هذه الصفات بها وهو معقول الإتصاف، ويعبرون عن تلك الحال بالعالمية والقادرية، ولا يصفون هذه الحالة بالوجود بل بمحض الثبوت وهو معنى قول المصنف: **(وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة)** ومن ينفي الأحوال فعبارته أن يقول: عالم وله علم، قادر وله قدرة، وكذلك بقية الصفات، ونفس كونه عالماً بنفس إتصافه بالعلم وليس في المعقول موجود ولا ثابت من خارج سوى نفس الذات والصفات وينفي الأحوال، فإن عبر عن الموصوف قال: ذات وإن عبر عن المعنى قال: علم وقدرة، وإن عبر عن الذات باعتبار المعنى قال: عالم قادر، فالمعقول إثنان والعبارات ثلاث ونفت المعتزلة والشيعة الصفات الزائدة على الذات وأسندت ثمرات هذه الصفات إلى الذات، ونفوا أيضاً نفس المعاني وقالوا: إن الباري تعالى حي عالم قادر لنفسه، فأثبتوا المشتق بدون المشتق منه، وبعضهم يقول بنفسه، وامتنع بعضهم من إطلاق لنفسه أو بنفسه لما فيه من إيهام التعليل المنافي للوجوب، ويلزمهم أن يكون ذاته علماً

القديمة. وقول القائل: عالم بلا علم كقوله: غني بلا مال، وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم، فإن العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل، وكما لا يتصوّر قاتل بلا قتل ولا قتيل، ولا يتصوّر قتيل بلا قاتل ولا قتل، كذلك لا يتصوّر عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم، بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض، فمن جوّز انفكاك العالم عن العلم فليجوّز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف.

وقدرة وحياة لثبوت خصائص هذه الصفات لها، وثبوت الأخص يستلزم ثبوت الأعم، فيلزم أن يكون ذاته علماً وقدرة وحيـاة وهذه الصفات أيضاً لا تقوم بنفسها والذات قائمة بنفسها، فيلزم أن تكون قائمة بنفسها لا قائمة بنفسها وهو جمع بين النقيضين.

ثم شرع المصنف في الرد على المعتزلة فقال: (**وقول القائل: عالم بلا علم كقوله غني بلا مال**) أي إنما أثبتنا الصفات زائدة على مفهوم الذات لأنه تعالى أطلق على نفسه هذه الأسماء في كتابه على لسان نبيه خطاباً لمن هو من أهل اللغة والمفهوم في اللغة من عليم ذات لها علم، ومن قدير ذات لها قدرة. وكذا سائر الأوصاف المشتقة تدل على ذات ووصف ثابت لتلك الذات، بل يستحيل عند أهل اللغة عليم بلا علم لاستحالة علم بلا معلوم أو لاستحالة عليم بلا معلوم، وإليه أشار المصنف بقوله: (**وعالم بلا علم وعالم بلا معلوم، فإن العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل، وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل، فكذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا**) يتصور أيضاً (**علم بلا معلوم ولا**) أيضاً (**معلوم بلا عالم، بل هذه الثلاثة متلازمة في العقل لا ينفك بعض منها عن البعض، فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم. إذ لا فرق بين هذه الأوصاف**) أي لا يجوز صرفه عن معناه لغة إلا لقاطع عقلي يوجب نفي معناه لغة ولم يوجد في إيجاب نفي المعنى اللغوي ما يصلح شبهة فضلاً عن وجود دليل. وأعلم أنا معشر أهل السنة وإن أثبتنا الصفات زائدة على مفهوم الذات فلا نقول إنها غير الذات، كما لا نقول انها عين الذات، لأن الغيرين هما المفهومان اللذان ينفك أحدهما عن الآخر في الوجود بحيث يتصور وجود أحدهما مع عدم الآخر، وكل من الذات المقدسة وصفاتها لا يتصور انفكاك أحدهما عن الآخر.

تنبيه:

قد تباعدت المعتزلة في نفي صفات الباري على أن الواحد مناعالم بعلم وقادر بقدرة وحي بحيـاة إلى آخرها، ولا ينبغي للباري أن يشارك صفات المخلوقين، وقد ألزمهم الأشعرية قياس الغائب على الشاهد، ويعنون بالشاهد ما علم، وبالغائب ما جهل، وقد يعنون بالشاهد أحكام الحوادث، وبالغائب أحكام الباري جل وعز، والجمع بين الغائب والشاهد لا يصح إلا بجامع، وحيث جمع

....

الحشوية بين الشاهد والغائب بغير جامع أداهم ذلك إلى التشبيه حيث قالوا: ما عهدنا موجوداً ولا عقلناه إلا في جهة والباري موجود، فيكون في جهة وحيث قالوا: ما وجدنا متكلماً إلا بحرف وصوت، والباري تعالى متكلم فيكون متكلماً بحرف وصوت، فجمعوا بين الشاهد والغائب بغير جامع فشبهوا، وكذلك الفلاسفة لما قاسوا ما لم يشاهدوه على ما شاهدوه بغير جامع عطلوا وقالوا: ما رأينا زرعاً إلا من بذر ولا بذراً إلا من زرع، فأداهم ذلك إلى تعطيل الصنع عن الصانع. وإذا كان لا بد من جامع والجوامع أربعة الجمع بالحقيقة كقولك حقيقة الإنسان الحيوان الناطق وهذا حيوان ناطق فيكون إنساناً. الثاني: الجمع بالعلة كقولك التحرك يستدعي حركة وهذا متحرك فقد قامت به حركة. الثالث: الجمع بالدليل كقولك: وجود الحادث يدل على وجود المحدث والعالم حادث فيدل على وجود المحدث له. الرابع: الجمع بالشرط كقولك: وجود العلم مشروط بالحياة وهذا عالم فيكون حياً. ووجه حصر الجوامع في هذه الأربعة أن كل جامع بين متفق عليه ومختلف فيه لا يخلو إما أن يذكر في جمعه أمراً واحداً أو أكثر، فإن ذكر في جمعه أمراً واحداً فهو الجمع بالحقيقة، وإن كان أكثر فلا يخلو إما أن يكون بينهما ارتباط أو لا. فإن لم يكن بينهما ارتباط فلادلالة لأحدهما على الآخر، وإن كان بينهما ارتباط فإما أن يكون من الطرفين أو من أحدهما، فإن كان من الطرفين بحيث يلزم من ثبوت أحدهما ثبوت الآخر ومن نفيه نفيه فهو الجمع بالعلة، وإن كان من أحدهما، فإن كان من طرف الثبوت فهو الدليل والمدلول فإنه يلزم من وجود الصنع وجود الصانع ولا يلزم من عدم الصنع عدم الصانع، فالدليل إذاً لا يلزم عكسه وإن كان اللازم من طرق النفي فهو الشرط والمشروط، فإن انتفاء الحياة يدل على انتفاء العلم ولا يلزم من ثبوت الحياة ثبوت العلم، فإذا تقرر هذا فقد جمع الأشعرية في مسألة الصفات بالطرق الأربعة فقالوا: في الجمع بالحقيقة لا معنى للعلم إلا من له العلم أوذو العلم، والباري تعالى عالم فله علم وطردوا ذلك في سائر الصفات، وقالوا في الجمع بالعلة العالمية في الشاهد معللة بوجود العلم، وقد سلمتم ثبوت العالمية للباري، فيلزم اتصافه بالعلم لما بين العلة والمعلول من التلازم، ولو صح وجود المعلول بدون علة لجاز وجود العلة بدون معلولها، وقد أجمعنا على أن ذلك محال، وقالوا في الجمع بالدليل: ان الاحكام والإتقان في الشاهد يدل على ثبوت العلم للفاعل وقد وجد في أفعال الباري، فدل على ثبوت العلم لله تعالى. وقالوا في الجمع بالشرط: كل فاعل بالإختيار فله علم بما يقصد إلى إيقاعه والباري تعالى فاعل بالإختيار فله علم.

قالت المعتزلة: شرط الجمع بين الشاهد والغائب مساواة الحكمين، والعلم الذي تدعونه غائباً يخالف العلم شاهداً فإن العلم في الشاهد حادث ولا يتعلق بمعلومين، وفي الغائب قديم واحد يتعلق بما لا نهاية له، وإذا اختلفا في الحقيقة لم يصح قياس أحدهما على الآخر، وأجاب الأشعرية بأن الجمع بينهما من جهة عامة وهي العلمية والعالمية قالوا: ولو منع ذلك من اعتبار أحدهما بالآخر لمنع الجمع بينهما في الشرط، وقد أثبتم أن الباري تعالى حي لأنه عالم قياساً على الشاهد. قالوا: إذا عللنا هذه الصفات في الشاهد لجوازها والجائز مفتقر في وجوده إلى مقتض وصفات الباري تعالى

....

واجبة والواجب يستغني بنفسه عن المقتضي، ولهذا لما كان وجود الجواهر والإعراض من الممكنات افتقرت إلى المؤثر، ولما كان وجوده تعالى واجباً استغنى عن المؤثر. وأجاب الأشعرية بأنا لا تعني بالتعليل التأثير والأقادة ليلزم ما ذكرتم، وإنما نعني به ترتب أحد الأمرين على الآخر وتلازمهما نفياً وإثباتاً، فيستدل بثبوت أحدهما على ثبوت الآخر ونفيه على نفيه، وإذا صح منكم إثبات الشرط باللزوم على أحد الطرفين فلأن يلزم الجمع باللزوم من الطرفين بطريق الأولى والله أعلم.

استطراد:

ذكر النسفي في الإعتماد: أن المماثلة عند الفلاسفة والباطنية تثبت بالإشتراك في مجرد التسمية فلا يوصف الباري عندهم بكونه حياً عالماً قادراً سميعاً بصيراً على الحقيقة لاتصاف الخلق بها وهو باطل، لأنها لو ثبتت به لتماثلت المتضادات إذ السواد والبياض يشتركان في اللونية والعرضية والحدوث، وعند المعتزلة تثبت المماثلة بالإشتراك في أخص الأوصاف إذ لا مماثلة بين السواد والبياض مع اشتراكهما في اللونية والعرضية والحدوث لا أنها أوصاف عامة، فلما جاء الإشتراك في السوادين ثبتت المماثلة لأنه أخص الأوصاف، وهذا لأن المماثلة إنما تقع بما تقع به المخالفة، والسواد يخالف البياض لكونه سواداً لا لكونه لوناً وعرضاً وحادثاً دل أنه إنما يماثل السواد لكونه سواداً، فلو كان الباري متصفاً بالعلم لثبت التماثل إذ العلم يماثل العلم لكونه علماً لا لكونه كذا فكذا هذا وهو فاسد، لأن المحدث يخالف القديم بصفة الحدوث، وينبغي أن تثبت المماثلة بين كل مشتركين في صفة الحدوث فتكون المتضادات كلها متماثلة لاشتراكها في صفة الحدوث، ولأن القدرة على حمل منّ تساوي القدرة التي يحمل بها غيره مائة منّ في أخص أوصافها ولا تماثلها، وعندنا هي تثبت بالإشتراك في جميع الأوصاف حتى لو اختلفا في وصف لا تثبت المماثلة، لأن المثلين اللذين يسد أحدهما مسد الآخر وينوب منابه إن كان من جميع الوجوه كانا مثلين من جميع الوجوه وإن كان من بعض الوجوه فهما متماثلان من ذلك الوجه، ولكن إذا استويا من ذلك الوجه إذ لو كان بينهما تفاوت في ذلك الوجه لما ناب أحدهما مناب صاحبه ولا سد مسده. فالحاصل: أنه يجوز أن يكون الشيء مماثلاً للشيء من وجه مخالفاً من وجه، فإن أحداً من أهل اللغة لا يمتنع من القول بأن زيداً مثل عمرو في الفقه إذا كان يساويه فيه ويسد مسده، وإن كانت بينهما مخالفة بوجوه كثيرة، ولو اشتركا في الفقه والكلام، ولكن لا ينوب أحدهما مناب صاحبه ولا يسد مسده يمتنع من أن يقول أنه مثل له في كذا تحقيقه أن المماثلة جنس يشتمل على أنواعه وهي: المشابهة والمضاهاة والمشاكلة والمساواة وإطلاق اسم الجنس على كل نوع من أنواعه جائز فإن الآدمي يقال له حيوان، وكذا الفرس وغيره. ثم يختص شيئان بثبوت المساواة بينهما وهي الإشتراك في القدر مع عدم المشاكلة والمضاهاة والمشابهة، وكذا كل نوع من سائر أنواعه وعند عدم الأنواع الأخر تثبت المخالفة من ذلك الوجه، ومع ذلك لا يمتنع أهل اللغة

....

إطلاق لفظ المماثلة لثبوت ما ثبت من هذه الأنواع، مع أن علمنا عرض محدث جائز الوجود ومستحيل البقاء غير شامل على المعلومات أجمع، وهو ضروري أو استدلالي وعلمه تعالى أزلي واجب الوجود شامل على المعلومات أجمع ليس بعرض ولا مستحيل البقاء ولا ضروري ولا استدلالي، وكذا حياتنا وقدرتنا وسائر الصفات، فإذاً لا مماثلة بين علمه تعالى وعلم الخلق، وكذا في سائر الصفات، ولأن القول بعالم لا علم له وقادر لا قدرة له كالقول بمتحرك لا حركة له وأسود لا سواد له وهو تناقض ظاهر.

فإن قيل: هذه الصفات لو كانت ثابتة لكانت باقية، ولو كانت باقية فإما أن تكون باقية بلا بقاء أو ببقاء، فإن كانت باقية ببقاء ففيه قيام الصفة بالصفة، وقد أنكرتم علينا مسألة بقاء الاعراض وادعيتم استحالته، وإن كانت باقية بلا بقاء فلم يجوز أن تكون الذات قادراً بلا قدرة عالماً بلا علم؟ قلنا: صفة من هذه الصفات باقية ببقاء هو نفس تلك الصفة فيكون علمه علم الذات بقاء لنفسه فتكون الذات بالعلم عالماً والعلم بنفسه باقياً، وكذلك بقاء الله تعالى بقاء له وبقاء لنفسه أيضاً فيكون الله تعالى به باقياً وهو بنفسه أيضاً باق، ولا يقال أن البقاء إذا جعل بقاء للذات يستحيل أن يكون بقاء لنفسه لأنه يؤدي إلى القول بحصول الباقيين ببقاء واحد وهو محال كحصول أسودين بسواد واحد لأنا نقول بأن حصول باقيين ببقاء واحد إنما يستحيل إذا لم يكن أحد الباقيين بقاء لنفسه، ثم يقوم بالباقي الآخر كأن كل منهما باقياً ولم يستحل ذلك.

فإن قيل: لو كانت له هذه الصفات لكانت أزلية إذ القول بحدوث الصفات للقديم محال ولكانت أغياراً للذات، والقول بوجود الأغيار في الأزل مناف للتوحيد؟ قلنا: الصفات ليست بأغيار للذات لأن أحد الغيرين هما اللذان يمكن وجود أحدهما بدون الآخر. فلم يوجد للمغايرة ضرورة، وهذا لأن ذات الله تعالى لا تتصور بدون علمه، وكذا علمه لا يتصور بدون ذاته لما أن ذاته أزلي وكذا صفاته والعدم على الأزلي محال، وهذا كالواحد الذي من العشرة لا يكون عين العشرة ولا غير العشرة لاستحالة بقاء الواحد الذي من العشرة بدون العشرة أو بقائها بدونه إذ هو منها، فعدمها عدمه ووجودها وجوده، واعترضوا على حد الغيرين بأن التغاير بين الجواهر والأعراض ثابت، ولا يتصور وجود أحدهما مع عدم الآخر لاستحالة خلو الجواهر من الأعراض واستحالة وجود الأعراض بدون الجواهر. والجواب: كل جوهر معين لا يستحيل وجوده مع عدم عرض معين، بل العرض يعدم لاستحالة بقائه ويبقى الجوهر، وكأن كل جوهر في نفسه غير كل عرض لوجوده الجزء وما قالوا لو كانت لله صفات لكانت قديمات، والقول بالقدماء محال لأن القديم هو الله تعالى والقول بالقدماء قول بالآلهة لأنا نقول بلى إذا كان قديم من القدماء قائماً بذاته موصوفاً بصفات الألوهية، ونحن لا نقول به، بل نقول أن الله تعالى قديم بصفاته والقديم القائم بالذات واحد وله صفات الكمال، وكل صفة قائمة بذات الله تعالى وهي قديمة بمعنى أن ليس لوجودها ابتداء فيكون وصفاً قديماً والله أعلم.

....

تكميل: به يحسن ختم الباب:

اعلم أن المعاني والصفات الكمالية تارة تؤخذ من حيث إضافتها إلى الحق، وتارة من حيث إضافتها للمخلوق. ومن المعلوم أن الشيء يتغاير بتغاير المضاف إليه، لكن تغاير الإضافة ليس بتغاير حقيقي إلا أنه كما ثبت أن لا مشاركة على الحقيقة بين الممكن والواجب، فلا بد أن تكون المغايرة على الحقيقة، ويكون ما ثبت للواجب من ذلك غير ثابت للممكن على الحقيقة وليس بالتحقيق المشاركة إلا في الأسماء، وليس ثم اتحاد لا بالنوع ولا بالجنس وإلاّ لزم تركيب الواجب أو اتحاد الملزومات مع تناهي اللوازم وذلك محال، فإذاً علم الله وقدرته وإرادته وسمعه وبصره وحياته وكلامه، وكذا جميع صفاته لا تشترك مع صفات الخلق إلا في الأسماء فقط ولا مشاركة في الحقيقة لا من حيث الشخص ولا من حيث النوع ولا من حيث الجنس، ثم أن هذه الأسماء المشتركة التي أطلقت تارة على ما للحق من الصفات وتارة على ما للحادثات من ذلك قد تردد النظر هل ذلك الإطلاق بالاشتراك المعنوي أو اللفظي أو بالتشابه؟ أعني الحقيقة والمجاز، ثم اشتهر ذلك حتى تنوسيت العلاقة، وعلى الثالث فهل الأصل الحقيقي فيها للمعنى القديم أو المعنى الحادث؟ أما المتكلمون وخصوصاً القائلون بالأحوال فقد ذهبوا إلى الاشتراك المعنوي، ولذلك تراهم يعترضون على من حد العلم مثلاً بحد لا يجمع القديم والحادث كما في الإرشاد ومسألة وقوع الاشتراك في أصول ابن الحاجب توضح لك ذلك، ولكن ذلك عندهم إنما هو في غير صفات المعاني التي أثبتها السمع، وإنما الكلام الآن في معنى الوجود على القول بزيادته والحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وما أشبه ذلك، فهذه الألفاظ إذا أطلقت على القديم والحادث فهي عندهم مشتركة بالاشتراك المعنوي وليس أحد المعنيين أصلاً للآخر، بل كان منهما أصل واستعمال اللفظ فيهما حقيقة على طريقة استعمال المتواطىء في آحاد مصدوقاته، ولكن دعوى الاشتراك المعنوي قد بان بما ذكرناه بطلانه، فلم يبقَ إلاّ الاشتراك اللفظي وهو احتمال راجح كما قرر في الأصول فإطلاق لفظ العلم وكذا غيره من بقية الصفات على المعنى القديم حقيقة، وحيث أطلقت على المعاني الحادثة إنما هو بالشبه لكن يحصل الاعتبار، فهذا أصل عظيم يشرف بك على كيفية استعمال الألفاظ في المعاني القديمة والحادثة حتى لا يقف بك الوهم مع المعاني الحادثة عندما تسمع استعمال اللفظ في معنى قديم، وقد اشتهر عندك استعماله في الحادثة حتى تعتقد في الواجب ما لا يليق بجلاله أو يثبت له لازم ذهني لذلك المعنى الحادث وتجعل المعنى الحادث أصلاً، وذلك المعنى اللازم الثابت في القديم فرعاً فيكون اطلاق اللفظ في الحادث حقيقة. وفي ذلك الفرع اللازم مجازاً، وهذا وإن كان صحيحاً في الجملة لكن فيه عكس الحقائق، بل إذا سمعته وقد ثبت عندك تنزيه الواجب عن النقائص والحوادث، ولا بدّ أن يثبت عندك إذ هو أصل دينك وعرفت أن ذلك اللفظ حيث أطلق على المعنى الإلهي واستعمل فيه فقد استعمل في معناه الأصلي، فخذ ذلك المعنى مجرداً عن جميع اللواحق المادية والأحوال الخلقية بحيث يكون ذلك المعنى إلهياً فإن ظفرت بعبارة محصلة يمكنك الافصاح بها عن ذلك المعنى

الركن الثالث

العلم بأفعال الله تعالى، ومداره على عشرة أصول:

المجرد الإلهي، فذلك، وإلاّ فسلم الأمر للعالم به واعتقد أن ذلك المعنى الذي لا يمكنك التعبير عنه هو الأصل للموضوع له ذلك اللفظ فاعرف ذلك والله أعلم.

الركن الثالث

العلم بأفعال الله تعالى ومداره على عشرة أصول:

اعلم أن الصفات ضربان: صفات الذات وصفات الفعل، والفرق بينهما أن كل ما وصف الله به تعالى ولا يجوز أن يوصف به وبضده، فهو من صفات الذات كالقدرة والعلم والعزة والعظمة، وكل ما يجوز أن يوصف به وبضده فهو من صفات الفعل كالرأفة والرحمة والسخط والغضب، والفرق بين الصفة والاسم ان الصفة عبارة عن مجرد العلم والقدرة بدون الذات، والاسم عبارة عن الذات. وقد اختلف فيها. فقال الأشعري: صفات الذات كالحياة والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة قديمة قائمة بذاته، وصفات الفعل حادثة غير قائمة بذاته، وفرقوا بين صفات الذات وصفات الفعل بجواز السلب وعدمه، إلاّ أنه لا يستلزم سلبه نقيضه، ووافقه الماتريدي إلا في صفات الأفعال، فإنها عنده قديمة قائمة بالذات، وعليه تتفرع مسألة التكوين والخلف بينهما لفظي كما سبق في الخطبة، فلنقدم قبل الخوض في هذا الركن في تحقيق هذه المسألة، فإنها من أعظم المسائل المختلف فيها، وإن كان المصنف لا يرى ذلك، ولنورد سياق ابن الهمام في مسايرته ممزوجاً بشرحه لابن أبي شريف على وجه الاختصار، ثم نورد كلام إمامنا الأعظم في الفقه الأكبر بالاجمال، ثم نشرحه ونذكر ما يتعلق به تفصيلاً.

قال ابن الهمام ما نصه: والإشارة في صفات الأفعال التي يدل عليها نحو قوله تعالى: ﴿الخالق البارىء المصور﴾ [الحشر: ٢٤] ونحو الرزاق والمحيي والمميت، والمراد بها صفات تدل على تأثير ولها أسماء غير اسم القدرة باعتبار أسماء إشارتها والكل يجمعها إسم التكوين أي رجوع الكل إلى صفة واحدة هي التكوين، وهو ما عليه المحققون من الحنفية خلافاً لما جرى عليه بعض علماء ما وراء النهر منهم من أن كل صفة حقيقية أزلية، فإن في هذا تكثيراً للقدماء جداً، فادعى المتأخرون منهم من عهد الإمام أبي منصور الماتريدي أنها أي تلك الصفات الراجعة إلى صفة التكوين صفات زائدة على الصفات المتقدمة أي المعقود لها الأصول السابقة، وليس في كلام أبي حنيفة وأصحابه المتقدمين تصريح بذلك سوى ما أخذه المتأخرون من قول الإمام: كان تعالى خالقاً قبل أن يخلق ورازقاً قبل أن يرزق وذكروا له وجوهاً في الاستدلال، منها وهو عمدتهم في إثبات هذا المدعى: أن الباري تعالى مكوّن الأشياء أي موجدها ومنشئها إجماعاً، وهو أي كونه تعالى مكوّن الأشياء بدون صفة التكوين التي المكوّنات آثاره يحصل عن تعلقها بها محال ضرورة

....

استحالة وجود الأثر بدون الصفة التي بها يحصل الأثر، ولا بدّ أن تكون صفة التكوين أزلية لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى، والأشاعرة يقولون: ليست صفة التكوين على تفاصيلها سوى صفة القدرة باعتبار تعلقها بتعلق خاص، فالتخليق هو القدرة باعتبار تعلقها بالمخلوق، والترزيق صفة القدرة باعتبار تعلقها بإيصال الرزق، وما ذكروه في معناه لا ينفي هذا ولا يوجب كونها صفات أخرى لا ترجع إلى القدرة المتعلقة، ولا يلزم في دليل لهم ذلك بل في كلام أبي حنيفة نفسه ما يفيد أن ذلك على ما فهم الأشاعرة من هذه الصفات على ما نقله عنه الطحاوي في عقيدته ما نصه. وكما كان تعالى لصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا باحداثه البرية استفاد إسم الباري له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وكما أنه يحيي الموتى استحق هذا الاسم قبل احيائهم استحق اسم الخالق قبل انشائهم ذلك بأنه على كل شيء قدير اهـ.

فقوله ذلك بأنه على كل شيء قدير تعليل وبيان لاستحقاق اسم الخالق قبل المخلوق فأفاد أن معنى الخالق قبل الخلق استحقاق اسمه بسبب قيام قدرته، فاسم الخالق ولا مخلوق في الأزل لمن له قدرة الخلق في الأزل وهذا ما يقوله الأشاعرة والله الموفق.

قال ابن أبي شريف: اطلاق الخالق بمعنى القادر على الخلق مجاز من قبيل إطلاق ما بالقوّة على ما بالفعل، وكذا الرازق ونحوه. وأما في قول أبي حنيفة: كان خالقاً قبل أن يخلق ورازقاً قبل أن يرزق، فمن قبيل إطلاق المشتق قبل وجود المعنى المشتق منه كما هو مقرر في مبادىء أصول الفقه، ووقع في البحر للزركشي إطلاق الخالق والرازق ونحوهما في حقه تعالى قبل وجود الخلق والرزق حقيقة، وإن قلنا: صفة الفعل من الخلق والرزق ونحوهما حادثة وفيه بحث لأن قوله: وإن قلنا إلخ ممنوع عند الأشعرية القائلين بحدوث صفات الأفعال إنما يلائم كلام الماتريدية القائلين بقدمها.

فإن قيل: لو كان مجازاً لصح نفيه، وقولنا ليس خالقاً في الأزل أمر مستهجن؟ قلنا: استهجانه والكف عن اطلاقه ليس من جهة اللغة، بل هو من جهة الشرع أدباً، وكلامنا في الاطلاق لغة ولا يخفى انه لا يقال أنه تعالى أوجد المخلوق في الأزل حقيقة لأنه يؤدي إلى قدم المخلوق وهو باطل هذا آخر كلامه.

ولنورد ما وعدناه من سياق عبارة الإمام الأعظم في الفقه الأكبر من إملاء أبي مطيع البلخي ما نصه: فالفعلية التخليق والانشاء والابداع والصنع وغير ذلك، والله تعالى لم يزل خالقاً بتخليقه، والتخليق صفة في الأزل وفاعلاً بفعله، والفعل صفة في الأزل فكان الله خالقاً قبل أن يخلق ورازقاً قبل أن يرزق وفعله صفته في الأزل، والفاعل هو الله، وفعل الله غير مخلوق، والمفعول مخلوق اهـ.

اعلم أن الصفات الفعلية هي التي تنشىء الأفعال كالتخليق أي التكوين المخصوص بايجاد

....

الأشياء على تقدير واستواء وبإبداعها من غير أصل ولا احتذاء، فبالمعنى الأوّل قوله تعالى: ﴿إنّا كل شيء خلقناه بقدر﴾ [القمر: ٤٩]، وبالمعنى الثاني قوله: ﴿خلق السموات والأرض﴾ [الزمر: ٥]، وإيثاره على الخلق لأظهريته في ذلك وشيوع استعمال الخلق بمعنى المخلوق والانشاء أي التكوين المخصوص بايجاد الشيء وترتيبه وعليه قوله تعالى: ﴿هو الذي أنشأكم﴾ [الملك: ٢٣] والابداع أي التكوين المخصوص بايجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان، وعليه قوله تعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾ [البقرة: ١١٧] أي مبدعهما. والصنع أي التكوين المخصوص بايجاد الشيء على الاجادة والاتقان. وعليه قوله تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ [النمل: ٨٨] وغير ذلك من الاحياء والاماتة والترزيق والتصوير والاعادة ونحوها مما ورد في النصوص، وفيه إشارات.

الأولى: أن صفة الفعل حقيقية، وليست عبارة عن تعلق القدرة والإرادة، وإليه أشار بقوله فيما بعد والفعل صفة في الأزل.

الثانية: أن صفات الأفعال من التخليق والإنشاء والابداع وغير ذلك راجعة إلى صفة أزلية قائمة بالذات هي الفعل والتكوين العام بمعنى مبدأ الإفاضة التي هي إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود لا صفات متعددة، كما ذهب إليه البعض ولا عين الإفاضة كما ظن، وإليه أشار فيما بعد بقوله: والفعل صفته في الأزل، فإن عدم كون الاخراج صفة أزلية حقيقية من مسلمات العقول، ولذا قال الإمام الماتريدي: إذا أطلق الوصف له تعالى بما يوصف به من الفعل والعلم ونحوه يلزم الوصف به في الأزل فيوصف بمعنى قائم بذاته قبل وجود الخلق، كما في البرهان الساطع. وقال الرستغفني في الارشاد: طريق التكوين وطريق الصفات والأفعال الواقعة بالصفات تتراخى عن الصفات كالقدرة والكلام، وفي التعديل لصدر الشريعة صفات الأفعال ليست نفس الأفعال، بل منشؤها، فالصفات قديمة والأفعال حادثة، وهو مختار عبد الله بن سعيد القطان في الرحمة والكرم والرضا، فبعض مشايخنا كصاحب التبصرة والتلخيص والارشاد وإن تسامحوا في تعريف التكوين بإخراج المعدوم من العدم إلى الوجود كما هو دأبهم من عدم الالتفات إلى جوانب التعريفات، فقد نبهوا على المراد في المقام من مبدأ الإخراج المذكور بيان القيام بذاته تعالى كسائر صفاته سيما الكلام.

الثالثة: الرد على المعتزلة النافين لمغايرة التخليق للمخلوق ومتمسكين بأن التخليق لو كان غير المخلوق، فإن كان قديماً لزم قدم العالم وإن كان حادثاً افتقر إلى خلق آخر وتسلسل.

الرابعة: الرد على من أرجع الصفات الفعلية إلى الاعتبارية كالأشاعرة الذاهبين إلى أن التكوين وسائر صفات الأفعال ليست صفات حقيقية، بل هو اعتباري يحصل في العقل من نسبة الفاعل إلى المفعول، وليس مغايراً للمفعول في الخارج، فالتكوين بمعنى المكوّن متمسكين بأن مبدأ الاخراج من العدم إلى الوجود ليس غير القدرة المتعلقة بأحد طرفي الفعل والترك المقترنة

....

بإرادته، فإن القدرة صفة تؤثر على وفق الإرادة أي إنما تؤثر في الفعل ويجب صدور الأثر عند انضمام الإرادة، وأما بالنظر إلى نفسها وعدم اقترانها بالإرادة المرجحة لأحد طرفي الفعل والترك فلا يكون إلا جائز التأثير، فلهذا لا يلزم وجود جميع المقدورات. وأشار الإمام إلى الجواب عما تمسك به المخالفون بوجهين.

الأول: ما أشار إليه بقوله: والله تعالى لم يزل خالقاً أي متصفاً بمدلول هذا الاسم المتعلق على وجه التأثير بتخليقه. أي: بسبب قيام التخليق الذي هو مبدؤه بذاته تعالى في الأزل، لأن الوصف بذلك المشتق يدل على قيام ما يلزم لمبدئه من الأمور الثابتة بالإتفاق وهو غير القدرة، فإن التخليق يتوقف على القدرة والقدرة غير متوقفة على التخليق فيتغايران، وإليه أشار بقوله: والتخليق أي مبدأ الإيجاد في الخارج صفة في الأزل أي صفة مستقلة مغايرة للقدرة كما هو المتبادر، فأشار إلى أنه لو لم يكن متصفاً به في الأزل لمعنى قائم بذاته تعالى قبل وجود الخلق، كما دل الوصف به واتصف بوجود المخلوق صارت الصفة حادثة له بالمخلوق، فكان القول بتعريه عنها في الأزل وحدوثها بحدوث المخلوق قولاً بقيام النقص، والحاجة إلى ما يتحقق بذلك والقديم يتعالى عن ذلك وفيه إشارات.

الأولى: أن ذلك المبدأ المدلول هو المعنى الذي نجده في الفاعل، وبه يمتاز عن غيره ويرتبط بالمفعول ويؤثر في ايجاده بالفعل في الوقت المراد، وإليه أشار بقوله: والتخليق صفة في الأزل بل هذا المعنى يعم الموجب أيضاً لا صلاحية التأثير الراجعة إلى القدرة كما ظن، لأن تعلقها على وجه صحة التأثير في الايجاد والترك دون التأثير بالفعل.

الثانية: أن ذلك المدلول بالمشتقات يرجع إلى مطلق الفعل المعبر عنه بالتكوين، وإليه أشار بقوله: وفاعلاً أي متصفاً بفعله أي بسبب قيام الفعل بمعنى مبدأ الايجاد بذاته كما دل عليه قوله تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾ [هود: ١٠٧]، فإن اطلاق الفعل على نفس الصفة شائع بينهم، فالفعل حقيقة عرفية فيما به الفعل، كما أن التكوين حقيقة فيما به التكوّن، وقد بينه بقوله: والفعل صفة في الأزل فأشار إلى اختلاف أسمائه باختلاف التعلقات، فمن حيث التعلق بحصول المخلوقات تخليق، وبحصول الأرزاق ترزيق إلى غير ذلك من الصفات. واختاره جمهور الماتريدية لدلالة المشتقات فيها على أصل الفعل العام للمتعلقات دون سائر الصفات.

الثالثة: الجواب بمنع إرجاعه إلى تعلق القدرة المقارنة للإرادة حيث وصف به في الأزل وقيد بتعلق الإرادة ودل على الإيجاد في الوقت المراد، فهو غير تعلق القدرة المقارنة بالإرادة إذ لا تعلق بالفعل في الأزل. وقد وصف به فيه وغير القدرة لأن تعلقها بصحة التأثير والترك دون التأثير بالايجاد البتة في الوقت المراد، وإنما عبر عنه بالتكوين أخذاً من قوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ [يس: ٨٢]، وإليه أشار بقوله: وفاعلاً بفعله، والفعل صفة في الأزل وبيانه: انه تعالى وصف ذاته بأنه فعال لما يريد، وعبر عن تكوينه الأشياء بأن

....

يقول له: «كن» وهو مجاز عن سرعة الايجاد عند الجمهور منّا دال على ايجاده تعالى الأشياء وتكوينه عند تعلق إرادته بلا تراخ ولا تعذر، وليس بمعنى تعلق القدرة المقارنة بالإرادة لأنه علق على الإرادة أي تعلقها المدلول بقوله تعالى: ﴿لما يريد﴾، وقوله: ﴿إذا أراد شيئاً﴾ فدل على أنه غيره لأن المعلق غير المعلق عليه بالضرورة، ودل على الوجود والتأثير في الأوّل ورتب عليه الوجود المدلول عليه بقوله: ﴿فيكون﴾ فـي الثاني، فدل على أنه غير تعلق القدرة لأن تعلقها بصحة وجود المقدور دون الوجود ودل الوصف بالمشتق على قيام أمر حقيقي بالموصوف، فثبت قيام أمر لازم لمبدئه وكونه صفة له أزلية والأمر يرجع لمتعلق القدرة المقارنة بالإرادة إذ لا تعلق بالفعل في الأزل، ولأنه ابطال لدلالة تلك المشتقات بالكلية.

وفي المعارف شرح الصحائف فإن قلت: لم لا يكفي القدرة والإرادة في وجود الأشياء، فما الحاجة إلى صفة أخرى؟ قلت: لا خفاء ان القدرة والإرادة بدون التأثير لا يكفيان في وجود الأثر والتأثير بصفة التكوين، واعترض الفخر الرازي بأن صفة القدرة مؤثرة على سبيل الجواز أي جاز أن تتعلق بالتأثير، وجاز أن لا تتعلق وصفة التخليق إن كانت مؤثرة على سبيل الوجوب لزم أن يكون الله تعالى موجباً لا مختاراً وهو محال. والجواب: أن تأثير صفة الخلق في المخلوق على سبيل الوجوب على معنى أنه متى خلق الله تعالى وجب وجود المخلوق وإلاّ يلزم العجز، وأما تعلقها باختياره وهو المراد بالحصول، فعلى سبيل الجواز لأنه متى شاء خلق ومتى شاء لم يخلق والقدرة بعكس ذلك، إذ تأثيرها على سبيل الجواز وحصولها لله تعالى على سبيل الوجوب فلخلق جهتان جهة الايجاب وجهة الجواز، ولا يلزم من ايجابه كون الله تعالى موجباً لما علمت، ولأن جهة جوازه غير جهة جوازها فظهر لك أن إرجاع التكوين إلى تعلق القدرة والإرادة تحكم وتناقض، والثاني ما أشار إليه بقوله: فكان الله خالقاً قبل أن يخلق ورازقاً قبل أن يرزق. أي: فخلق المخلوقات ورزقها في الوقت الذي تعلق به تلك الصفة، وليست هي القدرة لأنه كان قادراً على خلق الشموس والاقمار في هذا العالم لكنه ما خلقها، فالقدرة حاصلة دون التخليق فهما متغايران، وإليه أشار بقوله: وفعله أي مبدؤه صفة أي القائمة به تعالى في الأزل أي أن صفة الفعل لو لم تكن مستقلة بل راجعة إلى تعلق القدرة والإرادة وعين المكون في التحقق لزم إخلاء المشتق عن الدلالة على ثبوت المبدأ والخلو عن صفة كمال، ثم قال: والفاعل أي المكوّن للموجودات هو الله الواجب المتعال المتصف بصفات الكمال، فلو لم يكن الفعل والتكوين صفة حقيقية له لزم خلوه عن صفة كمال وإخلاء المشتق الدال عليه واستغناء الحوادث المحال، فالمراد بالفاعل من شأنه أن يوجد الشيء البتة في وقت أراد أن يوجده فيه دون من صدر منه الفعل لعدم استقامة الحصر عليه، لأن الكاسب أيضاً يوصف بالفاعل على الحقيقة عند أهل السنة، ثم أشار إلى مغايرته للمكون بقوله: وفعل الله أي مبدأ فعله المدلول بالمشتقات غير مخلوق لما يلزمه ما ذكر من المحالات دون نفس الفعل والتأثير لأنه ليس متعلق الخلق والايجاد في الخارج فلا يفيد نفيه، بل لا يصح نفيه أيضاً إشارة إلى أن التكوين القائم به تعالى ليس نفس التأثير

....

والاخراج من العدم إلى الوجود، بل مبدأ التأثير في ذلك وليس نفس المكوّن في التحقق والتعقل، وإلى أن صفة التخليق غير المخلوق لأنا نقول وجه هذا المخلوق لأن الله تعالى خلقه فيعلل وجوده بتخليقه إياه، فلو كان التخليق غير المخلوق لكان قولنا وجد لأن الله تعالى خلقه جارياً مجرى قولنا وجد ذلك المخلوق لنفسه وذلك باطل كما في شرح الصحائف، وإلى أن ايجاده المكوّنات بتكوينه ليس على الايجاب بالذات لقدرته على الترك كما مرَّ، ففي التعديل أن المراد بايجاده الشيء البتة أنه لا يتردد في أن الفاعل يفعل مع قدرته على الترك فتميز عن القدرة إذ هي لا توجب الجزم تميزاً لا يلزم منه الايجاب بالذات لتوسط الفعل الاختياري وهو الايجاد وقت كذا. وإليه أشار بقوله: والمفعول مخلوق أي محدث مسبوق بالعدم فهو مغاير لفعله وتكوينه في التعقل والتحقق وصادر عنه تعالى بالاختيار كما هو المتبادر من الخلق، وإذا أحطت بجميع ما ذكرناه وتأملت حق التأمل عرفت اندفاع وجوه من الاشكالات الواردة على القائلين بقدم صفة التكوين.

من ذلك ما قيل: نقول لهم إن عنيتم مؤثرية المقدور فهي صفة نسبية، والنسبية لا توجد إلا مع المنتسبين، فيلزم من حدوث المكوّن حدوث التكوين، وإن عنيتم به صفة مؤثرة في صحة وجود الأثر فهي عين القدرة وإن عنيتم به أمراً ثالثاً فبينوه.

الثاني: ما قيل أنه لا يعقل من التكوين إلا الاحداث وإخراج المعدوم من العدم إلى الوجود كما فسره القائلون بالتكوين الأزلي، ولا خفاء في أنه إضافة يعتبرها العقل من نسبة المؤثر إلى الأثر فلا يكون موجوداً عينياً ثابتاً في الأزل، وأنه لو كان أزلياً لزم أزلية المكوّنات ضرورة امتناع التأثير بالفعل بدون الأثر، وإنهم أطبقوا على اثبات أزليته ومغايرته للقدرة وكونه غير المكوّن، وسكتوا عما هو أصل الباب. أعني مغايرته للقدرة من حيث تعلقها بأحد طرفي الفعل والترك واقترانها بإرادته، واغتر بذلك شيخنا ابن الهمام فقال في مسايرته ما قال مما تقدم ذكره آنفاً في أوّل الكلام مع أن تعليله بقول أبي جعفر الطحاوي في عقيدته من قوله: ذلك بأنه على كل شيء قدير، وأنه بيان لتمام قدرته فيرجع صفة التكوين إلى القدرة مفهوم وهو لا يعارض المنطوق المعلوم، كما أشار إليه ملاّ علي في شرح الفقه الأكبر، وسبقه الإمام أبو شجاع الناصري.

الثالث: ما قيل أن الاستدلال بالآية لا يطابق المرام لأنه حينئذ يعود إلى صفة الكلام ويثبت صفة أخرى، وأن دلالة الاشتقاق في الصفات الحقيقة كالعلم والقدرة، ولا نسلم أن التأثير والاستيجاد كذلك بل هو معنى يعقل من إضافة المؤثر إلى الأثر، فلا يكون إلا فيما لا يزال ولا يفتقر إلا إلى صفة القدرة والإرادة.

الرابع: ما قيل أن القدرة لا تأثير لها في كون المقدور في نفسه ممكن الوجود لأن الإمكان

الأصل الأول: العلم بأن كل حادث في العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث له إلا إياه، خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم، فجميع

للممكن بالذات، وما يكون بالذات لا يكون بالغير بل القدرة صفة مؤثرة في وجود المقدور، والتكوين هو تعلق القدرة بالمقدور حال إرادة ايجاده.

الخامس: ما قيل أن التمدح بذلك كالتمدح بقوله تعالى: ﴿يسبّح له ما في السموات والأرض﴾ [الحشر: ٢٤]، وقوله: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ [الزخرف: ٨٤]، أي معبود. ولا شك أن ذلك الفعل، إنما يكون فيما لا يزال لا في الأزل، والاخبار عن الشيء في الأزل لا يقتضي ثبوته فيه كذلك الأرض والسماء. نعم هو في الأزل بحيث يحصل له هذه التعلقات والإضافات فيما لا يزال لما له من صفات الكمال، وأن النقص إنما هو فيما يصح اتصافه به في الأزل، ولا نسلم أن التكوين والايجاد بالفعل، كذلك نعم هو في الأزل قادر عليه.

السادس: ما قيل إنما ثبت بالدليل أن مبدأ التأثير بالنسبة إلى مقدور الواجب نفس القدرة والإرادة، وبالنسبة إلى صفات ذاته الممتازة بذاتها عن سائر الذوات، فلا يكون التكوين صفة أخرى.

السابع: ما قيل إن أريد بمبدأ الاشتقاق المعنى المصدري، فمسلّم أن ثبوت المشتق للشيء لا يتصوّر بدون المبدأ، لكنه ليس بحقيقي، وإن أريد به الصفة الحقيقية فممنوع، وكون المعنى المصدري مستلزماً لذلك، إنما هو في الشاهد وليس الأمر كذلك في الغائب وأنه منقوض بمثل الواجب والموجود، وإن أريد الثبوت بمعنى الاتصاف به فغير مفيد، وقد عرفت أن القول بأنه تعلق القدرة على وفق الإرادة بوجود المقدور لوقت وجوده إذا نسب إلى القدرة يسمى ايجاباً له، وإذا نسب إلى القادر يسمى الخلق والتكوين ونحو ذلك، فهو أمر اعتباري يحصل في العقل من نسبة الفاعل إلى المفعول وليس أمراً محققاً مغايراً للمفعول في الخارج ليس تحقيقاً في المقام، بل غايته تصحيح للقول بنسبة التكوين للمكون وتقريب له إلى الافهام. كذا صرح به شارح التعديل في شرحه والله أعلم.

(**الأصل الأوّل: العلم بأن**) الله تعالى لا خالق سواه وأن (**كل حادث في العالم**) جوهر أو عرض على اختلاف أنواعه. كحركة شعرة وإن دقت ودخل فيها كل قدرة لكل حيوان عاقل أو غيره وكل فعل اضطراري كحركة المرتعش وحركة العروق الضوارب بالبدن، أو اختياري كأفعال الحيوانات المقصودة لهم (**فهو فعله وخلقه واختراعه**) وابداعه وانشاؤه. (**لا خالق له سواه ولا محدث له إلا إياه خلق الخلق وصنعهم**) بضم الصاد المهملة وسكون النون وفتح العين معطوف على ما قبله. أي: وخلق صنعهم. وفي نسخة: وصنعتهم. وفيه الإشارة إلى الحديث الذي أخرجه الحاكم والبيهقي من حديث حذيفة رضي الله عنه رفعه: « إن الله صانع كل صانع وصنعته » أو انه بفتح الصاد والنون على أنه فعل ماض معطوف على خلق، وهو أيضاً

أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقاً له في قوله تعالى: ﴿الله خالق كل شيء﴾ [الزمر: ٦٢]، وفي قوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦]،

صحيح، ولكن الأولى أوفق والخلق والصنع والإنشاء والابداع والاختراع والفعل قيل مترادفات، والحق انها متغايرات. وقد سبقت الاشارة إليه **(وأوجد قدرتهم وحركتهم)**، والمراد بها ماء يعم الحركة الأينية وغيرها، **(فجميع أفعال عبيده)** إذاً **(مخلوقة له ومتعلقة بقدرته)**، وهذا ما اتفق عليه السلف قبل ظهور البدع. وقال المعتزلة: المحدثون مخترعون أفعالهم بقدرهم وخالقوها والله تعالى غير موصوف بالاقتدار على أفعال العباد، وقد ألزمهم المصنف بدلائل نقلية وعقلية وقدم النقلية لشرفها وإليها أشار بقوله: **(تصديقاً له)** أي للمطلوب السابق الذي هو الخالق الله ولا خالق سواه، وأن الحوادث كلها بقدرته **(في قوله تعالى)** ﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو **(خالق كل شيء﴾)**[1]، ووجه الدلالة أن الآية خرجت مخرج المدح، فلا يصح أن يكون المخلوق بعض الأشياء إذ لو كان المخلوق بعض الأشياء كما يزعم الخصم لما كانت مدحاً إذ عنده كثير من الحيوانات يخلق البعض فلا يكون ثم اختصاص فلا مدح فيتعين الجميع، وإذا تعين الجميع بطل أن يكون خلق لغير الله تعالى، وذلك هو المطلوب، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾ [الرعد: ١٦] ووجه الدلالة كما قبلها مع ما فيها من زيادة الانكار من مطابقتها على عين دعوى المخالف، إذ هو يقول يخلق كخلقه على تقدير أن العبد يخلق أفعاله، ولو عنينا في قول المصنف هذه الآية لم يبعد، ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ [النحل: ١٧] تمدح بالخلق، فلو شاركه غيره في الخلق لما تم التمدح، وقال على وجه الانكار: ﴿هل من خالق غير الله﴾ [فاطر: ٣]، وقال في الثناء على نفسه ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف: ٥٤] وقال تعالى: ﴿خلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ [الفرقان: ٢] فهذه الآيات كلها شاهدة لما استدل به المصنف على تحقيق المطلوب. **(وفي قوله)** تعالى: **﴿والله خلقكم وما تعملون﴾** [الصافات: ٩٦]، حكاية عن قول ابراهيم عليه السلام لهم حين كانوا ينحتون الأحجار بأيديهم ثم يعبدونها، ووجه الدلالة فيها إما على أن ما مصدرية أي موصولاً حرفياً لا يحتاج إلى عائد، فيستغنى عن تقدير الضمير المحذوف فلو جعلت موصولاً اسمياً فظاهر للتصريح بأن العمل وهو الفعل مخلوق، والمعنى ﴿والله خلقكم﴾ وخلق عملكم، وإليه ذهب سيبويه، واعترضت المعتزلة بأن معنى الآية إنكار السيد ابراهيم عليهم عبادة مخلوق ينحتونه بأيديهم، والحال أن الله تعالى خلقهم وخلق ذلك المنحوت، والمصدرية تنافي هذا الانكار، إذ لا طباق بين إنكار عبادة ما ينحتون وبين خلق عملهم. وحاصل الجواب المعارضة ببيان حصول الطباق مع المصدرية. إذ المعنى عليها أتعبدون منحوتاً تصيرونه بعملكم صنماً، والحال أن الله خلقكم وخلق عملكم الذي يصير به المنحوت صنماً، فقد ظهر الطباق، وكذا على أن تكون ما

---

(١) غافر: ٦٢ وتصويب الآية: « ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ».

....

موصولة، والتقدير أي معمولكم فإن نزاع الخصم إنما هو في الآثار التي هي الحركات والسكنات المعمولات لا في التأثير المتعلق بها إذ هو نسبة اعتبارية.

وقال السعد في شرح العقائد قوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ أي عملكم على أن ما مصدرية لئلا يحتاج إلى حذف الضمير أو معمولكم على أن ما موصولة ويشمل الأفعال، لأنا إذا قلنا أفعال العباد مخلوقة لله تعالى أو للعبد لم نرد بالفعل المعنى المصدري الذي هو الايجاد والايقاع، بل الحاصل بالمصدر الذي هو متعلق الايجاد والايقاع. أعني ما يشاهد من الحركات والسكنات مثلاً، وللذهول عن هذه النكتة قد يتوهم أن الاستدلال بالآية موقوف على كون ما مصدرية اهـ.

وقال ابن الهمام: أو لفظ ما موصول إسمي يحتاج إلى عائد، ويكون التقدير: وخلق الذي تعملونه، فحذف العائد المنصوب بالفعل والموصول الاسمي من أدوات العموم، فيشمل ما في الآية نفس الأحجار المنحوتة والأفعال، وأعني بالفعل هنا الحاصل بالمصدر، وأهل العربية يقولون للمصدر المفعول المطلق لأنه هو الفعل بالحقيقة، لأنه الذي يوجده الفاعل ويفعله وهو بناء على إرادة الحاصل بالمصدر لأن الأمر الاعتباري لا وجود له فلا يتعلق به الخلق، فوجب إجراء الآية على عمومها للأحجار المنحوتة والأفعال.

قال ابن أبي شريف: والتحقيق أن عملهم بمعنى الأثر الحاصل بالمصدر هو معمولهم، ومعنى الموصولة وصلتها كذلك فمآل الفعل فيها واحد، لأن التقدير في الموصولة وخلق العمل الذي تعملونه أو الشيء الذي تعملونه، ودعوى عموم الآية للأعيان ممنوعة لأن الأعيان ليست معمولة للعباد بمعنى إيجادهم ذواتها، إنما هي معمول فيها النحت والتصوير وغيرهما من الأعمال، وإطلاق قول القائل عملت الحجر صنماً مجاز، والمعنى الحقيقي هو أنه حوّله بالنحت والتصوير إلى صورة الصنم، فلا ينافي شمول ما للأعيان بناء على أنها موصول إسمي إلا على القول باستعمال اللفظ في حقيقته ومجازه اهـ.

وبهذا وبما تقدم للسعد تعلم ما وقع في بعض الحواشي من أن المعتزلة أعربوا: «ما» من قوله تعالى: ﴿وما تعملون﴾ موصولة توصلاً إلى غرضهم من وقوعها على الأصنام المعبودة وليست من عملهم، فيتوصلون إلى خروج أعمالهم من خلق الله تعالى، والحق انها مصدرية، فلذلك كان الجهل باللسان العربي أصلاً من أصول الكفر. إذ لولا هو من هذا الموضع لقامت الحجة علينا لهم قبحهم الله تعالى اهـ.

ذهول عن النكتة التي بينها السعد وألـمّ عليها ابن أبي شريف، ثم تأمل في قوله: فلذلك كان الجهل باللسان العربي إلخ. وفي مرجع الضمير في قوله: إذ لولا هو في هذا الموضع لقامت الحجة علينا لهم، فإن الظاهر أنه ذهول ثان كما يعلم من حواشي شرح العقائد على أن «ما» لو كانت موصولة كما يقول به المعتزلة لم يكن في ذلك حجة علينا، فإن المعمول التي هي الأعيان ليست

وفي قوله تعالى: ﴿وأسِرُّوا قولَكُمْ أو اجْهَرُوا بهِ إنه عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور ★ ألا يعلم مَنْ خَلَقَ وهُو اللَّطيف الخبير﴾ [الملك: ١٣ ـ ١٤]، وأمر العباد بالتحرز في أقوالهم وأفعالهم وأسرارهم وأضمارهم لعلمه بموارد أفعالهم. واستدل على العلم بالخلق، وكيف لا يكون خالقاً

محل النزاع بيننا وبينهم كخشب السرير بالنسبة إلى النجار، وحيث كان كذلك فلا حجة لهم علينا بهذه الآية. إذ ليس فيها ما يصرح بالحصر على أن بعضهم قال: إن ذلك الجسم بدون عمل العباد لا يكون معمولاً، والله تعالى أثبت الخلق للمعمول، فدل أن العمل الذي صار به الجسم المخلوق معمولاً كان مخلوقاً حتى جعل المعمول مخلوقاً له اهـ. ولا يخلو عن تأمل.

قال الغنيمي في حواشي أم البراهين ولا حجة لنا عليهم بها أيضاً بناء على أن « ما » مصدرية، إذ هي كما تحتمل المصدرية تحتمل أن تكون موصولة في اللسان العربي، كما ذهب إليه الأخفش في الآية ونحوها من كل فعل متعد اتصلت به « ما ». والدليل إذا طرقه الاحتمال سقط به الاستدلال وخصوصاً في مسائل الدين، فإن المطلوب فيها غالباً اليقين اهـ. فدعوى أن القول بكونها موصولة جهل باللسان العربي فتأمله.

ثم قال المصنف: (**وفي قوله**) تعالى (**وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور**) أي بالضمائر قبل أن يعبر عنها سراً أو جهراً (**ألا يعلم من خلق**) ألا يعلم السر والجهر من أوجد الأشياء حسبما قدرته حكمته (**وهو اللطيف الخبير**) [الملك: ١٣، ١٤] المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن، ووجه الدلالة فيها أنه (**أمر العباد بالتحرز في أقوالهم وأسرارهم واضمارهم**) بفتح الهمزة جمع ضمير كشريف واشراف، وإنما اختاره على الضمائر ليكون مع ما قبله نسقاً واحداً (**لعلمه بموارد أفعالهم**) كلها، (**واستدل على العلم بالخلق**) في قوله (**ألا يعلم من خلق**) فظهر أنها خرجت مخرج التمدح والثناء، ومن السنّة الصحيحة ما يصح أن يكون دليلاً على هذا المطلب في الصحيحين حديث الايمان الطويل وفيه: « وأن تؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره » وفي صحيح مسلم: « ولا تقل في شيء أصابك لو كان كذا فإن لو تفتح باب الشيطان ولكن قد قدر الله وما شاء فعل »، وفي حديث جابر: « أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء » وأشار إلى السبابة والوسطى يحركها، وهذا هو متمسك المحدث. وأما الصوفي يقول: إذا قيل بما عرفت الله فيقول بنقض العزائم، ويقول: كيف يكون لغير الله فعل وهو معه بعموم التكوين، وما يبدو فيه من التحريك والتسكين وهو معكم أينما كنتم أي تكون كونكم الشامل لذواتكم وأعراضكم وأفعالكم من حركاتكم وسكناتكم ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحيايَ ومماتي لله رب العالمين ★ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وأما الدليل العقلي؛ فهو أنه لو كان فعل العبد واقعاً بقدرته لكان عالماً به ضرورة أنه مختار، والاختيار فرع العلم والتالي باطل لما يجده كل عاقل من عدم علمه حالة قطعه لمسافة معينة بالأجزاء والأحيان والحركات التي بين المبدأ والمنتهى، وكذا الأناة التي يتألف منها، وكذا حالة نطقه بالحروف يجد كل عاقل من نفسه

لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها ، فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها ؟

عدم العلم بالأعضاء التي هي آلتها والمحال التي فيها مواقعها وعدم العلم بهيئاتها وأوضاعها، وكل ذلك ظاهر. وأيضاً فلو كان فعل العبد بقدرته لزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد وهو محال لما يلزم عليه من اجتماع النقيضين وهو الاستغناء وعدم الاستغناء، أما الملازمة فلأن فعل العبد ممكن، وكل ممكن واقع بقدرة الله تعالى ضرورة أن الإمكان هو المحوج للسبب المعين، لأن غير المعين لا تحقق له والإمكان معقول واحد في جميع الممكنات، فيلزم افتقار جميع الممكنات إلى ذلك السبب المعين وإلا لزم الترجيح بلا مرجح ولا جائز أن يكون ذلك السبب ممكناً وإلا لزم التسلسل، فيكون واجب الوجود هو صانع العالم فيكون جميع الممكنات واقعة بقدرته، فلو كان فعل العبد واقعاً بقدرته لزم المحال المذكور وهو المطلوب، وأيضاً لو جاز أن يكون فعل العبد واقعاً بقدرته لجاز أن يكون الجواهر وسائر الأعراض بقدرته، والتالي باطل بالاتفاق، فالمقدم مثله اما الملازمة فلأن المحوج لفعل العبد إلى سببه هو الإمكان والحدوث، وكل منهما حقيقة واحدة في جميع الممكنات. واستدل المصنف على اثبات هذا المطلب من العقلية بدليل آخر فقال: **(وكيف لا يكون)** الباري تعالى **(خالقاً لفعل العبد)** وموجداً له **(وقدرته)** تعالى **(تامة)** صالحة لخلق كل حادث **(لا قصور فيها)** ولا لها عن شيء منه، لأن المقتضي للقادرية هو الذات لوجوب استناد صفاته تعالى إلى ذاته والمصحح للمقدورية هو الإمكان، لأن الوجوب والامتناع الذاتيين يحيلان المقدورية، ونسبة الذات إلى جميع الكائنات في اقتضاء القادرية على السواء، فإذا ثبتت قدرته على بعضها ثبتت قدرته على كلها، وإلاّ لزم التحكم. وإليه أشار المصنف بقوله: **(وهي متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها)** ؟ فوجب إضافة الحوادث كلها إليه سبحانه بالخلق.

قال ابن أبي شريف: وهذا الاستدلال مبني على ما ذهب إليه أهل الحق من أن المعدوم ليس بشيء، وإنما هو نفي محض لا امتياز فيه أصلاً ولا تخصيص قطعاً فلا يتصوّر اختلاف في نسبة الذات إلى المعدومات بوجه من الوجوه خلافاً للمعتزلة، ومن أن المعدوم لا مادة له ولا صورة خلافاً للحكماء، وإلاّ لم يمتنع اختصاص بعض الممكنات دون بعض بمقدوريته تعالى كما يقوله الخصم، إذ المعتزلي يقول: جاز أن يكون خصوصية بعض المعدومات الثابتة المتميزة مانعاً من تعلق القدرة، والحكيم يقول: جاز أن تستبد المادة بحدوث ممكن دون آخر، وعلى هذين التقديرين لا تكون نسبة الذات إلى جميع الممكنات على السواء، ولما كان هذا الاستدلال لا يخلو عن ضعف لابتناء دليله على أمر مختلف فيه يمنعه الخصم قواه بدليل آخر وقربه إلى الافهام في أفعال غير العقلاء، وحاصل ما أشار إليه هو أن العبد لو كان خالقاً لفعله لكان محيطاً بتفاصيله وهو لا يحيط بمعظم تفاصيل فعله ولا يتصوّر القصد إلى ايجاد الفعل مع الجهل به. فقال: **(أو**

أو كيف يكون الحيوان مستبداً بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوي الألباب، فكيف انفردت هي باختراعها دون رب الأرباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب؟ هيهات هيهات! ذلت المخلوقات وتفرّد بالملك والملكوت جبار الأرض والسموات.

الأصل الثاني: أن انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها

كيف يكون الحيوان مستبداً) أي مستقلاً **(بالاختراع)** والابداع من غير مثال سابق **(ويصدر من العنكبوت)** الحيوان المعروف **(والنحل)** هو ذباب العسل **(وسائر الحيوانات)** أي مما عداهما **(من لطائف الصناعات)** وغرائب الاشكال **(ما يتحير فيه عقول ذوي الألباب)**، فمن نسج العنكبوت الذي يصل إلى حد لا يتبين شيء من الخطوط الواهية التي تركب منها، ومن بناء النحل الشمع على الشكل المسدس الذي لا خلاء في بيوته ولا خلل فيها، ثم إلقاء العسل به أولاً فأولاً إلى أن تمتلىء البيوت ثم تختم بالشمع على وجه يعمها في غاية من اللطف، **(فكيف انفردت هي باختراعها)** على هذا الشكل الغريب **(دون رب الأرباب جل جلاله وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها)** وعنها **(من الاكتساب هيهات هيهات، ذلت المخلوقات وتفرّد بالملك والملكوت)** أي العالم السفلي والعلوي **(جبار الأرض والسموات)**. وفي بعض النسخ: جبار السموات، فدل ذلك على أن ذلك الصنع الغريب والفعل الواقع على غاية من الاتقان وحسن الترتيب واقع منه سبحانه وصادر عنه دون تلك الحيوانات التي لا عقول لها ولا علم بتفاصيل ما يصدر عنها. وقد فرض الشيخ أبو الحسن الأشعري الدليل عليهم في أفعال الساهي والغافل، فإنها عندهم محض فعله مع سهوه وغفلته، ولو جاز وقوع الفعل من الجاهل بتفاصيله لبطلت دلالة الأفعال على علم الفاعل، فإن قالوا: هذا الدليل له يدل على امتناع الفعل من العبد وغايته لو سلم لكم أن يدل على أنه ليس فاعلاً له وأنتم تدعون الامتناع، فلو قدر أن صادقاً أنبأ شخصاً بتفاصيل فعله للزم على موجب قولكم أن يصح كونه خالقاً له. قلنا: الغرض من هذا الدليل إبطال ما صرتم إليه من أن الواقع من العبد محض فعله، وأنتم لا تقولون به. وإذا حاولنا الدليل على امتناع احداث العبد لفعل ما استدللنا بعموم وقدرة الله تعالى وإرادته وعلمه، فإن نسبتها إلى جميع الممكنات نسبة واحدة، فإن الفعل الممكن إنما افتقر إلى القادر من حيث إمكانه وحدوثه، فلو تخصصت صفاته تعالى ببعض الممكنات للزم اتصافه بنقيض تلك الصفات من الجهل والعجز، وذلك نقص والنقص مستحيل عليه ولاقتضى تخصيصها مخصصاً وتعلق المخصص بذات واجب الوجود وصفاته وذلك محال، وإذا ثبت عموم صفاته فلو أراد الله تعالى ايجاد حادث وأراد العبد خلافه ونفذ مراد العبد دون مراد الله تعالى لزم المحال المفروض في اثبات إلهين والله أعلم.

(الأصل الثاني: أن انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد) جمع العبد، والمراد به

مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب، بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعاً وخلق الاختيار والمختار جميعاً. فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسب له. وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له، فإنها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت الحركة نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسباً، وكيف تكون جبراً محضاً وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين

هنا كل حادث وقع في محل قدرته فعل اختياري من إنس أو جن أو ملك **(لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب، بل الله تعالى خالق القدرة والمقدور)** أي من قامت به القدرة لايجاده **(جميعاً، وخلق الاختيار والمختار)** هو من قام به وصف الاختيار، **(فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليس بكسب له، وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له)** أي: كما أنها وصف للعبد ومخلوقة للرب تعالى لها أيضاً نسبة إلى قدرة العبد كسباً بمعنى انها مكسوبة له، **(فإنها)** أي تلك الحركة **(خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه)**. كذا في النسخ، وفي بعضها هي صفة، وفي أخرى وهي صفة بزيادة الواو. **(وكانت الحركة نسبة)**. وفي بعض النسخ: فكانت. وفي أخرى: فكانت للحركة **(نسبة إلى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى)** وفي بعض النسخ: فيسمى **(باعتبار تلك النسبة كسباً)**. اعلم أن هذا الأصل معقود على بيان كسب العبد وقد ضرب به المثل حتى قالوا: أدق من كسب الأشعري، وقد قال بعض من عاب الكلام كما نقله ابن القيم وغيره: محالات الكلام ثلاثة: طفرة النظام، وأحوال أبي هاشم، وكسب الأشعري. أي: يقول قدرة ولا أثر لها وذلك عين العجز، وإن كان هذا الكلام وأمثاله من سوء التعبير حيث عد معتقد أهل السنّة والجماعة مع محالات المعتزلة، ومذهب أهل الحق لا جبر ولا اعتزال كما يشير إليه المصنف، وقد اضطرب المحققون في تحرير الواسطة التي عسر التعبير عنها والحنفية يسمونها الاختيار، والصحيح أن الاختيار والكسب عبارتان عن معبر واحد، ولكن الأشعري آثر لفظ الكسب لكونه منطوق القرآن، والماتريدي آثر لفظ الاختيار لما فيه من إشعار قدرة العبد كما تقدم، والفرق بين الكسب والخلق أن الكسب أمر لا يستقل به الكاسب، والخلق أمر يستقل به الخالق. وقيل: ما وقع بآلة فهو كسب، وما وقع لا بآلة فهو خلق، ثم ما أوجده الله سبحانه من غير اقتران قدرة العبد وإرادته يكون صفة له ولا يكون فعلاً له، وما أوجده مقارناً لايجاد قدرته واختياره فيوصف بكونه صفة وفعلاً وكسباً، فالجبرية أنكروا أن يكون للعبد قدرة البتة والمثبتون لهذا المعنى الذي سموه قدرة مختلف فيه، فقال الأشعري: انها تتعلق ولا تؤثر فإن الفعل واقع عنده بمحض قدرة الله تعالى ولا يتصوّر وقوع مقدور بين قادرين، فآلت التفرقة عنده بين الحركتين إلى أن احداهما واقعة على وفق قصده واختياره، والأخرى غير واقعة كذلك، وإلى اعتقاد تيسير بعض الأفعال عادة فسمى أحد القسمين مقدوراً فهو متعلق التكليف، والثاني غير مقدور والتكليف بمثله يكون من تكليف المحال وهو يقول بجوازه، وتردد

الحركة المقدورة والرعدة الضرورية؟ أو كيف يكون خلقاً للعبد وهو لا يحيط علماً

النقل عنه في وقوعه. وإلى هذا القول مال أهل الحديث والصوفية، ويقولون: إن للعبد قدرة تتعلق بالفعل يخلقها الله عند خلق الفعل من غير تأثير لها فيه، وإنما التأثير للباري جل وعز، ويعرف هذا بالجبر المتوسط. واختاره إمام الحرمين في الارشاد.

ومنهم من قال انها تؤثر واختلفوا في جهة التأثير، فزعم القاضي أبو بكر الباقلاني أنها تؤثر في أخص وصف الفعل، فإن الحركة من حيث كونها تنقسم إلى صلاة وغصب وسرقة وغير ذلك، وهذه الوجوه منسوبة إلى العبد كسباً، وأصل الفعل منسوب إلى الله تعالى ايجاداً وابداعاً، واختاره الشهرستاني. وإلى ذلك ذهب أبو إسحاق الاسفرايني إلا أنه ينفي الأحوال ويقول: إن أخص وصف الشيء وجه واعتبار في الفعل، ولإمام الحرمين مذهب يزيد على المذهبين جميعاً، ويدنو كل الدنوّ من الاعتزال وليس هو هو، فإنه قال في الرسالة النظامية وهي آخر مؤلفاته: ان القدرة الحادثة تؤثر في أصل ايجاد الفعل. كما قاله المعتزلة إلا أنه قال: إن العبد إنما يوقع ما يوقعه على اقدار قدرها الله تعالى. وقال: إن هذا المذهب هو الجامع لمحاسن المذاهب، فإن القدرة إذا لم تؤثر من وجه ألبتة لم يحسن التكليف ولا تخصيص فعل بثواب ولا عقاب كما ذهب إليه المعتزلة. وفي اثبات ذلك ما يدل لهذا، وحيث قال: إن العبد لا يوقع إلا ما قدره الله إلخ لم يلزمه ما لزم المعتزلة من مخالفة الاجماع وهو: أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وقد مال إلى هذا المصنف. وقال الإمام أبو منصور الماتريدي: أصل الفعل بقدرة الله تعالى والاتصاف بكونه طاعة أو معصية بقدرة العبد وهو مذهب جمهور مشايخ الماتريدية، ففي التوضيح أن مشايخنا ينفون عن العبد قدرة الإيجاد والتكوين فلا خالق ولا مكوّن إلا الله تعالى، لكن يقولون: إن للعبد قدرة ما على وجه لا يلزم منه وجود أمر حقيقي لم يكن، بل إنما تختلف بقدرته النسب والإضافات فقط كتعيين أحد المتساويين وترجيحه، وفي التلويح أنه اختيار الباقلاني، ثم إن المصنف لاحظ أن ما ذهب إليه شيخه في الرسالة النظامية وصار إليه في آخر عمره لا ينجيه من الجبر، فإن العبد إذا كان لا يوقع إلا ما خصصه الله له وقدر ايقاعه، فعند ذلك لا يتأتى منه الفعل بدون ذلك، وإذا أراد الله ذلك فلا يتأتى منه الترك البتة فالجبر لازم له، فأشار إلى الرد بقوله: **(وكيف يكون جبراً محضاً وهو)** أي العبد العاقل **(يدرك التفرقة)** الضرورية بطريق الوجدان **(بين الحركة المقدورة)** له وهي الاختيارية، وبين **(الرعدة الضرورية)** التي تصدر بدون اختيار، كحركة اليد من المرتعش. وهذا من باب الاستدلال بالسبب على المسبب.

قال ابن التلمساني: والحق ان الإنسان كما يجد من نفسه تأتياً لبعض الأفعال زائداً على سلامة البنية يجد من نفسه أنه لا يستقل بدون إعانة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة]. وفي محجة الحق لأبي الخير القزويني العاقل يفرق بين الحركة الاضطرارية والاختيارية، فلا يخلو إما أن ترجع التفرقة إلى نفس الحركة أو إلى غيرها. محال أن ترجع

بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة واعدادها وإذا بطل الطرفان لم يبقَ إلا الاقتصاد في

التفرقة إلى نفسها لأنا نفرض الكلام فيما إذا كانت الحركتان في صوب واحد فتعين أن يكون مرجعها معنى زائداً، ثم ذلك المعنى لا يخلو إما أن يكون سلامة البنية أو غيرها محال أن يكون سلامة البنية، لأن العاقل يفرق بين أن يحرك يده وبين أن يحرك يد غيره، فتعين أن يكون معنى زائداً عليها، ثم ذلك المعنى لا يخلو إما أن يكون إرادة أو قدرة. محال أن يكون إرادة لأن حركة النائم مكتسبة وليست مرادة له، فتعين أن ترجع التفرقة إلى القدرة وإلى حدها اهـ.

وقرره ابن التلمساني بوجه آخر فقال: التفرقة لا ترجع إلى ذات الحركة فإنها من حيث أنها تفريغ واشغال لا تختلف ولا إلى ذات المتحرك، فإنها في حال دخوله بنفسه وحال سجنه لا تختلف، وكذلك تحريك الغير ليده السليمة فتعين أن ترجع التفرقة إلى أمر زائد وذلك الزائد يمنع رده إلى السلامة، ونفي الآفة، فإنه مدرك بالحس والعدم لا يحس، وندرك بالضرورة ان لذلك المعنى نسبة إلى الحركة وليست مقارنة للحركة كمقارنة كون اليد للحركة اهـ.

والحاصل أن ما ذهب إليه أهل الحق لا يلزم الجبر المحض، كما زعم الخصم إذ كانت الحركة المذكورة متعلق قدرة العبد داخلة في اختياره، وهذا التعلق هو المسمى عندهم بالكسب، ومعنى الجبر المحض أن لا تأثير لقدرة العبد أصلاً في ايجاد الأفعال، ولما ثبت من مذهب أهل السنة أن الله تعالى خلق للعبد قدرة على الأفعال، والقدرة ليس خاصيتها من بين الصفات إلا ايجاد المقدور لأنها صفة تؤثر على وفق الإرادة ويستحيل اجتماع مؤثرين مستقلين على اثر واحد، والنصوص التي تقدمت من القرآن عامة تشمل أفعال العباد فيكونون مستقلين بإيجاد أفعالهم بقدرهم الحادثة بخلق الله تعالى إياها باختياره تعالى، كما هو مذهب المعتزلة، أو بطريق الايجاب بالذات كما هو مذهب الفلاسفة، وإلاّ كان جبراً محضاً، فأشار المصنف إلى الرد عليهم بقوله: **(أو كيف يكون)** الفعل **(خلقاً للعبد)** اختياراً أو ايجاباً **(وهو)** أي العبد **(لا يحيط علماً بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة واعدادها)**، ومع كونه منبع النقصان وغير ذلك وما ذكروا من استحالة اجتماع مؤثرين على اثر واحد، فالجواب عنه أن دخول مقدور تحت قدرتين إحداهما قدرة الاختراع والأخرى قدرة الاكتساب جائز، وإنما المحال اجتماع مؤثرين مستقلين على اثر واحد، **(وإذا بطل الطرفان)** إثبات الاضطرار واثبات الاختيار **(لم يبقَ إلا الاقتصاد)** وهي الحالة الوسطى **(في الاعتقاد)** لا جبر محض ولا اعتزال. وفي شرح الصحائف، وقال قوم من العلماء: إن المؤثر مجموع قدرة الله وقدرة العبد، وهذا المذهب وسط بين الجبر والقدر وهو أقرب إلى الحق اهـ.

وإليه أشار الإمام في الفقه الأكبر، وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة والله خالقها أي بتأثير اختيارهم في الاتصاف، فإنه الكسب على الحقيقة دون مجرد مقارنة الاختيار والمدخلية في الايجاد، فإن الخلق أمر إضافي يجب أن يتبع به المقدور في محل القدرة، ولا

الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعاً وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب. وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط، إذ قدرة الله تعالى في الأزل قد كانت متعلقة بالعالم، ولم يكن الاختراع حاصلاً بها وهي عند الاختراع متعلقة به نوعاً آخر من التعلق فيه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصاً بحصول المقدور بها.

يصح انفراد القادر بإيقاع المقدور بذلك الأمر، فالكسب لا يوجب وجوب المقدور، بل يوجب من حيث هو كسب اتصاف الفاعل بذلك المقدور، واختلاف الإضافات مبني على الكسب لا على الخلق كما في التوضيح، وفي التلويح أن المحققين من أهل السنّة على نفي الجبر والقدر واثبات أمر بين الأمرين، وهو أن المؤثر في فعل العبد أي أصله ووصفه مجموع خلق الله تعالى واختيار العبد لا الأوّل فقط ليكون جبراً، ولا الثاني فقط ليكون قدراً، وكان القول بتأثير القدرتين قدرة الله في الإيجاد وقدرة العبد في الكسب والاتصاف، كما دل مجموع الكلام قولاً متوسطاً جامعاً مقتضى جميع الأدلة. وأشار له المصنف بقوله: **(وهو انها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعاً)** وخلقاً **(وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنها بالاكتساب)** عملاً بظاهر الآية ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [البقرة: ٢٨٦] **(وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع)** الذي هو خاصيتها أي التأثير **(فقط إذ قدرة الله تعالى في الأزل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلاً بها)** أي: ولم يحصل الاختراع بها إذ ذاك **(وهي عند الاختراع متعلقة به)** أي بالعالم **(نوعاً آخر من التعلق)**، فبطل أن القدرة من حيث تعلقها مختصة بإيجاد المقدور، وإليه أشار بقوله: **(فيه)** أي بما تقدم ذكره **(يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصاً بحصول المقدور بها)** وهذا التعلق هو المسمى بالكسب.

وأورد عليه ابن الهمام فقال: ولقائل أن يقول قولكم أن قدرة العبد تتعلق بالحركة لا على وجه التأثير فيها، وإن التعلق لا على وجه التأثير هو الكسب مجرد ألفاظ لم يحصلوا لها معنى، ونحن ما نفهم من الكسب إلا معنى التحصيل وتحصيل الفعل المعدوم ليس إلا إدخاله في الوجود وهو ايجاده، وقولكم: إن القدرة الحادثة تتعلق بلا تأثير كتعلق القدرة القديمة في الأزل ممنوع، وتحقيق المقام أن نقول معنى ذلك التعلق الأزلي للقدرة القديمة نسبة المعلوم الوقوع من مقدوراتها إليها بأنها ستؤثر في ايجاد ذلك المعلوم عند وقت وجوده، وذلك ان القدرة إنما تؤثر على وفق الإرادة وتعلق الإرادة بوقوع الشيء هو تخصيص ذلك الوقوع بوقته دون ما قبله وما بعده من الأوقات، والقدرة الحادثة يستحيل فيها ذلك لأنها مقارنة للفعل عندكم، فلم يكن تعلقها بالفعل إلا على ما ذكرتم. أما التأثير كما هو الظاهر، أو تبينوا لتعلقها بالفعل معنى محصلاً ينظر فيه ليقبل أو يرد لو سلم ما ذكرتم من أن قدرة العبد تتعلق بالفعل بلا تأثير فيه، فالمقتضى لوجوب تخصيص تلك النصوص بإخراج أفعال العباد الاختيارية منها هو لزوم الجبر المحض المستلزم

....

لبطلان الأمر والنهي، ولزومه مبني على تقدير أن لا أثر في الفعل لقدرة المكلف بالأمر والنهي، ولا يدفع هذا اللزوم تعلق بلا تأثير فيه لبناء اللزوم على نفي اثر القدرة الحادثة.

وأجاب عنه تلميذه ابن أبي شريف بقوله: ولك أن تقول أن قوله: ان الكسب لا يفهم منه إلا معنى التحصيل معه بحسب ما وضع له لغة، وكلامنا هنا في المعنى المسمى بالكسب بوضع اصطلاحي، وذلك لا ينافي كوننا لا نفهم بحسب اللغة من معنى الكسب إلا التحصيل، ثم لك أن تقول قولكم أن لزوم الجبر يقتضي تخصيص تلك النصوص العامة بإخراج أفعال العباد منها ممنوع، فإن لزوم الجبر يندفع بتخصيص النصوص بإخراج فعل واحد قلبي لا بإخراج كل فعل من أفعال العباد البدنية والقلبية، ثم قال: واعلم أن الأشعرية لا ينفون عن القدرة الحادثة إلا التأثير بالفعل لا بالقوّة لأن القدرة الحادثة عندهم صفة شأنها التأثير والايجاد، لكن تخلف أثرها في أفعال العباد لمانع هو تعلق قدرة الله تعالى بإيجادها كما في شرح المقاصد وغيره. وقد نقل في شرح العقائد تعريفها بأنها صفة يخلقها الله تعالى في العبد عند قصده اكتساب الفعل مع سلامة الأسباب والآلات، ونقل فيه أيضاً أنها عند جمهور أهل السنّة شرط لوجود الفعل يعني أنها شرط عادي يتوقف الفعل على تعلقها به توقف المشروط على الشرط لا توقف المتأثر على المؤثر، وبهذا يظهر أن مناط التكليف بعد خلق الاختيار للعبد هو قصده الفعل وتعليقه قدرته به بأن يقصده قصداً مصمماً طاعة أو معصية، وإن لم تؤثر قدرته وجود الفعل لمانع هو تعلق قدرة الله التي لا يقاومها شيء بإيجاد ذلك الفعل.

فإن قيل: إن القدرة عندكم مقارنة للفعل لا قبله، فكيف يتصوّر تعليق العبد إياها بالفعل قبل وجودها؟ قلنا: لما طردت العادة الإلهية بخلق الاختيار المترتب عليه صحة قصد الفعل سواء كان ذلك كفاً للنفس أو غير كف كان وجودها مع المباشرة متحقق الوقوع بحسب اطراد العادة، فصح تعليقها بالفعل المباشر بأن يقصد قصداً مصمماً لتحقق وجودها مع الشروع فيه. إذا تقرر لك ذلك ظهر أن تعليق قدرة العبد التي تعلقها شرط هو الكسب الذي هو مناط الثواب والعقاب، وبه يتضح فهم كسب الأشعري وبالله التوفيق.

تنبيه:

قال العلاّمة أبو سالم العياشي في رحلته في ترجمة شيخه الإمام العارف ملاّ ابراهيم الكوراني، وتعديد مقروءاته عليه حين مجاورته بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ما نصه: وقرأت عليه رسالة كتبها برسمي في المسألة التي ألف فيها شيخنا صفي الدين القشاشي، وبالغ في إيضاحها، وتعددت تآليفه فيها وهي مسألة كسب العبد ونسبة فعل العبد إليه وإلى قدرة الرب، فقد انتصر الشيخ في ذلك للقولة المنسوبة لإمام الحرمين، وتأوّلها على ما لا ينافي مذاهب أهل الحق، وتشهد له بصائر أهل الكشف، وتعضده شواهد الآيات ومعاني الأخبار الصحيحة، وما

....

فعل رضي الله عنه من تأويلها وتبيين معناها على حسب ما ظهر، وإن كان فيه غموض على أفهام كثير من الناس أولى مما فعله كثير من المشايخ ببطلانها، والتشنيع على الإمام وعلى من نسبها إليه، وأنكروا وجودها في كتبه وذلك قصور منهم، فإنها قولة صحت عن الإمام في رسالته النظامية التي هي من آخر مؤلفاته، ولذلك لم يتردد المتقدمون بنسبتها إليه لاحاطتهم بأخبار الإمام ومطالعتهم لكتبه، ولما لم تشتهر هذه المسألة لتأخرها كاشتهار الإرشاد وغيره لم تبلغ إلى بعض المتأخرين، فأنكر وجود القولة المشهورة في شيء من كتب الإمام، وظن أنها مفتعلة عليه أو صدرت منه في مجلس المناظرة على وجه المعارضة، أو ارخاء العنان إلى غير ذلك مما لا يعد مذهباً لقائله، وقد بالغ شيخنا في إيضاحها والاستشهاد في رسائله الثلاث، وكذلك تلميذه السابق ذكره بالغ في بيانها وكشفها، ومع ذلك لم تخل عن غموض ولم تتضح كل الوضوح، ولا غرو إذ هي من معضلات المسائل التي حارت فيها أفكار المتقدمين، ولم تحصل على طائل في تحقيق معناها آراء المتأخرين، فقصارى أمرهم فيها اعتقاد انفراد الرب تعالى بالخلق والاختراع، واعتقاد أن للعبد في أفعاله الاختيارية كسباً به صح نسبة الأفعال إليه، وبه ثبت التكليف، وعليه ترتب الثواب والعقاب، وهذا معتقد جميع أهل السنة وهو الحق الذي لا محيص عنه، ولكنه إذا ضويقوا في تحقيق معنى هذا الاكتساب وتبيينه تباينت آراؤهم بين مائل إلى ما يقرب من الجبر، ومائل إلى ما يقرب من القدر، وأهل السنة لا يقولون بواحد منها، فقد قال السعد في شرح العقائد بعد ما ذكر كلاماً في معنى الكسب ما نصه: وهذا القدر من المعنى ضروري إذ لم نقدر على أزيد من ذلك في تلخيص العبارة المفصحة عن تحقيق كون فعل العبد بخلق الله تعالى وايجاده مع ما للعبد فيه من القدرة والاختيار، فإذا علم أن فحول أهل السنّة قد عجزوا عن تحقيق معناه مع تظاهرهم وتظافر معتقداتهم على نفي الجبر والاستقلال، فلا ينبغي المبادرة إلى التشنيع والانكار على من أحدث قولاً في المسألة بفهم آتاه الله تعالى إياه أو انتصر إلى قول من الأقوال المقولة فيها لأهل السنّة بدلائل يبينها الحق له وبصيرة أنارتها الهداية الإلهية ما دام لم ينقض بصحة أحد القولين المتفق على بطلانها عند أهل الحق، وهما الجبر والاستقلال، لأن ذلك هو المعيار الصادق، فما دام العبد يعتقد في المسألة معتقداً ليس بجبر ولا استقلال فهو على الجادة، وإن عجز عن تحقيقه إذ لا نكلف بإدراك الكنه في كثير من المسائل الاعتقادية، وإنما المكلف به فيها هو اعتقاد الثبوت والوجود فقط.

وهذه المسألة أعني مسألة الكسب ليست من المسائل التي يستحيل فيها إدراك الكنه حتى نحكم بتضليل من ادعى إدراك كنهه وحقيقته بل لغموضه وخفائه لم نكلف بمعرفة حقيقته بل باعتقاد ثبوته ووجوده، وأن للعبد كسباً به نيط التكليف يوجد بوجوده مع استكمال الشرائط وينتفي بانتفائه لأن من لم يعتقد ذلك وقع لا محالة في أحد أمرين محالين، وغاية ما نقول في الكسب: هو صفة من صفات العبد يحس كل أحد بوجودها فيه وثبوتها في محله فيها يفرق بين أفعاله الاختيارية والضرورية، ولكنه لا يدري حقيقتها ولا يحقق قبل التحقيق نسبة أفعاله إليها، مع

....

اعتقاد انفراد الله تعالى بخلق العبد وخلق أفعاله غير مفتقر إلى معنى، واعتقاد أن لكسب العبد دخلاً في وجود أفعاله على وجه لا يضايق فيه القدرة الإلهية ولا يزاحمها ولا يعينها، ولكن عجزنا عن إدراك ذلك على وجهه، ومن آتاه الله فهماً وعلماً ونوراً فأدرك حقيقة ذلك كما يدرك العارفون بالله حقائق أشياء كثيرة من عالم الغيب والشهادة قد عجز عن ادراكها أكثر الخلق، فلا ينبغي الإسراع إلى الانكار عليه ولا التشنيع عليه، إذ لم يدع محالاً، فالأولى التسليم له سيما أن كان من أئمة الهدى ورؤساء السنة كإمام الحرمين أو ممن ظهرت ديانته وثبتت في علوم الشرع مشاركته، ولم يرم ببدعة، ولم ينبذ بسوء اعتقاد كشيخنا الغوث صفي الدين القشاشي، وإن كان لا بدّ من التعقب والنقد والنظر في كلام من هذه صفته، فلينظر بعين الانصاف وسداد الرأي إلى كلامه، فإن فهمه الناظر حق الفهم بسبره بالمعيار المتقدم من عرضه على آراء أهل الضلالة، فإن وافق أحد الجانبين الباطلين كل الموافقة حتى صار هو هو، فهو جدير بأن يلغي ويترك وتوكل سريرة قائله إلى الله تعالى لاحتمال أن عبارته لم توف بما في ضميره لعلمنا بأنه من أهل السنة، وإن لم يوافق أحد الجانبين المحكوم ببطلانها إلا أنه على خلاف ما كنا نعتقده نحن ونتوهمه ونفهمه من كلام الغير، فلا ينبغي أن نحكم ببطلانه لأجل مخالفته لكلام الغير من الأئمة لأن الحق في المسألة ليس منحصراً في شيء بعينه يدركه كل أحد، فيحتمل أن هذا القائل قد عثر على الحق أو على جانب منه. إذ ليس فيه أمارة الباطل ودليله، وأما إن كان الناظر في كلام أحد من الأئمة المتقدم ذكرهم لم يفهمه كل الفهم ولم يحط علماً بمقاصده، والتبست عليه المذاهب في تحقيق مقالته وهذا وصف غالب من ابتلي بالاعتراض على المشايخ، فما أجدر هذا بأن يمسك عن الخوض في ذلك لأن الحكم على الشيء بالصحة والفساد فرع تصوّره، وهذا لم يتصوّر شيئاً من معتقد هذا الإمام حتى يحكم برده أو امضائه، فليحرر هذا المسكين معتقد نفسه على مذهب أهل السنّة والحق، وليجتهد قدر طاقته في تنزيهه من مذاهب أهل الباطل، وفي موافقة أهل الحق قدر وسعه وليترك ما وراء ذلك لأهله فإن خاض فيه فقد عرض نفسه لما لا قبل له به، وقد ابتلي أقوام من المترسمة من أهل عصرنا بالتشنيع على شيخنا صفي الدين وتبديعه وتضليله وقالوا: إنه يقول بتأثير القدرة الحادثة، وخالف الشيخ السنوسي وغيره من المشايخ ورد عليهم، فإذا طولبوا بتحقيق ما ردوه عليه عجزوا، فإذا قيل لهم ما معنى التأثير الذي نسبه للقدرة الحادثة وما معنى التأثير الذي نفيتموه أنتم مع تسميتكم لها قدرة؟ لم يأتوا من الجواب إلا بجعجعة ليس لها طحين وهمهمة ليس معها تبيين، مع أن الشيخ رضي الله عنه مصرح بعدم تسميته وصف العبد قدرة إلا على وجه مجاز. إذ لا يعقل من معنى القدرة إذا أطلقت إلا وصف له تأثير. فإن سمينا وصف العبد الذي له نسبة في وجود الفعل جعلها الله له قدرة مجازاً، فلنسمّ تلك النسبة التي جعلها الله له في وجود الفعل أيضاً تأثيراً مجازاً، وإن قلنا: لا تأثير لقدرته نعني حقيقة. فلنقل لا قدرة له أيضاً حقيقة، وإنما هي قدرة واحدة قديمة إلهية ذات نسبتين: نسبة وجودها وقيامها بذات المولى جل جلاله أزلاً وأبداً فتنسب إليها الأفعال حقيقة على جهة الخلق

....

والاختراع، والاستقلال بها على وفق الإرادة القديمة، ونسبة ظهورها في محل العبد وتجليها فيه كما هو شأن سائر الصفات في تجليها. إذ قدرة العبد من قدرة سيده وحوله بحوله وقوّته بقوّته، كما أفصح بذلك لا حول ولا قوّة إلا بالله الذي هو كنز من كنوز الجنة، فتنسب إليها الأفعال بهذا المعنى على جهة الكسب والإضافة، وينسب إلى ذلك الكسب تأثير يناسب على وجه المجاز لكونه محلاً لظهور الأثر، فإن المجاز عند العرب إذا تجوّز في حقيقة من الحقائق تجوز فيها مع عوارضها المشخصة التي لا تثبت الحقيقة ولا توجد إلا بها، فإذا تجوّز في اطلاق السبع على المنية تجوّز في الحقيقة السبعية مع عوارضها وصفاتها التي لا تكمل السبعية إلا بها مثل الأظفار والجرأة العظيمة والاغتيال بالقهر، وجعلت تلك الأوصاف كلها مجازاً للمنية كما كانت للسبع حقيقة، وإلاّ لما صح التجوّز. فلو قيل مثلاً: المنية سبع لا ناب لها ولا ظفر ولا جرأة ولا اغتيال لقبح ذلك كل القبح عند كل ذي ذوق سليم، فكذلك يقال في الكسب الذي هو وصف العبد مع القدرة، فإن سمينا وصف العبد قدرة لكونه له نسبة جعلية في وجود الفعل، كما أن القدرة نسبة ذاتية في ذلك، فلنجعل لذلك الكسب الذي سميناه قدرة تأثيراً مجازياً يناسبه وإلاّ بطل تسميته قدرة كما بطل تسمية المنية سبعاً من غير اثبات أوصاف السبع لها، ولأجل هذا مع تنزيه أوصاف الحق تعالى أن ينسب شيء منها إلى العبد تحاشى الأقدمون من أهل السنّة والسلف الصالح عن تسمية وصف العبد قدرة، فلا تكاد تسمع في مؤلفاتهم إلا الكسب حتى تجاسر على اطلاق القدرة المتأخرون، ورأوا أن لا فريق بينه وبين القدرة، ولم يتجاسروا على اطلاق التأثير على نسبته إلى الفاعل تباعداً عن قول القدرية بخلق العبد أفعاله، فقالوا: قدرة لا تأثير لها فأثبتوا للعبد قدرة فراراً من قول الجبرية. وقالوا: لا تأثير لها فراراً من قول القدرية. ولعمري انها لعبارة حسنة في بادىء الرأي متوسطة بين قولي الافراط والتفريط، وأنها إذا حكت على معيار التحقيق وطولب صاحبها كل المطالبة أدت إلى شيء لا يدرك له صاحبه معنى ولا يجد له مفهوماً، ثم قال: ولقد تكلمت مع بعض من زعم أنه ألف في الرد عليه فقال لي: إني حرت في كلام هذا الرجل فبينما أنا أقول هو قدري محض لما يظهر من كلامه إذ رجع رأيي فيه إلى أنه جبري محض، فلا أدري من أي الجهتين هو، وقد حرت في أمره.

قلت: شهدت له ورب الكعبة بالسنيّة وأنت لا تشعر لأن أقوى دليل على كون معتقد العبد موافقاً للسنة في هذه المسألة كونه ليس مع أحد الجانبين، ودليل كونه في غاية التوسط الذي هو غاية التحقيق كذلك كلما اعتبرته مع أحد الطرفين ظننته أقرب إليه من الآخر كقطب الرحى ومركزها، فعلامة توسطه أنك كلما اعتبرته مع قطر من أقطارها ظننته أقرب إليه من الآخر، وهكذا كلام هذا العارف إذا سمعت قوله: لقدرة العبد تأثير. قلت: هذا قريب من مذهب القدرية، وإذا سمعت قوله: إنما هي قدرة واحدة ولا قدرة للعبد أصلاً، إنما يظهر من أثر قدرة الحق في محله. قلت: هذا قريب من مذهب الجبرية، وهذا لعمري غاية التحقيق لمن علمه اهـ. وقد أطال فيه جداً واقتصرت منه على قدر الحاجة، وإن كان كله حسناً.

تكميل في بيان ابطال التولد:

قال ابن التلمساني في شرح لمع الأدلة: ولما زعمت المعتزلة أن العبد خالق لفعله ومستقل به، وكان من حكم القدرة الحادثة أن لا تؤثر مباشرة إلا في محلها، وقد نسبت إلى العبد أفعال خارجة عن محل قدرته كالحرق والخرق والقطع وغير ذلك، وترتب عليه المدح والذم والثواب والعقاب قالوا: هو مقدور للعبد بواسطة القدرة على سببه وسموه متولداً كحركة الخاتم عند تحريك الأصبع، فالسبب والمسبب مقدوران معاً للعبد عندهم، إلاّ أن أحدهما مباشر والآخر بالتوسط، ثم عدد المتولدات أربعة أنواع: المتفق عليه منها الوهي المولد للآلام، والنظر المولد للعلم، والتقريب على وجه مخصوص كتقريب الشمع من النار، واختلفوا في الرابع وهو الموجب لهوى الثقيل هل هو الاعتماد أو الحركة؟ فزعم أبو هاشم أن الموجب هو الاعتماد، وزعم الجبائي أن الموجب هو الحركة، وهذا المذهب هو عين مذهب أرباب الطبائع، فإن السبب عندهم يوجب أثره إلا أن يمنعه مانع، والمعتزلة تزعم أن السبب المولد يقتضي أثره إلا أن يمنع منه مانع ولم يعطوه حكم العلة العقلية، فإنه لا يصح تأخر مقتضاها عنها، وإذا ثبت أن الله خالق كل شيء بطل التولد، فإنهم إنما أثبتوه من آثار القدرة الحادثة. أما قادرية القديم سبحانه فنسبتها إلى جميع ما يحصل بها نسبة واحدة، فإنه تعالى لا يفعل إلا خارج ذاته. ونقل في الشامل الاتفاق من المعتزلة على أن التولد عندهم فعل فاعل السبب، ونوقش في دعوى الاجماع فهم مع قول النظام أن من المولدات ما يضاف إلى الله تعالى لا على أنها فعله، ولكنه خلق سببها وهي تقتضي لذاتها أثرها. ونقل عن حفص الفرد منهم أن ما يقع مبايناً بمحل القدرة على قدر اختيار المتسبب فهو فعل لفاعل السبب كالقطع والعضد وما لا يقف على قدر اختياره كالهوى عند الدفع للحجر، فليس من فعله، واختلفوا في وقت تعلق القدرة بالمولد، فذهب أكثرهم إلى أنه لا يزال مقدوراً إلى حين وقوع سببه، فيجب حينئذ به وينقطع أثر القدرة عنه، ومنهم من قال: إنما ينقطع أثر القدرة إذا وقع، وأما وجود سببه فلا يمنع كونه مقدوراً. واتفق جمهورهم على أن الألوان والطعوم لا تقع مولدة. وذهب ثمامة إلى أن الحوادث التي حكموا بأنها مولدة حادثة ولا فاعل لها ألبتة، وهذا يقدح في دلالة وجود الصانع، واتفقوا على أن المولدات كلها خارجة عن محل القدرة إلا النظر، فإنه يولد العلم بالذات، ومما تمسك به أهل السنّة في ابطال التولد أن قالوا هذه الأفعال المحكوم عليها بأنها متولدة لا تخلو إما أن تكون مقدورة لفاعل السبب أو غير مقدورة له والقسمان باطلان، فالقول بالتولد باطل أما الحصر فضروري، وأما ابطال انها مقدورة لفاعل السبب فلأن الأثر عندهم واجب عند وجود سببه، فلو كان مقدوراً للزم وقوع أثر بين مؤثرين، وأنه محال، وأما إن كان غير مقدور له، فإما أن يكون لها فاعل غيره أولا. الأوّل: تسليم المسألة. والثاني: يقدح في دلالة احتياج الصنع إلى الصانع وبالله التوفيق.

الأصل الثالث: أن فعل العبد وإن كان كسباً للعبد فلا يخرج عن كونه مراداً لله سبحانه، فلا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر إلا بقضاء الله وقدرته وبإرادته ومشيئته. ومنه الشر والخير، والنفع والضر، والإسلام والكفر، والعرفان والنكر، والفوز والخسران، والغواية والرشد، والطاعة والعصيان، والشرك والإيمان. لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿لا يُسْأَلُ عما يَفْعَلُ وهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة: «ما شاء كان وما

(**الأصل الثالث: أن فعل العبد وإن كان كسباً للعبد**) باعتبار نسبته إليه (**فلا يخرج عن كونه مراداً لله سبحانه**) اتفق أهل السنّة والجماعة على أن صانع العالم جل وعلا مريد لجميع الكائنات من خير وشر وإيمان وكفر، ضرورة أنه جل وعلا فاعل للكل فيكون مريداً للكل ضرورة أنه فاعل بالاختيار، وأيضاً فهو عالم بما لا يقع فلا يريده لأن الإرادة صفة توجب تخصيص الحادث بحالة حالة حدوثه عند تعلق القدرة، فما علم انه لا يقع محال أن يقع، وإن كانت إحالته بالغير، وكل ما هو محال أن يقع ولو بالغير لا تتعلق به إرادته إذ لو تعلقت إرادته به على ذلك التقدير لكان متمنياً. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً. وقد زاد المصنف لذلك ايضاحاً فقال: (**فلا يجري في الملك**) أي العالم السفلي (**والملكوت**) أي العالم العلوي (**طرفة عين ولا فلتة خاطر ولا لفتة ناظر**)، وبين الفلتة واللفتة جناس القلب (**إلا بقضاء الله وقدره**)، والقضاء عند الأشاعرة يرجع إلى الإرادة والقدر إلى الخلق، كما في شرح المواقف. وعند الماتريدية هما غير الإرادة، فالقضاء بمعنى الخلق، والقدر بمعنى التقدير خلافاً للأشاعرة وغير العلم خلافاً للفلاسفة كما سيأتي، (**وبإرادته ومشيئته**) عطف تفسير للإرادة، فإرادته تعالى متعلقة بكل كائن غير متعلقة بما ليس بكائن، ثم بيّن تلك الحوادث التي تقع مرادة لله تعالى فقال: (**ومنه**) تعالى (**الشر والخير**) هكذا في النسخ بتقديم الشر على الخير، وفي بعضها بتقديم الخير وهو الأوفق لما بعده من الفقر، (**والنفع والضر**)، والحلو والمر، (**والإسلام والكفر، والعرفان والنكر، والفوز والخسران، والغواية والرشد، والطاعة والعصيان، والشرك والإيمان**) وكل مما ذكر ضد لصاحبه (**لا رادّ لقضائه**) الذي قضاه وأراده، (**ولا معقب لحكمه**) الذي أمضاه ودبره، (**يضل من يشاء**) أن يضل لاستحبابه الضلال وصرف اختياره إليه (**ويهدي من يشاء**) أي يهديه لصرف اختياره إلى الهداية، وتسمية بعض الكائنات شراً بالنسبة إلى تعلقه وضرره لنا لا بالنسبة إلى صدوره عنه، فخلق الشر ليس قبيحاً إذ لا قبيح منه تعالى: (**لا يُسأل عما يفعل**) في خلقه (**وهم يُسألون**) [الأنبياء: ٢٣] عن أعمالهم مقهورون تحت قبضة قدرته. هذا مذهب أهل الحق. وذهبت المعتزلة إلى أن الأمر أنف وقضوا بأن للخير فاعلاً وللشر فاعلاً. وقد قال ابن عمر: أنهم مجوس هذه الأمة لذلك، وقد صاروا إلى أن كل مطلوب فعله من واجب أو مندوب فهو مراد الله تعالى وقع أو لم يقع، وكل منهي عنه نهي تحريم أو تنزيه فهو مكروه، وما ليس كذلك من أفعال العباد لا يوصف بأنه مراد لله تعالى ولا

لم يشأ لم يكن». وقول الله عز وجل: ﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً﴾

مكروه، وقد تعلقوا في تمسكهم بقوله تعالى: ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ [غافر: ٣١] ﴿وما الله يريد ظلماً للعالمين﴾ [آل عمران: ١٠٨] قالوا إرادته ظلمهم لأنفسهم، ثم عقابهم عليه ظلم فهو منزه عنه سبحانه وتمسكوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾ [الأعراف: ٢٨] وقوله تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ [الزمر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿والله لا يحب الفساد﴾ [البقرة: ٢٠٥] قالوا: والفساد كائن والمحبة تلازم الإرادة، بل ليست غيرها، فالفساد ليس بمراد وتمسكوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] دلّ على أنه أراد من الكل العبادة والطاعة لا المعصية، وهذا بناء منهم على أن الأمر والنهي يرجعان إلى الإرادة وعدم مغايرة أحدهما للآخر، وقالوا: إرادة القبيح قبيحة والأمر بغير المراد والمرضي والمحبوب سفه وهو محال على الله تعالى، وسيأتي الجواب عن كل ذلك ولنا في الاستدلال على أن إرادته تعالى متعلقة بكل كائن غير متعلقة بما ليس بكائن من جهة النقل ومن جهة العقل، ثم شرع في الاحتجاج بالنقل وقرره بالاجماع ونصوص الكتاب، فأشار إلى الأوّل بقوله: (**ويدل عليه من النقل قول الأمة قاطبة**) سلفها وخلفها واجماعهم على كلمة لا يجحدها معتز إلى الإسلام قبل ظهور الاعتزال وبدعهم، وهو قولهم: (**ما شاء**) الله (**كان وما لم يشأ لم يكن**) وهي تلزمها ثلاث قضايا باعتبار العكس نقيضاً وتساوياً، والمعتزلي يقول: ما شئت كان وما شاء الله لم يكن، وهذه الكلمة دالة في عموم إرادته لسائر الكائنات. (**وقول الله عز وجل: أن لو يشاء الله لهدى الناس جيعاً**) [الرعد: ٣١] أي لكنه شاء هداية بعض وإضلال بعض، كما دل عليه قوله: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ [الإنسان: ٣٠ والتكوير: ٢٩] وهم قد شاؤوا المعاصي وفاقاً، فكانت بمشيئة الله تعالى بهذا النص النافي لأن يشاؤوا شيئاً إلا أن يشاء الله سبحانه، وفيه دليل على أنه لا دخل لمشيئة العبد إلا في الكسب، وإنما الايجاد بمشيئة الله وتقديره وكذلك قوله تعالى ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ [النحل: ٩]، وقوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ [هود: ١١٨] وفيها دليل ظاهر على أن الأمر غير الإرادة وأنه تعالى لم يرد الايمان من كل أحد، وإن ما أراده يجب وقوعه كما في تفسير البيضاوي، وقوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وفيه تصريح بتعلق إرادته بالهداية والاضلال، وقوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن مَن في الأرض كلهم جيعاً﴾ [يونس: ٩٩]، وفيه دليل على كمال قدرته ونفوذ مشيئته أنه لو شاء لآمن من في الأرض كلهم، فلا يبقى فيها إلا مؤمن موحد، ولكنه شاء أن يؤمن به من علم منه اختيار الإيمان به وشاء أن لا يؤمن به من علم أنه يختار الكفر ولا يؤمن به كما في التيسير. وقوله تعالى: ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله﴾ [الأنعام: ١١١]، وفيه دليل على أن الآية، وإن عظمت فإنها لا تضطر إلى الإيمان، ومن علم الله منه اختيار الايمان شاء له ذلك، ومن علم منه اختيار الكفر والاصرار عليه شاء له ذلك، كما في التأويلات الماتريدية. وقوله تعالى:

[الرعد: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣] ويدل

﴿يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾ [فاطر: ٨] وهو دليل ظاهر على أن الهداية والاضلال بخلق الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ [الأعراف: ٨٩]، فيه دليل على أن الكفر بمشيئة الله تعالى كما في تفسير البيضاوي، فقد خاف شعيب أن يكون سبق منه زلة أو تقصير يقع منه الاختيار لذلك فيشاء الله ذلك، وإن كانوا معصومين لكنهم خافوا ذلك، وكان خوفهم أكثر من خوف غيرهم كما في التيسير والتأويلات الماتريدية، وفيه أيضاً دليل على أن الكفر ليس بمحبته ولا رضاه كما في الارشاد وقوله تعالى: ﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ [طه: ٨٥] أي عاملناهم معاملة المختبر ليظهر منهم بفعلنا ما كان في علمنا وتقديرنا أنهم يفعلونه، وقوله تعالى: ﴿فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ [النحل: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾ [القصص: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ [هود: ٣٤]، هو دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء، وأن خلاف مراده محال كما في تفسير البيضاوي، وقوله تعالى: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ [يوسف: ٢٤]، وفيه دليل على أن الأعمال بخلق الله تعالى وقضائه وقدره، وإليه أشير بصرف السوء عنه، وأن همّ يوسف ليس بهمّ عزم بل هَمُّ خطرة ولا منع فيما يخطر بالقلب وهو قول الحسن، فهذه الآيات مجموع ما تمسك به الأصحاب. وفي شرح المقاصد: وللمعتزلة في تلك الآيات تأويلات فاسدة وتعسفات باردة يتعجب منها الناظر، ويتحقق أنهم محجوبون وبوصفها محقوقون ولظهور الحق في هذه المسألة يكاد عامتهم به يعترفون ويجري على ألسنتهم إن ما لم يشأ الله لا يكون، ثم العمدة القصوى لهم في الجواب عن أكثر الآيات حمل المشيئة على مشيئة القسر والالجاء، وحين سئلوا عن معناها تحيَّروا، فقال العلامة: معناها خلق الايمان والهداية فيهم بلا اختيار منهم، وردَّ بأن المؤمن حينئذ يكون هو الله لا العبد على ما زعمتم من إلزامنا لما قلنا بأن الخالق هو الله تعالى مع قدرتنا واختيارنا وكسبنا، فكيف بدون ذلك؟ فقال الجبائي: معناها خلق العلم الضروري بصحة الإيمان وإقامة الدلائل المثبتة لذلك العلم الضروري، وردّ بأن هذا لا يكون إيماناً والكلام فيه على أن في بعض الآيات دلالة على أنهم لو رأوا كل آية ودليل لا يؤمنون ألبتة، فقال إبنه أبو هاشم: معناها أن يخلق لهم العلم بأنهم لو لم يؤمنوا لعذبوا عذاباً شديداً، وهذا أيضاً فاسد لأن كثيراً من الكفار كانوا يعلمون ذلك ولا يؤمنون، على أن قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [السجدة: ١٣]، يشهد بفساد تأويلاتهم لدلالته على أنه إنما لم يهد الكل لسبق الحكم بملء جهنم، ولا خفاء في أن الايمان والهداية بطريق الجبر لا يخرجهم عن استحقاق جهنم عندهم وبالله التوفيق.

ثم أشار المصنف إلى الثاني وهو دليل العقل بقوله: (**ويدل عليه**) أي على ما ادعيناه من

عليه من جهة العقل أن المعاصي والجرائم إن كان الله يكرهها ولا يريدها، وإنما هي جارية على وفق إرادة العدوّ إبليس لعنه الله مع أنه عدوّ لله سبحانه، والجاري على وفق إرادة العدوّ أكثر من الجاري على وفق إرادته تعالى، فليت شعري كيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذي الجلال والإكرام إلى رتبة لو ردت إليها رئاسة زعيم ضيعة لاستنكف منها، إذ لو كان ما يستمر لعدوّ الزعيم في القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته. والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف إرادة الحق تعالى، وهذا غاية الضعف والعجز، تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوًّا كبيراً، ثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صح أنها مرادة له.

تعلق الإرادة بكل كائن (**من جهة العقل**) هو (**أن المعاصي والجرائم إن كان الله يكرهها ولا يريدها وإنما هي جارية**) وواقعة (**على وفق إرادة العدوّ**) الأكبر (**إبليس لعنه الله مع أنه عدوّ لله سبحانه**) بنص الكتاب والسنّة، (**والجاري على وفق إرادة العدوّ**) المذكور كما لا يخفى (**أكثر من الجاري على وفق إرادته**) عز وجل من الطاعات الجارية على مراده عز وجل. لزم رد ملك الجبار إلى رتبة خسيسة. (**فليت شعري كيف يستجيز المسلم**) العاقل، أي: كيف يرى جائزاً (**أن يرد ملك الجبار**) تعالى شأنه (**ذي الجلال والإكرام**) والعظمة والإنعام (**إلى رتبة لو ردّت إليها**) أي إلى تلك الرتبة (**رئاسة زعيم**) أي كفيل (**ضيعة**) أي قرية (**لاستنكف**) ذلك الزعيم (**منها**) وفي بعض النسخ: عنها. وذلك (**إذ لو كان يستمر**) أي يدوم مطرداً (**لعدوّ**) ذلك (**الزعيم في**) محل مملكته وولايته أي تلك (**القرية**) وقوع مراد عدوّه (**أكثر مما يستقيم له**) أي: الزعيم (**لاستنكف من زعامته**) أي رئاسته وكفالته بأمور أهل تلك القرية، (**وتبرأ عن ولايته**) لها (**والمعصية**) كما لا يخفى (**هي الغالبة على الخلق**) والطاعات هي الأقل، (**وكل ذلك جار عند المبتدعة**) أي المعتزلة ومن تبعهم من أهل الأهواء (**على خلاف إرادة الحق**) تعالى. (**وهذا غاية الضعف والعجز. تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوًّا كبيراً**). وحاصل هذا الجواب: أن العقول قد قضت بأن قصور الإرادة وعدم نفوذ المشيئة من أصدق الآيات الدالة على سمات النقص والاتصاف بالقصور والعجز، ومن ترسم للملك ثم كان لا ينفذ مراده في أهل مملكته عدّ ضعيف المنة مضياعاً للفرصة، فإن كان ذلك يزري بمن ترسم للملك فكيف يجوز في صفة ملك الملوك ورب الأرباب؟ هكذا سياق إمام الحرمين في اللمع، ويعني من سياقه أن أكثر أفعال العباد واقعة على ما يدعو إليه الشيطان ويريده، والطاعات التي يدعو إليها الله تعالى ويريدها هي الأقل، فإذا كان الأكثر واقعاً على خلاف مراد الله تعالى اقتضى ذلك نقصاً في الملك وقصوراً وعجزاً، وهذا هو المحتج به على الوحدانية وقد نقضه المعتزلة إذ قالوا: إن الله تعالى يريد الإيمان والطاعة ولا يقع مراده، والعبيد يريدون الكفر والعصيان ويقع مرادهم. (**ثم مهما ظهر**) لك واتضح

....

(**أفعال العبد**) بأسرها أدقها وجلها (**مخلوقة لله تعالى**) ومخترعة له، وإن نسب بعضها إلى العباد بطريق الكسب بالدلائل الواضحة السابقة (**صح أنها مرادة له**) تعالى والكل منه. وأما الجواب عما أورده متمسكاً لهم عن الآيات السابق ذكرها فقولهم: ظلم العباد كائن منهم بلا شك فهو ليس مراداً له بدليل قوله تعالى: ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ [غافر: ٣١]، والجواب عنه: أنه تعالى نفى إرادته ظلم العباد وهو لا يستلزم نفي إرادته ظلم العباد أنفسهم، فليس المنفي في الآية إرادة ظلم بعضهم بعضاً، فإنه كائن ومراد، وأما عن تمسكهم بقوله تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ [الزمر: ٧]، وقوله: ﴿والله لا يحب الفساد﴾ [البقرة: ٢٠٥]، فهو أنه لا تلازم بين الرضا والمحبة وبين الإرادة كما ادعوه، إذ قد يريد الواحد منا ما يكره تعاطيه لبشاعة طعمه أو مرارته، وأيضاً فالرضا ترك الاعتراض على الشيء لا إرادة وقوعه، والمحبة إرادة خاصة وهي ما لا يتبعها تبعة ومؤاخذة، والإرادة أعم فهي منفكة عنها فيما إذا تعلقت بما تتبعه تبعة ومؤاخذة. وقرره ابن التلمساني على تسليم أن رضاه إرادته وتخصيص لفظ عباده بالمؤمنين بالمخلصين لعبادته وجعل الإضافة فيه للتشريف.

وأجيب عن قولهم: أن ارادة الظلم من العبد ثم عقابه عليه ظلم بالمنع مسنداً بان الظلم هو التصرف في ملك الغير من غير رضا من المالك، أما في ملك نفسه فلا. وأجيب عن استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذرايات: ٥٦] بمنع دلالة لام الغرض على كون ما بعدها مراداً، بل معنى الآية لنأمرهم بالعبادة، ولئن سلم فلا نسلم عموم الآية للقطع بخروج من مات على الصبا والجنون، والعام إذا دخله التخصيص صار عند المعتزلة مجملاً في بقية افراده فلا يصلح دليلاً عندهم، فليخرج من مات على الكفر كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾ [الأعراف: ١٧٩] والتحقيق ان الحصر في الآية إضافي، والمقصود به أنه خلقهم لعبادته لا ليعود إليه منهم نفع كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ [الذاريات: ٥٧] وليس حصراً حقيقياً كما فهموه فتأمل. وربما احتجوا بقوله تعالى: ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾ إلى قوله: ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ [الأنعام: ١٤٨] ووجه تمسكهم من الآية أن الله تعالى رد على الكفار قولهم: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾ يعني فقد وبخهم الله تعالى على هذا القول، ولو كان حقاً لما وبخهم عليه. والجواب إنما رد الله تعالى قولهم لأنهم قالوه استهزاء بما طرق اسماعهم من حملة الشريعة من تفويض الأمور كلها لله تعالى، ولم يقولوه عن عقد جازم، والدليل قوله تعالى في آخر الآية: ﴿إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾ [الأنعام: ١٤٨] فثبت أنهم قالوه ظناً وخرصاً لا عن عقد جازم، ومما يتمسكون به قوله تعالى: ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء. ٧٩] نسب الحسن إلى الله تعالى والسيء إلى فعل العبد. والأشعرية تنسب الجميع إلى الله تعالى وهو خلاف نص الآية. والجواب أن هذه الآية غير مشعرة بمحل النزاع، فإن الآية التي أشعرت بها هي خلق الله تعالى النفع والضر وليس من المتكسبات، بل الكل

فإن قيل: فكيف ينهي عما يريد ويأمر بما لا يريد؟ قلنا: الأمر غير الإرادة. ولذلك إذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان ـ فأراد إظهار حجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه ـ فقال له: أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان، فهو يأمره بما لا يريد امتثاله، ولو لم يكن آمراً لما كان

من عند الله كما دل عليه سياق الآية. وسببها أن كفار قريش كانوا إذا رأوا خصباً قالوا: هذا من عند الله، وإذا رأوا جدباً قالوا هذا بشؤم دعوة محمد، فرد الله عليهم وقال: ﴿قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ [النساء: ٧٨] ونظيره قوله في قوم موسى عليه السلام: ﴿وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ [الأعراف: ١٣١] ومعنى قوله: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾ أي فبمحض فضل الله: ﴿وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ أي بسبب جريمة اقترفتها جزاء. وأما الجواب عن تمسكهم بقوله تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ [الزمر: ٧] و ﴿ان الله لا يأمر بالفحشاء﴾ [الأعراف: ٢٨] فقد أشار إليه المصنف في صورة سؤال وجواب يفهم منه المقصود قال:

(فإن قيل: كيف ينهى) الله **(عما يريد ويأمر بما لا يريد)** أي: كيف يأمر أحد عبده بشيء ويريد منه خلافه، فهو صريح بأنه أمر الكفار بالإيمان وأراد الكفر. **(قلنا: الأمر غير الارادة)** وأن لا تلازم بينهما كما لا تلازم بين الرضا والمحبة وبين الإرادة، وهم قد بنوا مذهبهم على أن الأمر والنهي يرجعان إلى الإرادة، والحق مغايرة أحدهما عن الآخر. وان الله تعالى قد أمر العصاة والكفار بالإيمان ولم يرد إيمانهم، ومثار الغلط أن الإرادة تطلق على الرضا والسخط وكل مأمور به فهو رضا الله تعالى بمعنى انه يثني على فاعله ويمدحه ويثيبه ويريد به الزلفى والقربى وضده بخلاف ذلك ومعنى كراهيته له أنه لا يثني على فاعله بل يذمه ويريد عقابه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ وليس معناه أن الله تعالى لم يقدره عليهم، ثم هم في هذا السؤال مقابلون بالعلم. فإذا قالوا: كيف أمر الله الكافر بالإيمان ويريد منه الكفر؟ قلنا: كيف أمره بالإيمان ويعلم منه الكفر؟، فإنه لا يذعن أبداً للدهر فيكف يستمر لهم كلامهم مع تسليم العلم، وقد ضرب المصنف على اثبات هذا المدعي مثلاً ليقربه إلى الأذهان فقال: **(ولذلك إذا ضرب السيد عبده)** ضرباً مبرحاً **(فعاتبه السلطان عليه)** أي على ضربه له وبكته وهدده بالقتل لمجاوزته الحد في ضرب العبد، **(فاعتذر)** سيد العبد أي أقام لنفسه عذراً **(بتمرد عبده عليه)** أي: إنما ضربته لأنه لم يمتثل أمري، **(فكذبه السلطان)** ولم يصدقه **(فأراد)** السيد في هذه الحالة **(إظهار حجته بـأن يأمر عبده)** المذكور **(بفعل)** شيء ونهاية أمانيه، ومراده أن **(يخالفه بين يديه)** ولا يمتثل العبد ذلك ليقرر عذره، **(فقال له: أسرج هذه الدابة)** أي ضع عليها السرج **(بمشهد من السلطان)** أي بمحضر منه **(فهو يأمره بما لا يريد إمتثاله ولو لم يكن آمرا لما كان عذره عند السلطان ممهداً، ولو كان مريداً لامتثاله**

عذره عند السلطان ممهداً، ولو كان مريداً لامتثاله لكان مريداً لهلاك نفسه وهو محال.

لكان مريداً لهلاك نفسه وهو محال). فقد تحقق انفكاك الأمر عن الإرادة، وبطل قولهم يستحيل أن يأمر أحد عبده بشيء ويريد خلافه، فالمعاصي واقعة بإرادته ومشيئته لا بأمره ورضاه ومحبته لما قررنا.

قلت: وأصحابنا معاشر الماتريدية لم يرتضوا بهذا الاستدلال المشهور بين المتكلمين الذي أورده المصنف من ان المعتذر من ضربه بعصيانه قد يأمر ولا يريد منه الفعل، وكذا الملجىء إلى الأمر قد يأمر ولا يريد الفعل المأمور، بل يريد خلافه ولا يعد سفهاً. وأوردوا عليه المنع من أن الموجود فيه مجرد صيغة الأمر من غير تحقق حقيقة. وقد روى محمد بن الحسن عن الإمام ما نصه: والأمر أمر إن أمر الكينونة. إذا أمر شيئاً كان، وأمر الوحي وهو ليس في إرادته وليس إرادته في أمره أي: فأشار إلى منع استلزامه للإرادة، ومنع أن الأمر بخلاف ما يريده يعد سفهاً، وإنما يكون كذلك لو كان فائدة الأمر منحصراً في الإيقاع المأمور به وهو ممنوع، وتصديق ذلك قول إبراهيم لابنه ﴿إني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى﴾ إلى قوله: ﴿من الصابرين﴾ [الصافات: ١٠٢] ولم يقل ﴿ستجدني﴾ صابراً من غير **(إن شاء الله تعالى)** ولو استلزم الأمر الإرادة لما كان للاستثناء موقع فإن أمر إبراهيم بذبح ابنه يستلزم الأمر بالصبر عليه لابنه، فلو كان الذبح مستلزماً لإرادته من إبراهيم كان الصبر من ابنه مراداً أيضاً بدلالة الأمر، فلا يبقى لتعلقه بالمشيئة والإرادة وجه، فكان ذلك أمره تعالى ولم يكن من إرادته تعالى ذبحه. وقد بينه أبو منصور الماتريدي في التأويلات، وهذا أحسن ممن استدل به المصنف وغيره في كتبهم فتأمل ذلك بإنصاف. وفي الإرشاد لإمام الحرمين: من حقق من أئمتنا لم يكع عن تهويل المعتزلة. وقال: المحبة بمعنى الإرادة وكذلك الرضا، فالرب تعالى يحب الكفر ويرضاه كفراً معاقباً عليه اهـ.

ونقل بمعناه عن أبي الحسن الأشعري: لتقارب الإرادة والمحبة والرضا في المعنى لغة، فإن من أراد شيئاً أو شاءه فقد رضيه وأحبه. قال ابن الهمام: وهذا الذي يفهم من سياق إمام الحرمين خلاف كلمة أكثر أهل السنّة لتصريحهم بأن الكفر مراد له وأنه لا يحبه ولا يرضاه، وأن المشيئة والإرادة غير المحبة والرضا، وأن الرضا ترك الاعتراض والمحبة إرادة خاصة، وبعض أهل السنّة مشى على أن كلاً منها إرادة خاصة وفسر الرضا بأنه الإرادة مع ترك الاعتراض. قال: وهذا المنقول عن إمام الحرمين والأشعري لا يلزمهم به ضرر في الاعتقاد إذ كان مناط العقاب وهو مخالفة النهي وإن كان متعلقه محبوباً، لكنه خلاف النصوص التي سمعت في كتاب الله عز وجل من قوله: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ [الزمر: ٧] وقوله: ﴿فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾ [آل عمران: ٣٢] ومثله متعلق بمبدأ الاشتقاق وهو هنا الكفر، فيكون المعنى لا

يجب كفرهم. ثم نقل الفرق بين المشيئة والإرادة عند أبي حنيفة فقال: ونقل عن أبي حنيفة رحمه الله ما يدل على جعل الارادة عنده من جنس الرضا والمحبة لا من جنس المشيئة لدخول معنى الطلب عنده في مفهوم الإرادة دون مفهوم المشيئة. روي عنه أن من قال لامرأته: شئت طلاقك ونواه بهذا اللفظ طلقت. ولو قال: أردته أو أحببته أو رضيته ونواه في كل من الصور الثلاث لا يقع. وبناه على إدخال معنى الطلب والميل في مفهوم الإرادة والرضا والمحبة كل منها محبوب. قال: وهذا أيضاً خلاف ما عليه الأكثر.

قلت: وتعقب عليه الملاّ علي في شرح الفقه الأكبر فقال: وما ذكره ابن الهمام في المسايرة من أنه نقل عن أبي حنيفة الـخ فمحمول على تفرقة هذه الصفات في العباد، فليس كما قال انه مخالف ما عليه أكثر أهل السنة. وهذا نص الإمام رضي الله عنه في الوصية. والأحكام ثلاثة: فريضة وفضيله ومعصية. فالفريضة بأمر الله ومشيئته ومحبته ورضائه وقضائه وقدره وعلمه وحكمه وتوفيقه وكتابته في اللوح المحفوظ. والفضيلة ليست بأمر الله تعالى ولكن بمشيئته ومحبته وقضائه ورضائه وقدره وعلمه وحكمه وتوفيقه وكتابته في اللوح المحفوظ. والمعصية ليست بأمر الله تعالى ولكن بمشيئته لا بمحبته وقضائه لا برضاه وبتقديره لا بتوفيقه وخذلانه وعلمه وكتابته في اللوح المحفوظ. فتقدير الخير والشر كله من الله تعالى اهـ.

تنبيه:

قال ابن الهمام في المسايرة مع شرحه: فإن قيل: حاصل ما ذكرتم أن المعاصي واقعة بقضاء الله تعالى، وقد تقرر أنه يجب الرضا بالقضاء اتفاقاً فيجب حينئذ الرضا بالمعاصي وهو باطل إجماعاً. قلنا: الملازمة بين وجوب الرضا بالقضاء وبين وجوب الرضا بالمعاصي ممنوعة فلا يستلزم الرضا بالقضاء الرضا بها. بل يجب الرضا بالقضاء لا المقضي إذا كان منهياً عنه لأن القضاء صفة له تعالى والمقضي متعلقها الذي منع منه سبحانه ثم وجد على خلاف رضاه تعالى من غير تأثير للقضاء في إيجاده ولا سلب مكلف قدرة الامتناع عنه. بل وجد على مجرد وجه المطابقة للقضاء. قال شارحه: وهو جواب مشهور. وقد أورد عليه أنه لا معنى للرضا بصفة من صفات الله تعالى إنما الرضا بمقتضى تلك الصفة وهو المقضى. فحينئذ فاللائق أن يجاب بأن الرضا بالكفر لا من حيث ذاته بل من حيث هو مقضي. وقد أوضحه السيد في شرح المواقف فقال: إن للكفر نسبة إلى الله تعالى باعتبار فاعليته له وإيجاده إياه ونسبة أخرى إلى العبد باعتبار محليته له واتصافه به، وإنكاره باعتبار النسبة الثانية دون الأولى، والرضا به باعتبار النسبة الأولى دون الثانية والفرق بينهما ظاهر، فإنه ليس يلزم من وجود الرضا بشيء باعتبار صدوره عن فاعله وجوب الرضا به باعتبار وقوعه صفة لشيء آخر إذ لو صح ذلك لوجب الرضا بموت الأنبياء من حيث وقوعه صفة لهم وانه باطل إجماعاً وبالله التوفيق.

استطراد: قول المعتزلة إرادة القبيح قبيحة هو بالنسبة إلينا أما بالنسبة إليه سبحانه فليست

....

كذلك، فإنها قد تكون مقرونة بحكمة تقتضي ذلك مع أنه مالك الأمور على الاطلاق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. وحكي أن القاضي عبد الجبار الهمداني أحد شيوخ المعتزلة دخل على الصاحب بن عباد وعنده الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايني أحد أئمة أهل السنّة فلما رأى الاستاذ قال: سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال الاستاذ فوراً: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، فقال القاضي: أيشاء ربنا أن يعصى؟ قال الأستاذ: أيعصى ربنا قهراً؟ فقال القاضي: أرأيت ان منعني الهدى وقضى علي بالردي أحسن إليّ أم أسيء؟ فقال الاستاذ: إن منعك ما هو لك فقد أساء وان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء، فبهت القاضي وعلى هذا قول أحد الزنادقة:

أيا علماء الدين ذمي دينكم ... تحير دلوه بأوضح حجةِ
إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ... ولم يرضه منه فما وجه حيلتي

وقد قيل: إن قائل هذا الكلام هو آمن البقتي المقتول على الزندقة في زمن شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد، وأوّل من أجاب عنه الإمام علاء الدين الباجي وخلاصته: أن الواجب الرضا بالتقدير لا بالمقدور، وكل تقدير يرضى به لكونه من قبل الحق، ثم المقدور ينقسم إلى ما يجب الرضا به كالإيمان وإلى ما يحرم الرضا به ويكون الرضا به كفراً كالكفر وإلى غير ذلك. قال ابن السبكي في الطبقات: وقد أخذ أهل العصر هذا الجواب فنظموه على طبقاتهم في النظم والكل مشتركون في جواب واحد فمن ذلك جواب الشيخ تقي الدين بن تيمية، والشمس ابن اللبان، والنجم أحمد بن محمد الطوسي، والعلاء القونوي، وفي الكل تطويل لا يليق إيراده بهذا الموضع، وقد أوردها ابن السبكي بتمامها فراجع الطبقات. ومن جملة ذلك جواب العلامة محمد بن أسعد تلميذ القاضي البيضاوي أورده ابن الهمام في المسايرة وفيه بيتان:

فمعنى قضاء الله بالكفر عمله ... بعلم قديم سر ما في الجبلةِ
واظهاره من بعد ذاك مطابقاً ... لإدراكه بالقدرة الأزلية

وحاصله: أن معنى قضائه تعالى علمه الأشياء أزلاً بعلمه القديم، ومعنى قدره إظهاره أي إيجاده تعالى بقدرته الأزلية ما تعلق علمه بوجوده على الوجه المطابق لتعلق العلم بوجوده والله أعلم.

غريبة:

قال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ [المزمل: ١٩، الإنسان: ٢٩] أن هذه الآية من جملة الآيات التي تلاطمت فيها أمواج القدر والجبر، فالقدري يتمسك بالآية ويقول: إنه صريح مذهبي ونظيره: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف: ٢٩] والجبري يقول: متى ضمت هذه الآية إلى الآية التي بعدها خرج منه صريح مذهب الجبر. وذلك لان قوله تعالى: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا﴾ يقتضي أن تكون مشيئة

....

العبد متى كانت خالصة مستلزمة للفعل، وقوله بعد ذلك: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ [التكوير: ٢٩] يقتضي كون مشيئة الله مستلزمة لمشيئة العبد ومستلزم المستلزم مستلزم، فإذاً مشيئة الله تعالى مستلزمة لفعل العبد وذلك هو الجبر، وأن الفعل قد يتخلف عن المشيئة بنسخ العزائم وتغيير المقاصد، فليس في التعليق بمشيئة العبد دلالة على استلزام التفويض إليه، والله أعلم.

نادرة:

قال الإمام الرازي في سورة الأنعام سمعت الشيخ الإمام الوالد عمر بن الحسين رحمه الله تعالى قال: سمعت الشيخ أبا القاسم بن ناصر الأنصاري يقول: نظر أهل السنّة إلى تعظيم الله في جانب القدرة ونفاذ المشيئة، ونظر المعتزلة إلى تعظيم الله تعالى في جانب العدل والبراءة عن فعل ما لا ينبغي، فإذا تأملت علمت أن أحداً لم يصف الله إلا بالإجلال والتعظيم والتقديس والتنزيه، لكن منهم من أخطأ ومنهم من أصاب، ورجاء الكل متعلق بهذه الكلمة وهي قوله تعالى: ﴿وربك الغني ذو الرحمة﴾ [الأنعام: ١٣٣] والله أعلم.

فصل

لا خلاف بين أهل السنّة والجماعة في إطلاق أن الكائنات كلها بإرادة الله تعالى على جهة العموم والإجمال، وأما على التفصيل فنقل عن ابن كلاب انه قال: لا يجوز أن يقال المعصية بإرادة الله تعالى دفعاً لإيهام أن يكون مأموراً بها على ما سبق لبعض أوهام العوام كما توهمته فرق الاعتدال، ومنهم من يرى جواز ذلك بتقييد يزيل هذا الإيهام فيقول: الباري مريد للمعصية وقوعاً من مكتسبها ناهٍ عنها معاقب على فعلها.

قال شارح الحاجبية: والحق أن ههنا مقامين: الأوّل: تحقيق ما في نفس الأمر. الثاني: التفسير بما يدل عليه. أما الأوّل: فقد أعطت الأدلة العقلية والسمعية والوجدية أنه جل وعلا مريد لجميع الكائنات على التفصيل، وتفصيل التفصيل من غير استثناء ولا تقييد بارادة واحدة من غير تقديم ولا تأخير ولا كثرة، وإنما الاختلاف والكثرة في التعلقات فقط. وأما الثاني: فالعمدة فيه إنما هو الواردات السمعية إذ ذاك عمل لساني، والأعمال قد انقسمت من جهة الأحكام الشرعية إلى ما يجوز وما لا يجوز، والعمل اللساني من ذلك فما كان منه على مقتضى الأدب فحسن اطلاقه وما لا فلا، والآداب إنما تعرف ممن قال: أدبني ربي فأحسن أدبي ﷺ، وإذا تقرر ذلك فقد ثبت في الشرع ما يدل على أن الأدب عدم التصريح بما تعلق به النهي أو كان غير ملائم الطباع بنسبته إليه جل وعلا، وإن كان كل ذلك في نفس الأمر ليس إلاّ منه؛ قال تعالى حاكياً عن خليله عليه السلام: ﴿الذي خلقني فهو يهدين★والذي هو يطعمني ويسقين ★وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٠] وقال جل وعلا حاكياً عن الخضر عليه السلام: ﴿أما السفينة فكانت

الأصل الرابع: أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطوّل بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجباً عليه. وقالت المعتزلة: وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة

لمساكين يعملون في البحر فأردت أن اعيبها﴾ ثم قال: ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾ [الكهف: ٧٩ - ٨٢] وقال تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ بعد قوله: ﴿كل من عند الله﴾ [النساء: ٧٨، ٧٩] وفي صحيح مسلم في حديث التوجه الطويل «الخير في يديك والشر ليس إليك بك وإليك» إلى غير ذلك.

فصل

وهذا المطلب أدلته من الكتاب والسنّة لا تحصى، وقد مرّ بعضها وهي متمسك المحدث، وأما الصوفي فيقول: لا ارادة لغيره إذ الارادة تتوسط بين صفتين: احداهما: تتعلق بايجاد الفعل وهي القدرة، والأخرى تتعلق بكشفه على ما هو عليه في نفسه وهي العلم، وقد تقدم أنهما لله تعالى. وبالجملة؛ فالتأثير لله والتخصيص الإرادي لله والكشف العلمي لله، والعبد قابل لما يبدو عليه فما يبدو فيه متى شاءه عادة فهو كسبه وما لا فليس بكسبه والكل فعل الله تعالى.

(**الأصل الرابع**): في خصوصيات التكوين التي منها التفضل والإنعام في الدارين بالتوفيق للأصلح في الدنيا والدين والتوفيق للطاعات والإثابة عليها والعدل بالخذلان وعدم التوفيق لذلك لسوء الاختيار بالمعاقبة على المعاصي.

اعلم (**أن الله تعالى متفضل**) أي محسن (**بالخلق**) وهو الايجاد مطلقاً (**والاختراع**) لا على مثال سابق ونعمة الإيجاد شاملة لكل موجود، (**وهو**) تعالى (**متطوّل**) الطول هو الفضل والزيادة والمعنى متفضل (**بتكليف العباد**) أي: جعلهم أهـلاً لأن يخاطبهـم بالأمر والنهي فما أنعم به فهو فضل منه وما عاقب عليه فهو عدل، (**ولم يكن الخلق والتكليف واجباً عليه**) سبحانه. حاصله: أن جميع الكائنات كيفما كانت على العموم كوجود العالم أو على الخصوص، كوجود الإنسان ووجود ما به ما يكون كماله من العقل، وتيسير المطالب والصحة وسلامة القوى، وبعث الرسل والثواب والعقاب. كل ذلك لا يجب عليه شيء منه لا بالوجوب الشرعي ولا العقلي ولا العادي ولا غير ذلك، فجميع الكائنات بالنسبة إليه على السوية وإنما المخصص لاحد الجانبين مشيئته وارادته المتعلقة بالشيء تعلق التخصيص على نحو ما تعلق به العلم، فجميع ما فعل مما فيه لطف بعبده بمحض فضل وكرم وإحسان منه إليه وما فيه مـن تعذيب وابتلاء فمحض عدل منه إليه ولو شاء لعكس.

(**وقالت المعتزلة**) البغداديون منهم والبصريون: (**وجب عليه**) سبحانه (**ذلك رعاية لمصلحة العباد**). اعلم أنهم اتفقوا على أصل الوجوب على الله تعالى ثم اختلفوا، فزعم البغداديون

العباد وهو محال، إذ هو الموجب والآمر والناهي وكيف يتهدف لإيجاب أو يتعرض للزوم وخطاب؟ والمراد بالواجب أحد أمرين: أما الفعل الذي في تركه ضرر إما آجل، كما يقال: يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه في الآخرة بالنار، أو ضرر عاجل كما يقال: يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت، وإما أن يراد به الذي

أنه يجب على الله تعالى رعاية الأصلح لعباده في دينهم ودنياهم، فلا يجوز في حكمه تبقية وجه من وجوه الصلاح في العاجل والآجل إلا ويفعله، فقالوا: بناء على هذا الأصل ان ابتداء الخلق واجب ومن علم من خلقه أنه يكلفه فيجب عليه كمال عقله وازاحة علله وخلق الالطاف له، ثم قالوا: إن كل ما ينال العبد من الأمور المضرة والآلام فهو الأصلح له، وإنما ارتكب معصية فهو الذي اختار لنفسه الفساد ويجب على الله معاقبته إن لم يتب ولم تكن من الصغائر قالوا وهي الأصلح في حق الفاسق، وقد ورد الوعيد به وعدم وقوعه خلف وهؤلاء أخذوا مذاهبهم من الفلاسفة وهو أن الله تعالى جواد وان الواقع في الوجود هو أقصى الامكان ولو لم يقع ذلك لم يكن جواداً، وقد التزمت المعتزلة أن الله تعالى لا يكون له اختيار في ترك فعل ألبتة لوجوب ابتداء الخلق، ووجوب اختصاصه بالوقت المعين، ووجوب فعل الأصلح، ووجوب الثواب والعقاب. ولما استبعد البصريون منهم ذلك قالوا: لا يجب أصل الخلق، لكن متى أراد الله تعالى تكليف عبد فيجب عليه إكمال عقله وإزاحة علله وما يترتب على فعله من الثواب والعقاب. ونقل إمام الحرمين في الإرشاد إجماع الفئتين البغدادية والبصرية منهم على أن الرب سبحانه إذا خلق عبده وأكمل عقله لا يتركه هملاً بل يجب عليه أن يقدره ويمكنه من نيل المراشد، ثم قال إمام الحرمين: ونقل أصحاب المقالات عن هؤلاء مطلقاً يعني المعتزلة أنه يجب على الله تعالى فعل الأصلح في الدين، وإنما الاختلاف في فعل الأصلح في الدنيا، وهذا النقل فيه تجوّز وظاهره يوهم زللاً فقد يتوهم المتوهم أنه يجب عند البصريين الابتداء بإكمال العقل لأجل التكليف وليس ذلك مذهباً لدى مذهبهم، فالذي ينتحله البصريون أنه تعالى متفضل بإكمال العقل ابتداء ولا يجب عليه إثبات أسباب التكليف، وإذا تأملت ذلك ظهر لك أن في سياق المصنف نوع مخالفة إلا أن يريد من المعتزلة فرقة خاصة.

ثم أشار المصنف بالرد عليهم بأنه لو وجب شيء فأما بالإيجاب الشرعي **(وهو محال إذ هو الموجب)** بكسر الجيم **(و)** هو **(الآمر الناهي وكيف يتهدف لايجاب أو يتعرض للزوم وخطاب)** فإن هذا شأن المكلفين أي: لو وجب شيء لاقتضى الحال موجباً، ورتبة الموجب فوق رتبة الموجب عليه ولا يخفى بطلانه، **(و)** يقال لهم: **(المراد بالواجب أحد أمرين: اما بالفعل الذي في تركه ضرر إما آجل)** أي في الآخرة عرف بالشرع **(كما يقال: يجب على العبد أن يطيع الله)** سبحانه، **(أو)** ضرر **(عاجل)** أي في الدنيا، وإن عرف بالفعل **(كما يقال: يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت)**، ومعنى الوجوب هنا ترجح الفعل على الترك لما يتعلق من الضرر بالترك. **(وإما)** بالإيجاب العقلي **(أن يراد به الذي يؤدي عدمه**

يؤدي عدمه إلى محال كما يقال، وجود المعلوم واجب إذ عدمه يؤدي إلى محال وهو أن يصير العلم جهلاً، فإن أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الأوّل فقد عرضه للضرر، وإن أراد به المعنى الثاني فهو مسلم، إذ بعد سبق العلم لا بدّ من وجود المعلوم، وإن أراد به معنى ثالثاً فهو غير مفهوم، وقوله: «يجب لمصلحة عباده» كلام فاسد، فإنه إذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى. ثم أن مصلحة

إلى) أمر (**محال كما يقال: وجود المعلوم**) أي ما تعلق علم الله بوقوعه (**واجب**) وقوعه (**إذ عدمه يؤدي إلى محال، وهو أن يصير العلم جهلاً**). ونحن نجزم أن عدم ذلك لا يلزم منه محال لذاته ولا يضره، (**فإن أراد الخصم**) وهو المعتزلي بقوله: (**بأن**) ابتداء (**الخلق**) مثلاً (**واجب على الله**) سبحانه (**المعنى الأوّل**) وهو أن في تركه ضرراً آجلاً أو عاجلاً (**فقد عرضه**) تعالى (**للضرار**) أي المضارّة. كذا في سائر النسخ وفي نسخ المسايرة للضرر أي ولحوق الضرر محال في حقه تعالى والقول به كفر وفاقاً (**وإن أراد به المعنى الثاني**) وهو أن عدمه محال (**فهو مسلك**) حيث نظر أن ابتداء الخلق والتكليف قد تعلق العلم بوقوعه (**إذ بعد سبق العلم**) بوقوع شيء (**لا بد من وجود**) ذلك الشيء (**المعلوم**) وقوعه، (**وإن أراد**) الخصم (**به معنى ثالثاً**) أي بكون ابتداء الخلق واجباً (**فهو غير مفهوم**) ولا يجب عليه شيء بالإيجاب العادي أيضاً لما يلزم من تحتم فعله عليه فلا يكون مختاراً والعادة فعله، فلم تبق شبهة إلا أنه باعتبار الحسن والقبح العقليين وهو باطل كما سيأتي فثبت أنه لا يجب على الله شيء بوجه من الوجوه، ولما كانت المعتزلة يذهبون إلى المعنى الثاني وهو الذي عدمه يؤدي إلى محال، لكن بمعنى آخر استطرد ابن الهمام خلف كلام المصنف فقال: واعلم أنهم يريدون بالواجب ما يثبت بتركه نقص في نظر العقل بسبب ترك مقتضى قيام الداعي إلى ذلك الفعل، وهو هنا كمال القدرة والغنى المطلق مع انتفاء الصادق عن ذلك الفعل فترك المراعاة المذكورة مع ذلك بخل يجب تنزيهه تعالى عنه، فيجب ما اقتضاه قيام الداعي أي لا يمكن أن يقع غيره لتعاليه سبحانه عما لا يليق وهذا الذي يريدونه هو المعنى الثاني الذي ذكره المصنف، وظاهر تسليمه له أنهم قصدوا المعلوم يجب وقوعه فهو صحيح، ومراد المصنف تسليم إطلاق لفظ الوجوب فقط لامع موضوعه، فإنه عين مذهب الاعتزال، وإنما مراده أن ابتداء الخلق واجب الوقوع لتعلق العلم بوقوعه وأن ابتداء التكليف كذلك، لأن وقوعه يؤدي إلى محال هو انقلاب العلم جهلاً، وهذا غير ملاق لمقصود المعتزلة، وإن لم يكن مراده ذلك لزم أن يسلم أن كل أصلح للعبد يجب وقوعه له لأن كل ما علم وقوعه للعبد فهو الأصلح له عندهم لزعمهم المبالغة في التنزيه.

(**وقوله: يجب لمصلحة عباده**) أي وجوب رعاية الأصلح (**كلام فاسد**) من أصله، (**فإنه إذا لم يتضرر**) سبحانه وتعالى (**بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه**) تعالى (**معنى، ثم مصلحة العباد**) إنما هي (**في أن يخلقهم في الجنة**) أي: لو كانت الحكمة مقرونة بطلب المنفعة كما يزعمون لكان ابتداء الخلق في الجنة وفيه أعظم المنافع بل فيه المنفعة التي ليس

العباد في أن يخلقهم في الجنة، فاما أن يخلقهم في دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهو العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الألباب.

الأصل الخامس: أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه ـ خلافاً للمعتزلة ـ ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألوا ذلك فقالوا: ﴿ربّنا ولاَ تُحمّلَنا ما لاَ طَاقَةَ لَنا بهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ولأن الله تعالى أخبر نبيه ﷺ بأن أبا

في ضمنها ضرر أولي، **(فأما أن يخلقهم في دار البلايا)** أي دار الدنيا مع ما في ضمنها ضرر وخوف **(ويعرضهم للخطايا)** والمعاصي **(ثم يهدفهم)** أي يجعلهم هدفاً **(لخطر العقاب)** بارتكاب الخطايا **(وهو العرض)** على الله تعالى **(والحساب فما في ذلك غبطة)** يغتبط بها **(عند ذوي الألباب)** وفي بعض النسخ: لأولي الألباب.

قال ابن الهمام عقيب هذا الكلام: وأنت قد علمت أن معنى هذا الوجوب عندهم كونه لا بدّ من وقوعه، وفرض عدمه فرض محال لإستلزامه المحال على زعمهم وهو اتصافه بالبخل فلا يكون بهذا الوجوب معرضاً للضـرر كما ألزمهم به الحجة، لأن التعريض له إنما يلزم لو كان الإيجاب مبنياً على التخيير في فعل ذلك الأمر الواجب وتركه وليس هذا كذلك، لأن حاصل كلامهم فيه سلب قدرته على ترك ما هو الأصلح لانتفاء قدرته من الاتصاف بما لا يليق به، فالسبيل في دفعهم إنما منع كل واقع هو الأصلح لمن وقع له ومنع لزوم ما لا يليق به أي البخل الذي زعموه فتأمل.

وقد استدل إمام الحرمين على إبطال الإيجاب العقلي بأنه غير معقول بالنسبة إليه، فإنه لا يعقل إلا أن يكون باذله ملزماً ولا يتحقق ذلك بالنسبة إلى الله تعالى، وبأن ما يوجبونه على الله تعالى من إثابة العبد على الطاعات والطاعات الصادرة منه شكر النعمه السابغة، ومن أدى ما وجب (عليـه) لم يستحق عوضاً فلا تحقق لوجوبه، وكذلك يلزمهم أيضاً إذا أوجبوا على الباري تعالى أصل الخلق واكمال العقل وازاحة العلل، وإذا كان واجباً على الله، فيكف يجب الشكر على العبد، وسيأتي إيضاحه.

(الأصـل الخامس): **(أن يجوز على الله)** سبحـانـه عقلاً **(أن يكلـف الخلـق بما لا يطيقونه)**، والدليل عليه أن الخلق خلقه والملك ملكه وللفاعل المالك أن يتحكم في ملكه لحق مشيئته فيما ليس عليه حجر **(خلافاً للمعتزلة)** كلهم ولبعض الأشاعرة والماتريدية كلهم، كما سيأتي بيان ذلك. ثم استدل المصنف عليه فقال: **(ولو لم يجز ذلك)** أي تكليف العبد بما لا يطيقه **(لاستحال سؤال دفعه)** قياساً على سؤال الرؤية من موسى عليه السلام، **(وقد سألوا ذلك فقالوا: ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾)** [البقرة: ٢٨٦] وإنما يستعاذ عما وقع في الجملة، **(و)** دليل آخر على ذلك نقول: **(لأن الله تعالى أخبر نبيه ﷺ بأن أبا جهل)** عمرو بن هشام القرشي لا يصدقه، **(ثم أمره بأن يصدقه في جميع أقواله)**، و«ثم» هنا

جهل لا يصدقه، ثم أمره بأن يأمره بأن يصدقه في جميع أقواله، وكان من جلة أقواله أنه لا يصدقه. فكيف يصدقه في أنه لا يصدقه وهل هذا إلا محال وجوده؟

للترتيب الذكري لأن كون أمر أبي جهل بالتصديق بعد الاخبار بعدم إيمانه لا يظهر له مستند، فضلاً عن كونه متراخياً عن الاخبار. وفي كلام الآمدي وغيره: أبو لهب بدل أبي جهل، **(وكان من جلة أقواله أنه لا يصدقه فكيف يصدقه في أنه لا يصدقه، وهل هذا إلا محال وجوده)؟**

وفي محجة الحق لأبي الخير القزويني: فإن الله تعالى كلف أبا لهب الإيمان بالقرآن، ومن جلة ما أنزل في القرآن أنه لا يؤمن في قوله تعالى: ﴿سيصلى ناراً ذات لهب﴾ [المسد: ٣]. فكأنه كلفه الإيمان بأنه لا يؤمن. وأيضاً فإن فائدة التكليف بيان أمارة الثواب والعقاب ولا إستحالة في جعل امتناع ما لا يطاق أمارة العقاب اهـ.

وأيضاً؛ فتحصيل الإيمان مع العلم بعدمه أمر بجمع الوجود والعدم لاستحالة وجود الأيقان مع العلم ضرورة أن العلم يقتضي المطابقة كما في المطالب العلية.

وقال ابن التلمساني: وأقرب ما يدل على جوازه أن الله تعالى كلف الكفار بالإيمان بالإجماع، وقد علم من بعضهم عدم الإيمان وأخبر بذلك ومع ذلك فيمتنع وقوع الإيمان منهم إذ لو وقع للزم انقلاب العلم جهلاً، ولزم الخلف وإجتماع الضدين، ولا فرق بين المستحيل لنفسه والمستحيل لغيره اهـ.

وفي النوادر للإمام أبي الحسن الأشعري تكليف ما لا يطاق جائز، وإن الله لو أمر عبده بالجمع بين الضدين لم يكن سفهاً ولا مستحيلاً. وفي الإرشاد لإمام الحرمين فإن قيل: ما جوزتموه عقلاً من تكليف المحال هل اتفق وقوعه شرعاً؟ قلنا: عند شيخنا ذلك واقع شرعاً، فإن الرب تعالى أمر أبا لهب بأن يصدق ويؤمن به في جميع ما يخبر عنه، وقد أخبر عنه بأنه لا يؤمن فقد أمره أن يصدقه بأن لا يصدقه، وذلك جمع بين النقيضين، ومثله في المطالب العلية للرازي فهذه أدلة الأشاعرة والمسألة مختلف فيها، فالذي رواه الحافظ أبو محمد الحارثي في الكشف، والظهير المرغناني، وحافظ الدين الكردري، وأبو عبدالله الصميري كلهم في المناقب من رواية يوسف بن خالد السمتي أن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه قال: والله لا يكلف العباد ما لا يطيقون ولا أراد منهم ما لا يعلمون. وفي عقيدة الإمام أبي جعفر الطحاوي: ولم يكلفهم الله إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم به، فهذه النصوص صريحة في عدم جواز تكليف ما لا يطاق وعليه جمهور المعتزلة. واختاره الإمام أبو إسحاق الأسفرايني كما في التبصرة وغيرها، وأبو حامد الأسفرايني كما في شرح السبكي لعقيدة أبي منصور، وقد تقدم في أول الكتاب قول ابن السبكي:

قالوا وليس بجائز تكليف ما ... لا يستطاع فتى من الفتيان
وعليه من أصحابنا شيخ العرا ... ق وحجة الإسلام ذو الإتقان

....

ثم قال: مسألة تكليف ما لا يطاق وافقهم من أصحابنا الشيخ أبو حامد الأسفرايني شيخ العراقيين، وحجة الإسلام الغزالي، وابن دقيق العيد اهـ.

قلت: وأبو القاسم القشيري كما رأيته في رسالته اعتقاد السنة من تأليفه، وذكر ابن السبكي حجة الإسلام الغزالي من الموافقين محل تأمل، فإنك ترى أنه على ظاهر كلام الأشاعرة ولم يخالفهم، ولعله في كتاب آخر غير هذه العقيدة ولنا من النقل قوله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦] أي طاقتها، ووجه الدلالة أنه لو جاز التكليف به لجاز كذب هذا الخبر وهو محال فالملزوم مثله كما في التلويح، ومن العقل أن تكليف العاجز بالفعل سفه في الشاهد كتكليف الأعمى النظر فكذا في الغائب، ولأن فائدة التكليف الأداء كما هو مذهب المعتزلة أو الإبتلاء كما هو مذهبنا، وهذا لا يتصور فيما لا يطاق. أما الأداء فظاهر، وأما الإبتلاء فكأنه إذا كان بحال لا يتصور وجوده لا يتحقق معنى الإبتلاء وهو إنما يتحقق في أمر لو أتى به يثاب عليه ولو امتنع يعاقب عليه، وذا فيما يتصور وجوده لا فيما يمتنع وجوده وقوله تعالى: ﴿ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ [البقرة: ٢٨٦] استعاذة عن تحميل ما لا يطاق نحو أن يلقى عليه جداراً أو جبلاً لا يطيقه تعذيباً فيموت، ولا يجوز أن يكلفه تحمل جبل بحيث لو فعل يثاب عليه ولو امتنع يعاقب عليه لأنه يكون سفهاً. وقوله تعالى: ﴿أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ [البقرة: ٣١] مع عدم علمهم بذلك ليس بتكليف بالانباء بل هو خطاب تعجيز، وهو عبارة عن توجيه صيغة الأمر بما يظهر عجز المخاطب وهو ليس بأمر حقيقة عند المحققين، وهذا كأمر الله تعالى المصورين بإحياء الصور يوم القيامة، فإنه ليس بتكليف بل هو نوع تعذيب لهم، وهذا لأنه يكون في دار الآخرة وهي ليست بدار تكليف بل هي دار جزاء والكلام في تكليف ما لا يطاق. وقولهم: كلف أبا جهل بالإيمان وعلم أنه لا يؤمن وخلاف ما هو معلوم الله تعالى محال، فكان تكليف ما لا يطاق إذ لو قدر على الإيمان لقدر على تغيير علمه وهو محال. قلنا: المحال ما لا يمكن تقدير وجوده في العقل والجائز ما يمكن تقدير وجوده في العقل، وعلم الله تعالى بعدم الشيء الممكن في ذاته لا يجعله ممتنعاً لذاته ولا يمنعه عن أن يكون مقدور قادر، لأنه إنما يقدر وجود الشيء وعدمه بالنظر إلى ذاته لا بالنظر إلى علمه ألا ترى أنا نقول العالم جائز الوجود مع علمنا بأن الله تعالى علم وجوده، لأنه بالنظر إلى ذاته جائز الوجود والعدم، ولو جاز أن يصير الشيء واجب الوجود لعلمه تعالى بوجوده أو ممتنع الوجود لعلمه تعالى أنه لا يوجد لم يكن لما هو جائز الوجود تحقق وبطل تقسيم العقلاء بالواجب والجائز والممتنع، وقد قالوا: لا نزاع في الممتنع لغيره، وإنما النزاع في الممتنع لذاته كذا في شرح العمدة للنسفي.

وقال القونوي في شرح عقيدة الطحاوي: وقد نقل عن أبي الحسن الأشعري أنه جائز عقلاً، ثم تردد أصحابه أنه هل ورد الشرع به؟ فمن قال بوروده احتج بأمر أبي لهب بالإيمان فإنه تعالى أخبر أنه لا يؤمن وأنه سيصلى النار ثم كان مأموراً بالإيمان بجميع ما أخبر الله تعالى. ومن جملته

....

أن يؤمن بأن لا يؤمن وهذا تكليف بالجمع بين الضدين، وكذا أخبر أنه سيصلى النار وعلم به، ولو آمن لما كان ممن يصلى النار وكان الأمر بالإيمان أمراً بالجهل والكذب وذلك محال، فكان ذلك أمراً بما يستلزم المحال. والجواب: إن كان الأمر بالإيقان وبتصديق الله تعالى في خبره أنه لا يؤمن أمراً بالجمع بين الضدين فلا نسلم بأنه مأمور بذلك وأنه عين النزاع، ثم نقول: خلاف معلوم الله تعالى وخلاف خبره وإن كان مستحيل الوقوع بالنسبة إلى العلم والخبر كالجمع بين الضدين، ولكنه ممكن مقدور في نفسه ولا منافاة بين القولين، لأن معنى قولنا أنه ممكن مقدور في نفسه أن القدرة صالحة له ولا تتقاصر عنه القدرة حسب قصور القدرة عن الجمع بين الضدين، ثم ما علم الله تعالى وأخبر أنه لا يقع لا يقع قطعاً كاجتماع الضدين، غير أن اجتماع الضدين لم يقع لاستحالته في نفسه لا لتعلق العلم والخبر بعدم وقوعه وخلاف ما علم، أو أخبر لم يقع أيضاً لا لاستحالته في نفسه بل لتعلق العلم والخبر بعدم وقوعه، ثم انه تعالى لا يعاقب أحداً على ما علم منه دون وقوعه منه فعلاً وكسباً. وقد وقع في علم الله تعالى أن أبا لهب مستوجب النار بكفره، فكان التكليف في حقه فتنة والتزاماً بالحجة وفي حق المطيعين رأفة ورحمة ونعمة اهـ.

وفي أمالي الإمام أبي حنيفة: والله لا يعاقبهم بما لم يعلموا ولا يسألهم عما لم يعلموا ولا رضي لهم بالخوض فيما ليس لهم به علم والله يعلم بما فيه. وفي الفقه الأكبر: يعلم من يكفر في حال كفره كافراً وإذا أخر بعد ذلك علمه علمه مؤمناً في حال إيمانه وأمنه اهـ.

وفيه إشارة إلى أن التكليف لا يتعلق إلا بما هو مقدور الوقوع في زمان وجوده وتحصيله بمعنى ترتب العقاب على تركه، فإن العقاب لا يليق في الحكمة إلا على ما يتمكن العبد من العلم به وتحصيله والقدرة عليه فلا يكلف العباد ما لا يطيقون ولا يطلب دفعه على الحقيقة، وسؤال دفعه بمعنى طلب الإعفاء عما يشق أو عن العقوبة، وإليه أشار بقوله: ولا رضي لهم بالخوض فيما ليس لهم به علم، وإلى منع وقوع التكليف بمعنى ترتب العقاب على الترك بما لا يمكن ولا يعلم إيقاعه كجمع النقيضين فلا تكليف به في تكليف أبي لهب بالإيمان، لأنه قبل الاخبار بعدم إيمانه مكلف بالإيمان الإجمالي فلا يلزم جمع النقيضين أصلاً، وكذا بعد الاخبار بعدم إيمانه إذ غاية ما نزل في حقه ﴿سيصلى ناراً ذات لهب﴾ وهو لا ينفي إيمانه لجواز أن يحمله على تعذيب المؤمن لنفسه، ولو سلم فهو كاخباره نوحاً بقوله ﴿لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ [هود: ٣٦] وحينما علم ذلك وحقت كلمة العذاب امتنع التكليف لعدم الفائدة كما في مرصاد الإفهام للبيضاوي. واختاره العضد في شرح المختصر وإلى أن علم الله بعدم الإيمان لا يمنع صرف قدرة العبد واختياره إليه، ويتعلق الأمر به بمعنى صرف القدرة والإختيار إليه لإمكانه في نفسه وصحة تعلق قدرته بالقصد إليه كما في التوضيح، فلا يستلزم الأمر بتحصيله مع العلم بعدمه الأمر بجمع الوجود والعدم.

....

وقال الملاعلي في شرح الفقه الأكبر: الإستطاعة صفة يخلقها الله تعالى عند اكتساب الفعل بعد سلامة الأسباب والآلات، وقد يراد به سلامة الأسباب والآلات والجوارح، وصحة التكليف تعتمد هذه الإستطاعة التي هي سلامة الأسباب والآلات لا بمعنى الأول، مع أن القدرة صالحة للضدين عند أبي حنيفة، حتى أن القدرة المصروفة إلى الكفر هي بعينها القدرة التي تصرف إلى الإيمان لا اختلاف إلا في التعلق وهو لا يوجب الإختلاف في نفس القدرة، فالكافر قادر على الإيمان المكلف به إلا أنه صرف قدرته إلى الكفر وضيع باختياره صرفها إلى الإيمان فاستحق الذم والعقاب من هذا الباب، وأما ما يمتنع بالغير بناء على أن الله تعالى علم خلافه أو أراد خلافه كإيمان الكافر وطاعة العاصي فلا نزاع في وقوع التكليف به لكونه مقدور المكلف بالنظر إلى نفسه، فليس التكليف به تكليفاً بما ليس في وسع البشر نظراً إلى ذاته، ومن قال: إنه تكليف بما ليس في وسع البشر فقد نظر إلى ما عرض له من تعلق علمه تعالى وإرادته بخلافه. وبالجملة؛ لو لم يكلف العبد به لم يكن تارك المأمور عاصياً، فلذا عد مثل إيمان الكافر وطاعة الفاسق من قبيل المحال بناء على تعلق علمه وإرادته بخلافه، وهو عندنا من قبيل ما يطاق بناء على صحة تعلق القدرة الحادثة في نفسه وإلا لم يوجد عقيبه وهذا نزاع لفظي عند أرباب التحقيق، والله ولي التوفيق اهـ.

تنبيه:

وعلى القول بتجويز تكليف ما لا يطاق كما هو مذهب المصنف يسقط إيراد من أورد عليهم من المعتزلة أنه إذا كان لا يقع في الوجود إلا مراده، وقد أمر العبد بما لم يرد وقوعه فقد كلفه بما لا يقدر على فعله وتكليفه بذلك، ثم عقابه على عدم فعله في التحقيق ليس إلا إرادة تعذيبه ابتداء بلا مخالفة، وهذا أيضاً في نظر العقل غير لائق فيجب تنزيه الله تعالى عن ذلك، ومحصل الجواب: أن هذا غير وارد من أصله لأنهم قد يجوزون عقلاً ما استبعدتموه.

قال ابن الهمام: وعلى القول بأنه وإن جاز عقلاً فهو غير واقع وهو الراجح من القولين لهم، فالتحقيق أن عقابه إنما هو على مخالفته مختاراً غير مجبور، فإن تعلق الإرادة بمعصيته لم يوجبها منه ولم يسلب اختياره فيها ولم يجبره على فعلها، بل لا أثر للإرادة في شيء منه، فكما أنه كلف من علم منه عدم الإمتثال فوقع منه ما علمه كسائر الكفرة فلم يبطل ذلك معنى التكليف ولم ننسب إليه ظلماً بذلك إتفاقاً لعدم تأثير العلم في إيجاد ذلك الكفر المعلوم، وفي سلب اختيار المكلف في إتيانه بذلك وإن كان لا يوجد إلا معلومه، فكذا التكليف بما تعلقت به الإرادة بخلافه إذا كانت الإرادة لا أثر لها في الإيجاد كالعلم والتأثير في الإيجاد خاصية القدرة دون العلم والإرادة إلا أنها إنما تؤثر على وفق الإرادة، والعلم الإلهي متعلق بأن سيكون كذلك ثم يوجد ما يوجد باختيار المكلف على طبق تلك الإرادة متأثراً عن قدرة الله تعالى، والله أعلم.

....

فصل

قد أورد المصنف في إثبات هذا الأصل دليلين عقليين: الأول: استحالة سؤال الدفع، والثاني بيان حال أبي جهل، وقد تقدم الجواب عنها. وقرر ابن الهمام في نقضها على طبق ما ذكرنا فلنورد سياقه لما فيه من الإشارات ما لم يتقدم ذكرها تكثيراً للفائدة قال في نقض الدليل الأول: لا يخفى أنه ليس دالاً في محل النزاع وهو التكليف إذ عند القائلين بامتناعه يجوز أن يحمله جبلاً فيموت إظهاراً لعجزه، إما عند المعتزلة فبناء على جواز أنواع الإيلام للعبد بقصد العوض وجوباً وأما عند الحنفية فتفضلاً بحكم وعده الصادق بالجزاء على المصاب، ولا يجوز أن يحمل جبلاً بحيث إذا لم يفعل يعاقب قال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦] وعن هذا النص ذهب المحققون ممن جوزه عقلاً من الأشاعرة إلى امتناعه سمعاً، وإن جاز عقلاً وإيراد الحنفية لهذا النص لإبطال الدليل الثاني فإنه لو صح بجميع مقدماته لزم وقوعه وهو خلاف صريح النصر لا على الإستدلال به على عدم جوازه منه تعالى، لأن ذلك بحث عقلي مبني على أن العقل يستقل بإدراك صفة الكمال وضدها فهذا نقض إجمالي إذ لم يرد على مقدمة مبينة ويوضح ذلك أن المستحيل ثلاثة أنواع: مستحيل لذاته وهو المحال عقلاً كجمع النقيضين والضدين، ومستحيل عادة لا عقلاً كالطيران من الإنسان والتكليف بحمل الجبل، ومستحيل لتعلق العلم الأزلي بعدم وقوعه أو اخبار الله تعالى بعدم وقوعه كإيمان من علم الله تعالى أنه لا يؤمن أو من أخبر الله تعالى بأنه لا يؤمن، والمراد بما لا يطاق هو المستحيل لذاته، أو في العادة أما المستحيل باعتبار سبق العلم الأزلي بعدم وقوعه لعدم امتثاله مختاراً فهو مما يدخل تحت قدرة العبد عادة بلا خلاف في وقوعه كتكليف أبي جهل واضرابه بالإيمان مع العلم بعدم إيمانه والاخبار به لأنه لا أثر للعلم في سلب قدرة المكلف ولا في جبره على المحاله اهـ.

استطراد:

خلف عبارة ابن الهمام قال الملاّعلي في شرح الفقه الأكبر: مراتب ما ليس في وسع البشر إتيانه ثلاث: أقصاها أن يمتنع بنفس مفهومه كجمع الضدين وقلب الحقائق وإعدام القديم، وهذا لا يدخل تحت القدرة القديمة فضلاً عن الحادثة، وأوسطها أن لا تتعلق بها القدرة الحادثة أصلاً، كخلق الأجسام أو عادة كحمل الجبل والصعود إلى السماء، وأدناها أن يمتنع لتعلق علمه سبحانه أو إرادته بعدم وقوعه وفي جواز التكليف بالمرتبة الأولى تردد ولا نزاع في عدم الوقوع، وجواز الثانية مختلف فيه ولا خلاف في عدم الوقوع، ووقوع الثالثة متفق عليه فضلاً عن جوازها اهـ.

وزاده وضوحاً صاحب إشارات المرام فقال: وتحرير محل النزاع أن ما لا يطاق عندهم إما أن يكون ممتنعاً لذاته، أو لغيره بأن يكون ممكناً لنفسه لكن لا يجوز وقوعه عن المكلف لانتفاء شرطه، أو لا يجوز وقوعه عنه لوجود مانع عنه من علم الله تعالى أنه لا يقع، أو إخباره بذلك

الأصل السادس: أن لله عز وجل إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافاً للمعتزلة، لأنه متصرف في ملكه ولا يتصوّر أن يعدو تصرفه ملكه، والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير إذنه وهو محال على الله تعالى، فإنه لا يصادف لغيره ملكاً حتى يكون تصرفه فيه ظلماً، ويدل على جواز ذلك وجوده، فإن ذبح البهائم إيلام لها وما صب عليها من أنواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة.

ولا نزاع في وقوع التكليف بالقسم الأخير لتكليف العصاة والكفار، لكنه ليس تكليفاً بما لا يطاق عندنا، لأن العبد قادر على القصد وصرف الإختيار إليه، والأخبار بالشيء تابع للعلم التابع للمعموم في الماهية. وأما القسمان الأولان: فجمهورهم على عدم وقوع التكليف بهما والآيات ناطقة به ويجوز عند بعضهم، وقال بعضهم: بجواز التكليف بالقسم الثاني دون الأول، وبعضهم بوقوعه بما يرجع إلى القسم الأول كما ذكره الآمدي وغيره فلا إجماع على عدم التكليف به، كما قيل: ولا ينحصر الجواز عندهم على الثاني، بل صرح البيضاوي في مرصاد الإفهام بـأنّـه إنما النزاع في الممتنع لذاته وليس منسوباً إلا الأشعري لقوله بعدم تأثير العبد، والله أعلم.

(**الأصل السادس: أن لله عز وجل إيلام الخلق**) بأنواع الآلام (**وتعذيبهم من غير جرم**) منهم (**سابق**) على الإيلام (**ومن غير ثواب**) لا حق له في الدنيا ولا في الآخرة، ومعنى كون ذلك له انه جائز عقلاً لا يقبح منه تعالى (**خلافاً للمعتزلة**) حيث لم يجوزوا ذلك إلا بعوض(لاحـق)أو جرم سابق قالوا: وإلا لكان ظلماً غير لائق بالحكمة وهو محال في حقه تعالى فلا يكون مقدوراً له، ولذلك أوجبوا على الله تعالى أن يقتص لبعض الحيوانات من بعض. وقد أشار المصنف إلى الجواب بقوله: (**لأنه**) أي الرب تعالى (**متصرف في ملكه**) بكسر الميم أي مطلقاً (**ولا يتصور أن يعدو تصرفه ملكه**) فليس لأحد من خلقه عليه حجر، لأن الخلق ملكه وقولهم وإلا لكان ظلماً. فالجواب: أن الملازمة ممنوعة، وإليه أشار المصنف بقوله: (**والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير**) أو في غير الملك، (**وهو محال على الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكاً**) ولا يخرج عن ملكه شيء (**حتى يكون تصرفه فيه ظلماً**) ومن معاني الظلم أيضاً مجاوزة الحد، ووضع الشيء بغير محله بنقص أو زيادة، أو عدول عن زمنه، ومجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة، وكل ذلك محال على الله تعالى. (**وإذا بطل**) استدلالهم قلنا: (**يدل على**) ما قلنا من (**جواز ذلك**) الإيلام من غير عوض ولا جرم (**وجوده**) أي وقوعه، وذلك الواقع ما يشاهد من أنواع البلاء بالحيوان من الذبح والعقر والحراثة وجر الأثقال وتحميلها إياه، وإليه أشار المصنف بقوله: (**فإن ذبح البهائم**) وهي المأكولة التي لم تتوحش، وعقر الصيد وما في معناه (**إيلام لها وما صب عليها من أنواع العذاب من جهة الآدميين**) من حمل الأثقال عليها واتعابها بجرها و(**لم يتقدمها جريمة**) تقتضي ذلك.

فإن قيل: إن الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام، ويجب ذلك على الله سبحانه؟ فنقول: من زعم أنه يجب على الله إحياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل، إذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجباً عليه إن كان المراد به أنه يتضرر بتركه فهو محال، وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب.

(فإن قيل): من طرف المعتزلة **(أن الله تعالى يحشرها)** يوم القيامة **(ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام)** أما في الموقف كما قال بعضهم، أو في الجنة بأن تدخل الجنة في صورة حسنة بحيث يلتذ برؤيتها على تلك الصورة أهل الجنة فتنال نعيم الجنة في مقابلة ما لها من الآلام، أو أنها تكون في جنة تخصها أي تنال نعيمها على حسب مذاهبهم المختلفة في ذلك قالوا **(ويجب ذلك على الله سبحانه)** وتعالى؟ **(فنقول)** في الجواب ذلك الذي ذكرتم من جزائها بتفصيله لا يوجبه العقل ولا شيئاً منه وإن جوزه ولم يرد به سمع يصلح مستنداً للجزم بوجوب وقوعه في الآخرة فلا يجوز الجزم به، و **(من زعم أنه يجب على الله)** تعالى **(إحياء كل نملة وطئت)** تحت الأرجل، **(وكل بقة)** أي بعوضة **(عركت)** بالأيادي وفي معناها البرغوث والناموس ونحوهما كالقمل وغيره **(حتى يثبتها على آلامها)** ويجازيها **(فقد خرج عن الشرع والعقل إذ يقال: وصف الثواب والحشر لكونه واجباً عليه)**، كما زعموا **(إن كان المراد به أنه يتضرر بتركه فهو محال)** وهذا هو الوجوب العقلي، **(وإن أريد به غيره فقد سبق)** قريباً **(أنه غير مفهوم فإذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب)**.

وفي محجة الحق لأبي الخير القزويني: وجوَّزوا إيلام البريء من الله تعالى كالبهائم والأطفال من غير عوض خلافاً للمعتزلة، فإنهم قالوا: لا يجوز إيلام البريء من الله تعالى كالبهائم والأطفال من غير تعويض في دار الآخرة أو لاعتبار غيره، وهذا لا يصح إن إيلام البريء غير مستحيل ولا يفضي إلى استحالة فيكون جائزاً والله تعالى قادر على التفضل بمثل العوض فأي حاجة إلى سبق إيلام، وهذا كمن أراد أن يعطي إنساناً شيئاً فيؤذيه ثم يعطيه فهذا لا يجوز عندهم اهـ.

وفي التذكرة الشرقية لابن القشيري: ولو قبح منه إيلام البريء من غير تعويض وتعويض لأسنى المنازل لقبح أن يبيح ذبح الحيوانات وتسخيرها وإن لا يؤلم الحيوانات ويميتها، ومن صار إلى أن البهائم والحشرات تستحق على الله تعالى غداً جناناً ونعيماً فقد أصيب في عقله اهـ.

وأما ما رواه أحمد بإسناد صحيح: «يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القرناء وحتى للذرة من الذرة» وهو في صحيح مسلم بلفظ «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» فالمراد بالإقتصاص المذكور أن يدخل الله تعالى عليها من الآلام في الموقف بقدر ما يعلمه قصاصاً أو يقتص حقيقة، وذلك لا يمنعه العقل عندنا، لكن لا

....

نوجبه أي لا نقول بوجوب وقوعه منه تعالى كما يقوله المعتزلة، وهذا أولى من القول بأنه خبر آحاد غير مفيد للقطع، والقطع هو المعتبر في العقائد فتأمل.

وفي شرح اللمع لابن التلمساني: وما يعظم وقعه على القائلين بالتحسين والتقبيح وموجبي الأصلح والصالح على الله تعالى إيلامه للبهائم والأطفال، فكيف حسن منه تعالى ذلك مع حكمهم بقبحه؛ فصارت البكرية وهم أصحاب أبي بكر بن عبد الواحد إلى أنها لا تتألم وهو جحد للضرورة، وصارت الثنوية أن ذلك لا يصدر إلا من فاعل الشر، وصار جماعة من غلاة الروافض وغيرهم إلى التزام التناسخ وقالوا: إنما حسن ذلك من حيث استحقته بجرائم سابقة اقترفتها في غير هذه القوالب فنقلت إلى هذه القوالب عقوبة لها ومن أصولهم أنها مدركة عالمة بما هي فيه من العقوبة على الزلات، وأما جمهور المعتزلة فحكموا بأنه إنما يحسن من الله تعالى إما بطريق العتاب بجريمة سابقة، أو بالتزام التعويض فقيل لهم: إذا كان الباري قادراً على إيصال مثل ذلك العوض بدون الإيلام فكيف يحسن منه الإيلام؟ فقالوا: لأن ما يكون عوضاً يزيد على ما يقع به النقل ابتداء فهو أصلح لهم قالوا: ثم العوض المستحق بالطاعة يزيد على المستحق ابالإيلام، وجميع ذلك يقتضي نسبة الله تعالى إلى العجز عن أن يوجد مثل العوض ابتداء.

فصل

وحاصل ما في المسايرة وشرحه: أن الحنفية لما استحالوا عليه تعالى تكليف ما لا يطاق فهم لتعذيب المحسن الذي استغرق عمره في طاعة مولاه أشد منعاً لتعذيب المحسن المذكور، وهم في ذلك مخالفون للأشاعرة القائلين بأن له تعالى تعذيب الطائع وإثابة العاصي ولا يكون ظلماً كما مرّ، ثم منعهم ذلك ليس بمعنى أنه يجب عليه تعالى تركه كما تقول المعتزلة، بل بمعنى أنه يتعالى عن ذلك لأنه غير لائق بحكمته فهو من باب التنزيهات هذا في التجويز عليه تعالى عقلاً وعدمه، أما الوقوع فمقطوع بعدمه غير أنه عند الأشاعرة للوعد بخلافه، وعند الحنفية والمعتزلة لذلك الوعد والقبح خلافه، ثم نقل عن أبي البركات النسفي صاحب العمدة، أن تخليد المؤمنين في النار والكافرين في الجنة يجوز عقلاً عند الأشاعرة إلا أن السمع ورد بخلافه فيمتنع وقوعه لدليل السمع، وعندنا معشر الحنفية لا يجوز.

قال ابن الهمام: وقول الأشعرية أحب إليّ، ولكن إذا أريد بالمؤمنين الفسقة لجواز أن يعذب الفاسق على الذنب الذي أصر عليه إلى أن مات أبداً كالكفر على ما ذهب إليه المعتزلة من تأبيد عذابه، إذ لا مانع من ذلك عقلاً لولا النصوص الواردة بتفضيله تعالى بخلافه، إذ لا مانع من ذلك عقلاً، ولأن تخليد الكافرين في الجنة لو قدر وقوعه لكان من باب العفو وهو جائز في نظر العقل، إلا أن صاحب العمدة لما اختار أن العفو عن الكفر لا يجوز عقلاً وفاقاً للمعتزلة وخلافاً للأشعري في قوله: إن امتناعه بدليل السمع لا بالعقل كان كامتناع تخليد الكافر في الجنة لازم

الأصل السابع: أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء، بل لا يعقل في حقه الوجوب فإنه ﴿لَاَ يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وليت شعري بما يجيب المعتزلي في قوله: « إن

مذهبه لأن عدم جواز العفو عن الكفر بأن يعاقب عليه أبداً يلزمه عدم جواز دخول الكافرين الجنة عقلاً، ونحن لا نقول بامتناع العفو عن الكفر عقلاً بل سمعاً كالأشعري، وظنهم أنه مناف للحكمة لعدم المناسبة غلط وقولهم: تعذيب الكفار واقع لا محالة بالإتفاق فيكون وقوعه على وجه الحكمة، فعدم التعذيب على خلافها. لنا: مناسبة الشيء الواحد للضدين ثابت في الشاهد حيث ثبت في العقل مناسبة قتل الملك لعدوه إذ ظفر به تشفياً لما عنده من الحنق عليه وعفوه عنه إظهاراً لعدم الإلتفات إليه تحقيراً لشأنه، وقدمنا أنه يستحيل عليه تعالى الإتصاف بحقيقة الحنق ليتشفى بالعقاب، فالباعث على العقاب في الشاهد منتف في حقه تعالى، ثم قال: هذا الذي ذكرنا يرجع إلى أمر الآخرة، أما في الدنيا فلا نزاع بين المعتزلة وغيرهم في وقوع الايلام فيها كما هو مشاهد، بل النزاع في إيجاب العوض باعتباره، والحنفية لا يوجبونه على الله تعالى وفاقاً للأشاعرة وخلافاً للمعتزلة، والحنفية كالأشاعرة يعتقدون في وقوع الإيلام في الدنيا حكمة لله سبحانه، فقد تدرك على وجه القطع كتكفير الخطايا ورفع الدرجات، وقد تظن كتطهير النفس من أخلاق لا تليق بالعبدية لقبح آثارها من حسد وكبر وبطر وقسوة وغيرها، فإنها تقتضي التعدي بإيذاء ابناء النوع فسبب على المتعدي الألم الحسي في بدنه والمعنوي بقبض الرزق وشدة الفقر ليتضرع لمولاه في رفع تلك الأخلاق، فيتحقق بوصف العبودية لعز الربوبية، ويكون الإيلام في الدنيا أيضاً ابتلاء أحد المتغايرين بالآخر إن كان المبتلي به مكلفاً فيترتب في حقه أحكام كظلم إنسان مثله أو ظلم بهيمة. قال مشايخ الحنفية خصومة البهيمة أشد من خصومة المسلم يوم القيامة كخصومة الذمي، وقد لا تدرك الحكمة في الإيلام كما في إيلام البهائم والأطفال الذين لا تمييز لهم بالأمراض ونحوها، فنحكم بحسنه قطعاً إذ لا قبيح بالنسبة إليه تعالى وفاقاً، ونعتقد فيه قطعاً حكمة لله تعالى قصرت عقولنا عن دركها، فيجب التسليم له فيما يفعله، ويجب اعتقاد الحقيقة في فعله إذ هو تصرف فيما يملك ويجب ترك الاعتراض له الحكم وله الأمر ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ [الأنبياء: ٢٣] والله أعلم.

الأصل السابع: (أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء)

فلو أدخل جميعهم الجنة من غير طاعة سابقة منهم كان له ذلك، ولو أورد الكل منهم النار من غير زلة منهم كان له ذلك لأنه تصرف مالك الأعيان في ملكه، وليس عليه استحقاق إن أثاب فبفضله يثيب، وإن عذب فلحق ملكه يعذب، **(فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده كما ذكرناه)** في الأصل الرابع، وتقدم الكلام عليه هناك **(من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء)** لا نقلاً ولا عقلاً ولا عادة، **(بل لا يعقل في حقه الوجوب)** مطلقاً **(فإنه)** تعالى: **(لا يسئل عما يفعل)** بحكم ربوبيته وملكه لكل شيء الملك الحقيقي **(وهم يسئلون)** بحكم

الأصلح واجب عليه؟ في مسألة. تعرضها عليه، وهو أن يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي وبين بالغ ماتا مسلمين، فإن الله سبحانه يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي

العبودية والمملوكية لاقتضائها أن العبد المملوك لا استقلال له بتصرف، ولا يمكنه أن يلزم مولاه ويوجب عليه شيئاً. وقال جمهور المعتزلة: ما هو الأصلح للعبد يجب على الله تعالى أن يفعل بالعبد ويعطيه، ولو أخر ولم يعطه مع أنه لم يتضرر به لو أعطى والعبد ينتفع به لكان بخيلاً. وقال بشر بن المعتمر رئيس معتزلة بغداد ومن تابعه لا يجب على الله تعالى رعاية الأصلح في حق العبد، ولكن يجب عليه أن يفعل ما هو المصلحة، ولا يجوز أن يعمل ما هو المفسدة وعندهم ليس بمقدوره تعالى لطف لو فعل بالكفار لآمنوا ولو كان في مقدوره ولم يفعل ولم يعطهم لكان بخيلاً ظالماً، وغاية ما يقدر عليه مما به صلاح الخلق واجب عليه، وفعل لكل عبد مؤمن أو كافر غاية ما هو في مقدوره من مصلحة وكما فعل النبي ﷺ غاية ما هو في مقدوره من المصلحة فعل بأبي جهل مثله، وليس له على النبي ﷺ انعام ليس ذلك على أبي جهل، ولو كان ذلك لكان ظالماً فما فعل جائراً بل فعل غاية ما في مقدوره من مصلحة أبي جهل، وليس له أن يفعل بأحد ما هو المفسدة له ألبتة. هكذا نقله النسفي في العمدة عنهم.

وقال ابن التلمساني في شرح اللمع: اختلف البغداديون منهم والبصريون مع اتفاقهم على أصل الوجوب على الله تعالى، فزعم البغداديون أنه يجب على الله تعالى رعاية الأصلح لعباده في دينهم ودنياهم فلا يجوز في حكمه تبقية وجه من وجوه الصلاح في العاجل والآجل إلا ويفعله فقالوا بناء على هذا الأصل: إن ابتداء الخلق واجب، ومن علم من خلقه أنه يكلفه فيجب عليه إكمال عقله وإزاحة علله وخلق الألطاف له، ثم قالوا: إن كل ما ينال العبد من الأمور المضرة والآلام فهو الأصلح له، وإذا ارتكب معصية فهو الذي اختار لنفسه الفساد وتجب على الله معاقبته إن لم يتب ولم تكن من الصغائر. قالوا: وهو الأصلح في حق الفاسد، وقد ورد الوعيد به وعدم وقوعه خلف، وهؤلاء أخذوا مذاهبهم من الفلاسفة وهو أن الله تعالى جوّاد، وإن الواقع في الوجود هو أقصى الإمكان ولو لم يقع ذلك لم يكن جواداً، وقد ألزمت المعتزلة أن الله تعالى لا يكون له اختيار في ترك فعل ألبتة ابتداء الخلق ووجوب اختصاصه بالوقت المعين، ووجوب فعل الأصلح، ووجوب الثواب والعقاب. ولما استبعد البصريون منهم ذلك قالوا: لا يجب أصل الخلق لكن متى أراد الله تعالى تكليف عبد فيجب عليه إكمال عقله وإزاحة علله وما يترتب على فعله من الثواب والعقاب، وهو مبني على مسألة التحسين والتقبيح وهو باطل كما سيأتي، والمبني على الباطل باطل. ومن مشهور دفع المعتزلة بابطال ما زعموه مناظرة شيخ السنة أبي الحسن الأشعري مع أبي علي الجبائي رأس أهل الاعتزال في أواخر الثلاثمائة أوردها صاحب المواقف وغيره والرازي في تفسيره وهي مذكورة في أوّل شرح العقائد النسفية، وقد أشار إليها المصنف حكاية بالمعنى بقوله: (**وليت شعري**) أي علمي (**ما**) ذا (**يجيب المعتزلي في**) اثبات (**قوله: إن الأصلح واجب عليه**) تعالى أي رعايته (**على مسألة نفرضها**) أي نقدرها (**عليهم، وهو أن يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي**) أي صغير (**مات مسلماً**) وإنما قيده بذلك بناء على

لأنه تعب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ، ويجب عليه ذلك ـ عند المعتزلي ـ فلو قال الصبي: يا رب لِمَ رفعت منزلته عليَّ؟ فيقول: لأنه بلغ واجتهد في الطاعات، ويقول الصبي: أنت أمتني في الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتي حتى أبلغ فاجتهد، فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر له دوني فلِـم فضلته؟ فيقول الله تعالى: لأني علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت، فكان الأصلح لك الموت في الصبا ـ هذا عذر المعتزلي عن الله عز وجل ـ وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى ويقولون: يا رب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا، فهلا أمتّنا في الصبا فإنا رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم؟ فماذا يجاب عن ذلك، وهل يجب عند هذا إلا القطع بأن الأمور الإلهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال؟.

أن أطفال الكفار لا يدخلون النار (**وبين بالغ**) وهو الذي بلغ أشده فصار مكلفاً (**مات مسلماً**) أي طائعاً، (**فإن الله تعالى يزيد في درجات البالغ**) ويرفعه (**ويفضله على الصبي**) المذكور (**لأنه تعب بالإيمان و**) الاجتهاد في (**الطاعات بعد البلوغ**) الذي هو من التكليف (**ويجب عليه**) تعالى (**ذلك**) أي إثابة المطيع (**عند المعتزلي**) على حسب أصولهم في رعاية الأصلح، (**فلو قال الصبي**) المذكور: (**يا رب لمَ رفعت منزلته عليَّ**) وزدته في الدرجات؟ (**فيقول**) الله تعالى: (**لأنه بلغ**) سن التكليف وتوجه إليه الأمر والنهي (**واجتهد في الطاعات**) وأقلع عن المنهيات، (**فيقول الصبي**) إذ ذاك: رب (**أنت أمتني في سن الصبا**) وأوان الطفولية (**فكان يجب**) عليك (**أن تديم حياتي حتى أبلغ فاجتهد**) في الطاعة فأنال منزلة رفيعة مثله، (**فقد عدلت**) أي جرت (**عن العدل في التفضل عليه بطول العمر دوني فلم فضلته**) عليَّ؟ (**فيقول الله**) تبارك و (**تعالى**) لذلك الصبي: (**لأني علمت أنك لو بلغت**) سن التكليف (**لأشركت**) بي (**أو عصيت**) أمري، (**فكان الأصلح لك الموت في**) سن (**الصبا. هذا عذر المعتزلي عن الله عز وجل وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى**)، وهو اسم طبقة من طبقات جهنم، واستعمال الدركات فيها كاستعمال الدرجات في الجنة (**ويقولون**) جميعاً: (**إلهنا أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا**) أو عصينا (**فهلا أمتنا في**) سن (**الصبا فإنا قد رضينا بما دون منزلة الصبي المسلم فماذا يجاب عن ذلك**) السؤال، (**وهل يجب عند هذا إلا القطع**) والجزم (**بأن الأمور الإلهية**) بما فيها من خفايا الحكم والاسرار (**تتعالى**) وتترفع (**بحكم الجلال**) وهو احتجاب الحق عنا بعزته (**عن أن توزن بميزان الاعتزال**) المائل عن سمت الاعتدال؟.

تنبيه:

هذه المسألة المفروضة أوردها ابن الهمام في المسايرة، وجعلها مناظرة بين الأشعري والجبائي قال: وكان يتلمذ له على مذهبه فتاب وصار إماماً في السنّة، فقال الأشعري للجبائي: أرأيت لو

....

أن صبياً مات إلخ وفيه أن قوله: فيقول الله عز وجل لأنه بلغ واجتهد هو جواب الجبائي، وعند هذا ينادي الكفار إلخ هو رد الأشعري على الجبائي؛ وفي آخره فانقطع الجبائي وتاب الأشعري عن الاعتزال وأخذ في نقض قواعد المعتزلة، وهو أظهر مما في المواقف وأوّل شرح العقائد انه ناظره في ثلاثة أخوة مات أحدهم مطيعاً والآخر عاصياً والثالث صغيراً. وألزمه في قول العاصي يا رب: لمَ لم تمتني صغيراً لئلا أعصي لك أمراً فلا أدخل النار لما يتخيل أن لهم رفع الإلزام به بأن إماتته للصغير في صغره للعلم بأنه لو بلغ لكفر وأضل غيره فأماته لمصلحة الغير سيما إذا كان الغير كثير الظهور رجحانه وليس في ابقاء العاصي ذلك، كما تصدى أبو الحسن لرفع الإلزام به عن شيخه الجبائي بعد أربعة أدوار أو أكثر، لكنه تحكم كما في التفسير الكبير ويلزمهم منع النفع عمن لا جناية له لإصلاح غيره وهو ظلم عندهم، فإن مذهبهم وجوب الأصلح بالنسبة إلى الشخص لا بالنسبة إلى الكل من حيث الكل، كما ذهب إليه الفلاسفة في نظام العالم كما في شرح العضدية وأنه لو منعه لذلك، فكيف لم يمت قبل البلوغ فرعون وزرادشت وغيرهما من المضلين لإصلاح كثير من العالمين كما في التبصرة وشرح المقاصد، فلا وجه لما قيل أن للجبائي أن يقول الأصلح واجب على الله إذا لم يوجب تركه حفظ أصلح آخر موجبه بالنسبة إلى شخص آخر، فلعله كان إماتة الأخ الكافر موجبه لكفر أبويه وأخيه لكمال الجزع على موته، فكان الأصلح لهم حياته، فلما حفظ هذا الأصلح وجب فوت الأصلح له لعله كان في نسله صلحـاء كان الأصلح لهم ايجادهم فلرعاية الكثيرين فات الأصلح، وإذا تأملت ما ذكرت ظهر لك أن المصنف أعرض عن هذه المناظرة وقلبها في صورة أخرى مفروضة لانطباق مقصوده عليها، ويقرب من هذا سياق ابن التلمساني في شرح اللمع حيث قال: وقد ألزمهم الأصحاب فيمن أماته الله صغيراً وفيه حرمانه ما يترتب على التكليف من الثواب الجزيل، فإن قالوا: علم الله منه انه لو بلغ وكلفه لما آمن. قلنا: فيلزمكم أن يميت الله تعالى سائر الكفار دون البلوغ لعلمه أنهم لا يؤمنون فهو أصلح لهم من ابقائهم وتخليدهم في النار اهـ.

وسياق النسفي في الاعتماد، ثم يقال لهم صبي عاش حتى بلغ وأسلم وختم بالإسلام، وصبي مات في صغره، وصبي بلغ وكفر وارتد بعد الإسلام، فَلِمَ أبقى الصبي الأوّل؟ فإن قالوا لأنه أصلح له فإنه ينال بإسلامه وما أتى به من الطاعات الأجر العظيم. قيل: لِمَ لم يبقِ الثاني؟ فإن قالوا: لأن ذلك أصلح له لأنه تعالى علم أنه لو بلغ لكفر واستحق الخلود في النار فكانت إماتته صغيراً أصلح له. قيل لهم: لِمَ لم يمت الثالث كما أمات الثاني؟ ولا انفصال لهم عن هذه ألبتة فتأمل.

فصل

ومن أجوبة الماتريدية في الردّ عليهم من النقل والعقل. أما الأولى فقوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً﴾ [يونس: ٩٩]، ولو لم يكن في مقدوره ما لو فعل بهم لآمنوا لم تكن لهذه الآية فائدة ادعاء قدرة ومشيئة ليستا له كفعل المتكلف الذي يتحلى بما ليس

فإن قيل: مهما قدر على رعاية الأصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحاً لا يليق بالحكمة؟ قلنا: القبيح ما لا يوافق الغرض حتى إنه قد يكون

فيه. وقوله تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ [البقرة: ٢٥٣] ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ [الإسراء: ٥٥]. ففي الآيتين دليل علي بطلان القول بالأصلح إذ عندهم كل ما يفعله تعالى عليه أن يفعل كذلك في الحكمة، وكل من فعل ما عليه فعله، فإنه لا يوصف بالفضل والافضال، فمقتضى مذهبهم لا يكون من الله تعالى تفضيل لبعض الرسل وهو خلاف النص، وبالسنّة وهو قوله ﷺ: «ولو أراد الله تعالى بالنملة صلاحاً ما أنبت لها جناحاً». والحديث صحيح من رواية علي رضي الله عنه، وبالوجود فإن الله تعالى فعل بالكافر ما لا صلاح له فيه، بل له فيه مفسدة حيث أبقاه إلى وقت بلوغه وركب فيه العقل مع علمه بأنه لا يؤمن بل يكفر، ولا شك أن إماتته في صغره وعدم تمييزه أصلح له. إذ علم أنه يكفر عند بلوغه واعتدال عقله، وكذا من عاش مدة على الإسلام ثم ارتد بعد ذلك، فإن بقاءه مع علمه بأنه يرتد ليس بمصلحة له وقد فعل ذلك، ولو كان تعالى قبض روحه قبل ارتداده بساعة لكان أصلح له، وكذا ابقاء الكافرين وإيلامهم ليزدادوا إثماً. وبالإجماع فإن المسلمين وأهل الأديان كلهم يطلبون المعونة من الله تعالى على الطاعات والعصمة عن السيئات وكشف ما بهم من البليات، وقد نطق النص بذلك. ثم الحال لا يخلو إن كان ما سألوا من المعونة والعصمة آتاهم الله تعالى أو لم يؤتهم، فإن كان آتاهم فسؤالهم سفه وكفران للنعم إذ السؤال لما كان عند العقلاء لما لم يكن موجوداً فيُسأل كأن الاشتغال بالسؤال إلحاقاً لهذه النعمة الموجودة بالمعدوم، وجل تعالى أن يأمر في كتبه المنزلة على الأنبياء أن يشتغلوا بما هو سفه وكفران للنعمة، وإن لم يؤتهم فلا يخلو إما أن يجوز له أن لا يؤتيهم أو لا يجوز، فإن كان لا يجوز له أن لا يؤتيهم، بل يجب عليه على وجه كان بمنعه ظالماً، وكان السؤال في الحقيقة كأنهم قالوا: اللهم لا تظلمنا بمنع حقنا المستحق عليك ولا تجر علينا، ومن ظن أن الأنبياء والأولياء اشتغلوا بمثل هذا الدعاء فقد كفر من ساعته، وإن كان يجوز أن لا يؤتيهم ذلك فقد بطل مذهبهم، وبالمعقول ففيه تسفيه الله تعالى في طلب شكر ما أدى إذ الشكر يكون على الافضال دون قضاء الحق وتناهي قدرة الله تعالى حيث لا يقدر على أن يفعل بأحد أصلح مما فعل، ولم يسبق في مقدوره ولا في خزائن رحمته أنفع لهم مما أعطاهم وإبطال منّة الله تعالى على عباده بالهداية حيث فعل ما فعل على طريق قضاء حق واجب عليه، ولا منة في هذا فيكون الله تعالى بقوله: ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ [البقرة: ١٠٥]، وبقوله: ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾ [الحجرات: ١٧] متصلفاً إذ لا فضل ولا منّة في قضاء مستحق عليه، وبالله التوفيق.

(**فإن قيل: مهما قدر**) سبحانه وتعالى (**على رعاية الأصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب**) ومنعهم الأصلح (**كان قبيحاً لا يليق بالحكمة**) تعالى الله عن ذلك. (**قلنا: القبيح**) لغة (**ما لا يوافق الغرض**) وهو الغاية التي يتحرى إدراكها (**حتى أنه قد يكون**

الشيء قبيحاً عند شخص حسناً عند غيره إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص أولياؤه ويستحسنه أعداؤه. فإن أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري سبحانه فهو محال إذ لا غرض له فلا يتصوّر منه قبيح كما لا يتصوّر منه ظلم إذ لا يتصوّر منه التصرف في ملك الغير، وإن أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم أن ذلك عليه محال؟ وهل هذا إلا مجرد تشـه يشهد بخلافه ما قد فرضناه من مخاصمة أهل النار؟ ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الأشياء القادر على إحكام فعلها على

الشيء قبيحاً عند شخص) لأمرٍ مّا **(حسناً عند غيره إذا وافق غرض أحدهما دون الآخر)**، فإنما يتم قبح الشيء وحسنه بموافقة الأغراض، **(حتى)** أنه قد **(يستقبح قتلَ الشخص أولياؤه)** بنصب اللام من قتل على أنه مفعول، وأولياؤه فاعل مؤخر والضمير عائد على الشخص **(ويستحسنه أعداؤه)** فبتفاوت الاغراض اختلف الاستقباح والاستحسان، **(فإن أريد بالقبيح)** الذي ترتب من عدم رعاية الأصلح **(ما لا يوافق غرض الباري سبحانه)** وتعالى **(فهو محال إذ لا غرض له)** تعالى، **(فلا يتصوّر منه قبيح)** بهذا المعنى وهذا **(كما لا يتصوّر منه ظلم إذ)** هو المالك المطلق والخلق خلقه والملك ملكه، ومعنى الظلم مجاوزة الحدود والتصرف في غير الملك و**(لا يتصوّر منه التصرف في ملك الغير)** لأنه في الحقيقة لا غير فيكون له ملك، **(وإن أريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير، فلم قلتم: إن ذلك عليه)** تعالى **(محال، وهل هذا إلا مجرد تشهٍ تشتهيه النفس يشهد بخلافه ما قد فرضناه من مخاصمة أهل النار)** في مسألة الصبي والبالغ؟

وفي الاعتماد للنسفي: وليس منع الأصلح بخلاً لأن منع ما كان منعه حكمة وهو حق المانع لا حق غيره قبله، بل يكون عدلاً، ثم الجواد إنما يتحقق بالافضال لا بقضاء الحق المستحق وعندهم لا إفضال، بل كان ذلك قضاء حق واجب عليه للغير، فلا يتصوّر عندهم تحقيق الجود وعندنا بما يعطي جواد متفضل وبما يمنع كما هو حقه عادل اهـ.

ولما كان من مذهب الاعتزال أن ترك رعاية الأصلح بخل يجب تنزيهه تعالى عنه، وكان من الجواب لهم أنه ليس يلزم في تمام الكرم ونفي البخل بالنسبة للسيد بلوغ أقصى الغايات الممكنة في الإحسان إلى كل عبد، بل هو سبحانه الحكيم يفعل ما هو مقتضى حكمته الباهرة من الاعطاء لمن يشاء والمنع لمن يشاء دون إيجاب يسلب الاختيار والمشيئة، كما قال تعالى: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ [الحديد: ٢١] تعرض المصنف لذكر الحكيم بقوله: **(ثم الحكيم)** في أسمائه تعالى **(معناه العالم)** قال ابن الأعرابي زاد غيره **(بحقائق الأشياء)** كما هي هي، ولا يعلم كنه حقائق الأشياء غيره فهو الحكيم المطلق، ويطلق أيضاً **(على القادر على أحكام فعلها)** باحسان العمل واتقان الصنع **(على وفق إرادته)**، فالمعنى الأوّل يرجع إلى العلم، والثاني إلى القدرة، ولذا قالوا: الحكيم ذو الحكمة وهي عبارة عن كمال العلم وإحسان العمل وإتقان الصنع.

وفق إرادته، وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح؟ وإنما الحكيم منا يراعي الأصلح نظراً لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثواباً أو يدفع به عن نفسه آفة. وكل ذلك على الله سبحانه وتعالى محال.

الأصل الثامن: أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بإيجاب الله تعالى وشرعه لا

وقال ابن التلمساني: الحكيم هو الذي يفعل على وفق إرادته وعلمه ويرجع معناه إلى صفة العلم والقدرة. وفي الأسماء والصفات لعبد القاهر البغدادي: الحكيم هو العالم بالمستور الخفي على غيره، فهو من الأوصاف الثابتة له في الأزل، لأنه في الأزل كان عالماً بجميع المعلومات على التفصيل، وقيل: هو المحكم لأفعاله على اتقانها أو هو الممتنع عن الفساد، فهو إذاً من الأوصاف التي استحقها بفعله ولا يكون حينئذ من أوصافه الأزلية، وعلى المعنى الآخر من أوصافه المشتقة من أفعاله. وقد اختلف في معنى الحكيم فقال أصحابنا: الحكيم في فعله من أصاب مراده على حسب قصده، وعند المعتزلة من كان في فعله منفعة له أو لغيره اهـ.

(**وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح**) والصالح للعباد؟ ومن أصول المعتزلة حمل الغائب على الشاهد وقد رد عليهم المصنف ذلك بقوله: (**وإنما الحكيم منا**) أي إذا أطلق الحكيم على أحدنا أريد به ذو الحكمة وهي إصابة الحق بالعلم والعمل فهو (**يراعي الأصلح**) والصالح (**نظراً لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء**) جيلاً (**وفي الآخرة ثواباً**) جزيلاً، (**أو يدفع به**) أي بمراعاة الأصلح (**عن نفسه**) مضرة عاجلة أو آجلة (**رأفة**) لها (**ورحمة**) عليها، (**وكل ذلك على الله سبحانه وتعالى محال**)، وقد أظهروا فساد قول المعتزلة من أن الحكمة ما كان موضوعاً لطلب منفعة أو لدفع مضرة بوجوه كثيرة ليس هذا محل ذكرها، وبالله التوفيق.

(**الأصل الثامن: أن معرفة الله سبحانه**) بتوحيده واتصافه بصفات الكمال وطاعة أوامره (**واجبة**) على كل مكلف اتفاقاً ولكن وجوبها عند أهل الحق (**بإيجاب الله تعالى وشرعه**) بواسطة رسله الكرام (**لا بالعقل**) أي مما يجب الإيمان به أن العقل لا يستقل بإدراك المؤاخذة الشرعية المتعلقة بالفعل والترك فلا تحسين ولا تقبيح بالعقل، وهذا الأصل هو الملقب بالتحسين والتقبيح العقليين، وعليه يترتب ما ذكره المصنف قبل هذا في الأصلين من مسألة التكليف وإيلام البهائم، ولذا قيل: إن تقديم هذا البحث عليهما كان أحسن، وقد لاحظ ذلك ابن الهمام في المسايرة فأورد الكل في أصل واحد، وحاصل الكلام فيه: أن أهل السنّة والجماعة من الأشاعرة اتفقوا على أن الأفعال توصف بالحسن والقبح، لكن لا لذواتها ولا لأوصافها ولا لاعتبارات تلحقها، وإنما توصف من حيث تعلق خطاب الشرع بها، فإن تعلق بها نهي فهي قبيحة، فإذاً القبيح ما نهى الشارع عنه، وإن لم يتعلق بها نهي فهي حسنة فإذا الحسن ما لم ينه الله عنه، فالحسن راجع إلى كون الفعل لم يتعلق به نهي، والقبيح راجع إلى كون الفعل تعلق به نهي، فنفس الفعل أوجب له هذا الحكم من الحسن والقبح الذي هو محل النزاع (**خلافاً للمعتزلة**) جمهورهم

بالعقل ـ خلافاً للمعتزلة ـ لأن العقل وإن أوجب الطاعة فلا يخلو إما أن يوجبها لغير فائدة وهو محال، فإن العقل لا يوجب العبث، وإما أن يوجبها لفائـدة وغرض وذلك لا يخلو إما أن يرجع إلى المعبود وذلك محال في حقه تعالى، فإنه يتقدس عن الأغراض والفوائد، بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيان، وإما أن يرجع ذلك إلى غرض العبد وهو أيضاً محال لأنه لا غرض له في الحال، بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه وليس في المآل إلا الثواب والعقاب. ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليها، مع أن الطاعة والمعصية في حقه يتساويان إذ ليس له إلى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص، وإنما عرف تمييز ذلك بالشرع، ولقد زل من أخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفر إن لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر.

وللماتريدية على ما سيأتي بيان أقوالهم في ذلك، والدليل عليه من النقل والعقل. ولما كان الدليل النقلي الذي هو قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث﴾ [الاسراء: ١٥]، يحتمل العذاب الدنيوي ويحتمل العذاب الأخروي أعرض عنه وتمسك بدليل العقل، فقال: (**لأن العقل**) إذا كان موجباً (**ان أوجب الطاعة**) لله تعالى (**فلا يخلو فإما أن يوجبها لغير فائدة**) عاجلة أو آجلة (**وهو محال، فإن العقل لا يوجب العبث**) وهو ما لا فائدة فيه، (**وإما أن يوجبها**) أي الطاعة (**لفائدة وغرض وذلك لا يخلو إما أن يرجع**) ذلك الغرض (**إلى المعبود**) جل وعز (**وذلك محال، فإنه**) تعالى (**يتقدس**) ويتنزه (**عن الأغراض والفوائد**) إذ الغرض هو الحامل للفاعل على تحصيل كمال عنده أو به أو دفع نقص كذلك وكل ذلك يستحيل على الباري جل وعز، (**بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان في حقه تعالى سيَّان**) أي متساويان، (**وإما أن يرجع إلى غرض العبد وهو محال**) أيضاً (**لأنه**) لا يخلو إما أن يكون في الحال أو في المآل، ومن المعلوم البيّن أنه (**لا غرض له في الحال بل يتعب به**) ويقع في تكليف ومشقة (**وينصرف عن الشهوات**) النفسية (**بسببه و**) أيضاً ليس له غرض في المآل لأنه (**ليس في المآل**) أي في الآخرة (**إلا الثواب والعقاب**) على الطاعة والعصيان، (**ومن أين يعلم**) للعبد بالبناء للمفعول واللام مفتوحة (**إن الله**) تعالى (**يثيب**) أي يجازي (**على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليها**) أي على كل منها ولا طريق إلى العلم بذلك، (**مع أن الطاعة والمعصية في حقه يتساويان إذ ليس له إلى أحدهما ميل**) يعرف به (**ولا به**) أي بالعبد (**لأحدهما اختصاص، وإنما عرف تمييز ذلك**) من بعضه (**بالشرع**) على لسان الرسـل، فثبت بذلك أن الموجب هو الشرع لا العقل، ومنهم من أخذ هذه المسألة بالمقايسة بين الشاهد والغائب، وقد ردّ عليه المصنف بقوله: (**ولقد زلّ**) أي وقع في الزلل (**من أخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق المخلوق**) ويميز (**بين الشكر والكفران**)،

....

والشكر هو تصوّر النعمة وإظهارها والكفران نسيان النعمة وسترها **(لما له من الارتياح)** والانبساط **(والاهتزاز)** والاهتشاش **(والتلذذ بأحدهما دون الآخر)**، وغاية ما يقال فيه: انه يرجع إلى ملاءمة الطبع وليس هذا محل النزاع.

وقال أبو الخير القزويني: من شرط الموجب أن يكون حياً عالماً ملكاً قادراً على الثواب والعقاب، والعقل عرض يستحيل أن يتصف بصفة مّا، وأيضاً فإن العقل لو صلح للايجاب بشيء لصلح ايجاب جميع الواجبات، وأيضاً نحن نرى فعلين متماثلين وأحدهما حسن والآخر قبيح كالوطء نكاحاً والوطء سفاحاً، وكالقتل ابتداء والقتل احتذاء، فدل على أن الحسن والقبح بإثبات الشرع فقط اهـ.

وأوسع الكلام في إبطال هذه المسألة ابن التلمساني في شرح اللمع فقال: اعلم أن الحسن والقبيح يطلقان باعتبارات ثلاثة:

الأوّل: الحسن هو الملائم للغرض والقبيح هو المخالف للغرض، والملاءمة ترجع إلى ميل النفس والطبع، وهما بهذا الاعتبار يرجعان إلى أمر عرفي مختلف باختلاف الأشخاص والأحوال وتفسير الحسن والقبح بهذا الاعتبار لا نزاع فيه.

الثاني: الحسن كل صفة كمال كالعلم بنوعه، والقبح ضده كالجهل بنوعه وهذا عقلي لا نزاع فيه أيضاً.

الثالث: الحسن ما ينال فاعله الثناء من الله تعالى والثواب أو اللوم والعقاب على تركه في الدنيا والآخرة، والقبيح ضده وهذا محل النزاع فالأشعرية تقول ان ذلك يرجع إلى وقوع جائز غيبي، ووقوع الجائزات الغيبية لا يهتدى إليه إلا بانباء الصادق عادة، والمعتزلة والخوارج والكرامية تقول إن الباري تعالى حكيم وأن الحكيم لا يفعل ولا يأمر ولا ينهي إلا على وفق الحكمة، والباري لا ينتفع ولا يتضرر، فتعين حصر الصلاح فيما يرجع إلى جلب نفع للعبيد أو دفع ضرر عنهم. قالوا: وإذا كان مضمون الفعل مصلحة خالصة أو راجحة، فالحكيم لا بد أن يرجح فعله على تركه، وإن كان مضمونه مفسدة خالصة أو راجحة، فالحكيم لا بد أن يرجح تركه على فعله وإن استوت جهة المصلحة والمفسدة فيه، فموجب ذلك التخيير، فإذا وقفنا بعقولنا على شيء من ذلك إما بضرورة أو نظر حكمنا به، وإن وقفت العقول عن إدراك شيء من ذلك تلقيناه من الشارع، فالشرع مخبر عن حال المحل كالحكيم الذي يخبر عن هذا العقار انه بارد أو حار لا انه يثبت حكماً في المحل، وعلى هذا الأصل يعسر عليهم القول بالقبح، ثم قسموا الأفعال إلى ثلاثة أقسام: منها ما يدرك حسنه وقبحه بالضرورة كحسن الصدق النافع وقبح الكذب الضار، ومنها ما يدرك حسنه وقبحه بالنظر كحسن الصدق الضار وقبح الكذب النافع، ومنها ما لا يستقل العقل بإدراك حسن فيه ولا قبح حتى يرد الشرع فيه كحسن صوم آخر يوم من شهر رمضان

وقبح صوم أوّل يوم من شوّال، وقد تمسك الأصحاب في الرد عليهم بالمناقضة العرفية والمذهبية والعقلية.

فأما العرفية فقالوا: ادعيتم إدراك حسن بعض الأفعال وقبحها بضرورة العقل وحكم الضروري أن لا تختلف فيه العقلاء عادة وعرفاً، ونحن نخالفكم ولا يمكنكم حمل ذلك على العناد، فإن العادة تحيل مثل ذلك من الجماء الغفير مع توالي العصور ومر الدهور. قالوا: إنا لم نخالفكم في شيء البتة فإنا نحسن جميع ما تحسنونه ونقبح جميع ما تقبحونه، وإنما الخلاف في المدرك فنحن نقول: إنه من العقل وأنتم تقولون انه من الشرع، ولا يبعد الاختلاف في المدرك بعد الاتفاق على أصل الحكم كاختلافكم مع الكعبي في أن خبر التواتر يفيد العلم ضرورة أو نظراً. وأجاب الأصحاب بوجهين: **أحدهما:** أنا لم نتفق قط في صورة إلا في اللفظ، والحسن منا ومنكم مقول بالاشتراك اللفظي فنحن نقول: إنه يرجع إلى تعلق الخطاب والقول ولا يكتسب المقول من القول صفة كما لا يكتسب المعلوم من العلم صفة، وأنتم تزعمون أنه صفة في المحل نفسه أو تابعة له في الحدوث عند الجمهور منكم، ونحن ننفي القسمين معاً. **الثاني:** إنا لا نسلم الكلية فإنه يحسن عندنا من الله تعالى إيلام البرايا من غير جرم سابق ولا التزام عوض لاحق، وأنتم لا تقضون بحسنه من الله تعالى إلا بأحد الأمرين، فلم نتفق في كل صورة.

وأما المناقضة المذهبية فقالوا: ادعيتم أن الإيلام قبيح وإنه يحسن للنفع الراجح، وادعيتم أن الكذب قبيح وأنه لا يحسن في النفع الراجح، ومن صور ذلك أن يكون فيه نجاة نبي، فقال أبو هاشم: التزم التسوية بين الصورتين واحكم ان الكذب يحسن في مثل هذه الصورة، فقيل له: إذا قلت أن من جنس الكذب ما يوصف بالحسن، ومن أصلك ان كل حسن يصح من الله فعله، والمتكلم على أصلك من فعل الكلام لا من قام به، فجوّز أن يخلق الله تعالى كذباً نافعاً ويتصف به فتبلد ولم يجد جواباً.

وأما المناقضة العقلية، وهو أن القتل ابتداء كالقتل بناء فإنهما مستويان في الصورة والصفة بدليل أن الغافل في المستند فيهما لا يفرق بينهما، وقد قضيتم بقبحه ابتداء وبحسنه بناء، وحكم المثلين أن لا يفترقا في صفات النفس ولا ما يلازم النفس، وللمعتزلة شبه.

الأولى: قالوا: إن العقلاء مجمعون على تحسين الصدق النافع وتقبيح الكذب الضار، والظلم الذي لا ينتفع به الظالم وتحسين شكر المنعم وانقاذ الهلكى والغرقى قالوا: وقد اعترف بذلك من ينفي الشرائع من البراهمة، فدل على أنه من موجبات العقول، قلنا: ذلك يرجع إلى الملاءمة والمنافرة. ونحن نسلمه ومحل النزاع غير ذلك، وهو أنه إذا فعل شيئاً من ذلك يثاب عليه في الآخرة أو يعاقب على تركه ومجرد العقل لا يهتدي لذلك. وأما قولكم: إن البراهمة حسنت بعقولها. قلنا: جهلوا كجهلكم كما أنهم قبحوا. إيلام البهائم مطلقاً وأنتم تحسنونه بجناية سابقة أو التزام عوض لاحق.

....

الشبهة الثانية: قالوا: من له غرض يناله إن صدق أو كذب فإنه يختار الصدق على الكذب ما ذاك إلا لحسنه عقلاً. قلنا: موجبه اعتقاد الشرائع. قالوا: نفرضه فيمن لم يعتقد ذلك. قلنا: لاعتقاده موجب مذهبكم قالوا: نفرضه فيمن نشأ في جزيرة ولم يتصل به شرع ولا خالط غيره من أرباب المذاهب. قلنا: إذا بالغتم في الفرض إلى هذه الصورة فحينئذ يمنع ترجيحه للصدق.

والشبهة الثالثة: قالوا لو حسن من الله كل شيء لحسن منه خلق المعجزة على يد الكاذب وحينئذ لا يتميز النبي على المتنبىء. قلنا: من صار من أصحابنا إلى أن دلالة المعجزة عقلية، فإنه يمنع صدور ذلك على يد الكاذب لأن الدلالة العقلية تدل لنفسها، فلو وجدت غير دالة لانقلب الدليل شبهة والعلم جهلاً، وقلب الأجناس محال، ومن صار إلى أن دلالتها عادية جوّز صدورها على يد الكاذب. قال: والجواز للعقل لا يمنع القطع بالدلالة بناء على استمرار العادة كما انا نقطع بأن كل إنسانٍ نشاهده مخلوق من أبوين وإن جوّزنا خلقه من غير تردد في أطوار الخلقة وذلك الجواز لا يمنعنا من الجزم.

الشبهة الرابعة: قالوا: لو لم يكن الكذب قبيحاً لعينه لجاز أن يخلق الله تعالى كذباً ويتصف به. قلنا: هذا لازم أصلكم فإنكم تزعمون أن المتكلم من فعل الكلام، ونحن نقول المتكلم من قام به الكلام، وكلام الله تعالى أزلي متصف بالصدق، ويستحيل وصفه بالكذب لما فيه من النقص اهـ.

وقال شارح الحاجبية: لو حسن الفعل أو قبح لذاته لما اختلف لأن ما بالذات لا يختلف، لكنه قد اختلف كالقتل ظلماً وحداً والضرب تعذيباً وتأديباً، وأيضاً لو حسن الفعل أو قبح لغير الطلب لم يكن تعلق الطلب لنفسه لتوقفه على أمر زائد على ذلك التقدير وهو الحسن والقبح، والتالي باطل لما يلزم عليه من تخلف الصفات النفسية فالمقدم مثله اهـ.

فصل

وحاصل ما في المسايرة وشرحه ما نصه: لا نزاع في استقلال العقل بادراك الحسن والقبح بمعنى صفة الكمال والنقص كالعلم والجهل والعدل والظلم ورد شرع أم لا. وكذا بمعنى ملاءمة الغرض وعدمها كقتل زيد بالنسبة إلى أعدائه وأوليائه وفاقاً منا ومن المعتزلة، وإنما النزاع باستقلاله بدركه في حكم الله تعالى، فقالت المعتزلة: نعم يجزم العقل بثبوت حكم الله تعالى في الفعل بالمنع على وجه ينتهض سبباً للعقاب إذا أدرك قبحه وبثبوت حكمه تعالى فيه بالإيجاب له والثواب بفعله والعقاب بتركه إذا أدرك حسنه على وجه يستلزم تركه قبحاً كشكر المنعم بناء منهم على أن للفعل في نفسه حسناً وقبحاً ذاتيين أي تقتضيهما ذات الفعل كما ذهب إليه قدماؤهم، أو لأجل صفة فيه حقيقة توجبها له، كما ذهب إليه الجبائية وبأنه قد يستقل بدركها العقل فيعلم حكم الله تعالى باعتبارها فيه، وقد لا يستقل فلا يحكم فيه بشيء حتى يرد الشرع.

فإن قيل: فإذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع والشرع لا يستقر ما لم ينظر

وقالت الأشاعرة قاطبة: ليس للعقل نفسه حسن وقبح ذاتيان ولا لصفة توجبها، وإنما ورد الشرع بإطلاقه وقبحه وروده بحظره، وإذا ورد بذلك حسناه أو قبحناه بهذا المعنى، فحاله بعد ورود الشرع بالنسبة إلى الوصفين كحاله قبل وروده فلا يجب قبل البعثة شيء لا إيمان ولا غيره ولا يحرم كفر. وقالت الحنفية قاطبة: بثبوت الحسن والقبح للعقل على الوجه الذي قالته المعتزلة، ثم اتفقوا على نفي ما بنته المعتزلة على اثبات الحسن والقبح للفعل من القول بوجوب الأصلح ووجوب الرزق والثواب على الطاعة والعوض في إيلام الأطفال والبهائم والعقاب بالمعاصي إن مات بلا توبة بناء على منع كون مقابلاتها خلاف الحكمة، بل قالوا: ما ورد به السمع من وعد الرزق والثواب على الطاعة وألم المؤمن والطفل حتى الشوكة يشاكها محض فضل وتطول منه لا بدّ من وجوده لوعده، وما لم يرد به سمع كتعويض البهائم على آلامها لم نحكم بوقوعه، وإن جوّزناه عقلاً. ولا اعلم أحداً منهم جوّز عقلاً تكليف ما لا يطاق فهم في هذا مخالفون للأشعرية، ومع القول بالحسن والقبح العقليين اختلفوا هل يترتب على العلم بثبوت أحدهما أن يعلم حكم الله في ذلك الفعل تكليفي، فقال الأستاذ أبو منصور الماتريدي، وعامة مشايخ سمرقند: نعم يعلم على هذا الوجه وجوب الايمان بالله وتعظيمه وحرمة نسبة ما هو شنيع إليه تعالى، كالكذب والسفه ووجوب تصديق النبي وهو معنى شكر المنعم. وروى الحاكم الشهيد في المنتقى عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه قال: لا عذر لأحد في الجهل بخالقه لما يرى من خلق السموات والأرض وخلق نفسه وسائر مخلوقاته، وعنه أيضاً لو لم يبعث الله رسولاً لوجب على الخلق معرفته بعقولهم، ونقل هؤلاء مذهب المعتزلة على خلاف المهيع الأوّل قالوا: العقل عندهم إذا أدرك الحسن والقبيح يوجب بنفسه على الله وعلى العباد مقتضاهما، وعندنا معشر الحنفية الموجب لمقتضى الحسن والقبح هو الله تعالى يوجبه على عباده ولا يجب عليه شيء باتفاق أهل السنة، والعقل عندنا آلة يعرف به ذلك الحكم بواسطة أن يطلعه الله على الحسن والقبح الكائنين في الفعل، وإذا لم يوجب العقل ذلك لم يبقَ دليل على الحكم للأفعال من ذلك وغيره إلا السمع، وقد قام دليل السمع على عدم تعلق الحكم بالعباد قبل البعثة. قال تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ [الإسراء: ١٥]، وجه الاستدلال أنه نفى العذاب مطلقاً في الدنيا والآخرة، وذلك نفي لازم الوجوب والحرمة، وانتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم، وحمل بعضهم العذاب في الآية على عذاب الدنيا وهو مدفوع بأنه تخصيص بغير دليل وخلاف مقتضى إطلاق لفظ العذاب بلا موجب يقتضي التخصيص اهـ.

(**فإن قيل**) : من طرف المعتزلة ليس تخصيص العذاب في الآية بعذاب الدنيا خلاف مقتضى الاطلاق فلا موجب بل هو خلاف له موجب عقلي، وهو ان الواجبات كالنظر المؤدي إلى الإيمان بوجود الباري تعالى ووحدانيته، لو لم يكن عقلياً لزم الدور، وإذا وجب النظر المؤدي إلى الإيمان عقلاً وإن لم يرد الشرع وجب الإيمان عقلاً، لأن العلم بوجوبه لازم للنظر الصحيح المؤدي إليه الذي هو أوّل واجب، ويلزم من وجود الملزوم وجود اللازم. أما الملازمة الثانية

المكلف فيه، فإذا قال المكلف للنبي: ان العقل ليس يوجب على النظر، والشرع لا يثبت عندي إلا بالنظر ولست أقدم على النظر، أدى ذلك إلى إفحام الرسول ﷺ؟ قلنا: هذا يضاهي قول القائل للواقف في موضع من المواضع ان وراءك سبعاً ضارياً فإن لم تبرح عن المكان قتلك وإن التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي، فيقول

فلأن وجوب الوسيلة عقلاً من حيث هي وسيلة يقتضي وجوب المقصود كذلك، وأما الملازمة الثانية فقد أشار إليها المصنف بقوله: (**فإذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع**) أي إذا حصرتم مدارك الأحكام في الشرع المنقول دون قضايا العقول، (**والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه، فإذا**) أظهر الرسول معجزته ودعا الخلق إلى النظر فيها ليعلم صدقه (**قال المكلف للنبي: إن العقل ليس يوجب على**) أي لا يجب على (**النظر**) إلا بشرع مستقر، (**و**) أما (**الشرع**) فإنه (**لا يثبت**) في حقي (**إلا بالنظر**) المؤدي إلى علمي بثبوته. (**ولست أقدم على النظر**) لأعلم ثبوت الشرع في حقي ما لم يجب (**أدّى ذلك إلى**) الدور وهو باطل، وأدى أيضاً إلى (**إفحام الرسول؟ قلنا**) في الجواب: ما ذكرتموه ينعكس عليكم في ايجاب العقول، فإن العقل لا يوجبه بضرورته لأمرين: أحدهما: اختلاف العقلاء فيه، الثانـي: أنه يتوقف على أمور نظرية، والمتوقف لا يكون ضرورياً بيان وقوعه على الأمور النظرية أنه يتوقف على إيجاب المعرفة وهو نظري وإيجاب النظر بوجوب المعرفة بناء على أن ما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب وهو نظري أيضاً، وأنه لا طريق سواه وهو نظري، فتعين أن ما يوجبه النظر وإن كان كذلك فللعاقل أن يمتنع من النظر حتى يوجبه العقل، فيقول: لا أنظر ما لم يجب ولا يجب ما لم أنظر هذا من حيث الجدل، وأما من حيث التحقيق فإن وجوب النظر لا يتوقف على نظر المكلف، بل متى ورد الشرع وأخبر بالإيجاب وكان المكلف بحال يصح منه النظر والاستدلال، فقد تحقق الشرع. والموقوف على نظره علمه بالوجوب لا نفس الوجوب والمشروط في التكليف أن يكون المكلف له سبيل إلى العلم بما كلف به، فإن من أغلق عليه باباً وقال مهما خطر لي من الحركات والسكنات أفعله ولا تكليف لله تعالى عليَّ لأنني لم أطلع على حكمه يكون عاصياً بالاجماع، فإنه لا يخلو إما أن يكون من أهل الاجتهاد أو لا، فإن كان من أهل الاجتهاد فالواجب عليه أن ينظر ليعلم حكم الله تعالى بالاجماع، وإن لم يكن من أهل الاجتهاد وجب عليه السؤال وتقليد من يعرف حكم الله تعالى، و (**هذا**) القدر المفروض صدوره من المكلف لنبيه ساقط عن الاعتبار، إذ ليس مثله مما يصدر عن عاقل فلا يكون عذراً لقائله في ترك النظر. وقد ضرب المصنف له مثلاً ليفهم فقال: هو (**يضاهي**) أي يشابه (**قول القائل للواقف في موضع من المواضع**) قصداً للإرشاد إلى النجاة؛ (**إن وراءك**) أي خلفك (**سبعاً**) وهو الحيوان المفترس (**ضارياً**) وصفه بالشدة والضراوة (**فإن لم تنزعج**) هكذا في سائر النسخ، وفي بعضها: فإن لم تبرح (**عن المكان**) الذي أنت فيه بالحركة والانتقال (**قتلك، وإن التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي**) أي صدق قولي، (**فيقول**) له ذلك (**الواقف**) المذكور:

الواقف: لا يثبت صدقك ما لم ألتفت ورائي ولا ألتفت ورائي، ولا انظر ما لم يثبت صدقك، فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد. فكذلك النبي ﷺ يقول: «إن وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة إن لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا لـي صدقي بالالتفات إلى معجزتي وإلاّ هلكتم، فمن التفت عرف واحترز ونجا، ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ولا ضرر علي أن هلك الناس كلهم أجمعون، وإنما عليّ البلاغ المبين». فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت. والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بإمكان ما يقوله في المستقبل، والطبع يستحث على الحذر من الضرر، ومعنى كون الشيء واجباً أن في تركه

(**لا يثبت**) عندي (**صدقك ما لم ألتفت ورائي**) وانظر (**ولا ألتفت ورائي ولا أنظر ما لم يثبت صدقك، فيدل هذا**) كما لا يخفى (**على حماقة هذا القائل**) وسقوطه عن حيز الاعتبار (**وتهدفه**) أي: نصب نفسه هدفاً (**للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد**) للنجاة، (**فكذلك النبي يقول**) لمن بعث إليهم ما معناه: اعلموا (**أن وراءكم**) أي خلفكم أو أمامكم فإنه من الأضداد، والمعنى صحيح على الوجهين (**الموت**) أي لا بدّ منه (**ودونه السباع الضارية**) لعله أراد بذلك ملائكة العذاب على التشبيه وإلا لا مناسبة لذكرها بعد الموت، ولذا أسقط هذه الجملة ابن الهمام في المسايرة (**والنيران المحرقة إن لم تأخذوا حذركم منها**) بالتوبة والتصديق والعمل الصالح (**وتعرفوا لي صدقي بالإلتفات إلى معجزتي**) فإن إعراضكم عن قبول ما جئت به أو تكذيبكم إياي موجب للهلاك الأبدي وهو الخلود في العذاب الأليم (**فمن التفت**) منكم بأن نظر في معجزاتي (**عرف**) صدقي (**واحترز**) أي: صار في حرز (**ونجا**) من الهلاك الأبدي، (**ومن لم يلتفت**) منكم بالنظر فيها (**وأصر**) على عناده (**هلك**) هلاكاً، بل (**وتردى**) على أم رأسه في الهاوية، (**ولا ضرر علي أن هلك الناس كلهم**) أي جميعهم، وقوله: (**أجمعون**) تأكيد له، (**وإنما عليّ البلاغ المبين**) أي المظهر للحق، (**فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت**) ويحذر من عذاب النار، (**والعقل يفيد فهم كلامه**) أي الخطاب (**و**) يفيد (**الإحاطة بإمكان ما يقول في المستقبل**) من الزمان، فيجوز العقل صدق ما يقول النبي قبل النظر في المعجزة، (**والطبع يستحث على الحذر من الضرر**). وذلك يحمل العاقل على النظر لا محالة فيمتنع تخلف النظر في عادة العقلاء، فيكون مجرد تجويز العقل ما يقول النبي مع استحثاث الطبع على الحذر من الضرر ملزوماً عقلياً، أي يحكم العقل بأنه ملزوم للنظر فلا يتخلف النظر عنه ومستند حكم العقل فيه إطراد العادة.

قال ابن أبي شريف: انه ليس المراد بالنيران فيما مرّ نيران الآخرة لأنها وراء الموت لا دونه، ولأنها لم تثبت عند المخاطبين بعد، بل المراد بها وبالموت تعظيم ما وراءهم وتهويله لا الموت الحقيقي.

ضرراً، ومعنى كون الشرع موجباً أنه معرف للضرر المتوقع فإن العقل لا يهدي إلى التهدف للضرر بعد الموت عند إتباع الشهوات، فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما في تقدير الواجب، ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الوجوب ثابتاً، إذ لا معنى للواجب إلا ما يرتبط بتركه ضرر في الآخرة.

قلت: وفيه نظر يحتاج إلى تأمل، وقد يقال في الاعتراض على هذا التقدير أن مجرد تجويز العقل صدق ما يقول النبي ليس ملزوماً عقلياً للنظر، ولا استحثاث الطبع ملزوماً عقلياً أيضاً لا بمجرده ولا مع التجويز المذكور، بل قد لا ينساق المكلف إلى النظر بسبب علة الشهوة على استحثاث الطبع مع قوّة النفس المانعة عن الانقياد ومع سهوها عن النظر في العواقب ويعود المحذور وهو لزوم الإفحام، وحاصله منع الملازمة وقد يجاب بأنه مكابرة لما قرر أن مستند حكم العقل باللزوم إطراد العادة ومجرد التجويز العقلي لا يقدح في العلم باللزوم المستند ذلك العلم إلى العادة، وقد يجاب عن تمسكهم بلزوم الإفحام بأن مقتضى ما ذكرتم من التمسك هو وجوب النظر المستلزم لوجوب الايمان عند دعوة النبي إليه وبه نقول، وهو لا يفيد وجوب النظر على المكلف بلا دعوة من النبي ولا اخبار أحد له بما يجب الإيمان به وهو مطلوبكم، وحاصله: إن ما أفاده دليلكم محل وفاق ولم يفد مطلوبكم الذي هو محل النزاع. ثم أشار المصنف إلى إبطال إيجاب العقل فقال: (**ومعنى كون الشيء واجباً أن في تركه ضرراً**) ويكون تاركه ملوماً (**ومعنى كون الشرع موجباً أنه معرف للضرر المتوقع**) في تركه، (**فإن العقل**) بمجرده (**لا يهدي**) أي لا يرشد (**إلى التهدف**) كونه هدفاً (**للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات**) والملذوذات، (**فهذا معنى**) إيجاب (**الشرع والعقل وتأثيرهما في تقدير الواجب، ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به**) ورجاء الثواب على فعل ما أمر به (**لم يكن الوجوب ثابتاً**) في الحقيقة. (**إذ لا معنى للواجب إلا ما يرتبط**) أي يتعلق (**بتركه ضرر في الآخرة**)، فهذا هو محل النزاع. والحاصل أن كل الواجبات تثبت ابتداء جبراً بحكم المالكية المقتضية لاستحقاق امتثال الأمر والنهي دون أمر يتوقف عليه الوجوبات، بل هي متعلقة أزلاً بمتعلقاتها من أفعال العباد دون ترتيب، ولكن يتوقف تعلقها التنجيزي على فهم الخطاب بالإبلاغ. وقد تحقق كل ذلك في حق مَن أخبره بذلك الإيجاب بخبر لانتفاء الغفلة عنه بذلك الاخبار، غير أن هذا التعلق التنجيزي قد يكون تعلقاً بالواجب الذي هو النظر في دليل صدق المبلغ في دعواه النبوّة، وقد يكون تعلقاً بغير ذلك النظر من الواجبات، فأما تعلق الوجوب بالنسبة إلى غير الواجب الذي هو النظر في دليل صدق المبلغ في دعواه النبوّة من الواجبات، فإنه يتحقق بعد ثبوت صدقه في دعوى النبوّة، وأما تعلق الوجوب في النظر في المعجزة فبمجرد الإخبار بذلك الوجوب لا يقدر المخاطب بالخبر في عدم الالتفات إليه بعد ما جمع له من الإبلاغ وآلة الفهم وهو العقل المجوّز لما ادعاه المخبر، لأنه أي عدم الالتفات إليه بعد ما جمع له من الأمرين جرى على خلاف مقتضى نعمة العقل فإن مقتضاها استعمالها في جلب ما ينفع ودفع ما

....

يضر فلا يعذر في عدم الالتفات المذكور، وبه يندفع الاعتراض بلزوم الإفحام. وللمصنف رحمه الله تعالى في كتاب الاقتصاد كلام موضح لهذا المحل ملخصه: أن الوجوب معناه رجحان الفعل على الترك لدفع ضرر في الترك موهوم أو معلوم، والموجب هو الله تعالى لأنه المرجح، ومعنى قول الرسول أن النظر في المعجزة واجب هو انه مرجح على تركه بترجيح الله إياه، فالرسول يخبر عن الترجيح والمعجزة دليل صدقه في اخباره والنظر سبب لمعرفة الصدق والعقل آلة للنظر ولفهم معنى الخبر، والطبع مستحث على الحذر عن الضرر بعد فهم المحذور بالعقل، وبهذا تبين أن مدخل العقل من جهة أنه آلة للفهم لا أنه موجب.

تنبيه:

قال ابن الهمام: اعلم أن محل الاتفاق في الحسن والقبح العقليين إدراك العقل قبح الفعل بمعنى صفة النقص، وحسنه بمعنى صفة الكمال، وكثيراً ما يذهل أكابر الأشاعرة عن محل النزاع في مسألتي التحسين والتقبيح العقليين لكثرة ما يشعرون النفس أن لا تحكم للعقل بحسن ولا قبح، فذهب لذلك عن خاطرهم محل الاتفاق حتى تحير كثير منهم في الحكم باستحالة الكذب عليه تعالى لأنه نقص، حتى قال بعضهم: ونعوذ بالله ممن قال لا تتم استحالة النقص عليه تعالى إلا على رأي المعتزلة القائلين بالقبح العقلي، وحتى قال إمام الحرمين: لا يمكن التمسك في تنزيه الرب جل جلاله عن الكذب بكونه نقصاً لأن الكذب عندنا لا يقبح لعينه، وحتى قال صاحب التلخيص الحكم بأن الكذب نقص إن كان عقلياً كان قولاً بحسن الأشياء وقبحها عقلاً، وإن كان سمعياً لزم الدور. وقال صاحب المواقف: لم يظهر لي فرق بين النقص في الفعل والقبح العقلي، فإن النقص في الأفعال هو القبح العقلي اهـ.

وكل هذا منهم للغفلة عن محل النزاع، حتى قال بعض محققي المتأخرين منهم، وهو السعد في شرح المقاصد بعدما حكى كلام هؤلاء المذكورين ما نصه: وأنا أتعجب من كلام هؤلاء المحققين كيف لم يتأملوا أن كلامهم هذا في محل الوفاق لا في محل النزاع اهـ.

قال ابن أبي شريف، فإن قيل: محل النزاع ومحل الوفاق إنما هما في أفعال العباد لا في صفات الباري سبحانه. قلت: الاختلاف بين الأشاعرة وغيرهم في أن كل ما كان وصف نقص في حق العباد فالباري تعالى منزه عنه وهو محال عليه، والكذب وصف نقص في حق العباد.

فإن قيل: لا نسلم أنه وصف نقص في حقهم مطلقاً لأنه قد يحسن، بل قد يجب في الاخبار لسائل عن موضع معصوم يقصد قتله عدواناً. قلنا: لا خفاء في أن الكذب وصف نقص عند العقلاء وخروجه لعارض الحاجة للعاجز عن الواقع إلا به لا يصح فرضه في حق ذي القدرة الكاملة الغنى مطلقاً سبحانه، فقد تم كونه وصف نقص بالنسبة إلى جناب قدسه تعالى فهو مستحيل في حقه عز وجل.

....

فصل

وهذا الدليل الذي سقناه في أوّل الأصل هو متمسك المحدث، وأما الصوفي فيقول: الأفعال كلها نسبتان: نسبة التكوين، ونسبة التكليف. أما نسبة التكوين؛ فعامة لما تقدم من أن الأفعال كلها فعل الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردنـاه أن نقول له كن فيكون﴾ [النحل: ٤٠]، فالأفعال بهذه النسبة لا توصف بحسن ولا قبح لاستواء الإيجاد، بل هي حسنة من حيث علم الفاعل وإرادته. وأما نسبة التكليف؛ وهي الطلب: فهي مختصة بأفعال المكلف وهو الملك والجن والعاقل البالغ من الإنس، ومن المعلوم أن الطلب للشيء فرع العلم به ولا علم بالحقيقة إلا لله تعالى، فلا تكليف ولا طلب إلا لله تعالى، وقد انقسمت التكاليف إلى طلب فعل وطلب ترك، فما تعلق الطلب بفعله جعله الشارع حسناً يطلبه، وما تعلق بتركه جعله الشارع قبيحاً يطلب تركه، وما لم يتعلق بتركه ولا بفعله جعله الشارع حسناً لسلامته من طلب الترك، ولأنه يرجع إلى مطلوب الفعل بالنية. ولا شك أن العقل لا يهتدي لوقوع ممكن، والأفعال كلها ممكنة أن تكون حسنة أو قبيحة باعتبار ما يعرض لها من تعلق الطلب، وتعلق الطلب غيب فلا يعلم إلا بالتوقيف السمعي النبوي أو بما يؤول إليه، فإذاً الحسن والقبح لا يدرك بمجرد العقل فلا حسن ولا قبح عقلاً وهو المطلوب، والله أعلم.

تكميل:

قد بقي على المصنف ذكر معتقدين لأهل السنة والجماعة، وهما مرتبان على إبطال التحسين والتقبيح العقليين. ونحن نذكرهما هنا لئلا يخلو كتابنا عن زوائد الفوائد فنقول: ومن معتقد أهل السنة والجماعة أن الصانع جل وعلا لا يفعل شيئاً لغرض لأنه لو فعل لغرض لكان ناقصاً لذاته مستكملاً بغيره، وهو محال لا يقال الغرض تحصيل مصلحة العبد لأنا نقول: تحصيل مصلحة العبد وعدم تحصيلها إن استويا بالنسبة إليه لم يصلح أن يكون غرضاً ذاتياً للفعل لامتناع الترجيح بلا مرجح، وإن لم يستويا بأن يكون تحصيل المصلحة بالنسبة إليه أولى لزم الاستكمال بما هو أولى بالنسبة إليه. وأيضاً؛ فقد ثبت أنه تعالى قادر على أن يفعل ذلك الغرض من غير واسطة فعل والعبث عليه محال إجماعاً، واتفق عليه أهل السنّة والجماعة إلا ما نقله الفخر الرازي عن أكثر الفقهاء من ظاهر قولهم حيث يشترطون في العلة الشرعية أن تكون بمعنى الباعث للشارع على شرع الحكم من جلب مصلحة ودفع مفسدة. والصواب: أن ما يقع من الفقهاء من الغرض والتعليل ليس كما يقع من المعتزلة، فإن الذي يقع من الفقهاء في الأحكام الشرعية العملية لما يقولون مثلاً: الحكم بالقصاص إنما ورد من الشارع للزجر عن القتل، وهذا هو الغرض منه فحيث يطلقون ذلك فليس قصدهم بذلك أنه مما يجب أن يكون كذلك عقلاً، وإنما يعتقدون أن ذلك كذلك بجعل الشارع، وأن الشارع جعل على سبيل التكرم والإحسان الأحكام مرتبطة إما بجلب مصالح العباد أو دفع مفاسدهم لا على جهة الوجوب العقلي واستقراء حملة الشرع. ذلك من تتبع

الأصل التاسع: أنه ليس يستحيل بعثة الأنبياء عليهم السلام ـ خلافاً للبراهمة ـ

أحكام الشرع أعطتهم تلك القواعد الكلية. وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى في الفقه الأبسط: لا يطلب الله لاحتياج من العباد شيئاً إنما هم يطلبون منه الخير، فأشار بقوله الأخير إلى أن تعليل الايجاب بالمنفعة ودفع الضرر مبني على كون أفعاله تعالى وأحكامه معللة بالأغراض، وهو فاسد لاستلزام كونها علة لعلية الفاعلية والاحتياج إليها في العلية والله الغني عن العالمين. والمحدث يقول: اتفق السلف الصالح على أنه تنزه عن ذلك، وأما الصوفي فيقول: ترتيب المسببات عن أسبابها حكمة الأسماء الإلهية، والمسببات وأسبابها مستوية بالنسبة إلى العلم والإرادة والقدرة ضرورة إمكانها المقتضي لتعلقها بذلك، فما يصلح أن يكون مسبباً عن شيء فمن حيث الحكمة الإسمائية حق، وبهذا جاء الشرع. ومن حيث الصفات المقتضيات للتكوين فلا سبب ولا مسبب لوجود ظهور الكل عن سبب الكل، فلم يبق السبب إلا من حيث ارتباط ظهور هذا عند ظهور هذا من حيث تعلق الأسماء بها على ما سبق به العلم. وقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦]، مع قوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦]، يوضح لك المقصود فاعرفه. الثاني: ومما اتفق عليه أهل السنة والجماعة أن الصانع جل وعز خلقنا بمقتضى رحمته وكلفنا بمقتضى حكمته، وجعل من أطاع له الجنة بمقتضى فضله ومن أبى له النار بمقتضى عدله من غير أن يكون طاعة المطيع علة لاستحقاق ماله جعل وإباية من أبي علة أيضاً لما له جعل، بل علة الجميع تخصيص إرادته وحكمته ومشيئته، فلم تكن الأعمال إلا علامة لأربابها الذين خلقت فيهم على ما يؤول إليه أمرهم من سعادة أو ضدها. وقد اتفق حملة الشرع على أن الاعتماد على العمل شرك خفي، ولو كانت الأعمال موجبة للثواب لكان الاعتماد عليها واجباً لا يكون مطلوب الترك والشرك مطلوب الشرك. وفي الفقه الأبسط للإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى: وحق الله عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، فإذا فعلوا ذلك فحقهم عليه أن يغفر لهم ويثيبهم عليه، فأشار بالجملة الأخيرة إلى أن الأعمال لو كانت سبباً موجباً للإثابة والعقاب لما تخلف، واللازم باطل لثبوت العفو والمغفرة في البعض كما في التوبة إتفاقاً، وثبوت الهدم والاحباط عمن عاش على الكفر ثم آمن أو على الايمان ثم كفر، واشتراط الموت على ذلك للاستحقاق يبطل الاستحقاق أصلاً لعدم الشرط عند تحقق العلة وانقضاء العلة عند تحققه كما في شرح المقاصد، والمحدث يتمسك بقوله ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» وقوله ﷺ: «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته». والأحاديث في ذلك كثيرة. والصوفي يقول: من تحقق بعبودية نفسه على أنه لا شيء له يوجب الحظوة عند سيده إلا بفضله، وإلا لو كان شيء يوجب الحظوة غير الفضل لكان منازعاً للسيد في سيادته فافهم، والله أعلم.

(الأصل التاسع: أنه ليس يستحيل) إرسال الرسل و **(بعثة الأنبياء عليهم السلام)** مبشرين ومنذرين فهي جائزة عقلاً وواقعة شرعاً **(خلافاً للبراهمة)** والصابئة. والبراهمة طائفة

حيث قالوا: لا فائدة في بعثتهم إذ في العقل مندوحة عنهم لأن العقل لا يهدي إلى الأفعال المنجية في الآخرة، كما لا يهدي إلى الأدوية المفيدة للصحة، فحاجة الخلق إلى الأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة.

من حكماء الهند يزعمون أنهم على دين إبراهيم عليه السلام، **(حيث قالوا)** باستحالة النبوّات عقلاً. هكذا هو في كتاب الارشاد لإمام الحرمين، واللمع له أيضاً، وأبكار الأفكار للآمدي ومن كتب الماتريدية العمدة للنسفي، والبداية للصابوني، وغير هؤلاء. وظاهر كلام الآمدي في غاية المرام يقتضي أن القائل بذلك بعض البراهمة فإنه بعد أن نقل عن البراهمة والصابئة القول بامتناع البعثة قال: إلا أن من البراهمة من اعترف برسالة آدم لا غير، ومنهم من لم يعترف بغير ابراهيم اهـ.

قالوا: **(لا فائدة في بعثتهم)** وإرسالهم **(إذ في العقل مندوحة عنهم)** أي سعة وغنية من ندحت الشيء وسعته أي إن كان ما جاءت به الرسل مما يدرك بالعقول لم يكن في إرسالهم فائدة وكان في قضايا العقول مندوحة عنهم، وإن كان ما جاءت به غير مدرك بالعقل فلا يقبل ما يخالف العقل، إذ هو حجة الله على خلقه وهذا باطل من وجوه.

الأوّل: هو ما أشار إليه المصنف بقوله: **(لأن العقل لا يهدي)** وفي بعض النسخ: لا يهتدي في الموضعين **(إلى الأفعال المنجية في الآخرة)** أي أن حظ العقل منه الجوار، وأما الوقوع فيوجد من الشرع، فإن الحاجة إلى الرسل للأنباء عما بعد الموت من الحشر والنشر والثواب والعقاب والخلود في الدارين، وحظ العقول من ذلك الجواز فقط **(كما لا يهدي إلى الأدوية المفيدة للصحة)** من المسمومات المهلكة إلا بالطبيب العارف بها ليميزها ويوقف عليها، **(فحاجة الخلق إلى الأنبياء)** عليهم السلام **(كحاجتهم إلى الأطباء)** إذ الرسالة سفارة بين الحق تعالى وبين عباده ليزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم، **(ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة)** الصحيحة، **(ويعرف النبي بالمعجزة)** الخارقة.

والوجه الثاني: أن العقل وإن دل على اعتبار المصالح والمفاسد لا يستقل بإدراك كل الأمور، لا سيما عند تعارضها بل يدرك البعض استقلالاً ويقصر عن ادراك البعض فلا يهتدي إليه بوجه ويتردد في البعض فما استقل بإدراكه كوجود الباري وعلمه وقدرته عضده ما جاء به النبي وأكده، فكان ذلك بمنزلة تعاضد الأدلة العقلية، وما قصر عنه كالرؤية والمعاد الجسماني وقبح الصوم يوم كذا وحسنه في يوم كذا بينه النبي لقصور العقل عن إدراك ما ذكر، وما تردد فيه العقل دون رجحان لأحد الطرفين عنده رفع الاحتمال فيه كشكر المنعم قبل ورود الشرع، إذ يحتمل أن يمنع من الإتيان به، لأنه تصرف في ملك الله سبحانه بغير إذن منه، ويحتمل أن يمنع من تركه لكونه ترك طاعة وإن غلب ظن حسنه وكان قبحه متوهماً قطع ما جاء به النبي مزاحمة الوهم فيه العقل.

والوجه الثالث: ولو سلمنا أن العقول تستقل بدركه جدلاً، فما المانع من انبائهم بذلك للتنبيه على الغافلين، والعقلاء مجمعون على تكرير المواعظ.

والوجه الرابع: أن العقول تتفاوت فقد تستحسن جماعة فعلاً ويستقبحه آخرون، فالتفويض إليها يؤدي إلى فساد التقاتل والخراب للتنازع المؤدي إليها، والنهي المخبر به عنه النبي يحسم هذه المادة هذا وقد عرف مما سقناه من فوائد البعثة من الاهتداء إلى ما ينجي في الآخرة، وبيان ما يقصر العقل عن دركه وتعاضد الشرع، والعقل فيما أدركه العقل والتذكير والتنبيه ورفع الاحتمال فيما تردد فيه العقل، وهذا القدر كاف في الرد على منكري البعثة كالبراهمة والصابئة حيث قالوا: لا فائدة فيها مع أن من فوائد البعثة تكميل النفوس البشرية بحسب استعداداتها المختلف في العلميات والعمليات، وتعليم الأخلاق الفاضلة المتعلقة بصلاح الأشخاص، والسياسات الكاملة المتعلقة بصلاح الجماعات من أهل المنازل والمدن، وبيان منافع الأغذية والأدوية ومضارها التي لا تفي بها التجربة إلا بعد أدوار وأطوار مع ما فيها من الحظر. وما أورد المنكرون من أن البعث يتوقف على علم المبعوث بأن الباعث له هو الله تعالى ولا سبيل له إليه إذ لعله من إلقاء الجن فممنوع، وسند المنع أولاً انه قد ينصب الباعث تعالى للمبعوث دليلاً يعلم به أن الباعث هو الله تعالى بأن يظهر له آيات ومعجزات ليس مثلها في شأن مخلوق تفيده هذا العلم، وثانياً قد يخلق للمبعوث علم ضروري بأن الباعث له هو الله تعالى.

فصل

قال شارح الحاجبية: اتفق أهل السنّة والجماعة على أن بعثة الأنبياء جائزة عقلاً وواقعة قطعاً، ثم في ذلك الوقوع حكمة بالغة ورحمة للعالم شاملة، وأن حصول النبوّة لمن حصلت له بمجرد الاصطفاء الإلهي لا غير اما أنها جائزة عقلاً فلأنه أمر لا يلزم منه محال لذاته، وكل ما هو كذلك فهو جائز قطعاً. أما الكبرى، فمعلومة بالضرورة والصغرى كذلك، ومن ادعى الإحالة للغير فالأصل عدمه وعليه بيانه. وأيضاً؛ الوقوع والعلم به ضروري تواتراً ومشاهدة حتى من أنكر فهو مباهت كافر ليس معه كلام إلا ضرب عنقه لما انتهتِ إليه المسألة من الوضوح، وأما أن وقوع بعثة الأنبياء لحكمة بالغة ورحمة شاملة، فذلك واضح إما من حيث النظر الفكري، ومرتبة الأشعري بعد أن تعلم أن حصول المصالح لوقوع الألطاف عقب شيء يقع في الوجود، إنما هو بمحض الكرم والفضل والجود، ولو شاء لم يكن، ولكن سبقت الكلمة الإلهية بذلك وجرت السنّة الربانية على مقتضى ما هنالك سواء أدرك ذلك العقل بنظره أو فهمه من غيره فهو من وجوه كثيرة، فلنقتصر على أكثرها ذكراً وأجمعها وهي ثلاث.

أحدها: أن الشؤون الإلهية من الأسماء والصفات في غاية الخفاء عن العقل والصعوبة على الفهم تصوّرا وتصديقاً. خصوصاً الاسماء والصفات التي لا دلالة للآثار عليها، ولما كان كذلك كان من حكمة الله وسعة رحمته وخفي لطفه أن بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فأنبؤا بآنباء الله

....

تعالى عن تلك الشؤون، وفصلوا ذلك بعض تفصيل يطيق العقل إدراكه حتى وقف على ذلك تصوّراً وتصديقاً وحصل له الكمال لعلم ذلك توفيقاً أو تحقيقاً.

ثانيها: أن العقل قاصر بنظره عن إدراك وقوع جائز وإن أدرك جوازه والكلام إنما هو في العلم بالوجود لا في الجواز إذ الجواز على الإجمال من سبيل الضرورة والكمال إنما هو في تحصيل العلم النظري، فإذا كان العقل قاصراً عن إدراك الوقوع جاءت الأنبياء عليهم السلام منبئين عن وقوع كثير من الجائزات التي حصل الكمال بعلمها كتفصيل أحوال المعاد ووقوعه، خصوصاً ما وقع من ذلك في نبوّة نبينا ﷺ.

ثالثها: أن الأحوال العارضة للإنسان لما كانت تنقسم بحسب الموافقة والمنافرة إلى خير وشر، وبحسب ذلك تختلف السعادة والشقاوة بحسب المواطن الثلاث دنيا وبرزخ وأخرى، وكان المقصود من الخير تحصيله ومن الشر تفويته، وتحصيل الشيء أو تفويته فرع العلم به، وكان العلم بالخير والشر في غاية الخفاء بل لا مجال للعقل في ذلك عندنا إذ الخير هو الحسن والشر هو القبح، وقد تقدم أن ذلك بحسب تعلق الخطاب الإلهي لا غير، ولما كان كذلك بعث الله الأنبياء عليهم السلام فأنبؤا عن خير الأحوال في المواطن الثلاث فأمروا به ورغبوا فيه وعن شر الأحوال كذلك فنهوا عنه وحذورا منه اهـ.

فصل

اعلم أن البعثة لطف من الله تعالى ورحمة للعالمين لما فيها من حكم ومصالح لا تحصى، فإن النظام المؤدي إلى إصلاح حال النوع على العموم في المعاش والمعاد لا يكمل إلا ببعثة الانبياء، فتجب على الله تعالى عقلاً عند المعتزلة والشيعة لأنها من اللطف المقرب للإيمان، واللطف واجب عندهم على الله عز وجل، وعند الفلاسفة لكونها سبباً للخير العام المستحيل تركه في الحكمة والعناية الإلهية، وإلى هذا ذهب كثير من الماتريدية من أهل ما وراء النهر، وقالوا: إنها من مقتضيات حكمة الباري فيستحيل أن لا يوجد كاستحالة السفه عليه كما أن ما علم الله وقوعه يجب أن يقع لاستحالة الجهل عليه، وهذا المقول هو معنى قول المعتزلة بوجوب البعثة أو بوجوب الأصلح، والمختار انها لطف من الله تعالى ورحمة منّ بها على عباده يحسن فعلها ولا يقبح تركها، لا يبتني على استحقاق من المبعوث واجتماع شروط فيه كما زعمه الفلاسفة، بل الله يختص برحمته من يشاء وهو أعلم حيث يجعل رسالاته كما في شرح المقاصد، ومن هنا حملنا الوجوب وظاهره استحالة تخلفه على خلاف ظاهره، ويمكن حمله على إرادة وجوب الوقوع لتعلق العلم القديم بوقوعه، فإن ذلك لا ينافي امكانه في نفسه.

فصل

ودليل المحدث في هذا الأصل قوله تعالى: ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين﴾ [النساء: ١٦٥] وقوله تعالى حكاية عن الكفرة ﴿لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾ [طه: ١٣٤] وقوله

تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً﴾ [المائدة: ١٥] فالله تعالى أعذر الى الخلق ببعثة الرسل وقطع حجتهم عند ذلك وهي أنه لولا بعثة الرسل لتوجه لهم من حيث العادة المألوفة أن يقولوا عند نزول الشقاوة بهم: يا ربنا إنك ركبتنا تركيباً نسهو معه ونغفل جعلت فينا غضباً وشهوة ومكنت منا عدواً لنا حريصاً على غوايتنا وإضلالنا، فهلا أمددتنا بشخص من أنفسنا نسر به ولا نستوحش منه. ينبهنا إذا سهونا، ويذكرنا إذا نسينا، ويعلمنا إذا جهلنا، ويمنعنا إذا اشتهينا. ولما كان كذلك بعث الله الأنبياء لقطع هذه الحجة واضمحلالها على أنه لو لم يفعل ذلك لكان له ذلك. إذ هو يفعل ما يشاء ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ [الأنبياء: ٢٣].

فصل

ودليل الصوفي يقول: قد تحقق في نفس الأمر أن العلم على قسمين: قديم وحادث، وإن شئت فقل فعلي وانفعالي. وإن شئت فقل حصولي وانطباعي. وإن شئت فقل ذاتي وعرضي. فالعلم الحصولي الذاتي القديم هو علم الله تعالى، والإنفعالي والانطباعي العرضي الحادث هو علم العبد وحصول الكمال من حيث قضية الوجود الشامل للوجوب، والإمكان إنما هو بحصول العلمين إذ الأمر في نفسه من حيث حقيقة الحقائق القابلة لذلك إعطاء ذلك، فلا بد من ذلك. وقد تحقق وتبين تخصيص الواجب جل وعلا بالقديم من ذلك وتقديسه عن الحادث، فلا بد للعلم الحادث من حامل له وهو العبد. قال تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا﴾ [الطلاق: ١٢] وقال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] والعبادة إنما هي علم وعمل، فإذاً لا بد من حصول العلم للعبد كما أعطته الحقيقة عيناً. والآيات القرآنية علماً، ولما كان العلم الحادث حقيقة راجعة إلى حصول صور إنفعالية مثالية تحصل بواسطة الحادث محادثة روحانية وموجبات قدسية نحو الجناب الاقدس جل وعلا. فعند تمام المواجهة تحصل أنوار شعشعانية، ثم حصول تلك الصور النورانية إنما هي بمحض المشيئة الإلهية كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهي تتفاوت بحسب المواجهات والمواجهات بحسب المرتبة، والحقيقة فمتى كانت حقيقة القابل في غاية البساطة والتمحيص من الغواشي الحجبية التي هي الأوهام وما يؤدي إليها والسلامة من التركيب المقتضى لذلك كان أقرب، ومتى كانت الحقيقة على الضد من ذلك كانت أبعد وبينها وسائط، فإذا كل حقيقة إنما تمتد بما يناسبها، وذلك الامتداد هو التنزل الوحيي والتعليم الإلهي. ثم ذلك التعليم منه ما يخص ومنه ما يعم، فكل صورة نورانية علمية حصلت في محل انبعث منها بحسب الإمداد الإلهي شعاع يقع ذلك الشعاع صورة علمية عن المحل المواجه لشطر محل تلك الصورة ثم من ذلك إلى آخره وهلم جرا. ثم ذلك الانبعاث قد يكون بواسطة لفظ أو رقم أو إشارة. وقد يكون بغير واسطة بل إلهام بمجرد تصفية القابل ودفع المزاحم.

وبالجملة؛ فهذا انبعاث الصور العلمية المتخصصة بالإرادة الأزلية هو حضرة الوجوب من حيث الوجود والوحدة الذاتية، ومنتهى ذلك الانبعاث هو حضرة الوجود من حيث الإمكان، والتحقق بوحدة الجمع ومقام الأحدية، ولما كان الوجود الإمكاني العبدي على ثلاث مراتب علوي نوراني كالملائكة، وسفلي جسماني كالجن، ومتوسط بين الأوّل والثاني كالإنسان، وكان الإنس على ثلاث مراتب: منهم من غلب عليهم حكم المرتبة العلوية وهم الكمل الباقون على حسن تقويمهم، ومنهم من غلب عليه حكم المرتبة السفلية وهم الأشقياء المردودون إلى أسفل سافلين، ومنهم من توسط بين المرتبتين وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم الكمل على قسمين منهم من هو في مرتبة الملائكة من كل الوجوه وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإنما كانوا بصورة البشر لتقرب المناسبة المتوقف عليها القبول من حيث النسبة الإلهية ومنهم من هو دون ذلك وهم الأولياء، ولما كان التلقي إنما هو بحسب المواجهة والمناسبة كما أشرنا كان أوّل متلق من الحضرة الإلهية هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، اما بغير توسط الغير منهم البعض، وإما بتوسط إذ هم متفاوتون في مراتبهم، ثم الأولياء من الأنبياء بحصول المناسبة الخلقية تعلماً ومن الملائكة إلهاماً وتحدثاً. قال عليه الصلاة والسلام: « إن الملك يتكلم على لسان عمر وإنه كان فيمن قبلكم محدثون فإن يكن من أمتي منهم فعمر بن الخطاب منهم ». ثم المتوسطون من الأولياء تعلماً بحسب حصول المناسبة العملية، وأما الجن فتلقيهم تلقي استراق من الملائكة واستماع من الأنبياء أولاً ومن الاولياء ثانياً، وأما ما يظهر على بعض الذوات الإنسانية من غير متابعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فليس إلا من القرين الجني، وإذا تقرر ذلك بان لك أنه لولا بعثة الانبياء لم يكن من الجن والانس كمال علمي؛ فقد اتضحت الحكمة وعمت النعمة، والله أعلم.

تكميل الأصل:

اعلم أن النبوّة ليست صفة ذاتية للنبي كما صار إليه الكرامية لاستوائه مع الخلق في نوع البشرية، ولا مكتسبة كما صار إليه الفلاسفة وقالوا: إنها ترجع إلى التخلي من الاخلاق الذميمة والتحلي بالاخلاق الكريمة إلى أن يصل العبد إلى حالة يتمكن بها من سياسة نفسه وغيره، وإنما يرجع إلى اصطفاء عبد بأن يوحى إليه. قال الله تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس﴾ [الحج: ٧٥] وقال الله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾ [الكهف: ١١٠] فميز نفسه بالوحي، فإن أمر مع ذلك بتبليغ الوحي كان رسولاً، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك﴾ [المائدة: ٦٧] فإذاً كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً. وقد ميز الزمخشري الرسل عن الأنبياء بأن الرسل هم أصحاب الكتب والشرائع والنبيين هم الذين يحكمون بالمنزل على غيرهم مع أنهم يوحى إليهم كما قال تعالى: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون﴾ [المائدة: ٤٤] وسمي نبياً لاخباره عن الله تعالى فيكون من الأنباء أو لرفعته فيكون من النبوة، ولذلك قرىء مهموزاً وغير مهموز وبالله التوفيق.

الأصل العاشر: إن الله سبحانه قد أرسل محمداً ﷺ خاتماً للنبيين وناسخاً لما قبله

(الأصل العاشر) : في اثبات نبوّة نبينا محمد ﷺ .

اعلم **(أن الله سبحانه وتعالى قد أرسل محمداً ﷺ)** إلى الخلق أجمعين بالهدى ودين الحق، والمراد من الخلق المخلوق لأن ارساله إلى من يعقل من الجن والإنس. قال بعض العلماء: وإلى الملائكة نقل ذلك التقي السبكي، وصرح الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾ [الفرقان: ١] بعدم دخول الملائكة في عموم من بعث ﷺ إليهم، ثم اعلم أن العلم بثبوت الشيء فرع تصوّر ذلك الشيء، وتصوّر ذلك الشيء إن كان بحسب اسمه فلا يتوقف على وجوده، وإن كان بحسب حقيقته وماهيته فيتوقف على وجوده، والتصديق المفروض هو أن محمداً ﷺ رسول الله المفهوم من سياق المصنف، ولا بد لحصول هذا من العلم بوجود هذا الموضوع وتعيينه إذ هو شخص، وتصوّر الشخص إنما هو بتعييناته الشخصية، فلا بد من الكلام على ما به يتعين شخصاً وذلك بالإستقراء من حيث نسبه ومولده ووفاته وزمانه وأسماؤه الموجبة لشهرته وشمائله التي امتاز بها عن غيره، فإذا كان كذلك فلا بدّ من ذكر ذلك على الإيجاز والاختصار ليكمل المعتقد من كل الوجوه. وقد ذكر القرافي في ذخيرته وأشار إليه في شرح الأربعين أن جميع الأحوال المتعلقة بالرسول كلها فضلاً عما به يتعين ترجع إلى العقائد لا إلى العمل، فيجب البحث عن ذلك لتحصيل كمال المعتقد بذلك.

أما وجوده ﷺ فمعلوم بالضرورة تواتراً عند أهل البرهان وكشفاً عند أولي العيان، فإن الصوفي يقول: العلم بوجوده ﷺ من قبيل المحسوسات المرئية بالأبصار يقظة عند المقربين، ونوماً عند غيرهم، وقد قال ﷺ: « من رآني فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يمثل بصورتي » إذ معنى الحديث عند الأكثر أن من رآه نوماً فتلك الرؤية مساوية للرؤية الحسية يقظة بل معنى، كما نبه عليه علماء الحديث فانظره.

وأما تعيينه: فأما من حيث نسبه فهو: محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وإليه انتهى النسب الصحيح، وما فوق عدنان فمختلف فيه ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام. وكنيته ﷺ أبو القاسم وهو الأشهر، وأمّه آمنة ابنة وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب، وهنا تجتمع مع أبيه في النسب. وأمّا مولده ﷺ، أمّا من حيث المكان فهو مكة بإجماع في شعب أبي طالب، وأما من حيث الزمان فيوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأوّل، وذلك بعد قدوم الفيل بشهر. وقيل: بأربعين يوماً. وقيل: بخمسين يوماً. ومات والده عنه ﷺ وهو حمل، وقيل: ابن سبعة أشهر والأول الصحيح. وماتت أمّه بالابواء ولم يستكمل له سبع سنين وكفله جدّه عبد المطلب ولرسول الله ﷺ ثمان سنين، وبُعِث ﷺ لثمان

....

مضين من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وأربعين من عام الفيل، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة سنة، وقيل: عشـر سنيـن والأوّل أشهر. وقدم المدينة يوم الاثنين وهو الثاني من شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين من عام الفيل، ومكث بها عشر سنين، وتوفي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة في بيت عائشة رضي الله عنها يوم نوبتها يوم الاثنين أوّل يوم من شهر ربيع الأوّل ودفن ليلة الأربعاء.

وأما صفته ﷺ وشمائله الزكية فليس بالطويل البائن، ولا بالقصير المتردد، ولا بالأبيض الأمهق، ولا الآدم، ولا بالجعد القطط، ولا بالسبط كان رجل الشعر أزهر اللون مشرباً بحمرة في بياض. كان وجهه القمر حسن العنق ضخم الكراديس، أهدب الأشفار، أدعج العينين، حسن الثغر، ضليع الفم، حسن الانف إذا مشى يتكفأ كأنما ينحط من صيب، وإذا التفت التفت معاً جلّ نظره إلى الأرض، كانت له جمة لم تبلغ شحمة أذنيه ﷺ.

وأما أسماؤه ﷺ؛ فهي كثيرة بلغت ألفاً. وقد ألف الحافظ ابن دحية في ضبطها كتاباً سماه (**المستوفى**) فيه مقنع لمن أراد التطلع بها والمنقول توقيفاً، فقد روى مالك وغيره رفعـه ان رسول الله ﷺ قال: «لي خمسة أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفـر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب». ومن أسمائه في القرآن: طه ويس والمدّثر والمزمّل وعبدالله والرؤوف والرحيم. ومن أسمائه أيضاً: المقفى، ونبي التوبة، ونبي الملاحم، والمتوكل ﷺ تسليماً.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: ونعتقد أنه ﷺ أرسله الله تعالى (**خاتماً للنبيين**)، وهذا مما أجمع عليه أهل السنّة وثبت بالكتاب والسنّة، فالكتاب قوله تعالى: ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ [الأحزاب: ٤٠] والسنة فما روي: «وإني لخاتم النبيين وآدم منجدل بين الماء والطين» وفي الصحيحين: «إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى داراً فكملها وأحسنها وترك فيها موضع لبنة فصار يقال ما أحسنها لو تمت فأنا اللبنة التي تمّ بها بناء الأنبياء». ويروى أيضاً «لا نبي بعدي» فقد جاء حديث الختم من طرق كثيرة بألفاظ مختلفة، والإجماع فقد اتفقت الأمة على ذلك وعلى تكفير من ادّعى النبوّة بعده، وبه يستدل المحدث. وأما الصوفي فيقـول بذلك ويزيد بما يعطيه ذوقه ويشير إليه وجده، ويلوح بأن بعثته ﷺ جامعة لمعاني العلو بالظهور على ما هو فوق ذلك باحاطته بكلية الكون أعلاه وأدناه وأوّله وآخره، وكان له حظ من نبوّة كل نبي فكان بنبوّته الجامعة لخصوص أحوال الأنبياء بمنزلة الفطرة الانسانية الجامعة لخصوص أحوال الحيوان فكانت إحاطته بنبوّته بظهور كمال كلية الأمر، فلم يبق وراءه أعلى فانجمعت طرفا سلسلة النبوّة والرسالة، فكان خاتماً لا نبي بعده إذ لا مرقى وراء أمره وهذا هو حقيقة الختم.

تنبيه:

يقال: خاتم بفتح التاء وبكسرها، وقد قرىء بهما، فالفتح بمعنى الختام والانتهاء، والمعنى أنه انتهاء النبيين فهو كالخاتم والطابع الذي يكون عنده الانتهاء، وإذا كان انتهاء النبيين كان انتهاء

من شرائع اليهود والنصارى والصابئين؛ وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة،

المرسلين لما تقدم من أن كل رسول نبي، ورفع الأعم يستلزم رفع الأخص. والكسر بمعنى أنه ختمهم أي جاء آخرهم فلم يبق بعده نبي.

وبالجملة؛ فبه انتهت النبوّة والرسالة، **(و)** أنه ﷺ بعث **(ناسخاً لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصائبين)** أي: رافعاً تلك الأحكام ومزيلاً لها ومبيناً لانتهاء أمدها، وأصل النسخ الإزالة، واليهود والنصارى فرقتان معروفتان من اتباع سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام، والصابئون قوم يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام، وقبلتهم مهب الشمالي عند منتصف النهار، وإنما خص هؤلاء مع أن شريعته ﷺ نسخت سائر الشرائع المتقدمة لشهرة ذكرهم.

تنبيه:

من أكبر الجاحدين لبنوّة نبينا ﷺ اليهود، وقد ورد فيهم إنهم قوم بهت كما في الصحيح وهم فرقتان.

الأولى: امتنعت من تصديقه لما تضمنت شريعته من نسخ بعض أحكام شريعة موسى عليه السلام، فمنهم من زعم استحالة النسخ عقلاً لما فيه من البداء على زعمهم والبداء محال على الله تعالى، ومنهم من زعم أن موسى عليه السلام نص على أن شريعته لا تنسخ وانه قال: تمسكوا بالسبت أبداً.

الفرقة الثانية: العيسوية اتباع أبي عيسى الأصبهاني قالوا: هو رسول لكن إلى العرب خاصة، وكذا قولهم أن عيسى عليه السلام مبعوث في قومه، وبمثل هذا القول قال أيضاً بعض النصارى. أما من زعم إحالة النسخ لما فيه من البداء فإن عني به أن الله تعالى ظهر له من الحكمة ما كان خافياً فذلك محال على الله تعالى، ولا نسلم أن النسخ مستلزم لذلك فإنه لو استلزم تصرفه في أن يمنع ما أطلقه في وقت ما وإطلاق ما منعه في وقت آخر ذلك للزم منع تصرفه فيهم بأفعاله من نقلهم من الصحة إلى المرض، ومن الغنى إلى الفقر، ومن الحياة إلى الموت وعكس ذلك البداء، وإذا لم يدل شيء من ذلك على البداء فكذلك لا يدل تصرفه فيهم بالقول عليه، ثم أن من المعلوم أنه لا يمتنع في الحكمة أن يأمر الحكيم مريضاً باستعمال دواء في وقت ثم ينهاه عنه في وقت آخر لتعلق صلاحه بذلك في الحالين إن روعيت قاعدة الصلاح والتزم في تصرفات الباري تعالى ذلك، وإلاّ فالله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ثم نقول: وقوع الخارق على وفق دعوى المتحدي مع العجز عن معارضته لا يخلو إما أن يدل على صدق مدعي الرسالة أو لا. فإن لم يدل وجب أن لا تقوم دلالة على صدق موسى عليه السلام، وإن دل وجب تصديق محمد ﷺ وتصديق عيسى عليه السلام، وقد جاءا بالنسخ فيثبت، ثم من نص التوراة أن الله عز وجل قال لنوح عليه السلام حين خرج من السفينة: إني جاعل كل دابة مأكلاً لك ولذريتك، وأطلقت ذلك لكم كنبات العشب ما خلا الدم، وقد حرم بعد ذلك في التوراة كثيراً منها.

....

وفي التوراة أن من شريعة آدم عليه السلام جواز نكاح الأخت وقد حرمتم ذلك، وقد كان في شرع يعقوب عليه السلام الجمع بين الاختين وقد حرمتم ذلك، وقد كان العمل في السبت قبل شريعة موسى عليه السلام مباحاً وقد حرمتم ذلك، ولم يكن الختان واجباً لدى الولادة وقد أوجبتموه. وأما من ادعى منع ذلك بطريق النقل فهو ما لقنه لهم ابن الراوندي، ولو كان ذلك النقل حقاً لاحتج به اليهود على النبي ﷺ، وقد بالغوا في طمس آياته بكل وجه حتى غيّروا صفته في التوراة، ولو احتجوا به لنقل، وحيث لم ينقل دل على انتفائه. وأما العيسوية ومن رأى رأيهم من النصارى فإذا سلموا أنه نبي فقد سلموا صدقه، وقد أخبر بعموم رسالته وانه مبعوث إلى الأحمر والأسود مع قوله تعالى: ﴿وما ارسلناك إلا كافة للناس﴾ [سبأ: ٢٨] وقوله: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقد تحدى بمعجزته جميع الأنس والجن. (**وأيده**) الله سبحانه (**بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة**). معنى الآية: العلامة على صدقه، والمعجزة هي الآية مع التحدي بها، فكل معجزة آية لا العكس، ثم المعجزة مأخوذة من العجز المقابل للقدرة، وحقيقة الاعجاز إثبات العجز فاستعير لإظهاره، ثم أسند مجازاً إلى ما هو سبب للعجز ثم جعل إسماً له، فقيل: معجزة والتاء فيه للنقل من الوصفية إلى الإسمية كما في الحقيقة أو للمبالغة كما في العلامة وحقيقة المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي موافق للدعوى سالم من المعارض على يد مدعي النبوّة. قولنا: من يتناول الفعل كانفجار الماء من بين أصابعه وعدمه كعدم احراق النار، وقيد إمام الحرمين المعجزة بفعل الله تعالى وإليه مال المصنف كما سيأتي في سياقه قريباً. وقد أورد عليها أنها لا تنحصر في الفعل، بل كما أنها تكون بفعل غير المعتاد قد تكون بالمنع من الفعل المعتاد مع سلامة البنية بعدم خلق الضرورة والداعي إلى الفعل، ومن اقتصر على الفعل فهو إما لأن العدم المضاف عنده فعل وأثر للقدرة، وإما لأنه جعل المعجزة كون النار برداً وسلاماً على إبراهيم، أو بقاء جسمه عليه السلام على ما كان عليه لكن هذه الأجوبة كلها بحسب المادة، وقولنا خارق للعادة يخرج المعتاد إذ لا دلالة فيه لإتحاد نسبته فلا يدل، وقولنا مقرون بالتحدي أي المجاراة والمغالبة لغة، والمراد منه ربط الدعوى بالمعجز عند دعوى النبوّة، وبهذا القيد تخرج كرامات الأولياء لأنه لا تتحدى بالكلية أو لا يتحدى بها على دعوى النبوّة والرسالة، وان جاز للولي أن يتحدى على ولايته وهو الصحيح. وأما خروج الارهاصات فلأنها تكون قبل النبوّة فلم تكن مقرونة بالتحدي إذ الارهاص إحداث خارق في العادة يدل على بعثة نبي قبل بعثته كأنه تأسيس لقاعدة نبوّته. قال السعد: والقوم يعدون أمثال هذه أي كشق الصدر واظلال الغمامة وتسليم الحجر معجزات على سبيل التشبيه والتغليب، وقولنا مع الموافقة للدعوى معناه أن يكون ما يأتي به موافقاً له في دعوى النبوّة بحيث لا يقتضي تكذيبه، وقولنا: والسلامة من المعارض أي في دعواه بأن يدعى أحد نقيض دعواه كما إذا ادعى أحد انه نبي وقارن دعواه خارق، ثم ادعى آخر انه نبي وان ذلك المدعي أوّلاً ليس بنبي وقارن دعواه خارق، وقولنا على يد مدعى النبوّة معناه أن يكون الخارق قائماً بالنبي كبياض يد

كانشقاق القمر، وتسبيح الحصى، وانطاق العجماء، وما تفجر من بين أصابعه من الماء.

موسى عليه السلام، أو وجوده عند توجهه لوقوعه عازماً عليه وطالباً إياه، كانقلاب العصا حية فخرج ما إذا اتخذ الكاذب معجزة من يعاضده من الأنبياء لنفسه، وكذا يخرج ما إذا تقدم الخارق من المدعي، ثم يدعي ويقول: معجزتي ما ظهر في الزمن الماضي فإنه وان كان خارقاً إلا أنه لم يكن على يد مدعي النبوّة في ذلك الزمن إذ الفرض أنه لم يدع نبوّة. وإذا علمت ذلك فاعرف انه ﷺ ادعى النبوّة مقرونة بالمعجزة، فهو رسول الله قطعاً أما الصغرى وهو أنه ادعى الرسالة، فبالضرورة حساً للمعاصر وتواتراً لغيره، وأما ان تلك الدعوى كانت مقرونة بالمعجزة فبالمشاهدة للمعاصر ولغيره بالتواتر لفظاً ومعنى لغيره مما نقلته الآحاد.

وبالجملة؛ فمعجزاته ﷺ على قسمين: باقية دائمة يشاهدها من كان وسيكون وذلك هو القرآن العظيم، وغير دائمة وهو ما صدر عنه ﷺ من الخوارق الفعلية أو الغيوب القولية مما يتعلق بماض أو حال أو مستقبل وهي لا تحصى عدة بالتحقيق.

أما القسم الأوّل الذي هو القرآن وأحد قسمي القسم الثاني الذي هو الغيوب القولية فسيذكرهما المصنف فيما بعد، وبقي القسم الأوّل من القسم الثاني وهو الأفعال الخارقة للعادة، فذلك أيضاً لا يحصى كثرة. وقد فصلت في دلائل النبوّة لكل من البيهقي وأبي نعيم، لكن بعضها ارهاصاً ظهر قبل دعوى النبوّة، وبعضها تصديقاً ظهر بعدها وهي تنقسم إلى أمور ثابتة في ذاته، وأمور متعلقة بصفاته، وأمور خارجة عنها راجعة إلى أفعاله.

فالأوّل: كالنور الذي كان ينتقل في آبائه إلى أن ولد، وكولادته مختوناً مسروراً واضعاً إحدى يديه على عينيه والأخرى على سرته، وكذلك ما كان من خاتم النبوّة بين كتفيه، وطول قامته عند الطويل، ووساطته عند الوسط، ورؤيته من خلف كما كان يرى من قدام، ورؤيته في الظلمة كما يرى في الضوء، ورؤيته البعيد كما يرى القريب، وكون جسمه شفافاً فلم يقع له ظل على الأرض ولم يمنع رائي الشمس مع حيلولته.

والثاني: ما يرجع إلى صفاته وذلك ما استجمعه مما هو في الغاية القصوى، وغاية الكمال في ذلك من الصدق والأمانة والعفاف والشجاعة والعدل والحكمة والفصاحة والسماحة والزهد والتواضع لأهل المسكنة، والشفقة على الأمة، والمصابرة على مصاعب الرسالة، والمواظبة على مكارم الأخلاق، وبلوغه النهاية في العلوم الإلهية، وتمهيد قواعد المصالح الدينية والدنيوية، وما كان عليه من استجابة الدعوة دعا لابن عباس بقوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» فكان بحراً، وإماماً للمفسرين، ودعا على عتبة بقوله: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» فافترسه الأسد، وعلى سراقة حين لحقه فساخت قوائم فرسه.

والثالث: ما هو خارج عن ذاته وصفاته وهو **(كانشقاق القمر)** له فلقتين، ومحل الانشقاق كان بمكة، وقيل: بمنى. قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: حدثني الهيثم بن حبيب

....

الصيرفي، عن عامر الشعبي، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ بمكة فلقتين أي شقين متباعدين بحيث كان الجبل بينهما، وكان ذلك في مقام التحدي فكان معجزة كما في شرح المواقف، والحديث متفق عليه من حديث أنس، وابن مسعود، وابن عباس قاله العراقي.

قلت: وأخرجه أحمد، وأبو داود الطيالسي، وأبو عوانة، وإسحاق، وعبد الرزاق، والطبراني، وابن مردويه من حديث ابن مسعود، وابن عباس، والبيهقي، وأبو نعيم من حديث ابن مسعود، وفي رواية عن أنس أن ذلك كان بعد سؤال المشركين، وفي رواية أبي نعيم عن ابن مسعود «لقد رأيت أحد شقيه على الجبل الذي بمنى ونحن بمكة». وأخرجه البيهقي وعياض عن علي وحذيفة، ومسلم والترمذي عن ابن عمر وأحمد والبيهقي عن جبير بن مطعم، وقال ابن السبكي: انه متواتر.

تنبيه:

أنس وابن عباس رضي الله عنهما لم يحضرا الإنشقاق لأنه كان بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين، وكان ابن عباس إذ ذاك لم يولد، وأما أنس فكان ابن أربع أو خمس بالمدينة، وأما غيرهما فيمكن ان يكون شاهد ذلك كذا في المواهب.

غريبة:

أكرم الله موسى عليه السلام بفلق البحر في الأرض، وأكرم محمداً ﷺ ففلق له القمر في السماء، فانظر إلى فرق ما بين السماء والأرض كما في تفسير الرازي في سورة الكوثر. (**وتسبيح الحصى**) قال العراقي: أخرجه البيهقي في دلائل النبوّة من حديث أبي ذر، وقال صالح بن أبي الأخضر: ليس بالحافظ، والمحفوظ رواية رجل من بني سليم لم يسم عن أبي ذر اهـ.

قلت: عبارة البيهقي في الدلائل كذا رواه صالح بن أبي الأخضر، ولم يكن بالحافظ عن الزهري، عن سويد بن يزيد السلمي، عن أبي ذر والمحفوظ ما رواه شعيب عن أبي حمزة عن الزهري قال: وذكر الوليد بن سويدان رجلاً من بني سليم كبير السن اهـ.

قلت: وهكذا اخرجه محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات قال: أخبرنا أبو اليمان: أخبرنا شعيب عن أبي حمزة، عن الزهري قال: ذكر الوليد بن سويد أن رجلاً من بني سليم كبير السن كان ممن أدرك أبا ذر بالربذة عن أبي ذر قال: هجرت يوماً من الأيام فإذا النبي ﷺ قد خرج من بيته فسألت عنه الخادم فاخبرني أنه ببيت عائشة فأتيته وهو جالس وليس عنده أحد من الناس، وكأني أرى حينئذ أن في وهن فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ثم قال: ما جاء بك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، فأمرني أن أجلس فجلست إلى جنبه لا أسأله عن شيء إلا ويذكره لي فمكثت غير كثير، فجاء أبو بكر يمشي مسرعاً فسلم فرد عليه السلام ثم قال: ما جاء بك؟ قال: جاء بي الله ورسوله،

....

فأشار بيده أن أجلس فجلس إلى ربوة مقابل النبي ﷺ، ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك، وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك وجلس إلى جنب أبي بكر، ثم جاء عثمان كذلك وجلس إلى جنب عمر، ثم قبض رسول الله ﷺ على حصيات سبع أو تسع أو ما قرب من ذلك فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله ﷺ، ثم ناولهن أبا بكر وجاوزني فسبحن في كفه، ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن، ثم ناولهن عمر فسبحن في كفه، ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه، ثم أخذهن منه فوضعهن في الأرض فخرسن اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر: قد اشتهر على الألسنة تسبيح الحصى في كفه ﷺ أخرجه البزار والطبراني في الأوسط وفي رواية الطبراني فسمع تسبيحهن من في الحلقة، ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا، ثم ساق كلام البيهقي الذي أوردناه بتمامه ثم قال: وليس لهذا الحديث إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس.

فصل

وأما تسبيح الطعام، فقد أخرج البخاري من حديث ابن مسعود قال: كنا نأكل مع النبي ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام، وفي الشفاء عن جعفر بن محمد، عن أبيه مرض النبي ﷺ فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب، فأكل منه النبي ﷺ فسبح وأقره الحافظ ابن حجر في الفتح، فلو قال المصنف: الطعام بدل الحصى لكونه ثابتاً في الصحيح بخلاف حديث الحصى كان أحسن، ولذا أسقطه في المسايرة وإنما ذكر تسبيح الطعام وكأن المصنف راعى ما هو المشهور على الألسنة.

تنبيه:

قال صاحب المواهب: أعلم أن التسبيح من قبيل الألفاظ الدالة على معنى التنزيه واللفظ يوجد حقيقة ممن قام به اللفظ فيكون في غير من قام به مجازاً، فالطعام والحصى والشجر ونحو ذلك كل منها يتكلم باعتبار خلق الكلام فيه حقيقة وهذا من قبيل خرق العادة وفي قوله: ونحن نسمع تسبيحه تصريح بكرامة الصحابة لسماع هذا التسبيح وفهمه، وذلك ببركته ﷺ، **(وانطاق العجماء)** كذا في سائر نسخ الكتاب، وفي لمع الأدلة لشيخه إمام الحرمين: ونطق العجماء، والنطق إبراز الكلام بالصوت وأنطقه جعله ناطقاً، وللمصنف في كتاب المعارف الإلهية تحقيق في النطق غريب أعرضنا عن إيراده هنا لعدم مناسبته، وغاية ما يحتاج هنا معرفة معنى النطق لغة والإنطاق وقد ذكرناهما، والعجماء تأنيث الأعجم من العجمة بالضم وهي اللكنة في اللسان وعدم الإفصاح، والمراد هنا الحيوانات، ومنه الحديث العجماء جبار قال العراقي: وأخرجه أحمد والبيهقي بإسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة في البعير الذي شكا إلى النبي ﷺ أهله، وقد ورد في كلام الضب والظبية والذئب والحمرة أحاديث رواها البيهقي في الدلائل اهـ.

....

قلت: وسياق حديث يعلى بن مرة الثقفي على ما أورده البغوي في شرح السنة هكذا: بينا نحن نسير مع النبي ﷺ إذ مر بنا بعير يسنى عليه، فلما رآه البعير جرجر فوضع جرانه فوقف عليه النبي ﷺ فقال: أين صاحب البعير؟ فجاء فقال: بعنيه، فقال: بل نهبه لك يا رسول الله وإنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره، فقال: أما ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه. وروى الإمام أحمد قصة أخرى بنحو ما تقدم من حديثه وسنده ضعيف.

وأخرج ابن شاهين في الدلائل عن عبدالله بن جعفر قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فدخل حائط رجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رآى النبي ﷺ حنّ فذرفت عيناه فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراته فسكن ثم قال: من رب هذا الجمل فجاء فتى من الأنصار فقال: هذا لي يا رسول الله. فقال: «ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إليّ أنك تجيعه وتذيبه» وهو حديث صحيح. ورواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن مهدي بن ميمون.

وروي أحمد والنسائي من حديث أنس رضي الله عنه كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه وإنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وأن الأنصار جاؤا إلى النبي ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسني عليه، وأنه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع، فقال رسول الله ﷺ لاصحابه: قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى رسول الله ﷺ نحوه، فقالت الأنصار يا رسول الله: قد صار مثل الكلب الكلب وإنا نخاف عليك صولته، فقال رسول الله ﷺ: ليس علي منه بأس، فلم نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خرّ ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله في العمل، فقال له أصحابه يا رسول الله: هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك، فقال ﷺ: لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة ن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها.

وأما كلام الضب فحديثه مشهور رواه البيهقي من طرق كثيرة وهو غريب ضعيف. قال المزني: لا يصح إسناداً ولا متناً، وذكره القاضي عياض في الشفاء، وقد روي من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي من بني سليم قد صاد ضباً جعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله، فلما رأى الجماعة قال: من هذا؟ قالوا نبي الله، فأخرج الضب من كمه وقال: واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: يا ضب فأجابه بلسان يسمعه القوم جميعاً لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال: من تعبد؟ قال الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه. قال: فمن أنا؟ قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الأعرابي الحديث بطوله وهو مطعون فيه، وقيل: إنه موضوع لكن معجزاته ﷺ فيها ما هو أبلغ من هذا وليس فيه ما ينكر شرعاً خصوصاً وقد رواه الأئمة فنهايته الضعف لا الوضع.

....

وأما حديث الظبية فأخرجه البيهقي من طرق وضعفه جماعة من الأئمة، وذكره عياض في الشفاء، ورواه أبو نعيم في الدلائل بإسناد فيه مجاهيل عن حبيب بن محصن عن أم سلمة الحديث بطوله وفيه: قالت يا رسول الله صادني هذا الإعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى أذهب فأرضعها وارجع إلخ. ورواه الطبراني بنحوه، والمنذري في الترغيب والترهيب مس باب الزكاة. وقال الحافظ ابن كثير: انه لا أصل له، وقال الحافظ السخاوي: لكنه ورد في الجملة عدة أحاديث يقوي بعضها بعضاً أوردها الحافظ ابـن حجـر في المجلس الحادي والستين مـن تخريـج أحاديث المختصر.

وأما قصة تكليم الذئب وشهادته فرويت من عدة طرق أخرجه أحمد من حديث أبي سعيد بإسناد جيد، وأخرجه أبو سعيد الماليني والبيهقي من حديث ابن عمر، وأبو نعيم في الدلائل من حديث أنس، وأحمد وأبو نعيم بسند صحيح، والبغوي في شرح السنة، وسعيد بن منصور في سننه من حديث أبي هريرة وألفاظ الكل مختلفة، ورواه عياض في الشفاء وهي قصة أخرى. ويلحق بذلك سجود الغنم له ﷺ أخرجه أبو محمد عبدالله بن حامد الفقيه في دلائل النبوة بإسناد ضعيف وهو في الشفاء، ومما يلحق بانطاق العجماء كلام الحمار بخيير الذي سماه رسول الله ﷺ يعفوراً، وكان اسمه من قبله يزيد بن شهاب أخرجه ابن عساكر عن أبي منصور والقصة مشهورة. ورواه أبو نعيم بنحوه مـن حـديـث معـاذ بـن جبـل، وقـد أورده ابـن الجوزي في الموضوعات وفي معجزاته ﷺ ما هـو أعظـم مـن كلام الحمار وغيره، **(ومـا تفجـر مـن بين أصابعه)** الشريفة **(من الماء)** الطهور بالمشاهدة وهو أشرف المياه وقد تكررت منه ﷺ هذه المعجزة عدة مواطن في مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ حيث نبع من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه قاله القرطبي.

ونقل ابن عبد البر عن المزني أنه قال: هو أبلغ من المعجزة من نبعه من الحجر حيث ضربه موسى عليه السلام بالعصا فتفجرت منه المياه لأن خروج الماء من الحجارة معهود بخلافه من بين اللحم والدم اهـ.

وقد فات العراقي هذا الحديث فلم يذكره في تخريجه ونحن نذكر بعون الله تعالى من رواه من الصحابة ومن أخرجه فنقول: رواه أنس، وجابر، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو ليلى الأنصاري، وأبو رافع. أما حديث أنس فأخرجه الشيخان والبيهقي وابن شاهين لفظ الصحيحين: «رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضؤا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم». وفي لفظ للبخاري: كانوا ثمانين رجلاً وفي لفظ له: «فجعل المـاء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم. قال: فقلنا

....

لأنس: كم كنتم؟ قال: كنا ثلاثمائة». ولفظ البيهقي قال: «خرج النبي ﷺ إلى قباء فأتى من بعض بيوتهم بقدح صغير فأدخل يده فلم يسعه القدح، فادخل أصابعه الأربعة ولم يستطع أن يدخل إبهامه، ثم قال للقوم: هلموا إلى الشراب». قال أنس: بصر عيني ينبع الماء من بين أصابعه فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعاً، ولفظ ابن شاهين قال: «كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فقال المسلمون: عطشت دوابنا وإبلنا فقال: هل من فضلة ماء؟ فجاء رجل في شن بشيء فقالوا: هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته في الماء قال: فرأيتها تخلل عيوناً بين أصابعه، قال: فسقينا إبلنا ودوابنا وتزودنا فقال: أكفيتم فقالوا: نعم اكتفينا يا رسول الله فرفع يده فارتفع الماء».

وأما حديث جابر، فأخرجه الشيخان، وأحمد والبيهقي، وابن شاهين لفظ الصحيحين قال: «عطش الناس يوم الحديبية. وكان رسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ منها وجهش الناس نحوه فقال: ما لكم فقالوا يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ ولا ما نشربه إلا ما بين يديك فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا. قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا خمس عشرة مائة». وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال لي رسول الله ﷺ: يا جابر ناد الوضوء وذكر الحديث بطوله، وإنه لم يجد إلا قطرة في عزلاء شجباء فأتى به النبي ﷺ فغمزه وتكلم بشيء لا أدري ما هو وقال: ناد بجفنة الركب فأتيت بها فوضعتها بين يديه، وذكر أن النبي ﷺ بسط يده في الجفنة وفرق أصابعه وصب عليه جابر فقال: بسم الله. قال: فرأيت الماء يفور من بين أصابعه، ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وأمر الناس بالإستسقاء فاستقوا حتى رووا فقلت: هل بقي من أحد له حاجة فرفع رسول الله ﷺ يده من الجفنة وهي ملأى. ولفظ أحمد في مسنده: اشتكى أصحاب رسول الله ﷺ إليه العطش، فدعا بعس فصب فيه شيئاً من الماء، ووضع رسول الله ﷺ فيه يده وقال: استقوا فاستقى الناس، فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابعه. وفي لفظ من حديثه أيضاً قال: فوضع رسول الله ﷺ كفه في الماء ثم قال: بسم الله؟ ثم قال: اسبغوا الوضوء. قال جابر: فوالذي ابتلاني ببصري لقد رأيت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين أصابعه ﷺ فما رفعها حتى توضـؤا أجمعون. وفي لفظ له من طريق نبيح العنزي عنه فجاء رجل بأداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره فصبه رسول الله ﷺ في قدح، ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح قال: فتزاحم الناس على القدح، فقال: على رسلكم فوضع كفه في القدح، ثم قال: اسبغوا الوضوء. قال: فلقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه. ولفظ البيهقي: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصابنا عطش فجهشنا إلى رسول الله ﷺ قال: فوضع يده في تور من ماء بين يديه، فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كأنه العيون. قال: خذوا بسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة ألف لكفانا. قلت لجابر: كم كنتم؟ قال: ألفاً وخمسمائة.

....

وأما حديث ابن مسعود فأخرجه البخاري من طريق علقمة عنه ولفظه: بينما نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله ﷺ: «اطلبوا من معه فضل ماء فأتي بماء فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه ﷺ.

وأما حديث ابن عباس، فأخرجه الدارمي، وأبو نعيم بلفظ: «دعا النبي ﷺ بلالاً فطلب الماء فقال لا والله ما وجدت الماء قال: فهل من شن؟ فأتاه بشن فبسط كفيه فيه فانبعث تحت يده عين، فكان ابن مسعود يشرب وغيره يتوضأ.

وأما حديث أبي ليلى الأنصاري؛ فأخرجه الطبراني، وأبو نعيم.

وأما حديث أبي رافع مولى رسول الله ﷺ: فأخرجه أبو نعيم من طريق القاسم بن عبدالله بن أبي رافع، عن أبيه عن جده.

تنبيه:

ظاهر الأحاديث المتقدمة أن الماء كان ينبع من بين أصابعه بالنسبة إلى رؤية الرائي وهو في نفس الأمر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر وكفه ﷺ في الإناء، فيراه الرائي نابعاً من بين أصابعه، وظاهر كلام القرطبي أنه ينبع من نفس اللحم الكائن في الأصابع، وبه صرح النووي في شرح مسلم، ويؤيده قول جابر: فرأيت الماء يخرج، وفي رواية: ينبع من بين أصابعه وهذا هو الصحيح، وكلاهما معجزة له ﷺ، وإنما فعل ذلك ولم يخرجه من غير ملامسة ماء ولا وضع إناء تأدباً مع الله تعالى إذ هو المنفرد بابتداع المعلومات وإيجادها من غير أصل.

تكميل:

ومن هذا القسم مما لم يذكره المصنف خرور الأصنام سجداً ليلة ولادته، وسقوط شرف إيوان كسرى، وإظلال الغمام عليه، وانقلاع الشجر ماشية إليه، وحنين الجذع الذي كان يخطب إليه لما انتقل إلى المنبر عنه، وتسليم الحجر والشجر عليه، وظهور البركة في الماء القليل الذي مجّ فيه بعد ما نزحت البئر في الحديبية وشرب القوم والإبل، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وأكل الجم الغفير من أقراص يأكلها إنسان واحد في قصة أبي طلحة. وكانوا سبعين أو ثمانين رجلاً. وفي قصة جابر: وكانوا ألفاً. وآخبار الشاة المشوية له بأنها مسمومة وغير ذلك مما تضمنته الكتب المؤلفة في خصوص ذلك كالدلائل لكل من البيهقي وأبي نعيم. وفي معاجم الطبراني، وفي كل من الكتب الستة التي هي دواوين الإسلام وغيرها من مطولات كتب الحديث أبواب مفردة لذلك وهذا النوع أحد ما عقد له في كتاب الشفاء باب، وقد تضمن الباب المعقود له ثلاثين فصلاً، والله أعلم.

اكمال التكميل:

الوارد من هذه الخوارق وإن كان آحاداً لا يفيد العلم، فالقدر المشترك بينها وهو ظهور الخارق على يده متواتر بلا شك، فيفيد العلم قطعاً كجود حاتم، وشجاعة علي.

ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها ـ مع كافة العرب ـ القرآن العظيم فإنهم مع تمييزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبه ونهبه وقتله وإخراجه ـ كما أخبر الله عز وجل عنهم ـ ولم يقدروا على معارضته بمثل القرآن إذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن

فقول الإمام أبي القاسم السهيلي في الروض: إن بعض هذه الخوارق علامة للنبوة ولا تسمى معجزة بناء على عدم اقترانها بدعوى النبوة ليس بمقبول فإنه ﷺ لما ادعى النبوة انسحب عليه دعوى النبوة من حين ابتدائها إلى أن توفاه الله تعالى، فكأنه في كل ساعة يستأنفها، فكل ما وقع له من الخوارق كان معجزة لاقترانه بدعوى النبوة حكماً، وكأنه يقول في كل ساعة إني رسول الله، وهذا دليل صدقي والله أعلم.

ثم شرع المصنف في بيان القسم الأول الذي هو بيان الأمور الثابتة في ذاته، وهي المعجزة الدائمة العامة الدلالة المختص بها آية، وإنما أخره لكثرة ما فيه من المباحث فقال: (**ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها**) أي جارى بها وعارض، وأصل التحدي طلب المباراة في الحداء بالإبل، ثم توسع فيه فأطلق على طلب المعارضة بالمثل في أي أمر كان (**مع كافة العرب**) أي جميعهم من أولاد إسماعيل عليه السلام، ومن أولاد سبأ بن يعرب (**القرآن**) هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلاً متواتراً وكان الشافعي رضي الله عنه لا يهمزه، (**فإنهم**) أي كافة العرب (**مع تمييزهم بالفصاحة**) أي الملكة التي يقتدر بها على التعبير عن المقصود مع الإبانة والظهور (**والبلاغة**) أي الملكة التي يقتدر بها على تأليف كلام بليغ، والكلام البليغ هو الذي يجمع أوصافاً ثلاثة صواباً في موضع لغته وطبقاً للمعنى المقصود به وصدقاً في نفسه (**تهدفوا**) أي جعلوا أنفسهم هدفاً (**لسبه**) أي أسره (**ونهبه**) أي غارته (**وقتله**) والفتك به، (**ولم يقدروا على معارضته**) أي القرآن (**بمثله**) ولو أقصر سورة منه وعجزهم متواتر أي ثبت إنصرافهم من المعارضة إلى المقارعة مع توفير مقتضيات المعارضة منهم من حيث قوة الفصاحة والبلاغة حيث بلغوا في ذلك إلى الغاية التي تمكن في الإنسان مع توفر دواعيهم عن رد دعوته وتهالكهم على ذلك، فلم يجدوا لذلك سبيلاً، وفزعوا إلى بذل مهجهم وإتلاف أموالهم وقتل نفوسهم وسبى ذرياتهم ولو قدروا على المعارضة لعارضوا، ولما اختاروا ذلك عليها لما فيها من وصول مقصودهم وسلامة مهجهم، ولو عارضوا لنقل تواتراً لما فيه من توفر الدواعي ونفي الموانع ولم يكن ذلك قطعاً. (**إذ لم يكن من قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه**) أشار بذلك إلى القول المرضي عنده في وجه الإعجاز تبعاً لشيخه إمام الحرمين أن القرآن معجز لإجتماع الجزالة فيه مع الاسلوب في النظم المخالف لأساليب كلام العرب، والجزالة عبارة عن دلالة اللفظ على معناه بشرط قلة حروفه وتناسب مخارجها، والنظم عبارة عن ترتيب الأقوال بعضها على بعض، ثم الحسن فيه بتقدير تناسب الكلمات وتقاربها في الدلالة على المعاني، والبلاغة عبارة عن اجتماع الفصاحة مع الجزالة وغرابة الاسلوب، فالجزالة تقابلها الركاكة فليس في نظمه لفظ ركيك وغرابه أسلوبه هو أنه يخالف المعهود من أساليب كلام العرب، إذ لم

ونظمه، هذا مع ما فيه من أخبار الأوّلين مع كونه أمياً غير ممارس للكتب والإنباء عن

يعهد في كلامهم كون المقاطع على مثل ويعملون ويفعلون والمطالع على مثل **(يا أيها الناس)** **(يا أيها الرسل)** **(الحاقة ما الحاقة)** **(عم يتساءلون)** وهذا القول ارتضاه القاضي أبو بكر الباقلاني فلم يشترطوا فيه البلاغة، وقيل: اعجازه بسلامته من الإختلاف والتناقض ، وقيل: باشتماله على دقائق الحكم والمصالح، والجمهور على أن الإعجاز فيه لكونه في المرتبة العليا من الفصاحة والبلاغة التي هي خارجة عن طوق البشر ، وإنما هي من مقدور خالق القوى والقدر كما تجده النفوس الإنسانية الكاملة من نفوسها. أما فصحاء العرب فبحسب سليقتهم وما فطروا عليه، وأما غيرهم فبحسب معرفتهم بالبلاغة وإحاطتهم بأساليب الكلام والفصاحة. **(هذا مع ما فيه من أخبار الأولين)** ووبال المشركين في شطر آية كقوله عز وجل: ﴿فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا﴾ [العنكبوت: ٤٠] فانظر ما تضمن شطر هذه الآية مع لطيف نظمها من الأنباء عن عظم القدرة وإستيلاء الربوبية والإستغناء عن الهالكين ولا دافع ولا مانع، وخروجها باستعلائها عن القلوب من كلام كل مربوب. وقيل: إعجازه بالنظم فقط وهو قول بعض المعتزلة، وقيل: بالصرف عن معارضته وهو اختيار الشريف المرتضى من الشيعة، وقرره النظام فقال: كانت العرب تقدر على النطق بمثله قبل مبعثه عليه السلام، فلما بعث سلبوا هذه القدرة وقال قوم: إعجازه موافقته لقضايا العقول، وقال بعض المحدثين: إعجازه أنه قديم غير مخلوق. وقال قوم: إعجازه أنه عبارة عن الكلام القديم، ووجه ما اختاره المصنف وارتضاه تبعاً لشيخه الإمام، والقاضي هو أنه عليه السلام لما تحداهم بأن يأتوا بمثله، ثم تنزل إلى عشر سور، ثم إلى سورة، والسورة مشتملة على الأمرين. أعني الجزالة والأسلوب، وإنما يتحقق الإتيان بمثله عند الإتيان بمشتمل على الوصفين معاً، فإن الشاعر المفلق إذا سرد قصيدة بليغة ودعى إلى المعارضة بمثلها فعورض بخطبة أو نثر مرسل بالغ أقصى الفصاحة لم يكن الآتي بذلك معارضاً لها، ولو أتى الشاعر بمثل وزن شعره عريا عن بلاغته وجزالته لم يكن معارضاً له. قال الإمام: هذا ما ارتضاه القاضي واستقر عليه نظره، وقال في تضاعيف كلامه: ولو جعلت النظم بمفرده مع إفادة المعاني معجزاً لم يكن مبعداً. قال الإمام: وهذا غير سديد، فإنه لا يسلم أن يقدر كلام كذلك. وفي هذا التقدير إبطال لقول من زعم أن أحدهما كافٍ في الإعجاز، وأما من صار إلى أن إعجازه بالصرف وأنه كان مقدوراً قبل البعث فقيل: إن لو كان كذلك لوجد مثله قبل التحدي، ولو كان لظهر. وأما من قال: إعجازه بكونه قديماً فهو قول بقدم الحروف وهو باطل، وأما من قال: بأن إعجازه أنه عبارة عن الكلام القديم، فلا يصح لأنه لا يمتنع أن يعبر عن الكلام القديم بلفظ غير معجز.

ثم نبه المصنف على أن من وجوه الإعجاز إنباءه عن أخبار الأولين وتفاصيل أحوالهم **(مع كونه)** ﷺ **(أمياً غير ممارس للكتب)** بالتلقن ولم يعان تعلماً، وإنما نشأ بين ظهور العرب فلم

الغيب في أمور تحقق صدقه فيها في الاستقبال كقوله تعالى: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصرين﴾ [الفتح: ٢٧] وكقوله تعالى: ﴿ألم ★ غُلِبت الروم ★ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ★ في بضع سنين﴾ [الروم: ١ ـ ٤]، ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن إلا فعلاً لله تعالى، فمهما كـان

تعهد له خرجات يتوقع في مثلها دراسة فكان ذلك أدل آية على صدقه. وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتـاب ولا تخطـه بيمينـك إذاً لارتـاب المبطلـون﴾ [العنكبوت: ٤٨] ثم شرع المصنف في ذكر القسم الثاني من القسم الثاني وهي الغيوب القولية فقال: (**والانباء**) أي ومع ما اشتمل عليه القرآن من الأخبار (**عن الغيـب في أمـور**) كثيرة (**تحقق صدقه فيها**) وهو على قسمين في الماضي، فكقصة موسى عليه السلام، وقصة فرعون وقصة يوسف عليه السلام، وأمثالها من قصص الأنبياء على تفاصيلها من غير سماع من أحد ولا تلق من بشر كما تقدم كما نبه عليه قوله تعالى: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾ [يوسف: ١٠٢] و (**في الإستقبال**) وهو من الكتاب ومن السنة فمن الكتاب (**كقوله تعالى**) ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ [الإسراء: ٨٨] وقوله تعالى: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا﴾ [البقرة: ٢٤] وقوله تعالى: (**لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين**) [الفتح: ٢٧] على أنفسكم من الأعداء (**محلقين رؤوسكم ومقصرين**) بعد تمام النسك وكل ذلك وقع في زمنه ﷺ ومن ذلك ما وقع بعده (**كقوله تعالى: ألم ★ غلبت الروم**) وهم بنو الأصفر (**في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون**) على اختلاف القراء وقوله تعالى: ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها﴾ [الفتح: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم﴾ [النور: ٥٥] وقوله تعالى: ﴿ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد﴾ [الفتح: ١٦] قيل الخطاب للمنافقين دعاهم أبو بكر لقتال بني حنيفة وقيل: المراد دعاء عمر إلى قتال فارس.

وأما من السنة فكقوله ﷺ لعلي رضي الله عنه: « تقاتل بعدي الناكسين والقاسطين المارقين» ولعمار رضي الله عنه: « تقتلك الفئة الباغية » وكقوله ﷺ: « زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها » وقوله عليه السلام « الخلافة بعدي ثلاثون سنة » وكاخباره بهلاك كسرى وقيصر وزوال ملكها وإنفاق كنوزهما في سبيل الله وغير ذلك مما هو وارد في صحاح الأحاديث.

ثم لما فرغ المصنف من ذكر معجزاته ﷺ شرع في بيان وجه دلالة المعجزات على الصدق فقال: (**ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل**) عليهم الصلاة والسلام (**أن كل ما عجز عنه البشر**) عن إتيان مثله (**لم يكن إلا فعلاً لله تعالى**).

فإن قيل: المعجزة قد تكون من قبيل الترك دون الفعل كما إذا قال الرسول: معجزتي أن

مقروناً بتحدي النبي ﷺ ينزل منزلة قوله: « صدقت ». وذلك مثل القائم بين يدي الملك المدعي على رعيته أنه رسول الملك إليهم، فإنه مهما قال للملك إن كنت صادقاً

أضع يدي على رأسي وأنتم لا تقدرون على ذلك ففعل وعجزوا، فإنه معجز دال على صدقه كما في المواقف قلنا: قد جرى المصنف تبعاً لشيخه على أن كفهم عن ذلك فعل الله سبحانه لا عدم فعل منه سبحانه كأن يقال: هو عدم تمكينهم فهو غير خارج عن الفعل، وإذ قد تقرر أن المعجزة ليست إلا فعلاً لله تعالى **(مهما كان مقروناً بتحدي النبي)** أي مهما جعلها الرسول دلالة واضحة على صدقه فيما ينقل عن الله تعالى فأوجده الله تعالى موافقاً لقوله **(نزل)** ذلك الإيجاد على وفق ما قال **(منزلة قوله: صدقت)** وهو صريح التصديق.

قال ابن التلمساني في شرح اللمع: اختلف الأصوليون في وجه دلالة المعجزة، فمنهم من قال: إنها تتنزل منزلة التصديق بالقول، فإن الله تعالى إذا خلق له المعجزة على وفق دعواه، فكأنه قال له صدقت بالقول فيكون مدلولها خبراً، ومنهم من يقول: إنها تدل على إنشاء الرسالة فيكون تقديرها أنت رسولي أو بلغ رسالتي والإنشاء لا يحتمل التصديق والتكذيب، ثم قرروا الدلالة من وجهين.

أحدهما: أنها تدل عقلاً قالوا لأن خلق الخارق من الله تعالى على وفق دعواه وتحديه، والعجز عن معارضته وتخصيصه يدل على إرادة الله تعالى لتصديقه، كما يدل اختصاص الفعل بالوقت والشكل والقدر على إرادته تعالى بالضرورة وإلى هذا ميل الإستاذ.

الثاني: أن دلالتها عادية كدلالة قرائن الأحوال قالوا: وخلق ذلك من الله تعالى على صدقه بالضرورة كما يعلم خجل الخجل ووجل الوجل بالضرورة، وإليه ميل الإمام اهـ.

وقرره شارح الحاجبية بوجه آخر فقال: اختلفوا في وجه دلالة المعجزة، فمنهم من زعم أنها وضعية وهو ظاهر ما في الإرشاد لإمام الحرمين وإن كان آخر الأمر التجأ إلى أنها عادية تجريبية كما وقع له ذلك في البرهان، وحاصل دعوى أنها وضعية أن المعجزة ترجع إلى القول والقول دلالته وضعية، ومنهم من زعم انها عقلية وهو قول الأستاذ. وحاصله أن الله تعالى خلق الخارق على وفق دعوى الرسالة والتحدي مع العجز عن معارضته وتخصيصه بذلك يدل على إرادة الله أنه صدق كما يدل اختصاص الفعل المعين على إرادته لذلك قطعاً، والصحيح وهو قول المحققين إنها تجريبية فإن تصديق الله إياه بالمعجزة يحصل عادة منها اهـ.

ثم أورد المصنف مثلاً مشهوراً في كتب القوم ضربوه لشأن الرسول ومرسله سبحانه في تصديقه إياه بإيجاد الخارق على وفق دعواه فقال: **(وذلك)** التصديق للرسول بإيجاد المعجزة على وفق دعوى النبوة **(مثل القائم بين يدي الملك)** أي كتصديق القائم بين يدي ملك من ملوك الدنيا **(المدعي على رعيته أنه رسول)** ذلك **(الملك)** إليهم، وهو مقبل إليهم بحضرة الملك **(فإنه)** أي ذلك المدعي للرسالة عن الملك **(مهما قال للملك)** المرسل له: **(إن كنت**

فقم على سريرك ثلاثاً واقعد على خلاف عادتك. ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بأن ذلك نازل منزلة قوله: « صدقت ».

صادقاً) فيما نقلت عنك من الرسالة إلى هؤلاء **(فقم على سريرك ثلاثاً واقعد)** أي أفعل ذلك **(على خلاف)** عادتك في القيام والقعود، **(ففعل الملك ذلك)** كما أشار له **(حصل)** قطعاً **(للحاضرين)** من الرعية **(علم ضروري)** قطعي **(بأن)** الملك قد صدقه وأنه **(نازل منزلة قوله: صدقت)**

وقد اختلف الأصحاب في تصوير هذا المثل ففي غاية المرام لابن البياضي ما نصه: كما إذا قام رجل من مجلس ملك بحضور جماعة وادعى أنه رسول ذلك الملك فطالبوه بالحجة فقال: هي أن يخالف ذلك الملك عادته ويقوم عن سريره ثلاث مرات ويقعد ففعل، فإنه يكون تصديقاً له ومفيداً للعلم الضروري بصدقه من غير ارتياب. وفي اللمع لإمام الحرمين ووجه دلالتها على صدق النبي أنها تتنزل منزلة التصديق بالقول، ونظيره من الشاهد أن يتصدى ملك للناس ويأذن لهم بالولوج عليه، فإذا احتفوا به وأخذ كل منهم مجلسه قام رجل من أهل الجمع وقال: إني رسول الملك إليكم، وقد ادعيت الرسالة بمرأى منه ومسمع، وآية رسالتي أن الملك يخالف عادته ويقوم ويقعد إذا استدعيت منه ذلك أيها الملك صدقني وقم واقعد، فإذا فعل الملك ما استدعاه كان ذلك تصديقاً له بمنزلة قوله صدقت.

وفي شرح الحاجبية فإن تصديق الله إياه بالمعجزة يحصل عادة منها كما نجد من العلم من انفسنا عادة من صدق الرجل إذا قام في مجلس ملك بحضور جماعة، وادعى أنه رسول ذلك الملك بالحجة وقال: حجتي أن يخالف هذا الملك عادته ويقوم عن سريره ثلاثاً ويقعد ففعل، فإنه يكون تصديقاً له ويحصل العلم بذلك للحاضرين لا محالة وذلك ظاهر، وكذا الأمر في المعجزة فإن الرسول يدعي الرسالة للمكلفين ويقول: معنى آية صدقي أن يفعل الله كذا والله يشاهد فعله ويسمع قوله، والعلم بذلك لا بد منه ثم يفعل الله جل جلاله ما ادعاه ذلك الرسول فيحصل قطعاً صدقه بموافقة الله إياه حيث فعل ما ادعاه.

وفي الإعتماد للنسفي فإذا ادعى الرسالة ثم قال: آية صدقي في دعواي في أن الله تعالى أرسلني أن يفعل كذا، ففعل الله ذلك كان ذلك من الله تصديقاً له في دعواه الرسالة فيكون ذلك نة له له عقيب دعواه: « صدقت » إذ التصديق بالفعل كالتصديق بالقول، ويستحيل من الحكيم تصديق الكاذب، ونظيره: أن الملك العظيم إذا أذن للناس بالولوج عليه، ثم ساق العبارة كسياق اللمع سواء، ثم قال بعد قوله: « صدقت » والناقض للعادة كما يكون فعلاً غير معتاد يكون تعجيزاً عن الفعل المعتاد كمنع زكريا عليه السلام عن الكلام إذ المنع عن المعتاد نقض للعادة أيضاً اهـ.

واقتصر ابن الهمام في المسايرة على قوله: إن كنت صادقاً فيما نقلت عنك فقم على سريرك على خلاف عادتك الخ. لأن القصد من العلم بتصديقه حاصل بالإقتصار عليه، وقول المصنف

كغيره ممن تقدم ذكره فقم على سريرك ثلاثاً واقعد الخ. لمزيد الإستظهار فيما يحصل به العلم، وقول المواقف فقم من الموضع المعتاد لك في السرير، واجلس مكاناً لا تعتاده تصوير آخر لمخالفة العادة.

تنبيه:

وللملحدة على ما قرروه أسئلة:

الأول: قالوا مدعي الرسالة مشارك لنا في النوع والصورة واختصاصه بالرسالة غير معلوم بالضرورة ولا يقبل بمجرد دعواه. فإن الخبر يحتمل الصدق والكذب، واعتمادكم في صدقه على مجرد وقوع الخارق على وفق دعواه كيف يدل مع أنا نشاهد وقوع كثير من الخوارق والتوصل إليها بالخواص والسحر والتعزيم والطلسمات واستسخار الروحانيات وخدمة الكواكب فبهم يتميز ما أتى به عن ذلك بسبب اتصالات فلكية غريبة اطلع عليها.

الثاني: سلمنا أنه فعل الله تعالى. لكن لم قلتم أنه إنما خلقه لتصديقه فظاهر أنه ليس كذلك أما على أصول الأشعري فلأنهم لا يقولون ان أفعال الله تعالى متوقفة على الأغراض ولا يقبح منه شيء عندهم. وأما على أصول المعتزلة فنقول: لما قلتم أنه لا غرض لله تعالى في خلق ذلك إلا التصديق. وذلك لا يعرف وشرطه العلم بالعدم لا عدم العلم.

الثالث: قالوا من مذهبكم أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وإذا كان كذلك فما المانع من أن يخلق ذلك على يد الكاذب للإضلال.

الرابع: انكم احتججتم بالخارق وبم يعلم أن الذي أتى به هذا المدعي خارق ولعله معتاد في قطر آخر، أو يكون عادة متطاولة أو يكون ابتداء عادة تستمر وحينئذ لا يدل.

الخامس: ادعيتم الدلالة على صدقه، ثم قررتم ذلك بأن المعجزة تتنزل منزلة التصديق بالقول ضرورة تارة. وتارة قلتم تخصيصه بها يدل على إرادة تصديقه بالضرورة، وتارة قلتم يدل على صدقه عادة بالضرورة. فإذا كان مآلكم إلى دعوى فادعوا أنه صادق بالضرورة وحينئذ لا يتم مرادكم.

السادس: أنكم ادعيتم الضرورة، ثم قستم الغائب على الشاهد بالمثال المذكور، وما يدل بالضرورة كيف يصح قياسه.

السابع: ان ما ذكرتموه من المثال لا يطابق ما ادعيتموه، فإن العلم فيه استند إلى قضايا حسية مشاهدة فإنا نشاهد الملك في الصورة المذكورة ونشاهد قيامه وقعوده بخلاف مسألتكم فإن الفاعل غائب عنا، وذلك ينافي قرائن الأحوال، والجواب أن نقول قولكم في السؤال الأول قلتم: ان الخوارق

....

يتوصل إليها بأسباب من الخواص والسحر وغير ذلك. قلنا: جميع ذلك لا يسلم مدعيه عن المعارضة بأمثاله ثم من سنة الله تعالى في دفع هذا الإحتمال أنه لم يرسل رسولاً بآية إلا من جنس ما هو الغالب على أهل عصره ليكون عجزهم عن مثله حجة عليهم، ألا ترى أنه لما كان الغالب في زمان موسى عليه السلام تعلم السحر والتخييل جعل الله تعالى الحية التي تتلقف ما صنعوا، واعترف أهل الصناعة وهم ألوف أن ذلك لا يتوصل إليه بالسحر فآمنوا بالله تعالى وخروا له ساجدين، وعجز أهل الصناعة واعترافهم بذلك أدل دليل على صحة الآية وصدق الآتي بها، وكذلك لما غلب في زمان عيسى عليه السلام تعلم الطب كان معجزاته إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، مع اعتراف أهل صناعة الطب وهم الجمع الكثير بعجزهم عن ذلك، واعترافهم دليل على اختصاصه بذلك، ولما كان الغالب في زمان الخليل عليه السلام القول بالطبائع وتأثيرات الكواكب كان من آياته ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ [الأنبياء: ٦٩].

ولما كان محمد ﷺ في زمان قوم صناعتهم الفصاحة والنظم والنثر حتى كان أحدهم إذا صنع قصيدة علقها على البيت وقال: لا يأتي أحد بمثلها كانت معجزته من ذلك الجنس فعجز البلغاء والفصحاء وهم العدد الكثير عن المعارضة، وذلك أدل دليل قاطع على أنه محض فعل الله تعالى وليس من المكتسبات.

قولهم في السؤال الثاني لم قلتم إن الله تعالى إنما خلق ذلك للتصديق؟ قلنا: لما قررناه من الوجهين العقلي والعادي.

قولهم في السؤال الثالث من مذهبكم أن الله تعالى يضل من يشاء. قلنا: نعم قولهم فجوزوا خلق المعجزة على يد الكاذب؟ قلنا من يرى المعجزة تدل عقلاً فلا يجوز ذلك لما فيه من قلب الدليل شبهة، والعلم جهلاً والله يضل من يشاء، ولكن لا بالدليل لما فيه من قلب الأجناس وقلبها محال. ومن زعم أن دلالتها عادية جوز ذلك، ولكنا نعلم عدم وقوعه باستمرار العادات، كما نعلم أن الجبل في وقتنا لم ينقلب ذهباً إبريزاً وإن كان ذلك جائزاً في قدرة الله تعالى، وكذلك نجزم بأن كل إنسان نشاهده من أبوين. وإن جاز في قدرة الله تعالى أن يكون مخلوقاً من غير أبوين كآدم وعيسى عليهما السلام، وتجويز ذلك لا يمنعنا من الجزم، ولو وقع ذلك لانسلت العلوم من الصدور.

قولهم في السؤال الرابع بم علمتم أن ما أتى به خارق ولعله معتاد في قطر أو عادة متطاولة أو ابتداء عادة؟ قلنا كل عاقل يعلم أن إحياء الموتى وقلب العصا ثعباناً، وإخراج ناقة من صخرة صماء ليس بمعتاد. وقولهم: لعله ابتداء عادة. قلنا: التحدي وقع بنفس الخارق للعادة فلا يضر بعد ذلك أنه دام أو لم يدم، ثم هؤلاء يجب عليهم أن يصدقوا بالآيات التي أتت بها الأنبياء، وقد مضت ولم يعد مثلها.

قولهم في السؤال الخامس: ادعيتم الضرورة آخراً فهلا ادعيتموها أولاً؟ قلنا: كل دليل لا بد أن ينتهي إلى الضرورة ولا يمكن دعواها أولاً، ثم نحن إنما قلنا أن التخصيص يدل على ارادة تصديقه بالضرورة، ومن الأدلة ما يدل بالضرورة، ومنها ما يدل نظراً.

الركن الرابع

في السمعيات وتصديقه ﷺ فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول:

الأصل الأول: الحشر والنشر. وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما

قولهم في السؤال السادس: إنكم ادعيتم الضرورة في وجه الدلالة وقستم الغائب على الشاهد؟ قلنا: لم نقس وإنما ضربناه مثلاً.

قولهم في السؤال السابع: الفرق بين الشاهد والغائب إنا شاهدنا الفاعل وأفعاله؟ قلنا: نفرض ذلك في ملك من وراء ستر وتصدر باقتضاء مدعي الرسالة عنه أفعال نعلم أنها لا تصدر إلا منه، ويستوى حينئذ المثالان والله أعلم.

وإذ قد علمت ما تقدم فاعلم أنه إذا ثبتت نبوته ﷺ ثبتت نبوة سائر الأنبياء لثبوت كل ما أخبر به ﷺ لأنه صادق في مقالته ونبوتهم من جملته، وما أخبر به هو المراد بالسمعيات في كتب أصول الدين، ولذا أعقب المصنف وقال:

الركن الرابع في السمعيات

أي ما يتوقف على السمع من الإعتقادات التي لا يستقل العقل بإثباتها. (**وتصديقه ﷺ فيما أخبر عنه**) من أمور الغيب جملاً وتفصيلاً فإن كان مما يعلم تفصيله وجب اعتقاده، وإن كان لم يعلم تفصيله وجب أن نؤمن به جملة ونكل تأويله إلى الله ورسوله، ومن اختصه الله بالإطلاع على ذلك.

قال ابن أبي شريف: وأما الإمامة وما يتعلق بها فإنه ليس من العقائد الأصلية، بل من المتمات لأنها من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين. إذ نصب الإمام عندنا واجب على الأمة سمعاً، وإنما نظم في سلك العقائد تأسياً بالمصنفين في أصول الدين، ولا يخفى أن هذا وإن تم في نصب الإمام لا يتم في كل مبحث الإمامة، فإن منها ما هو اعتقادي كاعتقاد أن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر، وهكذا، وترتيب الخلفاء الأربعة في الفضل ونحو ذلك. هكذا نظمت في سلك العقائد.

(**و**) هذا الركن أيضاً (**مداره**) أيضاً (**على عشرة أصول**).

(**الأصل الأول: في الحشر والنشر**): هو إحياء الخلق بعد موتهم وسوقهم إلى موقف الحساب. ثم إلى الجنة أو النار، (**وقد ورد بهما الشرع**) يشير إلى ما أخرجه الشيخان من حديث ابن عباس «إنكم محشورون إلى الله» الحديث. ومن حديث سهل «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء» الحديث. ومن حديث عائشة «يحشرون يوم القيامة حفاة» الحديث. ومن حديث أبي هريرة «يحشر الناس على ثلاثة طرائق» ولابن ماجة من حديث ميمونة مولاة النبي ﷺ افتنا

واجب، لأنه في العقل ممكن، ومعناه الإعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الإنشاء. قال الله تعالى: ﴿قال مَنْ يحيي العظامَ وهِي رَميم★ قل يحييها الذي

في بيت المقدس قال «أرض المحشر والمنشر» الحديث. وإسناده جيد، **(وهو حق)** ثابت بالكتاب والسنة معلوم بالضرورة من هذا الدين، **(وتصديقه)** به **(واجب)**. ولا خلاف بين الشرائع في الأصول الإعتقادية إنما الإختلاف بينها في الفروع، فكل ما ورد في شريعتنا في أصول العقائد فهو كذلك في كل ملة **(لأنه في العقل ممكن)** أشار بـه إلى دليـل الجواز والإمكـان. أما الجواز فإنه ضروري عند العقلاء جميعاً، وأما الإمكان فإنه أمر لا يلزم منه محال لذاته، وذلك ظاهر قطعاً ولا لغيره إذ الأصل عدم الغير ومن ادعاه فعليه به، وكل ما كان كذلك فهو جائز ممكن، وأيضاً المعدوم الممكن قابل للوجود ضرورة، فالوجود الأول حاصل في الإبتـداء إن أفاده فزيادة استعداد لقبول الوجود على ما هو شأن سائر القوابل من تحصيل ملكة قبول الإتصاف، لأجل حصول المناسبة بالفعل، فقد صارت قابليته للوجود ثانياً أقرب وإعادته على الفاعل أهون، ويمكن أن يكون إلى هذه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ [الروم: ٢٧] وإن لم يفده زيادة الإستعداد فمعلوم بالضرورة أنه لا نقص عما هو عليه من قابلية الوجود بالذات في جميع الأوقات وذلك هو المطلوب، **(و)** اختلف أهل السنة والجماعة في **(معناه)** فقيل: هو **(الإعادة بعد الإفناء)** أي الإيجاد بعد الإعدام، وقيل: هو الجمع بعد تفـريـق الأجـزاء وعلى الأول إتفـاق أكثرهـم والعقلاء والحذاق مـن غيرهـم، **(وذلك)** سواء كان القول الأول والثاني **(مقدور لله تعالى كابتداء الإنشاء)** أي أن المعاد مثل المبدأ بل هو عينه، لأن الكلام في إعادة المعدوم. ويستحيل كون الشيء ممكناً في وقت ممتنعاً في وقت للقطع بأنه لا أثر للأوقات فيما هو بالذات، وتوقف إمام الحرمين حيث قال: يجوز عقلاً أن تعدم الجواهر ثم تعاد وأن تبقى فتزول إعراضها المعهودة، ثم تعاد هيئتهاولـم يدل قاطع سمعي على تعيين أحدهما، ولا يبعد أن تصير أجسام العباد على صفة أجزاء التراب ثم يعاد تركيبها على ما عهد، ولا يستحيل أن يعدم منها شيء ثم يعاد والله أعلم.

قال ابن الهمام في المسايرة مع سرحه: والحق أن الجواهر التي منها تأليف البدن تنعدم كلها إلا بعضاً منها منصوصاً عليه في الحديث الصحيح، وهو عجب الذنب فيما رواه البخاري، ومسلم، وأحمد، وابن حبان والمسألة عند المحققين ظنية، وممن صرح بذلك المصنف نفسه أي الغزالي في الإقتصاد حيث قال: فإن قيل: فما تقولون أتعدم الجواهر والاعراض ثم تعادان جميعاً أو تعدم الإعراض دون الجواهر وإنما تعاد الاعراض؟ قلنا: كل ذلك ممكن ولكـن ليس في الشرع دليـل قاطع على تعيين أحد هذه الممكنات يعني أن الأدلة الواردة ظنية اهـ.

ثم قال ابن الهمام: والحق في المسألة بحسب ما قامت عليه الأدلة وقوع الكيفيتين إعادة ما انعدم بعينه وتأليف ما تفرق من الأجزاء إلا الوجه، فإنه إنما يكون كذا بعينه أو كذا للحكم باستحالة خلافه لأن خلافه ممكن لشمول القدرة الإلهية لكل الممكنات وكل منها أمر ممكن أما

أنشأها أوّلَ مرة﴾ [يس: ٧٨ ـ ٧٩] فاستدل بالابتداء على الإعادة. وقال عز وجل: ﴿ما خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُم إلاَّ كَنَفْسٍ واحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، والإعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الأول.

إمكان تأليف ما تفرق فظاهر كما مر، وأما إمكان إعادة ما انعدم فلأن الإعادة؛ إحداث كالإبداع الأول، وغايته طرئان العدم على المبدع أولاً لا تغييره كأنه لم يحدث، وقد تعلقت القدرة بإيجاده من عدمه الطارىء ومعنى الإعادة الموجود ثانياً هو الموجود الأول بل هو بعدها عينه لا مثله لأن وجود عينه أولاً إنما كان على وفق تعلق العلم بوجوده، والغرض ان الموجودات بعد طرئان العدم عليها ثابتة في العلم متعلقاً في الأزل بإيجادها لوقت وجودها اهـ.

والدليل على جواز الإعادة ما أشار إليه نصوص الكتاب وفحوى الخطاب من نسبة الإعادة بالنشأة الأولى. إذ ما جاز على الشيء جاز على مثله. **(قال الله تعالى)** ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه **(قال من يحي العظام وهي رميم ★ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة)** وهو بكل خلق عليم﴾ [يس: ٧٨، ٧٩] **(فاستدل بالإبتداء على الإعادة)** اعلم أن الإعادة لا تستدعي إلا أمرين: أحدهما إمكان المعاد في نفسه وإمكان الممكنات لنفسها، أو لازم نفسها ولازم النفس لا يفارق وإلا لزم التسلسل والثاني عموم العلم والقدرة والإرادة، وقد ثبت عمومها لله تعالى. وقد نبه الله تعالى على هذه الدلالة بالآية المذكورة فهي مع إيجازها قد دلت على صحة الإعادة وعلى الجواب عن شبه المنكرين أما وجه الدلالة فقوله **(ونسي خلقه)** وقوله **(قل يحييها الذي أنشأها أول مرة)** ومن شبههم أيضاً انها إذا صارت تراباً فقد تغير طبعها عن طبع الحياة إلى الضد فقطع هذا الإستبعاد بقوله: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾ [يس: ٨٠] ومن شبههم قول الفلاسفة إن المعاد الجسماني باطل لامتناع عدم السموات والأرض ورد ذلك بقوله: ﴿أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾ [يس: ٨١] **(وقال عز وجل: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ [لقمان: ٢٨] والإعادة ابتداء ثان)** أي إيجاد من عدم لم يسبقه وجود، **(فهو ممكن كابتداء الأول)** وليس ممتنعاً لذاته ولا لشيء من لوازم ذاته وإلا لم يقع ابتداء وكذلك الوجود الثاني وإذا لم يمتنع لذلك ولا شبهة في إنتفاء وجوبه فيكون ممكناً وهو المطلوب وقد تقدم. وقد شهدت قواطع بالحشر والنشر والإنبعاث للحساب والعرض والعقاب والثواب، وذلك مذكور في الكتاب العزيز على وجه لا يقبل التأويل في نحو ستمائة موضع.

تنبيه:

قال شارح الحاجبية: اعلم أن المراد بالإعادة البدنية إنما هو الأجزاء الأصلية التي هي حاصلة وباقية من أول العمر إلى آخره لا الأجزاء الزائدة التي تحصل من الغذاء فينمو بها البدن زيادة أو تذهب من المرض فيذبل البدن نقصاناً وإلى تلك الأجزاء الأصلية الإشارة بقوله عليه السلام: « كل ابن آدم يفنى إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب ». وبهذا يندفع ما قيل لو أكل إنسان إنساناً فإما أن يعادا معاً أولا والكل باطل إما لإحالتـه أو مخالفته إجماعكم من أن جميع بني آدم

يعادون، فيقال: المعاد من الآكل والمأكول(هو أجزاؤه الأصلية، وأما ما زاد على ذلك هو أصل في غيره فيعاد إليه فيعود له إذ كل محفوظ عليه أصله فيخرجه ويرده إليه: ﴿الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون﴾ [النمل: ٢٥] لا يقال الأجزاء الأصلية لا يفي مقدارها بمقدار ما يكون عليه الإنسان من المقدار عند الموت مع أن المعلوم قطعاً بالإجماع هو أنه لا بد أن تكون الإعادة على الهيئة التي فارق عليها الإنسان الدنيا لأنا نقول: الأجزاء هي المعادة، لكن القادر المختار كما أنه بقدرته مد مقدار الإنسان بزيادة تلك الأجزاء الغذائية، فهو تعالى قادر على أن يمد مقداره يوم القيامة بأجزاء أخر اختراعية حتى يحصل الهيئة.

فإن قيل: الشيء مع الشيء شيء غيره مع شيء آخر، وعلى ما ذكر لا يكون البدن المعاد هو بعينه الكائن يوم الفراق، بل هو مثله لا عينه مع أن الإجماع على إعادة العين. قلنا: هو مثله من حيث المقدار عينه باعتبار تلك الأجزاء الأصلية وهو المراد بالعينية إذ لو لم يرد بالعينية ذلك لم يكن المعذب والمنعم هو عين الإنسان المفارق، بل مثله لما ثبت أن الكافر يكون ضرسه في النار كجبل أحد، وأن المؤمن يدخل في الجنة على طول أبيه آدم عليه السلام وهو صحيح. وبهذا التحقيق صح ما يوجد من إطلاق بعض أهل السنة كحجة الإسلام، والعز ابن عبد السلام من أن المعاد مثل البدن مع إتفاق أهل السنة على أن المعاد هو بدن الإنسان بعينه، وأن المراد بذلك البدن عيناً هو البدن المركب من الأجزاء الأصلية الباقية من أول تعلق الروح إلى انفصالها في الدنيا، والمراد بالمثل هو البدن المركب من تلك الأجزاء الأصلية مع الأجزاء المزادة عليه الإختراعية فلا تعارض اهـ.

قلت: هذه المسألة اختلف فيها بين أهل السنة. قيل أن الحشر جسماني فقط، وهذا بناء على القول بأن الروح جسم لطيف سار في البدن كماء الورد في الورد، فالمعاد كل من الروح والبدن جسم. فلا يعاد إلا الجسم وعليه أكثر المتكلمين ودليلهم قوله تعالى: ﴿فادخلي في عبادي﴾ [الفجر: ٢٩] والتجرد ينافيه. وعند مسلم من رواية مسروق عن ابن مسعود رفعه «أرواح الشهداء في أجواف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل». وقيل: روحاني جسماني بناء على القول بأن الروح جوهر مجرد ليس بجسم ولا قوة حالة في الجسم، بل يتعلق به تعلق التدبير والتصرف لا تفنى بفناء البدن ترجع إلى البدن لتعلقها به، وإلى هذا القول مال أبو منصور الماتريدي، وحجة الإسلام، والراغب، وأبو زيد الدبوسي، والحلمي وكثير من الصوفية والشيعة، ولهم أيضاً ظواهر تمسكوا بها، والمسألة ظنية لا قاطع فيها.

وقال شارح المقاصد: قد بالغ الإمام الغزالي في تحقيق المعاد الروحاني، وبيان أنواع الثواب والعقاب بالنسبة إلى الأرواح حتى سبق إلى كثير من الأوهام، ووقع في ألسنة العوام أنه ينكر حشر الأجساد افتراء عليه. كيف وقد صرح به في مواضع من الإحياء وغيره، وذهب إلى أن

....

إنكاره كفر، ثم قال عقب ذلك في شرح المقاصد: نعم ربما يميل كلامه وكلام كثير من القائلين بالمعاد إلى أن معنى ذلك أن يخلق الله تعالى من الأجزاء المتفرقة لذلك البدن بدناً، فيعيد إليه نفسه المجردة الباقية بعد خراب البدن، ولا يضرنا كونه غير البدن الأول بحسب الشخص ولا امتناع إعادة المعدوم بعينه اهـ.

وقد أنكر ابن أبي شريف أن يكون الغزالي قائلاً بأن المعاد مثل الأول وأورد نصاً من الإقتصاد له ما يدل على أنه يقول بأن المعاد عين الأول، وردّ فيه على الفلاسفة قولهم ببقاء النفس التي هي غير متحيزة، فليتأمل في ذلك ليتميز معتقده عن معتقد الفلاسفة.

فصل

وأما المحدث، فحاله لا يخرج عن أحد القولين في الإعادة إذ الأدلة السمعية متعارضة وهو لا يخرج عن أدلة السمع خصوصاً في هذه المسألة. وأما الصوفي فيقول: لا شك أن صور الممكنات بالنسبة إلى الإنسان خير أو وسيلة إليه، ونيل ذلك لذة وكمال وشر أو وسيلة إليه، ونيل ذلك ألم وكل منها غير متناه إذ مرجع ذلك إلى صور الممكنات وهي غير متناهية، ثم أن الله عز وجل خلق الإنسان على هيئته بحيث يكون قابلاً لنيل تلك الكمالات التي تقتضيها قواه تعلق بها ليحصل كماله، وتلك الكمالات التي تقتضيها قواه غير متناهية إذ هي راجعة إلى صور الممكنات، وصور الممكنات التي لا تتناهى لا يمكن حصولها دفعة يقتضي حصول ما لا يتناهى في الوجود دفعة، ولا في زمان متناه والإلزم حصول ما لا يتناهى فيما يتناهى، وكل ذلك محال. ونيل تلك الكمالات لا بد أن يحصل لهذا النوع الإنساني قطعاً عملاً باستعداده ولأنه لو لم يحصل فإما أن يكون لأن ذلك الحصول ممتنع وهذا باطل، وإلا انقلب الممكن محالاً، ونحن نقطع بإمكان ذلك وإما لعدم تمكين الفاعل المختار من ذلك وهذا أيضاً محال لما تقرر من أنه تعالى على كل شيء قدير، وأن مقدوراته لا تتناهى. وأما لعدم القبول التام الذي يكون به ذلك وذلك أيضاً باطل، لأن القبول التام داخل تحت المقدورات الكمالية، لأن ما يتوقف عليه الكمال كمال وهو موقوف على مجرد القبول، وذلك حاصل للإنسان نجده من نفوسنا، ثم من المعلوم قطعاً أن هذا التركيب البدني الكائن في يوم الدنيا لا يمكن أن تحصل معه تلك الكمالات لا من جهة إنقضاء المدة ولا من جهة المزاحم المضاد، فاقتضت الحكمة الإلهية، وأعطت الشواهد الوجدانية، وحققت القواطع السمعية أن لا يكون ذلك إلا مع تركيب آخر أبدي مناسب لتحصيل تلك الكمالات الأبدية في زمان ليسع تلك الممكنات وذلك هو عود الأبدان على الصورة الآدمية الأولية في الأزمان المسماة بالدار الآخرة أخروية، ثم جعلت الدنيا مميزة لأحد الإستعدادين. إما لاستعداد نيل الخيرات وذلك بالمعرفة بالله والعمل بطاعته، وإما لإستعداد نيل الضد وذلك بالجهل بالله وعدم العمل بطاعته، وإنما كان كل من العلم والجهل يعطي ذلك لأن نور المعرفة إذا

الأصل الثاني: سؤال منكر ونكير، وقد وردت به الأخبار فيجب التصديق به، لأنه ممكن إذ ليس يستدعي إلا إعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذي به فهم الخطاب، وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم

حصل أفاد تنوير جملة الإنسان، وظلمة الجهل إذا حصلت أفادت ظلمة جهل الإنسان، والنور مناسب لنور الجنة، وظلمة الجهل مناسبة لظلمة النار، فاعلم ذلك. وإما أن تكون تلك الإعادة وحصول ذلك التركيب الذي به تكون هذه الكمالات هل هو بعد إعدام أو بعد تفريق، فالكل ممكن ولا يبعد أن يكون الواقع مشتملاً على كل من ذلك وبيان ذلك يطول، والله الهادي.

(الأصل الثاني: سؤال منكر ونكير) وهما كما تقدم شخصان أسودان أزرقان مهيبان هائلان شعورهما إلى أقدامهما كلامهما كالرعد القاصف وأعينهما كالبرق الخاطف بأيديهما مقامع من حديد. قال الإمام أبو منصور البغدادي: إنما سمي الملك منكراً لأن الكافر ينكره إذا رآه، وسمي الآخر نكيراً لأنه هو الذي ينكر على الكافر فعله، وقد أنكرهما الكعبي من المعتزلة وهو مردود عليه. كيف **(وقد ورد به)** أي بالسؤال وفي بعض النسخ: بهما أي بالمنكر والنكير **(الأخبار)** الصحيحة، **(فيجب التصديق به)**. وهل هذا السؤال عام لكل مؤمن وغيره، أو مختص بمن يغلب عليه منكر من عمله أو نكير من قلبه؟ والأول عليه جمهور العلماء، والثاني قول بعض علماء المغرب، وعليه يعتمد سيدي أبو الحسن الحراني.

أما الأخبار فأخرجه الترمذي وصححه، وابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: « إذا قبر الميت، أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير » الحديث. وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه « أن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وأنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه » الحديث. وفي رواية البيهقي « أتاه منكر ونكير » وغيرهما من الأخبار التي صحت أخرجها أصحاب السنن، والمسانيد ما بين مطولة ومختصرة من رواية غير واحد من الصحابة، **(لأنه ممكن)** أي هو من مجوزات العقول، والله تعالى مقتدر على إحياء الميت وأمر الملك بسؤاله عن ربه ورسوله، وكل ما جوزه العقل وشهد به السمع لزم الحكم بقبوله. وذهب الجهمية والخوارج أن إحياء الأموات لا يكون إلا في القيامة، وهؤلاء منكرون عذاب القبر وسؤال منكر ونكير، وإلى هذا القول ذهب ضرار بن عمرو، وبشر المريسي، والكعبي، وعامة المعتزلة والنجارية. وقال ضرار: المنكر هو العمل السيء، ونكير هو النكير من الله تعالى على صاحب العقل المنكر وقالوا: إن ذلك يقتضي إعادة الحياة إلى البدن لفهم الخطاب، ورد الجواب وإدراك اللذة والألم، وذلك منتف بالمشاهدة.

وقد شرع المصنف في الرد عليهم بقوله: **(إذ ليس يستدعي ذلك إلا إعادة الحياة إلى جزء من الأجزاء الذي به فهم الخطاب)** وردّ الجواب، والإنسان قبل موته لم يكن يفهم بجميع عمومنا بل الخبرة من باطن قلبه، **(وذلك)** أي احياء جزء يفهم الخطاب ويجيب **(ممكن**

سماعنا للسؤال له، فإن النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبه، وقد كان رسول الله ﷺ يسمع كلام جبرائيل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فإذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه.

في نفسه) مقدور، وأمور البرزخ لا تقاس بأمور الدنيا. ثم شرع المصنف في الرد على منكري السؤال وعذاب القبر فقال: **(ولا يدفع ذلك بالشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال له)** تقرير السؤال أن اللذة والألم والتكلم كل منها فرع الحياة والعلم والقدرة ولا حياة بلا بنية، إذ هي قد فسدت وبطل المزاج، وأن الميت نراه ساكناً لا يسمع سؤالنا إذا سألناه، ومنهم من يحرق فيصير رماداً وتذروه الرياح فلا تعقل حياته وسؤاله والجواب: أن هذا مجرد استبعاد خلاف المعتاد وهو لا ينفي الإمكان، فإن ذلك ممكن إذ لا يشترط في الحياة السمة، ولو سلم جاز أن يحفظ الله تعالى من الأجزاء ما يتأتى به الإدراك ولا يمتنع أن لا يشاهد الناظر منه ما يدل على ذلك، **(فإن النائم ساكن بظاهره و)** هو مع ذلك **(يدرك بباطنه من الآلام)** واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبه كألم ضرب رآه بعد استيقاظه من منامه، وخروج مني من جماع رآه في منامه، **(وقد كان رسول الله ﷺ يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده، و)** الحال أن **(من حوله)** من الصحابة أو من هو مزاحمه في مكانه كعائشة رضي الله تعالى عنها، إذ كانت معه بفراش واحد **(لا يسمعونه ولا يرونه)**.

وقد أخرج البخاري، ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ يوماً: «يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام» فقلت وعليه السلام ترى ما لا أرى. قال العراقي: وهذا هو الأغلب وإلا فقد رأى جبريل جماعة من الصحابة منهم: عمر، وابنه عبدالله، وكعب بن مالك وغيرهم اهـ.

وهذا الذي ذكره من سماع السؤال ورد الجواب رأي لم يشاهد، وإنما قلنا به لأن الادراك والاسماع بخلق الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ [البقرة: ٢٥٥] **(فإذا لم يخلق لهم)** أي لبعض الناس **(السمع والرؤية لم يدركوه)** كما دل عليه قوله تعالى السابق ذكره.

تنبيه:

والأصح أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يُسألون في قبورهم لعلو مقامهم المقطوع لهم بسببه بالسعادة العظمى ولعصمتهم، وكذلك الشهداء كما في صحيح مسلم وسنن النسائي، وكذلك أطفال المؤمنين لأنهم مؤمنون غير مكلفين. واختلف في سؤال أطفال المشركين ودخولهم الجنة أو النار، فتردد فيهم أبو حنيفة وغيره فلم يحكموا فيهم بسؤال ولا بعدمه ولا بأنهم من أهل الجنة ولا من أهل النار، وقد وردت فيهم أخبار متعارضة بحسب الظاهر، فالسبيل تفويض

الأصل الثالث: عذاب القبر . وقد ورد الشرع به . قال الله تعالى : ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾ [غافر : ٤٦] واشتهر عن رسول الله ﷺ والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر . وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت في بطون السباع وحواصل

أمرهم إلى الله تعالى. لأن معرفة أحوالهم في الآخرة ليست من ضروريات الدين وليس فيها دليل قطعي. وقد نقل الأمر بالإمساك عن الكلام في حكم الأطفال في الآخرة مطلقاً عن القاسم بن محمد. وعروة بن الزبير وغيرهما. وضعف صاحب الكافي رواية التوقف عن أبي حنيفة وقال: الرواية الصحيحة عنه أن أطفال المشركين في المشيئة لظاهر الحديث الصحيح الله أعلم بما كانوا عاملين. وقد حكى الإمام النووي فيهم ثلاثة مذاهب الأكثر أنهم في النار، والثاني التوقف، والثالث الذي صححه أنهم في الجنة لحديث « كل مولود يولد على الفطرة » وحديث رؤية ابراهيم عليه السلام ليلة المعراج في الجنة. وقوله: أولاد الناس. وفي أطفال المشركين أقوال أخرى ضعيفة لا نطيل بذكرها وبالله التوفيق.

(**الأصل الثالث: عذاب القبر**) ونعيمه، (**وقد ورد الشرع به**) قرآناً وسنّة وأجمع عليه قبل ظهور البدع علماء الأمة (**قال الله تعالى**) في آل فرعون: ﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب ★ (**النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب**﴾) [غافر: ٤٥ ـ ٤٦]. وقال في قوم نوح: ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً﴾ [نوح: ٢٥]. والفاء للتعقيب من غير مهلة. (**واشتهر عن رسول الله ﷺ والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر**) أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما، ولهما أيضاً من حديث عائشة رفعته: « إنكم تفتنون أو تعذبون في قبوركم » وعند مسلم: « إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه » ثم أقبل النبي ﷺ بوجهه علينا فقال: « تعوّذوا بالله من عذاب القبر » وأما استعاذة السلف الصالح منه فكثير على اختلاف طبقاتهم. من راجع الحلية ظفر بمجموع المقصود، وكذلك ورد في نعيم القبر من الكتاب والسنّة ما يصحح ثبوته، ومن نعيمه توسيعه، وفتح طاق فيه من الجنة. ووضع قنديل فيه. وامتلاؤه بالروح والريحان، وجعله روضة من رياض الجنة، وكل هذا من العذاب والنعيم محمول على الحقيقة عند العلماء، (**وهو ممكن فيجب التصديق به**) لأنه من مجوّزات العقول وشهد به السمع، فلزم الحكم بقوله.

ثم شرع في الرد على المنكرين وهم: ضرار بن عمرو، وبشر المريسي، وجماعة من المعتزلة فقال: (**ولا يمنع من التصديق به**) والإيمان بثبوته (**تفرق أجزاء الميت في بطون السباع**) في البر والسمك في البحر، (**وحواصل الطيور**) وأقاصي التخوم، وقد جاز أن يحفظ الله تعالى من الأجزاء ما يتأتى به الإدراك، وإن كان في بطون السباع وقعور البحار، وغاية ما في الباب أن

الطيور ، فإن المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على إعادة الإدراك إليها .

الأصل الرابع: الميزان . وهو حق . قال الله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] ، وقال تعالى : ﴿ فمن ثَقُلت موازينه فأولئك هم المفلحون ★ ومن خفت

يكون بطن السبع ونحوه قبراً له ، (**فإن المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على إعادة الإدراك إليها**) ، ومن سلم اختصاص الرسول برؤية الملك دون القوم وتعاقب الملائكة فينا وآمن بقوله تعالى في الشيطان : ﴿ إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ﴾ [الأعراف : ٢٧] ، وجب عليه الإيمان بذلك . كيف والإنسان النائم يدرك أحوالاً من السرور والغم من نفسه ، ونحن لا نشاهد ذلك منه ، والبرزخ أوّل منزل من منازل الآخرة وتغير العادات والله أعلم .

تنبيه :

وبعد اتفاق أهل الحق على إعادة قدر ما يدرك به الألم واللذة من الحياة تردد كثير من الأشاعرة والحنفية في إعادة الروح فقالوا : لا تلازم بين الروح والحياة إلا في العادة ، ومن الحنفية القائلين بالمعاد الجسماني من قال : بأنه توضع فيه الروح ، وأما من قال : إذا صار تراباً يكون روحه متصلاً بترابه فيتألم الروح والتراب جميعاً ، فيحتمل أن يكون قائلاً بتجرد الروح وجسمانيتها ، ولا يخفى أن مراده بالتراب أجزاء الجسد الصغار لا بجملتها ، ومنهم من أوجب التصديق بذلك ومنع من الاشتغال بالكيفية ، بل التفويض إلى الخالق جل وعز .

(**الأصل الرابع : الميزان**) وقد تقدم للمصنف في أول العقيدة تحديده فقال : ذو الكفتين واللسان ، وصفته في العظم ، إنه مثل طباق السموات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى ، والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيق لتمام العدل ، وتطرح صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها بفضل الله تعالى ، وتطرح صحائف السيئات في صورة قبيحة في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى ، وقد تقدم شرح هذه الكلمات وما يتعلق بها فأغنانا عن ذكره ثانياً ، والمقصود هنا بيان أنه حق ثابت دلت عليه قواطع السمع وهو ممكن فوجب التصديق به . (**قال الله تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾**) ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : اختلف في ذكره هنا بلفظ الجمع : هل المراد أن لكل شخص ميزاناً ، او لكل عمل ميزاناً ؟ فيكون الجمع حقيقة ، أو ليس هناك إلا ميزان واحد والجمع باعتبار تعدد الأعمال أو الأشخاص . (**وقال تعالى : ﴿ فمن ثقلت موازينه**) فأولئك هم المفلحون ★ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ﴾ [الأعراف : ٨ ، ٩] ، ويحتمل أن يكون الجمع للتفخيم كما في قوله تعالى : ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ [الشعراء : ١٠٥] ، مع أنه لم يرسل إليهم إلا واحد ، والذي يترجح أنه ميزان واحد ولا يشكل

بكثرة من يوزن عمله، لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا. والقسط: العدل وهو نعت الموازين، وإن كان مفرداً وهي جمع لأنه مصدر. قال الطيبي في القسط العدل وجعل وهو مفرد من نعت الموازين وهي جمع لأنه كقولك: عدل رضا. وقال الزجاج: المعنى ﴿ونضع الموازين﴾ ذلك القسط، وقيل: هو مفعول من أجله أي لأجل القسط، واللام في قوله: ﴿ليوم القيامة﴾ للتعليل مع حذف مضاف أي لحساب يوم القيامة، وقيل: هو بمعنى في كذا. جزم به ابن قتيبة واختاره ابن مالك، وقيل: للتوقيت كقول النابغة:

توهمت آيات لها فعرفتها ... لستة أعوام وذا العام سابع

وذكر حنبل بن إسحاق في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال رداً على من أنكر الميزان ما معناه: قال الله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾، وذكر النبي ﷺ الميزان يوم القيامة، فمن رد على النبي ﷺ فقد رد على الله عز وجل اهـ.

ومثله قول الله تعالى: ﴿والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾ [الأعراف: ٨، ٩ والمؤمنون: ١٠٢، ١٠٣]، وهل الموازين في هاتين جمع ميزان أو جمع موزون؟ جرى صاحب الكشاف والبيضاوي على الثاني، وكثير من المفسرين على الأوّل. وقال الزجاج: أجمع أهل السنّة على الايمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان وتميل بالأعمال، وأنكر المعتزلة الميزان وقالوا: هو عبارة عن العدل فخالفوا الكتاب والسنّة، لأن الله تعالى أخبر أنه يضع الموازين القسط لوزن الأعمال لترى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين، وقال ابن فورك: أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها. قال: وقد روى بعض المتكلمين عن ابن عباس أن الله تعالى يقلب الأعراض أجساماً فيزنها اهـ.

وقد ذهب بعض السلف أن الميزان بمعنى العدل والقضاء، فأسند الطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ونضع الموازين القسط﴾، قال: إنما هو مثل كما يحرر الوزن كذلك يحرر الحق، ومن طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال: الموازين العدل، والراجح ما ذهب إليه الجمهور. وقال الطيبي: إنما توزن الصحف، وأما الأعمال فإنها أعراض فلا توصف بثقل ولا خفة، والحق عند أهل السنّة أن الأعمال حينئذ تجسد أو تجعل في أجسام فتصير أعمال الطائعين في صورة حسنة، وأعمال المسيئين في صورة قبيحة، ثم توزن. ورجح القرطبي أن الذي يوزن الصحائف التي يكتب فيها الأعمال. ونقل عن ابن عمر قال: توزن صحائف الأعمال قال: فإذا ثبت هذا فالصحف أجسام فيرتفع الاشكال، ويقويه حديث البطاقة الذي أخرجه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه وفيه: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة اهـ.

والصحيح أن الأعمال هي التي توزن، وقد أخرج أبو داود والترمذي، وصححه ابن حبان

موازينه﴾ [الأعراف: ٨، ٩]الآية،ووجهه أن الله تعالى يحدث في صحائف الأعمال وزناً بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب.

الأصل الخامس: الصراط، وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد

عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «ما يوضع في الميزان يوم القيامة أثقل من خلق حسن». وفي حديث جابر رفعه: «توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال حبة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال حبة دخل النار». قيل: فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: «أولئك أصحاب الأعراف». أخرجه خيثمة في فوائده، وعند ابن المبارك في الزهد عن ابن مسعود نحوه موقوفاً، وقد ذهب المصنف في العقيدة الصغرى وهنا إلى أن الموزون صحائف الأعمال، وتبعه ابن الهمام في المسايرة مشيراً إلى وجه الوزن بقوله: **(ووجهه)** أي الوجه الذي يقع عليه وزن الأعمال **(أن الله تعالى يحدث في صحائف الأعمال وزناً)**، وفي المسايرة ثقلاً، وعبارة المصنف في الاقتصاد خلق الله في كفتها ميلاً **(بحسب درجات الأعمال عند الله)** تعالى، وعبارة الاقتصاد بقدر رتبة الطاعات، ففي نص المصنف في الاقتصاد تصريح بأن الذي يخلق ميل في الكفة وهو لا يستلزم خلق ثقل في جرم الصحيفة. هذا اعتراض ابن أبي شريف على شيخه، وهو غير متجه عند القائل، **(فتصير مقادير أعمال العباد معلومة)** ممثلة **(للعباد)** ليكونوا على أنفسهم شاهدين، وعبارة المصنف في الاقتصاد:

فإن قيل: أي فائدة في الوزن، وما معنى هذه المحاسبة؟ ثم ساق الجواب وقال بعد ذلك ما نصه: ثم أي بعد في أن تكون الفائدة فيه أن يشاهد العبد مقدار أعماله، ويعلم أنه مجزي بعمله بالعدل أو متجاوز عنه باللطف، وقد لخص هذا الجواب هنا فقال: **(حتى يظهر العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب)**. وقوله حتى غاية لقوله يحدث في صحائف الأعمال وزناً. وقال بعض المتأخرين: لا يبعد أن يكون من الحكمة في ذلك ظهور مراتب أرباب الكمال، وفضائح أرباب النقصان على رؤوس الاشهاد زيادة في سرور أولئك وخزي هؤلاء.

فائدة:

روى اللالكائي في كتاب السنّة عن حذيفة موقوفاً: أن صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام.

(الأصل الخامس: الصراط): وهو ثابت على حسب ما نطق به الحديث، **(وهو جسر ممدود على متن جهنم)** يرده الأوّلون والآخرون، فإذا تكاملوا عليه قيل: ﴿وقفوهم إنّهم مسؤولون﴾ [الصافات: ٢٤] أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رفعه: «وتضرب الصراط بين ظهراني جهنم». ولهما من حديث أبي سعيد: «ثم يضرب الجسر على جهنم **(أدق من**

من السيف. قال الله تعالى: ﴿فاهْدُوهم إلى صِرَاطِ الجحيم * وقِفُوهُم أنّهم مَسْؤُولُون﴾ [الصافات: ٢٣، ٢٤]، وهذا ممكن فيجب التصديق به، فإن القادر على أن يطيّر الطير في الهواء قادر على أن يسيّر الإنسان على الصراط.

الشعر وأحدّ من السيف) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد بلفظ: «بلغني أنه أدق من الشعر وأحد من السيف» ورفعه أحمد من حديث عائشة، والبيهقي في الشعب والبعث من حديث أنس وضعفه، وفي البعث من رواية عبيد بن عمير مرسلاً، ومن قول ابن مسعود: «الصراط كحدّ السيف» وفي آخر الحديث ما يدل على أنه مرفوع قاله العراقي، وقول أبي سعيد: بلغني له حكم المرفوع إذ مثله لا يقال من قبل الرأي، وقول ابن مسعود أخرجه الطبراني أيضاً بلفظ: «يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حدّ السيف المرهف». وفي الصحيحين وغيرهما وصف الصراط بأنه دحض مزلة. وأخرج الحاكم من حديث سلمان رفعه: «يوضع الميزان يوم القيامة» الحديث، وفيه: «ويوضع الصراط مثل حد الموسى»، وقد أنكرت المعتزلة الصراط وقالوا: عبور الخلائق على ما هذه صفته غير ممكن، وحملوا الصراط على الصراط المستقيم صراط الله تعالى، وهذا التأويل يأباه ما (**قال الله تعالى**) في كتابه العزيز مخاطباً للملائكة ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون * من دون الله (**فاهدوهم إلى صراط الجحيم * وقفوهم إنهم مسؤولون﴾**) [الصافات: ٢٢-٢٤]، وقد أجمع المفسرون على تفسيره بما ذكرناه، وجاء وصفه في الحديث: وعلى جنبه خطاطيف وكلاليب، وسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: إذا طويت السماء وبدلت الأرض غير الأرض، فأين الخلق يومئذ؟ فقال: «على جسر جهنم». قال القاضي في الهداية، قال سلف الأمة: الصراط صراطان: صراط الدين، والثاني جسر على متن جهنم وهو قول أئمة الحديث والفقهاء. وحكي عن أبي الهذيل، وابن المعتمر أنهما قالا بجواز ذلك ولكن لا يقطعان به سمعاً. واختلف القول من الجبائي وابنه فأثبتاه تارة ونفياه أخرى، وقالا على القول باثباته وايجاب إثابة المؤمنين إن المؤمنين يعدل بهم عنه إلى الجنة، ولا يجوز أن يلحق المؤمنين من العبور عليه شيء من الألم، ومن أوجب تأويله قال: ما ورد بخلاف الممكن يجب تأويله، وأجاب إمام الحرمين بأنه لا مانع منه عقلاً، وإنما ذلك خلاف المعتاد. وقد أشار المصنف إلى ذلك فقال: (**وهذا ممكن**) أي وضع الصراط على الصفة المذكورة، وورود الخلائق إياه أمر ممكن وارد على وجه الصحة ورده ضلالة، (**فيجب التصديق به**)، ثم أشار بالرد على المعتزلة في قولهم: كيف يمكن المرور على ما هذه صفته، بقوله: (**فإن القادر على أن يطير الطير في الهواء قادر على أن يسير الإنسان على الصراط**)، بل هو سبحانه قادر على أن يخلق للإنسان قدرة المشي في الهواء ولا يخلق في ذاته هوياً إلى أسفل ولا في الهواء انخراقاً، وليس المشي على الصراط بأعجب من هذا، كما ورد في الصحيحين: أن رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة فقال: ألس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ وفي الصحيحين: فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش في نار جهنم.

الأصل السادس: أن الجنة والنار مخلوقتان. قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، **فقوله تعالى: ﴿أعدت﴾ دليل على أنها مخلوقة فيجب اجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه، ولا**

تنبيه:

ورود الصراط هو ورود النار لكل أحد المذكور في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١]، وبذلك فسر ابن مسعود والحسن وقتادة، ثم قال تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾، فلا يسقطون فيها ﴿ونذر الظالمين فيها جثياً﴾ [مريم: ٧٢]، أي يسقطون وفسّر بعضهم الورود بالدخول، وأسندوه إلى جابر رفعه أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبو يعلى، والنسائي في الكنى، والبيهقي.

فصل

لم يذكر المصنف هنا الحوض وذكره في عقيدته الصغرى وهو حق من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وجاء ذكره في الأخبار الصحيحة وعرضه وطوله وعدد أباريقه. يشرب منه المؤمنون بعد جواز الصراط على الصحيح كما ذهب إليه المصنف. وفي الحديث الذي يروى أن الصحابة قالوا: أين نطلبك يا رسول الله يوم المحشر؟ فقال: «على الصراط فإن لم تجدوني فعلى الميزان، فإن لم تجدوني فعلى الحوض» يلوح على الترتيب الصراط ثم الميزان ثم الحوض وهي مسألة توقف فيها أكثر أهل العلم.

(**الأصل السادس: أن الجنة والنار**) حقان ممكنتان لأنه أمر ضروري من جهة العقل واقعتان لما دل به السمع وهو ضروري من الدين. إذ الكتاب والسنّة وآثار الأمة مملوءة بذكر ذلك ولا يتوقف فيه إلا كافر، وأنهما (**مخلوقتان**) الآن. اتفق على ذلك أهل السنّة والجماعة عملاً بالقرآن، وما ورد في ذلك من الآثار، ووافقنا في ذلك بعض المعتزلة كأبي علي الجبائي، وأبي الحسن البصري، وبشر بن المعتمر، وقال بعضهم: كأبي هاشم، وعبد الجبار وآخرين: إنما يخلقان يوم القيامة. قالوا: لأن خلقهما قبل يوم الجزاء عبث لا فائدة فيه فلا يليق بالحكيم، وضعفه ظاهر لما تقرر من بطلان القول بتعليل أفعاله تعالى بالفوائد، والدليل على وجودهما الآن (**قال الله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾**) [آل عمران: ١٣٣]، وفي النار: أعدّت للكافرين في آي كثيرة ظاهرة في وجودهما الآن (**فقوله تعالى: ﴿أعدت﴾ دليل على أنها مخلوقة**) الآن، (**فيجب اجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه**)، وكون الشيء مهيئاً ومعدًّا لغيره فرع وجوده، وكذا قصة آدم وحواء ﴿أسكن أنت وزوجك الجنة فكلاَ من حيث شئتما﴾، إلى أن قال: ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ [الأعراف: ١٩ - ٢٢]، وحمل مثله على بستان من بساتين الدنيا، كما زعمه بعض المعتزلة يشبه التلاعب أو العناد، إذ المتبادر من لفظ الجنة باللام العهدية في إطلاق

يقال لا فائدة في خلقها قبل يوم الجزاء لأن الله تعالى: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.[الأنبياء: ٢٣].

الأصل السابع: أن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان،

الشارع ليس إلا الجنة الموجودة في السنّة، وظواهر كثيرة من الكتاب والسنّة تصيرها قطعية باعتبار دلالة مجموعها، وأجمع الصحابة على فهم ذلك من الكتاب والسنّة، ومن شبه المعتزلة قالوا: لو خلقتا لهلكتا لقوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص: ٨٨] واللازم باطل للاجاع على دوامها. والجواب تخصيصها من عموم آية الهلاك جمعاً بين الأدلة، **(ولا يقال)** من طرف المعتزلة **(لا فائدة في خلقها قبل يوم الجزاء)** لأنه عبث، فلا يليق بالحكيم. والجواب: أن نفي الفائدة في خلق الجنة الآن ممنوع. إذ هي دار نعيم أسكنها تعالى من يوحده ويسبحه بلا فترة من الحور والولدان والطير. وقد روى الترمذي والبيهقي من حديث علي رفعه: « إن في الجنة مجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد » الحديث. وروى نحوه أبو نعيم في صفة الجنة من حديث ابن أبي أوفى، ومن هذا ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى إلى أن الحور العين لا يمتن بها وإنهن فيمن استثنى الله بقوله: ﴿فصعق من في السموات ومَن في الأرض إلا من شاء﴾ [الزمر: ٦٨]، فهذه فائدة ترجع إلى غيره على أن نفي الفائدة في تعقل الزاعم لا ينفي وجود الحكمة في نفس الأمر، وإن لم يحط بها علماً، **(لأن الله تعالى ﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون﴾)** [الأنبياء: ٢٣]. ثم اختلف العلماء في محلها، والأكثر على أن الجنة فوق السموات عملاً بقوله تعالى: ﴿عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى﴾ [النجم: ١٤، ١٥]، وقوله عليه السلام في وصف جنة الفردوس: « سقفها عرش الرحمن » وعلى أن النار تحت الأرض، وهذا لم يرد فيه نص صريح، وإنما هي ظواهر، والحق في ذلك تفويض العلم إلى الله، وبالله التوفيق.

(الأصل السابع): في الإمامة والبحث فيها من مهمات هذا العلم، ولما ذكر المصنف لفظ الإمام وهو ذو الإمامة لزم بيانها وهي رئاسة عامة في الدين والدنيا خلافة عن النبي ﷺ. ونصب الإمام واجب على الأمة سمعاً لا عقلاً خلافاً للمعتزلة، حيث قال بعضهم: واجب عقلاً، وبعضهم كالكعبي، وأبي الحسين عقلاً وسمعاً. وأما أصل الوجوب فقد خالف فيه الخوارج، فقالوا: هو جائز. ومنهم من فصل فقال فريق من هؤلاء: لا يجب عند الأمن دون الفتنة، وقال فريق: بالعكس، وأما كون الوجوب على الأمة فخالف فيه الإسماعيلية والإمامية فقالوا: لا يجب علينا بل على الله تعالى إلا أن الأمامية أوجبوها عليه تعالى لحفظ قوانين الشرع عن التغيير بالزيادة والنقصان، والاسماعيلية أوجبوه ليكون معرفاً لله وصفاته. وإذ قد علمت ذلك فاعلم **(أن الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ)** عندنا وعند المعتزلة وأكثر الفرق **(هو أبو بكر)** الصديق بإجماع الصحابة على مبايعته، **(ثم عمر)** بن الخطاب باستخلاف أبي بكر له،

ثم علي رضي الله عنهم، ولم يكن نص رسول الله ﷺ على إمام أصلاً إذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الـولاة والأمراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك، فكيف خفي هذا، وإن ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا، فلم يكن أبو بكر إماماً إلا بالاختيار والبيعة، وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة

(ثم عثمان) بن عفان بالبيعة بعد اتفاق أصحاب الشورى، **(ثم علي)** بن أبي طالب بمبايعة أهل الحل والعقد **(رضي الله عنهم)** أجمعين، **(ولم يكن)** عند جمهور أصحابنا والمعتزلة والخوارج **(نص رسول الله ﷺ على إمام)** بعده **(أصلاً)** نصاً جلياً إلا ما زعم بعض أصحاب الحديث أنه نص على إمامة أبي بكر نصاً جلياً، وعزي إلى الحسن البصري أنه نص على إمامته نصاً خفياً أخذه من تقديمه إياه في إمامة الصلاة، وإلى الشيعة فإنهم قالوا: نص على إمامة علي بعده نصاً جلياً، ولكن عندنا معاشر أهل السنّة كان يعلم لمن هي بعده بإعلام الله تعالى إياه دون أن يؤمر بتبليغ الأمة النص على الإمام بعينه، وإذا علمها فإما أن يعلمها أمراً واقعاً موافقاً للحق في نفس الأمر، أو مخالفاً له، وعلى أي الحالتين لو كان المفترض على الأمة مبايعة غير الصديق لبالغ ﷺ في تبليغه بأن ينص عليه نصاً ينقل مثله على سبيل الإعلان والتشهير. **(ولو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود في البلاد)**، وكان سبيله أن ينقل نقل الفرائض لتوفر الدواعي على مثله في استمرار العادة المطردة من نقل مهمات الدين المطلوب فيها الإعلان، **(ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا)** مع أن أمر الإمامة من أهم الأمور العالية لما يتعلق به المصالح الدينية والدنيوية لانتظام أمر المعاش والمعاد، **(وإذا ظهر)** النص على إمامة أحد. **(فكيف اندرس)** وخفي أمره **(حتى لم ينقل إلينا)**. فلا نص لانتفاء لازمه من الظهور فلا وجوب لإمامة علي بعده ﷺ على ما زعمته الشيعة على التعيين، ولزم بطلان ما نقلوه من الأكاذيب وسوّدوا به أوراقهم نحو قوله ﷺ لعلي: «أنت خليفتي من بعدي» وكثير مما اختلقوه ونحو: «سلموا على علي بإمرة المؤمنين»، وأنه قال: «هذا خليفتي عليكم»، وأنه قال له: «أنت أخي وخليفتي من بعدي وقاضي ديني» بكسر الدال كذا ضبطه السيد في شرح المواقف. والأوجه فتحها كما رواه البزار عن النبي مرفوعاً «علي يقضي ديني» وللطبراني من حديث سلمان مثله. وكله مخالف لما تقدم حيث لم يبلغ شيء مما نقلوه هذا المبلغ من الشهرة، ثم نقول: لم يبلغ مبلغ الآحاد المطعون فيها إذ لم يتصل علمه بأئمة الحديث المهرة مع كثرة بحثهم وتلقيهم وسعة رحلاتهم إلى بلدان شتى مشمرين جهدهم في كل صوب وأوب، وهذا تقضي العادة بأنه افتراء محض ولو كان هناك نص غير ما ذكر يعلمه هو أو أحد من المهاجرين والأنصار لأورده عليهم يوم السقيفة تديناً، إذ كان فرضاً. وقولهم: تركه تقية مع ما فيه من نسبة علي رضي الله عنه إلى الجبن وهو أشجع الناس باطل، وإذا ثبت ما ذكرنا من عدم النص على ولاية علي رضي الله عنه **(فلم يكن أبو بكر)** رضي الله عنه **(إماماً إلا بالاختيار والبيعة)**، وإن قلنا: انه لم ينص على إمامته على أن في الاخبار الواردة ما هو صريح في إمامته

رسول الله ﷺ وخرق الإجماع، وذلك مما لا يستجرىء على اختراعه إلا الروافض، واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى

وهو إشارة وتلويح، فالأوّل ما في صحيح مسلم من حديث عائشة رفعته: «ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف فيه إثنان، ثم قال: يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر»، وهو في صحيح البخاري من حديثها بمعناه، وأما الثاني وهو الإشارة فإقامته مقامه في إمامة الصلاة، ولقد روجع في ذلك كما في الصحيحين. وعند الترمذي من حديثها رفعته: «لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره»، وعلى تقدير عدم النص على إمامته ففي إجماع الصحابة غنى عنه، إذ هو في ثبوت مقتضاه أقوى من خبر الواحد في ثبوت ما تضمنه، وقد أجمعوا عليه غير أن علياً والعباس والزبير والمقداد لم يبايعوا إلا ثالث يوم واعتذروا باشتغالهم في أنفسهم بما وهمهم من وفاة رسول الله ﷺ، فتم بذلك الإجماع على أن تخلف من تخلف لم يكن قادحاً فيها.

(**وأما تقدير النص على غيره**) كعلي رضي الله عنه بما صح من قوله عليه السلام لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، كما في صحيح مسلم وهذا لفظه، وفي صحيح البخاري أيضاً بنحوه، وقوله عليه السلام: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، رواه الترمذي فمع عدم دلالتها على المطلوب حسبما قرره الأئمة وأوسعوا فيه القول، (**فهو نسبة الصحابة كلهم إلى مخالفة رسول الله ﷺ**) وهو باطل لأنهم كانوا أطوع لله تعالى من غيرهم وأعمل بحدوده وأبعد من اتباع الهوى وحظوظ النفس، ومنهم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة، فكيف يجوز على هؤلاء أن يعلموا الحق في ذلك ويتجاهلوا عنه أو يرويه لهم أحد يجب قبول روايته، فيتركوا العمل به بلا دليل راجح معاذ الله أن يجوّز ذلك عليهم، ولو جاز عليهم الخيانة في أمور الدين وكتمان الحق لارتفع الأمان في كل ما نقلوه لنا من الأحكام، وأدّى إلى أن لا يجزم بشيء من الدين لأنهم هم الوسائط في وصولها إلينا. نعوذ بالله من نزعات الهوى والشيطان، (**ومع**) ما يلزم من ذلك (**من خرق الاجماع**) فإنهم لما أجمعوا على اختياره ومبايعته وفهموا معنى ما ذكر من الحديثين في حق علي رضي الله عنه، وأنهما لا ينصان على إمامته قطعاً بأن ذلك المعنى غير مراد من لفظ المولى، (**وذلك مما لم يستجرىء**) استفعال من الجراءة وهي الهتور والإقدام على الأمر (**على اختراعه**) أي اختلاقه (**إلا الروافض**) الطائفة المشهورة، وأصل الرفض الترك، وسموا رافضة لأنهم تركوا زيد بن علي حين نهاهم عن سبّ الصحابة، فلما عرفوا مقالته وأنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه، ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب وله طوائف كثيرة يجمعهم إسم الرافضة، ولما كان في معتقدات الروافض أن الصحابة كلهم بعد وفاة النبي ﷺ ارتدوا ما عدا جماعة منهم أبو ذر، وبلال، وعمار بن ياسر، وصهيب، لوّح المصنف بالرد عليهم فقال: (**واعتقاد أهل السنة**) والجماعة (**تزكية جميع الصحابة**) رضي الله عنهم وجوباً بإثبات العدالة لكل منهم، والكف عن الطعن فيهم (**والثناء عليهم، كما أثنى الله سبحانه وتعالى و**) أثنى (**رسوله ﷺ**) بعمومهم وخصوصهم في آي من القرآن، وشهدت نصوصه

ورسوله ﷺ، وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنياً على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الإمامة، إذ ظن علي رضي الله عنه أن تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الإمامة في بدايتها، فرأى التأخير أصوب، وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالأئمة

بعدالتهم والرضا عنهم ببيعة الرضوان، وكانوا حينئذ أكثر من ألف وسبعمائة، وعلى المهاجرين والأنصار خاصة في آي كثيرة، وعند الشيخين من حديث أبي سعيد: «لا تسبوا أصحابي» وعندهما «خير القرون قرني» وعند مسلم «أصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتاهم ما يوعدون». وعند الدارمي، وابن عدي: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم». وعند الترمذي من حديث عبدالله بن مغفل: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه». وعند الطبراني من حديث ابن مسعود وثوبان، وعند أبي يعلى من حديث عمر: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا». ومناقب الصحابة كثيرة وحقيق على المتدين أن يستصحب لهم ما كانوا عليه في عهد رسول الله ﷺ، فإن نقلت هناة فليتدبر العاقل النقل وطريقه، فإن ضعف ردّه وإن ظهر وكان آحاداً لم يقدح فيما علم تواتراً وشهدت به النصوص، **(و)** من هذا **(ما جرى)** من الحروب والخلاف **(بين معاوية)** بن أبي سفيان **(وعلي)** بن أبي طالب **(رضي الله عنهما)** في صفين لم يكن عن غرض نفساني وحظوظ شهوة، بل **(كان مبنياً على الاجتهاد)** الذي هو استفراغ الوسع لتحصيل ظن بحكم شرعي **(لا منازعة من معاوية)** رضي الله عنه **(في)** تحصيل **(الإمامة)** كما ظن وهو، وإن قاتله فإنه كان لا ينكر إمامته ولا يدعيها لنفسه **(إذ ظن علي)** رضي الله عنه **(أن تسليم قتلة عثمان)** رضي الله عنه إلى معاوية حين قدمت نائلة ابنة الفرافصة زوج عثمان على معاوية بدمشق وهو بها أمير بقميص عثمان الذي قتل فيه مخلوطاً بدمه، فصعد به على المنبر وحرض قبائل العرب على التمكين من قتلته، فجمع الجيوش وسار وطالب علياً، إذ بلغه أن قتلته لاذت به، وهم يصرخون بين يديه: نحن قتلنا عثمان فرأى علي أن تسليمهم له **(مع كثرة عشائرهم)** من مراد وكندة وغيرهما من لفائف العرب مع جمع من أهل مصر. قيل: إنهم ألف، وقيل: سبعمائة. وقيل: خمسمائة، وجمع من الكوفة، وجمع من البصرة قدموا كلهم المدينة وجرى منهم ما جرى، بل قد ورد أنهم هم وعشائرهم نحو من عشرة آلاف، **(واختلاطهم بالعسكر)** وانتشارهم فيه **(يؤدي إلى اضطراب أمر الإمامة)** العظمى التي بها انتظام كلمة الإسلام خصوصاً **(في بدايتها)** قبل استحكام الأمر فيها، **(فرأى التأخير أصوب)** حتى يستقيم أمر الإمامة، فقد ثبت أنه لما قتل عثمان هاجت الفتنة بالمدينة، وقصد القتلة الاستيلاء عليها والفتك بأهلها، فأرادت الصحابة تسكين هذه الفتنة بتولية علي فامتنع وعرضت على غيره فامتنع أيضاً إعظاماً لقتل عثمان، فلما مضت ثلاثة أيام من قتل عثمان اجتمع المهاجرون والأنصار، فناشدوا علياً الله في حفظ الإسلام

ويعرض الدماء للسفك. وقد قال أفاضل العلماء: كل مجتهد مصيب. وقال قائلون: المصيب واحد ولم يذهب إلى تخطئة علي ذو تحصيل أصلاً.

وصيانة دار الهجرة، فقبل بعد شدة، وإنما أجابهم علي في توليته خشية من الإمامة أن تهمل وهي من أمور الدين. وقد أخرج الطبري من طريق عاصم بن كليب الجرمي عن أبيه قال: سرت أنا ورجلان من قومي إلى علي فسلمنا عليه وسألناه فقال: عدا الناس على هذا الرجل فقتلوه وأنا معتزل عنهم، ثم ولوني ولولا الخشية على الدين لم أجبهم. **(وظن معاوية)** رضي الله عنه **(تأخير أمرهم)** أي قتلة عثمان **(مع عظيم جنايتهم)** من هجومهم عليه داره وهتكهم ستر أهله، ونسبوه إلى الجور والظلم مع تنصله من ذلك، واعتذاره من كل ما أوردوه عليه، ومن أكبر جنايتهم هتك ثلاثة حرم: حرمة الدم والشهر والبلد **(يوجب الاغراء بالأئمة)** بهتك حرمهم، **(ويعرض الدماء للسفك)** أي يتخذون ذلك ذريعة للفتك والهتك والسفك، فمعاوية طلب قتلة عثمان من علي ظاناً أنه مصيب وكان مخطئاً، **(وقد قال أفاضل العلماء: كل مجتهد مصيب، وقال قائلون)** منهم: **(المصيب واحد ولم يذهب إلى تخطئة علي)** رضي الله عنه **(ذو تحصيل)** ونظر في العلم أصلاً، بل كان رضي الله عنه مصيباً في اجتهاده متمسكاً بالحق. اعلم أن المجتهد في العقليات والشرعيات الأصلية والفرعية قد يخطىء وقد يصيب، وذهب بعض الأشاعرة والمعتزلة إلى أن كل مجتهد في المسائل الشرعية الفرعية التي لا قاطع فيها مصيب، والتحقيق أن في المسألة الاجتهادية احتمالات أربعة.

الأول: ليس لله تعالى فيها حكم معين قبل الاجتهاد، بل الحكم فيها ما أدى إليه رأي المجتهد فعلى هذا قد تنعقد الأحكام الحقة في حادثة واحدة ويكون كل مجتهد مصيباً.

الثاني: أن الحكم معين ولا دليل عليه منه تعالى، بل العثور على دفينة.

الثالث: أن الحكم معين وله دليل قطعي.

الرابع: أن الحكم معين وله دليل ظني. وقد ذهب إلى كل احتمال جماعة، والمختار أن الحكم معين وعليه دليل ظني إن وجده المجتهد أصاب وإن فقده أخطأ، والمجتهد غير مكلف بإصابته كما زعم بعضهم ممن ذهب إلى الاحتمال الثالث وذلك لغموضه وخفائه، فلذلك كان المخطىء معذوراً. فلمن أصاب أجران ولمن أخطأ أجر كما ورد في الحديث: «إن أصبت فلك عشر حسنات وإن أخطأت فلك حسنة»، ثم الدليل على أن المجتهد قد يخطىء قوله تعالى: ﴿ففهمناها سليمان﴾ [الأنبياء: ٧٩] إذ الضمير للحكومة أو الفتيا، ولو كان كل من الاجتهادين صواباً لما كان لتخصيص سليمان بالذكر فائدة.

وتوضيحه: أن داود عليه السلام حكم بالغنم لصاحب الحرث وبالحرث لصاحب الغنم، وحكم سليمان بأن تكون الغنم لصاحب الحرث ينتفع بها، ويقوم صاحب الغنم على الحرث حتى يرجع كما كان، فيرجع كل واحد على ملكه. وكان حكم داود عليه السلام بالاجتهاد دون الوحي وإلاّ لما

....

جاز لسليمان خلافه ولا لداود الرجوع عنه، ولو كان كل من الاجتهادين حقاً لأن كلاًّ منهما قد أصاب الحكم وفهمه لم يكن لتخصيص سليمان بالذكر وجه، فإنه وإن لم يدل على نفي الحكم عما عداه دلالة كلية، لكنه يدل على هذا الموضع بمعونة المقالة كما لا يخفى، وقيل: المعنى ﴿ففهمناها سليمان﴾ الفتوى والحكومة التي هي أحق وأولى بدليل قوله تعالى: ﴿وكلا آتينا حكماً وعلماً﴾ [الأنبياء: ٧٩]، فإنه يفهم منه إصابتهما في فصل الخصومات والعلم بأمر الدين، وبدليل قول سليمان غير هذا أوفق للفريقين أو أرفق كان قال: هذا حق وغيره أحق وفيه إيماء إلى أن ترك الأدلة من الأنبياء بمنزلة الخطأ من العلماء، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين. كذا أورده ملاّ علي في شرح الفقه الأكبر.

وقال البخاري في كتاب الأحكام باب أجر الحاكم: إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ. قال الحافظ ابن حجر: يشير إلى أنه لا يلزم من رد حكمه أو فتواه إذا اجتهد فأخطأ أن يأثم بذلك، بل إذا بذل وسعه أجر فإن أصاب ضوعف أجره، لكن لو أقدم فحكم أو أفتى بغير علم لحقه الإثم، ثم قال ابن المنذر: وإنما يؤجر الحاكم إذا أخطأ إذا كان عالماً بالاجتهاد فاجتهد، وأما إذا لم يكن عالماً فلا، واستدل بحديث: «القضاة ثلاثة وفيه وقاض قضى بغير حق فهو في النار وقاض قضى وهو لا يعلم فهو في النار». وقال الخطابي في معالم السنن: إنما يؤجر المجتهد إذا كان جامعاً لآلة الاجتهاد فهو الذي نعذره بالخطأ بخلاف المتكلف فيخاف عليه، ثم إنما يؤجر العالم لأن اجتهاده في طلب الحق عبادة. هذا إذا أصاب، وأما إذا أخطأ فلا يؤجر على الخطأ بل يوضع عنه الإثم فقط. كذا قال وكأنه يرى ان قوله: وله أجر واحد مجاز عن وضع الإثم. وقال المازري: لمن قال أن الحق في طرفين هو قول أكثر أهل التحقيق من الفقهاء والمتكلمين وهو مروي عن الأئمة الأربعة، وإن حكي عن كل منهم اختلاف فيه. قال الحافظ: والمعروف عن الشافعي الأوّل إن كل مجتهد مصيب. وقال القرطبي في المفهم: وينبغي أن يختص الخلاف بأن المصيب واحد إذ كل مجتهد مصيب بالمسائل التي يستخرج الحق منها بطريق الدلالة.

فصل

وقيل: عدم تسليم علي رضي الله عنه قتلة عثمان لأمر آخر، وهو أن علياً رضي الله عنه رأى أنهم بغاة أتوا ما أتوا عن تأويل فاسد استحلوا به دم عثمان لإنكارهم عليه أموراً ظنوا أنها مبيحة لما فعلوه خطأ وجهلاً، كجعله مروان بن الحكم ابنْ عمه كاتباً له، ورده إلى المدينة بعد أن طرده النبي ﷺ منها، وتقديمه أقاربه في ولاية الأعمال، وعدم سماع شكوى أهل مصر من واليها من طرفه، والحكم في الباغي إذا انقاد إلى الإمام العدل أن لا يؤاخذ بما أتلف بما سبق منه من إتلاف أموال أهل العدل، وسفك دمائهم، وجرح أبدانهم، فلم يجب عليه قتلهم ولا دفعهم لطالب كما هو رأي أبي حنيفة، بل المرجح من قول الشافعي، لكن فيما أتلفوه في حال القتال

....

بسبب القتال دون ما أتلفوه لا في القتال أو في القتال لا بسببه، فإنهم ضامنون له، ومن يرى الباغي مؤاخذاً بذلك فإنما يجب على الإمام استيفاء ذلك منهم عند انكسار شوكتهم وتفرق منعتهم ووقوع الأمن له من إثارة فتنتهم، ولم يكن شيء من هذه المعاني حاصلاً، بل كانت الشوكة لهم باقية والقوّة بادية والمنعة قائمة وعزائم القوم على الخروج على من طالبهم بدمه دائمة. وعند تحقق هذه الأسباب يقتضي التدبير الصائب الأغماض عما فعلوا أو الإعراض عنهم، فهذا توجيه لعلي رضي الله عنه ذكره النسفي في الاعتماد، لكن قال ابن الهمام في المسايرة: والأوّل يعني الذي ذكره المصنف أوجه لذهاب كثير من العلماء إلى أن قتلة عثمان لم يكونوا بغاة بل هم ظلمة وعتاة لعدم الاعتداد بشبهتهم، ولأنهم أصروا على الباطل بعد كشف الشبهة، فليس كل من انتحل شبهة صار مجتهداً. إذ الشبهة تعرض للقاصر عن درجة الاجتهاد.

استطراد:

اختلف أهل السنّة في تسمية من خالف علياً باغياً فمنهم من منع ذلك فلا يجوز اطلاق اسم الباغي على معاوية ويقول: ليس من أسماء من أخطأ في اجتهاده، ومنهم من يطلق ذلك متشبثاً بقوله عليه السلام لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» وبقول علي رضي الله عنه: إخواننا بغوا علينا.

تفريع:

اتفق أهل السنّة على أن معاوية أيام خلافة علي رضي الله عنهما من الملوك لا من الخلفاء، واختلف مشايخنا في إمامته بعد وفاة علي رضي الله عنهما فقيل: «صار إماماً انعقدت له البيعة، وقيل: لا لما أخرج الترمذي من حديث سفينة رفعه: «الخلافة بعدي ثلاثون ثم تصير ملكاً». وعند أحمد وأبي يعلى وابن حبان بلفظ: «ثم ملك بعد ذلك». وعند أبي داود والنسائي بمعناه، وفي بعض الروايات: «ثم تصير ملكاً عضوضاً» والعضوض الذي فيه عسف وظلم كأنه يعض على الرعايا، وقد انقضت الثلاثون بوفاة علي رضي الله عنه لأنه توفي في سابع عشر شهر رمضان سنة أربعين، ووفاة النبي ﷺ في ثاني عشر شهر ربيع الأوّل سنة إحدى وعشرة فبينهما دون الثلاثين بنحو نصف سنة وتمت ثلاثين بمدة خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما، وينبغي أن يحمل قول من قال بإمامته عند وفاة علي بما بعده بقليل عند تسليم الحسن الأمر له، ووجه قول المانعين لإمامته بعد تسليم الحسن له أن ذلك ما كان إلا لضرورة لأنه قصد قتاله وسفك الدماء إن لم يسلم له الحسن الأمر، ولم يكن رأي الحسن القتال وسفك الدماء، فترك الأمر له صوناً لدماء المسلمين فظهر مصداق قوله ﷺ فيما أخرجه البخاري من رواية الحسن البصري: سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

....

خاتمة:

جامعة لمسائل هذا الأصل ختمت بها الفصل قول الروافض بوجود النص على علي والزيديين بوجود النص على العباس رضي الله عنهما باطل لأنه لو كان ثابتاً لادعى المنصوص عليه ذلك، واحتج بالنص وخاصم من لم يقبل ذلك منه ولما لم يرو عنه الاحتجاج عند تفويض الأمر إلى غيره علم أنه لا نص على أحد، ولأنهم لما ادعوا من النص صاروا طاغين على الصحابة على العموم، حيث زعموا أنهم اتفقوا بعد رسول الله ﷺ على مخالفة نصه، واستمروا على ذلك وفوضوا الأمر إلى غير المنصوص عليه، وأعانوا المبطل وخذلوا الحق مع أن الله وصفهم بكونهم خير أمة جعلهم أمة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس وعلى علي والعباس رضي الله عنهما على الخصوص، فإنه اشتهر انهما بايعا أبا بكر رضي الله عنه جهراً، ولو كان الحق لهما ثابتاً لكان أبو بكر عاصياً ظالماً. ومن زعم أن علياً رضي الله عنه مع قوّة حاله وعلمه وكماله وعز عشيرته وكثرة متابعيه ترك حقه واتبع ظالماً عاصياً ونصر باغياً مطيعاً فقد وصفه بالجبن والضعف وقلة التوكل على الله تعالى وعدم الثقة بوعد الرسول عليه السلام المفوض إليه الأمر الناص عليه بذلك. كيف وهو موصوف بالصلابة في الدين والتعصب له موسوم بالشجاعة والبسالة ورباطة الجأش وشدة الشكيمة وقوّة الصريمة. مشهود له بالظفر في معادن المصاولة وأماكن المبارزة والمقاتلة على المشهورين من الفرسان والمعروفين من الشجعان، وهو القائل في كتابه إلى عامله عثمان بن حنيف: لو ارتدت العرب عن حقيقة أحمد ﷺ لخضت إليها حياض المنايا ولضربتهم ضرباً يقض الهام ويرض العظام حتى يحكم الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين، فلو كان عرف من النبي ﷺ فيه أو في عمه العباس نصاً، وعرف أنه لا حق لغيرهما لما انقاد لغيره، بل اخترط سيفه وخاض المعركة وطلب حقه أو حق عمه، ولم يرض بالذل والهوان، ولم ينقد لأحد على غير الحق، ولم يبايعه في أموره، ولم يخاطبه بخلافة رسول الله ﷺ، ولم يساعد أيضاً من تولى الأمر بعده بتقليده، ولم يزوّجه ابنته وهو ظالم عليه لغصبه حقه وعاص لله تعالى بالاعراض عن نص رسول الله ﷺ كما شهر سيفه وقت خلافته، بل كان في أوّل الأمر أحق وأولى إذ كان عهد رسول الله ﷺ أقرب وزمانه أدنى، وقد روي أن العباس قال لعلي: أمدد يدك أبايعك حتى يقول الناس بايع عم رسول الله ﷺ ابن عم رسول الله ﷺ، فلا يختلف عليك اثنان والزبير وأبو سفيان لم يكونا راضيين بإمامة أبي بكر والأنصار كانوا كارهين خلافته حيث قالوا: منا أمير ومنكم أمير وحيث لم يجرد سيفه ولم يطلب حقه دلّ أنه إنما يفعل ذلك لأنه علم أنه لا نص له ولا لغيره، ولكن الصحابة اجتمعت على خلافة أبي بكر، إما استدلالاً بأمر الصلاة فإنه عليه السلام قال: «مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس» وهي من أعظم أركان الدين فاستدلوا بهذا على أنه أولى بالخلافة منهم، ولهذا قال عمر رضي الله عنه: رضيك رسول الله ﷺ لأمر ديننا أو لا نرضاك لدنيانا، وأمر الحج فإنه ﷺ أمره بأن يحج بالناس سنة تسع حين إقامته بنفسه لشغل، وبان اللطيف الخبير جل ثناؤه نظر لأمة حبيبه ومتبعي صفيه ﷺ، فجمع أهواءهم المشتة وآراءهم على خلافة

....

قرشي شجاع موصوف بالعلم والديانة والصلابة ورباطة الجأش والعلم بتدابير الحروب والقيام بتهيئة الجيوش وتنفيذ السرايا ومعرفة سياسة العامة وتسوية أمور الرعية، بل هو أكثرهم فضلاً وأغزرهم علماً وأوفرهم عقلاً وأصوبهم تدبيراً وأربطهم عند الملمات جأشاً وأشدهم على عدوّ الله إنكاراً وإنكالاً، وأيمنهم نقية وأطهرهم سريرة وأعودهم على افناء الخلق نفعاً، وأطلقهم عن الفواحش نفساً، وأصونهم عن القبائح عرضاً، وأجودهم كفاً، وأسمحهم ببذل ما احتوى من المال يداً، وأقلهم في ذات الله مبالغة، والاجماع حجة موجبة للعلم قطعاً، ثم الدليل من الكتاب قوله تعالى: ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد﴾ [الفتح: ١٦] أمر الله نبيه أن يقول للذين تخلفوا من الأعراب عن الغزو معه، ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد، وأشار في الآية إلى أن الداعي مفترض الطاعة ينالون الثواب بطاعتهم إياه ويستحقون التعذيب بعصيانهم إياه، فإنه قال: ﴿فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً﴾ [الفتح: ١٦]، وهو أمارة كون الداعي مفترض الطاعة، ثم السلف اختلفوا في المراد بقوله: ﴿أولي بأس شديد﴾، فقيل: هم بنو حنيفة، وقيل: هم فارس. فعلى الأوّل كان الداعي إليهم أبا بكر رضي الله عنه، فثبتت بذلك خلافته، فإذا ثبتت خلافته ثبتت خلافة من استخلفه بعده وهو عمر رضي الله عنه، وعلى الثاني فالداعي إليهم كان عمر رضي الله عنه فثبتت به خلافته وثبوت خلافته خلافة من استخلفه وهو أبو بكر رضي الله عنه، فكان في الآية دلالة على خلافة الشيخين رضي الله عنهما، فإن قالوا جاز أن يكون الداعي محمداً ﷺ أو علياً أو من بعد علي؟ قلنا: لا يجوز الأول لقوله تعالى: ﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل﴾ [الفتح: ١٥]، قال الزجاج وجماعة المفسرين: المراد بكلام الله هنا ما قال في سورة براءة: ﴿قل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً﴾ [التوبة: ٨٣]، وكذا الثاني لأنه قال تعالى في صفة هذه الدعوة: ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ [الفتح: ١٦]، ولم يتفق لعلي رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ قتال بسبب طلب الإسلام، بل كانت محارباته مع الناكثين والقاسطين والمارقين، وكذا الثالث لأن عند الخصم هم الكفرة فلا يليق بهم قوله تعالى: ﴿فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً﴾، وإذا بطلت هذه الأقسام فلم يبق إلا أن يكون المراد أحد الأئمة الثلاثة. فتكون الآية دالة على صحة خلافة هؤلاء الثلاثة، ومتى صحت خلافة أحدهم صحت خلافة الكل كما هو تقريره، فإن قالوا: الاجماع ليس بحجة؟ قلنا: على التسليم فإن قول علي رضي الله عنه ورأيه حجة عندهم، وقد ثبت بالنقل المتواتر الذي ينسب جاحده إلى العناد بيعته له واعترافه بخلافته، فيكون قوله حجة كافية لصحة خلافته، فإن قالوا: هذه الآية: ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾ [المائدة: ٥٥] إلى آخرها نزلت في علي، كما قاله أهل التفسير، فصار المعنى إنما المتصرف فيكم أيتها الأمة الله ورسوله والمؤمنون الموصوفون بكذا وكذا، والمتصرف في كل أمة هو الإمام، وإنما للحصر فتنحصر الامامة في علي. وقال عليه السلام: «من كنت مولاه فعلي

الأصل الثامن: أن فضل الصحابة رضي الله عنهم على حسب ترتيبهم في الخلافة، إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل، وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله ﷺ، وقد ورد في الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة، وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحي والتنزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل، فلولا

مولاه» والمولى هو المتصرف، ولا يجوز أن يراد به المعتق والحليف وابن العم كما هو ظاهر، فيكون معنى الحديث من كنت متصرفاً فيه كان علي متصرفاً فيه وليست الامامة إلا ذلك. وقال عليه السلام لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» وهارون كان خليفته فكذا علي.

قلت: لو كانت الآية منصرفة إلى علي لما خفي ذلك على الصحابة أوّلاً وعلى علي ثانياً، ولما أجمعوا على خلافة غيره ولا بايع هو بنفسه غيره على أنها وردت بلفظ الجمع، فصرفها إلى خاص عدول عن الحقيقة بلا دليل، وعلى التسليم لا يلزم بإطلاق اسم الولي أن يكون إماماً، واستخلاف موسى هارون عليهما السلام حين توجه إلى الطور لا يستلزم كونه أولى بالخلافة بعده من كل معاصريه افتراضاً ولا ندباً، بل كونه أهلاً لها في الجملة وبه نقول وبالله التوفيق.

(الأصل الثامن): إن فضل الصحابة رضي الله عنهم على حسب **(ترتيبهم في الخلافة)**، فأفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي إذ المسلمون كانوا لا يقدمون أحداً في الامامة تشهياً منهم، وإنما يقدمونه لاعتقادهم بأنه أصلح وأفضل من غيره. **(إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل، وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله ﷺ)** باطلاع الله سبحانه إياه. **(وقد ورد)** عنه **(في الثناء على جميعهم أخبار)** صحيحة يحتج بها، **(وإنما يفهم ذلك)** أي حقيقة تفضيله عليه السلام لبعضهم على بعض **(المشاهدون)** زمان **(الوحي والتنزيل)** وأحوال النبي ﷺ معهم وأحوالهم معه **(بقرائن)** أي بظهور قرائن **(الأحوال)** الدالة على التفضيل **(و)** ظهور **(دقائق التفصيل)** لهم دون من لم يشهد ذلك، ولكن قد ثبت ذلك التفضيل لنا صريحاً من بعض الأخبار ودلالة من بعضها كما في الصحيحين من حديث عمرو بن العاص حين سأله عليه السلام فقال: من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة» فقلت: من الرجال؟ قال: «أبوها» قلت: ثم من؟ قال: «عمر بن الخطاب» فعد رجالاً، وتقديمه في الصلاة كما ذكره نافع أن الاتفاق على أن السنّة أن يقدم على القوم أفضلهم علماً وقراءة وخلقاً وورعاً، فثبت بذلك أنه أفضل الصحابة. وفي الصحيحين من حديث ابن عمر: من نخيّر بين الناس في زمان رسول الله ﷺ؟ نخير أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان زاد الطبراني فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره. وفيه أيضاً من حديث محمد بن الحنفية قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: أبو بكر. قلت: ثم مَن؟ قال: عمر وخشيت أن يقول عثمان. قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا واحد من المسلمين. فهذا علي نفسه مصرح بأن أبا بكر أفضل الناس وأفاد بعض

فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك إذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف.

الأوّل والثاني تفضيل أبي بكر وحده على الكل، وفي الثالث والرابع ترتيب الثلاثة في الفضل، ولما أجمعوا على تقديم علي رضي الله عنه بعدهم دلّ على أنه كان أفضل من بحضرته، فثبت أنه كان أفضل الخلق بعد الثلاثة. وإليه أشار المصنف بقوله: **(فلولا فهمهم)** أي الصحابة **(ذلك لما رتبوا الأمر كذلك)** بالتفصيل السابق. **(إذ كانوا)** رضي الله عنهم ممن **(لا تأخذهم في)** دين **(الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف)** أي مانع لما عرف من صرامتهم في الدين وعدالتهم وثناء الله عليهم وتزكيتهم كما سبقت الإشارة إليه آنفاً.

تنبيه:

هذا الترتيب بين عثمان وعلي هو ما عليه أكثر أهل السنّة خلافاً لما روي عن بعض أهل الكوفة والبصرة، من عكس القضية. وروي عن أبي حنيفة وسفيان الثوري، والصحيح ما عليه جهور أهل السنّة وهو الظاهر من قول أبي حنيفة على ما رتبه في الفقه الأكبر وفق مراتب الخلاف، وكذا قال القونوي في شرح العقيدة: إن ظاهر مذهب أبي حنيفة تقديم عثمان على علي، وعلى هذا عامة أهل السنّة. قال: وكان سفيان الثوري يقول بتقديم علي على عثمان، ثم رجع على ما نقل عنه أبو سليمان الخطابي.

قلت: وروي عن مالك التوقف حكى المازري عن المدوّنة: أن مالكاً سئل أي الناس أفضل بعد نبيهم؟ فقال: أبو بكر، ثم قال: أو في ذلك شك؟ قيل له: فعلي، فعثمان؟ قال: ما أدركت أحداً ممن اقتدي به يفضل أحدهما على صاحبه. وحكى عياض قولاً أن مالكاً رجع عن الوقف إلى تفضيل عثمان. قال القرطبي: وهو الأصح إن شاء الله تعالى. قال ابن أبي شريف: وقد مال إلى التوقف أيضاً إمام الحرمين فقال: الغالب على الظن أن أبا بكر أفضل ثم عمر وتتعارض الظنون في عثمان وعلي اهـ.

قال: وهو ميل منه إلى أن الحكم في التفضيل ظني، وإليه ذهب القاضي أبو بكر، لكنه خلاف ما مال إليه الأشعري وخلاف ما يقتضيه قول مالك السابق أو في ذلك شك اهـ.

وقال أبو سليمان: إن للمتأخرين في هذا مذاهب: منهم من قال بتقديم أبي بكر من جهة الصحبة وتقديم علي من جهة القرابة. وقال قوم: لا نقدم بعضهم على بعض. وكان بعض مشايخنا يقول: أبو بكر خير وعلي أفضل، فباب الخيرية وهي الطاعة للحق والمنفعة للخلق متعد، وباب الفضيلة لازم اهـ. وفيه بحث لا يخفى.

وفي شرح العقائد على هذا الترتيب وجدنا السلف، والظاهر أنه لو لم يكن لهم دليل هنالك لما حكموا بذلك، وكأن السلف كانوا متوقفين في تفضيل عثمان على علي حيث جعلوا من علامات

....

السنّة والجماعة تفضيل الشيخين ومحبة الحسنين، والإنصاف أنه إن أريد بالأفضلية كثرة الثواب فللتوقف جهة، وإن أريد كثرة ما يعده ذوو العقول من الفضائل فلا انتهى.

قال ملاّ علي: ومراده بالأفضلية أفضلية عثمان على علي بقرينة ما قبله من ذكر التوقف فيما بينهما لا الأفضلية بين الأربعة كما فهمه أكثر المحشين حيث قال بعضهم بعد قوله: فلا، لأن فضائل كل واحد منهم كانت معلومة لأهل زمانه، وقد نقل إلينا سيرتهم وكمالاتهم، فلم يبق للتوقف بعد ذلك وجه سوى المكابرة وتكذيب العقل فيما يحكم ببداهته. قال: والمنقول عن بعض المتأخرين أن لا جزم بالافضلية بهذا المعنى أيضاً إذ ما من فضيلة لأحد إلا ولغيره مشاركة فيها وبتقدير اختصاصها حقيقة، فقد يوجد لغيره أيضاً اختصاصه بغيرها على أنه يمكن ان تكون فضيلة واحدة أرجح من فضائل كثيرة إما لشرفها في نفسها أو لزيادة كميتها. وقال محش آخر: أي فلا جهة للتوقف، بل يجب أن يجزم بأفضلية علي إذ قدموا من حقه ما يدل على عموم مناقبه، ووفور فضائله، واتصافه بالكمالات، واختصاصه بالكرامات. هذا هو المفهوم من سوق كلامه. ولذا قيل: فيه رائحة من الرفض، لكنه فرية بلا مرية إذ لو كان هذا رفضاً لم يوجد من أهل الزواية والدراية سني أصلاً فإياك والتعصب في الدين اهـ.

ولا يخفى أن تقديم علي على الشيخين مخالف لمذهب أهل السّنة على ما عليه جميع السلف، وإنما ذهب بعض الخلف إلى تفضيل علي على عثمان، ومنهم أبو الطفيل من الصحابة. وفي كتاب القوت: كان أحمد بن حنبل قد أكثر عن عبدالله بن موسى الكاظم، ثم بلغه عنه أدنى بدعة. قيل: إنه كان يقدم علياً على عثمان، فانصرف أحمد ومزق جميع ما حمل عنه ولم يحدث منه شيئاً.

فصل

قال الشهاب السهروردي في رسالته المسماة (**أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى**): وأما أصحابه عليه السلام، فأبو بكر رضي الله عنه وفضائله لا تنحصر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، ثم قال: ومما ظفر به الشيطان من هذه الإمة وخامر العقائد منه ودنس وصار في الضمائر خبث ما ظهر من المشاجرة، وأورث ذلك أحقاداً وضغائن في البواطن، ثم استحكمت تلك الصفات وتوارثها الناس فتكثفت وتجسدت وجذبت إلى أهواء استحكمت أصولها وتشعبت فروعها، فأيها المبرأ من الهوى والعصبية؟ اعلم أن الصحابة مع نزاهة بواطنهم وطهارة قلوبهم كانوا بشراً، وكانت لهم نفوس وللنفوس صفات تظهر، فقد كانت نفوسهم تظهر بصفة وقلوبهم منكرة، لذلك فيرجعون إلى حكم قلوبهم وينكرون ما كان من نفوسهم، فانتقل اليسير من آثار نفوسهم إلى أرباب نفوس عدموا القلوب، فما أدركوا قضايا قلوبهم وصارت صفات نفوسهم مدركة عندهم للجنسية النفسية فبنوا تصرف النفوس على الظاهر المفهوم عندهم، ووقعوا في بدع وشبه أوردتهم كل مورد رديء، وجرعتهم كل شرب وبيء، واستعجم عليهم صفاء قلوبهم ورجوع كل أحد إلى الانصاف وإذعانه لما يجب من الاعتراف،

الأصل التاسع: أن شرائط الإمامة بعد الإسلام والتكليف خمسة: الذكورة،

وكان عندهم اليسير من صفات نفوسهم لأن نفوسهم كانت محفوفة بأنوار القلوب، فلما توارث ذلك أرباب النفوس المتسلطة الامارة بالسوء القاهرة للقلوب المحروسة أنوارها أحدث عندهم العداوة والبغضاء، فإن قبلت النصح فأمسك عن التصرف في أمرهم واجعل محبتك للكل على السواء، وأمسك عن التفضيل وإن خامر باطنك فضل أحدهم على الآخر فاجعل ذلك من جملة أسرارك فما يلزمك اظهاره ولا يلزمك أن تحب أحدهم أكثر من الآخر، بل يلزمك محبة الجميع والاعتراف بفضل الجميع، ويكفيك في العقيدة السليمة أن تعتقد صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم اهـ.

قال ملاّ علي: ولا يخفى أن هذا من الشيخ إرخاء العنان مع الخصم في ميدان البيان، فإنه بيّن اعتقاده أوّلاً، ثم تنزل إلى ما يجب في الجملة آخراً، ولأن اعتقاد صحة خلافة الأربعة مما يوجب ترتيب فضلهم في مقام العلم والسعة، ثم الظاهر أن المحبة تتبع الفضيلة قلة وكثرة وتسوية فيتعين إجمالاً في مقام الإجمال وتفصيلاً في مقام التفصيل. قال: ثم رأيت الكردري ذكر في المناقب ما نصه: من اعترف بالخلافة والفضيلة للخلفاء. وقال: أحب علياً أكثر لا يؤاخذ به إن شاء الله تعالى لقوله عليه السلام: «هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك».

وقال شارح الطحاوية: ترتيب الخلفاء الراشدين كترتيبهم في الخلافة إلاّ أن لأبي بكر وعمر مزية وهي أن النبي ﷺ أمرنا باتباع سنّة الخلفاء الراشدين، ولم يأمرنا بالاقتداء بالأفعال إلا بأبي بكر وعمر، فقال: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر» وفرق بين اتباع سنتهم والاقتداء بهم، فحال أبي بكر وعمر فوق حال عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

(الأصل التاسع: أن شرائط الإمامة) العظمى المعبر عنها بالخلافة **(بعد الإسلام)** لأن الكافر لا يصح تقليده لأمور المسلمين **(والتكليف)**، لأن غير العاقل من الصبي والمعتوه عاجز عن القيام بأموره، فكيف يقوم بأمر غيره وبعد الحرية لأن العبد مشغول الأوقات بحقوق سيده، فكيف يتفرغ بشأن غيره؟ وأيضاً محتقر في أعين الناس فلا يهاب ولا يمتثل أمره وبعد سلامته من العمى والصمم والبكم. إذ مع وجود شيء منها لا يمكنه القيام بشأن الإمامة. وكأن المصنف لم يذكر هذه الشروط لشهرتها لكونها لا بد منها **(خمسة)** الأوّل: **(الذكورية)** كذا في النسخ، وفي بعضها الذكورة واشتراطها لأن إمامة المرأة لا تصح إذ النساء ناقصات عقل ودين، ممنوعات من الخروج إلى مشاهد الحكم ومعارك الحرب. **(و) الثاني: (الورع)** أراد به العدالة وبها عبّر الأكثر وهي المرتبة الأولى من مراتب الورع التي هي ترك ما يوجب اقتحامه وصف الفسق كما سيأتي للمصنف في كتابه هذا، وخرج من العدالة الظلم والفسق، فالظالم يختل به أمر الدين والدنيا، فكيف يصلح للولاية والفاسق لا يصلح بأمر الدين ولا يوثق بأوامره ونواهيه، وربما اتبع هواه في حكمه فصرف أموال بيت المال بحسب أغراضه فيضيع الحقوق. **(و) الثالث: (العلم)** وأراد به الاجتهاد في الأصول الدينية والفروع ليتمكن بذلك من القيام بأمر الدين

والورع، والعلم، والكفاية، ونسبة قريش، لقوله ﷺ: «الأئمة من قريش»، وإذا

بالحجج، وحل الشبه في العقائد، ويستقل بالفتوى في النوازل وأحكام الوقائع نصاً واستنباطا، لأن مقاصد الإمامة حفظ العقائد وفصل الحكومات ورفع الخصومات. وهذا الذي ذكرناه في تفسير العلم هنا هو مراد المنصف، كما يدل عليه سياق عبارته في الاقتصاد أيضاً، ومنهم من فسر العلم بعلم المقلد في الفروع وأصول الفقه. وقال: إن الاجتهاد على الوجه المذكور ليس شرطاً في الإمامة لندرة وجوده وجوّز الاكتفاء فيه بالاستعانة بالغير بأن يفوّض أمر الاستفتاء للمجتهدين. (و) **الرابع: (الكفاءة)** وفي بعض النسخ الكفاية وهي القدرة على القيام بأمور الإمامة ويحترز بها عن العجز وهي أعم من الشجاعة إذ الكفاءة تتناول كونه ذا رأي بتدابير الحروب وترتيب الجيوش وحفظ الثغور، وكونه ذا شجاعة وهي قوّة قلب بها يقتص من الجناة ويقيم الحدود الشرعية ولا يجبن عن الحروب. ومنهم من لم يشترط كونه ذا رأي وذا شجاعة لندوة اجتماعهما في شخص واحد وامكان تفويض مقتضياتهما إلى الشجعان وأصحاب الآراء الصائبة. وعند الحنفية العدالة ليست شرطاً لصحة الولاية، فيصح تقليد الفاسق الإمامة مع الكراهة، وإذا قلد عدلاً ثم جار في الحكم وفسق بذلك أو بغيره لا ينعزل، ولكن يستحق العزل إن لم يستلزم فتنة ويجب أن يدعى له ولا يجب الخروج عليه. كذا عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى. **(و) الخامس: (نسبة قريش)** أي كونه من أولاد قريش، وهو لقب النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، والنضر هو الجد الثالث عشر لسيدنا رسول الله ﷺ. هكذا ذكره ابن قدامة. ولما وفد كندة على رسول الله ﷺ سنة عشر وفيهم الأشعث بن قيس فقال الاشعث للنبي ﷺ: أنت منا. فقال النبي ﷺ: لا تنفوا امنا ولا ننتفي من أبينا. نحن بنو النضر بن كنانة، فكان الأشعث يقول: لا أوتي بأحد ينفي قريشاً من النضر إلا جلدته يشير الأشعث بقوله: أنت منا إلى جدة كندة هي أم كلاب بن مرة، وإلى هذا القول ذهب بعض الشافعية. ويروي أيضاً عن الأشعث بن قيس، عن النبي ﷺ قال: لا أوتي برجل يقول أن كنانة ليست من قريش إلا جلدته. والصحيح عند أئمة النسب أن قريشاً هو فهر بن مالك بن النضر وهو جماع قريش وهو الجد الحادي عشر لرسول الله ﷺ، فكل من لم يلده فليس بقرشي. وقد حكى بعضهم في تسمية فهر بقريش عشرين قولاً أوردتها في شرحي على القاموس فراجعه. وذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري في باب نزول النبي ﷺ مكة عند قوله: وذلك أن قريشاً وكنانة فيه إشعار بأن في كنانة من ليس قرشياً إذ العطف يقتضي المغايرة، فترجح القول بأن قريشا من ولد فهر بن مالك على القول بانهم ولد كنانة. نعم لم يعقب النضر غير مالك، ولا مالك غير فهر، فقريش ولد النضر بن كنانة، فأما كنانة فأعقب من غير النضر فلهذا وقعت المغايرة اهـ وهو جمع حسن.

قوله: لم يعقب النضر غير مالك صحيح، فإنه ليس له ولد باق ينسب إليه غير مالك، وأما يخلد بن النضر جد بدر بن الحرث بن يخلد الذي سميت بدر به بدراً، فانقرض، ثم أن كثيراً

....

من المعتزلة نفى هذا الاشتراط متمسكين بما رواه البخاري أسمع وأطع وإن عبداً حبشياً كأن رأسه زبيبة. وأجيب بحمله على من ينصبه الإمام أميراً على سرية أو غيرها، لأن الإمام لا يكون عبداً بالإجماع.

وقد أشار المصنف إلى دليل أهل السنة في هذا الشرط بقوله: **(لقوله ﷺ: «الائمة من قريش»)** قال العراقي: أخرجه النسائي من حديث أنس والحاكم من حديث علي وصححه اهـ.

قلت: وكذا أخرجه البخاري في التاريخ، وأبو يعلى كلهم من طريق بكير الجزري عن أنس. وأخرجه الطيالسي، والبزار، والبخاري في التاريخ من طريق سعد بن إبراهيم عن أنس وفيه زيادة «ما إذا حكموا فعدلوا». وأخرجه أحمد من حديث أبي هريرة وأبي بكر الصديق رضي الله عنهم بهذا اللفظ من غير زيادة ورجاله رجال الصحيح، لكن في سنده انقطاع. وأخرجه الطبراني والحاكم من حديث علي، وعند الطبراني أيضاً من حديث علي «إلا أن الامراء من قريش ما أقاموا ثلاثاً». الحديث. وعنده أيضاً من رواية قتادة عن أنس بلفظ «إن الملك في قريش» الحديث. وأخرج يعقوب بن سفيان، وأبو يعلى، والطبراني من طريق سكين بن عبد العزيز، حدثنا سيار بن سلامة أبو المنهال قال دخلت مع أبي على أبي برزة الأسلمي فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الامراء من قريش» الحديث. وأخرج البخاري في الصحيح من حديث ابن عمر رفعه «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان». وفي رواية الاسماعيلي «ما بقي في الناس اثنان». وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى. وأخرج البيهقي من حديث جبير بن مطعم رفعه «قدموا قريشا ولا تقدموها» وعند الطبراني من حديث عبدالله بن حنطب، ومن حديث عبدالله بن السائب مثله. وفي نسخة أبي اليماني، عن شعيب، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة مرسلاً أنه بلغه مثله. وأخرجه الشافعي من وجه آخر، عن ابن شهاب انه بلغه مثله. وفي الباب حديث أبي هريرة رفعه «الناس تبع لقريش في هذا الشأن» أخرجه البخاري من رواية المغيرة بن عبد الرحمن، ومسلم من رواية سفيان بن عيينة كلاهما عن الأعرج عن أبي هريرة. وأخرجه مسلم أيضاً من رواية همام عن أبي هريرة. ولأحمد من رواية أبي سلمة عن أبي هريرة مثله، لكن قال: «في هذا الأمر». قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري عند قوله: إن هذا الأمر في قريش ما نصه: قال ابن المنير: وجه الدلالة من الحديث ليس من جهة تخصيص قريش بالذكر فإنه يكون مفهوم نعت ولا حجة فيه عند المحققين وإنما الحجة وقوع المبتدأ معرفاً باللام الجنسية لأن المبتدأ بالحقيقة ههنا هو الأمر الواقع صفة لهذا، وهذا لا يوصف إلا بالجنس فمقتضاه حصر جنس الأمر في قريش فيصير كأنه قال: لا أمر إلا في قريش، وهو كقوله الشفعة فيما لم يقسم، والحديث وإن كان بلفظ الخبر فهو بمعنى الأمر كأنه قال «ائتموا بقريش خاصة» وبقية طرق الحديث تؤيد ذلك. ويؤخذ منه أن الصحابة اتفقوا على إفادة المفهوم للحصر خلافاً لمن أنكر ذلك، وإلى هذا ذهب جمهور أهل العلم أن شرط الإمام أن يكون قرشياً، وقيد ذلك طوائف ببعض قريش فقالت طائفة: لا يجوز إلا من ولد علي وهذا

اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات، فالإمام من انعقدت له البيعة من أكثر

قول الشيعة. ثم اختلفوا اختلافاً شديداً في بعض تعيين ذرية علي. وقالت طائفة. تختص بولد العباس وهو قول أبي مسلم الخراساني وأتباعه. ونقل ابن حزم أن طائفة قالت: لا تجوز إلا في ولد جعفر بن أبي طالب، وقالت أخرى. في ولد عبد المطلب، وعن بعضهم لا تجوز إلا في بني أمية، وعن بعضهم إلا في ولد عمر. قال: ولا حجة لأحد من هؤلاء الفرق اهـ.

وقالت الخوارج، وطائفة من المعتزلة: يجوز أن يكون الإمام غير قرشي، وإنما يستحق الإمامة من قام بالكتاب والسنّة سواء كان عربياً أو عجمياً. وبالغ ضرار بن عمرو فقال: تولية غير القرشي أولى لأنه يكون أقل عشيرة، فإذا عصى كان أمكن لخلعه، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: لم يعرج المسلمون على هذا القول بعد ثبوت الحديث «الائمة من قريش» وعمل المسلمون به قرناً بعد قرن، وانعقد الاجماع على اعتبار ذلك قبل أن يقع الاختلاف. قال الحافظ: قد عمل بقول ضرار من قبل أن يوجد من قام بالخلافة من الخوارج على بني أمية كقطري، ودامت فتنتهم حتى أبادهم المهلب أكثر من عشرين سنة، وكذا تسمى بأمير المؤمنين من غير الخوارج ممن قام على الحجاج كابن الأشعث، ثم تسمى بالخلافة من قام في قطر من الأقطار في وقت ما، وليس من قريش كبني عباد وغيرهم بالاندلس، وكعبد المؤمن وذريته ببلاد المغرب كلها، وهؤلاء ضاهوا الخوارج في هذا ولم يقولوا بأقوالهم ولا تمذهبوا بآرائهم، بل كانوا من أهل السنّة داعين إليها. وقال عياض: اشتراط كون الإمام قرشياً مذهب العلماء كافة وقد عدوها في مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها خلاف، وكذلك من بعدهم في جميع الأمصار. قال: ولا اعتداد بقول الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة لما فيه من مخالفة المسلمين.

قال الحافظ: ويحتاج في نقل الإجماع إلى تأويل ما جاء عن عمر في ذلك، فقد أخرج أحمد عن عمر بسند رجاله ثقات انه قال: إن أدركني أجلي وأبو عبيدة حي استخلفته فذكر الحديث. وفيه: إن أدركني أجلي وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل الحديث. ومعاذ أنصاري لا نسب له في قريش، فيحتمل أن يقال لعل الإجماع انعقد بعد عمر على اشتراط أن يكون الخليفة قرشياً أو تغير اجتهاد عمر في ذلك والله أعلم اهـ.

واستدل بحديث ابن عمر على عدم وقوع ما فرضه الفقهاء من الشافعية وغيرهم أنه إذا لم يوجد قرشي يستخلف كناني فإن لم يوجد فمن بني إسماعيل فإن لم يوجد منهم أحد مستجمع الشرائط فعجمي، وفي وجه جرهمي، وإلاّ فمن ولد إسحاق قالوا: وإنما فرض الفقهاء ذلك على عادتهم في ذكر ما يمكن أن يقع عقلاً وإن كان لا يقع عادة أو شرعاً. قال الحافظ: والذي حمل قائل هذا القول عليه أنه فهم منه الخبر المحض وخبر الصادق لا يتخلف، وأما من حمله على الأمر فلا يحتاج إلى هذا التأويل والله أعلم.

(**وإذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات**) أي وجدت هذه الشروط في جماعة

الخلق، والمخالف للأكثر باغ يجب رده إلى الانقياد إلى الحق.

الأصل العاشر: أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للإمامة وكان في صرفه اثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد إمامته، لأنا بين أن نحرك فتنة بالاستبدال، فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي أثبتت لمزية المصلحة فلا يهدم أصل المصلحة شغفاً بمزاياها كالذي يبني قصراً ويهدم مصراً، وبين أن تحكم بخلو البلاد عن الإمام وبفساد الأقضية وذلك محال. ونحن نقضي

بحيث يصلح كل منهم للإمامة، فالأولى بالامامة أفضلهم، فإن ولي المفضول مع وجود الأفضل صحت إمامته، والمراد باجتماع العدة في قول المصنف اجتماعهم في الوجود لا في عقد الولاية لكل منهم فيكون قوله: (**فالإمام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق والمخالف للأكثر باغ يجب رده إلى الإنقياد إلى الحق**) جرياً على ما هو العادة الغالبة، فلا مفهوم له. وبهذا يجمع بينه وبين كلام غيره من أهل السنّة ما مقتضاه اعتبار السبق فقط، فإذا بايع الأقل ذا أهلية أوّلاً، ثم بايع الأكثر غيره، فالثاني يجب رده، والإمام هو الأوّل، ولا يولى أكثر من واحد لما روى مسلم من حديث أبي سعيد: إذ بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما، والأمر بقتله محمول على ما إذا لم يندفع إلا بالقتل قتل، والمعنى في امتناع تعدد الإمام أنه مناف لمقصود الإمامة من اتحاد كلمة الإسلام واندفاع الفتن، وأن التعدد يقتضي لزوم امتثال أحكام متضادة ويثبت عقد الإمامة بأحد أمرين إما باستخلاف الخليفة إياه، وإما ببيعة من تعتبر بيعته من أهل الحل والعقد ولا يشترط بيعة جميعهم ولا عدد محدود، بل يكفي بيعة جماعة من العلماء أو أهل الرأي والتدبير، وعند الاشعري يكفي الواحد من العلماء المشهورين من أولي الرأي، فإذا بايع انعقدت بشرط كونه بمشهد مشهود لرفع انكار الانعقاد إن وقع من العاقد أو من غير وشرط المعتزلة خمسة. وذكر بعض الحنفية اشتراط جماعة دون عدد مخصوص والله أعلم.

(**الأصل العاشر: أنه لو تعذر وجود الورع**) أي العدالة (**والعلم**) أي الاجتهاد في الأصول والفروع (**فيمن يتصدى للإمامة**) بأن يغلب عليها جاهل بالأحكام أو فاسق، (**وكان في صرفه**) عنها (**إثارة فتنة**) وترتب مفسدة (**لا تطاق**) أي لا يطاق دفعها. (**حكمنا**) حينئذ (**بانعقاد إمامته**) كما قدمنا في الأصل الذي قبله، (**لأنا**) لا نخلو (**بين أن نحرك فتنة بالاستبدال**) بغيره (**فما يلقى فيه**) أي في هذا الاستبدال (**من الضرر**) والتعب (**يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط**) من العلم والعدالة (**التي أثبتت لمزية**) وفي بعض النسخ: لمزيد (**المصلحة**) الشرعية (**فلا يهدم أصل المصلحة شغفاً بمزاياها**)، فيكون (**كالذي يبني قصراً**) ويتقن في بنائه (**ويهدم مصراً**) أي مدينة وبين قصر ومصر جناس، (**وبين أن نحكم بخلو البلاد عن الإمام وبفساد الاقضية**) أي الأحكام الشرعية، (**وذلك محال**) لأنه يؤدي إلى محال، (**ونحن نقضي**) أي نحكم (**بنفوذ قضاء أهل**

بنفوذ قضاء أهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم، فكيف لا نقضي بصحة الإمامة عند الحاجة والضرورة؟ فهذه الأركان الأربعة الحاوية للأصول الأربعين هي قواعد

البغي). وفي المسايرة قضايا أهل البغي أي أقضية قضاتهم **(في بلادهم)** التي غلبوا عليها **(لمسيس حاجتهم)** إلى تنفيذها. **(فكيف لا نقضي بصحة الإمامة)** مع فقد الشروط **(عند الحاجة والضرورة)**. أي: الضرر القائم بتقديم عدم الإمامة بأن لا نحكم بالانعقاد فيبقى الناس فوضى لا إمام لهم، وتكون أقضيتهم فاسدة بناء على عدم صحة تولية القضاء، وإذا تغلب آخر فاقد الشروط على ذلك المتغلب أوّلاً وقعد مكانه قهراً انعزل الأوّل وصار الثاني إماماً.

وفي شرح الحاجبية: إذا مات الإمام وتصدى للإمامة كامل الشروط من غير بيعة ولا استخلاف وقهر الناس بشوكة انعقدت له الإمامة، وأما إن كان فاسقاً أو جاهلاً وفعل ذلك فهل تنعقد له أم لا؟ اختلف في ذلك على قولين: قال السعد: والاظهر عندي أنه ينعقد دفعاً لفساده إلا أنه يعصى بما فعل.

تنبيه:

تجب طاعة الإمام عادلاً كان أو جائراً لقوله تعالى: ﴿وأُولي الأمر منكم﴾ [النساء: ٥٩] ما لم يخالف حكم الشرع لما أخرج مسلم من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية. وله أيضاً من ولي عليه فرآه يأتي شيئاً من معصية الله تعالى فليكره ما يأتيه من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعته، وللشيخين من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية، وأما إذا خالف أحكام الشرع فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق كما في البخاري والسنن الأربعة «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

خاتمة:

لا يجوز خلع الإمام بلا سبب ولو خلعوه لامتنع تقدم غيره، والسبب المتفق عليه الجنون المطبق، والعمى، والصمم، والخرس، والمرض الذي ينسيه العلوم، والردة، وصيرورته أسيراً لا يرجى خلاصه. وبالجملة؛ كل ما يحصل معه فقد الإمامة. وأما الفسق فقد اختلف فيه على قولين: فالذي عليه الجمهور أنه لا يعزل به لأن ذلك قد تنشأ عنه فتنة هي أعظم من فسقه. وذهب الشافعي في القديم إلى انه ينعزل، وعليه اقتصر الماوردي في الأحكام السلطانية، وقال إمام الحرمين إذا جار في وقت وظهر ظلمه وغشه ولم ينزجر عن سوء صنعه بالقول فلأهل الحل والعقد التواطؤ على رفعه وعزله ولو شهر السلاح ونصب الحروب، وأما إن عزل نفسه بنفسه فإن كان للعجز عن القيام بالأمر انعزل وإلاّ فلا.

(فهذه الأركان الأربعة الحاوية) أي الجامعة **(للأصول الأربعين)** من ضرب أربعة في

العقائد، فمن اعتقدها كان موافقاً لأهل السنّة ومبايناً لرهط البدعة، فالله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده وفضله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى.

الفصل الرابع

من قواعد العقائد:

في الإيمان والإسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق إليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل.

مسألة: اختلفوا في أن الإسلام هو الإيمان أو غيره وإن كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به يلازمه؟ فقيل: إنهما شيء واحد، وقيل: إنهما شيئان لا

عشرة (**هي قواعد العقائد**) الدينية، ولذلك سمى المصنف كتابه الأربعين في عقائد أهل الدين نظراً إلى ذلك، وكذلك الفخر الرازي له كتاب الأربعين، وهذا غير اصطلاح المحدثين، فإنهم يريدون به أربعين حديثاً كما هو ظاهر، (**فمن اعتقدها**) أي عقد ضميره على فعلها وتلقيها بالقبول (**كان موافقاً لأهل السنّة**) والجماعة معدوداً في حزبهم (**ومبايناً**) أي مفارقاً (**لرهط البدعة**) والضلالة، (**والله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا**) أي يرشدنا (**إلى**) اتباع (**الحق**) الصريح الموافق للكتاب والسنّة، (**وتحقيقه**) بالدلائل الواضحة (**بمنه**) وكرمه (**وسعة جوده**) وفضله، (**وصلى الله على سيدنا محمد**) وآله وصحبه (**وعلى كل عبد مصطفى**) لله من وارثي أحواله وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين.

الفصل الرابع

(**من**) كتاب (**قواعد العقائد**) وهو آخر فصول الكتاب، وبه ختم (**في**) بيان (**الايمان والإسلام، و**) بيان (**ما بينهما من الاتصال والانفصال**) هل هما شيء واحد أو يفترقان، (**و**) بيان (**ما يتطرق إليه**) أي إلى الإيمان (**من**) وصفي (**الزيادة والنقصان**)، وبيان اختلاف العلماء فيه، (**و**) بيان (**وجه استثناء السلف**) الصالح (**فيه**) أي: في الإيمان وهو قولهم: أنا مؤمن إن شاء الله وما فيه من الاختلاف (**في جوازه وعدم جوازه**) كما سيأتي (**وفيه ثلاث مسائل**).

الأولى: (مسألة اختلفوا في أن الإسلام) هل (**هو الإيمان**) بعينه (**أو**) هو (**غيره**)، وعلى الأول فظاهر، (**و**) على الثاني أي (**ان كان غيره فهو**) لا يخلو إما أنه (**منفصل يوجد**) ويتحقق (**دونه أو هو مرتبط به**) ارتباطاً بحيث (**يلازمه**) ولا ينفك عنه؟ (**فقيل:**

يتواصلان، وقيل: إنهما شيئان ولكن يرتبط أحدهما بالآخر. وقد أورد أبو طالب المكي في هذا كلاماً شديد الاضطراب كثير التطويل، فلنهجم الآن على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل له، فنقول: في هذا ثلاثة مباحث: بحث عن موجب اللفظين في اللغة، وبحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع، وبحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة، والبحث الأول لغوي، والثاني تفسيري، والثالث فقهي شرعي.

البحث الأول: في موجب اللغة، والحق فيه أن الإيمان عبارة عن التصديق. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف: ١٧] أي، بمصدق، والإسلام عبارة عن التسليم

إنهما شيء واحد) في المعنى والحكم يطلق أحدهما على الآخر، (**وقيل: انهما شيئان**) مفترقان (**لا يتواصلان**) بل مستقلان بذاتهما، (**وقيل: إنهما شيئان ولكن**) مع افتراقهما (**يرتبط أحدهما بالآخر. وقد أورد**) الإمام (**أبو طالب**) محمد بن علي بن عطية الحارثي البصري (**المكي**) في كتابه (**قوت القلوب ولذة المحب والمحبوب**) وقد تقدمت ترجمته في أوّل الكتاب (**في هذا**) الباب (**كلاماً**) إلا أنه (**شديد الاضطراب**) والتدافع (**كثير التطويل**) بايراد العبارات وما كان كذلك فهو قليل الجدوى، (**فلنهجم**) من الهجوم وهو الدخول مرة واحدة بسرعة (**على التصريح بالحق**) الصريح (**من غير تعريج**) أي ميل (**على نقل ما لا تحصيل له**) أي لا زبدة له، (**فنقول: في هذا**) الباب (**ثلاث مباحث**) **الأوّل:** (**بحث عن موجب اللفظين في اللغة**) بفتح الجيم من الموجب (و) الثاني (**بحث عن المراد بهما**) في إطلاق الشرع، (و) الثالث (**بحث عن حكميهما في الدنيا والآخرة، والبحث الأوّل**) من ذلك (**لغوي**) لأنه يبحث فيه عن جوهر لفظيهما، (و) البحث (**الثاني تفسيري**) لأنه يبحث فيه عن اطلاقات القرآن، (و) البحث (**الثالث فقهي شرعي**) لأنه يبحث فيه عما يترتب على المتصف بهما ثواباً وعقاباً.

البحث الأوّل: (**في موجب اللغة**) بفتح الجيم من أوجب عليه كذا، فهو موجب، والمعنى ما يوجبه اللغة إيجاباً، والموجب بالكسر هو الذي يجب صدور الفعل عنه بأن كا ن علة تامة له من غير قصد وارادة، وهذا هو الموجب بالذات ومثلوه بوجوب صدور الإحراق من النار، ويراد بهذا المفهوم وهو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق. (**والحق فيه أن الإيمان عبارة**) والعبارة ما استفيد من لفظ أو غيره مع بقاء رسم ذلك الغير (**عن التصديق**) هو أن تنسب باختيارك الصدق إلى المخبر أو المخبر عنه، والصدق مطابقة القول الضمير والمعبر عنه معنى، ثم استعماله في التصديق إما مجاز لغوي أو حقيقة لغوية أشار إليه السيد في حاشية الكشاف. (**قال الله تعالى**) في قصة اخوة سيدنا يوسف عليه السلام: (**وما أنت بمؤمن لنا**) ولو كنا صادقين﴾ [يوسف: ١٧] (**أي بمصدق**) فهذا هو مفهوم الإيمان لغة، وهمزه آمن للتعدية أو الصيرورة،

والاستسلام بالإذعان والانقياد، وترك التمرد والإباء والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب، واللسان ترجمانه. وأما التسليم؛ فإنه عام في القلب واللسان والجوارح، فإن كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الاباء والجحود، وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح. فموجب اللغة أن الإسلام أعم والإيمان أخص، فكان الإيمان عبارة عن أشرف أجزاء الإسلام، فإذاً كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقاً.

فعلى الأوّل كان المصدق جعل الغير آمنا من تكذيبه، وعلى الثاني كان المصدق صار ذا أمن من أن يكون مكذوباً وباعتبار تضمنه معنى الاقرار والاعتراف يتعدى بالباء كما قال تعالى: ﴿آمن الرسول بما انزل إليه﴾ [البقرة: ٢٨٥] وباعتبار تضمنه معنى الإيمان والقبول يعدى باللام، ومنه: ﴿فآمن له لوط﴾ [العنكبوت: ٢٦] والحكم الواحد يقع تعليقه بمتعلقات متعددة باعتبارات مختلفة مثل (**آمنت بالله**) أي بأنه واحد متصف بكل كمال منزه عن كل وصف لا كما فيه و(**آمنت بالرسول**) أي بأنه مبعوث من الله صادق فيما أخبر به و(**آمنت بالملائكة**) أي بأنهم عباد الله المكرمون، و(**آمنت بكتب الله**) أي بأنها منزلة من عنده، (**والاسلام عبارة عن التسليم**) هو ترك الاعتراض فيما لا يلائم، (**والاستسلام**) هو الانقياد الظاهر فقط والدخول في السلم (**بالاذعان والانقياد**) أي الانجذاب بالباطن (**وترك التمرد**) والعتوّ (**والإباء**) أي الكراهة والامتناع (**والعناد**)، وهو المبالغة في الاعراض ومخالفة الحق، (**وللتصديق**) المتقدم (**محل خاص**) يحل به (**وهو القلب**) الصنوبري، (**و**) أما (**اللسان**) فإنما هو (**ترجمانه**) الذي يعبر عن ذلك المعنى القائم بالقلب، (**وأما التسليم**) المذكور (**فإنه عام في القلب واللسان والجوارح، فإن كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الاباء والجحود**) أي الإنكار، (**وكذلك الاعتراف باللسان**) أي الإقرار، (**وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة**) بفتح الجيم. (**إن الإسلام أعم**) من الإيمان (**و**) أن (**الايمان أخص**) من الإسلام، (**وكان الإيمان عبارة عن أشرف اجزاء الإسلام: فإذاً كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقاً**).

قال الإمام السبكي: اشتهر المغايرة بالعموم والخصوص المطلق، فكل إيمان إسلام ولا ينعكس، ثم اختار أن الظاهر تساويها أو تلازمها بمعنى أن الإسلام موضوع لانقياد الظاهر مشروطاً فيه الإيمان، والايمان موضوع للتصديق الباطن مشروطاً فيه القول عند الإمكان، فثبت تلازمها وتغايرهما. ولا يقال كل ايمان إسلام ولا كل إسلام إيمان، ولا تنافي أن يكون المتباينان متلازمين لأن معنى التباين أن لا يصدقا على ذات واحدة وإن تلازما في الوجود. هذا في الإسلام المعتد به. وقول من قال: كل إيمان إسلام ولا عكس أطلق الإسلام على ما يعتد به وعلى ما لا يعتد به، ثم فيه مع ذلك تجوّز، وتحرير العبارة أن يقال: كل ايمان يلزمه الإسلام ولا ينعكس. وأما قول من قال: كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فإن جعلت الايمان لا يحصل مسماه إلا

البحث الثاني: في إطلاق الشرع، والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالها على سبيل الترادف والتوارد، وورد على سبيل الاختلاف، وورد على سبيل التداخل، أما الترادف ففي قوله تعالى: ﴿فأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِن الْمُؤْمِنِينَ* فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بيتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥ - ٣٦]، ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد. وقال تعالى: ﴿يا قَوْمِ إنْ كُنْتُم آمَنْتُم باللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إن كُنْتُمْ مُسْلِمِين﴾ [يونس: ٨٤]، وقال ﷺ: « بني الإسلام على خمس »؛ وسئل رسول الله ﷺ مرة عن الإيمان

بشرط اللفظ فيصح، وإن جعلته يحصل مسماه لكن لا يعتد به شرعاً إلا بالتلفظ لا يصح اهـ.

(**البحث الثاني: في إطلاق الشرع**) كيف هو كتاباً أو سنّة، (**والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالها على**) انحاء شتى منها. على (**سبيل الترادف**) وهو الاتحاد في المفهوم أو توالي الألفاظ المفردة الدالة على مسمى واحد، (**و**) في معناه (**التوارد، وورد**) أيضاً (**على سبيل الاختلاف**) والتقابل بحيث يكون كل منها منفرداً في المفهوم، (**وورد**) أيضاً (**على سبيل التداخل**) بأن يتصوّر حصول المفهوم تارة في هذا وتارة في هذا، ثم شرع في بيان ذلك فقال: (**أما الترادف ففي قوله تعالى**) في قصة لوط عليه السلام، ﴿**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين* فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦] والضميران عائدان إلى القرية (**ولم يكن بالاتفاق إلا أهل بيت واحد**) لوط وبناته، وهو قول جماعة من المحدثين وجمهور المعتزلة والمتكلمين، ووجه استدلالهم من الآية استثناء المسلمين من المؤمنين، والأصل في الاستثناء كون المستثنى من جنس المستثنى منه، فيكون الإسلام هو الإيمان. (**وقال تعالى**) في مثله (﴿**وقال موسى: يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين**﴾) [يونس: ٨٤] فعجز الآية يشهد على صدرها بأنهما شيء واحد. ومما يستدل به على ترادفهما أيضاً قوله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ [آل عمران: ٨٥] ووجه الدلالة أن الايمان لو كان غير الإسلام لما كان مقبولاً فتعين أن يكون عينه لأن الايمان هو الدين والدين هو الإسلام لقوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران: ١٩] فينتج أن الايمان هو الإسلام، (**و**) من السنّة (**قال رسول الله ﷺ: « بني الإسلام على خمس**) شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان ». قال العراقي: أخرجاه من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: أخرجاه في كتاب الايمان والبخاري وحده في التفسير أيضاً من طريق عكرمة بن خالد عن ابن عمر.

وفي القوت: رواه جرير بن عبدالله، عن سالم بن الجعد، عن عطية مولى ابن عامر، عن زميل بن بشير قال: أتيت ابن عمر فجاءه رجل فقال: يا عبدالله مالك تحج وتعتمر وقد تركت الغزو؟ فقال: « ويلك إن الإيمان بني على خمس تعبد الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان » كذلك حدثنا رسول الله ﷺ.

فأجاب بهذه الخمس. وأما الاختلاف فقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ولٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، ومعناه استسلمنا في الظاهر، فأراد بالإيمان ههنا التصديق بالقلب فقط وبالإسلام الاستسلام ظاهراً

قلت: وليس فيه ذكر الشهادتين فإما أنه اختصار من الراوي أو تركها اعتماداً على الشهرة فتأمل.

(**وسئل رسول الله ﷺ مرة عن الإيمان فأجاب بهذه الخمس**) المراد بالخمس المذكورة ما تقدم في الحديث قبله: الشهادتان والصلاة والزكاة والحج والصوم. قال العراقي: أخرجه أحمد والبيهقي في الاعتقاد من حديث ابن عباس في قصة وفد عبدالقيس «تدرون ما الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت الحرام» والحديث في الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزاد: «وان تؤدّوا خمساً من المغنم» اهـ.

قلت: أخرجه البخاري في عشرة مواضع من كتابه في الإيمان، وفي خبر الواحد، وفي كتاب العلم، وفي الصلاة، وفي الزكاة، وفي الخمس، وفي مناقب قريش، وفي المغازي، وفي الأدب، وفي التوحيد. وأخرجه مسلم في الإيمان، وفي الأشربة. وأبو داود والترمذي، وقال حسن صحيح. أي: قال صحيح، والنسائي في العلم، وفي الإيمان، وفي الصلاة وإنما لم يذكر الحج في هذه القصة اقتصاراً لهم على ما يمكنهم فعله في الحال، أو لكونه لم يكن لهم سبيل إليه من أجل كفار مضر، أو لكونه على التراخي، أو لكونه لم يفرض إلا في سنة تسع ووفادتهم في سنة ثمان قاله عياض. والأرجح انه فرض سنة ست أو أخبرهم ببعض الأوامر أقوال على أن زيادة الحج موجودة في صحيح أبي عوانة، وفي السنن الكبرى للبيهقي، وفي كتاب القوت. وعلى هذا أخبر رسول الله ﷺ عن الإيمان والإسلام بوصف واحد فقال في حديث ابن عمر: «بني الإسلام على خمس» الحديث. وقال في حديث ابن عباس حين وفد عبدالقيس لما سألوه عن الايمان فذكر هذه الأوصاف، فدل بذلك أنه لا ايمان باطن إلا بإسلام ظاهر، ولا إسلام علانية إلا بإيمان سريرة وأن الإيمان والعمل قرينان إلى آخر ما قاله. (**وأما**) استعمالها على سبيل (**الاختلاف فقوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾**) [الحجرات: ١٤]، نزلت في نفر من بني أسلم قدموا المدينة في سنة جدبة، فأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون، فقال تعالى لرسوله ﷺ: قل يا محمد لم تؤمنوا إذ الايمان تصديق مع طمأنينة قلب، ولكن قولوا: أسلمنا (**ومعناه استسلمنا في الظاهر**) أي انقدنا ودخلنا في السلم، وكان نظم الكلام أن يقول: لا تقولوا آمنا وقولوا أسلمنا إذ لم تؤمنوا ولكن أسلمتم فعدل عنه إلى هذا النظم ليفيد تكذيب دعواهم، (**فأراد بالإيمان ههنا تصديق القلب فقط**) أي مع ثقة وطمأنينة، (**وبالإسلام الاستسلام**) أي الانقياد (**ظاهراً باللسان والجوارح**). قال الإمام أبو بكر بن

باللسان والجوارح. وفي حديث جبرائيل عليه السلام لما سأله عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره، فقال: فما الإسلام؟ فـأجاب بذكر الخصال الخمس». فعبر بالإسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل. وفي الحديث عن سعد أنه ﷺ: «أعطى رجلاً عطاء ولم

الطيب: في هذه الآية رد على الكرامية ومن وافقهم من المرجئة في قولهم: إن الايمان إقرار باللسان فقط، وقد بوّب البخاري على حديث سعد الآتي فقال في عنوانه: إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل ثم أورد الآية المذكورة، وأنكر أبو طالب المكي رحمه الله أن تكون هذه الآية من باب الاختلاف كما سيأتي بيان ذلك. **(وفي حديث جبريل عليه السلام لما سأله عن الايمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت وبالحساب والقدر خيره وشره، قال: فما الإسلام؟ فذكر الخمس خصال»)**. هكذا هو نص القوت، ووجد في بعض نسخ الإحياء زيادة واليوم الآخر بعد قوله ورسله. **(فعبّر بالإسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل)**، فدل على اختلافهما في الحكم. قال العراقي: أخرجاه من حديث أبي هريرة دون ذكر الحج، ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب، فرواه البيهقي في البعث اهـ.

قلت: أخرجه البخاري في الايمان، وفي التفسير، وفي الزكاة مختصراً. ومسلم في الإيمان. وابن ماجة في السنّة بتمامه، وفي الفتن ببعضه. وأبو داود في السنّة، والنسائي في الايمان، وكذا الترمذي، وأحمد، والبزار بإسناد حسن، وأبو عوانة في صحيحه. وأخرجه مسلم أيضاً عن عمر بن الخطاب، ولم يخرجه البخاري من طريقه لاختلاف فيه على بعض رواته. أوضحت ذلك في كتاب (الجواهر المنيفة في بيان أصول أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة) فراجعه إن شئت. ثم أن البخاري أورده في كتاب الإيمان من طريق أبي حيان التميمي، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة بلفظ: «الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وبرسله وأن تؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان» الحديث. وليس فيه ذكر الحج أفاد هو لا من الراوي بدليل مجيئه في رواية كهمس وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. وقيل: لأنه لم يكن فرض وهو مدفوع كما تقدم، ولم يذكر الصوم في رواية عطاء الخراساني، واقتصر في حديث أبي عامر على الصلاة والزكاة ولم يزد في حديث ابن عباس على الشهادتين، وزاد سليمان التيمي بعد ذكر الجميع الحج والاعتمار والاغتسال من الجنابة وإتمام الوضوء.

تنبيه:

وجه الدلالة من الحديث التفريق بين الإيمان والإسلام، فجعل الايمان عمل القلب، والإسلام عمل الجوارح. فالإيمان لغة التصديق مطلقاً. وفي الشرع التصديق والنطق معاً فأحدهما ليس بإيمان، فتفسيره في الحديث الايمان بالتصديق والاسلام بالعمل يدل على اختلافهما.

يعط الآخر، فقال له سعد: يا رسول الله تركت فلاناً لم تعطه وهو مؤمن؟ فقال ﷺ: أو مسلـم فأعاد عليه فأعاد رسول الله ﷺ» وأما التداخل فما روي أيضاً أنه سئل،

(**وفي حديث سعد**) بن أبي وقاص الزهري رضي الله عنه أحد العشرة المبشرة المشهود لهم بالجنة وآخر من توفي منهم سنة سبع وخمسين (**أنه ﷺ: «أعطى رجلاً عطاء ولم يعطِ الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلاناً لم تعطِه وهو مؤمن فقال ﷺ: أوَمسلم فرد عليه فأعاده رسول الله ﷺ»**). هكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: أخرجاه بنحوه اهـ.

قلت: أخرجاه في الإيمان والزكاة من طريق شعيب، عن الزهري، عن عامر بن سعد، عن أبيه. وأخرجه عبدالرحمن بن عمر[1] في كتاب الايمان من طريق يونس عن الزهري: ليس فيه إعادة السؤال ولا الجواب عنه، وأخرجه أحمد والحميدي في مسنديهما، عن عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري. وعند البخاري في كتاب الزكاة من طريق صالح عن الزهري، ولفظه في كتاب الإيمان: «أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً وسعد جالس فترك رجلاً هو أعجبهم إليَّ. فقلت يا رسول الله، مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً؟ فقال: أو مسلماً فسكت قليلاً ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي فقلت: مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً. فقال: أو مسلماً فسكت قليلاً ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي وعاد رسول الله ﷺ ثم قال يا سعد؛ إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه خشية أن يكبه الله في النار» معنى الحديث أن النبي ﷺ أعطي بحضور سعد جماعة من المؤلفة شيئاً من الدنيا لما سألوه يستألفهم لضعف ايمانهم، فترك رجلاً في الجماعة هو جعيل بن سراقة الضمري المهاجري أحد أصحاب الصفة. قال سعد: هو أصلحهم وأفضلهم في اعتقادي فلم يعطه. وقوله: لأراه بفتـح الهمزة أي أعلمه. وفي رواية أبي ذر بضمها بمعنى أظنه، وبه جزم القرطبي في المفهم، وكذا رواه الاسماعيلي وغيره ولم يجوّزه النووي في شرحه على البخاري محتجاً بقوله: ثم غلبني ما أعلم منه. ولأنه راجع مراراً فلو لم يكن جازماً باعتقاده لما كرره وتعقب بأنه لا دلالة فيه على تعين الفتح لجواز إطلاق العلم على الظن الغالب كما قاله البيضاوي.

وقوله: أو مسلماً بسكون الواو فقط ومعناه النهي عن القطع بإيمان من لم يختبر حاله الخبرة الباطنة، لأن الباطن لا يطلع عليه إلا الله تعالى، فالأولى التعبير بالإسلام الظاهر، وإنما لم يقبل ﷺ قول سعد في جعيل، لأنه لم يخرج مخرج الشهادة، وإنما هو مدح له وتوصل في الطلب لأجله ولهذا ناقشه في لفظه.

وقوله: خشية أن يكبه الله في النار أي لكفره إما بارتداده إن لم يعط أو لكونه ينسب رسول الله ﷺ إلى البخل، وأما من قوي إيمانه فهو أحب إليّ فأكِله إلى إيمانه ولا أخشى عليه رجوعاً

---

(١) بياض في الأصل.

فقيل: أي الأعمال أفضل؟ فقال ﷺ: «الإسلام». فقال: أي الإسلام أفضل؟ فقال ﷺ: «الإيمان». وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أوفق الاستعمالات في

عن دينه ولا سوء في اعتقاده، واستدل به عياض على عدم ترادف الايمان والإسلام، وقد ظهر مما تقدم أن صاحب القوت أورد هذا الحديث رواية بالمعنى، والمصنف تبعه في سياقه.

(وروي أيضاً أنه) ﷺ (سئل أي الأعمال أفضل؟ فقال ﷺ: «الإسلام». فقال) أي السائل: **(أي الإسلام أفضل؟ فقال ﷺ: «الإيمان»)** هكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: أخرجه أحمد والطبراني من حديث عمرو بن عبسة بالشطر الأخير. قال رجل: يا رسول الله؛ أي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان» الحديث وإسناده صحيح لكنه منقطع اهـ.

ووجدت في حاشية كتاب المغني ما نصه: علقه البخاري ووصله الحاكم في الأربعين.

قلت: والذي في الصحيح من حديث عبدالله بن عمر سأل رجل رسول الله ﷺ: أيّ الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف». ومن حديث أبي هريرة سئل رسول الله ﷺ: أيّ العمل أفضل؟ قال: «ايمان بالله ورسوله» الحديث، وأخرجه أيضاً مسلم والنسائي والترمذي بألفاظ. **(وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل)**. أما على الاختلاف فظاهر سياق كل ذلك واضح لمن تأمله، وأبى في كل ذلك الشيخ أبو طالب المكي إلا أن يكون على التداخل، ونحن ذاكرون كلامه على الاختصار، وإن كان في سياق المصنف الآتي إلمام به قال: الإيمان والإسلام إسمان بمعنى واحد. وقد جعل الله ضدهما واحداً وهو الكفر فلولا أنهما كشيء واحد في الحكم والمعنى ما كان ضدهما واحداً، ثم ساق آيات من القرآن تدل على ذلك. منها قوله تعالى: ﴿أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ٨٠]. ثم قال، وعلى هذا أخبر ﷺ عنهما بوصف واحد، فأورد حديث ابن عمر «بني الإسلام على خمس». وحديث ابن عباس في وفد عبد القيس، ثم قال: فدل على أن الايمان والعمل قرينان لا ينفع أحدهما دون صاحبه، ولا يصح أحدهما إلا بالآخر. كما لا يصحان ولا يوجدان معاً إلا بنفي ضدهما، ثم قال: وقد اشترط الله عز وجل للإيمان العمل الصالح ونفي النفع بالإيمان إلا بالعمل ووجوده، واشترط للإيمان الإسلام، ثم أورد آيات من القرآن تدل على ذلك، ثم قال: فشرط الايمان العمل والتقوى كما اشترط للأعمال الصالحة الايمان، فكما أن أعمال العبد الصالحات لا تنفعه إلا بإيمان، فكذلك لو آمن بالإيمان لله عز وجل لم ينفعه إلا بالأعمال الصالحة. وفي وصية لقمان لابنه: يا بني لا يصلح الزرع إلا بالماء، فكذلك لا يصلح الإيمان إلا بالعلم والعمل. وأما تفرقة النبي ﷺ في حديث جبريل لما سأله عن الإيمان والإسلام، فإن ذلك تفضيل أعمال القلوب وعقودها على ما يوافق هذه المعاني التي وصفها لأن تكون عقوداً من تفضيل أعمال الجوارح، وفيما يوجب الأفعال الظاهرة التي وصفها أن تكون علانيته أن ذلك تفريق بين الإسلام والإيمان في المعنى باختلاف وتضادد ليس فيه دليل أنهما مختلفان في الحكم، وقد يجتمعان في عبد واحد مسلم مؤمن فيكون ما ذكرناه من عقود القلب ووصف قلبه ما ذكره

....

من العلانية وصف ظاهر حسي الدليل على ذلك انه جعل وصف الاثنين معنى واحداً، ثم قال: والوجه الثاني من تأويل الخبر أن معنى قوله: «أو مسلم» يعني به أو مستسلم، فإذا جمع بين عقود القلب وبين أعمال الجوارح كان مسلماً مؤمناً، ومن لم يقل بهذا الذي ذكرنا فقد كفر أبا بكر رضي الله عنه، وجهله في قتال أهل الردّة وادعى عليه أنه قتل المؤمنين لأن القوم قد جاؤوا بعقود الإيمان ولم يجحدوا أكثر الأعمال، وإنما أنكروا الزكاة فاستحل قتلهم وواطأه الصحابة حتى استتاب من رجع منهم.

وأما حديث سعد الذي ظاهره أن النبي ﷺ فرّق بين المسلم والمؤمن، فإنما فيه دليل على تقوية الإيمان والإسلام في التفاضل والمقامات، أي: ليس هو من خصوص المؤمنين ولا أفاضلهم، وكشف عن مقامه الذي خفي على سعد، كما كشف عن مقام حارثة عن حقيقة إيمانه، وكان خاملاً لا يؤبه به، فقال: كيف أصبحت يا حارثة؟ فنطق بوجده عن مشاهدته فقال له: عرفت فالزم، فهذا دليل لنا في تفضيل مقام الايمان على مقام الإسلام، وأن المؤمنين متفاضلون في الإيمان وإن تساووا في أعمال الجوارح من الإسلام، وأن الإيمان لا حدّ له وإن كان صحته بحدود الإسلام، فآثر رسول الله ﷺ الذي آمن طوعاً على الذي آمن كرهاً. وكان ﷺ إنما يعطي المؤلفة الرؤساء ومن لا يؤمن عاديته وجمعه على المسلمين تحريضاً للمشركين، كما أكرم الرجل بعدما تكلم فيه فقيل له في ذلك؛ فقال: هذا أحمق مطاع، فأما الأتباع والسفلة من المؤلفة فلم يكن يؤثرهم بالعطاء، بل كان يؤثر المؤمنين ويقدمهم على أراذل المؤلفة وضعفائهم.

قلت: وهذا التوجيه لا يكاد يصح لما قدمنا أن الرجل المبهم في الحديث المذكور هو جعيل بن سراقة الضمري من المهاجرين ومن أهل الصفة ولم يكن من اتباع المؤلفة، ولو كان كما قال أنه من أراذل المؤلفة لم يسع سعداً رضي الله عنه كثرة المراجعة والتكرار مع رسول الله ﷺ في شأنه وقوله فيه: هو أعجبهم إليَ فتأمل ذلك.

ثم قال صاحب القوت: فإن قيل: قد روي في آخر هذا الحديث في بعض الروايات ما يرد على هذا التأويل، فإن الرجل كان فاضلاً لا أنه كان مستسلماً وهو أن في الحديث قال النبي ﷺ: «إني لأعطي قوماً وامنع آخرين أكلهم إلى ما جعل الله في قلوبهم من الإيمان» قيل: إن هذا كلام مستأنف من رسول الله ﷺ إفادة للقائل لأنه بعث بجوامع الكلام، وكان يُسأل عن الشيء فيخبر به ويزيد عليه للبيان والهداية الذي أعطي فكأنه أراد أن يخبر بتنويع العطاء وبضروب المعطين من الناس هذا للحاجة وهذا للفضل، وهذا للتأليف لا أن الذي منعه كان أفضل من الذي أعطاه، إذ لو كان الأمر كما قال هذا القائل كان الإسلام أفضل من الإيمان ولكان المسلمون أفضل من المؤمنين، ولم يقل هذا أحد من العلماء لأن الايمان خاص فبه التفاوت والمقامات فهو مشتمل على الإسلام والإسلام داخل فيه، والمؤمنون هم خصوص المسلمين ومنهم المقربون والصديقون والشهداء، والإسلام عمل محدود يوصف به عموم المؤمنين ويدخل فيه

....

صاحب الكبائر ولا يخرج منه من فارق الكفر ووقع عليه اسم الايمان، فعلى اجماعهم أن الإيمان على إسقاط فهم من وهم أن لرجل كان أفضل. كيف وقد روينا في تخصيص الايمان عن النبي ﷺ أيضاً أنه سئل أي الأعمال أفضل؟ قال: «الإسلام». ثم ساق الحديث الذي أورده المصنف، ثم قال: فجعل الايمان مقاماً في الإسلام ففي هذا الحديث أيضاً تخصيص الايمان على لإسلام لا تفرقة بينهما بمعنى قوله في وصف الرجل: «أوْ مُسلم» فدل على بطلان ما تأوّله القائل. لأن هذه اللفظة بألف الاستفهام والعرب لا تستعمل هذا في عرف الكلام إلا في الوصف إلى نقص وإلى الحال الأدنى فافهم ذلك.

قلت: وهذا التوجيه الذي ذكره بعيد أيضاً والاستئناف الذي ادعاه في كلام رسول الله ﷺ لم ينل به أحد من المحدثين، وبقية الحديث الذي ذكرها أوردها بالمعنى لا باللفظ، وقد تقدم لفظ الحديث من الصحيحين، وقوله: لأن هذه اللفظة بألف الاستفهام غير صحيح، فقد ضبط شراح الحديث أنه بسكون الواو وأنه للاضراب. كذا قاله الزركشي، وإن تعقبه الدماميني بأن سيبويه يرى للاضراب شرطين: تقدم نفي أو نهي، وإعادة العامل نحو ما قام زيد أو ما قام عمرو، ولا يقم زيد أو لا يقم عمرو، وكلاهما منتف في الحديث فإن بعض البصريين يرون الإضراب مطلقاً، ثم أن الاضراب هنا ليس بمعنى كون إنكار الرجل مؤمناً بل معناه النهي عن القطع بأيمان من لم يختبر حاله الخبرة الباطنة كما قدمناه، ومنهم من جعل: «أو» هنا للشك والمعنى لأراه مؤمناً أو مسلماً أرشده بذلك إلى حسن التعبير بعبارة سالمة عن الحرج إذ لا بتّ فيها بأمر باطن لا يطلع عليه فتأمل.

ثم قال صاحب القوت: وأما قوله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا﴾ [الحجرات: ١٤] الآية، فإن هذا أيضاً من هذا النوع معناه قولوا استسلمنا حذر القتل وهؤلاء ضعفاء المؤلفة، لأن أراذلهم كانوا ينقمون على رسول الله ﷺ ايثاره وتقديمه للمؤمنين بالعطاء عليهم، فقالوا: لم تعطنا كما تعطي المؤمنين، فإنا مؤمنون مثلهم، فأخبر بذلك عنهم وأكذبهم في دعواهم الايمان، ففيه دليل أن النبي ﷺ لم يكن يعطي هذا الضرب من المؤلفة، وليس في الآية تفريق بين الإسلام والإيمان بدليل قوله تعالى في الآية التي بعدها ﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ [الحجرات: ١٧] الآية، فسمى إسلامهم ايماناً لأنه عطف بعض الكلام على بعض، وردّ أوله إلى آخره للمنة على رسول الله ﷺ فأثبت المن عليهم بتقديم آخر الاسم على أوله، وغاير بين اللفظين فلم يرد إحداهما على الأخرى، فيقول: إن هداكم للإسلام لاتساع لسان العرب وليفيدنا فضل بيان، وأن الإيمان والإسلام إسمان لمعنى، فهو كقوله تعالى: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين﴾ [الذاريات: ٣٥] الآية.

قلت: وربما هذه الآية تضادها الآية الأخرى: ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾، فإنهما لو كانا شيئاً واحداً للزم اثبات شيء ونفيه في حالة واحدة، وقد يجاب بأن الإسلام المعتبر في

اللغة، لأن الإيمان عمل من الأعمال وهو أفضلها، والإسلام هو تسليم إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح، وأفضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايماناً والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف. وعلى سبيل التداخل، وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوّز في اللغة. أما الاختلاف فهو أن يجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط، وهو موافق للغة، والإسلام عبارة عن التسليم ظاهراً وهو أيضاً موافق للغة، فإن التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم، فليس من شرط حصول الإسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه، فإن من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامساً، وإن لم يستغرق جميع بدنه، فإطلاق إسم الإسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات: ١٤]، وقوله ﷺ في حديث سعد: « أو

الشرع لا يوجد بدون الإيمان وهو في الآية بمعنى الانقياد الظاهر من غير انقياد الباطن.

ولنعد إلى حل عبارة المصنف رحمه الله تعالى قال: **(وهو)** أي وروده على سبيل التداخل **(أوفق الاستعمالات في اللغة)** وفي بعض النسخ: لاستعمالات اللغة، وإنما كان أوفق **(لأن الإيمان عمل من الأعمال وهو أفضلها)** أي الأعمال، **(والإسلام هو تسليم إما بالقلب)** وهو الاعتقاد الجازم، **(وإما باللسان)** وهو الاقرار، **(وإما بالجوارح)** وهو العبادات، **(وأفضلها)** أي تلك الثلاثة **(الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايماناً)**. وإلى هذا أشار صاحب القوت فيما تقدم من تقريره **(والاستعمال لهما)** أي للإسلام والايمان **(على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوّز في اللغة)** أي: أن اللغة العربية لاتساعها تجوز إطلاق كل ما ذكر في محالها. **(أما الاختلاف فهو أن تجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط)** أي قبول القلب وإذعانه لما علم بالضرورة أنه من دين محمد ﷺ من غير افتقار إلى نظر واستدلال، وهو المختار عند جمهور الأشاعرة، وبه قال الإمام أبو منصور الماتريدي، **(وهو موافق للغة)** إلا أنه في اللغة عبارة عن مطلق التصديق، وكونه عبارة عن تصديق بالقلب نقل عن مفهومه اللغوي **(و)** أن يجعل **(الإسلام عبارة عن التسليم ظاهراً)** وهو الإستسلام والانقياد **(وهو أيضاً موافق للغة، فإن التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه إسم التسليم)** ويتناوله، **(فليس من شرط حصول الاسم)** من الأسماء **(عموم المعنى)** وشموله **(لكل محل يمكن أن يوجد)** ذلك **(المعنى فيه، فإن من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامساً)** لغة **(وإن لم يستغرق)** باللمس **(جميع بدنه، فإطلاق اسم الإسلام على التسليم الظاهر)** فقط **(عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان)** ولو من وجه. **(وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى: ﴿ قالت الأعراب آمنا)** قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ [الحجرات: ١٤]، فإن الإسلام انقياد ودخول في السلم وإظهار للشهادة

مسلم» لأنه فضل أحدهما على الآخر، ويريد بالاختلاف تفاضل المسميين. وأما التداخل فموافق أيضاً للغة في خصوص الإيمان، وهو أن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعاً، والإيمان عبارة عن بعض ما دخل في الإسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الإيمان وعموم الإسلام للكل، وعلى هذا خرج قوله: «الإيمان» في جواب قول السائل: «أيّ الإسلام أفضل؟» لأنه جعل الإيمان خصوصاً من الإسلام فأدخله فيه، وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بأن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعاً، فإن كل ذلك تسليم. وكذا الإيمان. ويكون التصرف في الإيمان على الخصوص بتعميمه

لا بالحقيقة، ومن ثم قال: ﴿قل لم تؤمنوا﴾ فإن كل ما يكون من الإقرار من غير مواطأة القلب فهو إسلام، (و) كذلك على هذا الوجه (**قوله ﷺ في حديث سعد**) بن أبي وقاص رضي الله عنه («**أوْمُسلم» لأنه فضل أحدهما**) الذي هو الإيمان (**على الآخر**) أي الإسلام، وتقدم ذلك في سياق القوت، (**ويريد بالاختلاف**) المذكور الذي ورد اللفظان على سبيله (**تفاضل المسميين**) أحدهما على الآخر وتفاوتهما في الدرجات والمقامات. (**وأما التداخل فموافق أيضاً للغة**) فإنه دخول أحدهما في ضمن الآخر، (**وهو أن تجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب**) أي الانقياد الباطني، (**والقول والعمل جميعاً**) أي الانقياد الظاهري، (و) تجعل (**الايمان عبارة عن بعض ما دخل في الإسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذي عنيناه**) أي قصدنا (**بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الايمان**) نظراً إلى التصديق القلبي (**وعموم الإسلام**) نظراً إلى شموله (**للكل**) من اللسان والقلب والعمل، (**وعلى هذا خرج قوله**) ﷺ (**«الإيمان» في جواب قول السائل: «أي الإسلام أفضل» لأنه جعل الإيمان خصوصاً من الإسلام فادخله فيه**). قال صاحب القوت: وروي عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين أن الايمان مقصور في الإسلام معناه هو في باطنه. قال: وأدار دائرة، فقال: هذا للإسلام، ثم أدار في وسطه دائرة أخرى صغيرة فقال: وهذا للإيمان في الإسلام، فإذا فعل وفعل خرج من الإيمان وصار في الإسلام يريد به خرج من حقيقة الإيمان وكماله، ولم يكن من الموصوفين الممدوحين بالخوف والورع من المؤمنين لا أنه خرج من الإسم والمعنى حتى لا يكون مؤمناً بالله عز وجل مصدقاً برسله وكتبه. ألا ترى الدائرة الصغيرة غير خارجة عن الدائرة الكبيرة التي أدارها حولها فجعلها فيها لأنها خالصها وقلبها ومخصوصة فيها، ولو كان أراد به يخرج من الإيمان لجعلها دائرتين منفردتين ولم يجعل احداهما وسط الأخرى. (**وأما استعماله على**) سبيل (**الترادف بأن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب**) هو الانقياد الباطني (**والظاهر جميعاً، فإن كل ذلك تسليم**) أي يصدق عليه لغة، (**وكذا الإيمان**) يجعل عبارة عن كل منهما (**ويكون التصرف في الإيمان على الخصوص بتعميمه**) أي جعله عاماً

وإدخال الظاهر في معناه وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته، وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفاً لإسم الإسلام ومطابقاً له فلا يزيد عليه ولا ينقص، وعليه خرج قوله: ﴿فما وَجدْنَا فيهَا غَيْرَ بيْتٍ من المسلمين﴾[الذاريات: ٣٦].

المبحث الثالث: عن الحكم الشرعي. وللإسلام والإيمان حكمان أخروي ودنيوي. أما الأخروي، فهو الإخراج من النار ومنع التخليد إذ قال رسول الله ﷺ: « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان». وقد اختلفوا في أن هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بأن الإيمان ماذا هو؟ فمن قائل أنه مجرد العقد، ومن قائل

(**وإدخال الظاهر في معناه وهو جائز**) لغة (**لأن تسليم الظاهر**) أي انقياده (**بالقول والعمل**) هو (**ثمرة تصديق الباطن ونتيجته**) التي تنشأ عنه، (**وقد يطلق إسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره**) الذي هو خلاصته (**على سبيل التسامح**) والاتساع فيحتاج في فهمه إلى هذا التقدير، (**فيصير بهذا القدر من التعميم مراد فالإسم الإسلام ومطابقاً له**) جمعاً بين المتوافقين وضديها، (**فلا يزيد عليه ولا ينقص، وعليه خرج قوله تعالى: ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾**) [الذاريات: ٣٦]، وصح استثناء المسلمين من المؤمنين.

(**المبحث الثالث: عن الحكم الشرعي**) في الإسلام والإيمان. قال: (**وللإسلام والإيمان**) نظراً إلى الشرع (**حكمان: أخروي**) أي يتعلق بالآخرة (**ودنيوي**) يتعلق بالدنيا (**أما الاخروي: فهو الإخراج من النار**) بعد الدخول فيها (**ومنع التخليد**) أي البقاء أبداً فيها. (**إذ قال رسول الله ﷺ: « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»**). قال العراقي: اخرجاه من حديث أبي سعيد الخدري في الشفاعة وفيه: « اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه» الحديث. ولهما من حديث فيقال « انطلق فاخرج منها ما كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان» لفظ البخاري فيهما، وله تعليقا من حديث أنس. « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من إيمان» وهو عندهما متصل بلفظ « خير » مكان « ايمان ».

قلت: أخرجه البخاري في كتاب الإيمان من طريق هشام الدستوائي، عن قتادة، عن أنس بلفظ « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير» ثم قال: قال أبان، حدثنا قتادة عن أنس رفعه « من إيمان» مكان « خير» وهذا التعليق قد وصله الحاكم في كتاب الأربعين له من طريق موسى بن إسماعيل قال: حدثنا أبان، وأخرجه البخاري أيضاً في التوحيد، ومسلم في الإيمان، والترمذي في صفة جهنم وقال حسن صحيح. (**وقد اختلفوا في أن هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بأن الإيمان ماذا**

يقول أنه عقد بالقلب وشهادة باللسان، ومن قائل يزيد ثالثاً وهو العمل بالأركان،

هو؟ **فمن قائل يقول: إنه**) أي الإيمان (**مجرد العقد**) أي مسمى الإيمان هو مجرد ما عقد عليه القلب من التصديق والقبول والاذعان لما علم بالضرورة انه من دين محمد ﷺ بحيث تعلمه العامة من غير افتقار إلى نظر واستدلال كالوحدانية والنبوّة والبعث والجزاء ووجوب الصلاة والزكاة وحرمة الخمر ونحوها. ويكفي الاجمال فيما يلاحظ إجمالاً كالايمان بالملائكة والكتب والرسل، ويشترط التفصيل فيما يلاحظ تفصيلاً كجبريل وميكائيل وموسى وعيسى والتوراة والإنجيل كما هو مختار الاشاعرة، وبه قال الماتريدية كما تقدمت الإشارة إليه، (**ومن قائل: إنه عقد بالقلب وشهادة باللسان**)، والمراد بالشهادة الاقرار وهو منقول عن الإمام أبي حنيفة، ومشهور عن أصحابه، وعن بعض المحققين من الأشاعرة قالوا: لما كان الإيمان هو التصديق والتصديق كما يكون بالقلب بمعنى إذعانه وقبوله لما انكشف له يكون باللسان بأن يقر بالوحدانية وحقيقة الرسالة، وإذا كان مفهوم الايمان مركباً من التصديقين فيكون كل منهما ركناً في المفهوم، فلا يثبت الإيمان إلا بهما إلا عند العجز عن النطق باللسان، فإن الإيمان يثبت بتصديق القلب فقط في حقه، فهو ركن لا يحتمل السقوط أصلاً، والاقرار قد يحتمل وذلك في حق العاجز عن النطق والمكره، وقد علم من هذا ان الإقرار ركن، وقيل: هو شرط لإجراء أحكام الإسلام واختاره النسفي في العمدة. وقيل: هو مروي عن أبي حنيفة، وإليه ذهب الماتريدي وهو أصح الروايتين عن الأشعري قال: وهذا لأن ضد الإيمان الكفر وهو التكذيب والجحود وهما يكونان بالقلب، فكذا ما يضادهما إذ لا تضاد عند تقدير المحلين.

تنبيه:

والمراد من الأحكام في قولهم اجراء الأحكام أحكام الدنيا من الصلاة خلفه وعليه ودفنه في مقابر المسلمين وعصمة الدم والمال ونكاح المسلمة ونحو ذلك. وفي شرح المقاصد: ولا يخفى أن الإقرار لهذا الغرض أي لإجراء الاحكام لا بد أن يكون على وجه الاعلان والاظهار للإمام وغيره من أهل الإسلام، بخلاف ما إذا كان لإتمام الإيمان فإنه يكفي مجرد التكلم وان لم يظهر على غيره اهـ.

استطراد:

تسمية بعض السلف لإمامنا الأعظم أبي حنيفة رحمه الله مرجئاً كصاحب القوت وغيره، وتبعه القونوي من علمائنا إنما هو لتأخيره أمر صاحب الذنب الكبير إلى مشيئة الله تعالى، والارجاء التأخير لا بالمعاني التي نسبت للمرجئة التي هي قبائح في نفس الأمر كما سيأتي بيانها، وهذا لا يكون قادحاً في منصب إمامنا. وقد ثبت ثبوتاً واضحاً واشتهر أنه من رؤوس أهل السنّة، وأوّل من رد على القدرية والمرجئة والطوائف الضالة يفهم ذلك من سبر كتب مذهبه ومن نسب إليه الارجاء، فبالمعنى المتقدم، وبه كان يقول شيخه حماد بن أبي سلمان وغيره من السلف. ومن

....

الغريب ما نقله القطب الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله سره في كتاب الغنيمة عند ذكر الفرق الغير الناجية حيث قال: ومنهم القدرية وذكر أصنافاً منهم، ثم قال: ومنهم الحنفية وهم أصحاب أبي حنيفة النعمان بن ثابت زعم أن الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله ورسوله، وبما جاء من عنده جملة ما ذكره البرهوتي في كتاب الشجرة اهـ.

قلت: وهكذا نقل أبو الحسن الأشعري في مقالاته عنه، وحكى عنّان وجماعة من أصحاب أبي حنيفة عنه أنه قال: الإيمان هو الاقرار والمعرفة بالله عز وجل والتسليم له والهيبة منه وترك الاستخفاف بحقه، والذي ذكره الصفار في تلخيص الأدلة: انه هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان، هكذا قاله أبي حنيفة. وفي لفظ: معرفة بالقلب واقرار باللسان هكذا ذكره الحارثي في الكشف، ونقل الرواية الأولى كذلك قال: وأراد بالمعرفة التصديق وإذا علمت ذلك فاعلم أن في كلام صاحب الغنيمة نظراً من وجهين.

الأوّل: مخالفته لما نقل عنه أصحابه في الإيمان وأملاه في الفقه الأكبر وغيره مما نسب إليه، وحمل أصحاب أصحابه إلى أصحابهم إلى أن وصل إلينا بالنقل الصحيح المعتبر من طريق صحيح لا مطعن في رواتها لجلالة قدرهم أن يعزوا لمشايخهم ما ليس من معتقداتهم، ونص مذهبه في الإيمان أنه مجرد التصديق القلبي دون الاقرار، فإنه شرط عنده لإجراء أحكام الإسلام على ما تقدم عن النسفي، أو ركن على ما نقله غيره. وقد صرح بذلك سائر كتب العقائد الموضوعة للخلاف بين أهل السنة والجماعة، وبين المعتزلة وأهل البدعة، وعلى التسليم إذا قلنا: إن الإيمان عنده هو المعرفة والاقرار كما نقل عنه جماعة، فإن المعرفة عنده هو التصديق، وعلى تسليم التفريق بينهما هو أولى من أن يقال أن الايمان هو التصديق والاقرار لأن التصديق الناشىء عن التقليد دون التحقيق مختلف في قبوله بخلاف المعرفة الناشئة عن الدلالة مع الاقرار، فإنه ايمان بالاجماع، وأما الإكتفاء بالمعرفة دون الاقرار والاقرار دون المعرفة فهو محل النزاع كما قاله بعض أهل الابتداع.

والثاني: عده المرجئة المذمومة من القدرية من أغرب ما سمع. أين المرجئة من القدرية؟ تلك طائفة وأولئك أخرى، فالمرجئة قالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فزعموا أن احداً من المسلمين لا يعاقب على شيء من الكبائر، فأين هذا الآرجاء من ذلك الارجاء؟ ثم قول إمامنا مطابق لنص القرآن ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨] بخلاف المرجئة حيث لا يجعلون الذنوب ما عدا الكفر تحت المشيئة، وبخلاف القدرية حيث يوجبون العقوبة على صاحب الكبيرة. ومن المرجئة طائفة يقال لهم الجهمية، ولهم أيضاً فضائح يأتي بعضها في هذا الكتاب مع الرد عليهم، والظاهر أن هذه العبارة في الغنيمة مدسوسة عليه كما جرى لغيره من الائمة، ودسوا في كتبهم ما ليس من كلامهم، ومثل القطب قدس الله سره يصون مقام الإمام أبي حنيفة ويناضل عنه. كيف والائمة الكبار من معاصريه كمالك وسفيان والشافعي وإمامه أحمد والأوزاعي وإبراهيم بن أدهم قد أثنوا عليه

ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول: من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف في أن مستقره الجنة وهذه درجة.

وعلى معتقده وفقهه وورعه وخوفه وتضلعه من علوم الشريعة واجتهاده وعبادته، واحتياطه في أمور الدين ما هو مسطور في الكتب المطوّلة، ومحاجته مع جهم بن صفوان في أن الإيمان هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان، وكان جهم يكتفي بالتصديق وإلزامه إياه مشهور في الكتب، وقد حكى الكعبي في مقالاته، ومحمد بن شبيب عن أبي حنيفة في الإيمان كلاماً هو عنه بريء، وكذا اجتماعه بعمر بن أبي عثمان الشمري بمكة، ومناظرته في الإيمان من أكاذيب المعتزلة عن أبي حنيفة لإنكاره عليهم في أصول دياناتهم وجعلهم من أهل الاهواء حنقاً عليه وحسداً، وهو قد برأه الله من كل ذلك فتأمل.

ولنعد إلى شرح كلام المصنف قال: **(ومن قائل يزيد)** على التصديق والاقرار **(أمراً ثالثاً)** وهو **(العمل بالأركان)** أي سائر الجوارح، وهذا قول الخوارج، فمسمى الإيمان عندهم تصديق القلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح، فماهيته على هذا مركبة من ثلاثة، فمن أخل بشيء منها فهو كافر، ولذا قالوا مرتكب الذنب مطلقاً كافر لانتفاء جزء الماهية، والذنوب عندهم كبائر كلها وتعليلهم بانتفاء جزء الماهية مبني على أن لا واسطة بين الإيمان والكفر، أما على ما ذهب إليه المعتزلة من إثبات الواسطة فلا يلزم عندهم من انتفاء الإسلام ثبوت الكفر، وإن وافقوا الخوراج في اعتبار الاعمال فإنهم يخالفونهم من وجهين: **أحدهما**: أن المعتزلة يقسمون الذنوب إلى كبائر وصغائر، وارتكاب الكبيرة عندهم فسق، والفاسق عندهم ليس بمؤمن ولا كافر، بل منزلة بين المنزلتين. **والثاني**: أن الطاعات عند الخوارج جزء كانت فرضاً أو نفلاً، وعند المعتزلة الطاعات شرط لصحة الإيمان، ثم اختلفوا فقال أبو الهذيل العلاف، وعبد الجبار الشرط الطاعات فرضاً كانت أو نفلاً. وقال الجبائي وابنه: وأكثر معتزلة البصرة الشرط هو الطاعات المفترضة من الأفعال والتروك دون النوافل.

تنبيه:

ذكر المصنف في مفهوم الإيمان ثلاثة أقوال: الأول للأشعري، والثاني للحنفية، والثالث للخوارج، وبقي عليه قول من قال: إن مسماه التصديق باللسان فقط أي الاقرار بحقية ما جاء به الرسول بأن يأتي بكلمتي الشهادة، وهو قول الكرامية. وسيأتي للمصنف قريباً. فليس عندهم من شرط كون الإيمان إيماناً وجود التصديق والمعرفة. قالوا: فإن طابق تصديق القلب فهو مؤمن ناج وإلا فهو مؤمن مخلد في النار، فليس لهم كبير خلاف في المعنى. وقيل: الإيمان هو المعرفة فقط وهو قول الجهمية، وقيل: هو الاقرار بشرط التصديق والمعرفة وهو قول عبدالله بن سعيد القطان من أئمة السنّة، ولم يعرج المصنف على هذه الأقوال وقال: **(ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول: من جمع بين هذه الثلاث)** التصديق والاقرار والعمل **(فلا خلاف في أن مستقره الجنة)** باتفاق هؤلاء **(وهذه درجة)** من درجات ست.

والدرجة الثانية: أن يوجد اثنان وبعض الثالث ـ وهو القول والعقد وبعض الأعمال ـ ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر، فعند هذا قالت المعتزلة: خرج بهذا عن الإيمان ولم يدخل في الكفر بل إسمه فاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد في النار، وهذا باطل كما سنذكره.

الدرجة الثالثة: أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح، وقد اختلفوا في حكمه، فقال أبو طالب المكي: العمل بالجوارح من الإيمان

(**والدرجة الثانية: أن يوجد إثنان وبعض الثالث**) ثم بينه بقوله: (**وهو القول**) أي الاقرار باللسان (**والعقد**) القلبي، (**وبعض الأعمال**) القالبية، (**ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر**). وقد اختلف في حد الكبيرة وعد الكبائر، وأحسن ما قيل في حدها هي كل معصية تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة، أو كل ما توعد عليه بخصوصه من الكتاب أو السنّة. وأما عد الكبائر فقد قال الشيخ أبو طالب المكي في القوت: هي أربع من أعمال القلوب والشرك والاصرار والقنوط والامن، وأربع في اللسان شهادة الزور وقذف المحصنات واليمين الغموس والسحر، وثلاث في البطن شرب الخمر والمسكر من الأشربة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا وهو يعلمه. واثنان في الفرج الزنا واللواط، وإثنان في اليد القتل والسرقة. وواحدة في الرجل فرار الواحد من الاثنين يوم الزحف، وواحدة في الجسد وهي عقوق الوالدين وسيأتي لهذا البحث زيادة تحقيق في موضعه من هذا الكتاب، (**فعند هذا قالت المعتزلة**) جمهورهم: (**خرج بهذا**) الارتكاب (**عن**) دائرة (**الإيمان ولم يدخل**) في دائرة (**الكفر بل اسمه الفاسق**) عندهم. فارتكاب الكبيرة عندهم فسق (**وهو على منزلة بين المنزلتين**) ليس بمؤمن ولا كافر (**وهو مخلد في النار**)، ووافقهم الخوارج في أن صاحب الكبيرة مخلد في النار (**وهو باطل لما سنذكره**) بعد.

(**والدرجة الثالثة: أن يوجد**) إثنان (**التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون**) الثالث. أي: (**الأعمال بالجوارح: وقد اختلفوا في حكمه**) مما يتعلق بالآخرة، (**فقال**) الشيخ (**أبو طالب**) محمد بن علي بن عطية الحارثي (**المكي**) رحمه الله تعالى في كتابه قوت القلوب في الباب الثالث والثلاثين منه: (**العمل من الإيمان ولا يتم دونه**)، وهذا يفهم من سياقه في عدة مواضع. منها: قوله: وإن الإيمان والعمل قرينان لا يصح أحدهما إلا بالآخر كما لا يصحان ولا يوجدان معاً إلا بنفي ضدهما وهو الكفر، وقال في موضع آخر: وقد اشترط الله عز وجل للإيمان العمل الصالح ونفي النفع بالايمان إلا بالعمل ووجوده، وقال في موضع آخر شرط الإيمان العمل والتقوى كما أن شرط الاعمال الصالحة الإيمان، وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٣] فصارت الأعمال متعلقة بالإيمان وهما الدين المكمل. وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾ [آل عمران:

ولا يتم دونه، وادعى الاجماع فيه واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى: ﴿الَّذينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصَّالحات﴾ إذ هذا يدل على أن العمل وراء الايمان لا من نفس الإيمان وإلا فيكون العمل في حكم المعاد؟ والعجب أنه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله ﷺ: «لا يكفر أحد إلا بعد جحوده لما أقر به». وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر، والقائل بهذا قائل بنفس مذهب

١٦٧] أراد سبحانه أن قول هؤلاء قول المؤمنين وأن قولهم من أعمالهم لأنهم منفردون بالقول دون العلم، ثم قال بعد ذلك: فاما أن يكون دليلاً أن القول حسب الإيمان كله وأن الإيمان يكون قولاً لا يحتاج إلى عمل، فهذا باطل. **(وادعى الاجماع فيه)** وذلك في قوله بعد ان أورد أثرا عن علي رضي الله عنه: الإيمان قول باللسان وعقد بالقلب وعمل بالاركان. فأدخل أعمال الجوارح في عقود الايمان، وأيضاً فإن الامة مجمعة: أن العبد لو آمن بجميع ما ذكر في عقود القلب في حديث جبريل عليه السلام، ثم لم يعمل بما ذكرناه من وصف الإسلام بأعمال الجوارح أنه لا يسمى مؤمناً وإنه إن عمل بجميع ما وصف به الإسلام ولا يعتقد ما وصف الإيمان أنه لا يكون مسلماً، وقد أخبر نبي الله ﷺ أن أمته لا تجتمع على ضلالة. فهذه العبارة تشعر بدعوى الإجماع، **(واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه)** الذي ساق الكلام لأجله **(كقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾)** وكقوله تعالى: ﴿الا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ [الفرقان: ٧] وكقوله تعالى: ﴿إلا من آمن وعمل صالحاً﴾ [سبأ: ٣٧] وكقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ [الزخرف: ٦٩] وكقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [يوسف: ٦٣] **(إذ هذا يدل على أن العمل وراء الإيمان)** أي غيره ودونه **(لا من نفس الإيمان)** أي من ماهيته **(وإلا فيكون العمل من المعاد)** أي المكرر. وهذا نقيض مطلوبه الذي هو اثبات كون العمل من الإيمان وانه لا يتم بدونه. **(والعجب)** منه **(أنه ادعى الاجماع)** أي إجماع الأمة **(في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله ﷺ)** ونصه «أن الإيمان والعمل قرينان لا ينفع أحدهما دون صاحبه ولا يصح أحدهما إلا بالآخر كما لا يصحان ولا يوجدان معا إلا بنفي ضدهما وهو الكفر» كما روي عن رسول الله ﷺ: «**(لا يكفر أحد إلا بجحوده بما أقرَّ به)**». ونص القوت إلا بجحود ما أقرَّ به. وفي بعض نسخ الإحياء إلا بعد جحوده لما أقرَّ به. قال العراقي: أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد بلفظ «لن يخرج أحد من الإيمان إلا بجحوده ما دخل فيه» واسناده ضعيف اهـ.

قلت: وهكذا هو في الجامع الكبير للسيوطي، والجحد والجحود يقال فيما ينكر باللسان لا بالقلب. **(وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر)** ونصه: وجميع ما شرحناه وذكرناه عن السلف الصالح يبطل قول المرجئة والكرامية والأباضية، ويدحض دعواهم في أن الإيمان قول أو معرفة أو عقد بلا عمل، وهو رد على القائلين بالمنزلة بين المنزلتين الذين

المعتزلة، إذ يقال له: «من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو في الجنة»، فلا بدّ أن يقول نعم، وفيه حكم بوجود الإيمان دون العمل، فنزيد ونقول لو بقي حياً حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أو زنى ثم مات، فهل يخلد في النار، فإن قال نعم فهو مراد المعتزلة، وإن قال: لا، فهو تصريح بأن العمل ليس ركناً من نفس الإيمان ولا شرطاً في وجوده ولا في استحقاق الجنة به، وإن قال: أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شيء من الأعمال الشرعية، فنقول فما ضبط تلك المدة، وما عدد تلك الطاعات التي بتركها يبطل الايمان، وما عدد الكبائر التي بارتكابها يبطل الايمان؟ وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر إليه صائر أصلاً.

يقولون مؤمن وفاسق وكافر، فلا يجعلون الفاسق مؤمناً. وهو ردّ على الخشبية والحزمية والقطعية والحرورية أصناف من الخوارج يقولون: من أتى كبيرة خرج من الإيمان وأن أهل الكبائر كفار يحل قتلهم، وقد ابتلينا بطائفتين مبتدعتين متضادتين في المقالة المرجئة والمعتزلة. قالت المرجئة: الفاسق ليس بمؤمن وإن مات على صغيرة من الصغائر من غير توبة دخل النار لا محالة ولم يخرج منها خالداً مع الكفار. ونقول: إن الصواب في ذلك أن الفاسق مؤمن لا يخرجه فسقه من الإيمان وحكمه، ولكن لا ندخله في المؤمنين حقاً في الصديقين والشهداء، وإن أهل الكبائر قد استوجبوا الوعيد ودخول النار، وجاز أن يعفو الله عنهم بكرمه ويسمح لهم بجوده إلى آخر ما قاله.

ثم قال المصنف: (**والقائل بهذا**) أي بما تقدم (**قائل بنفس مذهب المعتزلة**) ووارد على معتقدهم. (**إذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال**) من غير أن يأتي بعمل (**فهل هو في الجنة**) أم لا، (**فلا بد أن يقول**) قائل هذا القول (**نعم**) هو في الجنة إذ وجد عنده مسمى الايمان، (**و**) لا يخفى أن (**فيه حكماً بوجود الإيمان دون**) وجود (**العمل، فنزيد ونقول: لو بقي حياً حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات، أو زنى ثم مات فهل يخلد في النار**)؟ الاولى لترك العمل والثانية لارتكاب الكبيرة، (**فإن قال: نعم**) يخلد فيها (**فهو مراد المعتزلة، وإن قال: لا**) يخلد فيها كما هو مذهب أهل السنّة (**فهو تصريح بأن العمل ليس ركناً من نفس الإيمان**) أي من ماهيته بحيث ينتفي بانتفائه (**ولا شرطا في وجوده**) أي الإيمان كما قاله بعض المبتدعة (**ولا في استحقاق الجنة به**) كما قاله المرجئة، (**وإن قال: أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شيء من الأعمال الشرعية**) والطاعات البدنية إذاً يقال له: (**فما ضبط تلك المدة**) التي وصفتها بالطول، (**وما عدد تلك الطاعات التي بتركها يبطل الإيمان، وما عدد الكبائر التي بارتكابها يبطل الإيمان؟ وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر إليه صائر أصلاً**) أي لم يذهب إليه ذاهب مطلقاً.

الدرجة الرابعة: أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال ومات، فهل يقول مات مؤمناً بينه وبين الله تعالى، وهذا مما اختلف فيه. ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد إذ قال ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان». وهذا قلبه طافح بالإيمان، فكيف يخلد في النار؟ ولم يشترط في حديث جبرائيل عليه السلام للإيمان إلا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق.

الدرجة الخامسة: أن يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها، ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار، والإيمان هو التصديق المحض واللسان

(**الدرجة الرابعة**): من الدرجات الست (**أن يوجد التصديق بالقلب**) وهو إذعانه لما كشف له (**قبل أن ينطق باللسان**) اقراراً وشهادة، (**أو يشتغل بالأعمال**) الشرعية (**ومات**). وفي بعض النسخ: فقبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال مات، (**فهل نقول**) فيه أنه (**مات مؤمناً بينه وبين الله تعالى**) بناء على أن التصديق القلبي كاف في مفهوم الإيمان، (**وهذا مما اختلف فيه، ومن شرط القول**) أي جعل الإقرار شرطاً (**لتمام الإيمان**) لا لإجراء الأحكام (**يقول هذا مات قبل الإيمان وهو فاسد**) لا يلتفت إليه، (**إذ قال ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان»**) تقدم الكلام على هذا الحديث. وقوله «يخرج» من الخروج وفي رواية الأصيلي وأبي الوقت بضم الياء من الاخراج، فقوله «من كان» في محل رفع على الوجهين، فالرفع على الأوّل على الفاعلية، وعلى الثاني على النيابة عن الفاعل «ومن» موصولة ولاحقها جملة صلتها، والمراد بالايمان التصديق بما جاء به الرسول ﷺ، (**وهذا قلبه طافح**) أي ملآن (**بالإيمان فكيف يخلد**) في النار؟ وأيضاً (**لم يشترط في حديث جبريل عليه السلام**) المتقدم ذكره الذي فيه السؤال عن الإيمان والإسلام والإحسان (**للإيمان إلا التصديق**) بأن يؤمن (**بالله تعالى وملائكته**) وكتبه ورسله (**واليوم الآخر**) وبالبعث والحساب وبالقدر خيره وشره (**كما سبق**) الكلام عليه.

(**الدرجة الخامسة**): من الدرجات الست (**أن يصدق بالقلب**) بجميع ما جاء به النبي ﷺ (**ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة**) هما: لا إله إلا الله محمد رسول الله (**وعلم وجوبها**) أي الكلمتين، (**ولكنه لم ينطق بها**) بلسانه لا سراً ولا اعلاناً. (**فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق**) بها (**كامتناعه عن الصلاة**) بعد حلول وقتها وعلمه بوجوبها، (**ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار، و**) ذلك لأن (**الإيمان هو التصديق المحض**) أي الخالص بما جاء به النبي ﷺ (**واللسان**) إنما هو (**ترجمان الإيمان**) يترجم عنه، (**فلا بد**)

ترجمان الإيمان. فلا بدّ أن يكون الإيمان موجوداً بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الأظهر إذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ ووضع اللسان أن الإيمان هو عبارة عن التصديق بالقلب. وقد قال ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة». ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم

على هذا (**أن يكون الإيمان موجوداً بتمامه قبل**) شهادة اللسان (**حتى يترجمه اللسان**) فبما بعد (**وهذا هو الأظهر**) في المقام (**إذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ**) بفتح الجيم (**ووضع اللسان**) العربي أي الذي يوجبه أصل الوضع العربي (**أن الإيمان عبارة عن التصديق**)، وإنما ذكر قوله (**بالقلب**) لأن محل التصديق القلب ولم يقيده أهل اللسان إلا أنه معلوم لهم ذلك. (**وقد قال ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان»**) قد تقدم الكلام عليه. (**ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب**) بعد علمه بوجوبه، كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وهو العمل، وبين السكون والسكوت جناس.

تنبيه:

قد استنبط من سياق المصنف المتقدم ذكره في الدرجة الرابعة والتي تليها ثبوت إيمان فرعون وهي مسألة شديدة الاختلاف والتصادم، وممن قال بإيمانه الشيخ محيي الدين بن العربي في مواضع من فتوحاته وفصوصه لا يستريب مطالعها أنه كلامه، وانه غير مدسوس عليه، وإنما ذكرت ذلك لأنه قد سبق لي في شرح كتاب العلم من هذا الكتاب حمل فرعون على فرعون النفس وهو الذي حكم عليه بإسلامه نظراً لظاهر كلام الشيخ كريم الدين الخلوتي أحد أولياء مصر، ومعاصره الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمهما الله تعالى، فإنهما أنكرا أن يكون القول بإيمان فرعون موجوداً في كتب الشيخ محيي الدين فاحتاجا إلى التأويل المذكور إن صح، وأنت خبير بأن كلام الشيخ في فتوحاته وفصوصه إذا جمع يجيء أكثر من عشرة أوراق، ومثل هذا لا يحتمل الدس. وقد ألف الناس في هذه المسألة قديماً وحديثاً وهم في طرفي نقيض، بل قال الإمام أبو بكر الباقلاني: إن قبول إيمانه هو الأقوى من حيث الاستدلال، وقال الشيخ ابن حجر المكي في التحفة: إنه لا قطع على عدمه بل ظاهر الآية وجوده، ثم قال: وبما تقرر علم خطأ من كفر القائلين بإسلام فرعون لأننا وإن اعتقدنا بطلان هذا القول لكنه غير ضروري، وإن فرض أنه مجمع عليه اهـ.

وقال القائلون به: إنه مذهب أهل الحق ولا يلزم من الإيمان والنطق بالشهادتين عدم دخول النار ولا عدم التعذيب بها، وإنما اللازم عدم الخلود في النار، فكل من آمن بقلبه ونطق بلسانه لا يخلد في النار وان دخلها بالكبائر أو بحقوق العباد، ولا يلزم من دخول النار والتعذيب بها عدم الخروج منها، بل يخرج من النار كل مؤمن وكل موحد، وهم في ذلك كلام كثير. وممن

بالسكوت عن الفعل الواجب، وقال قائلون القول ركن إذ ليس كلمتا الشهادة إخباراً عن القلب، بل هو إنشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام والأول أظهر، وقد غلا في هذا طائفة المرجئة فقالوا: هذا لا يدخل النار أصلاً. وقالوا: إن المؤمن وإن عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم.

الدرجة السادسة: أن يقول بلسانه: «لا إله إلا الله محمد رسول الله». ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك في أن هذا في حكم الآخرة من الكفار، وأنه مخلد في النار، ولا

شنّع على الشيخ محي الدين بذلك ابن المقري صاحب الإرشاد، والحافظ ابن حجر وتلميذه البقاعي، ومن المتأخرين ملاّ علي القاري من الحنفية، وممن ذهب إلى تأييد كلامه شراح الفصوص الجندي، والكازروني، والقيصري، والجامي، وعلي المهايمي، والجلال الدواني، وعبد الله الرومي. وللكازروني كتاب بالفارسية سماه (**الجانب الغربي**) قد ورد عن الشيخ ما اعترض به على كلامه منها هذه المسألة. وقد نقله إلى العربية عالم المدينة السيد محمد بن رسول البرزنجي رحمه الله تعالى وسماه (**الجاذب الغيبي**) وكان ممن يصرح بإيمانه.

ولقد حكى لي بعض من أثق به من السادة أن الإمام العلامة الشيخ حسن بن أحمد باغتر الحضرمي حيث وفد إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فاوض مع المذكور في هذه المسألة وان عدم إيمانه مما أجمع عليه، وطال بينهما الكلام إلى إن انفصلا من غير مرام، فلما أصبح لقيه فأوّل ما فاتحه به إلى أن قال لـه السلام عليك يا أخا فرعون. فتنغص السيد جداً وانحرف مزاجه على المذكور وعرف منه ذلك، وشكاه عند بعض الناس فلا موه فاعتذر لهم: إني ما قلت شططاً هو يقول بإيمان فرعون ويثبته والمؤمنون اخوة فلم يتأذ من أخوة فرعون وهو مؤمن عنده فانقطعوا.

(**وقال قائلون القول**) أي النطق اللساني بالشهادتين (**ركن**) من الإيمان (**إذ ليس كلمتا الشهادة إخباراً عن القلب**) أي عما في القلب، (**بل هو انشاء عقد وابتداء شهادة والتزام، والأوّل أظهر**) أي كونه اخباراً عن القلب باعتبار أن اللسان ترجمانه. وممن ذهب إلى هذا القول الكرامية ومن وافقهم جعلوا القول ركناً في مفهوم الإيمان فلا يثبت الإيمان إلا به. (**وقد غلا في هذا**) أي فيمن صدق بالقلب وامتنع عن النطق مع علمه بوجوبه ومساعدة الوقت له (**طائفة المرجئة**) من طوائف المبتدعة الذين من فضائحهم قولهم: إنه لا يضر مع الإيمان معصية. كما لا ينفع مع الكفر طاعة. (**فقالوا: هذا لا يدخل النار أصلاً، وقالوا: إن المؤمن وإن عصى فلا يدخل النار**) لما تقدم من زعمهم أن المعصية لا تضر مع الإيمان. وهنا قد وجد الإيمان غير أنه عصي بامتناعه عن النطق، (**وسنبطل ذلك عليهم**) قريباً.

(**الدرجة السادسة: أن يقول بلسانه**) كلمتي الشهادة (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**) ﷺ. (**ولكن لم يصدق**) بما جاء به الرسول (**بقلبه**) أي لم يستقر ذلك التصديق بقلبه (**فلا نشك في أن هذا في حكم الآخرة من الكفار وأنه مخلد في النار**) لأنه قد عدم مسمى الإيمان الذي هو

نشك في أنه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالأئمة والولاة من المسلمين لأن قلبه لا يطلع عليه، وعلينا أن نظن به أنه ما قاله بلسانه إلاَّ وهو منطوٍ عليه في قلبه وإنما نشك في أمر ثالث وهو الحكم الدنيوي فيما بينه وبين الله تعالى، وذلك بأن يموت له في الحال قريب مسلم، ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول: كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله تعالى؟ أو نكح مسلمة ثم صدق بقلبه هل تلزمه إعادة النكاح؟ هذا محل نظر فيحتمل أن يقال أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهراً وباطناً، ويحتمل أن يقال تناط بالظاهر في حق غيره لأن باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى، والأظهر والعلم عند الله تعالى أنه لا يحل له ذلك الميراث، ويلزمه إعادة النكاح، ولذلك كان حذيفة رضي

التصديق، (**ولا نشك في أنه**) أي المذكور (**في حكم الدنيا التي تتعلق بالأئمة**) والخلفاء والملوك (**والولاة**) للأمر من طرف الأئمة يعد (**من**) جملة (**المسلمين**) لأنه ليس لهم إلا الظواهر، والتصديق محله القلب (**لأن قلبه**) الذي هو محل التصديق (**لا يطلع عليه**) لأنه أمر غيب عنا وما كلفنا باطلاعه، وإنما الحكم عليه بالإمارات (**وعلينا أن نظن به**) إحساناً (**أنه ما قاله**) أي القول المذكور من أداء الشهادتين (**بلسانه إلا وهو منطو عليه في قلبه**)؛ وهذا ظاهر (**وإنما نشك في أمر ثالث. وهو الحكم الدنيوي فيما بينه وبين الله تعالى، وذلك بأن يموت له في الحال**) الذي هو فيه (**قريب مسلم**) ممن يرثه (**ثم يصدق**) أي يأتي بالتصديق (**بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي**) أهل العلم في حادثته (**ويقول: كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت**) أي موت ذلك القريب الذي ورثته وإنما كنت مسلماً باللسان فقط، (**والميراث الآن في يدي فهل يحل لي**) أخذه والتصرف فيه (**بيني وبين الله**) أم لا؟ (**أو نكح مسلمة**) وهو يتستر بالإسلام (**ثم يصدق**) أي يحل التصديق في قلبه (**هل تلزمه إعادة النكاح**) أم لا؟ (**هذا محل النظر**) ومثال التأمل، (**فيحتمل أن يقال**) في الجواب: (**أحكام الدنيا منوطة**) أي معلقة (**للقول الظاهر**) الذي هو النطق بالشهادتين وعليه يترتب الحكم (**ظاهراً وباطناً**) فعلى هذا له أخذ الميراث وإبقاء المسلمة على النكاح الأول بالنظر إلى الدنيا، وبالنظر إلى الآخرة (**ويحتمل أن يقال**): إنما (**يناط بالظاهر**) إذا أفتى (**في حق غيره لأن باطنه غير ظاهر لغيره**) محجوب عنه، (**و**) أن (**باطنه ظاهر له في نفسه**) يدرك ما انطوت عليه (**بينه وبين الله تعالى، والأظهر**) في المقام وإن كان الأول ظاهراً، كذلك (**والعلم عند الله تعالى**) أتى بهذه الجملة تبركاً وتبرئاً من علمه إلى علم الله تعالى أي علمه محيط بكل شيء، وهذا نظير ما يقول المفتي في آخر جوابه والله أعلم فيكل علمه إلى علم الله تعالى، ويتبرأ من أن يقول في دين الله ما ليس مطابقاً لما هو في نفس الأمر (**أنه لا يحل له**) أخذ (**ذلك الميراث**)، لأنه لم يأخذه بحق القرابة في الحقيقة ولا توارث مع اختلاف الملل، (**ويلزمه إعادة النكاح**) وتجديدها هذا

الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين، وعمر رضي الله عنه كان يراعي ذلك منه فلا يحضر إذا لم يحضر حذيفة رضي الله عنه، والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وإن كان من العبادات. والتوقي عن الحرام أيضاً من جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله ﷺ: «طلب الحلال فريضة بعد الفريضة»، وليس هذا مناقضاً لقولنا: إن الإرث حكم الإسلام وهو الاستسلام، بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن. وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة، فلا ينبغي أن يظن القاصر في العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بايراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما أفلح من نظر إلى العادات والمراسم في العلوم.

ما اقتضاه التقوى. والأول ما أجازه الفتوى، (**ولذلك كان حذيفة**) بن اليمان العبسي حليف بني عبد الأشهل (**رضي الله عنه**) من خيار الصحابة وزهادهم ولاه عمر المدائن وله فتوحات. مات سنة ست وثلاثين بعد مقتل عثمان بأربعين يوماً (**لا يحضر**) الصلاة على (**جنازة من مات من المنافقين**)، وكان قد أعطي علمهم من رسول الله ﷺ خاصة، (**وعمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه**) مع جلالة قدره (**كان يراعي ذلك فلا يحضر**) جنازة (**من مات بالمدينة إذا لم يحضر حذيفة رضي الله عنه**) خشية أن يكون منافقاً، (**والصلاة**) على الجنازة (**فعل ظاهر في الدنيا وإن كان من العبادات والتوقي عن الحرام**) والشبهات (**أيضاً من جملة ما يجب لله كالصلاة**) أي حكمه كحكمها.

فإن قيل: الإسلام هو الإنقياد الظاهر كما سبق والرجل المذكور قد ثبت له ذلك فيجوز الميراث نظراً إلى الظاهر وليس هو من أحكام الإيمان فيكون مناقضاً لقول الفقهاء: الإرث حكم الإسلام. والجواب ما أشار إليه المصنف بقوله: (**وليس هذا**) الذي أوردناه (**مناقضاً**) ومخالفاً (**لقولنا**) معاشر الفقهاء: (**إن الإرث حكم الإسلام وهو**) أي الإسلام (**استسلام**) وانقياد للظاهر، (**بل الإستسلام التام**) المعتبر عندهم (**ما يشمل الظاهرو**) يعم (**الباطن**). فهذه الملاحظة إذا خالف الباطن الظاهر وعمل بهذه المخالفة تشبثاً بالظاهر يكون مؤاخذاً عند الله تعالى. (**وهذه مباحث فقهية ظنية**) وليس في كلها ما يجب القطع به لأنها (**تبنى على ظواهر الألفاظ**) وما توجبه بحسب الوضع اللغوي، (**و**) على (**العمومات**) الواردة في الصيغ من الإشتراك في الصفات، (**و**) على (**الأقيسة**) بأنواعها والقياس عند أهل الأصول الحاق معلوم بمعلوم في حكمه لمساواة الأول للثاني في علة حكمه، (**فلا ينبغي أن يظن القاصد**) للتحصيل (**القاصر في العلوم**) عن درجة أهل التحقيق والنظر، وبين القاصد والقاصر جناس (**إن المطلوب فيه القطع**) والجزم على اليقين (**من حيث جرت العادة**) وأطردت (**بإيراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع**) لأن الكلام فيه عن مسائل اعتقادية وهي لا تثبت إلا

....

بالدلائل القطعية، **(فما أفلح من نظر إلى العادات)** المألوفة **(والمراسم)** الظاهرية **(في العلوم)** وهنا مسائل مهمة ينبغي التنبيه عليها.

منها: اتفق القائلون بعدم اعتبار الإقرار على أنه يلزم المصدق أن يعتقد أنه متى طولب به أتى به، فإن طولب به ولم يقر فهو كفر عناد، وبهذا فسروا ترك العناد وقالوا: هو شرط.

ومنها: على القول بأن مسمى الإيمان التصديق بالقلب كما هو قول الأشعري والماتريدي، أو بالقلب واللسان كما هو مذهب الحنفية، فقد ضم إليه في تحقق الإيمان أمور الإخلال بها إخلال بالإيمان اتفاقاً كترك كل من سجود الصنم، وقتل نبي أو استخفاف به، وبالمصحف والكعبة. وكذا مخالفة كل ما أجمع عليه من أمور الدين وإنكاره بعد العلم بأنه مجمع عليه، وقيد الإمام النووي إنكار المجمع عليه بما إذا كان فيه نص ويشترك في معرفته الخاص والعام لا كإنكار ان لبنت الإبن السدس مع بنت الصلب حيث لا عاصب، فإنه مجمع عليه، وفيه نص، لكنه مما يخفى عن العوام. كذا نقله ابن حجر في التحفة. وقال ابن الهمام: ظاهر كلام الحنفية الإكفار بجحده، فإنهم لم يشرطوا فيه سوى القطع في الثبوت ويجب حمله على ما إذا علم المنكر بثبوته قطعاً لأن مناط التكفير عند ذلك يكون أما إذا لم يعلم فلا إلا أن يذكر له أهل العلم ذلك فيلج ويتمادى اهـ.

ومما لا يعرفه إلا الخواص من المجمع عليه حرمة نكاح المعتدة للغير، وما لمثبته أو منكره تأويل غير قطعي البطلان أو بعد عن العلامة بحث يخفى عليه ذلك. قال الأسفرايني: فإذا وجد شيء من الاخلالات السابق ذكرها دلنا على أن التصديق الذي هو الإيمان مفقود من قلبه لاستحالة أن يقضي السمع بكفر من معه الإيمان لأنه جمع للضدين. قال ابن الهمام: ولا يخفى أن بعض هذه الأمور التي تعمدها كفر قد توجد وصاحبها مصدق بالقلب، وإنما يصدر عنه لغلبة الهوى، فتعريف الإيمان بتصديق القلب فقط غير مانع لصدق التعريف مع انتفاءه الإيمان وبالله التوفيق.

ومنها: المقطوع به في تحقيق معنى الإيمان أمور.

الأول: أنه وضع إلهي من عقائد وأعمال أمر الله به عباده اعتقاداً وعملاً ورتب على فعله لازماً لا يتخلف عنه وهو ما شاء من خير بلا انقضاء وهو سعادة الأبد، وعلى تركه ضده وهو شقاوة الأبد، وهذا الضد لازم الكفر شرعاً.

الأمر الثاني: أن التصديق بما أخبر به النبي ﷺ من الوحدانية وغيرها إذا كان على سبيل القطع فهو بعض من مفهومه.

والأمر الثالث: أنه قد اعتبر في ترتيب لازم الفعل وجود أمور عدمها مترتب ضده، كتعظيم الله تعالى وأنبيائه وكتبه وبيته، وكالانقياد إلى قبول أوامره ونواهيه الذي هو معنى الإسلام،

وقد اتفق الأشاعرة والحنفية على تلازم الإيمان والإسلام بمعنى أنه لا إيمان يعتبر بلا إسلام، ولا اسلام يعتبر بدون إيمان. فلا ينفك أحدهما عن الآخر. فيمكن اعتبار هذه الأمور التصديق والاقرار وعدم الإخلال بما ذكر أجزاء لمفهوم الإيمان، فيكون انتفاء ذلك اللازم الذي هو ما شاء تعالى من خير بلا انقضاء عند انتفائها لانتفاء الإيمان بانتفاء أجزائه، وإن وجد جزؤه الذي هو التصديق وغاية ما فيه أنه نقل عن مفهومه اللغوي الذي هو مجرد التصديق إلى مجموع أمور اعتبرت جملتها ووضع بإزائها لفظ التصديق جزء منها.

قال ابن الهمام: ولا بأس بهذا القول وإن كان المختار خلافه فإنا قاطعون بأنه لم يبق على حاله الاول قد اعتبر الإيمان شرعاً تصديقاً خاصاً، وهو ما يكون بأمور خاصة واعتبر فيه أيضاً شرعاً أن يكون بالغاً حد العلم وإلا فالجزم الذي لا يجوز معه ثبوت النقيض سواء كان الموجب من حس أو عقل أو عادة وهو العلم أو لا لموجب كاعتقاد المقلد وهو في اللغة أعم من ذلك، ويمكن اعتبار هذه الأمور المذكورة شروطاً لاعتباره شرعاً فينتفي أيضاً لانتفائها مع وجود التصديق بمحلية القلب واللسان إذ الشرط يلزم من عدمه عدم المشروط، ولا يمكن اعتبارها شرعاً شروطاً لثبوت اللازم الشرعي فقط دون ملزومه وهو الإيمان، فينتفي عند انتفائها مع قيام ملزوم وهو الإيمان لأن الفرض أن عند انتفائها يثبت ضد لازم الإيمان وهو لازم الكفر فيثبت ملزومه وهو الكفر وبالله التوفيق.

ومنها: أن الإستدلال الذي به يكتسب التصديق القلبي ليس شرطاً لصحة الإيمان على المختار حتى صححوا إيمان المقلد ومنعه المعتزلة، ونقل عن أبي الحسن الأشعري، وقال أبو القاسم القشيري: هو افتراء عليه، وقل أن يرى مقلد في الإيمان بالله تعالى إذ كلام العوام في الأسواق محشو بالإستدلال بالحوادث على وجوده وصفاته والتقليد مثلاً أن يسمع الناس يقولون: إن للخلق رباً خلقهم وخلق كل شيء ويستحق العبادة عليهم وحده لا شريك له، فيجزم بذلك لجزمه بصحة إدراك هؤلاء تحسيناً لظنه بهم، وتعظيماً لشأنهم عن الخطأ. فإذا حصل عن ذلك جزم لا يجوز معه كون الواقع النقيض، فقد قام بالواجب من الإيمان إذ لم يبق سوى الإستدلال على حصول ذلك الجزم، فإذا حصل ما هو المقصود منه فقد تم قيامه بالواجب، ومقتضى هذا التعليل أن لا يكون عاصياً بعدم الإستدلال، لأن وجوبه إنما كان ليحصل ذلك الجزم، فإذا حصل سقط وجوبه الذي هو وسيلة إذ لا معنى لاستحصال المقصود بالوسيلة بعد حصوله دونها، غير أن بعضهم ذكر الإجماع على عصيانه بترك الإستدلال، فإن صح فبسبب أن التقليد عرضة لعروض التردد بعروض شبهة له بخلاف الإستدلال المحصل للجزم، فإن فيه حفظه. ومما يدل أيضاً على قيام المقلد بالواجب من الإيمان أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقبلون إيمان عوام الأمصار التي فتحوها من العجم تحت السيف، ولات حال استدلال أو لموافقة بعضهم بعضاً بأن يسلم زعيم منهم مثلاً فيوافقه غيره، وتجويز حملهم إياهم على الإستدلال بعيد في بعض الأحوال التي إذا نقلت يكاد يجزم العقل بعدم الإستدلال معها وبالله التوفيق.

....

ومنها: اختلفوا في التصديق القائم بالقلب الذي هو جزء مفهوم الإيمان على قول أو تمامه على قول آخر أهو من باب العلوم والمعارف أو من باب الكلام النفسي، فقيل بالأول وهو مدفوع أولاً بالقطع بكفر كثير من أهل الكتاب مع علمهم بحقيقة رسالته ﷺ وما جاء به كما أخبر عنهم سبحانه بقوله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ [البقرة: ١٤٦] وثانياً الإيمان مكلف به والتكليف إنما يقع بالأفعال الإختيارية والعلم مما يثبت بلا اختيار كمن وقعت مشاهدته على من ادعى النبوة وأظهر المعجزة بأن يشاهد كلاً من الدعوى وظهور المعجزة فلزم نفسه عند ذلك العلم بصدقه. وقال إمام الحرمين في الإرشاد: التصديق على التحقيق كلام النفس، ولكن لا يثبت إلا مع العلم، وكلام النفس يثبت على حسب الاعتقاد، وإليه ذهب جماعة ونقل صاحب الغنية عن الأشعري في معناه فقال مرة: هو المعرفة بوجوده وإلاهيته وقدمه، وقال مرة: هو قول في النفس غير أنه يتضمن المعرفة ولا يصح دونها، وارتضاه الباقلاني فإن التصديق والتكذيب والصدق والكذب بالأقوال أجدر منه بالمعارف والعلوم اهـ.

قال ابن الهمام: وظاهر عبارة الأشعري في هذا السياق أن التصديق كلام للنفس مشروط بالمعرفة يلزم من عدمها عدمه، ويحتمل أن الإيمان هو المجموع من المعرفة والكلام النفسي. فيكون كل منهما ركناً من الإيمان فلا ينافي تحقيق الإيمان على كلا الإحتمالين من المعرفة. أعني: ادراك مطابقة دعوى النبي للواقع، ومن أمر آخر هو الإستسلام الباطن والإنقياد لقبول الأوامر والنواهي المستلزم للإجلال وعدم الإستخفاف، وهذا الإستسلام الباطن هو المراد بكلام النفس، وبه عبر المصنف في كلامه على الإيمان والإسلام. وإنما قلنا: انه لا بد مع المعرفة من الأمر الآخر وهو الإستسلام الباطن لما تقدم من ثبوت مجرد تلك المعرفة مع قيام الكفر وبلا كسب واختيار فيه وبلا قصد إليه، ومع كونه يثبت بلا كسب واختيار فيه وبلا قصد إليه يتعلق ظاهر التكليف به نحو قوله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [محمد ﷺ: ١٩] والمراد اكتسبه بفعل أسبابه من القصد إلى النظر في الآثار على الوجه المؤدي إلى المقصود حتى لو وقع العلم لانسان دفعيا من غير ترتيب مقدمات احتاج إلى تحصيله مرة أخرى كسباً.

قال السعد في شرح المقاصد: أعلم أن حصول هذا التصديق قد يكون بالكسب أي مباشرة الأسباب بالإختيار كالقاء الذهن وصرف النظر وتوجيه الحواس وما أشبه ذلك. وقد يكون بدونه كمن وقع عليه الضوء، فعلم أن الشمس طالعة، والمأمور به يجب أن يكون من القسم الأول. ثم قال لا يفهم من نسبة الصدق إلى المتكلم بالقلب سوى إذعانه وقبوله وإدراكه لهذا المعنى. أعني: كون المتكلم صادقاً من غير أن يتصور هناك فعل وتأثير من القلب ويقطع بأن هذا كيفية للنفس قد يحصل بالكسب والإختيار ومباشرة الأسباب، وقد يحصل بدونها. فغاية الأمر أن يشترط فيما يعتبر في الإيمان أن يكون تحصيله بالإختيار على ما هو قاعدة المأمور به اهـ.

فإن قلت: فما شبهة المعتزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم؟ فأقول، شبهتهم عمومات القرآن، أما المرجئة فقالوا: لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصي لقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلاَ يَخَافُ بَخساً وَلاَ رَهَقاً﴾ [الجن: ١٣]، ولقوله عز وجل: ﴿والَّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورُسُلِهِ أولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩] الآية. ولقوله تعالى: ﴿كلمَا أُلقيَ فيهَا فوج سَألَهُم خَزَنتُها﴾ إلى قوله: ﴿فكذَّبنا وَقُلْنا ما نَـزَّلَ اللهُ

وظاهره عدم الإكتفاء بحصوله دون كسب.

قال ابن الهمام: وفيه نظر، بل إذا حصل كذلك دفعياً كفى ضم ذلك الأمر الآخر من الإنقياد الباطن إليه، وذلك التكليف الكائن لتعاطي أسباب العلم إنما هو لمن لم يحصل له العلم، فإذا حصل هو سقط ما وجوبه لأجله وبالله التوفيق.

ومنها: أن الأظهر أن التصديق قول للنفس غير المعرفة لأن المفهوم من التصديق لغة هو نسبة الصدق إلى القائل وهو فعل، والمعرفة ليست فعلاً إنما هي من قبيل الكيف المقابل لمقولة الفعل فلزم خروج كل من الإنقياد الذي هو الإستسلام، ومن المعرفة عن مفهوم التصديق لغة مع ثبوت اعتبارهما شرعاً في الإيمان، وثبوت اعتبارهما له بهذا الوجه على أنهما جزءان لمفهومه شرعاً، أو شرطان لاعتباره لإجراء أحكامه شرعاً، والثاني هو الأوجه إذ في الأول يلزم نقل الإيمان من المعنى اللغوي إلى معنى آخر شرعي، وهو بلا دليل يقتضي وقوعه منتف لأنه خلاف الأصل؟ فلا يصار إليه إلا بدليل ولا دليل بل قد كثر في الكتاب والسنة طلبه من العرب، وأجاب من أجاب إليه دون استفسار عن معناه وإن وقع استفسار من بعضهم فإنما هو عن متعلق الإيمان وعدم تحقق الإيمان بدون المعرفة، والإستسلام لا يستلزم جزئيتهما لمفهومه شرعاً لجواز أن يكونا شرطين للإيمان شرعاً، وحقيقته التصديق بالأمور الخاصة بالمعنى اللغوي، وإذا تقرر ذلك ظهر ثبوت التصديق لغة بدونهما مع الكفر الذي هو ضد الإيمان والله أعلم.

ثم عاد المصنف إلى ما سبق الوعد به آنفاً من رد شبه المعتزلة والجهمية وقال: (**فإن قلت: فما شبهة المعتزلة والمرجئة**)، والفرقتان من فحول المتكلمين، وما لم يعرف أصل ما تعلقوا به من الكتاب والسنة لم يعرف وجه الرد عليهم وتميز الباطل من الحق، ولذا قال: (**وما حجة بطلان قولهم**) فبينوا لنا ذلك؟ فأشار إلى الجواب بقوله: (**فأقول: شبهتهم**) وأصل الشبهة مشابهة الحق للباطل والباطل للحق من وجه إذا حقق النظر فيه ذهب أي فالذي تمسكوا به (**عمومات**) وردت في آي من (**القرآن أما المرجئة**) فإنهم (**قالوا: لا يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصي**) بناء على أن المعصية لا تضر الإيمان، كما أن الكفر لا تنفع معه طاعة وجعلوه أصلاً من أصولهم، ثم بنوا عليه قواعدهم نظراً (**لقوله عز وجل**) في سورة الجن: (**فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً**) أي نقصاً على طريق الظلم (**ولا رهقاً**) [الجن: ١٣] أي عسرة وكلفة (**ولقوله عز وجل: والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون**) [الحديد: ١٩] أي المواددون لله بحسن إخلاصهم، ووجه الدلالة قصر من اتصف بالإيمان على

مِنْ شيءٍ﴾ [الملك: ٨، ٩] فقوله: ﴿كلما ألقي فيها فوج﴾ عام فينبغي أن يكون كل من ألقي في النار مكذباً. ولقوله تعالى: ﴿لاَ يَصْلاَهَا إلاَّ الأشْقَى ★ الَّذي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل: ١٥، ١٦] وهذا حصر واثبات ونفي، ولقوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وهُمْ مِنْ فَزَعَ يَوْمئذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩]، فالإيمان رأس الحسنات ولقوله تعالى: ﴿والله يُحِبُّ المحسنين﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿إنا لا نُضيعُ أجْرَ مَنْ أحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠] ولا حجة لهم في ذلك، فإنه حيث ذكر الإيمان في هذه الآيات أريد به الإيمان مع العمل. إذ بينّا أن الإيمان قد يطلق ويراد به الإسلام، وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل، ودليل هذا التأويل اخبار كثيرة

الصديقين. (**ولقوله تعالى: كلما ألقي فيها فوج**) أي جماعة (**سألهم خزنتها**) جمع خازن، والمراد الملائكة الموكلون بها (**إلى قوله: فكذبنا**) وهو قول تعالى ﴿ألم يأتكم نذير ★ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا (**وقلنا ما نزل الله من شيء**) إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ [الملك: ٨، ٩] قال القاضي وفي قوله: (**ألم يأتكم نذير**) توبيخ وتبكيت وقوله (**فكذبنا**) أي كذبنا الرسل وأفرطنا في التكذيب حتى منعنا النبوة والإرسال رأساً وبالغنا في نسبتهم إلى الضلال، (**و**) وجه الدلالة أن (**قوله: « كلما ألقي » عام**) مستغرق لجميع من ألقي، (**فينبغي أن يكون كل من ألقي في النار مكذباً**) كما هو ظاهر، (**ولقوله**) تعالى: (**لا يصلاها**) أي لا يجد حرها أو لا يلزمها مقاسياً شدتها (**إلا الأشقى**) الكافر، فإن الفاسق وإن دخلها لم يلزمها، ولذلك كان أشقى ووصفه بقوله: (**الذي كذب وتولى﴾ [الليل: ١٥، ١٦] وهذا**) فيه (**حصر**) أي الذي كذب الرسل بما جاؤا به من عند الله تعالى وأعرض عنهم هو الذي يصلاها لا غير (**وإثبات ونفي**) ولو قال: ونفي وإثبات لصح أيضاً (**ولقوله تعالى: من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون**) [النمل: ٨٩] أي من خوف يوم القيامة قالوا: (**والإيمان رأس الحسنات. ولقوله تعالى**) ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس (**والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران: ١٣٤] وقال**) الله (**تعالى: إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً**) [الكهف: ٣٠] فهذه سبع آيات تمسك بعموماتها المرجئة (**ولا حجة لهم في ذلك**) كله، (**فإنه حيث ذكر الإيمان في هذه الآيات**) وهي الآية الأولى والتي بعدها جاء فيها ذكر الإيمان تصريحاً، وأما في الأخيرة واللتان قبلها فتلويحاً فإنما (**أريد به الإيمان مع العمل**) بالأركان وهو شرط كماله. (**إذ**) قد (**بينا**) آنفاً (**أن الإيمان قد يطلق ويراد به الإسلام وهو**) الإستسلام الباطن الذي هو عبارة عن (**الموافقة بالقلب**) تصديقاً (**والقول**) نطقاً (**والعمل**) أداء (**ودليل هذا التأويل**) الذي صرنا إليه من أن المراد الإيمان هو الإسلام الباطن (**أخبار كثيرة**) صح ورودها (**في معاقبة العاصين**) والمذنبين، (**و**) أخبار أخرى في (**مقادير العقاب**) مما يتلى في كتب أهل السنة متوناً وشروحاً، (**و**) من أدلة ذلك أيضاً

في معاقبة العاصين ومقادير العقاب، وقوله ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان». فكيف يخرج إذا لم يدخل؟ ومن القرآن قوله تعالى: ﴿إنّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أنْ يُشْرك به ويَغْفرُ ما دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام. وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهِ وَرَسُولَهُ فَإنَّ له نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الجن: ٢٣] وتخصيصه بالكفر تحكم. وقوله تعالى: ﴿ألاَ إنَّ الظَّالِمِينَ في عَذَابٍ مُقيمٍ﴾ [الشورى: ٤٥]، وقال تعالَى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهم في النَّارِ﴾ [النمل: ٩]، فهذه العمومات في معارضة عموماتهم ولا بدّ من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبين لأن الأخبار مصرحة بأن العصاة يعذبون، بل قوله تعالى: ﴿وإنْ مِنْكُم إلاَّ وارِدُها﴾ [مريم: ٧١] كالصريح في أن ذلك لا بدّ منه للكل

(**قوله ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان»**) وقد تقدم الكلام عليه مراراً. (**فكيف يخرج إذا لم يدخل**)؟ أي: كيف يتصور الخروج من شيء إلا بعد الدخول فيه، أو الإخراج إلا بعد الإدخال؟ على اختلاف الروايتين (**و**) دليله من القران (**قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾**) أي يكفر به ولو بتكذيب نبيه، لأن من حجد نبوة الرسول عليه السلام مثلاً فهو كافر، ولو لم يجعل مع الله إلهاً آخر والمغفرة منتفية عنه بلا خلاف (**ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**) فصير ما دون الشرك تحت إمكان المغفرة فمن مات على التوحيد غير مخلد في النار وإن ارتكب من الكبائر غير الشرك ما عساه أن يرتكب، (**والإستثناء بالمشيئة يدل على الإنقسام**) إلى كبيرة وصغيرة، ففيه تجويز العقاب على الصغيرة سواء اجتنب مرتكبها الكبيرة أم لا لقوله تعالى: ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ [الكهف: ٤٩] والإحصاء إنما يكون للسؤال والجزاء (**و**) مثله في تجويز العقاب على الصغيرة (**قوله تعالى: ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾ [الجن: ٢٣] وتخصيصه بالكفر تحكم**) بلا دليل، (**و**) مثله (**قوله تعالى: ألا إن الظالمين في عذاب مقيم﴾ [الشورى: ٤٥] وقال تعالى: ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار**) [النمل: ٩٠] والمراد بالسيئة في مقابلة الحسنة أعم من أن تكون صغيرة أو كبيرة (**فهذه العمومات**) الواردة في الآي السابقة (**في معارضة**) أي مقابلة (**عموماتهم**) التي تمسكوا بها، (**ولا بد من تسليط التخصيص**) في تلك العمومات فإنه ما من عام إلا وقد خص، (**و**) لا بد من (**التأويل على الجانبين لأن الأخبار**) الصحيحة (**مصرحة بأن العصاة يعذبون**) على قدر ذنوبهم منها: ما أخرجه البخاري في الصحيح من حديث أنس رفعه «ليصيبن أقواماً سفع بذنوب أصابوها». ويأتي للمصنف ذكر عدة أحاديث في تعذيب العصاة في آخر الكتاب عند ذكر الموت نتكلم عليها إن شاء الله تعالى، (**بل قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها**) كان على ربك حتماً مقضياً﴾ [مريم: ٧١] (**كالتصريح في أن ذلك**) أي الورود (**لا بد منه للكل إذ لا يخلو**

إذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه، وقوله تعالى: ﴿لا يَصْلاَهَا إلاَّ الأشْقَى★ الذي كَذَّبَ وتوَلّى﴾ [الليل: ١٥، ١٦]، أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالأشقى شخصاً معيناً أيضاً. وقوله تعالى: ﴿كلّما أُلقي فيها فَوْجٌ سألهم خزنتها﴾ أي فوج من الكفار، وتخصيص العمومات قريب. ومن هذه الآية وقع للأشعري وطائفة من المتكلمين إنكار صيغ العموم، وأن هذه الألفاظ يتوقف فيها إلى ظهور قرينة تدل على معناها. وأما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى: ﴿وإني لغفّار لِمَنْ تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ صَالِحاً ثم اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿وَالعصر★ إن الإنسانَ لفي خُسْرٍ★ إلاَّ

مؤمن عن ذنب يرتكبه) وقد تقدم أن ورود الصراط وهو ورود النار لكل أحد، وبهذا فسر الآية ابن مسعود والحسن وقتادة، ثم قال تعالى: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾ [مريم: ٧٢] وبعضهم فسر الورود بالدخول كما في حديث جابر رفعه وزاد: « لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى أن للنار لضجيجاً من بردهم (**ثم ننجي الذين اتقوا**) الآية ». رواه أحمد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبو يعلى، والنسائي في الكنى، والبيهقي وغيرهم وهو حسن، (و) أما ما تمسكوا به من (**قوله تعالى: لا يصلاها إلا الأشقى★ الذي كذب وتولى**) فإنما (**أراد به**) أي بالأشقى (**من جماعة مخصوصين**) فإنه صيغة أفعل التفضيل (**إذ أراد بالأشقى شخصاً معيناً أيضاً**) هو أمية بن خلف كما يفهم من سياق البغوي، (و) أما ما تقدم من الإستدلال (**من قوله تعالى: كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها**) فإن المراد منه (**أي فوج من الكفار**) وفي تفسير القاضي جماعة من الكفرة (**وتخصيص العمومات قريب**) لا ينكر، (**ومن هذه الآية**) أي التي ذكرت (**وقع للأشعري**) الإمام أبي الحسن، (**وطائفة من المتكلمين إنكار صيغ العموم**) مطلقاً، (**وإن هذه الألفاظ**) التي وردت بالعموم (**يتوقف فيها إلى أن ترد قرينة تدل على معناها**). قال صاحب المصباح: اللفظ العام خلا من الخاص وهو لفظ واحد دل على إثنين فصاعداً من جهة واحدة مطلقاً، ومعنى العموم إذا اقتضاه ترك التفصيل إلى الإجمال، ويختلف العموم بحسب المقامات وما يضاف إليها من قرائن الأحوال. قال القطب الشيرازي: فما أمكن استيعابه يستعمل فيه « متى » وما لم يمكن استيعابه يزاد ما عليه فيقال « متى ما » لأن زيادتها تؤ ي بتغيير المعنى وانتقاله من المعنى الأعم إلى معنى عام، كما ينقل المعنى ويغيره إذا دخلت على أن وأخواتها.

ولما فرغ المصنف من ذكر شبه المرجئة ومن على رأيهم والجواب عنها شرع في ذكر شبه المعتزلة والجواب عنها فقال: (**وأما المعتزلة فشبهتهم**) التي وقعوا فيها في تأسيس أصلهم الذي عليه بنوا مذاهبهم وتمسكوا بآي من القرآن منها (**قوله تعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ [طه: ٨٢] و**) كذا (**قوله تعالى: ﴿والعصر★ إن الإنسان لفي خسر★ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [العصر: ١ ـ ٣] و**) كذا (**قوله تعالى:**

الذين آمَنوا وعَملُوا الصالحات﴾ [سورة العصر]، وقوله تعالى: ﴿وإن منكم إلاَّ واردها٭ كان على ربك حتماً مقضياً﴾، ثم قال: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿ومَنْ يَعْصِ الله ورسوله فإن له نار جهنم﴾. وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقروناً بالإيمان. وقوله تعالى: ﴿ومَنْ يَقْتُلْ مؤمناً متعمِّداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾ [النساء: ٩٣]، وهذه العمومات أيضاً مخصوصة بدليل قوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨] فينبغي أن تبقى له

ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم و) كذا (**كل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح مقروناً فيها بالإيمان**). فإنها متمسكهم في جعلهم الأعمال شرطاً في صحة الإيمان، كما أن قوله: من يعص الله (**وقوله تعالى: ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم**) [النساء: ٤٨] متمسكهم في تخليد صاحب الكبيرة في النار. (**وهذه العمومات أيضاً مخصوصة بدليل قوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٩٣] فينبغي أن تبقى له مشيئة في مغفرة ما سوى الشرك**). قال ملا علي في شرح الفقه الأكبر: ذهب بعض المعتزلة إلى أنه إذا اجتنب الكبائر لم يجز تعذيبه لا بمعنى يمتنع عقلاً، بل بمعنى أنه لا يجوز أن يقع لقيام الأدلة السمعية على أنه لا يقع كقوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ [النساء: ٣١] وأجيب: بأن الكبيرة المطلقة هي الكفر لأنه الكامل، وجمع الإسم بالنظر إلى أنواع الكفر وإن كان الكل ملة واحدة في الحكم أو إلى أفراده القائمة من قاعدة أن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الآحاد بالآحاد كقولنا: ركب القوم دوابهم ولبسوا ثيابهم. كذا في شرح العقائد، فيكون التقدير على التقدير الأول أن تجتنبوا أنواع الكفر، وفيه: أنه يلزم حينئذ أن لا يجوز العقاب على ما عدا الكفر صغيرة كانت أو كبيرة اللهم إلا أن يقال المعنى نكفر عنكم سيئاتكم المكتسبة قبل اجتناب الكفر، فيكون الخطاب للكفرة، وقيل: يقدر فيه استثناء المشيئة أي نكفر عنكم سيئاتكم إن شئنا. ثم نقل عن شيخنا العلامة عبدالله السعدي أنه كان يقول في هذا المقام: ان تقدير الإستثناء يغني عن حمل الكبائر على الكفر اهـ.

قلت: ما قدر الإستثناء إلا لتصحيح حمل الكبائر على الكفر دفعاً للزوم المتقدم. إذ لو حملت الكبائر على عمومها لما صح الإستثناء لزوم إنحصار الصغيرة تحت المشيئة وخروج الكبيرة هو خلاف نص: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ الآية. وأيضاً يلزم كون الصغيرة تحت المشيئة بشرط اجتناب الكبائر وليس كذلك، بل قد تكفر الصغيرة بمكفر أو بعفو الله تعالى ولو كان صاحبها يرتكب كبيرة.

وقال العلامة عصام: إنها في معنى الآية أن المعلق عليه تكفير السيئات هو الإجتناب عن الكفر فيدخل في التكفير الكبائر أيضاً، ولا خلاف أنها لا تكفر بمجرد الإجتناب عن الكفر، فالمغفرة والتكفير لا بد له من تعليق آخر وهو المشيئة عندنا مطلقاً والتوبة في الكبائر عند

مشيئة في مغفرة ما سوى الشرك، وكذلك قوله عليه السلام: « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ». وقوله تعالى: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ [الكهف: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [التوبة: ١٢٠]، فكيف يضيع أجر أصل الإيمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة، وقوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ أي لإيمانه. وقد ورد على مثل هذا السبب.

المعتزلة، فالآية ليست على ظاهرها بالإتفاق فلا تكون تامة في الدلالة على مطلوبهم، ولا يخفى أن حمل كبائر ما تنهون على الكفر من الوجهين المذكورين في غاية البعد. إذ البلاغة تقتضي ان تجتنبوا الكفر لوجازتـه وموافقته لعرف البيان، فالحق مدلول الآية تكفير الصغائر لمجرد الإجتناب عن الكبائر وتعليق المغفرة بالمشيئة في آية أخرى مخصوص بما عدا ما اجتنب معه من الكبائر اهـ.

ولا يخفى أن هذا مذهب ثالث مخالف للمذهبين المسمى بالملفق، فكيف يحكم بكونه الحق على الوجه المطلق، ثم الأظهر أن الخطاب في الآية للمؤمنين، وإن الكبائر على معناها المتعارف ما عدا كفر الكافرين كما يشير إليه قوله ﴿كبائر ما تنهون عنه﴾ والمعنى: ان تجتنبوا كبائر المنهيات نكفر عنكم سيئاتكم بالطاعة كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤] وسائر الأحاديث الواردة في المكفرات والله أعلم.

(**وكذلك قوله عليه**) الصلاة (**والسلام: « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان »**) تقدم الكلام عليه مراراً فهذا يدل على أن المؤمن الموحد لا يخلد في النار، (**وقوله تعالى: إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً**) [الكهف: ٣٠] فإذا كان الإيمان عملاً بالوجه الذي قررناه (**فكيف يضيع**) سبحانه (**أجر أهل الإيمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة**) كما يزعمون (**و**) أما (**قوله تعالى: ومن يقتل مؤمناً متعمداً**) [النساء: ٩٣] فالمراد منه (**أي**) يقتل مؤمناً (**لإيمانه، وقد ورد على**) خصوص (**مثل هذا السبب**) فلم يبق لهم تعلق بظواهر الآي، وكشف لك وجه التأويل فيها وحملها على مقتضى ما ذهب إليه أهل السنة.

تنبيه:

في بيان حكم أهل الأهواء في الإجماع والإختلاف، وبيان أنه لا طاعة لهم ولا تصح منهم عبادة.

قال الشيخ أبو منصور عبد القاهر البغدادي في كتاب: (الأسماء والصفات) أجمع أصحابنا على أن المعتزلة والنجارية والجهمية والغلاة من الروافض والخوارج والمجمعة لا اعتبار بخلافهم في مسائل الفقه، وإن اعتبر خلافهم في مسائل الكلام، فذا قول الشافعي رضي الله عنه في أهل الأهواء، وكذلك رواه أشهب عن مالك، والعباس بن الوليد عن الأوزاعي. ومحمد بن جرير الطبري بإسناد عن سفيان، وحكاه ابن جرير أيضاً بإسناده عن أبي سليمان الجوزجاني، عن

....

محمد بن الحسن، وجماعة من أصحاب أبي حنيفة، وحكاه أبو ثور في أصوله عن جميع الأئمة من التابعين، وهم الفقهاء السبعة من أهل المدينة، وعمر بن عبد العزيز، والشعبي، والنخعي، ومسروق، وعلقمة، والأسود، ومحمد بن سيرين، وشريح القاضي، والزهري وأقرانهم، واختلف فقهاء الأئمة في قبول شهادة أهل الأهواء، فقال مالك: بابطال شهادات المعتزلة وسائر أهل الأهواء، وقال الشافعي، وأبو حنيفة: بقبول شهادات أهل الأهواء إلا النظامية، فإنهم يرون الشهادة بالزور، وأشار في كتاب القياس إلى رجوعه عن قبول شهادات المعتزلة وهذا هو الأصح على قياس مذهبه، وأما الكلام على طاعات المعتزلة وسائر أهل الأهواء، فإن أهل السنّة والجماعة مجمعون على أن أهل الأهواء المؤدية إلى الكفر لا تصح منهم طاعة لله تعالى مما يفعلونه من صلاة وصوم وزكاة وحج لأن الله تعالى أمر عباده بإيقاع هذه العبادة على شرط باعتقاد صحيح بالعدل والتوحيد، وبشرط أن يرى بها التقرب إلى الله تعالى مع اعتقاد صفة الإله على ما هو عليه، ولا يجوز أن يقصد بالطاعة من لا يعرفه، والمعتزلة وسائر أهل البدع غير عارفين بالله تعالى لاعتقادهم فيه خلاف ما هو عليه في عدله وحكمته، وليس شيء من الطاعة يصح وقوعه طاعة لله عز وجل من غير قصد منه إلى التقرب به إلا طاعة واحدة، وهي النظر والاستدلال الواقع من المكلف عند توجه التكليف عليه، فإنه قبل نظره واستدلاله لا يكون عارفاً بالله تعالى، فلا يصح منه التقرب إلى الله عز وجل لأنه أمر بها وما بعدها من العبادات، فلا يكون طاعة لله عز وجل إلا من عرفه سبحانه وقصد بفعله التقرب إليه. وأهل البدع خارجون عن معرفة الله وطاعته فخرجوا من أجل ذلك عن الإيمان وعن غمار أهل الإسلام والحمد لله على العصمة من البدعة.

وقال أيضاً في الكتاب المذكور: اعلم أن أصحابنا وإن أجمعوا على تكفير المعتزلة والغلاة والخوارج والنجارية والجهمية والمشبهة، فقد أجازوا لعامة المسلمين معاملتهم في عقود البياعات والاجارات والرهون وسائر المعاوضات دون الأنكحة ومواريثهم والصلاة وأكل ذبائحهم فلا يحل شيء من ذلك إلا الموارثة ففيها خلاف بين أصحابنا، فمنهم من قال: ما لهم لأقربائهم من المسلمين لأن قطع الميراث بين المسلم والكافر إنما هو في الكافر الذي لا يعد في الملة، ولأن خلاف القدري والجهمي والنجاري والمجسم لأهل السنّة والجماعة أعظم من خلاف النصارى لليهود والمجوس، وقد أجمع الشافعي وأبو حنيفة على وقوع التوارث مع أهل الذمة مع اختلاف أديانهم، وكذلك التوارث بين المسلمين والكافرين من أهل الأهواء دون الكافر الخارج عن الملة بجحده بالله عز وجل أو رسوله أو بكتابه. ومنهم من قال: إن حكم أهل الأهواء حكم المرتدين لا يرثون ولا يورثون، وحكي عن محمد بن الحنفية وجماعة من التابعين أنهم قالوا: بتوريث المسلم من أهل الأهواء ولا عكس، وكذلك قالوا في المسلم الكافر وإلى هذا ذهب إسحاق بن راهويه، ورواه هو بإسناده عن معاذ بن جبل، وروى غيره مثل ذلك عن مسروق وسعيد بن المسيب وأنهم قالوا: الإسلام يزيد ولا ينقص. وقال قوم من التابعين: لا يرث من أهل الأهواء ولا يرث

فإن قلت: فقد مال الاختيار إلى أن الإيمان حاصل دون العمل، وقد اشتهر عن السلف قولهم: الإيمان عقد وقول وعمل، فما معناه؟ قلنا: لا يبعد أن يعد العمل من

بعضهم من بعض وكل أهل مذهب يكفر أهل مذهب آخر فلا توارث بينهما، وكذلك كل صنف من أهل الكفر يكفر صنفاً آخر منهم فهما ملتان لا توارث بينهما، وبه قال الزهري، وربيعة، والنخعي، والحسن بن جني، وأحمد بن حنبل. وقال قوم: أموال أهل الأهواء لأهل بدعتهم فلا يورث، وكذلك قالوا في مال المرتد إذا مات انه لأهل الدين الذين ارتد إليهم دون المسلمين، وبه قال قتادة وبعض أهل الظاهر. واختلف أهل الحق في الطفل إذ ولد بين أبوين من أهل القدر أو التشبيه أو نحوهما من أهل البدع فمات أحد الأبوين، فمنهم من قال: حكمه في الميراث حكم المسلم منهما في الميراث وفي سائر الأحكام، وإلى هذا ذهب شريح، والحسن والنخعي، وعمر بن عبد العزيز، والشافعي، وأبو حنيفة. وقال مالك: الاعتبار في هذا الباب بموت الأب دون الأم، وكذلك حكم الطفل بين الكافرين إذا أسلم أحدهما كان الاعتبار فيه بالأب، وكان الطفل في دينه وفي سائر أحكامه لأن النسب معتبر به دون الأم. وقال آخرون: باعتبار حكم الطفل بإسلام الأم وتوبتها عن البدعة دون الأب فيكون حكمه تابعاً لحكمها كما يعتبر حكمه بحكمها في الرق والحرية وبالله التوفيق.

(فإن قلت: فقد مال الاختيار) والترجيح بما ذكرت آنفاً **(إلى أن الايمان حاصل)** بذاته **(دون العمل)** حيث جعلت مفهومه التصديق بالقلب أو به وباللسان، **(وقد اشتهر عن السلف)** الصالحين **(قولهم)** أي صح عنهم أنهم قالوا: **(الايمان عقد وقول وعمل فما معناه)** بينوا لنا؟ أما تحقيق معتقد السلف في الإيمان فقد ذكر عبد القاهر البغدادي أن الذين قالوا أن الايمان بالقلب واللسان وسائر الأركان فهم خمس فرق: (احداها: أصحاب الحديث، والثانية: الزيدية، والثالثة: الامامية، والرابعة: المعتزلة، والخامسة: الخوارج، فأما أصحاب الحديث قد اختلفت عباراتهم في حقيقة الايمان وحده ثم سرد عباراتهم وأقوالهم إلى أن قال: ومنهم من قسم الإيمان على أنواع، فأعلى الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان هذا قول عامة أصحاب الحديث وفقهائهم مثل مالك والشافعي والأوزاعي وأهل المدينة وأهل الظاهر وأحمد وإسحاق وسائر أئمة الحديث، وبه قال من متكلميهم الحرث بن أسد المحاسبي، وأبو العباس القلانسي، وأبو علي الثقفي، وأبو الحسن الكبير الطبري اهـ.

قلت: وإلى هذا ميل صاحب القوت وعباراته دالة عليه. وقال: وقد روي ذلك مفصلاً في حديث علي رضي الله عنه: الإيمان قول باللسان وعقد بالقلب وعمل بالأركان، ثم قال: فادخل أعمال الجوارح في عقود الايمان، وقد ظهر من السياقين نسبة هذا القول إلى السلف، وصح قول المصنف واشتهر عن السلف، وأشار إلى الجواب بقوله: **(قلنا: لا يبعد أن يعد العمل من**

الإيمان لأنه مكمل له ومتمم، كما يقال الرأس واليدان من الإنسان، ومعلوم أنه يخرج عن كونه إنساناً بعدم الرأس، ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد، وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وإن كانت لا تبطل بفقدها، فالتصديق بالقلب من الإيمان كالرأس من وجود الإنسان إذ ينعدم بعدمه، وبقية الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض، وقد قال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن».

الإيمان لأنه مكمل له ومتمم) التكميل يستعمل في الذوات والصفات وكمل الشيء تمت اجزاؤه وكمله وأكمله والتتميم تكميل الأجزاء، **(كما يقال: الرأس واليدان من الإنسان)** أي من جملة أجزاء الإنسان، **(ومعلوم)** بالبديهة **(انه يخرج عن كونه انساناً بعدم الرأس)** لأنه إذا ذهب الرأس ذهب الإنسان، **(ولا يخرج عنه)** أي عن كونه إنساناً **(بكونه مقطوع اليد)** أو اليدين أو من أصل خلقته، **(ولذلك يقال: التسبيحات)** التي يؤتى بها في الركوع والسجود **(والتكبيرات)** التي يؤتي بها عند الافتتاح وعند كل رفع وخفض **(من الصلاة)** أي من نفسها **(وإن كانت)** الصلاة **(لا تبطل بفقدها)** اتفاقاً **(فالتصديق بالقلب)** نسبته **(من الإيمان كالقلب من وجود الإنسان)** أشار بذلك إلى أنه جزء من مفهومه **(إذ ينعدم)** الايمان **(بعدمه)** كما ينعدم الإنسان بعدم القلب، **(وبقية الطاعات)** الحاصلة **(كالاطراف)** من الإنسان حيث لا ينعدم الإنسان بعدمها **(وبعضها)** أي الطاعات **(أعلى من بعض)**، كما أن بعض الاطراف من الإنسان أشرف من بعض، ومثل التصديق والعمل أيضاً كمثل فسطاط قائم بالأرض ظاهره متجاف وله اطناب وله عمود في باطنه، فالفسطاط مثل الإيمان له أركان من أعمال العلانية، فأعمال الجوارح هي الأطناب التي تمسك أرجاء الفسطاط، والعمود الذي في باطن الفسطاط مثله كالتصديق لا قوام للفسطاط إلا به، فقد احتاج الفسطاط إليها جميعاً إذ لا استعانة له ولا قوة إلا بها جميعاً. **(وقد قال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة.

قلت: وفيه زيادة عندهما وهي «ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن». وهكذا رواه أحمد والترمذي وابن ماجة، وزاد عبد الرزاق وأحمد ومسلم في روايتهم: «ولا يغل أحدكم حين يغل وهو مؤمن فإياكم وإياكم». وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد والطبراني في الكبير، والحكيم الترمذي، والبيهقي عن عبدالله بن أبي داود والطبراني أيضاً في الكبير، عن عبدالله بن مغفل، وفي الأوسط عن علي.

وقال ابن عدي في الكامل: رواه علي بن عاصم بن علي الواسطي، عن شعبة، عن قتادة، عن كثير بن كنز، عن ابن عياض، عن أبي هريرة وعلي ليس بشيء، وهذا لا أعلم أحداً يرويه عن شعبة بهذا الاسناد غير علي بن عاصم، وأورده في ترجمة بقية بن الوليد عن شعبة، وورقاء بن عمر

والصحابة رضي الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الإيمان بالزنا، ولكن معناه غير مؤمن حقاً إيماناً تاماً كاملاً، كما يقال للعاجز المقطوع الأطراف: هذا ليس بإنسان أي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الإنسانية.

عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة. قال الأعرج: سمعت من أبي سلمة بن عبد الرحمن ان أبا هريرة كان يقول مع ذلك: «ولا ينتهب نهبة» الحديث. وهذا من حديث شعبة عن أبي الزناد لم يروه عن شعبة غير بقية، وذلك لأنه لا يحفظ لشعبة عن أبي الزناد شيء، ويقال: إن في أصل بقية هذا الحديث، نا شعبة عن أبي الزناد فقيل: كان في كتابه، نا بعد عن أبي الزناد فصحفوا عنه فقالوا شعبة عن أبي الزناد اهـ.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة وزاد بعد قوله: «وهو مؤمن ينزع منه الإيمان ولا يعود إليه حتى يتوب فإذا تاب عاد إليه». وأخرجه البزار والطبراني في الكبير، والخطيب في التاريخ من طريق عكرمة عن ابن عباس، وأبي هريرة، وابن عمر وعندهم بعد قوله: «وهو مؤمن فإذا تاب تاب الله عليه». وعند الطبراني في الأوسط، عن أبي سعيد بلفظ: «فإذا تاب رجع إليه». وأخرجه عبد الرزاق، ومسلم، وأبو داود، والنسائي عن أبي هريرة وبعد قوله: «وهو مؤمن والتوبة معروضة بعد». وأخرجه عبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وسمويه، وابن الضريس، عن أبي سعيد، والحكيم الترمذي عن عائشة. وذكر ابن عدي في الكامل في ترجمة إسماعيل بن يحي بن عبيدالله التميمي، عن شعبة، عن الحكم، عن ابراهيم، عن علقمة قال: خطبنا علي بالكوفة فقال: قال رسول الله ﷺ ،الحديث. وأورد في ترجمة يحي بن هاشم، نا أظنه شعبة، عن الحكم، عن ابراهيم بهذا الاسناد، وأورده في ترجمة الحكم بن ظهير، عن عاصم، عن زر، عن عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ مثله. (**والصحابة ما اعتقدوا**) رضي الله عنهم (**مذاهب المعتزلة**) بل ولا ذهب فهمهم (**في الخروج عن الإيمان بالزنا**) وشرب الخمر والسرقة والانتهاب والغل وإن وجد في بعض رواياته لفظ الخروج والنزع، فهو على المبالغة والتشديد، (**ولكن معناه غير مؤمن حقاً**) وصدقاً وغير مؤمن (**ايماناً تاماً**) بشروطه (**كاملاً**) بالورع والمخافة، وهذا (**كما يقال للعاجز المقطوع الأطراف**) كاليدين والرجلين والأنف والأذن: (**هذا ليس بإنسان**) وهو صحيح (**أي: ليس له الكمال الذي وراء حقيقة الإنسانية**).
وأورد صاحب القوت هذا الحديث وقال: معناه كامل الايمان ومؤمن حقاً لأن حقيقة الايمان كمال الخوف والورع إذ الأمة مجمعة أن أهل الكبائر ليسوا بكافرين، وإذا فسق بالزنا وشرب الخمر خرج من حقيقة الإيمان وهو الخوف والورع، ولم يخرج من اسمه وهو التصديق والتزام الشريعة وفيه معنى لطيف كأنه يرتفع عنه ايمان الحياء لأن النبي ﷺ قال: «الحياء من الايمان» والمستحي لا يكشف عورته على حرام ويبقى ايمان الإسلام والتوحيد وايجاب الأحكام.

مسألة:

فإن قلت: فقد اتفق السلف على أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية، فإذا كان التصديق هو الإيمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان؟ فأقول:

تنبيه:

قال الفخر الرازي: الأعمال خارجة عن مسمى الايمان، والقائلون بأنها داخلة تحت اسم الايمان اختلفوا، فقال الشافعي رحمه الله: الفسق لا يخرج عن الايمان وهذا في غاية الصعوبة لأنه إذا كان اسماً لمجموع الأمور فعند فوات بعضها يفوت ذلك المجموع إذ المجموع ينتفي بانتفاء جزئه، فوجب أن ينتفي الايمان. وأما المعتزلة والخوارج فأصلهم مطرد لنا أن الأعمال عطف على الايمان في غير موضع من كتاب الله عز وجل والمعطوف غير المعطوف عليه، ولأنه شرط لصحة الأعمال كما في قوله تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن﴾ [طه: ١١٢]، والشرط غير المشروط. وقال الله تعالى: ﴿وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾ [الأنفال: ١]، ولو لم يكن الايمان معرفة عندهم لكان ذلك شرطاً غير مفيد، وقد خاطب باسم الايمان ثم أوجب الأعمال فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ [البقرة: ١٨٣]، وهذا دليل التغاير، وقصر اسم الايمان على التصديق، ولهذا افزع أعداء الله تعالى عند معاينة العذاب والبأس إلى التصديق دون غيره من الأعمال نحو قول فرعون لما أدركه الغرق: ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل﴾ [يونس: ٩٠]، وقول قوم يونس عليه السلام: ﴿آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ [غافر: ٨٤] وتشبثهم بقوله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع ايمانكم﴾ [البقرة: ١٤٣] أي صلاتكم عند بيت المقدس لا يتم لأن المراد بهذا الإيمان التصديق أيضاً غير أن المراد به تصديقهم بكون الصلاة جائزة عند التوجه إلى بيت المقدس، ويحتمل أن يراد به نفس الصلاة إلا أنها سميت إيماناً مجازاً إما لأنها لا تصح بدون الايمان، فكان الايمان شرط جوازها وسبب قبولها، أو لدلالتها على الايمان على أن الاسم محمول على المجاز بالاجماع، فإنهم ما جعلوا الايمان إسماً لكل فرد من أفراد العبادات حتى لا يكون الخارج عن الصلاة خارجاً عن الايمان ولا مفسد الصلاة مفسداً للإيمان، وكذا هذا في الصوم والحج، ثم أطلق اسم الجملة على كل فرد من أفراد الجملة مجاز، وإذا كان الإسم مجازاً كان حمله على ما ذكرنا أحق لما فيه من مراعاة معنى اللغة، والله أعلم.

مسألة:

ثانية من المسائل الثلاث في بيان زيادة الايمان ونقصانه واختلاف الأقوال فيه.

(**فإن قلت: فقد اتفق السلف**) رحمهم الله تعالى (**على أن الإيمان يزيد وينقص**) وفسروه بأنه (**يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فإن كان التصديق هو الإيمان**) والإيمان هو التصديق ولا يتزايد في نفسه (**فلا يتصوّر فيه زيادة ولا نقصان**) أي: لا يزيد بانضمام

السلف هم الشهود العدول وما لأحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق، وإنما الشأن في فهمه، وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الإيمان وأركان وجوده، بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشيء لا يزيد بذاته، فلا يجوز أن

الطاعات إليه ولا ينقص بارتكاب المعاصي إذ التصديق في الحالين على ما قبلهما، وهذا مخالف لما ذهب إليه السلف فكيف التطبيق بين القولين؟ ثم ان المراد بالسلف هنا القائلين بزيادته ونقصه جماعة من الصحابة: عمر بن الخطاب، وعلي، وابن مسعود، ومعاذ، وأبو الدرداء، وابن عباس، وابن عمر، وعمار، وأبو هريرة، وحذيفة، وعائشة رضي الله عنهم. ومن التابعين: كعب الأحبار، وعروة، وطاووس، وعمر بن عبدالعزيز. ومن الأئمة: الشافعي، وأحمد، وإسحاق. كما رواه اللالكائي في كتاب السنّة وإليه ذهب البخاري فقال في أوّل كتاب الإيمان: وهو قول وعمل يزيد وينقص، بل روي عنه بسند صحيح أنه قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً يختلف فيه، وبه قال عامة الأشاعرة، ومن المتكلمين أهل النظر والفقهاء والصوفية. وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا يزيد الايمان ولا ينقص، واختاره أبو منصور الماتريدي، ومن الأشاعرة إمام الحرمين وجمع كثير، وتوقف مالك عن القول بنقصانه. هذا هو المشهور من مذهبه على أنه اختلف قوله كما في رواية العتبية على الاحتمالات الثلاث. ورأيت في (الأسماء والصفات) لأبي منصور البغدادي نقل عن الأشعري في مقالاته عن أبي حنيفة ما نصه، وقال: إن الإيمان لا يتبعض ولا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل الناس فيه، وحكى غسان وجماعة من أصحاب أبي حنيفة عنه أنه يزيد ولا ينقص اهـ. نص مقالات الأشعري.

وهذا الذي حكاه غسان وجماعة عنه هو بعينه قول مالك، ولكن لم يشتهر في المذهب، وقد شرع المصنف في تحقيق هذه المسألة حيث قال: (**فأقول السلف**) الصالحون (**هم الشهود العدول**) لأخبار وردت في ذلك منها: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم» وقد أثنى عليهم الله سبحانه في مواضع من كتابه العزيز منها قوله: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩]، ومنها: ﴿واتبعوهم بإحسان﴾ [التوبة: ١٠٠] (**وما لأحد**) ممن بعدهم (**عن قولهم**) الذي قالوه ورأيهم الذي رأوه (**عدول**) أصلاً، وبين العدول والعدول جناس تام، (**فما ذكروه**) وذهبوا إليه (**حق**) ثابت لا ننكره، (**وإنما الشأن في فهمه**) أي فهم ما قالوه وحمله على أحسن محامله. ولذا قال الفخر الرازي: الخلاف مبني على أخذ الطاعات في مفهوم الايمان وعدمه، فعلى الأوّل إن كان على وجه الركنية كما نقل عن الخوارج، أو على وجه التكميل كما نقل عن المحدثين يزيد بزيادتها وينقص بنقصانها، وعلى الثاني لا لأنه إسم للتصديق الجازم مع الإذعان، وهذا لا يتغير بضم الطاعات ولا المعاصي، وسيأتي البحث فيه. (**وفيه دليل على أن العمل**) بالجوارح (**ليس من أجزاء الايمان**) التي تتركب منها ماهيته (**و**) لا من (**أركان**) وجوده بحيث لا يوجد، ولا يتحقق إلا به كما هو شأن الركنية، (**بل هو مزيد عليه ويزيد به**) إذا وجد معه وينقص إذا انعدم (**والزائد موجود والناقص موجود**) وهو

يقال الإنسان يزيد برأسه بل يقال يزيد بلحيته وسمته ولا يجوز أن يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود، بل تزيد بالآداب والسنن، فهذا تصريح بأن الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان.

فإن قلت: فالاشكال قائم في أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة؟ فأقول: إذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول: الايمان اسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه.

الأول: أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو إيمان العوام بل إيمان الخلق كلهم إلا الخواص، وهذا الاعتقاد

العمل، (**و**) لا يخفى (**أن الشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز أن يقال الإنسان يزيد برأسه**) لأنه جزؤه الذي تم به إنسانيته (**بل يقال يزيد بلحيته**) بكسر اللام الشعر النازل على الذقن، والجمع لحى مثل سدرة وسدر (**وسمته**) وهو السكينة والوقار، (**ولا يجوز أن يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود**) فإنها من صلب الصلاة كما يعرف من حدها الشرعي ذات ركوع وسجود، (**بل تزيد بالآداب والسنن**) الواردة في السنة. وقال المصنف في المنقذ من الضلال: وكما أن في الأدوية أصولاً هي أركانها وزوائد هي متماتها لكل واحد منها خصوص تأثير في أعمال أصولها، كذلك السنن والنوافل لتكميلات آثار أركان العبادات، (**فهذا تصريح بأن الايمان له وجود**) في حد ذاته، (**ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان**) ويفهم منه أن الزيادة والنقصان باعتبار جهات هي غير نفس الذات، والحنفية لا يمنعون ذلك، وإلى هذا أشار المصنف فقال:

(**فإن قلت: فالإشكال**) باق لم يندفع و (**قائم في أن التصديق**) الذي هو مفهوم الإيمان (**كيف يزيد وينقص**) ويتبعض ويتجزأ (**وهو خصلة واحدة**)؟ والخصلة؛ بالضم الحالة والخصلة يشير إلى أنه بسيط وبساطته تقتضي عدم قبوله الزيادة والنقص، (**فأقول: إذا تركنا المداهنة**) أي المسالمة والمصالحة (**ولم نكترث**) أي لم نبال (**بتشغيب من تشغب**) أصل الشغب، تهييج الشر. يقال: شغب القوم وعليهم وبهم شغباً من باب نفع، (**وكشفنا الغطاء**) أي الستر عن وجه المراد (**ارتفع الإشكال**) القائم في المسألة (**فنقول: الايمان إسم مشترك يطلق من ثلاثة أوجه**):

الوجه (**الأول: أنه يطلق للتصديق**) الجازم (**بالقلب**) وهو مفهوم لغوي كما تقدم (**على سبيل الاعتقاد**) أي بعقد القلب عليه وهو معنى الجازم (**و**) على سبيل (**التقليد**) للغير ممن يعتقد صلاحه (**من غير**) حصول (**كشف**) له في سر من أسراره، بل (**و**) من غير (**انشراح صدر**) لما يلقى إليه من الأمور المتعلقة به (**وهو ايمان العوام**) جمع عامة وهم ضد

عقدة على القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة على الخيط مثلاً. ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودي وصلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان، وكذلك النصراني والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف مع أنه غير شاك في عقده كالأول ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم. وهذا موجود في الاعتقاد الحق أيضاً، والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نماء الأشجار، ولذلك قال تعالى: ﴿فَزَادَتْهُم إيماناً﴾ [التوبة: ١٢٤]. وقال تعالى:

الخواص، ولما كان ربما يظن من ذكر العوام أن المراد بهم السوقة خاصة فاضرب على ذلك وقال: (**بل الخلق كلهم**) فدخل فيهم المشتغلون بالعلوم الظاهرة ممن لم يكشف لهم من أسرار الحق شيء، فهم كذلك بمنزلة العوام وايمانهم كايمانهم، بل ربما ان بعض السوقة إذا ألقي إليه شيء من خواص الايمان يتلقاه بالاقبال عليه، وهؤلاء بمعزل عنه لما نشأ في طباعهم من تحصيل علومهم العجب والحسد والكبر وسائر المذام، فلا يستقر في قلبه ما يلقى إليه حسبما ألفه من طبعه من مناقضة ومنع ورد وابطال كما تقدمت إليه الإشارة في أوّل الكتاب، (**إلا الخواص**) من الناس المستثنون من هؤلاء وهم الذين أفاض الله على قلوبهم بأنوار المعارف، وحلاهم بحلية الوقار والسكينة، وأنعم عليهم بأنواع اللطائف. وهذا السياق من المصنف يؤيد القائلين بصحة إيمان المقلد لوجود أصل التصديق عنده. وقد تقدم الكلام على هذه المسألة قريباً. (**وهذا الاعتقاد عقدة**) أي بمنزلة عقدة (**على القلب تارة يشتد ويقوى، وتارة يضعف ويسترخي**) ثم ضرب له مثلاً في الشاهد فقال: (**كالعقدة على الخيط مثلاً**) فإنه مشاهد فيه ذلك، (**ولا تستبعد**) أيها السامع (**هذا**) الذي ذكرته لك (**واعتبر باليهودي وصلابته**) أي شدته (**في عقيدته**) السخيفة (**التي لا يمكن نزعها**) وإخراجها (**منه بتخويف**) وتهديد (**وتحذير**) من النكال به (**ولا بتخييل**) وتصوير للعقائد الحقة له (**و**) لا بزجر و(**وعظ**) ونصيحة باللين والاستمالة (**ولا بتحقيق وبرهان**) على تلك المسائل التي تلقى عليه، (**وكذلك**) حال (**النصراني والمبتدعة**) من المعتزلة والخوارج والرافضة، وهذا مشاهد لمن حادثهم في العقائد الدينية (**وفيهم من يمكن تشكيكه**) أي ادخال الشك عليه (**بأدنى كلام**) وأقرب ايهام، (**ويمكن استنزاله عن**) عصم (**اعتقاده بأدنى استمالة**) وتخييل، (**أو**) أدنى (**تخويف**) وتهديد (**مع انه غير شاك في عقده**) أي فيما عقده بقلبه (**كالأوّل**) أي: كالمتصلب في عقيدته، (**ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وزيادته**) والتصميم في الأمر المضي فيه، (**كما يؤثر سقي الماء في نماء الأشجار، ولذلك قال**) الله (**تعالى**) في سورة براءة: ﴿فأما الذين آمنوا (**فزادتهم ايماناً**)﴾ [التوبة: ١٢٤] أي السورة بزيادة العلم الحاصل من تدبرها وبانضمام الايمان بها وبما فيها إلى إيمانهم. (**وقال تعالى**) في سورة الفتح: ﴿ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾

﴿لِيَزْدَادُوا إيماناً مَعَ إيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقال ﷺ فيما يروى في بعض الأخبار: « الإيمان يزيد وينقص » وذلك بتأثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وإدراك التفاوت في السكون إلى عقائد الايمان في هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك، بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة إذا عمل بموجب اعتقاده

[الفتح: ٤]، وفي المدثر: ﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾ [المدثر: ٣١]، وفي آل عمران: ﴿فاخشوهم فزادهم ايماناً﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وفي الأحزاب: ﴿وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً﴾ [الأحزاب: ٢٢]، **(وقال ﷺ فيما يروى)** عنه **(في بعض الأخبار: « الإيمان يزيد وينقص »)** قال العراقي: أخرجه ابن عدي في الكامل، وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة، وقال ابن عدي: باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب الملحمي يتعمد الكذب، وهو عند ابن ماجة موقوف على أبي هريرة، وابن عباس، وأبي الدرداء اهـ.

قلت: ونص القوت وروينا في حديث واثلة بن الأسقع: « الإيمان يزيد وينقص ». وروي ذلك عن جماعة من الصحابة لا تحصى كثرتهم اهـ.

وأخرجه ابن عدي في الكامل في ترجمة معروف بن عبدالله الخياط الدمشقي قال: حدثنا واثلة بلفظ: « الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ولا يكون قولاً بلا عمل »، ثم قال: هو منكر والحمل فيه على معروف اهـ.

وأخرجه أبو نعيم في ترجمة الشافعي في الحلية، وهو عند الحاكم بلفظ ابن عدي الذي سقناه، فالذي تحصل لنا من هذا أنه رواه أربعة من الصحابة، وظاهر سياق القوت يقتضي أنه موقوف على واثلة رضي الله عنهم.

وروى أبو اسحاق الثعلبي في تفسيره من رواية علي بن عبد العزيز، عن حبيب بن عيسى بن فروخ، عن اسماعيل بن عبد الرحمن، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر قلنا: يا رسول الله؛ إن الايمان يزيد وينقص؟ قال: « نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار ». **(وذلك بتأثير الطاعات في القلب)**، ونقصه بعدم تأثيرها فيه بل بتأثير أضدادها وهي المعاصي، **(وهذا)** المقام **(لا يدركه إلا من راقب أحوال نفسه)** أي تأمل فيها بالمراقبة **(في أوقات المواظبة)** أي الملازمة **(على)** أنواع **(العبادة)** من صلاة وصوم وتلاوة وغيرها، **(و)** ذلك حصوله **(في التجرد)** أي الانفراد **(لها)** أي للعبادة **(بحضور القلب)** وانشراح الصدر **(مع أوقات الفتور)** أي الكسل والبطالة **(وإدراك التفاوت في السكون إلى عقائد الايمان في هذه الأوقات)** فتتضح له حقائق الأحوال وتنحل عنه عقد الاشكال **(حتى يزيد عقده)** القلبي **(استعصاء)** استفعال من العصيان **(على من يريد حله)** وتردعه

فمسح رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل، وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه عملاً مقبلاً أو ساجداً لغيره أحسن من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة. وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها، وسيأتي هذا في ربع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال بالعقائد والقلوب، فإن ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت، وأعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والأعضاء وأعمالها من عالم الملك. ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى إلى حد ظن بعض الناس إتحاد أحدهما بالآخر، وظن آخرون أنه لا عالم إلا عالم الشهادة وهو هذه الأجسام المحسوسة. ومن أدرك الأمرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال:

(**بالتشكيك**) أي: بادخال الشك عليه، (**بل من يعتقد في اليتيم**) وهو فاقد الأب (**معنى الرحمة**) أي رقة القلب (**إذا عمل بموجب اعتقاده**) بفتح الجيم (**فمسح رأسه**) من ورائه إلى قدام كما ورد به حديث (**وتلطف به أدرك من باطنه**) وأحس (**تأكيد الرحمة و**) وجد في نفسه (**تضاعفها بسبب**) ذلك (**العمل، وكذلك معتقد التواضع إذا عمل بموجبه**) بفتح الجيم (**عملاً**) مّا (**مقبلاً**) على غيره (**أو ساجداً لغيره**) أي خاضعاً على هيئة الساجد (**أحس**) أي أدرك في الحين (**من قلبه بالتواضع عند إقدامه على الخدمة. وهكذا**) حال (**جميع صفات القلب**) الحميدة والذميمة (**تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الأعمال عليها فيؤكدها ويزيدها**) وينميها كما تنمو الشجرة بسقي المياه، (**وسيأتي هذا**) البحث (**في ربع المنجيات والمهلكات**) لشدة تعلقه بها (**عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر و**) وجه تعلق (**الأعمال بالعقائد والقلوب، فإن ذلك من جنس تعلق**) عالم (**الملك**) بضم الميم (**بالملكوت، وأعني بالملك عالم الشهادة**) من المحسوسات الطبيعية (**المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب**) المختص (**المدرك بنور البصيرة والقلب**) وما ينبعث منه (**من عالم الملكوت**) لأنه مما يدرك بنور البصيرة (**والأعضاء وأعمالها**) الصادرة عنها (**من عالم الملك**) لأنه مما يدرك بالحس، (**وللطف الارتباط ورقته بين العالمين**) الملك والملكوت (**انتهى**) الحال (**إلى حد بعض الناس**) من الذين يدعون المعرفة (**اتحاد أحدهما بالآخر، وظن آخرون أنه**) لا أصل لعالم الملكوت وقالوا: (**لا عالم إلا عالم الشهادة وهو هذه الأجسام المحسوسة**) ولم يتعدوا عن طور جهلهم لعدم نور البصيرة، (**ومن أدرك الأمرين**) ووفى ذلك (**أدرك تعددهما**) وأنه كل منهما عالم مستقل بذاته، (**ثم**) أدرك (**ارتباطهما**) مع البعض (**عبر عنه**) بلسان المقال (**وقال:**

رق الزجاج ورقت الخمر   وتشابها فتشاكل الأمرُ
فكأنما خمر ولا قدح   وكأنما قدحٌ ولا خمرُ

ولنرجع إلى المقصود فإن هذا العالم خارج عن علم المعاملة ولكن بين العالمين أيضاً اتصال وارتباط، فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة إلى أن تنكشف عنها بالتكليف، فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق، ولهذا

رق الزجاج ورقت الخمر   وتشابها وتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح   وكأنما قدح ولا خمر)

وقال المصنف في القسم الرابع من أواخر كتابه (**المقصد الأسنى**) وهو خاتمة الكتاب استطرد فيها ذكر بعض كلمات الصوفية وما يرد عليها ويجاب عنها فقال: ومنها الاتحاد، ثم ذكر كلاماً طويلاً في آخره: وهذه مزلة قدم فإن من ليس له قدم راسخ في المعقولات ربما يتميز له أحدهما عن الآخر فينظر إلى كمال ذاته، وقد تزين بما تلألأ فيه من حلية الحق فينظر أنه هو، فيقول أنا الحق وهو غالط غلط النصارى حيث رأوا ذلك في ذات عيسى عليه السلام، فقالوا: هو الإله. بل غلط من ينظر في مرآة انطبعت فيها صورة متلونة فيظن أن تلك الصورة صورة المرآة. وأن ذلك اللون لون المرآة. وهيهات: بل المرآة في ذاتها لا لون لها وشأنها قبول صور الألوان على وجه يتخايل إلى الناظرين الى ظاهر الأمور أن ذلك هو صورة المرآة حقاً، حتى أن الصبي إذا رأى انساناً في المرآة ظن أن الإنسان في المرآة. فكذلك القلب خال عن الصور في نفسه وعن الهيئات وإنما هيئاته قبول معاني الهيئات والصور والحقائق فما يحله يكون كالمتحد به أنه تحقيقاً، ومن لا يعرف الزجاج والخمر إذ رأى زجاجة فيها خمر لم يدرك تباينهما، فتارة لا خمر، وتارة يقول لا زجاجة كما عبّر عنه الشاعر حيث قال: وساق البيتين المذكورين.

وقال في مشكاة الأنوار ما نصه: ولا يبعد أن يفجأ الإنسان مرآة فينظر فيها ولم ير المرآة قط، فيظن أن الصورة التي ترى في المرآة هي صورة المرآة متحدة بها، ويرى الخمر في الزجاج فيظن أن الخمر لون الزجاج، فإذا صار ذلك عنده مألوفاً ورسخ فيه قدمه استغرقه فقال، وساق البيتين المذكورين، ثم قال: وفرق بين أن يقول الخمر قدح وبين أن يقول كأنه القدح، وهذه الحالة إذا غلبت سميت بالإضافة إلى صاحب الحالة فناء بل فناء الفناء اهـ.

(**ولنرجع إلى المقصود فإن هذا**) الذي ذكرناه (**اعتراض**) أي كلام معترض بين كلامين (**خارج عن علم المعاملة**) الذي نحن بصدده، (**ولكن بين العلمين أيضاً اتصال وارتباط**) كما بين العالمين، (**فلذلك ترى علوم المكاشفة**) لسطوعها (**تتسلق**) أي تتطلع بخفية (**كل ساعة إلى علوم المعاملة إلى أن يكف**) أي يحبس (**عنها بالتكلف**) الشديد، (**فهذا وجه زيادة الإيمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق**) بفتح الجيم، (**ولهذا قال علي**

قال علي كرّم الله وجهه: إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء فإذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله، وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فإذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه، فذلك هو الختم وتلا قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ الآية.

الاطلاق الثاني: أن يراد به التصديق والعمل جميعاً كما قال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون باباً»، وكما قال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» وإذا دخل

كرم الله وجهه: إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء فإذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله، وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فإذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسوّد القلب كله فيطبع عليه، فذلك الختم وتلا ﴿كلا بل ران على قلوبهم﴾ الآية) [المطففين: ١٤]. هكذا أورده صاحب القوت في باب الاستثناء في الايمان إلا أنه قال: إن الإيمان يبدو وأن النفاق يبدو من غير لام فيهما. وقال: فإذا انتهك المحارم العبد وفيه: فذلك هو الختم، ثم قرأ: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ ويروى بوجه آخر قال: إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد الإيمان عظماً ازداد ذلك البياض، فإذا استكمل الإيمان ابيض القلب كله، وأن النفاق يبدو لمظة سوداء فكلما ازداد النفاق عظماً ازداد ذلك السواد، فإذا استكمل النفاق اسود القلب كله، وأيم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود.

قال السيوطي في الجامع الكبير: هكذا أخرجه ابن المبارك في الزهد، وابن أبي شيبة في المصنف، وأبو عبيد في الغريب، ورسته في الإيمان، والبيهقي واللالكائي في السنّة، والاصبهاني في الحجة.

قلت: ومن طريق أبي عبيد أخرجه اللالكائي في كتاب السنّة مختصراً وساق سنده من طريق دعلج بن أحمد، حدثنا علي بن عبد العزيز قال: قال أبو عبيد فذكره.

وقال الأصمعي: مثل النكتة أو نحوها، وفي كتاب الحلية في ترجمة حذيفة بمعنى ما ورد عن علي رضي الله عنهما.

(الإطلاق الثاني: أن يراد به) أي الإيمان **(التصديق)** الجازم **(والعمل جميعاً)**، فالأوّل مفهوم الإيمان، والثاني مفهوم الإسلام، وهذا التغاير في المفهومين لا يورث إنفكاك أحدهما عن الآخر في الحكم فهما متحدان في اعتبار الصدق، وهل اطلاق الإيمان على العمل يكون حقيقة أو مجازاً؟ فمن نظر إلى أن الأعمال تكون من الإيمان جعله مجازاً، وأما على القول بأنه مركب من التصديق والعمل فيكون حقيقة، **(كما قال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون باباً»)** قال العراقي: وذكره بعد هذا فزاد فيه: «أدناها اماطة الأذى عن الطريق» ورواه

العمل في مقتضى لفظ الإيمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الإيمان الذي هو مجرد التصديق؟ هذا فيه نظر. وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه.

الاطلاق الثالث: أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة، وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة، ولكني أقول الأمر اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمأنينة النفس إليه فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين أكثر من الواحد كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث، وإن كان لا شكَّ في واحد

البخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة «الايمان بضع وسبعون شعبة» زاد مسلم في روايته «فافضلها قول لا إله إلا الله وأدناها» فذكره. ورواه بلفظ المصنف الترمذي وصححه اهـ.

قلت: أخرجه البخاري في أوّل صحيحه عن المسندي، عن أبي عامر العقدي، عن سليمان ابن بلال، عن عبدالله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رفعه «الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان». ورواه مسلم من طريق سهيل بن أبي صالح، عن عبدالله بن دينار «بضع وستون أو بضع وسبعون». على الشك، وعند أبي داود، والترمذي، والنسائي من طريقه «بضع وسبعون» من غير شك. ورجح البيهقي رواية البخاري بعدم شك سليمان، وعورض بوقوع الشك عنه عند أبي عوانه، ورجح لأنه المتيقن وما عداه مشكوك فيه. وعند ابن عدي في الكامل من رواية ثابت بن محمد، عن الثوري، عن أبي الزبير عن جابر بلفظ «بضع وستون». (**وكما قال ﷺ: «لا يزني الزاني وهو مؤمن حين يزني»**) تقدم الكلام عليه قريباً والرواية حين يزني وهو مؤمن. (**وإذا دخل العمل في مقتضى لفظ الإيمان**) أي مفهومه سواء على الركنية أو على وجه التكميل (**لم يخف**) على المتأمل (**زيادته**) أي العمل (**ونقصانه، وهل يؤثر في زيادة الإيمان الذي هو مجرد التصديق**) الجازم؟ (**وهذا فيه نظر**) لأن هذا المفهوم لا يتغير بضم الطاعات والمعاصي إليه. (**وقد أشرنا إلى أنه يؤثر فيه**) وأنه لا مانع من ذلك عقلاً والله أعلم.

(**الاطلاق الثالث: أن يراد به**) أي بالإيمان (**التصديق اليقيني**) أي اليقين الذي هو مضمون التصديق، وهو أخص من التصديق لكونه (**على سبيل الكشف**) برفع الساتر واطلاع ما وراء الحجاب، (**وانشراح الصدر**) واتساعه لما يرد عليه (**والمشاهدة بنور البصيرة**) وجوداً وشهوداً. (**وهذا أبعد الأقسام عن قبول الزيادة**). وإليه الإشارة في قول علي رضي الله عنه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. (**ولكن أقول الأمر اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمأنينة النفس إليه**) أي سكونها واستقرارها، (**فليس طمأنينة النفس إلى أن الاثنين**) من العدد (**أكثر من الواحد، كطمأنينتها إلى أن العالم مصنوع حادث، وإن كان لا شك في واحد منهما**) إلا أن الأولى من أجلى البديهيات، والثانية من أخفى النظريات. (**فإن**

منها، فإن اليقينيات تختلف في درجات الايضاح ودرجات طمأنينة النفس إليها، وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة إلى

اليقينيات تختلف في درجات الإيضاح ودرجات طمأنينة النفس إليها، وقد تعرضنا لهذا) البحث **(في فصل اليقين من كتاب العلم في باب علامات علماء الآخرة)** وتكلمنا على ما يناسب المقام، **(فلا حاجة إلى الإعادة)** والتكرار. وهذا يدل على تفاوت نفس الذات، ومنع الحنفية هذا وقالوا: هو تفاوت بأمور زائدة عليها، وعليه روي قول أبي حنيفة أنه قال: أقول إيماني كإيمان جبريل ولا أقول مثل إيمان جبريل، لأن المثلية تقتضي المساواة في كل الصفات والتشبيه لا يقتضيه، فلا أحد يسوّي بين إيمان آحاد الناس وإيمان الملائكة والانبياء، بل يتفاوت بأمور زائدة. وقالوا: ما يظن من أن القطع يتفاوت قوة إنما هو راجع إلى جلائه وظهوره وانكشافه، فإذا ظهر القطع بحدوث العالم بعد ترتيب مقدماته المؤدية إليه كان الجزم الكائن فيه كالجزم في حكمناالواحد نصف الاثنين، وإنما تفاوتها باعتبار أنه إذا لوحظ هذا كان سرعة الجزم فيه ليس كالسرعة التي في الآخر وهو الواحد نصف الاثنين خصوصاً مع غيبة النظر عن ترتيب مقدمات حدوث العالم عن الذهن، فيخيل أن الجزم بأن الواحد نصف الاثنين أقوى وليس كذلك إنما هو أجلى عند العقل فهم من وافقهم يمنعون ثبوت ماهية المشكك ويقولون: إن الواقع على أشياء متفاوتة فيه يكون التفاوت عاوضاً لها خارجاً عنها لا ماهية له ولا جزء ماهية لامتناع اختلاف الماهية، واختلاف جزئها. ولو سلموا ثبوت ماهية المشكك فلا يلزم كون التفاوت في افراده بالشدة فقد يكون بالأولوية وبالتقدم والتأخر، ولو سلموا أن ما به التفاوت في افراد المشكك شدة كشدة البياض الكائن في الثلج بالنسبة إلى البياض الكائن في العاج مأخوذ من ماهية البياض بالنسبة إلى خصوص محل، لا يسلمون أن ماهية اليقين منه لعدم دليل يوجبه. ولو سلموا أن ماهية اليقين تتفاوت لا يسلمون أنه يتفاوت بمقدمات الماهية، بل بغيرها من الأمور الخارجة عنها العارضة لها. وقد أجابوا عن الظواهر الدالة على قبول الزيادة أن الإيمان يتفاوت باشراق نوره في القلب وزيادة ثمراته، فإن كان زيادة اشراق نوره هو زيادة القوّة والشدة فيه فلا خلاف في المعنى بين القائلين والنافين. إذ يرجع النزاع إلى أن الشدة والقوّة التي اتفقوا على ثبوت التفاوت بها زيادة ونقصاناً هل هي داخلة في مقدمات حقيقة اليقين أو خارجة عنها، فقد حصل الاتفاق من الفريقين على ثبوت التفاوت فيه بأمر معين والخلاف في خصوص نسبته الى تلك الماهية، وإن كان زيادة اشراقه غير زيادة، فالخلاف ثابت من الأمور الخارجة عن الماهية التي ثبت بها، وإلى هذا اشار الإمام في الارشاد حيث قال في جواب سؤال نبي من الأنبياء عليهم السلام يفضل من عداه في الإيمان باستمرار تصديقه لاستمرار مشاهدة الموجب للتصديق والجلال والكمال بعين البصيرة بخلاف غيره حيث يعرب عنه ويحضر، فيثبت للنبي وأكابر المؤمنين أعداد من الإيمان لا يثبت لغيرهم إلا بعضها، فاستمرار حضور الجزم قد يخال زيادة قوّة في ذاته وليس إياه أو إياه وليس داخلاً اهـ.

الإعادة. وقد ظهر في جميع الاطلاقات أن ما قالوه من زيادة الإيمان ونقصانه حق وكيف لا وفي الأخبار أنه: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان». وفي بعض المواضع في خبر آخر: «مثقال دينار» فأي معنى لاختلاف مقاديره إن كان ما في القلب لا يتفاوت؟

(وقد ظهر في جميع الاطلاقات أن ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه حق) صحيح **(وكيف لا)** يكون ذلك **(وفي الاخبار أنه «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان»)** تقدم الكلام عليه **(وفي بعض المواضع في خبر آخر «مثقال دينار»)** مكان «مثقال ذرة». قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي سعيد اهـ.

(فأي معنى لاختلاف مقاديرها إن كان ما في القلب لا يتفاوت) قد وقع في البخاري «مثقال حبة من خردل» كما تقدم. وفي بعض الروايات «وزن برة» وفي أخرى «مقدار شعيرة» فاختلفت المقادير وهو على التمثيل ليكون عياراً في المعرفة لا في الوزن حقيقة، لأن الخبر أو الإيمان ليس بجسم فيحصره الوزن والكيل، لكن ما يشكل من المعقول قد يرد إلى عيار محسوس ليفهم ويشبه به ليعلم وفيه أقوال أخر ذكرها شراح الصحيح.

تنبيه:

وجدت بخط بعض المحصلين ما نصه، قال الإمام: البحث في زيادة الإيمان ونقصانه لفظي لأنه إن كان المراد بالإيمان التصديق فلا يقبلها، وإن كان الطاعات فيقبلها، فالطاعات مكملة للتصديق فكلما قام من الدليل على أن الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان كان مصروفاً إلى أصل الإيمان الذي هو التصديق، وكل ما دل على كون الإيمان يقبل الزيادة والنقصان فهو مصروف إلى الكامل وهو المقرون بالعمل، وقال بعضهم: يقبلها سواء كان عبارة عن التصديق مع الأعمال وهو ظاهر أو بمعنى التصديق وحده لأن التصديق بالقلب هو الاعتقاد الجازم وهو قابل للقوّة والضعف اهـ.

وقال شارح الحاجبية: الإيمان قد يطلق على ما هو الأساس في النجاة على الكامل المنجي بلا خلاف اهـ.

وبخط بعض المحصلين قال العلامة الشمس محمد البكري: حيث أطلق أصحابنا أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فمرادهم القدر الذي هو الأصل في النجاة، ومن قال يزيد وينقص أراد به الكامل اهـ.

قلت: وهو حسن، ولكن ما أعجبني تسمية القسم الأخير بالكامل، فإنه يستدعي أن يكون مقابله ناقصاً وهو وإن كان صحيحاً في نفس الأمر لكن التعبير غير حسن، والأولى أن يعبر عنه بالإيمان الشرعي كما وقع في عبارات بعض المحققين، وكونه يزيد وينقص قوّة وضعفاً إجمالاً وتفصيلاً وتعدداً بحسب تعدد المؤمن به هو قول المحققين من الأشاعرة، وارتضاه النووي،

....

وعزاه السعد في شرح العقائد لبعض المحققين. وقال في المواقف: إنه الحق ولكن قد سبق جواب الحنفية وأنهم لم يرتضوا ذلك، وسبق الكلام في القوّة والضعف فراجعه.

استطراد:

ومن أجوبة الحنفية عن الآيات الدالة على الزيادة ونحوها أنها محمولة على أنهم كانوا آمنوا في الجملة، ثم يأتي فرض بعد فرض فكانوا يؤمنون بكل فرض خاص، فكان يزيد بزيادة الموقن به وهو لا يتصوّر في غير عصره ﷺ، وهذا الجواب مروي عن أبي حنيفة وهو بعينه مروي عن ابن عباس، ففي الكشاف عنه ان أوّل ما أتاهم به النبي ﷺ التوحيد، فلما آمنوا بالله وحده أنزل الصلاة والزكاة ثم الجهاد ثم الحج، فازدادوا ايماناً على إيمانهم اهـ.

ويوجد في أكثر نسخ الكشاف تقديم الحج على الجهاد وهو سبق قلم إذ الجهاد فرض قبل الحج بلا خلاف. قال ملاّ علي: وحاصل كلام الإمام أن الإيمان كان يزيد بزيادة ما يجب الإيمان به، وهذا مما لا يتصوّر في غير عصر النبي ﷺ اهـ.

ويرشح لذلك قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٣] الآية. فإن هذه الآية نزلت بعد نزول أحكام الحلال والحرام، والإكمال إتمام الشيء الذي بعضه متبعض من بعض لا يقال لما كان له بعد ولا لما كان به نقص، وإنما يقال: كمل لما كان بعضه قبل بعض، فإذا وجد جميعه قبل كمل وتم وهذا هو حقيقة هذه الكلمة، ولما كان إيمانهم بتوحيد الله تعالى قد سبق، وأنزل الله الفرائض شيئاً بعد شيء، وكان الاكمال من الدين دل على أن بعضه متعلق ببعض إلى يوم أكمله، فصارت زيادة الإيمان من هذا الوجه، وبه تعلم إندفاع ما قيل في الرد عليهم بأن الاطلاع على تفاصيل الفرائض يمكن في غير عصره ﷺ، والإيمان واجب إجمالاً فيما علم إجمالاً وتفصيلاً فيما علم تفصيلاً، ولا خفاء في أن التفصيلي أزيد بل أكمل، وحاصل الدفع أن تلك التفاصيل لما كان الإيمان بها برمتها إجمالاً فبالاطلاع عليها لم ينقلب الإيمان من النقصان إلى الزيادة، بل من الإجمال إلى التفصيل فقط بخلاف ما في عصره عليه السلام، فإن الإيمان لما كان عبارة عن التصديق لكل ما جاء به النبي من عند الله فكلما ازدادت تلك الجملة ازداد التصديق المتعلق به لا محالة. وأما قوله: ولا خفاء في أن التفصيلي أزيد بل أكمل فكونه أزيد ممنوع، وأما كونه أكمل فمسلم إلاّ أنه غير مفيد فتأمل.

تكميل:

ومما استدل به على قبول التصديق اليقيني الزيادة قوله تعالى حكاية عن إبراهم عليه السلام: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ [البقرة: ٢٦] ووجه الدلالة أن عين اليقين فيه طمأنينة ليست في علم اليقين. وروي عن سعيد بن جبير في معناه أي يزداد يقيني، وعن مجاهد لازداد إيماناً إلى إيماني.

فإن قيل: إن سيدنا إبراهيم عليه السلام من أعلى الخلق مرتبة في الإيمان، فكيف طلب ما

مسألة:

فإن قلت: ما وجه قول السلف «أنا مؤمن إن شاء الله»؟ والاستثناء شك والشك في

يطمئن به قلبه؟ قلنا: الآية مؤوّلة. والمراد به زيادة الاطمئنان، أو أنه عليه السلام طلب حصول القطع بالاحياء بطريق آخر وهو البديهي الذي بداهته سبب وقوع الاحساس به، وحاصله أنه لما قطع بالقدرة على الإحياء اشتاق إلى مشاهدة كيفية هذا الأمر العجيب الذي جزم بثبوته، ومثله ابن الهمام بمن قطع بوجود دمشق وما فيها من بساتين وأنهار فنازعته نفسه في رؤيتها والابتهاج بمشاهدتها، فإنها لا تسكن وتطمئن حتى يحصل مناها. وكذا شأنها في كل مطلوب مع العلم بوجود دمشق إذ الفرض القطع بثبوته.

قال ابن أبي شريف: يشير بهذا التأويل إلى أن المطلوب من ذلك القول هو سكون قلبه عن المنازعة إلى رؤية الكيفية المطلوب رؤيتها، وهو الذي اقتصر عليه العز بن عبد السلام في جواب السؤال أو المطلوب سكونه بحصول متمناه من المشاهدة المحصلة للعلم البديهي بعد العلم النظري، والله سبحانه أعلم.

غريبة:

روى الفقيه أبو الليث السمرقندي في تفسيره عند قوله تعالى وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فقال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد ابن الفضل، حدثنا يحي بن عيسى، حدثنا أبو مطيع، عن حماد بن سلمة، عن أبي المخرم، عن أبي هريرة رضي الله عنه: جاء وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله: الإيمان يزيد وينقص؟ فقال: «لا. الإيمان مكمل في القلب زيادته ونقصانه كفر». فقال شارح الطحاوية: سئل شيخنا العماد بن كثير عن هذا الحديث. فأجاب: بأن الاسناد من أبي الليث إلى أبي مطيع مجهولون لا يعرفون في شيء من كتب التواريخ المشهورة، وأما أبو مطيع فهو الحكيم بن عبدالله ابن مسلمة البلخي ضعفه أحمد، ويحي، والفلاس، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، وأبو حاتم الرازي، وأبو حاتم البستي، والعقيلي، وابن عدي، والدارقطني وغيرهم. وأما أبو مخرم الراوي عن أبي هريرة اسمه يزيد بن سفيان فقد ضعفه غير واحد، وتركه شعبة بن الحجاج، وقال النسائي: متروك. وقد اتهمه شعبة بالوضع حيث قال: لو أعطوه فليساً لحدّثهم سبعين حديثاً اهـ.

(**مسألة**): وهي آخر المسائل الثلاث.

(**فإن قلت: ما وجه قول السلف**) رحمهم الله تعالى (**«أنا مؤمن ان شاء الله»**) والمراد بالسلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم والشافعية والمالكية والحنابلة، ومن المتكلمين الأشعرية والكلائية وهو قول سفيان الثوري وكان صاحبه محمد بن يوسف الفريابي مقيماً بعسقلان فشهر ذلك في الشام عنه، وأخذه عنه عثمان بن مرزوق فزاد أصحابه المشهورون اليوم بالمرازقة في للديار المصرية الاستثناء في كل شيء وهو بدعة وضلال. أعني: ما زادوه. وأما الأصل وهو «أنا

الإيمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالإيمان ويحترزون عنه. فقال سفيان الثوري رحمه الله: من قال: أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين، ومن قال: أنا مؤمن حقاً فهو بدعة، فكيف يكون كاذباً وهو يعلم أنه مؤمن في نفسه، ومن كان مؤمناً في نفسه كان مؤمناً عند الله؟ كما أن من كان طويلاً أو سخياً في نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله، وكذا من كان مسروراً أو حزيناً أو سميعاً أو بصيراً، ولو قيل للإنسان: هل أنت حيوان؟ لم يحسن أن يقول: أنا حيوان، إن شاء الله. ولما

مؤمن إن شاء الله» فهو صحيح. وكذا ذكره التقي السبكي في رسالة له مستقلة في هذه المسألة، ورأيت بخط المذكور في آخر تلك الرسالة ما نصه: وممن قال بالاستثناء عبد الله بن مسعود واختلف في رجوعه عنه، وعمر بن الخطاب في بعض روايته، وعائشة قالت: أنتم المؤمنون إن شاء الله تعالى، ومن بعدهم الحسن، وابن سيرين، وطاوس، وإبراهيم النخعي، وأبو وائل، ومنصور، ومغيرة، وابن مقسم، والأعمش، وليث بن أبي أسلم، وعطاء بن السائب، وعمارة بن القعقاع، والعلاء بـن المسيب، وإسماعيل بن أبي خالد، وابن شبرمة، وسفيان الثوري، وحمزة الزيات، وعلقمة، وإسحاق بن راهويه، وابن عيينة، وحماد بن زيد، والنضر بن شميل، ويزيد بن زريع، والشافعي، وأحمد بن حنبل، ويحي بن سعيد القطان، وأبو يحي صاحب الحسن، والآجري، وأبو البحتري سعيد بن فيروز، والضحاك، ويزيد بن أبي زياد، ومحل بن خليفة، ومعمر، وجرير بن عبد الحميد، وابن المبارك، ومالك، والأوزاعي، وسعيد بـن عبد العزيز، وابن مهدي، وأبو ثور، وأبو سعيد بن الأعرابي رحمهم الله تعالى هكذا رأيت بخطه إلا أني رتبتهم كما ترى على ترتيب الطبقات في الغالب، وقد وجدت جماعة أخرى من أضراب هؤلاء في كتاب السنة للالكائي، فمن الصحابة علي بن أبي طالب، ومن المخالفين لهم ابن أبي مليكة، وسليمان بن بريدة، وعطاء بن يسار، وعبد الرحمن والد العلاء، وبكير الطائي وميسرة وغيرهم. (و) لا يخفى أن (**الاستثناء**) في الايمان (**شك**) لأن وضع الاستثناء في اللغة دخوله على المحتمل الذي يقال أنه الشك، فيتبادر إلى الأذهان هذا الشك في أصل التصديق الواجب عليه، (**والشك في الإيمان كفر**) بالاتفاق، (**وقد كانوا كلهم يمنعون عن جزم الجواب بالإيمان ويحترزون عنه، فقال سفيان**) بن سعيد (**الثوري**) تقدمت ترجمته: (**من قال: أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين، ومن قال: أنا مؤمن حقاً فهو بدعة**) هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه قال: ومن قال: أنا مؤمن فهـو مبتدع، وبعده زيادة يذكرها المصنف بعد قريباً. (**فكيف يكون كاذباً وهو يعلم أنه مؤمن في نفسه، ومن كان مؤمناً في نفسه كان مؤمناً عند الله**) لا محالة، (**كما أن من كان طويلاً**) في قامته (**أو سخياً**) جواداً كل ذلك (**في نفسه وعلم ذلك**) من نفسه (**كان كذلك عند الله، وكذا من كان مسروراً أو حزيناً أو سميعاً أو بصيراً**) أو موصوفاً بأي صفة كانت، (**ولو قيل للإنسان: هل أنت حيوان؟ لم يحسن**) منه (**أن يقول**) في الجواب: (**أنا حيوان إن شاء الله**) فإنه لا معنى للاستثناء في هذا، (**ولما قال**

قال سفيان ذلك، قيل له: فماذا نقول؟ قال: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ [البقرة: ١٣٦] وأي فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل إلينا وبين أن يقول أنا مؤمن؟ وقيل للحسن: أمؤمن أنت؟ فقال: « إن شاء الله » فقيل له: لم تستثني يا أبا سعيد في الإيمان؟ فقال: أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فتحق عليّ الكلمة، وكان يقول: ما يؤمنني أن يكون الله سبحانه قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني. وقال: اذهب لا قبلت لك عملاً، فأنا أعمل في غير معمل. وقال ابراهيم بن أدهم: إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل: لا إله إلا الله، وقال مرة: قل أنا لا أشك في الإيمان وسؤالك

سفيان) الثوري **(ذلك)** أي القول الذي تقدم **(قيل له: فماذا تقول؟ قال: ﴿ قولوا آمنا بالله وما انزل إلينا)** وما أنزل إلى ابراهيم﴾ الآية. هكذا اورده صاحب القوت متصلا بكلامه الذى مضى آنفاً. وأخرج اللالكائي في كتاب السنة من طريق حماد بن زيد، عن يحي بن عتيق، عن محمد بن سيرين إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل: ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا وما انزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ [البقرة: ١٣٦] **(وأي فرق بين أن يقول « آمنا » وبين أن يقول « أنا مؤمن »)** فإن في الظاهر لا فرق بينهما. **(وقيل للحسن)** بن سعيد البصري سيد التابعين تقدمت ترجمته: **(أمؤمن أنت؟ فقال)** في جوابه: **(إن شاء الله، فقيل: تستثني يا أبا سعيد في الإيمان)** مع جلالة قدرك وسعة علمك **(فقال: أخاف أن أقول نعم، فيقول الله سبحانه: كذبت فتحق عليَّ الكلمة)** أي كلمة العذاب. هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه قال فيقول ربي: كذبت. وأخرج اللالكائي في السنة من طريق حماد بن زيد سمعت هشاماً يقول: كان الحسن ومحمد يقولان: مسلم، ويهابان مؤمن اهـ.

(وكان) الحسن **(يقول: ما يؤمنني أن يكون الله سبحانه قد اطلع على بعض ما يكره فمقتني. وقال: اذهب لا قبلت لك عملاً فأنا أعمل في غير معمل)**. هكذا أورده صاحب القوت متصلاً بما سبق، والمقت: أشد الغضب. والمعمل: موضع العمل. **(وقال إبراهيم)** بن يزيد النخعي فقيه الكوفة وليس هو بابن أدهم كما ظنه بعض من لا خبرة له بمراجعة الأصول. **(إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل: لا إله إلا الله)** محمد رسول الله هكذا أورده صاحب القوت. قال: وروينا عن الثوري، عن الحسن بن عبدالله، عن إبراهيم النخعي فذكره. **(وقال)** ـميان **(مرة)** في الجواب **(قل: أنا لا أشك في الإيمان وسؤالك اياي بدعة)** هكذا أورده صاحب القوت وزاد بعده فقال وقال بعضهم: إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

قلت: وهذا القول أخرجه اللالكائي في السنّة من طريق أحمد بن حنبل، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن محل قال، قال لي إبراهيم. إذا قيل لك أمؤمن؟ فقل: آمنا بالله

إياي بدعة. وقيل لعلقمة: أمؤمن أنت؟ قال: أرجو إن شاء الله. وقال الثوري: نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند الله تعالى!! فما معنى هذه الاستثناءات؟ فالجواب: أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه، وجهان مستندان إلى الشك لا في أصل الإيمان ولكن في خاتمته أو كماله، ووجهان لا يستندان إلى الشك.

وملائكته وكتبه ورسله. فظهر أن المراد بالبعض في قول صاحب القوت هو إبراهيم، وقد رواه أيضاً بهذا الإسناد عن سفيان، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه مثله. وقال صاحب القوت وكان جماعة من أهل العلم يرون السؤال عن قولهم: أمؤمن أنت بدعة.

قلت: والمراد به أحمد بن حنبل كما صرح به اللالكائي. **(وقيل لعلقمة)** بن قيس فقيه الكوفة: **(أمؤمن أنت؟ فقال: أرجو إن شاء الله)** أخرجه صاحب القوت من طريق منصور عن إبراهيم قال: سئل علقمة فذكره إلا أنه قال: أرجو ذلك إن شاء الله. **(وقال)** سفيان **(الثوري: نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند الله تعالى)!!** هكذا أورده صاحب القوت بلفظ، وكان الثوري يقول: وأخرج اللالكائي في السنة من طريق أبي سعيد الأشج، حدثنا أبو أسامة قال، قال لي الثوري وأنا وهو في بيته ما لنا ثالث: نحن مؤمنون والناس عندنا مؤمنون ولم يكن هذا أفعال من مضى، وأخرج من طريق عبد الرزاق قال: قال سفيان: نحن مؤمنون عند أنفسنا فأما عند الله فما ندري ما حالنا. وفي القوت، وقال بعض العلماء: أنا مؤمن بالإيمان غير شاك فيه ولا أدري أنا ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾ [الأنفال: ٤] أم لا؟ وقال منصور بن زاذان: كان الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ إذا سئل أمؤمن أنت؟ قال: أنا مؤمن إن شاء الله. وقال أبو وائل، قال رجل لابن مسعود: لقيت ركباً فقالوا: نحن المؤمنون حقاً. فقال: ألا قالوا نحن من أهل الجنة؟

قلت: وهذا أخرجه اللالكائي من طريق، عن الأعمش، عن أبي وائل. ومن طريق يحيى بن سعيد، عن شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن إبراهيم، عن علقمة قال: قال رجل عند ابن مسعود: إني مؤمن. قال: قل إني في الجنة، ولكن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله. ومن طريق معاوية عن أبي إسحاق قال: سألت الأوزاعي قلت أترى أن يشهد الرجل على نفسه أنه مؤمن؟ قال: ومن يقول هذا؟ قلت: كيف يقول؟ قال يقول أرجو، ولكنهم المسلمون ولكن ما ندري ما يصنع الله بهم. **(فما معنى هذه الاستثناءات)** في كلام السلف؟ **(فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله)** في تصحيحه **(أربعة أوجه: وجهان مستندان إلى الشك لا في أصل الإيمان)** أي للشك في ثبوت التصديق الجازم في القلب بحال الكمل وإلاَّ لكان الإيمان منفياً لأن الشك في ثبوته في الحال كفر **(ولكن في خاتمته)** أي في ابقائه إلى الوفاة عليه **(أو كماله ووجهان)** منها **(لا يستندان إلى الشك)**.

الوجه الأول: الذي لا يستند إلى معارضة الشك: الاحتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى: ﴿فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُم﴾ [النساء: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿أنظُر كيف يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ﴾ [النساء: ٥٠]. وقيل لحكيم: ما الصدق القبيح؟ فقال: ثناء المرء على نفسه. والإيمان من أعلى صفات المجد، والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها نقل من عرف التزكية، كما يقال للإنسان: أنت طبيب أو فقيه أو مفسر؟ فيقول: نعم إن شاء الله لا في معرض التشكيك، ولكن لإخراج نفسه عن تزكية نفسه، فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف اللازم من لوازم الخبر وهو التزكية. وبهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء.

(**الوجه الأوّل: لا يستند إلى معارضة الشك**)، وهو (**الاحتراز من الجزم**) به (**خيفة ما فيه من تزكية النفس**) لا على وجه الشك والارتياب في اليقين، ولا معنى الشك في التصديق فمن قال: أنا مؤمن حقاً فقد زكى نفسه وعصى ربه عز وجل لأنه (**قال الله تعالى:** ﴿**فلا تزكوا أنفسكم**﴾) **هوأعلم بمن اتقي**﴾ [النجم: ٣٢] فقد نهى فيه عن تزكية النفس وعرض المزكي نفسه للكذب، (**وقال**) تعالى: ﴿**الم تر إلى الذين يزكون أنفسهم**﴾ ثم قال: ﴿**انظر كيف يفترون على الله الكذب**﴾) [النساء: ٤٩، ٥٠] أشار إلى أن المزكي نفسه يعرضها للكذب، فأشار بالآية الأولى الى التزكية، وبالثانية إلى ما يعرض من التزكية، (**و**) من هنا (**قيل لحكيم: ما الصدق القبيح؟ فقال: ثناء المرء**). وفي بعض النسخ: الإنسان (**على نفسه**) وهو التزكية، ولقائل أن يقول: وأي تزكية للنفس في قوله: انا مؤمن حقاً؟ فأشار المصنف إلى جوابه فقال: (**والإيمان من أعلى صفات المجد**) وأفخر ما يتحلى به، (**والجزم به**) لنفسه بالحقية (**تزكية مطلقة**) لأنه نسب إلى نفسه أعلى صفات المجد (**وصيغة الاستثناء**) وهي إن شاء الله (**كأنه نقل من عرف التزكية**) هكذا في النسخ وهو المعتمد، وهذا (**كما يقال للإنسان أنت طبيب أو فقيه أو مفسر**) أو محدث أو صوفي أو غير ذلك من هذا الضرب، (**فيقول: نعم إن شاء الله**) فقوله هذا (**لا في معرض التشكيك**) بالشدة والضعف بأن يكرر بعض ما ذكر أكثر وأشد من بعض، (**ولكن لإخراج نفسه عن تزكية نفسه**) الثناء عليها (**فالصيغة صيغة الترديد**) إذ موضوع «أن» في اللغة دخولها على المحتمل الذي هو الشك في قول (**و**) هو يلزم منه (**التضعيف لنفس الخبر، ومعناه التضعيف اللازم من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التأويل**) الذي حققناه (**لو سئل**) رجل (**عن وصف ذم**) كأن يقول له أنت جاهل أو أحمق أو بليد (**لم يحسن الاستثناء**) في الجواب، وحاصل هذا الوجه أن الاستثناء يراد به التبرىء عن تزكية النفس والإعجاب بالحال، وقد دفعه الحنفية بأن الأولى تركه لما أنه يوهم الشك على ما ذكره شارح العقائد وحكموا ببطلان هذا القول، وقالوا:

الوجه الثاني: التأدب بذكر الله تعالى في كل حال وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه، فقد أدب الله سبحانه نبيه ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣]، ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه، بل قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وكان الله سبحانه عالماً بأنهم يدخلون لا محالة وانه شاءه، ولكن المقصود تعليمه ذلك

ذلك لا يصح كما لا يصح قول القائل: أنا حي إن شاء الله، وأنا رجل إن شاء الله.

وقال صاحب التعديل: هو صريح في الشك في الحال وهو لا يستعمل في المحقق في الحال حيث لا يقال: أنا شاب إن شاء الله، ولعلمائنا الحنفية في هذا المبحث كلام طويل تركته لما في أكثره من نسبة التكفير والتضليل والتحريم إلى قائله، فلمَ أستحسن ايراده إذ قد أطبق السلف على التكلم به، فكيف ينسبون إلى شيء مما ذكر، وهم وسائطنا إلى الله ورسوله ﷺ، ومن غلوهم وتشديداتهم سموهم مستثنية شكية، وبنوا على ذلك أنه لا يصلى خلف شاك في إيمانه، وأرادوا به ذلك. هذا الكلام والله يغفر لقائله إنما صدر من متأخرين. منهم إذا حقق البحث معه رجع إلى أمر لفظي وما أراده به من هذه المسألة يرجع إلى ما اعتقدوه بمن يقول هذه المقالة وهو بريء مما أرادوه به، والأئمة المتقدمون من أصحابنا لم يبلغنا عنهم ذلك، وإمامنا الأعظم رضي الله عنه وإن كان قد نقل عنه الإنكار في هذه القولة لم ينقل عنه مثل ما قاله هؤلاء المتأخرون من أصحابه، ولئن سلمنا قولهم من التكفير والتضليل، فكيف يفعلون في عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وابراهيم النخعي، وعلقمة؟ وهؤلاء أصول المذهب وقد ذهبوا إلى ما ذهب إليه غيرهم من السلف، فالأولى كف الكلام في ذلك إلا عند الضرورة مع كمال مراعاة الأدب والاحترام للمشايخ القائلين بهذه القولة وعدم نسبتهم إلى شيء من الضلال والابتداع فضلاً عن الكفر، فهذا الخلاف لفظي أو معنوى لا يترتب عليه كفر ولا بدعة. نعوذ بالله من ذلك، وبالله التوفيق.

الوجه الثاني: في جواز الاستثناء المخرج على غير وجه الشك وهو التبرك (**التأدب بذكر الله**) تعالى (**في كل حال**) لكون هذه الجملة مشتملة على ذكر إسم الذات (**وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه**) فهو تعالى ما شاء فعل ولا يُسأل عما يفعل، (**فقد أدب الله سبحانه نبيه ﷺ فقال**) مخاطباً له: ﴿**ولا تقولنّ لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله**﴾ [الكهف: ٢٣]، واذكر ربك إذا نسيت أي الاستثناء، والمعنى فاستثن إذا ذكرت، فتأدب ﷺ بذلك أحسن الأدب، وكان يستثني في الشيء يقع لا محالة كذا في القوت، (**ثم لم يقتصر على ذلك فيما يشك فيه، بل قال**) وهو أصدق القائلين معلماً لعباده الاستثناء: (﴿**لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين**) لا تخافون﴾ [الفتح: ٢٧] (**وكان الله سبحانه عالماً**) بعلمه القديم الأزلي (**بأنهم يدخلون**) مكة كما وصف (**لا محالة وإنه شاء**) كذلك، (**ولكن المقصود تعليمه ذلك**) لتتعلم أمته منه (**فتأدب رسول الله**

فتأدب رسول الله ﷺ في كل ما كان يخبر عنه معلوماً كان أو مشكوكاً، حتى قال ﷺ لما دخل المقابر: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» واللحوق بهم غير مشكوك فيه، ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى وربط الأمور به. وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن إظهار الرغبة والتمني،

ﷺ) أحسن الأدب فكان يستثني (**في كل ما كان يخبر عنه معلوماً كان أو مشكوكاً، حتى قال ﷺ لما دخل المقابر**) أي مقبرة المدينة وإنما جمعها باعتبار ما حولها (**«السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وإنا ان شاء الله بكم لاحقون»**) ونص القوت تنكير السلام. وقال العراقي: أخرجه مسلم عن أبي هريرة، اهـ.

قلت: روي ذلك من حديث أبي هريرة، وعائشة، وأنس، وبريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

أما حديث أبي هريرة فأخرجه مسلم واللالكائي من طريق مالك، واللالكائي وحده من طريق إسماعيل بن علية كلاهما عن روح بن القاسم، عن العلاء، عن أبيه عنه بلفظ: خرج رسول الله ﷺ إلى المقبرة فسلم على أهلها فقال: «سلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون» ولفظ الحديث لابن علية.

وأما حديث عائشة؛ فأخرجه مسلم واللالكائي من طريق شريك بن عبدالله بن أبي نمر، عن عطاء بن يسار عنها بلفظ: إن النبي ﷺ كان يخرج إلى البقيع فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنّا وإياكم غداً موجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد».

وأما حديث أنس، فأخرجه اللالكائي من طريق ابن أحمد الزبيدي، عن كثير بن زيد عنه بلفظ: إن النبي ﷺ أتى البقيع فقال: «السلام عليكم وإنّا بكم لاحقون إن شاء الله أسأل الله ربي أن لا يحرمنا أجركم ولا يفتنا بعدكم».

وأما حديث بريدة بن الحصيب، فأخرجه مسلم واللالكائي من طريق سفيان، واللالكائي وحده من طريق شعبة كلاهما عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا أتى على المقابر. وفي حديث سفيان كان النبي ﷺ إذا خرجنا إلى المقابر يقول: «السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين» زاد محمد بن بشار، عن جرير بن عمارة، عن سفيان «أنتم لنا سلف» ثم اتفقوا «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية». وفي حديث ابن بشار أسأل الله (**واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الأدب**) الإلهي (**ذكر الله تعالى**) على كل حال خصوصاً عند رؤية المقابر والتفكر في أحوال الموتى والموت، فإنه آكد (**وربط الأمور به**) تعالى إشارة إلى تعليقه بالمشيئة. (**وهذه الصيغة دالة عليه**) أي على التبرك والتأدب لكنه كله مستقبل وربط المستقبل بالشرط لا يستنكر (**حتى صار بعرف الاستعمال**) على ألسنة الناس (**عبارة عن إظهار الرغبة والتمني. فإذا قيل لك: إن فلاناً**

فإذا قيلَ لكَ أن فلاناً يموت سريعاً فتقول إن شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك، وإذا قيل لك: فلان سيزول مرضه ويصح فتقول إن شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى معنى الرغبة، وكذلك العدول إلى معنى التأدب لذكر الله تعالى كيف كان الأمر.

يموت سريعاً) أو يقع سريعاً **(فتقول)** في عقبه: **(إن شاء الله فيفهم منه رغبتك)** في موته أو وقوعه في الهلاك **(لا تشككك، و)** كذلك **(إذا قيل لك مثلاً: فلان يزول مرضه ويصح)** بدنه **(فتقول: إن شاء الله)** فهو **(بمعنى الرغبة)** والتمني، **(فقد صارت الكلمة معدولة)** أي مصروفة **(عن معنى التشكك إلى معنى الرغبة، فكذلك العدول إلى معنى التأدب لذكر الله تعالى)** والتبرك به **(كيف كان الأمر)**. وحاصل هذا الوجه أنهم خرجوا إن شاء الله ههنا إلى معنى آخر غير الشك وهو التبرك والتأدب، واستدل عليه بالآيتين، وحديث المقابر.

ومن أحسن ما يستشهد به هنا ما أخرجه البخاري عن أبي اليمان، عن شعيب، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قال: «قال سليمان عليه السلام: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهنّ جميعاً فلم تحمل منهنّ إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون». وأخرجه مسلم كذلك من طريق أخرى نحوه.

ومنها ما أخرجه مسلم من طريق غندر، عن شعبة، عن محمد بن زياد سمعت أبا هريرة يحدث أن النبي ﷺ قال: «إن لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيبت له وإني أريد إن شاء الله أن أدخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

ومنها ما أخرجه اللالكائي من طريق سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن أبيه، عن جده أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «ما تقولون في رجل قتل في سبيل الله؟ قالوا: الجنة. قال: الجنة إن شاء الله. قال: فما تقولون في رجل مات فقام رجلان ذوا عدل فقالا لا نعلم إلا خيراً. قالوا الله ورسوله أعلم. فقال: الجنة إن شاء الله. قال: فما تقولون في رجل مات فقام رجلان فقالا لا نعلم إلا شراً، فقالوا بالنار. فقال رسول الله ﷺ: عبد مذنب ورب غفور».

وفي القوت وقيل: من قال افعل كذا ولم يقل إن شاء الله سأله الله عز وجل عن هذا القول يوم القيامة فإن شاء عذبه وإن شاء غفر له، فكل ما ذكر مستقبل وربط المستقبل بالشرط غير مستنكر، وإنما ينكر ربط الحال بالشرط، ووضع الحنفية قولهم للتبرك مع ظهوره في التشكيك والترديد. وفي شرح المقاصد أنه للتأديب بإحالة الأمور إلى مشيئة الله تعالى، وهذا ليس فيه معنى الشك أصلاً، وإنما هو كقوله: ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾ الآية. وكقوله عليه السلام تعليماً إذا دخل المقابر قال: «السلام عليكم» الحديث اهـ.

الوجه الثالث: مستنده الشك ومعناه أنا مؤمن حقاً إن شاء الله، إذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم: ﴿أولئك هُمُ الْمُؤْمِنُون حقاً﴾ [الأنفال: ٤]، فانقسموا إلى قسمين ويرجع هذا إلى الشك في كمال الإيمان لا في أصله، وكل إنسان شاك في كمال إيمانه،

فمع المناقضة بين كلاميه تلفيق بين الأحوال المختلفة، فإن الاستثناء في الآية لا يصح أن يكون من قبيل إحالة الأمور إلى المشيئة، بل قيل إنه للتبرك بذكر اسمه سبحانه أو للمبالغة في الاستثناء في الأخبار حتى في متحقق الوقوع على أنه قد يقال التقدير: لتدخلن جميعكم إن شاء الله لتأخر بعض المخاطبين من أهل الحديبية حياً أو ميتاً عن فتح مكة، أو معنى إن شاء الله إذا شاء الله وهو تأويل لطيف يرد ما فيه من إشكال ضعيف أو الاستثناء عائد إلى الأمن لا إلى الدخول أو هو تعليم للعباد، وكذا الاستثناء في الحديث لا يصح أن يكون من باب إحالة الأمور إلى المشيئة، فإن اللحوق بالأموات محقق بلا شبهة، بل هو محمول على تعليم الأمة لاحتمال تغيرهم في المآل، أو على أن المراد بقوله بكم خصوص أهل البقيع مثلاً في البلاد، وبه يظهر لك ما في كلام المصنف بتأمل تام.

تنبيه:

ما أجاب به الزمخشري عن قوله تعالى: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله﴾ من أن يكون الملك قد قاله فأثبته قرآناً، أو إن الرسول قاله فكلاهما باطل لأنه جعل من القرآن ما هو غير كلام الله فيدخل في وعيد من قال: إن هذا إلاّ قول البشر، والله أعلم.

الوجه الثالث: في صحة الاستثناء **(ومستنده الشك، ومعناه: أنا مؤمن حقاً إن شاء الله)**، وهذا قد أشار إليه أبو منصور البغدادي في الأسماء والصفات، فقال بعد أن نقل مذهب الأشعري ما نصه: وقد اعتبر بعض أصحاب الحديث فيه تفصيلاً حسناً. قال في وصف الايمان: ايماني حق بلا استثناء وإذا وصف نفسه فقال: أنا مؤمن إن شاء الله، واعتبر بعضهم فيه تفصيلاً أحسن منه، فقال: ما الفرق بين مؤمن بالله ومؤمن عند الله؟ فقال: أنا مؤمن بالله حقاً من غير استثناء وألحق الاستثناء بالمؤمن عند الله، فقال: أنا مؤمن عند الله إن شاء الله لأن المؤمن عند الله هو الذي وعده الله سبحانه الجنة والثواب اهـ.

وقال صاحب القوت: الاستثناء في الايمان سنّة ماضية وفعل الأئمة الراضية **(إذ)** الايمان مقامات والمؤمنون فيه درجات، ولذلك **(قال الله تعالى لقوم مخصوصين)** كذا في النسخ كلها. ونص القوت موصوفين **(بأعيانهم: ﴿أولئك هم المؤمنون حقاً﴾)** [الأنفال: ٤]، فهذا وصفهم بالكمال ومدحهم بخالص الأعمال، ففيه دليل خطابه أن هناك مؤمنين غير حق. إلى هنا نص القوت زاد المصنف فقال: **(فانقسموا إلى قسمين)** قسم يطلق عليهم أنهم مؤمنون حقاً، وقسم لا يطلق عليهم ذلك، **(ويرجع هذا إلى الشك في كمال الايمان لا في أصله)** أي: لفظ الايمان يشمل الجميع، **(وكل إنسان شاك في كمال إيمانه)** أي يميل إليه **(وذلك ليس**

وذلك ليس بكفر. والشك في كمال الإيمان حق من وجهين، أحدهما: من حيث أن النفاق يزيل كمال الإيمان وهو خفي لا تتحقق البراءة منه، والثاني: أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدري وجودها على الكمال، أما العمل قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥]، فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد. ثم قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقد

بكفر)، كما زعموا أن الشك في الإيمان كفر، وإنما الموسوم بالكفر هو الشك في أصله وثبوته للحال بالاتفاق، (**والشك في كمال الايمان حق**) صحيح (**من حيث أن النفاق**) الذي هو إضمار القلب على خلاف في ظاهره (**يزيل كمال الإيمان**)، وكلاهما محلهما القلب ولا يزيل أصل الايمان (**وهو**) أي النفاق (**خفي**) لأن محله القلب، ولهذا (**لا يتحقق البراءة منه**) في الظاهر إلا بالامارات. (**والثاني أنه**) أي الايمان (**يكمل بإكمال الطاعات**) وهذا إذا جعلت الأعمال داخلة في مسمى الايمان (**ولا يدري وجودها على**) وجه (**الكمال**) أي: أن المؤمن غير جازم بكمال الأعمال عنده، وبهذا يشعر كلام كثير من السلف وأنهم إنما أثبتوا لذلك، وفيه بحث سيأتي في تقرير كلام السبكي، ثم سرد المصنف الآيات القرآنية الدالة على ما قدم ذكره من انقسام المؤمنين إلى قسمين، فقال تبعاً لصاحب القوت: (**قال الله تعالى**) ﴿وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ★ يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ [الأنفال: ٥، ٦]، وقال تعالى في وصف أخرى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لـمَ تقولون ما لا تفعلون ★ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [الصف: ٢، ٣]. وقال في نعت الصادقين (**﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ [الحجرات: ١٥] فيكون الشك في هذا الصدق**) الذي وصفوا به لا في أصل الايمان، (**وكذلك قال الله تعالى**) في مثل وصفهم: **﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾** الآية، [١٧٧ من سورة البقرة] (**فشرط**) ونص القوت: فذكر (**عشرين وصفاً**) إلى قوله تعالى: **﴿أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾** [١٧٧ من سورة البقرة] منها الإيثار بالمال على حبه (**وكالوفاء بالعهد والصبر على**) الأمراض والجوع و (**الشدائد، ثم قال تعالى: ﴿أولئك الذين صدقوا**) وأولئك هم المتقون﴾، فعند ذلك شهد لهم بالصدق والتقوى.

قلت: هذه الآية كما ترى جامعة للكمالات الإنسانية بأسرها دالة عليها صريحاً أو ضمناً، فإنها مع كثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة أشياء: صحة الاعتقاد، وحسن المعاشرة، وتهذيب النفس. وقد أشير إلى الأول بقوله: ﴿من آمن﴾ إلى قوله ﴿والنبيين﴾ وإلى الثاني أشار بقوله:

قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ الله الذين آمَنُوا مِنْكُم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: ١١]. وقال تعالى: ﴿لا يستوي منكم من أَنْفَقَ مِنْ قبل الفَتْح وَقَاتَلَ﴾ [الحديد: ١٠] الآية. وقد قال تعالى: ﴿هم دَرَجَاتٌ عِنْدَ الله﴾ [آل عمران: ١٦٣]. وقال ﷺ: «الإيمان عريان ولباسه التقوى» الحديث. وقال ﷺ «الإيمان

﴿وآتى المال﴾ إلى قوله ﴿وفي الرقاب﴾ وإلى الثالث بقوله: ﴿وأقام الصلاة﴾ إلى آخرها. ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظراً إلى ايمانه واعتقاده، وبالتقوى اعتباراً بمباشرته للخلوة معاملة مع الحق. وقد أخرج عبدالرزاق، عن أبي ذر بسند رجاله ثقات أنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان فتلا عليه هذه الآية. ثم قال صاحب القوت: وقال تعالى في وصف المختبرين مع المؤمنين ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ★ إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم﴾ [محمد ﷺ: ٣٦، ٣٧] فشتان بين من وصف بالمجاهدة والصدق، وبين من وصف بالخلف وعرض للمقت، وبين من وصف بالحق، وبين من يجادل في الحق، وكم بين من قبل منه المال والنفس، وبين من رد عليه المال ولم يسأله لما علم منه من البخل والضغن. واسم الإيمان يجمعهم. ومعناه يشتمل عليهم إلا أن مقامات الإيمان ترفع بعضهم على بعض ويفاوت بين بعض وبعض. (**وقد قال الله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: ١١] و**) في مثله (**قال تعالى: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ [الحديد: ١٠] الآية**) أي إلى آخرها، وهو قوله تعالى: ﴿أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى﴾ [الحديد: ١٠] يعني: الجنة على تفاوت الدرجات فيها، فجمع بينهم في الدار كما جمع بينهم في اسم الايمان، ورفعهم في الدرجات علواً في المقامات. (**وقد قال تعالى: ﴿هم درجات عند الله**) والله بصير بما يعلمون﴾ [آل عمران: ١٦٣].

(**وقال ﷺ: «الإيمان عريان ولباسه التقوى» الحديث**) أي إلى آخره، وهو قوله: «وزينته الحياء، وحليته الورع، وثمرته العلم». وقد تقدم تخريجه في كتاب العلم. قال صاحب القوت: ففيه معنى أن من لا تقوى له فلا لبس لايمانه، ومن لا ورع له فلا زينة لايمانه، ومن لا علم له فلا ثمرة لايمانه، فإن اتفق فاسق جاهل ظالم كان بالمنافقين أشبه منه بالمؤمنين، وكان إيمانه على النفاق أقرب ويقينه إلى الشك أميل ولم يخرجه من إسم الإيمان، إلا أن ايمانه عريان لا لبس له معطل لا كسب له كما قال: ﴿أو كسبت في ايمانها خيراً﴾ [الأنعام: ١٥٨] والنفاق مقامات، وقد قيل: سبعون باباً، والشرك مثل ذلك وهم فيه طبقات.

(**وقال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون باباً أدناها إماطة الأذى عن الطريق»**) قد تقدم الكلام على تخريجه قريباً، والاختلاف في قول البخاري ومسلم في الشك، فلفظ مسلم: «فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» وفي رواية: «أعظمها». وفي أخرى: «أعلاها». ورواه حماد بن سلمة، عن سهل، عن عبدالله بن دينار، عن أبي صالح عن أبي هريرة

بضع وسبعون باباً أدناها إماطة الأذى عن الطريق». فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال، وأما ارتباطه بالبراءة من النفاق والشرك الخفي فقوله ﷺ: «أربع من كُنَّ فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن: مَنْ إذا حَدّث كَذِب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإذا خاصم فجر». وفي بعض

بلفظ: «الايمان بضع وسبعون أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة العظم عن الطريق». وفي رواية الليث، عن ابن عجلان، عن عبدالله بن دينار «الايمان ستون باباً أو سبعون باباً أو بضع واحد من العددين أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها أن يماط الأذى عن الطريق». وفي رواية عمارة بن غزية، عن أبي صالح: «الإيمان أربع وستون باباً أدناها اماطة الأذى عن الطريق» والأذى: أعم من أن يكون حجراً أو شوكاً أو غصناً بارزاً أو غير ذلك مما يتأذى به الناس، وإماطته إزالته ورفعه من ذلك الموضع. (**فهذا ما يدل على ارتباط كمال الإيمان بالأعمال**) بحيث لا يكمل ولا يتم إلا بها. (**وأما ارتباطه بالبراءة من النفاق والشرك الخفي فقوله ﷺ: «أربع من كن فيه فهو منافق خالص، وإن صام وصلى وزعم أنه مؤمن: من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإذا خاصم فجر»**) هكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو اهـ.

(**وفي بعض الروايات: «وإذا عاهد غدر»**) ونص القوت. وفي غير بعض هذا الحديث: «وإذا عاهد غدر» فصارت خمساً فإن كانت فيه واحدة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها.

قلت: أخرجه البخاري ومسلم في الإيمان، وأعاده البخاري في الجزية، وأخرجه أصحاب السنن كلهم من طريق الأعمش، عن عبدالله بن مرة، عن عبدالله بن عمرو رفعه: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها. إذا ائتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» أي أربع خصال من وجدت فيه كان منافقاً في هذه الخصال لا في غيرها أو شديد الشبه بالمنافقين، ووصفه بالخلوص يؤيد من قال: إن المراد بالنفاق العملي لا الإيماني أو العرفي لا الشرعي لأن الخلوص بهذين المعنيين لا يستلزم الكفر الملقي في الدرك الأسفل من النار.

وأخرج البخاري في الايمان والوصايا والشهادات والأدب، ومسلم في الايمان، والترمذي والنسائي من طريق نافع بن مالك عن أبيه، عن أبي هريرة رفعه: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»، ومعنى كذب أي أخبر بخلاف ما هو به قاصداً للكذب «وإذا وعد بالخير في المستقبل أخلف» فلم يفِ وهو من عطف الخاص على العام، لأن الوعد نوع من التحديث وإفراده لزيادة قبحه، ولازم الوعد الاخلاف ولازم التحديث الكذب هما متغايران، فأخبر بأن يكون الملزومان متغايرين. وفي بعض روايات الطبراني: إذا وعد وهو يحدث نفسه أنه يخلف وهذا يدل على أنه لو كان عازماً على الوفاء ثم عرض له عارض أو بدا له رأي فلا يتصف بالنفاق، وأما الخيانة في الأمانة فبأن يتصدق فيها على خلاف الشرع ووجه

الروايات: « وإذا عاهد غدر ». وفي حديث أبي سعيد الخدري: « **القلوب أربعة: قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد، فأي المادتين غلب عليه حكم له بها** ». وفي لفظ آخر: « **غلبت عليه ذهبت به** ». وقال عليه السلام: « **أكثر منافقي هذه الأمة قرّاؤها** ». وفي حديث: « **الشرك**

الحصر في هذه الثلاث لأن أصل الديانة منحصر في ثلاث: القول والفعل والنية، فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف، وقد تحصل من الحديثين خمس خصال الثلاثة المذكورة والغدر في المعاهدة والفجور في الخصومة فهي متغايرة باعتبار تغاير الأوصاف واللوازم. ووجه الحصر فيها أن إظهار خلاف ما في الباطن إما في الماليات وهو إذا ائتمن، وإما في غيرها وهو إما في حالة الكدورة فهو إذا خاصم، وإما في حالة الصفاء فهو إما مؤكد باليمين فهو إذا عاهد أو لا. فهو بالنظر إلى المستقبل فهو إذا وعد وإما بالنظر إلى الحال فهو إذا حدث. لكن هذه الخمسة في الحقيقة ترجع إلى الثلاث لأن الغدر في العهد منطو تحت الخيانة في الأمانة والفجور في الخصومة داخل تحت الكذب في الحديث.

ثم قال صاحب القوت: (**وفي حديث أبي سعيد الخدري**)، وأبي كبشة الانماري رضي الله عنهما قالا: (**القلوب أربعة: قلب أجرد وفيه سراج يزهر**) والأجرد هو المجرد عن الظلمات ويزهر أي يضيء وليس الواو قبل فيه في القوت (**فذلك قلب المؤمن، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة**) ونص القوت كالبقلة (**يمدها الماء العذب**) وليس في القوت (**الغزير**) وهو الكثير ولا يحتاج إليه كما لا يخفى، (**ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين**) ونص القوت: فأي المدتين (**غلب**) عليه (**حكم له بها** ». **وفي لفظ آخر: « ذهبت به »**) ونص القوت وفي لفظ آخر: « أيما غلب عليه ذهب ». وقال العراقي: أخرجه أحمد من حديث أبي سعيد وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه اهـ.

قلت: وقال أبو نعيم في الحلية، حدثنا محمد بن عبد الرحمن، حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا محمد بن حميد، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البحتري، عن حذيفة رضي الله عنه قال: « القلوب أربعة قلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح فذلك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب فيه نفاق وإيمان فمثل الايمان كشجرة يمدها ماء طيب ومثل النفاق كمثل القرحة يمدها قيح ودم فأيهما غلب عليه غلب ».

قلت: وبه يظهر تقسيم الأربعة، والمصنف تابع سياق القوت ولا يلتفت إلى غيره إلا قليلاً فهذا غدره، ثم قال صاحب القوت: ففي تبعيض أخلاق الايمان ووجود دقائق الشرك وشعب النفاق ما يوجب الاستثناء في كمال الايمان لجواز اجتماع الايمان والنفاق في القلب، ولوجود شعب النفاق وعدم بعض شعب الايمان في القلوب كيف (و) قد (**قال ﷺ: « أكثر منافقي هذه**

أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا ». وقال حذيفة رضي الله عنه: « كان الرجل

الأمة قراؤها ») ونص القوت منافقي أمتي. قال العراقي: أخرجه أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر، وفيه ابن لهيعة وسيأتي في آداب تلاوة القرآن اهـ.

ووجدت بخط الشيخ شمس الدين الداودي له طريق من غير رواية ابن لهيعة ورويناه في صفة المنافقين للغرياني اهـ.

وقرأت في ذخيرة الحفاظ للحافظ أبي الفضل بن ناصر الذي رتب فيه الكامل لابن عدي والكتاب عندي بخطه ما نصه: رواه عبدالله بن لهيعة عن منشرح بن هاعان، عن عقبة بن عامر. وابن لهيعة ليس بحجة. ورواه الفضل بن المختار، عن عبيدالله بن موهب، عن عصمة بن خالد الخطمي ولا يتابع عليه اهـ.

ووجدت بإزائه بخط الحافظ ابن حجر لم ينفرد به ابن لهيعة، بل تابعه الوليد بن المغيرة مصري صدوق. وقال السيوطي في الجامع الصغير: أخرجه أحمد والطبراني والبيهقي عن ابن عمرو، وأحمد والطبراني عن عقبة بن عامر عن عصمة بن مالك اهـ.

والمراد بالقراء الفقهاء أي يضعون العلم في غير مواضعه يتعلمون العلم نفية للتهمة وهم معتقدون خلافه، وكان المنافقون في عصر النبي ﷺ بهذه الصفة.

(وفي حديث) آخر **(« الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا »)** هكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي أخرجه أبو يعلى وابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر، ولأحمد والطبراني نحوه من حديث أبي موسى. وسيأتي في ذم الجاه والرياء اهـ.

قلت: قال ابن عدي: رواه يحي بن كثير النضري، عن الثوري، عن اسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه. وهذا عن الثوري ليس يرويه عنه غير يحي بن كثير هذا اهـ.

وله في الجامع الصغير بقية، « وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره » الحديث. وسيأتي ذكره قريباً أخرجه الحكيم الترمذي عن أبي بكر. قال المناوي: وظاهر صنيعه أنه لم يره مخرجاً لأحد من المشاهير، وإلاّ لما أبعد النجعة وهو ذهول، فقد خرجه الإمام احمد، وأبو يعلى، وأبو نعيم في الحلية، عن أبي بكر، وأحمد، والطبراني عن أبي موسى.

قلت: هذا ليس بذهول من الحافظ وإنما مراده بالاقتصار على تخريج الحكيم الترمذي إشارة إلى أنه انفرد بإخراجه هكذا على التمام، وأما من ذكرهم بعد كأحمد والطبراني وأبي يعلى فإنهم اقتصروا على الجملة الأولى إلى قوله: « على الصفا »، وفي الجامع الصغير أيضاً « الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء، وأدناه أن تحب على شيء من الجور أو تبغض على شيء من العدل وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله » الحديث. قال أخرجه الحكيم الترمذي في النوادر والحاكم في التفسير، وأبو نعيم في الحلية كلهم عن عائشة. قال المناوي، قال

يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ يصير بها منافقاً إلى أن يموت وإني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات ». وقال بعض العلماء : أقرب الناس من النفاق من يرى أنه بريء من النفاق. وقال حذيفة : المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبي ﷺ ، فكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه ، وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو

الحاكم : صحيح. وتعقبه الذهبي بأن فيه عبد الأعلى بن أعين. قال الدارقطني غير ثقة ، وقال في الميزان عن العقيلي : جاء بأحاديث منكرة وساق هذا منها . وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به والله أعلم.

فائدة:

قال ابن القيم : الشرك شركان : شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك في عبادته ومعاملته لا في ذاته وصفاته والأوّل نوعان: شرك تعطيل وهو أقبح أنواع الشرك كتعطيل المصنوع عن صانعه وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ، والثاني شرك من جعل معه إلهاً آخر ولم يعطل ، والثاني وهو الشرك في عبادته أخف وأسهل فإنه يعتقد التوحيد لكنه لا يخلص في معاملته وعبوديته ، بل يعمل لحظ نفسه تارة ولطلب الدنيا والرفعة والجاه أخرى ، فلله من عمله نصيب ولنفسه وهواه نصيب ، وللشيطان نصيب . وهذا حال أكثر الناس وهو الذي أراده النبي ﷺ هنا ، والله أعلم.

(وقال حذيفة رضي الله عنه: « كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ يصير بها منافقاً إلى أن يموت وإني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات ») . مكذا أورده صاحب القوت ، قال العراقي : أخرجه أحمد باسناد فيه جهالة اهـ.

قلت : قال أبو نعيم في الحلية : حدثنا أبو بكير بن مالك ، حدثنا عبدالله بن أحمد ، حدثني أبي ، حدثنا عبدالله بن نمر ، حدثني الجهني ، حدثنا أبو الرقاد وقال: خرجت مع مولاي وأنا غلام ، فدفعت إلى حذيفة وهو يقول: « إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقاً وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتحضن على الخير أو ليسحتنكم الله بعذاب أو ليؤمرن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم ». **(وقال بعض العلماء : أقرب الناس من النفاق من يرى أنه بريء منه) .** هكذا أورده صاحب القوت. زاد وقال مرة أخرى : آمنهم منه . **(وقال حذيفة)** رضي الله عنه : **(المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله ﷺ ، فكانوا إذ ذاك يخفونه وهم الآن يظهرونه)** هكذا أورده صاحب القوت. ولفظه: كانوا إذ ذاك. وقال العراقي: أخرجه البخاري إلا أنه قال فيه: « شر » بدل « أكثر » اهـ.

قلت : وأخرجه أبو داود الطيالسي ، ومن طريقة أبي نعيم في الحلية ، عن شعبة ، عن الأعمش ، عن أبي وائل قال: قال حذيفة : المنافقون اليوم شر منهم على عهد رسول الله ﷺ كانوا يومئذ

خفي، وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه بريء منه. **فقد قيل** للحسن البصري: يقولون أن لا نفاق اليوم، فقال: يا أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق. وقال هو أو غيره: لو نبتت للمنافقين أذناب ما قدرنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا، وسمع ابن عمر رضي الله عنه رجلاً يتعرض للحَجَّاج فقال: أرأيت لو كان حاضراً يسمع أكنت تتكلم فيه؟ فقال: لا. فقال: كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ. وقال ﷺ: «من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة». وقال أيضاً ﷺ: «شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه

يكتمونه وهم الآن يظهرونه. **(وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله)** أراد به النفاق العملي فإنه الذي يطفىء نور الإيمان وكماله لا أصله، **(وهو خفي)** المدرك **(وأبعد الناس منه من يتخوّفه)** من الوقوع **(وأقرب الناس منه من يرى انه بريء منه)** كما تقدم النقل قريباً عن بعض العلماء، **(فقد قيل للحسن البصري: يقولون أن لا نفاق، فقال: لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق)**. أورده صاحب القوت بلفظ: وقيل للحسن: إن قوماً يقولون لا نفاق اليوم، فقال يا ابن أخي؛ لو هلك المنافقون لاستوحشت في الطرقات. **(قال هو وغيره: لو نبت للمنافقين أذناب ما قدرنا أن نطأ على الأرض)** هكذا في القوت إلا أنه قال وعنه وعن غيره. أي: روي هذا الكلام عنه وعن غيره لأنه روي هذا الكلام عن الحسن وعن غيره، وأراد بقوله: ما قدرنا أي لكثرتهم، ثم قال صاحب القوت: **(وسمع ابن عمر)** هو عبدالله بن عمر **(رجلاً يتعرض للحجاج)** أي بسوء، وعبارة القوت: يطعن على الحجاج **(فقال)** له: **(أرأيت لو كان)** الحجاج **(حاضراً)** بين يديك **(أكنت تتكلم فيه)** بما تكلمت به الآن؟ **(قال: لا. قال: كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ)**. قال العراقي: أخرجه أحمد والطبراني بنحوه وليس فيه الحجّاج اهـ.

ووجدت بخط من وجد بخط الحافظ ابن حجر ما نصه: هو في الغيلانيات من رواية يحي البكاء عن ابن عمر وفيه ذكر الحجاج اهـ. وقول المصنف.

(وقال رسول الله ﷺ: «من كان ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة») وهو من تتمة كلام ابن عمر، وليس حديثاً مستقلاً كما هو ظاهر من سياق القوت حيث قال بعد قوله: كنا نعد هذا نفاقاً في عهد رسول الله ﷺ من كان ذا لسانين في الدنيا كان له في الآخرة لسان من نار، ثم قال بعد ذلك. وفي الخبر «شر الناس ذو الوجهين» الحديث. فدل ذلك أن الذي قبله من كلام ابن عمر لا من كلام رسول الله ﷺ فتأمل. **(وقال أيضاً ﷺ: «شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»)**. هكذا أورده صاحب القوت ولم يتعرض له العراقي في المغني وهو في المتفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ: «تجدون من شر الناس ذو الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»، كذا في المقاصد

ويأتي هؤلاء بوجه » . وقيل للحسن : إن قوماً يقولون إنا لا نخاف النفاق فقال : والله لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق أحب إليَّ من طلاع الأرض ذهباً . وقال الحسن : إن من المنافق اختلاف اللسان والقلب ، والسر والعلانية ، والمدخل والمخرج . وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه : إني أخاف أن أكون منافقاً ، فقال : لو كنت منافقاً ما خفت النفاق ان المنافق قد أمن من النفاق. وقال ابن أبي مليكة : أدركت ثلاثين ومائة ـ وفي رواية خمسين ومائة ـ من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخافون النفاق . وروي أن رسول

للسخاوي، وأخرج الطبراني في الأوسط عن سعد بلفظ: « ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار ». (**وقيل للحسن**) أي البصري: (**إن قوماً يقولون إنا لا نخاف النفاق فقال: والله لأن أكون أعلم أني بريء من النفاق أحب إليّ من طلاع الأرض ذهباً**) هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه قال: من ملء الأرض ذهباً وطلاع الأرض بالكسر ملؤها. (**وقال الحسن: إن من النفاق اختلاف اللسان والقلب، و**) اختلاف (**السر والعلانية، و**) اختلاف (**المدخل والمخرج**) . هكذا أورده صاحب القوت وهو يشير إلى النفاق العملي الذي يطفىء نور الايمان كما تقدم البيان، وإلى هذا أشار حذيفة رضي الله عنه فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق الأعمش وسفيان، عن ثابت بن هرمز، عن أبي يحي قال: قيل لحذيفة: من المنافق؟ قال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به. (**وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه: إني أخاف أن أكون منافقاً، فقال: لو كنت منافقاً ما خفت النفاق إن المنافق قد أمن النفاق**) . هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه قال ما خفت أن تكون منافقاً. (**وقال ابن أبي مليكة**) هو عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليك القرشي التيمي المكي الأحول المؤذن القاضي لابن الزبير المتوفي سنة ١١٧ : (**أدركت ثلاثين ومائة، وفي أخرى خمسمائة من أصحاب رسول الله ﷺ**) هكذا هو في القوت، أو خمسمائة. ويوجد في بعض النسخ خمسين ومائة، والذي في صحيح البخاري أدركت ثلاثين. قال القسطلاني: أجلهم عائشة، وأختها أسماء، وأم سلمة، والعبادلة الأربعة، وعقبة بن الحرث، والمسور بن مخرمة رضي الله عنهم (**يخافون النفاق**) . وعبارة القوت: كلهم يخاف النفاق على نفسه، وهكذا هو في صحيح البخاري وهو النفاق في الأعمال لأنه قد يعرض للمؤمن في عمله ما يشوبه مما يخالف الاخلاص ولا يلزم من خوفهم ذلك وقوعه منهم، وإنما ذلك على سبيل المبالغة فهم في الورع والتقوى، أو قالوا ذلك لكون أعمارهم طالت حتى رأوا من التغيير ما لم يعهدوه مع عجزهم عن إنكاره، فخافوا أن يكونوا داهنوا بالسكوت. هكذا أورده البخاري في الصحيح معلقاً. وأخرج اللالكائي في السنة من طريق المعافى بن عمران، عن الصلت بن دينار، عن ابن أبي مليكة قال: لقد أتى عليّ برهة من الدهر وما أراني أدرك قوماً يقول أحدهم إني مؤمن مستكمل الايمان، ولقد أدركت كذا وكذا من أصحاب رسول الله ﷺ ما مات رجل منهم إلا وهو يخشى على نفسه النفاق.

الله ﷺ كان جالساً في جماعة من أصحابه فذكروا رجلاً وأكثروا الثناء عليه، فبينا هم كذلك، إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء. وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود، فقالوا: يا رسول الله، هو هذا الرجل الذي وصفناه؟ فقال ﷺ: «أرى على وجهه سفعة من الشيطان، فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم، فقال ﷺ: نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك؟ فقال: اللهم نعم». فقال ﷺ في دعائه: «اللهم إني أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم، فقيل له: أتخاف يا رسول الله؛ فقال: وما يؤمنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء». وقد قال سبحانه:

(**وروي أن رسول الله ﷺ**) وفي القوت وفي الخبر. أن رسول الله ﷺ (**كان جالساً في جماعة من أصحابه فذكروا رجلاً وأكثروا الثناء عليه**) وفي القوت: فذكروا رجلاً فمدحوه وحسنوا الثناء عليه، (**فبينما هم كذلك إذ طلع الرجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء**) وفي القوت: يقطر وجهه ماء من أثر الوضوء (**قد علق نعله بيده**) وفي القوت: وقد علق نعله بيده، (**وبين عينيه أثر السجود**) وهو المسمى على ألسنة الناس زبيبة الصلاح، (**فقالوا: يا رسول الله؛ هذا الرجل الذي وصفناه**) لك (**فقال رسول الله**) وفي القوت: فلما نظر إليه رسول الله (ﷺ) قال: (**«أرى في**) وفي القوت: على (**وجهه سفعة من الشيطان**) يعني ظلمة (**فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم**) وفي القوت: حتى جلس مع القوم بعد أن سلم (**فقال**) له رسول الله (ﷺ **نشدتك بالله**) وفي القوت: نشدتك الله أي أقسمت عليك بالله عز وجل (**حين أشرفت على القوم هل حدثتك نفسك أنه ليس فيهم خير منك**) وفي القوت: هل حدثتك نفسك حين أشرفت علينا أنه ليس فيهم خير منك (**قال: اللهم نعم»**). قال العراقي: أخرجه أحمد، والبزار، والدارقطني من حديث أنس اهـ.

قلت: وفيه صدق ما تفرس به النبي ﷺ في الرجل المذكور وبيان لمعجزته، حيث أخبر عن شيء لم يصل إليه علم القوم، فأطلع الله حبيبه ﷺ على أحواله وأن باطنه مخالف لظاهره، فإنه قد خطر في ضميره أنه أفضل القوم وهذا فيه خطر عظيم، ومثله كان يعد منافقاً. اللهم سلمنا منه يا رب العالمين. (**وقال ﷺ في دعائه: «اللهم إني أستغفرك لما علمت وما لم أعلم، فقيل له: أتخاف يا رسول الله؟ فقال: وما يؤمنني والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء»**). هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه قال: وكان من دعاء رسول الله ﷺ فذكره. وقال العراقي: أخرجه مسلم من حديث عائشة: «اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل، ولأبي بكر بن الضحاك في الشمائل من حديث مرسل «وشر ما لم أعلم». وآخر الحديث عند مسلم من حديث عبدالله بن عمر اهـ.

قلت: وأخرجه أبو داود، والنسائي، وابن ماجة عن عائشة كسياق مسلم «اللهم إني أعوذ بك

﴿وَبَدَا لَهُم منَ الله مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر : ٤٧] ، قيل في التفسير : عملوا أعمالاً ظنوا أنها حسنات فكانت في كفة السيئات . وقال سري السقطي : لو أن إنساناً دخل بستانــاً فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة ، فقال : السلام عليك يا ولي الله ، فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيراً في يديها ، فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي ، وأنه لا يؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين ؟ وقال

من شر ما علمت وشر ما لم أعلم » . وفي القوت : وعلم رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه دعاء قال : « قل فيه اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم » .

قلت : وأخرج أحمد ، وأبو يعلى ، والحكيم الترمذي ، وأبو نعيم في الحلية . عن أبي بكر « الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره تقول اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم » . تقولها ثلاث مرات .

(**وقال**) الله (**تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾**) [الزمر : ٤٧] ، قال صاحب القوت : (**قيل: عملوا أعمالاً فظنوا**) ونص القوت : ظنوا (**أنها حسنات فكانت في كفة السيئات**) ونص القوت : فلما كان عند الحساب والميزان وجدوها سيئات ، والكفة بكسر الكاف وفتحها . (**وقال**) أبو الحسن (**السري**) كغني هو ابن المفلس (**السقطي**) بالتحريك نسبة إلى بيع سقط المتاع ، وهو من كبار العارفين خال أبي القاسم الجنيد توفي سنة ٢٥١ ، أخذ عن معروف الكرخي ، وعنه ابن أخته الجنيد ، ويوجد هنا في النسخ ، وقال سري : بلا لام وهكذا هو أيضاً في القوت : (**لو أن رجلاً دخل بستاناً**) ونص القوت : إلى بستان (**فيه من جميع الأشجار عليه من**) ونص القوت : على تلك الأشجار (**جميع الأطيار فخاطبه**) أي الداخل (**كل طير منها بلغته**) المعلومة له (**فقال: السلام عليك يا ولي الله**) بأن عرفه الله تعالى لغاتهم على اختلافها ، (**فسكنت نفسه إلى ذلك**) واطمأنت وحدثته بالعجب (**كان أسيراً في يديها**) موثقاً لديها ، وذلك لأن الوقوف عند النعمة حجاب ، وسكون النفس إلى شيء يدل على نقص في المقام عند الاعلام . وفي القوت : قال بشر بن الحرث : سكون القلب إلى قبول المدح أضر عليه من المعاصي ، وكان سهل يقول : غفلة العالم السكون إلى الشيء ، وغفلة الجاهل الافتخار بالشيء . والسكون عندهم من الدعوى والدعوى من المعاصي . (**وهذه الأخبار**) التي تلوناها لك (**والآثار**) التي عرفناك بها (**تعرفك**) أي تنبهك على معرفة (**خطر**) هذا (**الأمر**) وعظمه (**بسبب دقائق النفاق**) المهلكة ، (**و**) نوابغ (**الشرك الخفي**) من الرياء والتصنع والتزين ومخالفة الظاهر الباطن ، (**وأنه لا يؤمن منه**) أي لا سبيل إلى الأمن منه والحفظ عنه (**حتى كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه**) مع جلالة قدره وشهرة فضله وأنه

أبو سليمان الداراني: سمعت من بعض الأمراء شيئاً، فأردت أن أنكره فخفت أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت، ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت. وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة الإيمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله. فالنفاق نفاقان: أحدهما: يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار، والثاني: يفضي بصاحبه إلى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط عن رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه، ولذلك حسن الاستثناء فيه. وأصل هذا

أحد المشهود لهم بالجنة (**يسأل حذيفة**) بن اليمان رضي الله عنه (**عن نفسه وأنه هل ذكر في المنافقين**)، وذلك لأن حذيفة كان اختصه رسول الله ﷺ بعلم المنافقين. وتقدم أن عمر ما كان يصلي على جنازة حتى يحضرها حذيفة، فإذا ما حضرها قال: صلوا على صاحبكم. وفي كتاب السنّة للالكائي أخبرنا الحسن بن عثمان، أخبرنا أحمد، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا معاوية، حدثنا أبو إسحاق قال: سألت الأوزاعي عن أشياء فأجاب عنها. قال الأوزاعي: وقد خاف عمر بن الخطاب على نفسه النفاق.

قلت: إنهم يقولون لم يخف أن يكون يومئذ منافقاً حين سأل حذيفة، ولكن خاف أن يبتلي بذلك قبل أن يموت. قال هذا قول أهل البدع. (**وقال أبو سليمان الداراني**) تقدمت ترجمته في كتاب العلم. (**سمعت من بعض الأمراء شيئاً**) ونص القوت: سمعت قائلاً يقول يعني بعض الأمراء يتكلم على المنبر بما لا ينبغي (**فأردت أن أنكر**) عليه (**فخفت**)، ونص القوت: فخشيت (**أن يأمر بقتلي ولم أخف من الموت**) ونص القوت: فلم يكن لي خيفة الموت (**ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت**) عن ذلك، (**وهذا**) الذي ذكرناه (**من النفاق الذي يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفته**) ويطفىء نوره ويحرم مزيده ويحبط الأعمال ويوجب المقت والاعراض، وهو الرياء والمداهنة والتصنع للخلق (**لا أصله**) الذي هو التصديق الجازم بالقلب، (**فالنفاق**) إذاً (**نفاقان: أحدهما**) الذي (**يخرج عن الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين في النار**) وهو الشك في دين الله عز وجل والرد لشرع رسول الله ﷺ، (**والثاني**): الذي (**يفضي بصاحبه إلى النار إلى مدة**) معلومة (**أو يغض**). وفي بعض النسخ: أو ينقص (**من درجات عليين ويحط عن رتبة الصديقين**) وهو اختلاف القلوب وائتلاف الألسن ومخالفة ما ينهى عنه وزيادة الظواهر على السرائر. وكان سهيل يقول: المرائي حقاً هو الذي يحسن ظاهره حتى لا تنكر العامة عليه ولا العلماء من ظاهره شيئاً وباطنه خراب. وقال عمر مولى غفرة: أقرب الناس إلى النفاق من اذا زكي بما ليس فيه ارتاح لذلك قلبه وأبعد الناس منه من يتخوّف أن لا ينجيه مما هو فيه، وهذا المعنى من النفاق هو الذي خافه السلف وكانوا منه على اشفاق، (**وذلك مشكوك فيه**) بالقلة والكثرة، (**فلذلك حسن الاستثناء**) ثم قال: (**وأصل النفاق**) من النفق محركة سرب في

النفاق تفاوت بين السر والعلانية، والأمن من مكر الله، والعجب، وأمور أخرى لا يخلو عنها إلا الصديقون.

الوجه الرابع: وهو أيضاً مستند إلى الشك وذلك من خوف الخاتمة، فإنه لا يدري

الأرض يكون له مخرج من موضع آخر، ونافق اليربوع إذا أتى النافقاء، ومنه قيل: نافق الرجل إذا أظهر الإسلام لأهله واضمر غير الإسلام وأتاه مع أهله أيضاً، فقد خرج منه بذلك. ثم استعمل في معنى (**تفاوت بين السر والعلانية**) كما نقل ذلك عن الحسن البصري، ومنهم من عبره بتفاوت بين القول والعمل وهو قريب (**و**) قال بعضهم: هو (**الأمن من مكر الله تعالى**)، وحقيقة المكر معنيان: أحدهما: أن يظهر شيئاً ويخفي ضده، والثاني: أن يكشف ما كان ستره ويفشي ما كان أسره بعد الطمأنينة والغرة. وقد قال سيدنا ابراهيم عليه السلام في أحد الوجهين من تفسير قوله: ﴿ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً﴾ [الأنعام: ٨٠]، ومثله قال شعيب عليه السلام: ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله﴾ [الأعراف: ٨٩] ثم عللا جميعاً بسعة العلم وسبقه لقصور علمهما عن علمه بعد خوف المشيئة، فلم يأمنا أن يكون في سعة علم الله تعالى وفي خفي مشيئته ضد ما ظهر لهما من حكمته فيدركهما ما سبق في علمه، وأنه لا مشيئة لهما في مشيئته، وهذا هو خوف المكر. فالأنبياء عليهم السلام مع فضلهم ومكانتهم يستثنون في الكفر خيفة المكر ولا يستثني الضعيف الجاهل في الإيمان. (**و**) قيل: أصل النفاق (**العجب**) وهو تصوّر استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقاً لها، (**وأمور أُخر**) هي دقائق لا يعرفها إلا العارفون، (**ولا يخلو عنها إلا الصديقون**). ومن شاء الله من أرباب الكمال من الواصلين حشرنا الله في زمرتهم بمنه وكرمه.

تنبيه:

قد بقي على المصنف في هذا الوجه ما يحسن ايراده، فمن ذلك ما أورده البخاري معلقاً في كتاب الإيمان فقال: وقال ابراهيم التيمي: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذباً، وقد وصله البخاري نفسه في تاريخه عن أبي نعيم، وأحمد في الزهد عن ابن مهدي كلاهما عن سفيان الثوري عن أبي حيان التيمي عنه. قال البخاري أيضاً. ويذكر عن الحسن قال: ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق. وقال الفريابي: حدثنا قتيبة، حدثنا جعفر بن سليمان، عن المعلى بن زياد قال: سمعت الحسن يحلف في هذا المسجد بالله الذي لا إله إلا هو ما مضى مؤمن قط ولا بقي إلا وهو من النفاق مشفق، ولا مضى منافق قط ولا بقي إلا وهو من النفاق آمن. وأخرجه أحمد بلفظ: والله ما مضى مؤمن ولا بقي إلا وهو يخاف النفاق ولا أمنه إلا منافق. وقيل لأحمد بن حنبل: ما معنى الاستثناء في الايمان؟ قال: أليس الايمان قول وعمل؟ قيل: نعم. قال: فالتصديق بالقول والاستثناء في العمل. ونقش بعض أولاد التابعين على خاتمه: فلان لا يشرك بالله شيئاً. فقال أبوه: هذا أقبح من الشرك، والله أعلم.

الوجه الرابع: وهو آخر الوجوه (**وهو مستند أيضاً إلى الشك و**) ليس (**ذلك**) الشك في

أيسلم له الإيمان عند الموت أم لا ؟ فإن ختم له بالكفر حبط عمله السابق لأنه موقوف على سلامة الآخر، ولو سئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه، فقال: أنا صائم قطعاً. فلو أفطر في أثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه، إذ كانت الصحة موقوفة على التمام إلى غروب الشمس من آخر النهار، وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الإيمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه. والعاقبة مخوفة ولأجلها كان بكاء أكثر الخائفين لأجل أنها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الأزلية التي لا تظهر إلا بظهور المقضي به ولا مطلع عليه لأحد من

حقيقة الايمان. وإنما ذلك **(من خوف الخاتمة)** أي الحالة التي يختم عليها للعبد، **(فإنه لا يدري أيسلم له الإيمان عند الموت)** بثباته عليه **(أم لا ؟ فإن ختم بالكفر)** عياذاً بالله **(حبط الايمان السابق)** يقال: حبط العمل من باب تعب حبوطاً فسد وهدر، ومن باب ضرب لغة فيه كما في المصباح. وأراد به حبوط أصل الايمان **(لأنه موقوف على سلامة الآخرة)** ولذا قالوا: الخاتمة تضحك على الأعمـال وحاصل ما أشار إليه أنه يصح أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله بناء على العبرة في الايمان والكفر والسعادة والشقاوة بالخاتمة، حتى أن المؤمن السعيد من مات على الايمان وإن كان طول عمره على الكفر والعصيان. والكافر الشقي من مات على الكفر وإن كان طول عمره على التصديق والشكر. ويدل عليه قوله ﷺ: « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل عمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها وإنما الأعمال بالخواتيم ». **(ولو سئل الصائم ضحوة النهار)** أي عند ارتفاعه **(عن صحة صومه فقال)** في الجواب: **(أنا صائم قطعاً فلو)** اتفق انه **(أفطر بعد ذلك)** في نهاره تبين كذبه. إذ كانت الصحة موقوفة على التمام **(إلى غروب الشمس)** فلما لم يتم إلى غروب الشمس لم يصح صومه، **(وكما أن النهار)** وهو من لدن طلوع الشمس إلى غروبها، واليوم من لدن طلوع الفجر إلى غروب الشفق، وقد يطلق أحدهما على الآخر توسعاً **(ميقات تمام الصوم)**، والميقات: الوقت المضروب للشيء، **(فالعمر)** هو بقاء الإنسان من لدن ولادته إلى موته **(ميقات تمام الايمان فوصفه بالصحة)** أي أنه حق صحيح **(قبل آخره بناء على الاستصحاب)** أي: التمسك بما كان سابقاً إبقاء لما كان على ما كان، **(وهو مشكوك فيه)** بعدم تساوي، صدقه على إفراده، **(والعاقبة مخوّفة)** وعاقبة كل شيء آخره ومخوفة أي يخاف منها، **(ولأجلها كان بكاء أكثر الخائفين)** لله تعالى كما يعرف من سبر طبقات المشايخ وأحوال الأولياء، ويأتي شيء من ذلك للمصنف في ربع المهلكات **(لأ)** جل **(انها)** أي العاقبة وهي الخاتمة أي حسنها **(ثمرة القضية السابقة)** أي نتيجتها، **(و)** ثمرة **(المشيئة الأزلية)** وهي العناية السابقة لايجاد المعدوم أو إعدام الموجود **(التي لا تظهر إلا بظهور المقضى به ولا

البشر، فخوف الخاتمة كخوف السابقة، وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه، فمن الذي يدري أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى؟ وقيل في معنى قوله تعالى: ﴿وجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]، أي بالسابقة يعني أظهرتها. وقال بعض السلف: إنما يوزن من الأعمال خواتيمها. وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يحلف بالله ما من أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه وقيل: من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك. وقيل: هي عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء. وقال بعض

يطلع عليه بشر) وفي بعض النسخ: أحد من البشر، **(فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت الكلمة)** أي قوله: أنا مؤمن **(بنقيضه)** وضده **(فمن الذي يدري أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى)**. وفي بعض النسخ: من الذي سبقت له، والأولى موافق للآية في الجملة ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ [الأنبياء: ١٠١] والحسنى: تأنيث الأحسن فسرت بالجنة فظهر أن المعتبر هو ايمان الموافاة الواصل إلى آخر الحياة. قال أبو منصور البغدادي: الايمان مرتبط أوّله بآخره وتعود أحوال المكلفين في النهايات إلى ما سبق لهم في البدايات، فلا بد من مراعاة العواقب في الأمور الدينية، وهذا وجه الاستثناء.

ثم شرع المصنف في ذكر آيات وآثار تدل على ذلك فقال: **(وقيل في معنى قوله تعالى)**، ونص القوت. وقال بعض العلماء في معنى قوله عز وجل: **(﴿وجاءت سكرة الموت بالحق)** ذلك ما كنت منه تحيد﴾ [ق: ١٩] **(أي بالسابقة)**. زاد المصنف: **(أي أظهرتها)**، وأصل السكرة من السكر بالضم وهي حالة تعرض بين المرء وعقله. **(وقال بعض السلف: إنما توزن من الأعمال خواتيمها)** هكذا أورده صاحب القوت، والبحث في وزن الأعمال قد تقدم. **(وكان أبو الدرداء)** عويمر بن عامر الأنصاري رضي الله عنه تقدمت ترجمته في كتاب العلم **(يحلف بالله)** عز وجل **(ما من أحد أمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه)** هكذا أورده صاحب القوت. ولفظه: ما أحد. وقوله: سلبه بالبناء للمجهول والضمير عائد إلى الايمان، وإلى هذا أشار سيدنا القطب الجيلاني أن الله قد أعطاني سبعين موثقاً إني لا أمكر بك يا عبد القادر، وفي كل مرة ازداد خوفاً فهذا مقام العارفين الخائفين. **(ويقال: من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك)**، ونص القوت: ويقال من الذنوب ذنوب لا عقوبة لها إلا وقت الخاتمة وهذا أخوف ما خاف العاملون مع قوله عز وجل: ﴿ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون﴾ [المؤمنون: ٦٣]، وقيل: من الذنوب ذنوب تؤخر عقوبتها إلى وقت الخاتمة لا عقوبة لها إلا التوحيد في آخر نفس. **(وقيل: هي عقوبة دعوى الولاية والكرامة)** ونص القوت وقيل: هذا يكون عقوبة للدعوى للولاية والكرامات **(بالافتراء)** على الله عز وجل. ولقد سمعت شيخنا السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروسي رحمه الله تعالى يقول: سمعت شيخنا الشيخ مشيخ بن جعفر العلوي يقول: الدعوى فضيحة ولو كانت صحيحة يشير إلى

العارفين: لو عرضت علي الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة لأني لا أدري ما يعرض لقلبي من التغيير عن التوحيد إلى باب الدار. وقال بعضهم: لو عرفت واحداً بالتوحيد خمسين سنة، ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد. وفي الحديث: « من قال أنا مؤمن فهو كافر، ومن قال أنا عالم به فهو جاهل » وقيل في قوله تعالى: ﴿وتمت كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾ [الأنعام: ١١٥] صدقاً لمن مات على الإيمان وعدلاً لمن مات على

دعوى الولاية ودعوى الكرامة يعني: ولو أثبت ما أراد اثباته بإظهار شيء من خوارق العادات، فإنه غير معتبر عند أهل الكمال. هذا إذا كان صحيحاً في نفس الأمر، فأما إذا كان بالافتراء والاختلاق فهو أشبه بالسحر والتخديم، وهذا يورث سوء الخاتمة كما صرح به العلماء. **(وقال بعض العارفين)** بالله تعالى: **(لو عرضت علي الشهادة)** في سبيل الله عند باب الدار **(و)** عرض عليّ **(الموت على التوحيد)** الخالص **(عند باب الحجرة)** التي داخل الدار **(لاخترت الموت على التوحيد)** إذ كل الصيد في جوف الفرا. قيل له: ولـمَ؟ قال: **(لأني ما)** ونص القوت: لأنني لا **(أدري ما يعرض لقلبي من التغيير عن التوحيد)** من باب الحجرة **(إلى باب الدار)؛** كذا في القوت **(وقال بعضهم):** أي العارفين، ونص القوت. وقال بعض الخائفين، وكل عارف بالله خائف: **(لو عرفت واحداً بالتوحيد)** ونص القوت: لو علمت أحداً أو عرفته على التوحيد **(خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية)** هي الأسطوانة **(ومات)** وفي القوت: ثم مات **(ما أحكم)** عليه **(أنه مات على التوحيد)** لعلمي بسرعة تقلب القلوب. **(وفي الحديث: « من قال أنا مؤمن فهو كافر، ومن قال أنا عالم فهو جاهل »)**. هكذا هو في القوت. وقال العراقي: أخرجه الطبراني في الأوسط الشطر الأخير منه من حديث ابن عمر، وفيه ليث بن أبي سليم. والشطر الأول روي من قول يحي بن أبي كثير، رواه الطبراني في الصغير بلفظ: « من قال أنا في الجنة فهو في النار » وسنده ضعيف. ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث البراء باسناد ضعيف جداً، ورويناه في مسند الحرث بن أبي أسامة من رواية قتادة عن عمر بن الخطاب مرفوعاً وهو منقطع اهـ.

قلت: هكذا نقله الحافظ السخاوي بتمامه في المقاصد إلا أنه قال في رواية الديلمي: « عن جابر » بدل « البراء » فلا أدري هو تصحيف في نسخة المقاصد أو تغيير منه قصداً فليراجع. **(وقيل في قوله)** تعالى. وفي القوت: كانت هذه الآية مبكاة للعابدين في معنى قوله تعالى: (﴿**وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً**﴾) [الأنعام: ١١٥]، قيل: **(صدقاً لمن مات على الايمان، وعدلاً لمن مات على الشرك)** كقوله تعالى: ﴿إن الذين حقت عليهم كلمات ربك لا يؤمنون ★ ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]، **(وقد)** قال تعالى: ﴿ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون﴾ [المؤمنون: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿أولئك

الشرك، وقد قال تعالى: ﴿ولله عَاقِبَة الأمور﴾ [الحج: ٤١]، فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجباً لأن الايمان عبارة عما يفيد الجنة، كما أن الصوم عبارة عما يبرىء الذمة. وما فسد قبل الغروب لا يبرىء الذمة فيخرج عن كونه صوماً، فكذلك الإيمان بل لا يبعد أن يسأل عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه بعد الفراغ منه، فيقال أصمت بالأمس؟ فيقول: نعم إن شاء الله تعالى إذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه إلا الله تعالى، فمن هذا حسن الاستثناء في جميع أعمال البر ويكون ذلك شكاً في القبول، إذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها إلاّ رب الأرباب جل جلاله فيحسن الشك فيه. فهذه

ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ [الأعراف: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ [هود: ١٠٩]، و(**قال الله تعالى: ﴿ولله عاقبة الأمور﴾**) [الحج: ٤١]، وقال تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [النمل: ٦٥]. (**ومهما كان الشك**) في الإيمان بهذه المثابة (**كان الاستثناء**) فيه (**واجباً**) أي لازماً (**لأن الإيمان عبارة عما يفيد**) صاحبه (**الجنة، كما أن الصوم عبارة عما يبرىء الذمة**) أي ذمة الرب عن عتق العبد، (**و**) من المعلوم أن (**ما فسد**) بالإفطار (**قبل الغروب لا يبرىء الذمة فيخرج عن كونه صوماً، فكذلك الايمان**) إذا انتقض قبل الوفاة خرج عن كونه إيماناً. وسيأتي لهذا بحث من كلام السبكي، (**بل لا يبعد**) كذا في النسخ. وفي أخرى: بل ينقدح (**أن يسأل عن الصوم الماضي الذي لا يشك فيه**) . وفي نسخة: عن الصوم الماضي لا لشك فيه (**بعد الفراغ منه، فيقال**) له: (**أصمت بالأمس؟ فيقول: نعم إن شاء الله**) فربط الشرط بالماضي وهو صحيح (**إذ الصوم الحقيقي**) أي المعتد به عند الله تعالى (**هو المقبول**) عنده (**والمقبول غائب**)، وفي نسخة: مغيب (**عنه لا يطلع عليه**) لأنه من أمور الآخرة، ولكن يظهر في بعض الأحيان بالامارات الدالة عليه، (**فمن هذا**) السبب (**يحسن الاستثناء في جميع أعمال البر**) أي الخير. (**ويكون ذلك شكاً في القبول**) وفي تقييد الأعمال بالبر ردّ على الطائفة المشهورة بالمرازقة بالديار المصرية وغيرهم ممن غلوا غاية الغلو وتجاوزوا عن الحدود، حتى صار الرجل منهم يستثني في كل شيء فيقول أحدهم: هذا ثوب إن شاء الله، هذا جبل إن شاء الله. فإذا قيل لهم: هذا لا شك فيه. يقولون: لكن إذا شاء الله أن يغيره، ثم قال المصنف: (**إذ تمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها إلا رب الأرباب فيحسن الشك فيه**) بهذا الاعتبار، (**فهذه وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الايمان**) .
وحاصل ما في الوجه الأخير أن الايمان الذي يتعقبه الكفر فيموت صاحبه كافراً ليس بإيمان كالصلاة التي أفسدها قبل الكمال والصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب، وهذا مأخذ كثير من

وجوه حسن الاستثناء في الجواب عن الإيمان وهي آخر ما نختم به « كتاب قواعد العقائد ».

تم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى.

أهل الكلام من أهل السنّة وغيرهم. وعند هؤلاء أن الله يحب في الأزل من كان كافراً إذا علم منه أنه يموت مؤمناً، فالصحابة ما زالوا محبوبين قبل إسلامهم وإبليس ومن ارتد عن دينه ما زال الله يبغضه وإن كان لم يكفر بعد، وقد دفعه الحنفية بأن الايمان إذا تحقق بشروطه كيف يكون كالصلاة التي أفسدها قبل كمالها، والصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب. قال القونوي في شرح عقيدة الطحاوي: لا كلام في الاستثناء للخاتمة وهو واجب عندنا، وإنما الكلام في الإيمان وإن كفر بعد ذلك أي بعد الإيمان لا يتبين أنه لم يكن مؤمناً قبل الكفر كإبليس، فالسعيد قد يشقى والشقي قد يسعد. وعند الأشعري العبرة للختم ولا عبرة لإيمان من وجد منه التكذيب للحال، فإن كان في علم الله تعالى أن هذا الشخص يختم له بالإيمان فهو للحال مؤمن، وإن كان يكفر بالله ورسوله، فإن كان في علم الله تعالى أنه يختم له بكفر يكون للحال كافراً، وإن كان مصدقاً بالله ورسوله، وقالوا: إن إبليس حين كان معلماً للملائكة كان كافراً واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وكان من الكافرين﴾ [البقرة: ٣٤] أي كان في علم الله. وأجيب عن الآية بأن معناه وصار من الكافرين.

قال شارح العقائد: والحق أنه لا خلاف في المعنى يعني بل الخلاف في المبنى، فإذا أريد بالإيمان والسعادة مجرد حصول المعنى أي الاذعان وقبول العبادة، فهو حاصل في الحال، وإن أريد ما يترتب عليه النجاة والثمرات في المآل فهو في مشيئة الله تعالى لا قطع بحصوله في الحال، فمن قطع بالحصول أراد الأوّل، ومن فوّض إلى المشيئة أراد الثاني اهـ.

وفهم منه أن الخلاف بين الفريقين لفظي، وأشار إليه السبكي في عقيدته التي تقدم ذكرها في أوّل الكتاب وهو قوله: ولقد يؤول خلافها إما إلى لفظ كالاستثناء في الايمان، وذكر فيها أن أبا منصور الماتريدي مع الأشاعرة في هذه المسألة والله أعلم.

(وهي) أي تلك الوجوه **(آخر ما نختم به « كتاب قواعد العقائد » إن شاء الله تعالى)** وفيه ربط الحال بالشرط **(والله أعلم)** أتي بها للتأدب بتفويض العلم إلى الله تعالى وللتبرك، ويوجد هنا في بعض النسخ زيادة: وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وهي زيادة حسنة تشبه أن تكون من كلام المصنف إلا أني ما وجدتها إلا في نسخة. ولنختم هذا الكتاب بفصول منها ما له تعلق بمسألة الاستثناء، ومنها ما له تعلق بمبحث الإيمان، ومنها ما هو متمم للكتاب فصارت الفصول على ثلاثة أنواع.

النوع الأول: من الفصول الثلاثة ما يتعلق بمسألة الاستثناء خاصة. قال الكمالان ابن الهمام وابن أبي شريف: لا خلاف بين القائلين بدخول الاستثناء والمانعين في أنه لا يقال أنا مؤمن إن

....

شاء الله للشك في ثبوت الإيمان حال التكلم بالاستثناء المذكور، وإلا كان الايمان منفياً لأن الشك في ثبوته في الحال كفر، بل ثبوته في الحال مجزوم به دون شك غير أن بقاءه إلى الوفاة عليه وهو المسمى بإيمان الموافاة الذي يوافي العبد عليه متصفاً به آخر حياته غير معلوم له، ولما كان ذلك هو المعتبر في النجاة كان هو الملحوظ عند المتكلم في ربطه بالمشيئة وهو أمر مستقبل، فالاستثناء فيه اتباعاً لقوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً ★ إلا إن يشاء الله﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤]، فلا وجه لوجوب تركه إلا أنه لما كان ظاهر التركيب أمرين الاخبار بقيام الايمان به في الحال، وأن الاستثناء يناقض الاخبار بقيام الايمان به في الحال كان تركه أبعد عن التهمة بعدم الجزم بالإيمان في الحال الذي هو كفر، فكان تركه واجباً لذلك. وأما من علم قصده بأنه إنما استثني تبركاً خوفاً من سوء الخاتمة، فربما تعتاد النفس التردد في الايمان في الحال لكثرة اشعارها بترددها في ثبوت الايمان واستمراره، وهذه مفسدة إذ قد تجر إلى وجود التردد آخر الحياة للاعتياد به خصوصاً والشيطان مجرد نفسه في هلاك ابن آدم لا شغل له سواه فيجب حينئذ تركه اهـ.

وفيه شيئان: **الأول:** قوله فالاستثناء فيه اتباع لقوله تعالى إلخ، لا يخفى أن ما نحن فيه ليس داخلاً في عموم مفهوم الآية، لأنها في الأمر المستقبل وجود الإبقاء، والكلام في الاستثناء الموجود حالاً على احتمال أنه ربما يعرض له حال يوجب له زوالاً، ولهذا مثل مشايخنا هذا الاستثناء بنحو قوله: أنا شاب إن شاء الله تعالى حيث يحتمل أنه يصير شيخاً وهو ليس تحته طائل وادخاله تحت قوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء﴾ الآية لا يقول به قائل، وهذا البحث أبداه ملاّ علي القاري من أصحابنا. **والثاني:** ان إشعار اللفظ في نفسه إنما هو باعتبار التعليق وهو خلاف المفروض إذ الفرض قصد التبرك لأجل ايمان الموافاة خوفاً من سوء الخاتمة، وهذا البحث أبداه الكمال بن أبي شريف، وحاصل القول مع قطع النظر عما يرد عليه أن المستثنى إذا أراد الشك في أصل إيمانه منع من الاستثناء وهذا لا خلاف فيه. وأما إذا أراد أنه مؤمن كامل أو ممن يموت على الإيمان فالاستثناء حينئذ جائزاً لا أن الأولى تركه باللسان وملاحظته بالجنان وبالله التوفيق.

تنبيه:

قول من قال: إن من شهد لنفسه بهذه الشهادة فليشهد لنفسه بالجنة فيه أنه لا محذور في هذا المقال، فإنه ليس من قبيل قول القائل: أنا طويل إن شاء الله تعالى، بل ينظر قولك: أنا زاهد أنا متق أنا تائب إن شاء الله. إما قاصداً هضم النفس والتواضع، وهذا إنما يتصوّر في حق الأكابر، أو قاصداً جهله بحقيقة وجود شروطه. وهذه الأشياء في الحال أو نظراً إلى مشيئة الله تعالى من احتمال تغير الحال في الاستقبال، ولذا لما سئل أبو يزيد البسطامي: هل لحيتك أفضل أم ذنب الكلب؟ فقال: إن مت على الإسلام فلحيتي خير، وإلاّ فذنبه أحسن، وبهذا يتبين أن من يقول: أنا مؤمن حقاً لو قيل له: أنت من أهل الجنة حقاً؟ لم يقدر أن يقول نعم، فإنه من الأمر المبهم والله أعلم.

....

استطراد:

اختلف قول أصحابنا في مثل قولك: أنا مؤمن أنا راشد أنا متق إن شاء الله تعالى. أي: في كل واحد من الايمان والرشاد والتقوى مما يكتسب بالاختيار ويرجى البقاء عليه في العاقبة والمآل ويحصل به تزكية النفس والاعجاب. قال الكستلي: وههنا فرق دقيق يحصل به الاستثناء في الرشاد والتقوى دون الايمان، وهو أن الرشاد أعني الاهتداء لعمل الصالحات والتقوى أي الانتهاء عن المنهيات ليس واحد منها شيئاً محصلاً يحصل تمامه لأحد في وقت معين، فليس الراشد من عمل صالحاً في الحال أو في حين من الأحيان، وكذلك التقي ليس من اجتنب المحارم في حين من أحيان كونه مكلفاً، بل الحاصل منها هيئة نفسانية تدعو إلى امتثال الأوامر وتمنع عن ارتكاب المناهي، وتلك الهيئة تقوى وتضعف وتزول وتثبت والمعتبر ما هو في القوّة والثبات بحيث يكسر الشهوات ويقهر النفس الامارة، ويبقى مدة العمر، وأنّى للإنسان ذلك وكيف لا يشك في حصوله. وأما الإيمان فهو[1] الحصول يحصل لمن هداه الله تعالى بتمامه، وأما ثباته فأمر خارج عن مدلول قوله: أنا مؤمن فلا وجه للشك والاستثناء فتأمل.

فصل

قد ألف قاضي القضاة تقي الدين السبكي رسالة صغيرة في هذه المسألة، وذلك بسؤال ولده له. أما هو الشيخ تاج الدين عبد الوهاب أو غيره، وقد يحيلون المشايخ كثيراً على هذه الرسالة، وقد سيقت إليّ بحـ د الله تعالى بخط المصنف مع جملة تآليف له وهي المسودة الأصلية، فأحببت ايراد خلاصتها هنا تكميلاً للفوائد فإنها غريبة في بابها، وربما لا توجد عند كل أحد، وها أنا أسوق لك مع اسقاط بعض ما لا يحتاج إليه وهو يسير. قال رحمه الله تعالى مخاطباً ولده بعد الحمدلة والصلاة ما نصه: وبعد؛ فقد علمت ما ذكرته وفقك الله من أن جماعة من الحنفية في هذا الزمان تكلموا في مسألة أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، وقالوا: إن الشافعية يكفرون بذلك وساءني ذلك، فإن هاتين الطائفتين وغيرهما من الفقهاء لا ينبغي أن يكون بينهما من الخلاف ما يفضي إلى تكفير ولا تبديع وإنما هو خلاف في الفروع، فإنهم جميعهم من أهل السنّة، إنما يجري في مسألة فرعية أو مسألة أصولية يرجع الخلاف فيها إلى أمر لفظي أو معنوي لا يترتب عليه كفر ولا بدعة نعوذ بالله من ذلك، فلما بلغني ما قلت تألمت لذلك واستهجنت قول قائله وعذرته بعض العذر، لأني أعلم أن في كتبهم بأنه لا يصلى خلف شاك في إيمانه، وأرادوا بذلك هذا الكلام والله يغفر لقائله إنما صدر من متأخرين منهم إذا حقق البحث معه رجع إلى أمر لفظي وما أرادوه به من هذه المسألة يرجع إلى ما اعتقدوه بمن يقول هذه المقالة وهو بريء بما أرادوه به، وأئمتهم المتقدمون لم يبلغنا عنهم ذلك، وأبو حنيفة رضي الله عنه وإن كان قد نقل عنه إنكار قول المؤمن: أنا مؤمن إن شاء الله لم ينقل عنه مثل ما قاله هؤلاء المتأخرون من أصحابه،

---

(١) هكذا بياض في الأصل.

وكيف يقول ذلك، وعبدالله بن مسعود الذي هو أصل مذهبه وشيخ شيخ شيخه قد اشتهر عنه ذلك، بل هو قول أكثر السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ثم سرد أسماءهم التي سردناها في أوّل هذا المبحث ثم قال: وهذا القول صحيح والناس فيه على ثلاثة مذاهب: منهم من يوجبه ويمنع القطع بقوله: أنا مؤمن، ومنهم من يمنعه ويوجب القطع بقوله: أنا مؤمن، ومنهم من يجوّز الأمرين وهو الصحيح. والكلام في هذه المسألة طويل يحتاج إلى مواد كثيرة وقواعد منتشرة وقلب سليم وفكر مستقيم ومخاطبة من يفهم عنك ما تقول ويعاني مثل ما تعانيه في المنقول والمعقول، وارتياض في العلوم، واعتدال في المنطوق والمفهوم، وطبيعة وقّادة، وقريحة منقادة، وتجرد في علم الطريق والسلوك، وتقوى وتذكر إذا عرض له مس الشيطان فتبصر ما تنزاح به عنه الشكوك. وقد يأتي في مباحث هذه المسألة ما أخفي عن كل أحد لعزة من يفهمه أو يسلم في المعتقد، لكني أرجو من الله أن يوفقك لفهمه ويعصمك وأنت على كل حال ولد صالح. وهذه المسألة تستمد من مسائل.

إحداها: تحقيق معنى الايمان وقد صنفت فيه مجلدات، ويكفي قول رسول الله ﷺ: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»، وذكر اللغويون قولين في معنى أن تؤمن، ومعنى الايمان: أحدهما: وهو المشهور أن تصدق والباء للتعدية، فالإيمان التصديق بهذه الأمور الخمسة. والثاني: أن تؤمن نفسك من العذاب والباء للاستعانة أو السببية، فالإيمان جعل النفس آمنة بسبب اعتقاد هذه الأمور الخمسة، وعلى هذا القول يظهر جواز الاستثناء لأن الأمن من عذاب الله مشروط بمشيئة الله بلا اشكال، وتخريج الاستثناء على هذا القول لم أجده منقولاً وإنما ذكرته. وهذا القول لم يذكره الأكثرون، ولكن الواحدي ذكره في أوّل تفسيره وناهيك به ففرعت أنا عليه هذا الجواب.

المسألة الثانية: هل الأعمال داخلة في مسمى الايمان أو خارجة عنه؟ ظاهر الحديث المذكور أنها خارجة عنه، وقد اشتهر على ألسنة السلف أن الايمان قول وعمل، وجاء في القرآن والسنّة مواضع كثيرة أطلق فيها الايمان على الأعمال، وههنا احتمالات أربعة. **أحدها:** أن تجعل الأعمال من مسمى الايمان داخلة في مفهومه، لكن يلزم من عدمها عدمه وهذا مذهب المعتزلة. **والثاني:** أن تجعل أجزاءه داخلة في مفهومه لكن لا يلزم من عدمها عدمه، فإن الأجزاء على قسمين: منها ما لا يلزم من عدمه عدم الذات كالشعر واليد والرجل للإنسان، وكالأغصان للشجرة فاسم الشجرة صادق على الأصل وحده وعليه مع الاغصان ولا يزول بزوال الأغصان، وهذا هو الذي يدل له كلام السلف. وقولهم: الايمان قول وعمل يزيد وينقص، فلن يجتمع هذان الكلامان إلا على هذا المعنى، ومن هنا قال الناس: شعب الايمان. **الثالث:** أن تجعل الآثار آثاراً خارجة عن الايمان لكنها منه وبسببه، وإذا أطلق عليها فبالمجاز من باب اطلاق اسم السبب على المسبب. **الرابع:** أن يقال انها خارجة بالكلية لا يطلق عليها حقيقة ولا مجازاً وهذا باطل. والمختار القول

....

الثاني وتحقيقه: أن اسم الايمان موضوع شرعاً للمعنى الكلي المشترك بين الاعتقاد والقول والعمل، والاعتقاد والقول دون العمل والاعتقاد وحده بشرط القول، فإذا عدم العمل لم يعدم الايمان، وإذا عدم القول لم يعدم الايمان، ولكن عدم شرطه، وإذا عدم الاعتقاد عدم الجميع لأنه الأصل، إذا عرفت ذلك. فإذا قلنا: الأعمال داخلة في مسمى الايمان كان دخول الاستثناء جائزاً لأن المؤمن غير جازم بكمال الأعمال عنده، وبهذا يشعر كلام كثير من السلف وأنهم إنما استثنوا لذلك، لكن هذا يقتضي أحد أمرين: إما أن الايمان لا يحصل إلا بالأعمال، وقد قلنا أنه مذهب المعتزلة وعليه يلزم أن من فقد الأعمال يجزم بعدم الايمان لا أنه يقتصر على الاستثناء، وإما أن نقول أن الايمان حقيقة واحدة صادقة على القليل وهو مجرد الاعتقاد الكثير والصحيح والكثير وهو المضاف إليه الأعمال ولها مراتب: أدناها إماطة الأذى عن الطريق، ومؤمن اسم فاعل مشتق من مطلق الايمان فلا يشترط فيه وجود أعلى مراتبه إلا أن يراد بالإيمان الايمان الكامل فيصح، وأما أصل الايمان فلا يصح الاستثناء فيه على هذا الجواب عند هذه الطائفة على هذه الطريقة. وقال بعض الناس: السلف إنما استثنوا لاعتقادهم دخول الأعمال في الايمان وفيه نظر لما ذكرناه، فالوجه أن يضاف إلى ذلك أن اطلاق قولهم: أنا مؤمن يقتضي أنه جامع بين القول والعمل، فلذلك استثنوا وليس ببعيد.

المسألة الثالثة: أن الإيمان إنما ينفع في الآخرة إذا مات عليه، فمن مات كافراً لم ينفعه إيمانه المتقدم، وهل نقول: إنه لم يكن إيماناً لأن من شرط الايمان أن لا يعقبه كفر، أو كان إيماناً ولكن بطل فيما بعد لطرئان ما يحبطه، أو كان الحكم بكونه إيماناً صحيحاً موقوفاً على الخاتمة، كما يتوقف الحكم بصحة الصلاة والصوم على تمامها لأنها عبادة واحدة مرتبط أوّلها بآخرها، فيفسد أوّلها بفساد آخرها تخرج من كلام العلماء ثلاثة أقوال من ذلك: والأوّل قول الأشعري، والثاني ظاهر القرائن تدل له حيث حكم بأن المرتد يحبط عمله إذا مات كافراً، والثالث: اقتضاء كلام بعضهم، وعلى كل الأقوال الثلاثة يصح الاستثناء للجهل بالعاقبة التي هي شرط إما في الأصل، وإما في التدين، وإما في النفع. ويكون الاستثناء راجعاً إلى أصل الايمان، ولا يحتاج أن نقول أن الأعمال داخلة فيه، ويلزم على هذا حصول الشك فيه، لكن هذا شك لا حيلة للعبد فيه، فإنه راجع إلى الخاتمة التي لا يعلمها إلا الله وليس شكاً في اعتقاده الحاصل الآن. نعم هو شك في كونه نافعاً وصحيحاً ومسمى عند الله ايماناً وإن كان صاحبه جازماً بأنه ايمان قد أتى بما في قدرته من ذلك من غير تفريط ولا تقصير ولا ارتياب عنده فيه.

المسألة الرابعة: ولم أجد من تعرض للتخريج عليها غيري وهي التي أشرت إلى عزة من يفهمها واحتياج سامعها إلى تثبت في الفهم بتوفيق من الله بالسلامة أنّا وإن سلمنا أن الايمان التصديق وحده من غير إضافة الأعمال إليه، ولا الأمن من العذاب بسببه، ولا اشتراط الخاتمة في مسماه فنقول: التصديق يتعلق بالمصدق به وهو الخمسة المذكورة في الحديث، ويشترط معرفة

المصدق به فلا بد للتصديق من المعرفة. ويشهد لذلك ما رواه البغوي أبو القاسم من حديث يوسف بن عطية، عن ثابت، عن أنس قال: بينما رسول الله ﷺ يمشي استقبله شاب من الأنصار فقال له النبي ﷺ: «كيف أصبحت يا حارثة؟» قال: أصبحت مؤمناً بالله حقاً. قال: أتظن ما تقول فإن لكل قول حقيقة. قال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني بعرش ربي بارزاً وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاوون فيها. قال: أبصرت فالزم عبد نوّر الله الايمان في قلبه. فقال: يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة، فدعا له رسول الله ﷺ» وهذا الحديث يذكره الصوفية كثيراً وهو مشهور عندهم وإن كان في سنده ضعف من جهة يوسف بن عطية، وهو شاهد لأمرين: أحدهما: جواز إطلاق أنا مؤمن من غير استثناء، والثاني: الإشارة إلى ما قلناه من أن هذا الإطلاق تشترط فيه المعرفة، والمعرفة يتفاوت الناس فيها تفاوتاً كثيراً، فمعرفة الله تعالى معرفة وجوده ووحدانيته وصفاته، أما ذاته فغير معلومة للبشر ووجوده معلوم لكل أحد، ووحدانيته معلومة لجميع المؤمنين، وصفاته يتفاوت المؤمنون في معرفتها، وأعلى المعارف لا نهاية لها فلا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، وأعلى الخلق معرفة النبي ﷺ، ثم الأنبياء والملائكة على مراتبهم، وأدنى المراتب الواجب الذي لا بدّ منه في النجاة من النار، وفي عصمة الدم، وبين ذلك وسائط كثيرة منها واجب ومنها ما ليس بواجب، وكل ذلك داخل في اسم الايمان لأنه تصديق بها وبالإخلال به والعياذ بالله. قد يترك ذلك الواجب فقد يخرج من الايمان به وقد لا يخرج، والحد في ذلك مزلة قدم للمتكلمين والسالكين كل منهم يتكلم فيه على قدر علمه ويقف فيه على قدر خوفه، وأحوال القلوب في ذلك متفاوتة جداً والمعارف الإلهية المفاضة عليها من الملكوت الأعلى واسعة جداً، فالخائف ما من مقام ينتهي إليه إلا ويخاف أن يكون فيه على خطر وينخلع قلبه من الهيبة فيفزع إلى المشيئة ويقول: حسبي إن كنت أديت الواجب وسواه رجلان: أحدهما: أقامه الله تعالى مقام البسط وانشراح الصدر باليقين فيطلق، والآخر غافل عن الحالين اكتفى بظاهر العلم يكتفي عنه بالاطلاق أيضاً. وعلى هذه الأحوال الثلاثة يحمل اختلاف السلف في ذلك، وكل قصد الخير وتكلم على حسب حاله وليس فيهم من يكفر بعضاً، بل كل متكلم على قدر حاله، وكل إناء بالذي فيه يرشح، ومن قال من العلماء بوجوب الاستثناء غلب عليه حال استحضار تلك الأمور المانعة من الجزم، ومن منعه غلب عليه وجوب الجزم بالتصديق، وانغمرت تلك الأمور المقابلة له في قلبه ومن جوّز الأمرين نظر إلى الطرفين وليس أحد منهم شاكاً فيما هو حاصل الآن ولا مقصراً فيما وجب عليه ولله الحمد والمنة.

المسألة الخامسة: قال بعض الناس: إن الاستثناء للشك في القبول، وهذا يلتفت على أن الإيمان هل يوصف بالقبول وعدمه أو بالصحة وعدمها. أما القبول؛ فالظاهر أنه متى حصل الإيمان والوفاة عليه قبل قطعاً، وكذا الصحة إذا اتفق التصديق المطابق ومات عليه فهو صحيح قطعاً، وإنما يكون فساده إذا صدق تصديقاً غير مطابق والعياذ بالله، فمن يعتقد في الله أو في

....

صفاته ما يكفر به لا يقال انه مؤمن ايماناً فاسداً، بل ليس بمؤمن فالإيمان من الأمور التي ليس لها إلا وجه واحد كأداء الدين وما أشبهه.

المسألة السادسة: جميع ما ذكرناه حملت أن فيه على ما وضعت له في اللغة من دخولها على المحتمل الذي يقال أنه الشك، وقد عرفناك تخريج الشك فيها على وجه لا يقتضي كفراً ولا شكاً في الايمان. أما إذا قصد بها جاهل شكاً في أصل التصديق الواجب عليه لا بوجه من الوجوه التي ذكرناها. فذلك باطل وكفر وضلال.

المسألة السابعة: أن تدخل على شرط وجزاء ولا بدّ أن يكونا مستقبلين كقولك إن جئتني أكرمتك. ولك أن تقدم الجزاء وحينئذ يكون هو عين الجزاء على مذهب الكوفيين، ودليله، على مذهب البصريين كقولك: أنا مؤمن إن شاء الله، ووضع اللسان يقتضي الاستقبال كما قلناه، فيكون معناه: أنا مؤمن في المستقبل كما أنا مؤمن في الحال، لكن الناس لا يفهمون منها ذلك ولم يضعوا هذا الكلام إلا للاحتراز عن القطع بالإيمان في الحال، فالمراد بقوله: أنا مؤمن في الحال، ولكنه لما تطرق إليه التردد بالاعتبارات التي ذكرناها صار له ارتباط بالمستقبل فجاز تعليقه بالمستقبل، والحاضر لا يجوز تعليقه إلا على هذا الوجه، أما الحاضر المقطوع به من جميع وجوهه فلا يتصوّر تعليقه فلا يقال: أنا إنسان إن شاء الله ولا اعتبار بقول المرازقة فإنهم مبتدعة جهال ضلال في ذلك، ولتعليق الحال بالمشيئة وجه آخر يمكن الحمل عليه بالنسبة إلى اللغة وهو أن يكون المعنى إن كان الله شاء فأنا مؤمن فهو جائز بالاعتبارات التي قلناها، ولكن ذكرنا لفظ كان تصحيحاً للتعليق بحسب اللغة ليصير بمعنى الثبوت في المستقبل حتى يكون الشرط مستقبلاً ويكون الجزاء محذوفاً يدل عليه هذا المذكور، كما تقول: إن أكرمتني غداً فأنا الآن محسن إليك أي لا بدع في اكرامك لي لأني محسن إليك الآن.

المسألة الثامنة: خرجوا إن شاء الله ههنا على معنى آخر غير الشك وهو التبرك أو التأدّب، وساق الآيتين قوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء﴾ ﴿الكهف: ٢٣﴾ الآية. وقوله تعالى: ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾ [الفتح: ٢٧] الآية. ولقوله ﷺ: «إني لأرجو أن أكون أتقاكم». وقد علم أنه أتقاهم وهذا صحيح، لكنه كله مستقبل، وربط المستقبل بالشرط لا يستنكر. وأما الذي يتعلق بخصوصية ما نحن فيه ربط الحال بالشرط فلذلك احتجنا إلى زيادة الكلام فيه، والله أعلم اهـ. كلام التقي برمته، ولم أحذف منه إلا ما لا يحتاج إليه وهو قليل جداً، فرحمه الله تعالى لقد كتبه في بعض نهار تأليفاً ما لم يكتب غيره مثله في خمسة أيام.

استطراد:

خلف كلام السبكي قد تقدم لنا عنه النقل عند قول المصنف، فإن قلت: ما وجه قول السلف: أنا مؤمن إن شاء الله ذكر أسامي جماعة من السلف، ثم رأيت ذلك بعينه في كتاب السنّة

....

للالكائي إلا أن السبكي زاد عند ذكر ابن مسعود: واختلف في رجوعه عنه، فقد قرأت في تلخيص الأدلة لأبي إسحاق الصفّار قال: وذكر الأستاذ أبو محمد الحارثي الحافظ في كتاب الكشف عن مناقب الإمام، عن موسى بن كثير، عن ابن عمر أنه أخرج شاة لتذبح فمرّ به رجل فقال له: أمؤمن أنت؟ قال: نعم إن شاء الله قال: لا يذبح نسيكتي من يشك في إيمانه، ثم مرّ به رجل فقال له: أمؤمن أنت؟ قال: نعم فذبح شاته فلم يجعل من يستثنى في ايمانه مؤمناً وجعله شكاً في الايمان، وأسند عن عطاء أنه كان ينكر على من يستثنى في ايمانه، وأسند عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يستثني في إيمانه، وكذلك أصحابه فلقيهم صاحب معاذ بن جبل وناظرهم حتى أنزل ابن مسعود وجماعته عن ذلك، واستغفر ابن مسعود عن ذلك وعدّ ذلك خطأ من نفسه. وأسند عن همام بن مسلم عن أبي حنيفة أنه كان لا يرى الصلاة خلف من يستثني في ايمانه، وأسند عن سفيان الثوري أنه رجع عن الاستثناء في الإيمان. وروى غيره عن ابن المبارك من شك في ايمانه فليس بمؤمن، ويعني بالشك انه لا يدري هل هو مؤمن أو ليس بمؤمن، وأما إذا لم يشك هذا الشك، ولكنه يستثنى على معنى أنه هل يبقى على الإيمان في مستقبل الوقت أو على أن قوله: أنا مؤمن حقاً يقتضي استكمال الايمان بتوابعه، كما يقال: فلان عالم حقاً أنه يقتضي استكمال العلم بما يوجبه العلم، فهذا لا يكون شكاً في الايمان، ولكنه يكون خطأ في القول، لأن توابع الايمان ليست من أصل الايمان، فنفس الايمان يكون حاصلاً بدون توابعه، فلا يصح الاستثناء في الايمان. ألا ترى أن ابن مسعود رجع عن هذا واستغفر ولم يكن ابن مسعود شاكاً في الايمان، وكذلك رجوع سفيان عن هذا الاستثناء يدل على كونه على خطأ في هذا الاستثناء وإن لم يكن شاكاً في ايمانه. وقد حكي أن أبا حنيفة لقي قتادة فقال له أبو حنيفة: أمؤمن أنت؟ فقال قتادة: نعم إن شاء الله. فقال له أبو حنيفة: أرغبت عن ملة ابراهيم، فإنه قال: بلى لما قاله له ربه: أوَلم تؤمن؟ وفي بعض الروايات: قال له قتادة: أرجو، فقال له أبو حنيفة: ولـمَ ذلك؟ قال لقوله تعالى: ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ [الشعراء: ٨٢]، قال: فهلا قلت كما قال ابراهيم: ﴿بلى﴾، لما قال له ربه ﴿أولم تؤمن﴾، وفي بعض الروايات لما قال له أبو حنيفة ولـمَ ذاك؟ قال لقوله: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فقال له أبو حنيفة: هلا قلت كما قال ابراهيم (بلى) حين قال له ربه: ﴿أوَلم تؤمن﴾، فالتزم قتادة لما ألزمه أبو حنيفة بما ذكر.

قلت: فقد ظهر بما تقدم أن المنع عن الاستثناء في الإيمان قال به جماعة من السلف، ولم ينفرد به أبو حنيفة وأصحابه كما يقوله المخالفون لهم، بل الاختلاف حاصل في الطبقة الأولى على أنه وافقهم في ذلك جماعة من أهل الضلال. قولهم كقول أصحاب أبي حنيفة، وإن كان موافقتهم لا يعتد بها منهم: الشمرية والثوبانية والشبيبية والغيلانية والمرلبية والنجارية لا كثرهم الله تعالى، كما أن الأشاعرة وافقهم من طوائف الضلال في جواز القول به جماعة، وهم الخوارج والازارقة والصفرية وغلاة الروافض وفريق من المعتزلة، والله أعلم.

....

النوع الثاني: من الفصول الثلاثة في ذكر ما له تعلق بالايمان وهذا النوع نذكر فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في بيان ما يتعلق بالايمان: قال الكمالان: ما يجب به الايمان هو ما جاء به محمد رسول الله ﷺ عن الله عز وجل، فيجب التصديق بجميع ما جاء به عن الله تعالى من اعتقادي وعملي، وتفاصيلها كثيرة فاكتفي بالاجمال، وهو أن يقر بأن لا إله إلا الله محمد رسول الله إقراراً صادراً عن مطابقة جنانه واستسلامه للسانه، وأما التفاصيل فما وقع منها في الملاحظة بأن جذبه جاذب إلى تعقل ذلك الأمر التفصيلي وجب اعطاؤه حكمه من وجوب الايمان، فإن كان مما ينفي جحده الاستسلام أو يوجب التكذيب للنبي ﷺ فجاحده حكم بكفره وإلا فسق وضلل، فما ينفي الاستسلام هو كل ما يدل على الاستخفاف من الألفاظ والأفعال الدالة عليه وما يوجب التكذيب هو جحد كل ما ثبت عن النبي ﷺ ادعاؤه ضرورة كالبعث والجزاء والصلوات الخمس، وأما التبرىء من كل دين يخالف دين الإسلام، فإنما شرطه بعضهم لإجراء أحكام الإسلام عليه في حق بعض أهل الكتاب الذين يقولون: إن محمداً ﷺ إنما أرسل للعرب خاصة لا إلى أهل الكتاب لا لثبوت الإيمان له فيما بينه وبين الله تعالى، لأنه لو اعتقد عموم الرسالة وتشهد فقط كان مؤمناً عند الله إذ يلزم اعتقاده ذلك التبرىء ولم يشترطه بعضهم، لأنه عليه السلام كان يكتفي بالتشهد منهم. وقد نقل إسلام عبدالله بن سلام وليس فيه زيادة على التشهد، ويجاب عن هذا بأن كل من كان بحضرته ﷺ من كتابي أو مشرك فقد سمع منه ادعاء عموم الرسالة لكل أحد، فإذا شهد أنه رسول الله لزم تصديقه اجمالاً في كل ما يدعيه بخلاف الغائب، فإنه لم يسمع منه، فتمكنت الشبهة في إسلامه بمجرد التشهد لجواز أن ينسب إلى الناس الافتراء في ادعاء العموم جهلاً بثبوت التواتر عنه به، والله أعلم.

المبحث الثاني: في بيان ان الايمان مخلوق أو غير مخلوق: اختلف أهل السنة والجماعة، فقيل: هو مخلوق وإليه ذهب الحرث المحاسبي، وجعفر بن حرب، وعبدالله بن كلاب، وعبدالعزيز المكي وغيرهم. هكذا نقله الأشعري عنهم، وإليه ذهب أهل سمرقند من الماتريدية، ونقل الأشعري عن أحمد بن حنبل وجماعة من أهل الحديث أنه غير مخلوق، وهو قول أهل بخارى وفرغانة من الماتريدية، وهو الذي رواه نوح بن أبي مريم عن أبي خنيفة. وقال صاحب المسايرة: وإليه مال الأشعري ووجهه بما حاصله أن إطلاق الايمان في قول من قال: إن الايمان غير مخلوق ينطبق على الايمان الذي هو من صفات الله لأن من أسمائه الحسنى المؤمن وايمانه هو تصديقه في الأزل بكلامه القديم واخباره الأزلي بوحدانيته كما دل عليه قوله تعالى: ﴿انني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ [طه: ١٤] ولا يقال أن تصديقه محدث ولا مخلوق تعالى أن يقوم به حادث اهـ.

ولا يخفى أن الكلام ليس في هذا المرام إذ أجمعوا على أن ذاته وصفاته تعالى أزلية قديمة وإن اعتبر هذا المعنى لا يصح أن الصبر والشكر ونحوهما غير مخلوق حيث ورد معانيها في أسمائه

....

الحسنى، بل السمع والبصر والحياة والقدرة وأمثالها. ولا أظن بأن أحداً قال بهذا العموم وأوجب الكفر لهذا المفهوم الموهوم لأن صفاته تعالى مستثناة عقلاً ونقلاً، وعلل أهل بخارى بأن الإيمان أمر حاصل من الله للعبد لأنه تعالى قال بكلامه الذي ليس بمخلوق، فاعلم أنه لا إله إلا الله. وقال تعالى: ﴿محمد رسول الله﴾ [الفتح: ٢٩] فيكون المتكلم بمجموع ما ذكر قد قام به ما ليس بمخلوق، وكما أن من قرأ القرآن كلام الله الذي ليس بمخلوق وهذا غاية متمسكهم، ونسبهم مشايخ سمرقند إلى الجهل إذ الإيمان بالوفاق هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان، وكل منهما فعل من أفعال العبد، وأفعال العباد مخلوقة لله تعالى بإتفاق أهل السنة والجماعة. قال ابن الهمام في المسايرة: ونص أبي حنيفة في الوصية في خلق الإيمان حيث قال: نقر بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق، وقد نقل بعض أهل السنة أنهم منعوا من إطلاق القول بحلول كلامه سبحانه في لسان أو قلب أو مصحف، وإن أريد به اللفظي رعاية للأدب مع الرب لئلا يتوهم متوهم إرادة نفس القديم والله أعلم.

المبحث الثالث: في بيان أن الإيمان باق مع النوم والغفلة والإغماء والموت: وأن كلاً منها لا يضاد التصديق، والمعرفة حقيقة لأن الشرع حكم ببقاء حكمها إلى أن يقصد صاحبها إلى إبطالها باكتساب أمر حكم الشرع بمنافاته لها، فيرتفع ذلك الحكم خلافاً للمعتزلة في قولهم: إن النوم والموت يضادان المعرفة فلا يوصف النائم والميت بأنه موقن. كذا ذكره ابن الهمام، لكنه مخالف لما في المواقف عنهم أنهم قالوا: لو كان الإيمان هو التصديق لما كان المرء مؤمناً حين لا يكون مصدقاً كالنائم حال نومه والغافل حين غفلته وأنه خلاف الإجماع اهـ. فارتفع النزاع فتأمل.

خاتمة المباحث: في بيان ما يقابل الإيمان وهو الكفر أعاذنا الله منه. اختلفوا في المقابلة بين الكفر والإيمان هل هي مقابلة الضدين أو مقابلة العدم والملكة؟ فمن قال بالأول قال الكفر عبارة عن إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسل به، ومن قال بالثاني فسره بقوله عدم الإيمان عما من شأنه أن يكون مؤمناً، وعلى كلا القولين يخرج ارتكاب الذنوب إذ لا يكون مرتكبها بارتكابه إياها منكر الشيء من الدين معلوماً ضرورة أنه منه وهذا ظاهر، ولم يخالف فيه أحد من أهل السنة والجماعة لا يقال قد خالف جماعة من الفقهاء حيث يكفر من ترك فرضاً من الفروض الخمسة. أعني الصلاة وأخواتها لأنا نقول إنما كفروه بذلك لأن الشارع جعل ذلك علامة على كفره لقوله عليه السلام: «ليس بين المؤمن والكافر إلا ترك الصلاة» كما جعل السجود للصنم، والقاء المصحف في القاذورات وأمثال ذلك كفراً، وليس من التكفير بمجرد الذنب يبقى النظر في الأدلة الشرعية التي جعلت هذا علامة الكفر في كون هذا علامة لاحتمال أن يكون الترك كسلاً لا استهزاء ولا استحلالا بتركها، وهذا نظر آخر فاعرفه. والمسألة إجتهادية والحق عدم التكفير، وسيأتي لذلك بسط، والله أعلم.

النوع الثالث من الفصول الثلاثة

في بيان مسائل اعتقادية يتم بها كتاب قواعد العقائد وهي في فصول:

فصل

العبد ما دام عاقلاً بالغاً لا يصل إلى مقام يسقط عنه الأمر والنهي، لقوله تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ [الحجر: ٩٩] فقد أجمع المفسرون على أن المراد به الموت. وذهب بعض أهل الإباحة إلى أن العبد إذا بلغ غاية المحبة وصفا قلبه من الفضلة، واختار الإيمان على الكفر والكفران سقط عنه الأمر والنهي، ولا يدخله الله النار بارتكاب الكبائر، وبعضهم إلى أنه تسقط عنه العبادات الظاهرة ويكون عبادته التفكر وتحسين الأخلاق الباطنة، وهذا كفر وزندقة وجهالة وضلالة. وأما قوله عليه السلام: « إذا أحب الله عبداً لم يضره الذنب » فمعناه أنه إذا عصمه من الذنوب فلم يلحقه ضرر العيوب أو وفقه للتوبة بعد الحوبة، ومفهوم هذا الحديث أن من أبغضه الله فلا تنفعه طاعة حيث لا تصدر عنه عبادة صالحة بنية صادقة، ولذا قيل:

من لم يكن للوصال أهلاً فكل طاعة له ذنوب

وأما ما نقل عن بعض الصوفية: من أن العبد السالك إذا بلغ مقام المعرفة سقط عنه تكليف العبادة، فوجهه بعض المحققين منهم بأن التكليف مأخوذ من الكلفة بمعنى المشقة، والعارف يعبد ربه بلا كلفة ولا مشقة بل يتلذذ بالعبادة وينشرح قلبه بالطاعة ويزداد شوقه ونشاطه بالزيادة علماً بأنها سبب السعادة، ولهذا قال بعض المشايخ: الدنيا أفضل من الآخرة لأنها دار الخدمة، والآخرة دار النعمة. ومقام الخدمة أولى من مرتبة النعمة. وقد حكي عن علي رضي الله عنه أنه قال: لو خيرت بين المسجد والجنة لاخترت المسجد لأنه حق الله سبحانه والجنة حظ النفس، ومن ثمة اختار بعض الأولياء طول البقاء في الدنيا على الموت مع وجود اللقاء في العقبى، والحاصل أن الترقي فوق التوقف كالتدلي، والله أعلم.

فصل

الحرام رزق لأن الرزق اسم لما يسوقه الله تعالى إلى الحيوان فيتناوله وينتفع به، وذلك قد يكون حلالاً، وقد يكون حراماً. وذهب المعتزلة إلى أن الحرام ليس برزق لأنهم فسروه تارة بمملوك يأكله المالك، وأخرى بما لم يمنعه الشارع من الإنتفاع به، وذلك لا يكون إلا حلالاً. ويرد عليهم أنه يلزم على الأول أن لا يكون ما تأكله الدواب بل العبيد والإماء رزقاً على الوجهين الأخيرين، وإن من أكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى، ويرد الوجوه الثلاثة قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود: ٦] فيستوفي كل رزق نفسه حلالاً كان أو حراماً ولا يتصور أن لا يأكل الإنسان رزقه أو يأكل غيره لأن ما قدره الله تعالى

غذاء لشخص يجب أن يأكله ويمنع أن يأكل غيره، وأما الرزق بمعنى الملك فلا يمتنع أن يأكله غيره ومنه قوله تعالى: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ [البقرة: ٣] والله أعلم.

فصل

الدعاء مخ العبادة. كما في حديث. وقال الله تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ وأنكرت المعتزلة أن يكون للدعاء تأثير في تغيير القضاء، ورد بأن الدعاء يرد البلاء إذا كان على وفق القضاء، والمراد بالقضاء هو المعلق لا المبرم، واختلف في أن الدعاء أفضل عند نزول البلاء أم السكوت والرضا فقيل: الأول لأنه عبادة في نفسه وهو مطلوب ومأمور بفعله، وقيل: السكوت والخمود تحت جريان الحكم أتم رضا، يبعد أن يقال: الأتم هو أن يجمع بينهما بأن يدعو باللسان ويكون في الجنان تحت الجريان بحكم الجنان، وقيل: الأول أن يقال إن الأوقات مختلفة ففي بعضها الدعاء أفضل والفاصل بينهما الإشارة، فمن وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء فهو وقته، كما ورد: من فتح له أبواب الدعاء فتحت له أبواب الإجابة أو الرحمة أو الجنة، ومن وجد في قلبه إشارة إلى السكوت فهو وقته، كما جاء عن إبراهيم عليه السلام لما قال له جبريل عليه السلام: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا. قال: فاسأل ربك. قال: حسبي من سؤالي علمه بحالي، ويجوز أن يقال: ما كان للعباد فيه نصيب ولله تعالى فيه حق، فالدعاء أولى وما كان فيه حظ النفس للداعي فالسكوت عنه أولى، وهذا أعلى وأغلى، والله أعلم.

فصل

اتفق أهل السنة على أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين: أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته، والثاني دعاء المسلمين واستغفارهم له، والصدقة والحج على نزاع فيما يصل من ثواب الحج، فعن محمد بن الحسن أنه يصل للميت ثواب النفقة والحج للحاج، وعند عامة أصحابنا ثواب الحج للمحجوج عنه وهو الصحيح، واختلف في العبادات البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر، فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف إلى وصولها، والمشهور من مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام إلى عدم وصول شيء البتة لا الدعاء ولا غيره، وقوله مردود بالكتاب والسنة واستدلاله بقوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ مدفوع بأنه لم ينف إنتفاع الرجل بسعي غيره، وإنما نفى ملك غير سعيه، وأما سعي غيره فهو ملك لساعيه فإن شاء أن يبذله لغيره، وإن شاء أن يبقيه لنفسه، وهو سبحانه وتعالى لم يقل أنه لا ينتفع إلا بما سعى، ثم قراءة القرآن واهداؤه له تطوعاً بغير أجرة يصل إليه. أما لو أوصى بأن يعطى شيء من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره فالوصية باطلة لأنه في معنى الأجرة كذا في الإختيار، والعمل الآن على خلافه فالأولى أن يوصي بنية التعلم والتعليم ليكون معونة لأهل القرآن، فيكون من جنس الصدقة عنه فيجوز، ثم القراءة عند القبور

....

مكروهة عند أبي حنيفة ومالك وأحمد في رواية لأنه لم ترد به السنة. وقال محمد بن الحسن وأحمد في رواية. لا تكره لما روي عن ابن عمران أنه أوصى أن يقرأ على قبره وقت الدفن بفواتح سورة البقرة وخواتمها، والله أعلم.

فصل

كره أبو حنيفة وصاحباه أن يقول الرجل: أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك أو بحق البيت الحرام والمشعر والحرام ونحو ذلك، إذ ليس لأحد على الله حق، وكذلك كره أبو حنيفة ومحمد أن يقول الداعي: اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك أو بمقاعد، وأجازه أبو يوسف لما بلغه الأثر فيه. وأما ما ورد من قول الداعي: اللهم إني أسلك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي إليك، فالمراد بالحق الحرمة أو الحق الذي وعده بمقتضى الرحمة، والله أعلم.

فصل

في المنار لحافظ الدين النسفي أن القرآن اسم للنظم والمعنى، وما ينسب للإمام أبي حنيفة أن من قرأ بالصلاة بالفارسية أجزأه، فقد رجع عنه وقال: لا يجوز بغير العربية إلا مع عدم القدرة، وقالوا: لو قرأ بغير العربية فإما أن يكون مجنوناً فيداوى أو زنديقاً فيقتل، لأن الله تعالى تكلم بهذه اللغة والإعجاز حصل بنظمه ومعناه.

قلت: ونقل الغنيمي في حاشية أم البراهين ما نصه، قالوا: ومن الجلي الواضح أن وضع اللغات ليس إلا لتفهيم السامع فالمحوج إليه التكليم والخطاب لا التكلم أو الكلام. قال: ومن هذا يظهر نفي الأئمة رضي الله عنهم، فالشافعي مثلاً لا يجوز الترجمة بالفارسية ونحوه، لأن الثابت للضرورة يتقدر بقدرها والرخص لا يتعدى بها مورد النص، وأبو حنيفة لم يجوز التلاوة بالترجمة وإنما حكم بصحة صلاة المترجم للقراءة من حيث أن الأصول محفوظة جائز تبلغها باللغة المترجم بها لو كانت لسان النبي المبلغ له اهـ. فانظره مع كلام صاحب المنار هل يساعده أو يضاده؟ والله أعلم.

فصل

تصديق الكاهن بما يخبر به من الغيب كفر لقوله تعالى: ﴿لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [النمل: ٦٥] ولقوله عليه السلام «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» ثم الكاهن هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار في المكان، وقيل: هو الساحر والمنجم إذا ادعى العلم بالحوادث الآتية فهو مثل الكاهن وفي معناه الرمال. قال القونوي: والحديث يشمل الكاهن والعراف والمنجم، فلا يجوز إتباع المنجم

....

والرمال وغيرهما كالضارب بالحصى وما يعطى هؤلاء حرام بالإجماع، كما نقله البغوي والقاضي عياض وغيرهما، ولا إتباع من أدعى الإلهام فيما يخبر به عن الهاماته بعد النبي ﷺ، ولا إتباع قول من أدعى علم الحروف المهجاة لأنه في معنى الكاهن اهـ.

قال ملا علي: ومن جملة علم الحروف فأل المصحف حيث يفتحونه وينظرون في أول الصحيفة أي حرف وافقه، وكذا في الورقة السابعة فإن جاء حرف من الحروف المركبة من تسخلا كم حكموا بأنه غير مستحسن، وفي سائر الحروف بخلاف ذلك. وقد صرح ابن العجمي في منسكه فقال: اختلفوا في الفأل فكرهه بعضهم وأجازه آخرون ونص المالكية على تحريمه اهـ.

ولعل من أجاز الفأل أو كرهه اعتمد على المعنى، ومن حرمه اعتبر حروف المبنى فإنه في معنى الإستقسام بالازلام.

قلت: بل هو تلاعب بالقرآن. وقال الكرماني ولا ينبغي أن يكتب على ثلاث ورقات من البياض افعل لا تفعل أو يكتب الخير والشر ونحو ذلك فإنه بدعة اهـ وذكر في المدارك ما يدل على أنه حرام بالنص فراجعه. وقال الزجاجي: لا فرق بين هذا وبين قول المنجمين: لا تخرج من أجل نجم كذا أو أخرج لطلوع كذا.

قلت: ولإبطال هذه الأشياء جعل النبي ﷺ صلاة الإستخارة وبعدها الدعاء المأثور كما هو المشهور، وقد ورد ما خاب من إستخار ولا ندم من استشار. وقال شارح الطحاوية: الواجب على ولي الأمر وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والقرع والفالات، ومنعهم من الجلوس في الحوانيت أو الطرقات أو أن يدخلوا على الناس في منازلهم لذلك، ولا يكفي من يعلم تحريم ذلك ولا يسعى في إزالته مع قدرته لذلك لقوله تعالى: ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ [المائدة: ٧٩] وهؤلاء الملاعين يقولون الإثم ويأكلون السحت بإجماع المسلمين، وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة أنواع.

نوع منهم أهل تلبيس وكذب وخداع الذين يظهر أحدهم طاعة الجن له أو يدعي الحال من أهل الحال كالمشايخ النصابين والفقراء الكذابين والطرقية والمكارين، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس، وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعبلات أو يطلب تغير شيء من الشريعة ونحو ذلك.

ونوع منهم يتكلم في هذه الأمور على سبيل الجد والحقيقة بأنواع السحر، وجمهور العلماء يوجبون قتل الساحر كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد في المنصوص عنه، وهذا هو المأثور عن الصحابة رضي الله عنهم، واتفقوا على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة أو غيرها أو خطابها أو السجود لها والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور ونحو ذلك فإنه كفر، وهو أعظم أبواب الشر. واتفقوا على أن كل رقية وتعزيم أو قسم فيه شرك بالله، فإنه لا يجوز

....

التكلم به. وكذا الكلام الذي لا يعرف معناه ولا يتكلم به لإمكان أن يكون فيه شرك لا يعرف، ولذا قال النبي ﷺ: «لا بأس بالرقي ما لم تكن شركاً». ولا يجوز الإستعانة بالجن في قضاء حوائجه وامتثال أوامره وإخباره بشيء من المغيبات ونحو ذلك. واستمتاع الجني بالانسي هو تعظيمه اياه واستقامته واستعانته وخضوعه له.

ونوع منهم بالأحوال الشيطانية والكشوف بالرياضات النفسانية ومخاطبة رجال الغيب، وأن لهم خوارق يقتضي أنهم أولياء الله تعالى، وكان من هؤلاء من يعين المشركين على المسلمين ويقولون: إن الرسول أمرهم بقتال المسلمين مع المشركين لكون المسلمين قد عصوا، وهؤلاء في الحقيقة إخوان المشركين وإتباع الشياطين وإن ثبت وجودهم فإنهم من الجن لأن الإنس إنما لا يكون محتجباً عن أبصار الإنس، وإنما يحتجب أحياناً فمن ظن أنهم من الإنس فمن غلطه وجهله، وسبب الضلالة فيهم والإختلاف عدم الفرق بين أولياء الرحمن وبين أولياء الشيطان.

وبالجملة، فالعلم بالغيب أمر تفرد به سبحانه ولا سبيل إليه للعباد إلا بإعلام منه وإلهام بطريق المعجزة أو الكرامة أو إرشاد إلى الإستدلال بالإمارات فيما يمكن فيه ذلك، ومن اللطائف ما حكاه بعضهم أن منجماً صلب، فقيل له: هل رأيت هذا في نجمك؟ فقال: رأيت رفعة ولكن ما عرفت أنها فوق خشبة، والله أعلم.

خاتمة

الفصول ذكرت فيها عقيدة مختصرة لي أحببت إدراجها هنا اقتداء بالأئمة الاعلام، وإشارة برزت لي بإلهام في المنام أسأل الله تعالى أن يتقبلها مني بمنه ويحلني بها في أعلى الفردوس مع أمنه وهي هذه: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. الحمد لله رب العالمين، مدبر الخلائق أجمعين، والصلاة والسلام على رسوله محمد النبي الصادق الوعد الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الأكرمين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد: فهذه جملة عقائد الدين، وأركان عموده المتين ومدارها على ثلاثة الإيمان والإسلام والإحسان لحديث جبريل عليه السلام المخرج في الصحيحين.

فأول ما يجب على المكلف الإيمان وهو التصديق الباطني بكل ما جاء به النبي مما علم بالضرورة إجمالاً في الإجمالي وتفصيلاً في التفصيلي، والإجمالي لا بد منه لصحة الإيمان ابتداء كأن يقول: آمنت بالله كما هو بأسمائه وصفاته، والتفصيلي يشترط فيه الدوام، والأعمال مكملات والمؤمن به خمسة في الحديث المذكور «الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر» وزيد في بعض الروايات «والقدر خيره وشره» فالإيمان الواجب أولاً على كل عبد لله هو التصديق بالله تعالى، بأنه واحد أحد لا شريك له، موجود ليس كمثله شيء ولا يشبهه شيء، منفرد بالقدم بصفاته الذاتية والفعلية فصفة فعل التكوين وصفات ذاته حياته وعلمه وقدرته وإرادته وسمعه وبصره وكلامه حي عليم

....

قدير، والكلام له باق سميع بصير ما أراد جرى أحدث العالم باختياره منزه عن الحد والضد والصورة لا يكون إلا ما يشاء لا يحتاج إلى شيء وهو حليم عفو غفور، والإيمان بالملائكة بأنهم أمناؤه على وحيه، وبالكتب المنزلة بحقيقة ما فيها، وبالرسل بأنهم أفضل عباد الله وباليوم الآخر بشرائطه وتوابعه، وأوله حين قيام الموتى وما بين ذلك إلى وقت الموت فهو البرزخ والإيمان بالقدر بأن كل ما كان ويكون فبقدرة من يقول للشيء كن فيكون.

وأما الإسلام فهو التسليم الظاهر لما جاء من عندالله على لسان حبيبه ﷺ وهو الشهادتان للقادر عليها، وإقام الصلاة بشروطها وأركانها، وابتداء الزكاة بشروطها وأركانها، وصوم رمضان بشروطه وأركانه، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً بشروطه وأركانه.

وأما الإحسان، فإن تعبد الله كأنك بغاية المراقبة ونهاية الإخلاص والتمسك بالتقوى، فإنه السبب الأقوى فالإيمان مبدأ، والإسلام وسط، والإحسان كمال، والدين الخالص عبارة عن هذه الثلاثة هنيئاً لمن صح إسلامه ونال من الدين أدنى نصيب أقام الصلاة وآتى الزكاة وصام وحج وزار الحبيب، فهذا جملة ما يجب اعتقاده في أصول الدين، وما عدا ذلك خوض فيما لا يليق، والبحر عميق والسفر طويل والزاد قليل. فعليكم إخواني بدين الاعراب والعجائز هدانا الله وإياكم إلى الطريق الأقوم والإثابة بأسنى الجوائز. هذا وقد جف عرق جياد الأفهام، وقطعت صحاري الطروس مطايا الأقلام، واستراح العقل عن نكر الإستنهاض، واعشوشب روض الآمال، وارتاض بعد صلاة الظهر من يوم الأربعاء لخمس بقين من شهر رجب سنة ١١٩٧ بمنزلي بسويقة لالا.

كتاب أسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر، الحمد لله الذي حلى سرائرنا بالعقائد الصحيحة المنجية في دار القرار، وهذب ظواهرنا بأسرار الطهارة وبواطننا بطهارة الأسرار، وجعل خواطرنا خزائن لدقائق معارفه المحفوفة بالأنوار، وأودع قلوبنا من جواهر الحكم الزواهر ما أشرقت كواكبها في رابعة النهار، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله ونبيه وصفيه المختار الذي بعثه، وطرق الإيمان قد عفت منه الآثار، فأحياه إحياء الأرض بوابل الأمطار ونشره في جميع الأقطار حتى ضرب الناس بعطن وبلغوا به غايات الأوطار. صلى الله عليه وعلى آله السادة الأطهار، وأصحابه الخيرة الأبرار، والتابعين لهم بإحسان أولئك لهم عقبى الدار وسلم تسليماً وزاده شرفاً وتعظيماً.

(أما بعد)، فهذا شرح **(كتاب أسرار الطهارة ومهماتها)** وهو ثالث كتاب من كتب إحياء علوم الدين للإمام العدل الثقة حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن الغزالي سقاه الله من صوب الرحمة أغدقه، وأهدى إلى روحه من نسيم المغفرة أعبقه، وقد وفقني الله جلت نعماؤه وتقدست أسماؤه إلى توضيحه وتقريره، وأرشدني إلى تهذيبه وتحريره، والسلوك في شعابه، والترويض لصعابه، والخوض في لججه، والإمداد بإثبات حججه، وحل ألفاظه ومعانيه، حتى وضح سبيله لمعانيه، وراق زلال فوائده، وامتدت ظلال عوائده، وعلا مكان منقوله، وثبتت أركان معقوله بعد اختياري الآن ومراجعتي لمصنفات المذهبين.

فمنها في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه الذي هو مذهب المصنف شرح الوجيز للإمام أبي القاسم الرافعي، والمتن للمصنف الذي قيل فيه: لو ادعى النبوة لكان معجزة له كافية، وهي النسخة التي كتب عليها الإمام النووي بخطه حواشي وطرر وفوائد غرر، فحيث أقول قال الرافعي أو في شرح الوجيز فإنما أعني هذا الكتاب وكتاب الروضة للإمام النووي الذي بسط فيه الشرح المذكور خالياً عن ذكر خلاف غير المذهب وزاده فوائد تكتب بماء الذهب، ثم شرح البهجة الوردية للولي العراقي، وشرح المنهاج للخطيب الشربيني، واكتفيت بهؤلاء الأربعة لأنها تضمنت

خلاصة ما في المذهب وأعرضت عما عداها لما بها من كثرة الأقوال والإعتراض والإشكال، وربما نقلت من كتاب تحرير الزوائد وتقريب الفوائد للشيخ صفي الدين أحمد بن عمر المزجد المرادي الزبيدي صاحب العباب ومن غيره.

ومنها في مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه الذي هو مذهب الشارح كتاب الهداية للإمام أبي الحسن المرغيناني، وحواشيها للشيخ أكمل الدين، وللجلال الخبازي، وشرح النقاية للتقي الشمني، والمحيط لشمس الأئمة السر خسي، وشرح الجامع الصغير لقاضيخان، والبدائع للكاساني، وشرح الكنز للزيلعي، وشرح المختار لابن أبجا. وهذه غرر كتب المذهب فاقتصرت عليها وأعرضت عن كتب المتأخرين إلا ما احتاج النقل منها في بعض المواضع وهو نادر. ومن كتب سوى ذلك مما راجعت فيه لتخريج الأحاديث قد تقدم ذكرها في ديباجة كتاب العلم والعمدة في الغالب على تخريج أحاديث شرح الوجيز لابن الملقن، ولتلميذه الحافظ ابن حجر، والمقاصد للحافظ السنحاوي، والمصنف لأبي بكر بن أبي شيبة، وشرح مشكل الآثار لأبي جعفر الطحاوي، والسنن الكبرى للبيهقي وغيرها مما تراه في مواضعه. ومن كتب اللغة ودواوين الفتاوي وغيرها كمحاسن الشريعة للقفال، وشرح التقريب للحافظ العراقي، والمدخل لابن الحاج مما يدخل بالمناسبة على هذا الكتاب فكثير واسميه غالباً في مواضعه حيث يبنى عليه الحكم، ولا يخفى أن الإحاطة بالمذاهب أمر عسير جداً. وكذا لمعرفة سائر وجوه المذهب فإنها مع نزارة فائدتها لا تعطى إلا معرفة خلاف في المسألة. فأما كيفيته وإطلاعه وتفصيله فلا. فلذا لم أتعرض للخلاف إلا ما كان بين الإمامين أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما، وهو أيضاً الأهم فالأهم منه، واختلاف العلماء فن عظيم لا يمكن ضبطه إلا في كتاب مستقل، وأحسن ما ألف فيه اختلاف العلماء لابن جرير الطبري، ولأبي جعفر الطحاوي، ولأبي بكر الرازي، وللإمام أبي الحسن المكي الهراسي، وللوزير ابن هبيرة، والاشراف لابن المنذر. وقد تيسر لي بحمد الله تعالى من كل ذلك أجزاء عدة مع نقص في بعضها، وقد نقلت منها في مواضع من هذا الشرح كما ستراه، وقد التزمت بحمد الله تعالى الوفاء لبيان ما لوح إليه المصنف على قدر طاقتي وجهدي الذي هو أضعف ضعيف مع قصوري وجمود قريحتي من إنكاد الزمن المخيف قائلاً.

وبالله حولي واعتصامي وقوتي ومالي الاستره متجللا

ولا تعجب أيها المطالع لهذا الشرح، فإن العلوم والمعارف منح إلهية ومواهب قد يعطاها الصغير بعناية الملك القدير، والمرجو من إخوان الصفا أهل المروء والإنصاف والوفاء النظر بعين الرضا والصفح عن عثرات محمد المرتضى، فالإنسان من حيث هو هو محل المقصور ومجبول على النسيان، والجواد قد يكبو في الميدان، والله أسأل أن يمن علي بإتمامه وإكماله بحسن نظامه، وأن لا يجعل كدي فيه هدراً ونصباً بل يثيبني بفضله خير مكان مثوى ومنقاباً إنه ولي كل إحسان

....

يفيض على من يشاء من عباده، وهو المنان لا إله غيره ولا خير إلا خيره، ثم إني قد افتتحت الكلام في ذلك بمقدمه جعلت مدارها على عشرة فصول فتنزل منزلة الأصول، وخاتمة في سند المذهب، وعلى الله المعتمد في بلوغ التكميل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الفصل الأول

في بيان معنى الفقه، ومتى يطلق على الإنسان اسم الفقيه والإمام، ومتى يجوز له أن يفتي.

فأما الفقه فهو مصدر فقه الرجل بمعنى فقيء، فإن الهاء مبدلة من الهمزة، ومعنى فقه الرجل غاص على استخراج معنى القول من قولهم: فقأت عينه إذا بخصتها بخصاً استخرجت به شحمتها فجعلت باطنها ظاهراً بمعنى الفقه على هذا التأويل أنه استخراج الغوامض والإطلاع على أسرار الكلم، وأما حد الفقيه ففي الأجوبة المكية للحافظ ولي الدين العراقي قال: قد ذكره الرافعي والنووي في الروضة في الوقف فقالا: إنما يصح الوقف على الفقهاء ويدخل فيه من حصل منه شيئاً، وإن قل، وهذا مقتضاه صدق اسم الفقيه على من حصل من الفقه شيئاً وإن قل وفيه نظر، فإن الفقهاء جمع فقيه وهو إسم فاعل من فقه بضم القاف إذا صار الفقه له سجية، وذلك يقتضي أنه لا بد من تبحره في الفقه وكثرة استحضاره ومعرفته للمآخذ حتى يهتدي إلى تخريج ما لا يستحضر النقل فيه، فإنه لا يصير سجية له إلا بذلك، وهذا هو الموافق لكلام غيرهما من الأصحاب. وذكر القاضي الحسين في تعليقه فيما إذا وقف على الفقهاء أنه يعطى لمن حصل من الفقه شيئاً يهتدي به إلى الباقي. قال: ويعرف بالعادة. وقال في تعليقته الأخرى: يصرف إلى من يعرف في كل علم شيئاً، فأما من تفقه شهراً أو شهرين فلا، وكأن مراده بالعلم النوع في الفقه، ولذا عبّر البغوي في التهذيب في الوصية بقوله: صرف لمن حصل من كل نوع، وقال في التتمة في باب الوصية: أنه يرجع فيه إلى العادة وعبّر في الوقف بقوله إلى من حصل طرفاً، وإن لم يكن متبحراً، فقد روي: من حفظ أربعين حديثاً عدّ فقيهاً، ولكن كلام الأصوليين يقتضي اختصاص اسم الفقهاء بالمجتهدين، فإنهم عرفوا الفقه بأنه العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية وذكروا أنهم إحترزوا بقولهم التفصيلية عن العلم الحاصل للمقلد في المسائل الفقهية، فإنه لا يسمى فقهاً بل تقليداً لأنه أخذه من دليل إجمالي مطرد في كل مسألة وهو أنه أفتاه به المفتي فهو حكم الله في حقه، فذلك المفتي به حكم الله في حقه.

وأما الإمام فهو الذي يقتدى به، فمن صلح للاقتداء به في علم فهو إمام في ذلك العلم. قال الله تعالى: ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ [الفرقان: ٧٤]، وقال تعالى: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾ [السجدة: ٢٤]، وأما الصفات المعتبرة في المفتي، فيعتبر فيه الإسلام والبلوغ

والعدالة والتيقظ وقوّة الضبط، ثم إنه لا يخلو إما أن يكون مجتهداً أو مقلداً، فأما المجتهد فيعتبر فيه أمور.

أحدها: العلم بكتاب الله تعالى، ولا يشترط العلم بجميعه بل بما يتعلق بالأحكام ولا يشترط حفظه عن ظهر القلب.

الثاني: سنّة رسول الله ﷺ لا جميعها، بل ما يتعلق منها بالأحكام، ويشترط أن يعلم منها العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والناسخ والمنسوخ. ومن السنة: المتواتر والآحاد، والمرسل والمتصل، وحال الرواة جرحاً وتعديلاً.

الثالث: أقاويل علماء الصحابة ومن بعدهم إجماعاً واختلافاً.

الرابع: القياس فيعرف جليه وخفيه ويميز الصحيح من الفاسد.

الخامس: لسان العرب لغة وإعراباً لأن الشرع ورد بالعربية، وبهذه الجهة يعرف عموم اللفظ وخصوصه واطلاقه وتقييده وإجماله وبيانه، ولا يشترط التبحر في هذه العلوم، بل تكفي معرفة جمل منها.

وأما المقلد؛ فهل يجوز له الفتوى أم لا ينبني على أن موت المجتهد هل يخرجه من أن يقلد ويؤخذ بقوله أم لا؟ والمسألة فيها وجهان: أصحهما أنه لا يخرجه، بل يجوز تقليده بعد موته، فعلى هذا يجوز لمقلده الفتوى بمذهبه بعد موته، لكن يشترط أن يكون عارفاً بمذهبه متبحراً فيه بحيث يستحضر أكثره ويعرف المظان ويطلع على المآخذ حتى يتمكن من تخريج ما لا يجده منصوصاً لإمامه على قواعده، وبحث الرافعي في أنه يستوي المتبحر وغيره وأن العامي إذا عرف حكم تلك المسألة عن ذلك المجتهد فأخبر به وأخذ غيره به تقليداً للميت وجب أن يجوز على الصحيح، واعترضه النووي في ذلك فقال: هذا ضعيف أو باطل، لأنه إذا لم يكن متبحراً ربما ظن ما ليس مذهباً له مذهبه لقصور فهمه وقلة إطلاعه على مظان المسألة واختلاف نصوص ذلك المجتهد والمتأخر بها والراجح وغير ذلك، لا سيما مذهب الشافعي رضي الله عنه لا يكاد يعرف ما به من الإفراد لكثرة انتشاره واختلاف ناقليه في النقل والترجيح، فإن فرض هذا في مسائل صارت كالمعلومة علماً قطعياً عن ذلك المذهب فهذا حس محتمل، والله أعلم.

الفصل الثاني

الفقه في الدين: هو الفقه للخمس المذكورة في حديث ابن عمر في الصحيحين: «بُني الاسلام على خمس» وذلك أنها عبادة لله محضة وهي تكملة إسلام المؤمن وما يتفرع منها حاوية شاملة لما تقررت فيه المذاهب أصولاً وفروعاً، فمن ذلك علم الخلاف بين الفقهاء، فإن معرفة مذاهبهم

....

بأدلتها فضل، والأخذ بها سعة من الله عز وجل، وما انتهت المذاهب إليه فإن كلاً منها إذا أخذها أحد ساغ له ذلك، فإن خرج من الخلاف بأن يأخذ بالأحوط معتمداً ذلك في كل ما يمكنه الخروج من الخلاف، فإن ورد عليه ما لا يمكنه الخروج من الخلاف فيه. ففي مثله إذا وقف المتبع تبع الأكثر كان هو الأولى، فأما المجتهد فإنه إذا ثبت عنده حق بمقتضى ما أدى اجتهاده إليه في مسألة فإن فرضه هو ما أدى إليها اجتهاده على أن المجتهد اليوم لا يتصوّر لاجتهاده في هذه المسائل التي قد تحررت في المذاهب ثمرة، لأن الفقهاء المتقدمين قد فرغوا من ذلك فأتوا بمبالغ الأقسام كلها ولا يؤدي اجتهاد المجتهد إلا إلى مثل مذهب واحد منهم، فأما هذا الجدل الذي يقع من أهل المذاهب، فإنه أرفق ما يحمل الأمر فيه بهم أن يخرج مخرج الإعادة والدرس ليكون الفقيه به معيداً محفوظه ودارساً ما يعلمه، فأما اجتماع الجمع منهم متجادلين في مسألة مع أن كل واحد منهم لا يطمع في أن يرجع خصمه إليه إن ظهرت حجته ولا هو يرجع إلى خصمه إن ظهرت حجة خصمه عليه، ولا فيه عندهم فائدة ترجع إلى مؤانسة، ولا إلى استجلاب المودة، ولا إلى توطئة القلوب لمرعى حق، بل هو على الضد من ذلك ولا مماري في أنه محدث متجدد.

الفصل الثالث

في بيان الأسباب الموجبة للخلاف:

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرح الأربعين: اختلاف العلماء في المسائل التحليلية والتحريمية لأسباب منها: أنه قد يكون النص عليه خفياً لم ينقله إلا قليل من الناس فلم يبلغ جميع حملة العلم. ومنها: أنه قد ينقل فيه نصان: أحدهما، بالتحليل، والآخر: بالتحريم. فيبلغ طائفة أحد النصين دون الآخرين، فيتمسكون بما بلغهم أو يبلغ النصان معاً من لا يبلغه التاريخ فيقف لعدم معرفته بالناسخ. ومنها: ما ليس فيه نص صريح كإنما يؤخذ من عموم أو مفهوم أو قياس، فتختلف أفهام العلماء في هذا كثيراً. ومنها: ما يكون فيه أمر أو نهي فتختلف العلماء في حمل الأمر على الوجوب أو الندب، وفي حمل النهي على التحريم أو التنزيه، وأسباب الاختلاف أكثر مما ذكرنا. قال: وقد يقع الاشتباه في الحلال والحرام بالنسبة إلى العلماء وغيرهم من وجه آخر، وهو أن من الأشياء ما يعلم سبب حله وهو الملك المتيقن، ومنه ما يعلم سبب تحريمه وهو ثبوت ملك الغير عليه. فالأول: لا تزول إباحته إلا بيقين زوال الملك عنه اللهم إلا في الابضاع عند من يوقع الطلاق بالشك فيه كمالك، وإذا غلب على الظن وقوعه كإسحاق بن راهويه. والثاني: لا يزول تحريمه إلا بيقين العلم بانتقال الملك فيه، وأما ما لا يعلم له أصل ملك كما يجده الإنسان في بيته ولا يدري هو له أو لغيره، فهذا مشتبه ولا يحرم عليه تناوله لأن الظاهر أن ما في بيته ملكه لثبوت يده عليه والورع اجتنابه، ومن هذا أيضاً ما أصله الإباحة كطهارة الماء والثوب

....

والأرض إذا لم يتيقن زوال أصله، فجوّز استعماله وما أصله الحظر كالابضاع ولحوم الحيوان ولا يحل إلا بتيقن حله من التذكية والعقد، فإن تردد في شيء من ذلك لظهور سبب آخر رجع إلى الأصل فبنى عليه فما أصله الحرمة على التحريم ويرجع فيما أصله الحل فلا ينجس الماء والثوب والأرض بمجرد ظن النجاسة، وكذلك البدن إذا تحقق طهارته. وشكّ هل انتقضت بالحدث؟ عند جمهور العلماء خلافاً لمالك رحمه الله إذا لم يكن قد دخل في الصلاة، فإن وجد سبب قوي يغلب معه على الظن نجاسة ما أصله الطهارة فهذا محل اشتباه، فمن العلماء من رخص فيه أخذاً بالأصل، ومنهم من كرهه تنزيهاً، ومنهم من حرمه إذا قوي ظن النجاسة. وترجع هذه المسائل وشبهها إلى قاعدة تعارض الأصل والظاهر، فإن الأصل الطهارة والظاهر النجاسة، وقد تعارضت الأدلة في ذلك، وكل من القائلين بالطهارة والنجاسة استدلوا بدلائل من السنّة قد بسطت في مواضعها. قال: وقد يقع الاشتباه في الحكم لكون الفرع متردداً بين أصول تجتذبه كتحريم الرجل زوجته، فإن هذا متردد بين تحريم الظهار الذي ترفعه الكفارة الكبرى وبين الواحدة بانقضاء عدّتها الذي تباح معه الزوجة بدون زوج وإصابة، وبين تحريم الرجل عليه ما أحله الله له من الطعام والشراب الذي لا يحرمه، وإنما يوجب الكفارة الصغرى أو لا يوجب شيئاً على الاختلاف في ذلك، فمن هنا كثر الاختلاف في هذه المسألة زمن الصحابة فمن بعدهم، والله أعلم اهـ.

وألف الامام أبو محمد عبدالله بن السيد البطليوسي كتاباً في معرفة الأسباب الموجبة للخلاف الواقع بين الأئمة في آرائهم قال فيه: إنه عرض ذلك لأهل ملتنا من ثمانية أوجه كل ضرب من الخلاف متولد منها ومتفرع عنها.

الأول: اشتراك الألفاظ والمعاني.

الثاني: الحقيقة والمجاز.

الثالث: الإفراد والتركيب.

الرابع: الخصوص والعموم.

الخامس: الرواية والنقل.

السادس: الاجتهاد فيما لا نص فيه.

السابع: الناسخ والمنسوخ.

الثامن: الإباحة والتوسيع. ثم ذكر لكل نوع من هذه الأنواع أمثلة تبين المقصود، وها أنا أختصر لك خلاصة ما في ذلك الخطاب. قال رحمه الله:

الباب الأول

في الخلاف العارض من جهة اشتراك الألفاظ واحتمالها للتأويلات الكثيرة:

هذا الباب ينقسم ثلاثة أقسام: أحدها: اشتراك في موضوع اللفظة المفردة. **والثاني:** اشتراك في أحوالها التي تعرض إليها من إعراب وغيره. **والثالث:** اشتراك يوجبه تركيب الألفاظ وبناء بعضها على بعض، فالاشتراك العارض في موضوع اللفظة المفردة نوعان: اشتراك بجمع معان مختلفة متضادة، واشتراك بجمع معان غير مختلفة غير متضادة. فالأول: كالقرء ذهب الحجازيون من الفقهاء إلى أنه الطهر، وذهب العراقيون إلى أنه الحيض، ولكل منهما شاهد من الحديث واللغة. وأما اللفظ المشترك الواقع على معان مختلفة غير متضادة فنحو قوله تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً﴾ [المائدة: ٣٣] الآية، ذهب قوم إلى أن «أو» هنا للتخيير فقالوا: السلطان مخير في هذه العقوبات بأن يفعل بقاطع السبيل أيها شاء، وهو قول الحسن وعطاء، وبه قال مالك، وذهب آخرون إلى أن «أو» هنا للتفصيل والتبعيض، فمن حارب وقتل وأخذ المال صلب، ومن قتل ولم يأخذ المال قتل، ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده ورجله، وهو قول ابن مجلز وحجاج بن أرطأة عن ابن عباس، وبه أخذ الشافعي وأبو حنيفة. وأما الاشتراك العارض من قبل اختلاف الكلمة دون موضوع فمثل قوله تعالى: ﴿ولا يضار كاتب ولا شهيد﴾ [البقرة: ٢٨٢]، قال قوم: مضارة الكاتب أن يكتب ما لم يمل عليه، ومضارة الشهيد أن يشهد بخلاف الشهادة. وقال آخرون: مضارتهما أن يمنعا من استقلالهما ويكلفا الكتابة والشهادة في وقت يشق ذلك عليهما، وإنما أوجب هذا)الاختلاف أن قوله تعالى: (**ولا يضار**) يحتمل أن يكون تقديره: ولا يضارر بفتح الراء، فيلزم على هذا أن يكون الكاتب والشهيد مفعولاً بما لم يسم فاعلـهما. وهكذا كان يقرأ ابن مسعود بإظهار التضعيف وفتح الراء، ويحتمل أن يكون تقديره لا يضارر بكسر الراء، فيلزم على هذا أن يكون الكاتب والشهيد فاعلين، وهكذا كان يقرأ ابن عمر بإظهار التضعيف وكسر الراء، وأما الاشتراك العارض من قبل تركيب الكلام وتناقض بعض الألفاظ على بعض فإن منه ما يدل على معان مختلفة متضادة، ومنه ما يدل على معان مختلفة غير متضادة، فمن النوع الأول قوله تعالى: ﴿وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء التي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن﴾ [النساء: ١٢٧]، قال قوم معناه وترغبون في نكاحهن لمالهن. وقال آخرون: إنما أراد وترغبون عن نكاحهن لدمامتهن وقلة مالهن، ولكل من القولين شاهد في كلام العرب وله أمثلة كثيرة في القرآن وكلام العرب، وأما التركيب الدال على معان مختلفة غير متضادة فكقوله تعالى: ﴿وما قتلوه يقيناً﴾ [النساء: ١٥٧]، فإن قوماً يرون الضمير في قتلوه عائداً إلى المسيح عليه السلام، وقوماً يرونه عائد إلى العلم المذكور في قوله تعالى: ﴿ما لهم به من علم إلا اتباع الظن﴾ [النساء: ١٥٧]، فيجعلونه من قول العرب قتلت الشيء علماً.

الباب الثاني

في الخلاف العارض من جهة الحقيقة والمجاز:

اعلم أن المجاز ثلاثة أنواع: نوع يعرض في موضوع اللفظة المفردة، ونوع يعرض في أحوالها المختلفة عليها من اعراب وغيره، ونوع يعرض في التركيب وبناء بعض الألفاظ على بعض، ولكل منها أمثلة كثيرة. وأما العارضان فيها من قبل أحوالها، فكقوله تعالى: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ [سبأ: ٣٣]، وإنما المراد بل مكرهم بالليل والنهار. وتقول العرب: نهارك صائم وليلك نائم. وأما العارضان من طريق التركيب وبناء بعض الألفاظ على بعض فنحو: الأمر يرد بصيغة الخبر وبالعكس، والايجاب يرد بصيغة النفي وبالعكس، والمدح يرد بصورة الذم وبالعكس، والتقليل يرد بصورة التكثير وبالعكس، ونحو ذلك من أساليب الكلام التي لا يقف عليها إلا من تحقق بعلم اللسان، ولكل منها أمثلة. ومن طريق المجاز العارض من طريق التركيب إيقاعهم ذوات المعاني على السبب، ومرادهم السبب تارة، وتارة يوقعونها على المسبب، وإنما يفعلون هذا لتعليق أحدهما بالآخر ولها أمثلة.

الباب الثالث

في الخلاف العارض من جهة الافراد والتركيب:

من ذلك أن الآية ربما وردت غير مستوفية الغرض المراد من التعبد، وورد تمام الغرض في آية أخرى، وكذلك الحديث فربما أخذ بعض الفقهاء بمفرد الآية أو بمفرد الحديث، وبني آخر قياسه على جهة التركيب بين الآيات المتفرقة والأحاديث المتغايرة، وبناء بعضها على بعض بأن يأخذ بمجموع آيتين، أو بمجموع حديثين، أو بمجموع آيات، أو بمجموع أحاديث، فيفضي الحال إلى الاختلاف أو إلى التناقض، فربما أحل أحدهما ما يحرمه الآخر، وربما أفضي إلى اختلاف العقائد فقط أو إلى الاختلاف في الأسباب فقط فركبوا القياسات، وخالفهم آخرون فرأوا الأخذ بظاهر الألفاظ فنشأ من ذلك نوع آخر في الخلاف، وقد ترد الآية والحديث بلفظ مشترك يحتمل تأويلات كثيرة ثم ترد آية أخرى أو حديث آخر بتخصيص ذلك اللفظ المشترك وقصره على بعض تلك المعاني دون بعض.

الباب الرابع

في الخلاف العارض من جهة العموم والخصوص:

هذا الباب نوعان: أحدهما: يعرض في موضوع اللفظة المفردة، والثاني: في التركيب. فالأول: نحو قوله تعالى: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ [العصر: ٢]، وفي الحديث: « الكافر يأكل في سبعة

....

أمعاء». وقد يأتي من هذا الباب في القرآن والحديث أشياء متفق الجمع على عمومها أو على خصوصها، وأشياء يقع فيها الخلاف، فمن العموم الذي لم يختلف فيه قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾ [لقمان: ٣٣]، وقوله ﷺ: «الزعيم غارم والبيّنة على المدعي واليمين على المدعى عليه». وفي الخصوص الذي لم يختلف فيه قوله تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وقد يأتي في هذا الباب ما موضوعه في اللغة على العموم ثم تخصصه الشريعة كالمتعة.

الباب الخامس

في الخلاف العارض من جهة الرواية:

اعلم أنه تعرض للحديث علل فتحيل معناه، فربما أوهمت فيه معارضة بعضه ببعض، وربما ولدت فيه اشكالاً يحوج العلماء إلى طلب التأويل البعيد، وهي ثمانية: أولها فساد الاسناد، والثانية من جهة نقل الحديث بالمعنى، والثالثة من جهة الجهل بالإعراب، والرابعة من جهة التصحيف، والخامسة من جهة اسقاط شيء من الحديث لا يتم المعنى إلا به، السادسة: أن ينقل المحدث الحديث ويغفل نقل السبب الموجب له، والسابعة: أن يسمع المحدث ويفوته سماع بعضه، والثامنة: نقل الحديث من الصحف دون لقاء الشيوخ ولكل منها أمثلة.

الباب السادس

في الخلاف العارض من قبل الاجتهاد والقياس:

وهو نوعان: أحدهما الخلاف الواقع من المنكرين للقياس والمثبتين له، والثاني: خلاف يعرض بين أصحاب القياس في قياسهم كاختلاف الشافعية والحنفية والمالكية ونحوهم، وهذا الباب شهير الذكر.

الباب السابع

في الخلاف العارض من قبل النسخ:

وهو نوعان: أحدهما: خلاف يعرض بين من أنكر النسخ ومن أثبته واثبات النسخ هو الصحيح، والثاني: بين القائلين به وهو ثلاثة أقسام: أحدها: الخلاف في الاخبار هل يجوز فيها النسخ كما يجوز في الأمر والنهي أم لا؟ والثاني: اختلافهم هل يجوز أن تنسخ السنّة القرآن أم لا؟ والثالث: اختلافهم في أشياء من القرآن والحديث، فذهب بعضهم إلى انها نسخت وبعضهم إلى أنها لم تنسخ.

الباب الثامن

في الخلاف العارض من جهة الإباحة والتوسيع:

الخلاف العارض من جهة الإباحة والتوسيع كاختلاف الناس في الأذان، والتكبير على الجنائز، وتكبير التشريق، ووجوب القراءات السبع ونحو ذلك. فهذه أسباب الخلاف الواقع بين الأمة، وقد اختصرت الكتاب على وجه جميل ينتفع به أهل التحصيل، ولم أطل في ذكر الأمثلة التي أوردها لئلا تطول مقدمة هذا الكتاب، والله أعلم بالصواب.

الفصل الرابع

الخلاف الواقع بين الناس في الأديان والمذاهب:

قال أبو القاسم الراغب في كتاب الذريعة: جميع الاختلافات بين أهل الأديان والمذاهب على أربعة مراتب: **الأولى:** الخلاف بين أهل الأديان النبوية وبين الخارجين عنها من الثنوية والدهرية، وذلك في حدوث العالم، وفي الصانع تعالى، وفي التوحيد. **والثانية:** الخلاف بين أهل الأديان النبوية بعضهم مع بعض، وذلك في الأنبياء، كاختلاف المسلمين والنصارى واليهود. **والثالثة:** الاختلاف المختص في أهل الدين الواحد بعضهم مع بعض في الأصول التي يقع فيها التبديع والتفجير، كالاختلاف في شيء من صفات الله تعالى وفي القدر، وكاختلاف المجسمة. **الرابعة:** الاختلاف المختص بأهل المقالات في فروع المسائل كاختلاف الشافعية والحنفية، فالاختلاف الأوّل يجري مجرى متنافيين في مسلكيهما، كآخذ طريق المشرق وآخذ طريق المغرب، أو آخذ طريق ناحية الشمال وآخذ طريق ناحية الجنوب، والثاني: يجري مجرى آخذ نحو المشرق وآخذ يمنة أو يسرة، فهو وإن كان أقرب من الأوّل فليس يخرج أحدهما أن يكون ضالاً ضلالاً بعيداً، والثالث: جار مجرى آخذ جهة واحدة، ولكن أحدهما سالك المنهج، والآخر تارك المنهج، وهذا التارك للمنهج ربما يبلغ وإن كان يطول عليه الطريق. والرابع: جار مجرى جماعة سلكوا منهجاً واحداً لكن أخذ كل واحد شعبة غير شعبة الآخر، وهذا هو الاختلاف المحمود لقوله ﷺ: «الاختلاف في هذه الأمة رحمة للناس». ونحوه نظير من قال: كل مجتهد في الفروع مصيب. ولأجل الفرق الثلاث أمرنا أن نستعيذ بالله ونتضرع إليه بقوله: ﴿اهدِنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦]، وقال: ﴿وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم﴾ [الأنعام: ١٥٣]

الفصل الخامس

في ذكر أشياء من أصل الفقه على طريقة المتقدمين:

اعلم أن الفقه يشتمل على واجب ومندوب إليه ومباح ومحظور ومكروه، فالواجب ما تناول تاركه الوعيد، والمندوب إليه ما فعله فضل ولا إثم في تركه، والمباح ما أطلق للعبد، والمحظور

....

المحرم، والمكروه ما تركه فضل. وفي الكلام حقيقة وفيه المجاز والأمر صيغة تقتضي الوجوب، والفرض هو الواجب عند الشافعي رضي الله عنه، وعند أبي حنيفة، وأحمد رضي الله عنهما الواجب لازم والفرض ألزم والتعميم في أقل الجمع فصاعداً، فإذا عرف بالألف واللام فهو تعميم نحو المسلمين، وكذلك إن كان بصيغة الواحد إن كان للجنس نحو قوله تعالى: ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ [العصر: ٢]، ولا يعم شيء من أفعال النبي ﷺ إلا بدليل، والتخصيص تعيين البعض دون الكل، والنطق إذا ورد على سبب تعلق به كيف وقع، والنسخ الرفع ولا يجوز إلا على ما يتناول تكليف الخلق، ويجوز نسخ القرآن بالقرآن والسنّة بالسنة، ولا ينسخان بالاجماع ولا بالقياس، وقول رسول الله ﷺ شرع وكذلك اقراره، والصحابة كلهم عدول والذين اتبعوهم بإحسان، ولا يجوز رواية الحديث بالمعنى إلا عند البعض للعالم دون غيره، ويرجح الخبر على الخبر بفضل رواته، وإجماع المسلمين من المجتهدين حجة في الشرع، وقول الصحابة مقدم على القياس والقياس حمل الفرع على أصل في بعض أحكامه بمعنى يجمع بينهما ويحتج به في جميع الأحكام الشرعية، وقد سماه الفقهاء قياس علة وقياس دلالة وقياس شبه، ويشتمل القياس على أربعة أشياء: على الأصل، والفرع، والعلة، والحكم، والاستحسان عند أبي حنيفة أصل والتقليد قبول القول من غير دليل وذلك سائغ للعامي، ولا يجوز في أصل الدين ولا فيما نقل نقلاً عاماً كعدد الصلوات، والعالم لا يسوغ له التقليد. وحكي عن أحمد جوازه، والمجتهد من عرف طرق الأحكام من الكتاب والسنّة، وموارد الكلام ومصادره، ومجازه وحقيقته، وعامه وخاصه، وناسخه ومنسوخه، ومطلقه ومقيده، ومفسره ومجمله ودليله. ومن أصول العربية ما يوضح له المعاني وإجماع السلف وخلافهم وعرف القياس، وما يجوز تعليله من الأصول مما لا يجوز، وما يعلل به وما لا، وترتيب الأدلة وتقديم أولاها، ووجوه الترجيح، وكان ثقة مأموناً قد عرف بالاحتياط في الدين، فإذا اجتمعت هذه الشروط في إنسان ساغ له الاجتهاد، والحق في أصول الدين في جهة واحدة والفروع كذلك إلا أن الحرج موضوع عن المجتهد المخطىء فيها، بل له أجر واحد في الخطأ، وفي الاصابة أجران، والقولان من الفقيه في مسألة واحدة إشعار منه بدين منعه أن يحتم حتى يعلم فيكون لمن بعده الاجتهاد فيها، فأما إذا تقدم تاريخ أحد القولين، فالعمل على الأخير، فهذه أصول الفقه على طريق الاقتضاب.

الفصل السادس

في العلم إما أن يكون معقولاً إلخ:

قال أبو العباس أحمد بن أحمد بن عيسى الشهير بزروق في شرح قواعد العقائد للمصنف: العلم إما أن يكون معقولاً كالحساب فبرهانه في نفسه، وإما أن يكون منقولاً كاللغة والحديث فهو موقوف على أمانة صاحبه، وإما أن يكون مركباً منهما كالفقه والتصوّف فيغلب شائبة النقل فيه فيشترط فيه العلم والعدالة، كما قيل: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، فوجب

....

معرفة من يؤخذ عنه بأوصافه المعتبرة في ذلك، ومن ظهرت مروءته علماً وديناً لا يحتاج إلى تعريف به، لكنه كمال فيه. والإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى من هذا النوع، حتى يلقب بحجة الإسلام وسيف السنة، وهو في الفقه وأصوله وأصول الدين حجة إجماعاً. وفي التصوّف شهد له الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه بالصديقية العظمى، وقد قيد وكتب وألف في علوم ثمانية نحواً من سبعين تأليفاً مرّ ذكرها في شرح خطبة كتاب العلم. أكبرها تأليفاً وأكثرها نفعاً هذا الكتاب المسمى بالإحياء. قيل: كتبه في ألف يوم، وكان يختم مع كتبه كل يوم ختمتين فنفع الله به الخاص والعام، وكان إماماً مبرزاً من أصحاب الوجوه والتراجيح في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وكتبه الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز تدل على غزارة علمه في فقه المذهب واتساع نظره وفهمه، وأما ما أورده في هذا الكتاب فهو خلاصة كتبه الثلاثة مع زيادة واختيارات في بعض الوجوه، مع كمال الاختصار حتى قيل: لو عدمت كتب مذهب الشافعي لاستخرج المذهب من الاحياء.

الفصل السابع

في بيان أن الشافعية الآن وقبل الآن عيال على كتبه:

اعلم أنه رحمه الله تعالى ألف في المذهب كتابه (**البسيط**) أحاط فيه بمذهب الشافعي رضي الله عنه، ثم اختصره فسماه (**الوسيط**)، ثم اختصره فسماه (**الوجيز**) وقد تلقت الأمة هذه الكتب الثلاثة بالقبول والإقبال على مدارستها وشرح ألفاظها والعمل بما فيها، وسمى هذه الأسماء اقتداء بـأبي الحسن الواحدي فإنه سمى تفاسيره الثلاثة كذلك. وقد تقدمت الإشارة إليه في مقدمة كتاب العلم، فأما البسيط فقد اختصر في كتاب شيخه إمام الحرمين نهاية المطلب في دراسة المذهب وزاد عليه في المسائل والفروع، وأما الوسيط فشرحه تلميذه محمد بن يحيى الخبوشاني في ثلاثين مجلداً سماه (**المحيط**)، وابن الرفعة في ستين مجلداً وسماه (**المطلب**) والنجم القمولي وسماه (**البحر المحيط**) ثم لخصه وسمّاه (**جواهر البحر**)، وجعفر بن يحيى التزمنتي، ومحمد بن عبد الحاكم، وأبو الفتوح العجلي، والعز المدلجي، وابن أبي الذم، وابن الاستاذ الحلبي، وأبو الفضل القزويني، ويحيى بن أبي الخير اليمني وغيرهم. وأما الوجيز؛ فشرحه الفخر الرازي، والسراج الأرموي، وأبو حامد الاربلي، وأبو حامد الجاجرمي، وأبو القاسم الرافعي شرحين الكبير والصغير، واختصر النووي شرحه الكبير وسماه الروضة، فانتقلت رغبات العلماء إليه فشرحوه واختصروه وحشوه، وصار مدار المذهب عليه، وممن اختصره الشرف ابن المقري اليمني وسماه الروض، وعليه مدار الشافعية باليمن وشيخ الإسلام زكريا وسماه كذلك الروض، وعليه مدار الشافعية بمصر. ومن كتب الشافعية المحرر لأبي القاسم الرافعي أورد فيه خلاصة ما في كتب

الغزالي الثلاثة، وقد شرحه الشهاب الحصكفي، والتاج الاصفهاني، والعلاء الباجي. واختصره الإمام النووي وسماه (**المنهاج**) فانتقلت رغبات الطالبين إليه، فشرحه التقي السبكي، والشمس القاياتي، والشهاب الاذرعي وسماه (**القوت**) والمجد النكلوي، وابن الملقن ثلاثة شروح، والشهاب الافقهسي، والجمال الأسنوي، والنور الاردبيلي، والسراج البلقيني، والشرف الغزي، والجلال النصيبي، والحافظ السيوطي، والشمس المارديني، وشيخ الإسلام زكريا، والكمال الدميري، والبدر بن قاضي شهبة، وابن قاضي عجلون، وأبو الفتح المراغي وغيرهم. وممن اختصره شيخ الإسلام زكريا وسماه (**المنهج**) وممن شرح المنهاج أيضاً الشهاب الرملي، والخطيب الشربيني، وابن حجر المكي. وعلى هذه الأربعة أعني المنهج، وشرح الرملي، والشربيني، وابن حجر مدار المذهب، ففي مصر وأقطارها على كتاب الرملي، وفي الحرمين واليمن على كتاب ابن حجر. وممن جمع بين شرح الرافعي والروضة البدر الزركشي وسماه (**الخادم**) وعلق عليه السيوطي وسماه (**تحصين الخادم**) وممن علق على الروضة الجمال الأسنوي وسماه (**المهمات**) وهو كتاب جليل القدر خدمه العلماء منهم: الشريف عز الدين الحسيني وسماه (**تتمة المهمات**) ومنهم الشهاب الاقفهسي وسماه (**التعقبات**) ومنهم الحافظ العراقي وسماه (**مهمات المهمات**) ومنهم الشهاب الأذرعي، ومنهم السراج البلقيني وسماه (**معرفة الملمات**) ومنهم السراج اليمني المعروف بالفتى وسماه (**تلخيص المهمات**). واختصره آخرون منهم أحمد بن موسى الوكيل، والشرف الغزي، والشهاب الغزي، والتقي الحصني، وابن قاضي شهبة، وآخرون. وقد ظهر بما تقدم أن اعتماد المدرسين الآن على كتب شيخ الإسلام زكريا، ومدارها على كتب الإمامين الرافعي والنووي ومدارها على كتب الإمام أبي حامد الغزالي، فهو إمام المذهب والشافعي الثاني رحمه الله تعالى وقدس سره.

الفصل الثامن

في معرفة اصطلاح هذه الكتب:

وهو أمر مهم إذ به يقع الفهم والتفهيم، وبه يتصوّر التعلم والتعليم، وفيه ما يخص وما يعم، ومن أهم المهمات معرفة ألفاظ يستعملونها في الاختيار والترجيح لبعض الأقوال والوجوه اصطلاحاً، فلا بدّ من التعرض لها ليكون الناظر على بصيرة، وتلك الألفاظ هي قول الائمة الأصح والاظهر والصحيح والظاهر والأقيس والأشبه والأقرب والأشهر والمتشابه والأحوط والأرجح والراجح، وقولهم: ظاهر المذهب أو المذهب كذا ورجح بالبناء للمفعول ورجح المعتبرون والجديد، ونحن نفسر هذا الالفاظ تعريفاً وتمثيلاً على ما أورده التاج الأصفهاني في كشف تعليل المحرر قال: الأصح أعلى مرتبة من الكل ومقابله الصحيح، فالأصح ما قوي صحته أصلاً وجامعاً أو واحداً منها من القولين أو الوجهين أو الأقوال أو الوجوه، كقول الرافعي في المحرر: المستعمل إذا بلغ قلتين فأصح الوجهين أنه يعود طهوراً قياساً على الماء النجس، والثاني لا

....

يعود قياساً على الماورد، فالقياس الثاني صحيح، والأوّل أصح للمجانسة، والجلاء وعروض ما يخرج عن حقيقته، والإمام أبو حامد الغزالي عبّر عنه في كتبه بأقيس الوجهين لقوة قياسه أصلاً وجامعاً، ولأنه أقيس بأصل المذهب، ثم الأظهر أعلى من الصحيح، والظاهر وهو ما قوى ظهور أصله وعلته أو واحد منهما كذلك، ومقابله الظاهر كقول الرافعي في المحرر: إذا اشتبه ماء وبول وماء ورد لم يجتهد على أظهر الوجهين، فالقول بعدم الاجتهاد أظهر أصلاً، وعلة لعدم اعتضاد كل واحد بأصل ظاهر، وكون الاجتهاد اتباع ظن ناشيء من دليل وأمارة عند عروض ما على أصل أحد الشيئين أو صفة، والقول بالاجتهاد ظاهر علة بناء على وجود الإمارة في الكل وكالمتغير بالتراب المطروح، فالأظهر أنه مطهر لأن التراب أحد الطهورين إذا لم يكن مقوياً لم يكن مضعفاً، والشارع قد اعتبر تقويته كما في التعفير وجعله غير مطهر قياساً على الزعفران من حيث أن كل واحد منهما مستغني عنه طاهر، لكن ليس مثل الأوّل، ويقع كل من الاظهر والأصح موضع الآخر لقرب معناهما في كلام الائمة، والصحيح ما صح أصلاً وجامعاً أو واحداً منهما، كذلك من القولين أو الأقوال أو الوجهين أو الوجوه، ومقابله الفاسد كلاً أو بعضاً، كقول الرافعي في المحرر وفي باب التيمم، فإن لم يكن عليه ساتر غسل الصحيح، والصحيح أنه يتيمم لمكان الجراح لبقاء الحديث، فالقول بغسل الصحيح من غير تيمم وبرعاية الترتيب بين غسل الصحيح، والتيمم فاسد لا وجه له بل اللازم أحد الأمرين غسل الصحيح والتيمم للجراحة أو الاكتفاء بالتيمم والترتيب بين عضوين لا عضو واحد. والظاهر هو ما ظهر أصلاً وعلة أو واحداً منها كذلك، ومقابله الخفي كلاً أو بعضاً كقول الرافعي في المحرر في آنية الذهب والفضة الظاهر لا يجوز اتخاذه قياساً على آلات الملاهي، وهذا قياس ظاهر، وأما كونه لا يحرم اتخاذه كما في الوجه الثاني فخفي فإن علته جمع المال المتفرق وحفظه، وكون جمع المال وحفظه سبباً لحل اتخاذ حرام أمر خفي غير مناسب للحكم واستعمال كل من الظاهر والصحيح مقام الآخر تساهل، وإن كان كل واحد منهما يقرب معنى الآخر، لكن استعمالها مقام الأظهر، والأصح خطأ لا يليق بالمحصلين. والأقيس ما قوي قياسه أصلاً وجامعاً أو واحداً منهما كذلك، وبهذا المعنى قد يستعمل في موضع الأظهر والأصح إذا كان الوجهان أو القولان متقايسين، كما أشرنا إليه قريباً في مسألة المستعمل إذا بلغ قلتين من تعبير المصنف، وقد يستعمل بمعنى الأقيس بكلام الشافعي أو بمسائل الباب، كقول الرافعي في المحرر في باب السلم والأقيس تجويزه في المصبوغ بعد النسج، والوجه الآخر لا يجوز لجهل مقدار الصبغ واختلاف الغرض به، فالذي أقرب قياساً إلى كلام الأصحاب في الباب هو الوجه الأوّل لكون الثاني مردوداً بأنه لو صح لما صح في المنسوج بعد الصبغ لوجود العلتين فيه، وبهذا المعنى يستعمل موضع الأشبه ويقابله الشبيه، لأن الأشبه ما قوي شبهه بكلام الشافعي أو بكلام أكثر أصحابه أو معظمهم. وليس المراد أنه قياس شبه أو قياس علة المشابهة، كقول الرافعي في المحرر في الأواني، والأشبه أنه لا فرق بين أن يكون الضبة في محل الشرب والاستعمال أو غيره. أراد الأشبه بكلام الشافعي،

....

وفي تعجيل الزكاة قال: والأشبه اعتبار قيمة يوم القبض أراد الأشبه بكلام الأصحاب، وأصل المذهب والأرجح ما رجح جانبه أصلاً وعلة على مقابله وهو الراجح كما يقال في ثمن ما باعه القاضي من مال المفلس: إذا خرج مستحقاً هل يضارب المشتري مع الغرماء أو يتقدم عليهم فيه قولان: أرجحهما التقدم على مصالح الحجر من أجر الكيال والدلاّل وغيرهما، والمضاربة قياساً على سائر الديون لأنه دين تعلق بذمته، لكن قياس التقدم أرجح لأنه معقول المعنى إذ عدمه يؤدي إلى عدم الرغبة في شراء متاعه، فيؤدي إلى اضرار كثير، ومقابله الراجح ثم الترجيح إن كان قوياً يصح استعمال الأصح مقامه واستعمال الصحيح مقام الراجح، وإن لم يكن في الغاية فيصح إيقاع الأظهر والظاهر مقامهما، والأحوط ما يلوح إلى علة أقوى كما إذا كان القولان أو الوجهان قويين معنى واعتباراً وقياساً، لكن في أحد الجانبين تلويح إلى نص من الشارع أو تعميم نص رعاية، لذلك يقول: والاحوط كقول الرافعي في المحرر في تزويج الأمة إذا كان تحته حرة لا تصلح للاستمتاع:،الأحوط المنع لعموم قوله تعالى: ﴿ومن لم يستطع منكم طولاً﴾ [النساء: ٢٥] لأن كلاًّ من الجانبين اعتبره جماعة من معظم الأصحاب من الفريقين، ويصح استعمال الأصح والارجح مكانه لاقتضاء مقام كل قوة، والأقرب ما قوي اعتباره وهذا أدنى درجة من الذي تقدم، فيريد بالأقرب الأقرب بالاعتبار أو بأصل المذهب أو بكلام أكثر العلماء، كقول الرافعي في المحرر في الوصية: بحج التطوّع وإن أطلق فأقرب الوجهين أنه يحج من الميقات لأنه الأقرب إلى الاعتبار كما في الفرض، فإن الأصل في الاطلاقّ الحمل على أقل الدرجات، والثاني من بلده إذ هي الغالب في النهوض والتجهز للحج، ولا شك أن هذا بعيد إذ قد يكون البلد بعيداً كما في أقصى الشرق أو الغرب فيؤدي إلى مشقة وارتكاب محظورات كثيرة، ويجوز استعمال الراجح مقامه. وكذا استعمال الصحيح إن كان الوجه الآخر فاسداً أو مقدوحاً، والأشهر مقابله المشهور وهو ما قوي اعتبار كونه في المذهب واشتهر انه منه كقوله في مسألة الميزاب: وإن سقط الكل فالواجب نصف على الأشهر أي من الوجهين أو القولين توزيعاً على ما حصل من مباح مطلق ومباح بشرط سلامة العاقبة، والثاني: يوزع على ما في الداخل والخارج، فيجب قسط الخارج، ثم بعد ذلك فالاعتبار إما بالوزن عند بعض، وبالمساحة عند بعض آخر، والثاني: مشهور من المذهب، لكن الأوّل أشهر اعتباراً في المذهب، ويجوز استعمال الأظهر مقامه عند ظهور علته كما في الصورة المذكورة، وقولهم في المذهب أو الظاهر من المذهب أو المذهب الظاهر فمعناه النص، والظاهر من النص أو النص الظاهر فالأوّل لا يلزم أن يكون في مقابلة شيء، والثاني والثالث يكون في مقابلتها إما نص خفي أو فاسد أو وجه قوي أو فاسد، كقوله في سجود السهو: إذا لم يسجد الإمام فظاهر المذهب أي ظاهر النص أن المأموم يسجد لأن سجوده لأمرين لسهو الإمام ومتابعته لا لمتابعته فقط. ومذهب البويطي والمزني أنه لا يسجد لأنه يسجد لمتابعة الإمام فقط، وهذا ضعيف جداً بل قريب من الفاسد، وإذا كان الجانبان متساويين علة أو قياساً يقول رجح بالبناء للمفعول، وإذا كان ترجيح جانب التصحيح ضعيفاً

....

ينسب الفعل إلى الفاعل الظاهر صريحاً، فيقول: رجح المرجحون. وقد يستعمل «ينبغي» ويراد به الوجوب وقد يراد به الندب والأدب، والجواز ولا ينبغي في مقام الحرمة والكراهية، ولفظ الاحتياط للوجوب وللندب.

وقال الرافعي في شرح الوجيز في باب التيمم: قولهم في المسألتين قولان بالنقل والتخريج معناه: إذا ورد نصان عن صاحب المذهب مختلفان في صورتين متشابهتين ولم يظهر بينهما ما يصلح فارقاً، فالأصحاب يخرجون نصه في كل صورة من الصورتين في الصورة الاخرى لاشتراكهما في المعنى، فيحصل في كل واحدة من الصورتين قولان: منصوص ومخرج، المنصوص في هذه هو المخرج في تلك والمنصوص في تلك هو المخرج في هذه، فيقولون (فيهما قولان: بالنقل والتخريج. أي: نقل المنصوص من هذه الصورة إلى تلك الصورة وخرج فيها، وكذلك بالعكس، ويجوز أن يراد بالنقل الرواية ويكون المعنى في كل واحد من الصورتين قول منقول أي مروي عنه، وآخر مخرج، ثم الغالب في مثل ذلك عدم إطباق الأصحاب على هذا التصرف، بل ينقسمون إلى فريقين: منهم من يقول به، ومنهم من يأبى ويستخرج فارقاً بين الصورتين بسند إليه افتراق النصين اهـ.

قال النووي في مقدمة شرح المهذب، وفي الروضة في القضاء: والأصح أن القول المخرج لا ينسب للشافعي لأنه ربما لو روجع فيه ذكر فارقاً له. وقال النووي في المنهاج: وحيث أقول الجديد فالقديم خلافه أو القديم، أو في قول قديم فالجديد خلافه. قال الخطيب الشربيني في شرحه الجديد ما قاله الشافعي بمصر تصنيفاً أو افتاء، ورواته البويطي، والمزني، والربيع المرادي، وحرملة، ويونس بن عبد الأعلى، وعبد الله بن الزبير الحميدي، وابن عبد الحكم وغيرهم. والثلاثة الأول هم الذين تصدوا لذلك وقاموا به، والباقون نقلت عنهم أشياء محصورة على تفاوت بينهم، والقديم ما قاله بالعراق تصنيفاً وهو الحجة أو أفتى به ورواته جماعة أشهرهم الإمام أحمد، والزعفراني، والكرابيسي، وأبو ثور. وقد رجع الشافعي عنه وقال: لا أجعل في حل من رواه عني، وقال الإمام: لا يحل عد القديم من المذهب، وقال الماوردي في أثناء كتاب الصداق غير الشافعي جميع كتبه القديمة في الجديد إلا الصداق، فإنه ضرب على مواضع منه وزاد مواضع أما ما وجد بين مصر والعراق فالمتأخر جديد والمتقدم قديم وإذ كان في المسألة قولان قديم وجديد، فالجديد هو المعمول به إلا في مسائل يسيرة نحو السبعة عشر أفتى بها بالقديم. قال بعضهم، وقد تتبع ما أفتى فيه بالقديم فوجد منصوصاً عليه في الجديد أيضاً، وإن كان فيها قولان جديدان فالعمل بآخرهما، فإن لم يعمل فبما رجحه الشافعي، فإن قالهما في وقت واحد ثم عمل بأحدهما كان ابطالاً للآخر عند المزني، وقال غيره: لا يكون إبطالاً بل ترجيحاً، وهذا أولى. واتفق ذلك للشافعي في نحو ست عشرة مسألة وإن لم يعلم هل قالهما معاً أو مرتباً لزم البحث عن أرجحهما بشرط الأهلية، فإن أشكل توقف فيه، ونبه في شرح المهذب هنا على شيئين.

....

أحدهما: أن افتاء الأصحاب بالقديم في بعض المسائل محمول على أن اجتهادهم أداهم إلى القديم لظهور دليله، ولا يلزم من ذلك نسبته إلى الشافعي قال: وحينئذ فمن ليس أهلاً للتخريج يتعين عليه العمل والفتوى بالجديد، ومن كان أهلاً للتخريج والاجتهاد فالمذهب يلزمه اتباع ما اقتضاه الدليل في العمل والفتوى به مبيناً أن هذا رأيه، وأن مذهب الشافعي كذا وكذا. قال: وهذا كله في قديم لم يعضده حديث صحيح لا معارض له، فإن اعتضد بدليل فهو مذهب الشافعي، فقد صح أنه قال: إذا صح الحديث فهو مذهبي.

الثاني: أن قولهم القديم مرجوع عنه وليس بمذهب الشافعي محله في قديم نص في الجديد على خلافه أما قديم لم يتعرض في الجديد لما يوافقه ولا لما يخالفه، فإنه مذهبه، والله أعلم.

الفصل التاسع

في ذكر أصحاب التخريج والوجوه من المفتين وتفاوت درجاتهم باختلاف الأعصار:

وقد تقدم شيء من ذلك في الفصل الأوّل من هذه الفصول العشرة وبقي منه ما تشتد الحاجة إليه، فمن ذلك ما نقل الشهاب أحمد بن محمد الهائم الشافعي في كتابه **(نزهة النفوس)** نقلاً عن ابن الصلاح ما حاصله: المفتون قسمان: مستقل وغيره، والثاني هو المنتسب إلى أئمة المذاهب المتبوعة، وله أربعة أحوال.

أحداها: أن لا يكون مقلداً لإمامه لا في المذهب ولا في دليله لاتصافه بصفة المستقل، وإنما ينسب إليه لسلوك طريقته في الاجتهاد ودعوى انتفاء التقليد عنهم مطلقاً لا يستقيم ولا يلائم المعلوم من حالهم، أو حال أكثرهم، ثم فتوى المفتي في هذه الحالة كفتوى المستقل في العمل بها والاعتداد بها في الاجاع والخلاف، قال الأذرعي: وهذا شيء قد انطوى من زمان.

الحالة الثانية: أن يكون مقيداً في مذهب إمامه مستقلاً بتقرير أصوله بالدليل، غير أنه لا يتجاوز في أدلته أصول إمامه وقواعده ولا يعرى عن شوب تقليد له لإخلاله ببعض أدوات المستقل، وهذه صفات أصحاب الوجوه، وعليها كان أكثر الائمة والأصحاب.

الحالة الثالثة: أن لا يبلغ رتبة أصحاب الوجوه، لكنه فقيه النفس حافظاً مذهب إمامه، عارف بأدلته، قائم بتقرير ما يصور ويحرر ويقرر ويهمل ويزين ويرجح، لكن قصر عن أولئك لقصوره عنهم في حفظ المذهب أو الارتياض في الاستنباط أو معرفة الأصول ونحوها. وهذه صفة كثير من المتأخرين إلى أواخر المائة الرابعة الذين رتبوا المذهب وحرروه، وصنفوا من تصانيف فيها معظم اشتغال الناس اليوم، ولم يلحقوا الذين قبلهم في التخريج.

الحالة الرابعة: أن يقوم بحفظ المذهب ونقله وفهمه في الواضحات والمشكلات، ولكن عنده ضعف في تقرير أدلته وتحرير أقيسته، فهذا يعتمد نقله وفتواه فيما يحكيه من مسطورات مذهبه من نصوص إمامه وتفريع المجتهدين فيه، وما لا يجده منقولا إن وجد في المنقول معناه بحيث

يدرك بكبير فكر أنه لا فرق بينهما جاز إلحاقه به والفتوى به، وهكذا ما يعلم اندراجه تحت ضابط عهد في المذهب، وما ليس كذلك يجب إمساكه عن الفتوى فيه. قال: وينبغي أن يكتفي في حفظ المذهب في هذه الحالة والتي قبلها بكون المعظم على ذهنه ويتمكن لدرايته من الوقوف على الباقي على قريب. فهذه أصناف المفتين.

قال ابن الهائم: وليت ابن الصلاح اثبت حالة خامسة على طريق الرخصة بحسب همم أهل هذا العصر وقصور قواهم عن بلوغ هذه الرابعة، وإلاّ فلا تكاد تجد مفتياً بالشرط الذي اعتبره في المرتبة الرابعة اهـ.

قلت: وهذا التقسيم الذي لابن الصلاح بنى على ذلك ابن الكمال من أئمتنا المتأخرين فذكر الحالات الأربعة للمفتي المنتسب وليس من مبتكراته كما يزعمه بعض أصحابنا.

تنبيه:

قال التقي السبكي في أجوبة المسائل الحلبية: وأما من سئل عن مذهب الشافعي ويجيب مصرحاً باضافته إلى مذهب الشافعي ولم يعلم ذلك منصوصاً للشافعي ولا مخرجاً من منصوصاته، فلا يجوز ذلك لأحد، بل اختلفوا فيما هو مخرج هل تجوز نسبته إلى الشافعي أولا؟ واختيار الشيخ أبي إسحاق أنه لا ينسب إليه، وهذا في القول المخرج، وأما الوجه فلا يجوز نسبته بلا خلاف، نعم إنه مقتضى مذهب الشافعي أو من مذهبه بمعنى أنه من قول أهل مذهبه، والمفتي يفتي به إذا ترجح عنده لأنه من قواعد الشافعي، ولا ينبغي أن يقال قال الشافعي إلا لما وجد منصوصاً له، وأن يكون قال به أصحابه أو أكثرهم، أما ما كان منصوصاً وقد خرج عنه أصحابه إما بتأويل أو غيره، فلا ينبغي أن يقال أنه مذهب الشافعي لأن تجنب الأصحاب له يدل على ريبة في نسبته إليه. وما اتفقوا عليه ولم يعلم هل هو منصوص له أم لا يسوغ اتباعهم فيه ويسهل نسبته إليه لأن الظاهر من اتفاقهم أنه قال به اهـ.

الفصل العاشر

في ذكر بعض اصطلاحات لفقهائنا الحنفية ينبغي التفطن لها:

وبيان ذلك أن المسائل المذكورة في كتب أصحابنا على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: ما روي عن متقدمي علماء المذهب كأبي حنيفة وصاحبيه، وزفر بن الهذيل، والحسن بن زياد في الروايات الظاهرة عنهم، وهي ما في كتب الأصول، والمراد منها المبسوط وشروحه الثلاثة لشمس الأئمة الحلواني، ولشيخ الإسلام خواهر زاده، ولفخر الإسلام البزدوي. ويعبر عنها بظاهر الرواية.

والصنف الثاني: ما روي عنهم بروايات غير ظاهرة فكالنوادر والأمالي، وتعرف

....

بالجرجانيات والهارونيات والكسائيات والرقيات وهي مسائل جمعها محمد بن الحسن، فما كان في دولة هارون الرشيد تعرف بالهارونيات، وما أملاها في الرقة وهي من مدن ديار بكر حين كان قاضياً بها تعرف بالرقيات، وما استملاها منه تلميذه عمرو بن شعيب الكسائي تعرف بالكسائيات، وكلها منسوبة إلى محمد بن الحسن، وما عداها تسمى غير ظاهر الرواية. منها: كتاب المجرد للحسن بن زياد، ومنها رواية ابن سماعة والمعلى وغيرهم وهي روايات مفردة رويت عنهم وتسمى أيضاً بالنوادر.

والصنف الثالث: مسائل لم ترو عنهم لا في ظاهر الرواية ولا في غير ظاهر الرواية، فاضطر المتأخرون واجتهدوا فيها مثل محمد بن سلمة، ومحمد بن مقاتل، ونصر بن يحيى، وأبي سعيد الإسكاف، وأبي القاسم الصفَّار، وأبي جعفر الهندواني وأضرابهم. وأول من جمعها في كتاب الإمام أبو الليث السمرقندي جمعها في كتاب (**النوازل والعيون**) ثم جمعها الصدر الشهيد في واقعات الإمام الناطفي، وفتاوى أهل سمرقند، فترجم عما في النوازل بباب النون، وعما في العيون بباب العين، وعما في الواقعات بباب الواو، وعما في فتاوى أهل سمرقند بباب السين، وعما في فتاوى أبي بكر محمد بن الفضل بباب الباء وهي المراد بالفتاوى حيثما وقع في الخلاصة، وهذا الصنف من المسائل إنما تعرف بالفتاوى لأن جمعها وقع بالفتوى بخلاف الأولين، فان غالبها بطريق الفرض والوضع، والمتأخرون من ائمتنا لم يميزوا في فتاويهم وجوامعهم بين هذه الأصناف، بل أوردوها مختلطة إلا صاحب المحيط السرخسي فإنه ميزها فأورد مسائل الأصل أوّلاً، ثم النوادر ومنها المنتقى، ثم الفتاوى بهذه العبارات وهو وضع حسن، وأغلب المتون كمختصر القدوري والكنز والوافي وغيرها مخصوصة بالصنف الأوّل. أعني: مسائل ظاهر الرواية إلا نادراً من النوادر، والفتاوى بخلاف الفتاوى والجوامع مثل فتاوى قاضيخان والخلاصة فإنها تشمل جميع الأصناف، لكن الغالب فيها الصنف الآخر، والله تعالى أعلم.

خاتمة: في ذكر سلسلة التفقه لأصحاب الشافعي رضي الله عنه:

أذكرها مني إلى المصنف وغيره، ثم منهم إلى رسول الله ﷺ، وهذا كما قال النووي: من المطلوبات المهمات التي ينبغي للمتفقه والفقيه معرفتها ويقبح بهما جهالتها، فإن شيوخه في العلم آباء في الدين ووصلة بينه وبين رب العالمين، وكيف لا يقبح جهل الأنساب والوصلة بهم، مع أنه مأمور بالدعاء لهم والثناء عليهم. فاعلم أنه لهم في سند المذهب طريقتين.

أحداهما: طريقة الخراسانيين وتعرف أيضاً بطريقة المراوزة وهما عبارتان عندهم عن شيء واحد. والخراسانيون نصف المذهب، وإنما عبروا بالمراوزة عن الخراسانيين جميعاً لأن أكثرهم من مرو وما والاها.

الثانية: طريقة العراقيين وإنما قدمت طريقة الخراسانيين لكونها من طريق المصنف، فأقول:

اعلم أن مشايخنا الذين انتهت إليهم رئاسة المذهب في عصرنا بالجامع الأزهر عمّره الله تعالى إلى يوم القيامة الذين تبركنا بلقائهم واستفدنا من فوائدهم وجلسنا بين أيديهم طبقتان.

الأولى: فيها ثلاثة. أوّلهم: شيخ الشيوخ على الاطلاق وقدوتهم في تحرير المذهب والمقدم عليهم بالسن والفضل والاستحقاق الشهاب أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف المجيري الملوي، والثاني: رفيقه في الشيوخ صاحب التمكين والرسوخ الشهاب أحمد بن الحسن بن عبد الكريم بن محمد بن يوسف الخالدي، والثالث: شيخ الجامع الإمام الجامع المانع شرف الدين عبد الله بن محمد ابن عامر بن شرف الدين الشبراوي قدس الله أسرارهم.

والطبقة الثانية: أيضاً فيها ثلاثة. الأوّل: شيخ الشيوخ القطب نجم الدين أبو المكارم محمد بن سالم بن أحمد الحفني، والثاني: الشيخ أبو المعالي الحسن بن علي بن محمد المنطاوي، والثالث: المحقق عيسى بن أحمد الزبيري قدس الله أرواحهم. وهؤلاء الثلاثة تفقهوا على الثلاثة الأوّلين وعاصروهم وشاركوهم في بعض شيوخهم. فهؤلاء ستة على هذا الترتيب، فتفقه الأوّل والثاني على جماعة من شيوخ المذهب منصور المنوفي، ورضوان الطوخي إمام الأزهر، والشهاب أحمد بن محمد بن عطية الخليفي، وعبد ربه بن أحمد الديوي، والشمس محمد بن منصور الأطفيحي، والشهاب أحمد بن الفقيه، والشيخ عبد الرؤف بن محمد البشيشي. وقد تفقه المنوفي والطوخي والخليفي والديوي على الإمام نور الدين أبي الضياء علي بن علي الشبراملسي. وتفقه الاطفيحي على الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء البابلي. وتفقه ابن الفقيه علي الشمس محمد بن محمد الشرنبابلي، وتفقه عبد الرؤف على قريبه الشهاب أحمد بن عبد اللطيف البشيشي حينئذ. وتفقه شيخنا الثالث والرابع أيضاً على الشهاب الخليفي وهو أيضاً على الشمس محمد بن داود بن سليمان العناني، هو والشبراملسي تفقها على النور علي بن إبراهيم بن علي عن عمر الحلبي صاحب السيرة ح.

وتفقه شيخنا الخامس والثالث أيضاً على منصور المنوفي، وهو أيضاً على الشهاب البشيشي، وأحمد بن أحمد بن أحمد السندوبي، والشمس الشرنبابلي. وتفقه الخليفي أيضاً على الجمال منصور ابن عبد الرزاق الطوخي، والشهاب البشيشي، وهما والشرنبابلي أيضاً على أبي العزائم سلطان بن أحمد بن سلامه المزاحي ح.

وفقه البابلي والشبراملسي أيضاً والمزاحي على النور علي بن يحي الزيادي ح.

وتفقه البابلي والشبراملسي أيضاً على كل من الشهاب أحمد بن خليل السبكي، والشيخ عبد الرؤوف المناوي شارح الجامع الصغير، وسليمان بن عبد الدائم البابلي، وسالم بن حسن الشبشيري، وعبد الله بن عبد الرحمن الدنوشري. هم والنور الحلبي تفقهوا على الإمام نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي. وبعض هؤلاء تفقه على الشمس محمد بن أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي، وبعضهم تفقه على الخطيب الشربيني، وبعضهم على يوسف بن زكريا ح.

....

وتفقه الزيادي على الشهاب عميرة البرلسي، والشهاب أحمد بن محمد بن حجر المكي، والشهاب أحمد بن صالح البلقيني، والشهاب أحمد بن أحمد بن حمزة الرملي. وهم جميعاً تفقهوا على شيخ الإسلام زكريا بن محمد الانصاري، وعلى الجلال محمد بن أحمد المحلي، وعلى الجلال عبد الرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني ح.

وتفقه يوسف بن زكريا أيضاً على الحافظين الشمس أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، والجلال بن أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. وهم تفقهوا وشيخ الإسلام أيضاً على الإمام علم الدين صالح بن عمر البلقيني، وتفقه شيخ الإسلام والسخاوي أيضاً على الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، وتفقه شيخ الإسلام وحده على الشمس محمد بن علي القاياتي، هو والحافظ بن حجر، وصالح البلقيني، والجلال البلقيني تفقهوا على شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني، وهو تفقه على السراج أبي حفص عمر ابن محمد بن الكتنائي نزيل دمشق، وهو تفقه على الشيخ تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الفزاري الشهير بابن الفركا ح.

وتفقه السراج البلقيني أيضاً على الشيخ صلاح الدين أبي سعيد خليل بن كيكلدي العلائي، وهو علي ابن الفركا ح.

وهو تفقه على الإمام أبي محمد العز عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، وهو تفقه على الإمام فخر الدين أبي منصور عبد الرحمن بن محمدبن الحسن بن عساكر الدمشقي، وهو تفقه على القطب أبي المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري ح.

وتفقه الحافظ ابن حجر أيضاً على الحافظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، وهو تفقه على كل من الجمال عبد الرحيم بن الحسين الأسنوي صاحب المهمات، والحافظ تقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي شارح المنهاج، وأبي الحسن علي بن إبراهيم بن داود ابن سلمان العطار الدمشقي، فالأسنوي والسبكي تفقها على الإمام نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة صاحب المطلب ح.

وتفقه السراج البلقيني أيضاً على الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عدلان، هو وابن الرفعة تفقها على ظهير الدين جعفر بن يحيى التزمنتي وتفقه ابن عدلان أيضاً على الوجيه عبد الوهاب البهنسي، هو والتزمنتي تفقها على أبي الحسن علي بن هبة الله ابن بنت الجميزي، وتفقه ابن عدلان أيضاً على العماد أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد العلي بن السكري مدرس التاج والوجوه السبع هو ابن بنت الجميزي تفقها على محمد بن محمود الطوسي ح.

وأما أبو الحسن العطار شيخ العراقي فتفقه على محرر المذهب الإمام محيي الدين يحيى بن شرف النواوي، وهو تفقه على الجمال أبي الحسن سلار بن الحسن الأربلي، وهو تفقه على محمد بن محمد

....

صاحب الشامل الصغير، وهو تفقه على النجم عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني صاحب الحاوي، وهو تفقه على محرر المذهب الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي، وإذا أطلق لفظ الشيخين فإنما يعني هو والنووي هو والطوسي تفقها على الإمام أبي بكر محمد بن الفضل، وهو تفقه على الإمام أبي عبدالله محمد بن يحي بن أبي منصور النيسابوري الشهيد شارح الوسيط، وهو تفقه على الإمام أبي المظفر أحمد بن محمد الخوافي، وعلى الإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد ابن محمد بن محمد الغزالي الطوسي مؤلف هذا الكتاب ح.

وتفقه النووي أيضاً على أبي إبراهيم إسحاق بن أحمد ابن عثمان المغربي، وأبي محمد عبد الرحمن ابن نوح بن محمد بن إبراهيم بن موسى المقدسي، وأبي حفص عمر بن أسعد بن أبي غالب الأربلي، وهم مع التاج الفزاري أيضاً تفقهوا على الإمام أبي عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهير بابن الصلاح، وهو على والده صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان، وهو على أبي القاسم بن البرزي الجزري، وتفقه سلار أيضاً على الإمام أبي بكر الماهاني، وهو على ابن البرزي، وهو على أبي الحسن علي بن محمد بن علي الهراسي الشهير بالكيا تفقه هو والخوافي والإمام الغزالي على إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك، وهو على والده ركن الإسلام أبي محمد عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن يوسف الجويني، وهو على إمام طريقة خراسان الإمام أبي بكر عبدالله بن أحمد القفال المروزي الصغير، وهو تفقه على الإمام ابن زيد محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد المروزي ح.

وأما طريقة العراقيين فبالسند المتقدم إلى ابن الصلاح، وهو على والده هو وابن بنت الجميزي تفقها أيضاً على أبي سعيد عبدالله بن محمد بن هبة الله بن علي بن أبي عصرون الموصلي، وهو تفقه على القاضي أبي علي الحسن الفارقي، وهو على الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي الفيروزابادي الشهير بالشيرازي ح.

وتفقه ابن بنت الجميزي أيضاً البرهان العراقي، وهو على أبي الحسن البغدادي، وهو على فجر الإسلام الشاشي، وهو والفارقي أيضاً تفقها على أبي نصر عبد السيد بن محمد بن الصباغ صاحب العدة هو وأبو إسحاق الشيرازي تفقها على القاضي أبي الطيب طاهر بن عبدالله الطبري، وتفقه صاحب العدة أيضاً على القاضي أبي علي الحسين بن محمد المروزي، وهو تفقه على أبي بكر القفال بالسند المتقدم في الطريقة الخراسانية.

تنبيه

قال النووي في التهذيب: أعلم أنه متى أطلق القاضي في كتب متأخري الخراسانيين كالنهاية والتتمة والتهذيب وكتب الغزالي ونحوها، فالمراد القاضي حسين هذا صاحب التعليقة، ومتى أطلق القاضي في كتب متوسطي العراقيين، فالمراد القاضي أبو حامد المروزي، ومتى أطلق في كتب الأصول لأصحابها، فالمراد القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي في الفروع، ومتى أطلق في كتب المعرفة أو في كتب أصحابنا الأصوليين حكاية عن المعتزلة، فالمراد القاضي الجبائي اهـ.

....

وتفقه القاضي أبو الطيب على الإمام أبي الحسن محمد بن علي بن سهل الماسرجستي ح.

وتفقه البرهان العراقي أيضاً على القاضي مجلى بن جميع صاحب الذخائر، وهو على سلطان المقدسي، وهو على الشيخ أبي الفتح نصر المقدسي الزاهد، وهو على الشيخ أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي، وهو والقاضي أبو الطيب أيضاً على الإمام أبي حامد الأسفرايني، وهو تفقه على الإمام أبي القاسم عبد العزيز الداركي. هو والماسرجسي، وأبو زيد المروزي في سند الخراسانيين تفقهوا على أبي إسحاق إبراهيم بن محمد المروزي، وهو تفقه على أبي العباس أحمد بن عمر بن سريج الملقب بالباز الأشهب، وهو على الإمام أبي القاسم عثمان بن سعيد الأنماطي ح.

وتفقه والد إمام الحرمين أيضاً على الإمام أبي الطيب سهل بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن موسى بن عيسى بن إبراهيم الصعلوكي العجلي، وهو على أبيه أبي سهل محمد بن سليمان، وهو على إمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري. هو والإنماطي تفقها على الإمامين الكبيرين أبي محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي، وأبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني، وحيث أطلق في كتب المذهب الربيع، فالمراد به المرادي، وإذا أرادوا الجيزي قيدوه، وليس للجيزي ذكر في كتب المذهب إلا في موضع واحد في كتاب المذهب في دباغ جلد الميتة وفي شهادات الروضة، وهما تفقها على إمام الأئمة وسراج هذه الأمة أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي إمام المذهب رضي الله عنه وعمن أحبه، وهو تفقه على جماعات منهم أبو عبدالله مالك بن أنس إمام المدينة، ومنهم أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي، ومنهم أبو خالد مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة وإمام أهلها. فأما مالك تفقه على ربيعة بن أبي عبد الرحمن الرأي. ونافع مولى ابن عمر، وتفقه ربيعة على أنس بن مالك، وتفقه نافع على مولاه عبدالله بن عمر بن الخطاب. وأما سفيان تفقه على عمر بن دينار، وهو على ابن عمر وابن عباس. وأما مسلم الزنجي تفقه على أبي الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي جريج، وهو على أبي محمد عطاء بن أبي رباح، وهو على عبدالله بن عباس، وهو على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت وآخرين وهم وابن عمر وابن عباس أيضاً وأنس بن مالك أخذوا عن سيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين أبي القاسم محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم صفوة رب العالمين ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم، وعلى آله وصحبه وعترته وتابعيه. كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون. فهذا مختصر السلسلة، ومعلوم أن كل واحد من هؤلاء المذكورين أخذ عن جماعة بل جماعات، لكن أردت الإختصار في السياق لئلا يمله ناظره، واقتصرت على ذكر بعض شيوخ كل واحد من المشاهير، وذكرت أجلهم وأشهرهم. ولو أردت الإستقصاء بذكر مجموع ما عندي في أسانيدهم وغريب سياقاتهم لطال المطال وآل الأمر إلى الملال. وهذه خاتمة الفصول العشرة، وبها تتم ديباجة الكتاب، ثم نشرع بعون الله تعالى في حل كلام المصنف، والله أسأل أن يمن علي بإتمامه وإكماله بحسن نظامه بمنه وكرمه وإنعامه، وهو ولي الإحسان لا إله غيره ولا خير إلا خيره وحسبنا الله ونعم الوكيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة، وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم أنواره وألطافه، وأعد لظواهرهم تطهيراً لها الماء المخصوص بالرقة واللطافة،

بسم الله الرحمن الرحيم

(**الحمد لله**) في تعقيب التسمية بالتحميد اقتداء بأسلوب الكتاب المجيد، وعملاً بما شاع بل وقع عليه الإجماع وامتثال بحديثي الإبتداء، والكلام على الجملتين طويل الذيل قد ألفت فيها رسائل ووسائل ليس هذا محل ذكره. (**الذي تلطف بعباده**) أي ترفق بهم، وهو من لطف الشيء كقرب لطافة، وأصل اللطف الرفق، (**فتعبدهم بالنظافة**) أي جعلهم ينقادون ويخضعون له بالنظافة. يقال: هذا أمر تعبدي وهو من العبادة وهي فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه. ويقال تعبد الرجل إذا تنسك وتعبده دعاه إلى الطاعة والنظافة النقاء من الوسخ والدنس، وقد نظف ككرم فهو نظيف، ويتعدى بالتضعيف. والمعنى أن دعاء الله لعباده وأمره لهم بانقيادهم له بالإنقاذ من سائر الأوساخ والأدران من غاية رفق الله تعالى بهم، وكمال لطفه وإحسانه بهم. والنظافة كما تكون بتنقية الظاهر، كذلك تطلق على تنقية الباطن وكل منهما مراد هنا. (**وأفاض**) أي أجرى وأسال من الفيض، وهو سيلان الماء وبه سمي نهرمصر بالفيض، وفاض كل سائل جرى، وفاض الخير كثر، وفاض وأفاض يستعملان لازمين، ولكن هنا متعد (**على قلوبهم**) أي قلوب أولئك العباد الذين اختارهم من الأزل وتعبدهم بالطهارة والنظافة في كل عمل (**تزكية**) أي صلاحاً أو تنمية (**لسرائرهم**) جمع سريرة وهي خاطر النفس وما تسره أي تكتمه (**أنواره وألطافه**) المراد بالأنوار هنا في الواردات الإلهية التي تطرد الكون عن القلب، والألطاف جمع اللطف والمراد به الرفق ويعبر عنه بما يقع عنده صلاح العبد آخرة أي إنما أفاض تلك الأنوار الزكية والألطاف الخفية على قلوبهم لتصفو وأسرارهم وتنمو سرائرهم ويكمل لهم التطهير المعنوي بمحض فضله تعالى وإفاضته، ولا يكون الفيض والإفاضة إلا من الحق، (**وأعد**) أي هيأ (**لظهواهرهم**) هو مقابل سرائرهم جمع الظاهر هو ما يظهر للعين من الإنسان من جوارحه الظاهرة (**تطهيراً لها**) أي لأجل تطهيرها من الأدران والأوساخ (**الماء المخصوص بالرقة واللطافة**) والرقة كالدقة، لكن الدقة تقال اعتبار بمراعاة جوانب الشيء، والرقة اعتباراً بعمقه، فمتى كانت في جسم يضادها الصفاقة، ويقال: ماء رقيق إذا كان جارياً سيالاً واللطافة: ضد الكثافة، والماء قد خص بهذين الوصفين وهو أول ظاهر للعين من أشباح

وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم واكنافه، وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تحمينا بركاتها يوم المخافة، وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة.

أما بعد، فقد قال النبي ﷺ: «بني الدين على النظافة». وقال ﷺ: «مفتاح الصلاة الطهور». وقال تعالى: ﴿فيه رِجَالٌ يُحِبُّونَ أن يَتَطَهَّرُوا واللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِرين﴾ [التوبة:

الخلق، وهو جسم رقيق لطيف شفاف يبرد غلة العطش به حياة كل نام، **(والصلاة)** هكذا في سائر نسخ الكتاب الإقتصار عليه دون السلام والكلام فيه تقدم في أول كتاب العلم، ويوجد في بعض النسخ والصلاة والسلام **(على محمد المستغرق)** أي المستوعب **(بنور الهدى)** أي بنور هدايته وإرشاده **(أطراف العالم وأكنافه)** الأطراف والأكناف: جمع طرف وكنف بالتحريك فيها أي الجوانب والعالم كل ما سوى الله من الموجودات أي نور إرشاده وهدايته استوعب أطراف العالم فلم يبق شيئاً إلا وحصله، وفيه إشارة إلى عموم تبليغه ﷺ إلى الثقلين، ويحتمل أنه أشار به إلى سائر العوالم الحسية والمعنوية فكلهم يستمدون من أنواره **(وعلى آله الطيبين الطاهرين)** هم أقاربه الأولون، والطيب: راجع إلى ذواتهم، والطهارة إلى صفاتهم أي الطيبين الذوات الطاهرين الصفات، ولم يذكر الأصحاب هنا إكتفاء بالآل لأن في آله من له صحبة، وفي أصحابه من له قرابة. **(صلاة تحمينا)** من الحماية أي تحرسنا وتحفظنا **(بركتها يوم المخافة)** وهو يوم القيامة سمي لما فيه من الخوف الشديد، والمعنى: تحمينا بركة الصلاة عليه ﷺ من أهوال يوم القيامة. وقد وردت أخبار صحاح وحسان في أن المصلي عليه ينجو من أهوال يوم القيامة، **(وتنتصب جنة)** بالضم أي ستراً **(بيننا وبين كل آفة)** أي كل مصيبة وشدة وقد ظهر لك مما سلف أن المصنف ضمن خطبته الإشارة إلى بعض مقاصد الكتاب من تعبد ونظافة وإفاضة وإعداد والظواهر والماء بوصفيه، والأطراف، والطاهرين، ونصب الجنة التي يستعملها المستنجي رعاية لبراعة الإستهلال، وعند التأمل يظهر في كلامه من لطائف الأسرار غير ما ذكرت.

(أما بعد؛ فقد قال النبي ﷺ: «بني الدين على النظافة») تقدم الكلام عليه في كتاب العلم، **(وقال ﷺ: «مفتاح الصلاة الطهور»)** وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم. قال العراقي: أخرجه أبو داود والترمذي، وابن ماجه من حديث علي. قال الترمذي هذا أصح شيء في الباب وأحسن اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد في مسنده، وأخرج أحمد أيضاً، والبيهقي من حديث جابر بلفظ «مفتاح الجنة الصلاة ومفتاح الصلاة الطهور».

وقال النووي في التهذيب: الطهور بالفتح ما يتطهر به، وبالضم اسم الفعل. هذه هي اللغة المشهورة، وفي أخرى بالفتح فيهما واقتصر عليه جماعات من كبار أئمة اللغة. وحكى صاحب مطالع الأنوار الضم فيهما وهو غريب شاذ اهـ.

١٠٨]، وقال النبي ﷺ: « الطهور نصف الإيمان ». قال الله تعالى: ﴿ما يريدُ اللهُ ليَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] فتفطن ذوو البصائر بهذه

وقال ابن الأثير في تفسير قوله عليه السلام: « لا يقبل الله صلاة بغير طهور » هو بالضم للتطهر، وبالفتح الماء الذي يتطهر به. وقال سيبويه: الطهور بالفتح يقع على الماء والمصدر معاً. قال: فعلى هذا يجوز أن يكون الحديث بفتح الطاء وبضمها، والمراد بهما التطهر، والماء الطهور بالفتح هو الذي يرفع الحدث ويزيل النجس، لأن فعولاً من أبنية المبالغة فكأنه تناهى في الطهارة. (**وقال الله تعالى**) في كتابه العزيز في حق أهل قباء: (**فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين**) [التوبة: ١٠٨] كان هؤلاء الطائفة من الأنصار إذا استنجوا أتبعوا الحجارة بالماء، فأثنى الله تعالى عليهم بذلك وسيأتي الكلام عليه قريباً وطهر وطهروا طهر وتطهر بمعنى واحد. (**وقال ﷺ: « الطهور نصف الإيمان »**) قال العراقي: أخرجه الترمذي من حديث رجل من بني سليم، وقال حسن. ورواه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري بلفظ « شطر » اهـ.

قلت: وحديث أبي مالك الأشعري رواه أيضاً أحمد، والترمذي ولفظهم: « الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله يملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها ».

وأخرج اللالكائي في السنة أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم، أخبرنا إسماعيل بن محمد، حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق عن أبي ليلى الكندي، عن حجر بن عدي ورأى ابن أخ له خرج من الخلاء فقال: ناولني تلك الصحيفة من الكوة فقرأها فقال: حدثنا علي بن أبي طالب: « الطهور نصف الإيمان ».

قلت: هكذا أورده ولم يصرح برفعه، وإنما أورده مستدلاً على قبول الإيمان الزيادة والنقص والتبعيض.

(**وقال الله تعالى**) في كتابه العزيز (**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم**) [المائدة: ٦] قال صاحب القاموس في كتاب البصائر: الطهارة ضربان جسمانية ونفسانية وحمل عليها أكثر الآيات اهـ.

والحرج: الكلفة والمشقة، ويحتمل قوله تعالى: (**ليطهركم**) أي ليهديكم كما في قوله تعالى: ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾ [المائدة: ٤١] أي أن يهديهم. ومن الآيات التي فيها تطهير النفس قوله تعالى: ﴿أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ [البقرة: ١٢٥] قال الزجاج: معناه طهراه من تعليق الأصنام عليه، وقال غيره: المراد به الحث على تطهير القلب لدخول السكينة فيه المذكورة في قوله: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾

الظواهر أن أهم الأمور تطهير السرائر إذ يبعد أن يكون المراد بقوله ﷺ: «الطهور نصف الايمان» عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء وتخريب الباطن وإبقائه مشحوناً بالأخباث والأقذار. هيهات هيهات! والطهارة لها أربع مراتب.

المرتبة الأولى: تطهير الظاهر عن الأحداث وعن الأخباث والفضلات.

المرتبة الثانية: تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام.

[الفتح: ٤] وقال الأزهري: طهرا بيتي من المعاصي والأفعال المحرمة وقوله تعالى: ﴿يتلو صحفاً مطهرة﴾ [البينة: ٢] أي: من الأدناس والباطل. وقوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة: ٢٢٢] يعني به تطهر النفس. وقوله تعالى: ﴿ومطهرك من الذين كفروا﴾ [آل عمران: ٥٥] أي منزهك أن تفعل بفعلهم، وقيل في قوله تعالى: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ يعني به تطهير النفس. أي لا يبلغ حقائق معرفته إلا من طهر نفسه من درن الفساد والجهالات والمخالفات. (**فتفطن ذوو البصائر**) أي تنبه ذوو المعارف والقلوب المنورة بنور اليقين (**بهذه الظواهر**) من الآيات والأخبار (**أن أهم الأمور**) هو (**تطهير السرائر**) أي: البواطن من درن المخالفات ورين الشهوات. (**إذ يبعد**) كل البعد (**أن يكون**) المعنى (**المراد بقوله**) ﷺ، وفي نسخة من قوله: (**«الطهور نصف الإيمان»**) من حديث علي أو «شطر الايمان» كما هو في رواية مسلم هو (**عمارة الظاهر**) من جسد الإنسان (**بالتنظيف**) والإنقاء (**بإفاضة الماء**) الكثير وصبه، (**وتخريب الباطن**) أي تركه خراباً بلا عمارة (**وإبقائه مشحوناً**) مملوءاً (**بالأخباث والأقذار**) الأخباث: جمع خبث محركة النجس، والأقذار: جمع قذر محركة الوسخ. وقد تطلق الأقذار والأخباث بمعنى (**هيهات هيهات!**) كلمة بعد وفيه لغات استوفيتها في شرح القاموس أي بعداً لذلك كيف يكون كذلك، (**والطهارة لها أربع مراتب**) وهي لغة النظافة حسية أو معنوية وشرعاً صفة حكمية توجب أي تصحح لموصوفها صحة الصلاة به أو فيه أو معه، وعرفت أيضاً بأنها صفة حكمية توجب لمن قامت به رفع حدث أو إزالة خبث أو استباحة كل مفتقر إلى طهر في البدلية، وكونها لها أربع مراتب أو أقل أو أكثر نظراً إلى الإستعمال اللغوي.

(**الأولى: تطهير الظاهر**) أي الأعضاء الظاهرة (**عن الأحداث**) برفعها (**والأخباث**) بإزالتها (**والفضلات**) بالتحريك جمع فضلة بفتح فسكون هي ما تتفضل عن الإنسان بالتقليم والحلق والإستحداد والتنوير والإختتان وهي طهارة عامة للمسلمين.

(**المرتبة الثانية: تطهير الجوارح**) وهي الأعضاء الخارجة تشبيهاً لها بجوارح الطير لأنها تجرح أو تكسب، ويقال لها الكواسب أيضاً (**عن الجرائم والآثام**) الجرائم جمع جريمة وهي اكتساب الإثم. وقال الراغب: أصل الجرم القطع. يقال: جرم الثمر عن الشجر إذا قطعه، ثم استعير ذلك لكل اكتساب مكروه، ولا يكاد يقال في عامة كلامهم للكسب المحمود. والآثام:

المرتبة الثالثة: تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة.

المرتبة الرابعة: تطهير السر عما سوى الله تعالى، وهي طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم والصديقين والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها. فإن الغاية القصوى في عمل السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته، ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله تعالى عنه. ولذلك قال الله عز وجل: ﴿قُلْ اللهُ ثُمَّ

جمع إثم وهي الأفعال المبطئة عن الثواب. وقال الراغب: الإثم أعم من العدوان وهي طهارة خواص المسلمين.

(**المرتبة الثالثة تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة**) التي ذمها الشارع، كالبخل والكبر والعجب والتصنع وكفر النعمة والبطر والغل والغش وغيرها مما سيأتي ذكرها للمصنف، (**والرذائل**) أي الخصال الرذيلة أي الرديئة (**الممقوتة**) أي المبغوضة عند الله تعالى، والمقت أشد الغضب وهي طهارة خواص المؤمنين من العباد الصالحين.

(**المرتبة الرابعة: تطهير السر**) وهو باطن القلب (**عما سوى الله تعالى**) بحيث لا يخطر فيه خاطر لغير الله تعالى (**وهي طهارة الأنبياء**) صلوات الله عليهم، فإنهم دائماً في مشاهدة الحق لا ينظرون إلى سوى الله تعالى، (**و**) كذلك طهارة (**الصديقين**) ومقام الصديقية تحت مقام النبوة، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ فالمرتبة الأول لصالحي المسلين وهي أول درجة الولاية، والثانية لصالحي المؤمنين وهي الدجة الثانية والثالثة درجة الشهداء وهي فوق الثانية، والرابعة درجة الأنبياء والصديقين على طريقة التدلي. ولا يظن الظان أن هذه المراتب والدرجات سهلة هيهات لا يصل السالك إلى أول درجة الولاية إلا بعد قطع مفاوز ومهالك، ومنهم من يموت هو في أول الطريق، ولكن العناية الإلهية إذا ساعفت فقل فيها ما شئت.

ثم قال المصنف: (**والطهارة في كل رتبة**) من الرتب المذكورة (**نصف العمل الذي فيها فإن الغاية القصوى**) تأنيث الأقصى وهي التي ما بعدها غاية (**في عمل السر**) الذي هو باطن القلب (**أن ينكشف له جلال الله وعظمته**) وكبرياؤه بحيث يغمر لبه فلا يرى إلا هو ولا يسمع إلا هو، والجلال هنا التناهي في عظم القدر وخص به تعالى، فتبارك ذو الجلال ولم يستعمل في غيره والعظمة تقرب من الجلال، (**ولن تحل معرفة الله سبحانه بالحقيقة في السر**) حلولاً حقيقياً (**ما لم يرتحل ما سوى الله عز وجل عنه**)، ومتى انكشفت سبحات الجلال ارتفعت خطرات السوى واحترقت، (**ولذلك قال الله تعالى**) مخاطباً لحبيبه ﷺ: (**قل**) يا (**الله ثم ذرهم**) أي اتركهم هذا الإسم لكمال دلالته على الذات الأحدية كان حضرة الأسماء كلها فمن عرف الله عرف كل شيء ولا يعرف الله من فاته معرفة شيء من الأشياء لأن حكم الواحد من الأسماء حكم الكل في الدلالة على العلم بالله وفي قوله: (**ثم ذرهم**) إشارة إلى التخلي

ذَرْهُم فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] لأنهما لا يجتمعان في قلب ﴿وما جَعَلَ الله لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤]، وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة والعقائد المشروعة، ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل الممقوتة، فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني، فكان الطهور شطر الإيمان بهذا المعنى، وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني، فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الأول وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني، فهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة

عن السوى بعد انكشاف صفة الجمال والعظمة، وسمى احتجابهم عن هذا المقام خوضاً فقال: ﴿في خوضهم يلعبون﴾ [الأنعام: ٩١] **(لأنها)** أي معرفة الحق والركون إلى السوى ضدان **(لا يجتمعان في قلب)** مؤمن قط فضلاً من سره **(و)** يدل عليه قوله تعالى: **(ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه)** [الأحزاب: ٤] فالقلب ليس له إلا وجهة واحدة. وقد تقدم تفسير هذه الآية في كتاب العلم. **(وأما عمل القلب)** الذي هو تطهيره عن الأخلاق الذميمة، **(فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة)** التي أثنى الله عليها في كتابه من الحمد والرضا والتسليم والشكر والصبر والحياء والخوف والخشية واليقين، وغير ذلك مما سيأتي بيانها للمصنف، **(والعقائد المشروعة)** أي الثابتة بالشرع المتلقاة بالسمع المصونة عن الزيغ والزلل، فعقد القلب على مثلها مما يعمر القلب بالأنوار الإلهية والتجليات الكشفية، **(ولن يتصف بها)** أي بتلك الأخلاق والعقائد **(ما لم يتنظف)** ويتطهر **(من نقائضها)** وأضدادها **(من العقائد الفاسدة)** الزائغة عن طريق الحق وأهله **(والرذائل المذومة، فتطهيره)** الذي هو التحلي بعد التخلي **(أحد الشطرين وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني)** فالشطر جزء الماهية منه قوامها، والشرط خارج عنها يلزم عن عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته، **(فكان الطهور شطر الإيمان)** الذي أخرجه مسلم وغيره **(بهذا المعنى)**، فكأن ماهية الإيمان عبارة عن شطرين: أحدهما التصديق الباطن، والثاني تطهير الباطن، ولن يحل التصديق بالحقيقة في الباطن ما لم يكن بطهارته قابلاً لحلوله فيه وهو ملحظ غريب. **(وكذلك)** الكلام في **(تطهير الجوارح عن المناهي)** والكف عنها **(أحد الشطرين)** وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني **(وعمارتها بالطاعات)** المقربة لرب الأرباب هو **(الشطر الثاني)** فالأول الذي جعل شطراً أولاً بمنزلة الشرط في الثاني في توقفه عليه، فتأمل. ولم يذكر للرتبة الأولى غاية لظهوره، فإن تطهير الظاهر شطر، وعمارته بالعبادات المفروضة شطر، ولا يتم أداؤها إلا بالأول، فصار الشطر الأول شرطاً في الثاني. **(وهذه مقامات الإيمان)** تتفاوت بتفاوت المتصفين به، وخلاصته: أن التخلية نصف الإيمان والتحلية نصف الإيقان وبهما كمال العرفان، **(ولكل مقام)** منها **(طبقة)** عليا وطبقة سفلى وطبقة وسطى **(ولن ينال العبد)** السالك في طريقه **(الطبقة**

ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يجاوز الطبقة السافلة، فلا يصل إلى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالخلق المحمود، ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات، وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته، فلا تظن أن هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوينا، نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة التي هي كالقشرة الأخيرة الظاهرة بالإضافة إلى اللب المطلوب، فصار يمعن فيها ويستقصي في مجاريها ويستوعب جميع أوقاته في الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية

العالية) منها (**إلا أن يجاوز**) بهمته الجاذبة وقوته الماسكة الطبقة الوسطى، ثم يستقر فيها ريثما يتمكن من الانصباغ بها وتجري عليه أحكامها، ولن ينالها إلا أن يجاوز (**الطبقة السافلة**) بعد التمكن فيها وجريان أحكامها عليه، (**فلا يصل إلى**) مقام (**طهارة السر عن الصفات المذمومة**) والتخلية عنها ،ثم (**عمارته بالمحمودة**) منها (**من لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالمحمود**) على قدر المجهود، (**ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح**) الظاهرة (**عن المناهي**) الفاجرة (**وعمارتها بالطاعات**) الواجبة المختلفة من القيام والقراءة والركوع والسجود والقعود، (**وكلما عز المطلب**) وفي نسخة: المطلوب (**وشرف**) مقامه (**صعب مسلكه**) على السالكين (**وطال طريقه**) على الناهجين (**وكثرت عقباته**) على الراحلين (**والعقبة**): محركة هي الثنية بين الجبلين يصعب ارتقاؤها، (**فلا تظنن**) أيها السالك في طريق الحق بالرقي (**أن هذا الأمر**) الذي ذكرته لك (**يدرك بالمنى**) أي بتمني النفس وتشوقها (**وينال**) وصوله (**بالهوينا**) أي بالسهولة كلا والله.

كيف الوصول إلى سعاد ودونها   قلل الجبال ودونهن حتوف

قال الله تعالى: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾ [النساء: ١٢٣] الآية ولكن إذا وفق الله السالك بخدمة مرشد محق كامل، وصادفته العناية نقله من مقام لمقام بأدنى إلمام فعليك باستصحاب إخوان الصدق والصفا لترقى مراتب الكمال وتحظى برتبة الإصطفاء (**نعم من عميت بصيرته**) أي عدم نور قلبه (**عن**) إدراك (**تفاوت هذه الطبقات**) وتمييزها وإعطاء كل مقام حقه (**لم يفهم من مراتب الطهارة إلا الدرجة الأخيرة**) وهي الأولى (**التي هي كالقشر الأخير الظاهر**) للعيان (**بالإضافة**) أي النسبة (**إلى اللب**) الذي هو داخل الداخل وهو (**المطلوب**) الأعظم، (**فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه**) أمعن في الطلب إذا بالغ في الإستقصاء والاستقصاء طلب النهاية (**ويستوعب جميع أوقاته**) أي يستغرقها (**في الإستنجاء**) بالماء والتشديد فيه، حتى أن أحدهم لا يكتفي بالماء بل يعد لنفسه خرقاً يتبعها مواضع الغائط مسحاً ويبالغ فيه، ومنهم من يدخل أصابعه في حلقة الدبر يزعم أنه كمال النظافة، ومنهم من يمعن في الإستبراء

الكثيرة ظناً منه بحكم الوسوسة وتخبل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هي هذه فقط وجهالة بسيرة الأوّلين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلب، وتساهلهم في أمر الظاهر، حتى أن عمر رضي الله عنه مع علو منصبه توضأ من ماء في جرة نصرانية، وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والأطعمة، بل كانوا يمسحون

حتى أن بعضهم بدخل قطعاً صغاراً من المدر في رأس الذكر يريد بذلك تنشيف الرطوبة. ولهم في الإستنجاء تنطعات كثيرة وعامتها من وسواس الشيطان، (**و**) يمعن في (**غسل الثياب**) ويشدد فيه بأنواع من الصابون وغيره ويعد غسالتها نجسة وإن كانت الثياب طاهرة، بل ربما لا يوجد فيها إلا بعض العرق، ويسمى الماء الأخير الذي تغسل به ماء الشهادة، وهذا أيضاً من الوسواس، (**و**) يمعن أيضاً في (**تنظيف الظاهر**) من الجسد دلكاً ومعكاً، (**و**) يمعن أيضاً في (**طلب المياه الجارية الكثيرة**) الغزيرة للاغتسال وغسل الثياب (**ظناً منه بحكم الوسوسة**) الشيطانية (**وتخبل العقل**) وفي بعض النسخ وخبل العقل أي فساده (**أن الطهارة المطلوبة**) من العبد (**الشريفة**) عند الله (**هي هذه**) التي ذكرت من تنقية الظاهر والثياب (**فقط**) ليس إلا (**وجهلاً**) منه (**بسيرة الأولين**) من السلف الصالحين أي طريقتهم (**واستغراقهم**) أي السلف (**جميع الهم**) أي العزم والقصد (**والوكد**) بفتحتين أي التأكيد (**في تطهير القلوب**) والبواطن عن أقذار المعاصي وأوساخ المخالفات، (**وتساهلهم**) كثيراً (**في أمر الظاهر**) كما يعرفه من مارس أخبارهم وطالع تراجمهم في كتاب الحلية والقوت، (**حتى أن عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه مع علو منصبه**) ورفعة مقامه وكونه خليفة رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين (**توضأ بماء**) حميم (**في جرة نصرانية**) هكذا جاء في رواية كريمة المروزية في صحيح البخاري بلفظ: وتوضأ عمر بالحميم من بيت نصرانية، والحميم الماء المسخن. والصحيح أنهما أثران مستقلان الأول توضأ عمر بالحميم أخرجه سعيد بن منصور وعبد الرزاق وغيرهما بإسناد صحيح، وأما الثاني فأخرجه الشافعي في مسنده، وعبد الرزاق، وغيرهما عن سفيان بن عيينة، عن زيد بن أسلم، عن أبيه أن عمر رضي الله عنه توضأ من ماء نصرانية في جرة نصرانية، لكن ابن عيينة لم يسمع من زيد بن أسلم. فقد رواه البيهقي في السنن من طريق سعدان بن نصر عنه قال: حدثونا عن زيد بن أسلم ولم أسمعه عن أبيه قال: كنا بالشام أتيت عمر بماء فتوضأ منه، فقال: من أين جئت بهذا فما رأيت ماء عد ولا ماء سماء أطيب منه؟ قال: قلت من بيت هذه العجوز النصرانية، فلما توضأ أتاها فقال: أيتها العجوز اسلمي تسلمي فذكره مطولاً، وقد دل وضوء عمر رضي الله عنه من جرة النصرانية على تساهله في الأمور الظواهر وعدم التعمق فيها، وعلى جواز استعمال مياه الكفار، ولا خلاف في استعمال سؤر النصرانية لأنه طاهر خلافاً فالأحد وإسحاق وأهل الظاهر. واختلف قول مالك، ففي المدونة لا يتوضأ بسؤر النصراني ولا بما أدخل يده فيه، وفي العتبية أجازه مرة وكرهه أخرى. (**وحتى أنهم**) أي السلف (**ما كانوا يغسلون اليد عن الدسومات**) والدسم: محركة الودك من لحم وشحم (**و**) عن (**الأطعمة**) أي

أصابعهم بأخمص أقدامهم، وعدّوا الأشنان من البدع المحدثة، ولقد كانوا يصلون على الأرض في المساجد ويمشون حفاة في الطرقات، ومن كان لا يجعل بينه وبين الأرض حاجزاً في مضجعه كان من أكابرهم، وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء. وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة: «كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل

عقيبها، (**بل كانوا يمسحون أصابعهم**) بعد الأطعمة (**بأخمص أقدامهم**) أي بواطنها. وقد خمصت القدم خمصاً من باب تعب ارتفعت عن الأرض فلم تمسها. فالرجل أخمص القدم والجمع خمص كأحمر وحمر لأنه صفة، فإن جمعت القدم نفسها قلت الأخامص. (**وعدوا**) غسل اليد بعد الطعام (**بالاشنان من البدع المحدثة**) التي أحدثت بعد رسول الله ﷺ. والأشنان: بالضم والكسر الحرض معرب وتقديره فعلان، (**ولقد كانوا يصلون على الأرض**) من غير حاجز (**في المساجد**). وكان مسجد رسول الله ﷺ مفروشاً بالحصباء والرمل، وأول من فرش المساجد بالحصر الحجاج فأنكروا عليه، وصلى قتادة مرة على حصير في المسجد وكان كفيفاً فدخلت شوكة الحصير في عينه عند السجود فلعن الحجاج، (**ويمشون**) غالباً (**حفاة**) أي من غير نعل (**في الطرقات**) جمع الطريق، (**ومن كان لا يجعل بينه وبين التراب حاجزاً**) أي مانعاً (**في مضجعه**) ومقعده (**كان**) يعد (**من أكابرهم**) ورؤسائهم، لأنه علامة دالة على التواضع وترك التكلف في المعيشة وعدم الإعتناء بها. (**وكانوا يقتصرون على الحجارة في الإستنجاء**) ولا يتبعونها ماء. وقد ثبت الإقتصار على الحجارة من فعله ﷺ من ذلك ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة، فلما قضى ﷺ اتبعه بهن أي ألحق المحل بالأحجار وكني به عن الإستنجاء، وأخرجه ابن أبي شيبة بأسانيد صحيحة عن حذيفة بن اليمان أنه سئل عن الاستنجاء بالماء فقال: إذاً لا يزال في يدي نتن، وعن نافع عن ابن عمر كان لا يستنجي بالماء، وعن الزهري ما كنا نفعله، وعن سعيد بن المسيب أنه سئل عن الإستنجاء بالماء فقال إنه وضوء النساء. فهذه الآثار كلها دالة على أنهم كانوا يقتصرون في غالب الأوقات على الأحجار، ولا سبيل لمن تمسك بها على كراهة الإستنجاء بالماء، فقد ثبت من فعله ﷺ ذلك أيضاً، وذلك فيما رواه البخاري في صحيحه من حدث أنس كان النبي ﷺ إذا خرج لحاجته أجيء أنا وغلام معنا أداوة من ماء يعني ليستنجي به. وأخرج مسلم من طريق خالد الحذاء عن عطاء عن أنس فخرج علينا وقد استنجى بالماء. وأخرج ابن خزيمة في صحيحه من حديث جرير، فأتاه جرير بأداوة من ماء فاستنجى بها. وفي صحيح ابن حبان من حديث عائشة: ما رأيت رسول الله ﷺ خرج من غائط قط إلا من ماء. فما ذكره المصنف من أحوال السلف يحمل على أغلب أحوالهم، والمراد أنهم ما كانوا يتعمقون في أمر الإستنجاء. (**وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة رضي الله عنهم**): والمراد بالصفة صفة المسجد النبوي: وكان يأوي إليها جماعة من فقراء الصحابة، وقد جمعهم أبو نعيم في كتاب الحلية وذكر من أوصافهم. (**« كنا نأكل الشواء**) أي اللحم المشوي (**فتقام الصلاة فندخل أصابعنا في الحصباء**) أي الحصيات الصغار التي في

أصابعنا في الحصى ثم نفركها بالتراب ونكبر». وقال عمر رضي الله عنه: «ما كنا نعرف الأشنان في عصر رسول الله ﷺ، وإنما كانت مناديلنا بطون أرجلنا. كنا إذا

المسجد (ثم نفركها بالتراب) أي لإزالة دسمه (ونكبر») أي ندخل في الصلاة مع الإمام بتكبيرة الأحرام. قال العراقي: أخرجه ابن ماجة من حديث عبدالله بن الحرث بن جزء ولم أره من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وهو في كتاب أسماء من دخل مصر من الصحابة تأليف أبي عبدالله محمد بن الربيع بن سليمان بن داود الجيزي رحمه الله تعالى في ترجمة عبدالله بن الحرث بن جزء المذكور، وكان شهد فتح مصر، واختط بها قال: حدثنا سعد بن عبدالله بن عبد الحكم، حدثني أبي، أخبرنا ابن لهيعة، عن سليمان بن زياد، عن عبدالله بن الحرث بن جزء الزبيدي أنه قال: أكلنا مع رسول الله ﷺ طعاماً قد مسته النار في المسجد، ثم أقيمت الصلاة فمسحنا أيدينا بالحصباء ثم قمنا نصلي ولم نتوضأ. وقال أيضاً: حدثنا أحمد بن عبدالرحمن، حدثنا عمي عبدالله بن وهب، حدثني ابن لهيعة، عن سليمان بن زياد الحضرمي، عن عبدالله بن الحرث بن جزء قال: أكلنا مع رسول الله ﷺ شواء في المسجد، فأقيمت الصلاة فأدخلنا أيدينا في الحصباء، ثم قمنا فصلينا ولم نتوضأ. وقال أيضاً: وحدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي نافع، حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح، حدثنا أبو يزيد عبدالملك بن أبي كريمة، أخبرنا عتبة بن لعامة المرادي قال: قدم علينا عبدالله بن الحرث بن جزء الزبيدي فسمعته يحدث في مسجد مصر قيل له ما تقول فيما مست النار؟ قال: وما مست النار؟ قال: اللحم المنضوج يأكله الناس، فقال: لقد رأيتني وأنا سابع سبعة أو سادس ستة مع رسول الله ﷺ في دار رجل فمرّ بلال فناداه بالصلاة فخرجنا فمررنا برجل وبرمته على النار فقال له النبي ﷺ: أطابت برمتك؟ قال: نعم بأبي أنت وأمي فتناول منها بضعة فلم يزل يعلكها حتى أحرم بالصلاة وأنا أنظر إليه. اهـ.

وكان المراد من قول المصنف وغيره من أهل الصفة هو عبدالله بن الحرث بن جزء المذكور، وأورد البخاري في باب من لم يتوضأ من لحم الشاة والسويق فقال: وأكل أبو بكر وعمر وعثمان فلم يتوضأوا. كذا هو في رواية أبي ذر بحذف المفعول، وعند ابن أبي شيبة عن محمد بن المنكدر قال: أكلت مع رسول الله ﷺ، ومع أبي بكر وعمر وعثمان خبزاً ولحماً فصلّوا ولم يتوضأوا، وكذا رواه الترمذي، فإن حمل الوضوء على غسل الأيادي يكون نصاً في الباب.

(وقال عمر) بن الخطاب **(رضي الله عنه: ما كنا نعرف الأشنان على عهد رسول الله ﷺ، وإنما كانت مناديلنا بواطن أرجلنا. كنا إذا أكلنا الغمر مسحنا بها)** قال العراقي: لم أجده من حديث عمر، ولابن ماجة نحوه مختصراً من حديث جابر اهـ.

وقد تقدم التعريف بالأشنان، والمناديل جمع منديل بالكسر مشتق من ندلت الشيء إذا جذبته أو أخرجته ونقلته وهو مذكر قاله ابن الأنباري وجماعة، وتمندل به وتندل تمسح، وأنكر

أكلنا الغمر مسحنا بها »، ويقال: أوّل ما ظهر من البدع بعد رسول الله ﷺ أربع:

الكسائي الميم والغمر بالفتح الدسم. (**ويقال: أول ما ظهر من البدع بعد رسول الله ﷺ أربعة: المناخل والأشنان والموائد والشبع**) . ونص القوت ويقال: إن أوّل ما أحدث من البدع أربع: الموائد والمناخل والشبع والأشنان، وكانوا يكرهون أن تكون أواني البيت غير الخزف ولا يتوضأ أهل الورع في آنية الصفر. قال الجنيد، قال سري: اجهد لا تستعمل من آنية بيتك إلا جنسك يعني من الطين، ويقال: لا حساب عليه اهـ.

والمناخل جمع منخل بضم الميم ما ينخل به وهو من النوادر التي وردت بالضم والقياس الكسر لأنه آلة، والأشنان تقدم التعريف به، والموائد جمع مائدة مشتقة من ماد الناس ميداً أعطاهم فاعلة بمعنى مفعولة، لأن المالك مادها للناس أي أعطاهم إياها. وقيل: من ماد ميداً إذا تحرك فهي إسم فاعل على الباب، وقيل: هو الخوان بالكسر والضم، والإخوان بكسر الهمزة لغة فيه وقيل: الخوان المائدة ما لم يكن عليها طعام، والخوان معرب، ثم أن الأكل على الخوان من عادة المتكبرين والمترفهين إحرازاً عن خفض رؤوسهم، فالأكل عليه بدعة لكنها جائزة. وقد روى الترمذي عن أنس: « ما أكل النبي ﷺ على خوان »، وروي أيضاً أنه ﷺ أكل على المائدة، والجمع بينهما أن أنساً قال بحسب علمه فيكون أكثر أحواله انه لم يأكل على خوان. وفي بعض الأحيان أكل عليه لبيان الجواز، ويحتمل أن يراد بالمائدة مطلق السفرة. وفي القاموس المائدة الطعام فإطلاقها على ما يجعل عليه مجاز من اطلاق الحال على المحل، وحينئذ فلا إشكال أصلاً نقله ابن حجر المكي في شرح الشمائل.

قلت: وعلى هذا قول المصنف تبعاً لصاحب القوت أن الموائد من جملة البدع بمعنى الاستكثار من استعمالها بحيث اعتادوا الأكل عليها، فهذا هو المبتدع لا أن الموائد لم تكن موجودة يستعملها الناس في بعض الأحيان، وأما المناخل فإنها جعلت لنخل الدقيق، وكان النبي ﷺ وأهل بيته وأصحابه كانوا يأكلون خبز الشعير مع ما في دقيقه من النخالة وغيرها. وفي هذا ترك للتكلف والاعتناء بشأن الطعام فإنه لا يعتني به إلا أهل الحماقة والغفلة والبطالة. وعند الترمذي من حديث أنس ما رأى النبي ﷺ منخلاً من حين ابتعثه الله حتى قبضه. قال ابن حجر المكي، قال بعض المحققين: أظنه احترز عما قبل البعثة لكونه ﷺ كان يسافر في تلك المدة إلى الشام تاجراً وكانت الشام إذ ذاك مع الروم والخبز النقي عندهم كثير، وكذا المناخل وغيرها من آلات الترفه، ولا ريب أنه رأى ذلك عندهم، وأما بعد البعثة فلم يكن إلا بمكة والطائف والمدينة ووصل تبوك من أطراف الشام لكن لم يفتحها ولا طالت إقامته بها اهـ.

والشبع: بكسر ففتح الإمتلاء الحاصل من الطعام. يقال: شبع شبعاً، والشبع بكسر فسكون إسم لما يشبع به من خبز ولحم، وعدّه من جملة البدع لكونه من أوصاف المترفهين، والسلف الصالح لم يكونوا يأكلون إلا عند الاضطرار، وإذا أكلوا لم يشبعوا. وفي القوت: وكان أبو محمد سهل يقول: اجتمع الخير كله في هذه الأربع الخصال، وبها صار الأبدال أبدالاً اخماص البطون،

المناخل والأشنان والموائد والشبع . فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم: الصلاة في النعلين أفضل، لأن رسول الله ﷺ لما نزع نعليه في صلاته باخبار جبرائيل عليه السلام له أن بهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال ﷺ : « لم خلعتم نعالكم ». وقال النخعي في الذين يخلعون نعالهم: « وددت لو أن محتاجاً جاء إليها فأخذها ». منكراً

والصمت، واعتزال الخلق، وسهر الليل. ثم قال: وفي الشبع قسوة القلب وظلمته، وفي ذلك قوّة صفات النفس وانتشار حظوظها. وفي قوّتها ونشطها ضعف الايمان وخمود أنواره، وفي ضعف النفس وخمود طبعها قوّة الايمان واتساع شعاع أنوار اليقين، وفي ذلك قرب العبد من القريب ومجالسة الحبيب، وفي الشبع مفتاح الرغبة في الدنيا. وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم: أوّل بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم شهواتهم. وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أصحاب رسول الله ﷺ يجوعون من غير عوز أي مختارون لذلك. وقال ابن عمر: ما شبعت منذ قتل عثمان رضي الله تعالى عنه وقال هذا في زمن الحجاج.اهـ.

(**فكانت عنايتهم بنظافة الباطن**) أشد ولا يبالون بخراب الظاهر في المأكل والملبس والمشرب وغيرها، (**حتى قال بعضهم: الصلاة في النعلين أفضل**)، والنعل: ما وقيت به القدم عن الأرض، وفي حكمه الخف والمداس، وسبب أفضلية الصلاة في النعال لأنها أقرب إلى التواضع والمسكنة وأبعد من الترفه. (**إذ رسول الله ﷺ لما نزع نعليه في الصلاة وأخبره جبريل**) عليه السلام (**أن بهما نجاسة**) أي بأحدهما، وفي نسخة نعله في صلاته، وفي نسخة: إذ أخبره جبريل أن عليه نجاسة، (**وخلع الناس نعالهم**) وهم في الصلاة (**قال ﷺ**) لمـا رأى ذلك منهم (**« لم خلعتم نعالكم »**) كالمنكر عليهم في فعلهم ذلك. قال العراقي: أخرجه أبو داود، والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد الخدري اهـ.

قلت: وابن حبان، وأبو يعلى، وإسحاق مختصراً كما أشار إليه الحافظ، والمعنى أنه ﷺ نزع نعله بعمل قليل وأتم صلاته من غير استئناف ولا إعادة، وعلم من هذا أنهم كانوا يصلون في نعالهم. وفي الحواشي الخبازية على الهداية في الحديث بعد قوله عليه السلام: « مالكم خلعتم نعالكم » قالوا: رأيناك خلعت نعليك فخلعنا نعالنا، فقال عليه السلام: « أتاني جبريل فأخبرني أن بهما أذى فمن أراد أن يدخل المسجد فليقلب نعليه فإن رأى بهما أذى فليمسحهما فإن الأرض لهما طهور ». وفي رواية: « ثم ليصلّ ».

قلت: وهذه الجملة أخرجها أبو داود، والحاكم من حديث أبي هريرة بمعناها، وأخرج منها رواية أبي داود: « إذا وطىء أحدكم بنعله الأذى فإن التراب لها طهور » (**وقال**) ابراهيم بن يزيد (**النخعي**) رحمه الله تعالى (**في الذين يخلعون نعالهم**) عند دخولهم في الصلاة أو في المساجد للصلاة: (**وددت**) أي أحببت (**لو أن محتاجاً جاء وأخذه**). وفي بعض النسخ: جاء إليها

لخلع النعال. فهكذا كان تساهلهم في هذه الأمور، بل كانوا يمشون في طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على الأرض، ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه، ولا يحترزون من عرق الإبل والخيل مع كثرة تمرغها في النجاسات، ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال في دقائق النجاسات، فهكذا كان تساهلهم فيها. وقد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة فيقولون هي مبنى الدين فأكثر أوقاتهم في تزيينهم الظواهر، كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه! ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر، أو مشى على الأرض حافياً،

وأخذها قال ذلك (**منكراً**) عليهم (**خلع النعال**)، ثم إذا خلع نعليه وقام إلى الصلاة هل يضعهما بين يديه أو في موضع آخر الأوّل أحسن أو على يمينه أو شماله ما لم يؤذ رفيقاً أو ما لم تكن فيهما نجاسة ظاهرة فتؤذي رائحتها المصلين، ومن أقوال العامة النعلين تحت العينين، وأما ما ورد في بعض الأخبار: إذا ابتلت النعال فصلّوا في الرحال، فقال ابن الأثير: المراد بالنعال هنا جمع نعل وهي الأكمة الصغيرة لا النعال التي تلبس، وقد بينت ذلك في شرح القاموس، (**فهكذا كانت تساهلهم في هذه الأمور**) الظاهرة وعدم تعمقهم فيها، (**بل كانوا يمشون في طين الشوارع**) جمع شارعة هي الطريق المسلوكة للناس عامة والدواب. (**حفاة**) من غير نعل (**ويجلسون عليها**) كذا في النسخ، أي على الشوارع، والأولى تذكير الضمير ليعود على الطين وهذا أقرب إلى التواضع لكونهم خلقوا من التراب ويعودون إليه، (**ويصلّون في المساجد**) المفروشة بالرمل والحصى (**على الأرض**) من غير حائل، (**ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو**) أي البر والشعير (**يداس بالدواب**) أي بأرجلها لينفصل الحب من قشره (**وتبول عليه**) وتتغوّط فما كانوا يسألون عن ذلك ولا يدققون، (**ولا يحترزون من عرق الإبل والخيل**) وكذا الحمير والبغال يصيب ثوبهم عند ركوبهم إياها عرياً من غير حائل (**مع كثرة تمرغها في النجاسات**) والمواضع القذرة، (**ولم ينقل قط عن واحد منهم**) إلينا (**سؤال في دقائق النجاسات**) ولا استقصاء فيها. (**وهكذا كان**) وفي بعض النسخ: بل هكذا كان (**تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن**) أي في حدود الأربعمائة والتسعين (**إلى طائفة**) أي جماعة (**يسمون الرعونة نظافة**) والرعونة افراط الجهالة، وأيضاً الوقوف مع حظ النفس مقتضى طباعها (**ويقولون هي مبنى الدين**) وعليها أسست أركانه (**فأكثر أوقاتهم**) على ما يرى (**في تزيينهم الظواهر**) وإصلاحها من ملبوس ومأكول ومركوب (**كفعل الماشطة**) هي القينة (**بعروسها و**) الحال أن (**الباطن**) منهم (**خراب**) يباب. نعم هو (**مشحون**) أي مملوء (**بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق**) وهي المهلكات، (**ولا يستنكرون ذلك**) من أنفسهم، بل (**ولا يتعجبون منه**) وهو محل العجب. (**ولو**) فرض أنه (**اقتصر**

أو صلى على الأرض، أو على بواري المسجد من غير سجادة مفروشة، أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من أدم، أو توضأ من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ولقبوه بالقذر وأخرجوه من زمرتهم واستنكفوا عن مؤاكلته ومخالطته. فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة، فانظر كيف صار المنكر معروفاً والمعروف منكراً! وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه.

فإن قلت: أفتقول أن هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيئاتهم ونظافتهم من

مقتصر على الاستنجاء بالحجر) فقط كما كان يفعله النبي ﷺ تارة، **(أو مشى على الأرض حافياً)** بلا نعل، **(أو صلى على الأرض)** بلا فرش شيء، **(أو)** صلى **(على بواري المسجد)** هي جمع بوريا وهي الحصيرة فارسية **(من غير سجادة)** وهي الطنفسة والزربية والمفرش، وقوله **(مفروشة)** أي على ذلك الحصير، **(أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من أدم)** أي جلد مدبوغ كما كانت الأوائل تفعل ذلك، **(أو توضأ من آنية)** نصرانية **(عجوز)** كما فعله عمر رضي الله عنه، والتصريح بلفظ عجوز وقع في السنن للبيهقي من رواية زيد بن أسلم كما تقدم، **(أو)** توضأ من آنية **(رجل غير متقشف)** أي غير متدين **(أقاموا عليه)**. وفي بعض النسخ: فيه **(القيامة)** أي أهوالاً مخيفة كأهوال القيامة، **(وشددوا عليه النكير)** وهو بمعنى الانكار **(ولقبوه بالقذر)** ككتف من قام به القذر أي الوسخ **(وأخرجوه من زمرتهم)** وأسقطوه من أعينهم ونسبوه إلى عدم المعقول وقلة الآداب **(واستنكفوا)** تنزهوا **(عن مؤاكلته)** على موائدهم **(و)** عن **(مخالطته)** في مجالسهم. **(فسموا البذاذة)** وهي رثاثة الهيئة **(التي هي من)** جملة **(الايمان)** فيما أخرجه البخاري في الأدب، ومسلم في الصحيح، والترمذي من حديث أبي أمامة الحارثي «البذاذة من الإيمان» **(قذارة و)** سموا **(الرعونة)** التي هم فيها **(نظافة. فانظر)** أيها المتأمل في تخالف الأشياء **(كيف صار المنكر معروفاً والمعروف منكراً)** انقلبت الأعيان، فالله المستعان. **(وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه)** وفي نسخة: حقيقته **(وعلمه)** ولم يبق إلا إسمه ووسمه.

وقد أورد صاحب القوت هذا البحث مختصراً في بيان ما أحدثه الناس من البدع التي لم تكن في زمانه ﷺ ولا زمان أصحابه فقال: وشددوا أيضاً في الطهارة بالماء وتنظيف الثياب وكثرة غسلها من عرق الجنب ولبس الحائض، ومن أبوال ما يؤكل لحمه وغسل يسير الدم ونحو ذلك، وكان السلف يرخصون ذلك. اهـ.

(فإن قلت: أفتقول أن هذه العادات التي أحدثتها) السادة **(الصوفية في هيئاتهم ونظافتهم)** في الملابس ومبالغتهم في أمور العبادات باعداد أوان مخصوصة للاستنجاء وغير

المحظورات أو المنكرات؟ فأقول: حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل، ولكني أقول إن هذا التنظف والتكلف وإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والازار المقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات، وقد يقترن بها أحوال ونيات تلحقها تارة المعروفات وتارة بالمنكرات، فأما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى أن صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها ما يريد إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف، وأما مصيرها

ذلك انها تعد (**من المحظورات**) المحرمات (**والمنكرات؟ فأقول**) في الجواب: (**حاش الله**) ويقال: حاش فلان بالجر وبالنصب أيضاً كلمة استثناء تمنع العامل من تناوله تقال عند التنزيه (**إن أطلق القول فيه**) مجملاً (**من غير تفصيل**) يميز الصحيح من السقيم، (**ولكن أقول هذه التكلفات**) التي أحدثوها في أحوالهم (**وهذا التنظف**) والتعمق (**واعداد الأواني**) أي تهيئتها (**واحضار الآلات**) للاستنجاء والوضوء والغسل وغيرها (**واستعمال غلاف القدم**) من جلد أو صوف، (**و**) استعمال (**الإزار**) وهي الطرحة البيضاء أو على أي لون كان من مصبوغ بطين أو غيره (**المتقنع به**) أي جعله كالقناع على الوجه. وقد عقد الترمذي في الشمائل باباً فيما جاء في تقنع رسول الله ﷺ وأورد فيه حديث: كان عليه السلام يكثر من القناع وهي الخرقة تجعل على الرأس لتقي نحو العمامة عما بها من الدهن، وقيل: التقنع أعم من ذلك ويؤيده حديث اتيانه ﷺ بيت أبي بكر رضي الله عنه للهجرة في القابلة متقنعاً بثوبه أي متغشياً به فوق العمامة لا تحتها. هذا هو الظاهر وهو أعم من أن يكون ذلك التقنع (**لدفع الغبار**) أو لحفظ النظر من الوقوع يميناً وشمالاً عما لا يليق، (**وغير ذلك من هذه الأسباب**) مما لهم فيها من الهيئات. وخلاصة القول فيه أنه (**إن وقع النظر إلى ذاتها على سبيل التجرد**) من غير التفات إلى عوارضها (**فهي من المباحات**) الشرعية (**وقد تقترن بها أحوال**) حسنة (**ونيات**) صالحة (**تلحقها تارة بالمعروفات**)، وذلك إذا صلح القصد، (**وتارة بالمنكرات**) إذا فسد القصد (**فأما كونها مباحة في نفسها**) شرعاً (**فلا يخفى**) على المتأمل (**أنه متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه فليفعل بها ما يريد**) لا حرج عليه (**إذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف**) وتبذير، أما حينئذ فيحرم عليه لأنه ورد النهي عن ذلك. وذكر ابن حجر المكي في شرح الشمائل أن بذاذة الهيئة ورثاثة الملابس من سيرة السلف الماضين، واختاره جماعة من متأخري الصوفية فلهم في ذلك زي معروف وصبغة مشهورة، وذلك لأنهم لما رأوا أهل الدنيا يتفاخرون بالزينة والملابس أظهروا لهم رثاثة ملابسهم حقارة ما حقره الحق تعالى مما عظمه الغافلون. والآن فقد قست القلوب ونسي ذلك المعنى فاتخذ الغافلون رثاثة الهيئة حيلة على جلب الدنيا، فانعكس الأمر فصارت مخالفتهم في ذلك لله متبعاً للسلف. وبالجملة فأهل الله تعالى وخواصه لا يقصدون في هيئاتهم إلا وجه الله حسبما تتعلق بها المصالح الشرعية مما ألقي في روعهم من الإلهامات والإشارات فلا ينبغي الإنكار عليهم فيها اهـ.

منكراً فبأن يجعل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله ﷺ: « بني الدين على النظافة » حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم، فإن ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكراً بهذين الاعتبارين. أما كونه معروفاً فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين، وأن لا ينكر على من ترك ذلك، ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات، ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه أو عن علم أو غيره، فإذا لم يقترن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن أن يجعل قربة بالنية، ولكن لا يتيسر ذلك إلا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الأوقات فيه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به أولى، لأن الاشتغال بالطهارات يجدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات، فلا بأس به إذا لم يخرج إلى منكر أو اسراف.

(وأما تصييرها منكراً) أي جعلها في حد المنكرات، **(فبأن يجعل ذلك أصل الدين)** ومبناه **(ويفسر)** عليه **(قوله ﷺ: « بني الدين على النظافة »)** وكذا قوله ﷺ: « إن الله نظيف يحب النظافة » **(حتى ينكر به على من تساهل فيه)** أو يقصر مثل **(تساهل الأوّلين)** من السلف الصالحين **(و)** مما يصيره منكراً **(أن يكون القصد به)** أي بمجموع تلك الهيئات **(تزيين الظاهر للخلق)** ليحبوه **(وتحسين موقع نظرهم)** عليه، **(فإن ذلك)** الفعل **(هو الرياء المحذور)** أي الممنوع منه وهو الشرك الخفي **(فيصير منكراً بهذين الاعتبارين)**. وقد يفضي ذلك إلى صفات أخرى ذميمة لأجلها يصير منكراً لا محالة. **(أما كونه معروفاً فبأن يكون القصد فيه الخير دون التزين)** للخلق، والمراد بقصد الخير هو ما رواه أصحاب السنن الأربعة: « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » أي لانبائه عن اكمال الباطن وهو الشكر على النعمة، **(وأن لا ينكر على من ترك ذلك)** فإنه مما يدل على جهله بحال السلف وترفعه على المسلمين، **(و)** أن **(لا يؤخر بسببه الصلاة)** مع الأئمة في الجماعات **(عن أوائل الأوقات)** إذ هي رضوان الله الأكبر، وذلك بأن يشتغل به فلا يمكنه اللحوق مع الجماعة في أوّل الوقت، **(و)** أن **(لا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه)** وأولى بالاشتغال به **(أو عن علم)**. وفي بعض النسخ: أو عن تربية علم أي بالتعلم والتعليم والمطالعة والمذاكرة والتصدي لتأليف ما هو النافع **(أو غيره)** من أعمال البر وهي كثيرة، **(فإن)** وفي بعض النسخ: فإذا **(لم يقترن به شيء من ذلك)** الذي ذكر **(فهو مباح)** شرعي، بل **(يمكن أن يجعل قربة)** إلى الله تعالى **(بالنية)** الصالحة، **(ولكن لا يتيسر ذلك)** غالباً **(إلا للبطالين)** عن الأوراد الشرعية **(الذين إن لم يشتغلوا بصرف الأوقات إليه لاشتغلوا)** لا محالة **(بنوم)** أو سعي فيما لا يحل شرعاً **(أو حديث فيما لا يعني)** ولا يهتم به أو جمعية بمن لا يغني **(فيصير شغلهم)** أي هؤلاء البطالين **(به أولى)** وأفضل، **(لأن التشاغل بالطهارات)** والتفنن فيها **(يجدد ذكر الله عز**

وأما أهل العلم والعمل، فلا ينبغي أن يصرفوا من أوقاتهم إليه إلاَّ قدر الحاجة فالزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع العمر الذي هو أنفس الجواهر وأعزها في حق من قدر على الانتفاع به. ولا يتعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين. ولا ينبغي للبطال أن يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم أن يتشبه بالصحابة، إذ التشبه بهم في أن لا يتفرغ إلا لما هو أهم منه، كما قيل لداود الطائي: لم لا تسرح لحيتك؟ قال: إني إذاً لفارغ. فلهذا لا أرى للعالم ولا للمتعلم ولا للعامل أن يضيع وقته في غسل الثياب احترازاً من أن يلبس الثياب المقصورة وتوهماً بالقصار تقصيراً في

وجل) في الجملة (و) أيضاً يجدد (ذكر العبادات) فإنه ما من طهارة إلا ويراعى فيها شأن العبادة التي تقع بعدها، كصلاة قراءة أو قرآن أو سماع حديث وغير ذلك، (فلا بأس به) لهؤلاء (إذا لم يخرج عن حد) الاعتدال والعرف (إلى منكر) شرعي أو عرفي (أو اسراف) أو تبذير أو ترتب مفسدة.

(وأما أهل العلم) الذين يرتاضون في تحصيل العلم تعلماً وتعليماً وبذلاً لأهله وتأليفاً، (و) أما أهل (العمل) فهم المشتغلون بالذكر والمراقبة والمحافظة على العبادات، (فلا ينبغي أن يصرف من أوقاتهم إليه إلا قدر الحاجة) إليه (والزيادة عليه في حقهم منكر وتضييع العمر الذي هو أنفس الجواهر) وأغلاها (وأعزها في حق من قدر على الانتفاع به) ومحافظة العمر عندهم كناية عن محافظة الأوقات بحفظ الأنفاس عن خطور خيال السوى عليها وهو من أهم المهمات وأوكد الواجبات، (ولا تعجب من ذلك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين). قال الحافظ السخاوي في المقاصد: هو من كلام أبي سعيد الخراز رواه ابن عساكر في ترجمته مرفوعاً. (فلا ينبغي للبطال أن يترك النظافة) الظاهرية (وينكر على) طائفة (المتصوّفة) في تجملهم في هيئاتهم بالمرقعات النفيسة (ويزعم أنه) في بذاذته ورثاثة أطماره (يتشبه بالصحابة) رضوان الله عليهم وبالسلف الماضين من التابعين وهذا بعيد جداً (إذ التشبه بهم في أن لا يتفرغ له بما) وفي نسخة: لما (هو أهم منه كما قيل لداود) بن نصير (الطائي) ابن سليمان المتوفي سنة ١٦٠ حين رآه رجل ولحيته متشعثة: (لو سرحت لحيتك) وفي بعض النسخ: لِمَ لا تسرح لحيتك؟ (قال)، وفي نسخة: فقال: (إني إذاً لفارغ) أي بطّال (فلهذا لا أرى للعالم) المشتغل بعلمه تعلماً وتعليماً (ولا للعامل) بعلمه (أن يضيع وقته) النفيس (في غسل الثياب) بنفسه (احترازاً من أن يلبس الثياب المقصورة) التي قصرها القصّار (توهماً بالقصار تقصيره في) قصرها و(الغسل) لها. وهذه وسوسة كبيرة اعترت بعض العلماء الصالحين، ولقد أدركت بعض مشايخي لم يكن يلبس من هذه الثياب التي تعمل من الصوف وتصبغ ألواناً وتجلب من الروم حتى يغسلها في البحر ثلاث مرات توهماً منه أنها من شغل النصارى، وأن أياديهم متنجسة، وأن تلك الاصباغ لا تسلم من مخالطتها بالنجاسات، فهذا

الغسل، فقد كانوا في العصر الأول يصلون في الفراء المدبوغة ولم يعلم منهم من فرق بين المقصورة والمدبوغة في الطهارة والنجاسة، بل كانوا يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة، بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمور: لا تفعل ذلك فإن الناس لو لم ينظروا إليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الإسراف. فالناظر إليه معين له على الاسراف. فكانوا يعدون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا في احتمالات النجاسة. فلو وجد العالم عامياً يتعاطى له غسل الثياب محتاطاً فهو أفضل فإنه بالإضافة إلى التساهل خير. وذلك العامي ينتفع بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمارة بالسوء بعمل المباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال. والنفس إن لم تشغل بشيء شغلت صاحبها، وإذا قصد به التقرب إلى العالم صار ذلك

وأمثال ذلك وساوس ونزعات أجارنا الله منها. وقد ذكر ابن حجر المكي في شرح الشمائل: إن من البدع المذمومة غسل الثوب الجديد قبل لبسه، (**فقد كانوا في العصر الأول يصلّون في الفراء**) أي الجلود (**المدبوغة**) من غير أن يسألوا من دبغها وكيف دبغها وبأي شيء دبغها وهل خالطها النجاسة في أيام دباغها أم لا؟ (**وكم من الفرق بين**) الفراء (**المدبوغة و**) بين الثياب (**المقصورة**) وفي نسخة بين المدبغة والمقصرة (**في الطهارة والنجاسة، بل كانوا**) إنما (**يجتنبون النجاسة إذا شاهدوها**) بأبصارهم (**ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة**) والأوجه المختلفة، (**بل كانوا يتأملون في دقائق**) مسائل (**الرياء والظلم**) أي الشرك الخفي، (**حتى قال**) الإمام أبو عبدالله (**سفيان**) بن سعيد (**الثوري**) رحمه الله تعالى (**لرفيق له كان يمشي معه**) في زقاق من أزقة الكوفة، (**فنظر إلى باب دار مرفوع**) البناء (**معمور**) بالناس (**لا تفعل ذلك**) أي لا تنظر إلى هذا. فقال له: هل فيه من بأس؟ قال: نعم (**فإن الناس لو لم ينظروا إليه**) على سبيل التفرج (**لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الإسراف**) في عمارته ورفعته ونقشه وتحسينه، (**فالنظر إليه معين له على الإسراف**). هكذا أخرجه صاحب القوت، (**فكانوا يعدون**) أي يهيئون (**جمام الذهن**) بكسر الجيم ما يستبقي منه (**لاستنباط مثل هذه الدقائق**) الخفية في حفظ الباطن والظاهر (**لا في احتمال النجاسات**) ودقائقها، (**فلو وجد العالم**) أو العامل رجلاً (**عامياً**) أي من عامة الناس الذي ليس له اشتغال بالعلم ولا بالعمل، وإنما هو مقتصر على أداء ما فرض عليه من الصلوات وغيرها (**يتعاطى له غسل الثياب**) بنفسه حالة كونه (**محتاطاً**) في طهارته ونظافته (**فهو أفضل له**) وأحسن، (**فإنه بالإضافة**) أي بالنسبة (**إلى التساهل خير، وذلك العامي**) مع ذلك (**ينتفع بتعاطيه**) غسلها (**إذ يشغل نفسه الامارة بالسوء بعمل مباح في نفسه**) لا مؤاخذة عليه فيه شرعاً (**فتمتنع عليه المعاصي**) والمناهي والملاهي (**في تلك الحال**). ومن المعلوم (**أن النفس**

عنده من أفضل القربات. فوقت العالم أشرف من أن يصرفه إلى مثله فيبقى محفوظاً عليه، وأشرف وقت العامي أن يشتغل بمثله فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها وليتفطن بهذا المثل لنظائره من الأعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض، فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها إلى الأفضل أهم من التدقيق في أمور الدنيا بحذافيرها. وإذا عرفت هذه المقدمة واستبنت أن الطهارة لها أربع مراتب. فاعلم أنا في هذا الكتاب لسنا نتكلم إلا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لأنا في الشطر الأوّل من الكتاب لا نتعرض قصداً إلا للظواهر. فنقول طهارة الظاهر

إن لم تشتغل) بأمرٍ ما **(شغلت صاحبها)** فرمته في المتاعب يصعب عليه التخلص منها، وهذا كما يقولون: النفس إن لم تقتلها قتلتك **(وإذا قصد به التقرب إلى العالم)** أو العامل **(صار ذلك عنده من أفضل القربات)**، وبهذا القصد وقع الفارق في أفعاله، فأعظم الناس منزلة وأكثرهم خيراً وبركة الواقف مع قصده في حركته وسكونه. وكتب سالم بن عبدالله إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى: اعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدر النية فمن ثبتت نيته تم عون الله له، ومن قصرت عنه نيته قصر عنه عون الله بقدر ذلك. وكتب بعض الصالحين إلى أخيه: أخلص النية في أفعالك يكفك قليل العمل. **(فوقت العالم أشرف من أن يصرفه إلى مثله)** من القصر والغسل لأنه عنده كالسيف إن لم يقطعه بالطاعة قطعه بالقطيعة، **(فيبقى)** وقته **(محفوظاً عليه وأشرف وقت العامي أن يشتغل بمثله)** لسلامته من الوقوع فيما لا يعني، **(فيتوفر الخير من الجوانب)** أي من الجانبين، وكل منها بقصد صحيح وعقد رجيح. **(وليتفطن بهذا المثال)** الذي أوردناه **(لنظائره من)** سائر **(الأعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم بعضها على البعض)** على اختلاف المقاصد والنيات، فقد يكون العمل قليلاً في الأعين وهو كبير عند الله بحسن النية والإخلاص، وقد يكون فضل عمل على آخر بوجهين وثلاثة وأقل وأكثر، وقد ساق من ذلك ابن الحاج في أول المدخل ما يشفى به الغليل وتثلج به الصدور. **(فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر)** وآنائه التي هي كل ذرة منها رخيصة بألف درة **(بصرفها إلى الأفضل)**. فالأفضل **(أهم من التدقيق في)** متعلقات **(أموال الدنيا بحذافيرها)** أي بجميعها. **(فإذا عرفت هذه المقدمة واستيقنت)** بقلبك **(أن الطهارة لها أربع مراتب، فاعلم أنا في هذا الكتاب)** أي أسرار الطهارة **(لسنا)** وفي نسخة: لا **(نتكلم إلا في المرتبة الرابعة)** وهي الأولى بالنسبة إلى سياقه الأول **(وهي نظافة الظاهر)** ونقاوته عن الأوساخ والاحداث، **(لأنا في الشطر الأوّل من الكتاب لا نتعرض قصداً إلا للظاهر)** وهي الطهارة الجسمانية. وأما المراتب الثلاثة منها، فإن المصنف يشير إليها في مجموع كتابه هذا لو تأمل الإنسان في سياقاته لوجدها دالة عليها. **(فنقول: طهارة الظاهر)** على **(ثلاثة أقسام: طهارة عن الخبث)** بدناً وثوباً وهو النجس الحقيقي، **(وطهارة عن الحدث)**

ثلاثة أقسام: طهارة عن الخبث، وطهارة عن الحدث، وطهارة عن فضلات البدن، وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره.

بدناً وهو النجس الحكمي من الأصغر والأكبر، ووقع للمصنف في الوجيز تقديم الحدث على الخبث. وهكذا هو في كتب مذهبنا، وعبارة الوجيز المطهر للحدث والخبث، وقال الرافعي في شرحه: الخبث مرقوم في النسخ برقم أبي حنيفة رحمه الله تعالى دون الحدث بناء على المشهور أن الطهورية مخصوصة بالماء في الحدث إجماعاً، لكنه في الخبث مختلف فيه بيننا وبينهم اهـ.

وربما يؤخذ منه سبب تقديمه على الحدث مع تأمل فيه. وقال الأصفهاني في شرح المحرر: الحدث لفظاً مشترك بين الحدث الأكبر والحدث الأصغر، لكنه إذا أطلق عن الوصفين كان المراد الأصغر غالباً، وهذا الاطلاق عرف خاص لا مفهوم لغوي، بل مجاز لغوي عند بعض وحقيقة شرعية عند بعض اهـ.

وقال الشمني في شرح النقاية: الطهارة لغة النظافة وبعضها فضل ما يتنظف به واصطلاحاً النظافة عن الحدث أو الخبث، وسبب وجوبها إرادة الصلاة أو ما يضاهيها بشرط الحدث أو الخبث وفي الخلاصة: سبب الوضوء الحدث، وقال بعضهم: إقامة الصلاة وهو الأصح وبالأول أخذ الإمام السرخسي في الأصل وفي المحيط سبب وجوبه إنما هو إرادة الصلاة بالنص. **(وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم)** كالاظفار **(والاستحداد)** هو استعمال الحديد أي الموسى كشعر العانة، **(واستعمال النورة)** لمن لم يحسن الاستحداد، **(والختان)** هو قطع القلفة **(وغيره)** مما يجري مجراه.

القسم الأول

في طهارة الخبث، والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة:

الطرف الأول في المزال:

وهي النجاسة والأعيان ثلاثة: جمادات وحيوانات وأجزاء حيوانات. أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الخمر وكل منتبذ مسكر، والحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب

القسم الأول

(**في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق**) بأمور ثلاثة (**المزال**) هو إسم مفعول من أزاله عنه فهو مزال وهي النجاسات، (**والمزال به**) كالماء مثلاً فإنه تزال به النجاسات، (**والإزالة**) أي بيان كيفيتها. وقد ذكر المصنف ما في هذا القسم في ثلاثة أطراف:

(**الطرف الأول في المزال**): أي في بيان ما يزال ما هو. فقال: (**هي النجاسات**)، ومنهم من فسرها بالقذارات، والصحيح أن القذر أعم من النجس (**والأعيان ثلاثة**): وهي ما له قيام بذاته بأن يتحيز بنفسه غير تابع تحيزه تحيز شيء آخر. (**جمادات**) وهي التي لا روح فيها، (**وحيوانات**) ذوات أرواح، (**وأجزاء حيوانات**) مما ينفصل عنها بالجز والقطع وغير ذلك. وهذا التقسيم تبع فيه شيخه إمام الحرمين حيث قسم الأعيان إلى جماد وحيوان. (**أما الجمادات فطاهرة كلها**) لأنها مخلوقة لمنافع العباد، وإنما يحصل الانتفاع أو يكمل بالطهارة ولا يستثنى من هذا الأصل من الجمادات (**إلا الخمر وكل مشتد مسكر**) أي ما يسكر من الأنبذة. أما الخمر فلوجهين: أحدهما: انها محرمة التناول لا للاحترام وضرر ظاهر والناس مشغوفون بها، فينبغي أن تكون محكوماً بنجاستها تأكيداً للزجر، والثاني أن الله تعالى سماها رجساً وهو النجس، وأما الأنبذة المسكرة فإنها ملحقة بها في التحريم، فكذا النجاسة. هذا مذهب الشافعي رحمه الله تعالى، فإن الخمر عنده هي التي من ماء العنب إذا غلي واشتد، ووافقه الصاحبان أبو يوسف ومحمد قالوا: لأن الإسم يثبت به، وكذا المعنى المحرم وهو كونه مسكراً، وزاد أبو حنيفة رحمه الله تعالى في تعريف الخمر بعد الاشتداد فقال: وقذف بالزبد قال: لأن الغليان بذاته الشدة وكمالها بقذف الزبد وسكونه إذ به يتميز الصافي عن الكدر، وأحكام الشرع قطعية فيناط بالنهاية كالحد وإكفار المستحل وأحكامه انه حرام قليله وكثيره، وقوله: وكل مشتد مسكر أي فان حكمه حكم الخمر كالباذق والمنصف والمثلث والجمهوري والنبيذ، فالباذق: هو المطبوخ أدنى طبخة، والمنصف: ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه حكمهما واحد في الاشتداد، والمثلث ماء العنب طبخ

والخنزير وما تولد منها أو من أحدهما، فإذا ماتت فكلها نجسة إلاّ خمسة الآدمي،

حتى بقي ثلثه، فإذا اشتد حل عند محمد وحرم عند أبي حنيفة وأبي يوسف، والجمهوري: ماء العنب صب عليه الماء وقد طبخ حتى بقي ثلثاه وحكمه ملحق بالباذق، وحرمة الخمر عينية ونجاستها غليظة لأنها ثبتت بالدليل القطعي.

وأما حرمة الطلاء والسكر ونقيع الزبيب، فإنها دون حرمة الخمر لأنها اجتهادية ولا يكفر مستحلها، وإنما يضلل ونجاستها خفيفة في رواية وغليظة في أخرى. وذكر يحيى اليمني من الشافعية في البيان وجهاً ضعيفاً: أن النبيذ طاهر لاختلاف العلماء فيه بخلاف الخمر، وفي شرح الوجيز ذكروا وجهاً في أن بواطن حبات العنقود مع استحالتها خمراً لا يحكم بنجاستها تشبيهاً بما في باطن حيوان، وهذا ينافي اطلاق القول بالنجاسة. قال الرافعي: واعلم أن المصنف لا يريد بالجماد في هذا التقسيم مطلق ما لا حياة فيه، بل وما لم يكن حيواناً من قبل ولا جزءاً من حيوان ولا خارجاً منه، وإلاّ لدخل في الجمادات الميتات وأجزاء الحيوانات وما ينفصل عن باطن الحيوان، وحينئذ لا ينتظم أصل الاستثناء على الخمر والنبيذ فتأمل.

تنبيه:

قال صاحب المختار: النجاسة غليظة وخفيفة. قال الشارح في الموضح: يعني إذا ورد نص في نجاسة شيء ونص آخر في طهارته يرجح دليل النجاسة، لكن معارضة ذلك النص يؤثر في تخفيف نجاسته، وإذا لم يعارضه نص تكون نجاسته غليظة. هذا هو الحكم عند أبي حنيفة مثال المخففة بول ما يؤكل لحمه، فإن قوله ﷺ: «استنزهوا البول» يدل على نجاسته. وحديث العرنيين يدل على طهارته. وقال: وإذا اختلف العلماء في نجاسة شيء وطهارته تكون مخففة، وإذا اتفقوا على نجاسة شيء تكون مغلظة، وفائدة الخلاف تظهر في الروث عند أبي حنيفة مغلظة لما روي أنه ﷺ ألقى الروث وقال: «إنها ركس» أي نجس ولم يعارضه نص آخر وعندهما مخففة للاختلاف، فإن مالكاً رحمه الله تعالى يرى طهارته لعموم البلوى بخلاف بوله فإنه نجس نجاسة مغلظة إذ لا ضرورة فيه، فإن الأرض تنشفه وسيأتي الكلام عليه قريباً. (**والحيوانات طاهرة كلها**) ولا يستثنى منها (**إلا ثلاثة**).

أحدها: (**الكلب**) لقوله عليه السلام: «إنها ليست بنجسة» يعني الهرة، ووجه الاستدلال منه مشهور، ولأن سؤره نجس بدليل ورود الأمر بالاراقة في خبر الولوغ، ونجاسة السؤر تدل على نجاسة الفم، وإذا كان فمه نجساً كانت سائر أعضائه نجسة لأن فمه أطيب من غيره، ويقال: إنه أطيب الحيوان نكهة لكثرة ما يلهث.

(**و**) الثاني (**الخنزير**) وهو أسوأ حالاً من الكلب فهو أولى بأن يكون نجساً من الكلب قاله الرافعي، واستدل أئمتنا على نجاسته بقوله تعالى: ﴿أو لحم خنزير فإنه رجس﴾ [الأنعام: ١٤٥]، والضمير للمضاف إليه لقربه. فإن قلت: المضاف إليه غير المقصود فلا يعود الضمير عليه نحو: رأيت ابن زيد وكلمته. قلت: عود الضمير الى المضاف إليه شائع من غير نكير نحو

والسمك، والجراد، ودود التفاح، ـ وفي معناه كل ما يستحيل من الأطعمة ـ وكل ما

قوله تعالى: ﴿واشكروا نعمة لله إن كنتم إياه تعبدون﴾ [النحل: ١١٤] فإن قيل: الضمير عائد إلى جميع ما ذكر من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير. أجيب: بأنه أبعد من عوده إلى اللحم، وأما عين الكلب فإنه ليس بنجس عند أبي حنيفة ومالك. قال صاحب الهداية: لأنه ينتفع به حراسة واصطياداً. قال الأكمل: اختلفت الروايات في كون الكلب نجس العين، فمنهم من ذهب إلى ذلك. قال شمس الأئمة في مبسوطه: والصحيح من المذهب عندنا أن عين الكلب نجس إليه يشير محمد في الكتاب في قوله: وليس الميت بأنجس من الكلب والخنزير، وقال الرافعي في شرح الوجيز: إن الكلب والخنزير طاهران عند مالك ويغسل من ولوغها تعبداً.

(**والثالث: ما تولد منها**) أي من أحدهما أي الكلب والخنزير، فإنه نجس أيضاً بناء على نجاستهما. وقال الولي العراقي في شرح البهجة. ويندرج تحت الفرع المتولد بينهما أو بين أحدهما وبين حيوان آخر، (**فإذا ماتت**) أي الحيوانات (**فكلها نجسة إلا خمسة: الآدمي**) لكرامته، (**والسمك، والجراد، ودود التفاح**) وعبّر المصنف في الوجيز بدود الطعام وغيره بدود الخل. وفي كتب أصحابنا بدود الجبن، وكل ذلك من باب واحد.

قال الرافعي في شرح الوجيز: «الأصل في الميتات النجاسة. قال الله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ [المائدة: ٣] وتحريم ما ليس بمحرم وما فيه ضرر كالسم يدل على نجاسته، وتستثنى منه أنواع: **أحدها:** السمك والجراد، قال ﷺ: «أحلت لنا ميتتان ودمان» الحديث. ولو كانا نجسين لكانا محرمين. **الثاني:** الآدمي. وفي نجاسته بالموت قولان: أحدهما أنه ينجس بالموت لأنه حيوان طاهر في الحياة غير مأكول بعد الموت فيكون نجساً كغيره، والثاني: وهو الأصح انه لا ينجس لقوله تعالى: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ [الإسراء: ٧٠] وقضية التكريم أن لا يحكم بنجاسته، ولأنه لو نجس بالموت لكان نجس العين كسائر الميتات، ولو كان كذلك لما أمر بغسله كسائر الأعيان النجسة روي هذا الاستدلال عن ابن سريج، قال أبو إسحاق عليه: لو كان طاهراً لما أمر بغسله كسائر الأعيان الطاهرة أجابوا عنه بأن قالوا: غسل نجس العين غير معهود، وأما غسل الطاهر معهود في حق الجنب والمحدث على أن الغرض منه تكريمه وإزالة الأوساخ عنه. وقال أبو حنيفة رحمه الله: ينجس بالموت ويطهر بالغسل وهو خلاف القولين جميعاً اهـ.

(**وفي معناه**) أي دود التفاح (**كل ما تستحيل إليه الأطعمة وكل ما ليس له نفس**) بفتح فسكون (**سائلة**) أي جارية. والمراد بالنفس هنا الدم وهو من جملة معانيه، كما أوضحته في شرح القاموس (**كالذباب والخنفساء**) أما الذباب، بالضم معروف وجمعه أذبة وذبان، وأما الخنفساء ففعلاء من الحشرات معروفة، وضم الفاء أكثر من فتحها وهي ممدودة فيهما، وتقع على الذكر والأنثى. وبعض العرب يقول في الذكر خنفس كجندب بالفتح ولا يمتنع الضم فإنه القياس، وبنو أسد يقولون: خنفسة في الخنفساء كأنهم جعلوا الهاء عوضاً من الألف والجمع

ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرها فلا ينجس الماء بوقوع شيء منها فيه.

خنافس. كذا في المصباح (وغيرها) كالنملة وحمار قبان والبق والزنبور والعقرب، كذا في شرح المحرر، وقال صاحب الهداية: والزنابير. قال الشارح: وإنما جمعها لكثرة أنواعها.

قال الرافعي في شرح الوجيز: ايراد المصنف دود الطعام وحده يشعر بمغايرة حكم لحكم ما ليس له نفس سائلة اشعاراً بينا وليس كذلك، بل من قال بنجاسة ما ليس له نفس سائلة صرح بأنه لا فرق بين ما يتولد من الطعام كدود الخل والتفاح وغيرهما وبين ما لا يتولد منه كالذباب والخنفساء، وقالوا: ينجس الكل لكن لا ينجس الطعام الذي يموت فيه، ومن قال لا ينجس ما ليس له نفس سائلة بالموت فلا يشك أنه يقول به في دود الطعام بطريق الأولى فإذا قوله، وكذا دود الطعام طاهر على الصحيح اختيار الطريقة القفال اهـ.

ثم قال المصنف: (ولا ينجس الماء بوقوع شيء منها فيه) قال الرافعي: الحيوانات التي ليست لها نفس سائلة هل تنجس الماء إذا ماتت فيه؟ اختلف قول الشافعي رضي الله عنه فيه أحدهما: نعم لأنها ميتة فتكون نجسة كسائر النجاسات، والثاني وهو الأصح لا لقوله ﷺ: «إذا سقط الذباب في اناء أحدكم فامقلوه فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء» وقد يفضي المقل إلى الموت سيما إذا كان الطعام حاراً، فلو نجس الماء لما أمر به. وعن سلمان أن رسول الله ﷺ قال: «كل طعام وشراب وقعت فيه ذبابة ليس لها دم فهو الحلال أكله وشربه والوضوء منه» ولأن الاحتراز عنه مما يعسر، وهذا الخلاف في غير ما نشؤه في الماء، وأما ما نشؤه في الماء وليس له نفس سائلة فلا ينجس الماء بلا خلاف. فلو طرح فيه من خارج عاد الخلاف، فإن قلنا: إنها تنجس الماء فلا شك في نجاستها، وإن قلنا: إنها لا تنجس فهل هي نجسة في نفسها؟ قال الأكثرون: نعم كسائر الميتات وهو ظاهر المذهب، وقال القفال: لا لأن هذه الحيوانات لا تستحيل بالموت لأن الاستحالة إنما تأتي من قبل انحصار الدم واحتباسه بالموت في العروق واستحالته وتغيره، وهذه الحيوانات لا دم فيها وما فيها من الرطوبة كرطوبة النبات، وإذا عرفت ذلك ظهر لك أن هذه الحيوانات على ظاهر المذهب غير مستثناة من الميتات وإنما الاستثناء على قول القفال اهـ.

وقال الأصفهاني في شرح المحرر: هذه الحيوانات إذا وقعت في ماء قليل أو مائع أو طعام لا تنجس في أصح القولين وهو الجديد، ومذهب أبي حنيفة لتعذر الاحتراز عنه خصوصاً في فصل الصيف لعموم البلوى، والقول الثاني أنه ينجس هو القياس لأن نجاستها كسائر النجاسات، وأمره ﷺ بغمس الذباب وطرحه ليس بموجب مطلقاً غايته الاحتمال في بعض الأحوال، وإنما أمرهم بذلك قطعاً لهم عن عادتهم لأنهم كانوا يستقذرون طعاماً يقع فيه الذباب، وقوله أي صاحب المحرر: ويستثنى مما ذكر ميتة ليس لها نفس سائلة صريح بنجاستها وهو المختار عند المحققين من الفريقين، ولا إلتفات إلى قول من قال إن علة النجاسة في الميتة احتباس الدم المعفن في الباطن اهـ.

وأما أجزاء الحيوانات فقسمان:

أحدهما: ما يقطع منه وحكمه حكم الميت. والشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس بالموت.

قلت: وعلل أصحابنا فيما ليس له دم سائل كالبق والذباب والعقرب بما تقدم من تعليل الرافعي بحديث مقل الذباب، ولولا أن موته لا بأس به لم يأمر ﷺ بغمسه الذي هو في العادة سبب لموته. قال ابن المنذر: ولا أعلم في ذلك خلافاً إلا ما كان أحد قولي الشافعي. كذا في شرح النقاية، ثم ان في سياق المصنف تنبيهاً على أنه لا فرق بين القليل والكثير وبين ما يعم وقوعه كالذباب أو نادراً كالعقرب. قال الأصفهاني: وهذا إذا لم يتغير الماء منها، فإذا تغير ففيه وجهان: أصحهما الحكم بالنجاسة وهو القياس، والثاني لا قياساً على ما تغير بالسمك، ورأيت بخط الإمام النووي في حاشية شرح الوجيز ما نصه؛ قلت: ولو كثرت الميتة التي لا نفس لها سائلة فغيرت الماء أو المائع، وقلنا لا تنجسه من غير تغير فوجهان مشهوران. الأصح تنجسه لأنه متغير بالنجاسة، والثاني لا ينجسه ويكون الماء طاهراً غير مطهر كالمتغير بالزعفران، وقال إمام الحرمين: هو كالمتغير بورق الشجر والله أعلم اهـ.

ثم رأيت هذا السياق بعينه في الروضة.

(**وأما أجزاء الحيوانات**) المنفصلة منها (**فقسمان:**

أحدهما: ما) يبان أي (**يقطع منه وحكمه حكم الميت**) لما روي عنه ﷺ: « ما أبين من حي فهو ميت » أخرجه الحاكم من حديث أبي سعيد بلفظ « ما قطع » وأخرجه الدارمي، وأحمد، وأبو داود، والترمذي من حديث أبي واقد الليثي بلفظ: « ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة » وأخرجه ابن ماجة، والطبراني، وابن عدي من حديث تميم الداري بلفظ: « ما أخذ من البهيمة وهي حية فهو ميتة » وقد ظهر منه أن الأصل فيما يبان من الحي النجاسة. (**و**) يستثنى عنه (**الشعر**) فإنه طاهر (**لا ينجس بالجز**) للحاجة إليه في الملابس.

قال الرافعي: وفي معنى الشعر الريش والصوف والوبر، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين﴾ [النحل: ٨٠]، أن المراد إلى حين فنائها هذا فيما يبان بطريق الجز، وفي النتف والتناثر وجهان. والأصح الحاقهما بالجز، ثم قال: واعلم أن ظاهر قوله: « فكل ما أبين من حي فهو ميت إلا الشعور المنتفع بها » لا يمكن العمل به لا في طرف المستثنى ولا في طرف المستثنى منه. أما المستثنى؛ فلأنه يتناول جملة الشعور المجزوزة والطهارة مخصوصة بشعور المأكول، وأيضاً فإنه يتناول الشعر المبان على العضو المبان من الحيوان وأنه نجس في أصح الوجهين، وأما المستثنى منه. فلأنه يدخل فيه العضو المبان من السمك

الثاني: الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلاً ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط، وما له مقر وهو مستحيل فنجس، إلا ما هو مادة

والآدمي والجراد ومشيمة الآدمي. وهذه الأشياء طاهرة على المذهب الصحيح، ولذلك يدخل فيه شعور الآدمي. فإنه غير منتفع به حتى يدخل في المستثنى، وإذا لم يتناوله الاستثناء بقي داخلاً في المستثنى منه ومع ذلك فهو طاهر، فظهر تعذر العمل بالظاهر ووقوع الحاجة إلى التأويل، ومما ينبغي أن يتنبه له معرفة أن تفصيل الشعور المبانة وتقسيمها إلى طاهر ونجس مبني على ظاهر المذهب في نجاسة الشعور بالإبانة. فإن قلنا: لا تنجس بالموت فلا تنجس أيضاً بالإبانة بحال، والله أعلم.

(والعظم ينجس بالموت) لكونه مما تحله الحياة وهو قول مالك والشافعي وأحمد. وقال أبو حنيفة: لا ينجس وهي رواية ابن وهب عن مالك.

(الثاني: الرطوبات الخارجة من باطنه) أي الحيوان وهي أيضاً قسمان. أشار إلى القسم الأوّل بقوله: **(فكل ما ليس مستحيلاً ولا له مقر)** أي ليس له اجتماع واستحالة في الباطن، وإنما يرشح رشحاً **(فهو طاهر)**، إن كان من حيوان طاهر، فإن حكمه حكم الحيوان المترشح منه إن كان نجساً فنجس وإن كان طاهراً فطاهر **(كالدمع والعرق واللعاب والمخاط)**. أما الدمع؛ فما يسيل من العين عند الغم أو السرور أو البرد، والعرق ما يتحلب من الجسد عند الحر أو العمل الشديد، واللعاب ما يسيل من فم الإنسان يقظة ونوماً من غلبة الرطوبات البلغمية أو من حركة دود القرع، والمخاط ما يسيل من الأنف وهو جامد، فإن كان رقيقاً فهو ذنين، واستدلوا على طهارة العرق بأنه ﷺ ركب فرساً عرياً لأبي طلحة فركضه ولم يتحرز عن العرق. قال الرافعي: والتعرض للترشح، إنما وقع لأن الغالب فيه الخروج على هيئة الترشح لا أنه من خواصه أو ان الطهارة منوطة به. ألا ترى أن الدم والصديد قد يترشحان من القروح والنفاطات وهما نجسان، وقوله في الوجيز: ليس له مقر يستحيل فيه لا يلزم من ظاهره أن لا يكون مستحيلاً أصلاً لجواز أن يكون مستحيلاً لا في مقر، فإن كان الدمع وسائر ما يقع في هذا القسم لا يستحيل أصلاً فالتعرض لنفي المقر ضرب من التأكيد والبيان، وإن كان يستحيل لا في مقر فالحكم منوط بنفي الاستحالة في المقر لا بمطلق نفي الاستحالة.

ثم أشار المصنف إلى القسم الثاني بقوله: **(وما له مقر وهو مستحيل)** أي ما يستحيل ويجتمع في الباطن ثم يخرج. قال الرافعي: والمعنى وما استحال في مقر في الباطن **(فنجس)** كالدم والبول والعذرة، كذا في الوجيز. وهذه الأشياء نجسة من الآدمي ومن سائر الحيوانات المأكول منها وغير المأكول. أما في غير المأكول فبالاجماع، وأما في المأكول فبالقياس عليه لأنها متغيرة مستحيلة. وذهب مالك وأحمد إلى طهارة بول ما يؤكل لحمه وروثه. وبه قال أبو سعيد الاصطخري من أصحابنا، واختاره القاضي الروياني وتمسكوا بأحاديث مشهورة في الباب مع تأويلها ومعارضتها، وهل يحكم بنجاسة هذه الفضلات من رسول الله ﷺ فيه وجهان. قال أبو جعفر الترمذي: لا

....

لما روي أن أم أيمن شربت بوله، فقال: إذاً لا يلج النار بطنك ولم ينكر عليها. ويروى شرب دمه عن علي وابن الزبير وأبي طيبة الحجام، وقد روي أنه ﷺ قال لأبي طيبة: «لا تعد الدم كله حرام».

قلت: وقال الولي العراقي في شرح بهجة الحاوي: ان شيخه السراج البلقيني نقل عن ابن القاص والبغوي الجزم بالطهارة، وعن القاضي حسين تصحيحها، ونقله العمراني عن الخراسانيين، وقال شيخنا به الفتوى اهـ.

وقال معظم الأصحاب: نعم قياساً على غيره، وحملوا الأخبار على التداوي، ثم قال الرافعي: وفي خرء السمك والجراد وبولها وجهان أظهرهما النجاسة قياساً على غيرهما لوجود الاستحالة والتغير. وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى:)وكذا ذرق الطيور إلا الدجاجة، والثاني: الطهارة لجواز ابتلاع السمكة حية وميتة واطباق الناس على أكل المملحة منها على ما في بطونها، وكذلك في خرء ما ليس له نفس سائلة وجهان: أظهرهما النجاسة، والثاني لا لأن الرطوبة المنفصلة منه كالرطوبة المنفصلة من النبات لمشابهة صورته بعد الموت صورته في الحياة، ولهذا لا يحكم بنجاسته بعد الموت على رأي هذا كله كلام الرافعي، وعبارة الوجيز كالدم والبول والعذرة إلا من رسول الله ﷺ، وقد بينه الرافعي كما سبق، ولكن في المطلب أنكر بعضهم على الغزالي حكاية الخلاف في عذرة النبي ﷺ، وإنما المعروف في بوله ودمه.

تنبيه:

في شرح النقاية بول الفرس وبول ما أكل منجس خفيف عند أبي حنيفة وأبي يوسف، وعند محمد طاهر. وقال مالك، وأحمد، والاصطخري من الشافعية: بول ما أكل وروثه طاهر، فيجوز عندهم بول ما يؤكل للتداوي وغيره، وعند أبي يوسف للتداوي فقط، ولا يجوز عند أبي حنيفة مطلقاً. قال: ومن المنجس الخفيف خرء طير لا يؤكل عندهما خلافاً لمحمد، وعلى هذا رواية أبي جعفر الهندواني وهو الصحيح، وأما على رواية الكرخي وعند محمد مغلظ. وعندهما طاهر، وفي الهداية تبعاً لفخر الإسلام في الجامع الصغير أن أبا يوسف مع أبي حنيفة في الروايتين وفي المنظومة، والمختلف أن أبا يوسف مع أبي حنيفة على رواية الكرخي ومع محمد على رواية الهندواني، وأما خرء الطير الذي يؤكل فطاهر لأن في التوقي عنه حرجاً إلا الدجاج والبط الأصلي، فإنه غليظ لأن التوقي عنه لا حرج فيه كباقي ما خرج من المخرجين وهو خرء الفرس وخرء ما يؤكل وبول ما لا يؤكل وخرؤه وبول الآدمي وخرؤه، وفي المحيط: وبول الخفاش وخرؤه ليس بشيء لتعذر الاحتراز منه، وفي روضة الناطفي دم قلب الشاة والكبد والطحال طاهر، وفي القنية دم قلب الشاة نجس، وفي الفتاوى الكبرى للخاصي الدم الذي يخرج من الكبد إن لم يكن من غيره بل كان تمكن فيه فهو طاهر. قال الشمني: وهو قيد حسن ينبغي أن يقيد بمثله دم القلب على القول بطهارته. وفي القنية مرارة الشاة كالدم يعني مغلظة، وقيل: كبولها يعني

....

مخففة عندهما طاهرة عند محمد، وفيها وعن أبي يوسف يعفى عن الدم الباقي في العروق واللحم في الأكل دون الثياب، ووجه ذلك انه تعم به البلوى في الأكل دون الثياب اهـ.

وعبارة شرح المختار: وكل ما يخرج من بدن الإنسان وهو موجب للتطهير فنجاسته غليظة كالغائط والبول والدم والصديد والقيء ولا خلاف فيه، وكذلك الروث والاخثاء يعني غليظة عند أبي حنيفة وعندهما خفيفة، والروث يستعمل في الفرس والحمار والبغل، والخثي يستعمل في البقر والإبل والغنم.

قلت: قال في الكافي: الروث يكون لكل ذي حافر، لكن الفقهاء استعملوه في سائر البهائم استعارة، ودم السمك ليس بدم حقيقة لأنه يبيض من الشمس، ولو كان دماً لاسودّ كسائر الدماء. وعن أبي يوسف أنه نجس وحملوه على الخفيف، وهذه فوائد التقطتها من فتاوى قاضيخان قال: العذرة ونجو الكلب ورجيع السباع نجس نجاسة غليظة، وخرء ما يؤكل لحمه من الطيور طاهر إلا ما له رائحة كريهة كخرء الدجاج والبط والإوز فهو نجس نجاسة غليظة، وذرق سباع الطير كالبازي والحدأة لا يفسد الثوب، واختلفوا في بول الهرة والفأرة. قال بعضهم: يفسد الثوب إذا زاد على قدر الدرهم وهو الظاهر، وقيل: لا أصلاً، وقيل: إذا فحش، ويظهر أثر الضرورة في التخفيف لا في سلب النجاسة، وخرء السمك وما يعيش في الماء لا يفسد الثوب في قول أبي حنيفة ومحمد، وعند أبي يوسف يفسد إذا فحش، ودم الحلمة والوزغ يفسد الثوب والماء، والطحال والكبد طاهران قبل الغسل وما يبقى من الدم في عروق المذكاة بعد الذبح لا يفسد الثوب، وإن فحش عند أبي حنيفة ومحمد. وعند أبي يوسف يفسد الثوب إذا فحش ولا يفسد القدر، والكلب إذا أخذ عضو إنسان أو ثوبه بفيه إن أخذه في الغضب لا يفسده، وإن في المزاح واللعب يفسده لأن في الوجه الأوّل يأخذ بسنه وسنه ليس بنجس، وفي الوجه الثاني بفيه ولعابه نجس، ولعاب الفيل نجس كلعاب الفهد والأسد إذا أصاب بخرطومه الثوب نجسه اهـ.

وفي الخلاصة: بول الصبي والصبية نجس لا يطهر إلا بالغسل. وعند الشافعي رحمه الله تعالى يجزىء الرش في بول الصبي الذي لم يطعم، وبول الجارية لا يطهر إلا بالغسل إتفاقاً. كذا في التاترخانية.

قلت: ووافق الشافعي أحمد، وأستدل بورود النضح في بول الصبي دون الصبية، وأجاب الطحاوي بأن النضح الوارد في بول الصبي المراد به الصب، كما روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: أتي رسول الله ﷺ بصبي بال عليه فقال: «صبوا عليه الماء صباً» قال: فعلم منه أن حكم بول الغلام الغسل إلا أنه يجزىء فيه الصب، وحكم بول الجارية أيضاً الغسل إلاّ أنه لا يكفي فيه الصب، لأن بول الغلام يكون في موضع واحد لضيق مخرجه، وبول الجارية يتفرق في مواضع لسعة مخرجه.

الحيوان كالمني والبيض. والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات كلها. ولا

ثم قال المصنف: (**إلا ما هو مادة الحيوان**) استثنى من المستحيلات ما كان يستمد منه الحيوان (**كالمني**) كغني هو ماء الرجل فعيل بمعنى مفعول والتخفيف لغة. قال صاحب المصباح: مني الرجل يجري في ذكره في مجرى، والبول في مجرى، والودي في مجرى، ولا يلابس مجرى البول إلا في رأس الذكر. كذا قاله الأطباء، ولا ينجس بهذه الملامسة فإن اللبن يجري من بين فرث ودم ولا ينجس فكذلك المني اهـ.

قلت: وهذا على القول بطهارته كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى، وخالفه مالك وأبو حنيفة فقالا: بنجاسته. قال الرافعي: المني قسمان: مني الآدمي ومني غيره، فأما مني الآدمي فهو طاهر لما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت: كنت أفرك المني من ثوب رسول الله ﷺ ثم يصلي فيه، وفي رواية: وهو في الصلاة والاستدلال بها أقوى، ولأنه مبدؤ خلق الآدمي فأشبه التراب فإن قيل: هو منقوض بالعلقة والمضغة. قلنا: أصح الوجهين فيهما الطهارة أيضاً. وحكى بعضهم عن صاحب التلخيص قولين في مني المرأة، وحكى آخرون عنه أن مني المرأة نجس وفي مني الرجل قولان، وهذا أقوى النقلين عنه، ووجه القول بنجاسة المني وهو مذهب أبي حنيفة ومالك بما روي أنه ﷺ قال: « يغسل الثوب من البول والمذي والمني » وبما روي أن رسول الله ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: « اغسليه رطباً وافركيه يابساً » وإذا نصرنا ظاهر المذهب حملناها على الاستحباب جمعاً بين الاخبار، والمذهب الأول وهو طهارة المني من الرجل والمرأة نعم قال الائمة: إن قلنا أن رطوبة فرج المرأة نجسة نجس منيها بملاقاتها ومجاورتها وليس ذلك لنجاسة المني في أصله، بل هو كما لو بال الرجل ولم يغسل ذكره فإن منيه ينجس بملاقاة المحل النجس، وأما مني غير الآدمي فينظر إن كان ذلك الغير نجساً فهو نجس، وإن كان طاهراً ففيه ثلاثة أوجه: أظهرها أنه نجس لأنه مستحيل في الباطن كالدم وإنما حكمنا بطهارته من الآدمي تكريماً له، والثاني أنه طاهر لأنه أصل حيوان طاهر فأشبه مني الآدمي، والثالث: أنه طاهر من المأكول نجس من غيره كاللبن اهـ. قال النووي في الروضة: الأصح عند المحققين والأكثرين الوجه الثاني، والله أعلم.

تنبيه:

قال الشمني في شرح النقاية: المني نجس عندنا وعند مالك سواء كان مني الرجل أو مني المرأة، لكن عندنا يجب غسله وفرك يابسه، وهو رواية عن أحمد وعن الشافعي، وهو المشهور من قول أحمد أنه طاهر لأنه أصل أولياء الله تعالى، ولما روى الدارقطني والطبراني عن ابن عباس سئل النبي ﷺ عن المني يصيب الثوب: فقال « إنما هو بمنزلة المخاط أو البزاق وإنما يكفيك أن تمسحه بخرقة أو بأذخرة ». ولنا ما روى مسلم عن عبدالله بن شهاب الخولاني قال: كنت نازلاً على عائشة فاحتلمت في ثوبي فغمستهما فرأتني جارية لعائشة فأخبرتها فبعثت إلى عائشة فقالت: ما حملك على ما صنعت بثوبيك؟ قلت: رأيت ما يرى النائم، ثم قالت: هل رأيت بثوبك شيئاً؟

قلت: لا. قالت لو رأيت شيئاً غسلته لقد رأيتني وإني لأحك من ثوب رسول الله ﷺ يابساً بظفري. وروى الدارقطني والبزار عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أفرك من ثوب رسول الله ﷺ إذا كان يابساً وإغسله إذا كان رطباً. وروى ابن أبي شيبة أن رجلاً سأل عمر رضي الله عنه فقال: إني احتلمت على طنفسة، فقال: إن كان رطباً فاغسله، وإن كان يابساً فاحككه، وإن خفي عليك فارشه، وأجيب عن قولهم: إنه أصل أولياء الله تعالى بانه أصل أعدائه كذلك، فينبغي أن لا يكون طاهراً وبأنه لا استبعاد في تكوّن الطاهر من النجس كاللبن من الدم.

تكميل: إذ فرك المني حكم بالطهارة عند أبي يوسف ومحمد، وبقلة النجاسة عن أبي حنيفة في أظهر الروايتين. فلو أصابه ماء نجسا عند أبي حنيفة خلافاً لهما، وفي الخلاصة المختار أنه لا يعود نجساً.

ثم قال المصنف: **(والبيض)** وهو معطوف على قوله كالمني أي طاهر كطهارته لكون كل منهما مادة الحيوان والمراد به بيض الطائر المأكول كما هو نص الوجيز. قال الرافعي: ظاهره أن تكون الطهارة في البيض مخصوصة ببيض المأكول وفاقاً وليس كذلك، بل في بيض غير المأكول وجهان كما في مني غير المأكول، والمراد تشبيه مني المأكول ببيض المأكول لاثبات الطهارة فيه من جهة أن كل واحد منهما أصل الحيوان المأكول لا لتخصيص الطهارة به، ولا خلاف في طهارة بيض المأكول. وزاد المصنف في الوجيز في المستثنيات الألبان من الآدمي وكل حيوان مأكول والأنفحة مع استحالتها في الباطن قيل بطهارتها لحاجة الجنين إليها. قال الرافعي: اللبن من جلة المستحيلات في الباطن إلا ان الله تعالى منّ علينا بألبان الحيوانات المأكولة، وجعل ذلك رفقاً عظيماً بالعباد، وأما غير المأكول فإن كان نجساً فلا تخفى نجاسته منه، وإن كان طاهراً فهو إما آدمي أو غيره. أما الآدمي فلبنه طاهر إذ لا يليق بكرامته أن يكون نشؤه على الشيء النجس، وحكي وجه آخر أنه نجس كسائر ما لا يؤكل لحمه وأن يربى الصبي به للضرورة، وأما غير الآدمي فالمذهب نجاسة لبنه على قياس المستحيلات، وإنما خالفنا في المأكول تبعاً للحم. وفي الآدمي لكرامته. وعن أبي سعيد الاصطخري أنه طاهر كالسؤر والعرق. فإذا عرفت ذلك فالمعتبر عنده في طهارة اللبن طهارة الحيوان لا كونه مأكولاً، ومما يستثنى من المستحيلات الأنفحة، فأصح الوجهين طهارتها لإطباق الناس على أكل الجبن من غير إنكار، والثاني أنها نجاسة على قياس الاستحالة، فإن الانفحة لبن مستحيل في جوف السخلة وإنما يجري الوجهان بشرطين: أحدهما أن يؤخذ من السخلة المذبوحة فإن ماتت فهي نجسة بلا خلاف، والثاني أن لا يطعم إلا اللبن وإلاّ فهي نجسة بلا خلاف، ثم قال: ويجري الوجهان في بزر القز فإنه أصل الدود كالبيض أصل الطير، وأما دود القز فلا خلاف في طهارته كسائر الحيوانات وليس المسك من جلة النجاسات وإن قيل أنه دم وفي فأرته وجهان: أحدهما النجاسة لانها جزء انفصل من حي، وأظهرهما الطهارة لانها تنفصل بالطبع فهو كالجنين، وموضع الخلاف ما إذا انفصلت في حياة الظبية، أما

يعفى عن شيء من هذه النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة.

الأول: أثر النجو بعد الاستجمار بالأحجار يعفى عنه ما لم يَعْدُ المخرج.

والثاني: طين الشوارع وغبار الروث في الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما

إذا انفصلت منها بعد موتها فهي نجسة كالجنين، واللبن، وحكي وجه آخر أنها طاهرة كالبيض المتصلب.

ثم قال المصنف: **(والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات)**. أما القيح فهو الأبيض الخاثر الذي لا يخالطه دم، وقد صرح النووي في الروضة بنجاسته، وأما الدم والروث والبول فقد تقدم الكلام عليها قريباً، **(ولا يعفى عن هذه النجاسات قليلها وكثيرها)**. وعند أبي حنيفة النجاسة نوعان: غليظة وخفيفة، والخفيفة لا تمنع ما لم تفحش، والغليظة إذا زادت على قدر الدرهم تمنع جواز الصلاة، واختلفوا في مقدار الدرهم هل يعتبر وزناً أو بسطاً. الصحيح أن في المتجسدة كالعذرة والروث ولحم الميتة يعتبر قدر الدرهم وزناً، وفي غير المتجسدة كالبول والخمر والدم يعتبر بسطاً، واختلفوا أيضاً في قدر الدرهم الذي يقدر به. قال شمس الأئمة السرخسي: يعتبر فيه أكبر درهم البلد إن كان في البلد دراهم مختلفة، وفي الهداية: وقدرنا القليل بقدر الدرهم قال الأكل في شرحه يعني ذلك لا يمنع فإذا زاد عليه منع وهو قول الشعبي أخذنا به لأنه أوسع، وكان النخعي يقول: إذا بلغت مقدار الدرهم منعت، والمراد بقدر الدرهم هو موضع خروج الحدث. قال النخعي: استقبحوا ذكر المقاعد في مجالسهم فكنوا عنه بالدراهم، ويروى عن محمد اعتبار الدرهم من حيث المساحة حيث قال في النوادر الدرهم الكبير هو ما يكون عرض الكف، ويروى من حيث الوزن وهو الدرهم الكبير المثقال وهو ما بلغ وزنه مثقالاً، وهو الذي ذكره في كتاب الصلاة، فقال الفقيه أبو جعفر الهنداوني: يوفق بين ألفاظ محمد فنقول: أن الأولى يعني رواية المساحة في الرقيق منها، والثانية يعني رواية الوزن في الكثيف، والله أعلم. **(الا عن خمسة)** أشياء قد استثنت مما تقدم.

(الأول: أثر النجو) أي الخرء **(بعد الاستجمار بالأحجار)** والاستجمار لغة طلب الجمرة وهي كونه من الحصى، فقوله بالأحجار إما للبيان بالنظر إلى معناه اللغوي أو قيد مخرج بالنظر إلى العرف الشرعي **(يعفى عنه ما لم يَعْدُ)** أي يجاوز **(المخرج)** أي حلقة الدبر وهو المعبر عنه عند أبي حنيفة وأصحابه قدر الدرهم كما تقدم في قول النخعي، وإنما قال أثر النجو إشارة إلى القليل منه، فإنه يعفى عنه ومنعاً للحرج لأن ما عمت بليته هانت قضيته، وهذا متفق عليه غير أن أصحابنا قدروا هذا القليل بأقل من الدرهم، ويكون غسله حينئذ سنّة لا واجباً. وعند محمد يجب الغسل ولو كان أقل قال في الاختيار: وهو الأحوط.

(والثاني: طين الشوارع) جمع شارعة وهي الطريق الواضحة المسلوكة **(وغبار الروث)** مما

يتعذر الاحتراز عنه، وهو الذي لا ينسب المتلطخ به إلى تفريط أو سقطة.

الثالث: ما على أسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة.

الرابع: دم البراغيث ما قل منه أو كثر إلا إذا جاوز حد العادة سواء كان في ثوبك أو في ثوب غيرك فلبسته.

تثيره الأرجل (**في الطرق**) فإنه كذلك يعفى عنه (**مع تيقن النجاسة**) في كل من الطين والغبار (**بقدر ما يتعذر**) أي يعسر (**الاحتراز**) أي المنع (**عنه**) لعموم البلوى، ثم بينه بقوله: (**وهو الذي لا ينسب المتلطخ به إلى تفريط**) أي تقصير (**أو سقطة**) من المروءة والعدالة.

(**الثالث: ما على أسفل الخف**) الذي يلبس من ادم وجمعه خفاف (**من**) الأذى أي (**النجاسة**) التي (**لا تخلو الطرق**) المسلوكة (**عنها**)، فالمراد بالخف هنا هو الذي يلبس بدل النعلين. وهكذا كان السلف الصالح يفعلون وهو المشاهد الآن في بلاد ما وراء النهر، وأما في غيرها من البلاد الشامية والمصرية والعراقية، فانهم يلبسون عليه سرموجة فلا يتلطخ بشيء مما ذكر لأنها تقي عنه ذلك، قال: (**فيعفى عنه بعد الدلك**) بيابس التراب الطاهر (**للحاجة**) والضرورة. وقال الشمني في شرح النقاية: ويطهر الخف عن نجس ذي جرم بالدلك بالأرض سواء كان جرمه منه كالدم والعذرة أو من غير كالبول الملتصق به تراب، وأيضاً سواء جف ذو الجرم أو لم يجف وهو قول أبي يوسف وعليه الأكثر، وفي النهاية وعليه الفتوى، وقال أبو حنيفة: يشترط جفاف ذي الجرم في طهارة الخف. وقال محمد وزفر: لا يطهر الخف في الرطب ولا في اليابس إلاَّ بالغسل كالنجاسة التي لا جرم لها لأن هذا عين تنجس باصابة النجاسة، فلا يطهر إلا بالغسل كالثوب والبدن. وروي أن محمداً رجع عن هذا القول حين رأى كثرة السرقين في طرق الري، ولأبي حنيفة وأبي يوسف ما روى أبو داود، وابن حبان، والحاكم وقال: على شرط مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: « إذا وطىء أحدكم الأذى بخفيه فطهوره التراب » لكن أبو حنيفة يقول: إن الرطب لا يزول بالدلك فيشترط الجفاف وعن غير ذي جرم بالغسل فقط لأن أجزاء النجاسة تتشرب في الخف فلا تخرج منه إلا بالعصر بخلاف ذي الجرم، فإنه يجذب ما في الخف من الاجزاء النجسة بجرمه إذا جف.

(**الرابع: دم البراغيث**) جمع برغوث هو هذا الحيوان الطاهر المعروف (**ما قل منه أو كثر**)، فإنه كذلك يعفى عنه (**إلا إذا جاوز حد العادة**) بأن يستكثره الناظر (**سواء كان في ثوبك**) الملبوس (**أو في ثوب غيرك فلبسته**) ومجاوزة حد العادة هو المعبر عندنا بقولهم ما لم يفحش. واختلفوا في تقدير الفاحش، فقال أبو حنيفة ومحمد: إذا بلغ ربع الثوب، وقال أبو يوسف: شبر في شبر، وفي رواية ذراع في ذراع، وقد قيل: مقدار القدمين. واختلفوا في قول أبي

الخامس: دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد. ودلك ابن عمر رضي الله عنه بثرة على وجهه فخرج منها الدم وصلى ولم يغسل. وفي معناه ما يترشح من لطخات الدماميل التي تدوم غالباً، وكذلك أثر الفصد إلا ما يقع نادراً من خرّاج أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة، ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلو الإنسان عنها في

حنيفة في ربع الثوب. قال بعضهم: ربع عضو من الثياب إن كان ذيلاً، فربع الذيل وإن كان كماً فربع الكم. والصحيح أنه ربع جميع الثوب الذي عليه، واختلف في الثوب، فمنهم من قال: ربع جميع الثوب الذي يصلي فيه، ومنهم من قال ربع الثوب الذي تجوز فيه الصلاة كإزار ونحوه.

(**الخامس: دم البثرات**) جمع بثرة محركة وقد بثر الجلد (من باب تعب، والبثرة والبثرات كالقصبة والقصبات، ويقال أيضاً: بثر مثال قتل وقرب فهي ثلاث لغات، وهي الخراجات الصغيرة (**وما ينفصل منها من قيح وصديد**) أي جميع ما ينفصل من البثرات سواء كان دماً أو قيحاً أو صديداً فإنه معفو عنه، وتقدم معنى القيح. وأما الصديد فهو الدم المختلط، (**ودلك**) عبد الله (**بن عمر رضي الله عنهما بثرة**) كانت (**على وجهه وخرج منها الدم وصلى ولم يغسله**) فدلّ ذلك على أنه مما يعفى عنه، (**وفي معناه ما يترشح من لطخات**) جمع لطخة بفتح فسكون أي ما يسيل ويتلزج من تلويثات (**الدماميل**) جمع دمل كسكر معروف، والأصل الدمامل بلاياء (**التي تدوم غالباً**) أي لا تفارق من مواضع من الجسد افإن هذا مما يعفى عنه، (**وكذا أثر الفصد**) وفي معناه الحجامة (**إلا ما يقع نادراً من خراج**) كغراب ما يخرج في الجسد من البثر (**أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة**) ويكون حكمه كحكمه، (**ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلو الانسان عنها في أحواله**) السائرة، وتندرج هذه الأمور التي ذكرها المصنف تحت قاعدة المشقة تجلب التيسير، ولها أسباب ستة. أحدها: العسر وعموم البلوى، ويلحق بدم البراغيث دم البق والقمل وإن كثر، وبول ترشش على الثوب كرؤوس الإبر وأثر نجاسة عسر زواله وريق النائم مطلقاً على المفتى به عندنا. وقال النووي في الروضة: الماء الذي يسيل من النائم. قال المتولي: إن كان متغيراً فنجس وإلا فطاهر، وقال غيره: إن كان من اللهوات فطاهر أو من المعدة فنجس ويعرف كونه من اللهوات بأن ينقطع إذا طال نومه، وإذا شك فالأصل عدم النجاسة والاحتياط غسله، وإذا حكم بنجس وعمت بلوى شخص به لكبره منه، فالظاهر أنه يلتحق بدم البراغيث وسلس البول ونظائره اهـ.

قلت: ومن المعفو عنه ريق أفواه الصبيان، وغبار السرجين، وقليل دخان النجس، ومقعد الحيوان، وما أصاب السراويل المبتلة والمقعدة من النساء على المفتى به. وفي فتاوي قاضيخان: وماء الطابق استحساناً، وكذا الإسطبل إذا كان حاراً وعلى كوته طابق أو بيت بالوعة إذا كان عليه طابق وتقاطر منه، وكذا الحمامات إذا أهريق فيها النجاسات فعرق حيطانها وكوّتها وتقاطر ومارش به السوق إذا ابتل به قدماه، ومواطىء الكلاب، والطين المسرقن وردغة الطريق في أشياء

أحواله. ومسامحة الشرع في هذه النجاسات الخمس تعرفك أن أمر الطهارة على التساهل وما ابتدع فيها وسوسة لا أصل لها.

الطرف الثاني في المزال به:

وهو إما جامد وإما مائع، أما الجامد، فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف بشرط أن يكون صلباً طاهراً منشفاً غير محترم، وأما المائعات فلا تزال النجاسات

أوردها ابن نجيم في الأشباه والنظائر وتقدم ذكر بعضها، **(ومسامحة الشرع في هذه النجاسات الخمسة)** وما يلتحق بها **(تعرفك أن أمر الطهارات)** إنما هو **(على التساهل)**، وعلى هذا عرف دأب السلف **(وأن ما أبدع فيها)** من التدقيقات المخرجة **(وسوسة لا أصل لها)** في الشرع. فليجتنب منها. ولما فرغ من ذكر المزال شرع في بيان المزال به فقال:

(الطرف الثاني في المزال به): ما هو؟ ثم بيَّنه بقوله: **(وهو إما جامد وإما مائع)**. وفي بعض النسخ، أو مائع وكل ذائب مائع وقد ماع يميع إذا سال على وجه الأرض منبسطاً في هيئته. **(أما الجامد فحجر الاستنجاء)** أي الحجر الذي يزال به أثر النجو من المقعدة **(وهو مطهر تطهير تخفيف)** أي لتخفيف النجاسة وقلة مباشرتها بيده سواء فيه الغائط أو البول، وهو يشير إلى أن الحجر ليس بمزيل للنجاسة حقيقة حتى لو نزل المستنجي به في ماء قليل نجسه كما في **(الأشباه والنظائر)** ولذا جعل اتباع الماء به من تمام التطهير. ثم ذكر المصنف لحجر الاستنجاء شروطاً أربعة. فقال: **(بشرط أن يكون)** ذلك الحجر الذي يستنجى به **(صلباً)** أي شديداً لأنه لو كان رخواً لم ينق المحل هذا هو الأوّل، والثاني: أن يكون **(طاهراً)** لأنه لو كان نجساً يزيد المحل تنجيساً، والثالث: أن يكون **(منشفاً)** لأنه لو كان رطباً يلطخ المحل ويزيده تلويثاً، والرابع: أن يكون **(غير محترم)** ونقل ابن الحاج في المدخل عن بعض المشايخ حداً جامعاً لحجر الاستنجاء، فقال يجوز الاستجمار بكل جامد ظاهر منق قلاع للأثر غير مؤذ ليس بذي حرمة ولا سرف ولا يتعلق به حق للغير وهو ضابط جيد اهـ.

وقد خرج من قوله غير مؤذ الزجاج، وبقوله: ولا سرف خرج منه ما إذا استنجى بثوب حرير أو رفيع من غيره، ويقرب منه الاستنجاء بالنقدين والزبرجد والياقوت، فإنه فيه إضاعة المال. ومن قوله: ولا يتعلق به حق الغير خرج الروث والعظم فإنهما من زاد الجن، وعبارة المنهاج: ويجب الاستنجاء بماء أو حجر وجمعها أفضل، وفي معنى الحجر كل جامد طاهر قالع غير محترم، قال الخطيب الشربيني في شرحه: كخشب وخزف لحصول الغرض به كالحجر، فخرج بالجامد المائع غير الماء الطهور كماء الورد والخل، وبالطاهر النجس كالبعر والمتنجس كالماء القليل الذي وقعت فيه نجاسة، وبالقالع نحو الزجاج والقصب الأملس والمتناثر كتراب ومدر وفحم وخزف بخلاف التراب والفحم الصلبين، والنهي عن الاستنجاء بالفحم ضعيف قاله في

بشيء منها إلا الماء، ولا كل ماء بل الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه. ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه، فإن لم

المجموع، وإن صح حمل على الرخو وشمل إطلاقه حجر الذهب والفضة إذ كان كل منهما قالعاً وهو الأصح، وبغير محترم المحترم كجزء حيوان متصل به كبده ورجله، وكمطعوم آدمي كالخبز أو جني، وأما مطعوم البهائم كالحشيش فيجوز وإنما جاز بالماء مع أنه مطعوم لأنه يدفع النجس عن نفسه بخلاف غيره. أما جزء الحيوان المنفصل عنه كشعره فيجوز الاستنجاء به. قال الاسنوي: والقياس المنع في جزء الآدمي، وأما الثمار والفواكه فما كان يؤكل منها رطباً كاليقطين لا، ويجوز يابساً إذا كان مزيلاً، وما كان يؤكل رطباً ويابساً فإن كان مأكول الظاهر والباطن كالتين والتفاح لا يجوز برطبه ولا يابسه، وإن كان يؤكل ظاهره دون باطنه كالخوج والمشمش وكل ذي نوى لا يجوز بظاهره ولا يجوز بنواه المنفصل عنه وإن كان مأكوله في جوفه كالرمان جاز الاستنجاء به، ثم قال: ومن المحترم ما كتب عليه اسم معظم أو علم كحديث وفقه قال في المهمات: ولا بد من تقييد العلم بالمحترم، وأما غير المحترم كفلسفة ومنطق فإنه يجوز الاستنجاء به والحق بما فيه علم محترم جلده المتصل به دون المنفصل عنه بخلاف جلد المصحف اهـ.

(**وأما المائعات فلا تزال النجاسة بشيء منها إلا الماء**) وهو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى، وبه قال مالك وأحمد في رواية عنه ومحمد بن الحسن وزفر. وقال أبو حنيفة، وأحمد في رواية أخرى عنه يجوز إزالة النجاسة بالماء وبكل مائع طاهر مزيل للعين، وإنما قيدوا كونه مزيلاً احترازاً عن نحو الدهن واللبن والعصير مما ليس بمزيل. قال الشافعي ومن معه: لأن المائع يتنجس بأول الملاقاة والنجس لا يفيد الطهارة، لكن ترك هذا القياس في الماء بالإجماع، ولأبي حنيفة ما روى البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما كان لإحدانا إلاَّ ثوب واحد تحيض فيه، فإذا أصابه شيء من دم قالت بريقها فمصعته بظفرها، ويروى فقصعته. المصع: الاذهاب، والقصع: الدلك، ولأن الماء مطهر لكونه مائعاً مزيلاً للنجاسة عن المحل، فكل ما يكون كذلك فهو مطهر كالماء. وذكر التمرتاشي أن الدم إذا غسل ببول ما يؤكل لحمه تزول نجاسة الدم وتبقى نجاسة البول. ثم قال المصنف: (**ولا كل ماء**) تزال به النجاسة (**بل الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره لمخالطة ما يستغنى عنه**). وفي نسخة: ما استغنى عنه، وفي معنى المخالطة المجاورة. وفي شرح البهجة للولي العراقي: المجاور ما يمكن فصله كالعود والدهن ونحوهما وهو لا يضر، والمخاط إن كان يسيراً لم يضر أو كثيراً، فإن لم يستغن عنه كالتراب الذي يثور ويقع في الماء والنورة والزرنيخ في مقره وممره لم يضره وإلا ضر لزوال اسم الماء، (**ويخرج الماء عن**) وصف الطهارة سواء كان قليلاً أو كثيراً (**بأن يتغير بملاقاة النجاسة**) أو مجاورتها أحد أوصافه الثلاثة (**طعمه أو لونه أو ريحه**). قال الرافعي: الماء قسمان. راكد وجار وبينهما بعض الاختلاف في كيفية قبول النجاسة وزوالها، ولا بد من التميز بينهما. أما الراكد فينقسم إلى قليل وكثير. أما القليل فينجس بملاقاة النجاسة تغير بها او لا، وأما الكثير فينجس

يتغير وكان قريباً من مائتين وخمسين مناً ـ وهو خمسمائة رطل برطل العراق ـ لم ينجس لقوله ﷺ: «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً وإن كان دونه صار نجساً عند الشافعي

إذا تغير بالنجاسة لقوله ﷺ: «خلق الله الماء طهوراً لا ينجسه شيء إلاَّ ما غير طعمه أو ريحه» وهو نص على الطعم والريح، وقاس الشافعي اللون عليهما وإن لم يتغيرا اهـ.

قال الحافظ: هذا الكلام تبع فيه صاحب المهذب، وكذا قاله الروياني في البحر، وكأنهما لم يقفا على الرواية التي فيها ذكر اللون وهي ما رواه البيهقي من حديث أبي أمامة بلفظ: «إن الماء طاهر إلا أن تغير ريحه أو طعمه أو لونه بنجاسة تحدث فيه». أورده من طريق عطية بن لهيعة، عن أبيه عن ثور، عن راشد بن سعد، عن أبي أمامة. ورواه الطحاوي، والدارقطني من طريق راشد بن سعد مرسلاً بلفظ: «الماء لا ينجسه شيء إلا ما غلب على ريحه أو طعمه» زاد الطحاوي «أو لونه» وصحح أبو حاتم إرساله. قال الدارقطني: ولا يثبت هذا الحديث. وقال الشافعي: ما قلت من أنه إذا تغير طعم الماء وريحه ولونه كان نجساً. يروى عن النبي ﷺ من وجه لا يثبت أهل الحديث مثله وهو قول العامة، ولا أعلم بينهم خلافاً. وقال النووي: اتفق المحدثون على تضعيفه. وقال ابن المنذر: أجمع العلماء على أن الماء القليل والكثير إذا وقعت فيه نجاسة فغيرت له طعماً أو لوناً أو ريحاً هو نجس، **(فإن لم يتغير)** أحد أوصافه **(وكان قريباً من مائتين وخمسين مناً وهو خمسمائة رطل بالرطل العراقي)** وفي نسخة برطل العراق وهو المعبر عنه بالبغدادي لأنها دار مملكة العراق **(لم ينجس)**، وهذا هو الكثير. قال الرافعي: وهو المذهب لأن القربة الواحدة لا تزيد على مائة رطل في الغالب، ويحكى هذا عن نص الشافعي رحمه الله تعالى: **(لقوله ﷺ: «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً» وإن كان دونه)** وخالطته النجاسة **(صار نجساً عند الشافعي رضي الله عنه)**. وكذا عند أبي حنيفة، وأحمد في إحدى روايتيه، وعند مالك وأحمد في الرواية الأخرى أنه ما لم يتغير فهو طاهر، كذا قاله ابن هبيرة. قال الرافعي: وفي بعض الروايات تقييدهما بقلال هجر، ثم روى الشافعي عن ابن جريج أنه قال: رأيت قلال هجر والقلة منها تسع قربتين أو قربتين وشيئاً، فاحتاط الشافعي فحسب الشيء نصفاً لأنه لو كان فوق النصف لقال تسع ثلاث قرب إلاَّ شيئاً. هذا عادة أهل اللسان فإذاً جلة القلتين خمس قرب، واختلفوا في تقدير ذلك بالوجه على ثلاثة أوجه. أحدها: ذهب أبو عبدالله الزبيري إلى أن القلتين ثلاثمائة «من» لأن القلة ما يقله بعير ولا يقل الواحد من بعران العرب غالباً أكثر من وسق والوسق ستون صاعاً وذلك مائة وستون مناً، والقلتان ثلاثمائة وعشرون تحط منها عشرون للظروف والحبال تبقى ثلاثمائة، وهذا اختيار القفال. والأشبه عند صاحب الكتاب يعني الغزالي. والثاني: أن القلتين ألف رطل، لأن القربة قد تسع مائتي رطل، فالاحتياط الأخذ بالأكثر. ويحكى هذا عن أبي زيد، ثم ذكر القول الثالث، وهو الذي أورده المصنف هنا، ثم إن هذا السياق دال على أن المصنف يميل إلى قول القفال، والذي هنا أن المختار عنده القول الثالث، وكأنه رجع إليه أخراً وكون أنه كان يقول بقول القفال صرح به في الوسيط حيث قال فإن قيل:

....

ما حد القلتين؟ قلنا: قيل خمسمائة من، وقيل خمسمائة رطل. والأفضل ما ارتضاه القفال وصاحب الكافي أنها ثلاثمائة من لأنها مأخوذة من استقلال البعير، وبعران العرب ضعاف لا تحمل أكثر من مائة وستين مناً فتحط عشرة أمناء للراوية والحبال اهـ.

وفي الروضة للنووي: والقلتان خمس قرب وفي وزنها بالأرطال أوجه. الصحيح المنصوص خمسمائة رطل بالبغدادي، والثاني ستمائة قاله الزبيري واختاره القفال والزبيري، والثالث ألف رطل واختاره أبو زيد اهـ.

وفي شرح المنهاج للشربيني وهو يعني الرطل البغدادي مائة وثمانية وعشرون درهماً وأربعة أسباع درهم في الأصح، وفي كتاب الاقناع للحجاوي من الحنابلة ما نصه: والماء الكثير قلتان فصاعداً واليسير دونهما وهما خمسمائة رطل عراقي تقريباً أو أربعمائة وستة وأربعون رطلا وثلاثة أسباع رطل مصري وما وافقه من البلدان، ومائة وسبعة أرطال وسبع رطل دمشقي وما وافقه، وتسعة وثمانون رطلاً وسبعا رطل حلبي وما وافقه، وثمانون رطلاً وسبعا رطل ونصف سبع رطل قدسي وما وافقه، وأحد وسبعون رطلاً وثلاثة أسباع رطل بعلي وما وافقه. والرطل العراقي مائة درهم وثمانية وعشرون درهماً وأربعة أسباع درهم وهو سبع القدسي وثمن سبعه وسبع الحلبي وربع سبعه وسبع الدمشقي ونصف سبعه وستة أسباع المصري وربع سبعه وسبع البعلي وهو بالمثاقيل تسعون مثقالاً. ومجموع القلتين بالدراهم أربعة وستون ألفاً ومائتان وخمسة وثمانون درهماً وخمسة أسباع درهم، فإذا أردت معرفة القلتين بأي رطل أردت فاعرف عدد دراهمه ثم اطرحه من دراهم القلتين مرة بعد أخرى حتى لا يبقى منها شيء واحفظ الأرطال المطروحة، فما كان فهو مقدار القلتين بالرطل الذي طرحت به وإن بقي أقل من رطل فانسبه منه ثم اجمعه إلى المحفوظ اهـ.

ووجدت بخط بعض المقيدين في حاشية الكتاب أوقية بغداد عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم، وأوقية مصر اثنا عشر درهما وكذا مكة والمدينة الآن، وأوقية القدس وحمص ستة وستون درهماً وثلثا درهم، وأوقية دمشق خمسون درهماً، وأوقية حلب وبيروت ستون درهماً، وأوقية بعلبك خمسة وسبعون درهماً اهـ.

ووجدت بازاء ما تقدم من كلام الاقناع ما نصه: قاعدة تعرف منها الأوزان العراقية بالرطل المصري والدمشقي والقدسي والحلبي والبعلي، فإن زدت على الوزن العراقي مثله خمس مرات ومثل ربعه، ثمك أخذت سبع جميع المجتمع فهو المصري، وإن زدت قدر نصفه ثم أخذت سبع المجتمع فهو الدمشقي، وإن زدت مثل ربعه ثم أخذت سبع المجتمع فهو الحلبي، وإن زدت مثل ثمنه ثم أخذت سبع المجتمع فهو القدسي، وإن أخذت سبع البعلي من غير زيادة فهو العراقي اهـ.

قال الرافعي: ثم ذلك معتبر بالتحديد أو بالتقريب فيه وجهان: أصحها وهو الذي ذكره في الكتاب يعني الوجيز انه معتبر بالتقريب لأن ابن جريج رد القلة إلى القرب تقريباً، والشافعي

....

حمل الشيء على النصف احتياطاً وتقريباً. والقلال في الأصل تكون متفاوتة أيضاً كما نعهده اليوم في الحباب والكيزان، والثاني: أنه معتبر بالتحديد كنصاب السرقة ونحو ذلك. فإن قلنا بهذا لم نسامح بنقصان شيء وإن قلنا بالأول فلنسامح بالقدر الذي لا يبين بنقصانه تفاوت في التغيير بالقدر المغير من الأشياء المغيرة اهـ.

ومثله في الروضة وفي المنهاج، وقال الخطيب الشربيني: القلتان بالمساحة في المربع ذراع وربع طولاً وعرضاً وعمقاً، وفي المدور ذراعـان طولاً وذراع عرضاً قاله العجلي، والمراد فيه بالطول العمق وبالعرض ما بين حافتي البئر من سائر الجوانب وبالذراع في المربع ذراع الآدمي وهو شبران تقريباً، وأما في المدور فالمراد في الطول ذراع النجار الذي هو بذراع الآدمي ذراع وربع تقريباً، ووجهه أن يبسط كل من العرض والطول ومحيط العرض وهو ثلاثة أمثاله وسبـع أربـاعـاً لوجود مخرجها في قدر القلتين في المربع، فيجعل كل واحد أرباعاً فيصير العرض أربعة والطول عشرة والمحيط إثني عشر وأربعة أسباع، ثم تضرب نصف العرض وهو إثنان في نصف المحيط وهو ستة وسبعان تبلغ إثني عشر وأربعة أسباع وهو بسط المسطح، فتضرب بسط المسطح في بسط الطول وهو عشرة تبلغ مقدار مسح القلتين في المربع وهو مائة وخمسة وعشرون ربعاً مع زيادة خمسة أسباع ربع وبها التقريب اهـ.

وفي الإقناع للحجاوي من الحنابلة: مساحة القلتين مربعاً ذراع وربع طولاً وذراع وربع عرضاً وذراع وربع عمقاً، ومدورا ذراع طولاً وذراعان ونصف عمقاً والمراد ذراع اليد اهـ. وهو موافق لما نقله الشربيني عن العجلي في مساحة التربيع، وفي مساحة التدوير نوع مخالفة يظهر بالتأمل وكون ما تقدم من العدد تقريب لا تحديد هو مختار سائر المتأخرين، وأشار لذلك ابن الوردي في بهجة الحاوي حيث قال:

وإنما تنجيـس ذي إتصـــال — كجريـة قـارب في الأرطـال
خمـــس مئين تفسيـــر قلتين — فليلـغ نقـص الرطـل والرطلين

قال الوالي العراقي: والمراد بالقلتين خمسمائة رطل عند الشافعي وهو تقريب لا تحديد كما أشار إلى ذلك بقوله: قارب فلا يضر نقص الرطل والرطلين، كما صححه النووي وتبعه في النظم وهو من زيادته على الحاوي اهـ.

ولذا قال في المنهاج تقريباً على الأصح، ودل ذلك على أن التحديد صحيح، وقد ذكر الشربيني المقدرات أربعة أقسام: تقريب بلا خلاف، وتحديد بلا خلاف، وتحديد على الأصح، وتقريب على الأصح، وذكر لكل منها أمثلة راجع شرحه على المنهاج.

مهمات:

الأولى: في تخريج هذا الحديث. قال الشيخ سراج الدين بن الملقن في خلاصة البدر المنير: رواه الشافعي، وأحمد، والأربعة، والدارقطني، والبيهقي من رواية ابن عمر، وصححه الأئمة

....

كابن خزيمة، وابن حبان، وابن منده، والطحاوي، والحاكم وزاد أنه على شرط البخاري ومسلم والبيهقي والخطابي، وفي رواية لأبي داود وغيره: «إذا بلغ الماء قلتين لم ينجس» قال يحي بن معين: إسنادها جيد، والحاكم صحيح، والبيهقي موصول، والمزكي لا غبار عليه اهـ.

ونص الشافعي في الأم أخبرنا مسلم، عن ابن جريج بإسناد لا يحضرني ذكره أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان الماء قلتين لم يحمل نجساً» وقال في الحديث «بقلال هجر» ثم نقل كلام ابن جريج الذي أسبقناه آنفاً بنقل الرافعي. قال الحافظ: وهذا الذي قاله الشافعي رحمه الله تعالى بإسناد لا يحضرني ذكره قد رواه الحاكم أبو أحمد والبيهقي وغيرهما من طريق أبي قرة موسى بن طارق عن ابن جريج قال: أخبرني محمد أن يحي بن عقيل، أخبره أن يحي بن يعمر، أخبره أن النبي ﷺ قال: «إذا كان الماء قلتين لم يحمل نجساً ولا بأساً قال فقلت ليحي بن عقيل أي قلال؟ قال: قلال هجر. قال محمد: رأيت قلال هجر فأظن كل قلة تأخذ قربتين. وقال الدارقطني: حدثنا أبو بكر النيسابوري، حدثنا أبو حميد المصيصي، ثنا حجاج عن ابن جريج مثله. قال الحاكم أبو أحمد محمد شيخ ابن جريج هو محمد بن يحي له رواية عن يحي بن أبي كثير أيضاً. قال الحافظ: وكيفما ما كان هو مجهول الحال.

الثانية: مدار هذا الحديث على الوليد بن كثير فقيل عنه عن محمد بن جعفر بن الزبير، وقيل عنه عن محمد بن عباد بن جعفر، وتارة عن عبيدالله بن عبدالله بن عمر، وتارة عن عبدالله بن عبدالله بن عمر قلت ولأجل هذا الإضطراب لم يخرجه الشيخان.

الثالثة: قال الأزهري: القلال مختلفة في قرى العرب وقلال هجر أكبرها. وقال الخطابي: قلال هجر مشهورة الصفة معلومة المقدار. والقلة، لفظ مشترك وبعد صرفها إلى إحدى معلوماتها وهي الأواني تبقى مترددة بين الكبار والصغار، والدليل على أنها من الكبار جعل الشارع الحد مقدراً بعدد، فدل على أنه أشار إلى أكبرها لأنه لا فائدة في تقديره بقلتين صغيرتين مع القدرة على تقديره بواحدة كبيرة، والله أعلم.

الرابعة: معنى قوله: لم يحمل الخبث أي لم ينجس بوقوع النجاسة فيه، والتقدير لا يقبل النجاسة بل يدفعها عن نفسه، ولو كان المعنى أنه يضعف عن حمله لم يكن للتقييد بالقلتين معنى، فإن ما دونها أولى بذلك، وقيل: معناه لا يقبل حكم النجاسة كما في قوله تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها﴾ [الجمعة: ٥] أي لم يقبلوا حكمها.

الخامسة: قال ابن عبد البر في التمهيد: ما ذهب إليه الشافعي من حديث القلتين مذهب ضعيف من جهة النظر غير ثابت من جهة الأثر لأنه حديث تكلم فيه جماعة من أهل العلم، ولأن القلتين لم يوقف على حقيقة مبلغها في أثر ثابت ولا إجماع. وقال في الإستذكار: هو حديث معلول، وقال الحافظ: وفي ثبوت كون القلتين تزيد على قربتين طعن فيه ابن المنذر من الشافعية وإسماعيل القاضي من المالكية بما محصله بأنه أمر مبني على ظن بعض الرواة، والظن ليس بواجب

....

قبوله ولا سيما من مثل محمد بن يحيى المجهول، ولهذا لم يتفق السلف وفقهاء الأمصار على الأخذ بذلك التحديد، فقال بعضهم: القلة تقع على الكوز والجرة كبرت أو صغرت، وقيل غير ذلك. وقال الطحاوي: إنما لم نقل به لأن مقدار القلتين لم يثبت. وقال ابن دقيق العيد: هذا الحديث قد صححه بعضهم وهو صحيح على طريقة الفقهاء، لأنه وإن كان مضطرب الإسناد مختلفاً في بعض ألفاظه، فإنه يجاب عنها بجواب صحيح، فإنه يمكن الجمع بين الروايات، ولكن تركته لأنه لم يثبت عندنا بطريق استقلالي يجب الرجوع إليه شرعاً تعيين مقدار القلتين. وأما قول صاحب الهداية من علمائنا: وما رواه الشافعي ضعفه أبو داود يريد حديث القلتين، فأجاب الحافظ بأنا لم نجد هذا عن أبي داود، بل أخرج هذا الحديث وسكت عليه في جميع الطرق منه ولم يقع منه فيه طعن في سؤالات الآجري ولا غيرها، بل أردفه في السنن بكلام يدل على تصحيحه لـه ومخالفته لمذهب من يخالفه. وقال الزيلعي في شرح الكنز: ليس في الحديث حجة لأنه ضعفه جماعة من المحدثين، حتى قال البيهقي أنه غير قوي، وقد تركه الغزالي والروياني مع شدة اتباعهما للشافعي لضعفه، فلا يعارض ما رويناه يعني حديث النهي عن البول في الماء الراكد، وحديث المستيقظ، ولأن القلة مجهولة لتفاوتها فلا يمكن ضبطها فلا يتعبدنا الله تعالى بمجهول، وتقديره بما قدره الشافعي لا يهتدي إليه الرأي فلا يجوز إثباته إلا بالنقل، ولأن القلة اسم مشترك لمعان مختلفة فلا يمكن الحمل على أحدها إلا بدليل. هذا مجموع ما رأيت من الإعتراض على هذا الحديث.

وقد أجاب الحافظ عن الإضطراب في سنده بأنه ليس بقادح وأنه على تقدير أن يكون الجميع محفوظاً انتقال من ثقة إلى ثقة، وعند التحقيق الصواب أنه عند الوليد بن كثير، عن محمد ابن عباد بن جعفر، عن عبدالله بن عبدالله بن عمر المكبر. وعن محمد بن جعفر بن الزبير عن عبدالله بن عبدالله بن عمر المصغر، ومن رواه على غير هذا الوجه فقد وهم. وقول ابن دقيق العيد لأنه لم يثبت عندنا الخ. كأنه يشير إلى ما أخرجه ابن عدي من حديث ابن عمر «إذا بلغ الماء قلتين من قلال هجر لم ينجسه شيء» وفي إسناده المغيرة بن صقلاب وهو متروك لا يتابع على عامة حديثه، وقول الزيلعي نقلاً عن البيهقي إن الحديث غير قوي وقد تركه الغزالي والروياني. أما قول البيهقي أنه غير قوي فكأنه نظر إلى الإضطراب الذي وقع في إسناده، وقد تقدم أنه ليس بقادح، وأما ترك الغزالي إياه فكأنه يشير إلى ما ذهب إليه في هذا الكتاب فإنه نقض هذا القول بسبعة أوجه، كما سيأتي بيانها. وأما في كتبه الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز فإنه تبع فيها إمامه فتأمل.

السادسة: قال الرافعي: وعند أبي حنيفة وأصحابه لا اعتبار بـالقلال، وإنما الكثير هـو الذي إذا حرك جانب منه لم يتحرك الثاني. هذه رواية، ولهم روايات سواها.

قلت: اعتبر أصحابنا عشراً في عشر وجعلوه في حكم الجاري أخذا بالأحوط، وقد اختلفوا فمنهم من يعتبر بالتحريك، ومنهم من يعتبر بالمساحة وظاهر المذهب أن يعتبر بالتحريك وهو

رضي الله عنه. هذا في الماء الراكد. وأما الماء الجاري إذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة

قول المتقدمين منهم، حتى قال صاحب البدائع والمحيط اتفقت الروايات عن أصحابنا المتقدمين أنه يعتبر بالتحريك، وهو أن يرتفع وينخفض من ساعته لا بعد المكث، ولا يعتبر أصل الحركة لأن الماء لا يخلو عنه لأنه متحرك بطبعه، ثم اختلف كل واحد من الفريقين في التقدير، فأما من قال بالمساحة فمنهم من اعتبر عشراً في عشر، وهو الذي اختاره النسفي، ومشايخ بلخ، وابن المبارك، وجماعة من المتأخرين. قال أبو الليث: وعليه الفتوى، ومنهم من اعتبر أن يكون ثمانياً في ثمان قاله محمد بن سلمة، ومنهم من اعتبر أن يكون إثني عشر في إثني عشر، ومنهم من اعتبر أن يكون خمسة عشر في خمسة عشر، والذراع المذكور فيه ذراع الكرباس وهي ذراع العامة ست قبضات أربعة وعشرون أصبعاً، وعند بعضهم يعتبر ذراع المساحة وهي سبع قبضات باصبع قائمة واختاره بعضهم، ثم لو كانت النجاسة في موضع من الماء يتنجس من كل جانب إلى عشرة أذرع في قول من يرى تنجس موضع الوقوع، وأما من اعتبر التحريك فمنهم من اعتبره بالاغتسال. رواه أبو يوسف عن أبي حنيفة وقيل بالتوضؤ رواه محمد عن أبي حنيفة. وروي عن أبي يوسف أنه يعتبر باليد من غير اغتسال ولا وضوء. وروي عن محمد أنه يعتبر بغمس الرجل، وقيل يعتبر أن لا يخلص الجزء المستعمل نفسه إلى الجانب الآخر إلا بحركة الإستعمال بالإضطراب الذي يكون في الماء عادة. وقيل: يلقى فيه قدر النجاسة من الصبغ فموضع لم يصل إليه الصبغ لم يتنجس، وقيل يعتبر التكدر وظاهر الرواية عن أبي حنيفة أن يعتبر رأي المبتلي، فإن غلب على ظنه أنه وصل إلى الجانب الآخر لا يجوز الوضوء به وإلاّ جاز ذكره في الغاية. وقال: وهو الأصح وهذا لأن المذهب الظاهر عند أبي حنيفة التحري والتفويض إلى رأي المبتلى به من غير تحكم بالتقدير فيما لا تقدير فيه من جهة الشارع، ثم المعتبر في العمق أن يكون بحال لا ينحسر بالإغتراف وهو اختيار أبي جعفر الهندواي، والصحيح إذا أخذ الماء وجه الأرض يكفي ولا تقدير فيه في ظاهر الرواية، وقيل مقدر بذراع أو أكثر وقيل: بمقدار شبر، وقيل: بزيادة على الدرهم الكبير.

ثم قال المصنف: (**هذا**) أي الذي تقدم ذكره في التحديد (**في الماء الراكد**) أي الدائم الذي لا يجري كما جاء القيد به. هكذا في حديث أبي هريرة عند الستة. وقال الزين العراقي في شرح تقريب الأسانيد: هل هو على سبيل الإيضاح والبيان أم له معنى آخر؟ والأول جزم به ابن دقيق العيد، وبه صدر النووي كلامه، وقيل قيد احترازي فراجعه، (**وأما**) الماء (**الجاري**) قسمه المصنف في الوجيز إلى ماء الأنهار المعتدلة وإلى ماء الأنهار العظيمة. القسم لأول فالنجاسة الواقعة فيها مائعة أو جامدة على الأول ينظر هل يتغير الماء أم لا؟ فإن غيرته فالقدر المتغير نجس، وإن لم يتغير فينظر إن كان عدم التغير للموافقة في الأوصاف، فالحكم على ما ذكر في الراكد، وإن كان لقلة النجاسة لم ينجس، وعلى الثاني: إن كانت جامدة تجري مجرى الماء فينظر أتجري مع الماء أم هي واقفة والماء يجري عليها؟ وعلى الأول الحكم فيه أنه (**إذا تغير**) أحد أوصافه الثلاثة

نجسة دون ما فوقها وما تحتها لأن جريات الماء متفاضلات وكذا النجاسة الجارية إذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها إذا تقاصر عن قلتين. وإن كان جري الماء أقوى من جري النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما سفل عنها فنجس وإن تباعد وكثر إلا إذا اجتمع في حوض قدر قلتين وإذا اجتمع قلتان من ماء

(بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها) الذي لم يصل إلى النجاسة **(وما تحتها)** الذي لم تصل إليه النجاسة فهما طاهران، **(لأن جريات الماء)** الجاري **(متفاصلة)** فإن كل جرية منه طالبة لما أمامها هاربة عما خلفها بخلاف الراكد، فإن أجزاءه مترادفة متعاضدة وأماما على يمينها وشمالها وفي سمتها إلى العمق أو وجه الماء فيه طريقان: أحدهما القطع بالطهارة، والثاني التخريج على قول التباعد كالراكد. قال الرافعي في الشرح الصغير: وهو الأظهر، ومنهم من أجرى خلاف التباعد فيما تحت النجاسة دون ما فوقها لأن ما تحتها مستمد من موضعها. وفي كلام العراقيين ما يقتضي طرده في جميع الجوانب، ثم قال المصنف: **(وكذا النجاسات الجارية إذا جرت مجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وكذا ما عن يمينها وشمالها إذا تقاصر عن قلتين)**، ثم قال: **(وإن كان جري الماء أقوى من جري النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما سفل عنها فنجس وإن تباعد وكثر)**. قال الرافعي: ما يجري من الماء على النجاسة وهو قليل ينجس بملاقاتها، ولا يجوز الإغتراف منها إذا كان بين النجاسة وموضع الإغتراف دون قلتين، وإن بلغ قلتين في الطول فوجهان: أحدهما أنه طاهر وبه قال صاحب التلخيص وأبو إسحاق وأصحهما، وبه قال ابن سريج أنه نجس وإن امتد الجدول إلى فراسخ لما سبق أن أجزاء الماء الجاري متفاصلة فلا يتقوى البعض منها بالبعض ولا تندفع النجاسة **(إلا إذا اجتمع في حوض)** أو حفرة مترادأ قدر قلتين منه. زاد النووي في تحقيق المنهاج وفيه وجه أنه إذا تباعد واغترف من موضع بينه وبين النجاسة قلتان جاز استعماله والصحيح الأول. ثم قال الرافعي: وعليه قد يسأل فيقال ما هو ألف قلة وهو نجس من غير أن يتغير بالنجاسة فهذه صورته وهذا كله في الأنهار الصغيرة، وأما النهر العظيم الذي يمكن التباعد فيه عن جوانب النجاسة بقدر القلتين فلا يجتنب فيه إلا حريم النجاسة وهو الذي تغير شكله بسبب النجاسة، وهذا الحريم يجتنب في الماء الراكد أيضاً. قال الرافعي: وفي وجوب اجتناب الحريم وجهان حكاهما المصنف في الوسيط وذكر في البسيط أنه لا يجتنب في الماء الراكد وفرق بينه وبين الماء الجاري على أحد الوجهين.

تنبيه:

حد الماء الجاري عند أصحابنا ما يذهب بتبنة، وقيل: ما لا يتكرر استعماله. وعن أبي يوسف إن كان لا ينحسر وجه الأرض بالإغتراف بكفيه فهو جار، وقيل: ما يعده الناس جارياً وهو الأصح كما في البدائع والتحفة واختلف أصحابنا في تنجس موضع الوقوع، فقيل: لا وهو مروي عن أبي يوسف، وبه أخذ مشايخ بخارى، وقيل نعم وهو الأصح ذكره في المبسوط والبدائع، ثم العبرة بحال الوقوع فإن نقص بعده لا يتنجس وعلى العكس لا يطهر.

نجس طهر ولا يعود نجساً بالتفريق، هذا هو مذهب الشافعي رضي الله عنه. وكنت

ثم قال المصنف: **(وإذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجساً بالتفريق)**، وذكره في الوجيز بلفظ: **قلتان نجستان جمعتا عادتا طاهرتين، فإذا فرقتا بقيتا على الطهارة**. قال الرافعي: الماء القليل النجس إذا كوثر حتى بلغ قلتين هل يعود طهوراً؟ انظر إن كوثر بغير الماء لا، وإن بالماء نظر إن كان مستعملاً ففي عود الطهورية وجهان. أحدهما أنه لا يعود لانسلاب قوة المستعمل والتحاقه بسائر المائعات، والثاني أنه يعود، وهو الأظهر، لأن الأصل فيه الطهورية، ولو كوثر الماء النجس بماء نجس ولا تغير عادت الطهورية ثم التفريق بعد عود الطهورية لا يضر، ولا فرق بين أن يكون التكميل بماء طاهر أو بماء نجس في عود الطهورية، وإذا كوثر بما يغلب عليه ويغمره ولكنه لم يبلغ قلتين فالأصح أنه باق على نجاسته، والثاني طاهر غير طهور بشرط أن يكون الكاثر به مطهراً، وأن يكون أكثر من المورود عليه، وأن يورده على النجس، وأن لا تكون فيه نجاسة جامدة. وقد نقله النووي في الروضة وزاد: فإن اختل أحد الشروط فنجس بلا خلاف ولا يشترط شيء من هذه الشروط الأربعة فيما إذا كوثر فبلغ قلتين، ثم قال: هذا الذي صحح هو الأصح عند الخراسانيين، وهو الأصح والأصح عند العراقيين الثاني، ثم قال الرافعي: والمعتبر في المكاثرة الضم والجمع دون الخلط حتى لو كان أحد البعضين صافياً والآخر كدراً وانضما زالت النجاسة من غير توقف على الإختلاف المانع من التمييز. زاد النووي في الكتاب المذكور فقال: ومتى حكمنا بالطهارة في هذه الصور ففرق لم يضر وهو باق على طهوريته.

تنبيهات: من شرح الوجيز للرافعي مع اختصار في بعض سياقه وزيادات عليه من خارج.

الأول: إذا وقعت نجاسة جامدة في الماء الكثير الراكد، فهل يجوز الإغتراف من أي موضع شاء أم يجب التباعد عنها بقدر قلتين؟ فيه قولان القديم الأول وهو ظاهر المذهب على خلاف الغالب لأنه طاهر كله، والجديد الثاني فعلى هذا لا يكفي في البحر التباعد بشبر نظراً إلى العمق بل يتباعد قدراً لو حسب مثله في العمق والجوانب لبلغ قلتين، ولو كان الماء منبسطاً بلا عمق يتباعد طولاً وعرضاً قدراً يبلغ قلتين في ذلك العمق. وقال الإمام محمد بن يحيى يعني به النيسابوري تلميذ الغزالي: لا يغني التباعد بقدر القلتين في هذه الصورة، بل يبعد حيث يعلم أن النجاسة لا تنتشر إليه، كما يعتبره أبو حنيفة رحمه الله في بعض الروايات في الماء الكثير، ولو كان الماء قلتين بلا زيادة فعلى الجديد لا يجوز الإغتراف منه، وعلى القديم يجوز ذلك في أصح الوجهين، والثاني لا لأن المأخوذ بعض الباقي والباقي تنجس بالإنفصال، فكذلك المأخوذ ثم في المسألة الأولى يحتمل أن يكون الخلاف في جواز الإستعمال من غير تباعد مع القطع بطهارة الجميع، ويحتمل أن يكون في الإستعمال مبنياً على خلاف في نجاسته، وقد نقل عن الشيخ أبي محمد نقل الإتفاق على الإحتمال الأول قال الإمام النووي في الروضة: هذا الوقف من الإمام الرافعي عجيب فقد جزم به وصرح بالإحتمال الأول جماعة من كبار أصحابنا. منهم الشيخ أبو حامد الأسفرايني، والقاضي

أود أن يكون مذهبه كمذهب مالك رضي الله عنه في أن الماء وإن قل لا ينجس إلا بالتغير إذ الحاجة ماسة إليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين، ولأجله شق على الناس

أبو الطيب، وصاحب الحاوي والمحاملي، وصاحب الشامل والبيان، وآخرون من العراقيين اوالخراسانيين. وقطع جماعة من الخراسانيين بأن على قولي التباعد يكون المجتنب نجساً. كذا قاله القاضي حسين، وإمام الحرمين، والبغوي وغيرهم، حتى قال هؤلاء الثلاثة: لو كان قلتين فقط كان نجساً على هذا القول والصواب الأول والله أعلم.

الثاني: إذا غمس كوز ماء نجس في ماء طاهر هل يعود طهوراً إن كان الكوز ضيق الرأس؟ فوجهان أحدهما نعم لحصول الكثرة والإتصال، وأصحهما لا لأنه لا يحصل به إتصال يفيد تأثير أحدهما في الآخر، بل ما في الكوز كالمودع فيه وليس معدوداً جزءاً منه، وإذا حكمنا بأنه طهور على الصورتين، فهل يحصل ذلك على الفور أم لا بد من زمان يزول فيه التغير لو كان متغيراً فيه وجهان. الأصح الثاني، ولا شك أن الزمان في الضيق أكثر منه في الواسع فإن كان ماء الكوز متغيراً فلا بد من زوال تغيره، ولو كان الكوز غير ممتلىء فما دام يدخل فيه الماء فلا اتصال وهو على نجاسته. قال الإمام النووي: إلا أن يدخل أكثر من الذي فيه فيكون حكمه ما تقدم في المكاثرة. قال القاضي حسين وصاحب التتمة: ولو كان ماء الكوز طاهراً فغمسه في نجس ينقص عن القلتين بقدر ماء الكوز، فهل يحكم بطهارة النجس فيه؟ الوجهان والله أعلم.

الثالث: ماء البئر كغيره في قبول النجاسة وزوالها، ولكن ضرورة النزح إلى الإستقاء منها قد يخصه بضرب من العسر، فإن كان قليلاً وقد تنجس بوقوع نجاسة فيه فليس من الرأي أن تنزح ليبقى بعده الماء الطهور، لأنه وإن نزح فيبقى قعر البئر نجساً، وكذا جدران البئر بل ينبغي أن يترك ليزداد فيبلغ حد الكثرة وإن كانت قليلة الماء ولا يتوقع منه الكثرة صب فيها ماء من خارج حتى يكثر ويزول التغير إن كان متغيراً وإن كان الماء كثيراً طاهراً وصب فيه شيء نجس فقد يبقى على طهوريته لكثرته وعدم التغير، لكن يتعذر استعماله لأنه لا ينزح دلو إلا وفيه شيء من النجاسة، فينبغي أن يستقى الماء كله، فإن كانت العين فوارة نزح بقدر ما يغلب على الظن خروج النجاسة به فما يبقى بعد وما يحدث منه فهو طهور لأنه غير مستيقن النجاسة ولا مظنونها، ولا أثر للشك والتردد فيما حدث لحصول الظن بالإخراج نعم إن تحقق بعد ذلك شيئاً على خلاف الغالب اتبعه والله أعلم.

ثم قال المصنف (**هذا**) أي الذي ذكر من مسائل المياه وتحديدها والإختلاف فيها (**هو مذهب**) الإمام (**الشافعي رضي الله عنه**) وقد أورده بما اقتضته قواعده، (**وكنت أود أن يكون مذهبه كمذهب**) شيخه الإمام (**مالك**) بن أنس (**رضي الله عنه في أن الماء وإن قل فلا ينجس إلا بالتغير**) في أحد أوصافه الثلاثة (**إذ الحاجة ماسة إليه**) يقال: مست الحاجة إلى كذا إذا ألجأته إليه، (**ومثار الوسواس**) وفي نسخة الوساوس (**اشتراط القلتين**) بالتفسير

ذلك، وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله. ومما لا أشك فيه أن ذلك لو كان مشروطاً لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة: مكة والمدينة، إذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة. ومن أول عصر رسول الله ﷺ إلى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات. وكانت أواني مياههم يتعاطاها الصبيان والإماء الذين لا يحترزون عن النجاسات. وقد توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية، وهذا كالصريح في أنه لم يعول إلاَّ على عدم تغير الماء وإلاَّ فنجاسة النصرانية وإنائها غالبة تعلم بظن قريب، فإذا عسر القيام

السابق (**ولأجله شق على الناس ذلك وهو لعمري**) هو قسم بالبقاء (**سبب المشقة**) والحرج العظيم (**ويعرفه من يجربه**) ويختبره (**ويتأمله**)، ولا ينبئك مثل خبير والمجرب إذا أخبر بشيء شاهده بصدق تجربته فلا محالة في تلقيه بالقبول لما يقول: (**ومما لا شك فيه**) وفي نسخة: ومما لا يشك فيه، وفي أخرى: ومما لا أشك فيه (**ان ذلك لو كان مشروطاً**) أي التحديد بالقلتين (**لكان أولى المواضع بتعذر**) وفي نسخة: بتعسر (**الطهارة**) الحرمان الشريفان (**مكة والمدينة**) شرفهما الله تعالى وما جاورهما من البلاد الحجازيه والنجدية، (**إذ لا تكثر فيهما المياه الجارية**) كالأنهار الصغيرة والعظيمة وأما العيون التي وجدت بها الآن فمن المستجلبات في القرن الثاني وهلم جرا. نعم كانت عيون قليلة في بعض مواضع من الحجاز لكنها مخفية في الأرض (**ولا الراكدة الكثيرة**) إلا ما كان من قلات تجمع ماء الأمطار في مواضع قليلة بعيدة عن العمران وما يشاهد فيها من البرك العظيمة المعدة للمياه فمستحدثات (**ومن أول عصر رسول الله ﷺ**) من هجرته إلى المدينة (**إلى آخر عصر الصحابة**) إلى مائة وعشرة من الهجرة (**لم تنقل واقعة**) أو نازلة (**في**) باب (**الطهارة ولا**) نقل (**سؤال عن**). وفي نسخة: في (**كيفية حفظ الماء عن النجاسات**)، ولو وقع ذلك لذكرها أئمة الحديث في كتبهم مع شدة تحريهم لضبط الأقوال والأحوال والنوادر، (**و**) مع ذلك (**كانت أواني**) جمع آنية (**مياههم**) كالجرار والأقداح والخوابي الصغار والكيزان (**يتعاطاها**) بالغرف والملء (**الصبيان**) الصغار (**والإماء**) أي البنات أعم من المملوكة وغيرها (**الذين**) من صفتهم وشأنهم أنهم (**لا يحترزون عن النجاسات**) لجهلهم وصغر سنهم، (**وقد توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة**) العجوز (**النصرانية**) على ما تقدم بيانه، (**وهذا كالصريح**) وفي نسخة: وتوضؤ عمر رضي الله عنه بماء في جرة النصرانية كالصريح (**في أنه لم يعول**) أي لم يعتمد (**إلا على عدم تغير الماء**) في أوصافه، (**وإلا فنجاسة النصرانية**) ونجاسة (**إنائها غالبة تعلم بظن قريب**) وفي نسخة غالباً تعلم بظن قريب. وقال النووي في شرح المهذب: تكره أواني الكفار وثيابهم سواء فيه أهل الكتاب وغيرهم والمتدين باستعمال النجاسة وغيره. قال: وإذا تطهر من إناء كافر ولم يتيقن طهارته ولا نجاسته، فإن كان من قوم لا يتدينون باستعمال النجاسة

بهذا المذهب. وعدم وقوع السؤال في تلك الاعصار، دليل أول وفعل عمر رضي الله عنه: دليل ثان، والدليل الثالث: اصغاء رسول الله ﷺ الإناء للهرة، وعدم تغطية الأواني منها)بعد أن يرى أنها تأكل الفارة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل الآبار. والرابع: أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن غسالة

صحت طهارته بلا خلاف، وإن كان من قوم يتدينون بها فوجهان الصحيح منها أنه تصح طهارته اهـ.

فإن قيل: إن عمر رضي الله عنه لما توضأ لم يكن معه علم بأن تلك الجرة من بيت نصرانية كما يعلم ذلك من سوق الحديث الذي ذكرناه آنفاً، فالجواب: أليس أنه لما فرغ من وضوئه وسأل عن الماء فقيل له: إنه من جرة العجوز النصرانية فأتى إليها ودعاها إلى الإسلام إعجاباً بمائها وقد بقي على طهارته، ولم ينقل أنه نقض ذلك الطهور بماء آخر فهو حجة في بيان الإستعمال، **(فإذاً)** أي حينئذ **(عسر القيام بهذا المذهب الذي هو اشتراط القلتين)** ثم أيد ذلك بسبعة أدلة:

فقال: **(وعدم وقوع السؤال في تلك الأعصار دليل أول)** لما ذهب إليه مالك.

(وفعل عمر) رضي الله عنه **(دليل ثان)** عند من يقول: إن أفعال الصحابة حجة كأقوالهم، وإذا تعارض القول مع الفعل فأيهما يقوم فيه خلاف مذكور في كتب الأصول.

(والدليل الثالث: إصغاء رسول الله ﷺ الإناء للهرة) أخرجه الدارقطني والطبراني في الأوسط من حديث عائشة بإسنادين ضعيفين بلفظ: كان يصغي الإناء للهرة فتشرب منه ثم يتوضأ، وأخرجه الطحاوي من وجه آخر وهو ضعيف أيضاً، وأخرج الأربعة في حديث مالك من فعل أبي قتادة وهو في الموطأ، عن إسحاق بن أبي طلحة، عن حميدة بنت عبيد بن رفاعة، عن خالتها كبشة بنت كعب، وكانت تحت ابن قتادة أن أبا قتادة دخل عليها فسكبت له وضوءاً، فجاءت هرة تشرب فأصغى لها الإناء حتى شربت. الحديث **(وعدم تغطيتهم الأواني منها)** أي من الهرة **(بعد أن ترى أنها تأكل الفأرة)** وغيرها من حشرات الأرض المستقذرة، **(ولم تكن في بلادهم)** أي في المسكونة منها **(حياض)** جمع حوض وهو مجتمع الماء **(تلغ السنانير)** جمع سنور وهو الهر. وقيل: هو الوحشي منها **(فيها)** أي في تلك الحياض، **(وكانت لا تنزل في الآبار)** لكونها عميقة ولا ماء عندهم إلا ما في أوانيهم، فإذا لا محالة تشرب من تلك الأواني، وقد قيل ما قيل في حكم سؤرها فقيل بعد اتفاق أصحابنا على كراهية سؤرها هل هي على التحريم؟ وإليه مال الطحاوي، أو لأنها لا تتحامى النجاسة، وهذا يدل على التنزه وإليه مال الكرخي وهو الأصح والأقرب إلى موافقة الحديث، ولو أكلت فأرة ثم شربت الماء تنجس، ولو مكثت ساعة ثم شربت لا تنجس عند أبي حنيفة لغسلها فاها بلعابها، وعند محمد هو نجس لأن عنده لا تزول النجاسة إلا بالماء المطلق.

النجاسة طاهرة إذا لم تتغير ونجسة إذا تغيرت وأي فرق بين أن يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه، وأي معنى لقول القائل أن قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة؟ وإن أحيل ذلك على الحاجة فالحاجة أيضاً ماسة إلى هذا فلا فرق بين طرح الماء في أجانة فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس في الإجانة وفيها ماء؟ وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والأواني. والخامس: أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي رضي الله عنه

(و) الدليل (**الرابع: أن الشافعي رضي الله عنه نص**) في القديم (**على أن غسالة النجاسة طاهرة إذا لم تتغير ونجسة إذا تغيرت**)، وقيل: إن لم تتغير حكمها حكم المحل بعد الغسل إن طهر فطاهرة، وقيل: حكمها حكم المحل قبل الغسل كما في الوجيز للمصنف، والغسالة بالضم ما غسلت به الشيء، والمراد هنا الماء المستعمل في إزالة النجاسة، وفرعوا على هذه المسألة مسألة العصر وأن الطهارة حاصلة قبله فلا حاجة إليه وهو الأصح، ومسألة الماء الجاري إذا ورد على النجاسة فإنه لا ينجس إلا بالتغير، وقد اختاره طائفة من الأصحاب. (**وأي فرق بين أن يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها**) أي النجاسة (**عليه**) وكذا شرطهم في مسألة القلتين النجستين إن يورد الطاهر على النجس، فيقال: أي فرق بينه وبين أن يورد النجس على الطاهر، ولكن قد يقال: إن الورود عليها له قوة فأشار إلى رفعه بقوله: (**وأي معنى لقول القائل أن قوة الورود رفع النجاسة**) أي بقوته عند الورود يمر عليها ويدفعها (**مع أن الورود**) من حيث هو (**لم يمنع مخالطة النجاسة وإن أحيل ذلك إلى الحاجة**) والضرورة (**فالحاجة أيضاً ماسة إلى هذا**) فهي إحالة على غير ملي، (**فلا فرق بين طرح الماء في إجانة**) بالكسر والتشديد تغسل فيه الثياب والجمع اجاجين (**فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس في الإجانة وفيها ماء**) طاهر؟ (**كل ذلك معتاد في غسل الثياب والأواني**) أشار بذلك إلى قولهم ورود الثوب النجس على ماء قليل ينجس الماء ولم يطهر الثوب على الأظهر، وقد أجاب الرافعي فقال: الوارد عامل والقوة للعامل، ويدل على الفرق حديث منع المستيقظ من النوم، ولولا الفارق بين الوارد والمورود لما انتظم المنع من الغمس والأمر بالغسل.

الدليل (**الخامس: إنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة**) وهي التي يعدها الناس جارية كما سبق. قال الرافعي: إذا وقعت النجاسة في ماء الأنهار المعتدلة مائعة أو جامدة، فالمائعة إن غيرته فالقدر المتغير نجس وحكم غيره معه كحكمه مع النجاسة الجامدة، فإن لم يتغير فإن كان للموافقة في الأوصاف فالحكم على ما ذكر في الراكد، وإن كان لقلة النجاسة وانمحاقها فيه لم ينجس الماء وإن كان قليلاً لأن الأولين كانوا يستنجون على شطوط الأنهار الصغيرة ولا يرونه تنجيساً لمائعها اهـ. (**ولا خلاف في مذهب الشافعي رحمه الله تعالى أنه**

أنه إذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به، وإن كان قليلاً. وأي فرق بين الجاري والراكد؟ وليت شعري هل الحوالة على عدم التغير أولى أو على قوّة الماء بسبب الجريان؟ ثم ما حدَّ تلك القوّة أتجري في المياه الجارية في أنابيب الحمامات أم لا؟ فإن لم تجرِ فما الفرق، وإن جرت فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الأواني على الأبدان وهي أيضاً جارية؟ ثم البول أشد اختلاطاً بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة إذا قضى بأن ما يجري عليها وإن لم يتغير نجس إلى أن يجتمع في مستنقع قلتان، فأي فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة؟ والسادس: أنه إذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقتا فكل كوز يغترف منه طاهر

إذا وقع بول في ماء جارٍ ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وإن كان قليلاً)، وعزاه شارح الكنز إلى أبي حنيفة أيضاً، (**وأي فرق بين الجاري والراكد**)؟ والجواب أن النجاسة لا تستقر مع جريان الماء بخلاف الراكد، فهذا فرق صحيح. (**وليت شعري الحوالة على عدم التغير أولى أو على قوّة الماء في الجريان**)؟ فالشافعي أحاله على عدم التغير وهو صحيح، وأبو حنيفة أحاله على القوّة وهو صحيح أيضاً ولكل وجهة، فمن قال بعدم التغير فسببه قوّة الماء في الجريان، ومن قال بقوّة الماء يلزم منه عدم التغير، فلا يكون أحد القولين أولى من الآخر عند التأمل، (**ثم ما حد تلك القوّة**) في الماء عند جريانه (**أيجري**) حدها (**في المياه الجارية في أنابيب الحمامات**) جمع أنبوب وهو ما بين الكعبين من القصب (**أم لا**) يجري؟ (**فإن لم يجر فما الفرق**) ولماذا لم يقس على الماء الجاري، (**وإن جرى فما الفرق بين ما يقع فيها**) أي في تلك الأنابيب أي الأقصاب (**وبين ما يقع في مجرى الماء من الأواني على الأبدان وهي أيضاً جارية، ثم**) أن (**البول أشد اختلاطاً بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة**) لرقة أجزائه (**إذا قضى**) أي حكم (**بأن ما يجري عليها**) أي على النجاسة الجامدة من الماء (**وان لم يتغير**) فهو (**نجس إلا أن**) وفي نسخة: إلى أن (**يجتمع في منقع**) أو حوض أو حفرة (**قلتان**) منه كما سبق تقريره، (**فأي فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط أشد من الجوار**)؟ وفي نسخة: المجاورة، وقد فرق المصنف بنفسه بين الجامد والمائع من النجاسات ورتب على كل منهما أحكاماً خاصة في كتبه الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز، وهنا قد رجع عن ذلك كله بحسب ما ظهر له وأداه اجتهاده، وهذا يدل على أن كتاب الاحياء آخر مؤلفاته ولو نوزع في منهاج العابدين أن يحيل فيه على الإحياء، فالذي اعتمده أرباب الكشف أنه ليس له بل هو لرجل من سبتة المغرب، كما تقدمت الإشارة إليه في خطبة الكتاب. وذكر الاصبهاني في تعليل المحرر أن للشافعي قولاً قديماً أن الماء الجاري قليلاً أو كثيراً سريعاً أو بطيئاً لا ينجس بملاقاة النجاسة إلا بتغير أحد أوصافه.

الدليل (**السادس: أنه إذا وقع رطل من البول في قلتين**) ماء محض، (**ثم فرقتا**) في

ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل، وليت شعري هل تعليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوّة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها؟ والسابع: أن الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضأ فيها المنقشفون ويغمسون الأيدي والأواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بأن الأيدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها. فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوّي في النفس أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير معوّلين على قوله ﷺ: خلق الماء طهوراً لا ينجسه شيء إلا ما غير طعمه أو لونه أو ريحه». وهذا فيه تحقيق، وهو أن طبع كل مائع أن يقلب إلى

محلين (**فكل كوز يغترف منه طاهر**) بناء على الأصل، (**ومعلوم ان البول منتشر فيه**) أي الماء (**وهو**) أي البول (**قليل**) بالنسبة إلى الماء المغترف، (**فليت شعري هل تعليل طهارته بعدم التغير**) في أحد أوصافه (**أولى أو بقوّة كثرة الماء بعد لإنقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها**). وفي بعض النسخ بعد انقباع الكثرة وزوالها.

الدليل (**السابع: أن الحمامات**) والمغاسل (**لم يزل في الأعصار الخالية**) أي الماضية (**يتوضأ فيها المتقشفون**) أي خشنوا العيش من أرباب الصلاح، (**ويغمسون الأيدي والاواني في تلك الحياض**) التي بالحمامات (**مع قلة الماء**) فيها، (**ومع العلم بأن الايدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها**) إرسالاً إرسالاً (**فهذه الأمور**) التي ذكرت (**مع الحاجة الشديدة**) التي يضطر الإنسان إليها (**تقوي في النفس**) وتؤيد (**أنهم كانوا ينظرون إلى عدم التغير**) فقط (**معوّلين**) أي معتمدين (**على قوله ﷺ: «خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه أو ريحه»**) كذا في النسخ. وفي بعضها «خلق الله الماء طهوراً لا ينجسه شيء إلا ما غيّر لونه أو طعمه أو ريحه». قال العراقي: أخرجه ابن ماجه من حديث أبي أمامة باسناد ضعيف، وقد رواه بدون الاستثناء أبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي سعيد وصححه أحمد وغيره اهـ.

قلت: قال الحافظ: وفي إسناد ابن ماجه أبو سفيان طريف بن شهاب وهو ضعيف متروك، وقد اختلف على شريك الراوي عنه، وقد روي هذا الحديث من رواية ابن عباس بلفظ «الماء لا ينجسه شيء» رواه أحمد، وابن خزيمة، وابن حبان. ورواه أصحاب السنن بلفظ «الماء لا يجنب» وفيه قصة. وقال الحازمي: لا نعرفه مجوّداً إلا من حديث سماك بن حرب، عن عكرمة، وسماك مختلف فيه، وقد احتج به مسلم. ومن رواية سهل بن سعد رواه الدارقطني. وعن عائشة بلفظ «ان الماء لا ينجسه شيء» رواه الطبراني في الأوسط، وأبو يعلى، والبزار، وأبو علي بن السكن في صحاحه من طريق شريك. ورواه أحمد من طرق أخرى صحيحة لكنه موقوف، ورواه الدارقطني من طريق داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب قال «أنزل الله الماء طهوراً لا ينجسه شيء». وأما الاستثناء فرواه الدارقطني من حديث ثوبان بلفظ «الماء طهور لا ينجسه شيء إلا ما

صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوباً من جهته، فكما ترى الكلب يقع في المملحة

غلب على ريحه أو طعمه» فيه رشدين بن سعد وهو متروك. وعن أبي أمامة مثله رواه ابن ماجه والطبراني، وفيه رشدين أيضاً، وتقدم شيء من ذلك عند ذكر اللون راداً على من قال: إن الشافعي قاس اللون على الطعم والريح ولم يجد فيه نصاً من الشارع.

تنبيه:

هذا الحديث هو الذي تمسك به مالك في أن الماء القليل والكثير إذا وقعت فيه نجاسة فغيرت له طعماً أو ريحاً أو لوناً فهو نجس ولم يحد في الماء. وحمل الشافعي وكذا أصحابنا هذا الخبر على الكثير، لأنه ورد في بئر بضاعة وكان ماؤها كثيراً. قال الحافظ: وهذا مصير منه إلى أن هذا الحديث ورد في بئر بضاعة وليس كذلك. نعم صدر الحديث دون قوله: «خلق الله» هو في حديث بئر بضاعة. وأما الاستثناء الذي هو موضع الحجة منه فلا، والرافعي كأنه تبع الغزالي في هذه المقالة، فإنه قال في المستصفى: لأنه ﷺ لما سئل عن بئر بضاعة فقال: «خلق الله الماء طهوراً لا ينجسه شيء إلا ما يغير لونه أو طعمه أو ريحه» وكلامه متعقب لما ذكرناه. وقد تبعه ابن الحاجب في المختصر في الكلام على العام وهو خطأ، والله الموفق اهـ.

وقال صاحب الهداية من أصحابنا: وما رواه مالك ورد في بئر بضاعة وماؤها كان جارياً بين البساتين. قال الحافظ في تخريجه على الهداية: كأنه يشير الى حديث: «الماء لا ينجسه شيء» وأما وروده في بئر بضاعة فأخرجه أصحاب السنن الثلاثة عن أبي سعيد قال: قيل يا رسول الله أنتوضأ من بئر بضاعة وهي يلقى فيها الحيض ولحوم الكلاب والنتن؟ فقال: «إن الماء طهور لا ينجسه شيء». وأخرجه قاسم بن أصبغ من حديث سهل بن سعد نحوه، وأما قوله: كان جاريا في البساتين فهو كلام مردود على من قاله. وقد سبق إلى دعوى ذلك والجزم به الطحاوي، فأخرج عن جعفر بن ابي عمران، عن محمد بن شجاع الثلجي، عن الواقدي قال: كانت بئر بضاعة طريقا للماء إلى البساتين، وهذا اسناد واه جداً. ولو صح لم يثبت به المراد لاحتمال أن يكون المراد أن الماء كان ينقل منها بالسانية إلى البساتين، ولو كانت سيحاً جارياً لم تسم بئراً. وقد قال أبو داود: سمعت قتيبة بن سعيد قال: سألت قيم بئر بضاعة عن عمقها. قال: أكثر ما يكون الماء فيها إلى العانة. قلت: فإذا نقص؟ قال: دون العورة. قال أبو داود: وقدرت أنا بئر بضاعة بردائي مددته عليها ثم ذرعته، فإذا عرضها ستة أذرع، وسألت الذي فتح لي باب البستان فأدخلني إليه هل غير بناؤها عما كانت عليه؟ قال: لا. ورأيت فيها ماء متغير اللون. وقال الحافظ أيضاً في تخريج الرافعي: قد وقع لابن الرفعة أشدمن هذا الوهم، فإنه عزا هذا الاستثناء إلى رواية أبي داود، ووهم في ذلك. فليس هذا في سنن أبي داود أصلاً والله أعلم.

ثم قال المصنف: **(وهذا فيه تحقيق، وهو أن طبع كل مائع)** الماء وغيره **(أن يقلب)** أي يصرف **(إلى صفة نفسه كل ما يقع فيه)** هو مفعول يقلب أي كل مائع، فمقتضى طبعه أن يقلب كل ما وقع فيه إلى نتن نفسه، **(وكان)** ما يقع فيه **(مغلوباً من جهته)** والمائع غالباً،

فيستحيل ملحاً ويحكم بطهارته بصيرورته ملحاً وزوال صفة الكلبية عنه، فكذلك الخل يقع في الماء، وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فتبطل صفته ويتصوّر بصفة الماء وينطبع بطبعه إلا إذا كثر وغلب وتعرف غلبته بغلبة طعمه أو لونه أو ريحه، فهذا المعيار. وقد أشار الشرع إليه في الماء القوي على إزالة النجاسة وهو جدير بأن يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهوراً إذ يغلب عليه فيطهره، كما صار كذلك فيما بعد القلتين، وفي الغسالة، وفي الماء الجاري، وفي إصغاء الإناء للهرة ولا تظن ذلك عفواً إذ لو كان كذلك لكان كأثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقي له نجساً ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور في الماء القليل. وأما قوله ﷺ: «لا يحمل خبثاً». فهو في نفسه مبهم فإنه يحمل إذا تغير.

فإن قيل: أراد به إذا لم يتغير فيمكن أن يقال أنه أراد به أنه في الغالب لا يتغير

(**فكما ترى الكلب**) المقول فيه بالنجاسة في مذهب المصنف (**يقع في المملحة**) أي معدن الملح (**فيستحيل**) بجميع اجزائه (**ملحاً ويحكم بطهارته**) على الاتفاق (**لصيرورته**) أي انقلابه (**ملحاً وزوال صفة الكلبية عنه، فكذلك الخل يقع في الماء و**) كذلك (**اللبن يقع فيه**) أي في الماء (**فيبطل**) الماء (**صفته ويتصوّر بصفة الماء وينطبع بطبعه**). هذا إذا كان الواقع قليلاً (**إلا إذا كثر**) ذلك الواقع (**وغلب**) على الماء، (**وتعرف غلبته**) على الماء (**بغلبة طعمه أو لونه أو ريحه**) بحيث من ذاقه أو رآه أو شمه حكم بأنه هو، (**فهذا المعيار**) والميزان. (**وقد أشار الشرع إليه في الماء القوي**) الشديد الجري (**على إزالة النجاسة**) به، ولم ينظر إلى ملاقاته النجاسة لقوّة دفعه لها، (**وهو جدير**) أي حقيق (**بأن يعوّل**) أي يعتمد (**عليه فيندفع به الحرج**) والمشقة عن الأمة، (**فيظهر**) وفي نسخة: ويظهر (**معنى كونه طهوراً**) في الحديث المذكور (**أن يغلب غيره**) بقوّته فيقلبه إلى صفته (**فيطهره**) أي يجعله طهوراً كنفسه، (**كما صار كذلك فيما بعد القلتين**) في حملها الخبث، (**و**) كما صار (**في الغسالة**) المحكوم بطهارتها، (**وفي الماء الجاري وفي إصغاء الإناء للهرة**) كما تقدم، (**ولا تظنن أن ذلك عفو**). وفي نسخة: ولا تظن ذلك عفواً (**إذ لو كان كذلك**) أي لو كان من قبيل المعفوّات الشرعية (**لكان**) نجساً، لكن يعفي عنه (**كأثر الاستنجاء ودم البراغيث**)، ولو كثر (**حتى يصير الماء الملاقي له نجساً**) إن كان قليلاً (**ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور في الماء القليل، وأما قوله عليه الصلاة والسلام**) في حديث القلتين (**«لا يحمل خبثاً»**) هو (**في نفسه مبهم**) يصعب على الفهم إدراكه، (**فإنه يحمل**) الخبث (**إذا تغير**) فالإبهام حاصل.

(**فإن قيل: أراد به**) في الحديث لا يحمل الخبث (**إذا لم يتغير فيمكن أن يقال أراد**

بالنجاسات المعتادة، ثم هو تمسك بالمفهوم فيما إذا لم يبلغ قلتين، وترك المفهوم بأقل من الأدلة التي ذكرناها ممكن. وقوله: «لا يحمل خبثاً» ظاهره نفي الحمل أي يقلبه إلى صفة نفسه. كما يقال للمملحة لا تحمل كلباً ولا غيره أي: ينقلب، وذلك لأن الناس قد يستنجون في المياه القليلة وفي الغدران ويغمسون الأواني النجسة فيها، ثم يترددون في أنها تغيرت تغيراً مؤثراً أم لا؟ فتبين أنه إذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات المعتاد.

فإن قلت: فقد قال النبي ﷺ: «لا يحمل خبثاً» ومهما كثرت حملها، فهذا ينقلب عليك، فإنها مهما كثرت حملها حكماً كما حملها حساً. فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعاً. وعلى الجملة فميلي في أمور النجاسات المعتادة إلى التساهل

به) على هذا التقدير **(أنه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة بوقوعها وذلك لأن الناس قد يستنجون في المياة القليلة)** الكائنة **(وفي الغدران)** جمع غدير وهو مستنقع الماء الذي غادره السيل **(ويغمسون الأواني النجسة فيها)** من أباريق وغيرها، **(ثم يترددون في أنها)** أي تلك المياه القليلة **(تغيرت)** عن أوصافها **(تغيراً مؤثراً أم لا فبين)** في الحديث **(أنه)** أي الماء **(إذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات المعتادة)** فهذا معنى قولهم في تفسير نفي الحمل إذا لم يتغير، وقد قيل في معنى الحديث غير ما ذكره المصنف. قالوا: أي لم ينجس، وقيل: لا يقبل النجاسة، بل يدفعها عن بعضه. وقيل: لا يقبل حكم النجاسة كما تقدمت الإشارة إليه، **(ثم هو)** أي العمل بهذا الحديث **(تمسك بالمفهوم)** هو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق **(فيما إذا لم يبلغ قلتين)** فإنه يحمل خبثاً دل الحديث بمفهومه على ذلك **(وترك المفهوم)** أي ترك العمل به **(بأقل من الأدلة)** السبعة **(التي ذكرنا هنا ممكن)** لا مانع منه، **(وقوله)** في الحديث: **(«لا يحمل خبثاً» فظاهره)** أي منطوقه **(نفي الحمل أي يقلبه إلى صفة نفسه، كما يقال: المملحة لا تحمل كلباً ولا غيره)** من النجاسات **(أي ينقلب)** ملحاً. وهنا في النسخ تقديم وتأخير فليتنبه لذلك.

(فإن قلت: فقد قال) في الحديث **(«لم يحمل خبثاً» ومهما كثرت)** النجاسات **(حملها، فهذا ينقلب عليك، فإنها مهما كثرت حملها أيضاً حكماً كما حملها أيضاً حساً فلا بد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعاً)** مالك والشافعي، ولـذا قال الأصفهاني في كشف تعليل المحرر: إن ما رواه مالك مخصوص بمفهوم حديث القلتين، لأن هذا الحديث بمفهومه دل على أن ما دون القلتين يحمل خبثاً. **(وعلى الجملة فميلي في أمور النجاسات إلى المساهلة)** فيها وعدم التعمق **(فهما من سيرة الأوّلين)** وطريقة السلف الصالحين، **(وحسماً)** أي قطعاً **(لمادة الوسواس)** فإن عامة الوسواس فيها، **(ولذلك أفتيت**

فهماً من سيرة الأوّلين وحسماً لمادة الوسواس، وبذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه في مثل هذه المسائل.

الطرف الثالث في كيفية الازالة:

والنجاسة إن كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي اجراء الماء على جميع مواردها، وإن كانت عينية فلا بد من إزالة العين، وبقاء الطعم يدل على بقاء

بالطهارة فيما وقع فيه الخلاف) بين الائمة **(من هذه المسائل)**، وكأن السائل كان يستفتيه في هذه المسائل بحسب ما أدّاه إليه اجتهاده، والاّ فلا يجوز له أن يخالف مذهب إمامه، والمصنف رحمه الله تعالى كان ممن سلم له دعوى الاجتهاد أي في المذهب، كما ينبئه كلام كثير من أئمة مذهبه، ولعل من نظر إلى ظاهر سياقه هذا في هذا الكتاب جزم بأنه رجع في آخر عمره مالكياً وليس كذلك. وذكر الشيخ أحمد زروق في شرحه على قواعد العقائد للمصنف ما نصه: سمعت أبا عبد الله القوري يقول: قال ابن العربي في كتاب الاقتراب في شرح الجلاب، لما تغلغل شيخنا أبو حامد في العلوم ترك العناد ورجع إلى المقصود من مذهب مالك وقال به. قال سيدي أحمد زروق: ولا يخفى ما في هذا الكلام من الحروشة والضعف والله أعلم اهـ.

قلت: ابن العربي كان ممن شاهد المصنف وأخذ عنه، وكأنه أشار بكلامه المذكور إلى هذا الذي أورده المصنف هنا، ولا يلزم من مخالفته لإمامه في مسألة من المسائل أن يكون خرج عن مذهبه بالكلية هذا لا يقول به أحد. ألا ترى إلى الامام أبي جعفر الطحاوي قد يختار قولاً يخالف فيه الإمام وأصحابه ويؤيده بالآثار ويذهب إليه أحياناً، ولا يلزم منه أنه خرج من المذهب ولا يقول به أحد كما هو شأن مجتهدي المذاهب. فتأمل ذلك، ثم لما فرغ المصنف من ذكر المزال به والمزال شرع يذكر في الازالة فقال:

(الطرف الثالث في كيفية الازالة):

اعلم أوّلاً أن الشيء النجس ينقسم إلى نجس العين وغيره، أما نجس العين فلا يطهر بحال إلا الخمر تطهر بالتخلل، وجلد الميتة يطهر بالدباغ والعلقة المضغة والدم الذي هو حشو الفيض إذا حشيناها فاستحالت حيوانا، وأما غيره فأشار المصنف إليه بقوله: **(والنجاسة إن كانت حكمية)** فقد قسمها إلى اثنين حكمية وعينية، فإن كانت حكمية **(وهي التي ليس لها جرم محسوس)** كالبول إذا جف على المحل ولم توجد له رائحة ولا أثر، **(فيكفي اجراء الماء على جميع مواردها)**. ونص الوجيز على موردها إذ ليس ثم ما يزال ولا يجب في الاجراء عدد خلافاً لأبي حنيفة حيث شرط في ازالة النجاسة الحكمية الغسل ثلاثاً في رواية. وفي رواية الشرط أن يغلب على ظن الغاسل طهارته، ولأحمد حيث قال في إحدى الروايتين: يشترط الغسل سبعاً في جميع النجاسات كما في نجاسة الكلب نقله الرافعي.

العين وكذا بقاء اللون إلا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرص. وأما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها إلا إذا كان الشيء له رائحة فائحة

قلت: وهذا هو المشهور عن أحمد سواء كانت النجاسة في السبيلين أو في غيرهما، وعنه رواية ثانية أنه يجب غسل سائر النجاسات ثلاثاً سواء كانت في السبيلين أو غيرهما، وعنه رواية ثالثة إن كانت في السبيلين فثلاث، وإن كانت في غير السبيلين فسبعاً، وعنه رواية رابعة إن كانت في السبيلين أو في غير البدن وجب العدد وكان الواجب سبعاً، وإن كانت في البدن فقد روي عنه أنه قال: وإذا أصاب جسده فهو أسهل والخلال يخطىء راويها وعنه رواية خامسة وهو إسقاط العدد فيما عدا الكلب والخنزير. كذا في اختلاف الفقهاء لابن هبيرة الوزير وللشافعي قوله ﷺ: «حتيه ثم اقرصيه ثم اغسليه بالماء» أمر بالغسل من غير اعتبار عدد، **(وإن كانت عينية فلا)** يكفي فيها إجراء الماء، بل **(لا بد من)** محاولة **(إزالة العين)** أي أوصافها الثلاثة: اللون والطعم والرائحة أو ما وجد منها. **(وبقاء الطعم يدل على بقاء العين)**، وفي الوجيز فإن بقي طعم لم تطهر لأن إزالته سهلة، قال الرافعي: إن بقي طعم لم يطهر سواء هي مع غيره من الصفات أو وحده لأن الطعم سهل الإزالة، **(وكذا بقاء اللون)** أي إن لم يبق الطعم نظر إن بقي اللون وحده وكان سهل الإزالة فلا يطهر **(إلا فيما يلتصق به)** كدم الحيض يصيب الثوب، وربما لا يزول **(فهو معفوّ عنه بعد)** المبالغة والاستعانة **(بالحت والقرص)** بالصاد المهملة وروي بالمعجمة أيضاً، وهكذا هو بالوجهين في الحديث. وفي المصباح قال قال الأزهري: الحت أن يحك بطرف عود أو حجر، والقرص أن يدلك بأطراف الأصابع والاظفار دلكاً شديداً ويصب عليه الماء حتى تزول عينه وأثره. وأخرج أحمد، وأبو داود في رواية ابن الاعرابي من حديث خولة بنت يسار قالت: سألت رسول الله ﷺ عن دم الحيض فقال: «اغسليه» فقلت غسلته فبقي أثره، فقال: يكفيك ولا يضرك أثره. **(وأما الرائحة فبقاؤها)** أي إن بقيت الرائحة وهي عسرة الإزالة كرائحة الخمر، فهل يطهر المحل؟ فيه قولان. وقيل: وجهان أحدهما لا لأن بقاء الرائحة **(يدل على بقاء العين)** فصار كالطعم، وهذا هو القياس في اللون لكن منعتنا عنه الأخبار، **(ولا يعفى عنها)**. والثاني: وهو الأصح أنه يطهر لأنا إنما احتملنا بقاء اللون لمكان المشقة في إزالته. وهذا المعنى موجود في الرائحة. وروي في اللون أيضاً وجه أنه لا يطهر المحل ما دام باقياً ذكره في التتمة. ونسبه إمام الحرمين إلى صاحب التلخيص، وإن بقي اللون والرائحة معاً فلا يطهر المحل لقوّة دلالتهما على بقاء العين، ثم ان قوله: فهو معفوّ عنه بعد الحت والقرص فيه بحثان.

الأول: الاستعانة بالحت والقرص هل هو شرط أم لا؟ ظاهر كلامه يقتضي الاشتراط، وبه يشعر نقل بعضهم لكن الذي نص عليه المعظم خلافه، واحتجوا عليه بحديث خولة واقتصروا على الاستحباب.

الثاني: لم قال معفوّ عنه ولم يقل فهو طاهر أهو نجس، لكن يعفى عنه أم كيف الحال؟ أطلق

يعسر إزالتها، فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص في اللون،

الأكثرون القول بالطهارة، ويجوز أن يقال أنه نجس لكن يعفى عنه كما في أثر محل الاستنجاء ودم البراغيث، وليس في الاخبار تصريح بالطهارة، وإنما يقتضي العفو المسامحة، وقد تعرض في التتمة لمثل هذا في الرائحة فقال: إن قلنا لا يطهر فهو معفوٌ عنه كدم البراغيث، وقد أشار المصنف إلى هذا فقال: **(إلا إذا كان لشيء له رائحة فائحة تعسر إزالتها)** أي: فيعفى عنه **(فالدلك والعصر)** مع إجراء الماء على الثوب **(مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرص في)** إزالة **(اللون)** وهذا الذي أشار إليه المصنف في الوجيز بقوله: ثم يستحب الاستظهار بغسله ثانية وثالثة وفي وجوب العصر وجهان: وإن وجب العصر ففي الاكتفاء بالجفاف وجهان. قال الرافعي في شرحه: الاستطهار بالطاء طلب الطهارة، ويجوز بالطاء المشالة بمعنى الاحتياط وقد رويا جميعا، ولغرض أن التثليث مستحب في إزالة النجاسة كما في رفع الحديث، وإنما يتأدى الاستحباب إذا وقعت المرة الثانية أو الثالثة بعد زوال النجاسات. أما الغسلات المحتاج إليها لإزالة العين فلا بدّ منها، واستحباب الاستطهار يشمل النجاسة الحكمية والعينية. وأما مسألة العصر، فقد اختلفوا في حصول الطهارة قبله على وجهين وبنوهما على أن الغسالة طاهرة أو نجسه، فعلى الأوّل فلا حاجة إلى العصر وهو الأصح، وعلى الثاني فلا بدّ منه، وعلى هذا فهل يكتفي بالجفاف فيه وجهان. أصحهما نعم، ثم ذكر المصنف في الوجيز فروعاً سبعة.

الأوّل: إذا ورد الثوب النجس على ماء قليل ينجس الماء ولم يطهر الثوب على الأظهر.

والثاني: إذا أصاب الأرض بول فأفيض عليه الماء حتى صار مغلوباً ونضب الماء طهر، وكذا إذا لم ينضب إذا حكمنا بطهارة الغسالة، فإن العصر لا يجب. قال الرافعي: وفيه خلاف لأبي حنيفة قال: لا تطهر الأرض حتى يحفر إلى الموضع الذي وصلت النداوة إليه وينقل التراب.

والثالث: اللبن المعجون بالماء النجس يطهر إذا نضب فيه الماء الطهور، فإن طبخ طهر ظاهره بافاضة الماء عليه دون باطنه.

والرابع: بول الصبي قبل أن يطعم يكفي فيه رش الماء فلا يجب الغسل بخلاف الصبية وفيه خلاف لمالك وأبي حنيفة. وقد تقدمت الإشارة إليه.

والخامس: ولوغ الكلب يغسل سبعاً احداهن: بالتراب خلافاً لأبي حنيفة حيث قال حكمه حكم سائر النجاسات، ولأحمد حيث قال في رواية ثمان مرات.

قلت: وقال مالك يغسل من ولوغه تعبداً لا لنجاسته ويراق الماء استحباباً ولا يراق ما ولغ فيه من سائر المائعات، ثم قال المصنف: وعرقه وسائر أجزائه كاللعاب، وفي الحاق الخنزير به قولان. والأظهر أنه لا يقوم الصابون والأشنان مقام التراب ولا الغسلة الثانية، ولو كان التراب نجساً أو مزج بالخل ففيه وجهان.

قلت: وقد سبق التفصيل في لعاب الكلب عند أصحابنا فراجعه.

والمزيل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقيناً يصلي معه، ولا ينبغي أن يتوصل بالاستنباط إلى تقدير النجاسات.

والسادس: سؤر الهر طاهر، فإن أكلت فأرة ثم ولغت في ماء قليل ففيه ثلاثة أوجه. والأحسن تعميم العفو للحاجة. قال الرافعي: وهو خلاف ما صححه معظم الأصحاب. وقال النووي: غير الماء من المائعات كالماء.

والسابع: غسالة النجاسة إن تغير فهو نجس، وإن لم يتغير حكمه حكم المحل بعد الغسل ان طهر فطاهر، وفي القديم هو طاهر على كل حال ما لم يتغير. وقيل: حكمه حكم المحل قبل الغسل وتظهر فائدته في رشاش الغسلة الثانية من ولوغ الكلب انتهت الفروع السبعة، والكلام على كل فرع منها طويل فراجع الشرح.

ثم قال المصنف: **(والمزيل للوسواس)** العارض في إزالة النجاسات **(أن يعلم أن الأشياء)** من أصلها **(خلقت طاهرة بيقين)** وإن النجاسات عارضة عليها **(فما لا نشاهد عليه نجاسة)** مرئية **(ولا نعلمها يقيناً)** باخبار صادق ثوباً كان أو غيره **(نصلي معه)** ولا نشك في طهارته إبقاء على الأصل، **(ولا ينبغي أن يتوصل بالاستنباطات)** وفي نسخة: بالاستنباط وهو الاستخراج بالاجتهاد **(إلى تقدير النجاسات)**، بل يقف فيما أخبر به الشارع ولا يتجاوز عن الحد، وبه تم بيان القسم الأوّل في طهارة الاخباث ثم شرع في طهارة الأحداث فقال:

القسم الثاني

طهارة الأحداث، ومنها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء:

فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة إن شاء الله تعالى.

القسم الثاني

في بيان (طهارة الأحداث): هو جمع حدث تقدم بيانه، **(وفيها)** أي يدخل في طهارة الأحداث **(الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها)** أي تلك الثلاثة **(الاستنجاء)** وما يتبعه. **(فنورد)** هنا **(كيفيتها)** أي الأربعة **(على الترتيب)** المناسب مقدماً الأهم فالأهم **(مع آدابها وسننها)** ولواحق كل من ذلك **(مبتدئين بسبب الوضوء وهو قضاء الحاجة إن شاء الله تعالى)**. وأصل الحاجة الفقر إلى الشيء مع محبته والجمع حاج بحذف الفاء وحاجات وحوائج، والمراد بقضائها هنا بلوغها ونيلها، وهو كناية عن إخراج الفضلات الباطنية ومثله البراز والغائط والخلاء وأشباهها. وظاهر كلام المصنف يقتضي أن سبب الوضوء هو الحدث، وذلك لأنه يتكرر بتكرر الحدث وهذا قد ردّه أصحابنا. قال الجلال الخبازي في حواشي الهداية: السبب ما يكون مفضياً إلى المسبب والحدث رافع للوضوء، فكيف يكون سبباً للوضوء؟ وكذا قول أهل الظاهر: إن سبب الوضوء القيام إلى الصلاة لظاهر النص وهو أيضاً فاسد، لأنه ﷺ خمس صلوات بوضوء واحد، والصحيح عندنا سببه الصلاة. وفي قوله تعالى: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة﴾ [المائدة: ٦] الآية تنصيص عليه، لأن المارة تضاف إلى الصلاة، والإضافة دليل السببية، ولأن الطهارة شرط الصلاة فوجب أن يكون سبب وجوبها الصلاة لا غير قياساً على سائر الشروط. وهذا لأن شرط الشيء تبع له، وإنما يصير تبعاً له إن لو وجب بسببه، فلو وجب بسبب آخر يصير تبعاً لسببه لا لمشروطه، ولا نسلم بأن الطهارة تتكرر بتكرر الحدث بل بتكرر الصلاة، إلا أن تجديد الوضوء لم يجب وإن تكرر سببه وهو الصلاة لأن تجديد الوضوء غير مقصود بنفسه، وإنما المقصود حكمه وهو إباحة الصلاة، فمهما كان المقصود حاصلاً كان مستغنياً عن تجديد فعل التوضيء كما في استقبال القبلة وستر العورة وتطهير الثوب إذا وجدت هذه الأحوال عند الشروع في الصلاة لا يشترط تجديد هذه الأفعال عند شروعها فكذا هذا، فثبت بما ذكرنا أن سبب وجوب الوضوء الصلاة والحدث شرطه بدلالة النص وصيغته. أما الصيغة فلأنه ذكر الحدث في التيمم الذي هو بدل (عن الوضوء والبول إنما يجب بما يجب به

باب آداب قضاء الحاجة

ينبغي أن يبعد عن أعين الناظرين في الصحـراء، وأن يستتر بشيء إن وجـده، وإن لا يكشف عورته قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس، وأن لا يستقبل الشمس والقمر،

الأصل، فكان ذكر الحديث في البدل ذكراً في المبدل وأمـا الدلالة فقوله تعالى: ﴿إذا قمتم﴾ أي من مضاجعكم وهو كناية عن النوم وأنه حدث وإنما صرح بذكر الحدث في باب الغسل والتيمم دون الوضوء والله أعلم. فيعلم أن الوضوء سنة وفرض والحدث شرط لكونه فرضاً لا لكونه سنّة فيكون الوضوء على الوضوء نوراً على نور، والغسل على الغسل، والتيمم على التيمم يكون عبثاً، والله الموفق.

باب آداب قضاء الحاجة

الآداب: جمع أدب وهو ما فيه زيادة إحترام ولا بأس بتركه، والآداب مكملة للسنن كما أن السنن مكملة للواجب وقضاء الحاجة يعم لما يخرج من القبل والدبر، وقد ذكر المصنف هنا نحواً من اثنين وعشرين أدباً وكلها ماشية على قانون الاتباع ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١]، فقال:

(**ينبغي**) وفي المصباح: يقال ينبغي أن يكون كذا معناه يندب ندباً مؤكداً لا يحسن تركه واستعمال ماضيه مهجور، وقد عدوا ينبغي من الأفعال التي لا تتصرف، فلا يقال: انبغى، وأجازه بعضهم وحكي عن الكسائي أنه سمع من العرب وما ينبغي أن يكون كذا أي ما يستقيم أو يحسن، فقول المصنف: ينبغي للذاهب إلى قضاء الحاجة صغرى كانت أو كبرى أي يندب، ويحسن (**أن يبعد عن أعين الناظرين**) إليه إذا كان (**في الصحراء**)، وعلم من هذا القيد أنه في البيوت والمنازل لا يشترط ذلك. وقد صح عنه ﷺ أنه كان إذا ذهب المذهب أبعد كما عند الأربعة في السنن، وفسروه بمعنيين: أحدهما أبعد نفسه عن الناس لئلا ينظر إليه الناظر فيكون معتدياً، والثاني: أبعد أي صار بعيداً عن الناس فيكون لازماً ومآلها إلى واحد، وفائدة الابعاد أن لا يرى له شخص ولا يسمع له صوت (**و**) **الثاني:** (**أن يستتر بشيء عند التبرز إن وجده**) لأن كشف العورة حرام، وهذا أيضاً في الصحراء. فقد أخرج أبو داود، والنسائي من حديث أبي هريرة رفعه: «ومن أتى الغائط فليستتر فإن لم يجد إلا أن يجمع كثيباً من رمل فليستدبره فإن الشيطان يلعب بمقاعد بني آدم من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج» (**و**) **الثالث:** (**أن لا يكشف عورته**) وهي من السرة إلى الركبة على خلاف فيه بين الأئمة (**قبل الانتهاء إلى موضع الجلوس**) سواء كان في الصحراء أو في البنيان، ولكن ينبغي أن يشمر ثيابه قبل ذلك ما عدا إزاره، وقد روى أبو داود من طريق الأعمش عن رجل عن ابن عمر أن النبي ﷺ كان إذا أراد حاجته لا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض أخرجه الترمذي أيضاً وقال: هو

وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها إلا إذا كان في بناء، والعدول أيضاً عنها في البناء أحب، وإن استتر في الصحراء براحلته جاز وكذلك بذيله، وأن يتقي الجلوس في متحدث الناس وأن لا يبول في الماء الراكد ولا تحت الشجرة المثمرة ولا في الحجر،

مرسل (و) **الرابع: (أن لا يستقبل الشمس والقمر)** بعورته فإنه قد ورد أنهما يلعنانه ويشترك فيه الصحراء والبنيان قاله المحاملي (و) **الخامس: (أن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها)** بعورته لما روي عنه ﷺ قال: «لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا» **(إلا إذا كان في بناء)** أي المنازل المبنية، فإنه يجوز عند الشافعي ومالك **(والعدول عنها أيضاً في البناء أحب)** وهو مذهب أبي حنيفة، وفي المدخل لابن الحاج ما لم يكن في سطح فأجيز وكره على الاختلاف في التعليل هل النهي إكراماً للقبلة فيكره أو اكراماً للملائكة فيجوز، وكذلك الجماع إن كان في البيت فيجوز، وإن كان في السطح فيختلف فيه على مقتضى التعليل، **(وإن استتر في الصحراء براحلة)** أي ناقة أو برحلها جاز **(وكذلك بذيله)** وذلك أن يرخيه على الأرض بأطرافه. (و) **السادس: (أن يتقي الجلوس في متحدث الناس)** أي الموضع الذي يجتمع إليه الناس عادة فيتحدثون، فإن ذلك سبب لأذاهم وربما يلعنون من فعل ذلك. (و) **السابع: (أن لا يبول في الماء الراكد)** أي الذي لا يجري. وفي معناه التغوّط وإنما خص بلفظ البول موافقة للحديث وذلك لتنجيسه إذا كان دون عشر في عشر عند أبي حنيفة، أو دون القلتين كما عند الشافعي وأحمد، وحمل مالك هذا النهي على التنزيه لا على التحريم لأن الماء لا ينجس عنده بوصول النجاسة إليه إلا بالتغير كثيراً كان أو قليلاً جارياً كان أو راكداً، ولكن ربما تغير الراكد بالبول فيه فيكون الاغتسال به محرماً بالاجماع.

قال ابن دقيق العيد: وهذا يلتفت إلى حمل اللفظ على معنيين مختلفين وهي مسألة أصولية. وقال المهلب بن أبي صفرة: النهي عن البول في الماء الراكد مردود إلى الأصول، فإن كان كثيراً فالنهي عنه على وجه التنزيه، وإن كان قليلاً فعلى الوجوب اهـ. وهل يلحق بالنهي عن البول في الراكد الاستنجاء فيه لما فيه من تقذيره أو لا؟ قال النووي: إن كان قليلاً فهو حرام، وإن كان كثيراً فلا، لأنه في معنى البول ولا يقاربه، ولو اجتنب الإنسان هذا كله كان أحسن اهـ.

قال العراقي: إن كان أراد الاستنجاء من البول فواضح، وإن أراد من الغائط فعلى عدم الكراهة نظر خصوصاً لمن لم يجففه بالحجر. وقال ابن بطال: لم يأخذ أحد من الفقهاء بظاهر هذا الحديث إلا داود الظاهري، فإنه زعم أن من بال في إناء وصبه فيه كان له ولغيره الوضوء به، لأنه إنما نهى عن البول فيه فقط وصبّه للبول من الاناء ليس ببول فيه. وقال ما هو أشنع من هذا أنه إذا تغوّط فيه كان له ولغيره الوضوء به، لأن النهي إنما جاء من البول فيه، وهذا في غاية السقوط وقد صرح به ابن حزم أيضاً. قال صاحب المفهم: ومن التزم هذه الفضائح وجد هذا الجمود، فحقيق أن لا يعد من العلماء بل ولا في الوجود (و) **الثامن:** أن لا يبول **(تحت الشجرة المثمرة)** أوّلاً، لاجتماع الناس تحت ظلال الأشجار لا سيما في الصيف، وكلما كانت

وأن يتقي الموضع الصلب ومهاب الرياح في البول استنزاهاً من رشاشه وأن يتكىء في جلوسه على الرِجل اليسرى وإن كان في بنيان يقدم الرِجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج ولا يبول قائماً. قالت عائشة رضي الله عنها: «من حدثكم أن النبي ﷺ كان يبول قائماً فلا تصدقوه». وقال عمر رضي الله عنه: رآني رسول الله ﷺ وأنا

الشجرة قريبة من الطرق المسلوكة كان النهي آكد، وثانياً الأشجار يقصدها الناس لجني ثمارها والانتفاع بها، فيكون سبباً للأذى بل هو من الملاعن، وفي معنى البول الغائط وهو أشد. **(و) التاسع:** أن لا يبول **(في الحجرة)** بضم الجيم وسكون الحاء المهملة وهو الكوّة من الأرض إذا لاقاه برأس الذكر، واختلف إذا بعد عنه فوصل بوله إليه فكره خيفة من حشرات تنبعث عليه منه، وقيل: يباح لبعده عن الحشرات إن كانت فيها، وقيل: إنما نهي عن البول في الحجرة لكونها مساكن للجن لما أخرجه أبو داود والنسائي من حديث عبدالله بن سرجس أن النبي ﷺ نهى أن يبال في الحجر. قال قالوا لقتادة: ما يكره من البول في الحجر؟ قال: كان يقال أنها مساكن الجن، وقد ثبت أن سعد بن معاذ رضي الله عنه أو غيره كان في سفر فبال في كوّة فقتله الجني وأنشد: نحن قتلنا سيد الخزرج والقصة مشهورة. **(و) العاشر: (أن يتقي)** في بوله **(الموضع الصلب)** لئلا يراد عليه **(و) الحادي عشر:** أن يتقي **(مهاب الرياح في البول)** خاصة **(استنزاها من رشاشه)**، ولما روى انه ﷺ قال: «استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه». قال ابن الحاج في المدخل: ويلحق به النهي عن البول في المراحيض التي تبنى في الربوعات بالديار المصرية لأنهم يعملون السراب متسعاً والمراحيض كلها منفذة إليه، فيتسع فيه الهواء لأنه يدخل إليه من بعض المراحيض ويخرج من الأخرى، فالذي يخرج منها هو موضع مهاب الرياح من يبول فيه يرجع إلى بدنه وثوبه، فينبغي أن يمنع. ومن اضطر إلى ذلك ينبغي أن يبول في وعاء ثم يفرغه في المرحاض فيسلم من النجاسة وهذا بيِّن. **(و) الثاني عشر: (أن يتكىء في جلوسه على الرجل اليسرى)** ويقيم عرقوب رجله اليمنى مع التوكىء على ركبته اليسرى، فإن هذه الصفات أسرع لخروج الحدث، وقد روى سراقة بن مالك عن النبي ﷺ قال: علمنا إذا أتينا الخلاء أن نتوكأ على اليسرى. **(و) الثالث عشر: (إن كان في بنيان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى في الخروج)** على العكس من دخول المسجد والخروج منه، ولا يعتبر ذلك في الصحراء. قال الرافعي: اختلف فيه كلام الأصحاب والذي في الوسيط يقتضي الاختصاص بالبنيان، لكن الأكثرون على أنه لا يختص. **(و) الرابع عشر: (أن لا يبول قائماً كما قالت عائشة رضي الله عنها: من حدثكم أن رسول الله ﷺ كان يبول قائماً فلا تصدقوه)**. قال العراقي: أخرجه الترمذي، والنسائي، وابن ماجة. قال الترمذي: هو أحسن شيء في هذا الباب وأصح اهـ. أي: لم يكن مواظباً على ذلك، بل كان يتفق منه أحياناً فلم تطلع عليه عائشة رضي الله عنها، ولذا أنكرت. **(وقال عمر رضي الله عنه: رآني النبي ﷺ وأنا أبول قائماً فقال: «يا عمر لا تبل قائماً»)**. قال العراقي: أخرجه

أبول قائماً فقال: « يا عمر لا تبل قائماً ». قال عمر: فما بلت قائماً بعد، وفيه رخصة إذ روى حذيفة رضي الله عنه: « أنه عليه السلام بال قائماً فأتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه ». ولا يبول في المغتسل. قال ﷺ: « عامة الوسواس منه ». وقال ابن المبارك: قد وسع في البول في المغتسل إذا جرى الماء عليه ذكره الترمذي، وقال عليه السلام: « لا يبولن أحدكم في مستحمه ثم يتوضأ فيه فإن عامة الوسواس منه ». وقال ابن المبارك: إن كان الماء جارياً فلا بأس به ولا يستصحب شيئاً عليه اسم الله تعالى أو رسوله ﷺ،

ابن ماجة باسناد ضعيف، ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر لعمر اهـ. **(وفيه)** أي في البول قائماً **(رخصة)** وجواز على المشهور إذا كان في موضع لا يمكن الإطلاع عليه وكان الموضع رخواً، فإنه يتشفى به من وجع الصلب **(إذ روى حذيفة)** بن اليمان رضي الله عنه **(أنه ﷺ بال قائماً فأتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه)**. قال العراقي: متفق عليه اهـ.

قلت: أخرجه الستة بلفظ: أتى سباطة قوم فبال قائماً ثم دعا بماء فمسح على خفيه. قال أبو داود، قال مسدد، قال: فذهبت أتباعد فدعاني حتى كنت عند عقبه. **(و) الخامس عشر:** أن **(لا يبول في المغتسل)** هو الموضع الذي يغتسل فيه. **(قال رسول الله ﷺ: «عامة الوسواس منه»)**. قال العراقي: أخرجه أصحاب السنن من حديث عبدالله بن مغفل، قال الترمذي: غريب.

قلت: وإسناده صحيح اهـ. قلت: ولفظهم لا يبولن أحدكم في مستحمه ثم يغتسل فيه، فإن عامة الوسواس منه. وأخرجه أحمد إلا أنه قال: ثم يتوضأ فيه، وأخرج أبو داود والنسائي من حديث حميد بن عبد الرحمن الحميري. قال: لقيت رجلاً صحب النبي ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ أن يمتشط أحدنا كل يوم أو يبول في مغتسله. **(قال ابن المبارك)**: هو الإمام عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي تقدمت ترجمته: **(إن كان الماء جارياً فلا بأس به)** وبه قال أبو حنيفة. ونص العوارف يوسع في البول في المستحم إذا جرى فيه الماء اهـ، أي فهو مقيد في المستحم كما يظهر ذلك بالتأمل. **(و) السادس عشر: (أن لا يستصحب)** معه عند توجهه إلى الغائط أو البول **(شيئاً)** كالخاتم والدراهم **(عليه إسم الله عز وجل و)** اسم **(رسوله ﷺ)** احترماً وإن كان خاتمه عليه شيء من ذلك ولم يجد بداً من نزعه قلب فصه إلى باطن الكف ويقبض عليه وكذلك التمائم والرقي إذا كان عليها غلاف ثقيل من حديد أو نحاس أو غير ذلك فلا بأس به، ثم رأيت الرافعي قال: ومنها أن لا يستصحب شيئاً عليه إسم الله تعالى كالخاتم والدراهم التي عليها اسم الله تعالى. كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء وضع خاتمه لأنه كان عليه محمد رسول الله والحق باسم الله تعالى إسم رسوله ﷺ تعظيماً وتوقيراً له؛ وكذلك يحترز من استصحاب ما عليه شيء من القرآن، وهل يختص هذا الأدب بالبنيان أم يعم البنيان والصحاري

ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس، وأن يقول عند الدخول: «بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم» وعند الخروج: «الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى علي ما ينفعني» ويكون ذلك خارجاً عن بيت الماء. وأن

فيه اختلاف للأصحاب ورأيت للصميري أنه إذا كان على فص الخاتم ذكر الله تعالى قلعه قبل دخول الخلاء أو ضم كفه عليه فيخير بينهما وكلام غيره يشعر أنه لا بدّ من النزع نعم قيل أنه لو غفل عن النزع حتى اشتغل بقضاء الحاجة ضم كفه عليه حتى لا يظهر. **(و) السابع عشر:** أن **(لا يدخل بيت الماء)** أي المستحم أو المرحاض **(حاسر الرأس)** أي كاشفه فلا يدخل إلا مغطياً رأسه وكذلك عند الجماع. **(و) الثامن عشر: (أن يقول)** بالتعوّذ الوارد **(عند الدخول)** أي عند إرادته **(بسم الله أعوذ بالله من الخبيث المخبث الشيطان الرجيم)**. وفي المدخل لابن الحاج: أعوذ بالله من الخبث والخبائث النجس الرجس الشيطان الرجيم، وأخرج الجماعة من حديث أنس كان إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث» هذا لفظ حماد بن زيد. ولفظ عبد الوارث بن سعيد: «أعوذ بالله» والباقي سواء. وأخرج أصحاب السنن الأربعة من حديث زيد بن أرقم رفعه: «إن هذه الحشوش محتضرة فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل أعوذ بالله من الخبث والخبائث»، وقال الترمذي: حديث أنس أصح، وحديث زيد بن أرقم في إسناده اضطراب.

قلت: قول المصنف عند الدخول لم أرَ العندية في واحد من الصحيحين وإنما علق البخاري للإرادة والذي اتفقا عليه بلفظ: كان إذا دخل وفي رواية هشيم عند مسلم: «الكنيف» بدل «الخلاء». وأخرجه البيهقي من طريق مسدد بلفظ: «إذا أراد دخول الخلاء» وأما قوله: «بسم الله» فأخرجه الطبراني في الدعاء من حديث قتادة عن أنس رفعه: «أن هذه الحشوش محتضرة فإذا دخل أحدكم الخلاء فليقل بسم الله اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث». وأخرجه الدارقطني في الإفراد وقال: تفرد به عدي بن أبي عمارة عن قتادة، وقال الطبراني: لم يقل فيه بسم الله إلا عدي عن قتادة. وأخرج ابن ماجة من حديث علي رفعه: «ستر ما بين الجن وعورات بني آدم أن يقول إذا دخل الكنيف بسم الله». وأما بقية الزيادات التي في سياق المصنف، فأخرج الطبراني في الدعاء من حديث ابن عمر وأنس رفعاه كان إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم». وأخرج ابن السني حديث أنس مثله، وأخرجه أبو نعيم كذلك إلا أنه زاد في أوّله: «بسم الله». وهذه الرواية أقرب ما يكون إلى سياق المصنف، وكذلك ما رواه الطبراني في الدعاء من حديث أبي أمامة رفعه: «لا يعجزن أحدكم إذا دخل مرفقه أن يقول اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم». وقد أخرجه ابن ماجة أيضاً. **(و) التاسع عشر:** أن يقول **(عند الخروج)** من قضاء الحاجة **(الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى عليّ ما ينفعني ويكون ذلك خارجاً عن بيت الماء في موضع الحاجة)**. وهذه الزيادة وجدت في بعض النسخ وسقطت من أكثرها،

يعد النبل قبل الجلوس، وأن لا يستنجي بالماء في موضع الحاجة، وأن يستبرىء من البول بالتنحنح والنثر ـ ثلاثاً ـ وامرار اليد على أسفل القضيب ولا يكثر التفكر في

والدعاء المذكور أخرجه الطبراني في الدعاء من طريق سلمة بن دهرام عن طاووس رفعه، فذكر حديثاً في أدب الخلاء وفيه، ثم ليقل إذا خرج: «الحمد لله الذي» الخ مثل سياق المصنف. قال الطبراني: لم نجد من وصل هذا الحديث. قال الحافظ: وفيه مع إرساله ضعف، وأخرج الأربعة من حديث عائشة رفعه كان إذا خرج من الغائط قال: غفرانك، وقال الترمذي: غريب حسن اهـ.

وفي الباب حديث أبي ذر كان ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني، وحديث أنس بن مالك مثله. وفي لفظ: «الحمد لله الذي أحسن إليّ في أوّله وآخره» وحديث ابن عمر رفعه كان إذا خرج قال: «الحمد لله الذي أذاقني لذته وأبقى في قوته وأذهب عني أذاه». وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر والخرائطي في باب فضيلة الشكر من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن نوحاً عليه السلام لم يقم عن خلاء قط إلا قال الحمد لله الذي أذاقني لذته وأبقى منفعته في جسدي وأخرج عني أذاه» **(و) العشرون: (أن يعد الحجر)** أي يهيئه للاستنجاء **(قبل الجلوس)** في المرحاض، وكذلك الماء لمن جمع بينهما. وقد ورد اتقوا الملاعن الثلاث وأعدوا النبل وهي أحجار الاستنجاء والمعنى من خوف الانتشار لو طلبها بعد قضاء الحاجة. **(و) الحادي والعشرون: (أن لا يستنجي بالماء في موضع)** قضاء **(الحاجة)** لئلا يتطاير إليه شيء من النجاسة، وهذا إذا كان الموضع المعد للغائط قريباً ولا مسلك له، فأما المراحيض التي تبنى الآن بالديار المصرية وغيرها فيباح ذلك، لأن فيه حرجاً ومشقة، ثم رأيت النووي نبه على ذلك في تحقيق المنهاج فقال: هذا في غير الأخلية المتخذة لذلك. أما الأخلية فلا ينتقل فيها للماء لأنه لا يناله رشاش. **(و) الثاني والعشرون: (أن يستبرىء من البول)** خاصة ويتفقد نفسه فيه فيعمل على عادته **(بالتنحنح)** والذهاب والمجيء والقعود والقيام وليّ الفخذ اليمنى على اليسرى والنط إلى وراء، **(والنتر)** أي نتر الذكر **(ثلاثاً)** وذلك برفق **(وإمرار اليد)** أي بعض أصابعه كما عند الرافعي **(على أسفل القضيب)** ويدلكه لإخراج ما هنالك من البقايا. قال ابن الحاج في المدخل: رب شخص يحصل له التنظيف عند انقطاع البول عنه وآخر لا يحصل له ذلك إلا بعد أن يقوم ويقعد، وذلك راجع إلى اختلاف أحوال الناس في أمزجتهم، وفي مآكلهم، وفي اختلاف الأزمنة عليهم، فقد يتغير حاله بحسب اختلاف الأمر عليه وهو يعهد من نفسه عادة فيعمل عليها فيخاف عليه أن يصلي بالنجاسة أو يتوسوس في طهارته فيكون يعمل على ما يظهر له في كل وقت من حال مزاجه وغذائه وزمانه، فليس الشيخ كالشاب وليس من أكل البطيخ كمن أكل الجبن وليس الحر كالبرد اهـ.

(ولا يكثر التفكر في الاستبراء فيوسوس) أي يوقع نفسه في الوسوسة هل طهر المحل أم

الاستبراء فيتوسوس ويشق عليه الأمر وما يحس به من بلل فليقدر أنه بقية الماء. فإن كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس. وفي الخبر أنه ﷺ فعله. أعني رش الماء، وقد كان أخفهم استبراء أفقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه. وفي حديث سلمان رضي الله عنه: « علمنا رسول الله ﷺ كل شيء حتى الخراءة أمرنا أن لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول». وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه: لا أحسبك تحسن الخراءة. قال: بلى وأبيك إني لأحسنها وإني بها لحاذق أبعد الأثر وأعد المدر وأستقبل الشيح واستدبر الريح واقعي اقعاء الظبي وأجفل اجفال النعام. الشيح:

لا. (**ويشق عليه الأمر**) خصوصاً في المواضع الباردة، (**و**) إذا بلي أحد بذلك فعلاجه أن (**ما يحس به من بلل**) ونداوة في المحل (**فليقدر**) في نفسه (**أنه بقية الماء**) الذي استنجى به فيزول عنه الوسواس، (**فإن كان يؤذيه ذلك**) ولم يندفع عنه (**فليرش الماء عليه**) أي على الفرج وينضحه (**حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس. وفي الخبر أن النبي ﷺ فعله أعني رش الماء**). قال العراقي: رش الماء بعد الوضوء وهو الانتضاح. أخرجه أبو داود، والنسائي، وابن ماجة من حديث سفيان بن الحكم الثقفي أو الحكم بن سفيان وهو مضطرب كما قال الترمذي وابن عبد البر اهـ.

وفي القوت: وقد يكون ما يظهر من البذاذة بعد غسل الذكر بالماء أن ذلك من مرجع الماء يتردد في الإحليل لضيق المسلك وتلاحم انضمامه عليه، فإن خشي الوسواس فلينضح على فرجه بالماء بعد وضوئه وهو أن يأخذ كفاً من ماء فيرشه عليه، فقد فعله رسول الله ﷺ، وقد شبه فقهاء المدينة الذكر بالضرع. وقال بعضهم: إنه لا يزال يخرج منه الشيء بعد الشيء ما دمت تمده، وقيل: إذا وقع الماء على الذكر انقطع البول، (**وقد كان أخفهم استبراء**) وأقلهم استعمالاً للماء (**أفقههم**) عندهم. هكذا في القوت. زاد المصنف: (**فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه**) في الدين. (**وفي حديث سلمان رضي الله عنه: « علمنا رسول الله ﷺ كل شيء حتى الخراءة أمرنا أن لا نستنجي بعظم ولا روث، ونهانا أن نستقبل القبلة ببول ولا غائط »**) قال العراقي: أخرجه مسلم، وقد تقدم في قواعد العقائد اهـ.

قلت: وأخرجه الأربعة في السنن بلفظ: قيل له: « قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة. قال: أجل نهانا ». فساقوه وفي سياقهم زيادة على ما أورده المصنف هنا. (**وقال رجل لبعض الصحابة**). هكذا في سائر نسخ الكتاب ونص القوت لبعض أصحابه (**من الأعراب**) وهو الصحيح وما في نسخ الاحياء تحريف (**وقد خاصمه**) فقال: (**لا أحسبك تحسن الخراءة. فقال: بلى وأبيك إني**) بها (**لحاذق**) أي عارف فطن. قال: فصفها لي قال: (**أبعد الأثر**) أي أبعد عن الناس حتى يخفى أثري، (**وأعد المدر**) أي أهيئه للاستنجاء قبل الجلوس لقضاء

نبت طيب الرائحة بالبادية، والاقعاء ههنا: أن يستوفز على صدور قدميه. والاجفال: أن يرفع عجزه. ومن الرخصة أن يبول الإنسان قريباً من صاحبه مستتراً عنه. فعل ذلك رسول الله ﷺ مع شدة حيائه ليبين للناس ذلك.

الحاجة، **(واستقبل الشيح واستدبر الريح)** أي أجعل الشيح ساتراً من قدامي واجعل الريح من ورائي لئلا يطير الرشاش، **(وأقعي اقعاء الظبي واجفل أجفال النعام)**. ونص عوارف المعارف: قال رجل من بعض الصحابة لرجل من الاعراب وفيه قال: « أبعد عن البشر، وأعد المدر، والباقي سواء »، قال صاحب القوت: **(الشيح)** بالكسر **(نبت طيب الرائحة)** وليس في القوت الرائحة، وإنما فيه نبت طيب يكون **(بالبادية)** أي غير مستزرع، **(والاقعاء ههنا)**. ونص القوت في هذا الموضع **(أن يستوفز على صدور قدميه)** أي يقعد منتصباً غير مطمئن وفي قوله ههنا إشارة إلى أن الاقعاء له معان لكنها لا تناسب في الاستنجاء يقال أقعى إذا ألصق أليتيه بالأرض ونصب ساقيه ووضع يديه على الأرض كما يقعى الكلب. وفي الصحاح للجوهري بعد قوله ونصب ساقيه ويتساند إلى ظهره. وقال ابن القطاع: أقعى الكلب جلس على أليتيه ونصب فخذيه، وأقعى الرجل جلس تلك الجلسة. **(والإجفال أن يرفع عجزه)** وفي القوت عجيزته. وفي بعض نسخ الكتاب: وأجفل جفل النعام وهو صحيح أيضاً. يقال: جفلت النعامة إذا ندت وشردت، وأجفل القوم أسرعوا في الهرب. **(ومن الرخصة أن يبول الإنسان قريباً من صاحبه مستتراً عنه فعل ذلك رسول الله ﷺ مع شدة حيائه ليستنّ الناس به)**. وفي نسخة ليسن للناس، وعبارة القوت: فأما من أراد أن يبول قريباً من صاحبه بحيث يراه أو يحسه، فلا بأس بذلك فإنها رخصة من رسول الله ﷺ رفع الحياء منها بفعله لأنه عليه السلام كان أشد الناس حياء، وقد كان مع ذلك يبول وإلى جنبه صاحبه ليسنن التوسعة في ذلك.

قلت: وتقدم قريباً في حديث حذيفة عند أبي داود فذهبت أتباعد فدعاني حتى كنت عند عقبه.

وقال العراقي: هو متفق عليه من حديث حذيفة اهـ.

قلت: بل هو عند الستة كما تقدمت الإشارة إليه.

تنبيه:

قد ذكر النووي في تحقيق المنهاج آداباً أخرى لم يشر لها المصنف، وكذلك ابن الحاج في المدخل، وقد أكثر منها حتى أوصلها إلى ستين، وقد أشير إلى بعضها لأن بعضاً منها قد ذكره المصنف في الذي يليه فأغنانا عن ذكره. قال النووي: يكره استقبال بيت المقدس واستدباره ببول أو غائط ولا يحرم، ويكره أن يذكر الله تعالى أيتكلم بشيء قبل خروجه إلا لضرورة، فإن عطس حمد الله تعالى بقلبه ولا يحرك لسانه. وكذا في حال الجماع، ويكره البول في قارعة الطريق، وعند القبور، ويحرم البول على القبر. وفي المسجد فلو بال في إناء في المسجد فهو حرام على الأصح،

....

ويستحب أن لا يرى إلى ما يخرج منه ولا إلى فرجه ولا إلى السماء ولا يعبث بيده، ويكره إطالة القعود على الخلاء، ويستحب أن يبول في مكان لين لا يرتد عليه بوله فيه اهـ.

وقال ابن الحاج في المدخل: وأن لا يقعد حتى يلتفت يميناً وشمالاً وإذا قعد لا يلتفت يميناً ولا شمالاً ولا بـأس أن يستعيذ عند الارتياع، ويجب أن يتكلم إذا اضطر إلى ذلك من أمر يقع مثل حريق أو أعمى يقع أو دابة أو ما أشبه ذلك، وأن لا يسلم على أحد ولا يسلم عليه أحد، فإن سلم عليه أحد فلا يرد عليه، ويكره أن يبول في المنحدر إذا كان هو من أسفل لأن بوله يرجع إليه، وأن يفرج فخذيه في القعود لئلا يتطاير عليه شيء من النجاسة لا يشعـر بها، وأن لا يتغوّط تحت ظل حائط ولا على شاطىء نهر لأن هذه المواضع لراحة الناس في الغالب إذا أراد أحد أن يستريح يطلب ظلاً أو يرد النهر للماء فيجد ما يجعل هنالك فيقول: اللهم العن من فعل هذا» وأن يتجنب البيع والكنائس لا لاحترامها، وإنما هو لئلا يفعلوا ذلك في مساجدنا كما نهى عن سب الآلهة المدعوة من دون الله عز وجل لئلا يسبوا الله تعالى، ويكره البول في الأواني النفيسة للسرف، وكذا يمنع في أواني الذهب والفضة لتحريم اتخاذها واستعمالها، ويكره في مخازن الغلة والدور المسلوكة التي خربت، وليحذر أن يدخل أصبعه عند الاستنجاء في الثقب فإنه من فعل شرار الناس وهو منهي عنه، وإذا قام ليستبرىء فلا يخرج بين الناس وذكره في يده، وإن كان تحت ثوبه فإن ذلك مثلـة وشوه، فكثيراً ما يفعل بعض الناس هذا. وقد نهي عنه فإن كانت له ضرورة في الاجتماع بالناس إذ ذاك فليجعل على فرجه خرقة يشدها عليه ثم يخرج للناس، فإذا فرغ من ضرورته تنظف إذ ذاك، ويكره الاشتغال فيما هو فيه من نتف ابط أو غيره لئلا يبطىء في خروج الحدث، والمقصود الإسراع في الخروج من ذلك المحل بذلك وردت السنّة. قال الإمام أبو عبدالله القرشي: إذا أراد الله بعبد خيراً يسر عليه الطهارة، وأن لا يستجمر بحائط مسجد لحرمته ولا في حائط مملوك لغيره لأنه تصرف في ملك الغير ولا في حائط وقف لأنه تصرف فيه، وهو في حوز من وقف عليه، وذلك لا يجوز. وهذا كله حرام باتفاق، وكثيراً ما يتساهل اليوم في هذه الأشياء سيما فيما سبل للوضوء، فتحد الحيطان في غاية ما يمكن أن يكون من القذر لأجل استجمارهم فيها، وذلك لا يجوز. وأيضاً في حائط ملكه لأنه قد ينزل عليه المطر أو يصيبه بلل من الماء أو يلتصق هو أو غيره إليه فتصيبه النجاسة فيصلي بها، ووجه آخر هو أن يكون في الحائط حيوان فيتأذى، وقد رأيت ذلك عياناً بعض الناس استجمر في حائط فلسعته عقرب كانت هناك على رأس ذكره ورأى من ذلك شدة عظيمه، والله أعلم.

كيفية الاستنجاء:

ثم يستنجي لمقعدته بثلاثة أحجار، فإن أنقى بها كفى وإلا استعمل رابعاً، فإن

كيفية الاستنجاء:

لما كان المحوج إلى الاستنجاء إنما هو قضاء الحاجة قدم آدابه، ثم شرع في بيان كيفية الاستنجاء.

اعلم أن الاستنجاء استفعال من النجو والسين للطلب أي طلب النجو ليزيله، والنجو هو الأذى الباقي في فم أحد المخرجين، وقيل: السين للسلب والإزالة كالاستعتاب، وقيل: أصله الذهاب إلى النجو وهو ما ارتفع من الأرض كانوا يستترون بها إذا قعدوا للتخلي، وبعد اتفاقهم على مشروعية الاستنجاء اختلفوا هل هو واجب أو سنّة، وبالأوّل قال الشافعي، وأحمد لأمره ﷺ بالاستنجاء بثلاثة أحجار، وكل ما فيه تعدد يكون واجباً كوقوع الكلب. وقال مالك، وأبو حنيفة والمزني من الشافعية: هو سنّة، واحتجوا بحديث أبي هريرة عند أبي داود مرفوعاً: «من استجمر فليوتر فمن فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج». وأجاب البيهقي بأن المراد فليوتر بعد الثلاث. ورد بأن الأمر للاستحباب وعنده الزيادة على الثلاث مع الانقاء بدعة وبدونه واجبة، ثم اختلفوا في اشتراط العدد فقال الشافعي، وأحمد: يشترط لما روى أبو داود، عن عروة، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ذهب أحدكم لحاجته فليستطب بثلاثة أحجار». وقال أبو حنيفة، ومالك، وداود: ليس بشرط بدليل ما رواه البخاري من حديث ابن مسعود قال: أتى النبي ﷺ الغائط فأمرني أن آتيه بثلاثة أحجار فوجدت حجرين ولم أجد الثالث فأتيته بروثة فأخذ الحجرين وألقى الروثة وقال: «هذا ركس». فاستدل الطحاوي بقوله: وألقى الروثة على عدم اشتراط الثلاث، وعلل بأنه لو كان مشترطاً لطلب ثالثاً. وأجيب: بأن في مسند أحمد في هذا الحديث بعد قوله: «هذا ركس ائتني بحجر» أو أنه عليه السلام اكتفى بطرف أحد الحجرين عن الثالث، لأن المقصود بالثلاثة أن يمسح بها ثلاث مسحات، وذلك حاصل ولو بواحد له ثلاث أحرف.

قال المصنف: **(ثم يستنجي مقعدته)** كناية عن الدبر إذا كان بالجامد وجب أن يستوفي ثلاث مسحات، إما بأحرف حجر واحد وما في معناه أو بأحجار، فقوله: **(بثلاثة أحجار)** ليس لتخصيص الحكم بها لأن غير الحجر مشارك للحجر في تحصيل مقصود الاستنجاء، ولعل ذكر الأحجار جرى لغلبتها والقدرة عليها في عامة الأماكن، فقوله المذكور مسوقاً على موافقة الخبر، وإلاّ فالحكم غير مخصوص بالأحجار، **(فإن أنقى)** الموضع بتلك الثلاثة الأحجار ونحوها **(كفى)**. وقال مالك، وأبو حنيفة: إذا حصل الانقاء بما دون الثلاث كفى. قال الرافعي: ولأصحابنا وجه يوافقه حكاه أبو عبدالله الحناطي وغيره، **(وإلاّ)** أي إذا استوفى العدد لكنه لم ينق **(استعمل رابعة)** وجوباً حتى ينقي، فإنه المقصود الأصلي من شرع

أنقى وإلاَّ استعمل خامساً لأن الانقاء واجب والايتار مستحب. قال عليه السلام: «من استجمر فليوتر». ويأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمره بالمسح والإدارة إلى المؤخر، ويأخذ الثاني ويضعه على المؤخر كذلك ويمره إلى المقدمة، ويأخذ الثالث فيديره حول المسربة إدارة فإن عسرت الإدارة ومسح

الاستنجاء، **(فإن أنقى كفى وإلاَّ استعمل خامسة، فإن الايتار مستحب. قال عليه)** الصلاة و **(السلام: «من استجمر فليوتر»)**. أخرجه البخاري في الصحيح من حديث أبي هريرة، وهو رواية لمسلم أيضاً. وعند مسلم أيضاً من حديثه: «إذا استجمر أحدكم فليستجمر وتراً». وقوله: «فليوتر» أي بثلاث أو خمس أو سبع أو غير ذلك والواجب الثلاث، فإن حصل الانقاء بها وإلا وجبت الزيادة كما تقدم، واستحب الايتار ان حصل الانقاء بشفع، وحمل ابن عمر الاستجمار هنا على استعمال البخور فكان يتطيب وتراً ويستنجي وتراً جمعاً بينهما. وحكاه ابن عبد البر، عن مالك. وعند أبي داود زيادة في هذا الحديث وهو قوله: «من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج». وأما كيفية الاستنجاء فبأن **(يأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمدها)**. هكذا في النسخ بتأنيث الضمير، والصواب: ويمده. وفي بعض النسخ: ويمرها من الإمرار **(بالمسح والإدارة إلى المؤخر)**. وعبارة القوت: يأخذ الحجر بشماله ويمده على مقعدته من مقدمها مسحاً إلى مؤخر المقعدة ثم يرمي به هناك، **(ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخر كذلك ويمدها إلى المقدمة)**، وعبارة فيبتدىء به من مؤخر المقعدة فيمسحها من مؤخرها إلى مقدمها ثم يرمي به، **(ويأخذ الثالثة فيديرها حول المسربة ادارة)**. والمسربة: كمقعدة مجرى الغائط ومخرجه سميت بذلك لانسراب الخارج منها، **فهي** اسم للموضع. وهكذا هو نص القوت. وزاد عليه المصنف فقال: **(وإن عسرت الإدارة ومسح من المقدمة أو المؤخرة أجزأه)**. وقال الرافعي في شرح الوجيز: في كيفية الاستنجاء وجهان: أظهرهما وبه قال ابن أبي هريرة، وأبو زيد المروزي: أنه يمسح بكل حجر جميع المحل بأن يضع واحداً على مقدم الصفحة اليمنى فيمسحها به إلى مؤخرها ويديره إلى الصفحة اليسرى فيمسحها به من مؤخرها إلى مقدمها، فيرجع إلى الموضع الذي بدأ منه، ويضع الثاني على مقدمة الصفحة اليسرى ويفعل به مثل ذلك، ويمسح بالثالث الصفحتين والمسربة، ووجهه ما روي أنه ﷺ قال: «فليستنج بثلاثة أحجار يقبل بواحد ويدبر بواحد ويحلق بالثالث».

قلت قال ابن الملقن: هو غريب، وقال النووي في شرح المهذب: ضعيف منكر لا أصل له. قال وقول الرافعي أنه ثابت غلط منه اهـ.

قال الرافعي: والثاني قال أبو إسحاق إن حجراً للصفحة اليمنى وحجراً للصفحة اليسرى وحجراً للوسط.

قلت: هذا المحكي عن أبي إسحاق تبع فيه صاحب المهذب، والذي حكاه الماوردي عن أبي

....

إسحاق أن يمسح بالحجر الأول الصفحة اليمنى من مقدمها إلى مؤخرها، ويمسح بالثاني اليسرى من مؤخرها إلى مقدمها، ثم يمسح بالثالث جميع المحل اهـ.

ثم قال الرافعي: وحكى في التهذيب وجهاً ثالثاً وهو أنه يأخذ واحداً فيضعه على مقدم المسربة ويديره إلى مؤخرها، ويضع الثاني على مؤخرها ويديره إلى مقدمها، ويحلق بالثالث. كان المراد بالمسربة جميع الموضع، وعلى هذا الوجه يمسح الحجر الأول والثاني جميع الموضع كأنه صفحة واحدة، ويطيف الحجر الثالث على المنفذ، وبهذا يفارق هذا الوجه الوجه الأول فإنه على ذلك الوجه يطيف الحجرين الأولين ويمسح بالثالث جميع الموضع.

قلت: وهذا الوجه الثالث أقرب إلى ما ذكره أصحابنا. قال الفقيه أبو جعفر الهندواني: إذا كان الرجل في الشتاء يقبل بالأول ويدبر بالثاني ويقبل بالثالث لأن خصيتيه في الشتاء غير متدليتين وذلك الفعل أبلغ وإذا كان في الصيف يدبر بالأول ويقبل بالثاني ويدبر بالثالث لأن خصيتيه في الصيف مندليتان، والمرأة تفعل في الأوقات كلها كالرجل في الشتاء لئلا يتلوث فرجها. كذا في شرح النقاية للشمني. وهكذا نقله شارح المختار وزاد: أن المراد بالادبار الذهاب إلى جانب الدبر والإقبال ضده والله أعلم.

ثم قال الرافعي: وهذا الخلاف في الإستحقاق أم في الأولوية والإستحباب فيه وجهان: عن الشيخ أبي محمد أن الوجهين موضوعان على التنافي، وصاحب الوجه الأول لا يجيز الثاني لأن تخصيص كل حجر لو منع مما يمنع رعاية العدد الواجب ولا يحصل في كل موضع إلا مسحة واحدة، وصاحب الوجه الثاني لا يجيز الأول للخير المصرح بالتخصيص ويقول: العدد معتبر بالإضافة إلى جملة الموضع دون كل جزء منه.

قلت: قال النووي، وقيل: يجوز العدول من الكيفية الثانية إلى الأولى دون عكسه والله أعلم.

ثم قال الرافعي، وقال المعظم: الخلاف في الأولوية والإستحباب لثبوت الروايتين جميعاً وكل واحد منها جائز اهـ.

تنبيه:

قول المصنف قبل موضع النجاسة فيه إشارة إلى أنه ينبغي أن يضع الحجر على موضع طاهر بالقرب من النجاسة لأنه لو وضعه على النجاسة لبقي شيئاً منها ولنشرها، وحينئذ يتعين الغسل بالماء ثم إذا انتهى إلى النجاسة أدار الحجر قليلاً قليلاً حتى يرفع كل جزء منه جزءاً من النجاسة، ولو أمر من غير إدارة ففيه وجهان. أحدهما لا، لأن الجزء الثاني من المحل يلقى ما ينجس من الحجر، والإستنجاء بالنجس لا يجوز أظهرهما أنه يجزئه لأن الإقتصار على الحجر رخصة، وتكلف الإدارة تضييق باب الرخصة، وقد يعبر عن هذا الخلاف بأن الإدارة هل تجب أم لا؟ والله أعلم.

(ثم) إن الرجل إذا كان يستنجي بالجامد، ففي الغائط ما تقدم بيانه ويأخذ الحجر بيسراه ويمسح

من المقدمة أو المؤخر أجزاه ثم يأخذ حجراً كبيراً بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثاً في ثلاثة مواضع أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار إلى أن لا يرى الرطوبة في محل المسح، فإن حصل ذلك بمرتين أتى بالثالثة: ، ووجب ذلك إن أراد الاقتصار على الحجر، وإن حصل بالرابعة استحب الخامسة للايتار. ثم ينتقل من ذلك الموضع إلى موضع آخر ويستنجي بالماء بأن يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللمس،

به الموضع ولا يستعين بايمنى، وفي البول (**يأخذ حجراً كبيراً بيمينه و**) يمسك (**القضيب**) أي الذكر (**بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار**) دون اليمين، فلو حركهما جميعاً أو خص اليمنى بالحركة كان مستنجياً باليمين، ومنهم من قال: الأولى أن يأخذ الحجر بيساره والذكر بيمينه ويمر الحجر على الذكر، لأن الإستنجاء يقع بالحرج وإمساكه باليسار أولى، والأول أظهر وأشهر لأن مس الذكر باليمين مكروه، وإنما قيد المصنف الحجر بالكبير لأن الصغير محتاج إلى ضبطه فيمسكه بين إبهامي الرجلين أو بين العقبين ويأخذ ذكره بيساره ويمسحه عليه، ولا يحتاج في هذه الصورة للإستعانة باليمين وإن كان يستنجي بما لا يحتاج إلى ضبطه كالصخرة العظيمة والجدار أخذ ذكره باليسار، (**فيمسح ثلاثاً**) أي ثلاث مرات (**في ثلاثة مواضع أو**) يمسح (**في ثلاثة أحجار أو**) يمسح (**في ثلاثة مواضع من جدار**) غير مملوك لأحد ولا وقف، لما تقدم النقل عن ابن الحاج في النهي عنهما حتى ولا مملوكاً له خوفاً من تلوثه أو غيره إذا أصابه المطر. قال الرافعي: وذكر بعضهم أنه لا طريق للإحتراز عن هذه الكراهية إلا الإمساك بين العقبين والإبهامين أما إذا استعمل اليمين منه كان مرتكباً للنهي كيف فعل اهـ. (**إلى أن لا نرى الرطوبة**) والنداوة (**في محل المسح**) ويعقبه الجفوف وكذلك إذا مدّه إلى الأرض ومسح بها ثلاثاً. وفي القوت: ومن مد ذكره من موضع الحشفة لم ينفعه لأنه ربما كان في قصبة الإحليل ماء فيخرج بعد وضوئه ما كان فيه من الماء، (**فإن حصل ذلك بمرتين أتى بالثالثة ووجب ذلك**) أي يمسح المرة الثالثة وجوباً (**إن أراد الإقتصار على الحجر**) دون إتباعه الماء (**وإن حصل بالرابعة استحب الخامسة للإيتار**) لقول ﷺ: « من استجمر فليوتر » (**ثم ينتقل من ذلك الموضع إلى موضع آخر ويستنجي بالماء**) تحرزاً عن عود الرشاش إليه إذا أصاب الماء النجاسة أي فإذا كان يستنجي بالحجر فلا يقوم عن الموضع كيلا تنتشر النجاسة. وقد تقدم عن النووي أن هذا في غير الأخلية المعدة لذلك. أما الأخلية فلا ينتقل فيها للمشقة ولأنه لا يناله رشاش (**بأن يفيضه**) أي يصب الماء (**باليمنى على محل النجو**) وهو الأذى الكائن على فم المخرج، (**ويدلك باليسرى**) مبتدئاً بالوسطى ثم بالمسبحة والخنصر دلكاً تاماً (**حتى لا يبقى أثر**) منه (**يدركه الكف بحس اللمس**) والمراد بالكف هنا الأصابع، وصورة الإستنجاء بالماء عند أصحابنا أن يبدأ بغسل قبله أولاً، ثم غسل دبره ببطون الخنصر والبنصر والوسطى لا برؤوسها احترازاً عن الإستمتاع بالأصابع حتى ينقطع الأثر ويعرف انقطاعه

ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن، فإن ذلك منبع الوسواس، وليعلم أن كل ما لا يصل إليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم تظهر، وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحدّ طهوره أن يصل الماء إليه فيزيله ولا معنى للوسواس. ويقول عند الفراغ من الاستنجاء: «اللهم طهِّر قلبي من النفاق وحصن

بالخشونة في اللمس وعدم الرائحة. وفي الفتاوى الظهيرية يصعد بطن الوسطى فيغسل ملاقيها ثم البنصر كذلك ثم الخنصر ثم السبابة حتى يغلب على ظنه الطهارة، ولا يقدر ذلك بعدد لأن النجاسة مرئية إلا لقطع الوسوسة فيقدر بالثلاث ويقع بالسبع، والمرأة تصعد البنصر والوسطى جميعاً معاً ثم تفعل بعد ذلك كما يفعل الرجل على ما وصفنا لأنها لو بدأت بأصبع واحدة كالرجل عسى يقع أصبعها في موضعها فيجب عليها الغسل وهي لا تشعر به، (**ويترك الإستقصاء**) أي طلب المبالغة (**فيه بالتعرض للباطن**) أي لما بطن من النجاسة، (**فإن ذلك منبع الوسواس**)، ومن تعمقهم فيه ما أخبرني رجل من أهل الروم أن رجلين من فضلائهم تنازعا فقال أحدهما للثاني: أنت لا تحسن الاستنجاء فقال الثاني: بلى أحسن فيه، فأمر بفرسين عريين بعد أن ربط على متونها قطعة ثوب أبيض وركب كل منهما واحداً بلا حائل إزار فرمح به مشواراً فوجد أحدهما قد ظهر منه أثر على ذلك الثوب ولا يخفى أن ذلك كله من المبالغات التي لم يكن يعرفها السلف، ثم إن الرجل قد يختلف حاله من جهة المطاعم والمشارب، فلا يكون هذا وأمثاله مما يستدل به على أدب من آداب الإستنجاء، وإليه أشار المصنف بقوله: (**وليعلم أن كل ما لا يصل إليه الماء فهو باطن**) عن العين، (**ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم تبرز**) أي ما لم تظهر إلى الخارج، (**وكل ما هو ظاهر**) ويحسه البصر (**وثبت له حكم النجاسة فحد طهوره أن يصل الماء إليه**) بالإمرار (**فيزيله**) حتى يتيقن الطهارة (**ولا معنى للوسواس**) فيه، (**ويقول بعد الفراغ من الإستنجاء: اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش**)، وإنما خص النفاق بالقلب لكونه موضعه والفواحش جمع فاحشة وكل شيء جاوز الحد فهو فاحش والمراد هنا الزنا لمناسبة الفرج وإنما جمعه نظراً إلى أنواعه، ثم إن هذا الدعاء لم أجده هكذا إلا في القوت ونصه فيقول عند الفراغ من الإستنجاء «اللهم طهر قلبي من الشك والنفاق وحصن فرجي من الفواحش» اهـ.

وقد روي عن علي رضي الله عنه دعاء الإستجاء من طرق أربعة ضعيفة. **الأولى**: من طريق خارجة بن مصعب، عن يونس بن عبيد عن الحسن عن علي قال: علمني رسول الله ﷺ ثواب الوضوء فقال الحديث وفيه: «وإذا غسلت فرجك فقل اللهم حصن فرجي واجعلني من الذين إذا أعطيتهم شكروا وإذا ابتليتهم صبروا» أخرجه أبو القاسم بن منده في كتاب الوضوء، والمستغفري في الدعوات، والديلمي في مسند الفردوس. لكن الحسن عن علي منقطع، وخارجة ابن مصعب تركه الجمهور. **والثانية**: من طريق أحمد بن مصعب، عن حبيب بن أبي حبيب، عن

فرجي من الفواحش» ويدلك يده بحائط أو بالأرض إزالة للرائحة إن بقيت، والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿فيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أن يَتَطَهَّرُوا والله يحب المطهّرين﴾ [التوبة: ١٠٨]، قال رسول الله ﷺ لأهل قباء: «ما هذه الطهارة التي أثنى الله بها عليكم؟ قالوا: كنا نجمع بين الماء والحجر».

أبي إسحاق عن علي فذكر نحوه، وفيه بعض زيادات. أخرجه المستغفري أيضاً، وأحمد بن مصعب حافظ لكنه إتهم بوضع الحديث، **والثالثة:** من طريق أبي جعفر المرادي، عن محمد بن الحنفية قال: دخلت على والدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وإذا عن يمينه إناء من ماء فسمى ثم سكب على يده اليسرى ثم استنجى فقال: «اللهم حصن فرجي واستر عورتي ولا تشمت بي عدوي» الحديث أخرجه أبو القاسم بن عساكر في أماليه، وفي سنده أصرم بن حوشب، وقد وصف بأنه كان يضع الحديث. **والرابعة:** من طريق جعفر الصادق عن آبائه أخرجه الحرث بن أبي أسامة في مسنده، قال الحافظ في تخريج أحاديث الإذكار: وفي سنده حماد بن عمرو النصيبي، وقد وصف أيضاً بأنه كان يضع الحديث. قال: ولم يحضرني سياق لفظه الآن، والله أعلم.

(**ويدلك يده**) بعد الفراغ من الإستنجاء (**بحائط**) أي جدار إن كان في البنيان (**أو بالأرض**) إن كان بالصحراء (**إزالة للرائحة إن بقيت**). وقد عقد أبو داود في سننه عليه باباً فقال: باب الرجل يدلك يده بالأرض إذا استنجى وأخرج فيه من حديث أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ إذا أتى الخلاء أتيته بماء في ثور أوركوة فاستنجى ثم مسح يده على الأرض ثم أتيته بإناء آخر فتوضأ، وأخرجه ابن ماجة أيضاً. وقال النووي: ويستحب أن يبدأ المستنجي بالماء بقبله ويدلك يده بعد غسل الدبر وينضح فرجه أو سراويله بعد الإستنجاء دفعاً للوسواس، ويعتمد على أصبعه الوسطى في غسل الدبر، ويستعمل من الماء ما يغلب على الظن زوال النجاسة به ولا يتعرض للباطن، ولو غلب على ظنه زوال النجاسة ثم شم من يده ريحها فهل يدل على بقاء النجاسة في المحل كما هي في اليد أم لا؟ وجهان أصحهما لا. والله أعلم. (**والجمع بين الماء والحجر**) أو ما في معناه (**مستحب**) وفي شرح الرافعي أفضل، وفي كتب أصحابنا غسل المحل بعد التنقية بنحو الحجر أدب، (**فقد ورد أنه لما نزل قوله عز وجل: فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين**) [التوبة: ١٠٨] أخرجه البزار في مسنده من حديث ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية (**قال رسول الله ﷺ لأهل قباء: «ما هذه الطهارة التي أثنى الله بها عليكم»؟ قالوا**) إنا نتبع الحجارة الماء أي (**نجمع بين الماء والحجر**) وسنده ضعيف كما قاله العراقي وابن الملقن. وقال العراقي ورواه ابن حبان، والحاكم وصححه من حديث أبي أيوب، وجابر، وأنس في الإستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر اهـ.

قلت: وأخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة من حديث أبي هريرة رفعه قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ قال: كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية. وقال الترمذي: حديث غريب. وقال العراقي، وابن الملقن: وفي ذلك رد على قول

النووي تبعاً لابن الصلاح أن الوارد في جمع أهل قباء بين الماء والأحجار لا أصل له في كتب الحديث، وإنما قاله أصحابنا وغيرهم في كتب الفقه والتفسير اهـ.

وقال الرافعي: وفيه من طريق المعنى أن العين تزول بالحجر والأثر بالماء، فلا يحتاج إلى مخامرة عين النجاسة وهي محبوبة، فإن اقتصر على أحدهما فالماء أولى لأنه يزيل العين والأثر، والحجر لا يزيل إلا العين اهـ.

قال القسطلاني: والذي اتفق عليه جمهور السلف والخلف أن الجمع بين الماء والحجر أفضلُ، فيقدم الحجر لتخف النجاسة وتقل مباشرتها بيده، ثم يستعمل الماء وسواء فيه الغائط والبول كما قاله ابن سراقة وسليم الرازي، وكلام القفال الشاشي في محاسن الشريعة يقتضي تخصيصه بالغائط.

تنبيه:

ومنهم من كره الإستنجاء بالماء ونفى وقوعه عن النبي ﷺ متمسكين بما رواه ابن أبي شيبة بأسانيد صحيحة عن حذيفة بن اليمان أنه سئل عن الإستنجاء بالماء فقال: «إذا لا يزال في يدي نتن» وعن نافع عن ابن عمر أنه كان لا يستنجي بالماء، وعن الزهري قال: ما كنا نفعله. وعن سعيد بن المسيب أنه سئل عن الإستنجاء بالماء فقال: إنه وضوء النساء ونقل ابن التين عن مالك أنه أنكر أن يكون النبي ﷺ استنجى بالماء. وعن ابن حبيب أنه منع من الاستنجاء بالماء لأنه مطعوم. وقال بعضهم: لا يجوز الإستنجاء بالأحجار مع وجود الماء والسنة قاضية عليهم. استعمل النبي ﷺ الأحجار وأبو هريرة معه ومعه أداوة من ماء أخرجه البخاري والإسماعيلي من طريق شعبة عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس، وعند مسلم فخرج علينا وقد استنجى بالماء، وعند ابن خزيمة في صحيحه من حديث جرير وفيه: فأتيته بماء فاستنجى بها. وفي صحيح ابن حبان من حديث عائشة: ما رأيت رسول الله ﷺ خرج من غائط قط إلا من ماء والله أعلم.

تنبيه:

قد تقدم أن الجمع بينهما أدب. وقال الشمني في شرح النقاية، وقيل: هو سنة في زماننا لما روى البيهقي في سننه، وابن أبي شيبة في المصنف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: من كان قبلكم كانوا يبعرون بعراً وأنتم تثلطون ثلطاً فاتبعوا الحجارة الماء اهـ.

قلت: وأخرج الترمذي من حديث عائشة أنها قالت: مرن أزواجكن أن يغسلن أثر الغائط والبول فإن النبي ﷺ كان يفعله.

فصل

لم يشر المصنف هنا إلى كل ما يستنجي عنه، وقد أورده في كتبه الثلاثة البسيط والوسيط والوجيز، ونحن نذكر خلاصته من تقرير الرافعي. قال: الخارج من البدن إما ريح فلا استنجاء

منه، أو عين فإن وجب بخروجها الطهارة الكبرى كالمني والحيض فيجب الغسل ولا يمكن الإقتصار على الحجر.

قلت: قال النووي: صرح صاحب الحاوي وغيره بجواز الإستنجاء بالحجر من دم الحيض، وفائدته فيمن انقطع حيضها واستنجت بالحجر، ثم تيممت لسفر أو مرض صلت ولا إعادة اهـ.

ثم قال الرافعي: وإن لم تجب به الطهارة الكبرى نظر إن لم تجب به الصغرى أيضاً نظر، فإن كان طاهراً فذاك وإن كان نجساً كدم الفصد والحجامة فيزال كما يزال سائر النجاسات ولا مدخل للحجر فيه، وإن وجبت به الطهارة الصغرى فإن خرج من الثقبة التي تنفتح ويحكم بانتقاض الطهارة بالخارج منها فيزال كسائر النجاسات أللأحجار فيه مدخل؟ فيه وجوه ثلاثة وإن خرج من السبيلين نظر إن لم يكن ملوثاً كالدود والحصاة التي لا رطوبة معها، ففي وجوب الإستنجاء فيه قولان. أصحها لا يجب لا بالماء ولا بالحجر، لأن المقصود من الإستنجاء إزالة النجاسة أو تخفيفها عن المحل، فإذا لم يتلوث المحل ولم يتنجس فلا معنى للإزالة ولا للتخفيف، والثاني يجب لأنه لا يخلو عن رطوبة. وإن قلت وخفيت وإن كان ملوثاً فينظر إن كان نادراً كالدم والقيح ففيه قولان. أحدهما: يتعين إزالته بالماء رواه الربيع، والثاني رواه المزني وحرملة وهو الصحيح أنه يجوز الإقتصار فيه على الحجر نظراً إلى المخرج المعتاد فإن خروج النجاسات منه على الإنقسام إلى الغالبة والنادرة مما يتكرر ويعسر البحث عنها والوقوف على كيفياتها فيناط الحكم بالمخرج، ومنهم من قطع بهذا وحمل ما رواه الربيع على ما إذا كان بين الإليتين لا في الداخل، ومن جملة النجاسات النادرة المذي فيجيء فيه هذا الإختلاف. وحكي عن القفال تفصيل النجاسات النادرة وهو إن ما يخرج منها مشوباً بالمعتاد كفى الحجر فيه، وإن تمحض النادر فلا بد من الماء هذا في الخارج النادر، أما المعتاد فإن لم يعد المخرج فعليه أحد الأمرين. إما إزالته بالماء كسائر النجاسات، وإما التخفيف بجامد وإن عدا المخرج نظر إن لم ينتشر أكثر من القدر المعتاد، فكذلك يتخير بين الأمرين، وذلك القدر من الإنتشار يتعذر أو يتعسر الإحتراز عنه. ونقل المزني أنه إذاعدا المخرج لا يجزىء فيه إلا الماء، فمنهم من أثبته قولاً آخر، وزعم أن الضرورة تختص بالمخرج ولا تسامح فيما عداه بالإقتصار على الأحجار، والأكثرون امتنعوا من إثباته قولاً وانقسموا إلى مغلظ ومؤول، وإن انتشر أكثر من القدر المعتاد وهو أن يعدو المخرج وما حواليه، فينظر إن لم يجاوز الغائط الإليتين ففي جواز الإقتصار فيه على الأحجار قولان أحدهما: الجواز رواه الربيع، واحتج الشافعي رضي الله عنه لهذا القول بان قال: لم يزل في زمن رسول الله ﷺ رقة البطون وكان أكثر أقواتهم التمر وهو ما يرقق البطن ومن رق بطنه انتشر خلاؤه عن الموضع وما حواليه ومع ذلك أمروا بالإستجمار، والثاني ذكره في القديم أنه لا يجوز لأنه انتشار لا يعم ولا يغلب، وإذا اتفق وجب غسله كسائر النجاسات وفيه طريقان أخريان. إحداهما: القطع بالقول الأول رواها الشيخ أبو محمد والمسعودي، والثانية القطع

....

بالقول حكاها كثيرون من الأئمة. وأما البول فالحشفة فيه بمثابة الإليتين في الغائط والأمر فيه على هذا الإختلاف. وعن أبي إسحاق المروزي أنه إذا جاوز البول الثقب لم يجر فيه الحجر قولاً واحداً والخلاف والتفصيل في الغائط، والفرق أن البول ينفصل على سبيل التزريق فيبعد فيه الإنتشار، وإن جاوز الغائط الإليتين والبول الحشفة تعينت الإزالة بالماء كسائر النجاسات لأنه نادر بمرة، ولا فرق بين القدر المجاوز وغيره ومنهم من جعل ما لم يجاوز على الخلاف ثم حيث يجوز الإقتصار على الحجر فذلك بشرط أن لا تنتقل النجاسة عن الموضع الذي أصابته عند الخروج، فلو قام وانضمت إليتاه عند الخطو وانتقلت النجاسة تعين الماء وبشرط أن لا يصيب موضع النجو نجاسة من خارج حتى لو عاد إليه رشاش ما أصاب الأرض تعين الماء، وبشرط أن لا يجف الخارج عن الموضع، فإن جف تعين الماء، وحكى الروياني أنه إن كان يقلعه الحجر يجزيء وإلا فلا. واختار هذا الوجه، والله أعلم.

فصل

وقال أصحابنا: إن جاوز النجس المخرج أكثر من قدر الدرهم فواجب غسله لأن ما على المخرج إنما اكتفى فيه بغير الغسل للضرورة ولا ضرورة في المجاوز، ولو جاوز المخرج قدر الدرهم فعند أبي حنيفة وأبي يوسف لا يجب غسله، وعند محمد يجب بناء على أن المخرج كالظاهر، وهو قول محمد أو كالباطن وهو قولهما. وفي القنية: ولو أصاب المخرج نجاسة من غيره أكثر من قدر الدرهم، فالصحيح أنه لا يطهر إلا بالغسل، ولو كانت المقعدة كبيرة وفيها نجاسة لم تجاوز المخرج وهي أكثر من قدر الدرهم، فعن الفقيه أبي بكر محمد بن الفضل لا تجزئه الأحجار. وعن أبي شجاع والطحاوي تجزئه والله أعلم.

خاتمة الباب:

قال الرافعي: لا فرق بين الخنثى المشكل وبين واضح الحال في الإستنجاء من الغائط، وأما في البول فليس للمشكل أن يقتصر على الحجر إذا بال من مسلكيه أو أحدهما لأن كل واحد منهما إذا أفردناه بالنظر احتمل أن يكون زائداً، فسبيل النجاسة الخارجة منه سبيل دم الفصد والحجامة. نعم يجيء في مسلكيه الخلاف في جواز الإقتصار على الحجر في الثقبة المنفتحة مع انفتاح المسلك المعتاد إذا قلنا ينتقض الطهارة بالخارج منها، وأما واضح الحال فالرجل مخير إن شاء اقتصر على الماء، وإن شاء استعمل الأحجار أو ما في معناها، وكذلك البكر لأن البكارة تمنع من نزول البول في الفرج. وأما الثيب فالغالب أنها إذا بالت تعدى البول إلى فرجها الذي هو مدخل الذكر ومخرج الولد. لأن ثقبة البول فوقه فيسيل إليه، فإن تحققت أن الأمر كذلك لم يجزها إلا الماء، وإن لم تتحقق جاز لها الاقتصار على الحجر لأن موضع خروج البول لا يختلف بالثيابة والبكارة وانتشار البول إلى غيره غير معلوم. وحكى وجه أنه لا يجوز لها الإقتصار على

كيفية الوضوء:

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء، فلم يرَ رسول الله ﷺ قط خارجاً من الغائط إلا توضأ ويبتدىء بالسواك، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن أفواهكم طرق

الحجر بحال، ثم القدر المغسول من الرجل ظاهر، وهو من المرأة ما يظهر إذا جلست على القدمين وفيه وجه تغسل الثيب باطن فرجها كما تخلل أصابع رجليها لأنها صارت ظاهراً بالثيابة، والله أعلم.

كيفية الوضوء:

هو بضم الواو وفتحها مصدر وبفتحها فقط ما يتوضأ به مأخوذ من الوضاءة وهي الحسن والنظافة، وشرعاً نظافة مخصوصة ففيه المعنى اللغوي لأنه يحسن أعضاء الوضوء في الدنيا بالتنظيف، وفي الآخرة بالتحجيل حتى قيل: الحكمة في غسل هذه الأعضاء هو هذا المعنى، فإن العبد إذا توجه لخدمة ملك يجب أن يجدد النظافة وأيسرها تنقية الأطراف التي تنكشف كثيراً، ومتى أبصرت نقية من الدرن نظيفة من الوسخ قبلها القلب واستحسنها العقل، وقدم الوضوء على الغسل لأن الله تعالى قدمه عليه فقال:

(**وإذا فرغ**) العبد (**من الإستنجاء**) بالآداب التي ذكرت (**اشتغل بالوضوء**) أي بمهماته، (**فلم ير رسول الله ﷺ خارجاً من الغائط**) وأصله المطمئن من الأرض الواسع، وكان الرجل منهم إذا أراد أن يقضي الحاجة أتى إلى الغائط فقضى حاجته، فقيل لكل من قضى حاجته قد أتى الغائط يكنى به عن العذرة وقد تغوط وبال. كذا في مختار الصحاح، وقال المناوي: كنى به عن العذرة كراهة لإسمه فصار حقيقة عرفية. (**إلا توضأ**) الوضوء الشرعي، وهذا الحديث لم يتعرض له العراقي إلا أن يكون المراد بالوضوء الإستنجاء، وهو وإن كان بعيداً ولكن يساعده ما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ خرج من غائط قط إلا من ماء إلا أنه لا يناسب المقام كما لا يخفى، وربما يخالفه ما أخرجه أبو داود، وابن ماجة من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: بال رسول الله ﷺ فقام عمر خلفه بكوز من ماء، فقال: ما هذا يا عمر؟ قال: ماء توضأ به. قال: ما أمرت كلما بلت أن أتوضأ، ولو فعلت لكانت سنة. قال المنذري: المرأة التي روت عن عائشة مجهولة. (**و**) من آداب الوضوء (**أن**) الرجل (**يبتدىء بالسواك**) أي يقدمه على أفعال الوضوء، وهو بالتثليث عود الأراك والجمع سوك بالضم، والأصل بضمتين مثل كتاب وكتب. قال ابن دريد: سكت الشيء أسوكه سوكاً من باب قال إذا دلكته، ومنه اشتقاق السواك وهو أحسن من قول ابن فارس مأخوذ من تساوكت الإبل إذا اضطربت أعناقها من الهزال. (**فقد قال النبي ﷺ: «إن أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك»**) قال العراقي: أخرجه أبو نعيم من حديث علي. ورواه ابن ماجة موقوفاً على علي، وكلاهما ضعيف، ورواه البزار مرفوعاً وإسناده جيد اهـ.

القرآن فطيّبوها بالسواك». فينبغي أن ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة القرآن، وذكر الله تعالى في الصلاة، وقال ﷺ: «صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك». وقال ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة». وقال ﷺ: «ما لي أراكم تدخلون عليَّ قلحاً استاكوا» أي صفر

قلت: وكذا أخرجه السجزي في الإبانة من حديث علي مرفوعاً، ورواه أبو مسلم الكجي في السنن، وأبو نعيم من حديث الوضين، وفي إسناده مندل وهو ضعيف. وقوله: ورواه البزار الخ صرح به في شرح التقريب بلفظ: «إن العبد إذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فيستمع لقراءته فيدنو منه أو كلمة نحوها حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شيء إلا صار في جوف الملك فطهروا أفواهكم للقرآن» قال: ورجاله رجال الصحيح إلا أن فيه فضيل بن سليمان النميري وهو وإن أخرج له البخاري ووثقه ابن حبان فقد ضعفه الجمهور فتأمل (**فينبغي أن ينوي عند السواك تطهير فيه**) أي فمه (**لقراءة الفاتحة وذكر الله عز وجل في الصلاة**)، ولو قال: لقراءة القرآن لكان شاملاً للمذهبين أي أنه باستعماله السواك لا يقتصر على نية إزالة الوسخ عن فمه، بل ينوي بذلك ما ذكر حتى يثاب عليه. (**وقال ﷺ: «صلاة في أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة من غير سواك»**) قال العراقي: أخرجه أبو نعيم في كتاب السواك من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف، ورواه أحمد، والحاكم، وصححه، والبيهقي وضعفه من حديث عائشة بلفظ: «من سبعين صلاة» اهـ.

قلت: وكذا ابن زنجويه إلا أنه قال: «صلاة بسواك» وأخرجه ابن عدي من رواية مسلمة ابن علي الخشني، عن سعيد بن سنان الحمصي، عن أبي الزاهرية، عن أبي هريرة رفعه بلفظ المصنف، إلا أنه قال: «من خمس وسبعين من غير سواك» قال: ومسلمة لا شيء في الحديث. (**وقال ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وأخرج أبو داود، والنسائي بلفظ «لأمرتهم بتأخير العشاء والسواك عند كل صلاة». وأخرج ابن ماجة فعل الصلاة، وأخرج فعل السواك من حديث سعيد المقبري عن أبي هريرة، وأخرج الترمذي فصل السواك من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة وأخرج أبو داود من حديث زيد بن خالد الجهني بلفظ المصنف سواء. وأخرجه الترمذي والنسائي. وحديث الترمذي مشتمل على الفعلين، وكذلك عند أحمد والضياء، وعند البيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ «مع كل وضوء» وكذا عند الطبراني في الأوسط عن علي، واقتصروا على فصل السواك. وعند الحاكم من حديث العباس بن عبد المطلب بلفظ: «لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء». وعند أحمد، والنسائي عن أبي هريرة بلفظ «عند كل صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك». وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن مكحول مرسلاً بلفظ «لأمرتهم بالسواك والطيب عند كل صلاة» (**وقال ﷺ: «مالي أراكم تدخلون علي قلحاً استاكوا»**) قال

الأسنان. وكان عليه السلام يستاك في الليلة مراراً. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «لم يزل ﷺ يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء». وقال عليه السلام: «عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب»، وقال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم. وكان أصحاب النبي ﷺ يروحون والسواك على آذانهم.

العراقي: أخرجه البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب وأحمد والبغوي من حديث تمام بن العباس، والبيهقي من حديث عبدالله بن عباس وهو مضطرب اهـ.

قلت: والذي قال أنه مضطرب هو أبو علي بن السكن، فقد رواه أحمد والجماعة المذكورون، وابن أبي خيثمة من حديث تمام كما ذكر، ورواه الطبراني من حديث جعفر بن تميم أو تمام عن أبيه، وقيل: تمام بن قثم أو قثم بن تمام. وقوله: «قلحاً بضم القاف وسكون اللام» **(أي: صفر الأسنان)**. وقد قلحت من باب تعب إذا تغيرت بصفرة أو خضرة وهو أقلح وهي قلحاء، والجمع قلح كأحمر وحمر. **(وكان ﷺ يستاك من الليل مراراً)**. وفي بعض النسخ في الليلة مراراً. قال العراقي: أخرجه مسلم من حديث ابن عباس اهـ.

(وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «لم يزل يأمرنا) رسول الله ﷺ **(بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء»)** أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديثه. قاله العراقي**(وقال)** ﷺ: **(«عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب عز وجل»)** أخرجه البخاري تعليقاً مجزوماً أي في كتاب الصيام من حديث عائشة، والنسائي، وابن خزيمة موصولاً قاله العراقي. وقد وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذي قبله، وقد رواه من حديث ابن عباس الطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب الايمان اهـ.

قلت: وأخرجه ابن عدي من رواية الخليل بن مرة، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس بلفظ: «مطهرة للفم مرضاة للرب مفرحة للملائكة» قال: والخليل عنده مناكير قاله البخاري.

قلت: وأخرجه أحمد من حديث ابن عمر إلا أنه قال: «مطيبة» بدل «مطهرة» والباقي كلفظ المصنف. **(وقال علي رضي الله عنه: السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم)**. وفي كتاب النوادر للترمذي الحكيم: السواك يزيد للحافظ حفظاً. وفي كلام ابن عباس: في السواك عشر خصال فذكر منها أنه ينقي البلغم، والبلغم أحد الأخلاط الأربعة. **(وكان أصحاب النبي ﷺ يروحون والسواك على آذانهم)**. قال العراقي: أخرجه الخطيب في كتاب أسماء من روي عن مالك، وعند أبي داود، والترمذي، وصححه أن زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب اهـ.

قلت: وهو الذي قدمناه آنفاً وأوّله: «لولا أن أشق» وفيه: قال أبو سلمة فرأيت زيداً يجلس في المسجد وأن السواك من أذنه موضع القلم من أذن الكاتب، فكلما قام إلى الصلاة استاك. وقد

وكيفيته: أن يستاك بخشب الأراك أو غيره من قضبان الأشجار مما يخشن ويزيل

أخرجه النسائي كذلك، وحديث الترمذي مشتمل على الفعلين كما تقدم. وقال: حسن صحيح وقول المصنف: يروحون أي يأتون إلى المساجد من بعد زوال الشمس لحضور الصلاة في المسجد مع النبي ﷺ.

تنبيه:

قد بقيت أحاديث في فضل السواك لم يذكرها المصنف، ونحن نشير إليه. فمنها ما أخرجه الستة خلا الترمذي من حديث حذيفة رفعه: «كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك»، واختلف في معنى الشوص هنا، فقيل: هو الغسل، وقيل: الدلك، وقيل: التنقية، وقيل: يشوص يستاك عرضاً. وقال ابن دريد: الشوص الاستياك من أسفل إلى أعلى، ويقال: شصت معرب شثت بمعنى غسلت بالفارسية. قلت: ومصدره شثتن بزيادة النون. وأخرج أبو داود من حديث عبدالله بن حنظلة بن أبي عامر أن رسول الله ﷺ أمر بالوضوء لكل صلاة طاهراً أو غير طاهر، فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك لكل صلاة، فكان ابن عمر يرى به قوة، وكان لا يدع الوضوء لكل صلاة. وأخرج الستة خلا البخاري من حديث عائشة رفعته: عشر من الفطرة فساقه وذكر فيهن السواك. وأخرج أبو داود من حديثها أيضاً رفعته كان يوضع له وضوءه وسواكه، فإذا قام من الليل تخلّى ثم استاك. وأخرج أيضاً من حديثها رفعته: كان لا يرقد في ليل ولا نهار فيستيقظ إلا تسوّك قبل أن يتوضأ. وأخرج البخاري في تفسير آل عمران من حديث ابن عباس: بت عند النبي ﷺ فاستن الحديث. وأخرج أبو نعيم في كتاب السواك من حديث عبدالله بن عمرو رفعه: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم أن يستاكوا بالأسحار». وأخرج أحمد عن أبي بكر والشافعي، وأحمد أيضاً والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي عن عائشة، وابن ماجة عن أبي أمامة بلفظ: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب». وزاد الطبراني في الأوسط عن ابن عباس «ومجلاة للبصر» وفي الكبير عنه: «يطيب الفم ويرضي الرب» وفي كتاب الإيمان لرستة عن حسان بن عطية مرسلاً: «السواك نصف الايمان والوضوء نصف الايمان». وأخرج أبو نعيم في كتاب السواك عن عبدالله بن عمرو بن حلحلة، ورافع بن خديج معاً «السواك واجب وغسل الجمعة واجب على كل مسلم». وعن عبدالله بن جزء: «السواك من الفطرة». وأخرج ابن عدي، والعقيلي والخطيب في الجامع، عن أبي هريرة «السواك يزيد الرجل فصاحة». وأخرج الديلمي في الفردوس عن أبي هريرة «السواك سنّة فاستاكوا أي وقت شئتم». ومن حديث عائشة: «السواك شفاء من كل داء إلا السام» والسام: الموت.

(وكيفيته: أن يستاك بخشب الأراك) شجر من الحمض يستاك بقضبانه. والواحدة: أراكة، ويقال: هي شجرة طويلة ناعمة كثيرة الورق والأغصان خوارة العود ولها ثمر في عناقيد يسمى البرير يملأ العنقود الكف. وفي الشفاء هو أفضل ما يستاك به بأصله وفرعه من الشجر ونباته في بطون الأودية، وربما نبت في الجبال وذلك قليل اهـ.

القلح ويستاك عرضاً وطولاً وإن اقتصر فعرضاً. ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وإن لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم أو طول الأزم أو أكل ما

فقول المصنف: بخشب الأراك أعم من الأصل والفرع، والمعروف الآن في الاستعمال أصله المتبطن في الأرض يحفر عليه فيخرج وهو طري ويقلع على قدر الشبر وأكثر وينشف ويرسل إلى سائر البلدان، **(أو غيره من قضبان الأشجار)** جمع قضيب وهو الغصن الناعم كجريد النخل وعرجونه والزيتون، وبكل ما له رائحة كالسعد **(مما يخشن)** لمسه **(ويزيل القلح)** محركة وهي صفرة تعلو الأسنان وخضرة كالخرقة الخشنة ونحوها. نعم لو كان جزءاً منه كأصبعه الخشنة ففيه ثلاثة أوجه. أظهرها: لا، والثاني: موافق لأبي حنيفة ومالك فإنهما قالا يجزىء ويكره من عود الآس والتين والرمان والورد والريحان واللفت طباً، فإن الاستياك من كل ذلك يورث أمراضاً خاصة **(ويستاك)** الإنسان **(عرضاً)** لما ورد « إذا استكتم فاستاكوا عرضاً »، رواه أبو داود في مراسيله، والمراد: عرض الأسنان، ويستاك أيضاً **(طولاً)** وهو الذي فسّر به الشوص على أحد الأقوال، وهو من سفل إلى علو، وقال النووي في الروضة: كره جماعات من أصحابنا الاستياك طولاً أي لأنه يجرح اللثة، **(وإن اقتصر فعرضاً)** لأنه يحصل به المقصود وهو كذلك بعينه المنقول عن أصحابنا. وذكره المصنف في الوسيط أيضاً، ولم يذكر المصنف استياك اللسان فقد ورد ذلك من فعله ﷺ فيما رواه الشيخان، وأبو داود، والنسائي من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فوجدته يستن بسواك بيده يقول: « أع أع والسواك في فيه كأنه يتهوّع ». هذا لفظ البخاري وهي بضم الهمزة فيهما. وفي رواية غير أبي ذر بفتحهما، وعند ابن عساكر بالاعجام، وعند النسائي عاعا، وعند أبي داود أه أه. وفي صحيح الجوزقي: اخ اخ بكسرهما والخاء معجمة، وإنما اختلفت الروايات لتقارب مخارج هذه الأحرف وكلها ترجع إلى حكاية صوته ﷺ إذ جعل السواك على طرف لسانه كما عند مسلم، والمراد طرفه الداخل كما عند أحمد يستن إلى فوق، **(ويستحب السواك عند كل صلاة)** أي عند إرادة القيام إليها كما مرّ من حديث الشيخين: « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » أي أمر ايجاب، **(وعند كل وضوء)** لما تقدم من حديث: « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء » أي أمر ايجاب فبقي الأمر على الاستحباب والسنية، وحكي عن داود وإسحاق وجوبه، لكـن نقل عن إسحاق أن تركه عمداً يبطل الصلاة، والمشهور عن داود أنه سنّة، وكذا لابن حزم، وزاد إلا يوم الجمعة فإنه فرض لازم، وغلط ابن أبي الدم في كتاب الانتصار القول المحكي عن إسحاق بأنه شرط في صحة الصلاة. وفي بعض نسخ الحلية للشاشي أن أبا إسحاق قال بذلك، ولعله تصحف بإسحاق. **(وإن لم يصل عقبه)** أي في الحال، واستدل صاحب الهداية من أصحابنا على سنيته بأنه ﷺ كان يواظب عليه، واعترض عليه بأن المواظبة تفيد الوجوب لا السنية. وأجيب: بأن المختار أنها لا تفيده لكنه مقيد بعدم العارض، وهو قوله عليه السلام: « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء »،

تكره رائحته، ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول: « بسم

ولو وجب لأمرهم شق عليهم أو لا. ومن ثم قال شارح الكنز: الأصح أنه مستحب لأنه ليس من خصائص الوضوء. وفي فتح القدير وهو الحق ويوافقه ما في المقدمة الغزنوية يستحب في خمسة مواضع القيام إلى الصلاة، وعند الوضوء، (**وعند تغير النكهة**) على وزن تمرة إسم من نكه عليه وله نكهاً ونكهه إذا تنفس على أنفه ليشتم ريح فمه (**بالنوم**) أي ذلك التغير قد يكون بالنوم، (**أو**) ذلك التغير يكون من (**طول الأزم**) بفتح فسكون السكوت الطويل أو من ترك الأكل، (**أو**) من (**أكل ما تكره رائحته**) كالبصل والثوم أو غيرهما من الخبائث، وكذلك يستحب عند إرادة الجماع، وأول ما يدخل المنزل، وعند قراءة القرآن تعظيماً له وفي كل حال إلا للصائم بعد الزوال فيكره خلافاً لأبي حنيفة ومالك وأحمد. قال النووي: ولنا قول غريب أنه لا يكره السواك للصائم بعد الزوال، فهذه المواضع كلها مما يستحب فيها السواك ويطرد فيه الاستحباب، لكنه آكد في مواضع منها عند الصلاة وإن كان على الطهارة سواء كان متغير الفم أو لم يكن، ولم يذكر المصنف بقية خصال السواك. وقد روي عن ابن عباس فيه عشر خصال: يذهب الحفر، ويجلو البصر، ويشد اللثة، ويطيب الفم، وينقي البلغم، وتفرح له الملائكة، ويرضي الرب تعالى، ويوافق السنّة، ويزيد في حسنات الصلاة، ويصحح الجسم. وزاد غيره: ويزيد الحفظ، وينبت الشعر، ويصفي اللون، وزاد شيخ مشايخنا السيد موسى بن أسعد المحاسني الحنفي الدمشقي في شرح منظومة السواك: له خصالاً في السواك غير ما ذكر. منها: أنه يورث الغنى مع الإدمان عليه، ويطرد وساوس الشيطان، ويفصح اللسان، ويهضم الطعام، ويغزر المني، ويبطىء الشيب، ويشد الظهر، ويؤنس في اللحد، ويوسع له في قبره، ويزيد في العقل، ويذكر الشهادة عند الموت، ويسهل خروج الروح من البدن، ويذهب الجوع، وينوّر الوجه، ويسكن الصداع، ويقطع الرطوبات. وقد نظم بعض الفضلاء أكثر تلك الخصال في أبيات فقال:

فوائد السواك عشرون تحب ... مطهرة للفم مرضاة لرب
يفرح املاكاً يغيظ الشيطان ... يطيب نكهة جلاء الأسنان
يحد أبصاراً وتؤتي السنّة ... يحسن الصوت يزكي الفطنة
يشد لحم ميت الأسنان ... يزيد في فصاحة اللسان
يذكر الميت بالشهادة ... ينمي لمن اعتاده اعداده
يبطىء الشيب يزيد الأجرا ... يسهل النزع يقوي الظهرا
يريد في العقل على المعتاد ... وقاطع رطوبة الأجسادِ اهـ.

وفي تاريخ داريا لعبد الصمد الخولاني عن أنس رضي الله عنه رفعه: « عليكم بالسواك فنعم الشيء السواك يذهب الحفر وينزع البلغم ويجلو البصر ويشد اللثة ويذهب بالبخر ويصلح المعدة ويزيد في درجات الجنة ويحمد الملائكة ويرضي الرب ويغضب الشيطان »، قال الترمذي الحكيم:

الله الرحمن الرحيم » . قال ﷺ : « لا وضوء لمن لم يسمِّ الله تعالى » أي لا وضوء كاملاً .

وليبلع ريقه في أوّل استياكه فإنه ينفع من الجذام والبرص ، وكل داء سوى الموت ولا يبلع بعد شيئاً فإنه يورث النسيان .

تنبيه :

لم يذكر المصنف دعاء السواك ، وذكره الروياني في البحر فقال : ويقول عند السواك : اللهم بيّض به أسناني وشدّ به لثاتي ، وبارك لي فيه يا أرحم الراحمين . **(ثم عند الفراغ من السوّاك يجلس)** أي يتهيأ ، والأفضل أن يكون مستقبل القبلة **(للوضوء ويقول : « بسم الله الرحمن الرحيم »)** . هكذا هو في شرح المذهب ، وفي شرح المفتاح للأستاذ أبي منصور : بسم الله وبالله ، وعلى ملة رسول الله . وفي زيادات العبادي : بسم الله العظيم الحمد لله على الإسلام ونعمته ، وهذا هو المنقول عن متقدمي الحنفية ، وعزاه الطحاوي إلى السلف ، وقيل : بل الأفضل ما ذكره المصنف لعموم حديث ذي بال ، وجمع المصنف في بداية الهداية بين البسملة والدعاء الذي يليه في موضع واحد . وعبارة الوجيز وأن يقول : بسم الله أي للتبرك والتيمن . قال الرافعي : وهو أقلها . وأما أكملها أن يأتي بها تامة كما نبه عليه الولي العراقي . وقال الزاهدي من أئمتنا : إن الأفضل أن يأتي بها بعد التعوّذ وفي النهر ولو كبر أو هلل أو حمد الله كان مقيماً لأصل السنّة . وقال قاضيخان : الأصح أنه يأتي بها مرتين مرة قبل كشف العورة للاستنجاء ، ومرة بعد سترها عند ابتداء غسل سائر الأعضاء احتياطاً للخلاف الواقع فيها . وذهب أحمد إلى أن التسمية واجبة لما **(قال ﷺ : « لا وضوء لمن لم يسم الله عليه »)** . قلت : المعنى **(أي لا وضوء كاملاً)** قال الرافعي : كذلك روي في بعض الروايات ، ويدل عليه قوله ﷺ : « من توضأ وذكر اسم الله عليه كان طهوراً لجميع بدنه ، ومن توضأ ولم يذكر اسم الله كان طهوراً لأعضاء وضوئه » ولو كانت التسمية واجبة لما طهر شيء اهـ .

والحديث الذي أورده المصنف قال العراقي : أخرجه الترمذي وابن ماجة من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة ، ونقل الترمذي عن البخاري أنه أحسن شيء في هذا الباب اهـ .

قلت : ورواه أبو داود ، وابن ماجة من رواية أبي هريرة ، وصححه الحاكم وغلطه غير واحد في ذلك ، وقال أحمد : لا أعلم حديثاً في هذا الباب له إسناد جيد قاله ابن الملقن . وفي الباب عن أبي سعيد ، وعائشة ، وسهل بن سعد ، وأبي سبرة ، وأم سبرة ، وعلي وأنس . وأما قول الرافعي : كذلك روي في بعض الروايات ، فقال ابن الملقن : هذه غريبة . وقال الحافظ : لا أعلمها في رواية ، ولكن معناها في الحديث الذي يليه يعني : « من توضأ وذكر اسم الله عليه » الحديث . وقال النووي ، في الاذكار : وجاء في التسمية أحاديث ضعيفة ثبت عن أحمد بن حنبل أنه قال : لا أعلم في التسمية في الوضوء حديثاً ثابتاً . قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديثه : لا يلزم من نفي العلم ثبوت العدم ، وعلى التنزل لا يلزم من نفي الثبوت ثبوت الضعف لاحتمال أن يراد بالثبوت الصحة فلا

ويقول عند ذلك: «أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون»، ثم

ينتفي الحكم، وعلى التنزل لا يلزم من نفي الثبوت عن كل فرد نفيه عن المجموع، وقال بعدما ساق الأحاديث الواردة في التسمية كلها ما نصه، قال أبو الفتح اليعمري: أحاديث الباب إما صريح غير صحيح وإما صحيح غير صريح. وقال ابن الصلاح: يثبت بمجموعها ما يثبت به الحديث الحسن، والله أعلم اهـ.

تنبيه:

لو نسي التسمية في الابتداء وذكرها في أثناء الوضوء أتى بها، كما لو نسي التسمية في ابتداء الأكل يأتي بها إذا تذكر في الأثناء، ولو تركها في الابتداء عمداً فهل يشرع له التدارك في الأثناء هذا محتمل. قال النووي: قول الرافعي هذا محتمل عجيب، فقد صرح الأصحاب بأنه يتدارك في العمد، وممن صرح به المحاملي في المجموع والجرجاني في التحرير وغيرهما، وقد أوضحه في شرح المهذب. **(ويقول عند ذلك: «أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون»)** وعبارة القوت ويقول عند التسمية: «أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون» ومثله في العوارف للسهروردي. اعلم أن النووي في الاذكار قال: وأما الدعاء على أعضاء الوضوء فلم يجيء فيه شيء عن النبي ﷺ، وكرر ذلك بنحوه في كثير من كتبه فقال في التنقيح: ليس فيه شيء عن النبي ﷺ، وقال في الروضة: لا أصل له ولم يذكره الشافعي ولا الجمهور يعني الحديث الذي أورده الرافعي تبعاً للغزالي في غسل الرجلين. وقال في شرح المهذب متعقباً على مصنفه حيث أورده لا أصل له ولا ذكره المتقدمون. وقال في المنهاج: وحذفت دعاء الأعضاء إذ لا أصل له، وقد تعقبه صاحب المهات فقال: ليس كذلك بل روي من طرق. منها: عن أنس رواه ابن حبان في تاريخه في ترجمة عباد بن صهيب، وقد قال أبو داود انه صدوق قدري، وقال أحمد: ما كان بصاحب كذب، وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال: لو لم يرد فيه إلا هذا لمشي الحال ولكن بقية ترجمته عند ابن حبان كان يروي المناكير عن المشاهير حتى يشهد المبتدىء في هذه الصناعة أنها موضوعة، وساق منها هذا الحديث ولا تنافي بين قوله وبين قول أحمد وأبي داود بأن يجمع بأنه كان لا يتعمد، بل يقع ذلك في روايته من غلطه وغفلته، ولذلك تركه البخاري والنسائي وأبو حاتم وغيرهم اهـ.

وفي حديث علي الذي أخرجه ابن منده في كتاب الوضوء، والمستغفري في الدعوات، وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طرق، عن مغيث بن بديل، عن خارج بن مصعب، عن يونس بن عبيد، عن الحسن هو البصري عن علي رضي الله عنه قال: علمني رسول الله ﷺ ثواب الوضوء فقال: «يا علي إذا قدمت وضوءك فقل بسم الله العظيم الحمد لله الذي هدانا للإسلام. اللهم اجعلني من التوّابين واجعلني من المتطهرين».

يغسل يديه ثلاثاً قبل أن يدخلهما الإناء، ويقول: «اللهم إني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة» ثم ينوي رفع الحدث أو استباحة الصلاة ويستديم النية

قال المصنف: (**ثم يغسل يديه**) إلى كوعيه (**قبل إدخالها الإناء**) كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك في وضوئه. قال الرافعي: ولا فرق في استحبابه بين القائم من النوم وغيره، ولا بين أن يتردد في طهارة يديه أو يتيقنها، ولا بين من يدخل يديه في الاناء في توضئه وبين من لا يفعل ذلك، ولفظ الكتاب: لا يقتضي إلا الاستحباب في حق من يدخل يديه في الاناء، ثم من يدخل يديه في الإناء ولم يتيقن طهارة يديه بأن قام من النوم واحتمل تنجس يديه في طوفها وهو نائم يختص بشيء وهو أنه يكره له ذلك قبل الغسل. قال رسول الله ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يديه في الاناء حتى يغسلها ثلاثاً فإنه لا يدري أين باتت يده». وكذا لو كان مستيقظاً ولم يستيقن طهارة اليدين، وإن تيقن طهارة يديه فهل يكره له الغمس قبل الغسل؟ فيه وجهان. أظهرهما لا. بل يتخير بين تقديم الغمس وتأخيره لأن سبب المنع ثم الاحتياط لكنها لاحتمال نجاسة اليد وهذا مفقود ههنا. والثاني: يكره لأن المتيقن والمتردد يستويان في أصل استحباب الغسل، وكذلك استحباب تقديم الغسل على الغمس. وقال النووي على قول الرافعي أظهرهما لا.

قلت: ولا تزول الكراهة إلا بغسلها ثلاثاً قبل الغمس نص عليه في البويطي، وصرح به الأصحاب للحديث الصحيح. قال أصحابنا: إذا كان الماء في إناء كبير أو صخرة مجوّفة بحيث لا يمكن أن يصب منه على يده وليس معه ما يغترف به استعان بغيره، أو أخذ الماء بفمه أو طرف ثوب نظيف ونحوه والله أعلم اهـ.

وقال الرافعي: أما قوله ثلاثاً فليس ذلك من خاصية هذه السنة، بل التثليث مستحب في جميع أفعال الوضوء، كما سيأتي (**ويقول: «اللهم إني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة»**). هكذا هو في القوت والعوارف ولم أجد له أصلاً في أثر، (**ثم ينوي رفع الحدث أو استباحة الصلاة**).

قال الرافعي: الوضوء نوعان وضوء رفاهية ووضوء ضرورة. أما وضوء الرفاهية فعلى صاحبها أن ينوي أحد أمور ثلاثة.

أولها: رفع الحدث أو الطهارة من الحدث، فإن أطلق كفاه لأن المقصود من الوضوء رفع مانع الصلاة ونحوها، فإذا نواه فقد تعرض لما هو المطلوب بالفعل، وقد حكى وجه أنه إن كان يمسح على الخف لم يجزه نية رفع الحدث، بل ينوي استباحة الصلاة كالمتيمم، ولو نوى رفع بعض الأحداث دون بعض بأن كان قد نام وبال وفسا فنوى رفع حدث منها فيه وجوه: **أصحها**: انه يصح وضوءه لأنه نوى رفع البعض فوجب أن يرتفع، والحدث لا يتجزأ فإذا ارتفع البعض ارتفع الكل. **والثاني**: لا يصح لأن ما لم ينوِ رفعه يبقى، والأحداث لا تتجزأ فإذا بقي البعض

....

بقي الكل، ويكاد هذان الكلامان يتقاومان، لكن من نصر الأول قال نفس النوم والبول لا يرفع، وإنما يرفع حكمها وهو شيء واحد تعددت أسبابه والتعرض لها ليس بشرط فإذا تعرض لها مضافاً إلى سبب واحد كفت الإضافة إلى السبب وارتفع. **والثالث**: إن لم ينف رفع ما عداه صح وضوءه، وإن نفاه فلا، لأن نيته حينئذ تتضمن رفع الحدث وابقاءه، فصار كما لو قال: ارفع الحدث لا أرفعه. **والرابع**: إن نوى رفع الحدث الأول صح وضوءه، وإن نوى غيره فلا، لأن الأول هو الذي أثر في المنع ونقض الطهارة. **والخامس**: إن نوى رفع الحدث الآخر صح وإن نوى غيره فلا، لأن الآخر أقرب. وذكر بعضهم الخلاف فيما إذا نواه ونفى غيره، فإن لم ينف صح بلا خلاف، وهذا إذا كان الحدث الذي خصه بالرفع واقعاً له فإن لم يكن كما إذا نوى رفع حدث النوم ولم ينم وإنما بال نظران كان غالطاً صح وضوءه لأن التعرض لها ليس بشرط فلا يضر الغلط فيها، وإن كان عامداً لم يصح في أحد الوجهين لأنه متلاعب بطهارته.

الثاني: استباحة الصلاة أو غيرها مما لا يباح إلا بالطهارة كالطواف وسجدة التلاوة والشكر ومس المصحف، فإذا نواها وأطلق أجزأه لأن رفع الحدث إنما يطلب لهذه الأشياء إذا نواها، فقد نوى غاية المقصد. وروي وجه أنه لا يصح الوضوء بنية الاستباحة لأن الصلاة ونحوها قد تستباح مع بقاء الحدث بدليل التيمم، وإن نوى استباحة صلاة معينة، فإن لم يتعرض لما عداها بالنفي ولا بالاثبات صح أيضاً، وإن نفى غيرها فثلاثة أوجه. **أصحها**: الصحة لأن المنوي ينبغي أن تباح ولا تباح إلا إذا ارتفع الحدث والحدث لا يتبعض، **والثاني**: المنع لأن نيته تضمنت رفع الحدث وابقاءه كما سبق، **والثالث**: يباح له المنوي دون غيره وإذا نوى ما يستحب له الوضوء كقراءة القرآن للمحدث، وسماع الحديث وروايته، والقعود في المسجد وغيرها فوجهان. أظهرهما: أنه لا يصح وضوءه لأن هذه الأفعال مباحة مع الحدث فلا يتضمن قصدها قصد رفع الحدث، والثاني: يصح لأنه قصد أن يكون ذلك الفعل على أكمل أحواله، ولن يكون كذلك إلا إذا ارتفع الحدث كما ذكرنا من الأمثلة، وفيما إذا كان الاستحباب لا باعتبار الحدث كتجديد الوضوء، فإن الغرض منه زيادة النظافة، لكن المنع في القسم الثاني أظهر منه في الأوّل، ولذلك قطع بعضهم بنفي الصحة فيه، ولو شك في الحدث بعد تيقن الطهارة فتوضأ احتياطاً، ثم تبين أنه كان محدثاً فهل يعتد بهذا الوضوء؟ فيه هذان الوجهان، لأن الوضوء والحالة هذه محبوب للاحتياط لا للحدث.

الثالث: اداء فرض الوضوء وهذا لأن النية معتبرة في الوضوء لجهة كونه قربة فأشبه سائر القربات، ولهذا ذكروا وجهين في اشتراط الإضافة إلى الله تعالى كما في الصوم والصلاة وسائر العبادات، والأولى أن لا يجعل اعتبار النية في الوضوء على سبيل القربات، بل يعتبر بها للتمييز ولو كان الاعتبار على توجه القربة لما جاز الاقتصار على أداء الوضوء وحذف الفرضية لأن الصحيح أنه لا يشترط التعرض للفرضية في الصلاة، وقد نصوا على أنه لو نوى أداء الوضوء كفاه، بل يلزم أن يجب التعرض للفرضية وإن نوى رفع الحدث أو الاستباحة.

إلى غسل الوجه، فإن نسيها عند الوجه لم يجزه، ثم يأخذ غرفة لفيه بيمينه فيتمضمض

فإن قيل: إذا لم يدخل وقت الصلاة فليس عليه وضوء ولا صلاة، فكيف ينوي فرض الوضوء؟ والجواب: أن الشيخ أبا علي ذكر أن الموجب للطهارة هو الحدث، وقد وجب إلا أن وقتها لا ينطبق عليه ما لم يدخل وقت الصلاة، فلذلك صح الوضوء بنية الفرضية قبل دخول الوقت، وصار بعض الأصحاب إلى أن الموجب هو دخول الوقت أو أحدهما بشرط دخول الآخر، ثم إذا نوى بوضوئه أحد الأمور الثلاثة، وقصد معه شيئاً آخر كالتبرد مثلاً، ففيه وجهان، أحدهما، ويحكى عن ابن سريج أنه لا يصح لأن الاشتراك في النية بين القربة وغيرها مما يخل بالإخلاص وأصحهما أنه يصح.

وأما النوع الثاني: وضوء الضرورة، وهو وضوء من به حدث دائم كالمستحاضة وسلس البول ونحوهما، فلو اقتصرا على نية رفع الحدث ففيه وجهان، أصحهما: أنه لا يجوز لأن حدثهما لا يرتفع بالوضوء، والثاني: يصح لأن رفع الحدث يتضمن استباحة الصلاة فقصد رفع الحدث يؤثر بتضمنه وإن لم يؤثر بخصوصه. ولو اقتصر على نية الاستباحة فوجهان: أحدهما يصح، والثاني لا. ويحكى ذلك عن أبي بكر الفارسي والحصري.

ثم قال المصنف: (**ويستديم النية**) من أوّل شروعه في أفعال الوضوء، والأفضل عند غسل كفيه إلى أن يفرغ من الطهارة. هذا هو الأفضل فإن لم يستدم إلى آخرها فيستديم (**إلى غسل الوجه**) أي أول جزء من أجزائه، فإن فعل ذلك فقد صحت طهارته، (**فان نسيها عند**) غسل (**الوجه لم يجزه**) هذا كله بناء على مذهب الشافعي في إيجابه النية في طهارة الحدث والغسل من الجنابة نظراً لقوله عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات» وبه قال مالك، وأحمد وغيرهما من الأئمة خلافاً لأبي حنيفة، فإنه قال: لا تجب النية فيهما ويصحان مع عدمها، إلا أن أحمد يقول: من بدأ بالنية عند غسل أول جزء من أجزاء الوجه لا تصح طهارته. ذكره ابن هبيرة، وقال الرافعي: لا يجوز أن تتأخر النية عن أوّل غسل الوجه، لأنها لو تأخرت لخلا أول الفرض عن النية، وإذا لم تتأخر فإما أن تحدث مقارنة لأول غسل الوجه أو تتقدم، فإن حدثت مقارنة لأوّل غسل الوجه صح الوضوء ولا يجب الاستصحاب إلى آخر الوضوء لما فيه من العسر، ولكن لا يحصل له ثواب ما قبله من السنن. وقال النووي: قلت: وفي الحاوي وجه أنه يثاب عليها والله أعلم. ثم قال الرافعي: وان تقدمت عليه نظر إن استصحبها إلى ان ابتدأ بغسل الوجه صح الوضوء وحصل ثواب السنن المنوية قبله، وإن قارنت ما قبله ففي صحة الوضوء وجهان. أحدهما: الصحة وأصحهما المنع، ثم قال: وقول المصنف في الوجيز وقت النية حالة غسل الوجه مؤوّل لأن إطلاق غسل الوجه يتناول جيعه والجميع ليس بوقت النية لا بمعنى أنه يجب اقتران النية بالكل كقولنا: وقت الصوم النهار، لأنه يجوز أن يغسل الوجه على التدريج ولا تقترن النية بما سوى الجزء الأوّل، ولا بمعنى أنه تجزىء النية في أي بعض من أبعاضه اتفقت. كقولنا: وقت الصلاة كذا لأن اقترانها بما سوى الجزء الأول لا يغني، فإذاً المراد أوّل غسل الوجه، والله أعلم.

بها ثلاثاً ويغرغر بأن يرد الماء إلى الغلصمة إلا أن يكون صائماً فيرفق ويقول: « اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك » ثم يأخذ غرفة لأنفه ويستنشق ثلاثاً ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول في الاستنشاق: « اللهم أوجد لي رائحة

(ثم يأخذ غرفة) من ماء (لفيه) أي فمه (فيتمضمض بها) أي يردّده في فمه (ثلاثاً) أي ثلاث مرات بثلاث غرفات، (ويغرغر بأن يرد الماء إلى الغلصمة) أي رأس الحلق (إلا أن يكون صائماً فيرفق) أي: لا يبالغ في الغرغرة خشية إلحاق الفساد بالصوم.، وقد ورد هذا الاستثناء في بعض الأحاديث نبه عليه ابن القطان، وقال: سنده صحيح، ثم كونه يتمضمض ثلاثاً هـو الذي روى من فعله ﷺ ولو تمضمض ثلاثاً بغرفة كان مقيماً لسنّة المضمضة لا سنّة تكرير الغرفات عندنا، فيكون دون الأول صرح به الشيخ حسن في شرح مراقي الفلاح، (ويقول « اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ») هكذا هو في القوت. وكذا في العوارف إلا أنه زاد قبله « اللهم صلّ على محمد وآل محمد » وجاء في حديث علي رضي الله عنه الذي تقدم سنده آنفاً وفيه فإذا تمضمضت فقل « اللهم أعني على تلاوة ذكرك ». وأخرج ابن عساكر من طريق محمد ابن الحنفية عن أبيه وفيه، فلما تمضمض قال: « اللهم لقني حجتي » وفي الذخائر لمجلى عند المضمضة « اللهم أعني على تلاوة القرآن والذكر ». (ثم) يأخذ (غرفة) أخرى من الماء (لأنفه ويستنشق ثلاثاً) أي يجذب الماء إلى مارن أنفه وهذا معنى قوله: (ويصعد الماء بالنفس إلى خياشيمه) جمع خيشوم هو أعلى الانف، وظاهره: أن كل هذا بغرفة واحدة، وعندنا قيدوه بثلاث غرفات لعدم انطباق الأنف على باقي الماء بخلاف المضمضة، ولا يبالغ في الاستنشاق إذا كان صائماً أيضاً لما في السنن الأربعة عن لقيط بن صبرة رفعه « اسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً » وقال الولي العراقي في شرح البهجة: تتأدى سنّة المضمضة والاستنشاق بالفصل، وهو أن تكون غرفات المضمضة غير غرفات الاستنشاق وبالجمع وهو عكسه، والأفضل عند الرافعي الفصل بغرفتين، وقيل: ست غرفات. وعند النووي بثلاث غرفات وهو ظاهر الأحاديث، وقيل: بغرفة. ومن السنن المبالغة فيها للمفطر بأن يبلغ الماء في المضمضة أقصى الحنك مع إمرار الإصبع على الاسنان، وفي الاستنشاق يصعده بالنفس إلى الخيشوم مع إدخال الإصبع اليسرى وإزالة ما فيه من الأذى، وأما الصائم فلا يبالغ خشية الإفطار سواء فيه صوم الفرض والتطوّع اهـ.

وفي تقييد بعض أصحابنا المضمضة والاستنشاق سنتان مشتملتان على سنن خمس: الترتيب، والتثليث، وتجديد الماء، وفعلها باليمنى، والمبالغة فيها لغير الصائم. وسر تقديمها اعتبار أوصاف الماء لأن لونه يدرك بالبصر، وطعمه بالفم، وريحه بالأنف. وقال ابن أمير حاج: وقدمت المضمضة على الاستنشاق لشرف منافع الفم على منافع الأنف التي لا تحصى.

ثم قال المصنف: (ويستنثر ما فيها) أي في الأنف بقوّة النفس بيده اليسرى، فإن كان بباطنها شيء من الوسخ استعان بخنصر يده فأزال ما فيها. (ويقول في) حال(الإستنشاق

الجنة وأنت عني راض». وفي الاستنثار: «اللهم إني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار»لأن الاستنشاق إيصال والاستثار إزالة، ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبدأ سطح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول، ومن الأذن إلى الأذن في العرض، ولا يدخل في حد الوجه النزعتان اللتان على طرفي الجبينين فهما من الرأس،

«**اللهم أوجد لي**) وفي نسخة: ارحني (**رائحة الجنة وأنت عني راض**») هكذا هو في القوت ونص العوارف «اللهم صلّ على محمد وآل محمد وأوجدني رائحة الجنة وأنت راض عني» (**و**) يقول (**في**) حال (**الاستنثار اللهم إني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار**») هكذا في القوت والعوارف، وانما خص الأوّل بالاستنشاق والثاني بـالإستنثار، (**لأن الاستنشاق إيصال**) الماء إلى الانف فيناسب طلب رائحة الجنة، (**والاستنثار إزالة**) ما في الأنف من الدرن بواسطة الماء فيناسب الاستعاذة من روائح النار، وفي حديث علي المتقدم بيانه: فإذا استنشقت فقل «اللهم رحني رائحة الجنة». وفي حديث أنس الذي في اسناده عباد بن صهيب فلما أن تمضمض واستنشق قال: «اللهم لقني حجتي ولا تحرمني رائحة الجنة» وفي كتاب الذخائر لمجلي، وعند الاستنشاق «اللهم أجرني من روائح أهل النار» (**ثم يغرف**) من الماء (**غرفة**) أخرى (**لوجهه فيغسله**) بالاستيعاب وهو الفرض الثاني، وأوّل الاركان الظاهرة للوضوء قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم﴾ [المائدة: ٦] الآية. وحدّ الوجه على ما اختاره المصنف (**من مبدأ سطح الجبهة**) إسم لما يصيب الأرض حالة السجود مما فوق الحاجبين، ويقال أيضاً: ما اكتنفه الجبهتان (**إلى منتهى ما يقبل من الذقن**) محركة مجتمع اللحيين (**في الطول ومن الأذن إلى الاذن في العرض**) ومعنى ذلك ما قاله الرافعي: إن ميل الرأس إلى التدوير، ومن أوّل الجبهة يأخذ الموضع في التسطيح وتقع به المحاذاة والمواجهة، فحد الوجه في الطول من حيث يبتدىء التسطيح وما فوق ذلك من الرأس، وفي كتب أصحابنا حده طولاً من مبدأ سطح الجبهة إلى أسفل الذقن وعرضاً ما بين شحمتي الأذنين، (**ولا يدخل في**) حد (**الوجه النزعتان**) محركة مثنى نزعة، وهما البياضان المكتنفان للناصية (**على طرف الجبينين**) لأنهما في سمت الناصية (**فهما من الرأس**) وليسا من الوجه لأنهما جميعاً في حد التدوير. قال الرافعي: ومما لا يدخل في الوجه أيضاً موضع الصلع، لأنه فوق ابتداء التسطيح ولا عبرة بانحسار الشعر عنه نظراً إلى الأعم الأغلب، ومن ذلك موضع الصدغين وهما في جانبي الأذن يتصلان بالعذارين من فوق لأنهما خارجان عما بين الأذنين لكونهما فوق الاذنين. وحكى في الصدغين أنهما من الوجه.

قلت: وفي المهذب والشامل الذي بين العذار إلى الأذن من الوجه بلا خلاف اهـ.

ثم قال الرافعي: ومما يدخل في الوجه موضع الغمم لأنه في تسطيح الجبهة ولا عبرة بنبات الشعر على خلاف الغالب، كما لا عبرة باعتباره غير موضع التصلع على خلاف الغالب. هذا إذا

ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه، مهما وضع طرف الخيط على رأس الأذن والطرف الثاني على

استوعب الغمم جميع الجبهة وإلا فوجهان أصحهما: أن الأمر لا يختلف وهو من الوجه لما ذكرنا، والثاني أنه من الرأس لأنه على هيئته، والباقي المكشوف من الجبهة بخلاف ما إذا أخذ الغمم جميع الجبهة، فإن العادة لم تجر بأن لا يكون للإنسان جبهة أصلاً، وربما وجد أحد هذين الوجهين بأنه مقبل في صفحة الوجه، والثاني بأنه في تدوير الرأس، ومعناه أن الأغم ينتؤ من أوائل جبهته شيء ولا ينقطع شكل تدوير رأسه حيث ينقطع من غيره، فذلك الموضع متصل بتدوير الرأس لكنه في صفحة الوجه.

ثم قال المصنف: **(ويوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو)** أي موضع التحذيف ما ينبت عليه الشعر الخفيف بين ابتداء العذار والنزعة، وربما يقال بين الصدغ والنزعة، والمعنى لا يختلف لأن الصدغ والعذار متلاصقان، فهل هو من الرأس أو من الوجه؟ وجهان. قال ابن سريج وغيره هو من الوجه لمحاذاته بياض الوجه، ولذلك **(يعتاد النساء)** والأشراف **(تنحية الشعر)** أي ازالته عنه، ولهذا يسمى موضع التحذيف. وقال أبو إسحاق وغيره: هو من الرأس لنبات الشعر عليه متصلاً بسائر شعر الرأس، والأوّل هو الأظهر عند المصنف، والذي عليه الأكثرون الثاني وهو الذي يوافق نص الشافعي رضي الله عنه في حد الوجه، **(و)** حاول إمام الحرمين تقدير موضع التحذيف فقال: **(هو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على رأس الأذن والطرف الثاني على زاوية الجبين)**، فما يقع منه في جانب الوجه فهو من الوجه. قال الرافعي: ولك أن تقول توجيه من يجعله من الوجه لا يقتضي التقدير بهذا المقدار، فإن من يحذف قد يحذف أكثر من ذلك أو أقل فلا يراعي هذا الضبط فلا بد للتقدير من دليل اهـ.

وقال الأصفهاني في شرح تعليل المحرر: هذا الإيراد ليس بشيء بل ضعيف لما تقرر أن النظر في الغالب إلى أغلب الأحوال لا إلى مجرد الوقوع وما ضبطه الإمام هو الأصل في الباب والزيادة عليه غير غالب والنقصان عن ذلك لا يضر بالضبط، وسمعت من شيوخي كانوا يقولون بمقالة الإمام ويجمعون بين الوجهين ويقولون: مراد من قال أن التحذيف ليس من الوجه أراد به خارج الخط، ومن يقول التحذيف من الوجه أراد به داخل الخط تلفيقاً بين الوجهين اهـ.

قلت: واختلف كلام أئمة اللغة في معنى تحذيف الشعر، فقال الجوهري: حذفه تحذيفاً هيأه وصنعه، وقال الأزهري: تحذيفه تطريزه وتسويته. وقال النضر: التحذيف في الطرة أن تجعل سكيبة كما تفعل النصارى. وقال الزمخشري: حذف الصانع الشيء تحذيفاً سواه تسوية حسنة كأنه حذف كل ما يجب حذفه حتى خلا عن كل عيب، وقول صاحب المصباح، وفي الاحياء التحذيف من الرأس ما يعتاد النساء الخ غير سديد، فإن الصحيح عند الغزالي أن التحذيف من الوجه لا من الرأس كما عرف من سياق الرافعي فتأمل.

زاوية الجبين، ويوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة: الحاجبان والشاربان والعذاران والأهداب، لأنها خفيفة في الغالب. والعذاران هما ما يوازيان الأذنين من مبتدأ

تنبيه:

قول المصنف من مبتدأ سطح الجبهة إلى آخره تحديد للوجه، وكلمتا «من وإلى» إذا دخلتا في مثل هذا الكلام قد يراد بهما دخول ما وردتا عليه في الحد، وقد يراد خروجه نظير الأوّل حضر القوم من ثلاث إلى ثلاث، ونظير الثاني من هذه الشجرة إلى هذه الشجرة كذا ذراعا وهما في قوله من مبتدأ سطح الجبهة إلى منتهى الذقن مستعملان بالمعنى الأول. إذ لا يراد بمبتدأ السطح إلا أوله وبمنتهى الذقن إلا آخره، ومعلوم أنهما داخلان في الوجه. وفي قوله: من الأذن مستعملان بالمعنى الثاني لأن الاذنين خارجتان من الوجه.

فان قلت: يدخل في هذا الحد ما ليس من الوجه ويخرج منه ما هو من الوجه. أما الأوّل، فلأنه يدخل فيه داخل الفم والأنف، فإنه بين سطح الجبهة ومنتهى الذقن وليس من الوجه، وأما الثاني فلأنه يخرج عنه اللحية المسترسلة وهي من الوجه لما روي أنه ﷺ رأى رجلاً غطى لحيته وهو في الصلاة فقال: «اكشف لحيتك فإنها من الوجه». قلنا: أما الأوّل فللكلام تأويل المعنى ظاهر ما بين سطح الجبهة ومنتهى الذقن، ولهذا لو بطن جزء بالالتحام وظهر جزء خرج الظاهر عن أن يكون من الوجه، وصار الباطن من الوجه. وعلى هذا المعنى نقيم الشعر مقام البشرة في صاحب اللحية الكثة، وأما الثاني فتسمية اللحية وجهاً على سبيل التبعية والمجاز لأمرين. أحدهما: أنه لولا ذلك لكانت وجوه المرد والنسوان ناقصة، ويصح أن يقال لمن حلقت لحيته قطع بعض وجهه، ومعلوم أنه ليس كذلك، والثاني: انه يصح قول القائل اللحية من الشعور النابتة على الوجه. وفي المسترسلة أنها نازلة عن حدّ الوجه، وذلك يدل على ما ذكرنا والله أعلم.

ثم لما فرغ المصنف من بيان حد الوجه عاد إلى الكلام على الشعور النابتة عليه فقال: **(ويوصل الماء)** أي يجب إيصال الماء **(إلى منابت الشعور الأربعة)** النابتة عليه، والشعور قسمان حاصلة في حد الوجه وخارجة عنه، والقسم الأوّل على ضربين: أحدهما ما تندر فيه الكثافة وهي: **(الحاجبان والشاربان والأهداب والعذاران)** فهذه الشعور يجب غسلها ظاهراً وباطناً كالسلعة النائتة على محل الفرض ويجب غسل البشرة تحتها لأنها من الوجه ولا عبرة بحيلولة الشعر لأمرين أظهرهما: **(لأنها خفيفة في الغالب)** فيسهل إيصال الماء إلى منابتها، وإن فرضت فيها كثافة على سبيل الندرة فالنادر ملحق بالغالب. والثاني: أن بياض الوجه محيط بها إما من جميع الجوانب كالحاجبين والأهداب، وإما من أحد الجانبين كالعذارين والشاربين، فيجعل موضعها تبعاً لما يحيط بها ويعطى حكمه واقتصاره على ذكر المنابت، ليس لأن الشعور لا تغسل، بل إذا وجب غسل المنابت وجب غسل الشعور بطريق الأولى، ففي ذكر المنابت تنبيه عليها فافهم. والحاجبان مثنى حاجب وهما العظمان فوق العينين بالشعر واللحم قاله ابن فارس، والجمع حواجب. والشاربان مثنى شارب الشعر الذي يسيل على الفم. قال أبو حاتم: لا يكاد يثنى. وقال

اللحية. ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة، أعني ما يقبل من الوجه وأما الكثيفة فلا، وحكم العنفقة حكم اللحية في الكثافة والخفة، ثم يفعل ذلك ثلاثاً ويفيض

أبو عبيدة، قال الكلابيون: شاربان باعتبار الطرفين والجمع شوارب والأهداب جمع هدب، وهدب العين بالضم ما نبت من الشعر على أشفارها، والجمع أهداب كقفل وأقفال. **(والعذاران)** مثنى العذار بالكسر الشعر النازل على اللحيين وقال المصنف: **(هما ما يوازيان)** أي يقابلان **(الأذنين من مبتدأ اللحية)**. وقال الرافعي: العذار هو القدر المجاور للأذن يتصل من الأعلى بالصدغ ومن الأسفل بالعارض. وأشار المصنف إلى الضرب الثاني وهو ما لا تندر فيه الكثافة وهو شعر الذقن والعارضين والعارض ما ينحط عن القدر المحاذي للأذن فقال: **(ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة أعني: ما يقبل من الوجه)** أي إن كانت اللحية خفيفة وجب غسل منابتها مع البشرة تحتها كالشعور الخفيفة غالباً. **(وأما الكثيفة)** منها **(فلا)** يجب إلا غسل ظاهرها فقط لما روي أنه ﷺ توضأ فغرف غرفة فغسل بها وجهه، وكان ﷺ كث اللحية، ولم يبلغ ماء الغرفة الواحدة أصول الشعر مع الكثافة، والمعنى فيه عسر إيصال الماء إلى المنابت مع الكثافة غير النادرة. قال الرافعي: وحكي فيه قول قديم أنه يجب غسل البشرة تحته لأنها من الوجه وهذا شعر نابت عليه، ومنهم من يحكيه وجهاً وهو قول المزني.

قلت: ويوافقه سياق ما في كتب أصحابنا حيث قالوا: يجب غسل ظاهر اللحية الكثة في أصح ما يفتى به، لأنها قامت مقام البشرة فتحول الفرض إليها، وما قيل غير ذلك من الاكتفاء بثلثها أو ربعها أو مسح كلها أو غيره متروك، ويجب إيصال الماء إلى بشرة اللحية الخفيفة في المختار لبقاء المواجهة بها وعدم عسرة غسلها اهـ.

قال الرافعي: ويستثنى من اللحية الكثيفة إذا خرجت للمرأة لحية كثيفة فيجب إيصال الماء إلى منابتها لأن أصل اللحية لها نادر، فكيف نصه بالكثافة: وكذلك لحية الخنثى المشكل إذا لم نجعل نبات اللحية مزيلاً للإشكال، **(وللعنفقة)** هي الشعر النابت تحت الشفة السفلى، وقيل: هي ما بين الشفة السفلى والذقن سواء كان عليها شعر أم لا، والجمع: عنافق **(حكم اللحية في الكثافة والخفة)**: وقيل: حكم الشعور الأربعة، وهذان مبنيان على المعنيين المذكورين في الحاجبين ونحوهما إن عللنا بالمعنى الأوّل وهو ندرة الكثافة في تلك الشعور، فالعنفقة ملحقة بها، وإن عللنا باحاطته للبياض فلا، بل هي كاللحية. والمعنى الأوّل أظهر لأنهم حكوا عن نص الشافعي رحمه الله التعليل بأن هذه الشعور تستر ما تحتها غالباً والله أعلم.

فإن قلت: ما الفرق بين الخفيف والكثيف؟ قلت: الخفيف ما يتراءى البشرة من خلاله في مجلس التخاطب، والكثيف ما يستر ويمنع الرؤية. وهذا قول أكثر الأصحاب. وقيل: الخفيف ما يصل الماء إلى منابته من غير مبالغة واستقصاء، والكثيف ما يفتقر إليه، وطبقة من المحققين كأبي محمد والمسعودي يقربون ويقولون انهما يرجعان إلى معنى واحد، ولكن بينهما تفاوت مع التقارب الذي ذكروه، لأن لهيئة النبات وكيفية الشعر في السبوطة والجعودة تأثيراً في الستر، وفي وصول

الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الأصابع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيها. فقد روي أنه عليه السلام فعل ذلك، ويأمل عند ذلك خروج

الماء إلى المنبت. وقد يؤثر شعره في أحد الأمرين دون الآخر، فإذا ظهر الاختلاف فلك أن ترجح العبارة الثانية وتقول: الشارب معدود من الشعور الخفيفة وليس كونه مانعاً من رؤية البشرة تحته بأمر نادر فهو كشعر الضراب الثاني.

فان قلت: لو كان بعضه كثيفاً وبعضه خفيفاً ما حكمه؟ قلت: فيه وجهان. أصحهما أن للخفيف حكم الخفيف وللكثيف حكم الكثيف توفير المقتضى كل واحد منهما عليه، والثاني لا لمقتضى حكم الخفيف وهو الذي ذكره في التهذيب، وعلله بأن كثافة البعض مع خفة البعض نادر فصار كشعر الذراع إذا كثف، ولك أن تمنع ما ذكره وتدعي أن الكثافة في البعض والخفة في البعض أغلب في كثافة الكل، والله أعلم. (**ثم يفعل ذلك ثلاثاً**) كما هو حكم سائر القرب، ثم أشار المصنف إلى القسم الثاني في بيان حكم الشعور الخارجة عن حد الوجه، فما خرج عن حد الوجه من اللحية طولاً وعرضاً بقوله: (**ويفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية**) ولا يجب غسل باطنه، وبه قال أبو حنيفة، والمزني لأن الشعر النازل عن حد الرأس لا يثبت له حكم الرأس، وعبارة أصحابنا: ولا يجب إيصال الماء إلى المسترسل من الشعر عن دارة الوجه لأنه ليس منه إصالة وليس بدلاً عنه اهـ.

قال الرافعي: وقول آخر وهو الأصح أنه يجب لأنه من الوجه بحكم التبعية، ولأن الوجه ما يقع به المخاطبة والمواجهة، ولأنه متدل في محل الفرض فأشبه الجلدة المتدلية، وهذا الخلاف يجري أيضاً في الخارج عن حد الوجه من الشعور الخفيفة كالعذار والسبال إذا طال، ولا فرق. وذكر بعضهم في السبال أنه يجب غسله قولاً واحداً، والظاهر الأوّل، ثم أن هذه المسألة اشتهرت بالإفاضة يقولون: تجب الإفاضة في قول ولا تجب في قول، وقصدهم بهذه اللفظة بيان ان داخل المسترسل لا يجب غسله قولاً واحداً كالشعور النابتة تحت الذقن، ولكن واصطلاح المتقدمين استعمال هذه اللفظة في الشعر لإمرار الماء على الظاهر، فتعرض المصنف لظاهر المسترسل من اللحية في لفظه والإفاضة على هذا الاصطلاح مغنية عن التقييد بالظاهر فتأمل، ومع ذلك قد حكي وجه أنه يجب غسل الوجه الباطن من الطبقة العليا من المسترسل إذا أوجبنا غسل الوجه البادي منه وهو بعيد عند علماء المذهب، (**ويدخل الإصبع في محاجر العينين**) جمع محجر كمجلس ما ظهر من النقاب من الرجل والمرأة من الجفن الأسفل، وقد يكون من الأعلى (**وموضع الرمص**) محركة هو وسخ العين الذين يجتمع في الموق، (**ومجتمع الكحل**) أي موضع إجتماع الكحل في أطراف العين (**وينقيها**) من تلك الأوساخ، (**فقد روي أنه ﷺ فعل ذلك**). قال العراقي: روى أحمد من حديث أبي أمامة كان يتعاهد الماقين، وروى الدارقطني من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف «أشربوا الماء أعينكم» اهـ.

الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده: **« اللهم بيّض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسوّد وجهي بظلماتك يوم تسوّد وجوه أعدائك ». ويخلل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فإنه مستحب، ثم يغسل يديه إلى مرفقيه ثلاثاً، ويحرك**

قلت: ورواه ابن عدي في الكامل، والعقيلي في الضعفاء بلفظ « اشربوا أعينكم من الماء عند الوضوء ولا تنفضوا أيديكم فإنها مراوح الشيطان ». ثم هذه المسألة التي ذكرها المصنف من زياداته على الوجيز قال أصحابنا: لا يجب إيصال الماء إلى باطن العينين، ولو في الغسل لخلاف الضرر وللحرج، فقد كف بصر من تكلف ذلك كابن عمر وابن عباس، و من الناس من قال: لا يضم العين كل الضم ولا يفتح كل الفتح حتى يصل الماء إلى أشفاره وحواجب عينيه، وأما ما قاله صاحب عين العلم ويفتح العين قال شارحه ملاّ علي هو غير معروف. **(ويأمل عند ذلك خروج الخطايا)** التي اكتسبها **(من عينيه)** كالنظر إلى المحرمات، فقد ورد زنا العين النظر، **(وكذلك عند)** غسل **(كل عضو)** يأمل خروج الخطايا منه **(ويقول عنده)** أي غسل الوجه: **(« اللهم بيّض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك، ولا تسوّد وجهي بظلماتك يوم تسوّد وجوه أعدائك »)** وعبارة القوت ويقول، عند غسل وجهه « اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه أعدائك ». ومثله في العوارف إلاّ أنه زاد « اللهم صلّ علي محمد وآل محمد ». وفي حديث الحسن البصري عن علي الذي تقدم ذكره آنفاً، فإذا غسلت وجهك فقل « اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ». وفي حديث أنس المتقدم ذكره، فلما أن غسل وجهه قال « اللهم بيض وجهي يوم تبيض الوجوه » وفي كتاب الذخائر لمجلي، ويقول عند غسل الوجه « اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه أوليائك وتسود وجوه أعدائك » وقد ظهر لك من هذا أن قول المصنف بنورك وبظلماتك لا ذكره الفقهاء ولا المحدثون، **(ويخلل اللحية عند غسل الوجه فهو مستحب)** لأن ما لا يجب إيصال الماء إلى باطنة ومنابته من شعر الوجه يستحب تخليله بالأصابع. وروي عن عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يخلل لحيته، وروي انه كان يخلل لحيته ويدلك عارضيه بعض الدلك. وعن المزني أن التخليل واجب، ورواه ابن كج عن بعض الأصحاب. كذا نقله الرافعي. قال النووي، قلت: مراد قائله وجوب إيصال الماء إلى المنبت وليس بشيء، وقد نقلوا الإجماع على خلافه والله أعلم. وفي عبارة أصحابنا: ويسن في الأصح تخليل اللحية الكثة وهو قول أبي يوسف لحديث عثمان المتقدم ذكره، والتخليل تفريق الشعر من جهة الأسفل إلى فوق ويكون بعد غسل الوجه ثلاثاً بكف من ماء من أسفلها لما روى أبو داود والحاكم عن أنس رضي الله عنه كان النبي ﷺ إذا توضأ أخذ كفاً من ماء تحت حنكه فخلّل به لحيته وقال « بهذا أمرني ربي » وأبو حنيفة ومحمد يفضلان تخليل اللحية لعدم ثبوت المواظبة ولكون السّنة لإكمال الفرض في محله، وداخلها ليس بمحل لإقامته، فلا يكون التخليل إكمالاً فلا يكون سنّة بخلاف الأصابع، ورجح في المبسوط قول أبي يوسف، **(ثم يغسل يديه إلى مرفقيه ثلاثاً)** وهذا هو الفرض الثالث في مذهب

....

المصنف قال الله تعالى: ﴿وأيديكم إلى المرافق﴾ [المائدة: ٦] فايجاب غسل أحد المرفقين بعبارة النص لأن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي مقابلة الافراد بالافراد، والآخر بدلالته لتساويهما وعدم الأولوية، وكلمة «إلى» قد تستعمل بمعنى «مع» كقوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ [النساء: ٢] وقوله: ﴿من أنصاري إلى الله﴾ [آل عمران: ٥٢، والصف: ١٤] وهو المراد هنا لما روي أنه ﷺ كان إذا توضأ أمرّ الماء على مرفقيه، وروي أنه أدار الماء على مرفقيه ثم قال «هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به». قال الرافعي: ثم اليد إن كانت واحدة من كل جانب على ما هو الغالب قد كانت كاملة فذاك، وان قطع بعضها فله ثلاثة أحوال. **أحدها:** أن يكون القطع مما تحت المرفق كالكوع والذراع فغسل الباقي واجب. **والثاني:** أن يكون ما فوق المرفق فلا فرض لسقوط محله ولكن الباقي من العضد يستحب غسله لتطويل الغرة كما لو كان سليم اليد كالمحرم إذا لم يكن على رأسه شعر يستحب له إمرار الموسى على الرأس وقت الحلق، **والثالث:** أن يكون القطع من مفصل المرفق، وهل يجب غسل رأس العظم الباقي؟ فيه طريقان. **أحدهما:** القطع بالوجوب لأنه من محل الفرض وقد بقي فأشبه الساعد إذا كان القطع من الكوع، **والثاني** فيه قولان: القديم ومنقول القديم أنه لا يجب، والأصح وهو منقول الربيع أنه يجب، واختلفوا في مأخذ القولين هذا كله في اليد الواحدة، أما إذا خلقت لشخص من جانب يدان، فإن تميزت الزائدة عن الأصلية نظر، فإن خرجت من محل الفرض وجب غسلها، وان خرجت مما فوق محل الفرض، فإن لم تبلغ إلى محاذاة محل الفرض فالمنقول عن نص الشافعي في الأم أنه يجب غسل القدر المحاذي دون ما فوقه لوقوع إسم اليد عليه، وحصول ذلك القدر في محل الفرض.

قلت: وقوله فالمنقول عن نص الشافعي في الأم هكذا هو في الوجيز، ووقع له في الوسيط مثله، وقال ابن الرفعة في المطلب: لم أظفر به مع الإمعان في طلبه، ونسبه الجمهور إلى اختيار أبي حامد وأتباعه، وعبارة الرافعي تدل على أنه نقله عن النص جماعة؛ والإمام قال: إن أهل العراق نقلوه نصاً، ولم يبين المحل المنقول منه وعليه جرى النووي اهـ.

ثم قال الرافعي: وفيه وجه صار إليه كثير من المعتنين وقرروه أنه لا يجب غسل المحاذي ولا غيره، لأن هذه الزيادة ليست على محل الفرض فيجعل تبعاً ولا هي أصلية حتى تكون مقصودة بالخطاب، وحملوا نصه في الأم على ما إذا التصق شيء منها بمحل الفرض، وأما إذا لم تتميز الزائدة عن الأصلية وجب غسلهما جميعاً سواء أخرجتا من المنكب أو من المرفق أو من الكوع. ومن الامارات المميزة للزائدة عن الأصلية أن تكون إحداهما قصيرة فاحشة القصر، والأخرى في حد الاعتدال، فالزائدة القصيرة، ومنها نقصان الأصابع، ومنها فقد البطش وضعفه، وفي الروضة للنووي: ولو طالت أظفاره وخرجت عن رؤوس الأصابع وجب غسل الخارج على المذهب، وقيل: قولان. وإذا توضأ ثم قطعت يده أو رجله أو حلق رأسه لم يلزمه تطهير ما

الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء إلى أعلى العضد، فإنهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء، كذلك ورد الخبر.

قال عليه السلام: «من استطاع أن يطيل غرته فليفعل». وروي أن الحلية تبلغ

انكشف. (ويحرك الخاتم) وجوباً إن لم يصل الماء إلا به، وإلاً فندبا. وعند أصحابنا إن كان ضيقاً يجب تحريكه في المختار من الروايتين. لما روى ابن ماجه عن أبي رافع رفعه «كان إذا توضأ وضوءه للصلاة حرك خاتمه في أصبعه» ولأنه يمنع الوصول ظاهراً. وكذا القرط في الأذن يتكلف لتحريكه إن كان ضيقاً، والمعتبر غلبة الظن في إيصال الماء إلى الثقب سواء كان فيه قرط أو لم يكن، فإن غلب على الظن وصول الماء إلى الثقب لا يتكلف لغيره من إدخال عود ونحوه لأن الحرج مدفوع، (ويطيل الغرة) وهي بالضم غسل مقدم الرأس مع الوجه، وغسل صفحة العنق، والتحجيل غسل بعض العضد عند غسل اليد وغسل بعض الساق عند غسل الرجلين، وهو أحد الأوجه المذكورة من الفرق بين تطويل الغرة وتطويل التحجيل، وإليه أشار المصنف بقولـه: (ويرفع الماء إلى أعالي العضد) ولو قال: ويطيل الغرة والتحجيل لسلم من التطويل، وفسّر كثيرون تطويل الغرة بغسل شيء من العضد والساق، وأعرضوا عن ذكر ما حوالي الوجه. والأوّل أولى وأوفق لظاهر الخبر.

تنبيه:

قول المصنف في الوجيز: ولكن الباقي من العضد يستحب غسله لتطويل الغرة. قال الرافعي، فإن قيل: تطويل الغرة إنما يفرض في الوجه والذي في اليد تطويل التحجيل. قلنا: تطويل الغرة والتحجيل نوع واحد من السنن على أن أكثرهم لا يفرقون بينهما، ويطلق تطويل الغرة على اليد. ورأيت بعضهم احتج بأن إطالة الغرة لا تمكن إلا في اليد لأن استيعاب الوجه بالغسل واجب، وليس هذا الاحتجاج بشيء لأن للمعترض أن يقول الإطالة في الوجه أن يغسل إلى اللبب وصفحة العنق وهـو مستحب نص عليه الائمة اهـ. (فإنهم يحشرون يوم القيامة غراً محجلين من أثر الوضوء كذلك ورد الخبر) والذي في المتفق عليه من حديث أبي هريرة رفعه «إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء». قال أبو هريرة: فكنا نغسل بعد ذلك أيدينا إلى الآباط. وهذه الجملة الأخيرة معناها عند البخاري (قال ﷺ: «من استطاع أن يطيل غرته فليفعل»).

قلت: هذا مع ما قبله حديث واحد، وهو عند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة «إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعـل». (وروي: «أن الحلية تبلغ مواضع الوضوء») أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قاله العراقي. وتلك الحلية نور يخلقه الله تعالى في جباه المؤمنين وأقدامهم وهي الغرة والتحجيل. قاله الشبرخيتي في شرح الأربعين، (ويبدأ باليمنى) والبداءة باليمين سنة عند

مواضع الوضوء، ويبدأ باليمنى ويقول: «اللهم أعطني كتابي بيميني وحاسبني حساباً يسيراً» ويقول عند غسل الشمال: «اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري»، ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن يبل يديه ويلصق رؤوس أصابع يديه

الشافعي وأبي حنيفة لما روي عن أبي هريرة رفعه «إذا توضأتم فابدؤا بميامنكم». وكان رسول الله ﷺ يحب التيامن في كل شيء حتى في وضوئه وانتعاله. وقال أحمد بوجوبه، وهو مذهب الشيعة. قال الرافعي: وزعم المرتضى من الشيعة أن الشافعي رضي الله عنه في القديم كان يوجب تقديم اليمنى على اليسرى، وليس لهذا ذكر في كتب أصحابنا ولا اعتماد عليه. **(ويقول: «اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حساباً يسيراً» ويقول عند)** غسل **(الشمال: «اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري»)** ونص القوت ويقول عند غسل ذراعه اليمنى «اللهم آتني كتابي بيميني وحاسبني حساباً يسيراً» وعند غسل ذراعه اليسرى «اللهم إني أعوذ بك أن تؤتيني كتاب بشمالي أو من وراء ظهري». ومثله في العوارف إلا أنه بزيادة التصلية. وفي حديث علي من رواية الحسن البصري المتقدم ذكره، وإذا غسلت ذراعك اليمنى فقل: «اللهم اعطني كتابي بيميني يوم القيامة وحاسبني حساباً يسيراً»، فإذا غسلت ذراعك اليسرى فقل «اللهم لا تعطني كتابي بشمالي ولا من وراء ظهري» وعند ابن عساكر من حديث علي من رواية ولده محمد ابن الحنفية عنه المتقدم بذكره، وفي اليدين «اللهم اعطني كتابي بيميني والخلد بشمالي ولا تجعلها مغلولة إلى عنقي» وفي حديث أنس فلما أن غسل ذراعيه قال: «اللهم أعطني كتابي بيميني» وفي الذخائر لمجلي، وعند غسل اليد اليمنى «اللهم اجعلني من أصحاب اليمين وعند اليسرى اللهم لا تجعلني من أصحاب الشمال».

تنبيه:

قال الرافعي: استحباب تقديم اليمنى على اليسرى في كل عضوين يعسر إيراد الماء عليهما دفعة واحدة كاليدين والرجلين، أما الأذنان فلا تستحب البداءة باليمنى فيهما لأن مسحها معاً أهون، وكذلك الخدان يغسلان معاً. نعم الأقطع يعجز عن غسل الخدين ومسح الأذنين دفعة واحدة فيراعى التيامن. هكذا ذكر القاضي أبو المحاسن اهـ.

قال النووي في الروضة: والكفان كالأذنين وفي البحر وجه شاذ أنه يستحب تقديم الأذن اليمنى، ولو قدم مسح الأذن على مسح الرأس لم يحصل على الصحيح والله أعلم.

ثم أشار المصنف إلى الفرض الرابع الذي هو مسح الرأس بقوله: **(ثم يستوعب رأسه بالمسح)** قال الله تعالى: ﴿وامسحوا برؤسكم﴾ [المائدة: ٦] قال ابن هبيرة: اختلفوا في مقدار ما يجزىء من مسح الرأس فقال أبو حنيفة في رواية عنه: يجزيء قدر الربع منه، وفي رواية أخرى عنه: مقدار الناصية، وفي رواية ثالثة عنه قدر ثلاث أصابع من أصابع اليد. وقال مالك، وأحمد في أظهر الروايات عنها: يجب إستيعابه ولا يجزىء سواه، وقال الشافعي: يجزىء أن يمسح

اليمنى باليسرى ويضعها على مقدمة الرأس ويمدهما إلى القفا ثم يردهما إلى المقدمة،

منه أقل ما يقع عليه اسم المسح اهـ. **(بأن يبل يديه)** من الماء، **(ويلصق رؤوس أصابع اليمنى باليسرى ويضعها على مقدمة الرأس ويمدها إلى القفا ثم يردها إلى المقدمة وهذه مسحة واحدة)**. وفي شرح البهجة للعراقي كيفيته أن يضع سبابتيه ملتصقة إحداهما بالأخرى وإبهاميه على صدغيه ويذهب بهما إلى قفاه، ثم يردهما إلى المكان الذي بدأ منه، وهذا في حق من له شعر ينقلب فيمسح في المرة الأولى باطن الشعر المقدم وظاهر المؤخر. وفي الثانية باطن المؤخر وظاهر المقدم، فلو لم يكن على رأسه شعر أو كان ولكنه لطوله لا ينقلب لم يسن العود لعدم فائدته، فإن عاد لم يحسب ثانية لصيرورة الماء مستعملاً بالنسبة إلى المرة الثانية كما ذكره البغوي اهـ.

وقال الرافعي: ليس من الواجب استيعاب الرأس بالمسح، بل الواجب ما انطلق عليه الإسم لأن من أمر يده على هامة اليتيم صح أن يقال مسح برأسه، وقال مالك: يجب الإستيعاب وهو اختيار المزني، وإحدى الروايتين عن أحمد والثانية: أنه يجب مسح أكثر الرأس. وقال أبو حنيفة يتقدر بالربع، ثم إن كان يمسح على بشرة الرأس فذاك، ولا يضر كونها تحت الشعر وقال الروياني في التجريد: لا يجوز لانتقال الفرض إلى الشعر وإن كان يمسح على الشعر، فكذلك يجوز. وإن اقتصر على مسح شعرة واحدة أو بعضها فلا تقدير. وعن ابن القاص: أنه لا أقل من ثلاث شعرات، ثم شرط الشعر الممسوح أن لا يخرج من حد الرأس، وهل يشترط أن لا يجاوز منبته؟ فيه وجهان. أصحهما أنه لا يشترط لوقوع إسم الرأس عليه، ولو غسل رأسه بدلاً عن المسح ففي اجزائه وجهان أصحهما: أنه يجوز لأنه مسح وزيادة وهو أبلغ من المسح، فكان مجزئاً بطريق الأولى، وهل يكره ذلك وإن أجزأ؟ فيه وجهان. أظهرهما: لا لأن الاصل هو الغسل والمسح نازل منزلة الرخصة من الشرع، وإذا عدل إلى الأصل لم يكن مكروهاً.

وقال النووي في الروضة. قلت: ولا تتعين اليد للمسح، بل يجوز بأصبع أو خشبة أو خرقة أو غيرها ويجزئه مسح غيره له، والمرأة كالرجل في المسح، ولو كان له رأسان أجزأه مسح أحدهما، وقيل: يجب مسح جزء من كل رأس والله أعلم.

ثم قال الرافعي: ولو بل رأسه ولم يمد اليد أو غيرها مما يمسح به على الموضع، فهل يجزئه ذلك؟ فيه وجهان: أصحهما نعم. والثاني هو اختيار القفال الشاشي لا يجزىء لأنه لا يسمى مسحاً، ولو قطر على رأسه قطرة ولم تجر هي على الموضع، فعلى الخلاف، وإن جرت كفى.

فصل

قال الشمني في شرح النقاية: المسح الإصابة. قال الشافعي: وهو رواية عن أحمد الفرض فيه ما يقع عليه اسمه. وقال مالك، وأحمد: جميع الرأس ودليلهم جميعاً آية الوضوء، ومعنى الباء في **(برؤوسكم)** للإلصاق وماسح بعض رأسه ومستوعبه كلاهما ملصق المسح برأسه، فأخذ الشافعي رحمه الله بالمتقين وأخذ مالك رحمه الله بالإحتياط، وأخذ أبو حنيفة رحمه الله ببيان

....

رسول الله ﷺ، وهو ما روى مسلم والطبراني عن عروة بن المغيرة بن شعبة عن أبيه أن النبي ﷺ توضأ ومسح بناصيته وعلى الخفين. وروي أبو داود، والحاكم وسكت عنه من حديث أبي معقل قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وعليه عمامة قطرية، فأدخل يده من تحت العمامة فمسح مقدم رأسه ولم ينقض العمامة ومعلوم أن الناصية ومقدم الرأس أحد جوانبها الأربعة، فلو كان مسح الربع ليس بمجزىء لم يقتصر ﷺ في ذلك الوقت عليه، ولو كان مسح ما دونه مجزئاً لفعله ﷺ ولو مرة في عمره تعليماً للجواز اهـ.

وفي شرح المختار الآية مجملة في مسح الرأس لأنه يحتمل إرادة الجمع وإرادة ما يطلق عليه اسم المسح وإرادة بعضه، وقد صح عن النبي ﷺ أنه حسر عن عمامته ومسح على ناصيته فصار بياناً للآية وحجة على المخالف، والمختار مقدار الناصية هو ربع الرأس لكونه إحدى جوانبه الأربع.

فإن قيل: لم قلت أنه مجمل في حق المقدار، والمجمل ما لا يمكن العمل به قبل البيان، وقد أمكن العمل به قبل البيان ههنا لأنه لما كان المراد به مطلق البعض ويخرج عن العهدة بأدنى ما يطلق عليه اسم البعض، كما قلنا في الركوع والسجود؟ قلنا: مطلق البعض غير مراد بالإجماع إذ ذاك يحصل بغسل الوجه فلا حاجة إلى إيجاب على حدة، فعلم أن المراد به بعض مقدر كالثلث أو الربع كما قرره المحققون.

فإن قلت: المدعي ربع غير معين والدليل يدل على ربع معين وهو الناصية، ولم يوافق الدليل المدلول والموافقة شرط بينهما كما بين الشهادة والدعوى؟ قلت: الحديث يحتمل معنيين وبيان المقدار، وقد عرف أن خبر الواحد يصلح مبيناً لمجمل الكتاب، والبيان إنما يكون في موضع الإجمال ولا إجمال في المحل، لأنه معلوم وهو الرأس وأن الإجمال في المقدار لأنه الثلث أو الربع قوله عليه السلام يصير بياناً له.

فإن قلت: لم سمي المجتهد مفروضاً والفرض ما ثبت بدليل قطعي لا شبهة فيه ويكفر جاحده، والإختلاف بين الأئمة يورث الشبهة، ولهذا الا يكفر جاحد مسح مقدار الناصية؟ قلنا: الجواب عنه بوجهين. أحدهما: أنه أراد بالمفروض المقدار لأن الفرض في اللغة عبارة عن التقدير، والثاني أراد به المفروض عندنا لا أنه المفروض في نفس الأمر كما تقول: إن تعديل الأركان فرض عند أبي يوسف، وقراءة الفاتحة فرض عند الشافعي، والقعدة على رأس كل شفع في النوافل فرض عند محمد.

تنبيه:

قال صاحب الينابيع: روي في مسح الرأس عن أصحابنا ثلاث روايات. **الأولى:** مقدار الناصية وهي الشعور المائلة إلى الجبهة وهي رواية الكرخي والطحاوي، وذكر في شرح الطحاوي إن المراد بها إذا بلغت مقدار ثلاث أصابع. **الثانية:** مقدار ثلاث أصابع موضوعة من غير مد

وهذه مسحة واحدة، يفعل ذلك ثلاثاً ويقول: « اللهم غشني برحمتك وأنزل عليَّ من بركاتك وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك » ثم يمسح أذنيه ظاهرهما

وهي رواية هشام عن أبي حنيفة. **الثالثة:** مقدار ربع الرأس وهي رواية زفر عن أبي يوسف وأبي حنيفة فإنهما قالا فيه: لا يجوز حتى يمسح بثلاث أصابع مقدار ثلث الرأس وربعه، فإن مسح بأصبع واحدة ببطنها وظهرها وجانبيها، فقد قال بعض مشايخنا: لا يجزئه، والصحيح أنه يجزئه. وهكذا روي عن أبي حنيفة، فإذا مسح رأسه بما فوق أذنيه أجزأه على اختلاف الروايات، وإن مسح تحتها لا يجزئه، وإن أصاب رأسه مقدار ثلاث أصابع من ماء المطر أجزأه سواء مسحه باليد أو لم يمسحه، فإن حلق رأسه أو لحيته بعد ما مسح عليه أو مسح على خفه، ثم قشر موضع مسحه لا يجب عليه أن يمسح ثانياً والله أعلم.

وفي المحيط عن محمد: لو وضع ثلاثة أصابع ولم يمدها جاز وهذا قياس ظاهر الرواية، وعلى قياس رواية الربع والناصية لا يجوز لأنه أقل من ذلك. وفي الظهيرية والمسح مقدر بثلاثة أصابع اليد وهو الصحيح، وفي الخلاصة ولو مسح بأصبع أو أصبعين قدر ربع الرأس لا يجوز عند الثلاثة، ولو مسح بالإبهام والسبابة إن كان مفتوحاً جاز لأن ما بينهما مقدار أصبع فكأنه مسح بثلاثة أصابع، ولو مسح بأصبع وعاد إلى الماء ثلاث مرات جاز، ولو مسح باطراف أصابعه يجوز سواء كان الماء متقاطراً أو لا. وهو الصحيح. وفي المحيط لا يجوز إلا إذا كان الماء متقاطراً لأنه حينئذ ينزل من أصابعه إلى أطرافها، فإذا مده صار كأنه أخذ ماء جديداً، ولو مسح ببلة في اليد باقية عن غسل عضد يجوز، وببلة باقية عن مسح عضو أو مأخوذة من عضو مغسول أو ممسوح لا يجوز. وفي المنتقى ولو أرسل الماء في وسط رأسه فنزل على وجهه يسقط به فرض المسح وغسل الوجه والله أعلم.

ثم إن استيعاب مسح الرأس بالوجه المذكور عند المصنف سنة في المذهبين، ودليله ما روت الربيع بنت مسعود أنها رأت النبي ﷺ يتوضأ قالت: فمسح رأسه ما أقبل منه وما أدبر وصدغيه وأذنيه، إلا أن عند أبي حنيفة مرة واحدة إذ جاء في رواية هذا الحديث التقييد بمرة واحدة، وتضافرت الطرق الصحيحة على ذلك. وأما ما ورد من التثليث فمحمول على الإستيعاب وحمل تعدد الماء فيه على قلة البلة أو نفادها لا ليكون سنة مستمرة إذ وضعه على التخفيف بخلاف المضمضة والإستنشاق.

وقال المصنف: **(يفعل ذلك ثلاثاً)** أي ثلاث مرات وهو مذهب الشافعي في كل مغسول أو ممسوح سوى مسح الخف، وتكرار المسح بالمياه المختلفة مروي عن أبي حنيفة في رواية غريبة نقلها المرغيناني، والمشهور من مذهبه الكراهة على ما في المحيط والبدائع. **(ويقول)** عند مسح الرأس: **(« اللهم غشني برحمتك وأنزل علي من بركاتك وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك »)** ومثله في القوت، وفي العوارف إلا أنه بزيادة التصلية. وفي حديث علي من رواية الحسن البصري المتقدم بذكره، فإذا مسحت برأسك فقل « اللهم تغشني برحمتك » ومن

وباطنها بماء جديد بأن يدخل مسبحتيه في صماخي أذنيه ويدير إبهاميه على ظاهر أذنيه

رواية محمد ابن الحنفية عن علي: « اللهم لا تجمع بين ناصيتي وقدمي » وفي حديث أنس المتقدم بذكره فلما أن مسح يده على رأسه قال: « اللهم تغشنا برحمتك وجنبنا عذابك ». **(ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما)** أجمعوا على أن ذلك سنة من سنن الوضوء إلا أحمد فإنه رأى مسحهما واجباً فيما نقل حرب عنه، وقد سئل عن ذلك فقال: يعيد الوضوء إذا تركه، وعنه رواية أخرى نقلها صالح، أنه سنة لأنه قال: لا يعيد إذا تركه. واختلفوا هل يمسحان بماء الرأس أم يوجد لهما ماء جديد؟ فقال أبو حنيفة، وأحمد هما من الرأس ويمسحان بمائه، فقال الميموني من أصحاب أحمد: رأيت أحمد مسحهما مع الرأس، وعن أحمد رواية أخرى أنه يستحب له أخذ ماء جديد لهما وهو اختيار الخرقي، وقال مالك: هما من الرأس ويستحب أن يأخذ لهما ماء جديداً. وقال الشافعي: ليسا من الرأس ولا من الوجه وسنّ مسحهما **(بماء جديد)** وفي رواية عن مالك هما من الوجه يغسلان معه ولا يمسحان وعنه روايتان أخريان. احداهما: مثل مذهب الشافعي، والأخرى مثل مذهب أبي حنيفة. قال الرافعي والأحب في إقامة هذه السنة **(بأن يدخل مسبحتيه)** أي سبابتيه **(في صماخي أذنيه ويدير)** هما على المعاطف ويمر **(إبهاميه على ظاهر أذنيه، ثم يضع الكف)** أي يلصق كفيه وهما مبلولتان **(على الأذنين)** أي بهما **(استظهاراً)** أي احتياطاً. واختلفوا في تكرر مسحهما، فقال أبو حنيفة، ومالك، وأحمد في إحدى روايتيه السنة فيهما مرة واحدة، وحكاه الترمذي في جامعه عن الشافعي، ونقله الحناطي وجهاً للأصحاب فيه، وفي مسح الأذنين، والمشهور من مذهب الشافعي أنه **(يكرره ثلاثاً)**. وعن أحمد مثله في الرواية التي حسن فيها تكرار مسح الرأس. وقال النووي في الروضة: ونقلوا أن ابن سريج كان يغسل أذنيه مع وجهه ويمسحها مع رأسه ومنفردتين احتياطاً في العمل بمذاهب العلماء فيهما وفعله هذا حسن، وقد غلط من غلط فيه زاعماً أن الجمع بينهما لم يقل به أحد، ودليل ابن سريج نص الشافعي والأصحاب على استحباب غسل النزعتين مع الوجه مع أنهما يمسحان مع الرأس، والله أعلم.

تنبيه:

قال الرافعي: ولو شك في أنه غسل أو مسح مرة أو مرتين أوشك في أنه غسل ذلك مرتين أو ثلاثاً فوجهان. أصحهما: أنه يأخذ بالأقل، والثاني ذكره الشيخ أبو محمد أنه يأخذ بالأكثر حذراً من أن يزيد غسلة رابعة، فإنها بدعة وترك السنة أهون من اقتحام البدعة، لكن من قال بالأول لا يسلم أن الرابعة بدعة على الإطلاق، بل البدعة إتيانه بالرابعة على علم منه بحقيقة الحال.

فصل

وفي عبارات أصحابنا: ويسن مسح الأذنين ولو بماء الرأس إشارة إلى أنه لو أخذ لهما ماء جديداً مع بقاء البلة كان حسناً، فلا يشترط أن يكون بماء الرأس ولا أخذ ماء جديد، وما ورد

ثم يضع الكف على الأذنين استظهاراً، ويكرره ثلاثاً ويقول: «اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم اسمعني منادي الجنة مع الأبرار» ثم يمسح رقبته

من أخذ الماء الجديد لهما في بعض الأخبار محمول على نفاذ البلة، والأظهر في كيفية مسح الأذنين إذا أراده بماء الرأس أن يضع كفيه وأصابعه على مقدم رأسه ويمدهما إلى قفاه على وجه يستوعب جميع الرأس، ثم يمسح أذنيه بأصبعيه ولا يكون الماء مستعملاً بهذا لأن الإستيعاب بماء واحد لا يكون إلا بهذا الطريق، ولأن مسح الأذنين بماء الرأس، ولا يكون ذلك إلا بما مسح به الرأس ولأنه لا يحتاج إلى تجديد الماء لكل جزء من أجزاء الرأس، فالإذن أولى لكونه تبعاً له. وقد روى ابن ماجة بإسناد صحيح عن عبدالله بن زيد، والدارقطني بإسناد صحيح عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «الأذنان من الرأس» وروى مالك في الموطأ عن عبدالله الصنابحي أو أبو عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ العبد المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه، وإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه وإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى يخرج من تحت أشفار عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه، فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه». قال ابن عبد البر في التمهيد فيه دلالة على أن الأذنين يمسحان بماء الرأس. (**ويقول: «اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم اسمعني منادي الجنة مع الأبرار»**) هكذا هو في العوارف للسهروردي بزيادة التصلية وفي القوت مثله إلا أنه قال: «اللهم اجعلني ممن يستمع» والباقي سواء وفيه «منادي الخير» بدل «الجنة» وجاء في حديث علي في رواية الحسن البصري المتقدم بذكره بمثل سياق المصنف إلى قوله: «أحسنه». وفي شرح الوجيز وعند مسح الرأس «اللهم حرم شعري وبشري على النار» وروي «اللهم إحفظ رأسي وما حوى وبطني وما وعى». (**ثم يمسح رقبته**) قال الرافعي: وهل يمسح بماء جديد أو بما بقي من بلل مسح الرأس والأذنين؟ بناه بعضهم على وجهين في أنه سنة أم أدب. إن قلنا سنة مسح (**بماء جديد**)، وإن قلنا أدب فيمسح بالبلل الباقي. واعلم أن السنة والأدب يشتركان في أصل الندبية والإستحباب، لكن السنة ما يتأكد شأنها، والأدب دون ذلك. ثم اختيار القاضي الروياني ينبغي أن يمسحه بماء جديد، وميل الأكثرين إلى أنه يكفي مسحه بالبلل الباقي وهو قضية كلام المسعودي وصاحب التهذيب، لأن المسعودي ذكر أنه غير مقصود في هيئته بل هو تابع للقفاء في المسح، والقفا تابع للرأس لتطويل الغرة. وقال صاحب التهذيب يستحب مسحه تبعاً للرأس أو الأذن إطالة للغرة، وإذا كان استحبابه لتطويل الغرة كفى فيه البلل الباقي اهـ.

وقال النووي في الروضة: وذهب كثيرون من أصحابنا إلى أنها لا تمسح لأنه لم يثبت فيها شيء أصلاً، ولهذا لم يذكره الشافعي ومتقدمو الأصحاب وهذا هو الصواب والله أعلم.

وقال ابن هبيرة: واختلفوا في مسح العنق فقال أبو حنيفة: هو من نفل الوضوء، وقال مالك

بماء جديد لقوله ﷺ: « مسح الرقبة أمان من الغل يوم القيامة » ويقول: « اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ». ثم يغسل رِجله اليمنى ثلاثاً ويخلل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرِجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرِجل اليمنى ويختم

ليس ذلك بسنة، وقال بعض الشافعية، وأحمد في أحد روايتيه أنه سنة لأن ابنه عبدالله قال: رأيت أبي إذا مسح رأسه وأذنيه في الوضوء مسح ذلك اهـ.

قلت: والمشهور عند أصحابنا أنه سنة لأنه قد ثبت من فعله ﷺ ثم أن مسحها يكون بظهر اليدين لعدم استعمال بلتهما، واختار كثيرون من أصحابنا أنه أدب **(لقوله ﷺ: « مسح الرقبة أمان من الغل »)** غريب. قال ابن الصلاح في مشكل الوسيط: لا يعرف مرفوعاً وإنما هو قول بعض السلف. وقال النووي في شرح المهذب وغيره: موضوع وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: « من توضأ ومسح على عنقه وقي الغل **(يوم القيامة »)**. هكذا رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف، ورواه أبو نعيم بلفظ: « من توضأ ومسح يديه على عنقه أمن الغل يوم القيامة » قال ابن الملقن غريب لا أعرفه إلا من كلام موسى بن طلحة، كذلك رواه أبو عبيد في غريبه. وقال النووي في كلامه على الوسيط لا يصح في مسح الرقبة شيء اهـ.

قلت: ورواه أبو عبيد في كتاب الطهور عن عبد الرحمن بن مهدي، عن المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن موسى بن طلحة بلفظ: « من مسح قفاه مع رأسه ». فإن قيل: هو موقوف على موسى؟ أجيب بأنه ليس مما يقال فيه بالرأي وما كان كذلك فله حكم الرفع. وقد خلط المصنف بين الحديثين وميزتهما كما ترى وهو الصواب، وقد ميز بينهما كذلك الرافعي، وأما العراقي فذكر الحديث الأول وعزاه إلى ابن عمر فلم يصب، ولذلك لم أتبعه، والله أعلم. **(ويقول: « اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال »)** هكذا هو في القوت والعوارف، ولم يرد في حديث علي وأنس ولا غيرهما، **(ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثاً)** إلى الكعب، وهذا هو الفرض الخامس عند المصنف **(و)** يسن **(أن يخلل)** الأصابع هذا إذا كان الماء يصل إليها من غير تخليل، فلو كانت الأصابع ملتفة لا يصل الماء إليها إلا بالتخليل، فحينئذ يجب التخليل لا لذاته لكن لأداء فرض الغسل، وإن كانت ملتحمة لم يجب الفتق ولا يستحب أيضاً قاله الرافعي.

وقال النووي، قلت: بل لا يجوز والله أعلم. والأحب في كيفية التخليل أن يخلل **(باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى)**. وعبارة الرافعي يخلل بخنصر اليد اليسرى من أسافل الأصابع مبتدئاً بخنصر الرجل اليمنى مختتماً بخنصر اليسرى. ورد الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ. كذلك ذكره الأئمة، وعن أبي طاهر الزيادي: أنه كان يخلل ما بين كل أصبعين من أصابع رجله باصبع من أصابع يده ليكون بماء جديد، ويفضل الإبهامان. ولا يخلل بهما لما فيه من العسر، وهل التخليل من خاصية

....

أصابع الرجلين أم هو مستحب في أصابع اليدين أيضاً؟ معظم أئمة المذهب ذكروه في أصابع الرجلين وسكتوا عنه في اليدين، لكن ابن كج قال: إنه مستحب فيهما لما روي أنه ﷺ قال للقيط بن صبرة «إذا توضأت فخلل الأصابع» فإن لفظ الأصابع يشملهما. وروى الترمذي عن ابن عباس رفعه «إذا توضأت فخلل بين أصابع يديك ورجليك» وعلى هذا فالذي يقرب من الفهم ههنا أن يشبك بين الأصابع ولا تعود فيه الكيفية المذكورة في الرجلين.

قلت: وعند أصحابنا يسن تخليل أصابع كل من اليدين والرجلين بالإتفاق لعموم الأحاديث الواردة في ذلك، ولم يكن واجباً مع وجود الأمر فيه لوجود الصارف، وهو تعليم الأعرابي، وكيفية تخليل أصابع اليد أن يدخل بعضها في بعض ويقوم مقامه الإدخال في الماء الجاري وما هو في حكمه وصفته في الرجلين هو ما تقدم في سياق الرافعي. قال الكمال بن الهمام: والله أعلم أنه أمر اتفاقي لاسنة مقصودة فلا تختص سنة التخليل بهذه الكيفية.

فصل

قوله تعالى: ﴿وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ [المائدة: ٦] قرأ نافع، وابن عباس، وحفص، والكسائي أرجلكم بالنصب عطفاً على وجوهكم وجره الباقون، فقيل على الجوار كقوله تعالى (وحور) بالجر في قراءة حمزة الكسائي عطفاً على ولدان المرفوع في قوله تعالى: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ [الواقعة: ١٧] وفي الكشاف لما كانت الرجلان مظنة للإسراف المذموم عطفت على الممسوح لا للتمسيح، بل لينبه على وجوب الإقتصاد في صب الماء عليهما، وقيل: إلى الكعبين لإزالة ظن أنها ممسوحة لأن المسح لم تضرب له غاية في الشريعة اهـ.

والكعبان: هما العظمان الناتئان من جانبي القدم المرتفعان، والإشتقاق يدل على الإرتفاع. ويروى عن زفر بن الهذيل من أئمتنا أنه كان يقول: إن الكعب هنا هو الذي فوق مشط القدم، وحكاه هشام بن محمد بن الحسن، وحكى الرافعي عن ابن كج وغيره أنهم رووا عن بعض الأصحاب ذلك، وقال النووي: هذا الوجه شاذ منكر بل غلط والله أعلم.

قلت: وهو صحيح لكن في حق المحرم إذا لم يجد نعلين يقطع الخف من أسفل الكعب وأراد بالكعب ما ذكر. قال الرافعي: وجه الأول ما روى النعمان بن بشير رفعه: أمرنا بإقامة الصفوف، فلقد رأيت الرجل يلزق منكبه بمنكب أخيه وكعبه بكعبه، والذي يتصور فيه التزاق القائمين في الصف ما ذكرنا دون ظهر القدم. وقال الشمني في شرح النقاية ومعنى «إلى» عند المحققين الغاية مطلقاً، وأما دخول ما بعدها في حكم ما قبلها أو خروجه عنه فأمر يدور مع الدليل، فما قام الدليل فيه على خروج ما بعدها قوله تعالى: ﴿فنظرة إلى ميسرة﴾ [البقرة: ٢٨٠] إذ لو دخل لكان الإنتظار واجباً حالة اليسر أيضاً. وقوله تعالى: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ [البقرة: ١٨٧] إذ لو دخل لوجب الوصال، ومما قام الدليل فيه على دخول ما بعدها قوله

بالخنصر من الرِجل اليسرى ويقول: « اللهم ثبِّت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل الأقدام في النار » ويقول عند غسل اليسرى: « أعوذ بك أن تزل قدمي على الصراط

تعالى: ﴿من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ [الإسراء: ١] للعلم فيه بأنه لا يسري به إلى البيت المقدس من غير أن يدخله. وأما المرافق والكعبان في الآية فأخذ زفر وداود فيهما بالمتيقن، فلم يدخلاها في الغسل، وأخذ الكافة بالإحتياط فادخلوها فيه. وقيل « إلى » بمعنى « مع » وقيل: للغاية وإن صدر الغاية إذا كان متناولاً لها كاليد يتناول إلى الإبط كانت لإسقاط ما وراءها لا لامتداد الحكم لأنه حاصل.

قلت: ونقل الباقاني في شرح الملتقى عن بعض المتأخرين أن الأولى الإستدلال بالإجماع على فرضية غسلها، فقد قال الشافعي في الأم: لا نعلم مخالفاً في إيجاب دخول المرفقين في الوضوء، وهذا حكاية منه للإجماع.

تنبيه:

قال الرافعي: وقد يمتحن فيسأل عن وضوء ليس فيه غسل الرجلين، وصورته: ما إذا غسل الجنب جميع بدنه إلا رجليه ثم أحدث، والأصل في المسألة على الإختصار أن من اجتمع في حقه الحدث الأصغر والأكبر هل يكفيه الغسل أم يحتاج معه إلى الوضوء، فيه وجهان أصحهما: أنه يكفيه لظاهر الأخبار. فإن قلنا: يجب وضوء وغسل عند اجتماع الحدثين وجب غسل الرجلين عن الجنابة ووضوء كامل للحدث يقدم منهما ما شاء ويؤخر ما شاء، وتكون الرجل مغسولة مرتين، وإن قلنا: يكفي الغسل، ثم يشترط الترتيب في أعضاء الوضوء وجب غسل الرجلين مؤخراً عن سائر أعضاء الوضوء ويكون غسلها واقعاً على الجهتين الجنابة والحدث جميعاً، وإن قلنا انه يكفي الغسل من غير اشتراط الترتيب فعليه غسل الرجلين عن جهة الجنابة، أما قبل سائر أعضاء الوضوء أو بعدها أو في خلالها ويغسل سائر الأعضاء من الحدث على الترتيب، وهذا هو الأصح. واختيار ابن سريج، وابن الحداد وعلى هذا الوجه يكون المأتي به وضوءاً خالياً عن غسل الرجلين لأن الرجلين قد اجتمع فيهما الحدثان، ونحن على هذا الوجه نحكم باضمحلال الأصغر في جنب الأكبر، فليست الرجلان مغسولتين من جهة الوضوء. فهذه هي صورة الامتحان.

فائدة:

عدوا غسل الرجلين أحد فروض الوضوء وأركانه، لكن المتوضيء غير مكلف بغسل الرجلين بعينه، بل الذي يلزمه أحد الأمرين إما غسل الرجلين أو المسح على الخفين بشرطه، ولو عبر معبر عن هذا الركن هكذا لكان مصيباً، والمراد عند الإطلاق ما إذا كان لا يمسح أو أن الأصل الغسل والمسح بدل.

(ويقول) عند غسل اليمنى: **(« اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الأقدام » ويقول عند غسل اليسرى: « أعوذ بك أن تزل قدمي على الصراط يوم تزل أقدام**

يوم تزل فيه أقدام المنافقين » ويرفع الماء إلى انصاف الساقين. فإذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال: « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي أستغفرك، اللهم وأتوب إليك فاغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التوّاب الرحيم، اللهم اجعلني من التوّابين، واجعلني من المتطهرين، واجعلني من عبادك الصالحين، واجعلني عبداً صبوراً شكوراً، واجعلني أذكرك كثيراً وأسبحك بكرة وأصيلاً » يقال: إن من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة. ويكره في الوضوء أمور: منها أن

المنافقين ») ونص القوت في الأولى بعد الصراط مع أقدام المؤمنين، وفي الثانية بزيادة فيه بعد « تزل ». وفي العوارف مثل ما في القوت بزيادة التصلية. وفي حديث علي من رواية ولده محمد ابن الحنفية عنه. وفي الرجلين: « اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الاقدام اللهم نجني من مفضعات النيران وأغلالها ». وفي حديث أنس الاقتصار على هذه الجملة الأولى، **(ويرفع الماء إلى انصاف الساقين)**. هذه العبارة منتزعة من عبارة القوت حيث قال: وان يبتدىء بغسل الذراعين من أصابع الكفين ويقطع من المرفقين في كل غسلة، وأن يبلغ في غسل الذراعين إلى أنصاف العضدين، وأن يبتدىء بغسل القدمين من الأصابع ويخللها من الميامن ويقطع غسلها من الكعبين ويبلغ في غسل القدمين إلى أنصاف الساقين ويمين أصابع اليمنى خنصرها ويمين أصابع اليمين إبهامها، **(فإذا فرغ)** من وضوئه **(رفع رأسه إلى السماء وقال)** ونص القوت: ثم قال: **(« أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلاّ أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي أستغفرك وأتوب إليك)**. ونص القوت: وأسألك التوبة **(فاغفر لي وتب عليّ إنك أنت التوّاب الرحيم، اللهم اجعلني من التوّابين، واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين)**، وهذه الجملة الأخيرة ليست في القوت، ولا في شرح الوجيز، ولا في الأحاديث الواردة في الدعاء على ما سيأتي بيانه **(واجعلني عبداً صبوراً شكوراً)**. ونص القوت: واجعلني صبوراً واجعلني شكوراً **(واجعلني أذكرك ذكراً كثيراً وأسبحك بكرة وأصيلاً)**. وهكذا هو في كتاب العوارف. قال صاحب القوت: هذا جميع ما روي من القول بعد الفراغ من الوضوء بآثار متفرقة قد جمعناها. **(يقال: إن من قال هذا بعد الوضوء)**، ونص القوت عند فراغه من الوضوء **(ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش، فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة)** كل هذا بعينه في القوت والكلام عليه من وجوه.

الأول: في رفع الرأس إلى السماء. قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الاذكار نقل الروياني أنه يقول ذلك رافعاً بصره إلى السماء، وقد جاء ذلك مصرحاً في حديث عمر بن

....

الخطاب رضي الله عنه رفعه: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع بصره أو قال نظره إلى السماء» فقال الحديث كما سيأتي، والسماء قبلة الدعاء فلعل ذلك مراد من أطلق. وعند المستغفري في كتاب الدعوات في حديث علي ورفع رأسه إلى السماء فقال: «الحمد لله الذي رفعها بغير عمد»، وكذلك في حديث ثوبان عند البزار، وحديث أنس عند الخطيب وابن النجار كلهم بلفظ: «ورفع رأسه إلى السماء».

الثاني: أن يكون مستقبل القبلة قائماً أو قاعداً كذا في الخلاصة من كتب أصحابنا. وقال النووي في الاذكار، قال أصحابنا، ويقول: هذه الاذكار مستقبل القبلة. قال الحافظ: لم أرَ فيه شيئاً صريحاً يختص به.

الثالث: أن يقول هذه الإذكار عقيب الفراغ، وهذا قد ذكره النووي في الاذكار وورد صريحاً في أكثر الأحاديث الآتي ذكرها، وهو مقتضى تبويب النسائي في السنن، ولكن ابن السني ترجم في عمل اليوم والليلة فقال: باب ما يقول بين ظهراني وضوئه وأورد دعاء يأتي ذكره فيما بعد.

الرابع: في قوله: «أشهد أن لا إله إلا الله» إلى قوله: «ورسوله» روى الإمام أحمد في مسنده من طريق الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: كنا نخدم أنفسنا، وكنا نتناوب رعية الإبل بيننا فأدركتني رعية الإبل فروّحتها بعشي، فأدركت رسول الله ﷺ وهو قائم يحدث الناس، فأدركت من حديثه وهو يقول: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ الوضوء ثم يركع ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة وغفر له». فقلت: ما أجود هذه. فقال رجل بين يدي النبي ﷺ: التي كان قبلها أجود منها، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب، فقلت: ما هو يا أبا حفص؟ قال: انه قال قبل أن تأتي: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء». وعند أبي نعيم في المستخرج: وأشهد أن محمداً. كما عند المصنف، وروى أبو محمد الفاكهي في تاريخ مكة، والدارمي، وأحمد، وأبو بكر بن أبي شيبة كلهم من طريق المقري، عن حيوة بن شريح، عن أبي عقيل، عن ابن عمر، عن عقبة بن عامر فساقه نحوه وفيه: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع بصره، أو قال نظره إلى السماء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء». وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، وأبو داود عن عثمان بن أبي شيبة، والترمذي عن جعفر بن محمد بن عمران، والنسائي عن محمد بن علي بن محرز. أربعتهم عن زيد بن الحباب، عن معاوية بن صالح. وأخرجه مسلم أيضاً من رواية عبد الرحمن بن مهدي، وابن حبان من رواية عبدالله بن وهب كلاهما عن معاوية بن صالح.

....

قلت: وقد جاء في بعض الروايات: التشهد بعد البسملة وأنه يقال عند كل عضو. أخرجه المستغفري في كتاب الدعوات من طريق سالم بن أبي الجعد، عن البراء بن عازب رفعه: «ما من عبد يقول إذا توضأ بسم الله، ثم قال لكل عضو أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء». وفيه تعقب على النووي حيث قال في الاذكار: إن التشهد بعد التسمية لم يرد. وأخرجه الدارقطني، وأبو يعلى، والطبراني في الدعاء من طريق محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني وهو ضعيف جداً عن أبيه عن ابن عمر رفعه: «من توضأ فغسل كفيه ثلاثاً» ثم ساقوا الحديث إلى أن قال ثم قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله قبل أن يتكلم غفر له ما بين الوضوءين» وجاء تكرار التشهد ثلاث مرات. أخرج أحمد والطبراني من طريق زيد العمى، عن أنس بن مالك رفعه: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء». وأخرج ابن السني من طريق عمرو بن ميمون بن مهران الجزري، عن أبيه، عن جده، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه رفعه: «من قال حين يفرغ من وضوئه أشهد أن لا إله إلا الله ثلاث مرات لم يقم حتى تمحى عنه ذنوبه حتى يصير كما ولدته أمه».

الخامس في قوله: سبحانك اللهم إلى آخره أخرجه ابن السني والطبراني من طرق عن أبي هاشم الرماني، عن أبي مجلز، عن قيس بن عباد، عن أبي سعيد الخدري رفعه: «من قال إذا توضأ بسم الله وإذا فرغ قال سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك وأتوب إليك ختم عليها بخاتم». وفي رواية: «طبع عليها بطابع فوضعت تحت العرش فلم تكسر إلى يوم القيامة». ويروى موقوفاً أيضاً. وأخرجه الدارقطني في فوائد المزكي بلفظ: من قال حين يفرغ من وضوئه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كتب في رق وطبع عليه بطابع ووضع تحت العرش حتى يدفع إليه يوم القيامة».

السادس: في قوله: «اللهم اجعلني من التوّابين» إلى قوله: «الصالحين» أخرجه الترمذي من رواية أبي إدريس وأبي عثمان عن عمر بن الخطاب نحو سياق حديث عقبة السابق، وزاد فيه: «اللهم اجعلني من التوّابين واجعلني من المتطهرين»، ثم قال: وأبو ادريس لم يسمع من عمر. قال الحافظ شيخ الترمذي جعفر بن محمد تفرّد بها ولم يضبط الاسناد، فإنه أسقط بين أبي إدريس وعمر عقبة، فصار من حديث عمر وليس كذلك، وإنما هو من حديث عقبة كما تقدم. وأخرج الطبراني في كتبه، ومحمد بن سنجر في مسنده من طرق عن أبي سعد الأعور عن أبي سلمة عن ثوبان. وفي الأوسط من رواية الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان رفعه: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال عند فراغه لا إله إلا الله وحده لا شريك له اللهم اجعلني من المتطهرين فتح الله له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء». وأخرج الطبراني في الدعاء من طريق أبي

....

إسحاق السبيعي، عن الحرث، عن علي أنه كان يقول إذا فرغ من وضوئه: «اللهم اجعلني من التوّابين واجعلني من المتطهرين». وأخرج المستغفري في كتاب الدعوات من حديث البراء بن عازب رفعه: «ما من عبد يقول إذا فرغ من وضوئه اللهم اجعلني من التوّابين واجعلني من المتطهرين إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء». وأخرج أبو القاسم بن منده في كتاب الوضوء، والمستغفري في الدعوات، والديلمي في مسند الفردوس من طرق عن يونس بن عبيد عن الحسن هو البصري، عن علي بن أبي طالب قال: علمني رسول الله ﷺ فقال: «يا علي إذا قدمت وضوءك فقل بسم الله العظيم ثم ساقوا الحديث إلى أن قال: فإن غسلت رجليك فقل: اللهم اجعل سعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً وعملاً مقبولاً سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك اللهم اجعلني من التوّابين، واجعلني من المتطهرين، والملك قائم على رأسك يكتب ما تقول ثم يختمه بخاتم ثم يعرج به إلى السماء فيضعه تحت عرش الرحمن فلا يفك ذلك الخاتم إلى يوم القيامة». وأخرجه المستغفري أيضاً من طريق أبي إسحاق عن علي فذكر نحوه بتمامه وزاد بعد قوله وذنباً مغفوراً وتجارة لن تبور. وفي آخره: ورفع رأسه إلى السماء فقال: «الحمد لله الذي رفعها بغير عمد».

السابع: قوله: فلم يزل يسبح الله ويقدسه إلخ. أخرجه ابن حبان من رواية عباد بن صهيب عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وبين يديه إناء من ماء، فقال لي: يا أنس، أدن مني أعلمك مقادير الوضوء قال: فدنوت منه فلما أن غسل يديه قال فساق الحديث إلى أن قال، ثم قال: قال النبي ﷺ: «يا أنس، والذي نفسي بيده ما من عبد قالها عند وضوئه إلا لم تقطر من خلل أصابعه قطرة إلا خلق الله منها ملكاً يسبح الله بسبعين لساناً يكون ثواب ذلك التسبيح له إلى يوم القيامة».

الثامن: في الصلاة على النبي ﷺ نقل النووي عن الشيخ نصر المقدسي قال: ويقول مع هذه الاذكار اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد. قال الحافظ، وقد أخرج البيهقي من طريق الأعمش، عن شقيق، عن ابن مسعود رفعه: «إذا تطهر أحدكم فليذكر إسم الله» الحديث. وفيه: وإذا فرغ من طهوره فليشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله وليصلِّ عليّ فإذا قال ذلك فتحت له أبواب الرحمة، وقد علم ﷺ من سأله عن كيفية الصلاة عليه: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، فلذلك لم يذكر السلام والعلم عند الله تعالى.

التاسع: في معنى الدعاء السابق: «سبحانك» في الأصل مصدر، ثم صار علماً للتسبيح وهو التنزيه وهو منصوب دائماً بفعل لازم الإضمار «وبحمدك» في موضع الحال أي نسبح حامدين لك لأنه لولا إنعامك بالتوفيق لم نتمكن من تسبيحك وعبادتك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك أي أطلب منك أن تغفر لي ذنوبي وأتوب إليك أي أرجع إلى طاعتك عن معصيتك «اللهم اجعلني من التوّابين» أي الكثيري التوبة والرجوع عن الذنب «واجعلني من المتطهرين»

يزيد على الثلاث، فمن زاد فقد ظلم، وأن يسرف في الماء توضأ عليه السلام ثلاثاً

أي المتنزهين عن قاذورات الذنوب والمعاصي وأوساخها وفيه ترق من الرفع إلى الدفع: «واجعلني من عبادك الصالحين» أي الذين خصصتهم بالإضافة إلى ذاتك وجعلتهم صالحين لكرامتك لائقين لمشاهدتك في حضرة قدسك مع الذين أنعمت عليهم، وفيه ترق من التخلية إلى التحلية، وأما بيان معاني بقية أدعية الأعضاء، فقد تعرض له شارح مقدمة أبي الليث من أصحابنا وهي لوضوحها لم يحتج إلى تنبيه عليه هنا، والله أعلم.

ثم قال المصنف: (**ويكره في الوضوء أمور: منها أن يزيد على الثلاث**) أي يتجاوز الحد المسنون في الزيادة عليه في المرات الثلاثة بأن يجعلها أربعاً من غير ضرورة، وكذا النقصان منه بأن يجعلها اثنتين لغير ضرورة. وقيل: المنهي عن الزيادة أو النقصان ما إذا كان معتقداً سنيتها، فأما لو زاد لطمأنينة القلب عند الشك فلا بأس به، كما أشار إليه النووي وسبق ذلك لأنه ﷺ أمر بترك ما يريبه إلى ما لا يريبه. كذا في الكافي وغيره. وفي الخلاصة وإن غسل مواضع الوضوء أربع مرات يكره. قال الفقيه أبو جعفر: لا يكره إلا إذا رأى السنّة فيما وراء الثلاث، وهذا إذا لم يفرغ من الوضوء فإن فرغ ثم استأنف الوضوء لا يكره بالإتفاق اهـ.

قال شارح المنية من أصحابنا: وهو يفيد أن تجديد الوضوء على أثر الوضوء من غير أن يؤدي بالأول عبادة غير مكروه، وفيه إشكال لاطباقهم على أن الوضوء عبادة غير مقصودة لذاتها، فإذا لم يؤدّ به عمل مما هو المقصود من غير شرعيته كالصلاة وسجدة التلاوة، ومس المصحف ينبغي أن لا يشرع تكراره قربة لكونه غير مقصود لذاته فيكون إسرافاً محضاً، وقد قالوا في السجدة لما لم تكن مقصودة لم يشرع التقرب بها مستقلة وكانت مكروهة فهذا أولى اهـ.

(**و**) من مكروهات الوضوء (**أن يسرف في الماء**) أي في استعماله بأن يصرف فيه زائداً على ما ينبغي كان يغسل أربعاً وما أشبه ذلك، وقد روى أحمد وابن ماجة من حديث سعد لما مر به ﷺ وهو يتوضأ فقال له: «ما هذا السرف يا سعد؟» قال: أفي الوضوء سرف؟ قال: «نعم وإن كنت على نهر جار» فالإسراف في صب الماء مكروه ولو كان مملوكاً أو نهراً. وأما الموقوف كالمدارس فحرام كذا في الدر. (**توضأ رسول الله ﷺ ثلاثاً وقال «من زاد فقد ظلم وأساء»**). قال العراقي: أخرجه أبو داود والنسائي، واللفظ له وابن ماجة من رواية عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده اهـ.

قلت: لفظ أبي داود أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف الطهور فدعا بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل ذراعيه ثلاثاً، ثم مسح برأسه أدخل أصبعيه السبابتين باطن أذنيه ثم غسل رجليه ثلاثاً ثلاثاً ثم قال: «هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم أو ظلم وأساء»، وأخرجه النسائي وابن ماجة، وفي لفظ ابن ماجة: «فقد تعدى وظلم» وللنسائي: «أساء وتعدى وظلم» والاحتجاج بهذا الاسناد صحيح، فإن المراد بجد عمرو عند الاطلاق أبو أبيه، وهو عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، والمراد بالزيادة

وقال: « من زاد فقد ظلم وأساء » وقال: « سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء والطهور » ويقال: من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور، وقال ابراهيم بن أدهم: يقال إن أول ما يبتدىء الوسواس من قبل الطهور، وقال الحسن: إن شيطاناً يضحك بالناس في الوضوء يقال له الولهان ويكره أن ينفض اليد فيرش الماء وأن يتكلم في أثناء

الزيادة على الثلاث معتقداً سنيتها كما تقدم، وكذا المراد بالنقصان، ومعنى « تعدى » جاوز حدّ السنة في الزيادة، ومعنى « ظلم » أي ظلم السنة حقها في النقصان ثم المرة الأولى فرض، والثانية سنّة، والثالثة دونها في الفضيلة. وقيل: الثالثة لكمال السنّة كذا في الاختيار، والأولى أن تكون الثانية والثالثة كلاهما سنّة لأن التثليث الذي هو سنّة إنما يحصل بها. **(وقال ﷺ: « سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء والطهور »)**. قال العراقي: أخرجه أبو داود، وابن حبان، والحاكم من حديث عبدالله بن مغفل اهـ.

قلت: أخرجه أبو داود من طريق أبي نعامة، واسمه قيس بن عباية أن عبدالله بن مغفل سمع إبنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، فقال: أي بني سل الله الجنة وتعوّذ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء ». وأخرجه ابن ماجة مقتصراً منه على الدعاء، وبمثل رواية ابن ماجة أخرجه أحمد عن سعد، ويعتدون أي يتجاوزون وهذا هو معنى الإسراف. **(ويقال: من وهن علم الرجل)** أي من ضعفه. والوهن: بالتحريك يستعمل في العلم والعقل وبالسكون في البدن **(ولوعه)** بالفتح والضم كلاهما للإسم والمصدر **(بالماء في الطهور)**. وفي نسخة في التطهير، وظن العراقي أنه حديث فقال: لم أجد له أصلاً، وليس كذلك بل هو من كلام بعض السلف، **(وقال ابراهيم بن أدهم)** البلخي الزاهد: **(أوّل ما يبدأ الوسواس من قبل الطهور)** وذلك أنه يلقي من الشيطان في هاجسه أنه لم يطهر بعد فيعتدي، وفي العوارف قال أبو عبدالله الروزبادي: إن الشيطان يجتهد أن يأخذ نصيبه من جميع أعمال بني آدم ولا يبالي أن يأخذ نصيبه بأن يزدادوا فيما أمروا به وينقصوا منه. **(وقال الحسن)** هو البصري: **(إن شيطاناً يضحك بالناس في الوضوء يقال له الولهان)**، وليس هذا من قول الحسن، بل هو حديث مرفوع أخرجه الترمذي في جامعه فقال: أخبرنا محمد بن بشار، أخبرنا أبو داود، حدثنا خارجة بن مصعب، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن يحي بن ضمرة السعدي، عن أبي بن كعب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: « للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وساوس الماء » **(ويكره أن ينفض اليد فيرش الماء)** أي بعد الفراغ من الوضوء لما روي أنه ﷺ قال: « إذا توضأتم فلا تنفضوا أيديكم فإنها مراوح الشيطان ». قال ابن الملقن: رواه ابن أبي حاتم في علله، وابن حبان في ضعفائه من رواية أبي هريرة وضعفاه، وانكار ابن الصلاح من الحديث، فإنها مراوح الشيطان غلط لوجودها كما ذكرناه اهـ.

الوضوء، وأن يلطم وجهه بالماء لطماً. وكره قوم التنشيف وقالوا: الوضوء يوزن، قاله سعيد بن المسيب والزهري، لكن روى معاذ رضي الله عنه: «أنه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه» وروت عائشة رضي الله عنها «أنه ﷺ كانت له منشفة»، ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة. ويكره أن يتوضأ من إناء صفر وإن يتوضأ بالماء

وفي الروضة للنووي قلت: في النفض أوجه: الأرجح أنه مباح تركه وفعله سواء، والثاني مكروه، والثالث تركه أولى. والله أعلم اهـ.

قلت: وقد ثبت أنه ﷺ ناولته زينب خرقة بعد طهارته فنفض يده ولم يأخذها، فهذا يدلك على أن النفض مطلقاً غير مكروه، ولعل المصنف قيده بقوله: فيرش الماء نظراً لذلك فتأمل. (و) يكره (**أن يتكلم في أثناء وضوئه**) بكلام الدنيا والبشر، وفي فتاوى الحجة التكلم في أثناء الوضوء مكروه، وفي الاغتسال أشد كراهة، وفي العوارف: أدب الصوفية في الوضوء حضور القلب في غسل الأعضاء. سمعت بعض الصالحين يقول: إذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلاة، وإذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة في الصلاة. (**ويكره أن يلطم وجهه بالماء لطماً**) تنزيهاً لمنافاته شرف الوجه فيلقيه برفق عليه، (**وكره قوم التنشف**) بالخرقة في الوضوء وفي الغسل. وفي القوت: وقد كره بعض العلماء مسح الأعضاء بخرقة بعد الوضوء وقال: هذا نور للوجه اهـ. (**وقالوا**) أي: القائلين بالكراهة (**الوضوء يوزن**) في كفة الحسنات، أي ماؤه (**قاله سعيد بن المسيب والزهري**). وفي العوارف: واتخاذ المنديل بعد الوضوء كرهه قوم، وقالوا: إن ماء الوضوء نور يوزن وأجازه بعضهم اهـ.

قلت: قوله الوضوء يوزن قد وجدته مرفوعاً في حديث أبي هريرة. أخرجه ابن عساكر في تاريخه وتمام في فوائده بلفظ: «من توضأ فمسح بثوب نظيف فلا بأس به ومن لم يفعل فهذا أفضل لأن الوضوء يوزن يوم القيامة مع سائر الأعمال». (**ولكن روى معاذ**) بن جبل (**رضي الله عنه: «أنه ﷺ مسح وجهه بطرف ثوبه»**). قال العراقي: أخرجه الترمذي وقال: غريب واسناده ضعيف اهـ.

قلت: ولفظ الحديث في العوارف. وقال معاذ: رأيت رسول الله ﷺ إذا توضأ مسح وجهه بكمه بطرف ثوبه». وفي الكبير للطبراني من حديثه: «كان يمسح وجهه بطرف ثوبه في الوضوء». (**وروت عائشة رضي الله عنها: «إنه ﷺ كانت له منشفة»**) هو في سنن الترمذي. أخبرنا سفيان بن وكيع، حدثنا عبدالله بن وهب، عن يد بن حباب، عن أبي معاذ، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كانت لرسول الله ﷺ خرقة ينشف بها أعضاءه بعد الوضوء». (**ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة رضي الله عنها**) كأنه يشير إلى قول الترمذي، فإنه بعدما أخرجه قال: وليس بالقائم ولا يصح عن النبي ﷺ شيء في هذا الباب، وفي القوت: واستحب بعض علماء الشام أن يمسح بثوبه وقال: تكون البركة في ثيابي

المشمس وذلك من جهة الطب. وقد روي عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما

فإن مسح فجائز وإن ترك فحسن. قد مسح رسول الله ﷺ وجهه وذراعيه بخرقة بعد الوضوء، وقد ناولته زينب خرقة بعد طهارته فنفض يده ولم يأخذها. قال أصحابنا: لا بأس بالمسح قليلاً من غير مبالغة بمنديل بعد الوضوء، كما روي ذلك عن عثمان، وأنس، ومسروق، والحسن بن علي رضي الله عنهم. وقال الرافعي: هل يستحب ترك تنشيف الأعضاء فيه وجهان: أظهرهما نعم لما روي عن أنس أن النبي ﷺ كان لا ينشف أعضاءه. وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يصبح جنباً فيغتسل ثم يخرج إلى الصلاة ورأسه يقطر ماء، والثاني: لا يستحب ذلك. وعلى هذا اختلفوا. منهم من قال: لا يستحب التنشف أيضاً. وقد روي من فعله ﷺ فعله وتركه وكل حسن ولا ترجيح، ومنهم من قال: يستحب التنشف لما فيه من الاحتراز عن التصاق الغبار، وإذا فرعنا على الأظهر وهو استحباب الترك. فهل نقول التنشف مكروه أم لا ؟ فيه ثلاثة أوجه: أظهرها: لا، والثاني: نعم لأنه إزالة لأثر العبادة فأشبه إزالة خلوف فم الصائم، والثالث حكي عن القاضي الحسين أنه إن كان في الصيف كره وإن كان في الشتاء لم يكره لعذر البرد، **(ويكره أن يتوضأ من إناء أصفر)** وعبارة القوت: ويكره الوضوء في إناء صفر، وفي المصباح: الصفر بالضم ويكسر النحاس، وقيل أجوده اهـ. وفي معناه النحاس الأحمر.

قال صاحب القوت: وسمعت أن العبد إذا أراد الوضوء احتوشته الشياطين توسوس إليه فإذا سمّى وذكر الله تعالى حبست عنه وحضرته الملائكة، فإن كان وضوءه في إناء صفر أو نحاس لم تقربه الملائكة اهـ.

ولذا قال صاحب شرعة الإسلام: ولا يتوضأ في إناء صفر ولا نحاس لأن الملائكة تنفر من ريحها. وقال أصحابنا: ومن آداب الوضوء كون آنيته من خزف، **(ويكره أن يتوضأ بالماء المشمس)** وفي القوت قيل: إن كراهته بأرض الحجاز خاصة ويورث البرص، وإليه أشار المصنف بقوله: **(وذلك من جهة الطب)** أي فهي كراهة طبية لا شرعية. وقال الرافعي في أقسام المياه التي يتطهر بها: ومنها المشمس وهو على طهوريته كالمسخن، وهل في استعماله كراهة أم لا ؟ فيه وجهان: أحدهما: لا. وبه قال مالك، وأبو حنيفة، وأحمد. والثاني: وهو الأصح نعم لما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ نهاها عن المشمس وقال: « إنه يورث البرص ». وعن ابن عباس أنه ﷺ قال: « من اغتسل بماء مشمس فأصابه وضح فلا يلومنّ إلا نفسه ». وكره عمر رضي الله عنه المشمس وقال: إنه يورث البرص.

فإن قلنا بالكراهة ففي محلها اختلاف منشؤه إشارة النقل بعد النهي إلى سببه وهو خوف الوضح، وقال قائلان من أصحابنا: إنما يكره إذا خيف منه هذا المحذور، وإنما يخاف عند اجتماع شرطين. أحدهما: أن يجري التشميس في الأواني المنطبعة كالحديد والرصاص والنحاس، لأن الشمس إذا أثرت فيها استخرجت منها أجزاء زهومة تعلو وجه الماء، ومنها يتولد المحذور. والثاني: أن يتفق في البلاد المفرطة الحرارة دون البلاد الباردة والمعتدلة، فإن تأثير الشمس فيها

كراهية اناء الصفر. وقال بعضهم: أخرجت لشعبة ماء في إناء صفر فأبى أن يتوضأ منه. ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنها. ومهما فرغ من

ضعيف، ولا فرق عند القائلين بهذه الطريقة بين أن يقع ذلك قصداً أو اتفاقاً، فإن المحذور لا يختلف، وأيدوا طريقتهم بالمشمس بالحياض والبرك، فإنه غير مكروه. وقال آخرون: لا يتوقف الكراهية على خوف المحذور لإطلاق النهي، وهؤلاء طردوا الكراهة في الأواني المنطبعة وغيرها كالخزف. وفي البلاد الحارة والباردة، واعتذروا عن ماء الحياض والبرك بتعذر الاحتراز اهـ.

وقال النووي في الروضة. قلت: الراجح من حيث الدليل أنه لا يكره مطلقاً، وهو مذهب أكثر العلماء وليس للكراهة دليل يعتمد. وإذا قلنا بالكراهة فهي كراهة تنزيه لا يمنع صحة الطهارة ويختص باستعماله في البدن ويزول بالتبريد على أصح الأوجه والله أعلم.

ثم قال الرافعي: والطريقة الأولى أقرب إلى كلام الشافعي رضي الله عنه، فإنه قال: ولا أكره المشمس إلا من جهة الطب أي إنما أكرهه شرعاً حيث يقتضي الطب محذوراً فيه، واستثنى بعضهم من المنطبعة الذهب والفضة لصفاء جوهرهما وبعد انفصال محذور عنهما. **(وقد روي عن ابن عمر، وأبي هريرة رضي الله عنهم كراهية الوضوء من إناء الصفر)** هكذا في القوت. **(قال بعضهم: أخرجت لشعبة)** هو أبو بسطام شعبة بن الحجاج العتكي أمير المؤمنين في الحديث تقدمت ترجمته **(ماء في إناء صفر)**، وعبارة القوت، وقال بعض المحدثين: سألني شعبة أن أخرج له وضوء فأخرجته في إناء صفر **(فأبى أن يتوضأ)** ونص القوت: فلم يتوضأ به. **(ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر)** ونص القوت بعد قوله: فلم يتوضأ به، ثم قال: حدثني عبدالله بن دينار عن ابن عمر أنه كره الوضوء في إناء صفر، ثم قال صاحب القوت: وتوضأ رسول الله ﷺ في ركوة، ومن صحفة فيها أثر العجين، ومن كوز، ومن اداوة، ومن مهراس حجر، ومن مخضب لزينب بنت جحش وهو من نحاس وفيه رخصة اهـ.

قلت: وروى أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه، عن الدراوردي، عن زيد بن أسلم، عن أبيه أن عمر كانت له قمقمة يسخن فيها الماء. والقمقمة: بالضم إناء من نحاس، فهذا أيضاً دليل الرخصة.

مهمات:

الأولى: الكراهة والكراهية ضد المحبة، والمحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيراً مما سواه. والمكروهات غير متحصرة فيما ذكره المصنف، وتقريب حصرها عندنا بأنها ضد الأدب والمستحب فمما لم يذكره المصنف التقتير في الماء جداً حتى تفوت السنّة والاستعانة بالغير لغير عذر وغير ذلك.

الثانية في ذكر بعض آداب الوضوء مما لم يذكره المصنف، فمنها الجلوس في مكان مرتفع

وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغي أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغي أن يستحي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه، وليتحقق أن طهارة القلب بالتسوية. والخلو عن الأخلاق المذمومة والتخلق بالأخلاق الحميدة أولى. وأن من يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعو ملكاً إلى بيته فتركه مشحوناً بالقاذورات ، اشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار.

تحرزاً عن الغسالة واستقبال القبلة إن أمكن، والجمع بين نية القلب وفعل اللسان والمضمضة والاستنشاق باليمنى والامتخاط باليسرى والتوضؤ قبل دخول الوقت لغير المعذور والشرب من فضل الوضوء قائماً، ووضع الابريق على يساره ووضع يده حالة الغسل على عروته لا رأسه وملؤه استعداداً لوقت آخر، وحفظ الثياب من التقاطر، وقراءة سورة القدر بعده، فإنها تعدل ربع القرآن.

الثالثة: الوضوء عندنا على ثلاثة أقسام. فرض على المحدث للصلاة ولو كانت نفلاً ولصلاة الجنازة وسجدة التلاوة ومس القرآن ولو آية. والثاني: واجب وهو للطواف بالكعبة لما لم يكن صلاة حقيقة لم يتوقف صحته على الطهارة، فإذا طاف محدثاً صح ولزمه دم في الواجب وصدقة في التطوع، والثالث: مندوب للنوم على الطهارة وللمداومة عليه، وللوضوء على الوضوء وبعد غيبة ونميمة وبعد كل خطيئة، وانشاد شعر قبيح، وقهقهة خارج الصلاة، وغسل ميت وحمله ولوقت كل صلاة وقبل غسل الجنابة، وللجنب عند أكل وشرب ونوم ووطء، والغضب، وقراءة قرآن، وحديث وروايته ودراسة علم شرعي وأذان واقامة وخطبة، وزيارة النبي ﷺ، ووقوف عرفة، وللسعي بين الصفا والمروة، وأكل لحم جزور، وللخروج من خلاف العلماء ليكون مقياً للعبادة بطهارة متفق عليها استبراء لدينه.

ثم قال المصنف: (**ومهما فرغ من وضوئه**) وقام إلى المصلى (**وأقبل على الصلاة**) بالوقوف بين يدي الله تعالى (**ينبغي أن يخطر**) بضم ياء المضارعة أي يمر (**بباله**) أي بقلبه أو خاطره (**أنه طهر ظاهره**) كما أمره الله تعالى على قدر طاقته (**وهو مطمح**) وفي نسخة: موقع (**نظر الخلق**) فإنهم إنما يرون طهارة الظاهر، (**فينبغي أن يستحي من مناجاة الله تعالى**) في أول استفتاحه بقوله: ﴿إني وجهت وجهي﴾ [الأنعام: ٧٩] الآية (**من غير تطهير قلبه**) باخلائه عما سوى الله تعالى (**وهو موقع نظر الرب سبحانه وتعالى**) لما ورد: أن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم إنما ينظر إلى قلوبكم. (**وليتحقق**) أي يتيقن (**أن طهارة القلب**) إنما تتم (**بالتوبة**) النصوح الصادقة بشروطها، (**والخلو عن الاخلاق الذميمة**) والخصائل الرذيلة مما تورث القلب سواداً، (**و**) ليعلم (**أن من اقتصر على طهارة الظاهر**) فقط ولم يلتفت إلى طهارة الباطن مثله (**كمن أراد أن يدعو ملكاً إلى بيته**) ليأكل ويستريح (**فتركه**) أي البيت (**مشحوناً**) أي مملوءاً (**بالقاذورات**) والأوساخ ولم ينظفه منها بالكنس والمسح وغير ذلك، (**و**) إنما (**اشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني**) وتزويقه بأنواع النقوش المختلفة،

وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار. والله سبحانه وتعالى أعلم.

فضيلة الوضوء:

قال رسول الله ﷺ: «مَن توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه». وفي لفظ آخر: «ولم يسه فيهما

(وما أجدره) أي أخلقه واحقه **(بالتعرض للبوار)** أي الهلاك. وفي نسخة بالتعريض للمقت والبوار والمقت أشد الغضب، فهذا مثل لمن يطهر ظاهره ولا يلتفت إلى طهارة الباطن ويشتغل عنها، ثم يريد أن يكون باطنه مظهراً لتجليات الحق سبحانه، وأنى يكون ذلك ضدان لا يجتمعان، وبه ختم كيفية الوضوء ثم قال:

فضيلة الوضوء:

أي بيان الأخبار الواردة في فضلها وفضل من داوم عليها. **(قال ﷺ: «من توضأ فأسبغ الوضوء)** أي بالمبالغة فيه سيا في الشتاء، فإنه من دعائم الدين وعزائم المتقين، وفي رواية: كما أمر **(وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»)** هكذا هو في القوت ما عدا قوله «من الدنيا» **(وفي لفظ آخر «ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه»)** قال العراقي: أخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد والرقائق باللفظين معاً، وهو متفق عليه من حديث عثمان بن عفان دون قوله «بشيء من الدنيا» ودون قوله «ولم يسه فيهما» ولأبي داود من حديث زيد بن خالد «ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما» الحديث اهـ.

قلت: والرواية المذكورة في القوت «من توضأ كما أمر» أخرجه الطبراني في الكبير من حديث عثمان رفعه «من توضأ كما أمر وصلى كما أمر خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه». وأخرجه أحمد، والدارمي، والنسائي وابن ماجه، وابن حبان، والطبراني في الكبير، عن أبي أيوب، وعقبة بن عامر معاً بلفظ «من توضأ كما أمر وصلى كما أمر غفر له ما قدم من عمل». ولفظ ابن حبان «غفر له ما تقدم من ذنبه» ولفظ أبي داود من حديث زيد بن خالد الجهني «فأحسن الوضوء» بدل «فاسبغ». وقد أخرجه أيضاً عبد بن حميد، والروياني، وابن قانع، والطبراني في الكبير، والحاكم، وحديث عثمان في المتفق عليه قد أخرجه عبد الرزاق، وأحمد، والنسائي أيضاً بلفظ «من توضأ مثل وضوئي هذا ثم صلى» الحديث. وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث عقبة بن عامر رفعه «من توضأ وضوءاً كاملاً ثم قام إلى صلاته كان من خطيئته كيوم ولدته أمه». وعند البخاري، وابن ماجه من حديث عثمان «من توضأ مثل هذا الوضوء ثم أتى المسجد فركع ركعتين ثم جلس غفر له ما تقدم من ذنبه ولا تغتروا». ولحديث عثمان روايات أخرى بألفاظ مختلفة، ولفظ «بشيء من الدنيا» رواه الحكيم الترمذي في كتاب الصلاة له، وحينئذ فلا يؤثر حديث نفسه في أمور الآخرة أو يتفكر في معاني ما يتلوه، وفي فتح

غفر له ما تقدم من ذنبه». وقال ﷺ أيضاً: «ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ اسباغ الوضوء على المكاره ونقل الأقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط». ـ ثلاث مرات ـ وتوضأ ﷺ مرة وقال: «هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلاَّ به، وتوضأ مرتين مرتين وقال: من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين، وتوضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال: هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي

الباري: المراد ما تسترسل النفس معه ويمكن المرء قطعه، فأما ما يهجم من الخطرات والوساوس ويتعذر دفعه فذلك معفوّ عنه بلا ريب، والمراد من الذنوب الصغار لا الكبار، وقد وقع التصريح به في مسلم فيحمل المطلق على المقيد، والله أعلم.

(وقال النبي ﷺ أيضاً: «ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء في المكاره، ونقل الاقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط») هكذا في القوت إلا أنه قال «اسباغ الوضوء في السبرات» أي في المكاره والباقي سواء. قال العراقي: أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ومالك، وأحمد، والترمذي، والنسائي ولفظهم: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا» والباقي مثل لفظ المصنف. وأخرج ابن خزيمة في صحيحه من طريق روح بن القاسم ومالك كلاهما عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رفعه بلفظ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: والباقي سواء غير أن قوله «فذلكم الرباط» مرتين. والباقون مرة واحدة. وقال يونس في حديثه: «ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا» ولم يقل قالوا بلى، واسباغ الوضوء المبالغة فيه، والمكاره الشدائد كأيام الشتاء. وقال بعض السلف: وضوء المؤمن في الشتاء بالماء البارد أفضل من عبادة الرهبان كلهم. وكان ابن عمر يفسر الاسباغ بالانقاء، ومن تفسير الشيء بلازمه إذ الإتمام مستلزم الانقاء عادة **(وتوضأ رسول الله ﷺ مرة وقال: «هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلاَّ به»)** هكذا في القوت. قال العراقي: أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف اهـ.

قلت: وقد ثبت من فعله ﷺ الوضوء مرة مرة، أخرجه البخاري من طريق زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس، ووقع في نسخ الإحياء لفظ مرة مرة واحدة، والصحيح مرة مرة بالتكرار كما في النسخ الصحيحة، وهما منصوبان على المفعول المطلق المبني للكمية، وقيل: على الظرفية أي: توضأ في زمان واحد، وقيل: على المصدر أي توضأ مرة من التوضؤ أي غسل الاعضاء غسلة واحدة **(وتوضأ مرتين)** كذا في النسخ، وفي بعضها مرتين مرتين، وهكذا هو في القوت. **(وقال: «من توضأ مرتين آتاه الله أجره مرتين»)** هكذا هو في القوت، وهو من بقية حديث ابن عمر عند ابن ماجه، وقد ثبت هذا أيضاً من فعله ﷺ. أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن زيد الانصاري أن النبي ﷺ توضأ مرتين مرتين **(وتوضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال**

ووضوء خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام ». وقال ﷺ : « من ذكر الله عند وضوئه طهَّر الله جسده كله، ومن لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصاب الماء ». وقال ﷺ : « من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات ». وقال ﷺ : « الوضوء على الوضوء نور على نور ». وهذا كله حث على تجديد الوضوء. وقال عليه السلام: « إذا

« هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن إبراهيم ﷺ ») هكذا في القوت إلا أنه قال « ووضوء أبي إبراهيم خليل الله عليه السلام » وهو من بقية حديث ابن عمر عند ابن ماجه. وقد رواه الدارقطني، وابن أبي حاتم، والطبراني كلهم من رواية عبد الرحمن بن زيد اليمني وهو متروك عن أبيه وهو ضعيف عن معاوية بن قرة عن ابن عمر وهو منقطع لأن معاوية هذا لم يدرك ابن عمر. وأخرج أحمد من حديث ابن عمر « من توضأ واحدة فتلك وظيفة الوضوء التي لا بد منها، ومن توضأ اثنتين فله كفلان، ومن توضأ ثلاثاً فذاك وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي » ويفهم من هذا أن الوضوء ليس من خصائص هذه الأمة بخلاف الغرة والتحجيل.

(وقال ﷺ : « من ذكر الله عز وجل عند طهوره طهر الله جسده كله، ولم يذكر الله تعالى لم يطهر منه إلا ما أصاب الماء ») قال العراقي: رواه الدارقطني من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف اهـ.

قلت: ولكن لفظه عنده « من توضأ وذكر اسم الله عليه كان طهوراً لجميع بدنه، ومن توضأ ولم يذكر اسم الله عليه كان طهوراً لأعضاء الوضوء ». وهكذا ساقه الرافعي. وفي رواية « من توضأ وذكر إسم الله عليه تطهر جسده كله، ومن توضأ ولم يذكر اسم الله على وضوئه لم يتطهر إلا موضع الوضوء ». وهكذا رواه أبو الشيخ من حديث أبي هريرة، والدارقطني، والبيهقي. وضعفه عن ابن مسعود، والدارقطني والبيهقي وضعفه عن ابن عمر. أما حديث ابن عمر عند الدارقطني ففيه أبو بكر الداهري وهو متروك. وفي حديث أبي هريرة عند الدارقطني والبيهقي ضعيفان مرداس بن محمد ومحمد بن أبان. وفي حديث ابن مسعود عند الدارقطني، والبيهقي يحيى بن هاشم السمسار وهو متروك. وقداحتج به الرافعي على نفي وجوب التسمية، وسبقه أبو عبيد في كتاب الطهور.

(وقال) ﷺ : (« من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات ») قال العراقي: أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف اهـ.

قلت: وابن أبي شيبة، والطحاوي، وابن جرير ولفظهم كتب له عشر حسنات.

(وقال) ﷺ : (« الوضوء على الوضوء نور على نور ») قال العراقي لم أجد أصلاً اهـ.

قلت: وسبقه كذلك المنذري، وقال ابن حجر. هو حديث ضعيف رواه رزين في مسنده.

توضأ العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه، وإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة

قال السخاوي: ومعناه في الحديث الذي قبله. **(وهذا حث على تجديد الوضوء)**. وذلك إذا صلى بالوضوء الأوّل أو قرأ أو سجد ثم توضأ، فحينئذ يكون نوراً على نور، وأما إذا كان في مجلسه فهو اسراف، وهل الغسل والتيمم حكمها كذلك؟ الأظهر: لا.

(وقال ﷺ: « إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه، فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من بين أشفار عينيه، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره)، فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من أذنيه، **(فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى من تحت أظفاره ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة »)**. قال العراقي أخرجه النسائي، وابن ماجه من حديث الصنابحي واسناده صحيح، ولكن اختلف في صحبته. وعند مسلم من حديث أبي هريرة، وعمرو بن عبسة نحوه مختصراً اهـ.

قلـت: أخرجه مالك في الموطأ من حديث عبد الله الصنابحي، أو هو أبو عبد الله الصنابحي واسمه عبد الرحمن وله صحبة وفيه: « إذا توضأ العبد المؤمن من غير شك » وفيه « من تحت أظفار يديه وأظفار رجليه ». والباقي سواء. وقد ذكره ابن عبد البر في التمهيد. واستدل به على أن الأذنين من الرأس كما هو مذهب أبي حنيفة ورواية عن مالك. وقد تقدم ذكر هذا الحديث في محله.

وقال ابن خزيمة في صحيحه: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب أن مالكاً حدثه عن سهل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة رفعه قال: « إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطرة الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب ».

وأما حديث عمر بن عبسة فأخرجه محمد بن نصر في كتاب الصلاة، والطبراني في الكبير بلفظ « من توضأ فغسل يديه خرجت خطاياه من يديه، فإذا تمضمض واستنشق خرت خطاياه من أنفه، فإذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه، فإذا مسح برأسه خرت خطاياه من رأسه فإذا غسل رجليه خرت خطاياه من رجليه ثم قام إلى الصلاة كان كمن ولدته أمه وكانت صلاته نافلة

له »، ويروى: « أن الطاهر كالصائم ». قال عليه الصلاة والسلام: « من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ». وقال عمر رضي الله عنه: إن الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان. وقال مجاهد: من استطاع أن

له ». وعند الطبراني من حديث أبي أمامة وعمرو بن عبسة « من توضأ فأحسن الوضوء ذهب الإثم من سمعه وبصره ويديه ورجليه ».

(**ويروى: أن الطاهر كالصائم**) قال العراقي: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عمرو بن حريث بلفظ « الطاهر النائم كالصائم القائم » وسنده ضعيف اهـ. أي أن الذي يبيت طاهراً في فراشه فروحه تجول في الملكوت الأعلى وهو بمنزلة الصائم الذي يقوم بورده.

(**وقال ﷺ: « من توضأ فأحسن الوضوء**) أي أتمه وأسبغه بالمبالغة فيه (**ثم رفع طرفه**) أي نظره (**إلى السماء**) أي لكونه قبلة الدعاء (**فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء »**) قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عقبة بن عامر وهو عند مسلم دون قوله ثم رفع اهـ.

قلت: لفظ أبي داود « ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقول حين يفرغ من وضوئه » ثم ساق الحديث وفيه: « وأن محمداً » وفي لفظ له: « فأحسن الوضوء » كما عند المصنف وفيه « ثم رفع نظره إلى السماء فقال » وفي اسناد هذا رجل مجهول. وأخرجه الترمذي من حديث أبي إدريس الخولاني، وأبي عثمان عن عمر مختصراً وفيه دعاء وقال: وهذا حديث فيه اضطراب في اسناده، وأبو إدريس لم يسمع من عمر شيئاً. وأخرجه مسلم، والنسائي وابن ماجه، كالسياق الأول. وقد تقدم شيء من ذلك، وحققه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الاذكار بما لا مزيد عليه، وقد رواه أيضاً أحمد والطبراني في الكبير من حديث عقبة كرواية أبي داود الثانية. ورواه عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن السني، وأبو يعلى، والخطيب من حديث عمر وفيه: « ثم رفع بصره إلى السماء » وفيه « وأشهد أن محمداً » وفيه « فتحت له ثمانية أبواب الجنة ». وقد رواه ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن ماجه، وابن السني من حديث أنس، والطبراني في الكبير من حديث ثوبان. وليس فيه رفع البصر إلا أنه بتكرار التشهد ثلاث مرات. ورواه البزار من حديث ثوبان وفيه « رفع البصر » كما تقدمت الإشارة إليه، ورواه الخطيب ولبن النجار من حديث أنس بمثل حديث ثوبان. (**وقال عمر**) بن الخطاب رضي الله عنه: (**إن الوضوء الصالح**) أي الكامل بالاسباغ والمبالغة (**يطرد عنك الشيطان**) لكونه سلاح المؤمن، (**وقال مجاهد**) بن جبير أبو الحجاج مولى بني مخزوم. روى عن أبي هريرة، وابن عباس، وسعد، وعن

لا يبيت إلا طاهراً ذاكراً مستغفراً فليفعل فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه.

كيفية الغسل:

وهو أن يضع الإناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلاثاً، ثم يستنجي كما وصفت لك ويزيل ما على بدنه من نجاسة إن كانت، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما

قتادة، وابن عون ثقة توفي سنة ١١٤: **(من استطاع أن لا يبيت إلا طاهراً)** أي متوضئاً **(ذاكراً)** لله تعالى **(مستغفراً)** من ذنوبه **(فليفعل فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه)**، وقد جاءت في المبيت طاهراً أحاديث مرفوعة تؤيد هذا الأثر منها: ما أخرجه الدارقطني في الإفراد عن أبي هريرة، وابن عساكر في تاريخه، وابن حبان عن ابن عمر «من بات طاهراً بات في شعاره ملك فلا يستغفر ساعة من الليل إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان، فإنه بات طاهراً». وعند الطبراني في الأوسط، عن أبي أمامة، والخطيب في المتفق، والمفترق عن عمرو بن عبسة بسند حسن «من بات طاهراً لم يتعار ساعة من الليل يسأل الله فيها شيئاً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه» وأخرج ابن السني من حديث أنس «من بات على طهارة ثم مات من ليلته مات شهيداً». وأخرج الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمرو بن عبسة «من بات طاهراً على ذكر الله حتى ترجع إليه روحه لم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا آتاه إياه» والله الموفق.

كيفية الغسل:

هو بالضم اسم من الاغتسال وهو تمام غسل الجسد، واسم للماء الذي يغتسل به أيضاً، والضم هو الذي يستعمله الفقهاء أو أكثرهم، لأنه يجوز فتح الغين كضمها، الفتح أفصح وأشهر عند أئمة اللغة. واصطلاحاً غسل البدن بالماء الطهور من جنابة أو حيض أو نفاس، والجنابة حالة تحصل عند التقاء الختانين أو خروج المني على وجه الشهوة فيصير من قامت به جنباً. وقد أعرض المصنف عن الكلام في موجبات الجنابة وأحكامها وتكلم في كيفية الغسل، والقول فيها يتعلق بالأكمل والأقل، وقدم الأكمل فقال: **(وهو أن يضع الإناء)** المعد لماء الغسل **(عن يمينه)** ليكون أسهل له في التناول، **(ثم يسمي الله عز وجل)** أي يقول: بسم الله وهي سنّة **(ويغسل يده ثلاثاً)** بأن يفرغ عليها، وذلك قبل إدخالها الإناء ولم يقيد إلى الرسغ لظهوره وهي سنّة، **(ثم يستنجي)** أي يغسل فرجه بالماء، وإن لم تكن به نجاسة ليطمئن بوصول الماء إلى الجزء الذي ينضم من الفرج حال القيام وينفرج حال الجلوس **(كما وصفنا)** أي في باب الاستنجاء، **(و)** أن **(يزيل ما على بدنه من نجاسة إن كانت)** بانفرادها ليقلل في الماء ويطمئن بزوالها قبل أن تشيع على الجسد. وعبارة المصنف في الوجيز: والأكمل أن يغسل ما على بدنه من الأذى أولاً. وعبارة الوسيط هكذا إلاّ انه قال: من الأذى والنجاسة. وقال الرافعي: كمال الغسل يحصل بأمور: منها أن يغسل ما على بدنه من أذى أولاً إن اعترض معترض، فقال: الأذى المذكور إما

....

أن يكون المراد منه الشيء القذر أو النجاسة وكيف يجوز الأوّل وقد فسر الشارحون قول الشافعي رضي الله عنه، ثم يغسل ما به من أذى بموضع الاستنجاء. أما إذا كان قد استنجي بالحجر وهذا تفسير له بالنجاسة، وكذلك فسروا لفظ الأذى في الخبر، وإن كان الثاني فكيف عطف النجاسة على الأذى في الوسيط، والعطف يقتضي المغايرة ثم من على بدنه نجاسة لا بدّ له من إزالة النجاسة أوّلاً ليعتد بغسله ووضوئه، وإذا كان ذلك كذلك كان غسل الموضع عن النجاسة من الواجبات لا من صفات الكمال. الجواب: قلنا من على بدنه نجاسة لو اقتصر على الاغتسال والوضوء وزالت تلك النجاسة طهر المحل وهل يرتفع الحديث؟ وفيه وجهان. حكاهما في المعتمد وغيره، وفي الروضة للنووي قلت: الأصح أنه يطهر عن الحدث أيضاً والله أعلم اهـ.

ثم قال الرافعي: فإن قلنا بارتفاع الحدث أمكن عد إزالة النجاسة من جملة صفات الكمال، وإن قلنا: لا يرتفع وهو الظاهر من الأذى فالمذهب المعدود إزالته من جملة صفات الكمال إنما هو الشيء المستقذر، ثم أن تقديم إزالة النجاسة شرط في الوضوء والغسل لا أنه واجب كما ظنه كثير من الأصحاب، ولم يتفق المفسرون لكلام الشافعي على أن المراد بالأذى النجاسة، بل اختلفوا منهم من فسره بها، ومنهم فسره بالمني ونحوه مما يستقذر، حكى هذا الخلاف القاضي ابن كج وغيره اهـ.

تنبيه:

قال صاحب الهداية من أصحابنا: وسنته أن يبدأ فيغسل يده وفرجه ويزيل نجاسته إن كانت على بدنه. قال الشيخ أكمل الدين في شرحه. هكذا في نسخ الكتاب أي بتنكير النجاسة. قال في النهاية: وهو منقول عن الإمام حميد الدين الضرير أنه أصح، وفي بعض النسخ النجاسة وليس بصحيح لأن لام التعريف إما أن تكون للعهد أو الجنس لا وجه للأوّل، لأن كلمة الشك تأباه، ولا وجه للثاني لأن كون النجاسات كلها في بدنه محال وأقلها وهو الجزء الأوّل الذي لا يتجزأ غير مراد أيضاً لأنه علل ذلك في الكتاب بقوله: كيلا تزداد بإصابة الماء، وهذا القليل الذي ذكرناه لا يزداد عند إصابة الماء، ثم قال: إلا أن الرواية بالألف واللام قد ثبتت في النسخ، فوجهه أن يحمل على تحسين النظم، وقال بعض الشارحين: إنما يتعين التنكير إذا انحصر الكلام في التعريفين وليس كذلك لجواز أن اللام لتعريف الماهية وليس بشيء، لأن الماهية من حيث هي لا توجد في الخارج، فأما أن توجد في الأقل أو غيره وذلك فاسد ظاهر اهـ.

قلت: وقد ألم بهذا البحث قاضي زاده الرومي على حواشي شرح الوقاية نقلاً عن عصام الدين، وذكر ما قدمناه آنفاً عن الشيخ أكمل الدين، وحاصل الجواب على تقدير نسخة التعريف اختيار العهد الذهني، وحمل النجاسة بقرينة وقوعها مفعول يزيل على ما يقصد إزالته عرفاً والأقل الذي هو الجزء الذي لا يتجزأ ليس كذلك، ونظيره قول القائل لعبده: اشتر اللحم فإنه يتقيد فيه اللحم بما يتعارف اشتراؤه في الأسواق، حتى لو اشترى العبد مقدار ذرة منه مثلاً لم

....

يعد ممتثلاً ولو سلم تناول لفظ النجاسة هذا القدر، فلا نسلم أنه لا يزداد باصابة الماء، ودلالة المسألة عليه ممنوعة لجواز أن يكون عدم النجس لعدم الاعتداد بالقدر المذكور، وإن ازداد على أنه لو صح ما ذكر في إبطال هذا القسم لم يصح تنكير النجاسة أيضاً حيث تناولت النكرة فرداً ما أي فرد كان اهـ.

وقد اعترضه بعض الفضلاء، فقال: علاوة الجواب التسليمي منظور فيها لأن التنوين قد يكون للتكثير على ما عرف في علم المعاني، فيجوز أن يكون تنكير النجاسة فيما نحن فيه أيضاً للتكثير، فحينئذ لا تتناول النكرة أقل من مقدار الذرة لعدم تحقق الكثرة فيه أصلاً بخلاف المعرفة على تقدير العهد الذهني فافترقا، وتفصيله في حاشية شيخي زاده والله أعلم.

وتقدم أن كمال الغسل يكون بأمور: منها إزالة نجاسته عن البدن إن كانت وهو الأول، والثاني أشار إليه بقوله: **(ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما سبق)** لما روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ: «كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ بغسل يديه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره ثم يفيض الماء على جلده كله» قال الرافعي قوله «ويتوضأ وضوءه للصلاة» أي وإن لم يكن محدثاً كما هو في الوجيز، وهذا يشعر باطراد الاستحباب فيما إذا كان يغتسل عن الجنابة المجردة، وفيما إذا انضم الحدث إلى الجنابة، وإذا تجردت الجنابة فالوضوء محبوب في الغسل عنها، فان اجتمع الجنابة مع الحدث ففيه الخلاف في أنه هل يكفيه الغسل أم يجب فيه الوضوء؟ فإن اكتفينا بالغسل فالوضوء فيه محبوب كما لو كان يغتسل عن مجرد الجنابة، وعلى هذا ينتظم القول باستحباب الوضوء على الاطراد. أما إذا أوجبنا معه الوضوء امتنع القول باستحبابه في الغسل ولا صائر إلى أنه يأتي بوضوء مفرد وبوضوء آخر لرعاية كمال الغسل، ولا ترتيب على هذا الوجه بين الوضوء والغسل، بل يقدم منهما ما شاء، ولا بد من افراد الوضوء بالنية لأنها عبادة مستقلة على هذا خلاف ما إذا كان من محبوبات الغسل فإنه لا يحتاج إلى افراده بنية اهـ.

وقال النووي في الروضة قلت: المختار أنه إن تجردت الجنابة نوى بوضوئه سنة الغسل وإن اجتمعا نوى به رفع الحدث الأصغر، والله أعلم.

تنبيه:

قال أصحابنا: ثم يتوضأ كوضوئه للصلاة فيثلث الغسل ويمسح الرأس في ظاهر الرواية، وقيل: لا يمسحها لأنه يصب عليها الماء. رواه الحسن بن زياد عن أبي حنيفة. والأول هو الصحيح، لأنه ﷺ توضأ قبل الاغتسال وضوءه للصلاة وهو اسم للغسل والمسح. قال الرافعي: ثم الوضوء المحبوب في الغسل هل يتمه في ابتداء الغسل أو يؤخر غسل الرجلين إلى آخر الغسل؟ فيه قولان أظهرهما أنه يتمه ويقدم غسل الرجلين مع سائر أعضاء الوضوء لما سبق من حديث عائشة رضي الله عنها، فإنها قدمت الوضوء على إفاضة الماء والوضوء ينظم غسل الرجلين، وثانيهما: أن يؤخر

وصفنا إلاَّ غسل القدمين فإنه يؤخرهما فإن غسلهما ثم وضعهما على الأرض كان إضاعة للماء ، ثم يصب الماء على رأسه ثلاثاً ، ثم على شقه الأيمن ثلاثاً ، ثم على شقه الأيسر ثلاثاً ،

غسلها وإليه أشار المصنف بقوله : (**إلاَّ غسل قدميه فإنه يؤخرهما**) . وبه قال أبو حنيفة ، واختاره المصنف في هذا الكتاب وعلله بقوله : (**فإن غسلهما ثم وضعهما على الأرض كالإضاعة للماء**) وشرط أصحابنا بقولهم : إن كان يقف حال الاغتسال في مستنقع الماء لأنه يحتاج إلى غسلهما ثانياً عن غسالته ، واستدلوا بما روى الستة من حديث ابن عباس ، حدثتني خالتي ميمونة رضي الله عنهم قالت : أدنيت لرسول الله ﷺ غسله من الجنابة فغسل كفيه مرتين أو ثلاثاً ، ثم أدخل يديه في الاناء ، ثم أفرغ على فرجه وغسله بشماله ثم ضرب بشماله الأرض فدلكها دلكاً شديداً ، ثم توضأ وضوءه للصلاة ، ثم أفرغ على رأسه ثلاث حفنات ملأ كفيه ، ثم غسل سائر جسده ثم تنحى عن مقامه ذلك فغسل رجليه ، ثم أتيته بالمنديل فردّه . وقال عياض في شرح مسلم : ليس فيه تصريح بل هو محتمل لأن قولها توضأ وضوءه للصلاة الأظهر فيه إكمال وضوئه ، وقولها آخراً : ثم تنحى فغسل رجليه يحتمل أن يكون لما نالها من تلك البقعة اهـ .

وقال ابن نجيم في البحر : فعلى هذا يغسلهما بعد الفراغ من الغسل مطلقاً سواء غسلهما قبله أولا ، وسواء أصابهما طين أم لا ؟ اهـ .

وقال الرافعي : ولا كلام في أن أصل السنة تتأدى بكل واحد من الطريقين إنما الكلام في الأولى والأمر الثالث من محبوبات الغسل أشار إليه المصنف بقوله : (**ثم يصب الماء على شقه الأيمن ، ثم على شقه الأيسر ثلاثاً ثم على رأسه وسائر جسده ثلاثاً**) هكذا ذكره الحلواني في النوادر ، ونقله الزاهدي ونقل ابن أمير حاج أقوالاً أخر منها أن يبدأ بالأيمن ثلاثاً ، ثم بالرأس ثلاثاً ، ثم بالأيسر ثلاثاً . ومنها أن يبدأ بالرأس أوّلاً ، ثم على الشق الأيمن ثم على الشق الأيسر ، وهو الذي أشار إليه القدوري في المتن والأول أصح اهـ .

قلت : وعليه مشى صاحب الخلاصة والمصنف في الوجيز . قال الرافعي : وهكذا ورد في صفة غسله ﷺ اهـ .

قلت : اختلفت الروايات لحكاية ميمونة وعائشة رضي الله عنهما في كيفية غسله ﷺ في الصحيحين وغيرهما ، وفيها ما يشهد لمن قال : يبدأ بالرأس ، وكذلك حديث جابر في الصحيح رفعه « كان يأخذ ثلاث أكف فيفيضها على رأسه ثم يفيض على سائر جسده » ، وهو الذي أشار إليه القدوري بقوله : والأوّل أصح ، واختاره المصنف في الوجيز ، ويفهم من سياق المصنف هنا الأمر الرابع من محبوبات الغسل وهو التثليث في غسل البدن كما في الوضوء ، بل أولى لأن الوضوء مبني على التخفيف . قال الرافعي ، فإن كان ينغمس في الماء انغمس ثلاث مرات وهل يستحب تجديد الغسل؟ فيه وجهان : أحدهما : نعم كالوضوء ، وأظهرهما لا لأن الترغيب في التجديد إنما ورد في الوضوء والغسل ليس في معناه ، لان موجب الوضوء أغلب وقوعاً واحتمال عدم الشعور به أقرب فيكون الاحتياط به أعم اهـ .

ثم يدلك ما أقبل من بدنه وما أدبر ويخلل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء إلى منابت ما كثف منه أو خف، وليس على المرأة نقض الضفائر إلا إذا علمت أن الماء لا يصل إلى خلال الشعر، ويتعهد معاطف البدن وليتق أن يمس ذكره في أثناء ذلك، فإن فعل ذلك فليعد الوضوء، وإن توضأ قبل الغسل فلا يجوز بعد الغسل.

وقال أصحابنا؛ ولو انغمس في الماء ومكث قدر الوضوء والغسل أو مكث في المطر كذلك ولو للوضوء فقط فقد أكمل السنة لحصول المبالغة بذلك كالتثليث، والأمر الخامس من محبوبات الغسل ما أشار إليه المصنف بقوله: (**ثم يدلك ما أقبل من بدنه وما أدبر**) يتتبع به الماء، والدلك إمرار اليد على الأعضاء المغسولة وشرط أصحابنا ذلك في المرة الأولى ليعم الماء البدن في المرتين الأخيرتين. وقال مالك: يجب الدلك وهو رواية عن أبي يوسف قال لخصوص صيغة أطهروا فيه بخلاف الوضوء فإنه بلفظ اغسلوا. ولنا قوله ﷺ: «أما أنا فاحثي على رأسي ثلاث حثيات فإذا أنا قد طهرت» رتب الطهارة على إفاضة الماء ولم يتعرض للدلك، والأمر السادس من محبوبات الغسل أن (**يخلل شعر الرأس**) إن كان عليه شعر كما كانت عادة السلف، وكانوا يعدون حلقه بدعة. (**ويوصل الماء إلى منابت ما كثف منه أو خف**). وكل ذلك قبل إفاضة الماء على الرأس، وإنما يفعل ذلك ليكون أبعد عن الإسراف في الماء وأقرب إلى الثقة بوصول الماء. وقال أصحابنا: إيصال الماء إلى منابت الشعر فرض وإن كثف بالاجماع، وكذا إيصال الماء إلى أثناء اللحية وأثناء الشعر من البدن حتى لو كان الشعر متلبداً ولم يصل الماء إلى أثنائه لا يجوز الغسل، (**و**) المرأة في الاغتسال كالرجل في وجوب تعميم جميع الشعر والبشر، ولكن الشعر المسترسل من ذوائبها موضوع عنها في الغسل إذا بلغ الماء أصول شعرها. وكذا (**ليس على المرأة نقض الضفائر**) جمع ضفيرة وهي الخصائل من الشعر يجعل كل ثلاث طاقات منها ضفيرة (**إلا إذا علمت أن الماء لا يصل إلى خلال الشعور**). وقال الرافعي: ويجب نقض الضفائر إن كان الماء لا يصل إلى باطنها إلا بالنقض، إما لاحكام الشد أو التلبد أو غيرهما، وإن وصل الماء إليها بدون النقض فلا حاجة إليه. وعن مالك: لا يجب نقض الضفائر ولا إيصال الماء إلى باطن الشعور الكثيفة وما تحتها. وعن أبي حنيفة انه إذا بلغ الماء أصول الشعر فليس على المرأة نقض الضفائر، وعن أحمد أن الحائض تنقض شعرها دون الجنب. والأمر السابع من محبوبات الغسل: أن (**يتعهد معاطف البدن**) أي المواضع التي فيها انعطاف والتواء كالأذنين فيأخذ كفاً من الماء ويضع الأذن برفق عليه ليصل الماء إلى معاطفه وزواياه وكغضون البطن إذا كان سميناً. والأمر الثامن: (**ليتق أن يمس ذكره في**) تضاعيف أي: (**أثناء ذلك**) بيده (**فإن فعل ذلك فليعد الوضوء**) كذا هو في القوت، (**وإن توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل**) ونص القوت: فإن قدم غسل رجليه فأدخلهما في أول وضوئه فلا بأس ولا وضوء عليه بعد الغسل.

واعلم أن المصنف قد تبع في هذا الكتاب سياق القوت، ولم يلتفت إلى ما ذكره في كتبه الثلاثة من أظهر القولين في بعض المواضع، ونحن نسوق لك عبارة القوت ليظهر لك سر ما

....

ذكرناه. قال: باب صفة الغسل من الجنابة وهو أن تضع الإناء عن يمينك، ثم تقول بسم الله وتفرغ على يديك ثلاثاً قبل إدخالها الإناء، ثم تغسل فرجك وتستنجي ثم تتوضأ وضوءك للصلاة كاملاً إلا غسل قدميك، ثم تدخل يديك في الاناء وتخرجها بما حلتا من الماء فتصب على شقك الأيمن ثلاثاً ظهراً وبطناً إلى فخذيك وساقيك، ثم تغسل شقك الأيسر كذلك ثلاثاً ظهراً وبطناً إلى فخذيك وساقيك، وتدلك ما أقبل من جسدك وما أدبر بيديك، ثم تدخل يديك فتخرجها بما حلتا من الماء فتفيض على رأسك ثلاثاً وتخلل شعر رأسك بأصابعك وتبل الشعرة وتنقي البشرة ثم تتنحى عن موضعك قليلاً فتغسل قدميك، فإن فضل في الإناء فضلة فليفضه على سائر جسده وليمر يديه على ما أدركتا من جسده، فإن قدم غسل رجليه فأدخلها في أول وضوئه فلا بأس ولا وضوء عليه بعد الغسل، وهذا الغسل يكفي المرأة أيضاً عن الجنابة والحيض، إلا أنها تزيد بأن تنقض ضفائرها من شعرها في الحيض ويجزىء الميت هذا الغسل وإن نسي المضمضة والاستنشاق في غسله حتى صلى أحببت له أن يتمضمض ويستنشق ويعيد الصلاة، وإن نسيها في الوضوء فلا إعادة عليه وكيفما أتى بغسل جسده من الجنابة فجائز بعد أن يعم جميع بدنه غسلا وإن لم يتوضأ قبل الغسل أحببت له أن يتوضأ بعده وفرض غسل الميت كغسل الجنابة سواء وما زاد فاستحباب اهـ.

تنبيهان:

الأوّل: أدخل المصنف كلمة ثم في قوله ثم يدلك بعد قوله ثم يصب الماء على شقه الأيمن ثلاثاً، وهي على غير حقيقتها في الترتيب هنا، فإن الدلك لا يكون متأخراً عن التكرار ثلاثاً بل الدلك في كل غسلـة معها عنده، وعند أصحابنا في أوّل مرة من الثلاثة، وقد تقدمت الإشارة إليه.

الثاني: أن كمال الغسل لا ينحصر فيما ذكره من الأمور الثمانية بل له سنن ومندوبات أخـر منها ما تقدم في سنن الوضوء، ومنها أن يستصحب النية إلى آخر الغسل، ومنها أن لا يغتسل في الماء الراكد، ومنها أن يقول في آخره أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ومنها ما ذكره النووي في الروضة أنه لا يجوز الغسل بحضرة الناس إلا مستور العورة، ويجوز في الخلوة مكشوفها والستر أفضل، وأنه لا يجب الترتيب في أعضاء الغسل، ولكن يستحب البداءة بأعضاء الوضوء ثم بالرأس وأعالي البدن، ولو أحدث أثناء غسله جاز أن يتمه، ولا يمنع الحدث صحته لكن لا يصلي حتى يتوضأ ولا يجب غسل داخل العين اهـ.

وفي كتب أصحابنا: وأن لا يتكلم بكلام قط وأن يغسل رجليه بعد اللبس لا قبله مسارعة للتستر، وأن يبتدىء بالنية وهو سنّة عندنا. وسيأتي الكلام عليها، وأن يغسل اليدين إلى الرسغين أولاً وغير ذلك مما هو مذكور في الفرعيات.

فهذه سنن الوضوء والغسل ذكرنا منها ما لا بد منه لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله، وما عداه من المسائل التي يحتاج إليها في عوارض الأحوال فليرجع فيها إلى كتب الفقه. والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل أمران. النية واستيعاب البدن

مهمة:

نقل أصحابنا الإجماع على عدم لزوم تقدير الماء للغسل والوضوء، لأن طباع الناس وأحوالهم تختلف فتجوز الزيادة على الصاع في الغسل، وعلى المد في الوضوء بما لا يؤدي إلى الوسوسة. وقال الرافعي: ماء الوضوء والغسل غير مقدر. قال الشافعي رضي الله عنه: وقد يخرق بالكبير فلا يكفي ويرفق بالقليل فيكفي، والأحب أن لا ينقص ماء الوضوء عن مد، وماء الغسل عن صاع لما روي أنه ﷺ كان يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع، والصاع والمد معتبران على التقريب دون التحديد والله أعلم. وقال النووي في الروضة: والمد هنا رطل وثلث بالبغدادي على المذهب، وقيل: رطلان. والصاع أربعة أمداد والله أعلم. ثم قال الرافعي: وحكى بعض مشايخنا عن أبي حنيفة أنه يتقدر ماء الغسل بصاع فلا يجوز بأقل منه وماء الوضوء بمد، وربما حكي ذلك عن محمد بن الحسن.

(**فهذه**) جملة من (**سنن الوضوء و**) سنن (**الغسل**) وآدابها (**ذكرنا منها ما لا بدّ لسالك طريق الآخرة من علمه**) ومعرفته (**وعمله**) أي العمل به، وإنما قيد طريق الآخرة لأن السالك لطريق الدنيا لا يكتفي بهذا القدر، بل يتطلب لما وراء ذلك من الدقائق والمشكلات والتوجيهات، (**وما عداه من المسائل التي يحتاج إليها في عوارض الأحوال فيرجع فيها إلى كتب الفقه**) المؤلفة المبسوطة المتضمنة لتلك الدقائق في المذهبين، ولما فرغ من بيان كيفية الغسل بطريق الأكمل وقدمه لما فيه من البسط والتطويل، وأشار إلى القول بكيفيته بالأقل بقوله: (**والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل أمران: أحدهما النية**) قد أجمعوا على وجوبها في طهارة الحدث والغسل من الجنابة لقول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» إلا أبا حنيفة فإنه قال: لا تجب النية فيهما ويصحان مع عدمها. قال الرافعي: فلا يجوز أن تتأخر النية عن أوّل الغسل كما لا يجوز أن تتأخر في الوضوء عن أوّل غسل الوجه وإن حدثت مقارنة لأوّل الغسل المفروض صح الغسل، لكنه لا ينال ثواب ما قبله من السنن، وإن تقدمت عن أوّل غسل مفروض وعزبت قبله فوجهان، ثم إن نوى رفع الجنابة أو رفع الحدث عن جميع البدن أو نوت الحائض رفع حدث الحيض صح الغسل، وإن نوى رفع الحدث مطلقاً ولم يتعرض للعبادة ولا غيرها صح غسله أيضاً على أظهر الوجهين، ولو نوى رفع الحدث الأصغر فإن تعمد لم يصح غسله على أظهر الوجهين، وإن غلط فظن أن حدثه الأصغر لم ترتفع الجنابة عن غير أعضاء الوضوء وفي أعضاء الوضوء وجهان: أظهرهما أنها ترتفع عن الوجه واليد والرجلين لأن غسل هذه الأعضاء واجب في الحدثين، فإذا غسلها بنية غسل واجب كفى ولا ترتفع عن الرأس في أصح الوجهين لأن فرض الرأس في الوضوء المسح، والذي نواه إنما هو المسح والمسح لا يغني عن

بالغسل. وفرض الوضوء: النية، وغسل الوجه، وغسل اليدين إلى المرفقين، ومسح ما

الغسل. أما إذا نوى المغتسل استباحة نفل نظر إن كان مما يتوقف على الغسل كالصلاة والطواف وقراءة القرآن، فالحكم على ما سبق في الوضوء، ومن هذا القبيل ما إذا نوت الحائض استباحة الوطء في أصح الوجهين، والثاني أن غسلها بهذه النية لا تصح الصلاة به وما في معناها كغسل الذمية من الحيض لتحل للزوج المسلم وإن لم يتوقف الفعل المنوي على الغسل نظر إن لم يستحب له الغسل لم يصح بنية استباحته، وإن كان يستحب له الغسل كالعبور في المسجد والأذان وكما لو اغتسل للجمعة والعيد، فالحكم ما ذكرنا في الوضوء وإن نوى الغسل المفروض أو فريضة الغسل صح غسله والله أعلم. **(و) الثاني (استيعاب) جميع (البدن بالغسل). قال ﷺ**: «تحت كل شعرة جنابة فبلوا الشعر وانقوا البشرة». رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجة من حديث أبي هريرة بسند ضعيف. قال الرافعي: ومن جملة البشرة ما يظهر من صماخي الاذنين وما يبدو من الشقوق، وكذا ما تحت القلفة من الأقلف وما ظهر من أنف المجدوع في أظهر الوجهين، وكذا ما ظهر من الثيب بالافتضاض قدر ما يبدو عند القعود لقضاء الحاجة دون ما وراء ذلك في أظهر الوجوه لأنه صار ذلك في حكم الظاهر كالمشقوق. والثاني: أنه لا يجب غسل ما وراء ملتقى الشفرين كما لا يجب غسل باطن الفم والأنف خاصة وإزالة دمها ولا يدخل فيهما باطن الفم والأنف فلا تجب المضمضة والاستنشاق في الغسل عندنا خلافاً لأبي حنيفة. وذكر إمام الحرمين: ان في بعض تعاليق شيخه حكاية وجه موافق لمذهب أبي حنيفة.

قلت: مذهب أبي حنيفة أنهما واجبتان في الطهارة الكبرى مسنونتان في الصغرى. وقال أحمد: هما واجبتان فيهما جميعاً. وقال مالك، والشافعي: هما مسنونتان فيهما جميعاً ثم هو فرض اجتهادي لاختلاف العلماء فيه، ودليل أبي حنيفة قوله تعالى: ﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾ [المائدة:٦]، أي فاغسلوا أبدانكم والبدن يتناول الظاهر والباطن، وما فيه حرج سقط للضرورة، والفم والأنف يغسلان عادة وعبادة نفلاً في الوضوء وفرضاً في النجاسة الحقيقية فشملها نص الكتاب، وكذا ما تقدم من حديث أبي هريرة: «تحت كل شعرة جنابة» الحديث وكونها من الفطرة لا يقتضي الوجوب لأنها الدين وهو أعم منه فلا يعارضه بخلافها في الوضوء، لأن الوجه هو ما يقع به المواجهة ولا تكون بداخل الأنف والفم، ودليل مالك والشافعي أنهما لو وجبا في غسل الحي لوجبا في غسل الميت، وأيضاً لو وجبا في الغسل لكانا من الوجه، ولو كانا من الوجه لوجب غسلهما في الوضوء **(و)** الواجب **(من الوضوء)** ستة أشياء: منها **(النية)** وهي واجبة في طهارة الأحداث وإليه ذهب مالك وأحمد خلافاً لأبي حنيفة إلا في التيمم ودليل الجماعة قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» واعتبار ما عدا التيمم بالتيمم، وأما إزالة النجاسة فلا تعتبر فيها النية لأنها من قبيل التروك والتروك لا تعتبر فيها النية، وطهارة الأحداث عبادات فأشبهت سائر العبادات، ويحكى عن ابن سريج اشتراط النية فيها. وبه قال أبو سهل الصعلوكي فيما حكاه صاحب التتمة، ولا يجوز أن تتأخر النية عن أول غسل الوجه، ولا يجب الاستصحاب إلى آخر

ينطلق عليه الاسم من الرأس، وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب. وأما الموالاة

الوضوء لما فيه من العسر ومحلها القلب، وكيفيتها أن ينوي رفع الحدث أو استباحة الصلاة أو أداء فرض الوضوء وصفة الكمال أن ينطق بلسانه بما نواه في قلبه ليكون في وطاء وقوام. قيل: إلاّ مالكاً فإنه كره النطق باللسان فيما فرضه النية، ولو اقتصر على النية بقلبه أجزأه بخلاف ما لو نطق بلسانه دون أن ينوي بقلبه، ودليل أبي حنيفة في عدم افتراضها في طهارة الأحداث أنه ﷺ لم يعلم الأعرابي النية حين علمه الوضوء مع جهله، ولو كانت فرضاً لعلمه وقوله تعالى: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة﴾ [المائدة: ٦] الآية أمر بالغسل والمسح مطلقاً عن شرط النية، فلا يجوز تقييد المطلق إلا بدليل، وقوله عليه السلام «إنما الأعمال بالنيات». قلنا بموجبه لكمال المأمور به أي ثواب العمل بحسب النية فالمنفي ترتب الثواب على الفعل المجرد عن النية لا لعدم كون الوضوء ونحوه قربة إذا لم ينوِ، وأما حصول الطهارة فلا يتوقف على وجود النية لأن الوضوء طهارة بالماء كغسل النجاسة به، لأنه خلق مطهراً فإذا أصاب الأعضاء طهرها، وإن لم يقصد كهو في الارواء والطعام في الاشباع والنار في الاحراق والحدث الحكمي دون النجاسة، وأما التراب فإنه غير مزيل للحدث بأصله فلم يبق فيه إلا معنى التعبد، وذلك لا يحصل بدون النية فافترقا. والثاني: (**غسل الوجه**) بالاستيعاب وهو أوّل الأركان الظاهرة للوضوء، والثالث: (**غسل اليدين إلى المرفقين**) مثنى مرفق بكسر الميم وفتح الفاء وعكسه لغة ملتقى عظم العضد وعظم الذراع أي مع المرفقين، (**و**) الرابع: (**مسح**) الرأس وليس من الواجب استيعاب الرأس بالمسح، بل الواجب (**ما ينطلق عليه الاسم**) أي اسم المسح (**من الرأس**) خلافاً لمالك، فإنه قال: يجب الاستيعاب وهو اختيار المزني وإحدى الروايتين عن أحمد. وقال أبو حنيفة: يتقدر بالربع. (**و**) الخامس: (**غسل الرجلين إلى الكعبين**) أي مع الكعبين، (**و**) السادس: (**الترتيب**) لما روى الدارقطني من حديث رفاعة رفعه: «لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمر الله تعالى فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين. وقال أبو حنيفة ومالك: هو سنّة وليس بواجب لأن «الواو» في الآية لمطلق الجمع فلا تفيد الترتيب والفاء لتعقيب جملة الأعضاء، لأن المعقب طلب الفعل وله متعلقات وصل إلى أوّلها ذكراً بنفسه، والباقي بواسطة الحرف المشترك فاشتركت كلها فيه من غير إفادة طلب تقديم تعليق بعضها على بعض في الوجود، فصار مؤدى التركيب طلب إعقاب غسل جملة الأعضاء وهو نظير: ادخل السوق فاشتر لنا لحماً وخبزاً حيث كان المفاد اعقاب الدخول لشراء ما ذكر كيفما وقع. (**وأما الموالاة**) وهي المتابعة بأن يغسل العضو الثاني قبل جفاف الأوّل في زمان معتدل وبدن معتدل، (**فليست واجبة**) على القول الجديد بل هي سنّة. وبه قال أبو حنيفة. وفي القول القديم واجبة. وبه قال مالك وأحمد في رواية دليل القول القديم: أن النبي ﷺ توضأ على سبيل الموالاة، وقلّ من وصف وضوءه لم يصفه إلا مرتباً متوالياً، ودليل القول الجديد ما رواه أحمد وأبو داود من حديث أنس: أن رجلاً توضأ وترك لمعة في عقبه، فلما كان بعد ذلك أمره النبي ﷺ بغسل

فليست بواجبة، والغسل الواجب بأربعة: بخروج المني، والتقاء الختانين، والحيض،

ذلك الموضع ولم يأمره بالاستئناف. **(والغسل الواجب)** أي المفترض **(أربعة)**. أحدها: **(الغسل بخروج المني)** وهو موجب للغسل بالاجماع. قال الرافعي: وللمني خواص ثلاث. أحدها: الرائحة الشبيهة برائحة العجين والطلع ما دام رطباً فإذا جف أشبهت رائحته رائحة بياض البيض. الثانية: التدفق بدفعات، والثالثة التلذذ بخروجه واستعقابه فتور الذكر وانكسار الشهوة، وله صفات أخر نحو الثخانة والبياض في مني الرجل والرقة والاصفرار في مني المرأة في حال اعتدال الطبع، ولكن هذه الصفات ليست من خواصه، بل الودي أيضاً أبيض ثخين كمني الرجل، والمذي رقيق كمني المرأة، ولا يشترط اجتماع هذه الخواص، بل الخاصية الواحدة كافية في معرفة أن الخارج مني، فلو خرج بغير دفق وشهوة لمرض أو تحمل شيء ثقيل وجب الغسل خلافاً لأبي حنيفة، وكذلك لمالك وأحمد فيما حكاه أصحابنا اهـ.

قلت: من موجبات الغسل عندنا خروج المني إلى ظاهر الجسد إذا انفصل عن مقره بدفق وشهوة من غير جماع كأن حصل باحتلام أو عبث أو فكر أو نظر، والدفق لازم الشهوة فإذا لم توجد الشهوة عند خروجه لا يوجب الغسل عندنا كما إذا ضرب على صلبه أو حمل شيئاً ثقيلاً فنزل منه مني بلا شهوة، ويشترط وجود الشهوة عند انفصاله من الصلب، ولا يشترط دوامها إلى انفصاله إلى ظاهر الفرج عند أبي حنيفة ومحمد خلافاً لأبي يوسف. ثم قال الرافعي: ولو اغتسل عن الإنزال ثم خرجت منه بقية وجب الغسل لوجود الرائحة. سواء خرجت بعدما بال أو قبله خلافاً لمالك حيث قال في إحدى الروايتين: لا غسل عليه في الحالتين. وفي رواية أنه إن خرج قبل البول فهو بقية المني الأوّل، فلا يجب الغسل ثانياً وإن خرج بعده فهو مني جديد، فيلزمه الغسل خلافاً لأحمد حيث قال: إن خرج قبل البول وجب الغسل ثانياً، وإن خرج بعده فلا. وحكي عن أبي حنيفة مثله وجعل ذلك بناء على اعتبار الدفق والشهوة لأن ما خرج قبل البول بقية ما خرج بشهوة، وما خرج بعد البول خرج بغير شهوة. وقول من قال: الخارج بعد المني مني جديد ممنوع، بل هو بقية الأول بكل حال.

قلت: قال أصحابنا إذا أمنى بشهوة واغتسل من ساعته وصلى ثم خرج بقية المني عليه الغسل عند أبي حنيفة ومحمد لا عند أبي يوسف، ولا يعيد الصلاة بالاجماع لأنه اغتسل للأوّل ولا يجب الغسل للثاني إلا بعد خروجه، ولو خرج بعد ما بال وارتخى ذكره أو نام أو مشى خطوات كثيرة لا يجب عليه الغسل اتفاقاً لأن ذلك يقطع مادة المني الزائل عن مكانه بشهوة، ولو خرج منه بعد البول وذكره منتشر وجب الغسل، والفتوى على قول أبي يوسف في الضيف إذا استحى من أهل البيت أو خاف أن يقع في قلبهم الريبة وعلى قولهما في غير الضيف، وإذا لم يتدارك مسك ذكره حتى نزل المني صار جنباً بالاتفاق. ثم قال الرافعي، وقول المصنف في الوجيز: والمرأة إذا تلذذت بخروج مائها لزمها الغسل يشعر بأن طريق معرفة المني في حقها الشهوة والتلذذ لا غيره. وقد صرح به في الوسيط قال: ولا يعرف في حقها إلا من الشهوة، وكذلك ذكره إمام الحرمين، لكن

....

ما ذكره الأكثرون تصريحاً وتعريضاً التسوية بين مني الرجل والمرأة في طرد الخواص الثلاث، فقد قال في التهذيب: إن مني المرأة إذا خرج بشهوة أو غير شهوة وجب الغسل كمني الرجل، وإذا وجب الغسل مع انتفاء الشهوة كان الاعتماد على سائر الخواص، ولو اغتسلت المرأة من الجماع ثم خرج المني منها لزمها الغسل بشرطين: أحدهما أن تكون ذات شهوة، والثاني أن تقضي شهوتها بذلك الجماع لا كالنائمة والمكرهة، وإنما وجب الغسل عند اجتماع هذين الشرطين لأنه حينئذ يغلب على الظن اختلاط منيها بمنيه، وإذا خرج منها ذلك القدر المختلط فقد خرج منها منيها. أما في الصغيرة والمكرهة والنائمة إذا خرج المني بعد الغسل لم يلزم إعادة الغسل لأن الخارج مني الرجل وخروج مني الغير من الإنسان لا يقتضي جنابة.

قلت: وفي ظاهر الرواية عندنا المرأة كالرجل، وبه يؤخذ. ووجهه حديث أم سليم: هل على المرأة غسل إذا هي احتلمت فقال: «نعم إذا رأت الماء» وقيل: يلزمها الغسل بالاحتلام من غير رؤية ماء إذا وجدت اللذة.

تنبيه:

يعتبر خروج المني في الرجل ببروزه من الإحليل حتى لو كان أقلف، فنزل إلى قلفته وجب عليه الغسل، وأما في المرأة فخروجه من الفرج الداخل إلى الفرج الخارج، ثم هذا الخروج تارة يثبت حساً حقيقة وهو ظاهر، وتارة يثبت حكماً، فقد ذكروا إن المرأة إذا جومعت فيما دون الفرج ووصل المني إلى رحمها وهي بكر أو ثيب لا غسل عليها لفقد السبب وهو الإنزال ومواراة الحشفة، فإن حبلت كان عليها الغسل من وقت المجامعة حتى يجب إعادة الصلوات من ذلك الوقت لوجود الإنزال لأنه لا حبل بدونه، وبه قالت المالكية. (و) الثاني: **(لالتقاء الختانين)** قالت عائشة رضي الله عنها: إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل، وفسر الشافعي رضي الله عنه التقاء الختانين فقال: المراد منه تحاذيهما لا تضامهما فإن التضام غير ممكن لأن مدخل الذكر في أسفل الفرج وهو مخرج الولد والحيض وموضع الختان في أعلاه وبينهما ثقبة البول وشفر المرأة يحيط بهما جميعاً، وإذا كان كذلك كان التضام متعذراً لما بينهما من الفاصل.

قلت: ولهذا عبّر أصحابنا بتواري حشفة أو قدرها قالوا: لأن الحاصل في الفرج محاذاتهما لا التقاؤهما، لأن ختان الرجل موضع القطع وهو فيما دون حزة الحشفة، وختان المرأة موضع قطع جلدة منها كعرف الديك فوق الفرج، وذلك لأن مدخل الذكر هو مخرج المني والولد والحيض، وفوق مدخل الذكر مخرج البول كإحليل الرجل، وبينهما جلدة رقيقة يقطع منها في الختان، فختان المرأة تحت مخرج البول وتحت مخرج البول مدخل الذكر، فإذا غابت الحشفة في الفرج فقد حاذى ختانه ختانها، ولكن يقال لموضع ختان المرأة خفاض فذكر الختانين بطريق التغليب اهـ.

وقال الرافعي: ههنا شبهة وهي أن يقال: إن كان موضع ختان المرأة في حيز الداخل بحيث لا يصل إليه شيء من الحشفة، فالقول بتعذر التضام واضح لو كان بحيث إذا أحاط الشفران بأول

....

الحشفة لاقى شيء من الحشفة ذلك الموضع كان التضام ممكناً، فلعل المراد من الحيز ذلك الموضع والله أعلم. ثم موضع الختان غير معتبر بعينه لا في الذكر ولا في المحل. أما في الذكر فمقطوع الحشفة إذا غيب مقدار الحشفة لزمه الغسل فإنه في معنى الحشفة، ومعلوم أن أسفل من الحشفة ليس موضع ختان لكن تغييب قدر الحشفة معتبر، فلو غيب البعض لم يجب الغسل لأن التحاذي لم يحصل به غالباً، وحكى ابن كج: أن تغييب بعض الحشفة كتغييب الكل وروى وجه أن تغييب قدر الحشفة من مقطوع الحشفة لا يوجب الطهارة، وإنما الموجب تغييب جميع الباقي إذا كان مثل الحشفة أو أكثر. قال النووي في الروضة قلت: هذا الوجه مشهور وهو الراجح عند كثير من العراقيين ونقله صاحب الحاوي عن نص الشافعي، ولكن الأوّل أصح والله أعلم. ثم قال الرافعي: وأما في المحل فلأن المحل الذي هو موضع الختان قبل المرأة وكما يجب الغسل بالايلاج فيه يجب بالإيلاج في غيره كالاتيان في الدبر، وكذلك فرج البهيمة خلافاً لأبي حنيفة ولا فرق بين الإيلاج في فرج الميت، والإيلاج في فرج الحي. وخالف أبو حنيفة في فرج الميت، وكذا قال في الصغيرة التي لا تشتهي ولا يجب إعادة غسل الميت بسبب الإيلاج فيه على أظهر الوجهين.

قلت: ولذا عبر أصحابنا في تواري الحشفة أو قدرها إذا كان في أحد سبيلي آدمي حي ولم يقيدوا بكونه مشتهى لأنه لو أولج في صغيرة لا تشتهي ولم يفضها لزمه الغسل، وإن لم ينزل في الصحيح لأنها صارت ممن تجامع، (و) الثالث: غسل (**الحيض**) وهو دم يخرج من رحم المرأة البالغة مقدر أقله عندنا بثلاثة أيام وأكثره بعشرة أيام. قال الله تعالى: ﴿ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾ [البقرة: ٢٢٢] بالتشديد أي يغتسلن، ووجه الاستدلال هو أن الله تعالى منع الزوج من الوطء قبل الاغتسال، ونحن نعلم أن الوطء حقه بقوله تعالى: ﴿فأتوا حرثكم﴾ [البقرة: ٢٢٣] فلو لم يكن الإغتسال واجباً لما منع من حقه ولأنه لما منع من القربان إلى غاية الاغتسال حرم عليها التمكين ضرورة، ثم إذا انقطع الدم وجب عليها التمكين إذا طلبه منها لثبوت حقه حال الانقطاع وهي لا تتوصل إليه إلا بالغسل، وما لا يتوصل إلى إقامة الواجب إلاّ به يجب كوجوبه. كذا في التوضيح لصدر الشريعة. وقال الرافعي: ثم وجوبه بخروج الدم أو بانقطاعه فيه ثلاثة أوجه. أحدها: بخروجه كما يجب الوضوء بخروج البول والغسل بخروج المني، وثانيها بالانقطاع لقوله ﷺ لفاطمة بنت أبي حبيش: «إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة وإذا أدبرت فاغتسلي وصلّي» علق الاغتسال بادبار الدم. وثالثها: وهو الأظهر أن الخروج يوجب الغسل عند الانقطاع كما يقال: الوطء يوجب العدة عند الطلاق، والنكاح يوجب الإرث عند الموت.

قلت: والقول الثاني هو اختيار مشايخ بخارى من الحنفية وعلل في البحر بأن الحيض إسم لدم مخصوص والجوهر لا يكون سبباً للمعنى، وقد نظر فيه إذ الانقطاع طهارة، ويستحيل أن توجب الطهارة طهارة وإنما يوجبها الخارج النجس وهو اختيار الكرخي وعامة العراقيين، ورجح صاحب البحر أنه إنما يجب بوجوب الصلاة كما قدمنا في الوضوء والغسل، وقد نقل السراج الهندي الإجماع على أنه لا يجب الوضوء على المحدث والغسل على الجنب والحائض والنفساء قبل

والنفاس، وما عداه من الأغسال سنّة كغسل العيدين والجمعة والإحرام ولوقوف بعرفة

وجوب الصلاة أو إرادة ما لا يحل إلا به، **(و)** الرابع: غسل **(النفاس)** وهو بالكسر الدم الخارج عقب الولادة ووجوبه ثابت بالإجماع لأنه أقوى من الحيض إذ هو يثبت بنفس السيلان بخلاف الحيض، بل وجوب الغسل بعد الولادة لا يتوقف على السيلان عند أبي حنيفة. وقال الرافعي: فلو ولدت ولم ترَ للأولاد دماً ففي وجوب الغسل عليها وجهان. أحدهما: لا يجب وأظهرهما الوجوب لأنه لا يخلو من بلل، وإن قل غالباً فيقام الولد مقامه.

قلت: وفي الشامل لو ولدت ولم ترد ما يجب عليها الغسل عند أبي حنيفة لا عند صاحبيه.

استطراد: ظاهر سياق المصنف يقتضي حصر موجبات الغسل في الأربعة المذكورة، لكن إلقاء العلقة والمضغة موجب على الصحيح، وكذا غسل الميت قال في القديم: يجب به الغسل على الغاسل، وإليه ذهب أحمد والجديد أنه ليس من موجبات الغسل وما ورد فيه محمول على الاستحباب.

قلت: وغسل الميت واجب على الكفاية ودليل وجوبه الإجماع، وقوله ﷺ للذي سقط عن بعيره «اغسلوه بالماء والسدر» كذا في الصحيحين من حديث ابن عباس والأمر للوجوب، وأطلق فيه ابن الهمام والسروجي وغيرهما أنه فرض كفاية إذا قام به بعض سقط عن الباقين، وقد علم من ذلك أنه ليس المراد بالواجب هنا الإصطلاحي الذي دون الفرض عندنا، ثم قيل سببه حدث حل بالموت لاسترخائه فوق النوم والإغماء. وقال الجرجاني: نجاسة حلت بالموت طهارته بالغسل لكرامته، ولذا يتنجس البئر بموته فيها ولو وقع فيها بعد الغسل لا يتنجس. وقال السروجي في شرح الهداية قول الجرجاني هو الأظهر، **(وما عداه من الإغسال)** أي ما سوى المذكور من الأربعة **(سنة)** وهي أربعة: **(كالغسل ليوم الجمعة)** وعند مالك هو واجب لقوله عليه السلام «من أتى منكم الجمعة فليغتسل». متفق عليه أمر وهو للوجوب. قلنا: كان ذلك في الإبتداء، ثم نسخ لما روى أبو داود عن عكرمة أن أناساً من أهل العراق جاءوا فقالوا يا ابن عباس: أترى الغسل يوم الجمعة واجباً؟ قال: لا. لكنه أطهر وخير لمن اغتسل وسأخبركم كيف بدأ الغسل كان الناس مجهودين يلبسون الصوف ويعملون على ظهورهم، وكان مسجدهم ضيقاً مقارب السقف إنما هو عريش، فخرج رسول الله ﷺ في يوم حار وعرق الناس في ذلك الصوف حتى ثارت منهم رياح أذى بعضهم بذلك بعضاً، فلما وجد تلك الرياح قال: يا أيها الناس إذا كان هذا اليوم فاغسلوا وليس أحدكم أمثل ما يجد من دهنه وطيبه. قال ابن عباس: ثم جاء الله بالخير ولبسوا غير الصوف وكفوا العمل ووسع مسجدهم، وذهب بعض الذي كان يؤذي بعضهم بعضاً من العرق. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: بينما عمر يخطب الناس يوم الجمعة إذ دخل عثمان بن عفان فعرض به عمر، فقال: ما بال رجال يتأخرون بعد النداء؟ فقال عثمان يا أمير المؤمنين: ما زدت حين سمعت النداء إن توضأت ثم أقبلت فقال عمر: والوضوء أيضاً ألم تسمعوا رسول الله ﷺ يقول: «إذا جاء أحدكم إلى الجمعة فليغتسل»

ومزدلفة ولدخول مكة، وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع ـ على قول ـ والكافر إذا أسلم غير جنب والمجنون إذا أفاق ولمن غسل ميتاً، فكل ذلك مستحب.

فلو كان الأمر للوجوب لما اكتفى عثمان بالوضوء، ولما سكت عمر والصحابة عن إلزامه بالغسل ولو وقع لنقل، ثم غسل الجمعة للصلاة عند أبي يوسف وهو الأصح ولليوم عند الحسن بن زياد، لكن بشرط أن يتقدم على الصلاة ولذا قال قاضيخان في فتاويه أنه لو اغتسل بعد الصلاة لا يعتبر بالإجماع وسيأتي في باب الجمعة قريباً، (و) كغسل (**العيدين**) الفطر والأضحى لما ثبت من فعله ﷺ أنه كان يغتسل فيهما وكونه للصلاة قول أبي يوسف كما في الجمعة، (و) كغسل (**الإحرام**) بحج أو عمرة أو بهما لأنه ﷺ تجرد لإهلاله واغتسل وهو غسل تنظيف لا تطهير، (و) كالغسل (**لوقوف يوم عرفة**) للحاج لا لغيرهم ولا خارجاً عن عرفة، ويكون بعد الزوال لا قبله لينال فضل الغسل للوقوف، فهذه أربعة أغسال مسنونة، ثم إن هذه الأربعة التي قال المصنف بسنيتها فقد صحح صاحب الهداية وغيره أنها مستحبة لا سنة لأن الوجوب إما غير مراد من الأمر كما تقدم في قصة عثمان أو أنه كان، ثم نسخ كما ذكر ابن عباس فإن كان الأمر للندب فلا كلام وإن كان للوجوب، فإذا نسخ الوجوب لا يبقى الندب أيضاً إلا أنه قد دل الدليل على الإستحباب، وهو قوله عليه السلام: «ومن اغتسل فهو أفضل» وكذا غسل العيدين الأصح أنه مستحب قياساً على الجمعة لأنه يوم إجتماع مثلها، وكذا غسل يوم عرفة مستحب أيضاً قياساً على الجمعة للإجتماع، وكذا الغسل عند الإحرام مستحب أيضاً وما ذكر فيه من الحديث فواقعة حال لا تستلزم المواظبة واللازم الإستحباب قاله ابن الهمام، ثم شرع المصنف في ذكر الاغسال المندوبة فقال: (و) الغسل لوقوف (**مزدلفة**) لأنه ثاني الجمعين وهو بعد طلوع فجر يوم النحر لأنه وقت الوقوف بها، وإنما ندب فيها لكونه فيها غفرت الدماء والمظالم بدعائه ﷺ في أمته واستجاب الله دعاءه فيها. (و) الغسل (**لدخول مكة**) شرفها الله تعالى لطواف الزيارة فيؤدي الفرض بأكمل الطهارتين ويقوم بتعظيم حرمة المكان، وكذا عند دخولها لأداء نسك (**وثلاثة أغسال لأيام التشريق**) أي لرمي أيامه لكل يوم غسل مستقل وهي بعد يوم النحر. قيل: سميت لأن لحوم الأضاحي تشرق فيها أي تقدد في الشرقة وهي الشمس، وقيل: تشريقها تقطيعها وتشريحها، (و) الغسل (**لطواف الوداع على قول**). والصحيح أنه مندوب (**والكافر إذا أسلم**) طاهراً (**غير جنب**) فإنه يندب له الإغتسال لأنه ﷺ أمر قيس بن عاصم وثمامة بذلك حين أسلما وحمل ذلك على الندب، وكذا إذا أسلمت طاهرة من حيض ونفاس. هكذا ذكره شمس الأئمة السرخسي في شرحه على المبسوط وفي المحيط له: فإذا أجنب ثم أسلم فالصحيح أنه يجب عليه الغسل لأن الجنابة صفة باقية بعد إسلامه كبقاء صفة الحدث بخلاف الحيض، ولكن قال قاضيخان: الأحوط الوجوب في الفصول كلها، (**والمجنون إذا أفاق**) من جنونه قال في الدر المختار وكذا المغمى عليه كما في غرر الإذكار، وهل السكران كذلك لم أره اهـ.

كيفية التيمم:

من تعذر عليه استعمال الماء ـ لفقده بعد الطلب أو بمانع له عن الوصول إليه من

وقال الرافعي: زوال العقل بالجنون والإغماء يوجب الغسل حكاه بعضهم عن أبي هريرة. وروى آخرون وجهين في الجنون والإغماء جميعاً. قال: ووجه وجوبه أن زوال العقل يفضي إلى الإنزال غالباً فأقيم مقامه كالنوم أقيم مقام خروج الخارج، والمذهب المشهور أنه لا يجب به الغسل ويستصحب يقين الطهارة إلى أن يستقين الإنزال والقول بأن الغالب منه الإنزال ممنوع، **(و)** يندب الغسل **(لمن يغسل ميتاً)** أي عند الفراغ من غسله لما روي أنه ﷺ قال: « من غسل ميتاً فليغتسل ومن مسه فليتوضأ » وقد حملوه على الإستحباب، وحمله أحمد على الوجوب وهو القول القديم للشافعي، **(فكل ذلك مستحب)** وقد بقي عليه من الاغسال المستحبة الغسل لمن بلغ بالسن وهو خمس عشرة سنة على المفتى به عندنا في الجارية والغلام. وعند الفراغ من الحجامة وفي ليلة النصف من شعبان تعظيماً لها. وفي ليلة القدر ولدخول المدينة المشرفة ولصلاة الكسوف والخسوف والإستسقاء وللفزع من أي شيء كان وظلمة حصلت نهاراً ومن ريح شديد في أي وقت كان، وللتائب من ذنب وللقادم من سفر، وللمستحاضة إذا انقطع دمها، ولمن يراد قتله، ويكفي غسل واحد للعيد والجمعة إذا اجتمعا كما يكفي لفرضي جماع وحيض.

كيفية التيمم:

لما فرغ من ذكر الطهارة بالماء شرع في بيانها بالتراب إذ من حق الخلف أن يتبع السلف وهو لغة القصد، ومنه ﴿لا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ [البقرة: ٢٦٧] وشرعاً مسح الوجه واليدين بتراب بنية وهو من خصائص هذه الأمة وقد شرع التيمم في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق، وسبب مشروعيته نزول النبي ﷺ بأصحابه على غير ماء في تلك الغزوة، وحكمه حل ما كان ممتنعاً قبله وصفته أنه فرض للصلاة مطلقاً ويندب لدخول المسجد محدثاً، وأشار المصنف إلى السبب المبيح له وأنه شيء واحد وهو العجز عن استعمال الماء، وقد بين المراد منه فقال **(من تعذر عليه استعمال الماء)** أو تعسر، ثم أشار إلى بيان أسباب العجز فقال: **(لفقده)** قال الله تعالى: ﴿فلم تجدوا ماء فتيمموا﴾ [المائدة: ٦] والمراد بالفقد هنا أن يتحقق عدم الماء حواليه مثل أن يكون في بعض رمال البوادي فيتيمم، وهل يفتقر إلى تقديم الطلب عليه؟ فيه وجهان. أحدهما: نعم. لأن الله تعالى قال: **(فلم تجدوا)** وإنما يقال ذلك إذا فقد **(بعد الطلب)**، وأظهرهما وهو الذي ذكره المصنف في الوجيز أنه لا حاجة إلى الطلب لأن الطلب مع تيقن الفقد عبث، وما ذكر من الإستدلال بالآية ممنوع، وإذا لم يتيقن عدم الماء حواليه، بل جوز وجوده تجويزاً قريباً وبعيداً في حد الغوث وجب تقديم الطلب على التيمم، لأن التيمم طهارة ضرورة ولا ضرورة مع إمكان الطهارة بالماء، ويشترط أن يكون الطلب بعد دخول الوقت، فحينئذ تحصل الضرورة، وهل يجب أن يطلب بنفسه أو يجوز أن ينيب فيه غيره؟ فيه وجهان أظهرهما: أنه يجوز الإنابة حتى لو بعث النازلون واحداً ليطلب الماء أجزأ طلبه عن الكل، ولا خلاف أنه لا يسقط

بطلبه الطلب عمن لم يأمره ولم يأذن له فيه، وكيفية الطلب أن يبحث عن رحله، إن كان وحده، ثم ينظر يميناً وشمالاً وخلفاً وقداماً إذا كان في مستوٍ من الأرض ويخص مواضع الخضرة واجتماع الطيور بمزيد الإحتياط، وإن لم يكن الموضع مستوياً واحتاج إلى التردد نظر، فإن كان يخاف على نفسه أو ماله، فلا يجب ذلك لأن الخوف يبيح له الإعراض عند تيقن الماء فعند التوهم أولى، وإن لم يخف فعليه أن يتردد إلى حيث يلحقه غوث الرفاق، وهذا الضابط مستفاد من شيخه إمام الحرمين حيث قال: لا نكلفه عن مخيم الرفقة فرسخاً أو فرسخين، وإن كانت الطرق آمنة ولا تقول لا يفارق طنب الخيام، والوجه القصد أن يتردد ويطلب إلى حيث لو استغاث بالرفقة لأعانوه هذا ويختلف باستواء الأرض واختلافها صعوداً وهبوطاً. قال الرافعي: ولا يلقى هذا في كلام غيره، ولكن الأئمة من بعده تابعون عليه وليس في الطرق ما يخالف، ثم قال: وعند الإمام أبي حنيفة ليس على المتيمم طلب إذا غلب على ظنه أن بقربه ماء.

قلت: والذي في متون المذهب ويجب طلب الماء غلوة بنفسه أو رسوله وهي ثلاثمائة خطوة إلى مقدار أربعمائة خطوة من جانب ظنه إن ظن قربه برؤية طير أو خضرة أو إخبار مخبر لأن غلبة الظن دليل يجب العمل به في الشرع مع الأمن به، وإلا فلا يطلبه. وفي السراج الوهاج: ولو تيمم من غير طلب وكان الطلب واجباً وصلى، ثم طلبه فلم يجده وجبت عليه الإعادة عندهما خلافاً لأبي يوسف قالوا: والقدر المبيح له بعده ميلاً، والمراد به هنا ثلث الفرسخ، والتقدير بالميل هو المختار لأنه لم يذكر في ظاهر الرواية حداً في حالة العلم به، فقدره محمد في رواية بميل وفي أخرى بميلين. وروى الحسن عن أبي حنيفة أنه ميلان إن كان امامه وإلا فميل، والميل هو المختار لأنه يتحقق لزوم الحرج بالذهاب إليه، وما شرع التيمم إلا لدفع الحرج والله أعلم.

وقال الرافعي: وإذا تيقن وجود الماء حواليه، فإما أن يكون على مسافة ينتشر إليها النازلون في الاحتطاب والإحتشاش فيجب السعي إليه والوضوء به. قال محمد بن يحيى: ولعله يقرب من نصف فرسخ، وإما أن يكون بعيداً عنه بحيث لو سعى إليه لفاته فرض الوقت فيتيمم ولا يسعى إليه لأنه ناته في الحال، وهل الإعتبار من أول وقت الصلاة أم يعتبر في كل صلاة وقتها؟ والأشبه بكلام الأئمة أن الإعتبار من أول وقت الصلاة لو كان نازلاً في ذلك المنزل، لا بأس باختلاف المواقيت والمسافات فإن الغرض صيانة وظيفة الوقت عن الفوات. قال النووي في الروضة: قلت هذا الذي ذكره الرافعي ونقله عن مقتضى كلام الأصحاب من اعتبار أول الوقت ليس كما قاله، بل الظاهر من عباراتهم أن الإعتبار بوقت الطلب وهو ظاهر نص الشافعي في الأم وغيره والله أعلم.

تنبيه:

قال الرافعي: وإذا عرفت أن مع الرفقة ماء فهل يجب استيهابه من صاحبه؟ فيه وجهان. أحدهما لا لصعوبة السؤال على أهل المروءة. والثاني وهو الأظهر نعم لأنه ليس في هبة الماء كبير

سبع أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج إليه لعطشه أو لعطش رفيقه، أو كان ملكاً

منة. وقال النووي في الروضة قلت: قال أصحابنا ولا يجب أن يطلب الماء من كل واحد من الرفقة بعينه بل ينادي من معه ماء من يجود بالماء ونحوه، حتى قال البغوي وغيره: لو قلت الرفقة لم يطلب من كل بعينه والله أعلم.

قلت: وفي البحر نقلاً عن الوافي مع رفيقه ماء فظن أنه إن سأله أعطاه لم يجز التيمم، وإن كان عنده أنه لا يعطيه تيمم، وإن شك في الإعطاء فتيمم وصلى فسأله فأعطاه يعيد والله أعلم.

ثم أشار إلى السبب الثاني من أسباب العجز بقوله: **(أو لمانع له عن الوصول)** والسعي **(إليه)** أي إلى الماء بأن خاف على نفسه **(من سبع)** بضم الباء وإسكانها لغة وبالإسكان قرىء في قوله تعالى: ﴿وما أكل السبع﴾ [المائدة: ٣] روي ذلك عن الحسن البصري، وطلحة بن سليمان، وأبي حيوة. ورواه بعضهم عن عبدالله بن كثير أحد السبعة ويقع السبع على كل ماله ناب يعدو به ويفترس كالذئب والفهد والنمر، وأما الثعلب فليس بسبع وإن كان له ناب لأنه لا يعدو به ولا يفترس، وكذلك الضبع قاله الأزهري **(وحابس)** كعدو أو سارق أو غاصب بأن خاف على ماله المخلف في المنزل أو الذي معه من هؤلاء فله التيمم، وهذا الماء كالمعدوم.

قلت: وزادوا عندنا فقالوا وكذا لو خاف المديون المفلس الحبس أو خاف فاسقاً عند الماء، وهؤلاء كلهم لا إعادة عليهم، ثم قال الرافعي: وكذلك الحكم لو كان في السفينة ولا ماء معه وخاف على نفسه لو استقى من البحر والخوف على بعض الأعضاء كالخوف على النفس، ولو خاف الوحدة والإنقطاع عن الرفقة لو سعى إليه فإن كان عليه ضرر وخوف في الإنقطاع لم يلزمه السعي إليه ويتيمم، وإن لم يكن ضرر فكذلك على أظهر الوجهين، ثم أشار إلى السبب الثالث من أسباب العجز بقوله: **(أو كان الماء الحاضر)** سواء كان مملوكاً له أو لغيره، لكنه **(يحتاج إليه لعطشه)** فله التيمم دفعاً لما يلحقه من الضرر لو توضأ به **(أو عطش رفيقه)** ولو رفيق القافلة أو حيواناً آخر محترماً دفعه إليه إما مجاناً أو بعوض ويتيمم، وللعطشان أن يأخذ منه قهراً لو لم يبذله وغير المحترم من الحيوان هو الحربي والمرتد والخنزير والكلب العقور وسائر الفواسق وما في معناها، وهل يفترق الحال بين أن تكون هذه الحاجة ناجزة وبين أن تكون متوقعة في المآل؟ أما في عطش نفسه فلا فرق بل توقعه مآلاً لا عواز غير ذلك الماء ظاهراً كحصوله مآلاً في عطش الرفيق والبهيمة فقد أبدى إمام الحرمين تردداً فيه، وتابعه المصنف في البسيط والظاهر الذي اتفق عليه المعظم أنه يتركه لرفيقه ويتيمم كما يفعل ذلك لنفسه إذالا فرق بين الروحين في الحرمة.

تنبيه:

قال الشافعي رضي الله عنه: إذا مات رجل له ماء ورفقاؤه يخافون العطش شربوه ويمموه وأدوا ثمنه في ميراثه، لأنه ليس للنفس بدل وللطهارة بدل وهو التيمم، واختلفوا في مراد

لغيره ولم يبعه إلا بأكثر من ثمن المثل أو كان به جراحة أو مرض وخاف من استعماله

الشافعي بالثمن فقيل أراد به المثل لأن الماء مثلي والمثليات تضمن بالمثل دون القيمة، وقيل: أراد به القيمة، وإنما أوجبها هنا لأن المسألة مفروضة فيما إذا كانوا في مفازة عند الشرب، ثم رجعوا إلى بلدتهم ولا قيمة للماء بها، فلو أدوا الماء لكان ذلك إحباطاً لحقوق الورثة فيغرمون قيمته يوم الإتلاف في موضعه والله أعلم.

تنبيه:

آخر: إذ أوصى بمائه لأولى الناس به أو وكل رجلاً بصرف مائه إلى أولى الناس به، فحضر محتاجون إلى ذلك الماء كالجنب والحائض والميت ومن على بدنه نجاسة، فمن يقدم منهم؟ أعلم أن الميت ومن على بدنه نجاسة أولى من غيرهما اما الميت فلمعنيين. أحدهما: قال الشافعي رضي الله عنه: إن أمره يفوت فليختم بأكمل الطهارتين، والثاني قال بعض الأصحاب: المقصود من غسل الميت تنظيفه وتكميل حاله والتراب لا يفيد ذلك وغرض الحي يحصل بالتيمم، وأما من على بدنه نجاسة فلأن إزالة النجاسات لا بدل لها وللطهارات بدل وهو التيمم، وإذا اجتمعا ففيه وجهان. أصحهما: إن الميت أولى، وإن اجتمع ميتان فإن ماتا على الترتيب، فالأول أولى فإن ماتا معاً فأفضلهما فإن استويا أقرع بينهما. وفي الحائض مع الجنب ثلاثة أوجه، أصحها: أن الحائض أولى لأن حدثها أغلظ.

قلت: وعامة مشايخ الحنفية أن الميت أولى من الجنب والحائض. كذا في الخلاصة والله أعلم.

ثم أشار إلى السبب الرابع من أسباب العجز بقوله: **(أو كان)** الماء **(ملكاً لغيره ولم يبع منه إلا بأكثر من ثمن المثل)** لا يلزمه الشراء ويتيمم، وقال بعضهم: إن بيع بزيادة يتغابن الناس بمثلها وجب الشراء ولا عبرة بتلك الزيادة، وإن كان البيع نسيئة وزيد بسبب التأجيل ما يليق به فهو بيع بثمن المثل على أظهر الوجهين وإن زاد المبلغ على ثمن مثله نقداً وجب الشراء بالنسيئة ولو ملك الثمن وكان حاضراً عنده لكنه كان محتاجاً إليه لدين مستغرق في ذمته أو لنفقته ونفقة رقيقه أو لحيوان محترم معه أو لسائر مؤنات سفره في ذهابه وإيابه لم يجب عليه الشراء، واختلف في ثمن مثل الماء على ثلاثة أوجه أحدها: أن ثمن مثله قدر أجرة نقله إلى الموضع الذي فيه الشخص، والثاني أنه يعتبر ثمن مثله في ذلك الموضع في غالب الأوقات ولا يعتبر ذلك الوقت بخصوصه، والثالث أنه يعتبر في ذلك الموضع في الحالة فإن لكل شيء سوقاً يرتفع وينخفض فيه وثمن مثل الشيء ما يليق به في تلك الحالة الأول اختاره المصنف وتبعه كثيرون، والثاني منقول عن أبي إسحاق واختاره الروياني، والثالث هو الأظهر عند الأكثرين من الأصحاب، وقول المصنف أو كان ملكاً لغيره، وكذا قوله في الوسيط أن ثمن مثله أجرة نقله فبه يعرف الرغبة في الماء وإن كان مملوكاً على الأصح فيه إشارة إلى أن الوجه الذي اختاره ليس مبنياً على أن الماء لا يملك. كما ذهب إليه شيخه إمام الحرمين وتابعه المسعودي، فإن القول به وجه ضعيف في المذهب، فليكن كذلك ما هو مبني عليه.

فساد العضو أو شدة الضنى ـ فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة، ثم

فصل

وقال أصحابنا: يجب طلب الماء ممن هو معه إن كان في محل لا تشح به النفوس وإن لم يعطه إلا بثمن مثله لزمه شراؤه به وبزيادة يسيرة لا بزيادة غبن فاحش وهو ضعف القيمة، وقيل: شطرها. وقيل: ما لا يدخل تحت تقويم المقومين إن كان الثمن معه فاضلاً عن نفقته وأجرة حمله، وأما للعطش فيجب على القادر شراؤه باضعاف قيمته إحياء لنفسه.

لطيفة:

ذكر صاحب الأشباه في فن الحكايات احتاج الإمام أبو حنيفة إلى الماء في طريق الحاج فساوم أعرابياً قربة ماء، فلم يبعه إلا بخمسة دراهم فاشتراه بها، ثم قال كيف أنت بالسويق؟ فقال: أريده فوضعه بين يديه فأكل ما أراد وعطش، فطلب الماء فلم يعطه حتى اشترى منه شربة ماء بخمسة دراهم، ثم أشار المصنف إلى السبب الخامس من أسباب العجز بقوله: **(أو كان به جراحة)** وهي نوع خاص من المرض فيكون ذكر قوله **(أو مرض)** إلى آخره بعده من باب التعميم بعد التخصيص والجراحة قد تحتاج إلى القاء لصوق بها من خرقة أو قطنة، فإذا لم يكن على الجراحة لصوق فلا يجب المسح على محل الجرح، وهل يجب القاء اللصوق عليه عند إمكانه فيه وجهان، قال الشيخ أبو محمد: يجب، واستبعد إمام الحرمين ذلك وقال: أنه لا نظير له في الرخص وليس للقياس مجال فيها، وقد جعل المصنف الجراحة سبباً مستقلاً من أسباب العجز في كتابه الوجيز، ولذا فصلته عما بعده تبعاً له وإلا فسياقه دال على أنه مع ما بعده سبب واحد، ثم أشار إلى السبب السادس من أسباب العجز بقوله (و) كان به **(مرض وخاف من استعماله)** أي الماء **(فساد العضو أو شدة الضنى)** أعلم أن المرض على ثلاثة أقسام: القسم الأول: ما يخاف معه من الوضوء فوت الروح أو فوت عضو أو منفعة عضو فيبيح التيمم ولو خاف مرضاً مخوفاً تيمم على المذهب، وهو الذي ذكره المزني في المختصر والمسعودي وغيره في الشروح، وقد حكى إمام الحرمين في المرض المخوف طريقين. أحدهما: الذي ذكر، والثاني أن فيه قولين، وظاهر المذهب القطع بالجواز هو الذي اقتصر عليه النووي في الروضة. الثاني: المرض الذي يخاف من استعمال الماء معه شدة الضنى وهو المرض المدنف الذي يجعله مضنى أو زيادة العلة أو بطء البرء أو بقاء الشين القبيح اما زيادة العلة وبطء البرء، فقد حكوا فيها ثلاثة طرق أظهرها: أن في جواز التيمم للخوف منها قولين. أحدهما: المنع وأظهرهما الجواز، وبه قال مالك وأبو حنيفة. فإن قلت: ما الفرق بين زيادة العلة وبطء البرء؟ فالجواب: أن المراد من زيادة العلة إفراط الألم وكثرة المقدار وإن لم تمتد المدة ومن بطء البرء امتداد المدة وإن لم يزد القدر، وقد يجتمع الأمران، وأما شدة الضنى فهو نوع من المرض خاص وفيه الطريقان الأولان، وأما بقاء الشين على بدنه فينظر إن خاف شيئاً قبيحاً على عضو ظاهر كالسواد الكثير في الوجه ففيه ثلاثة طرق أيضاً. أحدها:

....

الجزم بالجواز لأنه يشوه الخلقة ويحكى ذلك عن ابن سريج والأصطخري، والثاني: الجزم بالمنع إذ ليس فيه بطلان عضو ولا منفعته، وإنما هو فوات جمال وإن خاف شيئاً يسيراً كأثر الجدري فلا عبرة به، وكذلك لو خاف شيناً قبيحاً على غير الأعضاء الظاهرة. الثالث: المرض الذي لا يخاف من استعمال الماء معه محذوراً في العاقبة فلا ترخص في التيمم إن كان يتألم في الحال لجراحة أو برد أو حر لأنه واجد للماء قادر على استعماله من غير ضرر شديد، واعلم أن المرض المرخص لا يفترق فيه الحال بين أن يعرفه بنفسه وبين أن يعرفه بنفسه وبين أن يخبره بذلك طبيب حاذق بشرط كونه مسلماً بالغاً عدلاً. وفي وجه يقبل في ذلك خبر الصبي المراهق والفاسق أيضاً، ولا فرق بين الحر والعبد والذكر والأنثى لأن طريقة الخبر وأخبارهم مقبولة ولا يشترط فيه العدد، وحكى أبو عاصم العبادي فيه وجهاً وهذا كله فيما إذا منعت العلة استعمال الماء أصلاً لعموم القدر جميع موضع الطهارة وضوء كان أو غسلاً وإن تمكنت العلة من بعض الأعضاء دون بعض غسل الصحيح بقدر الإمكان. قال النووي في الروضة: قلت: وإذا لم يوجد طبيب بشرطه. قال أبو علي السنجي لا يتيمم ولا فرق في هذا السبب بين الحاضر والمسافر والحدث الأصغر والأكبر ولا إعادة فيه.

تنبيه:

قد ذكر المصنف هذه الأسباب الستة من أسباب العجز المبيح للتيمم، وقد ذكر في الوجيز سبباً سابعاً وهو العجز بسبب الجهل كما إذا نسي الماء في رحله واعترضه الرافعي بأن السبب المبيح هنا إنما هو الفقد في ظنه إلا أنه تبين بعد ذلك أنه لم يكن فقد ولا شك أن الأسباب المبيحة يكفي فيها الظن ولا يعتبر اليقين، وإذا كان كذلك فليس هذا سبباً خارجاً عما تقدم، واللائق ذكره في أحد موضعين إما آخر سبب الفقد، وإما الفصل المعقود في أنه هل يقضي من الصلوات المختلة. وقال النووي في الروضة: بل له هنا وجه ظاهر فإن من جملة صوره إذا أضل رحله أو ماءه، فهذا من وجه كالواجد فيتوهم أنه لا يجوز له التيمم ومن وجه عادم، فلهذا ذكره المصنف في الأسباب المبيحة للإقدام على التيمم والله أعلم اهـ.

قلت: الرافعي لا ينكر أن تلك الصورة من جملة الأسباب المبيحة وإنما اعتراضه على المصنف في عده سبباً مستقلاً مع أنه داخل فيما تقدم، ومما يؤيده أنه لم يذكره في هذا الكتاب فكأنه رأى إدراجه في فصل الفقد فتأمل بانصاف ثم إن جعلنا الجراحة داخلة في أنواع المرض كما يقتضيه سياق المصنف هنا فيكون المذكور من الأسباب خمسة أشياء فقط فتأمل.

تنبيه:

آخر: ذكر أصحابنا في المرض المبيح هو الذي يخاف منه اشتداد المرض أو بطء البرء باستعمال الماء كالمحموم وذي الجدري أو تحركه كالمبطون ومشتكي العرق المدني، وفي البرد الذي يخاف منه بغلبة الظن التلف لبعض أعضائه أو المرض إذا كان خارج العمران ولو القرى

يقصد صعيداً طيباً عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار، ويضرب عليه

التي يوجد بها الماء المسخن أو ما يسخن به، وإذا عدم الماء المسخن أو ما يسخن به في المصر فهي كالبرية، وذكروا في جملة الأسباب المبيحة الإحتياج إلى الماء لعجن، لأنه من الأمور الضرورية لا لطبخ مرق، ومنها فقد آلة الإستقاء لتحقق العجز فصار وجود البئر كعدمها.

تنبيه:

آخر: الماء الموضع في الخوابي في الفلوات لا يمنع التيمم لأنه لم يوضع إلا للشرب، وعن الإمام أبي بكر النجاري: يجوز التوضؤ منه. قال: والموضوع للوضوء لا يباح منه الشرب.

تنبيه:

آخر: العاجز عن استعمال الماء بنفسه ولا يجد من يوضئه يتيمم إتفاقاً وإن وجد معيناً لا إتفاقاً كما في المحيط، ويروى عن أبي حنيفة جواز التيمم فيما إذا وجد غير خادم لو استعان به أعانه، لكنه خلاف ظاهر المذهب وأصل الخلاف في أن القدرة بالغير لا تعد قدرة عنده وعند صاحبيه تثبت القدرة بالغير واختار حسام الدين الشهيد قولهما، ومن جملة الأسباب المبيحة خوف فوت صلاة جنازة ولو جنباً، ولو ولي الميت كما في ظاهر الرواية وصححه السرخسي أو خوف فوت صلاة عيد ولو بناء فيها، وفيه خلاف للشافعي رضي الله عنه، ثم قال المصنف بعد ذكر الأسباب: (**فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة**) وهذا بناء على أنه لا يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها وفيه خلاف لأبي حنيفة فلو تيمم لفريضة قبل دخول وقتها لم يصح للفرض، وهل يصح للنفل؟ حكى المتولي فيه وجهين. وظاهر المذهب لا. وكما لا يتقدم التيمم للمؤداة على وقتها لا يتقدم للفائتة على وقتها. (**ثم يقصد صعيداً طيباً**) .

قلت: أشار المصنف بقوله: إلى أن القصد إلى الصعيد ركن من أركان التيمم السبعة ودليله قوله تعالى: ﴿فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا﴾ [المائدة: ٦] أمرنا بالتيمم والمسح والتيمم هو القصد، فلو وقف في مهب الريح فسفت عليه التراب، فأمر اليد عليه نظر إن وقف غيرنا، وثم لما حصل التراب عليه نوى التيمم لم يصح تيممه، وإن وقف قاصداً بوقوفه التيمم حتى أصابه التراب فمسح بيده، فظاهر نص الشافعي رضي الله عنه، وقول أكثر الأصحاب أنه لا يصح تيممه لأنه لم يقصد التراب، وإنما التراب أتاه وعن أبي حامد المروزي أنه يصح كما لو جلس للوضوء تحت الميزاب أو برز للمطر، وذكره صاحب التقريب، وبه قال الحليمي، والقاضي أبو الطيب، وحكاه ابن كج عن نص الشافعي رضي الله عنه، وأما الصعيد ففي المصباح هو وجه الأرض تراباً كان أو غيره، وقال الزجاج: لا أعلم اختلافاً بين أهل اللغة في ذلك، ويقال: الصعيد في كلام العرب ينطلق على وجوه على وجه التراب الذي على وجه الأرض، وعلى وجه الأرض وعلى الطريق قال الأزهري: ومذهب أكثر العلماء أن الصعيد في الآية هو التراب الطاهر الذي على وجه الأرض أو خرج من باطنها اهـ.

كفيه ضاماً بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة، وينوي عند ذلك استباحة

والطاهر: اسم للمنبت والحلال والطاهر وأليق المعاني به الطاهر لأنه شرع للتطهير أو هو مراد إذ الطهارة شرط إجماعاً فلم يبقى غيره مراداً لأن المشترك لا عموم له، ولكن سياق المصنف يشعر بأن المراد من الصعيد هنا وجه الأرض فإنه قال: **(عليه تراب)** فلا يصح التيمم إلا به، وبه قال أبو يوسف وأحمد: فلا يكفي ضرب اليد على حجر صلد لا غبار عليه خلافاً لأبي حنيفة ومحمد حيث قالا: يجوز بكل ما هو من جنس الأرض كالتراب والرمل والحجر الأملس والزرنيخ والكحل، ولا يشترط أن يكون على الحجر المضروب عليه غبار، ولمالك حيث يقول بمثل قولهما، وزاد فجوز بكل متصل بالأرض أيضاً كالأشجار والزروع.

قلت: التيمم بالنباتات الأرضية قيد جواز التيمم به الخرشي في شرح المختصر بثلاثة شروط ورحجه شيخنا المرحوم علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي في حاشيته،(وعند أبي حنيفة كل شيء يصير رماداً أو يلين بالإحراق لا يجوز به التيمم وإلاّ جاز وهو ضابط صحيح. قال الرافعي: ثم اسم التراب لا يختص ببعض الألوان والأنواع فيدخل فيه الأعفر والأصفر والأسود والأحمر والأرمني والخراساني والسبخ، وهو الذي لا ينبت دون الذي يعلوه ملح، فإن الملح ليس هو بتراب والبطحاء، وهو التراب الذي في مسيل الماء وكل ذلك يقع عليه اسم التراب، وما روي عن الشافعي في بيان ما لا يتيمم به ولا السبخ ولا البطحاء، فليس ذلك اختلاف قول منه باتفاق الأصحاب، وإنما أراد ما إذا كان صلبين لا غبار عليها فهما إذاً كالحجر الصلد وأغرب أبو عبدالله الحناطي، فحكى في جواز التيمم بالذريرة النورة والزرنيخ قولين، وكذا في الاحجار المدفونة والقوارير المسحوقة، وأما الرمل فقد حكي عن نصه في القديم والإملاء جواز التيمم به، وعن الأم المنع والنصان محمولان على حالتين إن كان خشناً لا يرتفع منه غبار، وهو المراد بالمنع فإن ارتفع جاز، وهو المراد بالجواز. ثم المعتبر في أوصاف التراب ما أشار إليه المصنف بقوله **(طاهر خالص)** أما كونه طاهراً فلا بد منه فلا يجوز التيمم بالتراب النجس، وهو الذي أصابه مائع نجس أما إذا اختلط به جامد نجس كاجزاء الروث فلا تؤثر في أجزائه النجاسة، لكن لا يجوز التيمم به أيضاً ولو تيمم بتراب المقبر ففي جوازه قول يقابل الأصل والغالب والظاهر، وأما كونه خالصاً فيخرج عنه المشوب بالزعفران والدقيق ونحوهما. فإن كان الخليط كثيراً لم يجز وإن كان قليلاً فوجهان عن أبي إسحاق وصاحب التقريب أنه لا يضر. وزاد المصنف في الوجيز وصفاً ثالثاً وهو أن يكون مطلقاً احترازاً عن المستعمل، وقد نظر فيه الرافعي وأطال الكلام في حكم التراب المستعمل فراجعه، وقول المصنف: **(لين بحيث يثور)** أي يرتفع **(منه الغبار)** هذا وصف رابع للتراب ولم يذكره في الوجيز **(ويضرب عليه كفيه)** وصورة الضرب غير معينة، بل لو كان التراب ناعماً فوضع اليد عليه وعلق الغبار به كفى حالة كونه **(ضاماً بين أصابعه)** غير مفرق. قال الرافعي: يمكن أن يراد به أن لا يجوز التفريج ذهاباً إلى ما صار إليه القفال ومن وافقه، لكنه لم يرد ذلك لأنه روى كلام القفال في الوسيط واستبعده، وإنما أراد أنه

....

لا يجب التفريج أو أنه لا يستحب أو أنه يستحب أن لا يفرج والله أعلم. وسيأتي الكلام عليه قريباً. **(ويمسح بها جميع وجهه مرة واحدة)** مبتدئاً بأعلاه **(وينوي عنده استباحة الصلاة)** وهو الركن الرابع من أركان التيمم السبعة والنية واجبة في التيمم وهي عند أصحابنا شرط لصحة التيمم قالوا: لأن التراب ملوث بذاته وليس بمطهر بالأصالة، وإنما يصير مطهراً بنية قربة مخصوصة، فلذا كانت النية فرضاً فيه بخلاف الوضوء لأن الماء خلق مطهراً فإذا أصاب المحل طهره، وقد يفارق الخلق الأصل وحقيقتها عقد القلب على إيجاد الفعل جزماً، ووقتها عند ضرب يده على ما يتيمم به أو عند مسح أعضاء بتراب أصابها وقيد العندية في كلام المصنف يؤذن بنفي جواز القبلية والبعدية، ولكن اختلف في كون الضرب ركناً أو شرط، فمن قال ركن كما هو مذهب المصنف، فإذا نوى بعد الضرب لم يعتبر النية بعده ومن جعله شرطاً اعتبرها بعده وشروط صحة النية ثلاثة: الإسلام والتمييز والعلم بما ينويه، ولما كانت النية في التيمم مفتقرة إلى شرط خاص بها بينه المصنف بقوله استباحة الصلاة. قال الرافعي: وهل يجوز التيمم بنية رفع الحدث فيه وجهان: أحدهما: نعم لأن قصد رفع الحدث يتضمن قصد الاستباحة، ويحكى هذا الوجه عن ابن سريج وجعله ابن خيران قولاً للشافعي رضي الله عنه.

قلـت: وهذا ضعيف لأن الحدث لا يتبعض والله أعلم وأصحها وهو المذكور في الوجيز أنه لا يجوز لأن التراب لا يرفع الحدث، وإذا تيمم بنية استباحة الصلاة فله أربعة أحوال.

أحدها: أن يقصد نوعيها النفل والفرض فيصح تيممه لانه تعرض لمقصود التيمم، وهل يشترط تعيين الفريضة بصفاتها أو يكفيه نية مطلق الفريضة؟ فيه وجهان. أحدهما: يشترط. ويروى ذلك عن أبي إسحاق وابن أبي هريرة، وبه قال أبو القاسم الصيمري، واختاره الشيخ أبو علي وأصحها عند الأكثرين أنه لا يشترط، وعلى هذا إذا أطلق صلّى أية فريضة شاء، ولو عين واحد جاز أن يصلي غيرها.

الحالة الثانية: أن ينوي الفريضة ولا تخطر له النافلة، فإذا استباح الفريضة بهذا التيمم فهل له أن يتنفل به قبل فعل الفريضة؟ فيه قولان أصحها نعم، والثاني لا. وبه قال مالك وهل يتنفل بعد الفريضة فيه طريقان. أصحها القطع بأنه يتنفل وهو اختيار القفال، فإذا خرج وقت الفريضة فهل يجوز له أن يتنفل بذلك التيمم؟ فيه وجهان. أظهرهما نعم. وقال إمام الحرمين: استباحة الفريضة لازمة في التيمم، وان لم يجب التعيين فإذا عين واخطأ لم يصح.

الحالة الثالثة: أن ينوي النفل ولا يخطر له الفرض، فهل يباح له الفرض بهذا التيمم؟ فيه قولان. أصحها لا. وعن أبي الحسين بن القطان أنه لا يختلف القول في أنه لا يباح الفرض به، وإن قلنا لا تباح الفريضة ففي النافلة وجهان أصحها أنه يباح والقائل بعدم الإباحة يقول: إن هذا التيمم لا يصح أصلاً ولو نوى بتيممه حمل المصحف أو سجود التلاوة أو الشكر أو نوى الجنب الاعتكاف وقراءةالقرآن، فهو كما لو نوى بتيممه صلاة النفل ففي جواز الفريضة به

الصلاة، ولا يتكلف إيصال الغبار إلى ما تحت الشعور خفت أو كثفت، ويجتهد أن

قولان. وإذا منعنا ففي جواز ما نواه وجهان، ولو تيمم لصلاة الجنازة فهو كما لو تيمم لصلاة النفل على أظهر الوجهين، ولو نوت الحائض استباحة الوطء صح تيممها على أصح الوجهين.

الحالة الرابعة: أن يقصد نفس الصلاة من غير تعرض للفرض والنفل، ففيه وجهان. أحدهما: أنه كما لو نوى الفرض والنفل جميعاً، وهذا هو الذي يفهم من سياق المصنف في هذا الكتاب، وصرح به في الوجيز فقال: أو استباحة الصلاة مطلقاً فيكفيه وهو قياس قول الحليمي فيما حكاه أبو الحسن العبادي وقطع به إمام الحرمين، لأن الصلاة اسم جنس تتناول الفرض والنفل جيمعاً فأشبه كما لو تعرض لهما في نيته، والثاني كما لو نوى النفل وحده لأن الفرض يحتاج إلى تخصيصه بالنية، وهذا الوجه أظهر، ولم يذكر أصحابنا العراقيون غيره وهو المنقول عن القفال، فهذا تمام الأحوال الأربعة وهي مذكورة في الوجيز، ولو نوى فريضة التيمم أو إقامة التيمم المفروض، ففيه وجهان أصحهما أنه لا يصح لأن التيمم ليس مقصوداً في نفسه بخلاف الوضوء. وقال النووي في الروضة. قلت: ولو نوى التيمم وحده لم يصح قطعاً ذكره الماوردي، ولو تيمم بنية استباحة الصلاة ظاناً أن حدثه أصغر فكان أكبر أو عكسه صح قطعاً، ولو تعمد ذلك لم يصح في الأصح ذكره المتولي.

قلت: وفي عبارات أصحابنا ويشترط لصحة نية التيمم للصلاة أحد ثلاثة أشياء. إما نية الطهارة من الحدث أو الجنابة ولا يشترط التعيين بينهما في الصحيح، أو استباحة الصلاة، أو نية عبادة مقصودة لا تصح بدون طهارة، فيكون المنوي صلاة أو جزءً للصلاة في حد ذاته كقوله: نويت التيمم للصلاة أو لصلاة الجنازة أو سجدة التلاوة أو لقراءة القرآن وهو جنب، أو نوته لقراءة القرآن بعد انقطاع حيضها ونفاسها فإن كلاً منها قربة مقصودة بذاتها متوقفة على الطهارة، فلا يصلي به إذا نوى التيمم فقط من غير ملاحظة كونها للصلاة ونحوها، أو نواه لقراءة القرآن ولم يكن جنباً، فإذا نوى المحدث التيمم للقراءة لا يصلى به. وكذا الجنب إذا تيمم لمس المصحف أو دخول المسجد لا تصح به الصلاة في الصحيح، وكذا لو تيمم لتعليم الغير لا تجوز به الصلاة في الأصح، وكذا لو تيمم للاسلام خلافاً لأبي يوسف في الأخير، فإنه قال: تصح صلاته بتيممه لأنه نوى بدخوله في الإسلام قربة مقصودة تصح منه في الحال، ولم يعتبره أبو حنيفة ومحمد وهو الأصح، ولو تيمم لسجدة الشكر لا يصلى به خلافاً لمحمد، واعتبار مجرد نية التيمم يفهم من سياق النوادر، ومن رواية الحسن بن زياد عن أبي حنيفة والله أعلم.

ثم أشار المصنف إلى الركن الخامس من أركان التيمم السبعة بقوله: **(ولا يتكلف إيصال الغبار إلى ما تحت الشعور)** أي منابتها إذ لا يلزمه ذلك **(خف)** ذلك **(أو كثف)** عاماً كان أو نادراً كلحية المرأة وذلك لعسر إيصال الغبار إليها وهل يجب مسح ظاهر المسترسل من اللحية الخارج عن حد الوجه؟ فيه قولان. كما في الوضوء، **(و)** لكن **(يجتهد أن يستوعب**

يستوعب بشرة وجهه بالغبار ـ ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فإن عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ـ ويكفي في الاستيعاب غالب الظن، ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج فيها بين أصابعه ثم يلصق ظهور أصابع يده اليمنى ببطون أصابع يده

بشرة وجهه بالغبار) خلافاً لأبي حنيفة حيث قال: يجوز أن يترك من ظاهر الوجه دون الربع، حكاه الصيدلاني الشافعي، وعن الحسن بن زياد عن أبي حنيفة: أنه إذا مسح أكثر وجهه أجزأه.

قلت: الرواية المذكورة عن الحسن بن زياد نصها يكفي مسح أكثر الوجه واليدين إقامة له مقام الكل دفعاً للحرج وصححت، وعلى هذه لا يجب تخليل الأصابع ونزع الخاتم والسوار. قال شمس الأئمة الحلواني: ينبغي أن تحفظ هذه الرواية جداً لكثرة البلوى فيه كما في فتاوى التاتارخانية، وظاهر الرواية المفتى به استيعاب المحل بالمسح على الصحيح الحاقاً له بأصله لعدم جواز مخالفته له مهما أمكن، فيلزمه نزع خاتمه وتخليل أصابعه ومسح ما تحت حاجبيه وهو ما فوق عينيه وجميع ظاهر بشرة الوجه والشعر على الصحيح، وما بين العذار والأذن والله أعلم. **(ويحصل ذلك بالضربة الواحدة)** خلافاً لمن قال: لا يتأتى بها، ثم علله بقوله: **(فإن عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين)** في الغالب، فإذا فعل ما ذكرنا فقد حصل المسح **(ويكفي في الاستيعاب غالب الظن)** دفعاً للوسوسة وغلبة الظن معتبرة في الأحكام الشرعية، **(ثم ينزع)** الرجل **(خاتمه)** ان كان ضيقاً أو واسعاً، وكذا المرأة تنزع سوارها **(ويضرب ضربة ثانية يفرج فيها بين أصابعه)** بخلاف الأولى. قال الرافعي: وهل يفرق أصابعه في الضربتين أما في الثانية نعم، وأما في الأولى فقد روى المزني التفريق أيضاً، واختلف الأصحاب فغلطه قوم منهم القفال وقالوا: لا يفرق في الضربة الأولى لأنها لمسح الوجه، ولا يمسح الوجه بما بين الأصابع وما لم يمسح الوجه لا يدخل وقت مسح اليدين حتى يقدر الاحتساب به عن اليدين فلا فائدة في التفريق، أما في الضربة الثانية فقد دخل وقت مسح اليدين فتفرق حتى يستغني عن إيصال التراب إليها على الكف، وصوّبه آخرون فقالوا: فائدته زيادة تأثير الضرب في إثارة الغبار لاختلاف موقع الأصابع إذا كانت مفرقة، وهذا أصح. ثم القائلون بالأوّل اختلفوا في أنه هل يجوز أن يفرق في الضربة الأولى؟ فقال الأكثرون نعم إذ ليس فيه إلا حصول تراب غير مستعمل بين أصابعه، فإن لم يفرق في الضربة الثانية كفاه ذلك التراب لها، وإن فرقه حصل فوقه تراب آخر غير مستعمل بين أصابعه فيقع المجموع عن الفرض، وقال الاقلون: منهم القفال لا يجوز ذلك ولا يصح تيممه لو فعل لأن فرض ما بين الأصابع لا يتأدى بالضربة الأولى لوجوب الترتيب، وحصول ذلك الغبار يمنع وصول الثاني ولصوقه بالمحل. ومن قال بالأول قال الغبار الأوّل لا يمنع وصول الثاني، ولا يمنع الوصول المعتبر، ثم إذا فرق في الضربتين وجوّزنا ذلك، أو فرق في الضربة الثانية وحدها فيستحب تخليل الأصابع بعد مسح اليدين احتياطاً، ولو لم يفرق فيها، أو فرق في الأولى وحدها وجب التخليل آخراً لأن ما وصل إليه قبل مسح الوجه غير معتدّ به، ثم يمسح بعد ذلك إحدى الراحتين بالأخرى وهو واجب أو مستحب؟ فيه قولان.

اليسرى ـ بحيث لا يجاوز أطراف الأنامل من إحدى الجهتين عرض المسبحة من الأخرى ـ ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الأيمن إلى المرفق، ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده الأيمن ويمرّها إلى الكوع، ويمر بطن إبهامه اليسرى على ظاهر ابهامه اليمنى، ثم يفعل باليسرى كذلك. ثم يمسح كفيه ويخلل بين

والقدر الواجب إيصال التراب إلى الوجه واليدين كيفما كان، ولا يشترط أن يكون المسح باليد بل لو مسح وجهه بخرقة أو خشبة عليها غبار جاز، ولا يشترط الإمرار على أصح الوجهين، ولا أن لا يرفع عن العضو الممسوح حتى يستوعبه في أصح الوجهين، ثم قول المصنف: ثم ينزع خاتمه فيه إشعار بأنه لا ينزعه في الأولى، وهكـذا هـو في الوجيز ونصه: فيضرب ضربة واحدة لوجهه ولا ينزع خاتمه ولا يفرج أصابعه، على أنه يوجد في بعض نسخ الوجيز وينزع خاتمه ولا يفرج أصابعه، فعلى الأول المراد أنه لا يجب نزع الخاتم، لأن المقصود من الضربة الأولى مسح الوجه دون اليدين وغايته مسح بعض الوجه بما على الخاتم، وليس المراد أنه لا يجوز النزع فإنه لا صائر إليه ولا وجه له، بل يستحب النزع ليكون مسح جميع الوجه باليد اتباعاً للسنّة.

وقال النووي في الروضة. قلت: وأما الضربة الثانية فيجب نزعه فيها، ولا يكفي تحريكه بخلاف الوضوء لأن التراب لا يدخل تحته ذكره صاحب العدة وغيره اهـ. **(ثم يلصق ظهور أصابع يده اليمنى ببطون أصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز أطراف الأنامل من إحدى الجهتين عرض المسبحة من الأخرى، ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده اليمنى إلى المرفق، ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده اليمنى ويمرها إلى الكوع، ويمر باطن ابهامه اليسرى على ظاهر ابهامه اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك)**. اعلم أنه يجب استيعاب المسح لليدين إلى المرفقين في التيمم، فقد ورد تيمم فمسح وجهه وذراعيه، والذراع اسم للساعد إلى المرفقين، وقال مالك وأحمد يمسح يديه إلى كوعيه لما ورد أنه ﷺ قال لعمار: «يكفيك ضربة للوجه وضربة لليدين». ونقل مثل هذا للشافعي في القديم، وأنكر الشيخ أبو محمد وطائفة ذلك، وسواء ثبت أم لا فالمذهب الأول. وقد اختلف في كيفية مسح اليدين إلى المرفقين على صور مآلها إلى واحدة، فمنها ما في سياق المصنف، ومنها ما في الأم للشافعي رضي الله عنه. قال: يضع ظهر أصابع يده اليمنى على باطن أصابع اليسرى ويمره على ظهر أصابع اليمنى، فإذا بلغ الكوع أدار إبهامه على ذراعه وقبض بإبهامه وأصابعه على باطن ذراعه، ثم يمره إلى المرفق، فإن بقي شيء في ذراعه لم يمر للتراب عليه أدار إبهامه عليه حتى يصل التراب إلى جميعه. قال المزجد في تجريد الزوائد: وهذه أحوط للتراب، وعليها اقتصر القاضي الطبري، وقال الرافعي في شرح الوجيز: ومسح اليدين بأن يضع أصابع يده اليسرى سوى الإبهام على ظهر أصابع يده اليمنى سوى الإبهام بحيث لا يخرج أنامل اليمنى على مسبحة اليسرى ويمرها على ظهر كفه اليمنى، فإذا بلغت الكوع ضم أطراف أصابعه إلى حرف الذراع ويمرها إلى المرفق، ثم يدير بطن كفه إلى بطن الذراع فيمرها عليه وإبهامه منصوبة، فإذا بلغ الكوع مسح ببطنها ظهر إبهامه

أصابعه، وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب إلى المرفقين بضربة واحدة فإن عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة. وإذا صلى به الفرض فله أن يتنفل كيف شاء، فإن جمع بين فريضتين فينبغي أن يعيد التيمم للثانية، وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم، والله أعلم.

اليمنى، ثم يضع أصابع اليمنى على اليسرى فيمسحها كذلك قال، وهذه الكيفية محبوبة على المشهور، وقد زعم بعضهم أنها منقولة من فعل النبي ﷺ. وقال الصيدلاني: انها غير واجبة ولا سنّة وهي قضية كلام أكثر الشارحين للمختصر، وقالوا: إنما ذكر الشافعي هذه الكيفية راداً على مالك حيث قال بالضربة الواحدة لا يتأتى المسح الى المرفقين، وهذا يشعر بأنها غير محبوبة ولا مقصودة في نفسها، (**ثم يمسح**) بعد ذلك (**كفيه**) أي إحدى راحتيه على الأخرى، وهل هو واجب أو مستحب؟ فيه خلاف مبني على أن الكفين هل يتأدى بضربها على التراب أم لا ؟ وفيه وجهان. منهم من قال لا لأنه لو تأدى فرضها حينئذ لما صلح الغبار الحاصل عليها لموضع آخر، لأنه يصير بالانفصال عنه مستعملاً، ومنهم من قال وهو الأصح نعم لأنه وصل الطهور إلى محل الطهارة بعد النية ودخول وقت طهارة ذلك المحل فعلى هذا المسح آخراً مستحب، وعلى الأول هو واجب. (**ويخلل بين أصابعه**) بعد مسح اليدين على الهيئة المذكورة احتياطاً، وذلك إذا فرق في الضربة الثانية وإذا فرق في الأولى وحدها وجب التخليل آخراً كما تقدم قريباً. (**وغرض هذا التكليف يحصل بالاستيعاب الى المرفقين بضربة واحدة**) كما هو مذهب الشافعي وأبي حنيفة، (**فإن عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة**) قال الرافعي: قد تكرر لفظ الضربتين في الاخبار، فجرى طائفة من الأصحاب على الظاهر وقالوا: لا يجوز أن ينقص منها، ويجوز أن يزيد فإنه قد لا يتأتى الإستيعاب له بالضربتين. وقال آخرون: الواجب إيصال التراب إلى الوجه واليدين سواء كان بضربة أو أكثر، وهذا أصح. نعم يستحب أن لا يزيد ولا ينقص، وحكى القاضي ابن كج عن بعض أصحابنا أنه يستحب أن يضرب ضربة للوجه، وأخرى لليد اليمنى، وأخرى لليسرى. والمشهور الأول. وقال النووي في الروضة. قلت: الأصح وجوب الضربتين نص عليه، وقطع به العراقيون في جماعة من الخراسانيين والله أعلم اهـ.

وقول المصنف إلى المرفقين نص على قول الشافعي في الجديد، وقال أبو إسحاق: وهذا هو المذهب. وقال أبو حامد الاسفرايني. هذا هو المنصوص عليه قديماً وجديداً كمذهب أبي حنيفة، وقال مالك في إحدى روايتيه، وأحمد: قدره ضربة للوجه وللكفين يكون بطون أصابعه لوجهه وبطون راحته لكفيه. قال يحي بن محمد: هذا أنسب لحال المسافر لضيق أثوابه "التي يجد المشقة في إخراج ذراعيه من كميه غالباً. وقال الأوزاعي، والأعمش: إلى الرسغين وهو رواية الحسن عن أبي حنيفة، ويروى عن ابن عباس، وقال الزبير إلى الآباط، وحديث عمار ورد بذلك كله رواه الطحاوي وغيره، (**فإذا صلى به الفرض فله أن يتنفل به كيف يشاء**) اتفاقاً،

....

(فإن جمع بين فرضين فينبغي أن يعيد التيمم للثانية، وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم والله أعلم).

قال الرافعي: لا يؤدي بالتيمم الواحد مما يتوقف على الطهارة إلا فريضة واحدة خلافاً لأبي حنيفة حيث قال يؤدى به ما شاء، وكذلك قال أحمد في احدى روايتيه: ولا فرق في المكتوبة بين الفائتة والمؤداة، وأغرب أبو عبدالله الحناطي فحكى وجهاً أنه يجوز الجمع بين الفوائت وبين الفائتة والمؤداة، ويجوز أن يجمع المتيمم بين الفريضة ونوافل، لأن النوافل مما لا يمكن المنع عنها وفي تجديد التيمم لكل واحدة منها حرج عظيم.

قلت: وقال أصحابنا: مع قولهم بأنه يؤدي بالتيمم الواحد ما شاء من الفرائض أن الأولى إعادته لكل فرض خروجاً من الخلاف فيه والله أعلم.

تنبيه:

ذكر المصنف في الوجيز: للتيمم سبعة أركان. **الأوّل:** التراب. **الثاني:** القصد إلى الصعيد. **الثالث:** نقل التراب الممسوح به الى العضو. **الرابع:** نية استباحة الصلاة. **والخامس:** استيعاب الوجه بالمسح. **السادس:** مسح اليدين إلى المرفقين. **السابع:** الترتيب. وقال جماعة من الأصحاب أركان التيمم وفروضه خمسة، وحذفوا الركن الأولى والثاني وهو أولى. أما الركن الأوّل، فلأنه ما ساقه إلا للكلام على التراب المتيمم به ولو حسن عد التراب ركناً في التيمم لحسن عدّ الماء ركناً في الوضوء والغسل، وأما الركن الثاني؛ فلان القصد داخل في النقل وحذف بعضهم النقل أيضاً واقتصروا على أربعة، والأكثرون عدّوه ركناً، وزاد بعضهم في الأركان طلب التراب وليس ذلك من نفس التيمم، فإن المريض يتيمم كالمسافر والطلب مخصوص بالمسافر، وما يختص به بعض المتيممين لا يكون من نفس مطلق التيمم.

قلت: وعند أصحابنا شروط صحة التيمم ثمانية. **الأوّل:** النية. **والثاني:** العذر المبيح للتيمم. **والثالث:** أن يكون بطاهر من جنس الأرض. **والرابع:** استيعاب المحل بالمسح. **والخامس:** أن يمسح بجميع اليد أو بأكثرها. **والسادس:** أن يكون بضربتين[1]. **والثامن:** زوال ما يمنع المسح على البشرة كشمع وشحم، واختلفوا في الموالاة والترتيب فقال أبو حنيفة: هما سنّتان. وقال مالك: تجب الموالاة دون الترتيب، وقال الشافعي: يجب الترتيب قولاً واحداً كما سبق، وعنه في الموالاة قولان جديدهما أنها ليست واجبة وكلها مسنونة. وقال أحمد: يجب الترتيب رواية واحدة، وعنه في الموالاة روايتان إحداهما هي واجبة والأخرى مسنونة.

(١) هكذا بالنسخ باعقاب السادس الثامن واسقاط السابع تأمل اهـ مصححه.

القسم الثالث في النظافة

التنظيف عن الفضلات الظاهرة وهي نوعان أوساخ وأجزاء:

النوع الأول:

الأوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية:

الأول: ما يجتمع في شعر الرأس من الدرن والقمل، فالتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين إزالة للشعث عنه، وكان ﷺ يدهن الشعر ويرجله غباً ويأمر به، ويقول عليه الصلاة والسلام: «ادهنوا غباً» وقال عليه الصلاة والسلام:

القسم الثالث
في النظافة

لما فرغ من بيان طهارة الخبث وطهارة الحدث شرع في بيان طهارة الفضلات فقال: هو (**التنظيف عن الفضلات الظاهرة وهي**) أي الفضلات (**نوعان أوساخ**) تطرأ من خارج، (**وأجزاء**) من نفس البدن.

(**النوع الأول: الأوساخ**) جمع وسخ وهو ما يتعلق بالثوب والبدن من قلة التعهد، (**و**) يلحق بها (**الرطوبات المترشحة**) وهي النداوات التي ترشح من الجسد، فتارة تلتصق به، وتارة تنعقد فيكون لها جرم (**وهي ثمانية**).

(**الأول: ما يجتمع في شعر الرأس من الدرن**) محركة الوسخ، وظاهر سياق أهل اللغة انهما مترادفان. وقيل: الدرن خاص بما تولد من البدن بخلاف الوسخ، فإنه أعم من ذلك، (**والقمل**) بفتح فسكون معروف ويتولد من الأعراق إذا لم تتعهد بالغسل، (**فالتنظيف عنه مستحب بالغسل**) بالماء وحده أو مع نحو صابون وخطمي ونحوهما، (**والترجيل**) وهو التمشيط، (**والتدهين**) أي استعمال الدهن (**إزالة للشعث**) وهو انتشار الشعر وتغيره وتلبده لقلة تعهده بالدهن والتسريح، (**وكان رسول الله ﷺ يدّهن الشعر**) بتشديد الدال (**ويرجله**) أي يسرحه (**غباً**) أي يفعله وقتاً ويتركه وقتاً، وأصل الغب ورود الإبل الماء يوماً وتركه يوماً، ثم استعمل في المعنى المذكور (**ويأمر به ويقول: «ادهنوا غباً»**) وأخرج الترمذي في الشمائل باسناد ضعيف من حديث أنس: «كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته» وفيه أيضاً بإسناد حسن من حديث صحابي لم يسم رفعه «كان يترجل غباً» وأما قوله: «ادهنوا غباً» فقال ابن الصلاح: لم أجد له أصلاً وقال النووي غير معروف، وعند أبي داود والترمذي والنسائي من حديث عبدالله بن مغفل «النهي عن الترجل إلاّ غباً» باسناد صحيح قاله العراقي. قال ابن حجر في شرح الشمائل: وإنما نهى عن الترجل إلا غباً لأن إدمانه يشعر بمزيد الإمعان في

« من كان له شعرة فليكرمها » أي ليصنها عن الأوساخ، ودخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال: « أما كان لهذا دهن يسكن به شعره » ثم قال: « يدخل أحدكم كأنه شيطان ».

الثاني: ما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن، والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصماخ، فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فإن كثرة ذلك ربما تضر بالسمع.

الثالث: ما يجتمع في داخل الأنف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار.

الرابع: ما يجتمع على الأسنان وطرف اللسان من القلح فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما.

الزينة والترفه، وذلك إنما يليق بالنساء لأنـه ينافي شهامة الرجال. **(وقال ﷺ: « من كانت له شعرة فليكرمها » أي ليصنها)** أي ليحفظها **(عن الأوساخ)**. وأخرج أبو داود من حديث أبي هريرة بلفظ. « من كان له شعر فليكرمه » وليس اسناده بالقوي، **(ودخل عليه ﷺ (رجل ثائر الرأس)** منتشر شعره **(أشعث اللحية)** أي متلبدها **(فقال ﷺ: « أما كان لهذا دهن يسكن به شعره » ثم قال ﷺ: « يدخل أحدكم كأنه شيطان »)**. قال العراقي: أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر باسناد جيد اهـ. جعله شيطاناً في كمال بشاعته وشناعة هيئته، ومن عادة العرب كل شيء رأوه مستشنعاً شبهوه بالشيطان.

(الثاني: ما يجمع من الوسخ في معاطف الأذن) أي ما يلتوى منها **(والمسح)** بالماء في الوضوء **(يزيل ما يظهر منه)**، وقد تقدم في الوضوء. **(و)** أما **(ما يجتمع في قعر)** أي داخل **(الصماخ)** وهو ثقب الأذن **(فينبغي أن ينظف برفق)** وتؤدة وسكون **(عند الخروج من الحمام)** لأنه يلين إذ ذاك فيسهل خروجه وذلك بطرف الخلال، **(فإن كثرة ذلك)** الوسخ في ذلك الموضع **(ربما يضر بالسمع)** أي يحجبه، ولذا أمرنا بتنظيفه.

(الثالث: ما يجتمع داخل الأنف) في جوانبها **(من الرطوبات المنعقدة)** النازلة من الدماغ **(الملتصقة بجوانبها)** كالقشور الرقيقة خصوصاً من تعود بسعوط شيء من المتشوقات، فإنها تبقى غالباً في الأنف بقايا مع ما ينزل من الرطوبات البلغمية من حرارة التنشق فيلتصق ويجمد **(ويزيلها الاستنشاق)** وهو جـذب الماء إلى الأنـف بقـوّة النفس، **(والاستنثـار)** وهـو نثر الماء المذكور من الأنف بقوّة النفس وإن احتاج الأمر إلى ادخال أصبع لتنقية ما فيها فلا بأس.

(الرابع: ما يجتمع على الأسنان وأطراف اللسان) من يمين وشمال **(ومن القلح)** وهو محرك الصفرة والخضرة **(ويزيله السواك)** أي فعله طولاً وعرضاً على الأسنان وعلى اللسان،

الخامس: ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتعهد ويستحب إزالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط. وفي الخبر المشهور أنه ﷺ: « كان لا يفارقه المشط والمدري والمرآة في سفر ولا حضر » وهي سنة العرب. وفي خبر غريب « أنه ﷺ كان يسرح لحيته في اليوم مرتين » وكان ﷺ كث اللحية، وكذلك كان أبو بكر، وكان عثمان

(**و**) كذلك (**المضمضة**) فإنها بعد السواك لا تبقى شيئاً من التغيرات (**وقد ذكرناهما**) في الوضوء.

(**الخامس: ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل إذا لم يتعهد**) بدهن أو تسريح فيتلبد بعضها على بعض، (**ويستحب إزالة ذلك بالغسل**) بالماء (**والتسريح بالمشط**) فإن كان ذلك بعد الوضوء فحسن. (**وفي الخبر المشهور أنه ﷺ: « كان لا يفارقه المشط والمدري في سفر ولا حضر »**) قال العراقي: أخرج ابن طاهر في كتاب صنعة التصوّف من حديث أبي سعيد « كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه ». ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة واسنادهما ضعيف، وسيأتي في آداب السفر مطوّلاً اهـ.

قلت: قال الحافظ ابن حجر: حديث عائشة عند الخطيب في الكفاية من الوجه الذي أخرجه الطبراني وفيه « المشط والمدري » وفي بعض نسخ الكتاب بعد قوله « والمدري والمرآة ». قلت: وعند العقيلي من حديث عائشة « كان لا يفارقه في الحضر ولا في السفر خمس المرآة والمكحلة والمشط والمدري » وفي اسناده يعقوب بن الوليد الأزدي. قال في الميزان: كذبه أبو حاتم ويحيى، وحرق أحمد حديثه وقال: كان يضع الحديث. ورواه الخرائطي من حديث أم سعد الأنصارية وسنده ضعيف أيضاً، وأعله ابن الجوزي من جميع طرقه.

قال المصنف: (**وهي سنّة العرب**) أي هذه الأشياء مما يحافظون على ملازمتها سفراً وحضراً، وكان النبي ﷺ يفعل ذلك. والمدري كمنبر القرن الذي يحك به الرأس، يقال: أدرى رأسه إذا حكه به، ويعني بقوله المشهور أي المستفيض على ألسنة الناس لا المعنى الإصطلاحي. (**وفي خبر غريب أنه ﷺ: « كان يسرح لحيته في اليوم مرتين »**) وفي بعض النسخ في كل يوم مرتين. لم يرد الحديث بهذا اللفظ، ومعناه في حديث أنس المتقدم بذكره عند الترمذي في الشمائل كان يكثر تسريح لحيته، وللخطيب في الجامع من حديث الحكم مرسلاً كان يسرح لحيته بالمشط، ولما كان ظاهره يضاد ما سبق كان يترجل غباً جعله غريباً ولم يرد منه المعنى الاصطلاحي بدليل قوله فيما بعد، وفي حديث أغرب منه: (**وكان ﷺ: « كث اللحية »**) أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة، وأبو نعيم في الدلائل من حديث علي، وأصله عند الترمذي، ومعنى « كث اللحية » أي عظيمها ومجتمعها أو كثيرها في غير طول ولا رقوقة. (**وكذلك كان أبو بكر**) رضي الله عنه كما ذكر في حليته الشريفة، (**وكان عثمان**)

طويل اللحية رقيقها، وكان علي عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه. وفي حديث أغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها: «اجتمع قوم بباب رسول الله ﷺ فخرج إليهم فرأيته يطلع في الحب يسوّي من رأسه ولحيته، فقلت: أو تفعل ذلك يا رسول الله؟ فقال: نعم إن الله يحب من عبده أن يتجمل لاخوانه إذا خرج إليهم» والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس قياساً على أخلاق غيره وتشبيهاً للملائكة بالحدادين وهيهات! فقد كان ﷺ مأموراً بالدعوة، وكان من وظائفه أن يسعى في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم ويحسن صورته في أعينهم كيلا تستصغره أعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم. وهذا القصد

رضي الله عنه (**طويل اللحية رقيقها**) والطول والرقوقة يباين الكثوثة، وكان أهل مصر يشبهونها بلحية نعثل رجل من اليهود كان بمصر يعيبون عليه بذلك، (**وكان علي**) رضي الله عنه (**عريض اللحية**) عظيمها (**قد ملأت ما بين منكبيه**) لكثرة شعرها، ومع ذلك كان رضي الله عنه قصير القامة. (**وفي حديث أغرب منه**) أي أكثر غرابة مما ذكر (**قالت عائشة رضي الله عنها: إجتمع قوم**) من الأعراب (**بباب رسول الله ﷺ**) أي ينظرون خروجه فخرج إليهم (**فرأيته يطلع**) أي بوجهه الشريف (**في الحب**) بالضم وهو وعاء كالخابية فيها ماء (**يسوي من رأسه ولحيته**) أي يصلح شعرهما بالتسوية. قالت عائشة (**فقلت: أو تفعل ذلك يا رسول الله**)؟ كأنها تستفهم رسول الله ﷺ متعجبة من فعله وما كانت قبل ذلك رأته يفعل مثل ذلك.)(**فقال: «نعم إن الله يحب من عبده أن يتجمل لأخوانه**) أي يريهم أثر جمال الله (**إذا خرج إليهم»**) قال العراقي: أخرجه ابن عدي في الكامل، وقال: حديث منكر اهـ. وكأنه ﷺ كان مستعجلاً في الخروج إليهم، ولذا لم يلتفت إلى المرآة ينظر فيها وجهه الشريف، ونظر في الحب لصفاء مائه بل هو يرى أحسن من المرآة ويحكى الوجه كما هو بلونه، ولذا اتخذ الملوك ديدنهم في الرؤية فيه بدلاً عن المرآة. (**والجاهل**) بمعارف العلوم والأسرار الخفية (**ربما يظن**) بحدسه (**أن ذلك الفعل**) منه ﷺ (**من حيث التزين**) أي إظهار الزينة (**للناس**) أي ليروه مزيناً (**قياساً على أخلاق غيره**) ﷺ لعدم تمييزه (**وتشبيهاً للملائكة**) العلويين (**بالحدادين**) المستفلين. (**وهيهات**): فما أبعد ظنه، (**فقد كان ﷺ مأموراً بالدعوة**) أي بدعاء الخلق إلى الله تعالى، وحيث ثبتت نبوّته ثبتت دعوته، وأخرج أبو يعلى، وابن عدي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفعه «بعثت داعياً ومبلغاً» الحديث واسناده ضعيف، (**وكان من**) جلة (**وظائفه أن يسعى في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم**) أي أولئك المدعوّين (**كيلا تزدريه**) أي تحتقره (**نفوسهم**) وتشمئز منه، (**و**) أن (**يحسن صورته**) الظاهرة (**في أعينهم**) فيروه على أعلى مراتب الجمال (**كيلا تستصغره**) أي تستذله (**أعينهم**) عند وقوع الرؤية عليه (**فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم**)

واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق إلى الله عز وجل، وهو أن يراعي من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه. والاعتماد في مثل هذه الأمور على النية فإنها أعمال في أنفسها تكتسب الأوصاف من المقصود، فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية اظهاراً للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلاً بما هو أهم منه

إتباعاً لهم لعدم تمكين نور الإيمان في قلوبهم. قال القاضي عياض في الشفاء: الأنبياء منزهون عن النقائص في الخلق والخلق، سالمون من المعايب ولا يلتفت إلى ما قاله من لا تحقيق عنده في هذا الباب من أصحاب التاريخ في صفات بعضهم وإضافة بعض العاهات إليهم، فالله تعالى قد نزههم عن ذلك ورفعهم عن كل ما هو عيب ونقص مما يغض العيون وينفر القلوب.

وكذا ذكر النووي والقرطبي في شرح الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رفعه «كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده». الحديث. قال العراقي في شرح التقريب: وقد يقال دل الحديث على سلامته عليه السلام مما نسبوه إليه، وأما كونه يجب تنزيهه وتنزيه غيره من الأنبياء من هذا العيب وغيره، فهو مقرر من خارج وفي أخذه من هذا الحديث نظر. وذكر القرطبي هذا الكلام وقيده بقوله في أول خلقهم، ثم قال: ولا يعترض علينا بعمى يعقوب وبابتلاء أيوب، فإن ذلك كان طارئاً عليهم محبة لهم وليقتدي بهم من ابتلى ببلاء في حالهم وصبرهم، وفي أن ذلك لم يقطعهم عن عبادة الله تعالى، ثم إن الله تعالى أظهر كرامتهم ومعجزتهم بأن أعاد يعقوب بصيراً عند وصول قميص يوسف له، وأزال عن أيوب جذامه وبلاءه عند اغتساله من العين التي أنبع الله له عند ركضه الأرض برجله، فكان ذلك زيادة في معجزاتهم وتمكيناً في كمالهم ومنزلتهم.

ثم قال المصنف: (**وهذا القصد واجب على كل عالم**) من علماء الآخرة (**تصدى لدعوة الخلق إلى الله عز وجل**) أي: قام يدعوهم إلى الله بإرشاده وتسليكه وتهذيبه لنفوسهم وفطمها عن شهواتها الخسيسة، وإنما قيدت العالم بكونه من علماء الآخرة لأن علماء الدنيا الذين بصدد تحصيل الحطام يعلمون الناس العلوم الظاهرة ليسوا في مقام الدعوة والإرشاد، فإن نفوسهم قد جبلت على الشهوات المذمومة ورسخت فيهم أوصاف الكبر والحقد والغل، فهم ومن يتبعهم في الظاهر على شفا جرف، (**وهو أن يراعي من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه**)، فمن ذلك الإقتصاد في الملابس والمطاعم وسائر الأفعال، ويدخل في هذا أن لا يقضي بنفسه حوائج السوق من خبز عجين وشراء لحم وغيره مما ينسب لإنسان في مثله إلى دناءة وقلة مروة، مع أن هذا وأمثاله كان من سيرة السلف الصالحين، ولكن الآن مما يوجب نفرة الناس عنه وينسب إلى بخل ودناءة، فينبغي تركه ليسلم من ألسنة الناس، وهذا ظاهر في زماننا ولا ينبئك مثل خبير، (**والإعتماد في مثل هذه الأمور على النية**) فإن لكل امرىء ما نوى (**فإنها أعمال في أنفسها تكتسب الأوصاف من المقصود فالتزين**) للناس (**على هذا القصد**) الحسن (**محبوب**) شرعاً (**وترك الشعث في اللحية**) بعدم تسريحها (**إظهاراً للزهد**) والتقشف (**وقلة المبالاة**

محبوب. وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عز وجل. والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال، وكم من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتاً إلى الخلق، وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم أن قصده الخير، فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم إرغام المبتدعة والمجادلين والتقرب إلى الله تعالى به. وهذا أمر ينكشف يوم تبلى السرائر، ويوم يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور، فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرجة، فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر.

بالنفس) بعدم مراعاة أحوالها (**محذور**)، فإنه إنما ترك ذلك لأجل أن يقال أنه على قدم السلف الصالح ويرى من نفسه ذلك، (**و**) أما (**تركه شغلاً بما هو أهم منه**) من التوجه لتطهير الباطن، فإنه (**محبوب**). ومن ذلك قيل لداود الطائي: لم لا تسرح لحيتك؟ قال إني إذاً لفارغ أشار بذلك إلى أنه مشغول فيما هو أهم وقال بشر: لو دخل عليَّ داخل ففسحت لأجله لظننت أني مشرك. وحاصل القول أن هؤلاء السادة كانوا مشغولين بتطهير البواطن عن الرذائل متطلعين إلى ما يقربهم إلى الله تعالى، ولم يكونوا مأمورين بدعوة الخلق إلى الله تعالى، ولذا كانوا يخافون في تزيين الظواهر من الوقوع في الشرك الخفي والرياء، وأما المقام المحمدي فمقتضاه ما ذكره المصنف: له وجه إلى الحق ووجه إلى الخلق، فبالوجه الذي إلى الخلق يلزمه مراعاة ما يناسب مقام أهل الظاهر بأن يكون مكملاً حسن الأوصاف والشمائل لئلا تنفر عنه القلوب وتنبو عنه العيون، وبالوجه الذي إلى الحق فإنه لا يسعه فيه من مراعاة أحوال الظاهر لاشتغاله بما هو أهم وهذا هو الحق والله أعلم.

(**وهذه**) وأمثالها (**أحوال باطنة بين العبد وبين الله عز وجل**) لا يطلع عليها أحد سواه (**والناقد بصير**) لا يشذ عن علمه شيء (**والتلبيس**) والنفاق (**غير رائج عليه بحال**) من الأحوال، (**وكم من جاهل يتعاطى هذه الأمور إلتفاتاً إلى الخلق**) وإظهاراً لهم (**وهو يلبس على نفسه**) بالتسويلات (**وعلى غيره**) بالإرهاصات، (**ويزعم أن قصده الخير**) وأنه يتشبه بذلك بالسلف وباطنه مع ذلك مغمور بداء الجهل والشيطان مستول على قلبه، (**فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة**) ويطيلون أكمامها وذيولها ويكبرون العمائم ويركبون على المراكب الفارهة وفي منازهم الحشم والغلمان (**ويزعمون أن قصدهم**) بذلك (**إرغام المبتدعة و**) إدحاض حجة (**المجادلين**) من مخالفي مذهبهم لئلا يحتقروهم (**والتقرب إلى الله تعالى به**) باعتبار أنه تعظيم للعلم، (**و**) لعمري (**هذا**) من جملة تسويلات الشيطان عليهم حيث استولى عليهم بالكلية فأخرجهم عن دائرة المعرفة إلى مهاوي الجهل وأراهم القبيح حسناً وهو أمر مستور عن العيون محجوب عن الإحساس لا (**ينكشف**) إلا (**يوم تبلى السرائر**) وتمتحن الضمائر، (**ويوم يبعثر في القبور**) أي يدحرج ما فيها من الأموات (**ويحصل ما في الصدور**) من النيات، (**فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من البهرج**) المغشوش. (**فنعوذ بالله من لخزي**) والفضيحة (**يوم العرض الأكبر**) على الله عز وجل.

السادس: وسخ البراجم وهي معاطف ظهور الأنامل، كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام، فيجتمع في تلك الغضون وسخ فأمرهم رسول الله ﷺ بغسل البراجم.

السابع: تنظيف الرواجب. أمر رسول الله ﷺ العرب بتنظيفها وهي رؤوس الأنامل وما تحت الأظفار من الوسخ، لأنها كانت لا يحضرها المقراض في كل وقت

(**السادس: وسخ البراجم**) أي الوسخ الكائن بها (**وهي**) أي البراجم (**معاطف ظهور الأنامل**) وفي المصباح: هي رؤوس السلاميات من ظهر الكف إذا قبض الشخص كفه نشزت وارتفعت الواحدة برجة مثال بندقة. وقال العراقي: هي عقد الأصابع التي بظاهر الكف. (**كانت العرب لا تكثر غسل ذلك**) أي لا تعتني بها (**لتركها غسل اليد عقيب الطعام**) لأنهم كانوا يمسحون أياديهم بعد الطعام بالحصباء وبأثوابهم كما تقدم (**فيجتمع في تلك الغضون**) أي الاثناء لا محالة (**وسخ**) ما ويجمد عليها، (**فأمرهم رسول الله ﷺ بغسل البراجم**) وتعاهدها بالماء. رواه الحكيم الترمذي في النوادر من حديث عبدالله بن بسر «نقوا براجكم» ولابن عدي في حديث لأنس «وأن يتعاهد البراجم إذا توضأ»، ولمسلم من حديث عائشة «عشر من الفطرة وفيه وغسل البراجم» قال العراقي في شرح التقريب: وفيه استحباب غسل البراجم. قال النووي: وهي سنة مستقلة ليست مختصة بالوضوء.

قلت وهو الذي يقتضيه ظاهر سياق المصنف، ولكن قال العراقي: الظاهر تنظيفها في الوضوء، ويدل له حديث أنس المتقدم عند ابن عدي «وأن يتعاهد البراجم إذا توضأ فإن الوسخ إليها سريع» وإسناده ضعيف، والذي رواه الحكيم من رواية عمر بن بلال قال: سمعت عبدالله بن بسر يقول، قال رسول الله ﷺ: «قصوا أظفاركم وادفنوا قلاماتكم ونقوا براجمكم» وعمر بن بلال ليس بمعروف.

(**السابع: تنظيف الرواجب**) وهي جمع راجبة. وقال كراع واحدتها رجبة بالضم وأنكره الأزهري فقال: ولا أدري كيف ذلك، فإن فعلة لا تكسر على فواعل قال في الكفاية: هي بطون السلاميات وظهورها. وفي القاموس: هي مفاصل أصول الأصابع أو بواطن مفاصلها، أو قصب الأصابع أو مفاصلها، أو ظهور السلاميات، وما بين البراجم من السلاميات أو المفاصل التي تلي الأنامل وقال ابن عدي: ومما يستحب تعاهده أيضاً ما بين عقد الأصابع من باطن الكف وتسمى الرواجب قاله أبو موسى المديني في ذيل الغريبين: (**أمر رسول الله ﷺ به العرب**) جاء ذلك في حديث ابن عباس أخرجه أحمد، وسيأتي لفظه للمصنف قريباً وفيه «ولا تنقون رواجبكم» وتفسير المصنف إياها مخالف لما نقله أئمة اللغة حيث قال: (**وهي رؤوس الأنامل**) وتقدم عن صاحب الكفاية هي بطون السلاميات، وعن أبي موسى المديني: هي ما بين عقد الأصابع من باطن الكف، وكذا قوله: (**وما تحت الأظفار من الوسخ**) فإن فهمه بعيد عن

فتجتمع فيها أوساخ، فوقت لهم رسول الله ﷺ قلم الأظفار، ونتف الإبط وحلق العانة أربعين يوماً، لكنه أمر رسول الله ﷺ بتنظيف ما تحت الأظفار، وجاء في الأثر: «أن النبي ﷺ استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبرائيل عليه السلام قال له: كيف ننزل عليكم

معنى الرواجب، وقد بنى عليه المصنف وعلله بقوله: **(لأنها)** أي طائفة العرب **(كانت لا يحضرها المقراض في كل وقت)** فيقصون بها أظافيرهم، **(فتجتمع فيها أوساخ)**. وكان المناسب ذكر هذا المعنى عند قص الأظفار فان غسل عقد الأصابع من الباطن والظاهر شيء، وتنقية الوسخ من تحت الأظفار شيء آخر فتأمل يظهر لك، **(فوقت لهم رسول الله ﷺ قلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أربعين يوماً)** هو عند مسلم من حديث أنس: «وقت لنا في قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة أن لا يترك أكثر من أربعين ليلة» وهكذا أخرجه ابن ماجة بلفظ: «وقت» على البناء للمفعول وحكمه الرفع على الصحيح عند أهل الحديث والأصول، وقال أبو داود والنسائي والترمذي في هذا الحديث «وقت لنا رسول الله ﷺ» فصرح بالفاعل، وقد تكلم العقيلي وابن عبد البر في حديث أنس هذا، فقال العقيلي في الضعفاء في ترجمة جعفر بن سليمان الضبعي: في حديثه هذا نظر. وقال ابن عبد البر: لم يروه إلا جعفر بن سليمان وليس لحجة لسوء حفظه وكثرة غلطه. قال العراقي في شرح التقريب: قد تابعه عليه صدقة بن موسى الدقيقي، فرواه عن أبي عمران الجرني عن أنس. أخرجه كذلك أبو داود والترمذي، ولكن صدقة ضعيف، ورواه أيضاً عبدالله بن عمران عن أبي عمران كما سيأتي قال: وله طريق آخر رواه أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان في زياداته على سنن ابن ماجه من رواية علي بن زيد بن جدعان عن أنس. وابن جدعان أيضاً ضعفه الجمهور قال: وقد ورد حديث أنس هذا من وجه لا يثبت وفرق بين هذه الخصال في التوقيت، وهو ما رواه ابن عدي في الكامل في ترجمة أبي خالد إبراهيم بن سالم النيسابوري، ثنا عبدالله بن عمران شيخ مصري، عن أبي عمران الجوني عن أنس قال: «وقت رسول الله ﷺ أن يحلق الرجل عانته كل أربعين يوماً وأن ينتف إبطه كلما طلع، ولا يدع شاربيه يطولان، وأن يقلم أظفاره من الجمعة إلى الجمعة وأن يتعاهد البراجم إذا توضأ» الحديث. قال صاحب الميزان: وهو حديث منكر، وأصح طرقه طريق مسلم على ما فيها من الكلام وليس فيها تأقيت لما هو أولى، بل ذكر فيها أنه لا يزيد على أربعين. قال صاحب المفهم: هذا تحديد أكثر المدة. قال: والمستحب تفقد ذلك من الجمعة إلى الجمعة، وإلا فلا تحديد فيه للعلماء إلا أنه إذا كثر ذلك أزيل، وكذا قال النووي في شرح مسلم المختار أنه يضبط بالحاجة وطوله والله أعلم. **(لكنه أمر ﷺ بتنظيف ما تحت الأظفار)** إذا طالت واجتمعت تحتها أوساخ لما رواه الطبراني من حديث وابصة بن معبد سألت النبي ﷺ عن كل شيء حتى سألته عن الوسخ الذي يكون تحت الأظفار فقال: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» وسنده ضعيف. **(وجاء في الأثر «أن النبي ﷺ استبطأ الوحي فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له: كيف ننزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا**

وأنتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم، وقلحاً لا تستاكون. مُـرْ أمتك بذلك » والأفّ وسخ الظفر، والتف وسخ الأذن وقوله عز وجل: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ [الاسراء: ٢٣] تعبهما أي بما تحت الظفر من الوسخ، وقيل: لا تتأذ بهما كما تتأذى بما تحت الظفر.

الثامن: الدرن الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق، وذلك يزيله الحمام ولا بأس بدخول الحمام، دخل أصحاب رسول الله ﷺ حمامات الشام، وقال بعضهم: نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار. روي ذلك عن أبي

تستاكون مر أمتك بذلك ») رواه أحمد في مسنده من حديث ابن عباس، وفيه إسماعيل بن عياش من روايته عن الشاميين هي مقبولة ولفظه « أنه قيل له يا رسول الله لقد أبطأ عنك جبريل فقال: ولم لا يبطيء عني وأنتم لا تستنون ولا تقلمون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم ». (**والأف**) بالضم (**وسخ الظفر**) الذي حوله، والتف الذي فيه. وقيل: الأف قلامة الظفر، وقيل: ما رفعته من الأرض من عود أو قصبة (**والتف**) بالضم (**وسخ الأذن**) وقيل: بالعكس، ونقل عن الأصمعي وبكل ذلك فسر قولهم أفاً له وتفاً (**وقوله عز وجل: ﴿فلا تقل لهما أف﴾ [الأسراء: ٢٣] أي**) لا (**تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ**) وهو أحد معاني قول الله تعالى. (**وقيل لا تتأذى بهما كما تتأذى بما تحت الظفر**) من الأذى ولا تؤذيهما بمقدار ذلك. هكذا هو في القوت، والمشهور عند المفسرين أن « أف » كلمة تكره وتضجر. قال القتبي: لا تستثقل أي من أمرهما شيئاً وتضيق صدراً به ولا تغلظ لهما. **قال:** والناس يقولون لما يستثقلون ويكرهون « أف له » وأصل هذا نفخك للشيء يسقط عليك من تراب أو رماد وللمكان تريد إماطة الأذى عنه فقيلت لكل مستثقل. وقال الزجاج: المعنى لا تقل لهما ما فيه أدنى تبرم إذا كبرا أو أسنّا بل تولَّ خدمتهما.

(**الثامن: الدرن الذي يجتمع على جميع البدن**) ما ظهر منه وما خفي (**برشح العرق**) وإسالته (**وغبار الطريق**) فإذا ركب الغبار على العرق جد في الحال وصار منه ذلك الدرن، وقد يتحصل من جمود العرق بنفسه من غير غبار، (**وذلك يزيله**) دخوله في (**الحمام**) وهو بيت الحميم للماء المسخن، وقد استحم الرجل اغتسل بالماء الحميم، ثم كثر حتى استعمل الإستحمام في كل ماء والمحم بكسر الميم القمقم، (**لا بأس بدخول الحمام**) الكائن في الأسواق شرعاً، وقد (**دخل أصحاب رسول الله ﷺ حمامات الشام**) حين فتحت في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. منهم: أبو هريرة، أبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري، وابن عمر وغيرهم رضي الله عنه. (و) قد اختلفت مواجيدهم في دخوله وكل فيه قدوة وهدى. (**قال بعضهم**) : أي من الأصحاب في الترغيب (**نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار. روي ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما**) فذكر الصغاني في تكملة

الدرداء، وأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنهما. وقال بعضهم: بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء. فهذا تعرض لآفته وذاك تعرض لفائدته ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته. ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات.

فعليه واجبان في عورته، وواجبان في عورة غيره. أما الواجبان في عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى أمرها وإزالة وسخها إلا

الصحاح عن أبي الدرداء أنه كان يدخل الحمام ويقول: نعم البيت الحمام يذهب بالصنة ويذكر النار اهـ.

قلت: قد روي ذلك عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «نعم البيت الحمام فإنه يذهب بالوسخ ويذكر الآخرة». أخرجه ابن منيع في مسنده عن عمار بن محمد عن يحي بن عبيد الله بن وهب، عن أبيه، عن أبي هريرة ويحي ضعيف. كذا في المقاصد. وروى الحكيم الترمذي في نوادره، وابن السني في عمل يوم وليلة، وابن عساكر في التاريخ من حديث أبي هريرة بلفظ: «نعم البيت يدخله الرجل المسلم بيت الحمام» وذلك أنه إذا دخله سأل الله الجنة واستعاذ بالله من النار. (**وقال بعضهم**) أي من أصحاب رسول الله ﷺ في الترهيب: (**بئس البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء**) وقد روي ذلك مرفوعاً من حديث عائشة، وابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، فلفظ حديث عائشة: «بئس البيت الحمام بيت لا يستر وماء لا يطهر» أخرجه البيهقي في السنن. ولفظ حديث ابن عباس: «بئس البيت الحمام ترفع فيه الأصوات وتكشف فيه العورات» أخرجه ابن عدي في الكامل. قال المناوي في شرح الجامع الصغير: أما حديث عائشة فأخرجه البيهقي من حديث يحي بن أبي طالب عن أبي جناب عن عطاء عنها. ويحي أورده الذهبي في ذيل الضعفاء وقال: وثقه الدارقطني، وقال موسى بن هارون: أشهد أنه يكذب وأبو جناب هو يحي بن أبي خية. قال الذهبي: ضعفه النسائي والدارقطني. قال المناوي: ومن ثم أورد ابن الجوزي الحديث في الواهيات وقال: لا يصح. وأما حديث ابن عباس فأخرجه ابن عدي، وفي إسناده صالح بن أحمد القيراطي. قال الذهبي في الميزان. قال الدارقطني: متروك كذاب دجال أدركناه ولم نكتب عنه. وقال ابن عدي: يسرق الحديث ثم ساق له هذا الخبر، (**فهذا**) القائل (**تعرض لآفته**) وهي إبداء العورة وكشفها وإذهاب الحياء بكثرة التطلع إلى عورات الناس (**وذاك**) القائل (**تعرض لفائدته**) من تطهير البدن وتذكير نار الآخرة (**ولا بأس بطلب فائدته**) إن أمكن (**عند الإحتراز من آفته**) كتطهير البدن مع غض البصر، (**ولكن على داخل الحمام وظائف**) مقررة (**من السنن والواجبات**) أي منها ما يقوم مقام السنة، ومنها ما يقوم مقام الواجب.

(**فعليه واجبان في عورته**) نفسه الأول: (**وهو أن يصونها**) أي يحفظها (**عن نظر الغير**) إليها بأن لا يكشفها حتى يقع نظر الغير عليها سواء كان من قريب أو بعيد، (**و**)

بيده، ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة إلى العانة، وفي إباحة مس ما ليس بسوءة لإزالة الوسخ احتمال، ولكن الأقيس التحريم إذا ألحق مس السوأتين في التحريم بالنظر، فكذلك ينبغي أن تكون بقية العورة أعني الفخذين.

والواجبان في عورة الغير أن يغض بصر نفسه عنها وأن ينهي عن كشفها لأن النهي عن المنكر واجب، وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر إلا لخوف ضرب أو شتم أو ما يجري عليه مما هو حرام في نفسه، فليس عليه أن ينكر حراماً يرهق المنكر عليه إلى مباشرة حرام آخر. فأما قوله: أعلم أن ذلك لا يفيد ولا يعمل به، فهذا لا يكون عذراً بل لا بدّ من الذكر، فلا يخلو قلب عن التأثر من سماع

الثاني: أن (**يصونها عن مس الغير**) لها (**فلا يتعاطى**) أي لا يتناول (**أمرها وإزالة وسخها إلا بيده**) من تحت الحائل، (**ويمنع الدلاك**) وهو البلان (**من مس الفخذ**) بيده (**وما بين السرة إلى العانة**). وقد ورد في الحديث عند البخاري الفخذ عورة، وعند أحمد غط فخذك فإنها عورة وما بين السرة إلى العانة ملحق بالعورة كما يأتي قريباً في كلام المصنف. (**وفي إباحة مس ما ليس بسوأة لإزالة الوسخ احتمال**) في الجواز وعدمه، (**ولكن الأقيس**) أي الأشبه بالقياس أو أقيس القولين (**التحريم إذا لحق مس السوأتين في التحريم بالنظر**) فكما أنه لا يجوز النظر إليه كذلك لا يجوز مسه، (**فكذلك ينبغي أن تكون بقية العورة**) في تحريم النظر والمس.

(**والواجب**) على الداخل في الحمام (**في**) حق (**عورة الغير**) أولاً: (**أن يغض بصر نفسه عنها**) بعدم التطلع لها إن وجدها مكشوفة. وثانياً: (**أن ينهي**) ذلك الرجل (**عن كشفها**) ولا يسكت (**لأن النهي عن الكشف واجب**) لأنه من جملة النهي على المنكر، (**وعليه ذكر ذلك**) لساناً (**وليس عليه القبول**) أي ليس من شرط النهي عن المنكر أن يقبل المخاطب النهي أو الأمر، (**ولا يسقط عنه وجوب الذكر**) بحال من الأحوال (**إلا لخوف ضرب**) من المخاطب أو بعد الخروج منه، (**أو**) خوف (**شتم**) يصدر منه في حقه (**أو ما يجري عليه مما هو حرام في نفسه**) مما هو أشد من كشف العورة (**فليس**) واجباً (**عليه أن ينكر حراماً يزهق**) أي يلجىء (**المنكر عليه إلى مباشرة حرام آخر**) فيوقعه في حرج شديد، (**فأما قوله**) أنا (**أعلم أن ذلك**) الانكار عليه والنهي عما هو فيه (**لا يفيد**) فيه (**ولا يعمل به**) كما هو ديدن الناس اليوم، (**فهذا لا يكون عذراً**) مسقطاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (**بل لا بد من الذكر**) باللسان والتصريح به، لكن بشرط أن يكون بنية إقامة الواجب عارياً عن عداوة أو غرض، وأن يكون بمداراة واستمالة قلب بأن يذكر له أن العلماء صرحوا بأن كشف العورة حرام وأن الناظر إليها ملعون، والذي يتسبب لكشفها كذلك ملعون وليتجنب عن الغلظة في الخطاب ليكون ادعى للقبول وأقرب إلى الاذعان وإن كان يحصل المقصود بالتلويح والتعريض من قبيل إياك أعني فاسمعي يا جارة فلا بأس بذلك، (**فلا يخلو**

الإنكار واستشعار الاحتراز عند التعيير بالمعاصي وذلك يؤثر في تقبيح الأمر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه، ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الأوقات إذ لا تخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السرة إلى ما فوق العانة، إذ الناس لا يعدونها عورة وقد ألحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها، ولهذا يستحب تخلية الحمام. وقال بشر بن الحرث: ما أعنف رجلاً لا يملك إلا درهماً دفعه ليخلي له الحمام. ورؤي ابن عمر رضي الله عنهما في الحمام ووجهه إلى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة. وقال بعضهم: لا بأس بدخول الحمام ولكن بازارين: إزار للعورة وإزار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه.

قلب) من قلوب المؤمنين **(عن التأثر من سماع الإنكار)** والمبادرة لقبوله **(واستشعار الإحتراز عند التعيير)** أي التعييب **(بالمعاصي)** أي إذا عير الإنسان بمعصية فإنه لا محالة يستشعر الإحتراز عنها لما جبلت النفوس على الفرار من تعييرها بها، **(وذلك يؤثر في تقبيح الأمر في عينه)** وتحسينه لتركه **(وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه)** لأجل ذلك، **(ولمثل هذا)** وأمثاله في المنكرات **(صار الحزم)** والرأي الصائب **(ترك دخول الحمام في هذه الأوقات)** وهذا في زمانه فكيف في زماننا، ومن قبل هذا الوقت فقد صار المعروف منكراً والمنكر معروفاً ولا حول ولا قوة إلا بالله. **(إذ لا يخلو عن عورات مكشوفة)** غالباً ولو من خدمة الحمام فإنهم لا يبالون فيها **(لا سيما ما تحت السرة إلى ما فوق العانة)** وهي منبت الشعر **(إذ الناس لا يعدونها عورة)** فلا ينفكون عن كشفها، **(وقد ألحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها)** ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه، وفي بعض النسخ بتذكير الضمير في المواضع الثلاثة، **(ولهذا يستحب تخلية الحمام)** بأجرة معينة. **(وقال بشر بن الحرث)** الحافي رحمه الله تعالى: **(ما أعنف)** من التعنيف ويوجد في بعض النسخ ما أعرف وهو غلط **(رجلاً لا يملك إلا درهماً دفعه)** للحمامي **(ليخلي له الحمام)** أي استحسن فعله ذلك ولا أعنف عليه إذ قصده جميل، وكان بشر يعطي ليخلي له الحمام، وكان يغلقه عليه من داخل ومن خارج. **(ورؤي ابن عمر رضي الله عنهما في الحمام ووجه إلى الحائط وقد عصب)** أي ربط على **(عينيه بعصابة)** خوفاً من وقوع بصره على ما يحرم النظر إليه. **(وقال بعضهم: لا بأس بدخول الحمام ولكن بإزارين إزار للعورة)** يستر به عليها بأن يشده فوق سرته ويرخيه إلى أسافل الساقين، **(وإزار للرأس يتقنع به)** أي يجعله كقناع المرأة على رأسه **(ويحفظ عينيه)** ويروى في مناقب الإمام أبي حنيفة أنه دخل الحمام مرة عاصباً على عينيه، فقال له بعض المتهورين: متى عميت عينك يا إمام؟ فقال: مذ كشفت عورتك؟ وأورده صاحب القوت ونسبه إلى الأعمش قال: دخل الأعمش الحمام فرأى عرياناً فغمض عينيه وجعل يلتمس الحيطان فقال له العريان: متى كف بصرك يا هذا؟ فقال: منذ هتك الله سترك.

تنبيه:

قال العراقي: يباح كشف العورة في الخلوة في حالة الإغتسال مع إمكان التستر، وبه قال الأئمة الأربعة وجمهور العلماء من السلف والخلف، وخالفهم ابن أبي ليلى فذهب إلى المنع منه واحتج بما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «لا تدخلوا الماء إلا بمئزر فإن للماء عامراً». وهو حديث ضعيف لا يصح الإحتجاج به، وإن صح فهو محمول على الأكمل وذكر ابن بطال بإسناد فيه جهالة أن ابن عباس لم يكن يغتسل في بحر ولا نهر إلا وعليه إزار، فإذا سئل عن ذلك قال: إن له عامراً. قال وروى برد عن مكحول عن عطية عن النبي ﷺ قال: من اغتسل بليل في فضاء فليتحاذر على عورته ومن لم يفعل ذلك فأصابه لم فلا يلومن إلا نفسه» وفي مرسلات الزهري، عن النبي ﷺ قال: «لا تغتسلوا في الصحراء إلا أن تجدوا متوارى، فإن لم تجدوا متوارى فليخط أحدكم كالدائرة ثم يسمي الله ويغتسل فيها وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أبي موسى الأشعري قال: إني لأغتسل في البيت المظلم فاحنى ظهري إذا أخذت ثوبي حياء من ربي، وعنه أيضاً: ما أقمت صلبي في غسلي منذ أسلمت.

فصل

وفي المدخل لابن الحاج قال ابن رشد في معنى كراهة مالك الغسل من ماء الحمام ثلاث معان.

أحدها: أنه لا يأمن من أن تنكشف عورته فيراها غيره، أو تنكشف عورة غيره فيراها هو إذ لا يكاد يسلم من ذلك من دخله مع الناس لقلة تحفظهم، وهذا إذا دخل مستتر مع مستترين، وأما من دخل غير مستتر أو مع من لا يستتر فلا يحل ذلك، ومن فعله فذلك جرحة في حقه وقدح في شهادته.

المعنى الثاني: أن ماء الحمام غير مصان عن الأيدي والغالب أن يدخل يده فيه من لا يتحفظ من النجاسات مثل الصبي الصغير والكبير الذي لا يعرف ما يلزمه من الأحكام فيصير الماء مضافاً فتسلبه الطهورية.

الثالث: أن ماء الحمام يوقد عليه بالنجاسات والأقذار فقد يصير الماء مضافاً من دخانها فتسلبه الطهورية اهـ.

ثم قال ابن الحاج: وهذا حال أهل وقتنا في الغالب، وهو أن يدخل مستور العورة مع مكشوف العورة على أنه قد ذكر بعض الناس أنه يجوز دخول الحمام وإن كان فيه من هو مكشوف العورة ويصون نظره وسمعه، كما أنه يجوز له الإغتسال في النهر وإن كان يجد ذلك فيه، وكما يجوز له أن يدخل في المساجد وفيها ما فيها. قال ابن الحجاج: وما ذكره مالك محمول على زمانه الذي كان فيه، وأما زماننا فمعاذ اللهأن يجيزه هو أو غيره لما فيه من المحرمات فيتعين على المكلف أن يتركه ما استطاع جهده وما ذكره من الغسل في النهر والدخول في المساجد وفيها

وأما السنن فعشرة، فالأول: النية وهو أن لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثاً لأجل هوى بل يقصد به التنظف المحبوب تزيناً للصلاة، ثم يعطي الحمامي الأجرة قبل الدخول فإن ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره الحمامي، فتسليم الأجرة قبل الدخول دفع للجهالة من أحد العوضين وتطييب لنفسه، ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول

ما فيها فغير وارد، لأن المكلف يكره له أن يدخلها ابتداء إلا أن يضطر إليها، مع أن الغالب في هذا الوقت أن شاطىء النهر فيه من كشف العورات ما هو مثل الحمام أو أعظم منه على ما هو مشاهد مرئي من كشف عورات النواتية، ومن يفعل كفعلهم سيما إن كان في زمن الصيف، فذلك أكثر وأشنع لورود الناس للغسل وغيره وقل من يستتر فلا حاجة تدعو إلى الكلام على ذلك لحصول المشاهدة، وما أتى على بعض المتأخرين إلا أنهم يحملون ألفاظ العلماء على عرفهم في زمانهم وليس الأمر كذلك، بل كان زمان يختص بعرفه وعادته، وكذلك يجري هذا المعنى في الفساقي التي في الرباطات والمدارس إذ أنها محل كشف العورات في هذا الزمان، ومن ذلك مايجده في الحمام في الغالب من الصور التي على بابه والتي في جدرانه وأقل ما يجب عليه من التغيير من إزالة رؤوسها فيتعين عليه إنكار ذلك والأخذ على يد فاعله إلى غير ذلك من المفاسد وهي بينة والله الموفق.

(**وأما السنن فعشرة فالأول النية**) والقصد الصالح (**وهو أن لا يدخل**) أي لا ينوي دخوله (**لعاجل دنيا**) من اللذة البدنية، (**و**) لا يدخل (**عابثاً لأجل هوى**) وحظ نفس لأنه عمل من أعمال العبد والعبد مسؤول عن دخوله إذ كان محاسباً على أعماله، فيقال: لم دخلت وكيف دخلت كما يقال في كل عمله وفعله (**بل يقصد به التنظف المحبوب تزيناً للصلاة**) ليكون وقوفه بين يدي الله تعالى على أكمل نظافة، وأما إذا نوى بدخوله التزين للصلاة وإراحة البدن من عللها، فهل يثاب عليه أم لا؟ فيه الوجهان اللذان تقدما في الوضوء، ثم أشار إلى الثاني بقوله: (**ثم يعطي الحمامي**) أي المتكلف بأموره والحاكم على خدمته، ولو لم يكن مالكاً له على الحقيقة (**الأجرة**) المعلومة (**قبل الدخول**) وهي تختلف باختلاف الأحوال في الإغتسال وباختلاف الكيفيات وباختلاف الأشخاص وباختلاف مواضع الماء، فمنهم من يريد التنور والتدليك بالكيس وإتباعه بالليف والصابون واستعمال الماء العذب لذلك، ومنهم من يقتصر على الليف والصابون، ومنهم من يغتسل فقط بإن يدخل في البيت الحار المعبر عنه بالحوض ولا يستدعي شيئاً آخر من الخدم ولا من الازر، ولكل أجرة معلومة فينبغي أن يقدمها (**فإن ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره الحمامي**) مجهول أيضاً، (**فتسليم الأجرة**) ابتداء (**دفع للجهالة من أحد العوضين وتطييب لنفسه**). وهذه المسألة ذكرها أيضاً ابن نجيم من أصحابنا المتأخرين في الأشباه والنظائر. ثم أشار المصنف إلى الثالث بقوله: (**ثم يرفع**) وفي بعض النسخ ثم يقدم (**رجله اليسرى عند الدخول**) وفي البيت الداخل لا المسلخ، وذلك بعد أن ينزع ثيابه

ويقول: « بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم » ثم يدخل وقت الخلوة أو يتكلف تخلية الحمام فإنه إن لم يكن في الحمام إلا أهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر إلى الأبدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكر للنظر في العورات، ثم لا يخلو الإنسان في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف في أطراف الإزار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري، ولأجله عصب ابن عمر رضي الله عنهما عينيه، ويغسل الجناحين عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الأول، وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فإنه

ويتزر بإزار أحدهما في حقوه، والثاني على كتفه. ومنهم من يزيد إزاراً ثالثاً يربطه على رأسه كالعمامة وهو حسن، وأشار إلى الرابع بقوله: (**ويقول**) عند ذلك (**بسم الله الرحمن الرحيم**) ولو اقتصر على بسم الله كما في آداب الدخول في الخلاء كان حسناً، ثم يزيد على البسملة الإستعاذة كقوله عند دخوله في الخلاء: (**أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم »**) وأشار إلى الخامس بقوله: (**ثم يدخل وقت الخلوة**) أي يتحين خلوه عن إزدحام الناس فيدخله، وهذا يختلف باختلاف الأقطار والبلدان وباختلاف عادات الناس في دخولهم فيه (**أو يتكلف تخلية الحمام**) عن دخول الناس بإعطاء أجرة زائدة، (**فإنه إن لم يكن في الحمام إلا أهل الدين**) والفضل والمعرفة (**والمحتاطون للعورات**) وفي بعض النسخ والمحافظون (**فالنظر إلى الأبدان**) حالة كونها (**مكشوفة**) ليس عليها ساتر (**فيه شائبة من قلة الحياء وهو**) مع ذلك (**مذكر للتأمل في العورات**) فإن الأبدان تختلف في السمن والبياض والترارة باختلاف الأسنان من الشبوبية والطفولية والشيطان يوسوس إلى الإنسان بالتأمل والتمييز في هذه الأبدان المختلفة الألوان، وما زال كذلك حتى يسري منها إلى التأمل في العورات الباطنة بمحض التخيلات، بل ربما رسخ ذلك في فكره فيترتب عليه مفاسد قل أن يخلص منها المؤمن، فليحذر من الإجتماع عرياناً، (**ثم لا يخلو الإنسان في الحركات**) أي في أثنائها من ميله يميناً وشمالاً (**عن إنكشاف العورات**) لا محالة (**بانعطاف**) أو التواء (**في أطراف الإزار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري**) وحيث لا يقصد (**ولأجله عصب ابن عمر رضي الله عنه على عينيه**) بعصابة خوفاً من الوقوع في مثل هذا المحذور، (**و**) السادس (**يغسل جناحيه عند الدخول**) أي كتفيه، (**و**) السابع (**لا يعجل بدخول البيت الحار**) وهو المعروف ببيت الحوض (**حتى يعرق في**) البيت (**الأول**)، والمراد منه أن يكون الدخول فيه بالترتيب، فإذا نزع لباسه في المسلخ يدخل في البيت الأول ويمكث قليلاً، ثم يدخل الموضع المشترك فيجلس فيه حتى يعرق، ثم يدخل البيت الحار. وفي الشفاء والمعتدل البدن إذا دخل الحمام فليقعد في كل بيت ساعة ثم يصبر حتى يتندى بدنه ويكاد يعرق ويصب الماء على الكتفين وسائر الأعضاء، ثم يتغمر ويتدلك برفق ولا يدخل البيت الحار إلا بتدريج، فكيف

المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه، لا سيما الماء الحار فله مؤنة وفيه تعب وأن يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوساً في البيت الحارّ ساعة ويقيسه إلى جهنم، فإنه أشبه بيت بجهنم: النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله من ذلك، بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فإنها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة وموعظة، فإن المرء ينظر بحسب همته. فإذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك داراً معمورة مفروشة فإذا تفقدتهم رأيت البزاز

الخروج منه، فإن البدن حينئذ متسخن متخلخل قابل للتأثير بسرعة، (و) الثامن: (**أن لا يكثر صب الماء**) على بدنه وأطرافه (**بل يقتصر على قدر الحاجة**) إليه وهو ممنوع طباً وشرعاً، فأما طباً فإنه يرهل البدن ويرخي الأطراف، وأما شرعاً فبعد أن نقول أنه من الإسراف (**فإنه**) القدر (**المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه**)، ولو كانت الأجرة مقدمة (**لا سيما الماء الحار**) أي المسخن (**فله مؤنة**) وكلفة الوقيد (**وفيه تعب**) ظاهر. (و) التاسع (**أن يتذكر حر النار بحرارة الحمام**) ولذع مسه وغشيان ظلمته (**ويقدر نفسه محبوساً في البيت الحار ساعة ويقيسه إلى جهنم**) ولو كان بين النارين شتان (**فإنه**) أي الحمام (**أشبه بيت بجهنم النار من تحت**) الأطباق (**والظلام من فوق**) وهكذا حال جهنم (**نعوذ بالله من ذلك**). وليذكر بقلة صبره على الحمام عظيم كربة حبسه في جهنم وأنه لو أقام في الحمام فضل ساعة لضعفت روحه ويخرج خفوتاً فيكون له في الحمام موعظة وعبرة وهذا الذي ذكره المصنف بالنسبة إلى حمامات بلاد الروم والشام والعجم، فإنهم يجعلون الحمامات على سراديب يوقدون تحتها فلا يستطيع الإنسان أن يقعد إلا على لوح خشب، ولا يكاد أن يمشي إلا بنعلي خشب لشدة حرارة الأرض، وأما حمامات الديار المصرية فعلى خلاف ذلك، فإنهم يوقدون تحت القدور التي فيها المياه فقط، ويسخن لشدة حرارة الماء. ومما يتذكر الإنسان إذا دخل الحمام عند تجريده عن الثياب ثم تمدده بين يدي الدلاك وتغميزه في الأعضاء بالدلك بتمدده بين يدي المغسل وتجريده الثياب عنه، (**بل العاقل**) الكامل (**لا يغفل عن ذكر**) أمور (**الآخرة في لحظة**) من اللحظات، (**فإنها**) أي الآخرة (**مصيره**) أي مرجعه (**ومستقره فيكون له في كل ما يراه**) بعينه (**من ماء أو نار أو غيرهما**) كتجريد عن الثياب وتمدد بين يدي الدلاك (**عبرة**) يعتبر بها (**وموعظة**) يتعظ بها، (**فإن المرء ينظر**) الشيء (**بحسب همته**) واستعداده الذي جبل عليه، (**فإذا**) فرض أنه (**دخل بزاز**) من يبيع أنواع البز (**ونجار**) من يتعانى نجر الخشب وتسويته (**وبناء**) من يتعاطى بناء الدور والمنازل (**وحائك**) من يحوك الثياب وينسجها وكذا نقاش (**دار معمورة**) منقوشة (**مفروشة**) بأنواع النقوش في الحيطان والسقوف وأنواع الفرش الفاخرة (**فإذا تفقدتهم**) وتطلبت باطن أحوالهم (**رأيت البزاز ينظر إلى الفرش يتأمل قيمتها**) وإن طاقة من هذه تسوى كذا ومن

ينظر إلى الفرش يتأمل قيمتها، والحائك ينظر إلى الثياب يتأمل نسجها، والنجار ينظر إلى السقف يتأمل كيفية تركيبها، والبنّاء ينظر إلى الحيطان يتأمل كيفية احكامها واستقامتها. فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء شيئاً إلا ويكون له موعظة وذكرى للآخرة، بل لا ينظر إلى شيء إلا ويفتح الله عز وجل له طريق عبرة، فإن نظر إلى سواد تذكر ظلمة اللحد، وإن نظر إلى حية تذكر أفاعي جهنم، وإن نظر إلى صورة قبيحة شنيعة تذكر منكراً ونكيراً والزبانية، وإن سمع صوتاً هائلاً تذكر نفخة الصور، وإن رأى شيئاً حسناً تذكر نعيم الجنة، وإن سمع كلمة رد أو قبول في سوق أو دار تذكر ما ينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول، وما أجدر

هذه تسوى كذا، **(والحائك ينظر إلى الثياب)** وهيئاتها **(ويتأمل نسجها)** وحياكتها، **(والنجار ينظر إلى السقوف)** وما فيها من الخشب هل هو رومي أو عربي؟ **(ثم يتأمل كيفية تركيبها)**، ولقد دخلت مرة مع بعض أصحابنا من أهل العلم قصراً بناه بعض الأمراء خارج مصر، فبمجرد ما وقع بصره على سقوفه لم يعجبه إلا الخشب ولم يلتفت إلى غيره من بناء وتجصيص وغير ذلك، فتعجبت من ذلك غاية العجب ولم يخطر ببالي إذ ذاك إلا حسن اتقانه من حيث المجموع في الجملة ولم يعد غير ذلك **(والبناء ينظر إلى الحيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها)** والنقاش ينظر إلى النقوش والصباغات والدهانات، **(فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء)** الظاهرة بعينه **(شيئاً إلا ويكون له موعظة وذكرى للآخرة)** يتعظ به ويتذكر ويتصبر ويتدبر، **(بل لا ينظر إلى شيء إلا ويفتح الله عز وجل له طريق عبرة)** يعتبر بها، **(فإن نظر إلى سواد يذكره ظلمة اللحد)** أي القبر فإنه لا منفذ فيه للنور أصلاً، وإن نظر إلى نور مضيء يذكره نور الإيمان حين يسعى بين يديه وبايمانه، **(وإن نظر إلى حية)** أو عقرب **(تذكره أفاعي جهنم)** وعقاربها وما لها من عظم الجثة والسم، **(وإن نظر إلى صورة قبيحة شنيعة)** منكرة **(تذكره منكراً ونكيراً)** وكيفية دخولها في القبر وهم على صورة بشعة ولهم أنياب كأنياب الكلاب يشقون الأرض شقاً حتى يدخلوا القبر، **(و)** كذلك تذكره تلك الصورة **(الزبانية)** وهم طائفة من الملائكة يدفعون أهل النار إليها، **(وإن سمع صوتاً هائلاً)** أي عظيماً مخوفاً **(تذكر نفخة الصور)** حين ينفخ فيه سيدنا إسرافيل عليه السلام واذكر أني كنت صغيراً دون البلوغ فسمعت رجلاً ينفخ في صور فتذكرت هول يوم القيامة وهالني ذلك الصوت حتى غشي علي فما أقاموني عن الأرض إلا بعد أن رشوا الماء على وجهي وصرت بعد ذلك لا يخرج هول ذلك الصوت من خيالي مدة. **(وإن رأى شيئاً حسناً)** تستحسنه النفوس والعيون **(تذكر نعيم الجنة)** وأن لا عيش إلا عيش الآخرة وهذا الذي يرى نعيماً زواله عن قريب، وإنما المدار على نعيم الجنة. **(وإن سمع كلمة رد أو قبول في سوق أو دار تذكر ما ينكشف من آخر أمره)** يوم العرض على الله عز وجل **(بعد الحساب من الرد**

أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل إذ لا يصرفه عنه إلا مهمات الدنيا، فإذا نسب مدة المقام في الدنيا إلى مدة المقام في الآخرة استحقرها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته.

ومن السنن: أن لا يسلم عند الدخول وإن سلم عليه لم يجب بلفظ السلام، بل يسكت إن أجاب غيره وإن أحب قال: عافاك الله ولا بأس بأن يصافح الداخل ويقول: «عافاك الله» لابتداء الكلام. ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن إلا سراً ولا بأس بإظهار الاستعاذة من الشيطان، ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقريباً من الغروب، فإن ذلك وقت انتشار الشياطين، ولا بأس بأن يدلكه غيره، فقد نقل ذلك

والقبول، **وما أجدر أن يكون هذا التأمل هو الغالب على قلب العاقل)** مستولياً عليه **(إذ لا يصرفه عنه إلا مهمات الدنيا)** وضرورياتها **(فإذا نسب مدة المقام في الدنيا)** أي مدة إقامته فيها ولو على أطول عمر رجل **(إلى مدة المقام في الآخرة)** إما في النعيم وإما في الحجيم **(استحقرها)** أي مهمات الدنيا **(إن لم يكن ممن أغفل قلبه)** وفي نسخة ممن أقفل على قلبه **(وأعميت بصيرته)**، فإن من كان بهذا الوصف فلا ينظر إلا أمور الدنيا وليس له حظ في أمور الآخرة، فإذا سمع شيئاً منها استبعدها، وأشار إلى العاشر من السنن بقوله:

(ومن السنن: أن لا يسلم) على أحد **(عند الدخول)** في البيت الأول منه، **(وإن سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت إن أجاب غيره)** ومقتضاه أنه لو أجاب بلفظ غير السلام جاز، وذلك لأنه محل تكشف فيه العورات وترتفع فيه الأصوات فلا يناسب ذكر اسم الله تعظيماً له. وفي القوت: وروينا أن رجلاً سلم على الحسن رضي الله عنه في الحمام فقال: ليس في الحمام سلام ولا تسليم، **(وإن أحب قال)** في الجواب **(عافاك الله)** أي محا عنك الذنوب والأسقام، وقد صارت هذه الكلمة معروفة في خطاب من يخرج من الخلاء أو يقول عوفيت وشفيت أو نعماً لكم أو ما أشبه لك، **(ولا بأس بأن يصافح الداخل)** أي يأخذ بيده استئناساً للكلام **(ويقول: عافاك الله)** وأدام سلامتك **(لابتداء الكلام)** بدل السلام. **(ثم)** من الآداب **(لا يكثر الكلام في الحمام)** فإنه مما يسقط المروءة ويقل الهيبة، **(ولا يقرأ القرآن)** فيه تنزيهاً له عن القراءة في محل الأقذار والنجاسات **(إلا سراً)** فإنه لا بأس به فهو كالذكر الخفي و**(لا بأس بإظهار الإستعاذة)** بالله **(من الشيطان)** عند توجهه إلى باب الخلوة وعند الإنتقالات، **(ويكره دخول الحمام بين العشاءين)** أي المغرب والعشاء، **(و)** كذلك **(قريباً من الغروب)** إلا لعذر، **(فإن ذلك وقت انتشار الشياطين)** كما ورد في حديث، **(و)** من جملة مهماته الغمز والدلك، فقد قالوا: من دخل الحمام ولم يكيس أو لم يكبس فقد جلب الضرر إلى نفسه، فالأولى: التدليك، والثانية: الغمز والجمع بينهما حسن، و **(لا بأس أن)** يدلك بنفسه وأن **(يدلكه غيره)** وهو الأنسب، **(فقد نقل ذلك)** صاحب القوت قال: حدثني بعض إخواني

عن يوسف بن أسباط أوصى بأن يغسله إنسان لم يكن من أصحابه وقال: إنه دلكني في الحمام مرة فأردت أن أكافئه بما يفرح به وإنه ليفرح بذلك. ويدل على جوازه ما روى بعض الصحابة: «أن رسول الله ﷺ نزل منزلاً في بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت: ما هذا يا رسول الله؟ فقال: إن الناقة تقحمت بي». ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة. فقد قيل: الماء الحار في الشتاء من

عن بعض العلماء أنه دخل معه الحمام قال: فأردت أن أدلكه فامتنع ثم دخلت معه بعد ذلك فجعلت أدلكه فلم يمتنع، فقلت له: قد كنت امتنعت أدلك مرة، فقال: لم أكن أعلم فيه أثراً، ثم وجدت ذلك لضيغم الراسي أن رجلاً دلكه في الحمام فرأى على فخذه مكتوباً الله بعرق في جسده، فقال ما تنظر إماماً كتبه إنسان وفي ذلك أيضاً أثر عن (**يوسف بن اسباط**) رحمه الله من رجال الرسالة قيل: إنه (**أوصى**) قبل وفاته (**بأن يغسله إنسان**) ذكره و(**لم يكن من أصحابه ولا كان معروفاً بفضل وقال: لما**) سئل عن ذلك معتذراً لهم: (**إنه قد كان دلكني في الحمام مرة ولم أكافئه على ذلك وأنا أعلم أنه يحب أن يغسلني فأردت أن أكافئه بما يفرح به وإنه ليفرح بذلك**) لما علم من حسن اعتقاده فيه، (**ويدل على جوازه**) أي التدليك: وكذا التغميز للظهر والجسد (**ما روى بعض الصحابة أن رسول الله ﷺ نزل منزلاً في بعض أسفاره فنام على بطنه**). وعبارة القوت: فقد روينا عن رسول الله ﷺ أنه نزل منزلاً في بعض أسفاره. وقال بعض أصحابه: فذهبنا نتخلل النخل أو الشجر، وإذ رسول الله ﷺ نائم على بطنه (**وعبد اسود يغمزه ظهره، فقلت: ما هذا يا رسول الله؟ فقال: «أما أن الناقة تقحمت بي»**). قال العراقي: أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسند ضعيف اهـ.

ووجه الإحتجاج به أنه إذا جاز الغمز في غير الحمام لحاجة داعية ففي الحمام أولى لقيام الداعي فيه، ومعنى تقحمت بي رمت بي، والمراد بالعبد الأسود أحد عبيده ﷺ وهو مبهم، وكذلك السفر مبهم. وأما بعض الصحابة فالمراد به عمر كما دل سياق الطبراني.

تنبيه:

قال ابن الحاج في المدخل: قد أجاز علماؤنا دخول الحمام لكن بشروط: وهي أن لا يدخل أحد من الرجال والنساء إلا للتداوي الثاني: أن يتعمد أوقات الخلوة وقلة الناس. الثالث: أن يستر عورته بإزار صفيق. الرابع: أن يطرح بصره إلى الأرض أو يستقبل الحائط لئلا يقع بصره على محظور. الخامس: أن يغير ما رأى من منكر برفق يقول استتر سترك الله. السادس: إن دلكه أحد لا يمكنه من عورته من سرته إلى ركبته إلا إمرأته أو جاريته. السابع: أن يدخله بأجرة معلومة. الثامن: أن يصب الماء على قدر الحاجة. التاسع: إن لم يقدر على دخوله وحده اتفق مع قوم يحفظون أديانهم على كراهة في ذلك اهـ.

(**ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة**) حيث أذهب عنه الدرن

النعيم الذي يُسأل عنه. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: الحمام من النعيم الذي أحدثوه. هذا من جهة الشرع. أما من جهة الطب، فقد قيل: الحمام بعد النورة أمان من الجذام. وقيل: النورة في كل شهر مرة تطفىء المرة الصفراء وتنقي اللون وتزيد في الجماع. وقيل: بولة في الحمام قائماً في الشتاء أنفع من شربة دواء. وقيل: نومة في الصيف بعد

والصنة وأعقب التزارة لجسده، (**فقد قيل: الماء الحار**) أي المسخن (**في الشتاء من**) جلة (**النعيم الذي يسأل عنه**) أشار به إلى تفسير قوله تعالى: ﴿ولتسألن يومئذ عن النعيم﴾ [التكاثر: ٨] والمشهور في التفسير مطلق النعمة والنعيم حتى الظل البارد في الصيف والشربة الباردة من النعيم، وقيس عليه الماء الحار في الشتاء فإنه محبوب طبعاً. قال القاضي في تفسير الآية هو سؤال عن القيام بحق شكره، وقال النووي: الذي نعتقده أنه هنا سؤال عن تعداد النعم وإعلام بالإمتنان بها وإظهار لكرمه باسباغها لا سؤال توبيخ وتقريع ومحاسبة. (**وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: ماء الحمام من النعيم الذي أحدثوه**) أي ابتدعوه، وفيه إشارة أنه لم يكن في زمنه ﷺ ولا كان معروفاً إذ ذاك، وأول من اتخذه الجن لسيدنا سليمان عليه السلام. كل (**هذا**) الذي ذكرناه (**من جهة الشرع. أما من جهة الطب، فقد**) قالوا: الحمام يحلل فضول البدن، وينقي الجلد، ويزيل الإعياء، ويحبس الإسهال، ويفتح المسام، ويحلل الرياح، ويذهب الجرب والحكة والبثور والدماميل والوسخ، فيطيب النفس بذلك وينشرح، فتضاف إلى اللذة الجسدانية اللذة النفسانية، ويعدل حدة الاخلاط، ويسكن الأوجاع وينفع من حمى يوم وحمى دق وحمى ربع ومواظبته بعد نضج خلطها، ويزيل السهر ويجلو ويحلل وينضج، وخير الحمام ما قدم بناؤه، وعذب ماؤه، واتسع فناؤه، والبيت الأول منه برد مرطب. والثاني مسخن مرطب. والثالث مسخن مجفف. (**وقيل: الحمام بعد النورة أمان من الجذام**) المرض المشهور. هكذا في نسخ الكتاب. ونص القوت: والحناء بعد النورة يقال إنه أمان من الجذام فتأمل ذلك. (**وقيل: النورة في كل شهر مرة**) واحدة (**تطفىء الحرارة وتنقي اللون وتزيد في الجماع**) هكذا نقله صاحب القوت عن بعض أطباء العرب، والنورة بالضم حجر الكلس، ثم غلبت على أخلاط تضاف مع الكلس من زرنيخ وغيره، ويستعمل لإزالة الشعر، وتنور أطلي بالنورة. وقالوا: الرجل إذا استعمل النورة فليجامع مع ثالث يوم حتى تعود قوته والمرأة ليومها، وينبغي أن يطلى بعد النورة بشيء من الخزامى معجوناً بماء ورد فإنه يذهب بحرارتها وصنتها. (**وقيل: بولة في الحمام قائماً في الشتاء أنفع من شربة دواء**) البول قائماً مطلقاً أنفع منه قاعداً فإذا كان في الحمام بعد أن حبسه قليلاً فهو أنفع من كل دواء سواء كان في الصيف أو في الشتاء وفي الشتاء أبلغ، ولذا قيده المصنف به ويشترط في البائل قائماً أن لا يكشف عورته للناس وأن لا يبول إلا إذا تندى جسده، وأن يقصد به محلاً مهجوراً، وأن يحذر من الرشاش على جسده. (**وقيل: نومة في الصيف**) على مراقد معتدلة في وقت الظهيرة (**بعد الحمام**) لمن هو حار المزاج معتدل اللحم

الحمام تعدل شربة دواء. وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس، ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه، هذا حكم الرجال. وأما النساء؛ فقد قال ﷺ: «لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام وفي

(تعدل شربة دواء)، ويشترط أن يتدثر في ثيابه عند النوم، ثم يدخل الحمام ثانياً ويصب على بدنه ماء فاتراً صباً متواتراً ويخرج سريعاً. **(وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس)** المرض المشهور. ويشترط أن يكون الماء البارد معتدلاً ليس بشديد البرد، ولا يكون صبه عليها بغتة **(ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج)** فإنه يحدث أمراضاً عسرة البرء كالصداع الشديد والبرسام. **(وكذا شربه)** أي الماء البارد عند الخروج مضر أيضاً.

تنبيه:

لا يدخل الحمام من به ورم باطن أو ورم ظاهر، ولا من به تفرق الإتصال أو حمى غضة أو تخمة، وطول المكث فيه يوجب الغشي والخفقان والكرب ويضعف الباه وشهوة الطعام، والحمام عقيب الغذاء يسمن، وعلى البطنة يولد القولنج، وعلى الخلاء يهزل، وقليل الرياضة ينبغي أن يستكثر من الحمام العرق، ويابس المزاج يستعمل الماء أكثر من الهواء. قال الرئيس: وينبغي أن يسخن الحمام بأغصان السمسم أو القطن أو العدس، ويحترز تسخينه بكساحة الطريق والروث والزبل، والحمام الحار جداً يسيل الأخلاط الجامدة إلى أعماق البدن فيحدث سدداً وأوراماً، ويسيل الرطوبات إلى التجاويف فيحدث عنه صرع أو سكتة، والحمام البارد يحرك المادة إلى التفرق حركة ناقصة فتحدث من ذلك آفات، وربما حدث منه الجرب والحكة والزكام والنزلة والمغص، ويتدارك بأن يهيأ ماء سخن معتدل ويصب على الرأس والبدن قبل الخروج بساعة، ويدام التدليك والتمريخ والغمز، ثم لما يخرج يصب الماء الحار على الرأس وحده، ثم يتعمم بعمامة معتدلة ويتدثر وينام، والإغتسال بالماء البارد يقوي البدن وينشطه ويجمع القوى ويقويها ويجود الهضم ويقوي الشهوة ويحسن اللون، وإنما يستعمل وقت الظهيرة في أيام الصيف لمن هو حار المزاج معتدل اللحم ويمنع منه الصبي لعدم استحكام أعضائه بعد. **(هذا حكم الرجال)** في دخولهم الحمام، **(وأما النساء)** فلا ينبغي دخولهن فيه لما اشتمل عليه من المفاسد الدينية والعوائد الردية لأنهم اختلفوا في المرأة مع المرأة هل حكمها حكم الرجل مع الرجل، أو حكم الرجل مع الأجنبية، أو حكم الرجل مع ذوات محارمه، وهن قد تركن ذلك كله وخرجن عن إجماع الأمة بدخولهن باديات العورات، وإن قدرنا أن امرأة منهن سترت من سرتها إلى ركبتها عير ذلك عليها وسمعنها من الكلام ما لا ينبغي حتى تزيل السترة عنها، ثم ينضاف إلى ذلك محرم آخر وهو أن اليهودية والنصرانية لا يجوز لها أن ترى بدن الحرة المسلمة وهن يجتمعن في الحمام مسلمات ويهوديات ونصرانيات فيكشف بعضهن على عورة بعضهن، **(فقد قال ﷺ: «لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام وفي البيت مستحم»)** أي: لا يحل أن يأذن الرجل زوجته في دخول

البيت مستحم» والمشهور أنه حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمئزر، وحرام على المرأة دخول الحمام إلا نفساء أو مريضة. ودخلت عائشة رضي الله عنها حماماً من سقم

الحمام والحال إن في البيت موضع استحمام، وهذا لما يترتب على دخولها من المفاسد الدينية التي تقدم ذكر بعضها وبعضها أنها إذا أرادت الحمام استصحبت معها أفخر ثيابها وأنفس حليها فتلبسه حين فراغها من الغسل في الحمام حتى يراها غيرها فتقع بذلك المفاخرة والمباهاة، وربما يكون ذلك سبباً للفراق عن زوجها أو الإقامة على شنآن بينهما طول المدة هذا حال غالبهن وهو نقيض التوادد والإلفة والسكون المطلوبة في الشرع، إن قال قائل: الغسل في البيت يصعب عليها؟ فالجواب: لو أنفق في خلوة يعملها في البيت من بعض ما يعطي في الصداق لا نسدت هذه الثلمة، فلو قال أيضاً: إن الغسل في البيت لا يكون كالحمام سيما في أيام البرد؟ فالجواب: إن أيام البرد يمكن المرأة أن تستغني فيها عن الغسل بالسدر وما شاكله إذ أن أيام البرد لا يجتمع فيها الوسخ ولا الغبار كثيراً، فإذا فرغت أيام البرد كان الغسل في البيت المهيأ له لا مشقة فيه ويكفيها في تلك المدة أنها تغتسل من الحيض كما تغتسل من الجنابة، ولكن يجب على الزوج أن يعلمها سرعة الغسل وذلك من السنة الماضية، وأنها إذا اغتسلت في البيت تغطي رأسها لا تكشفه إلا وقت الغسل وخللت شعر رأسها وأفاضت الماء عليه ثم نشفته في الوقت وغطته، ثم بعد ذلك تغسل سائر بدنها خيفة أن يصيبها في رأسها ألم إذا هي كشفته حتى تفرغ غسل بدنها. والحديث المذكور أخرجه الترمذي وحسنه والنسائي والحاكم وصححه من حديث جابر بلفظ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام». قاله العراقي.

قلت: إسناد النسائي جيد، وإسناد الترمذي ضعيف لضعف راويه ليث بن أبي سليم، ورواه الحاكم وقال: على شرط مسلم، وأقره الذهبي، ورواه أحمد، وأبو داود من حديث ابن عمر، وإسناد أبي داود فيه انقطاع. وعند أبي يعلي، وابن حبان، والطبراني في الكبير، والحاكم، والعقيلي في الضعفاء من حديث عبدالله بن يزيد الخطمي عن أبي أيوب، ولفظه مثل الأول، وفيه زيادة «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر من نسائكم فلا يدخلن الحمام»، (**والمشهور**) على ألسنة الناس (**حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمئزر، وحرام على المرأة دخول الحمام إلا نفساء أو مريضة**) أما الجملة الأولى منه، فمعناها في الحديث الذي تقدم، والجملة الثانية معناها عند الحاكم في الأدب من حديث عائشة دخل عليها نسوة فقالت: من أنتن؟ قلن: من حمص، فقالت: صواحب الحمامات؟ قلن: نعم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحمام حرام على نساء أمتي» وقال: صحيح الإسناد، وأقره الذهبي، ولأبي داود وابن ماجة من حديث عبدالله بن عمر: «فلا يدخلها الرجال إلا بالإزر وامنعوها النساء إلا مريضة أو نفساء». (**ودخلت عائشة رضي الله عنها حماماً من سقم بها**) أورده صاحب القوت، وقد روى البيهقي من حديث يحي ابن أبي طالب، عن أبي خباب، عن عطاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما يسر عائشة أن لها

بها . فإن دخلت لضرورة فلا تدخل إلا بمئزر سابغ، ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معيناً لها على المكروه.

النوع الثاني:

فيما يحدث في البدن من الأجزاء وهي ثمانية:

الأول: شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله إلا إذا تركه قزعاً، أي قطعاً، وهو دأب أهل الشطارة، أو أرسل الذوائب

مثل أحد ذهبا وأنها دخلت الحرام، (**فإن دخلت المرأة لضرورة**) كحيض أو نفاس أو سقم ولم يكن في البيت مستحم (**فلا تدخل إلا بمئزر سابغ**) من رأسها إلى منتهى ساقيها، وبشرط أن تختلي في موضع خاص منه، ولا يدخل عليها أحد من النساء الأجانب (**ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معيناً لها على المكروه**) التحريمي أو التنزيهي فيكون كفاعل المكروه.

النوع الثاني
مما يحدث في البدن من الأجزاء وهي ثمانية

(**الأول: شعر الرأس**) ولم يثبت أنه ﷺ حلقه إلا في نسك، وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم، ومن بعدهم من التابعين، بل كان تخليته شعار أهل الإسلام، وكان الحلق سيما الخوارج، وقد ورد في حديث في وصف الخوارج سيماهم التحالق أي حلق شعر الرأس، ولما أتى صبيغ إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وكان يسأل عن المتشابهات، فلما رآه قال: أنت صبيغ وعلا عليه بالدرة وقال: اكشفوا عن رأسه فوجد فيه شعراً فقال: لولا شعر رأسك لفعلت بك حيث ظن أنه من الخوارج، فلما رأى شعر رأسه تركه وأمر أهل البصرة أن لا يخالطوه، وقد تقدمت قصته في كتاب العلم، ثم جاء زمان وفتحت بلاد العجم فصاروا يحلقونه ونسيت السنة حتى صار توفير شعر الرأس شعاراً للعلويين والأتراك والمتصوفة، وصار الحلق سنة متبوعة. (**و**) جملة القول فيه أنه (**لا بأس**) الآن (**بحلقه لمن أراد التنظيف**) وهذا علي رضي الله عنه لما سمع النبي ﷺ يقول: تحت كل شعرة جنابة. كان يقول ومن ثم عاديت رأسي فكان يخففه ويقصه قصداً للتنظيف، وربما استدل بعض الصوفية في حلق رأس المريد إذا تاب بما رواه أحمد، وأبو داود من حديث كليب الجرمي رفعه: « ألق عنك شعر الكفر واختتن ». والإلقاء طرح الشيء وهو شامل لشعر الراس وغيره، وذكر صاحب الملامح أنه بدعة (**ولا بأس بتركه**) موفراً (**لمن يدهنه ويرجله**) أي يسرحه ويتعاهد بخدمته (**إلا إذا تركه قزعاً أي**) حلق بعضه وترك بعضه (**قطعاً**) متفرقة، وقد نهى رسول الله ﷺ عن القزع وقزع رأسه

على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعاراً لهم، فإنه إذا لم يكن شريفاً كان ذلك تلبيساً.

الثاني: شعر الشارب، وقد قال ﷺ: «قصوا الشارب» وفي لفظ آخر: «جزوا الشوارب». وفي لفظ آخر: «حفوا الشوارب واعفوا اللحى» أي اجعلوها حفاف الشفة أي حولها، وحفاف الشيء حوله. ومنه ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥]. وفي لفظ آخر: «أحفوا» وهذا يشعر بالاستئصال، وقوله: «حفوا» يدل على ما دون ذلك. قال الله عز وجل: ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا﴾ [محمد ﷺ: ٣٧] أي

تقزيعاً حلقه كذلك، (**وهو دأب**) أي عادة (**أهل الشطارة**) وهم أهل اللؤم والخبث، (**أو أرسل الذوائب**) أي الخصل من شعر الرأس تتدلى على اليمين والشمال (**على هيئة أهل الشرف**) العلويين (**حيث صار ذلك شعاراً لهم**) يعرفون به، حتى أن بعضهم لقب بكيسودراز بهذا المعنى وهو مكروه، (**فإنه إذا لم يكن شريفاً كان تلبيساً**) وهو مثل العلامة الخضراء حيث صارت شعاراً للفاطميين، فإذا استعملها غيرهم كان تلبيساً، فلأجل هذا صار متروكاً، ولم يوقت المصنف لحلق الرأس لكونه لم يرد، والظاهر أنه يقاس على غيره في الحاجة إليه وطوله، فإن احتاج ففي كل أربعين يوماً مرة، وهذا هو المألوف عند أهل البادية الآن، أو في كل جمعة مرة كما هو المألوف في الأمصار، وكره تعيينه في يوم السبت خاصة.

(**الثاني: شعر الشارب**) وهو ما سال على الشفة العليا، (**وقد قال ﷺ: «قصوا الشوارب**) واعفوا اللحى» وهي رواية أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة. (**وفي لفظ آخر «جزوا الشوارب»**) وهي رواية مسلم من حديثه (**وفي لفظ آخر: «حفوا الشوارب واعفوا اللحى»**) ولم أر من خرج هذا اللفظ غير ما في كتاب القوت إلا أن معناه في المتفق عليه. يقال: حف شاربه إذا أحفاه، وحفت المرأة وجهها حفاً زينته بأخذ شعره، وفسره المصنف بقوله: (**أي اجعلوها حفاف الشفة أي حولها**) وحفاف جمع حاف، (**وحفاف الشيء حوله**) من حف القوم بالبيت أطافوا به فهم حافون. وعبارة القوت: أي اجعلوه حفاف الشفة أي حولها لأن حفاف الشيء حوله. (**ومنه**) قوله تعالى: (**وترى الملائكة حافين من حول العرش**) [الزمر: ٧٥] أي: مطيفين به (**وفي لفظ آخر «أحفوا**) الشوارب» من الثلاثي المزيد وهي رواية الشيخين من حديث ابن عمر. يقال: أحفى شاربه إذا بالغ في قصه، (**وهذا يشعر بالإستئصال**) وإليه ذهب ابن عمر، وبعض التابعين. وهو قول الكوفيين وأكثر الصوفية، حتى قال بعضهم من احفى شاربيه نظر الله إليه. واستدلوا بما تقدم من قوله: احفوا وجزوا وبرواية البخاري أيضاً «انهكوا الشوارب» (**وقوله: حفوا**) الشوارب (**يدل على ما دون ذلك**) وهو المختار في صفة قصه أن يقص منه حتى يبدو طرف الشفة وهو حرتها ولا يحفيه من أصله وهو قول مالك والشافعي، وكان مالك يرى حلقه مثلة ويأمر بأدب فاعله، وكان يكره أن يأخذ من أعلاه. (**قال الله عز وجل: إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا**) [محمد ﷺ: ٣٧] **أي**

يستقصي عليكم، وأما الحلق فلم يرد. والإحفاء القريب من الحلق. نقل عن الصحابة: نظر بعض التابعين إلى رجل أحفى شاربه فقال: ذكرتني أصحاب رسول الله ﷺ، وقال المغيرة بن شعبة: نظر إليَّ رسول الله ﷺ، وقد طال شاربي فقال: «تعال فقصه لي على سواك» ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب، فعل ذلك عمر وغيره لأن ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام إذ لا يصل إليه، وقوله ﷺ: «اعفوا

يستقصي عليكم) من أحفاه في المسألة بمعنى الح وألحف واستقصى، **(وأما الحلق فلم يرد)** وتقدم أن مالكاً كان يراه مثلة ويأمر بأدب فاعله.

قلت: ومن جهة الورود، فقد ورد فيما رواه النسائي من حديث أبي هريرة: خمس من الفطرة فذكر وحلق الشارب، فقول المصنف لم يرد فيه نظر إلا أنه يحمل على الإحفاء القريب من الحلق لئلا تتضاد الروايات، وإليه أشار المصنف بقوله: **(والإحفاء القريب من الحلق)** وهو المعبر عنه بالاستئصال، فقد **(نقل)** ذلك **(عن)** جماعة من **(الصحابة)** رضوان الله عليهم. منهم ابن عمر فإنه كان يرى استحباب استئصاله. **(نظر بعض التابعين رجلاً أحفي شاربه فقال: ذكرتني أصحاب رسول الله ﷺ)**، فقال: هكذا كانوا يحفون شواربهم؟ فقال: نعم. كذا في القوت وهو دليل قوي للكوفيين، وقد أجمعوا على استحباب القص، وخالفهم الظاهرية فقالوا بوجوبه، وتقدم المختار في صفة قصه، والقائلون به حملوا رواية: اعفوا وانهكوا وجزوا على القص، وبعضهم حمل على احفاء ما طال على الشفتين، ويدل على أن المراد التقصير لا الاستئصال رواية النسائي من حديث أبي هريرة: خمس من الفطرة فذكر وتقصير الشارب، لكن يعكر عليه رواية وحلق الشارب. وأشار المصنف إلى دليل التقصير بقوله: **(وقال المغيرة بن شعبة)** الثقفي الصحابي شهد الحديبية وولي الكوفة مرات وبرأيه ودهائه يضرب المثل. روى عنه بنوه وعروة والشعبي وزياد بن علاقة. مات سنة خمسين من الهجرة. **(نظر إلي رسول الله ﷺ وقد طال)** وفي القوت: وقد عفا **(شاربي فقال: «تعالَ فقصه لي على السواك»)**. رواه أبو داود والنسائي والترمذي في الشمائل وإسناده صحيح. ووجه الاستدلال به أنه لو كان المراد استئصاله لما وضع السواك حتى يقطع ما زاد عليه. وقال العراقي في شرح التقريب، وذهب بعض العلماء إلى أنه مخير بين الأمرين حكاه القاضي عياض، ثم اختلفوا في كيفية قص الشارب هل يقص طرفاه أيضاً وهما المسميان بالسبالين أم يتركان كما يفعله كثير من الناس، وقد أشار إلى ذلك المصنف بقوله: **(ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب)** عن يمين وعن شمال **(فعل ذلك عمر)** بن الخطاب رضي الله عنه **(وغيره)** من الصحابة والتابعين منهم الحسن بن سالم كما في القوت **(لأن ذلك لا يستر الفم)** لبعدهما عنه **(ولا يبقي فيه غمر الطعام)** أي زفره **(إذ لا يصل إليه)** وقت الأكل، وفهم من ذلك أن سبب قص الشوارب هاتان العلتان. وروى أبو داود من رواية أبي الزبير عن جابر قال: كنا نعفي السبال إلا في حج أو عمرة، وكره بعضهم بقاء السبال لما فيه من التشبه بالأعاجم بل المجوس وأهل الكتاب. قال العراقي في شرح التقريب:

اللحى » أي كثروها ، وفي الخبر : « إن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم » . وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة.

الثالث: شعر الابط ويستحب نتفه في كل أربعين يوماً مرة وذلك سهل على من تعوّد نتفه في الابتداء ، فأما من تعود الحلق فيكفيه الحلق إذ في النتف تعذيب وإيلام ،

وهذا أولى بالصواب لما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر قال: ذكر لرسول الله ﷺ المجوس فقال: « إنهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم » فكان ابن عمر يجز سباله كما يجز الشاة والبعير ، (**وقوله** ﷺ) في الحديث الذي تقدم ذكره وهو « **قصوا الشوارب** (**واعفوا اللحى** ») أي (**كثروها**) يجوز استعماله ثلاثياً ورباعياً. قال السرقسطي: يقال عفوت الشعر أعفوه عفواً وعفيته وأعفيته إذا تركته حتى يكثر ويطول. (**وفي الخبر: « إن اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم »**) . رواه أحمد في مسنده في أثناء حديث لأبي أمامة ، فقلنا يا رسول الله ؛ فإن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم ، فقال النبي ﷺ : « قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب » . والعثانين جمع عثنون وهي اللحية. قال العراقي: والمشهور أن هذا من فعل المجوس لما تقدم من حديث ابن عمر عند ابن حبان قريباً. (**وكره بعض العلماء الحلق**) أي حلق السبال (**ورآه بدعة**) ومثلة.

تنبيهات:

الأول: يستحب الابتداء بقص الجهة اليمنى من الشارب كما صرح به الأصحاب لحديث عائشة المتفق عليه: كان يعجبه التيمن في تطهيره وترجله وتنعله وفي شأنه كله. **الثاني:** يجوز في قص الشارب أن يباشر ذلك بنفسه وأن يقصه له غيره لحديث المغيرة بن شعبة المتقدم عند أبي داود إذ لا هتك حرمة في ذلك ولا نقص مروءة. **الثالث:** قال صاحب القوت: وقد روينا في حديث قص الشوارب ألفاظاً أخر منها: « خذوا الشوارب » وورد أنه ﷺ كان يأخذ شاربه. ومنها: « طروا الشوارب طراً » والطر: أن يؤخذ من فوق الشارب ومن تحته حتى يستدق قال: وهي لفظة غريبة.

(**الثالث: شعر الإبط**) بكسر فسكون ما تحت الجناح يذكر ويؤنث ، والجمع آباط كحمل وأحمال. وزعم بعض المتأخرين أن كسر الباء لغة وهو غير ثابت ، وقرأ بعض العلماء على بعض المحدثين الإبط بكسرتين فقال له في الجواب لا تحرك الإبط فيفح صنانه ، (**ويستحب نتفه**) لمن تعود عليه (**في كل أربعين يوماً مرة**) واحدة. وقد تقدم حديث أنس عند مسلم: « وقت لنا في قص الشارب وحلق العانة ونتف الابط أن لا يترك أكثر من أربعين ليلة » . وهكذا أخرجه ابن ماجة. (**وذلك سهل على من تعود نتفه في الابتداء**) فاستمر على ذلك ، (**فأما من تعود الحلق فيكفيه الحلق**) . والحاصل أن سنيته تحصل بأي وجه كان من الحلق والقص والنورة

والمقصود النظافة وأن لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق.

الرابع: شعر العانة ويستحب إزالة ذلك إما بالحلق أو بالنورة ولا ينبغي أن تتأخر عن أربعين يوماً.

(إذ في النتف تعذيب وإيلام. والمقصود النظافة وأن لا يجتمع في خللها وسخ ويحصل ذلك بالحلق) وغيره، وحكي عن يونس بن عبد الأعلى قال: دخلت على الشافعي رحمه الله تعالى وعنده المزين يحلق إبطه، فقال الشافعي: علمت أن السنّة النتف ولكن لا أقوى على الوجع، ويستحب الابتداء بالإبط الأيمن والحكمة في اختصاص الإبط بالنتف على وجه الأفضلية أن الإبط محل الرائحة الكريهة، والنتف يضعف الشعر فتخف الرائحة. والحلق يكثف الشعر فتكثر منه الرائحة الكريهة.

مهمة:

ذكر بعض الشافعية أن النبي ﷺ لم يكن له شعر تحت إبطه لحديث أنس المتفق عليه: «أنه ﷺ كان يرفع يديه في الاستسقاء حتى يرى بياض إبطيه» قال العراقي في شرح التقريب: ولا يلزم من ذكر أنس بياض إبطيه أن لا يكون له شعر، فإن الشعر إذا نتف بقي المكان أبيض وإن بقي فيه آثار الشعر، ولذلك ورد في حديث عبدالله بن أقرم الخزاعي «أنه صلى مع رسول الله ﷺ بايفاع من نمرة فقال: كنت أنظر إلى عفرة إبطيه إذا سجد» أخرجه الترمذي وحسنه، والنسائي، وابن ماجة فذكر الهروي في الغريبين، وابن الأثير في النهاية أن العفرة بياض ليس بالناصع، ولكن كلون عفراء الأرض وهو وجهها، وهذا يدل على أن آثار الشعر هو الذي جعل المكان أعفر، وإلاّ فلو كان خالياً من منابت الشعر جملة لم يكن أعفر. نعم الذي نعتقد فيه ﷺ أنه لم يكن لإبطه رائحة كريهة، بل كان نظيفاً طيب الرائحة ﷺ.

(الرابع: شعر العانة) وإزالته مستحب إجماعاً، واختلف الفقهاء في تفسير العانة التي يستحب حلقها، فالمشهور الذي عليه الجمهور أنها ما حول ذكر الرجل وفرج المرأة من الشعر. وقال ابن سريج: انه الشعر الذي حول حلقة الدبر. قال النووي: فتحصل من مجموع هذا استحباب حلق جميع ما على القبل والدبر وحوليهما. **(ويستحب إزالة ذلك إما بالحلق)** بالموس وهو الذي في الحديث عند الجماعة عن أبي هريرة. «خمس من الفطرة فذكر فيهن الاستحداد» وهو استعمال الحديد في حلق العانة وهو تلويح عن الحلق، نعم النتف للمرأة أفضل، **(أو بالنورة)** وهو أنظف، أو بالقص بالمقراض، أو بالنتف وتحصل السنّة بكل منها إذ المقصود حصول النظافة. قال المناوي: وحكمة حلق العانة التنظف مما يكره عادة والتحسن للزوجين وهو للمرأة آكد. **(ولا ينبغي أن يتأخر عن أربعين يوماً)** لما تقدم من حديث أنس عند مسلم في التوقيت.

الخامس: الأظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها إذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ. قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة اقلم أظفارك فإن الشيطان يقعد على ما طال منها». ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء، لأنه لا يمنع وصول الماء، ولأنه يتساهل فيه للحاجة لا سيا في أظفار الرجل وفي الأوساخ التي تجتمع

تنبيه:

اختلف اللغويون في العانة فقال الأزهري، وجماعة: منبت الشعر فوق قُبُل الرجل والشعر النابت عليها يقال له الأسب والشعرة، وقال ابن فارس: العانة الأسب، وقال الجوهري هي شعر الركب، وقال ابن الأعرابي، وابن السكيت: استعان واستحد حلق عانته، وعلى هذا فالعانة الشعر النابت. وفي حديث بني قريظة: من كان له عانة فاقتلوه ظاهره دليل لهذا القول، وصاحب القول الأوّل يقول الأصل من كان له شعر عانة فحذف للعلم به، والله أعلم.

فائدة:

سوّى النووي بين الإبط والعانة في أنه يتولى ذلك بنفسه ولا يخير بين ذلك وبين مباشرة غيره لذلك لما فيه من هتك المروءة والحرمة بخلاف قص الشارب. قال العراقي: وهو مسلم نيا إذا أتى بالأفضل من النتف في الإبط، وأما إذا أتي بالحلق فلا بأس حينئذ لمباشرة غيره لإزالته لعسر تمكنه من الحلق، والله أعلم.

(**الخامس: الأظفار**) جمع ظفر بضمتين وهي أفصح اللغات، وبها قرأ السبعة في قوله تعالى: ﴿حرمنا كل ذي ظفر﴾ [الأنعام: ١٤٦] أو جمع ظفر بضم فسكون للتخفيف، وبها قرأ الحسن البصري. وربما يجمع على أظفر مثل ركن وأركن، أو جمع ظفر بالكسر وزان حمل أو جمع ظفر بكسرتين للاتباع وقرىء بها في الشاذ، (**وتقليمها مستحب**) وهو تفعيل من القلم وهو القطع ومنه تقليم الأشجار وهو قطع أطرافها (**لشناعة صورتها إذا طالت**) لأنها تشبه حينئذ بالحيوانات ولأنها إذا تركت بحالها تخدش وتخمش وتضر، (**ولما يجتمع فيها**) أي تحتها (**من الوسخ**)، وربما أجنب ولم يصلها الماء فلا يزال جنباً. (**قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة، قلّم أظفارك فإن الشيطان يقعد على ما طال منها»**). والمراد بالشيطان إبليس، ويحتمل أن أل فيه للجنس. قال العراقي: وأخرج الخطيب في الجامع من حديث جابر بإسناد ضعيف بلفظ: «قصوا أظافيركم فإن الشيطان يجري ما بين اللحم والظفر».

قلت: ورواه ابن عساكر أيضاً في تاريخه من حديث جابر إلا أن لفظه ولفظ الخطيب خللوا الحاكم وقصوا أظفاركم، والباقي سواء (**ولو كان تحت الظفر وسخ**) قليل (**فلا يمنع ذلك صحة الوضوء**) والغسل (**لأنه**) أي ذلك الوسخ (**لا يمنع وصول الماء**) إلى تحت الظفر، (**ولأنه يتساهل فيه للحاجة لا سيا في أظفار الرجل**). وعند أصحابنا إذا طال الظفر فغطى

على البراجم وظهور الأرجل والأيدي من العرب وأهل السواد، وكان رسول الله ﷺ يأمرهم بالقلم وينكر عليهم ما يرى تحت أظفارهم من الأوساخ ولم يأمرهم بإعادة الصلاة، ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك، ولم أرَ في الكتب خبراً مروياً في ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت «أنه ﷺ بدأ بمسبحته اليمنى وختم بابهامه اليمنى وابتدأ في اليسرى بالخنصر إلى الابهام» ولما تأملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة، إذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء

الأنملة فمنع وصول الماء إلى ما تحته أو كان في المحل المفروض غسنه شيء يمنع الماء أن يصل إلى الجسد كعجين وشمع وجب غسل ما تحته بعد إزالة المانع ولا يمنع الوسخ الذي في الأظفار سواء فيه القروي والمصري في الأصح فيصح الغسل معه لتولده من البدن اهـ.

(و) يتساهل أيضاً (**في الأوساخ التي تحت البراجم وظهور الأرجل والأيدي للعرب**) أي سكان البادية (**وأهل السواد**) أي سكان القرى والريف. (**وكان رسول الله ﷺ يأمر بالقلم**) أي القص، (**وينكر ما يرى تحت أظفارهم من الأوساخ**) وذلك فيما رواه الحكيم الترمذي من حديث عبدالله بن بشر: «قصوا أظافيركم ونقوا براجمكم ونظفوا لثاتكم». (**ولم يأمرهم بإعادة الصلاة**) ولو ثبت ذلك لنقل، (**ولو أمر به**) أي بإعادة الصلاة (**لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك**) ولكنه لم يثبت.

فإن قيل: قد ذكرتم الاتفاق على أن حلق العانة وتقليم الأظفار سنّة فما وجه قوله ﷺ فيما رواه أحمد من حديث رجل من بني غفار رفعه قال: «من لم يحلق عانته ويقلم أظفاره ويجز شاربه فليس منا» وهذا يدل على وجوب ذلك؟ والجواب عنه من وجهين. أحدهما: أن هذا لا يثبت لأن في إسناده ابن لهيعة والكلام فيه معروف، وإنما يثبت منه الأخذ من الشارب فقط، كما رواه الترمذي وصححه النسائي من حديث زيد بن أرقم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لم يأخذ من شاربه فليس منا». والثاني: أن المراد على تقدير ثبوته ليس على سنتنا وطريقتنا والله أعلم.

(**ولم أرَ في الكتب**) المؤلفة في الحديث (**خبراً**) صحيحاً (**مروياً**) من طرق صحيحة (**في ترتيب قلم الأظفار**) وقصها، (**ولكن سمعت**) من أفواه المشايخ (**أنه ﷺ بدأ**) في قص الأظفار (**بمسبحة اليمنى**) التي هي أصبع الشهادة (**وختم بإبهام اليمنى، وابتدأ في اليسرى بالخنصر إلى الابهام**). قال العراقي: لم أجد له أصلاً. وقد أنكره أبو عبدالله المازري في الرد على المصنف وشنع عليه به، وقال في شرح التقريب: لم يثبت في كيفية تقليم الأظفار حديث يعمل به، ثم نقل كلام المصنف بتمامه قال: (**ولما تأملت في هذا**)، أي فيما سمعت من المشايخ (**خطر لي من المعنى ما يدل على أن الرواية فيه صحيحة إذ مثل هذا المعنى**) الدقيق (**لا ينكشف ابتداء إلا بنور النبوّة**) أي باستضاءته والاقتباس منه، (**وأما العالم ذو**

إلا بنور النبوة، وأما العالم ذو البصيرة فغايته أن يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل إليه. فالذي لاح لي فيه والعلم عند الله سبحانه أنه لا بدّ من قلم أظفار اليد والرجل، واليد أشرف من الرِجل فيبدأ بها، ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة أشرفها إذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الأصابع، ثم بعدها ينبغي أن يبتدىء بما على يمينها إذ الشرع يستحب إدارة الطهور وغيره على اليمنى، وإن وضعت ظهر الكف على الأرض فالابهام هو اليمين، وإن وضعت بطن الكف فالوسطى هي اليمنى، واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلاً إلى جهة الأرض، إذ جهة حركة اليمين إلى اليسار واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عالياً فما يقتضيه الطبع أولى، ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة، فيقتضي ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة، فتقع البداءة بخنصر اليسرى والختم بإبهامها ويبقى ابهام اليمنى فيختم به التقليم. وإنما

البصيرة) التامة **(فغايته أن يستنبطه)** أي ذلك المعنى **(من العقل بعد نقل الفعل إليه)**.
قال في شرح التقريب: وقد تعقبه أبو عبدالله المازري في كتاب وقفت عليه له في الرد عليه وبالغ في هذا المكان في إنكار هذا عليه، وقال: إنه يريد أن يخلط الشريعة بالفلسفة، وهذا حاصل كلامه وبالغ في تقبيح ذلك، والأمر في ذلك سهل. وهكذا نقله التاج السبكي في طبقاته من ترجمة المصنف وقال: الأمر في ذلك سهل، ثم قال المصنف: **(فالذي لاح لي فيه)** من الحكمة **(والعلم عند الله سبحانه وتعالى)** انظر إلى انصافه رحمه الله تعالى حيث قال أولاً: ولم أرَ في الكتب خبراً مروياً ثم أبدى فيه من الحكمة مع إيكال العلم إلى الله تعالى **(أنه لا بدّ من قلم أظفار اليد والرجل)** لأنه مأمور بها، **(واليد أشرف من الرجل)** لا محالة **(فيبدأ بها)** لشرفها، **(ثم اليمنى أشرف من اليسرى)** في اليد **(فيبدأ بها)** أي باليمنى، **(ثم على اليمين خمسة أصابع والمسبحة أشرفها إذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الأصابع)** فكان الابتداء بها أولى، وقد كان النبي ﷺ يشير بها عند الدعاء وفي التشهد، **(ثم بعدها)** أي المسبحة **(ينبغي أن يبتدىء بما على يمينها)**، وهي ما على جهة يمين الرجل **(إذ الشرع يستحب إدارة الطهور وغيره على اليمين)**، ففي المتفق عليه من حديث عائشة «كان يعجبه التيمن في تطهيره وترجله وتنعله وفي شأنه كله» **(وإن وضعت ظهر الكف)** وفي نسخة اليد **(على الأرض فالإبهام هو اليمين وإن وضعت ظهر الكف فالوسطى هي اليمين، واليد إذا تركت بطبعها كان الكف مائلاً إلى جهة الأرض إذ جهة حركة اليمنى إلى اليسار واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف غالباً فما يقتضيه الطبع أولى، ثم إذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة فتقع البداية بخنصر اليسرى والختم بإبهامها ويبقى**

قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها. وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف، فإن ذلك لا يقتضيه الطبع. وأما أصابع الرجل فالأولى عندي ـ إن لم يثبت فيها نقل ـ أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل، فإن المعاني التي ذكرناها في اليد لا تتجه ههنا إذ لا مسبحة في الرِجل. وهذه الأصابع في حكم صف واحد ثابت على الأرض، فيبدأ من جانب اليمنى فإن تقديرها حلقة بوضع الأخمص على الأخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين. وهذه الدقائق في الترتيب

ابهام اليمين). وحاصل الكلام فيه: أن الغالب الذي يقص يكون يده ظهرها إلى فوق فكان الذي إلى جهة يمينه الوسطى ثم ما بعدها إلى الخنصر ولم يبق منها حينئذ إلا الإبهام فيختم به، وأما اليد اليسرى فلا فضيلة فيها للمسبحة على غيرها. وقد رأى النبي ﷺ بلالاً يدعو وهو يشير بأصبعيه المسبحة من اليمنى ونظيرها من اليسرى فقال له: أحد أحد أي أشر بأصبع واحدة ولا تشر بنظيرها من اليسرى، وإذا كان كذلك فلا وجه لتقديم المسبحة منها، فلم يبق إلا البداءة بأحد طرفيها ويقص على الولاء، وأما ميله إلى تقديم الخنصر. فلأن اليد غالباً تقص وظهرها إلى فوق فإذا بدأ بخنصرها أتى بعدها بما يلي جهة يمينه، ولو بدأ بالابهام أوّلاً لأتى بعدها بما يلي جهة شماله، فكان الاعتناء بجهة اليمين أولى والله أعلم. وقد وافقه عليه النووي في شرح مسلم، ثم قال المصنف: **(وإنما قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها. وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فإن ذلك لا يقتضيه الطبع)**. ثم شرع في بيان كيفية قص أصابع الرِجل فقال: **(وأما أصابع الرجل فالأولى عندي إن لم يثبت فيها نقل)** عن فعله ﷺ **(أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل)** ومرّ في باب الوضوء، **(فإن المعاني التي ذكرناها لا تتجه ههنا إذ لا مسبحة في الرجل، وهذه الأصابع في حكم صف واحد ثابت على الأرض فيبدأ من جانب اليمنى، فإن تقديرها حلقة بوضع الأخمص على الأخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين)**. وذكر النووي في شرح مسلم في تقليم أظفار الرجلين أنه يستحب أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما ذكره المصنف. قال الولي العراقي: وهو يعكر على ما تقدم من القص إلى جهة اليمين. قال العراقي: ورأيت بعض شيوخنا يختار في قص الأظفار كيفية أخرى بحيث يكون القص مخالفاً لا على الولاء وأنه يبدأ بمسبحة اليد اليمنى ثم بالبنصر ثم بالابهام ثم بالوسطى ثم بالخنصر ثم بمسبحة اليسرى كذلك على المخالفة، ثم بخنصر الرجل اليمنى ثم بالوسطى ثم بالابهام ثم بالأصبع المجاورة للخنصر ثم المجاورة للابهام ثم بإبهام اليسرى ثم الوسطى ثم الخنصر ثم التي تجاور الابهام ثم التي تجاور الخنصر، وقال: إنه جرّب هذا للسلامة من الرمد وأنه كان كثيراً ما يرمد فمن حين صار يقص على هذا الوجه لم يرمد بعد ذلك، ورأيت من يذكره حديثاً من قص أظفاره مخالفاً عوفي من الرمد، وهذا

....

الحديث لا أصل له البتة والكيفية الأولى أولى، وإن لم يكن التقييد بها سنّة لعدم ثبوتها أيضاً وكيفما قص حصل السنة والله أعلم. اهـ.

قلت: وقوله: من قص أظفاره مخالفاً إلخ ذكره الحافظ الدمياطي عن بعض مشايخه، وهنا كيفية ثالثة مشهورة بين الناس، وقد سمعت شيخنا المرحوم علي بن موسى الحسيني يذكر ذلك عن شيخنا وشيخه المرحوم الشهاب أحمد الملوي وينقل عنه ذلك قال: سمعته يقول:

قصوا الأظافير بالسنة والأدب ... يمينها خوابس يسارها أو خسب

ثم سمعت ذلك من شيخنا وشيخه المشار إليه، والصحيح أنه لم يثبت فيه شيء يعتمد عليه وإنما هو من عمل المشايخ.

فصل

قال العراقي: يخير الذي يقلم أظفاره بين أن يباشر ذلك بنفسه وبين أن يقص له غيره كقص الشارب سواء إذ لا هتك حرمة في ذلك ولا ترك مروءة قاله النووي وغيره، ولا سيما من لا يحسن قص أظفار يده اليمنى، فإن كثيراً من الناس لا يتمكن من قصها لعسر استعمال اليسار، فإن الأولى في حقه أن يتولى ذلك غيره لئلا يجرح يده أو يؤذيها اهـ.

قلت: وسواء أخذ بالمقص كما هو المألوف للناس أو بالمقلمة أو غيرها من الآلات وعلى أي وجه كان تحصل السنّة، وأما ما تعود بعض الناس بقطعها بالأسنان فإنه مكروه بل ربما يورث الفقر.

فصل

في التوقيت فيه حديث أنس عند مسلم: «وقّت لنا في قص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الابط وحلق العانة أن لا يترك أكثر من أربعين ليلة»، وقد تقدم الكلام على هذا الحديث. قال العراقي: وليس فيه تأقيت لما هو أولى، بل ذكر فيها أنه لا يزيد على أربعين. قال صاحب المفهم هذا تحديد أكثر المدة. قال: والمستحب تفقد ذلك من الجهة إلى الجهة، وإلاّ فلا تحديد فيه للعلماء إلا أنه إذا كثر ذلك أزيل، وكذا قال النووي في شرح مسلم، وفي الكامل لابن عدي من حديث أنس: «وقّت رسول الله ﷺ أن يحلق الرجل عانته كل أربعين يوماً وأن ينتف إبطه كلما طلع ولا يدع شاربيه يطولان وأن يقلم أظفاره من الجمعة إلى الجمعة»، الحديث. قال الذهبي في الميزان: هذا حديث منكر.

فصل

قال ابن قدامة في المغني: ويسن غسل رؤوس الأصابع بعد قصها، ويقال: إن الحك بها قبل غسلها يضر بالبدن اهـ.

قلت: ويستحب غسل ذلك قبل القص ليعين على قصها بسهولة، وقوله: يضر بالبدن قيل أنه يورث البرص أعاذنا الله من ذلك.

فصل

ويستثنى من ندب قلم الأظفار مواضع منها حالة الإحرام وعشر ذي الحجة لمريد التضحية وحالة الموت وحالة الغزو. كذا في المحيط للسرخسي.

فصل

قال العراقي: فإن قيل: قد قدمتم أن حلق العانة وتقليم الأظفار سنّة وليس بواجب فما وجه قوله ﷺ فيما رواه أحمد في مسنده من حديث رجل من بني غفار: «من لم يحلق عانته ويقلم أظفاره ويجز شاربه فليس منا». وهذا يدل على الوجوب؟ والجواب عنه من وجهين. أحدهما: أن هذا لم يثبت لأن في إسناده ابن لهيعة والكلام فيه معروف، وإنما يثبت منه الأخذ من الشارب فقط كما رواه الترمذي وصححه، والنسائي من حديث زيد بن أرقم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لم يأخذ من شاربه فليس منا»، والثاني: المراد على تقدير ثبوته ليس على سنّتنا وطريقتنا، والله أعلم.

فصل

قال الحافظ السخاوي في المقاصد: لم يثبت تعيين لقص الأظفار عن النبي ﷺ شيء وما يعزى من النظم في ذلك لعلي رضي الله عنه، ثم لشيخنا رحمه الله تعالى فباطل عنهما اهـ.

وقال العراقي: اختلفت الأحاديث الواردة في أيام الأسبوع بقص الأظفار، فورد في بعضها يوم الجمعة وفي بعضها يوم الخميس. قال البيهقي في سننه الكبرى: روينا عن أبي جعفر مرسلاً قال: كان رسول الله ﷺ يستحب أن يأخذ من شاربه وأظفاره يوم الجمعة اهـ.

قال العراقي: وأما قصها يوم الخميس فرويناه في حديث مسلسل بذلك أخبرني به أبو العباس أحمد بن عبد الأحد الحراني، ورأيته يقلم أظفاره يوم الخميس قال: أخبرنا الحافظ عبد المؤمن بن خلف الدمياطي ورأيته يقص أظفاره يوم الخميس قال: أخبرنا المشايخ الستة صقر بن يحيى بن صقر، وأبو طالب عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن العجمي، وأبو القاسم عمر بن سعيد بن عبد الواحد الحلبيون، والحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل، ومحمد وعبد الحميد بن عبد الهادي بن قدامة الدمشقيون. ورأيت كل واحد منهم يقلم أظفاره يوم الخميس قالوا: أخبرنا يحيى بن محمود الثقفي، ورأيناه يقلم أظفاره يوم الخميس قال: أخبرنا جدي لأمي أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي، ورأيته يقلم أظفاره يوم الخميس قال: رأيت الإمام أبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي يقلم أظفاره يوم الخميس قال: رأيت الحافظ أبا العباس جعفر بن محمد

....

المستغفري يقلم أظفاره يوم الخميس. قال: رأيت الإمام أبا جعفر محمد بن أحمد بن عبد العزيز المكي يقلم أظفاره يوم الخميس. قال: رأيت الإمام إسماعيل بن محمد بن علي شاه المروذي يقلم أظفاره يوم الخميس قال: رأيت أبا بكر محمد بن عبدالله النيسابوري وهو يقلم أظفاره يوم الخميس قال: رأيت عبدالله بن موسى بن الحسن يقلم أظفاره يوم الخميس قال: رأيت الفضل بن العباس الكوفي وهو يقلم أظفاره يوم الخميس. قال: رأيت الحسن بن هارون بن إبراهيم الضبي يقلم أظفاره يوم الخميس قال: رأيت عمر بن حفص يقلم أظفاره يوم الخميس وقال: رأيت أبي جعفر بن غياث يقلم أظفاره يوم الخميس، وقال: رأيت جعفر بن محمد يقلم أظفاره يوم الخميس، وقال: رأيت أبي محمد بن علي يقلم أظفاره يوم الخميس، وقال: رأيت الحسين بن علي يقلم أظفاره يوم الخميس، وقال: رأيت علياً رضي الله عنه يقلم أظفاره يوم الخميس، وقال: رأيت رسول الله ﷺ يقلم أظفاره يوم الخميس. ثم قال: «يا علي قص الظفر ونتف الإبط وحلق العانة يوم الخميس والغسل والطيب واللباس يوم الجمعة» وفي اسناده من يحتاج إلى الكشف عن حاله من المتأخرين، فأما الحسين بن هارون الضبي ومن بعده فثقات اهـ.

وقال الحافظ في الجواهر المكللة بعد أن رواه بشرطه عن الصلاح محمد بن الخازن عن الحافظ العراقي ح. وعالياً عن أحمد بن علي بن محمد المؤذن بصالحية دمشق، والزين عبد الواحد بن صدقة الحراني بحلب، وأبي المعالي أحمد الذهبي بالقاهرة، برواية الأوّل عن الكمال أبي عبدالله بن النحاس، وبرواية الثالث عن أبي هريرة ابن الذهبي كلاهما عن أحمد بن عبد الرحمن البعلي بشرطه، وبرواية الثاني عن جده الشرف أبي بكر محمد بن يوسف الحراني عن العز أبي إسحاق ابراهيم بن صالح بن العجمي. هو والبعلي عن الخطيب بن عبدالله محمد بن إسماعيل المرداوي، عن أبي الفرج الثقفي ح. هذا حديث ضعيف انفرد به عبدالله بن موسى وهو أبو الحسن السلامي. كان أبو عبدالله بن منده سيء الرأي فيه، وقال الحاكم: إنه كتب عمن دب ودرج من المجهولين وأصحاب الزوايا وفي رواياته كما قال الخطيب: غرائب ومناكير وعجائب، وممن روى هذا المسلسل عن السلامي الحسين بن محمد الطالقاني ومحمد بن الحسين الصوفي. ورواه الديلمي في مسنده مسلسلاً من طريق أبي عبد الرحمن السلمي، عن عبدالله بن موسى. وأخرجه أبو عصمة الاخسيكتي في مسلسلاته عن أحمد بن عبد العزيز المكي اهـ.

قلت: وقد سقط ذكر عبدالله بن موسى من سياق سند العراقي وقد زدته أنا. ونقله المناوي في شرح الجامع عنه وليس فيه ذكر عبدالله بن موسى أيضاً وهو لا بدّ منه، فإنه الذي عليه مدار هذا الحديث. وممن سمع هذا الحديث بشرطه على الزين العراقي الصلاح محمد بن محمد الحكري، وفي سياقه ذكر عبدالله بن موسى إلاّ أنه خالف في اسم جده وقد علم من ذلك أنه إنما سقط من قلم النساخ، وقد قال المناوي: أخبرني به والدي ورأيته يقص أظفاره يوم الخميس. قال: رأيت الشيخ معاذاً وهو يقص أظفاره يوم الخميس. قال: أخبرني شيخ الإسلام يحيى المناوي ورأيته يقلم أظفاره يوم الخميس قال: رأيت الحافظ ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم العراقي يقص أظفاره يوم

تنكشف بنور النبوّة في لحظة واحدة وإنما يطول التعب علينا . ثم لو سئلنا ابتداء عن الترتيب في ذلك ربما لم يخطر لنا ، وإذا ذكرنا فعله ﷺ وترتيبه ربما تيسر لنا بما عاينه ﷺ بشهادة الحكم وتنبيهه على المغنى استنباط المعنى ، ولا تظنن أن أفعاله ﷺ في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب ، بل جميع الأمور الاختيارية التي ذكرناها يتردد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام كان لا يقدّم على واحد معين بالاتفاق ، بل بمعنى يقتضي الإقدام والتقديم ، فإن الاسترسال مهملاً ـ كما يتفق ـ سجية البهائم ، وضبط الحركات بموازين المعاني سجية أولياء الله تعالى . وكلما كانت حركات الإنسان وخطراته إلى الضبط أقرب وعن الاهمال وتركه سدى أبعد ؛ كانت مرتبته إلى رتبة الأنبياء والأولياء أكثر وكان قربه من الله عز وجل أظهر ؛ إذ القريب

الخميس . قال : أخبرني والدي ورأيته يقص أظفاره يوم الخميس بسنده المتقدم ولا بأس بإيراد سندي إلى المناوي ، فإن الاتصال في المسلسلات مرغوب وعلوه مطلوب أخبرني به شيخنا العلامة عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي الحنفي ، ورأيته يقص أظفاره يوم الخميس بمدينة زبيد سنة ١١٦٤ . قال : أخبرني به الشيخ أبو عبدالله محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي ، ورأيته يقص أظفاره يوم الخميس بمكة قال : أخبرنا عبدالله بن سالم البصري ورأيته يقص أظفاره يوم الخميس . قال : أخبرنا الحافظ محمد بن علاء الدين البابلي ورأيته يقص أظفاره يوم الخميس . قال : أخبرنا الشيخ عبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي المناوي ورأيته يقص أظفاره يوم الخميس بسنده المتقدم .

(**وهذه**) حكمة ظاهرة عند صدق التأمل وتلك (**الدقائق**) الخفية (**في الترتيب**) المذكور في القص (**تنكشف بنور النبوّة في لحظة واحدة**) لمن اقتبس جذوة منه ، (**وإنما يطول التعب علينا**) لبعدنا عن تلك الأنوار . (**ثم لو سئلنا ابتداء ربما لم يخطر لنا**) بالبال ، (**وإذا ذكرنا فعله ﷺ وترتيبه**) المراعي في ذلك (**ربما تيسر لنا بما عاينه ﷺ**) . وفي بعض النسخ : بإعانته ﷺ ثم (**بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى**) من ذلك ، (**ولا تظنن**) أيها السالك في طريق الحق (**أن أفعاله ﷺ كانت خارجة عن**) دائرة (**وزن**) معنوي (**وقانون**) إلهي (**وترتيب**) رباني ، (**بل جميع الأمور الاختيارية التي يتردد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام**) متنوّعة (**كان لا يقدم على واحد**) منها (**معين بالاتفاق ، بل بمعنى يقتضي الإقدام**) عليه (**والتقديم**) على غيره ، (**فإن الاسترسال مهملاً كما**) . وفي بعض النسخ : كيفما (**يتفق سجية البهائم**) ومن لا يعقل المعاني (**وضبط الحركات بموازين المعاني**) الصادقة (**سجية أولياء الله تعالى**) أي عادتهم وخلقهم . (**وكلما كانت حركات الإنسان**) في أفعاله (**وخطراته**) في قصوده وإراداته (**إلى الضبط**) الإلهي أقرب (**وعن الإهمال وتركه سدى**) بلا حكمة (**أبعد . كانت مرتبته إلى رتبة الأولياء**) والصديقين (**والأنبياء أكثر**

منّ النبي ﷺ هو القريب من الله عز وجل، والقريب من الله لا بدّ أن يكون قريباً، فالقريب من القريب قريب بالإضافة إلى غيره، فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في يد الشيطان بواسطة الهوى. واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله ﷺ « فإنه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثاً، وفي اليسرى اثنيـن » فيبدأ باليمنى لشرفها. وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وتراً، فإن للوتر فضلاً على الزوج فإن الله سبحانه وتر يحب الوتر، فلا ينبغي أن يخلو فعل العبد من مناسبة لوصف من أوصاف الله

وكان قربه من الله عز وجل أظهر، إذ القريب) بحركاته من الولي الرحماني هو القريب **(من النبي ﷺ هو القريب من الله عز وجل)** يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فاتبعوني يحببكم الله﴾ [:] **(والقريب من الله لا بد أن يكون قريباً، فالقريب من القريب قريب بالإضافة)** أي النسبة **(إلى غيره)** الذي ليس هو قريباً. **(فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا)** في الأمور والأفعال وملاكها **(في ناحية الشيطان)** أي في يده **(بواسطة الهوى)** النفساني، **(ولنبين عن ضبط الحركات باكتحاله ﷺ فإنه)** ثبت من حديث ابن عمر فيما رواه الطبراني باسناد ضعيف أنه **(كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثاً وفي اليسرى إثنين)** أي: **(فيبدأ باليمنى)** لأنه كان من عادته التيمن في شأنه كله كما هو عند الترمذي في الشمائل، وإنما كان يختار البداءة باليمنى من العين **(لشرفها وتفاوته في العينين)** بأن في احداهما ثلاثاً وفي الأخرى اثنين **(لتكون الجملة وتراً)** أي فرداً **(فإن للوتر فضلاً على الزوج)** من الأعداد، **(فإن الله سبحانه وتر يحب الوتر)** هو حديث وقد أغفله العراقي، أخرجه أحمد والبزار عن ابن عمر، وقال الهيثمي: رجاله موثقون. وأخرجه محمد بن نصر في كتاب الصلاة عن أبي هريرة، وابن عمر. والمعنى أن الله تعالى واحد في ذاته لا يقبل الانقسام والتجزئة، واحد في صفاته فلا شبيه له، واحد في أفعاله فلا شريك له ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١] يحب الوتر أي صلاته أو أعم بمعنى أنه يثيب عليه ويقبله من عامله قبولاً حسناً. قال القاضي: وكل ما يناسب الشيء أدنى مناسبة كان أحب إليه مما لم يكن له تلك المناسبة. وعند الترمذي من حديث عاصم مثله بزيادة « فأوتروا يا أهل القرآن ». وهذا يؤيد من ذهب إلى أن المراد بالوتر صلاته وفيه إطلاق الوتر على الله تعالى، ولكن لا من جهة العدد ولكن بمعنى لا نظير له كإطلاق الفرد عليه بهذا المعنى. **(فلا ينبغي أن يخلو فعل العبد من مناسبته لوصف من أوصاف الله تعالى)** فيتعين عليه أن يكون من أهل الوتر في جميع الأفعال حتى يطلب العدد والكمية. قال الحكيم الترمذي: خلق الله الأشياء على محبوب الوتر واحداً وثلاثاً وخمساً وسبعاً، فالعرش واحد والكرسي واحد والقلم واحد واللوح واحد والدار واحدة والسجن واحد وأبواب الجنة سبعة والأيام سبعة والأنهار سبعة، وافترض على عباده خمس صلوات وعدد ركعاتها سبعة عشر وأم القرآن آياتها وتر إلى آخر ما ذكره. وقوله: فلا ينبغي إلخ. قال المصنف في خاتمه شرح الأسماء الحسنى: ولقد سمعت الشيخ أبا علي الفارمدي عن شيخه أبي القاسم

تعالى. ولذلك استحب الإيتار في الاستجمار. وإنما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر، لأن اليسرى لا يخصهـا إلا واحدة، والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجفان بالكحل، وإنما خصص اليمين بالثلاث لأن التفضيل لا بدّ منه للايتار واليمين أفضل فهي بالزيادة أحق.

فإن قلت: فلِمَ أقتصر على اثنين لليسرى وهي زوج؟ فالجواب أن ذلك ضرورة إذ لو جعل لكل واحدة وتر لكان المجموع زوجاً إذ الوتر مع الوتر زوج، ورعايته الإيتار في مجموع الفعل وهو في حكم الخصلة الواحدة أحب من رعايته في الآحاد. ولذلك أيضاً وجه وهو أن يكتحل في كل واحدة ثلاثاً على قياس الوضوء، وقد نقل ذلك في

الكركاني أنه قال: إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافاً للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل، وهذا الذي ذكره إن أراد به شيئاً يناسب ما أوردناه في التنبيهات فهو صحيح ولا يظن به إلا ذلك، ويكون في اللفظ نوع توسع واستعارة وإلا فمعاني الأسماء هي صفات الله تعالى، وصفاته لا تصير صفة لغيره. ولكن معناه من يحصل ما يناسب تلك الأوصاف كما يقال: فلان حصل علم الأستاذ وعلم الأستاذ لا يحصل للتلميذ، بل يحصل له مثل علمه، وإن ظن ظان أن المراد ليس ما ذكرناه فهو باطل قطعاً ثم أطال في تقرير كلامه فراجعه، (**ولذلك**) أي ولما كان الوتر محبوباً إلى الله تعالى (**استحب الايتار في الاستجمار**) إما بمعنى استعمال الحجر في الاستنجاء كما تقدم في بابه أو بمعنى استعمال البخور كما كان يفعله ابن عمر، ونقل عن مالك أيضاً. (**وإنما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر**) بأن يجعل في اليمنى اثنين وفي اليسرى واحداً (**لأن اليسرى**) على هذا (**لا يخصها إلا**) كحلة (**واحدة، والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجفان بالكحل**)، فلذلك أعطى لليمنى ثلاثاً ولليسرى اثنين فيحصل الايتار بمجموعهما مع استيعاب اليسرى حقها، (**وإنما خصص اليمنى**) بالثلاث (**لأن التفضيل لا بد منه للايتار واليمين أفضل**) وأشرف (**فهي بالزيادة أحق**) من اليسار.

(**فإن قلت: لم اقتصر على اثنين لليسرى وهي زوج**) وقد قلتم بمحبوبية الايتار في كل شيء وقد قال ابن عربي في اكتحال الوتر في كل عين واحدة أو ثلاث لأن كل عضو عين مستقل؟ (**فالجواب أن ذلك ضرورة إذ لو جعل لكل واحدة وتراً**) واحداً أو ثلاثاً (**كان المجموع زوجاً إذ الوتر مع الوتر زوج**)، وهذا ظاهر. ولكن يعكر عليه ما سيأتي بعد إنه كان يكتحل في كل عين ثلاثاً، (**ورعايته الايتار في مجموع الفعل وهو في حكم الجملة الواحدة أحب من رعايته في الآحاد**) وهذا على تقدير أن العينين في حكم عضو واحد فينظر فيه إلى مجموع الفعل والحكمة المذكورة، وإن كانت صحيحة نكنها إذا عورضت بما يخالفها ينعدم حكمها. وقد أشار المصنف لما يعارضها فقال: (**ولذلك**) أي للإيتار في كل عين (**أيضاً وجه**) لا يضاد الحكمة (**وهو أن يكتحل في كل واحدة ثلاثاً على قياس الوضوء وقد نقل**

الصحيح وهو الأولى. ولو ذهبت أستقصي دقائق ما راعاه ﷺ في حركاته لطال الأمر فقس بما سمعته ما لم تسمعه. واعلم أن العالم لا يكون وارثاً للنبي ﷺ إلا إذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي ﷺ إلا درجة واحدة وهي درجة النبوّة، وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث إذ الموروث هو الذي حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه وتلقاه بعد حصوله له، فأمثال هذه المعاني مع سهولة أمرها بالإضافة إلى

ذلك في الصحيح وهو الأولى). قال العراقي: هو عند الترمذي، وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذي: حديث حسن اهـ.

قلت: ولفظه عندهما كان له مكحلة يكتحل بها كل ليلة ثلاثاً في هذه وثلاثاً في هذه. هكذا هو في اللباس عند الترمذي وفي الشمائل نحوه. وقال في العلل: إنه سأل البخاري عنه فقال هو غير محفوظ اهـ. وقال الصدر المناوي فيه عباد بن منصور ضعفه الذهني اهـ. ولكن نقل المناوي في شرح الجامع. قال البيهقي: هذا أصح ما في الاكتحال. وفي أحاديث أخر أن الايتار بالنسبة إلى العينين، ولعل هذا ملحظ المصنف بقوله. وقد نقل ذلك في الصحيح لا كما يتبادر عند الإطلاق أنه من حديث الصحيحين. قال ابن حجر في شرح الشمائل: وآثر الثلاثة رعاية للايتار، ومن ثم روى أبو داود «من اكتحل فليوتر» ولأنه متوسط بين الإقلال والإكثار وخير الأمور أوسطها.

(**ولو ذهبت استقصي**) أي أطلب نهاية (**دقائق ما راعاه ﷺ في حركاته**) وسكناته وأموره كلها (**لطال الأمر**) عن البيان، (**فقس**) أنت (**بما سمعته**) ونقل إليك (**ما لم تسمعه**) ولم يبلغ إليك وتيقن بأن أموره ﷺ كلها بمناسبات روحانية وترتيبات إلهية علمها من علمها وجهلها من جهلها. (**واعلم أن العالم**) الكامل في العلم (**لا يكون وارثاً للنبي ﷺ إلا إذا اطلع على جميع معاني الشريعة**) وأحاط بأسرارها ومعرفة محاسنها الدقيقة، (**حتى لا يكون بينه وبين النبي ﷺ إلا درجة واحدة**) التي لا يصل إليها (**وهي درجة النبوّة**) لأنها موهوبة غير مكتسبة (**وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث**) عنه. وظاهر سياقه يدل أن من اتصف بما ذكر فهو من الصديقين عند الله تعالى، وذلك لأنه ليس تحت درجة النبوّة إلا الصديقية وقد نالها (**إذ الموروث**) منه (**هو الذي حصل المال له**) بجهده (**واشتغل بتحصيله**) بأي وجه كان (**واقتدر عليه**) بحيث صار ملكاً له، (**والوارث هو الذي لم يحصل**) ذلك ولم يجتهد في تحصيله (**ولم يقدر عليه ولكن انتقل إليه**) بالفريضة الشرعية (**وتلقاه منه بعد حصوله له**). وتحقيق هذا المقام أن الموروث عنه يخدم الوارث بما تعب في جميع ما أورثه غير أن الإرث المعنوي الذي هو العلم لم ينقص شيئاً من مورثه بوراثة الوارث بخلاف الدينار والدرهم، فإنهما نقل العين بالوراثة من المورث إلى الوارث، والأنبياء ما ورثوا إلا

الأغوار والأسرار لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء، ولا يستقل باستنباطها تلقياً بعد تنبيه الأنبياء عليها إلا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام.

السادس والسابع: زيادة السرة وقلفة الحشفة، أما السرة فتقطع في أول الولادة وأما التطهير بالختان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يثغر

العلم وهو ما ورثهم الحق، والعلماء ورثة الأنبياء فالنبي وارث من وجه موروث من وجه، وكذلك علماء الأمة فمنهم من ورث علم الأحكام والشرع من ظاهر النبوة، ومنهم من ورث علم الأسرار والكشف من باطن النبوّة ولهما المرتبة الثانية من الوراثة وما يحصل للورثة من حضرة النبوّة لا يقبل الشبهة كما يقبلها العلم النظري فهو في غاية البيان، وأي عامل عمل بأمر مشروع وحصل من ذلك العلم علم بالله، فهو من العلم الموروث. وقد لوح المصنف إلى ذلك حيث قال: (**فأمثال هذه المعاني مع سهولة أمرها بالإضافة إلى الأغوار والأسرار**) الخفية (**لا يستقل بدركها ابتداء إلا الأنبياء**) عليهم الصلاة والسلام، فهو الوارثون عن الله تعالى بمالهم من محض عنايته وفضله (**ولا يستقل باستنباطها**) أي إبراز دقائق تلك المعاني (**تلقياً**) من صدور النبوة واقتباساً من مشكاة أنوارها، وذلك (**بعد تنبيه الأنبياء عليها**) تلويحاً وتصريحاً (**إلا العلماء**) الكمل (**الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام**). ثم لا يخلو ذلك الأمر المنبه عليه سواء كان شرعاً لنبي مخصوص أو كان شرعاً لمن قبله من الأنبياء قرره نبي هذا العامل، فهو وارث من كان العامل بشرعه خاصة ووارث نبيه بما قرره له فيحشر في صفوف الأنبياء عليهم السلام والله أعلم.

(**السادس والسابع: زيادة السرة وقلفة الحشفة**) اعلم أن زيادة السرة تسمى بالسر وهو جسم كالمصران متصل بسرته منه، وأما القلفة ففيها لغات المشهور منها على وزان قصبة والجمع قلف وقلفات كقصب وقصبات، والثانية القلفة كغرفة والجمع قلف كغرف وهي الجلدة التي تقطع في الختان، ومن عظمت جلدته هذه يقال له الأقلف وهي قلفاء وقلفها القالف قطعها والحشفة بالتحريك رأس الذكر. (**أما السرة: فتقطع في أوّل الولادة**) في سياق المصنف هنا تجوّز فإن الذي يقطع هو الجلد المتصل كالمصران بالسرة وليس هو نفس السرة، وقوله في أوّل الولادة أي إذا ولد المولود يجب أن يبدأ أوّل شيء قطع سرة فوق أربع أصابع، وإنما وجب قطع هذا الجسم لأنه لو بقي على طوله لتعفن وتضرر الصبي برائحته، وربما وصلت عفونته إلى السرة وإنما جعل القطع فوق أربع أصابع لأنه لو كان أقل من هذا لتألم الجنين به ألماً شديداً ويربط بصوفة نقية تفتل فتلاً لطيفاً وتوضع على موضع الربط خرقة مغموسة في الزيت، ومما أمر به في قطع السرة أن يؤخذ العروق الصفر ودم الأخوين والانزروت والكمون والأشنة والمر أجزاء سواء يسحق ويذر على سرته ثم تشد. (**وأما التطهير بالختان**) أي قطع القلفة التي تغطي الحشفة من الرجل وقطع بعض الجلدة التي في أعلى فرج المرأة ويسمى ختان الرجل «اعذاراً» بالعين المهملة والذال المعجمة والراء. وختان المرأة «خفاضاً» بالخاء المعجمة والضاد المعجمة أيضاً، فقد اختلف في الوقت الذي يشرع فيه، (**فعادة اليهود اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن يثغر**)

الولد أحب وأبعد عن الخطر. قال ﷺ: «الختان سنَّة للرجال ومكرمة للنساء».

أي يقوى (**الولد أحب وأبعد من الخطر**) هذا القول أشار به إلى وقته وهو البلوغ أو بعده على الصحيح من مذهب المصنف لما روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس انه سئل مثل من أنت حين قبض رسول الله ﷺ؟ قال: أنا يومئذ مختون، وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك وأما وقت الاستحباب فقال الماوردي: هو قبل البلوغ والاختيار في اليوم السابع من بعد الولادة، وقيل: من يوم الولادة فإن أخر ففي الأربعين يوماً، فإن أخر ففي السنة السابعة، فإن بلغ وكان نضواً نحيفاً يعلم من حاله أنه إن ختن تلف سقط الوجوب، ويستحب أن لا يؤخر عن وقت الاستحباب إلا لعذر. وذكر القاضي الحسين أنه لا يجوز أن يختن الصبي حتى يصير ابن عشر سنين لأنه حينئذ يضرب على ترك الصلاة، وألم الختان فوق ألم الضرب فيكون أولى بالتأخير. وزيفه النووي في شرح المهذب ولم يذكر المصنف حكم الختان هل هو واجب أو سنّة. وقد اختلف العلماء فيه فذهب أكثر العلماء إلى أنه سنّة وليس بواجب وهو قول مالك وأبي حنيفة في رواية وفي أخرى عنه واجب وفي أخرى عنه يأثم بتركه، وإليه ذهب بعض أصحاب الشافعي، وذهب الشافعي إلى وجوبه مطلقاً وهو مقتضى قول سحنون من المالكية، وذهب أحمد وبعض أصحاب الشافعي إلى أنه واجب في حق الرجال سنّة في حق النساء، واحتج من قال انه سنّة بما (**قال ﷺ: «الختان سنّة للرجال ومكرمة للنساء»**) هكذا بالواو في سائر نسخ الكتاب، ومثله في الجامع، وفي نسخة العراقي وغيرها بحذفها. قال: رواه أحمد والبيهقي من رواية أبي المليح بن أسامة عن أبيه باسناد ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الطبراني والبيهقي أيضاً من حديث شداد بن أوس وأبي أيوب وابن عباس. وفي سند الإمام أحمد الحجاج بن أرطأة عن والد أبي المليح والحجاج ضعيف لا يحتج به. وقال ابن عبد البر: إنه يدور على الحجاج بن أرطأة وليس ممن يحتج به.

قال العراقي: وقد رواه الطبراني في مسند الشاميين من غير طريق الحجاج من رواية سعيد بن بشير، عن قتادة عن جابر بن زيد، عن ابن عباس وأجاب من أوجبه بأنه ليس المراد بالسنّة هنا خلاف الواجب، بل المراد الطريقة. واحتج من أوجبه بقوله تعالى: ﴿أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾ [النحل: ١٢٣] وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رفعه «اختتن ابراهيم النبي ﷺ وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم» وقد روى أبو يعلى من طريق علي بن رباح مصغراً قال: أمر إبراهيم بالختان فاختتن بقدوم فاشتد عليه، فأوحى الله إليه عجلت قبل أن نأمرك بآلته فقال: يا رب كرهت أن أؤخر أمرك. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «الفطرة خمس فذكر الختان»، وأغرب القاضي أبو بكر بن العربي في شرح الموطأ حيث قال: عندي أن الخصال الخمس المذكورة كلها واجبة، وتعقبه أبو شامة على ما سيأتي في آخر هذا الكتاب، ونقل ابن دقيق العيد عن بعض العلماء أنه قال: دلّ الخبر على أن الفطرة بمعنى الدين، والأصل فيما أضيف إلى الشيء أنه منه أن يكون من أركانه لا من زوائده حتى يقوم دليل على خلافه. وقد ورد الأمر باتباع

....

ابراهيم عليه السلام، وعلمت أن هذه الخصال أمر بها إبراهيم عليه السلام وكل شيء أمر الله تعالى باتباعه فهو على الوجوب لمن أمر به، وتعقب بأن وجوب الاتباع لا يقتضي وجوب كل متبوع فيه، بل يتم الاتباع بالامتثال فإن كان واجباً على المتبوع كان واجباً على التابع أو ندباً فندب ويتوقف ثبوت هذه الخصال على الأمة على ثبوت كونها كانت واجبة على إبراهيم عليه السلام، ومما احتج به القائلون بالوجوب ما رواه أبو داود من حديث عيثم بن كثير بن كليب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال للرجل الذي أسلم: «ألق عنك شعر الكفر واختتن» فاستدل ابن سريج على وجوبه بالاجماع على تحريم النظر إلى العورة، فلولا أن الختان فرض لما أبيح النظر إليها من المختون، وتعقب بأن سند الحديث ضعيف وقد قال ابن المنذر: لا يثبت فيه شيء. وقال ابن القطان: عثيم وأبوه مجهولان. وقال الذهبي: فيه انقطاع، وفي الفتح أنه ضعيف، ونقض ابن عبد البر ما قاله ابن سريج بجواز نظر الطبيب وليس الطب واجباً إجماعاً، واستدل أبو حامد والماوردي بأنه قطع لا يستخلف من الجسد تعبداً فلا يكون إلاّ واجباً. وقاساه على وجوب القطع في السرقة واحترز بعدم الاستخلاف عن الشعر والظفر بالتعبد عن القطع للأكلة فإنه لا يجب وتعقب بأن قطع اليد إنما أبيح في مقابلة جرم عظيم فلم يتم القياس، واحتج القفال لوجوبه بأن بقاء القلفة يحبس النجاسة ويمنع صحة الصلاة فتجب ازالتها وشبهه النجاسة بباطن الفم، واحتج الماوردي فقال في الختان: ادخال ألم عظيم على النفس وهو لا يشرع إلا في إحدى ثلاث خصال: لمصلحة أو عقوبة أو وجوب، وقد انتفى الاثنان فثبت الثالث، وتعقبه أبو شامة بأن في الختان عدة مصالح كمزيد الطهارة والنظافة فإن القلفة من المستقذرات عند العرب وكثر ذمهم للأقلف في اشعارهم.

تنبيه:

قال الفخر الرازي: الحكمة في الختان أن الحشفة قوية الجس فما دامت مستورة بالقلفة تقوى اللذة عند المباشرة، فإذا قطعت القلفة تصلبت الحشفة فضعفت اللذة وهو اللائق بشريعتنا تقليلاً للذة لا قطعاً لها فالعدل الختان.

مهمة:

اختلف في ختان نبينا ﷺ على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ولد مختوناً مقطوع السرة أخرجه ابن عساكر من حديث أبي هريرة، والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم والخطيب من طرق عن أنس نحوه وصححه الضياء في المختارة، لكن نقل العراقي عن الكمال بن العديم أنه قال: لا يثبت في هذا شيء وأقره عليه، وبه صرح ابن القيم ورد على من جعله من خصائصه ﷺ، فقد نقل ابن دريد في الوشاح عن ابن الكلبي أن غيره من الأنبياء كذلك، وذكر الحافظ ابن حجر أن العرب تزعم أن الغلام إذا ولد في القمر فسخت قلفته أي اتسعت فيصير كالمختون.

وينبغي أن لا يبالغ في خفض المرأة. قال ﷺ لأم عطية وكانت تخفض: «يا أم عطية أشمي ولا تنهكي فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج». أي أكثر لماء الوجه ودمه وأحسن في جماعها فانظر إلى جزالة لفظه ﷺ في الكناية وإلى اشراق نور النبوّة من مصالح الآخرة التي هي أهم مقاصد النبوّة إلى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أمي من هذا الأمر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة(عنه خيف ضرره، فسبحان من أرسله

الثاني: أنه ﷺ ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه وصنع له مأدبة وسمّاه محمداً. أورده ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس.

الثالث: أنه ﷺ ختن عند حليمة السعدية ذكره ابن القيم والدمياطي ومغلطاي وقالا: إن جبريل عليه السلام ختنه حين طهر قلبه، وكذا أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم من حديث أبي بكرة، لكن قال الذهبي: إن هذا منكر والله أعلم.

(**وينبغي أن لا يبالغ في خفض المرأة**) أي ختانها (**قال ﷺ لأم عطية**) الانصارية (**وكانت تخفض**) أي تختن للنساء: (**« يا أم عطية أشمي ولا تنهكي فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج »**) قال العراقي: رواه الحاكم والبيهقي من حديث الضحاك بن قيس، ولأبي داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف اهـ.

والإشمام: هو أن يكون بين بين، والنهك هو المبالغة في العمل قاله الزمخشري. وقد أخرج الطبراني في الكبير أيضاً من هذا الطريق ولفظه « اخفضي ولا تنهكي فإنه أنضر للوجه وأحظى عند الزوج ». ولفظ الضحاك بن قيس: كان بالمدينة امـرأة يقـال لها أم عطيـة تخفـض الجواري فقال لها رسول الله ﷺ ذلك، والضحاك بن قيس راوي هذا الحديث. قيل: هو الفهري، وقيل غيره. وقال الحافظ ابن حجر. ورواه أبو داود في السنن وأعله بمحمد بن حسان. فقال مجهول ضعيف. وقال في موضع آخر: كلاهما ضعيف ومعنى أسرى للوجه. (**أي أكثر لماء الوجه ودمه**) لأن شهوتها تبقى بالاشمام فيرجع الدم إلى الوجه ويظهر فيه الطراوة، (**و**) معنى قوله: وأحظى عند الزوج أي (**أحسن في جماعها**) وذلك لأن الخافضة إذا استأصلت جلدة الختان ضعفت شهوة المرأة فكرهت الجماع فقلّت حظوتها عند بعلها كما أنها إذا تركتها بحالها فلم تأخذ منها شيئاً بقيت غلتها فقد لا تكتفي بجماع حليلها فتقع في الزنا، فأخذ بعضها تعديل للخلقة والشهوة. (**فانظر إلى جزالة لفظه ﷺ في الكناية**) مع كمال الإيجاز والاختصار والتلويح إلى اختيار الوسط الذي هو العدل، (**و**) انظر (**إلى اشراق نور النبوّة في مصالح الآخرة التي هي أهم مقاصد النبوة إلى مصالح الدنيا**) ودقائقها (**حتى انكشف له**) من وراء حجاب، (**وهو**) ﷺ مع ذلك (**أمي**) لم يقرأ ولم يكتب ولا جلس بين يدي معلم. (**من هذا الأمر النازل قدره**) يشير إلى الحديث المتقدم (**ما لو وقعت الغفلة عنه**) ولم ينبه على ذلك (**خيف**

رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين ﷺ.

الثامنة: ما طال من اللحية، وإنما أخرناها لنلحق بها ما في اللحية من السنن والبدع إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها، وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل: إن قبض الرجل على لحيته وأخذ ما فضل عن القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة، وقالا: تركها عافية أحب لقوله ﷺ: «اعفوا اللحية». والأمر في هذا قريب إن لم ينتهِ إلى تقصيص

ضرره) واشتد شرره، (**فسبحان من أرسله رحمة للعالمين**) محضة (**ليجمع لهم بيمن بعثته**) أي بركتها (**مصالح الدنيا والدين**) من كل ما يحتاج إليه الإنسان منها (ﷺ) وشرف وكرم ومجد وعظم.

مهمة:

قال السهيلي في الروض نقلاً عن نوادر أبي زيد: أول امرأة خفضت من النساء وثقبت أذنها وجرت ذيلها هاجر، وذلك ان سارة غضبت عليها فحلفت أن تقطع ثلاث أعضاء من أعضائها فأمرها إبراهيم عليه السلام أن تبرَّ قسمها بثقب أذنها وخفاضها فصارت سنّة في النساء اهـ.

(**الثامن**): من خصال الفطرة كما هو في حديث عائشة على ما سيأتي بيانه اعفاء اللحى وهو (**ما طال من اللحية، وإنما أخرناها** (**لنلحق بها ما في اللحية من السنن والبدع إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها. وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل: إن قبض الرجل على لحيته وأخذ ما فضل عن القبضة فلا بأس**) في ذلك، (**فقد فعله**) من الصحابة عبدالله (**بن عمر**) بن الخطاب رضي الله عنه (**وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي**) الفقيه عامر بن شراحيل، (**وابن سيرين**) محمد وآخرون (**وكرهه الحسن**) البصري (**وقتادة**) بن دعامة أبو الخطاب السدوسي (**وقالوا: تركها عافية**) أي عفواً (**أحب لقوله ﷺ: «اعفوا اللحى»**) كما في الصحيحين من حديث ابن عمر، وفي رواية «أوفوا» وفي رواية «وفروا» وفي رواية «أرخوا» بالخاء المعجمة على المشهور، وقيل: بالجيم من الترك والتأخير وأصله الهمز فحذف تخفيفاً واعفاء اللحية توفير شعرها وتكثيره، وإنه لا يأخذ منه كالشارب من عفا الشيء إذا كثر وزاد وهو من الأضداد. وفي الفعل المتعدي لغتان أعفاه وعفاه، وجاء المصدر هنا على الرباعي. قال العراقي: واستدل به الجمهور على أن الأولى ترك اللحية على حالها. وأن لا يقطع منها شيء وهو قول الشافعي وأصحابه، وقال عياض: يكره حلقها وقصها وتحريفها. وقال القرطبي في المفهم: لا يجوز حلقها ولا نتفها ولا قص الكثير منها. قال عياض: وأما الأخذ من طولها فحسن قال: ويكره الشهرة في تعظيمها كما يكره في قصها وجزها. قال: وقد اختلف السلف هل لذلك حد، فمنهم من لم يحدد شيئاً في ذلك إلا أنه لا يتركها بحد الشهرة ويأخذ منها وكره مالك طولها

اللحية وتدويرها من الجوانب فإن الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنبذ إليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية. وقال النخعي: عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين، فإن التوسط في كل شيء حسن، ولذلك قيل: كلما طالت اللحية تشمر العقل.

فصل في اللحية

وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد كراهة من بعض، خضابها بالسواد وتبيضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها، والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها

جداً، ومنهم من حدد بما زاد على القبضة فيزال، ومنهم من كره الأخذ منها إلا في حج أو عمرة اهـ.

(**والأمر في هذا قريب إذ لم ينته إلى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب**) كما هو شأن أهل الذعارة، (**فإن الطول المفرط**) فيها (**قد يشوّه الخلقة**) الأصلية (**ويطلق ألسنة المغتابين بالنبذ**) والتعييب (**إليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية، وقال**) إبراهيم بن الأسود (**النخعي**) فقيه الكوفة: (**عجبت لرجل**) ونص القوت عجباً من رجل (**عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها**). ونص القوت: فيجعلها (**بين لحيتين فإن التوسط في كل شيء حسن، ولذلك قيل**) ونص القوت: وقال بعض الأدباء: (**كلما طالت اللحية تشمر العقل**). وقال آخر: ما طالت اللحية من رجل إلا ونقص من عقله بمقدار ما طال من لحيته. قال صاحب القوت: وأنشدت لبعض الظرفاء:

لا تعجبن للحيـــــة ... طالت منابتها طويلة
نهوي بما عصف الريا ... ح كأنها ذنب الحسيلة
قد يدرك الشرف الفتى ... يوماً ولحيته قليله

وأنشدت لبعض العرب:

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى ... ولكنما الفتيان كل فتى ندى

فصل

في اللحية:

(**وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد من بعض**). ونص القوت: وفي اللحية من خفايا الهوى ودقائق آفات النفوس، ومن البدع المحدثة إثنا عشر خصلة بعضها أعظم من بعض وكلها مكروهة، وقد كنا أجملنا ذلك عدداً في باب آفات النفوس (**وهو خضابها بالسواد**) لأجل الهوى وتدليس الشيب (**وتبييضها بالكبريت**) وغيره استعجالاً لإظهار علو السن وستراً

تصنعاً لأجل الرياء، وتركها شعثة اظهاراً للزهد والنظر إلى سوادها عجباً بالشباب وإلى بياضها تكبراً بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبهاً بالصالحين.

فأما الأول: وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه لقوله ﷺ: « خير شبابكم من تشبّه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم » والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لا في تبييض الشعر، ونهى عن الخضاب بالسواد، وقال: « هو خضاب أهل النار ». وفي

للحداثة والتعليم (و) من ذلك (**نتفها و**) أيضاً (**نتف الشيب منها**) تغطية للتكهل (**والنقصان والزيادة فيها**) على ما سيأتي بيانه (**وتسريحها تصنعاً لأجل الرياء**) ونص القوت: لأجل الناس (**وتركها شعثة**) تفلة مغبرة (**إظهاراً للزهد**) والتهاون بالقيام على النفس لأنه قد عرف بذلك، (و) من ذلك (**النظر إلى سوادها عجباً**) بها وخيلاء وغرة (**بالشباب**) وفخراً (و) من ذلك النظر (**إلى بياضها تكبراً بعلو السن**) وتطاولاً على الشباب فيحجبه نظره إليها عن النظر لنفسه من تعلم العلم وتعلم القرآن الذي لا يسعه جهله، (و) من ذلك (**خضابها بالحرة والصفرة من غير نية**) صالحة (**تشبهاً بالصالحين**) والقراء من أهل السنّة. فهذه عشرة خصال. وزاد صاحب القوت فقال: ومنه تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزين والتصنع، ووافقه النووي فعد الخصال المكروهة فيها اثني عشر كما قاله صاحب القوت وزاد حلقها وعقدها وضفرها، وبه تمت الخصال اثني عشر ثم فسر المصنف تلك الخصال فقال.

(**أما الأوّل: وهو الخضاب بالسواد**) لا لفرض الجهاد (**فهو منهي عنه لقوله ﷺ: « خير شبابكم من تشبَّه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم »**) كذا في القوت ولكن قال « بكهولكم » بدل « بشيوخكم ». قال العراقي: أخرجه الطبراني من حديث واثلة بن الأسقع باسناد ضعيف اهـ.

قلت: وكذا أبو يعلى. قال الهيثمي: وفيه من لم أعرفهم، وأخرجه البيهقي عن ابن عباس وقال: تفرَّد به بحر بن كنيز السقا. وبحر قال في الكاشف: تركوه. وفي الضعفاء: اتفقوا على تركه، وفيه أيضاً الحسن بن أبي جعفر وهو ضعيف، وأخرجه ابن عدي عن ابن مسعود. وقال ابن الجوزي: حديث لا يصح. (**والمراد بالتشبه بالشيوخ**) في الحديث المذكور (**في الوقار لا في تبييض الشعر**) فإنه مكروه لما فيه من إظهار علو السن توصلاً إلى التصدير، وقال ابن أبي ليلى: يعجبني أن أرى قفا الشاب أحسبه شيخاً وأبغض أن أرى قفا الشيخ أحسبه شاباً، فإذا هو بشيخ. وأخذ الماوردي من الحديث أنه ينبغي للطالب الاقتداء بأشياخه والتشبه بهم في جميع أفعالهم ليصير لها آلفاً وعليها ناشئاً ولما خالفها مجانباً. وقال المناوي في شرح الجامع: معنى من تشبه بكهولهم أي في سيرتهم لا في صورتهم فيغلب عليه وقار العلم وسكينة الحلم ونزاهة التقوى من مداني الأمور وكف نفسه عن علة الطبع واخلاق السوء والتصابي واللهو، فيكون في الدنيا في رعاية الله وفي القيامة في ظله، ومعنى « من تشبه بشبابكم » أي في العجلة والثبات والصبر عن

لفظ آخر: «الخضاب بالسواد خضاب الكفار». وتزوّج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبتـه فرفعه أهل المرأة إلى عمر رضي الله عنه، فردّ نكاحه وأوجعه ضرباً وقال: غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك، ويقال: أوّل من خضب بالسواد فرعون لعنه الله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة».

الشهوات والقصد من حث الشباب على اكتساب الحلم وزجر الكهول عن الخفة والطيش. **(ونهى)** رسول الله ﷺ **(عن الخضاب بالسواد)**. **قال العراقي:** أخرجه ابن سعد في الطبقات من حديث عمرو بن العاص باسناد منقطع، ولمسلم من حديث جابر «غيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد» قاله حين رأى بياض شعر أبي قحافة.

قلـت: وأخرجه أحمد عن أنس بلفظ «غيّروا الشيب ولا تقربوه السواد» وزاد في الفردوس يعني أبا قحافة.

(وقال) ﷺ: **(«هو خضاب أهل النار»)** أي الخضاب بالسواد **(وفي لفظ آخر «الخضاب بالسواد خضاب الكفار»)** قال العراقي: أخرجه الطبراني، والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ «الكافر» قال ابن أبي حاتم منكر اهـ. وسيأتي بقية الحديث قريباً. ومذهب الشافعي ندب خضب الرجل والمرأة بنحو حمرة أو صفرة ويحرم عليهما خضابه بالسواد إلا الرجل لحاجة الجهاد، وقيل: يكره قاله ابن حجر في شرح الشمائل، وأما قول عياض: منع الأكثرون الخضاب مطلقاً وهو مذهب مالك، فقد رده النووي بما هو مذكور في شرح مسلم.

(وتزوج رجل) بأمرأة **(على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخضب بالسواد فنصل)** أي زال **(خضابه وظهر سنه)** وفي القوت: فظهرت شيبته وفي بعض النسخ، وظهر شيبه **(فرفعه أهل المرأة إلى عمر رضي الله عنه فردّ نكاحه وأوجعه ضرباً وقال: غـررت القـوم بالشباب ولبست عليهم شيبك)** ونص القوت: ودلست عليهم شيبتك. **(ويقال: أوّل من خضب بالسواد فرعون)** ملك مصر **(لعنه الله)** نقله صاحب القوت، وذكره السيوطي في الأوليات. **(وعن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة»)** أورده صاحب القوت وقال: رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس. وقال العراقي: أخرجه أبو داود، والنسائي من حديثه باسناد جيد اهـ.

والحواصل: جمع حوصلة الطائر بتشديد اللام وتخفيفها معروف ولا يريحون أي لا يشمون.

الثاني: الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تلبيساً للشيب على الكفار في الغزو والجهاد، فإن لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم، وقد قال رسول الله ﷺ: «الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين». وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة، وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو

(**الثاني: الخضاب بالصفرة والحمرة**) عدّة في الإجمال آخراً وقدمه في التفصيل لمناسبته ما قبله ولا بأس في ذلك (**وهو جائز**) إذا قارنته نية صالحة وهو أن يكون (**تلبيساً للشيب على الكفار في الغزو**) عليهم (**والجهاد**) فيهم، (**فإن لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين**) والصالحين وليس منهم (**فهو مذموم**) ولا يخفى أن مذهب المصنف أن الخضاب بغير السواد سنّة سواء كان بحمرة أو صفرة، وهذا لا يحتاج فيه إلى نية الجهاد بل حاجة الجهاد تبيح السواد فضلاً عن غيره كما تقدم فتأمل، (**وقد قال رسول الله ﷺ «الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين»**) هكذا أورده صاحب القوت. قال العراقي: أخرجه الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الأفراد قال ابن أبي حاتم منكر اهـ.

قلت: أورده الحاكم في المناقب، ولكن لفظهم «الصفرة خضاب المؤمن والحمرة خضاب المسلم والسواد خضاب الكافر» قال بعض رواته: دخل ابن عمر على ابن عمرو وقد سوّد لحيته فقال: السلام عليك أيها الشويب. قال: أما تعرفني؟ قال: أعرفك شيخاً وأنت اليوم شاب. سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره. قال الذهبي: منكر، وقال الهيثمي فيه من لم أعرفه وتعبيره بالمؤمنين تارة وبالمسلمين أخرى تفنن وهذا الحديث كما تراه مشتمل على ثلاث جمل، وقد قطعه المصنف كما ترى تبعا لصاحب القوت. (**وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة**) هكذا أورده صاحب القوت والخضاب بهما محبوب مطلوب لكونه دأب الصالحين. وفي الصحيحين من حديث ابن عمر أنه رأى النبي ﷺ يصبغ بالصفرة وهو دليل مذهب المصنف أن الخضاب بغير السواد سنّة ويدل له ما رواه أبو داود في سننه: مر رجل على النبي ﷺ قد خضب بالحناء والكتم، فقال: هذا حسن فمر آخر خضب بالصفرة فقال: هذا أحسن من هذا كله، وما قال عياض من منع الخضاب مطلقاً وعزاه لمالك والأكثرين لما روي من النهي عن تغيير الشيب، ولأنه ﷺ لم يغير شيبه، وقد أجاب عنه النووي بأن ما مرّ من حديث ابن عمر وغيره لا يمكن تركه ولا تأويله. قال: والمختار أنه ﷺ صبغ في وقت وترك في معظم الأوقات فأخبر كل بما رأى وهو صادق،وهذا التأويل كالمتعين للجمع به بين الأحاديث والله أعلم. والحناء: معروف والكتم محركة ويشدد من نبات الجبال ورقه كورق الآس يخضب به مدقوقاً وله ثمر كقدر الفلفل ويسوّد إذا نضج وقد يعصر منه دهن يستصبح به في البوادي، وإذا خلط بالوشمة خضب سواداً، وتقدم أن الخضاب بالسواد حرام ما لم ينو الجهاد، (**و**) قد (**خضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو**) على الكفار فيريهم أنه شاب قوي فيها بون منه، ومنهم عبدالله بن عمرو

وذلك لا بأس به إذا صحت النية، ولم يكن فيه هوى وشهوة.

الثالث: تبييضها بالكبريت استعجالاً لإظهار علو السن توصلاً إلى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعاً عن الشباب وإظهاراً لكثرة العلم ظناً بأن كثرة الأيام تعطيه فضلاً، وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل إلا جهلاً فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة ولا يؤثر الشيب فيها، ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته، وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم. كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فإنه كان يخضب كذلك بهذه النية، (**وذلك لا بأس به إذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة**) للنفس، والأصل فيه لصاحب القوت حيث قال: فأما الخضاب بالسواد فقد يروى عن بعض العلماء ممن كان يقاتل في سبيل الله وعز وجل أنه كان يخضب بالسواد ولكن لم يخضب به لأجل الهوى ولا لتدليس الشيب إنما كان يعد هذا من إعداد العدة لأعداء الله لمعنى قوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ [الأنفال: ٦٠] وإظهار الشباب من القوّة، وقد رمل رسول الله ﷺ وأصحابه واضطجع هو وأصحابه ليراهم الكفار فيعلمون أن فيهم جلداً وقوّة ومن صنع شيئاً بنية حسنة صالحة يريد بذلك وجه الله تعالى وكان عالماً بما ذهب إليه فهو فاضل في فعله كان ذلك من أدون أعماله، فلا ينبغي أن يستن به فيه لأنّا روينا عن رسول الله ﷺ: «من شر الناس منزلة من يقتدي بسيئة المؤمن ويترك حسنته» فاخبر أن للمؤمن سيئة وحسنة وأن من شرار الناس من تأسى بها معذرة لنفسه في هواها.

(**الثالث: تبييضها بالكبريت**) ونحوه، والكبريت عين يجري فإذا جمد ماؤه صار كبريتاً وهو أنواع: أصفر وأبيض وكدر وجميع أنواعه يبيض الشعر بخوراً (**استعجالاً لاظهار علو السن**) وستراً للحداثة (**توصلاً إلى التوقير**) والتعظيم عند الناس والرئاسة (**و**) توصلاً إلى (**قبول الشهادة**) أي لتقبل شهادته عند الحكام (**و**) إلى (**التصديق بالرواية**) أي لينفق بذلك حديثه (**عن الشيوخ**) الماضين، ويدعى بالسن مشاهدة من لم يره، وقد فعل ذلك بعض الشهود وبعض المحدثين، (**وترفعاً عن الشباب وإظهارا لكثرة العلم**) وقد فعل ذلك بعض القصاص والوعاظ لرواج قولهم (**ظناً**) منه بجهله (**بأن كثرة الأيام**) التي بيضت شعر لحيته (**تعطيه فضلاً**) أو تجعل فيه علماً، ولا يعلم أن العقل غرائز في القلوب وأن العلم والعمل مواهب من الله تعالى علام الغيوب، وإليه أشار المصنف بقوله: (**وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل إلاّ جهلاً فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة**) في القلب (**ولا يؤثر الشيب فيها**) بكثرة وزيادة، (**ومن كانت غريزته الحمق**) وطبيعته الجهل (**فطول المدة**) وكثرة الأيام (**يؤكد حماقته**) كلما كبر ويزيد جهله كلما أسن، ورأينا جميع ذلك كثيراً في كثير من الناس، (**وقد كان الشيوخ**) في السن والعلم (**يقدمون الشباب**) ويرون فضلهم (**بالعلم**) والدين تواضعاً وإحباباً لا تكبراً بالكبر ولا علواً. (**كان**) أمير المؤمنين (**عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدم**)

يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما آتى الله عز وجل عبداً علماً إلا شاباً والخير كله في الشباب، ثم تلا قوله عز وجل: ﴿قالُوا سَمِعْنَا فتى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهم فِتية آمَنُوا بربِّهِمْ وزدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَآتَيْناه الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾

عبد الله (**بن عباس وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم**) هكذا أورده صاحب القوت، وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا سليمان، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا عارم أبو النعمان، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ [سورة النصر] حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفتح علينا. وقال بعضهم: لا ندري ولم يقل بعضهم شيئاً فقال لي يا بن عباس: أكذلك تقول؟ قلت: لا. قال: فما تقول قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة فذاك علامة أجلك ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توّاباً﴾ قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم. حدثنا أحمد بن جعفر بن مالك، حدثنا محمد ابن يونس الكريمي، حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا عبيد الله بن وهب، عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب جلس في رهط من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين فذكروا ليلة القدر فتكلم منهم من سمع فيها بشيء ما سمع فتراجع القوم فيها الكلام. قال عمر: مالك يا بن عباس صامت لا تتكلم تكلم ولا تمنعك الحداثة؟ قال ابن عباس: فقلت يا أمير المؤمنين ان الله وتر يحب الوتر، فجعل أيام الدنيا تدور على سبع، وخلق الإنسان من سبع، وخلق أرزاقنا من سبع، وخلق فوقنا السموات سبعاً، وخلق تحتنا أرضين سبعاً، وأعطى من المثاني سبعاً، ونهى في كتابه عن نكاح الأقربين من سبع، وقسم الميراث في كتابه على سبع، ونقع في السجود من أجسادنا على سبع، وطاف رسول الله ﷺ سبعاً بالكعبة وبالصفا والمروة سبعاً ورمى الجمار سبع لإقامة ذكر الله مما ذكر في كتابه فأراها في السبع الأواخر من شهر رمضان والله أعلم. قال: فتعجب عمر وقال ما وافقني فيها أحد عن رسول الله ﷺ إلا هذا الغلام الذي لم تستو شؤون رأسه أن رسول الله ﷺ قال: «التمسوها في العشر الاواخر» ثم قال: يا هؤلاء من يؤذيني من هذا كاداء ابن عباس. (**وقال ابن عباس رضي الله عنه**) ونص القوت: وروي عن ابن عباس وغيره (**ما آتى الله عبده علماً**) ونص القوت: عبداً العلم (**الا شاباً والخير كله في الشباب، ثم تلا قوله عز وجل: ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ [الأنبياء: ٦٠] وقوله تعالى**) ونص القوت: ثم تلا قوله تعالى: (**﴿انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ [الكهف: ١٣] وقوله تعالى ﴿واتيناه الحكم صبياً﴾ [مريم: ١٢]**) إلى هنا نص القوت، فالأولى فيها وصف ابراهيم عليه السلام بالفتوة، والثانية في

[مريم : ١٢] ، وكان أنس رضي الله عنه يقول : « قبض رسول الله ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ، فقيل له : يا أبا حمزة ؛ فقد أسن ، فقال : لم يشنه الله بالشيب ، فقيل : أهو شين ؟ فقال : كلكم يكرهه » ، ويقال : إن يحي بن أكثم ولي القضاء وهو ابن إحدى

حق أصحاب الكهف، والثالثة في حق يحي عليه السلام وكلهم وصفوا بالفتوة (**وكان أنس رضي الله عنه يقول: قبض رسول الله ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة**) ، وهي كنية أنس: (**فقد أسنّ فقال: لم يشنه الله بالشيب. فقيل: أهو شين؟ فقال: كلكم يكرهه**) ، هكذا أورده صاحب القوت. قال العراقي متفق عليه من حديث أنس دون قوله فقيل إلى آخره، ولمسلم من حديثه وسئل عن شيب رسول الله ﷺ فقال: ما شانه الله ببيضاء اهـ.

قلت: ولمسلم عن أنس روايات أخر كان في لحيته شعرات بيض لم ير من الشيب إلا قليلاً لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه ولم يخضب إنما كان البياض في عنفقته، وفي الصدغين، وفي الرأس نبذ أي شعرات متفرقة، وقوله: لم يخضب إنما قاله بحسب علمه. وفي الصحيحين من حديث ابن عمر إنما كان شيبه ﷺ نحواً من عشرين شعرة بيضاء وهو لا ينافي رواية من قال: إلا أربع عشرة شعرة بيضاء، لأن الأربع عشرة نحو العشرين لأنها أكثر من نصفها، ومن زعم أنه لا دلالة لنحو الشيء على القرب منه فقد وهم. نعم روى البيهقي عن أنس نفسه: ما شانه الله بالشيب ما كان في رأسه ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة شعرة بيضاء، وقد يجمع بينها بأن اخباره اختلف لاختلاف الأوقات أو بأن الاول اخبار عن عدة، والثاني إخبار عن الواقع فهو لم يعد إلا أربع عشرة، وأما في الواقع فكان سبع عشرة أو ثمان عشرة، وقد يجمع بين الروايات المختلفة فيمن قال أنه ﷺ شاب، ومن نفاه فالذي نفاه نفى كثرته لا أصله، وسبب قلة شيبه أن النساء يكرهنه غالباً، ومن كره من النبي ﷺ شيئاً كفر، وهذا معنى قول أنس: ولم يشنه الله بالشيب، وأما خبر: إن الشيب وقار ونور فيجاب عنه بأنه وإن كان كذلك لكنه يشين عند النساء غالباً وبأن المراد من الشيب المنفي الشين عند من كرهه لا مطلقاً لتجتمع الروايتان.

وروى البخاري عن أبي جحيفة: كان رسول الله ﷺ قد شمط، ومسلم عنه رأيت رسول الله ﷺ وهذه منه بيضاء ووضع الراوي بعض أصابعه في عنفقته. وأخرج مسلم والنسائي عن جابر بلفظ: كان قد شمط مقدم رأسه ولحيته، وعند مسلم: كان إذا ادهن لم يتبين أي الشيب وإذا أشعث تبين قال شارحه: لأنه عند الإدهان يجمع شعره فيخفي شيبة لقلته وعند عدمه يتفرق شعره فيظهر شيبه والله أعلم.

(**ويقال: إن يحي بن أكثم**) التميمي أبو محمد المروزي القاضي روى عن عبد العزيز بن أبي حازم وابن المبارك. وعن الترمذي والسراج، وكان من بحور العلم لو لا دعابة فيه وتكلم فيه توفي بالربذة منصرفاً من مكة سنة ٢٤٣. (**ولي القضاء**) الأكبر بالبصرة (**وهو ابن إحدى**

وعشرين سنة، فقال له رجل في مجلسه يريد أن يخجله بصغر سنه: كم سن القاضي أيده الله، فقال: مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاّه رسول الله ﷺ إمارة مكة وقضاءها فأفحمه». وروي عن مالك رحمه الله أنه قال: قرأت في بعض الكتب: لا تغرنكم اللحى فإن التيس له لحية، وقال أبو عمرو بن العلاء: إذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان أمية بن عبد شمس، وقال

وعشرين سنة) وهذا ذكره صالح شاذان: سمعت منصور بن إسماعيل يقول: ولي يحيى بن أكثم قضاء البصرة وهو ابن إحدى وعشرين سنة اهـ. **(فقال له رجل)** ذات يوم وهو **(في مجلسه يريد أن يخجله بصغر سنه)** ونص القوت: يريد أن يحشمه بذلك: **(كم سن)** سيدنا **(القاضي أيده الله)** فأدرك ذلك منه؟ **(فقال: سن عتاب بن أسيد)** بن أبي العيص بن أمية القرشي ابن عبد الرحمن أمير مكة. أرسل عنه ابن المسيب، وعطاء، وجماعة. مات يوم مات الصديق وعمره خمس وعشرون سنة، وروى له الأربعة **(حين ولاه رسول الله ﷺ إمارة مكة وقضاءها فأفحمه)**. أي أسكته. هكذا أورده صاحب القوت وكانت التولية يوم الفتح. وزاد العراقي فقال: وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجه به رسول الله ﷺ قاضياً على اليمن، وقال: أخرجه الخطيب في التاريخ بإسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكثم صحيح بالنسبة إلى عتاب بن أسيد، فإنه كان حين الولاية ابن عشرين سنة، وأما بالنسبة إلى معاذ فإنما يتم له ذلك على قول يحيى بن سعيد الأنصاري مالك وأبي حاتم أنه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة، والراجح أنه مات ابن ثلاث وثلاثين سنة في الطاعون ثماني عشرة والله أعلم اهـ.

قلت: ولعل هذا هو السبب في إسقاط ذكره عند صاحب القوت، وتبعه المصنف. **(وروي عن مالك)** أطلقه فيتوهم أنه مالك بن أنس فقيه المدينة وليس كذلك، ففي القوت: وروينا عن مالك بن مغول رحمه الله وهذا من المصنف إطلاق في محل التقييد، ومالك بن مغول هذا بجلي كوفي روى عن ابن بريدة والشعبي. وعنه شعبة وأبو نعيم وقبيصة حجة روى له الجماعة مات سنة ١٥٩. **(قال: قرأت في بعض الكتب)** المنزلة **(لا تغرنكم اللحى فإن التيس له لحية)** والتيس: هو الذكر من المعز إذا أتى عليه الحول وقبل الحول هو جدي. الجمع تيوس. **(وقال أبو عمرو بن العلاء)** سيد القراء بالبصرة: قرأت في طبقات القراء للذهبي بخطه اختلف في اسمه على تسعة عشر قولاً، والذي صح أنه زبان بن العلاء بن عمار بن العريان بن حصين بن الحرث بن جلهمة بن حجر بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم المازني التميمي توفي سنة ١٥٤. روى عنه أبو عمرو الشيباني وغيره، وله أخوة أربعة: معاذ وأبو سفيان والعريان وأبو حفص: **(إذا رأيت الرجل طويل القامة)** أي القد **(صغير الهامة)** أي الرأس **(عريض اللحية)** أي كثيفها **(فاقض عليه بالحمق)** أي قلة العقل، لأن كلاً من الأوصاف المذكورة على استقلالها مذموم، فكيف إذا اجتمعت؟ **(ولو كان أمية بن عبد شمس)** بن عبد مناف،

أيوب السختياني: أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه. وقال علي بن الحسين من سبق إليه العلم قبلك فهو إمامك فيه، وإن كان أصغر سناً منك. وقيل لأبي عمرو بن العلاء: أيحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير؟ فقال: إن كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به، وقال يحي بن معين لأحمد بن حنبل وقد رآه يمشي خلف بغلة الشافعي: يا أبا عبدالله تركت حديث سفيان بعلوه وتمشي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع

وهو أبو الأعياص والعنابس، وإنما ذكره لشرفه. هكذا أورده صاحب القوت وزاد. وقال معاوية رضي الله عنه: يتبين حق الرجل في طول قامته وعظم لحيته وفي كنيته وفي نقش خاتمه اهـ.

ومنه ما يحكى أن الأصمعي كان قد ذكر لهارون الرشيد هذه المقالة، فبينما هو ذات يوم في علية له يشرف على السوق وبين يديه الأصمعي إذ مر رجل على هذه الصفة فقال هارون له. أترى هذا الرجل يكون أحق؟ فقال: ليجربه مولانا فطلبه في الحال فحضر فسأله عن اسمه فذكر له، وسأله عن كنيته فقال: أبو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، فقال الأصمعي: هذه واحدة فضحك هارون ثم سأله على نقش خاتمه؟ فقال: وتفقد الطير فقال: مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين. فقال الأصمعي: هذه إثنتان إلى آخر القصة وهي معروفة. ثم قال صاحب القوت ولم تكن الأشياخ يستنكفون أن يتعلموا من الشباب ما جهلوا ولا يزرون عليهم لصغر سنهم إذ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا مانع لما أعطى فيعطي فضله من يشاء من صبي وغيره، ولا معطي لما منع من كبير وغيره. (**وقال أيوب**) هو ابن أبي تميمة وإسمه كيسان أبو بكر (**السختياني**) البصري الإمام نسب الى محلة السختيان بالبصرة لنزوله فيها، روى عن عمرو بن سلمة الجرمي، ومعاذة وابن سيرين، وعن شعبة، وابن علية قال شعبة: ما رأيت مثله كان سيد الفقهاء مات سنة ١٣١ عن ثلاث وستين سنة: (**أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه**) فيقال له: تتعلم من هذا؟ فيقول: نعم أنا عبده ما دمت أتعلم منه (**وقال علي بن الحسين**) بن علي بن أبي طالب الإمام زين العابدين والد أبي عبدالله الباقر: (**من سبق إليه العلم قبلك فهو**) أفضل منك و(**إمامك فيه وإن كان أصغر سناً منك**). هكذا أورده صاحب القوت، (**وقيل لأبي عمرو بن العلاء**) وتقدمت ترجمته قريباً: (**أيحسن من الشيخ**) من بلغ سن الشيخوخة (**أن يتعلم من الصغير؟ فقال: إن كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به**) ونص القوت إن كانت الحياة تحسن به فالتعلم يحسن به، وإنه يحتاج إلى العلم ما دام حياً (**وقال يحي بن معين لأحمد بن حنبل**) تقدمت ترجمتها، (**وقد رآه يمشي خلف بغلة**) الإمام (**الشافعي**) رضي الله عنه، وذلك ببغداد في القدمة الأولى وكان قد لازمه إذ ذاك كثيراً: (**يا أبا عبدالله**) هي كنية الإمام أحمد وبقية الأئمة سوى أبي حنيفة (**تركت حديث سفيان**) بن عيينة لا سفيان الثوري فإنه قديم الوفاة سنة ١٦٢ (**بعلوه وتمشي خلف بغلة هذا الشاب الفتى**) يعني به الشافعي، (**وتسمع منه. فقال له أحمد: لو عرفت لكنت تمشي**) في ركابه

منه؟ فقال له أحد: لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاتني بعلو وأدركته بنزول وإن عقل هذا الشاب إن فاتني لم أدركه بعلو ولا نزول.

الرابع: نتف بياضها استنكافاً من الشيب وقد نهى عليه السلام عن نتف الشيب

(من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاتني بعلو) أي مشافهة من غير واسطة **(أدركته بنزول)** بواسطة عنه، **(وإن عقل هذا الشاب إن فاتني لم أدركه بعلو ولا نزول)**. هكذا أورده صاحب القوت، والقطب الخيضري في اللمع الألمعية. وكان عمر الشافعي إذ ذاك نيفا وأربعين سنة، ولذلك وصفه بالشاب وبالفتى.

تنبيه:

قد بقي ما يناسب إيراده في هذا الموضع من كتاب القوت ما نصه. قال: وسمعت أبا بكر الجلال يقول: إني لارى الصبي يعمل الشيء فأستحسنه فاقتدي به فيكون إمامي فيه، فأما معنى الخبر الذي روي لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم عن أكابرهم، فإذا أتاهم عن أصاغرهم هلكوا، فإن ابن المبارك سئل عن ذلك فقال أصاغرهم أهل البدع لأنه لا صغير من أهل السنة عنده علم، ثم قال: كم من صغير السن حملنا عنه كبير العلم، وقد قيل عن أكابر يعني أصحاب رسول الله ﷺ، فهذا مواطىء للخبر الآخر: لا يزال الناس بخير ما دام فيهم من رآني وليأتين عليهم زمان يطلب في أقطار الأرض رجل رآني فلا يوجد كيف وقد جاءت بذلك لفظة ذكرتها لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم عن أصحاب رسول الله ﷺ وعن أكابرهم، فإذا أتاهم عن أصاغرهم استعصى الكبير على الصغير فهلكوا. أي: لا يرى لنفسه أن يتعلم منه لما ذكرنا من الحياء والكبر والإستنكاف، ووجه آخر هذا مجازه عندي على الخبر، والكون لا على الذم والعيب، لأنه قد جاء في الأثر وصف هذه الأمة في أول الزمان يتعلم صغارها من كبارها، فإذا كان آخر الزمان تعلم كبارها من صغارها، فإن كان كذلك فهذا على تفضيل الأصاغر وتشريف هذه الأئمة على سالف الأمم، لأنهم لم يكونوا يحملون العلم إلا عن القسيسين والأحبار والرهبان والأشياخ العباد الزهاد، وأخبر أن هذه الأئمة في آخر الزمان تفضل سالف الأمم في أول أزمنتهم بأن يتعلم الكبير من الصغير بما فضلهم الله عز وجل، فذلك كأشد وطاء للخبر الآخر: أمتي كالمطر لا يدري أوله خير أو آخره، ولمثله من الشاهد الآخر: «كيف تهلك أمة أنا أولها والمسيح بن مريم آخرها» وقد روينا في الخبر: لا تحقروا عبداً آتاه الله عز وجل علماً، فإن الله تعالى لم يحقره إن جعل العلم عنده، وكان شعبة يقول: من كتبت عنه سبعة أحاديث أو تعلمت منه علماً فأنا عبده، وقال مرة أخرى: إذا كتبت عن الرجل سبعة أحاديث فقد استرقني والله أعلم.

(الرابع: بياضها استنكافاً من الشيب) ورغبة عنه، **(وقد نهى عليه السلام عن نتف**

وقال: «هو نور المؤمن» وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهية ما سبق، والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور.

الخامس: نتفها أو نتف بعضها بحكم العبث والهوس، وذلك مكروه ومشوّه للحلقة ونتف الفنيكين بدعة وهما جانبا العنفقة. شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف

الشيب وقال: هو نور المؤمن») قال العراقي: أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن ماجة من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده اهـ.

قلت: وعند المنذري وقال: إنه نور المسلم، وعند أبي داود من حديثه بلفظ: «لا تنقوا الشيب فإنه نور يوم القيامة» وفي رواية له «فإنه نور المؤمن» وأخرج البيهقي من هذه الرواية «الشيب نور المؤمن لا يشيب رجل شيبة في الإسلام إلا كانت له بكل شيبة حسنة ورفع بها درجة» وفي إسناده الوليد بن كثير أورده الذهبي في الضعفاء وروى ابن عساكر من حديث أنس: «الشيب نور من خلع الشيب فقد خلع نور الإسلام» وإنما جعل الشيب نور المؤمن لأنه يمنعه عن الغرور والخفة والطيش ويميله إلى الطاعة ويحبس نفسه عن الشهوات، وكل ذلك موجب للثواب يوم المآب وفي الحديث الآخر: من خلع الشيب يعني أزاله بنحو نتف أو غيره، وإليه أشار المصنف بقوله: **(وهو في معنى الخضاب بالسواد)** في إظهار الجلد، وأنه شاب قوي تدليساً **(وعلة الكراهية ما سبق)**، واختلف هل النهي للتحريم؟ واختاره النووي لثبوت الزجر عنه في عدة أخبار، وبعضهم أطلق الكراهة. ومقتضى سياق المصنف التحريم لأنه جعله في معنى الخضاب بالسواد، **(والشيب نور الله)** قد تقدم من حديث أنس «الشيب نور» والنتف في الحديث أعم من أن يكون في اللحية أو من الرأس لانه نور ووقار، **(والرغبة عنه رغبة عن النور)** وميل إلى الخلود في دار الغرور.

تنبيه:

ذكر السيوطي في الأوليات أن أول من شاب إبراهيم عليه السلام، وفي الإسرائيليات أن إبراهيم عليه السلام لما رجع من تقرب ولده إلى ربه رأت سارة في لحيته شعرة بيضاء فأنكرتها وأرته إياها فتأملها فأعجبته وكرهتها وطالبته بإزالتها فأبى، وأتاه ملك فقال: السلام عليك يا إبراهيم وكان اسمه ابرم فزاد في اسمه هاء، والهاء في السريانية للتفخيم والتعظيم ففرح وقال: إنك إلهي وإله كل شيء قال له الملك: إن الله صيرك معظماً في أهل السموات وأهل الأرض.

(الخامس: نتفها) كلها **(أو نتف بعضها بحكم العبث)** بها **(والهوس)** أي خفة العقل كما بلي بذلك جماعة، وما نقل عن الحريري صاحب المقامات من العبث بها ونتفها فهو من باب الإضطرار **(وذكر مكروه)** كراهة التحريم، كما مال إليه النووي **(ومشوّه للخلقة)** الأصلية أي مغير لها **(ونتف الفنيكين بدعة)** كما قاله صاحب القوت، قال: **(وهما)** مثنى فنيك كأمير **(جانبا العنفقة)** التي تحت الشفة السفلى. **(شهد عند عمر بن عبد العزيز رضي الله**

فنيكيه فرد شهادته، وردّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينتف لحيته، وأما نتفها في أول النبات تشبهاً بالمرد فمن المنكرات الكبار، فإن اللحية زينة الرجال، فإن لله سبحانه ملائكة يقسمون والذي زين بني آدم باللحى وهو من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء، وقيل في غريب التأويل: اللحية هي المراد بقوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١]، قال أصحاب الأحنف بن قيس: وددنا أن نشتري للأحنف لحية ولو بعشرين ألفاً. وقال شريح القاضي: وددت

عنه) من الخلفاء الراشدين **(رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته)**. كذا في القوت، وذلك لأنه أتى ببدعة محدثة لم تكن في زمن السلف فزجره برد شهادته، **(ورد عمر بن الخطاب)** أمير المؤمنين **(رضي الله عنه و)** أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن **(ابن أبي ليلى)** الأنصاري **(قاضي المدينة)** روى عن الشعبي وعنه شعبة وأبو نعيم ووكيع قال أبو حاتم محله الصدق أخرجه له الأربعة توفي سنة ١٤٨ **(شهادة من كان ينتف لحيته)** كذا في القوت إلا أنه قال: شهادة رجل. **(وأما نتفها في أول النبات تشبهاً بالمرد)** جمع أمرد من لا لحية له، **(فمن المنكرات الكبار)** وكذا حلقها بالموسى أو إزالتها بالنورة، وفي سياق النووي نتفها أول طلوعها إيثاراً للمرودة وحسن الصورة من أشد المنكرات، **(فإن اللحى زينة الرجال)** وعلامة الكمال **(فإن لله سبحانه)**. وعبارة القوت: قد ذكر في بعض الأخبار أن الله عز وجل **(ملائكة يقسمون)** أي يحلفون **(والذي زين بني آدم باللحى)** وفي بعض نسخ الكتاب: يسبحون بقولهم سبحان الذين زين **(وهي من تمام الخلق)** الظاهر **(وبها يتميز الرجال من النساء)** في ظاهر الخلق، وتقدم أن النبي ﷺ كان كث اللحية، وكذلك أبو بكر، وكان عثمان رقيق اللحية طويلها، وكان علي عريض اللحية، وقد ملأت ما بين منكبيه رضي الله عنهم، **(وقيل في غريب التأويل: اللحية هي المراد بقوله تعالى: يزيد في الخلق ما يشاء)** [فاطر: ١] وعبارة القوت وقد روينا في بعض تأويل قوله تعالى: ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ قال اللحى وفيه وجوه كثيرة اهـ.

قلت: قد ذكر السيوطي في الدر المنثور في تفسير هذه الآية ما نصه: أخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله تعالى: ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ يقول يزيد في أجنحتهم وخلقهم ما يشاء. وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس قال: الصوت الحسن، وعند عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب عن الزهري قال: حسن الصوت. وأخرجه البيهقي عن قتادة قال: الملاحة في العينين اهـ.

(وقال أصحاب الأحنف بن قيس) وعبارة القوت ووصف بعض بني تميم من رهط الأحنف بن قيس رضي الله عنه قال: **(وددنا أن نشتري لحية)** وفي القوت انا اشترينا **(للأحنف)** بن قيس لحية **(بعشرين ألفاً)** ولم يذكر حنفه في رجله ولا عوره في عينه، وذكر

أن لي لحية ولو بعشرة آلاف، وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر إليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس وإقبال الوجوه إليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض؟ فإن من يشتم يعرض باللحية إن كان للمشتوم لحية، وقد قيل: إن أهل الجنة مرد إلاَّ هارون أخا موسى صلى الله عليهما وسلم، فإن له لحية إلى سرته تخصيصاً له وتفضيلاً.

السادس: تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزين للنساء والتصنع. قال كعب: يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقبون نعالهم كالمناجل أولئك لا خلاق لهم.

كراهية عدم لحيته. وكان الأحنف رضي الله عنه رجلاً عاقلاً حلماً كريماً. **(وقال شريح)** بن الحرث **(القاضي)** أبو أمية الكندي ولاه عمر قضاء الكوفة وولي قضاء البصرة وقتاً سمع عمر وعلياً وعن إبراهيم وأبو حصين أخرج له النسائي توفي سنة ٧٨. **(وددت أن لي لحية بعشرة آلاف)** هكذا أورده في القوت، **(وكيف تكره اللحية وفيها)** خصال نافعة نقلها صاحب القوت عن بعض الأدباء، امنها: **(تعظيم الرجل والنظر إليه بعين العلم والوقار، و)** منها **(الرفع في المجالس وإقبال الوجوه إليه، و)** منها **(التقديم على الجماعة)** والتفضيل عليهم، **(و)** منها **(وقاية العرض فإن من يشتم يعرض باللحية إن كان للمشتوم لحية)** وفي القوت: يعني إذا رأوا شتمه عرضوا له بها فوقت عرضه. وقال أبو يوسف القاضي: من عظمت لحيته جلت معرفته. **(وقد قيل: إن أهل الجنة مرد إلا هارون أخا موسى صلى الله عليهما فإن له لحية إلى سرته تخصيصاً له وتفضيلاً)** هكذا أورده صاحب القوت وفي رواية ذكرها في لسان الميزان إلا موسى فلحيته إلى سرته. وعند الترمذي من حديث أبي هريرة «أهل الجنة جرد مرد كحل لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم» ومعنى جرد مرد لا شعر على أبدانهم ولا لحى لهم.

(السادس: تقصيصها كالتعبية) أي يقصها من أطرافها فيجعلها على هيئة التعبية. وفي سياق النووي تصفيفها **(طاقة على طاقة للتزين للنساء والتصنع)** أي لتستحسنه النساء وغيرهن. **(وعن كعب)** وهو المعروف بالأحبار تقدمت ترجمته قال: **(يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقبون نعالهم كالمناجل أولئك لا خلاق لهم)**. أورده صاحب القوت عن كعب وأبي الخلد أنهما وصفا قوماً يكونون في آخر الزمان فساقاه. قال: وذكر أيضاً عن جماعة إن هذا من أشراط الساعة، والمناجل: جمع منجل حديدة معوجة آلة معروفة للحصاد، يروى عن أبي هريرة أن أصحاب الدجال عليهم السيجان شواربهم كالصياصي ونعالهم مخرطمة أي نعالهم لها أعناق طوال مفرقة كالخراطيم. والسيجان: جمع ساج الطيالس والصياصي القرون.

السابع: الزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصدغين وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحى وينتهي إلى نصف الخد، وذلك يباين هيئة أهل الصلاح.

الثامن: تسريحها لأجل الناس. قال بشر: في اللحية شركان تسريحها لأجل الناس وتركها متفتلة لإظهار الزهد.

التاسع والعاشر: النظر في سوادها أو بياضها بعين العجب، وذلك مذموم في جميع أجزاء البدن، بل في جميع الأخلاق والأفعال على ما سيأتي بيانه، فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة، وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد إثنتا عشرة خصلة خمس منها في الرأس وهي فرق شعر الرأس، والمضمضة، والاستنشاق، وقص الشارب، والسواك، وثلاثة في اليد والرِجل وهي القلم وغسل البراجم وتنظيف

(**السابع: الزيادة فيها**) والنقص منها (**وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصدغ وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحى**) وذلك هو حد اللحية، (**أو**) أخذ بعض العذار في حلق الرأس ويدخل فيه نتف جانبي العنفقة وهما الفنيكان أو ينقص من العظمين حتى (**ينتهي إلى نصف الخد وذلك**) نقصان من اللحية، وهو (**يباين هيئة أهل الصلاح**) بل هو مثلة فليجتنب ذلك.

(**الثامن: تسريحها لأجل الناس**) تصنعاً أو تركها شعثة إظهاراً للزهد والتهاون بالقيام على النفس، لأنه قد عرف بذلك (**قال بشر**) هو الحافي كذا في نسخ الكتاب، والصواب قال السري: هو ابن المغلس السقطي خال الجنيد كما هو مصرح به في القوت وغيره: (**في اللحية شركان**) خفيان (**تسريحها لأجل الناس**) أي لإراءتهم (**وتركها متفتلة**) أي شعثة مغبرة فتائل (**لإظهار الزهد**) ونص القوت: لأجل الزهد. وقال أيضاً: لو دخل علي داخل فمسحت لحيتي لأجله لظننت إني مشرك.

(**التاسع والعاشر: النظر في سوادها بعين العجب**) والخيلاء وغرة بالشباب وفخراً وهذا هو التاسع، وأما العاشر فلم يشر إليه المصنف هنا. وقد مر عند ذكر الخصال إجمالاً في الأول وهو النظر إلى بياضها تكبراً بكبر السن وتطاولاً على الشباب فيحجبه نظره إليه عن النظر لنفسه، (**وذلك**) أي النظر بعين العجب (**مذموم في جميع أجزاء البدن، بل في جميع الأخلاق والأفعال على ما سيأتي بيانه**) في مواضعه اللائقة به، (**فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة**) الظاهرة، (**وقد حصل من**) تضمن (**ثلاثة أحاديث**) متفرقة مروية من طرق صحيحة. منها حديث عائشة وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم على ما يأتي بيانه: (**من سنن الجسد إثنتا عشرة خصلة. خمس منها في الرأس فرق شعر الرأس والمضمضة والإستنشاق وقص الشوارب والسواك وثلاثة**) منها (**في اليد والرجل وهي القلم**) أي قص

الرواجب، وأربعة في الجسد وهي نتف الابط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء، فقد وردت الأخبار بمجموع ذلك، وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة

الأظفار (**وغسل البراجم وتنظيف الرواجب، وأربعة**) منها (**في الجسد وهي تنظيف الإبط والإستحداد والختان والإستنجاء بالماء، فقد وردت الأخبار بمجموع ذلك**). وكل ذلك قد تقدم بيانه ما عدا فرق الرأس، فقد أخرج البخاري من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ: «كان يسدل شعر رأسه» إلى أن قال «ثم فرق رسول الله ﷺ» والفرق هو جعل الشعر فرقتين كل فرقة ذؤابة ضد السدل وهو مطلق الإرسال. والمراد هنا إرساله على جبينه وجعله كالقصة، وقد سدله من ورائه من غير أن يجعل فرقتين، وفيه دليل على أن الفرق أفضل لأنه الذي رجع إليه ﷺ، وإنما جاز السدل خلافاً لمن قال: نسخ السدل فلا يجوز فعله ولا اتخاذ الجمة والناصية لما ورد أن انفرقت عقيصته فرق الخ فهو صريح في جواز السدل، ورغم نسخه يحتاج إلى بيان ناسخه وأنه متأخر عن المنسوخ، ويحتمل رجوعه إلى الفرق باجتهاد، وعليه فحكمة عدوله عن موافقة أهل الكتاب هنا إن الفرق أقرب إلى النظافة وأبعد عن الإسراف في غسله وعن مشابهة النساء، ومن ثم كان الذي يتجه جواز السدل حيث لم يقصد التشبه بالنساء وإلا حرم من غير نزاع، وأما بيان مجموع الأخبار الواردة فيه.

فحديث أبي هريرة لفظه: «خمس من الفطرة الختان والإستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط» أخرجه الأئمة الستة فرووه خلا الترمذي من طريق سفيان بن عيينة والترمذي والنسائي أيضاً من رواية معمر، والنسائي أيضاً من رواية يونس بن يزيد ثلاثتهم عن الزهري عن ابن المسيب ورواه النسائي من رواية سعيد المقبري كلاهما عن أبي هريرة.

وأما حديث عائشة فلفظه «عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء» أخرجه مسلم وأصحاب السنن. قال زكريا. قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة، وزاد قتيبة قال وكيع: انتقاص الماء بمعنى الإستنجاء وقد ضعف النسائي رفعه، فإنه رواه موقوفاً على طلق ابن حبيب، ثم قال: إنه أولى بالصواب من حديث مصعب بن شيبة قال: ومصعب بن شيبة منكر الحديث وقال الترمذي: إنه حديث حسن.

وأما حديث ابن عباس فلفظه «خمس كلها في الرأس» ذكر فيها الفرق ولم يذكر إعفاء اللحية أخرجه أبو داود وقال عبد الرزاق في مصنفه، أخبرنا معمر عن ابن طاوس، عن أبيه عن ابن عباس: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن﴾ [البقرة: ١٢٤] قال ابتلاه الله بالطهارة خمس في الرأس، وخمس في الجسد خمس في الرأس قص الشارب والمضمضة والإستنشاق والسواك وفرق الرأس، وفي الجسد تقليم الأظفار، وحلق العانة والختان ونتف الإبط، وعن صاحب القوت بحديث ابن عباس حديث استبطاء الوحي وفيه: «وأنتم لا تستنون ولا تقلمون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون براجكم». وقد تقدم ذلك للمصنف.

....

تنبيه:

وقد روي في الباب أحاديث غير التي ذكرت فمن ذلك حديث عمار بن ياسر ولفظه «من الفطرة المضمضة والإستنشاق والسواك وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط والإستحداد وغسل البراجم والإنتضاح والإختتان» هذا لفظ ابن ماجه، وساق أبو داود بعضه. وأحال ببقيته على حديث عائشة وهو من رواية علي بن زيد، عن سلمة بن محمد، عن عمار بن ياسر. وقال البخاري: إنه لا يعرف لسلمة سماع من عمار. وفي رواية لأبي داود عن سلمة عن أبيه. والظاهر أنها مرسلة. ومنها حديث ابن عمر بلفظ «الفطرة قص الأظفار وأخذ الشارب وحلق العانة» أخرجه النسائي. ورواه البخاري بلفظ: «من الفطرة حلق العانة وتقليم الأظفار وقص الشارب». وفي رواية له من الفطرة قص الشارب. هكذا أورده من الطريقين في اللباس من رواية حنظلة عن نافع عن ابن عمر، وأسقطه المزني في الأطراف فاقتصر على عزوه للنسائي.

تنبيه آخر:

قول مسلم في إحدى الروايتين في حديث أبي هريرة من رواية يونس بن يزيد عن الزهري: «الفطرة خمس» وكذلك رواية النسائي من طريق سفيان «الفطرة خمس» فإن سفيان قد رواه على الشك كما هو عند مسلم من طريقه «الفطرة خمس» فإن سفيان قد رواه من الفطرة، فإما أن يكون الشك منه، أو ممن فوقه، أو من الرواة عنه، وجمع بينه وبين حديث عائشة وعمار بجوابين: أحدهما أن يكون ذكر في حديث أبي هريرة المتأكد من خصال الفطرة وأفردها لذكر لتأكدها، والثاني: أن يكون أعلمه الله تعالى بعد ذلك بزيادة الخصال المذكورة في حديث عائشة وحديث عمار على تقدير صحتها، وكذلك حديث ابن عمر السابق ذكره والله أعلم.

تنبيه آخر:

دل حديث عائشة المتقدم على أن خصال الفطرة أكثر من العشرة وهو كذلك فإنه أسقط منها الختان المذكور في حديث أبي هريرة وذكر منها الإنتضاح في حديث عمار، والفرق في حديث ابن عباس. ولم يذكر فيه إعفاء اللحية، فقد يتحصل من مجموع ذلك ثلاث عشرة خصلة. وأوصلها أبو بكر بن العربي شارح الترمذي إلى نحو ثلاثين خصلة. وقال: لا أطيل بإيرادها. ولم يذكر المصنف الإنتضاح المذكور في حديث عمار، ولا الإنتقاص المذكور في حديث أبي هريرة تبعاً لصاحب القوت. فليتنبه لذلك والله أعلم.

خاتمة: تشتمل على مهمات تتعلق بهذه الخصال التي تضمنتها الأخبار المذكورة.

الأولى: اختلف في المراد بالفطرة في هذه الأحاديث. فقيل: السنة حكاه الخطابي عن أكثر العلماء، ويدل عليه رواية أبي عوانة في المستخرج في حديث عائشة عشر من السنة، فعلى هذا المراد بالسنة الطريقة أي أن ذلك من سنن الأنبياء وطريقتهم، لأن بعضها واجب كما تقدم على

....

الخلاف ومن لا يرى وجوب شيء منها يحملها على السنة التي تقابل الواجب، وقيل: المراد بالفطرة هنا الدين، وقيل: الإسلام ولكل وجهة والله أعلم.

الثانية: في مناسبة تسمية هذه الخصال فطرة. قال صاحب المفهم في هذه الخصال محافظة على حسن الهيئة والنظافة، وكلاهما يحصل به البقاء على أصل كمال الخلقة التي خلق الإنسان عليها وبقاء هذه الأمور وترك إزالتها يشوه الإنسان ويقبحه بحيث يستقذر ويجتنب فيخرج مما تقتضيه الفطرة الأولى لهذا المعنى والله أعلم.

الثالثة: أغرب القاضي أبو بكر بن العربي في شرح الموطأ فقال: عندي أن الخصال الخمس المذكورة في الحديث كلها واجبة، فإن المراد لو تركها لم تبق صورته على صورة الآدميين، وتعقبه أبو شامة بأن الأشياء التي مقصودها مطلوب لتحسين الخلق وهي النظافة لا يحتاج إلى ورود أمر إيجاب، بل مجرد الندب إليها من الشارع كاف.

الرابعة: أن هذه الخصال هي التي ابتلى الله بها إبراهيم فاتمهن فجعله الله مسلماً. وروي ذلك عن ابن عباس كما في مصنف عبد الرزاق، وتقدمت الإشارة إليه، وربما احتج من قال بوجوب بعض هذه الخصال بقوله تعالى: ﴿أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾ [النحل: ١٢٣] وثبت أن هذه الخصال أمر بها إبراهيم عليه السلام، وكل شيء أمر الله باتباعه فهو على الوجوب لمن أمر به. وتقدمت الإشارة إليه مع التعقب عليه. وقال بعضهم مؤيداً لذلك إن الإبتلاء غالباً إنما يقع بما يكون واجباً والله أعلم.

الخامسة: فيه أن مفهوم العدد ليس بحجة لأنه اقتصر في حديث أبي هريرة على خمس، وفي حديث ابن عمر على ثلاث، وفي حديث عائشة على عشر مع ورود غيرها. وقد تقدم أنها ثلاثة عشرة، وأوصلها أبو بكر بن العربي إلى ثلاثين، فأفادنا ذلك أن ذكر العدد لا يقتضي نفي الزيادة عليه وهو قول أكثر أهل الأصول ولمن قال به يجيب بما تقدم أن الله أعلمه بالزيادة في خصال الفطرة بعد أن لم يكن علمه لما حدث ببعضها والله أعلم.

السادسة: قد ذكر من جملة الخصال انتقاص الماء، ولم يذكره المصنف وقد اختلف في ضبط هذه اللفظة فالمشهور إنها بالقاف والصاد المهملة، وهكذا ذكره أبو عبيد في الغريب، والهروي في الغريبين وغيرهما. وقيل: بالفاء حكاه ابن الأثير في النهاية. وحكى عن بعضهم تصويبه. قال النووي: وهذا شاذ والصواب ما سبق، وقد اختلف في معناه فسره وكيع كما عند مسلم بالإستنجاء ومراده الإستنجاء بالماء لا مطلقاً لأن الماء مصرح به في الحديث. وحكى الترمذي في الجامع عن أبي عبيد أنه الإستنجاء بالماء. وقال أبو عبيد في الغريب انتقص البول بالماء إذا غسل مذاكيره به، وقد رواه النسائي من قول طلق بن حبيب وقال فيه وغسل الدبر، وقال النسائي أنه أشبه بالصواب.

الظاهرة دون الباطنة، فلنقتصر على هذا وليتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التي يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى وسيأتي تفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف الطرق في إزالتها وتطهير القلب منها إن شاء الله عز وجل.

تم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله وعونه. ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصلاة والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى.

السابعة: من جلة الخصال المذكورة التي لم يذكرها المصنف الإنتضاح وهو عند أبي داود، وابن ماجه من حديث عمار كما تقدم، واختلف في تفسيره فقيل هو الإنتقاص أي الإستنجاء بالماء وقيل: هو رش الماء وهو الصواب: واختلف في موضع استحبابه فحكى النووي عن الجمهور أنه نضح الفرج بماء قليل بعد الوضوء لدفع الوسواس، ومنه حديث الحكم بن سفيان الثقفي رفعه «ثم أخذ كفاً من ماء فنضح به فرجه» أي بعد الوضوء. رواه أبو داود وابن ماجه. ولابن ماجه من حديث زيد بن حارثة رفعه «علمني جبريل عليه السلام الوضوء وأمرني أن أنضح تحت ثوبي مما يخرج من البول بعد الوضوء» فقوله: بعد الوضوء متعلق بانضح لا بقوله يخرج، لأنه لو خرج البول بعد الوضوء لوجبت إعادة الوضوء، ولابن ماجه أيضاً من حديث أبي هريرة: «إذا توضأت فانتضح» وقيل: إن الإنتضاح المذكور هو أن ينضح ثوبه بالماء بعد الفراغ من الإستنجاء لدفع الوسواس أيضاً حتى إذا توهم نجاسة بلل في ثوبه أو بدنه أحال به على الماء الذي نضح به، ويدل له ما رواه أبو داود من رواية رجل من ثقيف عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ بال ثم نضح فرجه، والأول أصح. ويحتمل أن يراد بالنضح هنا غسل البول فيكون المراد الإستنجاء، فإن النضح يطلق ويراد به الغسل أيضاً. وقد حكاه النووي في شرح مسلم قولاً والله أعلم.

(**وإذا كان غرض هذا الكتاب التعرض**) فيه (**للطهارة الظاهرة**) فقط (**دون**) الطهارة (**الباطنة، فلنقتصر على هذا**) القدر (**وليتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التي يجب**) على مريد الآخرة (**التنظيف منها**) والتنصل عنها (**أكثر من أن يحصى**) أو يحد. (**وسيأتي تفصيلها في**) مواضعها من (**ربع المهلكات**) على وجه يبين المراد (**مع تعريف الطريق في إزالتها**) كيف يكون وبما يكون، (**و**) كيف هديم (**تطهير القلب منها إن شاء الله تعالى**). والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى وحسبنا الله ونعم الوكيل. وقد وجدت هذه الزيادة في بعض النسخ وفي نسخة أخرى زيادة: وبه تم كتاب أسرار الطهارة ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصلاة. وأنا أقول.

بسم الله الرحمن الرحيم

(كتاب أسرار الصلاة ومهماتها)

الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه، وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه الذي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله جاعل الصلاة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم الله ناصر كل صابر عماد الدين وعياذ المتقين، وسراج اليقين، ومنهاج المهتدين، وأفضل أعمال المؤمنين، وأزكى خصال المسلمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توردنا موارد الموحدين، وتلحقنا بزمرة الشهداء والصالحين. وأشهد أن سيدنا محمداً حبيبه وصفيه النبي الصادق الوعد الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً وزاده شرفاً وتعظيماً.

أما بعد، فهذا شرح كتاب أسرار الصلاة ومهماتها، وهو رابع كتب إحياء علوم الدين يكثر فوائده ويغزر عوائده بتوضيح مسائله ومعانيه وتنقيح دلائله ومبانيه، وكشف معضله وتبيين مبهمه، وإلحاق ما خلا عنه مما يعوّل عليه وتمس الضرورة في الغالب إليه مستمداً من كتب جليلة هي عيون المذهبين، ومستنبطاً من أصول صحيحة تقر بها العين، مما تقدم ذكرها في شرح الكتاب الذي قبله والله سبحانه وتعالى أسأل أن ينفع به إياي والمستفيدين، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وذخراً مدّخراً إلى يوم الدين. إنه خير مسؤول وأكرم مأمول وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم. افتتح المصنف رحمه الله كتابه هذا بقوله:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لأن ذلك سّنة الله في كتابه المبين، وسنة أنبيائه المكرمين، وسنّة سائر عباده الصالحين والاقتداء بهم أصل الدين، ثم أردفه بقوله: **(الحمدلله)** اقتداء بالكتاب العزيز الذي:﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت: ٤٢] وجمع بينهما في الابتداء أيضاً صوناً لكتابه عن عدم البركة والخير المستفاد من قوله ﷺ «كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بالحمدلله فهو أقطع» وفي رواية «أجذم». رواه أبو داود، والنسائي وابن ماجه. وفي رواية ابن حبان ببسم الله الرحمن الرحيم وكلاهما مبدوء به، فإن الابتداء يعتبر في العرف ممتداً من حيز الأخذ في التصنيف إلى الشروع في المقصود، والحمد هو الثناء بالجميل تعظيماً للمثنى عليه، والشكر مقابله النعمة بالطاعة، والله علم لذات الحق سبحانه **(الذي غمر العباد)** جمع عبد من

النزول عن عرش الجلال إلى السماء الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في السؤال والدعاء فقال: « هل من داع فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له؟ » وباين السلاطين بفتح الباب ورفع

العبادة وهي الخضوع والانقياد، ومعنى غمرهم أي عمهم **(بلطائفه)** جمع لطيفة فعيلة من اللطف بالضم وهو الرأفة والرفق، ويعبر عنه بما يقع عنده صلاح العبد آخره. وقد أراد المصنف باللطائف هنا الألطاف بالمعنى المذكور وهو المناسب للسياق، وإلاَّ فاللطائف بمعنى الأسرار الدقيقة التي تلوح للفهم غير متجه كما لا يخفى، **(وعمر قلوبهم)** هو من باب قتل. يقال: عمر المنزل بأهله عمراً وعمره أهله سكنوه يتعدى ولا يتعدى أي ملأها **(بأنوار الدين ووظائفه)** الأنوار جمع نور بالضم وهو الضوء المنتشر الذي يعين الأبصار. والمراد هنا النور المعنوي، والدين بالكسر وضع إلهي سائق لذوي العقول إلى قبول ما هو عند الرسول، ودان الاسلام ديناً تعبده وتدين به. والوظائف: جمع وظيفة وهي ما يقدر من عمل وغيره، والمراد هنا بوظائف الدين ما وظفه الله تعالى على عباده من صلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك، ففيه براعة استهلال، وبين غمر وعمر جناس **(الذي النزول عن عرش الجلال إلى السماء الدنيا من درجات الرحمة إحدى عواطفه)**. والعرش عرش الله ما لا يعلمه البشر إلا بالاسم وليس كما تذهب أوهام العامة سمي به تشبيهاً بسرير الملك في تمكنه عليه عند الحكم لنزول أحكام قضائه وقدره منه، ولذا أضافه إلى الجلال وهو التناهي في عظم القدر والسماء معروف والدنيا أي القربى، والعواطف جمع عاطفة وهي الرحمة. وقد أشار بهذا السياق إلى حديث النزول على ما سيأتي بيانه. **(فارق الملوك)** بفردانيته فلم يشبهوه ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١] وإليه أشار بقوله: **(مع التفرد)** أي الانفراد **(بالجلال)** أي بصفة العظمة **(والكبرياء)**. وقيل: الجلال احتجاب الحق عنا بعزته، والكبرياء عبارة عن كمال الذات وهو كمال الوجود، والمراد به دوامه أزلاً وأبداً، ثم ذكر السبب الفارق فقال: **(بترغيب الخلق)** أي تشويقهم **(في السؤال)** أي الطلب **(والدعاء فقال)** كما أخبر به رسوله ﷺ: **(« هل من داع فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له »)** روى الإمام أحمد، ومسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد معاً قالا: قال رسول الله ﷺ: « إن الله تعالى يمهل حتى إذا كان ثلث الليل الأخير نزل إلى السماء فينادي هل من مستغفر هل من تائب هل من سائل هل من داع حتى ينفجر الفجر ». ورواه أيضاً البخاري في مواضع من صحيحه بألفاظ متقاربة المعنى وفيها « ينزل » بدل « نزل ». والمراد بنزوله رحمته وانتقاله من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام إلى مقتضى صفة الإكرام المقتضية للرحمة والإنعام. وذكر المصنف في [الجام العوام] هذا الحديث فقال: سيق لنهاية الترغيب في قيام الليل، وله تأثير عظيم في تحريك الدواعي للتهجد الذي هو أفضل العبادات. فهذا الخبر قد رواه الصحابة ومن بعدهم، وما أهملوا روايته لاشتماله على فوائد عظيمة سوى اللفظ الموهم عند العارف معنى حقيقياً يفهمه منه ليس ذلك ظنياً في حقه، وما أهون على البصير أن يغرس في

الحجاب فرخص للعباد في المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات، ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة إلا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه، وأتم لطفه، وأعم إحسانه، والصلاة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبى وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليماً.

أما بعد: فإن الصلاة عماد الدين وعصام اليقين، ورأس القربات، وغرة الطاعات،

قلب العامي التنزيه والتقديس عن صورة النزول بأن يقول له: لو كان نزوله إلى سماء الدنيا ليسمعنا نداءه، وقوله فما أسمعنا. فأي فائدة في نزوله؟ ولقد يمكنه أن ينادينا كذلك وهو على العرش أو السماء الأعلى، فهذا القدر يعرف العامي أن ظاهر النزول باطل اهـ.

(**وباين السلاطين**) المباينة المفارقة. والسلاطين: جمع سلطان وهو يرادف الملك، وقيل: بل بينهما فرق. وقد تقدمت الإشارة إليه في كتاب العلم (**بفتح الباب**) أي باب التقرب إليه (**ورفع الحجاب**) بالتمكين للدخول في أي وقت شاء، ثم بين ذلك بقوله: (**فرخص للعباد**) أي أذن لهم بموهبة الاستعداد (**في المناجاة**) أي المساررة (**بالصلوات**)، وفيه تلميح إلى ما رواه النسائي عن ابن عمر « إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قِبَل وجهه إذا صلى » أي يناجيه في صلاته، ومنه قيل:

واغتنم الصلاة في الدياجي إن المصلي ربه يناجي

(**كيفما تقلبت بهم الحالات**) واختلفت (**في الجماعات**) مع الناس (**والخلوات**) عنهم، (**ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف**) لهم أي ترفق (**بالترغيب**) والتشويق (**والدعوة**) أي الطلب (**وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح**) لأحد ممن أقبل إليه (**بالخلوة**) معه والمناجاة (**إلا بعد تقديم الهدية**) وهي فعيلة اسم لما بعثته لغيرك إكراماً (والرشوة) وهي ما يعطى لإبطال حق أو لإحقاق باطل. (**فسبحانه ما أعظم شأنه**) وهو في شؤونه كلها موصوف بالعظمة والجلال (**وأقوى سلطانه**) أي حجته أو برهانه أو ولايته وسلطنته، (**وأتم لطفه**) بعباده، (**وأعمَّ إحسانه**) بهم، (**والصلاة**) هي من الله الرحمة ومن الخلق الدعاء بها (**على محمد نبيه المصطفى**) أي المختار من خلقه (**ووليه المجتبى**).والولي: فعيل بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول واجتباه اصطفاه وكلاهما من أسمائه ﷺ (**وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى**) جمع دجية بالضم هي الظلمة (**وسلم تسليماً**) أكده هنا إتباعاً لما في كتاب الله عز وجل كما في قوله تعالى ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ [النساء: ١٦٤] وفي تأكيد السلام به دون الصلاة وجوه ذكرها المفسرون.

(**أما بعد؛ فإن الصلاة عماد الدين**) وهي قطعة من حديث، وسيأتي ذكره في كلام

وقد استقصينا في فن الفقه ـ في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه ـ أصولها وفروعها، صارفين جمام العناية إلى تفاريعها النادرة. ووقائعها الشاذة لتكون خزانة للمفتي منها يستمد ومعوّلاً له إليها يفزع ويرجع. ونحن الآن في هذا الكتاب نقتصر على ما لا بد للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة، وكاشفون من دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع والإخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكره في فن الفقه، ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب.

الباب الأول: في فضائل الصلاة.

الباب الثاني: في تفصيل الأعمال الظاهرة من الصلاة.

المصنف وفيه استعارة بالكناية وهو تشبيه الدين بالخيمة مع ذكر المشبه به استعارة تخييلية، والجامع بين الدين والخيمة ما في كل منهما من الإحراز والحفظ لمن هو فيه. وكذا الكلام في قوله: **(وعصام اليقين)** وعصام القربة بالكسر رباطها وسيرها الذي يحمل به، واليقين عند أهل الحقيقة رؤية العيان بقوّة الايمان لا بالحجة والبرهان. وقيل: مشاهدة الغيوب بصفات القلوب وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار **(وسيدة القربات)** أي أعظم ما يتقرب به المتقربون إلى الحضرة الإلهية، **(وغرة الطاعات)** أي منزلتها في الطاعات الإلهية منزلة الغرة من ناصية الفرس أشار به إلى شرفها وعظمتها. **(وقد استقصينا في فن الفقه)** الفن من الشيء النوع منه والجمع فنون ـ **(في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه)** ـ وهي كتبه الثلاثة المتقدم ذكرها **(أصولها وفروعها)** مفعول استقصينا، والضمير راجع للصلاة حالة كوننا. **(صارفين جمام العناية)** أي معظم الاعتناء، وأصل الجمام جمام القدح وهو ملؤه بغير رأس مثلث الجيم. قال ابن السكيت: وإنما يقال جمام في الدقيق وأشباهه. يقال: أعطاني جمام القدح دقيقاً **(إلى تفاريعها النادرة)** وهي الفروع الغريبة في المذهب، **(ووقائعها الشاذة)** أي النادرة الوقوع **(لتكون خزانة)** بالكسر **(للمفتي منها يستمد)** ويستعين في المهمات إذ سئل عنها **(ومعوّلاً له)** أي معتمداً **(إليها يفزع)** أي يلجؤ **(ويرجع)** في المراجعات. **(ونحن الآن في هذا الكتاب)** الذي هو رابع كتبه من الإحياء **(نقتصر على ما لا بدّ للمريد)** أي السالك في طريق الآخرة **(منه)** أي من فن الفقه **(من أعمالها الظاهرة)** من بيان أركانها وواجباتها وهيئاتها **(وأسرارها الباطنة)** من حسن التوجه والمراقبة وغيرها، **(وكاشفون)** إن شاء الله تعالى **(من دقائق معانيها الخفية)** التي خفيت على أكثر الفقهاء **(في معاني الخشوع والإخلاص والنية)** فيها التي بها تتميز عن صلاة العامة **(ما لم تجرِ العادة بذكرها في فن الفقه)** لأنه ليس من وظائف الفقيه، **(ومرتبون)** هذا **(الكتاب على سبعة أبواب)** تفاؤلاً بهذا العدد من الأوتار.

(الباب الأول: في فضائل الصلوات) وما يتعلق بها.

(الباب الثاني: في تفصيل الأعمال الظاهرة) مما يذكر في كتب الفقه.

الباب الثالث: في تفصيل الأعمال الباطنة منها .
الباب الرابع: في الإمامة والقدوة .
الباب الخامس: في صلاة الجمعة وآدابها .
الباب السادس: في مسائل متفرقة تعم بها البلوى يحتاج المريد إلى معرفتها .
الباب السابع: في التطوعات وغيرها .

الباب الأول

في فضائل الصلوات والسجود والجماعة والأذان وغيرها :

فضيلة الأذان:

قال ﷺ : « ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس. رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأمَّ بقوم وهم به راضون، ورجل أذَّن في مسجد ودعا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله،

(**الباب الثالث: في تفصيل الأعمال الباطنة منها**) مما يذكره أهل الاشراف على البواطن .

(**الباب الرابع: في**) متعلقات الصلاة مثل (**الإمامة والقدوة**) أي الاقتداء .

(**الباب الخامس:**) في ذكر بعض أنواع الصلوات مثل (**صلاة الجمعة و**) ذكر (**آدابها**

الباب السادس: في مسائل متفرقة) منها (**تعم بها البلوى**

الباب السابع: في التطوّعات) أي النوافل.

الباب الأول

(**في فضائل الصلوات**) المكتوبة (**و**) ما يتبعها من الركوع و (**السجود والجماعة والاذان وغيرها**) على ما سيأتي بيانها.

فضيلة الأذان:

وإنما قدمها لتقدم الأذان مع الصلاة، وهو اسم من آذنه بكذا إذا أعلمه، ثم نقل إلى إعلام خاص في أوقات خاصة.

(**قال ﷺ : « ثلاثة يوم القيامة على كثيب**) هو الرمل المستطيل المحدودب (**من مسك أسود لا يهولهم**) أي لا يفزعهم (**حساب**) أي المناقشة فيه (**ولا ينالهم فزع**) أي خوف أوّلهم: (**رجل قرأ القرآن**) أي تعلمه (**ابتغاء وجه الله عز وجل**) أي لا للرياء والسمعة ولا يتسلق به على حصول دنيا (**وأمَّ بقوم وهم به راضون، و**) الثاني. (**رجل أذَّن في مسجد**

ورجل ابتلي بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة». وقال ﷺ: «لا يسمع نداء المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة»، وقال ﷺ: «يد

ودعا إلى الله عز وجل ابتغاء وجه الله) أي لا بعوض وأجرة، (و) الثالث: **(رجل ابتلي بالرق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة»)** بل قام بحق الحق وحق سيده وجاهد نفسه على تحمل مشاق القيام بالحقين، ومن ثم كان له أجران واستوجب الأمان وارتفع على الكثبان. قال العراقي: أخرجه الترمذي وحسنه من حديث ابن عمر مختصراً، وهو في الصغير للطبراني بنحو مما ذكره المؤلف اهـ.

قلت: أما ما أخرجه الطبراني فهو من طريق فيه بحر بن كثير السقاء وهو ضعيف بل متروك من حديث ابن عمر بلفظ «ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة لا يهولهم الفزع ولا يفزعون حين يفزع الناس. رجل تعلم القرآن فقام به يطلب وجه الله وما عنده، ورجل نادى في كل يوم وليلة خمس صلوات يطلب وجه الله وما عنده، ومملوك لم يمنعه رق الدنيا من طاعة ربه». وأما حديث الترمذي الذي أشار إليه فلفظه «ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة يغبطهم الاولون والآخرون. عبد أدّى حق الله وحق مواليه، ورجل يؤم قوماً وهم به راضون، ورجل نادى بالصلوات الخمس في كل يوم وليلة» هكذا أخرجه في الأدب من حديث ابن عمر وقال: حسن غريب. وهكذا أخرجه الحاكم أيضاً. وقال الصدر المناوي في إسناد الترمذي: أبو اليقظان عثمان بن عمير قال الذهبي: كان شيعياً ضعفوه.

(وقال ﷺ «لا يسمع نداء المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة») رواه أبو مصعب الزبيدي، عن مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني، عن أبيه أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال له «إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في غنمك أو بادية فأذنت بالصلاة فارفع صوتك فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة». قال أبو سعيد: سمعته من رسول الله ﷺ، وهو حديث صحيح أخرجه البخاري عن عبد الله بن يوسف واسماعيل بن أبي أويس وقتيبة بن سعيد فرقهم كلهم عن مالك. وأخرجه النسائي عن محمد بن سلمة، عن عبد الرحمن بن القاسم عن مالك.

(تنبيه)

قال الحافظ في تخريج أحاديث الاذكار ما نصه: ذكر الغزالي في الوسيط وتبعه الرافعي: أن الخطاب الاوّل وقع من النبي ﷺ، واستنكر ذلك ابن الصلاح في مشكله وقال: «لا أصل لذلك في شيء من طرق الحديث، وإنما وقع ذلك من أبي سعيد للتابعي، وقد رواه الشافعي في [الأم] عن مالك على الصواب. واعتذر ابن الرفعة عن الغزالي بأنه فهم من قول أبي سعيد سمعته من رسول الله ﷺ أي جميع ما تقدم فذكره بالمعنى والعلم عند الله تعالى.

(وقال ﷺ: «يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه») قال العراقي: رواه

الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه». وقيل في تفسير قوله عز وجل: ﴿ومَنْ أحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إلى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ [فصلت: ٣٣]، نزلت في المؤذنين. وقال ﷺ: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن»، وذلك مستحب إلاَّ في الحيعلتين فإنه يقول فيهما: لا حول ولا قوّة إلا بالله، وفي قوله: قد قامت الصلاة أقامها

الطبراني في الأوسط، والحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس باسناد ضعيف، **(وقيل في تفسير قوله عز وجل: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعملَ صالِحاً﴾** الآية [٣٣ من سورة فصلت] **(نزلت في المؤذنين)**. أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وابن المنذر، وابن مردويه عن عائشة قالت: ما أرى هذه الآية نزلت إلا في المؤذنين **﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾** الآية. وأخرج الخطيب في تاريخه عن قيس بن أبي حازم في قوله **﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾** قال: الأذان **﴿وعمل صالحاً﴾** قال: الصلاة بين الأذان والاقامة. وأخرج عبد بن حميد، وابن مردويه، وابن أبي حاتم، عن عائشة **﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾** قالت المؤذن **﴿وعمل صالحاً﴾** قالت: ركعتان فيما بين الأذان والإقامة. وفي الدر المنثور للحافظ السيوطي أقوال أخر في تفسير هذه الآية أعرضنا عن ذكرها.

(وقال ﷺ: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن») رواه أبو مصعب الزبيدي، عن مالك عن الزهري، عن عطاء بن يزيد، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رفعه، وهو حديث صحيح أخرجه أحمد، عن عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان ومحمد بن جعفر، وأخرجه البخاري، عن عبدالله بن يوسف. ومسلم عن يحيى بن يحيى. وأبو داود عن القعنبي. والترمذي والنسائي عن قتيبة. والنسائي أيضاً من رواية يحيى القطان. والترمذي أيضاً من رواية معن بن عيسى. وابن ماجه من رواية زيد بن الحباب. وابن خزيمة وأبو عوانه من رواية عبدالله بن وهب. عشرتهم عن مالك. قال الترمذي: حسن صحيح، وروى معمر وغير واحد عن الزهري هكذا. ورواه عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري فقال: عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، والصحيح رواية مالك ومن تابعه اهـ كلام الترمذي.

قال الحافظ: رواية معمر أخرجها عبد الرازق في مصنفه عنه، وعن مالك جميعاً عن الزهري، ورواية الغير لعله يريد به ابن جريج، وقد أخرجه أبو عوانة من روايته عن الزهري كذا وكذا. وراه عبدالله بن وهب، وعثمان بن عمر، عن يونس بن يزيد، عن الزهري بلفظ «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول». هكذا أخرجه أحمد، وابن خزيمة، وأبو عوانة والله أعلم. **(وذلك)** أي القول بمثل ما يقول المؤذن **(محبوب)** ومسنون **(إلا في الحيعلتين)** أي حي على الصلاة وحي على الفلاح، **(فإنه)** يقول فيهما: **(لا حول ولا قوّة إلا بالله)** أخرجه مسلم عن إسحاق بن منصور، وأبو داود عن محمد بن المثنى، وابن خزيمة عن يحيى بن محمد بن السكن. ثلاثتهم عن محمد بن جهضم عن إسماعيل بن جبير، عن عمارة بن غزية، عن حبيب بن جعفر، عن حفص بن عاصم، عن أبيه، عن جده عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفعه «إذا قال المؤذن الله

الله وأدامها ما دامت السموات والأرض، وفي التثويب صدقت وبررت ونصحت، وعند الفراغ يقول: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد. وقال سعيد بن

أكبر الله أكبر قال أحدكم الله أكبر الله أكبر، ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله قال أشهد أن محمداً رسول الله، ثم قال حي على الصلاة قال لا حول ولا قوّة إلا بالله، ثم قال حي على الفلاح قال: لا حول ولا قوّة إلا بالله، ثم قال الله أكبر الله أكبر قال الله أكبر الله أكبر، ثم قال لا إله إلا الله قال لا إله إلا الله دخل الجنة». **(و)** يقول **(في قوله)** في الإقامة: **(قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والأرض)** وفي بعض الروايات. أقامها الله وأدامها إلى يوم القيامة. وقال أبو داود في السنن. أخبرنا سليمان بن داود، حدثنا محمد بن ثابت، حدثني رجل من أهل الشام، عن شهر بن حوشب، عن أبي أمامة، أو بعض أصحاب النبي ﷺ أن بلالاً أخذ في الإقامة، فلما قال: قد قامت الصلاة قال رسول الله ﷺ: «أقامها الله وأدامها». وأخرجه ابن السني أيضاً هكذا. **(وفي التثويب)** من أذان الفجر عند قوله: الصلاة خير من النوم **(صدقت وبررت ونصحت)**. وفي بعض الروايات بعد بررت وبالحق نطقت، وكل ذلك وارد في السّنة. وجاء في حديث غريب أخرجه ابن السني باسناد فيه نصر بن طريف وهو ضعيف من حديث معاوية رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سمع المؤذن يقول حي على الفلاح قال «اللهم اجعلنا مفلحين». **(وعند الفراغ)** من إجابة المؤذن **(يقول: اللهم بحق هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد)** أخرج الطبراني في الدعاء فقال: حدثنا أبو زرعة الدمشقي، حدثنا علي بن عياش، حدثنا شعيب بن أبي حمزة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته حلت عليه الشفاعة يوم القيامة» هكذا لفظ أبي زرعة المقام المحمود باللام فيهما كما عند المصنف.

وفي مسند أبي بكر الشافعي، عن ابراهيم بن الهيثم، عن علي بن عياش بلفظ: «مقاماً محموداً» بالتنكير. وأخرجه أحمد عن علي بن عياش والطحاوي عن أبي زرعة الدمشقي، وأبو داود عن أحمد، والترمذي عن محمد بن سهل، وابراهيم بن يعقوب. والنسائي عن عمرو بن منصور. وابن ماجه عن العباس بن الوليد، ومحمد بن يحيي، ومحمد بن أبي الحسين. وابن خزيمة عن موسى بن سهل. ثمانيتهم عن علي بن عياش. وأخرجه ابن عباس عن ابن خزيمة. وأخرجه الحاكم من رواية محمد بن يحيي الذهلي. قال الحافظ ووهم في استدراكه، فإن البخاري أخرجه في موضعين من صحيحه في أبواب الأذان، وتفسير سبحان عن علي بن عياش بهذا الاسناد» ووقع في روايته مقاماً محموداً كما قال الأكثر، ووقع باللام أيضاً في رواية النسائي وابن خزيمة. وفي رواية للبيهقي وزاد في آخره «إنك لا تخلف الميعاد» قال السخاوي: وثبتت هذه الزيادة أيضاً عند البخاري في

المسيب: من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك، فإن أذّن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة.

رواية الكشميهني، وزاد البيهقي في أوله «اللهم إني أسألك بحق هذه الدعوة» وزاد فيه ابن وهب في جامعه بسند فيه ابن لهيعة «صلّ على محمد عبدك ونبيك ورسولك» ولم يذكر «الفضيلة»، وزاد بدلها «الشفاعة يوم القيامة». وقال: حلت لك شفاعتي دون ما بعده. ورواه أحمد وابن السني وآخرون بلفظ «صل على محمد وارض عنه رضاً لا سخط بعده» استجاب الله دعوته. ولم يذكروا سواه وفي بعض روايات جابر «وآته سؤله» وتفصيل ذلك في القول البديع للحافظ السخاوي.

تنبيه:

قال السخاوي في المقاصد: الدرجة الرفيعة المدرج فيما يقال بعد الأذان لم أره في شيء من روايات هذا الحديث، وكان من زادها اغتر بما وقع في بعض نسخ الشفاء في حديث جابر المشار إليه، لكن مع زيادتها في هذه النسخة المعتمدة علم عليها كاتبها بما يشير إلى الشك فيها، ولم أرها في سائر نسخ الشفاء بل في الشفاء عقد لها فصلاً في مكان آخر ولم يذكر فيه حديثاً صريحاً وهو دليل لغلطها والله أعلم.

(وقال سعيد بن المسيب) التابعي رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته: **(من صلى بأرض فلاة)** أي الخلاء **(صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك)** أي إكراماً له، **(فإن أذَّن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة)**. وقد روى ابن الضريس من حديث جابر مرفوعاً «من صلى ركعتين في خلاء لا يراه إلا الله والملائكة كتبت له براءة من النار».

تنبيه:

قد بقيت في فضيلة الأذان أحاديث وآثار لم يذكرها المصنف منها: عن أنس مرفوعاً «من أذَّن سنة عن نية صادقة لا يطلب عليه أجراً دعي يوم القيامة ووقف على باب الجنة فقيل له اشفع لمن شئت» أخرجه ابن عساكر، وابن النجار، والرافعي، وأبو عبدالله الحسين بن جعفر الجرجاني في أماليه، وحميد بن يوسف السهمي في معجمه من طريق موسى الطويل عنه. وأخرج الترمذي، وابن ماجه، وأبو الشيخ في الأذان عن ابن عباس «من أذن سبع سنين محتسباً كتبت له براءة من النار» قال الترمذي: غريب. وأخرج ابن ماجه، والطبراني، وأبو الشيخ عن ابن عمر «من أذَّن اثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة وكتب له بتأذينه في كل يوم ستون حسنة وبإقامته ثلاثون حسنة». وأخرج أبو الشيخ في كتاب الأذان، والخطيب، وابن النجار، عن أبي هريرة: «من أذَّن خمس صلوات إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن أمَّ أصحابه خمس صلوات إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه». وأخرج ابن أبي شيبة، وابن ماجه، عن معاوية سمعت النبي ﷺ يقول: «إن المؤذنين أطول الناس أعناقاً يوم القيامة». وأخرج ابن أبي شيبة، عن أبي هريرة رفعه «المؤذن يغفر له مد صوته ويصدقه كل رطب ويابس». وأخرج أيضاً عن ابن عمر

فضيلة المكتوبة:

قال الله تعالى: ﴿إن الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كتاباً مَوْقُوتاً﴾ [النساء: ١٠٣]، وقال ﷺ: « خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً

أنه قال لرجل: « ما عملك؟ قال: الأذان. قال: نعم العمل يشهد لك كل شيء سمعك». وأخرج أيضاً عن عمر بن الخطاب قال: « لو أطقت الأذان مع الخليفي لأذنت»، وأخرج أيضاً عن سعد « لأن أقوى على الأذان أحب إلي من أني أحج وأعتمر وأجاهد». وأخرج أيضاً عن ابن مسعود « لو كنت مؤذناً ما باليت أن لا أحج ولا أغزو». وأخرج أيضاً من طريق هشام بن يحي قال حدثت أن رسول الله ﷺ قال: « لو علم الناس ما في الأذان لتحاربوه». وأخرج أيضاً وسعيد بن منصور عن الحسن قال: « المؤذن المحتسب أول من يكسى يوم القيامة».

استطراد: قال الحافظ في تخريج الأذكار: قد اختلف في معنى أطول الناس أعناقاً، فروي عن أبي داود أنه قال: معناه أن الناس يعطشون يوم القيامة، ومن عطش التوت عنقه، والمؤذنون لا يعطشون فأعناقهم قائمة. وجاء عن النضر بن شميل نحو ذلك. وقال ابن حبان في صحيحه: إن المراد أن اعناقهم تمتد شوقاً للثواب، وقال غيره: تمتد لكونهم كانوا يمدونها عند رفع الصوت في الدنيا فمدت يوم القيامة ليمتازوا بذلك عن غيرهم، وفي هذا إبقاء للطول على حقيقته، وقيل: المعنى أن الناس إذا ألجمهم العرق لم يلجمهم، وهذا إذا انضم إلى الذي قبله بين ثمرته، ومنهم من حمل الأعناق والطول على معنى آخر فقال: هو جمع عنق بمعنى جماعة فكأنه قيل: إنهم أكثر الناس اتباعاً لأن من أجاب دعوتهم يكون معهم، وقيل: معنى العنق العمل فكأنه قيل أكثر الناس أعمالاً، وقيل: المراد أنهم رؤوس الناس، والعرب تصف السيد بطول العنق وهذا عن ابن الأعرابي، وشذ بعضهم فكسر الهمزة وقال: الاعناق بمعنى العنق محركة وهو ضرب من السير السريع، والمعنى أنهم أسرع الناس سيراً إلى الجنة. فهذه ثمانية أقوال جمعتها من متفرقات كلامهم، والله أعلم.

فضيلة المكتوبة:

اعلم أن الصلاة فريضة ثابتة بالكتاب والسنة أما الكتاب فإنه: **(قال الله تعالى) :** ﴿أقيموا الصلاة﴾ [الأنعام: ٧٢] وقال أيضاً ﴿وقوموا لله قانتين﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقال أيضاً ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقال أيضاً ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ [الروم: ١٧] الآية وقال أيضاً: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ [النساء: ١٠٣] أي فرضاً مؤقتاً أي محدوداً بأوقات لا يجوز إخراجها عنها في شيء من الأحوال، ولما كانت هذه الآية ظاهرة الدلالة على المراد اقتصر عليها المصنف **(و)** أما السنة فإنه **(قال ﷺ : « خمس صلوات كتبهن الله)** أي فرضهن **(على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن)** قال الباجي: احترز عن السهو، وقال ابن عبد البر:

استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأتِ بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة » . وقال ﷺ : « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه ؟ قالوا : لا شيء قال ﷺ : فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن » . وقال ﷺ : « إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر » . وقال ﷺ :

تضييعها أن لا يقيم حدودها (**كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة**) أي : مع السابقين أو من غير تقدم عذاب ، (**ومن لم يأت بهن**) على الوجه المطلوب شرعاً (**فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه**) عدلاً (**وإن شاء أدخله الجنة »**) برحمته فضلاً . أخرجه مالك ، وأحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم عن عبادة بن الصامت . قال الزين العراقي : وصححه ابن عبد البر ، ورواه أبو داود أيضاً بلفظ آخر يقاربه « خمس صلوات افترضهن الله عز وجل من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه » وأخرجه البيهقي كذلك وعزاه الصدر المناوي في تخريج أحاديث المصابيح إلى الترمذي والنسائي أيضاً .

(**وقال ﷺ : « مثل الصلوات الخمس**) المكتوبة (**كمثل نهر**) هكذا هو بزيادة الكاف على مثل ونهر بفتح الهاء وسكونها (**عذب**) أي طيب لا ملوحة فيه (**غمر**) بفتح فسكون أي الكثير الماء (**بباب أحدكم**) إشارة إلى سهولته وقرب تناوله (**يقتحم فيه**) أي يدخل فيه (**كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك** يبقي) بضم أوله وكسر ثالثه (**من درنه؟**) أي وسخه (**قالوا لا شيء قال ﷺ : فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب**) أي الصغار (**كما يذهب الماء الدرن »**) أخرجه الإمام أحمد ، وعبد بن حميد ، والدارمي ، وابن حبان ، والرامهرمزي من حديث جابر ولفظه : « مثل الصلوات الخمس المكتوبة كمثل نهر جار عذب على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فما يبقي ذلك من الدنس » وعند البخاري ومسلم نحوه ، وكذا محمد بن نصر من حديث أبي هريرة زاد البخاري « فذلك مثل الصلاة » وهو جواب لشرط محذوف أي إذا علمتم ذلك . وأخرجه أبو يعلى عن أنس والطبراني عن أبي أمامة ، وعند الرامهرمزي من حديث أبي هريرة : « مثل الصلوات الخمس مثل رجل على بابه نهر جار غمر يغتسل منه كل يوم خمس مرات فماذا يبقى من درنه » . قال المناوي في شرح الجامع : وفائدة التمثيل التأكيد وجعل المعقول كالمحسوس حيث شبه المذنب المحافظ على الخمس بحال مغتسل في نهر كل يوم خمساً بجامع أن كلاً منهما يزيل الأقذار ، وخص النهر بالتمثيل لمناسبته لتمكين حق الصلاة ووجوبها لأن النهر لغة ما أخذ لمجراه محلاً ممكناً وفيه فضل الصلاة لأول وقتها لأن الاغتسال في أول اليوم أقوى وأبلغ في النظافة .

(**وقال ﷺ : « إن الصلوات كفارة لما بينهن من الصغائر ما اجتنبت الكبائر »**)

« بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما ». وقال ﷺ: « من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته ». وقال ﷺ: « الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين ». وسئل ﷺ: « أيّ الأعمال أفضل؟ فقال: الصلاة

والذي أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس « الصلوات الخمس كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر والجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام » وعند أحمد ومسلم في الطهارة، والترمذي في الصلاة عن أبي هريرة بلفظ: « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » ولكن الترمذي لم يذكر رمضان. وقال النووي في شرح مسلم معناه أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر فلا تغفر لا أن الذنوب تغفر ما لم تكن كبيرة، فإن كانت لا تغفر صغائره، ثم كل من المذكورات صالح للتكفير، فإن لم تكن له صغائر كتبت له حسنات ورفع له درجات.

(وقال ﷺ: « بيننا وبين المنافقين شهود) أي حضور **(العتمة)** أي صلاة العشاء في جماعة **(و)** حضور صلاة **(الصبح)** فإنهم **(لا يستطيعونهما »)** أي تثقلان عليهم. أخرجه مالك في الموطأ من رواية سعيد بن المسيب مرسلاً. قاله العراقي. **(وقال ﷺ: « من لقي الله وهو مضيّع للصلاة)** بعدم إقامة أركانها **(لم يعبأ الله بشيء من حسناته »)** قال العراقي: لم أجده هكذا. وفي معناه حديث « أول ما يحاسب به العبد الصلاة » وفيه: « فإن فسدت فسد سائر عمله » رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الضياء في المختارة عن أنس بلفظ « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح له سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله » وعند النسائي عن ابن مسعود « أول ما يحاسب به العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس في الدماء ».

(وقال ﷺ: « الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين ») قال العراقي: أخرجه البيهقي في الشعب بسند ضعيف من حديث عمر. قال الحاكم: عكرمة لم يسمع من عمر. قال: وأراه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح، فقال في مشكل الوسيط: إنه غير معروف اهـ.

قلت: وقول النووي في التنقيح حديث منكر باطل رده الحافظ ابن حجر وشنع عليه، ثم ان الذي خرجه البيهقي في الشعب هي الجملة الأولى فقط، وأما قوله: « فمن تركها » الخ فلم أره. وعند الديلمي عن علي « الصلاة عماد الإيمان والجهاد سنام العمل والزكاة بين ذلك ». ورواه التيمي في الترغيب بلفظ: « الصلاة عماد الإسلام » وأخرج أبو نعيم الفضل بن دكين شيخ البخاري في كتاب الصلاة، عن حبيب بن سليم، عن بلال بن يحيي قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأل عن الصلاة فقال: « الصلاة عمود الدين » وهو مرسل ورجاله ثقات، وله طرق أخرى بيّنها الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف، وتبعه السيوطي في حاشية البيضاوي.

لمواقيتها». وقال ﷺ: «من حافظ على الخمس بإكمال طهورها ومواقيتها كانت له نوراً وبرهاناً يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان». وقال ﷺ: «مفتاح

تنبيه:

يوجد في كتب أصحابنا الحنفية هذا الحديث بزيادة جملة أخرى وهي: «**فمن أقامها فقد** أقام الدين». وبهذه الزيادة يفهم وجه الشبه بين الصلاة والعماد أي الإقامة بالإقامة والهدم بالترك، كما أن الخيمة تقام بإقامة عمدها وتهدم بترك إقامته، وكان هذا هو السر في عدم مجيء الأمر بالصلاة غالباً إلا بلفظ الإقامة في الكتاب والسنة بخلاف غيره من الأوامر على ما لا يخفى والله أعلم.

(**وسئل رسول الله ﷺ: «أي الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة لمواقيتها»**) وفي رواية «لميقاتها» أخرجه البخاري، ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. قاله العراقي.

قلت: أخرجه البخاري في الصلاة والجهاد والأدب والتوحيد، ومسلم في الإيمان، والترمذي في الصلاة وفي البر، والنسائي في الصلاة ولفظ البخاري من طريق أبي اعمرو الشيباني، حدثنا صاحب هذه الدار وأشار بيده إلى دار ابن مسعود قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله قال: «الصلاة على وقتها» اتفق أصحاب شعبة على هذا اللفظ، وخالفهم علي بن حفص وهو ممن احتج به مسلم فقال: «الصلاة في أول وقتها» رواه الحاكم والدارقطني، واحترز بقوله «على وقتها» عما إذا وقعت الصلاة خارج وقتها من معذور كالنائم والناسي، فإن إخراجه لها عن وقتها لا يوصف بتحريم ذلك ولا بأنه أفضل الأعمال مع أنه محبوب، لكن ايقاعها في الوقت أحب والله أعلم.

(**وقال ﷺ: «من حافظ على الخمس**) أي على فعلهن (**بإكمال طهورها**) وهو المراد بالإحسان والإسباغ في رواية أخرى (**و**) أدائها في (**مواقيتها كانت له نوراً**) في قبره وحشره (**وبرهاناً**) تخاصم عنه وتحاجج (**يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان»**) فإنهما من أشقى الناس. قال العراقي: أخرجه أحمد، وابن حبان من حديث عبدالله ابن عمرو اهـ.

قلت: وكذلك أخرجه الطبراني والبيهقي في السنن ولفظهم جميعاً «من حافظ على الصلاة كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وأبي بن خلف». وأخرجه ابن نصر في كتاب الصلاة بلفظ: «خمس صلوات من حافظ عليهن كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليهن لم يكن له نور يوم القيامة ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبي بن خلف». وفي ذكر أبي بن خلف مع هؤلاء إشارة إلى أنه أشقى هذه الأمة وأشدها عذاباً مطلقاً، وهو الذي آذى الله ورسوله وبالغ في ذلك حتى قتله الله بيد رسوله ﷺ

الجنة الصلاة ». وقال: « ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد ». وقال النبي ﷺ: « من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر » أي قارب أن ينخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة أنه بلغها ودخلها.

يوم أحد ولم يقتل أحداً بيده قط غيره. وفي الخبر « أشقى الناس من قتل نبياً أو قتله نبي » وقد جاء في المحافظة على الخمس أيضاً ما أخرجه أحمد والطبراني والبيهقي عن حنظلة الكاتب رفعه « من حافظ على الصلوات الخمس المكتوبة على ركوعهن وسجودهن ووضوئهن ومواقيتهن وعلم أنهن حق من عند الله عز وجل دخل الجنة » أو قال: « وجبت له الجنة » وفي لفظ « حرم على النار ». وأخرج الحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة: « من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يكتب من الغافلين ».

(وقال ﷺ: « مفتاح الجنة الصلاة ») وفي نسخة العراقي: « مفاتيح الجنة الصلاة ». وقال: أخرجه أبو داود والطيالسي من حديث جابر وهو عند الترمذي وليس داخلاً في الرواية اهـ.

قلت: وهكذا أخرجه أحمد والبيهقي بزيادة « ومفتاح الصلاة الطهور » ومعنى الحديث مبيح دخولها الصلاة لأن أبواب الجنة مغلقة فلا يفتحها إلا الطاعة والصلاة أعظمها.

(وقال ﷺ: « ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب إليه من الصلاة ولو كان شيء أحب إليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد ») قال العراقي: لم أجده هكذا. وآخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر، وعند الحاكم من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: هو في القوت بلفظ: وروينا عن رسول الله ﷺ ثم ساقه قال: « ويقال إن المؤمن إذا صلى ركعتين عجب منه عشر صنوف من الملائكة كل صنف منهم عشرة آلاف، ثم قال فالقائمون صنف لا يركعون إلى قيام الساعة والساجدون لا يرفعون إلى القيامة وكذلك الراكعون والقاعدون ».

(وقال ﷺ: « من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر ») قال العراقي: أخرجه البزار من حديث أبي الدرداء بإسناد فيه مقال اهـ.

قلت: وعند الطبراني من حديث أنس « من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر جهاراً » قال الهيثمي: رجاله موثقون إلا محمد بن أبي داود الأنباري فلم أجد ترجمته. وذكر ابن حبان محمد بن أبي داود البغدادي فما أدري هو أم لا؟ اهـ. وقال الحافظ: الحديث سئل عنه الدارقطني فقال: رواه أبو النضر عن أبي جعفر، عن الربيع موصولاً ووقفه أشبه بالصواب اهـ. واختلف في معنى قوله: « فقد كفر » فقيل: معناه **(أي)** استوجب عقوبة من كفر أو **(قارب أن ينخلع عن الإيمان بانحلال عروته وسقوط عماده)** وهذا **(كما يقال لمن قارب البلدة إنه بلغها**

وقال ﷺ: « من ترك صلاة متعمداً فقد برىء من ذمة محمد عليه السلام ». وقال أبو هريرة رضي الله عنه: مَن توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامداً إلى الصلاة فإنه في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة وإنه يكتب له بإحدى خطوتيه حسنة وتمحى عنه بالأخرى سيئة، فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فإن أعظمكم أجراً أبعدكم داراً. قالوا: لِمَ يا أبا هريرة؟ قال: من أجل كثرة الخطا. ويروى: « إن أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فإن وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله، وإن وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله ». وقال ﷺ: « يا أبا هريرة مُر أهلك

ووصلها) أي: نزلها أو فعل فعل الكفار وتشبه بهم لأنهم لا يصلون، أو فقد ستر تلك الأقوال والأفعال المخصوصة التي كلفه الله بأن يبديها.

(وقال ﷺ: « من ترك صلاة متعمداً فقد برىء من ذمة محمد ﷺ ») قال العراقي: أخرجه أحمد والبيهقي من حديث أم أيمن بنحوه ورجال إسناده ثقات اهـ.

قلت: وعند ابن أبي شيبة في المصنف، عن أبي الدرداء، وعن الحسن مرسلاً: « من ترك صلاة مكتوبة حتى تفوته من غير عذر فقد حبط عمله » وعند أبي نعيم من حديث أبي سعيد « من ترك الصلاة متعمداً كتب اسمه على باب النار فيمن يدخلها ». وعند البيهقي في المعرفة عن نوفل: « من ترك الصلاة فكأنما وتر أهله وماله ». **(وقال أبو هريرة رضي الله عنه: من توضأ فاحسن وضوءه ثم خرج عامداً)** أي قاصداً **(إلى الصلاة فإنه في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة)** ظاهر سياقه أنه من كلام أبي هريرة وقد أخرج ابن جرير والبيهقي عن أبي هريرة رفعه: « من توضأ ثم خرج يريد الصلاة فهو في الصلاة حتى يرجع إلى بيته ». **(وأنه يكتب له بإحدى خطوتيه حسنة وتمحى عنه بالأخرى سيئة)**. وهذه الجملة أيضاً رويت مرفوعة من حديث أبي هريرة. أخرجه أبو الشيخ ولفظه « من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج إلى المسجد كتب الله له بإحدى رجليه حسنة ومحا عنه سيئة ورفع له درجة » **(فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا يسعى)** أي لا يسرع في المشي **(فإن أعظمكم أجراً أبعدكم داراً. قالوا: لم يا أبا هريرة؟ قال: من أجل كثرة الخطا)** وهذا أيضاً قد روي مرفوعاً من حديثه بلفظ: « إذا سمع أحدكم النداء والإناء على يده فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه » أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم. وعند ابن عساكر من حديث أنس « إذا سمعت النداء فأجب وعليك السكينة ». وأخرج ابن ماجه من حديثه أيضاً « أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم ». **(ويروى: « ان أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة)** أي عند العرض **(الصلاة)** لأن الله قد آذنه بتعظيم أمرها، وأشار إليه بالاهتمام بشأنها وأنها مقدمة عنده على غيره حيث كانت أول شيء بدأ به عباده من الفرائض، فناسب أن يكون أول السؤال عنها إذا لا عذر له حينئذ **(فإن وجدت تامة)** أي أديت بشروطها وأركانها **(قبلت منه و)** يتبعها **(سائر عمله)** أي باقيه، **(وإن وجدت**

بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب». وقال بعض العلماء: مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال، وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة. وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول: إذا حضرت الصلاة قوموا إلى ناركم التي أوقدتموها فأطفئوها.

ناقصة) قد ضيعت حدودها **(ردت عليه و)** رد **(سائر عمله »)** . قال العراقي: رويناه في الطوريات من حديث أبي سعيد بإسناد ضعيف، ولأصحاب السنن والحاكم وصحح إسناده نحوه من حديث أبي هريرة وسيأتي اهـ.

قلت: تقدم قريباً حديث أنس عند الطبراني في الأوسط «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله». وأخرج الحاكم في الكنى عن ابن عمر «أول ما افترض الله تعالى على أمتي الصلوات الخمس، وأول ما يرفع من أعمالهم الصلوات الخمس، وأول ما يسألون عن الصلوات الخمس». الحديث. وأخرج أحمد وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم، عن تميم الداري «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فإن كان أتمها كتبت له تامة» الحديث.

(وقال ﷺ) لأبي هريرة: **(يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب »)** قال العراقي: لم أقف له على أصل اهـ.

قلت: وهو من نسخة جمع فيها أحاديث يقول في أول كل منها يا أبا هريرة وهذه النسخة موضوعة باتفاق المحدثين إلا أن بعض ما فيها ما هو صحيح باللفظ أو بالمعنى كالذي نحن فيه، فإن معناه صحيح لما أخرج عبد الرزاق في المصنف، وعبد بن حميد، عن معمر، عن رجل من قريش قال: «كان النبي ﷺ إذا دخل على أهله بعض الضيق في الرزق أمر أهله بالصلاة ثم قرأ هذه الآية ﴿وأمر هلك بالصلاة﴾ [طه: ١٣٢] ونحوه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية ما هو مذكور في الدر المنثور. **(وقال بعض العلماء)** رحمه الله تعالى: **(مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح)** أي الفائدة في تجارته **(حتى يخلص له رأس المال)** أي المال الأصلي، **(وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة)** فالفريضة في العبادات بمنزلة رأس مال التاجر، والنوافل بمنزلة الأرباح وفي القوت وقال الفضيل بن عياض: الفرائض رؤوس الأموال والنوافل الأرباح، ولا يصح ربح إلا بعد إحراز رأس المال **(وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول)** للحاضرين: **(إذا حضرت الصلاة)** أي وقتها أو أقيمت **(قوموا)** أيها الناس **(إلى ناركم)** أي نار ذنوبكم **(فاطفئوها)** بالصلاة.

قلت: وهذا قد روي مرفوعاً من حديث أنس أخرج الطبراني في الكبير، والضياء في المختارة بلفظ: «إن لله تعالى ملكاً ينادي عند كل صلاة يا بني آدم قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على أنفسكم فاطفئوها بالصلاة» أي خطاياكم التي ارتكبتموها وظلمتم فيها أنفسكم حتى

فضيلة إتمام الأركان:

قال ﷺ : « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى ». وقال يزيد الرقاشي: « كانت صلاة رسول الله ﷺ مستوية كأنها موزونة ». وقال ﷺ : « إن الرجلين من أمتي ليقومان إلى الصلاة وركوعها وسجودها واحد ، وإن ما بين

اعدت لكم مقاعد في جهنم التي وقودها الناس والحجارة، فامحوا أثرها بفعل الصلاة فإنها مكفرة للذنوب. وزاد في رواية: « وبالصدقة وفعل القربات تمحى الخطيئات ».

فضيلة إتمام الأركان:

جمع ركن وهو في اللغة الجانب الأقوى وفي الاصطلاح الجزء الذاتي الذي تتركب الماهية منه ومن غيره وهي داخلة في الفرائض. وقيل: ركن الشيء ما يقوم به ذلك الشيء من التقوم إذ قوام الشيء بركنه لا من القيام وإلا لزم أن يكون الفاعل ركناً للفعل، والجسم ركناً للعرض، والموصوف للصفة. ذكره ابن الكمال وفي المصباح: أركان الشيء أجزاء ماهيته. قال: والغزالي جعل الفاعل ركناً في مواضع كالبيع والنكاح ولم يجعله ركناً في مواضع كالعبادات والفرق عسير، ويمكن أن يفرق بأن الفاعل علة لفعله والعلة غير المعلول، فالماهية معلولة، فحيث كان الفاعل متحداً استقل بإيجاد الفعل كما في العبادة وأعطى حكم العلة العقلية ولم يجعل ركناً، وحيث كان الفاعل متعدداً لم يستقل كل واحد بإيجاد الفعل بل يفتقر إلى غيره، فكان كل واحد من العاقدين غير عاقد بل العاقد اثنان، فكل واحد من المتبايعين مثلاً غير مستقل، فبهذا الاعتبار بعد عن شبه العلة وأشبه جزء الماهية في افتقاره إلى ما يقومه فناسب جعله ركناً والله أعلم.

(قال ﷺ : « مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى ») أي: من حافظ عليها بواجباتها ومندوباتها استوفى ما وعد به من الفوز بدار الثواب والنجاة من أليم العقاب. قال العراقي: أخرجه ابن المبارك في الزهد من حديث الحسن مرسلاً، وأسنده البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بإسناد فيه جهالة اهـ.

قلت: وكذا أخرجه الحاكم والديلمي ولكن لفظهم جميعاً « الصلاة ميزان فمن وفى استوفى » وفي القوت عن ابن مسعود وسلمان رضي الله عنهما « الصلاة مكيال فمن أوفى أوفى له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله تعالى في المطففين » اهـ.

قلت: وقول سلمان هذا أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، عن ابن فضيل، عن عبدالله بن عبد الرحمن، عن سالم بن أبي الجعد عنه. **(وقال يزيد)** بن أبان **(الرقاشي)** تابعي عن أنس تقدمت ترجمته **(« كانت صلاة رسول الله ﷺ مستوية كأنها موزونه »)** قال العراقي: أخرجه ابن المبارك في الزهد، ومن طريقه أبو الوليد الصفار في كتاب الصلاة وهو مرسل ضعيف. **(وقال ﷺ : « إن الرجلين من أمتي ليقومان إلى الصلاة وركوعها**

صلاتيهما ما بين السماء والأرض». وأشار إلى الخشوع، وقال ﷺ: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده». وقال ﷺ: «أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار». وقال ﷺ: «من صلّى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة

وسجودهما واحد، وإن ما بين صلاتيهما ما بين السماء والأرض» وأشار) ﷺ (إلى الخشوع) أي هذا خشع وهذا لم يخشع. قال العراقي: أخرجه ابن المحبر في كتاب العقل من حديث أبي أيوب الأنصاري بنحوه وهو موضوع، ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده عن ابن المحبر اهـ.

قلت: قد تقدم الكلام عليه في خاتمة كتاب العلم فراجعه.

(وقال ﷺ: «لا ينظر الله يوم القيامة إلى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده») قال العراقي: أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح اهـ.

(وقال ﷺ: أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار»؟) أخرجه البخاري: ومسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله وجهه وجه حمار» وعند ابن عدي في عوالم مشايخ مصر من حديث جابر: «ما يؤمنه إذا التفت في صلاته أن يحول الله وجهه وجه كلب أو وجه خنزير» قال: منكر بهذا الإسناد قاله العراقي.

قلت: وهو في السنن الأربعة بلفظ البخاري إلا أنهم قالوا: «رأس» بدل «وجه» وبزيادة «أو يجعل الله صورته صورة حمار» وفي رواية عند ابن حبان «رأس كلب» وفي أخرى «أو لا يخشى» وعند أبي داود وزيادة «والإمام ساجد» وألحق به الركوع لكونه في معناه، ولكن اللفظ الذي أورده المصنف أعم من ذلك كله، واختلفوا في هذا التحويل فقيل: حقيقة بناء على ما عليه الأكثر من وقوع المسخ في هذه الأمة أو مجاز عن البلادة الموصوف بها الحمار فاستعير ذلك للجاهل، أو أنه يستحق به من العقوبة في الدنيا. هذا ولا يلزم من الوعيد الوقوع، وارتضى المصنف الثاني ورد ما عداه وقال: هو قلب معنوي وهو مصيره كالحمار في معنى البلادة إذ غاية الحمق الجمع بين الاقتداء والتقدم، فعلم أنه كبيرة للتوعد عليه بأشنع العقوبات وأبشعها وهو المسخ، لكن لا تبطل صلاته عند الشافعية والحنفية، وأبطلها أحمد كالظاهرية والله أعلم.

(وقال ﷺ: «من صلى صلاة) وفي نسخة العراقي: «من صلى الصلاة» (لوقتها) ونص الطبراني: «من صلى الصلوات لوقتها» **(وأسبغ)** لها **(وضوءها وأتم)** لها **(ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت)** أي صعدت. وعند الطبراني: «وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها خرجت» **(وهي بيضاء مسفرة)** اللون **(تقول)** بلسان حالها **(حفظك**

تقول حفظك الله كما حفظتني، ومن صلّى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخَلِق فيضرب بها وجهه». وقال ﷺ: «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته». وقال ابن مسعود رضي الله عنه،

الله كما حفظتني ومن صلى الصلوات لغير وقتها ولم يسبغ) لها **(وضوءها ولم يتم)** لها **(ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت)** وعند الطبراني «خرجت» **(وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق)** أي: القديم المستعمل **(فيضرب بها وجهه»)** وعند الطبراني «ثم ضرب بها وجهه». قال العراقي: أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف، وللطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه.

قلت: لفظ البيهقي في الشعب: «من توضأ فأسبغ الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت حفظك الله كما حفظتني ثم أصعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور ففتحت لها أبواب السماء حتى ينتهي بها إلى الله فتشفع لصاحبها، وإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها قالت ضيعك الله كما ضيعتني ثم أصعد بها إلى السماء وعليها ظلمة فغلقت دونها أبواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها».

(وقال ﷺ: «شر الناس) كذا في نسخة وفي أخرى: «أسوأ الناس» **(سرقة)** وهي نسخة العراقي ومثله في القوت **(من يسرق من صلاته»)** فلا يتم ركوعها ولا سجودها. هكذا نص القوت وزاد غيره «ولا خشوعها» ونقل المناوي عن الطيبي ما نصه: جعل السرقة نوعين متعارفاً وغير متعارف وهو مما ينقص من الطمأنينة والخشوع، ثم جعل غير المتعارف أسوأ من المتعارف ووجه كونه أسوأ أن السارق إذا أخذ مال الغير قد ينتفع به في الدنيا أو يستحل صاحبه أو يحد فينجو من عذاب الآخرة بخلاف هذا، فإنه سرق حق نفسه من الثواب وأبدله منه العقاب في العقبى اهـ.

قال العراقي: أخرجه أحمد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي قتادة الأنصاري اهـ.

قلت: خرجه مالك في الموطأ، عن يحي بن سعيد، عن النعمان بن مرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما ترون في الشارب والسارق والزاني؟ قال: وذلك قبل أن ينزل فيهم. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هن فواحش وفيهن عقوبة وأسوأ السرقة الذي يسرق من صلاته. قالوا: كيف يسرق من صلاته؟ قال: لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها». وأخرجه أبو داود والطيالسي وأحمد أيضاً، وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري. قال الهيثمي: فيه علي بن زيد مختلف في الاحتجاج به وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال الذهبي: إسناده صالح. وقال المنذري: رواه الطبراني في الثلاثة، عن عبدالله بن مغفل بإسناد جيد لكنه قال في أوله «أسرق الناس».

وسلمان رضي الله عنه: الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى، ومن طفف فقد علم ما قال الله في المطففين.

فضيلة الجماعة:

قال ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة». وروى أبو

(وقال) عبدالله **(بن مسعود وسلمان)** الفارسي **(رضي الله عنهما: الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى)**. أي: من أوفى بالمحافظة عليها استوفى ما وعد به من الفوز بالثواب، وهذا مثل الذي تقدم في أول الباب «مثل الصلاة المكتوبة مثل الميزان» الحديث. ونص القوت «فمن أوفى أوفى له». **(ومن طفف فقد علم)** ونص القوت: فقد علمتم **(ما قال الله في المطففين)**. والتطفيف: نقص المكيال والميزان وقد طففه فهو مطفف إذا كال أو وزن ولم يوف.

فضيلة الجماعة:

قال الشيخ قطب الدين القسطلاني في شرح عمدة الأحكام لمشروعية الجماعة حكمة ذكرها في مقاصد الصلاة. منها: قيام نظام الإلفة بين المصلين، ولذا شرعت المساجد في المحال ليحصل التعاهد باللقاء في أوقات الصلوات بين الجيران. **(قال ﷺ: «صلاة الجمع)** وعند البخاري «الجميع» وفي رواية «الجماعة» وهم العدد من الناس يجتمعون **(تفضل)** بفتح أوله وسكون الفاء وضم الضاد **(صلاة الفذ)** أي الفرد أي تزيد على صلاة المنفرد **(بسبع وعشرين درجة»)** أي مرتبة كان الصلاتين انتهتا إلى مرتبة من الثواب، فوقفت صلاة الفذ عندها وتجاوزتها صلاة الجماعة بسبع وعشرين ضعفاً وسر التقييد بالعدد لا يوقف عليه إلا بنور النبوة، والاحتمالات في هذا المقام كثيرة. منها: أن الفروض خمسة فأريد التكثير عليها بتضعيفها بعدد نفسها مبالغة فيها ولا ينافيه اختلاف العدد في ذكر الروايات لأن القليل لا ينفي الكثير، أو أنه أعلم بالقليل ثم بالكثير وهو يختلف باختلاف المصلين هيئة وخشوعاً وكثرة جماعة وغيرها. أخرجه مالك وأحمد والشيخان في الصلاة، والترمذي والنسائي عن ابن عمر. وأخرج أحمد أيضاً والبخاري، وابن ماجه من حديث أبي سعيد «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة» وأخرج مسلم عن أبي هريرة «صلاة الجماعة تعدل خمساً وعشرين من صلاة الفذ» وأخرج أحمد والبخاري وأبو داود وابن ماجه من حديث أبي هريرة «صلاة الرجل في جماعة» وفي رواية «في الجماعة تزيد» وفي رواية للبخاري «تضعف على صلاته في بيته» وفي سوقه خمساً وعشرين درجة. وفي رواية «ضعفاً» ووقع في الصحيحين «خمس وعشرين» بالخفض بتقدير الباء الحديث. وأخرج عبد بن حميد، وأبو يعلى، وابن حبان، والحاكم عن أبي سعيد «صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته وحده خمساً وعشرين درجة فإذا صلاها بأرض فلاة فأتم وضوءها وركوعها وسجودها بلغت صلاته خمسين درجة». وأخرج ابن ماجه من حديث زريق الإلهاني، عن أنس «صلاة الرجل في بيته بصلاة، وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاته في المسجد

هريرة أنه ﷺ فقد ناساً في بعض الصلوات فقال: «لقد هممت ان آمر رجلاً يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق عليهم بيوتهم». وفي رواية أخرى: «ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بحزم الحطب ولو

الذي يجمع فيه الناس بخمسمائة صلاة» الحديث. قال الحافظ: سنده ضعيف ومذهب الشافعي كما في المجموع: إن من صلى في عشرة فله خمس أو سبع وعشرون درجة وكذا من صلى مع اثنين لكن صلاة الأول أكمل.

تنبيه:

قال القاضي: والحديث دليل على أن الجماعة غير شرط للصلاة وإلا لم تكن صلاة الفذ ذات درجة حتى تفضل عليها صلاة الجماعة بدرجات والتمسك به على عدم وجوبها ضعيف إذ لا يلزم من عدم اشتراطها عدم وجوبها ولا من جعلها سبباً لإحراز الفضل الوجوب، فإن الواجب أيضاً يوجب الفضل، والله أعلم.

(وروى أبو هريرة) رضي الله عنه **(أنه ﷺ فقد ناسا في بعض الصلوات)** كذا في رواية مسلم. قيل: الصبح، وقيل: العشاء، وقيل: الجمعة. وفي رواية العشاء أو الفجر ولا تعارض لإمكان التعدد **(فقال: «لقد هممت)** وعند البخاري «والذي نفسي بيده لقد هممت» هو جواب القسم أكده باللام وقد أي عزمت **(أن آمر)** بالمد وضم الميم **(رجلاً يصلي بالناس ثم أخالف)** المشتغلين بالصلاة قاصداً **(إلى رجال)** لم يخرجوا إلى الصلاة وخرج به النساء والصبيان والخناثى **(فاحرّق عليهم)** بالتشديد للتكثير والمبالغة **(بيوتهم»)** أي منازلهم بالنار عقوبة لهم، وبهذا استدل الإمام أحمد. ومن قال: إن الجماعة فرض عين ويشعر له ترجمة البخاري لهذا الحديث باب وجوبَ صلاة الجماعة لأنها لو كانت سنة لم يهدد تاركها بالتحريق، ولو كانت فرض كفاية لكان قيامه عليه السلام ومن معه بها كافياً، وإلى ذلك ذهب عطاء والأوزاعي وجماعة من محدثي الشافعية كابن خزيمة، وابن حبان وابن المنذر. لكنها ليست بشرط في صحة الصلاة كما مر عن المجموع. وقال أبو حنيفة، ومالك: هي سنة مؤكدة وهو وجه عند الشافعية لمواظبته ﷺ عليها. وفي شرح المجمع: أكثر مشايخ الحنفية على أنه واجب وتسميتها سنة لأنه ثابت بالسنة اهـ.

وظاهر نص الشافعي أنها فرض كفاية وعليه جمهور أصحابه المتقدمين وصححه النووي في المنهاج كأصل الروضة، وبه قال بعض المالكية. واختاره الطحاوي والكرخي وغيرهما من الحنفية. **(وفي رواية أخرى «ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها)** وعن أحمد ومسلم من حديث ابن مسعود «يتخلفون عن الجمعة» **(فآمر بهم فتحرق عليهم)** بيوتهم **(بحزم الحطب)**. وعند البخاري من حديث أبي هريرة «لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم

علم أحدهم أنه يجد عظماً سميناً أو مرماتين لشهدها ». يعني صلاة العشاء. وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعاً: « من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة، ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة ». وقال ﷺ: « من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة ». وقال

آمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخالف إلى الرجال فأحرّق عليهم بيوتهم » وعنده في فضل صلاة العشاء « لقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم ثم آمر رجلاً يؤم الناس ثم آخذ شعلاً من نار فأحرق من لا يخرج إلى الصلاة بعد » **(ولو علم أحدهم)** أي المتخلفين **(أنه يجد عظماً سميناً لشهدها » يعني صلاة العشاء)**. ونص البخاري « والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهدها » والعرق. بفتح فسكون العظم الذي عليه بقية لحم، والمعنى أنه لو علم أنه يحضر الصلاة يجد نفعاً دنيوياً وإن كان خسيساً حقيراً لحضرها لقصور همته عن الله تعالى ولا يحضرها لما لها من المثوبات الأخروية، فهو وصف بالحرص على الشيء الحقير من مطعوم أو ملعوب به مع التفريط فيما يحصل به رفيع الدرجات ومنازل الكرامات، ووصف العرق بالسمن والمرماة بالحسن ليكون ثَمّ باعث نفساني على تحصيلها. وهذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم والنسائي من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة. وأخرجه مسلم أيضاً عن ابن مسعود. وأخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة بلفظ « آتي قوماً يصلون في بيوتهم ليست بهم علة ».

(وقال عثمان) ابن عفان رضي الله عنه فيما روي عنه **(مرفوعاً)** أي رفعه إلى رسول الله ﷺ: **(« من شهد العشاء)** أي صلاتها مع جماعة فالمضاف محذوف **(فكأنما قام نصف ليلة، ومن شهد الصبح)** أي صلاتها مع جماعة **(فكأنما قام ليلة »)** رواه مسلم. قال العراقي: قال الترمذي: وروي عن عثمان موقوفاً اهـ.

قلت: أخرج البيهقي في السنن من حديثه مرفوعاً « من شهد العشاء في جماعة كان له قيام ليلة » وروي أيضاً « من شهد صلاة الصبح محتسباً فكأنما قام الليلة ومن شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف الليل » وهذا قد رواه مالك عنه موقوفاً، وهو الذي أشار إليه الترمذي. وعند عبد الرزاق، وأبي داود، والترمذي، وابن حبان من حديثه بلفظ: « من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان كقيام ليلة » وعند ابن حبان وحده من حديثه « من صلى العشاء والغداة في جماعة فكأنما قام الليل » وأخرج أحمد ومسلم والبيهقي من حديثه « من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف ليلة، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله » وأخرج الطبراني في الكبير من حديثه « من صلى الأخيرة في جماعة فكأنما صلى الليل كله، ومن صلى الغداة في جماعة فكأنما صلى النهار كله ».

(وقال ﷺ: « من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة »). قال العراقي: لم أره مرفوعاً وإنما هو من قول سعيد بن المسيب، رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة اهـ.

سعيد بن المسيب: ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة، إلا وأنا في المسجد. وقال محمد بن واسع: ما أشتهي من الدنيا إلا ثلاثة أخاً إن تعوّجْتُ قوّمني، وقوتاً من الرزق عفواً بغير تبعة، وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها ويكتب لي فضلها. وروي أن أبا عبيدة بن الجراح أمَّ قوماً مرة فلما انصرف قال: ما زال الشيطان بي آنفاً حتى رأيت أن لي فضلاً على غيري لا أؤم أبداً. وقال الحسن: لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى العلماء. وقال النخعي: مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا

قلت: ووجدت في العوارف ما نصه: «ومن أقام الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة».

(وقال سعيد بن المسيب) التابعي رحمه الله تعالى: **(ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد)** أي أبادر الأذان فأدخل المسجد قبل الوقت، وظاهر سياقه أنه في أوقات الصلوات كلها. وفي القوت ما نصه وقال سعيد بن المسيب: منذ أربعين سنة ما فاتتني تكبيرة الإحرام في جماعة وكان يسمى جماعة المسجد، وعن عبد الرزاق قال: منذ أربعين سنة ما سمعت الأذان إلا وأنا في المسجد. **(وقال محمد بن واسع)** الأزدي البصري أبو بكر الزاهد عن أنس ومطرف بن الشخير والحسن، وعنه الحمادان وهمام ثقة كبير الشأن توفي سنة ١٢٧ أخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي: **(ما أشتهي من الدنيا إلا ثلاثة أخا)** في الله **(إن تعوجت قومني، وقوتا من الرزق عفواً)** أي حلالاً **(بغير تبعة، وصلاة في جماعة يرفع عني سهوها)** أي بحضور القلب **(ويكتب لي فضلها)** لم أجده في الحلية في ترجمته، وقد جاء في المرفوع من حديث حذيفة بن اليمان ما هو قريب من ذلك قال «سيأتي عليكم زمان لايكون فيه شيء أعز من ثلاثة: درهم حلال، أو أخ يستأنس به أو سنة يعمل بها» وفي أول القوت، وقال بعض السلف: أفضل الأشياء ثلاثة: عمل بسنة، ودرهم من حلال، وصلاة في جماعة. **(وروي أن أبا عبيدة)** عامر ابن عبدالله **(بن الجراح)** بن هلال بن أهيب القرشي الفهري رضي الله عنه أحد العشرة المبشرة وأمين هذه الأمة. مات في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة وهو ابن ثمان وخمسين سنة روى له الجماعة. **(أم قوماً)** أي صلى بهم **(مرة)** إماماً **(فلما انصرف)** من الصلاة **(قال)** لأصحابه. **(ما زال الشيطان بي آنفاً)** أي في صلاتي **(حتى رأيت)** في نفسي **(أن لي فضلاً على غيري لا أؤم أبداً)** خاف من مداخلة العجب في نفسه والترفع على إخوانه واستمرار ذلك فيه. فترك الإمامة. ومناسبة هذا القول مع الفصل صلاته في جماعة إماماً، ويقرب من ذلك ما رواه صاحب العوارف أنه روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قدم للإمامة فقال: لا أصلح، فلما ألحوا عليه كبر فغشي عليه فقدموا إماماً آخر فلما أفاق سئل عن ذلك، فقال: لما قلت استووا هتف بي هاتف هل استويت أنت مع الله قط؟ **(وقال الحسن)** هو البصري: **(لا تصلوا خلف رجل لا يختلف إلى العلماء)** في مسألتهم لأمر دينه وما يتعلق بصلاته صلاحاً وفساداً. **(وقال النخعي)**

يدري زيادته من نقصانه؟ وقال حاتم الأصم: فاتتني الصلاة في الجماعة فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من سمع المنادي فلم يجب لم يرد خيراً ولم يرد به خير. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب. وروي أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له: إن الناس قد انصرفوا. فقال: ﴿إِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] لفضل هذه الصلاة أحب إليَّ من ولاية العراق. وقال

هو إبراهيم بن يزيد الفقيه كما هو المتبادر عند الإطلاق، أو الأسود بن يزيد الفقيه وهو خال إبراهيم: **(مثل الذي يؤم الناس بغير علم مثل الذي يكيل الماء في البحر لا يدري زيادته من نقصانه. وقال حاتم الأصم)** تقدمت ترجمته في كتاب العلم: **(فاتتني الجماعة)** أي الصلاة معها مرة **(فعزَّاني أبو إسحاق البخاري)** هو أحمد بن إسحاق بن الحصين بن جابر بن جندل السلمي المطوعي السرماري أحد فرسان الإسلام وكان زاهداً ثقة روى عنه البخاري **(وحده)** أي ليس معه أحد، **(ولو مات لي ولد لعزاني)** فيه **(أكثر من عشرة آلاف)** نفس، وذلك **(لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا)** وفوت الجماعة أمر خفي لا يكاد يطلع عليه إلا من لازمه أو كان مكاشفاً، فلذا لم يعزه إلا أبو إسحاق بخلاف موت الأولاد، فإنه مبني على الشهرة والناس تابعون لها. **(وقال)** عبدالله **(ابن عباس رضي الله عنه: من سمع المنادي)** أي المؤذن **(فلم يجب)** أي لم يشهد الصلاة مع جماعة **(لم يرد خيراً)** أصلاً **(ولم يرد به)** أي لم يكن مريداً للخير ولا مراداً له الخير. **(وقال أبو هريرة رضي الله عنه: لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً)** بالنار **(خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب)** وقد روي في الوعيد على عدم إجابة الداعي أخبار عن أبي موسى الأشعري، وابن عرس، وابن عباس، وأبي زرارة الأنصاري. فحديث أبي موسى عند الحاكم والبيهقي «من سمع النداء فارغاً صحيحاً فلم يجب فلا صلاة له». وعند الطبراني في الكبير «من سمع النداء فلم يجب من غير ضرر ولا عذر فلا صلاة له» وحديث ابن عرس عند ابن ماجه، والطبراني والحاكم، وابن حبان، والعقيلي، وابن الضريس «من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر» وحديث ابن عباس عند ابن ماجه، والحاكم، والدارقطني «من سمع المنادي فلم يمنعه من اتباعه عذر خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى». أما حديث أبي زرارة الأنصاري فعند البغوي وقال: لا أدري أله صحة أم لا ولفظه «من سمع النداء فلم يجب ثلاثاً كتب من المنافقين». **(وروي أن)** أبا أيوب **(ميمون بن مهران)** الجزري عالم الرقة. عن ابن عباس، وابن عمر، وعائشة وأبي هريرة. وعنه ابنه عمرو بن ميمون، وجعفر بن برقان، وأبو المليح. ثقة عابد كبير القدر توفي سنة ١١٧. **(أتى المسجد)** الجامع **(فقيل له: إن الناس قد انصرفوا)** عن الصلاة **(فقال)** معزياً لنفسه حين فاتته الجماعة **(إنا لله)** وإنّا إليه راجعون. **(لفضل هذه الصلاة)** مع جماعة **(أحب**

ﷺ: «من صلّى أربعين يوماً الصلوات في جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له براءتين: براءة من النفاق وبراءة من النار». ويقال: إنه إذا كان يوم القيامة

إلي من ولاية العراق) وهو إقليم معروف يذكر ويؤنث يقال: سمي عراقاً لأنه سفل من نجد و دنا من البحر أخذاً من عراق القربة والمزادة وغير ذلك وهو ماثنوه ثم خرزوه مثنياً.

(وقال ﷺ: «من صلى أربعين يوماً الصلوات) الخمس **(في جماعة)** أي في مسجد قومه **(لا تفوته فيها تكبيرة الإحرام)** أي الافتتاح **(كتب الله له براءتين براءة من النفاق)** أي العمل **(وبراءة من النار»)** قال العراقي: أخرجه الترمذي من حديث أنس بإسناد رجاله ثقات. اهـ.

قلت: وهكذا أورده صاحب القوت وقال: وفي حديث أبي كامل عن رسول الله ﷺ. وأخرجه البيهقي كذلك ولفظه «من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى» والباقي سواء وصحح الترمذي وقفه على أنس. وأخرج الإمام أحمد من حديثه وفيه زيادة ولفظه «من صلى في مسجدي أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتبت له براءة من النار وبراءة من العذاب وبريء من النفاق». وعند البيهقي من حديثه أيضاً «من صلى الغداة والعشاء الأخيرة في جماعة لا تفوته ركعة كتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق». وأخرج عبد الرزاق من حديثه بلفظ «من لم تفته الركعة الأولى من الصلاة أربعين يوماً كتبت له براءتان من النار وبراءة من النفاق». وقد روي مثل ذلك عن عمر وأوس بن أوس رضي الله عنهم.

أما حديث عمر فرواه ابن ماجه والحكيم الترمذي ولفظه «من صلى في مسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء كتب الله بها عتقاً من النار» وعند البيهقي وابن النجار وابن عساكر من حديثه بلفظ «من صلى في مسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى من صلاة الظهر كتب له بها عتق من النار».

وأما حديث أوس بن أوس الثقفي فأخرجه الخطيب، وابن عساكر، وابن النجار ولفظه: «من صلى أربعين يوماً صلاة الفجر وعشاء الآخرة في جماعة أعطاه الله براءتين براءة من النار وبراءة من النفاق». وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن أبي العالية مرسلاً «من شهد الصلوات الخمس أربعين ليلة في جماعة يدرك التكبيرة الأولى وجبت له الجنة».

تنبيه:

أورد البخاري في باب فضل الجماعة معلقاً، وكان الأسود إذا فاتته الجماعة ذهب إلى مسجد آخر، وجاء أنس إلى مسجد قد صلى فيه فأذن وأقام وصلى في جماعة. الأول وصله ابن أبي شيبة في مصنفه بإسناد صحيح، والثاني وصله أبو يعلى في مسنده وقال: وقت صلاة الصبح، وفي رواية البيهقي أنه مسجد بني رفاعة. وفي رواية أبي يعلى أنه مسجد بني ثعلبة. وعند البيهقي جاء أنس

يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فتقول لهم الملائكة: ما كانت أعمالكم؟ فيقولون: كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها، ثم تحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال: كنا نتوضأ قبل الوقت، ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون: كنا نسمع الأذان في المسجد. وروي أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويعزون سبعاً إذا فاتتهم الجماعة.

في عشرين من فتيانه ووجه إيراد البخاري إياهما في الباب المذكور ثبوت فضيلة الجماعة عندهما، أو أن الفضل الوارد في أحاديث الباب مقصور على من جمع في المسجد دون من جمع في بيته لأنه لو لم يكن مختصاً بالمسجد لجمع الأسود في بيته ولم يأتِ مسجداً آخر لأجل الجماعة والله أعلم.

(**ويقال: إنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري**) أي في الإضاءة مثل الكوكب الدري أي المضيء (**فتقول لهم الملائكة: ما أعمالكم**) أي ما كنتم تعملون به في الدنيا حتى أضاءت وجوهكم؟ (**فيقولون: كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة**) أي باشرنا بأسباب الصلاة لا يشغلنا غيرها، (**ثم يحشر طائفة وجوههم كالأقمار**) أي أكثر إضاءة من الكوكب؛ (**فيقولون**) في الجواب (**بعد السؤال**) أي سؤال الملائكة لهم عن سبب الإضاءة (**كنا نتوضأ قبل الوقت**) أي قبل دخول وقت الصلاة (**ثم يحشر طائفة وجوههم كالشمس**) أي أكثر إضاءة من الطائفة الثانية. (**فيقولون**) بعد السؤال: (**كنا نسمع الأذان في المسجد**)، وهذه العبارة انتزعها المصنف من كتاب القوت واختصرها وهذا نصه. ويقال: إنه إذا كان يوم القيامة أمر بطبقات المصلين إلى الجنة زمراً قال فتأتي أول زمرة كأن وجوههم الكواكب الدراري فتستقبلهم الملائكة عليهم السلام، فيقولون نحن المصلون من أمة محمد ﷺ. فيقولون: ما كانت صلاتكم؟ فيقولون: كما إذا سمعنا الآذان قمنا إلى الطهارة ولا يشغلنا غيرها. فتقول لهم الملائكة: يحق لكم ذلك. ثم تأتي الزمرة الثانية فوق أولئك في الحسن والجمال كأن وجوههم الأقمار فتقول لهم الملائكة: ما أنتم؟ فيقولون: نحن المصلون من أمة محمد ﷺ. فيقولون: كنا نتوضأ قبل دخول وقتها، فتقول لهم الملائكة: يحق لكم ذلك. ثم تأتي الزمرة الثالثة فوق هؤلاء في الحسن والجمال والمنزلة كأن وجوههم الشمس، فتقول لهم الملائكة: أنتم أحسن وجوهاً وأعلى مقاماً فما أنتم؟ فيقولون: نحن المصلون من أمة محمد ﷺ، فيقولون: ما كانت صلاتكم؟ فيقولون: كنا نسمع الأذان ونحن في المسجد فتقول الملائكة يحق لكم ذلك اهـ.

(**وروي أن السلف**) الصالحين من الأئمة المتقدمين (**كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى**) من الصلاة في الجماعة، (**و**) كانوا (**يعزون سبعاً**) أي سبعة أيام (**إذا فاتتهم الجماعة**) أي الصلاة مع الجماعة، وقد دل ذلك على فضل صلاة الجماعة.

فضيلة السجود:

قال رسول الله ﷺ: «ما تقرّب العبد إلى الله بشيء أفضل من سجـود خفـي». وقال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحطّ عنه

فضيلة السجود:

يقال: سجد سجوداً إذا تطامن، وكل شيء ذل فقد سجد، وسجـد الرجـل وضـع جبهتـه في الأرض، السجود لله تعالى عبارة عن هيئة مخصوصة، وإنما لم يذكر فضيلة الركوع لكونه ملحقـاً بالسجود إذ لا يكون السجود إلا بعد الركوع **(قال رسول الله ﷺ «ما تقرب العبد)** وفي رواية العباد **(إلى الله بشيء أفضل من سجود خفي»)** أي من صلاة نفل في بيته حيث لا يراه الناس. قال المناوي: وليس المراد هنا السجود المنفصل عن الصلاة كالتلاوة والشكر، فإنه إنما يشرع لعارض وإنما المراد سجود الصلاة أخرجه ابن المبارك في الزهد من رواية أبي بكر بن أبـي مريم، عن حمزة بن حبيب بن صهيب مرسلاً. قال العراقي: وابن أبي مريم ضعيف، وقد وهم الديلمي في مسند الفردوس في جعل هذا من حديث صهيب رضي الله عنه، وإنما هو حمزة بن حبيب بن صهيب وهو وهم فاحش. قال: وقد رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق عن ابن أبي مريم عن حمزة مرسلاً وهو الصواب اهـ. وقال في موضع آخر: هذا حديث لا يصح. قال المناوي: وهذا يفيد أن عمل السر أفضل من عمل العلانية، ومن ثم فضل قوم طريق الملامتية على غيرها من طرق التصوف وهي تعمير الباطن فيما بين العبد وبين الله تعالى. قال صاحـب العـوارف: الملامتيـة قوم صالحون يعمرون الباطن ولا يظهرون في الظاهر خيراً ولا شراً ويقال فيهم النقشبندية ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته. قال الفاكهي: ومن تعمير الباطن اشتغاله بالذكر سراً سيما في المجامع، وبه يرقى إلى مقام الجمع وفي لزوم كلمة الشهادة تأثير في نفي الأغيار وتزكية الأسرار، وفي كلمة الجلالة عروج إلى مراتب الجلالة ومن لازم ذلك صار من أهل الغيب والشهادة وآل أمره إلى أن تصير كل جارحة منه تذكر الله يقظة ونياماً. قال العارف أبو العباس المرسي: من أراد الظهور فهو عبد الظهور، ومن أراد الخفاء فهو عبد الخفاء وعبد الله سواء عليه أظهره أم أخفاه اهـ.

وهو سياق حسن إلا أن جعل النقشبندية من الملامتية غير صحيح، فإن بينهما بوناً بعيداً. ولقد كان المصنف رحمه الله تعالى ممن أخذ على أبي بكر الروذباري وهو أحد مشايخ النقشبندية، ومن أصول سلسلتهم ومبناهم على أسرار الذكر وإخفائه في المجامع وغيرها، وهذا الاسم حدث لهم فيما بعد، ومن طالع كتب القوم ظهر له الفرق التام، والله أعلم.

(وقال ﷺ: «ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة»). وفي نسخة: «خطيئة» بدل «سيئة» قال العراقي: أخرجه ابن ماجه من حديث عبادة ابن الصامت، ولمسلم نحوه من حديث ثوبان وأبي الدرداء اهـ. وبخط تلميذ الحافظ ليس في مسلم ذكر السيئة. نعم هو عند أحمد في هذا الحديث.

بها سيئة ». وروي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مرافقتك في الجنة، فقال ﷺ: « أعني بكثرة السجود » وقيل: « أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجداً » وهو معنى قوله عز وجل: ﴿واسْجُد واقْتَربْ﴾ [العلق: ١٩]، وقال عز وجل: ﴿سيمَاهُم

قلت: وأخرجه ابن أبي شيبة والعقيلي من حديث أبي ذر « ما من عبد يسجد لله سجدة أو يركع ركعة إلا حط الله عنه بها خطيئة ورفع له بها درجة » وعند الطبراني في الأوسط من حديثه « ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وكتب له بها حسنة ». وأخرج أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة رفعه « اعلم أنك لن تسجد لله سجدة إلا رفع الله لك بها درجة وحط عنك بها خطيئة ». وأخرجه ابن يونس في تاريخ مصر من طريق ابن لهيعة عن أبي عبد الرحمن الجيلي، عن أبي فاطمة الأزدي رفعه « يا أبا فاطمة إن أردت أن تلقاني فاستكثر من السجود بعدي ». ورواه ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن كثير الصدفي عنه رفعه: « يا أبا فاطمة أكثر من السجود فإنه ليس من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة. يا أبا فاطمة إن أحببت أن تلقاني فاستكثر من السجود بعدي ». قال ابن يونس: ولا أعلم لأهل مصر عنه غير هذا الحديث الواحد.

(وروي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يجعلني من أهل شفاعتك وأن يرزقني مرافقتك) وفي نسخة صحيحة من الكتاب ادع الله أن يرزقني مرافقتك **(في الجنة قال أعنّي)** أي على نفسك **(« بكثرة السجود »)** قال العراقي: أخرجه مسلم من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي نحوه، وهو الذي سأله ذلك اهـ.

قلت: وروى الطبراني عن جابر هذه القصة فقال: كان شاب يخدم النبي ﷺ ويخف في حوائجه فقال: سلني حاجتك: فقال: ادع الله لي بالجنة فرفع رأسه فتنفس فقال: « نعم ولكن أعنّي بكثرة السجود ». وأخرج البيهقي عن أبي الدرداء قال: « لولا ثلاث لأحببت أن لا أبقى في الدنيا وضع وجهي للسجود لخالقي من الليل والنهار، وظماء الهواجر، ومقاعد أقوام ينتقون الكلام كما تنتقى الفاكهة ». **(وقيل: « أقرب ما يكون العبد من الله تعالى)** أي من رحمته **(أن يكون ساجداً »)** أي حالة سجوده، وهو كما يأتي قريباً في آخر الباب حديث أبي هريرة أخرجه مسلم بهذا اللفظ **(وهو معنى قوله عز وجل)** في آخر سورة العلق: **﴿واسجد واقترب﴾** [العلق: ١٩] أي: دم على سجودك أي صلاتك واقترب من الله تعالى. وهذا قول مجاهد أخرجه عبد الرزاق في مصنفه وسعيد بن منصور في سننه عنه قال: « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » ألا تسمعونه يقول: ﴿واسجد واقترب﴾ **(وقال عز وجل)** في آخر سورة الفتح في وصف المؤمنين من أمة محمد ﷺ مما هو مكتوب في التوراة بل وصفهم به قبل أن يخلق السموات والأرض: **﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾** [الفتح: ٢٩] أخرج الطبراني من حديث سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال: « إن الأنبياء يتباهون

في وجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩] فقيل: هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود. وقيل: هو نور الخشوع فإنه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح. وقيل: هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة

أيهم أكثر أصحاباً من أمته فأرجو أن أكون يومئذ أكثرهم كلهم وإن كل رجل منهم يومئذ قائم على حوض ملآن معه عصا يدعو من عرف من أمته ولكل أمة سيما يعرفهم بها نبيهم» كذا في الدر المنثور، وقد اختلف في تفسير هذه الآية على أقوال: **(فقيل: هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض)** من التراب والغبار **(عند السجود)** وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة، ونصه عند البغوي هو أثر التراب على الجباه. قال أبو العالية: لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب، وإليه ذهب عمر بن عبد العزيز كما سيأتي، ويروى عن سعيد بن جبير أنه قال: هو ندى الطهور وثرى الأرض وهكذا أخرجه سعيد بن منصور، وابن جرير، وعبد بن حميد، وابن المنذر، ومحمد بن نصر عنه. **(وقيل: هو نور الخشوع)** قال مجاهد: ليس الأثر في الوجه ولكن الخشوع. هكذا أخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، ومحمد بن نصر عنه. وفي رواية عنه قال: الخشوع والتواضع. وهكذا أخرجه ابن المبارك، وعبد بن حميد ومن بعده. ويروى عن ابن عباس أنه قال: ليس الذي ترون ولكنه سيما الإسلام وسجيته وسمته وخشوعه. كذا رواه محمد بن أبي طلحة الوالبي عنه، ويروى عنه أيضاً أنه السمت الحسن. كذا أخرجه محمد ابن نصر في كتاب الصلاة، والمعنى أن السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن، **(فإنه يشرق من الباطن على الظاهر)** فيعرفون به **(وهو الأصح. وقيل: هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء)** يعرفون به أنهم سجدوا في الدنيا رواه عطية العوفي عن ابن عباس. وقال عطاء بن أبي رباح، والربيع بن أنس: استنارت وجوههم من كثرة ما صلوا. وقال شهر بن حوشب: تكون مواضع سجودهم من وجوههم كالقمر ليلة البدر، وروى محمد بن نصر في كتاب الصلاة، والبخاري في التاريخ عن ابن عباس: هو النور يغشى وجوههم يوم القيامة. ويروى عن أنس مثله أخرجه عبد بن حميد، وابن جرير. وقيل: معناه موضع السجود أسود ووجوههم بيض يوم القيامة روي ذلك عن عطية العوفي. وأخرج الطبراني والبيهقي في السنن عن حميد بن عبد الرحمن قال: كنت عند السائب بن يزيد إذ جاء رجل وفي وجهه أثر السجود فقال: لقد أفسد هذا وجهه أما والله ما هي السيماء التي سمى الله ولقد صليت على وجهي منذ ثمانين سنة ما أثر السجود بين عيني. وفي هذا القول رد لما ذهب إليه العوفي إلا أن يقال إن العوفي قاله مقيداً بيوم القيامة. وأخرج ابن أبي شيبة ومحمد بن نصر عن عكرمة أنه قال في تفسير السيما إنه السهر. وقال الضحاك: هو صفرة الوجه من السهر إذا سهر الرجل بالليل أصبح مصفراً. هكذا رواه ابن المنذر. وقال الحسن: إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وهو قريب من القول الذي قبله، وقيل: هو التواضع. وقيل: العفاف في الدين، وقيل: الحياء وكل ذلك داخل في حد الخشوع والله أعلم.

من أثر الوضوء. وقال ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلي النار». ويروى عن علي بن عبدالله بن عباس أنه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجّاد. ويروى أن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب، وكان يوسف بن أسباط يقول: يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل

(وقال ﷺ :إذا قرأ ابن آدم السجدة) أي آيتها **(فسجد)** سجود التلاوة **(اعتزل)** أي تباعد **(الشيطان)** أي إبليس فأل فيه عهدية **(يبكي ويقول)** حالان من فاعل اعتزل مترادفتان أو متداخلتان **(يا ويلاه)** وفي رواية يا ويله وفي أخرى يا ويلي، وفي أخرى يا ويلتنا ولمسلم يا ويلتا وألفه للندبة والتفجع أي يا هلاكي ويا حزني احضر. فهذا أوانك. جعل الويل منادى لكثرة حزنه وهول ما حصل له من الأمر الفظيع **(أمر هذا)** وعند مسلم: «أمر ابن آدم **(بالسجود)** هذا استئناف وجواب عمن سأل عن حاله **(فسجد فله الجنة)** بطاعته **(وأمرت بالسجود فعصيت)** وعند مسلم «فأبيت» **(فلي النار»)** أي نار جهنم. وسجدة التلاوة واجبة عند أبي حنيفة، وعند الشافعي سنّة بشروط، وهذا الحديث أخرجه أحمد، ومسلم، وابن ماجه، عن أبي هريرة. ولم يخرجه البخاري **(ويروى عن علي بن عبدالله بن عباس)** بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي أبو محمد، ويقال أبو عبدالله، ويقال أبو الفضل، ويقال أبو الحسن المدني والد محمد وعيسى وداود وسليمان وعبد الصمد وإسماعيل وصالح وعبدالله، وأمه زرعة بنت مشرح بن معد يكرب الكندي أحد الملوك الأربعة. قال ابن سعد: ولد ليلة قتل علي بن أبي طالب في شهر رمضان سنة أربعين فسمي باسمه، وكان أصغر ولد أبيه سناً، وكان ثقة قليل الحديث قال: وكان أجمل قرشي على وجه الأرض وأوسمه وأكثر صلاة، وروى علي ابن أبي حملة قال: **(إنه كان)** أي علي **(يسجد في كل يوم ألف سجدة)**. قال: ودخلت عليه منزله بدمشق وكان آدم جسيماً فرأيت له مسجداً كبيراً في وجهه. وقال الزبير بن بكار في أنساب قريش، وابن سعد في الطبقات انهم **(كانوا يسمونه السجاد)** لأجل كثرة صلاته، وله عقب وفي ولده الخلافة. وقال مصعب بن عبدالله الزبيري: سمعت رجلاً من أهل العلم يقول: إنما كان سبب عبادة علي أنه نظر إلى عبد الرحمن بن آبان بن عثمان فقال: والله لأنا أولى بهذا منه وأقرب إلى رسول الله ﷺ رحماً فتجرد للعبادة. وقال أبو حسان الزيادي: حدثني عدة من الفقهاء وأهل العلم أن علياً توفي بالحميمة من أرض البلقاء سنة تسع عشرة أو ثمان عشرة أو مائة وهو ابن ثمان وسبعين سنة روى له الجماعة إلاّ البخاري.

(ويروى أن عمر بن عبد العزيز) الأموي **(رحمه الله تعالى كان لا يسجد إلا على التراب)** أي من غير حائل تواضعاً منه لله عز وجل، ويفسر السيما في الآية بأثر التراب على الوجه من السجود على الأرض. **(وكان يوسف بن اسباط)** هو من رجال الرسالة والحلية

المرض فما بقي أحد أحسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده، وقد حيل بيني وبين ذلك. وقال سعيد بن جبير: ما آسي على شيء من الدنيا إلا على السجود. وقال عقبة بن مسلم: ما من خصلة في العبد أحب إلى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل، وما من ساعة العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل منه حيث يخر ساجداً. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: أقرب ما يكون العبد إلى الله عز وجل إذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك.

(**يقول: يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض**) أي اغتنموا أيام صحة الجسد قبل أن تعرض له الأمراض (**فما بقي أحد أحسده**) أي اغبطه (**إلا رجل يتم ركوعه وسجوده**) في صلاته، (**وقد حيل بيني وبين ذلك**) قال ذلك لما كبرت سنّه ودق عظمه. (**وقال سعيد ابن جبير**) الوالبي مولاهم التابعي رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته: (**ما آسي على شيء**) أي ما أحزن (**من الدنيا**) أي من أمورها (**إلا السجود**). وقد ذكر صاحب الحلية بسنده إلى هلال بن يساف قال: دخل سعيد الكعبة فقرأ القرآن في ركعة، وذكر عن ورقاء أنه قال: كان سعيد يختم فيما بين المغرب والعشاء في شهر رمضان، ولما أخذه جماعة الحجاج وجدوه ساجداً يناجي بأعلى صوته. (**وقال عقبة بن مسلم**) التجيبي إمام جامع مصر وقاصهم وشيخهم. روى عن عبدالله بن عمر وطائفة، وعنه حيوة بن شريح وابن لهيعة وغيره وثقه البجلي مات سنة ٢٤٣. أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي: (**ما من خصلة**) من خصال الخير (**في العبد أحب إلى الله عز وجل من**) خصلة (**رجل يحب لقاء الله عز وجل**) وهو علامة الإقبال على أمور الآخرة، وقد ورد: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. (**وما من ساعة**) من ساعات الليل أو النهار (**العبد فيها أقرب إلى الله عز وجل منه**) أي إلى رحمته وعفوه (**حيث يخر ساجداً**) لله تعالى في صلاته. قال المناوي نقلاً عن الشيخ محي الدين قدس سره قال: لما جعل الله الارض لنا ذلولاً نمشي في مناكبها فهي تحت أقدامنا نطؤها بها وذلك غاية الذلة، فأمرنا أن نضع عليها أشرف ما عندنا وهو الوجه وأن نمرغه عليها جبراً لانكسارها، فاجتمع بالسجود وجه العبد ووجه الأرض فانجبر كسرها، وقد قال تعالى: أنا عند المنكسرة قلوبهم، فلذلك كان العبد في تلك الحالة أقرب إلى الله تعالى من سائر أحوال الصلاة اهـ.

(**وقال أبو هريرة رضي الله عنه: أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى**) أي إلى رحمته (**إذا سجد**) أي حالة سجوده. وقال الطيبي التركيب من الاسناد المجازي أسند القرب إلى الوقت وهو العبد مبالغة، والمفضل عليه محذوف تقديره أن للعبد حالتين في العبادة كونه ساجداً لله تعالى، وحالة كونه ملتبساً بغير السجود، فهو في حالة سجوده أقرب إلى ربه من نفسه في غير تلك الحالة. (**فاكثروا الدعاء عند ذلك**) أي في السجود لأنها حالة غاية التذلل فهو مظنة الإجابة، وفي رواية: فاجتهدوا فيه في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم ثم إن سياق المصنف مشعر بانه من قول أبي هريرة موقوف عليه، وقد أخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي من حديثه رفعوه إلى رسول

فضيلة الخشوع:

قال الله تعالى: ﴿وأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال عز وجل: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]، قيل: سكارى من كثرة الهم، وقيل: من حب الدنيا. وقال وهب: المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين فيه العلة فقال: ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ وكم من مصل لم يشرب خمراً وهو لا يعلم ما يقول في صلاته. وقال النبي ﷺ: «من صلّى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه». وقال

الله ﷺ بلفظ «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء» فتأمل ذلك، والله أعلم.

فضيلة الخشوع

أي في الصلاة والدعاء، وهو إقبال القلب على ذلك مأخوذ من خشعت الارض إذا سكنت واطمأنت. وقد أورد المصنف في اشتراط الخشوع وحضور القلب في الصلاة آيات واخباراً منها: (**قال الله تعالى: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾**) [طه: ١٤] وظاهر الأمر الوجوب والغفلة تضاد الذكر. فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيماً للصلاة لذكره. (**وقال تعالى: ولا تكن من الغافلين**) [الاعراف: ٢٠٥] نهي وظاهره التحريم. (**وقال عز وجل: ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾**) [النساء: ٤٣] تعليل النهي للسكران مطرد في الغافل المستغرق بالهم والوساوس وأفكار الدنيا هذه الآيات الثلاثة. هكذا أوردها صاحب القوت في باب فضائل الصلاة، وما تزكو به، ووصف صلاة الخاشعين من الموقنين، ورجل سكران وامرأة سكرى والجمع سكارى بضم السين وفتحها لغة وقد سكر كعلم واسكره الشراب أزال عقله، واختلف في معنى قوله تعالى سكارى (**قيل: سكارى من كثرة الهم**) أي الاهتمام بامور الدنيا (**وقيل**) سكارى (**من حب الدنيا**) والقولان ذكرهما صاحب القوت والعوارف. (**وقال وهب**) بن منبه بن كامل اليماني الذماري أبو عبد الله الأنباري تابعي ثقة عالم زاهد، وكان على قضاء صنعاء مكث أربعين سنة لم يرقد على فراش. روى له البخاري حديثاً واحداً والباقون إلا ابن ماجه مات سنة ١١٦: (**المراد به ظاهره**) أي على حقيقته. قال المصنف: (**ففيه**) على هذا (**تنبيه على سكر الدنيا إذ بيّن فيه العلة فقال: حتى تعلموا ما تقولون**). ولا يتم هذا إلا بخضوع الظاهر مع خشوع الباطن، (**وكم من مصل لم يشرب خمراً**) ولا قارف مسكراً (**وهو لا يعلم ما يقول في صلاته**) لغفلته عن أدلة الخشوع في الصلاة.

(**وقال النبي ﷺ «من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه»**) قال العراقي. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث صلة بن أشيم

النبي ﷺ: « إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوّه وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج ». وروي عن الله سبحانه في الكتب السالفة أنه قال: « ليس كل مصلٍّ أتقبّل صلاته إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على عبادي وأطعم الفقير الجائع لوجهي ». وقال ﷺ: « إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج

مرسلا وهو في الصحيحين من حديث عثمان بزيادة في أوله دون قوله بشيء من الدنيا. وزاد الطبراني في الاوسط « إلا بخير » اهـ.

قلت: قال تلميذه الحافظ لفظ ابن أبي شيبة في المصنف لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه اهـ.

وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء « من صلى ركعتين يتم ركوعه وسجوده لم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه عاجلاً أو آجلاً » وأخرج أحمد، وابن قانع، وأبو داود، وعبد بن حميد، والروياني، والطبراني في الكبير، والحاكم والعقيلي في الضعفاء عن زيد بن خالد الجهني « من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ». **(و)** من أدلة الخشوع في الصلاة **(قال النبي ﷺ: « إنما الصلاة تمسكن)** أي خضوع وذل بين يدي الله تعالى والميم زائدة **(وتواضع وتضرع وتأوّه)** أي توجع **(وتنادم)** تفاعل من الندم وهو الحسرة **(وتضع يديك فتقول اللهم اللهم)** مرتين **(فمن لم يفعل)** كذلك **(فهي خداج »)** أي ناقصة. ونص القوت بعد قوله « وتضرع وتباؤس وترفع يديك » والباقي سواء والتباؤس تفاعل من البؤس وهو الحزن، وذكر في العوارف « تنادم » بدل « تباؤس » ولم يذكر وتأوّه. ففي الحديث حصر بالالف واللام. وكلمة « إنما » للتحقيق والتوكيد، وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام « إنما الشفعة فيما لا يقسم الحصر بين الاثبات والنفي » وقال العراقي: أخرجه الترمذي والنسائي بنحوه من حديث الفضل بن عباس باسناد مضطرب اهـ.

(وروي عن الله سبحانه في الكتب السالفة) أي من الكتب التي نزلت على أنبيائه المتقدمين صلى الله عليهم **(أنه قال)**: ونص القوت: وقد يروى في خبر يقول الله عز وجل: **(« ليس كل مصلٍّ)** وفي القوت « لكل مصل » **(أتقبل صلاته إنما أتقبل صلاة من تواضع لعظمتي)** زاد صاحب القوت « وخشع قلبه لجلالي وكف شهواته عن محارمي وقطع ليله ونهاره بذكري ولم يصر على معصيتي » **(ولم يتكبر على عبادي)** ونص القوت « على خلقي » **(وأطعم الفقير الجائع لوجهي »)** ونص القوت بعد قوله: على خلقي ورحم الضعيف وواسى الفقير من أجلي على أن أجعل الجهالة له حلماً والظلم له نوراً يدعوني فألبيه ويسألني فاعطيه ويقسم علي فابر قسمه وأكلؤه بقوتي وأباهي به ملائكتي ولو قسم نوره عنديّ على أهل الأرض لوسعهم فمثله كمثل الفردوس لا يتسنا ثمرها ولا يتغير حالها.

والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله تعالى، فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك». وقال ﷺ للذي أوصاه: «وإذا صليت فصلِّ صلاة مودع» أي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر إلى مولاه، كما قال عز وجل: ﴿يا أيُّها الإنْسانُ إنَّكَ كادِحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحاً فملاقيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، وقال تعالى: ﴿واتَّقوا الله ويُعَلِّمُكُمْ الله﴾ [البقرة:

قلت: وقد روي هذا مرفوعاً من حديث علي أخرجه الدارقطني في الافراد ولفظه «يقول الله تعالى إنما أتقبل الصلاة» فساقه وفيه: ولم يبت مصراً على خطيئة وفيه ويطعم الجائع ويؤوي الغريب ويرحم الصغير ويوقر الكبير فذلك الذي يسألني فاعطيه ويدعوني فاستجيب له ويتضرع إليَّ فارحمه فمثله عندي الخ. وسيأتي للمصنف قريباً هذا السياق بعينه عن ابن عباس مع اختلاف يسير. ثم قال صاحب القوت. فهذه أوصاف التوابين، المستقيمين على التوبة الذاكرين المنيبين إلى الله تعالى، المتواضعين المتباذلين في الله تعالى وهم المتقون الزاهدون.

(**وقال ﷺ: «إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله تعالى**) وفي القوت: وروى معنى الآية أي قوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ عن رسول الله ﷺ إنما فرضت ثم ساقه إلى آخره. وقال العراقي: أخرجه أبو داود والترمذي من حديث عائشة بنحوه دون ذكر الصلاة. قال الترمذي: حسن صحيح اهـ. ثم قال صاحب القوت: (**فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود**) الأعظم (**والمبتغى**) أي المطلوب الأهم (**عظمة ولا هيبة**) ولا إجلال مقام ولا حلاوة افهام (**فما قيمة ذكرك»**). فإنما صلاتك حينئذ كعمل من أعمال دنياك، وقد جعل رسول الله ﷺ الصلاة قسماً من أقسام الدنيا إذا كان المصلي على مقام من الهدى فقال «حبب إليّ من دنياكم» ذكر منها الصلاة فهي دنيا لمن كان همه الدنيا وهي آخرة لأبناء الآخرة وهي صلة ومواصلة لأهل الله عز وجل البر الوصول. (**و**) قد (**قال ﷺ**) وقد رأى أنس بن مالك رضي الله عنه رجلاً يتوضأ فقال: (**«إذا صليت فصل صلاة مودع»**) هكذا في القوت. قال العراقي: أخرجه ابن ماجه من حديث أبي أيوب، والحاكم من حديث سعد بن أبي وقاص. وقال: صحيح الاسناد. والبيهقي في الزهد من حديث ابن عمر ومن حديث أنس بنحوه اهـ.

قال تلميذه الحافظ: وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم من حديث أنس، ثم قال صاحب القوت: (**أي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر إلى مولاه**)، والحديث يحتمل هذه المعاني، ثم قال صاحب القوت: (**كما قال عز وجل: يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه**) [الانشقاق: ٦] قال أبو إسحاق الزجاج: الكدح السعي والحرص والدأب في العمل في باب الدنيا والآخرة، وكدح الإنسان عمل لنفسه خيراً أو شراً، وبه فسرت الآية. (**وقال تعالى: واتقوا الله ويعلمكم الله**) [البقرة: ٢٨٢] تقدم تفسير هذه الآية في كتاب العلم.

٢٨٢]، وقال تعالى: ﴿واتّقوا الله واعْلَموا أنّكم مُلاَقوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقال ﷺ: « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلاّ بعداً » والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة؟. وقال بكر بن عبد الله: يا ابن آدم إذا

(وقال تعالى: واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه) [البقرة: ٢٢٣] وقد أورد صاحب القوت الآية الأولى والأخيرة ولم يذكر الآية الثانية، ثم قال: **(و)** لذلك **(قال ﷺ « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر)** أي لم يفهم في اثناء صلاته أموراً تلك الأمور تنهى عن الفحشاء والمنكر **(لم تزده)** أي صلاته. وفي رواية « لم يزدد » أي بصلاته **(من الله إلا بُعداً »)** لأن صلاته ليست هي المستحق بها الثواب بل هي وبال يترتب عليها العقاب. قال الحراني: هذه الآفة غالبة على كثير من أبناء الدنيا. وقال المناوي: استدل به الغزالي على اشتراط الخشوع للصلاة قال: لأن صلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء اهـ.

وأما تخريج الحديث فقال العراقي: رواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلاً باسناد صحيح، ووصله ابن مردويه في تفسيره بذكر عمران بن حصين رضي الله عنه والمرسل أصح. ورواه الطبراني، وابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس بإسناد لين، وللطبراني من قول ابن مسعود « من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهاه عن المنكر » الحديث واسناده صحيح اهـ.

قلت: وأخرجه أيضاً ابن أبي حاتم، وابن المنذر من حديث ابن عباس ولين إسناده لأجل ليث بن أبي سليم لتدليسه إلا أنه ثقة. وقال الزيلعي: فيه يحيى بن طلحة اليربوعي وثقه ابن حبان وضعفه النسائي، وقال في الميزان: هو صويلح الحديث. وقال النسائي: ليس بشيء وساق له هذا الخبر، ثم قال: أفحش ابن الجنيد فقال: هذا كذب وزور. **(والصلاة مناجاة)** لأن العبد يناجي فيها ربه كما سيأتي من حديث أنس عند الشيخين « إن احدكم إذا كان في صلاته فإنه يناجي ربه » الحديث. وجاء أيضاً وقد رأى نخامة في قبلة أيكم يحب ان يبزق في وجهه فقلنا لا فقال « إن أحدكم إذا دخل في صلاته فإن ربه عز وجل بينه وبين القبلة » **(فكيف تكون مع الغفلة)**؟ فعلم بذلك أن الخشوع شرط في الصلاة عند المصنف تبعاً لصاحب القوت، وقال صاحب القوت بعد أن أورد الحديث المتقدم ما نصه: وكما قال من لم يترك قول الزور والعمل به فليس لله عز وجل حاجة في أن يترك طعامه وشرابه، فالمراد من الصلاة والصيام ترك المخالفة والآثام لأنهما رياضة للمريدين على المواصلة، ولذلك أمر بهما مولانا تعالى في قوله ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ [البقرة: ٤٥] أي على مجاهدة النفس، وعلى صلاح القلب، وعلى طريق الآخرة، وعلى ترك المعاصي والشهوات فجعلهما شيئين يستعان بهما على أمر الدين اهـ.

قلت: والحديث الذي أورده صاحب القوت « من لم يترك » الخ. أخرجه أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ « من لم يدع في الموضعين » والباقي سواء. وقال صاحب القوت أيضاً في باب المحافظة على الصلاة ما نصه:

شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت، قيل: وكيف ذلك؟ قال: تسبغ وضوءك وتدخل محرابك، فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالاً بعظمة الله عز وجل. وقال ﷺ: «لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه». وكان ابراهيم الخليل إذا قام إلى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين. وكان سعيد التنوخي إذا صلى

وعلامة قبول الصلاة أن تنهاه في تضاعيفها عن الفحشاء والمنكر. والفحشاء: الكبائر، والمنكر: ما أنكره أهل العلم والمؤمنون، فمن انتهى رفعت صلاته إلى سدرة المنتهى، ومن تحرفته الأهواء فقد ردت صلاته رداً فهوى اهـ.

(**وقال بكر بن عبدالله**) بـن عمرو بن هلال المزني. أبو عبدالله البصري. أدرك نحواً من ثلاثين من فرسان مزينة. منهم عبدالله بـن مغفل ومعقل بن يسار. قال ابن سعد: كان ثقة ثبتاً مأموناً حجة فقيهاً مات سنة ثمان ومائة. روى له الجماعة: (**يا ابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن دخلت، قيل: وكيف ذلك؟ قال: تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلم بغير ترجمان**). أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة بكر بن عبدالله قال: حدثنا إسحاق بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا إسحاق بن يحيى الرقي، حدثنا سيار، عن إبراهيم اليشكري، عن بكر بن عبدالله المزني أنه قال: «من مثلك يا ابن آدم خلي بينك وبين المحراب تدخل منه إذا شئت على ربك تعالى ليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان إنما طبيب المؤمنين هذا الماء المالح». (**وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالاً بعظمة الله عز وجل»**). قال العراقي: رواه الازدي في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسلاً «كان النبي ﷺ إذا سمع الأذان كأنه لا يعرف أحداً من الناس».

(**وقال صلى الله عليه وسلم: «لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر**) بضم المثناة التحتية وكسر ثالثه (**الرجل فيها قلبه مع بدنه»**). قال العراقي لم أجده بهذا اللفظ. وروى محمد بـن نصر في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرس مرسلاً «لا يقبل الله من عبده عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه» ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب وإسناده ضعيف. (**وكان**) سيدنا (**إبراهيم الخليل**) عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم (**إذا قام إلى الصلاة يسمع وجيب**) أي صوت سقوط (قلبه على) مسافة (**ميلين**) وهو في كتاب العوارف للسهروردي بلفظ: كان يسمع خفقان قلبه من ميل. قال: وروت عائشة أن رسول الله ﷺ «كان يسمع من صدره أزيز كازيز المرجل حتى كان يسمع في بعض سكك المدينة.»

لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته. ورأى رسول الله ﷺ رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال: « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ». ويروى أن الحسن نظر إلى رجل يعبث بالحصى ويقول: اللهم زوّجني الحور العين. فقال: بئس الخاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى. وقيل لخلف بن أيوب: ألا يؤذيك الذباب في صلاتك فتطردها؟ قال: لا أعوّد نفسي شيئاً يفسد علي صلاتي قيل له: وكيف تصبر على ذلك؟ قال: بلغني أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال: فلان صبور ويفتخرون بذلك فأنا قائم بين يدي ربي أفأتحرك لذبابة؟ ويروى عن مسلم بن يسار أنه

(وكان سعيد) بن عبد العزيز بن أبي يحي **(التنوخي)** أبو محمد الدمشقي، فقيه أهل الشام ومفتيهم بدمشق بعد الأوزاعي. وقال الحاكم: هو لأهل الشام كمالك بن أنس لأهل المدينة في التقدم والفضل والفقه والآمانة توفي سنة ١٦٨. روى له الجماعة إلا البخاري **(إذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على لحيته)**، وأسند المزني في التهذيب إلى أبي النضر إسحاق بن إبراهيم قال: كنت أرى سعيداً مستقبل القبلة يصلي فكنت اسمع لدموعه وقعاً على الحصير، وأسند عن أبي عبد الرحمن مروان بن محمد الأسدي قلت لسعيد: يا أبا محمد ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة؟ فقال: يا ابن أخي وما سؤالك عن ذلك؟ قلت: لعل الله عز وجل أن ينفعني به. قال: ما قمت إلى صلاة إلا مثلث لي جهنم.

(ورأى رسول الله ﷺ رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه »). قال العراقي: رواه الحكيم الترمذي في النوادر من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبي شيبة في المصنف وفيه رجل لم يسم اهـ.

قلت: وهكذا هو في القوت في باب هيئات الصلاة وآدابها عند قوله « ولا يعبث بشيء من بدنه في الصلاة » قال: روي أن سعيد بن المسيب نظر إلى رجل فساقه سواء ثم قال: وقد رويناه مسندا من طريق **(ويروى أن الحسن)** هو البصري **(نظر إلى رجل يعبث بالحصا)** أي في الصلاة **(ويقول: اللهم زوجني الحور العين، فقال)** له الحسن: **(بئس الخاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى)** وفي رواية: نعم الخطبة وبئس المهر **(وقيل لخلف بن أيوب)** العامري البلخي الفقيه ثقة. قال الحاكم: كان مفتي بلخ وزاهدها زاره صاحب بلخ، فأعرض عنه توفي سنة ٢٠٩. روى له ابن ماجه: **(ألا يؤذيك الذباب في صلاتك فتطردها)** بيدك؟ **(قال: لا أعوّد نفسي شيئاً يفسد علي صلاتي)** فإن الحركات المتوالية مضرة في الصلاة **(قيل له: وكيف تصبر على ذلك؟ قال: بلغني أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك، فأنا قائم بين يدي ربي أفأتحرك لذبابة)**؟ وهذا يثمره الخشوع والخوف ومراقبة جلال الله وعظمته، وقد وقع مثل ذلك لإمام المدينة

كان إذا أراد الصلاة قال لأهله: تحدثوا أنتم فإني لست أسمعكم. ويروى عنه أنه كان

مالك بن أنس رحمه الله تعالى لسعته زنبور كذا وكذا مرة، وهو يقرأ عليه حديث رسول الله ﷺ فلم يتحرك ولم يتململ تأدباً مع رسول الله ﷺ. ومما وقع لي أني خرجت مع بعض الصالحين لزيارة بعض الأولياء وفي الرجوع مررنا على موضع فيه الخضرة والماء الجاري والزهور والرياحين وهو على خليج من خلجان البحر ليس به ماء، والموضع مشهور بكثرة البعوض المعروف بالناموس وهي هذه الدويبة اللسّاعة بحيث لا يمكن الإنسان أن يصبر إلا أن يلتف بثوب وبيده مذبّة، وكان إذ ذاك به رجل من الصالحين قصدنا زيارته فسألت صاحبي الذي أنا معه عن حال ذلك الرجل الصالح كيف يفعل إذا وقف في الصلاة وهو قد يطيل فيها من هذه الدواب المؤذية؟ قال: قد سبق لي السؤال عنه فقال لي يا أخي أنا إذا وقفت في الصلاة أذكر نفسي كأني على الصراط وكأن جهنم بين يدي فلا يخطر ببالي الناموس ولا غيره، وهذه الحالة تحصل من الخشوع والمهابة.

(**ويروى عن مسلم بن يسار**) البصري الزاهد الفقيه. أبو عبدالله مولى قريش كان من الفقهاء العاملين والاولياء الصالحين. وروى عن ابن عباس وابن عمر. وعنه محمد بن واسع وغيره له ذكر في كتاب اللباس من صحيح مسلم، وروى له أبو داود والنسائي وابن ماجه مات سنة مائة. (**انه كان إذا أراد الصلاة قال لأهله: تحدثوا فإني لست أسمعكم**). ونص القوت: كان إذا دخل في الصلاة يقول لأهله: تحدثوا بما تريدون وأفشوا سركم فإني لا أسمع. وأخرج صاحب الحلية من طريق معتمر قال: بلغني أن مسلماً كان يقول لأهله: إذا كانت لكم حاجة فتكلموا وأنا أصلي، ومن طريق هارون بن معروف عن ضمرة عن ابن شوذب قال: كان مسلم ابن يسار يقول لأهله إذا دخل في صلاته في بيته: تحدثوا فلست أسمع حديثكم. ومن طريق ابن المبارك عن جبير بن حبان قال: ذكر لمسلم بن يسار قلة التفاته في صلاته فقال: وما يدريكم أين قلبي؟ ومن طريق معتمر سمعت كهمساً يحدث عن عبدالله بن مسلم بن يسار عن أبيه أنه كان يصلي ذات يوم، فدخل رجل من أهل الشام ففزعوا واجتمع له أهل الدار، فلما انصرف قالت له أم عبدالله دخل هذاالشامي ففزع أهل الدار فلم تنصرف. قال: ما شعرت. وبهذا الاسناد قال: ما رأيته يصلي قط إلا ظننت أنه مريض. ومن طريق عفان، عن سليمان بن مغيرة، عن غيلان بن جرير قال: كان مسلم إذا رؤي يصلي كأنه ثوب ملقى. ومن طريق زيد بن الحباب، عن عبد الحميد بن عبدالله بن مسلم بن يسار قال: كان مسلم بن يسار إذا دخل المنزل سكنت أهل البيت فلا يسمع لهم كلام، وإذا قام يصلي تكلموا وضحكوا! ومن طريق معاذ بن معاذ عن ابن عون قال: رأيت مسلم بن يسار يصلي كأنه وتد لا يميل على قدم مرة ولا على قدم مرة ولا يحرك له ثوباً. وقال معاذ مرة لا يتروح على رجل مرة أو قال يعتمد. ومن طريق ابن المبارك، عن سفيان، عن رجل، عن مسلم بن يسار أنه سجد سجدة فوقعت ثنيتاه، ومن طريق أبي أياس معاوية بن قرة قال: كان مسلم بن يسار يطيل السجود أراه قال فوقع الدم في ثنيتيه فسقطتا فدفنهما.

يصلي يوماً في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة. وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلوّن وجهه فقيل له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول: جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها. ويروى عن علي بن الحسين أنه كان إذا توضأ اصفر لونه فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟ ويروى

(ويروى عنه أنه كان يصلي يوماً في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة) ونص القوت: وكان يصلي ذات يوم في جامع البصرة فوقعت خلفه اسطوانة معقود بناؤها على أربع طاقات، فتسامع بها أهل السوق فدخلوا المسجد وهو قائم يصلي كأنه وتد، فانفتل من صلاته، فلما فرغ جاءه الناس يهنونه فقال: وعلى أي شيء تهنوني؟ قالوا: وقعت هذه الاسطوانة العظيمة وراءك فسلمت منها. فقال: متى وقعت؟ قالوا: وأنت تصلي. قال: فإني ما شعرت بها. وأخرج صاحب الحلية من طريق عون بن موسى قال: سقط حائط المسجد ومسلم بن يسار قائم يصلي فما علم به، ومن طريق مبارك بن فضالة عن ميمون بن بيان قال: ما رأيت مسلم بن يسار ملتفتاً في صلاته قط خفيفة ولا طويلة، ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السوق لهدته وإنه لفي المسجد في الصلاة فما التفت.

وكان أمير المؤمنين أبو الحسن **(علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل)** أي يرتعد بدنه **(ويتلون)** أي يحمر ويصفر **(فقيل له: ما لك يا أمير المؤمنين؟ فيقول)** لهم: **(جاء وقت)** آداء **(أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها)** وهي الصلاة في أحد الوجوه المذكورة في الآية في تفسير الأمانة. **(ويروى عن)** الإمام زين العابدين ومنار القانتين العابد الوفي الجواد الخفي **(علي بن الحسين)** بن علي رضي الله عنه **(أنه كان إذا توضأ أصفر لونه فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك)** أي يعتريك **(عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم)**؟ وفي أنساب قريش قال مصعب بن عبدالله الزبيري عن مالك لقد أحرم علي فلما أراد أن يقول لبيك قالها فأغمي عليه حتى سقط عن ناقته فهشم، ولقد بلغني أنه كان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة إلى أن مات، وكان يسمى بالمدينة زين العابدين لعبادته، وقال غيره: كان إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة فقيل له: ما لك فقال: ما تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي. وفي القوت، وقال علي بن الحسين رضي الله عنه: من اهتم بالصلوات الخمس في مواقيتها وإكمال طهورها لم يكن له في الدنيا عيش. وكان إذا توضأ للصلاة تغير لونه وارعد فقيل له في ذلك. فقال: أتدرون على من أدخل وبين يدي من اقف ولمن اخاطب وماذا يرد علي؟ وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمته من طريق محمد بن زكريا الغلابي عن العتبي عن أبيه قال: كان علي بن الحسين

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: **قال داود** ﷺ في مناجاته إلهي من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة؟ فأوحى الله إليه: يا داود إنما يسكن بيتي وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من أجلي يطعم الجائع ويؤوي الغريب ويرحم المصاب، فذلك الذي يضيء نوره في السموات كالشمس إن دعاني لبيته وإن سألني أعطيته، أجعل له في الجهل حلماً وفي الغفلة ذكراً وفي الظلمة نوراً، وإنما مثله في الناس كالفردوس في أعلى الجنان لا تيبس أنهارها ولا تتغير ثمارها. ويروى عن حاتم الأصم رضي الله عنه أنه سئل عن صلاته، فقال: إذا حانت

إذا فرغ من وضوئه وصار بينه وبين صلاته أخذته رعدة ونفضة فقيل له في ذلك فقال: ويحكم أتدرون إلى من أقوم ومن أريد أن أناجي؟

(**ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه**) فيما رواه وهب بن منبه عنه من زبور داود عليه السلام (**أنه قال قال داود**) بن إيشا النبي (**صلى الله عليه**) وعلى نبينا (**وسلم**)، وهو والد سيدنا سليمان عليه السلام أنزل عليه الزبور مؤكداً لقواعد التوراة والغالب فيه مواعظ ونصائح وحكم: (**إلهي من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة؟ فأوحى الله إليه يا داود إنما يسكن بيتي وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتي**)، وقد سبق النقل عن القوت وفيه: وقد يروى في خبر يقول الله عز وجل: ليس لكل مصل أتقبل صلاته إما أتقبل صلاة من تواضع لعظمتي. وسبق ذلك للمصنف قريباً. زاد صاحب القوت فقال: وخشع قلبه لجلالي (**وقطع**) ليله و(**نهاره بذكري وكف نفسه**) أي منعها (**عن الشهوات**) النفسية (**من أجلي**). وعبارة القوت: وكف شهواته عن محارمي ولم يصر على معصيتي (**يطعم الجائع ويؤوي الغريب ويرحم المصاب**) ونص القوت: ورحم الضعيف وواسى الفقير من أجلي، (**فذاك الذي يضيء نوره في السموات كالشمس**). ونص القوت: ولو قسم نوره عندي على أهل الأرض لوسعهم. (**إن دعاني لبيته**) أي أجبته (**وإن سألني أعطيته**) ونص القوت: يدعوني فألبيه، ويسألني فاعطيه، ويقسم علي فأبر قسمه وأكلؤه بقوتي واباهي به ملائكتي. (**اجعل له في الجهل حلماً وفي الغفلة ذكراً وفي الظلمة نوراً**). ونص القوت: اجعل الجهالة له حلماً والظلم له نوراً، (**وإنما مثله في الناس كالفردوس في الجنان**) ونص القوت: فمثله كمثل الفردوس (**لا تيبس أنهارها**) أي لا تنشف (**ولا تتغير ثمارها**) ونص القوت: لا يتسنى ثمرها ولا يتغير حالها، والسياقان واحد غير أن المصنف غيَّر بينهما فقدم وآخر، فيظن الظنان أن هذا غير الذي تقدم وليس كذلك كما يظهر لمن تأمله.

(**ويروى عن حاتم الأصم**) تقدمت ترجمته في كتاب العلم (**أنه سئل عن صلاته**) ونص العوارف للسهروردي، وقيل: إن محمد بن يوسف الفرغاني رأى حاتماً الأصم واقفاً يعظ الناس فقال له يا حاتم: أراك تعظ الناس أفتحسن أن تصلي؟ (**فقال**): نعم (**إذا جاءت الصلاة**) أي

الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه **فاقعد فيه حتى تجتمع** جوارحي، ثم أقوم إلى صلاتي **واجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والجنة** عن يميني والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، وأظنها آخر صلاتي. **ثم أقوم بين** الرجاء والخوف وأكبِّر تكبيراً بتحقيق، وأقرأ قراءة بترتيل، وأركع ركوعاً بتواضع، وأسجد سجوداً بتخشع، وأقعد على الورك الأيسر، وأفرش **ظهر قدمها وأنصب** القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها الإخلاص، ثم لا أدري **أقبلت مني أم لا؟ وقال ابن**

وقتها (**أسبغت الوضوء**) بإكمال سننه وآدابه، (**وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه**) وهو مسجد القوم مثلاً (**فاقعد فيه**) قبل الدخول في الصلاة (**حتى تجتمع جوارحي**) الظاهرة وحواسي الباطنة (**ثم أقوم إلى صلاتي**)، وقد قال السراج: من أدبهم قبل الصلاة المراقبة ومراعاة القلب من الخواطر والعوارض وذكر كل شيء غير الله تعالى، فإذا قاموا إلى الصلاة بحضور قلب كأنهم قاموا من الصلاة إلى الصلاة، فيبقون مع النفس والعقل اللذين بهما دخلوا في الصلاة، فإذا خرجوا من الصلاة رجعوا إلى حالهم من حضور القلب فكأنهم أبداً في الصلاة.

قلت: وهذا بعينه ملحظ أشياخنا النقشبندية فإنهم يأمرون المريد بذلك قبل دخوله في الصلاة والذكر.

ثم قال حاتم: (**واجعل الكعبة**) كأنها مشهودة (**بين حاجبي والصراط تحت قدمي**) كأني واقف عليها (**والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت**) الموكل بقبض الأرواح (**ورائي**) يطالبني بأخذ الروح، (**وأظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيراً بتحقيق، وأقرأ قراءة بترتيل، واركع ركوعاً بتواضع، واسجد سجوداً بتخشع، واقعد على الورك الأيسر، وافرش ظهر قدمها وانصب القدم اليمنى على الإبهام وأتبعها الإخلاص، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا؟**) ونص العوارف بعد قوله: كيف تصلي؟ قال: أقوم بالأمر وأمشي بالخشية، وادخل بالهيبة وأكبر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل، واركع بالخشوع، واسجد بالتواضع، واجلس للتشهد بالتمام، واسلم على السنة واسلمها إلى ربي، واحفظها أيام حياتي، وارجع باللوم على نفسي، وأخاف أن لا تقبل مني وأرجو أن تقبل مني وأنا بين الخوف والرجاء، واشكر من علمني، واعلم من سألني وأحمد ربي إذ هداني، فقال محمد بن يوسف: مثلك يصلح أن يكون واعظاً. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، حدثني علوان بن الحسين الربعي، حدثنا رباح بن أحمد الهروي قال: مر عصام بن يوسف بحاتم الأصم وهو يتكلم في مجلسه فقال يا حاتم: تحسن تصلي؟ فقال: نعم. قال: كيف تصلي؟ فساقه مثل ما نقله صاحب العوارف إلا أنه قال: وادخل «بالنية» بدل «بالهيبة» وزاد بعد الترتيل والتفكر وفيه: وأسلم بالنية واسلمها بالإخلاص إلى الله عز وجل، وفيه: وأحفظه بالجهد إلى الموت وفي آخره تكلم فأنت تحسن تصلي.

عباس رضي الله عنهما: ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه.

فضيلة المسجد وموضع الصلاة:

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]،

(وقال ابن عباس رضي الله عنه: ركعتان مقتصدتان) أي متوسطتان بين الإفراط والتفريط **(في تفكر)** أي مع تفكر في آلاء الله تعالى وعظمته وجلاله **(خير من قيام ليلة)** أي كاملة **(والقلب ساه)** أي غافل ومن هنا قالوا: تفكر ساعة خير من عبادة الثقلين أي: عبادة بخشوع القلب والجوارح خير من عبادة ليس فيها ذلك. وفي العوارف، وقال ابن عباس: ركعتان في تفكر خير من قيام ليلة.

قلت: وقد جاء في المرفوع عن أبي أمامة فيما رواه سمويه في فوائده، والطبراني في الكبير عنه «ركعتان خفيفتان خير من الدنيا وما عليها» وفي الزهد والرقائق لابن المبارك عن أبي هريرة «ركعتان خفيفتان مما تحقرون أحب إليه من بقية دنياكم» والمراد بالخفيفتين الاقتصاد فيهما مع كمال الخشوع كما يشعر بذلك المقام.

فضيلة المسجد:

بيت الصلاة والجمع المساجد **(و)** فضيلة **(موضع الصلاة)** وهو أخص من المسجد. **(قال الله عز وجل):** ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون﴾ [التوبة: ١٧] وروي أنه لما أسر العباس يوم بدر وعيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم وأغلظ له علي رضي الله عنه في القول فقال: تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا. إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت **﴿أولئك حبطت﴾** الآية ثم قال: **﴿إنما يعمر مساجد الله﴾** أي شيئاً من المساجد، وقيل: بل المسجد الحرام، وإنما جمع لأنه قبله المساجد وإمامها فعامره كعامر الجميع، ويدل عليه قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب بالتوحيد (**من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾** [التوبة: ١٨] أي إنما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية، ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وإدامة العبادة والذكر، ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا.

(وقال ﷺ: «من بنى) بنفسه أو بني له بأمره **(مسجداً)** أي محلاً للصلاة. وفي رواية: لله مسجداً أي لأجله، وتؤيده رواية «يبتغي به وجه الله» وفي أخرى «لا يريد به رياء ولا سمعة» وأياً مَا كان فالمراد الإخلاص، وقد شدد الأئمة في تحريه حتى قال ابن الجزري: ومن كتب اسمه على مسجد بناه فهو بعيد من الإخلاص والتنكير للشيوع فيشمل الصغير والكبير، وبه خرجت رواية الترمذي كما سيأتي بيانها وإطلاق البناء غالبي، فلو ملك بقعة لا بناء بها أو كان

وقال ﷺ : « مَنْ بَنَى للهِ مَسْجِداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصراً في الجنة » . وقال ﷺ :

بملكه بناء فوقفه مسجداً صح نظراً للمعنى **(ولو كمفحص قطاة)** أي مجثمها لتضع فيه بيضها وترقد عليه كأنها تفحص عنه التراب أي تكشفه . وفي رواية زيادة « لبيضها » . وعند ابن خزيمة : ولو كمفحص قطاة أو أصغر ، وحمله الأكثر على المبالغة لأن مفحصها لا يكفي مقداره للصلاة فيه أو هو على ظاهره بأن يزيد في المسجد قدراً يحتاج إليه تكون تلك الزيادة ذلك القدر أو يشترك جماعة في بناء مسجد فتقع حصة كل واحد منهم ذلك القدر ، أو المراد بالمسجد موضع السجود وهو ما يسع الجبهة ، فأطلق عليه البناء مجازاً . وقد استبعد بعضهم هذا الوجه . وقال الحافظ : لا يمتنع ذلك مجازاً إذ بناء كل شيء بحسبه ، وقد شاهدنا كثيراً من المساجد في طرق المسافرين يحوطونها إلى جهة القبلة ، وهي في غاية الصغر ، وبعضها لا يكون أكثر من محل السجود ، لكن الحمل على الحقيقة أولى . وقال الزركشي : « لو هنا للتعليل وقد عده من معانيه ابن هشام الخضراوي وجعل منه : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » وخص القطاة بهذا لأنها لا تبيض في شجرة ولا على رأس جبل إنما تجعل مجثمها على بسيط الأرض دون سائر الطير ، فلذلك شبه به المسجد ولأنها توصف بالصدق والهداية ففيه إشعار بالإخلاص ، ولأن أفحوصها تشبه محراب المسجد في استدارته وتكوينه **(بنى الله له)** إسناد البناء إليه سبحانه مجاز وابرز الفاعل تعظيماً وافتخاراً ولئلا تتنافر الضمائر أو يتوهم عوده لباني المسجد **(قصراً في الجنة)** ورواية الأكثرين « بيتاً » بدل « قصراً » ورواية الشيخين مثله في الجنة ، وفيه أن فاعل ذلك يدخل الجنة إذ القصد ببنائه له إسكانه إياه .

تنبيه :

في تخريج هذا الحديث وبيان رواياته المختلفة ، فلفظ المصنف أخرجه ابن ماجه من حديث جابر وعلي بأسناد صحيح بدون قوله « ولو كمفحص قطاة » بزيادة « من بنى لله » و« بيتاً » بدل « قصراً » ومثله لابن حبان من حديث أبي ذر وابن عساكر عن علي . وأيضاً عن عثمان والطبراني في الكبير عن أسماء بنت يزيد في الأوسط والبيهقي من السنن عن عائشة . وفي الأوسط أيضاً عن أبي بكر ، وابن عساكر أيضاً عن معاذ بن جبل وأم حبيبة رضي الله عنهم .

وأخرج الشيخان والترمذي من طريق عبيد الله بن الأسود الخولاني أنه سمع عثمان بن عفان يقول : سمعت النبي ﷺ يقول : « من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة » وأخرجه أيضاً هكذا أحمد ، والنسائي ، وابن ماجه ، وأبو يعلى ، وابن حبان .

وروى الإمام أحمد من حديث ابن عباس من رواية جابر الجعفي وهو ضعيف عن عمار ، عن سعيد بن جبير عنه رفعه : « من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتاً في الجنة » وعند ابن خزيمة كمفحص قطاة أو أصغر . ومن روايات هذا الحديث : « من بنى مسجداً يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتاً في الجنة » أخرجه ابن ماجه وابن أبي شيبة ، وابن حبان عن

« من ألِف المسجد ألفه الله تعالى » . وقال ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » . وقال ﷺ : « لا صلاة لجار المسجد إلاَّ في المسجد » .

عمر . **ومنها** : « من بنى مسجداً يذكر الله فيه بنى الله له بيتاً في الجنة » أخرجه أحمد ، والنسائي ، عن عمرو بن عبسة . **ومنها** : « من بنى لله مسجداً بنى الله له في الجنة أوسع منه » . أخرجه الطبراني عن أبي أمامة وفيه علي بن يزيد وهو ضعيف . **ومنها** : « من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتا أوسع منه في الجنة » أخرجه أحمد عن ابن عمر وعن أسماء بنت يزيد . ومنها : « من بني لله مسجداً بنى الله له قصراً في الجنة من در وياقوت وزبرجد » أخرجه ابن النجار عن أبي هدية عن أنس . **ومنها** : « من بنى مسجداً مفسح قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن عباس ، وفيه رجل لم يسم . **ومنها** : « من بنى لله مسجداً صغيراً كان أو كبيراً بنى الله له بيتاً في الجنة » أخرجه الترمذي والحاكم في الكنى عن أنس . **ومنها** : « من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة » أخرجه ابن أبي شيبة ، وابن حبان ، وأبو يعلى ، والروياني ، والطبراني في الصغير ، وسعيد بن منصور ، عن أبي ذر ، وابن أبي شيبة وحده عن عثمان ، والخطيب في تاريخه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، والطبراني في الأوسط ، والخطيب وابن النجار عن ابن عمر ، والرافعي عن محمد بن الحسن عن أبي حنيفة الإمام ، عن عبدالله بن أبي أوفى . والطبراني في الأوسط عن أنس . **ومنها** : « من بنى مسجداً يراه الله بنى الله له بيتاً في الجنة وإن مات من يومه غفر له » أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس . ومنها : « من بنى مسجداً لا يريد به رياء ولا سمعة بنى الله له بيتاً في الجنة » أخرجه الطبراني في الأوسط عن عائشة . **ومنها** : « من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً . وقيل : وهذه المساجد التي في طريق مكة ؟ قال : وهذه المساجد التي في طريق مكة » . أخرجه ابن أبي شيبة عن عائشة . فهذا مجموع الروايات التي وردت في بناء المساجد ، وعسى إن وجدت فسحة في العمر خرجت فيه جزءاً بعون الله تعالى .

(**وقال ﷺ : « من ألف المسجد**) أي تعوّد القعود فيه لنحو صلاة وذكر الله عز وجل واعتكاف وتعلم علم شرعي وتعليمه ابتغاء وجه الله تعالى : (**ألفه الله تعالى »**) أي آواه إلى كنفه وأدخله في حرز حفظه ، وأصل الإلفة اجتماع مع التئام ، ومن هنا قال مالك بن دينار : المنافقون في المساجد كالعصافير في القفص ، وكان أبو مسلم الخولاني يكثر الجلوس في المساجد ويقول : إنها مجالس الكرام أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف قاله العراقي . وهكذا هو في الجامع الكبير للسيوطي ، وعزاه في الجامع الصغير إلى المعجم الأصغر للطبراني ، فإن لم يكن سبق قلم من الناسخ فيحتمل أن يكون مذكوراً فيهما ، وقول العراقي بسند ضعيف يشير إلى أن في سنده ابن لهيعة ، كما أفاده النور الهيثمي وهو ضعيف والكلام فيه مشهور لا نطيل بذكره والله أعلم .

(**وقال ﷺ : « إذا ادخل أحدكم المسجد**) أي وهو متطهر (**فليركع**) أي فليصل ندباً مؤكداً (**ركعتين**) تحية المسجد (**قبل أن يجلس »**) تعظيماً للبقعة والصارف عن الوجوب خبر

هل على غيرها. قال: لا وأخذ بظاهره الظاهرية، ثم هذا العدد لا مفهوم لأكثره اتفاقاً وفي أقله خلف، والصحيح اعتباره فلو قعد سهواً وقصر الفصل شرع تداركها كما جزم بـه في التحقيـق. ونقله في الروضة عن ابن عبدان واستقر به وأيده بأنه ﷺ قال: وهو قاعد على المنبر يوم الجمعة لسعيد الغطفاني لما قعد قبل أن يصلي «قم فاركع ركعتين» إذ مقتضاه كما في المجموع أنه إذا تركها جهلاً أو سهواً شرع له فعلها إن قصر الفصل. قال: وهو المختار. قال في شرح المهذب: فإن صلى أكثر من ركعتين بتسليمة واحدة جاز وكانت كلها تحية لاشتمالها على الركعتين، وتحصل بفرض أو نفل آخر سواء نويت معه أم لا. لأن المقصود وجود صلاة قبل الجلوس وقد وجدت، ولا تحصل بركعة ولا بجنازة وسجدة تلاوة وشكر على الصحيح ولا تسن لداخل المسجد الحرام لاشتغاله بالطواف واندراجها معه تحت ركعتيه، ولا إذا اشتغل الإمام بالفرض، ولا إذا شرع المؤذن بإقامة الصلاة أو قرب إقامتها. ولا للخطيب يوم الجمعة عند صعوده المنبر على الصحيح في الروضة، ولو دخل وقت كراهة كره له أن يصليها في قول أبي حنيفة وأصحابه ومالك، والصحيح من مذهب الشافعي عدم الكراهة إن دخل المسجد لا بقصد التحية. قال المناوي: وظاهر الحديث تقديم تحية المسجد على تحية أهله، وقد جاء صريحاً من قوله وفعله فكـان يصليها ثم يسلم على القوم. قال ابن القيم: وإنما قدم حق الحق على حق الخلق هنا عكس حقهم المالي لعدم اتساع الحق المالي لأداء الحقين، فنظر لحاجة الآدمي وضعفه بخلاف السلام، فعلى داخل المسجد ثلاث تحيات: مرتبة الصلاة على النبي كما ورد فالتحية فالسلام على من فيه. أخرجه أحمد، والشيخان، والترمذي، وأبو داود، والنسائي من حديث أبي قتادة الحرث بن ربعي السلمي بفتحتين الأنصاري وله سبب خاص، وذلك لأن أبا قتادة دخل المسجد فوجد رسول الله ﷺ جالساً بين صحبه فجلس معهم فقال له «ما منعك أن تركع». قال: رأيتك جالساً والناس جلوس فذكره. وأخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة.

تنبيه:

ما ذكره من السياق هو بعينه نص البخاري والجماعة، ووجد في بعض الروايات «فلا يجلس حتى يركع ركعتين» وفي بعضها «حتى يصلي» هكذا وجد بخط المناوي في شرح الجامع الصغير، وفي بعض نسخ الجامع «حتى يركع» كما عند البخاري والجماعة وهكذا هو في الجامع الكبير والله أعلم.

(وقال ﷺ «لا صلاة) المشهور في تقديره لا صلاة كاملة. وقد رده ابن الدهان في الغرة. وقال: فيه نقض لما أصلناه من أن الصفة لا يجوز حذفها. قال: والتقدير عندي لإكمال صلاة فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه اهـ. وقد تمسك بظاهره الظاهرية على أن الجماعة واجبة ولا حجة فيه بفرض صحته لأن النفي المضاف إلى الأعيان يحتمل أن يراد به نفي الأجزاء، ويحتمل نفي الكمال وعند الاحتمال يسقط الاستدلال **(لجار المسجد)** أي الملاصق له. وقيل: من

وقال ﷺ: « الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه تقول: اللهم صلِّ عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث أو يخرج من المسجد ». وقال ﷺ:

أسمعه المنادي هكذا جاء مصرحاً في رواية ابن أبي شيبة في المصنف (**إلا في المسجد »**) أخرجه الدارقطني في السنن من طريقين.

الأولى: قال حدثنا ابن مخلد، عن الجنيد بن حكيم، عن أبي السكيت الطائي، عن محمد بن السكيت، عن عبدالله بن كثير الغنوي، عن محمد بن سوقة، عن ابن المنكدر، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

الثانية: قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن المذكر، عن محمد بن سعيد بن غالب العطار، عن يحي بن إسحاق، عن سليمان بن داود اليماني، عن يحي بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: فقد النبي ﷺ قوماً في الصلاة فقال ما خلفكم قالوا لحاء كان بيننا فذكره. ثم قال الدارقطني: إسناده ضعيف.

قلت: وأخرجه الحاكم، والطبراني فيما أملاه، من طريقه الديلمي، عن أبي هريرة. وفي المهذب فيه سليمان اليماني وهو ضعيف. وقال عبد الحق: هذا حديث ضعيف وأقره عليه ابن القطان. وفي الميزان قال الدارقطني في موضع: هو حديث مضطرب، وفي موضع منكر ضعيف، وفي تخريج أحاديث الرافعي للحافظ هذا حديث مشهور بين الناس وأسانيده ضعيفة وليس له سند ثابت. وفي الباب عن علي وهو ضعيف أيضاً اهـ.

قلت: أخرجه الدارقطني أيضاً وقال في تخريج أحاديث الهداية. ورواه ابن حبان عن عائشة وفيه عمر بن راشد يضع الحديث، وهو عند الشافعي عن علي ورجاله ثقات اهـ.

قلت: هو عنده من طريق أبي حيان التيمي، عن أبيه، عن علي وكذا أخرجه سعيد بن منصور في السنن، وابن أبي شيبة في المصنف إلا أنه وقفه على علي ولفظه « لا تقبل صلاة جار المسجد إلا في المسجد » ولعل كلام عبد الحق أن رواته ثقات يشير إلى حديث علي هذا ومن شواهده حديث أنس « من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر » والله أعلم.

(وقال ﷺ: « الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه) أي تستغفر له وتطلب له الرحمة قائلين: **(اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له ما لم يحدث)** من الأحداث أي ما لم يأت بناقض الوضوء **(أو يخرج من المسجد »)** أخرجه البخاري في الصلاة من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رفعه فساق الحديث وفيه: « وإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت تحبسه وتصلي عليه الملائكة ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يؤذ بحدث » وفي رواية « ما لم يحدث فيه ». وعند الكشميهني « ما لم يؤذ بحدث فيه ». وأخرجه أيضاً مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه كلهم في كتاب الصلاة. وأخرجه البخاري أيضاً في الجماعة والله أعلم.

« يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقاً حلقاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة ». وقال ﷺ : « قال الله عز وجل في بعض الكتب إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زوّاري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره ». وقال ﷺ : « إذا

(وقال ﷺ : « يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقاً) أي متحلقين لا لقصد الذكر والعبادة لله تعالى، وإنما **(ذكرهم الدنيا)** أي أمورها ومتعلقاتها **(وحب الدنيا)** فإن من أحب شيئاً فقد أكثر من ذكره، فإذا رأيتموهم **(لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة »)**. أخرجه ابن حبان من حديث ابن مسعود، والحاكم من حديث أنس وقال: صحيح الإسناد. قاله العراقي.

قلت: لفظ الحاكم: « يأتي على الناس زمان يتحلقون في مساجدهم وليس همهم الا الدنيا وليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم ». وأخرج البيهقي في السنن عن الحسين مرسلاً « يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم في أمر دنياهم فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة ». ومما يقرب منه ما أخرجه الحاكم في تاريخه، عن ابن عمر « يأتي على الناس زمان يجتمعون في مساجدهم ويصلون وليس فيهم مؤمن ». وقد فهم من سياق الأحاديث أن التحلق في المساجد ممنوع إلا ما كان للعلم ومدارسته والقرآن وتلاوته والذكر وما أشبه ذلك، وسيأتي في آخر باب الجمعة.

(وقال ﷺ : « قال الله عز وجل في بعض الكتب) المنزلة على بعض أنبيائه عليهم السلام **(إن بيوتي)** أي الأماكن التي أصطفيها واخترها لتنزلات رحمتي وملائكتي **(في أرضي المساجد وإن زواري فيها)** أي في تلك البيوت **(عمارها)** جمع عامر، وهم الذين يعمرونها بالعبادة بأنواعها والبر والحسنات **(فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره »)** والمراد بالزائر هنا العابد، والمزور هو الله تعالى اخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي سعيد بإسناد ضعيف بلفظ « يقول الله عز وجل يوم القيامة أين جيراني؟ فتقول الملائكة: ومن ينبغي أن يكون جارك. فيقول: عمار مساجدي » هكذا هو نص الحلية ونص العراقي منها « من هذا الذي ينبغي أن يجاورك؟ فيقول: أين قراء القرآن وعمار المساجد »؟ قال: وأخرجه البيهقي في الشعب نحوه موقوفاً على أصحاب رسول الله ﷺ بإسناد صحيح، وأسند ابن حبان في الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعفه. قال: وللطبراني من حديث سلمان مرفوعاً « من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله تعالى وحق على المزور أن يكرم زائره » وإسناده ضعيف.

قلت: هكذا هو في المعجم الكبير إلا أنه قال « ان يكرم الزائر » وقد وجدت سياق المصنف في المعجم الكبير للطبراني من حديث عبدالله بن مسعود مرفوعاً بلفظ « إن بيوت الله تعالى في الأرض هي المساجد وإن حقاً على الله أن يكرم من زاره فيها ».

رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان». وقال سعيد بن المسيب: من جلس في المسجد فإنما يجالس ربه فما حقه أن يقول إلا خيراً. ويروى في الأثر أو الخبر: «الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش». وقال النخعي: كانوا يرون أن المشي في الليلة المظلمة إلى المسجد موجب للجنة. وقال أنس بن مالك: من

(وقال ﷺ: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد). ورواية الأكثرين «المساجد» أي الجلوس فيه للعبادة والذكر أو المعنى وجدتم قلبه معلقاً به منذ يخرج منه إلى أن يعود إليه أو شديد الحب له والملازمة لجماعته، ويتعهده بالصلاة فيه كلما حضرت، أو يعمره ويجدد ما وهى منه ويسعى في مصالحه، والأوجه حمله على الكل فمن وجدت فيه هذه الأوصاف **(فاشهدوا له بالإيمان»)** أي اقطعوا له بأنه مؤمن حقاً، فإن الشهادة قول صدر عن مواطأة القلب اللسان على سبيل القطع ذكره الطيبي قال ابن أبي جمرة: فيه دليل على أن التزكية بالقطع ممنوعة أي إلا بنص لأنه حكم على الغيب وهو على البشر مستحيل. قال: وهذا لا ينافيه النهي عن مدح الرجل في وجهه لأن هذه شهادة وقعت على شيء وجد حساً، والفعل الحسي الذي ظهر دليل على الإيمان، وعلة النهي عن المدح في الوجه وهي خوف الاغترار والإعجاب في هذا معدومة لأنها شهادة بالأصل وهو الإيمان اهـ.

قال المناوي: ولا يخفى تكلفه. قال العراقي: أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه، والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد اهـ.

قلت: وأخرجه أيضاً أحمد، وابن خزيمة في صحيحه، وابن حبان، والبيهقي في السنن كلهم من حديث أبي سعيد. قال الترمذي: حسن غريب، وتصحيح الحاكم له تعقبه الذهبي بأن في سنده دراجاً وهو كثير المناكير، وقال مغلطاي في شرح ابن ماجه حديث ضعيف. وعند الترمذي والحاكم وغيرهما بعد الحديث زيادة فإن الله يقول: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ [التوبة: ١٨] **(وقال سعيد بن المسيب)** التابعي رحمه الله تعالى: **(من جلس في المسجد)** أي لعبادة أو ذكر **(فإنما يجالس ربه)** أي لأنه يناجيه في صلاته وذكره **(فما أحقه)** أي فما أجدره وأليقه **(أن لا يقول)** أي لا يتكلم **(إلا خيراً)** أي فيما يعنيه من تسبيح وتهليل واستغفار.

(ويروى في الأثر) عن بعض الأصحاب أو أتباعهم **(أو)** في **(الخبر)** مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: « **(الحديث)** أي التكلم بكلام الدنيا فأل فيه للعهد **(في المسجد يأكل الحسنات)** أي يذهبها **(كما تأكل البهائم الحشيش»)** أي النبات المحتش سواء كان أخضر أو يابساً. وفي نسخة «كما تأكل البهيمة» قال العراقي لم أقف له على أصل اهـ.

(وقال النخعي) هو إبراهيم بن يزيد فقيه الكوفة أو خاله الأسود بن يزيد الزاهد الفقيه: **(كانوا يرون أن المشي في الليلة المظلمة)** أي إلى المساجد **(موجب أي للجنة)** أي سبب

أسرج في المسجد سراجاً لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوء. وقال علي كرم الله وجهه: إذا مات العبد يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ: ﴿فما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ والأرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩]، وقال ابن عباس: تبكي عليه الأرض أربعين صباحاً. وقال عطاء

لدخولها والفوز بنعيمها. **(وقال أنس بن مالك)** رضي الله عنه: **(من أسرج في المسجد سراجاً)** أي أوقده. والسراج بالكسر المصباح وهو أعم من أن يكون بتعليق قنديل أو وضع مسرجة أو شمعة **(لم تزل الملائكة)** أي ملائكة الرحمة **(وحملة العرش)** تخصيص بعد تعميم **(يستغفرون له)** ويطلبون له الرحمة **(ما دام في ذلك المسجد ضوء)** أي نور لذلك السراج. وقد أخرج الرافعي في تاريخه من حديث معاذ بن جبل رفعه « من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة ومن علق فيه قنديلاً صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يطفأ ذلك القنديل ». **(وقال علي كرم الله وجهه)** ورضي عنه: **(إذا مات العبد)** أي المؤمن كما في رواية أخرى: إن المؤمن اذا مات **(يبكي عليه)** وفي رواية بكى عليه **(مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ)** وفي رواية ثم تلا: **(فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين)** [الدخان: ٢٩] أخرجه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت، وابن المبارك في الزهد والرقائق، وعبد بن حميد كلهم من طريق المسيب بن رافع عن علي وأخرج ابن المبارك، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عباد بن عبدالله قال: سأل رجل علياً هل تبكي السماء والارض على أحد؟ فقال: إنه ليس من عبد إلا له مصلى في الأرض ومصعد عمله في السماء وإن آل فرعون لم يكن لهم عمل صالح في الأرض ولا مصعد في السماء. **(وقال ابن عباس)** رضي الله عنه: **(تبكي عليه)** أي على المؤمن **(أربعين صباحاً)** أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة عنه. وأخرج أيضاً عن مجاهد قال: كان يقال إن الأرض تبكي على المؤمن أربعين صباحاً. وأخرج ابن أبي شيبة، والبيهقي في الشعب عن مجاهد قال: ما من ميت يموت إلا تبكي عليه الأرض أربعين صباحاً. وأخرج ابن المبارك، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، والحاكم وصلحه عن ابن عباس قال: إن الأرض لتبكي على المؤمن أربعين صباحاً ثم قرأ الآية. وفي بعض الروايات: العالم يدل المؤمن. أخرجه عبد بن حميد بسنده إلى مجاهد قال: إن العالم إذا مات بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً. وأخرج ابن جرير، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في الشعب عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية فقال: ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فإذا مات المؤمن فأغلق عليه بابه من السماء فقده فبكى عليه، وإذا فقده مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها ويذكر الله فيها بكت عليه. وأخرج عبد بن حميد، عن وهب بن منبه قال: إن الأرض لتحزن على العبد الصالح أربعين صباحاً. ويروى عن مجاهد أنه قيل له أتبكي الأرض على المؤمن؟ قال: ما تعجب وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود، وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي النحل؟ كذا أخرجه عبد بن حميد،

الخراساني: ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت. وقال أنس بن مالك: ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منتهاها من سبع أرضين، وما من عبد يقوم يصلي إلاَّ تزخرفت له الأرض. ويقال: ما من منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم.

وأبو الشيخ في العظمة. وأخرج عبد بن حميد عن معاوية بن قرة قال: إن البقعة التي يصلي عليها المؤمن تبكي عليه إذا مات ومحذاها من السماء ثم قرأ الآية. وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن عطاء قال: بكاء السماء حمرة أطرافها. وأخرج ابن أبي الدنيا عن الحسن قال: بكاء السماء حمرتها. وأخرج عن سفيان الثوري قال: كان يقال هذه الحمرة التي تكون في السماء بكاء السماء على المؤمن. **(وقال عطاء)** بن أبي مسلم **(الخراساني)** أبو أيوب، ويقال أبو عثمان، ويقال أبو محمد، ويقال أبو صالح البلخي نزيل الشام مولى المهلب بن أبن صفرة الازدي، واسم أبيه أبو مسلم عبدالله، ويقال ميسرة، روى عن ابن عباس، وعنه ابن جريج، وقال أبو داود: روايته عن ابن عباس مرسلة. توفي سنة خمس وثلاثين ومائة بأريحاء فحمل إلى بيت المقدس فدفن بها. روى له الجماعة: **(ما من عبد يسجد لله في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت)**. أخرجه ابن المبارك في الزهد، وابن أبي الدنيا في ذكر الموت. وقد روي مثله عن مولى لهذيل أخرجه لابن المبارك وأبو الشيخ عن ثور بن يزيد عنه. قال: ما من عبد يضع جبهته في بقعة من الأرض ساجداً لله عز وجل إلا شهدت له بها يوم القيامة وبكت يوم يموت. **(وقال أنس بن مالك)** رضي الله عنه: **(ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر إلاَّ افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل إلى منتهاها من سبع أرضين وما من عبد يقوم يصلي إلا تزخرفت له الأرض)** هذا قد ورد مرفوعاً من حديث أنس أخرجه ابن شاهين في كتاب الترغيب عن أنس، وفيه موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد الرقاشي وهما ضعيفان ولفظه «ما من بقعة يذكر الله تعالى فيها إلا استبشرت بذكر الله إلى منتهاها من سبع أرضين وفخرت على ما حولها من البقاع، وما من مؤمن يقوم بفلاة من الأرض إلا تزخرفت به الارض». وأخرج الطبراني في الكبير عن ابن عباس رفعه «ما من بقعة يذكر الله تعالى فيها إلا فخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت من منتهاها إلى سبع أرضين». **(ويقال: ما من منزل)** في الأرض **(ينزله قوم)** في أسفارهم **(إلا أصبح ذلك المنزل)** إما أن **(يصلي عليهم)** إن صلوا فيه وهللو أو سبحوا وكبروا **(أو يلعنهم)** إن عصوا الله تعالى.

الباب الثاني

في كيفية الأعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله:

ينبغي للمصلي إذا فرغ من الوضوء والطهارة من الخبث في البدن والمكان والثياب وستر العورة من السرة إلى الركبة أن ينتصب قائماً متوجهاً إلى القبلة ويراوح بين قدميه ولا يضمهما، فإن ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل. «وقد نهى ﷺ عن الصفن والصفد في الصلاة» والصفد هو اقتران القدمين معاً ومنه قوله تعالى: ﴿مُقَرَّنِينَ في

الباب الثاني

في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلاة

وهي هيئاتها وآدابها وشروطها، **(والبداءة بالتكبير وما قبله)**. ونشرح ذلك بأقصى ما انتهى إليه فهمنا وعلمنا على الوجه المرعي متتبعاً لسياق المصنف مع الإعراض عن نقل الأقوال في كل شيء من ذلك إذ في ذلك كثرة ويخرج عن حد الاختصار والايجاز المقصود. **(فينبغي للمصلي)** أي المريد للصلاة **(إذا فرغ من الوضوء والطهارة من الخبث)** بالوجه الذي تقدم ذكره **(في البدن والمكان والثياب وستر العورة من السرة إلى الركبة أن)** يجدد التوبة مع الله عند الفريضة عن كل ذنب فعله من الذنوب عامة وخاصة، فالعامة الكبائر والصغائر مما أومأ إليه الشرع ونطق به الكتاب والسنة، والخاصة ذنوب حال الشخص فكل عبد على قدر صفاء حاله له ذنوب تلازم حاله ويعرفها صاحبها ثم لا يصلي إلا جماعة لما تقدم فضله، ثم **(ينتصب قائماً)** حالة كونه **(متوجهاً إلى القبلة)** بظاهره والحضرة الالهية بباطنه **(ويراوح بين قدميه ولا يضمهما)** أي بين كعبيه في القيام، ولكن يجعل بين قدميه مقدار أربع أصابع هكذا قرره الاردبيلي في الأنوار، وأصل المراوحة في العملين أن يعمل هذا مرة وهذا مرة، ونقول: راوح بين رجليه أي قام على إحداهما مرة وعلى الأخرى مرة، **(فإن ذلك مما)** يستحب. قال بعضهم: وقد **(كان)** السلف يفتقدون الإمام إذا كبّر في ضم الاصابع، وإذا قام في تفرقة الاقدام ويقولون إنه مما **(يستدل به على فقه الرجل)** وفي القوت: نظر ابن مسعود إلى رجل قد ألصق كعبيه فقال: لو راوح بينهما كان أصاب السّنة. « **(وقد)** روي أنه **(نهى ﷺ عن الصفن والصفد في الصلاة »)** قال العراقي: عزاه رزين إلى الترمذي ولم أجده عنده ولا عند غيره، وإنما ذكره أصحاب الغريب كابن الأثير في النهاية. وروى سعيد بن منصور في سننه أن ابن مسعود رأى رجلاً صافاً أوصافناً قدميه فقال: أخطأ هذا السّنة اهـ.

(والصفد): بفتح فسكون **(هو اقتران القدمين معاً ومنه قوله تعالى: ﴿مقرنين في الاصفاد﴾)** [ابراهيم: ٤٩] واحدها صفد كذا في القوت، **(والصفن:**

الأصْفَادِ﴾ [ابراهيم: ٤٩] والصفن هو رفع إحدى الرجلين. ومنه قوله عز وجل: ﴿الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ﴾ [ص: ٣١] هذا ما يراعيه في رجليه عند القيام ويراعي في ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب، وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام وإن شاء أطرق والإطراق أقرب للخشوع وأغض للبصر، وليكن بصره محصوراً على مصلاه الذي يصلي عليه، فإن لم يكن له مصلى فليقرب من جدار الحائط أو ليخط خطاً، فإن ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره أن يجاوز أطراف المصلى وحدود الخط؟ وليدم على هذا القيام كذلك إلى الركوع من غير التفات. هذا أدب القيام فإذا استوى قيامه واستقباله وأطرافه كذلك فليقرأ: ﴿قلْ أعُوذُ بربِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] تحصناً به من الشيطان ثم ليأتِ بالإقامة

هو رفع إحدى الرجلين ومنه قوله تعالى: ﴿الصافنات الجياد﴾) [ص: ٣١] وقد صفن الفرس إذا عطف سنبكه. كذا في القوت: وفي المصباح: الصافن من الخيل القائم على ثلاث. وصفن يصفن من باب ضرب صفوناً، والصافن الذي يصف قدميه قائماً اهـ. وإذا كان الصفن منهياً عنه ففي زيادة الاعتماد على إحدى الرجلين دون الأخرى معنى من الصفن، فالأولى رعاية الاعتدال في الاعتماد على الرجلين جميعاً. **(وهذا ما يراعيه)** المصلي **(في رجليه عند القيام و)** كذا **(يراعي)** ذلك **(في ركبتيه ومعقد نطاقه الانتصاب)** من غير انحناء ولا اعوجاج، **(وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام)** وهو الغالب **(وإن شاء أطرق)** بأن يحنيه إلى صدره قليلاً **(والإطراق أقرب)** حالة **(للخشوع)** وجمعية الباطن **(وأغض للبصر)** عن الالتفات يمنة ويسرة. وفي الخلاصة: هو سنة. **(وليكن بصره محصوراً على مصلاه الذي يصلي عليه)** وعينه بعضهم بموضع السجدة منه نقله المتولي، **(فإن لم يكن له مصلى فليقرب من جدار الحائط)** إن كان في البنيان **(أو ليخط خطاً)** إن كان في الصحراء أو في صحن مسجد واسع، **(فإن ذلك يقصر مسافة البصر)** ويحصره فيه **(ويمنع تفرق الفكر)** وتشتته **(وليحجر)** أي ليمنع **(فيه على بصره أن يجاوز أطراف المصلى)** أو موضع السجدة **(وحدود الخط)** الذي خطه، **(وليدم على هذا القيام كذلك)** بالوصف المذكور **(إلى)** وقت **(الركوع من غير التفات)** يمنة ويسرة كأنه ناظر بجميع جسده إلى الأرض. **(هذا أدب القيام)** قبل الدخول في الصلاة وهذا خشوع سائر الأجزاء، ويكون الجسد بلون القلب من الخشوع، وأما بقية المنبهات فسيأتي في كلام المصنف قريباً، **(فإذا استوى قيامه واستقباله وأطرافه كذلك)** أي على الوصف الذي ذكر **(فليقرأ)** سورة **﴿قل أعوذ برب الناس﴾** إلى آخرها مع البسملة قبل دخوله في الصلاة فإنه مستحب **(تحصناً به من الشيطان)** فإنه جنة له منه، ويقول بعد ذلك ﴿ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين ★ وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨] **(ثم ليأت بالاقامة)** من غير أذان، **(وإن كان يرجو**

وإن كان يرجو حضور من يقتدي به فليؤذن أولاً، ثم ليحضر النية وهو أن ينوي في الظهر مثلاً ويقول بقلبه: أؤدي فريضة الظهر لله، ليميزها بقوله: أؤدي عن القضاء وبالفريضة عن النفل، وبالظهر عن العصر وغيره، ولتكن معاني هذه الألفاظ حاضرة في قلبه فإنه هو النية، والألفاظ مذكرات وأسباب لحضورها، ويجتهد

حضور من يقتدي به) في صلاته **(فليؤذن أولاً)** أذاناً معتدلاً بين رفع الصوت وخفضه، ويقدم السنن الراتبة ففي ذلك كما قال صاحب العوارف سر وحكمة، وذلك والله أعلم أن العبد يتشعث باطنه ويتفرق همه بما بلي به من المخالطة مع الناس وقيامه بمهام المعاش أو سهو جرى بوضع الجبلة أو صرف هم إلى أكل أو نوم بمقتضى العادة، فإذا قدم السّنة ينجذب باطنه إلى الصلاة ويتهيأ للمناجاة ويذيب بالسنة الراتبة أثر الغفلة والكدورة من الباطن، فينصلح الباطن ويصير مستعداً للفريضة، فالسنة مقدمة صالحة تستنزل البركات وتطرق للنفحات الإلهية، **(ثم)** بعد الفراغ من ذلك ينتصب قائماً كما وصف ويأتي بالاقامة **(ليحضر النية)** في قلبه **(وهو أن ينوي في الظهر مثلاً ويقول بقلبه)** متلفظاً بلسانه: **(أؤدي فريضة الظهر)** أو فرض الظهر **(لله)** ولا يحتاج إلى قوله: نويت بعد هذا، كما لا يشترط تعيين عدد الركعات ومنهم من يختار لفظ: نويت لزيادة التأكيد، ثم ان محله بعد قوله لله، ولو قال نويت أن أودي فرض الظهر لله جاز، وكذا إن قال أصلي بدل اؤدي إلا أن ما اختاره المصنف أولى **(ليميز بقوله أؤدي عن القضاء)** لأن الأداء ما كان في وقته وهو غير القضاء فلا بدّ من كلمة تميز بينهما، **(و)** يميز **(بالفريضة)** أو الفرض **(عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره)** من الصلوات. ولو سبق لسانه بالعصر وهو يصلي الظهر مثلاً فالعبرة بما في القلب، **(ولتكن معاني هذه الألفاظ)** الأربعة **(حاضرة في قلبه فإنه هو النية)** وهي معرفة معنى الأداء وكونه في وقته المأمور به وكون الذي يصليه هو مما افترض الله عليه وأنه هو الظهر مثلاً، وانه لله تعالى وحده من غير مشاركة لسواه **(والألفاظ)** إنما هي **(مذكرات)** ومنبهات **(واسباب)** جعلت **(لحضورها)** في القلب. وتحقيق هذا المقام ما أورده الرافعي في شرح الوجيز حيث قال: الصلاة قسمان: فرائض ونوافل.

أما الفرائض: فيعتبر فيها قصد أمرين بلا خلاف أحدهما: فعل الصلاة ليمتاز عن سائر الأفعال ولا يكفي إحضار نفس الصلاة بالبال مع الغفلة عن الفعل. الثاني: نفس الصلاة المأتي بها من ظهر وعصر وجمعة ليمتاز عن سائر الصلوات ولا تجزئه نية فريضة الوقت عن نية الظهر والعصر في أصح الوجهين، ولا يصح الظهر بنية الجمعة وفيه وجه ضعيف. وتصح الجمعة بنية الظهر المقصورة إن قلنا هي ظهر مقصورة وإن قلنا هي صلاة على حيالها لم يصح ولا بنية مطلق الظهر على التقديرين. واختلفوا في اعتبار أمور أخر سوى هذين الأمرين. منها التعرض للفريضة في اشتراطه على وجهين أداء كانت الفريضة أو قضاء أحدهما، وبه قال ابن أبي هريرة: لا يشترط. وأظهرهما عند الاكثرين يشترط، وبه قال أبو إسحاق: ومن صلى منفرداً ثم أعادها في

....

الجماعة، ولا يكون فرضاً فوجب التمييز. ومنها الإضافة إلى الله تعالى بأن يقول: لله أو فريضة الله فيه وجهان، أحدهما، وبه قال ابن القاص: يشترط لتحقيق معنى الإخلاص، وأصحهما عند الاكثرين لا يشترط لأن العبادة لا تكون إلا لله تعالى. ومنها التعرض لكون المأتي به أداء أو قضاء وفي اشتراطه وجهان. أحدهما: أنه يشترط ليمتاز كل واحدة منها عن الأخرى كما يشترط التعرض للظهر والعصر، والثاني: وهو الأصح عند الأكثرين أنه لا يشترط بل يصح الأداء بنية القضاء أو بالعكس، لأن القضاء والأداء كل واحد منها يستعمل بمعنى الآخر. وقولهم: يصح الأداء بنية القضاء أو بالعكس إما أن نعني به أن لا يتعرض في الأداء لحقيقته ولكن يجري في قلبه أو لسانه لفظ القضاء وكذلك في عكسه، أو نعني به أن يتعرض في الأداء لحقيقة القضاء. وفي القضاء لحقيقة الأداء أو شيئاً آخر، فلا بد من معرفته أوّلاً، وإن عنينا به الأول فلا ينبغي أن يقع نزاع في جوازه لأن الإعتبار في النية بما في الضمير ولا عبرة بالعبارات، وإن عنينا الثاني فلا ينبغي أن يقع نزاع في المنع لأن قصد الأداء مع العلم بخروج الوقت والقضاء مع العلم ببقاء الوقت هزو ولعب، فوجب أن لا تنعقد به الصلاة، كما لو نوى الظهر ثلاث ركعات أو خمساً هذا سياق الرافعي.

وقال النووي قلت: مراد الأصحاب بقولهم: يصح الاداء بنية القضاء أو عكسه من نوى ذلك جاهل الوقت لغيم ونحوه، وإلا لزام الذي ذكره الرافعي حكمه صحيح، ولكن ليس هو مرادهم. والله أعلم اهـ.

ثم قال الرافعي: ومنها التعرض لاستقبال القبلة شرطه بعض أصحابنا واستبعده الجمهور، لأنه اما شرط أو ركن، وليس على الناوي تعرض لتفاصيل الأركان والشرائط. ومنها: التعرض لعدد الركعات شرطه بعضهم والصحيح خلافه لأن الظهر إذا لم يكن قصراً لا يكون إلا اربعاً.

القسم الثاني: النوافل وهي ضربان.

احدهما: النوافل المتعلقة بسبب أو وقت فيشترط فيها أيضاً نية فعل الصلاة والتعيين فينوي سنّة الاستسقاء والخسوف وسنّة عيد الفطر والتراويح والضحى وغيرها، ولا بدّ من التعيين في ركعتي الفجر بالإضافة، وفيما عداها يكفي نية أصل الصلاة إلحاقاً لركعتي الفجر بالفرائض لتأكيدها وإلحاقاً لسائر الرواتب بالنوافل المطلقة. وفي الوتر ينوي سنّة الوتر ولا يضيفها إلى العشاء فإنها مستقلة بنفسها، وإذا زاد على واحدة ينوي بالجميع الوتر كما ينوي في جميع ركعات التراويح. وحكى الروياني وجوهاً أخر يشبه أن تكون في الأولوية دون الاشتراط، وهل يشترط التعرض للنفلية في هذا الضرب؟ اختلف كلام الناقلين فيه وهو قريب من الخلاف في اشتراط التعرض للفرضية في الفرائض، والخلاف للتعرض في القضاء أو الاداء والإضافة إلى الله يعود ههنا.

الضرب الثاني: النوافل المطلقة فيكفي فيها نية فعل الصلاة لأنها أدنى درجات الصلاة، فإذا قصد الصلاة وجب أن يحصل له، ولم يذكروا ههنا خلافاً في التعرض للنفلية، ويمكن أن يقال:

....

اشتراط قصد الفريضة لتمتاز الفرائض عن غيرها اشتراط للتعرض للنفلية ههنا، بل التعرض لخاصيتها وهي الاطلاق والانفكاك عن الاسباب والأوقات كالتعرض لخاصية الضرب الأول من النوافل.

وقال النووي قلت: الصواب الجزم بعدم اشتراط النفلية في الضربين ولا وجه للاشتراط في الأول والله أعلم.

ثم قال الرافعي: ثم النية في جميع العبادات معتبرة بالقلب فلا يكفي النطق مع غفلة القلب ولا يضر عدم النطق بخلاف ما في القلب، كما إذا قصد الظهر وسبق لسانه إلى العصر. وحكى صاحب الإفصاح وغيره عن بعض أصحابنا أنه لا بدّ من التلفظ باللسان، لأن الشافعي رضي الله عنه قال: الحاج لا يلزمه إذا أحرم ونوى بقلبه أن يذكره بلسانه فليس كالصلاة التي لا تصح إلا بالنطق. قال الجمهور: لم يرد الشافعي اعتباراً للفظ بالنية فإنما أراد التكبير، فإن الصلاة إنما تنعقد بلفظ التكبير، وفي الحج يصير محرماً من غير لفظ وإذا سمعت ما تلوت عليك فينبغي أن تفهم أن قول المصنف أؤدي فريضة الظهر بعد قوله أن ينوي الظهر مثلاً أراد به شيئين. أحدهما: أصل الفعل وهذا لا بدّ منه، والثاني: الوصف القابل للقضاء وهو الوقوع في الوقت، وهذا فيه خلاف بين الأصحاب كما تقدم في تقرير الرافعي. وما ذكره المصنف هو على وجه اشتراط نية الأداء في الاداء وفيه وجه تقدم آنفاً، وقوله: ويقول بقلبه فيه أيضاً وجه تقدم آنفاً. وقال ابن هبيرة: ومحل النية القلب وصفة الكمال أن ينطق بلسانه بما نواه في قلبه ليكونا في وطاء وقوام قيل: إلا مالكاً فإنه كره النطق باللسان فيما فرضه النية واختلفوا على أنه لو اقتصر على النية بقلبه أجزأه بخلاف ما لو نطق بلسانه دون أن ينوي بقلبه.

فصل

نذكر فيه ما لأصحابنا مشايخ الحنفية من الكلام، فمنه ما يوافق مذهب الشافعي، ومنه ما يخالف. قالوا: النية قصد كون الفعل لما شرع له، والعبادات إنما شرعت لنيل رضا الله سبحانه، ولا يكون ذلك إلا بإخلاصها له، فالنية في العبادات قصد كون الفعل لله تعالى ليس غير، فالمصلي إذا كان متنفلاً يكفيه مطلق نية الصلاة ولا يشترط تعيين ذلك الفعل، ولكن في التراويح اختلفوا قالوا: الأصح أنه لا يجوز بمطلق النية، وكذا في السنن الرواتب لأنها صلاة مخصوصة فيجب مراعاة الصفة للخروج عن العهدة، وذلك بأن ينوي السنّة أو ينوي متابعة النبي ﷺ كما في المكتوبة. وذكر المتأخرون أن التراويح وسائر السنن تتأدى بمطلق النية وهو اختيار صاحب الهداية ومن تابعه، والاحتياط في نية التراويح أن ينوي التراويح نفسها أو ينوي سنّة الوقت. فإنها هي السنة في ذلك الوقت، أو ينوي قيام الليل. والاحتياط للخروج من الخلاف أن ينوي السنّة نفسها أو ينوي الصلاة متابعة للنبي ﷺ ويشترط في الوتر والجمعة والعيد التعيين ولا يكفي مطلق نية الصلاة. وكذا جميع الفرائض والواجبات من المنذور وقضاء ما لزم بالشروع والمفترض

أن يستديم ذلك إلى آخر التكبير حتى لا يعزب، فإذا حضر في قلبه ذلك فليرفع يديه

والمنفرد، ولا يكفيه نية مطلق الفرض ما لم يقل الظهر أو العصر، فإن نوى فرض الوقت ولم يعين ولم يكن الوقت قد خرج أجزأه ذلك، ولو كان عليه فائتة لأن الفائتة لا تزاحم الوقتية في هذه التسمية إلا في الجمعة، فإنه لو نوى فرض الوقت لا تصح الجمعة لأن فرض الوقت عندنا الظهر لا الجمعة، ولكن قد أمر بالجمعة لإسقاط الظهر، ولذا لو صلّى الظهر قبل أن تفوته الجمعة صحت عندنا خلافاً لزفر والائمة الثلاثة، وإن حرم عليه الاقتصار عليها. ولا تشترط اعداد الركعات إجماعاً لعدم الاحتياج إليها لكون العد متعيناً بتعيين الصلاة. ولو نوى الفرض والتطوّع معاً جاز ما صلاّه بتلك النية عن الفرض عند أبي يوسف لقوّة الفرض فلا يزاحمه الضعيف خلافاً لمحمد، لأن الصلاة الواحدة لا تتصف بالوصفين لتنافيهما ولا بأحدهما لعدم تعيينه فيبطل أصل الصلاة، ولا يحتاج الإمام في صحة الاقتداء به إلى نية الإمامة إلاّ في حق النساء خلافاً لزفر. وأما المقتدي فينوي الاقتداء بالإمام وهل يشترط تعيين الصلاة؟ فيه وجهان. الأصح نعم. وإن نوى صلاة الإمام ولم ينو الاقتداء لا يجزئه واختلاف الفرضين يمنع الاقتداء، وإن نوى صلاة الجمعة ولم ينو الاقتداء جاز عند البعض وهو المختار، وإن كان الرجل شاكاً في بقاء وقت الظهر مثلاً فنوى ظهر الوقت فإذا الوقت كان قد خرج يجوز بناء على أن فعل القضاء بنية الأداء وبالعكس يجوز، وهو المختار. والمستحب في النية أن يقصد بالقلب ويتكلم باللسان ويحسن ذلك لاجتماع عزيمته، فإذا ذكر بلسانه كان عوناً على تجمعه. ونقل ابن الهمام عن بعض الحفاظ أنه قال: لم يثبت عن رسول الله ﷺ بطريق صحيح ولا ضعيف أنه كان يقول عند الافتتاح أصلي كذا، ولا عن أحد من الصحابة والتابعين، بل المنقول أنه كان ﷺ إذا قام إلى الصلاة كبّر وهذه بدعة اهـ.

ولكن ذكر نجم الزاهدي في القنية: من عجز عن إحضار القلب في النية يكفيه اللسان لأن التكليف بقدر الوسع ﴿لا يُكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦] ولو نوى بالقلب ولم يتكلم جاز بلا خلاف. وفي الكفاية عن شرح الطحاوي: الأفضل أن يشتغل قلبه بالنية ولسانه بالذكر يعني التكبير ويده بالرفع اهـ. أي لأنه سيرة السلف، ولأن في ذلك مشقة وأفضل الأعمال احمزها أي أشقها، فالحاصل أن حضور النية في القلب من غير احتياج إلى اللسان أفضل وأحسن وحضورهما بالتكلم باللسان إذا تعسر بدونه حسن والاكتفاء بمجرد التكلم من غير حضورها رخصة عند الضرورة وعدم القدرة على استحضارها، والله أعلم.

ثم قال المصنف: (**ويجتهد**) بقدر وسعه (**أن يستديم ذلك**) أي الاستحضار المذكور (**إلى آخر التكبير حتى لا يعزب**) أي لا يغيب عنه. وقال العراقي في شرح البهجة: يجب مقارنة النية لكل التكبير بأن يأتي بها عند أوله ويستمر ذاكراً لها إلى آخره كذا صحح الرافعي هنا وصحح في الطلاق الاكتفاء بأوله، واختار في شرح المهذب تبعاً للإمام وللغزالي الاكتفاء بالمقارنة العرفية عند العوام بحيث يعد مستحضراً للصلاة، (**فإذا حضر في قلبه ذلك فليرفع**

إلى حذو منكبيه بحيث يحاذي بكفيه منكبيه وبإبهاميه شحمتي أذنيه وبرؤوس أصابعه رؤوس أذنيه، ليكون جامعاً بين الأخبار الواردة فيه، ويكون مقبلاً بكفيه وإبهاميه إلى

يديه إلى حذو منكبيه) أي قبالها **(بحيث يحاذي)** أي يقابل **(بكفيه ومنكبيه و) يحاذي (بابهاميه شحمة أذنيه وبرؤوس أصابعه رؤوس أذنيه ليكون جامعاً بين الاخبار الواردة فيه)**. وعبارة القوت: وصورة الرفع أن يكون كفاه مع منكبيه وإبهامه عند شحمة أذنيه وأطراف أصابعه مع فروع أذنيه، فيكون بهذا الوصف مواطئاً للأخبار الثلاثة المروية عن النبي ﷺ: أنه كان يرفع يديه إلى منكبيه، وأنه كان يرفعها إلى شحمة أذنيه، وأنه رفع يديه إلى فروع أذنيه يعني أعاليها اهـ.

وقال الرافعي في شرح الوجيز: وحكي في بعض نسخ الكتاب في قدر الرفع ثلاثة أقوال. أحدها: أنه يرفع يديه إلى حذو منكبيه، والثاني: أن يرفعها إلى أن يحاذي رؤوس اصابعه أذنيه، والثالث: أن يحاذي رؤوس أصابعه أذنيه وابهاماه شحمة أذنيه وكفاه منكبيه، وليس في بعض النسخ إلا ذكر القول الأول والثاني وأغرب فيما نقله بشيئين: أحدهما: أن المراد من القول الأول وهو الرفع إلى حـذو المنكبين أن لا يجاوز أصابعه منكبيه. هكذا قد صرح به إمام الحرمين، وقوله في حكاية القول الثاني إلى أن يحاذي رؤوس أصابعه أذنيه كأنه يريد شحمة أذنيه وأسافلها، وإلاَّ فلو حاذت رؤوس أصابعه أعلى الاذنين حصلت الهيئة المذكورة في القول الثالث وارتفع الفرق، والثاني أنه كالمنفرد بنقل الأقوال الثلاثة في المسألة وبنقل القولين الأولين لأن معظم الأصحاب لم يذكروا فيـه اختـلاف قول، بل اقتصر بعضهم على ما ذكره في المختصر أنه يرفع يديه إذا كبّر حذو منكبيه، واقتصر الآخرون على الكيفية المذكورة في القول الثالث، وبعضهم جعلها تفسيراً لكلامه في المختصر، وللشـافعـي فيهـا حكـايـة مشهـورة مـع أبي ثـور والكرابيسي حين قدم بغداد، ولم أر حكاية الخلاف في المسألة إلا للقاضي ابن كج وإمام الحرمين، لكنهما لم يذكرا إلا القول الأوّل والثالث، وكلامه في الوسط لا يصرح بها، وكيفما كان فظاهر المذهب الكيفية المذكورة في القول الثالث، وأما أبو حنيفة فالذي رواه الطحاوي والكرخي أنه يرفع يديه حذو أذنيه. وقال أبو جعفر القدوري: يرفع بحيث يحاذي إبهاماه شحمة أذنيه، وهذا مخالف للقول الأول. وذكر بعض أصحابنا منهم صاحب التهذيب أن مذهبه رفع اليدين بحيث يحاذي الكفان الاذنين وهذا يخالف القول الثاني اهـ.

وقول المصنف ليكون جامعاً بين الأخبار الواردة فيه يشير إلى حديث ابن عمر، ووائل بن حجر، وأنس بن مالك رضي الله عنهم هكذا على الترتيب في الاقوال الثلاثة. فحديث ابن عمر متفق عليه بلفظ: «كان رسول الله ﷺ يرفع يديه حذو منكبيه إذا افتتح الصلاة وإذا كبَّر للركوع وإذا رفع رأسه من الركوع رفعها كذلك فقال سمع الله لمن حمده» زاد البيهقي: «فما زالت تلك صلاته حتى لقي الله». وفي رواية للبخاري «ولا يفعل ذلك حين يسجد ولا حين يرفع رأسه من السجدة» قال ابن المديني في حديث الزهري، عن سالم، عن أبيه هذا الحديـث عندي حجة على الخلق كل من سمعه فعليه أن يعمل به لأنه ليس في الاسناد شيء.

القبلة ويبسط الأصابع ولا يقبضها، ولا يتكلف فيها تفريجاً ولا ضماً بل يتركها على مقتضى طبعها، إذ نقل في الأثر النشر والضم، وهذا بينهما فهو أولى، وإذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدأ التكبير مع إرسالهما وإحضار النية، ثم يضع اليدين على ما فوق

وأما حديث وائل بن حجر «أنه ﷺ لما كبّر رفع يديه حذو منكبيه» رواه الشافعي، وأحمد من رواية عاصم بن كليب، عن أبيه، عن وائل به. ورواه أبو داود، والنسائي، وابن حبان من حديث وائل أيضاً ولفظه: «أنه ﷺ رفع يديه إلى شحمة أذنيه» وللنسائي «حتى كاد ابهاماه يحاذيان شحمة أذنيه» وفي رواية لأبي داود «وحاذى إبهاماه شحمة أذنيه».

وأما حديث أنس فلفظه «رأيت رسول الله ﷺ كبّر فحاذى بابهاميه أذنيه ثم ركع حتى استقر كل مفصل منه» رواه الحاكم في المستدرك، والدارقطني من طريق عاصم الأحول عنه، ومن طريق حميد عن أنس «كان إذا افتتح الصلاة كبَّر ثم يرفع يديه حتى يحاذي بابهاميه أذنيه».

ثم قال المصنف: **(ويكون مقبلاً بكفيه إلى القبلة)**. قال النووي في الروضة: يستحب أن يكون كفه إلى القبلة عند الرفع قاله في التتمة، ويستحب لكل مصل قائم أو قاعد مفترض أو متنفل إمام أو مأموم اهـ. **(ويبسط الأصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجاً ولا ضماً بل يتركها على مقتضى طبعها إذ نقل في الأثر النشر والضم، وهذا بينهما فهو أولى)**. قال العراقي: ونقل ضمها الترمذي وقال خطأ. وابن خزيمة من حديث أبي هريرة، وللبيهقي لم يفرج بين أصابعه ولم يضمها ولم أجد التصريح بضم الأصابع أهـ. وفي القوت: وقد رأيت بعض العلماء يفرق بين أصابعه في التكبير وينادى إن ذلك معنى الخبر «أنه ﷺ كان إذا كبَّر ينشر أصابعه نشراً» يريد به التفرق وقد يسمى التفرقة بثاً ونشراً لأن حقيقة النشر البسط، وقد قال الله تعالى: ﴿وزرابيُّ مبثوثة﴾ [الغاشية: ١٦] فهذا هو التفرقة. وقال في معنى البث: ﴿كالفراشِ المبثُوث﴾ [القارعة: ٤] ثم قال في مثله: ﴿كأنهم جرادٌ منتشرٌ﴾ [القمر: ٧] فإذا كان النشر مثل البث وكان البث هو التفرقة كان قوله نشر بمعنى فرق إلا أن إسحاق بن راهويه سئل عن معنى قوله: نشر أصابعه في الصلاة نشراً قال هو فتحها وضمها. أريد بذلك أن يعلم أنه لم يكن يقبض كفه. وهذا وجه حسن لأن النشر ضد الطي في المعنى والقبض طي، وثلاثة من العلماء رأيتهم يفرقون أصابعهم في التكبير منهم أبو الحسن صاحب الصلاة في المسجد الحرام وكان فقيهاً، وثلاثة رأيتهم يضمون أصابعهم منهم الحسن بن سالم وأبو بكر الآجري، وأحسب أن أبا يزيد الفقيه كان يفرق في أكبر ظني إذا تذكرت تكبيره اهـ.

وفي العوارف: ويضم الأصابع وإن نشرها جاز والضم أولى، فإنه قيل: النشر نشر الكف لا نشر الأصابع. **(وإذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدأ التكبير)** أي شرع في إتيانه **(مع إرسالهما)** أي اليدين **(وإحضار النية)** وفي العوارف: ولا يبتدىء بالتكبير إلا إذا استقرت اليدان حذو المنكبين ويرسلهما مع التكبير من غير نقص، فالوقار إذا سكن القلب تشكلت به الجوارح

السرة وتحت الصدر، ويضع اليمنى على اليسرى إكراماً لليمنى بأن تكون محمولة، وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالإبهام والخنصر والبنصر على كوع اليسرى، وقد روي أن التكبير مع رفع اليدين ومع استقرارهما ومع

وتأيدت بالأولى والأصوب، ويجمع بين نية الصلاة والتكبير بحيث لا يغيب عن قلبه حالة التكبير أنه يصلي الصلاة بعينها، ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر، وبه قال أحمد في إحدى الروايتين. وقال أبو حنيفة: يجعلها تحت السرة وهو رواية أيضاً عن أحمد، ويحكى عن أبي إسحاق المروزي قال الرافعي لنا: ما روي عن علي رضي الله عنه أنه فسر قوله تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾ [الكوثر: ٢] بوضع اليمنى على الشمال تحت النحر. قال ابن الملقن: رواه الدارقطني والبيهقي والحاكم وقال: إنه أحسن ما يروى في تأويل الآية. قال ابن الملقن، قلت: على علاته، ثم قال الرافعي: ويروى أن جبريل كذلك فسره للنبي ﷺ. قال ابن الملقن: رواه البيهقي والحاكم بإسناد واه. وقال صاحب القوت بعد أن أورد حديث علي وهذا موضع علم علي رضي الله عنه ولطيف معرفته، لأن تحت الصدر عرقاً يقال له الناحر لا يعلمه إلا العلماء فاشتق قوله تعالى: ﴿وانحر﴾ من لفظ الناحر وهو هذا العرق، كما يقال: دمغ أي أصاب الدماغ ولم يحمله نحر البدن لأنه ذكر في الصلاة، ومن الناس من يظن أن اشتقاقه من النحر والنحر تحت الحلقوم عند ملتقى التراقي، واليد لا توضع هناك. ولكن من فسره على معنى وانحر القبلة بنحرك أي استقبلها بنحرك فاشتقاقه حينئذ من النحر اهـ.

ودليل أبي حنيفة ما رواه أحمد والدارقطني والبيهقي عن علي رضي الله عنه أنه قال: السنة وضع الكف على الكف تحت السرة والصحابي إذا قال: السنة تحمل على سنة النبي ﷺ، (و) يستحب أن (**يضع اليمنى على اليسرى إكراماً لليمنى**) لشرفها (**بأن تكون محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالابهام والخنصر والبنصر على كوع اليسرى**) خلافاً لمالك في إحدى الروايتين حيث قال: ثم يرسلها. قال الرافعي لنا ما روي أنه ﷺ قال: ثلاث من سنن المرسلين: تعجيل الفطر، وتأخير السحور، ووضع اليمنى على اليسرى في الصلاة. قال ابن الملقن: رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عباس، قال تلميذه الحافظ. وكذا الطبراني في الأوسط كلاهما من رواية ابن وهب عن عمرو بن الحرث أنه سمع عطاء يحدث عن ابن عباس، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نؤخر سحورنا ونعجل فطرنا وأن نمسك بإيماننا على شمائلنا في صلاتنا» وله شاهد من حديث ابن عمر رواه العقيلي وضعفه، ومن حديث حذيفة أخرجه الدارقطني في الافراد، وفي مصنف ابن أبي شيبة من حديث أبي الدرداء موقوفاً «من أخلاق النبيين وضع اليمين على الشمال في الصلاة» اهـ.

وقال المزجد في التجريد، قال في الأم: القصد من وضع اليمين على اليسار تسكين يديه فإن أرسلها ولم يعبث فلا بأس. حكاه ابن الصباغ، وكذا المتولي بعد أن قال ظاهر المذهب كراهة إرسالها اهـ.

....

قال الرافعي: والمستحب أن يقبض بكفه اليمنى كوعه اليسرى وبعض الكرسوع والساعد خلافاً لأبي حنيفة حيث قال: يضع كفه اليمنى على موضع كفه اليسرى من غير أخذ. كذلك رواه أصحابنا. قلت: هذا الذي ذكره الرافعي هو المذكور في النهاية وغيره من كتب المذهب وزادوا ويلحق الخنصر والإبهام على الرسغ. وروي عن أبي يوسف يقبض باليمنى رسغ اليسرى، وقال محمد: يضع الرسغ وسط الكف، وفي المفيد يأخذ الرسغ بالخنصر والإبهام وهو المختار. كذا في شرح النقاية.

قال الرافعي لنا: ما روي عن وائل بن حجر أنه ﷺ كبر ثم أخذ شماله بيمينه. قلت: رواه أبو داود وصححه ابن حبان، ثم قال الرافعي: ويروى عنه ثم وضع يده اليمنى على ظهر كفه اليسرى والرسغ والساعد. قلت: رواه أبو داود وصححه ابن حبان ورواه الطبراني بلفظ: «وضع يده اليمنى على يده اليسرى في الصلاة قريباً من الرسغ» ثم قال الرافعي ويتخير بين بسط أصابع اليمنى في عرض المفصل وبين نشرها في صوب الساعد ذكره القفال لأن القبض باليمنى على اليسرى حاصل في الحالتين.

وقد أورد الشهاب السهروردي في العوارف وجهاً لطيفاً لمعنى وضع اليمنى على الشمال في الصلاة قال: وفي ذلك سر خفي يكاشف به من وراء استار الغيب، وذلك ان الله تعالى بلطيف حكمته خلق الآدمي وشرفه جعله محل نظره ومورد وحيه ونخبة ما في أرضه وسمائه روحانياً جسمانياً سماوياً منتصب القامة مرتفع الهيئة، فنصفه الأعلى من حد الفؤاد مستودع أسرار السموات، ونصفه الأسفل مستودع أسرار الأرض، فمحل نفسه ومركزها النصف الأسفل ومحل روحه الروحاني والقلب ومركزهما النصف الأعلى، فجواذب الروح مع جواذب النفس يتطاردان ويتجاذبان وباعتبار تطاردهما وتجاذبهما وتقالبهم لمة الملك ولمة الشيطان، ووقت الصلاة يكثر التطارد لوجود التجاذب بين الإيمان والطبع فيكاشف المصلي الذي صار قلبه سماوياً متردداً بين الفناء والبقاء بجواذب النفس متصاعدة من مركزها وللجوارح وتصرفها وحركتها مع معاني الباطن ارتباط وموازنة، فبوضع اليمين على الشمال حصر النفس ومنع من صعود جواذبها، وأثر ذلك يظهر بدفع الوسوسة وزوال حديث النفس في الصلاة، ثم إذا استولت جواذب الروح وتملكت من القرن إلى القدم عند كمال الإنس، وتحقق قرة العين واستيلاء سلطان المشاهدة تصير النفس مقهورة ذليلة ويستنير مركزها بنور الروح فتنقطع حينئذ جواذب النفس، وعلى قدر استنارة مركز النفس يزول كل العبادة ويستغني حينئذ عن مقاومة النفس ومنع جواذبها بوضع اليمين على الشمال فيسبل حينئذ، ولعل ذلك والله أعلم ما نقل عن رسول الله ﷺ أنه صلى مسبلاً وهو مذهب مالك اهـ.

(وقد روي أن التكبير مع رفع اليدين) هذا شروع في بيان وقت الرفع وفيه وجوه.

الإرسال فكل ذلك لا حرج فيه وأراه بالإرسال أليق، فإنه كلمة العقد، ووضع إحدى اليدين على الأخرى في صورة العقد ومبدؤه الإرسال وآخره الوضع. ومبدأ التكبير الألف وآخره الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد، وأما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغي أن يدفع يديه إلى قدام دفعاً عند التكبير ولا يردهما إلى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضاً إذا فرغ من التكبير ويرسلهما

أحدها: هو ما أشار إليه بقوله المذكور، ومراده أن يبتدىء الرفع مع ابتداء التكبير. رواه البخاري من حديث ابن عمر: كان إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حين يكبر وقد تقدم ذكره قريباً، ولأبي داود من حديث وائل بن حجر يرفع يديه مع التكبير، **(و)** روي أيضاً **(مع استقرارها)** قال العراقي: أي مرفوعتين رواه مسلم من حديث ابن عمر: كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم كبر. زاد أبو داود: وهما كذلك. وقال الرافعي في تقرير هذا القول: أن يرفع غير مكبر ثم يكبر ويداه قارتان ثم يرسلهما فيكون التكبير بين الرفع والإرسال، ويروى ذلك عن ابن عمر مرفوعاً. **(و)** روي أيضاً ابتداؤه **(مع)** ابتداء **(الإرسال)** وانتهاؤه مع انتهائه، رواه أبو داود من حديث أبي حميد الساعدي: كان إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، ثم كبر حتى يقر كل عظم في موضعه معتدلاً. قال ابن الصلاح في مشكل الوسيط: فكلمة «حتى» التي هي للغاية تدل بالمعنى على ما ذكره أي من ابتداء التكبير مع الإرسال، فهذه ثلاثة أقوال ذكرها المصنف. ونقل الرافعي عن التهذيب أن الأصح هو الرفع مع الاستقرار، لكن الأكثر على ترجيح القول المنسوب إلى وائل بن حجر. قال: ثم اختلفوا في انتهائه فمنهم من قال: يجعل إنها الرفع والتكبير معاً كما يجعل ابتداؤهما معاً، ومنهم من قال: يجعل انهاء التكبير والإرسال معاً. وقال الأكثرون: لا استحباب في طرق الانتهاء فإن فرغ من التكبير قبل تمام الرفع أو بالعكس أتم الثاني، وإن فرغ منهما حط يديه وإن لم يستدم الرفع، ولو ترك رفع اليدين حتى أتى ببعض التكبير رفعهما في الباقي وإن أتمه لم يرفع بعد ذلك. ثم قال المصنف: **(فكل ذلك لا حرج فيه)** ولا منع منه **(وأراه)** أي التكبير **(مع الاسترسال أليق)** وهو اختيار المصنف تبعاً لصاحب القوت، واختاره أيضاً صاحب العوارف، ثم ذكر المصنف له وجهاً خفياً فقال: **(فإنه)** أي التكبير **(كلمة العقد)** أي يعقد قلبه على معناها من إثبات الكبرياء والجلال والعظمة لله تعالى، **(ووضع إحدى اليدين على الأخرى في صورة العقد ومبدؤه الإرسال وآخره الوضع. ومبدأ التكبير الألف)** من الجلالة **(وآخره الراء)** من أكبر **(فيليق مراعاة التطابق)** أي التوافق **(بين الفعل)** الذي هو وضع اليد **(والعقد)** الذي هو قوله الله أكبر، **(وأما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغي أن يدفع يديه إلى قدام دفعاً)** أي **(عند التكبير ولا يردهما إلى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضاً إذا فرغ من التكبير)** ولكن يلصق كفيه بمنكبيه وتكون أصابعه تلقاء أذنيه ثم يكبر **(ويرسلهما إرسالاً خفيفاً رفيقاً)** ويكون إرساله يديه مع آخر التكبير، **(ويستأنف وضع**

إرسالاً خفيفاً رفيقاً ويستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الإرسال. وفي بعض الروايات: «أنه ﷺ كان إذا كبَّر أرسل يديه وإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى» فإن صح هذا فهو أولى مما ذكرناه. وأما التكبير، فينبغي أن يضم الهاء من قوله «الله» ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الهاء والألف شبه الواو، وذلك ينساق إليه بالمبالغة، ولا يدخل بين باء أكبر ورائه ألفاً كأنه يقول: «أكبار» ويجزم راء التكبير ولا يضمها، فهذه هيئة التكبير وما معه.

اليمين على الشمال بعد الإرسال) هكذا هو في القوت. وقال الرافعي: ولك أن تبحث عن لفظ الإرسال الذي أطلقه فتقول. كيف يفعل المصلي بعد رفع اليدين عند التكبير أيدلي يديه ثم يضمهما إلى الصدر، أم يجمعها ويضمها إلى الصدر من غير أن يدليهما؟ والجواب: أن المصنف ذكر في الإحياء أنه لا ينفض يديه يميناً وشمالاً إذا فرغ من التكبير، ولكن يرسلهما إرسالاً خفيفاً رفيقاً، ثم يستأنف وضع اليمين على الشمال. وقال النووي في الروضة. قلت: الأصح ما في الإحياء والله أعلم.

(وفي بعض الروايات «أنه ﷺ كان إذا كبر أرسل يديه وإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى») هكذا أورده صاحب القوت فقال: وروينا عن رسول الله ﷺ: «أنه كان إذا كبر» الحديث **(فإن صح هذا فهو أولى مما ذكرناه)** قال الرافعي: وهذا ظاهر في أنه يدلي اليد إلى الصدر. قال صاحب التهذيب وغيره: المصلي بعد الفراغ من التكبير يجمع بين يديه وهذا يشعر بالاحتمال الثاني انتهى. والحديث المذكور أخرجه الطبراني في المعجم الكبير من حديث معاذ بن جبل «أن رسول الله ﷺ كان إذا كان في صلاة رفع يديه حيال أذنيه فإذا كبر أرسلهما ثم سكت وربما رأيته يضع يمينه على يساره» الحديث. قال الحافظ تبعاً لشيخه ابن الملقن: سنده ضعيف فيه الخصيب بن جحدر كذبه شعبة والقطان.

تنبيه:

قال الحافظ نقلاً عن الغزالي: سمعت بعض المحدثين يقول: هذا الخبر إنما ورد بأنه يرسل يديه إلى صدره لا أنه يرسلهما ثم يستأنف رفعهما إلى الصدر. حكاه ابن الصلاح في مشكل الوسيط.

ثم شرع المصنف في بيان ما يندب في التكبير فقال: **(وأما التكبير)** أي لفظه **(فينبغي أن يضم الهاء من)** لفظ **(الله ضمة خفيفة من غير مبالغة)** فيه **(ولا يدخل بين الهاء والألف شبه الواو وذلك ينساق إليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء)** لفظ **(أكبر ورائه ألفاً)** بالمبالغة فيه حتى **(يقول اكبار)** أي: فإنه اسم شيطان كما ذكره بعض، **(ويجزم التكبير ولا يضمه)** وعبارة القوت: ولفظ التكبير أن يضم الهاء من الإسم بتخفيف الضمة من غير بلوغ واو ويهمز

الألف من أكبر ولا يدخل بين الباء والراء ألفاً ويجزم الراء لا يجوز غير هذا فيقول الله أكبر اهـ.

وفي العوارف: ويكبر ولا يدخل بين باء أكبر ورائه ألفاً، ويجزم الأكبر ويجعل المد في الله ولا يبالغ في ضم الهاء من الله انتهى. وقال الرافعي: ومن مندوبات التكبير أن لا يقصره بحيث لا يفهم ولا يمططه وهو أن يبالغ في مده، بل يأتي به بيناً، والأولى فيه الحذف لما روي أنه ﷺ قال: «التكبير جزم والتسليم جزم» أي لا يمد وفيه وجه أنه يستحب فيه والأول هو ظاهر المذهب بخلاف التكبيرات للانتقالات، فإنه لو حذفها لخلا باقي انتقالاته عن الذكر إلى أن يصل إلى الركن الثاني. وههنا الإذكار مشروعة على الاتصال اهـ.

(فهذه هيئة التكبير وما معه) بقي أن قول المصنف: ويجزم راء التكبير ولا يضمه ظاهره أن المراد به الجزم الذي هو من اصطلاح أهل العربية بدليل قوله ولا يضمه. وقد ذكر الحافظان العراقي وابن الملقن وتلميذهما الحافظ ابن حجر ثم تلميذه الحافظ السخاوي: أن هذا أي قولهم التكبير جزم لا أصل له في المرفوع، وإنما هو من قول إبراهيم النخعي حكاه الترمذي في جامعه عنه عقب حديث حذف السلام سنة فقال ما نصه: وروي عن إبراهيم النخعي أنه قال: التكبير جزم والتسليم جزم، ومن جهته رواه سعيد بن منصور في سننه بزيادة، والقراءة جزم، والأذان جزم وفي لفظ عنه: كانوا يجزمون التكبير. قال السخاوي: واختلف في لفظه ومعناه. قال الهروي في الغريبين: عوام الناس يضمون الراء من الله أكبر. وقال أبو العباس المبرد: الله أكبر الله أكبر ويحتج بأن الأذان سمع موقوفاً غير معرب في مقاطعه، وكذا قال ابن الأثير في النهاية معناه أن التكبير والسلام لا يمدان ولا يعرب التكبير، بل يسكن آخره. وتبعه المحب الطبري وهو مقتضى كلام الرافعي في الاستدلال به على أن التكبير جزم لا يمد، وعليه مشى الزركشي وإن كان أصله الرفع بالخبرية ويمكن الاستشهاد له بما أخرجه الطيالسي في مسنده من طريق ابن عبد الرحمن بن أبزي عن أبيه قال: صليت خلف رسول الله ﷺ فكان لا يتم التكبير، لكن قد خالفهم شيخي رحمه الله تعالى فقال: وفيما قالوه نظر لأن استعمال لفظ الجزم في مقابل الإعراب اصطلاح حادث لأهل العربية، فكيف تحمل عليه الألفاظ النبوية يعني على تقدير الثبوت وجزم بأن المراد بجزم التكبير الإسراع به. وروي عن جعفر بن محمد عن أبيه أنه كره الهمز في القراءة أراد أن تكون القراءة سليمة رسلة، وكذلك التكبير والتسليم لا يمد فيهما ولا يتعمد الإعراب المبشع، ومما قيل فيه أيضاً: إن الجزم هو المتحتم بمعنى عدم أجزاء غيره، وأما لفظه فجزم بالجيم والزاي بل قيده بعضهم بالحاء المهملة والذال المعجمة ومعناه سريع، والحذم السرعة. ومنه قول عمر: إذا أذنت فترسل وإذا أقمت فاحذم أي اسرع. حكاه ابن سيد الناس والشمس السروجي المحدث من أئمة الحنفية في شرح الهداية. وسيأتي لهذا الكلام تتمة في هيئة القعود قريباً إن شاء الله تعالى، والله أعلم.

فصل

الكلام في التكبير للقادر والعاجز. قال الرافعي: أما القادر فيتعين عليه كلمة التكبير فلا يجوز له العدول إلى ذكر آخر وإن قرب منها كقوله: الرحمن أجل والرب أعظم قال: لا يجزئه قوله الرحمن الرحيم أكبر ولا يجزئه ترجمة التكبير بلسان آخر، وخالفنا أبو حنيفة في الفصلين جميعاً فحكم بأجزاء الترجمة وبأجزاء التسبيح وسائر الاذكار والأثنية إلا أن يذكر اسماً على سبيل النداء كقوله: يا الله. وكقوله. اللهم اغفر لي الله أكبر. وحكى ابن كج وجهاً لأصحابنا أنه تنعقد الصلاة بقوله: الرحمن أكبر الرحيم أكبر كأنه اعتبر لفظ التكبير بإعلاء ذلك ولم يعتبر اسماً من أسماء الله تعالى بخصوصه، ولو قال: الله الأكبر أجزأه لأن زيادة الألف واللام لا تبطل لفظ التكبير ولا المعنى، بل فيه مبالغة وإشعار بالاختصاص والزيادة لا تغير النظم ولا المعنى كزيادة المد حيث يحتمله، وكقوله: الله أكبر من كل شيء أو أكبر وأجل وأعظم. وقال مالك، وأحمد: لا يجزئه قوله الله الأكبر. وحكي قول عن القديم مثل مذهبهما، وممن حكاه القاضي أبو الطيب الطبري وذكر أن أبا محمد الكرابيسي نقل عن الأستاذ أبي الوليد روايته ولو قال: الله الجليل أكبر ففي انعقاد الصلاة وجهان: أظهرهما الانعقاد، وكذا إذا أدخل بين كلمتي التكبير شيئاً آخر من نعوت الله بشرط أن يكون قليلاً كقوله: الله عز وجل أكبر، وأما إذا أكثر بينهما فلا. ولو عكس وقال: الأكبر الله فظاهر كلامه في الأم والمختصر أنه لا يجوز، وهذا الخلاف يجري أيضاً في قوله: أكبر الله، وقيل: لا يجزىء بلا خلاف. قال: ويجب على المصلي أن يحترز في لفظ التكبير عن زيادة تغير المعنى أن يقول: آلله أكبر استفهاماً، أو يقول أكبار، فالأكبار جمع كبر محركة وهو الطبل، ولو زاد «واواً» بين الكلمتين إما ساكنة أو متحركة فقد عطل المعنى فلا يجزئه أيضاً. قال: والعاجز عن كلمة التكبير له حالتان.

احداهما: إن كان أخرس أو نحوه يأتي بحسب ما يمكنه من تحريك اللسان وشفتيه بالتكبير، وإن كان ناطقاً لكن لم يطاوعه لسانه فيأتي بترجمان بخلاف سائر الأذكار. وأبو حنيفة يجوز سائر الاذكار في حال القدرة وفي حال العجز أولى، وترجمة التكبير بالفارسية خداي بزركتر، ولو قال خداي بزرك وترك التفضيل لم يجز، وجميع اللغات في الترجمة سواء.

والحالة الثانية: إن يمكنه كسب القدرة عليها بتعليم أو مراجعة فيلزمه ذلك. وقال النووي في الروضة: ومن فروع هذا الفصل ما ذكره صاحب التلخيص والبغوي والأصحاب أنه لو كبر للإحرام أربع تكبيرات أو أكثر دخل في الصلاة بالأوتار بطلت بالاشفاع، وصورته: أن ينوي بكل تكبيرة افتتاح الصلاة ولم ينو الخروج من الصلاة بين كل تكبيرتين، فبالأولى دخل في الصلاة، وبالثانية خرج، وبالثالثة دخل، وبالرابعة خرج، وبالخامسة دخل، وبالسادسة خرج. وهكذا أبداً لأن من افتتح صلاة ثم نوى أفتتاح صلاة بطلت صلاته، ولو نوى افتتاح الصلاة

....

بين كل تكبيرتين فبالنية يخرج وبالتكبير يدخل، ولو لم ينوِ بالتكبيرة الثانية وما بعدها افتتاحاً ولا خروجاً صح دخوله بالأولى، وباقي التكبيرات ذكر لا تبطل به الصلاة، والله أعلم.

فصل

وقال أصحابنا: لا دخول في الصلاة إلا بتكبيرة الافتتاح وهي قوله «الله أكبر» لا خلاف فيه أو «الله الأكبر» خلافاً لمالك وأحمد «والله الكبير» أو «الله الكبير» أو «الله كبير» خلافاً للشافعي. وقال أبو يوسف: إن كان يحسن التكبير لا يجوز بغير هذه الأربعة من الألفاظ لأن النص ورد بلفظ التكبير. قال الله تعالى: ﴿وربك فكبر﴾ [المدثر: ٣] وقال ﷺ: «مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم». وفي العبادات البدنية إنما يعتبر المنصوص ولا يشتغل بالتعليل، ولذا لم يقم الخد والذقن مقام الجبهة في السجود، والأذان لا يتأدى بغير لفظة التكبير فتحريمة الصلاة أولى، وإنما جاز بالكبير لأن أفعل وفعيلا في صفاته تعالى سواء، فلا يراد بأكبر إثبات الزيادة في صفته تعالى بعد المشاركة لأنه لا يشاركه أحد في أصل الكبرياء، فكان أفعل بمعنى فعيل. وقال أبو حنيفة ومحمد: إن قال بدلاً عن التكبير الله أجل أو أعظم أو الرحمن أكبر أو لا إله إلا الله أو تبارك الله أو غيره من أسماء الله تعالى أجزأ ذلك عن التكبير إذ حيثما ذكر من النصوص معناه التعظيم فكان المطلوب بالنص التعظيم، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ [الأعلى: ١٥] وهو أعم من لفظ الله أكبر وغيره ولا إجمال فيه، فالثابت بالفعل المتوارث حينئذ يفيد الوجوب لا الفرضية، وبه نقول حتى يكره لمن يحسنه تركه، والمقصود من الأذان الإعلام ولا يحصل بلفظ آخر لأن الناس لا يعرفون أنه أذان. كذا في الكافي، ثم يشترط أن يكون الذكر كلاماً تاماً عند محمد كالأمثلة المذكورة، وعند أبي حنيفة يكفي الاسم المفرد لإطلاق قوله تعالى ﴿وذكر اسم ربه﴾. كذا في الكفاية، ولو افتتح الصلاة بقوله: اللهم من غير زيادة أو قال: يا الله يصح افتتاحه لأن المقصود بندائه سبحانه التعظيم لأنه تضرع محض من العبد غير مشوب بحاجته، وخالفه الكوفيون في «اللهم» لأن معناه عندهم يالله أمنا بخير، والصحيح مذهب البصريين أن معناه يا الله لا غير والميم المشددة عوض عن حرف النداء، فكان مثل يا الله. ولو قال بدل التكبير اللهم اغفر لي، أو اللهم ارزقني، أو قال استغفر الله أو أعوذ بالله أو لا حول ولا قوة إلا بالله أو ما شاء الله لا يصح شروعه في الصلاة، لأن المقصود بهذه الاذكار محض التعظيم لما يشوبه من السؤال تصريحاً أو تعريضاً وهو غير الذكر، وكذا لو قال: «بسم الله» لا يصح شروعه وكذا لو ذكر اسماً يوصف به غيره تعالى إلا أن ينوي ذاته تعالى خاصة، وفي الكفاية: الأظهر الأصح أن الشروع يحصل بكل اسم من أسمائه تعالى كذا ذكره الكرخي، وأفتى به المرغيناني ولو قال «الله» من غير زيادة شيء يصير شارعاً عند أبي حنيفة فقط في رواية الحسن عنه، وفي ظاهر الرواية لا يصير شارعاً ذكره في الخلاصة عن

القراءة:

ثم يبتدىء بدعاء الاستفتاح وحسن أن يقول عقب قوله الله أكبر «الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وجهت وجهي - إلى قوله - وأنا من المسلمين». ثم يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك». ليكون جامعاً بين متفرقات ما ورد في الأخبار. وإن كان

التجريد وذكر فيه خلاف محمد، وإن قال «الله أكبار» بإدخال ألف بين الباء والراء لا يصير شارعاً وإن قال ذلك في خلال الصلاة تفسد صلاته. قيل لأنه اسم من أسماء الشيطان، وقيل: لأنه جمع كبر وهو الطبل، وقيل: يصير شارعاً ولا تفسد صلاته لأنه إشباع والأول أصح. ولو قال «الله أكبر» بالكاف الرخوة كما تنطق به البدو يصير شارعاً، والأصح لا كذا في المحيط ولو أدخل المد في ألف الجلالة كما يدخل في قوله تعالى: ﴿آلله أذن لكم﴾ [يونس: ٥٩] وشبهه تفسد صلاته إن حصل في أثنائها عند أكثر المشايخ ولا يصير شارعاً به في ابتدائها أو يكفر لو تعمده لأنه استفهام ومقتضاه الشك في كبريائه تعالى. وقال محمد بن مقاتل: إن كان لا يميز بين المد وعدمه لا تفسد صلاته والاستفهام أن يكون للتقرير، لكن الأول أصح. وعلى هذا لو مد همزة أكبر الأصح أنها تفسد أيضاً، وإشباع حركة الهاء خطأ من حيث اللغة ولا تفسد، وكذا تسكينها. وأما مد اللام فصواب، والله أعلم.

القراءة:

وهو الركن الثالث. اعلم ان لذكر القراءة سنتان سابقتان وآخرتان لاحقتان. أما السابقتان فأولاهما دعاء الاستفتاح وإليه أشار المصنف بقوله: (**ثم يبتدىء بدعاء الاستفتاح**) ويطلق على كل واحد من الذكرين وجهت وسبحانك اللهم كذا قاله الرافعي، وسياق المصنف يشعر أنه يطلق على غيرهما أيضاً وهو قوله: «الله أكبر كبيراً» حيث قال: (**وحسن أن يقول عقب قوله: الله أكبر «الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً وجهت وجهي إلى قوله وأنا من المسلمين» ثم يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ليكون جامعاً بين متفرقات ما ورد من الأخبار**) خلافاً لمالك حيث قال: لا يستفتح بعد التكبير إلا بالفاتحة والدعاء والتعوذ يقدمها على التكبير، ولأبي حنيفة وأحمد حيث قالا: يستفتح بقوله: «سبحانك اللهم» الخ. وقول المصنف ليكون جامعاً الخ، ومثله في القوت، وفي الاذكار للنووي بعد أن ذكر الأدعية المذكورة قال: فيستحب الجمع بينها كلها. وقال الحافظ في تخريج الأذكار، قلت: لم يرد بذلك حديث، وقد استحب الجمع بين وجهت وسبحانك أبو يوسف صاحب أبي حنيفة وأبو إسحاق المروزي من كبار الشافعية، وبوب البيهقي لذلك وأورد فيه حديثاً عن جابر سيأتي ذكره اهـ.

....

قلت: وقال الرافعي، وذكر بعض الأصحاب ان السنة في الاستفتاح أن يقول: «سبحانك اللهم» الخ. ثم يقول «وجهت وجهي» الخ جمعاً بين الأخبار. ويحكى هذا عن أبي إسحاق المروزي وأبي حامد وغيرهما اهـ.

فعلم من ذلك أن غير أبي إسحاق من الشافعية أيضاً يرى ذلك. ولنعد إلى تخريج ما أورده المصنف من الأذكار الثلاثة فنقول؛ قال النووي في الأذكار: اعلم أنه جاءت أحاديث كثيرة يقتضي مجموعها أن يقول «الله أكبر كبيراً» الخ. قال الحافظ جميع ما ذكره من ثلاثة أحاديث أخرجها مسلم، وأخرج البخاري الثالث منها فقط.

الأول: حديث ابن عمر قال: بينا نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ قال رجل من القوم: الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً، فلما سلم النبي ﷺ من صلاته قال: «من القائل كذا وكذا». فقال رجل من القوم: أنا يا رسول الله. فقال: «لقد رأيت أبواب السماء قد فتحت لها» قال ابن عمر: فما تركت منذ سمعت من رسول الله ﷺ. أخرجه مسلم عن أبي خيثمة زهير بن حرب، والترمذي عن أحمد بن إبراهيم الدورقي، والنسائي عن محمد بن شجاع. ثلاثتهم عن إسماعيل بن إبراهيم وهو المعروف بابن علية، عن الحجاج بن أبي عثمان، عن أبي الزبير، عن عون بن عبدالله بن عتبة عن عمر. وأخرجه أيضاً أحمد عن ابن علية.

الثاني: حديث علي بن أبي طالب وهو الذي أورده الرافعي قال: كان رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة قال «وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين. اللهم أنت الله لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت. لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك تباركت وتعاليت استغفرك وأتوب إليك» أخرجه مسلم عن أبي خيثمة زهير بن حرب، عن عبد الرحمن بن مهدي. وأخرجه أيضاً عن إسحاق بن ابراهيم، عن أبي النضر هاشم بن القاسم. وأخرجه أبو داود عن عبيد الله بن معاذ، عن أبيه. وأخرجه الترمذي عن الحسن بن علي الخلال، عن أبي الوليد الطيالسي، وعن محمود بن غيلان، عن أبي داود الطيالسي ببعضه. وأخرجه ابن خزيمة عن محمد بن يحيى، عن حجاج بن المنهال، وعبدالله بن صالح، وأحمد بن خالد. وأخرجه الطحاوي عن الحسين بن نصر، عن يحيى بن حسان. وأخرجه ابن حبان من رواية سويد بن عمرو. وأخرجه الطبراني في الدعاء من رواية عبدالله بن رجاء وحجاج بن المنهال وابي عتاب مالك بن اسماعيل وأخرجه أبو نعيم في المستخرج من رواية عاصم بن علي، وأبي داود والطيالسي. وأخرجه الدارمي في السنن عن يحيى بن حسان. كلهم وهم ثلاثة عشر نفساً عن عبد العزيز بن أبي سلمة، عن عمه يعقوب بن الماجشون، عن الأعرج، عن عبيدالله بن أبي رافع، عن علي. ووقع في رواية

سويد بن عمـرو في أوله: «إذا قام إلى الصلاة المكتوبة». ومثله للبيهقي من وجه آخر عن الأعرج. وأخرجه الشافعي عن مسلم بن خالد، وعبد المجيد بن أبي داود كلاهما عن ابن جريج، عن موسى بن عقبة، عن الأعرج وزاد فيه «سبحانك وبحمدك» بعد قوله «لا إله إلا أنت». وفيه أيضاً والمهدي من هديت بعد قوله «في يديك». ووقع في رواية البيهقي من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن موسى بن عقبة من الزيادة بعد قوله: «لبيك وسعديك أنا بك وإليك لا ملجأ منك إلا إليك». وقد روي بمثل حديث علي عن جابر أيضاً ولفظه: «كان رسول الله ﷺ إذا افتتح الصلاة كبر ثم قال إن صلاتي ونسكي» إلى قوله «أول المسلمين. اللهم اهدني لأحسن الاعمال والاخلاق لا يهدي لاحسنها إلا أنت وقني سيء الاعمال والاخلاق لا يقي سيئها إلا أنت». هكذا أخرجه النسائي، وابن جوصا في المسند، عن عمرو بن عثمان، عن أبي صعوة، عن شعيب بن أبي حمزة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر. وهكذا أخرجه الطبراني من طريقين عن عمرو بن عثمان.

تنبيه

قول المصنف «وأنا من المسلمين» مع كونه مخالفاً لما في سياق الآية أشار به إلى ما اختاره الشافعي رضي الله عنه وله فيه طريقان تشكيكاً وجزماً. أما الأول، فرواه عن مسلم بن خالد وغيره من الشيوخ. كلهم عن ابن جريج، عن موسى بن عقبة فذكر الحديث وأوله: «كان إذا افتتح الصلاة» وقال بعضهم: «كان إذا ابتدأ الصلاة يقول وجهت وجهي» فذكره بلفظ «وأنا أول المسلمين» قال: وشككت بأن أحدهم قال «وأنا من المسلمين» والمحفوظ في حديث علي عند مسلم وأبي داود وغيرهما من الائمة ما يدل صريحاً على أنه على وفق الآية. وأن من ذكره بلفظ «من المسلمين» أراد المناسبة لحال من بعد النبي ﷺ، ولهذا قال الشافعي بعد أن أخرجه على الترديد في اللفظين: أحب أن يقول «أنا من المسلمين» بدل «وأنا أول المسلمين». أما وروده جزماً فقد أخرجه الطبراني في الدعاء من طريق هشام بن سليمان عن ابن جريج كذلك، وقال في روايته «حنيفاً مسلماً» ووقع كذلك في رواية الماجشون، عن الأعرج، عن عبيدالله بن أبي رافع، عن علي أخرجه مسلم، والترمذي، والمعمري في اليوم والليلة، والبزار والطبراني في الدعاء. كلهم من طرق عن يوسف بن يعقوب الماجشون، عن أبيه عن الأعرج. ولا يخفى أن حمل كلام الشافعي: وأنا أحب الخ على هذا أولى من التشكيك والترديد. فتأمل، فهذان الحديثان هما اللذان أخرجها مسلم وذكرهما المصنف.

وأما الحديث الثالث الذي أخرج البخاري في هذا الباب، فسيأتي ذكره في الآخر. وأما قول المصنف ثم يقول «سبحانك اللهم وبحمدك» الخ فقد روي ذلك من حديث أبي الجوزاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا استفتح الصلاة قال: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك. أخرجه الحاكم عن الأصم عن العباس

الدوري. وأبو داود عن حسين بن عيسى. كلاهما عن طلق بن غانم، عن عبد السلام بن حرب، عن بديل بن ميسرة، عن أبي الجوزاء. قال الحاكم: وهو صحيح على شرط الشيخين، وقد نوزع فيه. وقد روى حارثة بن محمد، عن عمرة، عن عائشة بلفظ: كان إذا افتتح الصلاة رفع يديه حذو منكبيه فيكبّر ثم يقول: « سبحانك اللهم وبحمدك » فذكر مثل الأول. أخرجه أحمد، عن أبي معاوية، عن حارثة بن محمد. قال العراقي: وهو متفق على ضعفه. وأخرجه الترمذي عن الحسن بن عرفة. وابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي، وعبدالله بن عمران. وابن خزيمة في صحيحه عن مسلم بن جنادة. كلهم عن أبي معاوية بالسند المذكور. وله طريق أخرى عن عائشة ضعيفة ساقها البيهقي في الخلاف، والطبراني في الدعاء، والدارقطني في السنن من طريق عطاء بن أبي رباح عنها. وفي سند الجميع سهل بن عامر وهو متروك. قال الحافظ: وقد روي موقوفاً على عطاء رواه السلفي من طريق أبي عن الأحوص الحسن بن عبد الملك قال: سأل رجل عطاء بن أبي رباح فقال: كيف أقول إذا افتتحت الصلاة؟ قال: سبحانك اللهم وبحمدك فذكر مثله. قال: وهذا يشعر بأن لهذا المرفوع أصلاً وفي الباب عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا افتتح الصلاة كبّر ثم قال « سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك » أخرجه الترمذي والنسائي جميعاً عن محمد بن موسى. والدارقطني من رواية إسحاق بن أبي اسرائيل، والطبراني في الدعاء من رواية عبد الرازق، والحسن بن الربيع وعبد السلام بن مطهر. وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن زيد بن الحباب. والنسائي أيضاً عن عبيدالله بن فضالة عن عبد الرزاق. والدارمي عن زكريا بن عدي. ستتهم عن جعفر بن سليمان الضبعي عن علي بن علي الرفاعي، وكان يشبه بالنبي ﷺ عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري. وأخرجه البيهقي من وجه آخر عن أبي سعيد. قال الترمذي: حديث أبي سعيد أشهر شيء في هذا الباب، وبه يقول أكثر أهل العلم اهـ.

وقد روي الاستفتاح بسبحانك اللهم عن جماعة من الصحابة مرفوعاً وموقوفاً. منهم ابن مسعود أخرج حديثه الطبراني في الدعاء بسندين إليه، وأشار البيهقي إلى أنه من رواية أبي عبيدة ابن عبدالله بن مسعود عن أبيه. ومنهم أنس بن مالك أخرج حديثه أبو يعلى والدارقطني والطبراني كلهم من رواية حميد عنه، والطبراني أيضاً من وجه آخر عن أنس من غير رواية حميد. ومنهم واثلة بن الاسقع والحكم بن عمير وعمرو بن العاص أخرج حديثهم الطبراني في المعجم الكبير. ومنهم جابر بن عبدالله أخرج حديثه البيهقي بسند جيد. ومنهم عمر بن الخطاب روي عنه موقوفاً ومرفوعاً.

أما الاوّل: فأخرجه الحاكم من طريق شعبة عن الحكم عن عتيبة عن إبراهيم النخعي عن الاسود بـن يزيد أن عمر رضي الله عنه حين افتتح الصلاة كبّر ثم قال: « سبحانك اللهم » إلى « ولا إله غيرك ». وأخرجه الدارقطني من رواية أبي معاوية ومحمد بن فضيل، وحفص بن غياث ثلاثتهم عن الأعمش. زاد ابن فضيل وعن حصين بن عبد الرحمن كلاهما عن إبراهيم النخعي

....

فذكر مثله. وزاد هارون بن إسحاق أحد رواته عن محمد بن فضيل في روايته يسمعنا ذلك ليعلمنا. قال الدارقطني: هذا صحيح عن عمر من قوله.

وأما الثاني:أي رفعه إلى النبي ﷺ، فأخرجه الداقطني أيضاً من رواية عبد الرحمن بن عمرو ابن شيبة، عن أبيه، عن نافع، عن ابن عمر، عن أبيه، عن النبي ﷺ. قال: ورواه يحيى بن أيوب عن عمرو بن شيبة عن نافع عن ابن عمر موقوفاً على عمر وهو الصواب.

تنبيه

في تفسير دعاء الاستفتاح. وقد روي عن أبي حنيفة أنه إن قال: سبحانك اللهم بحمدك من غير «واو» فقد أصاب الجواز. ونقل الحلواني عن مشايخه إن قال: وجل ثناؤك لم يمنع وإن سكت لم يؤمر ولا يزيد على هذا في الفرض، وتقدم أن أبا يوسف يرى الجمع بينه وبين دعاء التوجه، وأنه يبدأ بأيها شاء. واستبدل بحديث جابر المتقدم. قلنا إنه محمول على حالة التهجد والأمر فيه واسع، وإذا قرأ التوجه في صلاة الليل وغيرها من النوافل فمخير بين أن يقول: «وأنا أوّل المسلمين» وبين أن يقول «وأنا من المسلمين» على الاصح، فإذا علمت ذلك فاعلم أن معنى قوله: سبحانك اللهم إني أسبحك بجميع آلائك، وقوله: وبحمدك أي نحمدك بحمدك ولك الحمد على ما وفقتني من التسبيح، والتسبيح اثبات صفات الكمال لله تعالى والحمد اظهارها. وبهذا يظهر وجه تقديم أحدهما على الآخر وهو في المعنى عطف الجملة على الجملة، فحذفت الثانية وهي قوله: «لك الحمد» كالأولى وهي قوله: «نحمدك» وأبقى حرف العطف داخلاً على متعلق الجملة الأولى مراداً به الدلالة على الحالية من الفاعل، فهو في موضع نصب على الحالية منه، فكأنه إنما أبقى ليشعر بأنه قد كان جملة طوى ذكرها إيجازاً على أنه لو حذف حرف العطف كان جائزاً لا يخل بالمعنى المقصود. وعن الخطابي أخبرني الحسن بن خلال قال: سألت الزجاج عن العلة في ظهور الواو في قوله «وبحمدك» فقال: سألت المبرد عما سألت عنه. وقال: سألت المازني عما سألتني عنه فقال: سبحانك اللهم بجميع آلائك وبحمدك سبحتك، وقوله: تبارك اسمك أي دام وتعالى اسمك بين الأسماء، وقيل: دام خير اسمك لدلالته على الذات السبوحية القدسية، وتبارك مطاوع بارك لا يتصرف فيه ولا ينصرف ولا يستعمل إلا في الله تعالى، قوله: وتعالى جدك أي ارتفع سلطانك أو عظمتك أو غناك عما سواك. وقوله: ولا إله غيرك أي في الوجود فأنت المعبود بحق، فبدأ بالتنزيه الذي يرجع إلى التوحيد، ثم ختم بالتوحيد ترقياً في الثناء على الله تعالى من ذكر النعوت السلبية والصفات الثبوتية إلى غاية الكمال في الجلال والجمال وسائر الأفعال، وهو الانفراد بألوهيته وما يختص به من الأحدية والصمدية، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

وفي الباب أدعية أخرى للاستفتاح لم يذكرها المصنف، وقد نشير إليها لتمام الفائدة. فمن ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري وتقدم الوعد به وهو من حديث أبي هريرة قال: كان

خلف الإمام اختصر إن لم يكن للإمام سكتة طويلة يقرأ فيها، ثم يقول: « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ». ثم يقرأ الفاتحة يبتدىء فيها بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » بتمام

رسول الله ﷺ إذا كبّر في الصلاة سكت بين التكبير والقراءة إسكاتة. وفي رواية هنيهة فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: « أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب. اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الابيض من الدنس. اللهم اغسل خطاياي بالثلج والماء والبرد » أخرجه البخاري عن موسى بن إسماعيل والدارمي عن بشر بن آدم، وأبو نعيم من رواية أبي كامل الجحدري، والعباس بن الوليد. أربعتهم عن عبد الواحد بن زياد. وأخرجه مسلم عن أبي كامل الجحدري، وأبي بكر بن أبي شيبة. قال عبد الواحد، وابن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل. وأخرجه أحمد عن محمد بن فضيل وعن جرير بن عبد الحميد كلاهما عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة. وأخرجه مسلم أيضاً، والنسائي، وابن خزيمة من رواية جرير، وأبو نعيم من رواية أبي بكر بن أبي شيبة. ومن ذلك ما رواه أبو إسحاق عن الحرث عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا افتتح الصلاة قال « سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وجهت وجهي » فذكره إلى قوله « المسلمين » أخرجه البيهقي من طريق هشيم عن شعبة عن أبي إسحاق والله أعلم.

(**وإن كان خلف الإمام اختصر**) بأن يختار دعاء واحداً من الأدعية المذكورة (**إن لم يكن للإمام سكتة طويلة**) بمقدار أن (**يقرأ فيها الفاتحة**) فلا ينبغي له حينئذ الاختصار. وقال الرافعي بعد ما ذكر الدعاءين وجهت وسبحانك ما نصه، والزيادة على ما ذكرنا أولاً نستحبها للمنفرد، وللإمام إذا علم رضا المأمومين بالتطويل، وقد مضى ذكر أولى السنة السابقة على القراءة، والثانية منها استحباب التعوذ بعد دعاء الاستفتاح وإليه أشار المصنف بقوله: (**ثم يقول « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »**) قال الرافعي: هكذا ذكره الشافعي وورد في الخبر، وحكي عن القاضي الروياني عن بعض أصحابنا أن الأحسن أن يقول « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » ولا شك أن كلاً منها جائز يؤدى به الغرض، وكذا كل ما يشتمل على الاستعاذة بالله من الشيطان اهـ.

قلت: وروى أبو امامة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما أخرجه أحمد عنه ولفظه، كان رسول الله ﷺ إذا افتتح الصلاة قال « سبحانك اللهم » إلى « ولا إله غيرك » ثم يقول « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » ورجال اسناده ثقات إلا التابعي لم يسم، واستدل الرافعي فقال: وروى جبير بن مطعم وغيره أن النبي ﷺ كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة.

قلت: حديث جبير بن مطعم أخرجه أبو داود، عن عمرو بن مرزوق. وابن ماجه، وابن خزيمة عن بندار عن غندر. وأبو نعيم من رواية أبي داود الطيالسي. والطبراني في الدعاء من رواية أبي الوليد الطيالسي أربعتهم عن شعبة عن عمرو بن مرة عن عاصم الغزي عن ابن جبير بن مطعم عن أبيه بلفظ: « كان رسول الله ﷺ إذا دخل في الصلاة كبّر ثم قال الله أكبر كبيراً ثلاثاً

....

الحمدلله كثيراً ثلاثاً سبحان الله بحمده ثلاثاً أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه» وأما زيادة «السميع العليم» فقد وقعت في حديث أبي سعيد الخدري ولفظه: «كان رسول الله ﷺ إذا قام يصلي في الليل كبّر ثم قال سبحانك اللهم وبحمدك» إلى قوله «ولا إله غيرك لا إله إلا الله ثلاثاً الله أكبر ثلاثاً» ثم يقول «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه» ثم يقرأ. أخرجه ابن خزيمة، والترمذي، والنسائي جميعاً عن محمد بن موسى، عن جعفر بن سليمان، عن علي بن علي الرفاعي، عن أبي المتوكل الناجي، عن أبي سعيد. وذكر ابن خزيمة عقب تخريجه أنه لم يسمع أحداً من أهل العلم ولا بلغه عن أحد منهم أنه استعمل هذا الحديث على وجهه. قال الحافظ: وإذا لم ينقل عن أحد منهم إنكاره لم يستلزم ذلك توهينه والعلم عند الله تعالى. وفي الباب عن عائشة أخرجه أبو داود في قصة فيها أن النبي ﷺ قال: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ ﴿إن الذين جاؤا بالإفك﴾» [النور: ١١] الحديث.

تنبيه

قال الرافعي: ومن ترك دعاء الاستفتاح عمداً أو سهواً حتى تعوذ أو شرع في الفاتحة لم يعد إليه ولم يداركه في سائر الركعات وفرع عليه ما لو أدرك الامام المسبوق في التشهد الأخير فكبّر وقعد فسلّم الإمام كما قعد يقوم ولا يقرأ دعاء الاستفتاح لفوات وقته بالقعود، ولو سلّم الإمام قبل قعوده لا يقعد ويقرأ دعاء الاستفتاح اهـ.

وقال النووي: قد ذكر الشيخ أبو حامد في تعليقه أنه إذا ترك دعاء الاستفتاح وتعوذ عاد إليه من التعوذ، والمعروف في المذهب أنه لا يأتي به كما تقدم، لكن لو خالف فأتى به لم تبطل صلاته، لأنه ذكر. قال صاحب التهذيب: ولو أحرم مسبوق فأمَّن الإمام عقب إحرامه أمَّن معه وأتى بدعاء الاستفتاح لأن التعوذ يسير والله أعلم.

ثم قال الرافعي: وهل يجهر بالتعوذ: فيه قولان. أحدهما: أنه يستحب الجهر به في الصلاة الجهرية كالتسمية والتأمين، وأصحها وهو الذي ذكره المصنف في الوجيز أن المستحب فيه الإسرار بكل حال لأنه ذكر شرع بين التكبير والقراءة فيسن فيه الاسرار كدعاء الاستفتاح، وذكر الصيدلاني وطائفة من الأصحاب أن الاول قوله القديم، والثاني الجديد. وحكى في البيان القولين على وجه آخر فقال: أحد القولين أنه يتخير بين الجهر والإسرار ولا ترجيح، والثاني أنه يستحب فيه الجهر، ثم نقل عن أبي علي الطبري أنه يستحب فيه الإسرار به، فتحصلنا على ثلاثة مذاهب في المسألة.

قلت: القول القديم أخرجه الشافعي في الأم من طريق صالح بن أبي صالح أنه سمع أبا هريرة وهو يؤم الناس رافعاً صوته يقول: ربنا إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم. قال: وكان ابن عمر يتعوذ سراً (**ثم يقرأ**) سورة (**الفاتحة**) **أي فاتحة الكتاب وهي سورة الحمد ولها اسماء**

....

غيرها. فأم الكتاب، فأم القرآن، والاساس، والوافية بالفاء والقاف، والكافية، والشافية، والكنز. وإنما سميت فاتحة لأنه يفتتح بها القراءة في الصلاة. وقال المصنف في الوجيز: ثم الفاتحة بعده متعينة. قال الرافعي: في شرحه للمصلي حالتان. احداهما: أن يقدر على قراءة الفاتحة. الثانية أن لا يقدر عليها ففي الأول يتعين عليه قراءتها في القيام أو ما يقع بدلاً عنه ولا يقوم مقامها شيء آخر من القرآن ولا ترجمتها وبه قال مالك وأحمد خلافاً لأبي حنيفة حيث قال: الغرض في القراءة آية من القرآن سواء كانت طويلة أو قصيرة وبأي لسان قرأ جاز، وإن كان ترك الفاتحة مكروهاً والعدول إلى شيء آخر اساءة، ولا فرق في تعين الفاتحة بين الإمام والمأموم في الصلاة السرية. وفي الجهريه قولان: أحدهما لا يجب على المأموم وبه قال مالك وأحمد، وأصحهما أنه يجب عليه أيضاً، وهذا القول يعرف بالجديد ولم يسمعه المزني سماعاً عن الشافعي فنقله عن بعض أصحابه عنه. يقال: إنه أراد الربيع، وأما القول الأول فقد نقله سماعاً عن الشافعي، وقال أبو حنيفة: لا يقرأ المأموم لا في السرية ولا في الجهرية، وحكى القاضي ابن كج أن بعض اصحابنا قال به وغلط فيه.

قلت: الأدلة السمعية عند أصحابنا أربعة قطعي الثبوت والدلالة كالنصوص المتواترة، وقطعي الثبوت ظني الدلالة كالآيات المؤوّلة، وظني الثبوت قطعي الدلالة كاخبار الآحاد التي مفهومها قطعي، وظني الثبوت والدلالة كاخبار الآحاد التي مفهومها ظني. فبالأول يثبت الفرض، وبالثاني وبالثالث يثبت الوجوب، والرابع يثبت السّنة والاستحباب ليكون ثبوت الحكم بقدر دليله، فتعين قراءة الفاتحة في الصلاة عندنا واجب لمواظبته ﷺ، ولقوله ﷺ «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» وهو خبر آحاد فأوجب العمل فتكره الصلاة بتركها تحريماً ولا تفسد بترك الفاتحة لو قرأ غيرها لاطلاق قوله تعالى: ﴿فاقرؤا ما تيسَّر من القرآن﴾ [المزمل: ٢٠] ولا يقيد إطلاق الكتاب بالخبر المذكور لأنه نسخ ولا يجوز بخبر الواحد، ولا يجوز أن يجعل بياناً لأنه لا اجمال فيها إذ المجمل ما يتعذر العمل به قبل البيان والآية ليست كذلك.

فإن قلت: هو خبر مشهور فتجوز الزيادة به؟ قلنا: نعم إذا كان محكماً، وما روي محتمل لأنه يجوز أن يراد به نفي الجواز وأن يراد به نفي الفضيلة، وصح الاستدلال بالآية لأن المراد منها قراءة القرآن بحقيقته، ويدل عليه السياق وهو قوله عقيبه: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ وهذا تفسير بحقيقتها والحقيقة مقدمة على المجاز فهو مقدم على ما قال بعض المفسرين بأن المراد من الآية الصلاة بدليل السياق، فقالوا في تفسيرها: بأن تصلوا ما تيسر لأنه تفسير بالمجاز وتأيد بالحديث المبين للفرائض، ثم ما تيسر معك من القرآن على أن هذا في الواقع سند الإجماع وهو يكفي للسنة، فإن القراءة ركن في الصلاة بالاجماع لمن يتبع والله أعلم.

ثم قال المصنف: **(بتمام تشديداتها)** قال الرافعي: ولو خفف حرفاً مشدداً فقد أخل بحرف لأن المشدد حرفان مثلان أولهما ساكن فإذا خففه فقد أسقط أحدهما. وقال الخطيب في شرح المنهاج: تشديدات الفاتحة منها لأنها هيئات لحروفها المشددة ووجوبها شامل لهيئاتها فالحكم على

تشديداتها وحروفها ويجتهد في الفرق بين الضاد والظاء ويقول: «آمين» في آخر الفاتحة

التشديد بكونه من الفاتحة فيه تجوّز. كذا عبّر في المحرر، ويجب رعاية تشديداتها وهي أربع عشرة تشديدة. منها ثلاث في البسملة، فلو خفف فيها بطلت قراءة تلك الكلمة لتغييره النظم، بل قال في الحاوي والبحر: لو ترك الشدة من قوله ﴿إياك نعبد﴾ متعمداً وعرف معناه أنه يكفر لأن الأيا ضوء الشمس، ولو شدد المخفف أساء وأجزأه كما قاله الماوردي والروياني، **(وتمام حروفها)** وهي مائة واحدى وأربعون حرفاً بالبسملة من غير ألف «مالك والرحمن»، ومن غير عد المشدد بحرفين. وفي المنهاج للنووي: ولا يجوز نقص حروف البدل عن الفاتحة في الأصح. قال الخطيب الشربيني: وحروفها مائة وخمسة وستون حرفاً بالبسملة بقراءة مالك بالألف. قال في الكفاية: ويعد الحرف المشدد من الفاتحة بحرفين من الذكر. وقال المصنف في الوجيز: ثم كل حرف وتشديد ركن. قال الرافعي: لا شك أن فاتحة الكتاب من هذه الكلمات المنظومة والكلمات المنظومة مركبة من الحروف المعلومة، فإذا قال الشارع ﷺ «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» وقد وقف الصلاة على جلتها والموقوف على أشياء مفقود عند فقد بعضها كما هو مفقود عند فقد كلها. فلو أخلّ بحرف منها لم تصح صلاته.

قلت: وعلى هذا لو أبدل ذال «الذين» المعجمة بالمهملة لم تصح كما اقتضاه إطلاق الرافعي وغيره الجزم به خلافاً للزركشي ومن تبعه كما نقله الخطيب.

(ويجتهد في الفرق بين الضاد) المعجمة **(والظاء)** المشالة. قال صاحب المصباح: الضاد حرف مستطيل ومخرجه من طرف اللسان إلى ما يلي الأضراس ومخرجه من الجانب الأيسر أكثر من الأيمن، والعامة تجعله ظاء فتخرجه من طرف اللسان وبين الثنايا وهي لغة حكاها الفراء عن الفضل. قال: ومن العرب من يبدل الضاد ظاء فيقال: عظت الحرب بني تميم، ومن العرب من يعكس فيبدل الظاء ضاداً فيقول في الظهر ضهر، وهذا وإن نقل في اللغة وجاز استعماله في الكلام، فلا يجوز العمل به في كتاب الله تعالى لأن القراءة سنّة متبعة وهذا غير منقول فيها اهـ.

وقال الرافعي: وهل يستثنى إبدال الضاد فيها بالظاء ذكروا وجهين أحدهما: نعم فيحتمل ذلك لقرب المخرج وعسر التمييز وأصحها لا يستثنى، ولو أبدل كان كابدال غيرهما من الحروف، وكما لا يحتمل الإخلال بالحروف لا يحتمل اللحن المخل للمعنى بل تبطل صلاته إن تعمد ويعيد على الاستقامة إن لم يتعمد اهـ.

وقال العراقي في شرح البهجة: ويجب الاتيان بجميع حروف الفاتحة وتشديداتها، فلا يصبح الاتيان بالظاء في موضع الضاد وإن تقاربا في المخرج، وفي تعبير الرافعي والنووي بقولهما: فلا تبدل الضاد بالظاء نظراً لأن مقتضاه المنع من ترك الظاء إذ الباء تدخل على المتروك وليس هو المراد، فلو نطق بالقاف مترددة بينهما وبين الكاف كما ينطق بها العرب لم يضر كما في الكفاية، وسبقه إليه البندنيجي والروياني فجزما بالصحة مع الكراهة، ومال المحب الطبري إلى البطلان. وفي شرح المهذب فيه نظر انتهى.

ويمدها مداً ولا يصل « آمين » بقوله : « ولا الضالين » وصلاً . ويجهر بالقراءة في الصبح

قلت : أما القاف المشوبة بالكاف العجمية فقد أفتى بصحة الصلاة بها ابن حجر المكـي ، وعليه اعتمد فقهاء اليمن وهي لغتهم عامة ، وهكذا نقله المزجد في التجريد عن الكفاية بأنه لا يضر . وأما ما ذكره من الرد على الشيخين في عبارتها فقد أجاب عنه السبكي في شرح المنهاج ، ونقله الخطيب الشربيني وغيره ، وهذا نص الخطيب فإن قيل : كان الصواب أن يقول ولو أبدل ظاء بضاد إذ الباء مع الابدال تدخل على المتروك لا على المأتي به كما قال تعالى : ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان﴾ [البقرة : ١٠٨] وقال تعالى : ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين﴾ [سبأ ، ١٦] أجيب بأن الباء في التبديل والابدال إذا اقتصر فيهما على المتقابلين ودخل على أحدهما إنما تدخل على المأخوذ لا على المتروك ، فقد نقل الأزهري عن ثعلب بدلت الخاتم بالحلقة إذا أذبتـه وسوّيته حلقة ، وبدلت الحلقة بالخاتم إذا أذبتهـا وجعلتها خاتماً ، وابدلت الخاتم بالحلقة إذا نحيت هذا وجعلت هذا مكانه . قال السبكي بعد نقله بعض ذلك عن الواقدي عن ثعلب عن الفراء ، ورأيته في شعر الطفيل بن عمرو الدوسي وساق له شعراً قال : ومنشؤ الاعتراض توهم أن الابدال المساوي للتبديل كالاستبدال والتبدل ، فإن ذينك تدخل الباء فيهما على المتروك . قال شيخنا يعني به زكريا : وبذلك علم فساد ما اعترض به على الفقهاء من أن ذلك لا يجوز بل يلزم دخولها على المتروك اهـ .

وقال الرافعي : وقول المصنف في الوجيز ثم كل حرف وتشديد ركن يجوز أن يريد به أنه ركن من الفاتحة لأن ركن الشيء أحد الأمور التي يلتئم منها ذلك الشيء ، ويجوز أن يريد به أنه ركن من الصلاة لأن الفاتحة من أركان الصلاة ، والأول أصوب لئلا تخرج أركان الصلاة عن الضبط ، ولما تقدم أن للقراءة سنَّتان سابقتان وسنَّتان لاحقتـان ، ولما فـرغ مـن ذكـر السـابقتين شرع في ذكـر اللاحقتين وهما التأمين وضم السورة . وقد أشار إلى الأول منهما بقوله : **(و)** يسن أن **(يقول « آمين » في آخر الفاتحة)** بعد سكتة لطيفة تثبت ذلك عن رسول الله ﷺ سواء كان في صلاة أم لا ، ولكن في الصلاة أشد استحباباً . روى البخاري من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال : إذا قال الإمام « ولا الضالين » فقولوا « آمين » فإن من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » . واختص بالفاتحة لأن نصفها دعاء فاستحب أن يسأل الله تعالى إجابته ، ولا يسن عقب بدل الفاتحة من قراءة ولا ذكر كما هو مقتضى كلامهم . وقال الغزالي : ينبغي أن يقال إن تضمن ذلك دعاء استحب . قال الخطيب : وما بحثه صرح به الروياني ، **(ويمدها مداً)** أي مع تخفيف الميم ، وأخذ ذلك من حديث وائل بن حجر : صليت خلف النبي ﷺ فلما قال « ولا الضالين » قال « آمين » ومدّ بها صوته . وروي عن مالك : أنه لا يسن التأمين للمصلي ، وعنه رواية أخرى أن الامام والمأموم يؤمنان لكن يسرّان وهو مذهب أبي حنيفة وفي « آمين » لغات أفصحهن وأشهرهن خفيفة الميم مع المد وهو اسم فعل بمعنى استجب وهي مبنية على الفتح مثل كيف وأين ، ويجوز سكون النون فيهما ويجوز القصر لأنه لا يخل بالمعنى وهي اللغة الثانية ، والمد اختيار الفقهاء ، والقصر اختيار الأدباء وأنشدوا قول الشاعر :

والمغرب والعشاء إلا أن يكون مأموماً، ويجهر بالتأمين. ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث

تباعد عني فطحل إذ دعوته ... أمين فزاد الله ما بيننا بُعدا

وهي على القولين عربية وقيل معربة من همين على أن الهمزة بدل من الهاء أي همين مي خواهم أو همين مي بايد ترجمة الكلمة الأولى. هكذا اطلب، وترجمة الثانية فليكن هكذا، وعلى اللغتين اقتصر الرافعي وحكى الواحدي مع المدّ لغة ثالثة وهي الإمالة، ورابعة هي المد مع التشديد وهو لحن، بل قيل: إنه شاذ منكر ولا تبطل به الصلاة لقصد الدعاء كما صححه في المجموع. وقال في (الأم) ولو قال آمين رب العالمين وغير ذلك من الذكر كان حسناً. وفي البحر لابن نجيم من متأخري أصحابنا: ومن الخطأ التشديد مع حذف الياء مقصوراً وممدوداً ولا يبعد فساد الصلاة فيها اهـ.

قال بعض شيوخنا: فيه إشارة إلى أنها لا تفسد بالمد والتخفيف مع حذف الياء لوجوده في القرآن. **(ولا يصل «آمين» بقوله: «ولا الضالين» وصلاً)** وهو أحد الوجوه المذكورة في تفسير حديث نهى عن المواصلة في الصلاة كما سيأتي. قال الرافعي: وينبغي أن يفصل بينها وبين قوله: «ولا الضالين» بسكتة لطيفة تمييزاً بين القرآن وغيره اهـ. وفيه تصريح بأن «آمين» ليس من القرآن أي بدليل أنه لم يثبت في المصاحف وإنما هو كالختم على الكتاب. وفي المجتبى لا خلاف أن «آمين» ليس من القرآن حتى قالوا بارتداد من قال إنه من القرآن، **(و)** يستحب أن **(يجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء)** أي أوليها للإمام والمنفرد **(إلا أن يكون مأموماً)** فإنه لا يجهر بل يقرأ سراً في نفسه، وللإمام خاصة في الجمعة هذا في المؤدّاة. وأما المقضية فيجهر فيها من مغيب الشمس إلى طلوعها ويسر من طلوعها إلى غروبها ويستثني كما قاله الأسنوي صلاة العيد فإنه يجهر في قضائها كما يجهر في أدائها. هذا كله في حق الذكر، أما الأنثى والخنثى فيجهران حيث لا يسمع أجنبي. ويكون جهرهما دون جهر الذكر، فإن كان يسمعها أجنبي أسرّا فإن جهرا لم تبطل صلاتها. قال: وأما النوافل غير المطلقة فيجهر في صلاة العيدين وخسوف القمر والاستسقاء والتراويح والوتر في رمضان وركعتي الطواف إذا صلاهما ليلاً، ويسرّ فيما عدا ذلك. والنوافل المطلقة فيسرّ فيها نهاراً ويتوسط فيها ليلاً بين الإسرار والإجهار إن لم يشوّش على قائم أو مصلّ أو نحوه، وإلاَّ فالسنّة الإسرار كما نقل في المجموع، ويقاس على ذلك من يجهر بالذكر أو القراءة بحضرة من يطالع أو يدرس أو يصنف كما أفتى به الشهاب الرملي. **(ويجهر بالتأمين)** الإمام والمنفرد في صلاة الجهر تبعاً للقراءة لما تقدم من حديث وائل بن حجر وفيه: «وقال آمين ومدّ بها صوته». وأما المأموم فقد نقل عن القديم أنه يؤمر بالجهر أيضاً، وعن الجديد أنه لا يجهر. واختلف الأصحاب فقال الأكثرون: في المسألة قولان: أحدهما: لا يجهر كما لا يجهر بالتكبيرات وإن كان الإمام يجهر بها وأصحها وبه قال أحمد أنه يجهر لأن المقتدي متابع للإمام في التأمين فإنه إنما يؤمن لقراءته فيتبعه في الجهر كما يتبعه في أصل التأمين، ومنهم من أثبت قولين في المسألة، ولكن لا على الإطلاق بل فيما إذا جهر

آيات من القرآن فما فوقها، ولا يصل آخر السورة بتكبير الهُوِيّ بل يفصل بينهما بقدر

الإمام، أما إذا لم يجهر الإمام فيجهر المأموم لينبه الإمام وغيره، ومنهم من حمل النصين على الحالتين، فقال: حيث قال لا يجهر المأموم أراد ما إذا قلّ المقتدون أو صغر المسجد وبلغ صوت الإمام القوم فيكفي إسماعه إياهم التأمين كأصل القرآن، وإن كثر القوم يجهر حتى يبلغ الصوت الكل والله أعلم.

ثم أشار المصنف إلى الثانية من اللاحقتين بقوله: **(ثم يقرأ السورة)** الإمام والمنفرد في ركعتي الصبح والأوليين من سائر الصلوات، وأصل الاستحباب يتأدى بقراءة شيء من القرآن، لكن قراءة السور أحب حتى أن السورة القصيرة أولى من بعض سورة طويلة. وروى القاضي الروياني عن أحمد أنه يجب عنده قراءة شيء من القرآن، **(أو قدر ثلاث آيات من القرآن فما فوقه)** ليكون قدر أقصر سورة، وإنما كانت السور أحب لأن الابتداء والوقف على آخرها صحيحان بالقطع بخلافها في بعض السور، فإنهما يخفيان ومحله في غير التراويح كما أفتى به ابن عبدالسلام وغيره، ويستنبط من قوله: ثم يقرأ ما ذكره النووي في الروضة لو قرأ السورة ثم قرأ الفاتحة لم تحسب السورة على المذهب والمنصوص، وذكر إمام الحرمين والشيخ نصر المقدسي في الاعتداد بها وجهين اهـ. وفي المنهاج له: ولا سورة للمأموم أي في جهرية بل يستمع، فإن بعد أو كانت سرية قرأ في الأصح. قال الخطيب: إذ لا معنى لسكوته أما إذا جهر الإمام في السرية فإن المأموم يستمع لقراءته كما صرح به في المجموع اعتباراً لفعل الإمام، وصحح الرافعي في الشرح الصغير اعتبار المشروع في الفاتحة. فعلى هذا يقرأ المأموم في السرية مطلقاً ولا يقرأ في الجهرية مطلقاً، ومقابل الأصح لا يقرأ مطلقاً لإطلاق النهي. قال الرافعي: وهل يسن قراءة السورة في الثالثة من المغرب، وفي الثالثة والرابعة من الرباعيات؟ فيه قولان. الجديد أنها تسن لكن يجعل السورة فيها أقصر، والقديم وبه قال أبو حنيفة ومالك وأحمد أنه لا يسن اهـ.

تنبيه:

قال أبو جعفر القدوري من أئمتنا: إن الصحيح من مذهب أبي حنيفة أن ما يتناوله اسم القرآن يجوز وهو قول ابن عباس فإنه قال: اقرأ ما معك من القرآن فليس شيء من القرآن بقليل، وهذا أقرب إلى القواعد الشرعية فإن المطلق ينصرف إلى الأدنى على ما عرف قاله الزيلعي، ونظر فيه بعضهم بأن المطلق ينصرف إلى الكامل في الماهية. وقال أبو يوسف ومحمد: الفرض قراءة آية طويلة أو ثلاث آيات قصار تعدل آية طويلة وهو رواية عن أبي حنيفة لأن قارىء ما دون ذلك لا يعد قارئاً، فشرطت الآية الطويلة أو ثلاث قصار تحصيلاً لوصف القراءة احتياطاً، وإذا قرأ نصف آية طويلة في ركعة والنصف الآخر في الأخرى فعامة المشايخ على الجواز، ولو قرأ نصف آية مرتين أو كلمة واحدة مراراً حتى بلغ قدر آية تامة فإنه لا يجوز، ومن لا يحسن الآية لا يلزمه التكرار في ركعة فيقرؤها في الركعة الثانية مرة أيضاً عند أبي حنيفة، وعندهما يلزمه التكرار ثلاث مرات أي في كل ركعة، ومن يحسن ثلاث آيات إذا كرر واحدة

قوله: «سبحان الله». ويقرأ في الصبح من السور الطوال من المفصل، وفي المغرب من قصاره، وفي الظهر والعصر والعشاء نحو: ﴿والسَّماءِ ذَاتَ البُرُوجِ﴾ [البروج: ١] وما

ثلاثاً لا يتأدى به الفرض عندهما كما في المجتبى. وقال ابن أمير حاج: مسألة القرآن في الفريضة الرباعية مخمسة أي على خمسة أقوال. فقيل سنّة وهو المنقول عن جماعة من السلف، وقيل فرض في ركعة واحدة وهو قول الحسن البصري وزفر منا والمغيرة من المالكية، وقيل في ركعتين على الخلاف فيها وهو قول علمائنا الثلاثة، وقيل في ثلاث وهو رواية عن مالك حكاه ابن قدامة وغيره، وقيل في الأربع وهو قول الشافعي وأحمد وهو رواية عن مالك. قال صاحب التلقين منهم وهو الصحيح من المذهب، وفي ذخيرتهم للقرافي، وهو رأي العراقيين خلاف ظاهر المدونة اهـ.

ثم قال المصنف: (**ولا يصل آخر السورة بتكبير الهُويّ**) بضم الهاء وكسر الواو وتشديد الياء أي النزول (**بل يفصل بينهما**) ويسكت (**بقدر قوله: «سبحان الله»**) وهو أحد الوجوه في تفسير قوله عليه السلام: «نهى عن المواصلة في الصلاة» قال الخطيب في شرح المنهاج: السكتات المندوبة في الصلاة أربع. سكتة للإمام بعد تكبيرة الاحرام يفتتح فيها، وسكتة بين ولا الضالين وآمين، وسكتة للإمام بين التأمين في الجهرية وبين قراءة السورة بقدر قراءة المأموم الفاتحة، وسكتة قبل تكبيرة الركوع. قال في المجموع: وتسمية كل من الأولى والثانية سكتة مجاز فإنه لا يسكت حقيقة لما تقرر فيهما، وعدّها الزركشي خمسة. الثلاثة الأخيرة وسكتة بين تكبيرة الاحرام والافتتاح والقراءة وعليه لا مجاز إلا في سكتة الإمام بعد التأمين والمشهور الأول. (**ويقرأ في الصبح من السور الطوال**) بالكسر جمع طويلة ككريمة وكرام (**من المفصل**) وهو المبين المميز. قال الله تعالى: ﴿كتاب فصلت آياته﴾ [فصلت: ٣] أي جعلت تفاصيل في معان مختلفة من وعد ووعيد وحلال وحرام وغير ذلك سمي به لكثرة فصوله، وقيل: لقلة المنسوخ فيه، والحكمة فيه أن وقت الصبح طويل والصلاة ركعتان فحسن طولها. (**وفي المغرب من قصاره**) لأنه ضيق فحسن فيه ذلك، (**وفي الظهر والعصر والعشاء**) من أوساطه (**نحو ﴿والسماء ذات البروج﴾ [البروج: ١] وما قاربها**) من السور مثل ﴿والليل إذا يغشى﴾ ﴿وسبح اسم ربك الأعلى﴾ ﴿والضحى﴾ ﴿وإذا السماء انفطرت﴾، ونحو ذلك فإن النبي ﷺ سمّاها معها في قصة تطويل معاذ الصلاة، فأما والليل، وسبح فهي متفق عليها، وأما والضحى فهي عند مسلم، وكذا عنده ذكر اقرأ باسم ربك، وأما إذا السماء انفطرت فعند النسائي، ولأحمد من حديث أبي هريرة رفعه: «انه كان يقرأ في العشاء الأخيرة والسماء ذات البروج، والسماء والطارق». وفي الصحيحين من حديث البراء: «أنه قرأ في العشاء بالتين والزيتون». وفي كون هذه مع سورة اقرأ من أوساط المفصل اختلاف، ولذا قيده بعضهم بالسفر، ونص الرافعي ويستحب أن يقرأ في الصبح بطوال المفصل، ويقرأ في الظهر بما يقرب من القراءة في الصبح، وفي العصر والعشاء بأوساط المفصل، وفي المغرب بقصاره. وعبارة المنهاج للنووي: ويسن للصبح والظهر طوال المفصل، والعصر والعشاء أوساطه، والمغرب قصاره. قال الخطيب في شرحه: ظاهر

....

كلام المصنف التسوية بين الصبح والظهر، ولكن المستحب أن يقرأ في الظهر ما يقرب من الطوال كما في الروضة كأصلها.

قلت: وفي كتب أصحابنا ما يوافق ما في المنهاج وهو التسوية بين الصبح والظهر، واختلف في طوال المفصل فقيل: هو السبع السابع، وقيل هو عند الأكثر من الحجرات، وقيل من سورة محمد ﷺ، أو من الفتح أو من ق إلى البروج، وأوساطه منها إلى «لم يكن» وقصاره منها إلى آخره، وقيل: طواله من الحجرات إلى عبس، وأوساطه من كوّرت إلى الضحى، والباقي قصار. هكذا في كتب أصحابنا، والأصل فيه ما روى عبد الرزاق في مصنفه أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي موسى الأشعري أن اقرأ في المغرب بقصار المفصل، وفي العشاء بوسط المفصل، وفي الصبح بطوال المفصل. وقال الخطيب: واختلف في أوّل المفصل على عشرة أقوال للسلف. قيل الصافات، وقيل الجاثية، وقيل القتال، وقيل الفتح، وقيل الحجرات، وقيل ق، وقيل الصف، وقيل سبح، وقيل تبارك، وقيل الضحى. ورجح النووي في الدقائق والتحرير أنه الحجرات، وعلى هذا طواله كالحجرات، وقيل اقتربت والرحمن، وأوساطه كالشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، وقصاره كالعصر، والإخلاص، وقيل: طواله من الحجرات إلى عم. ومنها إلى الضحى أوساطه، ومنها إلى آخر القرآن قصاره.

قلت: وذكر أبو منصور التميمي عن نص الشافعي تمثيل قصاره بالعاديات ونحوها، ولا شك أن الأوساط مختلفة، كما أن قصاره مختلفة، كما أن طواله فيها ما هو أطول من بعض، والله أعلم.

تنبيه:

قال النووي في المنهاج: ويسن لصبح الجمعة في الأولى: «آلم السجدة»، وفي الثانية: «هل أتى». قال الخطيب: فإن ترك «الم» في الأولى سنّ أن يأتي بها في الثانية، فإن اقتصر على بعضها أو غيرها خالف السنة. قال الفارقي: ولو ضاق الوقت عنها أتى بالممكن ولو آية السجدة وبعض هل أتى. قال الأذرعي: وهو غريب لم أره لغيره، وعن أبي إسحاق، وابن أبي هريرة لا تستحب المداومة عليها ليؤذن أن ذلك غير واجب، وقيل للعماد بن يونس: إن العامة صاروا يرون قراءة السجدة يوم الجمعة واجبة وينكرون على من يتركها. فقال: تقرأ في وقت وتترك في وقت فيعرفوا أنها غير واجبة. اهـ.

وقال بعض أصحابنا: وقد ترك الحنفية إلاّ ما ندر منهم هذه السنة ولازم عليها الشافعية إلا القليل، فظن جهلة المذهبين بطلان الصلاة بالفعل والترك، فلا ينبغي الترك دائماً ولا الملازمة أبداً، وروي أنه ﷺ كان يقرأ في الظهر «والليل إذا يغشى» وقرأ فيها «سبح اسم ربك» وفي العشاء الأخيرة: «والشمس وضحاها» وفي المغرب: «قل يا أيها الكافرون» و «قل هو الله أحد» والظاهر أن هذا الاختلاف لاختلاف الأحوال، ولذا قال ﷺ: «مَنْ أَمَّ قوماً فليصلّ بهم

قاربها. وفي الصبح في السفر: ﴿قُلْ يا أيُّها الكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] و﴿قل هو الله أحد﴾ [الاخلاص: ١]، وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا في أول الصلاة.

صلاة أضعفهم» وهي لا تبلغ القدر المسنون ولكن تكون سنّة باعتبار مراعاة الحال. روي أنه ﷺ قرأ في الفجر بالمعوّذتين، فلما فرغ قالوا أوجزت قال: سمعت بكاء صبي فخشيت أن تفتن أمه». وكذا قال صاحب البدائع ان التقدير يختلف باختلاف الحال والوقت والقوم، وفي الشامل قال أصحابنا: لو قرأ الإمام والمنفرد في الصبح والظهر من أوساط المفصل أو قصاره لم يكن خارجاً من السنّة، فقد روي أن النبي ﷺ قرأ في الصبح: «إذا زلزلت»، وروي أيضاً أنه قرأ: «بلا أقسم» وقال النووي: استحباب قراءة طوال المفصل وأوساطه إذا رضي المأمومون المحصورون بتطويله وإلاّ فليخفف. قال الأذرعي: وهو غريب وعبارات الأئمة ترد عليه، وكذلك حديث تطويل معاذ في العشاء. (و) استثنى الشيخ أبو حامد في مختصره والمصنف في الخلاصة والبداية أنه يستحب (في الصبح في السفر) أن يقرأ في الأولى (﴿قُل يا أيها الكافرون﴾ و) في الثانية (﴿قل هو الله أحد﴾) قال المزجد، قال ابن النحوي: وفيه حديث رأيته في المعجم للطبراني في إسناده ضعيفان.

قلت: والذي في سنن أبي داود: «أنه ﷺ قرأ بالمعوّذتين في الفجر في السفر» وشمل الاطلاق حالة القرار كحالة السير، فما وقع في كتب أصحابنا أنه محمول على حالة العجلة والسير ليس له أصل يعتمد عليه من جهة الرواية فقال: وفي الجزء الثامن عشر من الخلفيات من حديث ابن عمر: «وقد صلى بهم الفجر فقرأ قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد» قال الحافظ: رجاله ثقات إلا مبدل بن علي وفيه ضعف وكأنه وهم في قوله بهم، فإن الثابت أنه كان يقرأ بهما في ركعتي الفجر، والذي نقله المزجد عن ابن النحوي أنه رآه في معجم الطبراني وفي سنده ضعيفان أشار بذلك والله أعلم إلى ما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير فقال: حدثنا محمد بن يعقوب، حدثنا أبو الأشعث، حدثنا أصرم بن حوشب، حدثنا إسحاق بن واصل، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين قال: قلنا لعبدالله بن جعفر: حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ وما رأيت منه ولا تحدثنا عن غيره وإن كان ثقة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكر حديثاً طويلاً وفيه: «وكان يقرأ في الركعتين قبل الصبح وفي الركعتين بعد المغرب قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد». قال الحافظ أصرم وشيخه ضعيفان. قلت: لكن لا يتم الاستدلال به لكونه نصاً في ركعتي السنّة لا الفرض. **(وكذلك)** الحكم **(في ركعتي الفجر)** أي سنته **(و)** ركعتي **(الطواف و)** ركعتي **(التحية)** أي تحية المسجد، وكذا الاستخارة، وركعتي المغرب، وكان على المصنف أن يذكرهما كذلك. فإن حكم الكل واحد أما ركعتا الفجر فقد أخرجه الترمذي، وابن ماجه ومحمد بن نصر من حديث ابن مسعود، والطبراني من حديث عبدالله بن جعفر، وقد ذكر قريباً. وأما ركعتا الطواف فأخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة من حديث

الركوع ولواحقه:

ثم يركع ويراعي فيه أموراً وهو أن يكبِّر للركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة

جابر. وأما ركعتا الاستخارة فقال النووي في الاذكار لم أقف عليها في شيء من الأحاديث. وقال العراقي في شرح الترمذي بعد أن نقل كلام النووي: سبقه إليه الغزالي في الإحياء ولم أجد لذلك أصلاً ولكنه حسن لأن المقام يناسب الاخلاص فتأمل.

تنبيه:

قال الرافعي: وهل تفضل الركعة الأولى على الثانية؟ فيه وجهان: أظهرهما لا، والثاني وبه قال الماسرجسي: نعم. قال النووي، قلت: الذي صححه هو الراجح عند جماعة الأصحاب، لكن الأصح التفضيل فقد صح فيه الحديث، واختاره القاضي أبو الطيب والمحققون، ونقله عن عامة أصحابنا الخراسانيين والله أعلم.

قلت: وعند أبي حنيفة وأبي يوسف لا يسنّ إطالة أولى غير الفجر، وقال محمد: أحب إليَّ أن أطول الأولى على الثانية في الصلوات كلها، ولهما ما رواه أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ «كان يقرأ في صلاة الظهر في الركعتين الأوليين في كل ركعة قدر خمس عشرة آية». أخرجه مسلم فإنه نص ظاهر في المساواة، ولمحمد حديث أبي قتادة: «أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر في الركعتين الأوليين فاتحة الكتاب وسورتين. وفي الركعتين الأخريين بفاتحة الكتاب ويطول في الأولى ما لا يطوّل في الثانية. وهكذا في العصر وهكذا في الصبح» رواه الشيخان واللفظ للبخاري. ورواه أبو داود بمعناه، وفي رواية له: «وكان يطول الركعة الأولى من الظهر ويقصر الثانية وكذا في الصبح». فهذا يحتمل أن يكون التطويل فيه ناشئاً عن جملة الثناء والتعوّذ والتسمية وقراءة ما دون الثلاث فيحمل عليه جمعاً بين المتعارضين بقدر الإمكان وقيدنا بالإطالة في الأولى لأنه يكره إطالة الثانية على الأولى اتفاقاً، وإنما يكون بثلاث آيات فما فوقها، فإن كان آية أو آيتين لا يكره لأنه ﷺ قرأ بالمعوّذتين في المغرب والثانية أطول بآية، والله أعلم.

الركوع ولواحقه:

وهو الركن الرابع، **(ثم)** إذا فرغ من القراءة **(يركع ويراعي فيه)** أي في ركوعه **(أموراً)** هي سننه وآدابه ومستحباته، ولم يذكر المصنف هنا أقل الركوع واقتصر على ذكر أكمله كما سيأتي في سياقه. وذكر في الوجيز والوسيط في أقله سنتين لا بدّ منهما. أحدهما: أن ينحني بحيث تنال راحتاه إلى ركبته فلو انحنى وأخرج ركبتيه وهو مائل منتصب لم يكن ركوعاً، وإن كان بحيث لو مدّ يده لنالت راحتاه ركبتيه لم يكن بالانحناء، هذا حد ركوع القائمين، والثاني: أن يطمئن وفيه خلاف لأبي حنيفة فإنه قال: لا يجب الطمأنينة كما سيجيء قريباً، ثم شرع المصنف في الذكر المستحب في الركوع فقال: **(أن يكبّر للركوع)** أي يستحب أن يقول: «الله

....

أكبر » للركوع لما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه: « أن النبي ﷺ كان يكبر في كل خفض ورفع وقيام وقعود ». رواه أحمد والنسائي والترمذي وقال: حسن صحيح. قلت: وهو مسنون عندنا أيضاً سوى الرفع من الركوع فإنه يسن فيه التحميد كما ورد في الخبر، **(و)** من سنن الركوع **(أن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع)** ونصه في الوجيز إلى ابتداء الركوع خلافاً لأبي حنيفة. قال الرافعي لنا ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما: « أن النبي ﷺ كان يرفع يديه حذو منكبيه إذا كبّر وإذا ركع وإذا رفع رأسه من الركوع ».

قلت: أخرجه الشيخان. قال العراقي في شرح التقريب: ورفع اليدين في المواطن الثلاثة قال به أكثر العلماء من السلف والخلف. قال ابن المنذر: روينا ذلك عن ابن عمر، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وابن الزبير، وأنس بن مالك، وقال الحسن البصري: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أيديهم إذا كبّروا وإذا ركعوا وإذا رفعوا رؤوسهم من الركوع كأنها المراويح، وروي ذلك عن جماعة من التابعين ومن بعدهم وهو قول الليث بن سعد، والشافعي، وأحمد وإسحاق، وأبي ثور، وحكاه ابن وهب عن مالك اهـ.

وقد حكاه عن مالك أيضاً أبو مصعب، وأشهب، والوليد بن مسلم، وسعيد بن أبي مريم، وجزم به الترمذي عن مالك. وقال البخاري يروى عن عدة من أهل الحجاز والعراق والشام والبصرة ذلك. منهم سعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، ومجاهد، والقاسم بن محمد، وسالم، وعمر بن عبدالعزيز، والنعمان بن أبي عياش، والحسن، وابن سيرين، وطاوس، ومكحول، وعبدالله بن دينار، ونافع، وعبيدالله بن عمر، والحسن بن مسلم، وقيس بن سعد وغيرهم اهـ.

وقال البيهقي: قد رويناه عن أبي قلابة، وأبي الزبير، ثم عن الأوزاعي، ومالك، والليث بن سعد، وابن عيينة، ثم عن الشافعي، ويحيى القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبدالله بن المبارك، ويحيى بن يحيى، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن ابراهيم الحنظلي وعدة كثيرة من أهل الآثار بالبلدان. وقالت طائفة: لا يرفع يديه فيما سوى الافتتاح وهو قول سفيان الثوري وأبي حنيفة وأصحابه والحسن بن صالح بن حي وهو رواية ابن القاسم عن مالك. قال ابن عبد البر: وتعلق بهذه الرواية عن مالك أكثر المالكيين. وقال الشيخ تقي الدين في شرح العمدة: وهو المشهور من مذهب مالك والمعمول به عند المتأخرين منهم اهـ.

وقال محمد بن عبدالله بن عبدالحكم: لم يروِ أحد عن مالك مثل رواية ابن القاسم في رفع اليدين. قال محمد: والذي آخذ به أن أرفع على حديث ابن عمر. وروى ابن أبي شيبة في مصنفه. الرفع في تكبيرة الاحرام فقط عن علي، وابن مسعود، والأسود، وعلقمة، والشعبي، وابراهيم النخعي، وخيثمة وقيس بن أبي حازم، وأبي إسحاق السبيعي. وحكاه عن أصحاب علي وابن مسعود. وحكاه الطحاوي عن عمر وذكر ابن بطال: أنه لم يختلف عنه في ذلك وهو عجيب،

فإن المشهور عنه الرفع في المواطن الثلاثة هو آخر أقواله وأصحها، والمعروف من عمل الصحابة ومذهب كافة العلماء إلاّ من ذكر اهـ.

وكذا قال الخطابي: انه قول مالك في آخر أمره، وقال محمد بن نصر المروزي: لا نعلم مصراً من الأمصار تركوا باجماعهم رفع اليدين عند الخفض والرفع في الصلاة إلاَّ أهل الكوفة، وكلهم لا يرفع إلا في الإحرام. وقال ابن عبد البر: لم يروَ عن أحد من الصحابة ترك الرفع عند كل خفض ورفع ممن لم يختلف عنه فيه إلا ابن مسعود وحده. وروى الكوفيون عن علي مثل ذلك، وروى المدنيون عنه الرفع من حديث عبيدالله بن أبي رافع اهـ.

وذكر عثمان بن سعيد الدارمي: أن الطريق عن علي في ترك الرفع واهية. وقال الشافعي في رواية الزعفراني عنه. ولا يثبت عن علي وابن مسعود، ولو كان ثابتاً عنهما لا يبعد أن يكون رآهما مرة أغفلا رفع اليدين، ولو قال قائل: ذهب عنهما حفظ ذلك عن النبي ﷺ وحفظه ابن عمر لكانت له الحجة اهـ.

وروى البيهقي في سننه عن وكيع قال: صليت في مسجد الكوفة فإذا أبو حنيفة قائم يصلي وابن المبارك إلى جنبه يصلي، فإذا عبدالله يرفع يديه كلما ركع وكلما رفع، وأبو حنيفة لا يرفع. فلما فرغوا من الصلاة قال أبو حنيفة لعبدالله يا أبا عبد الرحمن: رأيتك تكثر رفع اليدين أردت أن تطير، فقال له عبدالله يا أبا حنيفة؛ قد رأيتك ترفع يديك حين افتتحت الصلاة فأردت أن تطير فسكت أبو حنيفة. قال وكيع: فما رأيت جواباً أحضر من جواب عبدالله لأبي حنيفة. وروى البيهقي أيضاً عن سفيان بن عيينة قال: اجتمع الأوزاعي والثوري بمنى فقال الأوزاعي للثوري: لـمَ لا ترفع يديك في خفض الركوع ورفعه؟ فقال الثوري: حدثنا يزيد بن أبي زياد، فقال الأوزاعي: أروي لك عن الزهري عن سالم، عن أبيه عن النبي ﷺ، وتعارضني بيزيد بن أبي زياد، ويزيد رجل ضعيف الحديث حديثه مخالف للسنة. قال: فاحمار وجه سفيان، فقال الأوزاعي: كأنك كرهت ما قلت. قال الثوري: نعم. فقال الأوزاعي: قم بنا إلى المقام نلتعن أينا على الحق. قال: فتبسم الثوري لما رأى الأوزاعي قد احتد إلى هنا كله كلام العراقي في شرح التقريب.

ونحن نتكلم معه بإنصاف في أكثر ما نقله عن الأئمة فأقول: حديث ابن عمر الذي يحتج به في رفع اليدين في المواطن الثلاث قد وجدت فيه زيادة رواها البخاري من رواية عبد الأعلى، عن عبيدالله، عن نافع، عن ابن عمر: «وإذا قام من الركعتين رفع يديه» ويرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ. وقال أبو داود: الصحيح قول ابن عمر ليس بمرفوع، ورجح الدارقطني الرفع فقال: إنه أشبه بالصواب، ويوافقه أيضاً قوله في حديث أبي حميد الساعدي في عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ في صفة صلاة النبي ﷺ: «ثم إذا قام من الركعتين كبّر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما كبر عند افتتاح الصلاة». رواه أبو داود، والترمذي، وابن حبان في صحيحه

....

وغيرهم. وقال الخطابي: هو حديث صحيح، وقد قال به جماعة من أهل الحديث ولم يذكره الشافعي، والقول به لازم على أصله في قول الزيادات، ومثله قول ابن خزيمة فما لزم خصمه من القول بزيادة الرفع عند الركوع والرفع منه لزمه مثله من القول بزيادة الرفع عند القيام من الركعتين والحجة واحدة، وقد أشار إلى ذلك ابن دقيق العيد في شرح العمدة، وأخرجه البيهقي أيضاً من طريق شعبة عن الحكم: رأيت طاوساً يكبر فرفع يديه حذو منكبيه وعند ركوعه وعند رفع رأسه من الركوع، فسألت رجلاً من أصحابه فقال: إنه يحدث به عن ابن عمر عن عمر عن النبي ﷺ. قلت قال في (الأم) كذا رواه آدم وابن عبدالجبار المروزي عن شعبة ووهما فيه، والمحفوظ عن ابن عمر عن النبي ﷺ. وهذه الرواية ترجع إلى مجهول، وهو الرجل الذي من أصحاب طاوس حدث الحكم، فإن كانت قد رويت من وجه آخر على هذا الوجه عن عمر وإلاّ فالمجهول لا تقوم به حجة. وفي الخلافيات للبيهقي ورواه غندر عن شعبة ولم يذكر في إسناده عمر على أنه قد روي عن ابن عمر خلاف ذلك. قال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن حصين، عن مجاهد قال: ما رأيت ابن عمر يرفع يديه إلا في أول ما يفتتح به الصلاة وهذا سند صحيح، وقول محمد بن نصر المروزي. وروى المدنيون الرفع عن علي من حديث عبيدالله بن أبي رافع عنه.

قلت: أخرجه البيهقي من طريق عبدالرحمن بن أبي الزناد، عن موسى بن عقبة، عن عبدالله بن الفضل، عن عبدالرحمن الأعرج، عن عبيدالله بن أبي رافع، عن علي. وابن أبي الزناد قال ابن حنبل مضطرب الحديث، وقال: هو وأبو حاتم لا يحتج به. وقال الغلاس: تركه ابن مهدي، ثم في هذا الحديث أيضاً زيادة وهي الرفع عند القيام من السجدتين فيلزم أيضاً الشافعي أن يقول به على تقدير صحة الحديث، وهو لا يرى ذلك. وقد رواه ابن جريج عن موسى بن عقبة وليس فيه الرفع عند الركوع، والرفع منه كما أخرجه البيهقي أيضاً في السنن ولا نسبة بين ابن جريج وابن أبي الزناد. وأخرجه مسلم من حديث الماجشون، عن الأعرج بسنده هذا وليس فيه أيضاً الرفع عند الركوع والرفع منه. وقد روى أبو بكر النهشلي عن عاصم بن كليب عن أبيه عن علي أنه كان يرفع يديه في التكبيرة الأولى من الصلاة ثم لا يرفع في شيء منها. قال البيهقي، قال الدارمي: فهذا روي من هذا الطريق الواهي، وقد روى الأعرج عن عبيدالله بن أبي رافع عن علي بخلاف ذلك، فليس الظن بعلي أنه يختار فعله على فعل النبي ﷺ، ولكن ليس أبو بكر النهشلي ممن يحتج بروايته أو تثبت به سنة لم يأت بها غيره.

قلت: كيف يكون هذا الطريق واهياً ورجاله ثقات؟ فقد رواه عن النهشلي جماعة من الثقات ابن مهدي، وأحمد بن يونس وغيرهما. وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، عن وكيع، عن النهشلي والنهشلي أخرج له مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم ووثقه ابن حنبل وابن معين. وقال أبو حاتم شيخ صالح يكتب حديثه ذكره ابن أبي حاتم. وقال الذهبي في كتابه: رجل صالح تكلم فيه ابن حبان بلا وجه. وعاصم وأبوه ثقتان. وقال الطحاوي في كتابه الرد على الكرابيسي: الصحيح مما

....

كان عليه علي بعد النبي ﷺ ترك الرفع في شيء من الصلاة غير التكبيرة الأولى، فكيف يكون هذا الطريق واهياً بل الذي روي من الطريق الواهي هو ما رواه ابن أبي الزناد، عن عبيدالله بن أبي رافع، عن علي كما تقدم الكلام عليه. وقوله: فليس الظن بعلي الخ لخصمه أن يعكسه ويجعل فعله بعد النبي ﷺ دليلاً على نسخ ما تقدم. إذ لا يظن به أنه يخالف فعله عليه السلام إلا بعد ثبوت نسخه عنده، وبالجملة ليس هذا نظر المحدث ولذا قال الطحاوي: وصح عن علي ترك الرفع في غير التكبيرة الأولى فاستحال أن يفعل ذلك بعد النبي ﷺ إلا بعد ثبوت نسخ الحديث عنده. وقوله في رد قول ابن بطال حين ذكر فيمن لم يختلف عنه في الرفع عند الإحرام فقط عمر بن الخطاب وهو عجيب إلخ.

قلت: قال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا يحي بن آدم، عن حسن بن عياش، عن عبدالملك بن أبجر، عن الزبير بن عدي، عن ابراهيم، عن الأسود قال: صليت مع عمر فلم يرفع يديه في شيء من صلاته إلا حين افتتح الصلاة. ورأيت الشعبي، وابراهيم، وأبا إسحاق لا يرفعون أيديهم إلا حين يفتتحون الصلاة، وهذا السند صحيح على شرط مسلم. وقال الطحاوي: ثبت ذلك عن عمر.

وقوله: وروى البيهقي في سننه عن وكيع قال: صليت في مسجد الكوفة إلى آخر القصة.

قلت: في سند هذه الحكاية جماعة يحتاج إلى النظر في أمرهم.

وقوله: عن البيهقي أيضاً اجتمع سفيان الثوري والأوزاعي بمنى إلى آخر القصة وفيها فقال الثوري حدثنا يزيد بن أبي زياد.

قلت: يشير بذلك إلى ما حدثه يزيد المذكور عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن البراء رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ: «إذا افتتح الصلاة رفع يديه». قال سفيان: ثم قدمت الكوفة فسمعته يحدث بهذا، وزاد فيه ثم لا يعود فظننت أنهم لقنوه. قال ابن عدي في الكامل: رواه هشيم وشريك وجماعة معهما عن يزيد بإسناده، وقالوا فيه ثم لم يعد، وأخرجه الدارقطني كذلك من رواية إسماعيل بن زكريا عن يزيد، وأخرجه البيهقي في الخلافيات من طريق النضر بن شميل، عن إسرائيل، عن يزيد، ووافق يزيد على روايته عيسى بن أبي ليلى، والحكم بن عيينة كلاهما عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، ومما يحتج به في المقام حديث ابن مسعود الذي رواه الثوري عن عاصم بن كليب، عن عبدالرحمن بن الأسود، عن علقمة، عن ابن مسعود وفيه: «فلم يرفع يديه إلا مرة واحدة» وقد اعترضوا عليه من ثلاثة أوجه. أحدها: أن ابن المبارك قال: لم يثبت عندي الثاني أن المنذري ذكر قول ابن المبارك، ثم قال وقال غيره لم يسمع عبدالرحمن من علقمة. الثالث: قال الحاكم: عاصم لم يخرج حديثه في الصحيح. والجواب عن الثلاثة أن عدم ثبوته عند ابن المبارك معارض بثبوته عند غيره، فإن ابن حزم صححه في المحلى وحسنه الترمذي، وقال: به يقول غير واحد من أهل العلم من الصحابة والتابعين وهو قول سفيان وأهل الكوفة. وقال

....

الطحاوي: وهذا مما لا اختلاف عن ابن مسعود فيه. وقال صاحب الإمام ما ملخصه: عدم ثبوته عند ابن المبارك لا يمنع من اعتبار حال رجاله ومداره على عاصم وهو ثقة. وعبدالرحمن بن الأسود تابعي أخرج له مسلم في مواضع من كتابه ووثقه ابن معين وعلقمة لا يسأل عنه لشهرته والاتفاق على الاحتجاج به، وقول المنذري وقال غيره لم يسمع عبدالرحمن من علقمة عجيب، فإنه تعليل بقول رجل مجهول شهد على النفي مع أن ابن أبي حاتم لم يذكر في كتابه في المراسيل أن روايته عن علقمة مرسلة، ولو كانت كذلك لكان من شرطه ذكرها. وقال في كتاب الجرح، وروي عن علقمة ولم يذكر أنه مرسل. وقال ابن حبان في كتاب الثقات: كان سنّه سن ابراهيم النخعي فما المانع من سماعه عن علقمة مع الاتفاق على سماع النخعي منه، وبعد هذا فقد صرح أبو بكر الخطيب في كتاب المتفق والمفترق أنه سمع من علقمة، وقول الحاكم عاصم لم يخرج حديثه في الصحيح إن أراد هذا الحديث، فليس ذلك بعلّة إذ لو كان علّة لفسد عليه كتابه المستدرك، وإن أراد لم يخرج له حديث في الصحيح فذاك أولاً ليس بعلة أيضاً إذ ليس شرط الصحيحين التخريج عن كل عدل، وقد أخرج هو في المستدرك عن جماعة لم يخرج لهم في الصحيح، وثانياً ليس الأمر كذلك فقد خرج له مسلم في غير موضع، والحاصل أن رجال هذا الحديث على شرط مسلم. وقد روى أيضاً محمد بن جابر، عن حماد بن أبي سليمان، عن ابراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود: صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر فلم يرفعوا أيديهم إلا عند افتتاح الصلاة، وقد حكى البيهقي عن الدارقطني أنه قال: تفرد به محمد بن جابر وكان ضعيفاً، وغير حماد يرويه عن ابراهيم مرسلاً عن عبدالله من فعله غير مرفوع إلى النبي ﷺ وهو الصواب.

قلت: ذكر ابن عدي أن إسحاق يعني ابن أبي إسرائيل كان يفضل محمد بن جابر على جماعة شيوخ هم أفضل منه وأوثق، وقد روى عنه من الكبار مثل أيوب، وابن عون، وهشام بن حسام، والسفيانين، وشعبة وغيرهم. ولولا أنه في ذلك المحل لم يرو عنه مثل هؤلاء الذين هو دونهم. وقال الغلاس: صدوق، وأدخله ابن حبان في الثقات، وحماد بن أبي سليمان روى له الجماعة إلا البخاري، ووثقه يحي القطان والعجلي، وقال شعبة: كان صدوق اللسان وإذا تعارض الوصل مع الإرسال والرفع مع الوقف فالحكم عند أكثرهم للواصل والرافع لأنهما زادا، وزيادة الثقة مقبولة. ومن هنا تعلم أن ما رواه الزعفراني عن الشافعي من أنه لا يثبت الرفع عن علي وابن مسعود الخ فيه نظر والمثبت مقدم على النافي.

وقال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا وكيع عن مسعر عن أبي معشر أظنه زياد بن كليب التميمي، عن ابراهيم، عن عبدالله «أنه كان يرفع يديه في أول ما يفتتح ثم لا يرفعهما» وهذا سند صحيح، وقال أيضاً: حدثنا وكيع وأبو أسامة، عن شعبة، عن أبي إسحاق قال: «كان أصحاب عبدالله وأصحاب علي لا يرفعون أيديهم إلا في افتتاح الصلاة» قال وكيع: «ثم لا يعودون» وهذا أيضاً سند صحيح جليل، ففي اتفاق أصحابهما على ذلك ما يدل على أن مذهبهما

....

كان كذلك، وبه تعلم أن قول من نسب ابن مسعود إلى النسيان في رفع اليدين دعوى لا دليل عليها ولا طريق إلى معرفة أن ابن مسعود علم ذلك ثم نسيه، والأدب في مثل هذا الذي نسبه فيه إلى النسيان أن يقال لم يبلغه، وكذا قولهم قد صح رفع اليدين عن النبي ﷺ، ثم عن الخلفاء الراشدين، ثم عن الصحابة والتابعين مناقش فيه. فقد صح عن أبي بكر وعمر وعلي خلاف ذلك كما تقدمت الإشارة إليه، والذي روي في الرفع عن عمر في سنده مقال، ولم أجد أحداً ذكر عثمان في جملة من كان يرفع يديه في الركوع والرفع منه. ثم في الصحابة من قصر الرفع على تكبيرة الافتتاح كما تقدم ذكرهم، وكذا جماعة من التابعين منهم: الأسود، وعلقمة، وابراهيم، وخيثمة، وقيس بن أبي حازم، والشعبي، وأبو إسحاق وغيرهم. روى ذلك كله ابن أبي شيبة في المصنف بأسانيد جياد. وروي ذلك أيضاً عن أصحاب علي وابن مسعود بسند صحيح وناهيك بهم، وقد ذكر ذلك، ثم إن الحكاية التي ساقها في اجتماع الثوري مع الأوزاعي بمنى وما قاله الأوزاعي أخرجها البيهقي من طريق محمد بن سعيد الطبري، حدثنا سليمان بن داود الشاذكوني، سمعت سفيان بن عيينة يقول فساقها.

قلت: محمد بن سعيد هذا لا يدرى من هو، والشاذكوني قال الرازي ليس بشيء متروك الحديث. وقال البخاري: هذا عندي أضعف من كل ضعيف، وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال مرة كان يكذب ويضع الحديث، وقد أخرج هذه القصة الحافظ أبو محمد الحرثي في مسند الإمام على غير الوجه الذي ذكره ابيهقي حيث روى عن الشاذكوني عن سفيان بن عيينة أنه اجتمع أبو حنيفة والأوزاعي في دار الحناطين بمكة، فقال الأوزاعي لأبي حنيفة: ما بالكم لا ترفعون أيديكم في الصلاة عند الركوع وعند الرفع منه؟ فقال أبو حنيفة: لأجل أنه لم يصح عن رسول الله ﷺ فيه شيء، فقال الأوزاعي: كيف لم يصح وقد حدثني الزهري، عن سالم، عن أبيه: «أنه ﷺ كان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة وعند الركوع وعند الرفع منه»، فقال أبو حنيفة: حدثنا حماد، عن ابراهيم، عن علقمة، والأسود، عن ابن مسعود: «أن النبي ﷺ كان لا يرفع يديه إلا عند افتتاح الصلاة ثم لا يعود لشيء من ذلك» فقال الأوزاعي: أحدثك عن الزهري عن سالم عن أبيه، وتقول حدثني حماد عن ابراهيم. فقال أبو حنيفة: كان حماد أفقه من الزهري، وكان ابراهيم أفقه من سالم، وعلقمة ليس بدون ابن عمر في الفقه، وإن كانت لابن عمر صحبة وله فضل صحبة، فالأسود له فضل كبير، وعبدالله عبدالله فسكت الأوزاعي اهـ. فرجح الإمام بفقه الراوي، كما رجح الأوزاعي بعلو الاسناد وهو المذهب المنصور، والله أعلم.

تنبيه:

الذي دل عليه حديث الباب فعل الرفع في المواطن الثلاثة، ولا دلالة فيه على وجوب ذلك ولا استحبابه، فإن الفعل محتمل لهما والأكثرون على الاستحباب. وقال ابن عبدالبر: كل من رأى الرفع وعمل به من العلماء لا يبطل صلاة من لم يرفع إلا الحميدي وبعض أصحاب داود،

....

ورواية عن الأوزاعي قال: وهو شذوذ عن الجمهور وخطأ لا يلتفت إليه، وبعضهم لا يستحب الرفع عند تكبيرة الاحرام وهو رواية عن مالك حكاها عنه ابن شعبان، وابن خويز منداد، وابن القصار لكنها رواية شاذة لا معوّل عليها، والله أعلم.

تنبيه آخر:

قال أصحابنا: لا ترفع الأيدي إلا في سبعة مواضع يجمعها قولك فقعس صمعج، فالفاء لافتتاح الصلاة، والقاف للقنوت في الوتر، والعين لزوائد التكبيرات في العيدين وعند معاينة الكعبة فإنه يسن رفعها مبسوطتين نحو السماء، والسين لاستلام الحجر الأسود، والصاد للصفا حين يقوم عليه، والميم للمروة حين يقوم عليه، والعين لعرفة حين يقف بها وكذا المزدلفة، والجيم للجمرة الأولى والوسطى بعد رميها لما أخرج الطبراني من حديث ابن عباس رفعه: «لا ترفع الأيدي إلا في سبع مواطن حين يفتتح الصلاة، وحين يدخل المسجد الحرام فينظر البيت، وحين يقوم على الصفا، وحين يقوم على المروة، وحين يقف مع الناس عشية عرفة وبجمع والمقامين حين يرمي الجمرة»، وقد رواه الحاكم والبيهقي بغير أداة حصر بعدد فيكون قرينة على عدم إرادته فيجوز ان يزاد عليه غيره بدليل.

تنبيه آخر:

قال ابن الهمام: اعلم أن الآثار عن الصحابة والطرق عنه ﷺ كثيرة جداً والكلام فيها واسع والقدر المتحقق بعد ذلك كله ثبوت رواية كل من الأمرين عنه الرفع عند الركوع وعدمه، فيحتاج إلى الترجيح لقيام المعارض ويترجح ما صرنا إليه بأنه قد علم أنه كانت أقوال مباحة في الصلاة وأفعال من جنس هذا الرفع وقد علم نسخها، فلا يبعد أن يكون هو أيضاً مشمولاً بالنسخ خصوصاً ما يعارضه ثبوتاً لا مردّ له بخلاف عدمه فإنه لا يتطرق إليه عدم احتمال الشرعية اهـ.

وفي هذا إشارة إلى الرد على من ذهب من بعض العلماء من المتأخرين من بطلان الصلاة بالرفع عند الركوع، ومما يرده لزوماً اتفاق الأئمة على رفع الأيدي في تكبيرات الزوائد إذ لو كان الرفع مبطلاً للصلاة لأبطل صلاة العيدين لأنه لا وجه لتخصيص إبطاله ما سوى العيدين لكنه مكروه، والله أعلم.

تنبيه آخر:

قول المصنف: وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع. هكذا هو في القوت وغيره، وفي المنهاج ويكبر في ابتداء هويه للركوع ويرفع يديه كإحرامه. قال شارحه: قضية كلامه أن الرفع هنا كالرفع للاحرام وأن الهوي مقارن للرفع والأول ظاهر والثاني ممنوع، فقد قال في المجموع، قال أصحابنا: ويبتدىء التكبير قائماً ويرفع يديه ويكون ابتداء رفعه وهو قائم مع ابتداء التكبير،

الركـوع وأن يمد التكبير مداً إلى الانتهاء إلى الركوع، وأن يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق، وأن ينصب ركبتيه ولا يثنيهما، وأن يمد ظهره مستوياً، وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفيحـة

فإذا حاذى كفاه منكبيه انحنى، وفي البيان وغيره نحوه قال في المهمات: وهذا هو الصواب، وقال في الإقليد: لأن الرفع حال الانحناء متعذر أو متعسر والله أعلم.

ثم نعود إلى حل ألفاظ الكتاب قال الرافعي: ويبتدىء به في أثناء الهوي وهل يمده؟ فيه قولان: القديم وبه قال أبو حنيفة لا يمده بل يحذف لما روي أنه ﷺ قال: «التكبير جزم» أي لا يمد ولأنه لو حاول المد لم يأمن أن يجعل المد على غير موضعه فيتغير المعنى مثل أن يجعله على الهمزة فيصير استفهاماً، والجديد نعم وإليه أشار المصنف بقوله: **(وأن يمد التكبير مداً إلى الانتهاء إلى الركوع)** وفي نسخة إلى انتهاء الركوع، وفي الإقليد: إلى آخر الركوع، وفي شرح الوجيز إلى تمام الهوي حتى لا يخلو جزء من صلاته عن الذكر، وعبارة الاقليد لئلا يخلو فعل من أفعال الصلاة بلا ذكر ولا نظر إلى طول المدّ بخلاف تكبيرة الإحرام. قال الرافعي: والقولان في جميع تكبيرات الانتقالات هل يمدها من الركن المنتقل عنه إلى أن يحصل في المنتقل إليه، **(و)** يستحب **(أن يضع راحتيه)** وهما ما بطن من اليد، وعبارة المصنف في الوجيز يديه بدل راحتيه، وفي بعض المتون كفيه وقد رواه البخاري **(على ركبتيه في الركوع)** كالقابض عليهما **(وأصابعه منشورة)** أي مفرقة تفريقاً وسطاً، وقد رواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي. قال الرافعي: فإن كان أقطع أو كانت إحدى يديه عليلة، فعل بالأخرى ما ذكرناه، وإن لم يمكنه وضعهما على الركبتين يرسلهما. زاد الخطيب: أو يرسل إحداهما إن سلمت الأخرى.

قلت: وعند أصحابنا المرأة لا تفرج أصابعها في الركوع، وفي قوله منشورة إشارة إلى نسخ التطبيق، وهو ما روي عن مصعب بن سعيد قال: صليت إلى جنب سعد بن مالك، فجعلت يدي بين ركبتي وبين فخذي وطبقتهما فضرب بكفي وقال: اضرب بكفيك على ركبتيك وقال: يا بني إنا كنا نفعل ذلك فأمرنا أن نضرب بالأكف على الركب. **(موجهة نحو القبلة على طول الساق)** لأنها أشرف الجهات. قال ابن النقيب: ولم أفهم معناه. قال الولي العراقي: احترز بذلك عن أن يوجهها إلى غير جهة القبلة من يمنة أو يسرة، **(و)** ينبغي للراكع **(أن ينصب ركبتيه ولا يثنيهما)**. قال الرافعي: أن ينصب ساقيه إلى الحقو ولا يثني ركبتيه هذا هو الذي أراده بقوله: «وينصب ركبتيه». وعبارة المنهاج: ونصب ساقيه. قال شارحه: وفخذيه لأن ذلك أعون له ولا يثني ركبتيه ليتم له تسوية ظهره والساق ما بين القدم والركبة فلا يفهم منه نصب الفخذ، وكذا قال في الروضة ونصب ساقيه إلى الفخذ، **(وأن يمد ظهره مستوياً وأن يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره)** هو بيان لأكمل الركوع وهو تسوية ظهره وعنقه أي يمدهما بانحناء خالص بحيث يصيران **(كالصفيحة الواحدة)** ثم زاده بياناً فقال: **(لا يكون رأسه)** ورقبته

الواحدة لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع، وأن يجافي مرفقيه عن جنبيه، وتضم المرأة مرفقيها إلى جنبيها. وأن يقول: «سبحان ربي العظيم» ثلاثاً والزيادة إلى السبعة وإلى

(أخفض) من ظهره **(ولا أرفع)** أي أعلى، فإن تركه كره. نص عليه في (الأم) قال الرافعي: ويروى عن رسول الله ﷺ: «أنه نهى أن يدبج الرجل في الركوع كما يدبج الحمار»، قال: والتدبيج أن يبسط ظهره ويطأطىء رأسه فيكون رأسه أشد انحطاطاً من البقية. **قلت**: رواه الدارقطني من حديث علي، وأبي موسى، وأبي سعيد بإسناد ضعيف. **(وأن يجافي مرفقيه عن جنبيه)** رواه أبو داود في حديث أبي حميد ولفظه: «ووتر يديه يتجافى عن جنبيه» ورواه ابن خزيمة بلفظ: «ونحى يديه عن جنبيه» وللبخاري عن عبدالله بن بحينة «كان إذا ركع فرج بين يديه حتى يبدو إبطاه». **(وتضم المرأة مرفقيها إلى جنبيها)** فإنه أستر لها. وروى أبو داود في المراسيل عن يزيد بن أبي حبيب أنه ﷺ مر على امرأتين تصليان فقال: «إذا سجدتما فضما بعض اللحم إلى الأرض». ورواه البيهقي من طريقين موصولين لكن في كل منهما متروك، فهذا بيان أكمل الركوع، وفي القوت: وصورة الركوع أن يفرج بين أصابعه فيملأ بها ركبتيه ويجافي عضديه عن جنبيه ولا يرفع رأسه ولا يخفضه وليمد عنقه مع ظهره، فيكون رأسه وظهره سواء ولا يكون ظهره مخفوضاً إلى أسفل ولا عنقه إلى فوق اهـ.

وفي عبارات أصحابنا هو خفض الرأس مع الانحناء بالظهر، وبه يحصل مفروض الركوع. وأما كماله ليحصل الواجب والمسنون فبانحناء الصلب حتى يسوّى الرأس بالعجز محاذاة وهو حد الاعتدال فيه، فإن كان إلى حال القيام أقرب لا يجوز، وإن كان إلى حال الركوع أقرب جاز وركنية الركوع متعلقة بأدنى ما ينطلق عليه اسم الركوع عند أبي حنيفة ومحمد خلافاً لأبي يوسف وهي مسألة تعديل الأركان، ويأخذ الركبتين بيديه مع تفريج الأصابع ونصب الساقين، وفي الدراية انحناؤهما مثل القوس مكروه عند أهل العلم. **(و)** يستحب **(أن يقول)** في ركوعه **(«سبحان ربي العظيم»)** قال النووي، قال أصحابنا: وأقل ما يحصل به الذكر في الركوع تسبيحة واحدة اهـ. **(ثلاثاً)** وفي القوت: ولا أقل من ثلاث وهو أدنى الكمال. كذا في المنهج ومثله في العوارف.

قلت: رواه الشافعي، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه من طريق ابن يزيد الهذلي، عن عون بن عبدالله بن عتبة، عن ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «إذا ركع أحدكم فقال سبحان ربي العظيم ثلاثاً فقد تم ركوعه وذلك أدناه»، وهو منقطع، ولذلك قال الشافعي بعد أن أخرجه إن كان ثابتاً، واصل هذا الحديث عند أبي داود، وابن ماجه، والحاكم، وابن حبان من حديث عقبة بن عامر قال: لما نزلت فـ﴿سبح باسم ربك العظيم﴾. قال: اجعلوها في ركوعكم، ولما نزلت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾. قال: اجعلوها في سجودكم. قال الخطيب في شرح المنهاج: والحكمة في تخصيص الأعلى بالسجود لأن الأعلى أفعل تفضيل يدل على رجحان معناه على غيره، والسجود في غاية التواضع فجعل الأبلغ مع الأبلغ والمطلق مع المطلق. **(والزيادة إلى السبعة**

العشرة حسن، إن لم يكن إماماً، ثم يرتفع من الركوع إلى القيام ويرفع يديه ويقول:

وإلى العشرة أحسن) يشير إلى أن الكمال له درجات فأدناه ثلاث كما هو مقتضى سياق المصنف، والذي يفهم من سياق التحقيق للنووي أن أدناه واحدة.

قلت: وأوجب أبو مطيع البلخي تلميذ الإمام التثليث وهو قول شاذ عندنا، وأوسطه خمس ثم سبع ثم تسع، وأعلى الكمال إحدى عشرة، وقيل: عشرة لقوله تعالى: ﴿تلك عشرة كاملة﴾ [البقرة: ٢٩٦]، وقال القاضي الروياني في الحلية: لا يزيد على خمس تسبيحات، واختار السبكي انه لا يتقيد بعدد بل يزيد في ذلك ما شاء، ثم الزائد على أدنى الكمال إنما يستحب **(إن لم يكن إماماً)** فإن الإمام لا يزيد على الثلاث كيلا يطول على القوم، وذلك فيما إذا لم يرضوا التطويل، فأما إذا رضوا فلا بأس بالزيادة على الثلاث.

تنبيه:

قال الرافعي واستحب بعضهم أن يضيف إليه: «وبحمده» وقال: إنه ورد في بعض الأخبار قال الحافظ في تخريجه: روى أبو داود من حديث عقبة بن عامر في حديث فيه: «وكان رسول الله ﷺ إذا ركع قال سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاث مرات، وإذا سجد قال سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات» قال أبو داود: وهذه الزيادة نخاف أن لا تكون محفوظة. وأخرجه الدارقطني من حديث ابن مسعود أيضاً قال: «من السنّة أن يقول الرجل في ركوعه سبحان ربي العظيم وبحمده، وفي سجوده سبحان ربي الأعلى وبحمده» وفيه السري بن إسماعيل، عن الشعبي، عن مسروق عنه. والسري ضعيف، وقد اختلف فيه على الشعبي فرواه الدارقطني أيضاً من حديث محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن الشعبي، عن صلة، عن حذيفة أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه: «سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثاً وفي سجوده سبحان ربي الأعلى وبحمده ثلاثاً». ومحمد بن عبد الرحمن ضعيف. وقد رواه النسائي من طريق المستورد بن الأحنف، عن صلة، عن حذيفة وليس فيه: «وبحمده». ورواه الطبراني، وأحمد من حديث أبي مالك الأشعري وهي فيه. وأحمد من حديث ابن السعدي وليس فيه «وبحمده» وإسناده حسن. ورواه الحاكم من حديث أبي جحيفة في تاريخ نيسابور وهي فيه وإسناده ضعيف. قال الحافظ: وفي جمعه هذا ردّ لإنكار ابن الصلاح وغيره هذه الزيادة. وقد سئل أحمد عنه فيما حكاه ابن المنذر فقال: أما أنا فلا أقول «وبحمده» قال الحافظ: وأصل هذه في الصحيح عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اغفر لي» اهـ.

تنبيه آخر:

قال الرافعي: وورد في الخبر أنه ﷺ كان يقول في ركوعه: «اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعضوي وشعري وبشري وما استقلت به قدمي لله رب العالمين». قال الحافظ: رواه الشافعي، عن ابراهيم بن محمد، أخبرني

« سمع الله لمن حمده » ويطمئن في الاعتدال ويقول: « ربنا لك الحمد ملء السموات

صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة به. وليس فيه « ولك خشعت وبك آمنت » ولا فيه « ومخي وعصبي ». ورواها أيضاً من حديث علي موقوفاً وفيه: « وبك آمنت » وفيه « ومخي » ومن طريق أخرى عن علي موقوفاً أيضاً وفيه: « ولك خشعت ». ورواه مسلم من حديث علي ولفظه: « اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت » إلى قوله « وعظمي » زاد فقال: « وعصبي ». ورواه ابن خزيمة، وابن حبان، والبيهقي، وفيه « أنت ربي » وفي آخره: « وما استقلت به قدمي لله رب العالمين » اهـ.

قلت: ولفظة « مخي » ليست في المحرر وهي في الشرح والروضة، وفي الروضة والمحرر « وعصبي » قبل « شعري » قال في الروضة: وهذا مع الثلاث أفضل من مجرد التسبيح اهـ.

ثم موضع هذا الدعاء بعد التسبيح كما في العوارف وأنه للمنفرد كما في المنهاج وأمام قوم محصورين راضين بالتطويل كما في شرحه، وأما أصحابنا فحملوا هذه الأحاديث الواردة على صلاة الليل والتطوعات ولا بأس للمنفرد أن يزيد ما ورد في السنّة، **(ثم يرتفع من الركوع إلى القيام)** وهو الاعتدال ولو لنافلة كما صححه في التحقيق. قال العراقي: هو عوده إلى ما كان قبل الركوع من قيام أو قعود، فلو سقط من الاعتدال إلى السجود من غير قصد وجب العود إلى الاعتدال ثم يسجد. كذا قرره صاحب التعليقة والمصباح اهـ.

وقال الرافعي: الاعتدال ركن في الصلاة غير مقصود في نفسه، ولذلك عدّ ركناً قصيراً فمن حيث أنه ركن يذكر مع الأركان، ومن حيث أنه ليس مقصوداً في نفسه يذكر تابعاً للركوع وهكذا الجلسة بين السجدتين. قال وقال أبو حنيفة: لا يجب الاعتدال، وله أن ينحط من الركوع ساجداً، وعن مالك روايتان إحداهما مثل مذهبنا والأخرى كمذهب أبي حنيفة، **(و)** يستحب عند **الاعتدال** أن **(يرفع يديه)** إلى حذو منكبيه، فإذا اعتدل قائماً حطهما. وقال أبو حنيفة: لا يرفع **(و)** يستحب أن **(يقول)** عند الارتفاع إلى الاعتدال **(« سمع الله لمن حمده »)** أي قبل الله حمد من حمده، وإرادة القبول من لفظ السماع مجاز، وقيل غفر له. وفي المستصفى « اللام » للمنفعة « والهاء » للكناية لا للاستراحة. **(و)** يجب **(أن يطمئن في الاعتدال)**. وعبارة المنهاج السادس أي من الأركان الاعتدال مطمئناً، ومعنى الطمأنينة هنا أن تستقر أعضاؤه على ما كان عليه قبل ركوعه بحيث ينفصل ارتفاعه من عوده إلى ما كان. قال في الروضة: واعلم أنه يجب الطمأنينة في الاعتدال كالركوع. وقال إمام الحرمين: وفي قلبي من الطمأنينة في الاعتدال شيء وفي كلام غيره ما يقتضي تردداً فيها، والمعروف الصواب وجوبها اهـ.

وأوضح من ذلك كلام الرافعي حيث بين وجه توقف إمام الحرمين فيها فقال: ذكر النبي ﷺ في حديث المسيء صلاته الطمأنينة في الركوع والسجود ولم يذكرها في الاعتدال ولا في القعدة بين السجدتين، فقال: ثم ارفع رأسك حتى تعتدل جالساً. وفي كلام الأصحاب ما يقتضي التردد فيها والمنقول هو الأول، وسيأتي الكلام على ذلك في السجود، **(ويقول: « ربنا لك**

ومليء الأرض ومليء ما شئت من شيء بعد ». ولا يطول هذا القيام إلا في صلاة

الحمد) هكذا هو في حديث ابن عمر باسقاط الواو، ويروى فيه أيضاً ولك الحمد باثباتها والروايتان معاً صحيحتان قاله الرافعي. قال الحافظ: أما الرواية باثبات «الواو» فمتفق عليها وأما باسقاطها ففي صحيح أبي عوانة. وذكر ابن السكن في صحيحه عن أحمد أنه قال: من قال ربنا قال ولك الحمد، ومن قال اللهم ربنا قال لك الحمد.

قلت: وفي البحر عن المجتبى أفضلها اللهم ربنا ولك الحمد، ويليه اللهم ربنا لك الحمد، ويليه ربنا لك الحمد. وقال أبو جعفر: لا فرق بينهما أي بين لك الحمد باسقاط الواو، وبين لك الحمد باثباتها. واختار صاحب المحيط اللهم ربنا لك الحمد، ثم قال الحافظ، قال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن «الواو» في قوله ربنا ولك الحمد فقال: هي زائدة. وقال النووي في شرح المهذب: يحتمل أنها عاطفة على محذوف أي أطعناك وحمدناك ولك الحمد اهـ.

قلت: وهكذا قدره الزيلعي في التبيين وفي الدراية الأولى أظهر، وفي شرح المنية قيل: الاظهر إثبات الواو لأن الكلام عليه جملتان.

قلت: وفي شرح المنهاج قال في «الأم» هو أحب إليَّ لأنه جمع معنيين الدعاء والاعتراف أي ربنا استجب لنا ولك الحمد على هدايتك إيانا، وزاد في التحقيق بعده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ولم يذكره الجمهور، وهو في البخاري من رواية رفاعة بن رافع وفيه أنه ابتدره بضعة وثلاثون ملكاً يكتبونه، وذلك أن عدد حروفها كذلك، وأغرب النووي في المجموع حيث قال: لا يزيد الإمام على ربنا لك الحمد إلا برضا المأمومين وهو مخالف لما في الروضة والتحقيق، وقد جاءت زيادة بعد قوله لك الحمد فيما أخرجه مسلم من حديث عبدالله بن أبي أوفى قال: «كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال سمع الله لمن حمده اللهم لك الحمد» **(ملء السموات والارض وملء ما شئت من شيء بعد »)** أي بعدهما كالعرش والكرسي وغيرهما مما لا يعلم إلا هو، ويجوز في ملء الرفع على الصفة والنصب على الحال أي مالئاً لو كان جسماً. وزاد مسلم في آخره «اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد» وعند مسلم أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري وابن عباس زيادة بعد قوله «من شيء بعد وهي أهل الثناء والمجد حق ما قال العبد كلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد». وعند ابن ماجه من رواية أبي حجينة بنحوه وفيه قصة.

تنبيه

وقع في المهذب، وفي الشرح بإسقاط الالف من أحق وباسقاط الواو قبل كلنا، وتعقبه النووي فقال: هكذا نقله الأصحاب في كتب المذهب والذي في صحيح مسلم وغيره أحق باثبات الالف وكلنا لك عبد بزيادة الواو، وكلاهما حسن لكن ما ثبت في الحديث أولى اهـ. قال ابن الملقن وتلميذه الحافظ: هو في سنن النسائي بحذفها فنفي النووي إياه غريب.

التسبيح والكسوف والصبح. ويقنت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود.

تنبيه

يجمع الإمام عندنا بين التسميع والتحميد وهو قول الصاحبين، ورواية عن الإمام، واختاره الطحاوي وكذا المنفرد متفق عليه على الأصح عن الإمام، وأما المقتدي فإنه يكتفي بالتحميد اتفاقاً لظاهر حديث البخاري ومسلم، **(ولا يطول هذا القيام إلا في صلاة الصبح)** لما سيأتي بيانه، ولما كان القنوت مشروعاً في حال الاعتدال ذكره متصلاً بالكلام في الاعتدال فقال: **(ويقنت)** أي ويستحب أن يقنت **(في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود)** قال الرافعي: القنوت مشروع في صلاتين. احداهما: النوافل وهي الوتر في النصف الأخير من رمضان، والثاني في الفرائض وهو الصبح، فيستحب القنوت فيها في الركعة الثانية خلافاً لأبي حنيفة حيث قال: لا يستحب. وعن أحمد: أن القنوت للأئمة يدعون للجيوش وان ذهب إليه ذاهب فلا بأس ومحله بعد الرفع من الركوع خلافاً لمالك حيث قال: يقنت قبل الركوع لنا ما روي عن ابن عباس، وأبي هريرة، وأنس «أن النبي ﷺ قنت بعد رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة». والقنوت أن يقول: «اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وقني شر ما قضيت فإنك تقضي ولا يقضي عليك إنه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت» هذا القدر يروى عن الحسن بن علي أن رسول الله ﷺ علمه، وزاد العلماء فيه «ولا يعز من عاديت» قبل «تباركت وتعاليت» وبعده «فلك الحمد على ما قضيت أستغفرك وأتوب إليك» ولم يستحسن القاضي أبو الطيب كلمة: ولا يعز من عاديت، وقال: لا تضاف العداوة إلى الله تعالى قال سائر الاصحاب: وليس ذلك ببعيد اهـ.

قال النووي في الروضة قلت، قال جمهور أصحابنا: لا بأس بهذه الزيادة. وقال أبو حامد والبندنيجي وآخرون: مستحبة. واتفقوا على تغليط القاضي أبي الطيب إنكار «لا يعز من عاديت» وقد جاءت في رواية البيهقي اهـ.

قلت: أما حديث ابن عباس في القنوت بعد رفع الرأس من الركوع، فقد أخرجه أحمد، وأبو داود، والحاكم من حديث هلال بن خباب، عن عكرمة عنه. وأما حديث أبي هريرة فمتفق عليه، وكذا حديث أنس، وللبخاري مثله من حديث عمر، ولمسلم عن خفاف بن ايماء. وقال البيهقي: رواة القنوت بعد الرفع أكثر وأحفظ وعليه درج الخلفاء الراشدون. وروى الحاكم أبو أحمد في الكنى عن الحسن البصري قال: صليت خلف ثمانية وعشرين بدرياً كلهم يقنت في الصبح بعد الركوع واسناده ضعيف. وقول الرافعي: هذا القدر يروى عن الحسن بن علي عن النبي ﷺ قال الحافظ: نعم، ولكن ليس فيه عنه أن ذلك في الصبح، بل رواه أحمد والأربعة، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، والدارقطني، والبيهقي من طريق يزيد بن أبي مريم، عن أبي الجوزاء عنه، وأسقط بعضهم «الواو» من قوله: انه لا يذل، وأثبت بعضهم «الفاء» في قوله فإنك تقضي،

....

وزاد الترمذي قبل تباركت سبحانك، ولفظهم عن الحسن قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر، ونبه ابن خزيمة، وابن حبان على أن قوله في قنوت الوتر تفرد بها أبو إسحاق عن يزيد بن أبي مريم، وتبعه ابناه يونس واسرائيل كذا قال. ورواه شعبة وهو أحفظ من مائتين مثل أبي إسحاق. واثبت فلم يذكر فيه القنوت ولا الوتر، وإنما قال: كان يعلمنا هذا الدعاء. وقد رواه البيهقي من طرق قال في بعضها، قال يزيد بن أبي مريم فذكرت هذا لابن الحنفية فقال: إنه الدعاء الذي يدعو به في صلاة الفجر، ورواه من طريق عبد المجيد بن أبي رواد، عن ابن جريج، عن عبد الرحمن بن هرمز، وليس هو الاعرج، عن يزيد بن أبي مريم سمعت ابن الحنفية وابن عباس يقولان: كان النبي ﷺ يقنت في صلاة الصبح وفي وتر الليل بهؤلاء الكلمات. وأما زيادة «ولا يعز من عاديت» قبل تباركت وتعاليت فثابتة في الحديث كما قاله الرافعي، إلا أن النووي قال في الخلاصة: إن البيهقي رواها بسند ضعيف وتبعه ابن الرفعة في المطلب فقال: لم تثبت هذه الرواية. قال الحافظ: وهو معترض فإن البيهقي رواها من طريق إسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق، عن يزيد بن أبي مريم، عن أبي الجوزاء، عن الحسن أو الحسين بن علي فساقه بلفظ الترمذي وفيه «ولا يعز من عاديت». وأخرجه أحمد في مسند الحسين ابن علي من غير تردد من طريق شريك عن أبي إسحاق، وهذا وإن كان الصواب خلافه، والحديث من حديث الحسن لا من حديث أخيه الحسين، فإنه يدل على أن الوهم فيه من حديث أبي إسحاق فلعله ساقه من حفظه فنسي، والعمدة في كونه الحسن بن علي رواية يونس بن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي مريم، وعلى رواية شعبه عنه كما تقدم، ثم إن الزيادة المذكورة قد رواها أيضاً الطبراني من حديث شريك وزهير بن معاوية عن أبي إسحاق، ومن حديث الاحوص عن أبي إسحاق.

وقد وقع لنا عالياً جداً فيما أخبرناه السيد عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا عبدالله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا علي بن يحيى، أخبرنا يوسف بن عبد الله، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا أحمد بن علي الحافظ قال: قرأته على أبي الفرج بن حماد أن علّي بن اسماعيل أخبره، أخبرنا إسماعيل بن عبد القوي، أخبرتنا فاطمة بنت سعد الخير، أخبرتنا فاطمة بنت عبدالله، أخبرنا محمد بن عبدالله، حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا سليمان بن المتوكل، حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن يزيد بن أبي مريم، عن أبي الجوزاء، عن الحسن بن علي قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر «اللهم اهدني فيمن هديت» فذكر الحديث مثل ما ساقه الرافعي وزاد «ولا يعز من عاديت».

تنبيه

روى الحاكم في المستدرك من طريق عبدالله بن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في صلاة الصبح في الركعة الثانية رفع يديه

....

فيدعو بهذا الدعاء اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك إنه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت» قال الحاكم: صحيح. قال الحافظ: وليس كما قال هو ضعيف لأجل عبدالله، وعبدالله لو كان ثقة لكان الحديث صحيحاً، وكان الاستدلال به أولى من الاستدلال بحديث الحسن الوارد في قنوت الوتر.

قلت: ثم قول الرافعي: والامام لا يخص نفسه بل يذكر بلفظ الجمع، فقد قال النووي في المنهاج: ويسن أن يقنت الإمام بلفظ الجمع. قال شارحه: لأن البيهقي رواه في إحدى روايتيه هكذا بلفظ الجمع فحمل على الإمام فيقول: إهدنا وهكذا وفيه في اذكاره وقضية هذا طرده في سائر أدعية الصلاة، وبه صرح القاضي حسين، والغزالي في الإحياء في كلامه على التشهد، ونقل ابن المنذر في الإشراف عن الشافعي قال: لا أحب للإمام تخصيص نفسه بالدعاء دون القوم، والجمهور لم يذكروه إلا في القنوت، وذكر ابن القيم أن أدعية النبي ﷺ كلها بالافراد، ولم يذكر الجمهور التفرقة بين الإمام وغيره إلاّ في القنوت، وكان الفرق بين القنوت وغيره أن الكلمأمورون بالدعاء بخلاف القنوت، فإن المأموم يؤمن فقط قال: وهذا هو الظاهر كما أفتى به شيخي يعني الشهاب الرملي قال: وظاهر كلام المصنف كأصله تعيين هذه الكلمات للقنوت وهو وجه اختاره الغزالي، والذي رجحه الجمهور أنها لا تتعين، وعلى هذا لو قنت بما روى ابن عمر في الوتر «اللهم انا نستعينك» الخ كان حسناً ويسن الجمع بينهما للمنفرد ولإمام قوم محصورين راضين بالتطويل، ثم قال الرافعي: وهل يسن الصلاة على النبي ﷺ في القنوت؟ فيه وجهان. أحدهما: لا، لأن اخبار القنوت لم ترد به وأصحها، وبه قال الشيخ أبو محمد نعم لما روي من حديث الحسن أنه قال ﷺ «تباركت وتعاليت وصلّ اللهم على النبي وآله وسلم».

قلت: الذي عند النسائي من حديث ابن وهب، عن يحي بن عبدالله بن سالم، عن موسى بن عقبة عن عبدالله بن علي، عن الحسن بن علي «وصلى الله على النبي» ليس في السنن غير هذا وليس فيه وسلم ولا آله. قال الحافظ: ووهم المحب الطبري في الأحكام فعزاه إلى النسائي بلفظ «صلى الله على النبي محمد» وقال النووي في شرح المهذب: إنها زيادة بسند صحيح أو حسن. قال الحافظ: وليس كذلك، فإن عبدالله بن علي وهو ابن الحسين بن علي لم يلق الحسن بن علي، ومع ذلك فقد اختلف فيه على موسى بن عقبة في إسناده وتفرّد يحي بن عبدالله بن سالم عنه بقوله عن عبدالله بن علي وبزيادة الصلاة فيه.

تنبيه

قال الرافعي: حكى أبو الفضل بن عبدان عن أبي هريرة أنه قال: المستحب ترك القنوت في صلاة الصبح إذ صار شعار قوم من المبتدعة إذ الاشتغال به يعرض النفس للتهمة وهذا غريب

السجود:

ثم يهوي إلى السجود مكبّراً فيضع ركبتيه على الأرض ويضع جبهته وأنفه وكفيه مكشوفة، ويكبر عند الهوي ولا يرفع يديه في غير الركوع، وينبغي أن يكون أول ما

وضعيف، ثم قال الرافعي: وهل يجهر الإمام فـي صـلاة في القنوت؟ فيه وجهان. أحدهما: لا كسائر الدعوات وأظهرهما أنه يجهر، أما المنفرد فيسر به ذكره في التهذيب، وأما المأموم فالقول فيه مبني على الوجهين في الإمام، والأصح إن كان يسمع صوته أنه يؤمن ولا يقنت، والثاني ذكره ابن الصباغ أنه يخير بين التأمين والقنوت معه، فعلى الأول فماذا يؤمن فيه وجهان حكاهما الروياني وغيره أوفقهمـا لظاهر الخبر أنه يؤمن في الكل، وأظهرهما أنه يؤمن في القدر الذي هو دعاء اما في الثناء فيشاركه أو يسكت. وإن كان بعيداً عـن الإمـام بحيـث لا يسمـع صـوتـه فيـه وجهان. أحدهما: أنه يقنت، والثاني يؤمن. قال: وقد روي رفع اليدين في القنوت عن ابن مسعود، وعمر وعثمان وهو اختيار أبي زيد، والشيخ أبي محمد، وابن الصباغ، وهو الذي ذكره في الوسيط، واظهرهما عند صاحب المهذب والتهذيب أنه لا يرفع. وهذا اختيار القفال وإليه ميل إمام الحرمين، وهل يمسح وجهه؟ فإن قلنا: يرفع. فوجهان أصحهما في التهذيب أنه يمسح، وقـال النووي: الاصح أنه لا يستحب مسح على الوجه قطعاً بل نص جماعة على كراهته، والله أعلم.

السجود

وهو الركن الخامس، وذكر المصنف في الوجيز أقله وأكمله ودرج هنا الأقل في الأكمل مع ذكر ما يتعلق به من سنن وآداب ومستحبات فقال: **(ثم يهـوي)** أي يسقط **(إلى السجود)** حالة كونه **(مكبراً)** أي قائلاً الله أكبر، **(فيضع ركبتيه)** جميعاً **(على الأرض)** أولاً **(ويضع جبهته)** وهي ما اكتنفه الجبينان **(وكفيه مكشوفة)** أي بارزة. قال الرافعي: ولا بدّ من وضع الجبهة على الأرض خلافاً لأبي حنيفة حيث قال: الجبهة والأنف يجزىء كل واحد منهما عن الآخر ولا تتعين الجبهة لنا ما روي عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال «إذا سجدت فمكّن جبهتك من الأرض ولا تنقر نقراً».

قلت: أما الحديث فأخرجه ابن حبان من طريق طلحة بن مصرف، عن مجاهد عنه في حديث طويل، وليس فيه «من الأرض». ورواه الطبراني من طريق ابن مجاهد عن أبيه به نحوه. قال الحافظ: وقد بيض المنذري في كلامه على هذا الحديث في تخريج أحاديث المهذب، وقال النووي: لا يعرف. وذكره في الخلاصة في فصل الضعيف اهـ. وأما ما نسبه إلى ابي حنيفة فهو القول المشهور عنه، والأصح أنه رجع إلى قول صاحبيه في مسائل معلومة. منها عدم جواز الاقتصار في السجود على الانف بلا عذر في الجبهة، ثم قال الرافعي: ولا يجب وضع جميع الجبهة

على الأرض، بل يكفي وضع ما يقع عليه الاسم منها، وذكر القاضي ابن كج أن أبا الحسين القطان حكى وجهاً أنه لا يكفي وضع البعض لظاهر خبر ابن عمر، والمذهب الاول لما روي عن جابر قال: رأيت رسول الله ﷺ يسجد بأعلى جبهته على قصاص الشعر.

قلت: خرّجه الدارقطني في السنن بسند فيه ضعيف، وكذا الطبراني في الأوسط وفيه أبو بكر ابن أبي مريم وهو رديء الحفظ يحدث بالشيء ويهم فيه قاله ابن حبان.

ثم قال الرافعي: ولا يجزىء وضع الجبين عن وضع الجبهة وهما جانبا الجبهة، وهل يجب وضع اليدين والركبتين والقدمين على مكان السجود؟ فيه قولان. أحدهما: يجب وبه قال أحمد وهو اختيار الشيخ أبي علي، وأصحهما لا يجب وبه قال أبو حنيفة وهو رواية عن مالك أيضاً لأنه لو وجب وضعها لوجب الايماء بها عند العجز وتقريبها من الأرض كالجبهة. فإن قلنا: يجب فيكفي وضع جزء من كل واحد منها والاعتبار في اليدين بباطن الكف وفي الرجلين بباطن الأصابع، فإن قلنا: لا يجب فيعتمد على ما شاء منها ويرفع ما شاء ولا يمكنه أن يسجد مع رفع الجميع. هذا هو الغالب أو المقطوع به. وقال النووي: الأظهر وجوب الوضع. قال الشيخ أبو حامد في تعليقه: إذا قلنا لا يجب وضعها فلو أمكنه ان يسجد على الجبهة وحدها أجزأه، ولذا قال صاحب العدة: لو لم يضع شيئاً منها أجزأه، ومن صور رفعها كلها إذا رفع الركبتين والقدمين ووضع ظهر القدمين أو حرفها فإنه في حكم رفعها اهـ.

قلت: وقال أصحابنا: السجدة إنما تتحقق بوضع الجبهة لا الأنف مع وضع إحدى اليدين واحدى الركبتين وشيء من أطراف أصابع إحدى القدمين على الأرض، فإن لم يوجد وضع هذه الاعضاء لا تتحقق السجدة، فإذا انتقل إلى ركعة أخرى لم تكن السابقة صحيحة، وإذا وضع البعض المذكور صحت على المختار مع الكراهة وتمام السجود باتيانه بالواجب فيه، ويتحقق بوضع جميع اليدين والركبتين والقدمين والأنف مع الجبهة.

قال الفقيه أبو الليث: وضع القدمين على الأرض حالة السجود فرض فإن وضع إحداهما دون الأخرى جاز، وقال الفقيه أبو حفص: إذا اقتصر على بعض الجبهة جاز، وأقره الزاهدي والحلواني، وعليه مشى في الكافي. ونقل الشيخ أبو نصر ما يفيد اشتراط وضع أكثر الجبهة، والصحيح من قول أبي حنيفة أن يضع من جبهته بمقدار الأنف حتى يجوز وإلاّ فلا. ووضع جميع الجبهة ليس بشرط بالاجماع. وقالوا: لا يكفي لصحة السجود وضع ظاهر القدم لأنه ليس محله وهو اختيار الفقيه أبي الليث كما في البرهان، ولو سجد ولم يضع قدميه أو احداهما على الأرض في سجوده لا يجوز سجوده، ولو وضع إحداهما جاز كما لو قام على قدم واحد، وظاهره في مختصري الكرخي والقدوري والمحيط أن الاقتصار على أحد القدمين دون الآخر لا يجوز، وذكر شارح المنية فيه روايتين، والمراد من وضع القدم وضع أصابعها ولو واحدة ولا يكون وضعاً إلا بتوجيهها نحو القبلة ليتحقق السجود بها وإلاّ فهو ووضع الظهر سواء وهو غير معتبر، وهذا مما

....

يجب التنبه له والكثير عنه غافلون. ثم قال الرافعي: ولا يجب وضع الأنف على الأرض، وقال النووي قلت: حكى صاحب البيان قولاً غريباً أنه يجب وضع الأنف مع الجبهة مكشوفاً اهـ.

قلت: وعندنا في الأنف المجرد عن ضم الجبهة اختلاف، والصحيح ان ضمها إليه واجب، وأما مذهب مالك فالذي في الإفصاح لابن هبيرة أنه اختلفت الرواية عنه، فروى عنه ابن القاسم أن الفرض يتعلق بالجبهة، وأما الانف فإن أخل به أعاد في الوقت استحباباً ولم يعد بعد خروج الوقت فأما إن أخل بالجبهة مع القدرة واقتصر على الأنف أعاد أبداً. وقال ابن حبيب من أصحابه: الفرض يتعلق بهما معاً، وروى أشهب عنه كمذهب أبي حنيفة، وعن أحمد روايتان. أحداهما: تعلق الفرض بالجبهة، والاخرى تعلقهما معاً وهي المشهورة اهـ.

وقول المصنف: مكشوفة راجع إلى الجبهة أي يجب كشفها للسجود، واستدل عليه الرافعي بحديث خباب قال: « شكونا إلى رسول الله ﷺ حر الرمضاء في جباهنا وأكفنا فلم يشكنا أي لم يـزل شكوانا ».

قلت: رواه الحاكم في الاربعين له عن أبي إسحاق عن سعيد بن وهب عنه بهذا، وأصله في مسلم من رواية أحمد بن يونس، عن أبي إسحاق إلا أنه ليس فيه في جباهنا وأكفنا ولا لفظ حر، ورواه البيهقي من هذا الوجه في السنن والخلافيات، ومن طريق زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق أيضاً، ورواه هو وابن المنذر من طريق يونس بن ابي إسحاق عن سعيد بن وهب نحو لفظ مسلم وفيه زيادة مدرجة، وكذا عند الطبراني ولفظه « فما أشكانا ».

تنبيه

قال الحافظ في تخريجه: احتج الرافعي بهذا الحديث على وجوب كشف الجبهة في السجود وفيه حديث أنس، فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه فدل على أنهم في حال الاختيار يباشرون الأرض بالجباه، وعند الحاجة كالحر يتقون بالحائل، وحينئذ لا يصح حمل الحديث على ذلك لأنه لو كان مطلوبهم السجود على الحائل لأذن لهم في اتخاذ ما يسجدون عليه منفصلاً عنهم، وقد ثبت « أنه كان يصلي على الخمرة والفراش » فعلم أنه لم يمنعهم الحائل، وإنما طلبوا منه تأخيرها زيادة على ما كان يؤخرها فلم يجبهم والله أعلم.

قلت: قد سبقه في ذلك ابن المارديني شيخ شيخه فيما ردّ به على البيهقي حيث قال: الشكوى إنما كانت من التعجيل لا من مباشرة الأرض بالجباه والأكف، وقد ذكره مسلم في آخر الحديث قال زهير قلت لأبي إسحاق: أفي الظهر؟ قال: نعم. قلت: أفي تعجيلها؟ قال: نعم. وقد ذكره البيهقي أيضاً في باب التعجيل بالظهر.

فائدة

قال النووي: لو كان على جبهته جراحة فعصبها وسجد على العصابة أجزأه ولا إعادة عليه على المذهب لأنه إذا سقطت الإعادة مع الايماء للعذر فهنا أولى والله أعلم.

....

ثم قال الرافعي: ولا يجب كشف الجميع بل يكفي ما يقع عليه الاسم كما في الموضوع على الأرض، فلو كشف شيئاً ووضع غيره لم يجز، وإنما يحصل الكشف إذا لم يكن بينه وبينَ موضع السجود حائل يتصل به يرتفع بارتفاعه، فلو سجد على طرته أو كور عمامته لم يجز لأنه لم يباشر بجبهته موضع السجود. وقال أبو حنيفة: يجوز على كور العمامة وعلى الناصية والكم وعلى اليد أيضاً إذا لم تكن مربوطة على الأرض بحيث لا ينفي اسم السجود. وعن أحمد روايتان كالمذهبين، واختلف نقل أصحابنا عن مالك أيضاً لنا ما روي من حديث خباب.

قلت: الاستدلال بحديث خباب فيه نظر لما تقدم، وأما ما نقل عن أبي حنيفة من جواز السجود على كور العمامة فصحيح، وكذا على كف الساجد على الصحيح أو على طرف ثوبه إن طهر محل الوضع على الأصح، لأن السجود على الأرض لا على الكم، والكم من جملة الساجدين كما في فتح القدير والدراية، ويستأنس لذلك بما رواه أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة وأبو يعلى من حديث ابن عباس «إنه ﷺ صلّى في ثوب واحد يتقي بفضوله حر الارض وبردها». وأخرج الستة من حديث أنس: «كنا إذا صلينا مع النبي ﷺ فلم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض من شدة الحر بسط ثوبه فسجد عليه.» واللفظ لأبي داود. وأورد البيهقي في السنن هذا الحديث وقال: طرح ثوبه ثم سجد عليه. ليس هذا لفظ الحديث، وقوله: يحتمل أن يكون المراد به ثوباً منفصلاً عنه وهذا احتمال ضعيف. إذ كان الغالب من حالهم قلة الثياب وأنه ليس لأحدهم إلاّ ثوبه المتصل به، ولهذا قال ﷺ «أولكلكم ثوبان». وقال الخطابي: اختلف الناس في هذا فيذهب عامة الفقهاء إلى جوازه مالك والأوزاعي وأصحاب الرأي وأحمد وإسحاق. وقال الشافعي: لا يجزئه. وإذا عرفت ذلك فتأمل في قول صاحب الافصاح، واختلفوا فيمن سجد على كور عمامته إذا حال بين جبهته وبين المسجد. فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد في الرواية الأخرى: لا يجزئه حتى يباشر المسجد بجبهته اهـ فإن ظاهر سياقه يدل على خلاف ما ذكرناه من الجواز. نعم صرحوا بأن السجود على طرف الثوب وعلى كور العمامة مكروه بغير عذر، والله أعلم.

ثم قال الرافعي: ولو سجد على طرف كمه أو ذيله نظر إن كان يتحرك بحركته قياماً وقعوداً لم يجز ككور العمامة، وإن طال، فإن كان لا يتحرك بحركته فلا بأس به لأنه في حكم المنفصل عنه فأشبه ما لو سجد على ذيل غيره، وإذا أوجبنا وضع الركبتين والقدمين فلا نوجب كشفهما. أما الركبتان فلأنهما من العورة أو ملتصقتان بالعورة فلا يليق بتعظيم الصلاة[1] فلا بدّ من أنه قد يكون ماسحاً على الخف وفي كشفهما إبطال المسح وتفويت تلك الرخصة.

قلت: وقد استلطف ابن دقيق العيد في شرح العمدة هذا الاستدلال فقال: وفي عدم كشف

---

(١) قوله: فلا بد الخ لعل هنا سقطاً فيه ذكر القدمين حتى يستقيم ما بعده تأمل.

....

القدمين دليل لطيف جداً، وهو أن الشارع ﷺ وقت المسح بمدة تقع فيها الصلاة مع الخف، فلو وجب كشف القدمين لوجب نزع الخفين وانتقضت الطهارة وبطلت الصلاة وهذا باطل.

ثم قال الرافعي: وأما اليدان إذ أوجبنا ففي كشفهما قولان. أحدهما: يجب لحديث خباب، وأصحهما لا يجب لأن المقصود إظهار هيئة الخشوع وغاية التواضع، وقد حصل ذلك بكشف الجبهة، وأيضاً فإنه يشق ذلك عنده لكثرة شدة الحر والبرد بخلاف الجبهة فإنها بارزة بكل حال، فإن أوجبنا الكشف ففي وجوب كشف البعض من كل واحد منهما كما ذكرنا في الجبهة.

قلت: وفي الافصاح واختلفوا في إيجاب كشف اليدين في السجود، فقال أبو حنيفة وأحمد: لا يجب. وقال مالك: يجب. وللشافعي قولان. الجديد منهما وجوبه اهـ.

قلت: ولكن قول الرافعي دليل الوجوب حديث خباب فيه نظر لما سبق.

ثم قال الرافعي: وللسجود ثلاث هيئات. **احداها:** أن تكون الأعالي أعلى كما لو وضع رأسه على شيء مرتفع وكان رأسه أعلى من حقويه، فإن اسم السجود لا يقع على هذه الهيئة. **والثانية:** أن تكون الأسافل أعلى فهذه هيئة التنكيس وهي المطلوبة. **والثالثة:** أن تساوي الأعالي الأسافل لارتفاع موضع الجبهة وعدم رفعه الأسافل ففيها تردد للشيخ أبي محمد وغيره، والأظهر أنها غير مجزئة.

قلت: وقال أصحابنا ومن شروط صحة السجود عدم ارتفاع محله عن موضع القدمين بأكثر من نصف ذراع، فإن زاد على نصف ذراع لم يجز أي لم يقع معتداً به كما في الدراية، ثم هذا الذي ذكره المصنف مما يتعلق بأقل السجود وبقيت فيه أمور أوردها الرافعي في شرحه فقال: **أحدها:** الطمأنينة كما في الركوع خلافاً لأبي حنيفة. **الثاني:** لا يكفي في موضع الجبهة الإمساس، بل يجب أن يتحامل على موضع سجوده بثقل رأسه وعنقه حتى تستقر جبهته وتثبت، فلو سجد على قطن أو حشيش أو ما حشي بها فلا بد من التحامل حتى تثبت الجبهة. وقال إمام الحرمين: يكفي عندي أن يرخي رأسه ولا حاجة إلى التحامل كيفما فرض موضع السجود. **والثالث:** ينبغي أن لا يقصد بهويه غير السجود، فلو سقط على الأرض من الاعتدال قبل قصد الهوي للسجود لم يحسب بل يعود للاعتدال ويسجد عنه، ولو هوى ليسجد فسقط على الأرض بجبهته نظر إن وضع جبهته على الأرض بنية الاعتماد لم يحسب عن السجود، وإن لم يحدث هذه النية يحسب ولو هوى ليسجد فسقط من جنبيه وانقلب فأتى بصورة السجود على قصد الاقامة والاستناد لم يعتد به، وإن قصد السجود اعتد به. وقال النووي في الروضة قلت: إذا قصد الاستقامة له حالان: أحدهما: أن يقصدها قاصراً صرف ذلك عن السجود فلا يجزئه قطعاً وتبطل صلاته لأنه زاد فعلاً لا يزاد مثله في الصلاة عامداً قاله إمام الحرمين وغيره، والثاني: أن يقصد به الاستقامة ولا يقصد صرفه عن السجود بل يغفل عنه فلا يجزئه أيضاً على الصحيح المنصوص، ولكن لا تبطل صلاته بل يكفيه أن يعتدل جالساً ثم يسجد ولا يلزمه أن يقوم

يقع منه على الأرض ركبتاه، وأن يضع بعدهما يديه، ثم يضع بعدهما وجهه، وأن يضع

ليسجد من قيام على الظاهر، فلو قام كان زائداً قياماً متعمداً فتبطل صلاته. هذا بيان الحالتين، ولو لم يقصد السجود ولا الاستقامة أجزأه ذلك عن السجود قطعاً. قال: والعجب من الإمام الرافعي في كونه ترك استيفاء هذه الزيادة التي ألحقتها والله أعلم اهـ.

ثم هذا الذي ذكره المصنف يتعلق بأقل السجود، وأما ما يتعلق بأكمله فقد أشار إليه المصنف بقوله: **(ويكبر عند الهوي)** أي يبتدىء التكبير مع ابتداء الهوي، وهل يمد أو يحذف فيه ما سبق في القولين وسيذكره المصنف قريباً. **(ولا يرفع يديه)** من التكبير ههنا أي **(مع غير الركوع)** لما روي عن ابن عمر: « أن النبي ﷺ كان لا يرفع يديه في السجود » رواه البخاري. وفي رواية له: « ولا يفعل ذلك حين يسجد ولا حين يرفع رأسه من السجود »، وفي رواية: « ولا يرفع بين السجدتين »، وفي أخرى للبخاري: « ولا يفعل ذلك في السجود »، وفي رواية لمسلم: « ولا يفعله حين يرفع رأسه من السجود » ووهم بعضهم رواية من روى بين السجدتين وصوّب بقية الألفاظ لعمومها. وقال الدارقطني في غرائبه. إن قول بندار بين السجدتين وهم، وقول ابن سنان في السجود أصح.

تنبيه:

يعارض هذه الألفاظ ما رواه الطبراني من حديث ابن عمر أيضاً: « كان يرفع يديه إذا كبّر وإذا رفع وإذا سجد » وما رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: « وحين يركع وحين يسجد » وما رواه أبو داود: « وإذا رفع للسجود فعل مثل ذلك » وله من حديث أبي وائل: « وإذا رفع رأسه من السجود ». وما رواه النسائي من حديث مالك بن الحويرث: « وإذا سجد وإذا رفع رأسه من سجوده » وما رواه أحمد من حديث وائل: « كلما كبّر ورفع ووضع وبين السجدتين » وما رواه ابن ماجه أيضاً من حديث عمير بن خبيب « مع كل تكبيرة في الصلاة المكتوبة » وما رواه الطحاوي من حديث ابن عمر أيضاً « كان يرفع يديه في كل خفض ورفع وركوع وسجود وقيام وقعود بين السجدتين » فتمسك الأئمة الأربعة بالروايات التي فيها نفي الرفع في السجود لكونها أصح، وضعفوا ما عارضها، وهو قول جمهور العلماء، وأخذ آخرون بظاهر تلك الروايات وصححوها وقالوا هي مثبتة فهي مقدمة على النفي، وبه قال ابن حزم. ونقل هذا المذهب عن ابن عمر، وابن عباس، والحسن البصري، وطاوس، وابنه عبدالله، ونافع مولى ابن عباس، وأيوب السختياني، وعطاء بن أبي رباح، وقال به ابن المنذر، وأبو علي الطبري من الشافعية، وهو قول عن مالك والشافعي. فحكى ابن خويز منداد رواية أنه يرفع في كل خفض ورفع، وفي أواخر البويطي: ويرفع في كل خفض ورفع. وروى ابن أبي شيبة الرفع بين السجدتين عن أنس، والحسن، وابن سيرين. كذا في شرح التقريب للعراقي، **(وينبغي)** أي السنّة كما في الشرح **(أن يكون أول ما يقع منه)** أي من الساجد **(على الأرض ركبتاه، وأن يضع بعدهما يديه ثم بعدهما وجهه)** وأخصر منه أن يقول: ثم يداه ثم وجهه أي أنفه وجبهته.

جبهته وأنفه على الأرض، وأن يجافي مرفقيه عن جنبيه، ولا تفعل المرأة ذلك. وأن

قال الرافعي: خلافاً لمالك حيث قال يضع يديه قبل ركبتيه، وربما خير فيه لنا ما روي عن وائل بن حجر قال: كان رسول الله ﷺ إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه فإذا نهض رفع يديه قبل ركبتيه.

قلت: أخرجه أصحاب السنن الأربعة، وابن خزيمة، وابن السكن في صحاحهم من طريق شريك عن عاصم بن كليب، عن أبيه عنه. تفرد به شريك وتابعه همام عن عاصم مرسلاً. وقال الحازمي: رواية من أرسل أصح، ورواه همام أيضاً عن محمد بن جحادة، عن عبد الجبار بن وائل، عن أبيه موصولاً. وهذه الطريق في سنن أبي داود إلا أن عبد الجبار لم يسمع من أبيه وله شاهد من وجه آخر. روى الدارقطني، والحاكم، والبيهقي من طريق حفص بن غياث عن عاصم الأحول، عن أنس في حديث: «ثم انحط بالتكبير فسبقت ركبتاه يديه». قال البيهقي: تفرد به العلاء بن إسماعيل العطار وهو مجهول.

قلت: وعند أصحابنا مثل مذهب الشافعي يضع ركبتيه ثم يديه إذا لم يكن له عذر يمنعه من النزول على هذه الصفة، وهو أيضاً مذهب أحمد، وأورد البخاري معلقاً عن نافع كان ابن عمر يضع يديه قبل ركبتيه. قال الحافظ في بلوغ المرام: لكن حديث أبي هريرة: «إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه قبل ركبتيه» أقوى من حديث وائل «رأيته إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه» لأن حديث أبي هريرة له شاهد من حديث ابن عمر وصححه ابن خزيمة، **(وأن يضع)** الساجد **(أنفه على الأرض)** مع الجبهة وهو معدود من السنن، وقد قدمنا أن إحدى الروايتين عن أحمد أن الجمع بين وضع الجبهة والأنف واجب وهي المشهورة، وأيضاً رواية ابن حبيب من المالكية. وروى أشهب عن مالك كمذهب أبي حنيفة وقد تقدم ذلك كله.

تنبيه:

بعد القول بوجوب السجود على الأنف عند أصحابنا اتفقت كلمتهم على أن المراد بالأنف ما صلب منه لا ما لان حتى لو سجد على ما لان منه فقط لا يجوز بإجماعهم والله أعلم. **(و)** يستحب **(أن يجافي مرفقيه عن جنبيه)**. وعبارة الشرح أن يفرق بين ركبتيه ومرفقيه وجنبيه وبين بطنه وفخذيه. أما التفريق بين الركبتين فمنقول من فعل النبي ﷺ في بعض الأخبار، وأما بين المرفقين والجنبين فقد رواه أبو حميد كما سبق، وأما بين البطن والفخذين فقد روي عن رسول الله ﷺ.

قلت: حديث التفرقة بين الركبتين رواه البيهقي من حديث البراء: «كان إذا سجد وجه أصابعه قبل القبلة فتفاج» يعني وسع بين رجليه. وعند أبي داود من حديث أبي حميد: «وإذا سجد فرج بين فخذيه» وحديث أبي حميد الذي أشار إليه أخرجه ابن خزيمة وأبو داود بلفظ:

يفرج بين رجليه. ولا تفعل المرأة ذلك. وأن يكون في سجوده مخوياً على الأرض. ولا تكون المرأة مخوية. والتخوية: رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين. وأن يضع يديه على الأرض حذاء منكبيه. ولا يفرج بين أصابعها بل يضمها ويضم الإبهام

« ويجافي يديه عن جنبيه » وللترمذي: « ثم جافى عضديه عن إبطيه ». **(ولا تفعل المرأة ذلك)** بل تضم بعضها إلى بعض فإنه أستر لها. وفي عبارات أصحابنا: والمرأة تنخفض فتضم عضديها لجنبيها وتلزق بطنها بفخذيها لأنها عورة مستورة وهذا أستر لها. وقال النووي، قال أصحابنا: ويستحب أن يفرق بين القدمين. قال القاضي أبو الطيب، قال أصحابنا: يكون بينهما شبر اهـ.

(و) ينبغي **(أن يكون في سجوده مخوياً على الأرض)** هذا في حق الرجل، **(ولا تكون المرأة مخوية)** ولا يخفى أن هذا قد سبق، **(و)** ذلك لأن **(التخوية)** في اللغة هو **(رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الفخذين)** ولذا قال الرافعي بعد أن نقل ما قدمنا ذكره من التفريق بين الركبتين والمرفقين والجنبين وبين البطن والفخذين، وهذه الجملة يعبر عنها بالتخوية وهو ترك الخواء بين الأعضاء. روي: « أن رسول الله ﷺ كان إذا سجد خوى في سجوده ».

قلت: رواه أحمد من حديث البراء بلفظ: « كان إذا سجد بسط كفيه ورفع عجيزته وخوى ». ورواه ابن خزيمة والنسائي بلفظ: « كان إذا صلى جخى ». ورواه ابن خزيمة والحاكم من حديثه بلفظ: « كان إذا سجد جخ » يقال: جخ الرجل إذا مدّ ضبعيه. وقال الهروي: أي فتح عضديه والتجخية مثله.

تنبيه:

قال أصحابنا: ويجافي الرجل بطنه عن فخذيه وعضديه عن إبطيه لأنه أشبه بالتواضع وأبلغ في تمكين الجبهة والأنف من الأرض، ولكن في غير زحمة وينضم فيها حذراً من الإضرار للجار، والحكمة في المجافاة أن يظهر كل عضو بنفسه ولا تعتمد الأعضاء بعضها على بعض، وهذا حد القيام في الصفوف لأن المقصود فيه المساواة بين المصلين ليصيروا كالجسد الواحد، فلا يبقى فيما بينهم فرجة يتخللها الشيطان. وفي المجافاة بُعد عن صفة الكسالى، فإن المنبسط يشبه الكلب وتشعر حالته بالتهاون وقلة الاعتناء بشأن الصلاة. **(وأن يضع)** الساجد **(يديه على الأرض حذاء منكبيه)** كما في حديث أبي حميد: « كان إذا سجد نحى يديه عن جنبيه ووضع كفيه حذو منكبيه » رواه ابن خزيمة في صحيحه. وعند أصحابنا يضع يديه حيال أذنيه لما روينا من حديث وائل رفعه: « كان إذا سجد تكون يداه حذاء أذنيه » رواه جماعة عن الثوري عن عاصم عن أبيه عنه، ولأن آخر الركعة معتبر بأولها فكما يجعل رأسه بين يديه عند التحريمة فكذا عند السجود كما في السراج عن المبسوط.

إليهما، وإن لم يضم الإبهام فلا بأس، ولا يفترش ذراعيه على الأرض كما يفترش

تنبيه:

ما استدل به أصحابنا من حديث الثوري، وعن عاصم، عن أبيه أولى وأقوى من حديث أبي حميد الذي استدل به أصحاب الشافعي لموافقة رواية عاصم رواية الجماعة عن الثوري، فأخرجه أبو داود، والنسائي بن بشر بن المفضل عن عاصم بلفظ: «فاستقبل القبلة فكبّر ورفع يديه حتى حاذتا أذنيه» إلى أن قال «فلما سجد وضع رأسه بذلك المنزل من يديه». وأخرجه النسائي من حديث زائدة عن عاصم ولفظه: «ثم سجد فجعل كفيه حذاء أذنيه» وأخرجه النسائي أيضاً من طريق ابن ادريس عن عاصم نحوه، والبيهقي من طريق خالد بن عبدالله عن عاصم نحوه. والطبراني من طريق زهير عن عاصم مثله، وأيضاً من طريق بشر عن عاصم بمعناه، ومن طريق عنبسة بن سعيد الأسدي عن عاصم نحوه. ومن طريق خيلان بن جامع عن عاصم نحوه، ومن طريق أبي عوانة. وحسن بن الربيع كلاهما عن عاصم بمعناه، وأيضاً ففي رواية أبي حميد فليح بن سليمان ضعفه ابن معين وقال: ليس بالقوي ولا يحتج بحديثه والله أعلم.

(ولا يفرج أصابعها) أي اليدين **(بل يضمها)** لما روى ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث وائل بن حجر: «كان إذا سجد ضم أصابعه». وهكذا نقله أصحابنا بأن يضم الأصابع كل الضم ولا يندب إلا هنا سواء فيه الرجل والمرأة، والحكمة فيه أن الرحمة تنزل عليه في السجود فبالضم ينال الأكثر، **(ويضم الإبهام إليها)** أي إلى الأصابع **(وإن لم يضم الابهام فلا بأس)**. قال الرافعي: ولتكن الأصابع منشورة ومضمومة مستطيلة جهة القبلة لما روي عن عائشة رضي الله عنها: «كان إذا سجد وضع أصابعه تجاه القبلة». قال الأئمة: وسنّة أصابع اليدين إذا كانت منشورة في جميع الصلاة التفريج المقتصد إلا في حالة السجود. وقال النووي في الروضة. قلت: وإلاَّ التشهد فإن الصحيح أن أصابع اليسرى تكون كهيئتها في السجود، وكذا أصابعها في الجلوس بين السجدتين اهـ.

قلت: بيض له المنذري ولم يعرفه النووي، وقد رواه الدارقطني بسند ضعيف بلفظ: «كان إذا سجد يستقبل بأصابعه القبلة». وقال الحافظ: استدلال الرافعي بحديث عائشة على استحباب نشر الأصابع وضمها في جهة القبلة، وأن المراد بذلك أصابع اليدين لا دلالة فيه لأنه وإن كان اطلاقه في رواية الدارقطني الضعيفة تقتضيه فتقييده فيما رواه ابن حبان في صحيحه من حديثها، وأوّله فقدت رسول الله ﷺ وكان معي على فراشي فوجدته ساجداً راصاً عقبيه مستقبلاً بأطراف أصابعه القبلة تخصه بالرجلين، ويدل عليه حديث أبي حميد عند البخاري ففيه: «واستقبل بأطراف رجله القبلة ولم أر ذكـر اليدين كذلك صريحاً» اهـ.

(و) ينبغي أن **(لا يفترش)** أي لا يبسط **(ذراعيه)** أي ساعديه **(على الأرض)** ويتكيء عليها في السجود **(كما يفترش الكلب)** بل يرفعها **(فإنه)** أي الافتراش كذلك

الكلب فإنه منهي عنه. وأن يقول: « سبحان ربي الأعلى » ثلاثاً. فإن زاد فحسن إلا أن يكون إماماً. ثم يرفع من السجود فيطمئن جالساً معتدلاً. فيرفع رأسه مكبراً ويجلس

(منهي عنه). رواه البخاري ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي من حديث شعبة، عن قتادة، عن أنس رفعه: « اعتدلوا في السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب » أي فإن المنبسط يشبه الكسالى ويشعر حاله بالتهاون، لكن لو تركه صحت صلاته مع ارتكابه النهي. وفي حديث أبي حميد عند البخاري: « فإذا سجد وضع يديه غير مفترش ولا قابضهما »، **(وأن يقول)** في سجوده **(« سبحان ربي الأعلى » ثلاثاً)**. كما رويناه من الخبر في فضل الركوع عن عقبة بن عامر وفيه: فلما نزلت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال: اجعلوها في سجودكم. أخرجه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم، وابن حبان، وناسب وصف الرب بالأعلى في السجود لأن العبد في حال سجوده في غاية السفل، وقد وضع أشرف أعضائه على أحقر موجود وهو التراب، فناسب وصفه تعالى لها بالعلو في الاقتدار، وكان في الركوع انحناء وفيه مذلة العبد، فناسب وصفه تعالى بالعظمة والاقتصار على الثلاث أدناه، **(فإن زاد)** على الثلاث إلى الخمس أو السبع أو التسع أو الإحدى عشرة **(فحسن إلا أن يكون إماماً)** لقوم غير محصورين غير راضين بالتطويل، فإنه يكره له أن يزيد، **(ثم يرفع)** رأسه **(من السجود فيطمئن جالساً معتدلاً)** أي يجب أن يعتدل بين السجدتين مع الطمأنينة خلافاً لأبي حنيفة ومالك حيث قالا: لا يجب بل يكفي أن يصير إلى الجلوس أقرب، وربما قال أصحاب أبي حنيفة: يكفي أن يرفع رأسه قدر ما يمر السيف عرضاً بين جبهته وبين الأرض. هكذا نقله الرافعي.

قلت: المنقول عن الإمام أبي حنيفة في الرفع من السجود أربع روايات. إحداهن: أن يكون الرفع منه إلى أقرب القعود ليصح إتيانه بالسجدة الثانية وهو الأصح لأنه يعد جالساً بقربه من القعود فتحققت السجدة الثانية فلو كان إلى السجود أقرب لم تجز الثانية لأنه يعد ساجداً إذ ما قرب من الشيء له حكمه. كذا في البرهان وهذه الرواية صححها صاحب الهداية بقوله: وهو الأصح وهو احتراز عما ذكر بعض المشايخ أنه إذا زايل جبهته عن الأرض ثم أعادها جاز. وعن الحسن بن زياد ما هو قريب منه، فإنه قال: إذا رفع رأسه بقدر ما تجري فيه الريح جاز، وعما ذكر القدوري أنه مقدر بأدنى ما ينطلق عليه اسم الرفع وهو رواية أبي يوسف كما في المحيط، وجعل شيخ الإسلام هذا القول أصح. وقال محمد بن سلمة: مقدار ما يقع عند الناظر أنه رفع رأسه، فإن فعل ذلك جاز أي السجود الثاني، وإلاّ فلا. وقال صاحب البحر: ولم أرَ من صحح رواية الرفع بقدر ما تمر الريح بينه وبين الأرض والله أعلم.

ثم قال الرافعي لنا قوله ﷺ في خبر المسيء صلاته ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع رأسك حتى تعتدل جالساً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ويجب فيه الطمأنينة لأنه قد روي في بعض الروايات ثم ارفع حتى تطمئن جالساً.

قلت: أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة وفيه الأمران. قال الحافظ: ونقل الرافعي عن

على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه على فخذيه والأصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها. ويقول: « ربِّ اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني » ولا يطول هذه الجلسة إلا في سجود التسبيح. ويأتي بالسجدة

إمام الحرمين في النهاية أنه قال: في قلبي من الطمأنينة في الاعتدال شيء فإنه ﷺ ذكرها في حديث المسيء صلاته في الركوع والسجود، ولم يذكرها في الاعتدال والرفع بين السجدتين، فقال: اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع رأسك حتى تعتدل جالساً. ولم يتعقبه الرافعي وهو من المواضع العجيبة التي تقضي على هذا الإمام فإنه كان قليل المراجعة لكتب الحديث المشهورة فضلاً عن غيرها، فإن ذكر الطمأنينة في الجلوس بين السجدتين ثابت في الصحيحين، ففي الاستئذان من البخاري من حديث يحيى بن سعيد القطان. ثم ارفع حتى تطمئن جالساً وهو أيضاً في بعض كتب السنن، وأما الطمأنينة في الاعتدال فثابت في صحيح ابن حبان ومسند أحمد من حديث رفاعة بن رافع ولفظه: « فإذا رفعت رأسك فأقم صلبك حتى ترجع العظام إلى مفاصلها »، ورواه أبو علي بن السكن في صحيحه، وأبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه من حديث رفاعة: « ثم ارفع حتى تطمئن قائماً » قال: وأفادني شيخ الاسلام جلال الدين البلقيني أدام الله بقاءه أن هذا اللفظ في حديث أبي هريرة في سنن ابن ماجه، وهو كما أفاد زاده الله عزاً، اهـ.

(**فيرفع رأسه مكبراً**) لما تقدم من الخبر (و) كيف يجلس؟ المشهور أنه (**يجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى**) لما روي من حديث أبي حميد: « فلما رفع رأسه من السجدة الأولى فرش رجله اليسرى وقعد عليها » رواه أبو داود، والترمذي، وابن حبان ولفظهم: « ثنى رجله اليسرى » وحكي قول آخر أنه يضع قدميه ويجلس على صدورهما. ويروى ذلك عن ابن عباس، وحكاه البيهقي في المعرفة عن نص الشافعي في البويطي، وحكي عن مالك أنه كان يأمر بالتورك في جميع سجدات الصلاة. وسيأتي الكلام عليه في المنهيات. (**ويضع يديه على فخذيه**) قريباً من ركبتيه، وسيأتي الكلام عليه قريباً في التنبيه (**والأصابع منشورة**) وفي النهاية لإمام الحرمين: ولو انعطفت أطرافها على الركبة فلا بأس ولو تركها على الأرض من جانبي فخذه كان كإرسالها في القيام، (**ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها**) بل يرسلها على هيئتها (**ويقول**) في جلوسه: (**« رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني »**) وهي سبع كلمات. ونص الرافعي: « اللهم اغفر لي واجبرني وعافني وارزقني واهدني » وهي خمس كلمات. ونص القوت ثم يقول: « رب اغفر لي وارحمني » ثلاثاً روي ذلك عن ابن عمر، وإن قال: « رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فإنك أنت الأعز الأكرم » فجائز. روي ذلك عن ابن مسعود، وإن قال: « رب اغفر لي وارحمني واهدني واجبرني وانعشني » فحسن. روي ذلك عن علي بن أبي طالب اهـ.

ولفظ الرافعي أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس إلاّ أنه لم يقل « وعافني ». وأبو داود

....

مثله إلا أنه أثبتها ولم يقل « واجبرني » وجمع ابن ماجه بين « وارحمني واجبرني » وزاد « وارفعني » وجمع بينها الحاكم كلها إلا أنه لم يقل « وعافني ». قلت: وليس عند أبي حنيفة فيه ذكر مسنون، وما ورد فيه. وفي حال القيام من الركوع فمحمول عنده على التهجد.

(و) ينبغي **(أن لا يطوّل هذه الجلسة)** لأنه ركن قصير على الأصح من حيث أنه ليس بمقصود عند البعض، بل للفصل والتمييز، وكذا الكلام في الاعتدال من الركوع **(إلا في سجود)** صلاة **(التسبيح)** كما سيأتي في محله. وقد ذكر في الاعتدال عن الركوع مثل ذلك **(ويأتي بالسجدة الثانية كذلك)** أي مثل الأولى في واجباتها ومندوباتها بلا فرق. وفي عبارات أصحابنا يفترض العود إلى السجود لأن السجود الثاني كالأول فرض باجماع الأمة، ثم إن الجلوس بين السجدتين مسنون عندنا ومقتضى الدليل من المواظبة عليها الوجوب، لكن المذهب خلافه وما في شرح المنية من أن الأصح وجوبها إن كان بالنظر إلى الدراية فمسلم، وإن كان من جهة الرواية فلا. لأن الشراح كلهم مصرحون بالسنية. كذا في البحر.

تنبيه:

الظاهر من روايات أصحابنا ما ذهب إليه الفقيه أبو الليث من افتراض وضع اليدين في السجود، وأن السجود لا يصح بدون وضع إحداهما. ومن المقرر أن العود للسجود فرض ولا يتحقق إلا بما يتحقق للسجدة السابقة، فيلزمه رفع اليدين بعد رفع رأسه من السجدة الأولى، ثم اعادة وضعهما أو إحداهما في السجدة الثانية لتصح السجدة الثانية ويتحقق تكرار السجود، وبه وردت السنّة. وقد نقل الحافظ جلال الدين السيوطي في الينبوع عن ابن العماد في التعقبات ما نصه: إذا قلنا بوجوب وضع الأعضاء السبعة فلا بد من الطمأنينة بها كالجبهة، ولا بدّ أن يضعها حالة وضع الجبهة، حتى لو وضعها ثم رفعها ثم وضع الجبهة أو عكس لم يكفِ لأنها أعضاء تابعة للجبهة، واذا رفع الجبهة من السجدة الأولى وجب عليه رفع الكفين أيضاً لأن اليدين يسجدان كما تسجد الجبهة، فإذا سجدتم فضعوهما، وإذا رفعتم فارفعوهما، ولأصحاب مالك في ذلك قولان. وقال ابن العماد أيضاً في كتاب آخر يجب على المصلي إذا رفع رأسه من السجدة الأولى أن يرفع يديه من الأرض كما يرفع جبهته، لأن السجود يكون بهما مرتين كما يكون بالجبهة وهذا ظاهر نص الشافعي في (الأم)، فإنه قال: إن القول بوجوب السجود على هذه الأعضاء هو الموافق للحديث، والثابت في الحديث: « أنه ﷺ كان إذا سجد ورفع رأسه من السجدة الأولى رفع يديه من الأرض ووضعهما على فخذيه ». وقال ﷺ: « صلوا كما رأيتموني أصلي » وعن ابن عمر رفعه: « إن اليدين يسجدان كما يسجد الوجه فإذا وضع أحدكم وجهه فليضعهما وإذا رفعه فليرفعهما ». أخرجه أبو داود والنسائي. وروى مالك في الموطأ عن ابن عمر أنه كان يقول: « من وضع جبهته بالأرض فليضع كفيه على الذي وضع عليه جبهته، وإذا رفع فليرفعهما فإن اليدين يسجدان كما يسجد الوجه » اهـ كلام السيوطي.

الثانية كذلك ويستوي منها جالساً جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا تشهد

وقد فهم من هذا السياق أن رفع اليدين عن الأرض لا بدّ منه ليتحقق تكرار السجود بها كالجبهة، وأما صفة وضعها على الفخذين حالة الجلوس بين السجدتين فسنّة، ومن أنكر هذا فعليه الدليل لما يدعيه وعليه رد قول الفقيه أبي الليث الذي قد حكيناه والمخالف من الشافعية كما قاله السيوطي حيث قال: لا يشترط رفع اليدين عن الأرض لصحة السجدة الثانية هو كالمخالف من الحنفية لما قاله أبو الليث فتأمل، والله أعلم.

تنبيه آخر:

حكمة تكرار السجود دون الركوع قيل: هو تعبدي لا يطلب فيه المعنى كاعداد الركعات، وعزاه شيخ الإسلام في المبسوط لأكثر المشايخ وقال: منهم من يذكر لذلك حكمة فيقول: إنما كان السجود مثنى ترغيماً للشيطان، فإنه أمر بالسجود فلم يفعل فنحن نسجد مرتين ترغيماً له، وإليه أشار النبي ﷺ في سجود السهو ترغيماً للشيطان، وفي معراج الدراية لما أخذ الله الميثاق من ذرية آدم عليه السلام أمرهم بالسجود فسجد المسلمون كلهم وبقي الكافرون، فلما رفعوا رؤوسهم رأوا الكفار لم يسجدوا فسجدوا ثانياً شكراً لما وفقهم الله تعالى إليه، فصار المفروض سجدتين. وزاد في المستصفى شرح النافع قيل: إن الأولى لشكر نعمة الإيمان، والأخرى لبقاء الإيمان والله أعلم.

وإذا رفع رأسه من السجدة فما الذي يفعل؟ فللأصحاب في المسألة طريقان أحدهما أن فيها قولين أصحهما أنه (**يستوي منها جالساً جلسة خفيفة للاستراحة**) ثم ينهض نص عليه المزني في المختصر واختاره المصنف هنا، وفي الوجيز والوسيط وذلك (**في كل ركعة لا تشهد عقيبها**) أي لا يعقبها تشهد، والثاني أنه يقوم من السجدة الثانية ولا يجلس فيه، وهو الذي في الأم، وبه قال أبو حنيفة ومالك وأحمد، ودليل القول الأول ما روي عن مالك بن الحويرث أنه رأى النبي ﷺ يصلي: « فإذا كان في وتر من صلاته لم ينهض حتى يستوي قاعداً ». رواه البخاري. وفي لفظ له: « فإذا رفع رأسه من السجدة الثانية جلس واعتمد على الأرض ثم قام ». وللبخاري من حديث أبي هريرة في قصة المسيء صلاته « ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ». وقد روى الترمذي، وأبو داود في حديث أبي حميد « ثم هوى ساجداً ثم ثنى رجله وقعد حتى رجع كل عضو إلى موضعه ثم نهض ». قال الحافظ تبعاً لشيخه ابن الملقن: انكر الطحاوي أن تكون جلسة الاستراحة في حديث أبي حميد وهي كما تراها فيه وهو عجيب منه لجلالته. قال: وأنكر النووي أن تكون في حديث المسيء صلاته، وهي في حديث أبي هريرة في هذه القصة عند البخاري في كتاب الاستئذان اهـ.

قلت: الطحاوي نظر إلى حديث أبي حميد حيث ساقه بلفظ: « قام ولم يتورك » فحكم بخلوه عنها، وهكذا ساقه أبو داود أيضاً، ولكن أخرج أبو داود أيضاً من وجه آخر عنه إثباتها، فعلم

....

من ذلك أن الرواة عنه لم تتفق على نفيها، وعند الطحاوي ظاهر لا يخفى. ودليل القول الثاني وهو قول الجماعة حديث وائل بن حجر: «كان إذا رفع رأسه من السجدتين استوى قائماً» استغربه النووي في شرح المهذب، وضعفه في الخلاصة، وبيّض له المنذري في الكلام على المهذب. قال الحافظ: وظفرت به في سنة أربعين أي بعد الثمانمائة في مسند البزار في أثناء حديث طويل في صفة الوضوء والصلاة، وقد روى الطبراني عن معاذ بن جبل في أثناء حديث طويل: «أنه كان يمكن جبهته وأنفه من الأرض ثم يقوم كأنه السهم» وسنده ضعيف. وروى ابن المنذر من حديث النعمان بن عياش قال: أدركت غير واحد من أصحاب النبي ﷺ فكان إذا رفع رأسه من السجدة في أول ركعة وفي الثالثة قام كما هو ولم يجلس، وعند أبي داود من حديث محمد بن عمرو بن عطاء، عن عباس، أو عياش بن سهل أنه كان في مجلس فيه أيوب فذكر الحديث وفيه: «ثم كـبَّر فسجد ثم كـبَّر فقام ولم يتورك» فعند الأئمة الثلاثة حديث ابن الحويرث على أنه جلس لعذر كان به، كما روي أنه ﷺ قال: «لا تبادروني إني بدنت» وكما تربع ابن عمر لكون رجليه لا تحملانه حتى لا يتضاد الحديثان. وروى البيهقي من طريق خالد بن إياس عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ ينهض في الصلاة على صدور قدميه» ثم ضعفه بخالد بن إياس، ثم قال: وحديث مالك بن الحويرث أصح.

قلت: وهذا يقتضي أن حديث أبي هريرة صحيح أيضاً وتضعيفه لرواته يأبى ذلك. وقد أخرجه الترمذي أيضاً من طريق خالد المذكور وقال: العمل على حديث أبي هريرة عند أهل العلم وخالد ضعيف، لكن يكتب حديثه، فقول الترمذي المذكور يدل على قوة أصل الحديث وإن ضعف من هذا الطريق. هذا وقد أخرج البخاري حديث ابن الحويرث من طريق أيوب عن أبي قلابة أن الحويرث قال لأصحابه: ألا أنبئكم بصلاة رسول الله ﷺ؟ الحديث. وفيه: وصلى صلاة عمرو بن سلمة شيخنا هذا. قال أيوب كان يفعل شيئاً لم أركم تفعلونه كان يقعد في الثالثة أو الرابعة. قال الطحاوي: قول أيوب إنه لم ير الناس يفعلون ذلك وهو قد رأى جماعة من التابعين يدفع أن يكون ذلك سنّة. وفي التمهيد لابن عبد البر اختلف العلماء في النهوض من السجود إلى القيام، فقال مالك والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة وأصحابه: ينهض على صدور قدميه ولا يجلس. وروي ذلك عن ابن مسعود وابن عمر وابن عباس. وقال أبو الزناد. وذلك سنة، وبه قال أحمد وابن راهويه. وقال أحمد: وأكثر الأحاديث على هذا. قال الأثرم: ورأيت أحمد ينهض بعد السجود على صدور قدميه ولا يجلس قبل أن ينهض. وذكر عن ابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبي سعيد أنهم كانوا ينهضون على صدور أقدامهم. وفي نوادر الفقهاء لابن بنت نعيم أجمعوا أنه إذا رفع رأسه من آخر سجدة من الركعة الأولى والثالثة نهض ولم يجلس إلا الشافعي فإنه استحب أن يجلس كجلوسه للتشهد ثم ينهض قائماً. قال الرافعي: والطريق الثاني قال أبو إسحاق المسألة على حالين إن كان بالمصلي ضعف لكبر وغيره جلس للاستراحة وإلا فلا.

عقيبها . ثم يقوم فيضع اليد على الأرض، ولا يقدم إحدى رجليه في حال الارتفاع

قلت: وبه يحصل الجمع بين الحديثين، فمن قال بالجلسة حمله على الكبر والضعف، ومن قال بعدم سنيتها حمله على غالب الأحوال كما تقدمت الإشارة إليه. قال الرافعي: والسنة في جلسة الاستراحة الافتراش، كذلك رواه أبو حميد.

تنبيه:

ظهر مما تقدم أن أحمد مع مالك وأبي حنيفة في عدم سنية الجلسة فينظر مع قول صاحب الإفصاح، واختلفوا في وجوب الجلوس بين السجدتين فقال أبو حنيفة ومالك: ليس بواجب بل مسنون، وقال الشافعي وأحمد: هو واجب والله أعلم.

تنبيه آخر:

قال النووي: اختلف أصحابنا في جلسة الاستراحة على وجهين الصحيح أنها جلسة مستقلة تفصل بين الركعتين كالتشهد، والثاني أنها من الركعة الثانية، والله أعلم.

(ثم يقوم) سواء كان من جلسة الاستراحة أو من غيرها **(فيضع اليد)** معتمداً بها **(على الأرض)** خلافاً لأبي حنيفة حيث قال: يقوم معتمداً على صدور قدميه ولا يعتمد بيديه على الأرض. قال الرافعي: لنا حديث مالك بن الحويرث وفيه أنه رفع رأسه من السجدة الأخيرة في الركعة الأولى واستوى قاعداً، واعتمد بيديه على الأرض. وعن ابن عباس رفعه « كان إذا قام في صلاته وضع يديه على الأرض كما يضع العاجن ».

قلت: أما حديث ابن الحويرث رواه الشافعي بهذا، وعند البخاري بلفظ « فإذا رفع رأسه من السجدة الثانية جلس واعتمد على الارض ثم قام » ولأحمد والطحاوي « استوى قاعداً ثم قام » وأما حديث ابن عباس فقال ابن الصلاح في كلامه على الوسيط: هذا الحديث لا يعرف ولا يصح ولا يجوز أن يحتج به. وقال النووي في شرح المهذب: هذا حديث ضعيف أو باطل لا أصل له. وقال في التنقيح: ضعيف باطل. وقال في شرح المهذب: نقل عن الغزالي أنه قال في درسه هو بالزاي وبالنون أصح وهو الذي يقبض بيديه ويقوم معتمداً عليهما. قال: ولو صح الحديث لكان معناه قام معتمداً ببطن يديه كما يعتمد العاجز وهو الشيخ الكبير وليس المراد عاجن العجين. وذكر ابن الصلاح أن الغزالي حكى في درسه هل هو العاجن بالنون أو العاجز بالزاي، فأما إذا قلنا أنه بالنون فهو عاجن الخبز يقبض أصابع كفه ويضمها ويتكىء عليها ويرتفع ولا يضع راحتيه على الأرض. قال ابن الصلاح: وعمل بهذا كثير من العجم وهو إثبات هيئة شرعية لا عهد لها بحديث لم يثبت ولو ثبت لم يكن ذلك معناه، فإن العاجن في اللغة هو الرجل المسن. قال الشاعر:

فأصبحت كنتيا وأصبحت عاجناً   وشر خصال المرء كنت وعاجن

قال: فإن كان وصف الكبر بذلك مأخوذاً من عاجن العجين، فالتشبيه في شدة الاعتماد عند

ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود إلى وسط ارتفاعه إلى القيام. بحيث تكون الهاء من قوله: « الله » عند استوائه جالساً؛ وكاف « أكبر » عند اعتماده على اليد للقيام، وراء « أكبر » في وسط ارتفاعه إلى القيام ويبتدىء في وسط ارتفاعه

وضع اليدين لا في كيفية ضم أصابعها. قال الغزالي: وإذا قلنا بالزاي فهو الشيخ المسن الذي إذا قام اعتمد بيديه على الأرض من الكبر. قال ابن الصلاح: ووقع في المحكم للمغربي الضرير المتأخر: العاجن هو المعتمد على الأرض وجمع الكف وهذا غير مقبول منه، فإنه لا يقبل ما ينفرد به لأنه كان يغلط ويغلطونه كثيراً وكأنه أضر به مع كبر حجم الكتاب ضرارته اهـ كلامه.

قلت: وقد نقل هذا الكلام صاحب المصباح فقال: من غالط يغلط في اللفظ فيقول العاجز بالزاي، ومن غالط في المعنى على تقدير النون. ولا يخفى أن كلام من سبقه كالأزهري وغيره من الأئمة ومن بعده كالزمخشري وغيره يوافق كلام صاحب المحكم وهو ثقة، وتغليطه في بعض ألفاظ جزئيات لا يضر توثيقه فما منا إلا وقد رد عليه والكمال لله ولرسوله ﷺ. وقد أوردت نقول الأئمة بدلائلها في شرح القاموس وأوضحته فراجعه والله أعلم. ثم رأيت الحافظ نقل عن الأوسط للطبراني من طريق الأزرق بن قيس: رأيت ابن عمر وهو يعجن في الصلاة يعتمد على يديه إذا قام كما يفعل الذي يعجن العجين.

فصل

وفي سياق عبارات أصحابنا: أن لا يعتمد على الأرض بيديه عند النهوض إن لم يكن به عذر لأنه ﷺ نهى عن ذلك، وعن علي قال: من السنة إذا انتهضت من الركعتين أن لا تعتمد على الأرض بيديك إلا أن لا تستطيع. وكان عمر وعلي وأصحاب رسول الله ﷺ ينهضون في الصلاة على صدور أقدامهم هذا هو المشهور في المذهب إلا أنه نقل في الدراية عن شرح الطحاوي: لا بأس بأن يعتمد على يديه على الأرض شيخاً كان أو شاباً وهو قول عامة العلماء فتأمل.

(ولا يقدم إحدى رجليه في حال الارتفاع) فإنه يكره. نقله النووي عن القاضي أبي الطيب وغيره قالوا: ويكره أن يقدم إحدى رجليه حال القيام ويعتمد عليها اهـ.

وقال الجرجاني في التحرير: يكره تقديم إحدى الرجلين عند النهوض، وقد ورد النهي عنه في قول ابن عباس. (و) اختلف في مد التكبير وحذفه واختار جماعة منهم المصنف المد وإليه أشار بقوله: **(ويمد التكبير)** أي قول الله أكبر **(حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه إلى القعود)** وفي نسخة صحيحة من القعود **(إلى وسط ارتفاعه إلى القيام بحيث يكون هاء)** لفظة **(الله عند استوائه جالساً وكاف)** لفظة **(أكبر عند اعتماده على اليد)**، وفي نسخة: على يديه **(للقيام وراء أكبر في وسط ارتفاعه إلى القيامة ويبتدىء)** وفي نسخة: ينتهي **(في وسط ارتفاعه إلى القعود)** وفي نسخة: إلى القيام وفي بعض النسخ سقطت هذه الجملة وأولها من قوله

إلى القيام حتى يقع التكبير في وسط انتقاله، ولا يخلو عنه إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعميم. ويصلي الركعة الثانية كالأولى ويعيد التعوذ كالابتداء.

ويبتدىء إلى هنا **(حتى يقع التكبير في وسط انتقاله ولا يخلو عنه إلا طرفاه وهو أقرب إلى التعميم)**. وفي نسخة إلى التعظيم. وقال الرافعي بعد أن نقل عن أبي إسحاق في المسألة حالين هل يجلس للاستراحة أم لا. قال: فإن قلنا لا يجلس فيبتدىء التكبير مع ابتداء الرفع وينهيه مع استوائه قائماً، وإن قلنا يجلس فمتى يبتدىء التكبير؟ فيه وجهان. أحدهما: أنه يرفع رأسه غير مكبر ويبتدىء التكبير جالساً ويمده إلى أن يقوم لأن الجلسة للفصل بين الركعتين فإذا قام منها وجب أن يقوم مكبراً بتكبير كما إذا قام إلى الركعة الثالثة، ويحكى هذا عن اختيار القفال، وأصحهما أنه يرفع رأسه مكبراً لما روي أنه ﷺ كان يكبر في كل خفض ورفع.

قلت: قال الحافظ: هذا لا دليل فيه على أنه يمد التكبير في جلوسه إلى أن يقوم ويحتاج دعوى استحباب مده إلى دليل والأصل خلافه اهـ.

ثم قال الرافعي: فعلى هذا متى يقطع؟ فيه وجهان. أحدهما: أنه إذا جلس يقطعهويقوم غير مكبر لأنه لو مدّ إلى أن يقوم لطال وتغير النظم، وبهذا قال أبو إسحاق والقاضي الطبري، وأصحهما أنه يمد إلى أن يقوم ويخفف الجلسة لا يخلو شيء من صلاته عن الذكر، وهذان مفرعان على أن التكبير يمد ولا يحذف، وإذا تميز الابتداء عن الانتهاء حصل في وقت التكبير ثلاثة أوجه. أورد المصنف منها في الوسيط الأول الذي اختاره القفال، والثاني الذي قال به أبو إسحاق، ولم يورد الثالث الذي هو الأظهر عند الأصحاب، وكذلك فعل إمام الحرمين والصيدلاني والله أعلم.

(ويصلي الركعة الثانية كالأولى) بواجباتها وسننها وآدابها، **(ثم يعوذ)** أي يأتي بالتعوذ **(كالابتداء)** وفي نسخة كما في الابتداء. قال في المحرر: الأظهر من الوجهين أنه يستحب في كل ركعة وليس بمختص بالركعة الأولى. قال شارحه الأصفهاني لظاهر قوله تعالى: ﴿وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله﴾ [النحل: ٩٨] ولأن الفعل قد وقع بين القراءتين فشابه قطع القراءة خارج الصلاة لشغل والعود إليها مرة أخرى، فإنه يستحب التعوذ. والوجه الثاني أنه لا يستحب في سائر الركعات قياساً على ما لو قطع لسجدة التلاوة في قراءة ثم عاد إلى القراءة فإنه لا يعيد التعوذ، ولأن ربط الصلاة يجعل الكل كقراءة واحدة، وأما أن الاستحباب في الركعة الأولى آكد لأن ذلك قد اشتهر من فعل رسول الله ﷺ، ولم يشتهر في سائر الركعات، ولأن افتتاح قراءته في الصلاة إنما هو في الركعة الأولى والباقية رابطة بالأولى، ومنهم من قال: إن في المسألة قولين فعلى هذا الأظهر يكون من القولين، والأول هو ظاهر كلام المصنف وإمام الحرمين اهـ.

قلت: وعند أصحابنا لا يتعوذ في الركعة الثانية ولا يثني لأنه شرع ذلك في أول العبادة لدفع وسوسة الشيطان فلا يتكرر إلا بتبدل المجلس، كما لو تعوذ وقرأ ثم سكت قليلاً وقرأ هذا هو المذهب، ولقائل أن يقول: ينبغي أن يكون هو كذلك على قول أبي حنيفة ومحمد أيضاً على أنه

التشهد:

ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الأول. ثم يصلي على رسول الله ﷺ وعلى آله

تابع للقراءة عندهما، والقراءة تجدد في كل ركعة وكون الصلاة كفعل واحد حكماً لا ينفيه كاتحاد المجلس في حق القراءة المتعددة فيه للتخلل بينهما بفاصل من سجدة تلاوة أو رد سلام ونحوه. وهذا التنظير أبداه شارح المنية وفيه تأمل.

تنبيه:

ذكر النووي في الروضة: ويستحب أن يقول في سجوده «سبوح قدوس رب الملائكة والروح» اهـ.

قلت: قد أورده في أذكاره في باب أذكار السجود مع غيره، والذي ذكره هو في صحيح مسلم من حديث عائشة. ومن أذكار السجود «اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره فأحسن صوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين». أخرجه مسلم من حديث علي. ومن أذكاره أيضاً: «سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت» أخرجه مسلم من حديث عائشة. ومن أذكاره أيضاً: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة عن عائشة. ومن أذكاره أيضاً «آت نفسي تقواها زكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها». أخرجه أحمد من حديث عائشة. ومن أذكاره أيضاً: «اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت» أخرجه النسائي من حديث عائشة. من أذكاره أيضاً: «اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله أوله وآخره سره وعلانيته» أخرجه الطبراني من حديث أبي هريرة. ومن أذكاره أيضاً: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت». أخرجه الشيخان من حديث أبي بكر. من أذكاره أيضاً: «سجد لك خيالي وسوادي وآمن بك فؤادي أبوء بنعمتك علي هذه يدي وما جنيت على نفسي». أخرجه البزار من حديث ابن مسعود، فيستحب أن يجمع في سجوده ما ذكرناه من الأدعية وذلك في حق المنفرد وإمام قوم محصورين راضين بالتطويل. وقد ثبت أنه ﷺ كان يطيل السجدة ولم يكن يطيلها إلا لذكر، فاحتمل أنه يكرر واحتمل أنه يجمع والثاني أقرب، والله أعلم.

التشهد:

وهو تفعل من شهد سمي بذلك لاشتماله على النطق بشهادة الحق تغليباً له على بقية أذكاره لشرفها، وهو من باب إطلاق اسم البعض على الكل. وقد أدرج المصنف فيما ذكره أربعة أركان: التشهد الأخير، والقعود، والصلاة على النبي ﷺ، والتسليمة الأولى. قال: **(ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد الأول)** وله أقل وأكمل فأقله؛ كما نقل عن نص الشافعي: «التحيات لله سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله

....

إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله». قال الرافعي: هكذا روى أصحابنا العراقيون وتابعهم الروياني وأسقط الصيدلاني «وبركاته». وقال «محمد رسوله» وحكاه صاحب التهذيب إلا أنه لم يقل في الثانية «وأشهد» وهذا هو الذي أورده المصنف في الوجيز وحكاه ابن كج، فإذا حصل الخلاف في المنقول عن الشافعي في ثلاث مواضع. أحدها في «وبركاته» والثاني في «واشهد» في الثانية، والثالث في لفظ الله في الشهادة. فمنهم من اكتفى بقوله: «ورسوله» ثم نقلوا عن ابن سريج طريقة أخرى وهي: «التحيات لله سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله». وأسقط بعضهم لفظ السلام الثاني: واكتفى بأن يقول: أيها النبي وعلى عباد الله الصالحين، واسقط بعضهم لفظ الصالحين. ويحكى هذا عن الحليمي اهـ.

وقال النووي قلت: روي سلام عليك وسلام علينا، وروي السلام بالألف واللام فيهما، وهذا أكثر في روايات الحديث، وفي كلام الشافعي: واتفق أصحابنا على جواز الأمرين هنا بخلاف سلام التحلل: قالوا: والأفضل هنا الألف واللام لكثرته وزيادته وموافقته سلام التحلل والله أعلم.

ثم قال الرافعي، قال الأئمة: كأن الشافعي اعتبر في حد الأقل ما رآه مكرراً في جميع الروايات ولم يكن تابعاً لغيره، وما انفردت به الروايات وكان تابعاً لغيره جوز حذفه، وابن سريج نظر إلى المعنى وحذف ما لا يغير به المعنى فاكتفى بذكر السلام عن الرحمة والبركة وقال بدخولها فيه، واعلم أن جميع ما ذكره الأصحاب من اعتبار التكرير وعدم التبعية أن جعلوه ضابطاً لحد الأقل فذاك، وإن عللوا حد الأقل به ففيه إشكال لأن التكرر في الروايات يشعر بأنه لا بد من القدر المتكرر، ومن الجائز أن يكون المجزى هذا القدر مع ما تفرد به كل رواته.

وأما أكمله؛ فاختار الشافعي ما رواه ابن عباس وهو: «التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله». هكذا روى الشافعي رضي الله عنه.

قلت: رواه هو ومسلم والترمذي وابن ماجه والداقطني من طريق طاوس عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة في القرآن وكان يقول: «التحيات المباركات» الحديث. ووقع في رواية الشافعي تنكير السلام في الموضعين، وكذلك هو عند الترمذي، وكذلك وقع في تشهد ابن مسعود سلام علينا بالتنكير في رواية النسائي، وعند الطبراني في تشهده سلام عليك بالتنكير أيضاً كما وقع عند مسلم، وفي تشهد ابن عمر تعريف السلام في الموضعين. قال الرافعي: وروي السلام علينا بإثبات الألف واللام وهما صحيحان، ولا فرق. وحكي عن بعضهم أن الأفضل إثبات الألف واللام. وقال الأصفهاني في شرح المحرر: ووجه اختيار الشافعي تشهد ابن عباس لوجوه. الأول: لزيادة تأكيد في روايته لأنه قال: كان يعلمنا التشهد كما يعلمنا سورة

من القرآن. الثاني: أنه يفيد ما يفيد العطف من المعنى مع جواز قصد الاستئناف والوصفية بخلاف صورة العطف، فإن الإحتمالين منفيان وللزوم حذف الجزء من الثاني والثالث أو من الأول والثاني إن جعلت لله خبراً للثالث، ولأنه موافق لكتاب الله عز وجل تحية من الله مباركة طيبة، ولفظ السلام في كتاب الله ما جاء إلا منكراً كقوله تعالى: ﴿وسلام على المرسلين﴾ [الصافات: ١٨١] ﴿سلام على نوح في العالمين﴾ [الصافات: ٧٩] وما نقل في الشامل من أن العرب قد تعطف من غير عاطف فليس بشيء اهـ.

قلت وذكر البيهقي في السنن أنه سئل الشافعي: لم اخترت تشهد ابن عباس؟ فقال: لأنه أجمع وأكثر لفظاً من غيره. قلت: وهذا فيه شيء، فقد أخرج الحاكم في المستدرك وصححه عن جابر رفعه مثل تشهد ابن مسعود، وزاد في أوله وآخره على تشهد ابن مسعود وابن عباس زيادات، فكان الواجب أن يختار الشافعي تشهده لأنه أجمع وأكثر من الجميع، وكذا في تشهد عمر وابنه زيادات أيضاً، ولكن قد يجاب أن في حديث جابر أيمن بن نائل وهو ضعيف، والحاكم ساقه بناء على أنه توبع فيه، وكان يحكى عن شيخه أبي علي النيسابوري التوقف في تخطئة أيمن. وذكر البيهقي أيضاً في تشهد ابن عباس ما نصه: ولا شك في كونه بعد التشهد الذي علم ابن مسعود واضرابه. قلت: لا أدري من أين له أن تشهد ابن عباس متأخر عن تشهد ابن مسعود حتى قطع بذلك، ولا يلزم من صغر سنه تأخر تعليمه وسماعه عن غيره، ولا أعلم أحداً من الفقهاء وأهل الأثر رجح رواية صغار الصحابة على رواية كبارهم عند التعارض، وابن عباس كان كثيراً ما يسمع الحديث من غيره من الصحابة فيرسله. وقد أخرج الدارقطني وحسن سنده عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب أخذ بيده فعلمه، وزعم أن رسول الله ﷺ أخذ بيده فعلمه التشهد، فدل هذا على أن ابن عباس أخذ التشهد عن عمر وعمر قديم الصحبة.

فصل

واختار مالك تشهد عمر بن الخطاب « التحيات لله الزاكيات لله الطيبات الصلوات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ». رواه عن الزهري، عن عروة، عن عبد الرحمن بن عبد أنه سمع عمر يعلم الناس التشهد على المنبر يقول قولوا فساقه. ورواه الشافعي عن مالك بهذا الإسناد، ورواه مالك من طريق أخرى عن هشام بن عروة عن أبيه أن عمر فذكره وأوله « بسم الله خير الأسماء » قال الحافظ: وهذه الرواية منقطعة، وفي رواية للبيهقي تقديم الشهادتين على كلمتي السلام، ومعظم الروايات على خلافه. وقال الداقطني في العلل: لم يختلفوا في أن هذا الحديث موقوف على عمر، ورواه بعض المتأخرين عن ابن أبي أويس عن مالك مرفوعاً وهو وهم.

فصل

واختار أبو حنيفة وأحمد تشهد ابن مسعود وهو عشر كلمات «التحيات لله والصلوات والطيبات. السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله». أخرجه الستة. وقال الترمذي: هو أصح شيء في التشهد والعمل عليه عند أكثر أهل العلم، ثم روي بسنده عن خصيف أنه رأى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: إن الناس قد اختلفوا في التشهد. فقال: «عليك بتشهد ابن مسعود». وقال البزار: أصح حديث في التشهد عندي حديث ابن مسعود، وروي عنه من نيف وعشرين طريقاً، ولا نعلم شيئاً روي عن النبي ﷺ في التشهد أثبت منه، ولا أصح أسانيد، ولا أشهر رجالاً، ولا أشد تضافراً بكثرة الأسانيد والطرق. وقال مسلم: إنما اجتمع الناس على تشهد ابن مسعود لأن أصحابه لا يخالف بعضهم بعضاً، وغيره قد اختلف أصحابه عليه فيه. وقال محمد بن يحي الذهلي: حديث ابن مسعود أصح ما روي في التشهد. وروى الطبراني في الكبير من طريق عبدالله بن بريدة بن الخصيب عن أبيه قال: ما سمعت في التشهد أحسن من حديث ابن مسعود، ووقع في رواية النسائي «سلام علينا» بالتنكير، وفي رواية الطبراني «سلام عليك» بالتنكير أيضاً، وثبتت فيه «الواو» بين الجملتين وهي تقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، فيكون كل جملة ثناء مستقلاً بخلاف غيرها من الروايات، فإنها ساقطة وسقوطها يصيرها صفة لما قبلها، ولأن السلام فيه معرف وفي غيره منكر، والمعرف أعم.

فصل

وقد روى التشهد من الصحابة غير من ذكر أبو موسى الأشعري، وابن عمر، وعائشة وسمرة ابن جندب، وعلي، وابن الزبير، ومعاوية، وسلمان، وأبو حميد، وأبو بكر موقوفاً، وعمر موقوفاً، وطلحة بن عبيدالله، وأنس، وأبو هريرة، وأبو سعيد، والفضل عن عباس، وأم سلمة، وحذيفة والمطلب بن ربيعة وابن أبي أوفى. فجملة من رواه أربعة وعشرون صحابياً لا نطيل بذكر أسانيدهم لأن ذلك يخرجنا عن المقصود.

(ثم يصلي على رسول الله ﷺ وعلى آله) هكذا في أكثر النسخ وفي بعضها صلى الله عليه وعلى آله وسلم. قال الرافعي: ويجب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الواجب خلافاً لأبي حنيفة ومالك. وهل يجب الصلاة على الآل؟ فيه قولان. وبعضهم يقول وجهان. أحدهما يجب، وأصحها لا. وإنما هي سنة تابعة للصلاة على النبي ﷺ، وهل يسن الصلاة عليه ﷺ في التشهد الأول؟ فيه قولان. أحدهما: وبه قال أبو حنيفة وأحمد لا، لأنها مبنية على التخفيف، وأصحها ويروى عن مالك أنها تسن لأنها ذكر يجب في الركعة الأخيرة فيسن في الأولى كالتشهد، وأما الصلاة فيه على الآل فتنبني على إيجابها في التشهد الأخير إن أوجبناها ففي استحبابها في التشهد

....

الأول الخلاف المذكور على النبي ﷺ، وإن لم نوجبها وهو الأصح فلا نستحبها على الآل. وإذا قلنا لا تسن الصلاة على النبي ﷺ فصلى عليه كان ناقلاً للركن إلى غيره، وفي بطلان الصلاة به كلام يأتي في باب سجود السهو إن شاء الله تعالى، وكذا إذا قلنا لا يصلي على النبي ﷺ في القنوت، وهكذا الحكم إذا أوجبنا الصلاة على الآل في التشهد الأخير ولم نستحبها في الأول فأتي بها، وآل النبي ﷺ بنو هاشم وبنو المطلب نص عليه الشافعي، وفيه وجه أنه كل مسلم اهـ.

قلت: وهذا القول الأخير نقله الأزهري في التهذيب. ومن الغريب ما نقله الفخر الرازي في مناقب الشافعي: إنما أوجب الشافعي الصلاة على الآل لكونه منهم، فإنه شريف. وقد رد عليه ابن يونس فقال: وما كان ينبغي أن ينسبه إلى هذا وإنما قاله بالدليل، ثم أطال في شرح البسيط فراجعه. ثم قال الرافعي: أقل صلاة على النبي ﷺ أن يقول: اللهم صلّ على محمد، ولو قال وصلى الله على رسوله جاز وفي وجه: يجوز أن يقتصر على قوله صلى الله عليه وسلم، والكناية ترجع إلى ذكر محمد ﷺ في كلمة الشهادة وهذا نظر إلى المعنى، وأقل الصلاة على الآل أن يقول: وآله. ولفظ الوجيز يشعر بأنه يجب أن يقول وعلى آل محمد، لأنه ذكر ذلك ثم حكم بأن ما بعده مسنون، والأول هو الذي ذكره صاحب التهذيب وغيره، والأول أن يقول: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد». روي ذلك عن كعب بن عجرة.

قلت: رواه النسائي والحاكم بهذا السياق وأصله في الصحيحين. ثم قال الرافعي، قال الصيدلاني: ومن الناس من يزيد «وارحم محمداً وآل محمد كما رحمت على إبراهيم، وربما يقولون «كما ترحمت على إبراهيم» قال: وهذا لم يرد في الخبر وهو غير صحيح، فإنه لا يقال رحمت عليه وإنما يقال رحمته. وأما الترحم ففيه معنى التكلف والتصنع فلا يحسن إطلاقه في حق الله تعالى.

قلت: وقد بالغ أبو بكر بن العربي في إنكاره وخطأ ابن أبي زيد المالكي فيه.

فصل

قد أورد الوزير ابن هبيرة في كتابه الإفصاح عن معاني الصحاح فيما يتعلق بالتشهد من اتفاق الأئمة واختلافهم جملاً مفيدة نافعة فأحببت ايراد عبارته هنا تكميلاً للفائدة. قال رحمه الله تعالى: واختلفوا في الجلوس في التشهد الأول وفيه نفسه، فأما الجلوس فقال أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد في إحدى روايتيه انه سنّة، وقال أحمد في الرواية الأخرى هو واجب، ومن أصحاب أبي حنيفة من وافق أحمد على الوجوب في الرواية الأخرى، فأما التشهد فيه؛ فقال أحمد في إحدى روايتيه وهي المشهورة أنه واجب مع الذكر ويسقط بالسهو وهي التي اختارها الخرقي، وابن شاقلا، وأبو بكر عبدالعزيز. والرواية الأخرى أنه سنّة وهو مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي، واتفقوا على أنه لا يزيد في هذا التشهد الأول عن قوله: «وأن محمداً عبده ورسوله» إلا الشافعي في الجديد من قوليه، فإنه قال: يصلي على النبي ﷺ ويسن ذلك له. قال

يحيى بن محمد رحمه الله تعالى: وهو الأولى عندي، واتفقوا على أن الجلسة في آخر الصلاة فرض من فروض الصلاة، ثم اختلفوا في مقدارها فقال أبو حنيفة وأحمد: الجلوس بمقدار التشهد فرض، والتحقيق من مذهب مالك أن الجلوس بمقدار إيقاع السلام فيها هو الفرض وما عداه مسنون. كذا ذكره العلماء من أصحابه عبد الوهاب وغيره، ثم اختلفوا في التشهد فيها هل هو فرض أم سنّة، فقال أبو حنيفة: الجلسة هي الركن دون التشهد فإنه سنّة. وقال الشافعي وأحمد في المشهور: التشهد فيه ركن الجلوس، وقد روي عن أحمد رواية أخرى أن التشهد الأخير سنّة والجلسة بمقداره هي الركن وحدها كمذهب الشافعي والمشهور الأول. وقال مالك: التشهد الأول سنّة واتفقوا على الاعتداد بكل واحد من التشهد المروي عن النبي ﷺ من طرق الصحابة الثلاثة وهم: عمر بن الخطاب، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم، ثم اختلفوا في الأولى منها، فاختار أبو حنيفة وأحمد تشهد ابن مسعود، واختار مالك تشهد عمر بن الخطاب، واختار الشافعي تشهد ابن عباس، وليس في الصحيحين إلا ما قد اختاره أبو حنيفة وأحمد. واختلفوا في وجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير، فقال أبو حنيفة ومالك: إنها سنّة إلا أن مالكاً قال: الصلاة على النبي ﷺ واجبة في الجملة ومستحبة في الصلاة، وانفرد ابن المواز من أصحابه بأنها واجبة في الصلاة وقال الشافعي: هي واجبة فيه، وعن أحمد روايتان المشهور منها أن الصلاة على النبي ﷺ فيه واجبة، وتبطل الصلاة بتركها عمداً أو سهواً وهي التي اختارها أكثر أصحابه، والأخرى أنها سنّة. واختارها أبو بكر عبد العزيز، واختار الخرقي دونهم أنها واجبة لكنها تسقط مع السهو وتجب بالذكر، ثم اختلفوا أيضاً في كيفية الصلاة عليه ﷺ ثم قدر ما يجزىء منها، فاختار الشافعي وأحمد في إحدى روايتيه: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد» إلا أن اللفظ الذي اختاره الشافعي ليس فيه: «وعلى آل ابراهيم» في ذكر البركة، والرواية الأخرى عن أحمد: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد» وهي التي اختارها الخرقي، فأما مذهب أبي حنيفة في اختياره في ذلك فلم نجده إلا ما ذكره محمد بن الحسن في كتاب الحجج له فقال: هو أن يقول: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد» قال محمد بن الحسن: وأخبرنا مالك نحو ذلك. وقال مالك: العمل عندنا على ذلك إلا أنه نقص من ذلك، ولم يقل فيه: «كما صليت على ابراهيم» ولكنه قال: «على آل ابراهيم في العالمين إنك حميد مجيد» فأما الأجزاء فأقل ما يجزىء عند الشافعي من ذلك أن يقول: «اللهم صلّ على محمد» واختلف أصحابه في الآل فلهم فيه وجهان. أحدهما: أنه لا تجب الصلاة على الآل وعليه أكثر أصحابه، والوجه الثاني انه تجب

ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى ويقبض أصابعه اليمنى إلا المسبحة، ولا بأس بإرسال الإبهام أيضاً، ويشير بمسبحة يمناه وحدها عند قوله: «إلا الله» لا عند قوله

الصلاة عليهم، وظاهر كلام أحمد أن الواجب الصلاة على النبي ﷺ وحسب كمذهب الشافعي، وقال ابن حامد من أصحاب أحمد: قدر الاجزاء أنه تجب الصلاة عليه ﷺ وعلى آله وعلى ابراهيم، والبركة على محمد ﷺ وعلى آله وآل ابراهيم لأنه الحديث الذي أخذ به أحمد إلى هنا انتهى كلام ابن هبيرة.

ثم شرع المصنف في بيان هيئة الجلوس في التشهدين فقال: (**ويضع يده اليمنى على فخذه اليمنى**) واليسرى على فخذه اليسرى، وعند الرافعي: وأما اليد اليمنى فيضعها على طرف الركبة اليمنى، وينبغي أن ينشر أصابعها بحيث تسامت رؤوسها الركبة ويجعلها قريبة من طرف الركبة وهل يفرج بين أصابع اليسرى أو يضمها؟ فالأشهر أنه يفرج تفريجاً مقتصداً. ألا تراهم يقولون: لا يؤمر بضم الأصابع مع نشرها إلا في السجود. وحكى الكرخي وغيره من أصحابنا عن الشيخ أبي حامد أنه يضم بعضها إلى بعض حتى الابهام ليتوجه جميعها إلى القبلة. وهكذا ذكره الروياني. وقال النووي: وهو الأصح. ونقل القاضي أبو حامد اتفاق الأصحاب عليه، وأما اليد اليمنى فيضعها كذلك، لكن (**يقبض أصابعه**) أي أصابع يده اليمنى أي لا ينشرها بل يقبض على الخنصر والبنصر والوسطى (**إلا المسبحة**) فإنه يرسلها، (**ولا بأس بإرسال الابهام أيضاً**) وذكر الرافعي فيه ثلاثة أقوال. أحدها: يقبض الوسطى مع الخنصر والبنصر ويرسل الإبهام مع المسبحة، والثاني: يحلق بين الابهام والوسطى، وفي كيفية التحليق وجهان. أحدهما: أنه يضع أنملة الوسطى بين عقدتي الابهام، وأصحهما انه يحلق بينهما برأسهما. والقول الثالث: وهو الأصح أنه يقبضهما أيضاً لما روي عن ابن عمر أن النبي ﷺ «كان إذا جلس في الصلاة وضع كفه اليمنى على فخذه اليمنى وقبض أصابعه كلها وأشار بالأصبع التي تلي الابهام» وإليه أشار المصنف بقوله: (**ويشير بمسبحة يمناه**). والحديث المذكور أخرجه مسلم هكذا، وللطبراني في الأوسط: «كان إذا جلس في الصلاة للتشهد نصب يديه على ركبتيه ثم يرفع أصبعه السبابة التي تلي الابهام وباقي أصابعه على يمينه مقبوضة كما هي». وفي شرح المنهاج: ويرفعها مع إمالتها قليلاً كما قاله المحاملي وغيره، ويسن أن يكون رفعها إلى القبلة ناوياً بذلك التوحيد والإخلاص ويقيمها ولا يضعها كما قاله نصر المقدسي، وخصّت المسبحة بذلك لأن لها اتصالاً بنياط القلب فكأنها سبب لحضور القلب، ثم قال المصنف: (**وحدها**) يشير إلى ما رواه الترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة أن رجلاً كان يدعو باصبعيه، فقال له رسول الله ﷺ: «أحد أحد». وقال النووي في الروضة: وتكره الإشارة بمسبحة اليسرى حتى لو كان أقطع اليمنى لم يشر بمسبحة اليسرى لأن سنتها البسط دائماً اهـ.

قلت: وفي تسميتها مسبحة نظر ظاهر لأنها ليست آلة التنزيه قاله الولي العراقي، ثم هذه

« لا إله » ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين. وفي التشهد

الإشارة قد اختلف فيها عندنا، فكثير من المشايخ لا يقول بها، وعزى ذلك إلى أبي حنيفة، والصحيح أنها تسن صرّح به أصحابنا.

ثم قال الرافعي: وفي كيفية وضع الابهام على هذا القول يعني به القول الثالث الذي قال فيه وهو الأصح وجهان. أحدهما: أنه يضعها على أصبعه الوسطى كأنه عاقد ثلاثة وعشرين، وأظهرهما أنه يضعها تحت المسبحة كأنه عاقد ثلاثاً وخمسين وأشار بالسبابة. ثم قال ابن الصباغ وغيره: كيفما فعل من هذه الهيئات فقد أتى بالسنّة لأن الأخبار قد وردت بها جميعاً، وكأنه ﷺ كان يضع مرة هكذا ومرة هكذا.

قلت: يشير بذلك إلى حديث أبي حميد « وضع كفه اليمنى على ركبته اليمنى وكفه اليسرى على ركبته اليسرى وأشار بأصبعه يعني السبابة ». رواه أبو داود، والترمذي، وحديث وائل بن حجر رفعه: « كان يحلق بين الإبهام والوسطى ». رواه ابن ماجه، والبيهقي وأصله عند أبي داود، والنسائي، وابن خزيمة. وحديث ابن عمر الذي تقدم ذكره رواه مسلم والطبراني. وحديث ابن الزبير رفعه: « كان يضع إبهامه على أصبعه الوسطى ويلقم كفه اليسرى ركبتيه ». رواه مسلم. وحديث ابن عمر أيضاً رفعه: « كان إذا قعد في التشهد وضع يده اليمنى على ركبته اليمنى وعقد ثلاثاً وخمسين وأشار بالسبابة ». وصورتها أن يجعل الابهام معترضة تحت المسبحة.

وقال النووي في المنهاج: والأظهر ضم الإبهام إلى المسبحة كعاقد ثلاثة وخمسين. قال شارحه: بأن يضعها تحتها على طرف راحته. قال: وإنما عبر الفقهاء بهذا دون غيره من الروايات تبعاً لرواية ابن عمر، واعترض في المجموع قولهم كعاقد ثلاثة وخمسين، فإن شرطه عند أهل الحساب أن يضع الخنصر على البنصر وليس مراداً ههنا بل مرادهم أن يضعها على الراحة كالبنصر والوسطى، وهي التي يسمونها تسعة وخمسين ولم ينطقوا بها تبعاً للخبر، وأجاب في الإقليد بأن عدّه وضع البنصر على الخنصر في عقد ثلاثة وخمسين هي طريقة أقباط مصر ولم يعتبر غيرهم فيها ذلك. وقال في الكفاية: عدم اشتراط ذلك طريقة المتقدمين اهـ.

وقال ابن الفركاح: إن عدم الاشتراط طريقة لبعض الحساب وعليه تكون تسعة وخمسين هيئة أخرى أو تكون الهيئة الواحدة مشتركة بين العددين فيحتاج إلى قرينة. وقال ابن الرفعة: صححوا الأول لأن روايته أفقه، وعلى الأقوال يستحب أن يرفع مسبحته في كلمة الشهادة **(عند قوله: « إلا الله »)** وفي شرح الرافعي: إذا بلغ همزة « إلا الله » **(لا عند قوله: « لا إله »)**.

قلت: وعند أصحابنا يرفعها عند النفي ويضعها عند الاثبات أي ليكون الرفع إشارة إلى نفي الألوهية عما سوى الله تعالى والوضع إلى اثباتها لله تعالى وحده.

ونقل الرافعي عن أبي القاسم الكرخي أنه حكى وجهين في كيفية الإشارة بالمسبحة. أصحهما

الأخير يستكمل الدعاء المأثور بعد الصلاة على النبي ﷺ وسننه كسنن التشهد الأول،

أنه يشير بها في جميع التشهد، وهل يحركها عند الرفع؟ فيه وجهان. أحدهما: نعم لما روي عن وائل بن حجر قال: «رفع رسول الله ﷺ أصبعه فرأيته يحركها يدعو بها». **قلت**: رواه ابن خزيمة والبيهقي بهذا اللفظ، وأصحهما لا. لما روي عن ابن الزبير رفعه: «كان يشير بالسبابة ولا يحركها ولا يجاوز بصره إشارته». قلت: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان في صحيحه، وأصله في مسلم دون قوله: «ولا يجاوز» إلخ. **قلت**: وعدم التحريك هو المذهب، ولذا قال في المنهاج ولا يحركها. وقد جمع البيهقي بين الحديثين فقال: يحتمل أن يكون مراده بالتحريك الإشارة لا تكرير تحريكها. وقال النووي في الروضة: وإذا قلنا بالأصح أنه لا يحركها فحركها لم تبطل صلاته على الصحيح. **(ويجلس في هذا التشهد)** يعني الأول **(على رجله اليسرى)** مفترشاً بها **(كما بين السجدتين)** اتفاقاً. **(وفي التشهد الأخير يستكمل الدعاء المأثور)** يشير إلى ما رواه البخاري في آخر تشهد ابن مسعود، ثم ليتخير أحدكم من الدعاء أعجبه إليه فيدعو به. وفي رواية: فليدع بعده بما شاء. وعند مسلم ثم يتخير من المسألة ما شاء. وعند البخاري أيضاً ثم يتخير من الثناء ما شاء. وفي رواية النسائي عن أبي هريرة ثم يدعو لنفسه بما بدا له وسنده صحيح، والمراد بالمأثور المروي عن النبي ﷺ.

وقد ذكر الرافعي من ذلك: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أعلنت وما أسررت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت» **قلت**: رواه مسلم من حديث علي.

قال الحافظ: لكن عنده من طرق أخرى، وعند أبي داود كان يقول ذلك بعد التسليم ومن ذلك: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال» **قلت**: رواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: «إذا فرغ أحدكم من التشهد فليتعوّذ بالله من أربع من عذاب جهنم وعذاب القبر» والباقي سواء. وهو في البخاري من غير تقييد بالتشهد. زاد النسائي: «ثم يدعو لنفسه بما بدا له».

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة أنه ﷺ كان يدعو في آخر الصلاة: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات. اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم» ومن ذلك أيضاً «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت اغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم» **قلت**: متفق عليه من رواية عبدالله بن عمر. وعن أبي بكر رضي الله عنهما أنه قال يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي فقال: «قل اللهم» فذكره.

قال الحافظ: ولم أرَ من جعله من قوله ﷺ ولا من بقية التشهد. **قلت**: وكان ابن مسعود يدعو بكلمات منهن: «اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من

الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم» ذكره أصحابنا ومن ذلك «اللهم ألف بين قلوبنا واصلح ذات بَيْننا واهدنا سبل السلام ونجنا من الظلمات إلى النور وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذريتنا وتب علينا إنك أنت التوّاب الرحيم واجعلنا شاكرين لنعمك مثنين بها قابليها وأتمها علينا» قال الروياني: وانا أزيد فيه «اللهم إني ضعيف فقوّني وذليل فاعزني اللهم اجعلني على تلاوة كتابك صبوراً وعلى إحسانك شكوراً واجعلني في عيني ذليلاً وفي أعين الناس كبيراً واجعلني ممن يذكرك ويشكرك ويسبحك بكرة وأصيلاً».

وقال الخطيب في شرح المنهاج: ومنهم من أوجب الدعاء المذكور في حديث أبي هريرة وهو الاستعاذة من الأربع، وقد فهم من سياق المصنف أن سنية الدعاء أو استحبابه إنما يكون في التشهد الأخير (**بعد الصلاة على النبي ﷺ**) أما في الأول فيكره، بل لا يصلى على الآل أيضاً على الصحيح كما سبق، وذكر الصيدلاني أن المستحب للإمام أن يقتصر على التشهد والصلاة على النبي ﷺ ليخفف على من خلفه، فإن ذلك جعل دعاء دون قدر التشهد فلا يطوّل، وأما المنفرد بلا بأس له بالتطويل هذا ما ذكره. قال الرافعي: والظاهر الذي نقله الجمهور أنه يستحب للامام الدعاء كما يستحب لغيره، ثم الأحب أن يكون الدعاء أقل من التشهد والصلاة على النبي ﷺ لأنه يقع عنهما، فإن زاد لم يضر إلاّ أن يكون إماماً فيكره التطويل. وقال النووي في الروضة: إطالة التشهد الأول مكروه فلو طوّله لم تبطل صلاته ولم يسجد للسهو سواء أطوله عمداً أم سهواً اهـ.

قلت: خلافاً لأصحابنا فإنهم قالوا: لا يزيد في القعدة الأولى على قدر التشهد لما في السنن من حديث ابن مسعود: «كان رسول الله ﷺ في الركعتين الأوليين كأنه على الرضف حتى يقوم فإن زاد على قدر التشهد» قال بعض المشايخ: إن قال اللهم صلّ على محمد ساهياً يجب عليه سجدة السهو. وروى الحسن عن أبي حنيفة: إن زاد حرفاً واحداً فعليه سجدة السهو، وأكثر المشايخ على هذا. واختار صاحب الخلاصة الأول. قال البزازي: لأنه أخر ركناً وبتأخيره يجب سجود السهو وهذا بإطلاقه يصلح دليلاً لمن اختار رواية الحسن بن زياد، فإن مطلق تأخير الركن موجود في زيادة الحرف، ولا يخص ما اختاره هو وصاحب الخلاصة من التقييد بقوله: اللهم صلِّ على محمد. والصحيح أن قدر زيادة الحرف ونحوه غير معتبر في جنس ما يجب به سجود السهو، وإنما المعتبر مقدار ما يؤدّى فيه ركن. وقوله: اللهم صلّ على محمد يشغل من الزمان ما يمكن أن يؤدّى فيه ركن بخلاف ما دونه لأنه زمن قليل يعسر الاحتراز عنه، فبهذا يتم مراد البزازي ويعلم منه أنه لا يشترط التكلم بذلك، بل لو مكث مقدار ما يقول: اللهم صلّ على محمد يجب سجود السهو لأنه أخر الركن بمقدار ما يؤدّى فيه ركن سواء صلى على النبي ﷺ أو سكت. حققه شارح المنية.

لكن يجلس في الأخير على وركه الأيسر، لأنه ليس مستوفزاً للقيام، بل هو مستقر

تنبيه:

للمصلي أن يدعو بما شاء من أمر الدنيا والآخرة في صلاته وهو مذهب الشافعي ومالك، ودليلهم ظاهر قوله ﷺ في حديث ابن مسعود: «ثم يتخير من الدعاء ما أعجب إليه فيدعو». وقال أبو حنيفة وأحمد: لا يدعو إلا بما يشبه ألفاظ القرآن، والأدعية المأثورة عن النبي ﷺ، ولا يدعو بما يشبه كلام الناس. ومن أصحاب أبي حنيفة من يقول: يجوز الدعاء بما لا يطلب إلا من الله تعالى، وأما إذا دعا بما يمكن أن يطلب من الآدميين بطلت صلاته. وقال أحمد لو قال: اللهم ارزقني جارية حسناء ونحو ذلك فسدت صلاته، ودليلنا صريح قوله ﷺ: «إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس». رواه مسلم. فحصل التعارض بين الحديثين فقدمنا المانع على المبيح، ومعنى قول أصحابنا بما يشبه ألفاظ القرآن كالذي تقدم في حديث أبي هريرة من الاستعاذة عن الأربع، وكقوله: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار وغير ذلك. فإن هذه الأدعية تشبه ألفاظ القرآن وليست بقرآن لأنه لم يقصد بها القراءة بل الدعاء حتى جاز الدعاء بها مع الجنابة والحيض، ومعنى قولهم: بما يشبه كلام الناس أي بما لا يستحيل طلبه منهم نحو قوله: اللهم اكسني. اللهم زوّجني فلانة أو اعطني مالاً أو متاعاً وما أشبه ذلك، حتى لو قال ذلك في وسط الصلاة قبل القعود الأخير قدر التشهد فسدت صلاته، وأما بعد التشهد فلا. ولكن تكون ناقصة لترك السلام الذي هو واجب وخروجه منها بدونه بمنزلة ما لو تكلم أو عمل عملاً آخر مناف للصلاة، وجعل صاحب الهداية قوله: اللهم ارزقني مما يشبه كلام الناس، وصححه في الكافي، واعترضه الكمال بن الهمام في فتح القدير ورجح عدم الفساد وقال: لأن الرازق في الحقيقة هو الله تعالى. وفي الخلاصة ولو قال: ارزقني فلانة الأصح أنها تفسد، أو ارزقني الحج الأصح أنها لا تفسد، وفي قوله: اكسني ثوباً والعن فلاناً واغفر لعمي وخالي تفسد، وفي ارزقني رؤيتك لا تفسد هذا كله كلام ابن الهمام. على أن الرافعي قد نقل عن إمام الحرمين أنه حكى في النهاية عن شيخه أنه كان يتردد في قوله: اللهم ارزقني جارية حسناء صفتها كذا ويميل إلى المنع منه، وأنه يبطل الصلاة. وقال ابن المنير: الدعاء بأمور الدنيا في الصلاة خطر، وذلك أنه قد يلتبس عليه الدنيا الجائزة بالمحظورة فيدعو بالمحظور فيكون عاصياً متكلماً في الصلاة فتبطل صلاته وهو لا يشعر. ألا ترى أن العامة يلتبس عليها الحق بالباطل، فلو حكم حاكم على عامي بحق فظنه باطلاً فدعا على الحاكم باطلاً بطلت صلاته، وتمييز الحظوظ الجائزة من المحرمة عسر جداً. فالصواب أن لا يدعو بدنياه إلا على تثبت من الجواز، والله أعلم.

(**وسننه كسنن التشهد الأول**) أي التشهد الأخير كالأول في الهيئة والأدب، ولا يتعين للقعود هيئة معينة فما يرجع إلى الاجزاء بل يجزئه القعود على أي وجه أمكن، (**لكن**) يسن أن (**يجلس في الأخير على وركه الأيسر**) وفي القعود الذي لا يقع في آخرها الافتراش. وقال

ويضجع رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى، ويضع رأس الإبهام إلى جهة القبلة إن لم يشق عليه. ثم يقول: «السلام عليكم ورحمة الله» ويلتفت يميناً بحيث يرى

أحمد: إن كانت الصلاة ذات تشهدين تورك في الآخر، وإن كانت ذات تشهد واحد افترش فيه. وقال أبو حنيفة: السنّة في القعودين الافتراش. وقال مالك: السنّة فيهما التورك. وقد أشار المصنف إلى الفرق من جهة المعنى بقوله: **(لأنه)** أي المصلي **(ليس مستوفزاً)** للحركة يبادر **(للقيام)** أي إليه فيناسبه التورك على هيئة السكون والاستقرار، وإليه أشار بقوله: **(بل هو مستقر)** بخلاف التشهد الأول، فإنه يبادر إلى القيام عند تمامه وذلك يناسبه الجلوس على هيئة الافتراش، والافتراش أن يضجع الرجل اليسرى بحيث يلي ظهرها الأرض ويجلس عليها وينصب اليمنى ويضع أطراف أصابعها على الأرض متوجهة إلى القبلة. **(و)** التورك أن **(يضع)** وفي نسخة: يضجع **(رجله اليسرى خارجة من تحته وينصب اليمنى)** ويمكن الورك من الأرض، وفي الشرح في معنى التورك: أن يضع رجليه على هيئتها في الافتراش واليمنى منصوبة مرفوعة العقب واليسرى مضجعة.

تنبيه: قد رتب الرافعي على هذه القاعدة مسألتين:

احداهما: المسبوق إذا جلس مع الإمام في التشهد الأخير يفترش ولا يتورك. نص عليه لأنه مستوفز يحتاج إلى القيام عند سلام الإمام، ولأنه ليس مع آخر صلاته. والتورك إنما ورد في آخر الصلاة. وحكى الشيخ أبو محمد وجهاً عن بعض الأصحاب أنه يتورك متابعة لإمامه، وذكر أبو الفرج أن أبا طاهر الزيادي قلت: يعني به محمد بن محمد بن محمش شيخ الحاكم، حكى في المسألة هذين الوجهين، ووجها ثالثاً أنه إن كان محل تشهد المسبوق كان أدرك ركعتين من صلاة الإمام جلس مفترشاً وإلاّ جلس متوركاً، لأن أصل الجلوس لمحض المتابعة فيتابعه في هيئته أيضاً، والأكثرون على الوجه الأول.

الثانية: إذا قعد في التشهد الأخير وعليه سجود سهو فهل يفترش أو يتورك؟ فيه وجهان أحدهما: يتورك لأنه آخر الصلاة قاله الروياني في التلخيص وهو ظاهر المذهب، والثاني: أنه يفترش. ذكره القفال وساعده الأكثرون لأنه يحتاج بعد هذا القعود إلى عمل وهو السجود، فأشبه التشهد الأول بل السجود عن هيئة التورك أعسر من القيام عنها، وكان أولى بأن لا يتورك عنها. وأيضاً فلأنه جلوس يعقبه سجود فأشبه الجلوس بين السجدتين والله أعلم. **(ويضع)** وفي نسخة: ويخرج **(رأس الابهام)** أي من الرجل اليسرى **(إلى جهة القبلة إن لم يشق عليه)** ذلك.

ثم شرع في ذكر الركن السابع الذي هو السلام فقال: **(ثم يقول: «السلام عليكم»)** وهذا هو الأقل، ولا بدّ من هذا النظم لأن النبي ﷺ كذلك كان يسلم وهو كاف لأنه تسليم، وقد قال ﷺ: «وتحليلها التسليم» ولو قال: سلام عليكم فوجهان أحدهما: أنه لا يجزئه لأنه نقص

خده الأيمن من وراءه من الجانب اليمين ويلتفت شمالاً كذلك. ويسلم تسليمة ثانية

الألف واللام، والثاني يجزئه كما في التشهد. وقال النووي في الروضة: الأصح عند الجمهور لا يجزئه وهو المنصوص اهـ. وكذا لا يجزىء قوله السلام عليك ولا سلامي عليك ولا سلام الله عليكم ولا السلام عليهم، وما لا يجزىء فتبطل الصلاة إذا قال عمداً ويجب على المصلي أن يوقع السلام في حالة القعود إذا قدر عليه هذا في أقل السلام، فأما الأكمل فهو أن يقول: السلام عليكم **(ورحمة الله)** وهل يزيد على مرة واحدة الجديد أنه يستحب أن يقوله المصلي مرتين، ويحكى عن القديم قولان. أحدهما: أن المستحب تسليمة واحدة ويفرق في حق الإمام بين أن يكون في القوم كثرة أو كان حول المسجد لغط فيستحب أن يسلم تسليمتين ليحصل الإبلاغ وإن قلّوا، ولا لغط فيقتصر على تسليمة واحدة فيجعلها تلقاء وجهه. **(وإن)** قلنا بالصحيح وهو أن يسلم تسليمتين، فالمستحب أن **(يلتفت)** في الأولى **(يميناً)** أي عن يمينه **(بحيث يرى)** بفتح حرف المضارعة. وقوله: **(خده الأيمن)** مفعوله والفاعل هو قوله **(من وراءه من الجانب الآخر)**. وفي نسخة: من جانب اليمين **(ويلتفت شمالاً كذلك ويسلم تسليمة)** وفي نسخة زيادة ثانية. قال الرافعي: وينبغي أن يبتدىء بها مستقبل القبلة، ثم يلتفت بحيث يكون انقضاؤها مع تمام الالتفات ويلتفت. قال الشافعي رضي الله عنه في المختصر: بحيث يرى خدّاه، وحكى الشارحون أن الأصحاب اختلفوا في معناه، فمنهم من قال: معناه حتى يرى من كل جانب خداه، ومنهم من قال: حتى يرى من كل جانب خده، وهو الصحيح لما روي «أنه ﷺ كان يسلم عن يمينه السلام عليكم ورحمة الله حتى يرى بياض خده الأيمن ويسلم على يساره السلام عليكم ورحمة الله حتى يرى بياض خده الأيسر».

قلت: رواه النسائي من حديث ابن مسعود، وكذا رواه أحمد، وابن حبان، والدارقطني وغيرهم، وأصله في صحيح مسلم. وقد روي في الباب من طريق ثلاثة عشر صحابياً غير ابن مسعود وهم سعد بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وسهل بن سعد، وحذيفة، وعدي بن عمرة، وطلق بن علي، والمغيرة بن شعبة، وواثلة بن الأسقع، ووائل بن حجر، ويعقوب بن الحصين، وأبو رميثة البلوي، وجابر بن سمرة رضي الله عنهم. ذكرهم الطحاوي. وتبعه الحافظ في التخريج، وبذلك أخذ الشافعي، وأبو حنيفة وصاحباه. قال الحافظ: ووقع في صحيح ابن حبان في حديث ابن مسعود زيادة «وبركاته» وهي عند ابن ماجه أيضاً وهي عند أبي داود في حديث وائل بن حجر، فيتعجب من ابن الصلاح حيث يقول: إن هذه الزيادة ليست في شيء من كتب الحديث إلا في رواية وائل بن حجر اهـ. فما في كتب بعض أصحابنا أنه بدعة وليس فيه شيء ثابت محل نظر. وقال مالك: يسلم تسليمة واحدة سواء فيه الإمام والمنفرد، ودليله حديث عائشة رضي الله عنها: «كان يسلم تسليمة واحدة». رواه الترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والدارقطني. وقال ابن عبد البر: لا يصح مرفوعاً. وقال الحاكم: رواه وهب، عن عبيدالله بن عمر، عن القاسم، عن عائشة موقوفاً وهذا سند صحيح. وقال

وينوي الخروج من الصلاة بالسلام، وينوي بالسلام من على يمينه من الملائكة،

العقيلي: لا يصح في تسليمة واحدة شيء وحمله القائلون بالتسليمتين على قيام الليل إذ قد ورد فيه في بعض رواياته يرفع بها صوته حتى يوقظنا بها. وقد جاء التصريح بأنه في صلاة في سياق ابن حبان في الصحيح، وابن العباس السراج في مسنده، والذين رووا عنه التسليمتين ورأوا ما شهدوا في الفرض والنفل، وحديث عائشة ليس صريحاً في الاقتصار على تسليمة واحدة، بل أخبرت أنه كان يسلم تسليمة يوقظهم بها ولم تنف الأخرى بل سكتت عنها وليس سكوتها عنها مقدماً على رواية من حفظها وضبطها وهم أكثر عدداً وأحاديثهم أصح. **(وينوي الخروج من الصلاة بالسلام)**.

قال الرافعي: وهل يجب أن ينوي الخروج من الصلاة بسلامه؟ فيه وجهان. **أحدهما**: نعم، وبه قال ابن سريج، وابن القاص. ويحكى عن ظاهر نصه في البويطي لأنه ذكر واجب في آخر الصلاة فتجب فيه النية كالتكبير، ولأن لفظ السلام يناقض الصلاة في وصفه من حيث هو خطاب الآدميين، ولهذا لو سلم قصداً في الصلاة بطلت صلاته، فإذا لم تكن نية صارفة إلى قصد التحلل صار مناقضاً. **والثاني**: لا يجب ذلك، وبه قال أبو جعفر بن الوكيل، وأبو الحسين بن القطان. ووجهه القياس على سائر العبادات لا تجب فيها نية الخروج، ولأن النية تليق بالاقدام دون الترك، وهذا هو الأصح عند القفال، واختيار معظم المتأخرين وحملوا نصه على الاستحباب. وإن قلنا: يجب نية الخروج فلا يحتاج إلى تعيين الصلاة عند الخروج بخلاف حالة الشروع، فإن الخروج لا يكون إلا عن المشروع فيه ولو عين غير ما هو فيه عمداً بطلت صلاته على هذا الوجه، ولو سها سجد للسهو وسلم ثانياً مع النية، بخلاف ما إذا قلنا لا يجب نية الخروج فإنه لا يضر الخطأ في التعيين، وعلى وجه الوجوب ينبغي أن ينوي الخروج مقترناً بالتسليمة الأولى، ولو سلم ولم ينوِ بطلت صلاته، ولو نوى الخروج قبل السلام بطلت صلاته أيضاً، ولو نوى قبله الخروج عنده، فقد قال في النهاية: لا تبطل صلاته ولا نيته بل يأتي بالنية مع السلام اهـ. كلام الرافعي.

فصل

قال ابن هبيرة في الإفصاح: واتفقوا على أن الإتيان بالسلام مشروع، ثم اختلفوا في عدده فقال أبو حنيفة وأحمد: تسليمتان. وقال مالك: واحدة، ولا فرق بين أن يكون إماماً أو منفرداً، وللشافعي قولان. الذي في المختصر والأم كمذهب أبي حنيفة وأحمد، والقديم إن كان الناس قليلاً وسكتوا أحببت أن يسلم تسليمة واحدة وإن كان حول المسجد ضجة فالمستحب أن يسلم تسليمتين. واختلفوا هل السلام من الصلاة أم لا؟ فقال مالك والشافعي: التسليمة الأولى

....

فرض على الإمام والمنفرد، وقال الشافعي: وعلى المأموم أيضاً. وقال أبو حنيفة: ليست بفرض في الجملة، واختلف أصحابه في الخروج من الصلاة هل هو فرض أم لا؟ فمنهم من قال الخروج من الصلاة بكل ما ينافيها بتعمده فرض لغيره لا لعينه ولا يكون من الصلاة، وممن قال بهذا أبو سعيد البردعي، ومنهم من قال: ليس بفرض في الجملة منهم أبو الحسين الكرخي، وليس عن أبي حنيفة في هذا نص يعتمد عليه. وعن أحمد روايتان المشهورة منها أن التسليمتين جميعاً واجبتان، والأخرى أن الثانية سنة والواجبة الاولى. واختلفوا في وجوب نية الخروج من الصلاة فقال مالك والشافعي في الظاهر من نصه والبويطي وأحمد بوجوبها، وأما مذهب أبي حنيفة فقد تقدم، وفي الجملة فيجب عند أكثرهم أن يقصد المصلي فعلاً ينافي الصلاة فيصير به خارجاً منها اهـ.

فصل

تقدم أن دليل الشافعي رضي الله عنه في ركنية السلام حديث علي: «وتحليلها التسليم» قال البيهقي: وروينا مثل ذلك في حديث أبي سعيد الخدري اهـ. وهو يحصل بالأولى، أما الثانية فسنة وقد تستنبط الفرضية من التعبير بلفظ: كان في حديث أم سلمة عند البخاري كان إذا سلم الحديث المشعر بتحقيق مواظبته عليه السلام فلا يصح التحلل إلا به لأنه ركن. وقال أبو حنيفة: يجب الخروج من الصلاة به ولا نفرضه لقوله عليه السلام: «إذا قعد الإمام في آخر صلاته ثم أحدث قبل أن يسلم فقد تمت صلاته». وفي رواية «إذا جلس مقدار التشهد». رواه عاصم بن حمزة عن علي، وأورده البيهقي في السنن وضعفه. قال عاصم بن ضمرة ليس بالقوي، وعلي لا يخالف ما رواه عن النبي ﷺ.

قلت: نتكلم مع البيهقي هنا بإنصاف فنقول: أما حديث علي الذي فيه «وتحليلها التسليم» في سنده ابن عقيل قال البيهقي نفسه في باب لا يتطهر بالمستعمل: أهل العلم مختلفون في الاحتجاج برواياته، وحديث أبي سعيد الخدري في سنده أبو سفيان طريف بن شهاب السعدي. قال ابن عبد البر أجمعوا على أنه ضعيف الحديث كذا نقله في الإمام. وقال البيهقي نفسه في باب الماء الكثير لا ينجس ما لم يتغير ليس بالقوي، ثم على تقدير صحة الحديث لا يدل على أن الخروج من الصلاة لا يكون إلا بالتسليم إلا بضرب من دليل الخطاب وهو مفهوم ضعيف عند الأكثر قاله ابن عبد البر، وأما عاصم بن حمزة فقد وثقه ابن المديني وأحمد وروى له أصحاب السنن الأربعة، وقوله: وعلي لا يخالف ما رواه لخصمه أن يعكس الأمر ويجعل قوله دليلاً على نسخ ما رواه إذ لا يظن به أن يخالف النبي ﷺ إلا وقد ثبت عنده نسخ ما رواه، وهذا على تقدير تسليم صحة الحديث وثبوت دلالته على ما ادعاه، وقد روي عن جماعة من السلف كقول علي. فروى عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج عن عطاء فيمن أحدث في صلاته قبل أن يتشهد قال: حسبه فلا يعيد، وعن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن عطاء إذا رفع الإمام رأسه من السجود في

آخر صلاته فقد تمت صلاته وإن أحدث. وعن قتادة عن ابن المسيب فيمن يحدث بين ظهراني صلاته قال: إذا قضى الركوع والسجود فقد تمت صلاته. وعن الثوري عن منصور قال: قلت لإبراهيم: الرجل يحدث حين يفرغ من السجود في الرابعة وقبل التشهد قال: تمت صلاته. وقد روى أبو داود من حديث أبي سعيد رفعه: «إذا شك أحدكم في صلاته فليلغ الشك وليبن على اليقين، فإذا استيقن التمام سجد سجدتين فإن كانت صلاته تامة كانت الركعة نافلة والسجدتان مرغماً للشيطان» الحديث. فلو كان السلام ركناً واجباً لم يصح النفل مع بقائه. وروى الجماعة من حديث عبدالله بن بحينة أنه ﷺ قام من اثنتين ولم يجلس، فلما قضى صلاته ونظرنا تسليمه سجد سجدتين ثم سلم فدل على أن الصلاة تنقضي قبل التسليم وبدونه، والله أعلم.

تنبيه:

قد ورد في آخر حديث ابن مسعود في التشهد: إذا فعلت هذا فقد قضيت صلاتك، فقد رويت هذه الزيادة موصولة بالحديث وأنه من كلام النبي ﷺ، وبعضهم يجعلها موقوفة على ابن مسعود. وذكر البيهقي عن شيخه أبي علي النيسابوري أن زهيراً وهم في روايته عن الحسن بن الحر، وأدرج في كلام النبي ﷺ ما ليس من كلامه، وهذا إنما هو من كلام ابن مسعود. كذلك رواه عبد الرحمن بن ثابت، عن ثوبان، عن الحسن بن الحر. ثم أخرجه البيهقي من طريق غسان بن الربيع، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت فذكره. وفي آخره قال أبو مسعود: «إذا فرغت من هذا فقد قضيت صلاتك».

قلت: في هذا السند نظر غسان هذا ضعفه الدارقطني وغيره كما نقله الذهبي، وعبد الرحمن ابن ثابت ذكر البيهقي نفسه في باب تكبيرات العيد أن ابن معين ضعفه، وبمثل هذا لا تعلل رواية الجماعة الذين جعلوا هذا الكلام متصلاً بالحديث، وعلى تقدير صحة السند الذي روي فيه موقوفاً، فرواية من وقف لا تعلل بها رواية من رفع لأن الرفع زيادة مقبولة على ما عرف من مذاهب أهل الفقه والأصول، فيحمل على أن ابن مسعود سمعه من النبي ﷺ فرواه كذلك مرة وأفتى به مرة أخرى، وهذا أولى من جعله من كلامه إذ فيه تخطئة الجماعة الذين وصلوه والله أعلم.

ثم قال **(وينوي)** بها المنفرد **(السلام من على يمينه من الملائكة)** قيل: المراد بهم الحفظة الذين وكلوا بحفظه خاصة ولا يعمم النية، وقيل: ينوي على سبيل العموم، فقد روي عن ابن عباس: مع كل مؤمن خمس من الملائكة. وفي بعض الأخبار: مع كل مؤمن ستون ملكاً، وفي بعضها مائة وستون يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف، ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين. رواه الطبراني، وقيل: ينوي بهم الكرام الكاتبين وهما اثنان واحد عن يمينه وواحد عن شماله، والصحيح أنه لا ينوي عدداً محصوراً لأن الأخبار في عددهم قد اختلفت فأشبه الإيمان بالأنبياء عليهم السلام، كذا في الهداية. وقد جاء في حديث

والمسلمين في الأولى وينوي مثل ذلك في الثانية. ويجزم التسليم ولا يمده مداً فهو السنّة.

علي التصريح بالملائكة المقربين والنبيين ومن معهم من المؤمنين، وقول المصنف: **(والمسلمين)** أي مسلمي الجن والإنس **(في الأولى)** هكذا هو في شرح المهذب، **(وينوي مثل ذلك في الثانية)** ولكن في قول المصنف والمسلمين نظر،لأنه يحكي صلاة المنفرد والمنفرد لا ينوي بتسليمه إلا السلام على الملائكة فقط. إذ ليس معهم غيرهم، وقد بين ذلك الرافعي فقال: وأما المنفرد فينوي بها السلام على من على جانبه من الملائكة اهـ.

وهكذا ذكره بعض أصحابنا المتأخرين فقال: ويسن نية المنفرد الملائكة فقط قال: وينبغي التنبه لهذا لأنه قل من يتنبه من أهل العلم فضلاً عن غيرهم اهـ.

ولم يذكر المصنف كيفية تسليم الإمام وماذا ينوي بسلامه، وقد ذكر الرافعي أن الإمام يستحب له أن ينوي بالتسليمة الأولى السلام على من على يمينه من الملائكة ومسلمي الإنس والجن، وبالثانية على من على يساره منهم، والمأموم ينوي مثل ذلك ويختص بشيء آخر وهو أنه إن كان على يمين الإمام ينوي بالتسليمة الثانية الرد على الإمام، وإن كان على يساره ينوي بالتسليمة الأولى، وإن كان في محاذاته ينوي به أيها شاء وهو في التسليمة الأولى أحسن، ويحسن أن ينوي بعض المأمومين الرد على البعض اهـ.

وفي عبارات أصحابنا: وينوي بالأولى في خطابه بعليكم من على يمينه من الملائكة والمؤمنين المشاركين له في صلاته دون غيرهم، وعن يساره مثل ذلك. وينوي المقتدي إمامه في الأولى إن كان عن يمينه أو بحذائه، وهذا عند أبي يوسف لأنه تعارض فيه الجانبان فرجح اليمين لشرفه. وعند محمد ينويه في التسليمتين وهو رواية عن أبي حنيفة لأن الجمع عند التعارض إذا أمكن لا يصار إلى الترجيح، وينويه في الأخرى إن كان على يساره والإمام أيضاً ينوي القوم مع الحفظة فيهما وهو الصحيح اهـ.

وقد عرف مما تقدم من سياق الرافعي أن الإمام ينوي بالأولى الخروج من الصلاة والسلام على الملكين والمأمومين، والمأموم إن كان عن يمين الإمام فإنه ينوي بالسلام عن يمينه الملكين والمأمومين والخروج وعن يساره الملكين والإمام، وإذا كان عن يساره الإمام نوى الإمام في التسليمة الأولى مع الملكين والمأمومين والخروج، وفي الثانية الملكين وإن كان منفرداً نوى بالأولى الخروج والملكين، وفي الثانية الملكين سواء كان إماماً أو مأموماً أو منفرداً. وقال أصحابنا: التسليمة الأولى للتحية والخروج من الصلاة، والثانية للتسوية بين القوم في التحية، ثم قيل: الثانية سنة والأصح إنها واجبة كالأولى، وبمجرد لفظ السلام يخرج ولا يتوقف كذا في شرح الهداية لابن الهمام، وأما مالك فلا يسن عنده التسليمة الثانية، فالإمام عنده يسلم تسليمة واحدة عن يمينه يقصد بها قبالة وجهه ويتيامن برأسه قليلاً وكذلك يفعل المنفرد، وأما المأموم فيسلم ثلاثاً ثنتين عن يمينه والثالثة تلقاء وجهه يردها على إمامه ينويان بها التحلل من الصلاة، ويروى: أنه يسلم

....

اثنتين ينوي بالأولى التحلل وبالثانية الرد على الإمام، وإن كان على يساره من يسلم عليه نوى الرد عليه، ونص خليل في مختصره ورد مقتد على إمامه ثم يساره وبه أحد وجهر بتسليمة التحليل فقط. قال شارحه: أما سلام التحليل فينوي فيه الإمام والمأموم والفذ، ويسن للمأموم أن يزيد عليها تسليمتين إن كان على يساره أحد أولاهما يرد بها على إمامه، والثانية من على يساره. ومن السنن الجهر بتسليمة التحليل فقط. قال مالك: ويخفى تسليمة الرد اهـ.

وأما الإمام أحمد فقال: ينوي بالسلام الخروج من الصلاة ولا يضم إليه شيئاً آخر. هذا هو المشهور عن أحمد، فإن ضم إليه شيئاً آخر من سلام على ملك أو آدمي فعن أحمد رواية أخرى. وفي المأموم خاصة فيستحب له أن ينوي الرد على إمامه قاله يعقوب بن لحيان. وقال أبو حفص العكبري في مقنعه: إن كان منفرداً نوى بالأولى الخروج من الصلاة، وبالثانية السلام على الحفظة، وإن كان مأموماً نوى بالأولى الخروج من الصلاة، وبالثانية الرد على الإمام والحفظة، وإن كان إماماً نوى بالأولى الخروج من الصلاة، وبالثانية المأمومين والحفظة. في المقنع لأبي العباس الرداديِ الحنبلي: يسلم مرتباً معرفاً وجوباً مبتدئاً عن يمينه جهراً مسراً به عن يساره اهـ.

(ويجزم التسليم ولايمده مداً فهو السنة) وفي نسخة: ويحذف التسليم، وفي أخرى ويخفف السلام.

قلت: والنسخة الثانية هي المشهورة. قال العراقي في تخريجه: حديث حذف السلام سنة. أخرجه أبو داود، والترمذي، من حديث أبي هريرة وقال: حسن صحيح، وضعفه ابن القطان اهـ.

قلت: قال الحافظ السخاوي في مقاصده: وأخرجه ابن خزيمة والحاكم مع حكايتها الوقف أيضاً، ووقفه الترمذي وقال: إنه حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ونقل أبو داود عن الفريابي قال: نهاني أحمد عن رفعه. وعن عيسى بن يونس الرملي قال: نهاني ابن المبارك عن رفعه، والمعنى أنهما نهيا أن يعزى هذا القول إلى النبي ﷺ، وإلا فقول الصحابي «السنة» كذا له حكم المرفوع على الصحيح على أن البيهقي قال: كان وقفه تقصير من بعض الرواة، وصحح الدارقطني في العلل في حديث الفريابي وقفه، وأما أبو الحسن بن القطان فقال: إنه لا يصح مرفوعاً ولا موقوفاً اهـ.

قلت: أخرجه البيهقي من طريق ابن المبارك، عن الاوزاعي عن قرة، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعاً. ثم قال: ورواه عبدان عن ابن المبارك عن الاوزاعي فوقفه وكأنه تقصير من الرواة.

قلت: أخرجه أبو داود مرفوعاً من حديث الفريابي عن الأوزاعي، وذكر أبو الحسن بن القطان أن أبا داود قال بأثره: إن الفريابي لما رجع من مكة ترك رفعه وقال: نهاني أحمد عن

وهذه هيئة صلاة المنفرد، ويرفع صوته بالتكبيرات ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع

رفعه، فهذا وكذا قول عيسى بن يونس وتصحيح الدارقطني في العلل يقتضي ترجيح الوقف، وأنه ليس بتقصير من بعض الرواة كما زعم البيهقي على أن مدار هذا الحديث موقوفاً ومرفوعاً على قرة هو ابن عبد الرحمن بن حيويل وقد ضعفه ابن معين. وقال أحمد: منكر الحديث جداً، ولهذا قال ابن القطان قوله المذكور آنفاً، فتأمل. ومما يشهد للنسخة الأولى ما حكى ترمذي في جامعه عن إبراهيم النخعي أنه قال التكبير جزم والتسليم جزم، ومن جهته رواه سعيد بن منصور في سننه بزيادة: والقراءة جزم، والأذان جزم. وقال ابن الأثير في معناه: إن التكبير والسلام لا يمدان ولا يعرب التكبير بل يسكن آخره، وتبعه المحب الطبري وهو مقتضى كلام الرافعي في الاستدلال به على أن التكبير جزم لا يمد، وعليه مشى الزركشي وإن كان أصله الرفع بالخبرية، لكن قد خالفهم الحافظ ابن حجر وقال: فيما قالوه نظر. لأن استعمال لفظ الجزم في مقابل الإعراب اصطلاح حادث لأهل العربية، فكيف تحمل عليه الألفاظ النبوية يعني على طريق الثبوت؟ وجزم بأن المراد بحذف السلام وجزم التكبير الإسراع به. قال تلميذه السخاوي: وقد أسند الحاكم عن أبي عبدالله البوشنجي أنه سئل عن حذف السلام فقال: لا يمد. وكذا أسنده الترمذي في جامعه عن ابن المبارك أنه قال: لا يمده مداً. قال الترمذي: وهو الذي استحبه أهل العلم.

قلت: وهو المناسب لسياق المصنف في النسخة الثانية، ويحذف السلام ولا يمده مداً فهو السنة ثم قال السخاوي: وكذا قال جماعة من العلماء معناه أنه استحب أن يدرج لفظ السلام ولا يمده مداً وأنه ليس برفع الصوت فرفع الصوت غير المد، وقيل: معناه إسراع الإمام به لئلا يسبقه المأموم. وعن بعض المالكية هو أن لا يكون فيه قوله: «ورحمة الله» وقيل معناه أن لا يتعمد فيهما الإعراب المبشع اهـ.

(**وهذه هيئة صلاة المنفرد**) وهذه فوائد ينبغي التنبيه عليها.

الأولى: نقل النووي في الروضة: وإذا سلم الإمام التسليمة الأولى فقد انقطعت متابعة المأموم وهو بالخيار إن شاء سلم في الحال وإن شاء استدام الجلوس للتعوذ والدعاء وأطال ذلك.

الثانية: ذكر النووي في المجموع قال الشافعي والأصحاب: إذا اقتصر الإمام على تسليمة سن للمأموم تسليمتان لأنه خرج عن المتابعة بالأولى بخلاف التشهد الأول لو تركه الإمام لزم المأموم تركه، لأن المتابعة واجبة عليه قبل السلام.

الثالثة: قال الأردبيلي في الأنوار: شرط التشهد رعاية الكلمات والحروف والتشديد والإعراب والمحل والألفاظ المخصوصة وإسماع النفس كالفاتحة.

الرابعة: قال أصحابنا: يقصد المصلي بألفاظ التشهد معانيها مرادة له على وجه الإنشاء منه، وإن كانت على منوال حكاية سلام الله ورسوله، فكأنه يحيي الله تعالى ورسوله يسلم عليه وعلى نفسه وأوليائه.

نفسه، وينوي الإمام الإمامة لينال الفضل فإن لم ينوِ صحت صلاة القوم إذا نووا الاقتداء ونالوا فضل الجماعة، ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد، ويجهر بالفاتحة والسورة في جميع الصبح وأُولَيي العشاء والمغرب. وكذلك المنفرد، ويجهر بقوله: «آمين» في الصلاة الجهرية، وكذلك المأموم. ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معاً لا تعقيباً. ويسكت الإمام سكتة عقيب الفاتحة ليثوب إليه نفسه ويقرأ المأموم الفاتحة في الجهرية في هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الإمام، ولا يقرأ المأموم السورة في الجهرية إلا إذا لم يسمع صوت الإمام. ويقول الإمام: «سمع الله لمن حمده» عند رفع رأسه من الركوع وكذا المأموم. ولا يزيد الإمام على الثلاث في تسبيحات الركوع والسجود، ولا يزيد في التشهد الأول بعد قوله: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد». ويقتصر في الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد على دعائه في التشهد الأخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله ﷺ. وينوي عند السلام: السلام على القوم والملائكة. وينوي القوم بتسليمهم جوابه ويثبت الإمام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام ويقبل على الناس بوجهه، والأولى أن يثبت إن كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله، ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم. وينصرف الإمام حيث يشاء عن يمينه وشماله واليمين أحب إليَّ. ولا يخص الإمام نفسه بالدعاء في قنوت الصبح بل يقول: «اللهم اهدنا» ويجهر به ويؤمّن القوم ويرفعون أيديهم حذاء الصدور، ويمسح الوجه عند ختم الدعـاء لحديث نقل فيه، وإلا فالقياس أن لا يرفع اليد كما في آخر التشهد.

الخامسة: يجب مراعاة التشهد الثاني فإن تركها لم تحسب، وقد جزم البغوي في فتاويه اشتراط أن تكون الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، وأقره شارح المهذب، ونقله عياض عن الشافعي، وذكر الرافعي في شرح مسند الشافعي تبعاً للحليمي أنها كبعض التشهد، فعلى هذا يكون عنده لا يجب الترتيب بينهما.

السادسة: قال النووي: ويستحب للمصلي أن يديم نظره إلى مـوضـع سجـوده، وقـال بعـض أصحابنا: يكره له تغميض العينين، والمختار أنه لا يكره إن لم يخف ضرراً.

قلت: ذكر صاحب القوت والعوارف أن العينين تسجدان، فينبغي فتحهما. وزاد أصحابنا وأن يكون منتهى نظره في ركوعه إلى ظهر قدميه، وفي سجوده إلى أرنبة أنفه، وفي قعوده إلى مجمع فخذيه من ثوبه. ثم رأيت ذلك في كلام البغوي والمتولي، وذلك كله مقتضى الخشوع، فإن

المنهيات:

نهى رسول الله ﷺ عن الصفن في الصلاة والصفد وقد ذكرناهما، وعن الإقعاء،

الخاشع لا يتكلف حركة عينيه أزيد مما هي عليه، وإذا تركت العين على ما هي عليه لا يتجاوز نظرها في الحالات المذكورة إلى غير المواضع المذكورة.

قلت: ويستثنى من قول النووي إلى موضع سجوده صلاة الجنازة، فإن المصلي عليها ينظر إليها، وكذا حالة التشهد فإن السنة إذا رفع مسبحته أن لا يجاوز بصره إشارته، وكذا المصلي في المسجد الحرام ينظر إلى الكعبة، لكن صوب البلقيني أنه كغيره، وصرح الأسنوي أنه وجه ضعيف، والله أعلم.

المنهيات:

وفي بعض النسخ زيادة عنها وهي الأفعال والحركات والهيئات التي نهي عنها المصلي نهي كراهة حسن إيرادها بعد بيان صفة الصلاة لأنها من العوارض عليها، والأصل خلوها عنها والعارض مؤخر عن الأصل، فقال: **(نهى رسول الله ﷺ في الصلاة عن الصفن والصفد وقد ذكرناهما)** قبل فاغنى عن الإعادة ثانياً، وقد عزاه رزين إلى الترمذي. وقال العراقي: ولم أجده عنده ولا عند غيره. قلت وهكذا أورده السهروردي في العوارف، وأصل هذا في كتاب القوت وهو الذي فسر معنى الألفاظ وتبعه من جاء بعده.

(و) جاء النهي **(عن الإقعاء)** في الصلاة. رواه الحاكم في المستدرك من حديث سمرة وصححه، وروى الترمذي، وابن ماجه من حديث الحرث الأعور عن علي: لا تقع بين السجدتين. وروى ابن السكن في صحيحه عن أبي هريرة رفعه «نهى عن التورك والاقعاء في الصلاة» وقال النووي في الخلاصة، قال بعض الحفاظ: ليس في الإقعاء حديث صحيح إلا حديث عائشة. وسيأتي الكلام عليه. وأخرج ابن ماجه من حديث علي وأبي موسى رفعاه «لا تقع إقعاء الكلب» وسنده ضعيف. وعند أحمد والبيهقي من حديث أبي هريرة «نهاني رسول الله ﷺ عن نقرة كنقرة الديك والتفات كالتفات الثعلب وإقعاء كاقعاء الكلب» وفي إسناده ليث بن أبي سليم. وأخرج ابن ماجه من حديث أنس بلفظ «إذا رفعت رأسك من السجود فلا تقعي كما يقعي الكلب ضم إليك بين قدميك والزق ظاهر قدميك بالأرض» وفي إسناده العلاء بن زيد وهو متروك.

(و) جاء النهي **(عن السدل)** بفتح السين وسكون الدال المهملتين أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة بلفظ «نهى عن السدل في الصلاة» قاله العراقي. قلت: إلا أن الترمذي قال: لا يعرف من حديث عطاء عن أبي هريرة إلا من حديث عسل بن سفيان اهـ.

قال الصدر المناوي: وعسل هو ابن فروة اليربوعي ضعيف.

وعن السدل والكف، وعن الاختصار، وعن الصلب، وعن المواصلة، وعن صلاة الحاقن والحاقب والحازق، وعن صلاة الجائع والغضبان والمتلثم وهو ستر الوجه. أما

(و) جاء النهي **(عن الكف)** في الصلاة، وفي بعض النسخ الكفت وكلاهما صحيح. أخرجه الشيخان من طريق عمرو بن دينار، عن طاوس، عن ابن عباس بلفظ «أمر النبي ﷺ أن يسجد على سبعة أعضاء ولا يكف شعراً ولا ثوباً». وفي رواية لهما: «أمرنا أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكف ثوباً ولا شعراً» وأخرج البخاري من طريق وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رفعه «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم ولا نكفت الثياب والشعر» وأصل الكف الضم والجمع ومثله الكفت ومنه: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً﴾ [المرسلات: ٢٥].

(و) جاء النهي **(عن الاختصار)** في الصلاة. أخرجه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ «نهى أن يصلي الرجل مختصراً» قاله العراقي. قلت ورواه أيضاً الترمذي باللفظ الأول. وقال الصدر المناوي: رواه الشيخان في الصلاة عن أبي هريرة، ولفظ البخاري: «نهى رسول الله ﷺ عن الخصر في الصلاة».

(و) جاء النهي **(عن الصلب)** في الصلاة قال العراقي: أخرجه أبو داود، والنسائي من حديث ابن عمر بإسناد صحيح.

(و) جاء النهي **(عن المواصلة)** في الصلاة. قال العراقي: عزاه رزين إلى الترمذي، ولم أجده عنده، ووجد بخط الحافظ ابن حجر ما نصه: أنه عزاه بعضهم إلى الإمام أحمد قال: حدثنا ابن إدريس، عن ليث بن أبي سليم، عن نافع عن ابن عمر، والحديث ليس في المسند، وقد أنكره جماعة من متقدمي أصحاب أحمد، وسيأتي الكلام عليه قريباً.

(و) جاء النهي **(عن صلاة الحاقن)** بالنون. رواه ابن ماجه من حديث أبي أمامة بلفظ «إن رسول الله ﷺ نهى أن يصلي الرجل وهو حاقن» وله وللترمذي وحسنه نحوه من حديث ثوبان، ويروى وهو حقن حتى يتحقق.

(و) عن صلاة **(الحاقب)** بالباء الموحدة. قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ ومعناه على ما فسره المصنف فيما سيأتي عند مسلم من حديث عائشة «لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان». **(و)** عن صلاة **(الحازق)** بالزاي والقاف. قال العراقي: عزاه رزين إلى الترمذي ولم أجده عنده، وإنما ذكره أصحاب الغريب. قالوا: ولا رأى لحازق بالمعنى الذي ذكره المصنف **(و)** عن صلاة **(الجائع)** ومعناه في حديث ابن عمر وعائشة عند البخاري ومسلم «إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء». **(و)** عن صلاة **(الغضبان)** سيأتي الكلام عليه فيما بعد. **(و)** عن صلاة **(المتلثم)** اسم فاعل من التلثم **(وهو ستر الوجه)** والنهي عن التلثم في الصلاة روي معناه في حديث أبي هريرة بسند حسن «نهى أن يغطي الرجل فاه في الصلاة» أخرجه أبو داود، وابن ماجه، ورواه الحاكم وصححه. وقال الخطابي: هو التلثم على الأفواه اهـ، ويروى أيضاً نهى عن السدل في الصلاة وأن يغطي الرجل فاه وسيأتي فيه زيادة كلام.

الإقعاء: فهو عند أهل اللغة أن يجلس على وركيه وينصب ركبتيه ويجعل يديه على الأرض كالكلب، وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقيه جاثياً وليس على الأرض منه إلا رؤوس أصابع الرجلين والركبتين. وأما السدل: فمذهب أهل الحديث فيه أن

ثم بين المصنف ما أجمله أولا فقال: **(أما الإقعاء)** المنهي عنه في الصلاة: **(فهو عند أهل اللغة أن يجلس على وركيه وينصب ركبتيه ويجعل يديه على الأرض كالكلب)** وقال الجوهري: الإقعاء عند أهل اللغة أن يلصق إليتيه بالأرض وينصب ساقيه ويتساند إلى ظهره كما يقعي الكلب، وذكر غيره بدل قوله: ويتساند ويضع يديه على الأرض. وقال ابن القطاع: أقعى الكلب جلس على إليتيه ونصب فخذيه، **(وعند أهل الحديث)** هو **(أن يجلس على ساقيه جاثياً)** أي باركاً **(وليس على الأرض منه إلا رؤوس أصابع الرجلين والإليتان والركبتان)** وفي بعض النسخ إلا رؤوس أصابع الرجلين والركبتين. وحكى ابن عبد البر في التمهيد عن أبي عبيد أن أصحاب الحديث يجعلون الإقعاء أن يجعل إليتيه على عقبيه بين السجدتين، وكرهه مالك وأبو حنيفة والشافعي وأصحابهم وأحمد وإسحاق ورأوه من الإقعاء المنهي عنه. وقال آخرون: لا بأس به في الصلاة، وصح عن ابن عمر أنه لم يكن يقعي إلا من أجل أنه كان يشتكي وقال: إنها ليست من سنة الصلاة فدل أنه معدود ممن كرهه اهـ.

وحكى الرافعي، عن ابن عباس قولاً آخر: أنه يضع قدميه ويجلس على صدورهما. قال الحافظ: حكاه البيهقي في المعرفة عن نص الشافعي في البويطي، ولعله يريد ما رواه مسلم عن طاوس. قلت لابن عباس في الإقعاء على القدمين. فقال: هي السنة. فقلنا له: إنا لنراه جفاء بالرجل. فقال: بل هي سنة نبيك محمد ﷺ. وعن طاوس قال: رأيت العبادلة يقعون، واختلف العلماء في الجمع بين هذا وبين أحاديث النهي، فجنح الخطابي والماوردي إلى أن الإقعاء منسوخ، ولعل ابن عباس لم يبلغه النهي، وجنح البيهقي إلى الجمع بينهما بأن الإقعاء على ضربين.

أحدهما: أن يضع إليتيه على عقبيه وتكون ركبتاه في الأرض وهذا هو الذي رواه ابن عباس وفعله العبادلة، ونص الشافعي في البويطي على استحبابه بين السجدتين، لكن الصحيح أن الافتراش أفضل منه لكثرة الرواة لـه ولأنه أحسن هيئة للصلاة.

والثاني: أن يضع إليتيه ويديه على الأرض وينصب ساقيه، وهذا هو الذي وردت الأحاديث بكراهته، وتبع البيهقي على هذا الجمع ابن الصلاح والنووي، وأنكرا على من ادعى النسخ وقالا: كيف يثبت النسخ مع عدم تعذر الجمع فيهما وعدم العلم بالتاريخ؟ والله أعلم.

(وأما السدل فمذهب) أهل اللغة فيه أنه الإرخاء من غير ضم يقال: سدلت الثوب سدلاً أرخيته وأرسلته من غير ضم جانبيه، فإن ضممتها فهو قريب من التلفف. قالوا: ولا يقال فيه

يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك. وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم. والقميص في معناه فلا ينبغي أن يركع ويسجد ويداه في بدن القميص. وقيل: معناه أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه. والأول أقرب. وأما الكف: فهو أن يرفع ثيابه

أسدلته بالألف كذا في المصباح، وفي القوت: السدل أن يرخي أطراف ثيابه على الأرض وهو قائم. يقال: سدل وسدن بمعنى واحد، وقد تبدل اللام نوناً لقرب المخرجين إذا أرسل ثيابه، ومنه قيل: سدنة الكعبة وهم قوامها الذين يسبلون عليها كسوتها وأحدهم سادن **(و)** مذهب **(أهل الحديث)** في السدل **(أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك)** وقال صاحب العوارف. ويجتنب المصلي من السدل وهو أن يرخي أطراف الثوب إلى الأرض ففيه معنى الخيلاء، وقيل: هو الذي يلتف بالثوب ويجعل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك. وقال المناوي في شرح الجامع: السدل المنهي عنه في الصلاة إرسال الثوب حتى يصيب الأرض، وخص الصلاة مع أنه نهي عنه مطلقاً لأنه من الخيلاء وهي في الصلاة أقبح، فالسدل مكروه مطلقاً وفي الصلاة أشد اهـ.

وقد عرف من سياقها أن المعنى اللغوي منظور في السدل المنهي عنه، ولكن المصنف تبع سياق صاحب القوت على عادته، ثم قال صاحب القوت: **(وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم)** إذا صلوا **(فنهوا)** معاشر المسلمين **(عن التشبه بهم)**، فهذه علة النهي وهي غير التي ذكرها صاحب العوارف والمناوي. قال الشيخ ابن تيمية: التشبه بالكفار منهي عنه إجماعاً. قال: ولما صار العمامة الصفراء والزرقاء من شعارهم حرم لبسها، ثم قال صاحب القوت: **(والقميص في معناه فلا ينبغي أن يركع ويسجد ويداه في بدن القميص)** إلا أن يكون واسعاً فلا بأس أن يركع ويداه من داخل القميص، أو يسجد وإحدى يديه في بدن القميص إذا اتسع، فأما أن يدخل يديه في جسد القميص في السجود فمكروه كل هذا عبارة القوت.

وفي القاموس: القميص معروف وقد يؤنث ولا يكون إلا من القطن وأما من الصوف فلا اهـ. وكان حصره للغالب، وبه يعلم أن الذي كان الأحب إليه ﷺ هو المتخذ من القطن لا الصوف لأنه يؤذي البدن ويدر العرق ورائحته فيه يتأذى بها. وأخرج الدمياطي بسنده: كان قميص رسول الله ﷺ قطناً قصير الطول والكمين.

ثم قال صاحب القوت، وقد قال بعض الفقهاء قولاً ثالثاً في السدل وإليه أشار المصنف بقوله: **(وقيل: معناه أن يضع وسط الإزار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلها على كتفيه)**. قال: وهذا قول بعض المتأخرين وليس بشيء عندي، **(والأول أقرب)**. ونص القوت أعجب لي وهما مذهب القدماء. وقال الجحادي الحنبلي في اقناعه: يكره في الصلاة السدل سواء كان تحته ثوب أو لا، وهو أن يطرح ثوباً على كتفيه ولا يرد أحد طرفيه

من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود، وقد يكون الكف من شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال. وفي الحديث: «أُمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعراً ولا ثوباً»، وكره أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن يأتزر فوق

على الكتف الأخرى، فإن ردّ طرفيه على الكتف الأخرى أو ضم طرفيه بيديه لم يكره، وإن طرح القباء على الكتفين من غير أن يدخل يديه في الكمين فلا بأس بذلك باتفاق الفقهاء، وليس من السدل المكروه. قاله الشيخ يعني أبا العباس بن تيمية اهـ.

وقد ذكر المناوي في شرح الجامع في معنى الحديث قولين آخرين: أحدهما: أن المراد به سدل اليد وهو إرسالها في الصلاة. **قلت:** وهو معنى غريب. والثاني: أراد به سدل الشعر فإنه ربما ستر الجبهة وغطى الوجه. قال العراقي: ويدل عليه قوله بعد؛ وأن يغطي الرجل فاه، فتأمل.

(**وأما الكف**) وكذا الكفت (**فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود**) هكذا هو في القوت، والذي ذكره شراح البخاري هو الضم والجمع، فكأن صاحب القوت أراد برفع الثياب جمعها إلى فوق وضمها إليه، ثم قال صاحب القوت: (**وقد يكون الكف في شعر الرأس فلا يصلينّ**) أحدكم (**وهو عاقص شعره**) زاد المصنف (**والنهي للرجال**). أما النساء؛ فيجوز لهن ذلك. وقد روى الطبراني من حديث أم سلمة مرفوعاً: «نهى أن يصلي الرجل ورأسه معقوص». قال الشارح: لأن شعره إذا نشر سقط على الأرض عند السجود. فيعطي صاحبه ثواب السجود به، ورجال الحديث المذكور رجال الصحيح قاله الهيثمي.

قلت: رواه من طريق الثوري عن مخول بن راشد، عن سعيد المقبري، عن أبي رافع، عن أم سلمة، وكذا رواه إسحاق بن راهويه، عن المؤمل بن إسماعيل عن الثوري. قال إسحاق: قلت للمؤمل: أفيه أم سلمة؟ قال: نعم. وأخرجه أبو داود من حديث أبي رافع بلفظ: «نهى أن يصلي الرجل وهو عاقص شعره» وهذا اللفظ أقرب إلى سياق المصنف، ولو أنه أبداه وجهاً تبعاً لصاحب القوت، ولم يشر إلى أنه حديث. وروى ابن سعد من حديث أبي رافع: «لا يصلي الرجل عاقصاً رأسه».

(**وفي الحديث «أُمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعراً ولا ثوباً»**) هكذا هو نص القوت والحديث متفق عليه. قال البخاري: باب السجود على سبعة أعظم: حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن طاوس، عن ابن عباس: «أمر النبي ﷺ أن يسجد على سبعة أعضاء ولا يكف شعراً ولا ثوباً الجبهة واليدين والركبتين والرجلين» ثم قال: حدثنا مسلم بن ابراهيم، حدثنا شعبة، عن عمرو، عن طاوس، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «أمرنا أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكف ثوباً ولا شعراً» ثم قال في الباب الذي يليه: حدثنا معلى بن أسد، حدثنا وهيب، عن عبدالله بن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «أُمرت أن أسجد على سبعة أعظم على الجبهة ـ وأشار بيده إلى أنفه واليدين

القميص في الصلاة ورآه من الكف. وأما الاختصار: فأن يضع يديه على خاصرتيه.

والركبتين وأطراف القدمين ـ ولانكفت الثياب والشعر» وهذا أخرجه أيضاً أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه من طرق عن ابن عباس.

قال الشارح: ولا يكف أي ولا يضم ولا يجمع شعراً لرأسه ولا ثوباً بيديه عند الركوع والسجود في الصلاة، وهذا ظاهر الحديث وإليه مال الداودي ورده القاضي عياض بأنه خلاف ما عليه الجمهور فإنهم كرهوا ذلك للمصلي سواء فعله في الصلاة أو خارجها، والنهي محمول على التنزيه، والحكمة فيه أن الثوب والشعر يسجد معه أو أنه إذا رفع شعره أو ثوبه عن مباشرة الأرض أشبه المتكبر اهـ.

وقال المناوي في شرح الجامع: والأمر بعدم كفها للندب، وإن كان الأمر بالسجود على السبعة للوجوب، فالأمر مستعمل في معنييه وهو جائز عند الشافعي. قال الطيبي: جمع الحديث بعضاً من الفرض والسنّة والأدب تلويحاً إلى إرادة الكل اهـ.

(وكره أحمد بن حنبل رضي الله عنه أن يأتزر فوق القميص في الصلاة ورآه من الكف) المنهي عنه. ونص القوت: وأكره أن يؤتزر فوق القميص فإنه من الكف، وقد روي عن أحمد بن حنبل كراهية ذلك، وروينا عن بعض أولاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرخصة في ذلك: «أنه صلى بأصحابه محتزماً بعمامته فوق القميص» إلى هنا نص القوت. وترى المصنف كيف غيرها، وعبارة الاقناع للحنبلي: ويكره شد وسطه على القميص لأنه من زي اليهود ولا بأس به على القباء. قال ابن عقيل: يكره الشد بالحياصة ويستحب بما لا يشبه الزنار كمنديل ومنطقة ونحوها لأنه أستر للعورة.

(وأما الاختصار) المنهي عنه، **(فأن يضع يديه على خاصرته)**. ونص القوت: يده. ونص العوارف: أن يجعل يده. والصواب إفراد اليد والخاصرة ما فوق الطفطفة والشراسيف وتسمى شاكلة أيضاً، والطفطفة أطراف الخاصرة، والشراسيف أطراف الضلع الذي يشرف على البطن. وقد اقتصر المصنف على ذكر وجه واحد في معنى الحديث، وهو الذي نقل عن ابن سيرين، وقد ذكرت فيه أوجه كثيرة. منها: أن المراد به وضع اليد على الخصر نقله ابن الأثير وهو المستدق فوق الورك أو المراد منه الاتكاء على المخصرة وهي العصية، وعلى الأول اختلفوا في علته فقيل: لأنه فعل المتكبرين، وقيل: اليهود، وقيل: الشيطان، أو هو راحة أهل النار، وهذا الأخير هو الذي كنت أسمعه من مشايخي، ثم رأيته في صحيح ابن حبان ما لفظه: «الاختصار راحة أهل النار» وقيل: المراد بالاختصار ضد التطويل بأن يختصر السورة أو بقيتها أو يخفف الصلاة بترك الطمأنينة بأن لا يمد قيامها وركوعها وسجودها وتشهدها، أو بترك الطمأنينة في محالها الأربع أو بعضها، أو يقتصر على آيات السجدة ويسجد فيها، أو يختصر السجدة إذا انتهى إليها في قراءته ولا يسجدها. فهذه الوجوه كلها قد فسّر بها الحديث الذي جاء فيه هذا اللفظ. قال الزمخشري في الفائق: وأما خبر المتخصرون يوم القيامة على وجوههم

وأما الصلب: فأن يضع يديه على خاصرتيه في القيام ويجافي بين عضديه في القيام. وأما المواصلة؛ فهي خمسة: اثنان على الإمام أن لا يصل قراءته بتكبيرة الإحرام ولا ركوعه بقراءته، واثنان على المأموم أن لا يصل تكبيرة الإحرام بتكبيرة الإمام، ولا تسليمه بتسليمه، وواحدة بينهما أن لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما. وأما الحاقن: فمن البول، والحاقب: من الغائط. والحازق: صاحب الخف الضيق، فإن

نور، فهم المتهجدون الذين إذا تعبوا وضعوا يدهم على خصرهم إذ المتخصر هو المتوكل على عمله، والله أعلم.

(وأما الصلب) المنهي عنه في الصلاة **(فأن يضع يديه)** جميعاً **(على خصريه ويجافي بين عضديه)**. وقد ذكر معنى الخصر وهذا هو نص القوت والعوارف وهو أيضاً من هيئات أهل النار، وقد نهي عنه وعن الاختصار مطلقاً، ولكن في الصلاة أشد. وقد يكون الصلب راجعاً إلى أحد معاني الاختصار فتأمل. ويوجد هنا في بعض نسخ الكتاب أن يضع يديه على خاصرته عند القيام ويجافي بين عضديه، وفي بعضها تأخير لفظ عند القيام بعد قوله وعضديه، والأوّل هو الموافق لما في القوت والعوارف.

(وأما المواصلة فهي خمسة). ونص القوت: وقد روينا عن رسول الله ﷺ من طريق: «ونهى عن المواصلة في الصلاة، وهي خمس» **(اثنان)** ونص القوت اثنتان **(على الإمام أن لا يصل قراءته بتكبيرة الإحرام، ولا)** يصل **(ركوعه بقراءته)** بل يسكت بين كل منهما سكتة لطيفة. **(واثنان على المأموم)** وفي القوت: واثنتان **(أن لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الإمام، و)** لا يصل **(تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما)** وكان مقتضى سياقه أن يقول: وواحد لتكون العبارة على نمط واحد **(أن لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية)**. ونص القوت: بتسليم التطوّع، **(وليفصل بينهما)** بسكتة لطيفة. وهكذا أورده صاحب العوارف إلا أنه قال: بتسليم النفل بدل التطوّع.

قال العراقي: وقد روى أبو داود، والترمذي وحسنه، وابن ماجه من حديث سمرة: «سكتتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ إذا دخل في صلاته وإذا فرغ من القراءة». وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «كان يسكت بين التكبيرة والقراءة اسكاته» الحديث اهـ. **قلت:** أشار بذلك إلى أن معنى الحديث المذكور صحيح، لكنه لم يرد بهذا اللفظ والتفصيل نعم ورد بلفظ: «نهى عن الوصال» لكنه بمعنى آخر غير مناسب هنا.

(وأما الحاقن) بالنون **(فمن البول)** وكذلك الحقن ككتف. يقال: حقن الماء في السقاء حقنا إذا جمعته فيه، وحقن الرجل بوله حبسه فهو حاقن. وقال ابن فارس، ويقال: لما جمع من لبن وشد حقين، ولذلك سمي حابس البول حاقناً». **(والحاقب)** بالباء **(فمن الغائط)** يقال: حقب بول البعير من باب تعب إذا احتبسه، ورجل حاقب أعجله خروج البول، وقيل: الحاقب

كل ذلك يمنع من الخشوع. وفي معناه الجائع والمهتم. وفهم نهي الجائع من قوله ﷺ: «إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء إلا أن يضيق الوقت أو يكون

الذي احتاج إلى الخلاء للبول فلم يتبرز حتى حضر غائطه. وقيل: الحاقب الذي احتبس غائطه.

قلت: وهذا المعنى الأخير هو المراد هنا. وقد روى مسلم، والحاكم، وأبو داود من حديث عائشة «لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الاخبثان» يعني البول والغائط. وعند ابن حبان من حديث أبي هريرة: «لا يصلي أحدكم وهو يدافعه الاخبثان» وعند ابن ماجه من حديثه بلفظ: «وهو يجد شيئاً من الخبث» وعند الطبراني في الكبير من حديث المسور بن مخرمة «لا يصلين أحدكم وهو يجد من الأذى شيئاً» يعني الغائط والبول.

(والحازق) بالزاي والقاف **(صاحب الخف الضيق)** هكذا فسره أهل الغريب، ومنه قولهم: لا رأي لحازق. وفي شرح المنهاج: الحازق هو مدافع الريح ولم أره في كتب اللغة، فإن صح فهو مناسب لما قبله. ونص القوت: وقد نهى عن صلاة الحاقن والحاقب والحازق، **(فإن ذلك يمنع الخشوع)** فلا يصلي من كن به هذه الثلاث لئلا يشتغل القلب **(وفي معناه الجائع والمهتم)** ونص القوت: وأكره صلاة الغضبان والمهتم بأمر ومن عرضت له حاجة حتى يسرى عن قلوبهم ذلك وتطمئن القلب ويتفرغوا للصلاة، **(وفهم نهي الجائع)** عن الصلاة. ونص القوت: ومن شغل قلبه حضور الطعام وكانت نفسه تائقة إليه فليقدم الأكل **(لقوله ﷺ: «إذا حضر العشاء»)** بفتح العين أي الطعام الذي يؤكل آخر النهار **(وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء)**. قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة اهـ.

قلت: وفي صحيح البخاري باب إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة. وكان ابن عمر يبدأ بالعشاء. وقال أبو الدرداء: من فقه المرء إقباله على حاجته حتى يقبل على صلاته وهو فارغ. حدثنا مسدد، حدثنا يحي عن هشام، حدثني أبي سمعت عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء» ثم قال: حدثنا يحي بن بكير، حدثنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قدم العشاء فابدأوا قبل أن تصلوا صلاة المغرب ولا تعجلوا عن عشائكم». ثم قال: حدثنا عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة، عن عبيدالله، عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء ولا يعجل حتى يفرغ منه». وكان ابن عمر يوضع له الطعام وتقام الصلاة فلا يأتيها حتى يفرغ، وأنه ليسمع قراءة الإمام. وقال زهير، ووهب بن عثمان، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: «إذا كان أحدكم على الطعام فلا يعجل حتى يقضي حاجته منه وإن أقيمت الصلاة» اهـ. نص البخاري.

ثم قال صاحب القوت: **(إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب»)** أي: ففي هاتين الصورتين يجوز تقديم الصلاة على الطعام، والقصد فراغ القلب عن الشواغل ليقف بين يدي مالكه

ساكن القلب ». وفي الخبر: « لا يدخلن أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان ». وقال الحسن: كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع. وفي الحديث: « سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان: الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشيء »، وزاد بعضهم: « السهو والشك ». وقال

في مقام العبودية من المناجاة على أكمل الحالات من الخضوع والخشوع، واستثنى من الحديث أيضاً الطعام الذي يؤتى عليه مرة واحدة كالسويق واللبن ولو ضاق الوقت، بحيث لو أكل خرج يبدأ بها ولا يؤخرها محافظة على حرمة الوقت وتستحب إعادتها عند الجمهور. وهذا مذهب الشافعي وأحمد، وعند المالكية يبدأ بها إن لم يكن معلق النفس بالأكل أو كان معلقاً به لكنه لا يعجله عن صلاته، فإن كان يعجله بدأ بالطعام واستحب له الإعادة، والمراد بالصلاة في الحديث المغرب كما وقع التصريح به في الرواية الثانية، لكن ذكر المغرب لا يقتضي الحصر فيها فحمله على العموم أولى نظراً إلى العلة وهو التشويش المفضي إلى ترك الخشوع إلحاقاً للجائع بالصائم وللغداء بالعشاء لا بالنظر إلى اللفظ الوارد. وفي الحديث دليل على تقديم فضيلة الخشوع في الصلاة على فضيلة أول الوقت، فإنهما لما تزاحما قدم الشارع الوسيلة إلى حضور القلب على أداء الصلاة في أول الوقت، واستدل بعض الشافعية والحنابلة بقوله: فابدأوا على تخصيص ذلك بمن لم يشرع في الأكل، فأما من شرع فيه ثم أقيمت الصلاة فلا يتمادى بل يقوم إلى الصلاة، ولا يعارضه صنيع ابن عمر الذي أورده البخاري وهو قوله: وكان ابن عمر يوضع له الطعام الخ. فإن هذا اختيار له، وإلاّ فالنظر إلى المعنى يقتضي ما ذكروه لأنه يكون قد أخذ من الطعام ما يدفع به شغل البال. نعم الحكم يدور مع العلة وجوداً وعدماً ولا يتقيد بكل ولا بعض، والله أعلم.

(**وفي الخبر: « لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مغضب »**) كذا في النسخ. وفي أخرى: وهو مقطب ومثله في القوت إلا أنه قال: « لا يدخلن » والمعنى معبس الوجه. (**ولا يصلين أحدكم وهو غضبان »**). هكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: لم أجده. (**وقال الحسن**) رحمه الله تعالى: (**كل صلاة لا يحضر فيها القلب**) يعني بحضور القلب الخشوع (**فهي إلى العقوبة أسرع**). هكذا أورده صاحب القوت في آخر الباب، والمراد بالحسن عند الإطلاق هو البصري (**وفي الحديث: « سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشيء »**). هكذا أورده صاحب القوت بلفظ: وقد جاء في الخبر سبعة أشياء فذكره، ثم قال: (**وزاد بعضهم « السهو والشك »**). أما الرعاف؛ بالضم فهو خروج الدم من الأنف، ويقال: هو الدم نفسه، والنعاس بالضم حقيقة الوسن بلا نوم قاله الأزهري، والوسوسة ما يخطر بالقلب من شر وحديث النفس، والتثاؤب بالهمز على تفاعل فترة تعتري الشخص فيفتح عندها فمه، والتثاوب بالواو عامي، والحكاك بالضم داء الحكة. ويحتمل أن يكون بالكسر فيكون المراد به ما يحيك في الصدر من الخطرات، والالتفات هو

بعض السلف: أربعة في الصلاة من الجفاء؛ الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصى وأن تصلي بطريق من يمر بين يديك» ونهى أيضاً عن أن يشبك أصابعه، أو يفرقع أصابعه،

النظر يميناً وشمالاً، والعبث بالشيء اللعب به، والسهو هو غفلة القلب عن الشيء حتى يزول عنه الحفظ فلا يتذكر. ويحتمل أن يكون المراد به النظر إلى الشيء ساكن الطرف، والشك التردد بين الشيئين. وقال العراقي: أخرجه الترمذي من رواية عدي بن ثابت، عن أبيه، عن جده فذكر منها الرعاف والنعاس والتثاؤب وزاد ثلاثة أخرى. وقال: حديث غريب. ولمسلم من حديث عثمان بن أبي العاصي: يا رسول الله؛ إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي الحديث. وللبخاري من حديث عائشة في الالتفات في الصلاة هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد، وللشيخين من حديث أبي هريرة: «التثاؤب من الشيطان» ولهما من حديث أبي هريرة: «إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى» الحديث.

قلت: وأخرج أبو داود والنسائي عن أبي ذر: «لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه»، ولهذا قال المتولي: بحرمته. وقال الأذرعي: المختار أنه إن تعمد مع علمه حرم بل تبطل إن فعله لعباً.

(وقال بعض السلف: أربعة في الصلاة من الجفاء: الالتفات) يميناً وشمالاً، **(ومسح الوجه)** أي جبهته من التراب، **(وتسوية الحصى)** لأجل تمكين جبهته للسجود، **(وأن تصلي بطريق من يمر بين يديك)**. هكذا أورده صاحب القوت وزاد فقال وزاد بعضهم: وأن يصلي في الصف الثاني وفي الصف الأول فرجة. **(«ونهى أيضاً عن أن يشبك أصابعه)** في الصلاة. قال العراقي: النهي عن تشبيك الأصابع في الصلاة أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة، ولأبي داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان نحوه من حديث كعب بن عجرة.

قلت: أراد بذلك قوله ﷺ: «إذا توضأ أحدكم فأحسن وضوءه ثم خرج عامداً إلى المسجد فلا يشبكن بين أصابعه فإنه في الصلاة» ووجه الدلالة منه أنه إذا نهي عنه حال الجلوس في المسجد منتظراً للصلاة أو حال التوصل إلى المسجد لكونه كأنه في الصلاة حكماً من حيث الثواب فإن يكون منهياً عنه في الصلاة حقيقة بطريق الأولى، ولذا قال العراقي نحوه فتأمل. **(أو يفرقع أصابعه)** كذا في سائر النسخ، وفي نسخة العراقي: أو يفقع والتفقيع هي اللغة الفاشية. وأما الفرقعة عامية، وهو أن يمدها أو يغمزها حتى تصوّت، وحديث النهي عنه رواه ابن ماجه من حديث علي باسناد ضعيف: «لا تفقع أصابعك في الصلاة». قلت: كذا هو في الجامع الكبير للسيوطي إلا أنه قال: «وأنت في الصلاة» قلت: إلا أنه أعلّ بالحرث الأعور، وفي المستصفى: هو من عمل قوم لوط فيكره التشبه بهم، وعلى هذا فيكره خارج الصلاة أيضاً. **(أو يستر وجهه)** لأنه من فعل الجاهلية كانوا يتلثمون فيغطون وجوههم فنهوا عنه لأنه ربما منع مع إتمام

أو يستر وجهه، أو يضع إحدى كفيه على الأخرى ويدخلها بين فخذيه في الركوع». وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم: كنا نفعل ذلك فنهينا عنه. ويكره أيضاً أن ينفخ

القراءة أو إكمال السجود، وقد روي معناه في حديث أبي هريرة: «نهى أن يغطي الرجل فاه في الصلاة» رواه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم وصححه، وأخرج الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رفعه: «لا يصلي أحدكم وثوبه على أنفه فإن ذلك خطم الشيطان» وذكر الحجاوي في اقناعه من المكروهات في الصلاة تغطية الوجه والتلثم على الفم والأنف. **(أو يضع إحدى كفيه على الأخرى ويدخلها بين فخذيه في)** حال **(الركوع»)**. ويسمى ذلك التطبيق، وقد نهى عنه **(قال بعض الصحابة)** وهو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: **(كنا نفعل ذلك فنهينا عنه)**. أخرجه الشيخان والأربعة. قال البخاري: حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة عن أبي يعقوب، سمعت مصعب بن سعد يقول: صليت إلى جنب أبي فطبقت بين كفيّ ثم وضعتها بين فخذي فنهاني أبي وقال: كنا نفعله فنهينا عنه، وأمرنا أن نضع أيدينا على الركب اهـ.

وفي كتاب الفتوح لسيف عن مسروق أنه سأل عائشة عن التطبيق فأجابته بما محصله أنه من صنيع اليهود، وأن النبي ﷺ نهى عنه لذلك، وكان يعجبه موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه، ثم أمر في آخر الأمر بمخالفتهم. وروى ابن المنذر من حديث ابن عمر بإسناد قوي قال: إنما فعله النبي ﷺ مرة يعني التطبيق، فقد ثبت نسخ التطبيق وأنه كان متقدماً. قال الترمذي: التطبيق منسوخ عند أهل العلم لا خلاف بينهم في ذلك إلا ما روي عن ابن مسعود وبعض أصحابه أنهم كانوا يطبقون. قيل: ولعل ابن مسعود لم يبلغه النسخ واستبعد لأنه كان كثير الملازمة له إذا قام وإذا جلس، فكيف يخفى عليه مثل هذا أو لم يبلغه النسخ؟ وروى عبدالرزاق عن علقمة والأسود قالا: صلينا مع عبدالله فطبق، ثم لقينا عمر فصلينا معه فطبقنا، فلما انصرف قال: ذاك شيء كنا نفعله فترك.

قلت: وهذا يدل على أنهم فعلوا ذلك كثيراً وواظبوا عليه لا أنه كان مرة فترك.

وقد ذكر البيهقي في السنن أن أبا سبرة الجعفي أحد أصحاب ابن مسعود ترك التطبيق حين قدم المدينة وذكروا له نسخ ذلك، فكان لا يطبق. قال البيهقي: وفي ذلك ما يدل على أن أهل المدينة أعرف بالناسخ والمنسوخ من أهل مكة هكذا نقله العراقي في شرح التقريب.

قلت: وذكر البيهقي أيضاً عن أبي بكر بن إسحاق الفقيه أشياء نسب فيها ابن مسعود إلى النسيان ذكر منها التطبيق ثم قال: وإذا جاز على ابن مسعود أن ينسى مثل هذا في الصلاة كيف لا يجوز مثله في رفع اليدين؟ **قلت:** ولا يخفى أن هذه دعوى لا دليل عليها ولا طريق إلى معرفة ابن مسعود علم ذلك ثم نسيه، والأدب في مثل هذا أن يقال لم يبلغه كما فعل غيره من العلماء فتأمل.

في الأرض عند السجود للتنظيف، وأن يسوّي الحصى بيده فإنها أفعال مستغنى عنها ولا يرفع إحدى قدميه فيضعها على فخذه، ولا يستند في قيامه إلى حائط فإن استند بحيث لو سل ذلك الحائط لسقط. فالأظهر بطلان صلاته، والله أعلم.

(**ويكره أيضاً أن ينفخ في الأرض عند السجود للتطهير**) وفي بعض النسخ: أن ينفخ الأرض. أخرج الطبراني في الكبير من حديث زيد بن ثابت رفعه: «نهي عن النفخ في السجود وعن النفخ في الشراب»، وفي سنده خالد بن إياس وهو متروك. قال الشارح: تنزيهاً إن لم يظهر منه شيء من الحروف وتحريماً إن بان منه حرفان أو حرف مفهم لبطلان الصلاة بذلك. وقال العراقي: قد ورد النهي عن النفخ في ثلاثة مواضع في الطعام والشراب والسجود، والعلة فيها مختلفة بمعانٍ مختلفة ثم ساقها. وقال: وأما النفخ في السجود فالظاهر أن النهي عنه خشية أن يخرج مع النفخ حرفان نحو «أف». فتبطل الصلاة أو خوف أن يكون فمه متغيراً فيتأذى به الملك. (**و**) يكره أيضاً (**أن يسوي الحصى بيده**) أي في حال السجود كما في سنن أبي داود عن معيقيب رفعه: «لا تمسح الحصى وأنت تصلي فإن كنت لا بدّ فاعلاً فواحدة». ولذا قال قاضيخان في فتاواه: إن لم يمكنه السجود بحال بحيث لا يستقر عليه مقدار الفرض من الجبهة أن يسويه مرة لا يزيد عليها. وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن أبي ذر سألت النبي ﷺ عن كل شيء حتى سألته عن مسح الحصى فقال: «واحدة أوْ دَعْ». وكذا رواه ابن أبي شيبة، وروي موقوفاً عليه. وقال الدارقطني: وهو أصح، (**فإنها**) جميعها (**أفعال مستغنى عنها**) في الصلاة (**ولا يرفع إحدى قدميه فيضعها على فخذه**) في الصلاة وفيه معنى من الصفن الذي تقدم ذكره، فالأولى رعاية الاعتدال في الاعتماد على الرجلين وقد تقدم إلا أن يكون له عذر فيباح له ذلك، (**ولا يستند في قيامه إلى حائط**) أو دعامة أو خشبة (**فإن استند**) عليه (**بحيث لو انسل**) منه (**سقط**) وقوفاً (**فالأظهر بطلان صلاته**)، وذلك لأن المعتبر في حد القيام أمران الانتصاب والاقلال، والمراد منه أن يكون مستقلاً غير مستند ولا متكىء على جدار وغيره، وهذا الوصف قد اعتبره إمام الحرمين فأبطل صلاة من اتكأ في قيامه من غير حاجة وضرورة، وإن كان منتصباً. وتابعه المصنف على ذلك. وحكى البغوي في التهذيب: أنه لو استند في قيامه إلى جدار أو إنسان صحت صلاته مع الكراهة. قال: ولا فرق بين أن يكون استناده بحيث لو وقع السناد لسقط لم تجزه صلاته فحصل من مجموع ذلك ثلاثة أوجه. كذا في شرح الوجيز.

فصل

أذكر فيه لواحق وتتمات مما يناسب سياق المصنف وينبغي التنبه له.

فمنها: ما ذكره أصحابنا أن كلّ مفسد مكروه ولا عكس، وذلك لأن الفساد يتضمن

....

الكراهة لأنه بطلان العمل وبطلان العمل مكروه أي بالمعنى اللغوي وهو ضد المحبوب المرضي فيعم الحرام.

ومنها: قال أصحابنا الفعل ان تضمن ترك واجب مكروه كراهة تحريم، وإن تضمن ترك سنّة فهو مكروه كراهة تنزيه، ولكن تتفاوت في الشدة والقرب من التحريمية بحسب تأكد السنّة، وإن لم يتضمن ترك شيء منها فإن كان أجنبياً من الصلاة ليس فيه تتميم لها ولا فيه دفع ضرر فهو مكروه أيضاً كالعبث بالثـوب أو البدن، وكل ما يحصل بسببه شغل القلب، وكذا ما هو عادة أهل التكبر أو صنيع أهل الكتاب أو المجوس، وإنما قيدنا بعدم التتميم ليخرج منه ما ذكره صاحب الخلاصة. إن من لم يمكنه السجود من عمامته بأن نزلت على جبهته فدفعها بيد واحدة أو سوّاها بيده ليتمكن من السجدة لا يكره، لأنه من تتمات الصلاة. وخرج من قوله: وبما فيه ضرر نحو قتل حية أو عقرب فإنه لا يكره.

ومنها: تغطية الفم عند التثاؤب إن لم يقدر على كظمه بوضع يد أو كُم عليه لا يكره، فهو مستثنى من حديث أبي هريرة الذي تقدم في الباب، وقد روى الترمذي حديثاً مرفوعاً: « إن التثاؤب في الصلاة من الشيطان » وفيه: « فليضع يده على فيه »، ودلّ هذا على أن التثاؤب مكروه مطلقاً وفي الصلاة أشد كراهة لكونه يورث الكسل والارتخاء أو يمنع الخشوع، ومثله في المجموع للنووي.

ومنها: التمطي وهو مكروه مطلقاً وفي الصلاة أشد كراهة لأنه دليل الغفلة والكسل.

ومنها: الاعتجار وهو أن يلف بعض العمامة على رأسه ويجعل طرفاً منه شبه المعجر للنساء يلف حول وجهه أو يشد حول رأسه بالمنديل ويبدي هامته والعلة فيه أنه من فعل جفاة الاعراب أو التشبه بالنساء.

ومنها: العقص. وقد تقدم ذكر الأحاديث الواردة في النهي عنه وهو ضفر الشعر وفتله وشده بصمغ أو لف ذوائبه حول رأسه أو جمع الشعر كله من قبل القفاء أو شبكه بخيط أو خرقة كيلا يصيب الأرض إذا سجد، وجميع ذلك مكروه إذا فعله قبل الصلاة وصلى به على تلك الهيئة. أما لو فعل شيئا من ذلك وهو في الصلاة تفسد صلاته بالاجماع لأنه عمل كثير.

ومنها: ويكره كف الكم بلا سبب ذكره الحجاوي من الحنابلة في الإقناع. أي: ضمه وجمعه إلى فوق. وأورده أصحابنا وفسروه بتشميره إلى فوق. قيل: إلى المرفقين، وقيل: بل إلى دون المرفقين. وقالوا: هذا إذا شمره خارج الصلاة وشرع في الصلاة وهو كذلك. أما لو شمره في الصلاة تفسد لأنه عمل كثير.

ومنها: ويكره النقر في الصلاة. روى أحمد والبيهقي من حديث أبي هريرة: « نهاني رسول الله ﷺ عن نقرة كنقرة الديك والتفات كالتفات الثعلب واقعاء كإقعاء الكلب » وفي إسناده ليث بـن أبي

....

سليم. وروى أحمد أيضاً، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم من حديث تميم بن محمود، عن عبد الرحمن بن شبل رفعه «نهى عن نقرة الغراب وافتراش السبع وأن يوطن الرجل المكان بالمسجد كما يوطن البعير» قال الحاكم: صحيح تفرد به تميم عن ابن شبل، والمراد بنقرة الغراب والديك تخفيف السجود وعدم المكث فيه بقدر وضع هذين منقارهما للأكل.

ومنها: ويكره عقبة الشيطان في الصلاة. روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الجوزاء عن عائشة: «وكان ينهى عن عقبة الشيطان» قال النووي في الخلاصة: ذكر بعض الحفاظ ليس في النهي عن الإقعاء حديث صحيح إلا حديث عائشة اهـ. **قلت:** وهذا يدل على أنه فسره بالإقعاء. وهكذا ذكره أبو عبيد فقال: هو أن يقعي على عقبيه بين السجدتين. وأورده البيهقي وقال: وأما حديث عائشة هذا فيحتمل أن يكون وارد للجلوس للتشهد الآخر فلا يكون منافياً للقعود على العقبين بين السجدتين اهـ. **قلت:** لا حاجة إلى تقييده بالآخر كما هو ظاهر وفيه كلام قد تقدم في الإقعاء.

ومنها: ويكره التورك في الصلاة. روى ابن السكن في صحيحه من حديث أبي هريرة رفعه «نهى عن التورك والإقعاء في الصلاة» ورواه أحمد، والبزار، والبيهقي عن أنس مثله. **قلت:** وتستثنى منه النساء فإنهن يتوركن دائماً عندنا، وعند مالك يتورك المصلي في القعدتين جميعاً وعند الشافعي في الثانية فقط.

ومنها: التدبيح في الركوع، فقد ورد النهي عنه في الصلاة. روى الدارقطني من حديث الحرث عن علي بلفظ: «نهى أن يدبح الرجل في الركوع كما يدبح الحمار». ورواه أيضاً من حديث أبي بردة عن أبيه رفعه قال يا علي «إني أرضى لك ما أرضى لنفسي وأكره لك ما أكره لنفسي. لا تقرأ القرآن وأنت جنب ولا أنت راكع ولا أنت ساجد، ولا تصل وأنت عاقص شعرك ولا تدبح تدبيح الحمار» وفيه أبو نعيم النخعي وهو كذاب. ورواه أيضاً من وجه آخر عن أبي سعيد الخدري قال: أراه رفعه «إذا ركع أحدكم فلا يدبح كما يدبح الحمار ولكن ليقم صلبه». وفيه أبو سفيان طريف بن شهاب وهو ضعيف. وذكره أبو عبيد باللفظ الثاني سواء، والتدبيح بالدال المهملة قاله الجوهري. وقال الهروي في غريبه يقال بالمعجمة وهو بالمهملة اعرف أي يطأطىء في الركوع حتى يكون اخفض من ظهره، وقد تقدمت الإشارة في باب الركوع. وفي الصحاح دبخ بالمعجمة تدبيخاً إذا بسط ظهره وطأطأ رأسه بالحاء والخاء جميعاً عن أبي عمرو وابن الاعرابي.

ومنها: التفات الثعلب في الصلاة، فقد ورد النهي عنه في حديث أبي هريرة عند الإمام أحمد، وقد تقدم ذكره. والمراد منه إذا لوى عنقه دون صدره أما لو حرف صدره عن القبلة قصداً فسدت صلاته قل ذلك أو كثر فإن كان ذلك بغير اختياره، فإن لبث مقدار ركن فسدت، وإلا لا. والحاصل أن الالتفات عند أصحابنا على ثلاثة أنواع: التفات مفسد وهو

....

بالصدر، والتفات مكروه وهو بالوجه، والتفات غير مكروه وهو اللحظ بالعين بدون تحويل الوجه، لما روى الترمذي والنسائي وابـن حبان وصححه عن ابن عباس رفعه «كان يلحظ في الصلاة يميناً وشمالاً ولا يلوي عنقه». قال الترمذي: غريب. وقال ابن القطان: صحيح، وقد تقدم مذهب الشافعي فيه بأن المتولي قائل بحرمته، والأذرعي فصله في القوت، ومحل الخلاف ما لم يكن لحاجة فلا يكره، ويدل لذلك ما رواه أبو داود بإسناد صحيح أن النبي ﷺ كان في سفر فأرسل فارساً إلى شعب من أجل الحرس فجعل يصلي وهو يلتفت إلى الشعب، ومما يدل على عـدم كراهة اللمح بالعين ما رواه ابن حبان في صحيحه من حديث علي بن شيبان قال: قدمنا على النبي ﷺ وصلينا معه فلمح بمؤخر عينيه رجلاً لا يقيم صلبه في الركوع والسجود فقال: «لا صلاة لمن لا يقيم صلبه».

ومنها: ويكره نظر لما يلهي عن الصلاة كثوب له أعلام لخبر عائشة في الصحيحين في انبجانية أبي جهم. وسيأتي للمصنف ونتكلم عليه هناك، وقال أصحابنا. يكره للمصلي أن يكون فوق رأسه في السقف أو بحذائه أو بين يديه من النقوش ما يلهيه عن الصلاة ولا بأس بالبساط فيه تصاوير، ولكن لا يسجد عليها.

ومنها: ويكره رفع البصر إلى السماء في الصلاة لما روى البخاري في صحيحه «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم. فاشتد قوله في ذلك حتى قال: «لينتهين عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم». ولذلك قال الأذرعي: والأوجه تحريمه على العامد العالم بالنهي المستحضر له اهـ.

ومنها: ويكره للمصلي الجلدة التي يجر بها وتر القوس في صلاته. نص عليه الشافعي رضي الله عنه وكان يقول: لأني آمره أن يفضي ببطون كفيه إلى الأرض.

ومنهـا: يكره للجائع أو العطشان الصلاة بحضرة طعام مأكول أو مشروب، وتوقان النفس في غيبة الطعام كحضوره كما في الكفاية وهو ظاهر إن كان يرجى حضوره عن قرب كما يؤخذ من كلام ابن دقيق العيد، بل قيل غيبة الطعام ليست كحضوره مطلقاً لأن حضوره يوجب زيادة توقان وتطلع إليه، والأصل في ذلك حديث مسلم «لا صلاة ـ أي كاملة ـ بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان».

ومنهـا: بروك البعير في الصلاة، وقد ورد النهي عنه. نقله ابن القيم من الحنابلة.

ومنهـا: افتراش الثعلب في الصلاة وقد ورد النهي عنه في حديث أبي هريرة عند أحمد، وورد أيضاً افتراش السبع كما تقدم في حديث عبد الرحمن بن شبل، وذكره ابن القيم أيضاً.

ومنهـا: رفع الأيدي وقت السلام كأذناب خيل شمس في الصلاة، فقد ورد النهي عنه في الصحيح للبخاري.

....

ومنهـا: كراهة الصلاة في الأقبية الرومية التي تجعل لأكمامها خروق عند أعلى العضد إذا أرسل المصلي يده من الخرق وأرسل الكم، فإنه يكره لصدق السدل عليه، فإن أدخل تحت منطقة زالت الكراهة.

ومنها: يكره حسر الرأس في الصلاة تهاوناً أي لما يره أمراً مهما، ولا بأس إذا كان تذللاً وخشوعاً.

ومنهـا: قال البدر الكردري من علمائنا: العبث هو الفعل الذي فيه غرض صحيح، والسفه هو الذي لا غرض فيه أصلاً، فالعبث بالثوب أو بشيء من جسده لا يجوز خارج الصلاة ففي الصلاة بطريق الأولى أن يكون مكروهاً.

ومنهـا: التربع في الصلاة مكروه لمخالفته سنة الجلوس إلا من عذر، ولا يكره خارج الصلاة مطلقاً في الأصح لأنه عليه السلام كان جل قعوده في غير الصلاة مع أصحابه التربع نقله ابن الهمام، وإن كان الجلوس على الركبتين أولى لقربه إلى التواضع. ولقد شاهدت بعض مشايخي الصوفية في مجلس عام جلس على ركبتيه من بعد العشاء إلى انفضاضه قبيل الصبح وهو على وتيرة واحدة لم يغير ركبته مطلقاً رحمه الله تعالى.

ومنهـا: يكره وضع الدراهم والدنانير واللؤلؤ في الفم بحيث لا يمنعه عن القراءة لما فيه من الشغل بلا فائدة، أما لو منع عن أداء الحروف أفسدها. نقله أصحابنا.

ومنهـا: ابتلاع ما بين الأسنان إن كان دون الحمصة مكروه عندنا وما كان قدرها فإنها تفسد وفيه اختلاف عند أصحابنا.

ومنهـا: العد بالأصابع في الصلاة مكروه عند أبي حنيفة. وقال صاحباه: لا لاضطراره لذلك، وله أنه مخالف لسنة الصلاة، ومن مشايخنا من قال: لا خلاف في التطوع إنه لا يكره كصلاة التسبيح، ومنهم من جعل الخلاف إنما هو في التطوع، وأما المكتوبة فلا، اتفاقاً وهو اختيار أبي جعفر الهندواني.

ومنهـا: التمايل في الصلاة يمنة ويسرة مكروه للنهي عن العبث المنافي للخشوع، وقيل: لأنه من فعل أهل الكتاب، وقد أمرنا بمخالفتهم.

ومنها التروح في الصلاة فإنه مكروه سواء لمثوبه أو بمروحة مرة أو مرتين لأنه أجنبي من أفعال المترفين، فإن زاد على المرتين بطلت صلاة لأنه عمل كثير.

ومنهـا: مسح العرق في الصلاة من أي موضع من جسده مكروه لأنه عمل أجنبي إلا إذا خاف من دخوله العين فيؤلمها، ونحو ذلك فلا يكره لأنه دفع شغل القلب المذهب للخشوع بسبب الألم.

تمييز الفرائض والسنن:

جملة ما ذكرناه يشتمل على فرائض وسنن وآداب وهيئات مما ينبغي لمريد طريق الآخرة أن يراعي جميعها. فالفرض من جملتها إثنا عشر خصلة. النية والتكبير والقيام

ومنهـا: لا تكره الصلاة على الطنافس واللبود وسائر الفرش وإن كان رقيقاً، لكن على الأرض وما أنبتته أفضل خلافاً للشيعة، فإنهم لم يجوزوا على الصوف. ونقل عن مالك كراهية السجود على الصوف هكذا نقله أصحابنا عنه، وأما خلاف الشيعة فمن شرح المنهاج للخطيب.

ومنهـا: لبس فرجية ولم يدخل يديه في كميه فعامة المشايخ من أصحابنا أنه يكره ذلك في الصلاة لأنه في معنى السدل، ونقله قاضيخان خلافاً لصاحب الخلاصة فإنه قال: المختار أنه لا يكره، ووافقه البزاري، وابن تيمية من الحنابلة كما تقدمت الإشارة إليه.

ومنهـا: اشتمال الصماء فهو مكروه، وهو أن يلتحف بثوب من غير أن يجعل له موضعاً تخرج منه اليد كذا في المصباح وفي العوارف: هو أن يخرج يديه قبل صدره: وفي الإقناع للحجاوي: هو أن يضطبع بثوب ليس عليه غيره. وقد ورد النهي عنه في الحديث، ولا بأس بالاحتباء مع ستر العورة فإنه سنة العرب ويحرم مع عدمه وهو أن يجلس ضاماً ركبتيه إلى نحو صدره ويدير ثوبه وراء ظهره إلى أن يبلغ ركبتيه ثم يشده، فيكون كالمعتمد عليه والمستند إليه، **(والله أعلم)**.

تمييز الفرائض والسنن:

وبيان كل منها على وجه الإجمال. قال رحمه الله تعالى: **(جملة ما ذكرناه)** آنفاً **(يشتمل على)** أربعة أنواع: **(فرائض، وسنن، وآداب، وهيئات)** في كل من الفرائض والسنن، فالفرائض هي الأركان والشروط وأما المندوبات فقسمان: مندوبات يشرع في تركها سجود السهو، ومندوبات لا يشرع فيها ذلك والقسم الأول تسمى أبعاضاً، ومنهم من يخصها باسم المسنونات، ويسمى القسم الثاني هيئات، وهذا هو الذي اختاره المصنف كما يظهر من سياق عبارته، وسيأتي الكلام على تسمية السنن أبعاضاً قريباً، ثم ان المراد بالفرائض في كلام المصنف الأركان وهي التي تكون داخل الصلاة، وقد عد التكبيرة منها، وأبو حنيفة فيما رواه أبو الحسن الكرخي عنه أنها ليست من الصلاة **(مما ينبغي لمريد طريق الآخرة)** وهو السالك في سبيلها **(أن يراعي)** ويلاحظ **(جميعها)** بالعمل بها، **(فالفرض من جملتها إثنا عشر خصلة)**.

اعلم أن الصلاة في الشريعة عبارة عن الأفعال المفتتحة بالتكبير المختتمة بالتسليم، ولا بد من مراعاة أمور أخر مع الاعتداد بتلك الأفعال، وتسمى هذه الأمور شروطاً، وتلك الأفعال أركاناً. ولا بد من معرفة الفرق بينهما. اعلم أن الركن والشرط يشتركان في أنه لا بد منهما وكيف **يفترقـان؟** منهم من قال: يفترقان افتراق الخاص والعام ولا معنى للشرط إلا ما لا بد منه. فعلى هذا كل ركن شرط ولا ينعكس. وقال الأكثرون: يفترقان افتراق الخاصين ونعني

بالشرط ما يعتبر في الصلاة بحيث يقارن كل معتبر سواه، وبالركن ما لا يعتبر على هذا الوجه. هكذا اصطلاح المصنف في كتبه الثلاثة. وقد عبر عن الأركان هنا بالفرائض وعدها في الوجيز أحد عشر وهنا اثني عشر تبعاً لصاحب القوت في كل من التعبير والعد، ثم أن أجناس الأركان التي سماها فرائض ما لا يتكرر كالسلام، ومنها ما يتكرر أما في الركعة فكالسجود أو بحسب عدد الركعات، ولم يعد الطمأنينة في الركوع وغيره أركاناً، بل جعلها في كل ركن كالجزء منه والهيئة التابعة كما سيأتي في كلامه، وبه يشعر قوله ﷺ: « ثم تركع حتى تطمئن راكعاً ». ومنهم من جعلها أركاناً مستقلة وضم صاحب التلخيص إلى الأركان المذكورة استقبال القبلة، واستحسنه القفال وصوبه. ومنهم من فرض نية الخروج والموالاة والصلاة على آل النبي ﷺ وألحقها بالأركان، ومنهم من ضم إلى تلك الأركان الترتيب في الأفعال، وهكذا أورده صاحب التهذيب.

تنبيه:

تقدم أن المصنف رحمه الله تعالى جعل أركان الصلاة في الوجيز أحد عشر، وفي الاحياء إثني عشر، وفي المحرر ثلاثة عشر بجعل الطمأنينة كالهيئة التابعة، وجعلها في التنبيه ثمانية عشر، فزاد الطمأنينة في الركوع والاعتدال والسجود والجلوس بين السجدتين ونية الخروج من الصلاة وجعلها في الروضة، والتحقيق سبعة عشر لأن الأصح أن نية الخروج لا تجب، وجعلها في الحاوي أربعة عشر فزاد الطمأنينة إلا أنه جعلها في الأركان الأربعة ركناً واحداً قال الخطيب: والخلاف بينهم لفظي، فمن لم يعد الطمأنينة ركناً جعلها في كل ركن كالجزء وكالهيئة التابعة، ومن عدها أركاناً فذاك لاستقلالها، وصدق اسم السجود ونحوه بدونها جعلت أركاناً لتغايرها باختلاف محالها، ومن جعلها ركناً واحداً فلكونها جنساً واحداً كما عدوا السجدتين ركناً كذلك اهـ وهو تحقيق نفيس.

ولنعد إلى شرح كلام المصنف.

الأول:(النية) لأنها واجبة في بعض الصلاة وهو أولها لا في جميعها، فكانت ركناً كالتكبيرة والركوع، وقيل: هي شرط لأنها عبارة عن قصد فعل الصلاة، فتكون خارج الصلاة، ولهذا قال المصنف: هي بالشرط أشبه والأصل فيها قوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [البينة: ٥] قال الماوردي: والإخلاص في كلامهم النية. وقوله ﷺ: « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » وأجمعت الأمة على اعتبار النية لأن الصلاة لا تنعقد إلا بها.

فائدة:

العبادات المشروط فيها النية في وجوب التعرض للفرض خمسة أقسام: **الأول:** يشترط بلا خلاف كالزكاة. هكذا في شرح المنهاج للدميري ونوزع. **الثاني:** عكسه كالحج والعمرة. **الثالث:**

والفاتحة، والانحناء في الركوع إلى أن تنال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه

يشترط على الأصح كالصلاة. **الرابع:** عكسه كصوم رمضان على ما في المجموع من عدم الاشتراط. **الخامس:** عبادة لا يكفي فيها ذلك بل يضر وهي التيمم فإنه إذا نوى فرضه لم يكف. نقله الخطيب.

(و) الثانـي: (التكبيرة) وفي نسخة تكبيرة الإحرام، وفي نسخة أخرى قوله الله أكبر، وعبارة القوت: وتكبيرة الإحرام بلفظ التكبير، ونص المنهاج هي النسخة الثانية، وإنما سميت بذلك لأنه يحرم بها ما كان على المصلي حلالاً كالأكل والشرب والكلام ونحو ذلك. والأصل فيها الحديث الذي أخرجه أبو داود وغيره: « مفتاح الصلاة الوضوء وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم » وحديث المسيء صلاته « إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ». الحديث رواه الشيخان.

(و) الثالث: (القيام) أو ما في معناه، وإنما قلنا ذلك لأن القيام بعينه ليس ركناً في مطلق الصلاة بخلاف التكبير والقراءة، لأن القعود في النفل جائز مع القدرة على القيام فإذاً الركن هو القيام أو ما يقوم مقامه ولو عجز عن القيام في الفرض قعد، وإن عجز عن القعود صلى لجنبه، فإن عجز فمستلقياً على ظهره وأخمصاه للقبلة، ولا بد من وضع نحو وسادة ليستقبل بوجهه القبلة فإن عجز أجرى أفعال الصلاة على قلبه ولا إعادة عليه ولا تسقط عنـه الصلاة وعقلـه ثابت لوجود مناط التكليف، وللقادر النفل قاعداً أو مضطجعاً في الأصح.

(و) الرابع: قراءة **(الفاتحة)** حفظاً أو نظراً في مصحف أو تلقيناً أو نحو ذلك. وفي النظر في المصحف خلاف لأبي حنيفة. وعبارة القوت: ثم يقرأ سورة الحمد أولها « بسم الله الرحمن الرحيم » قال الرافعي: تتعين قراءتها للقادر في كل ركعة في قيامها أو ما يقوم مقامه، ولا يقوم مقامها شيء آخر من القرآن، فإن جهل الفاتحة فسبع آيات واستحب الشافعي قراءة ثمان آيات لتكون الثامنة بدلاً عن السورة. نقله الماوردي: فإن لم يحسن شيئاً وقف قدر الفاتحة في ظنه وجوباً.

(و) الخامس: (الإنحناء في الركوع إلى أن تنال راحتاه ركبتيه)، وهو أقل الركوع كما تقدم وشرط راحتا يدي معتدل خلقة، فإن كانت أياديه طويلة خلقة بحيث تنال ركبتيه وهو واقف كما هو مخصوص في بعض قبائل العرب لا يسمى ركوعاً، وظاهر تعبيره بالراحتين وهما بطنا الكفين أنه لا يكفي بالأصابع وهو كذلك، وإن كان مقتضى كلام التنبيه الاكتفـاء بها **(مع الطمأنينة)** فيه، وأقلها أن تستقر أعضاؤه راكعاً، وأصل ذلك في حديث المسيء صلاته « ثم اركع حتى تطمئن راكعاً » فالطمأنينة شرط في صحة الركوع، ومنهم من عده ركناً وإليه مال صاحب القوت. وفي بعض النسخ هنا زيادة: ولا يجب وضع اليدين على الركبتين.

(و) السادس: (الاعتدال عنه قائماً) ولو لنافلة كما صححه في التحقيق لحديث المسيء

قائماً، والسجود مع الطمأنينة، ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعداً، والجلوس

صلاته قال الخطيب: وأما ما حكاه في زيادة الروضة عن المتولي من أنه لو تركه في الركوع والسجود في النافلة ففي صحتها وجهان: بناء على صلاتها مضطجعاً مع قدرته على القيام اهـ. لا يلزمه من البناء الاتحاد في الترجيح قائماً إن كان قبل ركوعه. كذلك إن قدر وإلا فيعود لما كان عليه أن يفعل مقدوره إن عجز (**مع الطمأنينة**) فيه لخبر المسيء صلاته بأن تستقر أعضاؤه على ما كان قبل ركوعه بحيث ينفصل ارتفاعه عن عوده إلى ما كان، ومنهم من عدها ركناً مستقلاً، وقال في الروضة: ويجب الطمأنينة في الاعتدال كالركوع. وقال إمام الحرمين: في قلبي من الطمأنينة في الاعتدال شيء وفي كلام غيره ما يقتضي تردداً فيها والمعروف الصواب وجوبها اهـ. **قلت**: وقد تقدم الكلام على ذلك تفصيلاً.

(**و**) **السابع**: (**السجود**) مرتين في كل ركعة، وإنما عدا ركناً واحداً لاتحادهما كما عد بعضهم الطمأنينة في المحال الأربعة ركناً واحداً لذلك، وهو وضع بعض الوجه على الأرض (**مع الطمأنينة**) فيه لخبر المسيء صلاته، (**ولا يجب وضع اليدين على الأرض**) هو أحد القولين، ورجحه الرافعي وغيره، والثاني يجب. وصححه النووي في الروضة، وشرح المهذب وغيرهما، وعبارة المنهاج: ولا يجب وضع يديه وركبتيه وقدميه في الأظهر. **قلت**: الأظهر وجوبه والله أعلم اهـ. **قلت**: وإلى هذا ذهب الفقيه أبو الليث من أصحابنا.

(**و**) **الثامن**: (**الاعتدال عنه**) أي عن السجود (**قاعداً**) وعبَّر عنه في المنهاج والقوت بالجلوس بين السجدتين. زاد النووي مطمئناً أي ولو في نفل لحديث المسيء صلاته. وفي الصحيحين: «كان ﷺ إذا رفع رأسه لم يسجد حتى يستوى جالساً».

(**و**) **التاسع**: (**الجلوس للتشهد الأخير**) وعبر عنه غيره بالقعود وهما مترادفان.

والعاشر: (**التشهد الأخير**) نفسه فالتشهد وقعوده إن عقبهما سلام فهما ركنان، وإلاَّ فسنتان، ودليل الركنية قول ابن مسعود: كنا نقول قبل أن يفرض علينا التشهد السلام على الله، السلام على عباده، السلام على جبريل، السلام على ميكائيل، السلام على فلان. فقال ﷺ: «لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام ولكن قولوا التحيات لله» الحديث رواه الدارقطني والبيهقي وقالا: إسناده صحيح، قال الخطيب في شرح المنهاج: والدلالة منه من وجهين. أحدهما: التعبير بالفرض، والثاني الأمر به والمراد فرضه في جلوس آخر الصلاة.

قلت: وذكر ابن عبد البر في الاستذكار: لم يقل أحد في حديث ابن مسعود بهذا الإسناد ولا بغيره قبل أن يفرض التشهد إلا ابن عيينة اهـ. ثم إن ابن عيينة مدلس وقد عنعن في السند، والأعمش أيضاً وإن عنعن لكن معه منصور، ثم إن الحديث لم يقيد بالأخير، والشافعي رحمه الله فرض الأخير وجعل الأول سنة، وأيضاً مذهب الشافعي أن مجموع ما توجه إليه هذا الأمر ليس بواجب، بل الواجب بعضه وهو «التحيات لله سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته سلام

للتشهد الأخير، والتشهد الأخير، والصلاة على النبي ﷺ والسلام الأوّل. فأما نيّة

علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله». كما تقدم آنفاً. والزيادة على هذا زيادة عدل. وقد توجه إليها الأمر، فيلزم الشافعي القول بها وإيجابها فتأمل (١).

ثم قال الخطيب: ودليل السنة خبر الصحيحين: أنه ﷺ قام من ركعتين من الظهر ولم يجلس فلما قضى صلاته كبر وهو جالس فسجد سجدتين قبل السلام، ثم تكلم دل عدم تداركهما على عدم وجوبها قلت: وهو صحيح إلا أنه ينقض عليه من موضع آخر، وهو أن الحديث المذكور دل على أن الصلاة تنقضي قبل التسليم وبدونه وإمامه لا يقول بذلك، وقد تقدمت الإشارة إليه، وقد يجاب عنه بأنه لا دلالة فيه لأنه قال قبل السلام، فيفيد أنه سلم بعد وليس مذهبه إيقاع السجود خارج الصلاة إذ هو من متمماتها، فالأولى أن يكون فيها كالخشوع والدعاء قبيل السلام. كذا أفاده صاحبنا العلامة علي بن عبد البر الونائي حفظه الله تعالى.

(و) الحادي عشر: (الصلاة فيه على رسول الله ﷺ) وفي بعض النسخ. والصلاة على النبي ﷺ وهو فرض عند الشافعي في التشهد الذي يعقبه سلام، وإن لم يكن للصلاة تشهد أول كما في صلاة الصبح وصلاة الجمعة. قالوا: وقد أجمع العلماء على أنها لا تجب في غير الصلاة فيتعين وجوبها فيها، والقائل بوجوبها مرة في غيرها محجوج بإجماع من قبله، والدليل فيه قوله تعالى: ﴿صلوا عليه﴾ [الأحزاب: ٥٦] وحديث: «**قد عرفنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك؟** فقال قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» الخ. متفق عليه. وفي رواية: «كيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا؟ فقال قولوا» الخ رواها الدارقطني، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه وقال: إنه على شرط مسلم. **قلت:** لكن في سند الدارقطني ابن إسحاق والحفاظ يتوقفون فيما ينفرد به كما قاله البيهقي.

وقال ابن عبد البر في الاستذكار: حجة أصحاب الشافعي في فرضية الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة ضعيفة اهـ. وكلام القاضي عياض في الشفاء في هذا البحث معروف، وقد خالفه من أئمة مذهبه الطبري والقشيري والخطابي. وقال الطحاوي كالمذكورين: لا أعلم للشافعي في هذا قدوة. وقال ابن المنذر: لا أجد الدلالة على ذلك. **قلت:** والكلام عنه طويل الذيل. وقد أطال شراح الشفاء في الجواب عنه، وتصدى القطب الخيضري في الرد على القاضي بتأليف جمع فيه كلاماً كثيراً، والحق أن الشافعي رضي الله عنه مجتهد مطلق، ولا يلزمه الاقتداء بقول غيره من المجتهدين حتى يقال ليست له قدوة، بل هذه العبارة فيها إخلال بمقام الأدب معه، ولم يقل ما

---

(١) ووجه التأمل هو أنه إنما جعل الأول سنة لأن النبي ﷺ لما قام في الظهر أو العصر من ركعتين ثم سجد للسهو دل على أنه سنة إذ لو كان واجباً لم يقم عن السجود، فتعينت الفرضية في الأخير، وإنما قال بإيجاب القدر المذكور لاتفاق الروايات عليه لأن الواجب لا يسقط في حال اهـ. مؤلفه.

الخروج فلا تجب وما عدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيئات فيها وفي الفرائض.

قال إلا بما ثبت عنده وترجح بدليل صحيح، ووافقه الأئمة مثل الإمام أحمد في إحدى روايتيه المشهورة، واختارها أكثر أصحابه، وابن المواز من المالكية ولا يضره مخالفة من ذكر ولا مخالفة من قبلهم، فإن المجتهد لا يعارض قوله بقول مجتهد آخر كما هو معلوم، والله أعلم.

(و) الثاني عشر: (السلام الأول) لحديث علي «تحريمها التكبير وتحليلها التسليم» قال القفال الكبير: والمعنى أن المصلي كان مشغولاً عن الناس وقد أقبل عليهم، **(فأما نية الخروج)** عن الصلاة **(فلا تجب)** على الأصح قياساً على سائر العبادات أو لأن النية السابقة منسحبة على جميع الصلاة، ولكن تسن خروجاً من الخلاف، والثاني تجب مع السلام ليكون الخروج كالدخول فيه، وعلى هذا يجب قرنها بالتسليمة الأولى فإن قدمها عليها أواخرها عنها عامداً بطلت صلاته. **(وما عدا هذا فليس بواجب بل هي)** إما **(سنن و)** إما **(هيئات فيها)** أي في السنن **(وفي الفرائض)**.

واعلم أن المصنف ذكر الأركان في الوجيز أحد عشر: التكبير، والقراءة، والقيام، والركوع، والاعتدال عنه والسجود، والقعدة بين السجدتين مع الطمأنينة في الجميع، والتشهد الأخير، والقعود فيه، والصلاة على النبي ﷺ، والسلام ثم قال: والنية بالشروط أشبه. وعدها صاحب القوت اثني عشر هكذا: النية وتكبيرة الإحرام، وقراءة سورة الحمد، والركوع والطمأنينة فيه، والاعتدال قائماً، والسجود والطمأنينة فيه، والجلسة بين السجدتين، والتشهد الأخير، والصلاة على محمد ﷺ، والسلام الأول. وعدها الرافعي في المحرر وتبعه النووي في المنهاج ثلاثة عشر فزاد على ما في الإحياء: ترتيب الأركان، ودليل وجوبه الإتباع كما في الأخبار الصحيحة مع خبر «صلوا كما رأيتموني أصلي» وجعلها في التنبيه ثمانية عشر فزاد: الطمأنينة في الركوع، والاعتدال، والسجود، والجلوس بين السجدتين، ونية الخروج من الصلاة. وجعلها في الروضة والتحقيق سبعة عشر وأسقط نية الخروج لأنها على الأصح لا تجب وجعلها في الحاوي أربعة عشر فزاد الطمأنينة إلا أنه جعلها في الأركان الأربعة ركناً واحداً وزاد ابن الوردي في بهجة الحاوي واحدا. وهذا تفصيله النية والتكبيرة والقيام والقراءة والركوع والاعتدال قائماً والسجود مرتين والقعود بين السجدتين والطمأنينة في محالها الاربعة، وفقد الصارف في كل الأركان والتشهد الأخير والقعود فيه، والصلاة على النبي ﷺ، والسلام الأول، والترتيب بين الأركان فهذا تفصيل ما أجملناه آنفاً. وقد تقدم أن الخلاف بينهم لفظي ولم يتعرضوا لعد الولاء ركناً. وصوره الرافعي تبعاً للإمام بعدم تطويل الركن القصير، وابن الصلاح بعدم طول الفصل بعد سلامه ناسياً، ولم يعده الأكثرون ركناً لكونه كالجزء من الركن القصير ولكونه أشبه بالتروك. وقال النووي في التنقيح: الولاء والترتيب شرطان وهو أظهر من عدهما ركنين اهـ. قال الخطيب: والمشهور عد الترتيب ركناً والولاء شرطاً.

أما السنن: فمن الأفعال أربعة: رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وعند الهوي إلى الركوع وعند الارتفاع إلى القيام، والجلسة للتشهد الأوّل. فأما ما ذكرناه من كيفية

فصل

قال أصحابنا: الركن هو الجزء الذاتي الذي تتركب الماهية منه ومن غيره، ويقال لما يقوم به الشيء وهو جزء داخل ماهية الشيء، والفرض هنا ما ثبت توقف صحة الصلاة عليه بدليل قطعي من الكتاب والسنّة والاجماع، فيشمل الشرط والركن. ففرائض الصلاة المعبر عنها بالأركان أيضاً ثمانية: خمسة منها متفق عليه بين أئمتنا من غير اختلاف وهي: القيام، والقراءة، والركوع، والسجود، والقعود الأخير مقدار التشهد. وأما تكبيرة الافتتاح وإن عدت مع الأركان في جميع الكتب لشدة اتصالها بها لا لأنها ركن بل هي شرط لصحة الصلاة باجماع أئمتنا، والاثنتان المختلف فيها أولاهما الخروج من الصلاة بصنعه فرض عند أبي حنيفة خلافاً لصاحبيه، ونقل أبو الحسن الكرخي أنه لم يرد فيه عن الإمام أبي حنيفة صريحاً ما يدل على فرضيته، وإنما ألزمه أبو سعيد البردعي في مسائل رواها عن الإمام ففهم منها تفقهاً أنه يقول بفرضيته. والثانية: الطمأنينة في الركوع والسجود ويعبّر عنها عندنا بتعديل الأركان فرض عند أبي يوسف خلافاً لهما. وأما واجبات الصلاة فهي ثمانية عشر، وحكم الواجب في الصلاة دخول النقص فيها بتركه ووجوب سجدة السهو بتركه سهواً وإعادتها بتركه عمداً، وسقوط الفرض ناقصاً إن لم يسجد ولم يعد الصلاة في تركه عمداً أو سهواً. وهذا تفصيلها: قراءة الفاتحة، وضم سورة أو ثلاث آيات، وتعيين قراءة الفاتحة في الأوليين من الفرض، وتقدم الفاتحة على السورة، وضم الأنف للجبهة في السجود، ومراعاة الترتيب فيما بين السجدتين، والطمأنينة في الركوع والسجود، والقعدة الأولى على الصحيح، والتشهد فيه في الصحيح، والتشهد في الثانية، والقيام إلى الركعة الثالثة من غير تراخ بعد قراءة التشهد، ولفظ السلام مرتين دون «عليكم»، وقنوت الوتر، وتكبيرات العيدين، وتعيين لفظ التكبير في افتتاح كل صلاة لا صلاة العيدين خاصة، وتكبيرة الركوع في ثانية العيدين، وجهر الإمام في الجهرية، والجهر في الجمعة والعيدين، والتراويح، والوتر في رمضان، والإسرار في السرية ولو ترك السورة في أولى العشاءين قرأها في الأخريين مع الفاتحة جهراً على الأصح. وروى ابن سماعة عن أبي حنيفة أنه يجهر بالسورة لا الفاتحة. وروى هشام عن محمد أنه لا يجهر أصلاً، ولو ترك الفاتحة في الأوليين لا يكررها في الأخريين ويسجد للسهو والله أعلم.

ثم لما فرغ المصنف من ذكر فرائض الصلاة الصلبية شرع في ذكر سننها. قال: **(أما السنن)** التي سنّها النبي ﷺ **(فمن الأفعال أربعة: رفع اليدين)** بحيث يحاذي أصابعه أعلى أذنيه وابهاماه شحمتي أذنيه وكفاه منكبيه **(في)** ثلاثة مواطن **(تكبيرة الاحرام، وعند الهوي إلى الركوع، وعند الارتفاع)** منه. زاد الولي العراقي: وكذا عند القيام من التشهد الأول كما صححه النووي خلافاً للأكثرين، **(و)** الرابع من سنن الأفعال: **(الجلسة للتشهد الأول)**

نشر الأصابع وحد رفعها فهي هيئات تابعة لهذه السنّة، والتورك والافتراش هيئات تابعة للجلسة، والإطراق وترك الالتفات هيئات للقيام وتحسين صورته، وجلسة الاستراحة لم نعدها من أصول السنّة في الأفعال لأنها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة في نفسها، ولذلك لم تفرد بذكر.

وأما السنن من الاذكار، فدعاء الاستفتاح ثم التعوّذ ثم قوله: «آمين» فإنه سنّة

لكونها لم يعقبها سلام، وإنما صرف عن وجوبها خبر الصحيحين الذي تقدم ذكره آنفاً، **(فأما ما ذكرناه من كيفية نشر الأصابع)** وبثها أو ضمها **(وحدّ رفعها)** هل يكون إلى أعالي الأذنين أو فروعها أو شحمتيها **(فهي هيئات)** وفي نسخة: هيئة **(تابعة لهذه السنة)** أي تكبيرة الإحرام والركوع والرفع منه، **(والتورك)** في القعدة الثانية بأن يخرج رجليه وهما على هيئتها في الافتراش من جهة يمينه، ويمكّن وركه من الأرض، **(والافتراش)** أن يفرش ظهر اليسرى على الأرض ويجلس عليها وينصب اليمنى في الجلسات كلها إلاّ الأخيرة فهي **(هيئات)** وفي نسخة: هيئة **(تابعة للجلسة والإطراق)** أي للرأس، **(وترك الالتفات)** يمنة ويسرة **(هيئات)** وفي نسخة: هيئة تابعة **(للقيام وتحسين صورته)** في الظاهر، **(وجلسة الاستراحة)** هي بعد السجدة الثانية من كل ركعة لا يعقبها فعل تشهد **(لم نعدها من أصول السنّة)** وفي نسخة: السنن **(في الأفعال لأنها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود إلى القيام لأنها ليست مقصودة في نفسها، ولذلك لم تفرد بذكر)** في أصول السنن وعدها سنّة هو المشهور في المذهب. قال البغوي في فتاويه: إذا صلى أربع ركعات بتشهد واحد فإنه يجلس للاستراحة في كل ركعة منها، لأنها إذا ثبتت في الأوتار ففي محل التشهد أولى، ولو تركها الإمام وأتى بها المأموم لم يضر تخلفه لأنه يسير. وفي التتمة: يكره تطويلها على الجلوس بين السجدتين، والقول الثاني في المذهب أنها لا تسن لخبر وائل بن حجر. قلت: وبه أخذ أبو حنيفة وأصحابه.

(وأما السنن من الاذكار؛ فدعاء الاستفتاح) عقب التحرم ولو للنفل، وهو عند الشافعي رضي الله عنه: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض» إلى قوله: «وأنا من المسلمين». وعند أبي حنيفة: «سبحانك اللهم وبحمدك» إلخ. وقد وردت أخبار في دعاء الاستفتاح تقدم ذكرها. قال الخطيب: وظاهر كلام الأصحاب، أنه لا فرق في التعبير بقوله: حنيفاً ومن المشركين ومن المسلمين بين الرجل والمرأة وهو صحيح على إرادة الأشخاص، فتأتي بها المرأة لذلك على انها حالان من الوجه، والمراد بالوجه ذات الإنسان وجملة بدنه، ولا يصح كونها حالاً من ياء الضمير في وجهي لأنه كان يلزم التأنيث، **(ثم التعوّذ)** قبل القراءة في كل ركعة، ويحصل بكل ما اشتمل عليه وأفضله: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويسن الاسرار به وبدعاء الاستفتاح، ولا يستحبان للمسبوق إذا خاف ركوع الإمام قبل فراغه من الفاتحة. وفي المذهب قول ثان أنه يتعوّذ في الأول فقط صرح به الرافعي. قلت: وبه أخذ أبو حنيفة وإنما أتى

مؤكدة، ثم قراءة السورة، ثم تكبيرات الانتقالات، ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما، ثم التشهد الأوّل والصلاة فيه على النبي ﷺ، ثم الدعاء في آخر التشهد الأخير، ثم التسليمة الثانية، وهذه وإن جمعناها في اسم السنّة فلها درجات

بثم لأجل مراعاة الترتيب. **(ثم قوله: «آمين»)** عقب الفاتحة سواء كان في صلاة أم لا. وذلك بعد سكتة لطيفة وهو في الصلاة أشد استحباباً، ولا يفوت التأمين إلا بالشروع في غيره على الأصح كما في المجموع، وقيل: بالركوع **(فإنه سنّة مؤكدة)** لما روى البخاري عن أبي هريرة رفعه: «إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا آمين فإن من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه». ويجهر المأموم في الجهرية تبعاً لإمامه في الأظهر، ويستحب أن يكون تأمين المأموم مع تأمين الإمام لا قبله ولا بعده، **(ثم قراءة السورة)** بعد الفاتحة ولو كانت الصلاة سرية للإمام والمنفرد إلا في الثالثة من المغرب والثالثة والرابعة من الرباعية في الأظهر، وإنما لم تجب السورة لما رواه الحاكم وصححه أم القرآن عوض من غيرها وليس غيرها عوضاً منها، وخرج بقوله بعد الفاتحة ما لو قرأها قبلها أو كرر الفاتحة، فإنه لا يجزئه لأنه خلاف السنّة. نعم لو لم يحسن غيرها وأعادها يتجه الاجـزاء قاله الأذرعي، ويحمل كلامهم على الغالب ويحصل أصل السنّة بقراءة شيء من القرآن ولو آية، والأولى ثلاث آيات ليكون قدر أقصر سورة، ولا سورة للمأموم في جهرية بل يسمع لقراءة إمامه فإن بعد أو كان به صمم أو سمع صوتاً لا يفهمه أو كانت سرية قرأ في الأصح إذ لا معنى لسكوته حينئذ. **(ثم تكبيرات الانتقالات)** إلا الاعتدال فله ذكر يخصه كما يأتي، **(ثم الذكر المروي في الركوع)** كالتسبيحات وقوله: اللهم لك ركعت وبك آمنت الخ **(و)** في **(السجود)** وهو قوله: اللهم لك سجدت وبك آمنت الخ وقد تقدم. **(و)** في **(الاعتدال عنهما)** أي عن الركوع والسجود وهو قوله: «ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض وملء ما بينهما» الخ. وقوله: «رب اغفر لي» الخ وقد تقدم أيضاً. **(ثم التشهد الأول)** لكونه لا يعقبه سلام، **(والصلاة فيه على النبي ﷺ)**. وأما في الثاني ففرض وكونها سنّة في الأول هو الأظهر كما في المنهاج، والقول الثاني لا تسن فيه لبنائه على التخفيف. **(ثم الدعاء في آخر التشهد الأخير)** بما أحب وأعجب ومأثوره أفضل من غيره لتنصيص الشارع عليه ويترجم للدعاء المندوب العاجز لا القادر في الأصح كما في المنهاج، **(ثم التسليمة الثانية)** فهذه اثنتا عشرة سنّة، فإذا ضمت مع الأربعة التي ذكرها للأفعال صارت ستة عشر سنّة. وأوردها صاحب القوت اثنتي عشرة هكذا: رفع اليدين بالتكبيرة، ثم التوجه، ثم الاستعاذة، ثم قراءة السورة، والتأمين، ورفع اليدين للركوع، والتسبيح للركوع، ثم رفع اليدين بعد الركوع، ثم التسبيح للسجود، ثم التكبير للسجود وللرفع بين السجدتين وللقيام بعد السجود، ثم التشهد الأول، ثم السلام. وعدها صاحب الحاوي ثلاثة وأربعين سنّة. منها هذه الستة عشر التي ذكرها المصنف والتي عدّها المصنف هيئات تابعة عدّها صاحب الحاوي سنناً وهي: نشر أصابع اليدين الى القبلة، ومنها ضمها بلا تفريج، ومنها كشفها الثلاثة مستحبة في السجود، ومنها التورك،

ومنها الافتراش، ومنها ترك الإقعاء وهو في معناها، ومنها الالتفات ولم يذكر الاطراق، ومنها جلسة الاستراحة. فهذه ثمانية سنن تضم مع ما قبلها تصير أربعة وعشرين. تفضل تسعة عشر منها بعضها يصلح أن يكون هيئات تابعة على مذهب المصنف، وقد عدت سنناً فمن ذلك قبض كوع اليد اليسرى، ومنها جعلها تحت الصدر، ومنها مد التكبير من الركن المنتقل عنه إلى الشروع في الركن المنتقل إليه، ومنها مد الظهر والعنق في الركوع والسجود حتى يستويا، ومنها وضع الكفين على الركبتين في الركوع، ومنها نصب الساقين فيه، ومنها مباعدة المرفق عن الجنب، ومنها اقلال البطن عن الفخذ. وهذان سنتان في الركوع والسجود للرجال، ومنها وضع القدم والركبة واليد على الأرض. كذا صححه الرافعي، وصحح النووي وجوبه. ومنها: أن يضع ركبته ثم يده ثم جبهته وأنفه دفعة واحدة جزم به في المحرر. ونقله في شرح المهذب عن البندنيجي وغيره، وفي موضع آخر منه عن الشيخ أبي حامد يقدم أيهما شاء. وفي المهمات عن التبصرة لأبي بكر البيضاوي يقدم الجبهة على الأنف، ومنها: وضع اليدين حذاء المنكبين، ومنها: الاعتماد على الأرض للقيام كالعاجن، ومنها: وضع اليد قريباً من طرف الركبة منشورة الأصابع إلى القبلة. كذا صحح الرافعي وصحح النووي الضم في الجلسات والتشهد، ومنها: إرسال المسبحة ووضع الابهام تحتها كعاقد ثلاثة وخمسين، ومنها الإشارة بالمسبحة، ومنها الالتفات مع السلام يمنة ويسرة. فهذه أربعة عشر تناسب أن تجعل هيئات فإذا ضمت مع ما قبلها صارت ثمانية وثلاثين، وما عدا ذلك فالجهر بالقراءة الجهرية والقنوت في الصبح في اعتدال الثانية، وفي الوتر في النصف الأخير من شهر رمضان للإمام والمنفرد، ورفع اليدين فيه على الأصح، والصلاة على النبي ﷺ فيه والصلاة على آله ﷺ في التشهد الأخير، وللشافعي قول بوجوبه، وزيادة المباركات الصلوات الطيبات في التشهدين، ونية السلام على الحاضرين للإمام والمأموم والمنفرد، ونية الخروج من الصلاة هذا آخر ما في الحاوي. وقد زدت أنا من شرح البهجة فيها بعض سنن، وزاد ناظمه أربعة أخرى: الخشوع، والانتقال من موضع الصلاة، والتدبر لما يقرأ، وتطويل القراءة في الأول، ومما عد من مسنونات الصلاة مما هو مذكور في المنهاج وغيره تعيين طوال المفصل في الصبح والظهر وأواسطه في العصر والعشاء وقصاره في المغرب ولصبح الجمعة في الأولى ﴿**ألم تنزيل**﴾ وفي الثانية ﴿**هل أتى**﴾ وقنوت الإمام في الصبح بلفظ الجمع، ورفع اليدين فيه والقنوت في اعتدال آخر سائر المكتوبات للنازلة لا مطلقاً، وقلب اليدين على ظهورهما فيها خاصة وعدم تحريك المسبحة عند الاشارة، والزيادة في الصلاة على النبي ﷺ إلى حميد مجيد في التشهد الآخر، وعدم الزيادة في الدعاء بعد التشهد على قدره، وقدر الصلاة على النبي ﷺ والدخول في الصلاة بنشاط وفراغ قلب والذكر والدعاء بعد الصلاة والبداءة بالاستغفار قبلهما وللنساء أن ينصرفن عقب سلام الإمام.

متفاوتة إذ تجبر أربعة منها بسجود السهو.

فصل

وقد ذكر أصحابنا سنن الصلاة إحدى وخمسين سنة تقريباً مفرقة في كتبهم وقد جمعتها، وفيها ما هو الموافق لما ذكره أصحاب الشافعي وهذا تفصيلها بسننها ١ ـ رفع اليدين للتحريمة حذاء الأذنين للرجل والأمة، وحذاء المنكبين للحرة. ٢ ـ ونشر الأصابع عند التكبير. ٣ ـ ومقارنة إحرام المقتدي لإحرام إمامه، وفيه خلاف للصاحبين قالا: يكبر للتحريمة بعد ما يحرم الامام. ٤ ـ وضع اليدين تحت السرة للرجل والمرأة تحت صدرها بلا تحليق. ٥ ـ والثناء وهو دعاء الاستفتاح. ٦ ـ والتعوذ للقراءة وأبو يوسف يجعله تابعاً للثناء. ٧ ـ والتسمية في أول كل ركعة. ٨ ـ والاتيان بها في ابتداء القراءة قبل الفاتحة. ٩ ـ والتأمين للإمام والمأموم والمنفرد. ١٠ ـ والتحميد وهو ربنا لك الحمد. ١١ ـ والإسرار بكل من الثناء والتعوّذ والتسمية والتحميد. ١٢ ـ والاعتدال عند ابتداء التحريمة وانتهائها. ١٣ ـ وجهر الامام بالتكبير والتسميع. ١٤ ـ وتفريج القدمين في القيام مقدار أربع أصابع. ١٥ ـ وأن تكون المضمومة للفاتحة من طوال المفصل في الفجر والظهر، ومن أوساطه في العصر والعشاء، ومن قصاره في المغرب لو كان مقيماً وأي سورة شاء لو مسافراً. ١٦ ـ وإطالة الأولى في الفجر فقط عند أبي حنيفة وأبي يوسف، وقال محمد: في كل الصلوات. ١٧ ـ وتكبير الركوع. ١٨ ـ وتسبيحه ثلاثاً. ١٩ ـ وأخذ الركبتين باليدين في الركوع. ٢٠ ـ وتفريج الأصابع فيه للرجل. ٢١ ـ ونصب الساقين فيه. ٢٢ ـ وبسط الظهر فيه. ٢٣ ـ وتسوية الرأس بالعجز فيه. ٢٤ ـ والرفع منه. ٢٥ ـ والقيام بعده مطمئناً. ٢٦ ـ ووضع الركبتين ابتداء ثم اليدين ثم الوجه للسجود. ٢٧ ـ وعكسه للنهوض للقيام. ٢٨ ـ وتكبير السجود. ٢٩ ـ وتكبير الرفع منه. ٣٠ ـ وكون السجود بين الكفين. ٣١ ـ وتسبيحه ثلاثاً. ٣٢ ـ والتخوية للرجل خاصة. ٣٣ ـ والقومة منه. ٣٤ ـ والجلسة بين السجدتين. ٣٥ ـ ووضع اليدين على الفخذين فيها. ٣٦ ـ والافتراش للرجل خاصة في القعدتين والمرأة تتورك. ٣٧ ـ والإشارة بالمسبحة عند الشهادة. ٣٨ ـ وبسط الأصابع على الفخذين في جلسة التشهد. ٣٩ ـ والإسرار بالتشهد. ٤٠ ـ وقراءة الفاتحة فيما بعد الأوليين. ٤١ ـ والصلاة على النبي ﷺ في الجلوس الأخير. ٤٢ ـ والدعاء المأثور بعدها. ٤٣ ـ والالتفات منه يميناً وشمالاً عند السلام. ٤٤ ـ ونية الإمام الحاضرين والحفظة وصالحي الجن في التسليمتين في الأصح. ٤٥ ـ ونية المأموم إمامه في جهته، فإن حاذاه نواه فيهما مع المذكورين. ٤٦ ـ ونية المنفرد الملائكة فقط. ٤٧ ـ وخفض التسليمة الثانية عن الأولى. ٤٨ ـ ومقارنة سلام المقتدي لسلام الإمام عند الإمام وعندهما بعد تسليم الإمام وهي أيضاً رواية عن الإمام. ٤٩ ـ والبداءة باليمين. ٥٠ ـ وانتظار المسبوق فراغ الإمام لوجوب المتابعة.

ثم قال المصنف: **(وهذه وإن جمعناها في اسم السنّة فلها درجات متفاوتة إذ تجبر أربعة منها بسجود السهو)** وفي نسخه: إذ تجبر من جملتها بسجود السهو أربعة وهي: القنوت، والتشهد الأول، والقعود، والصلاة على النبي ﷺ. وفي استحبابها قولان ذكرناهما سابقاً.

وأما من الأفعال فواحدة: وهي الجلسة الأولى للتشهد الأوّل فإنها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا ؟ بخلاف رفع اليدين فإنه لا يؤثر في تغيير النظم فعبّر عن ذلك بالبعض. وقيل الأبعاض تجبر بالسجود.

وأما الاذكار فكلها لا تقتضي سجود السهو إلا ثلاثة: القنوت، والتشهد الأوّل،

ثم فصل المصنف: الأربعة المذكورة فقال: (**أما من الأفعال فواحدة وهي الجلسة الأولى للتشهد الأول**) لأن السجود إذا شرع لترك التشهد لما سيأتي شرع لترك جلوسه لأنه مقصود ولا يتم إتيانه إلا بالجلوس له، (**فإنها**) أي الجلسة الأولى له (**مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية**) أي ذات أربع ركعات. (**أم لا ؟ بخلاف رفع اليدين**) في الصلاة (**فإنه**) وإن كان سنّة أيضاً إلا أنه (**لا يؤثر في تغيير النظم**) أي نظم الصلاة في ظاهر النظر (**فعبّر عن ذلك بالبعض، وقيل: الأبعاض تجبر بالسجود**).

قال الرافعي: المندوبات قسمان: مندوبات يشرع في تركها سجود السهو، ومندوبات لا يشرع فيها ذلك، والتي تقع في القسم الأول تسمى أبعاضاً. ومنهم من يخصها باسم المسنونات، ويسمي التي تقع في القسم الثاني هيئات.

قال إمام الحرمين: وليس في تسميتها أبعاضاً توقيف، ولعل معناها أن الفقهاء قالوا: يتعلق السجود ببعض السنن دون البعض، والذي يتعلق به السجود أقل مما لا يتعلق به، ولفظ البعض في أقل مسمى الشيء أغلب إطلاقاً، فلذلك سميت هذه الأبعاض. وذكر بعضهم أن السنن المجبورة بالسجود قد تأكد أمرها وجاوز حد سائر السنن بذلك القدر من التأكيد شاركت الأركان، فسميت أبعاضاً تشبيهاً بالأركان التي هي أبعاض وأجزاء حقيقة.

(وأما الاذكار فكلها لا تقتضي سجود السهو إلا ثلاثة):

أحدها: (القنوت) الراتب وهو قنوت الصبح، وقنوت الوتر في النصف الثاني من رمضان، وقد أشار إليه الرافعي بقوله: وكون القنوت بعضاً لا يختص بصلاة الصبح، بل هو بعض أيضاً في الوتر في النصف الأخير من رمضان اهـ. دون قنوت النازلة لأنه سنّة في الصلاة لا بعضها كما صححه في التحقيق. قال الخطيب: والكلام فيما هو بعض القنوت كترك كله قاله الغزالي، والمراد ما لا بدّ منه في حصوله بخلاف ما لو ترك أحد القنوتين. كان ترك قنوت سيدنا عمر رضي الله عنه لأنه أتى بقنوت تام، وكذا لو وقف وقفة لا تسع القنوت إذا كان لا يحسنه لأنه أتى بأصل القيام أفادنيه شيخي يعني به الشهاب الرملي.

(و) الثاني: (التشهد الأول) والمراد اللفظ الواجب في الأخير دون ما هو سنّة فيه فلا يسجد له كما قاله المحب الطبري ونبه عليه الأسنوي. قال الخطيب: واستثنى منه ما لو نوى أربعاً وأطلق، وإذا قصد أن يتشهد تشهدين فلا يسجد لترك أولها. ذكره مجلي في الذخائر وابن

والصلاة على النبي ﷺ فيه. بخلاف تكبيرات الانتقالات وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنها، لأن الركوع والسجود في صورتها مخالفان للعادة ويحصل بها معنى

الرفعة عن الإمام، لكن فصل البغوي في فتاويه فقال: يسجد لتركه إن كان على عزم الإتيان به فنسيه، وإلاّ فلا. وهذا أظهر.

(و) الثالث: (الصلاة على النبي ﷺ فيه) أي في التشهد الأول على الأصح من الوجهين. قال شارح المحرر: فإن فيها وجهين: أحدهما أنها سنّة فتكون من الأبعاض وتجبر بالسجود، والثاني: أنها فرض فلا يجبر بل يتدارك، فهذه أربعة من السنن تسمى أبعاضاً فيسجد لترك كل منها سهواً كان أو عمداً إلاّ أن تركه امامه لاعتقاد عدم سنيته، كحنفي ترك قنوت الصبح فلا يسجد المؤتم به صرح به القفال في فتاويه وهو مبني على طريقته في أن العبرة بعقيدة الإمام، والأصح اعتبار عقيدة المأموم، وقد زاد الرافعي اثنتين على الأربعة فقال: والحق بهذه الأبعاض شيئان.

أحدهما: الصلاة على الآل في التشهد الأول إذا استحسناها تفريعاً على استحباب الصلاة على النبي ﷺ، وهذا قد ذكره المصنف في الوجيز في باب السجدات.

والثاني: القيام للقنوت إن عدّ بعضاً برأسه، وقراءة القنوت بعضاً آخر حتى لو وقف ولم يقرأ سجد للسهو، وهذا هو الوجه إذا عددنا التشهد بعضاً والقعود له بعضاً آخر. وقد أشار إلى هذا الفصل في القنوت إمام الحرمين، وصرّح به صاحب التهذيب اهـ. فهي ستة إذاً. وهكذا عدها النووي في الروضة والمنهاج والتحقيق تبعاً للرافعي، وقول الرافعي: الصلاة على الآل في التشهد الأول أي بعد الأول وهو وجه في المذهب، وقيل: بعد التشهد الأخير على الأصح، وكذا بعد القنوت لأنها سنّة فيه على الصحيح قاله الخطيب. قال: وزيد سابع وهو الصلاة على النبي ﷺ في القنوت كما جزم به ابن الفركاح. قال شارح البهجة: وصورة السجود لترك الصلاة على الآل في التشهد الأخير أن يتيقن ترك إمامه له وصورة السجود لترك القيام للقنوت أو القعود للتشهد دونها أن يسقط استحبابها عنه لكونه لا يحسنها، فيستحب القعود والقيام، فإن تركه سجد.

فإن قلت: ذكر الأصحاب أن القنوت إنما عد بعضاً لكونه ذكراً له محل مخصوص فشابه الأركان، وهذا موجود في اذكار الركوع والسجود والانتقالات، فلِمَ لم تعدوها أبعاضاً وتجبر بالسجود كالقنوت؟ فأجاب المصنف بقوله: **(بخلاف تكبيرات الانتقالات وأذكار الركوع والسجود و)** اذكار **(الاعتدال عنها)** أي عن الركوع والسجود، **(لأن الركوع والسجود في صورتها مخالف)** كذا في النسخ أي كل منها مخالف، وفي أخرى: مخالفان **(للعادة)** في الظاهر **(ويحصل بها معنى العبادة)** الذي هو الخضوع والانقياد مع سكون الجوارح **(مع**

العبادة مع السكوت عن الاذكار وعن تكبيرات الانتقالات، فعدم تلك الأذكار لا تغير صورة العبادة.

وأما الجلسة للتشهد الأوّل ففعل معتاد وما زيدت إلا للتشهد فتركها ظاهر التأثير.

وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع أن القيام صار معموراً بالفاتحة ومميزاً عن العادة بها، وكذلك الدعاء في التشهد الأخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع مدّ الاعتدال في الصبح لأجله، فكان كمد جلسة الاستراحة إذ صارت بالمدّ مع التشهد جلسة للتشهد الأوّل. فبقي هذا قياماً ممدوداً معتاداً ليس فيه ذكر واجب، وفي الممدود احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام في الصلاة.

السكوت عن الأذكار) فلا معنى لإلحاقها بالأبعاض، **(وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الأذكار لا تغير صورة العبادة)** فلا تلحق بالابعاض. وقال شارح المحرر: ولا ينقض بتسبيحات الركوع والسجود، فإنها تسقط بسقوط محلها بخلاف القنوت.

(وأما الجلسة للتشهد الأول، ففعل معتاد وما زيدت) وفي نسخة؛ وما أريدت **(إلا للتشهد)** أي لقراءته **(فتركها)** أي الزيادة إذاً **(ظاهر التأثير)** في تغيير صورة العبادة.

(وأما دعاء الاستفتاح و) قراءة **(السورة)** وإن كانا من السنن **(فتركهما لا يؤثر)** في التغيير **(مع أن القيام صار معموراً بالفاتحة)** أي بقراءتها، **(ومميزاً عن العادة بها)** ولولا قراءتها فيه لم يتميز عن قيام العادة، **(وكذلك)** الحكم في **(الدعاء)** الذي يقرأ **(في التشهد الأخير)** بعد الصلاة على النبي ﷺ، فإن ترك كل من ذلك لا يجبر بالسجود، **(وأما القنوت)** في صلاة الصبح فإنه **(أبعد ما يجبر بالسجود ولكنه)** وفي نسخة: ولكن **(شرع مدّ الاعتدال في الصبح)** بعد الرفع من الركوع **(لأجله)** أي لأجل قراءة القنوت، **(فكان كمدّ جلسة الاستراحة)** بعد الرفع من السجود **(إذ صارت)** أي تلك الجلسة **(بالمدّ مع التشهد جلسة للتشهد الأول، فبقي)** وفي نسخة: فيبقى **(هذا قياماً ممدوداً معتاداً)** أي موافقاً للعادة **(ليس فيه ذكر واجب)**. وقد وصف القيام بالمدّ والخلو عن الذكر، ولذا قال: **(وفي الممدود)** أي وصف القيام به **(احتراز عن غير الصبح)** فإنه لا مدّ فيه، **(وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن أصل القيام في الصلاة)**، وهذا التفصيل الذي ذكره المصنف غريب لم يسبق إليه.

وحاصل كلام الأصحاب في هذا البحث أن ما عدت أبعاضاً تجبر بالسجود وهي السبعة المذكورة، وقد ورد في خصوص ترك التشهد الأول ما رواه عبدالله بن بجينة: «أن النبي ﷺ صلى بهم الظهر فقام في الركعتين الأولين فقام الناس معه حتى إذا قضى الصلاة وانتظر الناس

فإن قلـت: تمييز السنن عن الفرائض معقول إذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنّة ويتوجه العقاب به دونها، فإما تمييز سنّة عن سنّة والكل مأمور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه؟ فاعلم أن

تسليمه كبّـر وهو جالس فسجد سجدتين قبل أن يسلم ثم سلم» هكذا لفظ البخاري، وقد أخرجه مسلم أيضاً، وقيس على هذا الوارد ما بقي من الأبعاض وما عداها من السنن لا تجبر بالسجود لعدم وروده فيها، ولأن سجود السهو زيادة في الصلاة، فلا يجوز إلا بتوقيف فلو فعله لشيء من ذلك ظاناً جوازه بطلت صلاته، إلاّ أن يكون قريب العهد بالإسلام أو بعيداً عن العلماء قاله البغوي في فتاويه.

وقال شارح المحرر: لو ترك سنّة من سنن الصلاة غير الأبعاض كتسبيحات الركوع والسجود وتكبيرات الانتقال والتسميع لا فرق في ذلك بين القول والفعل، فإنه لا يجبر بالسجود حتى تكبيرات العيد وإن كان ذكراً كثيراً لأن غير الأبعاض من قبيل الهيئات كالرمل، والاضطباع في الطواف، وترك ذا لا يجبر بالفدية، كذلك هذه السنن لا تجبر بالسجود. ولما روى أبو قتادة أن أنساً جهر في العصر ولم يسجد ولم ينكر عليه، وما نقل أبو إسحاق عن الشافعي في القديم أنه يسجد لكل مسنون تركه في الصلاة ذكراً كان أو عملاً، وكذا إذا جهر فيما يسر أو أسر فيما يجهر فمرجوع عنه.

فصل

ولا يلزم عندنا هذا السجود إلا لترك ما وسم بالواجب سهواً، وإن تكرر، وقد تقدم ذكر واجبات الصلاة آنفاً لا لترك سنّة لأنه لجبر النقصان، والصلاة لا توصف على الإطلاق بالنقصان بترك سنّة فلا يحتاج إلى الجابر، واحتاج أصحاب الشافعي في تقسيم السنن إلى الأبعاض والهيئات لأنهم لم يفرقوا بين الفرض والواجب على أن بعض ما سموه بعضاً هو مقول فيه بالواجب عندنا كالتشهد الأول، فإنه واجب عند أبي حنيفة على الصحيح، وجعله الشافعي سنّة فالسجود لتركه على الاتفاق سواء. قلنا: لأنه ترك الواجب أو قلنا ترك بعضاً من الأبعاض والله أعلم.

(**فإن قلت: تميز السنن عن الفرائض معقول إذ**) الفرائض تثبت بدلائل قطعية الثبوت والدلالة، والسنن تثبت بالآحاد من الأخبار التي مفهومها ظني، وأيضاً فإنه (**تفوت الصحة بفوت الفـرض**) في الصلاة (**دون السنّـة**)، فـإن السنـن إنما جعلـت مكملات للفـرائـض (**ويتوجه العقاب به**) أي بالفرض أي بتركه (**دونها**) وفي بعض النسخ: ويتوجه العقاب عليه بما دونها (**فإما تميز سنّة عن سنّة**) بعضها من بعض (**و**) الحال أن (**الكل مأمور به**) أي بعمله (**على سبيل الاستحباب**) دون الوجوب، (**ولا عقاب في ترك الكل والثواب مرجوّ على الكل فما معناه؟**).

وقد أجاب المصنف عن ذلك بقوله: (**فاعلم أن اشتراكها**) أي السنن (**في الثواب**)

اشتراكهما في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتهما، ولنكشف ذلك لك بمثال: وهو أن الإنسان لا يكون إنساناً موجوداً كاملاً إلا بمعنى باطن واعضاء ظاهرة، فالمعنى الباطن هو الحياة والروح، والظاهر أجسام أعضائه. ثم بعض تلك الأعضاء ينعدم الإنسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ، وكل عضو تفوت الحياة بفواته، وبعضها لا تفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرِجل واللسان، وبعضها لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون، وبعضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والأهداب وتناسب خلقة الأعضاء وامتزاج

بالاتيان بها (**والعقاب**) أي عدمه (**والاستحباب**) في العمل بكل منها (**لا يرفع تفاوتها**) في نفس الأمر، (**ولنكشف**) وفي نسخة: وينكشف (**ذلك لك بمثال**) نضربه لك: (**وهو أن الإنسان لا يكون إنساناً موجوداً كاملاً إلا بمعنى باطن**) أي خفي عن الإحساس (**واعضاء ظاهرة**) يدركها الإنسان منه بالنظر، (**فالمعنى الباطن**) الذي به قوامه الأصلي (**هو الحياة والروح**)، والحياة في الأصل هي الروح وهي الموجبة لتحرك من قامت به. وقال: بعض الحياة تكامل في ذات ما أدناه حياة النبات إلى حياة ما يدب إلى غاية حياة الإنسان في تصرفه وتصريفه إلى ما وراء ذلك من التكامل في علومه وأخلاقه، والروح الإنساني هي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان الراكبة على الروح الحيواني، (**والظاهر أجسام أعضائه**) الظاهرة جمع عضو بالضم، (**ثم بعض تلك الأعضاء**) أشرف من بعض، فمنها (**ما ينعدم الإنسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ**) فإن كلاً من ذلك رئيس ولا يتم تركيب الإنسان إلاّ به، (**وكل عضو**) من ذلك (**تفوت الحياة**) التي هي المعنى الباطن (**بفواتها**)، فالقلب عضو شريف صنوبري الشكل على جهة الشمال، والكبد على جهة اليمين، والدماغ الرأس وما حواه، (**وبعضها لا تفوت بها**) أي بفواتها (**الحياة**) من أصلها (**ولكن تفوّت بها مقاصد الحياة كالعين**) الباصرة (**واليد والرجل**) الباطشتين (**واللسان**) الناطق بما في الضمير، (**وبعضها لا تفوت بها**) أي بفواتها (**الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن**) وهو الجمال الظاهر (**كالحاجبين واللحية والأهداب**). فالحاجبان تقدم ذكرهما في كتاب أسرار الطهارة، وكذلك اللحية والأهداب جمع هدب هو ما نبت من الشعر على أشفار العين، (**وبعضها لا يفوت بها**) أي بفواتها (**أصل الجمال ولكن**) يفوت (**كماله**) من حيث الهيئة (**كاستقواس الحاجبين**) أي أن يكونا على هيئة القوسين، وذلك بأن يستدق طرفاهما ويغزر أوساطهما، (**وسواد شعر اللحية**) خلقة لا بتصنع (**وتناسب خلقة الأعضاء**) مما ذكره الحكماء أصحاب الفراسة من اعتدال القامة، وسعة محاجر العين، ودقة الأرنبة مع ارتفاعها، وسعة الجبهة، واستدارة الوجه، وطول الرقبة، وسعة ما بين الثديين، وارتفاع العضدين، ودقة الخصر، وامتلاء الفخذين، ومجافاة

الحمرة بالبياض في اللون، فهذه درجات متفاوتة. فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص، كما سيأتي. ونحن الآن في أجزائها الظاهرة، فالركوع والسجود والقيام وسائر الأركان تجري منها مجرى القلب والرأس والكبد إذ يفوت وجود الصلاة بفواتها. والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الأوّل تجري منها مجرى اليدين والعينين والرجلين، ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء، ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوّه الخلقة مذموماً غير مرغوب فيه، فكذلك من اقتصر على أقل ما يجزىء من الصلاة كان كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبداً حياً مقطوع الأطراف.

وأما الهيئات وهي ما وراء السنن فتجري مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون، وأما وظائف الاذكار في تلك السنن فهي مكملات للحسن

أخمص القدمين وغير ذلك. (**وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون**) أي يكون البياض مشرباً بحمرة مع البريق واللمعان. (**فهذه درجات**) أربعة (**متفاوتة**) لا تخفى على متأملها، (**فكذلك**) أي إذا فهمت تلك الدرجات فاعلم أن (**العبادة**) كذلك (**صورة صورها**) صاحب (**الشرع**) ﷺ (**تعبدنا باكتسابها**) وتحصيلها (**فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كما سيأتي**) قريباً في الباب الذي يليه.

(**ونحن الآن في**) ذكر (**أجزائها**) وفي نسخة: آدابها الظاهرة، (**فالركوع والسجود والقيام وسائر الأركان**) المذكورة (**تجري منها مجرى القلب والرأس والكبد إذ يفوت وجود الصلاة بفواتها**) ولا تنجبر بسجود ولا غيره إلا أن تتدارك. (**والسنن التي ذكرناها**) القولية والفعلية (**من رفع اليدين**) في المواطن الثلاثة (**ودعاء الاستفتاح والتشهد الأول**) منها (**تجري منها مجرى اليدين والعينين والرجلين، لا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الأعضاء، ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوّه الخلقة**) أي قبيحها (**مذموماً**) تنبو عنه العيون (**غير مرغوب فيه، فكذلك من اقتصر على أقل ما يجزىء من الصلاة**) من غير مراعاة سننها (**كمن أهدى إلى ملك من الملوك عبداً حياً**) كذا في النسخ. وفي بعضها حسناً وهو الصواب إذ لا معنى لوصفه بالحياة هنا، لكنه (**مقطوع الأطراف**) اليدين والرجلين والأنف والأذن.

(**وأما الهيئات وهي ما وراء السنن فتجري مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والأهداب وحسن اللون**) أي صفائه ولمعانه.

(**وأما وظائف الأذكار**) وفي بعض النسخ: وأما لطائف الأذكار، وفي أخرى الآداب بدل

كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها، فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب بها إلى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين إليهم. وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل. ثم ترد عليك يوم العرض الأكبر، فإليك الخيرة في تحسين صورتها وتقبيحها، فإن أحسنت فلنفسك وإن أسأت فعليها. ولا ينبغي أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من أوصاف السنّة إلا أنه يجوز تركها فتتركها، فإن ذلك يضاهي قول الطبيب: إن فقء العين لا يبطل وجود الإنسان، ولكن يخرجه عن أن يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان إذا أخرجه في معرض الهدية، فهكذا ينبغي أن تفهم مراتب السنن والهيئات والآداب، فكل صلاة لم يتم الإنسان ركوعها وسجودها فهي الخصم الأول على صاحبها تقول: ضيعك الله كما ضيعتني. فطالع الأخبار التي أوردناه في كمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها.

الاذكار **(في تلك السنن فهي مكملات للحسن)** ومتممات **(كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها، فالصلاة عندك)** يا إنسان **(قربة)** علية **(وتحفة)** سنية **(تتقرب بها إلى حضرة الملك)** وفي نسخة: ملك الملوك **(كوصيفة)** أي جارية حسناء موصوفة بالجمال **(يهديها طالب القربة)** أي المتقرب **(من السلطان إليه)**. وفي بعض النسخ: من السلاطين إليهم. **(وهذه التحفة)** التي هي الصلاة **(تعرض على الله عز وجل، ثم ترد عليك يوم العرض الأكبر)**، إذ أول ما يقع السؤال في العبادات عنها، **(فإليك الخيرة)** أي الاختيار **(في تحسين صورتها)** بتكميل سننها وآدابها **(أو تقبيحها)** بترك ذلك، **(فإن أحسنت فلنفسك)** يعود أثر الإحسان، **(وإن أسأت فعليها)** وبال الإساءة. **(ولا ينبغي أن يكون حظك)** أيها الفقيه **(من ممارسة)** كتب **(الفقه)** الاقتصار على **(أن تتميز لك السنّة عن الفرض)** هذا فرض ثبت بالدلائل المتواترة. هذه سنة ثبتت من طريق الآحاد، **(فلا يعلق بفهمك من أوصاف السنّة)** ومحاسنها **(إلا أنه يجوز تركها)** ولا عقاب في ذلك **(فتتركها)** نظراً إلى ذلك. **(فإن ذلك يضاهي)** أي يشبه **(قول الطبيب: إنَّ فقءَ العين)** أي بخصها وتعويرها **(لا يبطل وجود الإنسان)** من أصله ولكن يخرجه عن حيز **(أن يصدق رجاء المتقرب)** أي أمله **(في قبول السلطان إذا أخرجه)** إليه **(في معرض الهدية)** إذا علمت ذلك. **(فهكذا)** أي على هذا المثال **(تفهم مراتب السنن والهيئات)** التابعة لها **(والآداب)** المذكورة فيها. **(فكل صلاة لا يتم الإنسان ركوعها وسجودها فهي)** إلى العقوبة أسرع، بل تكون **(الخصم الأوّل)** من خصومه المتعددين من كل صنف **(على صاحبها، وتقول)** بلسان حالها: **(ضيّعك الله كما ضيعتني)**.

وقد أخرج الطبراني في الأوسط من حديث أنس رفعه: « من صلى الصلوات لوقتها وأسبغ لها

الباب الثالث

في الشروط الباطنة من أعمال القلب:

ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب، ثم لنذكر المعاني الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها، ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كل ركن من أركان الصلاة لتكون صالحة لزاد الآخرة.

بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب:

وضوءها وأتمّ لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها خرجت وهي بيضاء مسفرة تقول: حفظك الله كما حفظتني، ومن صلّى الصلوات لغير وقتها ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها خرجت وهي سوداء مظلمة تقول: ضيعك الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه». **(فطالع الأخبار)** والأحاديث الواردة **(التي أوردناها في إكمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها)** وبالله التوفيق.

الباب الثالث

في الشروط الباطنة من أعمال القلب

التي تتوقف الصلاة عليها **(ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب)**، والظاهر من سياقه أن الخشوع غير حضور القلب، ومنهم من جعلهما مترادفين كما سيأتي تحقيقه، **(ثم لنذكر المعاني الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها، ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كل ركن من أركان الصلاة)** على الترتيب من أوّل الصلاة إلى آخرها، **(لتكون صالحة لزاد الآخرة)** أي تصلح أن يتزوّد بها مريد الآخرة في سفره إلى الله تعالى.

بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب

اعلم أن الاشتراط هو جعل الشيء شرطاً، والشرط هو تعليق شيء بشيء بحيث إذا وجد الأوّل وجد الثاني، واختلفوا في الخشوع فأكثر العلماء جعلوه من سنن الصلاة، وعليه مشى الرافعي والنووي وغالب الأصحاب، وجعله أبو طالب المكي وغيره من العارفين شرطاً في الصلاة، ووافقهم المصنف على ذلك كما هو صريح سياقه في هذا الكتاب. وهذا القدر قد فهموه من الكتاب والسنّة فرجحوا اشتراطه فيها، ثم اختلفوا في الخشوع ماذا؟ فقال جماعة من السلف: الخشوع في الصلاة السكون فيها. وقال البغوي في شرح السنة: الخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والخشوع فيه وفي البصر والصوت، وقال غيره: الخشوع الانقياد للحق، وقيل:

اعلم أن أدلة ذلك كثيرة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤] وظاهر الأمر الوجوب، والغفلة تضاد الذكر، فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيماً للصلاة لذكره؟ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] نهي وظاهره التحريم. وقوله عز وجل: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾

هو الخوف الدائم في القلب، وقال أبو البقاء: هو الذل والتضاؤل والتواضع لله بالقلب والجوارح، فقد اختلفت عباراتهم فيه. ومن ذلك منشأ اختلافهم هل هو من أعمال القلب أو من أعمال الجوارح، وقد جزم غير واحد من الأئمة أنه من أعمال القلب، ففي شرح المهذب روى البيهقي بسنده عن علي قال: الخشوع في القلب فإذا كان كذلك، فمعنى خشوعه حضوره بخشية، فيكون مع حضور القلب مترادفاً. وقال الجلال السيوطي في الينبوع: اختلفوا في الخشوع هل هو من أعمال القلب كالخوف أو من أعمال الجوارح كالسكون أو هو عبارة عن المجموع، وقال الرازي: الثالث أولى اهـ.

(اعلم أن أدلة ذلك) أي اشتراط الخشوع في الصلاة **(كثيرة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لذكري﴾)** [طه: ١٤] بإضافة الذكر إلى ياء المتكلم وهي القراءة المشهورة أي: لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار أو لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها، أو لتذكرني خاصة لا تشوبه بذكر غيري، أو لتكون لي ذاكراً غير ناس. كذا في المدارك، **(وظاهر الأمر)** يقتضي **(الوجوب)** أي يجب إقامة الصلاة أي إدامتها لذكر الله تعالى، ثم ان الأمر في الآية لموسى عليه السلام، فنبه نبينا ﷺ بتلاوة هذه الآية ان هذا شرع لنا أيضاً، **(والغفلة)** هي فقد الشعور عما حقه أن يشعر به، أو هي الذهول عن الشيء، أو هي سهو يعترى من قلة التحفظ والتيقظ، أو هي متابعة النفس على ما تشتهيه وبكل معانيها **(تضاد الذكر)** سواء كان قلبياً أو لسانياً، **(فمن غفل في جميع صلاته)** من أول التكبيرة إلى أن يسلم **(كيف يكون مقيماً للصلاة لذكره)** عز وجل؟ وهذا ظاهر. وقرأ ابن شهاب للذكرى وهو مصدر بمعنى التذكر، والمعنى إذا نسي صلاة فليصلّها إذا ذكرها كما ورد هكذا في الخبر، وحملوا الآية عليه. لكن لا يصلح أن يكون دليلاً لما هو المصنف بصدده. وقال بعض أئمة اللغة: الذكرى كثرة الذكر وهو أبلغ من الذكر.

(وقوله تعالى): ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال **(ولا تكن من الغافلين)**﴾ [الأعراف: ٢٠٥] هو **(نهي)** لأن الله تعالى أمره بذكره مصحوباً بالتضرع والخوف والاسرار في طرفي النهار، ثم نهاه عن الغفلة عن هذا الذكر. **(وظاهره)** يقتضي **(التحريم)** أي بأن الغفلة عن ذكر الله تعالى حرام، ولذا قال ابن مسعود: ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين، فجعل الغافل عن ذكر الله مدبراً فاراً. وهذه الآية نص في المراد.

(وقوله عز وجل): ﴿ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى **(حتى تعلموا ما تقولون)**﴾

[النساء : ٤٣] تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا ، وقوله ﷺ : « إنما الصلاة تمسكن وتواضع » . حصر بالألف واللام ، وكلمة « إنما » للتحقيق والتوكيد ، وقد فهم الفقهاء من قوله عليه

[النساء : ٤٣] قيل : سكارى من حب الدنيا ، وقيل : من الاهتمام . فقوله : ﴿حتى تعلموا﴾ **(تعليل لنهي السكران)** عن قربان حضرة الصلاة التي هي مناجاة **(وهو مطرد في الغافل)** الساهي **(المستغرق الهمّ بالوسواس)** . وفي نسخة : بالوساوس **(وأفكار الدنيا)** الشاغلة ، فإن مستغرق الهم كذلك بمنزلة السكران بجامع أن كلاً منهما يصرف عن التيقظ فيما شأنه أن يتيقظ فيه .

وقد استدل صاحب القوت بهذه الآيات الثلاثة على اثبات المطلوب ، وتبعه المصنف فيما ذكره مع زيادة إيضاح وبيان . وزاد صاحب القوت فقال : وقال الله تعالى : ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ [المعارج ٢٣] قال : ومن الدوام في الصلاة السكون فيها . وقال أيضاً : قيل الدوام فيها الطمأنينة ، ويقال : ماء دائم إذا كان ساكناً . **قلت :** ومنه حديث النهي عن البول في الماء الدائم ، وجاء في بعض رواياته زيادة : الذي لا يجري ، وهكذا هو شأن الساكن . وقال الله تعالى وهو أصدق القائلين في صفات أوليائه المؤمنين : ﴿قد أفلح المؤمنون ★ الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون : ١و٢] فمدحهم بالصلاة كما ذكرهم بالايمان ، ثم مدح صلاتهم بالخشوع كما افتتح بالصلاة أوصافهم ، ثم قال في آخرها : ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ [المؤمنون : ٩] فختم بها نعوتهم . وقال في نعت عباده المصلين الذين استثناهم من الجزوعين من المصائب والفقر المنوعين للمال والخير إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ، ثم نسق النعوت وقال في آخرها : ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ [المعارج : ٣٤] فلولا أنها أحب الأعمال إليه ما جعلها مفتاح صفات أحبابه وختامها ، ولما وصفهم بالدوام والمحافظة عليها مدحهم بالخشوع فيها ، والخشوع هو انكسار القلب وإخباته وتواضعه وذلته ، ثم لين الجانب في كف الجوارح وحسن سمت وإقبال والمداومة والمواظبة عليها ، وسكون القلب والجوارح فيها ، والمحافظة : هو حضور القلب وإصغاؤه وصفاء الفهم وافراده في مراعاة الأوقات وإكمال طهارة الأدوات . ثم قال تعالى في عاقبة المصلين : ﴿أولئك هم الوارثون ★ الذين يرثون الفردوس﴾ [المؤمنون : ١٠ ، ١١] فجعل أول عطائهم الفلاح وهو الظفر والبقاء وآخره الفردوس وهو خير المستقر والمأوى .

ثم لما فرغ المصنف من الاستدلال بالآيات شرع في الاستدلال بالسنّة فقال : **(وقوله ﷺ : « إنما الصلاة تمسكن وتواضع »)** إلى آخر الحديث . وقد تقدم تخريجه قريباً . وهكذا أورده صاحب القوت . زاد المصنف فقال : **(حصر بالألف واللام)** أي في قوله : « إنما الصلاة » **(وكلمة « إنما »)** فيه **(للتحقيق والتوكيد)** وإفادة « إنما » الحصر قد ذكره ابن دقيق العيد وغيره . وقال : إن ابن عباس فهمه من حديث : « إنما الربا في النسيئة » ولم يعارض في فهمه الحصر ، بل عورض بحديث أبي سعيد : « لا تبيعوا الذهب بالذهب إلاَّ مثلاً بمثل ولا تشفوا

السلام: « إنما الشفعة فيما لم يقسم » الحصر والإثبات والنفي. وقوله ﷺ: « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلاَّ بُعداً ». وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر. وقال ﷺ: « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب » وما أراد به إلا الغافل. وقال ﷺ: « ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها ». والتحقيق فيه

بعضها على بعض ». وقد روى الترمذي في جامعه، عن ابن عباس جواز التفاضل ثم قال: وقد روي عن ابن عباس أنه رجع عن قوله حين حدثه أبو سعيد مرفوعاً. وقال ابن أبي شريف في حاشيته على جمع الجوامع. وقد ذهب إمام الحرمين، والقاضي أبو الطيب إلى افادة: « إنما » الحصر مع احتمالها لتأكيد الإثبات. قال: وهذا هو مختار الغزالي. **(وقد فهم الفقهاء من قوله عليه** الصلاة و **(السلام: « إنما الشفعة فيما لم يقسم »)** فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة، **(الحصر والاثبات والنفي)** وفي بعض النسخ: الحصر بين الاثبات والنفي.

وهذا الحديث أغفله العراقي، ولفظه عند البخاري من طريق أبي سلمة عن جابر: « إنما جعل رسول الله ﷺ الشفعة فيما لم يقسم » الحديث. ولمسلم نحوه بمعناه من طريق أبي الزبير عن جابر، ورواه الشافعي عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج، عن أبي الزبير عن جابر بلفظ: « الشفعة في كل ما لم يقسم فإذا وقعت الحدود فلا شفعة ». ورواه مالك عن الزهري عن ابن المسيب مرسلاً وهو هكذا في الموطأ.

(وقوله ﷺ: « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده) وفي رواية القوت: لم يزدد **(من الله إلاّ بُعداً)** أي من رحمة الله تعالى. **(و)** لا يخفى أن **(صلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء)** والمنكر، وتقدم الكلام على تخريج هذا الحديث. وأخرج البيهقي عن الحسن مرسلاً « من صلّى صلاة فلم تأمره بالمعروف ولم تنهه عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلاّ بُعداً ».

(وقال ﷺ: « كم من قائم حظه من صلاته) وفي نسخة: من قيامه **(التعب والنصب »)** قال العراقي: أخرج النسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة: « رب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » ولأحمد: « رب قائم حظه من صلاته السهر » وإسناده حسن اهـ.

قلت: لفظ ابن ماجه: « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » والرواية الثانية التي عزاها لأحمد، هكذا رواه الحاكم والبيهقي، وأخرجه الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر بلفظ: « رب قائم حظه من قيامه السهر ورب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش » قال المناوي: المراد بالقائم المتهجد في الأسحار، والمعنى لا ثواب له فيه لفقد شرط حصوله وهو الإخلاص أو الخشوع إذ المرء لا يثاب إلا على عمله بقلبه، وأما الفرض فيسقط والذمة تبرأ بعمل الجوارح، فلا يعاقب عقاب تلك العبادة بل يعاتب أشد عتاب حيث لم يرغب فيما عند ربه من الثواب. **(وما أراد به)** أي بهذا القائم **(إلا الغافل)** فإنه يقوم الليل يصلي من غير خشوع.

أن المصلي مناج ربه عز وجل، كما ورد به الخبر، والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة ألبتة، وبيانه أن الزكاة إن غفل الإنسان عنها مثلاً فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس، وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذي هو آلة للشيطان عدوّ الله، فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة، وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة،

(وقال ﷺ: « ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل ») هكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: لم أجده مرفوعاً. وروى محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة له من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسلاً: « لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يحضر قلبه مع بدنه ». ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب، ولابن المبارك في الزهد موقوفاً على عمار « لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه ».

قلت: ومن أدلة اشتراط الخشوع في الصلاة ما رواه الديلمي عن أبي سعيد رفعه: « لا صلاة لمن لا يخشع في صلاته ». وأخرج أيضاً عن ابن مسعود رفعه: « لا صلاة لمن لا يطع الصلاة وطاعة الله أن تنهى عن الفحشاء والمنكر ».

(والتحقيق فيه أن المصلي مناج ربه عز وجل كما ورد به الخبر) . قال البخاري: حدثنا مسلم بن ابراهيم، حدثنا هشام، عن قتادة، عن أنس قال النبي ﷺ: « إن أحدكم إذا صلى يناجي ربه عز وجل فلا يتفلن عن يمينه ولكن تحت قدمه اليسرى ».

حدثنا حفص بن عمر، حدثنا يزيد بن ابراهيم، حدثنا قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: « اعتدلوا في السجود ولا يبسط أحدكم ذراعيه كالكلب وإذا بزق فلا يبزقن بين يديه ولا عن يمينه فإنه يناجي ربه » وأخرجه مسلم كذلك من حديث أنس.

(والكلام) الصادر منه **(مع)** وجود صفة **(الغفلة)** والذهول عن معرفة ذلك الكلام **(ليس بمناجاة البتة)**، والمناجاة المخاطبة والمساررة. قال المناوي: ومناجاته لربه من جهة إتيانه بالذكر والقراءة، ومناجاة ربه له من جهة لازم ذلك وهو إرادة الخير مجازاً. وفي الحديث إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون قلب المصلي فارغاً عن غير ذكر الله تعالى. **(وبيانه أن الزكاة)** التي هي اخراج المال عند استكمال نصابه وحولان الحول عليه للمستحقين **(إن غفل الإنسان عنها مثلاً)** أي عن إخراج ما فرض عليه، **(فهي في نفسها مخالفة للشهوة)** وهي القوة التي بها ينزع إلى الشيء ولا يتمالك عنه **(شديدة على النفس)** لأن النفس مجبولة على جمع المال وعدم نقصانه في الظاهر. **(وكذا الصوم)** وهو الإمساك عن مشتهيات النفس **(قاهر للقوى)** النفسية **(كاسر لسطوة الهوى)** أي ميل النفس إلى اللذائذ **(الذي هو آلة للشيطان عدوّ الله)** وحبالة لصيده، **(فلا يبعد أن يحصل منها)** أي من الزكاة والصوم **(مقصود مع)** وجود **(الغفلة، وكذلك الحج)** إلى بيت الله الحرام **(أفعاله شاقة شديدة)** من مفارقة الأهل والأوطان وبذل الأموال والتعري عن الملابس والسفر الطويل وغير ذلك، **(وفيه من**

وفيه من المجاهدة ما يحصل به الإيلام كان القلب حاضراً مع أفعاله أو لم يكن؟ أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود، فأما الذكر فإنه محاورة ومناجاة مع الله عز وجل فإما أن يكون المقصود منه كونه خطاباً ومحاورة أو المقصود منه الحروف والأصوات امتحاناً للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالإمساك في الصوم، وكما يمتحن البدن بمشاق الحج، ويمتحن القلب بمشقة إخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق. ولا شك أن هذا القسم باطل فإن تحريك اللسان بالهذيان ما أخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث أنه عمل، بل المقصود الحروف من حيث أنه نطق، ولا يكون نطقاً إلا إذا أعرب عما في الضمير ولا يكون معرباً إلا بحضور القلب، فأي سؤال في قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦]، إذا كان القلب

المجاهدة) والمكابدة **(ما يحصل به الإيلام)** والاتعاب للبدن، وفي نسخة: الابتلاء بدل الإيلام **(كان القلب حاضراً مع فعله أو لم يكن؟ أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود)**. وبعض ذلك يخالف العادة المألوفة، **(فأما الذكر فإنه محاورة)** أي مراجعة **(ومناجاة)** أي مساررة **(مع الله عز وجل)** وهو لا يخلو **(فإما أن يكون المقصود منه كونه خطاباً ومحاورة، أو المقصود منه الحروف والأصوات امتحاناً للسان بالعمل)** من غير أن يكون اللسان معبراً عما في القلب، **(كما تمتحن المعدة)** بفتح الميم وكسر العين، وقد تكسر الميم وهي مقر الطعام والشراب، **(والفرج بالإمساك)** عن كل من ملذاتها في الصوم، **(وكما يمتحن البدن بمشاق الحج)** أي شدائده، **(ويمتحن القلب بمشقة إخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق)** أي المحبوب إليه، والعشق: فرط المحبة. **(ولا شك أن هذا القسم باطل فإن تحريك اللسان بالهذيان)** بالتحريك هو خلط الكلام والتكلم بما لا ينبغي **(ما أخفه على الغافل)** وما أسرعه إليه، **(فليس فيه امتحان من حيث أنه عمل، وليس المقصود النطق بالحروف من حيث أنه نطق لكن لكونه نطقاً نافعاً)**.

اعلم أن أصل النطق هي الأصوات المقطعة التي يظهرها الإنسان وتعيها الآذان، وهذه أول مراتبها. وله مرتبة ثانية وهي تمكن النفس الإنسانية من العبارة في الصور المجردة المنغرزة في علمه المنفردة في عقله المبرأة عن الأشكال المعراة عن الأجسام، والمثال فيه تتصوّر حقائق الأشياء بأعيانها وذواتها المجردة في مرآة القلب وتقدر النفس على العبارة عنها، ويتمكن الذهن من التفكر فيها، ويحيط العقل بباطنها وظاهرها. وإليه أشار المصنف بقوله: **(ولا يكون نطقاً نافعاً إلا إذا أعرب عما في الضمير)** أي القلب **(ولا يكون معرباً)** كذلك **(إلا بحضور القلب)** وفراغه من الشواغل وتمكن الذهن بأسراره وإحاطة العقل بباطنه وظاهره، **(فأي سؤال في قوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إذا كان القلب غافلاً)** عن معنى الصراط

غافلاً ؟ وإذا لم يقصد كونه تضرعاً ودعاء فأي مشقة في تحريك اللسان به مع الغفلة لا سيما بعد الاعتياد ؟ هذا حكم الأذكار ، بل أقول : لو حلف الإنسان وقال : لأشكرن فلاناً وأثني عليه وأسأله حاجة ، ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه في النوم لم يبر في يمينه ، ولو جرت على لسانه في ظلمة وذلك الإنسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير باراً في يمينه إذ لا يكون كلامه خطاباً ونطقاً معه ما لم يكن هو حاضراً في قلبه ، فلو كانت تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الأفكار ، ولم يكن له قصد توجيه الخطاب إليه عند نطقه لم يصر باراً في يمينه ، ولا شك في أن المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله عز وجل وقلبه بحجاب

والاستقامة ، ثم الهداية له . (**وإذا لم يقصد كونه تضرعاً ودعاء فأي مشقة**) وفي نسخة : منفعة (**في حركة اللسان به مع الغفلة لا سيما بعد الاعتياد ؟**) أي بعد ما تعوّد عليه . (**هذا حكم الأذكار**) . ثم زاد الكلام إيضاحاً بقوله : (**بل أقول : لو حلف الإنسان وقال**) : والله (**لأشكرن فلاناً**) على جميله ومعروفه (**وأثني عليه**) بما أسداه إليَّ (**وأسأله حاجة**) دنيوية أو دينية ، وأشار بذلك إلى الفاتحة فإنها متضمنة على الحمد والشكر والثناء والطلب والدعاء . (**ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه**) وهو (**في النوم لم يبر في يمينه**) وهذا ظاهر ، (**ولو جرت**) تلك الألفاظ (**على لسانه في ظلمة**) وفي نسخة : في ظلمة الليل (**وذلك الإنسان**) الذي قصده بالخطاب (**حاضر**) قريب منه (**وهو لا يعرف حضوره**) وقربه (**ولا يراه**) لتمكن الظلمة بينه وبينه (**لا يصير باراً في يمينه**) ، كذلك (**إذ لا يكون كلامه خطاباً ونطقاً معه ما لم يكن هو**) أي المخاطب بالفتح (**حاضراً في قلبه**) حضوراً علمياً ، (**ولو جرت هذه الكلمات على لسانه وهو**) أي المخاطب (**حاضر**) عنده (**إلا أنه في بياض النهار**) بحيث يراه عياناً (**غافل عنه لكونه مستغرق الهمّ**) أي استولى عليه وصف الاهتمام (**بفكر من الأفكار**) الصارفة عنه ، (**ولم يكن له قصد توجيه الخطاب إليه عند نطقه**) لصور تلك الحروف والكلمات (**لم يصر باراً في يمينه**) . فهذه مراتب ثلاثة ضرب فيها المثل للمصلي إذا قام بين يدي الله عز وجل يناجيه ويخاطبه ويحاوره ، فينطق بلسانه كلمات الفاتحة المتضمنة لما ذكر من الثناء والدعاء ، وهو في مراتبه الثلاثة غير مؤد ما افترض الله عليه لا في حالة غفلته ، ولا عند عدم حضور قلبه ، ولا عند عدم القصد في الخطاب . والغفلة : ضد للنطق النافع المعرب عما في القلب .

(**ولا شك في أن المقصود من القراءة والأذكار**) التناجي بكل من (**الحمد والثناء**) لله عز وجل ، (**والتضرع**) إليه بغاية الاستكانة ، (**والدعاء**) أي الطلب منه ، وهذه كلها موجودة في الفاتحة ، (**والمخاطب**) بذلك (**هو الله عز وجل وقلبه**) أي المخاطب بالكسر (**بحجاب**

الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة، فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الإيمان به. هذا حكم القراءة والذكر. وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل إلى إنكارها في النطق وتمييزها عن الفعل.

وأما الركوع والسجود، فالمقصود بهما التعظيم قطعاً ولو جاز أن يكون معظماً لله عز وجل يفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظماً لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه، أو يكون معظماً للحائط الذي بين يديه وهو غافل عنه، وإذا خرج عن كونه تعظيماً لم يبقَ إلا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به، ثم يجعله عماد الدين، والفاصل بين الكفر والإسلام، ويقدم على الحج وسائر

الغفلة محجوب عنه) أي عن جلاله وكبريائه وعظمته، **(فلا يراه ولا يشاهده)**. والمراد بالرؤية والمشاهدة هنا هو معرفته بأسمائه وصفاته وفيها تتفاوت المراتب، فليس من يعلم أنه عالم قادر على الجملة كمن شاهد عجائب آياته في ملكوت السماء والأرض، واستغرق في دقائق الحكمة، واستوفى لطائف التدبير. وأما على سبيل الحقيقة فلا يهتز أحد لنيله إلاّ ردته سبحات الجلال إلى الحيرة، ولا يشرئب أحد لملاحظته إلاّ غطّى الدّهش طرفه، **(بل هو غافل عن المخاطب)** بما حجب به عنه **(ولسانه يتحرك)** بتلك الألفاظ **(بحكم العادة)** لا بسرّ العبادة، **(فما أبعد هذا عن)** القبول وعن حصول **(المقصود بالصلاة التي شرعت لتصقيل القلب)** وجلائه عن الكدورات النفسية والظلمات الوهمية، **(وتجديد ذكر الله عز وجل ورسوخ عقد الإيمان به)!** وفي نسخة بذلك، دل على ذلك الحديث الذي تقدم ذكره: «إنما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله تعالى». أي، فإذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغي عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك؟ كذا في القوت: **(هذا حكم)** وفي نسخة: فهذه أحكام **(القراءة والذكر، وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل إلى إنكارها في النطق وتمييزها عن الفعل.**

وأما الركوع والسجود؛ فالمقصود بهما التعظيم) للمعبود **(قطعاً ولو جاز أن يكون معظماً لله تعالى بفعله وهو غافل عنه)** أي: لو جاز تعظيم المعبود مع بقاء صفة الغفلة فيه **(لجاز أن يكون معظماً لصنم موضوع)** بحائط **(بين يديه وهو غافل عنه، أو يكون معظماً للحائط الذي بين يديه وهو غافل عنه، وإذا خرج عن كونه تعظيماً)** لتمكن الذهول منه **(لم يبق إلا مجرد حركة الظهر)** بإحنائه في الركوع **(والرأس)** بوضعه على الأرض في السجود، **(وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به)**، ومجرد مخالفتها للعادة لا يثبت أن يكون ذلك عبادة، **(ثم يجعله)** أي مجموع ذلك **(عماد الدين)**. أشار به إلى الحديث الذي تقدم ذكره: «الصلاة عماد الدين». ويجعله أيضاً **(الفاصل بين الكفر والإسلام)** أشار به إلى

العبادات، ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص، وما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف إليها مقصود المناجاة، فإن ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره، بل الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة للنفس

حديث جابر الذي أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة». وفي رواية لمسلم: إن بين الرجل، وذكر الكفر بعد الشرك من باب عطف العام على الخاص إذ الشرك نوع من الكفر وكرر «بين» تأكيداً، **(ويقدم على الحج وسائر العبادات)** حتى في الذكر والترتيب، **(ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص)** ولو صلاة واحدة حداً، وقيل كفراً. هكذا نقله أصحابنا عن الشافعي. قال ابن هبيرة في الإفصاح: أجمعوا على أن تارك الصلاة الجاحد لوجوبها كافر يجب قتله ردّة، واختلفوا فيمن تركها ولم يصلّ تهاوناً وهو معتقد لوجوبها، فقال مالك والشافعي: يقتل إجماعاً منهم، وقال أبو حنيفة يحبس أبداً حتى يصلي من غير قتل. ثم اختلف موجبو قتله فقال مالك: حداً، وقال ابن حبيب من أصحابه: يقتل كفراً، ولم تختلف الرواية عن مالك أنه يقتل بالسيف، وإذا قتل حداً على المستقر من مذهب مالك، فإنه يورث ويصلّى عليه، وله حكم أموات المسلمين وقال الشافعي: حداً وحكمه حكم أموات المسلمين، واختلف أصحابه متى يقتل، فقال أبو علي بن أبي هريرة: ظاهر كلام الشافعي أنه يقتل إذا ضاق وقت الأدلة. وهكذا ذكر صاحب الحاوي، وقال أبو سعيد الاصطخري: يقتل بين الصلاة الرابعة مع ضيق وقتها. وقال أبو إسحاق الاسفرايني: بترك الصلاة الثانية إذا ضاق وقتها ويستتاب قبل القتل، واختلفوا أيضاً كيف يقتل؟ فقال أبو إسحاق الشيرازي: المنصوص أنه يقتل ضرباً بالسيف، إلا أن ابن سريج قال: لا يقتل بالسيف، ولكن ينخس به أو يضرب بالخشب حتى يصلي أو يموت. وقال أحمد: من ترك الصلاة كسلاً وتهاوناً وهو غير جاحد لوجوبها فإنه يقتل رواية واحدة عنه، وأما متى يجب قتله؟ ففيه ثلاث روايات. الأولى: بترك صلاة واحدة وتضايق وقت الثانية وهي اختيار أكثر أصحابه، والثانية: بترك ثلاث صلوات متواليات وتضايق وقت الرابعة. والثالثة: أنه يدعى إليها ثلاثة أيام فإن صلّى وإلا قتل. رواه المروزي واختارها الخرقي، ويقتل بالسيف رواية واحدة واختلف عنه هل وجب قتله حداً أو كفراً؟ على روايتين. إحداهما: أنه لكفره كالمرتد وتجري عليه أحكام المرتدين وهي اختيار جمهور أصحابه. وأخرى حداً وحكمه حكم أموات المسلمين وهي اختيار أبي عبدالله بن بطة اهـ.

قلت: وعند أصحابنا رواية أخرى أنه يضرب حتى يسيل منه، وعلّلوا الحبس بأنه يحبس لحق العبد فحق الحق أحق.

ثم قال المصنف: **(ما أرى أن هذه العظمة)** أي التعظيم **(للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلاّ أن يضاف إليها مقصود المناجاة فإذ ذاك تتقدم على الصوم والزكاة والحج**

بتنقيص المال. قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُها وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] أي الصفة التي استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هي المطلوبة، فكيف الأمر في الصلاة ولا أرب في أفعالها؟ فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب.

فإن قلت: إن حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطاً في صحتها خالفت إجماع الفقهاء فإنهم لم يشترطوا إلا حضور القلب عند التكبير؟ فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم: أن الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا في

وغيرها). وفي بعض النسخ: وغيرهما، وبإسقاط ذكر الحج. وفي بعضها: وغيره (**بل**) تتقدم حينئذ أيضاً على (**الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة للنفس بتنقيص الملك**)، والضحايا: جمع ضحية كعشية معروف، والقرابين: جمع قربان بالضم هو ما يتقرب به إلى الله من الذبائح. قال الله تعالى: ﴿**لن ينال الله**﴾ أي لن يصل إليه (﴿**لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم**﴾) [الحج: ٣٧] هو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة (**أي الصفة التي استولت على القلب**) وغمرته (**حتى حملته على امتثال الأوامر**) في الذبح وغيره، وتلك الصفة هي الخوف من الله والتحرز بطاعة الله (**هي المطلوبة**) أي تلك الصفة هي المقبولة عند الله، (**فكيف الأمر في الصلاة ولا أرب**) أي لا حاجة (**في أفعالها؟ فهذا**) الذي ذكرناه فيه (**ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب**) فيها.

(**فإن قلت: إن حكمت ببطلان الصلاة جعلت حضور القلب شرطاً في صحتها**) إذ لا محالة انعدام المشروط بانعدام الشرط (**خالفت إجماع الفقهاء**) من المذاهب المتبوعة، (**فإنهم لم يشترطوا**) في صحتها (**إلا حضور القلب عند التكبير**) الأول؟ فإذا حدث شيء بعد ذلك من الغفلة الطارئة في أفعالها فالعبد معذور والصلاة صحيحة والفرض عنه ساقط.

قلت: أولاً: دعوى الإجماع ممنوعة لمخالفة سفيان وغيره في ذلك كما سيأتي، وثانياً: كلام الفقهاء على ظاهر الشرع وكلام سفيان على باطنه فافترقا، وثالثاً: كلام الفقهاء محمول على حصول أصل الصحة وكلام سفيان وغيره محمول على نفي الكمال. رابعاً: سلمنا أن الفقهاء صححوها بما أدى إليه علمهم بمقتضيات أقوال أئمتهم، فهلا يأخذ المصلي بالاحتياط ليذوق لذة المناجاة، فالتقوى غير الفتوى؟

وقد أشار إلى ذلك كله المصنف فقال: (**فاعلم أنه قد تقدم في كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون في**) وفي بعض النسخ: لا ينظرون إلى (**الباطن ولا يشقون على القلوب**) وفي نسخة. ولا مطلع لهم على ما في القلوب (**ولا في طريق الآخرة**) وقد أشار بقوله: ولا يشقون على القلوب إلى حديث جندب البجلي «هلا شققت عن قلبه فنظرت أصادق هو أم كاذب»

طريق الآخرة، بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان. فأما أنه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعي الاجماع، فقد نقل عن بشر بن الحرث فيما رواه عنه أبو طالب المكي عن سفيان الثوري أنه قال: من لم يخشع فسدت صلاته. وروي عن الحسن أنه قال: كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع. وعن معاذ بن جبل: من عرف من على يمينه وشماله متعمداً وهو في الصلاة فلا صلاة له. وروي أيضاً

رواه العقيلي، والطبراني في الكبير، والضياء في المختارة. **(بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح، وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل وتعزيز السلطان)**، وإليه يلحظ قول الإمام أحمد في الكافر إذا صلى حكم بإسلامه مطلقاً سواء صلى جماعة أو منفرداً في المسجد أو غيره في دار الإسلام أو غيرها، فهذا فيه سعة مع ما تقدم من القول بأن التارك للصلاة مع إذعانه لوجوبها يقتل، وقال مالك والشافعي: لا يحكم بإسلامه بمجرد أن صلى إلا أن الشافعي استثنى دار الحرب فقال: إن صلى فيها حكم بإسلامه. وقال مالك: إن كانت صلاته حال الطمأنينة حكم بإسلامه، وقال أبو حنيفة: إذا صلى جماعة أو منفرداً في المسجد حكم بإسلامه، ولكن الملحظ في هذه المسألة مع الإمام أحمد وهو الفتوى بظاهر الحال.

(فأما أنه هل ينفع في الآخرة) أم لا؟ **(فليس هذا من حدود الفقه)** ولا من حظ الفقيه، وإنما لسان حاله يقول: أنا أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، **(على أنه لا يمكن أن يدعي الإجماع)** من السادة الفقهاء في هذه المسألة، **(فقد)** وجد لهم مخالف ومنازع لم يسلم لهم ذلك وهم من رؤسائهم وخواصهم، وهو أنه **(نقل عن بشر بن الحرث)** الشهير بالحافي أحد الأقطاب الجامعين بين الشريعة والحقيقة **(فيما رواه عنه الإمام أبو طالب المكي)** في كتابه قوت القلوب في باب وصف صلاة الخاشعين ما نصه: وروينا عن بشر بن الحرث رحمه الله تعالى **(عن سفيان)** بن سعيد **(الثوري)** أحد الفقهاء المتبوعين وقد تقدمت ترجمته في كتاب العلم: **(من لم يخشع فسدت صلاته. وروي عن الحسن)** هو البصري سيد التابعين **(كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع)** منها إلى الثواب. هكذا أورده صاحب القوت في آخر الباب الذي قبل وصف صلاة الخاشعين، وأورده المصنف أيضاً فيما مضى قبل هذا. **(و)** قال أبو طالب: وروينا **(عن معاذ بن جبل)** رضي الله عنه قال: **(من عرف من على يمينه وشماله متعمداً)** أي قصداً من نفسه لمعرفة ذلك **(وهو في الصلاة فلا صلاة له)**. إلا أن نص القوت: وهو في الصلاة متعمداً، وقد أسنده إسماعيل بن أبي زياد.

قلت: هو السكوني قاضي الموصل روى عن ابن جريج ونحوه، وعنه نائل بن نجيح وجماعة، وهو من رجال ابن ماجه وحده كذا في الكاشف للذهبي. وقال صاحب القوت أيضاً: ومن الإقبال على الصلاة أن لا تعرف من على يمينك ولا من على شمالك من حسن القيام بين يدي القائم

مسنداً قال رسول الله ﷺ : « إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ». وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهباً فكيف لا يتمسك به ؟ وقال عبد الواحد بن زيد : أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها ، فجعله إجماعاً . وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين

على كل نفس بما كسبت، وبذلك فسروا قوله تعالى: ﴿والذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون: ٢] وقال سعيد بن جبير: ما عرفت من على يميني ولا من على شمالي في الصلاة منذ أربعين سنة، منذ سمعت ابن عباس يقول: الخشوع في الصلاة أن لا يعرف المصلي من عن يمينه وشماله.

(وروي أيضاً مسنداً قال رسول الله ﷺ : « إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ») . قال العراقي: أخرجه أبو داود ، والنسائي، وابن حبان من حديث عمار بن ياسر بنحوه اهـ.

قلت: وأحمد أيضاً ولفظهم جميعاً « إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها » وفي رواية للنسائي « إن الرجل ليصلي ولعله أن لا يكون له من صلاته إلا عشرها » الخ. وفي رواية له أيضاً « منكم من يصلي الصلاة كاملة، ومنكم من يصلي النصف، والثلث، والربع » الخ. ورجاله رجال الصحيح.

ونص القوت وفي الخبر عن عمار بن ياسر أنه صلى مرة فخففها فقيل له: خففت يا أبا اليقظان. فقال: هل رأيتموني نقصت من حدودها شيئاً ؟ قالوا: لا. قال: إني بادرت سهو الشيطان إن رسـول الله ﷺ قال: « إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل ».

قلت: وقد ظهر بهذا السياق أن الحديث قد تم إلى قوله « ولا عشرها » وما بعده فهو من قول عمار، وسبق للعراقي قريباً أن ابن المبارك أخرج في الزهد موقوفاً على عمار « لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه » وسيأتي للمصنف ذكره ثانياً بتمامه.

(وهذا لو نقل عن غيره ﷺ لجعل مذهباً، فكيف لا يتمسك به؟ وقال عبد الواحد بن زيد) البصري **(أجمعت)** ونص القوت: وقد ذكر عبد الواحد بن زيد أنه إجماع العلماء، وروينا عنه أنه قال: اجمع **(العلماء)** على **(أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها)** وليس في القوت: منها، **(فجعله)** عبد الواحد **(إجماعاً)** من العلماء.

ثم ساق صاحب القوت فقال: وقال رسول الله ﷺ : « من تشعبت به الهموم لم يبال الله في أي أوديتها هلك » وقد كان ابن مسعود يقول: ركعتان من زاهد أفضل من ألف ركعة من راغب في الدنيا. **(وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى)** ويأتي بعض ذلك في آخر الأبواب.

وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى. والحق الرجوع إلى أدلة الشرع والاخبار، والآثار ظاهرة في هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة، فإن ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين، وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مردّ له إلا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة، وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك. ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية، فإنه على الجملة أقدم على الفعل ظاهراً وأحضر القلب لحظة. وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسياً صلاته باطلة عند الله تعالى، ولكن له أجر مّا بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره، ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك، وكيف لا والذي يحضر الخدمة

ومما نقله شارح المنهاج عن القاضي الحسين أنه قال: إذا انتهى بالمصلي مدافعة الأخبثين إلى أن ذهب خشوعه لم تصح صلاته، **(والحق الرجوع)** في ذلك **(إلى أدلة الشرع والأخبار والآيات)** وفي نسخة: والأخبار والآثار أي المنقولة عن رسول الله ﷺ، وعن أصحابه، والتابعين **(ظاهرة)** الثبوت والدلالة **(في هذا الشرط)** الذي هو الخشوع وحضور القلب، **(إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقيد بقدر قصور)** هِمَم. **(الخلق، فلا يمكن أن يشترط على الناس إحضار القلب في جميع الصلاة، فإن ذلك يعجز عنه كل البشر إلا الأقلين)** منهم. وفي نسخة: إلا الأقلون، **(وإذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب)** في جميع محلات الصلاة **(للضرورة)** العامة **(فلا مرد له)** ولا مفر منه **(إلا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الأسم)** أي اسم الحضور أو اسم الخشوع **(ولو في اللحظة الواحدة)** وهو أقل الدرجات، **(وأولى اللحظات به لحظة التكبير)** الأول، **(فاقتصرنا على التكليف بذلك)** وأفتينا به لعامة الناس لأجل تصحيح عباداتهم. **(ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته)** ما عدا التكبير وهو عند الأئمة الثلاثة داخل في الصلاة وروي عن أبي حنيفة أن التكبير الأول خارجها ولذلك زدت ما عدا التكبير **(مثل حال التارك)** للحضور **(بالكلية، فإنه)** أي المستحضر قلبه في أول التكبير **(على الجملة أقدم على الفعل ظاهراً وأحضر القلب لحظة)** فبين حاليهما تفاوت بين **(وكيف لا)** يكون ذلك **(والذي صلى مع الحدث ناسياً صلاته باطلة عند الله تعالى)** إذ لا يتقرب إليه إلا بالطهارة، **(ولكن له أجر ما بحسب فعله)** حيث أنه أقدم على أداء ما أمر به **(وعلى قدر قصوره وعذره)** الذي هو النسيان وعدم الشعور بكونه محدثاً، **(ومع هذا الرجاء)** الذي تقدم **(فنخشى أن يكون حاله)** أي هذا المستحضر قلبه لحظة واحدة **(أشد من حال التارك)** للحضور بالكلية، **(وكيف لا)** يكون أشد **(والذي يحضر)** بساط **(الخدمة ويتهاون بالحضرة)** الإلهية المعدة

ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشد حالاً من الذي يعرض عن الخدمة؟ وإذا تعارضت أسباب الخوف والرجاء وصار الأمر مخطراً في نفسه. فإليك الخيرة بعده في الاحتياط والتساهل. ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة، فإن ذلك من ضرورة الفتوى ـ كما سبق التنبيه عليه ـ ومن عرف سرّ الصلاة علم أن الغفلة تضادها. ولكن قد ذكرنا في باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد: إن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع. فلنقتصر على هذا القدر من البحث، فإن فيه مقنعاً للمريد الطالب لطريق الآخرة، وأما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن، وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وأن أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير. فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في

للمخاطبة والمساررة بعدم الاعتناء بها (**ويتكلم بكلام الغافل**) عن المعاني الذاهل عن أسرار الداني (**المستحقر**) لجلال المخاطب وعظمته (**أشد حالاً**) وأسوأ مآلاً (**من الذي يعرض عن الخدمة**) ولا يحضرها؟ (**وإذا تعارضت أسباب الخوف والرجاء صار الأمر مخطراً في نفسه فإليك الخيرة بعد**) ذلك (**وفي الاحتياط والتساهل**) إما أن تأخذ بالاحتياط فهو الأقوى، وإما أن تأخذ بما صححه الفقهاء فعليه الفتوى، وهذا محط الجواب وفصل الخطاب.

(**ومع هذا**) الذي ذكرناه من التفصيل (**فلا مطمع**) لأحد (**في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة**) أي صحة الصلاة (**مع**) وجود (**الغفلة فإن ذلك ضرورة المفتي**) أي يضطر إليه ولا محيد له عنه (**كما سبق التنبيه عليه**) قريباً. (**و**) بالجملة (**من عرف سر الصلاة**) بأنها مناجاة مع رب الأرباب ولا تتم المناجاة إلا بحضور القلب (**علم أن الغفلة تضادها**) مضادة كلية. (**ولكن قد ذكرنا**) فيما سبق (**في باب الفرق بين العلم الباطن**) والعلم (**الظاهر في كتاب قواعد العقائد**) ما نصه: (**إن قصور**) همم (**الخلق**) وافهامهم عن إدراك المعاني الغريبة (**أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع**) اهـ.

(**فلنقتصر على هذا القدر من البحث فإن فيه**) وإن قل (**مقنعاً**) أي كفاية (**للمريد**) بالإرادة الخالصة عن الشوائب (**الطالب لطريق الآخرة**) المأمور بأن يأخذ من كل علم أحسنه، والمريد في اصطلاح صوفية العجم يطلق على التلميذ، فيقال: هو من مريدي الشيخ الفلاني. (**وأما المجادل المشغب**) الكثير الخصومة (**فلسنا نقصد مخاطبته الآن**) فإن الحال متسع، وصورة وقت المرشد في ضيق لاشتغاله بالأهم فالأهم. (**وحاصل الكلام**) وزبدته (**أن حضور القلب هو روح الصلاة**) وحياتها. (وأن **أقل ما يبقى فيه رمق الروح**) وحركته وانعاشه (**الحضور عند التكبير**) بالقلب. (**فالنقصان عنه هلاك**) الروح (**وبقدر الزيادة**

أجزاء الصلاة، وكم من حي لا حراك به قريب من ميت؟ فصلاة الغافل في جميعها إلاَّ عند التكبير كمثل حي لا حراك به. نسأل الله حسن العون.

بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلاة:

اعلم أن هذه المعاني تكثر العبارات عنها، ولكن يجمعها ست جمل وهي: حضور القلب، والتفهم، والتعظيم، والهيبة، والرجاء، والحياء. فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج في اكتسابها.

أما التفاصيل: فالأول، حضور القلب ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به، فيكون العمل بالفعل والقول مقروناً بهما، ولا يكون الفكر جائلاً

عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة) وتنشرح وتستأنس، (**وكم من حي**) متصف بالحياة (**لا حراك به**) أي لا حركة به (**قريب من ميت**) أي حكمه حكم الميت، (**فصلاة الغافل في جميعها**) أي جميع أجزائها (**إلا عند التكبير**) الأول (**كحي لا حراك به**) نسأل الله حسن العون.

بيان المعاني الباطنة التي بها تتميز حياة الصلاة:

لما ذكر أن الصلاة لها جسد وروح، فالجسد بمنزلة أجزائها الظاهرة التي بها يتم تركيبها، والروح فيها هو حضور القلب وهو أمر معنوي شرع في بيان ما يتميز به ذلك الروح وهي معان باطنة يدق إدراكها فقال: (**اعلم أن هذه المعاني**) المميزة (**تكثر العبارات عنها**) باختلاف الأذواق والمشارب، (**ولكن تجمعها ستة جمل**) مختلفة الحدود والأسباب وما عداها من المعاني راجع إليها بحسب الاستقرار الذوقي (**وهي: حضور القلب**) وهي عمدة الجمل التي عليها تتوارد بقيتها إذ الكل منها يقصد لأجل حصولها، (**و**) الثانية (**التفهم، و**) الثالثة (**التعظيم و**) الرابعة (**الهيبة، و**) الخامسة (**الرجاء، و**) السادسة (**الحياء**). ورتبها على هذا الترتيب لأن كل واحدة منها زائد على التي قبلها ووارد عليها، (**فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها**) المحصلة لها، (**ثم العلاج في اكتسابها**).

(**أما التفاصيل فالأول: حضور القلب**) وقد قلنا: إنه شرط في الصلاة وبمنزلة الروح الساري في أجزائها ونعني به (**أن يفرغ القلب**) أي يخليه (**عن غير ما هو ملابس له**) وملازم عليه (**ومتكلم به، فيكون العمل بالفعل والقول مقروناً بهما**) بحيث لا ينفك عنهما بحال، (**و**) إمارة ذلك أن (**لا يكون الفكر جائلاً**) أي متحركاً (**في غيرهما**) إذ جولان الفكر له مدخل عظيم في تشتيت الحواس، فإذا جال فيما هو أهم كان الغاية في الرسوخ، (**ومهما**

في غيرهما، ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء، فقد حصل حضور القلب.

ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب، فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ، فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم. وهذا مقام يتفاوت الناس فيه إذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات. وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في أثناء الصلاة ولم يكن قد

انصرف الفكر عن غير ما هو فيه) ولم يجل إلا فيما هو بصدده (و) مع ذلك (**كان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة)** تنافي ذلك الذكر ولا ذهول (**عن كل شيء فقد حصل حضور القلب)** لا محالة. إذ لا يمنع الحضور إلا عدم التخلية وانفكاك العمل عن الفعل والقول وجولان الفكر في غير ما هو فيه، فأركان الحضور ثلاثة ينعدم الحضور بانعدام كل واحد منها. وأعظمها التخلية.

فإن قلت: قرن العمل بالفعل والقول نتيجة التخلية كما يفهم من سياق المصنف، فيكون العمل الخ والفاء للتعقيب وأنت قررته ركناً. فاعلم أن تخلية القلب عبارة عن أن لا يخطر فيه شيء ينافي القصد، وقرن العمل بالفعل والقول أمر زائد عليه إذ قد يوجد التخلية ولا يوجد ذلك الأمر الزائد، وقد ينشأ هذا الأمر الزائد من غير تخلية، فهو وإن كان في الصورة كالنتيجة للتخلية، ولكنه في الحقيقة ركن من أركان الحضور وهو راجع إلى القصد، فلا بد من تحصيله. ثم حفظ الفكر عن الجولان وقص أجنحته حتى لا يحوم إلا على ذلك القصد، ثم لما كان قرن العمل بهما وحفظ الفكر من باب التخلية أخر عن تفريغ القلب لأن التخلية مقدمة على التحلية. هذا ما يتعلق بأول الجمل.

(**ولكن التفهم لمعنى الكلام)** الذي ينطق به وهي الجملة الثانية (**أمر وراء حضور القلب)** ولذلك عد مستقلاً، (**فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ)** الظاهر (**ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ)** الذي هو سره ولبه وخلاصته، (**فاشتمال القلب)** بعد حضوره (**على العلم)** الكافل (**بمعنى اللفظ هو الذي أردنا بالتفهم)**، وبيانه أن التفهم تفعل من الفهم والفهم هو تصور المعنى من اللفظ، سواء كان من نفسه أو من المخاطب ولا يتم هذا التصور إلا بالتحقق لذلك المعنى، ثم هو مطاوع للتفهيم يقال: فهمته فتفهم والمفهم أعم من أن يكن نسيباً أو غير نسيب، فالنسيب يختلف باختلاف الأحوال والمراتب، ومن هذا النوع قد يكون التفهيم من باب الإلقاء في القلب والنفث في الروع وهو أرفع المراتب. ولذا قال المصنف: (**وهذا مقام يتفاوت الناس فيه)** أي في أدناه وأقصاه، فمنهم القانع بالقشر فقط والكامل الذي على الغنى سقط. (**إذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني)** اللائقة (**للقرآن)** الذي يقرؤه في صلاته (و) كذا معاني (**التسبيحات)** التي في الركوع والسجود، والناس في ذلك على طبقات. فمنهم

خطر بقلبه ذلك قبله؟ ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر، فإنها تفهم أموراً، تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة.

من يعبر عن الألفاظ إلى معانيها الظاهرة بسرعة إدراكه حتى تنتقش في ذهنه انتقاشاً لا يزول. وإنما قلنا الظاهرة وعنينا بها ما ذكره المفسرون في كتبهم وهي الحاصلة بتحقيق الإعراب وتركيب مسائله، ومنهم من يفهم تلك المعاني من وجه آخر باعتبار مقتضيات خواص الألفاظ على قواعد أهل المعاني والبيان، ومنهم من يتجاوز عن ذلك بفهمه إلى ما تدل عليه تلك الألفاظ من تصريحات وتلويحات على طريقة أهل الأصول، ومنهم من يتجاوز عن ذلك فيدرك بمجرد نطقه لتلك الألفاظ إشارات خفية ورموزاً بهية تنكشف له حجبها من غير إدارة فكر ولا جولان خاطر على مشارب أهل العرفان وهذه المرتبة الأخيرة هي التي أشار لها المصنف بقوله: **(وكم من معان لطيفة ومعارف شريفة يفهمها المصلي في أثناء الصلاة)** تنكشف له انكشافاً **(ولم يكن حضر بقلبه ذلك قبله)** فيحصل له بذلك العروج إلى معارج الأسرار والولوج إلى خزائن الدار، وبه صح ما ورد: الصلاة معراج المؤمنين. **(ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر)**، فالفحشاء كل حالة سيئة من قول أو فعل، والمنكر ما أنكره الشارع ولم يرتضه، والمؤمنون وهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] **(فإنها)** أي الصلاة تفهم **(أموراً، تلك الأمور تمنع عن الفحشاء)** والمنكر **(لا محالة)**، وهكذا فسروا الآية المذكورة ولا يخفى أن الفحشاء والمنكر داخلان تحت المعاصي والشهوات، ولكن لما كان كل واحد منهما رأساً فيها ذكر بالخصوص، وعلى هذا الفهم جاء كلام النبي ﷺ: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً» كما تقدم. وقوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [البقرة: ٤٥] أي استعينوا على مجاهدة النفس وصلاح القلب وعلى ترك المعاصي والشهوات، وأراد بتلك الأمور التي تمنع عن المعاصي والشهوات التي منها الفحشاء والمنكر مقامات تتعلق بكل كلمة من الخطاب يحصلها المصلي في أثناء شهوده لسر كلام المخاطب ومناجاته له به، ومن مقامات اليقين: الإيمان بها، والتسليم لها، والإنابة إليها، والصبر عليها، والرضا بها، والخوف منها، والرجاء لها، والشكر عليها، والمحبة لها، والتوكل فيها، فإذا تمكن المصلي من الانصباغ بتلك المقامات اقتدر على فهم تلك المعاني اللطيفة. إذ كل كلمة من كلمات القرآن منطوية على أسرار عرفانية يشهدها أهل المناجاة ويعلمها أهل العلم والحياة لأن كلام المحبوب حياة القلوب.

تنبيه:

وتناسب لهذه المرتبة الثاني جمل إثنا عشر ليست بأدون من جملة التفهم وهي: النظر والتبصر والتدبر والتفكر والتذكر والتعقل والتأمل والتعلم والتنبه والتعهد والتيقظ والتفقد، ولنذكر تفاصيلها. فالنظر هو طلب المعنى في القلب من جهة الذكر كما يطلب إدراك المحسوس بالعين،

....

والتبصر تقليب البصيرة لإدراك الشيء ، والبصيرة هي قوة القلب المدركة حقائق الأشياء ، والتدبر النظر في دبر الأمور أي عواقبها ، والتفكر تصرف القلب في معاني الأشياء بالنظر في الدليل ولا يقال إلا فيما يمكن أن تحصل له صورة ، والتذكر استرجاع ما فات بالنسيان بمحاولة القوة الفعلية ، والتعقل يطلق ويراد به التدبر في الأمور بكمال العقل ، والتأمل إعادة النظر في الشيء مرة بعد أخرى لتحقيقه ، والتعلم تنبيه النفس لإدراك المعاني ، والتنبه إدراك ما في ضمير المتكلم والمخاطب ، والتعهد حفظ الشيء وإصلاحه ، والتيقظ التنبه للأمور ، والتفقد هو طلب الشيء عند غيبته . فهذه الجمل لها مناسبة أكيدة بجملة التفهم . وقد استعمل أكثرها في الكتاب والسنة ، ولكن لما كان التفهم كالنتيجة لهذه الجمل المجموعة اختاره دون غيره ، والله أعلم .

تنبيه آخر :

الشيء قد يخفى تفهمه وتلك المعارف عن إدراكه فتضرب له الأمثال فيتضح حينئذ ، ولنضرب لك مثالاً فيما أورده المصنف في هذه الجملة وكيف يتفاوت الناس فيها . فاعلم أن المصلي إذا وجه وجهة قلبه إلى مولاه وقرأ مثلاً فيها ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ فإن كان من أهل الظاهر فإما أن يذهب فهمه في أول وهلة إلى تصريف حروفها وتعليلها بأن يخطر بباله أن « إهدنا » صيغة أمر وأن أصلها كاضرب سقطت ياؤها للإضافة إلى ضمير المتكلم ، ثم يذهب فكره إلى حقيقة الضمير وأنه يشترك فيه المفرد والمثنى دون الجميع ، وأنه من باب ضرب هداه يهديه ، وأنه متعد ، وأن همزة الأمر مكسورة ، وأن المستقيم صيغة اسم فاعل من استقام ، وهل سينه أصلية أم زائدة ، وهل ألفها منقلبة عن واو أو ياء وما علة قلبها أيضاً إلى أمثال ذلك ؟ فهذا نظر أهل التصريف الظاهر ، وإما أن يذهب فهمه إلى معنى الهداية هل هي إراءة الطريق أو الإرشاد وهل اشتقاقه من الهدوء أو من الهدي ، وأن الصراط اسم للطريق وهل هو مرادف له أو مغاير وأن الاستقامة هو الاعتدال مشتق من القيام أو القومة إلى غير ذلك من المعاني . وهذا نظر أهل العلم بجواهر الألفاظ المعبر عنه بعلم اللغة . وإما أن يذهب فهمه إلى تركيب حروفها ومخارجها فيخطر بباله مخرج الصاد والطاء والقاف ، وأنه يجوز أن يقول السراط بالسين والزراط بالزاي لقرب المخارج وما لها من الترقيق والتفخيم والإشمام والقلقلة والإمالة والتحفظ على مخرج الدال حتى لا يشبه بالتاء ، وعلى مخرج القاف حتى لا يخلطه بالقاف العجمية إلى غير ذلك وهذا نظر أهل القراءة . وإما أن يذهب فهمه إلى تركيب هذه الجملة من حيث المجموع فيقول : « إهدنا » فعل أمر مضاف إلى ضمير المتكلم وفيه ضمير مستتر تقديره أنت ، وان المخاطب فيه هو الله تعالى ، والصراط مفعول إهدنا وهو يتعين فيه النصب والمستقيم صفة فهي بمجموعها جملة إنشائية ، ولا يكاد يتجاوز فهمه إلى معنى الصراط ولا استقامته ، فهذا وأمثال ذلك هو نظر أهل الإعراب وهو من خواص هذه الأمة المحمدية . وإما أن يذهب فهمه إلى خواص الجملة الإنشائية وما لها من التجددات والفارق بينها وبين الإسمية وتفاوت مراتبها مع السياق والسباق

إلى غير ذلك من الأسرار الناشئة من التركيب الجمعي فهذا نظر البيانيين، وقد يعرض على قلبه حينئذ أن « إهدنا الصراط » موزون من بحر الرجز أو الكامل، وقد دخله بعض العلل وهو نظر أهل العروض، فكل هؤلاء من أهل الظاهر ينظرون إلى ظاهر الألفاظ إفراداً وتركيباً، وكل ذلك ليس مراداً في التفهم المأمور وإن كان من أهل الباطن يذهب فهمه إلى شرف أم الكتاب وأنها السبع المثاني، وأنها مكرمة هذه الأمة، ومن خصوصياتها. وأن الله تعالى خاطب حبيبه ﷺ وأمره بالدعاء والتضرع، وأن يعلم أمته بذلك وأن الهداية بتوفيق الله تعالى ومحض فضله وكرمه، وأنه ما أمر بالدعاء إلا وقد تفضل عليهم بالإجابة، وأن الصراط المستقيم هو الذي لا أعوجاج فيه ولا أمت.

وصاحب هذا المقام يراعي حد الوسط في كل أمر من مطعم ومشرب وملبس وكل أمر ديني ودنيوي وهذا نظر أهل المرتبة الأولى من أهل الباطن.

ومنهم من يتجاوز بعد فهم هذا إلى أن المراد بالصراط المستقيم هو التمسك بظاهر الشريعة والعض عليه بالنواجذ، وأنه هو الموصوف بهذا الوصف، وصاحب هذا المقام يقف في العبارات عند الإشارات وهو نظر أهل المرتبة الثانية من أهل الباطن.

ومنهم من يعدو فهمه إلى معنى آخر في الصراط المستقيم فيقول: المراد به كلمة الإخلاص وأنه ما نجا من نجا إلا بالتمسك بها. فالمداومة عليها سبب النجاة وسبب خلوص القلب من الأوهام والشكوك، وصاحب هذا المقام من المستهترين في ذكر الله تعالى لا يغفل عن مذكوره قط وهو نظر أهل المرتبة الثالثة من أهل الباطن.

ومنهم من يفهم من الصراط المستقيم معنى آخر وراء ذلك ويقول: إن الصراط المستقيم هو محمد ﷺ وقد أمرنا بمتابعته واقتفاء سبله، وأنه هو الموصوف بكمال الاستقامة وهو المخاطب بقوله تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ [هود: ١١٢] ولا متابعة أشرف من متابعة الأحوال بعد المتابعة بالأقوال، والمعنى أرشدنا إلى متابعة أحوال النبي الكريم ﷺ. وصاحب هذا المقام شديد الملازمة للأحوال الباطنة وأشرفها الوفاء بكل العهود يعبر عن هذا المقام بالفناء في الرسول وهو نظر أهل المرتبة الرابعة من الباطن.

ومنهم: من يتجاوز فهمه بعد إحاطته بما سبق إلى أن المراد بالصراط المستقيم هو وحدة الوجود ويقول: لا بقاء للبشرية بعد ظهور سلطان الحقيقة، ويقول: هذا هو الصراط المستقيم الذي سلكه المحققون من العارفين بالله تعالى: وصاحب هذا المقام إن دامت معه هذه الملاحظة انمحقت أوصافه البشرية بالكلية وانصبغ بالصفات الملكية الروحية وهو مقام الصديقين نفعنا الله بهم أجمعين. فانظر ما ذكرت لك من التفصيل في جملة واحدة مما تقرؤه في صلاتك التي هي سلم الوصول ومعراج الحق وهكذا تفرضه في كل جملة من جمل القرآن لتكون من أهل العرفان والله أعلم.

وأما التعظيم؛ فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظماً له فالتعظيم زائد عليهما.

وأما الهيبة، فزائدة على التعظيم، بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى هائباً، والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وأما التعظيم)** وهي الجملة الثالثة **(فهو أمر وراء حضور القلب والفهم إذ الرجل)** يتفق له أنه **(يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب فيه)** بكليته **(ومتفهم لمعناه)** وما يريده من فحواه، **(ولا يكون معظماً له فالتعظيم)** على هذا أمر **(زائد عليهما)**، ولا بد منه في مناجاة الحق سبحانه إذ لا ثمرة في الحضور والتفهم بدونه، والمراد منه ملاحظة عظمته وجلاله وأنه معظم في نفسه عظم نفسه بنفسه ويلاحظ تعاليه وتقدسه عن مشابهة المخلوقين.

(وأما الهيبة) وهي الجملة الرابعة **(فزائدة على التعظيم)** لا يقال هما مترادفان لغة. يقال: هابه إذا عظمه في عينه، **(بل هي عبارة عن خوف)** يعرض في القلب **(منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى هائباً)**، ولذلك يستعمل في كل محتشم ومنه قول الشاعر:

أهابك إجلالاً وما بك قدرة　　　علي ولكن ملء عين حبيبها

ومنه: ما ورد في شمائله ﷺ من رآه فجأة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه.

اعلم أنه قد تتوارد ألفاظ مختلفة، ويظن أنها مترادفة وليس كذلك، فمن ذلك الجزع والفزع والخوف والخشية والوجل والرهبة والهيبة، ويلحق ذلك أيضاً الحياء والخجل والذعر والفرق والإشفاق فهي إثنا عشر جملة، ولا بد من التفصيل في الفرق فيها ليتبين مقصود المصنف في اختيار لفظ الهيبة دونها، فالفزع ما يعترى من الشيء المخيف، والجزع ما يعترى من الشيء المؤلم، ومتى ما كان الفزع عارضاً عن إمارة كالعار فهو الحياء والخجل. وسيأتي الكلام على الحياء قريباً، ومتى كان من شيء يضر فهو الفرق والذعر، ومتى كان لفوت محبوب فهو الإشفاق. وأما الخوف فهو توقع مكروه عن إمارة، والخشية خوف يشعر به تعظيم المخشى مع المعرفة، والوجل استشعار عن خاطر غير ظاهر ليس له إمارة، والرهبة خوف مع تحرز واضطراب ولتضمن الاحتراز. قال الله تعالى: ﴿وإياي فارهبون﴾ [البقرة: ٤٠] والهيبة هيئة جالبة للخضوع عن استشعار تعظيم. وهذه الأشياء قد تذم باعتبار الأمور الدنيوية وتحمد باعتبار الأمور الأخروية. والخوف من الله تعالى ليس يشار به إلى ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الإنسان الرعب من الأسد، وإنما يشار به إلى ما يقتضيه الخوف وهو الكف عن المعاصي، ولذلك قيل: لا تعدن خائفاً من لا يترك المعاصي، وإلى هذا أشار المصنف بضرب من الخطاب. **(والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجرى ذلك من الأسباب الخسيسة لا يسمى مهابة بل**

الأسباب الخسيسة لا تسمى مهابة، بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة، والهيبة خوف مصدرها الإجلال.

وأما الرجاء، فلا شك أنه زائد فكم من معظم ملكاً من الملوك يهابه أو يخاف سطوته، ولكن لا يرجو مثوبته. والعبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله عز وجل، كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل.

وأما الحياء؛ فهو زائد على الجملة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب،

الخوف من السلطان المعظم) الموصوف بنعت العظمة **(يسمى مهابة)** لما فيه من استشعار العظمة، **(فالهيبة)** إذاً **(خوف مصدره الإجلال)** أي هو أثر مشاهدة إجلال الله تعالى في القلب، وقد يكون أثراً عن الجمال الذي هو جمال الإجلال فيلازمه الانس، إلا أن الهيبة مقتضاها الغيبة، والانس مقتضاه الصحو والإفاقة، وأقرب الألفاظ مناسبة للمقام لفظ الخشية فإن أركانها ثلاثة: الخوف، والتعظيم، والمعرفة. وإنما اختار المصنف الهيبة عليها لأن الخشية مقام العلماء بالله خاصة، ولأن ما ذكر في الخشية موجود في الهيبة باعتبار أن التفهم قد تقدمها، فصارت الهيبة واردة عليه. فلو ذكر الخشية كان فهم المعرفة فيها كالتكرار مع ما تقدم من التفهم، وأيضاً ففي الهيبة معنى زائد ليس في الخشية وهو كونه أثر مشاهدة الجلال وملازمة الانس له عند الكمال فتأمل والله أعلم.

(وأما الرجاء) وهي الجملة الخامسة فاختلف فيه على أقوال: فقيل؛ هو ترتيب الانتفاع بما تقدم له سبب ما. وقيل: هو تعلق القلب بحصول محبوب مستقبل وقيل: ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة، وعلى كل حال **(فلا شك أنه)** أمر **(زائد)** على ما تقدم **(فكم من معظم ملكاً من الملوك يهابه أو يخاف سطوته، ولكن لا يرجوُ مثوبته)**.

فإن قلت: الأمل قد يطلق بمعنى الرجاء ومعناهما متقارب فلم اختار الرجاء دون الأمل؟ قلت: لأن الرجاء معه خوف، فلذلك جاء بمعنى خاف نحو قوله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾ [نوح: ١٣] ولا يقال أمل إذا خاف ففي الرجاء معنى زائد على الأمل.

وإلى الجمع بين المرتبتين الأمل والخوف أشار المصنف فقال: **(والعبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل)**، والمعنيان موجودان في لفظ الرجاء وإن كان وراء ذلك مقام آخر لأهل الإخلاص واليقين هو أن يقصد بصلاته بل بعبادته كلها حوز ثواب أو دفع عقاب، فقد قيل: من عبد الله بعوض فهو لئيم، ولكن لكل مقال مقام كما أن لكل مقام مقالاً.

(وأما الحياء): وهي الجملة السادسة **(فهو)** انقباض النفس من شيء حذراً من الملام وهو نوعان: نفساني وهو المخلوق في النفوس كلها كالحياء عن كشف العورة والجماع بين الناس،

ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب.

وأما أسباب هذه المعاني الستة، فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فإن قلبك تابع لهمتك فلا يحضر إلا فيما يهمك. ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه. والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلاً بل جائلاً فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا، فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب إلا بصرف

وإيماني وهو امتناعه من فعل المحرم خوفاً من الله تعالى، وهذا **(أمر زائد على الجملة)**، ثم من يستحى منه ثلاثة: من البشر وهم أكثر من يستحى منه ومن نفسه ثم من الله عز وجل، ومن استحى من الناس ولم يستح من نفسه فنفسه عنده أخس من غيره، ومن استحى منهما ولم يستح من الله دل على قلة معرفته به، ومن لم يعرف الله فكيف يستعظمه وكيف يعلم أنه مطلع عليه؟ وقول النبي ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء» ففي ضمنه حث لمعرفته. وقال تعالى: ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ [العلق: ١٤] تنبيهاً على أن العبد إذا علم أن الله يراه استحيا من ارتكاب الذنوب. وسئل الجنيد عما يتولد منه الحياء فقال: رؤية العبد إلى الله، رؤية تقصيره في شكره. وإليه أشار المصنف بقوله: **(لأن مستنده استشعار تقصيره)** أي في أداء ما وجب من شكره **(وتوهم ذنب)** صدر منه رآه الله عليه، **(و)** قد **(يتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب)** فلا بد من حصوله للمصلي أن يكون مستشعراً بتصوره متذكراً لعيوبه ذاكراً إطلاع الله عز وجل عليه وبالله التوفيق.

(وأما أسباب هذه المعاني الستة. فاعلم أن حضور القلب سببه) الأعظم **(الهمة)** وهي القوة الراسخة في النفس الطالبة لمعالي الأمور، ولها مرتبتان. الأولى: اعتناء القلب بالشيء المطلوب، والثانية: توجهه وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جناب الحق لحصول الكمال أو لغيره، والمراد هنا بها مطلق الاعتناء، **(فإن قلبك تابع لهمتك فلا يحضر)** معك **(إلا فيما يهمك)** أي فيما تصرف همتك إليه فهو تابع لها من غير انفكاك عنها. **(ومهما أهمك أمر)** خيراً كان أو شراً **(حضر القلب)** عنده **(شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه)**، ومن هنا مدحوا علو الهمة وكبرها وجعلوه من أمارات الإيمان، والعالي الهمة على الإطلاق من لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه فلا يصير عبد غاويه بطنه وفرجه، بل يجتهد أن يتخصص بمكارم الشريعة فيصير من خلفاء الله تعالى وأوليائه ومجاوريه في الآخرة. **(والقلب إذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلاً)** كما يذهب إليه الوهم **(بل جائلاً)** أي متحركاً مضطرباً **(فيما الهمة مصروفة إليه من أمور الدنيا)** إما في دكانه أو عند زوجته أو بعض معاملاته أو بعض مشتهيات نفسه فيما تحمله خسة همته عليه، **(فلا حيلة ولا علاج لإحضار القلب)** في الصلاة **(إلا بصرف الهمة إلى الصلاة)** حتى يتبعها القلب، **(والهمة)** من شأنها تحري معالي الأمور

الهمة إلى الصلاة، والهمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها، وذلك هو الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى، وأن الصلاة وسيلة إليها، فإذا أضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة، وبمثل هذه العلة يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك، فإذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر، فلا تظنن أن له سبباً سوى ضعف الإيمان، فاجتهد الآن في تقوية الايمان ـ وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع.

وأما التفهم، فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذهن إلى ادراك

لكنها لما استعملت في أضدادها مالت إلى الملاذ والمشتهيات وهي إذاً **(لا تنصرف إليها)** أي إلى الصلاة وهي من معالي العبادات وشرائف القرب المنجيات **(ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها)** ومعلق عليها، **(وذلك هو الإيمان والتصديق)** الجزم **(بأن الآخرة خير وأبقى)** بنص القرآن، **(و)** يوطن في نفسه **(أن الصلاة وسيلة إلى الآخرة)** يتوسل بها إلى نيل مقاصدها، **(فإذا أضيف ذلك إلى حقيقة العلم بحقارة الدنيا)** وحقارة **(مهماتها)**. وفي نسخة: ومهانتها. فيعلم أن حياتها مستعارة وحياة دار الآخرة مخلدة وأنه لا اعتداد بما له فناء كما قال القائل:

ومن سره أن لا يرى ما يسؤه ... فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

ويعلم أن من عظمت همته لم يرض بقنية مستردة وحياة مستعارة، فإن أمكنه أن يقتني قنية مؤبدة وحياة مخلدة فليفعل ولا يعتمد على ظل زائل وجدار مائل، وما وفق الله عبداً بفهم ما ذكر إلا **(حصل)** له **(من مجموعها حضور القلب في الصلاة)** وما يتعقله من الأمور المذكورة ليكن قبل دخوله في حضرة الصلاة لئلا يشتغل خاطره بما يخالف حال الصلاة. **(وبمثل هذه العلة، يحضر قلبك إذا حضرت بين يدي بعض الأكابر)** من أهل الدنيا **(ممن لا يقدر على مضرتك و)** لا على **(منفعتك، فإذا كان لا يحضر)** قلبك **(عند المناجاة)** والمخاطبة **(مع ملك الملوك)** ورب الأرباب **(الذي بيده الملك والملكوت و)** بقبضة قدرته **(النفع والضر)** وهو السميع البصير المطلع على هواجس الضمير، **(فلا تظنن أن له سبباً)** آخر **(سوى ضعف الإيمان)** وانطماس أنواره **(فاجتهد الآن في)** تحصيل الطريق الذي يدلك إلى **(تقوية الإيمان)** وعود الأنوار إليه وانبساطها على الجوارح والظواهر كما قيل:

وإذا حلت الهداية قلباً ... نشطت للعبادة الأعضاء

(وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع) من الكتاب إن شاء الله تعالى.

(وأما التفهم، فسببه بعد حضور القلب) عن الغيبوبة **(إدمان الفكر)** أي إدامته،

المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر. وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها. أعني النزوع عن تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها. وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيئاً أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة، فلذلك ترى من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر.

وأما التعظيم، فهو حالة للقلب تتولد من معرفتين، احداهما: معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الإيمان، فإن من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه. الثانية: معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبداً مسخراً مربوباً حتى يتولد

والفكر قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم (**وصرف الذهن**) هو الذكاء والفطنة (**إلى إدراك المعنى**) المقصود (**وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب**) وهو جمع الهمة (**مع الإقبال على الفكر**) الذي يجول به الخاطر في النفس (**والتشمر لدفع الخواطر**) الطارئة على القلب (**الشاغلة**) عن التفهم. (**وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها**) التي منها نشأت تلك الخواطر. (**أعني**) بقطع المواد (**النزوع عن تلك الأسباب**) المتمكنة في النفس (**التي تنجذب الخواطر إليها**) لتعلقها بها، (**وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر**) وما مثل من يشرع في دفع الخواطر مع بقاء موادها إلا مثل من يدهن البعير الأجرب على وبره فأنى ينقطع جربه مع بقاء مادته في جلده؟ (**فمن أحب شيئاً أكثر ذكره**). هذا قد روي مرفوعاً من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ «أكثر من ذكره» أخرجه أبو نعيم والديلمي من حديث مقاتل بن حبان، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي عنها. وقد أغفله العراقي. (**فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة**) لاعتياده بذكره كثيراً، ومعنى الهجوم الورود فجأة من غير قصد. وقال المحاسبي في الرعاية: علامة المحبين كثرة ذكر المحبوب على الدوام لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون، فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلاً ولا يبغون عنه حولاً، ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم فسد عيشهم. وقال بعضهم: علامة المحبة ذكر المحبوب على عدد الأنفاس، واجتمع عند رابعة رحمها الله تعالى جماعة من العلماء والزهاد وتفاوضوا في ذم الدنيا وهي ساكتة فلاموها. فقالت: من أحب شيئاً أكثر من ذكره اما بحمد أو بذم، فإن كانت الدنيا في قلوبكم لا شيء فلم تذكرون لا شيء. (**فكذلك من أحب غير الله**) ومال بكليته إليه (**لا تصفو له صلاة عن الخواطر**) الرديئة نسأل الله السلامة.

(**وأما التعظيم؛ فهو حالة للقلب تتولد من معرفتين: إحداهما: معرفة جلال الله عز وجل**) وكبريائه (**وعظمته**) وأنه منعوت بصفات الكمال (**وهو من أصول الإيمان**) كما تقدم بيان ذلك في قواعد العقائد، (**فإن من لا يعتقد عظمته**) في القلب (**لا تذعن النفس لتعظيمه**) ولا تنقاد. (**الثانية: معرفة حقارة النفس وخستها**) ودناءتها (**وكونها عبداً**

من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم. وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع، فإن المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة، ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه.

وأما الهيبة والخوف، فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به، وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض. وبالجملة؛ كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة. وسيأتي أسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات ـ.

مسخراً) أي مذللاً **(مربوباً)** مقهوراً **(حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة)** أي الخضوع والذل **(والانكسار والخشوع له سبحانه، فيعبر عنه)** أي عن الذي تولد من المعرفتين **(بالتعظيم)** وهذا معنى قولهم: من عرف نفسه بالذل والعجز عرف به بالعز والقدرة. يحكى ذلك من كلام يحيى بن معاذ الرازي، وليس بحديث كما توهم، قاله ابن السمعاني وتبعه النووي. **(وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس)** وذلها **(بمعرفة جلال الله)** وعظمته **(لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع، فإن المستغني عن غيره الآمن على نفسه)** من المخاوف **(يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة)** والأبهة، **(ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها)** أي احتياجها **(لم تقترن إليه)** فلا بد من اعتبار القرينتين لحصول حالة التعظيم.

(وأما الهيبة والخوف؛ فحالة للنفس) جالبة للتعظيم **(تتولد من المعرفة بقدرة الله)** تعالى **(وسطوته ونفوذ مشيئته فيه)** وأن قدرته تامة وسطوته باهرة وما شاءه في الخلق نافذ لا يرده راد **(مع قلة المبالاة به)** لكمال غناه عن غيره، **(وأنه لو أهلك الأولين والآخرين)** من الخلائق أجمعين **(لم ينقص من ملكه ذرة)** ولا حصل أدنى خلل في كمال ربوبيته **(هذا مع مطالعة)** أي الاطلاع على **(ما يجري على الأنبياء)** والمرسلين عليهم السلام **(و)** على **(الأولياء)** والصالحين قدس أسرارهم **(من المصائب وأنواع البلاء)** مما ابتلاهم به مما هو مذكور في كتابه العزيز في عدة مواضع، **(مع القدرة على الدفع)** والإزالة **(على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض)** من نفاد خزائنهم بالأعطية وعدم القدرة على دفع ما نزل بهم. **(وبالجملة: كلما زاد العلم بالله)** أي بصفاته الحسنى وكيفية تصاريفها وتنفيذاتها وبأفعاله تعالى ومعاملاته مع أحبابه وأعدائه **(زادت الخشية والهيبة)** والرهبة، فمن ازداد علماً ولم يزدد هيبة لم يزدد إلا بعداً. وقد روى الديلمي من حديث علي رفعه: « من ازداد علماً ولم يزدد من الدنيا

وأما الرجاء، فسببه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم أنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة، فإذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة.

وأما الحياء، فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وخبث دخلتها وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل، والعلم بأنه مطلع على السر وخطرات القلب وإن دقت وخفيت، وهذه المعارف إذا حصلت يقيناً انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء، فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج، ورابطة جميع هذه الأسباب الإيمان. واليقين: أعني به هذه المعارف التي ذكرناها، ومعنى كونها

زهداً لم يزدد من الله إلا بعداً». **(وسيأتي أسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات)** إن شاء الله تعالى.

(وأما الرجاء: فسببه معرفة لطف الله عز وجل) أي رأفته ورفقه **(وكرمه)** وهو إفادة ما ينبغي لا لغرض **(وعميم إنعامه ولطائف صنعه)** الذي أجاد فيه وأتقن **(ومعرفة صدقه في وعده الجنة)** أي الفوز بها **(بالصلاة، فإذا حصل اليقين بوعده)** الذي لا يخلف ولا يتخلف **(والمعرفة بلطفه)** في سائر النشآت **(انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة)** وقد فهم من سياقه أن معرفة كل من صدق الوعد واللطف قرينتان، وأن الرجاء يتولد منهما جميعاً من حيث التركيب وهو ظاهر، فإنه قد يحصل للإنسان العلم بإحداهما ولا يغلب عليه الرجاء.

(وأما الحياء: فباستشعاره التقصير في العبادة) والاستشعار استفعال من الشعور هو العلم **(وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل)** وفي نسخة: بتعظيم حق الله، **(ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس)** وعللها **(وآفاتها)** المهلكة **(وقلة إخلاصها وخبث دخلتها)** بكسر الدال المهملة وسكون الخاء المعجمة أي جوانبها **(وميلها إلى الحظ العاجل)** وهو الدنيوي **(في جميع أفعالها)** وأحوالها **(مع العلم بعظم ما يقتضيه جلال الله عز وجل)** وعظمته، **(والعلم بأنه مطلع على السرائر)** وفي نسخة: السر **(وخطرات القلوب)** وفي نسخة: القلب **(وإن دقت وخفيت، وهذه المعارف إذا حصلت)** على وجه الرسوخ والكمال أورثت في القلب **(يقيناً)** و **(انبعث منها)** أي من تلك المعارف **(بالضرورة حالة تسمى الحياء)**، وقد خص الإنسان به لأن منشأها من تلك المعارف وهي الحاملة له على الارتداع عما تنزع إليه الشهوة من القبائح. **(فهذه أسباب هذه الصفات وكلما طلب تحصيله فعلاجه إحضار سببه)** بأي وجه أمكن، **(ففي معرفة السبب)** على الوجه المذكور **(معرفة العلاج)** التام النافع، **(ورابطة جميع هذه الأسباب الإيمان)** أولاً **(واليقين)** ثانياً. **(أعني به هذه**

يقيناً انتفاء الشك واستيلاؤها على القلب، كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم، وبقدر اليقين يخشع القلب، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه». وقد روي أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام: «يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكري خاشعاً مطمئناً، وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك، وإذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وَجِل ولسان صادق». وروي أن الله تعالى أوحى إليه: «قل لعصاة أمتك لا يذكروني فإني آليت على نفسي أن من ذكرني ذكرته، فإذا ذكروني ذكرتهم باللعنة». هذا في عاص غير غافل في

المعارف التي ذكرناها) بالتفصيل، **(ومعنى كونها)** حصلت **(يقيناً انتفاء الشك)** والتردد **(واستيلاؤها)** أي تلك المعارف **(على القلب)** بحيث تعم على جميعه، **(كما سبق)** ذلك مفصلاً **(في بيان اليقين من كتاب العلم، وبقدر اليقين)** كمالاً ونقصاناً **(يخشع القلب)** وتطمئن الجوارح وتسكن الأعضاء، **(ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يحدثنا ونحدثه)** أي يكلمنا ونكلمه في أمورنا المتعلقة بالدنيا **(فإذا حضرت الصلاة)** أي حضر وقتها وذلك إذا سمع النداء صار **(كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه»)** أي ترد عليه واردات إلهية تشغله عنا، وقد تقدم هذا الحديث آنفاً وذكر أنه روي بمعناه من حديث سويد بن غفلة مرسلاً: **(وقد روي)** في الإسرائيليات **(أن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام)** فقال: **(يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنتفض)** أي ترتعش وتضطرب **(أعضاؤك)** هيبة لجلالي **(وكن عند ذكري خاشعاً)** بقلبك **(مطمئناً)** بجوارحك، **(وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك)** حتى لا يذكر إلا وقد عقل القلب معناه فيكون اللسان مترجماً عن القلب، وفيه إشارة إلى موافقة اللسان القلب في حال الذكر، **(وإذا قمت بين يدي)** في حال المناجاة **(فقم قيام العبد الذليل)** بين يدي سيده الملك الجليل **(وناجني بقلب وجل)** أي مضطرب خائف **(ولسان صادق)** مطابق لما في القلب. **(وروي)** أيضاً **(أن الله تعالى أوحى إليه)** أي إلى موسى عليه السلام فقال: «يا موسى **(قل لعصاة أمتك لا يذكروني)** بألسنتهم **(فإني آليت على نفسي أن من ذكرني ذكرته، فإذا ذكروني ذكرتهم باللعنة»)** أي البعد والطرد عن الرحمة.

وأخرج الحاكم من حديث أبي هريرة «من ذكر الله في نفسه ذكره الله في نفسه ومن ذكر الله في ملأ ذكره الله في ملأ أكثر وأطيب» الحديث. وروى أحمد، وابن ماجه من حديث أبي هريرة «أن الله تعالى يقول أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه».

وقال المصنف رحمه الله تعالى: **(هذا في عاص)** لله تعالى **(غير غافل)** في حالة ذكره،

ذكره، فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان، وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس إلى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة منها، وإلى من يتمم، ولم يغب قلبه في لحظة، بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجري بين يديه، ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الاسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها. وبعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره. ووجيب قلب إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على ميلين، وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد، فإن أضعافه مشاهد في همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم، حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهمته ثم يخرج، ولو سئل عمن حواليه أو عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الإخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حواليه

(**فكيف إذا اجتمعت الغفلة والعصيان**) جميعاً؟ فالمصيبة أشد والعقوبة آكد. (**وباختلاف المعاني التي ذكرناها انقسم الناس إلى**) قسمين: (**غافل**) القلب (**يتمم صلاته**) بأداء أركانها وسننها ورعاية آدابها (**ولم يحضر قلبه في لحظة منها، وإلى من يتمم**) أركانها بالوجه المذكور (**ولم يغب قلبه في لحظة**) منها، بل هو معمور بالحضور مملوء بالنور، (**بل ربما كان مستوعب الهم به**) أي بالقلب (**بحيث لا يحس**) أي لا يدرك (**بما يجري بين يديه**) أي بحضرته قريباً منه، وهذا مقام الاستغراق (**ولذلك لم يحس مسلم بن يسار**) الدمشقي تقدمت ترجمته (**بسقوط اسطوانة في المسجد**) الجامع بالبصرة (**اجتمع الناس عليها**) فجاء الناس يهنونه على سلامته فلم يحس بذلك كله، (**وبعضهم**) وهو سعيد بن المسيب كما في القوت (**حضر الجماعة مدة**) أي أربعين سنة كما في القوت (**ولم يعرف قط من على يمينه ويساره**) وذلك من كمال خشوعه وقد تقدم ذلك أيضاً. (**ووجيب قلب إبراهيم عليه السلام كان يسمع من ميل**) وتقدم للمصنف من ميلين، (**وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم**) عند القيام إلى الصلاة. منهم علي بن أبي طالب، ومنهم علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم، وقد تقدم النقل عن كل منهما في أول هذا الكتاب (**وكل ذلك غير مستبعد**) عقلاً، (**فإن أضعافه مشاهد**) مرئي (**في همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا**) من إحضار القلب وحسن الإصغاء لما يرد إليه، وعدم الالتفات وكمال الهيبة والخشوع والإنصات وتغير اللون والوجل (**مع**) كمال (**عجزهم وضعفهم**) وذلهم (**وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم**) من الحطام الدنيوي، (**حتى يدخل الواحد**) منهم (**على ملك أو وزير**) أو ذي جاه (**ويحدثه بمهمته ويخرج من عنده، ولو سئل عمن حواليه**) من الجلاس أو الوقوف (**أو عن ثوب الملك**) الذي كان عليه (**لكان لا يقدر على الإخبار عنه**) وفي نسخة: عن ذلك (**لاشتغال همه به عن ثوبه**) الملبوس (**وعن الحاضرين حوله**) وفي نسخة: حواليه (﴿ **ولكل درجات مما**

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأنعام: ١٣٢]، فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه، فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات. ولذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم: يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدوّ ومن وجود النعيم بها واللذة، ولقد صدق فإنه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه، ويراعى في ذلك حال قلبه لا حال شخصه، فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة، ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه.

عملوا﴾) [الأنعام: ١٣٢] ولكل مجتهد نصيب (**فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه**) وخشيته (**وخشوعه وتعظيمه**) لله تعالى وهيبته منه، (**فإن موقع نظر الله القلوب دون ظاهر الحركات**) ونظر الله إلى عباده إحسانه إليهم وإفاضة نعمه عليهم. وقد روى مسلم، وابن ماجه من حديث أبي هريرة رفعه «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». (**ولذلك قال بعض الصحابة**) رضوان الله عليهم على ما نقله صاحب القوت في وصف صلاة الخاشعين ما نصه: (**يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئاتهم في الصلاة من الطمأنينة والهدو**) أي السكون فيها (**ووجود النعيم بها واللذة**) اهـ.

وقال أيضاً في باب أحزاب القرآن ما نصه؛ ويقال: إن العبد يحشر من قبره على هيئته في صلاته من السكون والطمأنينة ويكون راحته في الموقف على قدر راحته وتنعمه بالصلاة. قال: وروينا معنى هذا عن أبي هريرة.

قلت: فظهر من هذا السياق أن المراد ببعض الصحابة في أول سياقه هو أبو هريرة، (**ولقد صدق**) قائله (**فإنه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه**)، وذلك لأن العبرة بما ختم له به (**ويراعى في ذلك حال قلبه**) كيف كان (**لا حال حسه**) وفي نسخة: شخصه، (**فمن صفات القلوب تصاغ الصور في الدار الآخرة**)، ومنه ما ورد: يحشرون على نياتهم، وقيل: كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون، ويؤيد ذلك ما أخرجه الحاكم من حديث عبدالله بن عمرو وصححه أنه قال يا رسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو. وقال: «يا عبدالله إن قاتلت صابراً محتسباً بعثك الله صابراً محتسباً وإن قاتلت مرائياً مكاثراً على أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله على تلك الحال». (**ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم**) من الغش والكدر (**نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه**) آمين.

بيان الدواء النافع في حضور القلب:

اعلم أن المؤمن لا بدَّ أن يكون معظماً لله عز وجل وخائفاً منه وراجياً له ومستحيياً من تقصيره فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه، وإن كانت قوّتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له إلاَّ تفرق الفكر، وتقسيم الخاطر، وغيبة القلب عن المناجاة، والغفلة عن الصلاة. ولا يلهي عن الصلاة إلا الخواطر الواردة الشاغلة، فالدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه. فلتعلم سببه. وسبب موارد الخواطر إما أن يكون أمراً خارجاً أو أمراً في ذاته باطناً.

أما الخارج، فما يقرع السمع أو يظهر للبصر فإن ذلك قد يختطف الهمّ حتى يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة إلى غيره ويتسلسل، ويكون الإبصار سبباً للافتكار،

بيان الدواء النافع في حضور القلب:

أي بيان الذي يكون محصلاً للحضور بضرب من التنبيه والإشارة وسماه دواء مجازاً. **(اعلم أن المؤمن)** من حيث هو مؤمن **(لا بد أن يكون معظماً لله عز وجل)** تعظيماً يليق بجلاله وكبريائه وهو من قواعد الإيمان، فإن لم يوجد التعظيم لم يوجد الإيمان، **(وأن)** يكون **(خائفاً منه)** أي من بطشه وسطوته وعذابه وهذا فرع من التعظيم، فإن الذي يعظم أحداً يهابه **(وراجياً له)** هو كذلك فرع عن التعظيم **(ومستحيياً من تقصيره)** وهو كذلك فرع عن التعظيم **(فلا ينفك عن هذه الأحوال)** التعظيم وما يتفرع منه **(بعد إيمانه وإن كان قوتها)** أي تلك الأحوال **(بقدر قوة يقينه)**، فمن ازداد نور يقينه ظهر الكمال له في تلك الأحوال **(فانفكاكه منها في الصلاة لا سبب له)** فيما استقرىء **(إلا)** أربعة أشياء **(تفرق الفكر، وتقسيم الخاطر)** أي تشتيته، **(وغيبة القلب عن المناجاة، والغفلة عن الصلاة)** والمراد من الخاطر هنا الموضع الذي فيه يخطر الرأي أو المعنى، ثم أن هذه الثلاثة الأول إذا اجتمعوا طمسوا القلب وأورثوا الغفلة في الصلاة، **(ولا يلهي عن الصلاة)** أي لا يشغل عنها **(إلا الخواطر الواردة الشاغلة)** عن إحضار القلب منها ما هي نفسانية التي فيها حظ للنفس وتسمى أيضاً هواجس، ومنها ما هي شيطانية وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق تعالى، وكل من القسمين مراد هنا. وأما الخواطر الإلهية والملكية، فإنها تبعث على الخير فلا تمنع المصلي من حضور قلبه، **(فالدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر)** الواردة على القلب **(ولا بدفع الشيء لا بدفع سببه)** لما تقدم **(فلتعلم سببه)** أولاً. **(وسبب توارد الخواطر)** لا يخلو **(إما أن يكون أمراً خارجاً)** يدرك بإحدى الحواس، **(أو أمراً في ذاته باطناً)**.

(أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر فإن ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه ويتصرف فيه) لأنه ليس للفكر أضر مما يدخل عليه من هذين البابين السمع والبصر، فإذا حفظا حفظ الفكر، وإذا استتبعها توسع الحال في توارد الخطرات وإليه أشار بقوله: **(ثم تنجر منه الفكرة**

ثم تصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض. ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ما جرى على حواسه ولكن الضعيف لا بدّ وأن يتفرق بـه فكره. وعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره، أو يصلي في بيت مظلم، أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب

إلى غيره وتسلسل) ويصعب انقطاعه **(وتكون الأبصار سبباً للافتكار)** ومن الحكمة قولهم: من أدار ناظره أتعب خاطره، **(ثم يصير بعض تلك الأفكار)** الواردة **(سبباً للبعض)** فيجر بعضها بعضاً ويتصف بصفة الرسوخ في القلب، فإن لم يستعجل باخراج سببها عاجلاً بهمة مرشد كامل وإلا صار صاحبها مقيتاً ممقتاً لا ينجع فيه الدواء ولا يرفع رأسه للهدى، ولا يرضى بالاقتداء فيعود في ضلالة كما بدى، **(ومن قويت نيته)** وصفت طويته **(وعلت همته)** بأن أخدمها معالي الامور وشغلها بالمعارف الإلهية وحاطها عن التسفل بالأحوال الدنية **(لم يلهه)** أي لم يشغله **(ما جرى على حواسه)** الظاهرة التي منها الأذن والعين بل والباطنة. كذلك ويكون هو في حال كأنه لم ير وكأنه لم يسمع، **(ولكن الضعيف)** الإيمان أو اليقين **(لا بد وأن يتفرق به)** أي بما يمر على حواسه **(فكره)**، فلا بد له من كسب ما يزيل هذا التفرق. وقد أشار إلى ذلك بقوله: **(وعلاجه)** الناجع **(قطع هذه الأسباب)** ومحو علائقها عن القلب، وتلك الأسباب الشاغلة له في الظاهر إثنا عشرة: فمنها ما يتعلق بنفس حال المصلي وهي خمسة الحقن والحقب والخرق والجوع والغضب، فهذه مشوشات للمصلي تمنعه من الحضور في الحضرة مطلقاً. وقد ذكرها المصنف آنفاً، ومنها ما يراعى من خارج وهي سبعة أشار المصنف إلى الأول منها بقوله: **(بأن يغض بصره)** أي المصلي بضم عينه هكذا فهمه مختصر الكتاب في عين العلم وتبعه شارحه، وفي ضم العين في الصلاة، كلام سبق بعضه، فصاحب القوت والعوارف يأمران بفتحها وعللا بكونهما تسجدان مع المصلي، فإذا اغمضتا لم تسجدا. وفي المنهاج قيل: يكره تغميض عينيه. قال الشارح: قاله العبدري من أصحابنا وعلله بكونه من فعل اليهود. قال النووي: وعندي لا يكره هكذا عبر به في المنهاج، وعبر في الروضة بالمختار إن لم يخف منه ضرراً على نفسه لعدم ورود النهي فيه. وقال ابن النقيب: وينبغي أن يحرم في بعض صوره، وأفتى ابن عبد السلام بأنه إذا كان عدم ذلك يشوش عليه خشوعه أو حضور قلبه مع ربه، فالتغميض أولى من الفتح اهـ.

والذي يظهر لي أن المراد بغض البصر هنا كفه عن الالتفات يمنة ويسرة وهو أعم من المعنى الذي ذكروه وأليق بسياق المصنف لا ضمه كما فهمه صاحب عين العلم، على أن أصحابنا أجازوا تغميض العين في النوافل دون الفرائض، وعللوا بأن مبنى النوافل على الرغبة والنشاط والرخصة فيجوز فيها ما لا يجوز في الفرائض، ومنهم من قال: يغمضها حال القيام ويفتحها حال السجود، وبهذا يجمع بين القولين والله أعلم.

وأشار المصنف إلى السبب الثاني بقوله: **(أو يصلي في بيت مظلم)** لا سراج فيه فإنه أجمع للحواس، فإن كانت كوة يدخل منها بعض النور لا بأس والظلام يقصر النظر عن الالتفات

من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره، ويحترز من الصلاة على الشوارع، وفي المواضع المنقوشة المصنوعة، وعلى الفرش المصبوغة. ولذلك كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهم. والأقوياء منهم كانوا

ويمنعه عن الانتشار، وكان بعض مشايخنا يختار ذلك وبعض مشايخنا يكره الصلاة في البيت المظلم ويقول: إنه يدخل الرعب في القلب فيشتغل به المصلي عن الخشوع، والحق أن هذا يختلف باختلاف المصلين وباختلاف الأحوال، فمن وجد في نفسه وحشة من الظلام تمنعه عن الخشوع فلا بأس بأن يشعل سراجاً ويكون بعيداً منه. وأشار إلى السبب الثالث بقوله: **(أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسه)** أعم من أن يكون سلاحاً أو ثوباً أو كتاباً أو نقشاً أو غير ذلك مما ينظر إليه ويتعجب منه، **(و)** السبب الرابع: أن **(يقرب من حائط)** أي جدار **(عند الصلاة)** إن كان البيت واسعاً **(حتى لا يتسع مسافة بصره)** فإن لم يمكنه فبسترة حائلة يقصر بصره عليها، فإن لم يمكنه فبخط يخطه يكون نظره عليه لا يتجاوزه، **(و)** أشار إلى السبب الخامس بقوله: **(يحترز من الصلاة على الشوارع)** جمع شارعة وهي قارعة الطريق التي يسلكها الناس عامة ولا يختص بقوم دون قوم، فإنها على قوارع الطريق تحدث أشغالاً كثيرة تمنع الخشوع لاختلاف الناس في ذهابهم ورواحهم ولغطهم وغوغاهم. **(و)** السبب السادس: أن يحترز من الصلاة **(في المواضع المنقوشة)** بأنواع الاصباغ من الحمرة والصفرة والخضرة والزرقة في سقوفها وجدرانها **(المصنوعة)** بأنواع الصنائع الغريبة في تركيبها وهيأتها، وقد ابتلي الناس بزخرفة المساجد ونقشها بالصباغ المختلفة وعدوا ذلك إكراماً لبيت الرب وذهلوا أنها من جملة الشواغل للمصلين وهو من أعظم البدع والحوادث، وقد أطال فيها ابن الحاج في المدخل فراجعه. **(و)** السبب السابع: أن يحترز من الصلاة **(على الفرش المصبوغة)** بالألوان المفرحة، فإنها تلهي المصلي عن الحضور ويلتفت إلى حسن لونه وصنعته، وقد بلينا بالصلاة على هذه البسط الرومية والزرابي المزخرفة في المساجد والبيوت، حتى صار المصلي على غيرها كاد أن يعد جافياً قليل الأدب ناقص المروءة ولا حول ولا قوة إلا بالله، وما أظن ذلك إلا من جملة وساس الإفرنج لعنهم الله تعالى التي ادخلوها على المسلمين وهم غافلون عنها لا يدرون عن ذلك، وأغرب من ذلك أني رأيت بساطاً في مسجد من المساجد عليه نقش، وفي داخل النقش صورة الصليب فازداد تعجبي من ذلك وتيقنت أنه من دسائس النصارى والله أعلم. وبين في وعلى حسن الطباق، وبين المصنوعة والمصبوغة حسن الجناس.

(ولذلك كان المتعبدون) من السادة الصوفية **(يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته قدر السجود)** أي قدر أن يقف المصلي وينحط إلى السجود بمد ضبعيه **(ليكون ذلك أجمع للهم)** من التشتت، ومن ذلك الخلاوي التي تبنى للصوفية في الخانقاهات. منها في خانقاه سعيد السعداء بالقاهرة التي بناها السلطان المرحوم صلاح الدين يوسف بن أيوب قدس الله سره، ومنها في زاوية القطب سيدي محمد دمرداش المحمدي رحمه الله تعالى التي ظاهر القاهرة عند قبة يشبك

يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم. وكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يدع في موضع الصلاة مصحفاً ولا سيفاً إلا نزعه ولا كتاباً إلا محاه.

وأما الأسباب الباطنة، فهي أشد فإن من تشعبت به الهموم في أودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد، بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب، وغض البصر لا يغنيه، فإن ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهراً إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة ويشغلها به عن غيره، ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله

المعروفة بالعزب، **(والأقوياء منهم)** أي من المتعبدين **(كانوا يحضرون المساجد)** ويختلفون إليها **(ويغضون البصر)** في مرورهم إليها وحالة دخولهم في الصلاة فيها، **(ولا يجاوزون به موضع السجود)** متابعة منهم لما روي، وأن لا يجاوز بصره إشارته كما تقدم، **(ويرون كمال الصلاة في أن لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم)** وفي نسخة: على أيمانهم وشمائلهم، وهذا قد تقدم من حال سعيد بن المسيب وقد أخذه عن ابن عباس. **(وكان ابن عمر)** رضي الله عنه **(لا يدع في موضع الصلاة)** أي بين يديه **(مصحفاً)** موضوعاً على الأرض أو معلقاً بعلاقة، **(ولا سيفاً)** كذلك **(إلا نزعه)** أي رفعه من موضعه، **(ولا كتاباً)** في جدار **(إلا محاه)** وفي نسخة: نحاه أي أزاله. وكل ذلك ليكون أجمع للخاطر وادعى للفكر عن التفرق، ويدخل في هذا ما إذا وضع قنديلاً بين يديه أو شمعاً أو كانون نار مع ما في الأخير من التشبه بعبادة المجوس، وقد قال أصحابنا بكراهته والله أعلم.

(وأما الأسباب الباطنة، فهي أشد) تأثيراً في القلب وأكثر رسوخاً وأبعد زوالاً وذهاباً **(فإن من تشعبت به الهموم)** أي تفرقت وتشتت **(في أودية الدنيا)** وشعابها **(لم ينحصر فكره في فن واحد)** أي نوع واحد. وأورد صاحب القوت حديثاً مرفوعاً « من تشعبت به الهموم لم يبال الله في أي أوديتها هلك ». **(بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب)** ومن فن إلى فن، فتارة هو بالمشرق إذا هو قد ذهب إلى المغرب وبالعكس، **(وغض البصر)** وكفه عن مخيلاته **(لا يغنيه في ذلك)** ولا يجديه نفعاً ولو تكلف، **(فإن ما وقع في القلب من قبل)** وتمكن فيه ورسخ **(كاف للشغل)** وفي نسخة: في الشغل، **(فهذا)** يصعب علاجه ويطول مراسه في إنجاح الدواء فيه و**(طريقه أن يرد النفس قهراً)** عنها **(إلى فهم ما يقرؤه في الصلاة)** من القرآن والتسبيح والتحميد والتعوذ والثناء **(ويشغلها به عن غيره، ويعينه على ذلك أن يستعد له)** أي يتهيأ **(قبل التحريم)** وفي نسخة: التحرم أي بالصلاة **(بأن يجدد على نفسه ذكر الآخرة)** وأمورها وأحوالها **(وموقف المناجاة)** خاصة وبماذا يناجيه **(وخطر المقام)** أي عظمه **(بين يدي الله تعالى)** ولا مال ولا بنون ولا مساعد ولا معين **(وهول المطلع)** هو

سبحانه وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحرم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلاً يلتفت إليه خاطره. قال رسول الله ﷺ لعثمان بن أبي شيبة: « إني نسيت أن أقول لك أن تخمر القدر الذي في البيت »، فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم، فهذا طريق تسكين الأفكار. فإن كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه إلا المسهل الذي يقمع مادة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر في الأمور الصارفة الشاغلة له عن إحضار القلب، ولا شك أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما

مفتعل اسم مفعول موضع الاطلاع من المكان المرتفع إلى المنخفض شبه ما يشرف عليه من أمور الآخرة بذلك (**ويفرغ قلبه**) تفريغاً (**قبل التحرم بالصلاة عما يهمه**) ويشغله، (**ولا يترك لنفسه شغلاً يلتفت إليه خاطره**) مطلقاً. (**قال النبي ﷺ لعثمان بن شيبة**) هكذا هو في سائر النسخ (**« إني نسيت أن أقول لك تخمر القرنين اللذين في البيت »**) وفي بعض النسخ: « القدير الذي في البيت » وهو غلط فإن القدر بالكسر مؤنثة ويقال في تصغيرها قديرة بالهاء لا قدير وفي نسخة أخرى: « القدر الذي » وهو أيضاً غلط. والمراد بالبيت بيت الله الحرام بمناسبة أن راويه هو عثمان حاجب البيت، والتخمير: التغطية، (**فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم**).

قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عثمان الحجبي وهو عثمان بن طلحة كما في مسند الإمام أحمد، ووقع للمصنف أنه قاله لعثمان بن شيبة وهو وهم اهـ.

قلت: لم أجد هذا الحديث في ترجمة عثمان بن طلحة في المسند، فلعله ذكره في موضع آخر. ورأيت بخط الحافظ ابن حجر قال: صوابه عثمان بن شيبة اهـ.

قلت: إن كان عثمان يكنى أبا شيبة فهو كما ذكر وارتفع الخلاف، وأما عثمان الحجبي الذي هو عثمان بن طلحة عند الإمام أحمد فهو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبدالله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار العبدري القرشي حاجب البيت. أسلم في هدنة الحديبية، وشهد فتح مكة، وله صحبة. روى عنه ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وله صحبة أيضاً، وقتل أبوه عثمان وعمه طلحة يوم أحد كافرين، وقد سلم النبي ﷺ المفتاح لعثمان وشيبة وقال لهما: « خذاه خالدة تالدة فيكم لا ينتزعه عنكم إلا شقي » أو كما قال فكانا يتشاركان في تولية المفتاح، فلما مات عثمان استقل شيبة به، ولم يزل إلى يومنا هذا في أولاد شيبة، وعرف أولاده بالشيبيين فأول شيبة لهم هو هذا ولم يكونوا يعرفون قبل هذا إلا ببني عبد الدار والله أعلم.

(**فهذا طريق تسكين الأفكار**) الهائجة، (**فإن كان هائج افكاره لا يسكن بهذا الدواء المسكن**) للغليان النفسي (**فلا ينجيه**) لا يخلصه (**إلا المسهل**) هو كمكرم اسم للدواء (**الذي**) يسهل الاخلاط بسرعة و(**يقمع مادة الداء من أعماق العروق**) أي من خواقيها، (**وذلك بأن ينظر في الأمور الشاغلة الصارفة له عن إحضار القلب**) ما هي، (**ولا شك**

صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق، فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند إبليس عدوه فإمساكه أضر عليه من إخراجه فيتخلص منه بإخراجه، كما روي أنه ﷺ: «لما لبس الخميصة التي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته». وقال ﷺ: «اذهبوا بها إلى أبي جهم فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي وائتوني بانبجانية أبي جهم». وأمر رسول الله ﷺ

في أنها) إذا تأمل فيها يجدها **(تعود إلى مهماته)** الدنيوية، **(وأنها إنما صارت مهمة لشهواته)** أي لاجل أن يعطي للنفس مناها **(فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات)** والخروج عنها **(وقطع تلك العلائق)** الحسية والمعنوية، **(فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه)** أي مضاد لدينه **(وجند إبليس عدوه)** بعثهم لإيقاع الخلل بالصلاة، **(فإمساكه)** أي ذلك الأمر **(أضر عليه)** أي أكثر ضرراً **(من إخراجه)** أي وإن اخراجه فيه ضرر أيضاً وهو مخالفة النفس والهوى والتجنب عن أنواع الملاذ والملاهي، ففيه في الظاهر ضرر لكن إمساكه أضر من ذلك لأنه يترتب عليه فساد دينه، **(كما روي أنه ﷺ لما لبس الخميصة)** وهي كساء أسود مربع **(التي أتى بها)** وفي نسخة: أتاه بها **(أبو جهم)** عامر بن حذيفة العدوي القرشي المدني أسلم يوم الفتح وتوفي في آخر خلافة معاوية، **(وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته)** وفي بعض النسخ: في بعض صلاته **(وقال: «اذهبوا بها الى أبي جهم فإنها)** أي الخميصة **(الهتني)** أي شغلتني **(آنفاً)** أي قريباً **(عن صلاتي واتوني بأنبجانية أبي جهم»)** بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الموحدة وتخفيف الجيم وبعد النون ياء نسبة مشددة كساء غليظ لا علم له، ويجوز كسر الهمزة وفتح الموحدة وتخفيف المثناة.

قال صاحب المطالع: نسبة إلى منبج موضع بالشام أي على غير قياس، ويقال: اسم الموضع انبجان ونقل عن ثعلب. قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم في العلم اهـ.

قلت: أخرجه البخاري في موضعين من كتاب الصلاة.

الأول: في باب إذا صلى في ثوب له أعلام ونظر إلى علمها، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ صلى في خميصة لها أعلام فنظر إلى اعلامها نظرة فلما انصرف قال: «اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم واتوني بانبجانية أبي جهم فإنها الهتني آنفاً عن صلاتي» وقال هشام، عن أبيه، عن عائشة قال النبي ﷺ: «كنت انظر إلى علمها وأنا في الصلاة فأخاف أن تفتنني».

قلت: وهذا التعليق رواه مسلم وغيره بالمعنى.

الثاني: في باب الالتفات في الصلاة حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أن النبي ﷺ صلى في خميصة لها اعلام فقال: «شغلتني أعلام هذه اذهبوا بها إلى أبي جهم واتوني بانبجانيته» اهـ.

بتجديد شراك نعله، ثم نظر إليه في صلاته إذ كان جديداً فأمر أن ينزع منها ويرد الشراك الخَلِق. وكان ﷺ قد احتذى نعلاً فأعجبه حسنها فسجد وقال: «تواضعت لربي عز وجل كي لا يمقتني». ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه، ثم أمر علياً رضي الله عنه أن يشتري له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما. وكان ﷺ في يده خاتم

وعند مالك في الموطأ «فإني نظرت إلى علمها في الصلاة فكاد يفتنني» فيحمل قوله: «ألهتني» على قوله: «كاد» فيكون الإطلاق للمبالغة في القرب لتحقق وقوع الإلهاء، ولا يقال أن المعنى شغلتني عن كمال الحضور في صلاتي، لأنا نقول قوله في الرواية المعلقة، فأخاف أن يفتنني يدل على نفي وقوع ذلك، وقد يقال إن له ﷺ حالتين: حالة بشرية وحالة يختص بها خارجة عن ذلك، فبالنظر إلى الحالة البشرية قال «ألهتني» وبالنظر إلى الحالة الثانية لم يجزم به بل قال «أخاف» ولا يلزم من ذلك الوقوع ونزع الخميصة ليسنن به في ترك كل شاغل، وليس المراد أن أبا جهم يصلي في الخميصة لأنه عليه السلام لم يكن ليبعث إلى غيره مما يكرهه لنفسه، فهو كاهداء الحلة لعمر بن الخطاب مع تحريم لباسها عليه لينتفع بها ببيع أو غيره. واستنبط من الحديث الحث على حضور القلب في الصلاة وترك ما يؤدي إلى شغله، وفي إعادة البخاري الحديث في كراهة الالتفات إشارة إلى أنه لا يشترط في الالتفات إدارة البصر يمنة ويسرة، بل بمجرد وقوع البصر على شيء يلهيه يعد التفاتاً. ألا ترى أن النبي ﷺ قال: «شغلتني أعلامها» ولم يكن ذلك إلا بوقوع البصر عليها. فتأمل في دقة نظر البخاري رحمه الله تعالى، وبه يظهر أن غض البصر له دخل كبير في ترك الالتفات والله أعلم.

(وأمر رسول الله ﷺ بتجديد شراك نعله) هو سيرها الذي على ظهر القدم **(ثم نظر إليه في صلاته)** أي لكونه كان يصلي في النعل دائماً وعلل النظر بقوله **(إذ كان جديداً)** فكأنه خاف أن يفتتن به **(فأمر أن ينزع منها)** أي ذلك الشراك من النعل **(ويرد الشراك الخلق)** محركة أي البالي القديم. قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد من حديث أبي النضر مرسلاً بإسناد صحيح اهـ.

قلت: وأبو النضر هو سالم بن أبي أمية القرشي التيمي المدني تابعي. مات في سنة ١٢٩ روى له الجماعة.

(وكان ﷺ قد اتخذ) وفي نسخة: احتذى **(نعلين)** وهي نسخة العراقي **(فأعجبه حسنها فسجد)** لله شكراً **(وقال «تواضعت لربي عز وجل كي لا يمقتني»)** والمقت: أشد الغضب، **(ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه، ثم أمر علياً كرم الله وجهه أن يشتري له سبتيتين)** مثنى سبتية بكسر السين وسكون الموحدة ثم كسر المثناة الفوقية بعدها ياء نسبة مشددة جلود بقرتدبغ بالقرظ وتصنع منها النعال. سميت بذلك لأن شعرها قد سبت عنها أي أزيل وحلق فقوله: **(جرداوين)** أي لا شعر فيها كالتأكيد لما قبله **(فلبسهما)**. قال العراقي: رواه أبو عبدالله بن خفيف في شرف الفقهاء من حديث عائشة بإسناد ضعيف اهـ.

من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال: «شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم». وروي «أن أبا طلحة صلّى في حائط له فيه شجر فأعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجاً فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدرِ كم صلى؟ فذكر لرسول الله ﷺ ما أصابه من الفتنة، ثم قال: يا رسول الله؛ هو صدقة فضعه حيث شئت».

وعن رجل آخر أنه صلى في حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر إليها فأعجبته ولم يدرِ كم صلّى؟ فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال: هو صدقة فاجعله في سبيل الله

قلت: وأبو عبدالله بن خفيف هذا شيرازي من كبار الأئمة ويعرف بالشيخ الكبير وله ذكر وصيت.

(وكان ﷺ في يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال: «شغلني هذا نظرة إليه ونظرة إليكم») قال العراقي: أخرجه النسائي من حديث ابن عباس بإسناد صحيح، وليس فيه بيان أن الخاتم كان ذهباً أو فضة إنما هو مطلق. اهـ.

قلت: قد ثبت أنه ﷺ لما اتخذ خاتماً من ورق فاتخذوا مثله طرحه فطرحوا خواتيمهم هكذا رواه الزهري، وقيل بل الذي لبسه يوماً ورماه خاتم ذهب، كما ثبت ذلك من غير وجه عن ابن عمر، وأنس، أو خاتم حديد عليه فضة، فقد روي أبو داود: أنه كان له خاتم حديد ملوى على فضة، فلعله هو الذي طرحه وكان يختم به ولا يلبسه والله أعلم.

(وروي «أن أبا طلحة) زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري المدني أحد النقباء شهد المشاهد كلها. عاش بعد النبي ﷺ أربعين سنة. روى له الجماعة **(صلى في حائط له)** أي بستان **(فيه شجر فأعجبه دبسي)** هو بالضم ضرب من الفواخت كذا في المصباح **(طار في الشجر)** وفي نسخة: ريش طائر، وفي نسخة العراقي. ريش الطائر في الشجر **(يلتمس)** أي يطلب **(مخرجاً فأتبعه بصره ساعة)** أي لحظة **(ثم رجع إلى صلاته فلم يدر كم صلى فذكر لرسول الله ﷺ ما أصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو)** أي الحائط **(صدقة)** في سبيل الله **(فضعه حيث شئت»)** قال العراقي: روى مالك في الموطأ عن عبدالله بن أبي بكر «أن أبا طلحة الأنصاري فذكره بنحوه» اهـ.

قلت: وسيأتي للمصنف هذا في كتاب اسرار الزكاة.

(وعن رجل آخر أنه صلى في حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر إليه فأعجبه) وفي نسخة: إليها فأعجبته **(فلم يدر كم صلى)** فرجع **(فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه وقال: هو صدقة فاجعله في سبيل الله عز وجل» فباعه عثمان بخمسين ألفاً)** لم يذكره العراقي، والظاهر أن هذه القضية اتفقت في خلافة سيدنا عثمان والعهد قريب، فيحتمل أن ذلك الرجل

عز وجل، فباعه عثمان بخمسين ألفاً فكانوا يفعلون ذلك قطعاً لمادة الفكر وكفّارة لما جرى من نقصان الصلاة، وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغني غيره.

فأما ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الذكر فذلك ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل إلا حواشي القلب. فأما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين، بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وينقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة. ومثاله: رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه، فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود إلى فكره فتعود العصافير فيعود إلى التنفير بالخشبة، فقيل له: إن هذا سير السواني ولا ينقطع، فإن أردت الخلاص فاقطع

ممن له صحبة، (**فكانوا يفعلون ذلك قطعاً لمادة الفكر**) الذي أورثهم الشك في الصلاة (و) الخروج عن ملكيته (**كفارة لما جرى من نقصان الصلاة**)، فلعله بذلك لا يكون مؤاخذاً بين يدي الله تعالى. (**وهذا هو الدواء القامع**) الكاسر (**لمادة العلة**) وفي نسخة: الغفلة (**ولا يغني غيره**) ولا ينجع.

(**فإن ما ذكرناه**) وفي نسخة: فأما ما ذكرناه آنفاً (**من التلطف بالتسكين والرد إلى فهم الذكر فذلك ينفع في الشهوات الضعيفة**) التي ما تمكنت من القلب ولا رسخت فيه (**والهمم التي تشغل إلا حواشي القلب**) أي أطرافه. (**فأما الشهوة القوية المرهقة**) أي المعسرة. يقال: أرهقته إذا أعسرته (**فلا ينفع فيها التسكين**) بوجه من الوجوه، (**بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك**) مغالبة (**ثم تغلبك**) آخراً (**وينقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة**) ولم تستفد شيئاً، وكلما مر وقت فهي تزداد بإرهاقها وتضعف قوتك عن مقاومتها، لأن الشخص إذا غلب مرة ضعف في عين قرينه فيهابه أن يقابله ثانياً إلا بهيبة وخوف هذا إذا كان القرين ممن يرى في الظاهر والشهوة قرينة الإنسان في الباطن، فهي لا تنفك عنه بحال ولا ترى حتى يحتال إلى دفعها إلا بمعونة الله تعالى.

(**ومثال ذلك مثال رجل تحت شجرة**) ذات أغصان وفروع (**يريد أن يصفو له فكره**) وتجتمع حواسه (**وكانت اصوات العصافير**) على تلك الأغصان (**تشوش عليه**) أي تفرق عليه الوقت، (**فلم يزل يطيرها بخشبة في يده**) فيطيرون (**ويعود إلى**) ما كان عليه من (**فكره فتعود العصافير**) إلى أصواتها المختلفة (**ويعود**) الرجل (**إلى التنفير**) والتطيير (**بالخشبة، فقيل له: إن هذا سير السواني**) جمع سانية، وأصلها البعير يسنى عليه من البشر أو يستقى، والسحابة تسنو الأرض أي تسقيها فهي سانية أيضاً، وأراد هنا من السانية الدولاب الذي يدور بالماء ويضرب المثل في سير السواني في كل ما لا ثمرة في حركته، وأن آخره كأوله لا يزيد ولا ينقص، ولذلك قال: (**ولا ينقطع، فإن أردت الخلاص**) عن ذلك (**فاقطع**

الشجرة. فكذلك شجرة الشهوات إذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار وانجذاب الذباب إلى الأقذار والشغل يطول في دفعها، فإن الذباب كلما ذب آب ولأجله سمي ذباباً. فكذا الخواطر، وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا، وذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد. ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى

الشجرة) من أصلها تسترح، **(فكذلك شجرة الشهوات)** وفي نسخة الشهوة **(إذا تشعبت)** أي صارت ذات شعب **(وتفرعت أغصانها)** وكثرت **(انجذبت إليها الأفكار)** الرديئة **(انجذاب)** تلك **(العصافير إلى)** أغصان **(الأشجار، وكانجذاب الذباب إلى الأقذار)** الذباب بالضم معروف، والأقذار جمع قذر بالتحريك هو النتن، **(والشغل يطول في دفعها)** وطردها، **(فإن)** من شأن **(الذباب كلما ذب)** أي طرد **(آب)** أي: رجع **(ولأجله سمي ذباباً)** هذا هو المشهود بين ألسنة الناس فيكون من باب المنحوت، كما قال بعضهم في تسمية العصفور لأنه عصى وفر، والصحيح عند أئمة اللغة خلاف ذلك وهو فعال من ذبه إذا نحاه، وقد أشرت إلى ذلك في شرحي على القاموس فراجعه. **(فكذا الخواطر)** النفسية كلما دفعت رجعت ولا تندفع بالكلية إلا بقطع مادتها، **(وهذه الشهوات كثيرة)** مختلفة الأنواع باختلاف المعاصي والقبائح، **(وقلما يخلو العبد عنها)** في حالة من حالاته. وفي نسخة: وقلما يخلو أحد منها **(ويجمعها أصل واحد)** منه منشؤها **(وهو حب الدنيا)** والميل إليها، والمراد بالدنيا أمورها المتعلقة بها المزينة للإنسان في عينه التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب﴾ الآية [١٤ من سورة آل عمران] والمراد بالحب هنا الاختياري بأن يختار لنفسه حب شيء من أمورها تعمداً وقصداً لا اضطراراً، فإن الإنسان مجبول على حب ولده وزوجته وما ملكته يداه من الانعام والحرث، ثم إن كان ما أعان العبد على الآخرة من أمور الدنيا فليس داخلاً في حد الدنيا، فإنها إنما جعلت قنطرة للآخرة يتبلغ بها العبد قدر حاجته في سفره إلى مولاه، **(وذلك)** أي حبها **(رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد)**.

وقد اشتهر على الألسنة: حب الدنيا رأس كل خطيئة. واختلف فيه هل هو من كلام النبي ﷺ أم لا؟ ففي المقاصد للحافظ السخاوي أخرجه البيهقي في الحادي والسبعين من الشعب بإسناد حسن إلى الحسن البصري رفعه مرسلاً. وأورده الديلمي في الفردوس، وتبعه ولده بلا إسناد عن علي رفعه، وهو عند البيهقي أيضاً في الزهد، وأبي نعيم في ترجمة الثوري من الحلية من قول عيسى ابن مريم عليه السلام، وعند ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان له من قول مالك بن دينار، وعند ابن يونس في ترجمة سعد بن مسعود التجيبي في تاريخ مصر له من قول سعد هذا. وجزم ابن تيمية أنه من قول جندب البجلي رضي الله عنه، وللديلمي من حديث أبي هريرة رفعه

شيء منها لا ليتزوّد منها ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن في أن تصفو له لذة المناجاة في الصلاة. فإن من فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه وبمناجاته. وهمة الرجل مع قرة عينه فإن كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا محالة إليها همه، ولكن مع هذا، فلا ينبغي أن يترك المجاهدة، ورد القلب إلى الصلاة، وتقليل الأسباب الشاغلة، فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالاً، حتى أن الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن

«أعظم الآفات تصيب أمتي جمعهم الدنيا وحبهم الدنانير والدراهم لا خير في كثير فيمن جمعها إلا من سلطه الله على هلكتها في الحق». اهـ.

قلت: وسيأتي للمصنف في موضعه من هذا الكتاب رفعه إلى رسول الله ﷺ، وأورد بعده كلاماً وسنشرحه هناك إن شاء الله تعالى.

وكان الربيع بن خثيم يقول: أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم يدخل حب الآخرة. وقال آخر: ليس خيركم من ترك من هذه لهذه بل خيركم من أخذ من هذه لهذه.

(**ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال إلى شيء منها**) باختياره وطواعية نفسه (**لا للتزود منها ولا ليستعين به على الآخرة**) وفي بعض النسخ: لا ليستعين به على الآخرة ويتزود إليها، (**فلا يطمعن في أن تصفو له لذة المناجاة في الصلاة**) مع ربه، (**فإن من فرح بالدنيا**) بأن اطمأن به إليها والقى شراشيره عليها (**لا يفرح بالله تعالى وبمناجاته**) فإنه من أمور الآخرة وهما ضرتان لا يجتمعان إن دخلت هذه خرجت الأخرى وبالعكس، (**وهمة الرجل مع قرة عينه**) أي فيما تقر به عينه (**فإن كانت قرة عينه في الدنيا**) أي في حصول أمورها (**انصرف لا محالة إليها همه**)، ولذلك أشار ﷺ بقوله: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» إن هذا الوصف ليس من أمور الدنيا وذلك لأنه ميزها من قوله: «حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء» لأنه كان في مشاهدة ربه فجعل قرة عينه بها لأنها من أمور الآخرة، وسيأتي لذلك تحقيق، (**ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك**) المصلي (**المجاهدة**) مع نفسه، (**و**) لا يترك (**رد القلب إلى الصلاة**) على قدر جهده وطاقته، (**و**) لا يترك (**تقليل الأسباب الشاغلة**) له عنها. (**وهذا هو الدواء المر**) الطعم البشع الرائحة الكريه اللذة (**ولمرارته**) وبشاعته (**استبشعته الطباع**) أي عدته بشعاً. وفي نسخة: استبشعه أكثر الطباع (**وبقيت العلة**) المذكورة (**مزمنة**) أي دائمة زماناً طويلاً (**وصار الداء عضالاً**) بالضم أي شديداً أعيت الأطباء عن معالجته (**حتى أن الأكابر**) من العارفين بالله تعالى (**اجتهدوا**) وفي نسخة: اجتهد بعضهم (**أن يصلوا**) وفي نسخة أن يصلي (**ركعتين لا يحدثوا**) وفي نسخة: لا يحدث (**أنفسهم**) وفي نسخة: نفسه (**فيها بأمور الدنيا**) وفي نسخة: بشيء من أمر الدنيا (**فعجزوا عن ذلك**). وقد قال صاحب القوت ورفعه إلى النبي ﷺ: «من صلى ركعتين لم يحدث فيهما

ذلك، فإذاً لا مطمع فيه لأمثالنا، وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً. وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح مملوء بحل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الحل لا محالة ولا يجتمعان.

بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة:

نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه». (**فلا مطمع**) وفي نسخة: فإذاً لا مطمع (**فيه لأمثالنا**) من القاصرين عن بلوغ هذه الدرجة، (**وليته سلم لنا من الصلاة**) وفي نسخة: من صلاتنا (**شطرها**) أي بعضها أو نصفها (**أو ثلثها من الوسواس**) وفي نسخة: عن الوساوس (**لنكون ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً**) فعسى أن نكون بذلك من المفلحين (**وبالجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة**) تواردهما (**في القلب**) معاً (**مثل الماء الذي يصب في قدح مملوء بحل**) وفي نسخة: مثل الذي يصيب الماء في قدح فيه حل، والحل بالحاء المهلمة الشيرج، وغالب النسخ هنا بالخاء المعجمة وهو غلط (**فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الحل ولا يجتمعان**)، ولذا قال الربيع بن خثيم: أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم يدخل حب الآخرة نسأل الله التوفيق.

(**بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند**) مباشرة (**كل ركن**) من الأركان (**وشرط**) من الشروط (**من أعمال الصلاة**):

واعلم أنه قد تقدم ذكر الأركان وتعريف الركن وما يتعلق به، وقد ذكر صاحب المبسوط من أصحابنا فرقاً نفيساً بين الشرط والركن، فقال: حد الشرط ما يشترط دوامه من أول الصلاة إلى آخرها، كالطهارة، وستر العورة وحد الركن ما لا يدوم من أولها إلى آخرها، بل ينقضي بالشروع في ركن آخر كالقيام والقراءة، فإن كلا منهما ينقضي بالركوع والركوع بالانتقال إلى السجود اهـ.

وقال عبد العلي البرجندي من أصحابنا في شرح الوقاية: ما يتعلق بالشيء إن كان داخلاً فيه يسمى ركناً كالركوع في الصلاة، وإن كان خارجاً فإن كان مؤثراً فيه بمعنى أنه كلما وجد ذلك المتعلق يوجد عقيبه وجوب ذلك الشيء في إيجاب الله تعالى يسمى علة كعقد النكاح للحل، وإن لم يكن مؤثراً فيه فإن كان موصلاً إليه في الجملة يسمى سبباً كالوقت لوجوب الصلاة، وإن لم يكن موصلاً إليه فإن توقف الشيء عليه يسمى شرطاً كالوضوء للصلاة، وإن لم يتوقف عليه يسمى علامة كالأذان للصلاة، فشرط الشيء هو الخارج عنه غير مؤثر ولا موصلا إليه المتوقف هو على وجوده، فالوقت ليس بشرط بهذا المعنى والله أعلم.

فنقول: حقك إن كنت من المريدين للآخرة أن لا تغفل أولاً عن التنبيهات التي في شروط الصلاة وأركانها.

أما الشروط السوابق فهي الأذان، والطهارة، وستر العورة، واستقبال القبلة،

(فنقول: حقك) أيها الإنسان **(إن كنت من المريدين للآخرة)** سالكاً في طريقها **(أن لا تغفل أولاً عن التنبيهات التي)** تذكر **(في شروط الصلاة وأركانها. أما الشروط السوابق فهي)** ستة وإنما سماها سوابق لكونها تسبق أعمال الصلاة.

الأول: (الأذان): المراد دخول الوقت ثم هو لغة الإعلام، وشرعاً قول مخصوص يعلم به وقت الصلاة المفروضة وهو سنة كالإقامة. قيل: على الكفاية كما في المجموع للنووي أي في حق الجماعة. أما المنفرد فهما في حقه سنة عين، وقيل: هما فرض على الكفاية لأنهما من الشعائر الظاهرة وفي تركهما تهاون، فلو اتفق أهل البلد على تركهما قوتلوا، وقيل: هما فرض كفاية في الجمعة دون غيرها، وعلى هذا فالواجب هو الذي يقام بين يدي الخطيب وهل يسقط بالأول؟ فيه وجهان. وينبغي السقوط، وشرط حصولها فرضاً أو سنة أن يظهر في البلد بحيث يبلغ جميعهم فيكفي في القرية الصغيرة في موضع والكبيرة في مواضع، فلو أذن واحد في جانب فقط حصلت السنة فيه دون غيره، وهل المنفرد في بلد أو صحراء إذا أراد الصلاة يؤذن، فقيل: بندبه وهو القول الجديد: قال الرافعي: وهو الذي قطع به الجمهور، وقيل: لا لانتفاء المعنى المقصود منه وهو الاعلام وهو القول القديم، وصحح الاسنوي الأول وقال: هو المعتمد. وقال الأذرعي: هو الذي نعتقد رجحانه، ويندب لجماعة النساء الإقامة بأن تأتي بها إحداهن لا الأذان على المشهور وهو مثنى، والإقامة فرادى إلا لفظ الإقامة ويسن ترتيله والترجيع فيه والتثويب في الصبح، ويجب ترتيبه وموالاته وهل الإقامة أفضل أو الأذان. قال النووي في المنهاج: الأصح أن الأذان أفضل وشرطه الوقت إلا الصبح، فمن نصف الليل ويسن لسامعه مثل قوله إلا في حيعلتيه فيحوقل وإلا في التثويب فيقول صدقت وبررت، وكذا في الإقامة إلا في كلمتي الإقامة فيقول: أقامها الله وأدامها كما تقدم، ثم يصلي على النبي ﷺ ويأتي بالدعاء المأثور الذي تقدم ذكره.

فصل

قال أصحابنا: الإمامة أفضل من الأذان، وقد روي ذلك عن أبي حنيفة، وسيأتي البحث في ذلك وهو سنة مؤكدة، وكذا الإقامة في الأصح وهي في قوة الواجب، وعن بعض مشايخنا القول بالوجوب. وعن محمد بن الحسن أنه فرض كفاية للفرائض ولو منفرداً أداء وقضاء، سفراً وحضراً. وهو خمس عشرة كلمة: أربع تكبيرات، وأربع شهادات، وأربع دعاء إلى الصلاة وإلى الفلاح، وتكبيرتان، وكلمة التوحيد. وعن أبي يوسف: يكبر في أوله مرتين وهي رواية عن الحسن عن أبي حنيفة ولا ترجيع في الشهادتين والإقامة مثله، ويزيد في الفجر «الصلاة خير من

....

النوم » مرتين وفي الإقامة« قد قامت الصلاة » مرتين، ولا يجزىء بالفارسية، وإن علم أنه أذان في الأظهر، وإذا سمع المسنون منه أمسك عن التلاوة وقال مثله إلا في حيعلتيه، فإنه يحوقل ويأتي بالدعاء المأثور والله أعلم.

(و) الثاني: (الطهارة): أي من الحدث والخبث في الثوب والبدن والمكان الذي يصلي فيه، فلا تصح صلاته مع عدمها ولو مع جهله بوجوده أو يكونه مبطلاً، ولو رأينا في ثوب من يريد الصلاة نجاسة لا يعلم بها وجب إعلامه، واستثنى من المكان ما لو كثر زرق الطير فيه، فإنه يعفى عنه للمشقة في الاحتراز منه، وقيد في المطلب العفو بما إذا لم يتعمد المشي عليه. قال الزركشي :وهو قيد معتبر. وقال الشهاب الرملي: وأن لا يكون رطباً أو رجله مبلولة ولو تنجس ثوبه بما لا يعفى عنه ولم يجد ما يغسله به وجب قطع موضعها ان لم تنقص قيمته بالقطع أكثر من أجرة ثوب يصلي فيه لو اكتراه، قاله المتولي. وقال الأسنوي: يعتبر أكثر الأمرين من ذلك ومن ثمن الماء لو اشتراه مع أجرة غسله عند الحاجة، لأن كلاً منهما لو انفرد وجب تحصيله اهـ.

ولو اشتبه عليه طاهر من ثوبين اجتهد فيهما للصلاة كما في الأواني. كذا في المحرر. ولو اجتهد في الثوبين فلم يظهر له شيء صلى عارياً لحرمة الوقت وأعاد لتقصيره بعدم إدراك العلامة، ولو غسل أحد الثوبين بالاجتهاد صحت الصلاة فيهما ولو جمعهما عليه، ولو تنجس بعض ثوب أو بدن أو مكان ضيق وجهل ذلك وجب غسل كله لتصح الصلاة فيه: إذ الأصل بقاء النجاسة ما بقي جزء منه، فإن كان المكان واسعاً لم يجب عليه الاجتهاد ولكن يسن، فله أن يصلي فيه بلا اجتهاد، والوسع والضيق راجعان إلى العرف.

فصل

قال أصحابنا: الأصل في لزوم تطهير الثوب قوله تعالى: ﴿وثيابك فطهر﴾ [المدثر: ٤] وإذا لزم التطهير في الثوب لزم في البدن والمكان بطريق الأولى: لأنهما ألزم للمصلي من الثوب. إذ لا وجود للصلاة بدون مكان، وقد توجد بدون ثوب كما في صلاة العاري. فالوارد في الثوب عبارة، والوراد في البدن والمكان دلالة لأن الصلاة مناجاة مع الرب، فيجب أن يكون المصلي على أحسن الأحوال، وذا في طهارته وطهارة ما يتصل به الثوب والمكان، ولو صلى على مكان طاهر إلا أنه إذا سجد تقع ثيابه على أرض نجسة إن كانت لا تلوث ثيابه جازت صلاته، ويشترط طهارة موضع القدمين، فلو وضع واحدة منهما على نجس لا تصح صلاته على الأصح، وإن وضع واحدة فقط على طهارة ورفع الأخرى صحت مع كراهة، ولو افترش نعليه على نجس وقام عليهما جازت بمنزلة ما لو بسط الثوب الطاهر على الأرض النجسة وصلى عليه، وإن افتتح الصلاة على مكان طاهر ثم انتقل إلى مكان نجس ولم يمكث مقدار ركن صحت اتفاقاً، وإن كان مقدار ركن من غير أدائه فسدت عند أبي يوسف احتياطاً كما لو أدى ركنا مع المكث وحكم

....

الانكشاف، كذلك إذا كان بغير صنعه، ويشترط طهارة موضع اليدين والركبتين على الصحيح واختاره الفقيه أبو الليث ومخالفته في المسألة شذوذ، ويشترط طهارة موضع الجبهة على الأصح من الروايتين عن أبي حنيفة وهو قولها، وإذا صلى في خيمة وصار سقفها على رأسه لتمام قيامه جاز إن كانت طاهرة وإلا فلا. ولو كان في يده حبل مربوط بنجس إن سقط على الأرض ولم يتحرك بحركته صحت صلاته، والصبي إذا جلس في حجر المصلي وهو يستمسك وبه نجاسة على بدنه أو ثوبه أو جلس طير متنجس على رأس المصلي جازت صلاته إذا لم ينفصل إليه من النجاسة ما لا يعفى عنه، لأن الشرط خلو الجسد والثوب والمكان عنه والله أعلم.

(و) الثالث: (ستر العورة) عن العيون ولو كان خالياً في ظلمة، فإن عجز وجب أن يصلي عارياً ويتم ركوعه وسجوده ولا إعادة عليه في الأصح، وقيل: يومىء بهما ويعيد، وقيل: يخير بين الإيماء والاتمام، ويجب ستر العورة في غير الصلاة أيضاً ولو في خلوة إلا لحاجة كاغتسال. وقال صاحب الذخائر: يجوز كشف العورة في الخلوة لأدنى غرض ولا يشترط حصول الحاجة. قال: ومن الأغراض التبريد وصيانة الثوب من الأدناس والغبار عند كنس البيت وغيره، وإنما وجب الستر في الخلوة لإطلاق الأمر بالسترة ولأن الله أحق أن يستحى منه، ويكره نظر الإنسان إلى عورة نفسه من غير حاجة، والعورة لغة النقصان والشيء المستقبح وسمي المقدار الآتي بيانه بذلك لقبح ظهوره، والعورة تطلق على ما يجب ستره في الصلاة وهو المراد هنا وعلى ما يحرم النظر إليه، وعورة الرجل ما بين سرته وركبته وكذا الأمة ولو مدبرة ومكاتبة ومستولدة ومبعضة في الأصح إلحاقاً بالرجل بجامع أن رأس كل منهما ليس بعورة، والقول الثاني إنها كالحرة ما عدا الوجه والكفين والرأس، والقول الثالث عورتها ما لا يبدو منها في حال خدمتها بخلاف ما يبدو كالرأس والرقبة والساعد وطرف الساق، وخرج بذلك السرة والركبة فليسا من العورة على الأصح، وقيل: الركبة منها دون السرة، وقيل: عكسه، وقيل: السوأتان فقط، وبه قال مالك وجماعة. وعورة الحرة ما سوى الوجه والكفين ظاهرهما وباطنهما من رؤوس الأصابع إلى الكوعين، وفي قول أو وجه ان باطن قدميها ليس بعورة. وقال المزني: ليس القدمان عورة وشرط الساتر ما منع إدراك لون البشرة لا حجمها، فلا يكفي ثوب رقيق ولا مهلهل لا يمنع إدراك اللون ولا زجاج يحكي اللون، لأن مقصود الستر لا يحصل بذلك إما إدراك الحجم فلا يضر لكنه للمرأة مكروه وللرجل خلاف الأولى قاله الماوردي وغيره.

فإن قيل: يرد على عبارته الظلمة فإنها مانعة عن الإدراك ولطخ العورة بنحو حبر كحناء؟ أجيب: بأن كلامه في الساتر وما ذكر لا يسمى ساتراً غير الظلمة يسمى مغيراً والأصح وجوب التطيين على فاقد الثوب، والثاني لا للمشقة والتلويث، فلو رؤيت عورته من جيب قميصه لسعته في ركوع أو غيره لم يكف الستر به فليزره أو يشد وسطه، وإذا وجد المصلي سترة نجسة ولا ماء يغسلها به أو وجد الماء ولم يجد من يغسلها وهو عاجز عن غسلها أو وجده ولم يرض إلا باجرة ولم يجدها أو وجدها ولم يرض إلا بأكثر من ثمن المثل، أو حبس على نجاسة واحتاج إلى فرش

....

السترة عليها صلى عارياً وأتم الأركان كما مر، ولو أدى غسل السترة إلى خروج الوقت غسلها وصلى خارجه ولا يصلي في الوقت عارياً، كما نقل القاضي أبو الطيب الاتفاق عليه.

فصل

وقال أصحابنا: الساتر هو الذي لا يرى ما تحته، فالثوب الرقيق لا يكون ساتراً، وستر العورة خارج الصلاة بحضرة الناس واجب إجماعاً إلا في مواضع، وفي الخلوة فيه خلاف. والصحيح وجوبه إذا لم يكن الانكشاف لغرض صحيح، ولا يضر نظر العورة من جيب قميصه الواسع رواه ابن شجاع نصاً عن أبي حنيفة وأبي يوسف وهو قول عامتهم لأنها ليست عورة في حق نفسه لأنه يحل له مسها والنظر إليها، وخالف فيه بعض المشايخ ولو لم يجد إلا ثوب حرير صلى فيه. وإن وجد غيره صحت أيضاً مع كراهته، وتصح الصلاة على ثوب طاهر وبطانته نجسة غير مضرب وعلى طرف طاهر، وإن تحرك الطرف النجس بحركته لأنه ليس بحامل لها على الصحيح وفاقد ما يزيل به النجاسة يصلي معها ولا إعادة عليه، ومن ابتلي ببليتين يختار أيهما شاء، وإن اختلفتا يختار أهونهما لأن مباشرة الحرام لا تجوز إلا للضرورة، وإن وجد ما لا يستر إلا إحدى السوأتين وجب ستر الدبر، وقيل: القبل. وندب صلاة العاري جالساً بالإيماء ماداً رجليه نحو القبلة فإن صلى قائماً صح. وعورة الرجل ما بين السرة ومنتهى الركبة. والسرة: ليست من العورة. والركبة منها هذا ظاهر الرواية. وقيل: من السرة وهي رواية أبي عصمة، وقيل: من المنبت وهي رواية محمد بن الفضل وتزيد عليه الأمة البطن والظهر، وجميع بدن الحرة عورة إلا وجهها وكفيها وقدميها. وفي القدم روايتان والصحيح أنها ليست بعورة في الصلاة وعورة خارج الصلاة جمعاً بين الروايتين، وفي ظاهر الرواية ظاهر كفها عورة وباطنه ليس بعورة، وفي الذراع روايتان. والأصح أنه عورة ونغمتها عورة لا صوتها على الصحيح، ويكره كشف الرأس إلا للتذلل. وقال أبو حنيفة: الصلاة في السراويل أي وحده سنة أهل الجفاء والله أعلم.

(و) الرابع: (استقبال القبلة): أي استقبال عينها يقيناً في القرب وظناً في البعد، وهو شرط الصلاة للقادر على الاستقبال، فلا تصح الصلاة بدونه إجماعاً، والقبلة في اللغة الجهة. والمراد هنا الكعبة. ولو عبر بها لكان أولى لأنها القبلة المأمور بها، ولكن القبلة صارت في الشرع حقيقة الكعبة لا يفهم منها غيرها، وسميت قبلة لأن المصلي يقابلها، وكعبة لارتفاعها أو استدارتها.

أما العاجز عنه كمريض لا يجد من يوجهه إليها ومربوط على خشبة فيصلي على حاله ويعيد وجوباً.

قال في الكفاية: ووجوب الإعادة دليل على الاشتراط أي: فلا يحتاج للتقييد بالقادر، فإنها شرط للعاجز أيضاً بدليل القضاء، ولذلك لم يذكره في التنبيه والحاوي.

....

واستدرك على ذلك السبكي فقال: لو كانت شرطاً لما صحت الصلاة بدونه ووجوب القضاء لا دليل فيه. قال الخطيب: وفي هذا نظر لأن الشرط إذا فقد تصح الصلاة بدونه وتعاد كفاقد الطهورين قال: ثم رأيت الأذرعي تعرض لذلك، ولا يشترط في شدة الخوف.

وأما نفل السفر؛ فيختص الاستقبال فيه وجوباً بالتحرم فلا يجب فيما عداه، لأن الانعقاد يحتاط له ما لا يحتاط لغيره، وقيل: يشترط في السلام أيضاً، والأصح المنع كما في سائر الأركان. وقال ابن الصباغ: فالقياس أنه مهما دام واقفاً لا يصلي إلا إلى القبلة وهو متعين اهـ.

وأما إن كان سائراً فإن كان ماشياً وجب الاستقبال في التحرم والركوع والسجود والسلام ويمشي فيما عدا هذه الأربعة. وأما إن كان راكباً ففيه تفصيل بين أن يكون في سفينة أو سرج فليراجع في محله، ومن أمكنه علم القبلة حرم عليه التقليد والاجتهاد وإلا أخذ بقول ثقة يخبر عن علم بالقبلة أو المحراب فإن فقد وأمكن الاجتهاد بأن كان يعرف أدلة القبلة حرم التقليد، وإن تحير لم يقلد في الأظهر وصلى كيف كان ويقضي.

وأدلة القبلة أقواها القطب وهي نقطة تدور عليها الكواكب وتختلف باختلاف الأقاليم، ففي العراق يجعله المصلي خلف أذنه اليمنى، وفي مصر خلف أذنه اليسرى، وفي اليمن قبالته مما يلي جانبه الأيسر، وفي الشام وراءه وقبل ينحرف بدمشق وما قاربها إلى الشرق قليلاً ويجب الاجتهاد أو التقليد لنحو الأعمى لكل صلاة تحضر على الأصح كما في الروضة، ومن عجز عن الاجتهاد وتعلم الأدلة قلد ثقة عارفاً بالأدلة وجوباً، فإن صلى بلا تقليد قضى، فإن قدر على تعلم الأدلة فالأصح وجوب التعلم عند السفر، وفي الحضر ففرض كفاية وسفر الحج مع الركب كالحضر على الصحيح، ومن صلى بالاجتهاد فتيقن الخطأ قضى وجوباً في الأظهر، فلو تيقنه فيها وجب استئنافها وإن تغير اجتهاده عمل بالثاني، والله أعلم.

فصل

وقال أصحابنا: ليس السين في الاستقبال للطلب، لأن طلب المقابلة ليس هو الشرط بل الشرط المقصود بالذات المقابلة. والقبلة: هي الجهة التي تستقبل في الصلاة وهو شرط عند القدرة والأمن، فللمكي المشاهد فرضه إصابة عينها اتفاقاً ولغيره سواء كان بمكة أو غيرها إصابة جملتها أي الكعبة في الصحيح، وقول آخر يشترط إصابة عينها للكل حكاه أبو عبدالله الجرجاني، ولا تشترط نية الكعبة مع الاستقبال للقبلة في الصحيح وهو قول أبي بكر بن حامد. وقال محمد ابن الفضل: تشترط. وقال صاحب الدراية: وهو الأحوط واعترضه ابن أمير حاج وقال: ليس كذلك إذا كان الاحتياط باقوى الدليلين، فإن الاشتراط ليس له دليل قوي فيما يظهر، فضلاً عن كونه يقتضي أقوى الدليلين، ومنهم من قال: إن صلى في المحاريب فكما قال ابن حامد، وإن صلى في الصحراء فكما قال ابن الفضل نقله قاضيخان. وقال القوام الكاكي: جهة الكعبة هي التي

والانتصاب قائماً، والنية. فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم

إذا توجه إليها يكون مسامتاً للكعبة أو هوائها تحقيقاً أو تقريباً، ومعنى التحقيق أنه لو فرض خط من تلقاء وجهه على زاوية قائمة إلى الأفق يكون ماراً على الكعبة أو هوائها، ومعنى التقريب أن يكون ذلك منحرفاً عن الكعبة أو هوائها انحرافاً لا تزول به المقابلة الكلية، ثم أن مكة لما بعدت عن ديارنا بعداً مفرطاً تتحقق المقابلة إليها في مسافة بعيدة على نسق واحد، فإنا لو فرضنا خطاً من جبين من استقبل القبلة على التحقيق في ديارنا، ثم فرضنا خطاً آخر يقطع ذلك الخط على زاويتين قائمتين عن يمين المستقبل وشماله لا تزول تلك المقابلة والتوجه بالانتقال إلى اليمين والشمال على الخط الثاني بفراسخ كثيرة، فلذلك وضع العلماء القبلة في البلاد المتقاربة على سمت وحد بأن جعلوا القبلة ببخاري وسمرقند ونسف وكش وترمذ وبلخ ومرو. موضع غروب الشمس إذا كانت في آخر الميزان وأول العقرب لبقاء المقابلة في هذا القدر ونحوه من المسافة ولم يخرجوا لكل مسجد على حدة سمت الكعبة على التحقيق، لأن ذلك خارج عن الوسع. كذا في التسهيل لابن قاضي سماونة. وسماونة قرية من قرى الروم.

(و) **الخامس: (الانتصاب قائماً)** قبل التحرم بأن ينصب فقار ظهره ومفاصله، لأن اسم القيام دائر معه لا نصب الرقبة لما مر أنه يستحب إطراق الرأس، فإن قام منحنياً إلى قدامه أو خلفه أو مائلاً إلى يمينه أو يساره بحيث لا يسمى قائماً لم يصح قيامه، فإن لم يطق انتصاباً لنحو مرض أو كبر وصار كراكع، فالصحيح أنه يقف كذلك ويميز الركوع، ولو عجز عن القيام قعد كيف شاء ولا ينقص ثوابه، والمراد بالعجز خوف الهلاك والغرق وزيادة المرض أو لحوق مشقة شديدة أو دوران الرأس في حق راكب السفينة. وقال النووي في زيادة الروضة: والذي اختاره الإمام في ضبط العجز أن تلحقه مشقة تذهب خشوعه، لكنه قال في المجموع المذهب خلافه.

فصل

وقال أصحابنا ويشترط للتحريمة أحد عشر شرطاً ذكروا منها الإتيان بها قائماً قبل انحنائه للركوع، حتى لو أدرك الإمام راكعاً فحنى ظهره ثم كبر إن كان إلى القيام أقرب صح، وإن كان إلى الركوع أقرب لم يصح، ولو كبر قائماً يريد تكبيرة الركوع والإمام راكع صار شارعاً وكفت نيته، لأن مدرك الإمام في الركوع لا يحتاج إلى تكبيرتين خلافاً لبعضهم.

(و)السادس: (النية)، علم أنه اختلف فيها فقيل: هي واجبة في بعض الصلاة وهو أولها لا في جميعها فكانت ركناً، كالتكبير والركوع وهو المعتمد. وقيل: هي شرط لأنها عبارة عن قصد فعل الصلاة فتكون خارج الصلاة، وعليه جرى المصنف هنا، وتظهر فائدة الاختلاف فيما لو

....

افتتح النية مع مقارنة مفسد من نجاسة أو غيرها وتمت بلا مانع: إن قلنا انها ركن لم تصح أو شرط صحت ومحلها القلب لأنها القصد، فلا يكفي النطق مع غفلة القلب بالاجماع، ويندب النطق بالمنوي قبل التكبير ليساعد اللسان القلب. وقال الأذرعي: لا دليل على الندب. وقال الخطيب: وهو ممنوع، بل قيل بوجوب التلفظ بالنية في كل عبادة، ولو عقب النية بلفظ إن شاء الله تعالى أو نواها وقصد بذلك التبرك، أو أن الفعل واقع بالمشيئة لم يضر، أو التعليق أو أطلق لم يصح للمنافاة. ولو قال شخص لآخر: صل فرضك ولك علي دينار فصلى بهذه النية لم يستحق الدينار وأجزأته صلاته. ولو قال: أصلي لثواب الله تعالى وللهرب من عقابه صحت صلاته خلافاً للفخر الرازي. وفي النية مسائل تقدم ذكرها آنفاً.

فصل

وقال أصحابنا: النية هي الإرادة المرجحة لأحد الطرفين المتساويين لا مطلق العلم على الأصح، فإن من علم الكفر لا يكفر ولو نواه يكفر، والمسافر إذا علم الإقامة لا يصير مقيماً وإذا نواها يصير مقيماً: والمعتبر فيها عمل القلب اللازم للإرادة فلا عبرة للذكر باللسان المخالف للقلب، لأنه كلام لا نية إلا إذا عجز عن إحضاره لهموم اصابته فيكفيه اللسان، وعمل القلب أن يعلم عند الإرادة بداهة أي صلاة يصليها واللفظ بها مستحب وهو المختار. وقيل: سنة راتبة. وقيل: بدعة كما سبق ذلك وجاز تقديمها على التكبيرة ولو قبل الوقت ما لم يوجد بينهما قاطع من عمل غير لائق بصلاة وهو كل ما يمنع البناء. قيل: والأصل في اشتراطها إجماع المسلمين على ذلك كما نقله ابن المنذر وغيره. واما الاستدلال على اشتراطها بقوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [البينة: ٥] كما فعل السراج الهندي في شرح المغني فليس بظاهر، لأن الظاهر أن المراد بالعبادة التوحيد بدليل عطف الصلاة والزكاة عليها. وأما الإستدلال بقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» كما في الهداية وغيرها فلا يصح، لأن ائمة الأصول ذكروا أن هذا الحديث من قبيل ظني الثبوت والدلالة، لأنه خبر واحد مشترك الدلالة فيفيد السنية والاستحباب لا الافتراض والله أعلم.

ثم شرع المصنف في تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل شرط وركن على الترتيب الذي ذكره هنا. فبدأ بالأذان وقال: **(فإذا سمعت نداء المؤذن)** وهذا يستدعي أن يكون مستديماً على الوضوء والجوارح إذا كانت في حماية الوضوء الذي هو أثر شرعي يقل طروق الشيطان عليها. قال عدي بن حاتم: ما أقيمت صلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء، والمراد بنداء المؤذن الأذان وهو لا يكون إلا بعد دخول الوقت، **(فاحضر في قلبك)** عند سماعه **(هول النداء يوم القيامة)** إذ يدعى كل إنسان باسمه، فيستشعر القلب بعد تأمله في ذلك

القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر فاعرض قلبك على هذا النداء، فإن وجدته مملوءاً بالفرح والاستبشار مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء. ولذلك قال ﷺ: «أرحنا يا بلال» أي أرحنا بها وبالنداء إليها إذ كان قرة عينه فيها ﷺ.

الهول غيبوبة عن كل شاغل دنيوي، **(وتشمر بظاهرك وباطنك)** والتشمر في الأمر: هو الاجتهاد فيه مع السرعة والخفة، وأصله من شمرت الثوب إذا رفعته فتشمر **(للإجابة والمسارعة)**. أما الإجابة؛ فيحتمل أن يكون بمعنى أن يقول مثل ما يقول المؤذن كما في حديث البخاري ومسلم «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن» فالمسارعة حينئذ، في السير إلى الصلاة، وأن يكون بمعنى الإتيان لما يدعو إليه. يقال: أجاب نداءه إذا حضر إليه وأتاه، فالمسارعة حينئذ عطف تفسير، وعلى الأول يكون في السياق لف ونشر مشوش لأن التشمر بالظاهر يقتضي المسارعة في السير، وبالباطن يقتضي مساعدته لذلك وأن يخف على الروح، وفي قوله: «فإذا سمعت» إشعار بأنه إذا لم يسمعه لبعد أو صمم لا تسن له الإجابة. وقال في المجموع: وهو الظاهر لأنها معلقة بالسماع، **(فإن المسارعين)** بالإجابة **(إلى هذا النداء)** الذي هو الأذان **(هم الذين ينادون)** أي يدعون **(باللطف)** والإكرام **(يوم العرض الأكبر)** الذي هو يوم الحساب كما ورد معنى ذلك في بعض الأخبار، **(فاعرض قلبك على هذا النداء، فإن وجدته مملوءاً بالفرح)** والانبساط موقوراً بالخفة **(والاستبشار مشحوناً بالرغبة)** والميل **(إلى الابتدار)** أي الإسراع، **(فاعلم)** وتحقق **(أنه يأتيك النداء بالبشرى)** والحظ الأوفر **(والفوز)** بالنعيم **(يوم القضاء)** الأكبر. **(ولذلك قال ﷺ: «ارحنا يا بلال»)** فيما رواه الدارقطني في كتاب العلل له من حديثه.

قال العراقي: ولأبي داود نحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم بإسناد صحيح.

قلت: أخرجه أحمد، وأبو داود، والبغوي عن رجل من خزاعة. وأخرجه البغوي أيضاً عن رجل من أسلم، وهذا الرجل الذي هو من خزاعة قد ورد التصريح به عند الطبراني في الكبير، والضياء في المختارة قالوا: هو سلمان بن خالد الخزاعي. ورواه الخطيب عن علي وعن بلال ولفظهم جميعاً «يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها». وعند مسلم من حديث ابن عمر «يا بلال قم فناد بالصلاة».

وقول المصنف: **(أي أرحنا بها)** أي بالصلاة **(وبالنداء إليها)** ظاهر في أن المراد به الأذان. وظاهر لفظ الجماعة أن المراد به الإقامة وإن كانت إقامة الصلاة أعم من أن يكون أذاناً أو إقامة، ثم قال المصنف: **(إذ كان ﷺ قرة عينه فيها)**، وعبارته هذه منتزعة من القوت قال:

وأما الطهارة؛ فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك الأبعد، ثم في ثيابك وهي غلافك الأقرب، ثم في بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيراً بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهر بها باطنك فإنه موقع نظر معبودك.

«أرحنا بلال» أي بالصلاة أي أرحنا إليها نعمنا بها من الروح والراحة إليها. يقال: ارحنا بالشيء أي روحنا به وأرحنا منه أي أسقطه عنا وخفف عنا منه، ولم يقل أرحنا منها، كيف وقرة عينه بها؟ اهـ.

وقد أشار بذلك إلى الحديث المشهور: «حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة» كما رواه أحمد في كتاب الزهد، والنسائي، والحاكم، والبيهقي عن أنس رضي الله عنه. وسيأتي الكلام على تخريج هذا الحديث وما يتعلق به من الإشارات حيث يذكره المصنف إن شاء الله تعالى، وإنما كان قرة عينه ﷺ في الصلاة لكونها محل المناجاة ومعدن المعافاة، وأفرد الصلاة بما يميزها عن الطيب والنساء بحسب المعنى. إذ ليس فيها تقاضي شهوة نفسانية كما فيهما، على أن بعض العارفين قد صرح بأن التكاليف كلها في حقه ﷺ قد رجعت قرة عين، فليست على سبيل الكلفة والتكلف. وأخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد مسند أبيه عن أنس مرفوعاً «جعلت قرة عيني في الصلاة وحبب إلي النساء والطيب الجائع يشبع والظمآن يروى وأنا لا أشبع من حبهن».

(وأما الطهارة). فهي على قسمين صغرى وكبرى، فالصغرى متعلقها ثلاثة: المكان، والثوب، والبدن، والمزال عنها الحدث والخبث. والكبرى متعلقها القلب والمزال عنه الصفات الذميمة. والمزيل في القسم الأول الماء، وفي الثاني التوبة، ثم ان القسم الأول هو حظ الفقهاء فلا يعدو نظرهم عنه لأنهم لا يشقون عن القلوب، والثاني حظ الخاشعين وقد أشار المصنف إلى القسمين بقوله: **(فإذا أتيت بها في مكانك)** الذي تصلي عليه بأن طهرته من كل نجاسة ظاهرة **(وهو ظرفك الأبعد)** جعل المكان ظرفاً إذ بالصلاة عليه صار كأنه يحل فيه، ووصفه بالأبعد نظراً للبدن والثوب، أو سماه ظرفاً تشبيهاً بالإناء الذي يوضع فيه الشيء، **(ثم)** أتيت بها **(في ثيابك)** التي تلبسها على بدنك **(وهي غلافك الأقرب)** سمى الثياب غلافاً تشبيهاً لها بغلاف السكين ونحوه. أي: ما يحجبه ويصونه بجامع الحجب والصون في كل منها، ووصفه بالأقرب بالنسبة إلى المكان لشدة ملازمتها للبدن، **(ثم)** أتيت بها **(في بشرتك)** بالتحريك هو البدن **(وهو قشرك الأدنى)** أي الأقرب **(فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك)** أي حقيقتك **(وهو قلبك)** شبهه بالثمرة التي لها قشور داخلة وظاهرة موضوعة في ظرف، فذلك الظرف هو المكان، وقشره الخارج الثوب، وقشره الداخل هو البدن، ولبه الباطن هو القلب. **(فاجتهد له تطهيراً)** ينظفه من سائر الخبائث **(بالتوبة)** الصادقة بشروطها **(و)** أعظمها **(الندم على ما فرط)** منك أي سبق **(وتصميم العزم)** وتأكيده **(على الترك)** أي ترك العود **(في المستقبل)**،

وأما ستر العورة؛ فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق، فإن ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك في عورات باطنك وفضائح سرائرك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل؟ فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر. وإنما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنها فتذل بها نفسك ويستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء

فإذا وجد توثيق العزم على أن لا يعود مع الندم فهي التوبة النصوح (**فطهر بها**) أي بالتوبة (**باطنك**) أي قلبك، (**فإنه موقع نظر معبودك**) كما ورد «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم إنما ينظر إلى قلوبكم» وورد أيضاً القلب بيت الإيمان بالله ومعرفته ومحبته». وأما ما اشتهر على الألسنة: القلب بيت الرب، فمعناه صحيح، ولكن هذا اللفظ ليس له أصل في المرفوع كما نبه عليه السخاوي في المقاصد، ويكفيك من جلالته «أنه إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله» كما في الصحيحين، ثم أن تطهير القلب بما ذكر لا بدّ له من مرشد صادق ماهر بالعلاج يريه طرق الإصلاح وكيفية التطهير، فليس له حد يضبط ولا مرمى ينتهى إليه، فإذا حصل التطهير فلا بد من التنوير وتصقيله عن صدى التكدير بالملازمة على ذكره المناسب لحاله في الإيراد والتصدير.

(**وأما ستر العورة؛ فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك**) أي مما يقبح ظهوره فيستر (**عن أبصار الخلق**) مأخوذ من العور بالتحريك وهو النقص والعيب والقبح، ومنه الكلمة العوراء وهي القبيحة، (**فإن ظاهر بدنك موقع نظر الخلق**) كما أن باطنه الذي هو القلب موقع نظر الخالق، (**فما رأيك**) وفي نسخة: فما بالك (**في عورات باطنك**) أي مقابحها وعيوبها (**وفضائح سرائرك**) جمع سريرة، كما أن الفضائح جمع فضيحة وفي نسخة: سرك (**الذي لا يطلع عليه إلا ربك**) عز وجل؟ (**فاحضر تلك الفضائح ببالك**) وتخيلها فيه (**وطالب نفسك**) بعد محاسبتها (**بسترها وتحقق أنه لا يسترها عن عين الله ساتر**) لأنه تعالى يرى المستور كما يرى المكشوف، ولذا منعوا الاغتسال في الماء عرياناً، والصلاة في بيت مظلم عرياناً، ومن جوّزه جعل الستر مشتملاً على حق الله تعالى وحق العباد وإن كان مراعى في الجملة بسبب استتاره عنهم، فحق الله ليس كذلك وهو نظر أهل الظاهر، (**وإنما يكفرها**) أي تلك الفضائح (**الندم**) على ما سبق (**والحياء**) من الله تعالى (**والخوف**) منه (**فتستفيد بإحضارها**) أي تلك الفضائح (**في قلبك**) كما ذكر (**انبعاث جنود الخوف و**) عساكر (**الحياء من مكامنها فتذل بها**) وفي نسخة: به (**نفسك**) أي: تصير ذليلة منقادة (**ويستكين**) أي يخضع. والسين زائدة مأخوذة من الكينة (**تحت الخجلة قلبك**)، وهذا هو الدواء النافع في ستر تلك الفظائع، فإذا تنصلت منها صرت في حكم مستور العورة (**وتقوم بين**

الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكساً رأسه من الحياء والخوف.

وأما الاستقبال؛ فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى، أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمر الله عز وجل ليس مطلوباً منك هيهات فلا مطلوب سواه. وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالإثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فإنها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل. فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك. فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه، وقد قال ﷺ: «إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه إلى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه».

يدي الله قيام العبد المجرم) الكثير الجرم القليل الجرم **(المسيء)** في حق نفسه بمتابعة المخالفات **(الآبق)** أي الفار من سيده **(الذي ندم)** على ما فرط فيه من الإساءة والاباق **(فرجع إلى مولاه)** بـذل وانكسار **(ناكساً رأسه)** أي خافضاً كالذي يفعله **(من)** شدة **(الحياء والخوف)** فعسى مولاه يقبله بلطفه ويقابله بعفوه.

(وأما الاستقبال، فهو) شرعاً **(صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات)** المختلفة **(إلى جهة بيت الله تعالى)**. المسمى بالكعبة والقبلة، وأطلق الجهة وأراد بها العين هنا كما هو مذهبه من اشتراطه للمكي وغيره، **(أفترى أن صرف القلب)** الذي هو باطنك **(من سائر الأمور)** التي تتصف بالغيرية **(إلى أمر الله تعالى)** وقطع الملاحظة عنها **(ليس مطلوباً منك. هيهات فلا مطلوب)** في الحقيقة **(سواه)** أي الاشتغال به وترك ما سواه، **(وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن)** وأدلة عليها **(وضبط للجوارح وتسكين لها)** عن التحرك فيما لا ينبغي **(بالاثبات في جهة واحدة)** حتى تكون أنموذجاً في توجيه القلب إلى الرب، **(وحتى لا تبغي على القلب)** أي لا تتجاوز عليه من حدوده، **(فإنها إذا بغت وظلمت في حركاتها)** الطبيعية **(والتفاتها إلى جهاتها)** يمنة ويسرة وقدّام **(استتبعت القلب)** أي جعلته تابعاً لها **(وانقلبت به عن وجه الله تعالى)** فيعسر حينئذ صرفه عنها. **(فليكن وجه قلبك)** مصاحباً **(مع وجه بدنك)** في استقبالها وتوجههما، **(واعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت)** الحرام **(إلا بالانصراف عن غيرها)** من الجهات **(فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل)** أيضاً **(إلا بالتفرغ عما سواه)** أي إخلائه عن خطرات السوى والغير، وقد قال ﷺ: **(«إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه)** أي ميله أو محبته **(ووجهه وقلبه)** أي ظاهره وباطنه **(إلى الله عز وجل انصرف من ذنوبه)** أي مغفوراً منها **(كيوم ولدته أمه»)**.

وأما الاعتدال قائماً، فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل، فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقاً مطأطئاً متنكساً، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيهاً على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر، وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلع عند العرض للسؤال. واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله عز وجل وهو مطلع عليك. فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله، بل

قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ، ولمسلم نحو معناه من حديث عمرو بن عنبسة في فضل الوضوء وفيه: « فكبّر وقام وصلّى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل وفرغ قلبه لله إلاّ انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه » اهـ.

قلت: ووجدت لما ذكره المصنف شاهداً آخر من حديث عقبة بن عامر بلفظ « من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلّى ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه وجبت له الجنة » أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، والنسائي، والطبراني في الكبير. وأخرجه الطبراني في الأوسط من حديث عقبة هذا بلفظ « من توضأ وضوءاً كاملاً ثم قام إلى صلاته كان من خطيئته كيوم ولدته أمه » وفي رواية له: « من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلّى ركعتين كان من ذنوبه كهيئته يوم ولدته أمه » رواه الطبراني أيضاً في الكبير. وفي رواية له: « ثم صلى صلاة غير ساهٍ ولا لاهٍ كفّر عنه ما كان قبلها من سيئة ». رواه أحمد، والطبراني أيضاً في الكبير.

(وأما الاعتدال قائماً، فإنما هو) وبين قائماً وفإنما جناس **(مثول بالشخص)** الظاهر **(والقلب بين يدي الله تعالى)** يقال: مثلت بين يديه مثولاً إذا انتصبت قائماً، ومنه الامتثال بمعنى الإطاعة، **(فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك)** وأعلاها **(مطرقاً مطاطئاً)** أي خافضاً **(مستكيناً)** وفي بعض النسخ متنكساً، والمعنى صحيح عن النسختين. يقال: نكس رأسه إذا صوّبه إلى تحت كهيئة الذليل، واستكان خضع وذل. **(وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيهاً على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبرىء)** أي إظهار التخلص **(عن)** وصلة **(الترؤس والتكبر)** ليكون باطنه على طبق ظاهره، **(وليكن على ذكرك)** بضم الذال وهو ذكر القلب، وفي نسخة: فكرك **(ههنا)** أي في هذا المقام **(خطر القيام بين يدي الله تعالى)** وفي نسخة: المقام بدل القيام **(في هول المطّلع)** بتشديد الطاء المهملة المفتوحة على صفة اسم المفعول **(عند العرض للسؤال)** وأنك أول ما تُسأل عن صلاتك هذه، **(واعلم في الحال)** بعد ذلك التصوّر **(أنك قائم بين يدي الله عز وجل)** وعن يمينك ويسارك الملائكة **(وهو مطلع عليك)** ناظر إليك وهو مقام الاحسان، وإليه الاشارة بقوله في الحديث « فإن لم تكن تراه فإنه يراك ». **(فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الدنيا)** كيف يغلب عليك الجلال والخوف من وقوفك بين يديه، ويعرق الجبين **(إن كنت تعجز عن معرفة كنه**

قدّر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح، فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع. وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها: إنك تدعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبداً من عباده، أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يخشى؟ ولذلك لما قال أبو هريرة: كيف الحياء من الله؟ فقال ﷺ: «تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك». وروي «من أهلك».

جلاله) جل وعز أي: فمثل بما ذكرناه لك ليحصل لك التحقق بحسن الوقوف بين يدي مولاك في صلاتك، **(بل قدّر)** وافرض **(في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب)** أي منظور **(بعين كالئة)** أي راقبة **(من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح)** والخير من غير أهلك، **(فإنه تهدأ)** أي تسكن **(عند ذلك)** الملاحظة **(أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك)** الظاهرة **(خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع)**.

قال الراغب في الذريعة: حق الإنسان إذا همّ بقبيح أن يتصوّر أجل من في نفسه حتى كأنه يراه، فالإنسان يستحي ممن يكبر في نفسه، ولذلك لا يستحي من الحيوان ولا من الأطفال ولا من الذين لا يميزون، ويستحي من العالم أكثر مما يستحي من الجاهل، ومن الجماعة أكثر مما يستحي من الواحد.

(فإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين) مثله مثلك في العبودية **(فعاتب نفسك وقل لها: إنك تدعين معرفة الله عز وجل وحبه أفلا تستحين من اجترائك عليه مع توقيرك عبداً من عباده)** وتماسكك عند ملاحظته، **(أو تخشين الناس ولا تخشين الله وهو)** جل وعز **(أحق أن تخشينه)**؟ فإنك إذا علمت أن الله يراك استحييت من ارتكاب الغفلة في عبادته، ومن لم يستح من ربه فليس له نصيب في معرفته، والحياء من الله هو الأصل والأساس.

(ولذلك لما قال أبو هريرة) رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: **(كيف الحياء من الله تعالى)** حين سمع «استحيوا من الله حق الحياء»؟ **(فقال ﷺ: «تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من أهلك»)** أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الشعب من حديث سعيد بن يزيد مرسلاً بنحوه، وأسنده البيهقي بزيادة ابن عمر في السند، وفي العلل للدارقطني عن ابن عم له وقال: إنه أشبه شيء بالصواب أورده في حديث سعيد بن زيد أحد العشرة قاله العراقي.

وأما النية؛ فاعزم على إجابة الله عز وجل في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها، والكف

قلت: وسعيد بن يزيد بن مسلمة الأزدي تابعي روى عن أنس ومطرف بن الشخير. وعنه يزيد بن زريع وابن علية روى له الجماعة. وأخرج ابن عدي في الكامل بسند ضعيف من حديث أبي أمامة الباهلي بلفظ «استحي من الله استحياءك من رجلين من صالحي عشيرتك». والمقصود من سياق المصنف أن المصلي إذا وقف في مقام المناجاة لا يذكر معه غيره ولا يثني على أحد سواه ولا يشكو إلا إليه، ويكون أبداً بين يديه ماثلاً وبالحق له قائماً وقائلاً وله معظماً، وهو في نظره إليه مشفق وفي اقباله عليه مطرق إجلالاً وحياء لأنه يعلم سره ونجواه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد.

(وأما النية؛ فاعزم) بالجزم الصادق **(على إجابة الله تعالى في امتثال أمره)** واطاعته **(في الصلاة واتمامها)** بأركانها وشروطها **(والكف عن نواهيها)** وفي نسخة: عن نواقضها **(ومفسداتها)** المذكورة في فروع المذهب. أما النواهي: فقد تقدمت الإشارة إليها آنفاً، وأما المفسدات فلم يذكرها المصنف إلا بالتلويح في هذا الموضع وسأبينها على مذهب المصنف على قدر التيسير، :أقول: الذي يفسد الصلاة عشرة أشياء.

أحدها: النطق بكلام ولو لمصلحة الصلاة بحرفين أفهما كقم أو حرف مفهم نحو: قِ من الوقاية، وكذا مدة بعد حرف في الأصح وإن لم يفهم، والأصح أن التنحنح والضحك والبكاء ولو من خوف الآخرة، والأنين والنفخ ان أظهر به حرفاً بطلت وإلاّ فلا، وتبطل بالقهقهة عمداً. ويعذر في يسير الكلام عرفاً إن سبق اللسان إليه أو جهل تحريمه لقرب عهده بالإسلام لا في كثيره، فإنه لا يعذر فيه في الأصح. وصحيح السبكي تبعاً للمتولي أن الكلام الكثير ناسياً لا يبطل لقصة ذي اليدين، ويعذر في اليسير عرفاً من التنحنح وغيره، ولو تكلم ناسياً لتحريم الكلام في الصلاة بطلت كنسيان النجاسة في ثوبه صرّح به الجويني، ولو أكره على الكلام اليسير بطلت في الأظهر، ولو نطق بنظم القرآن بقصد التفهيم كقوله: يا يحيى خذ الكتاب مفهماً به من يستأذن في أخذ شيء أن يأخذه إن قصد معه قراءة لم تبطل وإلاّ بطلت به، ولا تبطل بالذكر والدعاء إن لم يخاطب به كقوله: لعاطس: رحمك الله ونحو ذلك. ولو سكت طويلاً عمداً في ركن طويل لم تبطل في الأصح.

وثانيها: الفعل الكثير المتوالي من غير جنس الصلاة في غير صلاة شدة الخوف، أما القليل كالخطوتين أو الضربتين فلا يبطل إلا أن قصد اللعب، وتبطل بالوثبة الفاحشة لا الحركات الخفيفة المتوالية في الأصح، وسهو الفعل المبطل كعمده في الأصح.

وثالثها: المفطر إلاّ أن يكون قليلاً ناسياً أو جاهلاً تحريمه، فلو كان بفمه سكرة فبلع ذوبها بطلت في الأصح.

ورابعها: نية الخروج والتردد في قطع الصلاة وتعليقه بشيء.

عن نواقضها ومفسداتها، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقربة منه متقلداً للمنة منه بـإذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك، وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي؟ وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفرّ وجهك من الخوف.

وخامسها: كشف عورة على القدرة على سترها إلا أن كشفها الريح فسترها حالاً.

وسادسها: ترك التوجه حيث يشترط.

وسابعها: الردة ولو حكماً كالواقعة من الصبي.

وثامنها: اتصال نجاسة به إلا إن نحاها حالاً.

وتاسعها: تكرير ركن فعلي عمداً وتقديمه على غيره وترك ركن عمداً.

وعاشرها: الحدث ولو بلا قصد.

وحادي عشر: فعل ركن أو طول زمن مع شك في النية. فهذه أصول مبطلات الصلاة وما زاد عن ذلك وما يتفرع منها من دقائق المسائل فتطلب من فروع المتأخرين والله أعلم.

ثم قال المصنف: **(واخلاص جميع ذلك)** هو معطوف على ما قبله. أي: فاعزم على أن يكون كل ما ذكر من المأمورات والمنهيات والمصححات والمفسدات بشرط الإخلاص فيها خاصة **(لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه)** الموعود به، **(وخوفاً من عقابه)** الوارد فيه، **(وطلباً للقربة منه)** تعالى. فالأول: وهو رجاء الثواب وخوف العقاب من صفات المؤمنين المقربين. والثاني: وهو طلب القربة وصف الخاشعين من المصلين حالة كونه **(متقلداً المنة)** في عنقه **(بإذنه لك في المناجاة)** وتقريبه في المخاطبة **(مع سوء أدبك)** في حضرة الحق تعالى **(وكثرة عصيانك)** وتوالي مخالفاتك، **(وعظم في نفسك)** بالتصوّر **(قدر مناجاته)** فإنه مقام لا أشرف منه بأن يرفع الحجاب من البين ويؤذن له بمشاهدة العين، **(وانظر)** بعين قلبك **(من تناجي)** ومن تخاطب وتسارر **(وكيف تناجي وبماذا تناجي)؟** فالنظر في هذه الثلاثة من آكد المؤكدات. **(وعند هذا)** المقام **(ينبغي أن يعرق جبينك)** أي جبهتك، فقد يطلق الجبين ويراد به إياها، أو المراد به الجبين حقيقة، ولكل إنسان جبينان وجبهة كما تقدم، وإنما خص الجبين بالعرق لأنه لا يعرق إلا في شدة، ومن هنا قولهم: حصلته بعرق الجبين أي بشدة، وقد يعرق جبين الميت عند خروج روحه، ومن هنا قولهم: وارحمنا إذا عرق منا الجبين **(من الخجل)** وهو محركة حيرة النفس لفرط الحياء **(وترتعد)** أي ترتعش **(فرائصك)** جمع فريصة وهي البوادر التي على يمين القلب ويساره **(من الهيبة)** ويعرض ذلك في شدة الخوف، ولذا قالوا: الشجاع لا ترتعد فرائصه في الحرب وكان عنترة العبسي كذلك، **(ويصفر وجهك**

وأما التكبير؛ فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد أنك لكاذب، وإن كان الكلام صدقاً كما شهد على المنافقين في قولهم: أنه ﷺ رسول الله. فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فأنت أطوع له منك لله تعالى، فقد اتخذته إلهك وكبرته، فيوشك أن يكون قولك «الله أكبر» كلاماً باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته، وما

من الخوف) والصفرة لا تعترى دائماً إلا عند الخجل، وقد تعترى عند الخوف أيضاً. وهذه الأوصاف ذكرت في حق علي بن الحسين بن علي كان إذا قام إلى صلاته تتغير عليه الأحوال كما تقدمت الإشارة إليه. وفي بعض النسخ «وتصفق» بدل «ترتعد» أي يصفق بعضها بعضاً. وفي أخرى: ويشحب قبل ويصفر، والمعنى يتغير. يقال: شحب لونه إذا تغير عن مرض وهو شاحب اللون كاسفه.

(وأما التكبير) الأول **(فإذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك)** بل يواطئه فيما يقول، ولا يتم هذا إلا إن كان همه معلقاً بمعاني المناجاة، فإذا قال: الله أكبر لا يكون في قلبه أكبر من الله تعالى إن عقل ما يقول، لأن معنى قوله: الله أكبر أي أكبر مما سواه، ولا يقال أكبر من صغير وإنما يقل أكبر من كبير، فيقال: هذا كبير وهذا أكبر، فإن كان همه الملك الكبير كان ذكر الله أكبر في قلبه فيواطىء قلبه قول مولاه في قوله: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] ويواطىء لسانه قلبه في مشاهدة الأكبر فيكون ممن يتلو وينظر، فإن الله تعالى قدم العين على اللسان في قوله: ﴿ألم نجعل له عينين ولساناً﴾ [البلد: ٨] فلا يقدم لسانه ويؤخر بصره، وينبغي أن يكون عقده محققاً لمقاله بالوصف حتى يكون عاملاً بما يقول في الحال، فقد أخذ ذلك عليه لما أمر به حجة عليه وتنبيهاً له، ولا يكون بقوله: الله أكبر حاكياً ذلك عن قول غيره ولا مخبراً به عمن سواه، بل يكون هو المتحقق بالمعنى القائم بالشهادة. وهذا عند أهل المعرفة واجب لأن الإيمان قول وعمل في كل شيء، فإذا قلت: الله أكبر فإن العمل بالقول أن يكون الله تعالى أكبر في قلبك من كل شيء وإليه أشار المصنف بقوله: **(فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد أنك لكاذب)** في قولك هذا، **(وإن كان الكلام)** في حد ذاته **(صدقاً كما شهد على المنافقين في قولهم: أنه ﷺ رسول الله)**، فقال: ﴿والله يشهد انهم لكاذبون﴾ [التوبة: ٩]، ثم إن هذا لم يأت إلا بالقول دون العمل، وليس هذا حقيقة الإيمان لأنه لم يأت بعمل، وإنما جاء بالقول. وهذا قائم بنفس مشاهد للدنيا فهو عبد نفسه، فلذلك كانت قرة عينه شهوة نفسه، ولو كان عبد ربه كانت مشاهدته الآخرة وكانت قرة عينه الآخرة، وإليه أشار المصنف بقوله: **(فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل وأنت أطوع له)** أي لهواك **(منك لله تعالى، فقد اتخذته إلهك وكبرته)** إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الجاثية: ٢٣] **(فيوشك أن يكون قولك: الله أكبر كلاماً**

أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه.

وأما دعاء الاستفتاح، فأول كلماته: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض»، وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فإنك إنما وجهته إلى جهة القبلة، والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه. وإنما وجه القلب هو الذي تتوجه به إلى فاطر السموات والأرض فانظر إليه أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل على فاطر السموات؟ وإياك أن تكون أول

باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته) فكان قولا بلا عمل فلم يتم لك حقيقة الإيمان. (وما أعظم الخطر في ذلك) وما أصعبه (لولا التوبة) الصادقة، (والاستغفار، وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه). وإلى هذا الإشارة في قول الله تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ [المؤمنون: ٨] فالعهد ما أعطيت بلسانك، والرعاية الوفاء بالقلب، فمن طابق قلبه لسانه دخل تحت هذا الثناء والمدح.

(وأما دعاء الاستفتاح)؛ أي الدعاء الذي يستفتح به الصلاة بعد أن يكبر (فأول كلماته: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض») أي خلقهن، (وليس المراد بالوجه) فيه (الوجه الظاهر فإنك إنما وجهته إلى جهة القبلة) وصرفته عن غيرها، (والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات) ويتعالى عن ذلك كما بين في محله وهذه عقيدة أهل السنة، (حتى تقبل بوجه بدنك عليه. وإنما وجه القلب) الذي هو الوجه الباطن (هو الذي تتوجه به) بكليته (إلى فاطر السموات والأرض) كما أن الوجه الظاهر تتوجه به إلى جهة القبلة، (فانظر إليه) أي إلى وجه القلب(أمتوجه إلى أمانيه) التي سوّل بها الشيطان (وهمومه) الكائنة (في البيت) عند ماله وزوجته وعياله (والسوق) عند أمتعته والربح في معاملاته، (متبع للشهوات) الكاذبة (أو مقبل على فاطر) الأرض (والسموات). يظهر لك الفرق والاعتبار في التوجه أن العالم بالله من المناجين يقول: «وجهت وجهي» ووجه الشيء ذاته وحقيقته أي: نصبت ذاتي قائمة كما أمرتني للذي فطر السموات والأرض والنظر فيه إلى قوله تعالى: ﴿ففتقناهما﴾ [الأنبياء: ٣٠] أي الذي ميز ظاهري من باطني وغيبي من شهادتي، وفصل بين القوى للروحانية في ذاتي كما فصل السموات بعضها عن بعض بما أوحى في كل سماء بما جعل في كل قوّة من قوى سمواتي والأرض ففصل بين جوارحي، فجعل للعين حكماً وللاذن حكماً ولسائر الحواس حكماً وهو قوله: ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ [فصلت: ١٠] وهو ما يتغذى به العقل الإنساني من العلوم التي تعطيه الحواس بما يركبه الفكر من ذلك لمعرفة الله ومعرفة ما أمره الله بالمعرفة به، فهذا وما يناسبه ينظر العالم بالله في التوجه بقوله: «فطر السموات والأرض»

مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق. ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه إليه، وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صادقاً. وإذا قلت: «حنيفاً مسلماً» فينبغي أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده، فإن لم تكن كذلك كنت كاذباً. فاجتهد في أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الأحوال. وإذا قلت: «وما أنا من المشركين» فأخطر ببالك الشرك الخفي، فإن قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ

وهو بحر واسع، ولا بدّ للعلماء بالله من معرفته في التوجه، وكلّ يفهم على قدر قربه ومقامه عند الله تعالى. **(وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة)** مع الله تعالى **(بالكذب والاختلاق)** عطف تفسير، وللسائل أن يقول: فكيف انصراف الوجه إلى الله تعالى؟ فأجاب المصنف بقوله: **(ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه)** بأن لا يخطر فيه خاطر لغيره **(فاجتهد في الحال في صرفه إليه)** وأدم هذا التصوّر في القلب إلى آخر العمل حتى يتم، **(وإن عجزت عنه على الدوام)** أي إلى آخر العمل **(فليكن قولك في الحال صادقاً)** وهو أقل المراتب، وهذا القدر هو الذي أفتى به علماء الظاهر نظراً إلى الوسع والطاقة والامكان.

(وإذا قلت «حنيفاً مسلماً» كما في بعض الروايات فينبغي أن يخطر) حينئذ **(ببالك أن)** الحنيف هو المائل عن الدين الباطل إلى الدين الحق، فإن لم تكن مائلاً إلى الحق ظاهراً وباطناً كنت كاذباً في قولك، وأن **(المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده)** كما أخرجه أحمد، والترمذي، والنسائي، والحاكم من حديث أبي هريرة «وأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه». رواه أبو داود. وعن سويد بن حنظلة «وأن المسلم مرآة المسلم فإذا رأى به شيئاً فليأخذه» رواه ابن منيع عن أبي هريرة. **(فإن لم تكن كذلك كنت كاذباً)** في قولك **(فاجتهد أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من)** التقصير في **(الأحوال)** في أداء حق الإسلام.

(وإذا قلت: وما أنا من المشركين) فاعلم أن الشرك على قسمين جلي وخفي، فالجلي عبادة الأوثان والنجوم وغيرها من دون الله تعالى وقد صان الله أمة محمد ﷺ فلا يخطر هذا بباله مطلقاً، وإنما الكلام على القسم الثاني **(فاخطر ببالك الشرك الخفي)** الذي هو أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء، والإشارة في ذلك أن الحنف هو الميل كما تقدم، والإسلام هو الانقياد، فلما أثبت له الوصفين صح له أن يقول مائلاً منقاداً إلى جناب الحق من امكاني إلى وجوب وجودي بربي، فيصح لي التنزه عن العدم فابقى في الخير المحض وما أنا في هذا الميل من المشركين. يقول: ما علمت بأمري وإنما الحق علمني كيف أتوجه إليه، وبماذا أتوجه إليه، وعلى أي حالة أكون في التوجه إليه؛ فافهم هذه الإشارة ولا تتعلق بظاهر العبارة، ثم أشار إلى نفي الشرك الخفي بقوله: **(فإن قوله تعالى)** في آخر سورة الكهف: **(﴿فمن كان يرجوا**

عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعبادةِ ربِّهِ أحداً﴾ [الكهف: ١١٠] نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس. وكن حذراً مشفقاً من هذا الشرك، واستشعر الخجلة في قلبك إذ وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فإن اسم الشرك يقع

لقاء ربه﴾) قال مجاهد: ثواب ربه. وقال سعيد بن جبير: من كان يخشى البعث في الآخرة. قلت: وهذا يؤيد ما تقدم ان الرجاء قد يستعمل بمعنى الخوف وعليه حمل قوله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون للهِ وقاراً﴾ [نوح: ١٣] (﴿**فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾) [الكهف: ١١٠] انزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله عز وجل وحمد الناس.

أخرج ابن أبي حاتم عن كثير بن زياد قال: قلت للحسن قول الله تعالى: ﴿فمن كان يرجوا﴾ الآية. قال: في المؤمن نزلت قلت: أشرك بالله؟ قال: لا، ولكن أشرك بذلك العمل عمل عملاً يريد الله والناس فذلك يرد الله عليه.

وأخرج هناد في الزهد عن مجاهد قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: أتصدق بالصدقة والتمس بها ما عند الله وأحب أن يقال لي خير، فنزلت هذه الآية. قال: ﴿ولا يشرك﴾ أي لا يرائي ﴿بعبادة ربه أحداً﴾.

وأخرج عبد الرزاق، وابن أبي الدنيا في الاخلاص، وابن أبي حاتم عن طاوس قال: قال رجل يا نبي الله إني أقف ابتغي وجه الله وأحب أن يرى موطني، فلم يردّ عليه شيئاً حتى نزلت هذه الآية.

وأخرجه الحاكم وصححه، والبيهقي موصولاً عن طاوس، عن ابن عباس، وقد وقع مصرحاً في حديث ابن عباس من روايات أُخر أن هذا الرجل الذي نزلت فيه هو جندب بن زهير، وهكذا هو عند ابن منده، وأبي نعيم في الصحابة، وابن عساكر من طريق السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس ولفظهم: فلما كان جندب بن زهير إذا صلّى أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له فزاد في ذلك لمقالة الناس ولأنه ندبه الله، فنزل في ذلك قوله: ﴿فمن كان يرجوا﴾ الآية. وقال سعيد بن جبير في قوله: ﴿ولا يشرك﴾ أي لا يرد بعمله أحداً من خلقه.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الواحد بن زيد قال: قلت للحسن اخبرني عن الرياء أشرك هو؟ قال: نعم يا بني أو ما تقرأ ﴿فليعمل عملاً﴾ الآية.

(**فكن حذرا متقياً من هذا**) النوع من (**الشرك واستشعر الخجلة في قلبك**) واستحي من الله عز وجل (**إذ وصفت نفسك بأنك لست من المشركين**) ونفيت نفسك عن جلتهم (**من غير براءة عن هذا الشرك**) الذي هو حمد الناس لك ويروا موطنك في الصلاة فيدخل السرور عليك بذلك، (**فإن اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه**) كما تقدم من قول الحسن.

على القليل والكثير منه. وإذا قلت: « **محياي ومماتي لله** ». **فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده، وأنه إن صدر ممن رضاه غضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لأمور الدنيا لم يكن ملائماً للحال.** وإذا قلت: « **أعوذ بالله من**

وأخرج ابن أبي الدنيا في الإخلاص، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي ن شداد ابن أوس قال: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر. وعنه أيضاً رفعه « من صلّى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدق يرائي فقد أشرك ».

وأخرج أحمد، والحاكم وصححه، والبيهقي عن أبي سعيد رفعه « الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي لمكان رجل ».

وأخرج ابن أبي شيبة، عن محمود بن لبيد رفعه « إياكم وشرك السرائر. قالوا: وما شرك السرائر؟ قال: أن يقوم أحدكم يزيد في صلاته جاهداً لينظر الناس إليه فذلك شرك السرائر ».

وأخرج الحاكم وصححه من حديث معاذ رفعه « إن يسيراً من الرياء شرك ».

(وإذا قلت: إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله) رب العالمين. أما قوله: « إن صلاتي ونسكي » فهو إن كان مرائياً في عمله فهو كاذب، والله أغنى الشريكين لا يقبل عنده إلا ما ابتغى وجهه خالصاً. فلا يقول بلسانه: إن صلاتي ونسكي لله وقلبه غافل عن الله مشغول بسواه. وأما قوله « ومحياي ومماتي لله » **(فاعلم أن هذا حال مفقود لنفسه)** لا يغيب عن ربه طرفة عين بل مداوم على مراقبته **(موجود لسيده)** فإن من فني عن نفسه بقي بالله، ومن راقب على قلبه بوحدانية الله تعالى وطرد ما سواه وجد الله واحسانه، وحينئذ يفوز بعلم اليقين وهو أن يرى حياته وموته به وله، وأنه لهو المحي وهو المميت، ثم يزيد حضوراً إلى أن يترقى إلى عين اليقين، ثم يزيد استغراقاً يدرجه إلى حق اليقين، ثم يفنى عن ذلك به وذلك حقيقة اليقين، **(و)** ليعلم **(أنه)** أي هذا الكلام **(إن صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لأمور الدنيا)** أي لغرض من أغراضها المتعلقة بأمورها **(لم يكن ملائماً)** أي مناسباً **(للحال)** الذي هو فيه، فالفاني عن نفسه والباقي بالله هو الذي محياه ومماته لله، وفي اضافة هذه الأمور إلى نفسه إشارة إلى أنه ما ظهرت هذه الأفعال، ولا يصح أن تظهر إلا بوجود العبد إذ يستحيل على الحق إضافة هذه الأشياء إليه بغير حكم الإيجاد فتضاف إلى الحق من حيث إيجاد أعيانها، كما تضاف إلى العبد من كونه محلاً لظهور اعيانها فيه فهو المصلي فاعلم ذلك حتى تعرف ما تضيفه إلى نفسك مما لا يصح أن تضيفه إلى ربك عقلاً وتضيف إلى ربك ما لا يصح أن تضيفه إلى نفسك شرعاً، والمعنى: إن صلاتي وعبادتي وحالة حياتي ومماتي لله أي إيجاد ذلك كله لله لا لي أي ظهور ذلك فيّ من أجل الله لا من أجل ما يعود عليّ في ذلك من الخير، فالعالم من عبد الله وغير العالم يعبده لما يرجوه سن حظوظ نفسه في تلك العبادة، فلهذا شرع لنا أن نقول « لله رب العالمين » والله أعلم.

....

وقال المصنف في المقصد الأسنى في شرح اسمه تعالى الوهاب ما نصه: لا يتصوّر من العبد الجود والهبة. فإنه ما لم يكن الفعل أولى به من الترك لم يقدم عليه فيكون إقدامه عليه لغرض نفسه، ولكن الذي يبذل جميع ما يملكه حتى الروح لوجه الله تعالى فقط لا للوصول إلى نعيم الجنة أو الحذر من عذاب النار، أو لحظ عاجل أو آجل مما يعد من حظوظ البشرية، فهو جدير بأن يسمى وهاباً وجواداً، ودونه الذي يجود لينال نعيم الجنة، ودونه الذي يجود لينال حسن الأحدوثة. وكل من لم يطلب عوضاً يتناوله سمي جواداً عند من يظن أنه لا عوض إلا الاعيان.

فإن قلت: فالذي يجود بكل ما يملك خالصاً لوجه الله تعالى من غير توقع حظ عاجل أو آجل كيف لا يكون جواداً ولا حظ له فيه أصلاً؟ قلت: حظه هو الله تعالى ورضاه ولقاؤه والوصول إليه، وذلك هو السعادة التي يكسبها الإنسان بأفعاله الاختيارية وهو الحظ الذي يستحقر سائر الحظوظ في مقابلته.

فإن قلت: فما معنى قولهم: إن العارف بالله تعالى هو الذي يعبد الله خالصاً لا لحظ وراءه، فإن كان لا يخلو فعل العبد عن حظ فما الفرق بين من يعبد الله خالصاً وبين من يعبده لحظٍّ من الحظوظ؟ فاعلم أن الحظ عبارة عند الجماهير عن الأغراض المشهورة عندهم، ومن تنزه عنها ولم يبق له مقصد إلا الله فيقال انه قد تبرأ من الحظوظ أي عما يعده الناس حظاً، وهو كقولهم: إن العبد يراعي سيده لا لسيده ولكن لحظ يناله بخدمته، وأما الوالد فإنه يراعي ولده لذاته لا لحظ يناله منه، بل لو لم يكن منه حظ أصلاً لكان معتنياً بمراعاته، ومن طلب شيئاً لغيره لا لذاته فكأنه لم يطلبه، فإنه ليس هو غاية طلبه بل غاية طلبه غيره، فمن يعبد الله تعالى للجنة فقد جعل الله واسطة طلبه ولم يجعله غاية مطلبه، وعلامة الواسطة أنه لو حصلت الغاية دونها لم تطلب الواسطة، فلو حصلت الجنة لمن يعبد الله تعالى لأجلها دون عبادة الله تعالى لما عبد الله تعالى فمحبوبه ومطلوبه الجنة إذاً لا غير، وأما من لم يكن له محبوب غير الله تعالى ولا مطلوب سواه بل حظه الابتهاج بلقائه والقرب منه والمراقبة للملأ الأعلى من المقربين من حضرته، فيقال: إنه يعبد الله تعالى لله لا على معنى أنه غير طالب للحظ، بل على معنى أن الله تعالى هو حظه وليس يبتغي وراءه عطاء، ومن لم يؤمن بلذة البهجة بلقاء الله ومعرفته والمشاهدة له والقرب منه لم يشتق إليه، ومن لم يشتق إليه لم يتصوّر أن يكون ذلك من حظه فلم يتصوّر أن يكون ذلك مقصده أصلاً، فكذلك لا يكون في عبادته إلا كالأجير السوء لا يعمل إلا باجرة طمعاً فيها، وأكثر الخلق لم يذوقوا هذه اللذة ولم يعرفوها ولا يفهمون لذة النظر إلى وجه الله تعالى فإنما إيمانهم بذلك من حيث النطق باللسان فأما بواطنهم فإنها مائلة إلى التلذذ بلقاء الحور العين وغيره في الجنة فقط. فافهم من هذا أن البراءة من الحظوظ محال ان كنت تجوز أن يكون الحظ هو الله تعالى أي لقاؤه ومشاهدته والقرب منه مما يسمى حظاً، فإن كان الحظ عبارة عما تعرفه الجماهير وتميل إليه فليس هذا حظاً، وإن كان الحظ عبارة عما حصوله أولى من عدمه في حق العبد فهو حظ والله أعلم اهـ.

....

تنبيه:

حال العبد المفقود لنفسه الموجود لسيده حال أبي يزيد البسطامي قدس سره حيث قال مشيراً إلى هذا المقام: انسلخت نفسي عن نفسي كما تنسلخ الحية عن جلدها، فنظرت فإذا أنا هو، والمعنى: أنه انسلخ عن شهوات نفسه وهواها وهمها فلم يبق فيه متسع لغيره تعالى ولم يكن همه سواه، فإذا لم يجد في القلب إلا جلال الله وجماله حتى صار مستغرقاً به يصير كأنه هو لا أنه هو تحقيقاً، وفرق بين قولنا هو هو، وبين قولنا كأنه هو، ولكن قد يعبر بقولنا هو هو عن قولنا كأنه هو هو توسعاً ومجازاً، ومن ترقى بالمعرفة عن الموهومات والمحسوسات، وبالهمة عن الحظوظ والشهوات نال هذا المقام وصفا له هذا المرام.

ثم إذا قلت: لا شريك له وأنت تشرك معه في عبادته فهو كذب آخر والمعنى: لا إله مقصود بهذه العبارة إلا الله الذي خلقني من أجلها أي لا أشرك فيها نفسي بما يخطر له من الثواب الذي وعد الله لمن هذه صفته. وقد ذهب بعضهم إلى الحضور مع الثواب في حال هذه العبادة وكفر من لم يقل به وهذا ليس بشيء، وهو من أكابر المتكلمين غير أنه لم يكن من العلماء بالله في طريق الأذواق، بل كان من أهل النظر الأكابر منهم، ولا يعتبر عند أهل الكشف ما يخالفهم فيه علماء الرسوم إلا في نقل الأحكام المشروعة فإن فيها يتساوى الجميع ويعتبر فيها المخالف بالقدح في الطريق الموصل أو في المفهوم باللسان العربي، وأما في غير هذا فلا يعتبر إلا مخالفة الجنس، وهذا سار في كل صنف من العلماء بعلم خاص فافهم ذلك.

وإذا قلت: وبذلك أمرت أي بمجموع ما ذكر من توجيه وجه البدن والقلب للكعبة وربها وبالتحنف والإسلام وعدم التشريك معه في العبادة وأنت في جميع ذلك عارٍ عن الإخلاص غير مطابق قلبك مع بدنك، وإنما أمرت أن تعبد الله مخلصاً له دينه ففيه كذب آخر، فإذا قلت: وأنا من المسلمين، فالمسلمون عند شروطهم. فهل أنت تفي بتلك الشروط وتعرف حقوقهم التي أوجبها الله عليك؛ ولا بد أنت تقصر عن ذلك فهذا كذب آخر، فإذا كان دعاء الاستفتاح مشتملاً على عدة أكاذيب ومخالفات، فكيف حالك في سائر الصلاة؟ وما توفيقي إلا بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم قال المصنف: **(وإذا قلت)**: أي إذا فرغت من الذي ذكر فاشرع في القراءة على حد ما أمرك الله به عند قراءة القرآن من التعوذ لكونك قارئاً لا لكونك مصلياً، فاستحضر في نفسك ما تعطيه لك الآية على قدر فهمك، فإن الجواب يكون مطابقاً لما استحضرته من معاني تلك الآية، فإذا فرغت من التوجه فقل: **(«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»)** امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [النحل: ٩٨] وورد في السنة الصحيحة «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» والعارف إذا تعوذ ينظر الحال الذي أوجب له التعوذ، وينظر إلى حقيقة ما يتعوذ به، وينظر إلى ما ينبغي أن يعاذ به فيتعوذ بحسب ذلك، وأدنى الدرجات في الاستعاذة أن يستعيذ مما لا يلائم بما يلائم فعلاً كان أو صفة هذه قضية

الشيطان الرجيم». فاعلم أنه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسداً لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها، وأن استعاذتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك، فإن من قصده سبع أو عدوّ ليفترسه أو ليقتله فقال: أعوذ منك

كلية والحال يعين القضايا والحكم يكون بحسبها، ولما كان قارىء القرآن جليس الله وزاد كونه في الصلاة كان الأولى هنا أن يستعيذ بالله من الشيطان، لأن الصلاة حضرة المناجاة وسرها في قراءة الكلام الحق المأمور بتلاوته، فلا ينبغي للرجس النجس أن يتقرب إلى هذه الحضرة إذ ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ [الواقعة: ٥٦]، أي: لا يمس حقائقه إلا المطهرون من أدناس الطبيعة، كما أنه لا يمس ظاهره إلا المحترسون من منهيات الشريعة. فإذا قلت هذه الجملة فالمعنى احترس والتجىء واعتصم بالله أي بقوة الله وعظمته واقتداره وبحصنه المنيع الذي لا تخرقه الرماح من شر الشيطان الرجيم المبعد المطرود عن حضرة الله تعالى، ومن مكائده وأمانيه التي يلقيها في خواطر الداخلين إلى حضرة المناجاة.

وإذا علمت أنه مطرود الحضرة ومسلط على ابن آدم (**فاعلم أنه عدوك**) الأكبر وبغيضك الذي ليس لك من مكائده مفر (**و**) أنه (**مترصد**) أي مرتقب بأنواع حيله وخفي مكره وكيده (**لصرف قلبك عن الله عز وجل**) بكل حال وكيفما أمكن كل ذلك (**حسداً لك**) وعليك (**على**) وقوفك بين يدي الله امتثالاً لأمر الله و(**مناجاتك مع الله**) حسداً (**على سجودك له**) تعالى لما روي أنه تعالى لما أخذ الميثاق من ذرية آدم عليه السلام حيث قال: ﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية. أمرهم بالسجود تصديقاً لما قالوا فسجد المسلمون كلهم وبقي الكافرون، فلما رفعوا رؤوسهم رأوا الكفار لم يسجدوا فسجدوا ثانياً شكراً لما وفقهم الله تعالى إليه، ولذا صار المفروض سجدتين في الصلاة. كذا في معراج الدراية (**مع أنه**) أي إبليس الملقب بالشيطان (**لعن بسبب سجدة واحدة**) لآدم عليه السلام (**تركها ولم يوفق لها**) وفي المبسوط: إنما كان السجود ترغيماً للشيطان فإنه أمر بالسجود فلم يفعل، فنحن نسجد مرتين ترغيماً له. وإليه أشار النبي ﷺ في سجود السهو ترغيماً للشيطان، وأخبار الشيطان في إبائه للسجود لآدم وطرده عن حظيرة القدس بعد أن كان معلم الملكوت الأعلى وصيرورته ملعوناً إلى يوم الدين مفصلة في الكتاب العزيز فلا نطيل بذكرها. (**و**) اعلم أيضاً (**أن استعاذتك بالله منه**) أي طلب تحصينك ونجاتك من شره إنما يكون (**بترك ما يحبه**) مما يخالف رضا الله تعالى (**وتبديله بما يحب الله**) في كل عمل بدني أو قلبي (**لا بمجرد قولك**) أعوذ بالله منه، (**فإن من قصده سبع**) بفتح فضم هو كل ما له ناب يعدو به ويفترس كالذئب والفهد والنمر، وأما الثعلب فليس بسبع وإن كان له ناب لأنه لا يعدو به ولا يفترس، وكذلك الضبع قاله الأزهري. ونقل الصاغاني سكون الباء وقال: هي لغة، وهكذا قرىء قوله تعالى: ﴿وما أكل السبع﴾ [المائدة: ٣] وهو مروي عن الحسن البصري، وأبي حيوة، وطلحة

بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه، فإن ذلك لا ينفعه، بل لا يعيذه إلا تبديل المكان، فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يقيه مجرد القول، فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان وحصنه «لا إله إلا الله» إذ قال عز وجل فيما أخبر عنه نبينا ﷺ: «لا إله إلا الله حصني

ابن سليمان. ورواه بعضهم عن عبدالله بن كثير أحد السبعة، (**أوعدو**) فالأول من الحيوانات والثاني من بني آدم (**ليفترسه**) أي ليكسره (**أو ليقتله**) وفيه لف ونشر مرتب (**فقال: أعوذ منك بهذا**) وفي نسخة: بذلك (**الحصن الحصين**) أي المنيع المحصن أي اعتصم به من شرك (**وهو ثابت على مكانه**) لم يتحرك إلى ذلك الحصن. (**إن ذلك**) القول من غير فعل (**لاينفعه**) أبداً، (**بل لا يعيذه**) ويجيره (**إلا تبديل المكان**) والفرار منه إلى نحو الحصن فيتحصن منه، فحينئذ لا يقدر العدو منه ولا يتمكن من أذاه، (**فكذلك من تبع الشهوات**) الظاهرة والخفية (**التي هي محاب الشيطان**) أي تحمله على المحبة (**ومكاره الرحمن**) قد كرهها ونهى عنها (**فلا يقيه**) وفي نسخة: فلا يعيذه (**مجرد القول فليقرن قوله**) أي يضمه (**بالعزم**) التام (**على التعوذ**) أي الالتجاء (**بحصن الله عز وجل من شر الشيطان**) وشركه (**وحصنه «لا إله إلا الله» إذ قال الله تعالى فيما أخبر عنه نبينا ﷺ: «لا إله إلا الله حصني»**) لأن اسم الله هو الاسم الجامع لمعاني الأسماء إذ كان في قوة هذا الاسم حقيقة كل اسم واقع في مقابلة كل خاطر ينبغي أن يدفع، فهكذا ينبغي لكل مصل أن يتحصن بهذا الحصن العظيم بخالص من قلبه يطلب بذلك عصمة ربه ويحقق ذلك في استعاذته إن وفقه الله تعالى.

قال العراقي: رواه الحاكم في التاريخ، وأبو نعيم في الحلية من طريق أهل البيت من حديث علي بإسناد ضعيف جداً، وقول أبي منصور الديلمي إنه حديث ثابت مردود عليه اهـ.

قلت: هذا الحديث قد وقع لي في مسلسلات شيخ شيوخنا أبي عبدالله محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي فيما قرأته على شيخي الإمام رضي الدين عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي الحنفي بمدينة زبيد في شهور سنة ١١٦٢ قال: حدثنا به أبو عبدالله المكي المذكور قراءة عليه، أخبرنا الحسن بن علي بن يحيى المكي، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا النور علي بن محمد بن عبد الرحمن، أخبرنا البدر الكرخي، وحسن بن الجابي الحنفيان، أخبرنا الحافظ جلال الدين أبو الفضل السيوطي، أخبرنا الحافظ أبو النعيم رضوان بن محمد العقبي، أخبرنا الحافظ شمس الدين محمد بن محمد بن الخزري، أخبرنا الجمال محمد بن محمد بن محمد الجمالي، أخبرنا شيخ المحدثين ببلاد فارس سعيد الدين أبو محمد محمد بن مسعود بن محمد بن مسعود البلياني الكازروني من ولد الأستاذ أبي علي الدقاق، أخبرنا الظهير إسماعيل بن المظفر بن محمد الشيرازي، أخبرنا أبو طاهر عبد السلام ابن أبي الربيع الحنفي، أخبرنا أبو بكر عبدالله بن محمد بن سابور القلانسي، أخبرنا أبو المبارك

....

عبد العزيز بن محمد بن منصور الآدمي، أخبرنا الحافظ أبو مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن سليمان، حدثنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي النيسابوري، حدثنا الأستاذ أبو طاهر محمد ابن محمد بن محمش الزيادي، حدثنا أبو محمد أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم البلاذري الحافظ، حدثنا الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم، حدثني أبي علي بن محمد، حدثني أبي محمد ابن علي، حدثني أبي علي بن موسى الرضي، حدثني أبي موسى الكاظم، حدثني أبي جعفر الصادق، حدثني أبي محمد الباقر، حدثني أبي علي زين العابدين، حدثني أبي الحسين بن علي، حدثني أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حدثني محمد بن عبدالله ﷺ، حدثني جبريل سيد الملائكة عليه السلام قال: «قال الله سيد السادات جل وعلا إني أنا الله لا إله إلا أنا من أقر لي بالتوحيد دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي» هكذا أورده نور الدين بن الصباغ في الفصول المهمة، وأبو القاسم القشيري في الرسالة.

ورواه أبو بكر بن شاذان بن بحير المطوعي الرازي بنيسابور فقال: حدثنا أيوب بن منصور ابن أيوب، حدثنا عبدالله بن اشرش قال: مر بنا علي بن موسى الرضى من آل محمد ﷺ فقمت إليه فقلت: سألتك بالله لما حدثتني. قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل قال: «لا إله إلا الله حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي».

وأخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه كلهم من غير تسلسل عن أنس رفعه «إني أنا الله لا إله إلا أنا» فساقوه بمثل رواية ابن الجزري.

وفي مسند الفردوس لابن الديلمي من رواية هارون بن راشد عن فرقد السبخي عن أنس رفعه «لا إله إلا الله كلمتي وأنا هو فمن قاله أدخلته حصني ومن أدخلته حصني فقد أمن والقرآن كلامي ومني خرج» قال الحافظ السيوطي في ذيله على الموضوعات هارون بن راشد قال الذهبي مجهول، وفرقد ضعفه الدارقطني، والراوي عن هارون يوسف بن خالد وهو كذاب.

قلت: وأخرجه الشيرازي في الألقاب عن علي نحوه إلا أنه قال: «كلامي» بدل «كلمتي» وفي آخره «أمن من عقابي».

وأخرجه ابن عساكر، وابن النجار في تاريخيهما من رواية أحمد بن عامر بن سليمان الطائي، عن علي بن موسى، عن آبائه وفيه: حدثني جبريل قال: «يقول الله تعالى لا إله إلا الله حصني فمن دخله أمن من عذابي» قال الذهبي في المغني: عبدالله بن أحمد بن عامر الطائي له نسخة عن أهل البيت باطلة.

وأخرجه الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي في مسلسلاته من طريق أبي إسحاق البزدري، عن عبدالله بن أحمد الطائي المذكور، ثم نقل عن الذهبي قوله: ما تنفك هذه النسخة من وضعه أي عبدالله بن أحمد أو من وضع أبيه.

فمن دخل حصني أمن من عذابي »، والمتحصن به من لا معبود له سوى الله سبحانه، فأما من اتخذ إلهه هواه فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله عز وجل. واعلم أن مكائده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ. فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس فإن حركة اللسان غير مقصودة بل مقصود معانيها.

وأخرجه ابن الجزري كما تقدم وقال: هكذا هو في المسلسلات السعيدية يعني به محمد بن مسعود الكازروني المتقدم بذكره. قال: والعهدة فيه على البلاذري أي هو متكلم فيه. وقد أخرجه الحاكم النيسابوري في التاريخ عن البلاذري وقال: لم نكتبه إلا عنه. وأخرجه أيضاً في الجزء المعروف بفوائد الفوائد كذلك من طريق البلاذري. وأخرجه أبو عثمان سعد بن محمد البحيري في كتابه في الأحاديث الألف التي يعز وجودها عن أبي محمد عبدالله بن أحمد الدومي عن البلاذري، وقد ألفت في جمع أسانيد هذا الحديث رسالة سميتها: الإسعاف بالحديث المسلسل بالإشراف والممت ببعض من خرجه. ورواه في التعليقة الجليلة على مسلسلات ابن عقيلة فمن أراد الزيادة فليراجع هناك، والله أعلم.

(**والمتحصن به**) أي بهذا الحصن الحصين (**من لا معبود له**) ظاهراً وباطناً (**سوى الله تعالى**) كما هو مقتضى كلمة التوحيد، (**فأما من اتخذ إلهه**) أي معبوده (**هواه**) النفساني (**فهو في ميدان الشيطان**) يلاعب به كالكرة حيث شاء (**لا في حصن الله تعالى**)، فإذا لم يكن في حصن الله لم ينفعه قوله: « أعوذ بالله ». (**واعلم ان مكايدته**) وفي بعض النسخ من مكائده (**أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة**) ويلهيك به (**وتدبير فعل الخيرات**) المتأخر فعلها وأنت تظن أنه من خطرات الخير، وإنما أراد ذلك منك (**ليمنعك بذلك عن فهم ما تقرأ**) وتدبر ما تتلو، (**فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس**) منه وأملى يحيلها إليك، (**فإن حركة اللسان غير مقصودة بالذات بل المقصود**) من القراءة (**معانيها**).

اعلم أن الخواطر التي ترد على القلوب على المصلي في صلاته على أقسام: منها ما يخطر به من الخير فليسارع إلى فعله فذلك من أحب الأشياء إلى الله تعالى، ومنها: ما يخطر به من المكروه الممقوت فليجتنبه فإنه هو الذي يبعده من قرب الله تعالى، ومنها: ما يخطر به من خاطر تمن أو مما يهمه مما يأتي أو مضى، فذلك وسوسة من العدو فليحذر منه، ومنها: ما يخطر به من أمر المعاش وتصريف الأحوال وتدبير الأمور من المباحات، فذلك من قبل النفس وفكرها بما توسوس به من أمورها، وهذا كذلك ينبغي اجتنابه. ومنها: ما يخطر من همة مذمومة وفكرة محظورة في معصية مأزورة، فهذا الهلاك والبعد يكون بوصف النفس الأمارة عن استحواذ العدو وهو علامة الحجاب والاعراض، فإذا ابتلي المصلي بهذه المعاني في صلاته فقد اختبر بذلك، فعليه

فأما القراءة، فالناس فيها ثلاثة: رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل، ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهي درجات أصحاب اليمين، ورجل يسبق قلبه إلى المعاني أوّلاً ثم يخدم اللسان القلب فيترجه. ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب، والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب

ان يعمل في نفيه ولا يصغي إليه بعقله فيستولي عليه ولا يطاوله فيخرجه عن حد الذكر واليقظة إلى مسامرة الجهل والغفلة، وكل عمل محذور فالهمة فيه محذورة ونفيها فرض، وكل عمل مباح فالهمة به مباحة ونفيها فضيلة ما خطر بقلبه من الخيرات المتأخرة فعلها، فليعتقد النية بذلك ثم ليمض في صلاته ولا يشتغل بتدبيره كيف يكون ومتى يكون أو كيف يكون فيه وعنده إذا كان فيفوته الإقبال في الحال بتدبير شأنه في المآل، وهذا هو استراق من العدو عليه وإلقاء من خدعه عليه، فإن جاهد هذا المصلي نفسه عن مسامرة الفكرة وقاتل عدوه في قطع وسواسه في الصدر كان مجاهداً في سبيل الله مقاتلاً لمن يليه من أعداء الله تعالى، فله أجران أجر الصلاة للتقرب إلى الكريم، وأجر المصابرة والمحاربة لعدوه الرجيم، فهذا حكم الخواطر وبه يتضح كلام المصنف.

ثم قال: (**فأما القراءة فالناس فيها ثلاثة**): الأول: (**رجل يتحرك لسانه**) بها (**وقلبه غافل**) عن معانيها، (**و**) الثاني: (**رجل يتحرك لسانه**) بها (**وقلبه يتبع اللسان**) وفي نسخة: تبع للسانه (**فيسمع ويفهم منه كأنه يسمعه من غيره**) وفي بعض النسخ: فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره، (**وتلك درجة أصحاب اليمين**) من الخواص الصالحين. (**و**) الثالث: (**رجل يسبق قلبه لسانه إلى**) فهم (**المعاني أولاً ثم يخدم اللسان القلب فيترجمه**) عن تلك المعاني، (**ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب**) وفي نسخة: ففرق بين من يكون لسانه ترجمان قلبه، وبين من يكون لسانه معلم قلبه (**والمقربون**) المشار إليهم: ﴿أولئك المقربون في جنات النعيم﴾[الواقعة: ١١ - ١٢](**ألسنتهم تترجم**) أي تعبر وتبين (**عن قلوبهم ولا تكون قلوبهم تبعاً لألسنهم**) والمراد بالمقربين هنا النبييون والصديقون والشهداء، وهم الذين لهم الروح والريحان وجنة النعيم.

وتحقيق هذا المقام ما أشار إليه السهروردي في العوارف حيث قال: فيعلم العبد أن تلاوته قبل نطق اللسان ومعناهانطق القلب، وكل مخاطب لشخص يتكلم بلسانه فلسانه يعبر عما في قلبه، فلو أمكن المتكلم إفهام من يكلمه من غير لسان فعل ولكن حيث تعذر الإفهام إلا بالكلام جعل اللسان ترجمانا، فإذا قال باللسان من غير مواطأة للقلب، فما اللسان ترجمان، ولا القارىء متكلم قاصد إسماع الله حاجته ولا مستمع إلى الله، فافهم عنه سبحانه ما يخاطبه وما عنده غير حركة اللسان بقلب غائب عن قصد ما يقول، فلا يكون متكلماً مناجياً ولا مستمعاً واعياً، فأقل مراتب أهل الخصوص في الصلاة الجمع بين القلب واللسان في التلاوة ووراء ذلك أحوال للخواص يطول شرحها اهـ.

ولا يتبعه القلب. وتفصيل ترجمة المعاني أنك إذا قلت: «بسم الله الرحمن الرحيم» فانوِ به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه، وافهم أن معناها أن الأمور كلها بالله سبحانه. وأن المراد بالاسم ههنا هو المسمى. وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان «الحمد لله» ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله. ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث أنه مسخر من الله عز وجل، ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى. فإذا قلت: «الرحمن الرحيم» فأحضر

ثم أنه لما ذكر القراءة وأنها صورة مجردة وأنها لها معان وهي المعتبرة في القصد أشار إلى تفصيل ذلك فقال: **(وتفصيل ترجمة المعاني)** لأهل القرب الداني **(أنك إذا قلت)** في أول قراءتك بعد دعاء التوجه والاستعاذة «بسم الله الرحمن الرحيم» كما جاء ذلك في رواية زياد بن سمعان عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة على ما سيأتي ذكره، **(فانوِ به)** أي بقولك هذا **(التبرك)** أي طلب البركة **(لابتداء القراءة لكلام الله عز وجل)** فإنه تعالى استفتح بها كتابه المجيد وأنزلها مع كل سورة، وهذه الملاحظة ابتداء لا بد منها، **(وافهم)** من ذلك **(أن معناها أن الأمور كلها)** دقها وجلها **(بالله تعالى)** فإنه هو المنفرد بالوجود الحقيقي وكل موجود سواه غير مستحق الوجود لذاته فقيام كل الأمور به تعالى، **(وأن المراد بالاسم هنا هو المسمى)** كما في قوله تعالى: ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٧٨] وفي هذه المسألة لأهل الظاهر من المتكلمين اختلاف كثير هل هو عين المسمى ولكنه هو التسمية، أو هو عينه ولكنه غير التسمية، أو هو قد يكون عينه وقد يكون غيره، أو قد يكون بحيث لا يقال انه المسمى ولا هو غيره. وقد تقدم البحث فيه في شرح الكتاب الثاني من قواعد العقائد، ولكن ينبغي للمصلي عدم الالتفات إلى تصور هذه الاختلافات فلا يطاول فيها، بل يكف عنان قلبه إلى حصول المعنى المراد بأن التبرك في الحقيقة به تعالى، وأن ذكر الاسم حجاب حجب به قلوب عباده. ولذا قال: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١] **(فإذا كانت الأمور لله سبحانه)** من حيث أنه موجدها ومفيضها **(فلا جرم كان الحمد لله)** هذا وجه ارتباطها بما بعدها من الآيات **(ومعناه أن الشكر لله)** أشار بذلك إلى ترادف الحمد والشكر، وبينهما فرق ذكره العلماء في كتبهم تفصيله يخرجنا عن المقصود **(إذ النعم)** الظاهرة والباطنة **(كلها من الله. ومن يرى)** في مشهده **(من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكره)** بوصول تلك النعمة إليه **(لا من حيث أنه مسخر)** مذلل **(من الله عز وجل)** هو الذي ألهمه بإيصال تلك النعمة إليه، **(ففي تسميته)** أي قوله «بسم الله» **(وتحميده)** أي قوله «الحمد لله» **(نقصان)** في المقام والمشهد **(بقدر التفاته إلى غير الله تعالى)** بل هو عين الهلاك والبعد عن قرب الله تعالى. فليحذر المصلي أن يخطر بقلبه تصور نعمة دقيقة أو جليلة من غير الله تعالى ولا تصور شكره لسواه.

في قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجاؤك. ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك: « مالك يوم الدين » أما العظمة فلأنه لا ملك إلا اه. وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه. ثم جدد الاخلاص بقولك: « إياك نعبد » وجدد العجز والاحتياج والتبرىء من الحول والقوة بقولك: « وإياك نستعين ». وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا بإعانته وأن له المنة إذ وفقك لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلاً لمناجاته. ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين. ثم إذا فرغت من التعوذ من قولك: « بسم الله الرحمن الرحيم » ومن

(فإذا قلت « الرحمن الرحيم » فاحضر في قلبك) مدلول هذا الوصف من حيث ما تطلبه ذات الحق ومن حيث ما يطلبه المرحوم واحضر في قلبك جميع **(أنواع لطفه لتتضح لك رحمته)** أي عمومها على خلقه **(فينبعث بذلك رجاؤك)** فمن أنواع لطفه إفاضة الخير على المحتاجين، وان أرادته لهم عناية بهم، وهذه هي الرحمة التامة ومنها عمومها حيث تتناول الضرورات والمزايا الخارجة عنها وهي الرحمة العامة، فإذا اتضح له هذا المعنى صدق رجاؤه في المتعلق به مع احتياجه وشدة فاقته إلى تلك الإفاضة.

(ثم استثر) استفعال من الإثارة وفي نسخة: ثم استشعر **(من قلبك التعظيم والخوف، بقولك: « مالك يوم الدين » أما العظمة فلأنه لا ملك)** بكسر الميم **(إلا له)** حقيقة، ولذلك لا يوصف بالظلم لأنه تصرف في حق الغير ولا غير هنا يوصف بالملك حتى يقال أنه تصرف في غير ما هو له، وهذا على قراءة « مالك » بالألف من الملك بكسر الميم، ويحتمل أن يكون بضم الميم والمعنى لا تصرف إلا له تعالى، وهذا على قراءة « ملك » بغير ألف ومعناه المتصرف بالأمر والنهي **(وأما الخوف، فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه)** أشار بذلك أن المراد بالدين هو الحساب والجزاء، وله معان أخر غير ذلك لكن الأنسب هنا هو ما ذكر.

(ثم جدد الإخلاص بقولك « إياك نعبد ») فاهماً أنه لا معبود سواه ولا يستحق العبادة إلا هو أي: لا نعبد إلا إياك فلا بد فيه من معنى الإخلاص وهو تفريده في العبادة بحيث لا يشرك به أحداً في أعماله كلها، وليعلم أن كل ما ابتغى به وجه غيره فهو مضمحل **(وجدد العجز والاحتياج والتبرىء من الحول والقوة بقولك « إياك نستعين »)** أي منك نطلب لعون لا من غيرك، فيتصور هنا كمال غنى الله تعالى وقدرته وكمال عجز نفسه واحتياجه ثم لا يشرك معه أحداً في الاستعانة، **(وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك)** له **(إلا بالإعانة)** ولولا عنايته الأزلية بك لما أطعت **(وإن له المنة إذ وفقك)** للخير وأقامك **(لطاعته)** وانقياد أوامره ونواهيه **(واستخدمك لعبادته)** الخاصة **(وجعلك أهلاً لمناجاته)** ومخاطبته ومساررته. **(ولو حرمك)** أي منعك **(التوفيق لكنت من المطرودين)** عن باب قربه **(مع الشيطان اللعين)**. فهذه رشحة من معاني الاستعاذة والاستعانة وما بينهما من التحميد والتعظيم. **(ثم إذا فرغت**

التحميد ومن إظهار الحاجة إلى الاعانة مطلقاً فعين سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك وقل: «اهدنا الصراط المستقيم» الذي يسوقنا إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك. وزده شرحاً وتفصيلاً وتأكيداً واستشهاداً بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين، ثم التمس الإجابة وقل: «آمين». فإذا تلوت

من) فهم معاني **(التعوذ، ومن قولك «بسم الله الرحمن الرحيم» ومن التحميد)** والتعظيم والخوف، **(ومن)** التبرىء من الحول والقوة، ومن **(الحاجة إلى الإعانة مطلقاً)** فاقتضى من هذه المعاني وصف الرجاء والالتجاء وناسب النطق بالدعاء والطلب **(فعين سؤالك ولا تطلب)** منه **(إلا أهم حاجاتك)** مما يناسب لمقام التوفيق، **(وقل)** بلسان قالك مستحضراً الاسم الإلهي الهادي **(إهدنا)** أي أرشدنا إلى **(الصراط المستقيم)** الذي لا اعوجاج فيه **(الذي يسوقنا إلى جوارك)** ويحلنا أشرف دارك **(ويفضي بنا إلى مرضاتك)** أي ما فيه رضاك، وهو الذي يسلكه العارفون بالله تعالى وهو صراط التوحيدين: توحيد الذات وتوحيد الإله بلوازمها المشروعة التي هي حقها مستحضراً في نفسه قوله تعالى: ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ [هود: ٥٦] فإنه إذا مشى العارف على ذلك الصراط كان الحق أمامه وكان العبد تابعاً له على ذلك الصراط، وكيف لا وناصيته بيده يجره إليه. قال تعالى: ﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾ [هود: ٥٦] فدخل في هذه الآية جميع مادب علوا وسفلاً ما عدا الإنس والجن، ولذلك قال **(وزده)** أي مسؤلك **(شرحاً وتفصيلاً)** وتأكيداً **(واستشهاداً)** في قولك: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ **(بالذين افاض عليهم نعمة الهداية)** الكبرى **(من)** عباده المقربين من **(النبيين والصديقين)** والشهداء **(والصالحين)** ليكون حالك ملائماً لحالهم، وسلوكك مشابهاً لسلوكهم. **فهم** الموفقون لذلك الصراط، فإذا حضرت في قراءتك يرجى لك أن تكون ممن جعل ناصيته بيد ربه في غيب هويته، ومن خرج وند ولم يجعل ناصيته بيد ربه استثناه الله منهم، فقال: ﴿غير المغضوب﴾ أي **(دون الذين غضب عليهم)** والذين ضلوا **(من)** طائفة **(الكفار)** الذين لم يوفقوا للسجود **(والزائغين)** عن صراط الحق **(من اليهود والنصارى والصابئين)** وهم عبدة الكواكب، **(ثم التمس الإجابة)** لما سألته من مولاك بغاية الخشوع والهيبة **(وقل: «آمين»)** أي: استجب ربنا. ولما كان الداعي اللسان ثم يصغي إلى قلبه فيسمع تلاوة روحه فاتحة الكتاب مطابقة لتلاوة لسانه فيقول اللسان مؤمّناً على دعاء روحه بالتلاوة من قوله: «إهدنا» فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة موافقة طهارة وتقديس أُجاب الحق عقيب قوله باللسانين. وبهذا قد ظهر لك أسلوب القراءة في الصلاة كيف يكون، فاجر عليها على قدر اتساع باعك وسرعة حركتك وأنت أبصر.

(فإذا تلوت الفاتحة كذلك) أي بحضور قلب ومواطأة بين القلب واللسان بحظ وافر من

الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي ﷺ: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين، فيقول الله عز وجل: حمدني عبدي وأثنى علي» وهو معنى قوله: سمع الله لمن حمده، الحديث الخ. فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى

الوصلة والدنو والهيبة والخشية والتعظيم والوقار والمشاهدة والمناجاة، **(فتشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي ﷺ: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي. يقول العبد: الحمد لله رب العالمين، فيقول الله عز وجل: حمدني عبدي وأثنى عليَّ» .**

قال المصنف: **(وهو معنى قوله)** أي المصلي **(سمع الله لمن حمده)** أي: أجاب **(الحديث الخ)** منصوب على فعل مقدر تقديره اذكر الحديث الخ. وتمامه: فيما أخبرناه شيخنا أبو الربيع سليمان بن يحيى بن عمر الحسيني الزبيدي بقراءتي عليه بمدينة زبيد، أخبرنا خال والدي أحمد بن محمد بن المقبول، أخبرنا أحمد بن محمد النخلي، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا علي بن يحيى، أخبرنا يوسف بن زكريا، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا أبو ذر عبد الرحمن ابن عبدالله الزركشي، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الخزرجي، أخبرنا أبو محمد صالح بن تامر الجعبري، أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد البكري، أخبرنا المؤيد بن محمد الطوسي، أخبرنا أبو عبدالله الفراوي، أخبرنا أبو الحسين عبد الغفار بن محمد الفارسي، أخبرنا أبو أحمد الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن سفيان الزاهد، حدثنا مسلم بن الحجاج القشيري، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثاً غير تمام، فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام. فقال: اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين. قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال الرحمن الرحيم. قال الله: اثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين. قال: مجدني عبدي، وقال مرة: فوض إليّ عبدي، وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال: إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

قال سفيان: حدثني به العلاء بن عبدالرحمن بن يعقوب دخلت عليه وهو مريض في بيته فسألته أنا عنه هكذا نصه في صحيحه. وقال أيضاً: وحدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن العلاء بن عبدالرحمن أنه سمع أبا السائب مولى هشام بن زهرة يقول: سمعت أبا هريرة يقول، قال رسول الله ﷺ فذكره مثله، قال: وحدثني محمد بن رافع، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا ابن جريج، أخبرني العلاء بن عبدالرحمن أن أبا السائب أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول بمثل حديث سفيان. وفي حديثهما: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها

ذكر الله لك في جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة، فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله؟ وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرؤه من السور ـ كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن ـ فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر منته وإحسانه. ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد، والخوف حق الوعيد، والعزم حق الأمر والنهي، والاتعاظ حق الموعظة، والشكر حق ذكر المنة، والاعتبار حق أخبار الأنبياء. وروي أن زرارة بن أوفى لما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿فإذا نُقِرَ في النَّاقُور﴾

لعبدي». قال: وحدثنا أحمد بن جعفر المقعري، حدثنا النضر بن محمد، حدثنا أبو أويس، أخبرني العلاء قال: سمعت من أبي ومن أبي السائب وكانا جليسين لأبي هريرة قالا: قال أبو هريرة، قال رسول الله ﷺ بمثل حديثهم اهـ لفظ مسلم.

وأورده الشهاب السهروردي في العوارف من طريق آدم بن أبي إياس، والدارقطني في سننه عن عبدالله بن زياد بن سمعان. كلاهما عن العلاء بمثل سياق حديث سفيان إلا أنه زاد البسملة في أوله. قال الدارقطني: وابن سمعان متروك الحديث، وقال غيره: كذاب، وقال في العلل: تفرد ابن سمعان بهذه الزيادة إذ قد روى عن العلاء من أصحابه جماعة يزيدون على العشرة. كمالك، وسفيان، وابن جريج، وشعيب، والدراوردي، وإسماعيل بن جعفر، ومحمد بن إسحاق، والوليد بن كثير لم يذكر أحد منهم فيه البسملة. وزادها ابن سمعان وهو ضعيف والله أعلم.

فالصلاة صلة بين العبد وبين الرب وما كان صلة بينه وبين الله تعالى فحق العبد أن يكون خاشعاً لصولة الربوبية على العبودية، **(فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله وعظمته)** لكفى ذلك، وحقيق لك أن تبشر بذلك وتهنأ حيث أنك ذكرت ثم على ما فيك من عوج، **(فناهيك بذلك غنيمة)** رابحة. **(فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله)**، وما أعده لك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؟ **(وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرؤه من السور)** والآيات المضمومة للفاتحة **(ـ كما سيأتي في كتاب تلاوة القرآن ـ)** مفصلاً **(فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر منته وإحسانه)** وتيسيره، **(ولكل واحد حق، فالرجاء)** والشوق **(حق الوعد، والخوف)** والحزن **(حق الوعيد، والعزم)** بالجزم على فعل أو ترك **(حق الأمر والنهي، والاتعاظ حق الموعظة، والشكر حق المنة)** والإحسان، والتوفيق حق التيسير، **(والاعتبار حق أخبار الأنبياء)** عليهم السلام.

(وروي أن زرارة بن أوفى) هو العامري الحرشي البصري من التابعين يكنى أبا حاجب كان من العبّاد. وثقه النسائي وابن حبان. قال ابن سعد: مات فجأة سنة ثلاث وتسعين **(لما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿فإذا نُقر في الناقور﴾** [المدثر: ٨] **فخرّ ميتاً)**.

[المدثر: ٨] خرَّ ميتاً. وكان ابراهيم النخعي إذا سمع قوله تعالى: ﴿إذا السّماء انشقت﴾ [الانشقاق: ١] اضطرب حتى تضطرب أوصاله. وقال عبدالله بن واقد: رأيت ابن عمر يصلي مقلواً عليه، وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فإنه عبد مذنب ذليل بين يدي جبار قاهر، وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم، ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر.

والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات. فهذا حق القراءة وهو حق

قلت: هذا قد أخرجه أبو نعيم في الحلية من وجهين. **الأول:** قال حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبدالله بن أحمد، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا أبو جناب القصاب واسمه عون بن ذكوان قال: صلى بنا زرارة بن أوفى صلاة الصبح فقرأ: ﴿يا أيها المدثر﴾ حتى إذا بلغ ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ خر ميتاً.

الثاني: قال حدثنا أحمد بن عنبر، حدثنا عبدالله بن أحمد، حدثنا روح بن عبدالمؤمن، حدثنا غياث بن المثنى القشيري، حدثنا بهز بن حكيم قال: صلى بنا زرارة بن أوفى في مسجد بني قشير فقرأ: ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ فخر ميتاً فحمل إلى داره وكنت فيمن حمله إلى داره.

(وكان ابراهيم النخعي) كذا في النسخ وفي بعضها إبراهيم بن أدهم **(إذا سمع قوله تعالى: ﴿إذا السماء انشقت﴾** [الانشقاق: ١] **اضطرب)** اضطراباً شديداً **(حتى تضطرب أوصاله)** أي مفاصله.

(وقال عبدالله بن واقد) بن عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي المدني. روى عن النبي ﷺ مرسلاً وعن جده. وعنه الزهري وثقه ابن حبان وقال: مات سنة ١١٩ قال: **(رأيت ابن عمر)** هو جده عبدالله بن عمر **(يصلي مقلواً)** أي على هيئة المقلو على النار **(وحق له أن يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فإنه عبد ذليل مذنب بين يدي جبار قهار)** أشار بذلك إلى أن هذا الحال الذي كان يعتريه في صلاته إنما هو لملاحظته لهذه المعاني، **(وتكون هذه المعاني)** متفاوتة **(بحسب درجات الفهم ويكون الفهم)** قوياً **(بحسب وفور العلم وصفاء القلب)** والتحقق في المشاهدة **(ودرجات ذلك لا تنحصر، والصلاة)** معراج المشاهدين و **(مفتاح)** خزائن **(القلوب)** أي قلوب العارفين **(فيها تنكشف أسرار الكلمات)** والحروف، ومنها تكمل المشاهدة لعلام الغيوب.

وحاصل الكلام أن الناس في فهم معاني التلاوة على ثلاث مقامات. أعلاهم من يشهد كلام المتكلم وأوصافه في كلامه ويعرف أخلاقه بمعاني خطابه، وهذا مقام العارفين من المقربين، ومنهم من يشهد ربه تعالى ويناجيه بألطافه ويخاطبه بانعامه وإحسانه، فمقام هذا مقام الحياء والتعظيم وحاله الإصغاء والفهم، وهذا للابرار من أصحاب اليمين. ومنهم من يرى أنه هو الذي يناجي

الأذكار والتسبيحات أيضاً. ثم يراعي الهيبة في القراءة فيرتل ولا يسرد فإن ذلك أيسر للتأمل. ويفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب، والوعد والوعيد، والتحميد والتعظيم والتمجيد. كان النخعي إذا مرَّ بمثل قوله عز وجل: ﴿ما اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] يخفض صوته كالمستحي عن أن يذكره بكل شيء لا يليق به. وروي أنه يقال لقارىء القرآن: « اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ». وأما دوام القيام

ربه تعالى، فمقامه السؤال والتملق وحاله الطلب والتعلق، وهذا للمتعرفين والمريدين. فإن قصرت مشاهدة التالي مولاه فليشهد أنه يناجيه بكلامه ويملقه بمناجاته، فإن الله تعالى إنما خاطبه بلسانه ليفهم عنه بعلمه الذي جعله له ويعقل عنه بفهمه الذي قسمه له حكمة منه ورحمة.

(**فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضاً**) حالها كحالها في التدبر بمعانيها وفهم ما سيقت لأجلها، (**ثم يراعي الهيبة**) بسكون الجوارح واصغاء القلب لفهم الخطاب (**في القراءة**) ويخشع (**فيرتل**) فيها ترتيلاً مع التدبر لفهم معانيها (**ولا يسرد**) سرداً، (**فإن ذلك**) أي الترتيل وعدم السرد (**أيسر للتأمل**).

وفي القوت في ذكر أحزاب القرآن وأفضل القراءة الترتيل، لأنه يجمع الأمر والندب وفيه التدبر والتفكر. وروى علي بن أبي طالب قال: لا خير في قراءة لا تدبر فيها، ولا خير في عبادة لا فقه فيها. وعن ابن عباس: لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأدبرهما أحب إليَّ من أن أقرأ القرآن هذرمة.

(**ويفرق**) القارىء (**بين نغماته**) جمع نغمة كتمرة وتمرات، والمراد بها الصوت (**في آية الرحمة والعذاب، والوعد والوعيد، والتحميد والتعظيم والتمجيد**) فإن مرَّ بآية رحمة أظهرها وسأل ورغب، أو آية عذاب خفضها وفزع واستعاذ، وإن مرّ بتسبيح أو تعظيم وتحميد سبح وعظم وحمد إن قاله بلسانه فحسن وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه. وقال أبو حنيفة: ما ورد فيه محمول على صلاة الليل، وأما الفرائض فلا يصلح فيها شيء من ذلك وإن أسرّه في قلبه ورفع به همه ناب قصده عن المقال وكان فقره غاية السؤال، وهذا أحد الوجهين في قوله تعالى: ﴿يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾ [البقرة: ١٢١].

ومما يدل على التفريق في نغمات القراءة ما روي أنه: (**كان النخعي**) هو إبراهيم بن زيد أو خاله الأسود بن يزيد، ولكن إذا أطلق ينصرف إلى الأول غالباً (**إذا مرَّ**) في صلاته (**بمثل قوله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله﴾** [المؤمنون: ٩١] **يغض صوته**) أي: يخفضه (**كالمستحي عن أن يذكره بكل شيء**) وهذا ان ثبت فهو عند أصحابنا محمول على خارج الصلاة.

(**وروي أنه يقال لقارىء القرآن: « اقرأ وارق ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا »**). قال

فإنه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور. قال ﷺ: «إن الله عز وجل مقبل على المصلي ما لم يلتفت». وكما تجب حراسة الرأس والعين عن

العراقي: أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي من حديث عبدالله بن عمر، وقال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: أخرجوه من طريق سفيان عن عاصم بن أبي النجود، عن ذر، عن ابن عمرو اهـ.

وكذلك أخرجه أحمد، والحاكم، وابن حبان، والبيهقي من حديث ابن عمرو، ورواه ابن أبي شيبة عنه موقوفاً ولفظهم جميعاً يقال لصاحب القرآن يوم القيامة: «اقرأ وارقه ورتل كما كنت ترتل في دار الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها».

وأخرجه أحمد أيضاً، وابن ماجه، والعقيلي، ومحمد بن نصر، عن أبي سعيد بلفظ: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه». رواه ابن أبي شيبة عنه موقوفاً.

تنبيه:

بين ارق واقرأ جناس القلب، وهو من جلة المحسنات البديعية كما في قوله تعالى: ﴿كل في فلك﴾ [الأنبياء: ٣٣].

(وأما دوام القيام) واعتداله فيه **(فإنه تنبيه على إقامة القلب مع الله تعالى على نعت)** أي وصف **(واحد من الحضور)** ولا يتم الحضور كذلك إلا بعد الغيبة عن سواه فيكون معه في هذا المقام على غاية مرتبة العدل بحيث لا يميل ولا يلتفت.

(قال النبي ﷺ: «إن الله يقبل على المصلي ما لم يلتفت»). قال العراقي: رواه أبو داود، والنسائي، والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي ذر اهـ.

قلت: وبنحوه ما أخرجه الطبراني في الكبير، عن يوسف بن عبدالله بن سلام بسند منقطع: «لا صلاة لملتفت».

قال ابن الهمام في فتح القدير: حدّ الالتفات المكروه أن يلوي عنقه حتى يخرج عن مواجهة القبلة اهـ.

قال المناوي: أما الالتفات بصدره فمبطل الصلاة، وأما بوجهه فقط لحاجة فجائز بلا كراهة لوروده من فعل النبي ﷺ.

وأخرج أحمد، والطبراني في الكبير، والبيهقي في السنن من حديث معاذ بن أنس: «أن الضاحك في الصلاة والملتفت والمفقع أصابعه بمنزلة واحدة» ومذهب الشافعي أن الثلاثة مكروهة تنزيهاً ولا تبطل بها الصلاة ما لم يظهر من الضحك حرفان أو حرف مفهم، أو يتوالى مما بعده ثلاثة أفعال، وما لم يتحوّل صدره عن القبلة وإلاّ بطلت صلاته. وقيل: كان الصحابة يرفعون

الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة. فإذا التفت إلى غيره فذكره باطلاع الله عليه وبقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود إليه، والزم الخشوع للقلب فإن الخلاص عن الالتفات باطناً وظاهراً ثمرة الخشوع. ومهما خشع الباطن خشع الظاهر. قال ﷺ وقد رأى رجلاً مصلياً يعبث بلحيته: «أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه» فإن الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء: «اللهم أصلح الراعي والرعية» وهو القلب والجوارح. وكان الصديق رضي الله عنه في

أبصارهم إلى السماء في الصلاة وينظرون يميناً وشمالاً، فلما نزلت: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون: ٢] جعلوا وجوههم حيث يسجدون، وما رؤي بعد ذلك أحد منهم ينظر إلاّ إلى الأرض.

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين يدي الرحمن فإذا التفت قال له الرب إلى من تلتفت إلى من هو خير لك مني ابن آدم اقبل إليّ فأنا خير لك ممن تلتفت إليه».

وروت أم رومان قالت: رآني أبو بكر وأنا أتميل في الصلاة فزجرني زجراً كدت أن أنصرف من صلاتي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا قام أحدكم في الصلاة فليسكن أطرافه لا يتميل تميل اليهود فإن سكون الأطراف من تمام الصلاة».

(وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات) غير جهة القبلة، **(فكذلك تجب حراسة السر)** أي القلب، والمراد به داخل القلب **(عن الالتفات إلى غير الصلاة)** أي أفعالها، **(فإذا التفت إلى غيره)**. هكذا في النسخ وكان الضمير راجع إلى الله تعالى **(فذكره باطلاع الله تعالى عليك)** ومراقبته لك **(وبقبح التهاون بالمناجي)** هو الله تعالى **(عند غفلة المناجي)** هو المصلي، وقوله: **(ليعود إليها)** جواب قوله فذكره وضمير إليها راجع إلى الصلاة، وفي بعض النسخ إليه. **(والزم الخشوع للقلب فإن الخلاص عن الالتفات باطناً وظاهراً)** هو **(ثمرة الخشوع)** وفائدته **(ومهما خشع الباطن خشع الظاهر)** والظاهر عنوان الباطن.

(قال ﷺ، وقد رأى رجلاً) وفي رواية: مصلياً **(يعبث بلحيته في الصلاة: «أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»)** تقدم أنه من حديث أبي هريرة أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بسند ضعيف، والذي في المصنف لابن أبي شيبة أنه من قول سعيد بن المسيب، **(فإن الرعية بحكم الراعي)** والرعية فعيلة من الرعي وهو الحفظ والقيام بتدبير الناس، وقيل: للأمير والحاكم راع بهذا المعنى، **(ولهذا ورد في الدعاء: «اللهم أصلح الراعي والرعية»)** قال العراقي: لم أقف له على أصل اهـ.

صلاته كأنه وتدٌ. وابن الزبير رضي الله عنه كأنه عود. وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد، وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا، فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك؟ وكل من يطمئن بين يدي غير الله عز وجل خاشعاً وتضطرب أطرافه بين يدي الله فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سره وضميره. وقال

ثم إن المعروف أن المراد بالراعي والرعية الحاكم والمحكوم عليه، **(و)** قال المصنف **(هو القلب والجوارح)**، فالقلب راع والجوارح رعيته، فإذا صلح الراعي صلح الرعية، وهذا المعنى وإن كان غريباً لكنه يؤنسه حديث: « ألا إن في الجسد مضغة إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ». ولأن الله تعالى قد جعل بين الأجساد والأرواح رابطة ربانية وعلاقة روحانية فلكل منهما ارتباط بصاحبه وتعلق به يتأثر بتأثره، فإذا خشع القلب أثر ذلك في الجوارح فخشعت وصفت الروح وزكت النفس، وإذا أخلص القلب بالطاعة استعمل الجوارح في مصالحه.

ثم ذكر جماعة من الخاشعين في صلاتهم فقال: **(وكان)** أبو بكر **(الصديق رضي الله عنه في صلاته كأنه وتد)** ككتف جمعه أوتاد، ويقال أيضاً بقلب التاء دالاً وهو من الفسطاط معروف شبهه به في صلابته ورسوخه وعدم تميله والتفاته، **(و)** كان عبدالله **(بن الزبير رضي الله عنه)** في صلاته **(كأنه عود)** أي في صلابته واستقامته واعتدال قامته، **(وبعضهم كان يسكن في ركوعه)** مع الاطمئنان **(بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد)** لا يتحرك، وهذا لا يكون إلا بتطويله، ولعله في النوافل. وقد حكى ذلك في نعت علي بن الحسين بن علي السجّاد، وبعضهم يرى في صلاته كأنه خرقة ملقاة. حكي ذلك عن مسلم بن يسار كذا في الحلية، **(وكل ذلك مما يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من ابناء الدنيا)** بحيث أنهم إذا وقفوا بين أيديهم، فكأنما على رؤوسهم الطير. **(فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك)** جل جلاله الذي بيده ملكوت السموات والأرض **(عند من يعرف ملك الملوك)**. وأما من لم يعرف أنه ملك الملوك ومنه الخوف وإليه الرجاء فكفاه جهله حاجباً له عن خشوعه، **(وكل من يطمئن بين يدي غير الله خاشعاً)** مطمئناً **(وتضطرب أطرافه)** إذا وقف **(بين يدي الله عابثاً فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عز وجل وعن اطلاعه على سره وضميره)** أي ما يضمره ويسره، أو ان الضمير هو القلب والسر داخله.

(قال عكرمة) مولى ابن عباس يكنى أبا عبدالله كان يفتي بالباب وابن عباس في الدار. قال العجلي: كان تابعياً ثقة ووثقه النسائي أيضاً، وقال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة. وقال قتادة: أعلم الناس بالتفسير عكرمة. وقال يحي بن سعيد: أصحاب ابن عباس ستة مجاهد، وطاوس، وعطاء، وسعيد، وعكرمة، وجابر بن زيد. مات هو وكثير عزة في يوم

عكرمة في قوله عز وجل: ﴿الذي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلّبكَ في السّاجدين﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩] قال: قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه.

وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيراً بعفو الله عز وجل من عقابه بتجديد نية ومتبعاً سنّة نبيه ﷺ. ثم تستأنف له ذلاً وتواضعاً بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك، وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك. وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك، فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على

واحد سنة خمس ومائة فقال الناس: مات اليوم أفقه الناس وأشعر الناس روى له مسلم مقروناً بغيره واحتج به الباقون (**في قوله عز وجل: ﴿الذي يراك حين تقوم وتقلّبك في الساجدين﴾** [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩] **قال**) في تفسيره: (**قيامه**) ﷺ في الصلاة (**وركوعه وسجوده وجلوسه**)، ويروى عن ابن عباس قال: أي من بطن ساجد إلى بطن ساجد من لدن آدم عليه السلام إلى عبد الله.

(**وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجدد عندهما**) أي عند قصدك لهما (**ذكر كبرياء الله تعالى وترفع يديك**) طالباً فقيراً صفر اليدين إلى الوهب الإلهي (**مستجيراً بعفو الله من عقابه**)، أو ترفعهما من باب ترك الحول والقوّة إذ كانت الأيدي محل القدرة معترفاً بأن الحول والقوّة لله لا لك، وأن يديك خالية من الاقتدار، أو انك إذا رفعتهما إلى صدرك اعتبرت كون الحق في قبلتك، وإن رفعتهما إلى الأذنين اعتبرت كون الحق فوقك بالعظمة والاقتدار وهو القاهر فوق عباده، (**ومتبعاً سنّة نبيه ﷺ**) مما ثبت ذلك من رفعه ﷺ يديه في هذا الموطن وغيره مما جاء في حديث وائل بن حجر ومالك بن الحويرث كما تقدم بيانه، (**ثم تستأنف له**) تعالى (**ذلاً وتواضعاً بركوعك**) لمناسبة أن الركوع رجوع العبد عن نسبة القيومية له، (**وتجتهد في ترقيق قلبك**) وتصقيله عن كدر الأنانية (**وتجديد خشوعك**) غير الذي كنت قائماً به في حالة القيام، (**وتستشعر**) في نفسك (**ذلك**) الذاتي (**وعز مولاك**) الحقيقي (**و**) تتصوّر (**اتضاعك**) بوصف العبودية (**وعلو ربك**) بالربوبية، (**وتستعين على تقرير ذلك**) واثباته (**في قلبك**) مساعداً (**بلسانك**) الظاهر، (**فتسبح ربك**) الذي اعتقدته رباً (**وتشهد له بالعظمة**) في سائر الأدوار (**وتقول: سبحان ربي العظيم وأنه أعظم من كل عظيم**)، بل كل عظيم عند عظمته يتلاشى ويضمحل، والاعتبار في ذلك أن المصلي لما كان في وقوفه بين يدي ربه في الصلاة له نسبة إلى القيومية، ثم انتقل عنها إلى حالة الركوع الذي هو الخضوع ولم تنبغ هذه الصفة أن تكون لله تعالى، فشرع النبي ﷺ على ما فهم من كلام الله في قوله: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ [الحاقة: ٥٢] فقال: «اجعلوها في ركوعكم» فيقول: نزهوا عظمة ربكم عن الخضوع، فإن الخضوع إنما هو لله لا بالله، فإنه يستحيل أن تقوم به صفة الخضوع وأضافه

قلبك لتؤكده بالتكرار. ثم ترتفع من ركوعك راجياً أنه راحم لك ومؤكداً للرجاء في نفسك بقولك: «سمع الله لمن حمده» أي أجاب لمن شكره. ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول: «ربنا لك الحمد». وتكثر الحمد بقولك: «ملء السموات

لاسم الرب لأنه يستدعي المربوب، ثم ان هذا الاسم لما تعلق التسبيح به لم يتعلق به مطلقاً من حيث ما يستحقه لنفسه، وإنما تعلق به مضافاً إلى نفس المسبح، فقال: «سبحان ربي العظيم». وحالة الركوع برزخ متوسط بين القيام والسجود بمنزلة الوجود المستفاد للممكن برزخ بين الواجب الوجود لنفسه وبين الممكن لنفسه. فالممكن عدم لنفسه فإن العدم لا يستفاد فإنه ما ثم من يفيده والواجب الوجود وجوده لنفسه وظهرت حالة برزخية وهي وجود العبد بمنزلة الركوع فله نسبتان يعرفها العارف، فيخطر للعارف في حال الركوع الحال البرزخي الفاصل بين الأمرين وهو المعنى المعقول الذي به يتميز العبد من الرب، وهو أيضاً المعنى المعقول الذي به يتصف العبد بأوصاف الرب والله أعلم.

(**وتكرر ذلك**) القول (**على قلبك**) بفهم معانيه التي ذكرت من التسبيح والربوبية والعظمة (**لتؤكده بالتكرار**) إما ثلاثاً وهو أدنى الكمال كما مرّ أو خمساً حتى يدرك من وراءه ثلاثاً ومن زاد زاد الله عليه، (**ثم ترتفع من ركوعك**) بالاعتدال (**راجياً أنه راحم ذلك**) وفي نسخة: لك. أشار بذلك أن الركوع حالة الخضوع والذل، والرفع منه حالة العز، فلما أمر بالرفع على لسان نبيه ﷺ بقوله: «ثم ارفع حتى تستوي قائماً» أراد أن يرحم ذله، وهذا نظر من أوجب الاعتدال فيه. يقول: إذا اتفق أن يقام العبد في موطن يكون الأولى فيه ظهور عزة الإيمان وجبروته وعظمته بعز المؤمن، فيظهر فيه من الأنفة ما يناقض الخضوع، ففي ذلك الموطن لا يكون الخضوع واجباً بل ربما الأولى إظهار صفة ما يقتضيه ذلك الموطن، ومن قال بسنيته لا ينظر إلى هذا، وإنما يقول: الخضوع واجب على كل حال إلى الله تعالى باطناً وظاهراً خصوصاً في الصلاة، ومن قال بالايجاب نظره دقيق (**ومؤكداً للرجاء في نفسك بقولك: «سمع الله لمن حمده» أي أجاب**) الله (**من شكره**). كذا عن ابن الأنباري. وقيل: معناه علم حمد الحامد، وقيل قبل حمد من حمده، ومنه قولهم سمع القاضي البينة أي قبلها والقبول أقرب إلى معنى الإجابة، (**ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد**) أشار بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ولئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [ابراهيم: ٧] (**فتقول: «ربنا لك الحمد»**) وفي نسخة: ولك الحمد بزيادة الواو، وقد تقدم الكلام على ذلك.

اعلم أن العارف الجامع لأكمل الصلاة إذا رفع رأسه من الركوع يقول سمع الله لمن حمده، ثم يسكت قليلاً، ثم يقول: يرد على نفسه بلسانه ربنا ولك الحمد فإنه في قوله سمع الله لمن حمده نائب عن ربه لنفسه ورد في الحديث الصحيح إذا قال الإمام: سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد، فإن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده، فلهذا يستحب للمنفرد أن يسكت بينهما قليلاً، والمراد من قوله: «لمن حمده» أي في حال ركوعه وما حمده به في حال قيامه

وملء الأرض». ثم تهوي إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذلّ الأشياء وهو التراب. وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض فافعل فإنه أجلب للخشوع وأدل على الذل. وإذا وضعت

في قوله: «الحمد لله رب العالمين». ويحذف حرف النداء وهو: «يا» ليؤذن بالقرب، وإنما أبقى المنادى لبقاء نفسه في جواب ربه فيقول: لك الحمد أي الثناء التام بما هو لك ومنك ولك عواقب ثناء كل مثن في العالم وكل مثنى عليه في العالم، وهو قوله: ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد. يقول: كل جزء من العالم العلوي والسفلي وما بينهما وما يعطيه الإمكـان كل جزء منه معلوم بحكم الوجود، والتقدير له ثناء خاص عليك من حيث عينه وإفراده وجمعه بغيره في قليل الجمع وكثيره أحمدك بلسانه وبلسان كل حامد، فيكون لهذا الحامد بمثل هذه الألسنة جميع ما يستدعيه من التجليات الإلهية ومن الأجور الحسية، وقوله: أحق ما قال العبد أي أوجب ما يقوله عبد مثلي لسيد مثلك وكلنا لك عبد يقول أنوب عن إخواني من العبيد في حمدك عنهم لمعرفتي بك وجهلهم بما ينبغي لجلالك: «لا مانع لما أعطيت» من الاستعداد لقبول تجليات مخصوصة وعلوم مخصوصة «ولا معطي لما منعت» وإذا لم تعط استعداداً عاماً فما ثَمّ سيد غيرك يعطي أحداً ما لم تعطه أنت «ولا ينفع ذا الجد منك الجد» أي من كان له حظ في الدنيا من جاه ورئاسة ومال بغيرك في علمه لا في نفس الأمر لم ينفعه ذلك عندك في الآخرة عند كشف الغطاء.

تنبيه:

قد تقدم الاختلاف بين العلماء في الدعاء في الركوع بعد اتفاقهم على جواز الثناء على الله فيه أو وجوبه في مذهب من يراه شرطاً في صحة الصلاة، فمنهم من كره الدعاء في الركوع، ومنهم من أجازه فمن أجازه يقول: لما كانت الصلاة معناها الدعاء صح أن يكون الدعاء جزءاً من أجزائها ويكون من باب تسمية الكل باسم الجزء، وأما من كرهه يقول: الحالة البرزخية لها وجهان. وجه إلى الحق ووجه إلى الخلق، فمن كان مشهده من الركوع الوجه الذي يطلب الحق كره الدعاء فيه ولم يحرمه، لأن صفة القيومية قد يتصف بها الكون، ومن رجح الوجه الذي يطلب الكون من الركوع قال بجوازه فيه وبه جاءت السنة والله أعلم.

(**ثم تهوي إلى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة**). قد ذكرنا سابقاً أن العبد ينظر في الركوع في عظمة الله تعالى وتنزيهها عن قيام الخضوع بها وعلوه عن السجود، فإنه في سجوده يطلب أصل نشأة هيكله وهو الماء والتراب ويطلب بقيامه أصل روحه، فإن الله تعالى يقول فيهم: ﴿وأنتم الأعلون﴾ [آل عمران: ١٣٩] (**فمكّن أعز أعضائك**) في الظاهر (**وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب**) لكونه مداساً تحت الأرجل، (**وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلاً**) أي مانعاً (**فتسجد على الأرض**) كما كان يفعله عمر بن عبد العزيز، (**فافعل فإنه أجلب للخشوع وأدل على الذل**) أي من أكبر الأسباب الجالبة للخشوع والدالة على الهوان،

نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى أصله ، فإنك من التراب خلقت وإليه تعود ، فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل : « سبحان ربي الأعلى » وأكده بالتكرار فإن الكرة الواحدة ضعيفة الأثر ، فإذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله ، فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل لا إلى التكبر

(وإذا وضعت نفسك) وفي بعض النسخ : بعينيك وأخاله تصحيفاً **(موضع الذل)** الذي هو التراب **(فاعلم أنك)** قد **(وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى الأصل)** الذي انتشأ منه ، **(فإنك من التراب خلقت)** قال الله تعالى : ﴿منها خلقناكم﴾ [طه : ٥٥] **(وإليه رددت)** . وفي نسخة : وإليه تعود قال الله تعالى : ﴿وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ [طه : ٥٥] وهذا سر تثنية السجود ، **(فعنده تجدد)** وفي نسخة : فعند هذا جدد **(على قلبك عظمة الله)** وعلوه وارتفاعه ومجده **(وقل : « سبحان ربي الأعلى »)** لما كان المصلي ينتقل من حالة الركوع إلى حالة السجود وكلتاهما من أحوال الخضوع ، إلاّ أن حالة السجود في الخضوع أكثر من حالته ناسب فيه وصف اسم الرب الذي هو من الأمهات الثلاث الكثير الدور والظهور في القرآن بالأعلى ليسبحه بلسان كل مسبح ، وينظر في علو الله تعالى عن السجود وتنزيهه له عن كل ما يضاد العلو ، **(وأكده بالتكرار)** ثلاثاً أو خمساً أو أزيد ، **(فإن الكرة الواحدة ضعيفة الأثر)** أي لا تؤثر في القلب مرة واحدة إلا للمستغرق عن حسه ، وبتكرار ذلك المعنى يحصل التأثير ويقوى الأثر ، **(فإذا رق قلبك)** بقبوله الأثر المذكور **(وظهر ذلك)** بإثبات العلو المطلق لربك ، **(فلتصدق رجاءك في رحمة ربك)** لأنه هو الذي الهمك إلى هذا الخضوع والتنزيه ، **(فإن رحمته تتسارع إلى الضعف والذل لا إلى التكبر والبطر)** . فإذا كان المصلي بوصف الذل والضعف إما حقيقة وإما بإظهارهما ، كذلك تعمه رحمة ربه وتغمر أنوارها قلبه ، فإذا فرغ من التسبيح وأعمال صدق الرجاء فليقل وهو ساجد : « اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين . اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً ، وعن يميني نوراً وعن شمالي نوراً وأمامي نوراً وخلفي نوراً وفوقي نوراً وتحتي نوراً ، واجعل لي نوراً واجعلني نوراً » ومعنى اجعلني نوراً اجعلني هدى يهتدي بي كل من رآني فإنها من أسنى المراتب وهو مقام عين الجمع ، وفيه تتحد الأنوار بوحدانية العين ، والله أعلم .

تنبيه :

تقدم ذكر الاختلاف فيما يضع المصلي على الأرض إذا هوى إلى السجود ، فذهب قوم إلى وضع اليدين قبل الركبتين ، وآخرون بالعكس . فاعلم أن اليدين محل الاقتدار ، والركبتين محل الاعتماد ، فمن اعتمد على ربه مع الاقتدار الذي يجده من نفسه كالحلم مع القدرة قال بوضع الركبتين قبل اليدين ، ومن رأى أن اليدين محل العطاء والكرم ورأى قوله تعالى : ﴿قدموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ [المجادلة : ١٣] قدم اليدين قبل الركبتين ، ثم أن المعطي لا يخلو من

إحدى حالتين: إما أن يعطي وهو صحيح شحيح يخشى الفقر ويأمل الحياة، وإما أن يعطي وهو من الثقة بالله والاعتماد على الله بحيث أن لا يخطر له الفقر والحاجة ببال، لعلمه بأن الله تعالى أعلم بمصالحه، فمن كانت هذه حالته قدم ركبتيه على يديه، ومن كانت حالته الشح فجاهد نفسه وخشي الفقر وبذل المجهود من نفسه في العطاء قدم يديه على ركبتيه، والساجد أي حال قدم من هاتين الحالتين فإن الأخرى تحصل له في سجوده، ولا بد فمن اعتمد وتوكل حصل له صفة الجود والايثار وجميع مراتب الكرم والعطاء، ومن أعطى لله عن جبن وفزع أثمر له ذلك العطاء بهذه الحالة التوكل والاعتماد على الله والذي رجح الشارع تقديم اليدين، والله أعلم.

إشارة تقدم بيان السجود على سبعة أعظم: الوجه واليدين والركبتين وأطراف القدمين، فمن سجد عليها فقد تَمّ سجوده اتفاقاً، واختلفوا إذا نقص عضواً منها هل تبطل صلاته أم لا؟ فقال قوم: تبطل، وقال آخرون: لا، واتفقوا على أن من سجد على جبهته وأنفه فقد سجد على وجهه، واختلفوا فيمن سجد على أحدهما فمن قائل: إن سجد على جبهته دون أنفه جاز وبعكسه لا. ومن قائل: بالجواز على انفراد كل منهما، ومن قائل بعدمه. فاعلم أن السبع الصفات يرجع إليها جميع الأسماء الإلهية فلو نقص منها صفة أو نسبة فقد بطل الجميع، ولا يصح كون الحق إلاهاً وهو الذي لا يجيز الصلاة إلاَّ بالسجود على السبعة الأعضاء فإنها للحضرة الإلهية بمنزلة هذه الأعضاء للساجد، والذي يقول: إن الوجه لا بدّ منه بالاتفاق كالحياة من هذه الصفات التي هي شرط في وجود ما بقي من الصفات السبعة أو النسب على الخلاف المذكور في محله، فمن قال: إن السمع والبصر راجعان إلى العلم، وأن العلم يغني عنهما، وأنهما مرتبتان في العلم قال بجواز الصلاة إذا نقص عضو من هذه الأعضاء مع سجود الوجه، ولما كانت الحياة تقتضي العزة لنفسها كانت العزة والحياة مرتبطين كالشيء الواحد كارتباط الجبهة بالأنف في كونهما عظماً واحداً، وإن كانت الصورة مختلفة فمن قال: إن المقصود الوجه وأدنى ما ينطلق عليه اسم الوجه يقع به الاجتزاء أجاز السجود على الأنف دون الجبهة وعلى الجبهة دون الانف، كالذي يرى أن الذات هي المطلوبة الجامعة، ومن نظر إلى صورة الأنف وصورة الجبهة ونظر إلى الأولى باسم الوجه فغلب الجبهة، وأن الأنف وان كان مع الجبهة عظماً واحداً لم يجز السجود على الأنف دون الجبهة لأنه ليس بعظم خاص، بل هو للعضلية أقرب منه إلى العظمية فتميز عن الجبهة، فكانت الجبهة المعتبرة في السجود كذلك الحياة هي المعتبرة في الصفات والعزة وإن كانت لها، فإن الصفة الإحاطية وهي العلم تشركها في ذلك فلم ير للعزة أثراً في هذا الأمر، ومن قال: لا بد أن يكون وجه الحق منيع الحمى عزيزاً لا يغالب قال بالسجود على الجبهة والأنف، ولما كان الأنف في الحس محل النفس الذي هو الحياة الحيوانية كانت نسبته إلى الحياة أقرب النسب، وبوجود هذه السبعة تَمّ نظام العالم ولم يبق في الإمكان حقيقة إمكانية تطلب أمراً زائداً على هذه السبعة، فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم والله أعلم.

والبطر. فارفع رأسك مكبراً أو سائلاً حاجتك وقائلاً: «رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم» أو ما أردت من الدعاء. ثم أكد التواضع بالتكرار فعد إلى السجود ثانياً كذلك.

وأما التشهد؛ فإذا جلست له فاجلس متأدباً وصرح بأن جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات أي من الأخلاق الطاهرة لله. وكذلك الملك لله وهو معنى:

ثم لما ذكّر المصنف ان صدق الرجاء في رحمة الله تعالى أكيد في السجود عقبه بقوله: (**فارفع رأسك**) من السجود (**مكّبراً**) أي قائلاً الله أكبر فاهماً معناه (**وسائلاً حاجتك**) كما هو مقتضى حال الاضطرار والذال والضعف مع تحقق الرجاء (**وقائلاً**) بما أمرت بالدعاء في الجلسة بين السجدتين (**«رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم»**) فإنك أنت الأعز الأكرم».

قال صاحب القوت: روي ذلك عن ابن مسعود (**أو ما أردت من الدعاء**)، وتقدم للمصنف أولاً «رب اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني واجبرني وانعشني وعافني واعف عني» وأيها دعا به جاز والأخير هو المشهور، وتقدم الكلام في رواياته وأنه بمجموعها تحصل عشر كلمات جمعاً بين الروايات، ومعنى ذلك اغفر لي أي استرني من المخالفات حتى لا تعرف مكاني فتقصدني، وارحمني رحمة الانسان في عين الوجوب بالتوفيق للعمل الصالح الموجب لرحمة الاختصاص، فيطلب العارف أخذها من عين الامتنان مع وصفه بالعصمة والحفظ عن المخالفة والخذلان، وارزقني: يعني من غذاء المعارف الذي تحي به قلبي كما رزقتني من غذاء الجسوم بما أبقيت به هيكلي، واجبرني: الجبر لا يكون إلاَّ بعد الكسر تقول اجعلني من المنكسرة قلوبهم حتى أفوز بلذة الجبر، واهدني أي وفقني للبيان عنك والترجمة حتى أخاطب عبادك بجوامع كلمك، وعافني من أمراض القلوب التي هي أغراضها، واعف عني أي قلّل ما ينبغي أن يقلل وكثر ما ينبغي أن يكثر نيابة عني، فإني لا أستطيع التحرك لزمانتي مع ارادتي والله أعلم.

(**ثم أكد التواضع بالتكرار فَعُد إلى السجود ثانياً كذلك**) وقل فيه ما قلته في الأول، وقد تقدم حكمة تكرار السجود.

(**وأما التشهد: فإذا جلست له**) بعد رفع رأسك من السجدة الثانية سواء أمن الركعة الثانية أو الرابعة (**فاجلس متأدباً**) فإنك جالس بين يدي ربك بأمره لك، (**وصرّح**) بلسان حالك وقالك (**بأن جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات أي من الأخلاق الطاهرة لله، وكذلك الملك لله وهو معنى «التحيات»**).

أما التحيات؛ فجمع تحية وهي السلام أو البقاء أو الملك أو العظمة أي أنواع ذلك كله له، والمصنف اقتصر على معنى واحد، وإنما جمع لأن الملوك كل واحد منهم كان يحييه أصحابه بتحية مخصوصة فقيل: جميعها لله وهو المستحق لها حقيقة. وأما المباركات؛ فهي التحيات التي تكون منها البركات، وأما الصلوات فقيل: هي الخمسة أي واجبة لله لا يجوز أن يقصد بها غيره، وقيل: هي العبادات كلها أو الرحمات لأنه المتفضل بها، وأما الطيبات فقيل: هي الأقوال

الصالحة، وقيل: ذكر الله تعالى، وقيل: هي التي تصلح أن يثنى بها على الله تعالى دون ما لا يليق به، وقيل: التحيات العبادات القولية، والصلوات العبادات الفعلية، والطيبات العبادات المالية.

إشارة التشهد على الحقيقة معناه الاستحضار فإنه تفعل من الشهود وهو الحضور، والإنسان مأمور بالحضور في صلاته، فلا بدَّ من التشهد وهو الأوجه.

تنبيه:

لما كان الشاهد مخاطباً بالعلم بما يشهد به لم يصح الحضور ولا الاستحضار من غير علم المتشهد بمن يريد شهوده، فلا يحضر معه من الحق إلا قدر ما يعلمه منه وما خوطب بأكثر من ذلك. واختلفت المقالات في الإله جل وعز فلا بدّ للعاقل إذا انفرد في علمه بربه أن يكون على مقالة من هذه المقالات التي أنتجها النظر، فالسليم العقل من يترك ما أعطاه نظره في الله ونظر غيره من أصحاب المقالات بالنظر الفكري، ويرجع إلى ما قالته الأنبياء عليهم السلام وما نطق به القرآن فيعتقده ويحضر معه في صلاته وفي حركاته وسكناته فهو أولى به من أن يحضر مع الله بفكره، وقد يطرأ لبعض الناس في هذا غلط وذلك أنه يرى أن الإنسان ما يثبت عنده الشرع إلاَّ حتى يثبت عنده بالعقل وجود الإله وتوحيده وإمكان بعثه الرسل وتشريع الشرائع، فيرجح بهذا أن يحضر مع الحق في صلاته بهذا العلم وليس الأمر كذلك، فإنه وإن كان نظره هو الصحيح في اثبات وجود الحق وتوحيده وإمكان التشريع وتصديق الشارع بالدلالات التي أتى بها، فيعلم أن الشارع قد وصف لنا نفسه بأمور لو وقفنا مع العقل دونه ما قبلناها، ثم إنَّا رأينا أن تلك الأوصاف التي جاءت من الشارع في حق الله ومعرفته تطلبها أفعال العبادات وهي أقرب مناسبة إليها من المعرفة التي تعطيها الأدلة النظرية التي تستقل بها، فرأينا ان نحضر مع الحق في صلاتنا وتشهدنا بالمعرفة الإلهية التي استفدناها من الشارع في القرآن والسّنة المتواترة أولى من الحضور معه **بمقالات** العقول، والله أعلم.

فصل

قد تقدم اختلاف الروايات في التشهد المروي عن رسول الله ﷺ، وكل طائفة ذهب إلى الحديث الذي ثبت عنده وعمل به، فالعارف إذا تشهد بهذا التشهد الذي ساقه المصنف فإما أن يكون في حاله قبض وهيبة وجلال عن الاسم الإلهي، وإما أن يكون في حال أنس وجمال وبسط عن اسم الهي، وإما أن يكون في حال مراقبة وحضور لموازنة ذاته بما كلفته من العبادات في الصلاة، فيعمر كل قوة من قوى نفسه في صلاته، وكل جارحة من جوارح جسمه في صلاته بما يليق بها مما طلبه الحق منه من الهيئات أن يكون عليها في صلاته بالنظر إلى كل جارحة وقوّة فيعمرها، سواء كان في حال هيبة أو أنس أو مراقبة وهو أكمل الأحوال، فانحصر الأمر في ثلاث مقامات: مقام جلال، ومقام جمال، ومقام كمال، فيتشهد بلسان الجلال فيقول: التحيات

« التحيات » وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم وقل: « سلام عليك أيها النبي

المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. أي تحيات كل محي ومحيى بها في جميع العالم والنسب الإلهية كلها لله أي من أجل الله الاسم الجامع الذي يجمع حقائقها، وذلك لأن كل تحية في العالم إنما هي مرتبطة بحقيقة إلاهية كانت ما كانت، فمتى ما لم يجمع الإنسان بنيته وقلبه كما جمع بلفظه التحيات يفوته من الحقائق الإلهية كلها إلا الحقيقة الواحدة المشروعة له في تحيته من حيثما هو مقيّد بها من جهة شرعه خاصة، والله أعلم.

ثم قال المصنف: **(واحضر في قلبك النبي ﷺ)** أي روحه الزكية **(وشخصه الكريم)** على قدر معرفتك به وتعظيمك له، وأكثر الناس به معرفة خدمة حديثه الشريف، فإنهم يطلعون على أحواله الشريفة وشمائله الزكية أكثر من غيرهم فيكون استحضارهم له أقوى وأثبت، **(و)** إذا تيسر لك ذلك **(قل: « السلام عليك »)** هكذا بالتعريف في النسخ، وفي بعضها بالتنكير وهو الأوفق.

قال النووي: حذف اللام من السلام في الموضعين جائز أي في تشهد ابن مسعود. قال: والاثبات أفضل وهو الموجود في روايات الصحيحين، وتعقبه الحافظ ابن حجر بأنه لم يقع في شيء من طرق حديث ابن مسعود بحذف اللام، وإنما اختلف في ذلك في حديث ابن عباس وهو من افراد مسلم اهـ.

واللام فيه للعهد التقديري أي السلامة من المكاره أو الذي وجه إلى الرسل أو الذي سلمه الله عليك ليلة المعراج، أو المراد حقيقة السلام الذي يعرفه كل أحد وعمن يصدر وعلى من ينزل فيكون للجنس، أو هي للعهد الخارجي إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ [النمل: ٥٩] وعدل عن النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبوت المعنى واستقراره، وإنما قال « عليك » فعدل عن الغيبة إلى الخطاب لأنه اتباع لفظه ﷺ بعينه حين علم الحاضرين من أصحابه كذا أورده القسطلاني في شرح البخاري.

قلت: واختار مشايخنا أهل الباطن أن اللام للجنس فيكون سلامه على النبي ﷺ مثل تحياته للشمول والعموم أي بكل سلام، وهذا يؤذن بأن العبد قد انتقل عن مشاهدة ربه من حيث الإطلاق أو أمر مّا من الأمور التي كان فيها في سجوده إلى مشاهدة الحق في النبي ﷺ.

فلما قدم عليه بالحضور سلم عليه وقال: **(أيها النبي)** خاطبه مواجهة بالنبوّة لأنها في حق ذات النبي أعم وأشرف، فإنه يدخل فيها ما اختص به في نفسه وما أمر بتبليغه لأمته الذين هو منه رسول، فعمّ وعرف ما يخاطب به رسول الله ﷺ في ذلك الحضور رواية من غير حرف نداء يؤذن ببعد كما هو عليه من حال قوته، ولهذا جاء بحرف الخطاب، ثم عطف بعد السلام عليه فقال: **(ورحمة الله)** هي الرحمة الإلهية لشمولها للامتنان والوجوب فأضافها إلى الله لما رزقه ﷺ

ورحمة الله وبركاته» وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه. ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين. ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاماً

من السلامة عن كل ما يشنؤه في مقامه في ذلك، ثم عطف فقال: **(وبركاته)** هي البركات المضافة إلى الوهيته، والبركات هي الزيادة، وقد قيل له: ﴿وقل ربِّ زدني علماً﴾ [طه: ١١٤] فكان هذا المصلي في هذه التحيات يقول له: سلام عليك ورحمة تقتضي الزيادات عندك من العلم بالله الذي هو أشرف الحالات عند الله، **(وليصدق أملك)** أيها المصلي العارف **(في أنه)** أي هذا السلام وما بعده **(يبلغه)** ﷺ في برزخه، كما ورد ذلك في الأخبار الصحيحة، **(و)** أنه ﷺ **(يرد عليك ما هو أوفى منه)** وذلك بواسطة ملائكة وكلت للتبليغ.

(ثم تسلم) وفي نسخة: ثم سلم **(على نفسك)** فتقول: السلام علينا بشمول السلام وأجناسه كما سلمت على النبي وجاء بنون الجمع ليؤذن أن كل جزء من هذا المسلم مسلم على بقية أجزائه وعوالمه، وذلك إذا كان هذا العبد قد نظر إلى بيت قلبه ونزه الحق أن يكون حالاً في قلبه وإن وسعه لما يقتضيه جلال الله من عدم المناسبة بين ذاته تعالى وبين خلقه، ورأى بيت قلبه خالياً من كل ما سوى الله فسلم على نفسه كما أمر إذا دخل بيتاً ما فيه أحد أن يسلم على نفسه قال تعالى: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾ يعني إن لم تجدوا فيها أحداً فيكون العبد هنا مترجماً عن الحق في سلامه، لأنه قال ﴿تحية من عند الله﴾ كما جاء في «سمع الله لمن حمده» فكذلك يقولها في الصلاة نيابة عن الحق، لأنه ما ثم من حدث له حال دخول أو خروج فيكون السلام منه أو عليه، فدلّ على أنه تجلٍّ خاص ولا بد ثم عطف من غير إظهار لفظ السلام فقال: **(وعلى جميع عباد الله الصالحين)** وإنما زاد المصنف لفظ «جميع» لكونه أورد الجملة بالمعنى وهو مستفاد من الجمع المحلَّى بالألف واللام وهو يفيد العموم، وله صيغ وهذه منها قاله ابن دقيق العيد، وعند الأصوليين فيه خلاف، والمراد بالصالحين القائمون بما عليهم من الحقوق الإلهية وحقوق العباد وهو عموم بعد خصوص هكذا فسره شراح البخاري.

وقال العارفون: إنا ننوي بالصالحين المستعملين فما صلحوا له أي شيء كان، ولهذا لم يذكر لفظ السلام في هذا العطف، واكتفى بالواو تنبيهاً على ذلك فإنه يدخل فيه من يستحق السلام بطريق الوجوب ومن لا يستحقه ولم يعطف السلام الذي سلّم به على نفسه على السلام الذي سلم به على نبيه، فإنه لو عطف عليه لسلم على نفسه بالنبوّة وهو باب قد سدّه الله كما سدّ باب الرسالة عن كل مخلوق بعد رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة، يعني بهذا أنه لا مناسبة بيننا وبين رسول الله ﷺ، فإنه في المرتبة التي لا تنبغي لنا فابتدأ بالسلام في طورنا من غير عطف، والله أعلم.

تنبيه:

سلامه ﷺ مثل ما أمرنا أن نقوله فيه وجهان: أحدهما: أن يكون المسلّم عليه هو الحق وهو نائب مترجم عنه تعالى في ذلك، كما جاء في سمع الله لمن حمده، والآخر: أن يقوم في صلاته في

وافياً بعدد عباده الصالحين. ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه ﷺ بالرسالة مجدداً عهد الله سبحانه بإعادة كلمتي الشهادة ومستأنفاً للتحصن بها. ثم ادع في آخر

تلك الحالة في مقام غير مقام النبوة، ثم يخاطب بنفسه من حيث المقام الذي أقيم فيه نفسه أيضاً من كونه نبياً ويحضره من أجل الخطاب فيقول: السلام عليك أيها النبي فعل الأجنبي، والله أعلم.

(ثم تأمّل أن يرد الله سبحانه عليك سلاماً وافياً بعدد عباده الصالحين) نظراً إلى سعة رحمته، **(ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه ﷺ بالرسالة مجدداً عهد الله سبحانه)** الذي أمرت بمراعاته في قوله تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ [المؤمنون: ٨] **(بإعادة كلمتي الشهادة ومستأنفاً للتحصن بها)** من شر وسواس الشيطان رداً للعجز على الصدر فتقول: « أشهد أن لا إله إلا الله » زاد ابن أبي شيبة « وحده لا شريك له » وسنده ضعيف، وثبتت هذه الزيادة أيضاً في حديث أبي موسى عند مسلم، وفي حديث عائشة الموقوف في الموطأ « وأشهد أن محمداً رسول الله » كذا في حديث ابن عباس عند مسلم، وأرباب السنن وهو الذي رجحه الشيخان الرافعي والنووي، وان الإضافة للضمير لا تكفي، لكن المختار أنه يجوز لما ثبت في الصحيحين.

أما معنى الشهادة؛ فقد تقدم في أول التشهد وهذا التوحيد هنا إنما هو توحيد ما يقتضيه عمل الصلاة عموماً وما يقتضيه حال كل مصلّ في صلاته خصوصاً، فإن أحوال المصلين تختلف بلا شك، ثم عطف الشهادة بالرسالة على شهادة التوحيد ليؤذن بالقرب الإلهي من المرسل بما فيه من ذكر الرسالة المضافة إلى الله، وبدأ بالشهادة حين عطفها باسمه محمد لما جمع فيه من المحامد. أي: بها استحق العطف بحرف التشريك وذكر الرسالة دون النبوة لتضمنها إياها، فلو ذكر النبوّة وحدها كان يبقى علينا اختصاصه بالرسالة فيحتاج إلى ذكرها حتى نعلم بخصوص أوصافه على من ليس له منزلة الرسالة من عباد الله النبيين، فهذا تشهد لسان الجلال.

وأما تشهد لسان الجمال؛ فهو تشهد ابن مسعود وهو على هذا الحد إلاَّ ما اختص به مما نذكره وهو أن يقول صاحب هذا المقام بلسانه: والصلوات والطيبات فأتى بالصلوات لعموم ما تدل عليه في الرحموتيات والدعاء وأنواعه من الأحوال وكلها صلاة، وعطف عليها بالنعتية بالطيبات ليطيب بها نفساً، واختص في هذا التشهد بإضافة العبودية إلى ألوهيته لا إلى الله وهو مقام شريف في حق رسول الله حيث أخبر أنه ﷺ في حال نظره في ربه من حيث ما تستحقه ذاته التي لا تعرف ولا مناسبة بينها وبين الممكنات بخلاف من قال بلسان الكمال. وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، فإن الإضافة بالعبودية كانت إلى الله لا إلى الوهيته، وهو أن ينظر فيه من حيث ما يطلبه الممكن ويليق وهو دون ما تشهد به ابن مسعود، وأسقط المتشهد بلسان الجلال وبلسان الجمال « الزاكيات » فإنها راعوا الاشتراك في الزيادة وراعى عمر ما في الزكاة من التقديس مع وجود الزيادة التي تشترك فيها مع البركة، فاكتفى بالزاكيات. وأنكر هذا جماعة من أهل الرسوم ممن لا علم لهم بعلوم الأذواق ومواقع اختلاف خطاب رسول الله ﷺ، ولم يأت

صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال وصدق الرجاء بالإجابة. وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين. واقصد عند التسليم السلام على

في لسان الجلال في نعت التحيات بحرف عطف، وقال فيها سلام بالتنكير لمراعاة خصوص حال كل مصلّ، فجاء بسلام منكر ليأخذ كل مصلّ منه على حسب حاله في مقام السلام على النبي ﷺ وفي مقام السلام على نفسه والصالحين من عباد الله، وكذلك اختص بترك تكرار لفظ الشهادة في الرسالة كما في بعض رواياته.

وذكره الرافعي في الشرح واكتفى بالواو لما فيها من قوّة الاشتراك وذلك مثل قوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم﴾ [آل عمران: ١٨] ولم يعطف بذكر الشهادة تشريفاً لهم وإن كان قد فصلهم عن شهادته لنفسه بذكر لا إله إلا هو، وأسقط كذلك لفظ العبودية لتضمن الرسالة إياها، والله أعلم.

تنبيه:

قال الحافظ ابن حجر: وقد ورد في بعض طرق حديث ابن مسعود في التشهد ما يقتضي المغايرة بين زمانه ﷺ فيقال بلفظ الخطاب، وأما بعده فبلفظ الغيبة، ففي الاستئذان من صحيح البخاري من طريق أبي معمر عن ابن مسعود بعد أن ساق هذا الحديث قال: وهو بين ظهرانينا، فلما قبض قلنا: السلام يعني على النبي ﷺ .وأخرجه أبو عوانة في صحيحه، والسراج، والجوزقي، وأبو نعيم الأصبهاني، والبيهقي من طرق متعددة إلى أبي نعيم شيخ البخاري فيه بلفظ: « فلما قبض قلنا السلام على النبي » بحذف لفظ « يعني ».

قال السبكي في شرح المنهاج: بعد أن ذكر هذه الرواية من عند أبي عوانه وحده إن صح هذا عن الصحابة دل على أن الخطاب في السلام بعد النبي ﷺ غير واجب، فيقال: « السلام على النبي » اهـ.

قال الحافظ، قلت: قد صح بلا ريب وقد وجدت له تابعاً قوياً. قال عبد الرازق: أخبرنا ابن جريج، أخبرني عطاء أن الصحابة كانوا يقولون والنبي ﷺ حي: « السلام عليك أيها النبي » فلما مات قالوا: « السلام على النبي » وهذا إسناد صحيح، والله أعلم.

(ثم ادع في آخر صلاتك) أي في التشهد قبل السلام **(بالدعاء المأثور)** أي المنقول عنه ﷺ أو عن أصحابه، وأحسنه ما رواه البخاري من حديث عائشة رفعته: « كان يدعو في الصلاة اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات. اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم ». وأخرجه مسلم، وأبو داود، والنسائي **(مع التواضع)** التام **(والخشوع)** العام **(والضراعة)** الصادقة **(والابتهال)** الخالص **(وصدق الرجاء بالإجابة)**، وهذه شروط الدعاء. **(وأشرك في دعائك أبويك)** اللذين ربياك صغيراً بالاستغفار لهم والترحم عليهم، وفي معنى الأبوين الشيوخ فهم آباء الأرواح وليس

الملائكة والحاضرين وانوِ ختم الصلاة به،واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة. وتوهم أنك مودع لصلاتك هذه وأنك ربما لا تعيش لمثلها. وقال ﷺ للذي أوصاه: «صلّ صلاة مودع». ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة وخف أن لا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتاً بذنب ظاهر أو باطن فترد صلاتك في وجهك، وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله.

حقهم بأقل من حقوق الأبوين، **(و)** عم بعد هذا التخصيص **(سائر المؤمنين)** في مشارق الأرض ومغاربها حيثما كانوا وحيثما حلّوا، **(واقصد عند التسليم السلام على الملائكة)** المقربين **(والحاضرين)** من المؤمنين وصالحي الجن إن كان في جماعة، فإن كان منفرداً فليقتصر على الملائكة كتبة الأعمال. وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك **(وانوختم الصلاة به)** أي بالتسليم الأول.

إشارة: اعلم أن السلام لا يصح من المصلي إلا أن يكون المصلي في حال صلاته مناجياً ربه غائباً عن الأكوان وعن الحاضرين معه، فإذا أراد الفراغ من الصلاة والانتقال من تلك الحالة إلى حالة مشاهدة الأكوان والجماعة سلّم عليهم سلام القادم لغيبته عنهم في صلاته، فإن كان المصلي لم يزل مع الأكوان في صلاته فعلى من يسلم فإنه ما برح عندهم، فهلا استحى هذا المصلي حيث يرى بسلامه من صلاته أنه كان عند الله في تلك الحالة، فسلام العارف من الصلاة لانتقاله من حال إلى حال فيسلم تسليمتين تسليمة لمن ينتقل عنه وتسليمة لمن قدم عليه، **(واستشعر بشكر الله سبحانه على)** نعمة **(توفيقه)** إياك **(لاتمام هذه الطاعة)** بالكيفية المذكورة، **(وتوهم في نفسك أنك مودع لصلاتك هذه)** وأن هذه آخر صلواتك، **(وأنك ربما لا تعيش لمثلها. قال ﷺ للذي أوصاه: «صل صلاة مودع»).**

ونص القوت: وقد قال رسول الله ﷺ وقد رأى أنس مالك رجلاً يتوضأ فقال: «إذا صليت فصل صلاة مودع» وتقدم الكلام عليه، ثم رأيت في الحلية لأبي نعيم قال في ترجمة معاذ بن جبل: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا سليمان بن حبان، حدثنا زياد مولى لقريش عن معاوية بن قرة قال: قال معاذ بن جبل لابنه: «يا بني إذا صليت فصل صلاة مودع لا تظن أنك تعود إليها أبداً، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين حسنة قدمها وحسنة أخرها».

(ثم أشعر قلبك الوجل والحياء والتقصير في الصلاة وخف) في نفسك **(أن لا تقبل صلاتك)** عند الله تعالى **(وأن تكون ممقوتاً)** أي مبغوضاً **(بذنب ظاهر أو باطن)** لأن المؤمن لا يخلو عنهما **(فترد صلاتك عليك)** بسبب ذلك بعد أن تلف كما تلف الخرقة، كما ورد ذلك في حديث تقدم ذكره في فضل الصلاة، **(و)** أنت **(ترجو مع ذلك)** أي مع هذا الاستشعار **(أن يقبلها)** منك مولاك **(بكرمه وفضله)** وعموم رحمته.

كان يحي بن وثاب إذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة. وكان ابراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض، فهذا تفصيل صلاة الخاشعين. ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤] ﴿وَالَّذِين هُم عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣] والَّذِينَ هُمْ يناجون الله على قدر استطاعتهم في العبودية. فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلاة، فبالقدر الذي يسر له منه ينبغي أن يفرح وعلى ما يفوته ينبغي أن يتحسر، وفي مداومته ذلك ينبغي أن يجتهد. وأما صلاة الغافلين فهي مخطرة إلا أن يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض، فنسأل الله أن يتغمدنا برحمته ويغمرنا بمغفرته إذ لا وسيلة لنا إلا

(**كان يحي بن وثاب إذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة**) أي لاستشعاره عدم القبول، وهو يحي بن وثاب الأسدي مولاهم الكوفي إمام أهل القراءة بالكوفة. قال النسائي: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات. وقال غيره عن الأعمش: كان من أحسن الناس قراءة، وربما اشتهيت أن أقبّل رأسه من حسن قراءته، وكان إذا قرأ لا تسمع في المسجد حركة وكأن ليس بالمسجد أحد. وقال الأعمش أيضاً: كنت إذا رأيت يحي بن وثاب قد جاء قلت هذا قد وقف للحساب يقول: أي رب أذنبت كذا فعفوت عني فلا أعود يا رب أذنبت كذا وكذا فعفوت عني فلا أعود أبداً، فأقول هذا كله يوم يوقف للحساب. مات سنة ثلاث ومائة. روى له الجماعة سوى أبي داود.

(**وكان إبراهيم**) يعني النخعي (**يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض**) أي يعرف ذلك من وجهه لكمال استغراقه في الصلاة أو لاستشعاره خوف عدم القبول، (**فهذا تفصيل صلاة الخاشعين ﴿الَّذينَ هُمْ في صَلَاتِهِم خَاشِعون﴾** [المؤمنون: ٢] **و**) صلاة (**﴿الذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ و**) صلاة (**﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾**)[المعارج: ٢٣] و) صلاة (**الذين هم يناجون الله تعالى على قدر استطاعتهم في العبودية**) فمن قوي عنده مقام العبودية ظهر عليه سلطان الربوبية، فأورثه الخشوع والاستكانة في المناجاة. (**فليعرض الإنسان نفسه على هذه الصلوات**) وفي نسخة: الصلاة، (**فالقدر**) وفي نسخة: فبالقدر (**الذي تيسر له منها**) وفي نسخة: الذي تيسر له منه (**ينبغي أن يفرح وعلى ما يفوته ينبغي أن يتحسر**) وهذا أقل الدرجات، (**وفي مداومته ذلك**) وملازمته (**ينبغي أن يجتهد**) ببذل وسعه له. (**وأما صلاة الغافلين**) فيها عما ذكر من الهيئات (**فهي مخطرة**) وفي نسخة: فإنها أي ذات خطر (**إلا أن يتغمد الله**) أي يغطي برحمته فالرحمة واسعة لقوله تعالى: ﴿رحمتي وسعت كل شيء﴾ [الأعراف: ١٥٦] (**والكرم فائض**) أي سائل جار لا ينقطع أبداً. (**فنسأل الله أن يغمرنا**) أي يعمنا (**برحمته**) العامة (**ويتغمدنا بمغفرته**) الشاملة، (**إذ لا وسيلة لنا**) نتوسل بها إليه (**إلا الاعتراف بالعجز**) والقصور (**عن القيام بطاعته**) أي

الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته. واعلم أن تخليص الصلاة عن الآفات وإخلاصها لوجه الله عز وجل وأداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار في القلب تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة، فأولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والأرض وأسرار الربوبية إنما يكاشفون في الصلاة لا سيما في السجود إذ يتقرب العبد من ربه عز وجل بالسجود. ولذلك قال تعالى: ﴿واسجد واقترب﴾ [العلق: ١٩]

بحسنها وكمالها. **(واعلم أن تخليص الصلاة عن الآفات)** الباطنة وعللها **(وإخلاصها لوجه الله عز وجل وأداءها بالشروط)** الظاهرة **(والباطنة التي ذكرناها من)** التعديل والاطمئنان و**(الخشوع والتعظيم)** والمهابة **(والحياء)** وكل ذلك **(سبب)** قوي **(لحصول أنوار)** معنوية **(في القلوب)** وفي نسخة: في القلب **(تكون تلك الأنوار مفاتيح)** أبواب **(علوم المكاشفة)** التي هي لب علوم المعاملة، **(فأولياء الله)** المقربون عند الله **(المكاشفون)** بفتح الشين **(بملكوت السموات والأرض)** وهو عالم الغيب المختص بها **(وأسرار الربوبية)** العظمى التي هي منشأ جميع الأسماء وغاية الغايات إليه تتوجه الرغبات كلها، وهو الحاوي لجميع المطالب وأسرارها قد تكشف لأولياء الله تعالى على قدر مقاماتهم من القرب **(إنما يكاشفون بها)** بفتح الشين **(في الصلاة)** لكونها معراج القلب وصلة بين العبد وربه **(لاسيا في السجود إذ يتقرب العبد من ربه عز وجل بالسجود)** لما قدمنا أن العبد يطلب فيه أصل نشأة هيكله وهو الماء والتراب، فهو حينئذ في غاية الذل فيغلب عليه سلطان الربوبية كل منهما في تجليه، **(ولذلك قال الله تعالى)** لنبيه ﷺ: ﴿كلاّ لا تطعه﴾ أي الذي ينهى عبداً إذا صلى (﴿واسجد﴾) لربك (﴿واقترب﴾) [العلق: ١٩] منه، فلم يفصل بين السجود والقرب ليؤذن أن الاقتراب والدنو يكون عقيب السجود في حاله، وقد تقدم قوله ﷺ لخادمه أبي فاطمة حين سأله المرافقة معه في الجنة «أعنّي على نفسك بكثرة السجود». وتقدم أيضاً أصرح من ذلك حديث «أقرب ما يكون العبد بينه وبين ربه وهو ساجد».

وقد أشار إلى بعض تلك المكاشفات السجودية صاحب القوت فقال: وأهل المشاهدة في السجود على ثلاث مقامات: منهم من إذا سجد كوشف له بالجبروت الأعلى فسجد أمام العرش مواجهاً للوجه ومجاوراً للملك الأعلى، فيعلو إلى القريب ويدنو من المجيب وهذا مقام المقربين من المحبوبين. ومنهم: من إذا سجد كوشف بملكوت العزة فيسجد على الثرى الأسفل عند وصف من أوصاف القادر الأجل، فيسكن قلبه ويخبت تواضعاً وذلاً للعزيز الأعز، وهذا مقام الخائفين من العابدين. ومنهم من إذا سجد جال قلبه في ملكوت السموات والأرض فآب بطرائف الفوائد وشهد غرائب الزوائد، وهذا مقام الصادقين من الطالبين. وهناك قسم رابع لا يذكر بشيء ليس له وصف فيستحق، وهم الذين تجول هممهم في أعطية الملك وانصبة المماليك فهو محجوبون بالهمم الدنية عن الشهادة العلية، مأسورون بالهوى عن السياحة إلى الأعلى، مقتولون بسيف الشهوة ليس لهم عند الشهداء المقتولين بالحق رفعة ولا خلوة اهـ.

وإنما تكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا، ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء، حتى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه وينكشف لبعضهم الشيء بمثاله، كما كشف لبعضهم الدنيا في صورة جيفة والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعو إليها. ويختلف أيضاً بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله تعالى وجلاله ولبعضهم من أفعاله ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة. ويكون لتعين تلك المعاني في كل وقت أسباب خفية لا تحصى وأشدها مناسبة الهمة، فإنها إذا

وقال صاحب العوارف: فمن الساجدين من يكاشف أنه يهوي إلى تخوم الأرضين متغيباً في أجزاء الملك لامتلاء قلبه من الحياء واستشعار روحه عظم الكبرياء. كما ورد أن جبريل عليه السلام يتستر بخافقة من جناحه حياء من الله، ومن الساجدين من يكاشف أنه يطوي بسجوده بساط الكون والمكان، ويسرح قلبه في فضاء الكشف والعيان، فتهوي دون هويه أطباق السموات وتنمحي، لقوّة شهوده تماثيل الكائنات ويسجد على طرف رداء العظمة، وذلك أقصى ما ينتهي إليه طائر الفهم والهمة البشرية وتفي بالوصول إليه القوّة الإنسانية. ومن الساجدين من يتسع دعاؤه وينتشر ضياؤه ويحظى بالصفتين ويبسط الجناحين، فيتواضع بقلبه اجلالاً ويرفع بروحه إكراماً وإفضالاً، فيجتمع له الانس والهيبة والحضور والغيبة والفرار والقرار والإسرار والإجهار، فيكون في سجوده سابحاً في بحر شهوده.

(**وتكون مكاشفة كل مصلّ**) من الأنبياء والأولياء والصالحين من عباد الله (**على قدر صفائه من كدورات الدنيا**) واستقامته في مراتب العظمة واستشعار كنهها لكل منهم على قدر حظه من ذلك: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ [يوسف: ٧٦]، (**وتختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء، حتى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه**) كما هو، (**وينكشف لبعضهم الشيء بمثاله**) يحكي العين: (**كما كشف لبعضهم الدنيا**) وهي معنى من المعاني المعقولة (**في صورة جيفة**) وهي الميتة من الدواب والمواشي إذا أنتنت سميت بذلك لتغير ما في جوفها، (**والشيطان في صورة كلب جاثم**) أي بارك. وفي نسخة: حائم (**عليها**) أي تلك الجيفة (**يدعو الناس إليها**)، وقد أكثر الشعراء في هذا التصوير، وأحسن ما سمعت ما نسب إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه في أبيات يقول في وصف الدنيا وطالبيها:

وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابُها
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها وإن تجتذبها نازعتك كلابها

وما اشتهر على الألسنة: الدنيا جيفة وطلابها كلاب. معناه صحيح، ولكن لم يثبت لفظه هكذا. (**وتختلف أيضاً بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله تعالى وجلاله**) وعظمته وكبريائه، (**ولبعضهم**) ينكشف (**من**) أسرار (**أفعاله، ولبعضهم**) ينكشف (**من**) أسرار (**دقائق علوم المعاملة، ويكون لتعيين تلك المعاني في كل وقت أسباب كثيرة**

كانت مصروفة إلى شيء معين كان ذلك أولى بالانكشاف، ولما كانت هذه الأمور لا تتراءى إلا في المرائي الصقيلة، وكانت المرائي كلها صدئة فاحتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث تراكم الصدا على مصب الهداية تسارعت الألسنة إلى إنكار مثل ذلك، إذ الطبع مجبول على إنكار غير الحاضر، ولو كان للجنين عقل لأنكر إمكان وجود الإنسان في متسع الهواء، ولو كان للطفل تمييز مّا ربما أنكر ما يزعم العقلاء إدراكه من ملكوت السموات والأرض، وهكذا الإنسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده. ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النبوّة، وقد خلق الخلق

خفية) المدرك **(لا تحصى)** لكثرتها أو لخفائها **(وأشدها مناسبة الهمة)** وهي توجه القلب بجميع قواه الروحانية إلى جنات الحق، **(فإنها إذا كانت مصروفة إلى شيء معين كان ذلك أولى بالانكشاف)** فإن كانت باعثة على طلب الباقي وترك الفاني فهي همة الافاقة وهي أوّل درجاتها، وإن كانت تورث صاحبها الأنفة من طلب الأجر على العمل حتى يأنف قلبه أن يشتغل بتوقع ما وعد من الثواب، فلا يفرغ إلى مشاهدة الحق بل يعبد الله على الإحسان، فلا يفرغ من التوجه إلى الحق طلباً للقرب منه إلى طلب ما سواه وهذه هي همة الأنفة وهي ثاني درجاتها، وإن كانت لا تتعلق إلا بالحق ولا تلتفت إلى غيره ولا ترضى بالأحوال والمقامات ولا بالوقوف مع الأسماء والصفات ولا تقصد إلا عين الذات، فهي همة أرباب الهمم العالية وهي الدرجة الثالثة وهي أعلاها. **(ولما كانت هذه الأمور لا تتراءى إلا في المرائي)** جمع مرآة بالكسر **(الصقيلة)** أي المصقولة من الصدأ، **(وكانت المرائي كلها صدئة)** يقال: صدىء الحديد بالهمز من باب تعب إذا علاه الجرب، وصدأت المرآة كذلك، وكانت المرائي تتخذ من الحديد **(فاحتجبت عنها الهداية)** فلا تكاد ترى فيها **(لا لبخل من جهة المنعم)** المطلق **(بالهداية)** جل وعز تعالى عما لا يليق بذاته، **(بل لخبث تراكم)** أي تراكب بعضه فوق بعض كتراكم الغيث على مصب الهداية، وجواب لما هو قوله: **(تسارعت الألسنة)** واستطالت **(إلى إنكار مثل ذلك إذ الطبع)** البشري **(مجبول على إنكار غير الحاضر)** كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾ [الأحقاف: ١١] وقوله تعالى: ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ [يونس: ٣٩] وفي المشهور على الألسنة: من جهل شيئاً عاداه. **(ولو كان للجنين)** وهو وصف للولد ما دام في بطن أمه، فإذا ولد فهو منفوس **(عقل)** يتميز به **(لأنكر إمكان وجود الإنسان في متسع الهواء)** لأنه لم يشاهده، **(ولو كان للطفل)** الولد الصغير، ويكون هذا الوصف حتى يميز ثم لا يقال له بعد ذلك طفل، وقيل: إلى أن يحتلم. ونظر المصنف إلى القول الأول فقال: **(تميز ما ربما أنكر ما يزعم العقلاء إدراكه من ملكوت السموات والأرض)** أي الغيب المختص بها، **(وهكذا الإنسان في كل طور)** من أطواره **(يكاد ينكر ما بعده)** لعدم مشاهدته، **(ومن أنكر طور الولاية)** وهي عبارة

أطوراً فلا ينبغي أن ينكر كل واحد ما وراء درجته، نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوّشة ولم يطلبوها من تصفية القلوب عما سوى الله عز وجل فقدوه فأنكروه. ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقل من أن يؤمن بالغيب ويصدق به إلى أن يشاهد بالتجربة. ففي الخبر، «أن العبد إذا قام في الصلاة رفع الله سبحانه الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه، وأن المصلي لينثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه وينادي مناد: لو علم هذا المناجي من يناجي ما التفت. وأن أبواب السماء تفتح

عن قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلغه إلى غاية مقام القرب والتمكين وهي الولاية الخاصة، وأما العامة فعبارة عن توالي الطاعات من غير تخلل عصيان (**لزمه أن ينكر طور النبوّة وقد خلق**) الله (**الخلق أطواراً**) أي على أحوال مختلفة وهيئات متباينة (**فلا ينبغي أن ينكر واحد ما وراء درجته**).

وإذا لم تــــر الهـــلال فسلم   لأنــاسٍ رأوه بــــالأبصـــار

(**نعم لما طلبوا هذا**) النوع من الأحوال (**من**) طريق (**المجادلة**) والمخاصمة (**والمباحثة المشوّشة**) للفكر (**ولم يطلبوها من**) باب الرياضات والتنقية (**وتصفية القلب عما سوى الله تعالى فقدوه فأنكروه**) لا محالة وأنكروا على من قام به، (**و**) الحق أن (**من لم يكن من أهل المكاشفة**) ولم يوفق لفك أسرارها (**فلا أقل**) أحواله (**من أن يؤمن بالغيب**) أي يصدق بما غاب عن عقله وحجب عن بصره، فيكون من الذين أثنى الله عليهم في كتابه: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة﴾ [البقرة: ٣] (**و**) لا أقل من أن (**يصدق به**) بعد الإيمان (**إلى أن يشاهد بالتجربة**) بهمة مرشد كامل خبير يهديه إلى الرشد، فتنكشف له تلك العلوم والمعارف والكمالات حتى يتعجب منها.

ولقد عرضت مرة مسألة من علوم المكاشفة على رجل من أهل العلم منصف معتقد، فلما فهمها تعجب غاية العجب وقال: من أين هذا فإني قلبت كذا وكذا كتاب من فنون شتى ولم أذق مثل هذا. ثم قال: كنت أظن في نفسي أني كملت وما بعد ما حصلته كمال، فلما سمعت منك كذا أيقنت على نفسي بالنقصان فتأمل هذا رحمك الله من أكون وما يدريني علوم المكاشفة.

(**ففي الخبر: «أن العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله سبحانه الحجاب فيما بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء يصلون بصلاته ويؤمّنون على دعائه، وأن المصلي لينتثر**) وفي بعض النسخ: لينثر (**عليه البر من عنان السماء**) أي السحاب (**إلى مفرق رأسه وينادیه منادٍ لو علم المناجي من يناجي ما التفت**) وفي نسخة: ما انفتل، ومثله في القوت. (**وأن أبواب السماء تفتح**) وفي القوت: لتفتح (**للمصلين، وأن الله**

للمصلين. وأن الله عز وجل يباهي ملائكته بعبده المصلي». ففتح أبواب السماء ومواجهة الله تعالى إياه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه.

وفي التوراة مكتوب: يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصلياً باكياً فأنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري، قال: فكنا نرى أن تلك الرقة والبكاء والفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب سبحانه من القلب، وإذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له إلا الدنو بالهداية والرحمة وكشف الحجاب. ويقال: إن العبد إذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف وباهى الله به مائة ألف ملك، وذلك أن العبد قد جمع في الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود. وقد فرق الله ذلك على أربعين ألف ملك،

عز وجل يباهي ملائكته بعبده المصلي») وفي بعض النسخ: ليباهي ملائكته بعبيده المصلين. ونص القوت: بصفوف المصلين.

قلت: أورده صاحب القوت هكذا باختلاف يسير نبهنا عليه، وكذا السهروردي في العوارف ونص كل منهما؛ وقد ورد في الأخبار ثم ساقاه، إلاَّ أن صاحب العوارف انتهى إلى قوله: «ما التفت أو ما انفتل» فجمع بين الروايتين. وقال العراقي: لم أجده اهـ.

(ففتح أبواب السماء ومواجهة الله تعالى إياه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه)، وكذا رفع الحجاب من البين يؤذن بالكشف المذكور.

(وفي التوراة) وهي الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام، وهل هو سرياني أو عربي؟ وعلى الأخير اختلف في اشتقاقه على أقوال ذكرتها في شرحي على القاموس **(مكتوب: يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يديَّ مصلياً باكياً فأنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري)**. كذا أورده صاحب القوت ونصه وفي الأخبار: إن الله كتب في التوراة يا ابن آدم فساقه سواء، وفي آخره: **(قال: فكنا نرى)**، ونص القوت، نقول: **(أن تلك الرقة والبكاء والفتوح الذي يجده)** ونص القوت التي يجدها **(المصلي في قلبه من دنوّ الرب سبحانه من قلبه)** إلى هنا نص القوت. زاد المصنف: **(وإذا لم يكن هذا الدنوّ هو القرب بالمكان)** لاستحالته عليه سبحانه لأنه منزه عن كل ما يخص الأجسام **(فلا معنى له إلا الدنوّ بالهداية والرحمة وكشف الحجاب)** فيقال: دنا منه أي هداه أي جعله علماً يهتدى به ورحمه بالرحمة الامتنانية وكشف عن قلبه حجاب الغفلة.

(ويقال: إن العبد إذا صلّى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف وباهى الله به مائة ألف ملك، وذلك أن العبد قد جمع في الصلاة بين) الأركان الأربعة من **(القيام والقعود والركوع والسجود، وقد فرق ذلك على أربعين ألف**

فالقائمون لا يركعون إلى يوم القيامة، والساجدون لا يرفعون إلى يوم القيامة، وهكذا الراكعون والقاعدون، فإن ما رزق الله تعالى الملائكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص، ولذلك أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]، وفارق الإنسان الملائكة في الترقي من درجة إلى درجة فإنه لا يزال يتقرب إلى الله تعالى فيستفيد مزيد قربه وباب المزيد مسدود على الملائكة عليهم السلام، وليس لكل واحد إلا رتبته التي هي وقف عليه. وعبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل إلى غيرها ولا يفتر عنها ﴿فَلاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ

ملك، فالقائمون) صف **(لا يركعون إلى يوم القيامة، والساجدون لا يرفعون إلى يوم القيامة، وهكذا الراكعون والقاعدون)**.

هكذا أورده صاحب القوت، وتبعه صاحب العوارف: إلا أنه أورد قبل هذا ما نصه. وقال بعض العلماء: الصلاة خدمة الله عز وجل في أرضه، والمصلون خدام الملك على بساطه. ويقال: إن المصلين من الملائكة يسمون في السموات خدام الرحمن ويفتخرون بذلك على سائر الملائكة. ويقال: «إن المؤمن إذا صلّى ركعتين» فساقه إلى قوله: «والقاعدون» وزاد: ثم قد جمع له أركان الصلاة الستة من التلاوة والتسبيح والحمد والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي ﷺ، وفرق ذلك على ستين ألف ملك لأن كل صف من الملائكة عبادته ذكر من الأذكار الستة، فإذا رأت الملائكة ما جمع من الأذكار في الركعتين عجبت منه وباهاهم الله عز وجل به لأنه قد فرق تلك الأعمال والأذكار على مائة ألف ملك إلى هنا عبارة القوت.

وقال في العوارف بعدما ذكر الخبر المتقدم. وقيل: في الصلاة أربع هيئات وستة أذكار فالهيئات الأربع: القيام والقعود والركوع والسجود، والأذكار الستة: التلاوة والتسبيح والحمد والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي ﷺ، فصارت عشرة كاملة، تفرق هذه العشرة على عشرة صفوف من الملائكة كل صف عشرة آلاف فيجتمع في الركعتين ما يفرق على مائة ألف من الملائكة.

ثم قال المصنف: **(فإن ما رزق الله الملائكة)** وفي نسخة: فإن ما رزقته الملائكة **(من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص، ولذلك أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾)** [الصافات: ١٦٤] أي: لا نتعداه. **(وفارق الإنسان الملائكة في الترقي من درجة إلى درجة)** أخرى **(فإنه لا يزال يتقرب إلى الله تعالى)** ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «لا يزال يتقرب إليَّ العبد بالنوافل حتى أكون سمعه» الحديث. **(فيستفيد)** بذلك **(قربه)** من الله تعالى **(ومزيداً عليه إذ باب المزيد مسدود على الملائكة)** عليهم السلام. وفي نسخة: من الملائكة، **(وليس لكل واحد منهم إلا رتبته التي هي وقف عليه)** أي حبس عليه. **(وعبادته التي هو مشغول بها لا**

يَسْتَحْسِرُونَ★ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء : ١٩ ، ٢٠] **ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوات. قال الله عز وجل: ﴿قَد أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذين هُمْ في صَلاَتِهِم خَاشِعُونَ﴾** [المؤمنون: ١ ، ٢] **فمدحهم بعد الإيمان بصلاة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع. ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضاً فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾** [المعارج: ٣٤] **قال تعالى في ثمرة تلك الصفات: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ★**

ينتقل إلى غيرها) منذ خلقهم الله تعالى **(ولا يفتر)** أي لا يتكاسل **(عنها)** كما قال تعالى في وصفهم: لا يفترون عنها **(ولا يستحسرون﴾)** [الأنبياء :١٩] أي: ولا يكلون من طول المدى. **(﴿يسبحون الليل والنهار﴾)** أي: أوقاتها المستغرقة لها **(﴿لا يفترون﴾)** [الأنبياء : ٢٠].

وهذه العبارة بتمامها منتزعة من سياق القوت بنوع من التغيير قال بعد أن ذكر الخبر المتقدم: وبذلك فضل المؤمن على الملائكة. قال أحسن القائلين في وصف أوليائه المؤمنين ﴿التائبون العابدون الحامدون﴾ [التوبة: ١١٢] ففضل المؤمن في مقامات اليقين في أعمال القلوب على الأملاك بالتفضيل بأن جمعت له فيه ورفع مقامات فيها، والملائكة لا ينتقلون بل كل ملك موقوف في مقام معلوم لا ينتقل عنه إلى غيره. مثل: الرضا والشكر والخوف والرجاء والشوق والمحبة والانس والخشية، بل كل ملك له مزيد وعلوّ من المقام الواحد على قدر قواه، وجمع ذلك كله في قلب المؤمن ونقل فيه مقامات وكان له من كل مقام شهادات اهـ.

قال المصنف: **(ومفتاح مزيد الدرجات)** كأنه يشير إلى تلك المقامات العشرة المذكورة **(هي الصلوات قال الله تعالى)** وهو أصدق القائلين: **(﴿قد أفلح المؤمنون﴾)** قال صاحب العوارف، وروي عن ابن عباس مرفوعاً: « لما خلق الله تعالى جنة عدن وخلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ثم قال لها تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون » ثلاثاً. **(﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾)** [المؤمنون: ١ ، ٢]. وفي الصحيح كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم إلى السماء وينظرون يميناً وشمالاً، فلما نزلت هذه الآية جعلوا وجوههم حيث يسجدون، وما رؤي أحد منهم بعد ذلك ينظر إلاَّ إلى الأرض. وقال صاحب القوت: ووصف الله تعالى وهو أحسن الواصفين عبادة المتقين المصلين فقال: ﴿قد أفلح المؤمنون★ الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون:١ ، ٢] **(فمدحهم بعد الإيمان بصلاة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع)** ونص القوت: فمدحهم بالصلاة كما وصفهم بالإيمان، ثم مدح صلاتهم بالخشوع كما افتتح بالصلاة أوصافهم.

(ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضاً فقال تعالى) : في آخرها **(﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾)** [المؤمنون: ٩] وقال في نعت أوليائه المصلين الذين استثناهم من الجزوعين من المصائب والفقر، المنوعين المال والخير فقال: ﴿إلا المصلين★ الذين هم على

الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١] فوصفهم بالفلاح أولاً، وبوراثة الفردوس آخراً، وما عندي أن هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهي إلى هذا الحد، ولذلك قال الله عز وجل في أضدادهم: ﴿ما سَلَكَكم في سَقَرَ* قالوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣] فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله تعالى، والمتمتعون بقربه ودنوه من قلوبهم. نسأل الله أن يجعلنا منهم

صلاتهم دائمون﴾ [المعارج: ٢٢، ٢٣] ثم نسق النعوت فقال في آخرها: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ [المعارج ٣٤] فلولا أنها أحب الأعمال إليه ما جعلها مفتاح صفات أحبابه وختامها، وكما وصفهم بالدوام والمحافظة عليها ومدحهم بالخشوع فيها، والخشوع هو انكسار القلب واخباته وتواضعه ولين الجوانب وكف الجوارح فيها، والمحافظة هو حضور القلب واصغاؤه وصفاء الهم وافراده في مراعاة الوقت وإكمال طهارته. **(ثم قال تعالى في ثمرة تلك الصفات: ﴿أولئك هم الوارثون* الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾** [المؤمنون: ١٠، ١١] **فوصفهم بالفلاح أوّلاً)** وهو الفوز والظفر وإدراك البغية، وذلك ضربان: دنيوي هو الظفر بالسعادة التي تطيب بها حياتهم، وأخروي وهو أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وعز بلا ذل، وغنى بلا فقر، وعلم بلا جهل. ولذا قيل: الفلاح جامع للخيور كلها. **(وبوراثة الفردوس آخراً)** وهو خير المستقر والمأوى. والفردوس: اسم جنة من الجنان قيل عربي من الفردسة وهي السعة، وقيل: رومي معرب، ووراثته ملكه والفوز به على طريق الملكية. **(وما عندي أن هذرمة اللسان)** أي خلطه وسرعته **(مع غفلة القلب)** عن الحضور والاستحضار فيها **(ينتهي إلى هذا الحد)** وفي نسخة: تنتهي درجته إلى هذا الحد، **(ولذلك قال الله تعالى في)** نعوت **(أضدادهم)** من أهل النار وأصحاب اللعنة وسوء القرار **(﴿ما سلككم في سقر﴾)** وهي طبقة من طبقات النار أعاذنا الله منها **﴿قالوا لم نكُ من المصلين﴾)** [المدثر: ٤٢، ٤٣] فاعترفوا بذنبهم الأكبر وهو ترك الصلاة، وقال موبخاً لآخر مثلهم: ﴿فلا صدَّق ولا صلَّى﴾ [القيامة: ٣١] ونهى حبيبه ﷺ عن طاعة من نهاه عن الصلاة ثم أمره بها وأمره أن القرب فيها فقال: ﴿أرأيت الذي ينهى* عبداً إذا صلّى﴾ [العلق: ٩، ١٠] الآية **(فالمصلون هم ورثة الفردوس)** الأعلى، **(وهم المشاهدون)** ببصائرهم **(لنور الله تعالى)** في صلواتهم، **(و)** هم **(المتمعون بقربه ودنوّه من قلوبهم)**. وقرب الله من العبد هو الإفضال عليه والفيض لا بالمكان، وقرب العبد من الله التحلية بالأوصاف الحسنة والاتصاف بالصفات الحقية مع الطهارة الكاملة من الأوساخ المعنوية، والدنوّ هو القرب بالذات أو الحكم. **(نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم)** أي: من هؤلاء المصلين بالأوصاف المذكورة **(وأن يعيذنا)** أي يحفظنا **(من عقوبة من تزينت)** في الظاهر **(أقواله وقبحت)** في الباطن **(أفعاله)** فهو كلابس ثوبي زور قد أخلده في أرض غفلته الغرور **(إنه الكريم المنان)** الكثير

وأن يعيذنا من عقوبة من تزينت أقواله وقبحت أفعاله إنه الكريم المنان القديم الإحسان، وصلى الله على كل عبد مصطفى.

حكايات وأخبار في صلاة الخاشعين رضي الله عنهم:

اعلم أن الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل، ومن رزق ذلك فإنه يكون خاشعاً في الصلاة وفي غير الصلاة بل في خلوته. وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة، فإن رجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد، فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة، ولذلك روي عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياء من الله سبحانه

المنة (**القديم الإحسان**) أي الدائمه، (**وصلى الله على كل عبد مصطفى**) وسلم. وسقطت الجملة الأخيرة من بعض النسخ. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

حكايات وأخبار في صلاة الخاشعين:

(**اعلم أن الخشوع**) معنى يقوم بالنفس ينشأ من استحضار اطلاع الله تعالى على العباد، فيظهر عنه سكون في الأطراف يلائم مقصود العبادة، وبهذا الاعتبار هو: (**ثمرة الإيمان**) الكامل وخلاصته (**و**) باعتبار أنه ينشأ عن خوف ورجاء هو (**نتيجة اليقين الحاصل بجلال الله تعالى**) أي بمشاهدته، فإذا المعت طوالع تجليه تحقق الخشوع، (**ومن رزق ذلك فإنه يكون خاشعاً في الصلاة**) متذللاً لا يتجاوز بصره عن موضع سجوده غير ملتفت يمنة ويسرة (**و**) بالنظر إلى سكون الأطراف وغض البصر يكون خاشعاً (**في غير الصلاة**) أيضاً (**بل**) يكون خاشعاً (**في خلواته**) بالنظر إلى الخوف والحياء من الله تعالى، (**وفي بيت الماء**) أي الخلاء (**عند قضاء الحاجة**)، وفي كل ذلك آداب معروفة. فالخاشع في غير الصلاة أن يخشع في جلوسه مع أصحابه وقيامه ومشيه وركوبه وحديثه وأكله وشربه وسائر معاملاته، وفي خلواته عند التعري والجماع وعشرة الأهل. وفي بيت الماء عند قعوده وقيامه عنه، (**فإن موجب الخشوع**) هو (**معرفة اطلاع الله تعالى على العبد**) ومراقبته له في كل أحواله بحيث لا تخفى عليه خافية، (**ومعرفة تقصير العبد**) في سائر أفعاله، (**فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست**) بهذا المعنى (**مختصة بالصلاة**) ليس إلاَّ، بل عام في سائر الأحوال والأطوار والتقلبات. (**ولذلك روي عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياء من الله وخشوعاً له**). روي ذلك في مناقب الإمام أبي حنيفة، وورد عليّ رجل من الصالحين يقال له أحمد بن محمد بن عثمان اليعقوبي فسمع من الحديث وتردد إليَّ كثيراً فما رأيته رفع رأسه إلى فوق قط. أخبرني من يصحبه أنه هكذا شأنه منذ نشأ لم يرفع رأسه إلى السماء مطلقاً سواء في خلوته أو جلوته، وتوجه إلى الحجاز فتوفي راجعاً رحمه الله تعالى.

وخشوعاً له. وكان الربيع بن خثيم من شدة غضه لبصره وإطراقه يظن بعض الناس أنه أعمى، وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة فإذا رأته جاريته قالت لابن مسعود: صديقك الأعمى قد جاء، فكان يضحك ابن مسعود من قولها، وكان إذا دق الباب تخرج الجارية إليه فتراه مطرقاً غاضاً بصره، وكان ابن مسعود إذا نظر إليه يقول: ﴿وبَشِّر الْمُخبتين﴾ [الحج: ٣٤]، أما والله لو رآك محمد ﷺ لفرح بك، وفي لفظ آخر: «لأحبك». وفي لفظ آخر: «لأجلّك».

ومشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر إلى الأكوار تنفخ وإلى النار تلتهب صعق وسقط مغشياً عليه، وقعد ابن مسعود عند رأسه إلى وقت الصلاة فلم يفق

(**وكان الربيع بن خثيم**) مصغراً ابن عائذ بن عبدالله بن موهبة بن منقذ الثوري أبو يزيد الكوفي. قال ابن معين: لا يُسأل عن مثله. وقال الشعبي: كان من معادن الصدق. وقال غيره: كان إذا دخل على ابن مسعود لم يكن عليه إذن لأحد حتى يفرغ كل واحد من صاحبه، وروي أنه لما احتضر بكت عليه ابنته فقال يا بنية: ما تبكين قولي يا بشراي أبي لقي الخير. قال ابن سعد: توفي في ولاية عبيدالله بن زياد. روى عن ابن مسعود، وأبي أيوب. وعنه الشعبي، وابراهيم. قال الذهبي: كان ورعاً قانتاً مخبتاً باكياً. روى له الجماعة سوى أبي داود. (**من شدة غضه لبصره و**) دوام (**إطراقه**) إلى الأرض ببصره (**يظن به بعض الناس أنه أعمى، و**) يقال: إنه (**كان يختلف إلى منزل**) عبدالله (**بن مسعود عشرين سنة**) لأخذ العلم لا تحسبه جارية ابن مسعود إلاَّ أعمى لدوام إطراقه إلى الأرض ببصره، (**فإذا رأته جاريته قالت لابن مسعود: صديقك الأعمى قد جاء، فكان يضحك ابن مسعود من قولها**) ويقول لها: ويلك هو الربيع بن خثيم، (**وكان إذا دقّ الباب**) أي باب ابن مسعود (**تخرج الجارية إليه فتراه مطرقا**) بنظره إلى الأرض (**غاضاً بصره**)، ولذا كانت تسميه الأعمى. (**وكان ابن مسعود إذا نظر إليه يقول: ﴿وبشّر المخبتين﴾**) [الحج: ٣٤] قال صاحب القوت: الخاشعون من المؤمنين هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله جزاؤهم البشرى كما قال الله تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾ والخاشعون أيضاً هم الخائفون الذاكرون الصابرون المقيمون الصلاة، فإذا كملت هذه الأوصاف فيهم كانوا مخبتين، وقد قال الله تعالى: ﴿وبشر المخبتين﴾. وكان ابن مسعود إذا رأى الربيع بن خثيم قال: (**أما والله لو رآك محمد ﷺ لفرح بك وفي لفظ آخر: «لأجلّك»**) هكذا أورده في القوت. وفي كتاب الشهاب الاسكاري: لو رآك رسول الله ﷺ: «لأحبك» وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين.

(**ومشى ذات يوم مع ابن مسعود**) في سوق (**الحدادين**) بالكوفة (**فلما نظر إلى الأكوار**) جمع كور وهو المبني من الطين الذي يوقد فيه، ويقال: هو الزق أيضاً (**تنفخ**) معرب (**وإلى النيران**) جمع نار (**تلتهب**) أي تشتعل (**صعق وسقط مغشياً عليه**). وفي

فحمله على ظهره إلى منزله، فلم يزل مغشياً عليه إلى مثل الساعة التي صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول: هذا والله هو الخوف. وكان الربيع يقول: ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها إلا ما أقول، وما يقال لي، وكان عامر بن عبدالله من خاشعي المصلين، وكان إذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن في البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله، وقيل له ذات يوم: هل تحدثك نفسك في الصلاة بشيء؟ قال: نعم بوقوفي بين يدي الله عز وجل ومنصرفي إلى إحدى الدارين، قيل: فهل تجد شيئاً مما نجد من أمور الدنيا؟ فقال: لأن تختلف الأسنّة فيَّ أحب إليَّ من أن أجد في صلاتي ما تجدون. وكان يقول: لو كشف الغطاء ما ازددت

القوت: «خرَّ» بدل «سقط». **(وقعد ابن مسعود عند رأسه إلى)** أن حان **(وقت الصلاة فلم يفق)** من غشيته **(فحمله)** ابن مسعود **(على ظهره إلى)** أن أتى به إلى **(منزله، فلم يزل مغشياً عليه إلى مثل الساعة التي صعق فيها ففاتته خمس صلوات)** كاملة، **(وابن مسعود عند رأسه يقول: هذا والله هو الخوف)**. هكذا أورده صاحب القوت.

(وكان الربيع) هذا **(يقول: ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها)**. وفي القوت، فهمّني فيها **(إلا ما أقول)** أي من تلاوة وتسبيح، **(وما يقال لي)** أي في المخاطبة والمناجاة والاجابة. كذا أورده صاحب القوت والعوارف.

(وكان عامر بن عبدالله) بن الزبير بن العوّام القرشي الأسدي أبو الحرث المدني أخو ثابت وحمزة وخبيب وعباد وعمر وموسى، وأمه حنتمة بنت عبدالرحمن بن الحرث بن هشام المخزومي **(من خاشعي المصلين)** ومن العباد الفاضلين. قال أحمد: ثقة من أوثق الناس. زاد أبو حاتم: صالح، وقال مالك: كان يغتسل كل يوم طلعت عليه فيه الشمس ويواصل سبع عشرة ثم يمسي فلا يذوق شيئاً حتى القابلة يومين وليلة. قال الواقدي: مات قبل هشام أو بعده بقليل. قال: ومات هشام سنة أربع وعشرين. روى له الجماعة، **(وكان إذا صلّى)** ربما **(ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن في البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله)** أي لخشوعه في الصلاة. هكذا أورده صاحب القوت. **(وقيل له ذات يوم: هل تحدث نفسك)** وفي نسخة: تحدثك نفسك **(في الصلاة بشيء؟ قال: نعم بوقوفي بين يدي الله عز وجل ومنصرفي)** أي مرجعي **(إلى إحدى الدارين. قيل)** له: **(فهل تجد شيئاً مما نجد من أمور الدنيا؟ فقال: لأن تختلف الأسنة)** جمع سنان وهو من الرمح معروف **(فيّ)** أي في جسدي **(أحب إليَّ من أن أجد في صلاتي ما تجدون)**. كذا أورده صاحب القوت والعوارف، **(وكان يقول: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً)** كذا أورده صاحب القوت، والمشهور أنه من قول علي رضي الله عنه، وأورد صاحب الحلية في ترجمة عامر هذا فقال: ومنهم الداعي العامل الخافي العاقل

يقيناً. وقد كان مسلم بن يسار منهم، وقد نقلنا أنه لم يشعر بسقوط اسطوانة في المسجد وهو في الصلاة. وتأكل طرف من أطراف بعضهم واحتيج فيه إلى القطع فلم يمكن منه فقيل: إنه في الصلاة لا يحس بما يجري عليه، فقطع وهو في الصلاة. وقال بعضهم:

كان لمشهوده عاملاً ولمشروعه عاقلاً عامر بن عبدالله بن الزبير، وقيل: إن التصوّف الإكباب على العمل والإعراض عن العلل، ثم أسند عن مالك بن أنس عنه: «كان يقف عند موضع الجنائز يدعو وعليه قطيفة سقطت عنه وما يشعر بها» وأسند أيضاً من طريق مالك قال: ربما خرج عامر منصرفاً من العتمة من مسجد رسول الله ﷺ فيعرض له الدعاء قبل أن يصل إلى منزله فيرفع يديه فما يزال كذلك حتى ينادى بالصبح فيرجع إلى المسجد فيصلي الصبح بوضوء العتمة. وأسند من طريق سفيان بن عنبسة قال: اشترى عامر بن عبدالله نفسه من الله ست مرات. وفي رواية أخرى بسبع ديات. وأسند من طريق الأصمعي قال: سُرقت نعلا عامر بن عبدالله فما انتعل حتى مات رحمه الله تعالى.

(وقد كان مسلم بن يسار) البصري **(منهم)** أي من الخاشعين في الصلاة، **(وبلغنا أنه لم يشعر بسقوط اسطوانة المسجد)** بجامع البصرة **(وهو في الصلاة)**.

وفي القوت: وكان مسلم بن يسار من العلماء الزاهدين، فكان إذا دخل في الصلاة يقول لأهله: تحدثوا بما تريدون وافشوا سركم، فإني لا أسمع، وكان يقول: وما يدريكم أين قلبي! وكان يصلي ذات يوم في جامع البصرة فوقعت خلفه اسطوانة معقود بناؤها على أربع طاقات، فتسامع بها أهل السوق فدخلوا المسجد وهو قائم يصلي كأنه وَتَدٌ فانفتل من صلاته، فلما فرغ جاءه الناس يهنونه فقال: وعلى أي شيء تهنوني؟ قالوا: وقعت هذه الأسطوانة العظيمة وراءك فسلمت منها. فقال: متى وقعت؟ قالوا: وأنت تصلي. قال: فإني ما شعرت بها اهـ.

(وتأكّل طرف من أطراف بعضهم واحتيج إلى القطع فلم يمكن منه فقيل: إنه في الصلاة لا يحس بما يجري عليه فقطعت) وفي نسخة: فقطع منه ذلك الطرف **(وهو في الصلاة)**.

قلت: المراد به عروة بن الزبير عم عامر بن عبدالله الذي تقدم ذكره، وأسند المزني في التهذيب عن هشام بن عروة قال: وقعت الأكلة في رجله فقيل له: ألا ندعو لك طبيباً، قال: إن شئتم، فجاء الطبيب فقال: أسقيك شراباً يزول فيه عقلك، فقال: امض لشأنك ما ظننت أن خلقاً يشرب شراباً يزول فيه عقله حتى لا يعرف ربه. قال: فوضع المنشار على ركبته اليسرى ونحن حوله فما سمعنا له حساً، فلما قطعناها جعل يقول: لئن أخذت لقد أبقيت ولئن ابتليت قد عافيت وما ترك حزبه من القراءة تلك الليلة وكان ربع القرآن نظراً في المصحف، وكان يصوم الدهر كله إلا يوم الفطر والنحر ومات وهو صائم، وليس في رواية المزني تصريح بأنه قطع عنه ذلك العضو وهو في الصلاة، وروي من طريق ابن شوذب قال: كان وقع في رجله يعني عروة

الصلاة من الآخرة فإذا دخلت فيها خرجت من الدنيا. وقيل لآخر: هل تحدث نفسك بشيء من الدنيا في الصلاة؟ فقال: لا. في الصلاة ولا في غيرها. وسئل بعضهم: هل تذكر في الصلاة شيئاً؟ فقال: وهل شيء أحب إليَّ من الصلاة فأذكره فيها؟ وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة لدخل في الصلاة وقلبه فارغ. وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس، وروي أن عمار بن ياسر صلّى صلاة فأخفها فقيل له: خففت يا أبا اليقظان. فقال: هل رأيتموني نقصت من حدودها شيئاً؟ قالوا: لا. قال: إني بادرت سهو الشيطان، إن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها». وكان يقول: «إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها».

الأكلة فنشرها. ومن طريق هشام أيضاً خرج عروة إلى الوليد بن عبد الملك فخرجت برجله أكلة فقطعها.

(**وقال بعضهم**): ونص القوت. وقال بعض العلماء المصلين: (**الصلاة من الآخرة فإذا دخلت في الصلاة خرجت من الدنيا**) هكذا أورده صاحب القوت، (**وقيل لآخر: هل تحدث نفسك بشيء من الدنيا في الصلاة؟ قال: لا في الصلاة ولا في غيرها**) كذا أورده صاحب القوت والعوارف. (**وسئل بعضهم: هل تذكر في الصلاة شيئاً؟ فقال: وهل شيء أحب إليَّ من الصلاة فأذكره فيها**) كذا أورده صاحب القوت.

(**وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ**) هكذا أورده صاحب القوت والمعارف. أي: إن ذلك من فهمه في الدين واتباعه طريق المسلمين، (**وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس**) أي يتقي خطرة الوساوس فيبادر بإتمامها.

(**وروي أن عمار بن ياسر**) بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس العنسي أبو اليقظان أمه سمية من لخم من خيار الصحابة ونجبائها، وقتل بصفين مع علي وله ثلاث وتسعون سنة في محفة، والذي قتله أبو غارية المزني ودفن بصفين وروى له الجماعة (**صلى**) يوماً (**صلاة فأخفها**) أي لم يطول فيها (**فقيل له: خففت يا أبا اليقظان. فقال: هل رأيتموني نقصت من حدودها شيئاً؟ قالوا: لا. قال: إني بادرت سهو الشيطان، إن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها»**) هكذا أورده صاحب القوت وأخرجه أحمد بإسناد صحيح، وتقدم المرفوع منه وهو عند أبي داود والنسائي. (**وكان يقول**) أي عمار بن ياسر: (**إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها**) هكذا أورده صاحب القوت وهو من قول عمار وليس بمرفوع.

ويقال: إن طلحة والزبير، وطائفة من الصحابة رضي الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة، وقالوا: نبادر بها وسوسة الشيطان.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على المنبر: إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها. وسئل أبو العالية عن قوله: «الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ [الماعون: ٥]، قال: هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر؟ وقال الحسن: هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج، وقال بعضهم: هو الذي إن صلّاها في أول الوقت لم يفرح وإن أخّرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيراً ولا تأخيرها إثماً. واعلم أن الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب

(**ويقال: إن طلحة والزبير**) كلاهما من العشرة الكرام، (**وطائفة من الصحابة رضي الله عنهم**) ونص القوت ويقال: إن أصحاب رسول الله ﷺ منهم طلحة والزبير (**كانوا أخف الناس صلاة وقالوا**) لما سئلوا عن ذلك: (**نبادر بها وسوسة الشيطان**).

(**وروي عن عمر بن الخطاب**) ونص القوت: وروينا عن عمر بن الخطاب (**رضي الله عنه**) أنه (**قال**) وهو (**على المنبر: إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله صلاة**) ونص القوت: وما أكمل صلاته. (**قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا يتم خشوعها**) واخباتها (**وتواضعها وإقباله على الله تعالى فيها**) هكذا أورده صاحب القوت والعوارف.

(**وسئل أبو العالية**) رفيع بن مهران الرياحي البصري، أسلم بعد موت النبي ﷺ لسنتين ودخل على أبي بكر الصديق، وصلى خلف عمر بن الخطاب، وهو مجمع على ثقته. قال أبو بكر ابن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية. مات سنة تسعين، وروى له الجماعة (**عن قوله تعالى: ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾**) [الماعون: ٥] أي عن تفسير الساهي ماذا هو؟ (**قال: هو الذي يسهو عن صلاته فلا يدري على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر**) كذا أورده صاحب القوت.

(**وقال الحسن**) البصري لما سئل عن تفسير هذا القول: هو (**الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى يخرج**) وقتها، وكان يقول: أما والله لو تركوها لكفروا، ولكن سهوا عن الوقت. (**وقال بعضهم**) أي غيرهم من السلف (**هو الذي إن صلاها في أول الوقت**) وفي الجماعة (**لم يفرح وإن أخرها عن أول الوقت لم يحزن**) ونص القوت: وإن صلاها بعد الوقت لم يحزن (**فلا يرى**) وجعله صاحب القوت قولاً آخر لبعضهم فقال: وقيل معناه هو الذي لا يرى (**تعجيلها براً ولا تأخيرها إثماً**)، ولما كان هذا القول راجعاً في المعنى إلى ما قبله لم يأت به مستقلاً.

بعضها دون بعض كما دلت الأخبار عليه، وإن كان الفقيه يقول: إن الصلاة في الصحة لا تتجزأ ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه، وهذا المعنى دلت عليه الأحاديث إذ ورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل. وفي الخبر: « قال عيسى عليه السلام: يقول الله

(واعلم أن الصلاة قد يحسب بعضها دون بعض ويكتب بعضها دون بعض كما دلت الأخبار على ذلك) تقدم بعضها مما يدل على أنه لا يقبل من الصلاة إلا ما قارنه الخشوع والإخبات والإنابة، **(وإن كان الفقيه يقول: إن الصلاة في الصحة لا تتجزأ)** ولا تتبعض **(ولكن ذلك)** صحيح و**(له معنى آخر ذكرناه)** آنفاً، **(وهذا المعنى الذي دلت عليه الأحاديث)** الواردة **(إذ)** قد **(ورد جبر نقصان الفرائض بالنوافل)** كما في القوت: « أول ما يحاسب به العبد الصلاة فإن وجدت كاملة وإلا يقول الله تعالى: « انظروا لعبدي نوافل فتم به فرائضه من نوافله » ثم يعمل بسائر الفرائض كذلك يوفى كل فرض في جنسه من النوافل.

وقال العراقي: أخرجه أصحاب السنن، والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة « إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته » وفيه « فإن انتقص من فريضته شيئاً قال الرب عز وجل: انظروا لعبدي هل من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة » اهـ.

قلت: وأخرج أحمد، وأبو داود وابن ماجه والحاكم من حديث تميم الداري رفعه: « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فإن كان أتمها كتبت له تامة وإن لم يكن أتمها قال الله لملائكته: انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع فتكملون به فريضته، ثم الزكاة كذلك، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك ».

وأخرج الحاكم في الكنى، عن ابن عمر « أول ما افترض الله على أمتي الصلوات الخمس، وأول ما يرفع من أعمالهم الصلوات الخمس، وأول ما يسئلون عن الصلوات الخمس، فمن كان ضيع شيئاً منها يقول الله تبارك وتعالى: انظروا هل تجدون لعبدي نافلة من صلاة تتمون بها ما نقص من الفريضة » الحديث.

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن قرط رفعه: « من صلى صلاة لم يتمها زيد عليها من سبحاته حتى تتم ».

وفي القوت قيل إن الصلوات الخمس يلفق بعضها إلى بعض حتى يتم بها للعبد صلاة واحدة، وقيل: من الناس من يصلي خمسين صلاة فتكمل له بها خمس صلوات، وأن الله تعالى ليستوفي من العبد ما أمره كما فرضه عليه وإلاّ تممه من سائر أعماله النوافل لأنه ما فرض على العبد إلا ما يطيقه بقوته إذا لم يكلفه ما لا طاقة له به.

(وقال عيسى عليه السلام: « يقول الله تعالى بالفرائض نجا مني عبدي وبالنوافل تقرب إليّ عبدي ») هكذا رواه صاحب القوت، ولفظه: وروينا عن عيسى عليه السلام فذكره، وله

تعالى بالفرائض نجا مني عبدي وبالنوافل تقرّب إليّ عبدي ». وقال النبي ﷺ: « قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي إلا باداء ما افترضته عليه ». وروي: « أن النبي ﷺ، صلى صلاة فترك من قراءتها آية، فلما انفتل قال: ماذا قرأت؟ فسكت القوم، فسأل أبي بن كعب رضي الله عنه فقال: قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما ندري أنسخت أم رفعت؟ فقال: أنت لها يا أبيّ، ثم أقبل على الآخرين فقال: ما بال أقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين أيديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم؟ ألا إن بني إسرائيل كذا فعلوا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن قل لقومك تحضروني أبدانكم وتعطوني ألسنتكم وتغيبون عني بقلوبكم باطل ما تذهبون

شاهد في حديث أبي هريرة في الصحيح: « وما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » الحديث.

(وقال النبي ﷺ: « قال الله عز وجل: لا ينجو مني عبدي إلا باداء ما افترضت عليه ») قال العراقي: لم أجده اهـ.

وأورده صاحب القوت بلفظ: وقد روينا مثل قول عيسى عليه السلام عن نبينا ﷺ يقول الله عز وجل: فساقه.

(ويروى: « أن النبي ﷺ صلى صلاة فترك من قراءته) في صلاته **(آية)** وفي بعض النسخ: من قراءتها **(فلما انفتل)** منها أي انصرف **(قال: ماذا قرأت؟ فسكت القوم)** ولم يردوا شيئاً **(فسأل أبي بن كعب رضي الله عنه)** وكان مع القوم من جملة المصلين، **(فقال: قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما أدري أنسخت أم رفعت)**؟ وفي بعض النسخ أنسيت أم رفعت **(فقال)** له **(أنت لها يا أبي ثم أقبل على الآخرين فقال: ما بال أقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين أيديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم، ألا إن بني إسرائيل كذا فعلوا، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم: أن قل لقومك تحضروني أبدانكم وتعطوني ألسنتكم وتغيبون عني قلوبكم باطل ما تذهبون »)**. هكذا أورده صاحب القوت بطوله.

وقال العراقي: أخرجه محمد بن نصر في كتاب الصلاة مرسلاً، وأبو منصور الديلمي من حديث أبي بن كعب، والنسائي مختصراً من حديث عبد الرحمن بن ابزي بإسناد صحيح اهـ.

وفي العوارف قال رسول الله ﷺ إنكاراً على أهل الوسوسة: « **هكذا خرجت عظمة الله تعالى من قلوب بني إسرائيل حتى شهدت أبدانهم وغابت قلوبهم لا يقبل الله صلاة امرىء لا يشهد فيها قلبه كما يشهد بدنه، فإن الرجل على صلاته دائم ولا يكتب له عشرها إذا كان قلبه ساهياً لاهياً** اهـ.

إليه» وهذا يدل على أن استماع ما يقرأ الإمام وفهمه يدل عن قراءة السورة بنفسه. وقال بعضهم: إن الرجل يسجد السجدة عنده أنه تقرب بها إلى الله عز وجل، ولو قسمت ذنوبه في سجدته على أهل مدينته لهلكوا. قيل: وكيف يكون ذلك؟ قال: يكون ساجداً عند الله وقلبه مصغ إلى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه. فهذه صفة الخاشعين. فدلت هذه الحكايات والأخبار مع ما سبق على أن الأصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب، وأن مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد والله أعلم. نسأل الله حسن التوفيق.

الباب الرابع

في الإمامة والقدوة:

وقال المصنف: (**وهذا يدل على أن استماع ما يقرأ الإمام**) والإنصات له (**وفهمه يدل عن قراءة السورة بنفسه**) فقراءة الإمام قراءة للمأموم إلا الفاتحة كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه. (**وقال بعضهم: إن الرجل**) ولفظ القوت: وقال بعض علمائنا: إن العبد (**يسجد**) ولفظ القوت: ليسجد (**السجدة عنده**) أي في ظنه وحسبانه (**أنه تقرب**) ولفظ القوت: يتقرب (**بها إلى الله، ولو قسمت ذنوبه في سجدته على أهل مدينة لهلكوا. قيل: وكيف يكون ذلك**) يا أبا محمد؟ كذا هو لفظ القوت، وعنى به سهلاً التستري رحمه الله تعالى. (**قال: يكون ساجداً عند الله**) ولفظ القوت: بين يدي الله تعالى (**وقلبه مصغ**) أي مائل (**إلى هوى**) نفساني (**أو مشاهدة باطل**) وفي نسخة: أو مشاهد باطلاً (**قد استولى عليه**) زاد صاحب القوت: وهذا كما قال لأن فيه انتهاك حرمة القرب وسقوط هيبة الرب جل وعز اهـ.

(**فهذه صفة الخاشعين. فتدل هذه الحكايات والأخبار مع ما سبق على أن الأصل**) الأعظم (**في الصلاة الخشوع**) وهو ثمرتها (**وحضور القلب**) يثمر عن الخشوع، (**وأن مجرد الحركات**) من قيام وقعود ورفع وخفض (**مع**) تراكم (**الغفلة**) على القلب (**قليل الجدوى**) أي النفع (**في المعاد**) أي دار الآخرة لعود الخلق إليها، والله أعلم. نسأل الله حسن التوفيق بلطفه إنه لطيف تواب منعم وهاب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

الباب الرابع

في الإمامة والقدوة

لما فرغ المصنف من بيان أركان الصلاة وما يتعلق بها من خشوع وخضوع شرع في مباحث الإمامة والاقتداء وما يتعلق بهما من الآداب والوظائف، والإمامة بالكسر مصدر أمّ بالناس

وعلى الإمام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة وفي أركان الصلاة وبعد السلام:

أما الوظائف التي هي قبل الصلاة فستة:

أوّلها: أن لا يتقدم للإمامة على قوم يكرهونه، فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرين، فإن كان الأقلون هم أهل الخير والدين فالنظر إليهم أولى. وفي الحديث: «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤوسهم: العبد الآبق، وامرأة زوجها ساخط عليها، وإمام أمَّ

يؤمهم وأمهم كذلك إمامة صلى بهم إماماً، والإمام من يؤتم به في الصلاة خاصة يطلق على الذكر والأنثى قال بعضهم: وربما قيل في الأنثى إمامة، والصواب حذف الهاء لأن الإمام اسم لا صفة، ويقرب من هذا ما حكاه ابن السكيت في كتاب المقصور والممدود تقول العرب: عالمنا امرأة وأميرنا امرأة. قال: وإنما ذكر لأنه إنما يكون في الرجال أكثر مما في النساء، فلما احتاجوا إليه في النساء أجروه على الأكثر في موضعه، وأنت قائل: مؤدب بني فلان امرأة وفلانة شاهد بكذا لأن هذا يكثر في الرجال ويقل في النساء، ثم قال: وليس بخطأ أن تقول وصية ووكيلة بالتأنيث لأنها صفة المرأة إذا كان لها فيه حظ، وعلى هذا فلا يمتنع أن يقال: امرأة إمامة لأن في الإمام معنى الصفة اهـ.

ويطلق الإمام أيضاً على الخليفة الأعظم وهو الآن شائع في اليمن، وعلى العالم المقتدى به بقوله أو فعله، وعلى الكتاب المقتدى به محقاً أو مبطلاً، والإمام المبين اللوح المحفوظ وجمع الإمام أئمة، والأصل أأممة وزان أمثلة، فادغمت الميم في الميم بعد نقل حركتها إلى الهمزة، فمن القراء من يبين الهمزة مخففة على الأصل وبعضهم يسهلها على القياس بين بين، وبعضهم يبدلها ياء للتخفيف كما في الطيبة فليس شاذاً، وبعض النحاة يعده لحناً ويقول: لا وجه له في القياس، والائتمام: الاقتداء. يقال: ائتم به. واسم الفاعل مؤتم، واسم المفعول مؤتم به والصلة فارقة، والقدوة بالضم والكسر اسم من اقتدى به إذا فعل مثل فعله تأسياً، وفلان قدوة أي يقتدى به والضم أكثر من الكسر.

(**وعلى الإمام وظائف**) مرتبة منها ما هي (**قبل الصلاة**) ومنها ما هي (**قبل القراءة،و**) منها ما هي (**في أركان الصلاة، و**) منها ما هي (**بعد السلام**).

(**أما الوظائف التي**) هي (**قبل الصلاة فستة**).

(**الأولى**) منها: (**أن لا يتقدم للإمامة على قوم يكرهونه**) سواء كرهه جيرانه أو كرهه من وراءه من المأمومين فيكره له التقدم، (**فإن اختلفوا**) بأن كرهه قوم وأحبه قوم (**كان النظر**) في ذلك (**إلى الأكثرين**) منهم، (**فإن كان الأقلون هم أهل الخير والدين، فالنظر إليهم أولى**). ولفظ القوت فإن اختلفوا نظر إلى أهل العلم والدين منهم فحكم بذلك، ولا يعتبر بالأكثر إذا كان الأقلون هم أهل الخير. (**وفي الحديث: «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤوسهم**) وفي رواية: «آذانهم» وهو كناية عن عدم القبول كما صرح به في رواية الطبراني

قوماً وهم له كارهون ». وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم، فكذلك ينهى عن التقدمة إن كان وراءه من هو أفقه منه إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم، فإن لم يكن

(العبد الآبق) أي الفار من سيده بدأ به تغليظاً للأمر فيه وفي رواية: حتى يرجع إلاَّ أن يكون إباقه من إضرار سيده به ولم يجد له ناصراً، **(وامرأة)** باتت و**(زوجها ساخط عليها)** لأمر شرعي كسوء خلق وترك أدب ونشوز، وهذا أيضاً خرج مخرج الزجر والتهويل، **(وإمام قوم هم له كارهون)** فإن الإمامة شفاعة ولا يتشفع المرء إلا بمن يحبه ويعتقد منزلته عند المشفوع إليه فيكره أن يؤم قوماً يكرهه أكثرهم إن كانت الكراهة لمعنى يذم به شرعاً وإلا فلا واللوم على كارهه، ثم إن الذي يذم شرعاً كفسق وبدعة وتساهل في تحرز عن خبث وإخلال بهيئة من هيئات الصلاة وتعامل حرفة مذمومة وعشرة فسقة ونحو ذلك.

قال العراقي: أخرجه الترمذي من حديث أبي إمامة وقال: حسن غريب وضعفه البيهقي اهـ.

قلت: أخرجه في كتاب الصلاة بزيادة « حتى يرجع الآبق » والباقي سواء. وقال الذهبي: إسناده ليس بالقوي، وروي بإسنادين آخرين. واختلف كلام العراقي ففي هذا الكتاب أقر بتضعيف البيهقي، وفي موضع آخر من شرح الترمذي قال: إسناده حسن، ووجد بخط الحافظ ابن حجر وصححه ابن حبان اهـ.

وأخرج ابن ماجه من حديث ابن عباس رفعه: « ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً: رجل أم قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، واخوان متصارمان ». قال الحافظ مغلطاي في شرح السنن: إسناده لا بأس به. وقال العراقي في شرح الترمذي: إسناده حسن.

وأخرج أبو داود وابن ماجه كلاهما في الصلاة من رواية عبد الرحمن بن زيادة الافريقي، عن عمران المغافري، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رفعه: « ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة: الرجل يؤم قوماً وهم له كارهون، والرجل لا يأتي الصلاة إلا دباراً، ورجل اعتبد محرراً » قال العراقي في شرح الترمذي: الإفريقي ضعفه الجمهور. وقال الصدر المناوي: ضعفه الشافعي وغيره، وفي شرح المهذب: وهو ضعيف.

وأخرج الطبراني من حديث جنادة « من أم قوماً وهم له كارهون فإن صلاته لا تجاوز ترقوته ». **(وكما ينهى عن تقدمه)** عليهم **(مع كراهتم، فكذلك ينهى عن التقدمة إن كان وراءه من هو أفقه منه أو أقرأ)** أي أكثر فقهاً أو أكثر قراءة للقرآن أي تجويداً له، فقد أخرج العقيلي من حديث ابن عمر « من أم قوماً وفيهم من هو أقرأ منه لكتاب الله وأعلم لم يزل في نكال إلى يوم القيامة » وفي الإسناد مجهول. وفي القوت: وإمام المحلة أحق بالصلاة في مسجده فمن طرأ عليه ممن صلى خلفه فإن كان أعلم منه أذن له إمام المحلة في التقديم، **(إلا إذا امتنع من هو أولى منه)** ولم يرض **(بالتقديم فله التقدم)** حينئذ، فكأنه صار بإذن منه ونائباً

شيء من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة. ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل: إن قوماً تدافعوا الإمامة بعد إقامة الصلاة فخسف بهم. وما روي من مدافعة الإمامة بين الصحابة رضي الله عنهم فسببه ايثارهم من رأوه أنه أولى بذلك أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم، فإن الأئمة ضمناء وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوّش عليه الإخلاص في صلاته حياء من المقتدين، لا سيما في جهره بالقراءة، فكان لاحتراز من احترز أسباب من هذا الجنس.

عنه، (**فإن لم يكن شيء من ذلك**) أي: الأفقه والأقراء (**فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الإمامة**) وهي كثيرة. أعظمها التحرز عن النجاسات، والتوقي عن الرذائل، ومعرفة ما يصلح الصلاة وما يفسدها، والمحافظة على توقي ما يخالف مذهب المأمومين (**وتكره عند ذلك**) أي عند تقديمه وتحليه بالشروط (**المدافعة**) أي لا يتأخر عن الإمامة ويقدم غيره. (**فقد قيل: إن قوماً تدافعوا الإمامة بعد إقامة الصلاة فخسف بهم**) أورده صاحب القوت بلفظ: ولكن إذا أقيمت الصلاة فليتقدم من أمر بها ولا يتدافعون فقد جاء في العلم ان قوماً فذكره (**وما روي من مدافعة الإمامة بين الصحابةرضي الله عنهم**) وذلك فيما رواه صاحب القوت أنهم اجتمعوا في منزل أحدهم فجعل ابن مسعود يقدم أبا ذر، وأبو ذر يقدم عماراً، وعمار يقدم حذيفة فلم يتقدم أحدهم، فأمروا مولى فتقدم فصلى بهم. (**فسببه إيثارهم من رأوه أولى بها**) هضماً لنفوسهم (**أو خوفهم على أنفسهم السهو**) لكمال استغراقهم في صلواتهم. وفي بعض النسخ «الشهرة» بدل «السهو». (**و**) قيل لأجل (**خطر ضمان الصلاة فإن الأئمة**) كما ورد (**ضمناء**) جمع ضمين ككريم وكرماء بمعنى الضامن كما سيأتي. (**وكان من لم يتعود ذلك**) أي التقدم على القوم (**ربما يشتغل قلبه**) بشيء (**ويشوش عليه**) ذلك الاشتغال (**الإخلاص**) المطلوب (**في الصلاة حياء من المقتدين**) به (**لاسيا في جهره بالقراءة، فكان احتراز من احترز من ذلك لأسباب من هذا الجنس**) وفي بعض النسخ: فكان لاحتراز من احترز من ذلك أسباب من هذا الجنس، ولكن الأولى بحال الصحابة الوجه الأول وهو الإيثار وخطر الضمان، وقد كان ذلك من وصفهم وقد مدحوا به.

وأورد صاحب القوت من سنن السلف أنهم كانوا يكرهون أربعة أشياء ويتدافعونها: الفتيا، والإمامة، والوصية، والوديعة. وتقدم هذا في كتاب العلم، ثم قال، وقال بعضهم: ما شيء أحب إلي من الصلاة في جماعة أكون مأموماً فأكفى سهوها ويتحمل غيري ثقلها، وهذا قد تقدم قريباً في فضل صلاة الجماعة ثم قال: وكان بشر رحمه الله تعالى يقول: من أراد سلامة الدنيا والآخرة فليجتنب أن لا يحدث ولا يشهد ولا يؤم ولا يفتي، وفي بعضها: ولا يجيب دعوة ولا يقبل هدية. قال: وهذا من تشديده رحمه الله تعالى. قال وقال أبو حازم: كان سهل بن سعد يقدم فتيان قومه يصلون به فقلت له: رحمك الله أنت صاحب النبي ﷺ ولك من السابقة والفضل لم

الثانية: إذا خير المرء بين الأذان والإمامة، فينبغي أن يختار الإمامة فإن لكل واحد منهما فضلاً، ولكن الجمع مكروه بل ينبغي أن يكون الإمام غير المؤذن، وإذا تعذر الجمع فالإمامة أولى. وقال قائلون: الأذان أولى لما نقلناه من فضيلة الأذان، ولقوله ﷺ: «الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن» فقالوا: فيها خطر الضمان. وقال ﷺ:

لا تؤم قومك. قال يا ابن أخي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الإمام ضامن» فأكره أن أكون ضامناً.

(**الثانية: إذا خير المريد بين الأذان والإمامة فينبغي أن يختار الإمامة**) لمواظبة النبي ﷺ عليها، وكذا الخلفاء الراشدون من بعده، (**فإن لكل واحد منهما فضلاً**) وردت به الأخبار، (**ولكن الجمع**) بين الأذان والإمامة (**مكروه، بل ينبغي أن يكون الإمام غير المؤذن**) تبع فيه صاحب القوت حيث قال: واستحب أن يكون المؤذن غير الإمام، كذلك كان السلف رحمهم الله تعالى، وقد قيل: كانوا يكرهون أن يكون الإمام مؤذناً روي ذلك عن النبي ﷺ.

قلت: والأفضل عندنا كون الإمام هو المؤذن كذا في الدر المختار، وعليه كان أبو حنيفة. ففي الجامع الصغير قال يعقوب: رأيت أبا حنيفة رحمه الله يؤذن في المغرب ويقيم ولا يجلس، وفي الفرائد نقلاً عن شمس الأئمة: أذان الإمام بنفسه أولى لأن المؤذن يدعو إلى الله تعالى، فمن يكون أعلى درجة فهو أولى الناس به، ويروى عن عقبة بن عامر قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سفر فلما زالت الشمس أذن وأقام وصلى الظهر.

(**وإذا تعذر الجمع فالإمامة أولى وقال قائلون: الأذان أولى لما نقلناه من فضيلة الأذان**) يشير إلى ما تقدم في فضله من الآثار الواردة، والمعتمد الأول، فإن قلت، قول سيدنا عمر رضي الله عنه لولا الخليفي لأذنت يدل على أفضلية الأذان وهو خلاف ما قررت من أفضلية الإمامة، فكيف الجمع بينهما؟ فالجواب إن هذا لا يستلزم تفضيله عليها، بل مراده لأذنت مع الإمامة لا مع تركها فتأمل. (**ولقوله ﷺ: «الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن»**).

قال العراقي: أخرجه أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة، وحكى عن ابن المديني أنه لم يثبت، ورواه أحمد من حديث أبي أمامة بإسناد حسن اهـ.

قلت: وأخرجه كذلك ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في السنن، والكل عندهم زيادة: «اللهم ارشد الأئمة واغفر للمؤذنين» والمصنف رحمه الله قد فرق الحديث في موضعين.

وأخرج ابن ماجه والحاكم من حديث سهل بن سعد رفعه «الإمام ضامن» وتقدم نقله عن القوت وله قصة ذكرت (**فقالوا فيها**) أي في الإمامة: (**خطر الضمان**) بخلاف الأذان. قال الماوردي: يريد بالضمان والله أعلم أنه يتحمل سهو المأموم كما يتحمل الجهر والسورة وغيرهما.

«الإمام أمير فإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا». وفي الحديث: «فإن أتم فله ولهم وإن نقص فعليه لا عليهم»، ولأنه ﷺ قال: «اللهم ارشد الأئمة واغفر للمؤذنين»، والمغفرة أولى بالطلب فإن الرشد يراد للمغفرة. وفي الخبر: «من أمَّ في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بلا حساب، ومن أذن أربعين عاماً دخل الجنة بغير

(وقال ﷺ: «الإمام أمير فإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا») هكذا أورده صاحب القوت.

وقال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة دون قوله «الإمام أمير» وهو بهذه الزيادة في مسند الحميدي، وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة اهـ.

قلت: كأنه يشير إلى حديث: «إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا ركع فاركعوا وإذا سجد فاسجدوا». الحديث. **(وفي الحديث: «فإن أتم فله ولهم وإن نقص فعليه ولا عليهم»)** ولفظ القوت وفي الحديث: «إذا أتم» والباقي سواء.

قال العراقي: أخرجه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم وصححه من حديث عقبة بن عامر، وللبخاري من حديث أبي هريرة: «يصلون لكم فإن أصابوا فلكم وإن أخطأوا فلكم وعليهم». اهـ.

قلت: ورواه ابن ماجه والحاكم من حديث سهل بن سعد «الإمام ضامن فإن أتم فله ولهم وإن سها فعليه ولا عليهم».

وحديث عقبة الذي أشار إليه، فقد أخرجه أحمد أيضاً ولفظهم جميعاً «من أم الناس فأصاب الوقت وأتم الصلاة فله ولهم ومن انتقص من ذلك شيئاً فعليه ولا عليهم».

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر «من أم قوماً فليتق الله وليعلم أنه ضامن مسؤول لما ضمن وإن أحسن كان له من الأجر مثل أجر من صلى خلفه من غير ان ينتقص من أجورهم شيء وما كان من نقص فهو عليه». **(ولأنه ﷺ قال:)** «الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن. **(«اللهم ارشد الأئمة واغفر للمؤذنين»)** تقدم تخريجه قريباً، والحديث واحد وقد فرقه المصنف في موضعين كما ترى، **(والمغفرة أولى بالطلب)** وهي ستر الذنوب بالعفو، **(فإن الرشد)** بضم الراء وسكون الشين **(يراد)** أي يطلب **(للمغفرة)** فالرشد إذا تابع المغفرة فلذا كان الأفضل.

(وفي الخبر «من أذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بلا حساب، ومن أذن أربعين عاماً دخل الجنة بغير حساب») قال العراقي: أخرج الترمذي، وابن ماجه من حديث ابن عباس بالشطر الأول. قال الترمذي: حديث غريب اهـ.

وقد أورد صاحب القوت الجملتين معاً، وتبعه المصنف والجملة الأولى التي عزاها لابن عباس

حساب». ولذلك نقل عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يتدافعون الإمامة. والصحيح أن الإمامة أفضل إذ واظب عليها رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر رضي الله عنهما والأئمة بعدهم. نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر، كما أن رتبة الإمارة والخلافة أفضل لقوله ﷺ: «ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين

أخرجها كذلك أبو الشيخ في كتاب الأذان ولفظهم جميعاً «من أذن سبع سنين محتسباً كتبت له براءة من النار» وزاد الترمذي بعد قوله غريب ضعيف، فالحديث مذكور هنا بالمعنى وأما لفظ «وجبت له الجنة» فعند ابن ماجه، والحاكم من حديث ابن عمر «من أذن اثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة». **(وكذلك نقل عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم كانوا يتدافعون الإمامة)** كما تقدمت الإشارة إليه. **(والصحيح أن الإمامة أفضل)** وكذلك عندنا **(إذ واظب عليها رسول الله ﷺ و)** الخليفتان من بعده **(أبو بكر وعمر)** رضي الله عنهما، **(والأئمة)** الراشدون **(بعدهما من)** أجل **(خطر الضمان والفضيلة مع الخطر)** فإن أفضل العبادات أحمزها كما ورد، وهذا الذي صححه المصنف من أفضلية الإمامة هو ما رجحه القاضي أبو الطيب، والدارمي، وابن أبي هريرة، وصاحب الافصاح.

قال الأذرعي: وهو الذي رجحه الأكثرون ونص عليه الشافعي في الأم خلاف ما حكاه النووي عنه، فإن لفظه «أحب الأذان» لقوله عليه السلام: «اللهم اغفر للمؤذنين» وأكره الإمامة للضمان وما على الإمام فيها، وإذا أم ينبغي أن يتقي ويؤدي ما عليه في الإمامة فإذا فعل رجوت أن يكون خير حال من غيره. قال صاحب الشامل وغيره: وهذا يدل على أنه إذا كان يقوم بالإمامة كانت أفضل اهـ.

وقال في موضع آخر: ولا أكره الإمامة إلا من جهة كونها ولاية، وأنا أكره سائر الولايات وحمله على ما قدمنا متعين. وقال الروياني: الصحيح أن الإمامة أولى إذا قام بحقها لأنها أشق. نص عليه الشافعي في كتاب الإمامة، ولا يحتمل أن يقال غير هذا، وغلط من خالفه، ورجحه الرافعي ونسبة لترجيح الأكثرين منهم الشيخ أبو حامد وأتباعه، والبغوي، واختاره ابن الرفعة في المطلب. قال المتأخرون: ويتعجب من النووي كيف يفضل الأذان مع أنه سنة والجماعة فرض كفاية، ونظامها إنما هو بالإمامة. ومن المعلوم أن القيام بالفرائض أجل من القيامة بالنوافل بدرجات كثيرة والله أعلم.

ثم زاد المصنف وضوحاً لما ذهب إليه من أن الفضيلة في الخطر فقال. **(كما أن رتبة الخلافة والإمارة أفضل)** الخلافة النيابة عن الغير لغيبة المنوب عنه أو موته، والخليفة هو القائم بما يقوم به المستخلف على حسب رتبة ذلك الخليفة منه والإمارة الولاية **(لقوله ﷺ: «ليوم واحد من ذي سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة»)** قال العراقي: أخرجه الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن بلفظ: «ستين» اهـ.

سنة » ولكن فيها خطر. ولذلك وجب تقديم الأفضل والأفقه، فقد قال ﷺ:

وهو معنى الخبر المشهور الدائر على الألسنة: عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة، **(ولكن فيها خطر)** أي في الإمامة لكونها من قبل الولايات، **(ولذلك وجب تقديم الأفضل والأفقه)** على غيرهما.

قال النووي في الروضة: الأسباب التي يترجح بها الإمام ستة. الفقه والقراءة والورع والسن والنسب والهجرة، فإذا اجتمع عدل وفاسق فالعدل أولى بالإمامة، وإن اختص الفاسق بزيادة الفقه والقراءة، بل تكره الصلاة خلف الفاسق والمبتدع الذي لا يكفر ببدعته، وفي الأورع مع الأفقه و الأقرأ وجهان. قال الجمهور: هما مقدمان عليه، وقال الشيخ أبو محمد وصاحب التتمة والتهذيب: يقدم عليهما والأول أصح، ولو اجتمع من لا يقرأ إلا ما يكفي الصلاة ولكنه صاحب فقه وآخر يحسن القرآن كله وهو قليل الفقه، فالصحيح أن الأفقه أولى، والثاني هما سواء، فأما من جمع الفقه والقراءة فهو مقدم على المنفرد بأحدهما قطعاً والفقه والقراءة يقدم كل واحد منهما على النسب والسن والهجرة، وعن بعض الأصحاب قول مخرج: إن السن يقدم على الفقه وهو شاذ وإذا استويا في الفقه والقراءة ففيه طرق اهـ.

فصل

وقال أصحابنا: يقدم الأعلم ثم الأقرأ وهو قول أبي حنيفة ومحمد واختاره صاحب الهداية وغيره من أصحاب المتون وعليه أكثر المشايخ. وقال أبو يوسف: يقدم الأقرأ ثم الأعلم واختاره جمع من المشايخ ومن الشافعية ابن المنذر كما نقله النووي في المجموع، ثم اتفقوا فقالوا: ثم الاورع ثم الأسن، ثم الأحسن خلقا ثم الأحسن وجهاً ثم الأشرف نسباً ثم الأحسن صوتاً ثم الأنظف ثوباً، فإن استووا يقرع بينهم أو الخيار إلى القوم فإن اختلفوا فالعبرة بما اختاره الأكثر فإن قدموا غير الأولى أساؤا. وفي التجنيس: لو أم قوماً وهم له كارهون فهو على ثلاثة أوجه: إن كانت الكراهة لفساد فيه أو كانوا أحق بالإمامة منه يكره هكذا رواه الحسن البصري عن الصحابة، وإن كان هو أحق بالإمامة منهم ولا فساد فيه ومع هذا يكرهونه لا يكره له التقدم لأن الجاهل والفاسق يكرهان العالم والصالح.

قلت: والذي ذهب إليه أبو يوسف من تقديم الأقرأ على الأعلم رواية عن الإمام أبي حنيفة ودليله قوي من حيث النص حيث قال ﷺ فيما رواه الجماعة إلا البخاري « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى فإن كانوا في القراءة سواء فاعلمهم بالسنة » ففرق بين الفقيه والقارىء وأعطى الإمامة للقارىء ما لم يتساويا في القراءة، فإن تساويا لم يكن أحدهما بأولى من الآخر، فوجب تقديم العالم بالسنة وهو الأفقه، ثم قال عليه السلام « فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم إسلاماً » الحديث. وأما تأويل المخالف للنص بأن الأقرأ في ذلك الزمان كان الأفقه، فقد رد هذا التأويل قوله عليه السلام « فأعلمهم بالسنة » ولكن قد يجاب

«أئمتكم شفعاؤكم ـ أو قال وفدكم إلى الله ـ فإن أردتم أن تزكو صلاتكم فقدّموا خياركم». وقال بعض السلف: ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء، ولا بعد العلماء أفضل من الأئمة المصلين، لأن هؤلاء قاموا بين يدي الله عز وجل وبين خلقه هذا

عنه بأن المراد بالأقرأ في الخبر الأفقه في القرآن في معرفة أمره ونهيه وأحكامه، فإذا استووا في القرآن فقد استووا في فقهه فإذا زاد أحدهم بفقه السنة فهو أحق، فلا دلالة في الخبر على تقديم الأقرأ مطلقاً، بل تقديم الأقرأ الأفقه في القرآن على من دونه ولا نزاع فيه فتأمل.

واعلم أن كلام الله لا ينبغي أن يقدم عليه شيء أصلاً بوجه من الوجوه، فإن الخاص إن تقدمه من هو دونه فليس بخاص، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته وهم الذين يقرؤون حروفه من عجم وعرب وقد صحت لهم الأهلية الإلهية والخصوصية، فإن انضاف إلى ذلك المعرفة بمعانية فهو فضل في الأهلية والخصوصية لا من حيث القرآن بل من حيث العلم بمعانيه، فإذا انضاف إلى العلم به العمل به فنور على نور على نور، فالقارىء مالك البستان، والعالم كالعارف بأنواع فواكه البستان وتطعيمه ومنافع فواكهه، والعامل كالآكل من البستان. فمن حفظ القرآن وعلمه وعمل به كان كصاحب بستان علم ما في بستانه وما يصلحه وما يفسده وأكل منه، ومثل العالم العامل الذي لا يحفظ القرآن كمثل العالم بأنواع الفواكه وتطعيماتها وغراسها والآكل الفاكهة من بستان غيره، ومثل العامل كمثل الآكل من بستان غيره، فصاحب البستان أفضل الجماعة الذين لا بستان لهم فإن الباقي يفتقر إليه، والاعتبار في ذلك أن الأحق بالامامة من كان الحق سمعه وبصره ويده وسائر أوصافه، فإن كانوا في هذه الحالة سواء فاعلمهم بما تستحقه الربوبية، فإن كانوا في العلم بذلك سواء فأعرفهم بالعبودية ولوازمها وليس وراء معرفة العبودية حال يرتضى يقوم مقامه أو يكون فوقه، لأنه لـذلك خلقوا قال تعالى: ﴿ومَا خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] والإمامة على الحقيقة إنما هي لله الحق جل جلاله، وأصحاب هذه الأحوال إنما هم نوّابه وخلفاؤه، ولهذا وصفهم بصفاته فهو الإمام لا هم قال تعالى: ﴿ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾ [الفتح: ١٠] وقال ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠] والله أعلم.

(قال ﷺ «أئمتكم شفعاؤكم إلى الله ـ أو قال: وفدكم إلى الله ـ فإن أردتم أن تزكو) أي تنمو **(صلاتكم فقدموا خياركم»)** ولفظ القوت: ورويناه في خبر غريب «**أئمتكم وفودكم** إلى الله تعالى» والباقي سواء.

وقال العراقي: أخرجه الدارقطني، والبيهقي وضعف إسناده من حديث ابن عمر، والبغوي، وابن قانع، والطبراني في معاجيمهم، والحاكم من حديث مرثد بن أبي مرثد نحوه، وهو منقطع وفيه يحي بن يعلى الأسلمي وهو ضعيف.

(وقال بعض السلف: ليس بعد الأنبياء أفضل من العلماء ولا بعد العلماء أفضل من الأئمة المصلين) وفي بعض النسخ الصالحين، **(لأن هؤلاء قاموا بين الله وبين خلقه هذا**

بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلاة. وبهذه الحجة احتج الصحابة في تقديم أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعنهم للخلافة، إذ قالوا: نظرنا فإذا الصلاة عماد الدين، فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا، وما قدموا بلالاً احتجاجاً بأنه رضيه للأذان، وما روي: «أنه قال له رجل يا رسول الله دلني على عمل

بالنبوّة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهي الصلاة) هكذا أورده صاحب القوت بلفظ: «وكان بعضهم يقول ليس بعد الأنبياء» الخ. ثم قال صاحب القوت: **(وبهذه الحجة احتج الصحابة)** ولفظ القوت: احتج علي **(في تقديم أبي بكر رضي الله عنه للخلافة)**، ولفظ القوت: في الخلافة لما أهله رسول الله ﷺ **(إذ قالوا: نظرنا)** ولفظ القوت قال: فنظرنا **(فإذا الصلاة عماد الدين فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله ﷺ لديننا)**. ولفظ القوت: فرضينا لديننا من رضيه رسول الله ﷺ إمامه. قال: وبهذه الحجة احتج عمر رضي الله عنه على الأنصار في بيعة أبي بكر رضي الله عنه فقال: أيكم يطيب نفسه أن يتقدم من قدمه رسول الله ﷺ أمامه، وبهذا احتج أبو عبيدة رضي الله عنه على أبي بكر كما أخذ بيده وبيد عمر وقال: بايعوا أحد هذين فقد رضيت لكم أحدهما، فقال أبو عبيدة: ما كنت لأصلي أمام من صلّى رسول الله ﷺ خلفه.

وقال العراقي: تقديم الصحابة أبا بكر، وقولهم: اخترنا لدنيانا الخ أخرجه ابن شاهين في شرح مذاهب السنّة من حديث علي قال: لقد أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس واني لشاهد ما أنا بغائب ولا بي مرض فرضينا لدنيانا ما رضي به النبي ﷺ لديننا. والمرفوع منه متفق عليه من حديث عائشة وأبي موسى في حديث قال فيه «مروا أبا بكر فليصل بالناس».

قلت: وبهذا استدل أبو حنيفة ومحمد في تقديم الأعلم على الأقرأ لأنه كان ثمة من هو أقرأ من أبي بكر لا أعلم منه لقوله عليه السلام «اقرؤكم أبيّ» وقول أبي سعيد: كان أبو بكر أعلمنا، وإنما اختار المشايخ هذا القول لأن الإمامة ميراث نبوي فيختار لها من يكون أشبه به خلقاً وخلقاً، والقراءة يحتاج إليها لركن واحد والعلم يحتاج إليه لجميع الصلاة، والخطأ المفسد للصلاة في القراءة لا يعرف إلا بالعلم، والله أعلم.

(وما قدموا بلالاً) الحبشي رضي الله عنه **(احتجاجاً)** منهم **(بأنه)** صلى الله عليه وسلم **(رضيه للأذان)**.

قال العراقي: أما المرفوع منه فرواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبدالله بن زيد في بدء الأذان وفيه: «قم مع بلال فالق عليه ما رأيت فليؤذن به» الحديث. وأما تقديمهم له بعد موته ﷺ فروى الطبراني أن بلالاً جاء إلى أبي بكر فقال: يا خليفة رسول الله أردت أن أربط نفسي في سبيل الله حتى أموت، فقال أبو بكر: أنشدك بالله يا بلال وحرمتي وحقي لقد كبر سني وضعفت قوّتي واقترب أجلي فأقام بلال معه، فلما توفي أبو

أدخل به الجنة. قال: كن مؤذناً، قال: لا أستطيع، قال: كن إماماً، قال: لا أستطيع، فقال: صلِّ بإزاء الإمام» فلعله ظن أنه لا يرضى بإمامته إذ الأذان إليه والامامة إلى الجماعة وتقديمهم له. ثم بعد ذلك توهم أنه ربما يقدر عليها.

الثالثة: أن يراعي الإمام أوقات الصلوات فيصلي في أوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه، ففضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا. هكذا روي عن

بكر جاء عمر فقال له مثل ما قال أبو بكر فأبى عليه، فقال عمر: فمن يا بلال؟ فقال إلى سعد فإنه قد أذن بقباء على عهد رسول الله ﷺ، فجعل عمر الأذان إلى سعد وعقبه وفي اسناده جهالة.

(وما روي « أنه ﷺ قال له رجل يا رسول الله: دلني على عمل أدخل به الجنة. فقال: كن مؤذناً. فقال لا أستطيع فقال له: كن إماماً. فقال: لا أستطيع. قال: صل بازاء الإمام ») هكذا أورده صاحب القوت.

وقال العراقي: رواه البخاري في التاريخ، والعقيلي في الضعفاء، والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس باسناد ضعيف، **(فلعله ظن أنه لا يرضى)** على البناء للمجهول **(بإمامته)** أي لا يرضونه **(إذ الأذان إليه والإمامة إلى الجماعة وتقديمهم له. ثم بعد ذلك توهم أنه ربما يقدر عليها)**.

(الثالثة: أن يراعي الإمام أوقات الصلوات) المفروضة جمع الوقت وهو الزمان المفروض للعمل، ولهذا لا يكاد يقال إلا مقدراً نحو: وقت كذا فعلت كذا **(فيصلي)** بالناس **(في أوائلها ليدرك رضوان الله)** عز وجل، والرضوان: بكسر الراء وضمها بمعنى الرضى وهو ضد السخط. وقد أشار بذلك إلى ما ورد أول الوقت رضوان الله وآخر الوقت عفو الله، وقد قال الصديق: رضوانه أحب إلينا من عفوه. قال الشافعي: لأن رضوانه يكون للمحسنين وعفوه يكون للمقصرين. عن جرير بسند فيه كذاب، وأورده ابن الجوزي في الواهيات وقال: لا يصح، وقال الحافظ: في سنده من لا يعرف. قال: وفي الباب عن ابن عمر، وابن عباس، وعلي، وأنس، وأبي محذورة، وأبي هريرة. فحديث ابن عمر رواه الترمذي والدارقطني وفيه يعقوب ابن الوليد المدني كذاب، وحديث ابن عباس رواه البيهقي في الخلافيات وفيه نافع أبو هرمز متروك، وحديث علي رواه البيهقي عن أهل البيت وقال: أظن سنده أصح ما في هذا الباب. قال ابن حجر: وهو مع ذلك معلول، ولهذا قال الحاكم: لا أحفظ الحديث من وجه يصح، وحديث أنس رواه ابن عدي والبيهقي وقد تفرّد به بقية عن مجهول عن مثله، وحديث أبي محذورة رواه الدارقطني وفيه إبراهيم بن زكريا وهو متهم، وحديث أبي هريرة ذكره البيهقي وقال: هو معلول.

(ففضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا) أي فيتأكد الحث على المبادرة **(هكذا روي عن رسول الله ﷺ)** وفي رواية: فضل الصلاة أول الوقت على آخره.

رسول الله ﷺ . وفي الحديث: «إن العبد ليصلي الصلاة في آخر وقتها ولم تفته، ولما فاته من أول وقتها خير له من الدنيا وما فيها». ولا ينبغي أن يؤخر الصلاة لانتظار كثرة الجماعة بل عليه المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت، فهي أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة. وقد قيل: كانوا إذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث، وإذا حضر أربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس. وقد تأخر رسول الله ﷺ عن صلاة الفجر وكانوا في سفر وإنما تأخر للطهارة فلم ينتظر، وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله ﷺ ركعة فقام يقضيها قال: فاشفقنا من ذلك، فقال رسول

قال العراقي: أخرجه أبو منصور الديلمي من حديث ابن عمر بسند ضعيف اهـ. قلت: وكذلك أورده أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الثواب له.

(وفي الحديث «إن العبد ليصلي الصلاة ولم تفته، ولما فاته من أول وقتها خير له من الدنيا وما فيها»). قال العراقي: أخرج الدارقطني من حديث أبي هريرة نحوه باسناد ضعيف اهـ. قلت: لفظ الدارقطني «خير له من أهله وماله».

(ولا ينبغي أن يؤخر الصلاة) عن أول وقتها **(لانتظار كثرة الجمع)** من المصلين **(بل عليه المبادرة)** إليها **(لحيازة فضيلة أول الوقت)**. ولفظ القوت: وليس على المؤذن انتظار أحد إذا حضر الإمام ودخل الوقت، **(فذلك)** أي الصلاة في أول وقتها **(أفضل من كثرة الجماعة و)** أفضل **(من تطويل السورة)** أي من طوال السور فيها. **(وقد قيل: كانوا إذا حضر اثنان في الجماعة)** ولفظ القوت: في الصلاة **(لم ينتظروا الثالث، وإذا حضر أربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس)** زاد في القوت وقيل: انتظار المأموم مع شهود الإمام مكروه والنعي بالميت والإيذان به بدعة اهـ.

أما عدم انتظار زيادة على اثنين في الصلاة فلحيازة فضيلة أول الوقت كما علم، وأما عدم انتظار الخامس في الجنازة فلما ورد من الإسراع بها والتعجيل في شأنها، ومن الأشياء التي ينبغي التعجيل فيها: الطعام إذا حضر، والبنت إذا بلغت فهما مع الصلاة والجنازة أربعة، وإنما أورد المصنف الجنازة هنا اتباعاً لما في القوت واستطراداً، والجنازة بالكسر سرير الميت وبالفتح الميت بنفسه.

(وقد تأخر رسول الله ﷺ عن صلاة الفجر وكانوا في سفر) قيل: في غزوة تبوك كما عند مسلم، **(وإنما تأخر للطهارة)** أي لأجلها **(فلم ينتظر)** أي لم ينتظره الجماعة، **(و)** لما خشوا من فوات أوّل الوقت **(وقدم عبد الرحمن بن عوف)** رضي الله عنه **(فصلى بهم رسول الله ﷺ ركعة)** واحدة **(فقام يقضيها)** أي بعد سلام الإمام، **(فاشفقنا من ذلك فقال: «أحسنتم. هكذا فافعلوا»)** يشير بذلك إلى اداء الصلاة في أوّل وقتها ولم يؤاخذهم في عدم

الله ﷺ: « قد أحسنتم. هكذا فافعلوا ». وقد تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضي الله عنه حتى جاء رسول الله ﷺ وهو في الصلاة فقام إلى جانبه وليس على الإمام انتظار المؤذن، وإنما على المؤذن انتظار الامام للإقامة، فإذا حضر فلا ينتظر غيره.

الرابعة: أن يؤم مخلصاً لله عز وجل ومؤدياً أمانة الله تعالى في طهارته وجميع شروط صلاته. أما الإخلاص، فبأن لا يأخذ عليها أجرة فقد أمر رسول الله ﷺ عثمان بن أبي العاص الثقفي وقال: « اتخذ مؤذناً لا يأخذ على الأذان أجراً » فالأذان

انتظارهم له. هكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: متفق عليه من حديث المغيرة اهـ.

قلت: صلاته ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف في غزوة تبوك من إفراد مسلم فيها زيادات حسنة.

(وقد تأخر) ﷺ **(في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضي الله عنه حتى جاء** ﷺ **وهم في الصلاة فقام إلى جانبه)**. قال العراقي: متفق عليه من حديث سهل بن سعد اهـ. قلت: وهي صلاة ظهر يوم الإثنين.

(وليس على الإمام انتظار المؤذن وإنما على المؤذن انتظار الإمام للإقامة فإذ حضر فلا ينتظر غيره) ولفظ القوت: وللمؤذن أن ينتظر الإمام وليس على الإمام والمأموم انتظار المؤذن إذا دخل الوقت ولا ينتظر أحداً إذا حضر الإمام ودخل الوقت.

(الرابعة: أن يؤم مخلصاً لله عز وجل) أي مريداً بها وجهه **(وما عنده ومؤدياً أمانة الله في طهارته وجميع شروط صلاته)**. ولفظ القوت: وليكن الإمام مأموناً على طهارته بإتمامها مأموناً في صلاته بإتمامها. **(أما الإخلاص)** المذكور **(فبأن لا يأخذ عليها)** أي على الإمامة **(أجرة)** في مقابلتها، **(فقد أمر رسول الله** ﷺ **عثمان بن أبي العاص الثقفي)** هو أبو عبد الله الطائفي أخو الحكم بن أبي العاص ولها صحبة. قدم على النبي ﷺ في وفد ثقيف، واستعمله النبي ﷺ على الطائف، ثم أقره أبو بكر وعمر مات سنة إحدى وخمسين: روى له الجماعة إلا البخاري **(فقال: « واتخذ مؤذناً لا يأخذ على الأذان أجراً »)** ولفظ القوت: أن يتخذ مؤذناً والباقي سواء.

قال العراقي: أخرجه أصحاب السنن، والحاكم وصححه من حديث عثمان بن أبي العاص. قلت: وأخرجه البيهقي في السنن من طريق حماد بن سلمة، أخبرنا الجريري عن أبي العلاء، عن مطرف، عن عثمان بن أبي العاص قلت يا رسول الله: اجعلني إمام قومي قال « أنت إمامهم فاقتد بأضعفهم واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً ».

طريق إلى الصلاة فهي أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر، فإن أخذ رزقاً من مسجد قد وقف على من يقوم بإمامته أو من السلطان أو من آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه. والكراهية في الفرائض أشد منها في التراويح، وتكون أجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في إقامة الجماعة لا على نفس الصلاة. وأما الامانة، فهي الطهارة باطناً عن الفسق والكبائر والإصرار على الصغائر، فالمترشح

(والأذان طريق إلى الصلاة فهي) أي الصلاة **(أولى بأنْ لا يأخذ عليها أجراً)** ولفظ القوت: فهذا الداعي إلى الصلاة لا يحل له أن يأخذ على دعائه أجراً. فكيف المصلي القائم بين يدي الله عز وجل وبين عباده اهـ.

ولكن قد أجاز المتأخرون أجرة الأذان قياساً على أجرة تعليم القرآن، وقد عقد البيهقي في السنن باباً في رزق المؤذنين قال فيه قال الشافعي: قد رزق المؤذنون أيام عثمان رضي الله عنه، ثم ذكر حديث الذي زوجه النبي ﷺ على سورة من القرآن، ثم حديث ابن عباس في رقية اللديغ من الحية، وقول النبي ﷺ: « إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله » ثم قال: روينا عن أبي محذورة أن النبي ﷺ دعاه حين فرغ من التأذين فأعطاه صرة فيها شيء من فضة. قال الذهبي في المذهب قلت: إنما أعطاه ليتألفه.

وقد مال المصنف إلى جواز أخذ الأجرة على الآذان بشروط وإليه أشار بقوله: **(فإن أخذ رزقاً من المسجد قد وقف على من يقوم بإمامته)** من باني المسجد أو غيره **(أو)** أخذ رزقاً **(من السلطان)** ومن في حكمه **(أو من آحاد الناس)** من جيران المسجد **(فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه)** تنزيهاً. **(والكراهة في الفرائض أشد منها في التراويح)** أي النوافل، **(وتكون أجرة له على مداومته حضور الموضع)** لا سيما إذا كان منزله بعيداً من المسجد **(ومراقبة مصالح المسجد في إقامة الجماعة فيه لا على نفس الصلاة)**، وعلامة ذلك أنه إذا لم يعط الأجرة لا يتشوّش قلبه في إقامة الجماعة على عادته الأولى، وهذه مصيبة قد عمت فقد صار الأمر الآن أن المؤذن أو الإمام أو الخطيب إذا قصر في أداء أجرته ترك عمله نسأل الله العفو.

(وأما الامانة) المذكورة **(فهي الطهارة باطناً عن الفسوق)** وهو الخروج عن إحاطة العلم والطبع والعقل،والفاسق أعم من الكافر وأراد بالفسوق هنا الخروج عن الطاعة بارتكاب الذنب وإن قل ولذلك قال: **(والكبائر)** فعطفه عليه، وفي جمع الجوامع الكبيرة اسم لكل معصية تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة أو كل ما توعد عليه بخصوصه في الكتاب أو السنّة **(والإصرار على الصغائر)** أي الإكباب عليها من غير توبة فهي في حكم الكبائر. ولفظ القوت: فأول ما عليه من الشروط أن يكون مجتنباً للفسوق وهي الكبائر غير مصر على الصغائر، **(فالمترشح للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك جهده)** وطاقته. وقد تقدمت الإشارة إلى

للإمامة ينبغي أن يحترز عن ذلك بجهده فإنه كالوفد والشفيع للقوم، فينبغي أن يكون خير القوم. وكذا الطهارة ظاهراً عن الحدث والخبث فإنه لا يطلع عليه سواه، فإن تذكر في أثناء صلاته حدثاً أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحي بل يأخذ بيد من

كراهة الصلاة خلف الفاسق، وفي حكمه صاحب الكبائر والمبتدع الذي لم يكفر ببدعته، والمصرّ وإنما صحت خلف هؤلاء لما رواه الشيخان أن ابن عمر كان يصلي خلف الحجَّاج. قال الإمام الشافعي: وكفى به فاسقاً، وهكذا ذكر أصحابنا بأن إمامة الفاسق جائزة مع الكراهة، وثبت أن أنس بن مالك أيضاً كان يصلي خلف الحجَّاج إلا أنهم خصوا بها الجمعة لا غير. ويروى عن الحسن البصري قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثاتها وجئنا بأبي محمد يعني الحجاج لغلبناهم، ثم أنه إذا صلى خلف هؤلاء يكون محرزاً لثواب الجماعة، لكن لا ينال ثواب من يصلي خلف تقي صالح محترز عن الأوصاف الذميمة **(فإنه)** أي الإمام **(كالوفد والشفيع للقوم)** عند المستشفع إليه، **(فينبغي أن يكون خير القوم)** فالشفيع إذا كان كاملاً صاحب خير ودين وورع فإنه ممن تقبل وفادته وشفاعته.

فصل

ومشايخنا أهل الكشف يجيزون إمامة الفاسق من غير كراهة ولم يفرقوا بين الفاسق المقطوع بفسقه وبين المظنون فسقه وبين المتأول وبين غيره، وقالوا: المؤمن ليس بفاسق أصلاً إذ لا يقاوم الإيمان شيء مع وجوده في محل العاصي، فإن الفاسق عندهم من خرج عن أصله الذي خلق له وهو أن يعبد الله فإن العبد لا يمكن أن يخرج عن أصله الحقيقي وهو كونه عبداً، فإنه لا بدّ أن يكون عبد الله أو عبداً لهواه فما برح من الرق، فلم يبق خروجه إلا عن الإضافة التي أمر أن ينضاف إليها فتجوز إمامته لأن الموفق من عباد الله يأتم بهذا الفاسق فإنه يراه قائماً بعبوديته في حق هواه الذي فيه شقاؤه فيتعلم منه استيفاء حق العبودية التي أمره الله أن يكون بها عبداً له. فيقول: أنا أولى بهذه الصفة في حق الله من هذا العبد في حق هواه، فلما رأينا أولياء الله كأنس وابن عمر يأتمون به وينفعهم ذلك عند الله، ويكون هذا الاقتداء سبباً لنجاتهم صحت إمامته من غير كراهة، فكل من آمن بالله وقال بتوحيد الله في ألوهيته فالله أجل أن يسمي هذا فاسقاً حقيقة مطلقاً وإن سمي لغة بخروجه عن أمر معين وإن قلّ، والمعاصي لا تؤثر في الإمامة ما دام لا يسمى كافراً. وأما الفسق المظنون فبعيد عن المؤمن إساءة الظن بحيث أن يعتقد فسوق زيد بالظن لا يقع في ذلك مؤمن مرضي الإيمان عند الله، وهذا كله في الأحوال الظاهرة، وأما الباطنة فذلك إلى الله أو من أعلمه الله والله أعلم.

(وكذا الطهارة ظاهراً عن الحدث والخبث) تقدم بيانها في أول الكتاب **(فإنه لا يطلع على ذلك)** أي على اتصافه بأحدهما **(منه أحد سواه)** فإن لم يكن مأموناً فيه أفسد على الناس صلاتهم، **(فإن تذكر في أثناء صلاته حدثاً أو خرج منه ريح)** حالاً **(فلا ينبغي أن**

يقرب منه ويستخلفه، فقد «تذكر رسول الله ﷺ الجنابة في أثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة». وقال سفيان: صلِّ خلف كل بـر وفـاجر إلاَّ مدمن خمر أو معلن بالفسوق أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة أو عبد آبق.

يستحي بل ليأخذ بيد من يقرب منه وليستخلفه). ولفظ القوت: وإن حدثت عليه حادثة في الصلاة أو ذكر أنه على غير وضوء فزع واتقى الله تعالى وخرج من صلاته آخذاً بيد أقرب الناس إليه فاستخلفه في صلاته، **(فقد تذكر رسول الله ﷺ أنه جنب في أثناء الصلاة)**. ولفظ القوت: وقد أصاب ذلك رسول الله ﷺ إمام الائمة خرج من الصلاة ذكر أنه جنب. زاد المصنف على القوت، **(فاستخلف ثم خرج)** وهذه زيادة منكرة، وإنما الذي في القوت بعد قوله جنب، **(فاغتسل ثم رجع فدخل في الصلاة)**. وهكذا أخرجه أبو داود من حديث أبي بكرة بإسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف، وإنما قال: ثم أومأ إليهم أن مكانكم. نعم ورد الاستخلاف من فعل عمر وعلي، وعند البخاري استخلاف عمر في قصة طعنه، ثم قال صاحب القوت: فإن كان الحادثة في الصلاة فعل ذلك وإن كان ذكر أنه دخل في الصلاة على غير طهارة خرج ولم يستخلف وابتدأ القوم الصلاة. **(وقال سفيان)** هو الثوري كما يفهم من إطلاقه، ويحتمل أن يكون ابن عيينة **(صلِّ خلف كل بر وفاجر)** فإن الصلاة خلف الفاجر صحيحة مع كراهة عند أبي حنيفة والشافعي، وسبب الكراهة عدم اهتمامه بأمر دينه وقد يخل ببعض الواجبات. وأخرج الدارقطني، وابن حبان، والبيهقي من حديث أبي هريرة «صلّوا خلف كل بر وفاجر وعلى كل بر وفاجر وجاهدوا مع كل بر وفاجر». وطرقه كلها واهية. وقال الحاكم: منكر. وأخرج الدارقطني، وابن عدي، والطبراني، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر «صلوا على من قال لا إله إلا الله وصلوا خلف من قال لا إله إلا الله» وطرقه كلها ضعيفة. **(إلا مدمن خمر)** أي المداوم على شربها، **(أو معلن بالفسوق)** أي مجاهر به، **(أو عاق لوالديه، أو صاحب بدعة)** أي مرتكبها سواء أحدثها هو أو اتبع غيره فيها، **(أو عبد آبق)** من سيده لا لإضرار، فإن هؤلاء كلهم غير مرضيين عند الله تعالى، وصلاتهم موقوفة بين السماء والأرض حتى يرجعوا أو يتوبوا، ثم هذا الذي ذكره عن سفيان هو معتقد السلف، فقد روي ذلك عن إمامنا الأعظم وأصحابه وعن بقية الفقهاء المشهورين.

وقد عقد اللالكائي باباً في كتاب السنّة في ذكر معتقدات السلف وروى ذلك بأسانيده إليهم فقال في معتقد الثوري بسند إلى شعيب بن حرب حين سأله عن السنّة فذكر له أشياء منها: يا شعيب لا ينفعك ما كتبت حتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر. قال شعيب، فقلت لسفيان: الصلاة كلها؟ قال: لا. ولكن صلاة الجمعة والعيدين. صلّ خلف كل من أدركت. وأما سائر ذلك فأنت مخير لا تصلي إلا خلف من تثق به وتعلم أنه من أهل السنة والجماعة.

وقال في معتقد ابن حنبل: وأمير المؤمنين البر والفاجر وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولي

الخامسة: أن لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليلتفت يميناً وشمالاً فإن رأى خللاً أمر بالتسوية. قيل: كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ

جائزة تامة ركعتين من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنّة ليس فيه من فضل الجمعة شيء إذ لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برهم وفاجرهم. والسّنة أن تصلي معهم ركعتين وتدين بها تامة ولا يكن في صدرك من ذلك شك.

وقال في معتقد علي بن المديني بمثل هذا السياق سواء.

وقال في معتقد سهل بن عبد الله التستري: ولا يترك الجماعة خلف كل وال جار أو عدل، وقد عرف من سياق هذه المعتقدات ان المراد بالصلاة في قوله: صلّوا خلف فاجر وبر الجمعة خاصة إذا كان لا يتقدم للخطبة والصلاة إذا ذاك إلا الأمراء والولاة بأنفسهم ولما اشتغلوا بأنفسهم ناب عنهم من يصلي بالناس الجمعة، فرجع الأمر إلى كل صلاة وأنها تجوز خلف الفاجر، وفي قول سفيان: أو صاحب بدعة المراد به البدعة التي لا تكفر صاحبها وإلاّ لم تصح إمامته كما قدمناه، والاقتداء بأهل الأهواء صحيحة إلا الجهمية والقدرية والروافض الغالية والخطابية ومن يقول بخلق القرآن والمشبهة، ونحوهم ممن تكفره بدعته، وقد روى محمد عن أبي حنيفة وأبي يوسف أن الصلاة خلف أهل الأهواء لا تجوز، والصحيح انها تجوز على الحكم الذي ذكرنا مع الكراهة.

(**الخامسة: أن لا يكبر الإمام حتى تستوي**). ولفظ القوت: تعتدل (**الصفوف**) وراءه (**فليلتفت يميناً وشمالاً فإن رأى خللاً**) فيها أو اعوجاجاً (**أمر بالتسوية**) قائلاً: سووا صفوفكم يرحمكم الله تعالى. ولفظ القوت: فإن رأى اعوجاجاً أشار بيده، وإن رأى خللاً أمر بسده، فإن اتمام الصفوف من تمام الصلاة اهـ.

ويجوز أن يسويها غير الإمام، ولكن الإمام أولى والسر في تسويتها مبالغة المتابعة. وقد أخرج أحمد، والشيخان، وأبو داود، وابن ماجه من حديث أنس واللفظ للبخاري «سووا صفوفكم فإن تسوية الصف من إقامة الصلاة». وقد أخذ بظاهره ابن حزم فأوجب التسوية لأن الإقامة واجبة وكل شيء من الواجب واجب ومنع بأن حسن الشيء زيادة على تمامه، ولا يضره رواية «من تمام الصلاة» لأن تمام الشيء عرفاً أمر زائد على حقيقته غالباً، وأخرج الدارمي في مسنده من حديث البراء بن عازب «سووا صفوفكم لا تختلف قلوبكم» وعند البخاري، وأبي داود، وابن ماجه من حديث النعمان بن بشير «لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم» وفي رواية للبخاري «بين وجوهكم». وعند أحمد من حديث أبي أمامة «لتسون الصفوف أو لتطمسن الوجوه» وفي الباب أحاديث كثيرة.

(**قيل: كانوا يتحاذون بالمناكب**) أي يجعل كل واحد منكبه حذاء منكب أخيه (**ويتضامون بالكعاب**) جمع كعب وهو العظم الناتيء عند ملتقى الساق والقدم، ولكل قدم

المؤذن من الإقامة. والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس للصلاة.

كعبان عن يمنتها ويسرتها صرح به الأزهري وغيره من أئمة اللغة، وهو كعب الوضوء لا كعب الإحرام. ولفظ القوت وكان السلف يتحاذون بين المناكب ويتضامون بالكعاب اهـ.

وهذا ما لم يؤذ جاره، وروى مسلم من حديث جابر بن سمرة خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ قلنا: وكيف تصف عند ربها؟ قال: يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف». والمطلوب من تسويتها محبة الله لعباده. **(ولا يكبّر)** أي لا يقول الإمام «الله أكبر» **(حتى يفرغ المؤذن من الإقامة)** وفي عقيبها يأتي بالتكبير وهو المذهب عنده، ومذهبنا يكبر عند قول المقيم قد قامت الصلاة، وفي القوت وليأخذ في الصلاة مكبراً إذا قال المؤذن: قد قامت الصلاة، ويكون الناس قد قاموا إذ قال المؤذن حي على الصلاة قام الناس للدعوة، فإذا قال قد قامت الصلاة كبّر الإمام أي قد قام الناس للصلاة أو قد قام المصلون، لأن الصلاة لا تقوم إذا قاموا عند قوله قد قامت الصلاة، ولم يكن المؤذن قد كذب في قوله، وإن كان جائزاً على المجاز لقرب الوقت وظهور سبب القيام، ولذلك كره أن يكون الإمام مؤذناً لأنه حينئذ يحتاج أن يكبّر ويدخل الناس في قوله: قد قامت الصلاة. ولذلك جاء عن السلف: من السنّة أن يكون الأذان في المنارة والإقامة في المسجد ليقرب على المؤذن الدخول في الصلاة اهـ.

تنبيه:

اختلفوا في المأموم متى ينبغي أن يقوم إلى الصلاة إذا كان في المسجد ينتظر الصلاة، فمن قائل في أول الإقامة، ومن قائل عند قوله حي على الصلاة، ومن قائل عند قوله حي على الفلاح، ومن قائل حتى يرى الإمام، ومن قائل لا توقيت في ذلك. وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «لا تقوموا حتى تروني» فإن صح هذا الحديث وجب العمل به ولا يعدل عنه. وقال مشايخنا أهل الفقه ان الظاهر في ذلك يقوم عند الحيعلتين ويكبّر الإمام عند لفظ الإقامة، ومشايخنا أهل الكشف الباطن يقولون: عليه المسارعة في أول الإقامة والحديث المذكور، فإن حكم النبي في هذه المسألة بانتظارنا إليه ولا نقوم حتى نراه كما أمر ما هو كحالنا اليوم، فإن زمان وجود النبي كان الأمر جائزاً أن ينسخ وأن يتجدد حكم آخر، فكان ينبغي أن لا يقوموا لقول المؤذن حتى يروا النبي ﷺ خرج إلى الصلاة، فيعلمون عند ذلك أنه ما حدث أمر يرفع حكم ما دعوا إليه بخلاف اليوم، فإن حكم القيام إلى الصلاة باق فيقوم إذا سمع المؤذن يقيم مسارعاً والله أعلم.

(والمؤذن يؤخر الإقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس). ولفظ القوت: ويمد المؤذن صوته جهده ويزيد في رفعه إذا رجع بذكر الشهادتين، فإن تمهل بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من أكله والمتوضىء من وضوئه، فهذا توقيت لاكمل أشغال المصلين بما لا بدّ منه، ومن كانت به حاجة إلى هذين فليقدمها قبل دخوله في الصلاة لئلا يشغله عن صلاته شيء.

ففي الخبر: «ليتمهل المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره»، وذلك لأنه نهى عن مدافعة الأخبثين، وأمر بتقديم العشاء على العشاء طلباً لفراغ القلب.

السادسة: أن يرفع صوته بتكبيرة الإحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه. وينوي الإمامة لينال الفضل فإن لم ينوِ صحت صلاته وصلاة

(ففي الخبر «ليتمهل المؤذن بين الأذان والإقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره»). هكذا أورده صاحب القوت.

وقال العراقي: أخرجه الترمذي، والحاكم من حديث جابر «يا بلال اجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الأكل من أكله والشارب من شربه والمعتصر إذا دخل لقضاء حاجته» قال الترمذي: إسناده مجهول. وقال الحاكم: ليس في إسناده مطعون فيه غير عمرو بن فائد. قال العراقي: بل فيه عبد المنعم الرياحي منكر الحديث قاله البخاري وغيره اهـ.

قلـت: وأخرجه كذلك عبد بن حميد، والشاشي، وأبو الشيخ في الأذان، والبيهقي وضعفه، وسعيد بن منصور في سننه كلهم عن جابر بلفظ: «يا بلال إذا أذنت فترسّل في أذانك وإذا أقمت فاحدر واجعل بين أذانك وبين إقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شرابه والمعتصر إذا دخل لقضاء الحاجة ولا تقوموا حتى تروني» وأخرجه بهذا اللفظ أيضاً أبو الشيخ في الأذان، والبيهقي عن أبي هريرة إلى قوله: «لقضاء حاجته». وأخرج عبدالله بن أحمد في زوائد المسند من حديث أبيّ بن كعب بلفظ: «يا بلال اجعل بين أذانك وإقامتك نَفَساً يفرغ الآكل من طعامه في مهل ويقضي المتوضىء حاجته في مهل».

قلت: والمعتصر: هو الذي غلب عليه البول أو الغائط من اعتصر العنب إذا استخرج ماءه.

(وذلك لأنه نهى عن مدافعة الاخبثين). أخرج مسلم من حديث عائشة بلفظ: «لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان» كذلك رواه أبو داود. ولفظ البيهقي: «لا يصلين» وقد تقدم ذلك. **(وأمر بتقديم العشاء)** وهو بفتح العين وما يؤكل في آخر النهار **(على العشاء)** بالكسر. تقدم أيضاً من حديث ابن عمر وعائشة «إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء» متفق عليه **(طلباً لفراغ القلب)** ولفظ القوت: وذلك ليكون القلب فارغاً لربه عز وجل والهم خالياً من نوائبه وذلك من إقامة الصلاة وتمامها.

(السادسة: أن يرفع) الإمام **(صوته بتكبيرة الإحرام)** ليسمع من وراءه من المصلين **(و)** كذا **(سائر التكبيرات)** أي في الانتقالات ليعلم بها من وراءه، **(ولا يرفع المأموم صوته)** بالتكبير **(إلا على قدر ما يسمع نفسه)** فقط لأن المقصود بالرفع الاعلام، والمأموم يقتدي بغيره فلا يطلب منه ذلك، **(وينوي)** الإمام **(الإمامة)** بعد أن يحضر في ذهنه ذات

القوم إذا نووا الاقتداء. ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الإمامة، وليؤخر المأموم تكبيره عن تكبيرة الإمام فيبتدىء بعد فراغه، والله أعلم.

وأما وظائف القراءة فثلاثة:

أولها: أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوّذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة بعدها في

الصلاة وما يجب التعرض له من صفاتها كالظهرية والفرضية، ثم يقصد هذا المعلوم قصداً مقارناً لأول التكبير (**لينال الفضل، فإن لم ينوِ صحت صلاته و**) صحت (**صلاة القوم إذا نووا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الإمامة**). وعند أصحابنا لا يحتاج الإمام في صحة الاقتداء به إلى نية الإمامة إلا في حق النساء خلافاً لزفر، وأما المقتدي فينوي الاقتداء بالإمام. وقد تقدم في بحث النية بأوضح من ذلك فليطلب من هناك، والاعتبار في ذلك أن المصلي ينبغي أن لا يكون له شغل إلا بربه ولا بغير ربه، فإن الصلاة قسمها الله بينه وبين المصلي فليس له أن ينوي الإمامة، ومن أدخل حكم رعاية المأموم في هذا القول قال: ينوي التوجه إلى الله وإلى القبلة، والقربة بهذه العبادة إلى الله تعالى، والإمامة بالمأمومين وكذلك ينوي المأموم بهذه العبادة القربة إلى الله تعالى والائتمام بالإمام، وكل مصيب بحسب ما يقع له ويشهده الحق في مناجاته والله أعلم.

(**وليؤخروا تكبيرهم عن تكبير الإمام فيبتدئوا**) فيه (**بعد فراغه**) منه. ولفظ القوت: وعلى المأموم أن لا يصل تكبيره بتكبير الإمام فإنه من المواصلة المنهي عنها كما سيأتي.

قلت: والأصل في ذلك حديث أبي هريرة: «إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبّر فكبّروا» الحديث. أي: فينبغي أن يكون تكبير المأمومين بعد تكبير الإمام. وهو مذهب الشافعي، وصرح أصحابه فقالوا: إن قارنه في تكبيرة الإحرام لم تنعقد صلاته أو في غيره من الأفعال فهو مكروه.

وفي شرح التقريب للعراقي نقل ابن بطال عن ابن حبيب عن مالك قال: ويفعل المأموم مع الإمام إلا في الإحرام والقيام من اثنتين والسلام فلا يفعله إلا بعده. وروى سحنون عن ابن القاسم في العتبية: إن أحرم معه أجزاه، وبعده أصوب وهو قول عبدالعزيز بن سلمة. وفي المجموعة عن مالك: إن أحرم معه أو سلم يعيد الصلاة وقاله أصبغ. وقال أبو حنيفة، وزفر، ومحمد، والثوري: يكبّر في الإحرام مع الإمام. وقال أبو يوسف، والشافعي: لا يكبر المأموم حتى يفرغ الإمام من التكبير، وتوجيه قول من جوّز تكبيره معه أن الائتمام معناه الامتثال لفعل الإمام فهو إذاً فعل مثل فعله فسواء أوقعه معه أو بعده فقد حصل ممتثلاً لفعله اهـ.

وذكر ابن حزم أنه متى فارق الإمام في شيء من الأفعال بطلت صلاته اهـ.

وسيأتي تمام البحث في الثانية من وظائف الأركان.

ووظائف القراءة ثلاث:

أولها: أن يسر بدعاء الاستفتاح). وهو قوله: «وجهت وجهي» إلخ. (**و**) كذا

جميع الصبح وأولي العشاء والمغرب، وكذلك المنفرد. ويجهر بقوله: «آمين» في الصلاة

(التعوّذ) وهو قوله: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» **(كالمنفرد)** أي هو سواء **(ويجهر)** الإمام **(بالفاتحة والسورة بعدها في جميع)** ركعتي الصبح **(وأولي العشاء والمغرب، وكذا المنفرد)** فإنه يجهر كذلك. **(ويجهر بقوله: «آمين» في صلاة الجهر)** خاصة اتباعاً للسنة.

أخرج أبو داود، والترمذي عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن حجر بن عنبس، عن وائل بن حجر واللفظ لأبي داود قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته». ولفظ الترمذي: ومدّ بها صوته. وقال: حديث حسن. ورواه شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن حجر أبي العنبس، عن علقمة بن وائل، عن أبيه وقال فيه: وخفض بها صوته. قال: وسمعت محمداً يقول: حديث سفيان أصح من حديث شعبة، وأخطأ فيه شعبة في مواضع فقال: عن حجر أبي العنبس، وإنما هو حجر بن العنبس ويكنى أبا السكن، وزاد فيه عن علقمة وليس فيه علقمة، وإنما هو حجر عن وائل وقال: وخفض بها صوته، وإنما هو: ومدّ بها صوته. وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث فقال: حديث سفيان أصح من حديث شعبة اهـ. كلام الترمذي.

وأخرج أبو داود، والترمذي أيضاً، عن علي بن صالح الأسدي، عن سلمة بن كهيل، عن حجر بن عنبس، عن وائل بن حجر، عن النبي ﷺ: «أنه صلّى فجهر بآمين وسلم عن يمينه وشماله وسكتا عنه».

وأخرج النسائي عن قتيبة، عن أبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن عبد الجبار بن وائل، عن أبيه قال: «صليت خلف رسول الله ﷺ فلما افتتح الصلاة كبر ورفع يديه حتى حاذتا أذنيه ثم قرأ فاتحة الكتاب فلما فرغ منها قال آمين يرفع بها صوته».

وأخرج أبو داود، وابن ماجه، عن بشر بن رافع، عن أبي عبدالله ابن عم أبي هريرة، عن أبي هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ إذا تلا غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين حتى يسمع من يليه من الصف الأول». زاد ابن ماجه: «فيرتج بها المسجد». ورواه ابن حبان في صحيحه في النوع الرابع من الخمس الخامس ولفظة: «كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من قراءة أم القرآن رفع بها صوته وقال آمين».

فصل

وقال أصحابنا: يسر بآمين كما يسر بالاستفتاح والتعوّذ، كما روى محمد بن الحسن في الآثار. حدثنا أبو حنيفة، حدثنا حماد عن ابراهيم قال: «أربع يخفيهن الإمام: التعوّذ والبسملة وسبحانك اللهم وآمين». اهـ.

وروي ذلك عن ابن مسعود ذكره ابن حزم بسند معلق، وفي مصنف عبدالرزاق أخبرنا

الجهرية، وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معاً لا تعقيباً، ويجهر: « ببسم

معمر عن حماد به، ثم قال: وأخبرنا الثوري عن منصور عن ابراهيم قال: « خمس يخفيهن الإمام » فذكرها.

وأخرج أحمد، والطيالسي، وأبو يعلى في مسانيدهم، والطبراني في معجمه، والدارقطني في سننه، والحاكم في المستدرك من حديث شعبة، عن سلمة بن كهيل، عن حجر بن العنبس، عن علقمة بن وائل، عن أبيه: « أنه صلى مع النبي ﷺ فلما بلغ غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين وأخفى بها صوته ». ولفظ الحاكم: وخفض بها صوته. وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الدارقطني: هكذا قال شعبة وأخفى بها صوته. ويقال: انه وَهِمَ فيه لأن سفيان الثوري ومحمد بن سلمة بن كهيل وغيرهما رووه عن سلمة فقالوا: ورفع بها صوته وهو الصواب.

وقال الطبري في تهذيب الآثار روى الجهر بها عن جماعة من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود. وروى النخعي والشعبي وابراهيم التيمي أنهم كانوا يخفون بها. والصواب أن الخبرين بالجهر بها والمخافتة صحيحان، وعمل بكل من فعليه جماعة من العلماء وإن كنت اختار خفض الصوت بها إذ كان أكثر الصحابة والتابعين على ذلك، والله أعلم.

(**ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام معاً لا تعقيباً**) لما ورد: إذا أمَّن الإمام فأمنوا.

قال العراقي في شرح الترمذي، فإن قيل: إن قوله فأمّنوا بفاء التعقيب يدل على أن يكون تأمينه عقيب تأمين الإمام، وقد قلتم في قوله: فإذا كبّر فكبروا أنه يدل على تأخير تكبير المأموم عن تكبير الإمام وتعللتم بأن الفاء للتعقيب وهو يدل على ذلك. فالجواب: إن الذي صرفنا عن التعقيب هنا قوله ﷺ: « إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين » فعقب قول الإمام ولا الضالين بتأمين المأموم وهو محل تأمين الإمام، وصرفنا عن القول بمثل هذا في حديث: « فإذا كبّر فكبّروا » ما جاء في حديث أبي هريرة عند أبي داود: « فإذا كبّر فكبّروا ولا تكبروا حتى يكبر » وفائدة هذه الزيادة احتمال المقارنة والله أعلم.

(**ويجهر « ببسم الله الرحمن الرحيم »**) اعلم أن في قراءتها في الصلاة ثلاثة أقوال. **أحدها:** أنها واجبة وجوب الفاتحة لكونها آية منها وهو مذهب الشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد وطائفة من أهل الحديث، **والثاني:** أنها مكروهة سراً وجهراً وهو المشهور عن مالك، **والثالث:** انها جائزة بل مستحبة وهو مذهب أبي حنيفة والمشهور عن أحمد وأكثر أهل الحديث، ثم مع قراءتها هل يسن الجهر بها أو لا؟ فيه ثلاثة أقوال: **أحدها:** يسن الجهر بها وبه قال الشافعي ومن وافقه، **والثاني:** لا يسن وبه قال أبو حنيفة وجمهور أهل الحديث والرأي وفقهاء الامصار وجماعة من أصحاب الشافعي، وقيل: يخير بينهما وهو قول إسحاق بن راهويه وابن حزم. قال الزيلعي الحافظ من أصحابنا: وكان بعض العلماء يقول بالجهر سداً للذرائع. قال: ويسوغ للإنسان أن يترك الأفضل لأجل تأليف القلوب واجتماع الكلمة خوفاً من التنفير، وقد نص أحمد وغيره على

الله الرحمن الرحيم » والأخبار فيه متعارضة، واختيار الشافعي رضي الله عنه الجهر.

ذلك في البسملة وفي وصل الوتر وغير ذلك مما فيه العدول عن الأفضل إلى الجائز المفضول مراعاة لائتلاف المأمومين أو لتعريفهم السنة وأمثال ذلك، وهذا أصل كبير في سد الذرائع اهـ.

قلت: وممن قال بسنية الإخفاء بها من الشافعية الإمام أبو طالب المكي صاحب القوت فإنه قال فيه: ولا أستحب للإمام الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وإن كانت آية من سورة الحمد، فأكثر الروايات رأيتها عن رسول الله ﷺ ترك الجهر بها وأنه الآخر من فعله، وقد يأخذون الآخـر فالآخر من فعله ﷺ، ولمواطأة فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لذلك وهو مذهب الأكثرين من الصحابة والعلماء، وقد روينا عن علي وابن عباس وابن مسعود كراهة الجهر بها. وقال ابن عباس: ليس من السنّة الجهر بها. وقال ابن مسعود: من السنة اخفاؤها اهـ.

(والاخبار فيها) هل يجهر بها أم لا **(متعارضة، واختيار الشافعي رضي الله عنه الجهر).**

قلت: قد أفرد هذه المسألة بالتصنيف جماعة. منهم ابن خزيمة، وابن حبان، والدارقطني، والبيهقي، وابن عبد البر، والخطيب البغدادي وآخرون. وقد أذكر هنا أحاديث الطرفين والآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم مقدماً أحاديث الجهر مراعاة لمذهب المصنف مع الكلام على كل حديث وأثر مما اقتضاه المقام مع كمال انصاف وعدم تعصب متوكلاً على الله معتمداً على مواهبه جل جلاله، ومع ذلك فلكل وجهة ولكل نصيب فيما اجتهد فيه. فأقول: للقائلين بالجهر تسعة أحاديث وخمسة آثار.

أما الأحاديث، فأولها: وهو أجودها حديث أبي هريرة أخرجه البيهقي في السنن من طريق حيوة بن شريح والليث واللفظ له. حدثنا خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال، عن نعيم المجمر قال: « صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قرأ بأمّ القرآن وقال آمين وقال الناس آمين، ويقـول كلما سجد الله أكبر وإذا قام من الجلوس قال الله أكبر ويقول إذا سلّـم والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ ». وقال: إسناده صحيح وله شواهد. وقال في الخلافيات: رواته كلهم ثقات مجمع على عدالتهم محتج بهم في الصحيح.

وأخرجه النسائي في سننه فقال: باب الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم. أخبرنا محمد بن عبدالله بن عبدالحكم، أخبرنا شعيب، أخبرنا الليث بن سعد فذكره، ورواه ابن خزيمة في صحيحه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه وقال: إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والدارقطني في سننه وقال: حديث صحيح. ورواته كلهم ثقات، والجواب عنه من وجوه:

أحدها: أنه حديث معلول فإن ذكر البسملة فيه مما تفرد به نعيم المجمر من بين أصحاب أبي هريرة وهم ثمانمائة ما بين صاحب وتابع، ولا يثبت عن ثقة من أصحاب أبي هريرة أنه حدث عن أبي هريرة أنه ﷺ كان يجهر بالبسملة في الصلاة، وقد أعرض عن ذكر البسملة صاحبا

الصحيح، فرواه البخاري من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن: «أن أبا هريرة كان يكبّر في كل صلاة من المكتوبة وغيرها، فيكبّر حين يقوم ثم يكبّر حين يركع ثم يقول: سمع الله لمن حمده، ثم يقول: ربنا لك الحمد، ثم يقول: الله أكبر حين يهوي ساجداً، ثم يكبر حين يرفع رأسه من السجود، ثم يكبّر حين يسجد، ثم يكبر حين يرفع رأسه من السجود، ثم يكبر حين يقوم من الجلوس في الاثنتين، وذلك في كل ركعة حتى يفرغ من الصلاة ثم يقول حين ينصرف: والذي نفسي بيده إني لأقربكم شبهاً بصلاة رسول الله ﷺ إن كانت هذه لصلاته حتى فارق الدنيا». ورواه مسلم بنحو ذلك. هذا هو الصحيح الثابت عن أبي هريرة. قال ابن عبد البر: وكأنه كان ينكر على من ترك التكبير في رفعه وخفضه، قال: ويدل على أنهم كانوا يفعلون ذلك ما رواه النسائي من طريق ابن أبي ذئب، عن سعيد بن سمعان، عن أبي هريرة أنه قال: «ثلاث كان يفعلهن رسول الله ﷺ تركهن الناس. كان إذا قام إلى الصلاة رفع يديه مداً. وكان يقف قبل القراءة هنيهة، وكان يكبّر في كل خفض ورفع». ورواه ابن أبي ذئب في موطئه كذلك باللفظ المذكور، ورواه البخاري في القراءة خلف الإمام، وأبو داود الطيالسي في مسنده، وهذا حديث حسن ورواته ثقات. وسعيد بن سمعان الأنصاري صدوق وثقه النسائي وابن حبان، وليس للتسمية في هذا الحديث ولا في الأحاديث الصحيحة عن أبي هريرة ذكر، وهذا مما يغلب على الظن أنه وهم على أبي هريرة.

فإن قيل: قد رواها نعيم المجمر وهو ثقة والزيادة من الثقة مقبولة. قلنا: ليس ذلك مجمعاً عليه، بل فيه خلاف مشهور، فمن الناس من يقبل زيادة الثقة مطلقاً، ومنهم من لا يقبلها. والصحيح التفصيل وهو أنها تقبل في موضع دون موضع، فتقبل إذا كان الراوي لها ثقة حافظاً ثبتاً والذي لم يذكرها مثله أو دونه في الثقة، ولا تقبل في موضع آخر لقرائن تخصها، ومن حكم في ذلك حكماً عاماً فقد غلط بل كل زيادة لها حكم يخصها، ففي موضع يجزم بصحتها، وفي موضع يغلب على الظن صحتها، وفي موضع يتوقف فيها. وزيادة نعيم المجمر التسمية في هذا الحديث مما يتوقف فيه بل يغلب على الظن ضعفه، وعلى تقدير صحتها فلا حجة فيها للقائل بالجهر لأنه قال: فقرأ أو فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، وذلك أعم من قراءتها سراً أو جهراً، وإنما هو حجة على من لا يرى قراءتها.

فإن قيل: لو كان أبو هريرة: أسرّ بالبسملة وجهر بالفاتحة لم يعبر عن ذلك نعيم بعبارة واحدة متناولة للفاتحة والبسملة تناولاً واحداً، ولقال: فأسرّ بالبسملة ثم جهر بالفاتحة والصلاة كانت جهرية بدليل تأمينه وتأمين المأمومين. قلنا: ليس الجهر فيه بصريح ولا ظاهر يوجب الحجة، ومثل هذا لا يقدم على النص الصريح المقتضي للإسرار، ولو أخذ الجهر من هذا الإطلاق لأخذ منه أنها ليست آية من أم القرآن، فإنه قال: فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قرأ أم القرآن والعطف يقتضي المغايرة.

....

الوجه الثاني: إن قوله: فقرأ أو قال ليس بصريح أنه سمعها منه، إذ يجوز أن يكون أبو هريرة أخبر نعيماً بأنه قرأها سراً، ويجوز أن يكون سمعها منه في مخافتته لقربه منه، كما روي عنه من أنواع الاستفتاح وألفاظ الذكر في قيامه وقعوده وركوعه وسجوده، وقد روى مسلم في الصحيح عن علي أن النبي ﷺ كان يقول إذا قام في الصلاة: «وجهت وجهي» الحديث. ولم يكن سماع الصحابة ذلك منه دليلاً على الجهر، وكذا قوله: وكان يسمعنا الآية أحياناً.

الوجه الثالث: إن قوله: إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ إنما أراد به أصل الصلاة ومقاديرها وهيئاتها وتشبيه الشيء بالشيء لا يقتضي أن يكون مثله من كل وجه، بل يكفي في غالب الأفعال وذلك متحقق في التكبير وغيره دون البسملة فإن التكبير وغيره من أفعال الصلاة ثابت صحيح عن أبي هريرة، وكان مقصوده الرد على من تركه. أما التسمية ففي صحتها عنه نظر فينصرف إلى الصحيح الثابت دون غيره، وكيف يظن بأبي هريرة أنه يريد التشبيه في الجهر بالبسملة وهو الراوي عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» الحديث. وقد سبق ذكره، وأنه أخرجه مسلم في صحيحه عن سفيان، ومالك، وابن جريج كلهم عن العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه وأبي السائب كلاهما عنه، فهو ظاهر في أن البسملة ليست من الفاتحة، وإلاّ لابتدأ بها لأن هذا محل بيان واستقصاء لآيات السورة، حتى أنه لم يخل منها بحرف والحاجة إلى قراءة البسملة أمسّ ليرتفع الاشكال. قال ابن عبدالبر: حديث العلاء هذا قاطع تعلق المتنازعين وهو نص لا يحتمل التأويل، ولا أعلم حديثاً في سقوط البسملة أبين منه، واعترض بعض المتأخرين على هذا الحديث بأمرين.

أحدهما: قال: لا تغتر بكون هذا الحديث في مسلم فإن العلاء بن عبدالرحمن تكلم فيه ابن معين، فقال الناس: يتقون حديثه ليس حديثه بحجة مضطرب الحديث ليس بذاك هو ضعيف روى عنه جميع هذه الألفاظ. وقال ابن عدي: ليس بالقوي، وقد انفرد بهذا الحديث فلا يحتج به.

الثاني: قال: وعلى تقدير صحته فقد جاء في بعض الروايات عنه ذكر التسمية، كما أخرجه الدارقطني عن عبدالله بن يزيد بن سمعان عن العلاء فذكره. وهذه الرواية وإن كان فيها ضعف ولكنها مفسرة لحديث مسلم أنه أراد السورة لا الآية. وهذا القائل حمله الجهل وفرط التعصب على أن ترك الحديث الصحيح وضعفه لكونه غير موافق لمذهبه. وقال: لا تغتر بكونه في مسلم مع أنه قد رواه عن العلاء الأئمة الثقات كمالك وأضرابه ممن تقدم ذكرهم آنفاً عند ذكر المصنف لهذا الحديث، ولم يذكروا هذه الزيادة. والعلاء نفسه ثقة صدوق من رجال الصحيحين، وهذه الرواية مما انفرد بها ابن سمعان وهو كذاب، ولم يخرجها أحد من أصحاب الكتب الستة، ولا في المصنفات المشهورة، ولا المسانيد المعروفة، وإنما رواه الدارقطني في سننه وفي كتاب العلل مع أنه نبه في كل منهما على حال ابن سمعان بأنه متروك ضعيف، وحسبك بالأول قد أودعه مسلم في

....

صحيحه وزيادة ابن سمعان باطلة قطعاً زادها خطأ أو عمداً، فإنه متهم بالكذب مجمع على ضعفه، ومن هنا يظهر أن ما أورده الشهاب السهروردي من طريق آدم بن أبي إياس عن العلاء بمثل زيادة ابن سمعان ينظر فيه إن لم تختلط رواية برواية، فإنهم أجمعوا على أن أصحاب العلاء لم يذكر أحد هذه الزيادة في حديث أبي هريرة، ولو كانت رواية آدم ثابتة عندهم ما احتاجوا إلى الاستدلال برواية ابن سمعان، فكيف يعل الحديث الصحيح الذي رواه مسلم بالحديث الضعيف الذي رواه الدارقطني، وهلا جعلوا الحديث الصحيح علة للضعيف؟ ومخالفة أصحاب أبي هريرة الثقات لنعيم موجباً لرده إذ مقتضى العلم أن يعل الحديث الضعيف بالحديث الصحيح. والله أعلم.

تنبيه:

رواية العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة رواها ابن عيينة، وتابعه شعبة، وروح بن القاسم، والدراوردي وإسماعيل بن جعفر، وجماعة. ورواية العلاء عن أبي السائب عن أبي هريرة رواها مالك، وتابعه ابن جريج، وابن إسحاق، والوليد بن كثير. وقد جمع مسلم بين الروايتين جمعاً وإفراداً، وليس هذا الاختلاف علة فإن العلاء سمعه من أبيه ومن أبي السائب، ولهذا يجمعها مسلم تارة وتارة يفرد أباه وتارة يفرد أبا السائب والله أعلم.

ولأبي هريرة حديث آخر أخرجه الخطيب في الجزء الذي صنفه في هذه المسألة فساق من طريق أبي أويس المدني واسمه عبدالله بن أويس قال: أخبرني العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة: «أن النبي ﷺ كان إذا أمَّ الناس جهر ببسم الله الرحمن الرحيم». ورواه الدارقطني في السنن، وابن عدي في الكامل فقالا فيه: «قرأ» بدل «جهر» وكأنه رواه بالمعنى، والجواب لو ثبت هذا عن أبي أويس فهو غير محتج به، لأن أبا أويس لا يحتج بما انفرد به، فكيف إذا انفرد بشيء وخالفه فيه من هو أوثق منه مع انه تكلم فيه فوثقه جماعة وضعفه آخرون، وممن ضعفه أحمد بن حنبل، وابن معين، وأبو حاتم الرازي. وممن وثقه الدارقطني، وأبو زرعة. وروى له مسلم في صحيحه. ومجرد الكلام في الرجل لا يسقط حديثه. ولو اعتبرنا ذلك لذهب معظم السنة إذ لم يسلم من كلام الناس إلا من عصمه الله تعالى، بل خرج في الصحيح لخلق ممن تكلم فيهم، ولكن صاحبا الصحيح إذا أخرجا لمن تكلم فيه فإنهم ينتقون من حديثه ما توبع عليه، وظهرت شواهده وعلم أن له أصلاً ولا يروون ما تفرّد به سيما إذا خالفه الثقات. وهذه العلة راجت على كثير من الناس ممن استدرك على الصحيحين فتساهلوا في استدراكهم، إذ لا يلزم من كون الراوي محتجاً به في الصحيح أنه إذا وجد في أي حديث كان يكون ذلك الحديث على شرطه، وقد يوجد في الصحيح رجل روى عن معين لضبطه حديثه وخصوصيته به، ولم يخرجا حديثه عن غيره لضعفه فيه، أو لعدم ضبطه لحديثه، أو لكونه غير مشهور عنه، فيجيء المستدرك فيخرجه عن غير ذلك المعين ثم يقول: هذا على شرط الشيخين أو أحدهما، وهذا فيه تساهل كبير ينبغي التنبه لذلك فحديث أبي أويس هذا لم يترك لكلام الناس فيه، بل لتفرده به

ومخالفة الثقات له وعدم إخراج أصحاب المسانيد والكتب المشهورة والسنن المعروفة. ولرواية مسلم الحديث في صحيحه من طريقه وليس فيه ذكر البسملة والله أعلم.

ولأبي هريرة حديث آخر أخرجه الدارقطني عن خالد بن إلياس، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «علمني جبريل الصلاة فقام فكبّر لنا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فيما يجهر به في كل ركعة». والجواب: هذا الاسناد ساقط فإن خالد بن الياس، ويقال فيه ابن إياس مجمع على ضعفه، بل منكر الحديث متروكه كما قاله أحمد والنسائي. وقال الحاكم: روى عن سعيد المقبري، وابن المنكدر، وهشام بن عروة أحاديث موضوعة. والصواب في هذا الحديث وقفه. وهكذا رواه نوح بن أبي مريم عن المقبري كما بينه الدارقطني في العلل، ولئن سلم فليس فيه دلالة على الجهر، ونحن لا ننكر أنها من القرآن، وإنما النزاع في الجهر بها ومجرد قراءته ﷺ إياها قبل الفاتحة لا يدل على ذلك، وأيضاً فالمحفوظ الثابت عن سعيد المقبري عن أبي هريرة في هذا الحديث عدم ذكر البسملة، كما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رفعه: «الحمد لله هي أم القرآن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم». ورواه أبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح.

ولأبي هريرة حديث آخر أخرجه البيهقي في السنن من طريق عقبة بن مكرم، حدثنا يونس بن بكير، عن أبي معشر، عن محمد بن قيس، عن أبي هريرة قال: «كان رسول الله ﷺ يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم فترك الناس ذلك» هذا هو الصواب، ووهم من قال مسعر بدل أبي معشر. والجواب على تقدير ثبوت هذا الحديث من رواية أبي معشر كما قال انه الصواب، فقد قال الذهبي في مختصره: أبو معشر ضعيف واسمه نجيح السندي، وقد ضعفه البيهقي في غير موضع من كتابه، وكان القطان لا يحدث عنه.

الحديث الثاني: لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وله ثلاث طرق.

أحدها: رواه الحاكم في المستدرك، عن سعيد بن عثمان، حدثنا عبد الرحمن بن سعد المؤذن، حدثنا قطر بن خليفة، عن أبي الطفيل، عن علي وعمار «ان النبي ﷺ كان يجهر في المكتوبات ببسم الله الرحمن الرحيم» وقال: صحيح الاسناد لا أعلم في رواته منسوباً إلى الجرح. والجواب: قال الذهبي في مختصره: هذا خبر واهٍ كأنه موضوع لأن عبد الرحمن صاحب مناكير ضعفه ابن معين، وسعيد بن عثمان مجهول وإن كان هو الكريري فهو ضعيف اهـ.

وعن الحاكم رواه البيهقي في المعرفة بسنده ومتنه وقال: إسناده ضعيف اهـ.

وقال ابن عبد الهادي: هذا حديث باطل، ولعله أدخل على الحاكم.

الثاني: رواه الدارقطني في سننه، عن أسيد بن زيد، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي الطفيل، عن علي وعمار ونحوه. والجواب: أن عمرو بن شمر وجابر الجعفيين لا يحتج بهما. قال

....

البخاري: عمرو بن شمر منكر الحديث، وقال النسائي والدارقطني والأزدي: متروك الحديث. وقال الحاكم: كثير الموضوعات. وقال الجوزجاني: زائغ كذاب، وأما جابر الجعفي فقال فيه أبو حنيفة: ما رأيت أكذب منه، وأسيد بن زيد كذبه ابن معين وتركه النسائي.

الثالث: رواه الدارقطني أيضاً عن عيسى بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب العلوي، عن أبيه، عن جده علي قال: «كان رسول الله ﷺ يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في السورتين جميعاً». والجواب: أن عيسى هذا متهم بوضع الحديث، وقال ابن حبان، والحاكم: روى عن آبائه أحاديث موضوعة لا يحل الاحتجاج به.

الحديث الثالث: لابن عباس رضي الله عنه له أربع طرق.

أحدها: عند الحاكم في المستدرك، عن عبدالله بن عمرو بن حسان، حدثنا شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم». قال الحاكم: اسناده صحيح وليس له علة قد احتج البخاري بسالم هذا وهو ابن عجلان الأفطس، واحتج مسلم بشريك اهـ.

والجواب: هذا الحديث غير صريح ولا صحيح فأما كونه غير صريح فإنه ليس فيه أنه في الصلاة، وأما كونه غير صحيح فإن عبد الله بن عمرو بن حسان الواقفي كان يضع الحديث قاله ابن المديني. وقال ابن عدي: أحاديثه مقلوبات، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه، فقال: ليس بشيء كان يكذب. وقول الحاكم: احتج مسلم بشريك فيه نظر فإنه إنما روى له في المتابعات لا في الأصول.

الثاني: عند الدارقطني، عن أبي الصلت الهروي، حدثنا عباد بن العوام، حدثنا شريك، عن سالم، عن سعيد بن جبير عنه قال: «كان النبي ﷺ يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم». والجواب: أن هذا أضعف من الأول، فإن أبا الصلت عبد السلام بن صالح الهروي متروك. قال أبو حاتم: ليس عندي بصدوق، وضرب أبو زرعة على حديثه وقال: لا أرضاه وقال الدارقطني: رافضي خبيث متهم، وقد خالفة غيره فرواه عن عباد فأرسله وليس فيه «أنه في الصلاة» أخرجه أبو داود. وفي المراسيل حدثنا عباد بن موسى، حدثنا عباد بن العوام، عن شريك، عن سالم فساقه.

الثالث: أخرجه البيهقي من طريق إسحاق بن راهويه، أخبرنا المعتمر بن سليمان، سمعت إسماعيل ابن حماد بن أبي سليمان يحدث عن أبي خالد، عن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة». يعني «كان يجهر بها». رواه يحي بن معين عن المعتمر، ولفظه: «كان يستفتح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم» وله شواهد ذكرتها في الخلافيات اهـ.

والجواب: أولاً أن إسماعيل بن حماد لم يكن بالقوي في الحديث قاله البزار بعد أن أخرج

هذا الحديث في مسنده من طريقه، ورواه العقيلي وأعله إسماعيل هذا وقال: حديثه غير محفوظ، وأبو خالد مجهول قاله ابن عدي، وسئل عنه أبو زرعة فقال: لا أعرفه ولا أدري من هو.

قلت: لكن البزار قال فيه أحسبه الوالي فإن كان كما حسب فاسمه هرمز وهو ثقة ذكره ابن حبان في الثقات ولا أخاله يخفى على أبي زرعة حيث قال لا أعرفه، وثانياً هذا التفسير الذي ذكره ليس من قول ابن عباس، وإنما هو من قول غيره من الرواة وهو حديث لا يحتج به على كل حال.

الرابع: أخرج الدارقطني من طريق عمر بن حفص المكي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس «أن النبي ﷺ لم يزل يجهر في السورتين ببسم الله الرحمن الرحيم حتى قبض». والجواب: أن هذا لا يجوز الاحتجاج به فإن عمر بن حفص ضعيف. قال ابن الجوزي في التحقيق: أجمعوا على ترك حديثه، وضعفه البيهقي أيضاً في موضع من السنن وأنه لا يحتج به.

وقال ابن عبد الهادي يجاب عن حديث ابن عباس من وجوه.

أحدها: الطعن في صحته، فإن مثل هذه الأسانيد لا تقوم بها حجة لو سلمت من المعارض، فكيف وقد عارضتها الأحاديث الصحيحة. وصحة الإسناد تتوقف على ثقة الرجال، ولو فرض ثقة الرجال لم يلزم منه صحة الحديث حتى ينتفي عنه الشذوذ والعلة.

الثاني: أن المشهور في لفظه الاستفتاح لا لفظ الجهر.

الثالث: أن قوله جهر إنما يدل على وقوعه مرة لأن كان يدل على وقوع الفعل، وأما استمراره فيفتقر إلى دليل من خارج، وما روي أنه لم يزل يجهر بها فباطل كما سيأتي.

الرابع: أنه روي عن ابن عباس ما يعارض ذلك. قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن عبدالملك بن أبي بشير، عن عكرمة، عن ابن عباس قال «الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قراءة الأعراب» وكذلك رواه الطحاوي.

قلت: وكذلك رواه ابن عبد البر في الاستذكار، ثم قال: ويقويه ما رواه الأثرم بسنده إلى عكرمة قال: أنا أعرابي إن جهرت ببسم الله الرحمن الرحيم، والله أعلم.

الحديث الرابع: لابن عمر رضي الله عنه. قال الدارقطني: حدثنا عمر بن الحسن بن علي الشيباني، حدثنا جعفر بن محمد بن مروان، حدثنا أبو طاهر أحمد بن عيسى، حدثنا ابن أبي فديك، عن ابن أبي ذئب، عن نافع، عن ابن عمر قال: «صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر فكانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم».

والجواب: أن هذا باطل من هذا الوجه لم يحدث به ابن أبي فديك قط، والمتهم به أحمد بن عيسى العلوي المتقدم ذكره، وقد كذبه الدارقطني نفسه. وابن أبي فديك بريء مما نسب إليه. وشيخ الدارقطني ضعيف أيضاً تكلم فيه الدارقطني نفسه، وشيخه جعفر بن محمد بن مروان لا يحتج به.

....

الحديث الخامس: للنعمان بن بشير رضي الله عنه أخرجه الدارقطني في سننه، عن يعقوب بن يوسف بن زياد الضبي، حدثنا أحمد بن حماد الهمداني، عن قطر بن خليفة، عن أبي الضحى، عن النعمان بن بشير قال، قال رسول الله ﷺ: «أمني جبريل عند الكعبة فجهر ببسم الله الرحمن الرحيم».

والجواب: أن هذا حديث منكر بل موضوع ويعقوب بن يوسف الضبي ليس له ذكر في الكتب المشهورة المصنفة في الرجال، ويحتمل أن يكون هذا الحديث من وضعه، وأحمد بن حماد ضعفه الدارقطني، وسكوت الدارقطني والخطيب وغيرهما من الحفاظ عن مثل هذا الحديث بعد روايتهم له قبيح جداً، ولم يتعلق ابن الجوزي إلا بقطر بن خليفة وهو تقصير منه، وكأنه اعتمد على قول السعدي فيه هو زائغ غير ثقة وليس هذا بطائل، فإن قطر بن خليفة روى له البخاري في صحيحه، ووثقه أحمد والقطان وابن معين والله أعلم.

الحديث السادس: للحكم بن عمير رضي الله عنه. قال الدارقطني: حدثنا أبو الشيخ الحسين ابن محمد بن بشر الكوفي، حدثنا أحمد عن موسى بن إسحاق، حدثنا إبراهيم بن حبيب، حدثنا موسى بن أبي حبيب الطائفي: عن الحكم بن عمير وكان بدرياً قال: «صليت خلف النبي ﷺ فجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاة الليل وصلاة الغداة وصلاة الجمعة».

والجواب: هذا حديث باطل من وجوه. أحدها: أن الحكم بن عمير ليس بدرياً ولا في البدريين أحد اسمه كذلك بل لا تعرف له صحبة، فإن موسى بن أبي حبيب الراوي عنه لم يلق صحابيا بل هو مجهول لا يحتج بحديثه. ولعل الصواب: وكان بدوياً أي ينزل البادية فوقع التصحيف. قال ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل: الحكم بن عمير روى عن النبي ﷺ أحاديث منكرة لا يذكر سماعاً ولا لقاء. روى عنه ابن أخيه موسى بن أبي حبيب وهو ضعيف الحديث سمعت أبي يذكر ذلك. وقال الدارقطني: موسى بن أبي حبيب شيخ ضعيف الحديث، وقد ذكر الطبراني في معجمه الكبير الحكم بن عمير وقال في نسبته الثمالي، ثم روى له بضعة عشر حديثاً منكراً وكلها من رواية موسى بن أبي حبيب عنه، وروى له ابن عدي في الكامل قريباً من عشرين حديثاً ولم يذكر فيها هذا الحديث، والراوي عن موسى إبراهيم بن إسحاق الكوفي قال الدارقطني: متروك الحديث، وقال الأزدي: يتكلمون فيه، ويحتمل أن يكون هذا الحديث صنعته، فإن الذين رووا نسخة موسى عن الحكم لم يذكروا هذا الحديث فيها كبقي بن مخلد، وابن عدي، والطبراني. وإنما رواه فيما علمنا الدارقطني، ثم الخطيب، ووهم الدارقطني فقال: إبراهيم ابن حبيب، وإنما هو إبراهيم بن إسحاق وزاد وهما فقال الضبي: بالضاد والباء وإنما هو الصيني بصاد مهملة ونون والله أعلم.

الحديث السابع: لأم سلمة رضي الله عنها. رواه الحاكم في المستدرك، عن عمر بن هارون، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن أم سلمة «أن رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة بسم الله

....

الرحمن الرحيم فعدها آية الحمد لله رب العالمين آيتين الرحمن الرحيم ثلاث آيات » الخ. قال الحاكم: وعمر بن هارون أصل في السنة، وإنما أخرجه شاهداً.

الجواب: أن هذا ليس بحجة لوجوه. **أحدها:** أنه ليس بصريح في الجهر، ويمكن أنها سمعته سراً في بيتها لقربها منه.

الثاني: أن مقصودها الإخبار بأنه كان يرتل قراءته ولا يسردها، وقد رواه الحاكم نفسه من حديث همام، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن أم سلمة قالت: « كانت قراءة النبي ﷺ مرتلة فوصفت بسم الله الرحمن الرحيم حرفاً حرفاً قراءة بطيئة ». ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي من حديث يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً.

الثالث: أن المحفوظ فيه والمشهور أنه ليس في الصلاة وإنما قوله في الصلاة زيادة من عمر بن هارون وهو مجروح تكلم فيه غير واحد من الأئمة. قال أحمد: لا أدري عنه شيئاً. وقال ابن معين ليس بشيء وكذبه ابن المبارك. وقال النسائي: متروك الحديث، وقال صالح جرزة: كان كذاباً، وقد رواه أبو جعفر الطحاوي من حديث حفص بن غياث، حدثنا أبي، عن ابن جريج به بمثل حديث عمر بن هارون، ثم أخرجه عن ابن أبي مليكة به بلفظ السنن، ثم قال: فقد اختلف الذين رووا له في لفظه فانتفى أن يكون حجة، وكأنه لم يعتد بمتابعة غياث لعمر بن هارون لشدة ضعف عمر بن هارون.

الرابع: أن يقال غاية ما فيه أنه ﷺ جهر بها مرة أو نحو ذلك، ليس فيه دليل على أن كل إمام يجهر بها في صلاة الجهر دائماً ولو كان ذلك معلوماً عندهم لم يختلف فيه ولم يقع فيه شك ولم يحتج أحد إلى أن يسأل عنه ولكان من جنس جهره عليه السلام بغيرها ولما أنكره عبدالله بن مغفل وعده حدثاً، ولكان الرجال أعلم به من النساء والله أعلم.

الحديث الثامن: لأنس بن مالك رضي الله عنه. رواه الحاكم في مستدركه، والدارقطني في سننه من حديث محمد بن أبي المتوكل بن أبي السري قال: « صليت خلف المعتمر بن سليمان من الصلوات ما لا أحصيها الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها » وقال المعتمر: ما آلو أن اقتدي بصلاة أبي، وقال ابنه: ما آلو أن اقتدي بصلاة أنس، وقال أنس: ما آلو أن اقتدي بصلاة رسول الله ﷺ، وقال الحاكم: رواته كلهم ثقات.

والجواب: هو معارض بما رواه ابن خزيمة في مختصره، والطبراني في معجمه عن معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن الحسن، عن أنس « أن رسول الله ﷺ كان يسر ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة وأبو بكر وعمر » اهـ.

« وفي الصلاة » زادها ابن خزيمة، وله طريق آخر عند الحاكم أيضاً أخرجه عن محمد بن أبي

السري، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، حدثنا مالك، عن حميد، عن أنس قال: «صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي فكلهم كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم». قال الحاكم: وإنما ذكرته شاهداً. قال الدهري في مختصره: أما استحى الحاكم أن يورد في كتابه مثل هذا الحديث الموضوع، فأنا أشهد بالله لله أنه الكذب. وقال ابن عبد الهادي: سقط منه لا. وله طريق آخر عند الخطيب عن ابن أبي داود، عن ابن أخي ابن وهب، عن عمه، عن النميري. ومالك وابن عيينة عن حميد عن أنس «أن رسول الله ﷺ كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في الفريضة». قال ابن عبد الهادي سقط منه لا كما رواه الباغندي وغيره عن ابن أخي ابن وهب هذا هو الصحيح، وأما الجهر فلم يحدث به ابن وهب قط. وقال ابن عبد البر في التقصي: روى هذا موقوفاً في الموطأ وهو الصواب ورفعه خطأ من ابن أخي ابن وهب اهـ.

فصار هذا الذي رواه الخطيب خطأ على خطأ. والصواب فيه عدم الرفع وعدم الجهر والله أعلم.

الحديث التاسع: وهو موقوف ولكنه في حكم المرفوع أخرجه الحاكم في المستدرك عن عبدالله ابن عثمان بن خثيم أن أبا بكر بن حفص بن عمر أخبره أن أنس بن مالك قال: «صلى معاوية بالمدينة صلاة فجهر فيها بالقراءة فبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم لأم القرآن ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها حتى قضى تلك القراءة ولم يكبر حين يهوي حتى قضى تلك الصلاة فلما سلم ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والأنصار يا معاوية أسرقت الصلاة أم نسيت أين بسم الله الرحمن الرحيم وأين التكبير إذا خفضت وإذا رفعت، فلما صلى بعد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم للسورة التي بعد أم القرآن وكبر حين يهوي ساجداً اهـ.

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ورواه الدارقطني فقال: رواته كلهم ثقات. اعتمد الشافعي رحمه الله على حديث معاوية هذا في إثبات الجهر، وقال الخطيب: هو أجود ما يعتمد عليه في هذا الباب.

والجواب عنه من وجوه، **أحدها:** أن مداره على عبدالله بن عثمان بن خثيم هو وإن كان من رجال مسلم مختلف فيه فلا يقبل ما تفرد به مع أنه قد اضطرب في إسناده ومتنه، وهو أيضاً من أسباب الضعف أما في إسناده فإن ابن خثيم تارة يرويه عن أبي بكر بن حفص عن أنس، وتارة يرويه عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه، وقد رجح الأولى البيهقي في كتاب المعرفة لجلالة راويها وهو ابن جريج، ومال الشافعي إلى ترجيح الثانية. ورواه ابن خثيم عن إسماعيل بن عبيد ابن رفاعة عن أبيه عن جده فزاد ذكر الجد، كذلك رواه إسماعيل بن عياش وهي عند الدارقطني والأولى عنده وعند الحاكم، والثانية عند الشافعي. وأما الاضطراب في متنه فتارة يقول: صلى فبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم لأم القرآن ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها كما تقدم عند الحاكم، وتارة يقول فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم حين افتتح القرآن وقرأ بأم الكتاب كما هو

عند الدارقطني في رواية إسماعيل بن عباس، وتارة يقول: فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لأم القرآن ولا للسورة التي بعدها كما هو عند الدارقطني في رواية ابن جريج، ومثل هذا الاضطراب في السند والمتن مما يوجب ضعف الحديث لأنه مشعر بعدم ضبط الوجه.

الثاني: أن شرط الحديث الثابت أن لا يكون شاذاً ولا معللاً وهذا شاذ معلل فإنه مخالف لما رواه الثقات الاثبات عن أنس، ومما يرد حديث معاوية هذا أن أنساً كان مقيماً بالبصرة، ومعاوية لما قدم المدينة لم يذكر أحد فيما علمناه أن أنساً كان معه، بل الظاهر أنه لم يكن معه، والله أعلم.

والوجه الثالث: أن مذهب أهل المدينة قديماً وحديثاً ترك الجهر بها، ومنهم من لا يرى قراءتها أصلاً ولا يحفظ من أحد عن أهل المدينة بإسناد صحيح أنه كان يجهر بها إلا شيء يسير وله محل، وهذا عملهم يتوارثه آخرهم عن أولهم، فكيف ينكرون على معاوية ما هو سنتهم هذا باطل.

الوجه الرابع: أن معاوية لو رجع إلى الجهر بالبسملة كما نقلوه لكان هذا معروفاً من أمره عند أهل الشام الذين صحبوه ولم ينقل ذلك عنهم، بل الشاميون كلهم خلفاؤهم وعلماؤهم كان مذهبهم ترك الجهر بها. وما روي عن عمر بن عبد العزيز من الجهر بها فباطل لا أصل له، والأوزاعي إمام الشام ومذهبه في ذلك مثل مذهب مالك لا يقرؤها سراً ولا جهراً، ومن المستبعد أن يكون هذا حال معاوية، ومعلوم أن معاوية صلى مع النبي صلى عليه وسلم، فلو سمع النبي ﷺ يجهر بالبسملة لما تركها حتى تنكر عليه رعيته أنه لا يحسن يصلي، وهذه الوجوه من تدبرها علم أن حديث معاوية هذا باطل أو مغير عن وجهه وقد يتمهل فيه، ويقال: إن كان هذا الإنكار على معاوية محفوظاً فإنما هو إنكار لترك إتمام التكبير لا لترك الجهر بالبسملة، ومعلوم أن ترك إتمام التكبير كان مذهب الخلفاء من بني أمية وأمرائهم على البلاد حتى أنه كان مذهب عمر بن عبد العزيز وهو عدم التكبير حين يهوي ساجداً بعد الركوع وحين يسجد بعد القعود، وإلا فلا وجه لإنكارهم عليه ترك البسملة، وهو مذهب الخلفاء الراشدين وغيرهم من أكابر الصحابة، ومذهب أهل المدينة أيضاً والله أعلم.

ثم أن البيهقي أخرج من طريق الشافعي من طريقين. **الأول:** قال فيه: أخبرنا إبراهيم بن محمد، حدثني عبدالله بن عثمان بن خثيم، عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة، عن أبيه أن معاوية قدم المدينة الخ. **الثاني:** قال فيه: أخبرنا يحي بن سليم، عن عبدالله بن عثمان وإسماعيل عن أبيه عن معاوية مثله. ثم قال الشافعي: أحسب هذا الإسناد أحفظ من الأول يعني به حديث ابن جريج الذي رواه الشافعي عن عبد المجيد بن عبد العزيز عنه، أخبرني عبدالله بن عثمان بن خثيم أن أبا بكر بن حفص بن عمر أخبره أن أنس بن مالك الخ. واختلفوا في معنى قول الشافعي: أحسب هذا الإسناد أحفظ من الأول فقال ابن الأثير في شرح مسند الشافعي: لأن الاثنين روياه عن ابن خثيم اهـ.

قلت: وهذا ليس بشيء لأن كلاً منهما تكلم فيه، فإبراهيم بن محمد الأسلمي مكشوف الحال، وأما يحي بن سليم الطائفي فقد ضعفه البيهقي نفسه في مواضع من كتابه وقال فيه: إنه كثير الوهم سيء الحفظ، فكيف يكون هذا الإسناد أحفظ من إسناد ابن جريج، مع أن ابن جريج أجل منهما وأحفظ؛ والذي يظهر لي في معنى قوله المذكور أنه لاحظ بعض الوجوه التي أوردناها في سياق حديث ابن جريج، فاستبعد ذلك السياق وجعل ما رواه ابن خثيم عن إسماعيل أقوى وأحفظ إذ إسماعيل زرقي مـدني أنصـاري، وأبوه عبيد بن رفاعة لم تعرف له غيبة عن المدينة، فحين قدوم معاوية كان حاضراً وروى ما رواه عن مشاهدة بخلاف أنس بن مالك فإنه كان إذ ذاك بالبصرة، فروايته إن صحت فهي مرسلة فتأمل ذلك.

وبالجملة: فهذه الأحاديث كلها ليس فيها صريح صحيح، بل فيها عدمهما أو عدم أحدهما، وكيف تكون صحيحة وفي رواتها الكذابون والضعفاء والمجاهيل، وكيف يجوز أن يعارض برواية هؤلاء ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أنس الذي تلقاه الأئمة بالقبول ولم يضعفه أحد بحجة إلا من ركب هواه وحمله فرط التعصب على أن علله ورده باختلاف ألفاظه كما سيأتي. مع أنها ليست مختلفة بل يصدق بعضها بعضاً، ومتى وصل الأمر إلى معارضة حديثه بمثل حديث ابن عمر الموضوع أو بمثل حديث علي الضعيف، فجعل الصحيح ضعيفاً والضعيف صحيحاً والمعلل سالماً من التعليل، والسالم من التعليل معللاً سقط الكلام، وهذا ليس بعدل والله يأمر بالعدل، وما تحلى طالب العلم بأحسن من الإنصاف وترك التعصب والله أعلم.

وأما الآثار الواردة في ذلك. **فالأول:** منها ما رواه البيهقي في الخلافيات، والطحاوي في كتابه من حديث عمر بن ذر، عن أبيه، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي قال: صليت خلف عمر رضي الله عنه فجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وكان أبي يجهر بها.

قلـت: وهذا الأثر مخالف للصحيح الثابت عن عمر أنه كان يجهر بها. وقد روى عبيد الله ابن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن أبيه عدم الجهر. وروى الطحاوي بإسناده عن أبي وائل قال: كان عمر وعلي لا يجهران ببسم الله الرحمن الرحيم، وروى الطبري في تهذيب الآثار فقال: أخبرنا أبو كريب، أخبرنا أبو بكر بن عياش، عن أبي سعيد، عن أبي وائل قال لم يكن عمر وعلي يجهران ببسم الله الرحمن الرحيم ولا بآمين، ومع ذلك فقد اختلف في هذا الأثر على عمر بن ذر. قال البيهقي في كتاب المعرفة: رواه الطحاوي عن بكر بن قتيبة، عن أبي أحمد، عن عمر بن ذر، عن أبيه عن سعيد. وكذلك رواه خالد بن مخلد، عن عمر بن ذر، عن أبيه. وكان ذكر أبيه سقط من كتاب البيهقي، فإن ثبت هذا عن عمر فيحمل على أنه فعله مرة أو بعض أحيان لأحد الأسباب المتقدمة والله أعلم.

الثاني: ما أخرجه الخطيب من طريق الدارقطني بسنده عن عثمان بن عبد الرحمن، عن

....

الزهري، عن سعيد بن المسيب أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم.

قلت: وهذا باطل. وعثمان بن عبد الرحمن هو الوقاصي أجمعوا على ترك الاحتجاج به. قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: كذاب ذاهب الحديث. وقال ابن حبان: يروي عن الثقات الأشياء الموضوعات، وقال النسائي: متروك الحديث والله أعلم.

الثالث: ما أخرجه الخطيب أيضاً عن يعقوب بن عطاء بن أبي رباح، عن أبيه قال: صليت خلف علي بن أبي طالب وعدة من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم.

قلت: وهذا أيضاً لا يثبت، وعطاء لم يلحق علياً ولا صلى خلفه قط، والحمل منه على ابنه يعقوب فقد ضعفه غير واحد من الأئمة. وأما شيخ الخطيب فيه أبو الحسين الأهوازي، فإنه كان يلقب بجراب الكذب.

الرابع: ما أخرجه الخطيب أيضاً من طريق الدارقطني، عن الحسن بن أحمد بن عبد الواحد، حدثنا الحسن بن الحسين، حدثنا إبراهيم بن أبي يحي، عن صالح بن نبهان قال: صليت خلف أبي سعيد الخدري، وابن عباس، وأبي قتادة وأبي هريرة فكانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم.

قلت: وهذا أيضاً لا يثبت. والحسن بن الحسين شيعي ضعيف أو هو مجهول، وإبراهيم بن أبي يحي فقد رمي بالرفض والكذب، وصالح بن نبهان مولى التوأمة في إدراكه للصلاة خلف أبي قتادة نظر. وهذا الإسناد لا يجوز الاحتجاج به، وإنما كثر الكذب في أحاديث الجهر على النبي ﷺ وأصحابه، لأن الشيعة ترى الجهر وهم أكذب الطوائف فوضعوا في ذلك أحاديث. وكان أبو علي بن أبي هريرة أحد أعيان أصحاب الشافعي يرى ترك الجهر بها كما تقدم ويقول: الجهر بها صار من شعار الروافض، وغالب أحاديث الجهر تجد في رواتها من هو منسوب إلى التشيع.

الخامس: ما أخرجه الخطيب أيضاً عن محمد بن أبي السري، حدثنا المعتمر، عن حميد الطويل، عن بكر بن عبدالله المزني قال: صليت خلف عبدالله بن الزبير فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وقال: ما يمنع أمراءكم أن يجهروا بها إلا الكبر.

قلت: قال ابن عبد الهادي: إسناده صحيح لكنه يحمل على الاعلام بأن قراءتها سنة، فإن الخلفاء الراشدين كانوا يسرونها فظن كثير من الناس أن قراءتها بدعة فجهر بها من جهر من الصحابة ليعلموا الناس أن قراءتها سنة لا أنه فعله دائماً. وقد ذكر ابن المنذر عن ابن الزبير ترك الجهر، والله أعلم.

أحاديث الاخفاء:

الصحيح الثابت منها: حديث أنس، وحديث عبدالله بن مغفل، وحديث عائشة رضي الله عنهم.

أما حديث أنس، فاخرجه البخاري، ومسلم، وأصحاب السنن وغيرهم بألفاظ متقاربة يصدق بعضها بعضاً. فلفظ البخاري، ومسلم «كان النبي ﷺ وأبو بكر وعثمان يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين». وهذا أصح الروايات عن أنس. رواه يزيد بن هارون، ويحيى بن سعيد القطان، والحسن بن موسى الأشيب ويحيى بن السكن، وأبو عمر الحوضي، وعمرو بن مرزوق وغيرهم. عن شعبة، عن قتادة، عن أنس. وكذلك روي عن الأعمش، عن شعبة، عن قتادة وثابت عن أنس وكذلك رواه عامة أصحاب قتادة عن قتادة منهم: هشام الدستوائي، وسعيد بن أبي عروبة، وأبان بن يزيد العطار، وحماد بن سلمة، وحميد، وأيوب السختياني والأوزاعي، وسعيد بن بشير وغيرهم. وكذلك رواه معمر وهمام واختلف عنهما في لفظه. قال الدارقطني وهو المحفوظ عن قتادة وغيره عن أنس. وقد اتفق البخاري ومسلم على إخراج هذه الرواية لسلامتها من الاضطراب، وفي لفظ عنه «صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم» رواه كذلك محمد بن جعفر، ومعاذ بن معاذ، وحجاج بن محمد، ومحمد بن بكر البرساني، وبشر بن عمر، وقراد أبو نوح، وآدم بن أبي إياس، وعبيد الله ابن موسى، وأبو النضر هاشم بن القاسم، وعلي بن الجعد، وخالد بن زيد المرزقي، عن شعبة، عن قتادة. وأكثرهم اضطربوا فيه. فلذلك امتنع البخاري من إخراجه وهو من مفاريد مسلم. ورواه النسائي، عن شعبة، وسعيد بن أبي عروبة معاً، عن قتادة، عن أنس وفي لفظ عنه «فكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم» رواه النسائي في سننه، وأحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه، والدارقطني في السنن، وزاد ابن حبان «ويجهرون بالحمد لله رب العالمين» وفي لفظ عنه: «فكانوا يفتتحون القراءة فيما يجهر به بالحمد لله رب العالمين» رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده، وفي لفظ عنه: «فكانوا يسرون ببسم الله الرحمن الرحيم» رواه الطبراني في معجمة، وأبو نعيم في الحلية، وابن خزيمة في مختصر المختصر، والطحاوي في شرح الآثار. ورجال هذه الروايات كلهم ثقات مخرج لهم في الصحيحين. ولحديث أنس طرق أخرى دون ذلك في الصحة وفيها ما لا يحتج به فتركناها، وصحح الخطيب اللفظ الأول وضعف ما سواه لرواته الحفاظ له عن قتادة ولمتابعة غير قتادة له عن أنس فيه، وجعله اللفظ المحكم عن أنس وجعل غيره متشابهاً، وحمله على الافتتاح بالسورة يعني أنهم كانوا يبدأون بقراءة أم القرآن قبل ما يقرأ ما بعدها لا يعني أنهم يتركون بسم الله الرحمن الرحيم. وهكذا ذكره البيهقي عن الشافعي بعد رواية الشافعي الحديث، عن سفيان عن أيوب، عن قتادة، عن أنس. وقد رده شارح العمدة بقوله: هذا ليس بقوي لأنه إن أجري مجرى الحكاية، فهذا يقتضي البداءة بهذا اللفظ بعينه فلا يكون قبله غيره لأن ذلك الغير هو المفتتح به وإن جعل إسماً، فسورة الفاتحة لا تسمى بهذا المجموع. أعني: الحمد لله رب العالمين بل تسمى بالحمد، فلو كان لفظ الرواية كان يفتتح بالحمد لقوي هذا فإنه يدل حينئذ على الافتتاح بالسورة التي البسملة بعضها عند المؤول للخبر اهـ.

وقال بعض أصحابنا: تسمية هذه السورة بسورة الحمد عرف متأخر، ولكن قد يعكر على

شارح العمدة في قوله: فسورة الفاتحة لا تسمى بهذا المجموع الخ ما أخرجه البخاري في الصحيح من حديث أبي سعيد بن المعلى قال: «كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي وفيه: ثم قال لي لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن. قلت: ما هي؟ قال: الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته». فهذا يدل على أن السورة تسمى بهذا المجموع، وإذا ثبت ذلك صح تأويل الشافعي المذكور جمعاً بين الأحاديث وهو قوي، ولكن يعكر على الشافعي حديث أبي سعيد بن المعلى هذا فإنه كما دل على إطلاق السورة على هذا المجموع دل أيضاً على أن البسملة ليست من السورة، فإنه قال: هي السبع المثاني، فلو كانت البسملة آية منها كما يقوله الشافعي لكانت ثمانياً لأنها سبع آيات بدون البسملة، ومن جعل البسملة منها إما أن يقول هي بعض آية أو يجعل قوله صراط الذين أنعمت عليهم إلى آخرها آية واحدة، والله أعلم.

الحديث الثاني: عن ابن عبدالله بن مغفل قال: «سمعني أبي وأنا أقول بسم الله الرحمن الرحيم. فقال: أي بني إياك والحدث. ولم أر أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ كان أبغض إليه الحدث في الإسلام يعني منه. قال: وصليت مع النبي ﷺ ومع أبي بكر ومع عمر ومع عثمان فلم أسمع أحداً يقولها فلا تقلها أنت إذا صليت فقل الحمد لله رب العالمين» أخرجه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديث أبي نعامة، واسمه قيس بن عباية، حدثنا ابن عبدالله بن مغفل فساقوه. وقال الترمذي: حديث حسن والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ. منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم ومن بعدهم من التابعين، وبه يقول سفيان الثوري، وابن المبارك، وأحمد وإسحاق لا يرون الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة ويقولها في نفسه اهـ.

وأخرجه البيهقي في السنن من طريق روح، حدثنا عثمان بن غياث، حدثنا أبو نعامة الحنفي، عن ابن عبدالله بن مغفل، عن أبيه قال: «صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر فما سمعت أحداً منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم» ثم قال: تابعه الجريري عن أبي نعامة قيس بن عباية وقال: فلم أسمع أحداً منهم جهر بها. ثم روى من طريق الثوري، عن الحذاء، عن أبي نعامة الحنفي، عن أنس: «كان رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر لا يقرأون يعني لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم» اهـ.

وقد اعترض على هذا الحديث من وجهين:

الأول: قال النووي في الخلاصة: وقد ضعف الحفاظ هذا الحديث وأنكروا على الترمذي تحسينه كابن خزيمة وابن عبد البر والخطيب وقالوا: إن مداره على ابن عبدالله بن مغفل وهو مجهول اهـ.

والجواب أنه قد روى الطبري في معجمه عن أبي سفيان طريف بن شهاب، عن يزيد بن

عبدالله بن مغفل، عن أبيه قال: «صليت خلف إمام فجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فلما فرغ من صلاته قال ما هذا غيِّب عنا هذه التي أراك تجهر بها فإني قد صليت مع النبي ﷺ ومع أبي بكر وعمر فلم يجهروا بها».

وروى أحمد في مسنده من حديث أبي نعامة عن بني عبدالله بن مغفل قالوا: «كان أبونا إذا سمع أحداً منا يقول بسم الله الرحمن الرحيم يقول أي بني إني صليت مع النبي ﷺ وأبي بكر وعمر فلم أسمع أحداً منهم يقول بسم الله الرحمن الرحيم». ورواه الطبراني في معجمه، عن عبدالله بن بريدة، عن ابن عبدالله بن مغفل، عن أبيه بمثله. فهؤلاء ثلاثة رووا الحديث عن ابن عبدالله بن مغفل عن أبيه وهم: أبو نعامة، وعبدالله بن بريدة، وأبو سفيان السعدي، وهو الذي سمى ابن عبدالله بن مغفل يزيد، فقد ارتفعت الجهالة عن ابن عبدالله بن مغفل برواية هؤلاء الثلاثة عنه، وبنوه الذي رووا عنه: يزيد، وزياد، ومحمد. والنسائي، وابن حبان وغيرهما يحتجون بمثل هؤلاء إذ لم يروِ أحد منهم ما يخالف رواية الثقات. وقد روى الطبراني لزياد ومحمد أحاديث توبع عليها. وبالجملة؛ فالحديث صريح في عدم الجهر بالتسمية، والذين تركوا الاحتجاج به لتلك الجهالة قد احتجوا في هذه المسألة بما هو أضعف منه.

فإن قلت: الذي بين هذا الاسم هو أبو سفيان السعدي كما عند الطبراني وهو متكلم فيه والخصم لا يعتبره لهذا المعنى. فالجواب: أنه وإن تكلم فيه ولكنه يعتبر به ما تابعه عليه غيره من الثقات، وهذا القدر يكفي في رفع الجهالة.

الوجه الثاني: قال البيهقي في السنن: وأبو نعامة لم يحتج به الشيخان، وقال في كتاب المعرفة: هذا الحديث قد تفرد به أبو نعامة، وأبو نعامة وابن عبدالله بن مغفل لم يحتج بهما صاحبا الصحيح. فالجواب: إن الذهبي قال في مختصره: هو بصري صدوق ما علمت فيه جرحاً وحديثه في السنن الأربعة اهـ.

وقال ابن معين: هو ثقة. وقال ابن عبد البر: هو ثقة عند جميعهم. وقال الخطيب: لا أعلم أحداً رماه ببدعة في دينه ولا كذب في روايته. وفي الميزان: هو صدوق تكلم فيه بلا حجة، وقول البيهقي تفرد به أبو نعامة فيه نظر، فقد تابعه عبدالله بن بريدة وهو أشهر من أن يثنى عليه، وأبو سفيان السعدي كما تقدم ذلك وقوله لم يحتج بهما صاحبا الصحيح، فليس هذا لازماً في صحة الإسناد. ولئن سلمنا فنقول: إن لم يكن من أقسام الحديث الصحيح فلا ينزل عن درجة الحسن، وقد حسنه الترمذي، والحديث الحسن يحتج به لا سيما إذا تعددت شواهده وكثرت متابعاته، ثم إن قول البيهقي: إن الجريري تابع عثمان بن غياث في سياقه غير صحيح، فإن الترمذي ساقه من طريق الجريري باللفظ الذي ذكرناه أولاً، وكذلك ابن ماجه والله أعلم.

الحديث الثالث: أخرجه مسلم في صحيحه عن بديل بن ميسرة، عن أبي الجوزاء، عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين» واعترض

على هذا بأمرين: **أحدهما**: أن أبا الجوزاء لا يعرف له سماع من عائشة، **والثاني**: أنه روي عن عائشة أنه ﷺ كان يجهر. فالجواب: أن أبا الجوزاء ثقة كبير لا ينكر سماعه من عائشة، وقد احتج به الجماعة. وبديل بن ميسرة تابعي صغير مجمع على عدالته وثقته، وقد حدث بهذا الحديث عن الأئمة الكبار وتلقاه العلماء بالقبول. ويكفينا أنه حديث أودعه مسلم في صحيحه، وأما ما روي عن عائشة من الجهر ففي طريقه الحكم بن عبدالله بن سعد، وهو كذاب دجال لا يحل الاحتجاج به، ومن العجب القدح في الحديث الصحيح والاحتجاج بالباطل.

فصل

وأما أقوال التابعين في ذلك؛ فليست بحجة مع أنها قد اختلفت، فروي عن غير واحد منهم الجهر، وروي عن غير واحد منهم تركه، وفي بعض الأسانيد إليهم الضعف والاضطراب، ويمكن حمل جهر من جهر منهم على أحد الوجوه المتقدمة، والواجب في مثل هذه المسألة الرجوع إلى الدليل لا إلى الأقوال. وقد نقل بعض من جمع في هذه المسألة الجهر عن غير واحد من الصحابة والتابعين وغيرهم، والمشهور عنهم غيره، كما نقل الخطيب الجهر عن الخلفاء الأربعة. ونقله البيهقي، وابن عبد البر عن عمر وعلي، والمشهور عنهم تركه كما ثبت ذلك عنهم. وذكر الترمذي تركه عن الخلفاء الأربعة، وعن الثوري، وابن المبارك، وأحمد وإسحاق، وكذلك قال ابن عبد البر: لم يختلف في الجهر بها عن ابن عمر، وهو الصحيح عن ابن عباس قال: ولا أعلم أنه اختلف في الجهر بها عن شداد بن أوس وابن الزبير، وقد ذكر الدارقطني، والخطيب عن ابن عمر عدم الجهر، وكذلك روى الطحاوي والخطيب وغيرهما عن ابن عباس عدم الجهر، وكذلك ذكر ابن المنذر، عن ابن الزبير عدم الجهر، وذكر ابن عبد البر والخطيب عن عمار بن ياسر الجهر، وذكر ابن المنذر عنه عدم الجهر، وذكر البيهقي والخطيب وابن عبد البر عن عكرمة الجهر، وذكر الأثرم عنه عدمه، وذكر الخطيب وغيره عن ابن المبارك وإسحاق الجهر، وذكر الترمذي عنهما تركه، وذكر الأثرم عن ابراهيم النخعي أنه قال: ما أدركت أحداً يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، والجهر بها بدعة. وذكر الطحاوي عن عروة قال: أدركت الأئمة وما يستفتحون القراءة إلا بالحمد لله رب العالمين، وقال وكيع: كان الأعمش، وابن أبي خالد، وابن أبي ليلى، وسفيان، والحسن بن صالح، وعلي بن صالح ومن أدركنا من مشيختنا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم. وروى سعيد بن منصور في سننه: حدثنا خالد عن حصين، عن أبي وائل قال: كانوا يسرون البسملة والتعوّذ في الصلاة.

حدثنا حماد بن زيد، عن كثير بن شنظير، أن الحسن سئل عن الجهر بالبسملة فقال: إنما يفعل ذلك الأعراب.

حدثنا عتاب بن بشير، أخبرنا خصيف عن سعيد بن جبير قال: إذا صليت فلا تجهر ببسم الله الرحمن الرحيم واجهر بالحمد لله رب العالمين.

فصل

ملخص ما قاله صاحب التنقيح ذكر الأحاديث التي استدل بها الشافعية ثم قال: وهذه الأحاديث في الجملة لا يحسن بمن له علم بالنقل أن يعارض بها الأحاديث الصحيحة، ولولا أن تعرض للمتفقه شبهة عند سماعها فيظنها صحيحة لكان الاضراب عن ذكرها أولى، ويكفي في ضعفها إعراض المصنفين للمسانيد والسنن عن جمهورها، وقد ذكر الدارقطني منها طرفاً في سننه فبين ضعف بعضها وسكت عن بعضها، وقد حكى لنا مشايخنا أن الدارقطني لما ورد مصر سأله بعض أهلها تصنيف شيء في الجهر فصنف فيه جزءاً فأتاه بعض المالكية فأقسم عليه أن يخبره بالصحيح من ذلك، فقال: كل ما روي عن النبي ﷺ في الجهر فليس بصحيح، وأما عن الصحابة فمنه صحيح ومنه ضعيف، ثم تجرد الامام أبو بكر الخطيب لجمع أحاديث الجهر فأزرى على علمه بتغطية ما ظن أنه لا ينكشف، وقد بينا عللها وخللها. ثم إنا بعد ذلك نحمل أحاديثهم على أحد أمرين.

إما أن يكون جهر بها للتعليم، أو جهر بها جهراً يسيراً، أو جهر بها جهراً يسمعه من قرب منه، والمأموم إذا قرب من الإمام أو حاذاه سمع منه ما يخافته ولا يسمى ذلك جهراً، كما ورد «أنه كان يصلي بهم الظهر فيسمعهم الآية والآيتين بعد الفاتحة أحياناً».

والثاني: أن يكون ذلك قبل الأمر بترك الجهر، فقد روى أبو داود من مرسل سعيد بن جبير: «أن النبي ﷺ كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم» وكان مسيلمة يدعي رحمان اليمامة فقال أهل مكة: إنما يدعو إله اليمامة، فأمر الله رسوله بإخفائها فما جهر بها حتى مات، فهذا يدل على نسخ الجهر قال: ومنهم من سلك في ذلك مسلك البحث والتأويل، فقال: إن أحاديث الجهر تقدم على أحاديث الإخفاء بأشياء. أحدها: بكثرة الرواة فإن أحاديث الاخفاء رواها إثنان من الصحابة أنس بن مالك، وعبدالله بن مغفل. وأحاديث الجهر رواها أربعة عشر صحابياً. والثاني: أن أحاديث الإخفاء شهادة على نفي، وأحاديث الجهر شهادة على إثبات، والاثبات مقدم على النفي. قالوا: وإن أنساً قد روي عنه إنكار ذلك في الجملة، فروى أحمد والدارقطني من حديث سعيد بن يزيد أبي مسلمة قال: سألت أنساً أكان رسول الله ﷺ يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم أو الحمد لله رب العالمين؟ قال: إنك لتسألني عن شيء ما أحفظه أو ما سألني عنه أحد قبلك. قال الدارقطني: اسناده صحيح. قلنا: أما اعتراضهم بكثرة الرواة فالاعتماد عليها لا يكون إلا بعد صحة الدليلين. وأحاديث الجهر ليس فيها صحيح صريح بخلاف حديث الإخفاء، فإنه صحيح صريح ثابت مخرج في الصحاح والمسانيد المعروفة والسنن المشهورة، وأحاديث الجهر وإن كثرت رواتها لكنها كلها ضعيفة، وكم من حديث كثرت رواته وتعددت طرقه وهو حديث ضعيف، بل قد لا يزيد الحديث كثرة الطرق إلا ضعفاً، وإنما يرجح بكثرة الرواة إذا كانت الرواة محتجاً بهم

الثانية: أن يكون للإمام في القيام ثلاث سكتات. هكذا رواه سمرة بن جندب،

من الطرفين. وأحاديث الجهر لم يروها إلا الحاكم والدارقطني، فالحاكم عرف تساهله في التصحيح، والدارقطني قد ملأ كتابه من الأحاديث الغريبة والشاذة والمعللة.

وأما الشهادة على النفي فهي وإن ظهرت في صورة النفي فمعناها الإثبات مع أن المسألة مختلف فيها على ثلاث أقوال: فالأكثرون على تقديم الاثبات قالوا: لأن المثبت معه زيادة علم، وأيضاً فالنفي يزيد التأكيد لدليل الأصل، والإثبات يفيد التأسيس والتأسيس أولى.

الثاني: أنهما سواء قالوا لأن النافي موافق للأصل، وأيضاً فالظاهر تأخير النافي عن المثبت إذ لو قدر مقدماً عليه لكانت فائدته التأكيد لدليل الأصل، وعلى تقدير تأخيره يكون تأسيساً فالعمل به أولى.

القول الثالث: ان النافي مقدم على المثبت، وإليه ذهب الآمدي وغيره، وأما جمعهم بين الأحاديث بأنه لم يسمعه لبعده وأنه كان صبياً يومئذ فمردود لأن رسول الله ﷺ هاجر إلى المدينة ولأنس يومئذ عشر سنين، ومات وله عشرون سنة فكيف يتصور أن يصلي خلفه عشر سنين فلا يسمعه يوماً من الدهر يجهر؟ هذا بعيد بل مستحيل. ثم قد روي هذا في زمان رسول الله ﷺ فكيف وهو رجل في زمن أبي بكر وعمر وكهل في زمن عثمان مع تقدمه في زمانهم وروايته للحديث، وأما ما روي من إنكار أنس فلا يقاوم ما ثبت عنه خلافه في الصحيح، ويحتمل أن يكون نسي في تلك الحال لكبره، وقد وقع مثل ذلك كثيراً كما سئل يوماً عن مسألة فقال: عليكم بالحسن فاسألوه فإنه حفظ ونسينا. وكم ممن حدث ونسي ويحتمل أنه إنما سأله عن ذكرها في الصلاة أصلاً لا عن الجهر بها واخفائها والله أعلم اهـ.

وقد طال بنا الكلام في هذه المسألة لأنها أكثر دوراناً في المناظرة وهي من أعلام المسائل، وقد نبهت فيها على فوائد غفل عنها أكثر أئمتنا في كتبهم، وسبق لي الكلام عليها في كتابي: (الجواهر المنيفة في أصول أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة) ولخصت هناك كلام الحافظ أبي بكر الحازمي رحمه الله تعالى وبالله التوفيق.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى:

(**الثانية: أن يكون للإمام في القيام ثلاث سكتات**) جمع سكتة كتمرة وتمرات. (**هكذا رواه سمرة بن جندب**) بن هلال بن خديج بن مرة بن حزم بن عمرو بن جابر ذي الرئاستين الفزاري أبو سعيد، ويقال: أبو عبدالله، ويقال أبو عبدالرحمن، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو سليمان صاحب النبي ﷺ نزل البصرة. قال أبو عمر: كان من الحفاظ المكثرين عن رسول الله ﷺ: استخلفه زياد، ثم معاوية على الكوفة وعلى البصرة، وكان شديداً على الحرورية. مات بالبصرة سنة ثمان وخمسين سقط في قدر مملوءة ماء حاراً كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز شديد أصابه، فكان ذلك تصديقاً لقول رسول الله ﷺ له ولأبي هريرة ولثالث معهما «آخركم موتاً في النار». وروى له الجماعة.

وعمران بن الحصين عن رسول الله ﷺ، أولاهن: إذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح، فإنه إن لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم، فإن لم يقرأوا الفاتحة في سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليهم لا عليه. والسكتة الثانية: إذا فرغ من الفاتحة ليتم من يقرأ الفاتحة في السكتة الأولى فاتحته وهي كنصف السكتة الأولى. السكتة الثالثة: إذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهي أخفها وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى

(**وعمران بن حصين**) بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن سالم الخزاعي أبو نجيد الصحابي. أسلم هو وأبو هريرة عام خيبر، نزل البصرة وكان قاضياً بها، ومات بها سنة اثنين وخمسين، وكان الحسن البصري يحلف بالله ما قدمها يعني البصرة راكب خير لهم من عمران بن الحصين. روى له الجماعة. رويا رضي الله عنهما، (**عن رسول الله ﷺ**) كما سيأتي بيان ذلك (**أولهن**) كذا في النسخ، ومثله في القوت. والصواب: أولاهن (**إذا كبَّر**) الإمام (**وهي الطولى منهن**) تأنيث الأطول (**مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب**). وعبارة القوت: ليقرأ من وراءه الحمد، ثم زاده المصنف ايضاحاً فقال: (**وذلك وقت قراءته**) أي الإمام (**دعاء الاستفتاح**) « وجهت وجهي » الخ. (**فإنه**) أي الإمام (**إن لم يسكت**) تلك السكتة (**فاتهم الاستماع**) أي استماع قراءته وقد أمروا بالاستماع والانصات، وإذا فاتهم ذلك نقص ثواب صلاتهم (**فيكون عليه**) وبال (**ما نقص من صلاتهم**) لكونه تسبب لذلك، (**فإن**) سكت الإمام (**ولم يقرأوا الفاتحة في سكوته أو اشتغلوا بغيرها**) أي الفاتحة (**فذلك**) وباله (**عليهم لا عليه**).

ثم قال: (**والسكتة الثانية**) هي: (**إذا فرغ من**) قراءة (**الفاتحة**) وإنما ندبت (**ليتمم من لم يقرأ الفاتحة في السكتة الأولى الفاتحة**)، وأخصر منه لفظ القوت: ليتم من بقي عليه شيء منها، (**وهي كنصف السكتة الأولى**) ولفظ القوت: وهي على نصف الأولى.

(**الثالثة: إذا فرغ من**) قراءة (**السورة**) بعد الفاتحة وهي (**قبل أن يركع**) وهو أولى من لفظ القوت، والثالثة إذا أراد أن يركع (**وهي أخفها**) ولفظ القوت. أخفهن تكون كنصف الثانية، (**وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيه**) ولفظ القوت: ذلك لئلا يكون مواصلاً في صلاته بأن يصل التكبير بالقراءة، ويصل القراءة بالركوع فقد نهي عن ذلك. أشار به إلى ما تقدم نقله عن السلف في تفسير النهي عن المواصلة، وإذا تم بيان السكتات الثلاث فاعلم أنه ليس في حديث سمرة إلا سكتتان، وأما عمران بن حصين فكان يحفظ سكتة، ولذا أنكر على سمرة.

أما السكتة الأولى فأخرج الشيخان من حديث عمارة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا كبّر في الصلاة سكت هنيهة قبل أن يقرأ قلت بأبي وأمي أرأيتك سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: « أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت

بين المشرق والمغرب. اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس. اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد ».

وأخرج البيهقي من طريق ابن أبي ذئب عن سعيد بن سمعان أتانا أبو هريرة في مسجد بني زريعة فقال: « ثلاث كان رسول الله ﷺ يفعلهن تركها الناس يرفع يديه إذا دخل في الصلاة مداً ويسكت بعد القراءة هنيهة يسأل الله من فضله ويكبر إذا ركع وإذا خفض ». كذا لفظ يحي بن سعيد القطان عنه. وقال عامر بن عليّ عن ابن أبي ذئب: وليسكت قبل القراءة. ورواه عبيدالله الحنفي عنه وهذه هي السكتة التي قال عمران بن حصين حفظتها من رسول الله ﷺ.

وأما السكتتان الأخريان؛ فأخرج أبو داود، والترمذي، وابن ماجه من حديث قتادة عن الحسن أن سمرة بن جندب وعمران بن حصين تذاكرا فحدث سمرة أنه حفظ من رسول الله ﷺ سكتتين سكتة إذا كبّر وسكتة إذا فرغ من قراءة ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾، فأنكر عليه عمران بن حصين فكتبا في ذلك إلى أبي بن كعب، وكان في كتابه إليهما. وفي رده عليهما أن سمرة قد حفظ. رواه أبو داود، عن مسدد، عن يزيد بن زريع عنه. ورواه محمد بن المنهال عن ابن زريع فقال فيه: وسكتة إذا فرغ من قراءة السورة ولم يذكر الفاتحة.

وأخرج أبو داود، وابن ماجه من طريق يونس بن عبيد عن الحسن قال، قال سمرة: « حفظت سكتتين عن رسول الله ﷺ في الصلاة سكتة إذا كبّر الإمام حتى يقرأ وسكتة إذا فرغ من فاتحة الكتاب وسورة عند الركوع » فأنكر ذلك عمران بن حصين فكتبوا في ذلك إلى أبي بالمدينة فصدق سمرة، وقيل: عن هشيم عن يونس: وإذا قرأ ولا الضالين سكت سكتة ولم يذكر السورة. وقال حميد عن الحسن: وسكتة إذا فرغ من القراءة.

وأخرج أبو داود أيضاً من طريق الأشعث، عن الحسن: إذا فرغ من القراءة كلها. فأنت ترى الاختلاف في محل السكتة الثانية. قال البيهقي. ويحتمل أن يكون هذا التفسير يعني قوله من القراءة كلها وقع من رواية الحسن، فلذلك اختلفوا.

تنبيه:

ذكر العراقي في تخريجه الصغير أخرج أحمد في مسنده من حديث سمرة قال: كانت لرسول الله ﷺ سكتتان في صلاته، وقال عمران: أنا أحفظها عن رسول الله ﷺ الحديث. ثم قال: هكذا وجدته في المسند في غير ما نسخة صحيحة منه، والمعروف أن عمران أنكر ذلك على سمرة هكذا في غير موضع من المسند والسنن الثلاثة وابن حبان، ووجدت بخط الحافظ ابن حجر تلميذه على طرة الكتاب حذاء قوله: أنا أحفظها صوابه لا. قلت: أو ما.

وهكذا هو في سنن البيهقي من طريق مكي بن ابراهيم، حدثنا ابن أبي عروبة عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة: أن رسول الله ﷺ كان له سكتتان، فقال عمران: ما أحفظها عن رسول

عن الوصل فيه، ولا يقرأ المأموم وراء الإمام إلا الفاتحة، فإن لم يسكت الامام قرأ

الله ﷺ فكتبوا فيه إلى أبي فكتب أبي ان سمرة قد حفظ قلت لقتادة: ما السكتتان؟ قال: سكتة حين يكبر والأخرى حين يفرغ من القراءة عند الركوع، ثم قال مرة أخرى: سكتة حين يكبر وسكتة إذا قال ولا الضالين.

وأخرج أبو داود من طريق عبد الأعلى، حدثنا سعيد عن قتادة نحوه قال، فقلت لقتادة: ما هاتان السكتتان؟ فقال: إذا دخل في الصلاة وإذا فرغ من القراءة، ثم قال بعد: وإذا قال:﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾.وقد عرف من سياق هذه الروايات بيان السكتتين المتفق عليها، وبيان الثالثة أيضاً، وتقدم النقل عن الخطيب في شرح المنهاج أنه ذكر أربع سكتات الرابعة هي بين﴿ولا الضالين وآمين﴾ولم يذكرها المصنف، وأن الزركشي عدّها خمسة الخامسة هي بين الافتتاح والقراءة، وفي المجموع تسمية كل من الأولى وهي بعد التكبير، والثانية وهي بعد ولا الضالين سكتة مجاز فإنه لا يسكت حقيقة لما تقرر فيها، وعلى قول الزركشي، لا مجاز إلا في سكتة الإمام بعد التأمين، والمشهور الأول.

تنبيه:

قال العراقي: وروى الدارقطني من حديث أبي هريرة وضعفه: من صلى صلاة مكتوبة مع الإمام فليقرأ بفاتحة الكتاب في سكتاته اهـ.

قلـت: وأخرجه الحاكم كذلك وزاد: ومن انتهى إلى أم القرآن فقد أجزأه.

تنبيه آخر:

المحدثون لا يثبتون للحسن سماعاً من سمرة إلا في هذا الحديث، وحديث العقيقة ذكره المنذري في مختصر السنن.

(ولا يقرأ المأموم وراء الامام إلا الفاتحة) أما ترك قراءته فلقوله تعالى: ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤] قال الشافعي في القديم: هذا عندنا على القراءة التي تسمع خاصة، ويروى عن عطاء عن ابن عباس قال: هذا في الصلاة.

وأما استثناء الفاتحة فأخرج مسلم من حديث العلاء بن عبد الرحمن، عن أبي السائب، عن أبي هريرة رفعه: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج» قال أبو السائب، فقلت يا أبا هريرة: إني أكون أحياناً وراء الإمام فغمز ذراعي، وقال يا فارسي: اقرأها في نفسك.

وأخرج الشيخان من طريق الزهري، عن محمود بن الربيع، عن عبادة أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب».

وأخرج البيهقي من طريق ابن إسحاق، عن مكحول، عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الغداة فثقلت عليه القراءة فلما انصرف قال إني

....

أراكم تقرأون وراء إمامكم قلنا أجل قال فلا تفعلوا إلا بأم القرآن فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها». وقد روي القراءة خلف الإمام عن عمر وعلي وأبيّ ومعاذ وخلف، وبه أخذ الشافعي. وقال أبو حنيفة: لا يقرأ المأموم مطلقاً.

وروي عن موسى بن أبي عائشة، عن عبدالله بن شداد، عن جابر بن عبدالله، عن النبي ﷺ أنه صلى فكان من خلفه يقرأ فجعل رجل من أصحاب النبي ﷺ ينهاه عن القراءة في الصلاة فلما انصرف أقبل عليه الرجل، فقال: أتنهاني عن القراءة خلف رسول الله ﷺ؟ فتنازعا حتى ذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «من صلى خلف إمام فإن قراءة الإمام له قراءة». هكذا رواه مكي بن ابراهيم عنه، وهكذا رواه جماعة عن أبي حنيفة بمثل رواية مكي، ورواه عنه ابن المبارك فأرسله. قال البيهقي: هو المحفوظ.

وأخرج البيهقي من طريق عبدان وعلي بن الحسين بن شقيق قالا: أخبرنا ابن المبارك، أخبرنا سفيان وشعبة وأبو حنيفة عن موسى عن عبدالله بن شداد قال رسول الله ﷺ: «من كان له إمام فإن قراءة الإمام له قراءة». وكذا رواه غير ابن المبارك عن سفيان وشعبة، وكذلك رواه ابن عيينة، وإسرائيل، وأبو عوانة، وأبو الأحوص، وجرير، وطائفة. ورواه الحسن بن عمارة، عن موسى موصولاً.

وأخرج ابن ماجه وأحمد كذلك من طريق الحسن بن صالح، عن جابر، عن أبي الزبير، عن جابر رفعه: «من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة» وجابر هو الجعفي لا يعرف له سماع من أبي الزبير، وقد تابعه عمر بن موسى.

أخرج الخلال من طريق يحي بن يعلى عنه على أن ابن أبي شيبة لم يذكر جابراً بين الحسن وأبي الزبير فقال: حدثنا مالك بن إسماعيل، عن حسن بن صالح، عن أبي الزبير، عن جابر رفعه: «كل من كان له إمام فقراءته له قراءة» وهذا سند صحيح. وكذا رواه أبو نعيم، عن الحسن بن صالح، عن أبي الزبير، عن جابر، ولم يذكر الجعفي. كذا في أطراف المزي. وتوفي أبو الزبير سنة ثمان وعشرين ومائة ذكره الترمذي والغلاس والحسن بن صالح. ولد سنة مائة وتوفي سنة سبع وستين ومائة، وسماعه من أبي الزبير ممكن، ومذهب الجمهور أن من أمكن لقاؤه لشخص وروى عنه فروايته محمولة على الاتصال، فيحمل على أن الحسن سمعه من أبي الزبير مرة بلا واسطة، ومرة أخرى بواسطة الجعفي، وقد صح عن جابر أن المأموم لا يقرأ مطلقاً وهو مذهب ابن مسعود، وابن عمر، وزيد بن ثابت على الصحيح.

قال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا وكيع، عن الضحاك بن عثمان، عن عبيدالله بن مقسم، عن جابر قال: «لا يقرأ خلف الإمام». وهذا سند صحيح متصل على شرط مسلم.

وقال البزار: حدثنا محمد بن بشار، وعمرو بن علي قال: حدثنا أبو أحمد، أخبرنا يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن أبي الأحوص، عن عبدالله بن مسعود قال: كانوا يقرأون خلف النبي

فاتحة الكتاب معه والمقصر هو الإمام. وإن لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده أو كان في السرية فلا بأس بقراءته السورة.

الوظيفة الثالثة: أن يقرأ في الصبح سورتين من المثاني ما دون المائة فإن الإطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنّة، ولا يضره الخروج منها مع الاسفار، ولا بأس بأن يقرأ

ﷺ فقال: « خلطتم عليّ القرآن » وهذا سند جيد. وقال عبد الرزاق في مصنفه: حدثنا الثوري عن ابن ذكوان عن زيد بن ثابت وابن عمر كانا لا يقرآن خلف الإمام، وروي أيضاً عن داود بن قيس عن زيد بن أسلم أن ابن عمر كان ينهى عن القراءة خلف الإمام، وروي أيضاً عن هشام بن حسان عن أنس بن سيرين قال: سألت ابن عمر أقرأ مع الإمام؟ قال: إنك لضخم البطن يكفيك قراءة الإمام والله أعلم.

ثم قال المصنف: **(فإن لم يسكت الإمام قرأ)** المأموم **(الفاتحة معه)** أي يجعل قراءته مع قراءته ولا يترك، **(والمقصر هو الامام)** حيث لم يسكت وأجزأت المأموم تلك القراءة، **(وإن لم يسمع المأموم)** قراءة الامام **(في الجهرية لبعده)** عن الامام بأن كان في آخر الصفوف **(أو كان في صلاة السر)** كالظهر والعصر **(فلا بأس بقراءة السورة مع الفاتحة)**. إذ لا معنى لسكوته إذ ذاك والاشتغال بالقراءة أولى وأبعد من حضور الوساوس هذا مذهب الشافعي رضي الله عنه. وقال أحمد: إذا كان المأموم يسمع قراءة الإمام كرهت القراءة له، فإن لم يسمعها فلا تكره. والمشهور من مذهب مالك إن كانت الصلاة مما يجهر الإمام بالقراءة فيها أو في بعضها كره للمأموم أن يقرأ في الركعات التي يجهر بها الإمام ولا تبطل صلاته، سواء كان يسمع قراءة الإمام أو لا يسمعها.

(والثالثة): من وظائف القراءة **(أن يقرأ في)** صلاة **(الصبح سورتين من المثاني)** وهي **(ما دون المائة)** وفي بعض النسخ زيادة فما دون ذلك، **(فإن الاطالة في قراءة الفجر)**. ولو قال في صلاة الفجر كما هو لفظ القوت: كان أولى ليصبح مرجع الضمير في قوله: **(والتغليس بها)** أي بصلاة الفجر، فإن جعلنا القراءة بمعنى الصلاة **(سنّة، ولا يضره الخروج منها مع الاسفار)** إذا كان قد دخل فيها مغلساً، والاختيار أن لا تؤخر إلى الاسفار كما في المنهاج، وبه قال مالك وأحمد في رواية، وفي أخرى عنه أنه يعتبر حال المصلين فإن شق عليهم التغليس كان الاسفار أفضل، وإن اجتمعوا كان التغليس أفضل. وقال أبو حنيفة: الاسفار أفضل مطلقاً إلا بالمزدلفة للحاج لو أحب الوقوف بعده بها كما هو في حق النساء دائماً، لأنه أقرب للستر. ومما يدل لما ذهب إليه الامام قوله ﷺ: « أسفروا بالفجر فإنه أعظم للأجر » أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح. وفي حديث آخر: « نوروا بالفجر » وهو اختيار جماعة من الصحابة ومن بعدهم، وهو الذي كان يميل إليه الحافظ ابن حجر ويختاره لقوّة دليله، كما وجدته في الجواهر والدرر للحافظ السخاوي بخطه، وظاهر الرواية المستحب البداءة بالاسفار

في الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين إلى أن يختمها لأن ذلك لا يتكرر على الاسماع كثيراً، فيكون أبلغ في الوعظ وأدعى إلى التفكر. وإنما كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها. وقد روي أنه ﷺ قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى وفرعون قطع فركع، وروي أنه ﷺ قرأ في الفجر آية من البقرة وهي

كالختم لأن ظاهر أسفروا بالفجر يفيد إيقاع جميعها في الوقت الذي ينتشر فيه ضوء الفجر، لأن الصلاة اسم لمجموعها فيقتضي إدخال مجموعها فيه. وفي رواية عن محمد بن الحسن أن يدخل مغلساً ويخرج مسفراً، ويروى عن الطحاوي أنه من عزم على تطويل القراءة فالتغليس أفضل وليختم مسفراً والله أعلم.

وأورد صاحب القوت حديثاً عن عائشة رضي الله عنها: فرضت الصلاة ركعتين ثم زيد كل صلاة ركعتان إلا المغرب فإنها وتر النهار وصلاة الصبح لأجل طول القيام.

(**ولا بأس**) للإمام (**أن يقرأ في الثانية**) في ركعتي الصبح (**بأواخر السور**) من (**نحو الثلاثين أو العشرين آية إلى أن يختمها**) أي تلك الآيات إلى أواخرها، وذلك عند انتهاء السور، (**لأن ذلك لا يتكرر على الأسماع كثيراً**) أي يبعد طروقها عليها لكثرة الاعتبار لتلاوة السور القصار، (**فيكون أبلغ في الوعظ وأدعى إلى التفكر**) وأدنى إلى الانتفاع، وفي ذلك مزيد تذكرة وفضل تبصرة، (**وإنما كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها**) ولفظ القوت: وإنما كره أن يقرأ من أولها كذلك ثم يقطع ويقرأ من وسطها ثم يركع قبل أن يختمها هو الذي كرهه العلماء، وليس لقائل أن يقول هذا بدعة لأن البدعة لا يقال إلا لما كان فيه ترك سنّة، وهذا هو المطلق المباح لعموم قوله تعالى: ﴿فاقرؤا ما تيسر من القرآن﴾ [المزمل: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿وذكر فإنَّ الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات: ٥٥] فهذا أقرب للذكرى أمر به لقرب طروقه السمع ولقوله عز وجل: ﴿وافعلوا الخير﴾ [الحج: ٧٧] ولقوله تعالى: ﴿ومن تطوع خيراً فهو خير له﴾ [البقرة: ١٨٤] فهذه أدلة العموم وهو على الاطلاق إذ لم يخص بتحريم وليس فيه ترك سنّة فيوصف ببدعة. كيف (**وقد روي أنه ﷺ قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى إلى ذكر موسى**) عليه السلام (**وفرعون**) أخذته سعلة (**قطع**) أي القراءة (**فركع**) هكذا هو في القوت.

وقال العراقي: رواه مسلم عن عبد الله بن السائب وقال: سورة المؤمنين، وقال: موسى وهارون وعلقه البخاري اهـ.

قلت: لفظ البخاري: ويذكر عن عبد الله بن السائب قرأ النبي ﷺ المؤمنون في الصبح حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون أو ذكر عيسى أخذته سعلة فركع، ووصله مسلم من طريق ابن جريج. وعند ابن ماجه: فلما بلغ ذكر عيسى وأمه أخذته شهقة أو شرقة. (**وقد روي**) أنه

قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا باللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] وفي الثانية: ﴿رَبَّنا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ [آل عمران: ٥٣] وسمع بلالاً يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال: أخلط الطيب بالطيب، فقال: أحسنت. ويقرأ في الظهر بطوال المفصل إلى ثلاثين آية،

ﷺ (**قرأ في**) الأولى من ركعتي (**الفجر آية من**) سورة (**البقرة وهي قوله تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾** [البقرة: ١٣٦] (**الآية. وفي**) الركعة (**الثانية من سورة آل عمران**): ﴿**ربنا آمنا بما أنزلت**﴾) [آل عمران: ٥٣] ﴿واتبعنا الرسول﴾ [آل عمران: ٥٣] الآية. زاد في القوت: وفي رواية: أنه قرأ فيها ﴿شهد الله﴾ [آل عمران: ١٨] الآية.

قال العراقي: روى مسلم من حديث ابن عباس: كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منها ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ الآية التي في البقرة، وفي الآخرة منها ﴿آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون﴾ [آل عمران: ٥٢] ولأبي دواد من حديث أبي هريرة في الأولى: ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا﴾ [آل عمران: ٨٤] وفي الركعة الاخيرة: ﴿ربنا آمنا بما أنزلت﴾ [آل عمران: ٥٣] أو ﴿إنا أرسلناك بالحق﴾ [البقرة: ١١٩] اهـ.

والصحيح أنه يقرأ في الأولى آية البقرة المارة، وفي الثانية آية آل عمران وهي: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ [آل عمران: ٦٤] الآية.

(**وسمع**) ﷺ (**بلالاً**) الحبشي المؤذن (**يقرأ**) القرآن أي في الصلاة (**من ههنا وههنا، فسأله عن ذلك فقال: اخلط الطيب بالطيب، فقال: أحسنت**) كذا هو في القوت إلا أنه قال: فلم ينكر عليه بدل قوله « أحسنت ». وفي بعض نسخ القوت أحسنت أو أصبت.

وقال العراقي: رواه أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح نحوه اهـ.

(**ويقرأ في**) صلاة (**الظهر بطوال المفصل إلى الثلاثين آية، و**) يقرأ (**في العصر**) من أوساط المفصل (**بنصف ذلك**) كذلك كان قيام رسول الله ﷺ فيها، (**وفي المغرب بأواخر المفصل**) وهي قصارها، وقد تقدم تحديد الطوال والأوساط والقصار وما فيها من الأقوال.

قال صاحب القوت: وروينا عن ابن مسعود أنه أمَّ الناس فقرأ في الركعة الثانية من صلاة العشاء بالعشر الأواخر من سورة آل عمران، وقرأ في الركعة الأولى العشر الأواخر من سورة الفرقان. وروينا عن الصنابحي، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قرأ في الركعة الثانية من صلاة المغرب بعد الحمد: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ [آل عمران: ٨] الآية. فلذلك يستحب أن يقرأ هذه الآية خاصة في الثانية من صلاة المغرب، ووهم بعض الناس فخشي أن يكون هذا تنكيس القرآن، وليس كذلك لأنه لو كان كما ذكر لما جاز أن يقرأ القارىء ﴿إذا زلزلت﴾ ثم يقرأ بعدها ﴿إنا أنزلناه﴾ اهـ.

وفي العصر بنصف ذلك، وفي المغرب بأواخر المفصل. وآخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ المغرب قرأ فيها سورة المرسلات ما صلّى بعدها حتى قبض.

وبالجملة؛ التخفيف أولى لا سيما إذا كثر الجمع. قال ﷺ في هذه الرخصة: « إذا

ولم يذكر المصنف القراءة في صلاة العشاء. وأخرج أحمد، والترمذي والنسائي، من حديث بريدة الأسلمي أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة العشاء بالشمس وضحاها وأشباهها من السور، وقد علم من ذلك استحباب القراءة في العشاء بالأوساط، وقد جاء التصريح به في حديث أبي هريرة عند النسائي من رواية سليمان بن يسار عنه وفيه: يقرأ في العشاء بوسط المفصل، وللبخاري في قصة تطويل معاذ العشاء وأمره بسورتين من أوسط المفصل، وعند الترمذي من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان يقرأ في العشاء بسورتين من المفصل نحو سورة المنافقين وأشباهها. **(وآخر صلاة صلاَّها رسول الله ﷺ المغرب قرأ فيها بسورة)** ﴿والمرسلات عرفاً﴾ **(ما صلى بعدها حتى قبض)**. ولفظ القوت: قرأ فيها والمرسلات ما صلّى بعدها صلاة حتى قبضه الله عز وجل.

قال العراقي: متفق عليه من حديث أم الفضل اهـ.

ولفظ البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: « إن أمَّ الفضل سمعته وهو يقرأ والمرسلات عرفاً فقال: يا بني والله لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب » أخرجه في كتاب الصلاة والمغازي. وأخرجه مسلم في الصلاة، وكذا أبو داود، والنسائي، وابن ماجه. وأما ما أخرجه البخاري والنسائي من حديث زيد بن ثابت أنه قال منكراً على مروان بن الحكم « مالك تقرأ في المغرب بقصار » يعني المفصل، وقد سمعت النبي ﷺ يقرأ بطولي الطوليين أي بمقدارهما اللذين هما البقرة والنساء والأعراف، ووقع عند النسائي تفسيرهما بـ ﴿المص﴾، وهو من قول عروة. وعند أبي داود من طريق ابن جريج، عن ابن أبي مليكة هما المائدة والاعراف، وعند الجوزقي الأنعام والاعراف، وعند الطبراني يونس والأعراف فهو مشكل، فإنه إذا قرأ هذا القدر دخل وقت العشاء قبل الفراغ. وقد أجيب: بأنه لا يمتنع إذا أوقع ركعة في الوقت، وإليه مال الأسنوي، والاذرعي، وابن المقري، ويحتمل أنه أراد بالسورة بعضها أي قرأ شيئاً منها، وإنما قلنا ذلك لأن المستحب القراءة فيها بقصار المفصل، واختاره صاحباه، ومالك، وأحمد وإسحاق، وعند ابن ماجه بسند صحيح عن ابن عمر رفعه « كان يقرأ في المغرب بقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد » وكان الحسن يقرأ فيها إذا زلزلت والعاديات لا يدعهما.

(وبالجملة؛ التخفيف) في الصلاة لإمام القوم **(أولى لاسيما إذا كثر الجمع)**، والمراد بالتخفيف أن يكون بحيث لا يخل بسننها ومقاصدها. **(قال رسول الله ﷺ في هذه الرخصة**

صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة، وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء». وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه فقالوا: نافق الرجل، فتشاكيا إلى رسول الله ﷺ، فزجر رسول الله ﷺ معاذاً فقال: «أفتان أنت يا معاذ، اقرأ سورة سبح، والسماء والطارق، والشمس وضحاها».

إذا صلَّى أحدكم بالناس فليخفف) استحباباً مراعاة لحال المأمومين **(فإن فيهم)** وفي رواية البخاري للكشميهني؛ فإن منهم **(الضعيف)** الخلقة **(والكبير)** السن **(وذا الحاجة)** تعليل للأمر المذكور ومقتضاه متى لم يكن فيهم من يتصف بصفة من المذكورات، وكانوا محصورين ورضوا بالتطويل لم يضر التطويل لانتفاء العلة. أخرجه البخاري من حديث أبي مسعود البدري وفيه: «فأيكم ما صلى بالناس فليتجوّز فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة» ثم قال في الذي يليه من طريق الأعرج عن أبي هريرة رفعه «إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير **(وإذا صلى)** أحدكم **(لنفسه فليطوّل ما شاء)** في القراءة والركوع والسجود، ولو خرج الوقت كما صححه بعض الشافعية، لكن إذا تعارضت مصلحة المبالغة في الكمال بالتطويل ومفسدة إيقاع بعض الصلاة في غير الوقت كانت مراعاة تلك المفسدة أولى، وقيدوا التطويل أيضاً بما إذا لم يخرج إلى سهو وإن أدى إليه كره ولا يجزىء إلا في الأركان التي تحتمل التطويل وهو القيام والركوع والسجود والتشهد لا الاعتدال والجلوس بين السجدتين.

تنبيه:

زاد مسلم من وجه آخر، عن أبي الزناد، عن الأعرج «والصغير». وزاد الطبراني «والحامل والمرضع» وعنده أيضاً من حديث عدي بن حاتم «والعابر السبيل» ولكن في الرواية الأولى عن ابن مسعود «وذا الحاجة» يشمل بعض الأوصاف المذكورات.

تنبيه آخر:

ذهب جماعة كابن حزم، وابن عبد البر، وابن بطال إلى وجوب التخفيف لإمام القوم تمسكاً بظاهر الأمر في قوله «فليخفف». قال ابن عبد البر: إذ العلة الواجبة للتخفيف عندي غير مأمونة لأن الإمام وإن علم قوّة من خلفه فإنه لا يدري ما يحدث بهم من حادث شغل وعارض من حاجة وآفة من حدث بول أو غيره وتعقب بأن الاحتمال الذي لم يقم عليه دليل ولا يترتب عليه حكم، فإذا انحصر المأمومون ورضوا بالتطويل لا نأمر إمامهم بالتخفيف لعارض لا دليل عليه، والله أعلم.

(وقد كان معاذ بن جبل) رضي الله عنه **(يصلي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه فقالوا: نافق الرجل فتشاكيا إلى رسول الله ﷺ فزجر معاذاً وقال**

....

«أفتان أنت يا معاذ إقرأ بسورة سبح، والسماء والطارق، والشمس وضحاها») ولفظ القوت: وقد كان معاذ بن جبل يصلي مع رسول الله ﷺ ثم ينصرف إلى قومه صلاة عشاء الآخرة فيصلي بهم، فافتتح ليلة في صلاته بسورة البقرة، فخرج رجل من الصلاة فصلّى لنفسه ثم انصرف فقال معاذ: نافق الرجل فتشاكيا إلى رسول الله ﷺ، فأشكى الرجل وزجر معاذاً وقال «أفتان أنت يا معاذ اقرأ سورة سبح، والسماء والطارق والشمس وضحاها» اهـ.

وقد تصرف المصنف في ألفاظ هذا الحديث كما ترى، وأخرجه البخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه، وأبو داود الطيالسي، والبيهقي من حديث جابر. وأخرجه أحمد في المسند من حديث بريدة الأسلمي.

ولفظ البخاري في الصحيح: حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شعبة، حدثنا محارب بن دثار، سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري قال: أقبل رجل بناضحين وقد جنح الليل فوافق معاذاً يصي فترك ناضحه وأقبل على معاذ فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل وبلغه أن معاذاً نال منه، فأتى النبي ﷺ فشكا إليه معاذاً، فقال النبي ﷺ: «يا معاذ أفتان أنت أو أفاتن ثلاث مرار فلولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة». وقال أيضاً حدثنا مسلم: حدثنا شعبة عن عمرو عن جابر أن معاذ بن جبل كان يصلي مع النبي ﷺ ثم يرجع فيؤم قومه. قال: وحدثني محمد بن بشار، وحدثنا غندر، وحدثنا شعبة عن عمر وسمعت جابر بن عبد الله قال: كان معاذ بن جبل يصلي مع النبي ﷺ ثم يرجع فيؤم قومه فيصلي العشاء فقرأ بالبقرة فانصرف الرجل فكأن معاذاً تناول منه، فبلغ النبي ﷺ فقال: «فتان فتان فتان» أو قال «فاتنا فاتنا فاتنا» وأمره بسورتين من المفصل.

وأما حديث بريدة فأخرجه أحمد منفرداً به، ولم يخرجه أحد من الستة ولفظه: إن معاذ بن جبل صلّى بأصحابه صلاة العشاء فقرأ فيها اقتربت الساعة فقام رجل من قبل أن يفرغ فصلّى وذهب، فقال له معاذ قولاً شديداً، فأتى النبي ﷺ فاعتذر إليه فقال: إني كنت أعمل في نخل وخفت على المال فقال رسول الله ﷺ «صلِّ بالشمس وضحاها ونحوها من السور». وانفرد البيهقي بذكر والسماء والطارق في حديث جابر.

وأخرجه أحمد أيضاً والبزار في مسنديهما من طريق عمرو بن يحيى المازني، عن معاذ بن رفاعة، عن رجل من بني سليم أنه أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: إنا نظل في أعمالنا فنأتي حين نمسي فيأتي معاذ فيطوّل علينا، فقال رسول الله ﷺ: «يا معاذ لا تكن فتاناً إما أن تخفف بقومك أو تجعل صلاتك معي» ولفظ أحمد: «إما أن تصلي معي وإما أن تخفف على قومك». وفي هذه الاحاديث الثلاثة فوائد ففي حديث جابر أربع

الأولى: فيه حجة للشافعي وأحمد أنه تصح صلاة المفترض خلف المتنفل، كما تصح صلاة

المتنفل خلف المفترض لأن معاذاً كان سقط فرضه بصلاته مع النبي ﷺ، فكانت صلاته بقومه نافلة وهم مفترضون، وقد ورد التصريح بذلك في رواية الشافعي والبيهقي هي له تطوع ولهم مكتوبة العشاء. قال الشافعي في الأم: وهذه الزيادة صحيحة وهكذا في مسند الشافعي وصححها البيهقي أيضاً وغيره، وخالف في ذلك ربيعة، ومالك، وأبو حنيفة فقالوا: لا تصح صلاة المفترض خلف المتنفل لقوله ﷺ: «إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه» وأجاب عنه القائلون بالصحة بأن المراد الاختلاف في الأفعال الظاهرة لا في النيات فإن ذلك لا يختلف به ترتيب الصلاة. وأجاب المخالفون لقصة معاذ بأجوبة.

منها: أنه كان يصلي مع النبي ﷺ بعض الصلوات المكتوبة، ثم يرجع إلى قومه فيؤمهم في صلاة أخرى بعد ذلك، وهذا ترده رواية مسلم فيصلي بهم تلك الصلوات.

ومنها: أن معاذاً كانت صلاته مع النبي ﷺ نافلة وكانت صلاته بقومه هي الفريضة فلحق بالمجملات فلا تكون فيه حجة، ويدل لذلك حديث أحمد والبزار عن رجل من بني سليم. والجواب: أنه لا يظن بمعاذ أن يترك فضيلة صلاة الفرض مع النبي ﷺ. وأما حديث أحمد والبزار فمعناه: إما أن تصلي معي مقتصراً على ذلك ولا تؤم قومك، وكذا قوله: أو تجعل صلاتك معي وهذا هو المراد، وإلاَّ فهو كان يصلي معه فتعين أن يكون المراد تقتصر على صلاتك معي وليس فيه كون الفرض هي التي كانت مع قومه، وإذا كان هذا محتملاً للتأويل فقول جابر هي له تطوع لا يحتمل التأويل، وجابر ممن كان يصلي مع معاذ فوجب المصير إليه.

ومنها: أن حديث: فلا تختلفوا عليه ناسخ لقصة معاذ لأنها كانت قبل أُحد بدليل أن صاحب الواقعة مع معاذ قتل شهيداً بأُحد، وحديث النهي عن الاختلاف رواه أبو هريرة، وإنما أسلم بعد خيبر. والجواب: أنه لا يصار إلى النسخ مع إمكان الجمع، فحمل النهي على الاختلاف في الأفعال الظاهرة فيه إعمالاً للحديثين فهو أولى من المصير إلى النسخ.

الثانية: في سياق المصنف فقالوا: نافق الرجل، وفي سياق البخاري فقيل: نافقت يا فلان وهو صريح وفي صحيح مسلم أن معاذاً هو الذي قال انه منافق. ويحتمل أنه قال هو والجماعة، وقيل: ليس هو خبراً، وإنما هو استفهام بغير همزة الاستفهام. قالوا له هذا الكلام على وجه الاستفهام، ويدل له سياق مسلم قال: لا والله ولآتين رسول الله ﷺ فلأخبرنه الحديث.

الثالثة: كيف أطلقوا فيه القول بأنه منافق ولم يكن كذلك؟ والجواب أنه كان من المقرر عندهم من علامات النفاق التخلف عن الجماعة في العشاء، فاطلقوا عليه اسم النفاق باعتبار إمارته عليه، وما علم معاذ عذره إلا بعد ذلك، وكان من براءته من النفاق أن قتل شهيداً بأُحد، فكان النبي ﷺ بعد ذلك يقول لمعاذ «ما فعل خصمي وخصمك فكان معاذ يقول: صدق الله وكذبت استشهد» ذكره البيهقي.

الرابعة: كيف الجمع بينه وبين ما رواه أبو داود، والنسائي بإسناد صحيح عن سليمان مولى

ميمونة قال: «أتيت ابن عمر وهم يصلون فقلت ألا تصلي معهم؟ قال: قد صليت إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا تصلوا الصلاة في يوم مرتين» أجاب عنه النووي في الخلاصة بأن قال: قال أصحابنا: معناه لا تجب الصلاة في اليوم مرتين، فلا يكون مخالفاً لما سبق من استحباب إعادتها. قال: وأما ابن عمر فلم يعدها لأنه كان صلاها جماعة ومذهبه إعادة المنفرد، والله أعلم.

وأما ما يستنبط من حديث بريدة من الفوائد فست.

الأولى: يجوز للمأموم أن يخرج نفسه من الجماعة، فإن الرجل ذكر أنه خاف على الماء ولم ينكر عليه النبي ﷺ ذلك، والحكم كذلك وهو أصح القولين. وفيه وجه آخر أنه ليس بعذر، وأما المفارقة لغير عذر ففيه قولان للشافعي: أحدهما أنه لا يجوز وتبطل صلاته، والقول الثاني وصححه الرافعي انه يجوز لأن الاقتداء مستحب، فهو بمنزلة الخروج من النافلة.

الثانية: في سياق المصنف فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه، وفي سياق بريدة فقام رجل من قبل أن يفرغ فصلى وذهب هل المراد به أنه بقي على إحرامه، وإنما أخرج نفسه من الجماعة فقط أو إنه أبطل إحرامه معه ثم انشأ إحراماً منفرداً؟ فظاهر سياق المصنف دال على الاحتمال الأول، وظاهر سياق مسلم من حديث جابر فانحرف رجل فسلم ثم صلى وحده دال على الاحتمال الثاني، فإن كانت القصة واحدة فإنه خرج من الصلاة رأساً، وان كانتا واقعتين وهو الأظهر فالأمر في هذه الواقعة على الاحتمال، وقد أشار البيهقي إلى ان رواية مسلم أنه سلم شاذة انفرد بها محمد بن عباد عن سفيان وغيره من أصحاب سفيان لم يذكرها.

الثالثة: هذا الرجل المبهم في الحديث اختلف فيه فقيل: اسمه سليم وقد جاء مبيناً في مسند أحمد، وقيل: اسمه حزم بن أبي كعب وقد جاء مبيناً في سنن أبي داود، وقال النووي في الخلاصة قيل: إنه حرام، وقيل: حازم اهـ وقول من قال: سليم أصح.

الرابعة: وقع التصريح في حديث بريدة بصلاة العشاء، وهكذا هو في سياق المصنف، ووقع في سنن النسائي من رواية محارب بن دثار عن جابر أنه صلاة المغرب وبوّب عليه القراءة في المغرب، ورواه البيهقي هكذا، ثم قال: كذا قال محارب بن دثار عن جابر المغرب. قال: وقال عمرو بن دينار، وأبو الزبير، وعبيد الله بن مقسم، عن جابر العشاء. ثم رواه من حديث حزم بن أبي كعب وقال فيه المغرب، ثم قال: والروايات المتقدمة في العشاء أصح والله أعلم.

وأما رواية محارب بن دثار عند البخاري فلم يذكر فيها المغرب ولا العشاء، ورواية النسائي هذه شاذة مخالفة لبقية الطرق الصحيحة.

الخامسة: في حديث بريدة هذا أن معاذاً قرأ باقتربت، وفي حديث جابر أنه قرأ البقرة وهو الذي في سياق المصنف وهو المشهور في أكثر الروايات، وللبخاري أيضاً فقرأ بالبقرة أو النساء، والجمع بين هذه الروايات أن التي قرأها هي البقرة، وبه جزم أكثرهم فوجب المصير إلى قولهم،

وأما وظائف الأركان فثلاثة:

أولها: وأن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلاث، فقد روي عن أنس أنه قال: «ما رأيت أخف صلاة من رسول الله ﷺ في تمام». نعم روي

ورواية البخاري أو النساء شك في بعض الرواة فلا يصار إليها، وأما رواية اقتربت فإن أمكن الجمع بكونها واقعتين فلا تعارض، وإن تعذر الجمع وجب العمل بالأرجح، ولا شك أن رواية جابر أصح لكثرة طرقها ولكونها اتفق عليها الشيخان فهي أولى بالقبول من رواية بريدة والله أعلم.

السادسة: قد يستشكل في الجمع بين حديث بريدة وجابر على تقدير كونها واقعتين من حيث أنه لا يظن بمعاذ أن يأمره النبي ﷺ بالتخفيف وقراءة ما سمى له من السور في واقعة ثم يصنع ذلك مرة أخرى فهذا بعيد جداً عن معاذ، وقد أجاب النووي في الخلاصة بما نصه: ولعله قرأ البقرة في ركعة فانصرف رجل وقرأ اقتربت في ركعة أخرى، فانصرف آخر والله أعلم.

ولكن هذا الجواب لا يتم إلا على تقدير كونها واقعة واحدة فتأمل هذا. وقد وجد هنا في بعض نسخ الكتاب زيادة وهي قوله بعد هذه القصة: فهم العلماء من هذا الأمر لمعاذ بقراءة قصار السور أن قوله ﷺ: «من صلّى بالناس فليخفف» إنما عنى التخفيف في القراءة لا في الركوع والسجود والطمأنينة. إذ روي أن صلاته ﷺ كانت مستوية قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه بين السجدتين سواء وقال «صلوا كما رأيتموني أصلي» إلى هنا آخر الزيادة، ولم أتقيد بشرحها لكونها سقطت من أكثر النسخ المعتمدة. وقوله «صلوا كما رأيتموني أصلي» مخرج في صحيح البخاري في أثناء حديث مالك بن الحويرث. وقد روى البخاري، ومسلم، وابن ماجه من حديث أنس «كان النبي ﷺ يوجز الصلاة ويكملها» ولهما أيضاً من حديثه «ما صليت وراء امام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي ﷺ». قال الحافظ: وقد نازع ابن دقيق العيد استدلال الفقهاء بهذا الحديث على وجوب جميع أفعاله. أي: «صلوا كما رأيتموني أصلي» لأن هذا الخطاب إنما وقع لمالك بن الحويرث وأصحابه، فلا يتم الاستدلال به إلا فيما يثبت من فعله حال هذا الأمر، وأما ما لا يثبت فلا. والله أعلم.

(ووظائف الأركان ثلاثة):

(أولها: أن يخفف الركوع والسجود) في هيئاتها بدليل قوله: **(فلا يزيد في التسبيحات على ثلاث)** مرات، **(فقد روي عن أنس)** بن مالك رضي الله عنه **(انه قال «ما رأيت أخف صلاة من رسول الله ﷺ في تمام»)** أخرجه البخاري، ومسلم من طريق شريك: سمعت أنس بن مالك يقول: «ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي ﷺ وإن كان يسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه» زاد عبد الرزاق من مرسل عطاء «أو تتركه

أيضاً أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميراً بالمدينة قال: « ما صليت وراء أحد أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من هذا الشاب. قال: وكنا نسبح وراءه عشراً عشراً». وروي مجملاً أنهم قالوا: « كنا نسبح وراء رسول الله ﷺ في الركوع والسجود عشراً عشراً» وذلك حسن. ولكن الثلاث إذا كثر الجمع أحسن. فإذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر. هذا وجه الجمع بين الروايات.

فيضيع » والمعنى أنه ﷺ كان يخفف الصلاة بقراءة السورة القصيرة ويتمها من غير نقص، بل يأتي بأقل ما يمكن من الأركان والأبعاض.

(وروي أن أنس بن مالك) رضي الله عنه **(لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز)** الأموي **(وكان أمير المدينة)** من قبل عبد الملك بن مروان **(قال: « ما صليت وراء أحد أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من هذا الشاب)** عنى به عمر بن عبد العزيز **(قال)** أنس: **(فكنا نسبح وراءه عشراً عشراً »)** أي في الركوع والسجود.

ولفظ القوت في كتاب الصلاة: ثم التسبيح في السجود إن شاء عشراً أو سبعاً أو خمساً وأدناه ثلاث: وليكن الثلاث بعد حصول جبينه على الأرض وقبل رفعه إياه، وإلاّ كانت واحدة تذهب الأولى في حال وضع الوجه، والأخرى في حال رفع الرأس، فتحصل تسبيحة واحدة في كل سجدة، وهذا غير مستحب أن ينقص عن ثلاث. قال أنس بن مالك؛ وقد صلى خلف عمر بن عبد العزيز بالمدينة: « ما رأيت أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من صلاة أميركم هذا الشاب» قال: « وكنا نسبح وراءه في الركوع والسجود عشراً عشراً » اهـ.

وقال في كتاب الإمامة بعد إيراده قصة معاذ ما نصه: فينبغي ان يعرف هذا الإمام حق الإمامة، ويسبح في ركوعه وسجوده سبعاً سبعاً ليدرك من وراءه خمساً أو ثلاثاً لأنهم يركعون ويسجدون بعده، وروينا أن أنس بن مالك صلى خلف عمر بن عبد العزيز فساقه.

وقال العراقي: أخرجه أبو داود، والنسائي باسناد جيد، وضعفه ابن القطان اهـ.

(وروي مجملاً أنهم قالوا: « كنا نسبح وراء رسول الله ﷺ في الركوع والسجود عشراً عشراً ») هكذا أورده صاحب القوت بلفظ: وروينا مجملاً.

وقال العراقي: لم أجد له أصلاً إلا في الحديث الذي قبله وفيه « فحزرنا في ركوعه عشر تسبيحات وفي سجوده عشر تسبيحات » اهـ.

(وذلك حسن) أي الاتيان بالعشرة لأنها حد الكمال، **(ولكن الثلاث)** مرات **(إذا كثر الجمع)** من المصلين **(أحسن)** للتخفيف المأمور به، **(فأما إذا لم يحضر)** وراءه **(إلا المتجردون للدين)** من الذين لا شغل لهم غير الصلاة باتمام أركانها وخشوعها **(فلا بأس بالعشر)** فينبغي للإمام أن يراعي ذلك. **(هذا وجه الجمع بين الروايات)** المذكورة.

وينبغي أن يقول الإمام عند رفع رأسه من الركوع: «سمع الله لمن حمده».

الثانية في المأموم: ينبغي أن لا يساوي الإمام في الركوع والسجود، بل يتأخر فلا يهوي للسجود إلا إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد، هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله ﷺ، ولا يهوي للركوع حتى يستوي الإمام راكعاً. وقد قيل: إن الناس

(**وينبغي أن يقول الإمام عند رفع رأسه من الركوع «سمع الله لم حمده»**) ويجهر بها لأنه رتب عليه قول المأمومين «ربنا لك الحمد» فدلّ على أنـه يجهر به بحيث يسمعه المأمومون، وبهذا صرح في كتب المذهب.

قال ابن المنذر في الأشراف: إذا قال الإمام «سمع الله لمن حمده» فقالت طائفة: يقول سمع الله لم حمده اللهم ربنا ولك الحمد، كذلك قال محمد بن سيرين، وأبو بردة، والشافعي، واسحاق، وأبو يوسف، ومحمد، وقال عطاء: يجمعها مع الإمام أحب إليَّ. وقالت طائفة: إذا قال سمع الله لم حمده، فليقل من خلفه ربنا لـك الحمد. هذا قول ابن مسعود، وابن عمر، وأبي هريرة، والشعبي، وبه قال مالك. وقال أحمد: إلى هذا انتهى أمر النبي ﷺ. قال ابن المنذر: وبه أقول اهـ. وقد تقدم البحث في ذلك آنفاً.

(**الثانية: المأموم ينبغي أن لا يسابق الإمام في الركوع والسجود**) بل في سائر أفعاله الظاهرة، (**بل يتأخر**) عنه (**فلا يهوي للسجود إلا إذا وصلت جبهة الإمام إلى المسجد**) أي موضع السجود، وفي بعض النسخ: أرض المسجد. (**هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله ﷺ**) أخرجه البخاري ومسلم من حديث البراء بن عازب، (**ولا يهوي للركوع حتى يستوي الإمام راكعاً**).

ولفظ القوت: وعلى المأموم أن يكبر ويركع ويسجد بعد الإمام ولا يخرون سجداً حتى تقع جبهة الإمام على الأرض وهم قيام وهم يخرون بعد ذلك، كذلك كانت صلاة أصحاب رسول الله ﷺ وراءه اهـ.

والدليل على أن أفعال المأموم تكون متأخرة على أفعال الإمام ما أخرجه الشيخان من حديث همام عن أبي هريرة رفعه «إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فإذا كبَّر فكبِّروا وإذا ركع فاركعوا، وإذا قال سمع الله لمن حمده قولوا اللهم ربنا لك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلى جالساً فصلّوا جلوساً أجمعون». ووجه الدلالة منه أنه رتب فعله على فعل الإمام بالفاء المقتضية للترتيب والتعقيب ذكره ابن بطال، وابن دقيق العيد في شرح العمدة.

قال العراقي في شرح التقريب: وفيه نظر: فإن الفاء المقتضية للتعقيب هي العاطفة، أما الواقعة في جواب الشرط فإنما هي للربط، والظاهر أنه لا دلالة لها على التعقيب على أن في دلالتها على

يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام، طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الإمام، وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه، وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسابقون الإمام. وقد اختلف في أن الإمام في الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وإدراكه لتلك الركعة؟ ولعل الأولى أن ذلك مع الاخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين، فإن حقهم مرعي في ترك التطويل عليهم.

التعقيب مذهبين حكاهما الشيخ أبو حيان في شرح التسهيل، ولعل أصلها أن الشرط متقدم عليه مع الجزاء، وهذا يدل على أن التعقيب إن قلنا به فليس من الفاء، وإنما هو من ضرورة تقدم الشرط على الجزاء، والله أعلم.

(**وقد قيل: إن الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام: طائفة**) ولفظ القوت: قسم (**بخمس وعشرين صلاة وهم**) هؤلاء (**الذين يكبرون ويركعون بعد ركوع الإمام**) وفي نسخة: بعد الامام، ولفظ القوت: الذين يرفعون ويضعون بعده، (**وطائفة بصلاة واحدة**)وفي القوت: « وقسم » بدل « طائفة » (**وهم الذين يساوونه**) ولفظ القوت: الذين يكبرون ويركعون ويسجدون معه مواصلة له ومبادرة، (**وطائفة**) ثالثة يخرجون (**بلا صلاة وهم الذين يسبقون الإمام**) فإن سبقه من الكبائر. ولفظ القوت: الذين يرفعون ويضعون قبله ويسابقونه، (**وقد اختلف في أن الإمام**) وهو (**في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل**) بأن سمع خفق نعله (**لينال به فضل جماعتهم وادراكه لتلك الركعة**) أم لا؟ فيه تفصيل يأتي ذكره، (**ولعل الأولى أن ذلك مع الإخلاص لا بأس به إذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين، فإن حقهم مرعي في ترك التطويل عليهم**) .

ولفظ القوت: وقد اختلف مذهب السلف في الإمام يكون راكعاً فيسمع خفق النعال هل ينتظر في ركوعه حتى يدخل الداخل في الركعة أو لا ينتظر؟ فقال بعضهم: ينتظر حتى يدخلوا معه، وممن اختار هذا الشعبي. وقال آخرون: لا ينتظر فإن حرمة من دخل فيها وراءه أعظم من حرمة الداخل، وممن قال بهذا ابراهيم النخعي، والذي عندي في هذا التوسط ينظر فإن سمع خفق النعال في أول ركوعه فلا بأس إن مده حتى يلحقوا بزيادة تسبيح لئلا يكون فارغاً بعمل غير الصلاة، فإن سمعه في آخر ركوعه عند رفع رأسه فما أحب أن يزيد في الصلاة لأجلهم وليرفع ولا يبالي بهم اهـ.

قلت: وقول ابراهيم النخعي هو مذهب أبي حنيفة وأصحابه.

وقال النووي في الروضة: يستحب للإمام أن يخفف الصلاة من غير ترك الأبعاض والهيئات فإن رضي القوم بالتطويل وكانوا محصورين لا يدخل فيهم غيرهم فلا بأس بالتطويل، ولو طوّل الامام فله أحوال: منها أن يصلي في مسجد سوق أو محلة فيطول ليلحق آخرون يكثر بهم الجماعة

فهذا مكروه، ومنها: أن يحس في صلاته بمجيء رجل يريد الاقتداء به، فإن كان الإمام راكعاً فهل ينتظره أم لا؟ أصحها: أنه ينتظره بشرط أن لا يفحش التطويل، وأن يكون المسبوق داخل المسجد حين الانتظار، فإن كان خارجه لم ينتظره قطعاً، وبشرط أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى فإن قصد التودد واستمالته لم ينتظر قطعاً، وهذا معنى قولهم: لا يميز بين داخل وداخل، وقيل: إن عرف الداخل بعينه لم ينتظره وإلاّ انتظره، وقيل: إن كان ملازماً للجماعة انتظره وإلاّ فلا. واختلفوا في كيفية القولين. فقال معظم الأصحاب: ليس القولان في استحباب الانتظار بل أحدهما يكره وأظهرهما لا يكره، وقيل: أحدهما يستحب والثاني لا يستحب. وقيل: احدهما يستحب، والثاني يكره، وقيل: لا ينتظر قولاً واحداً، وإنما القولان في الانتظار في القيام، وقيل: إن لم يضر الانتظار بالمأمومين ولم يشق عليهم انتظر قطعاً وإلاَّ ففيه القولان وحيث قلنا: لا ينتظر فانتظر لم تبطل صلاته على المذهب، وقيل في بطلانها قولان. ولو أحس بالداخل في التشهد الأخير فهو كالركوع، وإن أحس به في سائر الأركان كالقيام والسجود وغيرهما لم ينتظره على المذهب الذي قطع به الجمهور، وقيل: هو كالركوع، وقيل: القيام كالركوع دون غيره، وحيث قلنا لا ينتظر ففي البطلان ما سبق.

قلت: المذهب أنه يستحب انتظاره في الركوع والتشهد الأخير بالشروط المذكورة ويكره في غيرهما والله أعلم اهـ. كلام النووي.

فصل

قول المصنف وإدراكه لتلك الركعة يشير به إلى ما هو المشهور في المذهب: إن من أدرك الامام في الركوع كان مدركاً للركعة وهو مذهب أصحابنا. وحكى النووي عن بعض أئمة الشافعية كمحمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبي بكر الصيفي أنه لا تدرك الركعة بادراك الركوع. قال: وهذا شاذ منكر، والصحيح الذي عليه الناس وأطبق عليه الأئمة إدراكها، لكن يشترط أن يكون ذلك الركوع محسوباً للإمام فإن لم يكن ففيه تفصيل يذكر في الجمعة إن شاء الله تعالى، ثم المراد بادراك الركوع أن يلتقي هو وإمامه في حد أقل الركوع حتى لو كان في الهوي والإمام في الارتفاع، وقد بلغ هويه حد الأقل قبل أن يرتفع الإمام عنه كان مدركاً وإن لم يلتقيا فيه فلا. هكذا قاله جميع الأصحاب، ويشترط أن يطمئن قبل ارتفاع الإمام عن الحد المعتبر. هكذا صرح به في البيان، وبه أشعر كلام كثير من النقلة وهو الوجه وإن كان الأكثرون لم يتعرضوا له، ولو كبر وانحنى وشك هل بلغ الحد المعتبر قبل ارتفاع الإمام عنه؟ فوجهان. وقيل: قولان أصحهما لا يكون مدركاً، والثاني يكون. فأما إذا أدركه فيما بعد الركوع فلا يكون مدركاً للركعة قطعاً وعليه أن يتابعه في الركن الذي أدركه فيه وإن لم يحسب له.

قلت: وإذا أدركه في التشهد الأخير لزمه متابعته في الجلوس، ولا يلزمه أن يتشهد معه قطعاً، ويسن له ذلك على الصحيح المنصوص، والله أعلم.

الثالثة: لا يزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد حذراً من التطويل ولا يخص نفسه في الدعاء بل يأتي بصيغة الجمع فيقول: «اللهم اغفر لنا» ولا يقول: «اغفر لي». فقد كره للامام أن يخص نفسه، ولا بأس أن يستعيذ في التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله ﷺ فيقول: «نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا

(**الثالثة: لا يزيد**) الامام (**في دعاء التشهد**) أي لا يطيل في الدعاء الذي يأتي به بعد التشهد (**على مقدار التشهد**) أي كلماته كما قاله العمراني في البيان نقلاً عن الأصحاب، وفي الروضة كأصلها الأفضل أن يكون أقل منه وهو المنصوص في الأم والمختصر، فإن زاد عليه لم يضر لكن يكره التطويل وخرج بالإمام غيره فيطيل ما لم يخف وقوعه في سهو كما جزم به جمع في الذخائر ونص عليه في الأم وإنما قلنا بعدم الزيادة (**حذراً من التطويل**) المضاد للتخفيف المأمور به (**و**) من آداب هذه الوظيفة أن (**لا يخص بالدعاء نفسه**) بضمير الإفراد، (**بل يأتي بصيغة الجمع**) ينوي فيه مع نفسه الحاضرين وراءه من المصلين (**فيقول**) مثلاً (**«اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخّرنا**) وما أعلنا وما أسررنا وما أنت أعلم به منا» (**ولا يقول**): «اللهم (**اغفر لي» فقد كره للإمام أن يخص نفسه بالدعاء**) وهو المنصوص عن الشافعي في الأم، وقد تقدم ذكره. ولفظ القوت: ويكره للإمام أن يخص نفسه بالدعاء دون من خلفه، وإذا دعا في صلاته فيجمع بالنون فيقول: «نسألك ونستعيذك» وهو ينوي بذلك إياه ومن خلفه ولسائر المؤمنين. (**ولا بأس أن يستعيذ في تشهده بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله ﷺ**). ولفظ القوت: ولا يدع أن يستعيذ في تشهده بالكلمات الخمس (**فيقول: «نعوذ بك**) هذا إذا كان إماماً، وأورده صاحب القوت بالافراد ونصه: اللهم إني أعوذ بك (**من عذاب جهنم و**) أعوذ بك من (**عذاب القبر ونعوذ بك**) وفي القوت: وأعوذ بك (**من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا**) ولفظ القوت: فاقبضني (**إليك غير مفتونين»**) فقد فعله رسول الله ﷺ وأمر به.

وقال في موضع آخر من هذا الباب: واستحب أن يقول في تشهده: «أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك مما سألك منه نبيك محمد ﷺ، وأعوذ بك مما استعاذك منه نبيك محمد ﷺ، وأسألك مما سألك به عبادك الصالحون» وإن قال: أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل: ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ [آل عمران: ٨، ٩] الآيتين ﴿ربنا آتِنا في الدنيا حسنة﴾ [البقرة: ٢٠١] الآية ثم يستغفر للمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والأموات، وليس بعد هذا دعاء مفضل ولا كلام مأثور، وإن اقتصر على الاستعاذة بالكلمات التي ذكرناها آنفاً أجزأه، وهذا كله من فضائل التشهد ومندوب إليه اهـ.

قلت: هذا الحديث روي من طريق عائشة، وأبي هريرة، فحديث عائشة أخرجه البخاري،

ومسلم، وأبو داود، والنسائي. فالبخاري أخرجه في الصلاة وفي الاستقراض والباقون في الصلاة، وحديث أبي هريرة أخرجه البخاري، ومسلم، والنسائي.

وحديث عائشة عند البخاري في باب الدعاء قبل السلام من طريق شعيب، عن الزهري، عن عروة عنها رفعته: «كان يدعو في الصلاة اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات. اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم». وهكذا أخرجه النسائي من طريق معمر عن الزهري.

وحديث أبي هريرة عند البخاري، ومسلم من طريق هشام الدستوائي، عن يحي بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن أبي هريرة «كان رسول الله ﷺ يدعو بهؤلاء الكلمات. اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر المسيح الدجال».

ورواه مسلم من طريق الأوزاعي عن يحي بن أبي كثير بلفظ: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: يقول اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال».

ورواه مسلم أيضاً من طريق الأوزاعي عن حسان بن عطية، عن محمد بن أبي عائشة، عن أبي هريرة رفعه: «إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوّذ بالله من أربع فذكرها». وفي رواية له من هذا الوجه من التشهد ولم يذكر الآخر.

ورواه مسلم أيضاً من طريق طاوس عن أبي هريرة رفعه بلفظ: «عوذوا بالله من عذاب الله، عوذوا بالله من عذاب القبر، عوذوا بالله من فتنة المسيح الدجال، عوذوا بالله من فتنة المحيا والممات». وله عن أبي هريرة طرق أخرى.

وقد عرف مما تقدم من سياق الأئمة لهذا الحديث أن الكلمات المذكورة أربعة، ففي قول المصنف تبعاً لصاحب القوت بالكلمات الخمس نظر لأن الوارد في هذا الحديث ما ذكرناه. نعم هذا الذي زاده صاحب القوت وتبعه المصنف وهو قوله: «وإذا أردت بقوم فتنة» الخ أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ: «وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون». وللحاكم نحوه من حديث ثوبان، وعبد الرحمن بن عابس وصححها، ولكن ليس فيه أنه مقيد بآخر الصلاة.

تنبيه:

لم يبين في رواية أبي هريرة المحل الذي كان النبي ﷺ يأتي فيه بهذه الاستعاذة. وفي حديث عائشة عندهما «كان يدعو بذلك في صلاته» وفهم منه البخاري أنه في آخر صلاته، ولذا ترجم عليه بقوله باب الدعاء قبل السلام، وعند مسلم وغيره من حديث أبي هريرة الأمر بذلك بعد الفراغ من التشهد، وفي رواية له التقييد بالأخير ففيه استحباب الاتيان بهذا الدعاء بعد التشهد

إليك غير مفتونين». وقيل: سمي الدجال مسيحاً لأنه يمسح الأرض بطولها. وقيل: لأنه ممسوح العين أي مطموسها.

الأخير وهو مراد المصنف، وقد صرح بذلك العلماء من المذاهب الأربعة. وزاد ابن حزم الظاهري على ذلك فقال بوجوبه، ومال إليه الشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات إلا ان ابن حزم لم يخصه بالتشهد الأخير فقال: ويلزمه فرضاً أن يقول إذا فرغ من التشهد في كلتا الجلستين: اللهم اني أعوذ بك الخ. قال: وقد روي عن طاوس أنه صلى ابنه بحضرته فقال له ذكرت هذه الكلمات؟ قال: لا فأمره بإعادة الصلاة اهـ.

قال العراقي: وهذا الأثر عن طاوس ذكره مسلم في صحيحه بلاغاً بغير إسناد. قال عياض: وهذا يدل على أنه حمل أمر النبي ﷺ بذلك على الوجوب، وقال النووي: ظاهر كلام طاوس أنه حمل الأمر به على الوجوب فإعادة الصلاة لفواته، وجمهور العلماء على أنه مستحب ليس بواجب، ولعل طاوساً أراد تأديب ابنه وتأكيد هذا الدعاء عنده لا أنه يعتقد وجوبه اهـ.

وكذا قال أبو العباس القرطبي: يحتمل أن يكون إنما أمره بالإعادة تغليظاً عليه لئلا يتهاون بتلك الدعوات فيتركها فيحرم فائدتها وثوابها اهـ.

وفي هذا الاحتمال نظر لا يخفى عند التأمل. قال العراقي: وما ذكره ابن حزم من وجوب ذلك عقب التشهد الأول لم يوافقه عليه أحد ثم انه ترده رواية مسلم التي فيها تقييد التشهد بالأخير فوجب حمل المطلق على المقيد، لا سيما والحديث واحد مداره على أبي هريرة رضي الله عنه. وقد أورد ابن حزم هذه العبارة على نفسه وقال: فهذا خبر واحد، وزيادة الوليد بن مسلم زيادة عدل فهي مقبولة، فإنما يجب ذلك في التشهد الأخير فقط، ثم أجاب عنه بقوله: لو لم يكن إلا حديث محمد بن أبي عائشة وحده لكان ما ذكرت، لكنهما حديثان كما أوردنا. أحدهما: من طريق أبي سلمة، والثاني من طريق محمد بن أبي عائشة، وإنما زاد الوليد على وكيع بن الجراح، وبقي خبر أبي سلمة على عمومه فيما يقع عليه اسم تشهد اهـ.

قال العراقي: وهو مردود لأن محمد بن أبي عائشة وأبا سلمة كلاهما يرويه عن أبي هريرة، فهو حديث واحد لا حديثان، ثم ان سنّة الجلوس الأولى التخفيف فيه عند الأئمة الأربعة وغيرهم. وحكى ابن المنذر عن الشعبي أن من زاد فيه على التشهد عليه سجدتا السهو، ولم يستحضر ابن دقيق العيد في شرح العمدة هذه الرواية المقيدة بالأخير فقال: قوله إذا تشهد أحدكم عام في الأول والأخير، وقد اشتهر بين الفقهاء التخفيف في الأول وعدم استحباب الذكر بعده حتى سامح بعضهم في الصلاة على الآل فيه، والعموم الذي ذكرناه يقتضي الطلب لهذا الدعاء فمن خصه فلا بد له من دليل راجح وإن كان نصاً فلا بدّ له من صحة اهـ.

قال العراقي: وقد عرفت المخصص والله أعلم.

ثم قال المصنف: تبعاً لصاحب القوت (**قيل: سمي الدجال مسيحاً لأنه يمسح الأرض بطولها، وقيل: لأنه ممسوح العين أي مطموسها**). ولفظ القوت قيل: سمي مسيحاً لأنه

وأما وظائف التحلل فثلاثة:

أولها: أن ينوي بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة.

الثانية: أن يثبت عقيب السلام. كذلك فعل رسول الله ﷺ. وأبو بكر وعمر

معدول من ماسح أي يمسح الأرض مسحاً لأنه تطوى له الأرض كلها في أربعين يوماً، وقيل: بل هو ممسوح العين أي مطموسها اهـ.

وتحقيقه على الوجه الأخير أنه فعيل بمعنى مفعول سمي به لمسح إحدى عينيه وعلى الوجه الأول بمعنى فاعل، وقيل: التمسيح والتمساح بمعنى المارد الخبيث فقد يكون فعيلاً من هذا. وقال ثعلب في نوادره: التمسيح والممسح الكذاب فقد يكون فعيلاً من هذا، ومنهم من ضبطه على وزن سكيت، وأنكره الهروي وقال: ليس بشيء، وضبط بوجهين آخرين على وزن فعيل والخاء معجمة وعلى وزن السكيت والخاء كذلك، وقيل: أصله بالعبرانية مشيح بالشين المعجمة فعرب بالسين المهملة وهكذا المسيح ابن مريم عليه السلام، وقد ذكرت في اشتقاقه أقوالاً تنيف على العشرين في شرحي على القاموس فراجعه، وأما الدجال فمعناه الكذاب، وقيل: المموّه بباطله، وقيل: غير ذلك ذكرت في شرحي على القاموس كذلك.

إشارة القبر أوّل منزل من منازل الآخرة فيسأل الله أن لا يتلقاه في أوّل قدم يضعه في الآخرة عذاب ربه، والاستعاذة من عذاب جهنم هي الاستعاذة من البعد فإن جهنم معناه البعيدة القعر والمصلي في حال القربة وهو قريب من الانفصال من هذه الحالة المقربة، فاستعاذ بالله تعالى أن لا يكون انفصاله إلى حال تبعده من الله. وأما الاستعاذة من فتنة الدجال فلما يظهر في دعواه الألوهية وما يخيله من الأمور الخارقة للعادة من إحياء الموتى وغيره. وأما فتنة المحيا فكل ما يفتن الإنسان عن دينه الذي فيه سعادته. وأما فتنة الممات فمنها ما يكون في حال النزع والسياق من رؤية الشياطين الذين يتصوّرون له على صورة ما سلف من آبائه وأقاربه وإخوانه فيقولون له: مت نصرانياً أو يهودياً أو مجوسياً، ومنها: ما يكون في حال سؤاله في القبر، ومنها ما هو غير ذلك، والله أعلم.

(**ووظائف التحلل**) من الصلاة (**ثلاث أوّلها: أن ينوي بالتسليمتين السلام على القوم**) الحاضرين من المصلين (**والملائكة**) يميناً وشمالاً، وقد تقدم الكلام على هذه المسألة مفصلاً.

(**الثانية: أن يثب**) أي يستوفز للقيام (**عقيب السلام**) هكذا هو في ثلاث نسخ من الكتاب، ويدل له قوله فيما بعد: فيصلي النافلة في موضع آخر. وفي نسخة العراقي: أن يثبت عقيب السلام والمعنى لا يقوم مستعجلاً بل يمكث، ويدل له سياق القوت: وأن يجلس بعد الفريضة قليلاً للتسبيح والدعاء اهـ.

ووجدت هكذا في نسخة أخرى مصححة وفيها أيضاً: ويصلي النافلة بالواو بدل الفاء، ولذا

رضي الله عنهما، ويصلي النافلة في موضع آخر، فإن كان خلفه نسوة لم يقم حتى

قال العراقي عند قوله: **(كـذلك فعل رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر رضي الله عنهما)** ما نصه: حديث المكث بعد السلام رواه البخاري من حديث أم سلمة اهـ.

ونقل الكمال بن الهمام من أصحابنا ما نصه: قام رجل قد أدرك مع النبي ﷺ التكبيرة الأولى ليشفع، فوثب عمر رضي الله عنه فأخذ منكبه فهزه ثم قال: اجلس فإنه لم يهلك أهل الكتاب إلا أنهم لم يكن لهم بين صلاتهم فصل، فرفع النبي ﷺ بصره فقال: «أصاب الله بك يا ابن الخطاب» اهـ.

قلـت: هذا الحديث أخرجه أبو داود، والبيهقي من طريق الأزرق بن قيس قال: صلى بنا إمام لنا يكنى أبا زمة فساقه.

(ويصلي) الإمام وكذلك المأموم **(النافلة بعد)** الأوراد **(في موضع آخر)** وفي نسخة: فيصلي كما تقدم أي لا يصلي النافلة في مكان الفرض لئلا يشتبه على من جاء بعد السلام، وقد روي عن المغيرة بن شعبة، كما رواه أبو داود بسند منقطع بلفظ: «لا يصلي الإمام في الموضع الذي صلّى فيه حتى يتحول عن مكانه» ولابن أبي شيبة بإسناد حسن عن علي قال: «من السنّة أن لا يتطوّع الامام حتى يتحول عن مكانه» ولكن ذكر البخاري في باب مكث الامام في مصلاه بعد السلام، عن آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة، عن أيوب، عن نافع قال: كان ابن عمر يصلي في مكانه الذي صلّى فيه الفريضة، وفعله القاسم. ويذكر عن أبي هريرة رفعه: «لا يتطوّع الإمام في مكانه» ولم يصح اهـ.

ورواه ابن أبي شيبة من وجه آخر، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر أنه كان يصلي سبحته مكانه. وما ذكره عن القاسم وهو ابن محمد بن أبي بكر وصله ابن أبي شيبة، وما ذكره عن أبي هريرة وقال: لم يصح لضعف إسناده واضطرابه. تفرد به ليث بن أبي سليم وهو ضعيف. واختلف عليه فيه هذا الذي ذكر في حق الإمام، والأحسن للمأموم عندنا أيضاً أن ينتقل عن مكانه لما روي عن محمد بن الحسن أنه قال: يستحب للقوم أيضاً أن ينقضوا الصفوف ويتفرقوا ليزول الاشتباه عن الداخل المعاين، ولاستكثاره من شهوده لما روي أن مكان المصلي يشهد له يوم القيامة. كذا في البدائع.

(فإن كان خلفه نسوة) حضرن الصلاة **(لم يقم حتى ينصرفن)** أي يقمن من مواضعهن ويرجعن إلى منازلهن. وأخرج البخاري من حديث أم سلمة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه ومكث يسيراً قبل أن يقوم». قال الزهري: فأروي والله أعلم أن مكثه لكي ينفذ النساء قبل أن يدركهن من انصرف من القوم.

(وفي الخبر المشهور) الذي أخرجه مسلم، والترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها

ينصرفن. وفي الخبر المشهور: «أنه ﷺ لم يكن يقعد إلا قدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام».

(«أنه ﷺ لم يكن يقعد إلا قدر ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام»). هو مروي بالمعنى، إذ لفظ مسلم كان يقعد مقدار ما يقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام» ثم يقوم إلى السنّة. ولفظ الترمذي: «كان إذا سلّم لم يقعد إلا مقدار ما يقول» ثم ساقه كما عند المصنف اهـ.

والمراد بالمشهور المعنى اللغوي لا مصطلح أهل الحديث.

تنبيه:

قال شمس الأئمة الحلواني من أصحابنا: لا بأس بقراءة الأوراد بين الفريضة والسنّة. قال ابن الهمام في معنى هذا الكلام: وإنما قال لا بأس لأن المشهور من هذه العبارة استعمالها فيما يكون خلافه أولى منه، فكان معناها أن الأولى أن لا يقرأ الأوراد قبل السنّة، فلو فعل لا بأس به فلا تسقط بقراءته ذلك حتى إذا صلاّها بعد الاوراد تقع سنّة مؤداة لا على وجه السنة اهـ.

وقال في الاختيار، شرح المختار كل صلاة بعدها سنّة يكره القعود بعدها والدعاء بل يشتغل بالسنة. وأورد حديث عائشة السابق ذكره، ثم قال: أي فيندب الفصل بهذا لهذا اهـ.

قال ابن الهمام: فمن ادعى فصلاً أكثر مما ذكر في حديث عائشة فلينقله، ولا يقتضي الأكثر ما ورد من أنه ﷺ كان يقول دبر كل صلاة «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» الخ. والحديث الوارد في الأمر لفقراء المهاجرين بالتسبيح واخواته دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين إلى غير ذلك، لأنه لا يقتضي وصل هذه الأذكار بالفرض، بل كونها عقب السنة من غير اشتغال بما ليس من توابع الصلاة فصح كونها دبرها. ثم قال ابن الهمام: والحاصل أنه لم يثبت عنه عليه السلام الفصل بالاذكار التي يواظب عليها في المساجد في عصرنا من قراءة آية الكرسي والتسبيح وأخواته ثلاثاً وثلاثين وغيرها، بل ندب هو إليها، والقدر المتحقق أن كلاً من السنن والأوراد له نسبة إلى الفرائض بالتبعية، والذي ثبت عنه ﷺ هو ما روته عائشة عند مسلم والترمذي. وتقدم ذكره قال: فهو نص صريح في المراد، وما يتخايل منه أنه يخالفهلم يقو قوته، فوجب اتباع هذا النص. واعلم أن المذكور في حديث عائشة هذا لا يستلزم سنية هذا اللفظ بعينه دبر كل صلاة إذ لم تقل حتى يقول، وإلاّ أن يقول، فيجوز كونه ﷺ كان مرة يقوله ومرة يقول غيره من قوله: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» الخ. ومقتضى العبارة حينئذ أن السنّة أن يفصل بين الفرض والسنّة بذكر قدر ذلك وذلك يكون تقريباً فقد يزيد قليلاً وقد ينقص قليلاً وقد يدرج وقد يترسل، فأما ما يزيد مثل آية الكرسي وعدد التسبيحات فينبغي استنان تأخيرها عن السنّة ألبتة على أن ثبوت مواظبته ﷺ لا أعلمه، بل الثابت عنه ندبه إلى ذلك ولا يلزم من ندبه إلى شيء مواظبته عليه وإلاّ لم يفرق حينئذ بين السنّة والمندوب، وعندي قول الحلواني حكم آخر

الثالثة: إذا وثب فينبغي أن يقبل بوجهه على الناس، ويكره للمأموم القيام قبل

لا يعارض القولين يفيد عدم سقوط السنّة بقراءة الأوراد بين الفرض والسنة فقط اهـ.

تنبيه آخر:

قال ابن نجيم من علمائنا في البحر: إذا تكلم بكلام كثير أو أكل أو شرب بين الفرض والسنّة نقص ثواب السنّة ولا تبطل هو الأصح، ولذا لو أخّر السنة بعد الفرض ثم أداها في آخر الوقت لا تكون سنّة، وقيل: تكون سنّة، والأفضل في السنن أداؤها في المنزل إلا التراويح، وقيل: إن الفضيلة لا تختص بوجه دون وجه وهو الأصح، ولكن كل ما كان أبعد من الرياء وأجمع للخشوع والاخلاص هو الأفضل كذا في النهاية.

(الثالثة: إذا وثب) الإمام من موضعه **(فينبغي أن يقبل بوجهه على الناس)** إن شاء إذا لم يكن في مقابله مصل. قال البخاري في باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم عن سمرة بن جندب قال: كان النبي ﷺ إذا صلّى صلاة أقبل علينا بوجهه، وعن زيد بن خالد الجهني، فلما انصرف أقبل على الناس وعن أنس فلما صلى أقبل علينا بوجهه. قال ابن المنير: استدبار الإمام المأمومين إنما هو لحق الإمامة فإذا انقضت الصلاة زال السبب فاستقبالهم حينئذ يرفع الخيلاء والترفع عن المأمومين اهـ.

وقيل: الحكمة فيه تعريف الداخل بأن الصلاة انقضت إذ لو استمر الإمام على حاله لأوهم أنه في التشهد مثلاً. وقال أصحابنا: وإن شاء الإمام انحرف عن يمينه وجعل القبلة عن يساره، وهذا أولى لما في مسلم كنا إذا صلينا خلف رسول الله ﷺ أحببنا أن نكون عن يمينه حتى يقبل علينا بوجهه، وإن شاء ذهب لحوائجه لقوله تعالى: ﴿فإذا قُضيت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾ [الجمعة: ١٠] والأمر للاباحة وكونه في الجمعة لا ينفي كونها في غيرها بل يثبته فيه بطريق الدلالة، وقد تقدم أن الصلاة التي ليس بعدها تطوّع يكره للإمام المكث في مكانه قاعداً مستقبل القبلة كما هو مذهب أبي حنيفة، وعند الأكثرين لا بأس بالمكث حتى يأتي بالاذكار المأثورة ثم يتسنن، وقد تقدم الجمع بين الأقوال والأحاديث.

وقال الحافظ في فتح الباري: واستنبط من مجموع الأدلة أن للإمام أحوالاً، لأن الصلاة إما أن تكون مما يتنفل بعدها أو لا، فإن كان الأول فاختلف هل يتشاغل قبل التنفل بالذكر المأثور ثم يتنفل وبذلك أخذ الأكثرون أم لا؟ وبذلك أخذ الحنفية، وأما التي لا يتنفل بعدها كالعصر فيتشاغل الإمام ومن معه بالذكر المأثور ولا يتعين له مكان بل إن شاؤوا انصرفوا وذكروا، وإن شاؤوا مكثوا وذكروا، وإن كان للإمام عادة أن يعلمهم أو يعظهم فيستحب أن يقبل عليهم جميعاً، وإن كان لا يزيد على الذكر المأثور، فهل يقبل عليهم جميعاً أو ينتقل فيجعل يمينه من قبل المأمومين ويساره من قبل القبلة ويدعو؟ جزم بالثاني أكثر الشافعية. ويحتمل أن يستمر مستقبلاً للقبلة من أجل أنها أليق بالدعاء، ويحمل الأوّل ما لو طال الذكر والدعاء اهـ.

انفتال الإمام، فقد روي عن طلحة والزبير رضي الله عنهما أنهما صليا خلف إمام، فلما سلّما قالا للإمام: ما أحسن صلاتك وأتمها إلاّ شيئاً واحداً إنك لما سلمت لم تنفتل بوجهك. ثم قالا للناس: ما أحسن صلاتكم إلا أنكم انصرفتم قبل أن ينفتل إمامكم. ثم ينصرف الإمام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين أحب. هذه وظيفة الصلوات،

قلت: نقل بعض أصحابنا عن الحواشي البدرية أنه نقل عن الإمام أبي حنيفة في المسألة تفصيلاً آخر وهو أنه إذا كانت الجماعة عشرة حوّل وجهه إليهم يدعو وإلاّ ترجحت حرمة القبلة على الجماعة. وأورد فيه حديثاً من طريق الإمام.

وقد رده البرهان الحلبي في شرح المنية فقال: الانحراف والاستقبال لا تفصيل فيه بين عدد وعدد، وما ذكره هذا الرجل عن الإمام من أن الجماعة إن كانوا عشرة يلتفت إليهم وإلاّ فلا، وإن في الأول ترجيح حرمتهم على القبلة، وفي الثاني ترجيح القبلة عليهم، فهذا لا أصل له في الفقه وهو رجل مجهول فلا يقلد فيما قاله، ونقله عن الإمام فيما ليس له أصل، والذي رواه في هذا الباب موضوع كذب على النبي ﷺ، بل حرمة المسلم الواحد أرجح من حرمة القبلة اهـ.

قلت: وهو كما قال ليس كل ما ينقل عن الإمام مما ليس له أصل عند أصحابه يقلد فيه خصوصاً إذا لم يعلم توثيق الناقل، وأما إذا كان مجهولاً فينظر إن كان مجهول الاسم فيقبل، وإن كان مجهول الحال فلا. وقد تمحل بعض مشايخنا المتأخرين في الرد على الشارح فلم يصبِ والله أعلم.

(**ويكره للمأموم القيام**) من موضعه (**قبل انفتال الإمام**) أي انصرافه من القبلة إن لم يضطر لحاجة، فإن اضطر إليها فلا بأس أن يقوم لحاجته فإنه قد أدى ما أوجب الله عليه، (**فقد روي عن طلحة والزبير رضي الله عنهما**) ولفظ القوت: واستحب للإمام إذا سلّم أن يسرع الانفتال بوجهه إلى الناس وأكره للمأموم القيام قبل انفتال الإمام، فقد روينا في ذلك سنّة حسنة عن طلحة والزبير رضي الله عنهما (**أنهما صليا**) في البصرة (**خلف إمام، فلما سلما قالا للإمام: ما أحسن صلاتك وأتمها**) هي كما كنا نصلي (**إلا شيئاً واحد انك لما سلمت لم تقبل**) كذا في النسخ، ولفظ القوت: لم تلتفت (**بوجهك**) أي إلى الناس، (**ثم قالا للناس: ما أحسن صلاتكم**). ولفظ القوت: ما أحسن ما صليتم (**إلاّ أنكم انصرفتم قبل أن ينفتل إمامكم**)، فلذلك قلنا ذاك إلى هنا لفظ القوت، (**ثم ينصرف الإمام حيث شاء من يمينه وشماله**) وكل ذلك من فعله ﷺ (**واليمين أحب**) لشرفه. نقله في المجموع عن أنس والأصحاب، وعند أصحابنا أنه يستحب أن يتحوّل إلى جهة اليسار أي يسار المستقبل لأن يمين المقابل جهة يسار المستقبل فيتحوّل إليه لأن لليمين فضلاً، (**هذه وظيفة الصلوات**) الخمس للإمام.

وأما الصبح فزيد فيها القنوت فيقول الإمام: « اللهم اهدنا » ولا يقول: « اللهم اهدني » ويؤمن المأموم. فإذا انتهى إلى قوله: « إنك تقضي ولا يقضى عليك » فلا يليق به التأمين وهو ثناء فيقرأ معه فيقول مثل قوله أو يقول: « بلى وأنا على ذلك من الشاهدين » أو « صدقت وبررت » وما أشبه ذلك. وقد روي حديث في رفع اليدين في

(**وأما**) صلاة (**الصبح فيزيد فيها القنوت**) المعهود الذي تقدم ذكره آنفاً. واختلف هل شروعه بعد ذكر الاعتدال من الثانية وهو الذي ذكره البغوي في التهذيب وصوبه الأسنوي، وقال الماوردي: محل القنوت إذا فرغ من قوله: « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد » فحينئذ يقنت، وعليه اقتصر ابن الرفعة وقال في الأقليد: إنه قضية القياس لأن القنوت إذا انضم إلى الذكر المشروع في الاعتدال طال الاعتدال وهو ركن قصير بلا خلاف،. وعمل الأئمة.لجهلهم بفقه الصلاة فإن الجمع إن لم يكن مبطلاً فلا شك أنه مكروه اهـ.

(**فيقول**) بلفظ الجمع: (**اللهم اهدنا**) فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت » الخ. (**ولا يقول « اللهم اهدني »**) بالإفراد لما سبق أنه يكره للإمام أن يخص نفسه بالدعاء، (**ويؤمن المأموم**) أي يقول عند كل جلة من جل القنوت آمين، وهذا يدل على أن الإمام يجهر به، وهو الظاهر من حديث أبي هريرة عند البخاري وإلا لما سمعوه بل قال في رواية يجهر بذلك فصرح بالظاهر، وعند أبي داود من حديث ابن عباس: « ويؤمن من خلفه ». وهذا أيضاً يدل على الجهر. وأخرجه الحاكم وصححه، وتقدم عن الرافعي: ثم للإمام هل يجهر به أم لا ؟ قولان.أظهرهما يجهر به اهـ.

وقال العراقي: الجهر أصح الوجهين قال: في وجه يسر كسائر الأذكار وقال: وأما المنفرد فجزم القاضي حسين والبغوي والماوردي أنه يسر به، وقال النووي في التحقيق: إنه لا خلاف فيه اهـ.

قال: وكلام البندنيجي يدل على الجهر فإنه عبر بقوله: ويجهر به المصلي اهـ.

(**فإذا انتهى**) الإمام (**إلى قوله: « فإنك تقضي ولا يقضى عليك » فلا يليق به**) أي بالمأموم (**التأمين لأنه ثناء**) على الله تعالى وليس بدعاء (**فيقرأ معه**) موافقة وهو الأليق، ثم انه يقرأ ذلك مع الإمام سراً كما في شرح المنهاج، وفي الروضة يقول: الثناء أو يسكت اهـ.

(**و**) قيل: يقول الثناء. (**يقـول: « بلى وأنا على ذلك من الشاهدين »**) وقال المتولي: أو يقول « أشهد »، (**أو يقول « صدقت وبررت »**) بكسر الراء الأولى كما يقول في إجابة المؤذن، (**وما أشبه ذلك**) من الأقوال. وهناك أقوال أخر ذكرها شارح المنهاج أن يؤمن على إمامه ويقوله بعد أو يؤمن في الكل أو يوافقه في الكل كالاستعاذة، وقيل: يتخير بين التأمين والقنوت، وهذا كله إذا جهر به الإمام، وإما إذا لم يجهر به أو جهر به ولم يسمعه بأن سمع صوتاً لم يفسره أو لصمم أو بعد قنت ندباً معه كسائر الدعوات والأذكار التي لم يسمعها.

القنوت، فإذا صحَّ الحديث استحب ذلك، وإن كان على خلاف الدعوات في آخر التشهد إذ لا يرفع بسببها اليد، بل التعويل على التوقيف وبينهما أيضاً فرق وذلك أن للأيدي وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لها

تنبيه:

ويشكل على قول المصنف أو يقول: « صدقت وبررت » ما نقل الأصحاب في باب الأذان من أن المصلي إذا أجاب المؤذن تبطل صلاته. والجواب: إنما قلنا ببطلان الصلاة في الأذان لأنه ارتباط بين المصلي والمؤذن بخلاف الإمام والمأموم، هذا والأوجه البطلان فيهما. كذا في شرح المنهاج.

تنبيه آخر:

وإذا أتى بالصلاة على النبي ﷺ في آخر القنوت كما تقدم، فهل يؤمن لها أو يقول مثل ما يقول الأمام؟ وبالأول قال المحب الطبري في شرح التنبيه وهو الراجح، والثاني ذكره المصنف احتمالاً والله أعلم.

(وقد روي حديث في رفع اليدين في القنوت فإذا صح الحديث استحب ذلك) .

قال العراقي: رواه البيهقي من حديث أنس بسند جيد في قصة قتل القراء، فلقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم اهـ.

قلت: وقوله بسند جيد ليس بجيد، فإن هذا الحديث أخرجه البيهقي من طريق علي بن الصفر السكري، حدثنا عفان، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس. وقد قال الذهبي في مختصره، المهذب. قال الدارقطني: علي ليس بالقوي، وقال الحافظ في تخريج الرافعي: رفع اليدين في القنوت روي عن ابن مسعود وعمر وعثمان، أما ابن مسعود فرواه ابن المنذر والبيهقي، وأما عمر فرواه البيهقي وغيره وهو في رفع اليدين للبخاري، وأما عثمان فلم أره، وقال البيهقي روي أيضاً عن أبي هريرة اهـ.

قلت: الذي روي عن ابن مسعود وأبي هريرة في قنوت الوتر لا الصبح، وقد روي أيضاً من حديث علي لكن سنده ضعيف، والذي صح من ذلك حديث عمر، فقد أخرجه البيهقي من طريقين عن أبي عثمان النهدي عنه، وعن أبي رافع، وعن عمر، وروي ذلك عن الحسن البصري، فلو استدل العراقي بحديث عمر كان أولى فحيث أن الحديث صح فيستحب ذلك **(وإن كان على خلاف الدعوات)** التي **(في آخر التشهد إذا لا ترفع بسببها الأيدي عند ذلك)** كسائر الدعوات والأذكار، **(بل التعويل)** أي الاعتماد **(على التوقيف)** من الشارع، **(وبينهما أيضاً فرق وذلك لأن للأيدي وظيفة في التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة**

ههنا، فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة في القنوت، فإنه لائق بالدعاء والله أعلم. فهذه جمل آداب القدوة والإمامة والله الموفق.

الباب الخامس

في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها:

مخصوصة) تقدم بيانها، **(ولا وظيفة لهما)** أي لليدين **(ههنا)** أي في القنوت، **(فلا يبعد أن يكون رفعها هي الوظيفة في القنوت فإنه لائق بالدعاء والله أعلم)** .

فقد ورد من حديث عائشة « أنه رفع يديه في دعائه لأهل البقيع » رواه مسلم. وعنده عن ابن عمر مرفوعاً « أنه رفع يديه في دعائه يوم بدر » وللبخاري عن ابن عمر « أنه رفعهما عند الجمرة الوسطى » وعن أنس « أنه رفعهما لما فتح خيبر » واتفقا في رفع يديه عند دعائه لأبي موسى الأشعري.

وروى البخاري في الجزء الذي سماه رفع اليدين أنه رفع يديه في مواطن عن عائشة وأبي هريرة وجابر وعلي وقال: طرقها صحيحة والله أعلم.

وهل يمسح بهما وجهه؟ ففي المنهاج لا . لعدم وروده كما قاله البيهقي، وقيل: يمسح كما ورد فامسحوا بها وجوهكم، ورد بأن طرقه واهية، وظاهر سياق المحرر أنه فيه خلاف، ولكن الأصح الأول، وأما مسح غير الوجه كالصدر فلا يسن قطعاً، بل نص جماعة على كراهته، وأما مسح الوجه عقيب الدعاء فجزم في التحقيق باستحبابه، وأنكره العز بن عبد السلام وعند أصحابنا كما جزم به النووي، وقد وردت في ذلك أخبار .

(فهذه جمل آداب القدوة والإمامة والله الموفق) لا رب غيره ولا خير إلا خيره، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

الباب الخامس

في فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها

اعلم أن الجمعة من الاجتماع كالنجعة من الانتجاع وهو بسكون الميم أهل اللسان والقراء يضمونها. وفي المصباح ضم الميم لغة الحجاز وفتحها لغة تميم وإسكانها لغة عقيل وقرأ بها الأعمش، والجمع جمع وجمعات كغرف وغرفات في وجوهها. انتهى إليها اليوم والصلاة ثم كثر انتمى الاستعمال حتى حذف منها المضاف وسمي اليوم بها لما جمع فيه من الخير، وقيل: لأنه جمع فيه خلق آدم عليه السلام، وقيل: لاجتماعه فيها مع حواء عليهما السلام في الأرض كذا في شرح المنهاج.

وقال القسطلاني: الجمعة بضم الميم إتباعاً لضمة الجيم كعسر في عسر اسم من الاجتماع، وجوز إسكانها مع الأصل للمفعول كهزأة وهي لغة تميم، وقرأ بها المطوعي عن الأعمش وفتحها بمعنى فاعل أي اليوم الجامع فهو كهمزة ولم يقرأ بها، واستشكل كونه أنث وهو صفة اليوم. وأجيب: بأن التاء ليست للتأنيث بل للمبالغة كما في رجل علامة أو هو صفة للساعة، وحكي الكسر أيضاً اهـ.

وقال العراقي في شرح التقريب يوم الجمعة بضم الميم وإسكانها وفتحها ثلاث لغات: الأول: أشهرهن وبها قرأ السبعة والإسكان قراءة الأعمش وهو تخفيف من الضم وفتح الجيم حكاه في المحكم، وجهه بأنها التي تجمع الناس كثيراً كما قالوا: رجل ضحكة يكثر الضحك وحكاها الواحدي عن الفراء، والمشهور أن سبب تسميتها جمعة اجتماع الناس فيها.

وقيل: لأنه جمع فيه خلق آدم عليه السلام حكاه في المحكم عن الفراء أنه روي عن ابن عباس، وذكر النووي في تهذيبه أنه جاء فيها عن النبي ﷺ أنها سميت لذلك. قال: والذي يعني به الزين العراقي في شرح الترمذي ولم أجد لهذا الحديث أصلاً اهـ.

وقيل: لأن المخلوقات اجتمع خلقها وفرغ منها يوم الجمعة حكاه في المشارق.

وقيل: لاجتماع آدم عليه السلام فيه مع حواء في الأرض. رواه الحاكم في مستدركه من حديث سلمان الفارسي قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا سلمان ما يوم الجمعة» قلت: الله ورسوله أعلم قال: «يا سلمان يوم الجمعة فيه جمع أبوكم وأمكم».

وقيل: لأن قريشاً تجتمع فيه إلى قصر في دار الندوة حكاه في المحكم عن ثعلب. فهذه خمسة أوجه في سبب تسميتها بذلك، واختلفوا هل كان في الجاهلية اسماً له أو حدثت التسمية به في الإسلام؟ فذهب إلى الأول ثعلب وقال: إن أول من سماه بذلك كعب بن لؤي، وذهب غيره إلى الثاني حكى هذا الخلاف ابن سيده في المحكم والسهيلي وله أسماء أخر منها: يوم العروبة كان اسمه في الجاهلية. قال أبو جعفر النحاس في كتابه صناعة الكتاب: معناه اليوم البين المعظم من أعرب إذا بين اهـ.

وقال أبو موسى المديني في ذيله على الغريبين: والأفصح أنه لا يدخلها الألف واللام قال، وكأنه ليس بعربي، ومن أسمائه حربة حكاه أبو جعفر النحاس أي: مرتفع عال كالحربة. قال: وقيل من هذا اشتق المحراب، ومن أسمائه يوم المزيد رواه الطبراني في الأوسط عن أنس بإسناد ضعيف، ومن أسمائه حج المساكين جاء ذكره في حديث ابن عباس عند الحرث بن أسامة في مسنده من رواية الضحاك بن مزاحم عنه مرفوعاً، وهو منقطع. الضحاك لم يلق ابن عباس اهـ.

قلت: وسيأتي ذكر يوم المزيد في سياق المصنف قريباً، وكون أول من سمى هذا اليوم بالجمعة كعب بن لؤي وكانوا يسمونه العروبة ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب، ونقله

فضيلة الجمعة:

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الإسلام وخصص به المسلمين. قال الله تعالى: ﴿ إذا نُودِيَ للصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ الله وَذَرُوا البَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩] فحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكلّ صارف عن السعي إلى يوم الجمعة. وقال ﷺ: « إن الله

السهيلي في الروض، وابن الجوزي في المقدمة الفاضلية، ورأيته هكذا في أنساب قريش، ونقله أيضاً السيوطي في الأوليات.

فضيلة الجمعة

أي يومها. (**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن هذا يوم عظيم عظم الله به الإسلام**) وزينه (**وخصص به المسلمين**) من هذه الأمة دون غيرهم من الأمم السابقة وشرفهم به وفضلهم. (**قال الله تعالى**) في كتابه العزيز: ﴿يا أيها الذين آمنوا (**إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع**) ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ [الجمعة: ٩] وقوله ﴿ إذا نودي للصلاة ﴾ أيأذن لها عند قعود الإمام على المنبر ومن يوم الجمعة بيان وتفسير لإذا. وقيل بمعنى « في » وقوله ﴿فاسعوا﴾ هي القراءة المشهورة المتفق عليها. وكان عمر رضي الله عنه يقرؤها ﴿فامضوا إلى ذكر الله﴾ وينكر على أبي بن كعب قراءته، وكان يقول أبي أعلمنا بالمنسوخ. هكذا أخرجه عبد بن حميد وغيره، ورويت كذلك عن ابن مسعود كما هو عند الطبراني، وأبي بكر بن أبي شيبة، وروي عن ابن عباس أنه قال: فاسعوا أي امضوا أخرجه عبد بن حميد.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم، وابن أبي شيبة، وابن المنذر عن الحسن أنه سئل عن قوله تعالى ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ قال: ما هو السعي على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع، وروي مثله عن قتادة كما عند البيهقي في الشعب. وقال عطاء: السعي الذهاب والمشي أخرجه ابن المنذر.

وأخرج البيهقي في السنن عن عبدالله بن الصامت قال: خرجت إلى المسجد يوم الجمعة فلقيت أبا ذر، فبينا أنا أمشي إذا سمعت النداء فرفعت في المشي فجذبني جذبة فقال: أو لسنا في سعي؟ وقال سعيد بن المسيب في تفسير قوله ﴿ذكر الله﴾ أي موعظة الإمام أخرجه ابن أبي شيبة أو الخطبة أو الصلاة أو هما معاً. والأمر بالسعي لها يدل على وجوبها إذ لا يدل السعي إلا على واجب. وقوله تعالى ﴿وذروا البيع﴾ أي اتركوه. وفي معناه الشراء. وقال الضحاك: إذا زالت الشمس من يوم الجمعة حرم البيع والتجارة حتى تنقضي الصلاة أخرجه ابن أبي شيبة. وقال مجاهد: من باع شيئاً بعد الزوال من يوم الجمعة فإن بيعه مردود لهذه الآية. أخرجه ابن المنذر.

وقال المصنف (**فحرم الاشتغال بأمور الدنيا وبكل صارف**) أي مانع (**عن السعي إلى الجمعة**) عند طائفة من العلماء لعموم النهي عنه. وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن

عز وجل فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا ». وقال ﷺ: « من ترك الجمعة ثلاثاً من غير عذر طبع الله على قلبه » وفي لفظ آخر: « فقد نبذ الإسلام وراء

المنذر، عن ابن جريج قال؛ قلت لعطاء: هل تعلم من شيء يحرم إذا أذن بالأولى سوى البيع؟ قال عطاء إذا نودي بالأولى حرم اللهو والبيع والصناعات كلها هي بمنزلة البيع والرقاد، وإن يأتي الرجل أهله، وأن يكتب كتاباً. ومنهم من جعل البيع فاسداً عند الأذان الأول كما روي ذلك عن بعض السلف، ومنهم من خصه بالأذان الثاني وهو مع خروج الإمام إذا قعد على المنبر.

(**وقال ﷺ: « إن الله فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا »**). قال العراقي: أخرجه ابن ماجه من حديث جابر بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: ولفظ ابن ماجه أن رسول الله ﷺ خطب فقال: « إن الله افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا في يومي هذا وفي شهري هذا في عامي هذا إلى يوم القيامة فمن تركها استخفافاً بها أو جحوداً بها فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره ألا ولا صلاة له ولا زكاة له ولا حج له ولا بركة حتى يتوب فمن تاب تاب الله عليه ».

(**وقال ﷺ: « من ترك الجمعة**) أي صلاتها (**ثلاثاً**) أي ثلاث جمع متوالية (**من غير عذر**) من الأعذار المذكورة فيما بعد (**طبع على قلبه »**) وفي رواية: طبع الله على قلبه أي ختم عليه وغشاه ومنعه الطاعة أو جعل فيه الجهل والجفاء والقسوة أو صير قلبه منافقاً. قال العراقي: رواه أحمد واللفظ له، وأصحاب السنن، والحاكم، وصححه من حديث أبي الجعد الضمري اهـ.

قلت: وأخرجه كذلك ابن أبي شيبة، وأبو يعلى، والطبراني، والبغوي، والباوري، وأبو نعيم في المعرفة، والبيهقي، وابن حبان وحسنه الترمذي، وأما الحاكم فأخرجه في كتاب الكنى وفي المناقب من المستدرك وليس لأبي الجعد حديث غيره كما نقل عن البخاري قال: ولا أعرف له اسماً لكن ذكر العسكري أن اسمه الأدرع، وقيل: جنادة صحابي له حديث قتل يوم الجمل اهـ.

وقال الحاكم مرة هو على شرط مسلم، وعده الحافظ السيوطي من الأحاديث المتواترة وقال الذهبي في التلخيص: سنده قوي وفي بعض رواياتهم « من ترك ثلاث جمع تهاوناً » والباقي سواء، ولفظ أبي يعلى وابن حبان « فهو منافق » بدل قوله « طبع الله على قلبه ».

وأخرجه ابن أبي شيبة أيضاً عن سمرة بن جندب مرفوعاً بلفظ « طمس على قلبه ».

وأخرج أحمد والحاكم والسراج وابن الضريس من حديث أبي قتادة مرفوعاً بلفظ: « من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير ضرورة طبع الله على قلبه ».

وأخرج النسائي، وابن خزيمة، والحاكم من حديث جابر مثله، وأخرج أبو يعلى، وابن خزيمة، والبيهقي مثله.

وأخرج أبو يعلى، ومحمد بن نصر من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عمه مرفوعاً « من ترك الجمعة ثلاثاً طبع الله قلبه وجعل قلبه قلب منافق ».

ظهره ».

واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة، فقال: في النار، فلم يزل يتردد إليه شهراً يسأله عن ذلك وهو يقول: في النار. وفي الخبر: إن أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الأمة وجعله عيداً لهم، فهم أولى الناس به سبقاً وأهل الكتابين لهم

وأخرج المحاملي في أماليه، والخطيب، وابن عساكر من حديث عائشة بلفظ: «من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير علة ولا مرض ولا عذر طبع الله على قلبه». وأخرج الطبراني في الكبير، والدارقطني في الافراد من حديث أسامة بن زيد بلفظ: «كتب من المنافقين». وعند الديلمي من حديث أبي هريرة «من ترك الجمعة لم يكن له في تركها عذر كتبه الله في كتابه الذي لا يمحى ولا يبدل منافقاً إلى يوم القيامة».

(وفي لفظ آخر: «فقد نبذ الإسلام وراء ظهره») قال العراقي: رواه البيهقي في البعث من حديث ابن عباس اهـ.

قلت: وكذا رواه أبو يعلى ولفظه: «من ترك ثلاث جمع متواليات» والباقي سواء. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، ورواه الشيرازي في الألقاب بلفظ: «من ترك أربع جمع متواليات من غير عذر» والباقي سواء.

(واختلف رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله عن رجل مات ولم يكن يشهد جمعة ولا جماعة) أي الصلاة معهم، **(فقال)**: هو **(في النار)** أي يستحق دخولها لتركه إياها تهاوناً واستخفافاً، **(فلم يزل يتردد إليه شهراً يسأله عن ذلك وهو)** يجيبه **(يقول في النار)** هكذا أورده صاحب القوت، وإنما أجابه ابن عباس بما أجاب تغليظاً عليه في ذلك.

(وفي الخبر: إن أهل الكتابين) أي اليهود والنصارى **(أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له)** أي: أرشدنا إليه بمنه **(وأخره لهذه الأمة)** المحمدية **(وجعله عيداً لهم، فهم)** أولى الناس به و**(أول الناس به سبقاً وأهل الكتابين لهم تبع)** هكذا هو في سياق القوت، ومعنى اختلافهم فيه هو أنه هل يلزمهم بعينه أم يسوغ إبداله بغيره من الأيام، فاجتهدوا في ذلك فأخطأوا ومعنى هداية الله لنا إياه ان نص لنا عليه ولم يكلنا إلى اجتهاد، ويدل لقوله: اعطوا الجمعة ما رواه ابن أبي حاتم عن السدي أن الله فرض على اليهود الجمعة فقالوا يا موسى: إن الله لم يخلق يوم السبت شيئاً فاجعل لنا فجعل عليهم. قال العراقي: الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه اهـ.

قلت: وأخرجه النسائي كذلك، وكلهم من طريق أبي الزناد عن الأعرج أنه سمع أبا هريرة يقول واللفظ للبخاري، سمع رسول الله ﷺ يقول: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم، فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غداً والنصارى بعد غد». هذا أول حديث في الباب. وأورده كذلك بعد أبواب

تبع. وفي حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: وأتاني جبرائيل عليه السلام في كفه مرآة بيضاء وقال: هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيداً ولأمتك من بعدك. قلت: فما لنا فيها؟ قال: لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو ليس له قسم ذخر له ما هو أعظم منه، أو تعوذ من شر هو مكتوب عليه إلا أعاذه الله عز وجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد. قلت: ولـمَ قال: إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة وادياً أفيح من المسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا إلى وجهه الكريم». وقال ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه

من طريق ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة نحو ذلك، وأورده أيضاً في تفسير بني إسرائيل وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين، عن أبي زرعة الدمشقي، عن أبي اليمان شيخ البخاري قبل سياقه الأول.

(**وفي حديث أنس**) بن مالك رضي الله عنه، (**عن النبي ﷺ أنه قال: «أتاني جبريل**) عليه السلام (**في كفه مرآة**) كمشكاة ما يتراءى فيه الوجه (**بيضاء وقال: هذه الجمعة**) وفي القوت: فقال بالفاء (**يعرضها عليك ربك لتكون عيداً لك ولأمتك**) وفي القوت: لك عيداً ولأمتك (**من بعدك قلت: فما لنا فيها؟ قال: لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير هو قسم له**) وفي القوت: هو له قسم (**أعطاه الله**) تعالى (**إياه أو ليس له قسم ذخر له ما هو أعظم منه، أو تعوذ من شر هو مكتوب عليه**) ولفظ القوت: من شر عليه مكتوب (**إلا أعاذه الله تعالى من أعظم منه**) وليس في القوت: من أعظم (**وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد**) ولفظ القوت: ونحن نسميه يوم المزيد (**قلت: ولم قال: إن ربك تعالى اتخذ في الجنة وادياً أفيح**) أي أكثر فوحاً (**من مسك أبيض**) وفي القوت: أذفر أبيض (**فإذا كان يوم الجمعة نزل من عليين**) جمع علّي بكسر فتشديد لام وياء وهي الغرفة العالية (**على كرسيه**) وفي القوت بعد قوله عليين ما نصه وذكر الحديث قال فيه: (**فيتجلى لهم حتى ينظروا إلى وجهه»**). قال صاحب القوت: وذكرنا الحديث بتمامه في مسند الألف.

قلت: وقد ظهر بهذا أن الذي ذكره هنا ليس بتام السياق وما ذكر تمامه قريباً.

قال العراقي رواه الشافعي في المسند، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه في التفسير باسانيد ضعيفة مع اختلاف اهـ.

ووجدت في طرة الكتاب أن الطبراني رواه بإسنادين: أحدهما جيد قوي، والبزار وأبو يعلى مختصراً ورواته رواة الصحيح عن أنس من حديث طويل اهـ.

ولفظ الشافعي في المسند: حدثني إبراهيم بن محمد قال موسى بن عبيدة، حدثني أبو الأزهر

....

معاوية بن إسحاق بن طلحة، عن عبدالله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول: أتى جبريل عليه السلام بمرآة بيضاء فيها وكتة إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ «ما هذه؟ فقال: هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير إلا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد. قال النبي ﷺ يا جبريل: وما يوم المزيد؟ قال: إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفيح فيه كثب مسك فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد للنبيين وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب، فيقول الله تعالى: أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك. فيقول: قد رضيت عنكم ولكن عليَّ ما تمنيتم ولدي مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخيرات، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش، وفيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة». قال الشافعي: أخبرنا إبراهيم بن محمد قال: حدثني أبو عمران إبراهيم بن الجعد، عن أنس شبيهاً به وزاد عليه: «ولكم فيه خير من دعا فيه بخير هو له ولكم قسم أعطيه وإن لم يكن قسم ذخر له ما هو خير منه». وزاد فيه أيضاً أشياء اهـ. ما في المسند.

وفي المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة في باب فضل الجمعة ويومها: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن ليث، عن عثمان، عن أنس قال؛ قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل وفي يده كالمرآة البيضاء فيها كالنكتة السوداء فقلت يا جبريل: ما هذه؟ قال: هذه الجمعة. قال؛ قلت: وما الجمعة؟ قال لكم فيها خير. قال، قلت: وما لنا فيها؟ قال: تكون عيداً لك ولقومك من بعدك، ويكون اليهود والنصارى تبعاً لك. قال، قلت: وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئاً من أمور الدنيا والآخرة هو له قسم إلا أعطاه إياه أو ليس له بقسم إلا ذخر له عنده ما هو أفضل منه أو يتعوذ به من شر هو عليه مكتوب إلا صرف عنه من البلاء ما هو أعظم منه. قال: قلت: وما هذه النكتة فيها؟ قال: هي الساعة وهي تقوم يوم الجمعة، وهو عندنا سيد الأيام ونحن ندعوه يوم القيامة ويوم المـزيد. قال، قلت: مم ذاك؛ قال: لأن ربك تبارك وتعالى اتخذ في الجنة وادياً من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه تبارك وتعالى ثم حف الكرسي بمنابر من ذهب مكللة بالجوهر ثم يجيء النبيون حتى يجلسوا عليها وينزل أهل الغرف حتى يجلسوا على ذلك الكثيب، ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى ثم يقول: سلوني أعطكم فيسألونه الرضا. قال، فيشهدهم أنه قد رضي عنهم. قال، فيفتح لهم ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر. قال، وذلكم مقدار انصرافكم من يوم الجمعة. قال، ثم يرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهي درة بيضاء ليس فيها فصم ولا وصم أودرة حمراء أو زبرجدة خضراء. فيها غرفها وأبوابها مطرزة، وفيها أنهارها وثمارها متدلية. قال، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا إلى ربهم نظراً، وليزدادوا منه كرامة».

خلق آدم عليه السلام، وفيه أدخل الجنة، وفيه أهبط إلى الأرض، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة في السماء، وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة». وفي الخبر: «إن لله عز وجل في كل جمعة ستمائة

أبو معاوية عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس رفعه: «جاءني جبريل بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء قال، فقلت ما هذه؟ قال: هذه الجمعة وفيها ساعة» اهـ.

قلت: ليث ويزيد ضعيفان.

وأخرج الخطيب، عن ابن عمر قال: نزل جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ وفي يده شبه مرآة فيها نكتة سوداء فقال: «يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الجمعة».

(وقال ﷺ: «خير يوم طلعت عليه) وفي رواية: فيه **(الشمس يوم الجمعة وذلك لأنه فيه خلق آدم عليه السلام، وفيه أدخل الجنة، وفيه اهبط منها إلى الأرض، وفيه تيب عليه)** أي قبلت توبته، **(وفيه تقوم الساعة)** أي بين الصبح وطلوع الشمس، **(وهو عند الله)** يدعى **(يوم المزيد، وكذلك تسميه الملائكة في السماء وهو يوم النظر إلى الله تعالى في الجنة»)** هكذا أورده صاحب القوت، وقد ذكر العراقي أنه أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

والذي أخرجه مسلم، وكذا الإمام أحمد، والترمذي، وابن مردويه «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة».

وعند مالك في الموطأ، وأحمد أيضاً وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم كلهم عن أبي هريرة بلفظ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه اهبط، وفيه تيب عليه، وفيه قبض، وفيه تقوم الساعة» الحديث. وهكذا أخرجه الشافعي في المسند، وليس عندهم ذكر يوم المزيد ولا يوم النظر وقال الترمذي: صحيح، وقال الحاكم: على شرطهما، وأقره الذهبي في التلخيص. قال المناوي: واختصاص هذا اليوم بوقوع ما ذكر فيه يدل على غيره بالخيرية، لأن خروج آدم فيه من الجنة سبب للخلافة الإلهية في الأرض وانزال الكتب وقيام الساعة سبب تعجيل جزاء الأخيار وإظهار شرفهم، فزعم أن هذه القضايا فيه لا تدل على فضيلة في حيز المنع.

تنبيه:

في سياق المصنف وهو عند الله يوم المزيد الخ ما هو في حديث أنس الذي تقدم ذكره، وصاحب القوت لما ذكر هذا الحديث انتهى به إلى قوله: «وفيه تقوم الساعة» ثم قال من عنده: «وهو يوم المزيد عند الله» فظنه المصنف من تتمة الحديث وليس كذلك.

ألف عتيق من النار». وفي حديث أنس رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام». وقال ﷺ: «إن الجحيم تسعر في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء فلا تصلوا في هذه الساعة إلا يوم الجمعة فإنه صلاة كله وإن جهنم لا تسعر فيه» وقال كعب: إن الله عز وجل فضل من البلدان مكة، ومن

(وفي الخبر: «إن لله عز وجل في كل يوم جمعة ستمائة ألف عتيق من النار») كذا في القوت. وقال العراقي: أخرجه ابن عدي في الكامل، وابن حبان في الضعفاء، والبيهقي في الشعب من حديث أنس، قال الدارقطني في العلل: والحديث غير ثابت.

(وفي حديث أنس) بن مالك رضي الله عنه، **(عن رسول الله ﷺ قال: «إذا سلمت الجمعة)** أي يومها من وقوع الآثام فيه **(سلمت الأيام)** أي أيام الأسبوع في المؤاخذة. كذا في القوت. وقال العراقي: أخرجه ابن حبان في الضعفاء، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب من حديث عائشة، ولم أجده من حديث أنس اهـ.

قلت: وأخرجه الدارقطني في الأفراد عن أبي محمد بن صاعد، عن إبراهيم بن سعيد الجوهري، عن عبد العزيز بن أبان، عن سفيان الثوري، عن هشام عن أبيه، عن عائشة بلفظ: «إذا سلمت الجمعة سلمت الأيام، وإذا سلم رمضان سلمت السنة» أورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال: تفرد به عبد العزيز وهو كذاب. ورواه أبو نعيم في الحلية وقال: تفرد به إبراهيم بن سعيد الجوهري عن أبي خالد القرشي اهـ يعني به عبد العزيز المذكور. ورواه البيهقي من طريق أخرى لا تصح أيضاً، وإنما يعرف هذا من حديث عبد العزيز بن سفيان وهو ضعيف بمرة، وفي الميزان عبد العزيز بن أبان أحد المتروكين. قال يحي: كذاب خبيث حدث بأحاديث موضوعة، وقال أبو حاتم: لا يكتب حديثه، وقال البخاري: تركوه، ثم ساق صاحب الميزان له هذا الحديث، وتعقب الحافظ السيوطي ابن الجوزي في ذكره إياه في الموضوعات، ورد دعوى تفرد عبد العزيز به، وأورده من طريق آخر ليس في سنده من تكلم فيه، والله أعلم.

(وقال ﷺ: «إن الجحيم تسعر) ولفظ القوت: إن جهنم تسعر **(في كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس في كبد السماء)** أي وسطه **(فلا تصلّوا في هذه الساعة إلا في يوم الجمعة فإنه صلاة كله وإن جهنم لا تسعر فيه»)**. قال المناوي: وسره أنه أفضل الأيام عند الله تعالى، ويقع فيه من العبادة والابتهال ما يمنع تسجر النار فيه، وكذا تكون معاصي أهل الايمان فيه أقل منها في غيره، حتى أن أهل الفجور ليمتنعون فيه مما لا يمتنعون منه في غيره.

وقال العراقي: أخرجه أبو داود في السنن، عن أبي قتادة وأعله بالانقطاع اهـ.

قلت: ولفظه: ان جهنم تسجر إلا يوم الجمعة، وقد استنبط القرطبي من هذا الحديث جواز النافلة في يوم الجمعة عند قائم الظهيرة دون غيرها من الأيام.

(وقال كعب) الحبر رحمة الله تعالى: **(إن الله عز وجل فضل)** من كل شيء خلقه شيئاً،

الشهور رمضان، ومن الأيام الجمعة، ومن الليالي ليلة القدر. ويقال: إن الطير والهوام يلقى بعضها بعضاً في يوم الجمعة فتقول: سلام سلام يوم صالح. وقال ﷺ: «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقي فتنة القبر».

بيان شروط الجمعة:

اعلم أنها تشارك جميع الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط:

ففضل (**من البلدان مكة، ومن الشهور رمضان، ومن الأيام الجمعة، ومن الليالي ليلة القدر**) كذا في القوت، (**ويقال: إن الطير والهوام يلقى بعضها بعضاً**) في (**يوم الجمعة فيقول: سلام سلام يوم صالح**) كذا في القوت، والسر في ذلك أن الساعة كما تقدم تقوم يوم الجمعة بين الصبح وطلوع الشمس، فما من دابة إلا وهي مشفقة من قيامها في صباح هذا اليوم، فإذا أصبحن حمدن الله تعالى وسلمن على بعضهن وقلن: يوم صالح حيث لم تقم فيها الساعة.

(**وقال ﷺ: «من مات يوم الجمعة كتب له أجر شهيد ووقي فتنة القبر»**).

قال العراقي: أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث جابر وهو ضعيف، وللترمذي نحوه من حديث عبدالله بن عمرو وقال: غريب وليس اسناده بمتصل. قال العراقي: ووصله الترمذي الحكيم في النوادر بزيادة عياض بن عقبة الفهري بينهما، وقيل: لم يسمع عياض أيضاً من عبدالله بن عمرو وبينهما رجل من الصدف، ورواه أحمد من رواية أبي قبيل عن عبدالله بن عمرو وفيه بقية بن الوليد رواه بالعنعنة اهـ.

ووجد بخط الحافظ ابن حجر في طرة الكتاب ما نصه: الرواية التي فيها رجل من الصدف رواها حميد بن زنجويه في الترغيب له من طريق ربيعة بن سيف، عن عبد بن مجدم، عن رجل من الصدف، عن عبدالله بن عمرو، ورجح الخطيب هذا الطريق اهـ.

قلت: ولفظ أبي نعيم في الحلية: «من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أجير من عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء».

وأخرج الشيرازي في الألقاب من حديث عمر بن الخطاب: «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة عوفي من عذاب القبر وجرى له عمله» والله أعلم.

بيان شروط الجمعة:

اعلم أن الجمعة فرض الوقت والظهر بدل عنها، وبه قال الشافعي، ومالك، وأحمد، وزفر، ومحمد بن الحسن في رواية عنه، وقيل: الفرض الظهر، وبه قال الشافعي في القديم وهو قول أبي حنيفة وأبي يوسف، وقال محمد في رواية أخرى عنه الفرض أحدهما هكذا نقله القسطلاني.

الأول: الوقت فإن وقعت تسليمة الإمام في وقت العصر فاتت الجمعة وعليه أن يتمها ظهراً أربعاً، والمسبوق إذا وقعت ركعته الأخيرة خارجاً من الوقت ففيه خلاف.

قلت: وفي الروضة للنووي: الجمعة فرض عين، وحكى ابن كج وجهاً أنها فرض كفاية، وحكى قولاً وغلطوا حاكيه. قال الروياني: لا يجوز حكاية هذا عن الشافعي اهـ.

وقال أصحابنا: صلاة الجمعة فرض عين بالكتاب والسنّة والإجماع ونوع من المعنى، فالكتاب قوله تعالى: ﴿إذا نودي﴾ الآية [٩ من سورة الجمعة] والسنّة قوله ﷺ: «الجمعة حق واجب على كل مسلم» الحديث في اخبار كثيرة، وأما الاجماع فظاهر، وأما المعنى فلأنا أمرنا بترك الظهر لإقامة الجمعة والظهر فريضة، ولا يجوز ترك الفرض إلا لفرض هو آكد وأولى منه، فدل على أن الجمعة آكد من الظهر في الفرضية، وقد نسب بعض المتعصبين الجهلة إلى إمامنا عدم افتراضها تعللاً بظاهر عبارة المختصر لأبي جعفر القدوري، ومن صلّى الظهر يوم الجمعة في منزله ولا عذر له كره له ذلك وجازت صلاته، وقد غلطوا في هذا الموضع. والصحيح حرم عليه وصحت الظهر، فالحرمة لترك الفرض الذي هو الجمعة، وصحة الظهر لوجود وقت أصل الفرض، ولكنه موقوف على السعي فإذا سعى إلى الجمعة بطل ظهره والله أعلم.

وإذا عرفت ذلك فاعلم (**أنها تشارك سائر الصلوات**) الفرائض الخمس (**في**) الأركان و(**الشروط وتتميز عنها**) أي عن الفرائض الخمس باشتراط أمور زائدة. منها ما هي لصحتها، ومنها ما هي لوجوبها، ومنها ما هي آداب تشرع فيها فما اختصت عنها لصحتها أشار إليها المصنف بقوله: (**بستة شروط:**

أولها: الوقت) فلا تقضى الجمعة على صورتها بالاتفاق، ووقتها وقت الظهر، ولو خرج الوقت أو شكّوا في خروجه لم يشرعوا فيها، ولو بقي من الوقت ما لا يسع خطبتين وركعتين يقتصر فيها على ما لا بدّ منه لم يشرعوا فيها، بل يصلون الظهر. نص عليه في الأم. ولو شرعوا فيها في الوقت ووقع بعضها خارجه فأتت الجمعة قطعاً ووجب عليهم إتمامها ظهراً على المذهب، وإليه أشار المصنف بقوله: (**فلو وقعت تسليمة الإمام في وقت العصر فاتت الجمعة وعليه أن يتمها ظهراً**)، وفيه قول مخرج: أنه يجب استئناف الظهر، فعلى المذهب يسر بالقراءة من حينئذ ولا يحتاج إلى تجديد نية الظهر على الأصح، وإن قلنا بالمخرج فهل تبطل صلاته أم تنقلب نفلاً؟ قولان. ولو شك هل خرج الوقت وهو في الصلاة أتمها ظهراً في الأصح وجمعة على الثاني، ولو سلّم الإمام والقوم التسليمة الأولى في الوقت، والثانية خارجه صحت جمعتهم، ولو سلّم الإمام الأولى خارج الوقت فأتت جمعة الجميع، ولو سلّم الإمام وبعض المأمومين الأولى في الوقت، وسلّمها بعض المأمومين خارجه، فمن سلم خارجه فظاهر المذهب بطلان صلاتهم. وأما الإمام ومن سلّم معه في الوقت فإن بلغوا عدداً تصح بهم الجمعة صحت لهم، ثم سلامه وسلامهم خارج الوقت إن كان مع العلم بالحال تعذر بناء الظهر عليه قطعاً لبطلان الصلاة إلاّ أن يغيروا

....

النية إلى النفل ويسلموا، ففيه ما سبق وإن كان من جهل منه لم تبطل صلاته وهل يبنى أو يستأنف؟ فيه الخلاف المذكور **(والمسبوق إذا وقعت ركعته الأخيرة خارجاً عن الوقت ففيه خلاف)**، ومذهب أبي حنيفة إذا دخل وقت العصر وقد صلوا من الجمعة ركعة تبطل الصلاة جلة ويستأنفون الظهر، وقال أحمد: يتمونها بركعة أخرى وتجزئهم جمعة، فأما مذهب مالك في هذه المسألة فقد اختلف أصحابه عنه، فقال ابن القاسم: تصح الجمعة ما لم تغرب الشمس، فإن خرج وقتها المختار ودخل وقت العصر فإن كان قد صلّى ركعة بسجدتيها قبل دخول وقت العصر أضاف إليها أخرى وتمت له جمعة، وإن كان قد صلّى ذلك بنى وأتمها ظهراً. كذا في الإفصاح لابن هبيرة، ثم الوقت المختار لجواز إقامة الجمعة بعد زوال الشمس من كبد السماء فلا يجوز قبل الزوال، وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي. وقال أحمد: يجوز قبل الزوال، وبه قال القطب محيي الدين بن العربي، واختار الخرقي من الحنابلة الساعة السادسة، ودليل الجماعة ما أخرجه البخاري: كان ﷺ يصلي الجمعة حين تميل الشمس وواظب عليه الخلفاء الراشدون فصار إجماعاً منهم على أن وقتها وقت الظهر فلا تصح قبله وتبطل بخروجه لفوات الشرط والله أعلم.

والاعتبار في ذلك قال الله تعالى: ﴿ألم ترَ إلى ربك كيف مد الظّل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ [الفرقان: ٤٥] فأمرنا بالنظر إليه والنظر إليه معرفته، ولكن من حيث أنه مد الظل وهو اظهاره وجـود عينك فما نظرت إليه من حيث أحدية ذاته في هذه المقام، وإنما نظرت إليه من حيث أحدية فعله في إيجادك بالدلالة وهو صلاة الجمعة، فإنها لا تجوز للمنفرد، فإن من شرطها ما زاد على الواحد، فمن راعى هذه المعرفة الإلهية قال بصلاتها قبل الزوال لأنه مأمور بالنظر إلى ربه في هذه الحال، والمصلي يناجي ربه ويواجهه في قبلته والضمير في عليه يطلبه أقرب مذكور وهو الظل ويطلبه الاسم الرب، وإعادته على الرب أوجه فإنه بالشمس ضرب الله المثل في رؤيته يوم القيامة فقال على لسان نبيه ﷺ: « ترون ربكم كما ترون الشمس بالظهيرة » أي وقت الظهر، وأراد عند الاستواء لقبض الظل في الشخص في ذلك الوقت لعموم النور ذات الرائي وهو حال فنائه عن رؤية نفسه في مشاهدة ربه، ثم قال: ﴿ثم قبضناه إلينا قبضـاً يسيراً﴾ [الفرقان: ٤٦] وهو عند الاستواء، ثم عاد إلى مده بدلوك الشمس وهو بعد الزوال، فأظهر الظل بعدما كان قبضه إليه، فمن نظر إلى الحق في مده الظل بعد الزوال فعرفه بعد المشاهدة كما عرفه الأول قبل المشاهدة، والحال الحال قال: إن وقت صلاة الجمعة بعد الزوال لأنه في هذا الوقت ثبتت له المعرفة بربه من حيث مده الظل، وهنا يكون إعادة الضمير من « عليه » على الرب أوجه، وفي المصلي إياها قبل الزوال يكون إعادة الضمير على مد الظل أوجه، فإنه عند الطلوع معاين مد الظل فينظر ما السبب في مدّه فيرى ذاته حائلة بين الظل والشمس، فينظر إلى الشمس فيعرف من مدّ ظله ما للشمس في ذلك من الأثر، فكان الظل على الشمس دليلاً في النظر، وكان الشمس على مدّ الظل دليلاً في الأثر، ومن لم يتنبه لهذه

الثاني: المكان فلا تصح في الصحارى والبراري وبين الخيام، بل لا بد من بقعة جامعة لأبنية لا تنقل بجمع أربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد، ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا إذنه ولكن الأحب استئذانه.

المعرفة إلاَّ وهو في حد الاستواء، ثم بعد ذلك بدلوك الشمس عاين امتداد الظل من ذاته قليلاً قليلاً جعل الشمس على مد الظل دليلاً، فكان دلوكها نظير مد الظل، وكان الظل كذات الشمس، فيكون الدلوك من الشمس منزلة المدّ من الظل، فالمؤثر في المد إنما دلوك الشمس، والمظهر للظل إنما هو عين الشمس بوجودك، فإذا تبين هذا فمن صلى قبل زوال الجمعة أصاب، ومن صلاها بعد الزوال أصاب والله أعلم الشرط.

(**الثاني**): من شروط الصحة (**المكان**) أي دار الاقامة (**فلا تصح في الصحارى**) جمع صحراء (**والبوادي**) جمع بادية، وفي بعض النسخ البراري وهو بمعنى الصحارى جمع بر على خلاف القياس (و) لا تصح أيضاً (**بين الخيام**) جمع خيمة أو خيم بحذف الهاء وهي لغة فيه كسهم وسهام، والخيمة: بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر. قال ابن الأعرابي: لا تكون الخيمة عند العرب من ثياب بل من أربعة أعواد تسقف بالثمام، والجمع خيمات وخيم وزان حيضات وحيض أي لا تجب على أهل الخيام النازلين بالصحراء وينتقلون في الشتاء أو غيره فلا تصح جمعتهم، فإن كانوا لا يفارقونها شتاء ولا صيفاً فالأظهر أنها لا تصح. (**بل لا بد من بقعة جامعة لأبنية لا تنتقل**) سواء فيه البناء من حجر أو طين أو خشب (**تجمع أربعين ممن تلزمهم الجمعة**)، ولو انهدمت القرية أو البلد فأقام أهلها على العمارة لزمتهم الجمعة فيها لأنه محل الاستيطان، ولا يشترط إقامتها في مسجد ولا في كن بل يجوز في فضاء معدود من خطة البلد، فأما الموضع الخارج عن البلد الذي إذا انتهى إليه الخارج للسفر قصر فلا يجوز إقامة الجمعة فيه، (**والقرية فيه كالبلد**) وكذلك الاسراب التي تتخذ وطناً حكمها حكم البلد والقرية لغة الضيعة، وفي كفاية المتحفظ: القرية كل مكان اتصلت به الأبنية واتخذ قراراً ويقع على المدن وغيرها، والجمع قرى على غير قياس والنسبة إليها قروي على غير قياس أيضاً، وأما البلد فهو المكان المحدود المتأثر باجتماع قطانه وإقامتهم فيه، وتسمى المقبرة بلداً لكونها موطناً للأموات، والمفازة لكونها موطن الوحش، وهذا الذي ذكره هو مذهب مالك وأحمد.

وعند أصحابنا: لا تجب على أهل القرى لما روى البيهقي في المعرفة، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة عن علي قال: لا جمعة ولا تشريق ولا صلاة فطر ولا أضحى إلا في مصر جامع أو مدينة، ولأنه كان لمدينة رسول الله ﷺ قرى كثيرة، ولم ينقل أنه ﷺ أمر بإقامة الجمعة فيها، ويلحق عندنا بالمصر فناؤه لأنه بمنزلته، وعليه خرج صاحب المنتقى عن أبي يوسف: لو خرج الإمام عن المصر مع أهله لحاجة مقدار ميلين فحضرت الجمعة جاز أن يصلي بهم الجمعة وعليه الفتوى، لأن فناء المصر بمنزلة المصر فيما كان من حوائج أهله وأداء الجمعة من حوائجهم، واختلف عندنا في تحديد المصر فقيل: هو ما لا يسع أكبر مساجده أهله روي ذلك عن أبي يوسف، وفي رواية عنه

الثالث: العدد. فلا تنعقد بأقل من أربعين ذكوراً مكلفين أحراراً مقيمين لا

كل موضع له أمير وقاض ينفذ الأحكام ويقيم الحدود، وعن أبي حنيفة كل بلدة لها سكك وأسواق ووال لدفع المظالم وعالم يرجع إليه في الحوادث، واختار الثلجي الأول، والمراد بالفناء ما اتصل به وهو معد لمصالحهم من ركض خيلهم ورميهم بالسهام ودفن موتاهم، وقرره شمس الأئمة بغلوة، وبعضهم بفرسخين، وبعضهم بميلين. وفي الخانية لا بد أن يكون الفناء متصلاً بالمصر حتى لو كان بينه وبين المصر فرجة من المزارع والمراعي لا يكون فناء نقله الشمني في شرح النقاية. وذكر صاحب التصريح أنه لا يشترط اتصال الفناء بالمصر لصحة الجمعة والعيد، **(ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا إذنه ولكن الأحب استئذانه)**.

وحكى العمراني في البيان قولاً قديماً. إنها لا تصح إلاّ خلف الإمام أو من أذن له.

قال النووي: وهو شاذ منكر اهـ.

وعند أصحابنا: من شروط الصحة أن يصلي السلطان إماماً فيها أو نائبه ممن أمره بإقامتها لما ورد «من تركها استخفافاً بها وله إمام عادل أو جائر فلا جمع الله شمله». رواه ابن ماجه، فقد اشترط عليه السلام السلطان لإلحاق الوعيد بتاركها. وقال الحسن: أربع إلى السلطان وذكر منها الجمعة ومثله لا يعرف إلا سماعاً، فيحمل عليه، وعلى هذا كان السلف من الصحابة ومن بعدهم حتى أن علياً رضي الله عنه إنما جمع أيام محاصرة عثمان بإذنه، واشتراط حضور السلطان للتحرز عن تفويتها على الناس بقطع الاطماع في التقدم، وإذا أذن السلطان لأحد بإقامتها ملك الاستخلاف وان لم يفوّض إليه صريحاً، فإذا مرض الخطيب أو حصل له مانع فاستناب خطيباً آخر مكانه جاز، ويجوز لصاحب الوظيفة في الخطابة أن يصلي خلف نائبه بغير عذر كما جاز للسلطان خلف مأموره بإقامة الجمعة مع قدرة السلطان على الخطبة بنفسه، لأن المدار على تسكين الفتنة واختصاص السلطان بإقامتها، لذلك فالمأمور بها مع نائبه حكمه حكم السلطان مع نائبه فله إقامتها بنفسه وبنائبه بعذر وبغير عذر حال حضرته وحال غيبته، وخالف في هذه المسألة من متأخري علمائنا ابن خسر، وصاحب الدرر، وابن الكمال صاحب إصلاح الايضاح، وقد ردّ عليهما ذلك، والله أعلم.

الشرح **(الثالث: العدد. فلا تنعقد)** الجمعة **(بأقل من أربعين)** هذا هو المذهب الصحيح المشهور، ونقل صاحب التلخيص قولاً عن القديم إنها تنعقد بثلاثة. إمام ومأمومين، ولم يثبته عامة الأصحاب قاله النووي، وكونها تنعقد بأربعين هو المشهور عن أحمد من رواياته وعنه تنعقد بخمسين، وقال مالك: تنعقد بكل عدد تتقرى به قرية في العادة ويمكنهم الإقامة ويكون بينهم البيع والشراء من غير حصر، إلاّ أنه منع ذلك في الثلاثة والأربعة وشبههم. وعند أصحابنا: الجماعة شرط لأدائها وهم ثلاثة رجال سوى الإمام وهو قول أبي حنيفة ومحمد، وبالإمام عند أبي يوسف لأن الاثنين مع الإمام جمع، ولهما أن الجماعة شرط على حدة والإمام شرط آخر فيعتبر جمع سوى الإمام والله أعلم.

يظعنون عنها شتاء ولا صيفاً، فإن انفضوا حتى نقص العدد إما في الخطبة أو في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الأول إلى الآخر.

ويشترط في الأربعين أن يكونوا **(ذكوراً مكلفين أحراراً مقيمين)** على سبيل التوطن بأن **(لا يظعنون عنها)** أي لا يرحلون عنها **(شتاء ولا صيفاً)** إلا لحاجة، فلو كانوا ينزلون في ذلك الموضع صيفاً ويرتحلون شتاء أو عكسه فليسوا بمستوطنين فلا تنعقد بهم، وفي انعقادها بالمقيم الذي لم يجعل الموضع وطناً له خلاف، والصحيح عدمه. وتنعقد بالمرضى على المشهور. وفي قول شاذ: لا تنعقد بهم كالعبيد، فعلى هذا صفة الصحة شرط رابع، ثم الصحيح أن الامام من جلة الأربعين، والثاني أنه يشترط أن يكون زائداً على الأربعين. وحكى الروياني الخلاف قولين الثاني قديم، والعدد المعتبر في الصلاة وهو الأربعون معتبر في سماع الكلمات الواجبة من الخطبتين، **(فإن)** حضر العدد ثم **(انفضوا)** كلهم أو بعضهم **(حتى نقص العدد)** بأن بقي دون أربعين فإما ينفضون قبل الخطبة و **(إما في الخطبة)** أو بعدها **(أو في الصلاة)**، فإن انفضوا قبل افتتاح الخطبة لم يبتدئها حتى يجتمع أربعون وإن كان في أثنائها فلا خلاف أن الركن المأتي به في غيبتهم غير محسوب، أما إذا أحرم بالعدد المعتبر ثم حضر أربعون آخرون وأحرموا، ثم انفض الأولون فلا يضر، بل يتم الجمعة سواء كان اللاحقون سمعوا الخطبة أم لا. وأما إذا لم يحرم الأولون وانفضوا فلا تستمر الجمعة إلا إذا كان اللاحقون سمعوا الخطبة، أما إذا انفضوا فنقص العدد في باقي الصلاة ففيه خمسة أقوال منصوصة ومخرجة.

أظهرها: **(لم تصح الجمعة، بل لا بد منهم من الأول إلى الآخر)**، فعلى هذا لو أحرم الإمام وتبطأ المقتدون ثم أحرموا، فإن تأخر تحرمهم عن ركوعه فلا جمعة، وإن لم يتأخروا عن ركوعه فقال القفال: تصح الجمعة، وقال الشيخ أبو محمد: يشترط أن لا يطول الفصل بين إحرامه وإحرامهم وقال إمام الحرمين: الشرط أن يتمكنوا من إتمام الفاتحة، فإذا حصل ذلك لم يضر الفصل، وهذا هو الأصح عند الغزالي.

والقول الثاني: إن بقي اثنان مع الإمام أتم الجمعة وإلا بطلت.

والثالث: إن بقي معه واحد لم تبطل.

وهذه الثلاثة منصوصة الأولان في الجديد. والثالث: قديم ويشترط في الواحد والاثنين كونهما بصفة الكمال.

وقال صاحب التقريب: في اشتراط الكمال احتمال لأنا اكتفينا باسم الجماعة. وقال النووي: هذا الاحتمال حكاه صاحب الحاوي وجهاً محققاً لأصحابنا حتى لو بقي صبيان أو صبي كفى، والصحيح اشتراط الكمال. قال في النهاية: احتمال صاحب التقريب غير معتدّ به.

والرابع: لا تبطل وإن بقي وحده.

والخامس: إن كان الانفضاض في الركعة الأولى بطلت الجمعة وإن كان بعدها لم تبطل ويتم الإمام الجمعة وحده، وكذا من معه إن بقي معه أحد.

....

فصل

وعند أصحابنا: الشرط لانعقاد أدائها بالثلاثة بقاؤهم محرمين مع الإمام حتى يسجد السجدة الأولى فإن انفضوا بعد سجوده أتمها وحده جمعة هذا قول أبي حنيفة وصاحبيه، وقال زفر: ويشترط دوامهم كالوقت إلى تمامها، وإن انفضوا كلهم أو بعضهم ولم يبق سوى اثنين قبل سجود الإمام بطلت عند أبي حنيفة، وعندهما إذا انفضوا جميعاً يتمها جمعة، لأن الجماعة شرط انعقاد الاداء عنده، وعندهما شرط انعقاد التحريمة لهما. إن الجماعة كما كانت شرطاً لانعقاد التحريمة في حق المقتدي، فكذا في حق الإمام والجامع ان تحريمته صحت صح بناء الجمعة عليها لمن أدركها في التشهد، ولأبي حنيفة أن الجماعة في حق الإمام لو جعلت شرطاً لانعقاد التحريمة لأدى إلى الحرج لأن تحريمته حينئذ لا تنعقد بدون مشاركة الجماعة اياه فيها. وذا لا يحصل إلا أن تقع تكبيرتهم مقارنة لتكبيرته وأنه متعذر، فجعلت شرط انعقاد الأداء وهو بتقييد الركعة بسجدة لأن الأداء فعل، وفعل الصلاة هو القيام والقراءة والركوع والسجود، والله أعلم.

إشارة تتعلق باعتبار العدد:

من قال إن الجمعة تنعقد بواحد مع الإمام فقوله حظ من يعرف أحدية الحق من أحدية نفسه، فيتخذ أحدية نفسه على أحدية ربه دليلاً، وتلك الأحدية هي على الحقيقة أنيته وهويته، فيعلم من ذلك أن ربه على خصوص وصف في هويته لا يمكن أن يكون ذلك لغيره.

وأما من قال اثنان فهو الذي يعرف توحيده من النظر في شفعيته فيرى كل ما سوى الحق لا يصح له الانفراد بنفسه وأنه مفتقر إلى غيره فهو مركب من عينه، ومن اتصافه بالوجود المستفاد الذي لم يكن له من حيث عينه.

وأما من قال بالثلاثة وهي أول الافراد فهو الذي يرى أن المقدمتين لا تنتج إلا برابط فهي أربعة في الصورة وثلاثة في المعنى، فيرى أنه ما عرف الحق إلا من معرفته بالثلاثة، فاستدل بالمفرد على الواحد وهو أقرب في النسبة من الاستدلال بالشفع على الأحدية.

وأما من قال بالأربعين فاعتبر الميقات الموسوي الذي أنتج له معرفة الحق من حيث ما قد علم من قصته المذكورة في القرآن، وكذلك أيضاً من حصلت له معرفة ربه من إخلاصه أربعين صباحاً وهي الخلوة المعروفة في طريق القوم.

وأما من قال بالثلاثين، فنظره إلى الميقات الأولى الموسوي، وعلم أن ذلك هو حد المعرفة إلا أنه طرأ أمر أخل به فزاد عشراً جبراً لذلك الخلل فهو في المعنى ثلاثون، فمن سلم ميقاته من ذلك الخلل فإن مطلوبه من العلم بالله يحصل بالثلاثين.

وأما من لم يشترط عدداً وقال بدون الأربعين وفوق الأربعة التي هي عُشر الأربعين، فإن الأربعين قامت من ضرب الأربعة في العشرة فهي عُشر الأربعين، فكما أنه نزل عن الأربعين

الرابع: الجماعة. فلو صلى أربعون في قرية أو في بلد متفرقين لم تصح جمعتهم.

ارتفع عن الأربعة ولم يقف عندها فيقول: لا تصح المعرفة بالله إلا بالزائد على الأربعة، وأقل ذلك الخمسة وهي المرتبة الثانية من الفردية، والمرتبة الأولى هي الثلاثة وهي للعبد فإنها هي التي نتجت عنها معرفة الحق فيمن قال تجوز الجمعة بالثلاثة. ويرى صاحب هذا القول أعني الذي يقول بالزائد على الأربعة أن الفردية الثانية هي للحق وهو ما حصل للعبد من العلم بفرديته الثلاثية، فكان الحاصل فردية الحق لا أحديته، لأن أحديته لا يصح أن ينتجها شيء بخلاف الفردية، ولما كان أولى الافراد للعبد من أجل الدلالة، فإن المعرفة بنفس العبد مقدمة على معرفة العبد بربه، والدليل يناسبه المدلول للوجه الرابط بين الدليل والمدلول، فلا ينتج الفرد إلا الفرد، فأول فرد تلقاه بعد الثلاثة فردية الخمسة فجعلها للحق أي لمعرفة الحق في الرتبة الخامسة، فما زاد إلى ما لا يتناهى من الافراد فقد بان لك في الاعتبار منازل التوقيت فيما تقوم به صلاة الجمعة من اختلاف الأحوال، والله أعلم.

إشارة أخرىٰ في المقيم والمسافر:

اعلم أن أهل طريق الله على قسمين: منهم من لا يزال يتغير عليه الحال مع الانفاس، وهم الأكابر من الرجال فهم مسافرون على الدوام فمن المحال عليهم الاستيطان وهم في ذلك على نظرين، فمن كان نظره ثبوته في مقام مراعاة الأنفاس وذوق تغيرها وتنوعات التجليات دائماً في كل نفس كنى عن ثبوته في هذا الحال بالاستيطان، فجعل الاستيطان من شرط صحة صلاة الجمعة ووجوبها، وإن كان مسافراً في استيطانه كسفر صاحب السفينة. قال بعضهم في ذلك:

فسيرك يـا هــذا كسير سفينــة   بقــوم جلــوس والقلــوع تطيرُ

ومن كان من رجال دون هذه المرتبة وأقامهم الحق في مقام واحد زماناً طويلاً، فهو أيضاً من أهل الاستيطان، فيقيم الجمعة ويرى أن ذلك من شروط الصحة والوجوب ومن كان نظره في انتقاله في الأحوال والمشاهدات، ويرى ان الإقامة محال في نفس الأمر وأن سفره مثل سفر صاحب السفينة فيما يظهر له، والأمر في نفسه بخلاف ذلك لم يشترط الاستيطان، وقال بصحة الجمعة ووجوبها بمجرد العدد لا بالاستيطان، والله أعلم.

الشرط (**الرابع: الجماعة. فلو صلّى أربعون في قرية أو بلد**) حالة كونهم (**مفرقين**) من غير اجتماع على إمام واحد (**لم تصح جمعتهم**) ولإمام الجمعة أحوال.

احدها: أن يكون عبداً أو مسافراً فإن تمّ به العدد لم تصح الجمعة، وإن تم بغيره صحت على المذهب، وقيل: وجهان. أصحها الصحة، والثاني البطلان.

الثاني: أن يكون صبياً أو متنفلاً فإن تم العدد به لم تصح، وإن تمّ دونه صحت على الأظهر.

الثالث: أن يصلوا الجمعة خلف من يصلي صبحاً أو عصراً فكالمتنقل، وقيل: يصح قطعاً لأنه يصلي فرضاً، ولو صلوها خلف مسافر يقصر الظهر جاز إن تم العدد بغيره.

ولكن المسبوق إذا أدرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية، وإن لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر، وإذا سلم الامام تممها ظهراً.

الخامس: أن لا تكون الجمعة مسبوقة بأخرى في ذلك البلد فإن تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة، وإن لم تكن حاجة فالصحيح

الرابع: إذا بان الإمام بعد الصلاة جُنباً أو محدثاً، فإن تم العدد به لم تصح، وإن تمّ دونه فالأظهر الصحة. نص عليه في الأم، وصححه العراقيون وأكثر الأصحاب.

الخامس: إذا قام الإمام في غير الجمعة إلى ركعة زائدة سهواً فاقتدى به إنسان فيها وأدرك جميع الركعة، فإن كان عالماً بسهوه لم تنعقد صلاته وإلا حسبت له الركعة على الأصح ويبني عليها بعد سلام الإمام. (**ولكن المسبوق إذا أدرك الركعة الثانية**) مع الإمام في الجمعة كان مدركاً للجمعة، و (**جاز له الانفراد بالركعة الثانية**) أي: إذا سلّم الإمام أتى بثانية، (**وإن لم يدرك**) ركوع الإمام في (**الركعة الثانية**) لم يدرك الجمعة و (**اقتدى**) أي مضى في اقتدائه بالإمام (**ونوى الظهر**) لأنها الحاصلة (**وإذا سلّم الإمام**) يقوم (**ويتمها ظهراً**). والأصح ينوي الجمعة موافقة للإمام، فلو صلى مع الإمام ركعة، ثم قام فصلّى أخرى وعلم في التشهد أنه ترك سجدة من إحدى الركعتين؟ نظر إن علمها من الثانية فهو مدرك للجمعة فيسجد سجدة ويعيد التشهد ويسجد للسهو ويسلم، وإن علمها من الأولى أو شك لم يكن مدركاً للجمعة وحصلت له ركعة من الظهر، ولو أدركه في الثانية وشك هل سجد معه سجدة أم سجدتين، فإن لم يسلم الإمام بعد سجد أخرى وكان مدركاً للجمعة، وإن سلّم الإمام لم يدرك الجمعة فيسجد ويتم الظهر والله أعلم.

الشرط (**الخامس: أن لا تكون الجمعة مسبوقة بأخرى في ذلك البلد**) أي لا يقارنها أخرى، (**فإن تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين وثلاثة بقدر الحاجة**).

قال الشافعي رضي الله عنه: ولا يجمع في مصر وإن عظم وكثرت مساجده إلا في موضع واحد اهـ.

وأما بغداد؛ فقد دخلها الشافعي وهم يقيمون الجمعة في موضعين، وقيل في ثلاثة فلم ينكر عليهم، فدل ذلك على الجواز. واختلف الأصحاب في أمرها على أوجه.

أصحها: أنها إنما جازت لزيادة فيها على جمعة لأنها بلدة كبيرة يشق اجتماعهم في موضع واحد، فعلى هذا تجوز الزيادة على الجمعة الواحدة في جميع البلاد إذا كثر الناس وعسر اجتماعهم، وبهذا قال أبو العباس، وأبو إسحاق. واختاره أكثر الأصحاب تصريحاً وتعريضاً، وممن رجحه القاضي ابن كج، والحناطي، والروياني والغزالي.

الجمعة التي يقع بها التحريم أولاً . وإذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خلف الأفضل

والثاني: إنما جازت الزيادة فيها لأن نهرها يحول بين جانبيها فيجعلها كبلدين قاله أبو الطيب ابن سلمة، وعلى هذا لا تقام في كل جانب إلا جمعة، وكل بلد حال بين جانبيه نهر يحوج إلى السباحة فهو كبغداد، واعترض عليه بأنه لو كان الجانبان بلدين لقصر من عبر أحدهما إلى الآخر، والتزم ابن سلمة المسألة وجوز القصر.

والثالث: إنما جازت الزيادة لأنها كانت قرى متفرقة، ثم اتصلت الأبنية فأجرى عليها حكمها القديم، فعل هذا يجور تعدد الجمعة في كل بلد هذا شأنه، واعترض عليه أبو حامد بما اعترض على الثاني، ويجاب بما أجيب في الثاني، وأشار إلى هذا الجواب صاحب التقريب.

والرابع: أن الزيادة لا تجوز بحال، وإنما لم ينكر الشافعي لأن المسألة اجتهادية، وليس لمجتهد أن ينكر على المجتهدين، وهذا ظاهر نص الشافعي المتقدم، واقتصر عليه الشيخ أبو حامد وطبقته لكن المختار عند الأكثرين ما قدمناه.

(وإن لم تكن حاجة) ومنعنا الزيادة على جمعة فعقدوا جمعتين، فله صور.

إحداها: أن تسبق إحداهما فهي الصحيحة، والثانية باطلة، وبم يعرف السبق؟ فيه ثلاثة أوجه. أصحها بالاحرام وإليه أشار المصنف بقوله: **(فالصحيح الجمعة التي يقع بها التحريم أولاً)**، والوجه الثاني: مما يعرف به السبق بالسلام، والثالث بالشروع في الخطبة، ولم يحك أكثر العراقيين هذا الثالث، فإذا قلنا بالأول فالاعتبار بالفراغ من تكبيرة الاحرام، فلو سبقت إحداهما بهمزة التكبير والأخرى بالراء منها فالصحيحة هي السابقة بالراء على الأصح، وعلى الثاني السابقة بالهمزة، ثم على اختلاف الأوجه لو سبقت إحداهما وكان السلطان مع الأخرى، فالأظهر أن السابقة هي الصحيحة ولا أثر للسلطان والثاني أن التي معها السلطان هي الصحيحة، ولو دخلت طائفة فاخبروا أن طائفة سبقتهم بها استحب لهم استئناف الظهر، وهل لهم أن يتموها ظهراً؟ فيه الخلاف.

الصورة الثانية: أن تقع الجمعتان معاً فباطلتان وتستأنف جمعة إن وسع الوقت.

الصورة الثالثة: لا يدرى اقترنتا أم سبقت إحداهما فيعيدون الجمعة أيضاً، لأن الأصل عدم جمعة مجزئه. وقال إمام الحرمين: وقد حكم الأئمة بأنهم إذا أعادوا الجمعة برئت ذمتهم.

الصورة الرابعة: أن تسبق إحداهما بعينها ثم تلتبس فلا تبرأ واحدة من الطائفتين عن العهدة خلافاً للمزني، ثم ماذا عليهم؟ فيه طريقان. المذهب أن عليهم الظهر، والثاني على القولين في الصورة الخامسة وبه قطع العراقيون.

الصورة الخامسة: أن تسبق إحداهما ولا تتعين بأن سمع مريضان أو مسافران تكبيرتين متلاحقتين وهما خارجا المسجدين، فأخبراهم بالحال ولم يعرفوا المتقدمة فلا تبرأ واحدة منهما عن

العهدة خلافاً للمزني أيضاً وماذا عليهم؟ قولان: أظهرهما في الوسيط إنهم يستأنفون الجمعة، والثاني يصلون الظهر. قال الأصحاب: وهو القياس. قال النووي: الثاني أصح وصححه الأكثرون اهـ.

وصححه أيضاً في شرح المهذب واقتصر الرافعي في المحرر وفي الشرح الصغير على ترجيحه، والله أعلم.

فصل

وقال أصحابنا: ولو أقيمت الجمعة في مصر في مواضع، ففي المذهب أربع روايات.

أولاها: عن أبي حنيفة ومحمد وهي أصحها الجواز سواء كان التعدد في موضعين أو أكثر، لأن في عدم جواز تعددها حرجاً، والحرج مدفوع فصارت كصلات العيد.

وثانيها: لا تجوز في أكثر من موضع واحد وروي ذلك عن أبي حنيفة.

وثالثها: يجوز في موضعين لا غير وروي ذلك عن أبي حنيفة وصاحبيه.

ورابعها: تجوز في موضعين إذا كان المصر كبيراً أو حال بين الخطيبتين نهر كبغداد، وهي رواية عن أبي يوسف وفي شرح المجمع أن أبا يوسف رجع إلى هذا القول وقيل: إنما أجاز ذلك ببغداد لأنه كان يأمر بقطع جسرها وقت الصلاة فجوز التعدد للضرورة، ثم من قال بعدم جواز التعدد قال الجمعة هي السابقة، وفي المحيط: إن وقعتا معاً بطلتا، وكذا لو جهلت السابقة ثم يعتبر السبق بماذا؟ قيل: بالشروع، وقيل: بالفراغ، وقيل: بهما. الأول أصح، وفي الكافي للنسفي، وفي شرح المجمع: ولو وقع في المصر تعدد الجمعة ينبغي أن يصلوا بعد الجمعة أربع ركعات وينووا بها الظهر ليخرجوا عن فرض الوقت بيقين لو لم تقع الجمعة موقعها. وفي القنية عن بعض المشايخ: لما ابتلي أهل مرو بإقامة جمعتين مع اختلاف العلماء في جوازها أمرهم أئمتهم بأداء الأربع بعد الظهر حتماً احتياطاً، ثم اختلفوا في نيتها فقيل: ينوي السنة، وقيل ظهر يومه، وقيل آخر ظهر عليه وهو الأحسن. قال: والأحوط أن يقول آخر ظهر أدركت وقته ولم أصله بعد، واختاره بعض المشايخ ثم اختلفوا في القراءة فقيل: يقرأ بالفاتحة والسورة في الأربع، وقيل في الأولين كالظهر، وعلى هذا الخلاف فيمن يقضي الصلوات احتياطاً اهـ سياق الشمني في شرح النقاية.

قلت: وقد اعتمد صاحب البدائع رواية أبي يوسف جوازها في موضعين فقط، وقال: إنها ظاهر الرواية، واعتمد النور علي بن غانم المقدسي على رواية أبي حنيفة من أنها لا تجوز إلا في موضع واحد في البلد الواحد، ونقل عن الزاهد العتابي ما يوافقه، والذي أفتى به مشايخنا المحققون من المتأخرين إطلاق الجواز في مواضع وهو الأصح من قول أبي حنيفة ومحمد، وذلك لإطلاق الدليل.

قال التمرتاشي: ولا يقال الاحتياط بالاجتماع المطلق لأن الاحتياط العمل بأقوى الدليلين ولم يوجد دليل عدم جواز التعدد، وما استدل به لمنع التعدد من أنها سميت جمعة لاستدعائها الجماعات فهي جامعة لها فلا يفيد لأنه حاصل مع التعدد، لأن الاجتماع أخص من مطلق الاجتماع ووجود الأخص يستلزم وجود الأعم من غير عكس وقد قال تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [الحج: ٧٨] والحرج في منع التعدد فهو منفي، وما تقدم عن القنية من أمر مشايخ مرو بأداء أربع ركعات بعد الجمعة حتماً احتياطاً فقد رده ابن نجيم وقال: هو مبني على القول الضعيف المخالف للمذهب وهو منع جواز التعدد، فليس الاحتياط في فعلها لأن الاحتياط كما ذكر العمل بأقوى الدليلين وهو إطلاق الجواز، وفي المنع حرج على الأمة، وفي فعل الأربع مفسدة عظيمة وهي اعتقاد الجهلة أن الجمعة ليست فرضاً لما يشاهدون من صلاة الظهر فيتكاسلون عن أداء الجمعة يعني أو اعتقادهم افتراض الجمعة والظهر بعد الجمعة أيضاً. وقد شوهد الآن صلاتها بالجماعة والإقامة لها ونيتهم فرض الظهر الحاضر إماماً ومؤتماً بغالب المساجد، وتارة يكون الخطيب إمامها بعد إمامته بالجمعة والجماعة وهو ظاهر الشناعة، وعلى تقدير فعلها ممن لا يخاف عليه مفسدة منها يفعلها في بيته خفية خوفاً من مفسدة فعلها. وقال النور علي بن غانم المقدسي في نور الشمعة في ظهر الجمعة ما نصه بعد نقله ما يفيد النهي عنها نقول: «إنما نهى عنها إذا أديت بعد الجمعة بوصف الجماعة أو الاشتهار، ونحن لا نقول به في شيء من الأمصار ولا نفتي العوام بهذا أي بفعلها أصلاً، ثم نقل عن ابن الشحنة أنه قال: لا يجب على من صلى الجمعة أن يصلي الظهر بعدها، ولا قال بذلك أحد من العلماء في علمي، وما روي عن بعض أصحابنا أنه يستحب ان خاف عدم الاجزاء لتوهم فوات شرط من شرائط الجمعة أن يصلي بعدها أربعاً، فذلك لا نقول انها الظهر، ولا توجب على المتوهم ذلك، بل نستحسنه احتياطاً ولا نتظاهر به خشية توهم العوام ما وقعوا فيه من الوهم اهـ.

وظهر منه أن عند قيام الشك والاشتباه في صحتها، فالظاهر وجوب الأربع، وكذا من اعتقد قول أبي يوسف الذي هو ظاهر الرواية، فإذا صلى أربعاً فهل تقدم على سنة الظهر؟ وهو اختيار صاحب القنية أو بعدها وهو الذي ذكره صاحب الفتاوى الظهيرية.

إشارة: المصر الواحد ذات الإنسان وذاته تنقسم إلى قسمين إلى كثيف ولطيف، فإن اتفق أن يختلف التجلي على الإنسان فيتجلى له في الاسم الظاهر والاسم الباطن، فإنه مأمور في هذه الحال بقبول التجليين. قيل لأبي سعيد الخراز: بم عرفت الله؟ قال: بجمعه بين الضدين ثم تلا ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ [الحديد: ٣] نجاز عنده إقامة جمعتين وأكثر في مصر واحد وهو مشاهدة الحق في كل اسم يتجلى له في الآن الواحد لاختلاف عوالمه في نفسه، ومن كان نظره في مثل هذه التجليات المتنوعة في الأسماء وقال: إن الحق هو أول من عيني ما هو آخر من عيني ما هو ظاهر من عيني ما هو باطن، إلى سائر الأسماء لا يتنوع الأمر في نفسه بتنوع معاني

من الإمامين، **فإن تساويا** فالمسجد الأقدم. **فإن تساويا ففي الأقرب ولكثرة الناس أيضاً فضل يراعى.**

السادس: الخطبتان. فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة. والجلسة بينهما فريضة، وفي الأولى أربع فرائض: التحميد وأقله الحمد لله. والثانية: الصلاة على النبي ﷺ. والثالثة:

هذه الأسماء الإلهية، وأنها كلها وإن تعددت هي عين واحدة منع أن تقام في المصر الواحد جمعتان فكل عارف عمل بحسب وقته ونظره، والله أعلم.

ثم قال المصنف: **(وإذا تحققت الحاجة)** أي احتاج الحال إلى تعدد الجمعة في مسجدين أو كثر **(فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الإمامين، فإن تساويا)** في الفضل **(فالمسجد الأقدم)** أي الأسبق عمارة، **(فإن تساويا)** في التاريخ **(ففي الأقرب)** من دار المصلي **(ولكثرة الناس أيضاً فضل يراعى)**، وهو منتزع من عبارة القوت ولفظه: فإن اجتمع في بلد كبير جامعان صليت خلف الأفضل من إماميها، فإن استويا في الفضل صليت في الأقدم من الجامعين، فإن تساويا صليت في الأقرب منها إلا أن تكون له نية في الأبعد لاستماع علم أو تعلمه وصلاتها في الجامع الأعظم وحيث يكون المسلمون أكثر أفضل، ومن صلى في أيها أحب حسبت صلاته. قال ابن جريج، قلت لعطاء: إذا كان في المصر جامعان أو ثلاثة في أيها أصلي؟ فقال: صل حيث جمع المسلمون فإنها جمعة اهـ.

الشرط (السادس: الخطبتان) الأولى والثانية **(فهما فريضتان)** لخبر الصحيحين عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يخطب خطبتين يجلس بينهما، وقال أصحابنا: هما سنتان.

فإن قيل: لم لا قلتم بوجوبهما بالسنة كما وجبت الفاتحة بالسنة؟ فالجواب: إن السنة غير قطعية الدلالة لتعارضها بخبر عثمان رضي الله عنه الآتي ذكره، فلا يثبت بها الوجوب كما في معراج الدراية وهما قبل الصلاة ولم يذكر المصنف ذلك لوضوحه وقد وقع عليه الإجماع لأنه ﷺ لم يصل إلا بعدهما بخلاف العيد، فإن خطبتيه مؤخرتان. كذا في المجموع.

(والجلسة بينهما فريضة) لخبر ابن عمر المتقدم ذكره، ويكون مقدار الجلسة نحو قراءة سورة الإخلاص استحباباً وقيل إيجاباً. وهل يقرأ فيها أو يذكر أو يسكت لم يتعرضوا له؟ لكن في صحيح ابن حبان أنه ﷺ كان يقرأ فيها، وقال القاضي: إن الدعاء فيها مستجاب كذا في شرح المنهاج. وعند أصحابنا وأحمد هذه الجلسة سنة مستحبة وهي خفيفة. قال صاحب المحيط: إذا تمكن في موضع جلوسه واستقر كل عضو منه في موضعه قام من غير مكث ولبث، وكان ابن أبي ليلى يقول: إذا مس الأرض موضع جلوسه أدنى مسة قام إلى الخطبة الأخرى، وقال السغناقي من أئمتنا: ظاهر الرواية مقدار ثلاث آيات ومثله في التجنيس **(وفي)** الخطبة **(الأولى أربع فرائض)** أي أركان.

(أولاها: التحميد) أي حمد الله تعالى، **(وأقله الحمد لله)** ويتعين لفظ الحمد لأنه الذي

الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى. والرابعة: قراءة آية من القرآن. وكذا فرائض الثانية أربعة إلا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة. واستماع الخطبتين واجب من الأربعين.

مضى عليه الناس سلفاً وخلفاً فلا يجزىء الشكر والثناء والمدح والعظمة ونحو ذلك، ومنهم من قال: لا يتعين لفظ الحمد بل يجزىء نحمد الله أو أحمد الله أو لك الحمد والله أحمد كما يؤخذ من التغليقة تبعاً للحاوي، وصرح الجيلي باجزاء أنا حامد لله وهذا هو المعتمد، وإن توقف فيه الأذرعي وقال: قضية كلام الشارحين تعين لفظ الحمد لله باللام اهـ. ويتعين لفظ الله قال الرافعي: ولو قال الحمد للرحمن أو الرحيم فمقتضى كلام الغزالي أنه لا يكفيه ولم أره مسطوراً وليس ببعيد كما في كلمة التكبير اهـ. وجزم بذلك النووي في المجموع.

(والثانية: الصلاة على النبي ﷺ). قال الرافعي: ويتعين لفظ الصلاة ويحكى في النهاية عن كلام بعض الأصحاب ما يوهم أنهما لا يتعينان ولم ينقله وجهاً مجزوماً به، ولو قال: والصلاة على محمد أو على النبي أو على رسول الله كفى اهـ.

والذي في شرح المنهاج أنه لا يتعين لفظ الصلاة كما لا تعين لفظ الحمد، فلو قال: أصلي على محمد، أو نصلي على أحمد أو الرسول أو الأمي أو العاقب أو الحاشر أو النذير أجزأ ولا يكفي رحم الله محمداً وصلى الله عليه وصلى الله على جبريل ونحو ذلك.

قال القمولي في الجواهر: وفي وجوب الصلاة على النبي ﷺ إشكال، فإن الخطبة المروية عنه ﷺ ليس فيها ذكر الصلاة عليه، لكنه فعل السلف والخلف ويبعد الاتفاق على فعل سنة دائماً. وقال: إن الشافعي رضي الله عنه تفرد بوجوب الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة اهـ.

ويدل له رضي الله عنه ما في دلائل النبوة للبيهقي، عن أبي هريرة رفعه: « قال الله تعالى وجعلت أمتك لا تجوز عليهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي ».

(والثالثة: الوصية بتقوى الله سبحانه) وهل يتعين لفظ الوصية؟ وجهان. الصحيح المنصوص لا يتعين لأن الغرض الوعظ والحمل على طاعة الله، فيكفي ما دل على الموعظة طويلاً كان أو قصيراً كأطيعوا الله وراقبوه. قال إمام الحرمين: ولا خلاف في أنه لا يكفي الاقتصار على التحذير من الاغترار بالدنيا وزخارفها فإن ذلك قد يتواصى به منكرو الشرائع بل لا بد من الحمل على طاعة الله تعالى والمنع من المعاصي.

(والرابعة: قراءة) القرآن وهو ركن على المشهور، وقيل: على الصحيح، والثاني ليست بركن بل مستحبة، وعلى الأول أقلها قراءة **(آية من القرآن)** نص عليه الشافعي سواء كانت وعداً أو وعيداً أو حكماً أو قصة. قال إمام الحرمين: ولا يبعد الاكتفاء بشرط آية طويلة ولا شك أنه لو قال: ثم نظر لم يكف وإن عد آية بل يشترط كونها مفهمة **(وكذا فرائض)** الخطبة **(الثانية أربع)** مثل الأولى **(إلا أنه يجب فيها الدعاء)** للمؤمنين **(بدل القراءة)** قال الرافعي: ثم إن هذه الأركان الثلاثة لا بد منها في كل واحدة من الخطبتين، ولنا وجه ان الصلاة

....

على النبي ﷺ في إحداهما كافية وهو شاذ والدعاء للمؤمنين ركن على الصحيح، والثاني لا يجب. وحكى عن نصه في الإملاء. وإذا قلنا بالصحيح فهو مخصوص بالثانية فلو دعا في الأولى لم تحسب ويكفي ما نقع عليه الاسم. قال إمام الحرمين: وأرى أنه يجب أن يكون متعلقاً بأمور الآخرة وأنه لا بأس بتخصيصه بالسامعين بأن يقول رحمكم الله. قال الرافعي: واختلفوا في محل القراءة على ثلاثة أوجه. أصحها. ونص عليه في الأم تجب في إحداهما لا بعينها، والثاني: تجب فيهما، والثالث: تجب في الأولى خاصة وهو ظاهر نصه في المختصر. ونقل النووي عن الدارمي أنه يستحب أن يقرأ في الخطبة الأولى سورة ق قال: والمراد قراءتها بكمالها لاشتمالها على أنواع المواعظ اهـ.

قلت: وعند أصحابنا قراءة القرآن في الخطبة من جملة سننها، وذكروا أنه ﷺ قرأ في خطبته ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ [البقرة: ٢٨١] وروي أنه قرأ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾ [الأحزاب: ٧٠] وروي أنه قرأ ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾ [الزخرف: ٧٧] وروي أنه قرأ ﴿إذا زلزلت الأرض﴾ [الزلزلة: ١] قالوا: وإذا قرأ سورة تامة يتعوذ ثم يسمي قبله، وإن قرأ آية قيل يتعوذ ثم يسمي، وقيل يتعوذ ولا يسمي وهو الأكثر.

ثم قال الرافعي: ولا تدخل القراءة في الأركان المذكورة حتى لو قرأ آية فيها موعظة وقصد إيقاعها عن الجهتين لم يجز ولا يجوز أن يأتي بآيات تشتمل على الأركان المطلوبة لأن ذلك لا يسمى خطبة، ولو أتى ببعضها في ضمن آية لم يمتنع، وهل يشترط كون الخطبة كلها بالعربية؟ وجهان. الصحيح اشتراطه فإن لم يكن فيهم من يحسن العربية خطب بغيرها ويجب عليهم التعليم وإلا عصوا ولا جمعة لهم.

فصل

وعن أبي حنيفة يصح الاقتصار في الخطبة على ذكر خالص لله تعالى نحو تسبيحة أو تهليلة أو تكبيرة مع الكراهة وهي التي يعتد بها ويجزىء هذا الذكر عن الخطبتين ولا يحتاج إلى تسبيحتين، وعن مالك روايتان كالمذهبين. وقال أبو يوسف ومحمد: لا بد من ذكر طويل يسمى خطبة. قيل: وأقله قدر التشهد إلى قوله عبده ورسوله حمد وصلاة ودعاء للمسلمين، ودليل أبي حنيفة قوله تعالى: ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ [الجمعة: ٩] فلم يفصل بين كونه ذكراً طويلاً أو لا. فكان الشرط الذكر الأعم بالدليل القاطع، غير أن المأثور عنه ﷺ اختيار أحد الفردين. أعني الذكر المسمى بالخطبة والمواظبة عليه، فكان ذلك واجباً أو سنة لا أنه الشرط الذي لا يجزىء غيره إذ لا يكون بياناً، لأن الدليل وهو لفظ الذكر المأمور بالسعي إليه ليس مجملاً ليقع فعله ﷺ بياناً للمجمل، فلم يكن فرضاً تنزيلاً للمشروعات على حسب أدلتها.

ويؤيده ما رواه قاسم بن ثابت السرقسطي في غريب الحديث، عن عثمان رضي الله عنه أنه صعد المنبر فقال: الحمد لله فارتج عليه، فقال: إن أول كل مركب صعب وأن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالاً وأنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى أمام قوال، وإن أعش تأتكم الخطبة على وجهها إن شاء الله تعالى واستغفر الله لي ولكم، ونزل وصلى بهم ولم ينكر عليه أحد منهم، فكان إجماعاً منهم على عدم اشتراطها، وعلى كون الحمد لله يسمى خطبة لغة وإن لم يسم به عرفاً، والله أعلم.

فصل

وقال الشيخ الأكبر قدس سره: اختلف الناس في الخطبة هل هي شرط في صحة الصلاة وركن من أركانها أم لا؟ فذهب الأكثرون إلى أنها شرط وركن، وقال قوم: إنها ليست بفرض، وبه أقول فإن رسول الله ﷺ ما نص على وجوبها، ولا ينبغي لنا أن نشرع وجوبها، فإنه شرع لم يأذن به الله، ولكن السنة لم نزل نصليها بخطبة كما فعلت في صلاة العيدين، مع إجماعنا على أن صلاة العيدين ليست من الفروض ولاخطبتها، وما جاء عيد قط إلا وصليت الصلاة وكانت الخطبة، والاعتبار في ذلك أن الخطبة شرعت للموعظة وهو داعي الحق في قلب العبد الذي يرده إلى الله ليتأهب لمناجاته ومشاهدته في صلاة الجمعة، كما سن النافلة قبل صلاة الفريضة في جميع الصلوات، وكما كان يفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين. كل ذلك ليتنبه القلب في تلك النافلة لمناجاة الحق ومشاهدته ومراقبته في أداء الفريضة التي هو مطلوب بها، فمن رأى أن الانتباه أصل في الطريق كالهروي وغيره قال بوجوب الخطبة، ومن رأى أن المقصود إنما هو الصلاة وأن الإقامة فيها هو عين الانتباه جعل الخطبة سنة راتبة ينبغي أن تفعل وإن لم ينص عليها، ولكن ثابر عليها، فهكذا الانتباه قبل المناجاة للمناجاة أولى من أن يكون الانتباه في عين المناجاة، فربما تؤثر في مناجاته مرتبته المتقدمة. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾ [الجمعة: ٩] يحتمل أن يريد بالذكر هنا الخطبة، فإن الله قد سمعناه يقول: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] وإن كان يريد: ولذكر الله منها أكبر من كل ما فيها من جميع الأقوال والأفعال، ولكن قد فصل بين الصلاة والذكر وميز، فقد يكون المراد بذكر الله في هذه الآية الذي يسعى إليه هو الخطبة. وقد تأوله بعض العلماء بالخطبة قال: ثم اختلف القائلون بوجوبها في المجزىء منها، فمنهم من قال: أدنى ما ينطلق عليه اسم خطبة شرعية، ومن قائل لا بد من خطبتين، ومن قائل أقل ما ينطلق عليه اسم خطبة في لغة العرب، والقائل بالخطبتين يرى أنه لا بد أن يجلس بينهما ويكون في كل واحدة منهما قائماً يحمد الله في أولها ويصلي على النبي ﷺ ويوصي بتقوى الله ويقرأ شيئاً من القرآن في الأولى، ويدعو في الثانية. والاعتبار في ذلك درجات المنبر الترقي في المقامات، والخطبة الأولى بما يليق بالثناء على الله والتحريض على الأمور

وأما السنن:

فإذا زالت الشمس وأذّن المؤذن وجلس الإمام على المنبر انقطعت الصلاة سوى

المقربة من الله بالدلائل من كتاب الله، والخطبة الثانية بما يعطيه الدعاء والالتجاء من الذلة والافتقار والسؤال والتضرع في التوفيق والهداية لما ذكره وأمره به في الخطبة وقيامه في حال الخطبتين، أما في الأولى فبحكم النيابة عن الحق فيما ينذر به ويوعد فهو قيام حق بدعوة صدق، وأما القيام في الثانية فقيام عبد بين يدي سيد كريم يسأل منه الإعانة فيما قال الله على لسانه في الأولى من الوصايا.

وأما الجلسة بين الخطبتين ليفصل بين المقام الذي تقتضيه النيابة عن الحق تعالى فيما وعظ به عباده على لسان هذا الخطيب، وبين المقام الذي يقضيه مقام السؤال والرغبة في الهداية إلى الصراط المستقيم، ولما لم يرد نص من الشارع بإيجاب الخطبة ولا بما يقال فيها إلا مجرد فعله لم يصح عندنا أن نقول: يخطب لغة أو شرعاً إلا أننا ننظر ما فعل فنفعل مثل فعله على طريق التأسي لا على طريق الوجوب قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب: ٢١] وقال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] فنحن مأمورن باتباعه فيما سن وفرض فنجازى من الله تعالى فيما فرض جزاء فرضين فرض الاتباع وفرض الفعل الذي وقع فيه الاتباع ونجازى فيما سن ولم يفرضه جزاء فرض وسنة فرض الاتباع وسنة الفعل الذي لم يوجبه فنجازي في كل عمل بحسب ما يقتضيه ذلك العمل، ولا بد من فرضية الاتباع فاعلم ذلك والله أعلم.

ثم قال المصنف: **(واستماع الخطبتين واجب من الأربعين)**، كما تقدم أن العدد المعتبر في الصلاة وهو الأربعون معتبر في الكلمات الواجبة من الخطبتين، واستماع القوم لها فإن كانوا صماً كلهم أو بعضهم. فوجهان، الصحيح لا تصح، والثاني تصح كما لو سمعوها ولم يفهموا معناها فإنها تصح.

(وأما السنن): أي سنن الخطبة فهي كثيرة أشار المصنف إلى بعضها بقوله:

(فإذا زالت الشمس) من كبد السماء وهو مذهب الأئمة الثلاثة خلافاً لأحمد ومن تبعه، فإنه لا يشترط زوالها كما تقدم، **(وأذن المؤذن)** الأذان الثاني، وهو أصل أذان الجمعة على عهد النبي ﷺ، وعهد أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما. وأما الأول فزاده عثمان رضي الله عنه حين كثر الناس، **(وجلس الإمام)** بعد صعوده **(على المنبر)** والسنة أن يكون المنبر على يمين الموضع الذي يصلي فيه الإمام ويكره المنبر الكبير الذي يضيق على المصلين إذا لم يكن المسجد متسع الخطة، فإن لم يكن منبر خطب على موضع مرتفع قاله الرافعي، وهل يأتي الخطيب قبل دخول الوقت أو بعده؟ الأول هو الظاهر لكونه متبوعاً والقوم ينتظرونه، والثاني هو المعمول به من مدة أزمان، فإن كان في المسجد بيت خطابة كموضع مستقل في قبلة المسجد على يمين المنبر فيجلس فيه ومعه المرقى، فإذا قرب الوقت خرج الخطيب وقدامه المرقى ماسكاً السيف أو

التحية، والكلام لا ينقطع إلا بافتتاح الخطبة. ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم

العصا، فإذا وصل إلى باب المنبر أخذ السيف أو العصا بيمينه من المرقى فيعتمد عليه ويصعد درج المنبر، وهذا من شعائر الدين، فإن لم يكن بيت خطابة فيأتي كغيره من المصلين قبل الوقت ويجلس في الصفوف التي تجاه المنبر وينتظر دخول الوقت فيأتي المرقى ويقف على باب المنبر فيتحرك من موضعه ويتوجه إلى المنبر ويتناول منه السيف أو العصا ويصعد، فإذا استقر به الجلوس على المنبر حال الأذان بين يديه (**انقطعت الصلاة**) أي ينبغي لمن ليس في صلاة من الحاضرين إذا صعد الخطيب على المنبر أن لا يفتتحها سواء كان صلى السنة أم لا. ومن كان في صلاة خففها لأن الاشتغال بها يفوت سماع أول الخطبة إلى أن يتمها. قال النووي: وسواء في المنع من افتتاح الصلاة في حال الخطبة من يسمعها وغيره (**سوى التحية**) للداخل فإنه يستحب له أن يصليها ويخففها، فلو كان ما صلى السنة صلاها وحصلت التحية، ولو دخل والإمام في آخر الخطبة لم يصل لئلا يفوته أول الجمعة مع الإمام، وسواء في استحباب التحية. قلنا: يجب الانصات أم لا. ونقل النووي عن العمراني، وابن الصباغ أنه يستحب للخطيب إذا وصل إلى المنبر أن يصلي تحية المسجد ثم يصعد. قال: وهذا الذي قالاه غريب وشاذ ومردود، فإنه خلاف ظاهر المنقول من فعل رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين ومن بعدهم. وقال صاحب القنية من أصحابنا: دخوله المسجد بنية الفرض ينوب عن تحية المسجد، وإنما يؤمر بتحية المسجد إذا دخله لغير الصلاة.

ثم قال المصنف: (**والكلام لا ينقطع إلا بافتتاح الخطبة**) قال الرافعي: ويجوز الكلام قبل ابتداء الإمام بالخطبة وبعد الفراغ منها، وأما في الجلوس بين الخطبتين فطريقان. قطع صاحب المهذب والغزالي بالجواز وأجرى المحاملي وابن الصباغ وآخرون فيه الخلاف، ويجوز للداخل في أثناء الخطبة أن لا يتكلم ما لم يأخذ لنفسه مكاناً والقولان فيما بعده قعود. وقال المصنف في الوجيز: هل يحرم الكلام على من عدا الأربعين؟ فيه القولان. قال الرافعي: هذا النقل بعيد في نفسه ومخالف لما نقله الأصحاب، ثم بين ذلك في شرحه.

فإن قلت: ما الفرق بين التحية والكلام، وقد قلت بجواز التحية فليكن الكلام كذلك؟ والجواب: إن قطع الكلام هين متى ابتدأ الخطيب بخلاف الصلاة، فإنه قد يفوت سماع أول الخطبة إلى أن يتمها وأصح قولي الشافعي جواز الكلام في الخطبة، والثاني تحريمه ووجوب الانصات وهو القول الآخر للشافعي وبه قال مالك وأبو حنيفة.

(**ويسلم الخطيب على الناس إذا أقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام**) وبه قال أحمد، لأنه قد نقل ذلك من فعله ﷺ. قال الشعبي: كان النبي ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة استقبل الناس بوجهه، فقال: السلام عليكم ويحمد الله ويثني عليه ويقرأ سورة ثم يجلس ثم يقوم

بوجهه ويردون عليه السلام، فإذا فرغ المؤذن قام مقبلاً على الناس بوجهه لا يلتفت يميناً وشمالاً ويشغل يديه بقائمة السيف أو العنزة والمنبر كي لا يعبث بهما أو يضع

فيخطب، وكان أبو بكر وعمر يفعلانه. وقال أبو حنيفة، ومالك: لا يستحب له السلام بل يكره، وإنما كرها ذلك لأن الخطيب يسلم عليهم عند إقباله وقبل صعوده على المنبر، فهذا يكفي عن سلام آخر، وفي كيفية السلام طريقان أحدهما: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته بالتنكير، والثاني: السلام عليكم بالتعريف، وعليه جمهور الخطباء، وكل وارد في السنة.

وقال النووي في التحرير: كلاهما جائز بالاتفاق، لكن بالتعريف أفضل بالاتفاق أيضاً، فإذا فرغ من السلام جلس مطرقاً حامداً الله عز وجل على ما أولاه من نعمه وكيف خصه بهذا المقام الشريف شاكراً لله على آلائه كيف جعله أهلاً لدعاء عباده إليه وتذكيرهم وترغيبهم فيما لديه، فيقول: الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده، سبحانه لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، فله الحمد حتى يرضى، يكرر ذلك ويصلي على النبي ﷺ ثم يقول: استعنت بالله على ما أقصد وأريد، وعلى ما أبدىء في مقالي هذا وأعيد، فقد قيل: إن هذا مأثور عن أبي بكر الخطيب، ثم يكثر من الاستغفار فإن له في هذا الموطن تأثيراً عظيماً وخاصية غريبة في ذهاب الغفلة وزيادة الحفظ وترقيق القلب، ثم يتدارك جواب المؤذن فيقول مثل ما يقول إلا في الحيعلة الأولى فيقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وأما الثانية فيقول عند الشافعية كما يقول في الأولى، وعندنا الأظهر أن يقول: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ثم يقول: لا إله إلا الله بقلبه مخلصاً وبلسانه ناطقاً، ففي الصحيح «من فعل ذلك وجبت له الجنة» ثم يقول: اللهم رب هذه الدعوة التامة الخ.

(**فإذا فزع المؤذن**) وشرع المرقى في ذكر خبر أبي هريرة رضي الله عنه يترضى عنه ويصلي على النبي ﷺ (**قام مقبلاً على الناس بوجهه**) فإن استقبل القبلة وجعل ظهره للناس كره ذلك كما في الخلاصة لأصحابنا. وقال الرافعي: ولو خطب مستدبراً للناس جاز على الصحيح، وعلى الثاني لا يجزئه. قال النووي: وطرد الدارمي هذا الوجه فيما إذا استدبروه اهـ.

وقال أصحابنا: وينبغي للقوم أن يستقبلوه بوجوههم فالاعراض عنه تهاون وجفاء. قال شمس الأئمة: من كان أمام الإمام استقبل بوجهه، ومن كان على يمين الامام أو يساره انحرف إلى الامام، فقد صح أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب استقبل أصحابه، ومن كان أمامه استقبله بوجهه، ومن كان عن يمينه أو يساره انحرف إليه قال: ولكن الرسم في زماننا استقبال القوم القبلة وترك استقبالهم الخطيب لما يلحقهم من الحرج بتسوية الصفوف بعد فراغ الخطيب من خطبته لكثرة الزحام، قال: وهذا أحسن ويسن للخطيب (**لا يلتفت يميناً وشمالاً**) أي لا في الأولى ولا في الثانية. قال الرافعي: ومما ابتدعه الجهلة التفاتهم أي الخطباء في الخطبة الثانية اهـ.

(**ويشغل يديه بقائمة السيف والمنبر**) أي اليمنى بالمنبر واليسرى بقائمة السيف (**أو العنزة**) أي العصا بدل السيف، والعنزة عصا أقصر من الرمح ولها زج من أسفلها، والجمع عنز

إحداهما على الأخرى، ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة، ولا يستعمل غريب اللغة

وعنزات كقصبة وقصب وقصبات (**كيلا يعبث بهما**) فإنه مكروه، وإنما ذكر المصنف السيف أو العنزة بالتخيير مشيراً إلى أن البلدة إن كانت فتحت عنوة فيرقى بالسيف كدمشق وغيرها ليريهم ذلك وانها فتحت بالسيف، فإذا رجعتم عن الإسلام فذلك باق بأيدي المسلمين يقاتلونكم به حتى ترجعوا إلى الإسلام وبدونه في كل بلدة فتحت صلحاً كمصر وأقطارها، وفيه بين العلماء اختلاف. فمنهم من قال نصفها فتحت عنوة ونصفها صلحاً، لكن العمل الآن على اتخاذ سيف من خشب على هيئته وكأنه جمع بين الأقوال، وأما المدينة ففتحت بالقرآن فيخطب فيها بلا سيف، ومكة يخطب فيها بالسيف. وهل يتقلد الإمام السيف وهو خارج من بيت الخطابة أو يكون المرقى بين يديه يكون هو المقلد؟ كل ذلك وارد. وتقدم أن الخطيب عند صعوده على المنبر يتلقى السيف أو العصا بيمينه ثم يصعد مقدماً رجله اليمنى على المنبر ولا يدق برجله ولا بالسيف، فقد عدّ ذلك من البدع القبيحة، وليقل في حال صعوده بسم الله ربي توكلت على الله اعتصمت بالله لا حول ولا قوة إلا بالله، فإذا انتهى إلى محل جلوسه حوّل السيف إلى يساره واعتمد بيمينه على قائمة المنبر. قال بعض الشافعية: لم يتعرض المكثرون من أصحابنا بأي يديه يمسك السيف. وقال البغوي في التهذيب، والقاضي حسين في التعليقة، يمسكه بيده اليسرى، وقد أجمع عليه الخطباء في الأعصار بسائر الأمصار من غير إنكار.

قلت: قال ابن طولون الحنفي: ولعل الحكمة في ذلك أنه إذا كان في يساره وبقيت يمينه فارغة فهو أمكن في سلّه وجذبه من قرابه إذا دعت إليه ضرورة، وفيه أيضاً تكريم لليمنى إذ هي الباطشة في الجهاد، فكانت اليسرى حاملة معينة لها على حمله إلى وقت الحاجة والله أعلم.

(**أو يضع إحداهما على الأخرى**) إن لم يكن سيف ولا عصا، وإن وضعهما على قائمتي المنبر معتمداً عليهما كما هو عمل الناس الآن غالباً فلا بأس، فإن ذلك يمنع العبث بها على كل حال، ثم وضع إحدى اليدين على الأخرى يحتمل أن يكون على هيئة الصلاة أو يكفي وضع ذراع على ذراع، وفيه وجه آخر أنه يقرهما مرسلتين كما قاله النووي قال: والغرض أن يخشع ولا يعبث بهما (**ويخطب خطبتين**) قائماً فيهما مع القدرة، فإن عجز عن القيام، فالأولى أن يستنيب، ولو خطب قاعداً أو مضطجعاً للعجز جاز كالصلاة، ويجوز الاقتداء به سواء قال لا أستطيع أو سكت، لأن الظاهر أنه إنما قعد لعجزه.

قال الرافعي: ولنا وجه أنه تصح الخطبة قاعداً مع القدرة على القيام وهو شاذ اهـ.

وقال أصحابنا: يشترط قيامه بعد الأذان في الخطبتين، ولو قعد فيهما أو في إحداهما أجزأ وكره من غير عذر وفي الولوالجية إن خطب مضطجعاً أجزأه. قال الرافعي: وهل يشترط أن تكون الخطبة كلها بالعربية؟ وجهان. والصحيح اشتراطه، فإن لم يكن فيهم من يحسن العربية خطب بغيرها. وقال أصحابنا: إذا خطب بالفارسية وهو يحسن العربية لا يجزئه. رواه بشر عن أبي يوسف، وروي عن أبي حنيفة جوازه (**بينهما جلسة خفيفة**) هي جلسة الراحة.

....

قال الرافعي: ويستحب أن تكون قدر سورة الإخلاص نص عليه، وفيه وجه أنه يجب ... القدر وحكى عن نصه اهـ. وهل يسكت في تلك الجلسة أو يدعو؟ الأفضل في حق الامام الدعاء فإنه محل الاستجابة، وعلى المستمعين الانصات واحضار القلب والطلب من الله سراً من غير رفع الأيدي. هذا عند أصحابنا، وتقدم أن هذه الجلسة واجبة عند الشافعي وأحمد، سنة مستحبة عند مالك وأبي حنيفة. والدليل على عدم وجوبها ما روي عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يخطب خطبة واحدة قائماً، فلما ثقل وسمن خطبها خطبتين، فجلس بينهما جلسة ليستريح فيها. وعن طاوس قال: لم يكن أبو بكر ولا عمر يقعدان على المنبر يوم الجمعة، وأول من قعد معاوية. وعن أبي إسحاق عن الحرث قال: رأيت علياً يخطب على المنبر فلم يجلس حتى فرغ، وخطب المغيرة بن شعبة ولم يجلس، ودليل وجوبها ما في الصحيحين عن ابن عمر قال: كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة مرتين بينهما جلسة، وفي صحيح مسلم عن جابر أن النبي ﷺ كان يخطب ثم يقوم فيخطب، فمن قال إنه كان يخطب قاعداً فقد كذب.

فصل

قال الشمس محمد بن طولون الحنفي الدمشقي في كتابه التقريب لشرائط الخطابة وصفات الخطيب ما نصه: وفي كيفية الخطابة ثلاث طرائق.

الأولى: طريقة أهل المشرق عامة وبعض المصريين ونزر من الشاميين، وهي أن يخطب بالنغم بصوت هاد لطيف مطرب غير مروع، وهذا يحصل به رقة في القلوب وراحة للخطيب وممن اتقن هذه الطريقة خطيب الموصل من المتقدمين، وعثمان بن شمس الحنفي من المتأخرين.

الثانية: طريقة جل المصريين وبعض الشاميين وهي بين النغم والتحقيق كأنه يخاطب مخاطبة ويعاتب معاتبة، وممن أتقن هذه الطريقة الخطيب بدر الدين الدمشقي من المتقدمين، وشيخنا العلامة سراج الدين ابن الصيرفي الشافعي من المتأخرين.

الثالثة: طريقة جلّ الشاميين وهي التحقيق يصدع بها صدعاً وهي المشابهة لخطابة رسول الله ﷺ، ففي صحيح مسلم وسنن ابن ماجه عن جابر أن النبي ﷺ: كان إذا خطب الناس احمرت عيناه وعلا صَوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم. وهذه طريقة الشيخ كمال الدين العثماني وأولاده والمنتسبين إليه من المتقدمين، والقاضي نور الدين بن منعة الحنفي الخطيب بجامع الأفرم بسفح قاسيون من المتأخرين اهـ.

والأحسن أن يفصح الخطيب بصوت هاد، **(ولا يستعمل)** في خطبته **(غريب اللغة)** وهي الحوشية التي لا عهد للحاضرين بسماعها ولا معرفة معناها إذ المقصود من الخطبة الوعظ

ولا يمطط ولا يتغنى، وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة، ويستحب أن يقرأ آية في

والتذكير، فإذا لم يفهموا ما يقول فهو كالخاطب بالفارسية أو غيرها من الألسن، **(ولا يمطط)** فيها بأن يطوّل فيها تطويلاً فاحشاً أو لا يمطط في حروفها وكلماتها فإنه يكره ذلك، **(ولا يتغنى)** بل يخرج الحروف من مخارجها مسترسلة غير متجاوز عن الحدود، وينبغي أن **(تكون الخطبة قصيرة)** قصراً عرفياً لا القصر الذي يخرج عن حد التوسط **(بليغة)** بأن تكون غير مؤلفة من الكلمات المبتذلة كخطب أهل الريف، ومنها خطبة أبي شادوف التي يتمشدق بها بعض المقلدين من المتفقهين فإنها مشتملة على مخاز لا ينبغي استعمالها ولا استماعها، ولا من الكلمات البعيدة عن أفهام الحاضرين وهي المشتملة على الألفاظ المعقدة. **(جامعة)** لمعاني الوعظ والتذكير والنصيحة مع اختصارها كما هي خطب السلف الصالحين، **(ويستحب أن يقرأ الآية في الثانية أيضاً)** تبركاً بها لئلا تخلو خطبة من كلام الله تعالى، ولكن بعد إعادة الحمد والثناء والصلاة كما في الأولى، ثم يتبع ذلك بالدعاء للمؤمنين والمؤمنات بالاستغفار لهم كما تقدم، وينبغي أن تكون الثانية هكذا: الحمد لله نحمده ونستعينه الخ لأن هذا هو الثانية التي كان يخطب بها رسول الله ﷺ، وذكر الخلفاء الراشدين عموماً والعمين والسبطين وأمها وجدتها مستحسن، وإن احتاج إلى ذكر الأربعة الخلفاء على الخصوص بأن كان في بلد فيه الرافضة فلا بأس أن يطيل بذكرهم كل واحد باسمه مع الأوصاف اللائقة بهم، ثم يعطف عليهم بالباقين من العشرة، ومما يكره للخطيب المجازفة في أوصاف السلاطين بالدعاء لهم، فأما أصل الدعاء للسلطان فقد ذكر صاحب المهذب وغيره أنه مكروه، والاختيار أنه لا بأس به إذا لم يكن فيه مجازفة في وصفه ولا نحو ذلك، فإنه يستحب الدعاء بصلاح ولاة الأمر والآن صار واجباً لأنه مأمور به من السلطان.

فصل

وقدر أصحابنا تخفيف الخطبتين بقدر سورة من طوال المفصل، وكرهوا التطويل مطلقاً. ومنهم من كرهه في أيام الشتاء لقصرها، وقد روي عن ابن مسعود طول الصلاة وقصر الخطبة مئنة من فقه الرجل، أي: هذا مما يستدل به على فقهه، وهذا عام سواء كان في الشتاء أو الصيف، والكلام الوجيز في مثل هذه الحالة يعد طويلاً لأن المكان أعد للخطبة، والخطيب هيأ نفسه فإذا جاء بذكر وإن قل يكون خطبة ولا يبعد أن يختلف الكلام باختلاف المحل، وكرهوا الاطناب في مدح الجائرين من الملوك بأن يصفه عادلاً وهو ظالم أو يصفه بالغازي وهو لم يوجف على العدوّ بخيل ولا ركاب، ولكن مطلق الدعاء لهم بالصلاح لا بأس به، وكذا لا بأس بأن يصفه ببعض الألقاب اللائقة بحاله، فإن تعظيم الملوك شعار أهل الإسلام، وفيه إرهاب على الأعداء. وقد اتفق أن الملك الظاهر بيبرس رحمه الله تعالى لما وصل الشام وحضر لصلاة الجمعة أبدع الخطيب بألفاظ حسنة يشير بها إلى مدح السلطان وأطنب فيه، فلما فرغ من صلاته أنكر عليه وقال مع كونه تركياً ما لهذا الخطيب يقول في خطبته السلطان السلطان ليس شرط الخطبة هكذا، وأمر به أن يضرب بالمقارع فتشفّع له الحاضرون. هذا مع كمال علم الخطيب وصلاحه

الثانية أيضاً. ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب، فإن سلم لم يستحق جواباً، والإشارة بالجواب حسن، ولا يشمت العاطسين أيضاً. هذه شروط الصحة. فأما شروط الوجوب

وورعه، فما خلص إلا بعد الجهد الشديد، واتفق مثل هذا لبعض أمراء مصر في زماننا لما صلّى الجمعة في إحدى جوامع مصر وكان مغروراً بدولته مستبداً برأيه، وربما نازعته نفسه في خلافه على مولانا السلطان نصره الله تعالى، فأطنب الخطيب في مدحه بعد أن ذكر اسمه بعد اسم السلطان، فلما فرغ من صلاته أمر بضرب ذلك الخطيب وإهانته ونفيه عن مصر إلى بعض القرى، فهذا وأمثال ذلك ينفي للخطباء أن يلتمسوا سخط الله تعالى برضا الناس، فإن ذلك موجب لسخط الله تعالى والمقت الأبدي نسأل الله العفو منه آمين.

قال الرافعي: وينبغي للقوم أن يقبلوا بوجوههم إلى الامام وينصتوا ويستمعوا، والإنصات هو السكوت. والاستماع هو شغل السمع بالسماع، وهل الانصات فرض والكلام حرام؟ قولان: القديم والاملاء وجوب الانصات وتحريم الكلام، والجديد أنه سنّة والكلام ليس بحرام، وقيل: يجب الانصات قطعاً والجمهور أثبتوا القولين.

(و) إذا قلنا بالقديم فإنه **(لا يسلم من دخل والإمام يخطب فإن سلم لم يستحق جواباً)** أي حرمت إجابته باللفظ كما قاله الرافعي، **(والإشارة بالجواب حسن)** مستحب **(ولا يشمت العاطسين أيضاً)**.

واعلم أن في تشميت العاطس ثلاثة أوجه. **الصحيح**: المنصوص تحريمه كرد السلام، والثاني: استحبابه، والثالث: يجوز ولا يستحب. قال الرافعي: ولنا وجه أنه يرد السلام لأنه واجب ولا يشمت العاطس لأنه سنّة فلا يترك لها الانصات الواجب هذا تفريع القديم، فأما إذا قلنا بالجديد فيجوز رد السلام والتشميت بلا خلاف، ثم في رد السلام ثلاثة أوجه. أصحها: عند صاحب التهذيب وجوبه، والثاني: استحبابه، والثالث: جوازه بلا استحباب، وقطع إمام الحرمين بأنه لا يجب الرد، والأصح استحباب التشميت، وحيث حرمنا الكلام فتكلم إثم ولا تبطل جمعته بلا خلاف.

وقال أصحابنا: بعدم جواز رد السلام والتشميت روي عن محمد، وروي عن أبي يوسف جوازهما، وعن أبي حنيفة في غير رواية الأصول يرد بقلبه ولا يرد بلسانه، وروى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه إذا سمع العاطس يحمد الله في نفسه ولا يجهر، وعن محمد مثل ذلك قال: ولا يحرك شفتيه، وفي النصاب إذا شمت أو ردّ السلام في نفسه جاز وعليه الفتوى، وفي الكبرى الأصوب أنه لا يجيب وبه يفتى، وعلى الخلاف المبني بين محمد وأبي يوسف إذا لم يرد السلام في الحال هل يرده بعد فراغ الإمام من الخطبة؟ على قول محمد يرد، وعلى قول أبي يوسف لا. وأما إذا سمع الخطيب يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ [الأحزاب: ٥٦] فقال الطحاوي: يجب عليه أن يصلي على النبي ﷺ، والمشهور عند الأصحاب أنه يصلي سراً في نفسه تحقيقاً للانصات وإحرازاً للفضيلة.

فلا تجب الجمعة إلا على ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم في قرية تشتمل على أربعين

فصل

وهل يحرم الكلام على الخطيب في حال خطبته؟ قال الرافعي: فيه طريقان. المذهب أنه لا يحرم قطعاً، والثاني على القولين القديم والجديد، ثم هذا في الكلام الذي لا يتعلق به غرض مهم، فأما إذا رأى أعمى يقع في بئر أو عقرباً يدب إلى إنسان فانذره، أو علم إنساناً شيئاً من الخير أو نهاه عن منكر، فهذا ليس بحرام بلا خلاف. نص عليه الشافعي، واتفق الأصحاب على التصريح به، لكن يستحب أن يقتصر على الإشارة ولا يتكلم ما أمكن الاستغناء عنه، وقال أصحابنا: إذا لم يتكلم بلسانه، ولكنه أشار برأسه أو بيده أو بعينه هل يكره ذلك أم لا؟ فمنهم من كرهه وسوى بين الإشارة والتكلم باللسان، والصحيح أنه لا بأس. كذا في فتح القدير، وروى صاحب التجنيس عن ابن مسعود أنه سلّم على رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب فردّ عليه بالإشارة.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (**هذه شروط الصحة**) يشير إلى ما ذكره أوّلاً قبل بيان السنن. (**فأما شروط الوجوب فلا تجب إلا على كل ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم**) أي فيمن تلزمه الجمعة لستة شروط.

أحدها: الذكورة فلا جمعة على امرأة ولا خنثى، وإن كان قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الآية، تشمل المرأة لكن خصت بقوله تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن﴾ [الأحزاب: ٣٣] هكذا قرره أصحابنا.

والثاني: البلوغ فلا جمعة على صبي.

والثالث: العقل فلا جمعة على المجنون. قال النووي: والمغمى عليه كالمجنون بخلاف السكران، فإنه يلزمه قضاؤها ظهراً كغيرها.

والرابع: الاسلام فلا جمعة على الكافر، ولم يذكر أصحابنا العقل والبلوغ من شرائط الوجوب نصاً عليها لأنهما ليسا خاصين بالجمعة، وفي الوجيز للمصنف فيمن تلزمه الجمعة لوجوبها خمسة شروط: أحدها: التكليف فلا جمعة على صبي ومجنون، وتبعه في الروضة وفي المنهاج إنما يتعين على كل مكلف حر ذكر مقيم بلا مرض ونحوه. فإذا قلنا: إن التكليف يشمل البلوغ والعقل والإسلام فيكون شرطاً واحداً يشمل ثلاثة من الستّة، وهذا أولى من ذكر كل واحد منها مستقلاً فتأمل.

الخامس: الحرية فلا جمعة على عبد قن أو مدبر أو مكاتب، وكل من هؤلاء الثلاثة داخل في لفظ العبد، وإن كان في المنهاج قال: ولا جمعة على معذور بمرخص في ترك الجماعة والمكاتب، وكذا من بعضه رقيق على الصحيح. قال الأذرعي: إنما خص المكاتب بالذكر يشير إلى خلاف من أوجبها عليه دون القن فتأمل.

جامعين لهذه الصفات، أو في قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها. والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى: ﴿إذا نودي للصّلاة من يوم

والسادس: الإقامة **(في قرية تشتمل على أربعين)** من الرجال **(جامعين لهذه الصفات)** فلا جمعة على مسافر سفراً مباحاً ولو قصيراً لاشتغاله، لكن يستحب له وللعبد والصبي حضورها إذا أمكن. وقد روي مرفوعاً: «لا جمعة على مسافر» لكن قال البيهقي: والصحيح وقفه على ابن عمر، وذكر المصنف في الوجيز، وتبعه الرافعي والنووي: الصحة من جلة شروط الوجوب، ولم ينص عليه هنا كما سيأتي ذكره في جلة الاعذار المسقطة.

وأخرج أبو داود وغيره حديثاً مرفوعاً: «الجمعة حق واجب على كل مسلم إلا أربعة عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض» وروى البيهقي: «الجمعة واجبة إلا على صبي أو مملوك أو مسافر». وقول المصنف مقيم في قرية فيه خلاف لأصحابنا، فإنهم قالوا: شرط الوجوب الإقامة بمصر، فخرج بذلك الإقامة بالقرى فلا جمعة عليهم، وتقدم دليل ذلك من حديث علي: «لا جمعة ولا تشريق» الحديث. وصححه ابن حزم. وذكره صاحب الهداية مرفوعاً إلى النبي ﷺ وفناء المصر له حكم المصر فلا يجب على من هو خارج الربض كما في ظاهر الرواية، والمراد بمن هو خارج الربض أهل السواد.

ثم قال المصنف: **(أو في قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها)** وبه قال مالك وأحمد، وقال أبو حنيفة: لا تجب عليهم وإن كان النداء يبلغهم. هكذا رواه الفقيه أبو جعفر الهندواني، عن أبي حنيفة، وأبي يوسف، وهو اختيار شمس الأئمة الحلواني. ونقله قاضيخان، وفي التتارخانية في ظاهر روايات أصحابنا: لا تجب الجمعة على أهل السواد سواء كان السواد قريباً من المصر أو بعيداً. وفي التجنيس والمزيد: لا تجب الجمعة على أهل القرى وإن كانوا قريباً من المصر لأن الجمعة إنما تجب على أهل الأمصار، ويروى عن أبي يوسف أنها تجب على من كان داخل الحد الذي لو فارقه يثبت له حكم الفطر، ومن وصل إليه يثبت له حكم الإقامة وهو أصح ما قيل فيه، لأن الجمعة على أهل المصر بالنص وأهله من كان في هذا الحد، ثم اختلفوا في حد السواد الذي هو خارج المصر فأطلقه الشافعي وحدده أصحابه بما ذكره المصنف، وهو أن يبلغها نداء البلد من طرف يليها، **(والأصوات ساكنة)** أي لا لغط فيها، والرياح راكدة، **(والمؤذن صيّت)** أي رفيع الصوت عاليه يقف على طرف البلد من الجانب الذي يلي تلك القرية ويؤذن على عادته، فهذا حد، وحدّه مالك وأحمد بفرسخ، وحده أبو حنيفة بثلث فرسخ، على أن صاحب البدائع من أصحابنا قد ذكر قولاً في المذهب وصححه: أنه إن أمكنه أن يحضر الجمعة ويبيت بأهله من غير تكلف تجب عليه، ولكن هذا مخالف للنصوص المشهورة المرجحة في المذهب عن الإمام وصاحبيه، واختيار جمهور المحققين وأنه لا عبرة ببلوغ النداء ولا بالغلوة ولا بالأميال، فينبغي أن يكون قول صاحب البدائع شاذاً. واستدل المصنف على ايجابها على أهل السواد الذين يبلغهم النداء بالآية فقال: **(لقوله تعالى: ﴿إذا نودي**

الجمعةفاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾ [الجمعة : ٩] ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة لعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض إذا لم يكن للمريض قيم غيره، ثم

للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾) [الجمعة : ٩] تعالى، وهو استدلال حسن مفرع على سماع الصوت من المنادى بالشروط المذكورة وشرط فيمن يصغي إليه أن لا يكون أصم وأن لا يجاوز سمعه حد العادة.

قال الرافعي: وفي وجه المعتبر أن يقف المؤذن في وسط البلد، ووجه يقف على موضع عال كمنارة أو سور وجهان. قال الأكثرون: لا يعتبر، وقال القاضي أبو الطيب: سمعت شيوخنا يقولون لا يعتبر إلا بطبرستان لأنها بين أشجار وغياض تمنع بلوغ الصوت، أما إذا كانت قرية على قلة جبل يسمع أهلها النداء لعلوها بحيث لو كانت على استواء الأرض لما سمعوا، أو كانت قرية في وهدة من الأرض لا يسمع أهلها النداء لانخفاضها بحيث لو كانت على استواء لسمعوا فوجهان. أصحها وبه قال القاضي أبو الطيب لا تجب الجمعة في الصورة الأولى، وتجب في الثانية اعتباراً بتقدير الاستواء، والثاني وبه قال الشيخ أبو حامد عكسه اعتباراً بنفس السماع، وأما إذا لم يبلغ النداء أهل القرية فلا تجب عليهم.

(ويرخص لهؤلاء) المذكورين **(في ترك الجمعة)** لأعذار خمسة.

الأول: (لعذر المطر) إذا بلّ الثوب وتأذى به في طريقه لأن فيه مشقة، فإذا كان المسجد قريباً من داره بحيث لا يتأذى في طريقه ولا يبل ثوبه فلا عذر حينئذ، وأما حديث: «إذا ابتلت النعال فصلوا في الرحال» فقد قال ابن الأثير: إن النعال جمع النعل وهي الأكمة من الأرض أي: وليس النعال الملبوسة مراداً هنا فتنبه.

(و) الثاني: لعذر **(الوحل)** وألحقوه بالمطر، ولذا استغنى الأصحاب بذكره عن المطر. نبه على ذلك شارح المنهاج في مسألة الجمع بين الصلاتين، وقيده الرافعي بالشديد وقال: فيه ثلاثة أوجه. الصحيح أنه عذر في ترك الجمعة والجماعة، والثاني: لا. والثالث في الجماعة دون الجمعة حكاه صاحب العدة، وقال: به أفتى أئمة طبرستان اهـ.

قلت: وذكر الرافعي في شرحه الصغير في الوجه الثاني فقال: بأن له عدة دافعة كالخفاف والصنادل يعني يمكنه الاستعانة على دفع الوحل بالركوب وبلبس الخفاف ونحوها، وصحح أيضاً في شرح المهذب مثل ذلك.

(و) الثالث: لعذر **(الفزع)** وهو محركة الخوف أي من العدوّ أعم من أن يكون حيواناً أو إنساناً، وسواء كان الخوف على نفسه أو على ماله، وكذا إذا خاف من غريم يحبسه أو يلازمه وهو معسر فله التخلف في هذه الأحوال، ولا عبرة بالخوف ممن يطالبه بحق هو ظالم في منعه، بل عليه الحضور وتوفية ذلك الحق، ويدخل في الخوف على المال ما إذا كان خبزه في التنّور وقدره

على النار وليس هناك من يتعهدها، ومنها أن يكون عليه قصاص ولو ظفر به المستحق لقتله وكان يرجو العفو مجاناً، أو على مال لو غيب وجهه أياماً فله التخلف بذلك.

(و) العذر الرابع: (المرض) فلا جمعة على مريض، وقد تقدم الحديث الوارد فيه آنفاً. وهو من الاعذار المسقطة، وألحق أصحابنا الشيخ الكبير الذي ضعف فلا تجب عليه. قاله ابن الهمام، وعبارة المنهاج وشرحه: وتلزم الشيخ الهرم والزمن إن وجدا مركباً أي ملكاً أو اجارة أو إعارة ولو آدميا كما قاله في المجموع.

(و) العذر الخامس: (التمريض إذا لم يكن للمريض قيم غيره) والتمريض: هو القيام على المريض، وحقيقته إزالة المرض عن المريض كالتقذية في إزالة القذى عن العين، وقيل: التمريض هو التكفل بمداواته.

قال الرافعي: إن كان للمريض من يقعده ويقوم بأمره نظر إن كان قريباً وهو مشرف على الموت أو غير مشرف، لكن يستأنس به فله التخلف عن الجمعة ويحضر عنده، وإن لم يكن له استئناس به فليس له التخلف على الصحيح، وإن كان أجنبياً لم يجز التخلف بحال والمملوك والزوجة ومن له مصاهرة والصديق كالقريب، وإن لم يكن للمريض متعهد فقال إمام الحرمين: إن كان يخاف عليه الهلاك لو غاب عنه فهو عذر، سواء كان المريض قريباً أو أجنبياً، لأن انقاذ المسلم من الهلاك فرض كفاية وإن كان يلحقه ضرر ظاهر لا يبلغ دفعه مبلغ فروض الكفايات، ففيه أوجه. أصحها: أنه عذر أيضاً. الثاني: لا. والثالث: عذر في القريب دون الأجنبي، ولو كان له متعهد ولكن لم يفرغ لخدمته لاشتغاله بشراء الأدوية أو الكفن وحفر القبر إذا كان منزولاً به، فهو كما لو لم يكن متعهد.

فصل

قال الرافعي: يجب على الزَمِن الجمعة إذا وجد مركوباً ملكاً أو إجارة أو عارية ولم يشق عليه الركوب، وكذا الشيخ الضعيف. وتجب على الأعمى إذا وجد قائداً متبرعاً أو بأجرة وله مال، وإلاَّ فقد أطلق الأكثرون أنها لا تجب عليه. وقال القاضي حسين: إن كان يحسن المشي بالعصا من غير قائد لزمه اهـ.

وعند أصحابنا من شروط صحة الجمعة سلامة العينين، فلا تجب على الأعمى وهو قول أبي حنيفة خلافاً لصاحبيه فيما إذا وجد قائداً يوصله، ومنها سلامة الرجلين فلا تجب على المقعد لعجزه عن السعي إليها اتفاقاً، وألحق به المحبوس فإن حبس بحق وهو يقدر على إيفائه اثم وإلاّ فلا.

(ثم يستحب لهم أعني أصحاب الأعذار) المذكورة **(تأخير الظهر إلى أن يفرغ الناس**

فإن حضر الجمعة مريض أو مسافر أو عبد أو امرأة صحت جمعتهم وأجزأت عن الظهر، والله أعلم.

من الجمعة، وإن حضر الجمعة مريض أو مسافر أو عبد أو امرأة صحت جمعتهم وأجزأت عن الظهر).

قال الرافعي: إن حضر الصبيان والنساء والعبيد والمسافرون الجامع، فلهم الانصراف ويصلون الظهر، وخرَّج صاحب التلخيص وجهاً في العبد أنه تلزمه الجمعة إذا حضر. قال في النهاية: وهذا غلط باتفاق الأصحاب، فأما المريض فقد أطلق كثيرون أنه لا يجوز له الانصراف بعد حضوره، بل تلزمه الجمعة. وقال إمام الحرمين: إن حضر قبل الوقت فله الانصراف، وإن دخل الوقت وقامت الصلاة لزمته الجمعة، وإن تخلل زمن بين دخول الوقت والصلاة فإن لم يلحقه مزيد مشقة في الانتظار لزمته وإلاَّ فلا. وهذا تفصيل حسن، ولا يبعد أن يكون كلام المطلقين منزلاً عليه، وألحقوا بالمرضى أصحاب الأعذار الملحقة بالمرض، وقالوا: إذا حضروا لزمتهم الجمعة، ولا يبعد أن يكونوا على التفصيل أيضاً إن لم يزد ضرر المعذور بالصبر إلى إقامة الجمعة، فالأمر كذلك وإلاَّ فله الانصراف وإقامة الظهر في منزله. هذا كله إذا لم يشرعوا في الجمعة، فإن أحرم الذين لا تلزمهم الجمعة بالجمعة، ثم أرادوا الانصراف قال في البيان: لا يجوز ذلك للمسافر والمريض، وفي العبد والمرأة قولان: حكاهما الصيمري، قال النووي: الأصح لا يجوز لهما لأن صلاتهما انعقدت عن فرضيهما فتعين إتمامها، والله أعلم.

تنبيهات:

الأول: إذا خرج الإمام عن الصلاة بحدث تعمده أو سبقه أو بسبب غيره أو بلا سبب، فإن كان في غير الجمعة ففي جواز الاستخلاف قولان. أظهرهما: الجديد يجوز، والقديم لا يجوز. ولنا وجه أنه يجوز بلا خلاف في غير الجمعة، وإنما القولان في الجمعة، فإن لم نجوزه فالمذهب أنه إن أحدث في الأولى أتم القوم صلاتهم ظهراً، وإن أحدث في الثانية أتمها جمعة من أدرك معه ركعة، ولنا قول انهم يتمونها جمعة في الحالين، ووجهه أنهم يتمونها ظهراً في الحالين، وإن جوزنا الاستخلاف نظر إن استخلف من لم يقتد به لم يصح ولم يكن لذلك الخليفة أن يصلي الجمعة لأنه لا يجوز ابتداء جمعة بعد جمعة، وفي صحة ظهر هذا الخليفة خلاف مبني على أن الظهر هل يصح قبل فوات الجمعة أم لا؟ فإن قلنا: لا يصح فهل يبقى نفلا فيه القولان. فإن قلنا: لا تبقى فاقتدى به القوم بطلت صلاتهم، وإن صححناها وكان ذلك في الركعة الأولى فلا جمعة لهم، وفي صحة الظهر خلاف مبني على صحة الظهر بنية الجمعة، وإن كان في الركعة الثانية واقتدوا به كان هذا اقتداء طارئاً على الانفراد. أما إذا استخلف من اقتدى به قبل الحدث فينظر إن لم يحضر الخطبة فوجهان. أحدهما: لا يصح استخلافه كما لو استخلف بعد الخطبة من لم يحضرها ليصلي بهم، فإنه لا يجوز، وأصحهما الجواز. ونقل الصيدلاني هذا الخلاف قولين المنع عن الفويطي والجواز عن أكثر الكتب والخلاف في مجرد

حضور الخطبة ولا يشترط سماعها بلا خلاف صرح به الأصحاب، وإن كان حضر الخطبة أو لم يحضرها وجوزنا استخلافه نظر إن استخلف من أدرك معه الركعة الأولى جاز وتمت لهم الجمعة سواء أحدث الإمام في الأولى أم الثانية، وفي وجه شاذ ضعيف أن الخليفة يصلي الظهر والقوم يصلون الجمعة، وإن استخلف من أدركه في الثاني قال إمام الحرمين: إن قلنا لا يجوز استخلاف من لم يحضر الخطبة لم يجز استخلاف هذا المسبوق وإلا فقولان. أظهرهما: وبه قطع الأكثرون الجواز فعلى هذا يصلون الجمعة وفي الخليفة وجهان. أحدهما: يتمها جمعة والثاني وهو الصحيح المنصوص لا يتمها جمعة، فعلى هذا يتمها ظهراً على المذهب، وقيل: قولان. أحدهما يتمها والثاني لا، فعلى هذا هل تبطل أم تنقلب نفلاً؟ قولان. فإن أبطلناها امتنع استخلاف المسبوق، وإذا جوزنا الاستخلاف والخليفة مسبوق يراعي نظم صلاة الإمام فيجلس إذا صلى ركعة ويتشهد، فإذا بلغ موضع السلام أشار إلى القوم وقام إلى ركعة أخرى. إن قلنا انه مدرك للجمعة وإلى ثلاث إن قلنا صلاته ظهر والقوم بالخيار إن شاؤا فارقوه وسلموا وإن شاؤا ثبتوا جالسين حتى يسلم بهم، ولو دخل مسبوق واقتدى به في الركعة الثانية التي استخلف فيها صحت له الجمعة وإن لم تصح للخليفة نص عليه الشافعي. قال الأصحاب: هو تفريع على صحة الجمعة خلف مصلي الظهر، وتصح جمعة الذين أدركوا مع الإمام أول ركعة بكل حال لأنهم لو انفردوا بالركعة الثانية كانوا مدركين للجمعة فلا يضر اقتداؤهم فيها بمصلي الظهر أو النفل والله أعلم.

وقال أصحابنا: الخطبة شرط الانعقاد في حق من ينشيء التحريمة للجمعة وهو الإمام، أو من استخلفه قبل الشروع فيها لسبق الحدث لا في حق كل من صلاها، فلو أحدث الإمام بعد الشروع في الصلاة فقدم من لم يشهدها جاز أن يصلي بهم الجمعة لأنه بان تحريمته على تلك التحريمة المنشأة ألا يرى إلى صحتها من المقتدين الذين لم يشهدوا الخطبة، وإذا أفسدها هذا الذي استخلفه الإمام كان القياس أن لا يصح استئنافه لأنه ينشيء التحريمة للاستئناف، ولكنهم استحسنوا جواز استقباله بهم لأنه لما قال مقام الأول التحق به حكماً فكما لو افسد الأول استقبل بهم، فكذا الثاني ولو أحدث الإمام قبل الشروع في الصلاة فقدم من لم يشهد الخطبة لا يجوز فلو قدمه فقدم هذا المقدم غيره ممن شهدها قيل يجوز وقيل لا يجوز، لأنه ليس من أهل إقامة الجمعة بنفسه فلا يجوز منه الاستخلاف، وإذا قدم الإمام الأول جنباً شهدها، فقدم الجنب طاهراً شهدها فإنه يجوز لأن الجنب الشاهد من أهل الإقامة بواسطة الاغتسال، فصح فيه الاستخلاف بخلاف ما لو قدم الأول صبياً أو معتوهاً أو امرأة أو كافراً فقدم غيره ممن شهدها لم يجز لأنهم لم يصح استخلافهم فلم يصر أحدهم خليفة فلا يملك الاستخلاف، فالمتقدم باستخلاف أحدهم متقدم بنفسه، ولا يجوز ذلك في الجمعة وإن جاز في غيرها من الصلوات لاشتراط إذن السلطان للمتقدم صريحاً أو دلالة فيها دون غيرها ولا دلالة إلا إذا كان المستخلف متحققاً بوصف الخليفة شرعاً وليس أحدهم كذلك، حتى لو كان المتقدم بنفسه

صاحب الشرطي أو القاضي جاز لأن هذا من أمور العامة، وقد قلدهما الإمام ما هو من أمور العامة فنزلا منزلته، فلو قدم أحدهما رجلاً شهدا الخطبة جاز لأنه ثبت لكل منهما ولاية التقدم فله ولاية التقديم والله أعلم.

الثاني: هل يشترط نية القدوة بالخليفة في الجمعة وغيرها من الصلوات؟ وجهان. الأصح لا يشترط، والثاني يشترط لأنهم بحدث الأول صاروا منفردين، وإذا لم يستخلف الإمام قدم القوم واحداً بالإشارة، ولو تقدم واحد بنفسه جاز وتقديم المقدم أولى من استخلاف الإمام لأنهم المصلون. قال إمام الحرمين: ولو قدم الإمام واحداً والمقدم آخر، فأظهر الاحتمالين أن من قدمه المقدم أولى، فلو لم يستخلف الإمام ولا القوم ولا تقدم أحد فالحكم ما ذكرناه تفريعاً على منع الاستخلاف. قال الأصحاب: ويجب على القوم تقديم واحد إن كان خروج الإمام في الركعة الأولى ولم يستخلف، وإن كان في الثانية لم يجب التقديم ولهم الانفراد بها كالمسبوق.

قلت: ومقتضى كلام أصحابنا أن الاستخلاف حق الإمام لأنه له الولاية من ولي الأمر، وليس للمأمومين أن يستخلفوا، وهذا مبني على أن إذن السلطان أو نائبه شرط عندنا والله أعلم.

الثالث: هذا كله إذا أحدث في أثناء الصلاة، فلو أحدث بين الخطبة والصلاة، فإذا أراد أن يستخلف من يصلي إن جوزنا الاستخلاف في الصلاة جاز، وإلا فلا يجوز بل إن اتسع الوقت خطب بهم آخر وصلى وإلا صلوا الظهر، وقال بعض الأصحاب: إن جوزنا الاستخلاف في الصلاة فهنا أولى، وإلا ففيه الخلاف وعكس الشيخ أبو محمد فقال: إن لم نجوزه في الصلاة فهنا أولى وإلا ففيه الخلاف والمذهب استواؤهما، ثم إذا جوزنا فشرطه أن يكون الخليفة سمع الخطبة على المذهب وبه قطع الجمهور، لأن من لم يسمع ليس من أهل الجمعة، ولهذا لو بادر أربعون من السامعين بعد الخطبة فعقدوا الجمعة انعقدت لهم بخلاف غيرهم، وإنما يصير غير السامع من أهل الجمعة إذا دخل الصلاة. وحكى صاحب التتمة وجهين في ا[ستـ]خلاف من لم يسمع: ولو أحدث في أثناء الخطبة وشرطنا الطهارة فيها فهل يجوز الاستخلاف إن منعناه في الصلاة؟ فهنا أولى وإلا فالصحيح جوازه كالصلاة.

الرابع: لو صلى مع الإمام ركعة من الجمعة ثم فارقه بعذر أو بغيره وقلنا لا تبطل الصلاة بالمفارقة أتمها جمعة كما لو أحدث الإمام.

الخامس: إذا تمت صلاة الإمام ولم تتم صلاة المأمومين فأرادوا استخلاف من يتم بهم إن لم نجوز الاستخلاف لـلإمام لم يجز لهم، وإلا فإن كان في الجمعة بأن كانوا مسبوقين لم يجز لأن الجمعة لا تنشأ بعد جمعة، وإن كان في غيرها بأن كانوا مسبوقين أو مقيمين وهو مسافر، فالأصح المنع لأن الجماعة حصلت، وإذا أتموا فرادى نالوا فضلها.

السادس: قال أبو حنيفة: إمام خطب وهو جنب ثم ذهب واغتسل ورجع وصلى جاز، وهذا

مبني على أن الموالاة بين الخطبة والصلاة شرط وهو الصحيح، فعد ذهابه واغتساله ليس من العمل الكثير القاطع بل هو من أعمال الصلاة، هكذا صرح به في الظهيرية والعتابية والعيون وخالفهم الناطفي في الواقعات فافتى بعدم الجواز، وقال: هذا ليس من عمل الصلاة وأيد صاحب المنتقى قول الإمام، وهل يجب إعادة الخطبة أم لا؟ ففي الحجة لا يجب ومثله في المحيط، ولكنه إن تعمد ذلك كان مسيئاً ونقل صاحب الذخيرة عن أبي حنيفة وأبي يوسف عدم الإعادة. ونقل صاحب الظهيرية عن أبي يوسف الإعادة إلا أنه قال: إن لم يعد اجزأه والله أعلم.

وذكر الرافعي في مسألة الانفضاض بأن الأظهر أن الموالاة في الخطبة واجبة، فإذا عاد المنفضون قبل طول الفصل بنى على خطبته وبعد طوله قولان، فعلى القول بوجوب الموالاة يجب الاستئناف، ولو لم يعد الأولون واجتمع بدلهم أربعون وجب استئناف الخطبة طال الفصل أو قصر، وفي اشتراط الموالاة بين الخطبة والصلاة قولان. الأظهر الاشتراط.

السابع: مسألة الزحام إنما تذكر في الجمعة لأن الزحمة فيها أكثر ولأنه تجتمع فيها وجوه من الأشكال ما لا تجري في غيرها، فإذا منعته الزحمة في الجمعة السجود على الأرض مع الإمام في الركعة الأولى نظر إن أمكنه أن يسجد على ظهر إنسان أو رجله لزمه ذلك على الصحيح الذي قطع به الجمهور إذا قدر على هيئة الساجدين بأن يكون على موضع مرتفع، فإن لم يكن فالمأتي به ليس بسجود، وإذا تمكن من ذلك ولم يسجد فهو تخلف بغير عذر على الأصح، ولو لم يتمكن من السجود على الأرض ولا على الظهر فأراد أن يخرج عن المتابعة ويتمها ظهراً ففي صحتها قولان. قال إمام الحرمين: ويظهر منعه من الانفراد لأن إقامة الجمعة واجبة، فالخروج منها عمداً مع توقع إدراكها لا وجه له، فأما إذا دام على المتابعة فما يصنع فيه أوجه الصحيح ينتظر التمكن فيسجد، فإذا فرغ من سجوده فللمأموم أحوال أربعة أصحها أن له حكم المسبوق فيتابعه فيما هو فيه ويقوم عند سلام الإمام إلى ركعة ثانية، وإذا تخلف يجري على ترتيب نفسه، فالوجه أن يقتصر على الفرائض فعسى أن يدرك الإمام، وإذا لم يتمكن من السجود حتى ركع الإمام في الثانية ففيه قولان. أظهرهما: يتابعه فإن وافقه حسب له بالركوع الأول والثاني بالثاني، وإن خالفه حصلت له الركعة الثانية بكمالها، فإذا سلم الإمام ضم إليها أخرى وتمت جمعته بلا خلاف، وعلى الأول حصلت له ركعة ملفقة من ركوع الأولى وسجود الثانية، وفي إدراك الجمعة بالركعة الملفقة وجهان. أصحهما تدرك وفي إدراكها بالركعة الحكمية وجهان كالملفقة أصحهما الإدراك، فانظر تفصيل ذلك في شرح الرافعي الكبير.

الثامن: قال إمام الحرمين: لو رفع المزحوم رأسه من السجدة الثانية فسلم الإمام قبل أن يعتدل المزحوم ففيه احتمال، والظاهر أنه مدرك للجمعة؛ أما إذا كان الزحام في سجود الركعة الثانية وقد صلى الأولى مع الإمام فيسجد متى تمكن قبل سلام الإمام أو بعده وجمعته صحيحة، فإن كان مسبوقاً لحقه في الثانية، فإن تمكن قبل سلام الإمام سجد وأدرك ركعة من الجمعة وإلا

....

فلا جمعة له. وأما إذا زحم عن ركوع الأولى حتى ركع الإمام في الثانية فيركع قال الأكثرون: ويعتد له بالركعة الثانية وتسقط الأولى، ومنهم من قال: الحاصل ركعة ملفقة.

التاسع: إذا عرضت حالة في الصلاة تمنع من وقوعها جمعة في صور الزحام وغيرها. فهل يتم صلاته ظهراً، قولان يتعلقان بأصل، وهو أن الجمعة ظهر مقصورة أم صلاة على حيالها وفيه قولان. اقتضاهما كلام الشافعي. قال النووي: أظهرهما صلاة بحيالها، فإن قلنا ظهر مقصورة فإذا فات بعض شروط الجمعة أتمها ظهراً كالمسافر إذا فات شرط قصره، وإن قلنا فرض على حياله فهل يتمها؟ وجهان. والصحيح مطلقاً أنه يتمها ظهراً، لكن هل يشترط أن يقصد قلبها ظهراً أم تنقلب بنفسها ظهراً؟ وجهان في النهاية. قال النووي: الأصح لا يشترط وهو مقتضى كلام الجمهور، وإذا قلنا لا يتمها ظهراً فهل تبطل أم تبقى نفلاً؟ فيه قولان.

العاشر: هل يشترط في صحة الخطبة الطهارة عن الحدث والنجس في البدن والثوب والمكان وستر العورة؟ قولان. الجديد اشتراط كل ذلك، ثم قيل الخلاف مبني على أنها بدل من الركعتين أم لا؟ وقيل: على أن الموالاة في الخطبة شرط أم لا، فإن شرطنا الموالاة شرطنا الطهارة وإلا فلا. ثم قال صاحب التتمة: يطرد الخلاف في اشتراط الطهارة عن الحدث الأصغر والجنابة، وخصّه صاحب التهذيب بالحدث الأصغر قال: فأما الجنب فلا تحسب خطبته قولاً واحداً لأن القراءة شرط ولا تحسب قراءة الجنب وهذا أصح. قال النووي: الصحيح أو الصواب قول صاحب التتمة، وقد جزم به الرافعي في المحرر، وقطع الشيخ أبو حامد والماوردي وآخرون بأنه لو بان لهم بعد فراغ الجمعة أن إمامها كان جنباً اجزأتهم، ونقله أبو حامد والأصحاب عن نصه في الأم، ثم إذا شرطنا الطهارة فسبقه حدث في الخطبة لم يعتد بما يأتي به في حال الحدث، وفي بناء غيره عليه الخلاف، فلو تطهر وعاد وجب الاستئناف إن طال الفصل وشرطنا الموالاة وإلا فوجهان. أظهرهما الاستئناف، وقال أصحابنا: الطهارة من الحدث والخبث وستر العورة سنتان في الخطبة وليسا بشرط على المشهور من المذهب. قالوا: لأن الخطبة ليست كالصلاة ولا كشطرها بدليل أنها تؤدى إلى غير جهة القبلة ولا يفسدها الكلام، وما ورد في الأثر من أنها كركعتي الصلاة مؤول بأنها في حكم الثواب كشطر الصلاة لا في اشتراط سائر الشروط، ولكن ينبغي أن تعاد خطبة الجنب احتياطاً كإعادة أذانه. وفي مجمع الروايات وإن خطب على غير طهارة جاز وكره إلا أنه روي عن أبي يوسف أنه قال: الطهارة شرط وما بقي من أحكام البناء والاستئناف فقد تقدم في التنبيه السادس.

الحادي عشر: قال المصنف في الوجيز: هل يحرم الكلام على من عدا الأربعين؟ فيه القولان. قال الرافعي في شرحه: هذا النقل بعيد في نفسه ومخالف لما نقله الأصحاب، أما بعده في نفسه فلأن كلامه مفروض في السامعين للخطبة، وإذا حضر جماعة يزيدون على أربعين فلا يمكن أن

يقال تنعقد الجمعة بأربعين منهم على التعيين، فيحرم الكلام عليهم قطعاً والخلاف في الباقين، بل الوجه الحكم بانعقاد الجمعة بهم أو بأربعين منهم لا على التعيين، وأما مخالفته لنقل الأصحاب فلأنك لا تجد للأصحاب إلا إطلاق قولين في السامعين ووجهين في غيرهم، والله أعلم.

الثاني عشر: هل نية الخطبة وفرضيتها شرط أم لا؟ اشترطها القاضي حسين في التعليقة. وقال أصحابنا: لا تكون الخطبة إلا بقصدها حتى لو عطس الخطيب فحمد له أي للعطاس لا ينوب عن الخطبة فهو شرط كما مر عن القاضي حسين.

الثالث عشر: الترتيب بين أركان الخطبة الثلاث، فأوجب صاحب التهذيب أن يبدأ بالحمد ثم الصلاة ثم الوصية، ولا ترتيب بين القراءة والدعاء ولا بينها وبين غيرهما. وقطع صاحب العدة وآخرون بأنه لا يجب في شيء من الألفاظ. قالوا: لكن الأفضل الرعاية، وقطع صاحب الحاوي وكثير من العراقيين بأنه لا يجب الترتيب، ونقله في الحاوي عن نص الشافعي.

الرابع عشر: قال أصحابنا: من جملة شروط صحة الجمعة الإذن العام لأنها من شعائر الإسلام فلزم إقامتها على سبيل الاشتهار والعموم، فيأذن الإمام للناس إذناً عاماً بإقامتها، حتى لو أغلق باب قصره والمحل الذي يصلي فيه بأصحابه لم تجز، وإن صلى في قصره وأذن للناس بالدخول فيه تجوز شهدتها العامة أو لا، ولكن يكره. وإن منع الإمام أهل بلد أن يجمعوا قال الفقيه أبو جعفر: ينظر إن كان المنع مجتهداً لسبب من الأسباب، وأراد أن يخرج ذلك الموضع عن أن يكون مصراً صح نهيه، وليس لهم أن يجتمعوا بعد ذلك لأنه كما أن له إن بمصر موضعها فله أن يخرج موضعها من أن يكون مصراً، وإن نهاهم متعنتاً أو إضراراً بهم كان لهم أن يجتمعوا على رجل يصلي بهم الجمعة، لأن منعه على هذا الوجه معصية ولا طاعة له في المعصية، ثم أن هذا الشرط رواية النوادر وليس هو في ظاهر الرواية. ولذا لم يذكر صاحب الهداية، وإنما ذكره صاحب الكنز كما في البدائع للكاساني، ونقل عنه صاحب البحر وفي المبسوط ونقل عنه في البرهان.

الخامس عشر: قال صاحب الأفصاح والمحاملي: المستحب أن يكون المؤذن للجمعة واحداً، وأشار إليه الغزالي، وفي كلام بعض الأصحاب إشعار باستحباب تعديد المؤذنين.

السادس عشر: يجوز إقامة الجمعة بمنى في الموسم للخليفة أو أمير الحجاز لا أمير الموسم، لأنه يلي أمور الحاج لا غير عند أبي حنيفة وأبي يوسف، وقال محمد: لا تصح بها لأنها من القرى، ولهما أنها تتمصر في أيام الموسم بخلاف عرفات لأنها فضاء فلا تقام بها جمعة.

السابع عشر: يسن أن ينزل الخطيب بعد فراغه من الخطبة على سكينة ووقار قائلاً: استغفر الله لي ولكم، يأخذ المؤذن في الإقامة ويبتدر ليبلغ المحراب مع فراغ المقيم.

الثامن عشر: يكره للخطيب الدق على درج المنبر عند صعوده ونزوله والدعاء إذا انتهى

صعوده قبل أن يجلس، وربما توهموا أنها ساعة الإجابة، وهذا جهل فإن ساعة الإجابة إنما هي بعد جلوسه كما سيأتي، ويكره له الإسراع في الخطبة الثانية. نبه عليه النووي وغيره.

التاسع عشر: من بعضه حر وبعضه عبد لا جمعة عليه، وفيه وجه شاذ أنه إذا كان بينه وبين سيده مهايأة لزمه الجمعة الواقعة في نوبته، ولا تنعقد به، بلا خلاف.

العشرون: الغريب إذا أقام ببلد واتخذه وطناً صار له حكم أهله في وجوب الجمعة وانعقادها به، وإن لم يتخذه وطناً بل عزمه الرجوع إلى بلده بعد مدة يخرج بها عن كونه مسافراً قصيرة أو طويلة كالمتفقه والتاجر لزمه الجمعة ولا تنعقد به على الأصح.

الحادي والعشرون: العذر المبيح ترك الجمعة يبيحه وإن طرأ بعد الزوال إلا السفر فإنه يحرم أنشاؤه بعد الزوال، وقيل: فيما يجوز بعد الفجر وقبل الزوال قولان. قال في القديم وحرملة يجوز وفي الجديد لا يجوز وهو الأظهر عند العراقيين، وقيل: يجوز قولاً وحداً هذا في السفر المباح أما الطاعة واجباً كان كالحج أو مندوباً فلا يجوز بعد الزوال، وأما قبله فقطع كثيرون من الأئمة بجوازه ومقتضى كلام العراقيين أنه على الخلاف كالمباح، وحيث قلنا يحرم فله شرطان.

أحدهما: أن لا ينقطع عن الرفقة ولا يناله ضرر في تخلفه للجمعة، فإن انقطع وفات سفره بذلك أو ناله ضرر فله الخروج بعد الزوال بلا خلاف. كذا قاله الأصحاب. وقال الشيخ أبو حاتم القزويني: وفي جوازه بعد الزوال لخوف الانقطاع عن الرفقة وجهان.

الشرط الثاني: أن لا يمكنه صلاة الجمعة في منزله أو طريقه، فإن أمكنت فلا يمنع بحال. قال النووي الأظهر تحريم السفر المباح والطاعة قبل الزوال، وحيث حرمناه بعد الزوال فسافر كان عاصياً فلا يترخص ما لم تفت الجمعة حيث كان فواتها يكون ابتداء سفره قاله القاضي حسين، وصاحب التهذيب وهو ظاهر والله أعلم.

وقال أصحابنا: كره لمن تجب عليه الجمعة الخروج من المصر يومها بعد النداء ما لم يصل، واختلفوا في النداء فقيل: الأذان الأول، وقيل: الثاني. وأما إذا أخرج قبل الزوال فلا بأس به بلا خلاف. كذا في التتارخانية، وسواء كان سفر الطاعة أو غيره وكذا يجوز له السفر بعد الفراغ من الجمعة وإن لم يدركها والله أعلم.

الثاني والعشرون: المعذورون في ترك الجمعة ضربان.

أحدهما: يتوقع زوال عذره كالعبد والمريض يتوقع الخفة فيستحب له تأخير الظهر إلى اليأس من إدراك الجمعة لاحتمال تمكنه منها، ويحصل اليأس برفع الإمام رأسه من الركوع الثاني على الصحيح، وعلى الشاذ يراعى تصور الإدراك في حق كل واحد، فإذا كان منزله بعيداً فانتهى الوقت إلى حد لوجد في السعي لم يدرك الجمعة حصل الفوات في حقه.

الضرب الثاني: من لا يرجو زوال عذره كالمرأة والزمن، فالأولى أن يصلي الظهر في أولى

الوقت لفضيلة الأولية قال النووي: هذا اختيار أصحابنا الخراسانيين وهو الأصح. وقال العراقيون: هذا الضرب كالأول فيستحب لهم تأخير الظهر لأن الجمعة صلاة الكاملين فقدمت والاختيار التوسط،فيقال: إن كان هذا الشخص جازماً بأنه لا يحضر الجمعة وإن تمكن منها استحب تقديم الظهر، وإن كان لو تمكن أو نشط حضرها استحب التأخير كالضرب الأول والله أعلم.

وإذا اجتمع معذورون استحب لهم الجماعة في ظهرهم على الأصح قال الشافعي رحمه الله: واستحب لهم إخفاء الجماعة لئلا يتهموا. قال الأصحاب: هذا إذا كان عذرهم خفياً فإن كان ظاهراً فلا تهمة كالشافعية بمصر مثلاً، ومنهم من استحب الإخفاء مطلقاً. وقال أصحابنا: كره للمعذور والمسجون أداء الظهر بجماعة في المصر يوم الجمعة، وكذا صلاة الظهر منفرداً قبل صلاة الجمعة في الصحيح ويستحب له تأخيره عنها اهـ.

وقال الرافعي: ثم إذا صلى المعذور الظهر قبل فوات الجمعة صحت ظهره، فلو زال عذره وتمكن من الجمعة لم يلزمه إلا في الخنثى إذا صلى الظهر، ثم بان رجلاً وتمكن من الجمعة فتلزمه، والمستحب لهؤلاء حضور الجمعة بعد فعلهم الظهر، فإن صلوا الجمعة ففرضهم الظهر على الأظهر، أما إذا زال العذر في أثناء الظهر فقال القفال: هو كرؤية المتيمم الماء في الصلاة، وهذا يقتضي خلافاً في بطلان الظهر كالخلاف في بطلان صلاة المتيمم. وذكر الشيخ أبو محمد وجهين هنا، والمذهب استمرار صحة الظهر، وهذا الخلاف تفريع على إيصال ظهر غير المعذور إذا صلاها قبل فوات الجمعة، فإن لم يبطلها فالعذر أولى.

وقال أصحابنا :المعذورون إن أدوا الجمعة جاز عن فرض الوقت لأن السقوط تخفيف للعذر، فإذا تحمل ما لم يكلف به وهو الجمعة جاز عن فرض الوقت وهو الظهر، كالمسافر إذا صام والأفضل لهم الجمعة لأن الظهر لهم يوم الجمعة رخصة، فدل على أن العزيمة صلاة الجمعة، وتستثنى منهم المرأة والخنثى، ومن لا عذر له يمنعه عن حضور الجمعة لو صلى الظهر قبل صلاة الجمعة انعقد ظهره لوجود وقت أصل الفرض وهو الظهر في حق الكافة إلاَّ أنه لما كان مأموراً بإسقاطه بالجمعة حرم عليه فعل الأصل، وكان انعقاده موقوفاً فإن سعى إليها وكان الإمام فيها أو أقيمت بعدما سعى إليها بطل ظهره وصار نفلاً، وكذا حكم المعذور لو صلّى الظهر ثم سعى إلى الجمعة بطل ظهره، وإن لم يدركها. وهذا عند أبي حنيفة على تخريج البلخيين وهو الأصح، ثم ان المعتبر في السعي الانفصال من داره فلا يبطل ظهره قبله على المختار، وقيل: إذا خطا خطوتين في البيت الواسع يبطل، ولا يبطل إذا كان السعي مقارناً للفراغ منها أو بعده أو لم تقم الجمعة أصلاً. وقال: لا يبطل ظهره حتى يدخل مع القوم. وفي رواية حتى يتمها حتى لو قصدها بعد ما شرع فيها لا يبطل ظهره على هذه الرواية، وقول الامام هنا أحوط، ولو صلّى مسافر الظهر إماماً ثم حضر الجمعة فصلاها فهي فرضه وجازت صلاة أولئك، ولو قدمه الإمام لسبق حدث جازت صلاة القوم لأن ظهره ارتفض في حقه دون أولئك الذين صلى بهم قبل دخوله المصر، فصار في حق الفريق الثاني كأنه

بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر جمل:

الأول: أن يستعد لها يوم الخميس عزماً عليها واستقبالاً لفضلها، فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لأنها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة. قال بعض السلف: إن لله عز وجل فضلاً سوى أرزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة، ويغسل في هذا اليوم ثيابه

لم يصل الظهر كذا في التبيين والغاية وفتح القدير نقلاً عن جامع الجوامع والتجنيس.

وقال الرافعي في شرح الوجيز: من لا عذر له إذا صلى الظهر قبل فوات الجمعة لم تصح ظهره على الجديد وهو الأظهر وتصح على القديم.

قال الأصحاب: القولان مبنيان على أن الفرض الأصلي يوم الجمعة ماذا؟ فالجديد أنه الجمعة، والقديم أنه الظهر وأن الجمعة بدل، فإن صلى الظهر بعد ركوع الإمام في الثانية وقبل سلامه، فقال ابن الصباغ: ظاهر كلام الشافعي بطلانها يعني على الجديد، ومن الأصحاب من جوزها والله أعلم.

ثم نعود إلى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى:

بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر جمل:

منها ما يعم الخطيب والمصلين كالاستعداد والبكور والغسل والتزين وهيئة الدخول وملازمة المسجد بعد الصلاة وما عداها للمصلين خاصة.

(**الأولى: أن يستعد لها**) أي للجمعة (**يوم الخميس عزماً عليها**) بقلبه (**واستقبالاً لفضلها فيشتغل بالدعاء**) أي دعاء كان، وأفضله المأثور (**والاستغفار**) بأي صيغة كان، واقله: استغفر الله العظيم إن وجد له مع الله حالاً وألاّ يقول: اللهم اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم، بل أي لفظ ذكر فيه سؤال المغفرة فهو مستغفر، ومن أحسن الاستغفارات الصيغ العشرة المنسوبة للحسن البصري، وإن قال: رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فحسن، (**والتسبيح**) بأي لفظ كان، وأفضله: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله بحمده سبحان الله العظيم، فقد ورد في فضلها أخبار صحيحة، وإن اشتغل بالمسبحات الست فحسن، وذلك (**بعد العصر يوم الخميس لأن ساعتها توازي في الفضل ساعة يوم الجمعة**) وفي بعض النسخ: قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة.

(**قال بعض السلف**)، ولفظ القوت: وروينا عن بعض علماء السلف قال: (**إن لله تعالى فضلاً سوى أرزاق العباد لا يعطي من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة**) هكذا أورده صاحب القوت، وفي بعض النسخ: أو يوم الجمعة، (**و**) من جملة

ويبيضها ويعد الطيب إن لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الأشغال التي تمنعه من البكور إلى الجمعة. وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فإن له فضلاً، وليكن مضموماً إلى يوم الخميس أو السبت ـ لا مفرداً فإنه مكروه ـ. ويشتغل باحياء هذه الليلة بالصلاة وختم

الاستعداد أن **(يغسل)** بنفسه **(في هذا اليوم ثيابه)** التي يلبسها يوم الجمعة إن كان مجرداً ذا قدرة أو يأمر غيره بغسلها، وإن كان متأهلاً كما هو الظاهر فتغسل له زوجته أو جاريته، والمراد بالثياب هنا ما كان من عادته في لبسه إياها كالقميص والسراويل والعمامة وما يلبسه فوق القميص إن كان من قطن أو كتان واحتاج الحال إلى غسله، أو كان صوفاً أو غير ذلك مما يعسر غسله أو بحيث إذا غسل خيف على فساده فلا. **(وينظفها)** هكذا في بعض النسخ، وفي بعضها: ويبيضها، ولنظافة الثياب خاصية عظيمة في تقوية الروح، فإن كان مشتغلاً بالعلم ولم يتفرغ لغسل الثياب ولم يجد من يغسل له فلا بأس أن يؤخره إلى يوم الجمعة، ولكن لا ينقطع عن الذكر في حالة غسله إياها، **(ويعد الطيب)** أي يهيئه **(إن لم يكن عنده)** موجوداً شراء من ماله، وقد صار إعداد الطيب ليوم الجمعة اليوم من جملة المهجورات إلا القليل، **(ويفرغ قلبه من الاشغال)** والصوارف **(التي تمنعه من البكور إلى الجمعة)** بأن لا يواعد أحداً باجتماعه عليه يوم الجمعة، فإن كان متسع الدائرة بين أهله وعياله فيعطيهم ما يكفي يوم الجمعة من الدراهم بحيث لا يخاطبونه في ذلك اليوم عن شيء يتعلق بحوائج البيت فإنه مما يشتت الفكر ويذهب سر المراقبة في الذكر، وقد قيل: لو كلفت بصلة ما حفظت مسألة. **(وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة)** أي يعقد قلبه على ذلك، **(فإنه له)** أي لصوم يوم الجمعة **(فضلاً)** مذكوراً، **(وليكن)** ذلك **(مضموماً إلى يوم الخميس أو السبت لا مفرداً فإنه مكروه)** وهو مذهب الشافعي وأحمد، وبه قال أبو حنيفة. وقال مالك: إفراد يوم الجمعة بالصوم لا يكره لحديث الترمذي، وقلما كان يفطر يوم الجمعة. ولكن يعارضه ما في المتفق عليه: لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو يصوم بعده.

قال الشيخ ابن حجر في شرح الشمائل: وسبب الكراهة أمور أصحها أنه يوم عيد تتعلق به وظائف كثيرة دينية، والصوم يضعف عنها، ومن ثم كره صوم يوم عرفة للحاج بخلاف ما إذا ضم لغيره، فإن فضيلة صوم ما قبله أو بعده يجبر ما فات بسبب ذلك الضعف، وكذا لا يكره إن وافق نذراً قال: وأما دعوى أن صوم يوم الجمعة بلا كراهة من خصائصه ﷺ فيحتاج لدليل، ومجرد صومه مع نهيه لا يدلّ على الخصوصية إلا لو ثبت أنه كان يفرده ويداوم على إفراده وإلا احتمل أنه لبيان الجواز اهـ.

قلت: وقد وردت في فضل يوم الجمعة أخبار. منها: ما رواه البيهقي عن أبي هريرة رفعه: « من صام يوم الجمعة كتب الله له عشرة أيام عددهن من أيام الآخرة غراً زهراً لا تشاكلهن أيام الدنيا » وإن شاء المريد أن يجمع بين صوم الأربعاء والخميس والجمعة إن قوي على ذلك، فقد وردت فيه أيضاً أخبار عن أبي أمامة، وابن عمر، وابن عباس، وأنس. ففي بعضها: « بنى

القرآن فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة. ويجامع أهله في هذه الليلة أو في يوم الجمعة فقد استحب ذلك قوم حملوا عليه قوله ﷺ: «رحم الله من بكَّـر وابتكر وغسل واغتسل»، وهو حمل الأهل على الغسل. وقيل: معناه غسل ثيابه فروي

الله له بيتاً في الجنة يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره» وفي بعضها: «غفر له كل ذنب عمله». وفي بعضها: «دخل الجنة» وفي بعضها: «بنى الله له قصراً في الجنة من لؤلؤ وياقوت وزمرد وكتب الله له براءة من النار».

(**ويشتغل بإحياء هذه الليلة بالصلاة**) والأذكار الواردة والتسبيحات وصيغ الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ، وأقلها مائة. فقد روى الديلمي، عن حكامة، عن أبيها، عن عثمان بن دينار، عن أخيه مالك بن دينار، عن أنس بن مالك رضي الله عنه رفعه: «من صلّى عليَّ يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة من الصلاة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ووكل الله بذلك ملكاً يدخله على قبري كما يدخل عليكم الهدايا إن علمي بعد موتي كعلمي في الحياة».

وروى البيهقي، عن أبي هريرة، وابن عدي، عن أنس: «أكثروا الصلاة عليَّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر، فإن صلاتكم تعرض عليَّ». وروى البيهقي عن أنس: «أكثروا من الصلاة عليَّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة».

(**و**) الأفضل إن أمكنه أن يشتغل (**بختم القرآن**) أي يبتدىء من أول النهار ويكمل ختمه في هذه الليلة، فإن كان مشتغلاً فليبتدىء من أول نهار الإثنين ويختمه ليلة الجمعة، ويبتدىء من ليلتها ويختمه ليلة الاثنين. ويستحب قراءة سورة الكهف ليلة الجمعة، فقد روى الدارمي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه موقوفاً: «من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق». أو يقرأ سورة يس، فقد ورد عن أبي هريرة رفعه: «من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له» أوحم الدخان، فقد روى أبو هريرة مرفوعاً. «من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك». وفي رواية: «غفر له». أخرجه الترمذي. وذكره الضياء في فضائل الأعمال: أو مائة آية من أي موضع كان، فقد صح من طرق: «من قرأ مائة آية في ليلة لم يكتب من الغافلين». (**فلها**) أي ليلة الجمعة (**فضل كبير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة**) وناهيك بها أنها تسمى بالليلة الزهراء والغراء، كما أن يوم الجمعة يسمى باليوم الأزهر والأغر، (**و**) يستحب أن (**يجامع أهله**) زوجة كانت أو جارية (**في هذه الليلة**) إن عزم على صيام يومها (**أو يوم الجمعة**) إن لم يكن صائماً، (**فقد استحب ذلك قوم**) من العلماء، (**وحملوا عليه قول رسول الله ﷺ: «رحم الله من بكّر وابتكر وغسل واغتسل»**) لم أجده بهذا اللفظ، والذي عند أحمد بسند جيد، وأرباب السنن، وابن حبان، والحاكم وصححه وتعقب، والطبراني في الكبير، وحسنه الترمذي، والدارمي، وابن أبي شيبة،

....

وابن سعد، وابن زنجويه، وابن خزيمة، والطحاوي، وأبي يعلى، والباوردي، وابن قانع، وأبي نعيم، والبيهقي، والضياء، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه رفعه بلفظ: «من غسل يوم الجمعة واغتسل ثم بكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام واستمع وأنصت ولم يلغ كان له بكل خطوة يخطوها من بيته إلى المسجد عمل سنة أجر سنة صيامها وقيامها».

ورواه الحاكم أيضاً عن أبي الأشعث، عن أوس بن أوس، عن ابن عمر، ويروى أيضاً عن أوس بن أوس، عن أبي بكر الصديق. وعند الطبراني أيضاً عن أبي الأشعث، عن شداد بن أوس. وعند الطبراني أيضاً في إحدى رواياته زيادة في آخر الحديث وهي: «وذلك على الله يسير».

وروى الحاكم أيضاً من حديث أوس بن أوس وصححه وتعقب بلفظ: «من غسل واغتسل وغدا وابتكر ودنا وأنصت واستمع غفر له ما بينه وما بين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصا فقد لغا».

ويروى كذلك عن أنس بلفظ: «من غسل واغتسل وبكر وابتكر وأتى الجمعة واستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى» رواه الخطيب.

ويروى كذلك عن أبي طلحة بلفظ: «من غسل واغتسل وغدا وابتكر ودنا من الإمام وأنصت ولم يلغ في يوم الجمعة كتب الله له بكل خطوة خطاها إلى المسجد صيام سنة وقيامها» رواه الطبراني في الكبير عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أبيه عن جده.

قال المصنف: **(وهو حمل الأهل على الغسل)**. ولفظ القوت فمعنى قوله غسل بالتشديد أي غسل أهله كناية عن الجماع اهـ.

وفهم ذلك من تشديد اللفظ يقال: غسله أي حمله على ما يوجب الغسل أو تسبب له فيه، وحذف مفعوله اكتفاء فيكون الاغتسال مقصوراً على نفسه والتغسيل لغيره، وهذه الرواية هي المشهورة عند المحدثين، وحمل الحديث على هذا المعنى إذا كان التغسيل في يوم الجمعة لتحصيل فضيلة الغسل للجانبين شائع، فأما على تقدير وقوع الجماع في ليلة الجمعة ففيه نظر، لأنه إن جامع ليلة الجمعة فلا يخلو عن حالين إما أنه يغتسل فينام على طهارة أو ينام فيقوم فيغتسل، فإن اغتسل قبل الفجر كما هو الأكثر فلا يتم إلا على قول الأوزاعي حيث يقول: وقت غسل الجمعة من قبل طلوع الفجر، وإن قام بعد الفجر ثم اغتسل فقد حصل غسل الجمعة على قول من جعل وقته ممتداً من بعد الفجر، إلا أنه يعكر عليه بقاؤه على الجنابة إلى ذلك الوقت، فالأولى أن يقال: إن جامع ليلة الجمعة فينوي بذلك تفرغ قلبه من شهوات النفس الأمارة، وليكون ادعى لغض بصره إذا مرّ إلى الجمعة فعسى أن يفيء نظره على ما لا يباح له النظر إليه فيكون سبباً لشتات خاطره فتأمل ذلك.

بالتخفيف واغتسل لجسده. وبهذا تتم آداب الاستقبال ويخرج من زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا: ما هذا اليوم؟ قال بعض السلف: أوفى الناس نصيباً من الجمعة من انتظرها ورعاها من الأمس، وأخفهم نصيباً من إذا أصبح يقول: إيش اليوم؟ وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لأجلها.

الثاني: إذا أصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر، وإن كان لا يبكر فأقربه إلى الرواح أحب، ليكون أقرب عهداً بالنظافة، فالغسل مستحب استحباباً مؤكداً.

(**وقيل: معناه غسل ثيابه فروي بالتخفيف**) وحذف المفعول كذلك اكتفاء، ولفظ القوت وبعض الرواة يخففه فيقول: غسل واغتسل ويكون معناه عنده غسل رأسه، (**واغتسل لجسده**) هذا لفظ القوت، وقد حمل رواية التخفيف على غسل رأسه، والمصنف خالفه فحملها على معنى غسل ثيابه، وكلاهما حسن إلا أن الغالب إذ ذاك توفير شعورهم وتغليفها بالخطمي ونحو ذلك، فكانوا يؤمرون بتنظيف شعر الرأس ثم بالغسل المسنون تأكيداً لهم في ذلك على أنا إذا حملنا رواية التشديد على هذا المعنى الأخير صح أيضاً كما لا يخفى، (**وبهذا**) أي الذي ذكر من الاستعداد له بالأفعال المذكورة (**تتم آداب الاستقبال**) أي للجمعة، (**ويخرج من زمرة الغافلين الذين إذا أصبحوا قالوا: ما هذا اليوم**)؟ لما غلب عليهم اللهو والاشتغال بغير العبادات، فهو ساه عن معرفة الأيام. ليله خشبة مطروحة ونهاره جيفة متحركة، فلا يدري عن يوم الجمعة فهو عنده كسائر الأيام، ومن هنا (**قال بعض السلف: أوفى الناس نصيباً من الجمعة من انتظرها ورعاها من الأمس، وأخسهم**) أي أنقصهم (**نصيباً من أصبح فقال: إيش اليوم**)؟ هكذا في القوت. إلا أن لفظه: أوفر الناس بدل أوفى وأخسر الناس نصيباً منها بدل أخسهم نصيباً، وإيش أصله أي شيء. ثم اختصر واستعمل هكذا في الاستفهام وهو شائع في اللسان العربي، لكنه بالتنوين والعامة يستعملونه بلا تنوين، (**و**) قد (**كان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لأجلها**) أي لأجل تحصيل صلاة الجمعة كذا في القوت. قال: ومنهم من كان يبيت ليلة السبت في الجامع لمزيد الجمعة.

(**الثانية: إذا أصبح**) أي دخل في الصبح (**بدأ بالغسل بعد طلوع الفجر**) أي الثاني المبيح للصلاة وهو الصادق. دل على ذلك قوله: إذا أصبح أي غسل الجمعة ينوي بذلك إن لم يكن سبق له الجماع، فينوي غسل الجنابة وغسل الجمعة معاً كما سيأتي. هذا إذا كان عزمه أن يبكر إلى المسجد من أول النهار، (**فإن كان لا يبكر**) لعذر (**فأقربه إلى الرواح**) وهو قبل الزوال (**أحب**) أي أكثر استحباباً خروجاً من خلاف مالك، و (**ليكون أقرب عهداً بالنظافة**) لصلاة الجمعة (**فالغسل مستحب استحباباً مؤكداً**). وبه قال أبو حنيفة، وهو المشهور من مذهب الشافعي وأحمد. وحكاه الخطابي عن عامة الفقهاء، وحكاه عياض عن عامة الفقهاء وأئمة الأمصار، ونقل ابن عبد البر فيه الإجماع، وقال الرافعي: الغسل يوم الجمعة سنّة

وذهب بعض العلماء إلى وجوبه. قال ﷺ: «غسل الجمعة واجب على كل محتلم»

ووقته بعد الفجر على المذهب، وانفرد في النهاية بحكاية وجه أنه يجزىء قبل الفجر كغسل العيد وهو شاذ منكر، ويستحب تقريب الغسل من الرواح إلى الجمعة. (**وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوبه**) حكاه ابن المنذر عن أبي هريرة وعمار بن ياسر، وحكاه الخطابي عن الحسن البصري، وحكاه ابن حزم عن عمر بن الخطاب، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وسعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وعمرو بن سليم، وعطاء، وكعب، والمسيب بن رافع، وسفيان الثوري. وحكي إيجابه أيضاً عن مالك والشافعي وأحمد. أما مالك فحكاه عنه ابن المنذر والخطابي، وأبى ذلك أصحابه وجزموا عنه بالاستحباب. وقال القاضي عياض: إنه المعروف من قول مالك ومعظم أصحابه. وأما الشافعي؛ فإنه نص عليه في القديم كما هو محكي في شرح العتبية لابن سريج، وفي الجديد أيضاً فإنه نص عليه في الرسالة وهي من كتبه الجديدة من رواية الربيع عنه، ولذا قال الأذرعي: وحينئذ تصير المسألة على قولين في الجديد اهـ.

ولكن المشهور عنه الاستحباب وهو المجزوم به في تصانيف أصحابه. وقال الرافعي، والنووي، وابن الرفعة وغيرهم: أنه لا خلاف فيه لعدم اطلاعهم على النص السابق. وأما أحمد فحكى ابن قدامة عنه الوجوب في رواية عنه. قال: والمشهور منه الاستحباب، وممن قال بوجوبه ابن خزيمة، ونقله العراقي عن اختيار شيخه التقي السبكي. قال: وكان يواظب عليه ثم القائلون بالوجوب استدلوا بأحاديث ظاهرها يدل على ذلك منها.

(**قال ﷺ: «غُسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»**) أي بالغ وهو مجاز لأن الاحتلام يستلزم البلوغ والقرينة المانعة من الحمل على الحقيقة ان الاحتلام إذا كان معه الإنزال موجب للغسل سواء كان يوم الجمعة أو لا. أخرجه البخاري عن عبدالله بن يوسف، أخبرنا مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه أيضاً من طريق شعبة، ومسلم، وأبو داود، والنسائي من طريق سعيد بن هلال وبكير بن الأشج. ثلاثتهم عن أبي بكر بن المنكدر، عن عمرو بن سليم، عن عبدالرحمن بن أبي سعيد، عن أبيه إلا أن البخاري قال: عن عمرو بن سليم. قال: أشهد على أبي سعيد قال: أشهد على رسول الله ﷺ قال: «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم». وذكر الاستنان والطيب. وقد رواه بكير بن الأشج أيضاً من غير ذكر عبدالرحمن، فسعيد بن هلال هو المنفرد بزيادة عبدالرحمن، واختار البخاري رواية شعبة لأنه ليس فيها ذكر عبدالرحمن، وذكر الواسطة عنه الجماعة لا يضر فإنه يحتمل أن يكون عمرو سمع من أبي سعيد وسمع أيضاً من ابنه عبدالرحمن بن أبي سعيد، فتارة حدث هكذا وتارة حدث هكذا. ورواه أيضاً مالك في الموطأ والشافعي وأحمد في مسنديهما وابن ماجه والدارمي وابن الجارود في المنتقى وابن خزيمة والطحاوي. وأخرج ابن حبان هذا الحديث من هذا الطريق وزاد فيه: «كغسل الجنابة». وأخرج البغوي من حديث أبي الدنيا بلفظ: «مسلم» بدل «محتلم» لكن قال: «غسل الجمعة» ولم يقل «يوم الجمعة.

والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: «من أتى الجمعة فليغتسل». وقال ﷺ: «من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل». وكان أهل المدينة إذا

(والمشهور من حديث نافع) أبي عبدالله المدني مولى ابن عمر قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث. وقال البخاري: أصح الحديث مالك عن نافع عن ابن عمر مات سنة ست عشرة ومائة روى له الجماعة، **(عن ابن عمر)**، عن النبي ﷺ **(«من أتى الجمعة فليغتسل»)** هذا لفظ ابن حبان، وفي لفظ له: «من راح إلى الجمعة فليغتسل» وأخرجه الطبراني في الكبير من حديث ابن الزبير، وأخرجه ابن أبي شيبة، والترمذي، وابن ماجه من حديث ابن عمر. وأخرجه البزار من حديث بريدة، والخطيب من حديث أنس. وأخرجه البخاري ومسلم بلفظ: «من جاء منكم الجمعة فليغتسل»، إلا أنهما أخرجاه من طريق سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه. وأما لفظ نافع عن ابن عمر: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل» فحديث سالم أخرجه البخاري من طريق شعيب بن أبي حمزة، ومسلم من طريق يونس بن يزيد كلاهما عن الزهري عن سالم. ورواه الزهري أيضاً عن عبدالله بن عبيدالله بن عمر عن أبيه رواه مسلم والنسائي، ورواه الزهري أيضاً عن سالم وعبدالله عن أبيهما. رواه مسلم والنسائي أيضاً، وهذا يدل على أنه عند الزهري عنهما. وحكى الترمذي عن البخاري أنه قال: الصحيح حديث الزهري عن سالم عن أبيه ولهما حديث نافع، فأخرجه البخاري من طريق مالك ومسلم من طريق الليث كلاهما عن نافع، ولفظ مسلم تقدم ذكره. وأخرجه الشيرازي في الألقاب من حديث عثمان بلفظ: «من جاء منكم إلى الجمعة» وكذلك الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس، ومعنى من أتى أي من أراد الإتيان لها وإن لم يلزمه كالمرأة والخنثى والصبي والعبد والمسافر. وقوله: «فليغتسل» أمر وهو يدل على الوجوب.

(و) من دلائل الوجوب **(قال ﷺ: «من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل»)** أخرجه ابن حبان في الصحيح، والبيهقي في السنن من طريق عثمان بن واقد، عن نافع، عن ابن عمر بلفظ: «من أتى» وفي آخره زيادة: «ومن لم يأتها فليس عليه غسل».

ولفظ القوت: وروينا عن رسول الله ﷺ: «من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا». ولذلك قال مالك للنساء إذا حضرن الجمعة اغتسلن لها.

قلت: وهذا مذهب مالك يقول باستحباب الغسل لكل من أراد الإتيان إلى الجمعة، سواء كانت واجبة عليه أم غير واجبة كالصبي المميز والمرأة والعبد وغيرهم. كذا حكاه ابن المنذر والقاضي عياض عن مالك.

وروى ابن أبي شيبة عن عبيدة بنت نائل قالت: سمعت ابن عمر وعنده سعد بن أبي وقاص يقول للنساء: من جاء منكن الجمعة فلتغتسل. وعن طاوس أنه كان يأمر نساءه يغتسلن يوم الجمعة، وعن شقيق أنه كان يأمر أهله الرجال والنساء بالغسل يوم الجمعة. وقال ابن حزم: وغسل يوم الجمعة فرض لازم لكل بالغ من الرجال والنساء.

تساب المتسابان يقول أحدهما للآخر: لأنت أشر ممن لا يغتسل يوم الجمعة. وقال عمر لعثمان رضي الله عنهما لما دخل وهو يخطب: أهذه الساعة؟ - منكراً عليه ترك البكور - فقال: ما زدت بعد أن سمعت الأذان على أن توضأت وخرجت فقال: والوضوء أيضاً، وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالغسل وقد عرف جواز ترك

قال العراقي في شرح التقريب: وهو المشهور من مذهب أصحابنا قال: ولنا وجه ثان أنه إنما يستحب لمن تلزمه الجمعة دون النساء والصبيان والعبيد والمسافرين، ووجه ثالث أنه يستحب للذكور خاصة حكاه النووي في شرح مسلم. وروى ابن أبي شيبة عن الشعبي: ليس على النساء غسل يوم الجمعة، وبه قال أحمد كما حكاه ابن المنذر. وفي صحيح البخاري عن ابن عمر معلقاً: إنما الغسل على من تجب عليه الجمعة.

قلت: وصله ابن أبي شيبة في مصنفه.

(**وكان أهل المدينة إذا تسابّ المتسابان**) أي إذا أراد أن يسب أحدهما الآخر (**يقول أحدهما للآخر: لأنت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة**) هكذا هو في القوت. روى ابن أبي شيبة عن التجري قال: قاول عمار رجلاً فاستطال عليه فقال: أنا إذاً أنتن من الذي لا يغتسل يوم الجمعة. وعن ابراهيم النخعي قال، قال عمر في مسيء: لأنت أشر من الذي لا يغتسل يوم الجمعة. وعن عبدالله بن سعد قال: كان عمر إذا حلف قال: إنّا إذاً أشر من الذي لا يغتسل يوم الجمعة. وقد أورد المصنف هذا الكلام في خلال الأحاديث مؤكداً لأمره في الإيجاب، ولولا أنه بهذه المثابة ما كانوا يتعايرون على تركه.

(**و**) من دلائل الايجاب ما (**قال**) أمير المؤمنين (**عمر**) بن الخطاب (**لعثمان**) بن عفان رضي الله عنهما (**لما دخل**) المسجد (**وهو**) أي عمر (**يخطب**) في أيام خلافته: (**أهذه الساعة؟ منكراً عليه ترك البكور. فقال: ما زدت بعد أن سمعت الأذان على أن توضأت وخرجت، فقال: والوضوء أيضاً، وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل**). أورده صاحب القوت هكذا إلاَّ أنه لم يقل منكراً عليه ترك البكور، فهي زيادة زادها المصنف تفسيراً للحديث وقال بعد قوله: وقد علمت أن رسول الله ﷺ قال: «غسل الجمعة» الحديث. وكان يأمر بالغسل اهـ.

قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يسم البخاري عثمان اهـ.

قلت: هو مصرح به في رواية مسلم من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة.

وقال البخاري في الصحيح: حدثنا عبدالله بن محمد بن أسماء، حدثنا جويرية، عن الزهري، عن سالم بن عبدالله، عن أبيه عبدالله بن عمر أن عمر بن الخطاب بينما هو قائم في الخطبة يوم الجمعة إذ دخل رجل من المهاجرين الأولين من أصحاب النبي ﷺ، فناداه عمر أية ساعة هذه؟

الغسل بوضوء عثمان رضي الله عنه. وبما روي أنه ﷺ قال: « من توضأ يوم الجمعة

قال: إني شغلت فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت التأذين، فلم أزد أن توضأت، فقال: والوضوء أيضاً؟ وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل. وأخرجه مالك في الموطأ، ومسلم عن يونس بن يزيد كلاهما عن الزهري. وأخرجه الترمذي في الصلاة.

وقال البخاري أيضاً: حدثنا أبو نعيم، حدثنا شيبان، عن يحي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن عمر رضي الله عنه بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ دخل رجل فقال عمر: لم تحتبسون عن الصلاة، فقال الرجل: ما هو إلا أن سمعت النداء توضأت، فقال: ألم تسمعوا النبي ﷺ يقول: « إذا راح أحدكم إلى الجمعة فليغتسل ». وأخرجه مسلم في الصلاة، وأبو داود في الطهارة إلا أن لفظ مسلم: وقد علمت أن رسول الله ﷺ قال: « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل ».

ثم شرع المصنف في ذكر الأجوبة عن الأحاديث المتقدمة الدالة على الإيجاب فقال: **(وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان)** رضي الله عنه أي ففيه رخصة، فاستدل بهذه القصة على أنه غير واجب، وأن الأمر به إنما هو للاستحباب، لأن عثمان رضي الله عنه لم يغتسل، وأقره على ذلك عمر وسائر الصحابة الذين حضروا الخطبة وهم أهل الحل والعقد، ولو كان واجباً لما تركه ولا لزموه به، وقد استدل على ذلك الشافعي رحمه الله تعالى فقال في رواية أبي عبدالله: فلما علمنا أن عمر وعثمان قد علما أمر رسول الله ﷺ بغسل يوم الجمعة فذكر عمر علمه وعلم عثمان ولم يغتسل عثمان ولم يخرج فيغتسل ولم يأمره عمر بذلك ولا أحد ممن حضرهما من أصحاب رسول الله ﷺ، دلّ هذا على أن عمر وعثمان قد علما أمر رسول الله ﷺ بالغسل على الأحب، لا على الإيجاب. وكذلك والله أعلم دلّ على أن علم من سمع مخاطبة عمر وعثمان مثل عمر وعثمان اهـ. نقله البيهقي في المعرفة.

وذكر الطحاوي مثل ذلك وقال: ففيه إجماع منهم على نفي وجوب الغسل، وقد اعترض ابن حزم على هذا الاستدلال فقال: يقال لهم من لكم بأن عثمان لم يكن اغتسل في صدر يومه ومن لكم بأن عمر أمره بالرجوع للغسل. قلنا: هبكم أنه لا دليل عندنا بهذا، ولا دليل عندكم بخلافه، فمن جعل دعواكم أولى من دعوى غيركم، فالحق أن يبقى الخبر لا حجة فيه هذا كلامه.

قال العراقي: وهو ضعيف جداً أما الاحتمال الأول، وهو أن يكون عثمان اغتسل في صدر يومه ذلك فهو مردود دلّ الحديث على خلافه، لأن عمر أنكر على عثمان الاقتصار على الوضوء ولم يعتذر عثمان عن ذلك، فلو كان اغتسل لاعتذر بذلك وذكره ولم يكن يتوجه عليه حينئذ انكار. وأما الاحتمال الثاني؛ وهو أن يكون عمر أمره بالرجوع للغسل فهو مرفوع أيضاً بأن الأصل خلافه فمن ادعاه فليقم الدليل عليه، ولا يقال: سقط الدليل للاحتمال لأن ذلك إنما هو عند تكافؤ الاحتمالين، فأما مع ترجيح أحدهما بوجه من وجوه الترجيحات فالعمل بالراجح، وقد ترجح عدم أمره بذلك بأنه خلاف الأصل كما ذكرنا فيحتاج مثبته إلى بيان، وإلاَّ كان كاذباً مختلقاً.

....

قال ابن حزم: وبيقين ندري أن عثمان قد أجاب عمر في إنكاره عليه وتعظيمه أمر الغسل بأحد أجوبة لا بدّ من أحدها إما أن يقول له: قد كنت اغتسلت قبل خروجي إلى السوق، وإما أن يقول: بي عذر مانع من الغسل، أو يقول له: نسيت. وها أنا ذا أرجع واغتسل، فداره كانت على باب المسجد مشهورة إلى الآن، أو يقول له سأغتسل، فإن الغسل لليوم لا للصلاة. فهذه أربعة أجوبة كلها موافقة لقولنا أو يقول له هذا أمر ندب وليس فرضاً، وهذا الجواب موافق لقول خصومنا، فليت شعري ما الذي جعل لهم التعلق بجواب واحد من جملة خمسة أجوبة كلها ممكن وكلها ليس في الخبر منها شيء أصلاً اهـ.

قال العراقي: قلت: الاحتمالات الثلاثة الأوّل مردودة بأنها على خلاف الأصل، والاحتمال الرابع سيأتي رده فيما بعد، وقد روي أن عثمان ناظر عمر في ذلك بما دلّ على أن الأمر بالغسل ليس على الإيجاب والعموم، وإنما هو على الاستحباب لأهل الخصوص المحافظين على جميع أفعال البر. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، عن هشيم، عن منصور، عن ابن سيرين قال: أقبل رجل من المهاجرين يوم الجمعة فقال عمر: هل اغتسلت؟ قال: لا. قال: لقد علمت أنَّا أمرنا بغير ذلك. قال الرجل: بم أمرتم؟ قال: بالغسل. قال: أنتم معشر المهاجرين أم الناس؟ قال: لا أدري. ثم رواه عن يزيد بن هارون، عن هشام، عن ابن سيرين، عن ابن عباس قال: بينما عمر بن الخطاب يخطب قال: ثم ذكر نحوه لم يسق لفظه.

وقد رواه الطحاوي عن علي بن أبي شيبة، عن يزيد بن هارون فساقه على غير هذه الرواية الأولى ولفظه عنده: أن عمر بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ أقبل رجل فدخل المسجد فقال له عمر: الآن حين توضأت؟ فقال: ما زدت حين سمعت الأذان على أن توضأت ثم جئت، فلما دخل أمير المؤمنين ذكرته فقلت يا أمير المؤمنين؛ أما سمعت ما قال؟ قال: وما قال؟ قلت: ما زدت على أن توضأت حين سمعت النداء ثم أقبلت. فقال: أما أنه قد علم أنا أمرنا بغير ذلك؟ قلت: وما هو؟ قال: الغسل. فقلت: أنتم أيها المهاجرون الأوّلون أم الناس جميعاً؟ قال: لا أدري قال الخطابي: ولم تختلف الأمة أن صلاته مجزئة إذا لم يغتسل، فلما لم يكن الغسل من شرط صحتها دلّ أنه استحباب كالاغتسال للعيد والاحرام الذي يقع الاغتسال فيه متقدماً لسببه، ولو كان واجباً لكان متأخراً عن سببه كالاغتسال للجنابة والحيض والنفاس اهـ.

ويوافقه كلام ابن عبد البر فإنه قال: لا أعلم أحداً أوجب غسل الجمعة إلا أهل الظاهر، وهم مع ذلك يجيزون صلاة الجمعة دون الغسل لها اهـ.

وإنما صدّ أهل الظاهر عن القول بشرطيته أنهم يرونه لليوم فيصح عندهم فعله بعد صلاة الجمعة، وذلك يدل على صحة الجمعة بدونه، والله أعلم.

فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل». ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه

تنبيه:

قال أبو بكر بن العربي، قال علماؤنا: لم يخرج عمر عثمان من المسجد للغسل لضيق الوقت، وأنا أقول: إنما ذلك لأنه قد تلبس بالعبادة بشرطها فلا يتركها لأفضل من ذلك، كما لو تيمم لعدم الماء ثم رآه في أثناء الصلاة، ولو لم يكن كذلك لخرج واغتسل قاله ابن القاسم وابن كنانة اهـ.

قال العراقي: كلا الأمرين ضعيف، وإنما لم يكلف الخروج للاغتسال لأنه مستحب وقد ضاق الوقت، فضيق الوقت جزء علة وليس علة كاملة منفردة بالحكم، فإنه لو كان واجباً لفعله وإن ضاق الوقت، ولا سيما إن قيل انه شرط، وكيف يقال انه تلبس بالعبادة مع كونه لم يشرع في الصلاة بعد؟ والله أعلم.

ثم قال المصنف: **(وبما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل»)**. أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة، والدارمي، وأبو داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، وأبو يعلى، وابن جرير في تهذيبه، وابن خزيمة في صحيحه، والطحاوي، والبيهقي، وابن النجار، والطبراني في الكبير، والضياء في المختارة. كلهم من طريق الحسن عن سمرة بن جندب. قال في الإمام من يحمل رواية الحسن عن سمرة على الاتصال يصحح هذا الحديث. قال الحافظ ابن حجر: وهو مذهب ابن المديني، وقيل: لم يسمع منه إلا حديث العقيقة اهـ.

قلت: وسمع منه حديث السكتتين في الصلاة كما تقدم. وأخرجه ابن ماجه، والطبراني في الأوسط، والدارقطني في الافراد، والبيهقي في المعرفة، والضياء عن أنس. وأخرجه عبد بن حميد، والطحاوي عن جابر.

وأما معنى الحديث فقال الزمخشري: الباء في قوله: «فبها» متعلقة بفعل مضمر أي فبهذه الخصلة أو الفعلة تنالوا الفضل والخصلة هي الوضوء، وقوله: «ونعمت» أي نعمت الخصلة هي فحذف المخصوص بالمدح، وقيل: أي فبالرخصة أخذ ونعمت السنة التي ترك وفيه انحراف عن مراعاة حق اللفظ، فإن الضمير الثاني يرجع إلى غير ما يرجع إليه الضمير الأوّل، وقال غيره: هو كلام يطلق للتجويز والتحسين أي فأهلاً بتلك الخصلة أو الفعلة المحصلة للواجب، ونعمت الخصلة هي أو المعنى فبالسنّة أخذ أي بما جوّزته من الاقتصار على الوضوء، ونعمت الخصلة هي لأن الوضوء تطهير للبدن إذ البدن باعتبار ما يخرج منه من الحديث غير متجزىء، فكان الواجب غسل جميعه، غير أن الحدث الخفيف لما كثر وقوعه كان في إيجابه حرج، فاكتفى الشارع بغسل الأعضاء التي هي الطرف تسهيلاً على العباد وجعل طهارة لكل البدن، وقوله: فالغسل أفضل أي أفضل من الاقتصار على الوضوء لأنه أكمل وأشمل، فالحديث فيه دلالة على ندب الغسل لا إيجابه.

فصل

في بيان فوائد أحاديث الباب المذكورة:

الأولى: قوله « من أتى الجمعة ». الإتيان: هو المجيء مترادفان. وفي الصحيحين: من جاء منكم، وإذا جاء أحدكم. وعند البخاري: إذا راح أحدكم، ولكن الرواح قد يختص بالسير في وقت الزوال، والصحيح إطلاقه وسيأتي الكلام عليه. ولفظ مسلم: « إذا أراد أحدكم أن يأتي الجمعة » والمعنى إذا أراد الإتيان أو المجيء دل عليه لفظ مسلم هذا، فلا تتضاد الروايات وهو يرد على أهل الظاهر قولهم: إنه يصح الاغتسال في جميع النهار ولو قبيل الغروب. وقال ابن حزم: وأما قوله ﷺ: « إذا راح أحدكم » فظاهر هذا اللفظ أن الغسل بعد الرواح كما قال تعالى: ﴿ فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة﴾ [النساء: ١٠٣] أو مع الرواح كما قال تعالى: ﴿ إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ [الطلاق: ١] أو قبل الرواح كما قال تعالى: ﴿ إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ [المجادلة: ١٢] وكل ذلك ممكن.

قال العراقي: لولا رواية إذا أراد لكان ظاهر الحديث أن الاغتسال بعده كما في قوله تعالى ﴿ فإذا اطمأننتم﴾ لكن تلك الرواية صرحت بكونه قبله.

الثانية: ذكر المجيء والاتيان في الروايات المتقدمة للغالب، وإلا فالحكم شامل لمجاور الجامع ومن هو مقيم به.

الثالثة: قوله: « من شهد الجمعة ». تقدم أن ابن حبان، والبيهقي روياه بلفظ: « من أتى » فحينئذ يحمل الشهود بمعنى الاتيان والمجيء، أو هو بمعنى الحضور على أصله وسيأتي ما يتعلق به.

الرابعة: قوله « فليغتسل » أظهر في ايجاب الغسل من حديث قصة عثمان لأن هذه الصيغة حقيقة في الوجوب بخلاف قوله في قصة عثمان: كان يأمر بالغسل، فإنه يحتمل الوجوب والاستحباب كما هو مقرر في الأصول.

الخامسة: تعلق الظاهرية بإضافة الغسل لليوم في حديث أبي سعيد وغيره، وذكر الشيخ تقي الدين في شرح العمدة أن هذا القول يكاد أن يكون مجزوماً ببطلانه. قال: وقد بين في بعض الأحاديث أن الغسل لأجل الروائح الكريهة، ويفهم منه أن المقصود عدم تأذي الحاضرين، وذلك لا يتأتى بعد إقامة الجمعة. قال: وكذلك أقول لو قدمه بحيث لا يحصل هذا المقصود لم يعتد به، والمعنى إذا كان معلوماً قطعاً أو ظناً مقارباً للقطع فاتباعه وتعليق الحكم به أولى من اتباع مجرد اللفظ. قال: ومما يبطله أن الأحاديث التي علق فيها الأمر بالمجيء والاتيان قد دلت على توجه الأمر إلى هذه الحالة، والأحاديث التي تدل على تعليق الحكم باليوم لا تتناول تعليقه بهذه الحالة. فافهم فهو إذا تمسك بتلك أبطل دلالة هذه الأحاديث على تعلق الأمر بهذه الحالة وليس له ذلك.

السادسة: قد علم من تقييد الغسل بالمجيء والاتيان أن الغسل للصلاة لا لليوم، وهو مذهب الشافعي، ومالك، وأبي حنيفة، ومحمد بن الحسن. فلو اغتسل بعد الصلاة لم يكن للجمعة. ونقل صاحب الهداية عن أبي يوسف كذلك، فما نسب إليه ابن حزم أنه كان يقول: إن الغسل لليوم لا أصل له، أو أنه رواية عنه. نعم روي ذلك عن الحسن بن زياد من أئمتنا، وقد خالفهم الظاهرية وانفردوا بهذا القول وخرقوا الاجماع، ونسبتهم لظاهر أقوال الصحابة غير صحيح، فإن المفهوم من كلامهم أن المقصود قطع الروائح الكريهة للحاضرين وهذا مفقود فيما بعد الصلاة، وقد حكى ابن عبد البر الاجماع على أن من اغتسل بعد الصلاة فليس يغسل السنّة ولا الجمعة ولا فاعل ما أمر به.

السابعة: استدل مالك برواية البخاري من راح إلى الجمعة أنه يعتبر أن يكون الغسل متصلاً بالذهاب إلى الجمعة، وذهب الجمهور إلى أن ذلك مستحب ولا يشترط اتصاله به، بل حتى لو اغتسل بعد الفجر أجزأه. ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، عن مجاهد، والحسن البصري، والنخعي، وعطاء بن أبي رباح، وأبي جعفر الباقر، والحكم، والشعبي. وحكاه ابن المنذر، عن الثوري، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبي ثور. وبه قال ابن وهب صاحب مالك، وقال الأوزاعي: يجزئه أن يغتسل قبل الفجر للجنابة والجمعة. وحكى ابن حزم عن الأوزاعي أنه قال كقول مالك. قال: إلا أن الأوزاعي قال: إن اغتسل قبل الفجر ونهض إلى الجمعة أجزأه. وحكاه إمام الحرمين وجهاً، وقد نسبه النووي للشذوذ كما تقدم، وجواب الجمهور أن رواية مسلم تبين تعليق الغسل على إرادة اتيان الجمعة، وليس يلزم أن يكون اتيان الجمعة متصلاً بإرادة ذلك، فقد يريد عقيب الفجر إتيانها ويتأخر الاتيان إلى بعد الزوال، فلا شك أن كل من تجب عليه الجمعة وهو مواظب على الواجبات إذا خطر له عقب الفجر أمر الجمعة أراد اتيانها، وإن تأخر الاتيان زمناً طويلاً، وذلك يدل على أنه ليس المدار على نفس الاتيان بل على إرادته ليحترز به عمن هو مسافر أو معذور بغير ذلك من الاعذار القاطعة عن الجمعة، والله أعلم.

الثامنة: مفهوم قوله «من شهد الجمعة» وكذا من جاء منكم الجمعة أنه لا يستحب لمن لم يحضرها، وقد ورد التصريح بهذا المفهوم في رواية البيهقي المتقدمة، ومن لم يأتها فليس عليه غسل من الرجال والنساء وهو أصح الوجهين عند الشافعية، وهو مذهب مالك وأحمد. وحكي عن الأكثرين، وبه قال أبو يوسف. والوجه الثاني للشافعية: أنه يستحب لكل أحد سواء حضر الجمعة أم لا، كالعبد، وبه قال أبو حنيفة، ومحمد. وحكى النووي في الروضة وجهاً أنه: إنما يستحب لمن تجب عليه الجمعة وإن لم يحضرها لعذر، ومذهب أهل الظاهر وجوب الاغتسال ذلك اليوم على كل مكلف مطلقاً لأنهم يرونه لليوم. قال ابن حزم: وهو لازم للحائض والنفساء كلزومه لغيرهما. قال العراقي: وقد أبعد في ذلك جداً.

التاسعة: قال أبو بكر بن العربي: لما فهم بعض أصحابنا أن المقصود من الغسل يوم الجمعة

النظافة قال: إنه يجوز بماء الورد، وهذا النظـر من رده إلى المعنى المعقول ونسي حظ التعبد في التعيين وهو بمنزلة من قال: الغرض من رمي الجمار غيظ الشيطان فيكون بالمطارد ونحوها. ونسي حظ التعبد بتعيين في المعنى وإن كان معقولاً اهـ.

قلت: إن أراد بذلك أن يتبع بماء الورد على جسده بعد الاغتسال بأن يصبه عليه حتى يعم بدنه لا بأس بذلك وقد أمرنا ذلك اليوم بالتطيب، وسماه اغتسالاً مجازاً كما قالوا: ويسن أن يغتسل بعد الحمام وإلاَّ فغسله إسراف وإضاعة مال كما لا يخفى.

العاشرة: إذا عجز عن الغسل لفراغ الماء بعد الوضوء أو لقروح في بدنه تيمم وحاز الفضيلة. قال امام الحرمين: هذا الذي قالوه هو الظاهر، وفيه احتمال. ورجح الغزالي هذا الاحتمال وهو مذهب المالكية.

قلـت: ومقتضى مذهب أصحابنا الأولى أن لا يتيمم وتعليل ذلك ظاهر، فإن الغسل شرع للتنظيف والتيمم لا يفيد هذا الغرض، والله أعلم.

الحادية عشرة: قالت المالكية من اغتسل ثم اشتغل عن الرواح إلى أن بعد ما بينهما عرفاً فإنـه يعيد الغسل لتنزيل البعد منزلة الترك، وكذا إذا نام اختياراً بخلاف من غلبه النوم أو أكل أكلاً كثيراً بخلاف القليل اهـ.

ومقتضى النظر أنه إذا عرف أن الحكمة في الأمر بالغسل يوم الجمعة التنظيف رعاية للحاضرين، فمن خشي أن يصيبه في النهار ما يزيل تنظيفه استحب له أن يؤخر الغسل لوقت ذهابه، كما تقدم في قول المصنف، وبه صرح في الروضة وغيرها.

الثانية عشرة: في حديث أبي سعيد الخدري: «غسل يوم الجمعة واجب» قالوا: المراد به أنـه كالواجب في تأكيد الندبية، أو واجب في الاختيار وكرم الأخلاق والنظافة أو في الكيفية لا في الحكم، وقيل: واجب بمعنى ساقط، و«على» بمعنى «عن». وهذا قد أورده الإمام أبو جعفر القدوري عن أصحابنا، وفيه من التكلف ما لا يخفى، ومنهم من ادعى أن حديث أبي سعيد هذا منسوخ هـذا أيضاً ليس بشيء، فإن النسخ لا يصار إليه إلا بدليل، ومجموع الأحاديث تدل على استمرار الحكم، فإن في حديث عائشة أن ذلك في أول الحال حيث كانوا مجهودين، وأبو هريرة وابن عباس إنما صحبا النبي ﷺ بعد أن حصل التوسع بالنسبة إلى ما كانوا فيه أولاً، ومع ذلك فقد سمع كل منهما من النبي ﷺ الأمر بالغسل والحث عليه والترغيب فيه، فكيف يدعى النسخ مع ذلك، والله أعلم.

الثالثة عشرة: قول المصنف في سياق قصة عثمان وعمـر رضي الله عنهما: «أهـذه السـاعـة» هكذا لفظ القوت، والمصنف في الغالب يتبعه. ولفظ الصحيحين: «أية ساعة هذه» وهو استفهام إنكار لينبه على ساعة التبكير التي رغب فيها وليرتدع من هو دونه أي لم تأخرت إلى هذه

الساعة، وإليه أشار المصنف بقوله: « منكراً عليه ترك البكور » وفيه أمر الإمام رعيته بمصالح دينهم وحثهم على ما ينفعهم في أخراهم، وفيه الإنكار على من خالف السنّة وإن عظم محله في العلم والدين، فإن الحق أعظم منه وفيه أنه لا بأس بالإنكار على الأكابر بجمع من الناس إذا اقترنت بذلك نية حسنة.

الرابعة عشرة: فيه جواز الكلام في الخطبة، وقد استدل به على ذلك الشافعي وهو أصح قوليه، والقول الثاني تحريم الكلام ووجوب الانصات وهو القول الآخر للشافعي، وبه قال مالك، وأبو حنيفة. وقد تقدمت الإشارة إليه وسيأتي قريباً ما يتعلق به.

الخامسة عشرة: قول عثمان رضي الله عنه: ما زدت بعد أن سمعت الأذان. ولفظ البخاري: فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت التأذين، والمراد به هو الأذان الذي بين يدي الخطيب، وهو الأصل. وبه يستدل على أن السعي إنما يجب بسماعه، وأنه لا يجب شهود الخطبة على من زاد على العدد الذي تنعقد به الجمعة وهو مذهب الشافعي، وقوله: « على أن توضأت » هكذا هو رواية الأصيلي، وفي رواية غيره: « فلم أزد أن توضأت » أي لم أشتغل بعد أن سمعت الأذان بشيء إلا بالوضوء.

السادسة عشرة: قوله فقال: « والوضوء أيضاً » أي قال عمر إنكاراً آخر على ترك السنّة المؤكدة وهي الغسل، والوضوء منصوب. والواو للعطف على الانكار الأول. أي: والوضوء اقتصرت عليه وأخرته دون الغسل، أي: ما اكتفيت بتأخير الوقت حتى تركت الغسل، وجوّز فيه أبو العباس القرطبي في شرح مسلم الرفع أيضاً على أنه مبتدأ وخبره محذوف تقديره الوضوء تقتصر عليه، والأول أوجه وهو المعروف في الرواية، وفي رواية الحموي والمستملي: الوضوء بحذف الواو، وهكذا هو في الموطأ، وعلى هذه الرواية يجوز أن يكون بالمد على لفظ الاستفهام كقوله تعالى: ﴿آلله أذن لكم﴾ [يونس: ٥٩] وعلى رواية الواو كما هنا يحتمل أن تكون الواو عوضاً من همزة الاستفهام، كقراءة ابن كثير: ﴿قال فرعون وأمنتم به﴾ [الأعراف: ١٢٣] نقله البرماوي، والزركشي. أو يجعل على حذف الهمزة أي أو تخص الوضوء أيضاً، وهو مذهب الأخفش فإنه يقول بجواز حذفها قياساً عند أمن اللبس والقرينة الحالية المقتضية للإنكار شاهدة بذلك فلا لبس نقله الدماميني. وقوله أيضاً منصوب على أنه مصدر من آض يئيض أي عاد ورجع، ويرسم بالألف وقد ولعت العامة الآن بترك الألف في رسمها اختصاراً، والمعنى: ألم يكفك أن فاتك فضل التبكير حتى أضفت إليه ترك الغسل المرغب فيه؟

السابعة عشرة: قد يحتج به من يرى مطلق الأمر للندب دون الوجوب حيث لا قرينة، فإن عثمان رضي الله عنه ترك الاغتسال مع علمه بورود الأمر به، ولم يأمره عمر بالاغتسال ولا أحد من الصحابة. والجواب: أنه قامت عنده أدلة اقتضت أن هذا الأمر للندب.

الثامنة عشرة: قال ابن أبي شيبة في مصنفه بعد أن أورد أقوال من ذهب إلى: أن الوضوء

يجزىء عن الغسل فقال: باب من كان لا يغتسل في السفر يوم الجمعة، حدثنا هشيم، أخبرنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة أنه كان لا يغتسل يوم الجمعة في السفر.

حدثنا ابن علية، عن ليث أن مجاهداً وطاوساً كانا لا يغتسلان في السفر يوم الجمعة.

حدثنا غندر، عن شعبة، عن جابر قال: سألت القاسم عن الغسل يوم الجمعة في السفر. فقال: كان ابن عمر لا يغتسل وأنا أرى أن لا تغتسل.

حدثنا الفضل بن دكين، عن إسرائيل، عن جابر، عن عبدالرحمن بن الأسود أن الأسود وعلقمة كانا لا يغتسلان يوم الجمعة في السفر. واقتضى كلام ابن أبي شيبة وايراده أن هذا قول ثالث في المسألة مفصل والله أعلم.

قلت: وهو مبني على الخلاف المتقدم هل يجب على من شهدها أو على العموم، وفيه تفصيل تقدم على أن ابن أبي شيبة قد عقد بعد هذا الباب باباً آخر لأقوال من كان يغتسل في السفر يوم الجمعة، فأورد عن عبدالله بن الحرث، وسعيد بن جبير، وطلق، وأبي جعفر، وطلحة أنهم كانوا يغتسلون في السفر يوم الجمعة والله أعلم.

التاسعة عشرة: يترتب على الخلاف في أن الغسل للصلاة أو لليوم أنه لا يسن لمن لم يحضر الصلاة، ويفوت بفعل الصلاة على الأول دون الثاني.

العشرون: في الأغسال المسنونة. غسل الحج، وغسل العيدين، وغسل الجمعة، والغُسل من غسل الميت، والغُسل للإفاقة من الجنون والإغماء، وغُسل الكافر إذا أسلم ولم يكن جنباً، والغُسل من الحجامة، والغُسل من الحمام. وفي الكل خلاف مذكور في الروضة، وآكد الاغسال المسنونة غسل الجمعة نص عليه في الجديد وهو الراجح عند صاحب التهذيب والروياني والأكثرين، ورجح صاحب المهذب وغيره أن آكدها الغسل من غسل الميت وهو الجديد وفي وجه هما سواء وقال النووي الصواب الجزم بترجيح غُسل الجمعة لكثرة الأخبار الواردة فيه، ولم يرد في الغسل من غسل الميت شيء، وفائدة الخلاف: لو حضر إنسان معه ماء يدفعه لأحوج الناس وهناك رجلان وأحدهما يريده لغسل الجمعة والآخر للغُسل من غسل الميت. وأما الغسل من الحمام فقال صاحب التهذيب: المراد به إذا تنوّر، وقال النووي: هو صب الماء عند إرادته الخروج منه تنظفاً، والله أعلم.

الحادية والعشرون: كان الشيخ محيي الدين بن عربي قدس سره يذهب إلى ما قاله أهل الظاهر ويؤيد ايجابه وأنه ليومها، وهذا حاصل ما قاله طهارة القلب للمعرفة بالله التي تعطيه صلاة الجمعة من حيث ما هو سبحانه واضع لهذه العبادة الخاصة بهذه الصورة، فإنه من أعظم علم الهداية التي هدى الله إليها هذه الأمة خاصة، وذلك أن الله تعالى اصطفى من كل جنس نوعاً، ومن كل نوع شخصاً، واختاره عناية منه بذلك المختار أو عناية بالغير بسببه، وقد يختار من

....

الجنس النوعين والثلاثة، وقد يختار من النوع الشخصين والثلاثة والأكثر، فمن وجد نصاً متواتراً فليقف عنده أو كشفاً محققاً عنده، ومن كان عنده الخبر الواحد الصحيح فليحكم به إن تعلق حكمه بأفعال الدنيا، وإن كان حكمه في الآخرة فلا يجعله في عقيدته على التعيين، وليقل: إن كان هذا عن الرسول في نفس الأمر كما وصل إلينا فأنا مؤمن به وبكل ما هو عن رسول الله ﷺ وعن الله مما علمت ومما لم أعلم، فإنه لا ينبغي أن يجعل في العقائد إلا ما يقطع به إن كان من النقل فما ثبت بالتواتر، وإن كان من العقل فما ثبت بالدليل العقلي ما لم يقدح فيه نص متواتر، وإن قدح فيه نص متواتر لا يمكن الجمع بينهما اعتقد النص وترك الدليل، والسبب في ذلك أن الإيمان بالأمور الواردة على لسان الشرع لا يلزم منها، أن يكون الأمر الوارد في نفسه على ما يعطيه الايمان، فيعلم العاقل أن الله قد أراد من المكلف أن يؤمن بما جاء به هذا النص المتواتر الذي أفاد التواتر أن النبي ﷺ قاله، وإن خالف دليل العقل فبقي على علمه من حيث ما هو علم ويعلم أن الله لم يرد به بوجود هذا النص أن يعلق الايمان بذلك المعلوم لا أنه يزول عن علمه، ويؤمن بهذا النص على مراد الله به فإن أعلمه الحق في كشفه ما هو المراد بذلك النص القادح في معلومه آمن به في موضعه الذي عينه الحق له بالنظر إلى من هو المخصوص بذلك الخطاب، وهل هذا الكشف يحرم علينا إظهاره في العامة لما يؤدي إليه من التشويش فليشكر الله على ما منحه، فهذه مقدمة نافعة في الطريق.

ولما اختص الله من الشهور شهر رمضان وسماه باسمه تعالى، كذلك اختص الله من أيام الأسبوع يوم العروبة وهو يوم الجمعة، وعرّف الأمم أن لله يوماً اختصه من هذه السبعة الأيام وشرفه على سائر أيام الأسبوع، ولهذا يغلط من يفضل بينه وبين يوم عرفة ويوم عاشوراء، فإن فضل ذلك يرجع إلى مجموع أيام السنة لا إلى أيام الأسبوع، ولهذا قد يكون يوم عرفة يوم الجمعة، ويوم عاشوراء يوم الجمعة، ويوم الجمعة لا يتبدل لا يكون أبداً يوم السبت ولا غيره من الأيام، ففضل يوم الجمعة ذاتي لعينه، وفضل يوم عرفة وعاشوراء وغيره لأمور عرضت إذا وجدت في أي يوم كان من أيام الأسبوع كان الفضل لذلك اليوم لهذه الأحوال العوارض، فيدخل مفاضلة عرفة وعاشوراء في المفاضلة بين الأسباب العارضة الموجبة للفضل في ذلك النوع، كما أن رمضان إنما فضله على سائر الشهور القمرية لا في الشهور الشمسية، فإن أفضل أيام الشهور الشمسية يوم تكون الشمس في برج شرفها، وقد يأتي شهر رمضان في كل شهور السنة الشمسية فيشرف ذلك الشهر الشمسي على سائر شهور الشمس بكون رمضان كان فيه وكونه فيه أمر عرض له في سيره، فلا تفاضل يوم الجمعة بيوم عرفة ولا غيره، ولهذا شرع الغسل فيه لليوم لا لنفس الصلاة، فإن اتفق أن يغتسل في ذلك اليوم لصلاة الجمعة فلا خلاف بيننا انه أفضل بلا شك وأرفع للخلاف الواقع بين العلماء اهـ.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: **(ومن اغتسل)** يوم الجمعة **(للجنابة فليفض الماء على**

مرة أخرى على نية غسل الجمعة، فإن اكتفى بغسل واحد أجزأه وحصل له الفضل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة، وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال له: أللجمعة؟ فقال: بل عن الجنابة. فقال: أعد غسلاً ثانياً. وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم، وإنما أمره به لأنه لم يكن نواه، وكان لا يبعد أن يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية، ولكن هذا ينقدح في الوضوء أيضاً.

بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة) للخروج عن الخلاف، **(وإن اكتفى بغُسل واحد أجزأه وحصل له الفضل إذا نوى كليهما، ويدخل غسل الجمعة في غسل الجنابة)**. وروي ذلك عن الأوزاعي إلا أنه قال: قبل الفجر، وروى ابن أبي شيبة في المصنف، عن مجاهد، وأبي جعفر، والحاكم، والشعبي: أنه إذا اغتسل يوم الجمعة بعد طلوع الفجر أجزأه من الجنابة، وروي من طريق نافع عن ابن عمر: أنه كان يغتسل للجنابة والجمعة غسلاً واحداً. وعبارة القوت: ومن اغتسل من جنابة أجزأه الغسل للجمعة إذا نوى، ولا بدَّ من النية لغسل الجنابة، ويكون الغسل للجمعة داخلاً فيه، فإن أفاض الماء ثانية بعد غسله للجنابة لأجل الجمعة فهو أفضل.

(وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل) ولفظ القوت: على ابنه وهو يغتسل للجمعة **(فقال له: أللجمعة؟ فقال: بل من جنابة)** ولفظ القوت: للجمعة غسلك؟ قال: لا بل من جنابة، **(فقال له: أعد غسلاً ثانياً)** للجمعة.

(وروى الحديث في غسل الجمعة واجب على كل محتلم). ولفظ القوت: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «غسل الجمعة واجب على كل مسلم».

قلـت: قد تقدم أن هذا اللفظ أخرجه البغوي في معجم الصحابة من حديث أبي الدنيا. وأما لفظ حديث أبي سعيد: «على كل محتلم» وقد تقدم ذلك.

وفي المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا زيد بن حباب. قال: حدثنا يحي بن عبدالله بن أبي قتادة قال: حدثتني أمي أن أباها حدثها أن بعض ولد أبي قتادة دخل عليه يوم الجمعة ينفض رأسه مغتسلاً، فقال للجمعة اغتسلت؟ قال لا : ولكن من جنابة. قال: فأعد غسلاً للجمعة، ففهم من هذا السياق أن المراد ببعض الصحابة هو أبو قتادة.

وقال ابن أبي شيبة أيضاً: حدثنا حماد بن خالد، عن عبد الرحمن بن أبي الموالي، عن عمر بن أبي مسلم قال: كان بنو أخي عروة بن الزبير يغتسلون في الحمام يوم الجمعة، فيقول عروة: يا بني أخي إنما اغتسلتم في الحمام من الوسخ فاغتسلوا للجمعة.

ثم قال المصنف: **(وإنما أمره)** ذلك الصحابي. **(به لأنه لم يكن نواه)** أي غسل الجمعة، **(وكان لا يبعد أن يقال المقصود النظافة)** من الأوساخ والروائح الكريهة، **(وقد حصلت)** بالغسل **(دون النية)** فكان مجزئاً، **(ولكن هذا يقدح في الوضوء أيضاً. وقد جعل في**

وقد جعل في الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها، ومن اغتسل ثم أحدث توضأ ولم يبطل غسله والأحب أن يحترز عن ذلك.

الثالث: الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي ثلاثة: الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة. أما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق في

الشرع قربة فلا بدّ من طلب فضلها، ومن اغتسل) للجمعة **(ثم أحدث توضأ ولم يبطل غسله)** أي ثوابه، **(والأحب أن يحترز عن ذلك)**.

وعبارة الرافعي: ولو أحدث بعد الغسل لم يبطل فيتوضأ. وقال النووي في الروضة: وكذا لو أجنب بجماع أو غيره لا يبطل فيغتسل للجنابة والله أعلم. ولفظ القوت: وأحب ان لا يحدث وضوءاً بعد الغسل حتى يفرغ من صلاة الجمعة، فمن العلماء من كره ذلك ولكن إن بكر إلى الجامع فتوضأ هناك من حدث لحقه لامتداد الوقت فإنه على غسل الجمعة اهـ.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن سفيان بن عيينة، عن عبدة بن أبي لبابة، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي، عن أبيه أنه كان يغتسل يوم الجمعة ثم يحدث بعد الغسل ثم لا يعيد غسلاً. وقال أيضاً: حدثنا يحي بن سعيد، عن هشام قال: كان محمد يستحب أن لا يكون بينه وبين الجمعة حدث. قال الحسن: إذا أحدث توضأ. وقال أيضاً: حدثنا وكيع، عن مبارك، عن الحسن قال: إذا اغتسل يوم الجمعة ثم أحدث أجزأه الوضوء، ونقل أيضاً عن طاوس أنه كان يأمر بإعادة الغسل، وكذلك عن ابراهيم التيمي، ولذا قال المصنف: والأحب أن يحترز عن ذلك أي للخروج عن خلاف هؤلاء.

(الثالثة: الزينة. وهي مستحبة في هذا اليوم) لكونه عيداً للمسلمين، وقد أمروا في الأعياد الشرعية بالزينة **(وهي)** موجودة **(في ثلاث)** خصال: **(الكسوة)** أي اللباس الحسن، وبه فسرت الآية ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ [الأعراف: ٣١] **(والنظافة)** أي نظافة الجسد، **(وتطييب الرائحة)** بأي طيب كان.

(أما النظافة فبالسواك وحلق الشعر) أي شعر الرأس إذ كان حدث في عصر المصنف وقبله حلق ذلك ولم يعهد عن السلف، بل كان من السنّة توفيره، وكل من حلق يرمى بريبة الخوارج، وورد في بعض الاخبار في علامات الخوارج سيماهم التحليق أي حلق شعور الرأس، وهو أوّل بدعة أحدثوها ليمتازوا به عن غيرهم، وكانوا يجعلون حلقه من جملة التقشف، ويحتمل أن يكون المراد به حلق شعر العانة، فقد ورد في ذلك كما تقدم، **(وتقليم الأظفار)** أي قطعها وقصّها إن احتاج إلى ذلك، **(وقص الشارب)** إن وفر واحتيج إلى إزالة ما زاد، **(وسائر ما سبق في كتاب الطهارة)** مما يزال، فإنه داخل في النظافة. وقد ورد «الإسلام نظيف فتنظفوا» والسواك يطيب الفم الذي هو محل الذكر والمناجاة وإزالة ما يضر بالملائكة، وبني آدم من تغير الفم. وقد تقدمت الأخبار في فضله في أول كتاب الطهارة.

كتاب الطهارة قال ابن مسعود : من قلـّم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه شفاه، فإن كان قد دخل الحمام في الخميس أو الأربعاء فقد حصل المقصود . فليتطيب في هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والرائحة إلى مشام الحاضرين في جواره . « وأحب طيب الرجال ما ظهر ريحه

وروى البخاري من حديث سلمان: « لا يغتسل أحد يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه » إلى أن قال: « إلا غفر له » الحديث. قال الشراح: المراد بالتطهر المبالغة في التنظيف أو المراد به التنظيف بأخذ الشارب والظفر والعانة، أو المراد بالغسل غسل الجسد، وبالتطهير غسل الرأس وتنظيف الثياب. وفي القوت: وليقلم أظفاره وليأخذ من شاربه، فقد روي ذلك من فعل رسول الله ﷺ ومن أمره.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء وأدخل فيه شفاء)** . ولفظ القوت: وروينا عن ابن مسعود وغيره: من قلم ظفراً أو أظفاره يوم الجمعة أخرج منها داء وأدخل فيها شفاء اهـ.

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث عائشة: من قلـّم أظفاره يوم الجمعة وقي من السوء إلى مثلها.

وقال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا معاذ، عن المسعودي، عن ابن حميد بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منها الداء وأدخل فيها الشفاء. **(فإن كان قد دخل الحمام في)** يوم **(الخميس والأربعاء فقد حصل المقصود)** الذي هو نظافة الجسد.

ثم أشار إلى النوع الثاني من الزينة فقال: **(وليتطيب في هذا اليوم بأطيب طيب)** يوجد **(عنده)** في بيته **(ليغلب به الروائح الكريهة)** الحاصلة من العرق وغيره، **(ويوصل بذلك الروح والرائحة إلى مشام الحاضرين)** أي أنوفهم **(في جواره)** عن يمين وشمال.

وأخرج البخاري من حديث سلمان: « لا يغتسل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ». قال الشراح أي ليطلي بالدهن ليزيل شعث رأسه ولحيته به، وقوله: أو يمس من طيب بيته أي: إن لم يجدد هنا، وأو بمعنى الواو. وقد جاء في رواية ابن عساكر: ويمس من طيب بيته، وأضاف الطيب إلى البيت إشارة إلى أن السنّة اتخاذ الطيب في البيت ويجعل استعماله عادة. وعند أبي داود من حديث ابن عمر: أو يمس من طيب امرأته.

وأخرج ابن أبي شيبة، عن الزهري، أخبرني ابن نياق أن رسول الله ﷺ قال في جمعة من الجمع: « إن هذا يوم عيد فاغتسلوا ومن كان عنده طيب فلا يضره أن يمس منه وعليكم بالسواك ».

وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه». روي ذلك في الأثر. وقال الشافعي رضي الله عنه: من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله. وأما الكسوة

وأخرج أيضاً عن أبي بكر بن عمرو بن عتبة، عن ابن مغفل قال: «لها أي للجمعة غسل وطيب إن كان».

وأخرجه أيضاً عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، عن رجل من الأنصار، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ رفعه: «ثلاثة حق على كل مسلم الغسل يوم الجمعة، والسواك، ويمس من طيب إن كان».

(وأحب طيب الرجال) اللائق بهم المناسب لشهامتهم **(ما ظهر ريحه وخفي لونه)** كالمسك والعنبر وفيه تأديب إذ فيما ظهر لونه رعونة وزينة لا تليق بالرجولية، **(وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه»)** عن الأجانب كالزعفران وغيره. قال البغوي قال سعد: أراهم حملوا قوله: «وطيب النساء» على ما إذا أرادت الخروج، أما عند زوجها فتتطيب بما شاءت.

(وروي ذلك في الأثر). أخرجه أبو داود والترمذي في الاستئذان وحسنه، والنسائي عن أبي هريرة، والعقيلي والعراقي والضياء والبزار عن أنس. ورجال البزار رجال الصحيح. وأخرجه ابن عساكر عن يعلى بن مرة الثقفي، والعقيلي عن أبي عثمان مرسلاً وقال: هو أصح. وأخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث أبي سعيد «أطيب الطيب المسك».

(وقال الشافعي رضي الله عنه: من نظّف ثوبه قلّ همه ومن طاب ريحه زاد عقله). تقدم سنده في كتاب العلم في مناقب الشافعي رضي الله عنه.

تنبيه:

ودخل في الطيب أنواعه على كثرته مساً وتبخيراً فمن أحسن ما يتطيب به بعد المسك الادهان المستخرجة من الأخشاب وغيرها، كدهن الصندل، ودهن الليمون. وأشرفها دهن الورد وهو المعروف بعطر شاه. أي سلطان العطور، وبعده دهن النسرين فهو يقاربه في الرائحة، وعلى ذلك المياه المستخرجة من الورد والزهورات على اختلاف أنواعها وكثرتها، فإن لم يجد إلا ماء الورد لكفى.

وقد قيل: إن الشافعي رضي الله عنه كان يكره ماء الورد ويقول: إنه يشبه رائحة المسكر.

قال بعض أئمته المقلدين له: وعندي والله أعلم أن الشافعي رأى الماورد وقد فسد وتغير فظن أن ماء الورد كله كذلك، لأنه لا يوجد ببلادهم إلا مجلوباً من بلاد بعيدة، فربما فسد في أثناء الطريق لبعد المسافة وتعاقب الحر والبرد. هذا إذا قلنا بصحة هذا النقل عنه وهو بعيد من الصحة. كذا نقله ابن طولون الحنفي في التقريب، وأنا لا استبعد صحة هذا النقل فإنه إذ ذاك لم يكن كثر استخراجه على هذه الطريقة المعهودة التي أحدثوها فيما بعد، ويدل لذلك أن ماء

فأحبها البياض من الثياب ـ إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض ـ ولا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس من السنّة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر إليه لأنه بدعة محدثة بعد رسول الله ﷺ، والعمامة مستحبة في هذا اليوم. روى واثلة بن الأسقع أن

الورد الموجود الآن بأرض اليمن رائحته متغيرة يدركها الإنسان في استعماله كما قاله الشافعي رضي الله عنه، وليس ذلك لنقله من البلاد البعيدة وفساده كما قاله من تقدم ذكره، ولكن لعدم معرفتهم في كيفية استخراجه من الورد، ولم تكن صنائع الحكمة الخفية دخلت في البلاد إذ ذاك، وأما الآن فالأمر فيه معلوم لا مرية فيه لونه لون الماء الخالص ورائحته كأنه ورد قطف الساعة، فلو كان هذا موجوداً إذ ذاك لاستطابه الشافعي قطعاً. وقوله: لا يوجد ببلادهم إلا مجلوباً هذا فيه نظر، فإن كان يشير إلى أيام إقامته ببغداد فلا أدري، وإن كان أيام إقامته بمصر فإن الورد كان يزرع بمصر كثيراً من القديم، فكيف يقال إنه كان مجلوباً فتأمل ذلك.

(وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب إذ أحب الثياب إلى الله البياض) كما ورد في الخبر.

وقد روى أحمد والنسائي والحاكم من حديث سمرة بن جندب: « عليكم بالبياض من الثياب فليلبسها أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم فإنها من خير ثيابكم » ولفظ الحاكم: « عليكم بهذه الثياب البياض ». وقال: على شرطهما. وأقره الذهبي.

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر، والبزار من حديث أنس نحو ذلك.

وفي القوت: ومن أفضل ما لبس البياض أو بردين يمانيين، وقال النووي في الروضة: ويستحب التزين للجمعة بلبس أحسن الثياب وأولاها البياض، فإن لبس مصبوغاً فما صبغ غزله ثم نسج كالبرد لا ما صبغ منسوجاً ثوبه اهـ. بل يكره لبسه كما صرح به البندنيجي وغيره.

قلت: وهذا يختلف باختلاف الأزمان والبلاد، فلبس البياض يكون في الصيف، ولبس المصبوغ يكون في الشتاء: إذ لو لبس في الشتاء البياض لتسارعت إليه العيون ويكون شهرة ربما يخل بمروءته فلا بد من التفصيل بالنسبة إلى هذه البلاد. **(ولا يلبس)** من الثياب **(ما فيه شهرة)** كالأحمر القاني، والأصفر الفاقع. فقد ورد: « من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله ثم تلهب فيه النار » رواه أبو داود وابن ماجه عن ابن عمر. وعند ابن ماجه والضياء عن أبي ذر « من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه متى يضعه » وأخرج أحمد من حديث ابن عمر « من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ».

(ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل، بل كره جماعة النظر إليه لأنه بدعة محدثة بعد النبي ﷺ). وسيأتي له في باب الأمر بالمعروف لا يكره ولا يستحب، لكنه ترك الأحب. ولفظ القوت: ولبس السواد يوم الجمعة ليس من السنة ولا من الفضل أن تنظر إلى لابسه اهـ.

ثم إن ظاهر كلامهما أنه يكره مطلقاً سواء فيه الخطيب والمصلون، والمعروف أن هذا كان خاصة بالخطيب، فهو الذي يلبس السواد. وأما عامة الناس فلم يقل أحد بأنه يستحب لهم ذلك، وقد خالفهما أبو الحسن الماوردي وأشار إلى ما ذكرت فقال: ينبغي أن يختص بالمساجد السلطانية، وأن لا يجعل كل أحد شعاره. هكذا نقله الجيلي في شرح التنبيه.

وقال القمولي: والظاهر أنه أراد في زمنه وهي الدولة العباسية فإنه كان شعارهم.

قال النووي: والصحيح أنه لا يستحب السواد إلا أن يظن ترتب مفسدة.

وقال الشيخ عز الدين: المواظبة على لبس السواد بدعة وإن منع أن لا يخطب إلا به فليفعل. كذا في التجريد للمزجد، لكن قد جاء في الحديث أن النبي ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء، وعن عائشة رفعته «كانت عمامته سوداء أو رايته سوداء تسمى العقاب ولواؤه أسود».

وروى أبو بكر أحمد بن محمد الخلال، عن سلمة بن وردان قال: رأيت على أنس عمامة سوداء قد أرخاها من خلفه، وروي عن الحسن قال: «كانت عمامة النبي ﷺ سوداء». وعن ابن لؤلؤة قال: رأيت على ابن عمر عمامة سوداء، وروى عبد الوهاب البغدادي عن عائشة أنها جعلت للنبي ﷺ بردة سوداء من صوف، فذكرت سوادها وبياضه فلبسها، فلما عرق وخرج ريح الصوف قذفها، وكان يحب الريح الطيبة.

وروى أحمد عن عائشة قالت: «كان على رسول الله ﷺ خميصة سوداء حين استقل به وجع فهو يضعها مرة على وجهه ومرة يكشفها عنه».

وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص قالت: أتي رسول الله ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء فقال: ائتوني بأم خالد فأتي بها فألبسها بيده فقال: ابلي واخلقي وجعل ينظر إلى علم الخميصة ويشير بيده إليَّ ويقول يا أم خالد هذا سناه». والسناه بلسان الحبشة الحسن.

وفي الشفاء لعياض في باب معجزات رسول الله ﷺ ذكر ما اطلع عليه من الغيوب «أنه ﷺ أخبر بخروج ولد العباس بالرايات السود» فهذا متمسك الخلفاء من بني العباس في جعل السواد شعاراً لهم، ولذا قال الزيلعي في شرح الكنز: أنه يسن لبس السواد للخطيب، وقد لبس السواد جماعة كعلي يوم قتل عثمان، وكان الحسن يخطب بثياب سود وعمامة سوداء، وروي ذلك عن ابن الزبير، ومعاوية، وأنس، وعبدالله بن جرير، وعمار، وابن المسيب وغيرهم. والله أعلم.

(والعمامة): بالكسر هو ما يتعمم به على الرأس من قطن أو صوف أو نحو ذلك سميت بها لكونها تعم الرأس كلها والجمع العمائم ويقال فيها أيضاً: العمة بالكسر **(مستحبة في هذا اليوم)** للخطيب والمصلين. قال النووي: ويستحب للإمام أن يزيد في حسن الهيئة ويتعمم ويرتدي اهـ.

رسول الله ﷺ قال: « إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة » فإن

وتحصل السنة بكورها على الرأس أو على قلنسوة تحتها، والأفضل كبرها، وينبغي ضبط طولها وعرضها بما يليق بلابسها عادة في زمانه ومكانه، فإن زاد على ذلك كره.

وقد وردت في فضل العمائم آثار منها: ما أخرجه الديلمي في الفردوس من حديث ابن عباس: « العمائم تيجان العرب فإذا وضعوا العمائم وضع الله عزهم». وفي رواية له: « فإذا وضعت العرب عمائمها وضعت عزها ». وفي طريقه عتاب بن حرب. قال الذهبي، قال الغلاس: ضعيف جداً. وأخرجه ابن السني أيضاً وفي سنده عبدالله بن حميد وهو ضعيف أيضاً.

وأخرج أبو نعيم من حديث علي: « العمائم تيجان العرب والاحتباء حيطانها وجلوس المؤمن في المسجد رباطه ». وفيه حنظلة السدوسي. قال الذهبي: تركه القطان وضعفه النسائي.

وأخرج الباوردي من حديث ركانة بن عبد يزيد « العمامة على القلنسوة فصل ما بيننا وبين المشركين يعطى يوم القيامة بكل كورة يدورها على رأسه نورا ». وركانة من مسلمة الفتح وليس له إلا هذا الحديث كما في التقريب.

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر، والبيهقي من حديث عبادة: « عليكم بالعمائم فإنها سيماء الملائكة وأرخو لها خلف ظهوركم ».

وأخرج الطبراني في الكبير من طريق محمد بن صالح بن الوليد، عن بلال بن بشر، عن عمران بن تمام، عن أبي حمزة، عن ابن عباس رفعه « اعتموا تزدادوا حلماً ». وأخرجه الحاكم في اللباس من طريق عبد الله بن أبي حميد عن أبي المليح عن ابن عباس. وقال الحاكم: صحيح، ورده الذهبي، وقال عبيد الله: تركه أحمد وغيره اهـ.

وأورده ابن الجوزي في الموضوع، وتعقبه الحافظ السيوطي في اللآلىء المصنوعة. وبالجملة فالحديث ضعيف وأما كونه موضوعاً فممنوع.

وأخرج ابن عدي والبيهقي كلاهما من طريق إسماعيل بن عمر، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن عبيد الله بن أبي حميد، عن أبي المليح، عن أسامة بن عمير رفعه « اعتموا تزدادوا حلماً والعمائم تيجان العرب ».

(وروي عن واثلة بن الأسقع) بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة الليثي الكناني. كنيته أبو الأسقع، ويقال: أبو قرصافة، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو الخطاب، ويقال: أبو شداد. وكان من أهل الصفة أسلم قبل تبوك، ولما قبض رسول الله ﷺ خرج إلى الشام وكان يشهد المغازي بدمشق وحمص وسكن البلاد، ثم تحول إلى بيت المقدس ومات. وقيل: سكن بيت جبرين قرب بيت المقدس، وقال رحيم: مات بدمشق سنة ثلاث وثمانين وقد جاوز المائة، وقيل: ابن ثمان وتسعين، وهو آخر الصحابة موتاً بدمشق روى له الجماعة: **(أن رسول الله ﷺ قال: « إن الله)** تعالى **(وملائكته يصلون على أصحاب العمائم)** أي الذين يلبسون العمائم

أكربه الحر فلا بأس بنزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن لا ينزع في وقت السعي من المنزل إلى الجمعة ولا في وقت الصلاة ولا عند صعود الإمام المنبر ولا في خطبته.

(يوم الجمعة») ويحضرون صلاتها بها. هكذا أورده صاحب القوت ونصه: واستحب العمامة يوم الجمعة، وقد روينا فيها حديثاً سامياً عن واثلة بن الأسقع فساقه.

وقال العراقي: رواه الطبراني وابن عدي، وقال: منكر من حديث أبي الدرداء ولم أره من حديث واثلة اهـ.

قلت: أخرجه الطبراني من طريق محمد بن عبدالله الحضرمي، عن العلاء بن عمرو الحنفي عن أيوب بن مدرك، عن مكحول، عن أبي الدرداء. أيوب ابن مدرك قال ابن معين: كذاب. وقال النسائي: متروك له مناكير، ثم عد من مناكيره هذا الحديث، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال: لا أصل له تفرد به أيوب. قال الأزدي: هو من وضعه كذبه يحي وتركه الدارقطني.

قلت: وقد روى الطبراني في المعجم الكبير من طريق بشر بن عون، عن بكار بن تميم، عن مكحول، عن واثلة رفعه «إن الله يبعث الملائكة يوم الجمعة على أبواب المسجد» فساقه. فيحتمل أن يكون هذا الحديث أيضاً من طريقه.

ثم قال المصنف تبعاً لصاحب القوت في سياقه: **(فإن أكربه الحر)** أي أوقعه في الكرب بأن غمه **(فلا بأس أن ينزعها)** أي العمامة عن الرأس **(قبل الصلاة وبعدها)** أي إن لم يخف ضرراً من ذلك، **(ولكن لا ينزعها في وقت السعي من المنزل إلى الجمعة، ولا في وقت الصلاة، ولا عند صعود الإمام المنبر ولا في خطبته)**. ولفظ القوت: ولكن يخرج من منزله إلى الجامع وهو لابسها ولا يصلي إلا وهو متعمم ليحصل له فضيلة العمامة وليلبسها حين صعود الإمام المنبر ويصلي وهي عليه، فإن شاء نزعها بعد ذلك.

إشارة: الطيب يوم الجمعة عبارة عن علم الأنفاس الرحمانية، وهو كل ما يرد من الحق مما تطيب به المعاملة بين الله وبين عبده في الحال والقول والفعل، وأما السواك فهو كل شيء متطهر به لسان القلب من الذكر القرآني، وكل ما يرضي الله فإنه تنبعث ممن هذه أوصافه روائح طيبة إلاهية يشمها أهل الروائح من المكاشفين، وفي الخبر. السواك مطهرة للفم مرضاة للرب وإن السواك يرفع الحجب التي بين الرب وبين عبده فيشاهده، فإنه يتضمن صفتين عظيمتين الطهور ورضا الله. وقد أشار إلى هذا المعنى الخبر: صلاة بسواك خير من سبعين صلاة بغير سواك، وقد ورد: إن لله سبعين حجاباً، فناسب بين ما ذكرته لك وبين هذه الأخبار تبصر عجائب وأما اللباس الحسن فهو التقوى. قال تعالى: ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ [الأعراف: ٢٦] أي هو خير لباس ولا تقوى أقوى من الصلاة، فإن المصلي مناج مشاهد فاحسن لباسه حينئذ التقوى مع المراقبة وكمال العبودية، والله أعلم.

الرابع: البكور إلى الجامع ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاث وليبكر

(الرابعة: البكور إلى) المسجد **(الجامع، ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاثة وليبكر) .**

اعلم أن الفرسخ ثلاثة أميال بالهاشمي، والفرسخان ستة أميال. والميل: مقدر بخمس وعشرين غلوة، وقيل: أكثر وقد عقد ابن أبي شيبة في المصنف باباً في كم تؤتى الجمعة فروي عن شريك عن سعيد بن مسروق عن إبراهيم قال: تؤتى الجمعة من فرسخين. وعن وكيع عن ابي البختري قال: رأيت أن أشهد الجمعة من الزاوية وهي فرسخان من البصرة. وعن وكيع، وسفيان، عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن قال: كنا نأتيها من فرسخين، وعن أبي داود الطيالسي، عن أيوب بن عتبة، عن يحي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: تؤتى الجمعة من فرسخين، ثم روى عن عكرمة قال: تؤتى الجمعة من أربعة فراسخ، وعن هشام بن عرة قال: كان أبي يكون سير عروة ثلاثة أميال من المدينة فلا يشهد جمعة ولا جماعة، وروى عن غندر عن شعبة قال: سألت حماداً عن الرجل يجمع من فرسخين قال: لا. وروى عن حوشب بن عقيل العبدي قال: سألت عطاء من كم تؤتى الجمعة؟ قال: من سبعة أميال. وروى عن عبد الحميد بن جعفر ان عبدالله بن رواحة كان يأتي الجمعة ماشياً قال: وكان بينه وبين الجمعة ميلان، وهذه أقوال كلها متعارضة. وسبق اختلاف الأئمة: من كم تؤتي الجمعة. وذكرنا هناك أن المعتبر عند أصحابنا فرسخ وعليه الفتوى، فينبغي أن يكون قصد المسجد الجامع من هذه المسافة أو قدرها زادت قليلاً أو نقصت، ثم أن التبكير إلى المسجد لقصد صلاة الجمعة استحبه الثوري، وأبو حنيفة، وأصحابه، والشافعي، وأكثر أصحابه، وأحمد بن جنبل، والأوزاعي، وابن حبيب من المالكية والجمهور.

واختلف القائلون به. متى **(يدخل وقت البكور)** فقيل: من طلوع الشمس لأنه أول النهار عند أهل الحساب واللغة، وصححه الماوردي من الشافعية فيكون ما قبل ذلك من طلوع الفجر زمان غسل وتأهب. قال ابن الرفعة: ويؤذن به قول الشافعي رحمه الله ويجزئه غسله لها إذا كان بعد الفجر.

قال العراقي نقلاً عن والده: أهل علم الميقات يجعلون ابتداء ساعات النهار من طلوع الشمس ويجعلون ما بين طلوع الفجر والشمس من حساب الليل، واستواء الليل والنهار عندهم إذا تساوى ما بين غروب الشمس وطلوعها وما بين طلوعها وغروبها اهـ.

والأصح في مذهب أبي حنيفة والشافعي أن وقته يدخل **(بطلوع الفجر)** الثاني لأنه أول اليوم شرعاً، ومنه يجب الإمساك للصائم، وعليه تترتب الأحكام الشرعية.

قال العراقي عن والده، ولكن ليس العمل عليه في أمصار الإسلام قديماً وحديثاً أن يبكر للجمعة من طلوع الفجر، وفيه: طول يؤدي إلى انتقاض الطهارة وتخطي الرقاب اهـ.

وذهب مالك وأكثر أصحابه إلى أن الأفضل تأخير الذهاب إلى الجمعة إلى الزوال، وقال به

ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر، وفضل البكور عظيم وينبغي أن يكون في سعيه إلى الجمعة خاشعاً متواضعاً ناوياً للاعتكاف في المسجد إلى وقت الصلاة قاصداً للمبادرة إلى جواب نداء الله عز وجل إلى الجمعة إياه والمسارعة إلى مغفرته ورضوانه، وقد قال ﷺ: «من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة، فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر

من أصحاب الشافعي القاضي حسين وإمام الحرمين، ولأصحاب الشافعي وجه رابع أن التبكير للجمعة من ارتفاع النهار حكاه الصيدلاني في شرح المختصر، وزعم قائله أن هذا وقت التهجير وسيأتي الكلام على ذلك قريباً.

(و) بالجملة، فإن (**فضل البكور عظيم**) دلت عليه الأخبار الصحيحة مر بعضها ويأتي بعضها. (**وينبغي أن يكون في سعيه**) أي مشيه على الأقدام كما هو المسنون في كل عبادة كالعيد والجنازة وعيادة المريض إلا أن تكون العبادة بسفر طويل كالحج، فالمختار أن الركوب فيه أفضل، وكذا إذا خاف من ازدحام وبعد المسافة إلى الجمعة بحيث لو مشى على قدميه، فات الوقت أو لم يكن مطيقاً على المشي الكثير (**خاشعاً متواضعاً**) ذا سكينة ووقار وإخبات وافتقار لا ان ضاق الوقت فيسرع في المشي مكثراً من الدعاء والابتهال والاستغفار (**ناوياً**) في خروجه زيارة مولاه في بيته والتقرب إليه بأداء فريضته قاصداً (**للاعتكاف في المسجد إلى**) الفراغ من (**الصلاة**) وانقلابه منها ناوياً كف الجوارح عن اللهو واللغو والشغل بخدمة مولاه جل وعز (**قاصداً للمبادرة إلى جواب نداء الله إياه إلى الجمعة والمسارعة إلى مغفرته ورضوانه**) ليترك راحته في ذلك اليوم ومهناه من عاجل حظ دنياه، وليكن ذلك في الساعة الأولى، فإن لم يفعل ففي الساعة الثانية، فإن لم يكن ففي الساعة الثالثة.

(**وقد قال ﷺ: «من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى**) أي ذهب (**فكأنما قرب بدنة**) من الإبل ذكراً كان أم أنثى، والهاء للوحدة لا للتأنيث أي تصدق بها تقرباً إلى الله تعالى، (**ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة**) ذكر أو أنثى، والتاء للوحدة، (**ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن**) وصفه به لأنه أكمل وأحسن صورة ولأن قرنه ينتفع به، (**ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة**) بتثليث الدال والفتح هو الفصيح، (**ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة**) والمراد بالإهداء هنا التصدق كما دل عليه لفظ قرب، وإلا فالهدي لا يكون بها، (**فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة**) الذين وظيفتهم كتابة حاضري الجمعة (**عند المنبر**

يستمعون الذكر ، فمن جاء بعد ذلك فإنما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء » .

يستمعون الذكر) أي الخطبة ، والمراد بطي الصحف طي صحف الفضائل المتعلقة بالمبادرة إلى الجمعة دون غيرها من سماع الخطبة وإدراك الصلاة والذكر والدعاء ونحو ذلك ، فإنه يكتبه الحافظان قطعاً ، **(فمن جاء بعد ذلك فإنما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء »)** وفي القوت : ليس من الفضل في شيء أي لا فضيلة لمن أتى بعد الزوال لأن التخلف بعد النداء حرام ، ولأن ذكر الساعات إنما هو للحثّ على التبكير إليها والترغيب في فضيلة السبق وتحصيل الصف الأول وانتظارها والاشتغال بالتنفل والذكر . وهذا كله لا يحصل بالذهاب بعد الزوال .

ثم إن هذا الحديث هكذا ساقه صاحب القوت بطوله في أول الباب ، وقد أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وليس فيه « ورفعت الأقلام » وهذه اللفظة عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده .

قلت ، قال البخاري في الصحيح : حدثنا عبدالله بن يوسف ، أخبرنا مالك ، عن سمي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة » وساق الحديث إلى أن قال : « فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » . وهكذا هو عند مسلم والترمذي والنسائي من طريق مالك ، ورواه النسائي أيضاً من طريق محمد بن عجلان ، عن سمي نحوه وفيه « كرجل قدم دجاجة ، وكرجل قدم عصفوراً » . وقول البخاري : غسل الجنابة هو بالنصب صفة لمصدر محذوف أي غسلاً كغسل الجنابة ، وعند عبد الرزاق من رواية ابن جريج عن سمي : فاغتسل أحدكم كما يغتسل من الجنابة ، فالتشبيه للكيفية لا للحكم . أو أشار به إلى الجماع يوم الجمعة ليكون أغض لبصره وأمكن لنفسه في الرواح إلى الجمعة ولا تمتد عينه إلى شيء يراه .

وأخرجه مالك في الموطأ بلفظ : « ثم راح في الساعة الأولى » كما عند المصنف ، وفي رواية ابن جريج عند عبد الرزاق : « فله الأجر مثل الجزور » .

وقال البخاري أيضاً : حدثنا آدم ، حدثنا ابن أبي ذئب ، عن الزهري ، عن الأغر ، عن أبي هريرة قال ، قال النبي ﷺ : « إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول ومثل المهجر كمثل الذي يهدي بدنة ثم كالذي يهدي بقرة ثم كبشاً ثم دجاجة ثم بيضة فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ويستمعون الذكر » .

وأخرج مسلم من طريق سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة بلفظ : « على كل باب من أبواب المسجد ملك يكتب الأول فالأول مثل الجزور ثم نزلهم حتى صغر إلى مثل البيضة فإذا جلس الإمام طويت الصحف وحضروا الذكر » .

وأخرج أحمد من طريق سعيد المقبري ، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ : « إذا كان يوم

والساعة الأولى إلى طلوع الشمس، والثانية إلى ارتفاعها، والثالثة إلى انبساطها حين ترمض الاقدام، والرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى إلى الزوال وفضلها قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه. وقال ﷺ: «ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا الإبل في طلبهن الأذان والصف الأوّل والغدوّ إلى الجمعة». وقال أحمد بن حنبل رضي

الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول فإذا خرج الإمام طويت الصحف».

وعنه عن النبي ﷺ المهجر إلى الجمعة كالمهدي بدنة والذي يليه كالمهدي بقرة فالذي يليه كالمهدي كبشاً حتى ذكر الدجاجة والبيضة». وهما حديثان مفصلان. هكذا رواهما أحمد بإسناد واحد، وجمع بينهما مسلم والنسائي وابن ماجه فجعلوهما حديثاً واحداً رواه مسلم عن يحي بن يحي وعمرو الناقد، ورواه النسائي عن محمد بن منصور، ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار، وسهل ابن أبي سهل، خمستهم عن سفيان بن عيينة. زاد ابن ماجه عن أحد شيخيه سهل: «فمن جاء بعد ذلك فإنما يجيء لحق الصلاة» وأخرجه الشيخان، والنسائي من طريق الزهري، عن الأغر، عن أبي هريرة تمامه كما ذكر. وفي رواية النسائي «ثم كالمهدي بطة ثم كالمهدي دجاجة ثم كالمهدي بيضة». وأخرج البخاري القطعة الأولى بسنده من طريق الزهري عن أبي سلمة والأغر عن أبي هريرة.

وقد علم من هذا التفصيل أن الذي أورده المصنف ملفق من الأحاديث، ثم اختلفوا في تحديد تلك الساعات. وإليه أشار المصنف بقوله: **(والساعة الأولى)** تكون بعد صلاة الصبح **(إلى طلوع الشمس، و)** الساعة **(الثانية)** تكون **(عند ارتفاعها)** وارتفاع النهار، **(و)** الساعة **(الثالثة)** تكون **(عند انبساطها)** على الأرض وهو الضحى الأعلى **(حين ترمض الأقدام)** بحر الشمس، **(و)** الساعة **(الرابعة والخامسة)** تكون **(بعد الضحى الأعلى إلى الزوال وفضلها قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه)**. ولفظ القوت: والساعة الرابعة تكون قبل الزوال، والساعة الخامسة إذا زالت الشمس أو مع استوائها، وليست الساعة الرابعة والخامسة مستحبين للبكور ولا فضل لمن صلى الجماعة بعد الساعة الخامسة لأن الإمام يخرج في آخرها فلا يبقى إلا فريضة الجمعة اهـ.

(وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث) أي ثلاث خصال **(لو يعلم الناس ما فيهن)** أي من الفضل والثواب **(لركّضوا الإبل)** أي بالركوب عليها **(في طلبهن)** أي تحصيلهن **(الأذان والصف الأول والغدوّ إلى الجمعة»)** أي البكور إليها.

قال العراقي: أخرجه أبو الشيخ في ثواب الأعمال من حديث أبي هريرة «ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن ما أخذت إلا بالاستهام عليها للخير والبر» الحديث. وقال: «والتهجير إلى الجمعة».

الله عنه: أفضلهن الغدوّ إلى الجمعة. وفي الخبر: « إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة

وفي الصحيحين من حديثه « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه » اهـ.

قلت: وهو في تاريخ ابن النجار من حديثه بلفظ: « ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن ما أخذن إلا بسهمة حرصاً على ما فيهن من الخير والبركة. التأذين بالصلاة، والتهجير بالجماعات، والصلاة في أول الصفوف ».

(وقال أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث بعد أن رواه: **(أفضلهن)** أي أفضل تلك الخصال **(الغدو إلى الجمعة)** أي الذهاب إليها بكرة النهار.

وأما حديث أبي هريرة في الصحيحين قد أخرجه أيضاً مالك في الموطأ وأحمد والنسائي كروايتيهما وفيه زيادة « ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً ».

فوائد مهمة:

الأولى: قوله في الحديث الأول فالأول تعلق به المالكية فقالوا: الفاء تقتضي الترتيب بلا مهلة فاقتضى تعقيب الثاني بالأول وكذا من بعده، فلو كان اعتبار هذا من أول النهار وتقسيمه على ست ساعات في النصف الأول من النهار لم يكن الآتي في أول ساعة يعقبه الآتي في أول التي تليها. وأجيب عنه أنه لا نزاع في أنهم يكتبون من جاء أولاً ومن جاء عقبه، وهكذا وهو إنما أتى بالفاء في كتابة الآيتين، وأما مقدار الثواب فلم يأت فيه بالفاء. وقال القاضي عياض: وأقوى معتمد مالك في كراهية البكور إليها عمل أهل المدينة المتصل بترك ذلك وسعيهم إليها قرب صلاتها، وهذا نقل معلوم غير منكر عندهم ولا معمول بغيره، وما كان أهل عصر النبي ﷺ ومن بعدهم من ترك الأفضل إلى غيره، ويتمالؤن على العمل بأقل الدرجات، وذكر ابن عبد البر أيضاً عمل أهل المدينة يشهد له اهـ.

قال العراقي: وما أدري أين العمل الذي يشهد له وعمر ينكر على عثمان رضي الله عنهما التخلف، والنبي ﷺ يندب إلى التبكير في أحاديث كثيرة، وقد أنكر غير واحد من الأئمة على مالك رحمه الله تعالى في هذه المسألة. فقال الأثرم: قيل لأحمد كان مالك يقول لا ينبغي التهجير يوم الجمعة، فقال: هذا خلاف حديث رسول الله ﷺ، وقال: سبحان الله إلى أي شيء ذهب في هذا، والنبي ﷺ يقول: « كالمهدي جزوراً » وأنكر على مالك أيضاً ابن حبيب من أصحابه إنكاراً بليغاً وقال: هذا تحريف في تأويل الحديث ومحال من وجوه لم أذكر أنا ذلك لما فيه من التحامل على إمامه وهو رضي الله عنه لم يكن غافلاً في تأويله حاشاه من ذلك، ولم يثبت عنده في التبكير إلا بعد النداء وشاهد من أهل المدينة العمل به لقرب منازلهم في المسجد، فحمل الساعات

....

على اللحظات ولكل وجهة على أنه مجتهد لا يعارض بقول غيره ولكل وجهة ولكل نصيب فيما اجتهد فيه، والله أعلم.

الثانية: رتب في حديث أحمد السابقين إلى الجمعة على خمس مراتب. أولها البدنة وآخرها الدجاجة. وفي حديث أبي هريرة ترتيب هذه المراتب على خمس ساعات، فقال الجمهور: المراد بهذه الساعات الأجزاء الزمانيه التي يقسم النهار منها على إثني عشر جزءاً وابتداؤها من طلوع الفجر، وقال مالك ومن وافقه من أصحابه ومن غيرهم: المراد بها لحظات لطيفة بعد زوال الشمس، وهذا وإن كان خلاف ظاهر اللفظ فقد كان شيخي الإمام المحدث أبو الحسن السندي المدني رحمه الله تعالى يعتمد على هذا ويفتي به، وينقل ذلك عن شيخه الشيخ محمد حياة السندي رحمه الله تعالى، وأنه كان يعتمد على ذلك، والله أعلم.

الثالثة: تعلق مالك رحمه الله تعالى بقوله في الحديث: مثل المهجر، فقال: التهجير إنما يكون في الهاجرة وهي شدة الحر، وذلك لا يكون في أول النهار. وأجيب عنه: أن التهجير كان يستعمل بمعنى الإتيان في الهجير كما قاله الفراء، كذلك يستعمل في معنى التبكير فهو مشترك اللفظ بين المعنيين، واستعمال المعنى الثاني أولى لئلا تتضاد الأخبار.

الرابعة: قال مالك رحمه الله تعالى: رتب السابقين على خمس ساعات بقوله «راح» والرواح لا يكون إلا بعد الزوال كما ذكره الجوهري وغيره. وأجيب عنه: بأن المراد من الرواح هنا مطلق الذهاب وهو شائع في الاستعمال أيضاً نقله الأزهري وغيره، أو نقول ان الرائح يطلق على قاصد الرواح، كما يقال لقاصد مكة قبل أن يحج حاج وللمتساومين متبايعين، ومثل هذا الاستعمال لا ينكر.

الخامسة: قال الرافعي: ليس المراد من الساعات على اختلاف الوجوه الأربع والعشرين التي قسم اليوم والليلة عليها، وإنما المراد ترتيب الدرجات وفضل السابق على الذي يليه، واحتج القفال عليه بوجهين. **أحدهما:** أنه لو كان المراد الساعات المذكورة لاستوى الجائيان في الفضل في ساعة واحدة مع تعاقبهما في المجيء **والثاني**: أنه لو كان كذلك لاختلف الأمر باليوم الشاتي والصائف، ولفاتت الجمعة في اليوم الشاتي لمن جاء في الساعة الخامسة، وتبعه على ذلك النووي في الروضة، لكن خالفه في شرح المهذب فقال فيه: المراد بالساعات المعروفة خلافاً لما قاله الرافعي، ولكن بدنة الأولى أكمل من بدنة الثاني، وهذا الذي ذكره النووي جواب على احتجاج القفال الأول، والجواب عن احتجاجه الثاني ما ذكره العراقي في شرح الترمذي فقال: أهل الميقات لهم اصطلاحان في الساعات، فالساعات الزمانية كل ساعة منها خمس عشرة درجة، والساعات الآفاقية يختلف قدرها باختلاف طول الأيام وقصرها في الصيف والشتاء، فالنهار اثنتا عشرة ساعة، ومقدار الساعة يزيد وينقص، وعلى هذا الثاني تحمل الساعات المذكورة في الحديث. فلا

على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأوّل فالأول على مراتبهم». وجاء في الخبر: «إن الملائكة يتفقدون الرجل إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضاً عنه ما فعل فلان وما الذي أخره عن وقته؟ فيقولون:

يلزم عليه ما ذكره من اختلاف الأمر باليوم الشاتي والصائف، ومن فوات الجمعة لمن جاء في الساعة الخامسة، والله أعلم.

السادسة: قد يستدل بعموم الحديث على استحباب التبكير للخطيب أيضاً، لكن دل قوله في أخره، فإذا خرج الإمام على أنه لا يخرج إلا بعد انقضاء وقت التبكير المستحب في غيره، وقد قال الماوردي: يختار للإمام أن يأتي الجمعة في الوقت الذي تقام فيه الصلاة ولا يبكر اتباعاً لفعل النبي ﷺ، واقتداء بفعل الخلفاء الراشدين. قال: ويدخل المسجد من أقرب أبوابه اهـ.

السابعة: أطلق في رواية أحمد التهجير من غير سبق اغتسال، وفي رواية البخاري «من اغتسل غسل الجنابة ثم راح مقيداً بالاغتسال فعلم من ذلك أنه لا يكون المهجر كمن أهدى بدنة» وكذا المذكورات بعده إلا بشرط تقدم الاغتسال عليه في ذلك اليوم، والقاعدة حمل المطلق على المقيد، فحينئذ في قول الزركشي نظر وهو: ولو تعارض الغسل والتبكير فمراعاة الغسل أولى لأنه مختلف في وجوبه، ولأن نفعه مُعد إلى غيره بخلاف التبكير، والله أعلم.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وفي الخبر: «إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول)** نصب على الحال، وجاءت معرفة وهو قليل. قاله الدماميني **(على مراتبهم»)** باعتبار السبق والتأخير. هكذا أورده صاحب القوت، وقال عمر: يروى في خبر.

قال العراقي: أخرجه ابن مردويه في التفسير من حديث علي بإسناد ضعيف: «إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواءه بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة إلى المساجد التي يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا ألويتهم وراياتهم بأبواب المساجد ثم نشروا قراطيس من فضة وأقلاماً من ذهب» اهـ.

قلت: وأخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بلفظ: «إذا كان يوم الجمعة بعث الله ملائكة بصحف من نور وأقلام من نور» الحديث.

وأما صدر الحديث ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة بلفظ: «إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأوّل فالأوّل» كما تقدم. والحديث المذكور فيه صفة الصحف، وأن الملائكة المذكورين من غير الحفظة.

(وجاء في الآثار: «إن الملائكة يتفقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضاً عنه ما فعل فلان وما الذي أخَّره عن وقته، فيقولون: اللهم إن كان أخَّره

اللهم إن كان أخره فقر فاغنه وإن كان أخره مرض فاشفه وإن كان أخره شغل ففرغه لعبادتك وإن كان أخره لهو فاقبل بقلبه إلى طاعتك» وكان يرى في القرن الأول سحراً وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون بها إلى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك فقيل: أول بدعة حدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع وكيف لا يستحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون إلى البيع والكنائس يوم السبت والأحد؟ وطلاب الدنيا كيف يبكرون إلى رحاب الأسواق

فقرٌ فاغنه، وإن كان أخره مرض فاشفه، وإن كان أخَّره شغل ففرغه لعبادتك، وإن كان أخره لهوٌ فاقبل عليه حتى يقبل بقلبه إلى طاعتك») . هكذا نقله صاحب القوت.

وقال العراقي: أخرجه البيهقي من رواية عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مع زيادة ونقص بإسناد حسن.

واعلم أن المصنف ذكر هذا أثراً فإن لم يرد به حديثاً مرفوعاً فليس من شرطنا، وإنما ذكرناه احتياطاً اهـ.

قلت: كذا في بعض نسخ الكتاب. وفي الآثار ووجد في بعضها وجاء في الخبر، ومثله في القوت، والحديث قد أخرجه ابن خزيمة في الصحيح من هذا الطريق بلفظ: «فيقول بعض الملائكة لبعض ما حبس فلاناً فتقول: اللهم إن كان ضالاً فاهدِه، وإن كان فقيراً فاغنه، وإن كان مريضاً فعافه».

(وكان يرى في القرن الأوّل) يوم الجمعة **(سحراً)** أي قبل الفجر **(وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج)** جمع سراج أي في ضوئها **(ويزدحمون فيها)** أي في الطرقات **(إلى)** المسجد **(الجامع كأيام الأعياد)** في بكورهم فيها **(حتى أنه اندرس ذلك)** وقلّ وجهل **(فقيل: أوّل بدعة أحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع)** انتزع المصنف هذه العبارة من القوت ولفظه: وكثير من السلف كان يصلي الغداة يوم الجمعة في الجامع ويقعد ينتظر صلاة الجمعة لأجل البكور ليستوعب فضل الساعة الأولى، ولأجل ختم القرآن وعامة المؤمنين كانوا ينحرفون من صلاة الغداة من مساجدهم فيتوجهون إلى جوامعهم، ويقال: أوّل بدعة حدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجامع قال: وكنت ترى يوم الجمعة سحراً وبعد صلاة الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها إلى الجامع، كما ترون اليوم في الأعياد حتى درس ذلك وقل وجهل فترك. **(وكيف لا يستحي المؤمنون من)** طائفة **(اليهود والنصارى وهم يبكرون إلى البيع والكنائس)** البيع: بكسر ففتح جمع بيعة وهي متعبد النصارى، والكنائس: جمع كنيسة وهي متعبد اليهود **(يوم السبت والأحد)** ففيه لف ونشر غير مرتب، وقد تطلق الكنيسة على متعبد النصارى أيضاً. **(و)** كيف لا يستحون من **(طلاب الدنيا)** وهم السماسرة والتجار والسوقية **(كيف يبكرون إلى رحاب الجامع)** وفي

للبيع والشراء والربح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة؟ ويقال: إن الناس يكونون في قربهم عند النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة. ودخل ابن مسعود رضي الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول في نفسه معاتباً لها: رابع أربعة وما رابع أربعة من البكور ببعيد.

نسخة إلى رحاب الأسواق، وفي نسخة إلى الأسواق، والأولى هي الموافقة كما في القوت **(للبيع وطلب الأرباح)** أي الفوائد، **(فلِمَ لا يسابقهم طلاب الآخرة)** لتحصيل أرباحها وأجورها؟

ولفظ القوت: أو لا يستحي المؤمن الموقن أن أهل الذمة يبكرون إلى كنائسهم وبيعهم قبل خروجه إلى جامعه، أو لا يعتبر بأهل الأطعمة الباعة في رحاب الجامع يغدون للدنيا والمعاش قبل غدوّه إلى الله عز وجل، وإلى الآخرة؟ فينبغي أن يسابقهم إلى مولاه ويسارعهم إلى ما عنده من زلفاه.

(ويقال: ان الناس يكونون في قربهم عند النظر إلى وجه الله عز وجل على قدر بكورهم إلى الجمعة). ولفظ القوت: في قربهم من الله تعالى عند الزيارة إليه على قدر بكورهم في الجمعة.

قلت: وروي ذلك مسنداً مرفوعاً كما ترى بعد هذا الكلام.

(و) يروى أنه **(دخل ابن مسعود)** رضي الله عنه يوم الجمعة **(بكرة فرأى ثلاثة نفر)** من الناس **(قد سبقوه بالبكور، فاغتم لذلك وجعل يقول لنفسه معاتباً لها: رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد بالبكور)** يعني نفسه نقله صاحب القوت، ثم قال: وهذا من اليقين في هذه المشاهدة للخبر.

قلت: وقد أجحف صاحب القوت وقدّم وأخر، وأورد الحديث المسند المرفوع بقوله: ويقال ثم قال ودخل ابن مسعود الخ. ثم أشار في آخر سياقه أنه كلام واحد وأنه خبر مرفوع وفيه تعقيد لا يليق بمقام الأجلاء، وجاء المصنف تبعه على سياقه وهو معذور، فإن عمدته فيما ينقله غالباً صاحب القوت فلا يتعدى نصه.

وهذه القصة والحديث ذكرهما ابن ماجه في السنن فقال: حدثنا كثير بن عبيد، عن عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن معمر، عن الأعمش، عن ابراهيم، عن علقمة قال: خرجت مع ابن مسعود إلى الجمعة فوجد ثلاثة نفر سبقوه فقال: رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد. إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس يجلسون من الله تعالى يوم القيامة قدر رواحهم إلى الجمعة الأول والثاني والثالث، ثم قال: رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد». وعبد المجيد بن أبي رواد ثقة خرَّج له مسلم والأربعة، وفي الخبر دلالة على أن مراتب الناس في

الخامس: في هيئة الدخول ينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم، والبكور يسهل ذلك عليه. فقد ورد وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو أنه يجعل جسراً يوم القيامة يتخطاه الناس. وروى ابن جريج مرسلاً أن رسول الله ﷺ بينما هو يخطب

الفضيلة في الجمعة وغيرها بحسب أعمالهم وهو من باب قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] أي فالمبكرون إليها في أول الساعة أقربهم إلى الله تعالى، ثم من يليهم على الترتيب المعروف، والله أعلم.

(**الخامسة: في هيئة الدخول**) أي كيف يفعل في حالة دخوله في المسجد، (**فينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس**) بأن يشق صفوف القاعدين بخطاه. يقال: خطا يخطو إذا مشى، وتخطى الشيء تخطياً إذا مشى عليه، (**ولا يمر بين أيديهم**) في الصفوف ولو كانوا لا يصلون، (**والمبكر**) إلى المسجد في أول الوقت (**يسهل عليه ذلك**) أي يتم له عدم التخطي وعدم المرور. (**وقد ورد**) في الأخبار الصحيحة (**وعيد شديد في تخطي الرقاب وهو**) أي ذلك الوعيد (**أنه يجعل جسراً يوم القيامة**) على جهنم (**يتخطاه الناس**).

قال العراقي: أخرجه الترمذي وضعفه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس اهـ.

قلت: وأخرجه أيضاً أحمد، والطبراني في الكبير، والبيهقي في السنن. كلهم من طريق سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه ولفظهم جميعاً «من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم» أي من تجاوز رقابهم بالخطو إليها جعل جسراً يمر عليه من يساق إلى جهنم جزاء لكل بمثل عمله، واختلف في ضبط الحديث فقيل: هو ببنائه للمفعول وهو الذي يقتضيه سياق المصنف. وصاحب القوت ورجحه العراقي وقال: هو أظهر وأوفق للرواية، ويجوز ببنائه للفاعل، والمعنى اتخذ لنفسه جسراً يمر عليه إلى جهنم بسبب ذلك واقتصر عليه التوربشتي. وقال الطيبي: قوله إلى جهنم صفة جسراً أي جسراً ممتداً إلى جهنم، وقال الترمذي بعدما أخرجه: غريب ضعيف فيه رشدين بن سعد ضعفوه اهـ وتبعه عبد الحق.

وأورده الديلمي بلفظ: «من تخطى رقبة أخيه المسلم جعله الله يوم القيامة جسراً على باب جهنم للناس».

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف عن القاسم بن مخيمرة قال: «الذي يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة والإمام يخطب كالرافع قدمه في النار وواضعها في النار».

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث عثمان بن الأزرق: «من تخطى رقاب الناس بعد خروج الإمام أو فرّق بين اثنين كان كجار قصبه في النار».

(**وروى ابن جريج**) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج: أبو الوليد، وأبو خالد المكي مولى بني أمية، وهو أثبت أصحاب نافع وعطاء، وكان من أوعية العلم صدوقاً ثقة. مات سنة

يوم الجمعة، إذ رأى رجلاً يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس، فلما قضى النبي ﷺ صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال: يا فلان ما منعك أن تجمع اليوم معنا؟ قال: يا نبي الله قد جمعت معكم؟ فقال النبي ﷺ: ألم نرك تتخطى رقاب الناس؟ أشار به إلى أنه أحبط عمله. وفي حديث مسند أنه قال: «ما منعك أن تصلي معنا؟ قال: أوَلم ترني يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «رأيتك تأنيت وآذيت» أي تأخرت عن البكور وآذيت الحضور. ومهما كان الصف الأول متروكاً خالياً فله أن يتخطى رقاب

تسع وأربعين ومائة، وقيل: سنة خمسين، وقيل: إحدى وخمسين، وقد جاوز المائة. روى له الجماعة حديثاً (**مرسلاً**). هكذا هو في القوت، وفيه تسامح فإن المرسل عندهم هو الذي سقط فيه ذكر الصحابي، وهذا قد سقط فيه اثنان، فإنه يروى عن التابعين فهو معضل في مصطلحهم.

(**أن النبي ﷺ بينا**) وفي القوت: بينما (**هو يخطب يوم الجمعة**).

قال في النهاية: بينا أصله بين فاشبعت الفتحة فصارت ألفاً. يقال: بينا وبينما وهما ظرفا زمان بمعنى المفاجأة، ويضافان إلى جملة من فعل وفاعل ومبتدأ وخبر، ويحتاجان إلى جواب يتم به المعنى، وإلاَّ فصح في جوابها أن لا يكون فيه: «إذ» وإذا تقول بينا زيد جالس دخل عليه عمرو.

وقد جاء في الجواب: «إذ» كما هنا في الحديث وهو قوله: (**إذ رأى رجلاً يتخطى رقاب الناس حتى تقدم**) أي في الصف (**فجلس فلما قضى النبي ﷺ صلاته عارض الرجل**) أي واجهه بعارض وجهه (**حتى لقيه**). ولا يكون اللقاء إلا بالنظر (**فقال**) له: (**يا فلان ما منعك أن تجمع اليوم معنا**) أي تصلي معنا الجمعة اليوم؟ (**قال: يا نبي الله قد جمعت معكم. فقال: أوَلم أرك تتخطى رقاب الناس**) هكذا هو في القوت.

وقال العراقي: أخرجه ابن المبارك في كتاب الرقائق اهـ.

وزاد المصنف فقال: (**أشار بذلك إلى أنه أحبط عمله**) أي بتخطيه رقاب الناس، وفيه تسجيل عليه حيث أنه نفى عنه صلاته مع القوم، وأنكر عليه بضرب من التبكيت، وفيه دليل لأبي حنيفة حيث لم يمنعه ﷺ وهو في حال خطبته لحرمة الكلام في اثنائها، وإنما أنكر عليه بعد الفراغ من صلاته وهو ﷺ معلم الشرائع، فلو لم يكن ذلك محل السكوت لتكلم.

(**وفي حديث مسند**) يريد به أنه مرفوع إلى النبي ﷺ (**أنه قال له: «ما منعك أن تصلي معنا؟ قال: أوَلم ترني؟ فقال: رأيتك آنيت وآذيت»**) هكذا هو في القوت بعينه، وقال في معناه: (**أي تأخرت عن البكور وآذيت الحضور**) أي الجماعة الحاضرين.

قال العراقي: أخرجه أبو داود، والنسائي، وابن حبان، والحاكم من حديث عبدالله بن بسر مختصراً اهـ.

الناس لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة. قال الحسن: تخطوا رقاب الناس الذي يقعدون على أبواب الجوامع يوم الجمعة، فإنه لا حرمة لهم. وإذا لم يكن في المسجد إلا من يصلي فينبغي أن لا يسلم لأنه تكليف جواب في غير محله.

قلت: ورواه أيضاً ابن ماجه وصححه هو والحاكم، وفي الطبراني قال لرجل: «رأيتك تتخطى رقاب الناس وتؤذيهم من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله».

وأخرجه الطحاوي في معاني الآثار فقال: حدثنا بحر بن نصر، حدثنا ابن وهب قال: سمعت معاوية بن صالح يحدث عن أبي الزاهرية، عن عبدالله بن بسر قال: كنت جالساً إلى جنبه يوم الجمعة فقال: جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة، فقال له رسول الله ﷺ: «اجلس فقد آذيت وآنيت» قال أبو الزاهرية: فكنا نتحدث حتى يخرج الإمام.

قلت: وفيه دليل لأبي حنيفة حيث أن النبي ﷺ أمره بالجلوس فلم يأمره بالصلاة، وهو يخالف حديث سليك الغطفاني الآتي ذكره، والعمل عندنا على حديث عبدالله بن بسر والله أعلم.

وأخرجه ابن أبي شيبة من مرسل الحسن فقال: حدثنا هشيم، عن يونس ومنصور عن الحسن قال: بينا النبي ﷺ يخطب إذ جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم جمعة حتى جلس قريباً من النبي ﷺ، فلما قضى صلاته قال له النبي ﷺ: «يا فلان أما جمعت؟ قال: يا رسول الله أما رأيتني؟ قال: قد رأيتك آنيت وآذيت» اهـ.

ثم ان التخطي قد يكون حراماً في بعض صوره، وقد يكون مكروهاً في بعضها، وقد يكون مباحاً.

وقد أشار المصنف إلى ما يباح منه فقال: **(ومهما كان الصف الأوّل متروكاً خالياً فله أن يتخطى رقاب الناس)** ويتقدم إلى الصف فيكمله، **(لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة)** الذي هو الصف الأوّل.

قال صاحب القوت: وقد قيل أربع من الجفاء أن يبول الرجل قائماً، أو يصلي في الصف الثاني ويترك الأوّل فارغاً، أو يمسح جبهته في صلاته، أو يصلي في سبيل من يمر بين يديه.

(قال الحسن): ولفظ القوت وقد كان الحسن رحمه الله يقول: **(تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجامع يوم الجمعة فإنهم لا حرمة لهم)**. أي لأنهم تركوا محل الفضائل ولم يدخلوا في الصفوف وقعدوا على الأبواب ينظرون الداخل والخارج، ولا بدّ للمصلي أن يدخل المسجد ولا يمكنه إلا بالتخطي عليهم، فإنه يباح للداخل ذلك.

وفي حديث سلمان عند البخاري ومسلم: «ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين» وعند أبي داود من حديث ابن عمر: «ثم لم يتخط رقاب الناس» الحديث.

وقد عقد البخاري في صحيحه باب لا يفرق بين اثنين قال شارحه: التفرقة تتناول أمرين.

السادس: أن لا يمر بين يدي الناس ويجلس حيث هو إلى قرب اسطوانة أو حائط حتى لا يمرون بين يديه. أعني بين يدي المصلي، فإن ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي

أحدهما: أن يخرج رجلين عن مكانهما ويجلس بينهما، والثاني التخطي. وهذا مكروه لما فيه من الوعيد الشديد في الاخبار بعض ذلك قد تقدم. نعم لا يكره للإمام إذا لم يبلغ المحراب إلا بالتخطي لاضطراره إليه ومن لم يجد فرجة بأن لم يبلغها إلا بتخطي صف أو صفين فلا يكره، وإن وجد غيرها لتقصير القوم بإخلاء الفرجة، لكن يستحب له ان وجد غيرها أن لا يتخطى، وهل الكراهة المذكورة للتنزيه أو للتحريم؟ صرح بالأوّل النووي في المجموع. ونقل الشيخ أبو حامد الثاني عن نص الشافعي، واختاره في الروضة في الشهادات، وقيد أصحاب مالك والأوزاعي بما إذا كان الإمام على المنبر لما تقدم من الأحاديث التي فيها القيد بذلك اهـ.

ومقتضى ذلك أنه إن لم يكن على المنبر فلا بأس به.

قلت: ومقتضى عبارات أصحابنا الإطلاق فإنه يتأذى به المسلمون والله أعلم.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، عن جعفر بن غياث، عن عمرو عن الحسن قال: لا بأس أن يخطي رقاب الناس إذا كان في المسجد سعة.

وعن الفضل بن دكين، عن حميد الأصم، عن أبي قيس قال: دخل ابن مسعود المسجد يوم جمعة وعليه ثياب بيض حسان، فرأى مكاناً فيه سعة فجلس.

وعن وكيع عن سفيان، عن حماد، عن عمر بن عطية، عن سلمان قال: إياك وتخطي رقاب الناس يوم الجمعة واجلس حيث تبلغ بك الجمعة.

وأخرج بسنده عن سعيد بن المسيب: لأن أصلي الجمعة بالحرة أحب إليَّ من التخطي.

وأخرج عن أبي هريرة مثل ذلك، ومن طريق كعب بن خوات عن كعب قال: لأن أدع الجمعة أحب إليّ من أن أتخطى رقاب الناس كل هذا في المصنف.

وأخرج أبو داود من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رفعه «ومن تخطى رقاب الناس كانت له ظهراً» والأحاديث في الباب كثيرة وفيما ذكرناه كفاية.

(**وإذا لم يكن في المسجد إلا من يصلي فينبغي أن لا يسلم فإنه**) أي سلامه حينئذ (**تكليف جواب في غير محله**) إذ لا يصادف سلامه محلاً فالأولى أن لا يسلم.

(**السادسة: أن لا يمر بين أيدي**) أي وسط (**الصفوف ويجلس هو**) بنفسه (**إلى**) موضع (**قريب من اسطوانة**) وهي العمود معرب استون، وهذا إن لم يكن في الصف الأول (**أو حائط**) أي جدار إذا كان في الصف الأول (**حتى لا يمرون بين يديه، أعني بين يدي المصلي، فإن ذلك**) أي جلوسه إلى عمود أو حائط (**لا يقطع الصلاة**) على المصلي،

عنه. قال ﷺ: «لأن يقف أربعين عاماً خير له من أن يمر بين يدي المصلي» وقال ﷺ: «لأن يكون الرجل رماداً رمديداً تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدي المصلي». وقد روي في حديث آخر في المار والمصلي حيث صلى على الطريق أو قصر في الدفع فقال: «لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلى ما عليه في ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خيراً له من أن يمر بين يديه». والاسطوانة والحائط والمصلى المفروش حد

(ولكنه منهي عنه). ولفظ القوت: وليحذر بين يدي المصلي، وإن كان مروره لا يقطع الصلاة، ثم قال بعد ذلك: وليدن المصلي من اسطوانة أو جدار فإذا فعل ذلك فلا يدعـنَّ أحداً أن يمر بين يديه وليدفعه ما استطاع.

(قال النبي ﷺ: «لأن يقف أربعين سنة) وفي نسخة: عاماً **(خير له من أن يمر بين يدي المصلي»)** قال العراقي: رواه البزار من حديث زيد بن خالد. وفي الصحيحين: «أن يقف أربعين» قال ابن النضر: لا أدري أربعين يوماً أو شهراً أو سنة، ولابن ماجه، وابن حبان من حديث أبي هريرة: «مائة عام» اهـ.

قلـت: وحديث أبي جهم أخرجه أيضاً الأربعة في السنن وهو في الموطأ لمالك، ومن حديثه في المعجم الصغير للطبراني: «لكان أن يقوم حولاً خير له من الخطوة التي خطاها» قال الطبراني: تفرد به أبو قتيبة عن سفيان.

وأخرجه أحمد، وابن ماجه من حديث أبي هريرة «لو يعلم أحدكم ما له في أن يمر بين يدي أخيه معترضاً في الصلاة كان لأن يقيم مائتي عام خير له من الخطوة التي خطا». ولفظ زيد بن خالد رواه أيضاً أحمد، وابن ماجه، والدارمي، والروياني، والضياء لكنهم قالوا: «لأن يقوم» بدل «يقف».

(وقال ﷺ: «لأن يكون الرجل رماداً رمديداً) بكسر الراء وسكون الميم ودال مكسورة ثم تحتية ساكنة تأكيد لرماد، وقيل: معناه رمياً، وفي نسخة: رمدداً **(تذروه الرياح)** أي تنسفه **(خير له من أن يمر بين يدي المصلي»)** كذا في القوت.

قال العراقي: أخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان، وابن عبد البر في التمهيد موقوفاً على عبدالله بن عمرو، وزاد «متعمداً» اهـ.

(و) قد **(سوى في حديث آخر بين المار والمصلي حيث صلى على الطريق)** في الوعيد الشديد، **(واقتصر في الدفع)** وفي نسخة: أو قصر في الدفع **(فقال)** ﷺ: **(«لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلى ما عليهما في ذلك لكان أن يقف أربعين خير له من أن يمر بين يديه»)** أورده صاحب القوت من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

وقال العراقي: رواه هكذا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج في مسنده من حديث زيد بن خالد بإسناد صحيح اهـ.

للمصلي، **فمن اجتاز به فينبغي أن يدفعه. قال ﷺ: «ليدفعه فإن أبى فليدفعه فإن أبى فليقاتله فإنه شيطان».** وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه **يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه، فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه عند مروان فيخبره أن النبي**

ولكن في المعجم الصغير للطبراني: «لو يعلم المار بين يدي الرجل وهو يصلي ماذا عليه لكان أن يقف» الحديث. وهذا لا يفهم منه التسوية بين المار والمصلي.

(والأسطوانة والحائط والمصلى المفروش) سواء كان من خوص أو صوف أو قماش أو غير ذلك كالنمارق والطنافس **(حد المصلي)** الذي حده، لكن ينبغي أن يكون قريباً من الجدار أو السارية، **(فمن اجتاز به)** أي مرّ عليه في هذا الحد **(فينبغي أن يدفعه)** بيده إن أمكنه.

(قال ﷺ: «ليدفعه فإن أبى فليقاتله فإنه شيطان») كذا في القوت من حديث عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه مرفوعاً. والحديث متفق عليه عن أبي سعيد، ولم يذكر المصنف الحديث بتمامه وهو في الصحيحين.

وأخرجه الطحاوي، عن يونس، عن ابن وهب أن مالكاً أخبره، عن زيد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان أحدكم يصلي فلا يدعن أحداً يمر بين يديه وليدرأه ما استطاع فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان». وأخرجه أيضاً من طريق عطاء بن يسار، عن زيد بن أسلم مثله، ومن طريق حميد بن هلال، عن أبي صالح، عن أبي سعيد نحوه. وأخرج أيضاً من طريق الضحاك بن عثمان، عن صدقة عن ابن عمر بلفظ: «فإن أبى فليقاتله فإن معه القرين».

ثم قال صاحب القوت: **(وكان أبو سعيد الخدري)** سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الأنصاري **(رضي الله عنه)** وخدرة لقب جده السادس من نجباء الصحابة وعلمائهم، مات سنة أربع وسبعين بالمدينة عن أربع وستين. روى له الجماعة **(يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه، فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه مروان)** بن الحكم بن أبي العاص الأموي أمير المدينة أي شكاه عن دفعه إياه، فيطلبه مروان ويعاتبه ويقول: ما لك ولابن أخيك فلان؟ **(فيخبره)** أبو سعيد **(أن النبي ﷺ أمره بذلك)**.

قال الطحاوي: وهذا القتال المذكور في حديث أبي سعيد، وابن عمر من المصلي لمن أراد المرور بين يديه يحتمل أنه كان مباحاً في وقت كانت الأفعال فيه مباحة في الصلاة، ثم نسخ ذلك بنسخ الأفعال في الصلاة، فقد روي عن علي وعثمان أنهما قالا: لا يقطع صلاة المسلم شيء فادرؤوا ما استطعتم.

وأخرج من طريق بشر بن سعيد وسليمان بن يسار، عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أنه كان في صلاة فمرّ به سليط بن أبي سليط فجذبه إبراهيم فخرَّ فشج، فذهب إلى عثمان بن عفان فأرسل إليَّ فقال لي: ما هذا؟ فقلت: مر بين يدي فرددته كأنه أراد يقطع صلاتي. قال: أو

ﷺ أمره بذلك، فإن لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيئاً طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده.

السابع: أن يطلب الصف الأول فإن فضله كثير كما رويناه، وفي الحديث: «من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام» وفي لفظ آخر: «غفر الله له إلى الجمعة الأخرى ـ وقد اشترط في بعضها ـ ولم يتخط رقاب الناس».

ولا يغفل في طلب الصف الأول عن ثلاثة أمور:

يقطع صلاتك؟ قلت: أنت أعلم. قال: إنه لا يقطع صلاتك. (**فإن لم يجد**) المصلي (**اسطوانة**) ولم يتفق له ذلك (**فلينصب بين يديه شيئاً**) ويكون (**طوله قدر الذراع**) وفي القوت: عظم الذراع (**ليكون ذلك علامة لحده**)، وقيل: إن كان حبلاً ممدوداً فجائز أن يكون بينه وبين المارة. كذا في القوت، ثم أورد أربع من الجفاء وذكر فيهن أن يصلي في سبيل من يمر بين يديه والله أعلم.

(**السابعة: أن يطلب الصف الأوّل**) فلا يختار الصلاة إلا فيه، (**فإن فضله كبير كما رويناه في الخبر**) يشير إلى ما أخرجه أحمد، والشيخان، والنسائي، وابن حبان من حديث أبي هريرة: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأوّل ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا» الحديث. وإلى ما أخرجه ابن أبي شيبة، والطبراني، والضياء من حديث عامر بن مسعود «لو يعلم الناس ما في الصف الأوّل ما صفوا فيه إلا بقرعة».

(**وفي الخبر «من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الإمام واستمع كان له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام»**) كذا في القوت.

قال العراقي: أخرجه الحاكم من حديث أوس بن أوس، وأصله عند أصحاب السنن اهـ.

قلت: وأخرجه البيهقي كذلك، وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي، ولفظ حديثهم: «من غسل واغتسل وغدا وابتكر ودنا وأنصت واستمع غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا».

(**وفي لفظ آخر: «غفر الله له إلى الجمعة الأخرى**) وفي القوت: غفر له بالبناء للمفعول رواه الخطيب عن أنس، ولفظه: «من غسل واغتسل وبكر وابتكر وأتى الجمعة واستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى». (**ـ وقد اشترط في بعضها ـ**) أي بعض ألفاظ الحديث (**ولم يتخط رقاب الناس»**) كذا في القوت.

قال العراقي: أخرجه أبو داود، والحاكم من حديث أبي سعيد، وأبي هريرة وقال: على شرط مسلم اهـ.

....

قلت: وأخرجه الطحاوي كذلك من حديثهما قال: حدثنا ابن أبي داود، حدثنا الذهبي، حدثنا ابن إسحاق عن محمد بن ابراهيم، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، وعن أبي أمامة أنهما حدثاه عن أبي سعيد، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « من اغتسل يوم الجمعة واستن ومس طيباً إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى أتى المسجد فلم يتخط رقاب الناس ثم ركع ما شاء الله أن يركع وأنصت إذا خرج الامام كانت كفارة ما بينها وبين الجمعة التي قبلها ». تابعه على ذلك حماد بن سلمة عن محمد بن ابراهيم نحوه، ومعناه عند البخاري من حديث سلمان: « لا يغتسل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس طيباً ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » وعند ابن خزيمة في رواية الليث، عن ابن عجلان « ما بينه وبين الجمعة التي قبلها » فقوله: « فلا يفرق » أي لا يتخطى، فصح عند أبي داود من حديث ابن عمرو: « ثم لم يتخط رقاب الناس » وكذا عند الطحاوي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

فوائد مهمة:

الأولى: في بيان اختلاف ألفاظ هذا الحديث.

فمنها ما ذكره المصنف تبعاً لصاحب القوت.

ومنها: ما أخرجه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة بلفظ: « من غسل يوم الجمعة واغتسل وغدا وابتكر ودنا فاستمع وأنصت كان له كفلان من الأجر ».

ومنها: ما رواه الطبراني في الكبير أيضاً من حديث أوس بن أوس بلفظ: « من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ودنا من الإمام فأنصت كان له بكل خطوة يخطوها صيام سنة وقيامها وذلك على الله يسير ».

وقال أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبدالله بن مبارك، عن الأوزاعي، حدثنا حسان بن عطية، حدثنا أبو الأشعث، حدثني أوس بن أوس الثقفي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب فدنا من الإمام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة صيامها وقيامها ».

وقال أبو جعفر الطحاوي: حدثنا ابن أبي داود، حدثنا أبو مسهر، حدثنا سعيد بن عبدالعزيز، عن يحي بن الحرث الذماري، عن ابن الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أوس قال، قال رسول الله ﷺ: « من غسل واغتسل وغدا وابتكر ودنا من الإمام فأنصت ولم يلغ كان له مكان كل خطوة عمل سنة صيامها وقيامها ».

وأخرجه أيضاً من طريق سفيان، عن عبدالله بن عيسى، عن محمد بن الحرث باسناده مثله. وفي بعض رواياته يخطوها من بيته إلى المسجد، وهكذا هو عند ابن زنجويه، وابن خزيمة، وأبي

....

يعلى، وابن حبان، والباوردي، وابن قانع، وأبي نعيم، والبيهقي، والضياء، وفيه اختلاف تقدم ذكره سابقاً.

الثانية: قول البخاري: « إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » يحتمل أن يكون المراد بها الماضية والمستقبلة لأنها تأنيث الآخر بفتح الخاء لا بكسرها والمغفرة تكون للمستقبل كما للماضي، قال الله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ [الفتح: ٢] لكن رواية أنس عند الخطيب: « إلى الجمعة الأخرى » تعين المستقبلة، ورواية ابن خزيمة « ما بينه وبين الجمعة التي قبلها » تعين الماضية.

الثالثة: في رواية البخاري: « ثم يصلي ما كتب له » المراد به فرض صلاة الجمعة، أو المعنى ما قدر له فرضاً أو نفلاً.

وفي حديث أبي الدرداء: « ثم يركع ما قضى له ». وعند الطحاوي من حديث سلمان: « وصلى ما كتب الله له » وفي حديث أبي أيوب: « فيركع إن بدا له » وفيه مشروعية النافلة قبل صلاة الجمعة.

الرابعة: المراد بالمغفرة هنا مغفرة الصغائر لما في حديث ابن ماجه، عن أبي هريرة « ما لم يغش الكبائر ».

وأخرج الطحاوي، من طريق ابراهيم بن علقمة، عن قرثع، عن سلمان رفعه فساقه وفيه: « ما اجتنبت المقتلة » وليس المراد أن تكفير الصغائر مشروط باجتناب الكبائر إذ اجتناب الكبائر بمجرده يكفر الصغائر كما نطق به القرآن العزيز في قوله: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ أي كل ذنب فيه وعيد شديد ﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾ [النساء: ٣١] أي نمح عنكم صغائركم، فإذا لم يكن له صغائر تكفر رجي له أن يكفر عنه بمقدار ذلك من الكبائر، وإلا أعطي من الثواب بمقدار ذلك.

الخامسة: الانصات: هو السكوت، والاستماع: شغل السمع بالسماع، فبينهما عموم وخصوص من وجه.

السادسة: قد تبين بمجموع ما ذكر في الأحاديث المتقدمة أن تكفير الذنوب وغفرانها من الجمعة إلى الجمعة، وإعطاء عمل سنة بتمامها مشروط بوجود جميعها وهو الاغتسال وتنظيف الرأس والثياب والتغسيل والسواك ودهن الرأس لإزالة الشعث، ومس الطيب، ولبس أحسن الثياب، والبكور والتبكير والمشي على الرجلين والبكور، وعدم التخطي، وعدم التفرقة، والدنو من الإمام، والانصات للإمام عند خروجه أو عند تكلمه، والاستماع، وعدم اللغو، وعدم مس الحصى، فهي نحو خمس عشرة خصلة.

أوّلها: أنه إذا كان يرى بقرب الخطيب منكراً يعجز عن تغييره ـ من لبس حرير من الامام أو غيره أو صلى في سلاح كثير ثقيل شاغل أو سلاح مذهب أو غير ذلك ـ مما يجب فيه الإنكار فالتأخر له أسلم وأجمع للهم، فعل ذلك جماعة من العلماء طلباً للسلامة. وقيل لبشر بن الحرث: نراك تبكر وتصلي في آخر الصفوف، فقال: إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد، وأشار به إلى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه. ونظر سفيان الثوري إلى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع إلى الخطبة من أبي جعفر المنصور،

السابعة: في هذه الآثار دليل لأبي حنيفة أن موضع كلام الإمام ليس بموضع صلاة حيث أمروا بالإنصات عند تكلم الإمام، فهو ناسخ لحديث سليك الغطفاني والله أعلم.

(ولا يغفل عند طلب الصف الأول عن ثلاثة أمور

أولها أنه إذا كان يرى بقرب الخطيب منكراً) شرعياً **(يعجز)** هو **(عن تغييره)** أي مما يجب عليه إنكاره ويرى ما يلزم الأمر فيه والنهي عنه **(من لبس حرير)** أو ديباج **(من الإمام أو غيره)** ممن هو بجنبه، **(أو صلاة في سلاح ثقيل)** وفي نسخة: كثير **(شاغل)** عن الحضور، **(أو سلاح مذهب)** أي معمول بالذهب نسجاً أو تصفيحاً أو تطلية، **(أو غير ذلك مما يجب عليه الإنكار فيه)** ويلزمه النهي عنه، **(فالتأخير له)** من الصف المقدم **(اسلم)** لعينه وقلبه **(وأجمع للهم)**، فما كان أصلح للقلب وأجمع للهم فهو الأفضل حينئذ، وقد **(فعل ذلك جماعة من العلماء)** من السلف الصالحين.

(قيل لبشر بن الحرث) كذا في النسخ، والذي في القوت: وقيل لبشر رحمه الله ولم ينسبه إلى أبيه، فاحتمل أن يكون بشر بن حرب وتصحف على النساخ، وهو من مشايخ شعبة والحمادين، وروي عن أبي هريرة وجمع: ويحتمل أن يكون غيره، وهو عندي إن شاء الله تعالى بشر بن منصور السلمي الزاهد كما يقتضيه سياق صاحب الحلية، والله أعلم. **(نراك تبكر)** يوم الجمعة **(وتصلي في آخر الصفوف فقال)** يا هذا: **(إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد)** كذا في القوت، (وأشار به إلى أن ذلك أسلم لقلبه) وأجمع لهمه.

(ونظر سفيان الثوري) رحمه الله **(إلى شعيب بن حرب)** المدائني أبي صالح المدائني نزيل مكة أحد المذكورين بالعبادة والصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال أبو حاتم، وابن معين: ثقة مأمون وقال السري السقطي رحمه الله تعالى: أربعة كانوا في الدنيا اعملوا أنفسهم في طلب الحلال ولم يدخلوا أجوافهم إلا الحلال: وهيب بن الورد، وشعيب بن حرب، ويوسف ابن اسباط، وسليمان الخواص. وروي عن شعيب قال: أكلت في عشرة أيام أكلة وشربت شربة مات بمكة سنة ١٩٧. روى له البخاري، وأبو داود، والنسائي **(عند المنبر)** أي في بغداد لأنه كان نزلها **(يستمع إلى الخطبة من أبي جعفر)** ولفظ القوت: يستمع إلى خطبة أبي جعفر، وهو

فلما فرغ من الصلاة قال: شغل قلبي قربك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاماً يجب عليك إنكاره فلا تقوم به؟ ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد فقال: يا أبا عبدالله أليس في الخبر: «ادن واستمع» فقال: ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين، فأما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر إليهم كان أقرب إلى الله عز وجل. وقال سعيد بن عامر: صليت إلى جنب أبي الدرداء فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف،

المنصور عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ثاني الخلفاء العباسية توفي سنة ١٥٨ ومات سفيان سنة ١٦١. **(فلما فرغ من الصلاة)** وفي الوقت: فلما جاءه بعد الصلاة **(قال: شغل قلبي قربك من هذا)** أ**(هل أمنت أن تسمع كلاماً يجب عليك إنكاره فلا تقوم به، ثم ذكر)** سفيان **(ما أحدثوا)** أي الخلفاء **(من لبس السواد)** يوم الجمعة. وكان سفيان ينكر على هذا لما بلغه أن أحب الثياب إلى الله البيض، ويوم الجمعة يوم الزينة. فينبغي أن يلبس فيه أحب ما يتزين فيه، والخلفاء نظروا إلى دخوله ﷺ مكة وعليه عمامة سوداء فتفاءلوا بذلك السواد والثياب وإن فيه إرهاباً **(فقال)** شعيب **(يا أبا عبدالله)**: يعني به سفيان فإنه يكنى بذلك: **(أليس في الخبر «ادن فاستمع»)**

قال العراقي: أخرجه أبو داود من حديث سمرة «احضروا الذكر وادنوا من الإمام» وتقدم بلفظ الخبر «ودنا واستمع». وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد اهـ.

قلت: وأخرج من حديث سمرة أيضاً أحمد والحاكم والبيهقي ولفظ البيهقي «احضروا الجمعة وادنوا من الإمام فإن الرجال لا يزال يتباعد حتى يؤخر في الجنة وإن دخلها» وفي رواية لأحمد «فإن الرجل ليتخلف عن الجمعة حتى أنه يتخلف عن الجنة وإنه لمن أهلها» وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبي في التلخيص، وسكت عليه أبو داود، ولكن تعقبه المنذري بأن فيه انقطاعاً وقال الذهبي في تعقبه على البيهقي: فيه الحكم بن عبد الملك. قال ابن معين: ليس بشيء.

(فقال: ويحك ذلك للخلفاء الراشدين المهديين) الذين هم الأربعة، وعمر بن عبد العزيز **(فأما هؤلاء فكلما تباعدت عنهم)** بظاهرك **(ولم تنظر إليهم كنت أقرب إلى الله عز وجل)**، ولفظ القوت: كان أقرب لك من الله تعالى.

(وقال سعيد بن عامر) هو تابعي مجهول روى عن ابن عمر، وذكره ابن حبان في الثقات. روى عنه ليث بن أبي سليم، وقال ابن معين: ليس به بأس، وزعم ابن خلفون أنه سعيد ابن عامر بن جذيم، وتعقبه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب بأن ذاك قد مات في خلافة عمر: **(صليت إلى جنب أبي الدرداء)** رضي الله عنه، **(فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر الصف، فلما صلينا قلت له: أليس يقال)**، ولفظ القوت: أليس قد قال ﷺ: **(«خير الصفوف أولها)** وشرها آخرها» اهـ.

فلما صلينا قلت له: أليس يقال خير الصفوف أولها؟ **قال: نعم إلا أن هذه الأمة** مرحومة منظور إليها من بين الأمم، **فإن الله تعالى إذا نظر إلى عبد في الصلاة غفر له** ولمن وراءه من الناس، **فإنما** تأخرت رجاء **أن يغفر لي بواحد منهم ينظر الله إليه.** وروى بعض الرواة أنه **قال**: سمعت رسول الله ﷺ **قال ذلك، فمن تأخر على هذه** النية إيثاراً وإظهاراً لحسن الخلق فلا بأس، **وعند هذا يقال «الأعمال بالنيات».**

ثانيها: إن لم تكن مقصورة عند **الخطيب مقتطعة عن** المسجد **للسلاطين فالصف** الأول محبوب وإلاَّ **فقد** كره بعض العلماء **دخول** المقصورة. كان الحسن وبكر المزني لا

وهذا لم يتعرض له العراقي لكون المصنف أورده بلفظ: «يقال».

وقد أخرج مسلم والأربعة من حديث أبي هريرة، والطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة، وابن عدي، والبزار من حديث فاطمة بنت قيس. والطبراني أيضاً عن ابن عباس، وابن ماجه عن أنس، والطبراني في الأوسط، عن عمر بلفظ «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها».

وأخرجه ابن أبي شيبة من حديث جابر «خير صفوف الرجال مقدمها وشرها مؤخرها، وخير صفوف النساء مؤخرها وشرها مقدمها».

(فقال: نعم إلا أن هذه أمة مرحومة منظور إليها من بين الأمم فإن الله تعالى إذا نظر إلى عبد في صلاة غفر لمن وراءه من الناس) هكذا لفظ القوت، ويوجد في بعض نسخ الكتاب: غفر له ولمن وراءه من الناس، **(وإنما تأخرت رجاء أن يغفر لي بواحد منهم ينظر الله إليه. وروى بعض الرواة أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول ذلك)**. ولفظ القوت: وقد رفعه بعض الرواة: إن أبا الدرداء سمع النبي ﷺ يقول ذلك. قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ. وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق نحوه اهـ.

(فمن تأخر) عن الصف الأول **(على هذه النية إيثاراً)** على نفسه لغيره من اخوانه **(وإظهاراً لحسن الخلق)** ولين الجانب وكسر النفس **(فلا بأس، وعند هذا يقال: «الأعمال بالنيات»)** هو لفظ حديث. هكذا رواه ابن حبان في صحيحه، ومثله في مسند أبي حنيفة، والمشهور «إنما الأعمال» وقد بينت طرقه في الجواهر المنيفة.

(ثانيها: أنه إن لم تكن مقصورة) وهي بقعة من المسجد يبنى عليها بالخشب أو غيره **(عند الخطيب منقطعة عن المسجد)** قصرت **(للسلاطين)** والأمراء يصلون فيها، وإنما أحدثوها لما خافوا على أنفسهم من الأعداء، وبقي ذلك عادة مستمرة من زمن بني أمية إلى الآن فلا تصلي الملوك إلا في المقاصير، **(فالصف الأول محبوب، ولكن قد كره بعض العلماء دخول المقصورة)** للصلاة فيها.

يصليان في المقصورة ورأيا أنها قصرت على السلاطين وهي بدعة أحدثت بعد رسول الله ﷺ في المساجد. والمسجد مطلقاً لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه. وصلى أنس بن مالك وعمران بن حصين في المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب. ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع، فأما مجرد المقصورة إذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة.

(**كان الحسن**) البصري (**وبكر**) بن عبدالله (**المزني رحمها الله تعالى لا يصليان في المقصورة، ورأيا أنها قصرت على السلطان**) وأوليائه (**وهي بدعة**) عند أهل العلم والورع (**أحدثت بعد رسول الله ﷺ في المساجد، والمسجد مطلق لجميع الناس، وقد اقتطع ذلك على خلافه**) كذا في القوت.

وقد نقل أبو بكر بن أبي شيبة عن جماعة كراهة الصلاة في المقصورة قال: حدثنا وكيع، عن حماد بن سلمة، عن الأزرق بن قيس، عن الأحنف بن قيس أنه كره الصلاة في المقصورة.

وحدثنا وكيع بن عيسى الخياط عن الشعبي قال: ليس المقصورة من المسجد، وحدثنا وكيع، حماد بن سلمة، عن جبلة بن عطية، عن ابن محيريز أنه كره الصلاة فيها. وحدثنا وكيع، عن عيسى، عن نافع أن ابن عمر كان إذا حضرته الصلاة وهو في المقصورة خرج منها إلى المسجد. هذا ما في المصنف لابن أبي شيبة، ولم أر فيه ذكراً للحسن ولا لبكر المزني، بل ذكر الحسن فيمن كان يصلي في المقصورة كما سيأتي.

(**وصلى أنس بن مالك، وعمران بن حصين**) رضي الله عنهما (**في المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب**) من الإمام واستماع الذكر.

أما أنس بن مالك فقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حاتم بن إسماعيل عن عبدالله بن يزيد قال: رأيت أنس بن مالك يصلي في المقصورة المكتوبة مع عمر بن عبد العزيز، ثم يخرج علينا من ههنا.

ثم ذكر من كان يصلي في المقصورة جماعة: منهم الحسن، وعلي بن الحسين، وأبو القاسم، والسائب بن يزيد، وسالم، والقاسم، ونافع قال: حدثنا ابن علية، عن يونس أن الحسن كان يصلي في المقصورة، وحدثنا وكيع بن قيس بن عبدالله وكان ثقة قال: رأيت الحسن يصلي في المقصورة، وحدثنا حفص بن غياث عن جعفر قال: كان علي بن الحسين، والقاسم يصلون في المقصورة، وحدثنا عمر بن هارون عن عبدالله بن يزيد قال: رأيت السائب بن يزيد يصلي المكتوبة في المقصورة، وحدثنا حفص عن عبدالله قال: رأيت سالماً والقاسم ونافعاً يصلون في المقصورة، وحدثنا ابن إدريس، عن حصين، عن عامر بن ذؤيب قال: سألت ابن عمر عن الصلاة من وراء الحجرة فقال إنهم يخافون أن يقتلوهم.

(**ولعل الكراهة تختص بحالة التخصيص والمنع**) عن الصلاة فيها لغير السلطان وأوليائه،

وثالثها: أن المنبر يقطع بعض الصفوف وإنما الصف الأول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع. وكان الثوري يقول: الصف الأول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لأنه متصل، ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه. ولا يبعد أن يقال: الأقرب إلى القبلة هو الصف الأول ولا يراعي هذا المعنى. وتكره الصلاة في الأسواق والرحاب الخارجة عن المسجد، وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب.

(**فأما مجرد المقصورة إذا لم يكن**) هناك (**منع**) للمصلين (**فلا يوجب كراهة**) أشار إليه صاحب القوت بقوله: فإن أطلقت للعامة زالت الكراهة.

(**وثالثها: أن المنبر**) إذا كان عظيماً (**يقطع بعض الصفوف**) ويمنع عن الاتصال، (**وإنما الصف الأول الواحد المتصل الذي في فناء المنبر**) أي حياله (**وما على طرفيه**) يميناً وشمالاً (**مقطوع**) غير متصل، ولذا كره بعضهم الصلاة في فناء المنبر من قبل أن المنبر يقطع الصفوف، وكان عندهم أن تقدمة الصفوف إلى فناء المنبر بدعة.

(**وكان**) سفيان (**الثوري**) رحمه الله تعالى (**يقول: الصف الأول هو الخارج بين يدي المنبر**) كذا في القوت. قال المصنف: (**وهو متجه**) أي له وجه صحيح (**لأنه متصل**) غير مقطوع، (**ولأن الجالس فيه يقابل الخطيب**) بوجهه ولا يتكلف للانحراف (**ويسمع منه**) خطبته.

قلت: وهو اختيار أبي الليث السمرقندي من أصحابنا.

(**ولا يبعد أن يقال الأقرب إلى القبلة هو الصف الأول**) كما هو المتعارف، (**ولا يراعى هنا المنبر**) لضرورة الاحتياج إليه، ونظراً إلى هذا جعلوا المحاريب مقورة حيث يقف الإمام، فيكمل الصف والصفان عن يمين المنبر وعن شماله، (**وتكره الصلاة في الأسواق و**) هي (**الرحاب**) جمع رحبة محركة حريم المسجد وفناؤه (**الخارجة من المسجد**) التي أعدت للبيع والشراء، واجتماع الناس بها جاء ذلك عن بعض السلف.

(**وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب**) ويقول: لا تجوز الصلاة في الرحاب.

قال صاحب القوت: فهذا عندي على ضربين، وهو أن الصلاة في رحاب الجامع الزوائد فيه المتصلة بالصفوف المحيطة بها حائط الجامع الأعظم كالصلاة في وسطه وهي غير مكروهة، والصلاة في رحابه المتفرقة في أفنيته التي هي من وراء جدر الجامع كلها مكروهة، وكذلك الصلوات في الطرقات والدور المنفردة عن الجامع غير المتصلة بالصفوف بحجر طريق أو بعد مكان لا يجوز، وهذا الذي كرهه من كان نهى عن الصلاة فيه، والله أعلم.

الثامن: أن يقطع الصلاة عند خروج الإمام ويقطع الكلام أيضاً، بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة. وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ولم يثبت له أصل في أثر ولا خبر، ولكنه إن وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء لأنه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فإنه لا سبب لتحريمه. وقد روي عن علي وعثمان رضي الله عنهما أنهما قالا: من استمع وأنصت فله أجران، ومن لم يستمع وأنصت فله أجر، ومن سمع ولغا فعليه وزران، ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد. وقال ﷺ: «من قال لصاحبه والإمام يخطب أنصت أو صِهِ فقد لغا ومن لغا والإمام يخطب فلا جمعة له»، وهذا يدل على ان الاسكات ينبغي أن يكون بإشارة

(الثامنة: **أن يقطع الصلاة عند خروج الإمام**) الذي هو الخطيب يعني لصعوده على المنبر أي يمنع الإحرام بصلاة. (**ويقطع الكلام أيضاً**) يعني النطق بغير ذكر ودعاء بمعنى أنه يكره من ابتدائه فيها إلى إتمامه إياها تنزيهاً عند الشافعية وتحريماً عند غيرهم وتقدم التفصيل في ذلك لما أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة رفعه خروج الإمام يوم الجمعة للصلاة يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام. قال الحافظ ابن حجر: ورواه مالك في الموطأ عن الزهري والشافعي من وجه آخر عنه، وقال البيهقي: ورفعه عن أبي هريرة خطأ والصواب من قول الزهري، (**بل يشتغل بجواب المؤذن**) فيقول مثل ما قال، (**ثم باستماع الخطبة**) بحضور قلبه. (**وقد جرت عادة بعض العوام**) من المصلين (**بالسجود عند مقام المؤذنين**) للأذان قبل الخطبة، (**ولم يثبت له أصل في أثر**) عن الصحابة والتابعين، (**ولا خبر**) عن رسول الله ﷺ، (**لكنه إن وافق**) ذلك (**سجود تلاوة**) أو سجود في صلاة (**فلا بأس بها**) أي بتلك السجدة (**للدعاء**) ويمتد إلى فراغهم، (**لأنه وقت فاضل**) مفضل، (**ولا يحكم بتحريم هذا السجود فإنه لا سبب لتحريمه**). وغاية ما يقال مباح كذا في القوت، (**وقد روي عن علي وعثمان رضي الله عنهما أنهما قالا: من استمع**) أي الخطبة (**وأنصت له أجران، ومن لم يستمع وأنصت فله أجر**) واحد، (**ومن سمع ولغا فعليه وزران، ومن لم يسمع ولغا فعليه وزر واحد**). هكذا في القوت موقوفاً عليهما إلا أن الطبراني قد روى من حديث أبي إمامة بلفظ: دنا فاستمع وانصت كان له كفلان من الأجر.

(**وقال ﷺ: «من قال لصاحبه والإمام يخطب أنصت أوصه فقد لغا ومن لغا والإمام يخطب فلا جمعة له»**) هكذا أورده صاحب القوت بتمامه.

قال العراقي: أخرجه الترمذي: والنسائي من حديث أبي هريرة دون قوله «من لغا فلا جمعة له». قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهو في الصحيحين «إذا قلت لصاحبك» ولأبي داود من حديث علي «من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له» اهـ.

أو رمي حصاة لا بالنطق. وفي حديث أبي ذر أنه لما سأل أبيًّا والنبي ﷺ يخطب فقال: متى أنزلت هذه السورة؟ فأومأ إليه أن اسكت، فلما نزل رسول الله ﷺ قال له أبي: اذهب فلا جمعة لك فشكاه أبو ذر إلى النبي ﷺ فقال: «صدق أبي». وإن كان

قلت: وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد الأعلى، عن معمر، عن الزهري، عن عبيدالله ابن عبدالله مرسلاً بمثل حديث الترمذي. وأخرج من طريق سعيد بن أبي هند، عن حميد بن عبد الرحمن مثله. وأخرج من طريق ابن أبي أوفى قال: «ثلاث من سلم منهن غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى. من أن يحدث حدثاً لا يعني أذى من بطنه، أو أن يتكلم، أو يقول صه». وأخرج من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: «إذا قال يوم الجمعة والإمام يخطب صه فقد لغا». وأخرج أيضاً من طريق مجاهد، عن عامر عن ابن عباس رفعه «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كالحمار يحمل أسفاراً والذي يقول له أنصت ليست له جمعة» وأخرجه أيضاً أحمد، والبزار وسياق البخاري أخرجه أحمد، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة، والطحاوي. وروى أحمد أيضاً من حديث ابن عباس «والذي يقول له انصت فلا جمعة له».

تنبيه:

انصت بقطع الهمزة ويجوز وصلها الأول أفصح والصاد مكسورة على كل حال والمعنى اسكت، ولغو الكلام سقطه لغا يلغو لغواً ويلغي لغة، والأولى أفصح وفي رواية مسلم من طريق أبي الزناد فقد لغيت بكسر الغين. قيل: هي لغة أبي هريرة، وجاء في رواية: فقد ألغيت. يقال: ألغى الشيء إذا أسقطه ولم يعتد به.

(وهذا يدل على أن الإسكات) لغيره **(ينبغي أن يكون بإشارة أو رمي حصاة)** عليه **(لا بالنطق)** باللسان، ولفظ القوت: ولا يقول لإنسان آخر اسكت، ولكن يومىء إليه إيماء أو يحصبه بحصاة، فإن لغا والإمام يخطب بطلت جمعته.

(وفي حديث أبي ذر) جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه **(لما سأل أبي)** بن كعب رضي الله عنه **(والنبي ﷺ يخطب فقال: متى أنزلت هذه السورة؟ فأوما إليه أن اسكت، فلما نزل النبي ﷺ قال له أبي: إذهب فلا جمعة لك، فشكاه أبو ذر إلى النبي ﷺ فقال «صدق أبي»)** هكذا أورده صاحب القوت.

قال العراقي: أخرجه البيهقي وقال في المعرفة: إسناده صحيح، ولابن ماجه من حديث أبي ابن كعب بإسناد صحيح أن السائل له أبو الدرداء أو أبو ذر، ولأحمد من حديث أبي الدرداء أنه سأل أبياً، ولابن حبان من حديث جابر أن السائل عبدالله بن مسعود، ولأبي يعلى من حديث جابر قال، قال سعد بن أبي وقاص لرجل: لا جمعة لك، فقال له النبي ﷺ: «لم يا سعد»؟ قال: لأنه كان يتكلم وأنت تخطب. قال «صدق سعد» اهـ.

بعيداً من الإمام فلا ينبغي أن يتكلم في العلم وغيره، بل يسكت لأن كل ذلك يتسلسل

قلت: والظاهر أن القصص مختلفة. قال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن جابر قال، قال سعد لرجل يوم الجمعة: لا صلاة لك فقال النبي ﷺ: «لم يا سعد»؟ قال: إنه تكلم وأنت تخطب، فقال «صدق سعد».

وحدثنا هشيم، حدثنا داود بن أبي هند، عن الشعبي أن أبا ذر أو الزبير بن العوام سمع أحدهما من النبي ﷺ أنه يقرؤها وهو على المنبر يوم الجمعة قال، فقال لصاحبه: متى أنزلت هذه الآية؟ قال: فلما قضى صلاته قال له عمر بن الخطاب: لا جمعة لك فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «صدق عمر».

وقال أبو جعفر الطحاوي: حدثنا أبو بكرة، وابن مرزوق قال: حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا عبدالله بن سعيد هو ابن أبي هند، عن حرب بن قيس، عن أبي الدرداء قال: جلس رسول الله ﷺ في يوم الجمعة على المنبر يخطب الناس فتلا آية وإلى جنبي أبي بن كعب فقلت له يا أبي: متى أنزلت هذه الآية، فأبى أن يكلمني حتى إذا نزل رسول الله ﷺ عن المنبر قال: ما لك من جمعتك إلا ما لغوت، فلما انصرف رسول الله ﷺ فجئته فأخبرته، فقلت يا رسول الله: إنك تلوت آية وإلى جنبي أبي فسألته متى أنزلت هذه الآية، فأبى أن يكلمني حتى نزلت زعم أنه ليس لي من جمعتي إلا ما لغوت، فقال: «صدق فإذا سمعت إمامك يتكلم فاسكت حتى ينصرف».

وحدثنا أحمد بن داود، وحدثنا عبدالله بن محمد التيمي، أخبرنا حماد بن سلمة، عن محمد بن عمر، وعن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يخطب يوم الجمعة فقرأ سورة، فقال أبو ذرّ لأبي بن كعب متى نزلت هذه السورة؟ فأعرض عنه، فلما قضى رسول الله ﷺ قال أبي لأبي ذر: ما لك من صلاتك إلا ما لغوت. فدخل أبو ذر على النبي ﷺ فاخبره بذلك، فقال رسول الله ﷺ: «صدق أبي» وهذه الأخيرة موافقة لسياق المصنف.

ويقرب من هذه القصة ما أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة فقال: حدثنا علي بن مسهر، عن داود بن أبي هند، عن بكر بن عبدالله، عن علقمة بن عبدالله قال: قدمنا المدينة يوم الجمعة فأمرت أصحابي أن يترحلوا فأتيت المسجد فجلست قريباً من ابن عمر، فجاء رجل من أصحابي فجعل يحدثني والإمام يخطب، فقلنا: كذا وكذا، فلما أكثر قلت له: اسكت فلما قضينا الصلاة ذكرت ذلك لابن عمر، فقال: أما أنت فلا جمعة لك، وأما صاحبك فحمار وفي كل هذه الأخبار دليل لأبي حنيفة ومالك في حرمة الكلام والصلاة والإمام يخطب، ثم إن هذا الذي تقدم فيما إذا كان في الصف الأول أو الثاني قريباً من الإمام.

(**وإذا كان بعيداً من الإمام**) بأن كان في آخر الصفوف (**فلا ينبغي أن يتكلم في العلم**) في حال خطبة الإمام (**ولا في غيره، بل يسكت**) نظراً إلى ظاهر الأخبار المتقدمة

ويفضي إلى هينمة حتى ينتهي إلى المستمعين، ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب، وإذا كانت تكره الصلاة في وقت خطبة الإمام فالكلام أولى بالكراهية، فقال علي كرّم الله وجهه: تكره الصلاة في أربع ساعات، بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والامام يخطب.

(لأن ذلك) أي كلامه في تلك الساعة **(يتسلسل ويفضي إلى هينمة)** أي صرت خفي **(ينتهي إلى المستمعين)** فيشوش عليهم ويمنعهم من الاستماع للخطبة، **(ولا يجلس)** أيضاً **(في حلقة من يتكلم)** بالعلم والوعظ، **(فمن عجز عن الاستماع للبعد فلينصت فهو المستحب)** نقله صاحب القوت.

قال الأصفهاني في شرح المحرر: ومن لم يسمع صوت الخطيب لبعد أو شاغل، فعلى القولين الجديد أنه لا يجب عليه الإنصات ولا يحرم عليه الكلام وهل يستحب له أن يشتغل بالتسبيح والذكر والتلاوة؟ فيه وجهان مبنيان على الوجهين في أن المأموم يقرأ السورة إذا لم يسمع قراءة إمامه أم لا ؟ والأظهر هنا الإنصات كيلا يرتفع اللفظ المانع من إسماع السامعين اهـ.

(وإذا كانت الصلاة تكره) أي إنشاؤها بتحريمة **(في وقت خطبة الإمام فالكلام أولى بالكراهة. قال علي رضي الله عنه: تكره الصلاة في أربع ساعات بعد الفجر، وبعد العصر، ونصف النهار، والصلاة والإمام يخطب)**. قال صاحب القوت: رواه أبو إسحاق عن الحرث عن علي.

قلت: والمعنى بعد الفجر حتى ترتفع الشمس، وبعد العصر حتى تغرب، والمراد بنصف النهار حالة استواء الشمس في كبد السماء حتى تزول، والرابع الصلاة عند خطبة الإمام.

أما الوقتان الأولان ففي الصحيحين من حديث ابن عباس قال: شهد عندي رجال مرضيون، وأرضاهم عندي عمر أن رسول الله ﷺ نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس، وفي رواية حتى تطلع، وبعد العصر حتى تغرب وبهذا قال مالك، والشافعي، وأحمد، والجمهور. وهو مذهب أبي حنيفة. ورواه ابن أبي شيبة في المصنف عن عمر، وابن مسعود، وخالد بن الوليد، وأبي العالية، وسالم بن عبدالله بن عمر، ومحمد بن سيرين وغيرهم. وقال الترمذي: وهو قول أكثر الفقهاء من الصحابة فمن بعدهم، وذهب آخرون إلى أنه لا تكره في هذين الوقتين؟ وإليه مال ابن المنذر وحكى إباحة التطوع بعد العصر عن جماعة من الصحابة. منهم علي بن أبي طالب وبه قال أبو خيثمة وأبو أيوب وحكى ابن بطال أباحة الصلاة بعد الصبح وبعد العصر عن ابن مسعود وأصحابه وأبي الدرداء وابن عمر وابن عباس. وذهب محمد بن جرير الطبري إلى التحريم في حالتي الطلوع والغروب، والكراهة فيما بعد الصبح والعصر، ومثله قول ابن سيرين.

وأما الوقت الثالث فبه قال الشافعي، وأحمد، وأبو حنيفة، والثوري، وابن المبارك، والحسن ابن حي، وأهل الظاهر، والجمهور وهو رواية عن مالك والمشهور عنه عدم كراهة الصلاة في هذه

....

الساعة كما في المدونة، وممن رخص في ذلك الحسن وطاوس والأوزاعي، وكان عطاء بن أبي رباح يكره الصلاة في نصف النهار في الصيف، ويبيح ذلك في الشتاء. وحكى ابن بطال عن الليث مثل قول مالك، واستثنى الشافعية منها يوم الجمعة فقالوا: لا تكره فيه الصلاة في ذلك الوقت، وبه قال أبو يوسف. قال ابن عبد البر: هو رواية عن الأوزاعي وأهل الشام. وحكاه ابن قدامة في المغني عن الحسن وطاوس والأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وابن راهويه. وذهب أبو حنيفة ومحمد بن الحسن وأحمد بن حنبل وأصحابه إلى أنه لا فرق في الكراهة بين يوم الجمعة وغيره.

تنبيه:

اختلف العلماء في النهي عن الصلاة في هذه الأوقات هل هو للتحريم أو للتنزيه. ولأصحاب الشافعي فيه وجهان. فالذي صححه النووي في الروضة وشرح المهذب أنه للتحريم، وصحح في التحقيق أنها كراهة تنزيه، وهل تنعقد الصلاة لو فعلها أو هي باطلة؟ صحح النووي في الروضة تبعاً للرافعي بطلانها. ولو قلنا: إنها كراهة تنزيه، وقد صرح بذلك النووي في شرح الوسيط تبعاً لابن الصلاح، واستشكله الأسنوي في المهمات بأنه كيف يباح له الإقدام على ما لا ينعقد وهو تلاعب. قال العراقي: ولا إشكال فيه لأن نهي التنزيه إذا رجع إلى نفس الصلاة يضاد الصحة كنهي التحريم كما هو مقرر في الأصول.

تنبيه آخر:

قال أصحاب الشافعي النهي في جميع الصور إنما هو في صلاة لا سبب لها، فإما ما له سبب متقدم عليه أو مقارن له فيجوز فعله في وقت الكراهة، كالفائتة وصلاة الجنازة وسجود التلاوة والشكر وركعتي الطواف وصلاة الكسوف وسنة الوضوء وصلاة الاستسقاء على الأصح وتحية المسجد إذا دخل لغرض غير صلاة التحية، فلو دخل لا لحاجة بل ليصلي التحية فقط، ففيه وجهان. ذكر الرافعي والنووي أن أقيسها الكراهة، وقولهم: أو ما له سبب متقدم أو مقارن خرج به ما له سبب متأخر عنه، كصلاة الاستخارة وركعتي الإحرام فيكره فعلها في وقت الكراهة على الأصح، وللحنفية والحنابلة في المسألة تفصيل آخر ليس هذا محله.

فصل

نعود إلى مسألة الباب. قال أصحابنا: من كان بعيداً عن الخطيب لا يسمع ما يقول، فقال محمد بن سلمة: يسكت، وروي هذا عن أبي يوسف. قال ابن الهمام: وهو الأوجه، وروى عن نصر بن يحيى أنه يقرأ القرآن، وروى حماد عن إبراهيم قال: إني لأقرأ جزأين يوم الجمعة والإمام يخطب، وأجاز في الخانية التسبيح والتهليل والمختار أنه يسكت كما في الولوالجية، وعلله ابن الهمام بأنه قد يصل إلى أذن من يسمع فيشغله عن فهم ما سمعه أو عن السماع بخلاف النظر في الكتاب أو الكتابة اهـ.

التاسع: أن يراعي في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها فإذا سمع قراءة الامام لم يقرأ سوى الفاتحة، فإذا فرغ من الجمعة قرأ: «الحمد لله» سبع مرات قبل أن يتكلم و «قل هو الله أحد» و «المعوذتين» سبعاً سبعاً. وروى بعض السلف أن من فعله عصم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزاً له من الشيطان. ويستحب أن يقول بعد الجمعة:

وفي المحيط: فأما دراسة الفقه والنظر في الكتاب وكتابته، فمن أصحابنا من كره ذلك، ومنهم من قال لا بأس به، وكذا روي عن أبي يوسف. وقال الحسن بن زيادة: ما دخل العراق أحد أفقه من الحكم بن زهير وأنه كان يجلس مع أبي يوسف يوم الجمعة وينظر في كتابه ويصحح بالقلم وقت الخطبة. ثم إذا أشار برأسه أو بيده أو بعينه إن رأى منكراً هل يكره له ذلك أم لا ؟

ثم إذا أشار برأسه أو بيده أو بعينه إن رأى منكراً هل يكره له ذلك أم لا ؟ فمن أصحابنا من كره ذلك وسوى بين الإشارة والتكلم باللسان، والصحيح أنه لا بأس به. كذا في فتح القدير.

(التاسعة: أن يراعي في قدوة الجمعة) جميع **(ما ذكرناه في غيرها)** من الشروط والآداب، **(فإذا سمع قراءة الإمام لم يقرأ سوى الفاتحة)** سراً في سكتات الإمام لا غير، وإن لم يسمع قراءته قرأ سورة معها إن أحب، وأما من سمع قراءة الفاتحة ثم ضم معها في قراءته سورة فقد خالف الأمة وكره له ذلك. قال صاحب القوت: ولا أعلمه مذهب أحد من المسلمين، **(فإذا فرغ من)** ركعتي **(الجمعة قرأ)** سورة **(«الحمد» سبع مرات قبل أن يتكلم)** كذا في رواية، وفي أخرى وهو ثان رجليه، وفي أخرى قبل أن يثني رجليه، فاللفظ مختلف، والمعنى واحد. (**«وقل هو الله أحد» سبعاً «والمعوذتين»**) كل واحدة منها **(سبعاً سبعاً، فقد روي عن بعض السلف)** فيه أثر **(أن من فعله عصم)** أي حفظ **(من الجمعة إلى الجمعة، وكان)** ذلك **(حرزاً من الشيطان)** أي من إبليس وجنوده. هكذا هو في القوت ومثله للمصنف في بداية الهداية.

قلت: أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف فقال: حدثنا أبو خالد الأحمر، عن حجاج، عن عون، عن أسماء قال: من قرأ «قل هو الله أحد». «والمعوذتين» يوم الجمعة سبع مرات في مجلسه حفظ إلى مثلها. هكذا نص ابن أبي شيبة في المصنف، والنسخة التي نقلت منها قديمة تاريخها إحدى وأربعين وسبعمائة بخط يوسف بن عبد اللطيف بن عبد العزيز الحراني ولم يذكر فيه الفاتحة، وأسماء هذا الذي روي عنه هذا الأثر هو أسماء بن الحكم الفزاري يروي عن علي وثقه العجلي.

ورأيت في الجامع الكبير للحافظ السيوطي ما نصه: من قرأ بعد الجمعة بفاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس حفظ ما بينه وبين الجمعة الأخرى وعزاه لابن أبي شيبة، وقال عن أسماء بنت أبي بكر.

قلت: وهو غلط لعله من النساخ لما رأوا أسماء فظنوا أنه أسماء بنت أبي بكر لأنه من أسماء

«اللهم يا غني يا حميد يا مبدىء يا معيد يا رحيم يا ودود أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك». يقال: من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب. ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات، فقد روى ابن عمر

النساء فزادوا فيه تلك الزيادة رفعاً للإيهام، وفيه أيضاً: من قرأ بعد صلاة الجمعة قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس سبع مرات أعاذه الله عز وجل بها من السوء إلى الجمعة الأخرى، وعزاه لابن السني، وابن شاهين، عن عائشة وليس فيه ذكر الفاتحة.

قال الحافظ: وسنده ضعيف قال: وله شاهد من مرسل مكحول. أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن فرج بن فضالة، وزاد في أوله فاتحة الكتاب، وقال في آخره: كفر الله عنه ما بين الجمعتين. وفرج ضعيف اهـ.

وقد ذكر ابن منتصر في منظومة له كما أورده المصنف وقال: إن المواظب عليه يرزقه الله القبول والهيبة في قلوب الرجال والنساء، وقد أشار إلى ذلك غير واحد من المصنفين في أسرار الأذكار والدعوات.

وقد جاء ذكر الفاتحة أيضاً في كتاب الأربعين لأبي الأسعد القشيري، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن محمد بن أحمد الرازي، عن الحسين بن داود البلخي، عن يزيد بن هارون، عن حميد، عن أنس رفعه: «من قرأ إذا سلَّم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثني رجله فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، والمعوّذتين سبعاً سبعاً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأعطي من الأجر بعدد كل من آمن بالله وباليوم الآخر».

(**ويستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة**) والأولى أن يكون بعد قراءة السور المذكورة وهو رافع يديه: (**«اللهم يا غني يا حميد يا مبدىء يا معيد يا رحيم يا ودود أغنني**) بقطع الهمزة (**بحلالك عن حرامك**) وبطاعتك عن معصيتك (**وبفضلك عمن سواك» يقال من داوم على هذا الدعاء**) في ذلك الوقت (**أغناه الله عن خلقه**) أي أنزل سر الغنى في قلبه بحيث لا يطيب له الافتقار إلا إلى ربه، (**ورزقه من حيث لا يحتسب**)، فيفتح عليه أبواباً من أنواع الرزق الظاهري والمعنوي. هكذا أورد هذا الدعاء صاحب القوت مع زيادة الجملة الثالثة، وقد أسقطها المصنف ولم يذكر له عدداً مخصوصاً، والظاهر أنه موكول بهمة الطالب ونشاطه، فالأقل ثلاثة والأوسط خمسة وسبعة وتسعة وإحدى عشرة، وإن وجد له حلاوة مناجاة فلا يضر إن زاد.

وأورده أبو العباس الشرجي في فوائده بمثل هذا السياق إلا أنه قال: واكفني بفضلك، وقال: قضى دينه وأغناه عن خلقه.

وذكر أيضاً عن بعض الشيوخ أنه جاء في رواية من قال بعد صلاة الجمعة سبعين مرة: «اللهم

....

اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك قضى الله دينه وأغناه عن خلقه ». قال وذكر بعض العلماء أن من واظب على ذلك بعد كل فريضة إلى الجمعة فما تأتي الجمعة الأخرى إلا وقد أغناه الله تعالى، وكل ذلك منوط بالتصديق وصلاح النية.

وقد روى ذلك الترمذي عن علي رضي الله عنه أن مكاتباً جاءه فقال: عجزت عن مكاتبتي فقال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل أحد لأداه الله عنك؟ قال: بلى. قال: « قل اللهم اكفني » فساق الدعاء المذكور.

إشارة: هذه الأسماء في السياق ستة، فالغني هو الذي لا تعلق له بغيره لا في ذاته ولا في صفاته بل يكون منزهاً عن العلاقة مع الأغيار فمن تعلق ذاته أو صفات ذاته بأمر خارج من ذاته توقف عليه وجوده وكماله فهو محتاج فقير إلى الكسب، ولا يتصور أن يكون غنياً مطلقاً إلا الله تعالى، فالله تعالى هو الغني وهو المغني أيضاً، ولكن الذي أغناه لا يتصوّر أن يكون بإغنائه غنياً مطلقاً فإن أقل أموره أنه يحتاج إلى المغني، فلا يكون غنياً بل يستغني عن غير الله تعالى بأن يمده الله تعالى بما يحتاج إليه لا بأن يقطع عنه أصل الحاجة، والغني الحقيقي هو الذي لا حاجة له إلى أحد أصلاً، والذي يحتاج ومعه ما يحتاج إليه فهو غني بالمجاز، وهو غاية ما يدخل في الإمكان في حق غير الله تعالى، فأما فقد الحاجة فلا، ولكن إذا لم تبق حاجة إلا لله تعالى سمي غنياً، ولو لم تبق له أصل الحاجة لما صح قوله تعالى: ﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾ [محمد: ٣٨] ولولا أنه يتصور أنه يستغني عن كل شيء سوى الله تعالى لما صح لله تعالى وصف المغني، فالعارف المستغني بالحق أغنى الأغنياء وإن كان يخزن مؤونة من كلف به، فإن ذلك من آداب الكمل لقوّة معرفتهم بحدود الله، والكامل من لا يطفيء نور معرفته نور ورعه.

وأما الحميد؛ فهو الذي يحمد على يسير الطاعة ويجازي بكثير الثواب هو الحميد بما هو حامد نفسه بنفسه إجمالاً وبلسان كل حامد تفصيلاً وبما هو محمود بكل ما هو مثن عليه، فإن عواقب الثناء تعود إليه، وكل اسم فعيل من أسماء الحق يعم إسم الفاعل والمفعول بالدلالات الوضعية فهو الحامد والمحمود، واعلم أنه ما في العلم لفظ إلا وفيه ثناء جميل في طور الكشف يشهده أهله، ومرجع ذلك الثناء إليه تعالى وإن كان له وجه إلى مذموم، فلا بد أن يكون له وجه محمود عند أهل الحق وإن لم يعثر عليه السامع والقارىء، فهو من حيث ما هو مذموم لا مستند له ولا حكم له، لأن مستند الذم العدم فلا يجد الذم من يتعلق به فيذهب ويبقى الحمد لله ثم الحامد في حال الحمد إما أن يقصد الحق أو غير الحق، فإن حمد الله فقد حمد من هو أهله، وإن حمد غير الحق فما يحمده إلا بما يشاهد فيه من الصفات الكمالية ونعوت المحاسن، وتلك الصفات عطاء أو منح له من حضرة الربوبية. إما مركوزة في جبلته وإما مكتسبة في تخلقه وتخليقه، وهي مردودة إلى الحق. فرجوع عاقبة الثناء إلى الله تعالى.

وأما المبدىء المعيد، فمعناه الموجد. لكن الإيجاد إذا لم يكن مسبوقاً بمثله سمي ابداءً، وإن

كان مسبوقاً بمثله سمي إعادة والله تعالى بدأ خلق الناس ثم هو الذي يعيدهم، والأشياء كلها منه بدت وإليه تعود وبه بدت وبه تعود.

وأما الرحيم؛ فمن الرحمة وهي تامة وعامة، فالتامة إفاضة الخير على المحتاجين فإرادته لهم عناية بهم، والعامة هي التي تتناول المستحق وغير المستحق، فتمامها من حيث أراد قضاء حاجات المحتاجين قضاها، وعمومها من حيث شمل المستحق وغير المستحق وعم الدنيا والآخرة، وتناول الضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنها فهو الرحيم المطلق حقاً.

وأما الودود؛ فهو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثني عليهم، وهو قريب من معنى الرحيم، لكن الرحمة إضافة إلى مرحوم، والمرحوم هو المحتاج والمضطر، وأفعال الرحيم تستدعي مرحوماً ضعيفاً، وأفعال الودود لا تستدعي ذلك، بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود، وكما أن معنى رحمته تعالى إرادته الخير للمرحوم وكفايته له وهو منزه عن رقة الرحمة، فكذلك وده إرادته الكرامة والنعمة للمودود وإحسانه وانعامه، وهو منزه عن ميل المودة. لكن المودة والرحمة لا ترادان في حق المرحوم والمودود إلا في ثمرتها وفائدتها لا للرقة والميل والفائدة هي لباب الرحمة والمودة روحها، وذلك هو المقصود في حق الله تعالى دون ما هو مقارب لهما، وغير مشروط في الافادة. وهذا هو السر في ذكر الودود بعد الرحيم.

ولما كان اسمه الغني متضمناً لاسمه الكافي وهو قطب هذه الأسماء الخمسة بني منه دون غيره فعل الطلب فقال: اغنني، وإذا كانت ثمرة إجابته الغنى عن الخلق أي عن سواه بأن لا تبقى له حاجة إلا لله تعالى وهو مقام شريف، وفي قوله: ورزقه من حيث لا يحتسب إشارة إلى أن ذلك الغنى الذي يحصل له بلا وسائط ولا رؤية أسباب إذ في كل منهما نقص في مقام العارف وهو أعم من رزق الابدان ورزق الأرواح، فرزق الأبدان الأقوات والأطعمة وذلك للظواهر، ورزق الأرواح المعارف والمكاشفات وذلك للبواطن، وهذا أشرف الأرزاق. وكل طالب من الله يعطى له على قدر همته في الطلب واستعداده وقابليته.

تنبيه:

روى ابن السني، والديلمي من حديث ابن عباس رفعه: «من قال بعد صلاة الجمعة وهو قاعد قبل أن يقوم من مجلسه سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم وبحمده، واستغفر الله مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب».

وفي طبقات الحنفية للمجد الشيرازي صاحب القاموس ما نصه: روى صاحب الهداية، عن محمد بن أحمد بن عبدالله الخطيبي، حديثا بسنده: «من قال بعد أن يصلي الجمعة سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألفاً».

....

وقرأت في كتاب الضعفاء لابن حبان: «من قال بعد أن يصلي الجمعة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده استغفر الله مائة مرة أغناه الله تعالى».

وقد روى الطبراني، والبيهقي من حديث أبي أمامة «من قال سبحان الله وبحمده كان مثل مائة رقبة» يعني: إذا قالها مائة مرة.

وروى الطبزاني وابن عساكر من حديث ابن عمر: «من قال سبحان الله وبحمده كتب له بها مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة».

وروى الديلمي من حديث أبي هريرة: «من قال سبحان الله وبحمده من غير عجب ولا فزع كتب الله عز وجل له ألفي حسنة».

وروى الطبراني من حديث ابن عباس: «من قال سبحان الله وبحمده واستغفر الله، وأتوب إليه كتبت كما قالها ثم علقت بالعرش لا يمحوها ذنب عمله صاحبها حتى يلقى الله وهي مختومة كما قالها».

وروى الحاكم في التاريخ، والديلمي من حديث أنس: «من قال سبحان الله وبحمده غرس الله له بها ألف شجرة في الجنة أصلها من ذهب وفرعها در وطلعها كثدي الأبكار ألين من الزبد وأحلى من الشهد كلما أخذ منه شيء عاد كما كان».

وروى أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، والترمذي وحسنه، وابن منيع، وأبو يعلى، وابن حبان، والطبراني، والحاكم، وأبو نعيم، والضياء من حديث جابر: «من قال سبحان الله العظيم غرست له نخلة في الجنة» ففي هذه الأخبار وإن لم تقيد بالجمعة تأييد لفضل التسبيح.

تنبيه آخر:

روي عن الإمام ابن عبدالله القرشي قال: دخلت على الشيخ أبي عبدالله المغاوري فقال: إذا احتجت إلى شيء فقل: يا الله يا واحد يا أحد يا جواد انفحني منك بنفحة خير إنك على كل شيء قدير، فأنا أنفق منها منذ سمعتها، وقد تلقيتها عن شيخي العارف بالله تعالى أبي الحسن علي بن حجازي بن محمد الأحمدي رحمه الله تعالى مقيدة بعد صلاة الجمعة اثنتي عشرة مرة، ورأيت في رحلة الإمام أبي سالم العياشي من فوائد بعض شيوخه مقيدة بعد صلاة مكتوبة إحدى عشرة مرة، ولكل وجهة والدعاء شريف والمريد مخير، والله أعلم.

تنبيه آخر:

ومن الدعوات ما روي في مطلق يوم الجمعة. روى البيهقي، وابن النجار من حديث أنس: «من قال هؤلاء الكلمات يوم الجمعة سبع مرات فمات ذلك اليوم دخل الجنة، ومن قالها في ليلة الجمعة فمات تلك الليلة دخل الجنة. من قال: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك

رضي الله عنهما: « إنه ﷺ كان يصلي بعد الجمعة ركعتين » وروى أبو هريرة أربعاً،

وابن أمتك وفي قبضتك ناصيتي بيدك أمسيت على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك وأبوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ».

ومنها ما هو مقيد بالغداة من يوم الجمعة. روى ابن السني، والطبراني في الأوسط، وابن عساكر، وابن النجار من حديث أنس: « من قال صبيحة الجمعة قبل صلاة الغداة أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر » وفي الاسناد خصيف بن عبدالرحمن الجزري ضعيف، لكن وثقه ابن معين. ومنها مقيد بالانصراف من الجمعة وسيأتي للمصنف في الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب قريباً.

(ثم يصلي بعد الجمعة) أي بعد الفراغ من صلاتها **(ست ركعات)** كذا في القوت، **(فقد روى ابن عمر)** رضي الله عنهما **(« أن النبي ﷺ كان يصلي بعد الجمعة ركعتين »)**. رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه. كلهم من طريق نافع عنه، ولفظ البخاري: « وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين ». وعند أبي داود في بعض طرقه، وابن حبان من طريق أيوب عن نافع قال: كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته ويحدث: « أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك ». ورواه الليث عن نافع، عن ابن عمر أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فيسجد سجدتين في بيته، ثم قال: « كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك ». رواه مسلم.

وأخرج ابن أبي شيبة من طريق الزهري، عن سالم، عن ابن عمر رفعه: « كان يصلي بعد الجمعة ركعتين ». ومن طريق حميد بن هلال، عن عمران بن حصين: « أنه كان يصلي بعد الجمعة ركعتين ». وأخرج عن أبي بكر بن عياش، عن منصور، عن ابراهيم قال: صلِّ بعد الجمعة ركعتين ثم صلِّ بعدهما ما شئت، وعن غندر، عن عمران، عن ابي مجلز قال: إذا سلّم الإمام صلى ركعتين وإذا رجع صلّى ركعتين. وقال الترمذي في جامعه بعد أن ذكر حديث ابن عمر: « كان يصلي بعد الجمعة ركعتين » والعمل على هذا عند بعض أهل العلم، وبه يقول الشافعي وأحمد. اهـ.

ونقل النووي في الروضة، عن ابن القاص وآخرين من أنه يحصل الاستحباب بركعتين نص عليه في الأم، وسيأتي القول باستحباب الأربعة، والنصان محمولان على الأكمل والأقل. صرح به صاحب التهذيب ويوافقه قول النووي في التحقيق انها في ذلك كالظهر.

(وروى أبو هريرة) رضي الله عنه: أنه ﷺ كان يصلي **(أربعاً)** أي بعد الجمعة لا يفصل بينهن بتسليم. أخرجه مسلم، وأبو بكر بن أبي شيبة، والترمذي، والطحاوي من طريق سهيل عن أبيه عنه رفعه بلفظ: « من كان مصلياً بعد الجمعة فليصلّ أربعاً »

وقد روي ذلك عن ابن مسعود وغيره من التابعين. أخرج ابن أبي شيبة من طريق عبدالله بن

وروى علي وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم: ستاً، والكل صحيح في أحوال مختلفة والأكمل أفضل.

حبيب قال: كان عبدالله يصلي بعد الجمعة أربعاً، ومن طريق أبي عبيدة عن عبدالله أنه كان يصلي بعد الجمعة أربعاً، ومن طريق العلاء بن المسيب عن أبيه قال: كان عبدالله يصلي بعد الجمعة أربعاً. ومن طريق حماد عن ابراهيم عن علقمة أنه كان يصلي أربعاً بعد الجمعة لا يفصل بينهن، ومن طريق عن أبي حصين قال: رأيت الأسود بن يزيد صلى بعد الجمعة أربعاً. وعن حفص عن الأعمش عن ابراهيم قال: كانوا يصلون بعدها أربعاً. وعن جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن حماد قال: كان يستحب في الأربع التي بعد الجمعة أن لا يسلم بينهن. وعن وكيع، عن مسعر، عن أبي بكر بن عمرو بن عتبة، عن عبد الرحمن بن عبدالله أنه كان يصلي بعد الجمعة أربعاً. وقال الترمذي في جامعه بعد روايته حديث أبي هريرة: والعمل على هذا عند بعض أهل العلم اهـ.

قلت: وهو قول أبي حنيفة، ومحمد بن الحسن، والحسن بن حي، وابن المبارك. وقال إسحاق: إن صلّى يوم الجمعة في المسجد صلّى أربعاً وإن صلى في بيته صلى ركعتين، ونقل النووي في الروضة عن ابن القاص وآخرين استحباب أربع بعدها وقال: نص عليه في الأم اهـ. وهو رواية عن أحمد.

(**وروى علي وعبدالله بن عباس**) رضي الله عنهم أنه ﷺ كان يصلي (**ستاً**) أي بعد الجمعة أي بتقديم ركعتين على الأربع ركعات.

أخرج أبو داود من حديث ابن عمر أنه كان بمكة فصلّى الجمعة تقدم فصلى ركعتين، ثم تقدم فصلى أربعاً، وإذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع إلى بيته فصلى ركعتين ولم يصلّ في المسجد، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، فقال: كان النبي ﷺ يفعل ذلك.

وقال ابن أبي شيبة: حدثنا أبو الأحوص، عن عطاء قال: كان ابن عمر إذا صلّى الجمعة صلّى بعدها ست ركعات. ركعتين ثم أربعاً.

وقول المصنف: وروى علي وابن عباس الخ أما قول علي، فأخرجه البيهقي موقوفاً عليه قاله العراقي.

قلت: هو في المصنف لابن أبي شيبة عن هشيم، أخبرنا عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن قال: قدم علينا ابن مسعود فكان يأمرنا أن نصلي بعد الجمعة أربعاً، فلما قدم علينا علي أمرنا أن نصلي ستاً، فأخذنا بقول علي وتركنا قول عبدالله. قال: كان يصلي ركعتين ثم أربعاً، حدثنا شريك عن أبي إسحاق، عن عبدالله بن حبيب قال: كان عبدالله يصلي أربعاً، فلما قدم علي صلّى ستاً. ركعتين وأربعاً.

وروي ذلك أيضاً عن أبي موسى الأشعري وغيره. قال ابن أبي شيبة: حدثنا علي بن مسهر،

....

عن الشيباني، عن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه أنه كان يصلي بعد الجمعة ست ركعات. وحدثنا وكيع، عن زكريا، عن محمد بن المنتشر، عن مسروق قال: كان يصلي بعد الجمعة ستاً. ركعتين وأربعاً، وهو قول عطاء والثوري وأبي يوسف، ورواية عن أبي حنيفة، وأحمد، والشافعي على التخيير منهما. نقله الخوارزمي من الشافعية في الكافي.

(والكل صحيح) ثبت في الأخبار مروي عن الصحابة قولاً وعملاً **(في أحوال مختلفة)**. يشير إلى ما تقدم من حديث ابن عمر أنه كان إذا كان بمكة يصلي ستاً. وإذا كان بالمدينة يصلي ركعتين، وعزاه إلى فعل النبي ﷺ، **(والأكمل أفضل)** وهو ست ركعات.

ورأيت بخط الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن محمد بن علي الحريري الشافعي ابن خال القطب الخيضري رحمهما الله تعالى ما نصه: وقد نسب ابن الصلاح المصنف إلى الشذوذ في ذكر الست ركعات، وأجاب عنه النووي بما رواه الشافعي باسناده إلى علي رضي الله عنه أنه قال: من كان منكم مصلياً فليصلّ بعدها ست ركعات. قال الحافظ عماد الدين بن كثير. وقد حكي نحو هذا عن أبي موسى، وعطاء، ومجاهد، وحميد بن عبد الرحمن، والثوري وهو رواية عن أحمد اهـ.

قلت: قال ابن قدامة في المغني، قال أحمد بن حنبل: إن شاء صلّى بعد الجمعة ركعتين، وإن شاء أربعاً، وإن شاء ستاً. وتقدم قريباً أنه رواية عن أبي حنيفة، واختارها أبو يوسف، وإليه مال أبو جعفر الطحاوي إلا أن أبا يوسف قال: أحب أن يبدأ بالأربع، ثم يثني بالركعتين لأنه أبعد أن يكون قد صلى بعد الجمعة مثلها على ما قد نهى عنها. ثم ساق الطحاوي إلى عمر أنه كان يكره أن يصلي بعد صلاة مثلها، فلذلك استحب أبو يوسف أن يقدم الأربع قبل الركعتين، لأنهن لسن بمثل الركعتين، وكره أن يقدم الركعتين لأنهما مثل الجمعة.

قلت: وقد ذكر المازري في شرحه أن أمره ﷺ بالأربع لئلا يتوهم من الركعتين أنهما تكملة الركعتين المتقدمتين، فيكون ظهراً. وتبعه في ذلك أبو بكر بن العربي في شرح الترمذي.

وهناك قول آخر: أن يصلي بعد الجمعة أربعاً يفصل بينهن بسلام. روي ذلك عن ابن مسعود، وعلقمة، والنخعي. وهو قول أبي حنيفة، وإسحاق. كذا نقله ابن بطال في شرح البخاري.

قلت: ولعله رواية عن أبي حنيفة، والمشهور من مذهبه ما قدمناه إنهن أربع بسلام واحد، والمشهور من مذهب مالك أنه لا يصلي بعدها في المسجد لأنه ﷺ كان ينصرف بعد الجمعة ولم يركع في المسجد.

تنبيه:

قال في القنية: ولما ابتلي أهل مرو بإقامة الجمعتين بها مع اختلاف العلماء في جوازها. ففي قول أبي يوسف والشافعي ومن تابعهما هما باطلتان إن وقعتا معاً، وإلاَّ فجمعة المسبوقين باطلة أمر

....

أئمتهم باداء الأربع بعد الجمعة حتماً احتياطاً، ثم اختلفوا في نيتها فقيل: ينوي السنّة، وقيل ينوي ظهر يومه، وقيل ينوي آخر ظهر عليه وهو الأحسن، لأنه إن لم تجز الجمعة فعليه الظهر، وإن جازت أجزأته الأربع عن ظهر فاتت عليه.

قلت: والأحوط أن يقول: نويت آخر ظهر أدركت وقته ولم أصله بعد، لأن ظهر يومه إنما يجب عليه بآخر الوقت في ظاهر المذهب.

قال مجد الأئمة: واختياري أن يصلي الظهر بهذه النية ثم يصلي أربعاً بنية السنية، ثم اختلفوا في القراءة فقيل: يقرأ الفاتحة والسورة في الأربع، وقيل في الأوليين كالظهر وهو اختياري، وعلى هذا الخلاف فيمن يقضي الصلوات احتياطاً اهـ.

قلت: وعلى هذا درج المتأخرون من أصحابنا فحينئذ يصلي أربعاً بهذه النية، وأربعاً بنية السنية، وركعتين بعدها. فيكون المجموع عشر ركعات، وأفتى بعضهم بأنه يصلي أيضاً أربعاً بنية سنّة الظهر القبلية، فيكون المجموع اثنتي عشرة ركعة، ولكن عمل الأصحاب على قول أبي يوسف المتقدم، وبه أفتى مشايخنا.

تنبيه آخر:

لم يذكر المصنف سنّة الجمعة القبلية، وقد عقد البخاري في صحيحه باب الصلاة بعد الجمعة وقبلها، وأورد فيه حديث ابن عمر أنه كان ينصرف فيصلي ركعتين، ولم يذكر في الباب الصلاة قبلها، واختلفوا في ذلك فقيل: المعنى باب حكم ذلك وهو الفعل بعدها لوروده والترك قبلها لعدم وروده، فإنه لو وقع ذلك منه لضبط كما ضبطت صلاته بعدها، وكما ضبطت صلاته قبل الظهر. ويحتمل أنه أشار إلى فعل الصلاة قبلها بالقياس على سنّة الظهر التي قبلها المذكورة في حديث ابن عمر الذي أورده، وقد أنكر جماعة كون الجمعة لها سنّة قبلها، وبالغوا في إنكاره وجعلوه بدعة، وذلك لأنه ﷺ لم يكن يؤذن للجمعة إلا بين يديه وهو على المنبر، فلم يكن يصليها، وكذلك الصحابة رضي الله عنهم لأنه إذا خرج الإمام انقطعت الصلاة، وممن أنكر ذلك وجعله من البدع والحوادث الإمام أبو شامة. وذهب آخرون إلى أن لها سنّة قبلها منهم النووي. فقال في المنهاج: يسن قبلها ما قبل الظهر، ومقتضاه أنه يستحب قبلها أربع، والمؤكد من ذلك ركعتان. ونقل في الروضة عن ابن القاص وآخرين: استحباب أربع قبلها، ثم قال: ويحصل بركعتين قال: والعمدة فيه القياس على الظهر، ويستأنس بحديث ابن ماجه في السنن أن النبي ﷺ كان يصلي قبلها أربعاً.

قال العراقي: رواه ابن ماجه من رواية بقية بن الوليد، عن بشر بن عبيد، عن حجاج بن ارطأة، عن عطية العوفي، عن ابن عباس.

قال النووي في الخلاصة: وهو حديث باطل اجتمع هؤلاء الأربعة وهم ضعفاء، وبشر وضّاع صاحب أباطيل.

العاشر: أن يلازم المسجد حتى يصلي العصر، فإن أقام إلى المغرب فهو الأفضل. يقال: من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج، ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة، فإن لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يعني، فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكراً الله عز وجل مفكراً في آلائه

قال العراقي في شرح الترمذي: بقية بن الوليد: موثق ولكنه مدلس، وحجاج: صدوق روى له مسلم مقروناً بغيره. وعطية: مشاه يحي بن معين فقال فيه صالح ولكن ضعفها الجمهور اهـ.

قلت: والمتن المذكور رواه أبو الحسن الخافي في فوائده بإسناد جيد من طريق أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي عن النبي ﷺ. وعند الطبراني في الأوسط: «من شهد منكم الجمعة فليصلّ أربعاً قبلها وبعدها أربعاً» وفي السند محمد بن عبد الرحمن السهمي ضعفه البخاري وغيره وهو قول أبي حنيفة ومحمد، وعليه عمل الأصحاب.

وبوَّب ابن أبي شيبة في المصنف على الصلاة قبل الجمعة وأورد فيه عن عبدالله بن مسعود أنه كان يصلي قبل الجمعة أربعاً، وعن ابن عمر أنه كان يهجر يوم الجمعة فيبطل الصلاة قبل أن يخرج الإمام، وعن ابراهيم النخعي كانوا يصلون قبل الجمعة أربعاً. وقال ابن قدامة في المغني: لا أعلم في الصلاة قبل الجمعة إلا حديث ابن ماجه أي الذي تقدم ذكره، وروى سعيد بن منصور في سننه عن أبي مسعود مثل رواية ابن أبي شيبة.

(**العاشرة: أن يلازم المسجد**) بعد فراغه من صلاة الجمعة (**حتى يصلي العصر**) مع جماعة إلا لمانع، (**فإن جلس**) بعد ذلك (**إلى**) أن يصلي (**المغرب**) مع جماعة (**فهو الأفضل**) للساعة المنتظرة من آخر النهار. (**يقال: من صلّى العصر في الجامع كان له ثواب حجة ومن صلى المغرب فله ثواب عمرة**) كذا في القوت.

قلت: وهذا قد ورد في المرفوع. أخرج الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس: «من صلى المغرب في جماعة كتبت له حجة مبرورة وعمرة متقبلة وكأنما قام ليلة القدر».

وأخرج أحمد والبيهقي من حديث أنس: «من صلّى العصر فجلس يملي خيراً حتى يمسي كان أفضل ممن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل».

وأخرج الديلمي من حديث أبي الدرداء: «من صلى الجمعة كتبت له حجة متقبلة فإن صلى العصر كانت له عمرة فإن يمسي في مكانه لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه».

(**فإن لم يأمن التصنع**) على نفسه (**ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه**) في المسجد (**أو خاف الخوض فيما لا يعني**) وفي نسخة: فيما لا ينبغي (**فالأفضل**) في حقه (**أن يرجع**) بعد صلاة الجمعة (**إلى بيته ذاكراً الله تعالى**) بلسانه وقلبه (**متفكراً في آلائه**) أي في نعمائه (**شاكراً له على توفيقه**) وإرشاده لهذا الخير العظيم، (**خائفاً من**

شاكراً لله تعالى على توفيقه خائفاً من تقصيره مراقباً لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة، ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال ﷺ: «يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا تجالسوهم».

بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع النهار وهي سبعة أمور:

الأول: أن يحضر مجالس العلم بكرة، أو بعد العصر، [أو بعد الصلاة]، ولا

تقصيره) الذي صدر منه في عبادته، **(مراقباً لقلبه ولسانه)** فلا يخطر بباله شيء من حظوظ الدنيا ولا يجري على لسانه إلا الخير، فيراعي غروب الشمس بالأذكار والتسبيح والاستغفار في منزله أو مسجد حيه، فذلك حينئذ أفضل **(حتى لا تفوته الساعة الشريفة)** الموعودة بإجابة الدعاء فيها، **(و)** إذا جلس فإنه **(لا ينبغي أن يتكلم في الجامع)** الذي صلّى فيه الجمعة **(وغيره من المساجد)** التي يصلي فيها دائماً **(بحديث الدنيا)** وكلامها، **(فقد قال النبي ﷺ: «يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم في أمر دنياهم ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم»)**.

قال العراقي: أخرجه البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلاً، وأسنده الحاكم في حديث أنس وصحح اسناده، ولابن حبان نحوه من حديث ابن مسعود اهـ.

قلت: لفظ حديث ابن مسعود: «سيأتي على الناس زمان يقعدون في المجالس حلقاً حلقاً إنما نهمتهم الدنيا فلا تجالسوهم فإنه ليس لله فيهم حاجة». ولفظ حديث أنس عند الحاكم: «يأتي على الناس زمان يتحلقون في مساجدهم وليس همهم إلا الدنيا ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم». ولفظ البيهقي المرسل مثل ما ساقه المصنف غير أنه قال: «فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة». وأورد ابن الحاج في المدخل حديثاً مرفوعاً بلفظ: «إذا أتى الرجل المسجد فأكثر من الكلام فتقول الملائكة له اسكت يا ولي الله، فإن زاد فتقول له اسكت يا بغيض الله، فإن زاد فتقول له أسكت عليك لعنة الله»، والله أعلم.

بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم) أي يشمل **(جميع النهار وهي سبعة أمور:**

الأول: أن يحضر مجالس العلم) أي الشرعي كالفقه في دين الله بتعلم الأحكام الشرعية وآكدها مما يتعلق بالعبادات البدنية ثم المالية، وأرفعها تعلم علم اليقين والمعرفة بالله تعالى، وأوقات الحضور ثلاثة: إما أن يكون **(بكرة)** أي في أوّل النهار فقد استحبه بعض العلماء تيمناً

يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم، ولا ينبغي أن يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير، ولا ينبغي أن يحضر الحلق قبل الصلاة. وروى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: « إن النبي ﷺ نهى

بالبكور، ويتم له التبكير إلى الجمعة وحضور مجلس العلم، ولا بدّ من النيتين، وإلاّ فلا يتم له إلا واحد منهما. **(أو)** يكون حضوره **(بعد العصر)** أي بعد الفراغ من صلاته وهو وقت التفرغ من الأشغال الدنيوية، فيكون قد أخذ لنفسه راحة خصوصاً إذا كان مشغولاً بخدمة أو كسب على عيال، فلا يمكنه في أوّل النهار والغالب على الوقت الذي بعد العصر التفرغ، **(أو)** يكون **(بعد الصلاة)** أي صلاة الجمعة، وحينئذ فليتفرغ من أكل طعام ان لم يكن صائماً قبل الغدوّ إلى المسجد ليكون أدعى لنشاطه في سماع ما يلقى من العلم، وأما من كان من عادته تناول الطعام بعد الصلاة كما هو عليه الناس الآن فلا يمكنه الحضور في مجالس العلم بعد الصلاة، لأن خاطره متعلق بتناول شيء من الزاد. وهذه الأوقات الثلاثة هي المعتبرة في حضور مجالس العلم، ويختلف حكمها باختلاف أحوال السامعين.

وهناك وقتان آخران يلحقان بهؤلاء الثلاثة وهما: وقت الهجير قبل الزوال بساعة أو أكثر في أيام الصيف أو أقل في أيام الشتاء لمن لم يتفرغ في بكرة النهار لاشتغاله بغسل السنة أو غسل رأسه أو غسل ثيابه خصوصاً للأعزب فيتكلف الخروج إلى موضع بعيد يغسل فيه ثيابه. والثاني: بعد صلاة المغرب إلى العشاء لمن لم يمكنه التفرغ عن أشغاله وهذا أوفق لأهل الكسب والكد، فإنهم يتفرغون في مثل هذا الوقت ويحصل له ثواب الصلاتين في جماعة، وثواب حضور العلم. فليس هو بأقل أجراً ممن جمع بين البكور وحضور العلم، ولما كانت العمدة غالباً على الأوقات الثلاثة اقتصر عليها المصنف، ثم أن المراد بالعلماء الذين أمر بحضور مجالسهم هم العلماء بالله الذين يعلمون الناس أحكام الشريعة، وما يتعلق بعباداتهم فحضر مجالسهم ليستفيد بهم علماً إلى علم.

(ولا يحضر مجالس القصاص) وهم الذين يقصون على الناس بأخبار الأمم السالفة وحكاياتهم، ويترفعون على الكراسي، ويشغلون الناس عن ذكر الله تعالى، **(فلا خير في كلامهم)** لأنه لا يخلو من موضوع وباطل ومصنوع وزور وبهتان، **(ولا ينبغي أن يخلو المريد)** في طريق الآخرة **(في جميع يوم الجمعة)** وإن لم يكن بالمسجد **(عن الخيرات)** أي أمور الخير من التصدق، وإعانة المحتاج، وإغاثة الملهوف، ونصر المظلوم، والسلام على المؤمنين ورده عليهم، وإرشاد الطريق للحائر، وإماطة الأذى عن الطريق، وحضور الجنائز، وتشميت العاطس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفصل المتخاصمين، والحلم، وتحسين الخلق، والشفقة، ولين الجانب، وحفظ اللسان والبصر وغيرها من أمور الخير. **(والدعوات)** الواردة في الكتاب والسنة بأن يكون لسانه رطباً بها جارياً عليها من غير تكلف ومشقة مع الإخلاص وحسن المراقبة، **(حتى توافقه الساعة الشريفة)** الموعود بها في يوم الجمعة **(وهو في خير)** وعلى خير، **(ولا ينبغي أن يحضر الحلق قبل الصلاة)** فقد نهي عن ذلك، فقد **(روى عبدالله بن**

عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة » إلا أن يكون عالماً بالله يذكر بأيام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس إليه فيكون جامعاً بين البكور وبين الاستماع، واستماع العلم النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل، فقد روى أبو ذر: « إن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة ». قال أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿ فإذا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا في الأرْضِ وابتَغُوا من فَضْلِ اللهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، أما انه ليس يطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ في الله عز وجل.

عمر) رضي الله عنهما **(أن النبي ﷺ نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة »).**

قال العراقي: أخرجه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه من روايةِ عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ولم أجده من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة أيضاً من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ولفظه: « نهى رسول الله ﷺ عن التحلق للحديث يوم الجمعة قبل الصلاة ». ولعل الذي عند المصنف تحريف وقع من الناسخ فنقصوا واواً بعد عمر على أنه قد روى ابن أبي شيبة جواز ذلك عن السائب، وعبدالله بن بسر، وابن عمر، وأبي هريرة.

ولذا قال صاحب القوت: **(إلا أن يكون)** صاحب الحلقة **(عالماً بالله)** وأحكامه ومعاملاته **(يذكر بأيام الله)** ونعمائه ويدل على الله **(ويفقه)** الحاضرين **(في دين الله)** في عباداتهم ومعاملاتهم **(يتكلم)** على الناس **(في الجامع بالغداة)** قبل الصلاة أو بعدها، **(فيجلس إليه)** المريد فيستمع منه ما يفيده، وأولئك الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة، **(فيكون جامعاً بين البكور)** المستحب **(وبين الاستماع)** للعلم **(واستماع العلم النافع)** في دينه ودنياه، **(في الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل)** من الصلوات، والمستمع شريك القائل في الأجر. وقد قيل: أقرب إلى الرحمة، **(فقد روى أبو ذر)** جندب بن جنادة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: **(« إن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة »)** تقدم في كتاب العلم، وفي خبر آخر « لأن يتعلم أحدكم باباً من العلم أو يعلمه خير له من صلاة ألف ركعة » قيل: يا رسول الله ومن قراءة القرآن أيضاً؟ قال: « وهل ينفع قراءة القرآن إلا بعلم ». وتقدم ذلك وأمثاله في كتاب العلم، فإذا صلى الجمعة انتشر في أرض الله وطلب من فضل الله ومن الفضل طلب العلم واستماعه.

(قال أنس بن مالك) رضي الله عنه **(في)** تفسير **(قوله تعالى: ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾** [الجمعة: ١٠] **أما أنه ليس بطلب دنيا،** ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ في الله عز وجل) هكذا هو في القوت، وقد أخرجه ابن جرير في تفسيره عنه مرفوعاً ولم يذكر وتعلم علم.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: « لم يؤمروا بشيء من طلب الدنيا » والباقي سواء.

وقد سمى الله عز وجل العلم فضلاً في مواضع. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء: ١١٣] وقال تعالى: ﴿ولقد آتينا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً﴾ [سبأ: ١٠] يعني العلم فتعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات، والصلاة أفضل من مجالس القصاص إذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصّاص من الجامع.

وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة رفعه «من صلى الجمعة فصام يومه وعاد مريضاً وشهد جنازة وشهد نكاحاً وجبت له الجنة».

ومن العلماء من حمل الآية على ظاهرها، فأخرج ابن المنذر، عن سعيد بن جبير قال: «إذا انصرفت يوم الجمعة فأخرج إلى باب المسجد فساوم بالشيء وإن لم تشتره».

وأخرج ابن أبي شيبة عن مجاهد وعطاء قالا: هو إذن من الله إذا فرغ فإن شاء فعل وإن شاء لم يفعل.

قلت: فالأمر على القولين للإباحة بعد الحظر. قال القسطلاني: وقول من قال إنه للوجوب في حق من يقدر على الكسب قول شاذ، ووهم من زعم أن الصارف للأمر عن الوجوب هنا كونه ورد بعد الحظر، لأن ذلك يستلزم عدم الوجوب، بل الإجماع هو الدال على أن الأمر المذكور للإباحة. قال: والذي يترجح ان في قوله: انتشروا وابتغوا إشارة إلى استدراك ما فاتكم من الذي انفضضتم إليه، فينحل إلى قضية شرطية أي من وقع له في حال خطبة الجمعة وصلاتها زمان يحصل فيه ما يحتاج إليه من أمر دنياه ومعاشه، فلا يقطع العبادة لأجله بل يفرغ منها ويذهب حينئذ ليحصل حاجته، وقيل: هو في حق من لا شيء عنده ذلك اليوم فأمره بالطلب بأي صورة اتفقت لفرح عياله ذلك اليوم لأنه يوم عيد والله أعلم.

ثم قال صاحب القوت: (**وقد سمى الله تعالى العلم فضلاً في مواضع**) من كتابه (**قال تعالى: وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً**) [النساء: ١١٣] فسمى تعليمه ما لم يعلم فضلاً، ومنه يقال للعالم الكامل هو الفاضل. (**وقال تعالى: ولقد آتينا داود منا فضلاً**﴾ [سبأ: ١٠] **يعني العلم**) بدليل قوله في الآية الأخرى: ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً﴾ الآية [١٥ من سورة النمل] (**فتعلم العلم**) ومدارسته (**في هذا اليوم**) خاصة (**و**) كذا (**تعليمه**) للناس والتذكير بالله والدعوة إليه (**من أفضل القربات**) إلى الله تعالى يشترك فيه العالم والمتعلم، وإنما كان في هذا اليوم أفضل، لأن يوم الجمعة أفضل من سائر الأيام لأنه يوم المزيد، وللقلوب فيه إقبال وتجديد، فكذلك الجلوس فيه بين العلماء للتعليم أفضل من غيره من الأيام، ولذا كانوا يستحبون افتتاح الدروس في هذا اليوم طلباً للبركة والمزيد والانتفاع.

قال صاحب القوت: ومجالس العلماء في الجامع من زين يوم الجمعة ومن تمام فضله. قال الحسن: الدنيا ظلمة إلا مجالس العلماء، ثم قال: وحضور مجالس العلم أفضل من الصلاة، (**والصلاة أفضل من مجالس القصاص**) لأنهم يبطئون عن الغدو إلى الجامع في الساعة الأولى والثانية اللتين ورد الفضل فيهما. وفي القوت: والصلاة إن عدم مجلس العلم بالله والتفقه في دين الله أزكى

بكر ابن عمر رضي الله عنهما إلى مجلسه في المسجد الجامع، فإذا قاص يقص في موضعه فقال: قم عن مجلسي! فقال: لا أقوم وقد جلست وسبقتك إليه، فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه، فلو كان ذلك من السنّة لما جازت إقامته فقد قال ﷺ: «لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا» وكان ابن عمر إذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليه. وروي أن قاصاً كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضي الله عنها فأرسلت إلى ابن عمر: أن هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده.

من مجالس القصاص ومن الاستماع إلى القصاص (**إذا كانوا يرونه**) أي القص (**بدعة**) ظهرت في القرن الاول، وكانوا (**يخرجون القصاص من الجامع**).

يروى أنه (حضر) وفي نسخة: بكر، وفي القوت: جاء (**ابن عمر**) رضي الله عنهما ذات يوم (**إلى مجلسه**) الذي (**في المسجد، فإذا قاص يقص في موضعه**) الذي كان يجلس فيه (**فقال له: قم عن مجلسي، فقال له: لا أقوم وقد جلست**) فيه (**وسبقتك إليه**) ولفظ القوت: أو قال وقد سبقتك إليه. قال: (**فارسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة**) يعني الحاكم، والشرط: كغرف أعوان الجند (**فأقامه**) من المجلس، (**ولو كان ذلك**) أي القص (**من السنة**) المعروفة (**لما استحل إقامته**) أي ما جاز له أن يقيمه من مجلسه، سيما وقد سبقه إلى الموضع. كيف (**فقد قال ﷺ**) فيما رواه عنه ابن عمر نفسه (**«لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه**) أخرجه مالك، والبخاري، ومسلم والترمذي، وأخرجه أحمد، والبخاري من حديثه بلفظ: «لا يقيم الرجل الرجل من مقعده ثم يجلس فيه و(**لكن تفسحوا وتوسعوا»**).

وأخرج الطبراني في الكبير، عن أبي بكر «لا يقوم الرجل للرجل من مكانه ولكن ليوسع الرجل لأخيه المسلم».

وأخرج الشافعي، ومسلم، عن جابر «لا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم يخالفه إلى مقعده فيه ولكن ليقل افسحوا».

وأخرج الحاكم من حديث أبي بكرة «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يقعد فيه ولا تمسح يدك بثوب من لا تملك».

(**وكان ابن عمر**) رضي الله عنهما (**إذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود إليه**) كذا في القوت.

(**وروي أن قاصاً**) من القصاص (**كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضي الله عنها**) فيقص ويذكر ويرفع صوته (**فأرسلت إلى ابن عمر**) تعلمه (**أن هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي**) أي نوافلي. قال: (**فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم**

الثاني: أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة. ففي الخبر المشهور: «أن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئاً إلا أعطاه». وفي خبر آخر: «لا يصادفها عبد يصلي». واختلف فيها فقيل: إنها عند طلوع الشمس، وقيل: عند

طرده) كذا في القوت، ورفع الصوت في المسجد حرام. لا سيما إذا شغل المصلين عن سبحتهم.

قلت: ظاهر لفظ البخاري من حديث ابن عمر «نهى رسول الله ﷺ أن يقيم الرجل أخاه» الحديث التحريم فلا يصرف عنه إلا بدليل، فلا يجوز أن يقيم أحداً من مكانه ويجلس فيه لأن من سبق إلى مباح فهو أحق به وقد ذكر عن ابن عمر أنه أقام قاصاً من موضعه، فإنما ذلك لأجل بدعته، وقد مر النهي عن التفرقة بين اثنين وهي صادقة بأن يزحزح رجلين عن مكانهما ويجلس بينهما. نعم لو قام الجالس باختياره وأجلس غيره فلا كراهة في جلوس غيره، ولو بعث من يقعد له في مكان ليقوم عنه إذا جاء هو جاز أيضاً من غير كراهة، ولو فرش له نحو سجادة فلغيره تنحيتها والصلاة مكانها، لأن السبق بالأجساد لا بما يفرش ولا يجوز له الجلوس عليها بغير رضاه لا يرفعها بيده أو غيرها لئلا تدخل في ضمانه واستنبط ابن جريج راوي هذا الحديث عن نافع عن ابن عمر من قوله ولكن يقول تفسحوا أن الذي يتخطى بعد الاستئذان لا كراهة في حقه قاله القسطلاني.

(الثاني: أن يكون حسن المراقبة) أي الانتظار **(للساعة الشريفة)** الموعود بها **(ففي الخبر المشهور: «ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئاً إلا أعطاه إياه»)**

قال العراقي: أخرجه الترمذي وحسنه، وابن ماجه من حديث عمرو بن عوف المزني لكن لفظه «لا يسأل الله العبد فيها شيئاً إلا أتاه إياه». وهو في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة دون ذكر الصلاة، وفي مسند أحمد من حديث جماعة من الصحابة.

(وفي خبر آخر «لا يصادفها عبد يصلي») قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: قال البخاري في الصحيح: حدثنا عبدالله بن مسلمة، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال «فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى فيها شيئاً إلا أعطاه إياه» وأشار بيده يقللها. وأخرجه مسلم والنسائي في الجمعة.

قال الولي العراقي في شرح التقريب قوله: «وهو قائم يصلي» ذكر ابن عبد البر أن هذه رواية عامة من روى الموطأ ما عدا قتيبة وأبا مصعب ومطرف وابن أبي أويس والتنيسي فلم يقولوا «وهو قائم» اهـ.

وأخرج الشيخان، والنسائي، وابن ماجه من طريق أيوب السختياني، والشيخان أيضاً من

الزوال، وقيل مع الأذان، وقيل إذا صعد الإمام المنبر وأخذ في الخطبة، وقيل إذا قام الناس إلى الصلاة، وقيل آخر وقت العصر ـ أعني وقت الاختيار ـ وقيل: قبل غروب

طريق سلمة بن علقمة، ومسلم والنسائي من طريق عبدالله بن عون. ثلاثتهم عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة بلفظ «إن في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم قائم يصلي يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه». قال بيده يقللها أي يزهدها هذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري من طريق سلمة بن علقمة بعد قول: وقال بيده ووضع أنملة على بطن الوسطى والخنصر، قلنا يزهدها. وزاد مسلم من طريق محمد بن زياد عن أبي هريرة بلفظ: «إن في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه» قال: «وهي ساعة خفيفة».

(واختلف فيها) أي في تعيينها على أقوال زادت عن العشرين.

وقد تبع المصنف صاحب القوت فلم يزد على ما أورده **(فقيل: إنها عند طلوع الشمس)** من يومها. نقله صاحب القوت وهو القول الأول.

(وقيل عند الزوال) أي زوال الشمس من كبد السماء. رواه ابن أبي شيبة عن البصري، وحكاه ابن المنذر عنه، وعن أبي العالية وهو القول الثاني.

(وقيل: مع الأذان) رواه ابن أبي شيبة عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: «إني لارجو أن تكون الساعة التي في الجمعة إحدى هذه الساعات إذا أذن المؤذن» لحديث. ورواه الطبراني في معجمه الكبير عن أبي أمامة وهذا هو القول الثالث.

(وقيل: إذا صعد الخطيب المنبر وأخذ في) الذكر أي **(الخطبة)** رواه ابن أبي شيبة عن أبي أمامة وهذا هو القول الرابع.

(وقيل: إذا قام الناس إلى الصلاة) رواه ابن أبي شيبة والطبراني عن أبي أمامة وروى الطبراني في الكبير من حديث ميمونة بنت سعد قلت: أية ساعة هي يا رسول الله؟ قال: ذلك حين يقوم الإمام وسنده ضعيف، وهو محتمل أن يراد به القيام للصلاة كأمر الله أو القيام إلى الخطبة وهو القول الخامس.

(وقيل: آخر وقت العصر) ولفظ القوت: بعد العصر من آخر أوقاتها، وأوضحه المصنف فقال: **(أعني وقت الاختيار)** رواه أحمد من حديث أبي سعيد وأبي هريرة.

وقال العراقي في شرح الترمذي: أكثر الأحاديث يدل على أنها بعد العصر، فمن ذلك حديث أنس، وعبدالله بن سلام، وجابر بن عبدالله، وأبي سعيد، وأبي هريرة وفاطمة. صح منها حديث عبدالله بن سلام، وجابر وأبي سعيد وأبي هريرة اهـ.

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه هذا القول، عن ابن عباس، وأبي هريرة، وطاوس، ومجاهد. وحكاه ابن بطال عن مجاهد. وقال المهلب: وحجة من قال إنها بعد العصر قوله ﷺ: «يتعاقبون

الشمس. « وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت وتأمر خادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب الشمس تخبر بأن تلك الساعة هي المنتظرة وتؤثره عن أبيها ﷺ وعليها ». وقال بعض العلماء: هي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها، وقيل: إنها تنتقل في الساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الأشبه، وله سر لا يليق بعلم

فيكم ملائكة الليل والنهار يجتمعون في صلاة العصر » ثم يعرج الذين باتوا فيكم فهو وقت العروج وعروض الأعمال على الله تعالى، فيوجب الله تعالى مغفرته للمصلين من عباده، ولذلك شدد النبي ﷺ فيمن حلف على سلعة بعد العصر لقد أعطى بها أكثر تعظيماً للساعة، وفيها يكون اللعان والقسامة، وقيل في قوله تعالى: ﴿تحبسونهما من بعد الصلاة﴾ [المائدة: ١٠٦] إنها العصر اهـ.

وحكاه الترمذي في جامعه عن أحمد وإسحاق، ثم قال وقال أحمد: أكثر الأحاديث في الساعة التي يرجى فيها الإجابة أنها بعد العصر، وقال ابن عبد البر: إن هذا القول أثبت شيء إن شاء الله تعالى اهـ.

والظاهر أن المراد بقولهم بعد العصر أي بعد صلاة العصر، وبه صرح ابن عباس، فحينئذ فهل يختلف الحال بتقديم الصلاة وتأخيرها، أو يقال المراد مع الصلاة المتوسطة في أول الوقت، وقد يقال: المراد دخول وقت العصر، ورجح المصنف آخر وقته وهو وقت الاختيار، ولكن قولهم بعد العصر محتمل لما ذكرنا وهو القول السادس.

(**وقيل قبل غروب الشمس**) إذا تدلى حاجبها الأسفل وهي لحظة يسيرة من أثناء الساعة الأخيرة المنتظمة من اثنتي عشرة ساعة، (**وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت وتأمر خادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب وتخبر بأن تلك الساعة هي المنتظرة**) للإجابة (**وتأثر**) أي تنقل ذلك (**عن أبيها ﷺ** ») ذكر الدارقطني في العلل أنها رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ: أي ساعة هي؟ قال: « إذا تدلى نصف الشمس للغروب فكانت فاطمة تقول لغلام لها اصعد إلى الظراب فإذا رأيت الشمس قد تدلى نصف عينها فاخبرني حتى أدعو » وأخرجه أيضاً البيهقي في الشعب وهذا هو القول السابع.

(**وقال بعض العلماء هي مبهمة في جميع اليوم**) لا يعلمها إلا الله تعالى كأنه جعلها (**مثل ليلة القدر**) أي بمنزلتها مبهمة في جميع شهر رمضان، وكأنها مثل الصلاة الوسطى في جملة الخمس الصلوات. حكاه القاضي عياض وغيره، ونقله صاحب القوت. هكذا. فإن قيل: لم ابهمها؟ فقيل في الجواب: (**حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها**) في ذلك اليوم، وهذا هو القول الثامن.

(**وقيل: إنها**) لا تلزم ساعة بعينها بل (**تنتقل في**) جميع (**ساعات يوم الجمعة كتنقل**

المعاملة ذكره، ولكن ينبغي أن يصدق بما قال ﷺ: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها». ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام، فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرضاً لها بإحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات، وقد قال كعب الأحبار: إنها في آخر ساعة من

ليلة القدر) عند بعضهم في ليالي الشهر، ليكون العبد إلى الله طالباً راغباً متضرعاً مفتقراً في جميع ذلك اليوم، (وهذا هو) القول التاسع، وبه ختم صاحب القوت الأقوال وهو (الأشبه).

وأشار إليه النووي في الخلاصة فقال: يحتمل أنها تنتقل **(وله سر)** خفي **(لا يليق بعلم المعاملة ذكره)** لأنه غريب فلغرابته ربما لا تحتمله عقول أهل الظاهر، **(ولكن ينبغي أن يصدق بما قال ﷺ: «بأن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها»)**.

قال العراقي: أخرجه الترمذي الحكيم في النوادر، والطبراني في الأوسط من حديث محمد بن مسلمة، ولابن عبد البر في التمهيد نحوه من حديث أنس، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب المفرج من حديث أبي هريرة واختلف في إسناده اهـ.

قلت: وعزاه الحافظ السيوطي إلى الطبراني في الكبير، عن محمد بن مسلمة فوهم، وإنما هو في الأوسط كما قاله العراقي، ويحتمل أن يكون في كل منهما فليحرر، ولفظه عنده: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً».

وقال أبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي الدرداء رضي الله عنه: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا محمد بن شبل، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا شيخ منا يقال له الحكم ابن فضيل، عن زيد بن أسلم قال، قال أبو الدرداء: «التمسوا الخير دهركم كله وتعرضوا النفحات رحمة الله فإن لله نفحات من رحمته يصيبها من شاء من عباده وسلوا الله أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم». اهـ.

وقال المناوي في شرحه على الجامع: النفحة الدفعة من العطية، والمراد بالنفحات هنا أي تجليات مقربات يصيب بها من شاء من عباده، وتلك النفحات من باب خزائن المنن فإن خزائن الثواب بمقدار الجزاء بخلاف خزائن المنن، وأبهم وقت الفتح هنا ليتعرض في كل وقت فمن داوم الطلب يوشك أن يصادف وقت الفتح بالغنى الأكبر ويسعد السعد الأفخر، وكم من سائل سأل فرد مراراً فإذا وافق المسؤول قد فتح له لا يرده وإن كان قد رده قبل اهـ.

(ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرضاً لها بإحضار القلب وملازمة) الأوراد فيه مواصلها وبتعميره له بتجديد **(الذكر)** في كل ساعة منه **(والنزوع عن وساوس الدنيا)** والتنصل عنها وعن حظوظها، **(فعساه)** يصادفها و **(يحظى بشيء من تلك النفحات)** بإذن الله تعالى، فإن لم يواصل الساعات في يوم واحد فليواصلها جمعاً شتى وقتاً على وقت على ترتيب أوقات يوم الجمعة، فإنها تقع في الأوقات لا محالة.

يوم الجمعة وذلك عند الغروب، فقال أبو هريرة: وكيف تكون آخر ساعة، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل رسول الله ﷺ: «من قعد ينتظر الصلاة فهو في الصلاة»؟ قال: بلى. قال: فذلك صلاة فسكت أبو هريرة. وكان كعب مائلاً إلى أنها رحمة من الله سبحانه للقائمين بحق

(وقد قال كعب) بن مانع الحميري **(الأحبار)** هذا هو المشهور في لقبه وفيه كلام تقدم ذكره في كتاب العلم وتفصيله أودعته في شرحي على القاموس: **(إنها في آخر ساعة من يوم الجمعة)**.

قلت: وهو قول عبدالله بن سلام كما هو عند أبي داود، والنسائي، والحاكم. وروى سعيد بن منصور في سننه من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا فتذاكروا الساعة التي في يوم الجمعة فتفرقوا ولم يختلفوا أنها آخر ساعة من يوم الجمعة وهذا هو القول العاشر.

وروى أبو داود والنسائي والحاكم في المستدرك من طريق الجلاح مولى عبد العزيز، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبدالله رفعه: «يوم الجمعة اثنتا عشرة يريد ساعة لا يوجد مسلم يسأل الله إلا آتاه الله فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر» قال ابن عبد البر، قيل: إن قوله فالتمسوها الخ من كلام أبي سلمة.

وقول المصنف: **(وذلك عند الغروب)** وهو أشبه بما ذهبت إليه فاطمة رضي الله عنها وبين هذا القول وبين قول من قال آخر ساعة من اليوم فرق، فإن قول من قال آخر ساعة قد عين الجزء الأخير من الوقت وهو من إثني عشر جزءاً وقول من قال: عند الغروب لا يعين الساعة الأخيرة بكمالها، بل يحتمل أنها لحظة في أثناء هذه الساعة ولا تتعين اللحظة الأخيرة منها، وعلى هذا فهو مغاير لقوله عبدالله بن سلام، ومن وجه مغاير لقول فاطمة رضي الله عنها أيضاً باعتبار في قولها رضي الله عنها السابق تعيين للجزء الأخير منها، فهما متغايران. فإن ثبت ذلك عند التأمل فهو القول الحادي عشر.

(و) يقال إن كعباً اجتمع بأبي هريرة وقال ما سبق من القول في تلك الساعة وانها بعد العصر. **(قال أبو هريرة)** رضي الله عنه راداً عليه قوله: **(كيف يكون)** ذلك الوقت **(آخر ساعة وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يوافقها عبد يصلي)** كما هو عند البخاري ومسلم، وتقدم قريباً **(ولات حين صلاة»)** إذا قد ورد النهي عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، وقد تقدمت الإشارة إليه، **(فقال كعب)** في جوابه: **(ألم يقل رسول الله ﷺ: «من قعد ينتظر الصلاة فهو في صلاة»)**؟ أخرج ابن جرير من حديث أبي هريرة «من جلس في المسجد ينتظر الصلاة فهو في صلاة». ولذا قال **(فقال أبو هريرة: بلى. قال)** كعب: **(فتلك صلاة. فسكت أبو هريرة)** رضي الله عنه، فكأنه وافقه وقد روي حديث

....

الانتظار من وجه آخر من حديث أبي هريرة، وعبدالله بن سلام، وسهل بن سعد عند أحمد والنسائي، وابن حبان، والطبراني، والبيهقي والضياء، بألفاظ مختلفة. ثم هذه القصة هكذا أوردها صاحب القوت والمصنف تبعه على عادته.

وقد قال العراقي: وقع في الإحياء أن كعباً هو القائل أنها آخر ساعة وليس كذلك، وإنما هو عبدالله بن سلام، وأما كعب فإنما قال: إنها في كل سنة مرة ثم رجع، والحديث رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان من حديث أبي هريرة. ولابن ماجه نحوه من حديث عبدالله بن سلام اهـ.

قلت: وجدت بخط الشيخ شمس الدين الداودي ما نصه: صحح أبو زرعة الدمشقي أن أبا هريرة إنما روى الحديث كله عن كعب اهـ فعلى هذا لذكر كعب في القصة أصل.

وأما حديث عبدالله بن سلام فأخرجه مالك، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم في المستدرك من طريق محمد بن إبراهيم، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة بلفظ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه» قال أبو هريرة: فلقيت عبدالله بن سلام فذكرت له هذا الحديث فقال: أنا أعلم تلك الساعة، فقلت: أخبرني بها ولا تضن بها علي. قال: هي بعد العصر إلى أن تغرب الشمس قلت: وكيف تكون بعد العصر، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي» وتلك الساعة لا يصلى فيها. قال عبدالله بن سلام: أليس قد قال رسول الله ﷺ: «من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة» قلت: بلى. قال: فهو ذاك. لفظ الترمذي وقال: حسن صحيح. وفي رواية أبي داود والنسائي والحاكم قال عبدالله بن سلام: هي آخر ساعة من يوم الجمعة، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

ورواه أحمد في مسنده من حديث العباس، وهو ابن عبد الرحمن بن عيناء، عن محمد بن مسلمة الأنصاري عن أبي سعيد، وأبي هريرة بلفظ: «إن في الجمعة ساعة» الحديث. وفي آخره «هي بعد العصر» وقد يكون قول عبدالله بن سلام هذا إنها بعد العصر إلى الغروب، كما تقدم عن الترمذي قولاً مستقلاً وهو القول الثاني عشر.

وفي سنن ابن ماجه ما يدل على رفعه ذلك إلى النبي ﷺ أخرجه من رواية أبي سلمة عنه قال، قلت ورسول الله ﷺ جالس إنا لنجد في كتاب الله تعالى في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي يسأل الله فيها شيئاً إلا قضى له حاجته قال عبدالله: فأشار إلى رسول الله ﷺ أو بعض ساعة، فقلت: صدقت أو بعض ساعة. قلت: أي ساعة؟ قال: آخر ساعات النهار. قلت: إنها ليست ساعة صلاة. قال: بل إن العبد المؤمن إذا صلى ثم جلس لم يحبسه إلا الصلاة فهو في صلاة، وهذا ظاهره الرفع إلى النبي ﷺ، ويحتمل أن القائل أي ساعة هو أبو سلمة، والمجيب له هو عبد الله بن سلام.

هذا اليوم وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل. وبالجملة؛ هذا وقت شريف مع وقت صعود الإمام المنبر فليكثر الدعاء فيهما.

ويوافق الأول ما رواه البزار في مسنده عن أبي سلمة، عن أبي هريرة وأبي سعيد فذكر الحديث في ساعة الجمعة. قال: وعبدالله بن سلام يذكر عن رسول الله ﷺ. قال: نعم هي آخر ساعة قلت إنما قال وهو يصلي وليست تلك ساعة صلاة. قال: أما سمعت أو أما بلغك أن رسول الله ﷺ قال: «من انتظر الصلاة فهو في صلاة». قال الحافظ ابن حجر في الفتح: رجح أحمد وإسحاق وآخرون قول ابن سلام هذا، واختاره ابن الزملكاني وحكاه عن نص الشافعي اهـ.

(وكان كعب مائلاً إلى أنها رحمة من الله عز وجل للقائمين بحق اليوم وأوان إرسالها عند الفراغ من تمام العمل).

قلت: وهذا قول عبدالله بن سلام كما ذكره غير واحد، وهذا ذكره ابن الزملكاني، وحكى ميل الشافعي إليه وعلله بما ذكر، وأما كعب فإنه كان يقول بأنها في كل سنة مرة ثم رجع كما تقدم نقله عن العراقي.

(وبالجملة فهذا وقت شريف) يعني به بعد العصر إلى الغروب **(مع وقت صعود الإمام المنبر فليكثر الدعاء فيهما)**.

وأخرج ابن أبي شيبة عن هلال بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجمعة لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه» فقال رجل يا رسول الله: ماذا أسأل؟ قال «سل الله العافية في الدنيا والآخرة» اهـ.

ولفظ القوت: وليكثر الدعاء والتضرع في وقتين خاصة عند صعود الإمام المنبر إلى أن تقام الصلاة وعند آخر ساعة عند تدلي الشمس للغروب، فهذان الوقتان من أفضل أوقات الجمعة ويقوي في نفسي أن في أحدهما الساعة المرجوة اهـ.

فجميع ما عرف من سياق المصنف عشرة أقوال تصريحاً، وقولان تلويحاً على ما بيناه، وبقيت عليه أقوال في تعيينها.

أحدها: أنها من حين تصفر الشمس إلى أن تغيب. حكاه ابن عبد البر عن عبدالله بن سلام وكعب الأحبار.

والثاني: هي ما بين أن يجلس الإمام على المنبر إلى الفراغ من الصلاة. حكاه ابن المنذر، عن الحسن البصري، وقريب منه قول من قال هي ما بين ان يحرم البيع إلى أن يحل. حكاه ابن عبدالبر عن الشعبي، وحكاه العراقي في شرح الترمذي، عن أبي موسى الأشعري وأبي امامة. وقال النووي: هو الصواب كما في صحيح مسلم من رواية مخرمة بن بكير، عن أبيه، عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه. قال، قال لي عبدالله بن عمر: أسمعت أباك يحدث عن رسول الله

....

ﷺ في شأن ساعة الجمعة، قال: نعم سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هي ما بين أن يجلس الامام إلى أن تقضى الصلاة» قال مسلم: هذا أجود حديث وأصحه في بيان ساعة الجمعة. حكاه عنه البيهقي، وكذلك رواه أبو داود. قال الحافظ في الفتح، واختلف في هذا الحديث وحديث عبدالله بن سلام أي الذي مضى ذكره أيهما أرجح، فرجح مسلم حديث أبي موسى، وبه قال جماعة منهم ابن العربي، والقرطبي. وقال: هو نص في موضع الخلاف فلا يلتفت إلى غيره،. وجزم في الروضة بأنه الصواب، ورجحه بعضهم أيضاً بكونه مرفوعاً صريحاً بأنه في أحد الصحيحين، وتعقب بأن الترجيح بما فيهما أو في أحدهما إنما هو حيث لم يكن مما انتقده الحفاظ، وهذا قد انتقد لأنه أعل بالانقطاع والاضطراب لأن مخرجه ابن بكير لم يسمع من أبيه قاله أحمد عن حماد بن خالد عن مخرمة نفسه، وقد رواه أبو إسحاق وواصل الأحدب ومعاوية بن قرة وغيرهم عن أبي بردة من قوله: وهؤلاء من الكوفة وأبو بردة منها أيضاً فهم أعلم بحديثه من بكير المدني وهم عدد وهو واحد اهـ.

وقال الولي العراقي في شرح التقريب: لهذا الحديث علتان. إحداهما أن مخرمة لم يسمع من أبيه قاله أحمد وغيره، وروى عنه غير واحد انه قال لم أسمع من أبي شيئاً. الثانية: قال الدارقطني: لم يسنده غير مخرمة عن أبيه عن أبي بردة. قال: ورواه جماعة عن أبي بردة من قوله، ومنهم من بلغ به أبا موسى رضي الله عنه ولم يرفعه. قال: والصواب أنه من قول أبي بردة، كذلك رواه يحي القطان عن الثوري عن أبي إسحاق عن أبي بردة، وتابعه واصل الأحدب ومجالد روياه عن أبي بردة من قوله. وقال النعمان بن عبد السلام، عن الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي بردة عن أبيه موقوف قال: ولا يثبت قوله عن أبيه اهـ.

قال النووي في شرح مسلم: وهذا الذي استدركه بناه على القاعدة المعروفة لأكثر المحدثين أنه إذا تعارض في رواية الحديث وقف ورفع وإرسال واتصال حكموا بالوقف والإرسال، وهي قاعدة ضعيفة ممنوعة. قال: والصحيح طريقة الأصوليين، والفقهاء، والبخاري، ومسلم ومحققي المحدثين أنه يحكم بالرفع والاتصال لأنها زيادة ثقة، والله أعلم اهـ.

الثالث: أنها من حين خروج الإمام إلى الفراغ من الصلاة. رواه ابن أبي شيبة، عن الشعبي، عن عوف بن حصيرة وهو تابعي، وحكاه ابن عبد البر عن اشعبي وهو قريب من الذي قبله، لكنه أوسع منه لأن خروج الإمام متقدم على جلوسه على المنبر.

الرابع: هي حين يفتتح الإمام الخطبة إلى الفراغ من الصلاة. حكاه ابن عبد البر وهو أضيق من القولين قبله لأن افتتاح الخطبة متأخر عن جلوس الإمام على المنبر، لما يقع بعد الجلوس من الأذان.

الخامس: أنها من حين تقام الصلاة إلى أن يفرغ منها. رواه ابن أبي شيبة عن أبي بردة بن أبي موسى قال: كنت عند ابن عمر فسئل عن الساعة التي في الجمعة. فقلت: هي الساعة التي اختار

....

الله لها أو فيها الصلاة، فمسح رأسي وبرك عليَّ وأعجبه ما قلت. هكذا نقله العراقي في شرح التقريب وهو غلط، والصحيح أن هذه القصة لابن عباس.

قال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا علي بن هاشم، عن ابن أبي ليلى، عن عطاء، عن ابن عباس وأبي هريرة قالا: الساعة التي تذكر في الجمعة. قال، فقلت هي الساعة التي اختار الله لها أو فيها الصلاة، فساق الحديث. وهكذا نقله السيوطي في الدر المنثور عن المصنف كما ذكرت ولم أجد فيه ما وقع بين أبي بردة وابن عمر، ولعله إن صح فهما قصتان، ولكن نص المصنف ما ذكرت وهذه النسخة التي أنقل منها هي نسخة قديمة صحيحة بخط بعض المحدثين والله أعلم.

ثم قال العراقي: وحكاه ابن عبد البر عن عوف بن حصيرة، ويدل له ما أخرجه الترمذي، وابن ماجه عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني، عن أبيه، عن جده عن النبي ﷺ وفيه قالوا: يا رسول الله؛ أية ساعة هي؟ قال: «حين تقام الصلاة إلى انصرافه منها». قال الترمذي: حسن غريب. قال النووي في الخلاصة: وليس كذلك فإن كثير بن عبدالله متفق على ضعفه. قال الشافعي: هو أحد أركان الكذب، وقال أحمد: هو منكر الحديث ليس بشيء اهـ.

وقال ابن عبد البر لم يروه فيما علمت إلا كثير وليس ممن يحتج به اهـ.

السادس: أنها من حين جلوس الخطيب على المنبر إلى الشروع في الصلاة. حكاه ابن المنذر عن أبي السوار العدوي.

السابع: أنها من الزوال إلى أن يصير الظل نحو ذراع. حكاه القاضي عياض.

الثامن: أنها مع زيغ الشمس يشير إلى ذراع. حكاه ابن المنذر وابن عبد البر عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قاله لامرأته لما سألته وقال لها: إن سألتني بعد فأنت طالق، وهذا القول قريب من الذي قبله.

التاسع: أنها عند أذان المؤذن لصلاة الغداة. قال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا معاوية بن هشام، حدثنا سليمان بن أقرم، عن أبي حبيب، عن نبل، عن سلامة بنت أفعى قالت: كنت عند عائشة في نسوة فسمعتها تقول: إن يوم الجمعة مثل يوم عرفة وإن فيه لساعة تفتح فيها أبواب الرحمة. فقلنا: أي ساعة؟ فقالت: حين ينادي المنادي بالصلاة.

وحدثنا عبدة بن حميد، عن سنان بن حبيب، عن نبل بنت بدر، عن سلامة بنت أفعى، عن عائشة قالت: إن يوم الجمعة مثل يوم عرفة تفتح فيه أبواب الرحمة، وفيه ساعة لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطاه. قيل: وأية ساعة؟ قالت: إذا أذن المؤذن لصلاة الغداة» فهي رضي الله عنها أطلقت النداء مرة وقيدته مرة أخرى، فحملنا المطلق على المقيد، وفهم ابن المنذر من كلامها أنها تعني بالنداء في حديثها الأول لصلاة الجمعة، فحكي عنها أن ساعة الإجابة إذا اذن المؤذن لصلاة الجمعة، ولعله وقف عنها على تصريح بذلك، فعلى هذا يكون هذا القول مع ما مرَّ

من قول المصنف انها عند النداء واحداً من غير مغايرة، ولكن عددناه هنا قولاً مستقلاً للتصريح الواقع في حديثها الثاني عند أبي بكر بن أبي شيبة، وظاهر سياقه دال على التغاير فتأمل.

العاشر: أنها ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. حكاه ابن المنذر، وابن عبد البر، عن أبي هريرة.

الحادي عشر: انها من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. حكاه أبو العباس القرطبي والنووي.

الثاني عشر: أنها الساعة الثالثة من النهار. حكاه ابن قدامة في المغني. فهذه اثنا عشر قولاً إذا ضمت مع ما قبلها تصير أربعة وعشرين قولاً. وهناك قول آخر أنها قد رفعت. حكاه ابن عبد البر وقال: هذا ليس بشيء عندنا، وقال القاضي عياض: رد السلف هذا على قائله، وقد قيل لأبي هريرة: زعموا أن الساعة التي في يوم الجمعة قد رفعت. فقال: كذب من قال ذلك؟ قيل له: فهي في كل جمعة استقبلها؟ قال: نعم. قال ابن عبد البر: على هذا تواترت الآثار، وبه قال علماء الأمصار. ويقال: إن كعب الأحبار كان يقول: إنها في جمعة واحدة من السنة، فلما سمع ذلك أبو هريرة رده عليه فراجع التوراة فرجع إليه.

تنبيهات:

الأول: قال القسطلاني: قد قيل في تعيينها مما يبلغ نحو الأربعين قولاً وليست كلها متغايرة، بل كثير منها يمكن اتحاده مع غيره، وما عدا قول أبي موسى وعبدالله بن سلام موافق لهما أو لأحدهما، أو ضعيف الإسناد، أو موقوف استند قائله إلى اجتهاد دون توقيف اهـ.

الثاني: قال الولي العراقي: وعلى القول بأنها حالة الخطبة والصلاة أو الخطبة خاصة أو الصلاة خاصة، فهي تتقدم وتتأخر باعتبار تقدم خروج الإمام وتأخره، لكن حكى ابن عبد البر، عن محمد بن سيرين بأنها هي الساعة التي كان يصلي فيها رسول الله ﷺ، ويقتضي ذلك انضباط وقتها لأنه ﷺ كان يخطب أول الوقت، فإنه ما كان يؤذن إلا وهو جالس على المنبر في أول الوقت ولم تكن خطبته طويلة اهـ.

الثالث: تقدم جواب عبدالله بن سلام لأبي هريرة أن المراد بكونه يصلي انتظار الصلاة، وسكوت أبي هريرة يقتضي قبول هذا الجواب منه، فيشكل على هذا ما تقدم من رواية الصحيحين وهو قائم يصلي، فقوله: وهو قائم يقتضي أنه ليس المراد انتظار الصلاة، وإنما المراد الصلاة حقيقة، لكنه مع ذلك حمل القيام على الملازمة والمواظبة كما في قوله تعالى: ﴿إلا ما دمت عليه قائماً﴾ [آل عمران: ٧٥] أي ملازماً مواظباً مقيماً.

واعلم أن حمل الصلاة على انتظارها حمل للفظ على مدلوله الشرعي، لكنه ليس المدلول الحقيقي، وإنما هو مجاز شرعي، ويحتمل حمل الصلاة على مدلولها اللغوي وهو الدعاء وهو الذي ذكره النووي، وأما على القول بأنها حالة الصلاة، فالمراد حينئذ بالصلاة مدلولها الشرعي

الحقيقي، والظاهر حينئذ أن قوله قائم نبه به على ما عداه من الأحوال فحالة الجلوس والسجود كذلك، بل هما أليق بالدعاء من حالة القيام، وإذا حملنا الصلاة على الدعاء، فالمراد الإقامة على انتظار تلك الساعة وطلب فضلها والدعاء فيها.

الرابع: حقيقة الساعة المذكورة جزء من الزمان مخصوص وتطلق على جزء من اثني عشر جزءاً من مجموع النهار، أو على جزء ما مقدر من الزمان فلا يتحقق، أو على الوقت الحاضر. وحديث جابر المتقدم ذكره آنفاً من سنن أبي داود يشهد للأوّل، وحديث فاطمة رضي الله عنها الذي ذكره المصنف والدارقطني يشهد للثاني والله أعلم.

الخامس: استشكل حصول الإجابة لكل داع بشرطه مع اختلاف الزمان باختلاف البلاد والمصلي، فيتقدم بعض على بعض، وساعة الاجابة متعلقة بالوقت، فكيف يتفق مع الاختلاف؟ وأجيب: باحتمال أن تكون ساعة الإجابة متعلقة بفعل كل مصلّ كما قيل نظيره في ساعة الكراهة، ولعل هذا فائدة جعل الوقت الممتد مظنة لها وإن كانت هي خفيفة. كذا في فتح الباري، وتقدم في التنبيه الثاني ما يقاربه.

السادس: قال العراقي: قد ورد فيها ما ورد في ليلة القدر من أنه أعلم بها ﷺ ثم أنسيها. رواه أحمد في مسنده، والحاكم في المستدرك من حديث أبي سعيد الخدري قال: سألت النبي ﷺ عنها فقال: « إني كنت أعلمتها ثم أنسيتها كما أنسيت ليلة القدر ». وإسناده صحيح. قال الحاكم: إنه على شرط الشيخين.

السابع: في سياق المصنف: « لا يسأل الله فيها شيئاً » أطلق المسؤول، وظاهره أن جميع الأشياء في ذلك سواء، وفي رواية أخرى: « لا يسأل الله فيها خيراً » وهي في الصحيحين من رواية محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، وفي صحيح مسلم من رواية محمد بن زياد، عن أبي هريرة وهي أخص من الأول إن فسر الخير بخير الآخرة، وإن فسّر بأعم من ذلك ليشمل خير الدنيا، فيحتمل مساواتها للرواية الأولى، وقد ورد التقييد في حديث سعد بن عبادة أن رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ فقال: أخبرنا عن يوم الجمعة ماذا فيه من الخير؟ قال: « فيه خمس خلال » الحديث. قال: « وفيه ساعة لا يسأل عبد فيها شيئاً إلا آتاه الله ما لم يسأل مأثماً أو قطيعة رحم » رواه أحمد، والبزار، والطبراني في الكبير واسناده جيد؛ وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي أمامة: « ما لم يسأل حراماً » وفي الأوسط للطبراني من حديث أنس قال: عرضت الجمعة على رسول الله ﷺ الحديث وفيه: « وفيها ساعة لا يدعو عبد ربه بخير هو له قسم إلا أعطاه أو يتعوذ من شر إلا دفع عنه ما هو أعظم منه » ففي هذا الحديث أنه لا يجاب إلا فيما قسم له وهو كذلك، ولعله لا يلهم الدعاء إلا بما قسم له جمعاً بينه وبين الحديث الذي أطلق فيه أنه يعطى ما سأله.

الثامن: تقدم في رواية البخاري، وأشار بيده يقللها. وفي رواية مسلم وهي خفيفة، ففيها

الثالث: يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله ﷺ في هذا اليوم، فقد قال ﷺ: «من صلى عليَّ في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة. قيل: يا رسول الله؛ كيف الصلاة عليك؟ قال: تقول اللهم صلّ على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي، وتعقد واحدة». وإن قلت: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد

التصريح بها لفظاً. وفي حديث ابن سلام، عند ابن ماجه «أو بعض ساعة» وفي الأوسط للطبراني من حديث أنس «وهي قدر هذا» يعني قبضة. وكل ذلك دال على قصر زمنها، وأنها ليست مستغرقة لما بين جلوس الإمام على المنبر وآخر الصلاة ولا لما بين العصر والمغرب، بل المراد على هذين القولين وعلى جميع الأقوال ان تلك الساعة لا تخرج عن هذا الوقت، وأنها لحظة لطيفة. وقد نبه على ذلك القاضي عياض، وقال النووي في شرح المهذب بعد نقله عنه: إن الذي قاله صحيح.

قال العراقي: لكن حديث جابر الذي في سنن أبي داود ولفظه: «يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة» وفيه: «فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر» وهذا يقتضي أن المراد الساعة التي ينقسم النهار منها إلى اثني عشر جزءاً إلا ان يقال ليس المراد بالتماسها آخر ساعة أنها تستوعب آخر ساعة، بل هي لحظة لطيفة في آخر ساعة، فتلتمس تلك اللحظة في تلك الساعة لأنها مختصة فيها وليست في غيرها. والله أعلم.

(الثالث: يستحب أن يكثر) المريد **(الصلاة على رسول الله ﷺ في هذا اليوم)** خاصة يعني يوم الجمعة فلها فضل عظيم وردت فيه الأخبار. **(فقد قال ﷺ: «من صلى عليّ في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة. قيل: يا رسول الله؛ كيف الصلاة عليك؟ قال: تقول اللهم صلّ على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وتعقد واحدة»).**

قال العراقي: أخرجه الدارقطني من رواية ابن المسيب. قال: وأظنه عن أبي هريرة، وقال: حديث غريب. وقال ابن النعمان: حديث حسن اهـ.

قلت: وأخرجه الأزدي في الضعفاء، والدارقطني أيضاً في الافراد من حديث أبي هريرة بلفظ: «الصلاة عليَّ نور في الصراط فمن صلّى عليَّ يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين عاماً».

ولفظ القوت: وليكثر من الصلاة على النبي ﷺ في ليلة الجمعة ويوم الجمعة وأقل ذلك أن يصلي عليه ثلاثمائة مرة.

وقد جاء في الخبر، ثم ذكره كما ذكر المصنف إلا أنه فيه: قيل كيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا» ثم قال بعده: «واعقدوا واحدة».

قلت: وهذه الصيغة أوردها القطب الجزولي في دلائله في أول الحزب الرابع بلفظ: «عبدك

ة تكون لك رضا ولحقه أداء وأعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته عنا ما هو أهله وأجزه أفضل ما جازيت نبيًّا عن أمته وصلّ عليه وعلى جميع

ورسولك النبي الأمي» وفي آخرها زيادة: «وعلى آله». وقد ورد مغفرة الذنوب والشفاعة والتنوير وقضاء الحوائج لمن يصلي عليه ﷺ في يوم الجمعة، فروى الديلمي من حديث أبي ذر رفعه: «من صلى عليَّ يوم الجمعة مائتي صلاة غفر له ذنب مائتي عام» ومن حديث عائشة: «من صلي عليَّ يوم الجمعة كانت شفاعة له عندي يوم القيامة».

وروى أبو نعيم في الحلية عن علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده: «من صلّى عليَّ يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلق كلهم لوسعهم».

وروى الديلمي عن حكامة عن أبيها عن عثمان بن دينار عن أخيه مالك بن دينار عن أنس: «من صلّى عليَّ يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة من الصلاة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ووكل الله بذلك ملكاً يدخله على قبري كما تدخل عليكم الهدايا إنَّ علمي بعد موتي كعلمي بعد الحياة».

(وإن قلت) في هذا اليوم: **(«اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضا ولحقه أدى)** هكذا بالقصر فيهما. وفي بعض نسخ دلائل الخيرات بالقصر في الأول والمد في الثانية، وبزيادة: وله جزاء بين الجملتين، وهذه الصيغة الشريفة إلى هنا تلقيناها عن شيخنا المرحوم سيدي أحمد بن عبد الفتاح الملوي قدس سره، كما تلقاها عن شيخه القطب مولاي محمد التهامي قدس سره، وذكرها شيخنا في رسالة صغيرة جمع فيها الصيغ، وذكر فيها: إن من قالها كلّ يوم ثلاثاً وثلاثين مرة فتح الله ما بين قبره وقبر نبيه محمد ﷺ، وذكرها أيضاً شيخنا المرحوم القطب السيد عبدالله بن ابراهيم الحسيني نزيل الطائف في كتابه مشارق الأنوار، وتلقيتها عنه وكتبتها بين يديه وأجازني بها، وذكر فيه عن الفقيه الصالح عمر بن سعيد صاحب ذي عقيب: أن من تلاها ثلاثين مرة تشرف برؤية النبي ﷺ، ولقننيها شيخنا المرحوم السيد الوجيه عبد الرحمن بن مصطفى العيدروسي، قدس سره بلفظ اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تكون لك رضا وله جزاء ولحقه أداء ورواها لنا عن صاحبه الشيخ الصالح حسين بن علوي بن جعفر الحسيني المعروف بمدهر، عن الشيخ مذكور بن عبد العزيز الحارثي الحضرمي نزيل المدينة المنورة.

فهذا ما يتعلق بهذه الصيغة، وقد رويت فيها زيادة وهي قوله: **(واعطه)** بقطع الهمز **(الوسيلة)** وهي مقام القرب **(والمقام المحمود الذي وعدته)** وزاد في الدلائل: والفضيلة بعد الوسيلة، **(واجزه)** بوصل الهمز وبالقطع يفسد المعنى **(عنا ما هو أهله واجزه عنا أفضل ما جزيت)** وفي نسخ الدلائل: باسقاط «عنا» في الثاني، وفي بعض نسخها: جازيت بدل جزيت **(نبياً عن أمته)**. كذا في القوت، وفي الدلائل: نبياً عن قومه ورسولاً عن أمته،

أخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين» تقول هذا سبع مرات فقد قيل: من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته ﷺ. وإن أراد أن يزيد أتى بالصلاة المأثورة فقال: «اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الأمة. اللهم ابعثه مقاماً محموداً تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الأولون والآخرون. اللهم أعطه الفضل

(**وصلّ على جميع إخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين** ») إلى هنا آخر الصيغة عند الجميع وفيها فضل عظيم. (**تقول هذا سبع مرات، فقد قيل: من قالها**) وفي القوت: يقال من قاله (**سبع جُمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته ﷺ**). هكذا نقله صاحب القوت وتبعه المصنف، ونقل عنهما شارح الدلائل هذه الفضيلة، وذكر عن غير واحد هذه الصيغة فيما يقال بعد عصر يوم الجمعة مع تخالف في بعض الألفاظ، ثم ان قول المصنف: فقد قيل، وقول صاحب القوت: يقال يدلان على أن هذا منقول عن بعض السلف، وفي القول البديع للحافظ السخاوي: أنه رواه ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

(**فإن أراد أن يزيد**) على ذلك وذلك أن يجد من حاله فراغاً ومن قلبه نشاطاً وشوقاً لحصول المزيد (**أتى بالصلاة**) أي بصيغتها (**المأثورة فقال: اللهم اجعل فضائل صلواتك**) أي صلواتك الفاضلة، (**ونوامي بركاتك**) أي بركاتك النامية، (**وشرائف زكواتك**) أي زيادات خيورك. وفي نسخ الدلائل: تقديم جملة شرائف على نوامي، وهكذا هو في القوت، فكان التقديم والتأخير من النساخ، (**ورأفتك ورحمتك وتحيتك**) هكذا في القوت، وفي الدلائل بزيادة عواطف، وبعد هذه الجمل زيادة وفضائل آلائك، وقوله: وتحيتك هو الصحيح، ويوجد في بعض النسخ بدله وتحننك بنونين من الحنان وهو العطف (**على محمد**) ﷺ. كذا في القوت بزيادة جلة الصلاة (**سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين**) هكذا في القوت بإثبات هذه الجمل، والذي في الدلائل بعد قوله: سيد المرسلين (**ورسول رب العالمين وقائد الخير**) هكذا بإثبات الواو في بعض نسخ الكتاب، وفي بعضها بحذفها، ومثله في الدلائل. وأما لفظ القوت ففيه: وقائد الغر المحجلين (**وفاتح البر**) وهو بالكسر اسم جامع لأنواع الخير (**ونبي الرحمة وسيد الأمة. اللهم ابعثه مقاماً محموداً تزلف به**) بضم التاء الفوقية وسكون الزاي وكسر اللام أي تقرب به أي بسببه (**قربه**) أو الباء ظرفية أي تزيده قرباً، (**وتقر به عينه**) بضم تاء تقر وكسر قافها ونصب عينه على المفعول به، وضبط أيضاً بفتح التاء ورفع عينه على أنه فاعل، ويصح على هذا كسر القاف وفتحها، ومعنى قرت عينه بردت سروراً برؤية ما كانت متشوقة إليه أو بإعطائها ما ترضى (**يغبطه**) بكسر الموحدة وفتحها من الغبطة بالكسر، وهي تمني

والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة. اللهم أعط محمداً سؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع. اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وأبلج حجته وارفع في أعلى المقربين درجته. اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من أهل شفاعته

حصول مثل النعمة الحاصلة للمنعم عليه من غير تمني زوالها عنه، وقد يراد بها لازمها وهو السرور والمحبة **(به)** هكذا في القوت، وفي نسخ الدلائل فيه **(الأولون والآخرون اللهم أعطه الفضل والفضيلة)** أي المزيد من أنواع الكمال **(والشرف)** الأعظم **(والوسيلة)** أي مقام القرب والدنو **(والدرجة الرفيعة)** وفيه كلام تقدم في الأذان، وتقدم في إجابة المؤذن من حديث جابر عند أحمد والبخاري والأربعة بلفظ: «آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته» وفي جامع ابن وهب: صلِّ على محمد عبدك ونبيك ورسولك وآته الوسيلة والشفاعة **(والمنزلة الشامخة المنيفة)** أي العالية. هكذا في القوت، وليس في الدلائل المنيفة: **(اللهم أعط)** بقطع الهمزة **(محمداً سؤله)** أي مسؤوله، وفي الدلائل بدله الوسيلة، **(وبلغه مأموله)** أي ما يتأمله منك، **(واجعله أول شافع)** في الناس لا يتقدمه أحد، **(وأول مشفع)** على صيغة اسم المفعول أي أول من تقبل شفاعته عندك، ومنه حديث الصحيحين: «اشفع تشفع وسل تعط» **(اللهم عظم برهانه)** أي حجته، وعظم هكذا من التعظيم هنا، وفي القوت وفي نسخ الدلائل على الصحيح، وفي الدلائل موضع آخر في النصف الثاني: اللهم أعظم برهانه يتعين هناك زيادة الألف. كذا قاله لنا شيخنا المرحوم العارف بالله تعالى السيد محمد بن مجاهد الأحمدي قدس الله روحه. قال: وهو من جملة المواضع التي يمتحن بها نسخ دلائل الخيرات.

وأقول: إن هذا بالنسبة إلى الرواية التي صحت عن مصنفها قدس سره فينبغي الاقتصار على ما وجد بخطه أو سمع منه، وأما من جهة المعنى فإن التعظيم والاعظام شيء واحد بمعنى الاجلال.

(وثقل ميزانه) على موازين جميع المرسلين، ويحتمل أن المراد موازين أمته. وقال شارح الدلائل: وكون أعماله ﷺ توزن يوم القيامة لم أجد ما يشهد له إلا في تقييد الشيخ يوسف بن عمر على الرسالة من أن أعمال الأنبياء والرسل توزن اهـ.

وفيه كلام تقدم في شرح قواعد العقائد **(وأفلج حجته)** هكذا هو في نسخ الكتاب، وفي القوت أيضاً بالفاء من الفلج وهو الفوز والظفر بالمطلوب، ومثله في بعض النسخ من الدلائل، والمشهور ابلج بالموحدة أي أظهر وأوضح. **(وارفع في أعلى المقربين درجته)**. كذا في نسخ الكتاب وزاد صاحب القوت منزلته قبل درجته، والذي في الدلائل: وارفع في أهل عليين درجته وفي أعلى المقربين منزلته، وأهل عليين هم أهل المنازل العالية في الجنة وهم المقربون الأبرار، والمعنى: وارفع على أعلى منازل المقربين درجته وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿والسابقون السابقون★ أولئك المقربون﴾ [الواقعة: ١٠، ١١] ووجد في بعض نسخ الأحياء الفردوس بدل المقربين، وله وجه وجيه ولكن الرواية ما قدمناها: **(اللهم احشرنا في زمرته)** أي

واحينا على سنته وتوفنا على ملته وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين آمين يا رب العالمين ». وعلى الجملة فكل ما أتي به من ألفاظ الصلاة ولو بالمشهورة في التشهد كان مصلياً.

جماعته، **(واجعلنا في)** وفي القوت والدلائل: من **(أهل شفاعته واحينا)** بقطع الهمزة **(على سنته)** أي على التمسك بطريقته، ولفظ الدلائل بتقديم واحينا على سنته على الجملتين، **(وتوفنا على ملته)** هكذا في القوت وسقط من الدلائل، **(وأوردنا حوضه)** وهو المعروف بالكوثر الثابت بالأحاديث الصحيحة **(واسقنا بكأسه)** وفي الدلائل في كأسه **(غير خزايا)** حال لازم إذ لا يسقى من كأسه إلا على تلك الحال، وخزايا جمع خزيان وهو المفتضح على رؤوس الأشهاد **(ولا نادمين)** جمع نادم وهو المتحسر **(ولا شاكين)** من الشك. وفي بعض نسخ الكتاب بدله ولا ناكبين أي ولا معرضين عن طريقته، **(ولا مبدلين)** لطريقته. وزاد صاحب الدلائل بعده ولا مغيرين **(ولا فاتنين)** للغير **(ولا مفتونين)** بالدنيا وزخارفها **(آمين رب العالمين »)**. وفي الدلائل بزيادة حرف النداء بعد آمين إلى هنا آخر الصيغة.

قال العراقي: أخرج ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي ﷺ من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف، ووقفه ابن ماجه على ابن مسعود اهـ.

قلت: وأخرجه الطبراني في الكبير، والبغوي من حديث رويفع بن ثابت. « من قال اللهم صلّ على محمد وانزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي ». وعند أحمد، وابن قانع من حديثه بلفظ: « من صلى على محمد وقال اللهم أنزله » الخ.

(وعلى الجملة كل ما أتى به من لفظ الصلاة) بأي صيغة اتفقت **(ولو المشهور في التشهد كان مصلياً)** ولفظ القوت: وكيفما صلّى عليه بعد أن يأتي بلفظ الصلاة فهي صلاة ولو الصلاة المشهورة التي رويت في التشهد اهـ.

قلت: وهي ما أخرجه أحمد والستة ما عدا الترمذي من حديث كعب بن عميرة قال: قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: « قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد ».

تنبيه:

قوله: واجعلنا من أهل شفاعته. قال الولي العراقي: كره بعضهم للعبد أن يسأل الله تعالى أن يرزقه شفاعة النبي ﷺ لكونها لا تكون إلا للمذنبين، وقال النبي ﷺ: « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » رواه الترمذي، وابن ماجه من حديث جابر. وقال جابر: من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة.

....

وروى ابن عبد البر في التمهيد، عن أسماء بنت عميس أنها قالت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني ممن تشفع له يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ: « إذاً تخمشك النار فإن شفاعتي لكل هالك من أمتي تخمشه النار ».

وقال القاضي عياض: لا يلفت إلى هذا فإن الشفاعة قد تكون لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات، ثم كل عاقل معترف بالتقصير محتاج إلى العفو غير معتد بعمله مشفق أن يكون من الهالكين. قال: ويلزم هذا القائل أن لا يدعو بالمغفرة والرحمة لأنها لأصحاب الذنوب، وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف الصالح، فقد عرف بالنقل المستفيض سؤالهم شفاعة نبينا ﷺ ورغبتهم فيها اهـ.

تذييل:

أذكر فيه بعض ما ورد في فضل الصلاة على النبي ﷺ.

أخرج أحمد والبخاري في الأدب المفرد، والنسائي، وأبو يعلى، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، والضياء من حديث أنس: « من صلّى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات ».

وأخرج أحمد، وابن حبان من حديث أبي هريرة: « من صلى عليَّ مرة واحدة كتب الله له بها عشر حسنات ».

وأخرج أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان في حديثه: « من صلّى عليَّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً ».

وأخرجه الطبراني في الكبير، عن أنس، عن أبي طلحة، وأخرجه أيضاً عن ابن عمر، وعن ابن عمرو، وعن أبي موسى، وعن أبي أمامة ولكن بلفظ: « من صلّى عليَّ صلى الله بها عليه عشراً بها ملك موكل حتى يبلغنيها ».

وأخرج الحاكم في الكنى، والطبراني في الكبير من حديث عامر بن ربيعة « من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه فأكثروا أو أقلوا ».

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء « من صلى عليَّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة ».

وأخرج أحمد، عن عبدالله بن عمر « ومن صلى عليَّ صلاة صلى الله وملائكته بها سبعين صلاة فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر ».

وأخرج البيهقي، عن عامر بن ربيعة « من صلى عليَّ صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى عليَّ فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر ».

....

وأخرج ابن النجار، عن جابر «من صلى علي في يوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين لآخرته وثلاثين منها لدنياه».

وأخرج الطبراني في الأوسط، عن أبي هريرة «من صلى عليَّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب».

وأخرج البيهقي، عن أبي هريرة «من صلى عليَّ عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائياً أبلغه».

وأخرج البيهقي، والخطيب من حديثه نحوه بلفظ «وكل بها ملك يبلغني وكفى بها أمر دنياه وآخرته وكنت له شهيداً أو شفيعاً».

وأخرج أبو الشيخ، عن أنس «من صلى علي في كل يوم ألف مرة لم يمت حتى يبشر بالجنة».

تكميل:

قد أكثر المحبون للنبي ﷺ في الصلاة عليه بصيغ مختلفة وألفاظ متنوعة وأفردوها بمصنفات ما بين طوال وقصار فمن أطول ما رأيت كتاب تنبيه الأنام للشيخ عبد الجليل بن محمد بن محمد ابن عظوم القيرواني في مجلد حافل أبدع فيه وأغرب.

ومن المتأخرين القطب الكامل سيدي محمد المعطي بن عبد الخالق بن عبد القادر بن القطب أبي عبدالله محمد الشرقي التادلي في مجلدات أطال فيها رحمه الله تعالى.

ومن القصار الكتاب المسمى بدلائل الخيرات وشوارق الأنوار للقطب أبي عبدالله محمد بن سليمان الجزولي قدس سره، وكان في أواخر الثمانمائة وكان في عصره رجل آخر بشيراز ألف كتاباً وسماه بهذا الاسم وعلى هذه الطريقة، إلا أن الله سبحانه وتعالى قد رزق القبول والاشتهار لكتاب الجزولي ما لم يعط لغيره، فولعت به الخاصة والعامة وخدموه بشروح وحواش، وما ذلك إلا لحسن نيته وخلوص باطنه في حبه ﷺ، وقد سمعت غير واحد من الشيوخ يقول: إذا أردت أن تعرف مقام الرجل في القبول عند الله تعالى فانظر إلى مؤلفاته أو تلامذته.

وتلاه على طريقته من المتأخرين رجل من أهل تونس يعرف بالهاروشي ألف كتاباً سماه كنوز الأسرار غريب في بابه، وقد تلقيته عن بعض أصحاب أصحابه. وتلاه شيخنا القطب السيد عبدالله بن إبراهيم الحسيني نزيل الطائف قدس سره، كتاباً سماه مشارق الأنوار جمع فيه الصيغ الواردة عن السلف الصالحين، فجاء حسناً في بابه ثم شرح عليه شرحاً نفيساً تلقيناه عنه. ورأيت لبعض المتأخرين من أهل ثغر دمياط يعرف بالشامخ جمع كتاباً صغيراً فيه صيغ حسنة، ولشيخنا المرحوم الشهاب الملوي رسالة جمع فيها أربعين صيغة مما تلقاها عن شيخه القطب مولاي التهامي قدس سره قد تلقيناها عنه، وقد حذوت حذوهم رجاء البركة فألفت في هذا الباب رسالتي الأولى إتحاف أهل الصفا جمعت فيها بعض الصيغ الواردة عن السلف ومن بعدهم، والثانية

....

الفيوضات الإلهية ابتكرت فيها صيغاً غريبة مدهشة العقول، ولما رآها بعد العارفين سماها قاموس الصلوات لما فيها من حسن الترتيب وغرائب اللغات، ولشيخ مشايخنا السيد مصطفى البكري قدس سره على هذا المنوال صيغ سبع سماها دلائل القرب يحفظها أصحابه وقد شرحتها على طريقته مزجاً.

وأما الصيغ المنسوبة للقطب الأكبر محي الدين بن عربي قدس سره، فهي من غرائب الصلوات لا يحيط بمعرفة أسرارها إلا من داناه في ذوقه ومعرفته، وقد شرحت بعضها وعلى وتيرتها صيغ القطب شمس الدين البكري وهي ثلاثة، وقد شرحتها وسميته رحيق المدام المختوم البكري، ومن أحسن ما يوجد في هذه الصيغ ما نسب إلى القطب سيدي عبد السلام بن مشيش قدس سره، فإليها النهاية للمريد إذا كررها يوم الجمعة، ففيها من الفضائل لا تحصى وهي مغنية عن غيرها، وقد شرحها غير واحد من أئمة المغرب والمشرق من المتقدمين والمتأخرين، وأحسن ما رأيت من شروحها شرح شيخنا السيد عبدالله صاحب الطائف وهما شرحان. أحدهما: صغير وهو ممزوج بحيث من يراه لا يظن إلا أنه كلام واحد، والثاني مطول في كراريس. وقد شرحتها أيضاً في أوراق، ولكن المريد إذا لم يقتصر على هذه الصيغة وتشوقت نفسه إلى الزيادة فليلازم قراءة دلائل الخيرات وختمه في كل يوم جمعة يشرع فيه من أول النهار ويختمه قبل الزوال ففيه الكفاية، فإن كان مشغولاً بالكسب فليقتصر على الربع منه، فإن كل ربع منه مشتمل على خمسمائة صيغة. وهذا القدر أوسط المراتب في حق المشتغل.

وأما الصيغ المختصرة والمطولة التي ذكر فيها أن المرة منها بعشرة وبمائة وبمائتين وبخمسمائة وبألف وبألفين وبعشرة آلاف وبعشرين ألفاً وبثمانين ألف وبمائة ألف وبخمسمائة ألف وبعتق رقبة وغير ذلك، فقد ألف فيها غير واحد من العلماء وأشرت إلى بعضها في إتحاف الصفا.

سانحة:

ذكر شيخ بعض شيوخنا الشهاب أحمد بن مصطفى الإسكندري الشهير بالصباغ في آخر إجازته ما نصه: أقرب طريق للمريد المسرف على نفسه الاستغفار، ثم الصلاة والسلام على النبي المختار ﷺ، وقد ألهمت هذه الصيغة ووجدت لها من الخواص مالله المنة علي فيه ببركته ﷺ وعرضتها عليه مستأذناً له في استعمالها، فتبسم ﷺ وهي هذه: اللهم صلى وسلم على نبيك وحبيبك سيدنا محمد وعلى إخوانه وآله صلاة وسلاماً نقرع بها أبواب جنانك، ونستجلب بها أسباب رضوانك، ونؤدي بها بعض حقه علينا بفضلك آمين.

ثم قال: واعلم أن من أقرب أسباب رؤيته ﷺ مناماً كثرة الصلاة عليه بأي صيغة، وما فيها لفظ محمد أكمل وأقل الكثرة ألف مرة في الليلة، فإن أهل الخصوصية نصوا على ذلك وحضوا عليه كثيراً. ولقد سأله الفقير عن ذلك فأشار برأسه أن نعم.

وبالجملة: فانجح شيء في هذا المقام كثرة الشوق وصدق التعلق به واللجاج باسمه ﷺ خصوصاً بعد وضع رأسك للوساد لطلب النوم ليلاً أو نهاراً بعد ما قسم لك من الذكر أو القرآن تختم بهذا الإسم الكريم إثنتين وعشرين مرة فتجد له ما لا يدخل تحت حصر من الخير الجسيم، والله أعلم اهـ.

قلت: ولو زاد المريد في هذه الصيغة عبدك قبل نبيك فهو أكمل لأنه حينئذ يجمع له ﷺ مقام الكمال في هذه المراتب الثلاث، وهو ﷺ يفرح بمقام العبودية إذا أضيفت إليه كما عرف من حاله ﷺ فافهم.

ومما ألهمت به في إحدى ليالي شهر رجب سنة ١١٧٨ وأنا بالحارة الداودية بمصر هذه الصيغة الشريفة وبشرت أن قائلها مائة مرة يأمن به الإقليم الذي هو فيه ببركة تلاوته لهذه الصيغة الشريفة وهي هذه: اللهم صلّ على سيدنا محمد بكل صلاة تحب أن يصلى به عليه في كل وقت يحب أن يصلى به عليه. اللهم سلم على سيدنا محمد بكل سلام تحب أن يسلم به عليه في كل وقت يحب أن يسلم به عليه صلاة وسلاماً دائمين بدوامك عدد ما علمت وزنة ما علمت وملء ما علمت ومداد كلماتك وأضعاف أضعاف ذلك اللهم لك الحمد ولك الشكر، كذلك على ذلك في كل ذلك وعلى آل وصحبه وإخوانه.

فائدة:

أخرج أبو داود، وابن ماجه من حديث أبي هريرة رفعه «من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

تنبيه:

في القول البديع للحافظ أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي رحمه الله تعالى وهو أحسن كتاب صنف في الصلاة عليه ﷺ ما نصه: وأما الصلاة عليه عند ذكره ففيه أحاديث تقدم ذكرها. وقد نقل القاضي عياض عن إبراهيم التجيبي أنه قال: واجب على كل مؤمن ذكره ﷺ أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته، ويأخذ من هيبته ﷺ وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدبنا الله به. قال: وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين.

وكان مالك رضي الله عنه إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوماً في ذلك؛ فقال: لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم عليَّ ما ترون. لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا تكاد تسأله عن حديث أبداً إلا يبكي حتى نرحمه، ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي ﷺ اصفر وما

وينبغي أن يضيف إليه الاستغفار فإن ذلك أيضاً مستحب في هذا اليوم.

رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة، ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فننظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم، وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله ﷺ ولقد كنت آتي عامر بن عبدالله بن الزبير فإذا ذكر عنده رسول الله ﷺ يبكي حتى لا يبقى في عينيه دموع. ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته. ولقد كنت آتي صفوان بن سليم، وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي ﷺ بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه، وكنا ندخل على أيوب السختياني فإذا ذكر له حديث رسول الله ﷺ بكى حتى نرحمه اهـ.

وإذا تأملت هذا عرفت ما يجب عليك من الخشوع والوقار والتأدب والمواظبة على الصلاة والتسليم عليه عند ذكره، أو سماع اسمه الكريم ﷺ تسليماً كثيراً كثيراً آمين.

(وينبغي أن يضيف إليه الاستغفار) وليكثر منه، **(فإن ذلك أيضاً مستحب في هذا اليوم)** وليلته، وأي ذكر فيه سؤال المغفرة فهو مستغفر، وإن قال: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم فهو أفضل، وإن قال: رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين حسن، وكذا: أستغفر الله لذنبي وسبحان الله وبحمد ربي كذا في القوت.

قلت: أما الاستغفار من غير قيد يوم الجمعة، فقد وردت فيه أحاديث. منها: ما رواه الحسن بن سفيان في مسنده، والديلمي عن أنس «من استغفر سبعين مرة غفر له سبعمائة ذنب وقد خاب وخسر من عمل في يوم وليلة أكثر من سبعمائة ذنب» ورواه الديلمي أيضاً من حديث أبي هريرة إلا أنه قال: «من استغفر الله إذا وجبت الشمس» والباقي نحوه.

وأخرج الطبراني عن عبادة بن الصامت «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة» وعن أبي الدرداء بلفظ: «كل يوم سبعاً وعشرين مرة أو خمساً وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به أهل الأرض».

وفي بعض الأحاديث تقييد ذلك دبر كل صلاة. أخرج أبو يعلى، وابن السني عن أنس «من استغفر الله دبر كل صلاة ثلاث مرات فقال استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف». وعند الديلمي من حديث أبي هريرة «من استغفر الله دبر كل صلاة سبعين مرة غفر له ما اكتسب من الذنوب ولم يخرج من الدنيا حتى يرى أزواجه من الحور ومساكنه من القصور».

وفي بعضها التقييد بيوم الجمعة وليلته أي وقت كان. أخرج البيهقي، وابن النجار عن أنس «من قال هؤلاء الكلمات يوم الجمعة سبع مرات فمات في ذلك اليوم دخل الجنة ومن قالها في ليلة الجمعة فمات في تلك الليلة دخل الجنة. من قال: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وابن أمتك وفي قبضتك ناصيتي بيدك أصبحت أو أمسيت على عهدك ووعدك ما

الرابع: قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة، فقد روي عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما: «أن من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أعطي نوراً من حيث يقرؤها إلى مكة وغفر له إلى الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام، وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام

أستطعت. أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك وأبوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

وفي بعضها ما هو مقيد بغداة الجمعة أخرج ابن السني والطبراني في الأوسط، وابن عساكر، وابن النجار من حديث أنس «من قال صبيحة الجمعة قبل صلاة الغداة استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر» وفي الإسناد خصيف بن عبد الرحمن الجزري ضعيف، لكن وثقه ابن معين.

وأخرجه الحاكم من حديث ابن مسعود ولم يقيده بالوقت المذكور وزاد بعد قوله ذنوبه «وإن كان فاراً من الزحف».

(الرابع: قراءة القرآن) فقد وردت فيه أخبار وسيأتي بعضها فيما بعد، **(فليكثر منه)** أي من القرآن **(وليقرأ سورة الكهف خاصة، فقد روى ابن عباس، وأبو هريرة رضي الله عنهم مرفوعاً)** أي رفعاه إلى رسول الله ﷺ **(قال: «من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطي نوراً من حيث يقرؤها إلى مكة وغفر له إلى الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام، وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال»)** بلفظ القوت.

روى ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس وأبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: «من قرأ» فساقه. والمصنف تبعه في هذا السياق بتمامه.

وقال العراقي: لم أجده في حديثهما، وللبيهقي نحوه من حديث أبي سعيد اهـ.

قلت: أما حديث أبي هريرة فوجدته عند الديلمي في مسند الفردوس أخرجه من حديثه يرفعه بلفظ: «من قرأ سورة الكهف في ليلة الجمعة أعطي نوراً من حيث مقامه إلى مكة، وصلت عليه الملائكة حتى يصبح، وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجنون والجذام وفتنة الدجال» قال الحافظ ابن حجر: فيه إسماعيل بن أبي زياد متروك كذبه الدارقطني.

وأما حديث ابن عباس فأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني لكن لفظه يخالف سياق المصنف قال: «من قرأ عشر آيات من سورة الكهف ملء من قرنه إلى قدمه إيماناً، ومن قرأها في ليلة جمعة كان له نور كما بين صنعاء وهذي، ومن قرأها يوم جمعة قدم أو أخر حفظ إلى الجمعة الأخرى فإن خرج الدجال فيما بينهما لم يتبعه».

وأما حديث أبي سعيد الذي أشار إليه العراقي وقال روي نحوه، فلفظه عند الحاكم في التفسير، والبيهقي في السنن بلفظ «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين». أورده الحاكم من طريق نعيم بن حماد، عن هشيم عن أبي هاشم، عن أبي مجلز، عن قيس بن عباد، عن أبي سعيد وقال: صحيح، وقال الذهبي: بل نعيم بن حماد ذو مناكير، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار: هو حديث حسن وهو أقوى ما ورد في قراءة سورة الكهف اهـ.

قلت: وعند البيهقي أيضاً من حديث أبي سعيد بلفظ: «من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه». وهكذا رواه الطبراني في الأوسط، والحاكم، وابن مردويه، والضياء.

وفي شعب الإيمان للبيهقي من حديث أبي سعيد مرفوعاً وموقوفاً «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق».

قلت: وقفه سعيد بن منصور، والدارمي على أبي سعيد. وقال البيهقي: رواه عن الثوري، عن أبي هاشم موقوفاً. ورواه يحي بن أبي كثير، عن شعبة، عن أبي هاشم مرفوعاً. قال الذهبي في المهذب: ووقفه أصح. وقال الحافظ ابن حجر: رجال الموقوف في طرقه كلها أكثر من رجال المرفوع. وقد روي ذلك أيضاً من حديث علي، وابن عمر عن عائشة، ومعاذ بن أنس، وعبدالله ابن عقيل.

أما حديث علي فأخرجه ابن مردويه والضياء بلفظ: «من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة تكون فإن خرج الدجال عصم منه» وأورده عبد الحق في أحكامه وقال: سنده مجهول.

وأما حديث ابن عمر فأخرجه ابن مردويه، ومن طريقه الضياء بلفظ: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين».

وأما حديث عائشة فأخرجه ابن مردويه بلفظ: «من قرأ من سورة الكهف عشر آيات عند منامه عصم من فتنة الدجال، ومن قرأ خاتمتها عند رقاده كان له نوراً من لدن قرنه إلى قدمه يوم القيامة».

وأخرجه من وجه آخر قالت عائشة رفعته. «ألا أخبركم بسورة عظمتها ما بين السماء والأرض ولكاتبها من الأجر مثل ذلك ومن قرأها يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام، ومن قرأ العشر الاواخر منها عند نومه بعثه الله أي الليل شاء. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: سورة الكهف».

وأما حديث معاذ، عن أنس فأخرجه أحمد، والطبراني في الكبير، وابن السني، وابن مردويه بلفظ: « من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين الأرض والسماء ».

وروي في الباب عن أبي الدرداء أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح ولفظه: « من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال ». ويروى: « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال ». وهكذا أخرجه أبو عبيد في الفضائل، وأحمد، ومسلم والنسائي، وابن حبان، وروي اللفظ الأخير أيضاً عن ثوبان، وهكذا هو عند النسائي، وأبي يعلى، والروياني والضياء.

وأما حديث عبدالله بن مغفل فأخرجه ابن مردويه عنه رفعه: « البيت الذي تقرفيه سورة الكهف لا يدخله شيطان تلك الليلة.

تنبيهات:

الأول: وقع في بعض روايات هذا الحديث يوم الجمعة، وفي أخرى ليلة الجمعة، ويجمع بأن المراد اليوم بليلته والليلة بيومها، وأما الجمع بينهما كما في حديث ابن عباس فضعيف جداً أشار إليه الحافظ في أماليه.

الثاني: نقل الحافظ عن أبي عبيد قال وقع في رواية شعبة: « من قرأها كما أنزلت » وأوله على أن المراد يقرؤها بجميع وجوه القرآن قال: والمتبادر أنه يقرؤها كلها بغير نقص حساً ولا معنى، وقد يشكل عليه ما ورد من زيادات أحرف ليست في المشهور مثل سفينة صالحة وأما الغلام فكان كافراً، ويجاب بأن المراد المتعبد بتلاوته.

الثالث: في حديث ابن عباس « عوفي من الداء » وهو المرض عامة وما ذكر بعده من الأمراض، فمن باب التخصيص بعد العموم، والدبيلة: كجهينة عند الأطباء كل ورم في داخله موضع تنصب إليه المادة، وذات الجنب: ورم حار في العضلات الباطنة والحجاب المستبطن، ويلزمه حمى حادة لقربه من القلب وتسمى الشوحة أعاذنا الله منها، والبرص: عبارة عن سوء مزاج يحصل بسببه فساد بلغم يضعف القوة المغيرة إلى لون الجسد، والجذام: بالضم داء يقطع اللحم ويسقطه. أعاذنا الله من ذلك كله، واللام في الدجال للعهد وهو الذي في آخر الزمان ويدعي الألوهية إلى نفسه، ويجوز أن يكون للجنس لأن الدجال من يكثر منه الكذب والتلبيس، ومنه في الحديث « يكون في آخر الزمان دجاجلة كذابون » والأول أعرف.

الرابع: في تخصيص سورة الكهف بهذه المزية في يوم الجمعة أو ليلته لما في أولها من الآيات الدالة على توحيد الحق، وكذلك النهي عن الشرك في آخرها. والدجال يدعي الربوبية، ومن جلة آياتها: ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾ [الكهف: ١٠٢] فمن

وفتنة الدجال ». ويستحب أن يختم القرآن في يوم الجمعة وليلتها إن قدر، وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر إن قرأ بالليل، أو في ركعتي المغرب أو بين الأذان والإقامة للجمعة فله فضل عظيم. وكان العابدون يستحبون أن يقرأوا يوم الجمعة: « قل هو

تأملها بل السورة من أولها وآخرها لم يفتن بالدجال، وذلك إذا تدبرها حق التدبر قوي إيمانه ولم يغتر بتلبيس الدجاجلة، والله أعلم.

الخامس: المتبادر إلى الأذهان أن ليس المطلوب قراءته ليلة الجمعة ويومها إلا الكهف، وعليه العمل في الزوايا والمدارس وليس كذلك، فقد وردت أحاديث في قراءة غيرها يومها وليلتها. منها: ما رواه التيمي في الترغيب في قراءة سورة البقرة، وآل عمران في ليلة الجمعة كان له من الأجر كما بين لبيدا إلى الأرض السابعة وعروجاً إلى السماء السابعة وهو غريب ضعيف.

وما رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رفعه « من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس » وسنده ضعيف أيضاً.

وما رواه ابن عدي عن أبي هريرة « من قرأ سورة يس في ليلة الجمعة غفر له » وهو غريب ضعيف.

وما رواه أبو داود، عن ابن عباس « من قرأ سورة يس والصافات ليلة الجمعة أعطاه الله سؤله » وفيه انقطاع.

وما رواه ابن مردويه عن كعب رفعه « اقرؤا سورة هود يوم الجمعة » وهو مرسل وسنده صحيح.

وما رواه الترمذي، عن أبي هريرة « من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غفر له » وفيه انقطاع.

وما رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة « من قرأ حم الدخان في ليلة جمعة أو يوم جمعة بنى الله له بيتاً في الجنة » والله أعلم.

(ويستحب) للمريد **(أن يختم القرآن في يوم الجمعة وليلة الجمعة إن قدر)** على ذلك، ولفظ القوت: واستحب له أن يقرأ ختمة يوم الجمعة، فإن ضاق عليه شفعها بليلتها ليكون ابتداؤه من ليلة الجمعة، **(وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر إن قرأ بالليل، أو في ركعتي المغرب، أو بين الأذان والإقامة للجمعة فله فضل عظيم)**. ولفظ القوت: وإن جعل ختمة القرآن في ركعتي الفجر من يوم الجمعة، أو ركعتي المغرب ليلة السبت ليستوعب بذلك كلية اليوم والليلة فحسن، وإن جعل ختمه بين الأذانين أذان الجمعة وأذان الإقامة للصلاة ففيه فضل اهـ.

وأخرج أبو نعيم من حديث سعد « من ختم القرآن أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي ومن ختمه آخر النهار صلت عليه الملائكة حتى يصبح ».

الله أحد » ألف مرة. ويقال: إن من قرأها في عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمة، وكانوا يصلون على النبي ﷺ ألف مرة، وكانوا يقولون: « سبحان الله

وأخرج الديلمي من حديث أنس « من قرأ القرآن في صلاة قائماً كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه قاعداً كان له بكل حرف خمسون حسنة ».

(وكان العابدون) من السلف الماضين **(يستحبون أن يقرؤا يوم الجمعة)** سورة **(« قل هو الله أحد » ألف مرة)** وقد ورد فيه حديث، لكن من غير تقييد بيوم الجمعة بلفظ: « من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله عز وجل ».

أخرجه الرافعي في تاريخ قزوين من طريق إبراهيم بن حمير الخيازجي الشيباني قال في فوائده أخبرنا: أبو عمر محمد بن عبد الواحد البزاز أخبرنا عبدالله بن سهل المقري، حدثنا محمد بن الوليد، حدثنا غندر، عن شعبة عن منصور، وعن ربعي، عن حذيفة مرفوعاً.

قال الرافعي: رواه أحمد بن علي الخيازجي، عن أحمد بن نصر الخيازجي سماعاً أو إجازة، عن حمير بن إبراهيم الخيازجي، عن أبيه إبراهيم بن حمير فساقه.

وأخرج ابن عساكر، عن أبان، عن أنس « وإن قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة أو يرى له ».

(ويقال: إن من قرأها في عشر ركعات أو عشرين ركعة فهو أفضل من ختمة) هكذا نقله صاحب القوت. فعلى الأول يقع في كل ركعة مائة مرة، وعلى الثاني خمسين مرة.

أما ثواب من قرأها مائة مرة فأخرج ابن عدي، والبيهقي في الشعب من حديث أنس « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة غفر له خطيئة خمسين عاماً ما اجتنب خصالاً أربعاً: الدماء، والأموال، والفروج، والأشربة » تفرد به الخليل بن مرة وهو من الضعفاء الذين يكتب حديثهم.

وعند ابن عساكر من حديث أبان عن أنس « كفر عنه ذنوب خمس وعشرين سنة ما خلا الدماء والأموال ».

وأخرج الطبراني في الكبير، والبغوي من حديث فيروز الديلمي « من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة في الصلاة أو غيرها كتبت له براءة من النار ».

وأما ثواب من قرأها خمسين مرة فأخرج محمد بن نصر من طريق أم كثير الأنصارية عن أنس « من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر له ذنوب خمسين سنة ».

(وكانوا يصلون على النبي ﷺ ألف مرة) كذا في القوت.

وأخرج أبو الشيخ من حديث أنس « من صلى عليَّ في يوم ألف مرة لم يمت حتى يبشر بالجنة والألف أوسط مرتبة الكمال، فمن زاد زاد الله عليه إذ كل مرة منها بعشر من الله تعالى فليقلل أو ليكثر » كما صرحت به الروايات.

والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » ألف مرة وإن قرأ المسبحات الست في يوم الجمعة أو ليلتها فحسن. وليس يروى عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ سوراً بأعيانها إلا

وأخرج الشافعي من مرسل صفوان بن سليم رفعه « إذا كان يوم الجمعة أو ليلة الجمعة فاكثروا من الصلاة علي » ومن مرسل عبدالله بن عبد الرحمن بن معمر « أكثروا الصلاة عليَّ يوم الجمعة ».

(و) كانوا (**يقولون**) : هذه الأربع كلمات (**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ألف مرة**) فقد ورد في كل من ذلك إفراداً وجمعاً أخبار صحيحة.

أخرج أحمد، والبيهقي في الشعب من حديث رجل من بني سليم « سبحان الله نصف الميزان، والحمد لله تملأ الميزان، والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض ».

وأخرج ابن السني من حديث ابن عباس « سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر في ذنب المسلم مثل الأكلة في جنب ابن آدم ».

وأخرج السجزي في الإبانة، عن ابن عمر، وابن عساكر، عن أبي هريرة « سبحان الله نصف الميزان، والحمد لله ملء الميزان، والله أكبر ملء السموات وألارض، ولا إله إلاَّ الله ليس دونها ستر ولا حجاب حتى تخلص إلى ربها عز وجل ».

وفي حديث أم هانيء « التسبيح مائة تعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل، والتحميد مائة تعدل مائة فرس مسرجة ملجمة يحمل عليها في سبيل الله، والتكبير مائة تعدل مائة بدنة متقبلة، والتهليل مائة تملأ ما بين المساء والأرض » معناه عند أحمد والطبراني والحاكم.

وأخرج ابن شاهين في الترغيب عن أبي هريرة « من قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة، ومن قال الحمد لله كتب له ثلاثون حسنة، ومن قال الله أكبر كتب له عشرون حسنة ».

وأخرج الديلمي، عن سلمان « من قال بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر لا إله إلا الله وسبحان الله غفر له ذنوبه ».

وأخرج الخرائطي في مكارم الأخلاق، عن ابن عباس « من قال إذا أصبح سبحان الله وبحمده ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله تعالى ».

قال صاحب القوت: وهذه ثلاثة أوراد حسنة في يوم الجمعة أعني قراءة الإخلاص، والصلاة على النبي ﷺ، والتسبيح والتهليل، فلا يدع ذلك من وفقه الله أو أحدها ألفاً ألفاً فإنه في هذا اليوم من أفضل الأعمال.

(**وإن قرأ المسبحات الست في يوم الجمعة وليلتها فذلك حسن.**) كذا في القوت وهي تسبيحات ابن المعتمر سيأتي ذكرها عند ذكر أوراد اليوم، (**وليس يروى أن النبي ﷺ كان يقرأ سوراً بأعيانها إلا في يوم الجمعة وليلتها**) زاد صاحب القوت: فإن روينا انه (كان يقرأ في

في يوم الجمعة وليلتها. كان يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة: «قل يا أيها الكافرون» «وقل هو الله أحد» وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة، والمنافقين. وروي أنه ﷺ كان يقرؤهما في ركعتي الجمعة. وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان، وسورة هل أتي على الإنسان.

صلاة المغرب ليلة الجمعة «قل يا أيها الكافرون» «وقل هو الله أحد» وكان يقرأ في صلاة العشاء الأخيرة سورة الجمعة، وسورة المنافقين).

قال العراقي: أخرجه ابن حبان، والبيهقي من حديث جابر بن سمرة، وفي ثقات ابن حبان المحفوظ عن سماك مرسلاً. قال العراقي، قلت: لا يصح مسنداً ولا مرسلاً اهـ.

(وروي أنه ﷺ كان يقرؤهما) أي هاتين السورتين الجمعة والمنافقين **(في ركعتي الجمعة)** يعني صلاتها. كذا في القوت أخرجه الشافعي، عن ابراهيم بن محمد، حدثني عبدالله بن أبي لبيد، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة.

(وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة بسجدة لقمان، وسورة هل أتى على الإنسان) كذا في القوت. قال العراقي: أخرجه مسلم من حديث ابن عباس وأبي هريرة اهـ.

قلـت: الذي في الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه كان يقرأ في صبح الجمعة بالسجدة، وهل أتى.

وأخرج الشافعي عن عبدالعزيز بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن عبيدالله بن أبي رافع، عن أبي هريرة «أنه قرأ في الجمعة بسورة الجمعة، وإذا جاءك المنافقون» قال عبيدالله، فقلت له: قد قرأت بسورتين كان علي يقرأ بهما في الجمعة فقال: إن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهما.

وقال الشافعي أيضاً: أخبرنا ابراهيم بن محمد، حدثني مسعر بن كدام، عن معبد بن خالد، عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ: «كان يقرأ في الجمعة بسبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك حديث الغاشية».

وقال ابن الحاج في المدخل يقرأ الإمام في الجمعة في الأولى بعد أم القرآن بسورة الجمعة، وأما الثانية فاختلفت الروايات فيها فقيل: المنافقون، وقيل: سبح اسم ربك الأعلى، وقيل: هل أتاك حديث الغاشية وهو الأكثر، ولم يختلف المذهب في الأولى أنه لا يقرأ فيها إلا بسورة الجمعة.

وقد سئل مالك رحمه الله عما يقرأ المسبوق بركعة في الجمعة فقال: يقرأ مثل ما قرأ إمامه بسورة الجمعة، فقيل له: أقراءة الجمعة في صلاة الجمعة سنّة؟ قال: ما أدري ما سنّته، ولكن من أدركنا كان يقرأ بها في الركعة الأولى من الجمعة اهـ.

الخامس: الصلوات. يستحب إذا دخل الجامع أن لا يجلس حتى يصلي أربع ركعات يقرأ فيهن: «قل هو الله أحد» مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة، فقد نقل عن رسول الله ﷺ: «أن من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يُرى له» ولا

ثم قال: وإن كان قد ورد أن النبي ﷺ قرأ في الأولى منها بسبح اسم ربك، وفي الثانية بهل أتاك، لكن الذي واظب عليه النبي ﷺ واستقر عليه عمل السلف هو ما تقدم ذكره، وإذا كان ذلك كذلك فالمواظبة على ترك قراءة سورة الجمعة في الركعة الأولى منها مما لا ينبغي فيحذر من ذلك جهده. قال: وبعض الأئمة في هذا الزمان يقرأ في الأولى بآخر سورة الجمعة، وفي الثانية بآخر المنافقين، وهذا راجع إلى ما تقدم من قصر الصلاة وإطالة الخطبة، وما كان السلف يقرأون إلا سورة كاملة بعد الفاتحة، وإن كان الشافعي رحمه الله تعالى قد أجاز الاقتصار على قراءة بعض السور، فذلك من باب الجواز والأفضل الاتباع اهـ.

فصل

قال الشيخ الأكبر قدس سره في كتاب الشريعة: والحقيقة من الناس من رأى أنها كسائر الصلوات لا يعين فيها قراءة سورة بعينها بل يقرأ ما تيسر، ومن الناس من اقتصر على ما قرأ به رسول الله ﷺ في هذه الصلاة غالباً مما قد ثبتت به الرواية عنه، وهي سورة الجمعة في الركعة الأولى والمنافقون في الثانية، وقد قرأ سورة الغاشية بدلاً من المنافقين، وقد قرأ في الأولى بسبح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية بالغاشية، والذي أقول به أن لا توقيت والاتباع أولى.

الاعتبار المناجى هو الله، والمناجي هو العبد، والقرآن كلامه، وكل كلامه طيب، والفاتحة لا بدّ منها، والسورة منزلة من المنازل عند الله، والقرآن قد ثبت فضل بعضه على بعض بالنسبة لما لنا فيه من الأجر، فإن قصدت المناسبة فسورة الجمعة وفيها الاقتداء بالرسول، وسبح اسم ربك الأعلى تنزيه الحق عما يظهر في هذه العبادة من الأفعال. إذ سمى نفسه تعالى أنه يصلي فتسبيحه عن التخيل الذي تتخيله النفس من قوله يصلي، فناسب سبح اسم ربك الأعلى، والمنافقون، وهل أتاك حديث الغاشية مناسب لما تقتضيه الخطبة من الوعد والوعيد، فتكون القراءة في الصلاة تناسب ما ذكره الإمام في الخطبة، والله يقول: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب: ٢١] والله أعلم.

(**الخامس: الصلاة. يستحب**) للمريد (**إذا دخل**) المسجد (**الجامع أن لا يجلس حتى يصلي أربع ركعات**) بتسليمة واحدة (**يقرأ فيهن**) سورة (**«قل هو الله أحد» مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة، فقد نقل عن رسول الله ﷺ: «أن من فعله لم يمت حتى يرى**) هو (**مقعده من الجنة أو يُرى له»**) أي بواسطة الغير.

ولفظ القوت: وإذا دخل الجامع فليصلّ أربع ركعات يقرأ فيهن: قل هو الله أحد مائتي مرة

يدع ركعتي التحية وإن كان الإمام يخطب ولكن يخفف أمر رسول الله ﷺ بذلك.

في كل ركعة خمسين مرة، ففيه أثر عن رسول الله ﷺ: «أن من فعله لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة أو يُرى له» اهـ.

وقال العراقي: أخرجه الخطيب في الرواة، عن مالك من حديث ابن عمر وقال: غريب جداً اهـ.

قلت: وأخرجه الدارقطني في غرائب مالك وقال: لا يصح انتهى.

وأما فضل من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة في صلاة أو غيرها، فقد أخرج البزار، وابن الضريس في فضائل القرآن وسمويه من حديث أنس: «من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة غفر له ذنوب مائتي سنة» وعند ابن عساكر من رواية أبان عن أنس: «كفر عنه ذنوب خمسين سنة ما خلا الدماء والأموال».

(و) يستحب للداخل في المسجد أن (**لا يدع ركعتي التحية وإن كان الإمام يخطب، ولكن يخفف أمر رسول الله ﷺ بذلك**).

ولفظ القوت: وإذا دخل الجامع فلا يقعدن حتى يصلي ركعتين قبل أن يجلس، وكذلك إن دخل والإمام يخطب صلاهما خفيفتين وإن سمعه لأمر النبي ﷺ بذلك اهـ.

وقال العراقي: أخرجه مسلم من حديث جابر، وللبخاري الأمر بالركعتين ولم يذكر التخفيف اهـ.

قلت: حديث جابر لفظه: دخل رجل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال له: «صليت»؟ قال: لا. قال: «صلِّ ركعتين»، اتفق عليه الشيخان، وابن ماجه من طريق سفيان بن عيينة. وفي رواية مسلم: «قم فصلِّ الركعتين» واتفق عليه الأئمة الخمسة من طريق حماد بن زيد بلفظ: «قم فاركع». وقال الترمذي: هذا حديث صحيح أصح شيء في هذا الباب، واتفق عليه الشيخان والنسائي من طريق شعبة بلفظ: «إن النبي ﷺ خطب فقال: «إذا جاء أحدكم يوم الجمعة وقد خرج الإمام فليصلّ ركعتين» لفظ مسلم.

وأخرجه مسلم، والنسائي والطحاوي من طريق ابن جريج.

وأخرجه مسلم من طريق أيوب السختياني. خمستهم عن عمرو بن دينار عن جابر.

وأخرجه مسلم، والنسائي، وابن ماجه، والطحاوي من طريق ابن الزبير عن جابر قال: جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة ورسول الله ﷺ قاعد على المنبر فقعد سليك قبل أن يصلي، فقال له النبي ﷺ: «أركعت ركعتين؟» قال: لا. قال: «قم فاركعهما».

وأخرجه مسلم، وأبو داود، وابن ماجه، والطحاوي، من طريق أبي سفيان عن جابر قال: جاء سليك الغطفاني في يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب فجلس، فقال رسول الله ﷺ: «إذا

....

جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليصلّ ركعتين خفيفتين ثم ليجلس » هذا لفظ الطحاوي، ولفظ مسلم: « فليركع ويتجوز فيهما ». وفي رواية ابن ماجه: « أصليت قبل أن تجيء ».

وروى ابن حبان في صحيحه من طريق أبي إسحاق، حدثني أبان بن صالح، عن مجاهد، عن جابر قال: دخل سليك الغطفاني المسجد يوم الجمعة، ورسول الله ﷺ يخطب الناس فقال له رسول الله ﷺ: « اركع ركعتين ولا تعودن لمثل هذا » فركعهما ثم جلس. قال ابن حبان: أراد به الإبطاء.

وروى الطحاوي من طريق الأعمش قال: سمعت أبا صالح يذكر حديث سليك الغطفاني، ثم سمعت أبا سفيان بعد يقول: سمعت جابر بن عبدالله يقول: جاء سليك الغطفاني في يوم جمعة ورسول الله ﷺ يخطب فقال له رسول الله ﷺ: « قم يا سليك فصلّ ركعتين خفيفتين تجوّز فيهما » ثم قال: « إذا جاء أحدكم والإمام يخطب فليصلّ ركعتين خفيفتين يتجوّز فيهما ».

وفي المعجم الكبير للطبراني من رواية منصور بن أبي الأسود، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: دخل النعمان بن قوقل ورسول الله ﷺ على المنبر يخطب يوم الجمعة، فقال له النبي ﷺ: « صلّ ركعتين تجوّز فيهما فإذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليصلّ ركعتين وليخففهما ». والكلام على هذا الحديث من وجوه.

الأول: قول المصنف: أمر رسول الله ﷺ بذلك ولم يذكر الذي أمره وهو الرجل المبهم، واختلف فيه فقيل: هو سليك كما في أكثر الروايات، وقيل: النعمان بن قوقل كما عند الطبراني ولا مانع أن يكونا واقعتين، فمرة مع سليك ومرة مع ابن قوقل أشار إليه العراقي في شرح الترمذي، وحكى ابن بشكوال في المهمات قولاً آخر انه أبو هدبة.

قلت: وهو كنية سليك لأنه هو سليك بن هدبة الغطفاني، وكانوا يكنون باسم آبائهم، وقد وقع التصريح باسم أبيه. هكذا عند الطحاوي من طريق هشام بن حسان عن الحسن عن سليك بن هدبة الغطفاني أنه جاء ورسول الله ﷺ يخطب فساق الحديث، وبسليك فسّر حديث أبي سعيد الخدري فيما رواه الطحاوي من طريق ابن عجلان من عياض بن عبدالله عنه قال: « إن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ على المنبر، فناداه رسول الله ﷺ فما زال يقول ادن حتى دنا فأمره فركع ركعتين قبل أن يجلس وعليه خرقة خلق، ثم صنع مثل ذلك في الثانية فأمره بمثل ذلك، ثم صنع مثل ذلك في الثالثة فأمره بمثل ذلك. وقال رسول الله ﷺ: تصدقوا فألقوا الثياب فأمره رسول الله ﷺ فأخذ ثوبين، فلما كان بعد ذلك أمر الناس بأن يتصدقوا فألقى رجل أحد ثوبيه، فغضب رسول الله ﷺ وأمره أن يأخذ ثوبه ».

الثاني: يستفاد من الحديث استحباب تحية المسجد للداخل يوم الجمعة والإمام يخطب، وهو مذهب الشافعي وأحمد. ورواه ابن أبي شيبة في المصنف عن الحسن البصري، وحكاه ابن المنذر عن مكحول، وابن عيينة، وأبي عبد الرحمن المقري، والحميدي، وإسحاق وأبي ثور، وطائفة من

....

أهل الحديث، وقال به محمد بن الحسن من أصحاب أبي حنيفة، وأبو القاسم السيوري عن مالك، وحكاه ابن حزم عن جمهور أهل الحديث، وذهب آخرون إلى أنه لا يفعلها، وهو قول مالك وأبي حنيفة وسفيان الثوري. ورواه ابن أبي شيبة عن علي، وابن عمر، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعروة بن الزبير، ومحمد بن سيرين، وشريح القاضي، والزهري. وحكاه ابن المنذر، عن النخعي، وقتادة، والليث، وسعيد بن عبدالعزيز. وحكاه الطحاوي، عن الشعبي، والزهري، وأبي قلابة الجرمي، وعقبة بن عامر، وثعلبة بن أبي مالك القرظي، ومجاهد رضي الله عنهم.

ثم إن القائلين بهذا القول اقتصر أكثرهم على الكراهة وبه جزم ابن قدامة في المغنى ناقلاً له عن مالك والليث وأبي حنيفة وطائفة من السلف. وقال القاضي أبو بكر بن العربي: الجمهور على أنه لا يفعل، والصحيح أن الصلاة حرام إذا شرع الإمام في الخطبة، وذهب أبو مجلز لاحق بن حميد إلى أنه مخير بين فعل التحية وتركها فقال: «إن شئت ركعت ركعتين، وإن شئت جلست رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، فهذه أربعة مذاهب الاسنحباب والكراهة والتحريم والتخيير.

الثالث: قال أبو جعفر الطحاوي: حجة أهل المقالة الأولى أنه قد يجوز أن يكون رسول الله ﷺ أمر سليكاً بما أمر به من ذلك فقطع بذلك خطبته إرادة منه أن يعلم الناس كيف يفعلون إذا دخلوا المسجد، ثم استأنف الخطبة. ويجوز أيضاً أن يكون بنى على خطبته، وكان ذلك قبل أن ينسخ الكلام في الصلاة ثم نسخ الكلام في الصلاة فنسخ أيضاً في الخطبة، وقد يجوز أن يكون ما أمره به من ذلك ما قاله أهل المقالة الأولى، ويكون سنّة معمولاً بها فنظرنا هل شيء يخالف ذلك، فإذا بحر بن نصر قد حدثنا قال: حدثنا ابن وهب، ثم ساق حديث عبدالله بن بسر الذي تقدم، وفيه قوله ﷺ: «اجلس فقد آذيت وآنيت» قال: أفلا ترى أن رسول الله ﷺ أمر هذا الرجل بالجلوس فلم يأمره بالصلاة، وهذا يخالف حديث سليك.

وفي حديث أبي سعيد الذي تقدم ما يدل على أن هذا كان في حال إباحة الأفعال في الخطبة قبل أن ينهى عنها ألا تراه يقول: «فالقوا ثيابهم» وقد أجمع المسلمون أن نزع الرجل ثوبه والإمام يخطب مكروه وإن مسّه الحصى والإمام يخطب مكروه، وإن القول لصاحبه أنصت والإمام يخطب مكروه، فدلّ ذلك على أن ما كان أمر به رسول الله ﷺ سليكاً، والرجل الذي أمر بالصدقة عليه كان في حال الحكم فيها في ذلك خلاف الحكم فيما بعد، وقد تواترت الروايات عن رسول الله ﷺ بأن من قال لصاحبه: أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغا، فإذا كان قول الرجل لصاحبه حينئذ أنصت لغواً كان قول الإمام قم فصل لغواً أيضاً، فثبت بذلك أن الوقت الذي كان فيه من رسول الله ﷺ الأمر لسليك بما أمر به كان الحكم فيه في ذلك خلاف الحكم في الوقت الذي جعل مثل ذلك لغوا.

وقد روي عن رسول الله ﷺ مثل ذلك.

....

ثم ساق قصة أبي الدرداء مع أبي بن كعب وسؤاله له عن آية تلاها رسول الله ﷺ في الخطبة أنها متى نزلت، وسكوت أبيّ عن الجواب وقوله له بعد ذلك: مالك من خطبتك إلا ما لغوت. وقوله ﷺ: «صدق أبي» وكذا قصة أبي ذر مع أبيّ رضي الله عنهما مثل ذلك، وقد تقدم ذكرهما آنفاً قال: فقد أمر رسول الله ﷺ بالإنصات عند الخطبة وجعل حكمها في ذلك كحكم الصلاة، وجعل الكلام فيها لغواً، فثبت بذلك أن الصلاة فيها مكروهة، فإذا كان الناس منهيين عن الكلام ما دام الإمام يخطب كان كذلك الإمام منهياً عنه ما دام يخطب بغير الخطبة.

ثم ساق حديث سلمان، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وعبدالله بن عمرو، وأوس بن أوس رضي الله عنهم وفي كل من ذلك الأمر بالانصات وتقدم ذكرها قال: ففي كل من ذلك دليل أن موضع كلام الإمام ليس بموضع صلاة، فهذا حكم هذا الباب من طريق تصحيح معاني الآثار، ثم ذكر وجهه من طريق النظر وقال في آخر سياقه: وهذا قول أبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد رحمهم الله تعالى، فما نقلناه أولاً أن محمد بن الحسن مع الشافعي في الاستحباب فيه نظر، ولعله رواية عنه غير مشهورة في المذهب.

فإن قلت: فما تقولون في حديث أبي قتادة وجابر: «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس»؟.

فالجواب: ليس في ذلك دليل على ما ذكرت إنما هذا على من دخل المسجد في حال تحل فيها الصلاة ليس على من دخله في حال لا تحل فيها الصلاة. ألا يرى أن من دخل المسجد عند طلوع الشمس أو عند غروبها أو في وقت من الأوقات المنهي عن الصلاة فيها أنه لا ينبغي له أن يصلي، وأنه ليس ممن أمره النبي ﷺ أن يصلي ركعتين لدخول المسجد لأنه قد نهى عن الصلاة حينئذ، فكذلك الذي دخل المسجد والإمام يخطب ليس له أن يصلي وليس ممن أمره النبي ﷺ بذلك، وإنما يدخل في أمر رسول الله الذي ذكرت كل من لو كان في المسجد قبل ذلك، فآثر أن يصلي كان ذلك له. فأما من لو كان في المسجد قبل ذلك لم يكن له أن يصلي حينئذ فليس بداخل في ذلك، وليس له أن يصلي قياساً على ما ذكرنا من حكم الأوقات المنهي عن الصلاة فيها التي صنا والله أعلم.

وأجاب عن هذا أصحاب الشافعي بجواز تحية المسجد في أوقات النهي لكونها ذات سبب فإنها لو تركت في حال لكانت هذه الحال أولى الأحوال بذلك لأنه مأمور فيه بالانصات لاستماع الخطبة، فلما ترك لها استماع الخطبة وقطع النبي ﷺ لأجلها دلّ على تأكدها وأنها لا تترك في وقت من الأوقات إلا عند إقامة المكتوبة، وأجابوا عن الأول وهو كونه منسوخاً بأن سليكاً لم ينقل تقدم إسلامه ولا يعرف له ذكراً إلا في هذا، والظاهر أن إسلامه متأخر مع قبيلة غطفان ولو قدر تقدم إسلامه فالجمعة إنما صلاَّها النبي ﷺ بعد الهجرة اتفاقاً، وتحريم الكلام كان بمكة

وفي حديث غريب: «أنه ﷺ سكت للداخل حتى صلاهما» فقال الكوفيون: إن

حين قدم ابن مسعود من الهجرة بمكة وحديثه في الصحيحين، وإنما هاجر ابن مسعود إلى الحبشة الهجرة الأولى باتفاق أهل السير، ورجعوا وهو بمكة.

قال ابن حبان في الصحيح: كان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين.

قلت: وفيه اختلاف بين أهل المغازي، والذي ذكره أبو الفرج بن الجوزي، أن ابن مسعود لما عاد من الحبشة إلى مكة رجع في الهجرة الثانية إلى النجاشي، ثم قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة وهو يتجهز لبدر. وذكر صاحب التمهيد: أن تحريم الكلام في الصلاة كان بالمدينة لأن سورة البقرة مدنية، وقال الخطابي: إنما نسخ الكلام بعد الهجرة بمدة يسيرة، وفي المقام تفصيل آخر أوردته في كتابي الجواهر المنيفة في أصول أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة.

الرابع: أنه جاء في بعض روايات حديث جابر: جاء سليك الغطفاني ورسول الله ﷺ قاعد على المنبر فقعد سليك، وفي بعض الروايات فجلس سليك، وفيه: «ثم قم اركع ركعتين» فتعلق به بعض أصحابنا أن هذا مخالف لمذهب الشافعي فإنهم يقولون: إن ركعتي التحية تفوت بالجلوس، وأيضاً فإن الذي يمنع الصلاة إنما يمنعها لأجل الخطبة والنبي ﷺ في تلك الساعة لم يكن يخطب لأنه كان قاعداً، والجمعة لا يخطب لها قاعداً.

وأجابوا عن الأول سلمنا أن ركعتي التحية تفوت بالجلوس، لكن بشرط أن يكون عالماً بمشروعية التحية وأطال الفصل، وأما إذا كان جاهلاً بمشروعيتها في هذه الحالة ولم يطل الفصل فإنها لا تفوت بالجلوس.

قال النووي في شرح المهذب: أطلق أصحابنا فواتها بالجلوس وهو محمول على العالم بأنها سنّة، وأما الجاهل فيتداركها على قرب لهذا الحديث. قال ابن العراقي: وفي معنى الجاهل الناسي فلو جلس ناسياً ولم يطل الفصل استحب له الإتيان بها كما صرح به أبو الفضل بن عبدان، وقال النووي: انه المختار المتعين اهـ.

وقضية سليك يحتمل جلوسه إما للجهل بسنيتها أو للنسيان لها، والحديث دال على إحدى الحالتين نصاً وعلى الأخرى قياساً، وسيأتي لذلك زيادة في الباب الذي يليه.

وأما الجواب عن الثاني فلم أرَه لأصحاب الشافعي ولم يتعرضوا له، والذي يظهر أن الروايات كلها وهو يخطب، فتحمل هذه الرواية التي يقول فيها وهو قاعد على بقية الروايات التي فيها وهو يخطب جمعاً بين الآثار والله أعلم.

الخامس: المراد بالتخفيف في الركعتين كما قال الزركشي الاقتصار على الواجبات لا الإسراع قال: ويدل لذلك ما ذكروه من أنه إذا ضاق الوقت وأراد الوضوء اقتصر على الواجبات اهـ.

(وفي حديث غريب: «أنه ﷺ سكت للداخل حتى فرغ») من ركعتي التحية.

سكت له الإمام صلاها. ويستحب في هذا اليوم أو في ليلته أن يصلي أربع ركعات بأربع سور: الأنعام، والكهف، وطه، ويس. فإن لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك، ولا يدع قراءة هذه الأربع سور في ليلة الجمعة

ولفظ القوت: إلا أنه قد جاء في حديث غريب: «أن النبي ﷺ سكت له حين صلاها» اهـ.

قال العراقي: أخرجه الدارقطني من حديث أنس وقال: أسنده عبيد بن محمد ووهم فيه، والصواب عن معتمر عن أبيه مرسل اهـ.

قلت: قال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا هشيم، أخبرنا أبو معشر، عن محمد بن قيس: «أن النبي ﷺ حيث أمره أن يصلي ركعتين أمسك عن الخطبة حتى فرغ من ركعتيه ثم عاد إلى خطبته» اهـ.

وأما حديث الدارقطني: فمن طريق عبيد بن محمد العبدي، حدثنا معتمر، عن أبيه، عن قتادة، عن أنس قال: دخل رجل المسجد ورسول الله ﷺ يخطب فقال له النبي ﷺ: «قم فاركع ركعتين وامسك عن الخطبة حتى فرغ من صلاته» ثم قال: أسنده عبيد بن محمد ووهم فيه، ثم أخرجه عن أحمد بن حنبل: حدثنا معتمر عن أبيه قال: جاء رجل. الحديث وفيه: «ثم انتظره حتى صلى» قال: وهذا المرسل هو الصواب اهـ.

(فقال الكوفيون): أي فقهاء الكوفة **(إن سكت له الإمام صلاها)** زاد صاحب القوت: ولعل سكوت رسول الله ﷺ مخصوص له اهـ.

وهذا قد رده العراقي فقال: سكوته ﷺ له حتى فرغ لا يصح كما ذكره الدارقطني وغيره، ولو كان المسوّغ للصلاة إمساكه عن الخطبة لقال: «إذا جاء أحدكم والإمام يخطب فليمسك له الخطيب عن الخطبة حتى يركع».

(ويستحب في هذا اليوم أو في ليلته أن يصلي أربع ركعات بأربع سور: الانعام، والكهف، وطه، ويس. فإن لم يحسن قرأ يس، وسجدة لقمان، وسورة الدخان، وسورة الملك، ولا يدع قراءة هذه الأربع سور في ليلة الجمعة ففيها فضل كبير).

ولفظ القوت: واستحب أن يصلي يوم الجمعة أربع ركعات بأربع سور، فساق العبارة كما عند المصنف ولم يقل: أو في ليلته وهو من زيادة المصنف، ثم قال: ولا يدع قراءة هذه الأربع سور في كل ليلة جمعة ففي ذلك أثر وفضل كبير اهـ. وكأنه أراد قراءتها ولو في غير صلاة.

وأما فضائل هذه السور، فأخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس: «من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تجب الشمس» وقد تقدم ذكرها. وكذا فضل سورة الكهف تقدم ذكرها.

....

وأما سورة طه ويس فأخرج ابن خزيمة في التوحيد والعقيلي في الضعفاء، والطبراني في الأوسط، وابن عدي، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب، عن أبي هريرة رفعه: « إن الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل عليها هذا، وطوبى لأجواف تحمل هذا، وطوبى لألسنة تتكلم بهذا ».

وأخرج الديلمي عن أنس رفعه: « أعطيت السورة التي ذكرت فيها الأنعام من الذكر الأول، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة ».

وأخرج ابن مردويه، عن أبي أمامة رفعه: « قال كل قرآن يوضع على اهل الجنة فلا يقرأون شيئاً إلا سورة طه ويس وأنهم يقرأون بها في الجنة ».

وأخرج ابن حبان، والضياء، عن الحسن، عن جندب البجلي رفعه: « من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له » ورواه الدارمي، وابن مردويه، والعقيلي عن الحسن، عن أبي هريرة. وفي الحلية عن ابن مسعود بلفظ: « أصبح مغفوراً له ». وفي الشعب للبيهقي، عن حسان بن عطية: « من قرأ يس فكأنما قرأ القرآن عشر مرات » وأخرج ابن أبي داود في الفضائل وابن النجار عن ابن عباس « من قرأ يس والصافات يوم الجمعة ثم سأل الله أعطاه سؤله ».

وأما سورة الدخان، فأخرج الدارمي، عن أبي رافع: « من قرأ الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له وزوّج من الحور العين ».

وأخرج الترمذي، والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة: « من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له ألف ملك » وعند ابن السنى من حديثه: « من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له ». وعند ابن الضريس من حديثه: « من قرأ ليلة الجمعة حم الدخان ويس أصبح مغفوراً له ».

وأخرج الطبراني في الكبير، وابن مردويه، عن أبي امامة: « من قرأ حم الدخان في ليلة جمعة ويوم جمعة بنى الله له بها بيتاً في الجنة ».

وأخرج ابن الضريس، عن الحسن مرسلاً: « من قرأ سورة الدخان في ليلة غفر له ما تقدم من ذنبه ».

وأما سورة الملك، فأخرج الطبراني، وابن مردويه بسند جيد، عن ابن مسعود قال: « كنا نسميها في عهد رسول الله ﷺ المانعة وانها لفي كتاب الله سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب ».

وأخرج سعيد بن منصور، عن عمرو بن مرة قال: « كان يقال إن في القرآن سورة تجادل عن صاحبها في القبر تكون ثلاثين آية فنظروها فوجدوها تبارك ».

ففيها فضل كثير. ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة ختمة، ويكثر من قراءة سورة الإخلاص. ويستحب أن يصلي صلاة التسبيح ـ كما سيأتي في باب التطوّعات كيفيتها ـ لأنه ﷺ قال لعمه العباس: «صلها في كل جمعة» وكان ابن عباس رضي الله عنهما لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة

وأخرج الديلمي بسند واهٍ، عن ابن عباس رفعه: «إني لأجد في كتاب الله سورة هي ثلاثون آية من قرأها عند نومه كتب له بها ثلاثون حسنة ومحى عنه ثلاثون سيئة ورفع له ثلاثون درجة وبعث الله إليه ملكاً يبسط عليه جناحه ويحفظه من كل شيء حتى يستيقظ وهي المجادلة تجادل عن صاحبها في القبر وهي تبارك الذي بيده الملك».

وأخرج ابن مردويه، عن عائشة: «أن النبي ﷺ كان يقرأ ألم تنزيل السجدة، وتبارك الذي بيده الملك كل ليلة لا يدعهما في سفر ولا حضر».

(ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو بمنزلة ختمه). ولفظ القوت: فمن لم يحفظ القرآن قرأ جميع ما يحسن منه فذلك ختمه فقد قيل ختمه من حيث علمه اهـ.

(ويكثر من سورة الإخلاص) وهي: «قل هو الله أحد» ويكفيك من فضلها ما رواه الرافعي في تاريخ قزوين، عن علي «من قرأ قل هو الله أحد مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن، ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاثاً فكأنما قرأ القرآن كله».

وأخرج ابن النجار عن كعب بن عجرة: «من قرأ في يوم أو ليلة قل هو الله أحد ثلاث مرات كان مقدار القرآن».

(ويستحب أن يصلي صلاة التسبيح كما سيأتي في باب التطوعات كيفيتها. وروي أنه ﷺ قال لعمه العباس: «صلها في كل جمعة». وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها).

ولفظ القوت: وإن صلى يوم الجمعة قبل الزوال صلاة التسبيح وهي ثلاثمائة تسبيحة في أربع ركعات فقد أكثر وأطاب. وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لعمه العباس: «صلها في كل جمعة مرة». وذكر أبو الجوزاء، عن ابن عباس أنه لم يكن يدع هذه الصلاة كل يوم جمعة بعد الزوال وأخبر بفضلها ما يجل عنه الوصف اهـ.

وقال العراقي: أخرجه أبو داود، وابن ماجه، وابن خزيمة، والحاكم من حديث ابن عباس. وقال العقيلي وغيره: ليس فيها حديث صحيح اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الرافعي! أما صلاة التسبيح، فرواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة كلهم عن عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، عن موسى بن عبد العزيز، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ للعباس: «يا عباس يا

فضلها. والأحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة وبعد الجمعة إلى العصر لاستماع العلم وبعد العصر إلى المغرب للتسبيح والاستغفار.

عماه ألا أمنحك ألا أحبوك» الحديث بطوله. وصححه أبو يعلى بن السكن والحاكم، وادعى أن النسائي أخرجه في صحيحه عن عبدالرحمن بن بشر. قال: وتابعه إسحاق بن إسرائيل عن موسى، وان ابن خزيمة رواه عن محمد بن يحيى عن ابراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه مرسلاً وابراهيم ضعيف. قال المنذري: وفي الباب، عن أنس، وأبي رافع، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو وغيرهم، وأمثلها حديث ابن عباس اهـ.

قال الحافظ: وفيه عن الفضل بن عباس، فحديث أبي رافع أخرجه الترمذي، وحديث عبدالله ابن عمر رواه الحاكم وسنده ضعيف، وحديث أنس رواه الترمذي أيضاً وفيه نظر، لأن لفظه لا يناسب ألفاظ صلاة التسبيح، وقد تكلم عليه شيخنا في شرح الترمذي، وحديث الفضل بن عباس ذكره الترمذي، وحديث عبدالله بن عمرو رواه أبو داود.

قال الدارقطني: أصح شيء في فضائل سور القرآن قل هو الله أحد، وأصح شيء في فضل الصلاة صلاة التسبيح. وقال أبو جعفر العقيلي: ليس في صلاة التسبيح حديث يثبت، وقال أبو بكر بن العربي: ليس منها حديث صحيح ولا حسن، وبالغ ابن الجوزي فذكره في الموضوعات، وصنف أبو موسى المديني جزءاً في تصحيحه فتباينا، والحق ان طرقه كلها ضعيفة، وأن حديث ابن عباس يقرب من شرط الحسن إلا أنه شاذ لشدة الفردية فيه وعدم المتابع والشاهد من وجه معتبر، ومخالفة هيئتها باقي الصلوات. وموسى بن عبد العزيز وإن كان صادقاً صالحاً فلا يحتمل عنه هذا التفرد، وقد ضعفها ابن تيمية والمزي، وتوقف الذهبي فيما حكاه عنهم ابن عبد الهادي في أحكامه، وقد اختلف كلام الشيخ النووي فوهاها في شرح المهذب فقال: حديثها ضعيف، وفي استحبابها نظر لأن فيها تغييراً لهيئة الصلاة المعروفة، فينبغي أن لا تفعل وليس حديثها بثابت، وقال في تهذيب الأسماء واللغات: قد جاء في صلاة التسبيح حديث في كتاب الترمذي وغيره، وذكره المحاملي وغيره من أصحابنا وهي سنة حسنة، ومال في الأذكار أيضاً إلى استحبابها بل قواه واحتج له، والله أعلم اهـ.

قلت: وهذا تحقيق في الغاية وما وراء عبادان قرية على أنه سيأتي عند ذكر المصنف إياها في التطوعات تحقيق، وبيان لبعض طرقها، ومن رواها من طريق عكرمة وأبي الجوزاء إن شاء الله تعالى.

(**والأحسن أن يجعل**) المريد (**وقته**) من الضحى العالي (**إلى الزوال**) أي زوال الشمس من كبد السماء والغاية غير داخلة هنا تحت المغيا (**للصلاة و**) يجعل (**بعد**) صلاة (**الجمعة إلى**) أن يدخل وقت (**العصر لاستماع العلم**) ومدارسته ومذاكرته ومطالعته مع الإخوان تعلماً وتعلماً (**و**) يجعل (**بعده إلى**) دخول وقت (**المغرب للتسبيح والاستغفار**) والصلاة والسلام على النبي المختار ﷺ، وإن تلا شيئاً من القرآن فهو أحسن.

السادس: الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فإنها تتضاعف إلا على من سأل والامام يخطب، وكان يتكلم في كلام الإمام فهذا مكروه. قال صالح بن أحمد: سأل مسكين يوم الجمعة والإمام يخطب ـ وكان إلى جانب أبي ـ فأعطى رجل أبي قطعة ليناوله إياها فلم يأخذها منه أبي، وقال ابن مسعود: إذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى، وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه: ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس، إلا أن يسأل قائماً أو قاعداً في مكانه من غير تخط. وقال كعب الأحبار: من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول:

ولفظ القوت: وليترك راحته في ذلك اليوم ومهنأه من عاجل حظ دنياه وليواصل الأوراد فيه، فيجعل أوله إلى انقضاء صلاة الجمعة للخدمة بالصلاة، وأوسطه إلى صلاة العصر لاستماع العلم ومجالس الذكر، وآخر إلى غروب الشمس للتسبيح والاستغفار، وكذلك كان المتقدمون يقسمون يوم الجمعة هذه الأقسام الثلاثة اهـ. والله أعلم.

(**السادس: الصدقة**) وهي (**مستحبة مفضلة في هذا اليوم خاصة**) من بقية أيام الأسبوع (**إلا على من سأل والإمام يخطب، وكان يتكلم في كلام الإمام**) أي في أثنائه. ولفظ القوت في كلام والإمام يخطب فهذا مكروه.

(**وقال صالح بن أحمد**) بن محمد بن حنبل الشيباني أخو عبدالله روى عن أبيه وجماعة وعنه جماعة (**سأل مسكين**) أي فقير محتاج (**يوم الجمعة والإمام يخطب وكان إلى جنب أبي**) يعني به الإمام أحمد، (**فأعطى رجل أبي**) كذا هو في النسخ وهذا يفهم منه أن ضمير كان راجع إلى المسكين، ولفظ القوت: وكان إلى جنب أبي رجل فأعطى ذلك الرجل أبي (**قطعة**) أي من فضة (**ولم يعرفه**) أنه الإمام أحمد (**ليناوله**) أي ذلك المسكين (**إياها**) أي القطعة (**فلم يأخذها منه أبي**) فدل ذلك على أن الصدقة على السائل في مثل هذا الوقت غير مستحبة.

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**إذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى**) شيئاً (**وإذا سأل على القرآن فلا تعطوه**). كذا في القوت، (**ومن العلماء من كره الصدقة على سؤال**) جمع سائل ككتاب وكاتب (**الجوامع**) أي المساجد (**الذين يتخطون رقاب الناس**) ويفرقون بين اثنين، (**إلا أن يسأل قائماً أو قاعداً في مكان من غير أن يتخطى**) المسلمين. كذا في القوت، ومقتضاه أنه يجوز له السؤال حيث زالت علة المنع.

(**وقال كعب الأحبار**) ولفظ القوت: وروينا عن كعب الأحبار أنه قال: (**من شهد الجمعة**) أي صلاتها مع الإمام (**ثم انصرف**) منها إلى منزلة (**فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة**) كأن تصدق بقميص ورغيف أو رغيف وقطعة أو رداء ونعل أو ما أشبه ذلك مما لا

اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا إله إلا الله هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه. وقال بعض السلف: من أطعم مسكيناً يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحداً ثم قال حين يسلم الإمام «بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم أسألك أن تغفر لي وترحمني وتعافيني من النار» ثم دعا بما بدا له استجيب له.

السابع: أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع أشغال الدنيا ويكثر فيه

يتحدان في الجنس أو النوع، (**ثم رجع**) إلى المسجد (**فركع ركعتين يتم ركوعهما**) وسجودهما (**وخشوعهما ثم يقول**) أي بعد الفراغ من الركعتين: (**اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ثم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه**). كذا في القوت.

وفي القول البديع للحافظ السخاوي، عن أبي موسى المديني والنميري موقوفاً: من غدا إلى المسجد فتصدق بصدقة قلت أو كثرت؟ فإذا صلى الجمعة قال: اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، وأسألك بأسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذ سنة ولا نوم الذي ملأت عظمته السموات والأرض، وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا إله إلا هو الذي عنت له الوجوه وخشعت له الأبصار ووجلت القلوب من خشيته أن تصلي على محمد ﷺ، وأن تقضي حاجتي وهي كذا وكذا فإنه يستجاب له إن شاء الله تعالى. قال: وكان يقال لا تعلموها سفهاءكم لئلا يدعوا به في مأثم أو قطيعة رحم.

(**وقال بعض السلف من أطعم مسكيناً يوم الجمعة ثم غدا**) من منزلة (**وابتكر**) إلى الجامع (**ولم يؤذ أحداً**) لا بيده ولا بلسانه (**ثم قال حين يسلم الإمام**) من صلاته: (**بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم أسألك أن تغفر لي وترحمني وتعافيني من النار، ثم دعا بما بدا له استجيب له**) ولفظ القوت: وروينا عن بعض السلف على غير هذا الوصف. قال: من أطعم مسكيناً في يوم الجمعة فساقه وفيه: اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم الخ.

(**السابع: أن يجعل**) المريد (**يوم الجمعة للآخرة**) أي لأعمالها (**فيكف فيه**) أي يمتنع (**عن جميع أشغال الدنيا**)، فلا يكون كالسبت في تجارة الدنيا والشغل بأسبابها كما يكره له التأهب ليوم الجمعة في باب تجارة الدنيا من يوم الخميس من اعداد المأكول والترفه في النعمة، والأكل والشرب، فقد روي حديث من طريق أهل البيت أن النبي ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان يتأهبون لجمعهم في أمر دنياهم عشية الخميس كما يتأهب اليهود عشية الجمعة ليوم السبت». قال صاحب القوت في إسناده نظر. قال: وكان أبو محمد سهل رحمه الله تعالى يقول:

الأوراد ولا يبتدىء فيه السفر، فقد روي أنه من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام إلا إذا كانت الرفقة تفوت. وكره بعض السلف شراء الماء

من أخذ مهنأة من الدنيا في هذه الأيام لم ينل مهنأه في الآخرة منها يوم الجمعة، وقال أيضاً: يوم الجمعة من الآخرة ليس هو من الدنيا.

وفي حديث غريب من طريق مجاهد عن ابن عباس رفعه: «دعوا أشغالكم يوم الجمعة فإنه يوم صلاة وتهجد».

وقال بعضهم: لولا يوم الجمعة ما أحببت البقاء في الدنيا فهو عند الخصوص يوم العلوم والأنوار والخدمة والأذكار لأنه عند الله تعالى يوم المزيد بالنظر إلى الله تعالى اهـ.

فليعرض فيه عما يشغله.

(ويكثر فيه الاوراد) والأعمال ويتفرغ لعبادة ربه **(ولا يبتدىء فيه سفراً، فقد روي أن من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه)** أي كاتب اليمين والشمال.

قال العراقي: رواه الخطيب في الرواة، عن مالك من حديث أبي هريرة بسند ضعيف جداً اهـ.

قلت: وأخرجه الدارقطني في الافراد من حديث ابن عمر بلفظ «دعت عليه الملائكة أن لا يصحب» وأورده الضياء في أحكامه وقال في سنده ابن لهيعة، وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عيسى بن يونس، عن الأوزاعي عن حسان بن علية قال: إذا سافر يوم الجمعة دعي عليه أن لا يصاحب ولا يعان على سفره اهـ.

وأخرجه البخاري من حديث ابن عمر بلفظ: «من سافر من دار إقامته يوم الجمعة دعت عليه الملائكة لا يصحب في سفره ولا يعان على حاجته».

(وهو) أي إنشاء السفر **(بعد طلوع الفجر حرام إلا إذا كانت الرفقة تفوت)**، فحينئذ لا بأس به. هكذا صرح به الأصحاب.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة من طريق عطاء عن عائشة قالت: «إذا أدركتك ليلة الجمعة فلا تخرج حتى تصلي الجمعة». وعن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه أنه كان يسافر ليلة الجمعة فإذا طلع الفجر لم يسافر، وعن الأعمش عن خيثمة قال: كانوا يستحبون إذا حضرت الجمعة أن لا يخرجوا حتى يجمعوا، وعن سعيد بن المسيب قال: السفر يوم الجمعة بعد الصلاة، وعن هشام ابن عروة أن عروة كان يسافر ليلة الجمعة ولا ينتظر الجمعة، وعندنا من وجبت عليه الجمعة كره له إنشاء السفر بعد النداء ما لم يصل، واختلفوا في النداء فقيل الأول، وقيل الثاني، فإن خرج قبل الزوال فلا بأس به بلا خلاف كما في التاتارخانية وكذا بعد فراغ الجمعة، وإن لم يدركها.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن شريك عن الأسود بن قيس عن أبيه قال، قال عمر:

في المسجد من السقاء ليشربه أو يسبله حتى لا يكون مبتاعاً في المسجد، فإن البيع والشراء في المسجد مكروه. وقالوا: لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أو

الجمعة لا تمنع من سفر، وأخرج أيضاً بسنده إلى أبي عبيدة أنه خرج يوم الجمعة في بعض أسفاره ولم ينتظر الجمعة، وعن الحسن قال: لا بأس بالسفر يوم الجمعة ما لم يحضر وقت الصلاة، وعن ابن سيرين مثله، وعن ابن أبي ذئب قال: رأيت ابن شهاب يريد أن يسافر ضحوة يوم الجمعة فقلت له تسافر يوم الجمعة قال: إن رسول الله ﷺ سافر يوم الجمعة، فهذه دلائل الرخصة.

(وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء لشربه) نفسه **(أو تسبيله)** لكل من يشرب **(حتى لا يكون مبتاعاً في المسجد فإن البيع والشراء في المسجد مكروه، وقالوا: لا بأس لو أعطى القطعة)** من الفضة **(خارج المسجد ثم شرب أو سبل في المسجد)** كل ذلك في القوت إلا أنه فيه فإن بايعه ودفع إليه القطعة خارجاً من المسجد وشرب وسبل فلا بأس به، وفي المدخل لابن الحاج: وينبغي أن يمنع من يسأل في المسجد، فقد ورد: من سأل في المسجد فاحرموه والمسجد لم يبن للسؤال فيه وإنما بني للعبادات والسؤال يشوش على المتعبدين فيه، وينبغي أن ينهى عن الإعطاء لمن سأل فيه لأن إعطاءه ذريعة لسؤاله في المسجد، وينبغي أن يمنع السقائين الذين يدخلون المسجد وينادون فيه على من يسبل لهم، فإذا سبل لهم ينادون الماء للسبيل غفر الله لمن يسبل ويرحم من شرب وما أشبه ذلك من ألفاظهم، ويضربون مع ذلك بشيء في أيديهم له صوت شبه صوت الناقوس وهذا كله من البدع، ومما ينزه المسجد عن مثله، وفي فعل ذلك في المسجد مفاسد جمة: منها ما ذكر، ومنها رفع الصوت في المسجد لغير ضرورة، ومنها البيع والشراء في المسجد لأن بعضهم يفعل ما ذكر، وبعضهم يمشي يخترق الصفوف في المسجد، فمن احتاج أن يشرب ناداه فشرب وأعطاه العوض عن ذلك، وهذا بيع بين ليس فيه وساطة تسبيل ولا غيره، سيما والمعاطاة بيع عند الإمام مالك رحمه الله تعالى ومن تبعه، ومنها تخطي رقاب الناس في حال انتظارهم للصلاة، ومنها تلويث المسجد لأنه لا بد أن يقع من الماء شيء فيه وإن كان طاهراً، إلا أنه يمنع في المسجد على هذا الوجه، وقد تقدم مشي بعضهم حفاة ودخولهم المسجد بتلك الأقدام النجسة وما في ذلك من المحذور، وتقدم أيضاً ما يفعلونه من البيع والشراء في المساجد في ليالي الموالد والجمعيات وغيرهما مما لا ينبغي، والبيع والشراء في المساجد قد عمت به البلوى لجهل الجاهل وسكوت العالم، حتى صال الأمر قد جهل الحكم فيه فاستحكمت العوائد، حتى أن القرى التي لها من الشرف ما لها يبيعون ويشترون في مسجدها والسماسرة ينادون فيه على السلع على رؤوس الناس وتسمع لهم هناك أصوات عالية من كثرة اللغط، ولا يتركون شيئاً إلا يبيعون فيه من قماش وعقيق ودقيق وحنطة وتين ولوز وأكر وعود أراك ومن غير ذلك، وعلى هذا لا يستاك من له ورع بعود الأراك وإن كان من السنة لأنهم إنما يبيعونه في المسجد، اللهم أن يعلمه من يأتيه به أنه اشتراه خارج المسجد فيستاك به حينئذ والله الموفق اهـ.

سبل في المسجد. وبالجملة، ينبغي أن يزيد في الجمعة في أوراده وأنواع خيراته فإن الله سبحانه إذا أحب عبداً استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال، وإذا مقته استعمله في الأوقات الفاضلة بسيء الأعمال ليكون ذلك أوجع في عقابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت. ويستحب في الجمعة دعوات وسيأتي ذكرها في كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى وصلى الله على كل عبد مصطفى.

الباب السادس

في مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد إلى معرفتها:

فأما المسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه:

مسألة: الفعل القليل وإن كان لا يبطل الصلاة فهو مكروه إلا لحاجة، وذلك في

(**وبالجملة ينبغي أن يزيد في يوم الجمعة أوراده**) وأعماله (**وأنواع خيراته**). ولفظ القوت: ويجب أن يكون للمؤمن يوم الجمعة مزيد في الأوراد والأعمال، (**فإن الله تعالى إذا أحب عبداً استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال، وإذا مقته استعمله في الأوقات الفاضلة بسيء الأعمال ليكون ذلك أوجع في عقابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت**). كذا في القوت، (**ويستحب في الجمعة دعوات وستأتي في كتاب الدعوات إن شاء الله تعالى**)، ولفظ القوت: ومما يختص به يوم الجمعة فصول أربعة فساقها.

الباب السادس

في ذكر مسائل متفرقة

أي من غير ترتيب (**تعم بها البلوى ويحتاج المريد إلى معرفتها**) والكشف عنها بالمراجعة والاستفتاء (**فأما المسائل التي تقع نادرة**) في بعض الأحيان (**فقد استقصيناها في كتب الفقه**) الأربعة البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة.

مسألة: تتعلق بأفعال المصلي وحركاته في الصلاة صحة وفساداً.

اعلم أن (**الفعل القليل وإن كان لا يبطل الصلاة فهو مكروه**)

قال صاحب العوارف: وفي رخصة الشرع ثلاث حركات متواليات جائز، وأرباب العزيمة يتركون الحركة في الصلاة جلة، وقد حركت يدي في الصلاة وعندي شخص من الصالحين فلما

دفع المار وقتل العقرب التي تخاف ويمكن قتلها بضربة أو ضربتين، فإذا صارت ثلاثاً فقد كثرت وبطلت الصلاة، وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما

انصرفت من الصلاة أنكر عليَّ وقال: عندنا أن العبد إذا وقف في الصلاة ينبغي أن يبقى جاداً مجداً لا يتحرك منه شيء اهـ.

قلت: وفي وقوله ثلاث حركات فيه نظر. **(إلا لحاجة)** داعية للحركة، **(وذلك في دفع المار)** بين يديه بأن يدفعه في صدره ليتأخر، لما ورد من حديث أبي سعيد « فإن أبى فليقاتله فإنه شيطان » وقد تقدم ذلك.

قال الرافعي في الشرح: وللمصلي أن يدفع المار بين يديه في صلاته ويضربه على المرور وإن أدى إلى قتله، ولو لم تكن سترة أو كانت وتباعد منها فالأصح أنه ليس له الدفع لتقصيره.

قال النووي، قلت: ولا يحرم حينئذ المرور بين يديه، ولكن الأولى تركه والله أعلم.

ثم قال الرافعي: ولو وجد الداخل فرجة في الصف الأول فله أن يمر بين يدي الصف الثاني ويقف فيها لتقصير أصحاب الثاني بتركها.

قال إمام الحرمين: والنهي عن المرور والأمر بالدفع إذا وجد المار سبيلاً سواه، فإن لم يجد وازدحم الناس فلا ينهى عن المرور ولا يشرع الدفع، وتابع الغزالي إمام الحرمين على هذا وهو مشكل، ففي الحديث الصحيح في البخاري خلافه، وأكثر كتب الأصحاب ساكتة عن التقييد بما ذكر.

قال النووي: الصواب أنه لا فرق بين وجود السبيل وعدمه، فحديث البخاري صريح في المنع ولم يرد شيء يخالفه ولا في كتب المذهب لغير الإمام ما يخالفه، والله أعلم.

قلت: وفي كتب أصحابنا ما يوافق قول إمام الحرمين والغزالي دفعاً للحرج. قالوا: ويدرأ المار بالإشارة أو التسبيح ويكره الجمع بينهما لأن بأحدهما كفاية.

(أو قتل عقرب يخافه) وفي نسخة: عقرب التي تخاف أي بأن قصدت المصلي أو مرت على بعض أعضائه أو نحو ذلك، **(ويمكن قتله)** كذا في النسخ. والصواب: قتلها **(بضربة أو ضربتين)** بنعله أو بشيء آخر عنده، **(فإذا صارت ثلاثاً كثرت وبطلت الصلاة)** لأن العمل الكثير يبطل الصلاة، وقد جاءت أخبار في قتل العقرب في الصلاة عن النبي ﷺ، ثم عن أصحابه وأتباعهم.

قال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا ابن عيينة، عن معمر، عن يحيى، عن جهضم، عن أبي هريرة: « أن النبي ﷺ أمر بقتل الأسودين في الصلاة الحية والعقرب ».

قلت: أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح اهـ.

....

ثم قال: حدثنا معتمر بن برد، عن سليمان بن موسى قال: رأى نبي الله ﷺ رجلاً يصلي جالساً فقال النبي ﷺ: «لم تصلي جالساً؟ فقال: إن عقرباً لسعتني. قال: فإذا رأى أحدكم عقرباً وإن كان في الصلاة فليأخذ نعله اليسرى فليقتلها».

وأخرج عن ابن أبي ليلى أن علياً قتلها وهو في الصلاة، وعن ابن عيينة عن عبدالله بن دينار أن ابن عمر رأى ريشة وهو يصلي فحسب أنها عقرب فضربها بنعله، وعن أبي العالية، أنه قتلها وهو يصلي، وعن الحسن أنه كان لا يرى بأساً بقتلها وهو في الصلاة، وعن قتادة إذا لم تتعرض لك فلا تقتلها، وعن فضيل عن إبراهيم قال في العقرب يراها الرجل في الصلاة قال اصرفها عنك. قلت: فإن أبت؟ قال اصرفها عنك. قلت: فإن أبت؟ قال: فاقتلها واغسل مكانها الذي تقتلها فيه، وعن مورق أنه قتلها وهو يصلي، وعن مغيرة عن إبراهيم سئل عن قتل العقرب في الصلاة. فقال: إن في الصلاة لشغلاً اهـ.

وقال أصحابنا: الفعل ان تضمن ترك واجب مكروه كراهة تحريم وإن تضمن ترك سنة فهو مكروه كراهـة تنزيه، ولكن تتفاوت في الشدة والقرب من التحريمية بحسب تأكد السنة، وإن لم يتضمن ترك شيء منها فإن كان أجنبياً من الصلاة ليس فيه تتميم ولا فيه دفع ضرر فهو مكروه أيضاً. وقد تقدمت الإشارة إلى هذا التفصيل في المكروهات واحترزوا بما ليس فيه دفع ضرر من نحو قتل الحية والعقرب فإنه لا يكره.

(وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بها كان له دفعها) بإزالتها. ونقل أصحابنا عن الإمام أبي حنيفة كراهة قتل القمل في الصلاة، ففي الخلاصة قال أبو حنيفة: لا يقتل القملة في الصلاة ويدفنها تحت الحصى. وقال محمد: قتلها أحب إلي من دفنها وكلاهما لا بأس به. وقال أبو يوسف: يكره كلاهما اهـ.

وقال قاضيخان: وروي عن أبي حنيفة أنه إن أخذ قملة أو برغوثاً فقتلها ودفنها أساء اهـ.

قلت: والذي يؤخذ بقول محمد فيما إذا قرصته فإن أخذها حينئذ يكون بعذر لدفع ضررها لأن تركها يذهب الخشوع ويشغل القلب بالألم والفعل الذي فيه دفع الضرر لا يكره، بل لو قيل: إن تركها مكروه لم يبعد لأنه يشغل القلب، فإذا أخذها فإما أن يقتلها أو يدفنها، لكن دفنها أحب إن تيسر لأن في قتلها إيجاد نجاسة على قول الشافعي لأن قشرها نجس، وما دامت حية فهي طاهرة ففي عدم قتلها تحرز عن الخلاف لئلا يحمل النجاسة المانعة على قول بعض الأئمة ويلقيها في المسجد كان أحب، وتحمل الإساءة والكراهة المروية عن الإمام وأبي يوسف على أخذها قصداً من عذر والله أعلم.

وفي الأجناس: إذا قتل القملة مراراً أي بقتلات متعددة أو قتل قملات متعددة إن قتل قتلاً متداركاً بأن لم يكن بين قتلتين قدر ركن تفسد صلاته، وإن كان بين القتلات فرصة أي مهملة قدر ركن لا تفسد صلاته ولكن الكف عنه أفضل.

وكذلك حاجته إلى الحك الذي يشوّش عليه الخشوع. كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلاة. وابن عمر كان يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على يده. وقال النخعي: يأخذها ويوهنها ولا شيء عليه إن قتلها. وقال ابن المسيب: يأخذها ويخدرها ثم يطرحها. وقال مجاهد: الأحب إليَّ أن يدعها إلا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذي ثم يلقيها. وهذه رخصة وإلاَّ فالكمال الاحتراز عن الفعل وإن

(وكذا حاجته إلى الحك الذي يشوش عليه الخشوع) في الصلاة فهو فعل أجنبي يحصل بسببه شغل انقلب فهو مكروه. وقال أصحابنا: لو حك المصلي جسده مرة أو مرتين متواليتين لا تفسد صلاته للقلة، وكذا إذا حك مراراً غير متواليات بأن لم تكن في ركن واحد، فلو توالى فعله ذلك في ركن واحد فسدت لأنه كثير هذا إذا رفع يده في كل مرة. أما إذا لم يرفع في كل مرة فلا، لأنه حك واحد. كذا في الخلاصة.

(كان معاذ) بن جبل رضي الله عنه **(يأخذ القملة والبرغوث في الصلاة)** أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة عن عبدالله بن نمير، عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية قال: كان معاذ بن جبل يأخذ البرغوث في الصلاة فيفركه بيده حتى يقتله ثم يبزق عليه، وعن وكيع، عن ثور الشامي، عن راشد بن سعد، عن مالك بن يخامر: رأيت معاذ بن جبل يقتل القمل والبراغيث في الصلاة.

(و) عبدالله **(بن عمر)** رضي الله عنهما **(كان يقتل القملة والبرغوث في الصلاة حتى يظهر الدم على يده)** أي اليسير منه وكان يراه عفواً. وهذا القول أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، عن عمر بن الخطاب رواه عن إسماعيل بن عياش، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن عبد الرحمن بن الأسود قال: كان عمر بن الخطاب يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر دمها على يده.

(وقال) إبراهيم **(النخعي)** رحمه الله لما سأله رجل عن القملة في الصلاة أكلته: **(تأخذها)** بأصبعيك **(وتوهيها)** أي تضعفها عن الحركة **(ولا شيء إن قتلها)** أي هو عمل قليل لا يفسد الصلاة، وهذا القول أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن سفيان، عن حماد عنه بلفظ: إن قتلها في الصلاة فلا شيء. وأخرج وأيضاً من طريق سفيان عن منصور عنه في الرجل يجد القملة في الصلاة قال: يدفنها.

(وقال) سعيد **(بن المسيب)** رحمه الله: **(يأخذها)** بيده **(فيخدرها)** أي يمرسها حتى تضعف **(ثم يطرحها)** على الأرض، وهذا قد أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، عن عبيدة، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن سالم بن يسار عنه.

(وقال مجاهد) رحمه الله: **(الأحب إلى أن يدعها)** أي يتركها فإن في الصلاة شغلاً عنها **(إلا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته)** أي عن الخشوع فيها **(فيوهيها قدر ما لا تؤذيه ثم**

قلّ. ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب وقال: لا أعوّد نفسي ذلك فتفسد عليَّ صلاتي. وقد سمعت أن الفساق بين يدي الملوك يصبرون على أذى كثير ولا يتحركون، ومهما تثاءب فلا بأس أن يضع يده على فيهِ وهو الأولى. وإن عطس حمد الله عز وجل في نفسه ولا يحرك لسانه، وإن تجشأ فينبغي أن لا يرفع رأسه إلى السماء،

يلقيها) أي يرميها. وهذا القول أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن إسرائيل، عن ثوير عنه بمعناه. وأخرج نحوه من قول عامر بن عبدالله وغيره.

(وهذه رخصة وإلا فالكمال) عند أهل العزيمة **(الاحتراز عن الفعل)** في الصلاة **(وإن قل)** كما تقدم عن صاحب العوارف، **(ولذلك كان بعضهم)** من السلف **(لا يطرد الذباب)** عنه وهو في الصلاة **(و)** لما سئل عن ذلك **(قال: لا أعود نفسي ذلك فتفسد علي صلاتي)** أي بتوالي الحركات.

(وقد سمعت أن الفساق) والسراق **(يضربون بين يدي الملوك)** بالسياط إما حداً أو تأديباً **(فيصبرون على أذى كثير)** من الضرب **(ولا يتحركون)** أي فهلا يكون العبد بين يدي ملك الملوك في حال مناجاته كذلك. وهذا القول نقله صاحب القوت والعوارف، **(ومهما تثاءب)** فلا يكره له تغطية الفم، وقد سبق أن تغطية الفم مكروه، لما رواه أبو داود والحاكم عن أبي هريرة: « نهى عن السدل في الصلاة وأن يغطي الرجل فاه » وصححه الحاكم أي لغير عذر، ولذا قال المصنف: **(فلا بأس أن يضع يده)** أو كمه **(على فيه فهو الأولى)** لما رواه الترمذي أنه ﷺ: « إن التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم في الصلاة فليكظم ما استطاع » وفي رواية له « فليضع يده على فيه ثم إن الأدب عند التثاؤب أن يكظم إن قدر لهذا » الحديث. ولما رواه مسلم « إذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع فإن الشيطان يدخل في فيه ». وهذا سبب كراهته وهو دليل الغفلة والكسل، وكذلك التمطي وقد نهى عنه أيضاً لذلك، **(وإن عطس)** في الصلاة **(حمد الله في نفسه ولم يحرك لسانه)** وهكذا نقله أصحابنا عن الإمام أبي حنيفة أنه إذا حمد في نفسه من غير أن يحرك شفتيه لا تفسد، وظاهر المذهب أنه لو قال بلسانه لا تفسد لأنه لم يتغير بعزيمته عن كونه ثناءً ولا خطاب فيه، ولكن الأولى إن لم يسكت يحمد في نفسه، ولو عطس رجل آخر فقال المصلي: الحمد لله يريد استفهامه. قال محمد: لا تفسد وإن أراد به الجواب. وعن أبي حنيفة تفسد كذا في القنية، ومشى صاحب الهداية على قول محمد لأنه لم يتعارف جواباً، وأما لو قال المصلي للعاطس: يرحمك الله فإنها تفسد بالاتفاق إلا رواية شاذة عن أبي يوسف لحديث معاوية بن الحكم، ولو عطس في الصلاة فقال له آخر: يرحمك الله فقال المصلي العاطس آمين تفسد لأنه إجابة، ولو كان بجنب المصلي العاطس رجل آخر يصلي فلما عطس المصلي فقال له رجل ليس في الصلاة: يرحمك الله، فقال المصليان: آمين فسدت صلاة العاطس لأنه إجابة، ولا تفسد صلاة غير العاطس لأن تأمينه ليس بجواب كذا في فتاوى قاضيخان.

وإن سقط رداؤه فلا ينبغي أن يسوّيه وكذلك أطراف عمامته فكل ذلك مكروه إلا لضرورة.

(وإن تجشأ) بأن يصوت مع ريح يحصل من الفم عند حصول الشبع فليدفعه عنه مهما قدر فإنه مكروه، فإن لم يقدر **(فينبغي أن لا يرفع رأسه إلى السماء)** فإن فيه قلة الأدب في حضرة الله تعالى أي فليصوب رأسه إلى تحت، **(وإن سقط رداؤه)** عن منكبيه **(فلا ينبغي أن يسويه)** بيده أو بيديه، **(وكذا طرف عمامته)** إن انفك **(فكل ذلك مكروه إلا لضرورة)**.

قال الرافعي: اعلم أن ما ليس من أفعال الصلاة ضربان. أحدهما: من جنسيتها، والثاني ليس من جنسيتها. فالأول إذا فعله ناسياً لا تبطل صلاته، وأما الثاني: فاتفقوا على أن الكثير منه يبطل الصلاة والقليل لا. وفي ضبط القليل والكثير أوجه. أصحها: أن الرجوع فيه للعادة فلا يضر ما يعده الناس قليلاً كالإشارة برد السلام وخلع النعل ولبس الثوب الخفيف ونزعه ونحو ذلك وهو قول الأكثرين، وقولوا: الفعلة الواحدة كالخطوة والضربة قليل قطعاً، والثلاث كثير قطعاً، والاثنتان من القليل على الأصح، وأجمعوا على أن الكثير إنما يبطل إذا توالى فإن تفرق بينهما زمن لم يضر قطعاً، وحد التفريق أن يعد الثاني منقطعاً عن الأول. وقال في التهذيب: عندي أن يكون بينهما قدر ركعة ثم المراد بالفعلة الواحدة التي لا تبطل ما لم تتفاحش، فإن أفرطت أبطلت قطعاً، وكذا قولهم الثلاث المتواليات تبطل أرادوا الخطوات ونحوها. فأما الحركات الخفيفة كتحريك الأصابع في سبحة أو حكة أو عقد وحل، فالأصح أنها لا تضر وإن كثرت متوالية. ونص الشافعي رضي الله عنه: أنه لو كان يعد الآيات في صلاته عقداً باليد لم تبطل، ولكن الأولى تركه. وجميع ما ذكرناه إذا تعمد الفعل الكثير فأما إذا فعله ناسياً فالمذهب أن الناسي كالعامد وبه قطع الجمهور، وقيل: فيه الوجهان اهـ.

وقال أصحابنا: في تعمد الفعل الكثير الناسي والعامد سواء لا يعذر بالنسيان، وفي الفرق بين الكثير والقليل عندنا أقوال ثلاثة: أقربها إلى مذهب أبي حنيفة أنه يفوض إلى رأي المصلي إن استكثره فكثير، وإلا فلا. قاله شمس الأئمة الحلواني لأن مذهب الإمام التفويض إلى رأي المصلي في كثير من المواضع، ولما لم يكن ذلك مضبوطاً وتفويض مثله إلى رأي العوام مما لا ينبغي خرجوا أكثر الفروع على أحد القولين، وهما كل عمل لا يشك الناظر أنه في الصلاة، بل يظن غالباً أنه ليس في الصلاة فهو عمل كثير، وما كان دون ذلك بأن يشتبه على الناظر ويتردد فيه فهو قليل. والثاني: كل عمل يعمل باليدين عرفاً وعادة فهو كثير، وما كان يعمل في العادة بيد واحدة فهو قليل ما لم يتكرر، وهذا القول اختيار أبي بكر محمد بن الفضل البخاري واختيار عامة المشايخ على أول القولين والله أعلم.

وذكر أصحابنا ان المصلي إذا رفع العمامة أو القلنسوة عن رأسه ووضع على الأرض أو

مسألة: الصلاة في النعلين جائزة وإن كان نزع النعلين سهلاً، وليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفوّ عنها. وفي معناها المداس صلى رسول الله ﷺ في نعليه، ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال: «لم خلعتم نعالكم»؟ قالوا: رأيناك خلعت فخلعنا،

بالعكس أو نزع القميص أو تعمم كل ذلك بيد واحدة من غير تكرار متوال يكره إذا كان من غير عذر هكذا قالوه، لكن في نزع القميص إشكال لأنه من عمل اليدين في الغالب، والمراد بقولهم: أو تعمم بيد واحدة أي سوّى كور عمامته مرة أو مرتين لا أنه يتعمم حقيقة، فإنه من عمل اليدين، وإنما قيدوا الكراهة بعدم العذر لأنه معه لا يكره، كما إذا خشي البرد أو الحر أن يضره فوضع العمامة على رأسه أو أصابت ثوبه أو عمامته نجاسة فنزع لأجلها حيث لا يكره، بل ذكر في فتاوى الحجة أن رفع القلنسوة أو العمامة بعمل قليل إذا سقطت أفضل من الصلاة مع كشف الرأس، والله أعلم.

مسألة ثانية: في حكم خلع النعال في الصلاة هل يفسد أم لا؟ وهل الصلاة في النعلين جائزة أم لا؟

قال رحمه الله تعالى: **(الصلاة في النعلين جائزة)** باتفاق فقهاء الأمصار **(وإن كان نزع النعلين سهلاً)** على المصلي لا يحتاج إلى عمل كثير، **(وليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفوّ عنها. وفي معناها)** أي النعال **(المداس)** بكسر الميم قيل ميمه أصلية ولذا جمعوه على أمدسة كسلاح وأسلحة. وقال صاحب المصباح: إذا صح سماعه من العرب فقياسه كسر الميم لأنه آلة.

قلت: والمشهور فتح الميم وهو الذي ينتعله الناس ويختلف نوعه باختلاف البلاد وفي معناه الزربول وجمعه الزرابيل، وأجمعت العلماء على أن الصلاة في النعال وما في حكمها مما هو ملبوس للرجل جائزة فرضاً أو نفلاً أو جنازة سفراً أو حضراً، بل قيل بالسنية للاتباع، وسواء كان يمشي بها في الأزقة أو لا. فإن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يمشون في طرقات المدينة ويصلون فيها، بل كانوا يخرجون بها إلى الحشوش حيث يقضون الحاجة. وقال ابن القيم، قيل للإمام أحمد: أيصلي الرجل في نعليه؟ قال: أي والله، وترى أهل الوسواس إذا صلى أحدهم صلاة الجنازة في نعليه قام على عقبيها كأنه واقف على الجمر اهـ.

(صلى رسول الله ﷺ في نعليه) أي عليهما أو بهما لتعذر الظرفية إن جعلت في متعلقة بصلّى، فإن تعلقت بمحذوف صحت الظرفية بأن يقال: صلّى ورجلاه في نعليه أي مستقرة فيها، **(ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لهم)** لما انصرف: **(لم خلعتم نعالكم؟ فقالوا: رأيناك خلعت فخلعنا، فقال ﷺ: «إن جبريل أتاني فأخبرني أن بهما خبثاً»، فإذا أراد أحدكم**

فقال ﷺ: « إن جبرائيل عليه السلام أتاني فأخبرني أن بهما خبثاً فإذا أراد أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فإن رأى خبثاً فليمسحه بالأرض وليصلّ فيهما » وقال بعضهم: الصلاة في النعلين أفضل لأنه ﷺ قال: « لم خلعتم نعالكم »؟ وهذه مبالغة فإنه ﷺ سألهم ليبين لهم سبب خلعه إذ علم أنهم خلعوا على موافقته. وقد روى

المسجد) أي دخوله **(فليقلب نعليه ولينظر فيهما فإن رأى)** فيهما **(خبثاً فليمسحه بالأرض وليصل بهما »)** قال العراقي: رواه أحمد واللفظ له، وأبو داود، والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد اهـ.

قلت: وكذا أبو بكر بن أبي شيبة من طريق أبي نضرة عنه بطوله هكذا، ومن طريق أخرى عن عبد الرحمن بن أبي يعلى مختصراً.

وأخرج أيضاً من طريق يزيد بن ابراهيم اليسرى عن الحسن رفعه « تعاهدوا نعالكم فإن رأى أحدكم فيهما أذى فليمطه وإلاّ فليصلّ فيهما » فقد دل هذا الحديث على جواز الصلاة في النعلين بل على سنيتها.

(وقال بعضهم: الصلاة بالنعلين أفضل لأنه ﷺ قال) في هذا الحديث لأصحابه: **(« لم خلعتم نعالكم » وهذه مبالغة فإنه سألهم ليبين لهم سبب خلعه إذ علم أنهم خلعوا على موافقته)**. وقد أمروا باتباعه ﷺ في كل حال من الأحوال خصوصاً في العبادات الظاهرة، فإنما قال لهم ما قال لبيان السبب، ومنهم من قال: الصلاة فيها من الرخص لا من المستحبات لأن ذلك لا يدخل في المعنى المطلوب من الصلاة وهو وإن كان من ملابس الزينة، لكن ملامسة الأرض التي تكثر فيها النجاسات قد تقصر به عن هذه الرتبة، وإذا تعارضت مراعاة التحسين ومراعاة إزالة النجاسة قدمت الثانية لأنها من باب دفع المفاسد، والأخرى من باب جلب المصالح إلا أن يرد دليل بإلحاقه بما يتجمل به فيرجع إليه اهـ، وهو قول ابن دقيق العيد.

وقد عقد البخاري باب الصلاة في النعال فقال: حدثنا آدم بن أبي اياس، حدثنا شعبة، أخبرنا أبو مسلمة الأزدي، سألت أنس بن مالك: أكان النبي ﷺ يصلي في نعليه؟ قال: نعم ».

قلت: وأخرجه أيضاً أحمد ومسلم في الصلاة، والترمذي والنسائي. قال الشراح: وهو محمول على ما إذا لم تكن فيها نجاسة، فعند الشافعية لا يطهرها إلا الماء، وقال مالك وأبو حنيفة: إن كانت يابسة أجزأ حكماً وإن كانت طرية تعين الماء. ونقل المناوي أنه ذهب بعض السلف إلى أن النعل المتنجسة تطهر بدلكها بالأرض وتصح الصلاة فيها وهو قول قديم للشافعي اهـ.

(وقد روي عن عبدالله بن السائب) بن أبي السائب، واسمه صيفي بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي أبو السائب، ويقال أبو عبدالرحمن المكي القاري، له ولأبيه

عبدالله بن السائب: «أن النبي ﷺ خلع نعليه» فإذاً قد فعل كليهما فمن خلع فلا ينبغي أن يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتاً إليهما ولعل من رأى الصلاة فيهما أفضل راعى

صحبة وهو والد محمد بن عبدالله وكان قارىء أهل مكة، وعنه أخذ أهل مكة القرآن وتوفي بمكة. روى له الجماعة إلا البخاري: (**«أن النبي ﷺ خلع نعليه»**) قال العراقي: أخرجه مسلم اهـ.

قلت: وجدت بخط الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر الحريري ابن خال القطب الخيضري ما نصه: ليس في صحيح مسلم ذكر خلع النبي ﷺ نعليه ألبتة إنما وقع ذلك زيادة في حديثه الذي في صحيح مسلم. ذكرها أحمد في مسنده ولفظه: «حضرت النبي ﷺ يوم الفتح وصلّى في قبل الكعبة فخلع نعليه فوضعهما عن يساره ثم استفتح سورة المؤمنين». فمسلم لم يذكر هذه الزيادة، وإنما لفظ: «صلى لنا رسول الله ﷺ الصبح بمكة فاستفتح سورة المؤمنين حتى جاء ذكر موسى وهارون أخذت النبي ﷺ سعلة فركع». حررت ذلك من الأصول فليعلم اهـ.

(**فإذاً قد فعل**) ﷺ (**كليهما**) أي صلى بالنعلين تارة وبغيرهما أخرى.

قلت: أما الصلاة فيهما، فقد روي عنه ﷺ في عدة أخبار. منها ما تقدم.

ومنها ما أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة قال: رأيت النبي ﷺ يصلي وهما عليه وخرج وهما عليه يعني نعليه. وعن ابن أوس عن جده رفعه: «صلى في نعليه». وعن عمرو بن حريث مثله، وعن حميد بن هلال العودي عمن سمع الأعرابي يقول: «رأيت رسول الله ﷺ يصلي في نعلين من بقر». وعن ابن جريج: سألت عطاء أيصلي الرجل في نعليه؟ فقال: نعم. قد صلى رسول الله ﷺ في نعليه. وعن أبي سلمة، عن أنس مثله، وعن جرير، عن منصور، عن ابراهيم «خلع رسول الله ﷺ نعليه وهو في الصلاة فخلع الناس نعالهم ثم لبسها فلم ير نازعهما بعد».

ثم روى عن جماعة كانوا يصلون في نعالهم ذكر منهم: أبا جعفر، وعلي بن الحسين، وابراهيم التيمي، وسلمة، وابن عباس، وعمر، وعثمان، والقاسم، وسالماً، وابن المسيب، وعطاء بن يسار، وطاوساً، ومجاهداً، وأبا مجلز، وعويمر بن ساعدة.

ثم أخرج، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه: «كان يصلي حافياً ومنتعلاً». وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى رفعه: «من شاء أن يصلي في نعليه فليصلّ ومن شاء أن يخلع فليخلع».

(**فمن خلع**) نعليه للاتباع (**فينبغي أن لا يضعهما عن يمينه و**) عن (**يساره فيضيق الموضع**) على المصلين (**ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه**) بحيث إذا سجد يكونان تحت حجره. هذا إذا كان في الصف الثاني والثالث، فإن كان في الصف الأول وكان في المسجد طاق أو دكة أو شبه ذلك فلا بأس أن يضعهما هناك، (**ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتاً**

هذا المعنى وهو التفات القلب إليها. روى أبو هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: « إذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه ». وقال أبو هريرة لغيره: اجعلها بين رجليك ولا تؤذِ بهما مسلماً. ووضعهما رسول الله ﷺ على يساره وكان إماماً، فللإمام أن يفعل ذلك إذ لا يقف أحد على يساره، والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فيشغلانه، ولكن قدّام قدميه، ولعله المراد بالحديث. وقد قال جبير بن مطعم: وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة.

إليها) فيكون سبباً لذهاب الخشوع في الصلاة، **(ولعل من رأى الصلاة فيهما أفضل راعى هذا المعنى وهو التفات القلب إليهما)**. ولكن روى ابن أبي شيبة عن ابن عمر أنه كان يضعهما خلفه، فعلم من ذلك انه جائز أي اذا أمن من اشتغال القلب بهما.

(روى أبو هريرة) رضي الله عنه، **(عن النبي ﷺ أنه قال: « إذا صلّى أحدكم)** أي إذا أراد أن يصلي **(فليجعل نعليه بين رجليه »)**. قال العراقي: أخرجه أبو داود بسند صحيح وضعفه المنذري وليس بجيد اهـ.

قلت: وأخرجه ابن أبي شيبة، عن المقبري، عن أبي هريرة. وأخرجه الحاكم وصححه وقال: على شرط مسلم، وأقره الذهبي ولفظه: « إذا صلى أحدكم فليلبس نعليه أو ليخلعهما بين رجليه ولا يؤذي غيره ».

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه **(لغيره)** لما سأله عن النعلين أين يضعهما: **(اجعلهما)** أي ندباً **(بين رجليك)** إذا كانتا طاهرتين أو بعد دلكهما بالأرض **(ولا تؤذ بهما مسلماً)** بأن تضعهما أمامه أو عن يمينه أو عن يساره، فإنه يتأذى بهما. وهذا القول أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة عن وكيع، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبيه قال: قلت لأبي هريرة كيف أصنع بنعلي إذا صليت؟ قال: اجعلهما، فساقه.

(ووضعهما رسول الله ﷺ على يساره).

أخرجه، أحمد وابن أبي شيبة، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه من حديث عبدالله بن السائب: « حضرت رسول الله ﷺ يوم الفتح وصلّى في قبل الكعبة فخلع نعليه فوضعهما عن يساره » الحديث. وقد تقدمت الإشارة إليه آنفاً. وكان الحافظ العراقي رحمه الله تعالى كان قال أوّلاً في المغني أنه أخرجه مسلم ثم لما قرىء عليه الكتاب ثانياً بحضور جماعة من الفضلاء ضرب على قوله مسلم واصلحه، فقال أبو داود، والنسائي، وابن ماجه: كما رأيته بخطه، والله أعلم.

(وكان) ﷺ **(إماماً)** للقوم **(فللإمام أن يفعل ذلك)** أي يضعهما عن يساره، وكذلك حكم المنفرد إذا صلى وحده فليضعهما عن يساره **(إذ لا يقف أحد على يساره)** حتى يتأذى، **(والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فيشغلانه)** في الركوع والسجود، **(ولكن قدام قدميه، ولعله المراد بالحديث)** المذكور الذي يقول فيه بين يديه.

مسألة: إذا بزق في صلاته لم تبطل صلاته لأنه فعل قليل. وما لا يحصل به صوت لا يعد كلاماً وليس على شكل حروف الكلام إلا أنه مكروه، فينبغي أن يحترز منه إلا كما أذن رسول الله ﷺ فيه إذ روى بعض الصحابة: «أن رسول الله ﷺ رأى في القبلة نخامة فغضب غضباً شديداً ثم حكها بعرجون كان في يده وقال: ائتوني بعبير فلطخ أثرها بزعفران ثم التفت إلينا وقال: أيكم يحب أن يبزق في وجهه؟ فقلنا: لا

(وقد قال جبير بن مطعم) بن عدي بن نوفل القرشي النوفلي أبو محمد، ويقال أبو عدي المدني. له صحبة. أسلم يوم الفتح وكان نسّابة قريش روى له الجماعة: **(وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة)** أحدثت بعد رسول الله ﷺ، فيحتمل أنه أشار إلى أن السنة أن يلبسهما في حال الصلاة كما كان النبي ﷺ يفعل تارة، ويحتمل أنه أشار إلى أن السنّة وضعهما قدام القدمين لا بينهما وهو الظاهر من سياق المصنف والله أعلم.

ثم راجعت المصنف لابن أبي شيبة فوجدته قد روى عن موسى بن عبيدة قال: سمعت نافع بن جبير يقول: وضع الرجل نعله من قدمه في الصلاة بدعة اهـ.

فاتضح أن الذي عند المصنف خطأ وذلك في موضعين: الأول قوله عن جبير بن مطعم والصواب عن نافع بن جبير الذي قال فيه الذهبي شريف مفت روى عن أبيه جبير بن مطعم وعائشة وعنه الزهري وآخرون. الثاني: قوله بين قدميه غلط، والصواب من قدمه، ومعناه ترك الصلاة في النعل بدعة فافهم ذلك، ولولا ان المصنف أورده في هذا الموضع لقلنا انه من تحريف النساخ، والحق أحق أن يتبع، والله أعلم.

مسألة ثالثة: في حكم البزاق في الصلاة وإذا غلبه كيف يفعل؟

(إذا بصق) المصلي **(في صلاته لم تبطل صلاته لأنه فعل قليل)** والفعل القليل لا يبطل الصلاة كما تقدم، **(وما لا يحصل به صوت)** مفهم **(لا يعد كلاماً وليس على شكل حروف الكلام)**، والمراد بالكلام هنا اللفظ المركب من حرفين أو أكثر، حتى لو تلفظ بكلمة واحدة تفسد عند أصحابنا، وقد تقدمت الإشارة إليه في مفسدات الصلاة، ويشترط عندنا في الكلام أمران: التصحيح أو السماع، **(إلا أنه مكروه)** وذلك إذا لم يكن مدفوعاً إليه لأنه أجنبي لا فائدة فيه، أما لو اضطر إليه بأن خرج بسعال أو تنحنح ضروري فلا يكره، **(فينبغي أن يحترز عنه إلاَّ كما أذن رسول الله ﷺ فيه. إذ روى بعض الصحابة: «أنه ﷺ رأى في القبلة نخامة)** وهي بضم النون البلغم الذي ينفذ إلى الحلق بالنفس العنيف، إما من الخيشوم، أو من الصدر. **(فغضب غضباً شديداً ثم حكها بعرجون)** من نخل **(كان في يده وقال: ائتوني بعبير)** وهو طيب معروف يعمل من الأخلاط فأتوه به، **(فلطخ أثرها بزعفران ثم التفت إلينا وقال: أيكم يحب أن يبزق في وجهه؟ فقلنا: لا أحد)** يحب ذلك **(قال: فإن**

أحد. قال: فإن أحدكم إذا دخل في الصلاة فإن الله عز وجل بينه وبين القبلة». وفي لفظ آخر: «واجهه الله تعالى فلا يبزقن أحدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى فإن بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليقل به هكذا ودلك بعضه ببعض».

أحدكم إذا دخل في الصلاة فإن الله عز وجل بينه وبين القبلة» وفي لفظ آخر): «إذا دخل في الصلاة (**واجهه الله تعالى فلا يبزقن أحدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى فإن بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليقل به هكذا ودلك بعضه ببعض»**). هكذا ساقه صاحب القوت بتمامه.

وقال العراقي: أخرجه مسلم من حديث جابر، واتفقا عليه مختصراً من حديث أنس، وعائشة، وأبي سعيد، وأبي هريرة، وابن عمر اهـ.

قلت: قد عقد البخاري في الصحيح لبيان هذه الروايات سبعة أبواب، فقال:

باب حك البزاق باليد من المسجد؛ حدثنا قتيبة، حدثنا إسماعيل بن جعفر عن حميد، عن أنس: «أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة فشق ذلك عليه حتى رؤي في وجهه فقام فحكه بيده فقال: إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه أو أن ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدميه ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ثم ردّ بعضه على بعض، فقال: أو يفعل هكذا». وهذا الحديث أخرجه أيضاً مسلم، والترمذي وأبو داود، والنسائي.

ثم قال: حدثنا عبدالله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن نافع، عن ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ رأى بصاقاً في جدار القبلة فحكه ثم أقبل على الناس فقال: إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه إذا صلى».

حدثنا عبدالله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين: «أن رسول الله ﷺ رأى في جدار القبلة مخاطاً أو بصاقاً أو نخامة فحكه».

ثم قال: **باب حك المخاط بالحصى من المسجد**: حدثنا موسى بن إسماعيل، أخبرنا ابراهيم بن سعد، أخبرنا ابن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة، وأبا سعيد حدثاه «أن رسول الله ﷺ رأى نخامة في جدار المسجد فتناول حصاة فحكها فقال: إذا تنخم أحدكم فلا يتنخمن قبل وجهه ولا عن يمينه وليبصق عن يساره أو تحت قدمه اليسرى». وهذا الحديث أخرجه مسلم أيضاً.

ثم قال: **باب لا يبصق عن يمينه في الصلاة**: حدثنا يحي بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة وأبا سعيد أخبراه: «أن رسول الله ﷺ رأى نخامة في حائط المسجد فتناول رسول الله ﷺ حصاة فحتها ثم قال: إذا تنخم أحدكم فلا يتنخم قبل وجهه ولا عن يمينه وليبصق عن يساره أو تحت قدمه اليسرى».

حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، أخبرني قتادة: سمعت أنساً قال: قال ﷺ: «لا يتفلن أحدكم بين يديه ولا عن يمينه ولكن عن يساره أو تحت رجله».

باب ليبزق عن يساره أو تحت قدمه اليسرى: حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا قتادة سمعت أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «إن المؤمن إذا كان في الصلاة فإنما يناجي ربه فلا يبزقن بين يديه ولا عن يمينه ولكن عن يساره أو تحت قدمه».

حدثنا علي، حدثنا سفيان، حدثنا الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن بن أبي سعيد: «أن النبي ﷺ رأى نخامة في قبلة المسجد فحكها بحصاة، ثم نهى أن يبزق الرجل بين يديه أو عن يمينه ولكن عن يساره أو تحت قدمه اليسرى».

باب كفارة البزاق في المسجد: حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا قتادة، سمعت أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها». وهذا الحديث أخرجه مسلم وأبو داود.

باب دفن النخامة في المسجد: حدثنا إسحاق بن نصر، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن همام سمع أبا هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق أمامه فإنما يناجي الله ما دام في مصلاه ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكاً وليبصق عن يساره أو تحت قدمه فيدفنها».

باب إذا بدره البزاق فليأخذ بطرف ثوبه: حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا زهير، حدثنا حميد، عن أنس: «أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة فحكها بيده ورؤي منه كراهية أو رؤي كراهيته لذلك وشدته عليه وقال: إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنما يناجي ربه أو ربه بينه وبين قبلته فلا يبزقن في قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه ثم أخذ طرف ردائه فبزق فيه وردّ بعضه على بعض قال أو يفعل هكذا». هذا آخر سياق البخاري في الصحيح.

وأخرج الإمام أحمد والأربعة أصحاب السنن، وابن حبان، والحاكم من حديث طارق بن عبدالله المحاربي بلفظ: «إذا صليت فلا تبزقن بين يديك ولا عن يمينك ولكن ابزق تلقاء شمالك إن كان فارغاً وإلا فتحت قدمك اليسرى». وأخرجه البزار بلفظ: «إذا أردت أن تبزق» ولم يقل: «إذا صليت».

فوائد أحاديث الباب:

الأولى: قوله: فإنه يناجي ربه هو من جهة مساررته بالقرآن والاذكار، فكأنه يناجيه تعالى والرب تعالى يناجيه من جهة لازم ذلك وهو إرادة الخير، فهو من باب المجاز لأن القرينة صارفة عن إرادة الحقيقة إذ لا كلام محسوب إلا من جهة العبد.

الثانية: قوله: أو أن ربه بينه وبين القبلة ظاهره محال لتنزيه الرب تعالى عن المكان، فيجب

على المصلي إكرام قبلته بما يكرم به من يناجيه من المخلوقين عند استقبالهم بوجهه، ومن أعظم الجفاء وسوء الأدب أن تتنخم في توجهك إلى رب الأرباب، وقد أعلمنا الله بإقباله على من توجه إليه.

الثالثة: قوله: أو يفعل هكذا فيه البيان بالفعل لأنه أوقع في النفس وليست أو للشك بل للتنويع، ومنهم من قال: هو مخير بين هذا وهذا لكن في الرواية الأخرى في باب إذا بدره البصاق ما يشهد للتنويع.

الرابعة: البزاق يقتضي الاستخفاف والاحتقار، والقبلة معظمة بتعظيم الله إياها ومن ثم قالوا النهي للتحريم وانه الأصح.

الخامسة: ظاهر الروايات السابقة في النهي عن البصاق مقيد بما إذا كان داخل الصلاة، وفي بعضها عدم التقييد والمطلق محمول على المقيد. وقد جزم النووي بالمنع منه في الجهة اليمنى داخل الصلاة وخارجها سواء كان في المسجد أو غيره، ويؤيده ما رواه عبدالرزاق وغيره عن ابن مسعود أنه كره أن يبصق عن يمينه وليس في الصلاة. وعن عمر بن عبد العزيز أنه نهى ابنه عنه مطلقاً، وعن معاذ بن جبل قال: ما بصقت عن يميني منذ أسلمت، ونقل عن مالك أنه قال: لا بأس به يعني خارج الصلاة وكان الذي خصه بالصلاة أخذه من علة النهي المذكورة في رواية همام عن أبي هريرة حيث قال: فإن عن يمينك ملكاً، وعند أبي بكر بن أبي شيبة بسند صحيح فإن عن يمينك كاتب الحسنات.

السادسة: قوله البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها، فقوله: في المسجد ظرف للفعل فلا يشترط كون الفاعل فيه حتى لو بصق من هو خارج المسجد فيه تناوله النهي. قال القاضي عياض: إنما يكون خطيئة إذا لم يدفنه فمن أراد دفنه فلا، ويؤيده حديث أبي أمامة عند أحمد والطبراني بإسناد حسن مرفوعاً: «من تنخم في المسجد فلم يدفنه فسيئة وإن دفنه فحسنة» فلم يجعله سيئة إلا بقيد عدم الدفن، وردّه النووي فقال: هو خلاف صريح الحديث. قال: وحاصل النزاع أن ههنا عمومين تعارضا، وهما: قوله البزاق في المسجد خطيئة، وقوله: ليبصقن عن يساره أو تحت قدمه، فالنووي يجعل الأول عاماً. ويخص الثاني بما إذا لم يكن في المسجد، والقاضي يجعل الثاني عاماً ويخص الأول بمن لم يرد دفنها، وتوسط بعضهم فحمل الجواز على ما إذا كان له عذر لم يتمكن في الخروج من المسجد، والمنع على ما إذا لم يكن له عذر.

السابعة: قوله: إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصقن الخ. ظاهره تخصيص المنع بحالة الصلاة لكن التعليل بتأذي المسلم يقتضي المنع مطلقاً، ولو لم يكن في الصلاة. نعم، هو في الصلاة أشد إثماً مطلقاً، وفي جدار القبلة أشد إثماً من غيرها من جدار المسجد.

الثامنة: قوله: فيدفنها أي يغيب البصقة بالتعميق إلى باطن أرض المسجد إن كان مفروشاً

مسألة: لوقوف المقتدي سنّة وفرض، أما السنة؛ فأن يقف الواحد عن يمين الإمام متأخراً عنه قليلاً، والمرأة الواحدة تقف خلف الإمام، فإن وقفت بجنب الإمام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنّة، فإن كان معها رجل وقف الرجل عن يمين الإمام وهي

بتراب أو رمل أو حصى كما كان في الصدر الأول، وبشرط أن لا يكون باطن أرض المسجد متنجساً بحيث يأمن الجالس عليها من الإيذاء وإلاَّ فليدلكها بشيء حتى يذهب أثرها البتة أو يخرجها خارج المسجد، وهذا الحكم اليوم لا يمكن إجراؤه لأن المساجد بعد أن فرشت بالرخام لم يكتفوا به ففرشوا عليه الحصر المثمنة، ولم يكتفوا بها ففرشوا عليها بالأنماط الرومية والبسط الغالية والطنافس العجمية، فالأوفق للمصلي أن يبزق في ثوب له ثم يرد بعضه على بعضه كما فعله ﷺ، والله أعلم.

مسألة رابعة: في كيفية وقوف المقتدي وراء الإمام.

فقال: (**لوقوف المقتدي**) وراء الإمام (**سنّة وفرض، أما السنّة فأن يقف الواحد**) إذا لم يكن ثم غيره (**عن يمين الإمام متأخراً**) بعقبه (**عنه**) أي عن عقبه (**قليلاً**) وقال أصحابنا: لو اقتدى رجل وقدمه بعقب قدمه إلا أن رأسه مقدم على رأسه لطوله وقصر الإمام جازت صلاته، ثم هذا الذي ذكره المصنف هكذا وردت السنة لحديث ابن عباس أنه قام عن يسار النبي ﷺ فأقامه عن يمينه، ويكره أن يقف عن يساره لما روينا، والصبي في القيام كالبالغ، (**والمرأة الواحدة تقف خلف الإمام**) بالإتفاق، (**فإن وقفت بجنب الإمام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنّة**) خلافاً لأصحابنا، فإنهم قالوا: محاذاة المشتهاة مما يفسد الصلاة، والمراد أن تحاذي رجلاً بساقها وكعبها في الأصح، ولو كانت محرماً له أو زوجة في أداء ركن على ما قاله محمد، أو مقداره على قول أبي يوسف في صلاة مطلقة مشتركة تحريمة في مكان متحد بلا حائل بينهما، ولم يشر إليها لتتأخر. فإن أشار إليها فلم تتأخر هي بطلت صلاتها فقط وتقدمه عنها بالمشي مكروه، وأن يكون الإمام قد نوى إمامتها لأنه شرط لصحة اقتدائها، فإذا لم ينوها لا تفسد محاذاتها فحينئذ لا تقف المرأة إلا خلفه بحيث لا تحاذي شيئاً منه، فإن حاذته في صلاته بالشروط المذكورة بطلت صلاته، وفي نظم الجامع الكبير لمحمد بن الحسن تأليف أحمد بن أبي المؤيد النسفي وهو أول مسائل الكتاب:

إذا المصلي تحاذيه مصلية ... صلاته فسدت مما تحاذيه
هذا إذا لحقا أما إذا سبقا ... صح القضاء ولا ريب ينافيه

قال شارحه عند قوله: «إذا سبقا» إن قيل وجب أن تفسد صلاة المسبوق بناء على أن الصلاة متى جازت من وجه وفسدت من وجه يحكم بالفساد احتياطاً. قلنا: المفسد لصلاة الرجل المشاركة من كل وجه إما حقيقة إن كانا مدركين لجميع الصلاة، أو حكماً بأن كانا لاحقين، والمشاركة على هذا الوجه منتفية فيكون المفسد معدوماً والله أعلم.

(**فإن كان معها رجل وقف الرجل عن يمين الإمام وهي خلف الرجل**) وفي سياق

خلف الرجل. ولا يقف أحد خلف الصف منفرداً بل يدخل في الصف أو يجر إلى نفسه

عبارات أصحابنا وهي خلفها ولا مخالفة بين العبارتين، فإن الرجل ولو كان عن يمين الإمام فهو بحكم الاقتداء خلفه ويقف الأكثر من واحد خلفه، فقد أخرج ابن أبي شيبة في المصنف من طريق نافع عن ابن عمر قال: إذا صلى ثالث ثلاثة جعل اثنين خلفه، ومن طريق حماد عن ابراهيم عنه أنه قال: إذا كان ثلاثة تقدم أحدهم وتأخر اثنان، ومن طريق الزهري عن عبيدالله بن عبدالله عن أبيه قال: جئت عمر وهو يصلي فجعلني عن يمينه، فجاء يرفأ فجعلنا خلفه، وروي مثل ذلك عن علي، والحسن، وابن المسيب، وعامر بن عبدالله، وغيرهم اهـ.

ويروى عن أبي يوسف أنه يتوسطها، وكان يحتج بما روي عن ابن مسعود أنه صلى بعلقمة والأسود في بيته وقام وسطها وقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ فعل. أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة من طريق عبد الرحمن بن الأسود.

وروى أيضاً من طريق ابن الأسود قال: صليت أنا ورجل مع مجاهد فأقام أحدنا عن يمينه والآخر عن يساره وقال: هكذا يصنع الثلاثة.

ودليل الجمهور ما روي أن النبي ﷺ صلّى بأنس واليتيم تقدم عنهما والمرأة وراءهما، واليتيم هو أخو أنس لأمه اسمه عمير، والمرأة أم سليم أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة من طريق شعبة، عن عبدالله بن المختار، عن موسى بن أنس، عن أنس بلفظ: «إن النبي ﷺ صلّى بهم وامرأة من أهله فجعل أنساً عن يمينه والمرأة خلفه» ومن طريق ثوبان صليت مع أنس فقمت عن يمينه وقامت أم ولده خلفنا اهـ.

فالمرأة في حكم الاصطفاف كالعدم، حتى لو كان خلفه رجل واحد وامرأة يقوم الرجل بحذاء الإمام كما لم تكن معه امرأة كما تقدم، فأثر ابن مسعود دليل الإباحة والخبر دليل الأفضلية.

وقول البيهقي نقلاً عن ابن خزيمة: أن ابن مسعود نسي ذلك، سوء أدب لا يليق بمقامه الشريف، وإنما يقال في مثل هذا لم يبلغه الحديث المذكور. وأجابوا أيضاً عنه بأن البيت الذي صلى فيه ابن مسعود مع علقمة والأسود كان ضيقاً وإن كان القوم كثيراً، وقام الإمام وسط الصف أو قام في ميمنة الصف أو ميسرته فصلاته تامة، وقد أساء الإمام.

وأما جواز صلاة الإمام فلأنه كالمنفرد فيما يصلي، وصلاة المؤتمين أيضاً جائزة لأنهم ما تقدموا إمامهم إلا أن الإمام يكون مسيئاً لأنه ترك السنّة من كل وجه بغير عذر وهو المتقدم على القوم في الصورة الأولى، والقيام بإزاء وسط الصف في الصورة الثانية، ألا ترى أن المحاريب ما نصبت إلا في وسط المساجد وهي عينت لمقام الإمام. كذا في النهاية.

(ولا يقف أحد خلف الصف منفرداً) فإنه مكروه، **(بل يدخل في الصف)** إن وجد فرجة، وله أن يخرق الصف إذا لم تكن فيه فرجة وكانت في صف قدامه لتقصيرهم بتركها، فلو

واحداً من الصف، فإن وقف منفرداً صحت صلاته مع الكراهية. وأما الفرض؛ فاتصال الصف وهو أن يكون بين المقتدي والإمام رابطة جامعة فإنهما في جماعة فإن كانا في مسجد كفى ذلك جامعاً لأنه بني له فلا يحتاج إلى اتصال صف بل إلى أن يعرف أفعال الإمام، صلى أبو هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد بصلاة الإمام.

لم يجد في الصف فرجة فوجهان. أحدهما: يقف منفرداً ولا يجذب إلى نفسه أحداً. نص عليه في البويطي، والثاني: ما أشار إليه المصنف بقوله: **(أو يجر إلى نفسه واحداً من الصف)** وهو قول أكثر الأصحاب، ويستحب للمجرور أن يساعده وإنما يجره بعد إحرامه قاله الرافعي. وشرط أصحابنا بأنه إن علم المجرور إليه لا يتأذى وهو من أهل العلم، **(فإن وقف منفرداً صحت صلاته مع الكراهية)**، وعندنا في الوقوف خلف الإمام منفرداً روايتان. احداهما: لا يكره، والثانية: يكره وهو الصحيح. وذكر بعض متأخري أصحابنا أن القيام وحده في زماننا أولى لغلبة الجهل، فربما إذا جذبه يظن أمراً غير ما أراده الجاذب فيفعل ما يبطل صلاته.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا هشيم، عن العوام، عن عبد الملك التيمي، عن ابراهيم قال: مبدأ الصف قصد الإمام، فإن لم يكن مع الإمام إلا واحد أقامه خلفه ما بينه وبين أن يركع، فإن جاء أحد يصلي به وإن لم يأت أحد حتى يركع لحق الإمام فقام عن يمينه، وإن جاء والصف تام فليقم قصد الإمام، فإن جاء أحد يصلي به وإن لم يجيء أحد فليدخل في الصف ثم كذلك. وكذلك حدثنا هشيم، حدثنا يونس، عن الحسن قال: إذا جاء وقد تم الصف فليقم بحذاء الإمام اهـ.

(وأما الفرض، فاتصال الصف) بالإمام **(وهو أن يكون بين المقتدي والإمام رابطة جامعة)** تجمع بينهما **(فإنهما في جماعة)** فلا بدّ من هذه الجامعة، **(فإن كانا في مسجد)** قربت المسافة بينهما أو بعدت لكبر المسجد، وسواء اتحد البناء أم اختلف كصحن المسجد وصفته أو منارته وسرداب فيه أو سطحه وساحته **(كفى ذلك)** أي صلاتهما معاً فيه **(جامعاً لأنه)** أي المسجد **(بني له)** أي لهذا الفعل، **(فلا يحتاج إلى اتصال صف)** بالإمام **(بل)** يحتاج **(إلى أن يعرف أفعال الإمام)** من قيام وقعود وركوع وسجود، وهذا لا بدّ منه نص عليه الشافعي واتفق عليه الأصحاب، وهو قد يكون بمشاهدة الإمام أو مشاهدة بعض الصفوف، وقد يكون بسماع صوت الإمام أو صوت المترجم في حق الذي لا يشاهد، وكذا البصير لظلمة أو غيرها وقد يكون بهداية غيره إذا كان أعمى أو أصم في ظلمة، فقد **(صلى أبو هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد بصلاة الإمام)**. أخرجه البخاري في الصحيح معلقاً بلفظ: وصلى أبو هريرة على سقف المسجد بصلاة الإمام، وفي رواية أبي ذر والأصيلي، وأبي الوقت على ظهر المسجد كما عند المصنف. قال الحافظ: وصله أبو بكر بن أبي شيبة، وسعيد بن منصور.

وإذا كان المأموم على فناء المسجد في طريق أو صحراء مشتركة وليس بينها اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم وكفى بها رابطة إذ يصل فعل أحدهما إلى الآخر. وإنما يشترط إذا وقف في صحن دار على يمين المسجد أو يساره وبابها لاطىء في المسجد، فالشرط أن يمد صف المسجد في دهليزها من غير انقطاع إلى الصحن، ثم تصح صلاة من في ذلك الصف من خلفه دون من تقدم عليه. وهكذا حكم الأبنية المختلفة، فأما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء.

مسألة: المسبوق إذا أدرك آخر صلاة الإمام فهو أول صلاته، فليوافق الإمام

(وإذا كان المأموم على فناء المسجد) وهو لغة إمامه، وقيل ما امتد من جوانبه ويعبر عنه بالوصيد **(في طريق أو صحراء مشتركة وليس بينها)** أي بين المسجد وفنائه **(اختلاف بناء مفرق)** وفي نسخة: يفرق **(فيكفي)** القرب من الإمام **(بقدر غلوة سهم)** وهي الغاية وهي رمية سهم أبعد ما تقدر عليه، ويقال: هي ثلاثمائة ذراع إلى أربعمائة، والجمع: غلوات كشهوة وشهوات كذا في المصباح. وقال الرافعي: إذا كانا في فضاء، فيشترط لصحة الاقتداء ان لا يزيد ما بينها على ثلاثمائة ذراع تقريباً على الأصح، وعلى الثاني تحديداً، وهذا التقدير مأخوذ من العرف على الصحيح وقول الجمهور. **(وكفى بها رابطة أن يصل فعل أحدهما فعل الآخر وإنما يشترط)** الاتصال **(إذا وقف)** المأموم **(في)** غير فضاء، فإن وقف في **(صحن دار)** أو صفتها والآخر في بيت فموقفه قد يكون **(على يمين المسجد أو يساره، وبابها)** أي تلك الدار **(لاطىء)** أي لازق **(في المسجد)** متصل به، **(فالشرط)** حينئذ **(أن يمتد صف المسجد في دهليزها)** وهو المدخل إليها فارسي معرب جمعه دهاليز **(من غير انقطاع إلى الصحن)** أي صحن تلك الدار، **(ثم)** انه إذا قلنا بصحة اقتداء الواقف في البناء الآخر إما بشرط أو دونه **(تصح صلاة من في ذلك الصف)** الممتد **(ومن خلفه)** تبعاً له **(دون من تقدم عليه)** أي على ذلك الصف، وإن تأخر عن سمت موقف الإمام إذا لم نجوّز تقدم المأموم على الإمام، **(وهذا حكم الأبنية المختلفة، فأما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء)**. وعرصة الدار هي ساحتها وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها بناء، والجمع: عراص مثل كلبة وكلاب، وعرصات مثل سجدة وسجدات، والله أعلم.

مسألة خامسة في حكم المسبوق:

قال رحمه الله تعالى: **(المسبوق)** وهو من سبقه الإمام بشيء من أفعال الصلاة **(إذا أدرك آخر صلاة الإمام)** كان أدرك ركعتين من صلاة رباعية أو الثالثة من صلاة المغرب، **(فهو)** أي ما أدركه **(أوّل صلاته)** وما يفعله بعد سلام الإمام آخرها حتى لو أدرك ركعة من المغرب، فإذا قام لإتمام الباقي يجهر في الثانية ويتشهد ويسر في الثالثة قاله الرافعي وهو مذهب الشافعي.

وليبن عليه، وليقنت في الصبح في آخر صلاة نفسه، وإن قنت مع الإمام وإن أدرك مع الإمام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة وليخففها، فإن ركع الإمام قبل تمامها وقدر على لحوقه في اعتداله من الركوع فليتم فإن عجز وافق الإمام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق، وإن ركع الإمام وهو في السورة

وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أن عمر بن الخطاب، وأبا الدرداء كانا يقولان: ما أدركت من صلاة الإمام فاجعله أوّل صلاتك. ونقل مثل ذلك عن عمر بن عبد العزيز، وابن المسيب، والحسن البصري، وعلي بن أبي طالب، وسعيد بن جبير بأسانيده. وحكاه ابن المنذر عن هؤلاء خلا سعيد بن جبير، وحكاه أيضاً عن مكحول، وعطاء، والزهري، والأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، وابن راهويه، والمزني. قال ابن المنذر: وبه أقول. ورواه البيهقي عن ابن عمر، وابن سيرين، وأبي قلابة وهو نص مالك في المدونة. وقال سحنون في العتبية: وهو قول مالك أخبرني به غير واحد، وحكاه ابن بطال عن الإمام أحمد، وحكاه عياض والنووي عن جمهور العلماء والسلف.

وذهب آخرون إلى أن ما أدركه مع الإمام هو آخر صلاته وما يأتي به بعد سلام الإمام هو أوّل صلاته، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه. ورواه ابن أبي شيبة، عن ابن مسعود، وابن عمر، والنخعي، ومجاهد، وأبي قلابة، وعمرو بن دينار، والشعبي، وابن سيرين، وعبيد بن عمير. وحكاه ابن المنذر، عن مالك، والثوري، والشافعي، وأحمد، وقال ابن بطال: هو قول أشهب، وابن الماجشون. واختاره ابن حبيب.

قلت: أما الشافعي. فالصحيح من مذهبه ما قدمنا إلا ان النووي حكى في الروضة هذا القول وقال: إنه غريب.

(فليوافق الامام) في أفعاله **(وليبن عليه)** أي على أحكام ذلك. وقال العراقي: وفي المذهب قول ثالث هو أنه أوّل صلاة بالنسبة إلى الأفعال وآخر بالنسبة إلى الأقوال وهو رواية عن مالك. قال ابن شاس في الجواهر: حكى المتأخرون أن المذهب كله على قول واحد وهو البناء في الأفعال والقضاء في الأقوال. **(وليقنت في الصبح)** إن أدرك ركعة منها **(في آخر صلاة نفسه وإن قنت مع الامام)** أي: لو أدرك ركعة من الصبح وقنت مع الإمام أعاد القنوت في الركعة التي يأتي بها. كذا ذكره الرافعي في الشرح، **(وإن أدرك مع الامام)** وهو قائم **(بعض القيام)** وخاف ركوعه **(فلا يشتغل بالدعاء)** أي بقراءة دعاء الاستفتاح، **(وليبدأ بالفاتحة)** أي يبادر إليها **(وليخففها)** أي يسرع في قراءتها، **(فإن ركع الإمام قبل تمامها)** أي في اثنائها **(وقدر على لحوقه في اعتداله عن الركوع فليتم)** الفاتحة **(فإن)** رأى من نفسه أنه **(عجز)** عن اللحوق وافق الامام وقطع القراءة **(وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق)**.

فليقطعها، وإن أدرك الإمام في السجود أو التشهد كبّر للاحرام، ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما إذا أدركه في الركوع فإنه يكبر ثانياً في الهوي لأن ذلك انتقال محسوب له. والتكبيرات للانتقالات الأصلية في الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة. ولا يكون مدركاً للركعة ما لم يطمئن راكعاً في الركوع والإمام بعد في حد الراكعين، فإن لم يتم طمأنينته إلا بعد مجاوزة الإمام حد الراكعين فاتته تلك الركعة.

وذكر الرافعي في الشرح فيما إذا ركع الإمام في أثنائها أوجهاً. أحدها: يركع معه ويسقط باقي الفاتحة، والثاني: يتمها وأصحها أنه إن لم يقرأ شيئاً من الاستفتاح قطع القراءة وركع ويكون مدركاً للركعة وإن قرأ شيئاً منه لزمه بقدره من الفاتحة لتقصيره وهذا هو الأصح عند القفال والمعتبرين، وبه قال أبو زيد.

فإن قلنا: عليه إتمام الفاتحة فتخلف ليقرأ كان تخلفاً لعذر، وإن لم يتمها وركع مع الإمام بطلت صلاته. وإن قلنا: يركع فاشتغل بإتمامها كان متخلفاً بلا عذر وإن سبقه الإمام بالركوع وقرأ هذا المسبوق الفاتحة ثم لحقه في الاعتدال لم يكن مدركاً للركعة، والأصح أنه لا تبطل صلاته. إذا قلنا: التخلف بركن لا يبطل كما في غير المسبوق، والثاني تبطل لأنه ترك متابعة الإمام فيما فاتت به ركعة فكان كالتخلف بركعة، **(وإن ركع الإمام وهو)** أي المسبوق **(في)** قراءة **(السورة)** غير الفاتحة **(فليقطعها)** حيث انتهى ويركع بعده هكذا في القوت، **(وإن أدرك الامام في السجود أو)** في **(التشهد كبر للاحرام)** قائماً، **(ثم جلس)** وسجد في الأولى للاتباع **(ولم يكبر)** حال الانتقال لأن ذلك غير محسوب له في الثانية **(بخلاف ما إذا أدركه)** أي الإمام **(في الركوع فإنه يكبر)** للافتتاح أوّلاً وليس له أن يشتغل بالفاتحة ثم يكبر **(ثانياً في الهوي)** أي النزول **(لأن ذلك انتقال محسوب له. والتكبيرات)** إنما هي **(للانتقالات الأصلية في الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة)** أي الاقتداء.

قال الرافعي: فلو أدركه في السجدة الأولى أو الثانية أو التشهد، فهل يكبر للانتقال إليه؟ وجهان. أصحهما لا لأن هذا غير محسوب له بخلاف الركوع ويخالف ما لو أدركه في الاعتدال فما بعده فإنه ينتقل معه من ركن إلى ركن مكبراً وإن لم يكن محسوباً لأنه لموافقة الإمام، ولذلك نقول: يوافقه في قراءة التشهد وفي التسبيحات على الأصح. وقال أيضاً: من أدرك الإمام راكعاً كان مدركاً للركعة.

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبو بكر الصيفي: لا تدرك الركعة بإدراك الركوع وهذا شاذ منكر، والصحيح الذي عليه الناس وأطبق عليه الأئمة إدراكها. **(و)** لكن **(لا يكون مدركاً للركعة ما لم)** يلتق هو وإمامه في حد أقل الركوع حتى لو كان في الهوي والإمام في الارتفاع، وقد بلغ هويه حد الأقل قبل أن يرتفع الإمام عنه كان مدركاً وإن لم يلتقيا فيه فلا. هكذا قاله جميع الأصحاب. ويشترط أن **(يطمئن راكعاً في الركوع والإمام بعد في حد**

الراكعين) قبل ارتفاعه عن الحد المعتبر. هكذا صرح به في البيان، وبه أشعر كلام كثير من النقلة وهو الوجه، وإن كان الأكثرون لم يتعرضوا له **(فإن لم يتم طمأنينته إلا بعد مجاوزة الإمام حدّ الراكعين)** الحد المعتبر **(فاتته تلك الركعة)** قطعاً، وعليه أن يتابعه في الركن الذي أدركه فيه وإن لم يحسب له، فلو كبّر وانحنى وشك هل بلغ الحد المعتبر قبل ارتفاع الامام عنه؟ فوجهان. وقيل: قولان أصحهما لا يكون مدركاً، والثاني يكون.

قال النووي في الروضة: وإذا أدركه في التشهد الأخير لزمه متابعته في الجلوس، ولا يلزمه أن يتشهد معه قطعاً ويسنّ له ذلك على الصحيح المنصوص، والله أعلم.

وقال الرافعي أيضاً: وإذا قام المسبوق بعد سلام الإمام، فإن كان الجلوس الذي قام منه موضع جلوس المسبوق بأن أدركه في الثالثة من رباعية أو في ثانية المغرب قام مكبراً، فإن لم يكن في موضع جلوسه بأن أدركه في الأخيرة أو الثانية من الرباعية قام بلا تكبير على الأصح، ثم إذا لم يكن موضع جلوسه لم يجز المكث بعد سلام الإمام، فإن مكث بطلت صلاته وإن كان موضع جلوسه لم يضر المكث والسنّة للمسبوق أن يقوم عقيب تسليمتي الإمام، فإن الثانية من الصلاة، ويجوز أن يقوم عقب الأولى فإن قام قبل تمامها بطلت صلاته إن تعمد القيام اهـ.

قلت: ومن السلف من قال: ما أدرك المسبوق مع إمامه فهو آخر صلاته، وقد عقد له ابن أبي شيبة باباً في المصنف ذكر فيه هذا القول عن جماعة، كابن مسعود، وابن عمرو، وابن سيرين، وعمرو بن دينار، ومجاهد، والنخعي، وعبيد بن عمير وأخرج أقوالهم بأسانيده.

فصل

وقال أصحابنا: إذا أدرك المسبوق الإمام بعد الركوع لا يأتي بالركوع إذ الواجب عليه متابعة الإمام، ولا يكون مدركاً لتلك الركعة ما لم يشارك الإمام في الركوع كله أو في مقدار تسبيحة منه قدر على التسبيح أو لم يقدر، وهذا هو الأصح لأن الشرط المشاركة في جزء من الركن وإن قلّ وإن أدركه في القعدة ففيه قولان. قيل: يكبر ويقعد من غير ثناء، وقيل: يأتي بالثناء ثم يقعد، والأوّل أولى لتحصيل فضيلة زيادة المشاركة في القعود، وقالوا: متابعة الإمام في سجود السهو مما يفسد الصلاة بأن قام بعد سلام الإمام أو قبله بعد قعوده قدر التشهد وقيد ركعة بسجدة، فتذكر الإمام سجود سهو فتابعه فسدت صلاته. أما لو قام وركع فقبل سجوده سجد الإمام لسهوه وجب متابعة الإمام في سجوده ورفض قيامه وقراءته وركوعه، فإن لم يعد ومضى على قضائه جازت صلاته لأن عود الإمام إلى سجود السهو لا يرفع القعود، والباقي على الامام سجود السهو وهو واجب والمتابعة في الواجب واجبة، وترك الواجب لا يوجب فساد الصلاة، وإن كان قيام المسبوق قبل قعود الإمام لم يجزه لأن الامام بقي عليه فرض لا ينفرد به المسبوق عنه فتفسد صلاته. وفي العتابية: صلاة المسبوق جائزة وعليه الفتوى، وفي الحاوي الأحوط: أن المسبوق يعيد صلاته، والله أعلم.

مسألة: من فاتته صلاة الظهر إلى وقت العصر فليصلّ الظهر أولاً ثم العصر، فإن ابتدأ بالعصر اجزأه ولكن ترك الأولى واقتحم شبهة الخلاف. فإن وجد إماماً فليصلّ العصر، ثم ليصل الظهر بعده فإن الجماعة بالأداء أولى فإن صلى منفرداً في أول الوقت ثم أدرك جماعة صلى في الجماعة ونوى صلاة الوقت والله يحتسب أيهما شاء، فإن نوى فائتة أو تطوّعاً جاز. وإن كان قد صلى في الجماعة فأدرك جماعة أخرى فلينوِ الفائتة أو النافلة فإعادة المؤداة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له، وإنما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة.

مسألة سادسة في متفرقات مسائل الفائتة والجماعة:

قال رحمه الله تعالى: (**من فاتته**) صلاة (**الظهر**) لعذر كنوم أو نسيان أو غير ذلك (**إلى**) أن دخل (**وقت العصر فليصلّ الظهر أولاً ثم العصر**) على ترتيب الوقت، (**فإن ابتدأ بالعصر**) ثم صلّى الظهر (**أجزأه ولكن ترك الأولى فاقتحم شبهة الخلاف**). وفي القوت: من دخل في صلاة مكتوبة ثم ذكر أن عليه أخرى أحببت له أن يتمها ثم يصلي التي ذكر، ثم يعيد هذه الصلاة اهـ.

(**فإن وجد إماماً فليصلّ العصر**) معه جماعة، (**ثم ليصلّ الظهر بعده فإن الجماعة بالأداء أولى**) وأكثر ثواباً. ولفظ القوت: ومن وافق الإمام في صلاة العصر ولم يكن صلّى الظهر صلاها معه عصراً ثم صلى الظهر ثم أعاد بعدها صلاة العصر فعله بعض الصحابة، وهو أحب الوجوه إليَّ وفعله بعضان آخران غير هذا صلاّها أحدهما ظهراً ثم صلّى العصر بعدها، وصلاّها آخر عصراً ثم قضى ظهره بعدها اهـ.

(**فإن صلى**) صلاة من الخمس (**منفرداً ثم أدرك جماعة**) يصلونها (**صلى في الجماعة**) استحباباً. قال الرافعي: ولنا وجه شاذ منكر أنه يعيد الظهر والعشاء فقط، ووجه يعيدهما مع المغرب اهـ.(**ونوى صلاة الوقت**) كالظهر أو العصر ولا يتعرض للفرض وهو اختيار إمام الحرمين، ورجحه النووي في الروضة وهو مفرع على الجديد من أن فرضه الأولى وهو أظهر القولين، (**والله**) سبحانه (**يحتسب أيهما شاء**) منهما، وربما قيل: يحتسب بأكملهما. وفي القديم فرضه إحداهما لا بعينها وأحد الوجهين كلاهما فرض، والثاني: إن صلى منفرداً فالفرض الثانية لكمالها، ثم إن فرعنا على غير الجديد نوى الفرض في المرة الثانية، وإن كانت الصلاة مغرباً أعادها كالمرة الأولى، وعلى القول الجديد كذلك يعيدها كالمرة الأولى على الأصح، والثاني يستحب أن يقوم إلى ركعة أخرى إذا سلم الإمام، (**فإن نوى**) صلاة (**فائتة**) كانت عليه (**أو تطوعاً جاز. وإن كان قد صلى في الجماعة فأدرك جماعة أخرى**) يصلون (**فلينوِ**) بصلاته (**الفائتة أو النافلة فإعادة المؤداة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له، وإنما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة**).

مسألة: من صلّى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالأحب قضاء الصلاة ولا يلزمه. ولو رأى النجاسة في أثناء الصلاة رمى بالثوب وأتم، والأحب الاستئناف وأصل هذا قصة خلع النعلين حين أخبر جبرائيل عليه السلام رسول الله ﷺ بأن عليهما نجاسة، فإنه ﷺ لم يستأنف الصلاة.

وقال الرافعي: ولو صلى جماعة ثم أدرك جماعة أخرى، فالأصح عند جماهير الأصحاب تستحب الإعادة كالمنفرد، والثاني لا. فعلى هذا يكره إعادة الصبح والعصر دون غيرهما، والثالث إن كان في الجماعة الثانية زيادة فضيلة ككون الإمام أورع أو أعلم، أو الجمع أكثر، أو المكان أشرف استحبت الاعادة وإلاّ فلا. والرابع: تستحب إعادة ما عدا الصبح والعصر اهـ. والصحيح أنه تجب نية الفرضية فيهما.

وقال أصحابنا: لو صلى منفرداً ثم أقيمت الجماعة في وقتي الظهر والعشاء فيقتدي فيهما متنفلاً لدفع التهمة عنه وفي غيرهما لا لكراهية النفل بعد الفجر والعصر، وفي ظاهر الرواية لا يتنفل مع الإمام في المغرب.

وروي عن أبي يوسف أنه يدخل معه ويسلم معه، وروي عنه أنه يتمها أربعاً بعد سلام الإمام لأن مخالفة الإمام أهون من مخالفة السنّة، وفي المحيط لو أضاف إليها ركعة أخرى يصير متنفلاً بأربع ركعات وقد قعد على رأس الثالثة وهو مكروه. وقال ابن الهمام: لو سلم الإمام فعن بشر لا يلزمه شيء، وقيل فسدت ويقضي أربعاً ولا يصلي بعد صلاة مثلها، وهو محمول على تكرير الجماعة في المسجد على الهيئة الأولى، والله أعلم.

مسألة سابعة: في حكم من رأى على ثوبه نجاسة هل يتم صلاته أو يستأنف.

قال رحمه الله تعالى: **(من صلى)** في ثوب **(ثم رأى على ثوبه)** ذلك **(نجاسة فالأحب قضاء)** تلك **(الصلاة ولا يلزمه)** وجوباً. أي الأحب أن يعيد ما دام في الوقت قبل أن يدخل وقت صلاة أخرى، فإن خرج جميع الوقت فلا إعادة، ولو أعاد تلك الصلاة متى رأى تلك النجاسة أو تحرى صلاة قبلها حتى يستيقن أنه قد صلى طاهر الثوب كان أحب كذا في القوت، **(ومن رأى النجاسة)** أي علم بها **(في أثناء الصلاة)** في ثوبه أو نعله أو أنه غير مستقبل القبلة **(رمى الثوب)** وخلع النعل واستقبل القبلة **(وأتم)** صلاته، **(والأحب الاستئناف)** أي إن أعادها من أصلها فهو أحب، **(وأصل هذا)** أي الرخصة بالاتمام سنّة رسول الله ﷺ **(في قصة خلع النعلين)** في الصلاة **(حيث أخبر جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ بأن عليهما)** أذى أو خبثاً أي **(نجاسة)** وقد تقدم تخريجه قريباً، **(فإنه ﷺ لم يستأنف الصلاة)** ولو وقع ذلك لنقل إلينا، فعلم من هذا أن الإتمام رخصة، والله أعلم.

وقد عقد أبو بكر بن أبي شيبة على هذه المسألة باباً فقال: حدثنا هشيم، أخبرنا حصين،

سألت إبراهيم عن الرجل يرى في ثوبه دماً وهو في صلاته قال: إن كان كثيراً فليلق الثوب عنه وإن كان قليلاً فليمض في صلاته.

حدثنا حاتم بن وردان، عن برد، عن نافع، عن ابن عمر أنه كان إذا كان في الصلاة فرأى في ثوبه دماً فاستطاع أن يضعه وضعه، وإن لم يستطع أن يضعه خرج فغسله ثم جاء فبنى على ما كان عليه.

حكى ابن نمير، عن عبيدالله، عن نافع، عن ابن عمر أنه كان ينصرف من الدم قليله وكثيره.

حدثنا حاتم بن وردان، عن يونس، عن الحسن قال: إذا رأيته وقد صليت بعض صلاتك فضع الثوب عنك وامض في صلاتك.

حدثنا غندر، عن شعبة قال: سألت حماداً عن الرجل يصلي فيرى في ثوبه الدم. قال: يلقي الثوب عنه. قلت: فإن لم يكن إلا ثوبين؟ قال: يلقي أحدهما ويتوشح بالآخر، وسألت الحكم. فقال: مثل ذلك.

الفضل بن دكين، عن أفلح، عن القاسم، أنه كان يصلي فرأى في ثوبه دماً فوضعه.

حدثنا يزيد بن هارون، عن عمران، عن أبي مجلز في الدم يكون في الثوب قال: إذا كبرت ودخلت في الصلاة ولم ترَ شيئاً ثم رأيته بعد فأتم الصلاة.

وكيع، عن اسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر قال: إذا رأيت في ثوبك دماً فامضِ في صلاتك.

وكيع، عن اسرائيل، عن حماد بن سلمة، عن أبي البختري، عن الهجيم قال، قلت لعبدالله بن رباح: أرى الدم في ثوبي وأنا في الصلاة. قال: امض في صلاتك فإذا انصرفت فاغسله اهـ.

مسألة ثامنة في حكم سجود السهو.

اعلم أن سجود السهو سنّة عند الإمام الشافعي ليس بواجب، والذي يقتضيه شيئان ترك مأمور أو ارتكاب منهي.

أما ترك المأمور فقسمان: ترك ركن وغيره، أما الركن فلا يكفي عنه السجود بل لا بدّ من تداركه ثم قد يقتضي الحال السجود بعد التدارك وقد لا يقتضيه، وأما غير الركن فأبعاض وغيرها. فالأبعاض مجبورة بالسجود إن ترك واحداً منها سهواً قطعاً وكذا ان تركه عمداً على الأصح، وأما غير الأبعاض من السنن فلا يسجد لتركها هذا هو الصحيح المشهور، وفيه قول قديم شاذ أنه يسجد لترك كل مسنون ذكراً كان أو عملاً.

وأما المنهى فقسمان: أحدهما: لا تبطل الصلاة بعمده كالالتفات والخطوة والخطوتين، والثاني

مسألة: من ترك التشهد الأوّل أو القنوت أو ترك الصلاة على رسول الله ﷺ في التشهد الأوّل أو فعل فعلاً سهواً وكانت تبطل الصلاة بتعمده أو شك فلم يدرِ أصلّى ثلاثاً أو أربعاً. أخذ باليقين وسجد سجدتي السهو قبل السلام، فإن نسي فبعد السلام مهما تذكر على القرب. فإن سجد بعد السلام وبعد أن أحدث بطلت صلاته، فإنه لما

تبطل بعمده كالكلام والركوع الزائد ونحو ذلك، والأول لا يقتضي سهوه السجود، والثاني يقتضيه إذا لم تبطل الصلاة. وقولنا: إذا لم تبطل الصلاة احترازاً من كثير الفعل والأكل والكلام، فإنها تبطل الصلاة بعمدها وكذلك بسهوها على الأصح فلا سجود، واحترازاً من الحدث أيضاً فإن عمده وسهوه يبطلان الصلاة ولا سجود، وقد أشار إلى ذلك المصنف فقال: **(من ترك)** سنة مقصودة مثل **(التشهد الأول أو القنوت أو ترك الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأول أو فعل فعلاً سهواً وكانت تبطل الصلاة بتعمده أو شك فلم** يدرِ أصلّى **ثلاثاً أو أربعاً أخذ باليقين)** أي بنى عليه وهو الأقل بأن شك هل صلّى ثلاث ركعات أو اثنتين فليجعلها اثنتين، ومن شك هل صلّى أربعاً أو ثلاثاً حسبها ثلاثاً **(وسجد سجدتي السهو)**، وهما سجدتان بينهما جلسة يسن في هيئتها الافتراش وبعدهما إلى أن يسلم يتورك. وكتب الأصحاب ساكتة عن الذكر فيهما وذلك يشعر بأن المحبوب فيهما هو المحبوب في سجدات صلب الصلاة. ونقل عن بعض الأئمة أنه يستحب أن يقول فيهما: سبحان من لا ينام ولا يسهو وهذا لائق بالحال وفي محله ثلاثة أقوال.

أظهرها، **(قبل السلام، فإن نسي فبعد السلام مهما تذكر على قرب)** فإن سلّم عامداً فوجهان: الأصح السجود. والثاني: فوت السجود إن طال الفصل وإلاَّ فله السجود. وحينئذ لا يكون عائداً إلى الصلاة.

والثاني: إن سها بزيادة فعل سجد بعد السلام، وإن سها بنقص سجد قبله.

والثالث: يتخير إن شاء قبل وإن شاء بعد، والأول هو الجديد، والآخران قديمان، ثم هذا الخلاف في الأجزاء على المذهب، وقيل في الأفضل، وعلى الأول لو سلم ناسياً وبدا له أن لا يسجد فذاك والصلاة ماضية على الصحة وحصل التحلل بالسلام على الصحيح، وفي وجه يسلم مرة أخرى وذلك السلام غير معتدّ به، وإن أراد أن يسجد فالصحيح المنصوص الذي قطع به الجمهور أنه يسجد كما مر، والثاني لا يسجد.

فإذا قلنا: بالصحيح هنا أو بالقديم عند طول الفصل فسجد فهل يكون عائداً إلى حكم الصلاة؟ وجهان أرجحهما عند صاحب التهذيب لا يكون عائداً، وقيل يكون عائداً وهو الأرجح عند الأكثرين، وبه قال أبو زيد المروزي، وصححه القفال، وإمام الحرمين، والمصنف في الفتاوى، والروياني وغيرهم.

وتتفرع على الوجهين مسائل منها ما أشار المصنف بقوله: **(فإن سجد بعد السلام**

دخل في السجود كأنه جعل سلامه نسياناً في غير محله فلا يحصل التعلل به وعاد إلى الصلاة، فلذلك يستأنف السلام بعد السجود. فإن تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد أو بعد طول الفصل فقد فات.

وأحدث) في السجود أو تكلم عامداً (**بطلت صلاته**) على الوجه الثاني ولا تبطل على الأول، (**فإنه لما دخل في السجود كأنه جعل سلامه نسياناً في غير محله فلا يحصل التحلل به وعاد إلى الصلاة، فلذلك يستأنف السلام بعد السجود**). ومنها: لو كان السهو في صلاة جمعة وخرج الوقت وهو في السجود فاتت الجمعة على الوجه الثاني دون الأول، ومنها لو كان مسافراً يقصر ونوى الإتمام في السجود لزمه الاتمام على الوجه الثاني دون الأول، ومنها هل يكبر للافتتاح وهل يتشهد؟ إن قلنا بالوجه الثاني لم يكبر ولم يتشهد، وإن قلنا بالأول كبر وفي التشهد وجهان أصحها لا يتشهد. قال في التهذيب: والصحيح أنه يسلم سواء قلنا يتشهد أم لا. (**فإن تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد أو بعد طول الفصل فقد فات**) ولا سجود عليه، وفي القديم يسجد. زاد صاحب القوت: فإن كثر وهمه في الصلاة أو لحقه وهم ليس بشك أحببت أن يجعل سجوده أبداً بعد السلام اهـ.

قال الرافعي: وأما حدّ طول الفصل ففيه الخلاف. والأصح الرجوع إلى العرف، وحاول إمام الحرمين ضبط العرف فقال: إذا مضى زمن يغلب على الظن أنه أضرب عن السجود قصداً أو نسياناً فهذا طويل وإلا فقصير. قال: وهذا ما لم يفارق المجلس، فإن فارق ثم تذكر على قرب الزمان ففيه احتمال عندي لأن الزمان قريب، لكن مفارقته المجلس تغلب على الظن الاضراب عن السجود. قال: ولو سلم وأحدث ثم انغمس في ماء على قرب الزمان، فالظاهر أن الحدث فاصل وإن لم يطل الزمان، وقد نقل قول للشافعي: ان الاعتبار في الفصل بالمجلس، فإن لم يفارقه سجد وإن طال الزمان وإن فارقه لم يسجد وإن قرب الزمان. لكن، هذا القول شاذ والذي اعتمده الأصحاب العرف قالوا: ولا تضر مفارقة المجلس واستدبار القبلة. هذا تفريع على قولنا سجود السهو قبل السلام، أما إذا قلنا بعده فينبغي أن يسجد على قرب، فإن طال الفصل عاد الخلاف، وإذا سجد فلا يحكم بالعود إلى الصلاة بلا خلاف.

تنبيهات:

الأول: قال الرافعي في قاعدة متكررة في أبواب الفقه وهي: انا إذا تيقنا وجود شيء أو عدمه ثم شككنا في تغييره وزواله عما كان عليه فإنا نستصحب اليقين الذي كان ونطرح الشك، فإذا شك في ترك مأمور ينجبر تركه بالسجود وهو الأبعاض، فالأصل أنه لم يقعد فيسجد للسهو. قال في التهذيب: هذا إذا كان الشك في ترك مأمور معين، فأما إذا شك هل ترك مأمور أم لا فلا يسجد كما لو شك هل سها أم لا، ولو شك في ارتكاب منهي كالسلام والكلام ناسياً، فالأصل أنه لم يفعل ولا سجود، ولو تيقن السهو وشك هل سجد له أم لا فليسجد، لأن

الأصل عدم السجود، ولو شك هل سجد للسهو سجدة أم سجدتين سجد أخرى، ولو شك هل صلى ثلاثاً أو أربعاً أخذ بالأقل وأتى بالباقي وسجد للسهو ولا ينفعه الظن، ولا أثر للاجتهاد في هذا الباب، ولا يجوز العمل فيه بقول غيره، وفيه وجه شاذ أنه يجوز الرجوع إلى قول جمع كثير كانوا يرقبون صلاته، وكذلك الامام إذا قام إلى ركعة ظنها رابعة وعند القوم أنها خامسة. فبهذه لا يرجع إلى قولهم، وفي وجه شاذ يرجع إلى قولهم إن كثر عددهم.

الثاني: إذا شك في أثناء الصلاة في عدد الركعات أو في فعل ركن، فالأصل أنه لم يفعل فيجب البناء على اليقين كما تقدم، وإن وقع هذا الشك بعد السلام فالمذهب انه لا شيء عليه ولا أثر لهذا الشك، وقيل: فيه ثلاثة أقوال. أحدها: هذا، والثاني: يجب الأخذ باليقين فإن كان الفصل قريباً بنى وإن طال استأنف، والثالث: إن قرب الفصل وجب البناء وإن طال فلا شيء عليه.

الثالث: لا يتكرر السجود بتكرر السهو، بل تكفي سجدتان في آخر الصلاة سواء تكرر نوع أو أنواع قال الأئمة: ولا تتعدد حقيقة السجود وقد تتعدد صورته في مواضع.

منها: المسبوق إذا سجد مع الإمام يعيده في آخر صلاته على المشهور.

ومنها: لوسها الإمام في صلاة الجمعة فسجد للسهو ثم بان قبل السلام خروج وقت الظهر، فالمشهور أنهم يتمونها ظهراً ويعيد سجود السهو لأن الأول لم يقع في آخر الصلاة.

ومنها: لو ظن انه سها في صلاته فسجد للسهو ثم بان قبل السلام أنه لم يسه، فالأصح أنه يسجد للسهو ثانياً لأنه زاد سجدتين سهواً، والثاني لا يسجد ويكون السجود جابراً لنفسه ولغيره.

ومنها: لو سها المسافر في الصلاة المقصورة فسجد للسهو ثم نوى الاتمام قبل السلام أو صار مقيماً بانتهاء السفينة إلى دار الإقامة وجب إتمام الصلاة ويعيد السجود قطعاً.

ومنها: لو سجد للسهو ثم سها قبل السلام بكلام أو غيره، ففي وجه يعيد السجود، والأصح لا يعيده كما لو تكلم أو سلم ناسياً بين سجدتي السهو أو فيهما فإنه لا يعيده قطعاً لأنه لا يؤمن وقوع مثله في المعاد فيتسلسل، ولو سجد للسهو ثلاثاً لم يسجد لهذا السهو، وكذا لو شك هل سجد للسهو سجدة أم سجدتين فأخذ بالأقل وسجد أخرى، ثم تحقق أنه كان سجد سجدتين لم يعد السجود.

ومنها: لو ظن سهوه بترك القنوت مثلاً فسجد له فبان قبل السلام أن سهوه لغيره أعاد السجود على وجه لأنه لم يجبر ما يحتاج إلى الجبر، والأصح أنه لا يعيده لأنه قصد جبر الخلل، ولو شك هل سها أم لا، فجهل وسجد للسهو أمر بالسجود لهذه الزيادة.

الرابع: السهو في صلاة النفل كالفرض على المذهب، وقيل: طريقان. الجديد كذلك، وفي

القديم قولان: أحدهما، كذلك، والثاني: لا يسجد. حكاه القاضي أبو الطيب، وصاحبا الشامل، والمهذب.

الخامس: لو سها سهوين أحدهما بزيادة والآخر بنقص، وقلنا: يسجد للزيادة بعد السلام وللنقص قبله سجد هنا قبله على الأصح وبه قطع المتولي، والثاني: بعده وبه قطع البندنيجي. قال: وكذا الزيادة المتوهمة كمن شك في عدد الركعات.

السادس: لو دخل في صلاة ثم ظن أنه ما كبَّر للإحرام فاستأنف التكبير والصلاة، ثم علم أنه كان كبر أولاً، فإن علم بعد فراغه من الثانية لم تفسد الأولى وتمت بالثانية، وإن علم قبل فراغ الثانية عاد إلى الأولى فأكملها وسجد للسهو في الحالين. نقله في البحر عن نص الشافعي وغيره، والله أعلم.

فصل

قال أصحابنا: إضافة السجود إلى السهو من قبيل إضافة الحكم إلى السبب، وهو الأصل في الإضافة لأنها للاختصاص، وأقوى وجوه الاختصاص اختصاص المسبب بالسبب، وفرقوا بين السهو والنسيان بأن النسيان عزوب الشيء عن النفس بعد حضوره، والسهو قد يكون عما كان الإنسان عالماً به وعما لا يكون عالماً به، وهو أي: سجود السهو واجب لأنه ضمان فائت، وضمان الفائت لا يكون إلا واجباً ولأنه شرع لجبر نقصان تمكن في العبادة فيكون واجباً كالدعاء في الحج، وعندنا قول بسنيته استدلالاً بقول محمد: إن العود إلى سجود السهو لا يرفع التشهد كأنه يريد القعدة. قالوا: لو كان واجباً لرفعه كسجدة التلاوة والصلبية والصحيح الأول، ولهذا يرفع قراءة التشهد حتى لو سلم بمجرد رفعه من سجدتي السهو صحت صلاته ويكون تاركاً للواجب، وكذا يرفع السلام ولولا أنه واجب لما رفعها وإنما لا يرفع القعدة لأنها أقوى منه لكونها فرضاً بخلاف السجدة الصلبية لأنها أقوى من القعدة لكونها ركناً والقعدة لختم الأركان، وبخلاف سجدة التلاوة لأنها أثر القراءة وهي ركن فيصل لها حكمها، وقيل: إن سجدة التلاوة لا ترفع القعدة لأنها واجبة فلا ترفع الفرض واختاره شمس الأئمة، والأول أصح وهو المختار وهو أصح الروايتين، وسجود السهو سجدتان بتشهد وتسليم لما ذكرنا أن سجود السهو يرفع التشهد والسلام فيجب إعادتها، ويأتي فيه بالصلاة على النبي ﷺ والدعاء كما اختاره الكرخي. وقال فخر الإسلام: هو اختيار عامة أهل النظر من مشايخنا وهو المختار عندنا ووجوبه بشيء واحد وهو ترك الواجب، ودخل فيه تقديم ركن وتأخيره وتغيير واجب وتركه وترك سنّة تضاف إلى جميع الصلوات نحو: أن يترك التشهد في القعدة الأولى ولا يسجد في العمد للسهو إلا في ثلاث مسائل. الأولى: ترك القعود الأول عمداً، والثانية تأخير سجدة من الركعة الأولى عمداً، والثالثة تفكره عمداً حتى شغله عن مقدار ركن ومحله بعد السلام في ظاهر الرواية على طريق السنية، وقيل: على طريق الوجوب وهي رواية النوادر فعليه لا يجوز قبله لتأديته قبل وقته ويكتفي

بتسليمة واحدة قاله شيخ الإسلام، وصاحب الإيضاح وهو الأصح، ويكون على يمينه وهو الأصح وقيل: تلقاء وجهه ليكون فرقاً بين سلام القطع وسلام السهو، وفي الهداية يأتي بتسليمتين وهو الصحيح على ما هو المعهود، فإن سجد قبل السلام كره تنزيهاً ولا يعيده لأنه مجتهد فيه، فإذا أداه وقع جائزاً ولو أعاده يؤدي إلى تكرار سجود السهو ولم يقل به أحد.

أما السجود قبل السلام، فقد قال به العلماء فكان الاكتفاء به أولى، ويسجد المسبوق مع إمامه ثم يمكث يسيراً بعد فراغ الامام ثم يقوم لقضاء ما سبق، وإنما قلنا يمكث يسيراً بعد فراغ الإمام لجواز أن يكون على الإمام سهو ليتابعه فيه. وفي الذخيرة: فإذا تيقن فراغ الامام من صلاته يقوم إلى قضائه ولا يسلم مع الإمام لأنه في وسط الصلاة، ولو سها المسبوق فيما يقضيه سجد له أيضاً لا اللاحق، ومن سها عن القعود الأول من الفرض عاد إليه ما لم يستو قائماً في ظاهر الرواية وهو الأصح، والمقتدي كالمتنفل يعود ولو استتم قائماً فإن عاد وهو إلى القيام أقرب سجد للسهو، وإن كان للقعود أقرب لا سجود عليه في الأصح، وإن عاد بعدما استتم قائماً، اختلف التصحيح في فساد صلاته، وإن سها عن القعود الأخير عاد ما لم يسجد وسجد للسهو، فإن سجد صار فرضه نفلاً برفع رأسه من السجود عند محمد وهو المختار للفتوى، وضم سادسة إن شاء ولو في العصر ورابعة في الفجر ولا كراهة في الضم فيهما على الصحيح ولا يسجد في هذا الضم في الأصح وإن قعد الأخير ثم قام عاد وسلم من غير إعادة التشهد، فإن سجد لم يبطل فرضه وضم أخرى لتصير الزائدتان له نافلة وسجد للسهو، ولو سجد للسهو في شفع التطوّع لم يبن شفعاً آخر عليه استحباباً، فإن بنى أعاد سجود السهو على المختار، ولو سلم من عليه سجود سهو فاقتدى به غيره صح إن سجد الساهي للسهو وإلاّ فلا. ويسجد للسهو، وإن سلم للقطع ما لم يتحوّل عن القبلة أو يتكلم فإنهما يبطلان التحريمة، ولو توهم مصلي رباعية أو ثلاثية أنه أتمها فسلم ثم علم أنه صلى ركعتين أتمها وسجد للسهو، وإن طال تفكره ولم يسلم حتى استيقن إن كان قدر أداء ركن وجب عليه سجود السهو وإلاّ لا.

فصل

تبطل الصلاة عندنا بالشك في عدد ركعاتها إذا كان قبل إكمالها وهو أول ما عرض له من الشك أو كان غير عادة له فتبطل به، فلو شك بعد سلامه لا يعتبر إلا أن تيقن بالترك، ولو أخبره عدل بعد السلام أنه نقص من صلاته ركعة وعند المصلي أنه أتم لا يلتفت إلى اخباره وإن شك في صدقه أو كذبه، فعن محمد أنه يعيد احتياطاً وإن أخبره عدلان لا يعتبر شكه ويجب الأخذ بقولهما، ولو اختلف الإمام والمؤتمون فقالوا ثلاثاً وقال أربعاً إن كان على يقين لا يأخذ بقولهم وإلاّ أخذ، وإن اختلف القوم والإمام مع فريق أخذ بقوله، ولو كان معه واحد وإن كثر الشك تحرى وعمل بغالب ظنه، فإن لم يغلب له ظن أخذ بالأقل وقعد وتشهد بعد كل ركعة ظنها آخر صلاته لئلا يصير تاركاً فرض القعدة مع تيسير طريق يوصله إلى يقين عدم تركها،

مسألة: الوسوسة في نية الصلاة سببها خبل في العقل أو جهل بالشرع، لأن امتثال أمر الله عز وجل مثل امتثال أمر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد، ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال: نويت أن انتصب قائماً تعظيماً لدخول زيد الفاضل لأجل فضله متصلاً بدخوله مقبلاً عليه بوجهي كان سفهاً في عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظماً إلا إذا قام لشغل آخر أو في غفلة. واشتراط كون الصلاة ظهراً أداء

وكـــذا كل قعود ظنه واجباً بأن وقع في رباعيته أنها الأولى أو الثانية يجعلها أولى، ثم يقعد ثم يقوم فيصلي ركعة ثم يقعد ثم يقوم فيصلي ركعة أخرى فيأتي بأربع قعدات، اثنتان مفروضتان الثالثة والرابعة، وقعدتان واجبتان. ولو شك أنها الثانية أو الثالثة أتمها وقعد ثم قام فصلى أخرى وقعد ثم صلى الرابعة، ولو شك في الفجر وهو في القيام أنها الثالثة أو الأولى لا يتم ركعة بل يقعد قدر التشهد ويرفض القيام ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يتشهد ثم يسجد للسهو، ولو شك وهو ساجد أنها الأولى أو الثانية فإنه يمضي فيها سواء كان في السجدة الأولى أو الثانية، وإذا رفع رأسه من السجدة الثانية يقعد قدر التشهد ثم يصلي ركعة، ولو شك في صلاة الفجر في سجود الأولى أنه صلى ركعتين أو ثلاثاً يتم ركعته بالسجدتين وصحت صلاته، وإن كان الشك في السجدة الثانية فسدت صلاته، والله أعلم.

مسألة تاسعة: في بيان الدواء النافع للوسوسة في نية الصلاة.

قال رحمه الله تعالى: (**الوسوسة**) وهي الخطرة الرديئة وقد وسوس الشيطان له وإليه وصاحبها موسوس، فإن بني للمفعول قيل موسوس عليه مثل المغضوب عليهم، ويقال لما يخطر بالقلب من شر ولا خير فيه وسواس، والجمع وساوس وهي أكثر ما تعرض للمتعبدين في الطهارة و (**في نية الصلاة**) عند إقبالهم إليها ووقوفهم لها (**وسببها إما خبل**) بالتحريك هو فساد يلحق الإنسان (**في العقل**) فيورثه اضطراباً كالجنون (**أو جهل بالشرع**) أي بمحاسنه ولطائفه أو بقواعده وأحكامه، (**لأن امتثال أمر الله عز وجل مثل امتثال غيره وتعظيمه**) تعالى (**كتعظيم غيره في حق القصد**) وهذا ضربه مثلاً للبيان أو التفهيم وإن كان بين الامتثالين والتعظيمين بون لا يخفى، (**ومن دخل عليه عالم**) مثلاً (**فقام له**) إجلالاً (**فلو قال: نويت أن أنتصب قائماً تعظيماً لدخول زيد الفاضل**) مثلاً (**لأجل فضله**) وعلمه وشهرته (**متصلاً بدخوله**) عليَّ (**مقبلاً عليه بوجهي**) صارفاً إليه خواطري (**سفه في عقله**) أي نسب هذا القائل إلى خفة في العقل (**بل كما يراه**) بعينه ويشاهده ببصره (**ويعلم فضله**) الذي قام به (**تنبعث داعية التعظيم**) له من غير تكلف استحضار شيء مما تقدم (**فتقيمه**) عن موضعه منتصباً. (**ويكون**) بهذه الحال (**معظماً**) له (**إلا إذا قام لشغل آخر**) غير لقاء هذا الفاضل أو كان (**في غفلة**) عن وروده، (**واشتراط كون الصلاة ظهراً**) لا عصراً (**أداء**) لا قضاء (**فرضاً**) لا نفلاً (**في كونه امتثالاً**) لله تعالى فيما أمر

فرضاً في كونه امتثالاً كاشتراط كون القيام مقروناً بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه. وقصد التعظيم به ليكون تعظماً، فإنه لو قام مدبراً عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظماً. ثم هذه الصفات لا بدّ وأن تكون معلومة وأن تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة، وإنما يطول نظم الألفاظ الدالة عليها إما تلفظاً باللسان وإما تفكراً بالقلب. فمن لم يفهم نية

(كاشتراط كون القيام مقروناً بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل فانتفى باعث آخر). وفي بعض النسخ: بانتفاء باعث آخر **(سواه، وقصد التعظيم به ليكون تعظماً فإنه لو قام مدبراً عنه)** بوجهه **(أو صبر)** ومكث في موضعه يسيراً **(فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظماً)** لفوات قرائن التعظيم. **(ثم هذه الصفات)** المذكورة **(لا بدّ أن تكون معلومة)** له في الذهن **(وأن تكون مقصودة)** قصداً حقيقياً، **(ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة)** لتواردها معاً، **(وإنما يطول نظم الألفاظ الدالة عليها)** أي على تلك المعاني والقصود، وذلك **(إما تلفظاً باللسان وإما تفكراً بالقلب)**، والنية عمل القلب لا عمل اللسان، وحضور تلك المعاني في القلب من غير احتياج إلى التلفظ أفضل وأحسن وحضورها بالتكلم باللسان إذا تعسر بدونه حسن والاكتفاء بمجرد التكلم من غير حضورها رخصة عند الضرورة، وعدم القدرة على استحضارها والاكتفاء بعمل القلب هو المعروف من سيرة السلف الماضين، ولذا جوّز أصحابنا الصلاة بنية متقدمة إذا لم يفصل بينها وبين التكبير عمل ليس للصلاة.

قال الناطفي في الأجناس: من خرج من منزله يريد الفرض بالجماعة فلما انتهى إلى الامام كبّر ولم تحضره النية في تلك الساعة إن كان بحال لو قيل له: أي صلاة تصلي؟ أمكنه أن يجيب من غير تأمل تجوز صلاته وإلاّ فلا. وهذا هو المروي عن محمد بن سلمة، وفي الفتاوى عن محمد أنه لو نوى عند الوضوء أنه يصلي الظهر أو العصر مع الإمام ولم يشتغل بعد النية بما ليس من جنس الصلاة يعني سوى المشي، إلا أنه لما انتهى إلى مكان الصلاة لم تحضره النية جازت صلاته بتلك النية. هكذا روي عن أبي حنيفة وأبي يوسف اهـ.

ولكن الأحوط مقارنة النية للعبادة وأن تكون موجودة عند التكبير خروجاً من الخلاف، فإن الإمام الشافعي يجعل وجودها زمن التكبير شرطاً كما تقدم، ثم من شرط ذلك زاد بأنه لا بدّ من التلفظ باللسان حتى يكون مطابقاً مع القلب، ولا بدّ من استحضار أركان تلك الصلاة المؤداة بتمامها حتى شدات الفاتحة بحيث لو شذ عن ذهنه شيء من ذلك لم تصح نيته، وهذا هو الذي اعتمده الرملي في شرحه على المنهاج واقتفاه المتأخرون وجعلوا ما سوى ذلك غير المعتمد، وكنت أحب أن يجعل هذه التقييدات للخاصة من أهل العلم فإنهم يقدرون على استحضار تلك المعاني أجمعها في أذهانهم في لحظة واحدة، ويغلب عليهم هيبة القيام إلى الصلاة وجلالة من يناجونه

الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية فليس فيه إلا أنك دعيت إلى أن تصلي في وقت فأجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل. فإن هذه القصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون مفصلة الآحاد في الذهن بحيث تطالعها النفس

فتندفع الخواطر ويتوجه القلب مرة واحدة، وأما العامة فيصعب عليهم تلك الحالة ويقعون على أمور توجب عدم اللحوق مع الإمام، وربما قرأ القرآن في قيامه ولم ينصت المقتدى له لأنه بعد مشغول بالنية، بل ربما ركع الإمام وهو بعد لم يأتِ بالنية تكلفاً لاستحضار تلك المعاني، وقد تتحكم هذه الحالة فيه فيتردد ويقول الله أكبر ويمده، وقد تعتريه حالة الشك ثم يعود إلى النية وقد يفضي إلى رفع صوت بالتكبير ولا يبالي هل إمامه قرأ أو ركع أو سجد، ومنهم من يستحكم فيه ذلك فتفوته الركعة بتمامها وكل هذا مثار للوسواس المنهي عنه.

وقد شاهدت ذلك في سنة ١١٧٨ حين نزلت إلى ثغر دمياط لزيارة الشهداء فأمسيت إلى قرية على البحر ودخلت جامعها الأعظم وحضرت العشاء، فتقدم الإمام فرأيت من المصلين في أمر النية عجباً وغالبهم لم يحصل مع الإمام إلا بعض الصلاة، فسألت عن مذهبهم فقالوا شافعية، فقلت لهم: ما بالكم تفعلون هكذا في النية؟ فقالوا: هكذا أفتى به الرملي، وذكر لنا مشايخنا فقلت لهم: فإذا كنتم شافعية فما بال إمامكم لا يسكت السكتات المسنونة حتى يلحق المؤتم قراءة الفاتحة؟ واعجبا اتبعتم الرملي في حضور النية وخالفتموه في غيرها فلم يجدوا جواباً. ورأيت الغالب فيهم العوام وأهل التكسب والتجار.

ومن طالع سيرة السلف عرف أنهم كانوا يتساهلون في مثل هذا ويعتمدون على توجه القلب كما سيأتي للمصنف، ولا تظنن أن هذه الحالة صارت عادة للعوام فقط، بل سرت هذه الحالة لبعض الخواص ممن يعتد به ويشار إليه بالعلم والفضل والصلاح والشهرة، فتراهم يتعبون ويتكلفون لهذا الاستحضار تكلفاً شديداً كل على قدر معرفته ومقامه، ومنهم من يغيب عن حواسه حتى يعرق جبينه، ومنهم من يحم فهم يدفعون عن أنفسهم ما يطرأ مما يخالف القصد الباطن، وهذا في الخواص لا ينكر فإنهم يطالعون جلال الملكوت الأعلى ولكن ليس للعوام تقليدهم في هذه المقامات.

(**فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه**) الذي ذكرنا (**فكأنه لم يفهم النية**) ولم يرزق فهم حقيقتها (**فليس في ذلك إلا أنك دعيت إلى أن تصلي في وقت**) مخصوص (**فأجبت**) الداعي (**وقمت**) إلى إتيان المأمور به فقيامك إلى تلك الصلاة بعد إجابة من دعاك إليها وأنت ملاحظ تلك الصلاة والوقت المخصوص واجابتك للداعي لها هو عين النية، وما زاد على ذلك من التكلفات فزيادات على القدر المطلوب، (**فالوسوسة**) إذاً (**محض الجهل**) وخبل العقل، (**فإن هذه القصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة**) بل في لحظة لطيفة (**ولا تكون مفصلة الآحاد في الذهن**) تفصيلاً ترتيبياً (**بحيث تطالعها النفس**) ببصيرتها

وتتأملها . وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للعزوب والغفلة ، وإن لم يكن مفصلاً . فإن من علم الحادث مثلاً فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوماً هي حاضرة وإن لم تكن مفصلة فإن من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتأخر والزمان ، وأن التقدم للعدم وأن التأخر للوجود ، فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث ، بدليل أن العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط أو التأخر أو العدم أو تقدم العدم أو تأخر الوجود أو الزمان المنقسم إلى المتقدم والمتأخر ؟ فقال ما عرفته قط كان كاذباً وكان قوله مناقضاً لقوله : إني أعلم الحادث . ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فإن الموسوس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهرية والادائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال . ولو كلف نفسه ذلك في القيام لأجل

(وتتأملها) هل اجتمعت أم لا . **(وفرق بين حضور الشيء في النفس)** بالجملة **(وبين تفصيله)** لآحاده **(بالفكر والحضور)** عند الحق **(مضاد للعزوب)** أي الغيبة **(والغفلة)** ، فإنه لا يسمى حضوراً إلا بعد الغيبوبة فلا محالة هما ضدان لا يجتمعان ، فالذين أحوالهم كلها الغيبوبة عن حضرة الحق فإذا كلفوا بالحضور على الوجه الذي يذكرونه وقعوا في حرج عظيم لاستحكام الغيبوبة عليهم فلا يقدرون على دفعها مرة واحدة فيكفيهم الحضور الجملي ، **(وإن لم يكن مفصلاً فإن من علم الحادث)** وهو المسبوق بالعدم **(مفصلاً مثلاً يعلمه بعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوماً)** كثيرة **(هي حاضرة)** في النفس على طريق الإجمال ، **(وإن لم تكن مفصلة فإن من علم الحادث)** وعرف حقيقته **(فقد علم)** في ضمنه **(الموجود)** بالوجود الحقيقي والإضافي **(والمعدوم)** كذلك ، وعلم أيضاً **(التقدم والتأخر والزمان و)** علم أيضاً **(أن التقدم للعدم وأن التأخر للوجود)** أي كان معدوماً ثم وجد . **(فهذه العلوم كلها منطوية)** أي مندرجة **(تحت العلم بالحادث بدليل أن العالم بالحادث إذا لم يعلم غيره لو قيل له : هل علمت التقدم قط أو التأخر أو العدم أو تقدم العدم أو تأخر الوجود أو)** هل علمت **(الزمان المنقسم إلى المتقدم والمتأخر ؟ فقال : ما عرفته قط كان كاذباً)** في قوله : **(وكان قوله)** هذا **(مناقضاً لقوله)** المتقدم : **(إني أعلم الحادث)** ، وهذا يؤيد ما نقلناه آنفاً عن الناطفي في الأجناس وفيه ما يحسم مادة الوسواس . **(ومن الجهل بهذه الدقيقة)** التي ذكرناها **(يثور)** ناعق **(الوسواس)** الذي ابتلي به بعض الناس من المتعبدين وغيرهم ، **(فإن الموسوس)** أي الذي قام به الوسواس **(يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهرية)** مثلاً **(والإدائية والفرضية)** ليخرج بذلك العصرية والقضائية والنفلية **(في حالة واحدة)** في تلك الساعة الضيقة **(مفصلة بألفاظها)** التي يخترعها **(وهو يطالعها)** أي يلاحظها بعين قلبه **(وذلك محال . ولو كلف نفسه ذلك)** القدر المذكور **(لأجل العالم لتعذر

العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو أن يعلم أن امتثال أمر الله سبحانه في النية كامتثال أمر غيره ثم أزيد عليه على سبيل التسهيل والترخص. وأقول: لو لم يفهم الموسوس النية إلا باحضار هذه الأمور مفصلة ولم يمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوله إلى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير إلا وقد حصلت النية كفاه ذلك. ولا نكلفه أن يقرن الجميع بأول التكبير أو آخره، فإن ذلك تكليف شطط، ولو كان مأموراً به لوقع للأوّلين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية، فعدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التساهل، فكيفما تيسرت النية للموسوس ينبغي أن يقنع به حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة، ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد في الوسوسة. وقد ذكرنا في الفتاوى

عليه) ووقع في خبل **(فبهذه المعرفة يندفع الوسواس)** وينمحي أثره **(وذلك أن تعلم أن امتثال أمر الله عز وجل في النية كامتثال أمر غيره)**، فكما أن امتثال أمر غيره يحصل له فيه المقصود بمجرد القصد والتوجه بالاقبال، كذلك امتثال أمر الله تعالى في قيامه لعبادته ومناجاته يحصل بالقصد والتوجه، وما عدا ذلك ينطوي فيه انطواء علوم الحادث في مطلق العلم بالحادث **(ثم ازيد عليه على سبيل التسهيل والترخص)** للمريدين. **(وأقول: لو لم يفهم الموسوس النية إلا بإحضار هذه الأمور مفصلة)** كما ذكروا **(ولم يتمثل في نفسه الامتثال)** للأمر **(دفعة واحدة واحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوّله)** الذي هو ألف الله **(إلى آخره)** الذي هو وراء أكبر **(بحيث لم يفرغ من التكبير إلا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه أن يقرن الجميع)** مفصلاً **(بأوّل التكبير)** عند ابتداء نطقه بألف الجلالة **(وآخره)** عند تمام نطقه براء أكبر، **(فإن ذلك تكليف شطط)** أي ذو شطط أي بعد أو جور وظلم، وقد قال جل وعز: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وُسعها﴾ [البقرة: ٢٨١] **(ولو كان ذلك)** القدر الذي كلف نفسه به **(مأموراً به لوقع للأوّلين)** من السلف **(سؤال عنه)** وبحث فيه **(ولوسوس واحد من الصحابة في النية)** مع كمال تحريهم في طلب السنّة ولو وقع ذلك من آحادهم لنقل إلينا، **(فعدم وقوع ذلك)** منهم وهم هم **(دليل)** ظاهر **(على أن الأمر على التساهل)** فيها وكانوا يكتفون بالاستحضار الجملي، **(وكيفما تيسرت النية للموسوس فينبغي أن يقنع بها حتى يتعوّد ذلك)** أي تصير عادة له **(وتفارقه الوسوسة، ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد في الوسوسة)**.

نقل الراغب رحمه الله تعالى في كتاب الذريعة، قال بعض الحكماء: إن تداركت الخطرة اضمحلت وإلاَّ صارت شهوة، وإن تداركت الشهوة تلاشت وإلاَّ صارت طلباً، وإن تداركت الطلب وإلاَّ صار عملاً اهـ.

وجوهاً من التحقيق في تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية تفتقر العلماء إلى معرفتها. أما العامة فربما ضرها سماعها ويهيج عليها الوسواس فلذلك تركناها.

وغالب الموسوسين لا ينفكون عن اضطراب في العقل وسوء في المزاج، فهم كالسيف الكليل الطبع كلما زدته تثقيفاً زادك تعقيفاً وعلى ذلك قول الشاعر:

فـاسرع مفعـول فعلـت تغيرا ... تكلـف شيء في طبـاعـك ضـده

فالوسوسة إذا كانت مفرطة وأهملها صاحبها حتى ملكت القوى يصعب إخراجها ويعسر على المرشد علاجها وتتولد منها أمراض عسرة البرء، فإن لم يمكنه إماتتها فهي التي تضره وتغره وتصرفه عن مراشده وتثبطه عن الخير وتوقعه في أودية الهلاك، ومتى قهرها وأذلها صار صاحبها إلهياً ربانياً، فحق الإنسان إذا وسوس له الخاطر في نيته يتذكر أحوال السلف وما كانوا عليه من التساهل فيه فيتبعهم، ولا يغرنه ما يهجس فيه إن فلاناً شدد فيه وفلاناً قال كذا، فلكل وجهة، وكلٌّ قال على مقدار حاله ومقامه، والخير كل الخير في اتباع السلف والاندراج في سلكهم، وإن كان لا بدَّ من التقليد فالسلف أولى بذلك ممن دونهم، والعاقل يرى طريقين موصلين إلى المقصود أحدهما صعب، والآخر يسر فيختار أيسرهما. ومما يدلـك على أن الوسـوسـة مـن سـوء الهوى أن صاحبها أبداً يرى ما له دون ما عليه ويعمى عليه ما يعقبه من المكروه، ولا يتهم رأيه أبداً في الأشياء التي هي له لا عليه، ويظن أنه عقل لا هوى، وفرق بين ما يسومه العقل ويسومه الهوى، فالعاقل يتدبر فيما ذكرت ويستقصي النظر فيه ولا يتعلق بشبهة مزخرفة ومعذرة مموّهة، فيكون كالعاشق إذا سئل عن عشقه، والمتناول لطعام رديء إذا سئل عن فعله، فقد قال بعض العلماء: إذا مال العقل نحو مؤلم جميل والهوى نحو ملذ قبيح فتنازعا بحسب غرضيهما وتحاكما إلى القوة المدبرة بادر نور الله تعالى إلى نصرة العقل، ووساوس الشيطان إلى نصرة الهوى. وهذا القدر كاف في هذا الباب، والله أعلم بالصواب.

(**وقد ذكرنا في الفتاوى**) وهي أسئلة وردت عليه من أصحابه وأقرانه وأجاب عنها، ثم جمع ذلك في كتاب وهو مشهور ينقل عنه الأئمة يعتمدونه، واختصره محمد بن محمد بن الفضل بن المظفر الفارقي في كتاب صغير وقفت عليه ونقلت عنه بعض ما أفتي به في خطبة كتاب العلم من هذا الكتاب (**وجوهاً من التحقيق في تفصيل العلوم والقصود المتعلقة بالنية تفتقر العلماء**) أي الخاصة منهم (**إلى معرفتها**) وحفظها، (**أما العامي فربما يضره سماعها ويهيج الوسواس فلذلك تركناها**) هنا، وربما تظن أن المراد بالعامي السوقي الجاهل أو المشتغل بالحراثة أو الحرفة أو الكسب وليس كذلك، فقد ذكر المصنف في إلجام العوام أنه يدخل في معنى العوام الأديب والنحوي والمحدث والمفسر والفقيه والمتكلم، بل كل عالم سوى المتجردين لعلم السباحة في بحار المعرفة القاصرين أعمارهم عليه الصارفين وجوههم عن الدنيا والشهوات المعرضين عن المال والجاه والخلق، وسائر اللذات المخلصين لله تعالى في العلوم والأعمال القائمين بجميع حدود الشريعة وآدابها في القيام بالطاعات وترك المنكرات، المفرغين قلوبهم بالجملة عن

مسألة: ينبغي أن لا يتقدم المأموم على الإمام في الركوع والسجود والرفع منهما ولا في سائر الأعمال، ولا ينبغي أن يساوقه بل يتبعه ويقفو أثره فهذا معنى الاقتداء، فإن ساوقه عمداً لم تبطل صلاته كما لو وقف بجنبه غير متأخر عنه فإن تقدم عليه ففي بطلان صلاته خلاف، ولا يبعد أن يقضي بالبطلان تشبيهاً بما لو تقدم في الموقف على

غير الله لله، المستحقرين للدنيا بل للآخرة والفردوس الأعلى بجنب محبة الله تعالى، فهؤلاء هم الخواص من عباد الله تعالى أولئك الذين سبقت لهم منا الحسنى فهم الفائزون اهـ.

ولما كان أكثر الموسوسين يفوتهم موافقة الإمام في أفعاله أعقبه بمسألة ذكر فيها شرط صحة الاقتداء فقال:

مسألة: يجب على المأموم متابعة الإمام.

وهي العاشرة. اعلم أنه يجب على المأموم متابعة الامام، فحينئذ (**لا ينبغي أن يتقدم المأموم على الإمام في الركوع والسجود والرفع منها وفي سائر الأعمال**)، والمراد من المتابعة أن يجري على أثر الإمام بحيث يكون ابتداء كل واحد منها متأخراً عن ابتداء الإمام به ومتقدماً على فراغه منه، (**و**) لذا قال المصنف: (**لا ينبغي أن يساوقه**) مساوقة (**بل يتبعه ويقفو أثره**) على الوجه الذي ذكرنا، (**فهذا معنى الاقتداء**) والمتابعة. ويشترط تأخر جميع تكبيرة المأموم عن جميع تكبيرة الإمام، ويستحب للإمام أن لا يكبّر حتى تستوي الصفوف ويأمرهم به، (**فإن ساوقه عمداً**) في غير التكبير (**لم تبطل صلاته**) هذا شروع في بيان مخالفة المأموم لإمامه وهي على ثلاثة أحوال: المساوقة وهي المقارنة، والتخلف، والتقدم. وذكر في المساوقة عدم بطلان صلاة المأموم ولو عمداً، (**كما لو وقف بجنبه غير متأخر عنه**) فإنه كذلك لا تبطل صلاته. ثم أشار إلى الحال الثاني من أحوال المخالفة فقال: (**فإن تقدم**) أي المأموم (**عليه**) أي على الإمام (**بركن ففي بطلان صلاته خلاف**).

قال الرافعي: إن تقدم على الإمام بالركوع أو غيره من الأفعال الظاهرة، فينظر إن لم يسبق بركن كامل بأن ركع قبل الامام فلم يرفع حتى ركع الإمام لم تبطل صلاته عمداً كان أو سهواً، وفي وجه شاذ تبطل إن تعمد. فإذا قلنا: لا تبطل فهل يعود؟ وجهان. المنصوص وبه قال العراقيون يستحب أن يعود إلى القيام ويركع معه، والثاني وبه قطع صاحب النهاية والتهذيب لا يجوز العود، فإن عاد بطلت صلاته، وإن فعله سهواً فالأصح أنه مخير بين العود والدوام، والثاني يجب العود، فإن لم يعد بطلت صلاته، وإن سبق بركنين فصاعداً بطلت صلاته إن كان عامداً عالماً بتحريمه، وإن كان ساهياً أو جاهلاً لم تبطل، لكن لا يعتد بتلك الركعة فيأتي بها بعد سلام الإمام، وإن سبق بركن مقصود بأن ركع قبل الامام ورفع والإمام في القيام ثم وقف حتى رفع الإمام واجتمعا في الاعتدال، فقال الصيدلاني، وجماعة: تبطل صلاته. قالوا: فإن سبق بركن غير مقصود كالاعتدال بأن اعتدل وسجد والإمام بعد في الركوع أو سبق بالجلوس بين

الإمام، بل هذا أولى لأن الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل أهم. وإنما شرط ترك التقدم في الموقف تسهيلاً للمتابعة في الفعل وتحصيلاً لصورة التبعية إذ اللائق بالمقتدى به أن يتقدم، فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له إلا أن يكون سهواً. ولذلك شدد رسول الله ﷺ النكير فيه فقال: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحوّل الله رأسه رأس حمار»، وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك

السجدتين بأن رفع رأسه من السجدة الأولى وجلس وسجد الثانية والإمام بعد في الأولى؟ فوجهان. وقال العراقيون: التقدم بركن لا يبطل وهذا أصح وأشهر، وحكي عن نص الشافعي رضي الله عنه: هذا في الأفعال الظاهرة فأما تكبيرة الإحرام فالسبق بها مبطل، وأما الفاتحة والتشهد ففي السبق بهما أوجه. الصحيح لا يضر بل يجزيان، والثاني تبطل الصلاة، والثالث لا تبطل وتجب إعادتها مع قراءة الإمام أو بعدها.

(**ولا يبعد أن يقضى بالبطلان**) أي ببطلان الصلاة في حال التقدم (**تشبيهاً بما لو تقدم في الموقف على الإمام**) فإنه يبطل الاقتداء (**بل هو أولى لأن الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل أهم**) وآكد، (**وإنما شرط ترك التقدم في الموقف**) على الإمام (**تسهيلاً للمتابعة في الفعل وتحصيلاً لصورة التبعية إذ اللائق بالمقتدى به**) الذي هو الإمام (**ان يتقدم فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له إلا أن يكون سهواً**) فلا تبطل، فإن كان عامداً تبطل، وهذا من المصنف تقوية للوجه الشاذ في المذهب الذي ذكره الرافعي وظاهر سياقه في الوجيز هو الذي أوردناه أولاً، وهذا الكتاب لما تأخر تأليفه ظهر له خلاف ما ذكره في كتبه، فهو خالف العراقيين وغيرهم من أئمة المذهب، فتأمل ذلك.

(**ولذلك شدد رسول الله ﷺ فيه النكير**) أي الإنكار (**وقال «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحوّل الله رأسه رأس حمار»**). قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: اتفق عليه الستة. ولفظ البخاري: «اما يخشى أحدكم أو لا يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يحوّل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار» أخرجه عن حجاج، عن شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة.

ولفظ أبي داود «أما يخشى الذي يرفع رأسه والإمام ساجد» رواه، عن حفص بن عمر، عن شعبة فهو نص في السجود، فيحمل ما رواه البخاري على ما رواه أبو داود ويلتحق به الركوع لكونه في معناه.

وتعقبه ابن دقيق العيد بأنه لا يجوز تخصيص رواية البخاري برواية أبي داود لأن الحكم فيهما سواء، ولو كان الحكم مقصوراً على الرفع من السجود لكان لدعوى التخصيص وجه. قال:

بأن يعتدل الإمام عن ركوعه وهو بعد لم يركع، ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه،

وتخصيص السجدة بالذكر في رواية أبي داود من باب الاكتفاء كقوله تعالى: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ [النحل: ٨١] ولم يعكس الأمر لأن السجود أعظم. وعند مسلم «أن يجعل الله وجهه وجه حمار». وعند ابن حبان «أن يحوّل الله رأسه رأس كلب». والظاهر أن الاختلاف حصل من تعدد الواقعة أو من تصرف الرواة.

وأخرج الإمام أحمد، ومسلم، وابن ماجه عن حديث جابر بن سمرة «أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه في الصلاة أن لا يرجع إليه بصره».

واختلف في هذه الأحاديث فقيل: ذلك حقيقة، وقيل: بل هو مجاز عن البلادة والجهل والخسة، والأخير رجحه المصنف كما سيأتي، ثم ان ظاهر الأحاديث المذكورة يقتضي تحريم الفعل المذكور والمتوعد عليه بالمسخ وخطف البصر، وبه جزم النووي في المجموع، لكن تجزىء الصلاة وأبطلها أحمد والظاهرية.

وقال ابن مسعود لرجل سبق إمامه في الصلاة: لا وحدك صليت ولا بإمامك اقتديت.

وقال صاحب الفيض: ليس للتقدم على الإمام سبب إلا الاستعجال ودواؤه أن يستحضر أنه لا يسلّم قبله.

ثم شرع يذكر في الحال الثالث من أحوال المخالفة فقال: (**وأما التأخر**)فإن تخلف بغير عذر نظر إن تخلف (**عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة**)على الأصح، وإن تخلف بركنين بطلت قطعاً، (**وذلك**)أي من صور التخلف بغير عذر (**بأن يعتدل الإمام عن ركوعه وهو بعد لم يركع**)بل في قراءة السورة مشتغل بإتمامها، (**ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه**). ومن صوره التخلف للاشتغال بتسبيحات الركوع والسجود، وأما بيان صورة التخلف بركن فيحتاج إلى معرفة الركن الطويل والقصير، فالقصير الاعتدال عن الركوع وكذا الجلوس بين السجدتين على الأصح والطويل ما عداهما، ثم الطويل مقصود في نفسه، وفي القصير وجهان. أحدهما: مقصود في نفسه وبه قال الأكثرون، ومال الإمام إلى الجزم به، والثاني: لا بل تابع لغيره وبه قطع في التهذيب، فإذا ركع الإمام ثم ركع المأموم وأدركه في ركوعه فليس هذا تخلفاً بركن فلا تبطل به الصلاة قطعاً، فلو اعتدل الإمام والمأموم بعد قائم ففي بطلان صلاته وجهان. اختلفوا في مأخذهما فقيل: التردد في أن الاعتدال ركن مقصود أم لا. إن قلنا مقصود، فقد فارق الإمام ركناً واشتغل بركن آخر مقصود فتبطل صلاة المتخلف، وإن قلنا غير مقصود فهو كما لو لم يفرغ من الركوع لأن الذي هو فيه تبع له فلا تبطل صلاته، وقيل مأخذهما الوجهان في أن التخلف بركن يبطل أم لا». إن قلنا يبطل فقد تخلف بركن الركوع تاماً فتبطل صلاته، وإن قلنا لا فما دام في الاعتدال لم يكمل الركن الثاني فلا تبطل. قال النووي: الاصح لا تبطل، والله أعلم.

فإن وضع الإمام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينتهِ إلى حد الراكعين بطلت صلاته. وكذا إن وضع الإمام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول.

(فان) هوى الإمام إلى السجود ولم يبلغه والمأموم بعد قائم، فعلى المأخذ الأول لا تبطل صلاته لأنه لم يشرع في ركن مقصود وعلى الثاني تبطل لأن ركن الاعتدال قد تم. هكذا ذكره إمام الحرمين والمصنف وقياسه أن يقال: إذا ارتفع عن حد الركوع والمأموم بعد في القيام، فقد حصل التخلف بركن، وإن لم يعتدل الإمام فتبطل الصلاة عند من يجعل التخلف بركن مبطلاً. أما إذا **(وضع الإمام جبهته على الأرض وهو)** أي المأموم **(بعد)** في القيام **(لم ينته إلى حد الراكعين بطلت صلاته)** قطعاً، ثم إذا اكتفينا بابتداء الهوي من الاعتدال، وابتداء الارتفاع عن حد الركوع، فالتخلف بركنين هو أن يتم للإمام ركنان والمأموم بعد فيما قبلهما وبركن هو أن يتم للإمام الركن الذي سبق والمأموم بعد فيما قبله،وإن لم يكتف بذلك فللتخلف شرط آخر، وهو أن يلابس مع تمامها أو تمامه ركناً آخر، ومقتضى كلام صاحب التهذيب ترجيح البطلان فيما إذا تخلف بركن كامل مقصود، كما إذا استمر في الركوع حتى اعتدل الإمام وسجد.

(وكذا ان وضع الإمام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول)تبطل صلاته على ما ذكرنا هذا كله في التخلف بغير عذر. أما الاعذار فأنواع. منها: الخوف وسيأتي في بابه إن شاء الله تعالى، ومنها أن يكون المأموم بطيء القراءة والإمام سريعها فيركع قبل أن يتم المأموم الفاتحة فوجهان. أحدهما: يتابعه ويسقط عن المأموم باقيها، فعلى هذا لو اشتغل باتمامها كان متخلفاً بلا عذر، والصحيح الذي قطع به صاحب التهذيب وغيره أنه لا يسقط بل عليه أن يتمها، ويسعى خلف الإمام على نظم صلاته ما لم يسبقه بأكثر من ثلاثة أركان مقصودة، فإن زاد على الثلاثة فوجهان. احدهما: يخرج نفسه عن المتابعة لتعذر الموافقة، وأصحهما له أن يدوم على متابعته، وعلى هذا وجهان. أحدهما: يراعي نظم صلاته ويجري على اثره، وبهذا أفتى القفال. وأصحهما يوافقه فيما هو فيه ثم يقضي ما فاته بعد سلام الإمام، وهذان الوجهان كالقولين في مسألة الزحام. ومنها أخذ التقدير بثلاثة أركان مقصودة فإن القولين في مسألة الزحام إنما هما إذا ركع الإمام في الثانية وقبل ذلك لا يوافقه، وإنما يكون التخلف قبله بالسجدتين والقيام، ولم يعتبر الجلوس بين السجدتين على مذهب من يقول هو غير مقصود ولا يجعل التخلف بغير المقصود مؤثراً، وأما من لا يفرق بين المقصود وغيره أو يفرق ويجعل الجلوس مقصوداً أو ركناً طويلاً، فالقياس على أصله التقدير بأربعة أركان أخذاً من مسألة الزحام، ولو اشتغل المأموم بدعاء الاستفتاح فلم يتم الفاتحة لذلك فركع الإمام فيتم الفاتحة كبطيء القراءة، والله أعلم.

فصل

وقال أصحابنا: لو سلم الإمام قبل فراغ المأموم من قراءة التشهد يتمه ويسلم بعده، وأما إذا أحدث الإمام عمداً لا يقرأ المأموم التشهد ولم يكن عليه أن يسلم لخروجه عن الصلاة ببطلان

الجزء الذي لاقاه حدث الإمام فلا يبني على ما فسد ولا يضر ذلك في صحة الصلاة، لكنها ناقصة بترك السلام فتجب إعادتها لجبر الخلل، وإن لم يكن قعد قدر التشهد بطلت بالحدث العمد، ولو قام الإمام إلى الثالثة ولم يتم المأموم التشهد أتمه ولا يتبع الإمام، وإن خاف فوت الركوع لأن قراءة بعض التشهد لم تعرف قربة والركوع لا يفوته في الحقيقة لأنه يدرك، فكان خلف الإمام ومعارضة واجب آخر لا يمنع الاتيان بما كان فيه من واجب غيره لإتيانه به بعده، فكان تأخير أحد الواجبين مع الإتيان بهما أولى من ترك أحدهما بالكلية. ولو رفع الإمام رأسه قبل تسبيح المأموم ثلاثاً في الركوع والسجود يتابعه، ولو زاد الإمام سجدة أو قام بعد القعود الأخير ساهياً لا يتبعه المأموم فينتظر سلامه ليسلم معه إن تذكر وجلس قبل تقييده الزائدة بسجدة وان قيدها سلم المأموم وحده، وإن قام الإمام قبل القعود الأخير ساهياً انتظره وسبح لينبه إمامه، فإن سلم المأموم قبل أن يقيد إمامه الزائدة بسجدة فسد فرضه لانفراده بركن القعود حال الاقتداء كما تفسد بتقييد الإمام الزائدة بسجدة لتركه القعود الأخير في محله. وهاتان مسألتان مما لا يتبع المأموم إمامه فيه. والثالثة: لو زاد على تكبيرات العيد وسمعه من إمامه لا من غيره لجواز الخطأ عليه، والرابعة: لو كبر في الجنازة خمسة، وخمسة أشياء إذا تركها الإمام يتركها المأموم ويتابع الإمام القنوت إذا خاف فوت الركوع، وتكبير الزوائد في العيدين كذلك والقعدة الاولى وسجدة التلاوة والسهو، وتسعة أشياء إذا تركها الإمام يأتي بها المأموم: رفع اليدين للتحريمة، والثناء إن كان الإمام في الفاتحة وإن في السورة، وتكبير الركوع، والسجود، والتسبيح فيهما، والتسميع، وقراءة التشهد، والسلام، وتكبير التشريق كذا في البزازية وغيرها.

وكره سلام المأموم بعد تشهد الإمام قبل سلامه لترك المتابعة وصحت صلاته لعدم بقاء شيء من فروضها، حتى إذا عرض المفسد بعده بطلت صلاة الإمام، فقط على القول بأن الخروج بالصنع فرض عند الإمام وهو الصحيح، أو لا تبطل على القول بوجوبه، وذكروا في مفسدات الصلاة سابقية المأموم بركن لم يشاركه فيه إمامه كما لو ركع ورفع رأسه قبل الإمام ولم يعده معه أو بعده وسلم مع الإمام، وأما إذا لم يسلم مع الإمام وقد أتى بالركوع والسجود قبله في كل الركعات فإنه يلزمه قضاء ركعة بلا قراءة لأن مدرك أول صلاة الإمام لاحق وهو يقضي قبل فراغ الإمام وقدفاتته الركعة الأولى بتركه متابعة الإمام في الركوع والسجود، فيكون ركوعه وسجوده في الثانية قضاء على الأولى، وفي الثالثة عن الثانية، وفي الرابعة عن الثالثة فيقضي بعد سلام الإمام ركعة بغير قراءة لأنه لاحق بإدراكه إمامه في أول الصلاة، وإن ركع مع إمامه وسجد قبله لزمه قضاء ركعتين لأنه يلتحق سجدتاه في الثانية بركوعه في الأولى لأنه كان معتبراً ويلغو ركوعه في الثانية لوقوعه عقب ركوعه الأول بلا سجود، ثم ركوعه في الثالثة مع الإمام معتبر دون ركوعه في الرابعة لكونه قبل سجوده، فيلتحق به سجوده في رابعة الإمام فيصير عليه الثالثة والرابعة فيقضيهما، وإن ركع قبل إمامه وسجد معه يقضي أربعاً بلا قراءة لأن السجود لا

مسألة: حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة في صلاته أن يغيره وينكر عليه، وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه. فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف، والانكار على من يرفع رأسه قبل الإمام إلى غير ذلك من الأمور، فقد قال ﷺ: « ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه ». وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من رأى من يسيء صلاته فلم ينهه فهو شريكه في

يعتد به إذا لم يتقدمه ركوع صحيح، وركوعه في كل الركعات قبل الإمام يبطل سجوده الحاصل معه، وأما إن ركع إمامه وسجد ثم ركع وسجد بعده جازت صلاته. فهذه خمس صور مأخوذة من فتح القدير والخلاصة، والله أعلم.

مسألة: تسوية الصفوف وفضل الجماعة وفضل الصف الأيمن وغير ذلك.

وهي الحادية عشرة وهي آخر المسائل في الأمر بالمعروف، ومنها:

قال رحمه الله تعالى: (**حق على من حضر الصلاة**) مع الجماعة في مسجدٍ من المساجد (**إذا رأى من غيره الإساءة**) وفي نسخة: ما ساءه (**في صلاته أن يغيره**) بلسانه وبيده إن أمكنه (**وينكر عليه**) إساءته، (**فإن صدر**)من أحد من المصلين ما صدر منه (**عن جهل رفق بالجاهل**) من غير غلظة ولا جفاء (**وعلمه**) ما جهله فيقول له الوارد في السنة كذا، والعلماء صرحوا في كتبهم كذا أو المناسب هكذا أو ما أشبه ذلك، (**فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف**)عند إقامة الصلاة، (**و**)من ذلك (**منع المنفرد بالوقوف خارج الصف**) وحده مع وجود السعة في الصف، (**و**)منها (**الانكار على من يرفع رأسه قبل الإمام**)من سجوده أو ركوعه أو يهوي بالسجود قبل أن يضع الإمام جبهته بالأرض (**إلى غير ذلك من الأمور**) التي تتعلق بمتابعة المأموم الامام، (**فقد قال ﷺ « ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه »**) قال العراقي: أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف اهـ.

قلت: لفظ الحديث عنده: « ويلٌ للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم ». وهكذا رواه أيضاً أبو يعلى الموصلي، وأما قوله: « حيث لا يعلمه » فليس من أصل الحديث، والمعنى: ويل للعالم من الجاهل حيث لم يعلمه معالم الدين ولم يرشده إلى طريقه المبين مع أنه مأمور بذلك، وويل للجاهل من العالم حيث أمره بمعروف أو نهاه عن منكر فلم يأتمر بامره ولم ينته بنهيه، إذ العالم حجة الله على خلقه. ومعنى: الويل الخسران. وفي حديث أبي سعيد، عن أحمد، وابن حبان، والحاكم « ويل » واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره.

(**وقال**) عبد الله (**بن مسعود رضي الله عنه: من رأى من يسيء صلاته فلم ينهه**) أي عن إساءته (**فهو شريكه في وزرها**). والأصل في هذا حديث أبي سعيد عند أحمد،

وزرها. وعن بلال بن سعد أنه قال: الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أظهرت فلم تغير أضرت بالعامة. وجاء في الحديث: «أن بلالاً كان يسوّي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة». وعن عمر رضي الله عنه قال: تفقدوا اخوانكم في الصلاة فإذا فقدتموهم فإن كانوا مرضى فعودوهم وإن كانوا أصحاء فعاتبوهم. والعتاب انكار على من ترك الجماعة، ولا ينبغي أن يتساهل فيه. وقد كان الأوّلون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الميت هو

والاربعة، وابن حبان «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع أن يغيره بيده فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان».

(وعن بلال بن سعد) القاص تابعي روى عن أبيه، ومعاوية، وجابر، وعنه الاوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، وعدة. كان عابداً عالماً واعظاً قارئاً توفي في حدود سنة ١٢٠ **(أنه قال: الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا ظهرت)** للناس **(فلم تغير)** أي لم ينكر عليها أحد منهم **(أضرت بالعامة)** وصاروا شركاء في الوزر.

(وجاء في الحديث أن بلالاً) رضي الله عنه **(كان يسوّي الصفوف)** في عهد النبي ﷺ **(ويضرب عراقيبهم)** جمع عرقوب مؤخر الرجل **(بالدرة)** بكسر الدال: السوط. قال العراقي: لم أجده اهـ.

قلت: ووجدت في المصنف لابي بكر بن أبي شيبة ما نصه: حدثنا ابن نمير، عن الأعمش، عن عمران، عن سويد، عن بلال قال: «كان يسوي مناكبنا باقدامنا في الصلاة».

وحدثنا أبو معاوية، عن عاصم عن أبي عثمان قال: ما رأيت أحداً كان أشد تعاهداً للصف من عمر ان كان يستقبل القبلة حتى إذا قلنا قد كبر التفت فنظر إلى المناكب والأقدام وإن كان ليبعث رجالاً يطردون الناس حتى يلحقوهم بالصفوف.

وحدثنا وكيع، عن عمران بن حذير، عن أبي عثمان قال: كنت فيمن يقيم عمر بن الخطاب قدامه لإقامة الصف.

(وعن عمر) بن الخطاب **(رضي الله عنه قال: تفقدوا اخوانكم في الصلاة)** أي اطلبوهم عند غيبوبتهم عن الصلاة، **(فإذا فقدتموهم)** عندها فلا بد لتخلفهم من عذر، **(فإن كانوا مرضى)** أي حبسهم المرض **(فعودوهم)** لأن المريض يُعاد، **(وإن كانوا أصحاء)** لا مرض لهم **(فعاتبوهم)** على عدم حضورهم في الجماعة. **(والعتاب إنكار على ترك الجماعة)** حيث تخلفوا عن غير عذر شرعي، **(ولا ينبغي ان يتساهل فيه)** أي في أمر الجماعة، فإنه أكيد حتى ذهب داود، وأبو ثور، وابن المنذر، وابن خزيمة إلى أن الجماعة فرض عين. وحكي أيضاً عن أحمد وعزاه بعضهم قولاً للشافعي فيما حكاه الرافعي، **(وقد كان الأوّلون)** من العلماء العاملين **(يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة)** أي الخشب الذي يحمل عليه الميت

الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي. ومن دخل المسجد ينبغي أن يقصد يمين الصف ولذلك تزاحم الناس عليه في زمن رسول الله ﷺ حتى قيل له: تعطلت الميسرة، فقال ﷺ: «من عمَّر ميسرة المسجد كان له كفلان من الأجر» ومهما وجد غلاماً في الصف ولم يجد لنفسه مكاناً فله أن يخرجه إلى خلف ويدخل فيه ـ أعني إذا لم يكن بالغاً ـ وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التي تعم بها البلوى، وسيأتي أحكام الصلوات المتفرقة في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى.

(إلى باب من تخلف عن الجماعة) لغير عذر **(إشارة إلى أن الميت هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي)**، فدل هذا الفعل منهم على التأكيد في أمر الجماعة والمحافظة، وقد سبقت في فضلها أخبار في أول هذا الكتاب.

(ومن دخل المسجد ينبغي أن يقصد يمين الصف) فهو أفضل وأشرف، **(ولذلك تزاحم الناس عليه في زمن رسول الله ﷺ حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال ﷺ: «من عمَّر ميسرة المسجد كان له كفلان من الأجر»)** قال العراقي: أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عمر بسند ضعيف اهـ.

قلـت: ولفظ ابن ماجه «كتب الله له كفلين من الأجر».

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس «من عمَّر جانب المسجد الأيسر لقلة أهله فله أجران».

(ومهما وجد غلاماً في الصف) أي صبياً **(ولم يجد لنفسه مكاناً)** في الصف يقف عليه، وفي نسخة: إلا مكانه **(فله أن يخرجه عن الصف)** إلى خلف **(ويدخل فيه)** ولا يقف منفرداً خلف الصف لكراهته **(أعني إذا لم يكن بالغاً)** أي صبياً دون البلوغ، وأما البالغ فله حكم الرجال، وإنما سمَّاه غلاماً لشبوبيته، وقد ذكر الرافعي في باب الاقتداء ما نصه: وان حضر رجال وصبيان وقف الرجال خلف الإمام في صف أو صفوف، والصبيان خلفهم. وفي وجه يقف بين كل رجلين صبي ليتعلموا أفعال الصلاة اهـ فدل ذلك على جواز وقوف الصبيان مع الرجال في الصف ثم يفرع عليه ما ذكره المصنف.

(فهذا ما أردنا أن تذكره من المسائل التي تعم بها البلوى) ويحتاج إلى معرفتها كل مريد للآخرة وهي إحدى عشرة مسألة ذكر صاحب القوت بعضها على طريق الإجمال، وزاده المصنف تفصيلاً وبعضها زيادة على صاحب القوت، **(وستأتي أحكام الصلوات المتفرقة في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى)**، وبه ختم الباب السادس بعون الله تعالى وحسن توفيقه ومنّه.

الباب السابع

في النوافل من الصلوات:

اعلم ان ما عدا الفرائض من الصلوات ينقسم إلى ثلاثة أقسام: سنن، ومستحبات وتطوّعات. ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله ﷺ المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات، وصلاة الضحى، والوتر، والتهجد وغيرها. لأن السنة عبارة عن الطريق المسلوكة، ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه - كما سننقله في صلوات الأيام والليالي في الأسبوع - وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وأمثاله. ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله عز وجل بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقاً، فكأنه متبرع به إذ لم يندب إلى تلك الصلاة بعينها وإن ندب إلى الصلاة مطلقاً والتطوّع عبارة

الباب السابع

في النوافل من الصلوات

(**اعلم أن ما عدا الفرائض من الصلوات**) اختلف اصطلاح الأصحاب فيه، فمنهم من قال: (**ينقسم إلى ثلاثة أقسام: سنن، ومستحبات، وتطوّعات، ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله ﷺ المواظبة**) أي المداومة (**عليه كالرواتب**) التي تؤدّى (**عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيره**) مما نقل فيه المواظبة، (**لأن السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة**) في الدين من غير افتراض ولا وجوب، هذا في الشرع، وأما في اللغة فهي الطريقة مرضية كانت أولا، (**ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه**) أي فعلها أحياناً ولم يواظب عليها (**- كما سننقله في صلاة الأيام والليالي في الاسبوع - وكالصلاة عند الخروج من المنزل و**) كالصلاة (**عند الدخول فيه وأمثال ذلك**) وكذا لو أمر به ولم يفعله، كما صرح به الخوارزمي في الكافي ومثاله الركعتان قبل المغرب، (**ونعني بالتطوّعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه خبر**) بخصوصه (**لكن تطوّع به العبد**) وأنشأه ابتداء (**من حيث رغب في مناجاة الله عز وجل بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقاً**) كأنه يشير إلى ما أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة «الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر». وأخرج القضاعي، وابن عساكر من حديث أنس «الصلاة نور المؤمن» وأخرج القضاعي من حديث علي «الصلاة قربان كل تقي». (**وكأنه متبرع بها**) أي يفعلها غير طالب عوضاً (**إذ لم يندب**) أي لم يدع (**إلى تلك الصلاة بعينها وإن ندب إلى الصلاة مطلقاً والتطوع**) لغة تكلف الطاعة وعرفاً (**عبارة عن التبرع**) بما لا

عن التبرع، وسميت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث أن النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض. فلفظ: النافلة والسنّة والمستحب والتطوّع، أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد. ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الألفاظ بعد فهم المقاصد. وكل قسم من هذه الأقسام تتفاوت درجاته في الفضل بحسب ما ورد فيها من

يلزم، قال الله تعالى: ﴿فمن تطوع خيراً فهو خير له﴾ [البقرة: ١٨٤] **(وسميت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث أن النفل هو الزيادة)** في اللغة، ولذلك سميت الغنيمة نفلاً لأنه زيادة عن المقصود من شرعية الجهاد وهو إعلاء كلمة الله وقهر أعدائه، **(وجملتها زائدة على الفرائض، فلفظ النافلة والمستحب والسنّة والتطوّع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد)**، ومنهم من يرادف بين لفظي النافلة والتطوّع ويطلقها على ما سوى الفرائض نقله الرافعي.

قال النووي: ومن أصحابنا من يقول: السنة والمستحب والمندوب والتطوّع والنفل والمرغب فيه والحسن كلها بمعنى واحد، وهو ما رجح الشرع فعله على تركه وجاز تركه اهـ.

وقال الولي العراقي في شرح التقريب: هو المشهور عند أصحابنا اهـ.

ووجدت بخط الشيخ شمس الدين الحريري الشافعي ما نصه: هكذا قسم النوافل إلى ثلاثة أقسام القاضي حسين، وتبعه البغوي في التهذيب، والخوارزمي في الكافي. نعم استشكل القاضي أبو الطيب في منهاجه ذلك بأن النبي ﷺ حج مرة وفي أفعاله ما هو سنّة، وكذا لم يصل للاستسقاء وخطب الإمرة وهما سنّة، فلهذا صحح التاج السبكي أن المندوب والمستحب والتطوّع والسنّة ألفاظ مترادفة، وقال: ان الخلاف لفظي، وقد أوضحت ذلك في شرح جمع الجوامع اهـ.

وقال أصحابنا: المشروع قسمان عزيمة ورخصة، والعزيمة هي الأصل وهي أربعة أنواع. فريضة وواجب وسنة ونفل، والسنة أقوى من النفل، والنفل ما ليس بفرض ولا واجب ولا مسنون، والسنّة تتناول قول النبي ﷺ وفعله، وفي تناول اطلاقها سنة الصحابي خلاف. وقال صاحب النهاية: السنّة ما فعله رسول الله ﷺ على طريق المواظبة ولم يتركها إلا بعذر وهي على قسمين. مؤكد ومندوب، والأدب ما فعله النبي ﷺ مرة أو مرتين ولم يواظب عليه، وفرق المالكية بين السنّة والفضيلة وضابطه عندهم، كما قال بعضهم: إن كل ما واظب عليه النبي ﷺ مظهراً له في جماعة فهو سنة، وما لم يواظب عليه وحده في نوافل الخير فهو فضيلة، وما واظب عليه ولم يظهره كركعتي الفجر ففي كونه سنة أو فضيلة قولان.

ولما رأى المصنف كثرة الاختلاف في هذا الالفاظ قال: **(ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح)** الذي ذكرناه من التقسيم **(ولا مشاحة)** أصله مشاححة مفاعلة من الشح أي لا مضايقة ولا ممانعة **(في الألفاظ)** يشير إلى أن الخلاف لفظي كما قدمنا عن التاج السبكي **(بعد فهم المقاصد)** الأصلية، **(وكل قسم من هذه الأقسام)** المذكورة **(تتفاوت درجاته)** أي

الأخبار والآثار المعرفة لفضلها، وبحسب طول مواظبة رسول الله ﷺ عليها، وبحسب صحة الأخبار الواردة فيها واشتهارها، ولذلك يقال: سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد. وأفضل سنن الجماعات: صلاة العيدين، ثم الكسوف، ثم الاستسقاء. وأفضل سنن الانفراد: الوتر، ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها. واعلم أن النوافل باعتبار الاضافة إلى متعلقاتها تنقسم إلى ما يتعلق بأسباب كالكسوف والاستسقاء وإلى ما يتعلق بأوقات، والمتعلق بالأوقات ينقسم إلى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة، أو بتكرر الأسبوع، أو بتكرر السنة، فالجملة أربعة أقسام.

مراتبه (**في الفضل بحسب ما ورد فيه من الأخبار**) النبوية (**والآثار**) من الصحابة ومن بعدهم (**المعرفة**) أي المبينة (**لفضله و**) تتفاوت أيضاً (**بحسب طول مواظبة رسول الله ﷺ**) عليه، (**و**) أيضاً (**بحسب صحة الاخبار الواردة فيه واشتهارها**) عند أئمة الحديث والفقه.

وقد ألمّ بهذا البحث ابن دقيق العيد في شرح العمدة فقال: الحق والله أعلم في هذا الباب أن كل حديث صحيح دلّ على استحباب عدد من هذه الأعداد وهيئة من الهيئات أو نافلة من النوافل يعمل به في استحبابه، ثم تختلف مراتب ذلك المستحب فما كان الدليل دالاً على تأكده إما بملازمة فعله أو بكثرة فعله، وإما بقوّة دلالة اللفظ على تأكد حكمه، وإما بمعاضدة حديث آخر فيه تعلو مرتبته في الاستحباب وما نقص عن ذلك كان بعده في الرتبة، وما ورد فيه حديث لا ينتهي إلى الصحة فإن كان حسناً عمل به إن لم يعارض أقوى منه وكانت مرتبته ناقصة عن هذه المرتبة الثانية، أعني الصحيح الذي لم يدم عليه أو لم يؤكد اللفظ في طلبه، وما كان ضعيفاً لا يدخل في حيز الموضوع فإن أحدث شعاراً في الدين منع، وإن لم يحدث فهو محل نظر يحتمل أن يقال إنه مستحب لدخوله تحت العمومات المقتضية لفعل الخير واستحباب الصلاة، ويحتمل أن يقال: هذه الخصوصيات بالوقت وبالحال وبالهيئة واللفظ المخصوص يحتاج إلى دليل خاص يقتضي استحبابه بخصوصه، وهذا أقرب والله أعلم اهـ.

(**ولذلك نقول: سنن الجماعة**) أي التي تسن لها الجماعة (**أفضل من سنن الانفراد**) أي التي تصلى وحدها منفرداً بها، (**وأفضل سنن الجماعة صلاة العيدين، ثم صلاة الكسوف، ثم**) صلاة (**الاستسقاء، وأفضل سنن الانفراد الوتر، ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها**). واختلف الأصحاب في الرواتب فقيل: هي النوافل المؤقتة بوقت مخصوص، وقيل: هي السنن التابعة للفرائض. (**واعلم أن النوافل باعتبار الإضافة إلى متعلقاتها تنقسم**) قسمة أخرى (**إلى ما يتعلق بأسباب**) عارضة (**كالكسوف والاستسقاء وإلى ما يتعلق بأوقات**) مخصوصة وهذا القسم الأخير الذي هو (**المتعلق بالأوقات ينقسم أيضاً إلى ما يتكرر بتكرر اليوم والليلة، أو بتكرر الأسبوع، أو بتكرر السنة. فالجملة أربعة أقسام**) تذكر في أربعة فصول موسومة بالأقسام.

القسم الأول

ما يتكرر بتكرر الأيام والليالي وهي ثمانية، خمسة هي رواتب الصلوات الخمس، وثلاثة وراءها وهي صلاة الضحى واحياء ما بين العشاءين والتهجد:

الأولى: راتبة الصبح وهي ركعتان. قال رسول الله ﷺ: «ركعتا الفجر خير من

القسم الأول

(ما يتكرر بتكرر الأيام والليالي وهي ثمانية خمسة منها هي رواتب الصلوات الخمس) هي السنن التابعة لها **(وثلاثة)** منها **(وراءها وهي صلاة الضحى واحياء ما بين العشاءين)** المغرب والعشاء **(والتهجد)**، وذلك عند القيام بعد النوم **(من الليل)**.

قال الولي العراقي في شرح التقريب، قال العلماء: الحكمة في مشروعية الرواتب قبل الفرائض وبعدها تكميل الفرائض بها إن عرض نقص، كما ثبت في سنن أبي داود وغيره عن أبي هريرة رفعه «أول ما يحاسب به العبد من عمله صلاته» الحديث. وفيه: «فيكمل بها ما نقص من الفريضة». قال: وفي النوافل التي قبل الفريضة معنى آخر، وهو رياضة النفس بالدخول في النافلة وتصفيتها عما بها من الشواغل الدنيوية ليتفرغ قلبه للفريضة أكمل فراغ ويحصل له النشاط اهـ.

قلت: وهذا المعنى قد قدمناه في أوائل هيئة الصلاة نقلاً عن عوارف المعارف للسهروردي.

(الأول: راتبة الصبح وهي ركعتان) باتفاق أهل العلم، وقد وردت في فضلها أخبار من ذلك. **(قال ﷺ «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»)** أي نعيم ثوابها خير من كل ما يتنعم به في الدنيا، فالمفاضلة راجعة لذات النعيم إلا إلى نفس ركعتي الفجر فلا يعارضه خبر: الدنيا ملعونة ملعون ما فيها.

وقال الطيبي: إن حمل الدنيا على اعراضها وزهرتها فالخير إما مجري على زعم من يرى فيها خيراً أو يكون من باب أي الفريقين خير مقاماً، وإن حمل على الانفاق في سبيل الله فتكون هاتان الركعتان أكثر ثواباً منها. هذا ما يتعلق بمعنى الحديث.

قال العراقي: أخرجه مسلم من حديث عائشة اهـ.

قلت: وأخرجه كذلك الترمذي، والنسائي ولم يخرجه البخاري واستدركه الحاكم فوهم.

وقال الطحاوي: حدثنا فهد، حدثنا يحي بن عبد الحميد، حدثنا أبو عوانة، عن قتادة، عن زرارة بن أبي أوفى، عن سعد بن هشام، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ فساقه.

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، عن أبي أسامة، عن شعبة، عن قتادة مثله إلا أنه لم يقل «وما فيها».

فصل

وقد رودت أخبار في فضل هاتين الركعتين غير الذي أورده المصنف.

فمنها: ما أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة « لا تدع ركعتي الفجر ولو طرقتك الخيل » رواه عن حفص بن غياث، عن محمد بن زيد، عن ابن عبد ربه قال: سمعت أبا هريرة فساقه.

وأخرجه الطحاوي من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن محمد بن زيد إلا أنه قال: عن ابن سيلان، عن أبي هريرة بلفظ: « لا تتركوا ركعتي الفجر ولو طردتكم الخيل » ولفظ أبي بكر بن أبي شيبة أخرجه أحمد، وأبو داود.

ومنها: ما أخرجه الطبراني في الكبير، والمحاملي، والخطيب عن ابن عمر « لا تدعوا الركعتين اللتين قبل الفجر فإن فيهما الرغائب ».

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، عن هشيم، عن يعلى بن عطاء، عن الوليد بن عبد الرحمن، عن ابن عمر أنه قال: « يا حران لا تدع ركعتين قبل الفجر فإن فيهما الرغائب ». هكذا رواه ولم يرفعه.

وأخرج أيضاً عن كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان قال: بلغني أن عائشة كانت تقول: « حافظوا على ركعتي الفجر فإن فيهما الخير والرغائب ».

ومنها: ما أخرجه ابن أبي شيبة أيضاً عن هشيم بن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال، قال عمر في الركعتين قبل الفجر « لهما أحب إلي من حمر النعم ».

ومنها: ما أخرجه أيضاً الشيخان، والطحاوي من حديث عائشة قالت: « ما رأيت رسول الله ﷺ في النوافل أشد معاهدة منه على الركعتين قبل الفجر » ولفظ الصحيحين: « لم يكن على شيء من النوافل أشد ». الحديث. ولفظ ابن أبي شيبة: ما رأيته يسرع إلى شيء من النوافل إسراعه إلى ركعتي الفجر » ولا إلى غنيمة. وكلهم أخرجوه من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عائشة.

ومنها: ما أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة أيضاً عن وكيع، عن سفيان، عن زياد بن فياض، عن أبي عبد الرحمن قال: « إذا صلى ركعتي الفجر ثم مات فكأنما صلى الفجر ». وعن وكيع بن مسعر، عن حماد، عن إبراهيم قال: « إذا صلاهما أو أحدهما ثم مات أجزءا عن ركعتي الفجر ».

ومنها: ما أخرجه الطبراني من حديث عائشة قالت: « كان النبي ﷺ يصلي ويدع ولكن لم أره ترك الركعتين قبل صلاة الفجر في سفر ولا حضر ولا صحة ولا سقم ».

الدنيا وما فيها». ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل. وادراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوّله إلا أن يتعلم منازل القمر أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر. فيستدل بالكواكب عليه. ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فإن القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين، ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر، هذا هو الغالب، ويتطرق إليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول. وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير

(ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير) الذي يطلع عرضاً منتشراً سمي صادقاً لأنه صدق عن الصبح وبينه **(دون المستطيل)** منه وهو الذي يظهر طولاً كذنب السرحان ثم يغيب ويسمى كاذباً لأنه يضيء ثم يسود ويذهب النور ويعقبه الظلام، فكأنه كاذب. وقد جاء في الحديث: وصف الصبح بالمستطير والمستطيل. **(وإدراك ذلك بالمشاهدة)** بالبصر **(عسير في أوله إلا بتعليم منازل القمر)** الثمانية والعشرين.

وأخرج الخطيب في كتاب النجوم، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ [يس: ٣٩] قال في ثمانية وعشرين منزلاً ينزلها القمر في كل شهر أربعة عشر منها شامية، وأربعة عشر منها يمانية فأولها الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصربة والعوا والسماك وهو آخر الشامية. والغفر والزبانين والإكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذباح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية ومقدم الدلو ومؤخر الدلو وبطن الحوت وهو آخر اليمانية فإذا سار هذه الثمانية وعشرين منزلاً عاد كالعجرون القديم كما كان في أول الشهر. **(أو يعلم اقتران طلوعه)** أي الفجر **(بالكواكب الظاهرة للبصر)** وهي الطالعة منها مع الفجر. **(فيستدل بالكواكب)** المذكورة **(عليه)** أي على الفجر، **(ويعرف)** أيضاً **(بالقمر في ليلتين من الشهر فإن القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين)** من الشهر، **(ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر)** هكذا ذكره صاحب القوت ولفظه، وفي الشهر ليلتان يعرف بهما وقت الفجر إحداهما يطلع القمر فيها عند طلوع الفجر وهي ليلة ست وعشرين، والأخرى يغيب فيها القمر عند طلوع الفجر وهي ليلة اثني عشر من الشهر، ومن طلوع الفجر إلى طلوع الشمس مقدار ثلثي سبع تلك الليلة، وهذا يكون في الصيف، ويكون في الشتاء أقل من ذلك يكون نصف سدس تلك الليلة اهـ.

وإليه أشار المصنف بقوله: **(هذا هو الغالب ويتطرق إليه تفاوت في بعض البروج)** التي يقطعها الشمس **(وشرح ذلك يطول)** إذ هو علم مستقل ولا يتيسر فهمه وتفهيمه إلا بعد بسط مقدمات وتمهيد مهمات، وقد قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب الأنواء والنجوم اعلم أنه لا يجد من أحب علم الاهتداء بالنجوم بدأ من التقدم بمعرفة أعيان ما يحتاج إليه منها واعتياد النظر

الأوقات بالليل وعلى الصبح، ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح

إليها في جميع آناء الليل حتى يعرفها كمعرفة ولده لئلا تلتبس عليه إذا هي اختلفت أماكنها في أوقات الليل، ويحتاج بعد ذلك إلى معرفة مطالعها ومغاربها وحال مجاريها من لدن طلوعها إلى غروبها، لأن ذلك مما يبدل أعيان الكواكب في الأبصار ويدخل على القلوب الحيرة ويورث الشبهة، ويحتاج أيضاً إلى أن يعرف البلدان التي تقصد وجهات الآفاق التي تعمد ليعلم بأي كوكب ينبغي له أن يأتم، فإذا تقدم المرء فاحكم علم ما وصفت ثم كان مثبتاً في النظر فطناً في البصر أدرك علم الهداية إن شاء الله، **(وتعلم منازل القمر)** المذكورة وكمية حلول القمر فيها **(من المهمات)** الأكيدة **(للمريد حتى يطلع على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح)** وبيان ذلك على وجه الاختصار. أولاً: معرفة الطلوع والغروب، وتفصيل الليل والنهار والمشارق والمغارب. أما المشارق فمشارق الأيام وهي جميعاً بين المشرقين والمغربين، فمشرق الشمس في أطول يوم في السنة وذلك قريب من مطلع السماك الرامح، بل مطلع السماك أشد ارتفاعاً في الشمال منه قليلاً، وكذلك مغرب الصيف وهو على نحو ذلك من مغرب السماك الرامح، ومشرق الشتاء مطلع الشمس في أقصر يوم من السنة وهو قريب من مطلع قلب العقرب بل هو أشد انحداراً في الجنوب، ومطلع قلب العقرب قليلاً، وكذلك مغرب الشتاء هو على نحو ذلك من مغرب قلب العقرب، فمشارق الأيام ومغاربها في جميع السنة هي كلها بين هذين المشرقين والمغربين فإذا طلعت الشمس من أخفض مطالعها في أقصر يوم من السنة لم تزل بعد ذلك ترتفع في المطالع فيطلع كل يوم من مطلع فوق مطلعها بالأمس طالبة مشرق الصيف، فلا تزال على ذلك حتى تتوسط المشرقين وذلك عند استواء الليل والنهار في الربيع، فذلك مشرق الاستواء وهو قريب من مطلع السماك الأعزل، بل هو أميل إلى مشرق الصيف من مطلع السماك الأعزل قليلاً، ثم تستمر على حالها من الارتفاع في المطالع إلى أن تبلغ مشرق الصيف الذي بيناه، فإذا بلغته كرت راجعة في المطالع منحدرة مشرق الاستواء حتى إذا بلغته استوى الليل والنهار في الخريف، ثم استمرت منحدرة حتى تبلغ منتهى مشارق الشتاء الذي قد بيناه، فهذا دأبها وكذلك شأنها في المغارب على قياس ما بيناه في المطالع، فأما القمر فإنه متجاوز في مشرقيه ومغربيه مشرقي الشمس ومغربيها فيخرج عنهما في الجنوب والشمال قليلاً فمغرباه ومشرقاه أوسع من مغربي الشمس ومشرقيها، والنهار محسوب من طلوع الشمس إلى غروبها، والليل من غروب الشمس إلى طلوعها.

قال الكلابي: فلا يعد شيء قبل طلوعها من النهار ولا شيء قبل غروبها من الليل هذا في الحساب.

وقال أبو حنيفة الدينوري في كتاب الأنواء والنجوم قد بينا فيما مضى أن النجوم السيارة سبعة وأنها هي التي تقطع البروج والمنازل فهي تنتقل فيها مقبلة ومدبرة لازمة لطريقة الشمس أحياناً وناكبة عنها أحياناً. إما في الجنوب وإما في الشمال، ولكل نجم منها في عدولـه عن طريقة

وهو طلوع الشمس، ولكن السنة أداؤهما قبل الفرض. فإن دخل المسجد وقد قامت

الشمس مقدار إذا هو بلغه عاود في مسيره الرجوع إلى طريقة الشمس، وذلك المقدار من كل نجم منها مخالف لمقدار النجم الآخر، فإذا عزلت هذه النجوم السبعة عن نجوم السماء سميت الباقية كلها ثابتة تسمية على الأغلب لأن لها حركة خفية تفوت الحس إلا في المدة الطويلة وذلك لأنه في كل مائة عام درجة واحدة وهو على تأليف البروج. أعني من الحمل إلى الثور ثم إلى الجوزاء سيراً مستمراً لا يعرض لشيء منها رجوع إلا كوكباً واحداً فإنه سيار خلاف هذه الثوابت وهو كوكب الذنب، وإنما يظهر في الزمان دون الزمان، ولما أرادوا تمييز كواكب السماء بدؤا فقسموا الفلك نصفين بالدائرة التي هي مجرى رؤوس برجي الاستواء وهما الحمل والميزان وسموا أحد النصفين جنوبياً والآخر شمالياً وسموا الكواكب الواقعة في إحداهما كذلك، وسمت العرب الشمالية شامية والجنوبية يمانية، فكل كوكب مجراه فيما بين القطب الشمالي وبين مدار السماك الأعزل أو فويقه قليلاً شآم، وما كان دون تلك إلى ما يلي القطب الجنوبي فهو يمان.

واعلم أن كل منزلة من منازل القمر المذكورة طولها اثنتا عشرة درجة وإحدى وخمسون دقيقة بالتقريب، وأقسام هذه المنازل من دائرة فلك البروج متساوية مأخوذة من أول الحمل وصورها من الكواكب الثابتة مختلفة المقدار مختلفة المواضع من فلك البروج، وإذا طلعت منزلة غابت نظيرتها وهي الخامسة عشر منها.

واعلم أن الكواكب إذا كانت في آفاق السماء كانت أعظم في المنظر، وكان البعد الذي بينهما أيضاً واسعاً في المرأى، فإذا توسطت كانت في العين أصغر ورؤيت أيضاً أشد تقارباً، وكذلك ترى الكوكب إذا طلع متقدماً لكوكب آخر حتى إذا تدليا عن وسط السماء يطلبان الغور صار المتقدم منهما متأخراً والمتأخر متقدماً حتى يغيب أبطؤهما طلوعاً ويبقى صاحبه بعده مدة، والكواكب القريبة من القطب لا تغيب عن أهل نجد وتهامة ولا عمن دونهم إلى أقصى الشمال، ولكن لها غيوب عمن وراءهم في الجنوب، والتي تلي هذه، فإن لها في الليلة الواحدة غروباً وطلوعاً ترى الكوكب منها عشاء في جهة المغارب، ثم تراه آخر الليل طالعاً، وما التف بهذه الكواكب وبعضها أكثر دوام رؤية من بعض، فإن منها ما يرى كذلك شهراً، ومنها ما تراه أكثر، ومنها ما تراه أقل، وفي هذا القدر من معرفة النجوم للاهتداء كفاية للمريد، فما قل وكفى خير مما كثر وألهى.

(وتفوت ركعتا الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس والسنة أداؤهما قبل الفرض) أي وقت أدائهما ممتد إلى خروج وقت الصبح فتفوت بفواته، وكذا سائر الرواتب المتقدمة على الفرائض يستمر وقتها بعد فعل الفريضة إلى خروج الوقت وإن كان الأصل فعلها قبل الفرائض.

قال الوالي العراقي: بل في ركعتي الفجر وجه عندنا أن وقتها يستمر إلى زوال الشمس،

الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فإنه ﷺ قال: « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة ».

وجوابهم عن الأحاديث الآتية الدالة على أنه ﷺ صلاهما قبل الفرض هو أنه بيان للأفضل، وليس يلزم خروج وقتها بفعل الفرض، والفعل لا يدل على الوجوب اهـ.

وقال أبو حنيفة، وأحمد يفوت وقتها بفعل فرض الصبح نظراً إلى ظاهر الأحاديث، فإنه ﷺ بين بفعله وقتها فلا يتعدى. **(فإن دخل المسجد)** لصلاة الصبح ولم يكن صلاهما في بيته صلاهما في المسجد واجزأتا عنه من تحية المسجد، فإن دخل **(وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة)** أي الفرض مع الجماعة. **(قال ﷺ: « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة »)** أي إذا شرع في إقامتها فلا صلاة كاملة سالمة من الكراهة إلا المكتوبة التي أقيم لها فلا ينبغي إنشاء صلاة حينئذ غير المفروضة الحاضرة، وحمل بعضهم النفي بمعنى النهي أي فلا تصلوا حينئذ، وذلك لئلا يفوته فضل التحريمة مع الإمام الذي هو صفوة الصلاة وما يناله من الأجر لا يفي بما يفوته من صفوة فرضه.

قال العراقي: أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وأخرجه أحمد بلفظ: « إلا التي أقيمت » وابن حبان بلفظ: « إذا أخذ المؤذن في الإقامة». وأخرجه الأربعة مثل لفظ مسلم. وفي الباب عن ابن عمر وغيره، وأما ما جاء في بعض الروايات زيادة إلا ركعتي الفجر، فقال البيهقي: لا أصل لها. وقال الكمال بن الهمام من أصحابنا: وأشدها كراهة أن يصلي عند إقامة المكتوبة مخالطاً للصف كما يفعله كثير من الجهلة.

ونقل المناوي في شرح الجامع الصغير نقلاً عن المطامح: أن هذه المسألة وقعت لأبي يوسف حين دخل مسجد المدينة والإمام يصلي الصبح، فصلى ركعتي الفجر ثم دخل مع الإمام فقال له رجل من العامة: يا جاهل الذي فاتك من أجر فرضك أعظم مما أدركت من ثواب نفلك اهـ.

قلت: أخرج أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، عن الشعبي، عن مسروق أنه دخل المسجد والقوم في صلاة الغداة ولم يكن صلى الركعتين فصلاهما في ناحية ثم دخل مع القوم في صلاتهم. وعن سعيد بن جبير أنه جاء إلى المسجد والإمام في صلاة الفجر فصلى الركعتين قبل أن يلج المسجد عند باب المسجد. وعن أبي عثمان النهدي قال: رأيت الرجل يجيء وعمر بن الخطاب في صلاة الفجر فيصلي الركعتين في باب المسجد ثم يدخل مع القوم في صلاتهم. وعن مجاهد قال: إذا دخلت المسجد والناس في صلاة الصبح ولم تركع ركعتي الفجر فاركعهما وإن ظننت أن الركعة الأولى تفوتك. وعن وبرة قال: رأيت ابن عمر يفعله، وعن إبراهيم أنه كره إذا جاء والإمام يصلي أن يصليهما في المسجد وقال: يصليهما في باب المسجد أو في ناحية. وعن أبي الدرداء قال: إني لأجيء إلى القوم وهم صفوف في صلاة الفجر فأصلي الركعتين ثم انضم إليهم.

فهذه الآثار دالة على جواز فعل أبي يوسف وكفى له بهؤلاء قدوة، فالذي قال له يا جاهل هو الجاهل بالسنة ولا ينبغي لصاحب المطامح ولا المناوي الذي نقله أن يسكت على مثل هذا، فإن الإزراء بمقام المجتهدين مما يضر بالدين، والله أعلم.

ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليهما وصلاهما والصحيح أنهما اداء ما وقعتا قبل طلوع الشمس لأنهما تابعتان للفرض في وقته، وإنما الترتيب بينهما سنّة في التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة. فإذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقيتا اداء. والمستحب أن يصليهما

(**ثم إذا فرغ من المكتوبة قام إليهما وصلاهما**) وهل تكونان أداء أو قضاء، (**والصحيح أنهما تكونان أداء ما وقعتا قبل طلوع**) حاجب (**الشمس**) الذي هو وقت الجواز على الصحيح كما قاله الرافعي، (**لأنهما تابعتان للفرض في وقته، وإنما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير إذا لم يصادف جماعة فإذا صادفها انقلب الترتيب وبقيتا أداء**).

أخرج أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، عن قيس بن عمر قال: رأى رسول الله ﷺ رجلاً يصلي بعد صلاة الصبح ركعتين، فقال: صلاة الصبح مرتين؟ فقال له الرجل: إني لم أكن صليت الركعتين اللتين قبلهما فصليتهما الآن فسكت، وفي أخرى فضحك رسول الله ﷺ فلم يأمره ولم ينهه.

وأخرج عن عطاء أنه فعل مثل ذلك، وعن الشعبي قال: إذا فاتته ركعتا الفجر صلاهما بعد صلاة الفجر، وعن القاسم أنه صلاهما بعد طلوع الشمس، وعن ابن عمر أنه لما أضحى قام فقضاهما، وعن ابن سيرين أنه صلاهما بعد ما أضحى، وعن ابن عمر أيضاً أنه قضاهما بعد ما سلم الإمام.

(**والمستحب أن يصليهما في المنزل**) قبل خروجه إلى المسجد كما كان يفعله ﷺ، كما سيأتي في حديث حفصة قريباً.

وقال الولي العراقي: اتفق العلماء على أفضلية فعل النوافل المطلقة في البيت، واختلفوا في الرواتب فقال الجمهور: الأفضل فعلها في البيت أيضاً وسواء في ذلك راتبة الليل والنهار، قال النووي: ولا خلاف في هذا عندنا. وقال جماعة من السلف: الاختيار فعلها كلها في المسجد، وأشار إليه القاضي أبو الطيب الطبري، وقال مالك، والثوري: الأفضل فعل راتبة النهار في المسجد وراتبة الليل في البيت. قال النووي: ودليل الجمهور صلاته ﷺ سنة الصبح والجمعة في بيته، وهما صلاتا نهار مع قوله ﷺ: « أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة » اهـ.

(**و**) المستحب أيضاً أن (**يخففهما**) لما أخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن عائشة قالت: « كان النبي ﷺ يخفف ركعتي الفجر » وفي رواية عنها: « كان إذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين ». وعن حفصة مثله. وفي رواية عنها: « كان يصليهما بسجدتين خفيفتين إذا طلع الفجر ». وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: ما رأيت أبي يصليهما قط إلا وكأنه يبادر حاجة. وعن الحسن ومحمد أنهما كانا لا يزيدان إذا طلع الفجر على ركعتين خفيفتين انتهى. ولذلك بالغ بعض فقال: لا يقرأ فيهما شيئاً أصلاً.

وقال العراقي في شرح الترمذي: الحكمة في تخفيفها وتطويل الأربع التي قبل الظهر من وجهين. أحدهما: استحباب التغليس في الصبح والإبراد في الظهر. والثاني: أن ركعتي الفجر تفعلان بعد طول القيام في الليل فناسب تخفيفها، وسنة الظهر ليس قبلها إلا سنة الضحى، ولم يكن ﷺ يواظب عليها ولم يرد تطويلها فهي واقعة بعد راحة اهـ.

وقال مالك وجمهور أصحابه: لا يقرأ غير الفاتحة. وحكاه ابن عبد البر عن أكثر العلماء.

قال الطحاوي: حدثنا يونس، أخبرنا ابن وهب قال، قال مالك: بذلك آخر في خاصة نفسي أن أقرأ فيها بأم القرآن، ثم ساق من طريق عمرة عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتي الفجر ركعتين خفيفتين حتى أقول هل قرأ فيهما بأم القرآن» اهـ.

وقال الشافعي، وأحمد، والجمهور، كما حكاه عنهم النووي: يستحب أن يقرأ فيهما بعد الفاتحة سورة. وقد ثبت من حديث عائشة، كما عند ابن أبي شيبة، والطحاوي «أنه ﷺ كان يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد يسر فيهما القراءة». ورويا ذلك أيضاً من حديث ابن عمر مثله، وعن ابن مسعود، وابن سيرين، وعبد الرحمن بن يزيد، ورواه الطحاوي خاصة من حديث ابن مسعود وأنس بن مالك وجابر، وثبت أيضاً أن النبي ﷺ قرأ مع الفاتحة غير هاتين السورتين.

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا أبو خالد، الأحمر، عن عثمان بن حكيم، عن سعيد بن يسار، عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ [البقرة: ١٣٦] الآية. وفي الثانية: ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ [آل عمران: ٦٤] وأخرجه الطحاوي، عن ابن أبي داود، عن سويد بن سعيد، وأيضاً عن ربيع المؤذن، عن أسد كلاهما عن مروان بن معاوية عن عثمان بن حكيم فساقه إلا أنه قال: وفي الثانية ﴿قل آمنا بالله﴾ إلى قوله ﴿ونحن له مسلمون﴾.

وأخرج الطحاوي أيضاً من طريق أبي الغيث، عن أبي هريرة قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في السجدتين قبل الفجر في الأولى ﴿قولوا آمنا بالله﴾ الآية. وفي الثانية ﴿ربنا آمنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ [آل عمران: ٥٣].

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة، عن أبي داود عن زمعة، عن ابن طاوس، عن أبيه «أنه كان يقرأ في الركعتين بعد العشاء ﴿آمن الرسول﴾ [البقرة: ٢٨٥] ﴿وقل هو الله أحد﴾.

قال الطحاوي: فقد ثبت بما وصفنا أن تخفيفه ذلك كان معه قراءة، وثبت بما ذكرنا من قراءته غير فاتحة الكتاب نفي قول من كره أن يقرأ فيهما غير فاتحة الكتاب، فثبت أنهما كسائر التطوع وأنه يقرأ فيهما كما يقرأ في التطوع، ولم نجد شيئاً من صلوات التطوع لا يقرأ فيه بشيء ولا يقرأ فيه إلا بفاتحة الكتاب خاصة اهـ.

في المنزل ويخففها، ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتين تحية المسجد، ثم يجلس ولا يصلي إلى أن يصلي المكتوبة. وفيما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة.

وقال العراقي: واختلف أصحابنا في الأفضلية فقيل: الأفضل الأول يعني السورتين بعد الفاتحة وعللوا ذلك بأن الوقف على آخر السورة صحيح بالقطع بخلاف البعض، فإنه قد يخفى عليه الوقت فيه فيقف في غير موضعه قال: وذهب النخعي إلى جواز إطالة القراءة في ركعتي الفجر، واختاره الطحاوي، وذهب الحسن البصري، والثوري، وأبو حنيفة إلى أنه يجوز لمن فاته حزبه من الليل أن يقرأ فيهما ويحسن فيهن الركوع والسجود.

قلت: قال الطحاوي: لم نجد شيئاً في التطوع كره أن تمد فيه القراءة، بل قد استحب طول القنوت.

وروي ذلك عن رسول الله ﷺ، سمعت ابن أبي عمران يقول: سمعت ابن سماعة يقول: سمعت محمد بن الحسن يقول بذلك نأخذ هو أفضل عندنا من كثرة الركوع والسجود مع قلة طول القيام. فلما كان هذا حكم التطوع وقد جعلت ركعتا الفجر من أشرف ما يفعل في التطوع. ولقد حدثني ابن أبي عمران قال: حدثني محمد بن شجاع، عن الحسن بن زياد قال: سمعت أبا حنيفة رضي الله عنه يقول: ربما قرأت في ركعتي الفجر حزبي من القرآن، فبهذا نأخذ لا بأس بأن تطال فيهما القراءة، وهي عندنا أفضل من التقصير لأن ذلك من طول القنوت الذي فضله رسول الله ﷺ في التطوع على غيره.

وقد روي ذلك أيضاً عن إبراهيم، حدثنا أبو بكر قال: حدثنا أبو عامر، وحدثنا محمد بن خزيمة، حدثنا مسلم بن إبراهيم قالا: حدثنا هشام الدستوائي، حدثنا حماد، عن إبراهيم قال: «إذا طلع الفجر فلا صلاة إلا الركعتين اللتين قبل الفجر. قال: قلت لإبراهيم أطيل فيهما القراءة؟ قال: إن شئت» اهـ.

(**ثم يدخل المسجد و**) ينظر إن كان يدخل فيه بغلس عند طلوع الفجر واشتباك النجوم (**يصلي ركعتي التحية**) وإن كان دخوله عند إمحاق النجوم مسفراً قعد ولا يصليها، وكذا عند الإقامة إذا دخل كما تقدم، (**ثم يجلس ولا يصلي إلى أن يصلي المكتوبة. فما بين الصبح إلى طلوع الشمس الأحب فيه الذكر والفكر**) أي المراقبة، ومن أفضل الأذكار فيه سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر. فإن هذه الكلمات تعدل ركعتين في الفضل إذا قالهن أربع مرات. كذا في القوت (**و**) كذلك الأحب فيه (**الاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة**) فقط. إذ لا تنفل بعد طلوع الفجر بغير ركعتي الفجر، وبه قال أبو حنيفة، ومالك، وأحمد في المشهود عنه.

وأخرج أبو داود من حديث ابن عمر «لا تصلوا بعد الفجر إلا سجدتين».

الثانية: راتبة الظهر وهي ست ركعات. ركعتان بعدها وهي أيضاً سنّة مؤكدة، وأربع قبلها وهي أيضاً سنّة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين. روى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى

تنبيه: روى عروة عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة فإذا فجر الفجر صلى ركعتين خفيفتين ثم اتكأ على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن يؤذنه للصلاة» فيه استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر وهو مذهب الشافعية والحنابلة.

وروى ابن أبي شيبة فعله عن أبي موسى الأشعري، ورافع بن خديج، وأنس بن مالك، وعبدالله بن عمر، وأبي هريرة، ومحمد بن سيرين، وعروة بن الزبير.

وذكر ابن حزم أن عبد الرحمن بن زيد حكاه عن الفقهاء السبعة، وكان ابن جزم يقول بوجوبه. وذهب آخرون إلى كراهته نقل ذلك عن ابن عمر، وابن مسعود، والنخعي، وابن المسيب، وسعيد بن جبير، والأسود بن يزيد، والحسن البصري.

وذهب آخرون إلى التفريق بين من يصلي بالليل فيستحب له وبين من لا يصلي فلا يستحب له، واختاره أبو بكر بن العربي.

تنبيه آخر:

هاتان الركعتان من آكد السنن عندنا وأقواها حتى روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة: لو صلاها قاعداً من غير عذر لا يجوز، وروى صاحب الهداية، عن أبي حنيفة أنها واجبتان، وممن قال بوجوبها الحسن البصري رواه عنه محمد بن نصر المروزي في كتاب قيام الليل، وابن أبي شيبة في المصنف، وعند الشافعي وأصحابه هما من آكد الرواتب، وإنما قلنا الرواتب ليتحرز بها عن الوتر لأن الوتر أفضل من ركعتي الفجر على ما تقدم للمصنف، وهو الأصح من قولي الشافعي وهو مذهب مالك، والقول الآخر تفضيل ركعتي الفجر، والله أعلم.

(الثانية) من الرواتب **(راتبة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي أيضاً سنة مؤكدة)** كتأكيد ركعتي الفجر، **(وأربع قبلها وهي أيضاً سنة وإن كانت دون الركعتين الأخيرتين)** في التأكيد، والسبب في تأكيد الأخيرتين لأنها سنة متفق عليها بخلاف التي قبلها فإنه اختلف فيها فقيل: هما ركعتان، وقيل هي للفصل بين الأذان والإقامة.

(روى أبو هريرة رضي الله عنه) ولفظ القوت: روينا عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة **(عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل»).**

الليل». وكان ﷺ لا يدع أربعاً بعد الزوال يطيلهن ويقول: «إن أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن يرفع لي فيها عمل». رواه أبو أيوب الأنصاري وتفرد به.

قال العراقي: ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغاً من حديث ابن مسعود، ولم أره من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وفي المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن سيفان، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن بديل قال: حدثني أبطن الناس بعبدالله بن مسعود «أنه كان يصلي في بيته إذا زالت الشمس أربع ركعات يطيل فيهن فإذا تجاوب المؤذنون خرج فجلس في المسجد حتى تقام الصلاة».

(**وكان ﷺ لا يدع أربعاً بعد الزوال يطيلهن**) هكذا في القوت وهو الصواب، وفي غالب نسخ الكتاب: يصليهن. (**ويقول: «إن أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن يرفع لي فيها عمل**) قيل يا رسول الله: فيهنّ سلام فاصل؟ قال: لا». هكذا هذا الحديث بالزيادة المذكورة في القوت. (**رواه أبو أيوب**) خالد بن زيد (**الأنصاري**) رضي الله عنه. بدري، توفي شهيداً بحصار قسطنطينية وبها دفن سنة ٥١. يقال إنه وفد على ابن عباس بالبصرة فقال: إني أخرج عن مسكني كما خرجت لرسول ﷺ عن مسكنك فأعطاه ما أغلق عليه الدار، ولما قفل أعطاه عشرين ألفاً وأربعين عبداً وترجمته واسعة. (**وتفرد به**) أي بالحديث المذكور.

قال العراقي: أخرجه أحمد بسند ضعيف نحوه، وهو عند أبي داود، وابن ماجه مختصراً، وللترمذي نحوه من حديث عبدالله بن السائب وقال: حسن اهـ.

قلت: قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق، عن المسيب ابن رافع قال أبو أيوب الأنصاري: يا رسول الله ما أربع ركعات تواظب عليهن قبل الظهر؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن أبواب الجنة تفتح عند زوال الشمس فلا ترتج حتى تقام الصلاة فأحب أن أقوم».

حدثنا يحي بن آدم، حدثنا شريك، عن الأعمش، عن المسيب بن رافع، عن علي بن الصلت، عن أبي أيوب، عن النبي ﷺ نحوه اهـ.

وقال الطحاوي: حدثنا علي بن شيبة، حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا عبيدة الضبي ح.

وحدثنا ربيع الجيزي، حدثنا علي بن معبد، حدثنا عبيد الله بن عمر، وعن زيد بن أبي أنيسة، عن عبيدة ح.

وحدثنا ابن مرزوق، حدثنا أبو عامر، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن عبيدة عن إبراهيم النخعي، عن سهم بن منجاب، عن قزعة، عن القرثع، عن أبي أيوب الأنصاري قال: أدمن رسول الله ﷺ أربع ركعات بعد زوال الشمس، فقلت يا رسول الله: إنك تدمن هؤلاء الأربع ركعات فقال: «يا أبا أيوب إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء فلم ترتج حتى تصلى الظهر

فأحب أن يصعد لي فيهن عمل صالح قبل أن ترتج، فقلت يا رسول الله: أفي كلهن قراءة؟ قال: نعم. قلت: بينهن تسليم فاصل؟ قال: لا إلا التشهد».

وحدثنا عبد العزيز بن معاوية القرشي، حدثنا فهد بن حيان، حدثنا شعبة، عن عبيدة، عن إبراهيم، عن سهم بن منجاب، عن قزعة، عن القرثع، عن أبي أيوب، عن النبي ﷺ قال: «أربع ركعات قبل الظهر لا تسليم بينهن تفتح لهن أبواب السماء» اهـ.

قلت: وهذا السياق الأخير هو الذي أخرجه أبو داود، والترمذي في الشمائل، وابن خزيمة في الصلاة من حديث أبي أيوب. كلهم من طريق عبيدة، وهو ابن معتب الكوفي ضعفه أبو داود. وقال المنذري: لا يحتج بحديثه، وقرثع قال الذهبي ذكره ابن حبان في الضعفاء، ولذا قال يحي القطان وغيره: إن الحديث ضعيف.

فصل

في الأربع قبل الظهر من كان يستحبها.

قال أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن أبي سنان، عن أبي صالح قال، قال رسول الله ﷺ: «أربع ركعات قبل الظهر يعدلن بصلاة السحر».

وحدثنا وكيع، عن محمد بن قيس، عن عوف بن عبدالله بن عتبة عن أبيه قال: صليت مع عمر أربع ركعات قبل الظهر في بيته.

وحدثنا أبو الأحوص، عن حصين، عن عمرو بن ميمون قال: لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ يتركون أربع ركعات قبل الظهر وركعتين قبل الفجر على حال.

وحدثنا عباد بن عوام، عن حصين، عن ابراهيم قال، قال عبدالله: أربع قبل الظهر لا يسلم بينهن إلا أن يتشهد.

وحدثنا وكيع، عن مسعر، عن أبي صخرة عن عبدالله بن عتبة قال: رأيت عمر يصلي أربعاً قبل الظهر.

وحدثنا أبو أسامة عن عمر بن حمزة، عن ابن أبي نمر، عن سعيد بن المسيب أنه كان يصلي أربعاً قبلها.

وحدثنا وكيع، عن بشر، عن شيخ من الأنصار، عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ: «من صلى أربعاً قبل الظهر كن له كعتق رقبة من ولد إسماعيل».

وحدثنا وكيع، عن عكرمة بن عمار، عن سالم، عن ابن عمر أنه كان يصلي قبل الظهر أربعاً.

وحدثنا يزيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير أنه كان يصلي قبلها أربعاً.

وحدثنا يزيد بن هارون، عن الجريري، عن عبدالله بن شفيق، عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يصلي أربعاً قبل الظهر».

فصل

فيما ورد في طولهن:

قال أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن قابوس، عن أبيه قال: ارسل أبي إلى عائشة أي صلاة كانت أحب إلى رسول الله ﷺ أن يواظب عليها؟ قالت: كان يصلي أربعاً قبل الظهر يطيل فيهن القيام ويحسن فيهن الركوع والسجود.

وحدثنا جرير، عن عبد العزيز بن رفيع قال: رأيت ابن عمر يصلي أربعاً قبل الظهر يطيلهن.

وحدثنا أبو الأحوص، عن عبد العزيز بن رفيع، عن ابن عمر مثله.

وحدثنا وكيع، عن محمد بن قيس، عن ابن عوف الثقفي أن الحسن بن علي كان يصلي أربعاً قبل الظهر يطيل فيهن.

وحدثنا ابن أبي غنية، عن الصلت بن بهرام، عمن حدثه، عن حذيفة بن أسيد قال: رأيت علياً إذا زالت الشمس صلّى أربعاً طوالاً.

وحدثنا محمد بن عبيد، عن الأعمش، عن المسيب بن رافع، عن رجل أن عمر قرأ في الأربع قبل الظهر بـ «ق».

فصل

من كان يصلي قبل الظهر ثماني ركعات.

قال أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن الأعمش، عن المسيب بن رافع أن أبا أيوب كان يصلي ثماني ركعات قبل الظهر.

وحدثنا عبدة، عن عبدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر أنه كان يصلي ثماني ركعات قبل الظهر.

فصل

من كان يصلي بعد الظهر أربعاً.

قال أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا ابن علية، عن يونس، عن الحسن أنه كان يصلي بعد الظهر أربعاً.

وحدثنا عبدة، عن عبدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر أنه كان يصلي بعدها أربعاً.

ودلّ عليه أيضاً ما روت أم حبيبة زوج النبي ﷺ أنه قال: «من صلّى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بني له بيت في الجنة. ركعتين قبل الفجر وأربعاً قبل

وحدثنا أبو أسامة، عن عمرو بن حمزة، عن شريك بن أبي نمر، عن سعيد بن المسيب أنه كان يصلي بعدها أربعاً لا يطيل فيهن.

وحدثنا يزيد بن هارون، عن الأصبغ، عن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير أنه كان يصلي بعدها أربعاً.

وحدثنا وكيع، عن عكرمة بن عمار، عن سالم، عن ابن عمر أنه كان يصلي بعدها أربعاً.

فصل

ومما يدل على تأكد الأربع قبل الظهر قول من قال: إذا فاتت فصل بعدها أربعاً.

قال أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا شريك، عن هلال الوزان، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «كان رسول الله ﷺ إذا فاتته أربع قبل الظهر صلاّها بعدها».

وحدثنا وكيع، عن مسعر، عن رجل من بني أود، عن عمرو بن ميمون قال: من فاتته أربع قبل الظهر صلى بعدها.

فصل

أخرج ابن عدي عن حديث جرير: «من صلّى أربع ركعات عند الزوال قبل الظهر يقرأ في كل ركعة الحمد لله وآية الكرسي بنى الله له بيتاً في الجنة» الحديث. وقال: إنه غير محفوظ.

وأخرج ابن عساكر من حديث أنس: «من صلّى قبل الظهر أربعاً غفر له ذنوبه يومه».

وأخرج أحمد، وابن أبي شيبة، وابن زنجويه، والترمذي وقال: حسن غريب، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، عن أم حبيبة: «من صلى قبل الظهر أربعاً وبعدها أربعاً حرمه الله على النار».

وأخرج الطبراني في الأوسط، عن البراء «من صلى قبل الظهر أربع ركعات كأنما تهجد بهن من ليلته ومن صلاهن بعد العصاء كن كمثلهن من ليلة القدر».

(ودل عليه أيضاً ما روي عن أم حبيبة) رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية أمّ المؤمنين، **(زوج النبي ﷺ)**، وأمها صفية بنت أبي العاص بن أمية. هاجرت إلى الحبشة، وهلك زوجها فزوجها النجاشي من رسول الله ﷺ. توفيت سنة ٤٤ رضي الله عنها **(أنه ﷺ قال: «من صلّى في يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بنى الله له بيتاً في الجنة»)** هكذا أخرجه مسلم مختصراً.

الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب». وقال ابن عمر

وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن المسيب بن رافع، عن عنبسة بن أبي سفيان، عن أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن النبي ﷺ: «من صلّى في يوم وليلة اثنتي عشرة سجدة سوى المكتوبة بنى الله له بيتاً في الجنة».

ورواه أبو معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد فوقفه على أم حبيبة قالت: «من صلّى في يوم اثنتي عشرة سوى المكتوبة بني له بيت في الجنة».

وحدثنا عبدة بن حميد، عن داود بن أبي هند، عن النعمان بن سالم، عن عمرو بن أوس، عن عنبسة بن أبي سفيان، عن أم حبيبة قالت، قال رسول الله ﷺ: «من صلّى في يوم اثنتي عشرة سجدة بنى الله له بيتاً في الجنة». وقد روي بهذا اللفظ أيضاً من حديث عائشة وأبي هريرة.

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا وكيع عن مصرف بن واصل، عن عبد الملك بن ميسرة، عن عائشة قالت: «من صلّى أوّل النهار اثنتي عشرة ركعة بني له بيت في الجنة».

وحدثنا غندر، عن شعبة، عن منصور، عن أبي عثمان مولى المغيرة بن شعبة، عن أبي هريرة قال: «ما من عبد مسلم يصلي في يوم اثنتي عشرة ركعة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة».

وأخرجه النسائي والعقيلي من حديثه بلفظ: «من صلى في اليوم والليلة اثنتي عشرة ركعة تطوّعاً بنى الله له بيتاً في الجنة».

وأخرجه أحمد، وابن زنجويه، وأبو داود، وابن ماجه، وابن جرير من حديث أم حبيبة مثله، وأحمد والطبراني في الكبير من حديث أبي موسى الأشعري.

وأخرج ابن عساكر في التاريخ من حديث أم حبيبة بلفظ: «من صلّى اثنتي عشرة ركعة مع صلاة النهار بنى الله له بيتاً في الجنة».

وأخرج الطبراني في الكبير من حديثها بلفظ: «من صلّى في يوم اثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة ومن بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة».

وقد ورد تعيين أوقات الركعات في حديث أم حبيبة عند النسائي والحاكم وصححه وقال: على شرط مسلم، فقالا: (**ركعتين قبل الفجر، وأربعاً قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين قبل العصر، وركعتين بعد المغرب»**) وعند ابن جرير، وابن حبان، والطبراني، وابن عساكر في حديثها: «أربع ركعات قبل الظهر واثنتان بعدها واثنتان قبل العصر واثنتان بعد المغرب واثنتان قبل الصبح» وهذا التفاوت في السياق لا يضر، ولعل الحكمة في ابتداء أربع الظهر لأنها أوّل صلاة صليت بعد الافتراض والسنّة تبع للفرض ولذا اختاره صاحب المبسوط من أصحابنا، وأخرجه كذلك ابن زنجويه والترمذي وقال حسن صحيح من حديثها. وقد روي هذا التعيين أيضاً في غير حديث أم حبيبة.

رضي الله عنهما: حفظت من رسول الله ﷺ في كل يوم عشر ركعات، فذكر ما ذكرته أم حبيبة رضي الله عنها إلا ركعتي الفجر فإنه قال: تلك ساعة لَم يكن يدخل فيها على رسول الله ﷺ، ولكن حدثتني أختي حفصة رضي الله عنها أنه ﷺ كان

قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا إسحاق بن سليمان، عن مغيرة بن زياد، عن عطاء، عن عائشة قالت، قال رسول الله ﷺ: « من ثابر على اثنتي عشرة ركعة من السنّة بنى الله له بيتاً في الجنة أربعاً قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد العشاء وركعتين قبل الفجر ».

قلت: وهكذا أخرجه الترمذي وقال: غريب والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وليس فيه ذكر للركعتين قبل العصر.

قلت: قال الحافظ ابن حجر: ومغيرة بن زياد قال النسائي ليس بالقوي، وقال الترمذي: تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه، وقال أحمد: ضعيف، وكل حديث رفعه فهو منكر. وقال النسائي: هذا خطأ ولعل عطاء قال عن عنبسة فتصحف بعائشة. يعني أن المحفوظ حديث عنبسة عن أخته أم حبيبة.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن سليمان الأصبهاني، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: « من صلّى في يوم اثنتي عشرة ركعة بني له بيت في الجنة ركعتين قبل الفجر وركعتين قبل الظهر وركعتين بعد الظهر وركعتين أظنه قال قبل العصر وركعتين بعد المغرب وأظنه قال وركعتين بعد العشاء ».

قلت: وأخرجه ابن ماجه من رواية محمد بن سليمان الأصبهاني هكذا، وكذا النسائي من هذا الوجه لكن بدون تعدادها وقال: هذا خطأ. ومحمد بن سليمان ضعيف، وكذا قال أبو حاتم الرازي: هذا خطأ، والحديث بأم حبيبة أشبه. كذا في شرح التقريب.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الأعلى، عن الجريري، عن ابن بريدة، عن كعب قال: « اثنتا عشرة ركعة من صلاّها في يوم سوى المكتوبة دخل الجنة أو بني له بيت في الجنة ركعتان قبل الغداة وركعتان من الضحى وأربع ركعات قبل الظهر وركعتان بعدها وركعتان بعد المغرب ».

(وقال ابن عمر رضي الله عنهما: **حفظت عن رسول الله ﷺ في كل يوم عشر ركعات)** قال العراقي: متفق عليه واللفظ للبخاري ولم يقل في كل يوم اهـ. **(فذكر ما ذكرته أم حبيبة إلا ركعتي الفجر، فإنه قال: تلك الساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله ﷺ، ولكن حدثتني أختي حفصة أنه ﷺ كان يصلي في بيتها ركعتين ثم يخرج)** إلى المسجد.

يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج. وقال في حديثه: ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء. فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الأربعة. ويدخل وقت ذلك

(وقال) ابن عمر **(في حديثه)** كان يصلي **(ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء)** .

قال البخاري في الصحيح، باب التطوّع بعد المكتوبة، حدثنا مسدد، حدثنا يحي بن سعيد، عن عبيدالله، أخبرني نافع، عن ابن عمر قال: صليت مع النبي ﷺ سجدتين قبل الظهر وسجدتين بعد الظهر وسجدتين بعد المغرب وسجدتين بعد العشاء وسجدتين بعد الجمعة فأما المغرب والعشاء ففي بيته.

وحدثتني أختي حفصة أن النبي ﷺ كان يصلي سجدتين خفيفتين بعدما يطلع الفجر وكانت ساعة لا أدخل على النبي ﷺ فيها.

وقال بعد أربعة أبواب باب الركعتين قبل الظهر، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب عن نافع، عن ابن عمر قال: حفظت من رسول الله ﷺ عشر ركعات. ركعتين قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب في بيته، وركعتين بعد العشاء في بيته، وركعتين قبل صلاة الصبح كانت ساعة لا يدخل على النبي ﷺ فيها، حدثتني حفصة أنه كان إذا أذن المؤذن وطلع الفجر صلّى ركعتين اهـ.

وفي هذا الحديث رواية أحد الأخوين عن الآخر نظير حديث أم حبيبة فإنه من رواية عنبسة عنها وهما اخوان وفيه رواية الأقران، فإن حفصة وابن عمر صحابيان فاضلان. وفي سياق الحديث الأول ركعتان قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد الجمعة، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الصبح، فهذه عشر ركعات لأن الركعتين بعد الجمعتين لا تجتمعان مع الركعتين بعد الظهر إلا لعارض بأن يصلي الجمعة، وسنتها التي بعدها، ثم يتبين فسادها فيصلي الظهر ويصلي بعدها سنتها. قال الولي العراقي: قلته تفقهاً، وفي سياق حديثه الثاني ليس فيه ذكر ركعتي الجمعة.

(فصارت الركعتان) اللتان **(قبل الظهر آكد من جملة الأربعة)** .

إن قلت: قد يعارضه ما أخرجه البخاري من طريق شعبة عن ابراهيم بن محمد بن المنتشر، عن أبيه، عن عائشة: «أن النبي ﷺ كان لا يدع أربعاً قبل الظهر وركعتين قبل الغداة». وما أخرجه مسلم من طريق عبدالله بن شقيق قال: سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ فقالت: «كان يصلي في بيته قبل الظهر أربعاً ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين» وفي آخره: «وكان إذا طلع الفجر صلى ركعتين».

فالجواب أنه لا تعارض فإنه يحتمل أنه كان إذا صلى في بيته صلّى أربعاً وإذا صلى في المسجد فركعتين، فابن عمر إنما شاهده في المسجد فحكى ما رآه منه، وعائشة حكت ما رأت منه في

بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص المنتصبة مائلة إلى جهة الشرق، إذ يقع

بيته أو كان تارة يصلي أربعاً وتارة ركعتين أو كان الأربع ورداً مستقلاً بعد الزوال، وإلى هذا جنح المصنف فسمى الأربع هذه صلاة الزوال وهي غير سنّة الظهر التي قال ابن عمر إنهما ركعتان. نعم قيل في وجه عند الشافعية إن الأربع قبلها راتبة عملاً بحديثها، وبه أخذ أصحابنا. فقال صاحب الهداية: السنّة ركعتان قبل الفجر، وأربع قبل الظهر وبعدها ركعتان، وأربع قبل العصر وإن شاء ركعتين، وركعتان بعد المغرب، وأربع قبل العشاء وأربع بعدها، وإن شاء ركعتين. وذهب مالك في المشهور عنه أنه لا رواتب في ذلك ولا توقيت إلا في ركعتي الفجر، وذهب العراقيون من المالكية إلى استحباب الركعتين بعد الظهر وقبل العصر وبعد المغرب حكاه صاحب المفهم.

(**ويدخل وقت ذلك بالزوال**) أي زوال الشمس من كبد السماء وهي سبعة أزولة. ثلاثة منها لا يعلم بها البشر.

الزوال الأول: تزوّله عن قطب الفلك الأعلى لا يشهد ولا يعلمه إلا الله عز وجل.

الزوال الثاني: عن وسط الفلك لا يعلمه من خلق الله تعالى إلا خزان الشمس الموكلون بها الذين يسوقونها على العجلة المركبة في الفلك ويرمونها بجبال الثلج لينكسر حرها ويخمد شعاعها عن العالمين.

الزوال الثالث: يعلمه ملائكة الأرض.

ثم أن **الزوال الرابع**: يكون على ثلاث دقائق وهو ربع شعيرة، والشعيرة جزء من اثني عشر جزءاً من ساعة، فهذا الزوال تعرفه الفلاسفة من المنجمين أهل العلم بمساحة الفلك وتركيب الأفلاك فيه، وتقدير سير الشمس في الشتاء والصيف في فلكها منه يقومون ذلك بالنظر في المرتحلات الطالعة في التقويم.

فإذا زالت **الزوال الخامس**: نصف شعيرة وهي ست دقائق عرف زوالها أهل الحساب والتقاويم الاسطرلاب الطالع.

فإذا زالت شعيرة أخرى وهو **الزوال السادس** المشترك. وهو جزء من اثني عشر جزءاً من ساعة عرف زوالها علماء المؤذنين وأصحاب مراعاة الأوقات.

فإذا زالت ثلاث شعيرات فهو **الزوال السابع**: وهو ربع ساعة عرف الناس كلهم زوالها، وعند هذا الوقت صلاة الكافة وهو أوسط الوقت وأوسعه وذلك واسع برخصة الله تعالى ورحمته، وهذا كله لبعد منصب السماء ولاستواء تقويم صنعتها في الأفق الأعلى ولاتفاق صنعتها في الجوّ المتحرق علواً، وفي الأقطار المتسعة المستديرة استواء وإملساساً، وإلى الزوال السادس المشترك أشار المصنف بقوله:

(**والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص المنتصبة**) حالة كون ذلك الظل (**مائلاً إلى**

للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار ، فيكون ذلك منتهى نقصان الظل. فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر . ويعلم قطعا أن الزوال في علم الله سبحانه وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط إلا بما يدخل تحت

جهة المشرق) ، وينبغي أن تعرف أن المقياس شخص مستو إما قائم على سطح الأفق ، وإما قائم على السطح القائم على سطح الأفق، فيكون موازياً لسطح الأفق، وهو إما أن يقسم باثني عشر وتسمى أصابع ، وإما أن يقسم بسبعة وتسمى أقداماً ، وإما أن يقسم بأقسام أخر فيستعمل ظله في وجوه من الأعمال.

الظل الأوّل: لكل قوس هو المأخوذ من المقاييس الموازية لسطح الأفق وهو خط يخرج من أصل المقياس مواز لجيب القوس وهو الظل المنكوس.

والظل الثاني: هو المأخوذ من المقاييس القائمة على سطح الأفق ويقال له المستوى والمبسوط ، والظل الأوّل هو الموضوع في الجدول لحساب الأبواب، والظل الثاني: هو الموضوع في الجدول لمعرفة الأقدام والأصابع عند انتصاف النهار ، ويثبت في التقاويم والمقياس أي أجزاء فرض جاز غير أن الأسهل في حساب الأبواب أن تكون أجزاؤه ستين، ولذلك وضع الظل الأوّل على أن المقياس ستون جزءاً ، والظل الثاني على أن المقياس اثنا عشر أصبعاً أو سبعة أقدام ، وإذا كان أجزاء المقياس أجزاء بعينها فإن الظل الأوّل لكل قوس هو الظل الثاني لتمام تلك القوس، وكل عدد فسواء ضرب في ظل قوس أو قسم على ظل تمام القوس، فإن المبلغ من الضرب والحاصل من القسمة شيء واحد ، وقطر الظل هو الخط الواصل بين رأس المقياس ونهاية الظل، **(إذ يقع للشخص ظل عند الطلوع)** أي طلوع الشمس **(إلى جانب المغرب مستطيلاً فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص)** على قدر ارتفاعها **(وينحرف عن جهة المغرب إلى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها)** في كبد السماء **(وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل، فإذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع أخذ الظل في الزيادة)** قليلاً قليلاً **(فمن حيث تصير الزيادة مدركة بالحس يدخل وقت الظهر)** ولكن مقادير الظل تختلف باختلاف الأقاليم وباختلاف البلدان والأقطار ، **(ويعلم قطعاً أن الزوال في علم الله تعالى وقع قبل ذلك)** .

قال صاحب القوت: ورويناً في الخبر أن النبي ﷺ سأل جبريل عليه السلام فقال: « هل زالت الشمس؟ فقال: لا . نعم. فقال: كيف هذا ؟ فقال: من قولي لك لا ، نعم. قطعت الفلك خمسين ألف فرسخ » فكان النبي ﷺ سأل عن زوالها على علم الله سبحانه وتعالى اهـ.

(ولكن التكاليف) الشرعية **(لا ترتبط إلا بما يدخل في الحس)** والمعاينة وما لا يدرك

الحس. والقدر الباقي من الظل الذي هو منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس أوّل الجدي، ومنتهى قصره بلوغها أوّل السرطان،

كذلك لا يتعلق به تكليف **(والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس أوّل)** برج **(الجدي)** الذي هو ثامن البروج في سادس عشر كانون الأول الرومي، وخامس عشر كيهاك القبطي، **(ومنتهى قصره بلوغها أوّل)** برج **(السرطان)** الذي هو رابع البروج بعد انتصاف النهار من اليوم الثامن عشر من حزيران الرومي لساعتين وعشر ساعة وسادس عشر بؤنة القبطي، **(ويعرف ذلك بالأقدام والموازين)**، فقد قال تعالى: ﴿ألم ترَ إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ [الفرقان: ٤٥] وقال تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ [الإسراء: ١٢] الآية، وقال تعالى: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ [الرحمن: ٥] وفي حديث أبي الدرداء وكعب الأحبار في صفة هذه الأمة يراعون الظلال لإقامة الصلاة، وأحب عباد الله إلى الله عز وجل الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله عز وجل.

وفي القوت، قال بعض العلماء بالحسبان والأثر من أهل الحديث: إن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة وإن الساعة ثلاثون شعيرة، ويأخذ كل واحد من صاحبه في كل يوم شعيرة حتى تستكمل الساعة في شهر، وبين أول الشهر وآخره ثلاثون درجة الشمس كل يوم في درجة.

قال: وتفسير ذلك أنه إذا مضى من أيلول سبعة عشر يوماً استوى الليل والنهار، ثم يأخذ الليل من النهار من ذلك اليوم في كل يوم شعيرة حتى يستكمل ثلاثين يوماً فيزيد ساعة حتى يصير سبعة عشر يوماً من كانون الأول، فينتهي طول الليل وقصر النهار، وكانت تلك الليلة أطول ليلة في السنة وهي خمس عشرة ساعة، وكان ذلك أقصر يوم في السنة وهو تسع ساعات، ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى إذا مضت سبع عشرة ليلة من آذار استوى الليل والنهار، وكان كل واحد منهما اثنتي عشرة ساعة، ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى إذا مضى سبعة عشر يوماً من حزيران كان نهاية طول النهار وقصر الليل فيكون النهار يومئذ خمسة عشر ساعة والليل تسع ساعات، ثم ينقص من النهار كل يوم شعيرة حتى إذا مضت سبع عشرة ليلة من أيلول استوى الليل والنهار ثم يعود الحساب مع ذلك اهـ.

قلت: والساعات عند أهل هذا الفن على قسمين: مستوية وهي التي يختلف عددها بطول النهار وقصره وتتساوى أجزاؤها وهي خمسة عشر جزءاً من أجزاء معدل النهار، وزمانية وهي التي يتساوى عددها مع طول النهار وقصره وهي اثنتا عشرة ساعة ابداً وتختلف أجزاؤها.

ثم قال صاحب القوت، فمواقيت الصلاة من ذلك أن الشمس إذا وقفت فهو قبل الزوال، فإذا زالت بأقل القليل فذلك أوّل وقت الظهر، فإذا زادت على سبعة أقدام بعد الزوال فقد دخل أوّل وقت العصر وهو آخر وقت الظهر.

وقد روينا عن سفيان الثوري قال: أكثر ما تزول عليه الشمس تسعة أقدام وأقل ما تزول عليه قدم.

وروينا عن أبي مالك سعد بن طارق الأشعري، عن الأسود بن يزيد أن ابن مسعود قال: كانت قدر صلاة الظهر مع رسول الله ﷺ في الصيف ثلاثة أقدام إلى خمسة أقدام، وفي الشتاء خمسة أقدام إلى ستة أقدام. قال: والذي جاء في الحديث: إن الشمس إذا زالت بمقدار شراك فذاك وقت الظهر إلى أن يصير ظل كل شيء مثله فذلك آخر وقت الظهر، وأوّل وقت العصر فكذا صلى رسول الله ﷺ في أوّل يوم، ثم صلى من الغد الظهر حين صار ظل كل شيء مثله فذلك آخر وقت الظهر وأوّل وقت العصر، ثم صلى العصر حين صار ظل كل شيء مثلـه وقال: بين هذين وقت، فإذا أردت أن تقيس الظل حتى تعرف ذلك فانصب عوداً أو قم قائماً في موضع من الأرض مستو، ثم اعرف موضع الظل ومنتهاه، فخط على موضع الظل خطاً ثم انظر أينقص الظل أم يزيد، فإن كان الظل ينقص، فإن الشمس لم تَزُل بعد ما دام الظل ينقص، فإذا قام الظل فذلك نصف النهار، ولا يجوز في هذا الوقت الصلاة، فإذا زاد الظل فذلك زوال الشمس إلى طول ذلك الشيء الذي قست به طول الظل وذلك آخر وقت الظهر، فإذا زاد الظل بعد ذلك قدماً فقد دخل وقت العصر حتى يزيد الظل طول ذلك الشيء مرة أخرى فذلك وقت العصر الثاني، فإذا قمت قائماً تريد أن تقيس الظل بطولك فإن طولك سبعة أقدام بقدمك سوى قدمك الذي تقوم عليها، فإذا قام الظل فاستقبل الشمس بوجهك ثم مر إنساناً يعلم طرف ظلك بعلامة، ثم قس من عقبك إلى تلك العلامة فإن كان بينهما أقل من سبعة أقدام سوى ما زالت عليه الشمس من الظل فإنك في وقت الظهر ولم يدخل وقت العصر، ثم ان الاقدام تختلف في الشتاء والصيف فيزيد الظل وينقص في الأيام، فمعرفة ذلك أن في استواء الليل والنهار لسبعة عشر يوماً من آذار فإن الشمس تزول يومئذ. وظل ذلك ظل كل شيء ثلاثة أسباعه ثم ينقص الظل، وكلما مضت ستة وثلاثون يوماً نقص الظل قدماً حتى ينتهي طول النهار وقصر الليل في سبعة عشر من حزيران، فتزول الشمس يومئذ وظل الإنسان نصف قدم، وذلك أقل ما تزول عليه الشمس، ثم يزيد الظل فكلما مضت ستة وثلاثون يوماً زاد الظل قدماً حتى يستوي الليل والنهار في سبعة عشر يوماً من أيلول فتزول الشمس يومئذ والظل على ثلاثة أقدام ثم يزيد الظل، وكلما مضى أربعة عشر يوماً زاد الظل قدماً حتى ينتهي طول الليل وقصر النهار وذلك في سبعة عشر يوماً من كانون الأوّل فتزول الشمس يومئذ على تسعة أقدام ونصف قدم وذلك أكثر ما تزول الشمس يومئذ عليه، ثم كلما مضى أربعة عشر يوماً زاد الظل قدماً حتى ينتهي إلى سبعة عشر يوماً من آذار فذلك استواء الليل والنهار، وتزول الشمس على ثلاثة أقدام وذلك دخول الصيف وزيادة الظل الذي ذكرناه في كل ستة وثلاثين يوماً قدم في الصيف والقيظ وزيادته في كل أربعة عشر يوماً قدم في الربيع والشتاء. هكذا ذكره بعض المتأخرين من علماء النجوم.

وقد ذكر غيره من القدماء قريباً من هذا وذكر زوال الشمس بالأقدام في شهر شهر، وخالف هذا في حدين من نهاية الطول والقصر قدمين، فذكر أن أقل ما تزول عليه الشمس في حزيران على قدمين، وأن أكثر ما تزول عليه الشمس في كانون ثمانية أقدام، فكان الأوّل هو أدق تحديداً وأقوم تحريراً، وذكر هذا أن الشمس تزول في أيلول على خمسة أقدام، وفي تشرين الأوّل على ستة، وفي تشرين الآخر على سبعة، وفي كانون على ثمانية. قال: وذلك منتهى قصر النهار وطول الليل وهو أكثر ما تزول عليه الشمس، ثم ينقص الظل ويزيد النهار فتزول الشمس في كانون الآخر على سبعة أقدام، وتزول في شباط على ستة أقدام، وفي آذار على خمسة وذلك استواء الليل والنهار، وتزول في نيسان على أربعة أقدام، وتزول في أيار على ثلاثة أقدام، وتزول في حزيران على قدمين فذلك منتهى طول النهار وقصر الليل وهو أقل ما تزول عليه الشمس، فيكون النهار خمسة عشر ساعة والليل تسع ساعات، وتزول في تموز على ثلاثة أقدام وفيه يستوي الليل والنهار اهـ.

قلت: وذكر أبو حنيفة الدينوري في كتاب الزوال على حساب الخط الذي عليه الدينور شرقاً وغرباً من الأرض، وهو كل بلد يبلغ طول النهار فيه إلى أن يكون أربع عشرة ساعة وثلثا ساعة أن مقادير ظلال نصف النهار بها وبجميع ما على سمتها إذا استوى الليل والنهار في اليوم السادس عشر من آذار.

آذار في ستة عشر منه أربع أقدام ونصف وثلث قدم، وفي ستة وعشرين منه أربع أقدام وعشر وثلث عشر قدم.

نيسان في ستة منه ثلاثة أقدام وثلث وخمس قدم، وفي ستة عشر منه ثلاث أقدام، وفي ستة وعشرين منه قدمان ونصف.

أيار في ستة منه قدمان وعشر وثلثا عشر، وفي ستة عشر منه قدم ونصف وربع وثلث عشر، وفي ستة وعشرين منه قدم ونصف ونصف عشر.

حزيران في ثمانية منه قدم وربع وسدس، وفي ثمانية عشر منه قدم وخمس وسدس، وفي ثمانية عشرين منه قدم وربع وسدس.

تموز في تسعة منه قدم ونصف ونصف عشر، وفي تسعة عشر منه قدم ونصف وربع وثلث عشر، وفي تسعة وعشرين منه قدمان وعشر وثلثا عشر.

آب في تسعة منه قدمان ونصف وربع، وفي تسعة عشر منه ثلاثة أقدام، وفي تسعة وعشرين منه ثلاثة أقدام وثلث وخمس.

أيلول في تسعة من أيلول أربع اقدام وعشر وثلث عشر، وفي تسعة عشر منه أربع أقدام ونصف وثلث، وفي تسعة وعشرين منه خمس أقدلم وثلث وربع.

تشرين أول في ثمانية منه ست أقدام وخمسا قدم، وفي ثمانية سبع أقدام وسدس عشر، وفي ثمانية وعشرين منه ثماني أقدام وخمس.

تشـرين ثاني في سبعة منه تسع أقدام وعشر، وفي سبعة عشر منه تسع أقدام وتسعة أعشار وثلث عشر، وفي سبعة وعشرين منه عشرة أقدام وستة اعشار وثلث عشر.

كـانون أول في ستة منه احدى عشرة قدماً وعشر، وفي ستة عشر منه إحدى عشرة قدماً وسدس وعشر، وفي ستة وعشرين منه إحدى عشرة قدماً وعشر.

كـانون ثاني في خمسة منه عشرة أقدام وستة اعشار وثلث عشر، وفي خمسة عشر منه تسع أقدام وتسعة أعشار وثلث عشر. وفي خمسة وعشرين منه تسع أقدام وعشر.

شباط في ثلاثة منه ثماني أقدام وخمس قدم، وفي ثلاثـة عشر منـه سبـع أقـدام وربـع وثلـث عشر قدم، وفي ثلاثة وعشرين منه ست أقدام وخمسا قدم.

آذار فـي ستة منه خمس أقدام ونصف ونصف سدس.

فعلى هذا مقادير الظلال بالدينور، ومما يزيد من الحقيقة قرباً أن تجعل مقادير الظل في خمسة أيام. الأول: من العشرة مثل ظل أول العشرة، وأن تجعل مقادير ظل الخمسة الأخيرة من العشرة مثل ظل آخر العشرة فتعمل بالأقرب ليكون من الحقيقة أقرب، فالزوال أول وقت الظهر، فمن أراد علم أول وقت العصر نظر كم ظل الزوال في اليوم الذي هو فيه والبلد الذي هو فيه، ثم زاد عليه سبع أقدام، ثم رصد الفيء حتى يصير مثل ذلك، فلذلك أول وقت العصر، وما أكثر من يغلط في هذا الموضع إذا سمع ما جاء به بعض الخبر مجملاً بأن أول وقت العصر إذا صار ظل كل شيء مثليه، ولم يسمع الخبر المفسر بأن أول وقت العصر إذا كان الظل مثل الشيء ومثل ظل الزوال، وهو هذا الذي قد بينته من أن تزيـد على ظل الزوال أبداً سبع أقدام، ولو أن انساناً لم يصلِّ العصر أبداً حتى يصير ظل الشيء مثليه لمكث في الشتاء أشهراً لا يصلي العصر، ولاسيما في البلدان الشمالية، ومن نظر إلى اقدار الظل في كل اقليم تبين له ذلك ووقف عليه، وكذلك ان لم يصلّ الظهر حتى يصير ظل كل شيء مثله مكث في الصيف أشهراً لا يصلي الظهر، ولاسيما في البلدان الجنوبية فافهم ذلك.

ومن أراد أن يعرف ظل نصف النهار بالقياس فليتحر وقت نصف النهار وليكن ذلك قبيل انتصافه، ثم لينصب المقياس ولينظر كم الظل من قدم ثم ليثبت قليلاً ثم ليعد القياس، فإن وجد الظل قد نقص فإن الشمس لم تزل، وإن وجده قد زاد فقد فاته الزوال ومضى، فإن وجد الظل ينقص فليقس أبداً حتى يجده قد اختفى الزيادة، فإذا زاد فذلك حين زالت الشمس فلينظر على كم قدم زالت من أقدام المقياس فذلك هو ظل الزوال في ذلك اليوم، وبه يعرف وقت العصر على ما بينته لك.

ويعرف ذلك بالأقدام والموازين. ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الأرض لوحاً مربعاً وضعاً مستوياً بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب، بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب إلى الأرض، ثم توهمت خطاً من مسقط الحجر إلى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين أي لا يكون الخط مائلاً إلى أحد الضلعين، ثم تنصب عموداً على اللوح نصباً مستوياً في موضع علامة « ه » وهو بإزاء القطب فيقع ظله على اللوح في أول النهار مائلاً إلى جهة المغرب في صوب خط « ا » ثم لا يزال يميل إلى أن ينطبق على خط « ب » بحيث لو مدّ رأسه لانتهى على الاستقامة إلى مسقط الحجر، ويكون موازياً للضلع الشرقي والغربي غير مائل إلى أحدهما، فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع، فإذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح إلى

واعلم أن لكل بلد خطاً من السماء عليه تزول الشمس الدهر كله، فمن أراد أن يعلمه فلينظر إلى مطلع الشمس في أي يوم شاء ويعلم لذلك الموضع علامة من الأرض ويحفظها، ثم يقدر ببصره النصف مما بين العلامتين وليحتط بذلك أشد الاحتياط، فحيث وجده فليعلم له علامة من الأرض لتكون محفوظة عنده أبداً، ثم ليعلم أن الشمس تزول أبداً على الخط الذي يأخذه من تلك العلامة إلى محاذاة الرأس لا يخرم عنه إذا هو أخذ ذلك بتقدير صحيح، وليعلم أن نصف النهار هو أبداً من طلوع الشمس إلى مصيرها على هذا الخط إلى أن تغيب، ثم اعلم أن فصل أزمان هذا التقدير هو عند أقصر ما يكون النهار، وذلك لأن مطلع الشمس يقرب من مغربها فيكون إصابة النصف مما بينهما بالنظر والتقدير أسهل والخطأ فيه أقل اهـ.

(ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته أن يلاحظ القطب الشمالي بالليل) وهو الذي يلي الجدي وليس بكوكب بل هو نقطة من الفلك، **(ويضع على الأرض لوحاً مربعاً وضعاً مستوياً بحيث يكون أحد أضلاعه من جانب القطب، بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب إلى الأرض، ثم توهمت خطاً من مسقط الحجر إلى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين أي لا يكون الخط مائلاً إلى أحد الضلعين ثم تنصب عوداً)** وفي نسخة: عموداً **(على اللوح نصباً مستوياً في موضع علامة «ه» وهو بإزاء القطب فيقع ظله)** على اللوح (في أول النهار مائلاً إلى جهة المغرب في صوب **الخط، « ١ » ثم لا يزال)** الظل **(يميل إلى أن ينطبق على الخط بحيث لو قدر مدّ رأسه لانتهى على الاستقامة إلى مسقط الحجر)** المفروض **(ويكون موازياً)** أي متابلاً **(للضلع الشرقي والغربي)** من المربع **(غير مائل إلى أحدهما)** أي الضلعين، **(فإذا بطل ميله إلى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع، فإذا انحرف)** الظل على الخط الذي هو **(على**

جانب الشرق فقد زالت الشمس. وهذا يدرك بالحس تحقيقاً في وقت هو قريب من أول الزوال في علم الله تعالى، ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة، فإذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذه القدر لا بأس بمعرفته في علم الزوال وهذه صورته:

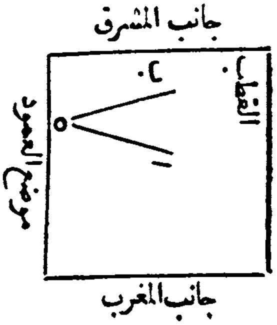

اللوح إلى جانب الشرق فقد زالت الشمس). وهكذا ذكره الدينوري في كتاب الزوال، ومحمد بن شجاع الثلجي من أصحابنا، وقاضي زاده الرومي في شرح الملخص للجغميني أورده نحواً منه، وتلاه صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود في شرح الوقاية على ما يذكر فيما بعد. **(وهذا يدرك بالحس تحقيقاً في وقت هو قريب من أول الزوال في علم الله تعالى)** مما يعلمه أهل العلم به، **(ثم تعلّم برأس الظل)** وفي نسخة على رأس الظل **(عند انحرافه علامة، فإذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود القائم دخل وقت العصر)** وهو أيضاً آخر وقت الظهر، **(فهذا القدر)** من علم الهيئة **(لا بأس بمعرفة)** للمريد **(في علم الزوال)**، وكذلك ما يستعين به على معرفة القبلة وما زاد عن ذلك فهو علم لأهله، لكن المريد في طريق الآخرة في غنى عنه **(وهذا صورته)** هكذا:

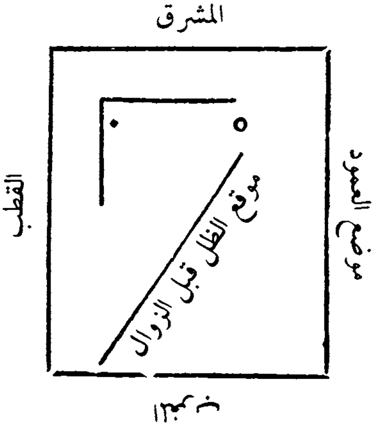

هكذا وجد رسم هذا اللوح في نسخة صحيحة بخط الشيـخ شمس الديـن الحريـري، ووقـع في نسخ كثيرة من هذا الكتاب تفاوت في رسمـه على انحاء مختلفة والتعويل على ما رسم ههنا.

وقال صدر الشريعة: طريقة معرفة ظل الزوال وفيئه أن يسوّي الأرض بحيث لا يكون بعض جوانبها مرتفعاً ومنخفضاً إما بصب الماء أو بنصب موازين المتقنين وترسم عليها دائرة وتسمى بالدائرة الهندية، وينصب في مركزها مقياس قائم بأن يكون بعد رأسه عن ثلاث نقط من محيط الدائرة متساوياً، لكن قامته بمقدار ربع قطر الدائرة فرأس ظله في أوائل النهار خارج الدائرة، ولا شك أن الظل ينقص إلى أن يدخل في الدائرة فتضع علامة على مدخل الظل من محيط الدائرة، ولا شك أن الظل ينقص إلى حدّها ثم يزيد إلى أن ينتهي إلى محيط الدائرة ثم يخرج، وذلك بعد نصف النهار فتضع علامة على مخرج الظل فتنصف القوس التي بين مدخل الظل ومخرجه وترسم خطاً مستقيماً من منتصف القوس إلى مركز الدائرة مخرجاً من الطرف الآخر إلى المحيط، فهذا الخط هو خط نصف النهار، فإذا كان ظل المقياس على هذا الخط فهو نصف النهار والظل الذي في هذا الوقت هو فيء الزوال، وهذه صورة الدائرة كما رسمها بعض المتقنين في هذا الفن.

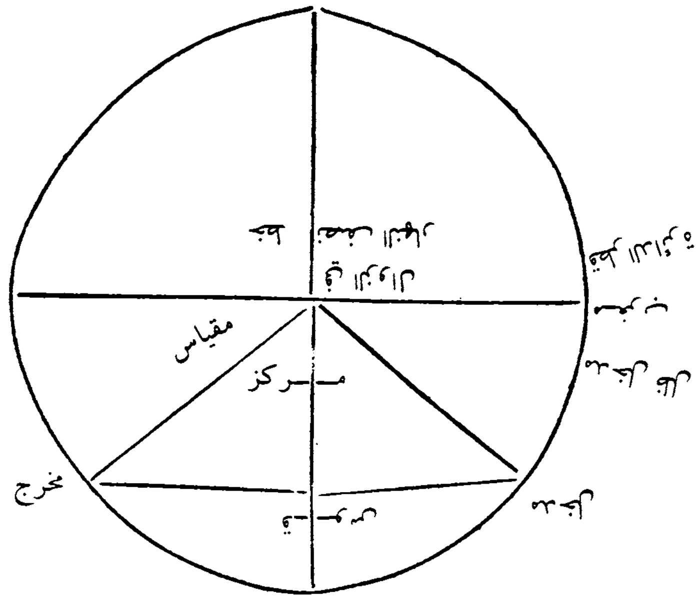

وقوله: وينصب في مركزها مقياس أي مخروطي، وهو جسم محيط به، ودائرة وهي قاعدته، وسطح مستدير يرتفع من محيط هذه الدائرة وينتهي إلى نقطة رأس المخروط. وقوله: عن ثلاث

نقط إنما اشترط ذلك لأن التربيع لا يستقيم في نصف المدوّر، وإنما يشترط أن يكون بعد رأس المقياس مساوياً لثلاثة جوانبه. وقوله: لكن قامته أي قامة المقياس بمقدار ربع الدائرة وهو الخط المنصف للدائرة وهو المسمى بخط الاستواء، وسيأتي فيه كلام.

وقال قاضي زاده في شرح الملخص في الكلام على معرفة خط نصف النهار وخط الاعتدال: تسوّى الأرض غاية التسوية بحيث لو صب فيها ماء لسال من جميع الجهات بالسوية، أو وضع عليها مترجرج كالزئبق، أو متدحرج كالبندقة وقف عليها مرتعداً مهتزاً، وذلك بأن يدار عليها مسطرة مصححة الوجه مع اثبات وسطها بحيث تماسها في جميع الدورة، ثم توزن بمثلث للنجارين يعلقون الشاقول منه بأن يوضع قاعدته عليها، ويسوّى ما ارتفع وما انخفض من الأرض إلى أن يصير بحيث لو دارت القاعدة على جميعها لا يميل خيط الشاقول عن عمود المثلث، وهو خط يخرج من رأسه إلى قاعدته عموداً عليها، فوجه هذه الأرض هو السطح الموزون، وقد يوزن السطح على رخام أو غيره، فحينئذ يجب إثباته لئلا يتغير حد وضعه ووزنه، ثم يدار فيها دائرة بأي بُعد كان بشرط أن لا تبلغ إلى أطراف الموزون، بل يكون بينها وبين محيطها أكثر من أصبع، وتسمى هذه الدائرة الهندية وينصب على مركزها مقياس مخروط معتدل في الرقة والغلظ طوله ربع قطرها هكذا جرت العادة.

وأما الواجب فيه فهو أن يكون بحيث يكون ظله أقصر من نصف قطر الدائرة قصوراً صالحاً نصباً على زوايا قائمة بحيث يكون مركز قاعدته منطبقاً على مركزها، ويعرف ذلك بتساوي البعد بين محيطيها في جيمع الجهات، وطريقه: أن ترسم دائرة أخرى على مركز الهندية مساوية لمحيط القاعدة، وينطبق محيطها على محيط تلك الدائرة ويعرف كونه على زوايا قائمة إما بالشاقول وهو خيط يشد بأحد طرفيه ثقيل، وذلك بأن يكون بعد خيطه من رأس المقياس في جميع الجوانب واحداً إما بحيث يماس قاعدته وإما بأن يقدر ما بين رأس المقياس والمحيط بمقدار واحد من ثلاث نقط من المحيط، وترصد رأس الظل عند وصوله إلى محيطها للدخول فيها مما يلي المغرب قبل الزوال وبعده للخروج عنها مما يلي المشرق وينصف رأس عرض الظل في موضع الوصول، فإن نقطة الوصول من المحيط هو هذا المنتصف، وتعلم على كلتي نقطتي الوصول وتنصف القوس التي بينهما من أي جهة كانت، وتخرج من منتصفها خطاً مستقيماً يمر بالمركز إلى أي بُعد شئت، فهو خط نصف النهار ويسمى خط الزوال أيضاً، وقد قطع ذلك الخط الدائرة بنصفين بمروره بمركزها، فتخرج منه منتصفي النصفين خطاً يقطع خط نصف النهار عند المركز على زوايا قائمة. إذ مقدار كل منها ربع المحيط وهو خط المشرق والمغرب المسمى بخط الاعتدال أيضاً، فتنقسم الدائرة بهذين الخطين أربعة أقسام، ثم يقسم كل منها بستين جزءاً للاحتياج إليها في بعض الأعمال.

واعلم أن لاستخراج هذين الخطين مسالك أخر إلاّ أن الأشهر هو المسلك المذكور، ولا شك

أنه مبني على كفاء الشمس حين وصول رأس الظل إلى محيط الدائرة قبل الزوال وبُعده على مدار واحد من المدارات اليومية الموازية لمعدل النهار وليس كذلك في الحقيقة، فإذاً ينبغي أن يراعى عدة أمور ليقرب العمل من التحقيق كأن تكون الشمس في الانقلاب الصيفي أو قريباً منه لبطء حركة الميل المخل بالموازاة هناك، وكون الظل أبين في الصيف لصفاء الهواء وشدة الشعاع وقلة عوارض الجو المانعة من أخذ الظل، وأن لا تكون قريبة من الأفق إذا لا يتحقق أطراف الظل عند ذلك لتشتتها، ولا من نصف النهار لبطء تقلص الظل وانبساطه عنده، فلا يتعين وقت الوصول والخروج. فإذا روعيت هذه الشرائط تتحفظ الموازاة بقدر الإمكان ويتبين الظل من تشتت طرفه وبطء حركته وهذه صورتها: اهـ نص قاضي زاده في شرح الملخص.

السمت في جانب المشرق

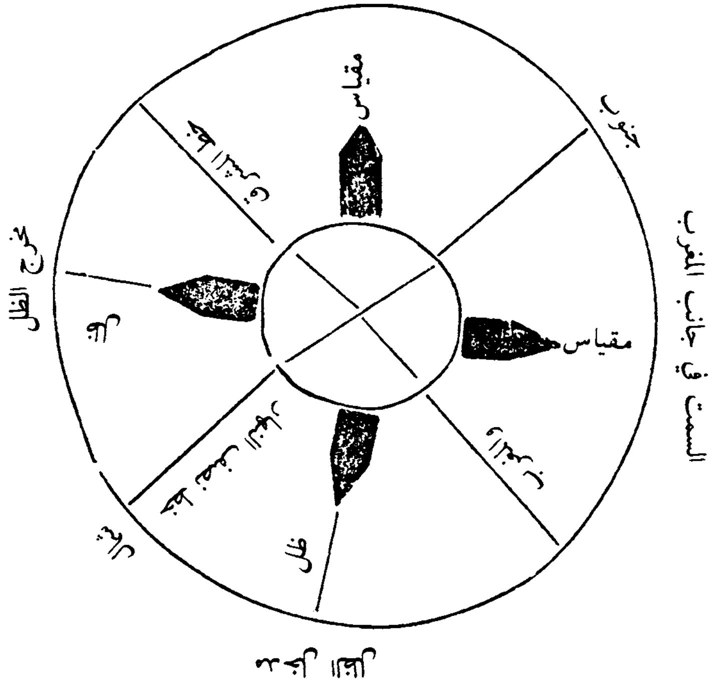

وقد نازع بعض أصحابنا من أهل العصر قوله؛ وطوله أي المقياس رُبع قطرها بما نصه: هذا الحكم ليس بكلي بل حكمه جار في العروض الشمالية، وذلك إذا كانت الشمس في مدار السرطان، وأما إذا كانت في مدار الجدي فيجري حكمه إلى عرض «لط» فقط ثم في عرض أربعين لا يكون مدخل الظل ولا المخرج بل يماس المحيط لأن ظل الغاية ضعف المقياس، فهذا أول عرض يتفق ذلك، فكلما زاد العرض على «لط» يجب أن يكون طول المقياس أقصر قصوراً صالحاً. مثلاً: في عرض ما إذا كانت الشمس في أول الجدي يكون ظل الغاية هناك خمساً

وعشرين درجة، فلا يكون مدخل الظل بل يبقى خارج الدائرة قدر جزء من أجزاء القامة، فيجب أن يكون طوله أقصر من رُبع القطر، ولو قدر جزء من أجزائها وفي عرض « مج » إذا كانت الشمس في رأس الجدي يكون ظل الغاية ستاً وثلاثين درجة وهي ثلاث قامات، فيجب أن يكون طوله أقصر من سُدس القطر حتى يكون مدخل الظل، لأنه إن كان طوله قدر سُدس القطر فلا مدخل ولا مخرج بل يماس المحيط، وفي عرض « نه » يكون ظل الغاية ستاً وأربعين درجة، فيجب أن يكون طوله مقدار ثُمن قطر الدائرة وفي عرض « ند » يكون ظل الغاية أربع قامات ونصف، فيجب أن يكون طوله مقدار عُشر القطر، وفي عرض تمام الميل الكلي إذا كانت الشمس في رأس الجدي لا يطلع شيء من مداره، بل يكون أبدي الخفاء. فهذا آخر عرض يتعذر فيه العمل، لأنه لو فرض أن غاية الارتفاع درجة واحدة لكان ظلها الغاية أربعاً وخمسين قامة ونصف قامة، والحال انه ليس كذلك اهـ.

تنبيه:

قد ذكر الشيخ عبد العلي بن محمد البرجندي في حاشيته على شرح الملخص المذكور مسالك لاستخراج هذين الخطين.

منها: أن يخرج من قاعدة المقياس خط مستقيم على استقامة الظل قبل نصف النهار، ويؤخذ الارتفاع في تلك الحالة ثم ينظر بعد نصف النهار إذا صار الارتفاع مثل الارتفاع الأول يخرج من قاعدة القياس خط آخر على استقامة الظل، فيحصل في الأغلب زاوية ينصف تلك الزاوية، فالخط المنصف هو خط نصف النهار.

ومنها: أنه يرصد الظل للمقياس قبل نصف النهار، ويعلّم على رأسه علامة، ثم يرصد الظل بعد نصف النهار إلى أن يصير مثل الظل الأول، ويعلّم على رأسه علامة، ويوصل بين العلامتين بخط مستقيم ويقام على ذلك الخط عمود فهو خط نصف النهار.

ومنها: أن يخط في امتداد ظل المقياس عند طلوع الشمس نصف النهار، فلو كانت الشمس في اعتدال كان من الخطين خط المشرق وخط المغرب والعمود الواقع عليه يكون خط نصف النهار أن يرصد قبل نصف النهار ظل المقياس لحظة لحظة، وهو متناقص لا محالة ويعلّم على رأس الإظلال علامات متقاربة حتى يأخذ الظل في الزيادة، ثم يوصل بين أقرب العلامات ومركز القاعدة بخط مستقيم فهو خط نصف النهار، ثم ذكر مسلكين آخرين تركت ذكرهما روماً للاختصار.

وقد ذكر قاضيخان في فتاواه طريقاً في معرفة زوال الشمس وفي الزوال أسهل مما ذكره المصنف والجماعة. قال: ان تغرز خشبة في أرض مستوية فما دام الظل في الانتقاص فالشمس في حد الارتفاع، فإذا أخذ الظل في الازدياد عُلِمَ أن الشمس قد زالت، فاجعل على رأس الظل علامة فمن موضع العلامة إلى الخشبة يكون فيء الزوال.

ونقل عن محمد بن الحسن طريقة أخرى: هو أن يقوم الرجل مستقبل القبلة فما دامت الشمس على حاجبه الأيسر فالشمس لم تزل، فإذا صارت الشمس على حاجبه الأيمن عُلم أن الشمس قد زالت.

وقال صاحب القوت: وفصل الخطاب أن معرفة الزوال بهذا التحديث ليس بفرض، ولكن صلاة الظهر بعد يقين زوال الشمس فرض، فمتى زالت الشمس بمبلغ علمك ويقين قلبك ومنظر عينك، فكانت الشمس على حاجبك الأيمن في الصيف إذا استقبلت القبلة فقد زالت لا شك فيه فصلِّ إلى أن يكون ظل كل شيء مثله، فهذا آخر وقت الظهر وأول وقت العصر، ثم صلِّ العصر إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه، فهذا وقت الضرورات وهو مكروه إلا لمريض أو معذور، فإذا كانت الشمس على حاجبك الأيسر وأنت مستقبل القبلة في الصيف، فإن الشمس لم تزل في مبلغ علمك ومنظر عينك، فإذا كانت بين عينيك فهو استواؤها في كبد السماء نظر عينك، ويصلح أن تكون قد زالت لقصر النهار، وفي أول الشتاء، وقد لا تكون زالت إذا طال النهار ووسط الصيف، فإذا صارت إلى حاجبك الأيمن فقد زالت في أي وقت كان، ثم ان هذا يختلف باختلاف الأزمان، وهذا التقدير إنما هو لأهل إقليم العراق وخراسان، وهم يصلون إلى الركن الأسود وتلقاء الباب من وجه الكعبة. فأما اقليم المغرب واليمن فإن تقديرهم على ضد ذلك وقبلتهم إلى الركن اليماني وإلى مؤخر الكعبة، فلذلك اختلف التقدير وتضادد لاختلاف التوجه إلى شطر البيت وتفاوت الامصار في الأقاليم المستديرة حوله، ومن أشكل عليه الوقت لجهل بالأدلة أو لغيم اعترض فليتحر بقلبه ويجتهد بعلمه ولا يصلي صلاة إلا بعد يقين دخول وقتها وإن تأخر ذلك فهو أفضل حينئذ، فإن اداء الفرائض بعد دخول الوقت على اليقين أفضل من أدائها في الوقت على الشك، ومن صلّى وهو يرى أنه الوقت أو توجه إلى القبلة فيما يعلم، ثم تبين له بعد أنه صلى قبل الوقت أو صلّى لغير القبلة نظر. فإن كان في الوقت أو بعده قليلاً أعاد الصلاة احتياطاً، وان كان الوقت قد خرج فلا شيء عليه وهو المعفو الخطأ، وأحب إليَّ أن يعيد تلك الصلاة متى ذكرها والله أعلم. اهـ كلام القوت.

فصل

وقال أصحابنا: وقت الظهر من زوال الشمس من بطن السماء بالاتفاق، ويمتد إلى وقت العصر، وقد اختلف فيه، روي عن الإمام فيه روايتان.

احداهما: إلى قبيل أن يصير ظل كل شيء مثليه لقوله صلى الله عليه وسلم «أبردوا بالظهر فإن شدة الحر من فيح جهنم» وأشد الحر في الحجاز إذا صار ظل كل شيء مثله، وهذا معارض بحديث الإمامة في اليوم الأول حين صار ظل كل شيء مثله، فإن حديث الإمامة دلّ على خروج وقت الظهر، وحديث الإبراد دّل على عدم خروجه، وإذا تعارضت الآثار لا يخرج الوقت

الثالثة: راتبة العصر. وهي أربع ركعات قبل العصر. روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «رحم الله عبداً صلى قبل العصر أربعاً» ففعل ذلك على

الثابت بيقين بالشك وهي رواية محمد في الأصل وهو الصحيح، كما في البدائع، والعناية، والمحيط، والينابيع، وعليه جعل المتون.

والثانية: رواية الحسن بن زياد، عن الإمام أنه يمتد وقت الظهر من الزوال إلى أن يصير ظل كل شيء مثله، ويستثنى على الروايتين جميعاً فيء الزوال وهو ظل الاستواء، لأنه قد يكون مثلاً في بعض المواضع في الشتاء، وقد يكون مثلين، فلو اعتبر المثل من ذي الظل لما وجد الظهر على الروايتين، ثم هذا في المواضع التي لاتسامت الشمس رؤوس أهلها. ولذا قال صاحب البحر: إن لكل شيء ظلاً وقت الزوال إلا بمكة والمدينة في أطول أيام السنة، لأن الشمس فيهما تأخذ الحيطان الأربعة، والثاني: هو قول الصاحبين وهو اختيار أبي جعفر الطحاوي، ورجح الشيخ قاسم بن قطلوبغا قول الإمام في تصحيح القدوري، وذكر قاضيخان في فتاواه إذا خالف الإمام صاحباه، فالعمل على قوله لا على قولهما، كما اختاره عبدالله بن المبارك إلا في مسائل يسيرة كالمزارعة والمعاملة لضرورة تعامل الناس. وقال صاحب معراج الدراية: الأخذ بالاحتياط في باب العبادات أولى، إذ هو وقت العصر بالاتفاق فيكون أجود في الدين لثبوت براءة الذمة بيقين، إذ تقديم الصلاة على الوقت لا يجوز بالاتفاق ويجوز التأخير، وإن وقعت قضاء، وهذا على ظاهر الرواية.

أما على رواية أسد وعلي بن الجعد: إذا خرج وقت الظهر بصيرورة الظل مثله لا يدخل وقت العصر حتى يصير ظل كل شيء مثليه فكان بينهما وقت مهمل، فالاحتياط أن يصلي الظهر قبل أن يصير الظل مثله والعصر بعد أن يصير مثليه ليكون مؤدياً بالاتفاق، وأول وقت العصر من ابتداء الزيادة على المثل أو المثلين إلى غروب الشمس على المشهو.

وقال الحسن بن زياد: إذا اصفرت الشمس خرج وقت العصر لقوله ﷺ «وقت صلاة العصر ما لم تصفر الشمس» والجواب: أنه منسوخ بحديث الصحيحين «من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر» أو هو محمول على وقت الاختيار، والله أعلم.

(**الثالثة: راتبة العصر وهي أربع ركعات قبل العصر. روى أبو هريرة**) رضي الله عنه، (**عن رسول الله ﷺ أنه قال «رحم الله عبداً صلّى أربعاً قبل العصر»**) قال العراقي: أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن حبان من حديث ان عمر، وأعله ابن القطان، لم أره من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: حسنه الترمذي، وصححه ابن حبان ولفظهم جميعاً «رحم الله امرأ صلّى قبل العصر أربعاً». وقال ابن القيم: اختلف فيه، فصححه ابن حبان وضعفه غيره. وقال ابن القطان: سكت عنه عبد الحق متسامحاً فيه لكونه من رغائب الأعمال، وفيه محمد بن مهران وهاه أبو زرعة، وقال

رجاء الدخول في دعوة رسول الله ﷺ مستحب استحباباً مؤكداً، فإن دعوته تستجاب لا محالة. ولم تكن مواظبته على السنّة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر.

الفلاس: له مناكير منها هذا الخبر، قال ابن قدامة: هذا الحديث فيه ترغيب فيها، ولكنها لم تعد من السنن الرواتب بدليل أن ابن عمر راويه لم يحافظ عليها.

(و) قال المصنف: **(فعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله ﷺ مستحب استحباباً مؤكداً فإن دعوته)** ﷺ **(تستجاب لا محالة)**، ثم أشار إلى أنها لماذا لم تعد من الرواتب بقوله: **(ولم يكن مواظبته)** ﷺ **(على السنّة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر)**، وقد جاءت أخبار في سنة العصر. منها: ما فيه تعيين أربع ركعات، ومنها ما فيه تعيين ركعتين.

قال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة قال: قال ناس من أصحاب علي لعلي، ألا تحدثنا بصلاة رسول الله ﷺ بالنهار التطوّع؟ قال، فقال علي: إنكم لن تطيقوها. قال: فقالوا أخبرنا بها نأخذ منها ما أطقنا. قال: فذكر الحديث، وفيه: « وصلى قبل العصر أربع ركعات يسلم في كل ركعتين على الملائكة المقربين والنبيين ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين ».

قلت: وروى الترمذي وحسنه من حديث علي قال: « كان النبي ﷺ يصلي قبل العصر أربع ركعات ».

وأخرج أبو نعيم في الحلية، عن أبي هريرة « من صلى قبل العصر أربعاً غفر الله له مغفرة عزماً » ولعل هذا الحديث الذي عناه المصنف من حديث أبي هريرة في فضل هذه الركعات.

وأخرج الطبراني، عن ابن عمر وبلفظ: « حرمه الله على النار » وأيضاً عن أم سلمة بلفظ: « حرم الله بدنه على النار » وابن النجار عن علي بلفظ: « حرم الله لحمه على النار ».

وأخرج الطبراني في الأوسط، عن ابن عمرو بلفظ: « لم تمسه النار » وفيه حجاج بن نضير ضعفه الأكثرون.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة، والنسائي من حديث أبي هريرة « من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة بني له بيت في الجنة ». فذكر الحديث وفيه: وركعتين أظنه قال قبل العصر. وقد تقدم أن هذا الحديث فيه محمد بن سليمان الأصبهاني وهو ضعيف.

وأخرج ابن أبي شيبة، عن إبراهيم النخعي قال: كانوا يستحبون قبل العصر ركعتين إلا أنهم لم يكونوا يعدونها من السنة.

الرابعة: راتبة المغرب، وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما، وأما

وأخرج عن الشعبي أنه سئل عن الركعتين قبل العصر، فقال: إن كنت تعلم أنك تصليهما قبل أن يقيم فصل.

ومما يدل على عدم تأكد سنة العصر ما أخرجه ابن أبي شيبة عن جماعة من التابعين أنهم ما كانوا يصلونها. منهم أبو الأحوص، والحسن البصري، وقيس بن أبي حازم، وسعيد بن جبير. وعد صاحب الهداية من أصحابنا السنن فذكر فيها وأربع قبل العصر وإن شاء ركعتين.

(الرابعة: راتبة المغرب. وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما) في الأحاديث التي تقدمت، إلا أن في حديث ابن عمر في الصحيحين: «وبعد المغرب ركعتين في بيته» وهكذا هو في الموطأ رواية يحي بن يحي والقعنبي، وكذا هو في رواية ابن وهب فقيل: هو متعلق بجميع المذكورات، فقد ذكر بعضهم أن التقييد بالظرف يعود للمعطوف عليه أيضاً، لكن توقف فيه ابن الحاجب في مختصره، وينافيه قوله في رواية البخاري السابقة، عن طريق عبيد الله عن نافع عن ابن عمر: فأما المغرب والعشاء ففي بيته، وفي صحيح مسلم من هذا الوجه فأما المغرب والعشاء والجمعة فصليت مع رسول الله ﷺ في بيته.

واتفق العلماء على فضيلة فعل النوافل المطلقة في البيت، واختلفوا في الرواتب فقال الجمهور: الأفضل فعلها في البيت أيضاً، وسواء في ذلك راتبة الليل والنهار، وفصل بينهما مالك والثوري، وبالغ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، فرأى أن سنة المغرب لا يجزىء فعلها في المسجد حكاه عبدالله بن أحمد في المسند فقال: قلت لأبي: إن رجلاً قال: من صلى ركعتين بعد المغرب في المسجد لم تجزه إلا أن يصليهما في بيته لأن النبي ﷺ قال: «هذه من صلوات البيت» قال: من هذا؟ قلت: محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى. قال: ما أحسن ما قال، أو ما أحسن ما نقل أو انتزع.

وفي المغني لابن قدامة قيل لأحمد: فإن كان منزل الرجل بعيداً. قال: لا أدري، وذلك لما روى سعد بن إسحاق، عن أبيه، عن جده أن النبي ﷺ أتاهم في مسجد بني عبد الأشهل فصلى المغرب فرآهم يتطوعون بعدها فقال: «هذه صلاة البيوت». رواه أبو داود.

وعن رافع بن خديج قال: أتانا رسول الله ﷺ في بني عبد الأشهل فصلى بنا المغرب في مسجدنا ثم قال: «اركعوا هاتين الركعتين في بيوتكم» رواه ابن ماجه اهـ.

قلت: وقد أخرج أبو بكر بن أبي شيبة، عن محمود بن لبيد مثل حديث رافع بن خديج.

وعن عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان أنهما كانا يصليان هاتين الركعتين في بيوتهم.

وعن جعفر بن ميمون قال: كانوا يستحبون هاتين الركعتين بعد المغرب في بيوتهم.

قال الولي العراقي: ويستثنى من تفضيل النوافل في البيوت ما شرعت فيه الجماعة كالعيدين والكسوف والاستسقاء، وكذلك التنفل قبل الزوال يوم الجمعة وبعده، ففعله في المسجد أفضل

ركعتان قبلها بين أذان المؤذن وإقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كأبيّ بن كعب، وعبادة بن الصامت، وأبي ذر، وزيد بن ثابت وغيرهم. قال عبادة أو غيره: كان المؤذن إذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله ﷺ السواري يصلون ركعتين. وقال بعضهم: كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل

لاستحباب التبكير للجمعة حكاه الجرجاني عن الأصحاب، ونص عليه الشافعي في الأم. وكذا ركعتا الطواف، وركعتا الإحرام إن كان عند الميقات مسجد كما صرح به الأصحاب. حكاه عنهم النووي في الحج، وكذا ما يتعين له المسجد كتحية المسجد، والله أعلم اهـ.

(وإما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن وإقامته على سبيل المبادرة) أي الإسراع، **(فقد نقل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم كأبي بن كعب)** الأنصاري، **(وعبادة بن الصامت)** الأنصاري، **(وأبي ذر)** الغفاري، **(وزيد بن ثابت)** الأنصاري **(وغيرهم)** من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، كعبد الرحمن بن عوف.

أما أبي بن كعب، وعبد الرحمن بن عوف، فأخرج أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف قال: حدثنا شريك، عن عاصم عن زر قال: رأيت عبد الرحمن بن عوف وأبي بن كعب إذا أذن المؤذن المغرب قاما فصليا ركعتين.

وأخرجه أيضاً عبدالله بن أحمد في زيادات المسند، وأما الثلاثة بعده فلم أجد، نعم روي ذلك عن سعد بن أبي وقاص وابن عمر قال ابن أبي شيبة: حدثنا وكيع، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب قال: ما رأيت فقيهاً يصلي قبل المغرب إلا سعد بن أبي وقاص.

وحدثنا وكيع، عن شعبة قال: سمعت شيخاً بواسط يقول: سمعت طاوساً يقول: سألت ابن عمر عن الركعتين قبل المغرب فلم ينه عنهما. وعن عبدالله بن مغفل، وعقبة بن عامر كما عند البخاري وسيأتي.

وأما من بعد الصحابة فنقل ذلك ابن أبي شيبة، عن ابن أبي ليلى والحسن: حدثنا وكيع، عن شعبة، عن الحكم قال: رأيت ابن أبي ليلى صلى ركعتين قبل المغرب.

وحدثنا ابن مهدي، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن مجاهد، عن ابن أبي ليلى قال: أدركت أصحاب محمد ﷺ يصلون عند كل تأذين.

وحدثنا وكيع، عن يزيد بن إبراهيم قال، قال تميم بن سلام أو سلام بن تميم للحسن: ما تقول في الركعتين قبل المغرب؟ فقال: حسنتان جميلتان لمن أراد الله بهما.

(قال عبادة) بن الصامت رضي الله عنه **(أو غيره)** من الصحابة: **(كان المؤذن إذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله ﷺ السواري)** جمع سارية هي الأسطوانة **(يصلون ركعتين)**. قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس لا عبادة اهـ.

الداخل فيحسب أنا صلينا فيسأل أصليتم المغرب وذلك يدخل في عموم قوله ﷺ :

قلت: وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا الثقفي، عن حميد، عن أنس قال: سئل عن الركعتين قبل المغرب؟ قال: رأيتهم إذا أذن المؤذن ابتدروا السواري فصلوا.

حدثنا غندر، عن شعبة عن يعلى بن عطاء، عن أبي فزارة قال: سألت أنساً عن الركعتين قبل المغرب؟ فقال: كنا نبتدرهما على عهد رسول الله ﷺ.

(وقال بعضهم: كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب) أي يظن **(أنا قد صلينا فيسأل أصليتم المغرب)**. قال العراقي: أخرجه مسلم من حديث أنس اهـ.

وقال البخاري في الصحيح باب الصلاة قبل المغرب: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، عن الحسين عن ابن بريدة، حدثني عبدالله بن مغفل المزني، عن النبي ﷺ قال: « صلوا قبل صلاة المغرب » قال في الثالثة: « لمن شاء » كراهية أن يتخذها الناس سنة.

حدثنا عبدالله بن يزيد، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، حدثني يزيد بن أبي حبيب قال: سمعت مرثد بن عبدالله اليزني قال: أتيت عقبة بن عامر الجهني، فقلت: ألا أعجبك من أبي تميم يركع ركعتين قبل صلاة المغرب؟ فقال عقبة: إنا كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ. قلت: فما يمنعك الآن؟ قال: الشغل اهـ.

والحديث الأول وقد أخرجه أبو داود أيضاً **(وذلك يدخل في عموم قوله ﷺ: « بين كل أذانين)** أي أذان وإقامة فغلب وحمل أحد الإسمين على الآخر سائغ شائع كالعمرين ذكره الزمخشري وغيره، وتبعه القاضي فقال: غلب الاذان على الإقامة وسماهما باسم واحد، وقال جماعة: لا حاجة إلى ارتكاب التغليب، فإن الإقامة أذان حقيقة لأنها إعلام بحضور فعل الصلاة، كما أن الأذان إعلام بدخول الوقت فهو حقيقة لغوية وإليه جنح الطيبي **(صلاة)** أي وقت صلاة ونكرت لتناول كل عدد نواه المصلي من النفل، وإنما لم يجر على ظاهره لأن الصلاة بين الأذانين مفروضة، والخبر نطق بالتخيير بقوله **(لمن شاء »)** أن يصلي فذكره دفعاً لتوهم الوجوب. أخرجه أحمد، وأبو بكر بن أبي شيبة والستة كلهم من حديث عبدالله بن مغفل.

قال ابن أبي شيبة: حدثنا وكيع، عن كهمس، عن ابن بريدة عن عبدالله بن مغفل رفعه « بين كل أذانين صلاة بين كل أذانين صلاة لمن شاء ».

حدثنا عبد الأعلى، عن الجريري، عن ابن بريدة مثله. وهكذا هو عند البخاري تكرار القول ثلاث مرات، وفي آخره « لمن شاء ».

وقال البزار في مسنده: حدثنا عبد الواحد بن غياث، عن حيان بن عبيد الله بن بريدة، عن أبيه رفعه مثله، إلا أنه قال: « إلاّ المغرب » أي فإنه ليس بين أذانها وإقامتها صلاة، بل يندب المبادرة إلى المغرب في أول وقتها، فلو استمرت المواظبة على الاشتغال بغيرها كان ذلك ذريعة

«بين كل أذانين صلاة لمن شاء». وكان أحمد بن حنبل يصليها فعابه الناس فتركها فقيل له في ذلك. فقال: لم أرَ الناس يصلونها فتركتها. وقال: لئن صلاها الرجل في بيته أو حيث لا يراه الناس فحسن، ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الأبصار

إلى مخالفة إدراك أول وقتها، وبه تمسك أبو حنيفة فكره النفل قبلها وخص به خبر عبدالله بن مغفل.

وأخرج أبو داود بإسناد حسن من حديث ابن عمر قال: ما رأيت أحداً يصلي ركعتين قبل المغرب على عهد رسول الله ﷺ. وقال البزار: بعد أن ذكر الحديث المذكور لا نعلم رواه إلا حيان وهو بصري مشهور لا بأس به اهـ.

وقال الهيثمي: ضعفه ابن عدي، وقيل: إنه اختلط. وحكم ابن الجوزي بوضعه وقال: تفرد به حيان كذبه الفلاس، وتعقبه الحافظ السيوطي في اللآلىء المصنوعة فقال: الذي كذبه الفلاس غير هذا. وقال الولي العراقي: ولا خلاف في استحباب جميع النوافل المذكورة في الأحاديث إلا في الركعتين قبل المغرب ففيها وجهان لأصحابنا. أشهرهما لا يستحب، والصحيح عند المحققين استحبابها اهـ.

قلت: والذي صححه النووي أنها سنة للأمر بها في حديث ابن مغفل عند البخاري وقال مالك: بعدم السنية، وقال في المجموع: واستحبابها قبل الشروع في الإقامة، فإن شرع فيها كره الشروع في غير المكتوبة اهـ.

وقال النخعي: إنها بدعة لأنه يؤدي إلى تأخير الفرض عن أول وقته، وهذا قد منعه النووي في شرح مسلم، وحكمة استحبابها كما قال ابن الجوزي وغيره رجاء إجابة الدعاء لأنه بين الأذانين لا يرد، وكلما كان الوقت أشرف كان ثواب العبادة فيه أكثر، ومجموع الأحاديث يدل على استحباب تخفيفها كركعتي الفجر.

(وكان أحمد) بن محمد **(بن حنبل)** رحمه الله تعالى يرى بالجواز وكان **(يصليها)** عملاً بما ورد فيها **(فعابه الناس)** نظراً إلى ظاهر قول ابن مغفل في حديثه كراهية أن يتخذها الناس سنة، وهو عند البخاري أي سنة لازمة يواظبون عليها **(فتركها فقيل له في ذلك. فقال: لم أر الناس يصلونها فتركتها)** لذلك **(وقال: إن صلاها الرجل في بيته)** ثم يأتي المسجد فيصلي الفرض **(أو حيث لا يراه الناس فحسن)** فعلها. وقال الشيخ الأكبر قدس سره في كتاب الشريعة: والحقيقة هاتان الركعتان قبل المغرب سنة متروكة مغفول عنها فيها من الأجر ما لا يعلمه إلا هو، فإن لله بين كل أذان وإقامة صلاة كما ورد ذلك في الخبر وهي صلاة الأولياء، وكان الصدر الأول يحافظون عليها وسبب ذلك أن النفل عبودية اختيار والفرض عبودية اضطرار، وعبودية الاضطرار تحتاج إلى حضور تام بمعرفة ما ينبغي للسيد المعبود من الجلال والتنزيه فتقوم عبودية الاختيار لهذا المقام كالرياضة للنفس وكالعزلة بين يدي الخلوة فتتنبه

في الأراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال، فإن كانت محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف إلى أن يرى إقبال السواد من جانب المشرق. قال ﷺ: « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم ». والأحب المبادرة في صلاة المغرب خاصة وإن أخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق الأحمر وقعت أداء ولكنه مكروه. وأخر

النفس بالنافلة قبل الفرض لما ينبغي للمصلي أن يكون عليه في حال مناجاته سيده في عبادة الفرض، فإنه لا يستوي حال الشخص إذا قام إلى صلاة فرض من صلاة نفل في قلبه وانتباهه كحال شخص دخل إلى صلاة فرض من حديث وبيع أو شراء فبينهما من الحضور بون بعيد في الخاص والعام، فلهذا شرع الشارع النفل بين يدي الفرض فهو كالصدقة على النفس بين يدي نجواهم فأهل الله ينبري أن يحافظوا على ذلك وإن كانوا على صلاتهم دائمين. **(ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الأبصار)** وذلك إذا تدلى حاجب الشمس الأعلى.

وأخرج البخاري من حديث سلمة بن الأكوع: « كنا نصلي مع رسول الله ﷺ إذا توارت بالحجاب »، ولفظ مسلم « أن رسول الله ﷺ كان يصلي المغرب إذا غربت الشمس وتوارت بالحجاب » **(في الأراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال)** بل هي فضاء واسع لا يحجب عن غروب الشمس، **(فإن كانت محفوفة بالجبال من جهة المغرب)** كمكة وما اشبهها **(فيتوقف)** في أداء الصلاة **(إلى أن يرى إقبال السواد من جانب المشرق)** فذلك هو الوقت الصحيح للاحتياط.

(قال ﷺ: « إذا أقبل الليل) يعني ظلمته **(من ههنا)** أي من جهة المشرق إذا الظلمة تبدو من جهته **(وأدبر النهار)** أي ضوؤه **(من ههنا)** أي من جهة المغرب **(فقد أفطر الصائم »)** أي انقضى صومه أو تم شرعاً، والمعنى فليفطر الصائم. قال العراقي: متفق عليه من حديث عمر اهـ.

قلت: أخرجه الستة سوى ابن ماجه، وفي بعض رواياتهم زيادة وغربت الشمس مع أن ما قبله كان إيماء إلى اشتراط تحقق كمال الإقبال والإدبار وأنهما بواسطة الغروب لا غيره، فالأمور الثلاثة وإن كانت متلازمة لكن قد يعرض لبعضها انفكاك فيظن إقبال الليل من جهة المشرق ولا يكون إقباله حقيقة كان يكون بمحل لا يشاهد غروبها فيعتمد إقبال الظلام وإدباره الضياء.

(والأحب المبادرة بصلاة المغرب خاصة) وعدم الاشتغال بما ينافيها لأنها كما تقول العامة المغرب غريبة **(وإن أخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق الأحمر وقعت أداء ولكنه مكروه)** لما ورد من قول ابن عمر موقوفاً. الشفق الحمرة.

ورواه الدارقطني من حديث ابن عمر بزيادة: « فإذا غاب الشفق وجبت الصلاة » فغيبوبته هو آخر المغرب وهو مذهب الشافعي. ورواية عن أبي حنيفة وهو المفتى به عندنا، وبه قال صاحباه.

وقال البيهقي في المعرفة هو مروي عن ابن عمر، وعلي، وابن عباس، وعبادة بن الصامت،

عمر رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة، وأخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين.

الخامسة: راتبة العشاء الآخرة. أربع ركعات بعد الفريضة، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يصلي بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينا » واختار

وشداد بن أوس، وأبي هريرة وعليه إطباق أهل اللسان، فيكون حقيقة في الحمرة نفياً للمجاز، ولا يكون حقيقة في البياض نفياً للاشتراك.

ونقل في جمع التفاريق وغيره رجوع أبي حنيفة إلى هذا القول لما ثبت عنده من حمل عامة الصحابة الشفق على الحمرة وإثبات هذا الاسم للبياض قياس في اللغة وأنه باطل، وفي اعتبار البياض معنى الحرج فإنه لا يذهب إلا قريباً من ثلث الليل، وقيل: الشفق هو البياض وهو قول أبي حنيفة المشهور عنه وعليه مشى في الكنز وغيره ونقل ذلك عن أبي بكر، وعمر، ومعاذ بن جبل، وعائشة وقوى دليله الكمال بن الهمام في فتح القدير وفي التجنيس والمزيد نقلاً عن البعض: ينبغي أن يؤخذ في الصيف بقولهما لقصر الليالي وإمكان بقاء البياض إلى ثلث الليل أو نصفه، وفي الشتاء بقول أبي حنيفة لطول الليالي ولعدم بقاء البياض إلى ثلث الليل اهـ.

وفي السراج الوهاج والمستصفي فقولها أوسع وقول أبي حنيفة أحوط اهـ.

وذكر بعض أصحابنا المتأخرين أن دليل الإمام في هذه المسألة قائم فلا يعدل إلى قولها، ولو أفتى به بعض المشهورين ولا موجب للعدول أصلاً والله أعلم.

(أخر عمر) بن الخطاب **(رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم)** يحتمل أن يكون المسمى بالشاهد ولذلك سميت المغرب بصلاة الشاهد لطلوعه بعد المغرب، ويحتمل أن يكون آخر **(فاعتق رقبة)** هكذا أورده صاحب القوت، **(واخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين)** أورده صاحب القوت أيضاً.

(الخامسة: راتبة العشاء الآخرة) وإنما قيدها بالآخرة لما أن المغرب كانت تسمى بالعشاء الأولى، وقد كره تسمية المغرب بالعشاء على سبيل الانفراد لما روى البخاري من حديث عبدالله ابن مغفل رفعه: «لا تغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم المغرب» قال، وتقول الأعراب: هي العشاء، **(وهي أربع ركعات بعد الفريضة)** بتسليمة واحدة.

(قالت عائشة رضي الله عنها: «كان) النبي **(ﷺ يصلي بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام»)** أخرجه أبو داود في سننه بلفظ: «ما صلى رسول الله ﷺ العشاء قط فدخل علي إلاّ صلّى أربع ركعات أو ست ركعات» الحديث.

وفي صحيح البخاري وغيره عن ابن عباس قال: بت عند خالتي ميمونة بنت الحرث زوج النبي ﷺ وكان النبي ﷺ عندها فصلى النبي ﷺ العشاء ثم جاء إلى منزله فصلى أربع ركعات

بعض العلماء من مجموع الأخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة: ركعتان قبل الصبح، وأربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وأربع قبل العصر، وركعتان بعد المغرب، وثلاث بعد العشاء الآخرة وهي الوتر. ومهما عرفت الأحاديث الواردة

ثم نام» الحديث، وسيأتي بقية لهذه الأربع ركعات في كتاب الأوراد، وسبق في حديث ابن عمر وغيره «أنه كان يصلي بعد العشاء ركعتين» ولذا قال صاحب الهداية من علمائنا لما عد الرواتب وأربع قبل العشاء وأربع بعدها وإن شاء ركعتين.

(واختار بعض العلماء من مجموع الأخبار) الواردة السابق ذكرها (**أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة. ركعتان قبل الصبح، وأربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وأربع قبل العصر، وركعتان بعد المغرب وركعتان بعد العشاء والوتر**). وهذا على قول من قال الوتر ركعة واحدة، وفي نسخة وثلاث بعد العشاء الآخرة وهو الوتر.

قال الرافعي: فأما الرواتب فالوتر وغيره فأما غير الوتر فاختلف الأصحاب في عددها فقال الأكثرون: عشر ركعات. ركعتان قبل الصبح، وركعتان قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، ومنهم من نقص ركعتي العشاء نص عليه في الخضري، ومنهم من زاد على العشر ركعتين آخريين قبل الظهر، ومنهم من زاد على هذا أربعاً قبل العصر، ومنهم من زاد على هذا أخريين بعد الظهر فهذه خمسة أوجه لأصحابنا، وليس خلافهم في أصل الاستحباب، بل في أن المؤكد من الرواتب ماذا مع أن الاستحباب يشمل الجميع. ولهذا قال صاحب المهذب وجماعة أدنى الكمال عشر ركعات وهو الوجه الأول، وأتم الكمال ثماني عشرة ركعة وهو الوجه الخامس. وفي استحباب ركعتي العصر وجهان وبالاستحباب. قال أبو إسحاق الطوسي وأبو زكريا السكري اهـ.

وصححه النووي في الروضة عملاً بحديث ابن مغفل في صحيح البخاري، وقال الولي العراقي، قال أصحابنا وغيرهم: اختلاف الأحاديث في اعداد الرواتب محمول على توسعة الأمر فيها وإن لها أقل وأكمل فتحصل السنة بالأقل ولكن الاختيار فعل الأكثر الأكمل اهـ.

وزاد المحاملي في اللباب، والنووي في شرح المهذب ركعتين قبل العشاء، وحكاه الماوردي عن البويطي، ويدل له حديث: «بين كل أذانين صلاة».

وعد القاضي أبو بكر البيضاوي في التبصرة من الرواتب أربعاً بعد المغرب وهو غريب نقله الولي العراقي.

قلت: ليس بغريب، فقد أخرج أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، عن وكيع، عن موسى بن عبيدة، عن أيوب بن خالد، عن ابن عمر قال: «من صلى أربعاً بعد المغرب كان كالمعقب غزوة بعد غزوة».

فيه فلا معنى للتقدير ، فقد قال ﷺ : « الصلاة خير موضوع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل » فإذاً اختيار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير ، فقد ظهر فيما

(ومهما عرف) وفي نسخة: عرفت **(الأحاديث الواردة في ذلك)** الدالة على تأكدها **(فلا معنى للتقدير فيه)** ، وإنما يعمل به في استحبابه فما كان صحيحاً دالاً على تأكده عمل به ، وكذا إن كان حسناً ما لم يعارضه أقوى منه وما كان ضعيفاً لا يدخل في حيز الموضوع ، فإن أحدث شعاراً في الدين لا يعمل به وإلا عمل به .

(فقد قال ﷺ : « الصلاة خير موضوع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل ») قال العراقي : أخرجه أحمد ، وابن حبان ، والحاكم وصححه من حديث أبي ذر اهـ .

قلت : قال الحافظ : هو خبر مشهور رواه أحمد والبزار من حديث عبيد بن الخشخاش عن أبي ذر بلفظ : « فمن شاء استقل ومن شاء استكثر » .

ورواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر في حديث طويل .

ورواه الطبراني في المطولات عن ابن عائد عن أبي ذر ، ومن طريق يحي بن سعيد السعيدي ، عن ابن جريج ، عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر ، وأعله ابن حبان في الضعفاء بيحي بن سعيد ، وخالف الحاكم فأخرجه في المستدرك من حديثه وله شاهد من حديث أبي إمامة رواه أحمد بسند ضعيف اهـ .

قلت : وأخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بسند فيه عبد المنعم بن بشير بلفظ : « فمن استطاع أن فليستكثر » .

وأما الحديث الطويل الذي أشار إليه الحافظ ، فقد أخرجه أيضاً في الحلية من طريق إبراهيم ابن هشام النسائي ، عن أبيه ، عن جده يحي بن يحي السعدي ، عن أبي إدريس ، عن أبي ذر قال : دخلت المسجد وإذا برسول الله ﷺ جالس وحده فجلست إليه فقال : « يا أبا ذر إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان فقم فاركعهما » قال : فقمت فركعتهما ثم عدت فجلست إليه ، فقلت يا رسول الله : إنك أمرتني بالصلاة فما الصلاة؟ قال : « خير موضوع استكثر أو استقل » ثم ساق الحديث بطوله .

وأشار إلى بقية طرقه فقال : ورواه المختار بن غسان ، عن إسماعيل بن مسلم عن أبي إدريس ، ورواه علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة عن أبي ذر ، ورواه عبيد بن الخشخاش ، عن أبي ذر ، ورواه معاوية بن صالح ، عن محمد بن أيوب ، عن ابن عائذ عن أبي ذر . ورواه ابن جريج عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ، عن أبي ذر بطوله تفرد به يحي بن سعيد العبشمي اهـ .

ومعنى خير موضوع أي خير ما وضعه الله من العبادات فمن قوي إنما أكثر منها .

(فإذاً اختيار كل مريد من هذه الصلوات) أي الرواتب وغيرها **(بقدر رغبته في**

ذكرناه أن بعضها آكد من بعض، وترك الآكد أبعد لا سيما والفرائض تكمل بالنوافل، فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فريضة من غير جابر.

السادسة: الوتر: قال أنس بن مالك: «كان رسول الله ﷺ يوتر بعد العشاء

الخير) وقوة إيمانه واستكمال شهوده، وقد حكي أن بعضهم كان رتب على نفسه كل يوم ألف ركعة، وكان إذا صلى العصر احتبى ولم يزل ساكتاً إلى أن يصلي المغرب.

(وقد ظهر مما ذكرناه أن بعضها) أي الرواتب **(آكد من بعض)** فركعتا الفجر آكدهن حتى نقل عن الحسن البصري وأبي حنيفة القول بوجوبها وقالت المالكية والحنابلة: ثم الآكد بعدها الركعتان بعد المغرب، ويشهد له أن الحسن البصري يقول بوجوبها أيضاً كما نقله أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن نصر المروزي.

وروى ابن أبي شيبة، عن سعيد بن جبير قال: لو تركت الركعتين بعد المغرب لخشيت أن لا يغفر لي.

وأما الآكد بعدها فيحتمل أنه الركعتان بعد العشاء لأنها من صلاة الليل وهي أفضل، ويحتمل أنه سنة الظهر لاتفاق الروايات عليها.

قلت، وقال أصحابنا آكدها بعد ركعتي الفجر ركعتا المغرب ثم التي بعد الظهر، ثم التي بعد العشاء، ثم التي قبل الظهر، ثم التي قبل العصر، ثم التي قبل العشاء. وقيل: التي بعد العشاء والتي قبل الظهر وبعده وبعد المغرب كلها سواء، وقيل: التي قبل الظهر آكد. قال في الدراية: وهو الأصح. **(وترك الآكد أبعد لاسيا والفرائض تكمل بالنوافل)** يشير إلى حديث أبي هريرة الذي أخرجه أبو داود في السنن «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإذا صلحت فقد أفلح وإن فسدت خاب وخسر فإن انتقص من فريضته شيئاً قال الرب تبارك وتعالى انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك».

وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق الحسن وأبي هريرة بنحو هذا السياق وفي آخره قال الحسن: «وسائر الأعمال على ذلك» وأخرج عن تميم الداري نحوه.

(فمن لم يستكثر منها) أي من النوافل **(يوشك أن لا تسلم له فرائضه من غير جابر)** لنقصانه، والله أعلم.

(السادسة: الوتر) وهو سنة عند الأئمة الثلاثة واجب عند أبي حنيفة في الأصح، وهو آخر أقوال الإمام. والظاهر من مذهبه وآخر ما رجع إليه زفر، وحكى الطحاوي في وجوبه إجماع السلف، وفي قول للإمام أنه فرض، وبه قال العلم السخاوي وألف فيه جزءاً وساق الأحاديث الدالة على فرضيته، ثم قال: فلا يرتاب ذو فهم بعد هذا، وبه قال زفر أولاً ثم رجع

بثلاث ركعات، يقرأ في الأولى سبح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية قل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة قل هو الله أحد، وجاء في الخبر: «أنه ﷺ كان يصلي بعد

وقال سنة، ثم رجع وقال واجب، وروي عن الإمام قول ثالث إنه سنة مؤكدة، وإليه ذهب الصاحبان وعليه أكثر العلماء، ووفق المشايخ بين الروايات بأنه فرض عملاً وهو الذي لا يترك واجب اعتقاداً فلا يكفر جاحده سنة دليلاً لثبوته بها فلا اختلاف في الحقيقة بين الروايات.

(قال أنس بن مالك) رضي الله عنه: **(« كان رسول الله ﷺ يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى بسبح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية قل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة قل هو الله أحد)**

قال العراقي: أخرجه ابن عدي في ترجمة محمد بن أبان، ورواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند صحيح اهـ.

قلـت: وأخرج حديث ابن عباس أيضاً أبو بكر بن أبي شيبة، عن إسرائيل ح.

وأخرجه الطحاوي، عن محمد بن خزيمة، حدثنا عبدالله بن رجاء، أخبرني إسرائيل، عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثل سياق حديث أنس.

وأخرجه ابن أبي شيبة أيضاً عن يونس، عن أبي إسحاق مثله.

وعن شاذان، حدثنا شريك، عن مخول، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس بنحوه.

وأخرجه الطحاوي، عن روح بن الفرج حدثنا لوين حدثنا شريك عن مخول مثله.

وقد روي ذلك عن جماعة من الصحابة غير ابن عباس. أخرج الطحاوي عن فهد، حدثنا الحماني، حدثنا عباد بن العوام، عن الحجاج، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن عمران بـن حصين رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ كان يقرأ في الوتر في الركعة الأولى بسبح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية قل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة قل هو الله أحد».

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن شبابة، عن شعبة عن قتادة بلفظ «كان يوتر بسبح اسم ربك الأعلى» ولم يذكر الباقي.

وأخرج الطحاوي عن أبي المطرف بن أبي الوزير، حدثنا محمد بن طلحة عن زبيد، عن ذر عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه رضي الله عنه: «أنه صلى مع النبي ﷺ الوتر فقرأ في الأولى سبح اسم ربك الأعلى، وفي الثانية قل يا أيها الكافرون، وفي الثالثة قل هو الله أحد، فلما فرغ قال: سبحان الملك القدوس ثلاثاً يمد صوته بالثالثة».

وأخرجه عن حسين بن نصر حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن زبيد مثله.

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن سفيان، عن زبيد مثله. وعن هشيم، عن عبد الملك، عن زبيد مثله إلا أنه لم يذكر مد الصوت في الثالثة.

وقال ابن أبي شيبة أيضاً: حدثنا محمد بن أبي عبيدة، حدثني أبي، عن الأعمش، عن طلحة، عن ذر، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي، عن أبيه، عن أبيّ بن كعب «أن النبي ﷺ كان يوتر بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد ويقول في آخر صلاته سبحان الملك القدوس» ثلاثاً.

قلت: وقد روى الطحاوي في حديث عبد الرحمن بن أبزي المتقدم من طريق أحمد بن يونس، عن محمد بن طلحة عن زبيد مثل الأوّل إلا أنه قال: وفي الثانية ﴿قل للذين كفروا﴾ وفي الثالثة ﴿الله الواحد الصمد﴾.

قلت: هكذا كانت قراءة ابن مسعود كما يقرأ ﴿قل للذين كفروا لا اعبد ما تعبدون﴾ إلى آخرها بدل ﴿قل يا أيها الكافرون﴾.

وأخرج ابن أبي شيبة من طريق عبد الملك بن عمير قال: كان ابن مسعود يوتر بثلاث يقرأ في كل ركعة منهن بثلاث سور من آخر المفصل في تأليف عبد الله.

وأخرج من طريق زاذان أن علياً كان يفعل ذلك.

وأخرج الطحاوي من طريق أبي إسحاق عن الحارث عن علي رفعه «كان يوتر بسبع سور من المفصل في الركعة الأولى الهاكم التكاثر، وإنا أنزلناه، وإذا زلزلت. وفي الثانية: والعصر، وإذا جاء نصر الله، وإنا أعطيناك الكوثر. وفي الثالثة: قل يا أيها الكافرون، وتبت، وقل هو الله أحد».

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة من طريق أنس بن سيرين أن عمر كان يقرأ بالمعوّذتين في الوتر.

وأخرج الطحاوي عن حسين بن نصر، حدثنا سعيد بن عفير، حدثنا يحي بن أيوب، عن يحي بن سعيد، عن عمرة بنت عبد الرحمن، وعن عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الركعتين اللتين كان يوتر بعدهما بسبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون. ويقرأ في التي هي الوتر قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس».

وأخرج عن بكر بن سهل الدمياطي، حدثنا شعيب بن يحي، حدثنا يحي بن أيوب مثله. وهذا الحديث مخرج في سنن أبي داود، والترمذي، وابن ماجه من حديث عائشة. ورواه أيضاً الحاكم، والدارقطني، وابن حبان كلهم من طريق يحي بن سعيد عن عمرة عن عائشة، وتفرد به يحي بن أيوب عنه وفيه مقال لكنه صدوق.

الوتر ركعتين جالساً وفي بعضها متربعاً » وفي بعض الأخبار : « إذا أراد أن يدخل فراشه زحف إليه وصلى فوقه ركعتين قبل أن يرقد يقرأ فيهما إذا زلزلت الأرض وسورة التكاثر ». وفي رواية أخرى : « قل يا أيها الكافرون » ويجوز الوتر مفصولاً

تنبيه :

قال الحافظ : قال إمام الحرمين : رأيت في كتاب معتمد أن عائشة روت ذلك، وتبعه الغزالي فقال :قيل إن عائشة روت ذلك، وهذا دليل على عدم اعتنائهما معاً في الحديث. كيف يقال ذلك في حديث في سنن أبي داود التي هي أم الأحكام اهـ.

وأخرج الطحاوي، عن أبي زرعة الدمشقي، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا الوليد بن مسلم، عن إسماعيل بن عياش عن محمد بن يزيد الرحبي عن أبي إدريس، عن أبي موسى، عن عائشة رفعته « كان يقرأ في وتره في ثلاث ركعات قل هو الله أحد والمعوّذتين ».

ونقل الكمال بن الهمام، عن إسحاق بن راهويه قال : أصح شيء ورد في قراءته ﷺ في الوتر سبح، والكافرون، وقل هو الله أحد، وزيادة المعوذتين أنكرها أحمد وابن معين.

قلـت : فهذا سر اقتصار أئمتنا في الثالثة على الاخلاص.

(وجاء في خبر « أنه ﷺ كان يصلي بعد الوتر جالساً ركعتين »). قال العراقي : أخرجه مسلم من حديث عائشة اهـ.

قلـت : وأخرجه الطحاوي من طريق الحسن، عن سعد بن هشام الأنصاري بلفظ : « انه سأل عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ فقالت : كان يصلي العشاء ثم يتجوّز بركعتين وقد أعد سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه فيتسوَّك ويتوضأ فيصلي ركعتين ثم يقوم فيصلي ثماني ركعات يسوّي بينهن في القراءة، ثم يوتر بالتاسعة، فلما أسنَّ رسول الله ﷺ وأخذه اللحم جعل تلك الثماني ستاً ثم يوتر بالسابعة، ثم يصلي ركعتين وهو جالس ».

وأخرجه أيضاً من طريق أبي سلمة عن عائشة وفيه « ثم يوتر بركعة ثم يصلي ركعتين وهو جالس » قال الطحاوي : هاتان الركعتان جالساً يحتمل أن تكونا بدلاً مما كان يصليه قبل أن يبدن قائماً وهو ركعتان **(« وفي بعضها)** كان يصليهما **(متربعاً » . وفي بعض الأخبار « إذا أراد أن يدخل إلى فراشه زحف إليه وصلى فوقه ركعتين قبل أن يرقد يقرأ فيهما إذا زلزلت الأرض زلزالها، وسورة الهاكم »)**.

قال العراقي : أخرجه البيهقي من حديث أبي أمامة وأنس نحوه وضعفه، وليس فيه « زحف إليه » ولا ذكر « الهاكم التكاثر » اهـ.

قلـت : وأخرجه كذلك أحمد.

(وفي رواية أخرى « قل يا أيها الكافرون ») أي بدل « الهاكم » وهذا أخرجه الطحاوي

وموصولاً، بتسليمة واحدة وتسليمتين. وقد أوتر رسول الله ﷺ بركعة. وثلاث

من حديث سعد بن هشام عن عائشة وتقدم ذكره، وفي آخره «ثم يصلي ركعتين وهو جالس يقرأ فيهما بقل يا أيها الكافرون، وإذا زلزلت».

وعقد أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف باباً في الصلاة بعد الوتر، فذكر عن أبي مجلز أنه كان لا يصلي بعد الوتر إلا ركعتين، وعن ابن عباس قال: إن استطعت أن لا تصلي صلاة إلا سجدت بعدها سجدتين فافعل، وذكر عن القاسم أنه سئل عنهما فحلف بالله إنهما لبدعة، وعن أبي سعيد الخدري أنه كره الصلاة بعد الوتر، وعن مجاهد أنه سئل عن السجدتين بعد الوتر فقال: هذا شيء قد ترك اهـ.

وفي القوت: وإن كان قد صلى ركعتين من جلوس بعد وتره الأول ثم استيقظ للصلاة شفعتا وتره الركعة الواحدة لأنهما بمنزلة ركعة واحدة تشفع له ركعة الوتر التي صلاها قبلها، ثم ليصل من الليل مستأنفاً ما بدا له، ثم يوتر بركعة واحدة في آخر صلاته، فيكون له في ذلك ثلاثة أعمال: قصر الأمل، وتحصيل الوتر، والوتر من آخر الليل. وكذلك كان رسول الله ﷺ يصلي ركعتين جالساً بعد وتره والله أعلم يقرأ فيهما جالساً بسورة الزلزلة، وسورة التكاثر، أو قل يا أيها الكافرون، فقد جاء ذلك في حديثين: أن النبي ﷺ كان يقرأ فيهما بذلك لما في الزلزلة والتكاثر من التخويف والوعظ ولما في سورة الكافرون من التنزيه من عبادة سوى المعبود وافراد العبادة له بالتوحيد، وكان رسول الله ﷺ يقرؤها عند النوم وأوصى رجلاً يقرؤها عند منامه اهـ.

(ويجوز الوتر مفصولاً وموصولاً بتسليمة وبتسليمتين) أي إذا كان موصولاً فبتسليمة واحدة، وإن كان مفصولاً فبتسليمتين، ففي الكلام لف ونشر غير مرتب.

(وقد أوتر رسول الله ﷺ بركعة) واحدة رواه الشيخان عن ابن عمر ومسلم عن عائشة قال العراقي.

قلت: أما حديث ابن عمر فله طرق كثيرة.

إحداها: ما أخرجه مسلم، والنسائي، وابن ماجه من طريق سفيان بن عيينة، والبخاري والنسائي من طريق شعيب بن أبي حمزة، ومسلم والنسائي من طريق عمرو بن الحرث، والنسائي من طريق محمد بن الوليد الزبيدي. أربعتهم عن الزهري، عن سالم عن أبيه قال: سمعت النبي ﷺ سئل كيف نصلي بالليل؟ قال «ليصل أحدكم مثنى مثنى فإذا خشي الصبح فليوتر بواحدة».

الثانية: نافع عن ابن عمر أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن صلاة الليل؟ فقال رسول الله ﷺ «صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى» أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، والطحاوي من طريق مالك عن نافع. ورواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من طريق الليث عن نافع، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة، عن محمد

ابن سعيد وابن عون عن نافع، ورواه الطحاوي أيضاً عن ابن عون، ويحي بن أبي كثير عن نافع.

الثالثة: عبد الله بن دينار، عن ابن عمر مثله. أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والطحاوي من طريق مالك بن دينار.

الرابعة: عبد الله بن شقيق، عن ابن عمر مثله. رواه أبو بكر بن أبي شيبة، عن هشيم، عن خالد عنه. ورواه الطحاوي من هذا الطريق أيضاً. وأخرجا أيضاً من طريق هشيم عن أبي بشر عنه. وأخرج الطحاوي أيضاً من طريق بديل بن ميسرة، وأيوب كلاهما عنه.

الخامسة: أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن ابن عمر مثله، رواه الطحاوي من طريق يحي بن أبي كثير عنه.

السادسة: حميد بن عبد الرحمن، عن ابن عمر مثله رواه الطحاوي من طريق الزهري عنه.

السابعة: طاوس عن ابن عمر مثله. رواه الطحاوي من طريق عمرو بن دينار، وحبيب بن أبي ثابت كلاهما عنه.

وأما حديث عائشة فأخرجه أيضاً أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا شبابة بن سوار، حدثنا ابن أبي ذئب عن الزهري، عن عروة عنها «إن النبي ﷺ كان يوتر بركعة وكان يتكلم بين الركعتين والركعة» ثم الإيتار بركعة واحدة هو مذهب مالك والشافعي وأحمد والجمهور.

ورواه البيهقي في سننه عن عثمان، وسعد بن أبي وقاص، وتميم الداري، وأبي موسى الأشعري، وابن عمر، وابن عباس وأبي أيوب الأنصاري، ومعاوية وأبي حليمة معاذ بن الحرث القاري قيل: له صحبة.

ورواه ابن أبي شيبة عن أكثر هؤلاء، وعن ابن مسعود، وحذيفة، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري. وحكاه ابن المنذر عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وزيد بن ثابت، وابن الزبير، وعائشة، وسعيد بن المسيب والأوزاعي، وإسحاق وأبي ثور.

(وثلاث): رواه أحمد، عن أنس، ورواه النسائي من حديث عائشة «كان يوتر بثلاث لا يفصل بينهن».

ورواه الطحاوي من طريق سعد بن هشام عنها هكذا، وزاد سعد في حديثها «إنه كان لا يسلّم إلا في آخرهن».

وروي ذلك عن ابن عباس، وعمران بن الحصين، وزيد بن خالد الجهني، وأبي أمامة، وأم الدرداء، وعبد الرحمن بن أبزي، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، والمسور بن مخرمة، وابن مسعود، وأنس بن مالك، وزيد بن ثابت وأبي العالية، وعمر بن عبد العزيز.

وخمس وهكذا بالأوتار إلى إحدى عشرة ركعة، والرواية مترددة في ثلاث عشرة. وفي

قال الطحاوي: حدثنا ربيع بن المؤذن، حدثنا ابن وهب، أخبرني ابن أبي الزناد، عن أبيه قال: أثبت عمر بن عبد العزيز الوتر بالمدينة بقول الفقهاء ثلاثاً لا يسلم إلا في آخرهن.

حدثنا أبو العوّام عبد الله بن عبد الجبار المرادي، حدثنا خالد بن نزار الايلي، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه عن السبعة: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وأبي بكر بن عبد الرحمن وعبيد الله بن عبد الله، وسليمان بن يسار، وخارجة بن زيد في مشيخة سواهم أهل فقه وصلاح وفضل، وربما اختلفوا في شيء فنأخذ بقول أكبرهم وأفضلهم رأياً، فكان مما وعيته عنهم على هذه الصفة «أن الوتر ثلاث لا يسلم إلا في آخرهن» اهـ.

وروى ابن أبي شيبة عن أكثر هؤلاء، وعن جابر بن زيد، وعلقمة، وإبراهيم النخعي، وسعيد ابن جبير ،ومكحول، وحماد، وأبي سلمة، والحسن البصري قال: حدثنا حفص، عن عمر. وعن الحسن قال: أجمع المسلمون على «أن الوتر ثلاث لا يسلم إلا في آخرهن».

قلت: قد ذكر في الباب الذي قبله عن أبي امامة عن ابن عون أن الحسن كان يسلم في ركعتي الوتر فهو مخالف للذي ذكره بعد، وأيضاً قوله: أجمع المسلمون هذا لا يصح من الحسن وراويه عنه عمر وهو ابن عبيد المبتدع المعتزلي الضال، ولا يحفظ على أحد من التابعين حكاية الإجماع في مسألة من المسائل.

قال الولي العراقي: سمعت والدي يقول ذلك اهـ.

قلت: ويمكن أن يجاب أنه لا يمنع من تسليمه في ركعتيه أن يقول «الوتر ثلاث». وأما الإجماع الذي ذكره فيحتمل أنه عنى به إجماع الفقهاء السبعة كما قدمناه بالسند عن الطحاوي فتأمل.

(وخمس): رواه مسلم من حديث عائشة «يوتر من ذلك بخمس لا يجلس في شيء إلا في آخرها».

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن إسماعيل بن زيد قال: كان زيد بن ثابت يوتر بخمس ركعات لا ينصرف فيها، وكذا عن عثمان بن عروة عن أبيه انه كان يوتر بخمس لا ينصرف فيها، وعن أبي أيوب قال: قال لي رسول الله ﷺ «أوتر بخمس فإن لم تستطع فبثلاث فإن لم تستطع فبواحدة، فإن لم تستطع فاوم إيماء».

وروى الطحاوي من طريق هشام، عن أبيه عروة، عن عائشة رفعته «كان يوتر بخمس سجدات لا يجلس بينهما حتى يجلس في الخامسة» قال: وقد تفرد هشام بهذا عن أبيه عروة. وما رواه العامة عن عروة وغيره عن عائشة بخلاف ذلك.

(وهكذا بالأوتار) أما الإيتار بسبع، فرواه مسلم، وأبو داود والنسائي واللفظ له من

حديث عائشة « أن رسول الله ﷺ لما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لا يقعد إلا في السادسة ثم ينهض ولا يسلم فيصلي السابعة ».

وروى الطحاوي من طريق أبي سلمة، والأعرج عن أبي هريرة رفعه قال « لا توتروا بثلاث وأوتروا بخمس أو سبع ولا تشبهوا بصلاة المغرب ».

وروي من طريق الزهري، عن عطاء، عن أبي أيوب رفعه « الوتر حق فمن شاء فليوتر بسبع، ومن شاء بخمس، ومن شاء بثلاث، ومن شاء بواحدة ».

ومن طريق يحي بن الجزار عن أم الدرداء قالت: « كان رسول الله ﷺ يوتر بثلاث عشرة ركعة، فلما كبر وضعف أوتر بسبع ».

ومن طريق الحكم عن مقسم عن أم سلمة قالت « كان رسول الله ﷺ يوتر بسبع وبخمس لا يفصل بينهن بسلام ولا بكلام ».

ومن طريق الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: « إني لأكره أن يكون بتراً ثلاثاً ولكن سبعاً أو خمساً ».

وأما الإيتار بتسع ففي حديث عائشة عند مسلم، وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، والطحاوي من طريق يحي بن الجزار عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ يوتر بتسع فلما اسنّ وثقل أوتر بسبع ».

وأخرج ابن أبي شيبة من طريق سعيد بن جبير والحسن قال: « كان رسول الله ﷺ يوتر بتسع ركعات فلما اسنّ وبدن أوتر بسبع وركعتين وهو جالس ».

وأخرج الطحاوي عن عبد الله بن شقيق قال: سألت عائشة عن تطوّع رسول الله ﷺ فقالت: « كان إذا صلى بالناس العشاء يدخل فيصلي ركعتين. قالت: وكان يصلي من الليل تسع ركعات منهن الوتر فإذا طلع الفجر صلى ركعتين في بيتي ثم يخرج فيصلي بالناس صلاة الفجر ».

وأخرج من طريق الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة « أن النبي ﷺ كان يوتر بتسع ركعات ».

وأخرج من طريق علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: أمرني العباس أن أبيت بآل النبي ﷺ وتقدم إلى ان لا تنام حتى تحفظ لي صلاة رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه « حتى صلى ست ركعات وأوتر بثلاث (**إلى احدى عشرة ركعة »**) رواه أبو داود باسناد صحيح من حديث عائشة « كان يوتر بأربع وثلاث وست وثلاث وثماني وثلاث وعشرة وثلاث ».

وأخرج الطحاوي من طريق سعد بن هشام عنها رفعته: « كان إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين ثم صلى ثماني ركعات ثم أوتر » فهذا محتمل لأن يكون جميع ما صلى إحدى عشرة، ويحتمل ثلاث عشرة على ما سيأتي.

ومن طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن عنها قالت: « ما كان ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً » الحديث.

ومن طريق عن الزهري، عن عروة عنها رفعة قالت: « كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة ويوتر منها بواحدة فإذا فرغ منها اضصجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن فيصلي ركعتين خفيفتين ».

ومن طريق يونس، وعمرو بن الحرث، وابن أبي ذئب، عن الزهري عن عروة عنها رفعته قالت: « كان يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدة قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية فإذا سكت المؤذن وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة فيخرج معه ».

ومن طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس: « بت في بيت خالتي ميمونة فصلى رسول الله ﷺ العشاء ثم جاء فصلى أربعاً ثم قام فصلى خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام ». ففيه أنه صلى إحدى عشرة ركعة منها ركعتان بعد الوتر.

ومن طريق كريب عن ابن عباس بلفظ « صلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر بثلاث ».

ومن طريق مالك، عن محمد بن يوسف، عن السائب بن يزيد قال: أمر عمر بن الخطاب أبيّ ابن كعب وتميماً الداري أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة. قال: فكان القارىء يقرأ بالمئين حتى يعتمد على العصا من طول القيام وما كنا ننصرف إلا في وقوع الفجر.

(والرواية مترددة في ثلاث عشرة) تبع المصنف فيه شيخه إمام الحرمين حيث حكى تردداً في ثبوت النقل في الإيتار بثلاث عشرة.

وقد رواه أبو داود، والطحاوي، عن عائشة في حديثها المتقدم « كان يوتر بأربع وثلاث وست وثلاث وثماني وثلاث وعشرة وثلاث ».

وعند الترمذي، والنسائي في حديث أم سلمة « كان يوتر بثلاث عشرة » قال الترمذي: حسن.

ولمسلم من حديث عائشة « كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة » زاد في رواية بركعتي الفجر. قاله العراقي، وبهذا يظهر وجه التردد في قول المصنف. قال الحافظ: وهو معترض بالأحاديث الواردة فيه اهـ.

وفي حديث عائشة عن طريق سعد بن هشام عند الطحاوي الذي تقدم بلفظ « كان يصلي

حديث شاذ: «سبع عشرة ركعة». وكانت هذه الركعات ـ أعني ما سمينا جملتها

ركعتين ثم ثمانياً ثم يوتر» يحتمل أنه كان يوتر بثلاث مستأنفات متتابعات، فيكون جميع ما صلى ثلاث عشرة ركعة.

وعند مسلم، والطحاوي من طريق أبي سلمة عنها: «كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة يصلي ثماني ركعات ثم يوتر بركعة، ثم يصلي ركعتين وهو جالس فإذا أراد أن يركع قام فركع ويصلي بين أذان الفجر والإقامة ركعتين».

وفي بعض طرق هذا الحديث «كان يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة. منها ركعتان وهو جالس، ويصلي ركعتين قبل الصبح فذلك ثلاث عشرة ركعة».

وقد وقع التصريح بأن الركعتين اللتين كان يصليهما بين الأذان والإقامة محسوبة فيها في طريق أخرى عن أبي سلمة عنها «كانت صلاته في رمضان وغيره ثلاث عشرة ركعة. منها ركعتا الفجر» وفي بعضها التصريح بأن الركعتين اللتين كان يصليهما جالساً محسوبة فيها على إحدى عشرة.

وفي حديث معاوية بن صالح عن عبد الله بن أبي قيس قلت لعائشة: بكم كان يوتر رسول الله ﷺ؟ قالت: «كان يوتر بأربع وثلاث وثماني وثلاث وعشرة وثلاث ولم يكن يوتر بأنقص من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة».

وفي حديث شعبة، عن أبي حمزة عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة».

وروى عكرمة بن خالد عنه أنه بات عند خالته ميمونة وفيه «فصلى ثلاث عشرة ركعة قيامه فيهن سواء».

وفي حديث عبدالله بن قيس بن مخرمة، عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: «لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ قال فتوسدت عتبته أو فسطاطه، فصلى رسول الله ﷺ ركعتين خفيفتين، ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين، ثم صلى ركعتين هما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين هما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين هما دون اللتين قبلهما، ثم صلى ركعتين هما دون اللتين قبلهما، ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة».

(وفي حديث شاذ «سبع عشرة ركعة») رواه ابن المبارك من حديث طاوس مرسلاً «كان يصلي سبع عشرة ركعة من الليل» ووجه شذوذه ما ثبت بالطرق الصحيحة عن عائشة «أنه ﷺ لم يكن يوتر بأكثر من ثلاث عشرة ركعة» فالقائل بهذا يضيف الركعتين اللتين كان يصليهما بعد العشاء والركعتين اللتين كان يصليهما بعد الوتر فيتحصل بذلك سبع عشرة ركعة، لكن فيه تلفيق بين الروايات بالنظر إلى مجموعها.

وتراً ـ صلاته بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنّة مؤكدة ـ وسيأتي ذكر فضلها في كتاب الأوراد ـ وفي الأفضل خلاف فقيل: إن الإيتار بركعة فردة أفضل إذا صح أنه

وقال الحافظ ابن حجر: وفي قوله «ولا بأكثر من ثلاث عشرة» في حديث عائشة عند أبي داود والاستدلال به فيه نظر، فقد نقل المنذري القول بأن أكثر ما روي عنه في صلاة الليل سبع عشرة وهي عدد ركعات اليوم والليلة.

وروى ابن حبان، وابن المنذر، والحاكم من طريق عراك، عن أبي هريرة رفعه «أوتروا بخمس أو بسبع أو بتسع أو احدى عشرة أو بأكثر من ذلك» اهـ.

(وكانت هذه الركعات ـ أعني ما سمينا جلتها) من واحدة إلى ثلاث عشرة **(وتراً ـ صلاته)** ﷺ **(بالليل)**. إما من بعد أن يفرغ من صلاة العشاء إلى أن يطلع الفجر كما جاء في بعض الروايات وتقدم ذكره، واما من بعد نومه ﷺ إلى أن يطلع الفجر كما هو الظاهر من سياق المصنف لأنه قال: **(وهو التهجد)** وهو الصلاة في الليل بعد نوم وتسمية الوتر تهجداً هو الصحيح المنصوص «في الأم» و«المختصر» وقيل: الوتر غير التهجد قاله الرافعي، وكون اسم التهجد يقع على الصلاة بعد النوم لا قبله. رواه ابن أبي خيثمة من طريق الأعرج، عن كثير بن العباس، عن الحجاج بن عمرو قال: يحسب أحدكم إذا قام من الليل يصلي حتى يصبح انه قد تهجد إنما التهجد أن يصلي الصلاة بعد رقدة ثم الصلاة بعد رقدة، وتلك كانت صلاة رسول الله ﷺ إسناده حسن.

(والتهجد بالليل سنّة مؤكدة ـ وسيأتي ذكر فضلها في كتاب الأوراد ـ) قريباً إن شاء الله تعالى.

وقال الرافعي في الشرح: الوتر سنّة ويحصل بركعة وبثلاث وبخمس وبسبع وبتسع وباحدى عشرة، فهذا أكثره على الأصح، وعلى الثاني أكثره ثلاث عشرة. ولا تجوز الزيادة على أكثره على الأصح، فإن زاد لم يصح وتره، وإذا زاد على ركعة فأوتر بثلاث فأكثر موصولة، فالصحيح أن له أن يتشهد تشهداً واحداً في الأخيرة وله تشهد آخر في التي قبلها، وفي وجه لا يجزىء الاقتصار على تشهد واحد، وفي وجه لا يجوز لمن أوتر بثلاث أن يتشهد تشهدين بتسليمة واحدة، فإن فعله بطلت صلاته بل يقتصر على تشهد أو يسلم في التشهدين، وهذان الوجهان منكران. والصواب جواز ذلك كله، ولكن هل الأفضل تشهد واحد أو تشهدان؟ فيه أوجه. أرجحها عند الروياني تشهد، والثاني تشهدان، والثالث هما في الفضيلة سواء، أما إذا زاد على تشهدين وجلس في كل ركعتين واقتصر على تسليمة في الركعة الأخيرة، فالصحيح أنه لا يجوز لأنه خلاف المنقول، والثاني يجوز كنافلة كثيرة الركعات.

(وفي الأفضل خلاف، فقيل: إن الاتيان بركعة فردة أفضل، إذا صح) من طرق كثيرة **(أنه ﷺ كان يواظب على الإيتار بركعة فردة)** كما تقدم من حديث ابن عمر

ﷺ كان يواظب على الايتار بركعة فردة، وقيل: الموصولة أفضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما الإمام إذ قد يقتدي به من لا يرى الركعة الفردة صلاة، فإن صلى موصولاً نوى بالجميع الوتر، وإن اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح. لأن شرط الوتر أن يكون في نفسه وتراً، وأن يكون موتراً لغيره مما سبق قبله، وقد أوتر الفرض ولو أوتر قبل العشاء لم يصح أي لا ينال

وغيره، وهذا قد ردّه ابن الصلاح فقال: لا نعلم في روايات الوتر مع كثرتها أنه ﷺ أوتر بواحدة فحسب، وقد ردّ عليه الحافظ ابن حجر بما تقدم من الأحاديث، وبما رواه ابن حبان من طريق كريب عن ابن عباس «أنه ﷺ أوتر بركعة». **(وقيل: الموصول أفضل للخروج من شبهة الخلاف لاسيا الإمام إذ قد يقتدي به من لا يرى الركعة الفردة)** أي سنيتها.

قال الرافعي: إذا أراد الإيتار بثلاث ركعات، فهل الافضل فصلها بسلامين أم وصلها بسلام؟ فيه أوجه. أصحها: الفصل والثاني الوصل، والثالث إن كان منفرداً فالفصل، وإن صلاّها بجماعة فالوصل، والرابع: عكسه. وهل الثلاث الموصولة أفضل من ركعة فردة؟ فيه أوجه. الصحيح أن الثلاث أفضل، والثاني الفردة. قال في النهاية على هذه الفردة: أفضل من إحدى عشرة ركعة موصولة، والثالث إن كان منفرداً فالفردة، وإن كان إماماً فالثلاث الموصولة. **(فإن صلى موصولاً نوى بالجميع الوتر وإن اقتصر على ركعة واحدةٍ بعد ركعتي)** سنة **(العشاء أو بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لأن شرط الوتر أن يكون في نفسه وتراً)** فإن الوتر في الأعداد هو الفرد، **(وأن يكون موتراً لغيره مما سبق قبله)** يقال: أوتر الصلاة إذا جعلها وتراً، **(وقد أوتر الفرض)** فلذا قلنا إنه صح وتره وهذا هو الأصح عند أصحاب الشافعي، ولا يتعين أن يوتر بها نفلاً فقد يوتر بها فرضاً وهو العشاء، وبه قال ابن نافع من المالكية وهو المشهور عندهم. وقال بعض أصحاب الشافعي: لو صلّى العشاء ثم أوتر بركعة قبل أن يتنفل لم يصح وتره، وهو الذي في المدوّنة ولا يوتر بواحدة لا شفع قبلها في سفر أو حضر، ويدل عليه حديث ابن عمر الذي تقدم: توتر له ما قد صلى.

ودليل ما ذهب إليه المصنف ما رواه البيهقي في السنن أن سعد بن أبي وقاص صلى العشاء ثم صلى بعدها ركعة، وأن أبا موسى الأشعري كان بين مكة والمدينة فصلى العشاء ركعتين ثم قام فصلى ركعة أوتر بها، وعن ابن عباس أنه لما فرغ من العشاء قال لرجل: ألا أعلمك الوتر؟ فقال: بلى، فقام فركع ركعة.

(ولو أوتر قبل العشاء لم يصح) قال الرافعي: في وقت الوتر وجهان، الصحيح: أنه من حين يصلي العشاء إلى طلوع الفجر، فإن أوتر قبل فعل العشاء لم يصح وتره سواء تعمد أو سها وظن أنه صلى العشاء أو صلاها ظاناً أنه متطهر ثم أحدث فتوضأ وصلى الوتر، ثم بان أنه كان محدثاً في العشاء فوتره باطل، والوجه الثاني: يدخل وقت الوتر بدخول وقت العشاء وله أن يصليه

فضيلة الوتر الذي هو خير له من حمر النعم، كما ورد به الخبر. وإلاَّ فركعة فردة

قبلها، ولو صلى العشاء ثم أوتر بركعة قبل أن يتنفل صح وتره على الصحيح، وقيل: لا يصح حتى تتقدمه نافلة، فإذا لم يصح وتراً كان تطوّعاً، كذا قاله إمام الحرمين **(أي لا ينال فضيلة الوتر الذي هو خير من حمر النعم، كما ورد به الخبر)**.

قال العراقي: أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه من حديث خارجة بن حذافة « إن الله أمدكم بصلاة وهي خير لكم من حمر النعم » وضعفه البخاري وغيره اهـ.

قلـت: وأخرجه أحمد، وأبو بكر بن أبي شيبة، والدارقطني، والحاكم وصححه، وقال: إنما تركاه لتفرد التابعي عن الصحابي. وخارجة بن حذافة العدوي القرشي هو الذي كان يعد بألف فارس، قتله عمرو بن بكر الخارجي ليلة قتل علي رضي الله عنه يظنه عمرو بن العاص.

قال أبو بكر ين أبي شيبة في المصنف: حدثنا يزيد بن هارون، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبدالله بن راشد الزوفي، عن عبدالله بن مرة الزوفي، عن خارجة بن حذافة العدوي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ الغداة فقال « لقد أمدكم الليلة بصلاة هي خير لكم من حمر النعم » قال: قلنا ما هي يا رسول الله؟ قال « الوتر فيما بين صلاة العشاء إلى طلوع الفجر ».

وحدثنا أبو خالد الأحمر، عن حجاج، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ « إن الله زادكم صلاة إلى صلاتكم وهي الوتر ».

وحدثنا وكيع، عن سفيان، عن حماد قال: أخبرني مخبر عن عبدالله بن عمر قال: « ما أحب أني تركت الوتر ولا أن لي حمر النعم » اهـ.

قال الدارقطني: عبدالله بن راشد، وعبدالله بن مرة لا يحتج بهما، ولا يعرف سماع لابن مرة عن خارجة، وقال: ابن عدي: ليس له إلا هذا الحديث، وفي الميزان للذهبي: حديثه عن خارجة لم يصح. وقال ابن حبان: منقطع ومتن باطل.

قلـت: وذكر الذهبي في الكاشف: عبدالله بن راشد الحميري الزوفي، عن عبدالله بن أبي مرة في الوتر، وعنه يزيد بن أبي حبيب وخالد بن يزيد، وقال أيضاً عبدالله بن مرة أو ابن أبي مرة الزوفي شهد فتح مصر ونزلها سمع من خارجة بن زيد في الوتر، وعنه عبدالله بن راشد ورزين الزوفيان سنده منقطع.

وأما معنى الحديث: « أمدكم » أي زادكم كما في رواية أخرى. يقال: مدّ الجيش وأمده إذا زاده وألحق به ما يكثره، فالإمداد إتباع الثاني للأول تقوية وتأكيداً له من المدد. وحمر النعم: هي أعز أموال العرب وأنفسها، فجعلت كناية عن خير الدنيا كله كأنه قيل: هذه الصلاة خير مما تحبون من عرض الدنيا وزينتها لأنها ذخيرة للآخرة والآخرة خير وأبقى. قال القاضي: ولا دلالة فيه على الوجوب إذ الامداد والزيادة يحتمل كونه على سبيل الوجوب وكونه على الندب، وقال غيره: ليس فيه دلالة على الوجوب إذ لا يلزم أن يكون المزاد من جنس المزيد.

صحيحة في أي وقت كان وإنما لم يصح قبل العشاء لأنه خرق إجماع الخلق في الفعل ولأنه لم يتقدم ما يصير به وتراً. فأما إذا أراد أن يوتر بثلاث مفصولة ففي نيته في

قلت: وأبى أصحابنا في الزيادة أنها لا تكون إلا من جنس المزيد عليه وقضيته الفرضية إلا أنه ليس مقطوعاً به، فرجع الأمر إلى الوجوب وزيادة على ذلك في قوله: «وهي الوتر» زيادة تعريف، وزيادة التعريف زيادة وصف وهو الوجوب لا أصله، وفي بعض طرقه: فحافظوا عليها فهو أمر بادائها والأمر للوجوب.

(وإلاّ فركعة فردة صحيحة في أي وقت كان). هذا مذهب الشافعي فإنه يرى جواز التطوّع بركعة في غير الوتر قياساً على الوتر، وحكى منعه عن مالك وإحدى الروايتين عن أحمد وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه، ودليل الشافعي قوله ﷺ: «الصلاة خير موضوع من شاء استقل ومن شاء استكثر» كما تقدم.

وفي المصنف لابن أبي شيبة: حدثنا جرير، عن قابوس، عن أبيه أن عمر دخل المسجد فركع فيه ركعة فقالوا له، فقال: إنما هو تطوّع فمن شاء زاد ومن شاء نقص.

حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه أن عمر بن الخطاب مرّ في المسجد فركع ركعة فقيل له: إنما ركعت ركعة. فقال: إنما هو تطوّع وكرهت أن اتخذه طريقاً.

حدثنا شريك، عن سماك قال: حدثني من رأى طلحة بن عبيدالله مرّ في المسجد فركع فسجد سجدة.

حدثنا وكيع، عن سيف بن ميسرة عن أبي سعيد قال: رأيت الزبير بن العوّام خرج من القصر فمر بالمسجد فركع ركعة أو سجد سجدة اهـ.

وأخرج البيهقي حديث قابوس، عن أبيه. وقابوس قال النسائي ليس بالقوي، وضعفه ابن معين وكان شديد الحمل عليه. وقال ابن حبان: رديء الحفظ ينفرد عن أبيه بما لا أصل له.

وقال أصحابنا: الوتر بواحدة هي البتيراء وقد نهي عنه. أورد صاحب التمهيد عن أبي سعيد الخدري: «أنه ﷺ نهى عن البتيراء أن يصلي الرجل ركعة واحدة يوتر بها» فلما لم يصح الوتر عندنا بركعة واحدة لم تصح ركعة فردة في غيره قياساً عليه.

فإن قلت: ذكر صاحب التمهيد بعد أن أخرج الحديث المذكور أن في سنده عثمان بن محمد بن ربيعة. قال العقيلي الغالب على حديثه الوهم. فالجواب: لم يتكلم عليه أحد بشيء فيما علمنا غير العقيلي وكلامه ضعيف، وقد أخرج له الحاكم في المستدرك.

(وإنما لم تصح) تلك الركعة الفردة **(قبل العشاء لأنه خرق إجماع الخلق في الفعل)** المذكور **(ولأنه لم يتقدم له ما يصير به وتراً)** وفيه وجه أنها تصح إن قلنا في وقت الوتر بدخول وقت العشاء كما تقدم نقله عن الرافعي، **(فأما إذا أراد أن يوتر بثلاث مفصولة)**

الركعتين نظر. فإنه إن نوى بهما التهجد أو سنّة العشاء لم يكن هو من الوتر. وإن نوى الوتر لم يكن هو في نفسه وتراً. وإنما الوتر ما بعده. ولكن الأظهر أن ينوي الوتر كما ينوي في الثلاث الموصولة الوتر. ولكن للوتر معنيان، أحدهما: أن يكون في نفسه وتراً، والآخر أن ينشأ ليجعل وتراً بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وتراً، والركعتان من جملة الثلاث إلاَّ أن وتريته موقوفة على الركعة الثالثة. وإذا كان هو على عزم أن يوترهما بثالثة كان له أن ينوي بهما الوتر. والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها. والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وتراً بأنفسهما ولكنهما موترتان بغيرهما. والوتر ينبغي أن يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد.

أي بتسليمتين (**ففي نيته في الركعتين نظر**) لمن تأمل، (**فإنه إن نوى بها التهجد أو سنّة العشاء لم يكن هو من الوتر**) وهذا ظاهر، (**وإن نوى الوتر**) بها (**لم يكن هو في نفسه وتراً**) وهذا أيضاً ظاهر، (**وإنما الوتر**) حقيقة (**ما**) يأتي به (**بعده، ولكن الأظهر**) من القولين في المذهب (**أن ينوي الوتر كما ينوي في الثلاث الموصولة الوتر**) سواء من غير فرق. (**ولكن للوتر معنيان. أحدهما: أن يكون في نفسه وتراً**) بملاحظة معنى الفردية فيه، ومنه حديث ابن عمر «إن الله وتر يحب الوتر» أي واحد في ذاته لا يقبل الانقسام والتجزئة، واحد في صفاته فلا شبيه له، واحد في أفعاله فلا شريك له. (**و**) المعنى (**الآخر ان ينشأ**) وفي بعض النسخ ان يثنّي (**ليجعل وتراً لما بعده فيكون مجموع وتر الثلاثة وتراً**) بهذا الاعتبار، (**والركعتان من جملة الثلاث إلا أن الوترية موقوف**) وفي بعض النسخ: إلا أن وتريته موقوفة (**على الركعة الثالثة، وإن كان هو على عزم أن يوترهما**) أي الركعتين (**بثالثة كان له أن ينوي بها الوتر، فالركعة الثالثة وتر بنفسها**) لكونها فردة (**وموترة لغيرها**) ولولا هي لكانتا شفعاً (**والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وتراً بأنفسهما ولكنهما موترتان**) على صيغة اسم المفعول (**بغيرهما**) وهي الثالثة منها، (**والوتر ينبغي أن يكون آخر صلاة الليل بعد التهجد**) فإن كان لا تهجد له ينبغي أن يوتر بعد فريضة العشاء وراتبتها، ويكون وتره آخر صلاة الليل، وإن كان له تهجد فالأفضل أن يؤخر الوتر كذا قاله العراقيون.

وقال إمام الحرمين وتلميذه المصنف: اختار الشافعي تقديم الوتر فيجوز أن يحمل نقلها على من لا يعتاد قيام الليل، ويجوز أن يحمل على اختلاف قول أو وجه. والأمر فيه قريب وكلٌّ سائغ، وإذا أوتر قبل أن ينام ثم قام وتهجد لم يعد الوتر على الصحيح المعروف، وفي وجه شاذ يصلي في أوّل قيامه ركعة تشفعه ثم يتهجد ما شاء ثم يوتر ثانياً ويسمى هذا بنقض الوتر قاله الرافعي.

وقد روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر: «اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً».

وسيأتي فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الأوراد.

وروي نقض الوتر عن جماعة من الصحابة منهم ابن عمر أخرجه الشافعي عن مالك عن نافع عنه أنه كان يوتر من أوّل الليل، فإذا قام ليتهجد صلى ركعة شفع بها تلك ثم يوتر من آخر الليل، ومنهم أبو بكر رواه البيهقي من حديث ابن عمر عنه من فعله، ومنهم أبو قتادة رواه أبو داود وابن خزيمة والطبراني والحاكم، ومنهم أبو هريرة رواه البزار وفيه سليمان بن داود اليماني وهو متروك، وله طريق أخرى عن ابن عيينة، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة ذكرها الدارقطني وقال: تفرد به محمد بن يعقوب عن ابن عيينة وغيره يرويه مرسلاً. وكذا رواه الشافعي عن ابن عيينة، وكذا رواه الشافعي أيضاً عن ابراهيم بن سعد، عن أبيه، عن ابن المسيب، وكذا رواه بقي بن مخلد عن ابن رمح عن الليث عن الزهري. ومنهم جابر رواه أحمد وابن ماجه وإسناده حسن، ومنهم عقبة بن عامر رواه الطبراني في الكبير وفي اسناده ضعف.

وأما عدم نقض الوتر فرواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف عن جماعة منهم سعد بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر، وابن عباس، وأبو بكر، وعائذ بن عمرو، ورافع بن خديج، وعائشة، وطلق بن علي، وعلقمة، وابراهيم النخعي، وعطاء، وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري.

(وسيأتي فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما في كتاب ترتيب الأوراد) إن شاء الله تعالى.

مهمات:

الأولى: قال الرافعي: يستحب القنوت في الوتر في النصف الأخير من شهر رمضان، فإن أوتر بركعة قنت فيها وإن أوتر بأكثر قنت في الأخيرة، ولنا وجه أنه يقنت في جميع رمضان، ووجه أنه يقنت في جميع السنة قاله أربعة من أئمة أصحابنا. أبو عبدالله الزبيري، وأبو الوليد النيسابوري، وأبو الفضل بن عبدان، وأبو منصور بن مهران. والصحيح اختصاص الاستحباب بالنصف الثاني من رمضان وبه قال جمهور الأصحاب، وظاهر نص الشافعي كراهة القنوت في غير هذا النصف، ولو ترك القنوت في موضع يستحب سجد للسهو، ولو قنت في غير النصف الأخير من رمضان. وقلنا لا يستحب سجد للسهو، وحكى الروياني وجهاً أنه يجوز القنوت في جميع السنة بلا كراهة، ولا يسجد للسهو بتركه في غير النصف. قال: وهذا اختيار طبرستان واستحسنه.

والثانية: في موضع القنوت في الوتر أوجه. أصحها بعد الركوع ونص عليه في حرملة، والثاني قبل الركوع قاله ابن سريج، والثالث يتخير بينهما فإذا قدمه، فالأصح أنه يقنت بلا تكبير، والثاني يكبر بعد القراءة ثم يقنت.

الثالثة: لفظ القنوت هو الذي رواه أبو الجوزاء، عن الحسن بن علي، عن النبي ﷺ، وتقدم

ذكره أولاً، واستحب الأصحاب أن يضم إليه قنوت عمر رضي الله عنه. « اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ـ إلى قوله ـ ملحق »، ثم يقول: « اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يصدّون عن سبيلك ويكذبون رسلك ويقاتلون أولياءك. اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، وأصلح ذات بينهم، وألف بين قلوبهم، واجعل في قلوبهم الايمان والحكمة، وثبّتهم على ملة رسولك، وأوزعهم أن يوفوا بعهدك الذي عاهدتهم عليه وانصرهم على عدوّك وعدوّهم إله الحق، واجعلنا منهم ». وهل الأفضل أن يقدم قنوت عمر على قنوت الصبح، أو يؤخره وجهان. قال النووي: الأصح تأخيره لأن قنوت الصبح ثابت عن النبي ﷺ في الوتر، وينبغي أن يقول: « اللهم عذب الكفرة » للحاجة إلى التعميم في أزماننا. والله أعلم اهـ.

قال الروياني، قال ابن القاص: يزيد في القنوت: ربنا لا تؤاخذنا. واستحسنه.

فصل

وقال أصحابنا: الوتر ثلاث ركعات بتسليمة واحدة في أخراهن. ويقرأ وجوباً في كل ركعة منه الفاتحة وسورة كما تقدم، ويجلس وجوباً على رأس الركعتين الأولين منه، ويقتصر على التشهد لشبهة الفرضية، ولا يستفتح عند قيامه لأنه ليس ابتداء صلاة، وإذا فرغ من قراءة السورة فيها رفع يديه حذاء أذنيه ثم كبّر وبعده قنت قائماً قبل الركوع في جميع السنة واضعاً يمينه على يساره ولا يرفعها عند أبي حنيفة، وروى فرج مولى أبي يوسف قال: رأيت مولاي أبا يوسف إذا دخل في القنوت للوتر رفع يديه في الدعاء. حكى الطحاوي، عن ابن أبي عمران: كان فرج ثقة ولا يقنت في غير الوتر وهو الصحيح. قال الطحاوي: إنما لا يقنت عندنا في الفجر من غير بلية، فإن وقعت فتنة أو بلية فلا بأس به فعله رسول الله ﷺ.

ولفظ القنوت: « اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب إليك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثني عليك الخير كله نشكرك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك. اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق. وصلى الله على النبي وآله وسلم »، هكذا اختاره أبو الليث، والمؤتم يقرأ القنوت كالإمام على الأصح.

وروي عن محمد: أن المؤتم لا يقرأ ويخفي الإمام والمأموم على الصحيح، وبه قال أبو يوسف. وقيل: يجهر إن أراد تعليم القوم إياه، ويستحب أن يضم إليه قنوت الحسن بن علي وهو: اللهم اهدنا فيمن هديت إلخ. ومن لم يحسنه يقول: اللهم اغفر لي ثلاث مرات أو ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار، أو يقول: يا رب يا رب يا رب ذكره الصدر الشهيد. فهي ثلاثة أقوال مختارة.

وإذا اقتدى بمن يقنت في الفجر قام معه في قنوته ساكتاً في الأظهر ليتابعه فيما يجب عليه متابعته وهو القيام، وقيل: يطيل الركوع إلى أن يفرغ الإمام من قنوته، وقيل يقعد، وقيل:

يسجد إلى أن يدركه فيه. والأول أظهر وهو القيام معه لوجوب المتابعة في غير القنوت. وهذا عند أبي حنيفة ومحمد. وقال أبو يوسف: يتابعه لأنه يقع للإمام، والقنوت مجتهد فيه فصار كتكبيرات العيدين، والقنوت في الوتر بعد الركوع. وهذا الاختلاف دليل على أنه يتابعه في قراءة القنوت في الوتر لكونه ثابتاً بيقين، فصار كالثناء والتشهد وتسبيح الركوع. ولو اقتدى بمن يرى سنّية الوتر صح للاتحاد ولا يختلف باختلاف الاعتقاد في الوصف صححه أبو بكر محمد بن الفضل، وفي قول الأكثر: إذا سلّم الإمام على رأس الركعتين من الوتر لا يصح الاقتداء وأجازه أبو بكر الرازي، وفي قول: يقوم المؤتم ويتمه منفرداً وإذا نسي القنوت في الوتر وتذكره في الركوع أو في الرفع منه لا يقنت على الأصح لا في الركوع الذي تذكره فيه ولا بعد الرفع منه ويسجد للسهو، ولو قنت بعد رفع رأسه من الركوع لا يعيد الركوع، فإن عاد إلى القيام وقنت ولم يعد الركوع لم تفسد صلاته لأن ركوعه قائم لم يرتفض، وفرّق بين هذا وبين تكبير العيد فإنه لو تذكره في الركوع يأتي به، والوجه أن القنوت محله القيام المطلق وقد فات، ولا يمكن نقض الركوع لأن الركوع فرض والقنوت ليس بفرض فلا يجوز نقضه له لأنه دونه، فأما تكبير العيد فمحله لم يفت لأنه شرع في حال القيام وفيما يجري مجراه ويسجد للسهو لزوال القنوت عن محله الأصلي قنت بعد الرفع أو لم يقنت لأنه إن قنت فقد قدم وأخّر، وإن لم يقنت فلتركه الواجب أصلاً. ولو ركع الإمام قبل فراغ المقتدي من قراءة القنوت أو قبل شروعه فيه وخاف فوت الركوع مع الإمام تابعه، وإن لم يخف يقنت جمعاً بين الواجبين. ولو ترك الإمام القنوت يأتي به المؤتم إن أمكنه مشاركة الإمام في الركوع وإلاّ تابعه، ولو أدرك الإمام في ركوع الثالثة كان مدركاً للقنوت حكماً فلا يأتي به فيما سبق به ويوتر بجماعة استحباباً في رمضان فقط، والاحتياط تركها فيه خارج رمضان إذا كان على سبيل التداعي. أما لو اقتدى واحد بواحد أو اثنان بواحد لا يكره، وإذا اقتدى ثلاثة بواحد اختلف فيه، وإن اقتدى أربعة بواحد كره اتفاقاً وصلاته مع الجماعة في رمضان أفضل من صلاته منفرداً آخر الليل، واختاره قاضيخان وصححه، ورجحه ابن الهمام، ورجح غيره أن يوتر بمنزله لا بجماعة، والله أعلم.

فصل

قال الشيخ الأكبر قدس سره في كتاب الشريعة: والحقيقة في صفة الوتر منهم من استحب أن يوتر بثلاث يفصل بينها بسلام، ومنهم من لا يفصل بينها بسلام، ومنهم من يوتر بواحدة، ومنهم من يوتر بخمس لا يجلس إلا في آخرها. وقد أوتر بسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وهو أكثر ما روى ذلك في وتره ﷺ. قد بينا لك في الاعتبار قبل هذا كون المغرب وتر صلاة النهار، فأمر بوتر صلاة الليل لتصح الشفعية في العبادة إذ العبادة تناقض التوحيد، فإنها تطلب عابداً ومعبوداً والعابد لا يكون المعبود فإن الشيء لا يذل لنفسه، ولهذا قسّم الصلاة بين العبد والرب، فلما جعل المغرب وتر صلاة النهار والصلاة عبادة غارت الأحدية إذا سمعت

الوترية تصحب العبادة فشرعت وتر صلاة الليل لتشفع وتر صلاة النهار فتأخذ بوتر الليل ثارها من وتر النهار، ولهذا يسمى الذحل وتراً، فإن أوتر بثلاث فهو من قوله: «فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» ومن أوتر بواحدة فهو مثل قوله: «لا قود إلا بحديدة» فمن فصل في الثلاث بسلام راعى لا قود إلا بحديدة وراعى حكم الأحدية، ومن لم يفصل راعى وحدانية الإله، فمن أوتر بواحدة فوتره أحدي، ومن أوتر بثلاث فهو توحيد الألوهية، ومن أوتر بخمس فهو توحيد القلب، ومن أوتر بسبع فهو توحيد الصفات، ومن أوتر بتسع فقد جمع في كل ثلاث توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال، ومن أوتر بإحدى عشرة فهو توحيد المؤمن، ومن أوتر بثلاث عشرة فهو توحيد الرسول وليس وراء الرسالة مرمى فإنها الغاية، وما بعدها إلا الرجوع إلى النبوّة لأن عين العبد هناك ظاهر بلا شك.

ومن السنّة أن يتقدم الوتر شفع والسبب في ذلك أن الوتر لا يؤمر بالوتر فإنه لو أمر به لكلف أمراً بالشفع، وإنما المأمور بالوتر من ثبتت له الشفعية فيقال له أوترها، فإن الوتر هو المطلوب من العبد فما أوتر رسول الله ﷺ قط إلا عن شفع. قال الله تعالى: ﴿والشفع والوتر﴾ [الفجر: ٣] وقد قدمنا أن الشفعية حقيقة العبد إذ الوترية لا تنبغي إلا لله تعالى من حيث ذاته وتوحيد مرتبته أي: مرتبة الإله لا تنبغي إلا لله تعالى من غير مشاركة، والعبودية عبوديتان: عبودية اضطرار ويظهر ذلك في اداء الفرائض، وعبودية اختيار ويظهر ذلك في النوافل، ورسول الله ﷺ ما أوتر قط إلا عن شفع نافلة غير أن قوله: «إن صلاة المغرب وتر صلاة النهار» وشرع الوتر ليوتر به صلاة الليل وصلاة النهار منها فرض ونفل، وعلمنا أن النفل قد لا يصليه واحد من الناس كضمام بن ثعلبة السعدي، فقد أوتر له صلاة المغرب الصلوات المفروضة في النهار، فقد يكون الوتر يوتر له صلاة العشاء الآخرة إذا أوتر بواحدة أو بأكثر من واحدة ما لم يجلس فإن النفل لا يقوى قوة الفرض فإن الفرض بقوته أوتر صلاة النهار وإن كانت صلاة المغرب ثلاث ركعات يجلس فيها من ركعتين ويقوم إلى ثالثة. وقد ورد النهي عن أن يتشبه في وتر الليل بصلاة المغرب لئلا يقع اللبس بين الفرائض والنوافل، فمن أوتر بثلاث أو خمس أو بسبع وأراد أن يوتر الفرض فلا يجلس إلا في آخر صلاته حتى لا يتشبه بالصلاة المفروضة، فإذا لم يجلس قامت في القوّة مقام وترية المغرب، وإن كان فيه جلوس لقوة الفرضية فيتقوّى الوتر إن كان أكثر من ركعة إذا لم يجلس بقوة الأحدية.

فصل
في وقته

فمن وقته ما هو متفق عليه وهو من بعد صلاة العشاء الآخرة إلى طلوع الفجر، ومنه مختلف فيه على خمسة أقوال: فمن قائل يجوز بعد الفجر، ومن قائل بجوازه ما لم تصل الصبح، ومن قائل يصلي بعد الصبح، ومن قائل يصلي وإن طلعت الشمس، ومن قائل يصلي من الليلة القابلة. هذه الأقوال حكاها ابن المنذر.

والذي أقول به: إنه يجوز بعد طلوع الشمس، وهو قول أبي ثور، والأوزاعي، فإن النبي ﷺ جعل المغرب وتر صلاة النهار مع كونه لا يصلّى إلا بعد غروب الشمس، وكذلك صلاة الوتر وإن تركها الإنسان من الليل فإنه تارك للسنّة، فإن صلاها بعد طلوع الشمس فإنها توتر له صلاة الليل، وإن وقعت بالنهار كما أوترت صلاة المغرب صلاة النهار وإن كانت وقعت بالليل.

الاعتبار الوتر لا يتقيد بالأوقات وإن ظهر في الأوقات، إذ لو تقيد لم يصح له الانفراد، فإن القيد ضد الإطلاق، ولا سيما قد ذكرنا في كتاب الزمان، أن الوقت أمر عدمي لا وجود له، والوتر أمر محقق وجودي، وكيف يتقيد الأمر الوجودي بالأمر العدمي حتى يؤثر فيه هذا التأثير، ونسبة التأثير إلى الأمر الوجودي أحق وأولى عند كل عاقل، وإذا لم يقيد وقت الوتر فليوتر متى شاء ومثابرته على إيقاعه قبل الفجر أولى، فإنه السنّة. والاتباع في العبادات أولى وهذا الذي أوردناه إنما هو على ما تعطيه الحقائق في الاعتبارات فافهم. كما أنه إذا اعتبرنا في الوتر أنه الذحل مما وقع من وتر صلاة المغرب من كونها عبادة، فطلب الثأر لا يتقيد بالوقت وإنما أمره متى ظفر بمن يطلبه أخذ ثأره منه من غير تقييد وقت فعلى كل وجه من الاعتبارات لا يتقيد بالوقت، ثم اختلف الناس في القنوت في الوتر فمن قائل يقنت فيه، ومن قائل بالمنع، ومن قائل بالجواز في نصف رمضان الأوّل، وفي نصفه الآخر، ومن مجوّز له في رمضان كله. وكل ذلك عندي جائز فمن فعل من ذلك ما فعل فله حجة.

الاعتبار الوتر لما لم يصح إلا أن يكون عن شفع إما مفروض أو مسنون لم يقو قوّة توحيد الأحدية الذاتية التي لا تكون نتيجة عن شفع، ولا تتولد في نفس العارف عن نظر مثل من عرف نفسه عرف ربه، فهذه معرفة الوترية لا معرفة الأحدية الذاتية، والقنوت دعاء وتضرع وابتهال وهو ما يحمله الوتر من أثر الشفع المقدم عليه التي هي هذه المعرفة الوترية نتيجة عنه، فتعين الدعاء من الوتر ولهذا دعا الحق عباده وقال: ﴿فليستجيبوا لي﴾ [البقرة: ١٨٦] وقال: ﴿والله يدعو إلى الجنة والمغفرة﴾ [البقرة: ٢٢١] وقال: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ [يونس: ٢٥] فوصف نفسه بالدعاء وهو الوتر سبحانه فاقتضى الوتر القنوت، فإذا أوتر العبد انبغى له أن يقنت ولا سيما في رمضان، فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى، فتأكد الدعاء في وتر رمضان أكثر من غيره من الشهور فاعلم.

وأما صلاة الوتر على الراحلة فمنهم من منع ذلك لكونه يراه واجباً فيلحقه بالفرض قياساً، وموضع الاتفاق بين الأئمة أن الفرض لا يجوز على الراحلة، وأكثر الناس على إجازة الوتر على الراحلة لثبوت الأثر في ذلك وبه أقول.

الاعتبار الصلاة المقسومة بين الله وبين العبد ليست في الأفعال، وإنما هي في قراءة الفاتحة وما في معناها من الأذكار، فيجوز الوتر على الراحلة وهو مصل ومن راعى تنزيه الحق في كل فعل

السابعة: صلاة الضحى: فالمواظبة عليها من عزائم الأفعال وفواضلها، أما عدد

في الصلاة واعتباره فيما يناسب الحق من ذلك. قال: لا يجوز الوتر على الراحلة لأن من شروط صحة الصلاة ما يسقط في مشي الراحلة إذا توجهت لغير القبلة، فإن اعترض بوتر النبي ﷺ على الراحلة حيث توجهت، فاعلم أن النبي ﷺ كله وجه بلا قفا فهو يرى من جميع وجوهه، فحيثما كانت القبلة فإن له عيناً من جهته يراها فهو مستقبلها على أي حال كان، وقد ثبت أنه ﷺ قال: «إني أراكم من وراء ظهري» أعلمهم بأن حكم ظهره الذي هو ظهر في نظركم هو وجه لي أرى منه مثل ما أرى من وجهي الذي هو وجه معروف عندكم، فما أوتر رسول الله ﷺ لغير القبلة قط، ومن كان له هذه الحال ثبت له قوله: ﴿فأين ما تولوا فثم وجه الله﴾ [البقرة: ١١٥] ووجه الله للمصلي إنما هو في قبلته، فدل أن من حاله هذه، ويرى القبلة بعين تكون في الجهة التي تليها فهو مصل للقبلة، وأما من نام على وتر ثم قام فبدا له أن يصلي فمن قائل يصلي ركعة تشفع له وتره، ثم يصلي ما شاء ثم يوتر. ومن قائل لا يشفع وتره وبه أقول، فإن الوتر لا ينقلب نفلاً بهذه الركعة التي يشفعه بها والنفل بركعة واحدة غير معروف في الشرع، وأين السنّة من النفل والحكم ههنا للشرع، وقد قال: لا وتران في ليلة. ومن راعى المعنى المعقول قال: إن هذه الركعة الواحدة تشفع تلك الركعة الوترية واتباع الشرع أولى في ذلك.

الاعتبار الوتر لا يتكرر، فإن الحضرة الإلهية لا تقتضي التكرار فلا وتران في ليلة، وأحدية الحق لا تشفع بأحدية العبد ولا يكون للحق أحديتان فلا يشفع وتره بركعة من يصلي بعدما أوتر، ومن راعى أحدية الألوهية وأضافها إلى أحدية الذات وأن أحدية المرتبة لا تعقل إلا مع صاحب المرتبة. قال: يضيف من أراد الصلاة بعدما أوتر ركعة إلى وتره، ثم يصلي ما شاء، ثم يوتر فكل واحد له اعتبار خاص يسوغ له. والله أعلم.

(**السابعة: صلاة الضحى**) أضيفت هذه الصلاة للضحى لأنه وقتها، والمعنى الصلاة المفعولة في وقت الضحى وهو بالضم مقصوراً. قال في الصحاح: ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم الضحى وحين تشرق الشمس مقصورة تؤنث وتذكر، فمن أنَّث ذهب إلى أنها جمع ضحوة، ومن ذكَّـر ذهب إلى أنه اسم فعل كصرد ونغل، ثم بعده الضحاء ممدود مذكر وهو عند ارتفاع النهار الأعلى، وفي المحكم الضحو والضحوة والضحية كعشية ارتفاع النهار، والضحى فويق ذلك أنثى وتصغيرها بغير هاء لئلا يلتبس بتصغير ضحوة، والضحاء إذا امتد النهار وكَرُبَ أن ينتصف، وقيل: الضحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جدا، ثم بعد ذلك الضحاء إلى قريب من نصف النهار. وقال في النهاية: الضحوة ارتفاع أوّل النهار، والضحى بالضم والقصر فوقه وبه سميت صلاة الضحى، والضحاء بالفتح والمد إذا علت الشمس إلى ربع السماء فما بعده. وقال في المشارق: الضحاء ممدود مفتوح، والضحى بالضم مقصور قيل هما بمعنى واضحاء النهار ضوءه، وقيل المقصور المضموم هو أوّل ارتفاعها والممدود إلى قريب من نصف

....

النهار، وقيل: المقصور حين تطلع الشمس، والممدود إذا ارتفعت، وقيل: الضحو ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء إذا امتد النهار اهـ.

وقال ابن العربي: الضحى مقصور مضموم طلوع الشمس، والمفتوح الممدود اشراقها وضياؤها وبياضها.

واختلف العلماء في هذه الصلاة فطائفة أنكرت وعدتها بدعة لما روى البخاري في صحيحه، عن مسدد، عن يحي، عن شعبة، عن توبة، عن مؤرق قال: «قلت لابن عمر اتصلي الضحى، قال: لا. قلت: فعمر؟ قال: لا. قلت: فأبو بكر؟ قال: لا. قلت: فالنبي ﷺ قال: لا أخا له».

وأخرج هو، ومسلم، وأبو داود، والنسائي من طريق الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ سبح سبحة الضحى وإني لأسبحها».

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن ابن عمر قال: ما صليت الضحى منذ أسلمت إلا أن أطوف بالبيت، وأنه سئل عن صلاة الضحى فقال: وللضحى صلاة؟وإنه سئل عنها فقال: إنها بدعة. وعن أبي عبيدة قال: لم يخبرني أحد من الناس أنه رأى ابن مسعود يصلي الضحى، وعن علقمة أنه كان لا يصلي الضحى. وحكى ابن بطال أن عبد الرحمن بن عوف كان لا يصلي الضحى، وعن أنس أنه سئل عن صلاة الضحى فقال: الصلوات خمس، فهذا مجموع ما احتج به المنكرون، والذي عليه جمهور العلماء من السلف والخلف استحباب هذه الصلاة.

ولذا قال المصنف: **(فالمواظبة عليها)** أي المداومة على فعلها **(من عزائم الأفعال وفواضلها)** وقد ورد فيها أحاديث كثيرة صحيحة مشهورة، حتى قال محمد بن جرير الطبري: إنها بلغت حدّ التواتر.

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن ابن عباس أنها في كتاب الله ولا يغوص عليها إلا غواص ثم قرأ: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال﴾ [النور: ٣٦] وقال القاضي ابن العربي: وهي كانت صلاة الأنبياء قبل محمد صلوات الله عليهم قال الله تعالى مخبراً عن داود: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾ [ص: ١٨] فابقى الله من ذلك في دين محمد العصر صلاة العشي، ونسخ صلاة الإشراق.

وفي المصنف لابن أبي شيبة فعل صلاة الضحى عن عائشة، وأبي ذر، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والضحاك، وابن مجلز.

وقال النووي في شرح مسلم: وأما ما صح عن ابن عمر أنه قال في الضحى هي بدعة محمول على أن صلاتها في المسجد والتظاهر بها كما كانوا يفعلونه بدعة لا أن أصلها في البيوت ونحوها مذموم، أو يقال قوله بدعة أي المواظبة عليها لأن النبي ﷺ لم يواظب عليها خشية أن تفرض وهذا في حقه ﷺ، وقد ثبت استحباب المحافظة في حقنا بحديث أبي الدرداء، وأبي ذر،

ويقال: ابن عمر لم يبلغه فعل النبي ﷺ الضحى وأمره بها، وكيف كان فجمهور العلماء على استحباب الضحى، وإنما نقل التوقف فيها عن ابن مسعود وعن ابن عمر اهـ.

قال الولي العراقي في شرح التقريب: الظاهر ان من عدّ صلاة الضحى بدعة لا يراها من البدع المذمومة، بل هي بدعة محمودة، فإن الصلاة خير موضوع وليس فيها ابتداع أمر ينكره الشرع، ولذلك عقبت عائشة رضي الله عنها النفي بقولها: «وإني لأسبحها».

وفي مصنف ابن أبي شيبة عن ابن عمر انه سئل عنها فقال: بدعة ونعمت البدعة وإنه كان لا يصليها وإذا رآهم يصلونها قال: ما أحسن ما أحدثوا سبحتهم هذه، وإذا كان كذلك فقد حصل الإجماع على استحبابها، وإنما اختلفوا في أنها مأخوذة من سنّة مخصوصة أو من عمومات استحباب الصلاة، فتوقف هذا القائل الثاني في اثبات هذا الاسم الخاص لها والله أعلم.

ثم قال: وإذا قلنا باستحباب صلاة الضحى فهل الأفضل المواظبة عليها أو فعلها في وقت وتركها في وقت؟ الظاهرالأول لقوله عليه السلام «أحب العمل إلى الله ما دام عليه صاحبه وإن قل».

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري، عن أبي هريرة رضي الله قال: «أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت صوم ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى ونوم على وتر».

وروى الترمذي، عن أبي هريرة أيضاً قال قال رسول الله ﷺ: «من حافظ على سنة الضحى غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر».

وروى أبو بكر البزار في مسنده عن أبي هريرة أيضاً أن رسول الله ﷺ كان لا يترك صلاة الضحى في سفر ولا غيره» وإسناده ضعيف فيه يوسف بن خالد السمني ضعيف جداً.

وذهبت طائفة إلى الثاني حكاه القاضي عياض عن جماعة والخلاف في ذلك عند الحنابلة، وقال بالأول أبو الخطاب منهم حكاه ابن قدامة في المغني.

وفي مصنف ابن أبي شيبة أن عكرمة سئل عن صلاة ابن عباس الضحى فقال: كان يصليها اليوم ويدعها العشر، وعن إبراهيم النخعي كانوا يصلون الضحى ويدعونه ويكرهون أن يديموها مثل المكتوبه، ويدل له قول عائشة رضي الله عنها: «انه ﷺ لم يكن يصلي الضحى إلا أن يجيء من مغيبه». وقول عبد الرحمن بن أبي ليلى ما أخبرني أحد أنه رأى النبي ﷺ يصلي الضحى إلا أم هانيء وهو في الصحيحين.

وما رواه الترمذي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: كان نبي الله ﷺ يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها وقال الترمذي: حسن غريب.

قال النووي: مع أن عطية ضعيف فلعله اعتضد.

والجواب عن هذه الأحاديث ما ذكرته عائشة رضي الله عنها من أنه ﷺ كان يترك العمل

ركعاتها فأكثر ما نقل فيه ثماني ركعات. روت أم هانىء أخت علي بن أبي طالب رضي

وأنه ليحب أن يعمله مخافة أن يستن به الناس فيفرض عليهم، وقد أمن هذا بعده ﷺ لاستقرار الشرائع وعدم إمكان الزيادة فيها والنقص عنها، فينبغي المواظبة عليها.

وقال الحافظ العراقي في شرح الترمذي: اشتهر بين كثير من العوام أنه من صلى الضحى ثم قطعها يحصل له عمى فصار كثير من الناس لا يصلونها خوفاً من ذلك، وليس لهذا أصل البتة لا من السنة ولا من قول أحد من الصحابة ولا من التابعين ومن بعدهم. والظاهر أن هذا مما ألقاه الشيطان على ألسنة العوام لكي يتركوا صلاة الضحى دائماً ليفوتهم بذلك خير كثير، وهو أنهما يقومان عن سائر التسبيح والتكبير والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي ذر اهـ.

قلت: ولفظ حديث أبي ذر عند مسلم «يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة ويجزىء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى».

وحاصل ما أجابوا به عن حديث عائشة المتقدم: ما رأيت النبي ﷺ يسبح سبحة الضحى قط وإني لاسبحها تضعيف النفي لكونه معارضاً بالأحاديث الصحيحة، المشهورة عن الصحابة أنه ﷺ صلى الضحى وأوصى بها، والمثبت مقدم على النافي وحمله على المداومة أو على رؤيتها أو على عدد الركعات أو على إعلانها أو على الجماعة فيها فهذه ستة أجوبة.

الأول: أشار إليه محمد بن جرير الطبري وهو ضعيف لأن حديث النفي ثابت في الصحيحين ورواته أعلام حفاظ لا يتطرق احتمال الخلل إليهم.

والثاني: اختاره البيهقي، وحكاه النووي في الخلاصة، وحكاه الإكمال بصيغة التمريض ولم يرتضه.

والثالث: أشار إليه القاضي، والنووي في شرح مسلم.

والرابع: أشار إليه القاضي.

والخامس: ذكره ابن بطال.

والسادس: ذكره أبو العباس القرطبي، ويؤيد الجواب الخامس ما روي عن عائشة أنها كانت تغلق على نفسها الباب ثم تصلي الضحى وقول مسروق: كنا نقرأ في المسجد فنبقى بعد قيام ابن مسعود، ثم نقوم فنصلي الضحى، فبلغ ابن مسعود ذلك فقال لم تحملوا عباد الله ما لم يحملهم الله إن كنتم لا بد فاعلين ففي بيوتكم، وكان أبو مجلز يصلي الضحى في بيته وكان مذهب السلف الاستتار بها وترك إظهارها للعامة لئلا يروها واجبة.

(أما عدد ركعاتها) فاختلف فيه **(فاكثر ما نقل فيه ثمان ركعات)**. اعلم أن أقل صلاة

الله عنهما: «أنه ﷺ صلى الضحى ثماني ركعات أطالهن وحسنهن». ولم ينقل هذا

الضحى ركعتان دل على ذلك حديث أبي ذر المتقدم عند مسلم وهو كذلك بالإجماع، وإنما اختلفوا في أكثرها فحكى النووي في شرح المهذب عن أكثر الأصحاب أن أكثرها ثمان، كما ذكره المصنف وهو مذهب الحنابلة، كما ذكره في المغني، وجزم الرافعي في الشرح الصغير والمحرر، والنووي في الروضة والمنهاج تبعاً للروياني بأن أكثرها اثنتا عشرة ركعة، وورد فيه حديث ضعيف رواه البيهقي وغيره عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً: «إن صليت الضحى ركعتين لم تكتب من الغافلين، وإن صليتها أربعاً كتبت من المحسنين، وإن صليتها ستاً كتبت من القانتين، وإن صليتها ثمانياً كتبت من الفائزين، وإن صليتها عشراً لم يكتب لك ذلك اليوم ذنب، وإن صليتها اثنتي عشرة بنى الله لك بيتاً في الجنة». أشار البيهقي إلى ضعفه بقوله في إسناده نظر. وذكر أبو حاتم الرازي أنه روي عن أبي ذر وأبي الدرداء قيل له: أيهما أشبه؟ قال جميعاً مضطـربين ليس لهما في الرواية معنى.

قلت: إلا أن المنذري قال في حديث أبي الدرداء رجاله ثقات، ولفظه عند الطبراني في الكبير «من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين، ومن صلى أربعاً كتب من العابدين، ومن صلى ستاً كفي ذلك اليوم، ومن صلى ثمانياً كتب من القانتين، ومن صلى اثنتي عشرة بنى الله له بيتاً في الجنة».

وروى الترمذي في العلل المفرد من طريق يونس بن بكير، عن أبي إسحاق: حدثني موسى بن خلاف بن أنس، عن عمه ثمامة بن أنس، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «من صلى الضحى اثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصراً من ذهب في الجنة» وقال: سألت محمداً فقال: هذا حديث يونس بن بكير ولم يعرف من حديث غيره. وقال الروياني في الحلية: أكثرها اثنتا عشرة وكلما زاد كان أفضل، وقال الحليمي: الأمر في مقدارها إلى المصلي كسائر التطوع وهما غريبان في المذهب، وبذلك قال بعض السلف. قال محمد بن جرير الطبري بعد ذكره اختلاف الآثار في ذلك: الصـواب إذا كان الأمر كذلك أن يصليها من أراد على ما شاء من العدد، وقد روي هذا عن قوم من السلف، ثم روى بإسناده أن الأسود سئل كم أصلي الضحى؟ قال: كم شئت، ولما ذكر النووي في الروضة أن أكثرها اثنتا عشرة قال: وأفضلها ثمان، وقال في شرح مسلم. أكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات أو ست.

ثم احتج المصنف على القول بأن أكثرها ثمان فقال: **(روت أم هانيء)** فاختة، وقيل: هند **(أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنها)** وهي شقيقته أمها فاطمة بنت أسد بن هاشم، أسلمت عام الفتح، وعاشت بعد علي دهراً طويلاً روى لها الجماعة **(«أن النبي ﷺ صلى الضحى ثمان ركعات أطالهن وحسنهن» ولم ينقل هذا العدد غيرها)**.

قال العراقي: متفق عليه دون زيادة: اطالهن واحسنهن وهي منكرة اهـ.

قلت: لفظ البخاري: حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا عمرو بن مرة قال: سمعت عبد

الرحمن بن أبي ليلى يقول: ما حدثنا أحد أنه رأى النبي ﷺ يصلي صلاة الضحى غير أم هانىء، فإنها قالت: «إن النبي ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم أر صلاة قط اخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود».

وأخرجه مالك في الموطأ، ومسلم من طريق أبي مرة عنها نحوه، وأخرجه ابن خزيمة من طريق كريب عنها، وزاد «يسلم من كل ركعتين».

وفي المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة: حدثنا وكيع، حدثنا ابن أبي خالد، عن أبي صالح مولى أم هانىء قالت: «دخل علي رسول الله ﷺ ببيتي يوم فتح مكة فوضعت له ماء فاغتسل ثم صلى ثمان ركعات صلاة الضحى لم يصلهن قبل يومه ولا بعده».

وكيع، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن ابن أبي ليلى قال: لم يخبرنا أحد من الناس أن النبي ﷺ صلى الضحى إلا أم هانىء، فإنها قالت: «دخل علي رسول الله ﷺ بيتي يوم فتح مكة فاغتسل ثم صلى ثمان ركعات فخفف فيهن الركوع والسجود لم أره صلاهن قبل يومئذ ولا بعده».

ابن عينية، عن يزيد، عن ابن أبي ليلى قال: أدركت الناس وهم متوافرون أو متوافـون فلم يخبرني أحد أن النبي ﷺ صلى الضحى إلا أم هانىء فإنها اخبرتني «أنه صلاها ثمان ركعات».

أبو خالد، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي مرة مولى أم هانىء، عن أم هانىء «أن النبي ﷺ صلى الضحى ثمان ركعات» اهـ.

ولفظ مسلم من حديثها «ما رأيت النبي ﷺ صلى صلاة قط أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود». وبمجموع الروايات ظهر أن تلك الزيادة منكرة كما قاله العراقي، وكان المراد بذلك في المتفق عليه من حديث أم هانىء فلا يعارض ذلك في حديث غيرها. من ذلك ما رواه البزار في مسنده من حديث سعد بن أبي وقاص أنه أطال القراءة والركوع، لكن في سنده عبدالله بن شبيب وهو متروك.

وقال ابن أبي شيبة في المصنف ابن نمير، عن محمد بن إسحاق، عن حكم بن حكيم، عن علي ابن عبد الرحمن، عن حذيفة رضي الله عنه قال: «خرجت مع رسول الله ﷺ إلى حرة بني معاوية فصلى الضحى ثمان ركعات طول فيهن». وقد ثبت بحديث حذيفة عدد الثمانية.

وممن روي عنه أنه كان يصلي ثمان ركعات سعد بن مالك رضي الله عنه. رواه ابن أبي شيبة من طريق سعيد بن عمر قال: صليت وراء سعد بن مالك وهو يسبح الضحى فركع ثمان ركعات أعدهن لا يقعد فيهن حتى قعد في آخرهن فتشهد ثم سلم فانطلق.

ومنهم عائشة رضي الله عنها. رواه ابن أبي شيبة من طريق ابن رميثة عن جدته قالت: دخلت على عائشة وهي تصلي الضحى فصلت ثمان ركعات. ومن طريق القعقاع بن حكيم، عن جدته

القدر غيرها. فأما عائشة رضي الله عنها فإنها ذكرت أنه ﷺ كان يصلي الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله سبحانه »، فلم تحد الزيادة أي أنه كان يواظب على الأربعة ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات. وروي في حديث مفرد: « أن النبي ﷺ كان يصلي الضحى ست ركعات ». وأما وقتها فقد روى علي رضي الله عنه: « أنه ﷺ كان يصلي الضحى ستاً في وقتين، إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين ـ وهو

رميثة قالت: دخلت على عائشة بيتاً كانت تخلو فيه فرأيتها صلت من الضحى ثمان ركعات.

ومنهم أم سلمة رضي الله عنها. رواه ابن أبي شيبة من طريق شعبة عن رجل عنها أنها كانت تصلي الضحى ثمان ركعات وهي قاعدة.

(فأما عائشة رضي الله عنها فإنها ذكرت: « أنه ﷺ كان يصلي الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله ») أخرجه مسلم من حديث معاذة أنها سألت عائشة كم كان النبي ﷺ يصلي الضحى؟ قالت: أربع ركعات ويزيد ما شاء الله، وكذلك رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، والترمذي في الشمائل.

(فلم تحد الزيادة) على الأربعة **(إلا أنه كان يواظب على الأربع)** ركعات وهو العدد الأوسط، وفهم المصنف المواظبة من لفظ كان الدالة على استمرار العمل وفيه خلاف عند الأصوليين. **(ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات)**.

وروي عن عائشة أنها كانت تصلي الضحى أربعاً. رواه ابن أبي شيبة في المصنف من طريق شعبة عن رجل عن أم سلمة أنها كانت تصلي الضحى ثمان ركعات وهي قاعدة فقيل لها إن عائشة تصلي أربعاً. فقالت: إن عائشة امرأة شابة وكأنها أشارت إلى أن الثمانية يرجعن إلى أربعة في الأجر، فإن صلاة القاعد كنصف صلاة القائم.

وروي من طريق إبراهيم عن علقمة أنه كان إذا حضر المصر صلى الضحى أربعاً.

قلت: وهو الراجح عند أصحابنا كما صرح به غير واحد منهم، وقرأت في ترجمة يزيد بن هارون أنه يصلي الضحى ست عشرة ركعة، فهذا نهاية ما بلغنا من الزيادة.

(وروي في حديث مفرد « أن النبي ﷺ كان يصلي الضحى ست ركعات ») قال العراقي: أخرجه الحاكم في فضل صلاة الضحى من حديث جابر ورجاله ثقات اهـ.

قلت: وأخرجه الترمذي في الشمائل من حديث أنس، وأخرجه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديث علي كما سيأتي في الذي بعده. وقد روي أيضاً من فعل عائشة. رواه ابن أبي شيبة في المصنف من طريق تميمة بنت دهشم أنها رأت عائشة صلت من الضحى ست ركعات.

(وأما وقتها) أي صلاة الضحى **(فقد روى علي رضي الله عنه: « أنه ﷺ كان يصلي ستاً في وقتين:)** الأول **(إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام فصلى ركعتين)** وهذه الصلاة

أول الورد الثاني من أوراد النهار كما سيأتي ـ وإذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب الشرق صلى أربعاً ». فالأول إنما يكون إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح، والثاني إذا مضى من النهار ربعه بإزاء صلاة العصر، فإن وقته أن يبقى من النهار ربعه، والظهر على منتصف النهار، ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال، كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال إلى الغروب. وهذا أفضل الأوقات. ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة.

هي المسماة بصلاة الإشراق عند مشايخنا السادة النقشبندية قدس الله أسرارهم، (و) قال صاحب القوت: (**هو أول الورد الثاني من أوراد النهار كما سيأتي**) بعد، (و) الثاني (**إذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب الشرق صلى أربعاً »**)

قال العراقي: أخرجه الترمذي والنسائي، وابن ماجه من حديث علي: « كان نبي الله ﷺ إذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من مغربها صلى ركعتين ثم امهل حتى إذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات » لفظ النسائي. وقال الترمذي: حسن اهـ.

قلت: وفي المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن عاصم ابن حمزة قال: قال ناس من أصحاب علي لعلي: ألا تحدثنا بصلاة رسول الله ﷺ بالنهار التطوع؟ قال فقال علي: إنكم لن تطيقوها. قال: فقالوا أخبرنا بها نأخذ منها ما أطقنا. قال، فقال: « كان إذا ارتفعت الشمس من مشرقها فكان كهيئتها من المغرب من صلاة العصر صلى ركعتين، فإذا كانت من المشرق وكهيئتها من الظهر من المغرب صلى أربع ركعات وصلى قبل الظهر أربع ركعات يسلم في كل ركعتين على الملائكة المقربين والنبيين ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين ».

(**فالأول إنما يكون إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح، والثاني إذا مضى من النهار ربعه بإزاء صلاة العصر، فإن وقته أن يبقى من النهار ربعه، فالظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال، كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال إلى الغروب هذا أفضل الأوقات ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ما قبل الزوال وقت الضحى على الجملة**) هكذا ذكره صاحب القوت.

وقال الرافعي: وقتها من حين ترتفع الشمس إلا الاستواء. وقال النووي، نقلاً عن الأصحاب، وقتها من طلوع الشمس ويستحب تأخيرها إلى ارتفاعها. قال الماوردي: وقتها المختار إذا مضى ربع النهار، وجزم به النووي في التحقيق، والمعنى في ذلك على ما يجيء للمصنف في كتاب الأوراد أن لا يخلو كل ربع من النهار عن عبادة. وقال ابن قدامة في المغني:

وقتها إذا علت الشمس واشتد حرها لقول النبي ﷺ: « صلاة الأوّابيــن حين ترمض الفصال » رواه مسلم اهـ.

وظاهره أنه بيان أول الوقت لا الوقت المختار فإنه لم يذكر غير ذلك.

وقال ابن العربي في هذا الحديث الإشارة إلى الاقتداء بسيدنا دواد عليه السلام في قوله: ﴿إنــه أواب★ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾ [ص: ١٧، ١٨] فنبه على أن صلاته كانت إذا أشرقت الشمس فأثّر حرها في الأرض حتى تجدها الفصال حارة لا تبرك عليه بخلاف ما تصنع الغفلة اليوم، فإنهم يصلونها عند طلوع الشمس بل يزيد الجاهلون فيصلونها وهي لم تطلع قيد رمح ولا رمحين يعتمدون بجهلهم وقت النهي بالإجماع اهـ.

وروي عن أبي هريرة قال: « أوصاني خليلي ﷺ أن أصلي الضحى فإنها صلاة الأوابين ».

وعقد أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف باباً في بيان الوقت الذي تصلى فيه الضحى، فاخرج فيه عن عمر بن الخطاب قال: اضحوا عباد الله بصلاة الضحى، وعن أبي رملة الأزدي عن علي أنه رآهم يصلون الضحى عند طلوع الشمس فقال: هلا تركوها حتى إذا كانت الشمس قيد رمح أو رمحين صلوها فذلك صلاة الأوابين، ومن طريق النعمان بن ناقد أن علياً خرج فرأى قوماً يصلون الضحى عند طلوع الشمس فقال: ما لهم نحروها نحرهم الله فهلا تركوها حتى إذا كانت بالجبين صلوا فتلك صلاة الأوابين. وعن شعبة مولى ابن عباس قال: كان ابن عباس يقول لي أسقط الفيء؟ فإذا قلت: نعم. قام فسبح. وعن يزيد بن هارون، عن محمد بن عمرو قال: كان أبو سلمة لا يصلي الضحى حتى تميل الشمس. قال: وكان عروة يجيء فيصلي ثم يجلس.

خاتمة:

في إيراد بعض الأحاديث في فضل صلاة الضحى مما لم يتقدم له ذكر.

أخرج الطبراني في الكبير، عن ابن عمر « من صلى الضحى وصام ثلاثة أيام من الشهر ولم يترك الوتر في سفر ولا حضر كتب له أجر شهيد ».

وأخرج أيضاً عن أبي موسى الأشعري « من صلى الضحى وقيل الأولى أربعاً بني له بيت في الجنة ».

وأخرج ابن جرير، عن ابن مسعود « من صلى الضحى عشر ركعات بني له بيت في الجنة ».

وأخرج الطبراني في الأوسط، عن أبي هريرة: « إن في الجنة باباً يقال له باب الضحى فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يديمون صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله تعالى ».

وأخرج ابن شاهين، عن معاذ بن أنس « من جلس في مصلاه حتى يصلي الضحى غفر له ذنبه وإن كان مثل زبد البحر ».

الثامنة: إحياء ما بين العشاءين وهي سنّة مؤكدة ومما نقل عدده من فعل رسول الله ﷺ بين العشاءين ست ركعات، ولهذه الصلاة فضل عظيم. وقيل: إنها المراد بقوله عز

وأخرج مسلم، والترمذي وابن ماجه، عن أبي هريرة: «من حافظ على سنة الضحى غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر».

وعند الطبراني من حديث أبي أمامة، وعقبة بن عامر «من صلى الصبح في جماعة ثم مكث حتى يسبح سبحة الضحى كان له كاجر حاج ومعتمر تام له حجته وعمرته». وفي رواية له، عن أبي أمامة فقط بلفظ: «ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم قام ركع ركعتين انقلب بأجر حجة وعمرة».

وعند البيهقي من حديث الحسن بن علي بلفظ: «حرمه الله على النار أن تلفحه» وفي أخرى له: «ثم صلى ركعتين أو أربع ركعات لم تمس جلده النار».

وأخرج ابن السني، عن عائشة «من صلى الفجر فقعد في مقعده فلم ينغ بشيء من أمر الدنيا يذكر الله عز وجل حتى يصلي الضحى أربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

واختار مشايخنا السادة النقشبندية في صلاة الإشراق، وهما ركعتان قراءة أم الكتاب ثم الإخلاص ثلاثاً.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة، عن محمد بن كعب القرظي قال: «من قرأ في سبحة الضحى قل هو الله أحد عشر مرات بني له بيت في الجنة».

واختار مشايخنا صلاة الضحى اثنتي عشرة ركعة في كل منها بعد الفاتحة الإخلاص ثلاثاً».

وعند الطبراني من حديث عقبة بن عامر أمرنا رسول الله ﷺ أن نصلي الضحى بسور منها «والشمس وضحاها» «والضحى».

(الثامنة: إحياء ما بين العشاءين) أي بين المغرب والعشاء **(وهي سنة مؤكدة)** وقال مشايخنا السادة النقشبندية حفظ ما بين العشاءين من أهم المهمات، **(ومما نقل عددها)** أي الصلوات التي يجيء بها ذلك الوقت **(من فعل النبي ﷺ بين العشاءين ست ركعات)**

قال العراقي: رواه ابن منده في الصحابة، والطبراني في الأوسط والأصغر من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف، وللترمذي وضعفه من حديث أبي هريرة: «من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة اثنتي عشرة سنة» اهـ.

قلت: أما حديث عمار بن ياسر فلفظه: «من صلى بعد المغرب ست ركعات غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر». وحديث أبي هريرة المتقدم ذكره، قد أخرجه ابن ماجه أيضاً، وقال الترمذي: غريب، وقد ورد في فضل من صلى بعد المغرب ركعتين فأكثر أحاديث وأنا أوردها على الترتيب.

....

أخرج أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف فقال: حدثنا عبد العزيز بن عمر قال: سمعت مكحولاً يقول قال رسول الله ﷺ: «من صلى ركعتين بعد المغرب يعني قبل أن يتكلم رفعت صلاته في عليين».

قلت: وأخرجه سعيد بن منصور في سننه، ومحمد بن نصر المروزي في قيام الليل عن مكحول بلاغاً ولم يقولا «يعني».

وأخرج ابن النجار في التاريخ، عن أنس «من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن ينطق مع أحد يقرأ في الأولى بالحمد، وقل يا أيها الكافرون. وفي الركعة الثانية بالحمد، وقل هو الله أحد خرج من ذنوبه كما تخرج الحية من سلخها».

وأخرج ابن شاهين، عن أبي بكر رضي الله عنه «من صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين قبل أن يتكلم أسكنه الله في حظيرة القدس فإن صلى أربعاً كان كمن حج حجة بعد حجة فإن صلى ستاً غفر له ذنوب خمسين عاماً.

وأخرج أبو الشيخ، عن ابن عمر «من صلى بعد المغرب أربع ركعات كان كمن عقب غزوة بعد غزوة في سبيل الله».

وأخرج ابن صهري في أماليه، وابن عساكر في التاريخ، عن ابن عمر «من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يتكلم غفر له ذنوب خمسين سنة» وفيه محمد بن غزوان الدمشقي منكر الحديث.

وأخرج الديلمي، عن ابن عباس «من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحداً رفعت له في عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر في المسجد الأقصى وهي خير من قيام نصف ليلة».

وأخرج أبو محمد السمرقندي في فضائل «قل هو الله أحد» عن أبان، عن أنس «من صلى بعد المغرب اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة قل هو الله أحد أربعين مرة صافحته الملائكة، ومن صافحته الملائكة يوم القيامة أمن الصراط والحساب والميزان».

وأخرج ابن ماجه عن عائشة: «من صلى ما بين المغرب والعشاء عشرين ركعة بنى الله له بيتاً في الجنة».

وفي السداسيات لنظام الملك عن أبي هدبة، عن أنس «من صلى عشرين ركعة بين المغرب والعشاء يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد حفظه الله في نفسه وأهله وماله ودنياه وآخرته».

وأخرجه أبو محمد السمرقندي في فضائل قل هو الله أحد عن جرير بلفظ: «بنى الله له في الجنة قصرين لا فضل فيهما ولا وهم» وفيه أحمد بن عبيد صدوق له مناكير.

وجل: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾. [السجدة: ١٦]. وقد روي عنه ﷺ أنه قال: « من صلَّى بين المغرب والعشاء فإنها من صلاة الأوابين ». وقال ﷺ: « مَنْ عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو بقرآن كان حقاً على الله أن يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراساً لو طافه أهل الأرض لوسعهم ». وسيأتي بقية فضائلها في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى.

(**ولهذه الصلاة**) في هذا الوقت (**فضل عظيم**) قال صاحب القوت (**وقيل: إنها المراد بقوله**) تعالى ﴿**تتجافى جنوبهم عن المضاجع**﴾ [السجدة: ١٦].

وقال صاحب القوت: حدثنا عن فضيل بن عياض، عن أبان بن أبي عياش قال: سألت امرأة أنس بن مالك فقالت: إني أرقد قبل العشاء فنهاها، وقال نزلت هذه فيما بينهما ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ اهـ.

والمشهور أن المراد به صلاة الليل بعد النوم، (**وقد روي عنه ﷺ أنه قال: « من صلى ما بين المغرب والعشاء فإنها من صلاة الأوابين »**) قال العراقي: رواه ابن المبارك في الرقائق من رواية ابن المنكدر مرسلاً اهـ.

قلت: وكذا رواه محمد بن نصر المروزي في قيام الليل عنه مرسلاً. وفي القوت أبو صخر سمع محمد بن المنكدر يحدث عن النبي ﷺ قال « من صلى » ثم ساقه اهـ.

وأبو صخر هو حميد بن زياد الخراط المدني اختلف فيه، والمراد بالأوابين هم الرجاعون إلى الله بالتوبة والإخلاص في الطاعة وترك متابعة الهوى أو المسبحون أو المطيعون، وإنما أضاف الصلاة في هذا الوقت إليهم لأن النفس تركن فيه إلى الدعة والاستراحة خصوصاً إذا كان ذا كسب وحرفة أو إلى الاشتغال بالأكل والشرب كما جرت به عادة أهل الزمان، فصرفها حين ذاك إلى الطاعة والاشتغال فيه بالصلاة أوب من مراد النفس إلى مرضاة الرب تعالى، وقد لوحظ هذا المعنى أيضاً في صلاة الضحى فإنها بازاء هذا الوقت فلذلك ورد صلاة الضحى صلاة الأوابين فافهم.

(**وقال ﷺ: « من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة**) أي دعاء (**أو قرآن**) أي تلاوته والمراد به الذكر (**كان حقاً على الله**) أي من باب التفضل والمنة (**أن يبني له قصرين في الجنة**) أي قصر لكونه صلى المغرب مع جماعة، والثاني انتظاره للعشاء (**مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما**) أي بين الجنتين (**غراساً**) أي من أنواعها (**لو طافه أهل الدنيا لوسعهم »**) وهذا الثواب مقيد بأمور.

منها أن يصلي المغرب في جماعة، فلو صلى وحده لم ينل ذلك.

ومنها: أن يكون ذلك في مسجد جماعة والمراد به مسجد الحي، فلو صلى في منزله بجماعة أو

القسم الثاني

ما يتكرر بتكرر الأسابيع؛

وهي صلوات أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة:

أما الأيام فنبدأ فيها بيوم الأحد.

يوم الأحد: روى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلّى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب، ﴿وآمن الرسول﴾ [البقرة:

في مسجد صغير قريب من منزله مسجد الحي لم ينل ذلك.

ومنها: أن يعكف نفسه بعد أن يفرغ من سبحته بعد الفرض فيمكث في موضعه الذي صلى فيه إلا لضرورة، فمن لم يفعل ذلك لم ينل ما ذكر.

ومنها أن لا يلغو في حال مكثه وانتظاره وهو التكلم بكلام الدنيا وأهلها بل يسكت عنه، فمن لغا فقد حبط عمله.

ومنها: أن يكون غالب اشتغاله في ورده قراءة القرآن أو الدعاء والتسبيح والاستغفار، فمن اشتغل بما لا يعني من القراءة لم ينل ما ذكره. فهذه الأمور لو تأملها الإنسان فإنها وإن كانت سهلة لكنها صعبة على كثير من الناس.

قال العراقي: أخرجه أبو الوليد الصفار في كتاب الصلاة من طريق عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث ابن عمر اهـ.

قلت أورده صاحب القوت عن سعيد بن جبير عن ثوبان رفعه «من عكف نفسه» الحديث.

(وستأتي بقية فضائلها في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى) ونشرح هناك ما يليق بالمقام.

القسم الثاني

ما يتكرر بتكرر الأسابيع

جمع اسبوع بالضم، ومن العرب من يقول فيها سبوع بالضم وإسقاط الهمزة وهو من الأيام سبعة أيام، وما في بعض النسخ بتكرر الأسباع غلط، فإنه جمع سبع وهو جزء من سبعة أجزاء. **(وهي صلوات أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة.**

أما الأيام فنبدأ فيه بيوم الأحد): وهو يوم معروف وهو أول الأسبوع منقول من أحد، وأصله: وحد أبدلت الواو همزة وجمعه أحاد كسبب وأسباب **(روى أبو هريرة)** رضي الله عنه، **(عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة**

٢٨٥] مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات، وأعطاه الله ثواب نبي، وكتب له حجة وعمرة، وكتب له بكل ركعة ألف صلاة، وأعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر». وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي

فاتحة الكتاب) مرة (﴿وآمن الرسول﴾) إلى آخرها (مرة كتب الله) عز وجل (له بعدد كل **نصراني ونصرانية حسنات، وأعطاه الله ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله**) عز وجل (**في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر»**).

قال صاحب القوت: روى سعيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فساقه هكذا، والمراد بسعيد هو المقبري. وقال العراقي: رواه أبو موسى المديني في كتاب وظائف الليالي والأيام من حديث أبي هريرة بسند ضعيف اهـ.

قلت: أورده ابن الجوزي في الموضوعات قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد، أخبرنا الحسن بن إبراهيم، أخبرنا محمد بن الحسن العلوي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا أبو الفضل الشيباني، حدثنا أبو الحسن بن أبي الحديد، حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني أبو صخرة جيد بن زياد، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال «من صلّى يوم الأحد أربع ركعات بتسليمة واحدة يقرأ في كل ركعة الحمد مرة و﴿آمن الرسول﴾ إلى آخرها مرة كتب الله له بكل نصراني ونصرانية ألف حجة وألف عمرة، وبكل ركعة ألف صلاة، وجعل بينه وبين النار ألف خندق، وفتح له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء وقضى حوائجه يوم القيامة». ثم قال: وهذا موضوع فيه جماعة مجاهيل اهـ.

وأورده الحافظ السيوطي في اللآلىء المصنوعة من طريق الجوزقاني. أخبرنا محمد بن الحسن العلوي بالسند والمتن إلا أنه قال في شيخ ابن وهب أبو صخر حميد بن زياد، وزاد في المتن بعد عمرة وألف غزوة، وأقره على قوله انه موضوع فيه مجاهيل.

قلت: الحكم على هذا الحديث بالوضع ليس بسديد وغاية ما يقال أنه ضعيف، وأبو صخر حميد بن زياد روى له الجماعة إلا البخاري والنسائي. وهو حميد بن زياد بن أبي المخارق المدني، ويعرف بالخراط سكن مصر، ويقال فيه أيضاً حميد بن صخر سئل عنه أحمد فقال ليس به بأس، واختلف فيه قول ابن معين فقال مرة هو ثقة لا بأس به، وقال مرة أبو صخر حميد بن زياد ضعيف. وقال النسائي: حميد بن صخر ضعيف، وقال بعضهم: هما اثنان.

وقال ابن عدي: حميد بن زياد أبو صخر الخراط هو عندي صالح الحديث، وإنما أنكر عليه هذان الحديثان المؤمن يألف وفي القدرية وسائر حديثه أرجو أن يكون مستقيماً، ثم قال في موضع آخر حميد بن صخر سمعت ابن حماد يقول: حميد بن صخر يروي عنه حاتم بن إسماعيل ضعيف

ﷺ أنه قال: « وحّدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فإنه سبحانه واحد لا شريك له، فمن صلّى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنّة يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة، وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك، ثم تشهّد وسلّم، ثم قام فصلّى ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة، وسأل الله سبحانه حاجته كان حقاً على الله أن يقضي حاجته ».

يوم الإثنين: روى جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال: « مَنْ صلّى يوم الاثنين عند

قاله النسائي، وروىِ له ثلاثة أحاديث ليس فيها الحديثان المتقدمان، ثم قال ولحاتم بن إسماعيل عن حميد بن صخر أحاديث غير ما ذكرته، وفي بعض هذه الأحاديث عن المقبري ويزيد الرقاشي ما لا يتابع عليه اهـ.

فالقول ما قاله الحافظ العراقي ان سنده ضعيف، لا قول ابن الجوزي انه موضوع، وشتان بين الموضوع والضعيف فافهم.

(وقد روي عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: « وحّدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فإنه سبحانه واحد لا شريك له، فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنّة يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب، وتنزيل السجدة، وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الذي بيده الملك، ثم يتشهد ويسلّم، ثم يقوم فيصلي ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة ويسأل حاجته كان حقاً على الله أن يقضي حاجته ») هكذا أورده صاحب القوت قال في أوّله: وروينا عن علي كرم الله وجهه، عن النبي ﷺ فساقه، وفيه « ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين وفيه وسأل الله حاجته » وزاد في آخره « ويبرئه مما كانت النصارى عليه ».

وقال العراقي: هذا الحديث أيضاً ذكره أبو موسى المديني بغير اسناد اهـ. ولم يورده ابن الجوزي ولا السيوطي.

(يوم الاثنين): قال في المصباح: الاثنان من أسماء العدد اسم للتثنية حذفت لامه وهي ياء، والتقدير ثنى مثل سبب ثم عوض بهمزة وصل، فقيل: اثنان كما قيل ابنان وللمؤنث اثنتان، وفي لغة تميم ثنتان بغير همزة وصل ثم سمي اليوم به، فقيل يوم الاثنين لا يثنى ولا يجمع، فإن أردت جمعه قدرته مفرداً وجمعته على أثانين، وقال أبو علي الفارسي، وقالوا في جمع الاثنين أثان وكأنه جمع المفرد تقديراً مثل سبب وأسباب، واذا عاد إليه ضمير جاز فيه الوجهان. أفصحهما الإفراد على معنى اليوم. يقال مضى يوم الاثنين بما فيه، والثاني اعتبار اللفظ فيقال بما فيهما اهـ.

(روى جابر) رضي الله عنه **(عن رسول الله ﷺ أنه قال « منْ صلّى يوم الاثنين عند**

ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسي مرة، وقل هو الله أحد والمعوّذتين مرة مرة، فإذا سلـّم استغفر الله عشر مرات وصلّى على النبي ﷺ عشر مرات غفر الله تعالى له ذنوبه كلها». وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ

ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وآية الكرسي مرة، وقل هو الله أحد والمعوّذتين مرة، فإذا سلّم استغفر الله عشر مرات، وصلى على النبي ﷺ عشر مرات غفر الله له ذنوبه كلها») قال صاحب القوت: رواه أبو الزبير عن جابر وساق الحديث كما هنا، وقال العراقي: رواه أبو موسى المديني من حديث جابر عن عمر مرفوعاً وهو حديث منكر اهـ.

قلت: أورده ابن الجوزي في الموضوعات بزيادة على ما ذكره صاحب القوت والمصنف، قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد، أخبرنا الحسين بن ابراهيم هو الجوزقاني، أخبرنا محمد بن طاهر الحافظ أخبرنا علي بن أحمد البندار ح.

وانبأنا علي بن عبيد الله قال: أخبرنا ابن بندار، حدثنا المخلص، حدثنا البغوي، حدثنا مصعب، عن مالك، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ قال: «من صلّى يوم الاثنين أربع ركعات» ثم ساقه إلى قوله «غفر الله ذنوبه كلها» وزاد «واعطاه الله قصراً في الجنة من درة بيضاء في جوف القصر سبعة أبيات طول كل بيت ثلاثة آلاف ذراع وعرضه مثل ذلك البيت الأول من فضة بيضاء، والبيت الثاني من ذهب، والبيت الثالث من لؤلؤ، والبيت الرابع من زمرد، والبيت الخامس من زبرجد، والبيت السادس من در، والبيت السابع من نور يتلالأ وأبواب البيوت من العنبر على كل باب ألف ستر من زعفران وفي كل بيت ألف سرير من كافور فوق كل سرير ألف فراش فوق كل فراش حوراء خلقها الله تعالى من أطيب الطيب من لدن رجليها إلى ركبتيها من الزعفران الرطب، ومن لدن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الأذفر، ومن لدن ثدييها إلى عنقها من العنبر الأشهب، ومن لدن عنقها إلى مفرق رأسها من الكافور الأبيض على كل واحدة منهن سبعون ألف حلة من حلل الجنة كأحسن ما رأيت». ثم قال: هذا حديث موضوع بلا شك وكنت أتهم به الحسين بن إبراهيم، والآن فقد زال الشك لأن الاسناد كلهم ثقات، وإنما هو الذي قد وضع هذا، وعمل هذه الصلوات كلها وقد ذكر صلاة ليلة الثلاثاء، وصلاة يوم الثلاثاء، وصلاة ليلة الأربعاء، وصلاة يوم الأربعاء، وصلاة ليلة الخميس، وصلاة ليلة الجمعة. وكل ذلك من هذا الجنس الذي تقدم فاضربت عن ذكره إذ لا فائدة في تضييع الزمان بما لا يخفى وضعه، ولقد كان لهذا الرجل يعني به الجوزقاني حظ من علم الحديث، فسبحان من يطمس على القلوب اهـ.

وأورده الحافظ السيوطي في اللآلىء المصنوعة هكذا بإسناد الجوزقاني وبتعلية ابن الجوزي ونقل عبارته التي أوردتها وقال.

أنه قال: « مَنْ صلَّى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب، وآية الكرسي مرة، فإذا فرغ قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة واستغفر اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة: أين فلان بن فلان ليقم فليأخذ ثوابه من الله عز وجل؛ فأول ما يعطى من الثواب ألف حلّة ويتوّج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على ألف قصر من نور يتلألأ ».

قلت: قال الحافظ ابن حجر في اللسان: العجب إن ابن الجوزي يتهم الجوزقاني بوضع هذا المتن على هذا الاسناد ويسرده من طريقه الذي هو عنده مركب، ثم يعليه بالاجازة عن علي بن عبد الله، وهو ابن الزعفراني عن علي بن بندار وهو ابن البشري، ولو كان ابن البشري حدث به لكان على شرط الصحيح إذ لم يسبق للجوزقاني الذي اتهمه به في الاسناد مدخل، وهذه غفلة عظيمة. فلعل الجوزقاني دخل عليه اسناد في إسناد لأنه كان قليل الخبرة بأحوال المتأخرين، وجلّ اعتماده في كتاب الأباطيل على المتقدمين إلى عهد ابن حبان، وأما من تأخر عنه فيعل الحديث بأن رواته مجاهيل، وقد يكون أكثرهم مشاهير وعليه في كثير منه مناقشات، والله أعلم اهـ.

قلت: والذي ظهر لي من مجموع ما ذكر يروى عن جابر، عن النبي ﷺ بواسطة أبي الزبير عنه كما في القوت، وعن جابر، عن عمر، عن النبي ﷺ كما عند أبي موسى، وعن ابن عمر كما عند الجوزقاني. فالذي رواه أبو الزبير عن جابر القدر الذي ذكره المصنف تبعاً لصاحب القوت وليست فيه الزيادة المذكورة التي في حديث ابن عمر، فلعل انكار ابن الجوزي على الجوزقاني بسبب تلك الزيادة التي لا تخفى على من له مساس بالعلم أنها موضوعة على النبي ﷺ، فإذا حديث أبي الزبير عن جابر لا نحكم عليه بأنه موضوع بل ضعيف، والله أعلم.

(وروى أنس بن مالك) رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ أنه قال « من صلّى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فإذا فرغ)** من صلاته **(قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة واستغفر الله اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة أين فلان بن فلان ليقم فليأخذ ثوابه من الله)** عز وجل، **(فأوّل ما يعطى من الثواب ألف حلة)** والحلة إزار ورداء **(ويتوج)** أي يكسى التاج على رأسه **(ويقال له: ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه)**. كذا في النسخ ولفظ القوت: يسعون به **(حتى يدور على ألف قصر من نور يتلألأ)**. هكذا أورده صاحب القوت.

وقال ثابت البناني، عن أنس قال، قال رسول الله ﷺ فساقه. وقال العراقي: رواه أبو موسى المديني بغير اسناد وهو منكر اهـ.

ورأيت طرة بخط الإمام شمس الدين الحريري ابن خال القطب الخيضري على هامش نسخة الإحياء ما نصه: قد صنف الشيخ أبو الحسن علي بن يوسف المكاري المعروف بشيخ الإسلام

يوم الثلاثاء: روى يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار» وفي حديث آخر: «عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب، وآية الكرسي مرة، وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوماً، فإن مات إلى سبعين يوماً مات شهيداً وغفر له ذنوب سبعين سنة».

يوم الأربعاء: روى أبو إدريس الخولاني، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال:

كتاباً سماه بفضائل الأعمال وأوراد العمال ذكر فيه عجائب وغرائب من هذه الأحاديث ومن غيرها مرتّبة على الليالي والأيام بأسانيد مظلمة إذا نظر العارف فيها قضى العجب وساقها بأسانيد له. وقد ذكره الذهبي في ميزانه، وذكر عن ابن عساكر أنه لم يكن موثوقاً به، وذكره ابن السمعاني في الأنساب وذكر شيوخه ووفاته بعد الثمانين وأربعمائة، فلعل الغزالي نقل عنه اهـ.

قلت: هذا الرجل قد ذكره الذهبي أيضاً في العبر، فقال: شيخ الإسلام الهكاري أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف الأموي من ذرية عتبة بن سفيان بن حرب وكان صالحاً زاهداً ربانياً ذا وقار وهيبة واتباع ومريدين دخل في الحديث وسمع من أبي عبد الله بن نطيف الفراء، وأبي القاسم بن بشران، وطائفة. قال ابن ناصر توفي في أول سنة ٤٨٦. وقال ابن عساكر. لم يكن موثقاً في روايته. قال الذهبي: مولده سنة ٤٠٩ اهـ.

وأما ما ذكر من أن الغزالي أخذ منه فليس ببعيد، ولكن الصحيح أن الغزالي في سياق ما يذكر في كتابه من هذه الأحاديث وغيرها تابع لأبي طالب المكي صاحب القوت قاصر نظره عليه لا يكاد يتعداه كما يعلم ذلك من نظر في الكتابين، والله أعلم.

(يوم الثلاثاء): ممدود، والجمع ثلاثاوات بقلب الهمزة واواً. **(روى يزيد الرقاشي)** هو يزيد بن أبان العابد ورقاش كسحاب قبيلة: قال النسائي: وغيره متروك روى له الترمذي وابن ماجه **(عن أنس بن مالك)** رضي الله عنه **(قال قال رسول الله ﷺ «من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار» وفي)** لفظ **(حديث آخر «عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة، وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوماً فإن مات إلى سبعين يوماً مات شهيداً وغفر له ذنوب سبعين سنة»)** هكذا أورده صاحب القوت.

وقال العراقي: رواه أبو موسى المديني بسند ضعيف ولم يقل عند انتصاف النهار ولا عند ارتفاعه اهـ.

وأشار ابن الجوزي إلى أن صلاة يوم الثلاثاء من وضع الجوزقاني ولم يذكرها.

(يوم الأربعاء): ممدود وهو بكسر الباء ولا نظير له من المفردات، وإنما يتأتى وزنه في الجمع وبعض بني أسد يفتح الباء والضم لغة قليلة فيه والجمع أربعاوات.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صلّى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب، وآية الكرسي مرة، وقل هو الله أحد ثلاث مرات، والمعوذتين ثلاث مرات نادى مناد عند العرش: يا عبدالله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك، ورفع الله سبحانه عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته. ورفع عنك شدائد القيامة، ورفع له من يومه عمل نبي».

يوم الخميس: عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صلّى

(روى أبو ادريس الخولاني) عائذ الله بن عبد الله بن إدريس بن عائذ بن عبد الله بن عتبة بن غيلان بن مكين العوذي، ويقال: العيذي قبيلة من خولان عالم أهل الشام بعد أبي الدرداء وعابدهم وقارؤهم. قال الزهري: أدرك أبو إدريس عبادة بن الصامت، وأبا الدرداء، وشداد بـن أوس وفاته معاذ بن جبل. وقال ابن عبد البر: سماع أبي إدريس عن معاذ عندنا صحيح من رواية أبي حازم وغيره، ولعل رواية الزهري عنه أنه قال: فاتني معاذ أراد في معنى من المعاني، وأما لقاؤه وسماعه منه فصحيح غير مدفوع، وقد سئل الوليد بن مسلم وكان عالماً بأيام أهل الشام هل لقي أبو إدريس معاذاً فقال: نعم. أدرك معاذاً وأبا عبيدة وهو ابن عشر سنين، ولد يوم حنين سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول ذلك. قال ابن معين وغيره: مات سنة ثمانين روى له الجماعة، **(عن معاذ بن جبل)** رضي الله عنه (قال: **قال رسول الله ﷺ «مَنْ صلّى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات والمعوّذتين ثلاث مرات نادى به ملك عند العرش: يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنك شدائد**) يوم **(القيامة ورفع له من يومه عمل نبي»**) أورده صاحب القوت من غير ذكر المعوّذتين.

وقال العراقي: رواه أبو موسى المديني وقال رواته ثقات والحديث مركب. قال العراقي: قلت، بل فيه ابن حميد غير مسمى وهو محمد بن حميد الرازي أحد الكذابين اهـ.

قلـت: قال الذهبي في الكاشف محمد بن حميد الرازي الحافظ عن يعقوب التيمي وجرير، وعنه أبو داود والترمذي وابن ماجه ومحمد بن جرير وخلق وثقه جماعة. وقال يعقوب بن شيبة: كثير المناكر، وقال البخاري: فيه نظر، وقال النسائي: ليس بثقة، مات سنة ٢٤٨، وقال في الديوان محمد بن حميد بن حيان الرازي عن ابن المبارك كذبه أبو زرعة، وقال صالح جزرة: ما رأيت أحذق بالكذب منه ومن الشاذكوني اهـ.

وأشار ابن الجوزي أن صلاة يوم الأربعاء من وضع الجوزقاني ولم يذكرها.

(يوم الخميس): يوم معروف وجمعه أخمسة واخساء مثل نصيب وانصبة وانصباء **(عن عكرمة)** أبي عبد الله مولى ابن عباس تقدمت ترجمته، **(عن ابن عباس)** رضي الله عنه **(أنه**

يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي مائة مرة، وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة ويصلي على محمد مائة مرة أعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان، وكان له من الثواب مثل حاج البيت، وكتب له بعدد كل من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة».

يوم الجمعة: روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «يوم الجمعة صلاة كله. ما من عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ثم أسبغ الوضوء فصلّى سبحة الضحى ركعتين ايماناً واحتساباً إلا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة، ومن صلى أربع ركعات رفع الله سبحانه له في الجنة أربعمائة درجة، ومن صلّى ثمان ركعات رفع الله تعالى له في الجنة ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها، ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله له ألفين ومائتي حسنة ومحا عنه ألفين ومائتي سيئة، ورفع له في الجنة ألفين ومائتي درجة».

قال: **قال رسول الله ﷺ «من صلّى يوم الخميس ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مائة مرة، وفي)** الركعة **(الثانية الفاتحة مرة وقل هو الله أحد مائة مرة، ويصلي على محمد)** ﷺ **(مائة مرة أعطاه الله تعالى ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان، وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله تعالى وتوكل عليه حسنات»)** كذا أورده صاحب القوت، وقال العراقي: رواه أبو موسى المديني بسند ضعيف اهـ.

وأشار ابن الجوزي إلى أن صلاة يوم الخميس من وضع الجوزقاني ولم يذكرها وقوله منظور فيه.

(يوم الجمعة): بضم الجيم وبسكون الميم أيضاً وقد تقدم في باب الجمعة **(روي عن علي** ابن **أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال «يوم الجمعة صلاة كله ما من عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس)** وفي بعض النسخ: استعلت **(وارتفعت قدر)** أي مقدار **(رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ فأسبغ الوضوء فصلى سبحة الضحى)** أي صلاتها المعمولة في الضحى وهو من التسبيح كالسحرة من التسحير، والمراد بالتسبيح صلاة التطوع من باب تسمية الشيء باسم بعضه **(ركعتين إيماناً)** بالله **(واحتساباً)** له أي لا لرياء ولا سمعة **(كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة، ومن صلى أربع ركعات رفع الله له في الجنة أربعمائة درجة، ومن صلى ثماني ركعات رفع الله له في الجنة ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها، ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله له ألفاً ومائتي حسنة ومحا عنه ألفاً ومائتي سيئة ورفع له في الجنة ألفاً ومائتي درجة»)** أورده في القوت وقال: روينا عن علي بن الحسن بن علي بن أبي

وعن نافع ،عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال : « من دخل الجامع يوم الجمعة فصلّى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله ، وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يُرى له » .

طالب ، عن أبيه ، عن جده رضي الله عنهم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يوم الجمعة صلاة كله » فساق الحديث .

وقال العراقي : لم أجد له أصلاً وهو باطل اهـ .

ووجدت في طرة الكتاب ما نصه : هو في قربان المتقين لابي نعيم بمعناه واسناده متروك اهـ .

وأورد ابـن الجوزي حديثاً آخر في فضل سبحة الضحى يوم الجمعة أخرجه من طريق ابن الضريس ، عن الفضيل بن عياض ، عن الثوري ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رفعه « من صلى الضحى يوم الجمعة أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد عشر مرات والمعوّذتين عشراً عشراً وقل هو الله أحد عشراً وقل يا أيها الكافرون عشراً وآية الكرسي عشراً ، فإذا فرغ ثم يقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم سبعين مرة ، ثم يقول استغفر الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنوب وأتوب إليه سبعين مرة ، فمن فعل هكذا على ما وصف دفع الله عنه شر الليل والنهار وشر أهل السماء وأهل الأرض وشر كل سلطان جائر وشيطان مارد ، والذي بعثني بالحق لو كان عاقاً لوالديه لرزقه الله برهما وغفر له ، ثم ذكر من هذا الجنس ثواباً طويلاً يضيع الزمان بذكره إلى أن قال : والذي بعثني بالحق ان له ثواباً كثواب إبراهيم وموسى وعيسى ويحيى ولا تقطع له طريق ولا يفرق له متاع » ثم قال : هذا حديث موضوع بلا شك قبح الله واضعه فما ابرد هذا الوضع واسمجه وفيه مجاهيل أحدهم قد عمله اهـ .

(وعن نافع) مولى ابن عمر ، **(عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال « من دخل الجامع يوم الجمعة فصلّى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة قرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة أو يُرى له »)** أورده صاحب القوت هكذا .

وقال العراقي : رواه الدارقطني في غرائب مالك وقال : لا يصح . وعبد الله بن وصيف مجهول ، ورواه الخطيب في الرواة عن مالك وقال : غريب جداً لا أعلم له وجهاً غير ذلك اهـ .

قلـت : وروى ابن الجوزي في الموضوعات فقال : أخبرنا محمد بن ناصر أخبرنا أبو علي ابن البناء ، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن عمران العلاف ، أخبرنا أبو القاسم القاضي ، حدثنا علي بن بندار ، حدثنا أبو سالم محمد بن سعيد ، حدثنا الحسن ، عن وكيع بن الجراح ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ « مَنْ صلّى يوم الجمعة ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في أول ركعة بفاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة واحدة وخمساً وعشرين مرة قل أعوذ برب الفلق ، وفي الركعة الثانية يقرأ بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الناس خمساً وعشرين مرة ، فإذا سلّم قال : لا حول ولا قوّة إلا بالله خمسين مرة فلا يخرج من الدنيا حتى يرى

يوم السبت: روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: «من صلّى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وقل هو الله أحد ثلاثة مرات، فإذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد، وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء».

ربه عز وجل في المنام ويرى مكانه في الجنة، أو يُرى له». ثم قال: هذا حديث موضوع وفيه مجاهيل لا يعرفون.

وأورده السيوطي وأقره على ذلك، ولا أدري ما معنى قوله: فيه مجاهيل ليث بن أبي سليم معروف، والكلام فيه مشهور وشيخه مجاهد من المشاهير والحسن الذي روى عن وكيع هو الحسن بن علي الهذلي الحلواني الخلال الحافظ. روى له الجماعة خلا النسائي، ومحمد بن سعيد هو المصلوب الشامي تكلم فيه، فغاية ما يقال: إن الحديث ضعيف فيه ليث والمصلوب، وإنما ذكرت هذا الحديث هنا لأنه أقرب إلى سياق الحديث الذي أورده المصنف تبعاً لصاحب القوت ولو اختلفا في المخرج والعدد والله أعلم.

وأورد ابن الجوزي أيضاً من وجه آخر عن أبان بن أبي عياش عن أنس مرفوعاً «من كانت له إلى الله حاجة فليقدم بين يدي نجواه صدقة، ثم يدخل يوم الجمعة إلى الجامع فيصلي اثنتي عشرة ركعة يقرأ في عشر ركعات في كل ركعة الحمد مرة وآية الكرسي عشر مرات، ويقرأ في الركعتين في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد خمسين مرة ثم يجلس ويسأل الله حاجته فليس يرده من عاجلة أو آجلة إلا قضاها له» أبان متروك.

قلت: قال أحمد تركوا حديثه وبالغ فيه شعبة حتى قال: لأن يزني الرجل خير له من أن يروي حديثه، والرجل قد أخرج له أبو داود في السنن فلا يدخل حديثه في هذا الموضوع، والله أعلم.

(يوم السبت): وهو معروف جمعه سبوت وأسبت مثل فلس وفلوس وأفلس. **(روى أبو هريرة)** رضي الله عنه **(أن النبي ﷺ قال «من صلّى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات، فإذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها، وأعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء»)** أورده صاحب القوت، فقال سعيد: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ فساقه، ولم يتعرض له العراقي في كتابه.

وأورده ابن الجوزي في الموضوعات فقال: أخبرنا إبراهيم بن محمد الطيبي، أخبرنا الحسين بن

وأما الليالي: ليلة الأحد: روى أنس بن مالك في ليلة الأحد أنه ﷺ قال: « من

ابراهيم يعني الجوزقاني، أخبرنا محمد بن عبد الغفار، أخبرنا علي بن محمد بن أحمد، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر الحنفي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الله الفرضي البصري، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن حمويه العسكري، حدثنا أبو أيوب سليمان بن عبد الحميد، حدثنا يحي بن صالح، حدثنا إسحاق بن يحي، حدثنا الزهري، عن أبي سلمة أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات، فإذا فرغ من صلاته قرأ آية الكرسي مرة كتب الله له بكل يهودي ويهودية عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها وبنى الله له بكل يهودي ويهودية مدينة في الجنة، وكأنما أعتق بكل يهودي ويهودية رقبة من ولد إسماعيل وكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وأعطاه بكل يهودي ويهودية ثواب ألف شهيد ونور الله قلبه وقبره بألف نور وألبسه ألف حلة وستر الله عليه في الدنيا والآخرة وكان يوم القيامة تحت ظل عرشه مع النبيين والشهداء يأكل ويشرب معهم ويدخل الجنة معهم، وزوّجه الله بكل حرف حوراء، وأعطاه الله بكل آية ثواب ألف صديق، وأعطاه بكل سورة من القرآن ثواب ألف رقبة من ولد إسماعيل وكتب له بكل يهودي ونصراني حجة وعمرة ». ثم قال موضوع فيه جماعة مجهولون. قال يحي: إسحاق بن يحي ليس بشيء، وقال أحمد: متروك اهـ.

وأورده الحافظ السيوطي بهذا السند من طريق الجوزقاني، وأقر ابن الجوزي على ما قاله، وإسحاق المذكور هو ابن يحي بن طلحة بن عبيد الله روى عن أعمامه موسى وإسحاق وعائشة، وعنه معن بن عيسى وعدّه ضعيف. توفي سنة ست عشرة. روى له الترمذي، وابن ماجه، والراوي عنه يحي بن صالح الوحاظي حافظ ثقة، وسليمان بن عبد الحميد البهراني شيخ أبي داود ضعيف، فغاية ما يقال في مثل هذا انه ضعيف لا موضوع وأين المجاهيل فيه فافهمه.

وأخرج ابن الجوزي حديثاً آخر في صلاة يوم السبت بالسند الآتي في صلاة ليلة السبت، عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً « من صلّى يوم السبت عند الضحى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة أعطاه الله بكل ركعة ألف قصر من ذهب مكللاً بالدر والياقوت في كل قصر أربعة أنهار: نهر من ماء، ونهر من لبن، ونهر من خمر، ونهر من عسل على شط تلك الأنهار أشجار من نور على كل شجرة بعدد أيام الدنيا أغصان، على كل غصن بعدد الرمل والثرى ثمار غبارها المسك وتحت كل شجرة مجلس مظلل بنور الرحمن يجمع أولياء الله تحت تلك الاشجار طوبى لهم وحسن مآب ». ثم قال: هذا حديث موضوع، وأقره السيوطي، ويأتي الكلام على إسناده في صلاة ليلة السبت.

(**وأما الليالي**) وما ورد فيها من الصلوات وابتدأ فيها بليلة الأحد كما ابتدأ في الأيام بيوم الأحد فقال (**ليلة الأحد روى أنس بن مالك**) رضي الله عنه (**في**) صلاة (**ليلة الأحد أنه ﷺ قال « من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة**

صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد خمسين مرة، والمعوّذتين مرة مرة، واستغفر الله عز وجل مائة مرة، واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة، وصلّى على النبي ﷺ مائة مرة، وتبرأ من حوله وقوّته والتجأ إلى الله ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن آدم صفوة الله وفطرته، وابراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، وعيسى روح الله، ومحمداً حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولداً، ومن لم يدع لله ولداً، وبعثه الله عز وجل يوم القيامة مع الآمنين، وكان حقاً على الله تعالى أن يدخله الجنة مع النبيين».

وقل هو الله أحد خمسين مرة والمعوّذتين مرة مرة، واستغفر الله) عز وجل **(مائة مرة، واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة، وصلى على النبي ﷺ مائة مرة، وتبرأ من حوله وقوّته، والتجأ إلى حول الله وقوّته)** أي يقول: لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. **(ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن آدم صفوة الله)** تبارك وتعالى **(وفطرته، و)** أن **(إبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله، وعيسى روح الله، و)** أن **(محمداً)** ﷺ **(حبيب الله كان له من الثواب بعدد من ادعى لله)** عز وجل **(ولداً، ومن لم يدع لله سبحانه ولداً وبعثه الله يوم القيامة مع الآمنين وكان حقاً على الله)** سبحانه **(أن يدخله الجنة مع النبيين»)** أورده صاحب القوت هكذا فقال عن مختار بن فلفل عن أنس بن مالك مرفوعاً فساقه، وفيه: «وصلى عليَّ مائة مرة» وفيه «بعدد من دعا» بدل «ادعى».

وقال العراقي: رواه أبو موسى المديني بغير إسناد وهو منكر.

وروي أيضاً من حديث أنس في فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات وكلاهما ضعيف جداً اهـ.

قلت: أما أربع ركعات فأورده ابن الجوزي في الموضوعات فقال: أخبرنا إبراهيم بن محمد، أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الجوزقاني، أخبرنا أحمد بن نصر، أخبرنا علي بن محمد بن أحمد بن حمدان، أخبرنا أحمد بن عمر، حدثنا أبو الحسن أحمد بن يونس، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شاذويه، حدثنا محمد بن أبي علي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سلمة بن وردان، عن أنس مرفوعاً «من صلّى ليلة الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة أعطاه الله يوم القيامة ثواب من قرأ القرآن عشر مرات وعمل بما في القرآن، ويخرج يوم القيامة من قبره ووجهه مثل القمر ليلة البدر ويعطيه الله بكل ركعة ألف مدينة من لؤلؤ، وفي كل مدينة ألف قصر من زبرجد، في كل قصر ألف دار من الياقوت، في كل دار ألف بيت من المسك، في كل بيت ألف سرير فوق كل سرير حوراء بين يدي كل حوراء ألف وصيفة وألف وصيف» ثم قال: هذا حديث مظلم موضوع الإسناد عامة من فيه مجهول. قال يحي: وسلمة بن وردان ليس بشيء وقال أحمد بن حنبل: هو منكر الحديث، وقال

ليلة الاثنين: روى الأعمش عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « من صلّى ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ في الركعة الأولى الحمد لله مرة وقل هو الله أحد عشر مرات، وفي الركعة الثانية: الحمد لله مرة وقل هو الله أحد عشرين مرة، وفي الثالثة الحمد لله مرة وقل هو الله أحد ثلاثين مرة، وفي الرابعة الحمد لله مرة وقل هو الله أحد أربعين مرة، ثم

ابن حبان: لا يحتج به. قال أبو حاتم الرازي وأحمد بن محمد بن عمر كان يضع الحديث كذباً اهـ.

قلت: سلمة بن وردان من رجال الترمذي، وابن ماجه سمع انساً، وعنه ابن المبارك والقعنبي وإسماعيل بن أبي أويس ضعفه أحمد كذا في الكاشف للذهبي، وقال في الديوان: ضعفه الدارقطني وغيره، وأما أحمد بن محمد بن عمر هو ابن يونس اليماني وضّاع، وقال ابن صاعد كان كذاباً.

صلاة أخرى لليلة الأحد أربع ركعات فبسند ابن الجوزي المتقدم إلى أحمد بن محمد بن عمر، أخبرنا أبو العباس الفارسي، حدثنا أبو أحمد حاتم بن عبدالله بن حاتم، حدثنا الربيع بن سليمان المرادي، حدثنا عبدالله بن وهب، حدثني مالك، عن حبيب بن عبدالرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: « من صلّى ليلة الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وخمسين مرة قل هو الله أحد حرم الله لحمه على النار وبعثه الله تعالى يوم القيامة وهو آمن من العذاب ويحاسب حساباً يسيراً ويمر على الصراط كالبرق اللامع ». ثم قال: وهذا أيضاً موضوع، وأكثر رواته مجهول ولم يروه قط مالك ولا ابن وهب ولا الربيع، وأورده السيوطي بالسياق المتقدم، وقال أحمد: كذاب وشيخه وشيخ شيخه مجهولان.

(ليلة الاثنين: روى الأعمش) ولفظ القوت: وروينا عن الأعمش. قلت: هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي مولاهم. أبو محمد الكوفي رأى أنس بن مالك، وأبا بكرة الثقفي، وأخذ له بالركاب فقال له: يا بني إنما أكرمت ربك عز وجل وكان من حفاظ الكوفة، وكان يسمى المصحف من صدقه، وقال يحي القطان: هو علامة الإسلام، وقال وكيع: مكث قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى. مات سنة ثمان وأربعين ومائة روى له الجماعة **(عن أنس)** رضي الله عنه اختلف في روايته عن أنس، فقال ابن المديني: لم يحمل الأعمش عن أنس إنما رآه يخضب ورآه يصلي، وإنما سمعها من يزيد الرقاشي وأبان عن أنس، وقال ابن معين: كل ما روى الأعمش عن أنس فهو مرسل، وعن وكيع، عن الأعمش: رأيت انساً وما منعني أن أسمع منه إلا استغنائي بأصحابي. قلت: ولكن الذي استقر عليه الحال بثبوت روايته عن أنس، فقد جاء في سنن أبي داود والترمذي ذلك من أحاديث **(أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من صلّى ليلة الاثنين أربع ركعات قرأ في الركعة الأولى الحمد لله مرة وقل هو الله أحد عشر مرات، وفي الركعة الثانية الحمد لله مرة وقل هو الله أحد عشرين مرة، وفي الثالثة الحمد لله مرة وقل هو الله أحد ثلاثين مرة، وفي الرابعة الحمد لله مرة وقل هو الله أحد**

يسلّم ويقرأ قل هو الله أحد خمساً وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمساً وسبعين مرة، ثم سأل الله حاجته كان حقاً على الله أن يعطيه سؤال ما سأل». وهي تسمى صلاة الحاجة.

ليلة الثلاثاء: من صلّى ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوّذتين خمس عشرة مرة، ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي واستغفر

أربعين مرة، ثم سلّم وقرأ قل هو الله أحد خمساً وسبعين مرة واستغفر) الله عز وجل **(لنفسه ولوالديه خمساً وسبعين مرة، وصلّى على محمد ﷺ خمساً وسبعين مرة، ثم سأل الله تعالى حاجته كان حقاً على الله تعالى أن يعطيه سؤال ما سأل، وهي تسمى صلاة الحاجة)**. هكذا أورده صاحب القوت.

وقال العراقي: هكذا رواه أبو موسى المديني، عن الأعمش بغير إسناد، وأسند من رواية يزيد الرقاشي عن أنس حديثاً في صلاة ست ركعات فيها وهو منكر اهـ.

قلت: هذه الست ركعات أخرج حديثها ابن الجوزي في الموضوعات، فقال بسنده المتقدم إلى أحمد بن عبدالله الجويباري، عن بشر بن السري، عن الهيثم، عن يزيد، عن أنس مرفوعاً «من صلى ليلة الاثنين ست ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وعشرين مرة قل هو الله أحد، ويستغفر بعد ذلك سبع مرات أعطاه الله يوم القيامة ثواب ألف صديق وألف عابد وألف زاهد ويتوّج يوم القيامة بتاج من نور يتلألأ ولا يخاف إذا خاف الناس، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف». ثم قال: هذا موضوع. وفي إسناده يزيد والهيثم وبشر كلهم مجروح. والجويباري كذاب. وأورده السيوطي وأقره عليه، وسيأتي الكلام على بشر في صلاة ليلة السبت.

وذكر صاحب القوت أيضاً عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة قال، قال رسول الله ﷺ: «من صلى ليلة الاثنين ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله خمس عشرة مرة، وقل أعوذ برب الفلق خمس عشرة مرة، وقل أعوذ برب الناس خمس عشرة مرة، ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي، ويستغفر الله سبحانه خمس عشرة مرة جعل الله عز وجل اسمه في أصحاب الجنة وإن كان من أصحاب النار، وغفر له ذنوب السر وذنوب العلانية، وكتب له بكل آية قرأها حجة وعمرة، وإن مات ما بين الاثنين والاثنين مات شهيداً».

(ليلة الثلاثاء: يصلي ركعتين في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوّذتين خمس عشرة مرة، ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي ويستغفر الله خمس عشرة مرة). هكذا في سائر النسخ الموجودة بين أيدينا وهو غلط عظيم، وهذه الصلاة في القوت هي صلاة يوم الاثنين من رواية القاسم بن عبدالرحمن عن أبي أمامة كما ذكرتها قبل هذه، والظاهر أن هذا من تخبيط النساخ.

الله تعالى خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم وأجر جسيم. وروي عن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ صلَّى ليلة الثلاثاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وإنَّا أنزلناه، وقل هو الله أحد سبع مرات أعتق الله رقبته من النار، ويكون يوم القيامة قائده ودليله إلى الجنة».

ليلة الأربعاء: روت فاطمة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ صَلَّى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات، وفي الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات، ثم إذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلي على محمد ﷺ عشر مرات، نزل من كل سماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة». وفي حديث آخر: «ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة

وذكر صاحب القوت صلاة ليلة الثلاثاء بما نصه في الخبر: «من صلى ليلة الثلاثاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وإذا جاء نصر الله عشر مرات بنى الله تعالى له بيتاً في الجنة عرضه وطوله وسع الدنيا سبع مرات» اهـ.

ولا يطلع على هذا التخبيط إلا من عرف مأخذ هذا الكتاب، فإنك ترى المصنف لا يكاد يتعدى في تقليده لما في القوت وينقص من سياقه كثيراً فيما يتعلق بالآثار، والذي يزيد عليه بالنسبة لما ينقصه إما قليل أو مساوٍ له، ولم يتنبه لذلك الحافظ العراقي فقال في صلاة ليلة الثلاثاء: رواه أبو موسى المديني بغير إسناد حكاية عن بعض المصنفين، وأسند من حديث ابن مسعود وجابر حديثاً في صلاة أربع ركعات فيها وكلها منكرة اهـ.

وقال ابن الجوزي: المتهم بصلاة ليلة الثلاثاء هو الجوزقاني، وهو الذي وضع حديثها.

(ليلة الأربعاء: روي عن النبي ﷺ قال: «من صلّى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب مرة وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات، وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل أعوذ برب الناس عشر مرات، واستغفر الله عشر مرات بعد السلام، وصلّى على النبي ﷺ عشر مرات نزل من كل سماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة») . كذا وجد في بعض نسخ الكتاب، وفي بعض بإسقاط هذا الحديث، وهو مذكور في القوت غير أنه لم يذكر الاستغفار والتسليم، وقال في أوله في الخبر: «من صلى ليلة الأربعاء» إلى آخره.

وقال العراقي: حديث صلاة ليلة الأربعاء ركعتين لم أجد فيه إلا حديث جابر في صلاة أربع ركعات فيها. رواه أبو موسى المديني، وروي من حديث أنس ثلاثين ركعة اهـ.

وأشار ابن الجوزي أن صلاة ليلة الأربعاء من وضع الجوزقاني.

ما شاء الله، ويقرأ في آخر الركعتين آية الكرسي ثلاثين مرة، وفي الأوليين ثلاثين مرة قل هو الله أحد يشفع في عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار ».

ليلة الخميس: قال ابو هريرة رضي الله عنه:) قال النبي ﷺ: « من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوّذتين خمس مرات، فإذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدّى حق والديه عليه وإن كان عاقاً لهما وأعطاه الله تعالى ما يعطي الصديقين والشهداء ».

روت فاطمة رضي الله عنها وهي ابنة النبي ﷺ أنها قالت، قال رسول الله ﷺ: « من صلى ليلة الأربعاء ست ركعات قرأ في كل ركعة بعد الفاتحة ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ [آل عمران: ٢٦] إلى آخر الآية. فإذا فرغ من صلاته يقول جزى الله محمداً ﷺ عنا ما هو أهله غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار ». هذا الحديث لم يذكره صاحب القوت، وإنما اقتصر على الحديث المتقدم.

وقال العراقي: رواه أبو موسى المديني بسند ضعيف جداً انتهى. ووجد في بعض نسخ الإحياء ما نصه: ليلة الأربعاء. روت فاطمة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: « من صلى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات، وفي الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات، ثم إذا سلّم استغفر الله عشر مرات ثم يصلي على محمد ﷺ عشر مرات نزل من كل سماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه إلى يوم القيامة ». (**وفي حديث آخر: « ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة ما شاء الله ويقرأ في آخر الركعتين آية الكرسي ثلاثين مرة، وفي الأوليين ثلاثين مرة قل هو الله أحد يشفع في عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار »**). هذا نص النسخة الخاصية وهي من وقف المرحوم الجمالي يوسف ناظر الخاص تغمده الله برحمته وعليها جل اعتماد المصريين وفي غيرها من النسخ الاقتصار على حديث فاطمة رضي الله عنها، وفي بعضها الجمع بينه وبين الحديث الأول والله أعلم.

(**ليلة الخميس: قال أبو هريرة**) رضي الله عنه، (**قال رسول الله ﷺ: « من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب، وآية الكرسي خمس مرات، وقل هو الله أحد خمس مرات، والمعوّذتين خمس مرات، فإذا فرغ من صلاته استغفر الله**) عز وجل (**خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه**) الذي كان (**عليه وإن كان عاقاً لهما وأعطاه الله ما يعطي الصديقين والشهداء**).
هكذا هو في القوت، عن أبي صالح، عن أبي هريرة وفيه: « فقد أدى حقهما ».

ليلة الجمعة: قال جابر: قال رسول الله ﷺ: «من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة، فكأنما عبد الله تعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها». وقال أنس: قال النبي ﷺ: «من صلّى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلّى ركعتي السنة ثم صلّى بعدهما عشر ركعات قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوّذتين مرة مرة ثم أوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن، ووجهه

وقال العراقي: رواه أبو موسى المديني، وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف جداً وهو منكر اهـ.

وأشار ابن الجوزي أن حديث هذه الصلاة من وضع الجوزقاني.

(**ليلة الجمعة: قال جابر**) بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه، (**قال رسول الله ﷺ: «من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة، فكأنما عبد الله اثنتي عشرة سنة بصيام نهارها وقيام ليلها»**). قال العراقي: باطل لا أصل له اهـ.

وقال صاحب القوت: رواه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، عن جابر، عن النبي ﷺ فساقه. وفي كلام ابن الجوزي ما يدل على أنه من وضع الجوزقاني.

(**وقال أنس**) بن مالك رضي الله عنه، (**قال النبي ﷺ: «من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنّة، ثم صلّى بعدها عشر ركعات قرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله أحد والمعوّذتين مرة مرة ثم أوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن ووجهه إلى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر»**) أورده صاحب القوت وقال: وروينا عن كثير بن سليم، عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ فساقه مثله.

وقال العراقي: الحديث باطل لا أصل له اهـ.

وذكر ابن الجوزي صلاة أخرى لليلة الجمعة من حديث أنس قال: روى عبدالله بن داود الواسطي التمار، عن حماد بن سلمة، عن المختار بن فلفل، عن أنس بن مالك مرفوعاً: «من صلّى ركعتين في ليلة جمعة قرأ فيها بفاتحة الكتاب وخمس عشرة مرة إذا زلزلت أمنه الله عز وجل عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة» ثم قال: هذا لا يصح. قال ابن حبان: عبدالله بن داود منكر الحديث جداً لا يجوز الاحتجاج بروايته، فإنه يروي المناكير عن المشاهير اهـ.

إلى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر ». وقال ﷺ : « أكثروا من الصلاة عليّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة ».

وقال الحافظ السيوطي في الجامع الكبير : أخرجه أبو سعد الادريسي في تاريخ سمرقند ، وابن النجار ، والديلمي عن أنس اهـ.

وقال الحافظ العراقي في المغني ، والحافظ السيوطي في اللآلىء المصنوعة ، ورواه المظفر بن الحسين الأرجاني في كتاب فضائل القرآن ، وابراهيم بن المظفر في كتاب وصول القرآن للميت ، إلا أن ابن المظفر قال في حديثه خمسين مرة . ورواه الديلمي أيضاً من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضاً وكلها ضعيفة منكرة ، وليس يصح في صلوات أيام الأسبوع ولياليه شيء . والله أعلم اهـ.

قلت : وحديث ابن عباس الذي أشار إليه العراقي هو ما قال الديلمي : أخبرنا ابن مهرة ، أخبرنا ابن مهران ، عن المغيرة بن عمرو بن الوليد ، أخبرنا أبو سعيد المفضل بن محمد الجندي ، أخبرنا يونس بن محمد العدني ، حدثنا محمد بن الوليد ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن ليث ، عن طاوس ، عن ابن عباس رفعه : « من صلى ليلة الجمعة ركعتين يقرأ في كل واحدة منهما بفاتحة الكتاب مرة وإذا زلزلت الأرض خمس عشرة مرة هوّن الله عليه سكرات الموت ويسر له الجواز على الصراط يوم القيامة » ، أورده السيوطي في اللآلىء المصنوعة ، ثم قال : وأورده الحافظ ابن حجر في أماليه من هذا الطريق وقال : غريب . وسنده ضعيف وفيه من لا يعرف ، والله أعلم .

(وقال ﷺ : « أكثروا من الصلاة عليّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة ») . هكذا أورده صاحب القوت .

وقال العراقي : رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ، وفيه عبد المنعم بن بشير ضعفه ابن معين وابن حبان اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر : متفق على ضعفه . وقول المصنف ليلة الجمعة ويوم الجمعة ليس من لفظ الحديث ، وإنما زاده صاحب القوت للبيان فتبعه المصنف ، وإنما سمي يوم الجمعة أزهر لكونه يضيء لأهله لأجل أن يمشوا في ضوئه يوم القيامة ، ويدل عليه ما عند الحاكم من حديث أبي موسى : « إن الله تعالى يبعث يوم الجمعة يوم القيامة زهراء منيرة لأهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها » الحديث . قال الحاكم : هو شاذ صحيح السند ، وأقره الذهبي . ثم إن الحديث المذكور أخرجه أيضاً ابن عدي عن أنس ، والبيهقي عن أبي هريرة ، وسعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري ، وخالد بن معدان مرسلاً .

ليلة السبت: قال أنس قال رسول الله ﷺ: «من صلّى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بني له قصر في الجنة، وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة، وتبرأ من اليهود وكان حقاً على الله أن يغفر له».

وعند البيهقي أيضاً عن أنس بلفظ: «أكثروا من الصلاة عليَّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة» فيه درست بن زياد وهو ضعيف، ويزيد الرقاشي وهو متروك.

(**ليلة السبت: قال أنس**) بن مالك رضي الله عنه، (**قال رسول الله ﷺ: «من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بني له قصر في الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهودية وكان حقاً على الله أن يغفر له»**) أورده صاحب القوت عن كثير بن شنظير عن أنس بن مالك مثله، وقال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من وجه آخر عن يزيد الرقاشي، عن أنس فقال: أخبرنا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن أحمد الطيبي الفقيه، أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن ابراهيم بن الحسين الجوزقاني، أخبرنا محمد بن أحمد، أخبرنا أبو عمرو محمد بن يحيى بن الحسن العاصمي، حدثنا أبو نصر محمد بن عبدالله بن ابراهيم بن يزيد بن شيبان، حدثنا أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن محبوب، حدثنا أبي، حدثنا العباس بن حمزة، حدثنا أحمد بن عبدالله بن خالد النهرواني، عن بشر بن السري، عن الهيثم، عن يزيد عن أنس بن مالك مرفوعاً: «من صلّى ليلة السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واحدة وقل هو الله أحد خمساً وعشرين مرة حرّم الله جسده على النار» ثم قال: هذا حديث لا أصل له، وغالب رواته مجهولون. ويزيد الرقاشي ضعيف، والهيثم متروك. قال الحميدي: وبشر بن السري لا يحل أن يكتب عنه، وأحمد بن عبدالله هو الجويباري الكذاب الوضاع اهـ.

وأقره السيوطي في اللآلىء المصنوعة. قلت: لكن بشر بن السري أبو عمرو الأفوه نزيل مكة. قال الحافظ ابن حجر: هو ثقة من رجال الصحيح، وإنما تكلم فيه الحميدي لأجل المعتقد وقد رجع عنه اهـ. ويعني بالمعتقد التجهم.

وقال أحمد: حدثنا بشر بن السري وكان متقناً للحديث: عجباً عن سفيان الثوري، وذكر عنه حديثاً، ثم ذكر حديث ناضرة إلى ربها ناظرة، فقال: ما أدري ما هذا إيش هذا، فوثب به الحميدي وأهل مكة واسمعوه كلاماً شديداً فاعتذر بعد فلم يقبل منه وزهد الناس فيه. قال ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: ثبت صالح. وقال ابن عدي: له غرائب من الحديث عن الثوري ومسعر وغيرهما، وهو حسن الحديث ممن يكتب حديثه، وتقع في أحاديثه من النكرة لأنه يروي عن شيخ محتمل، فأما هو في نفسه فلا بأس به روى له الجماعة، والله أعلم.

القسم الثالث

ما يتكرر بتكرر السنين:

وهي أربع: صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وشعبان.

الأولى: صلاة العيدين: وهي سنّة مؤكدة وشعار من شعائر الدين، وينبغي أن يراعى فيها سبعة أمور:

القسم الثالث

ما يتكرر بتكرر السنين

(**وهي أربع صلاة العيدين**) الفطر والأضحى (**و**) صلاة (**التراويح وصلاة**) شهر (**رجب**) المسماة بصلاة الرغائب (**وصلاة النصف من شعبان.**)

(**الأولى: صلاة العيدين**) اعلم أن العيد بالكسر أصله واوي من العود اسم للموسم سمي به لأنه يعود في كل سنة، والجمع أعياد على لفظ الواحد فرقاً بينه وبين أعواد الخشب، وقيل: للزوم الياء في الواحد. هذا قول أهل اللغة، وقيل سمي به لأن لله تعالى فيه عوائد الإحسان إلى عباده دينية ودنيوية، وإلى هذا لحظ الشيخ الأكبر قدس سره فقال في كتاب الشريعة: والحقيقة هما يوما سرور عيد الفطر لفرحته بفطره فيعجل بالصلاة للقاء ربه، فإن المصلي يناجي ربه. قال ﷺ: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه». وأراد أن يعجل بحصول الفرحتين فشرعت صلاة عيد الفطر وحرم عليه صوم ذلك اليوم ليكون في فطره مأجوراً أجر الفرائض في عبودية الاضطرار لتكون المثوبة عظيمة القدر.

وفي صلاة عيد الأضحى مثل ذلك لصيامه يوم عرفة في حق من صامه، فإنه صوم مرغوب فيه في غير عرفة وحرم عليه صوم يوم الأضحى ليؤجر أجر الواجبات فإنها من أعظم الأجور، ولما كان يوم زينة وشغل بأحوال النفوس من أكل وشرب وبعال شرّع في حق من ليس بحاج في ذلك اليوم أن يستفتح يومه بالصلاة بمناجاة ربه ليحفظه سائر يومه، فإن الصلاة في ذلك اليوم في أول النهار كالنية في الصلاة، فكما ان النية تحفظ عليه هذه العبادة وان صحبته الغفلة في أثناء صلاته، فالنية تجبر له ذلك فإنها تعلقت عند وجودها بكمال الصلاة فحكمها سار في الصلاة وإن غفل المصلي، كذلك الصلاة في يوم العيد تقوم مقام النية واليوم يقوم مقام الصلاة فما كان في ذلك اليوم من الإنسان من لهو ولعب وفعل مباح، فهو في حفظ صلاته إلى آخر يومه، ولهذا سميت صلاة العيد أي تعود عليه في كل فعل يفعله من المباحات بالأجر الذي يكون للمصلي في حال صلاته، وإن غفل لصحة نيته. ولهذا حرم عليه الصوم فيه تشبهاً بتكبيرة الإحرام وليقابل به نية الصوم في حال وجوب الصوم، فيكون في فطره صاحب فريضة كما كان في صومه في

رمضان صاحب فريضة، فجميع ما يفعله من المباحات في ذلك اليوم مثل سنن الصلاة في الصلاة وجميع ما يفعله من الفرائض في ذلك اليوم والواجبات من جميع العبادات بمنزلة الأركان في الصلاة، فلا يزال العبد في يوم العيدين حاله في أفعاله حال المصلي. فلهذا قلنا: سميت صلاة العيد بخلاف ما يقول غيرنا من أنه سمي بذلك لأنه يعود في كل سنة. فهذه الصلوات الخمس تعود في كل يوم ولا تسمى صلاة عيد.

فإن قيل: لارتباطه بالزينة؟ قلنا: والزينة مشروعة في الصلاة. قال تعالى: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ [الأعراف: ٣١] فلما عاد الفطر عبادة مفروضة سمي عيداً وعاد ما كان مباحاً واجباً اهـ.

وهذا الذي ذكره الشيخ قدس سره بحسب ما أعطاه المقام، وإلاّ فالمعروف عند أهل المعرفة باللسان العربي هو ما قدمناه، ولا مانع من أن يلاحظ فيه المعنيان إذ لا منافاة بين عود نظيره في كل سنة وعود ما كان مباحاً واجباً فيه فافهمه فإنه دقيق.

(وهي) أي صلاة العيد **(سنّة مؤكدة)** على الصحيح المنصوص كما في الروضة وفي المحرر على أظهر الوجهين لأنها صلاة ذات ركوع وسجود، وفي الوجه الثاني فرض كفاية. **(و) هي (شعار من شعائر الإسلام)**. وأول ما صلى رسول الله ﷺ صلاة عيد الفطر من السنة الثانية من الهجرة، ثم واظب على صلاة العيدين حتى فارق الدنيا، ففي تركها تهاون، فعلى هذا لو تركها أهل بلدة قوتلوا أي على القول بأنها فرض كفاية، وعلى الأول في مقاتلتهم وجهان. الأصح لم يقاتلوا. كذا في شرح المحرر.

وفي سنن أبي داود، عن أنس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: «ما هذان اليومان» قيل: كنا نلعب فيهما في الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: «إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر».

وقال الرافعي في الشرح: ولم يصلها يعني النبي ﷺ بمنى لأنه كان مسافراً كما لم يصل الجمعة.

قال الحافظ ابن حجر: لم أرَه في حديث وكأنه مأخوذ بالاستقراء، وقد احتج أبو عوانة في صحيحه أنه ﷺ لم يصلّ العيد بمنى بحديث جابر الطويل قال فيه: «انه ﷺ رمى جرة العقبة ثم أتى المنحر فنحر ولم يذكر الصلاة».

وذكر المحب الطبري عن إمام الحرمين أنه قال يصلي بمنى، وكذا ذكره ابن حزم في حجة الوداع واستنكر ذلك منه اهـ.

وقال في شرح المحرر: والأصل في مشروعيتها الكتاب وهو قوله تعالى: ﴿فصلّ لربك وانحر﴾ [الكوثر: ٢] وقوله تعالى: ﴿وذكر اسم ربه فصلّى﴾ [الأعلى: ١٥] والسنة والاجماع المتواتر على فعلها.

فصل

وقال أصحابنا: صلاة العيدين واجبة على من تجب عليه الجمعة نصاً عن أبي حنيفة في روايته على الأصح، وبه قال الأكثرون وهو المذهب، ونقل ابن هبيرة في الإفصاح رواية ثانية عن الإمام بأنها سنّة اهـ.

قلت: وتسمية محمد إياها في الجامع الصغير سنّة حيث قال: عيدان اجتمعا في يوم واحد الأول سنّة والثاني فريضة، ولا يترك واحد منهما لكونها وجبت بالسنّة. ألا يرى إلى قوله: ولا يترك واحد منهما فإنه أخبر بعدم الترك والاخبار في عبارات الأئمة والمشايخ بذلك يفيد الوجوب، والدليل على وجوبها إشارة الكتاب ﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله تعالى: ﴿فصلِّ لربك وانحر﴾ [الكوثر: ٢] فإن في الأول إشارة إلى صلاة عيد الفطر، وفي الثاني إشارة إلى صلاة عيد النحر، والسنّة وهو ما ثبت بالنقل المستفيض عنه ﷺ أنه واظب عليهما من غير ترك، وهو دليل الوجوب. وكذا عمل الخلفاء الراشدين من بعده من غير ترك. وقال مالك والشافعي: سنّة مؤكدة واستدلا بحديث الأعرابي في الصحيحين: «هل عليَّ غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوّع» وأجاب أصحابنا عن هذا الحديث أنه لا ينافي الوجوب عندنا لأن الأعرابي لا تجب عليه إذ من شرائطها المصر.

فإن قلت: نقل المزني في المختصر عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال: من وجب عليه حضور الجمعة وجب عليه حضور العيد، فهذا يدل على الوجوب. وقد أجاب أصحابه عن هذا بأجوبة، منها: أنه محمول على التأكيد نقله القسطلاني في شرح البخاري، ومنها: أنه مؤوّل بمن وجب عليه حضور الجمعة وجب عليه حضور العيد سنّة والوجوب بمعنى الثبوت أي ثبت عليه، وقيل: مؤوّل بمن وجب عليه حضور الجمعة عيناً وجب عليه حضور العيد كفاية، وعلى التقديرين الأولين ذكر الوجوب للمشاكلة والتأويلان الأولان ذكرهما شارح المحرر، وقال أحمد وجماعة: هي فرض على الكفاية إذا قام بها قوم سقطت عن الباقين كالجهاد والصلاة على الجنائز نقله ابن هبيرة في الإفصاح وهو الوجه الثاني لأصحاب الشافعي كما تقدم.

وقال أصحاب أحمد: لما كان قوله تعالى: ﴿فصلِّ لربك وانحر﴾ دالاً على الوجوب، وحديث الأعرابي دالاً على عدم وجوبها على كل أحد، فتعين أن يكون فرضاً على الكفاية، وقد نازعهم الشمس البساطي من أئمة المالكية في ذلك فقال: لا نسلم أن المراد بقوله: ﴿فصلِّ لربك وانحر﴾ صلاةالعيد. سلمنا ذلك، لكن ظاهره يقتضي وجوب النحر، وأنتم لا تقولون به. سلمنا أن المراد بالنحر ما هو أعم لكن وجوبه خاص به فيختص وجوب صلاة العيد به، سلمنا الكل وهو أن الأمر الأول غير خاص به، والأمر الثاني خاص، لكن لا نسلم أن الأمر الأول للوجوب، فيحمل على الندب جمعاً بينه وبين الأحاديث الأخر. سلمنا جميع ذلك لكن صيغة

الأول: التكبير ثلاثاً نسقاً فيقول: « الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ». يفتتح بالتكبير ليلة الفطر إلى الشروع في صلاة العيد، وفي العيد

صلّ خاصة به، فإن حملت عليه وأمته وجب إدخال الجميع، فلما دل الدليل على إخراج بعضهم كما زعمتم كان قادحاً في القياس اهـ.

تنبيه:

قال أصحابنا: ويشترط لها جميع ما يشترط للجمعة وجوباً وأداء إلا الخطبة فإنها ليست بشرط لها بل هي سنّة بعدها للنقل المستفيض بذلك، وأجاز مالك والشافعي أن يصليها منفرداً من شاء من الرجال والنساء، وعن أحمد روايتان: الأولى مثل قول أصحابنا إلا انه لم يشترط المصر، والثانية مثل قول مالك والشافعي.

(وينبغي أن يراعى فيها) أي في صلاة العيدين **(سبعة أمور)**.

الأمر (الأول: التكبير). قال الرافعي: تكبير العيد قسمان. أحدهما في الصلاة والخطبة، والثاني في غيرهما. الأخير ضربان مرسل ومقيد، فالمرسل لا يقيد بحال بل يؤتى به في المساجد والمنازل والطرق ليلاً ونهاراً، والمقيد يؤتى به في ادبار الصلاة خاصة، فالمرسل مشروع في العيدين جميعاً، وأما المقيد فيشرع في الأضحى ولا يشرع في الفطر على الأصح عند الأكثرين، وقيل على الجديد وعلى الثاني يستحب عقيب المغرب والعشاء والصبح. وصف هذا التكبير أن يكبر **(ثلاثاً نسقاً)** على المذهب **(فيقول: « الله أكبر الله أكبر الله أكبر)** وحكى قول قديم أنه يكبر مرتين. قال الشافعي: وما زاد من ذكر الله فحسن، واستحسن في الأم أن يزاد فيه ما قاله النبي ﷺ على الصفا وهو أن يزيد **(كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً لا إله إلا الله وحده لا شريك له)** كذا في النسخ كلها، وفي شرح الرافعي، وشرح تحرير المحرر بعد قوله: إلا الله ولا نعبد إلا إياه بدل قوله: « وحده لا شريك له » **(مخلصين له الدين ولو كره الكافرون)** لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله والله أكبر » إلى هنا الزيادة المذكورة متفق عليها عند الرافعي والنووي، والمصنف ذكر التكبير إلى « الكافرون » ولم يميز بين التكبير وزيادته، واقتصر على بعض الزيادة. وعن القديم يقول بعد الثلاث: « الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا وأولانا ».

قال صاحب الشامل: فإذا ثبت هذا فعلى ما اقتصر من ذلك جاز، والذي يقوله الناس لا بأس به، وهو أن يقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد.

قال النووي: هذا الذي ذكره صاحب الشامل نقله صاحب البحر عن نص الشافعي رحمه الله تعالى في البويطي، وقال: والعمل عليه. والله أعلم. اهـ.

وفي الافصاح لابن هبيرة، وقال مالك: صفة التكبير أن يقول: الله أكبر الله أكبر الله أكبر ثلاثاً نسقاً حسب.

وروي عنه أن السنة أن يقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد.

وقال عبد الوهاب: والشفع في التكبير في أوله وآخره أحب إليه.

وقال الشافعي يكبر ثلاثاً نسقاً.

وقال أبو حنيفة، وأحمد: صفة التكبير أن يقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد يشفع التكبير في أوله وآخره.

ونقل عن يحي بن محمد النيسابوري أنه قال: ولكل وجه، والأحسن ما قاله الشافعي لأن الثلاث أقل الجمع اهـ.

قلت: فصفته عند أصحابنا تكبيرتان قبل التهليل وتكبيرتان بعده.

أخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن إبراهيم النخعي قال: كانوا يكبرون يوم عرفة وأحدهم مستقبل القبلة في دبر الصلاة الله أكبر الله أكبر لا إلـه إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

وأخرج عن أبي الأحوص، عن عبدالله بن مسعود أنه كان يكبر أيام التشريق مثل ذلك.

وأخرج عن يزيد بن هارون وقال: حدثنا شريك قال، قلت لأبي إسحاق كيف كان يكبر علي وعبدالله؟ فقال: كانا يقولان فساقه مثله.

وأما التثليث في التكبير، فقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون، وأخبرنا محمد أن الحسن كان يكبر الله أكبر الله أكبر ثلاث مرات.

ويروى عن ابن عباس التكبير على صفة أخرى. قال ابن أبي شيبة: حدثنا يحي بن سعيد، عن أبي بكار، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه كان يقول: «الله أكبر كبيراً الله أكبر كبيراً الله أكبر وأجل الله أكبر ولله الحمد».

قلت: والذي اشتهر استعماله الآن في التكبير في العيدين في مصر وما والاها من البلاد هكذا: الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أنصار سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً كثيراً». وهذا هو المعتاد الآن ومن قبل الآن وفيه الجمع بين الزيادات وهو حسن، والصلاة على النبي ﷺ بالوجه المذكور إن لم يرد فيه نقل فهو حسن أيضاً. والله أعلم.

الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة إلى آخر النهار يوم الثالث عشر، وهذا

(**ويفتتح بالتكبير**) المرسل المشروع في العيدين بأول وقته وهو غروب الشمس (**ليلة**) عيد (**الفطر**) وعيد الأضحى وفي آخر وقته طريقان وأصحها على ثلاثة أقوال: أظهرها يكبر (**إلى الشروع**) أي شروع الإمام أي إحرامه (**في صلاة العيد**) والثاني إلى أن يخرج الإمام إلى الصلاة، والثالث إلى أن يفرغ منها. وقيل: إلى أن يفرغ من الخطبتين. والطريق الثاني القطع بالقول الأول. كذا في الروضة. قال: ويرفع الناس أصواتهم بالمرسل في ليلتي العيدين ويوميها إلى الغاية المذكورة في المنازل والمساجد والأسواق والطرق في السفر والحضر وفي طريق المصلى، ويستثنى منه الحاج فلا يكبر ليلة الأضحى بل ذكره التلبية وتكبير ليلة الفطر آكد من تكبير ليلة الأضحى على الجديد وفي القديم عكسه.

قلت: وقال أصحابنا بقطع التكبير إذا انتهى إلى المصلى سواء في الفطر أي على القول بالجهر أو الأضحى، وقيل لا يقطعه ما لم يفتتح الصلاة الأول جزم به في الدراية، والثاني نقله النسفي في الكافي، وقال المقدسي: وعليه عمل الناس، وفي التترخانية عن الحجة، وقال أبو جعفر الهندواني: وبه نأخذ.

(**و**) أما التكبير المقيد فيكون (**في العيد الثاني**) أي الأضحى، واعلم أن الناس فيه قسمان حجاج وغيرهم، فالحجاج يبتدأون بالتكبير عقيب ظهر يوم النحر ويختمون عقيب الصباح آخر أيام التشريق، وقيل: إلى آخر أيام التشريق وهو الأصح، وأما غير الحجاج ففيهم طريقان. أصحهما على ثلاثة أقوال. أولها: إنهم كالحجاج. والثاني: يبتدأون بالتكبير عقيب المغرب ليلة النحر إلى صبح الثالث من أيام التشريق، والثالث: (**يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة إلى آخر نهار يوم الثالث عشر**) وهو آخر أيام التشريق. وقال الصيدلاني وغيره. وعليه العمل في الأمصار. قال النووي: وهو الأظهر عند المحققين للحديث والله أعلم.

ولذا قال المصنف: (**هذا أكمل الأقاويل**)، والطريق الثاني القطع بالقول الأول.

فصل

وقال أصحابنا ابتداؤه فجر يوم عرفة وهو قول أحمد، والأظهر عن الشافعي وفي قوله الآخر وهو قول مالك ظهر يوم النحر، وآخره عصر يوم النحر عند أبي حنيفة. سواء كان محلاً أو محرماً ويكبر للعصر ثم يقطع، وعصر آخر أيام التشريق عند محمد وأبي يوسف وهو قول أحمد، والأظهر عند الشافعي وفي قوله الآخر صبح آخر أيام التشريق وهو قول مالك. قالوا: لأن الناس تبع للحاج وهم يقطعون التلبية يوم النحر ضحى ويبتدأون التكبير من صلاة الظهر، وينتهي تكبيرهم بصلاة الصبح آخر أيام التشريق والناس تبع لهم. وأجاب أصحابنا بعدم تسليم ادعاء التبعية بل المسلمون أصول في هذا الحكم.

ونقل ابن هبيرة عن أحمد إن كان محلاً فمثل قول أبي حنيفة في المبدأ، وفي المنتهى مثل قول الشافعي، وإن كان محرماً فمثل قول مالك في المبدأ، وفي المنتهى مثل قول الشافعي اهـ.

ولأبي يوسف ومحمد ومن وافقهما ما رواه ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا حسين بن علي، عن زائدة، عن عاصم، عن شقيق عن علي أنه كان يكبر بعد صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق ويكبر بعد العصر.

وحدثنا وكيع، عن أبي خباب، عن عمير بن سعيد عن علي مثله.

وحدثنا جعفر بن عون، عن سلمة بن نبيط، عن الضحاك مثله.

وحدثنا يحيى بن سعيد القطان عن أبي بكار، عن عكرمة، عن ابن عباس مثله.

ورواه محمد بن الحسن في الآثار فقال: حدثنا أبو حنيفة عن حماد، عن إبراهيم عن علي مثله.

ولأبي حنيفة ومن وافقه ما رواه ابن أبي شيبة أيضاً فقال: حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن الأسود قال: «كان عبدالله يكبر من صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من يوم النحر».

وحدثنا ابن مهدي، عن سفيان، عن غيلان بن جابر، عن عمرو بن مرة، عن أبي وائل، عن عبدالله مثله.

وحدثنا عبيدة بن حميد، عن منصور، عن إبراهيم، وقال غيره: عن يزيد بن أوس، عن علقمة مثله.

ودليل من قال إلى صلاة الظهر من آخر أيام التشريق ما رواه ابن أبي شيبة أيضاً فقال: حدثنا أبو أسامة، عن أبي عوانة، عن حجاج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير «أنه كان يكبر من صلاة الغداة يوم عرفة إلى صلاة الظهر من آخر أيام التشريق».

ودليل من قال إلى صلاة الظهر من يوم النحر، ما رواه ابن أبي شيبة أيضاً فقال: حدثنا ابن مهدي، عن سفيان عن عاصم: أن أبا وائل كان يكبر يوم عرفة من صلاة الصبح إلى صلاة الظهر. يعني من يوم النحر.

ودليل من قال يبتدىء التكبير من ظهر يوم النحر إلى آخر أيام التشريق، ما رواه ابن أبي شيبة أيضاً فقال: حدثنا يزيد بن الحباب، أخبرنا أبو عوانة، عن عبد الحميد بن رياح الشامي، عن رجل من أهل الشام، عن زيد بن ثابت: «أنه كان يكبر من صلاة الظهر يوم النحر إلى آخر أيام التشريق يكبر في العصر».

وحدثنا عفان، حدثنا أبو عوانة، عن عبد الحميد بن أبي رياح فذكر مثله.

وحدثنا سهيل بن يوسف، عن حميد قال: كان عمر بن عبد العزيز يكبر فذكر مثله.

أكمل الأقاويل. ويكبّر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض آكد.

وحدثنا وكيع عن شريك عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس مثله.

وحدثنا وكيع، عن سفيان، عن عبد الكريم عن سعيد بن جبير مثله.

ودليل من قال يبتدىء من ظهر يوم عرفة إلى صلاة الظهر من آخر أيام التشريق، ما رواه ابن أبي شيبة أيضاً فقال: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا ابن أبي ذئب، عن الزهري «أن رسول الله ﷺ كان يكبر من صلاة الظهر يوم عرفة إلى صلاة الظهر من آخر أيام التشريق».

وروي أيضاً عن يزيد بن هارون عن حميد «أن الحسن كان يكبر من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الظهر من النفر الأول».

وروي أيضاً عن عبد الأعلى عن برد عن مكحول «أنه كان يكبر في أيام التشريق في صلاة الظهر يوم عرفة إلى صلاة الفجر من آخر أيام التشريق».

فالحاصل أن المسألة مختلف فيها في عصر الصحابة ومن بعدهم، فأخذ أبو يوسف ومحمد بالأكثر للاحتياط في العبادة خصوصاً في الذكر للأمر باكثاره.

فإن قلت: فلم لم يخالفا أبا حنيفة في تكبيرات العيد حيث وافقاه فيها بالأقل؟ فالجواب: بأنها يؤتى بها في الصلاة وهي تصان عن الزوائد، وهذه عقيب الصلاة وهو موضع الذكر والدعاء بالنص لقوله تعالى: ﴿فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب﴾ [الشرح، ٧، ٨] وإكثار الأذكار في مظانها أفضل، والله أعلم.

(**ويكبر عقيب الصلوات المفروضة**) فلو فاتته فريضة في هذه الأيام فقضاها في غيرها لم يكبر، ولو فاتته في غير هذه الأيام أو فيها فقضاها فيها كبر على الأظهر، (**و**) يكبر (**عقيب النوافل**) الثابتة ومنها صلاة عيد الأضحى وعقيب النافلة المطلقة وعقيب الجنازة على المذهب في الجميع (**وهو عقيب الفرائض آكد**) فعلم أنه يكبر عقب كل صلاة مفعولة في هذه الأيام وهو الأصح من أربعة أوجه والثاني يختص بالفرائض المفعولة فيها مؤداة كانت أو مقضية، والثالث يختص بفرائضها مقضية كانت أو مؤداة، والرابع لا يكبر إلا عقب مؤداتها والسنن الراتبة، ولو نسي التكبير خلف الصلاة فتذكر والفصل قريب كبر» وإن فارق مصلاه فلو طال الفصل كبر أيضاً على الأصح، والمسبوق إنما يكبر إذا أتم صلاة نفسه.

قال إمام الحرمين: وجميع ما ذكرناه هو في التكبير الذي يرفع به صوته ويجعله لله تعالى، أما لو استغرق عمره بالتكبير في نفسه فلا منع فيه. نقله الرافعي والنووي.

فصل

وقال أصحابنا لا يكبر إلا عقيب المكتوبات لا عقيب الواجب كالوتر وصلاة العيد، ولا عقيب النوافل، ولا يجب على المنفرد ولا على المعذورين الذين صلوا الظهر يوم الجمعة بجماعة، ولا على أهل القرى. وعند أبي يوسف ومحمد يجب التكبير على كل من يصلي المكتوبة لأنه تبع لها، ولأبي حنيفة أن الجهر بالتكبير خلاف السنة والشرع ورد به عند استجماع هذه الشرائط، فيقتصر إلا أن بالاقتداء يجب بطريق التبعية.

فصل

وقال أصحابنا أيضاً: يستحب التكبير جهراً في طريق المصلى يوم الأضحى اتفاقاً للإجماع، وأما يوم الفطر فقال أبو حنيفة لا يجهر به، وقال صاحباه: يجهر، وحكى الطحاوي قولاً عن الإمام أنه يجهر أيضاً في يوم الفطر اعتباراً بالأضحى، ولكن المشهور في المذهب الأول.

ونقل ابن هبيرة في الإفصاح ما نصه: ثم اختلفوا في التكبير لعيد الفطر فقالوا كلهم يكبر فيه إلا أبا حنيفة، فإنه قال لا يكبر له، ثم قال: والصحيح أن التكبير فيه آكد من غيره لقوله عز وجل: ﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ [البقرة: ١٨٥] اهـ.

قلت: وفي هذا نظر، فإن أبا حنيفة لا يمنع التكبير في عيد الفطر كما دل صريح نفيه، وإنما يقول يكبر فيه سراً وفي الأضحى جهراً على أنه روي عنه الجهر فيه أيضاً كما قدمنا عن الطحاوي، وهذه كتب المذهب مشحونة بما ذكرنا على أن أبا حنيفة يقول: إن رفع الصوت بالذكر بدعة مخالف للأمر في قوله تعالى: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول﴾ [الأعراف: ٢٠٥] إلا ما اختص بالإجماع، وقد يجاب عن الآية بأنها تحتمل أن يراد بها التكبير في الصلاة أو يراد بها نفس الصلاة، والتكبير: بمعنى التعظيم، والدليل إذا تطرقه الاحتمال بطل به الاستدلال، وأيضاً االاستدلال بها ينبني على أن الواو تقتضي الترتيب وهو ممنوع على أن الآية لا دلالة فيها على الجهر، وأبو حنيفة لا يمنع التكبير مطلقاً وإنما يمنع الجهر به.

وأما كونه في عيد الفطر آكد، فقد تقدم عن الشافعي فيه قولان. قديم ان الأضحى آكد، وجديد بعكسه. ومما استدل به الصاحبان أيضاً ما رواه الدارقطني من طريق سالم أن عبدالله بن عمر أخبره أن رسول الله ﷺ كان يكبر في الفطر من حين يخرج من بيته حتى يأتي المصلى. والجواب من قبل أبي حنيفة عن هذا الحديث أنه ضعيف. في إسناده أبو الطاهر موسى بن محمد ابن عطاء المقدسي ويعرف بالبطقاوي قال الذهبي في الديوان: كذاب ثم ليس فيه أيضاً ما يدل على أنه كان يجهر به، نعم روى الدارقطني عن نافع أن ابن عمر كان إذا غدا يوم الفطر ويوم

....

الأضحى يجهر بالتكبير حتى يأتي الإمام، وقال البيهقي: الصحيح وقفه على ابن عمر وهو قول صحابي قد عارضه قول صحابي آخر.

روي ابن المنذر، عن ابن عباس أنه سمع الناس يكبرون، فقال لقائده: أكبر الإمام؟ قال: لا. قال: أجن الناس أدركنا مثل هذا اليوم مع النبي ﷺ فما كان أحد يكبر قبل الإمام.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا يزيد عن ابن أبي ذئب، عن شعبة قال: كنت أقود ابن عباس يوم العيد فسمع الناس يكبرون فقال: ما شأن الناس؟ قلت: يكبرون. قال كبر الإمام؟ قلت: لا. قال أمجانين الناس؟ فيبقى مفاد الآية بلا معارض على أن قول الصحابي لا يعارضه هذا، والذي ينبغي أن يكون الخلاف في استحباب الجهر وعدمه لا في كراهته وعدمها، فعندهما يستحب وعنده الإخفاء أفضل، وذلك لأن الجهر قد نقل عن كثير من السلف كابن عمر وعلي وأبي أمامة والنخعي وابن جبير وعمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وأبان بن عثمان والحكم وحماد ومالك وأحمد وأبي ثور، ومثله عن الشافعي ذكره ابن المنذر في الاشراف.

وروى ابن أبي شيبة في المصنف عن أكثر هؤلاء، وعن أبي قتادة، وأبي عبد الرحمن، وعطاء، وعروة، والزهري على أن في سياق أكثر هؤلاء مطلق التكبير دون التقييد بالجهر.

وروي عدم التكبير عن جماعة آخرين منهم ابن معقل، وقال: حدثنا عبدالله بن نمير، عن الأعمش قال: كنت أخرج مع أصحابنا إبراهيم وخيثمة وأبي صالح يوم العيد فلا يكبرون ولا يخفى أن مثل هذا يحمل على التكبير سراً والمعنى لا يجهرون به والله أعلم.

وقال الفقيه أبو جعفر الهندواني من أصحابنا: والذي عندنا أنه لا ينبغي أن تمنع العامة عن الجهر بالتكبير لقلة رغبتهم في الخير، وبه نأخذ يعني أنه إذا منعوا من الجهر به لا يفعلونه سراً فينقطعون عن الخير بخلاف العالم الذي يعلم أن الأسرار به أفضل.

تنبيه:

أخرج البيهقي في السنن بسنده، عن القطان، عن ابن عجلان، حدثني نافع أن ابن عمر كان يغدو إلى العيد من المسجد وكان يرفع صوته بالتكبير، ثم قال: ورواه ابن إدريس عن ابن عجلان وقال يوم الفطر والأضحى.

قلت: أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن إدريس بخلاف هذا فقال: حدثنا عبدالله بن إدريس عن محمد بن عجلان بسنده ولفظه: «إنه كان يغدو يوم العيد ويكبر ويرفع صوته حتى يبلغ الإمام».

تنبيه آخر: قال الرافعي، يستوي في التكبير المرسل والمقيد المنفرد والمصلي جماعة والرجل والمرأة والمقيم والمسافر. قال النووي: لو كبر الإمام على خلاف اعتقاد المأموم فكبر من يوم عرفة

الثاني: إذا أصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة هو الأفضل للرجال، وليجنب الصبيان الحرير والعجائز التزين عند الخروج.

والمأموم لا يرى التكبير فيه أو عكسه هل يوافقه في التكبير وتركه أم يتبع اعتقاد نفسه؟ وجهان. الأصح اعتقاد نفسه بخلاف ما تقدم في تكبير نفس الصلاة اهـ.

قلت: تقدم أن أصحابنا لا يرون التكبير على المنفرد ولا على المرأة ولا على المسافر، فإن التكبير تابع لصلاة العيد وهي عندنا تجب على من تجب عليه الجمعة بشرائطها المتقدمة في الجمعة سوى الخطبة لأنها لما أخرت عن الصلاة لم تكن شرطاً لها فبقيت وعظاً كما في سائر الأوقات فكانت الخطبة سنة.

(الثاني) من الأمور السبعة **(إذا أصبح يوم العيد يغتسل)**، وقد روي من فعله ﷺ أخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس والفاكه بن سعيد بسند ضعيف، والبزار من حديث أبي رافع وسنده ضعيف أيضاً. ويجوز بعد الفجر قطعاً وكذا قبله على الأظهر، وعلى هذا هل يجوز في جميع الليل أم يختص بالنصف الثاني؟ وجهان نقله الرافعي، وقال النووي: الأصح اختصاصه، والله أعلم اهـ.

(ويتزين) أي يلبس أحسن ما يجده من الثياب وأفضلها الجديد من البيض، **(ويتطيب)** بأحسن ما يجد عنده من الطيب. أخرج الطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرك من حديث الحسن بن علي «أمرنا رسول الله ﷺ أن نتطيب بأجود ما نجد في العيد».

قلت ولو اقتصر على ماء الورد كفاه ويدخل في التزين أخذ الشعر والظفر والسواك وقطع الرائحة الكريهة، **(كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة هو الأفضل للرجال)** فإن لم يجد إلا ثوباً استحب أن يغسله للجمعة والعيد ويستوي في استحباب جميع ما ذكر القاعد في بيته والخارج إلى الصلاة. هذا حكم الرجال.

وأما النساء فيكره لذوات الجمال والهيئة الحضور، **(وليجنب الصبيان)** لبس **(الحرير)** ندباً والحرمة إنما تختص بالبالغين. وأشار المصنف بهذا إلى جواز شهود الصبيان في المصلى.

وقد عقد البيهقي على ذلك باباً في السنن فقال: باب خروج الصبيان إلى العيد ذكر فيه عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يخرج نساءه وبناته في العيدين، وذكر عن عائشة إنها كانت تحلي بني أختها الذهب، ثم قال: إن كان حفظه الراوي في البنين، فدل على جواز ذلك ما لم يبلغوا. قال: وكان الشافعي يقول: ويلبس الصبيان أحسن ما يقدر عليه ذكوراً كانوا أو إناثاً، ويلبسون الحلي والمصبغ يعني يوم العيد. قال: وكان مالك يكرهه.

قلت: والكلام مع البيهقي في هذا الباب أن في سياق حديثه الأول ليس فيه خروج الصبيان فهو غير مطابق للباب.

الثالث: أن يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر. هكذا فعل رسول الله ﷺ،

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف في باب من رخص خروج النساء إلى العيدين فأصاب قال فيه: حدثنا حفص بن غياث، عن حجاج، عن عبد الرحمن بن عابس، عن ابن عباس رفعه: « كان يخرج بناته ونساءه إلى العيدين ».

وأما أثر عائشة ففي سنده إبراهيم الصائغ. قال أبو حاتم: لا يحتج به، ورواه عن الصائغ داود بن أبي الفرات. قال أبو حاتم: ليس بالمتين وتحلية البنين مشكل لأنهم يؤمرون بالطاعات وينهون عن المحرمات تخلقاً قال ﷺ: « مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر والصبي». وإن لم يكن مخاطباً فوليه مخاطب فيمنع من إلباسه، ولهذا لما أخذ الحسين تمرة من الصدقة فجعلها في فيه قال عليه السلام: « كخ كخ ارم بها ».

قال النووي: في هذا الحديث ان الصبيان يوقون ما توقاه الكبار ويمنعون من تعاطيه وهذا واجب على الوالي، ثم خالف النووي هذا الكلام في الروضة فقال: وهل للولي إلباس الصبي الحرير؟ فيه أوجه أصحها يجوز قبل سبع سنين ويحرم بعدها وبه قطع البغوي، والثاني يجوز مطلقاً، والثالث يحرم مطلقاً.

قلت: الأصح الجواز مطلقاً. كذا صححه المحققون. منهم الرافعي في المحرر وبه قطع الفوراني. قال صاحب البيان: هو المشهور ونص الشافعي والأصحاب على تزين الصبيان يوم العيد بحلى الذهب والمصبغ ويلحق به الحرير والله أعلم اهـ كلامه.

وقال البغوي في التهذيب: يجوز للصبيان لبس الديباج لأنه لا خطاب عليهم غير أنه إذا بلغ الصبي سناً يؤمر فيه بالصلاة ينهى عن لبسه حتى لا يعتاد اهـ.

(و) ليجتنب (العجائز التزين عند الخروج) قال في الروضة: ويستحب للعجائز أن يتنظفن بالماء ولا يتطيبن ولا يلبسن بما يشهرهن من الثياب بل يخرجن في بذلتهن وفي وجه شاذ لا يخرجن مطلقاً.

فصل

وقال أصحابنا: يستحب للعيد ما يستحب للجمعة من الاغتسال والاستياك والتطيب ولبس أحسن الثياب التي يباح لبسها للرجال والتبكير إلى المصلى، لأنه يوم اجتماع للعبادة كالجمعة وذكر السروجي في شرح الهداية عن الجواهر قال: يغتسل بعد الفجر فإن فعله قبله أجزأه ويتطيب بإزالة الشعر وقلم الأظفار ومس الطيب ولو من طيب أهله.

(الثالث: أن يخرج من طريق ويرجع من طريق أخرى. هكذا فعل رسول الله ﷺ).

قال العراقي: أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

وكان ﷺ: «يأمر بإخراج العواتق وذوات الخدور».

قلت: أخرجه أحمد والترمذي والحاكم من حديثه أيضاً، وأخرجه البخاري من حديث جابر وقال: حديث جابر أصح. ورواه أبو داود، وابن ماجه، والحاكم عن ابن عمر، وابن ماجه من حديث سعد القرظي، وأبي رافع، وابن قانع. وأبو نعيم من حديث عبد الرحمن بن حاطب، والبزار عن سعد.

قال الرافعي: صح أن النبي ﷺ كان يذهب إلى العيد في طريق ويرجع في أخرى، واختلف في سببه، فقيل: ليتبرك به أهل الطريقين، وقيل ليستفتى فيهما وقيل ليتصدق على فقرائهما وقيل ليزور قبور أقاربه فيهما وقيل لتشهد له الطريقان وقيل: ليزداد غيظ المنافقين، وقيل: لئلا تكثر الزحمة، وقيل: يقصد أطول الطريقين في الذهاب وأقصرهما في الرجوع، وهذا أظهرها. ثم من شاركه في المعنى استحب ذلك لـه. وكـذا مـن لم يشـارك على الصحيـح الذي اختـاره الأكثرون وسواء فيه الإمام والمأموم. قال النووي: وإذا لم يعلم السبب استحب التأسي قطعاً اهـ من الروضة.

وقال في المجموع: وأصح الأقوال في حكمته أنه كان يذهب في أطولها تكثيراً للأجر ويرجع في أقصرهما لأن الذهاب أفضل من الرجوع، وأما قول إمام الحرمين وغيره أن الرجوع ليس بقربة فعورض بأن أجر الخطا يكتب في الرجوع أيضاً، كما ثبت في حديث أبي بن كعب عند الترمذي وغيره، أو خالف لتشهد له الطريقان أو أهلهما من الجن والإنس، ثم ذكر أكثر ما تقدم في الروضة إلى أن قال: أو ليزور قبور آبائه، أو ليصل رحمه، أو للتفاؤل بتغيير الحال إلى المغفرة والرضا أو لإظهار شعار الإسلام فيهما أو ليغيظ اليهود أو ليرهبهم بكثرة من معه أو حذراً من إصابة العين فهو في معنى قول يعقوب عليه السلام لبنيه عليهم السلام: ﴿لا تدخلوا من باب واحد﴾ [يوسف: ٦٧] ثم قال: ومن لم يشاركه في المعنى ندب له ذلك تأسياً به ﷺ كالرمل والاضطباع، واستحب في الأم أن يقف الإمام في طريق رجوعه إلى القبلة ويدعو وروي فيه حديثاً اهـ.

فالمذكور في الروضة معان ثمانية، وفي المجموع خمسة صار الجميع ثلاثة عشر معنى، وقيل: إنما خالف حذراً من كيد المنافقين في طريقة أو لأنه كان يتصدق في ذهابه بجميع ما معه فيرجع في أخرى لئلا يسأله سائل. واختار الشيخ أبو حامد وابن الصلاح أن مخالفته ﷺ كانت لتخفيف الزحام لوروده في رواية، والله أعلم.

(وكان ﷺ: «يأمر بإخراج العواتق) جمع عاتق بلا هاء وهي التي عتقت أي بلغت أو خرجه عن خدمة أبويها ومن أن يملكها زوج (وذوات الخدور») أي الستور. قال العراقي: متفق عليه من حديث أم عطية اهـ.

قال البخاري حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا ابن أبي عدي، عن ابن عون، عن محمد قال، قالت

الرابع: المستحب الخروج إلى الصحراء إلا بمكة وبيت المقدس، فإن كان يوم مطر

أم عطية: أمرنا أن نخرج فنخرج الحيض والعواتق وذوات الخدور فأما الحيض فيشهدن جماعة المسلمين ودعوتهم ويعتزلن مصلاهم.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة والبخاري وابن خزيمة من طريق حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرجهن يوم الفطر ويوم النحر قالت أم عطية: فقلنا أرأيت إحداهن لا يكون لها جلباب قال، فلتلبسها أختها من جلبابها، ومعنى قوله: من جلبابها أي من جنس جلبابها، ويؤيده رواية ابن خزيمة من جلابيبها أي مما لا تحتاج إليه أو هو على سبيل المبالغة أي يخرجن، ولو كان اثنتان في ثوب واحد. قال ابن بطال: فيه تأكيد خروجهن للعيد لأنه إذا أمر من لا جلباب لها فمن لها جلباب أولى اهـ.

والحديث عام سواء كن شواب أو ذوات هيئات أم لا. والأولى أن يخص ذلك بمن يؤمن عليها وبها الفتنة فلا يترتب على حضورها محذور ولا تزاحم الرجال في الطرق ولا في المجامع، والمروي عن أبي حنيفة ملازمات البيوت لا يخرجن. وفي شرح الرافعي أن الصيدلاني ذكر أن الرخصة في خروج النساء إلى المساجد وردت في ذلك الوقت. وأما اليوم فيكره لأن الناس قد تغيروا وروي في هذا المعنى عن عائشة اهـ.

قال الحافظ ابن حجر: كان يشير إلى حديث عائشة لو أدرك النبي ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد وهو متفق عليه اهـ.

قلت: وقد عقد أبو بكر بن أبي شيبة باباً فيمن رخص في خروج النساء إلى العيدين، ونقل ذلك عن ابن عباس وأم عطية تقدم حديثها. وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: حق على كل ذات نطاق الخروج إلى العيدين. وعن علي مثله بزيادة ولم يكن يرخص لهن في شيء من الخروج إلا إلى العيدين، وعن نافع قال: كان عبدالله بن عمر يخرج إلى العيدين من استطاع من أهله، وعن عائشة قالت: كانت الكعاب تخرج لرسول الله ﷺ من خدرها في الفطر والأضحى، وعن عبد الرحمن بن الأسود أن علقمة والأسود كانا يخرجان نساءهم في العيدين ويمنعوهن من الجمعة، ثم قال: باب من كره خروج النساء إلى العيدين فذكر عن جرير عن منصور عن إبراهيم قال: يكره خروج النساء في العيدين، ومن وجه آخر قال: كره للشابة أن تخرج إلى العيدين. وعن نافع أن ابن عمر كان لا يخرج نساءه في العيدين، وعن عروة أنه كان لا يدع امرأة من أهله تخرج إلى فطر، ولا إلى أضحى، وعن عبد الرحمن بن القاسم قال: كان القاسم أشد شيء على العواتق لا يدعهن يخرجن في الفطر والأضحى.

(**الرابع: المستحب**) لصلاة العيد (**الخروج إلى الصحراء**) إن ضاق المسجد فإن كان المسجد واسعاً فوجهان أصحهما، وبه قطع العراقيون. وصاحب التهذيب وغيره المسجد أولى، والثاني الصحراء (**إلا بمكة**) فالمسجد أفضل قطعاً (**و**) ألحق به الصيدلاني والبندنيجي (**بيت**

فلا بأس بالصلاة في المسجد، ويجوز في يوم الصحو أن يأمر الإمام رجلاً يصلي بالضعفة في المسجد ويخرج بالأقوياء مكبرين.

المقدس وإن كان يوماً مطيراً) أي ذا غيم ومطر **(فلا بأس بالصلاة في المسجد)** فهو أولى من الخروج إلى الصحراء. **(ويجوز في يوم الصحو)** وهو أن يكون السماء مغياً **(أن يأمر الإمام رجلاً)** أي يستخلفه **(يصلي بالضعفة)** من الناس وأصحاب الأعذار، **(ويخرج بالأقوياء إلى المصلى مكبرين)**. وهذا الفصل تفريع على المذهب في جواز صلاة العيد في غير البلد، وجوازها من غير شروط الجمعة وفيه الخلاف المتقدم والله أعلم.

وقال أصحابنا: الخروج إلى المصلى وهي الجبانة سنّة وإن كان يسعهم الجامع كما عليه عامة المشايخ، لما ثبت أنه ﷺ كان يخرج إلى المصلى في العيدين، فإن ضعف قوم عن الخروج أمر الإمام من يصلي بهم في المسجد روي ذلك عن علي.

قال صاحب البرهان: روي أن علياً رضي الله عنه لما قدم الكوفة استخلف من يصلي بالضعفة صلاة العيد في الجامع، وخرج إلى الجبانة مع خمسين شيخاً يمشي ويمشون، وفي جوامع الفقه ومنية المفتي والذخيرة تجوز إقامتها في المصر وفنائه، وفي موضعين وأكثر، ثم إن قولهم أمر الإمام من يصلي بهم في المسجد يعني صلاة العيد وهي ركعتان وخطبة بعدهما، فقد روى ذلك أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، عن وكيع، عن مسلم بن يزيد بن مذكور الخارفي قال: صلى بنا القاسم بن عبد الرحمن يوم عيد في المسجد الجامع ركعتين وخطب، ومن وجه آخر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن علياً أمر رجلاً يصلي بالناس في مسجد الكوفة. قال ابن أبي ليلى يصلي ركعتين، فقال رجل لابن أبي ليلى بغير خطبة. قال: نعم.

وأخرج البيهقي من طريق أبي قيس عن هزيل أن علياً أمر رجلاً يصلي بضعفة الناس في المسجد أربعاً.

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن سفيان، عن أبي قيس. قال: أظنه عن هزيل وزاد بعد قوله أربعاً كصلاة الهجير.

وقال البيهقي: يحتمل أن يكون علي أراد ركعتين تحية المسجد، ثم ركعتي العيد مفصولتين عنهما. واستدل على هذا التأويل بما جاء في رواية أخرى أن علياً قال: صلوا يوم العيد في المسجد أربع ركعات ركعتان للسنة وركعتان للخروج.

قلت: الظاهر أن البيهقي فهم من قوله ركعتان للسنّة أنه أراد تحية المسجد، ومن قوله: وركعتان للخروج أنه أراد ركعتي العيد، والظاهر أن الأمر ليس كذلك، وانه أراد بقوله ركعتان للسنّة ركعتي العيد، وأراد بقوله: وركعتان للخروج أي لترك الخروج إلى المصلى.

ويدل على ذلك أن ابن أبي شيبة أخرجه في المصنف فقال: حدثنا ابن إدريس، عن ليث، عن

الخامس: يراعي الوقت. فوقت صلاة العيد ما بين طلوع الشمس إلى الزوال. ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر خطبتين وركعتين إلى آخر اليوم

الحكم، عن حنش قال: قيل لعلي بن أبي طالب إن ضعفة من ضعفة الناس لا يستطيعون الخروج إلى الجبانة فأمر رجلاً يصلي بالناس أربع ركعات ركعتين للعيد وركعتين لمكان خروجهم إلى الجبانة.

وحدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق أن علياً أمر رجلاً يصلي بضعفة الناس في المسجد ركعتين فظهر بما تقدم ضعف ما تأوّله البيهقي.

وأيضاً فإن الحديث الذي أورده من طريق أبي قيس هو الأودي اسمه عبد الرحمن بن ثروان قد تكلم فيه. قال أحمد: لا يحتج بحديثه وقال البيهقي نفسه في موضع آخر من كتابه مختلف في عدالته، وقال أبو حاتم لين الحديث، ولكن وثقه ابن معين مرة. وقال مرة: لا شيء، وقال مرة أخرى: هو كذاب بن كذاب.

(**الخامس: أن يراعي الوقت**) فإن مراعاته أمر مهم لتقع العبادة في موضعها المأمور به، (**فوقت صلاة العيد ما بين طلوع الشمس إلى الزوال**).

قال الرافعي: ويدخل وقتها بطلوع الشمس، والأفضل تأخيرها إلى أن ترتفع قدر رمح. كذا صرح به كثير من الأصحاب منهم: صاحب الشامل، والمهذب، والروياني. ومقتضى كلام جماعة منهم الصيدلاني، وصاحب التهذيب أنه يدخل بالارتفاع، واتفقوا على خروج الوقت بالزوال. قال النووي: الصحيح أو الأصح دخول وقتها بالطلوع والله أعلم اهـ.

وقال أصحابنا: وقت صحة صلاة العيد من ارتفاع الشمس قيد رمح أو رمحين حتى تبيض للنهي عن الصلاة وقت الطلوع إلى أن تبيض، فلو صلّوا قبل ارتفاعها لا تكون صلاة عيد بل نفلاً محرماً، ويستحب أن يكون خروج الإمام بعد الارتفاع قدر رمح لا يحتاج إلى انتظار القوم، ويستمر الوقت من الارتفاع ممتداً إلى قبيل زوالها.

(**ووقت الذبح للضحايا**) جمع ضحية كعطية وعطايا وفيها لغات احداها: هذه، وأشهرها أضحية بضم الهمزة وهي في تقدير أفعولة وكسرها اتباعاً لكسر الحاء، والجمع أضاحي واضحاة بفتح الهمزة والجمع أضحى، ومنه عيد الأضحى والأضحى مؤنثة، وقد تذكر ذهاباً إلى اليوم قاله الفراء وضحى تضحية إذا ذبح الأضحية وقت الضحى هذا أصله، ثم كثر حتى قيل ضحى في أي وقت كان من أيام التشريق ويتعدى بالحرف، فيقال: ضحيت بشاة. كذا في المصباح (**ما بين ارتفاع الشمس بقدر ركعتين وخطبتين إلى آخر اليوم الثالث عشر**) وبه قال مالك وأحمد.

وقال أصحابنا: أول وقتها بعد الصلاة يوم النحر إن ذبح في المصر وبعد طلوع الفجر من يوم النحر ان ذبح في غيره وآخره قبل غروب يوم الثالث، فالمعتبر في هذا مكان يوم الفعل

الثالث عشر. ويستحب تعجيل صلاة الأضحى لأجل الذبح وتأخير صلاة الفطر لأجل تفريق صدقة الفطر قبلها. هذه سنّة رسول الله ﷺ.

السادس: في كيفية الصلاة، فليخرج الناس مكبّرين في الطريق. وإذا بلغ الامام

لا مكان من عليه وعزا أصحابنا إلى مالك أنه لا يجوز بعد الصلاة قبل نحر الإمام، والأفضل عندنا أن يذبح أضحيته بيده إن كان يحسن الذبح وإن كان لا يحسنه، فالأفضل أن يستعين بغيره، وإذا استعان بغيره ينبغي أن يشهدها بنفسه لقوله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها قومي فاشهدي أضحيتك فإنه يغفر لك بأول قطرة من دمها كل ذنب كذا في الهداية والأضحية عندنا تجب على من تجب عليه الفطرة وهو كل مسلم حر مقيم مالك لنصاب من أي الأموال كان. وقال مالك هي مسنونة غير مفروضة وعلى كل من قدر عليها من المسلمين من أهل الأمصار والقرى والمسافرين إلا الحاج الذين بمنى، فإنهم لا أضحية عليهم.

ودليل الوجوب قوله ﷺ «من وجد سعة ولم يضح فلا يقربن مصلانا» رواه أحمد والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة.

وعند الشافعي رحمه الله سنّة وهي شاة من فرد وبقرة أو بعير منه إلى سبعة إن لم يكن لفرد أقل من سبع، حتى لو كان لأحد السبعة أقل من السبع لا يجوز عن أحد لأن وصف القربة لا يتجزأ ويقسم اللحم وزناً لا جزافاً إلا إذا ضم معه من أكارعه أو جلده وصح اشراك ستة في بقرة مشرية للأضحية استحساناً وذا قبل الشراء أحب.

وعن أبي حنيفة يكره الإشراك بعد الشراء ويأكل منها ويؤكل ويهب من يشاء وندب التصدق بثلثها وتركه لذي عيال توسعة عليهم ويتصدق بجلدها، وصحت التضحية بشاة الغصب لا الوديعة وضمنها. فهذا حاصل ما ذكره أصحابنا في الأضحية.

(ويستحب تعجيل صلاة الأضحى لأجل الذبح وتأخير صلاة الفطر لأجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنّة رسول الله ﷺ).

قال العراقي: رواه الشافعي من رواية ابن الحويرث مرسلاً أن النبي ﷺ كتب إلى عمرو بن حزم وهو بنجران أن عَجّل الأضحى وأخّر الفطر اهـ.

قلت: رواه الشافعي، عن إبراهيم بن محمد وهو ضعيف مكشوف الحال، وقال البيهقي: لم أره أصلاً في حديث عمرو بن حزم. قال الحافظ: وفي كتاب الأضاحي للحسن بن أحمد: البناء من طريق وكيع عن المعلى بن هلال عن الأسود بن قيس عن جندب قال: «كان النبي ﷺ يصلي بنا يوم الفطر والشمس على قيد رمحين والأضحى على قيد رمح» والله أعلم.

(السادس: في كيفية الصلاة فليخرج الناس) من منازلهم **(مكبرين في الطريق)** جهراً في الأضحى اتفاقاً، وفي الفطر خلافاً لأبي حنيفة وقد تقدم، **(فإذا بلغ الإمام المصلى)** وهو

المصلى لم يجلس ولم يتنفل ويقطع الناس التنفل. ثم ينادي منادٍ: الصلاة جامعة. ويصلي

الموضع المعد لصلاة العيد خارج البلد (**لم يجلس**) ، **فقد صح أن النبي ﷺ كان يخرج في العيد** إلى المصلى ولا يبتدىء إلا بالصلاة، (**ولم يتنفل**) الإمام (**وللناس التنفل**) قبلها وبعدها.

اعلم أنهم اختلفوا في جواز النفل قبل صلاة العيد وبعدها لمن حضرها في المصلى أو في المسجد فقال أبو حنيفة، لا يتنفل قبلها ويتنفل إن شاء بعدها وأطلق، ولم يفرق بين المصلي ولا غيره، ولا بين أن يكون هو الإمام أو يكون مأموماً. وقال مالك إن كانت الصلاة في المصلى فإنه لا يتنفل قبلها ولا بعدها سواء كان إماماً أو مأموماً، وإن كانت في المسجد فعنه روايتان. احداهما: المنع من ذلك كما في المصلى، والأخرى له أن يتنفل في المسجد قبل الجلوس وبعد الصلاة خلاف المصلى. وقال الشافعي: يجوز أن يتنفل قبلها وبعدها في المصلى وغيره إلا الإمام، فإنه إذا ظهر للناس لم يصل قبلها. وقال أحمد: لا يتنفل قبل صلاة العيد ولا بعدها لا الإمام ولا المأموم لا في المصلى ولا في المسجد.

وقد اختلفت في هذه المسألة الرواية والعمل فأخرج أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف عن ابن عمر أنه خرج يوم عيد فلم يصلّ قبلها ولا بعدها. وذكر ان النبي ﷺ فعله.

وعن ابن عباس قال: خرج رسول الله ﷺ يوم عيد فصلّى بالناس فلم يصلّ قبلها ولا بعدها.

وعن الشعبي قال: رأيت ابن أبي أوفى، وابن عمر، وجابر بن عبد الله وشريحاً وابن معقل لا يصلون قبل العيد ولا بعده.

وعن سعيد بن جبير أنه كان جالساً في المسجد الحرام يوم الفطر فقام عطاء يصلي قبل خروج الإمام، فارسل إليه سعيد أن اجلس فجلس عطاء، فسئل سعيد عن هذا. فقال: عن حذيفة وأصحابه.

وعن ابن مسعود أنه كان إذا كان يوم أضحى أو يوم فطر طاف في الصفوف فقال: لا صلاة إلا مع الإمام.

وعن الشعبي كنت بين مسروق وشريح في يوم عيد فلم يصليا قبلها ولا بعدها.

وعن ابن سيرين قال: كان لا يصلي قبل العيد ولا بعده.

وعن إسماعيل بن أبي خالد قال: رأى الشعبي انساناً يصلي بعدما انصرف الإمام، فجبذه.

وعن ابن الحنفية قال: لا صلاة قبلها ولا بعدها.

وعن عمرو بن عبد الله الأصم أنه خرج مع مسروق في يوم عيد قال: فقمت أصلي فأخذ بثيابي فأجلسني ثم قال: لا صلاة حتى يصلي الإمام، ثم عقد باباً فيمن كان يصلي بعد العيد أربعاً فاخرج عن أبي إسحاق قال: كان سعيد بن جبير وابراهيم وعلقمة يصلون بعد العيد أربعاً. وعن

يزيد بن أبي زياد قال: رأيت ابراهيم وسعيد بن جبير ومجاهداً وعبد الرحمن بن أبي ليلى يصلون بعدها أربعاً. وعن جرير عن منصور عن ابراهيم قال: كان علقمة يجيء يوم العيد فيجلس في المصلى ولا يصلي حتى يصلي الإمام، فإذا صلى الإمام قام فصلّى أربعاً. وعن صالح بن حي أنه سمع الشعبي يقول: كان عبد الله إذا رجع يوم العيد صلى في أهله أربعاً. وعن الأسود بن هلال قال: خرجت مع علي فلما صلّى مع الإمام قام فصلّى بعدها أربعاً. وعن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة وأصحاب عبد الله أنهم كانوا يصلون بعد العيد أربعاً، ولا يصلون قبلها شيئاً. وعن عبدة عن عاصم قال: رأيت الحسن وابن سيرين يصليان بعد العيد ويطيلان القيام. وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه كان يصلي يوم العيد قبل الصلاة أربعاً وبعدها أربعاً. وعن منصور عن إبراهيم قال: كان الأسود يصلي قبل العيدين قال، وكان علقمة لا يصلي قبلها ويصلي بعدهما أربعاً، وعن الحكم عن إبراهيم قال: كفاك بقول عبد الله يعني في الصلاة بعد العيد.

ثم ذكر من رخص في الصلاة قبل خروج الإمام فأخرج عن ابن علية عن أيوب قال: رأيت انساً والحسن يصليان قبل خروج الإمام يعني يوم العيد، وعن قتادة أن أبا برزة كان يصلي في العيد قبل الإمام، وعن التيمي أنه رأى أنساً والحسن وسعيد بن أبي الحسن وجابر بن زيد يصلون قبل الإمام في العيدين، وعن مكحول أنه كان يصلي في العيدين قبل خروج الإمام اهـ.

وروى ابن ماجه والحاكم من حديث أبي سعيد أنه ﷺ كان إذا قضى صلاته، وفي لفظ إذا رجع إلى منزله صلى ركعتين، وروى الترمذي عن ابن عمر نحوه وصححه، وهو عند أحمد والحاكم، وله طريق أخرى عند الطبراني في الأوسط لكن فيه جابر الجعفي وهو متروك.

وأخرج البزار من حديث الوليد بن برتع عن علي في قصة له أن النبي ﷺ لم يصل قبلها ولا بعدها، فمن شاء فعل ومن شاء ترك، ويجمع بين هذا وبين ما تقدم أن النفي إنما وقع عن الصلاة في المصلى.

وأخرج البيهقي عن جماعة منهم أنس أنهم كانوا يصلون يوم العيد قبل خروج الإمام. وروى أحمد من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً «لا صلاة يوم العيد قبلها ولا بعدها» وقال الشيخ الأكبر قدس سرّه والذي أقول به أن الموضع الذي يخرج إليه لصلاة العيد لا يخلو إما أن يكون مسجداً في الحكم كسائر المساجد فيكون حكم الآتي إليه حكم من جاء إلى مسجد، فمن يرى تحية المسجد فليتنفل كما أمر في ركعتي المسجد، وإن كان فضاء غير مسجد موضوع فهو مخير إن شاء تنفل وإن شاء لم يتنفل والاعتبار أن المقصود في هذا اليوم فعل ما كان مباحاً على جهة الفرض والندب خلاف ما كان عليه ذلك الفعل في سائر الأيام فلا يتنفل فيه سوى صلاة العيد خاصة، والفرائض إذا جاءت أوقاتها فإن حركة الإنسان في ذلك اليوم في أمور مقربة مندوب إليها وفي فرض ومن كان في أمر مندوب إليه مربوط بوقت، فينبغي أن يكون له الحكم من حيث أن الوقت لذلك المندوب المعين فهو أولى به فلا يتنفل، وقد ندب إلى اللعب والفرح

والزينة في ذلك اليوم فلا يدخل مع ذلك مندوباً آخر يعارضه، فإذا زال زمانه حينئذ له أن يبادر إلى سائر المندوبات ويرجع ما كان مندوباً إليه في هذا اليوم مباحاً فيما عداه من الأيام، وهذا هو فعل الحكيم العادل في القضايا فإن لنفسك عليك حقاً واللعب واللهو والطرب في هذا اليوم من حق النفس، فلا تكن ظالماً لنفسك فتكون كمن يقوم الليل ولا ينام، فإن تيقظت فقد نبهتك اهـ.

(ثم ينادي) لها (منـاد) فيقول: (الصلاة جامعة) مرة أو مرتين، ويقول في الأخيرة بعده رحمكم الله أو قبلكم الله. قال صاحب العدة: لو نودي حي على الصلاة جاز، بل هو مستحب، قال النووي: ليس كما قال، فقد قال الشافعي رحمه الله: ينادي الصلاة جامعة، فإن قال: هلموا إلى الصلاة فلا بأس، قال: فأحب أن يتوقى ألفاظ الأذان، وقال الدارمي، لو قال حي على الصلاة كره لأنه من الأذان.

تنبيه:

ليس في العيدين أذان ولا إقامة. أخرج البخاري من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس وجابر قال: «لم يكن يؤذن يوم الفطر ولا يوم الأضحى» ولمسلم عن عطاء عن جابر فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير اذان ولا إقامة.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة من طريق سماك عن جابر بن سمرة قال: صليت مع النبي ﷺ غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا إقامة، ومن طريق عطاء عن جابر نحوه. ومن طريق عبد الرحمن بن عابس عن ابن عباس نحوه، وعن سماك قال: رأيت المغيرة بن شعبة والضحاك وزياداً يصلون في يوم الفطر والأضحى بلا أذان ولا إقامة، وعن عكرمة ومكحول مثله. وعن محمد بن سيرين قال: الأذان في العيد محدث، وعن عامر والحكم قالا: الأذان يوم الأضحى والفطر بدعة وعن الشعبي عن البراء ان النبي ﷺ صلى يوم العيد بلا أذان ولا اقامة وعن علي أنه صلى يوم عيد بغير اذان ولا اقامة وعند مسلم من طريق عبد الرزاق عن عطاء عن جابر قال لا اذان ولا إقامة ولا شيء، وربما تعلل المالكية ومن وافقهم بهذه الرواية أنه لا يقال قبلها الصلاة جامعة ولا الصلاة، واحتج أصحاب الشافعي على استحباب قوله بما رواه الشافعي عن الثقة عن الزهري قال: كان رسول الله ﷺ يأمر المؤذن في العيدين فيقول: الصلاة جامعة، فإن قلت: هذا مرسل وأنتم لا تقبلون المراسيل ما عدا مراسيل ابن المسيب، فالجواب هذا مرسل عضه القياس على صلاة الكسوف لثبوته فيها كما سيأتي.

تنبيه آخر:

أوّل من أحدث الأذان فيها معاوية رضي الله عنه. رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح، وابن عبد البر في أصح الأقاويل عنه، وقيل: الحجاج حين أمّر على المدينة رواه الشافعي عن الثقة عن

الإمام بهم ركعتين يكبّر في الأولى سوى تكبيرة الإحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين كل تكبيرتين: « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » ويقول: « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض » عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة إلى ما وراء الثامنة ويقرأ سورة: « ق » في الأولى بعد الفاتحة « واقتربت » في

الزهري وفيه: أن الحجاج أخذ ذلك عن معاوية، وقيل: زياد حين أمّر على البصرة رواه ابن المنذر أو مروان. قاله الداودي أو هشام قاله ابن حبيب أو عبد الله بن الزبير. رواه ابن أبي شيبة وابن المنذر، وسيأتي لهذا البحث عود عند ذكر الخطبتين قريباً.

(ويصلي الإمام ركعتين) صفتها في الأركان والسنن والهيئات كغيرها وينوي بها صلاة العيد هذا أقلها. **(يكبر في الأولى سوى تكبيرة الإحرام والركوع سبع تكبيرات)** وقال المزني: التكبيرات في الأولى ست، ويستحب أن يقف بين كل تكبيرتين من الزوائد قدر قراءة آية لا طويلة ولا قصيرة، يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده هذا لفظ الشافعي، وقد روي ذلك عن ابن مسعود قولاً وفعلاً رواه الطبراني والبيهقي مرفوعاً قال الأكثرون: **(يقول بين كل تكبيرتين)** من الزوائد **(سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)**، ولو زاد جاز. قال الصيدلاني، عن بعض الأصحاب يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وقال ابن الصباغ. لو قال ما اعتاده الناس الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كان حسناً. وقال المسعودي يقول: سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك، **(و)** الأفضل أن **(يقول: وجهت وجهي)** الخ **(عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة إلى ما وراء الثامنة ويقرأ سورة « ق »)** والقرآن المجيد. **(في الأولى بعد الفاتحة)**، ويقرأ سورة **(اقتربت)** الساعة **(في الثانية)** بعد الفاتحة اقتداء برسول الله ﷺ أخرجه مسلم من حديث أبي واقد.

قال النووي: وثبت في صحيح مسلم أنه ﷺ قرأ فيها بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك فهو سنّة أيضاً اهـ.

قلت: أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة ومسلم من حديث النعمان بن بشير.

وروى البزار من حديث ابن عباس أنه قرأ فيهما بعم يتساءلون والشمس وضحاها فهو سنة أيضاً.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة من طريق حميد عن أنس أن أبا بكر رضي الله عنه قرأ في يوم عيد بالبقرة، حتى رأيت الشيخ يميل من طول القيام، وقال الشيخ الأكبر قدس سره: وأما التوقيت في القراءة فما ورد عن النبي ﷺ في ذلك كلام، وإن كان قد قرأ بسور معلومة في بعض أعياده مما نقل إلينا في أخبار الآحاد، وقد ثبت في القرآن المتواتر أن لا توقيت في القراءة

الثانية والتكبيرات الزائدة في الثانية خمس سوى تكبيرتي القيام والركوع. وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه. ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة، ومن فاتته صلاة العيد قضاها.

في الصلاة بقوله: ﴿فاقرؤوا ما تَيسر من القرآن﴾ [المزمل: ٢٠] ﴿ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦] وهو ما يتذكره في وقت الصلاة والقرآن كله طيب وتاليه مناج ربه بكلامه، فإن قرأ بتلك السور فقد جمع بين ما تيسر والعمل بفعله ﷺ فهو مستحب وليس بفرض ولا سنّة اهـ.

(والتكبيرات الزائدة في الثانية خمس سوى تكبيرة القيام) من السجود **(و)** الهوي إلى **(الركوع، وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه)**.

قال الرافعي: ولا يأتي بهذا الذكر عقيب السابعة في الأولى والخامسة في الثانية، بل يتعوّذ عقيب السابعة. وكذا عقيب الخامسة. إن قلنا يتعوّذ في كل ركعة ولا يأتي به بين تكبيرة الإحرام والأولى من الزوائد.

قال النووي: وأما في الركعة الثانية فقال إمام الحرمين يأتي به قبل الأولى من الخمس، والمختار الذي يقتضيه كلام الأصحاب أنه لا يأتي به كما في الأولى، والله أعلم.

(ثم يخطب خطبتين) أي: إذا فرغ الإمام من صلاة العيد صعد المنبر وأقبل على الناس بوجهه وسلم، وهل يجلس قبل الخطبة؟ وجهان: الصحيح المنصوص يجلس كهيئة الجمعة، ثم يخطب خطبتين أركانها كأركانها في الجمعة ويقوم فيهما **(بينهما جلسة)** كالجمعة، لكن يجوز هنا القعود فيهما مع القدرة على القيام.

قال الحافظ ابن حجر: وقول الرافعي يجلس بينهما كالجمعة مقتضاه أنه احتج بالقياس، وقد ورد فيه حديث مرفوع رواه ابن ماجه عن جابر وفيه إسماعيل بن مسلم وهو ضعيف اهـ.

وكون الخطبة بعد الصلاة مأخوذة من فعل النبي ﷺ أخرج البخاري، ومسلم من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن جابر «أن النبي ﷺ خرج يوم الفطر فبدأ بالصلاة قبل الخطبة». وعن عطاء عن ابن عباس أنه أرسل إلى ابن الزبير في أوّل ما بويع له انه لم يكن يؤذن بالصلاة يوم الفطر، وإنما الخطبة بعد الصلاة. وعن عطاء عن ابن عباس وجابر قالا: لم يكن يؤذن يوم الفطر ولا يوم الأضحى.

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة نحوه.

وأخرج الشيخان، وأبو داود، عن طاوس، عن ابن عباس قال: شهدت العيد مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان كلهم يصلون قبل الخطبة.

وأخرجا أيضاً عن نافع عن ابن عمر «كان رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر يصلون العيدين قبل الخطبة».

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة والبخاري عن الشعبي عن البراء «خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر بعد الصلاة».

وأخرج ابن أبي شيبة، عن جندب بن عبد الله مثله.

وعن الزهري، عن أبي عبيد مولى ابن أزهر قال: شهدت العيد مع عمر بن الخطاب فبدأ بالصلاة قبل الخطبة قال ثم شهدت العيد مع عثمان فبدأ بالصلاة قبل الخطبة قال وشهدته مع علي فبدأ بالصلاة قبل الخطبة.

وعن حميد بن أنس قال: كانت الصلاة في العيدين قبل الخطبة.

وعن ابن أبي ليلى قال: «صلى بنا العيد ثم خطب على راحلته».

وعن أبي حمزة مولى يزيد بن المهلب أن مطر بن ناجية سأل سعيد بن جبير عن الصلاة يوم الأضحى ويوم الفطر فأمره أن يصلي قبل الخطبة، فاستنكر الناس ذلك فقال سعيد: هي والله معروفة هي والله معروفة.

تنبيه:

قد اختلف في أوّل من غير هذا فقدم الخطبة على الصلاة، فقيل عمر بن الخطاب. رواه عبد الرزاق، وأبو بكر بن أبي شيبة بإسناد صحيح من طريق عبد الله بن يوسف بن سلام قال: كان الناس يبدأون بالصلاة ثم يثنّون بالخطبة، حتى إذا كان عمر وكثر الناس في زمانه، فكان إذا ذهب يخطب ذهب حفاة الناس فلما رأى ذلك عمر بدأ بالخطبة حتى ختم بالصلاة، وقيل معاوية رواه عبد الرزاق، وقيل عثمان لأنه رأى ناساً لم يدركوا الصلاة فصار يقدم الخطبة رواه ابن المنذر باسناد صحيح إلى الحسن البصري، وقيل مروان بن الحكم رواه أبو بكر بن أبي شيبة ومسلم من طريق قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال: أوّل من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة، فقال: ترك ما هنالك، فقال أبو سعيد أما هذا فقد قضى ما عليه.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة من طريق الأعمش عن إسماعيل بن رجاء عن أبيه قال: أخرج مروان المنبر وبدأ بالخطبة قبل الصلاة فقام إليه رجل فقال يا مروان خالفت السنّة أخرجت المنبر ولم يكن يخرج، وبدأت بالخطبة قبل الصلاة، فقال أبو سعيد: من هذا: قالوا: فلان. فقال: أما هذا فقد قضى ما عليه.

قلت: والظاهر أن مروان وزياداً فعلا ذلك تبعاً لمعاوية لأن كلاً منهما كان عاملاً له، وأن العلة التي اعتل بها عثمان غير التي اعتل بها مروان، لأنه راعى مصلحتهم في استماع الخطبة، لكن قيل: إنهم كانوا في زمنه يتعمدون ترك سماع خطبته لما فيها من سب من لا يستحق السب، والافراط في مدح بعض الناس، فعلى هذا إنما راعى مصلحة نفسه. وأما عثمان فراعى مصلحة

الجماعة في ادراكهم الصلاة على أن يحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك احياناً بخلاف مروان، فإنه واظب على ذلك.

وقال الحافظ في فتح الباري: وما نسب إلى عمر في ذلك يعارضه ما في الصحيحين من حديث ابن عباس، فإن جمع بوقوع ذلك نادراً وإلا فما في الصحيحين أصح والله أعلم.

قال الشيخ الأكبر قدس سره في كتاب الشريعة: والحقيقة والسنّة ترك الأذان والإقامة إلا ما أحدثه معاوية على ما ذكره ابن عبد البر في أصح الأقاويل في ذلك، والسنّة تقديم الصلاة على الخطبة في هذا اليوم إلا ما فعله عثمان بن عفان، وبه أخذ عبد الملك بن مروان نظراً واجتهاداً، وبناء على ما فهم من الشارع من المقصود بالخطبة ما هو، والاعتبار في ذلك أنه لما توفرت الدواعي على الخروج في هذا اليوم إلى المصلى من الصغير والكبير، وما شرع من الذكر المستحب للخارجين سقط حكم الأذان والإقامة لأنها للاعلام لتنبيه الغافل والتهيؤ هنا حاصل، فحضور القلب مع الله يغني عن إعلام الملك بلمته الذي هو بمنزلة الأذان والإقامة للاسماع، والذي أحدثه معاوية مراعاة للنادر وهو تنبيه الغافل فإنه ليس ببعيد أن يغفل عن الصلاة بما يراه من اللعب بالتفرج فيه، وكانت النفوس في زمان رسول الله ﷺ متوفرة على رؤيته ﷺ وفرجتها في مشاهدته وهو الإمام، لم يكن يشغلهم عن التطلع إليه شاغل في ذلك اليوم، فلم يشرع لهم أذانا ولا إقامة.

وأما تقديم الصلاة على الخطبة فإن العبد في الصلاة مناج ربه، وفي الخطبة مبلغ للناس ما اعطاه ربه من التذكير في مناجاته، فكان الأولى تقديم الصلاة على الخطبة وهي السنّة فلم رأى عثمان رضي الله عنه أن الناس يفترقون إذا فرغوا من الصلاة ويتركون الجلوس إلى استماع الخطبة قدم الخطبة مراعاة لهذه الحالة على الصلاة تشبيهاً بصلاة الجمعة، فإنه فهم من الشارع في الخطبة اسماع الحاضرين، فإذا افترقوا لم تحصل الخطبة لما شرعت له فقدمها ليكون لهم أجر الاستماع، ولو فهم عثمان من النبي ﷺ خلاف هذا ما فعله رضي الله عنه واجتهد، ولم يصدر من النبي ﷺ في ذلك ما يمنع منه، ولقرائن الأحوال أثر في الأحكام عند من تثبت عنده القرينة، وتختلف قرائن الأحوال باختلاف الناظر فيها، ولاسيما وقد قال ﷺ «صلوا كما رأيتموني أصلي» وقال في الحج «خذوا عني مناسككم» فلو راعى رسول الله ﷺ صلاة العيد مع الخطبة مراعاة الحج ومراعاة الصلاة لنطق فيها كما نطق في مثل هذا، وكذلك ما احدثه معاوية كاتب رسول الله ﷺ وصهره خال المؤمنين، فالظن بهم جميل رضي الله عنهم أجمعين، ولا سبيل إلى تجريحهم وإن تكلم بعضهم في بعضهم فلهم ذلك، وليس لنا الخوض فيما شجر بينهم فانهم أهل علم واجتهاد وحديثو عهد بنبوّة وهم مأجورون في كل ما صدر عنهم عن اجتهاد سواء اخطأوا أو أصابوا اهـ.

وهو كلام نفيس يفتح باب حسن الاعتقاد في سلفنا ويتعين على كل طالب للحق معرفة ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي إلى سواء السبيل.

تنبيه:

قال الرافعي: ويستحب للناس استماع الخطبة، ومن دخل والإمام يخطب فإن كان في المصلى جلس واستمع ولم يصل التحية، ثم إن شاء صلّى صلاة العيد في الصحراء، وإن شاء صلاها إذا رجع إلى بيته، وإن كان في المسجد استحب له التحية، ثم قال أبو إسحاق: لو صلّى العيد كان أولى وحصلت التحية، فمن دخل المسجد وعليه مكتوبة يفعلها وتحصل بها التحية. وقال ابن أبي هريرة: يصلي التحية ويؤخر صلاة العيد إلى ما بعد الخطبة، والأول أصح عند الأكثرين، ولو خطب الإمام قبل الصلاة فقد اساء، وفي الاعتداد بخطبته احتمال لإمام الحرمين. قال النووي: الصواب وظاهر نصه في الأم أنه لايعتد بها كالسنة الراتبة بعد الفريضة إذا قدمها والله أعلم اهـ.

زاد القسلاني في شرح البخاري: فلو لم يعد الخطبة لم تلزمه إعادة ولا كفارة، وقال المالكيه إن كان قريباً أمر بالاعادة وإن بعد، فات التدارك، وهذا بخلاف الجمعة إذ لا تصح إلا بتقديم الخطبة لأن خطبتها شرط لصحتها وشأن الشرط أن يقدم اهـ.

ثم قال الرافعي: ويستحب أن يعلمهم في عيد الفطر أحكام صدقة الفطر، وفي الأضحى أحكام الأضحية، ويستحب أن يفتتح الخطبة الأولى بتسع تكبيرات متواليات والثانية بسبع، ولو أدخل بينها الحمد والتهليل والثناء جاز، وذكر بعضهم أن صفتها كالتكبيرات المرسلة والمقيدة التي ذكرت.

قال النووي، قلت: نص الشافعي وكثيرون من الأصحاب على أن هذه التكبيرات ليست من الخطبة، وإنما هي مقدمة لها، ومن قال منهم يفتتح الخطبة بالتكبيرات يحمل كلامه على موافقة النص الذي ذكرته لأن افتتاح الشيء قد يكون ببعض مقدماته التي ليست من نفسه فاحفظ هذا، فإنه مهم خفي، والله أعلم.

فصل

في هيئة صلاة العيد. عند أصحابنا إذا دخل وقت الصلاة بارتفاع الشمس وخروج وقت الكراهة يصلي الإمام بالناس ركعتين بلا أذان ولا إقامة ينوي عند أدائها صلاة العيد بقلبه ويقول بلسانه أصلي لله تعالى صلاة العيد إماماً والمقتدي ينوي المتابعة أيضاً فيكبر التحريمة ثم يضع يديه تحت السرة، ثم يقرأ الإمام والمؤتم الثناء، لأنه شرع في أول الصلاة فيقدم على تكبيرات الزوائد كما في ظاهر الرواية، ثم يكبر الإمام والقوم تكبيرات الزوائد ثلاثاً يفصل بين كل تكبيرتين بسكتة مقدار ثلاث تكبيرات في رواية عن أبي حنيفة لئلا يشتبه على البعيد عن الإمام، ولا يسن ذكر بين التكبيرات لأنه لم ينقل، ويرفع يديه عند كل تكبيرة منهن ويرسلها في أثنائهن ثم يضعها بعد الثالثة فيتعوذ ويسمي سراً ثم يقرأ الإمام الفاتحة وسورة وندب سورة

الأعلى، ثم يكبر ويركع الإمام ويتبعه القوم، فإذا قام إلى الركعة الثانية ابتدأ بالبسملة ثم بالفاتحة ثم بالسورة ليوالي بين القراءتين وهو الأفضل عندنا، وندب سورة الغاشية لما روى أبو حنيفة عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ: «أنه كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة سبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك حديث الغاشية» ورواه أبو حنيفة مرة في العيدين فقط.

ثم يكبر الإمام والقوم بعدها ثلاث تكبيرات زوائد على هيئة تكبيره في الأولى ويرفع يديه كما في الأولى هذه كيفية صلاة العيد عند علمائنا. وهذا الفعل وهو الموالاة بين القراءتين والتكبير ثلاثا في كل ركعة أولى من زيادة التكبير على الثلاث في كل ركعة، ومن تقديم تكبيرات الزوائد في الركعة الثانية على القراءة وهو قول ابن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وحذيفة بن اليمان، وعقبة بن عامر، وابن الزبير، وأبي مسعود البدري، وأبي سعيد الخدري، والبراء بن عازب، وعمر بن الخطاب، وأبي هريرة رضي الله عنهم، والحسن البصري، وابن سيرين وسفيان الثوري، وهو رواية عن أحمد. وحكاه البخاري في صحيحه مذهباً لابن عباس.

وذكر ابن الهمام في التحرير أنه قول ابن عمر أيضاً. وقال مالك وأحمد في ظاهر قوله: يكبر في الأولى ستاً وفي الثانية خمساً ويقرأ فيها بعد التكبير، وهو مذهب الزهري والأوزاعي، والذي سبق عن الشافعي من أنه يكبر في الأولى سبعاً وفي الثانية خمساً، ويقرأ فيهما بعد التكبير هو مروي عن ابن عباس، وقال شريك بن عبدالله وابن حي يكبر في الفطر في الأولى أربعاً زوائد بعد القراءة وفي الثانية كذلك، وفي الأضحى واحدة زائدة في كل ركعة بعد القراءة، وفيها تسعة أقوال أخر ذكرها السروجي في شرح الهداية. وقال الشيخ الأكبر قدس سره حكى ابن المنذر في التكبير اثني عشر قولاً.

فصل

في الأحاديث المروية في هذا المعنى، والكلام عليها استدل الشافعي رحمه الله تعالى بما روي أنه ﷺ: «كان يكبر في الفطر والأضحى في الأولى سبعاً وفي الثانية خمساً» روي ذلك عن عمرو بن عوف، وعبدالله بن عمرو، وعائشة، وأبي هريرة، وسعد القرظي، وأبي واقد الليثي، وعبد الرحمن بن عوف، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وعبدالله بن عمر، وعمر بن الخطاب.

أما حديث عمرو بن عوف فاخرجه الترمذي وابن ماجه، والدارقطني، وابن عدي، والبيهقي من طريق كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده.

قال البيهقي، قال أبو عيسى الترمذي: سألت محمداً يعني البخاري عن هذا الحديث فقال ليس في هذا الباب شيء أصح من هذا وبه أقول اهـ.

....

قلت: وكثير ضعيف قال فيه الشافعي ركن من أركان الكذب، وقال أبو داود: كذاب، وقال ابن حبان: يروي عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ولا الرواية عنه إلا على وجه التعجب، وقال النسائي، والدارقطني: متروك الحديث. وقال ابن معين: ليس بشيء وقال ابن حنبل: منكر الحديث ليس بشيء، وقال عبـد الله بن أحمد: ضرب أبي على حديثه في المسند ولم يحدث عنه. وقال أبو زرعة: واهي الحديث، فكيف يقال في حديث هذا في سنده ليس في هذا الباب شيء أصح من هذا ولذا قال الحافظ في تخريج الرافعي، وأنكر جماعة تحسينه على الترمذي.

فإن قلت: لا يلزم من هذا الكلام صحة الحديث، بل المراد أنه أصح شيء في هذا الباب، وكثيراً ما يريدون بهذا الكلام هذا المعنى. فالجواب: إن القرينة هنا دالة على أنه أراد بالكلام المذكور صحة الحديث، وكذا فهم عبد الحق فقال في أحكامه عقيب حديث كثير صحح البخاري هذا الحديث، ومن أعظم القرائن الدالة عليه قول الترمذي بعد قوله وبه أقول.

قال: وحديث عبدالله بن عبد الرحمن، عن عمرو، عن أبيه، عن جده في هذا الباب صحيح أيضاً هكذا نقله البيهقي في السنن، فإن كان ضمير قال راجعاً إلى البخاري ويكون قوله ذلك من تتمة قوله دل على أنه أراد بالكلام الأول الصحة، وإن كان الضمير راجعاً إلى الترمذي وأنه من قوله فلا دلالة فيه على أن البخاري أراد به الصحة، ولكن قول الحافظ: ولذا أنكر جماعة تحسينه على الترمذي يدل على أنه لم يرد به الصحة وإلا لقال تصحيحه فتأمل.

وأما حديث عبدالله بن عمرو، فأخرجه أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو داود، وابن ماجه، والدارقطني والبيهقي من طريق عبدالله بن عبد الرحمن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وفي رواية عن أبيه عن عبدالله بن عمرو بلفظ: «إن النبي ﷺ كبر في عيد اثنتي عشرة تكبيرة سبعاً في الأولى وخمساً في الآخرة». وصححه أحمد وابن المديني والبخاري فيما حكاه الترمذي هكذا قاله الحافظ في تخريج الرافعي.

قلت: وهذا يدل على أن الكلام المتقدم عن الترمذي من قول البخاري لا من قول الترمـذي، وكيف يكون صحيحاً وعبدالله بن عبد الرحمن راويه قد تكلم فيه. قال أبو سعيد المكاري: عبدالله بن عبد الرحمن بن يعلى بن كعب الطائفي أبو يعلى الثقفي. قال ابن معين: صالح، وقال أبو حاتم: ليس بقوي لين الحديث عابه طلحة وعمر بن راشد وعبدالله بن المؤمل. وقال النسائي: ليس بذاك القوي ويكتب حديثه اهـ.

وقال ابن الجوزي بضعفه اهـ.

وهو وإن خرج له مسلم في المتابعات على ما قاله صاحب الكمال، فالبيهقي يتكلم فيمن هو أجل منه ممن احتج به في الصحيح كحماد بن سلمة وأمثاله، لكونهم تكلم فيهم، وإن كان الكلام

....

فيهم دون الكلام الذي في الطائفي هذا فتأمل وانصف. وبه يظهر أن في تصحيح هذا الحديث من هذا الطريق نظراً.

وأما حديث عائشة فلفظه: «كان يكبر في العيدين في الأولى بسبع وفي الثانية بخمس قبل القراءة سوى تكبيرتي الركوع» رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والطبراني، والحاكم، وفيه ابن لهيعة عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عنها. وذكر الترمذي في العلل أن البخاري ضعفه. قال الحافظ: وفيه اضطراب عن ابن لهيعة مع ضعفه. قال: مرة عن عقيل، ومرة عن خالد بن يزيد وهو عند الحاكم، ومرة عن يونس وهو في الأوسط، فيحتمل أن يكون سمع من الثلاثة. وقيل عنه عن أبي الأسود عن عروة اهـ.

قلت: وعلى كل حال فمداره على ابن لهيعة وهو ضعيف الحديث لا يحتج به، وذكر ابن عدي عن ابن معين قال: أنكر أهل مصر احتراق كتبه والسماع منه، وذكر عند يحيى احتراق كتبه فقال: هو ضعيف قبل أن تحترق كتبه وبعد ما احترقت.

وأما حديث أبي هريرة فرواه أحمد من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن الأعرج عنه، وصحح الدارقطني في العلل أنه موقوف، وابن لهيعة تقدم الكلام فيه.

ورواه أبو بكر بن أبي شيبة، عن ابن إدريس عن عبدالله عن نافع عنه بلفظ: «كان يكبر في الأولى سبع تكبيرات وفي الثانية خمساً كلهن قبل القراءة» فهذا هو الموقوف الذي أشار إليه الدارقطني وهو أصح طريقاً من المرفوع.

وأماحديث سعد القرظي، فرواه ابن ماجه في السنن عن هشام بن عمار، عن عبد الرحمن بن سعيد، عن عبدالله بن محمد بن عمار بن سعد، وعمر بن حفص بن سعد عن آبائهم «كان يكبر في الأولى سبعاً قبل القراءة وفي الآخرة خمساً قبل القراءة».

ورواه البيهقي من طريق حفص بن عمر بن سعد عن أبيه عن جده. وفي بعض نسخ ابن ماجه حفص بن عمار بن سعد وعمر أصح نبه عليه الذهبي في الكاشف، وسياق السنن للبيهقي عن حفص بن عمر بن سعد أن أباه وعمومته أخبروه عن أبيهم سعد أن السنة في صلاة الأضحى والفطر الخ.

وقال في كتاب المعرفة: ورويناه من حديث أولاد سعد القرظي عن آبائهم عن سعد. أخرجه ابن منده بهذا السند في ترجمة سعد القرظي في كتاب معرفة الصحابة له.

وذكر البيهقي أيضاً حديث عبد الرحمن بن سعد، حدثني عبدالله بن محمد بن عمار بن سعد وعمر بن حفص بن سعد عن أجدادهم أنه عليه السلام كبر الخ.

قلت: عبد الرحمن بن سعد بن عمار منكر الحديث، وفي الكمال سئل عنه ابن معين فقال: ضعيف ومع ضعفه اضطربت روايته لهذا الحديث، وعبدالله بن محمد بن عمار ضعفه ابن معين

....

ذكره الذهبي، وقال أيضاً عمر بن حفص بن عمر بن سعد. قال ابن معين ليس بشيء، وفي الميزان أن عثمان بن سعيد ذكر ليحيى هذا الحديث ثم قال: كيف حال هؤلاء؟ قال: ليسوا بشيء وحفص المذكور في السند إن كان حفص بن عمر المذكور أولاً فقد اضطربت روايته لهذا الحديث رواه هنا عن سعد القرظي، وفي الأول رواه عن أبيه عن عمومته عن سعد القرظي فتأمل ذلك.

وأما حديث أبي واقد الليثي فرواه ابن أبي حاتم في العلل وقال عن أبيه انه باطل.

وأما حديث عبد الرحمن بن عوف فرواه البزار وصحح الدارقطني ارساله له.

وأما حديث ابن عباس فرواه البيهقي من طريق عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء: كان ابن عباس يكبر في العيدين اثنتي عشرة سبع في الأولى وخمس في الآخرة ثم قال: هذا إسناد صحيح، وقد قيل فيه عن عبد الملك بن أبي سليمان ثلاثة عشرة تكبيرة سبع في الأولى وست في الآخرة وكأنه عد تكبيرة القيام اهـ.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة، عن هشيم، عن حجاج،وعبد الملك عن عطاء عن ابن عباس مثل الحديث الثاني.

وعن وكيع عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس مثله.

وعن ابن إدريس عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أنه كان يكبر في العيدين في الأولى سبع تكبيرات بتكبيرة الافتتاح، وفي الآخرة ستاً بتكبيرة الركعة كلهن قبل القراءة.

قلت: قد اختلف في تكبير ابن عباس على ثلاثة أوجه. وجهان قد ذكرا وذكر ابن أبي شيبة وجهاً ثالثاً سيأتي ذكره، وقد صرح في رواية ابن إدريس المخرجة عند أبي بكر بن أبي شيبة أن المراد بها أن السبع بتكبيرة الافتتاح فإن كانت رواية عبد الملك عن عطاء كذلك، وإن المراد بها السبع بتكبيرة الإفتتاح فمذهب الشافعي مخالف للروايتين، فإن البيهقي ذكر أن السبع في الأولى ليس فيها تكبيرة الافتتاح، وإن كان المراد برواية عبد الملك ذلك وإن السبع ليس فيها تكبيرة الافتتاح كما ذهب إليه الشافعي فرواية ابن جريج عن عطاء مخالفة لها فكان الأولى للشافعية اتباع رواية ابن جريج لأن رواية عبد الملك محتملة، ورواية ابن جريج مصرحة بأن السبع بتكبيرة الافتتاح ولجلالة ابن جريج وثقته خصوصاً في عطاء، فإنه أثبت الناس فيه.

قال أحمد: وأما عبد الملك فهو وإن أخرج له مسلم فقد تكلموا فيه ضعفه ابن معين، وتكلم فيه شعبة لتفرده بحديث الشفعة وقيل لشعبة: تحدث عن محمد بن عبيد الله العزرمي وتدع حديث عبد الملك بن أبي سليمان العزرمي وهو حسن الحديث. قال: من حسنها فررت ذكره البيهقي في باب شفعة الجوار، على أن ظاهر رواية عبد الملك انها موافقة لرواية ابن جريج، وان السبع بتكبيرة الافتتاح إذ لو لم يكن منها لقيل كبر ثمانياً وعلى تقدير مخالفة رواية ابن جريج لرواية

عبد الملك يلزم البيهقي اطراح رواية عبد الملك لمخالفتها رواية ابن جريج لأنه قال في باب التراب في ولوغ الكلب عبد الملك بن أبي سليمان لا يقبل منه ما يخالف فيه الثقات، وإلى العمل بمقتضى رواية ابن جريج ذهب مالك وأحمد، فإنهما جعلا السبع بتكبيرة الافتتاح، ثم أن ابن جريج صرح في روايته عن عطاء بأن الست في الآخرة بتكبير الركعة، فترك البيهقي هذا التصريح وتأول في الست المذكورة في الآخرة في رواية عبد الملك بأنه عد تكبيرة القيام، ولو قال عد تكبيرة الركعة لكان هو الوجه.

وأخرج البيهقي أيضاً حديث ابن عباس من طريق يحيى بن أبي طالب جعفر بن عبدالله بن الزبرقان عن عبد الوهاب بن عطاء، عن حميد، عن عمار مولى بني هاشم أن ابن عباس كبر في عيد اثنتي عشرة تكبيرة سبعاً في الأولى وخمساً في الآخرة.

قلت: يحيى بن أبي طالب قال الذهبي في ذيل الديوان: مشهور وثقة الدارقطني وغيره، وقال موسى بن هارون: أشهد أنه يكذب يريد في كلامه لا في حديثه اهـ المنقول من ذيل الديوان وخط أبو داود وصاحب السنن على حديثه، وقال أبو أحمد الحافظ ليس بالمتين وعبد الوهاب بن عطاء هو الخفاف ضعفه أحمد وقواه غيره، وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم وهو محتمل. وقال النسائي: ليس بالقوى روى له الجماعة إلا البخاري.

وقد أخرج أبو بكر بن أبي شيبة رواية عمار هذا في المصنف فقال: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا حميد، عن عمار بن أبي عمار أن ابن عباس كبر في عيد فساقه، فعدل البيهقي عن رواية يزيد بن هارون مع جلالته إلى ذلك الطريق الضعيف، وأظن رواية يزيد لم تقع له ولو وقعت له ما تركها والله أعلم.

وأما حديث أبي سعيد، فرواه أبو بكر بن أبي شيبة موقوفاً عليه من رواية أبي سفيان عنه قال: التكبير في العيدين سبع وخمس سبع في الأولى قبل القراءة، وخمس في الآخرة قبل القراءة.

قلـت: أبو سفيان طريق بن شهاب ضعفه الدارقطني ويحيى القطان.

وأما حديث ابن عمر، فرواه أيضاً أبو بكر بن أبي شيبة موقوفاً عليه من طريق نافع بن أبي نعيم قال: سمعت نافعاً قال. قال عبدالله بن عمر: التكبير في العيدين سبع وخمس.

قلـت: نافع بن أبي نعيم أحد القراء السبعة. قال أحمد: يؤخذ عنه القرآن وليس في الحديث بشيء.

وأما حديث عمر بن الخطاب، فرواه ابن أبي شيبة موقوفاً عليه عن جعفر بن عون، عن الأفريقي، عن عبد الرحمن بن رافع عنه أنه كان يكبر في العيدين لثنتي عشرة. سبعاً في الأولى وخمساً في الآخرة.

قلـت: الأفريقي هو عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي ضعفه ابن معين والنسائي، وقال

الدارقطني: ليس بالقوي. وقال أحمد: نحن لا نروي عنه شيئاً فهذا جميع من روى الحديث الذي استدل به الشافعي رحمه الله تعالى.

وروى العقيلي عن أحمد قال: ليس يروى في التكبير في العيدين حديث مرفوع، وقال الحاكم: الطرق إلى عائشة وابن عمر، وعبدالله بن عمرو، وأبي هبيرة فاسدة اهـ.

وقد روي كذلك عن مكحول قال: التكبير في الأضحى والفطر سبع وخمس كلاهما قبل القراءة لا يوالي بين القراءتين رواه ابن أبي شيبة عن عبد الأعلى عن برد عنه.

قلـت: وسيأتي عن مكحول عن أبي عائشة ما يخالف ذلك.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا محمد بن هلال قال: سمعت سالم بن عبد الله، وعبد الله بن عبد الوهاب يأمران عبد الرحمن بن الضحاك يوم الفطر، وكان على المدينة أن يكبر في أول ركعة سبعاً يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى، وفي الآخرة خمساً يقرأ باقرأ باسم ربك الذي خلق.

قلـت: وهذا سند جيد.

وأخرج البيهقي من طريق ابن أبي أويس، حدثنا أبي، حدثنا ثابت بن قيس، شهدت عمر ابن عبدالعزيز يكبر في الأولى سبعاً قبل القراءة وفي الآخرة خمساً قبل القراءة.

ورواه ابن أبي شيبة، عن خالد بن مخلد، حدثنا ثابت بن قيس قال: صليت خلف عمر بن عبد العزيز في الفطر فكبر في الأولى سبعاً قبل القراءة، وفي الثانية خمساً قبل القراءة.

ورواه أيضاً عن عمر بن هارون عن عبد العزيز بن عمر عن أبيه أنه كان يكبر في العيدين سبعاً وخمساً. سبعاً في الأولى وخمساً في الآخرة.

قلـت: هذا سند جيد، وأما سياق البيهقي ففيه إسماعيل بن أبي إدريس عن أبيه، عن ثابت ابن قيس ثلاثتهم تكلم فيهم فإسماعيل وإن خرج له في الصحيح، فقد قال يحي: هو وأبوه يسرقـان الحديث وقال النضر بن سلمة المروزي: هو كذاب. وقال النسائي: ضعيف، وبالغ في الكلام عليه إلا أن يؤدي إلى تركه، وثابت بن قيس هو أبو النضر الغفاري. قال يحي: ليس حديثه بذلك. وفي كتاب ابن الجوزي قال: يحي ضعيف، وقال ابن حبان لا يحتج بخبره إذا لم يتابعه غيره، والله أعلم.

فصل

واحتج أبو حنيفة ومن وافقه بحديث عبد الرحمن بن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول، عن أبي عائشة جليس لأبي هريرة أن سعيد بن العاص سأل أبا موسى وحذيفة كيف كان رسول الله ﷺ يكبر في الأضحى والفطر؟ فقال أبو موسى: كان يكبر أربعاً تكبيره على الجنائز، فقال حذيفة:

صدق فقال أبو موسى: كذلك كنت أكبر في البصرة حيث كنت عليهم، أخرجه أبو داود، والبيهقي ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، عن زيد بن حباب، حدثنا عبد الرحمن بن ثوبان فساقه مثله. وزاد قال أبو عائشة: وأنا حاضر ذلك فما نسيت قوله أربعاً كالتكبير على الجنازة، وقد تكلم البيهقي على هذا الحديث فقال خولف راويه في موضعين في رفعه، وفي جواب أبي موسى، والمشهور أنهم أسندوه إلى ابن مسعود فأفتاهم بذلك، ولم يسنده إلى النبي ﷺ، كذا رواه السبيعي عن عبدالله بن موسى، أو ابن أبي موسى ان سعيد بن العاص أرسل الخ. وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ضعفه ابن معين اهـ.

قلت: هذا قد أخرجه أبو داود، كما أخرجه البيهقي أولاً وسكت عنه وسكوته تحسين منه كما علم من شرطه، وكذا سكت عليه المنذري في مختصره، ومذهب المحققين أن الحكم للرافع لأنه زاد. وأما جواب أبي موسى فيحتمل أنه تأدب مع ابن مسعود فأسند الأمر إليه مرة، وكان عنده فيه حديث عن النبي ﷺ فذكره مرة أخرى، وعبد الرحمن بن ثابت اختلف على ابن معين فيه. قال صاحب الكمال، قال عباس: ما ذكره ابن معين إلا بخير، وفي رواية ليس به بأس، وقال ابن المديني، وأبو زرعة ليس به بأس، وقال أبو حاتم: مستقيم الحديث. وقال المزني: وثقه رحيم وغيره.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا هشيم، عن ابن عون، عن مكحول قال أخبرني من شهد سعيد بن العاص أرسل إلى أربعة نفر من أصحاب الشجرة، فسألهم عن التكبير في العيد فقالوا: ثمان تكبيرات. قال: فذكرت ذلك لابن سيرين، فقال: صدق ولكنه أغفل تكبيرة فاتحة الصلاة.

قلت: وهذا المجهول الذي في هذا السند تبين أنه أبو عائشة، وباقي السند صحيح، وهو يؤيد رواية ابن ثوبان الموقوفة، ويؤيدها وجوه أخر ذكرها ابن أبي شيبة في المصنف فقال.

حدثنا يزيد بن هارون عن المسعودي، عن معبد بن خالد، عن كردوس قال: قدم سعيد بن العاص في ذي الحجة فأرسل إلى عبدالله وحذيفة وأبي مسعود الأنصاري وأبي موسى الأشعري فسألهم عن التكبير فأسندوا أمرهم إلى عبدالله، فقال عبدالله: يقوم فيكبر ثم يكبر ثم يكبر ثم يكبر فيقرأ ثم يكبر ويركع ويقوم فيقرأ ثم يكبر ثم يكبر ثم يكبر ثم يكبر الرابعة ثم يركع.

وأما رواية السبيعي الذي أشار إليه البيهقي فرواه ابن أبي شيبة عن وكيع عن سفيان عنه عن عبد الله بن أبي موسى، عن حماد بن إبراهيم أن أميراً من أمراء الكوفة. قال سفيان: أحدهما سعيد ابن العاص، وقال الآخر: الوليد بن عقبة بعث إلى عبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعبدالله بن قيس، فقال: إن هذا العيد قد حضر فما ترون فأسندوا أمرهم إلى عبدالله، فقال: يكبر تسعاً تكبيرة يفتتح بها الصلاة ثم يكبر ثلاثاً ثم يقرأ سورة ثم يكبر ثم يركع ثم يقوم فيقرأ سورة ثم يكبر أربعاً يركع بإحداهن، وقال أيضاً: حدثنا هشيم، عن أشعث، عن كردوس، عن ابن عباس قال: لما كان ليلة العيد أرسل الوليد بن عقبة إلى ابن مسعود وأبي مسعود وحذيفة

والأشعري فقال لهم: إن العيد غداً فكيف التكبير؟ فقال: عبدالله: يقوم فيكبر أربع تكبيرات ويقرأ بفاتحة الكتاب وسورة من المفصل ليس من طوالها ولا من قصارها ثم يركع ثم يقوم فيقرأ، فإذا فرغت من القراءة كبرت أربع تكبيرات ثم تركع بالرابعة. وقال أيضاً: حدثنا أبو أسامة عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن جابر بن عبدالله وسعيد بن المسيب قالا: تسع تكبيرات ويوالي بين القراءتين.

وحدثنا هشيم أخبرنا خالد، عن عبدالله بن الحرث قال: صلى بنا ابن عباس يوم عيد فكبر تسع تكبيرات خمساً في الأولى وأربعاً في الآخرة.

حدثنا هشيم، أخبرنا داود عن الشعبي قال: أرسل زياد إلى مسروق إنا تشغلنا أشغال فكيف التكبير في العيدين؟ قال: تسع تكبيرات. قال خمساً في الأولى وأربعاً في الآخرة، ووال بين القراءتين.

وحدثنا غندر وابن مهدي عن شعبة عن منصور عن إبراهيم عن الأسود ومسروق أنهما كانا يكبران في العيد تسع تكبيرات.

وحدثنا يحيى بن سعيد، عن أشعث عن محمد بن سيرين عن أنس أنه كان يكبر في العبد تسعاً فذكر مثل حديث عبدالله.

وحدثنا إسحاق الأزرق عن الأعمش، عن إبراهيم أن أصحاب عبدالله كانوا يكبرون في العيدين تسع تكبيرات.

وحدثنا الثقفي عن خالد عن أبي قلابة قال: التكبير في العيدين تسع تسع.

وحدثنا شريك عن جابر عن أبي جعفر أنه كان يفتي بقول عبدالله في التكبير في العيدين، وحدثنا إسحاق الأزرق عن هشام عن الحسن ومحمد أنهما كانا يكبران تسع تكبيرات، وحدثنا إسحاق بن منصور، وحدثنا أبو كدنية، عن الشيباني، عن الشعبي والمسيب قالا: الصلاة يوم العيدين تسع تكبيرات خمس في الأولى وأربع في الآخرة ليس بين القراءتين تكبير.

وروى عبد الرزاق في مصنفه عن الثوري عن أبي إسحاق عن علقمة والأسود: سأل سعيد بن العاص حذيفة وأبا موسى فساقه كسياق أبي بكر بن أبي شيبة، وقال عبد الرزاق: أخبرنا إسماعيل ابن أبي الوليد، حدثنا خالد الحذاء، عن عبدالله بن الحرث شهدت ابن عباس كبر في صلاة العيد بالبصرة تسع تكبيرات ووالى بين القراءتين، وشهدت المغيرة بن شعبة فعل ذلك أيضاً، فسألت خالداً كيف فعل ابن عباس؟ ففسر لنا كما صنع ابن مسعود في حديث معمر والثوري عن أبي إسحاق سواء، فهذه كلها شواهد لحديث ابن ثوبان المتقدم.

وروى محمد بن الحسن في الآثار عن أبي حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن ابن مسعود انه كان قاعداً في مسجد الكوفة ومعه حذيفة وأبو موسى الأشعري فخرج عليهم الوليد بن عقبة بن أبي

معيط وهو أمير الكوفة يومئذ فقال: إن غداً عيدكم فكيف أصنع فقالا: أخبره يا أبا عبد الرحمن فأمره عبدالله بن مسعود أن يصلي بغير أذان ولا إقامة، وأن يكبر في الأولى خمساً وفي الثانية أربعاً ويوالي بين القراءتين، وأن يخطب بعد الصلاة على راحلته، وهذا أثر صحيح قاله بحضرة جماعة من الصحابة، ومثل هذا يحمل على الرفع لأنه كنقل أعداد الركعات وقول البيهقي هذا رأي من جهة عبدالله، والحديث المسند مع ما عليه من عمل المسلمين أولى أن يتبع قد رده أبو عمر في التمهيد وقال: مثل هذا لا يكون رأياً ولا يكون إلا توفيقاً لأنه لا فرق بين سبع وأقل وأكثر من جهة الرأي والقياس.

وقال ابن رشد في القواعد: معلوم أن فعل الصحابة في ذلك توقيف إذ لا يدخل القياس في ذلك، وقد وافق جماعة من الصحابة ومن بعدهم وما روي عن غيرهم خلاف ذلك غايته المعارضة، ويترجح بابن مسعود وفيما تقدم من الأحاديث المسندة قد وقع فيها الاضطراب، وأثر ابن مسعود سالم من الاضطراب وبه يترجح المرفوع الموافق له ويترجح الموالاة بين القراءتين بالمعنى أيضاً، وهو أن التكبير ثناء ومشروعيته في الأولى قبل القراءة كدعاء الاستفتاح، وحيث شرع في الآخرة شرع بعد القراءة كالقنوت، فكذلك التكبير وما ذكروه من عمل العامة بقول ابن عباس لأمر بنيه الخلفاء بذلك فقد كان فيما مضى، وأما الآن فلم يبق بالأرض منهم خليفة فالمذهب عندنا العمل بقول ابن مسعود، لكن حيث لا يقع الالتباس على الناس، والله أعلم.

تكميل:

في كتاب الشريعة للشيخ الأكبر قدس سره بعد أن ذكر اختلاف الناس في تكبيرات العيدين ما نصه: زيادة التكبير في صلاة العيدين على التكبير المعلوم في الصلوات يؤذن بأمر زائد يعطيه اسم العيد، فإنه من العودة فيعاد التكبير لأنها صلاة عيد، فيعاد كبرياء الحق قبل القراءة لتكون المناجاة عن تعظيم مقرر مؤكد لأن التكرار تأكيد للتثبيت في نفس المؤكد من أجله مراعاة لاسم العيد إذ كان للأسماء حكم ومرتبة عظمى، فإن بها شرف آدم على الملائكة فاسم العيد أعطى إعادة التكبير لأن الحكم له في هذا الموطن بعد القراءة في مذهب من يراه لأجل الركوع في صلاة العيد، وسبب ذلك لما كان يوم زينة وفرح وسرور واستولت فيه النفوس على طلب حظوظها من النعيم، وأيد الشرع في ذلك بتحريم الصوم فيه وشرع لهم اللعب في هذا اليوم والزينة شرع الله لهم تضاعف التكبير في الصلاة ليتمكن من قلوب عباده ما ينبغي للحق من الكبرياء والعظمة، لئلا يشغلهم حظوظ النفوس عن مراعاة حقه تعالى بما يكون عليهم من أداء الفرائض في أثناء النهار أعني صلاة الظهر والعصر وباقي الصلوات. قال تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] يعني في الحكم، فمن رآه ثلاث تكبيرات فلعوالمه الثلاث لكل عالم تكبيرة في كل ركعة، ومن رآه سبعاً فاعتبر صفاته فكبره لكل صفة تكبيرة، فإن العبد موصوف بالصفات السبعة التي وصف الحق بها نفسه، فكره أن تكون نسبة هذه الصفات إليه سبحانه وتعالى كنسبتها

إلى العبد، فقال «الله أكبر» يعني من ذلك في كل صفة والمكبر خمساً فيها فنظره في الذات والأربع الصفات التي يحتاج إليها العالم من الله تعالى أن يكون موصوفاً بها فيكبره بالواحدة لذاته بليس كمثله شيء، وتكبيره بالأربع لهذه الصفات الأربع خاصة على حد ما كبره في السبع من عدم الشبه في المناسبة، فأعلم ذلك.

وأما رفع الايدي فيها فاشارة إلى أنه ما بأيدينا شيء مما نسب إلينا من ذلك وأما من لم يرفع يديه فيها فاكتفى برفعها في تكبيرة الإحرام ورأى أن الصلاة أقرت بالسكينة فلم يرفع إذ كانت الحركة تشوّش غالباً ليتفرغ للذكر بالتكبير خاصة ولا يعلق خاطره بيديه ليرفعها، فينقسم خاطره فكل عارف راعى أمراً مّا فعمل بحسب ما أحضره الحق فيه، والله أعلم.

(ومن فاتته صلاة العيد قضاها) قال الرافعي: قد قدمنا في قضاء صلاة العيد وغيرها من النوافل الراتبة إذا فاتت قولين، وتقدم الخلاف في اشتراط شرائط الجمعة فيها، فلو شهد عدلان يوم الثلاثين من رمضان قبل الزوال برؤية الهلال في الليلة الماضية أفطروا فإن بقي من الوقت ما يمكن جمع الناس والصلاة فيه صلوها، وكانت اداء، وإن شهدوا بعد غروب الشمس يوم الثلاثين لم تقبل شهادتهم إذ لا فائدة فيها إلا المنع من صلاة العيد فلا يصغي إليها ويصلون من الغد العيد أداء. هكذا قال الأئمة واتفقوا عليه، وفي قولهم لا فائدة إلا ترك صلاة العيد إشكال، بل لثبوت الهلال فوائد أخر كوقوع الطلاق والعتق المعلقين وابتداء العدة منه وغير ذلك، فوجب أن يقبل لهذه الفوائد، ولعل مرادهم بعدم الإصغاء في صلاة العيد وجعلها فائتة لا عدم القبول على الاطلاق.

قال النووي: مرادهم فيما يرجع إلى الصلاة خاصة قطعاً فأما الحقوق والأحكام المتعلقة بالهلال كأجل الدين والعنيين والمولى والعدة وغيرها فثبتت قطعاً والله أعلم.

ثم قال الرافعي: فلو شهدوا قبل الغروب وبعد الزوال أو قبله بيسير بحيث لا يمكن فيه الصلاة قبلت الشهادة في الفطر قطعاً وصارت الصلاة فائتة على المذهب، وقيل قولان. أحدهما: هذا، والثاني يفعل من الغد أداء لعظم حرمتها، فإن قلنا بالمذهب فقضاؤها مبني على قضاء النوافل فإن قلنا: لا تقضى لم تقض العيد، وإن قلنا تقضى بنى على أنها كالجمعة في الشرائط أم لا. فإن قلنا: نعم لم تقض وإلا قضيت وهو المذهب من حيث الجملة، وهل لهم أن يصلوها في بقية يومهم؟ وجهان بناء على أن فعلها في الحادي والثلاثين أداء أم قضاء، إن قلنا أداء فلا، وإن قلنا قضاء وهو الصحيح جاز، ثم هل هو أفضل أم التأخير إلى صحوة الغد، وجهان: أصحهما التقديم أفضل هذا إذا أمكن جمع الناس في يومهم لصغر البلدة، فإن عسر فالتأخير أفضل قطعاً، وإذا قلنا يصلونها في الحادي والثلاثين قضاء، فهل يجوز تأخيرها عنه؟ قولان. وقيل: وجهان أظهرهما جوازه أبداً، وقيل: إنما يجوز في بقية شهر، ولو شهد اثنان قبل الغروب وعدلا بعده فقولان، وقيل: وجهان أحدهما الاعتبار بوقت الشهادة وأظهرهما بوقت التعديل فيصلون من الغد بلا

خلاف أداء. هذا كله فيما إذا وقع الاشتباه وفوات العيد لجميع الناس، فإن وقع ذلك لأفراد لم تجر الأقوال مع القضاء وجوازه أبداً اهـ.

فصل

وقال أصحابنا: من فاتته الصلاة مع الإمام لا يقضيها لاختصاصها بشرائط فقد فاتت، وإن حدث عذر منع الصلاة يوم الفطر قبل الزوال صلوها من الغد قبل الزوال، وإن منع عذر من الصلاة في اليوم الثاني لم تصل بعده بخلاف الأضحى، فانها تصلى في اليوم الثالث أيضاً إن منع عذر في اليوم الأول والثاني وكذا إن أخّرها بلا عذر إلى اليوم الثاني أو الثالث جاز، لكن مع الإساءة، فالحاصل أن صلاة الأضحى تجوز في اليوم الثاني والثالث سواء أخرت لعذر أو بدونه. أما صلاة الفطر فتجوز في الثاني لكن بشرط حصول العذر في اليوم الأول، ولا تصليان بعد الزوال على كل حال.

وقال أبو جعفر الطحاوي في معاني الآثار: باب الإمام تفوته صلاة العيد هل يصليها من الغد أم لا؟ حدثنا فهد حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني هشيم عن أبي بشر جعفر بن إياس عن أبي عمير بن أنس بن مالك قال: أخبرني عمومتي من الأنصار أن الهلال خفي على الناس في آخر ليلة من شهر رمضان في زمن النبي ﷺ فأصبحوا صياماً، فشهدوا عند النبي ﷺ بعد زوال الشمس أنهم رأوا الهلال الليلة الماضية، فأمر رسول الله ﷺ الناس بالفطر فأفطروا تلك الساعة، وخرج بهم من الغداة فصلّى بهم صلاة العيد، فذهب قوم إلى هذا فقالوا: إذا فاتت الناس صلاة العيد في صدر يوم العيد صلّوها من غد ذلك اليوم في الوقت الذي يصلونها فيه يوم العيد، وممن قال ذلك أبو يوسف، وخالفهم في ذلك آخرون فقالوا: إذا فاتت الصلاة يوم العيد حتى زالت الشمس من يومئذ لم يصلّ بعد ذلك في ذلك اليوم ولا فيما بعده، وممن قال ذلك أبو حنيفة، وكان من الحجة لهم في ذلك أن الحفاظ ممن رووا هذا الحديث عن هشيم لا يذكرون فيه أنه صلّى بهم من الغد، وممن روى ذلك عن هشيم ولم يذكر فيه هذا يحيى بن حسان وسعيد بن منصور هو أضبط الناس لألفاظ هشيم، وهو الذي بيّن للناس ما كان هشيم يدلس به من غيره.

حدثنا صالح بن عبد الرحمن، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا هشيم، حدثنا أبو بشر، عن أبي عمير بن أنس قال: أخبرني عمومتي من الأنصار من أصحاب النبي ﷺ قال: أغمي علينا هلال شوّال فأصبحنا صياماً فجاء ركب من آخر النهار فشهدوا عند رسول الله ﷺ أنهم رأوا الهلال بالأمس، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يفطروا من يومهم ثم ليخرجوا لعيدهم من الغد.

حدثنا سليمان بن شعيب، حدثنا يحيى بن حسان، حدثنا هشيم عن أبي بشر فذكر باسناده مثله، فهذا هو أصل الحديث لا كما رواه عبد الله بن صالح، وأمره إياهم بالخروج من الغد لعيدهم قد يجوز أن يكون أراد بذلك أن يجتمعوا ليدعوا ولترى كثرتهم فيتناهى ذلك إلى

السابع: أن يضحي بكبش. ضحى رسول الله ﷺ بكبش وذبح بيده وقال: « بسم

عدوّهم فيعظم أمرهم عندهم لا لأن يصلوا كما تصلي العيد، فقد رأينا المصلي في يوم العيد قد أمر بحضور من لا يصلي، ثم ساق حديث أم عطية في اخراج الحيّض وذوات الخدور، ثم قال: فلما كن الحيض يخرجن لا للصلاة ولكن لأن تصيبهم دعوة المسلمين احتمل أن يكون النبي ﷺ أمر الناس بالخروج من غد العيد لأن يجتمعوا فيدعوا فتصيبهم دعوتهم لا للصلاة.

وقد روى هذا الحديث شعيب، عن أبي بشر كما رواه سعيد ويحيى لا كما رواه عبد الله بن صالح، حدثنا ابن مرزوق، حدثنا وهب، حدثنا شعبة، عن أبي بشر قال: سمعت أبا عمير بن أنس، وحدثنا ابن مرزوق، حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن أبي بشر فذكر مثله باسناده غير أنه قال: وأمرهم إذا أصبحوا أن يخرجوا إلى مصلاهم، ففي ذلك أيضاً معنى ما روى يحيى وسعيد عن هشيم، وهذا محل الحديث، ولما لم يكن في الحديث ما يدلنا على حكم ما اختلفوا فيه من الصلاة من الغد ومن تركها نظرنا في ذلك، فرأينا الصلوات على ضربين.

فمنها: ما الدهر كله له وقت غير الأوقات التي لا تصلى فيها الفريضة فكان ما قد فات منها في وقت فالدهر كله له وقت تقضى فيه غير ما نهى عن قضائها فيه من الأوقات.

ومنها: ما جعل له وقت خاص ولم يجعل لأحد أن يصليه في غير ذلك الوقت من ذلك الجمعة حكمها أن تصلى يوم الجمعة من حين تزول الشمس إلى أن يدخل وقت العصر، فإذا خرج ذلك الوقت فاتت ولم يجز أن تصلى بعد ذلك في يومها ذلك ولا فيما بعده، فكان ما لا يقضى في بقية يومه ذلك بعد فوات وقته لا يقضى بعد ذلك، وما يقع بعد فوات وقته في بقية يومه ذلك قضى من الغد وبعد ذلك وكل هذا مجمع عليه، فكان صلاة العيد جعل لها وقت خاص يوم العبد آخره زوال الشمس، وكل قد أجمع أنها إذا لم تصل يومئذ حتى زالت الشمس انها لا تصلى في بقية يومه ذلك، فلما ثبت أن صلاة العيد لا تقضى بعد خروج وقتها في يومها ذلك ثبت أن ذلك لا يقضى بعد ذلك في غد ولا غيره لأنا رأينا ما الذي فاته أن يقضيه في غد يومه جائز له أن يقضيه في بقية يومه ذلك، وما ليس له أن يقضيه في بقية يومه ذلك فليس له أن يقضيه من غده، فصلاة العيد كذلك لما ثبت أنها لا تقضى إذا فاتت في بقية يومها ثبت أنها لا تقضى في غده، فهذا هو النظر في هذا الباب، وهو قول أبي حنيفة فيما رواه عنه بعض الناس ولم نجده في رواية أبي يوسف عنه، والله أعلم.

(**السابع: أن يضحي بكبش**). اعلم أنه اختلف في أفضل الأضاحي، فقال أبو حنيفة، والشافعي، وأحمد: أفضلها الإبل، ثم البقر ثم الغنم، والضأن أفضل من المعز. وقال مالك: الأفضل الغنم ثم الإبل ثم البقر، وروى عنه ابن شعبان الغنم ثم البقر ثم الإبل وفحول كل جنس أفضل من إناثه. وقال الرافعي: أفضلها البدنة ثم البقرة ثم الضأن ثم المعز وسبع من الغنم أفضل من بدنة أو بقرة على الأصح، وقيل: البدنة أو البقرة أفضل لكثرة اللحم، والتضحية بشاة أفضل من المشاركة في بدنة.

....

(ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أملحين وذبح بيده، وقال: « بسم الله والله أكبر هذا عني وعمن لم يضح من أمتي ») وفي بعض النسخ ضحى بكبش.

وقال العراقي: متفق عليه دون قوله: « هذا عني » الخ من حديث أنس، وهذه الزيادة عند أبي داود، والترمذي من حديث جابر. وقال الترمذي غريب منقطع اهـ.

قلت: والذي في المتفق عليه بزيادة أقرنين بعد أملحين. والأملح: الذي فيه بياض وسواد. وقول الترمذي انه غريب منقطع يشير إلى أنه من رواية عمرو مولى المطلب عن المطلب ورجل من بني سلمة عن جابر، وفيه أنه دعا بكبش فذبحه وقال: « عني وعمن لم يضح من أمتي ». قال الترمذي: ويقال المطلب لم يسمع من جابر وذكر في موضع آخر من كتابه قال محمد: لا أعرف للمطلب سماعاً من أحد من الصحابة إلا قوله: حدثني من شهد خطبة النبي ﷺ، وسمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول: لا نعرف له سماعاً من أحد من الصحابة اهـ كلام الترمذي.

قلت: وكذا قاله أبو حاتم، وقال محمد بن سعد: لا يحتج بحديث المطلب لأنه يرسل عن النبي ﷺ كثيراً وليس له لقاء اهـ.

ومع هذا فمولى المطلب قال فيه ابن معين ليس بالقوي وليس بحجة أي فلا يصح الاحتجاج بحديثه فافهم ذلك.

وأخرج مسلم من حديث عائشة أن النبي ﷺ أمر بكبش أقرن يطأ في سواد وينظر في سواد ويبرك في السواد فأتى به ليضحي به فقال: « يا عائشة هلمي المدية ثم استحديها بحجر ففعلت ثم أخذها وأخذ الكبش فاضجعه ثم ذبحه، ثم قال: بسم الله اللهم تقبّل من محمد ومن أمة محمد ثم ضحى » وزاد النسائي « ويأكل في سواد ».

وروى أصحاب السنن من حديث أبي سعيد، وصححه الترمذي، وابن حبان وهو على شرط مسلم قاله صاحب الاقتراح، ويروى عن عائشة وأبي هريرة « أنه ﷺ ضحى بكبشين موجوأين » رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي والحاكم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عنهما. هذه رواية الثوري، ورواه زهير بن محمد عن ابن عقيل عن أبي رافع أخرجه الحاكم. ورواه حماد بن سلمة، عن ابن عقيل، عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه. أخرجه البيهقي ورواه أحمد والطبراني من حديث أبي الدرداء، والموجوأين: المنزوعي الأنثيين.

وروى أبو داود، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي من حديث عبادة بن نسي عن أبيه عن عبادة ابن الصامت: خير الضحية الكبش الأقرن.

وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقي عن أبي عياش عن جابر « أن النبي ﷺ ضحى بكبشين أملحين فلما وجههما قال: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض » الآيتين. وأبو عياش لا يُعرف.

الله والله أكبر هذا عني وعمن لم يضحِّ من أمتي». وقال ﷺ: «من رأى هـلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيئاً». قال أبو أيوب

وقول المصنف وقال «بسم الله والله أكبر» هو مأخوذ من الحديث الذي أخرجه مسلم عن عائشة، وفي بعض رواياته فسمى وكبر أي قال بسم الله والله أكبر. قال عياض في الإكمال. ولا خلاف أن بسم الله يجزىء منها. قال ابن حبيب: وكذا لو قال الله أكبر فقط ولا إله إلا الله، ولكن ما مضى عليه العمل من بسم الله والله أكبر، وقال نحوه محمد بن الحسن.

وقوله في الحديث: اللهم تقبّل الخ. أجازه أكثر العلماء اقتداء بفعله ﷺ، وكره أبو حنيفة أن يقول شيئاً من ذلك عند الذبح والتسمية ولا بأس به قبل ذلك، وكره مالك قولهم: اللهم منك وإليك، وقال: هذه بدعة، وأجاز ذلك الحسن وابن حبيب. قال القاضي في الاكمال وفي قوله: اللهم تقبل الخ حجة لمالك ومن وافقه في تجويز الرجل الذبح عنه وعن أهل بيته الضحية وإشراكهم فيها مع استحباب مالك أن تكون واحدة عن كل واحد. وكان الثوري وأبو حنيفة وأصحابه يكرهون ذلك، وقال الطحاوي: لا يجزىء وزعم أن الحديث فيه منسوخ أو مخصوص اهـ.

(وقال ﷺ: «من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره») قال العراقي: رواه مسلم من حديث أم سلمة اهـ.

قلـت: وفي لفظ لمسلم «إذا دخل العشر وأراد أحدكم أن يضحي فلا يمس من شعره وبشره شيئاً». قال الحافظ: واستدركه الحاكم فوهم وأعله الدارقطني بالوقف رواه الترمذي وصححه اهـ.

وقد عقد عليه البيهقي باباً فقال: السنة لمن أراد أن يضحي أن لا يأخذ من شعره وظفره إذا أهلّ ذو الحجة حتى يضحي، وأورد فيه حديث أم سلمة هذا. وقال الرافعي في الشرح: من أراد التضحية ودخل عليه العشر كره أن يحلق شعره ويقلم ظفره حتى يضحي، وفيه وجه حكاه صاحب الرقم وهو شاذ، والحكمة فيه أن يبقى كامل الأعضاء ليعتق من النار، وقيل للتشبه بالمحرم وهو ضعيف، فإنه لا يترك الطيب ولبس المخيط وغيرهما، وحكي وجه أن الحلق والقلم لا يكرهان إلا اذا دخلت العشر واشترى ضحيته أو عيّن شاة من مواشيه للتضحية، وحكي قول انه لا يكره القلم. قال النووي، قال الشيخ إبراهيم المروزي في تعليقه اجزاء سائر البدن كالشعر، والله أعلم.

فصل

قال ابن هبيرة في الإفصاح: اتفقوا على أنه يكره لمن أراد الأضحية أن يأخذ من شعره وظفره من أول العشر إلى أن يضحي، وقال أبو حنيفة: لا يكره اهـ.

الأنصاري: كان الرجل يضحي على عهد رسول الله ﷺ بالشاة عن أهل بيته ويأكلون

قلت: والذي صرّح به أصحابنا أن حديث أم سلمة محمول على القرب دون الوجوب بالإجماع، ونقل صاحب المضمرات عن ابن المبارك في تقليم الأظفار وحلق الرأس في العشر قال: لا تؤخر السنة وقد ورد ذلك ولا يجب التأخير اهـ.

وهذا يشير إلى ما ذكرناه انه محمول على الندب إلا أن نفي الوجوب لا ينافي الاستحباب، فيكون مستحباً إلا ان استلزم الزيادة على وقت اباحة التأخير ونهاية ما دون الأربعين، فإنه لا يباح ترك قلم الأظفار ونحوها فوق الأربعين، والأفضل في ذلك في كل أسبوع وإلاّ ففي كل خمسة عشر يوماً ولا عذر في تركه وراء الاربعين وهو الأبعد والذي يليه الأوسط.

تنبيه:

نقل البيهقي بعد ان أورد حديث أم سلمة المذكور في الباب عن الشافعي رضي الله عنه أنه اختيار لا واجب واستدل على ذلك بحديث عائشة أنها فتلت قلائد هدي رسول الله ﷺ، وفي آخره فلم يحرم على رسول الله ﷺ شيء أحله الله له حتى نحر الهدي قال الشافعي: البعث بالهدي أكثر من ارادة التضحية اهـ.

قلت: في بعض طرق هذا الحديث في الصحيح كنت أفتل قلائد هدي رسول الله ﷺ فيبعث بهديه إلى الكعبة فما يحرم عليه شيء مما حل للرجل من أهله حتى يرجع الناس، فثبت بهذا أن الذي كان لا يحبسه هو ما يحبسه المحرم من أهله لا ما سوى ذلك من حلق شعر وقص ظفر، ولا يخالف حديث أم سلمة لو كان لفظ الحديث كما أورده البيهقي أمكن العمل بالحديثين، فحديث أم سلمة يدل على أن إرادة التضحية يمنع الحلق والقلم، وحديث عائشة يدل على أن بعث الهدي غير مانع فيعمل ولا يلزم من كون البعث غير مانع أن يكون ارادة التضحية غير مانعة.

وفي التمهيد ذكر الأثرم أن أحمد كان يأخذ بحديث أم سلمة قال: ذكرت ليحي بن سعيد الحديثين قال ذاك له وجه وهذا له وجه، حديث عائشة إذا بعث بالهدي فأقام، وحديث أم سلمة إذا أراد أن يضحي بالمصر، والأشبه في الاستدلال أن يقال: كان ﷺ يريد التضحية لأنه لم يتركها أصلاً ومع ذلك لم يجتنب شيئاً على ما في حديث عائشة، فدلّ على أن إرادة التضحية لا تحرم ذلك فتأمل والله أعلم.

(وقال أبو أيوب الانصاري: كان الرجل يضحي على عهد رسول الله ﷺ بالشاة عن أهل بيته فيأكلون ويطعمون). قال العراقي: رواه الترمذي، وابن ماجه من حديثه. قال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

اعلم ان هذا الحديث والذي تقدم قبله عن جابر وفيه «هذا عني وعمن لم يضح من أمتي» يدلان أن الشاة الواحدة تجزىء عن أكثر من واحد، واستدل البيهقي بحديث جابر أيضاً على نفي

ويطعمون. وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق، وردت فيه الرخصة بعد

وجوب التضحية فأوّلا هذان متروكان في المذهب، فقد صرح غير واحد من الأصحاب عن نص الشافعي رضي الله عنه أن الكبش الواحد لا يجوز عن أكثر من واحد.

وقال الرافعي: الشاة الواحدة لا يضحي بها إلا واحد، لكن إذا ضحى بها واحد عن أهل بيته تأدى الشعار والسنة لجميعهم، وعلى هذا حمل ما روي عن جابر، وكما أن الفرض ينقسم إلى فرض عين وفرض كفاية فقد ذكروا ان التضحية كذلك وأنها مسنونة لكل أهل بيت وقد حمل جماعة الحديث على الاشتراك في الثواب اهـ.

وفي التهذيب لابن جرير الطبري ما ملخصه: ظن بعض أهل العبارة أن ذلك كان باشتراكه لهم في ملك ضحية فزعم أن للجماعة ان يشتركوا في الشاة وتجزئهم عن التضحية، ولو كان كذلك لم يحتج أحد من هذه الأمة إلى التضحية ولما كان لقوله ﷺ «من وجد سعة فلم يضح» وجه كيف يقول ذلك وقد ضحى هو عنهم وذبحه أفضل اهـ.

وثانياً فالحديث المذكور لا ينافي الوجوب لأنه ﷺ تطوّع عنهم بذلك، ويجوز ان يتطوّع الرجل عمن وجب عليه كما يتطوّع عن نفسه، ودل الحديث على أن الإنسان له ان يتطوّع عن غيره مما شاء وهو خلاف مذهب الشافعي رضي الله عنه، **(وله أن يأكل من الأضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق)** ذلك لأنه قد **(وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه)** لم يتعرض له العراقي، وقد أشار به إلى ما رواه الترمذي عن بريدة رضي الله عنه رفعه: «كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث ليتسع ذو الطول على من لا طول له فكلوا ما بدا لكم واطعموا وادخروا».

قال الرافعي في الشرح فرع يجوز أن يدخر من لحم الأضحية وكان ادخارها فوق ثلاثة أيام، قد نهى عنه رسول الله ﷺ ثم أذن فيه. قال الجمهور: كان نهي تحريم، وقال أبو علي الطبري: يحتمل التنزيه وذكروا على الأول وجهين في أن النهي كان عاماً ثم نسخ أم كان مخصوصاً بحالة الضيق الواقع تلك الأيام، فلما زالت انتهى التحريم، ووجهين على الثاني في أنه لو حدث مثل ذلك في زماننا وبلادنا، فهل يحكم به؟ والصواب المعروف أنه لا يحرم اليوم بحال، وإذا أراد الادخار فالمستحب أن يكون من نصيب الأكل لا من نصيب الصدقة والهدية.

وأما قول الغزالي في الوجيز يتصدق بالثلث ويأكل الثلث ويدخر الثلث فبعيد منكر، فإنه لا يكاد يوجد في كتاب متقدم ولا متأخر والمعروف والصواب ما قدمناه.

قال النووي، قلت قال الشافعي رضي الله عنه في المبسوط: أحب لا يتجاوز بالأكل والادخار الثلث، وأن يهدي الثلث ويتصدق بالثلث هذا نصه بحروفه، وقد نقله القاضي أبو حامد في جامعه ولم يذكر غيره، فهذا تصريح بالصواب ورد لما قاله الغزالي في الوجيز، والله أعلم.

....

فصل

في مسائل منثورة تتعلق بالأضاحي من شرح الرافعي وغيره:

الأولى: قال ابن المرزبان: من أكل بعض الأضحية وتصدق ببعضها هل يثاب على الكل أو على ما تصدق؟ وجهان. كالوجهين فيمن نوى صوم التطوع ضحوة هل يثاب من أول النهار أم من وقته؟ وينبغي أن يقال له ثواب التضحية بالكل والتصدق بالبعض. قال النووي: وهذا الذي قاله الرافعي هو الصواب الذي تشهد به الأحاديث والقواعد، وممن جزم به إبراهيم المروزي والله أعلم.

الثانية: قال ابن كج: من ذبح شاة وقال أذبح لرضا فلان حلت الذبيحة، لأنه لا يتقرب إليه بخلاف من تقرب بالذبح إلى الصنم، وذكر الروياني أن من ذبح للجن وقصد التقرب إلى الله تعالى ليصرف شرّهم عنه فهو حلال، وإن قصد الذبح لهم فحرام.

الثالثة: قال الروياني: من ضحّى على عدد فرّقه على أيام الذبح، فإن كان شاتين ذبح شاة في اليوم الأول والأخرى في آخر الأيام قال النووي: هذا الذي قاله وإن كان أرفق بالمساكين إلا أنه خلاف السنّة، فقد نحر النبي ﷺ مائة بدنة أهداها في يوم واحد، فالسنّة التعجيل والمسارعة إلى الخيرات إلا ما ثبت خلافه، والله أعلم.

الرابعة: الأفضل أن يضحي في بيته بمشهد أهله. وفي الحاوي أنه يختار للإمام أن يضحي للمسلمين كافة من بيت المال ببدنة ينحرها في المصلى، فإن لم يتيسر فشاة وإنه يتولى النحر بنفسه وإن ضحى من ماله ضحى حيث شاء.

الخامسة: قال الشافعي في البويطي: الأضحية على كل من وجد السبيل من المسلمين من أهل المدائن والقرى والحاضر والمسافر والحاج من أهل منى وغيرهم، ومن كان معه هدي ومن لم يكن هذا نصه بحروفه، وخالف في ذلك أبو حنيفة والنخعي. وروي عن علي: فلم يروا على المسافر أضحية، واستثنى مالك من المسافرين والمقيمين الحاج من أهل منى ومكة وغيرهما، فلم ير عليهم أضاحي وهو قول النخعي، وروي ذلك عن أبي بكر وعمر وابن عمر وجماعة من السلف، ووافق الشافعي أبو ثور في إيجابها على الحاج بمنى، قال النووي: ومن نص الشافعي المتقدم يرد على العبدري حيث قال في الكفاية: إلا في حق الحاج بمنى، فإنه لا أضحية عليهم. قال: وهذا الذي قاله فاسد مخالف للنص، وقد صرّح القاضي أبو حامد وغيره بأن أهل منى كغيرهم في الأضحية، وثبت في الصحيحين «أن النبي ﷺ ضحى في منى عن نسائه بالبقر» والله أعلم.

السادسة: قال القاضي في شرح مسلم: اختلف الأصوليون من الفقهاء والمتكلمين في لفظة «افعل» إذا جاءت بعد الحظر هل يحمل على الوجوب أو على الإباحة؟ فجمهور محققيهم من القائلين بصيغة الأمر واقتضائه بمجرده الوجوب من أصحابنا، وغيرهم يحملها على الوجوب ههنا

النهي عنه. وقال سفيان الثوري: يستحب أن يصلي بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة، وبعد عيد الأضحى ست ركعات، وقال: هو من السنّة.

يعني في قوله «فكلوا وتصدقوا وادخروا». قال القاضي أبو بكر: لو كنت من القائلين بالصيغة لقلت بأنها إذا أطلقت بعد الحظر تقتضي الوجوب، وذهبت طوائف منهم من فقهاء أصحابنا وغيرهم من المتكلمين أنها تحمل على الإباحة ورفع الحرج وهو مذهب الشافعي، وقال مائلون: إن كان الحظر مؤقتاً فهو على الإباحة، وكان من قال بوجوب الأكل من الأضاحي استروح إلى هذا الأصل، وهذا عندي غير صحيح لأن هذا الحظر معلق بعلة نص عليها الشارع فأبان أن نهيه لسببها، فإذا ارتفعت ارتفع موجبها وبقي الأمر على ما كان عليه قبل من الإباحة. فليس في ذكره له بعد الحظر أمر زائد على ما يوجبه سقوط العلة إلا زيادة بيان كما لو سكت عنه، واقتصر على مجرد ذكر العلة بقوله «إنما نهيتكم من أجل الرأفة» لفهم أن سقوط العلة سقوط النهي وبقاء الأمر على الإباحة، والله أعلم.

السابعة: لا يجوز بيع جلد الأضحية ولا جعله أجرة للجزار وإن كانت تطوّعاً، بل يتصدق به المضحي أو يتخذ منه ما ينتفع بعينه من خف أو نعل أو دلو أو فروة أو يعيره لغيره، ولا يؤجره، وحكى صاحب التقريب قولاً غريباً أنه يجوز بيع الجلد ويصرف ثمنه مصرف الأضحية، فيجب التشريك كالانتفاع باللحم والمشهور الأول.

الثامنة: ذكر لي بعض الطلبة من أصحابنا نقلاً عن فتاوى التترخانية أنه يجوز التضحية بالخيل، فأنكرت عليه ذلك ولم يكن عندي الكتاب المذكور حاضراً فأراجعه، والذي في كتب أصحابنا وأصحاب الشافعي أنه لم يؤثر عن النبي ﷺ التضحية بغير الإبل والبقر والغنم، ثم رأيت الحافظ ابن حجر نقل عن السهيلي انه روى عن أسماء قالت: ضحينا على عهد رسول الله ﷺ بخيل، وعن أبي هريرة أنه ضحى بذلك اهـ.

قلت: ولعله نسخ ذلك، وكيف يجوز التضحية به عندنا، وقد كرهه أبو حنيفة ومحمد بن الحسن والأوزاعي ووافقهم مالك، وروي مثله عن ابن عباس، وأباحه الشافعي وأحمد وأكثر أصحاب الحديث، واستدلوا بحديث مسلم، وأذن في لحوم الخيل والله أعلم.

(وقال سفيان) بن سعيد **(الثوري)** رحمه الله تعالى: **(يستحب أن يصلي بعد عيد الفطر اثنتي عشرة ركعة، وبعد عيد الأضحى ستاً وقال: هو من السنّة)**.

قال العراقي: لم أجد له أصلاً في كونه سنّة. وفي الحديث الصحيح ما يخالفه، وهو «أنه ﷺ لم يصل قبلها ولا بعدها». وقد اختلفوا في قول التابعي في السنّة، كذا والصحيح أنه موقوف فأما قول تابع التابعين كذلك كالثوري فإنه مقطوع اهـ.

قلت: لكن أخرج أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، عن جماعة من السلف أنهم كانوا يصلون بعد العيد أربعاً منهم ابن مسعود، وعلي، وبريدة رضي الله عنهم. وسعيد بن جبير،

....

وإبراهيم، وعلقمة والأسود، ومجاهد، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، والحسن، وابن سيرين. وقد تقدم شيء من ذلك عنهم.

فصل

في ذكر مسائل منثورة تتعلق بالعيدين في شرح الرافعي وغيره:

الأولى: يستحب رفع اليدين في التكبيرات الزوائد، ويضع اليمنى على اليسرى بين كل تكبيرتين، وفي العدة ما يشعر بخلاف فيه.

قلت: وقال أصحابنا: لا ترفع الأيدي إلا في فقعس صمعج والعينان للعيدين وهو سنّة يرفع يديه عند كل تكبيرة منهن ويرسلها في اثنائهن ثم يضعها بعد الثالثة وقد تقدم.

وقال البيهقي في السنن باب رفع اليدين في تكبير العيد ذكر فيه حديث ابن عمر في الرفع عند القيام والركوع والرفع منه من طريق بقية عن الزهري عن سالم عن أبيه ولفظه: «ويرفعها في كل تكبيرة يكبرها للركوع» وقد احتج به البيهقي وابن المنذر إلا أن بقية مدلس. وقال ابن حبان: لا يحتج به. وقال أبو مسهر: أحاديث بقية غير نقية فكن منها على تقية، ورواه البيهقي أيضاً من طريق أخرى فيه ابن لهيعة، وابن لهيعة حاله معلوم وتقدم الكلام عليه.

وذكر البيهقي في كتاب المعرفة أن الشافعي رضي الله عنه قاس رفع اليد في تكبير العيدين على رفع رسول الله ﷺ حين افتتح، وحين أراد أن يركع وحين رفع رأسه قال: يعني الشافعي فلما رفع في كل ذكر يذكر الله قائماً أو رافعاً إلى قيام من غير سجود لم يجز إلا أن يقال يرفع المكبر في العيدين عند كل تكبيرة كان قائماً منها.

قلت: الرفع في هذه المواضع الثلاثة مشهور مذكور في الصحيحين وغيرهما من عدة طرق من حديث ابن عمر وغيره، فإذا قاس الشافعي الرفع في تكبير العيدين على الرفع في هذه المواضع الثلاثة كان اللائق بالبيهقي أن يذكر الرفع في هذه المواضع الثلاثة من طريق جيدة، ولا يقتصر في هذا الباب على هذه الطريق التي فيها بقية وابن لهيعة، وأظنه إنما عدل إليها لما فيها من قوله: «ويرفعهم في كل تكبيرة يكبرها قبل الركوع» لدخول تكبيرات العيدين في هذا العموم. وهذه العبارة لم تجيء فيما علمنا إلا في هذه الطريق، وجميع من روى هذا الحديث من غير هذه الطريق لم يذكروا هذه العبارة، وإنما لفظهم: «وإذا أراد أن يركع رفعها» أو نحو هذا من العبارة. وهذا اللفظ الذي وقع في هذا الباب من طريق بقية يحتمل وجهين. أحدهما: إرادة العموم في كل تكبيرة تقع قبل الركوع وتندرج في ذلك تكبيرات العيدين، والظاهر أن البيهقي فهم هذا في هذا الباب، والثاني إرادة العموم في تكبيرات الركوع لا غير، وأنه كان يرفع في جميع تكبيرات الركوع كما هو المفهوم من ألفاظ بقية الرواة، والظاهر أن هذا هو الذي فهمه البيهقي أولاً، فقال قبل هذا: باب السنة في رفع اليدين كلما كبر للركوع وذكر حديث بقية هذا، فعلى هذا لا

تندرج فيه تكبيرات العيدين، فإن أريد الوجه الأول وهو العموم الذي تندرج فيه تكبيرات العيدين فعلى البيهقي فيه أمران. أحدهما: الاحتجاج بمن هو غير حجة لو انفرد ولم يخالف الناس، فكيف إذا خالفهم، والثاني: أنه إذا احتج به ودخلت تكبيرات العيدين في عمومه لا حاجة إلى هذا القيام الذي حكاه عن الشافعي، وإن أريد الوجه الثاني وهو العموم في تكبيرات الركوع لا غير لم تندرج فيه تكبيرات العيدين فصح القياس، لكن وقع الخطأ من الراوي حيث أراد تكبيرات الركوع لا غير فأتى بعبارة تعم تكبيرات الركوع وغيرها، والظاهر أن الوهم في ذلك من بقية. والله أعلم.

الثانية: قال الرافعي: ولو شك في عدد التكبيرات أخذ بالأقل ولو كبر ثمان تكبيرات وشك هل نوى التحرم بواحدة منها فعليه استئناف الصلاة: ولو شك في التكبيرة التي نوى التحرم بها جعلها الأخيرة وأعاد الزوائد، ولو صلى خلف من يكبر ثلاثاً أو ستاً تابعه ولا يزيد عليه في الأظهر ولو ترك الزوائد لم يسجد للسهو اهـ.

وقال أصحابنا: إن قدم التكبيرات في الركعة الثانية على القراءة جاز، لأن الخلاف في الأولوية. وكذا لو كبر الإمام زائداً عن الثلاثة يتابعه المقتدي إلى ست عشرة تكبيرة فإن زاد لا يلزمه متابعته لأنه بعدها محظور بيقين لمجاوزته ما وردت به الآثار.

الثالثة: قال الرافعي: لو نسي التكبيرات الزوائد في ركعة فتذكر في الركوع أو بعده مضى في صلاته ولم يكبر فإن عاد إلى القيام ليكبر بطلت صلاته، فلو تذكرها قبل الركوع وبعد القراءة فقولان الجديد الأظهر لا يكبر لفوات محله، والقديم يكبر لبقاء القيام، وعلى القديم لو تذكر في أثناء الفاتحة قطعها وكبر ثم استأنف القراءة، وإذا تدارك التكبير بعد الفاتحة استحب استئنافها، وفيه وجه ضعيف أنه يجب. ولو أدرك الإمام في أثناء القراءة وقد كبر بعض التكبيرات، فعلى الجديد لا يكبر ما فاته، وعلى القديم يكبر، ولو أدركه راكعاً ركع معه ولا يكبر بالاتفاق، ولو أدركه في الركعة الثانية كبر معه خمساً على الجديد، فإذا قام إلى ثانيته كبر أيضاً خمساً اهـ.

وقال أصحابنا: المسبوق يكبر فيما فاته على قول أبي حنيفة، واذا سبق بركعة يبتدىء في قضائها بالقراءة ثم يكبر لأنه لو بدأ بالتكبير والى بين التكبيرات ولم يقل به أحد من الصحابة، فيوافق رأي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان أولى وهو تخصيص لقولهم المسبوق يقضي أول صلاته في حق الأذكار، وإن أدرك الإمام راكعاً أحرم قائماً وكبر تكبيرات الزوائد قائماً أيضاً إن أمن فوت الركعة بمشاركة الإمام في الركوع وإلا يكبر للإحرام قائماً ثم يركع مشاركاً للإمام في الركوع، ويكبر للزوائد منحنياً بلا رفع يد لأن الفائت من الذكر يقضى قبل فراغ الإمام بخلاف الفعل، والرفع حينئذ سنة في غير محله، ويفوت السنة التي في محلها وهي وضع اليدين على الركبتين، وإن رفع الإمام رأسه سقط عن المقتدي ما بقي من التكبيرات لأنه إن أتى

به في الركوع لزم ترك المتابعة المفروضة للواجب، وإن أدركه بعد رفع رأسه قائماً لا يأتي بالتكبير لأنه يقضي الركعة مع تكبيراتها. كذا في فتح القدير لابن الهمام، والله أعلم.

الرابعة: قال الرافعي: ويستحب استحباباً متأكداً إحياء ليلة العيد بالعبادة. قال النووي: وتحصل فضيلة الإحياء بمعظم الليل، وقيل: تحصل بساعة. وقد نقل الشافعي رضي الله عنه في الأم عن جماعة من خيار أهل المدينة ما يؤيده، ونقل القاضي حسين عن ابن عباس أن إحياء ليلة العيد أن تصلي العشاء في جماعة، ويعزم أن يصلي الصبح في جماعة والمختار ما قدمته. قال الشافعي رحمه الله تعالى: وبلغنا أن الدعاء يستجاب في خمس ليال. ليلة الجمعة، والعيدين، وأول رجب، ونصف شعبان قال الشافعي: واستحب كل ما حكيت في هذه الليالي، والله أعلم اهـ.

قلت: وقد وردت أحاديث تدل على ما ذكره، فأخرج الطبراني في الكبير من حديث عبادة ابن الصامت« من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب ».

وأخرج الحسن بن سفيان، عن ابن كردوس، عن أبيه « من أحيا ليلتي العيد وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب ».

وأخرج الديلمي، وابن عساكر وابن النجار من حديث معاذ من « أحيا الليالي الأربع وجبت له الجنة. ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر ». هذه الأحاديث الثلاثة هكذا أوردها الحافظ السيوطي في الجامعين، وفي كل منها كلام.

أما حديث عبادة بن الصامت، فأخرجه الحسن بن سفيان أيضاً، وفي سنده بشر بن رافع متهم بالوضع وفي سند الطبراني عمر بن هارون البلخي ضعيف قال الحافظ ابن حجر: وقد خولف في صحابيه وفي رفعه.

وأخرجه ابن ماجه من حديث بقية عن أبي أمامة بلفظ: « من قام ليلتي العيد لله محتسباً لم يمت قلبه حين تموت القلوب ». وبقية صدوق ولكنه كثير التدليس، وقد رواه بالعنعنة. ورواه ابن شاهين بسند فيه ضعيف ومجهول.

أما حديث معاذ فقال الحافظ في تخريج الأذكار: هو غريب، وعبد الرحيم بن زيد العمي روايه متروك اهـ.

وسبقه ابن الجوزي فقال: حديث لا يصح، وعبد الرحيم قال يحيى: كذاب، وقال النسائي: متروك. وقد استدل النووي في الأذكار باستحباب الاحياء بحديث عبادة قال: فإنه وإن كان ضعيفاً لكن أحاديث الفضائل يسامح فيها، والله أعلم.

الخامسة: قال الرافعي: السنة لقاصد العيد المشي فإن ضعف لكبر أو مرض فله الركوب وللقادر الركوب في الرجوع اهـ.

....

قلت: وقد روي: «أنه ﷺ كان يخرج للعيد ماشياً». وروي مثله عن علي «وأن راحلته كانت تقاد إلى جنبه». وقال بعض أصحابنا: الأفضل للمشايخ الركوب وللشباب المشي.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن جعفر بن برقان. قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: من استطاع منكم أن يأتي العيد ماشياً فليفعل. وعن الحرث عن علي قال: من السنة أن يأتي العيد ماشياً وعن عمر بن الخطاب أنه خرج في يوم فطر أو أضحى في ثوب قطن متلبباً به يمشي. وعن إبراهيم أنه كره الركوب إلى العيدين والجمعة، ولكن روي عن الحسن البصري أنه كان يأتي العيد راكباً، وأما ما اشتهر من «أنه ﷺ لم يركب في عيد ولا جنازة» فلا أصل له. نبه عليه الحافظ ابن حجر في تخريج الرافعي.

السادسة: قال الرافعي: يستحب في عيد الفطر أن يأكل شيئاً قبل خروجه إلى الصلاة، ولا يأكل في الأضحى حتى يرجع. قال النووي: ويستحب أن يكون المأكول تمراً إن أمكن ويكون وتراً والله أعلم.

قلت: وهذا قد أخرجه البخاري من حديث أنس رفعه: «كان لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ويأكلهن وتراً».

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن أنس رفعه: «كان يفطر يوم الفطر على تمرات ثم يغدو». وعن الحرث عن علي قال: «أطعم يوم الفطر قبل أن تخرج إلى المصلى». وعن ابن عباس قال: إن من السنة أن لا تخرج يوم الفطر حتى تطعم، وعن أبي حسين قال: غدوت مع معاوية بن سويد بن مقرن يوم فطر فقلت له يا أبا سويد: هل طعمت شيئاً قبل أن تغدو؟ قال: لعقت لعقة من عسل. وعن ابن علية، عن يحيى بن أبي إسحاق قال: أتيت صفوان بن محرز يوم فطر فقعدت على بابه حتى خرج علي فقال لي كالمعتذر: إنه كان يؤمر في هذا اليوم أن يصيب الرجل من غدائه قبل أن يغدو، وأني أصبت شيئاً فذاك الذي حبسني، وأما الآخر فانه يؤخر غداءه حتى يرجع. وعن ابن علية عن ابن عوف: كان ابن سيرين يؤتى في العيدين بفالوذج فكان يأكل منه قبل أن يغدو، وعن عبدالله بن شداد أنه مر على بقال يوم عيد فأخذ منه قبسة فأكلها، وعن الشعبي قال: إن من السنة أن يطعم يوم الفطر قبل أن يغدو، ويؤخر الطعام يوم النحر. وعن أم الدرداء قالت: كل قبل أن تغدو يوم الفطر ولو تمرة، وعن السائب بن يزيد قال: مضت السنة أن تأكل قبل أن تغدو يوم الفطر، وعن مجاهد مثل ذلك، وعن إبراهيم أنه بلغه أن تميم بن سلمة خرج يوم الفطر ومعه صاحب له فقال لصاحبه: هل طعمت شيئاً؟ قال: لا فمشى تميم إلى بقال فسأله تمرة أو غير ذلك ففعل فأعطاه صاحبه فأكله، فقال إبراهيم ممشاه إلى رجل سأله أشد عليه من تركه الطعام لو تركه، وقد روي عن جماعة من التابعين مثل ذلك، وقد استحبه أصحابنا لذلك.

ومنهم من قيد التأخير يوم الأضحى في حق من يضحي ليأكل من أضحيته أولاً أما في حق غيره فلا، وقد نقل الرخصة في ذلك عن جماعة فاخرج ابن أبي شيبة عن ابن عمر أنه كان يخرج إلى

المصلي يوم العيد ولا يطعم، وعن إبراهيم أنه قال: إن طعم فحسن، وإن لم يطعم فلا بأس، ومن أصحابنا من جعل الطعام قبل الصلاة مكروهاً، وهذا ليس بشيء، والمختار استحبابه ولو لم يأكل لم يأثم، ولكن إن لم يأكل في يومه يعاقب، والله أعلم.

السابعة: قال الرافعي: إذا وافق يوم العيد يوم جمعة وحضر أهل القرى الذين يبلغهم النداء لصلاة العيد، وعلموا انهم لو انصرفوا فاتتهم الجمعة، فلهم أن ينصرفوا ويتركوا الجمعة في هذا اليوم على الصحيح المنصوص في القديم والجديد، وعلى الشاذ عليهم الصبر للجمعة اهـ.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة، عن وهب بن كيسان قال: اجتمع عيدان في عهد ابن الزبير فأخر الخروج ثم خرج فخطب فأطال الخطبة ثم صلى ولم يخرج إلى الجمعة، فعاب ذلك أناس عليه، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: أصاب السنة، فبلغ ابن الزبير فقال: شهدت العيد مع عمر فصنع كما صنعت.

وعن أبي عبيد مولى ابن أزهر قال: شهدت العيد مع عثمان ووافق يوم جمعة فقال: إن هذا يوم اجتمع فيه عيدان للمسلمين فمن كان ههنا من أهل العوالي فقد أذنا له أن ينصرف، ومن أحب أن يمكث فليمكث.

وعن أبي عبد الرحمن قال: اجتمع عيدان على عهد علي فصلى بالناس ثم خطب على راحلته، ثم قال: يا أيها الناس من شهد منكم العبد فقد قضى جمعته إن شاء الله تعالى.

وعن النعمان بن بشير أن النبي ﷺ كان يقرأ في العيدين بسبح اسم ربك الأعلى، وهل أتاك حديث الغاشية وإذا اجتمع العيدان في يوم قرأ بهما فيهما.

وعن أبي رملة قال: شهدت معاوية يسأل زيد بن أرقم هل شهدت مع رسول الله ﷺ عيدين اجتمعا؟ قال: نعم. قال: فكيف صنع؟ قال: صلى العيد ثم رخص في الجمعة قال: «من شاء أن يصلي فليصل».

وعن عطاء بن السائب قال: اجتمع العيدان في يوم فقام الحجاج في العيد الأول فقال: من شاء أن يجمع معنا فليجمع، ومن شاء أن ينصرف فلينصرف ولا حرج فقال أبو البختري، وميسرة: ماله قاتله الله من أين سقط على هذا.

الثامنة: قال أصحابنا: الخطبة شرعت لتعليم الأحكام المتعلقة بالعيدين ففي الفطر يبين أحكام صدقة الفطر ومن تجب عليه ولمن تجب ومم تجب ومقدار الواجب ووقت الوجوب، وفي الأضحى يبين من تجب عليه الأضحية ومم تجب وسن الواجب ووقت ذبحه والذابح وحكم أكله والتصدق والهدية والادخار منه لجواز أن لا يعلمها بعض الحاضرين، إلا أن ابن نجيم قال في البحر ينبغي للخطيب أن يعلمهم تلك الأحكام في الجمعة التي يليها العيد ليأتوا بها في محالها، لأن بعضها يتقدم على الخطبة فلا يفيد ذكرها الآن. قال، قلته تفقهاً ولم أره منقولاً والعلم أمانة اهـ.

قلت: والمتعارف بين الخطباء خلاف ذلك، فإنهم لو كلفوا الآن ببيان تلك الأحكام قبل العيد نسبوهم إلى ما لا ينبغي فالأولى الإبقاء على ما تعارفوه وتوارثوه، والله أعلم.

التاسعة: اجتماع الناس في مكان مخصوص يوم عرفة بكشف الرؤوس ورفع الأصوات بالدعاء وتسميتهم ذلك تعريفاً بدعة تترتب عليه مفاسد عظيمة من اجتماع الرجال والنساء والأحداث، وقد منع عن ذلك السلف فلا ينبغي الإقدام عليه وليس له أصل في السنة والبدعة إذا لم تستلزم سنة فهي ضلالة، وربما نقل بعض أصحابنا عن أبي يوسف ومحمد في غير رواية الأصول أنه لا يكره وهو شاذ، وتعليل بعضهم بأن ابن عباس فعل ذلك بالبصرة غير متجه، فإنه إن صح عنه ذلك فهو محمول على أنه كان لمجرد الدعاء لا للتشبه بأهل الموقف. وقال عطاء الخراساني: إن استطعت أن تخلو بنفسك عشية عرفة فافعل، والله أعلم.

العاشرة: قال أصحابنا: اختلف في قول الرجل لغيره يوم العيد: تقبل الله منا ومنك. روي عن أبي أمامة الباهلي، وواثلة بن الأسقع أنهما كانا يقولان ذلك. قال أحمد بن حنبل: سند حديث أبي أمامة جيد، وروي مثله عن الليث بن سعد، وذكر صاحب القنية هذه المسألة واختلاف العلماء فيها، ولم يذكر الكراهة عن أصحابنا وعن مالك أنه كرهه، وقال: هو من فعل الأعاجم. وعن الأوزاعي أنه بدعة والأظهر أنه لا بأس به لما فيه من الأثر، والله أعلم.

الخاتمة:

في بيان الحديث المسلسل بيوم العيد، أخبرني به شيخنا الفقيه المحدث رضي الدين عبد الخالق ابن أبي بكر بن الزين المزجاجي الحنفي الزبيدي رحمه الله تعالى بقراءتي عليه في يوم عيد الفطر بين الصلاة، والخطبة بمسجد الأشاعرة بمدينة زبيد سنة ١١٦٣ قال:

اخبرنا الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد سعيد الحنفي المكي سماعاً عليه في يوم عيد الفطر بالمسجد الحرام بين الصلاة والخطبة ح.

واخبرني أعلى من ذلك شيخنا الإمام المحدث عمر بن أحمد بن عقيل الحسيني الشافعي المكي قراءة مني عليه بالمسجد الحرام في يوم عيد الفطر بين الصلاة والخطبة قالا: اخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد عبدالله بن سالم بن محمد البصري الشافعي المكي سماعاً عليه في يوم عيد الفطر بالمسجد الحرام قال: أخبرنا الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء البابلي سماعاً عليه بالمسجد الحرام في يوم عيد الفطر قال: أخبرنا الإمام أبو النجا سالم بن محمد السنهوري سماعاً عليه في يوم عيد الفطر بالجامع الأزهر ح.

وأنبأني به أيضاً شيخنا الإمام الناسك جار الله أحمد بن عبد الرحمن الأشبولي رحمه الله تعالى إجازة مشافهة بالمسجد الحرام قال: أخبرنا المسند أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أحمد الفاسي في يوم عيد بالجامع الأزهر، أخبرنا محمد بن عبد الكريم العباسي المدني الخطيب قال: أخبرنا أبو

الضياء علي بن علي الشبراملسي. قال هو والبابلي أيضاً: أخبرنا الشهاب أحمد بن خليل السبكي قال: أخبرنا الشمس محمد بن عبد الرحمن العلقمي سماعاً عليه في يوم عيد بالجامع الأزهر ح.

وقال شيخنا الثاني وشيخ شيخنا الأول، وأخبرنا أيضاً الإمام المسند الحسن بن علي بن يحيى الحنفي المكي، اخبرنا عيسى بن محمد الثعالبي، ومحمد بن سليمان السوسي قالا: اخبرنا النور علي بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري والقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي الحنفي سماعاً عليهما وإجازة منهما في يوم عيد أو بين العيدين قالا: أخبرنا كذلك الشيخان المسندان عمر بن الجاي والبدر حسن الكرخي الحنفيان ح.

وزاد شيخ شيخنا الثالث، وهو محمد بن عبدالله الفاسي فقال: وأخبرنا به أيضاً الإمام المحدث أبو عبدالله محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي قال: أخبرني به جدي الإمام أبو البركات عبد القادر بن علي الفاسي قال: اخبرني به الامام الناسك أحمد بابا السوداني عن والده أبي العباس أحمد أفيت التنكبتي ح.

وزاد البابلي فقال: وأخبرنا أيضاً الفقيه المعمر علي بن يحيى الزيادي قال هو والتنكبتي: أخبرنا المسند الأصيل السيد يوسف بن عبدالله الأرميوني. زاد الزيادي فقال: والمسند يوسف بن زكريا الأنصاري قال الأرميوني، والكرخي، وابن الجاي، والعلقمي أخبرنا الإمام الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي سماعاً عليه فلبعضهم على شرطه وإجازة منه للجميع ح.

وزاد السنهوري فقال: وأخبرنا أيضاً نجم السنة أبو عبدالله محمد بن أحمد بن علي الغيطي أخبرنا الصلاح محمد بن عثمان الديلمي قال: هو ويوسف بن زكريا: أخبرنا الإمام الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي. قال هو والحافظ السيوطي: أخبرنا الإمام الحافظ تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي سماع لكل منهما بالمسجد الحرام في يوم عيد فطر بين الصلاة والخطبة في تاريخين مختلفين. قال السخاوي: بزيادة دار الندوة من المسجد الحرام قال: أخبرنا به الإمام أبو حامد محمد بن عبدالله بن ظهرة المخزومي، والإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن سلامة السلمي سماعاً عليهما تجاه الكعبة في يوم السبت سنة ٨٠٦ في يوم عيد فطر بين الصلاة والخطبة، وعلى الأول أيضاً في يوم عيد الأضحى بمنى سنة ٨٠٨، وقراءة عليه أيضاً مرة أخرى في يوم الأربعاء نهار عيد الفطر سنة ٨٢٣ بين الصلاة والخطبة بالمسجد الحرام قالا: أخبرنا الفقيه الجمال أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالله بن عبد المعطي الأنصاري. قال الأول سماعاً، وقال الآخر بقراءتي عليه في يوم عيد الفطر بين الصلاة والخطبة ح.

قال السخاوي: وأخبرني أعلى من ذلك بدرجة شيخي حافظ العصر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني بقراءتي عليه في يوم عيد أضحى قال: أنباءنا أبو

....

العباس أحمد بن أبي بكر المقدسي إذناً فيما بين العيدين قال هو وابن عبد المعطي، أخبرنا الإمام الحافظ الفخر عثمان بـن محمد بن عثمان التوزري المكي. قال ابن عبد المعطي سماعاً عليه في يوم عيد فطر بعد الصلاة والخطبة سنة ٦٧١. وقال الآخر: إذناً فيما بين العيدين قال: أخبرنا به الفقيه البهاء أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة بـن المسلم ابن بنت الجميزي سماعاً عليه في يوم عيد فطر أو أضحى ح.

قال السخاوي: وأخبرني به أيضاً الإمام أبو محمد عبد الوهاب بن محمد الحنفي قراءة عليه بالقاهرة في يوم عيد أضحى قال هو وابن ظهيرة أيضاً: أخبرنا به الجمال أبو محمد عبدالله بن العلاء بـن الحسن الباجي. قال الأول: مشافهة فيما بين العيدين، وقال ابن ظهيرة سماعاً في عيدي فطر وأضحى. قال: اخبرنا به أبو عبدالله محمد بن النضير بن أمين الدولة الحنفي في يوم عيد أضحى بين الصلاة والخطبة، أخبرنا به أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن رواج كذلك قال هو وابن الجميزي: أخبرنا الإمام الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي قال ابن بنت الجميزي: سماعاً عليه بالإسكندرية في يوم عيد فطر أو أضحى بين الصلاة والخطبة. وقال ابن رواج: بينهما من العيدين. قال: أخبرنا أبو محمد عبدالله بـن علي بن عبدالله الأبنوسي ببغداد في عيدي فطر أو أضحى بين الصلاة والخطبة، والحاجب أبو الحسن علي بن محمد بن العلاف البغدادي بها في يوم عيد فطر بعد الصلاة والخطبة، وأبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد المقري بأصبهان بين العيدين.

قال الأول: أخبرنا القاضي أبوالطيب طاهر بن عبدالله بن طاهر الطبري في عيدي فطر وأضحى بين الصلاة والخطبة، أخبرنا أبو أحمد بن الغطريف الجرجاني بها بينهما من عيد فطر خاصة، حدثنا علي بن محمد بن زاهر الوراق بينهما من عيد أضحى.

وقال الثاني: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن الحمامي المقري في فطر أو أضحى بين الصلاة والخطبة، حدثنا أبو محمد جعفر بن محمد بن أحمد الواسطي المؤدب لفظاً، كذلك حدثني أبو الحسن علي بن أحمد القزويني في المصلى في العيدين بين الصلاة والخطبة.

وقال الثالث: وهو أعلى أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد الحافظ في يوم عيد بين الصلاة والخطبة أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عمران بن موسى الأسناني بين أضحى وفطر ح.

وقال النجم الغيطي: وأخبرنا الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن عمر النشيلي سماعاً من لفظه في يوم الأضحى بين الصلاة والخطبة سنة ٩٢٤. أخبرنا الحفاظ قطب الدين أبو الخير محمد بن عبدالله الخيضري الدمشقي سماعاً عليه في يوم عيد الأضحى سنة ٨٩١ قال: حدثنا الحافظ شمس الدين محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين إملاء من حفظه ولفظه في يوم عيد الأضحى على المنبر بين الصلاة والخطبة سنة ٨٣٦. أخبرنا أبو المعالي عبدالله بن إبراهيم الفرضي بقراءتي عليه بالمزة،

وسمعت منه في يوم عيد فطر أو أضحى قال: اخبرني أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن عبد الحميدي الصالحي قراءة عليه وأنا أسمع في سنة ٧٦٩ ح.

وقال الحافظان السخاوي والسيوطي: وأخبرنا أيضاً المسند أبو عبدالله محمد بن عقيل الحلبي. قال السخاوي مشافهة بحلب، وقال السيوطي: مكاتبة قال: أخبرنا الصلاح أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي وهو آخر من سمع منه على الإطلاق. قال هو وابن عبد الحميد: أخبرنا الفخر أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي الشهير بابن البخاري، أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ، أخبرنا أبو المواهب بن ملوك سماعاً عليه في يوم عيد، وهبة الله بن أحمد الحريري قال ابن ملوك: أخبرنا القاضي أبو الطيب الطبري وتقدم سنده. وقال هبة الله: أخبرنا إبراهيم بن عمر البغدادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله الدقاق، حدثنا أبو الخير أحمد بن الحسين بن أبي خالد الموصلي بعكبرى في يوم عيد فطر أو أضحى بين الصلاة والخطبة، أخبرنا أبو بكر محمد بن سعيد الأشناني الباهلي. قال هو وأحمد بن عمران والقزويني وابن داهر: أخبرنا أبو عبيدالله أحمد بن محمد بن فراس بن الهيثم الخطيب ابن أخت سليمان بن حرب في فطر وأضحى. إلا الثالث فقال: أو أضحى على الشك، ولزم ذلك كذلك إلى آخر السند. كلهم بين الصلاة والخطبة: حدثنا بشر بن عبد الوهاب الأموي مولى بشر بن مروان بدمشق فيهما، كذلك حدثنا وكيع بن الجراح فيهما، كذلك حدثنا سفيان بن سعيد الثوري، كذلك حدثنا ابن جريج، كذلك قال: حدثنا عبدالله بن عباس، كذلك قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ يوم عيد فطر وأضحى، فلما فرغ من الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «أيها الناس قد أصبتم خيراً فمن أحب أن ينصرف فلينصرف ومن أحب أن يقيم حتى يسمع الخطبة فليقم». هكذا اتصل بنا إلى الفراسي من طريق هؤلاء الأربعة.

قال الحافظ السخاوي في الجواهر المكللة: وأخرجه الديلمي في مسنده، عن الحداد أحدهم على الموافقة، بل وقع لي أيضاً من طريق أبي سعيد أحمد بن يعقوب بن أحمد بن إبراهيم الثقفي السراج، والقاضي أبي القاسم عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عبيد الهمذاني، ومحمد ابن أحمد الواسطي، وأبي حفص القصير كلهم عن الفراسي وهو المنفرد به، ولذا تردد الذهبي في الميزان في الواضع له بينه وبين شيخه بشر، وقد رواه سعيد بن حماد أبو عثمان أخو نعيم وسعيد ابن سليمان سعدويه، وعمرو بن رافع، ومحمد بن الصباح، ومحمد بن يحيى بن أيوب، ومحمود بن آدم، ونعيم بن حماد، وهدير، ويوسف بن عيسى كلهم عن الفضل بن موسى السيناني، عن ابن جريج، عن عطاء فقال: عن عبدالله بن السائب المخزومي بدل ابن عباس، وذكر المتن مرفوعاً ولم يسلسلوه.

وقال ابن خزيمة: عقب تخريجه له من حديث نعيم انه غريب غريب لا نعلم أحداً رواه غير الفضل، وكان هذا الحديث عند ابن عمار عنه فلم يحدثنا به بنيسابور حدثه به أهل بغداد على ما أخبرني به بعض العراقيين.

الثانية: صلاة التراويح: وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنّة مؤكدة،

وقال الحاكم عقب تخريجه من حديث يوسف: انه صحيح على شرطهما.

قلت: لكن قال ابن معين: إن ذكر ابن السائب فيه خطأ غلط فيه الفضل، وإنما هو عن عطاء يعني مرسلاً.

وساقه البيهقي كذلك من حديث قبيصة عن سفيان الثوري، عن ابن جريج عن عطاء قال: صلى النبي ﷺ بالناس العيد ثم قال: «من شاء أن يذهب فليذهب ومن شاء أن يقعد فليقعد». وللحديث طرق أخرى مسلسلة من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أشد دهاء من الطريق الاولى، وقد شهد ابن عباس مع النبي ﷺ العيد، ففي صحيح البخاري من طريق عبد الرحمن بن عابس قال: سمعت ابن عباس يقول: خرجت مع النبي ﷺ يوم فطر أو أضحى، ثم خطب، ثم أتى النساء فذكر حديثاً، وقوله: يوم فطر أو أضحى هو شك من الرواي، وقد جاء عن ابن عباس الجزم بأنه يوم عيد الفطر وبالله التوفيق هذا كله كلام الحافظ السخاوي رحمه الله تعالى، وبه نختم الباب.

(الثانية: صلاة التراويح): قال في المصباح: الراحة زوال المشقة والتعب، وأرحت الأجير إراحة أذهبت عنه ما يجد منه تعبه فاستراح به، وقد يقال: أراح في المطاوعة، وأرحنا بالصلاة أي أقمها فيكون فعلها راحة للنفس لأن انتظارها مشقة واسترحنا بفعلها، وصلاة التراويح مشتقة من ذلك لأن الترويحة أربع ركعات فالمصلي يستريح بعدها اهـ.

(وهي عشرون ركعة) بعشر تسليمات، **(وكيفيتها مشهورة)** قال النووي: فلو صلى أربعاً بتسليمة لم يصح ذكره القاضي حسين في الفتاوى، لأنه خلاف المشروع وينوي التراويح أو قيام رمضان، ولا يصح بنية مطلقة بل ينوي ركعتين من التراويح في كل تسليمة اهـ.

وقد روى البيهقي بإسناد صحيح أنهم كانوا يقومون على عهد عمر بعشرين ركعة، وعلى عهد عثمان وعلي بمثله، فصار إجماعاً. وقال ابن الهمام من أصحابنا: كونها عشرين ركعة سنّة الخلفاء الراشدين، والذي فعله النبي ﷺ بالجماعة إحدى عشرة بالوتر، وما روي «أنه ﷺ كان يصلي في رمضان عشرين ركعة سوى الوتر فضعيف» اهـ.

والحكمة في تقديرها بعشرين ركعة عند أصحابنا لتوافق الفرائض العملية والاعتقادية فإنها مع الوتر عشرون ركعة، وتكون السنن شرعت مكملات للواجب فتقع المساواة بين المكمل والمكمل. كذا في مجمع الروايات، وكونها بعشر تسليمات هو المتوارث يسلم على رأس كل ركعتين، فلو صلى أربعاً بتسليمة ولم يقعد في الثانية، فأظهر الروايتين عن أبي حنيفة، وأبي يوسف عدم الفساد وقال أبو الليث: تنوب عن تسليمتين، وقال أبو جعفر الهندواني وأبو بكر محمد بن الفضل: تنوب عن واحدة وهو الصحيح. كذا في الظهيرية والخانية، وفي المجتبى وعليه الفتوى: ولو قعد على رأس الركعتين فالصحيح أنه يجوز عن تسليمتين وهو قول العامة، وفي

....

المحيط: لو صلى التراويح كلها بتسليمة واحدة وقعد على رأس كل ركعتين فالأصح أنه يجوز عن الكل لأنه قد أكمل الصلاة، ولم يخل بشيء من الأركان إلا أنه جمع المتفرق واستدام التحريمة. فكان أولى بالجواز لأنه أشق وأتعب للبدن اهـ.

والصحيح أنه إن تعمد ذلك يكره كما في النصاب وخزانة الفتاوى، وفي البزازية عامة المتأخرين على أنه يجوز عن الكل، لكنه يكره لمخالفته المأثور، والثاني بناه على أن الزيادة على الثمانية بتسليمة يعني في مطلق النافلة ناقص عنده، وعلى الأربع ناقص عندهما، وعلى الست في رواية الجامع عنه، فلا يتأدى الكامل. قلنا: النقصان لا يرجع على الذات ولا إلى السبب فصح الأداء وكره لمخالفة المأثور، وإذا لم يقعد إلا في آخر العشرين قال محمد: لم تجز عن شيء وعليه قضاء ركعتين، وعلى الصحيح عندهما تجوز عن تسليمة أي ركعتين بخلاف ما إذا قعد على رأس كل ركعتين كما في الخلاصة.

(وهي سنة مؤكدة): أما سنيتها فلأنها ثبتت بفعل النبي ﷺ إياها كما سيأتي في حديث عائشة. وأما تأكدها فهو الذي تضافرت عليه الأدلة وصرح به علماء الأمة ولم يرد خلافه في حديث صحيح ولا ضعيف.

وقد ألف قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى فيما يتعلق بتأكد سنية صلاة التراويح ثلاث رسائل: أولاها: ضوء المصابيح في صلاة التراويح وهي في ثمان كراريس، والثانية تقييد التراجيح في تأكيد التراويح كراسة واحدة، والثالث إشراق المصابيح في صلاة التراويح كراسة واحدة، وقد اطلعت على الأخيرتين بخطه، وذكر في أول الثاني ما نصه: سألني بعض الأمراء عن صلاة التراويح هل هي سنة مؤكدة أو غير مؤكدة فاجبته أنها سنة مؤكدة، فنازع في ذلك وانتصر له بعض الفقهاء الشافعية في أنها سنة غير مؤكدة، وبعض الفضلاء المالكية في أنها ليست بسنة على اصطلاح المالكية في الفرق بين السنة والفضيلة والنافلة، وتمسك الشافعي المذكور أيضاً باصطلاح لبعض أصحابنا أن السنة ما داوم عليه النبي ﷺ وحاول بذلك نفي اسم السنة لينتفي التأكيد ظناً منه أن ما ليس بسنّة ليس بمؤكد، فرددنا عليهم في عدة مختصرات، وأظهرنا النقل منصوصاً للشافعي وأصحابه وأبي حنيفة وأصحابه والحنابلة وغيرهم، ومقتضى كلام المالكية وإن كان للمتأخرين منهم اصطلاح خاص خرجوا على مقتضاه بأن التراويح فضيلة، ولكن مع ذلك لم يصرحوا بنفي التأكيد ولا دل كلامهم عليه، ومن المعلوم أن كلا من الفضائل والنوافل على اصطلاحهم درجات بعضه آكد من بعض وكان الأمير الذي أشرنا إليه مصرحاً بالسنية وإنما ينازع في التأكيد، ومن انتدب للكلام من الفقهاء منتصراً له، فأحببت أن أصنف هذا المختصر اقتصر فيه على إثبات التأكيد من غير تعرض للفظ السنة إلى آخر ما قال، وذكر فيها ان معنى التأكيد انها مطلوبة بخصوصها طلباً قوياً بحيث لا يكون فوقها إلا الواجب بل التأكيد مراتب بعضها آكد من بعض، ثم قال: وقد اشتمل هذا الحد على أربعة قيود.

أحدها: قولنا مطلوبة وبه خرج المباح فلا يقال لشيء منه انه مؤكد.

الثاني: قولنا بخصوصها وبه خرج النفل المطلق فإن الإكثار من الصلاة في أي وقت كان من غير أوقات الكراهة قربة وطاعة ومطلوب، فمن أتى بركعتين من ذلك مثلاً فهي مطلوبة بعمومها لكونها فرداً من الصلاة التي هي خير موضوع وجنسها مطلوب وليست مطلوبة بخصوصها لأن الفرض أنها مما لم يرد في عينها عن الشارع شيء.

الثالث: قولنا طلباً قوياً وبه تخرج الركعتان الزائدتان قبل الظهر والأربع قبل العصر، لأن الأصح انها غير مؤكدة وإن كانت مندوبة، ولا شك أنها لها خصوصية زائدة على النفل المطلق إذ ورد فيها بخصوصها أن النبي ﷺ فعلها. ولكن لعدم المداومة عليها أو عدم ثبوت المداومة لم تلحق بالركعتين الأوليين قبل الظهر، واحتمل أن تكون فعلت على وجه التنفل وإن كان هذا الإحتمال مرجوحاً بالنسبة إلى ما دل الفعل عليه من الطلب الخاص، فلذلك قلنا أنها غير مؤكدة وهي مطلوبة بخصوصها فهي مرتبة بين النفل المطلق وبين المؤكد.

الرابع: دون طلب الواجب قيد لا بد منه ليخرج الواجب فإنه مطلوب بخصوصه طلباً قوياً، ودخل في الحد كل ما دل الدليل على طلبه بخصوصه طلباً قوياً دون الإيجاب سواء كان الدليل قولاً أم فعلاً، وسواء كان القول طلباً صريحاً أم غيره مما يدل على الطلب، فيدخل في ذلك الوتر وركعتا الفجر والعيد والكسوف والاستسقاء وبعض السنن التابعة للفرائض والتراويح والضحى والتهجد، ثم قال: فإذا أردنا أن نعلم هل العبادة مؤكدة أو لا؟ ننظر في ثلاثة أشياء في الأدلة الواردة فيها وفي صفتها في نفسها، وفي الذي يترتب عليها، وبذلك يعلم هل هي مؤكدة أو لا.

أما الأدلة فيعرف التأكيد فيها من جهات.

إحداها: تكرر الأدلة بطلبها فإن ذلك يدل على الاهتمام والاعتناء.

الثانية: كثرة الأدلة إما في الكتاب وإما في السنة وإما فيهما، وإما إجماع فإن الناصب للأدلة هو الله تعالى، فإذا نصب على طلب الشيء أدلة متعددة قولية أو فعلية أو بعضها قول وبعضها فعل من معصوم، كفعله ﷺ أو فعل جميع الأمة كان ذلك دليلاً على قوة طلب ذلك الشيء.

الثالثة: هيئة الطلب أيضاً بما ينضم إليها قد تدل على التأكيد، وأما صفتها في نفسها فبالنظر إلى موقعها في الدين، ويعرف ذلك بما يدل على اهتمام الشارع بها، وإن لم يكن طلباً كإقامتها في جماعة، وجعلها شعاراً ظاهراً وكالخطبة لها كل واحد من هذا يدل على التأكيد، وقد اجتمع ذلك كله في العيد والكسوف والاستسقاء ووجد بعضه في التراويح مع ما فيها من الزيادة بكونها صلاة ليل، وصلاة الليل أفضل الصلاة بعد المكتوبة، وما فيها من إحياء رمضان وطلب ليلة القدر وقراءة القرآن واستماعه.

وأما الذي يترتب عليها من الأجر فقد يقال: إن كل ما كان أكثر أجراً وأجزل ثواباً كان

آكد من غيره، ولا شك أن الأكثر أجراً أفضل مما دونه، ولكن شرط التأكيد أن يكون مطلوباً بخصوصه كما قدمناه، فإنه قد وردت أشياء وعد الشارع عليها ثواباً جزيلاً ولا يظهر لنا إطلاق التأكيد عليها إذا لم يحصل طلب قوي بخصوصها إما رفقاً بالمكلف، فإن التأكيد فيه حث وحض، وقد يحمله ذلك على عدم الإخلال به فيجحف به، فاكتفى الشارع بذكر ثوابه عن التأكيد فيه لينشط له من يسره الله عليه ويأتي به في جملة أفعال الخير، كما ورد في تسبيحات وأذكار وركعتين لا يحدث فيهما نفسه، وغير ذلك مما لم يرد فيه طلب حثيث، فإذا علمت ذلك ظهر لك أن التراويح من قبل المؤكدات لما اجتمع فيها من ذلك، ولا يمكن أحداً أن يقول: إن التراويح ليست مطلوبة بخصوصها، وإنما هي مطلوبة في جنس النوافل. إذ لو كانت كذلك لكان الاجتماع لها بدعة مذمومة كما في الصلاة ليلة النصف من شعبان، وليلة أول جمعة من رجب.

وقد أجمع المسلمون على أن التراويح ليست كذلك فثبت القول بطلبها بخصوصها وانضم إلى ذلك كثرة الأدلة على ذلم وكثرة ما فيها من الأجر وعظم موقعها من الدين، وذلك إمارة التأكيد هذا حاصل ما ذكره في الرسالة المذكورة.

وذكر في إشراق المصابيح أقوال الأئمة من المذاهب المتبوعة الدالة على أنها سنة مؤكدة فقال: أما الشافعية فنص الشافعي رضي الله عنه في مختصر البويطي قال: والوتر سنة، وركعتا الفجر سنة، والعيدان والكسوف، والاستسقاء سنة مؤكدة وقد روي أن رسول الله ﷺ: « كان يصلي ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد الظهر وركعتين بعد المغرب وركعتين بعد الفجر ». قال: والكسوف والاستسقاء والعيدان أوكد وقيام رمضان في معناها في التأكيد وقال أبو علي الطبري في الإفصاح، وقيام رمضان سنة مؤكدة، وقال أبو علي البندنيجي في الذخيرة فأما قيام رمضان فهو سنة مؤكدة، وقال في تعليقه: إنها سنة النبي ﷺ، وقرر إجماع الصحابة عليها ورد على من زعم أن عمر الذي سنه.

وقال الحليمي: دلت صلاته بهم جماعة يعني النبي ﷺ على أن القيام في شهر رمضان يتأكد حتى يداني الفرائض. وقال ابن التلمساني في شرح التنبيه: قيام رمضان سنة مؤكدة، وفي نهاية الاختصار المنسوب للنووي: ويؤكد التهجد والضحى والتراويح. وقال القاضي أبو الطيب: الذي سنت له الجماعة آكد مما لم تسن له الجماعة وعد التراويح مما سن له الجماعة وقريب من ذلك كلام صاحب التنبيه.

وأما الحنفية فإن لأبي حنيفة رضي الله عنه في ذلك ثلاث عبارات.

الأولى: ذكرها صاحب شرح المختار قال: روى أسد بن عمرو، عن أبي يوسف قال: سألت أبا حنيفة رحمه الله عن التراويح وما فعله عمر رضي الله عنه؟ فقال: التراويح سنة مؤكدة ولم يخرجه عمر من تلقاء نفسه، ولم يكن فيه مبتدعاً ولم يأمر به إلا عن أصل لديه وعهد من لدن رسول الله ﷺ، ولقد سنّ عمر هذا وجمع الناس على أبي بن كعب فصلاها جماعة والصحابة

وإن كانت دون العيدين، واختلفوا في أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد؟ وقد خرج

متوافرون منهم: عثمان وعلي، وابن مسعود، والعباس، وابنه، وطلحة والزبير، ومعاذ وأبي وغيرهم من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين، وما رد عليه واحد منهم بل ساعدوه ووافقوه وأمروا بذلك.

الثانية: ذكرها الحسام الشهيد عن الحسن، عن أبي حنيفة أنه قال: القيام في شهر رمضان سنة لا ينبغي تركها.

الثالثة: في المبسوط لشمس الأئمة السرخسي رواية الحسن عن أبي حنيفة أن التراويح لا يجوز تركها.

وأما أصحاب مذهبه، فقال العتابي في جوامع الفقه: وأما السنن منها التراويح وإنها سنة مؤكدة وقال صاحب المختار: التراويح سنة مؤكدة، وقال صاحب المبسوط أجمعت الأمة على مشروعيتها ولم ينكرها أحد من أهل القبلة، وأنكرها الروافض وقال الكرماني: عندنا هي سنة رسول الله ﷺ، وقال صاحب القنية. لو أن أهل بلد تركوا التراويح قاتلهم الإمام، وفي منية المفتي لو ترك الناس إقامتها في المسجد وصلى كل في بيته فقد أساؤا. وقال الطحاوي قيام رمضان واجب على الكفاية لأنهم قد أجمعوا انه لا يجوز للناس تعطيل المساجد عن قيام رمضان.

وأما المالكية فإن إمامهم مالكاً رضي الله عنه استشاره أمير المدينة في أن ينقصها عن العدد الذي كان أهلها يصلونه وهو تسع وثلاثون، فنهاه مالك رحمه الله تعالى. وقال ابن عبد البر: قيام رمضان سنة من سنن النبي ﷺ مندوب إليها مرغوب فيها ولم يسن منها عمر بن الخطاب إذ أحياها إلا ما كان رسول الله ﷺ يحبه ويرضاه، وكان علي يستحسن ما فعل عمر في ذلك ويفضله ويقول: نور شهر الصوم.

وأما الحنابلة، فقال الموفق بن قدامة في المغني: صلاة التراويح سنة مؤكدة، وأول من سنها رسول الله ﷺ، فهذه أقوال العلماء من المذاهب الأربعة في كونها سنة مؤكدة.

ثم قال المصنف: **(وإن كانت دون العيدين).**

قال الرافعي: أفضل النوافل مطلقاً العيدان ثم الكسوفان، ثم الاستسقاء، وأما التراويح فإن قلنا: لا تسن فيها الجماعة فالرواتب أفضل منها، وإن قلنا تسن فيها فكذلك على الأصح، والثاني التراويح أفضل اهـ.

قلت: ولكن نص الشافعي في مختصر البويطي الذي قدمناه يشعر بأن تأكيد التراويح في معنى تأكيد العيدين فتأمل.

(واختلفوا في أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد)؟ الأول الأصح، وقيل: الأظهر وبه قال الأكثرون قاله النووي في الروضة.

رسول الله ﷺ فيها ليلتين أو ثلاثاً للجماعة ثم لم يخرج وقال: «أخاف أن توجب عليكم». وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث أمن من الوجوب

(وخرج رسول الله ﷺ فيها ليلتين أو ثلاثاً للجماعة ثم لم يخرج وقال: «أخاف أن توجب عليكم») قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة بلفظ: «خشيت أن تفرض عليكم» اهـ.

قلت: لفظ المتفق عليه من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ خرج ليلة في جوف الليل فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: «أما بعد فإنه لم يخف علي مكانكم ولكن خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها» فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك.

وعند البخاري من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ صلى في المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته ناس، ثم صلى من القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: «قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج إليكم إلا أني خشيت أن تفرض عليكم».

وفي مسند أحمد من حديث عائشة: كان الناس يصلون في المسجد في رمضان بالليل أرزأ ما يكون مع الرجل الشيء من القرآن، فيكون معه النفر الخمسة أو السبعة أو أقل أو أكثر يصلون بصلاته. قالت: فأمرني رسول الله ﷺ أن أنصب حصيراً على باب حجرتي ففعلت، فخرج إليهم بعد أن صلى العشاء الآخرة فاجتمع إليه من في المسجد فصلى وذكرت القصة بمعنى ما تقدم من حديثها، أو قريب منه.

ورواه أبو داود قريباً منه وفيه قال يعني النبي ﷺ: «أيها الناس أما والله ما بت ليلتي هذه بحمد الله غافلاً ولا خفي علي مكانكم».

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ فإذا ناس في رمضان يصلون في ناحية المسجد فقال: «ما هؤلاء؟» فقيل: هؤلاء أناس ليس معهم قرآن وأبي بن كعب يصلي وهم يصلون بصلاته. فقال النبي ﷺ: «أصابوا ونعم ما صنعوا». وفي إسناده مسلم بن خالد الزنجي ضعفه المحدثون والشافعي يوثقه.

(وجمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس عليها وحث) أي حض وأكد ورغب **(على الجماعة)** فيها **(حيث)** علم أن علة امتناعه ﷺ منها جماعة خشية الوجوب عليهم شفقة عليهم، وقد **(أمن)** بعد **(من الوجوب)** الذي كان يخشاه ﷺ **(بانقطاع الوحي)** وإكمال

بانقطاع الوحي، فقيل إن الجماعة أفضل لفعل عمر رضي الله عنه، ولأن الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض، ولأنه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع. وقيل: الانفراد أفضل لأن هذه سنّة ليست من الشعائر كالعيدين فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم تشرع فيها جماعة. وقد جرت العادة بأن يدخل المسجد جمع معاً ثم لم يصلوا التحية بالجماعة، ولقوله ﷺ: «فَضْلُ صلاة التطوّع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت». وروي أنه

الدين، (فقيــل) لأجل ذلك: **(ان الجماعة أفضل)**. وقد تقدم عن النووي أنه قول الأكثرين وأفضلية الجماعة لوجوه: أولاً **(لفعل عمر رضي الله عنه)**. وقد قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» وسيدنا عمر منهم بإجماع الأمة، **(ولأن الاجتماع بركة)** أي سبب لها **(وله فضيلة)** زائدة **(بدليل الفرائض)** فإنها تصلى جماعة ووقع الحث على ذلك، **(ولأنه ربما يكسل في الانفراد)** أي يغلب عليه الكسل في إقامتها إذا كان منفرداً **(وينشط عند مشاهدة الجمع)** وهذا مشاهد.

وقد روى البخاري وحده منفرداً عن بقية الستة، عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال: خرجت ليلة مع عمر في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم. قال عمر: نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون يريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أوله. **(وقيل: الانفراد أفضل)** وذلك **(لأن هذه سنة ليست من الشعائر)** الدينية **(كالعيدين وإلحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم تشرع فيها)** أي في كل من صلاة الضحى وتحية المسجد **(جماعة، وقد** جرت **العادة)** واستمرت **(بأن يدخل المسجد)** أحياناً **(جمع معاً)** في وقت واحد، **(ثم لم يصلوا التحية في جماعة)**، وإنما يصلون فرادى، **(ولقوله ﷺ: «فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت»)**.

قال العراقي: رواه آدم بن أبي إياس في كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسلاً ورواه ابن أبي شيبة في المصنف فجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي ﷺ موقوفاً. وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت «صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة» اهـ.

قلت: ولفظ أبي يعلى في مسنده: «صلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة».

ﷺ قال: « صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي، وأفضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يعلمها إلا الله عز وجل». وهذا لأن الرياء

وروى الدارقطني في الافراد من حديث أنس وجابر: « صلوا في بيوتكم ولا تتركوا النوافل فيها ».

وروى الطبراني في الكبير من حديث صهيب بن النعمان « فضل صلاة الرجل في بيته على صلاته حيث يراه الناس كفضل المكتوبة على النافلة » وفي رواية « فضل صلاة التطوع ».

ورواه أبو الشيخ في الثواب بلفظ: « صلاة التطوع حيث لا يراه من الناس أحد مثل خمسة وعشرين صلاة حيث يراه الناس » قال الذهبي في التجريد: صهيب بن النعمان له حديث رواه عنه هلال بن يساف في الطبراني تفرد به قيس بن الربيع اهـ.

وقال الهيثمي: فيه محمد بن مصعب القرقساني ضعفه ابن معين وغيره ووثقة أحمد.

وعند ابن السكن عن ضمرة بن حبيب عن أبيه بلفظ: « فضل صلاة الجماعة على صلاة الرجل وحده خمس وعشرون درجة، وفضل صلاة التطوع في البيت على فعلها في المسجد كفضل صلاة الجماعة على المنفرد ».

قلت: وضمرة بن حبيب الزبيدي الحمصي عن عوف وشداد بن أوس وأبي أمامة وعنه ارطأة بن المنذر ومعاوية بن صالح وطائفة وثقه ابن معين. روى له الأربعة أصحاب السنن، وقوله عن أبيه هكذا هو في نسخ الجامع الصغير للسيوطي، وقال في الجامع الكبير: رواه ابن عساكر عن عبد العزيز بن ضمرة بن حبيب عن أبيه عن جده.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن ضمرة بن حبيب، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: « تطوع الرجل في بيته يزيد على تطوعه عند الناس كفضل صلاة الرجل في جماعة على صلاته وحده ».

(وروي أنه ﷺ قال: « صلاة في مسجدي هذا) يعني مسجد المدينة **(أفضل من مائة في غيره من المساجد، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته)** أي ناحية منه **(ركعتين لا يعلم بهما إلا الله عز وجل »)**.

قال العراقي: أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب الثواب من حديث أنس « صلاة في مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة، والصلوات بأرض الرباط تعدل بالفي صلاة، وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليها العبد في جوف الليل لا يريد بهما إلا ما عند الله عز وجل ». وإسناده ضعيف.

وذكر أبو الوليد الصفار في كتاب الصلاة تعليقاً من حديث الأوزاعي قال: دخلت على يحيى

والتصنع ربما يتطرق إليه في الجمع ويأمن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه. والمختار أن الجماعة أفضل كما رآه عمر رضي الله عنه. فإن بعض النوافل قد شرعت فيها الجماعة

فأسند لي حديثاً فذكر الحديث الذي ذكره المصنف إلا أنه قال في الأول ألف، وفي الثاني مائة اهـ.

قلت: أما صدر الحديث الذي أورده المصنف رواه أبو يعلى والطحاوي وابن حبان والضياء من حديث أبي سعيد: «صلاة في هذا المسجد أفضل من مائة صلاة في غيره إلا المسجد الحرام» وأما حديث «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام». فأخرجه أحمد، وابن أبي شيبة، وابن منيع، والروياني، وابن خزيمة، وأبو نعيم، عن جبير بن مطعم. ورواه الأولان أيضاً. وأبو مسلم، وأبو داود، والنسائي عن ابن عمر، ورواه أحمد والبخاري، ومسلم والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان عن أبي هريرة ورواه ابن أبي شيبة، ومسلم، والنسائي عن ابن عباس عن ميمونة أم المؤمنين ورواه أحمد، وأبو يعلى، والضياء عن سعد بن أبي وقاص، ورواه الشيرازي في الألقاب عن عبد الرحمن بن عوف ورواه ابن أبي شيبة عن عائشة. ورواه أحمد وأبو عوانة والطبراني والحاكم والباوردي وابن قانع والضياء عن يحيى بن عمران بن عثمان بن أرقم الأرقمي عن عمه عبدالله بن عثمان عن جده عثمان بن أرقم عن الأرقم.

ومما يناسب لما أورده المصنف ما رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن حفص بن غياث، عن عاصم عن أبي عثمان قال: اشترى رجل حائطاً في المدينة فربح فيه مائة نخلة كاملة، فقال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من هذا رجل توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين في غار أو سفح جبل أفضل ربحاً من هذا».

(**وهذا لأن الرياء والتصنع ربما يتطرق إليه في الجمع**) حيث يرونه (**ويأمنه في الوحدة**) إذ ليس عنده أحد يتصنع له أو يرائيه، (**فهذا ما قيل فيه**) أي في الانفراد، وبه قال مالك وأبو يوسف، وحكاه ابن عبد البر عن الشافعي، وروى ابن أبي شيبة في مصنفه، عن ابن عمر وابنيه سالم والقاسم بن محمد وعلقمة وإبراهيم النخعي والحسن البصري.

(**والمختار أن الجماعة أفضل**) وهو الأظهر والأصح في المذهب كما تقدم، وبه قال أبو حنيفة، وأحمد وبعض المالكية وروى ابن أبي شيبة فعله، عن علي، وابن مسعود وأبي بن كعب، وسويد بن غفلة، وزاذان وأبي البختري، واستمر عليه عمل الصحابة وسائر المسلمين، وصار من الشعائر الظاهر كصلاة العيد. وفي الروضة قال العراقيون والصيدلاني وغيرهم: الخلاف فيمن يحفظ القرآن ولا يخاف الكسل عنها، ولا تختل الجماعة في المسجد بتخلفه فإن فقد بعض هذا فالجماعة أفضل قطعاً وأطلق جماعة ثلاثة أوجه: ثالثها هذا الفرق اهـ.

وقد أشار المصنف إلى هذا بذكر واحد من الثلاثة فقال: (**كما رآه عمر بن الخطاب رضي**

وهذا جدير بأن يكون من الشعائر التي تظهر. وأما الالتفات إلى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد فعدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث أنه جماعة، وكأن قائله يقول: الصلاة خير من تركها بالكسل، والاخلاص خير من الرياء. فلنفرض المسألة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ولا يرائي لو حضر الجمع فأيها أفضل له؟ فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوّة الإخلاص وحضور القلب في الوحدة، فيجوز أن يكون في تفضيل أحدهما على الآخر تردد ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الأخير من رمضان.

الله عنه فإن بعض النوافل قد شرع فيها الجماعة، وهذا جدير بأن يكون من الشعائر التي تظهر، وأما الالتفات إلى الرياء في الجمع والكسل في الانفراد فعدول عن) طريق **(مقصود النظر في فضيلة الجمع من حيث أنه جماعة وكان قائله يقول: الصلاة خير من تركها بالكلية)** كذا في النسخ، وفي بعضها: بالكسل وهو الصواب، **(والإخلاص خير من الرياء فلنفرض المسألة)** ونقدرها **(فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد)** عن الناس. **(ولا يرائي لو حضر الجمع فأيها أفضل. فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الإخلاص وحضور القلب)** بالخشوع **(في)** حال **(الوحدة، فيجوز أن يكون في تفضيل أحدهما على الآخر تردد)** ووجد هنا في بعض النسخ زيادة وهو قوله: **(ومما يستحب القنوت في الوتر في النصف الأخير من رمضان)** وبه قال جمهور الأصحاب، وظاهر نص الشافعي كراهة القنوت في غير هذا النصف، وحكى الزبيري، وأبو الوليد، وابن عبدان، وابن مهران استحبابه في جميع السنة. وحكى الروياني وجهاً في جوازه في جميع السنة بلا كراهة ويسجد للسهو بتركه في غير النصف. وهذا اختيار مشايخ طبرستان واستحسنه، وقد تقدم ذلك ولفظ القنوت هو ما تقدم في قنوت الصبح، وتقدمت الإشارة إليه في باب الوتر، والله أعلم.

فصل

في فوائد منثورة ومسائل تتعلق بالباب:

الأولى: قال أصحابنا: يستحب الجلوس بعد كل أربع ركعات منها بقدرها، وكذا بين الترويحة الخامسة والوتر لأنه المتوارث من السلف، وهكذا روي عن أبي حنيفة، ثم هم مخيرون في حالة الجلوس بين التسبيح والقراءة، وصلاة أربع فرادى والسكوت، وأهل مكة يطوفون أسبوعاً ويصلون ركعتين، وأهل المدينة يصلون أربع ركعات فرادى. ونقل السروجي في شرح الهداية عن خزانة الفقه كراهة الصلاة منفرداً بين كل شفعين، واختار بعض أصحابنا في التسبيحات: سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والعظمة والهيبة والكبرياء والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت. سبوح قدوس رب الملائكة والروح. ثلاث مرات عقب كل ترويحة وعليه

....

العمل في بخارى ونواحيها. واختار بعضهم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ثلاثاً واختار بعضهم قراءة سورة الإخلاص ثلاثاً، واختار بعضهم في أول الأولى ذكر الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد الأولى ذكر أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبعد الثانية ذكر سيدنا عمر رضي الله عنه، وبعد الثالثة ذكر سيدنا عثمان رضي الله عنه، وبعد الرابعة ذكر سيدنا علي رضي الله عنه، وبعد الخامسة الكلمات المؤذنة بالاختتام كل ذلك بألفاظ متنوعة منتظمة مع بعضها، وعلى هذا جرت عادة أهل مصر غالباً، واختار مشايخنا السادة النقشبندية التحلق بعد كل ترويحة للمراقبة بين يدي شيخهم قدر مضي خمس درج أو أكثر، وذلك بعد إتيان التسبيح المذكور ثلاث مرات، ثم يقومون إلى الترويحة الأخرى وهذا أحسن ما رأيناه.

الثانية: يسن ختم القرآن فيها مرة في الشهر على الصحيح، وهو قول الأكثر رواه الحسن عن أبي حنيفة يقرأ الإمام في كل ركعة عشر آيات أو نحوها لأن عدد ركعاتها في جميع الشهر ستمائة ركعة إن كان كاملاً، وخمسمائة وثمانون إن كان ناقصاً، وآي القرآن على ما ذكره المفسرون ستة آلاف وستمائة وستة وستون، فإذا قرأ في كل ركعة عشر آيات وشيئاً يحصل الختم فيها. وقال بعضهم: يقرأ في كل ركعة ثلاثين آية لأن عمر رضي الله عنه أمر بذلك، فيقع الختم ثلاث مرات لأن كل عشر مخصوص بفضيلة على حدة كما جاءت به السنة «أنه شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار» ومنهم من استحب الختم ليلة السابع والعشرين رجاء موافقة ليلة لقدر. وروي عن أبي حنيفة أنه كان يختم إحدى وستين ختمة في كل يوم ختمة، وفي كل ليلة ختمة وفي كل التراويح ختمة وإن مل القوم قرأ قدر ما لا يؤدي إلى تنفيرهم على المختار لأن تكثير القوم أفضل من تطويل القراءة، وأفتى المتأخرون بثلاث آيات قصار أو آية طويلة أو آيتان متوسطتان.

الثالثة: قال أصحابنا: هذه الصلاة لا تقضى أصلاً بفوتها عن وقتها لا منفرداً ولا بجماعة على الأصح، لأن القضاء من خصائص الواجبات وإن قضاها كان نفلاً مستحباً لا تراويح.

الرابعة: قال الرافعي: ويدخل وقت التراويح بالفراغ من صلاة العشاء اهـ.

وقال أصحابنا: ما بعد صلاة العشاء على الصحيح إلى طلوع الفجر، وقال جماعة من أصحابنا: منهم إسماعيل الزاهد أن الليل كله وقت لها قبل العشاء وبعده وقبل الوتر وبعده، لأنه قيام الليل. وقال عامة مشايخ بخارى: وقتها ما بين العشاء والوتر وهو الصحيح، حتى لو تبين فساد العشاء دون الوتر والتراويح أعادوا العشاء، ثم التروايح دون الوتر عند أبي حنيفة لأنها تبع للعشاء فتكون التي فعلها بعد فساد العشاء نافلة مطلقة ليست واقعة عن التراويح، لكونها ليست في محلها فتعاد أي تصلى في موضعها كما في التبيين والهداية والفتح والعناية.

الخامسة: قال أصحابنا: يصح تقديم الوتر على التراويح لأنها تبع للعشاء لا الوتر. وكذا يصح تأخيره عنها وهو الأفضل. فإذا قلنا: بالتأخير فالاستحباب تأخيرها إلى قبيل ثلث الليل أو قبيل

نصفه، واختلفوا في أدائها بعد النصف فقال بعضهم: يكره لأنها تبع للعشاء، فصارت كسنّة العشاء، وقال بعضهم: لا يكره تأخيرها إلى ما بعد نصف الليل على الصحيح لأنها وإن كانت تبعاً للعشاء لكنها صلاة الليل، والأفضل فيها آخره، ولكن الأحب أن لا يؤخرها إليه خشية الفوات.

السادسة: تقدم في الحديث السابق قول سيدنا عمر رضي الله عنه فيها: انها نعم البدعة. وكذا عدّها العز بن عبد السلام في البدع المستحبة قال التقي السبكي: هو باعتبار المعنى اللغوي، فإن البدعة في اللغة هو الشيء الحادث، وأما في الشرع فإذا أطلق إنما يراد الحادث الذي لا أصل له في الشرع، وقد يطلق مقيداً فيقال: بدعة هدى وبدعة ضلالة. فالتراويح على هذا من بدعة الهدي، وكيف يريد عمر خلاف ذلك ويأمر بها معاذ الله أن يأمر ببدعة! وهكذا مراد العز بن عبد السلام، فليس هذا من البدعة المقابلة للسنّة في شيء على أني أقول ان عمر رضي الله عنه لم يشر إلى أصل التراويح، وإنما أشار إلى ذلك الاجتماع الخاص الذي حدث في زمانه بأمره فهو بدعة باعتبار اللغة وبدعة هدي. وأما أصل التراويح؛ فلا يطلق عليها بدعة بشيء من الاعتبارين، ولا في كلام عمر ما يدل على ذلك، وابن عبد السلام إن أراد ما أراده عمر وافقناه عليه، وإلاّ خالفناه فيه متمسكين باطلاق العلماء من المذاهب الأربعة: ان التراويح سنّة النبي ﷺ لا سنّة عمر، والله أعلم.

السابعة: تقدم نقل السبكي عن الطحاوي أنه قال: إن القيام بها جماعة واجب على الكفاية، وهذا فيه نظر. والذي ذكره صاحب الهداية من أصحابنا إنما هو السنّة على الكفاية، وعبارته: والسنة فيها الجماعة لكن على وجه الكفاية حتى لو امتنع أهل المسجد عن إقامتها كانوا مسيئين، ولو أقامها البعض فالمتخلف عن الجماعة تارك الفضيلة لأن أفراد الصحابة رضي الله عنهم روي عنهم التخلف اهـ.

ولكن كلام الليث بن سعد موافق لكلام الطحاوي حيث قال: لو قام الناس في بيوتهم ولم يقم أحد في المسجد لا ينبغي أن يخرجوا إليه حتى يقوموا فيه، فأما إذا كانت الجماعة قد قامت في المسجد فلا بأس أن يقوم الرجل لنفسه ولأهل بيته في بيته اهـ.

الثامنة: نقل الرافعي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: رأيت أهل المدينة يقومون بتسع وثلاثين منها ثلاث للوتر، ثم قال، قال أصحابنا: ليس لغير أهل المدينة ذلك اهـ.

واختاره مالك وقال: إن عليه العمل بالمدينة. وفي مصنف ابن أبي شيبة عن داود بن قيس قال: أدركت الناس بالمدينة في زمن عمر بن عبد العزيز، وأبان بن عثمان يصلون ستاً وثلاثين ركعة، ويوترون بثلاث. وقال بعض أهل العلم: وإنما فعل هذا أهل المدينة لأنهم أرادوا مساواة أهل مكة، فإن أهل مكة كانوا يطوفون سبعاً بين كل ترويحتين، فجعل أهل المدينة مكان كل

أما صلاة رجب: فقد روي بإسناد عن رسول الله ﷺ أنه قال: « ما من أحد

سبع أربع ركعات. قال الحليمي في المنهاج، فمن اقتدى بأهل مكة فقام بعشرين فحسن، ومن اقتدى بأهل المدينة فقام بست وثلاثين فحسن أيضاً لأنهم إنما أرادوا بما صنعوا الاقتداء بأهل مكة في الاستكثار من الفضل لا المنافسة كما ظن بعض الناس قال: ومن اقتصر على عشرين وقرأ فيها بما يقرؤه غيره في ست وثلاثين كان أفضل، لأن طول القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود.

قال الولي العراقي: ولما ولي والدي إمامة مسجد المدينة أحيا سنتهم القديمة في ذلك مع مراعاة ما عليه الأكثر، فكان يصلي التراويح أول الليل بعشرين ركعة على المعتاد، ثم يقوم آخر الليل في المسجد بست عشرة ركعة فيختم في الجماعة في شهر رمضان ختمتين، واستمر على ذلك عمل أهل المدينة بعده فهم عليه إلى الآن اهـ.

وقال ابن قدامة في المغني: لو ثبت أن أهل المدينة كلهم فعلوا لكان ما فعله عمر وأجمع عليه الصحابة في عصره أولى بالاتباع اهـ.

وبالاجماع الذي وقع في زمن عمر أخذ أبو حنيفة، والنووي، والشافعي، وأحمد، والجمهور. واختاره ابن عبد البر، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عمر وعلي وأبيّ بن كعب وشكيل بن شكل وأبي البختري وابن أبي مليكة والحرث الهمداني.

التاسعة: قال الشيخ الأكبر قدس سره في كتاب الشريعة: والحقيقة الصفة التي يقوم بها المصلي في صلاته في رمضان أشرف الصفات لشرف الاسم بشرف الزمان، فأقام الحق قيامه بالليل مقام صيامه بالنهار إلا في الفرضية رحمة بعبيده وتخفيفاً، ولهذا امتنع رسول الله ﷺ أن يقومه بأصحابه لئلا يفترض عليهم فلا يطيقوه، ولو فرض عليهم لم يثابروا عليه هذه المثابرة، ولا استعدوا له هذا الاستعداد، ثم الذين ثابروا عليه في العامة أشأم اداء لا يتمون ركوعه ولا سجوده ولا يذكرون الله فيه إلا قليلاً وما سنه من سنه على ما هم الناس عليه المتميزون من الخطباء والفقهاء وأئمة المساجد، وفي مثل صلاتهم فيه قال النبي ﷺ للرجل « ارجع فصلّ فإنك لم تصل » فمن عزم على قيام رمضان المسنون المرغب فيه فليتم كما شرع الشارع الصلاة من الطمأنينة والوقار والتدبر والتسبيح وإلاّ فتركه أولى، والله أعلم.

(أما صلاة رجب) وهي المسماة بصلاة الرغائب، **(فقد روي بإسناد)** وذلك فيما أخبرناه عمر بن أحمد بن عقيل اجازة، عن عبد الله بن سالم، عن محمد بن العلاء الحافظ، عن علي بن يحي، أخبرنا يوسف بن زكريا، عن أحمد بن محمد بن أبي بكر الواسطي، عن محمد بن محمد الميدومي، عن عبد اللطيف بن عبد المنعم أخبرنا الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي قال في كتاب الموضوعات: أخبرنا علي بن عبيد الله بن الزعفراني، أخبرنا أبو زيد عبد الله بن عبد الملك الأصبهاني، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن منده ح.

يصوم أول خميس من رجب، ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، وإنّا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات، وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة، فإذا فرغ من صلاته صلّى عليَّ سبعين مرة يقول: اللهم صلِّ على محمد النبي الأمي وعلى آله ثم يسجد ويقول في سجوده سبعين مرة: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة: ربّ اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم، ثم يسجد سجدة أخرى ويقول

وأخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، أنبأنا أبو القاسم بن منده، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله ابن جهضم الصوفي، حدثنا علي بن محمد بن سعيد البصري، حدثنا أبي، حدثنا خلف بن عبد الله وهو الصغاني، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، **(عن رسول الله ﷺ أنه قال)**: «رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي. قيل يا رسول الله: ما معنى قولك رجب شهر الله؟ قال: لأنه مخصوص بالمغفرة، وفيه تحقن الدماء، وفيه تاب الله على أنبيائه، وفيه أنقذ أولياءه من يد أعدائه من صامه استوجب على الله ثلاثة أشياء مغفرة لجميع ما سلف من ذنوبه، وعصمة فيما بقي من عمره، وأماناً من العطش يوم العرض الأكبر، فقام شيخ ضعيف فقال يا رسول الله: إني لأعجز عن صيامه كله، فقال رسول الله ﷺ: أول يوم منه فإن الحسنة بعشر أمثالها، وأوسط يوم منه، وآخر يوم منه فإنك تعطى ثواب من صامه كله، لكن لا تغفلوا عن أول ليلة من رجب فإنها ليلة تسميها الملائكة الرغائب، وذلك إذا مضى ثلث الليل لا يبقى ملك مقرب في جميع السموات والأرض إلا ويجتمعون في الكعبة وحواليها فيطلع الله عز وجل عليهم إطلاعة فيقول ملائكتي سلوني ما شئتم. فيقولون: يا ربنا حاجتنا إليك أن تغفر لصوّام رجب، فيقول الله عز وجل: قد فعلت ذلك». ثم قال رسول الله ﷺ «و **(ما من أحد يصوم)** يوم الخميس **(أول خميس من رجب)** وفي نسخة: في رجب **(ثم يصلي)** فيما **(بين العشاء)** أي المغرب، وكانت تسمى العشاء الأولى **(والعتمة)** يعني ليلة الجمعة **(اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، وانا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات، وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة، فإذا فرغ من صلاته صلّى عليَّ سبعين مرة يقول)** هكذا في سائر نسخ الكتاب، وفي كتاب ابن الجوزي والسيوطي: ثم يقول: **(اللهم صلّ على محمد النبي الأمي وعلى آله)** فعلى ما في نسخ الإحياء أن المقول سبعين مرة هو هذه الصيغة، وعلى ما في كتاب الحافظين يصلي سبعين مرة بأي صيغة كانت، يقول هذا، ولكن الذي يظهر أن الصواب ما في نسخ الاحياء، **(ثم يسجد ويقول في)** حال **(سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول)** وفي بعض النسخ: فيقول **(سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم)** وفي نسخة: أنت العلي الأعظم، وفي أخرى: أنت الأعز الأعظم، وفي أخرى: أنت العزيز الأعظم،

فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ثم يسأل حاجته في سجوده فإنها تقضى » قال رسول الله ﷺ : « لا يصلي أحد هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ، وعدد الرمل ، ووزن الجبال ، وورق الأشجار ، ويشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار » . فهذه صلاة مستحبة ، وإنما أوردناها في هذا القسم لأنها تتكرر بتكرر السنين ، وإن كانت رتبتها لا تبلغ رتبة التراويح وصلاة العيد ، لأن هذه الصلاة نقلها الآحاد ، ولكني رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فأحببت إيرادها .

(**ثم يسجد سجدة أخرى**) وفي كتاب ابن الجوزي : ثم يسجد الثانية (**يقول فيها مثل ما قال في السجدة الأولى ثم يسأل**) الله (**حاجته في سجوده**) ، وليس في كتاب ابن الجوزي في سجوده (**فإنها تقضى» قال رسول الله ﷺ**) : « والذي نفسي بيده (**لا يصلي أحد هذه الصلاة**) ولفظ ابن الجوزي بعد قوله : بيده ما من عبد ولا أمة صلّى هذه الصلاة (**إلا غفر الله له جميع ذنوبه ولو**) وفي نسخة : وإن (**كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار**) ، وعند ابن الجوزي : بعدد زبد البحر وعدد ورق الأشجار ، (**ويشفع**) وفي نسخة : وشفع (**في سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار »**) وليس عند ابن الجوزي هذه الزيادة ، وإنما زاد بعد قوله : من أهل بيته فإذا كان في أول ليلة في قبره جاءه ثواب هذه الصلاة فيجيبه بوجه طلق ولسان ذلق فيقول له : حبيبي أبشر فقد نجوت من كل شدة ، فيقول : من أنت فوالله ما رأيت وجهاً أحسن من وجهك ، ولا سمعت كلاماً أحلى من كلامك ، ولا شممت رائحة أطيب من رائحتك . فيقول له : يا حبيبي أنا ثواب الصلاة التي صليتها في ليلة كذا في شهر كذا جئت الليلة لاقضي حقك وأونس وحدتك وأرفع عنك وحشتك ، فإذا نفخ في الصور أظللت في عرصة القيامة على رأسك ، وابشر فلن تعدم الخير من مولاك أبداً » قال ابن الجوزي لفظ الحديث لمحمد بن ناصر .

(**هذه صلاة مستحبة**) استحبها أهل الصلاح ، (**وإنما أوردناها في هذه القسم لأنها تتكرر بتكرر السنين ، وإن كانت لا تبلغ رتبتها رتبة**) صلاة (**التراويح وصلاة العيدين لأن هذه الصلاة نقلها الآحاد**) فرتبتها سافلة بالنسبة إلى ما ثبت من طرق كثيرة ، ثم اعتذر عن إيراده إياها في كتابه مع ما فيها على ما سيأتي بيانه ، فقال : (**ولكني رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها ، فأحببت إيرادها**) .

قال الإمام أبو محمد العز بن عبد السلام ، لم يكن ببيت المقدس قط صلاة الرغائب في رجب ، ولا صلاة نصف شعبان ، فحدث في سنة ٤٤٨ أن قدم عليهم رجل من نابلس يعرف بابن الحي ، وكان حسن التلاوة فقام فصلى في المسجد الأقصى ليلة النصف من شعبان ، فأحرم خلفه رجل ثم انضاف ثالث ورابع فما ختم إلاَّ وهم جماعة كثيرة ، ثم جاء في العام القابل فصلى معه خلق كثير ،

....

وانتشرت في المسجد الأقصى وبيوت الناس ومنازلهم، ثم استقرت كأنها سنّة إلى يومنا هذا اهـ.

قال العراقي: أورده رزين في كتابه وهو حديث موضوع اهـ.

وقال ابن الجوزي: موضوع على رسول الله ﷺ، وقد اتهموا به ابن جهضم ونسبوه إلى الكذب، وسمعت شيخنا عبد الوهاب الحافظ يقول: رجاله مجهولون، وقد فتشت عليهم جميع الكتب فما وجدتهم اهـ.

وأقره الحافظ السيوطي على ما قال في اللآلىء المصنوعة. قال ابن الجوزي: ولقد أبدع من وضعها فإنه يحتاج من يصليها أن يصوم، وربما كان النهار شديد الحر فإذا صام لم يتمكن من الأكل حتى يصلي المغرب، ثم يقف فيها ويقع في ذلك التسبيح الطويل والسجود الطويل فيتأذى غاية الأذى وإني لأغار لرمضان ولصلاة التراويح كيف زوحم بهذه، بل هذه عند العوام أعظم وأحلى، فإنه يحضرها من لا يحضر الجماعات اهـ.

وممن حكم بوضعها الإمام سراج الدين أبو بكر الطرطوشي من أئمة المالكية، والعز بن عبد السلام، وفتوى الأخير فيها ومعارضته لابن الصلاح، وأمر سلطان دمشق بمنع الناس عنها جماعة مشهور. ولفظ الطرطوشي صلاة الرغائب موضوعة على رسول الله ﷺ وكذب عليه، وكذا حكم بوضعها الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه العلم المشهور في الأيام والشهور، وكذا الامام النووي فقال: هذه الصلاة بدعة مذمومة منكرة قبيحة ولا تغتر بذكرها في كتاب قوت القلوب والإحياء، وليس لأحد أن يستدل على شرعيتها بما روي عنه ﷺ أنه قال «الصلاة خير موضوع» فإن ذلك يختص بصلاة لا تخالف الشرع بوجوه، وقد صح النهي عن الصلاة في الأوقات المكروهة اهـ.

واقتفاهم في ذلك العلامة البرهان الحلبي شارح المنية من أصحابنا المتأخرين، فنقل أن التنفل بالجماعة إذا كان على سبيل التداعي مكروه ما عدا التراويح والكسوفين والاستسقاء، ورتب على ذلك أن صلاة الرغائب ليلة أول جمعة من رجب بالجماعة بدعة مكروهة. ونقل عن حافظ الدين البزازي شرعاً في نفل وأفسداه، واقتدى أحدهما بالآخر في القضاء لا يجوز لاختلاف السبب، وكذا اقتداء الناذر بالناذر لا يجوز، ومن هذا كره الاقتداء في صلاة الرغائب، وصلاة البراءة وليلة القدر. ولو بعد النذر إلا إذا قال: نذرت كذا ركعة بهذا الامام بالجماعة لعدم إمكان الخروج عن العهدة إلا بالجماعة، لا ينبغي أن يتكلف الالتزام ما لم يكن في الصدر الأول كل هذا التكليف لإقامة أمر مكروه، وهو اداء النفل بالجماعة على سبيل التداعي، فلو ترك أمثال هذه الصلوات تارك ليعلم الناس أنه ليس من الشعائر فحسن اهـ.

ثم نقل عن ابن الجوزي، والطرطوشي ما أسلفنا ذكره، ثم قال: وقد ذكروا لكراهتها وجوهاً منها: فعلها بالجماعة وهي نافلة ولم يرد به الشرع، ومنها تخصيص سورة الإخلاص والقدر، ولم يرد به الشرع. ومنها تخصيص ليلة الجمعة دون غيرها، وقد ورد النهي عن تخصيص

ليلة يوم الجمعة دون غيرها، وقد ورد النهي عن تخصيص يوم بصيام وليلته بقيام. ومنها: أن العامة يعتقدونها فرضاً وكثير منهم يتركون الفرائض ولا يتركونها وهي المصيبة العظمى. ومنها أن فعلها يغري قاصد وضع الأحاديث بالوضع والافتراء على النبي ﷺ. ومنها: أن الاشتغال بعد السور مما يخل بالخشوع وهو مخالف للسنة. ومنها: أن في صلاة الرغائب مخالفة للسنّة في تعجيل الفطر، ومنها أن سجدتيها مكروهتان إذ لم يشرع التقرب بسجدة منفردة بلا ركوع غير سجدة التلاوة عند أبي حنيفة ومالك وعند غيرهما غيرها وغير سجدة الشكر، ومنها أن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الائمة المجتهدين لم ينقل عنهم فعل هذه الصلاة، فلو كانت مشروعة لما فاتت السلف، وإنما حدثت بعد الأربعمائة اهـ.

وهو كلام حسن وإن كان في بعض ما أورده من الوجوه محل نظر وتأمل، ففي أداء النفل جماعة اختلاف في المذهب وقد سبق النسفي البزازي بالجواز وتخصيص بعض السور في بعض صلوات معينة قد ورد به الشرع، ومن طالع كتب الحديث عرف ذلك، وكذا تخصيص بعض الليالي بالقيام وبعض الأيام بالصيام ورد به الشرع وإن قلنا بالكراهة فهي تنزيهية كما صرح به العلماء وكون أن العامة يعتقدونها فرضاً لازماً لا يتجه به الكراهة، فإنهم إذا فهموا من ذلك خلاف ما يفهمه الخاصة كان ذلك لتقصيرهم وسوء فهمهم، فطريقهم أن يسألوا ويتفهموا ما علينا من العامة إذا غلطوا في فهمهم، ولو جئنا ننظر إلى هذا لغيرنا أوضاعاً شرعية كثيراً، وكون أن فعلها يغري واضع الأحاديث على وضعها، فهذا قد قفل بابه من بعد الثلاثمائة، فلا تكون هذه الملاحظة وجهاً لكراهتها، وكون أن الاشتغال بعد السور مما يخل بالخشوع ففيه خلاف، والأشهر جوازه في النوافل، وما ذكر أن تعجيل الإفطار فيها مما يخالف السنّة هو غريب، بل السنة قاضية على استحباب التعجيل في الإفطار وكراهة تأخيره إلى اشتباك النجوم، وأما كراهة السجدة المنفردة فمسلّم إلاَّ ان المدعي يقول: لم لا يجوز أن تكون هذه السجدة شكراً لنعمة الله تعالى على رأي من يجوز ذلك.

وقوله: إن الصحابة والتابعين ومن بعدهم لم ينقل عنهم أنهم صلوها، فاعلم لا يلزم من عدم فعلهم لها على الطريقة المعهودة كراهتها أو عدم ورودها، ثم هي من التطوّعات من شاء صلاّها ومن شاء تركها.

وقوله: إنما حدث بعد الأربعمائة وكأنه يريد شهرة أمرها عملاً وإلاَّ فأبو طالب المكي قد نوه بشأنها في قوت القلوب، ووفاته سنة ٣٨٣، وينظر إلى قول ابن الجوزي حيث قال: إن المتهم بوضعها علي بن عبد الله بن جهضم وليس هو في سند أبي طالب المكي، بل هو إن لم يكن متأخراً عنه في الزمن فهو معاصر له، وهو مع ذلك ليس من الوضاعين. قال الذهبي في الديوان. ليس بثقة فغاية ما يقال في حديثه إنه ضعيف لا موضوع، فكم من رجل غير ثقة وحديثه لا يدخل في حيز المنكر، وإن كان المتهم بوضعها آخر غير ابن جهضم فلا أدري، وباقي رجاله من

وأما صلاة شعبان: فليلة الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة، وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد، فهذا أيضاً مروي في جملة الصلوات. كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة. روي عن الحسن انه قال: حدثني ثلاثون من أصحاب النبي ﷺ أن مَنْ صلّى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة.

فوق ابن جهضم علي بن محمد بن سعيد البصري، وأبوه، وخلف بن عبد الله لم أر من ذكرهم في الضعفاء فتأمل ذلك بانصاف والله أعلم.

وقد ذكر ابن الجوزي أيضاً في الموضوعات صلاة لأوّل ليلة في رجب، وصلاة لنصف رجب أعرضنا عن ذكرهما لأن المشهور بالرغائب هي الصلاة التي ذكرها المصنف لا غير.

(أما صلاة شعبان: فليلة الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة، ويقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب. وقل هو الله أحد عشر مرات، وإن شاء صلّى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد مائة مرة). أي أن المقصود قراءة سورة الإخلاص ألف مرة في الصلاة وبأي كيفية أديت أجزأت. **(فهذه الصلاة أيضاً مروية في جملة الصلوات)** المستحبات.

(كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلّوها جماعة)، ولفظ القوت: فأما ليلة النصف من شعبان فقد كانوا يصلون فيها مائة ركعة بألف مرة قل هو الله أحد عشراً في كل ركعة، ويسمون هذه الصلاة صلاة الخير ويتعرفون بركتها ويجتمعون فيها وربما صلّوها جماعة.

(روي عن الحسن أنه قال) ولفظ القوت: روينا عن الحسن رحمه الله قال: **(حدثني ثلاثون من أصحاب النبي ﷺ أنه من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة يقضي)** ولفظ القوت: تقضى **(له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة)**. ثم زاد صاحب القوت فقال: وقد قيل هذه الليلة هي التي قال الله فيها ﴿يفرق كل امر حكيم﴾ [الدخان: ٤] وأنه ينسخ فيها أمر السنّة وتدبير الأحكام إلى مثلها من قابل والله أعلم.

والصحيح من ذلك عندي أنه في ليلة القدر، وبذلك سميت لأن التنزيل يشهد بذلك، إذ في أول الآية ﴿انا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ [الدخان: ٣] ثم وصفها فقال فيها ﴿يفرق كل أمر حكيم﴾ فالقرآن إنما أنزل في ليلة القدر، فكانت هذه الآية بهذا الوصف في هذه الليل مواطئة لقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر: ١] اهـ.

وقال العراقي: حديث صلاة ليلة النصف باطل، ولابن ماجه من حديث علي « إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها » وإسناده ضعيف اهـ.

قلـت: وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه، وزاد « فإن الله عز وجل ينزل فيها لغروب الشمس إلى السماء فيقول ألا مستغفر أغفر له، ألا مسترزق أرزقه حتى يطلع الفجر » وفي إحياء ليلة النصف أحاديث وردت في طرق كثيرة.

وأما حديث صلاتها الذي أورده المصنف، فقد أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات فقال: أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ، أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الفضل بن محمد المقرىء، أخبرنا أبو عمر، وعبد الرحمن بن طلحة الطلحي، أخبرنا الفضل بن محمد الزعفراني، حدثنا هارون بن سليمان، حدثنا علي بن الحسن، عن سفيان الثوري، عن ليث، عن مجاهد، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: « يا علي من صلّى مائة ركعة في ليلة النصف من شعبان يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات ما من عبد يصلي بهذه الصلاة إلا قضى الله له كل حاجة طلبها تلك الليلة ». ثم أطال في الثواب من هذا الجنس قدر صفحة تركت ذكره، ثم قال: هذا حديث لا شك أنه موضوع ورواته مجاهيل وفيهم ضعفاء. وقد رأينا كثيراً ممن يصلي هذه الصلاة ويتفق قصر الليل فتفوتهم صلاة الفجر ويصبحون كسالى، ولقد جعلها جهلة أئمة المساجد مع صلاة الرغائب شبكة لجمع العوام وطلب الرئاسة والتقدم، وملأ بذكرها القصاص مجالسهم، وكل ذلك عن الحق بمعزل.

وقد أخرج في كتابه المذكور أيضاً صلاة أخرى لهذه الليلة فيها اثنتا عشرة ركعة، عن ابن ناصر، عن أبي علي بن البناء، عن أحمد بن علي الكاتب، عن أبي سهل القنطري، عن الحسن اليوناني، عن أحمد بن عبد الله بن داود، عن محمدبن جبهان، عن عمر بن عبد الرحيم، عن محمد ابن وهب بن عطية الدمشقي، عن بقية بن الوليد، عن ليث بن أبي سليم، عن القعقاع بن شور، عن أبي هريرة مرفوعاً « من صلّى ليلة النصف من شعبان اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة قل هو الله أحد ثلاثين مرة لم يخرج حتى يرى مقعده من الجنة » ثم قال: موضوع فيه مجاهيل قبل ليث وبقية فالبلاء منهم.

وذكر صلاة أخرى لهذه الليلة فيها أربع عشرة ركعة. أخرجه من طريق الجوزقاني، عن أبي الحسين الكرخي، عن أبي عبد الله الخطيب، عن أبي القاسم الحسكاني، حدثني أبو القاسم عبد الخالق بن علي المؤذن، حدثنا أبو جعفر محمد بن بسطام القدسي، حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد ابن جابر، حدثنا أحمد بن عبد الكريم، حدثنا خالد الحمصي، عن عثمان بن سعيد بن كثير، عن محمد بن المهاجر، عن الحكم بن عيينة، عن إبراهيم قال: قال علي بن أبي طالب: رأيت رسول الله ﷺ ليلة النصف من شعبان قام فصلى أربع عشرة ركعة، ثم جلس بعد الفراغ فقرأ بأم القرآن أربع عشرة مرة، وقل هو الله أحد أربع عشرة مرة، وقل أعوذ برب الفلق أربع عشرة مرة،

....

وقل أعوذ برب الناس أربع عشرة مرة، وآية الكرسي مرة. ﴿ولقد جاءكم رسول﴾ [التوبة: ١٢٨] الآية. فلما فرغ من صلاته سألته عما رأيته من صنيعه فقال: « من صنع مثل الذي رأيت كان له كعشرين حجة مبرورة وكصيام عشرين سنة مقبولة، فإن أصبح في ذلك اليوم صائماً كان له كصيام سنتين سنة ماضية وسنة مستقبلة » ثم قال: موضوع وإسناده مظلم، ومحمد بن المهاجر يضع.

قلت: وذكر السيوطي أن هذا الحديث أخرجه البيهقي في الشعب فقال: أخبرنا عبد الخالق ابن علي المؤذن بالسند المذكور، وقال: يشبه أن يكون هذا الحديث موضوعاً وهو منكر، وفي رواته قبل عثمان بن سعيد مجهولون والله أعلم.

وأما ما ذكره المصنف عن الحسن انه قال: حدثني ثلاثون من أصحاب النبي ﷺ الخ فرأيت في مسند الفردوس للديلمي ما يقاربه قال: أخبرنا أبي، أخبرنا أبو الفضل القومعياني، أخبرنا الغلابي، أخبرنا أبو القاسم الفناكي، حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا أبو حاتم الرازي، حدثنا محمد بن عبد الرحمن العزرمي، حدثنا عمرو بن ثابت، عن محمد بن مروان الذهلي، عن أبي يحيى، حدثني أربعة وثلاثون من أصحاب النبي ﷺ قالوا: قال رسول الله ﷺ « من قرأ ليلة النصف من شعبان ألف مرة قل هو الله أحد في مائة ركعة لم يخرج من الدنيا حتى يبعث الله إليه في منامه مائة ملك يبشرونه بالجنة، وثلاثون يؤمنونه من النار، وثلاثون من أن يخطىء وعشر يكيدون من عاداه ».

وأخرجه ابن الجوزي من طريق يزيد بن محمد بن مروان، عن أبيه، عن ابن عمر مرفوعاً فذكر مثله سواء.

وأما قول المصنف: وإن شاء صلّى عشر ركعات الخ فأخرجه ابن الجوزي، عن ابن ناصر، عن ابن البناء، عن أبي عبد الله العلاف، عن أبي القاسم الفامي، عن علي بن بندار البردعي، عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الرحمن، عن محمد بن عبد الله، سمعت أبي يقول: حدثنا علي بن عاصم، عن عمرو بن مقدام، عن جعفر بن محمد، عن أبيه مرفوعاً « من قرأ ليلة النصف من شعبان ألف مرة قل هو الله أحد في عشر ركعات لم يمت حتى يبعث الله إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة، وثلاثون يؤمنونه من العذاب، وثلاثون يقوّمونه أن يخطىء، وعشرة أملاك يكبتون أعداءه » وقال: مع كونه منقطعاً موضوع فيه مجاهيل اهـ.

وقال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في العلم المشهور: حديث ليلة النصف من شعبان موضوع. قال أبو حاتم محمد بن حبان: محمد بن مهاجر يضع الحديث على رسول الله ﷺ، وحديث أنس فيها موضوع أيضاً لأن فيه إبراهيم بن إسحاق. قال أبو حاتم: كان يقلب الأخبار ويسرق الحديث، وفيه وهب بن وهب القاضي أكذب الناس اهـ.

وقال التقي السبكي في تقييد التراجيح الاجتماع لصلاة ليلة النصف من شعبان ولصلاة الرغائب بدعة مذمومة اهـ.

القسم الرابع

من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة:

صلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتي الوضوء وركعتين بين الأذان والاقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه. ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن.

وقال النووي: هاتان الصلاتان بدعتان موضوعتان منكرتان قبيحتان ولا تغتر بذكرهما في كتاب القوت والإحياء، وليس لأحد أن يستدل على شرعيتها بقوله ﷺ: «الصلاة خير موضوع» فإن ذلك يختص بصلاة لا تخالف الشرع بوجه من الوجوه، وقد صح النهي عن الصلاة في الأوقات المكروهة اهـ.

قلت: وقد ذكر التقي السبكي في تفسيره أن إحياء ليلة النصف من شعبان يكفر ذنوب السنة، وليلة الجمعة تكفر ذنوب الأسبوع، وليلة القدر تكفر ذنوب العمر اهـ.

وقد توارث الخلف عن السلف في إحياء هذه الليلة بصلاة ست ركعات بعد صلاة المغرب كل ركعتين بتسليمة يقرأ في كل ركعة منها بالفاتحة مرة والإخلاص ست مرات، وبعد الفراغ من كل ركعتين يقرأ سورة يس مرة، ويدعو بالدعاء المشهور بدعاء ليلة النصف، ويسأل الله تعالى البركة في العمر، ثم في الثانية البركة في الرزق، ثم في الثالثة حسن الخاتمة، وذكروا أن من صلى هكذا بهذه الكيفية اعطي جميع ما طلب، وهذه الصلاة مشهورة في كتب المتأخرين من السادة الصوفية، ولم أر لها ولا لدعائها مستنداً صحيحاً في السنة إلا أنه من عمل المشايخ، وقد قال أصحابنا: إنه يكره الاجتماع على إحياء ليلة من هذه الليالي المذكورة في المساجد وغيرها. وقال النجم الغيطي في صفة إحياء ليلة النصف من شعبان بجماعة: أنه قد انكر ذلك أكثر العلماء من أهل الحجاز منهم عطاء، وابن أبي مليكة، وفقهاء أهل المدينة، وأصحاب مالك، وقالوا: ذلك كله بدعة، ولم يثبت في قيامها جماعة شيء عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه، واختلف علماء الشام على قولين. أحدهما: استحباب إحيائها بجماعة في المسجد ومن قال بذلك من أعيان التابعين خالد بن معدان، وعثمان بن عامر، ووافقهم إسحاق بن راهويه، والثاني: كراهة الاجتماع لها في المساجد للصلاة وإليه ذهب الأوزاعي فقيه الشام ومفتيهم اهـ.

القسم الرابع

من النوافل ما يتعلق باسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهي تسعة

(صلاة الخسوف، والكسوف، والاستسقاء، وتحية المسجد، وركعتي الوضوء، وركعتين بين الأذان والإقامة، وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظائر ذلك فنذكر من ذلك ما يحضرنا الآن).

الأولى: صلاة الخسوف: قال رسول الله ﷺ: « إن الشمس والقمر آيتان من آيـات

(الأولى: صلاة الخسوف) اعلم أن الإضافة على نوعين إضافة تعريف، وإضافة تقييد، فكل ما كانت الماهية كاملة فيه تكون إضافته للتعريف، وما كانت ماهيته ناقصة فإضافته للتقييد نظير الأول ماء البئر، وصلاة الخسوف ونظير الثاني: ماء الباقلاء وصلاة الجنازة. كذا في مجمع الروايات، وهو من قبيل إضافة الشيء إلى سببه لأن سببها الخسوف، ثم أن الكسوف لغة التغيير إلى السواد، ومنه كسف وجهه إذا تغير، والخسوف النقصان قاله الأصمعي والجمهور إنهما يكونان لذهاب ضوء الشمس والقمر بالكلية. وقيل: بالكاف في الابتداء، وبالخاء في الانتهاء، وقيل: بالكاف لذهاب جميع الضوء، وبالخاء لبعضه، وقيل: بالخاء لذهاب كل اللون، وبالكاف لتغيره، وزعم علماء الهيئة أن كسوف الشمس لا حقيقة له فإنها لا تتغير في نفسها، وإنما القمر يحول بيننا وبينها ونورها باق، وأما كسوف القمر فحقيقة فإن ضوءه من ضوء الشمس وكسوفه بحيلولة ظل الأرض بين الشمس وبينه بنقطة التقاطع، فلا يبقى فيه ضوء البتة فخسوفه ذهاب ضوئه حقيقة اهـ.

وأبطله ابن العربي بأنهم زعموا أن الشمس أضعاف القمر، فكيف يحجب الأصغر الأكبر إذا قابله. وقال الطبري في الأحكام في الكسوف فوائد ظهور التصرف في هذين الخلقين العظيمين، وإزعاج القلوب الغافلة وإيقاظها، وليرى الناس انموذج القيامة لكونها يفعل بها ذلك، ثم يعادان فيكون تنبيهاً على خوف المكر، ورجاء العفو، والإعلام بأنه قد يؤخذ من لا ذنب له، فكيف من له ذنب، ثم هي سنة مؤكدة عند الشافعي لفعله ﷺ وأمره والصارف عن الوجوب ما سبق في العيد. وعند أبي حنيفة سنة غير مؤكدة وقول الشافعي في الأم لا يجوز تركها حملوه على الكراهة لتأكدها ليوافق كلامه في مواضع أخر، والمكروه قد يوصف بعدم الجواز من جهة إطلاق الجائز على مستوى الطرفين، وصرح أبو عوانة في صحيحه بوجوبها، وإليه ذهب بعض الحنفية، واختاره صاحب الأسرار وهو أبو زيد الدبوسي، ثم من أوجبها منهم قيل: إنما أوجبها للشمس دون القمر وهو محجوج بالإجماع قبله.

(قال رسول الله ﷺ: « إن الشمس والقمر آيتان) أي علامتان **(من آيات الله)** الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته أو على تخويف عباده من بأسه وسطوته **(لا يخسفان)** بالبناء للمعلوم على أنه لازم، ويجوز الضم على أنه متعد، لكن نقل الزركشي عن ابن الصلاح أنه حكى منعه ولم يبين لذلك دليلاً أي: لا يذهب الله نورهما **(لموت أحد)** من العظماء **(ولا لحياته)** تتميم للتقسيم، وإلا فلم يدع أحد أن الكسوف لحياة أحد وذكر لدفع توهم من يقول: لا يلزم من نفي كونه سبباً للفقد أن لا يكون سبباً للإيجاد، فعمم الشارع النفي لدفع هذا التوهم، وقال بعضهم: أما كونه آية من آيات الله فلأن الخلق عاجزون عن ذلك، وأما أنه من الآيات المخوفة فلأن تبديل النور بالظلمة تخويف، والله تعالى إنما يخوف عبيده ليتركوا المعاصي ويرجعوا لطاعته التي بها فوزهم، وأفضل الطاعات بعد الإيمان الصلاة، وفيه رد على أهل الهيئة حيث قالوا:

الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة» قال ذلك لما مات ولده ابراهيم ﷺ وكسفت الشمس فقال الناس: إنما كسفت لموته.

الكسوف أمر عادي لا تأخير فيه ولا تقديم لأنه لو كان كما زعموا لم يكن في تخويف، ولا فزع، ولم يكن للأمر بالصلاة والصدقة معنى. ولئن سلمنا ذلك، فالتخويف باعتبار أنه يذكر بالقيامة لكونه انموذجا. قال تعالى: ﴿فإذا برق البصر وخسف القمر﴾ [القيامة: ٧، ٨] الآية. ومن ثم قال ﷺ: «فزعا يخشي أن تكون الساعة» كما في رواية وكان ﷺ إذا اشتد هبوب الرياح تغير ودخل وخرج خشية أن تكون كريح عاد وإن كان هبوب الرياح أمراً عادياً، وقد كان أرباب الخشية والمراقبة يفزعون من أقل من ذلك إذ كل ما في العالم علويه وسفليه دليل على نفوذ قدرة الله تعالى وتمام قهره.

فإن قلت: التخويف عبارة عن إحداث الخوف بسبب، ثم قد يقع الخوف وقد لا يقع وحينئذ يلزم الخلف في الوعيد. فالجواب: المنع لأن الخلف وضده من عوارض الأقوال، وأما الأفعال فلا إنما هي من جنس المعاريض، والصحيح عندنا فيما يتميز به الواجب أنه التخويف، ولهذا لم يلزم الخلف على تقدير المغفرة.

فإن قيل: الوعيد لفظ عام، فكيف يخلص من الخلف؟ فالجواب: إن لفظ الوعيد عام أريد به الخصوص غير أن كل واحد يقول لعلي داخل في العموم، ولكن أراد تخويفه بإيراد العموم وستر العاقبة عنه في بيان أنه خارج منه، فيجتمع حينئذ الوعيد والمغفرة ولا خلف ومصداقه في قوله تعالى: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾ [الإسراء: ٥٩].

قال الدماميني: ثم في هذا القول رد لما كانت الجاهلية تعتقد أنهما إنما ينخسفان لموت عظيم، والمنجمون يعتقدون تأثيرهما في العالم، وكثير من الكفرة يعتقد تعظيمهما لكونهما أعظم الأنوار حتى أفضى الحال إلى أن عبدهما كثير منهم خصهما ﷺ تنبيهاً على سقوطهما عن هذه المرتبة لما يعرض لهما من النقص وذهاب ضوئهما الذي عظما في النفوس من أجله.

(فإذا رأيتم ذلك) أي الكسوف في أحدهما **(فافزعوا)** أي فالجأوا **(إلى ذكر الله)** واستغفاره **(وإلى الصلاة»)** أي بادروا إليها **(قال ذلك لما مات ولده إبراهيم)** عليه السلام بالمدينة في السنة العاشرة من الهجرة كما عليه جمهور أهل السير في ربيع الأول، أو في رمضان، أو ذي الحجة في عاشر الشهر وعليه الأكثر، أو في أربعة، أو في رابع عشرة، ولا يصح شيء منها مع قول ذي الحجة، لأنه قد ثبت أنه ﷺ شهد وفاته من غير خلاف، فلا ريب أنه ﷺ كان إذ ذاك بمكة في حجة الوداع، لكن قيل إنه كان في سنة تسع، فإن ثبت صح ذلك، وجزم النووي بأنها كانت سنة الحديبية، ويجاب بأنه رجع منها في آخر القعدة. فلعلها كانت في أواخر الشهر. وسيأتي لذلك عود في آخر الباب.

(وكسفت الشمس) بفتح الكاف والسين والفاء، وفي أوائل الثقات لابن حبان أن الشمس

كسفت في السنة السادسة، فصلى عليه الصلاة والسلام صلاة الكسوف، وقال: « إن الشمس والقمر آيتان » الحديث ثم كسفت في السنة العاشرة يوم مات ابنه إبراهيم **(فقال الناس: إنما كسفت لموته)** أخرجه البخاري في الصلاة وفي الأدب، وأخرجه مسلم في الصلاة كلاهما من حديث المغيرة بن شعبة.

ولفظ البخاري: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا شيبان أبو معاوية، عن زياد بن علاقة، عن المغيرة بن شعبة قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم قال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: « إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله ».

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، عن مصعب بن المقدام، أخبرنا زائدة قال: قال زياد بن علاقة، سمعت المغيرة بن شعبة يقول: انكسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم، فقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم، فقال رسول الله ﷺ: « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تعالى لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى ينكشف ».

وأخرجه البخاري في باب الدعاء في الخسوف، عن أبي الوليد، حدثنا زائدة، حدثنا زياد بن علاقة فساقه مثله سواء إلا أنه قال: « حتى ينجلي ».

وهذه الصلاة رواها البخاري في صحيحه أيضاً من حديث أبي بكرة، وابن مسعود، وابن عمر، وعائشة، وعبدالله بن عمر، وابن عباس، وأسماء بنت أبي بكر، وأبي موسى الأشعري فهؤلاء مع المغيرة بن شعبة تسعة.

وفي المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة من حديث ابن مسعود، والنعمان بن بشير، وعبدالله بن عمرو، وابن عباس، وعائشة، وجابر، والسائب بن مالك، وعلي بن أبي طالب، وأبي بكرة، وأسماء وعبد الرحمن بن سمرة، وسمرة بن جندب، وابن عمر، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم.

وفي سياق أحاديثهم طول كثير، ولكن نشير إلى بعض ذلك ففي حديث أبي بكرة عند البخاري: « أن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد، فإذا رأيتموهما فصلوا وادعوا حتى يكشف ما بكم ». وفي رواية أخرى عنه: « لا ينكسفان لموت أحد، ولكن الله تعالى يخوف بهما عباده ». وفي حديث ابن مسعود عنده « لموت أحد من الناس ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتموهما فقوموا فصلوا ». وفي رواية أخرى عنه « فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة ». وفي حديث ابن عمر عنده « لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله عز وجل فإذا رأيتموهما فصلوا ». وفي حديث عائشة عنده لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا » وفي رواية أخرى لها عنده « لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة ». وفي حديث ابن عباس عنده: « فإذا رأيتم ذلك

والنظر في كيفيتها ووقتها، أما الكيفية: فإذا كسفت الشمس في وقت الصلاة فيه مكروهة أو غير مكروهة نودي « الصلاة جامعة » وصلى الإمام بالناس في المسجد

فاذكروا الله ». وفي حديث أبي موسى: « هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته ولكن يخوف الله به عباده فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فافزعوا إلى ذكره » وحديث أبي بكرة أخرجه أيضاً مسلم، والنسائي، وابن ماجه، وحديث ابن عمر أخرجه أيضاً مسلم والنسائي، وحديث عبدالله بن عمرو عند مسلم والنسائي، وحديث عائشة عند مسلم وأبي داود وابن ماجه، وفي حديث عبدالله بن عمرو عند أبي بكر بن أبي شيبة: فإذا انكسفت إحداهما فافزعوا إلى المساجد، وفي حديث عائشة عنده فإذا رأيتموهما فصلوا وتصدقوا، وفي حديث جابر عنده: انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم ابن النبي ﷺ فقال الناس: إنما انكسفت لموت إبراهيم فقام النبي ﷺ فذكر الحديث بطوله وفيه « لا ينكسفان لموت نفس فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فصلوا حتى ينجلي » وفي حديث أبي بكرة عنده « فإذا كان كذلك فصلوا حتى ينجلي » وحديث جابر عند مسلم، وحديث علي عند أحمد، وحديث ابن عمر عند البزار. وأخرج النسائي عن أبي هريرة والطبراني عن أم سفيان.

(والنظر في كيفيتها ووقتها، أما الكيفية فإذا كسفت الشمس) بفتح الكاف والسين والفاء **(في وقت مكروه أو غير مكروه)** في أي وقت كان على العموم، ولا يخص بها وقت دون وقت فهي مسنونة على التأكيد في كل حال فهم ذلك من مبادرته ﷺ لها باتفاق الروايات فلا وقت لها معين إلا رؤية الكسوف في كل وقت من النهار، وبه قال الشافعي وغيره لأن المقصود إيقاعها قبل الانجلاء، وقد اتفقوا على أنها لا تقضى بعد الانجلاء، فلو انحصرت في وقت لأمكن الانجلاء قبله فيفوت المقصود خلافاً لأبي حنيفة، فإنه استثنى أوقات الكراهة وهو مشهور مذهب أحمد، وعن المالكية وقتها من وقت حل النافلة إلى الزوال كالعيدين فلا يصلى قبل ذلك لكراهية النافلة حينئذ نص عليه الباجي ونحوه في المدونة. **(ونودي الصلاة جامعة)** أي ذات جماعة حاضرة.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة: « ان النبي ﷺ بعث منادياً ينادي إن الصلاة جامعة ».

وأخرجا، والنسائي أيضاً من حديث عبدالله بن عمر « ولما كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ نودي إن الصلاة جامعة » وظاهر ذلك أنه كان قبل اجتماع الناس وليس فيه أنه بعد اجتماعهم نودي الصلاة جامعة حتى يكون ذلك بمنزلة الإقامة التي يعقبها الفرض، ومن ثم لم يعول في الاستدلال على أنه لا يؤذن لها ولأنه يقال فيها: الصلاة جامعة إلا ما أرسله الزهري. قال في الأم ولا أذان للكسوف ولا لعيد ولا لصلاة غير مكتوبة وإن أمر الإمام من يفتح الصلاة جامعة أحببت ذلك له فإن الزهري يقول: كان النبي ﷺ يأمر المؤذن في صلاة العيدين أن يقول: « الصلاة جامعة ».

ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين أوائلها أطول من أواخرها. ولا يجهر فيقرأ في

(وصلى الإمام) أي إمام المسجد **(بالناس)** أي الجماعة الحاضرين **(في المسجد)**. قال في الروضة: يستحب في الجماعة من صلاة الكسوفين، ولنا وجه أن الجماعة فيها شرط ووجه لا تقام إلا في جماعة واحدة كالجمعة وهما شاذان، ويستحب أن تصلى في الجامع وفي الأركان والشروط سواء صلوها جماعة في مصر أو صلاها المسافرون في الصحراء.

قلت: وقال شارح المختار من أصحابنا: وإنما خص إمام الجمعة لئلا تقع الفتنة في التقدم والتقديم اهـ.

وزاد غيره أو مأمور السلطان. وقال الزاهدي من أصحابنا: فإن لم يحضر الإمام الأعظم يصلي الأئمة بالناس في مساجدهم بإذنه، وعن أبي حنيفة: إن لكل إمام مسجد أن يصلي في مسجده اهـ.

(ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين).

قال الرافعي: أقلها أن يحرم بنية صلاة الكسوف ويقرأ الفاتحة ويركع ثم يرفع فيقرأ الفاتحة، ثم يركع ثانياً ثم يرفع ويطمئن ثم يسجد. فهذه ركعة، ثم يصلي ركعة ثانية كذلك فهي ركعتان في كل ركعة قيامان وركوعان ويقرأ الفاتحة في كل قيام، فلو تمادى الكسوف فهل يزيد ركوعاً ثالثاً؟ وجهان. أحدهما: يزيد ثالثاً ورابعاً وخامساً حتى ينجلي الكسوف. قاله ابن خزيمة والخطابي وأبو بكر الصبغي من أصحابنا للأحاديث الواردة «أن النبي ﷺ صلى ركعتين في كل ركعة أربعة ركوعات» وروي: «خمسة ركوعات» ولا محمل إلا التمادي. وأصحها لا تجوز الزيادة كسائر الصلوات وروايات الركوعين أصح واشهر فيؤخذ بها كذا قاله الأئمة، ولو كان في القيام الأول فانجلى الكسوف لم تبطل صلاته، وهل له أن يقتصر على قومة واحدة أو ركوع واحد في كل ركعة وجهان بناء على أن الزيادة عند التمادي إن جوزنا الزيادة جاز النقصان بحسب مدة الكسوف، وإلا فلا. ولو سلم من الصلاة والكسوف باق، فهل له أن يستفتح صلاة الكسوف مرة أخرى؟ وجهان. خرجوهما على جواز زيادة عدد الركوع والمذهب المنع. وأشار المصنف إلى أكملها بقوله: **(أوائلها أطول من أواخرها)** ويأتي بيان ذلك، ثم قال: **(ولا يجهر)** أي في كسوف الشمس بل يستحب فيها الاسرار لأنها صلاة نهارية، ويستحب الجهر في خسوف القمر لأنها صلاة ليلية. قال النووي: هذا هو المعروف. وقال الخطابي: الذي يجيء على مذهب الشافعي أنه يجهر في الشمس اهـ.

قلت: وعدم الجهر في صلاة الكسوف هو مذهب أبي حنيفة ومالك، وقال أبو يوسف ومحمد وأحمد بن حنبل يجهر فيها، وتمسكوا بما رواه البخاري من حديث عبد الرحمن بن نمر الدمشقي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة جهر النبي ﷺ في صلاة الخسوف بقراءته.

ورواه الترمذي من طريق سفيان بن حسين، وأحمد من طريق سليمان بن كثير، والطحاوي من طريق عقيل، والدارقطني من طريق إسحاق بن راشد كلهم عن الزهري، واختاره ابن العربي

الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة، وفي الثانية الفاتحة وآل عمران، وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء، وفي الرابعة الفاتحة وسورة المائدة، أو مقدار ذلك من القرآن من

من المالكية فقال: الجهر عندي أولى لأنها صلاة جامعة ينادى لها ويخطب فاشبهت العيد والاستسقاء. وأجاب الشافعية والمالكية وأبو حنيفة وجمهور الفقهاء بأنه محمول على خسوف القمر لا الشمس، وتعقب بأن الإسماعيلي روى هذا الحديث من وجه آخر بلفظ: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر الحديث.

واحتج الإمام الشافعي بقول ابن عباس انه قرأ نحواً من قراءة سورة البقرة لأنه لو جهر لم يحتج إلى التقدير، وعورض باحتمال أن يكون بعيداً منه أي في صف الصبيان.

وأجيب بأن الإمام الشافعي ذكر تعليقاً عن ابن عباس أنه صلى بجنب النبي ﷺ في الكسوف فلم يسمع منه حرفاً، ووصله البيهقي من ثلاثة طرق كلها واهية.

وأجيب على تقدير صحتها بأن مثبت الجهر معه قدر زائد فالأخذ به، ولعل هذا ملحظ الخطابي الذي تقدم عنه، فإن ثبت التعدد فيكون ﷺ فعل ذلك لبيان الجواز.

قلت: واستدل أبو حنيفة أيضاً بحديث صلاة النهار عجماء، وبحديث سمرة وفيه: لم نسمع له صوتاً، وبحديث ابن عباس المذكور، وبحديث عائشة أيضاً فحزرت قراءته أنه قرأ سورة البقرة ولو جهر لسمعت وما حزرت، وحمل الحديث المذكور على أنه جهر بالآية والآيتين ليعلم أن فيها القراءة وهذا أولى من حملها على صلاة الخسوف، ثم اعلم أن المشهور في المذهب عندنا أن محمداً مع أبي يوسف، وهكذا ذكره الحاكم الشهيد وقد ذكر الزاهدي في القنية أن محمداً مع أبي حنيفة في هذه المسألة فالرواية عنه مضطربة، وإنما رجح أصحابنا رواية ابن عباس وسمرة لأن الحال أكشف على الرجال من النساء لقربهم قاله شارح المختار.

(**فيقرأ في**) الركعة (**الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة**) مع سوابقها، (**و**) سورة (**البقرة. وفي الثانية الفاتحة و**) سورة (**آل عمران وفي الثالثة الفاتحة وسورة النساء، وفي الرابعة الفاتحة وسورة المائدة أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد**) إن لم يكن يحسن ضبط تلك السور، وكل ذلك بعد الفاتحة هذه رواية البويطي.

ونقل المزني في المختصر أنه يقرأ في الأولى البقرة أو قدرها إن لم يحفظها، وفي الثانية قدر مائتي آية من سورة البقرة، وفي الثالثة قدر مائة وخمسين آية منها، وفي الرابعة قدر مائة آية منها. قال النووي: وهذه الرواية هي التي قطع بها الأكثرون، وليستا على الاختلاف المحقق بل الأمر فيه على التقريب وهما متقاربان. قال النووي: وفي استحباب التعوذ في ابتداء القراءة في القومة الثانية وجهان حكاهما في الحاوي، وهما الوجهان في الركعة الثانية.

حيث أراد، ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام أجزأه، ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس. ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء. ويسبح في الركوع الأوّل قدر مائة آية، وفي الثاني قدر ثمانين، وفي الثالث قدر سبعين، وفي الرابع قدر خمسين، وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة. ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما

تنبيه:

استشكل تقدير القيام الثالث بالنساء مع كون المختار أن يكون القيام الثالث أقصر من القيام الثاني والنساء أطول من آل عمران. وقال السبكي في شرح المنهاج: قد ثبت بالأخبار تقدير القيام الأول بنحو البقرة وتطويله على الثاني والثالث ثم الثاني على الرابع، وأما نقص الثالث عن الثاني أو زيادته عليه فلم يرد فيه شيء فيما أعلم فلاجله لا بعد في ذكر سورة النساء فيه وآل عمران في الثاني. نعم إذا قلنا بزيادة ركوع ثالث فيكون أقصر من الثاني كما ورد في الخبر اهـ.

(**ولو اقتصر على الفاتحة**) من غير سورة (**في كل قيام أجزأه**) أشار بذلك إلى أقلها، وقد ذكرناه قريباً. وعادة الأصحاب أن يذكروا الأقل ثم الأكمل، والمصنف خالفهم فذكر الأكمل ثم الأقل، (**ولو اقتصر على سور قصار**) إن لم يكن يحسن الطوال (**فلا بأس، ومقصود التطويل دوام الصلاة إلى الانجلاء**).

قال الأذرعي في القوت: وظاهر كلامهم استحباب هذه الإطالة وإن لم يرض بها المأمومون وقد فرق بينها وبين المكتوبة بالندرة، أو أن يقال لا يطيل بغير رضا المحصورين لعموم حديث «إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف». وتحمل إطالته ﷺ أنه علم رضا أصحابه أو أن ذلك مغتفر لبيان تعليم الأكمل بالفعل اهـ.

قلت: وقال أصحابنا: الأفضل تطويل الركعتين وتخفيف الدعاء، ويجوز بالعكس. فإذا خفف أحدهما طول الآخر لأن المستحب أن يبقى على الخشوع والخوف إلى انجلاء الشمس.

قال ابن الهمام: وهذا مستثنى من كراهة تطويل الإمام الصلاة ولو خففها جاز ولا يكون مخالفاً للسنة لأن المسنون استيعاب الوقت بالصلة والدعاء اهـ.

(**و**) أما قدر مكثه في الركوع فينبغي أن (**يسبح في الركوع الأول قدر مائة آية**) من البقرة، (**وفي الثانية قدر ثمانين آية**) منها (**وفي الثالثة قدر سبعين آية**) منها، (**وفي الرابعة قدر خمسين**) آية منها، والأمر فيه على التقريب ويقول في الاعتدال من كل ركعة، سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد كذا في الروضة. وهل يستحب الإطالة في سجود هذه الصلاة؟ قولان. أولهما: لا يطوله كما لا يطول التشهد ولا الجلوس بين السجدتين، والثاني: يطوله وإليه أشار المصنف بقوله: (**وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة**)، وهذا قد نقله البويطي، والترمذي عن الشافعي. قال النووي: الصحيح المختار أنه يطول السجود، وقد ثبت في إطالته أحاديث كثيرة في الصحيحين عن جماعة من الصحابة. ولو قيل: إنه يتعين الجزم به لكان

جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة. وكذلك يفعل بخسوف القمر إلا أنه يجهر

قولاً صحيحاً لأن الشافعي رضي الله عنه قال: ما صح في الحديث فهو قولي أو مذهبي. فإذا قلنا بإطالته، فالمختار فيها ما قاله صاحب التهذيب ان السجود الأول كالركوع الأول، والسجود الثاني كالركوع الثاني، وقال الشافعي رضي الله عنه في البويطي: إنه نحو الركوع الذي قبله.

وأما الجلسة بين السجدتين فقد قطع الرافعي بأنه لا يطولها، ونقل الغزالي الاتفاق على أنه لا يطولها، وقد صح في حديث عبدالله بن عمرو «أن النبي ﷺ سجد فلم يكد يرفع ثم رفع فلم يكد يسجد ثم سجد فلم يكد ثم فعل في الركعة الأخرى مثل ذلك».

وأما الاعتدال بعد الركوع الثاني فلا يطول بلا خلاف وكذا التشهد والله أعلم.

(ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة) فلا تجزىء واحدة. هذا مذهب الشافعي، واستدل بحديث عائشة وأسماء رضي الله عنهما خطب النبي ﷺ في الكسوف، فحديث عائشة أخرجه البخاري من طريق هشام بن عروة عن أبيه عنها ولفظه: «فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه». ورواه النسائي من حديث سمرة وزاد وشهد أنه عبدالله ورسوله.

وحديث أسماء أخرجه البخاري أيضاً. وقال أبو حنيفة ومالك: ليس في صلاة الكسوف خطبة. وقال ابن قدامة في المغني: لم يبلغنا عن أحد ذلك، وعلله صاحب الهداية من الحنفية بأنه لم ينقل. قال الزيلعي وحملوا حديث عائشة على أنه ﷺ قال ذلك ليردهم عن قولهم: إن الشمس كسفت لموت إبراهيم، والذي يدل على هذا أنها أخبرت أنه عليه السلام خطب بعد الانجلاء، ولو كانت سنة لخطب قبله كالصلاة والدعاء، ونقل صاحب الجوهرة إجماع أصحابنا على ذلك قالوا لأنه أمر بالصلاة ولم يأمر بالخطبة، ولو كانت مشروعة لبينها. وأجيب عن قول صاحب الهداية بأن الأحاديث ثابتة فيه وهي ذات كثرة وأما ما علله به الزيلعي فمعارض بما في الأحاديث الصحيحة من التصريح بالخطبة، وحكاية شرائطها من الحمد والثناء والموعظة وغير ذلك مما تضمنته الأحاديث، فلم يقتصر على الإعلام بسبب الكسوف، والأصل مشروعية الاتباع والخصائص لا تثبت إلا بدليل.

(و) يستحب أن **(يأمر)** الإمام **(الناس)** في هذه الخطبة **(بالصدقة والعتق والتوبة)** من المعاصي ويحذرهم الغفلة والاغترار، وقد جاء كل من الأمر بالصدقة والاعتاق في أحاديث. ففي حديث عائشة، عند أبي بكر بن أبي شيبة: «فصلوا وتصدقوا» وقد تقدم.

وعند البخاري من حديث فاطمة عن أسماء قالت: «أمر النبي ﷺ بالعتاقة في الكسوف». أي ليرفع الله به البلاء عن عباده، وهل يقتصر على العتاقة أو هي من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى.

الظاهر الثاني: لقوله تعالى: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾ [الإسراء: ٥٩] وإذا كانت من التخويف فهي داعية إلى التوبة والمسارعة إلى جميع أفعال البر كل على قدر طاقته، ولما كان

فيها لأنها ليلية. فأما وقتها فعند ابتداء الكسوف إلى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بأن

أشد ما يتوقع من التخويف النار جاء الندب بأعلى شيء يتقى به النار لأنه قد جاء: من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار، فمن لم يقدر على ذلك فليعمل بالحديث العام، وهو قوله ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» ويأخذ من وجه البر قاله ابن أبي جمرة.

(وكذلك يفعل بخسوف القمر إلا أنه يجهر فيها لأنها) صلاة (ليلية) فيستحب فيها الجهر. هذا مذهب الشافعي، وعند أصحابنا تؤدى صلاة الخسوف فرادى ركعتين كسائر النوافل في كل ركعة ركوع واحد وقيام واحد، ولا يجمع لها لأنه قد خسف القمر على عهد رسول الله ﷺ، ولم ينقل أنه جمع الناس لها، ولأن الجمع العظيم بالليل سبب للفتنة فلا يشرع بل يتضرع كل واحد لنفسه، وبه قال مالك. قال أصحابه: إذا لم يرد أنه ﷺ صلاها في جماعة ولا دعا إلى ذلك ولا شهب منهم جواز الجمع.

قال اللخمي وهو أمين قال: والمذهب أن الناس يصلونها في بيوتهم ولا يكلفون الخروج ليلاً لئلا يشق ذلك عليهم، وقد عقد البخاري عليه باباً فقال: الصلاة في كسوف القمر، وأخرج فيه من طريق شعبة عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أبي بكرة قال: انكسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى ركعتين، واعترض الإسماعيلي عليه بأن هذا الحديث لا مدخل له في الباب لأنه لا ذكر للقمر فيه لا بالتنصيص ولا بالاحتمال وأجيب بأن ابن التين ذكر ان في رواية الأصيلي في هذا الحديث انكسف القمر بدل قوله الشمس لكن نوزع في ثبوت ذلك فيجاب بأن هذا الحديث مختصر من حديث آخر أورده بعد ذلك مطولاً فأراد أن يبين أن المختصر بعض المطول والمطول فيه المقصود.

وقد روى ابن أبي شيبة هذا الحديث بلفظ «انكسفت الشمس أو القمر» وفي رواية هشيم «الشمس والقمر».

أما حديثه المطوّل فأخرجه في هذا الباب من طريق عبد الوارث عن يونس عن الحسن عن أبي بكرة قال: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فخرج يجر رداءه حتى انتهى إلى المسجد وثاب الناس إليه فصلى بهم ركعتين فانجلت الشمس فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من أيات الله وإنها لا يخسفان لموت أحد، وإذا كان ذاك فصلّوا وادعوا حتى يكشف ما بكم». وهذا موضع الترجمة إذ أمر بالصلاة بعد قوله «إن الشمس والقمر».

وعند ابن حبان من طريق نوح بن قيس، عن يونس في هذا الحديث «فإذا رأيتم شيئاً من ذلك فصلّوا» وهو أدخل في الباب من قوله «فإذا كان ذلك» لأن الأول نص، وهذا محتمل لأن تكون الإشارة عائدة إلى كسوف الشمس، لكن الظاهر عود ذلك إلى خسوفها معاً.

وعند ابن حبان من طريق النضر بن شميل، عن أشعث بإسناده في هذا الحديث صلّى في كسوف الشمس والقمر ركعتين مثل صلاتكم وفيه رد على من أطلق كابن رشيد «أنه ﷺ لم يصل فيه» وأوّل بعضهم قوله: صلّى أي أمر بالصلاة جمعاً بين الروايتين.

تغرب الشمس كاسفة وتفوت صلاة خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس إذ يبطل سلطان الليل ولا تفوت بغروب القمر خاسفاً لأن الليل كله سلطان القمر، فإن انجلى في أثناء الصلاة أتمها مخففة. ومن أدرك الركوع الثاني مع الإمام فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأول.

وذكر صاحب جمع العدة أن خسوف القمر وقع في السنة الرابعة في جمادى الآخرة ولم يشتهر أنه ﷺ جمع له الناس للصلاة، وقال ابن القيم في الهدى: لم ينقل أنه صلى في خسوف القمر في جماعة، لكن حكى ابن حبان في السيرة أن القمر خسف في السنة الخامسة فصلّى النبي ﷺ بأصحابه الكسوف، فكانت أول صلاة كسوف في الإسلام. فقال الحافظ ابن حجر: وهذا إن ثبت انتفى التأويل المذكور والله أعلم.

(أما وقتها فعند ابتداء الخسوف إلى اتمام الانجلاء)، وهذا يفيد استيعاب الوقت بالصلاة والدعاء وهو السنة **(ويخرج وقتها بأن تغرب الشمس كاسفة ويفوت خسوف القمر بأن يطلع قرص الشمس إذ بطل سلطان الليل ولا يفوت بغروب القمر خاسفاً لأن الليل كله سلطان القمر وإن انجلى في أثناء الصلاة أتمها مخففة)** قال في الروضة: تفوت صلاة كسوف الشمس بأمرين.

أحدهما: انجلاء جميعها فإن انجلى البعض فله الشروع في الصلاة للباقي كما لو لم ينكسف إلا ذلك القدر، ولو حال سحاب وشك في الانجلاء صلّى، ولو كانت الشمس تحت غمام فظن الكسوف لم يصل حتى يستيقن. وقال الدارمي وغيره: ولا يعمل في كسوفها بقول المنجمين.

الثاني: أن تغرب كاسفة فلا يصلي. وتفوت صلاة كسوف القمر بأمرين **أحدهما**: الانجلاء كما سبق، **والثاني**: طلوع الشمس، فإذا طلعت وهو بعد خاسف لم يصل، ولو غاب في الليل خاسفاً صلى كما لو استتر بغمام، ولو طلع الفجر وهو خاسف أو خسف بعد الفجر صلى على الجديد، وعلى هذا لو شرع في الصلاة بعد الفجر فطلعت الشمس في اثنائها لم تبطل صلاته، كما لو انجلى الكسوف في الاثناء، وقال القاضي ابن كج: هذان القولان فيما إذا غاب خاسفاً بين الفجر وطلوع الشمس فأما إذا لم يغب وبقي خاسفاً فيجوز الشروع في الصلاة بلا خلاف، وصرح الدارمي وغيره بجريان القولين في الحالين، كما قال صاحب البحر. ولو ابتدأ الخسوف بعد طلوع الشمس لم يصل قطعاً والله أعلم.

(ومن أدرك) الإمام في الركوع الأول من الركعة الأولى، فقد أدرك الصلاة وإن أدركه في الركوع الأول من الركعة الثانية فقد أدرك الركعة، فإذا سلم الإمام قام فصلى ركعة بركوعين، ولو أدرك في **(الركوع الثاني مع الإمام)** من إحدى الركعتين **(فقد فاتته تلك الركعة لأن الأصل هو الركوع الأوّل)** وهو المذهب، وقد نص عليه البويطي، واتفق الأصحاب على تصحيحه، وحكى صاحب التقريب قولاً آخر انه بإدراك الركوع الثاني يكون

مدركاً للقومة التي قبله، فعلى هذا لو أدرك الركوع الثاني من الأوّل وسلم الإمام قام وقرأ وركع، واعتدل وجلس وتشهد وسلّم، ولا يسجد لأن إدراك الركوع إذا حصل القيام الذي قبله كان السجود بعده محسوباً لا محالة، وعلى المذهب لو أدركه في القيام الثاني لا يكون مدركاً لشيء من الركعة أيضاً، والله أعلم.

فصل

وكيفية صلاة الكسوف عند أصحابنا أن يصلي إمام الجمعة بالناس ركعتين كل ركعة بركوع واحد كهيئة النفل من غير زيادة ركوع فيهما بلا نداء، ولا إقامة بلا جهر ولا خطبة. وسنّ تطويلهما وتطويل ركوعهما وسجودهما، ثم يدعو الإمام إن شاء قائماً مستقبل الناس، قال شمس الأئمة الحلواني، وهو أحسن من استقبال القبلة، وقال ابن الهمام: ولو قام ودعا معتمداً على قوس أو عصا كان أيضاً حسناً ولا يصعد الإمام المنبر ولا يخرج كذا في البحر المحيط والقوم يؤمنون على دعائه حتى ينجلي وإن لم يحضر الإمام صلوا فرادى.

فصل

في الفوائد المتعلقة بهذا الباب

الأولى: أخرج البخاري من حديث أبي بكرة، فقام النبي ﷺ يجر رداءه حتى دخل المسجد فدخلنا فصلى بنا ركعتين، زاد النسائي في هذا الحديث كما تصلون، وبه استدل أصحابنا على أنها كصلاة النافلة.

وأخرج أبو داود عن قبيصة بإسناد صحيح «أنه ﷺ صلّى ركعتين فأطال فيهما القيام ثم انصرف وانجلت الشمس، وفيه: فإذا رأيتموها فصلوا كاحدث صلاة صليتموها من المكتوبة» وقد روى الركعتين جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وسمرة وأبو بكرة والنعمان بن بشير.

قال الزيلعي: والأخذ بهذا أولى لوجود الأمر به من النبي ﷺ وهو مقدم على الفعل ولكثرة رواته وصحة الأحاديث فيه وموافقته للأصول المعهودة، ولا حجة للشافعي في حديث عائشة وابن عباس، لأنه قد ثبت أن مذهبهما خلاف ذلك، وصلى ابن عباس بالبصرة حين كان أميراً عليها ركعتين والراوي إذا كان مذهبه خلاف ما روي لا يبقى فيما روى حجة، ولأنه روي: أنه ﷺ صلى ثلاث ركعات في ركعة وأربع ركعات في ركعة وخمس ركعات في ركعة وست ركعات في ركعة وثمان ركعات في ركعة ولم يؤخذ به، فكل جواب له عن الزيادة على الركوعين فهو جواب لنا عما زاد على ركوع واحد، وتأويل ما زاد على ركوع واحد أنه ﷺ طول الركوع فيها فمدّ بعض القوم فرفعوا رؤوسهم أو ظنوا أنه ﷺ رفع رأسه فرفعوا رؤوسهم أو رفعوا رؤوسهم على عادة الركوع المعتاد، فوجدوا النبي ﷺ راكعاً فركعوا، ثم فعلوا ذلك ثانياً وثالثاً ففعل من خلفهم

كذلك ظناً منهم أن ذلك من النبي ﷺ، ثم روي كل واحد منهم على قدر ما وقع في ظنه، ومثل هذه الأشياء قد تقع لمن كان في آخر الصفوف، فعائشة رضي الله عنها كانت في صف النساء وابن عباس رضي الله عنه كان في صف الصبيان، والذي يدل على صحة هذا التأويل أنه عليه الصلاة والسلام لم يفعل ذلك بالمدينة إلا مرة واحدة، فيستحيل أن يكون الكل ثابتاً، فعلم بذلك أن الاختلاف من الرواة للاشتباه عليهم، وقيل: إنه ﷺ كان يرفع رأسه ليختبر حال الشمس هل انجلت أم لا، فظنه بعضهم ركوعاً فاطلق عليه اسمه فلا يعارض ما رويناه مع هذه الاحتمالات اهـ.

قال القسطلاني: نعم مقتضى كلام أصحابنا الشافعية كما في المجموع أنه لو صلاها كسنّة الظهر صحت، وكان تاركاً للأفضل أخذاً من حديث قبيصة المذكور، وحديث النعمان رفعه «جعل يصلي ركعتين ركعتين ويسأل عنها حتى انجلت» رواهما أبو داود وغيره بإسنادين صحيحين وكأنهم لم ينظروا إلى احتمال أنه صلاها ركعتين بزيادة ركوع في كل ركعة كما في حديث عائشة وجابر وابن عباس حملاً للمطلق على المقيد لأنها خلاف الظاهر وفيه نظر، فإن الشافعي لما نقل ذلك قال: يحمل المطلق على المقيد، وقد نقله عنه البيهقي في المعرفة وقال: الأحاديث على بيان الجواز، ثم قال: وذهب جماعة من أئمة الحديث منهم ابن المنذر إلى تصحيح الروايات في عدد الركعات وحملوها على أنه صلاها مرات وان الجميع جائز، والذي ذهب إليه الشافعي، ثم البخاري من ترجيح الركوعين بأنها أشهر أو أصح لما مر أن الواقعة واحدة اهـ.

لكن روى ابن حبان في الثقات أنه ﷺ صلى لخسوف القمر، فعليه الواقعة متعددة، وجرى عليه السبكي والأذرعي وسبقهما إلى ذلك النووي في شرح مسلم، فنقل فيه عن ابن المنذر وغيره أنه يجوز صلاتها على كل واحد من الأنواع الثابتة لأنها جرت في أوقات، واختلاف صفاتها محمول على جواز الجميع. قال: وهذا أقوى اهـ.

وقد وقع لبعض الشافعية كالبندنيجي أن صلاتها ركعتين كالنافلة لا يجزىء اهـ.

وأيده صاحب عمدة القاري منهم بحديث ابن مسعود، عند ابن خزيمة في صحيحه، وعبد الرحمن بن سمرة عند مسلم والنسائي وسمرة بن جندب في السنن الأربعة، وعبدالله بن عمرو وعند الطحاوي وصححه الحاكم وكلها مصرحة بأنها ركعتان، وحمله ابن حبان والبيهقي على أن المعنى كما كانوا يصلون في الكسوف، لأن أبا بكرة خاطب بذلك أهل البصرة، وقد كان ابن عباس علمهم أنها ركعتان في كل ركعة ركوعان كما رواه ابن أبي شيبة وغيره.

وثبت في حديث جابر عند مسلم أن ذلك وقع يوم موت إبراهيم وفيه: إن في كل ركعة ركوعين، فدل ذلك على اتحاد القصة وظهر أن رواية أبي بكرة مطلقة، وفي رواية جابرزيادة بيان في صفة الركوع والأخذ بها أولى، وتعقبه العيني في شرح البخاري بأن حمل ابن حبان والبيهقي على المعنى المذكور بعيد، وظاهر الكلام يرده وبأن حديث أبي بكرة من الذي شاهده

من صلاة النبي ﷺ وليس في خطاب أصلاً، ولئن سلمنا أنه خاطب بذلك من الخارج فليس معناه كما حملاه، لأنه المعنى كما كانت عادتكم فيما إذا صليتم ركعتين بركوعين وأربع سجدات على ما تقرر من شأن الصلاة.

قلت: والذي يقتضيه النظر أن تصحيح هذه الاعداد وأنه ﷺ صلاها مرات، وأن الجميع جائز وأنه كان يزيد في الركوع إذا لم يـر الشمس انجلت أولى من ترجيح الركعتين في كل ركعة لأنه يلزم من ذلك تخطئة بقية الرواة، وعلى الأول لا. وقال ابن رشد في القواعد الأولى هو التخيير فإن الجمع أولى من الترجيح.

الثانية: قال في الروضة إذا اجتمعت صلاتان في وقت قدم ما يخاف فوته ثم الآكد، فلو اجتمع عيد وكسوف أو جمعة وكسوف وخيف فوت العيد أو الجمعة لضيق وقتها قدمت وإن لم يخف، فالأظهر تقديم الكسوف، والثاني العيد والجمعة لتأكدهما وباقي الفرائض كالجمعة، ولو اجتمع كسوف ووتر أو تراويح قدم الكسوف مطلقاً لأنها أفضل، ولو اجتمع جنازة وكسوف أو عيد قدم الجنازة ويشتغل الإمام بغيرها ولا يشيعها، فلو لم تحضر الجنازة أو حضرت ولم يحضر الولي أفرد الإمام جماعة ينتظرون الجنازة، واشتغل هو بغيرها ولو حضرت جنازة وجمعة ولم يضق الوقت قدمت الجنازة وإن ضاق قدمت الجمعة على المذهب. وقال الشيخ أبو محمد: تقدم الجنازة لأن الجمعة لها بدل.

الثالثة: قال في الروضة أيضاً: إذا اجتمع العيد والكسوف خطب لهما بعد الصلاة خطبتين يذكر فيهما العيد والكسوف، ولو اجتمع جمعة وكسوف، واقتضى الحال تقديم الجمعة خطب لها، ثم صلى الجمعة ثم الكسوف ثم خطب لها، وإن اقتضى تقديم الكسوف بدأ بها ثم خطب للجمعة خطبتين وذكر فيهما شأن الكسوف، ولا يحتاج إلى أربع خطب ويقصد بالخطبتين الجمعة خاصة، ولا يجوز أن يقصد الجمعة والكسوف لأنه تشريك بين فرض ونفل بخلاف العيد والكسوف، فإنه يقصدهما جميعاً بالخطبتين لأنهما سنّتان.

الرابعة: اعترضت طائفة على قول الشافعي اجتمع عيد وكسوف وقالت هذا محال فإن الكسوف لا يقع إلا في الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين، فأجاب الأصحاب بأجوبة.

أحدها: أن هذا قول المنجمين وأما نحن فنجوّز الكسوف في غيرهما فإن الله على كل شيء قدير، وقد فعل مثل ذلك، فقد صح أن الشمس كسفت يوم مات إبراهيم، وروى الزبير بن بكار في الأنساب انه توفي في العاشر من شهر ربيع الأول، وروى البيهقي مثله عن الواقدي، وكذا اشتهر أن قتل الحسين كان يوم عاشوراء، وروى البيهقي عن أبي قبيل أنه لما قتل الحسين كسفت الشمس.

الثاني: أن وقوع العيد في الثامن والعشرين يتصوّر بأن يشهد شاهدان على نقصان رجب، وآخران على نقصان شعبان ورمضان، وكانت في الحقيقة كاملة فيقع العيد في الثامن والعشرين.

الثالث: لو لم يقع ذلك لكان تصوير الفقيه له حسناً ليتدرب باستخراج الفروع الدقيقة.

الخامسة: ما سوى الكسوفين من الآيات كالزلازل والصواعق والرياح الشديدة لا يصلى لها جماعة، لكن يستحب الدعاء والتضرع، ويستحب لكل أحد أن يصلي منفرداً لئلا يكون غافلاً. وقد روي أن علياً رضي الله عنه صلى في زلزلة جماعة، قال الشافعي: إن صح قلت به فمن الأصحاب من قال هذا قول آخر في الزلزلة وحدها، ومنهم من عممه في جميع الآيات. قال النووي: لم يصح ذلك عن علي.

قلت: وكذا قال أصحابنا لا يشرع الجماعة في الظلمة الهائلة بالنهار والريح الشديدة والزلازل والصواعق وانتشار الكواكب والضوء الهائل بالليل والثلج والامطار الدائمة، وعموم الامراض حتماً والخوف الغالب من العدوّ ونحو ذلك من الأفزاع والأهوال، لأن ذلك كله من الآيات المخوفة، فيتضرع كل واحد لنفسه ويصلي منفرداً ويدعو الله حتى ينكشف ذلك.

السادسة: قال الشافعي والأصحاب: يستحب للنساء غير ذوات الهيئات صلاة الكسوف مع الإمام، وأما ذوات الهيئات في البيوت منفردات قال الشافعي: فإن اجتمعن فلا بأس إلا أنهن لا يخطبن، فإن قامت واحدة وعظتهن وذكرتهن فلا بأس، والله أعلم.

فصل

قال الشيخ الأكبر قدس سره في كتاب الشريعة، والحقيقة صلاة الكسوف سنّة بالاتفاق وأنها في جماعة، واختلفوا في صفتها والقراءة فيها والأوقات التي تجوز فيها، وهل من شرطها الخطبة أم لا؟ وهل كسوف القمر في ذلك مثل كسوف الشمس؟ أما صفتها فقد وردت فيها روايات مختلفة عن النبي ﷺ ما بين ثابت وغير ثابت، وما من رواية إلا وبها قائل فأي شخص صلاّها على أي رواية كان جاز له ذلك، فإنه مخير في عشر ركعات في ركعتين، وفي ثمان ركعات في ركعتين، وفي ست ركعات في ركعتين، وفي أربع ركعات في ركعتين، وإن شاء صلّى ركعتين ركعتين على العادة في النوافل حتى تنجلي الشمس، وإن شاء دعا الله تعالى حتى تنجلي، فإذا انجلت صلّى ركعتين وانصرف، وكان العلاء بن زياد يصلي لها، فإذا رفع رأسه من الركوع نظر إلى الشمس، فإن انجلت سجد وإن لم تكن انجلت مضى في قيامه إلى ان يركع ثانية، فإذا رفع رأسه من الركوع نظر إلى الشمس، فإن انجلت سجد وإلاّ مضى في قيامه حتى يركع. هكذا حتى تنجلي والاعتبار في ذلك أن الكسوف آية من آيات الله يخوف الله به عباده، فإذا وقع فالسنة أن يفزع الناس إلى الصلاة كسائر الآيات المخوّفات مثل الزلازل وشدة الظلمة واشتداد الرياح على غير المعتاد.

وسئل رسول الله ﷺ عن الكسوف فقال: إذا تجلى الله لشيء خشع، والحديث غير ثابت.

وسبب كسوف الشمس والقمر معلوم، وقد جعله الله آية على ما يريد أن يحدثه من الكوائن في العالم العنصري بحسب المنزلة التي يقع الكسوف فيها وهو علم قطعي عند العلماء به، ويكون في مكان أكثر منه في آخر ويبتدىء في مكان ويكون في مكان آخر غير واقع في ذلك الوقت إلى جزء من ساعة على ما يعطيه الحساب، وحينئذ يبتدىء الكسوف في ذلك الموضع الآخر. وكسوف الشمس سببه أن يحول القمر بين الأبصار وبين الشمس، فعلى قدر ما يحجب منه يكون الكسوف في ذلك الموضع وقد يحجبه كله فيظلم الجو في أبصار الناظرين والشمس منيرة في نفسها ما تغير عليها حال، وكذلك القمر سبب كسوفه إنما هو أن يحول ظل الأرض بينه وبين الشمس، فعلى قدر ما يحول بينهما يكون الكسوف في القمر، ولهذا يعرفه من يعرفه من العلماء بتسيير الكواكب ومقاديرها فلا يخطؤن فيه ولو لم يكن كذلك ما علموه، فإن الأمور العوارض لا تعلم والأمور الجارية على أصول ثابتة لا تنخرم فعلمها العلماء بتلك الأصول إلى أن يخرم الله ذلك الأصل فلله المشيئة في ذلك، ولهذا لا يتمكن أن يقال في علم المنجم القائل بذلك أنه علم لأن تلك الأصول التي بني عليها إنما هي عن وضع إلهي في ترتيب استمرت به العادة، ولما كان الواضع لها وهو الله تعالى قد يمكن أن يزيلها لم يكن القائل بوقوعها على علم قطعي، فإنه ما يعرف ما في نفس الواضع لها وهو الله تعالى، ولكن يقول: إن أبقى الله تعالى الترتيب وسيره في المنازل على ما قدره، فلا بدّ أن يقع هذا الأمر، فلهذا ينفي العلم عنه فضوء القمر لما كان مستفاداً من الشمس أشبه النفس في الأخذ عن الله نور الإيمان والكشف، فإذا كملت النفس وصح لها التجلي على المقابلة وهي ليلة البدر ربما التفتت إلى طبيعتها فتجلت فيها ظلمة طبيعتها، فحالت تلك الظلمة بينها وبين نورها الإلهي كما حال ظل الأرض بين القمر الذي هو بمنزلة النفس وبين الشمس، فعلى قدر ما نظرته إلى طبيعتها انحجبت عن نور الإيمان الإلهي فذلك كسوفها، فهذا كسوف القمر.

وأما كسوف الشمس، فهو كسوف العقل فإن الله خلقه ليأخذ عن الله فحالت النفس التي هي بمنزلة القمر بينه وبين الحق من حيثما يأخذ عنه فيريد العقل أن يأخذ عن الحق عن علم ما يوجده في الأرض فتحول النفس بينه وبين الأرض حتى لا ينظر إليه سبحانه فيما يحدثه فيها، والأرض عبارة عن عالم الجسم فينحجب العقل بحجاب النفس، فذلك بمنزلة كسوف الشمس فلا يدركها ابصار الناظرين ممن هو في تلك الموازنة ويفوت العقل من العلم بالله بقدر ما انحجب عنه من عالم الجسم، فلهذا شرع الله التوجه إلى مناجاته والدعاء لرفع ذلك الحجاب، فإن الحجاب جهل وبُعد في الموطن الذي ينبغي له الكمال، ولهذا لم يكن الكسوف إلا عند الكمال في النيرين في القمر ليلة بدره وهو كماله في الأخذ من الوجه الذي يلينا وكسوف الشمس في ثمانية وعشرين يوماً من سير القمر في جميع منازل الفلك، فلما وصل إلى نهايته وأراد أن يقابل الشمس من الوجه الآخر حتى يأخذ عنها على الكمال في عالم الأرواح كما أخذ عنها ليلة الرابع عشر في عالم الاجسام ليفيض من نوره على عالم الأجسام، فاشتغلت الشمس باعطاء القمر اسعافاً لطلبه، فكان الكسوف لهذا الإسعاف، ولهذا لا يكون للكسوفات حكم في الأرض إلّا في الأماكن التي يظهر

....

فيها الكسوف. وأما الأماكن التي لا يظهر فيها الكسوف فلا حكم له فيها ولا أثر وذلك تقدير العزيز العليم صنعة حكيم حتى ان الشمس إذا أعطى الحساب أنها تكسف ليلاً لم يكن لذلك الكسوف حكم في ظاهر الأرض الذي غابت عنه الشمس، وكذلك القمر لو انكسف في غيبته عنا لم يكن لذلك الكسوف حكم ولا يعتبر كذلك ظاهر الإنسان وباطنه، فقد يقع الكسوف في الأعمال أي في العلم الذي يطلب العمل كأحكام الشرائع، وقد يقع في العلوم التي تتعلق بالباطن ولا حكم لها في الظاهر في موضع تعلقها أما في علم العمل وأما في العلم الذي لا يطلب العمل بحسب ما يقع، فيتعين على من تكون حالته مثل هذه ان يتضرع إلى الله تعالى، فإن اخطأ المجتهد فهو بمنزلة الكسوف الذي يكون في غيبة المكسوف فلا وزر عليه وهو مأجور، وإن ظهر له النص وتركه لرأيه أو لقياسه فلا عذر له عند الله وهو مأثوم وهو الكسوف الظاهر الذي يكون له الأثر المقرر عند علماء هذا الشأن، وأكثر ما يكون مثل هذا في الفقهاء المقلدين لمن قالوا لهم لا تقلدونا، واتبعوا الحديث المعارض لكلامنا، فإن الحديث مذهبنا فأبت المقلدة من الفقهاء أن تولي حقيقة تقليدها لإمامها باتباعها الحديث عن أمر إمامها وقلدته في الحكم مع وجود المعارض فعصت الله في قوله: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ [الحشر: ٧] وعصت الرسول في قوله فاتبعوني وعصت إمامها في قوله: «خذوا بالحديث إذا بلغكم واضربوا بكلامي الحائط». فهؤلاء لا يزال كسوف الشمس عليهم سرمداً إلى يوم القيامة فيتبرأ منهم الله ورسوله والائمة، فانظر مع من يحشر مثل هؤلاء. فالصلاة المشروعة في الكسوف إنما هي لمناجاة الحق في رفع ظلمة النفس وظلمة الطبع كما يقول. ﴿اهدنا الصراط المستقيم★ صراط الذين انعمت عليهم﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] وهم أهل الأنوار ﴿غير المغضوب عليهم﴾، وهم أهل ظلمة الطبع ﴿ولا الضالين﴾ وهم أهل ظلمة النفس، فالله يحول بيننا وبين من يكسف عقولنا ونفوسنا ويجعلنا أنواراً لنا ولمن يقتدي بنا انه الملي بذلك والقادر عليه.

وأما اعتبار عدد الركعات في الركعتين فاعلم أن الركعتين ظاهر الإنسان وباطنه أو عقله وطبعه أو معناه وحرفه أو غيبته وشهادته، وأما العشرة فهو تنزيهه في الركعتين خالقه جل وعز عن القبل والبعد والكل والبعض والفوق والتحت واليمين والشمال والخلف والامام، فيرجع هذا التنزيه من الله عليه فإنه عمل من أعماله فيكون له برجوع هذا العمل عليه هذه الأحكام كلها فلا قبل له، فإنه لم يكن إلا الله والله لا يتصف بالقبلية ولا بعد له، فإنه باق فلا يبعد ولا كل له، فإنه لا يتجزأ ولا يتحيز ومن لا كل له من ذاته فلا بعض له ولا من يتصف بهذه الصفات فلا جهات له.

وأما اعتبار الثمانية في اثنتين فالثمانية الذات والصفات فتغيب الذات الكونية وصفاتها في الذات الأحدية وتندرج أنوار صفاتها في صفاتها وهو قوله: كنت سمعه وبصره، وذكر جوارحه فلا تقع عين إلاّ عليه ظاهراً وباطناً من عرف نفسه عرف ربه، فهكذا الأمر في الباطن.

وأما اعتبار الست في اثنتين فهو قوله: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ [البقرة: ١١٥] وقوله: ﴿والله بكل شيء مُحيط﴾ [فصلت: ٥٤].

واما اعتبار الأربعة في الاثنتين فهو قوله ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ [الأعراف: ١٧] وعلى كل طريق يأتي إليه منها ملك مقدس بيده السيف صلتا، فإن كان المؤتى إليه من العارفين لم يكن له ملك يحفظه بل هو كسير وقته من أي ناحية جاءه قبل منه وقلب جسده ذهباً ابريزاً فيعود الآتي من الخاسرين.

وأما القراءة فيها فقيل يقرأ فيها سراً، وقيل جهراً والاعتبار ان كان كسوفه نفسياً أسر في مناجاته وذكر الله في نفسه، وإن كان كسوفه في عقله جهر في قراءته وهو يحثه على الأدلة الواضحة الظاهرة الدلالة القريبة المأخذ التي يشركه فيها العقلاء من حيثما هم أهل فكر ونظر واستدلال، والآخرون أهل كشف وتجلٍ نتيجة الرياضة والخلوات وتطويل المناجاة والتضرع إلى الله فيها مشروع كتطويل القراءة فيها، فإنه روي أنه كان يقوم فيها بقدر سورة البقرة، والقيام الثاني أقل، والثالث دونه، والرابع دون الثالث، وهكذا كلما صلّى يقلل عن القدر الذي في القيام قبله، ويكون ركوعه على النحو من قيامه، وسبب ذلك أن عالم الأرواح ما يتعبهم القيام ولا يدركهم ملل لأن النشأة نورية خارجة عن حكم الأركان، وأما نشأة تقوم من العناصر إلى الاستحالات البعيدة والقريبة فيعبر عن ذلك بالنصب والتعب، وكلما نزل فيها من معدن إلى نبات إلى حيوان إلى إنسان كان التعب أقوى في آخر الدرجات وهو الانسان والنصب أعم، فإنه سريع التغير فإن له الوهم، ولا شك أن الأوهام تلعب بالعقول كتلاعب الأفعال بالأسماء.

وأما الاعتبار في وقتها فكما لا يتعين للكسوف وقت لا يتعين للصلاة له، لأن الصلاة تابعة للحال، وقد ثبت الأمر بالصلاة لها وما خص وقتاً عن وقت وهي صلاة مأمور بها بخلاف النافلة، فإنها غير مأمور بها، فإن حملنا الصلاة على الدعاء دعونا في الوقت المنهي عن الصلاة فيه، وصلينا في غيره من الأوقات.

وأما الاعتبار في خطبتها فالخطبة وعظ وذكرى، والآية وعظ وذكرى، والكسوف آية فوقعت المناسبة فترجح جانب من يقول باشتراط الخطبة، وقد ثبت أن النبي ﷺ ذكر الناس في ذلك اليوم بعد الفراغ من الصلاة.

وأما كسوف القمر فمن قائل يصلي له في جماعة كصلاة كسوف الشمس، ومن قائل لا يصلي له في جماعة، واستحب صاحب هذا القول أن يصلي له أفذاذاً ركعتين ركعتين كسائر النوافل، والاعتبار في ذلك لما كان كسوف الشمس سببه القمر كان كسوف القمر كالعقوبة له لكسوفه للشمس، فتضمن كسوف القمر آيتين، فكانت الصلاة في الجماعة له أولى فإن شفاعة الجماعة لها حرمة أكثر من حرمة الواحد، فالجمع لها ينبغي أن يكون آكد من الجمع للشمس وكسوف القمر نفسي كما قدمنا والنفس دائما هي المزاحمة للربوبية بخلاف العقل، فكان ذنبها أعظم وحالها

الثانية: صلاة الاستسقاء: فإذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أو انهارت قناة فيستحب للإمام أن يأمر الناس أولاً بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج

أخطر، فاجتماع الشفعاء عند الشفاعة أولى من اتيانهم أفذاذاً، ومن اعتبر في الكسوفات الخشوع كما ورد في الحديث الذي ذكرناه كان منبهاً على الخشوع للمصلي، فإن الله يقول ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون: ١] وقال: ﴿وإنها لكبيرة﴾ يعني الصلاة ﴿إلا على الخاشعين﴾ [البقرة: ٤٥] وخشوع كل خاشع على قدر علمه بربه وعلمه بربه على قدر تجليه له، والله أعلم.

(الثانية: صلاة الاستسقاء) أي الدعاء لطلب السقيا، وهي المطر من الله تعالى عند حصول الجدب على وجه مخصوص، وسقاه واسقاه بمعنى والسقي مصدر، وطلب الماء يكون في ضمنه كالاستغفار طلب المغفرة، وغفر الذنوب في ضمنه. وثبت الاستسقاء بالكتاب والسنّة والإجماع.

أما الكتاب؛ فقصة نوح عليه السلام وشرع من قبلنا شرع لنا إذا قصه الله ورسوله من غير إنكار، وهذا كذلك ورسوله ﷺ استسقى والإجماع ظاهر على الاستسقاء. وقال النووي في الروضة: المراد بالاستسقاء سؤال الله أن يسقي عباده عند حاجتهم، وله أنواع أدناها الدعاء بلا صلاة ولا خلف صلاة فرادى أو مجتمعين لذلك، وأوسطها الدعاء خلف الصلوات وفي خطبة الجمعة ونحو ذلك، وأفضلها الاستسقاء بركعتين وخطبتين. قال: ويستوي في استحباب الاستسقاء أهل القرى والأمصار والبوادي والمسافرون، ويسن لهم جميعاً الصلاة والخطبة، ولو انقطعت المياه ولم تمس إليها حاجة في ذلك الوقت لم يستسقوا، ولو انقطعت عن طائفة من المسلمين واحتاجت استحب لغيرهم أن يصلوا ويستسقوا لهم ويسألوا الزيادة لانفسهم اهـ.

وقال القسطلاني الاستسقاء ثلاثة أنواع. أحدها: أن يكون بالدعاء مطلقاً فرادى ومجتمعين، وثانيها: أن يكون بالدعاء خلف الصلوات ولو نافلة كما في البيان وغيره عن الأصحاب خلافاً للنووي حيث قيده في شرح مسلم بالفرائض، وفي خطبة الجمعة. وثالثها: وهو الأفضل بالصلاة والخطبتين، وبه قال مالك، وأبو يوسف، ومحمد. وعن أحمد: لا خطبة وإنما يدعو ويكثر الاستغفار والجمهور على سنية الصلاة خلافاً لأبي حنيفة اهـ. وسيأتي البحث في ذلك.

ثم أشار المصنف إلى السبب الحامل للاستسقاء مع بيان أفضل أنواعه الثلاثة وآدابها فقال: **(فإذا غارت الأنهار)** التي كانت تجري بأن ذهب ماؤها غوراً في الأرض **(وانقطعت الأمطار)** المحتاج إليها في أدائها **(أو انهارت قناة)** أي سقطت أو تداعى بعضها أثر بعض أو تهدمت، فذهب أكثر مائها، **(فيستحب للامام)** أو لمأموره **(أن يأمر الناس أوّلاً بصيام ثلاثة أيام)** متوالية قبل يوم الخروج، **(و)** يأمرهم أيضاً **(الخروج من المظالم)** في الدم والعرض والمال **(والتوبة من المعاصي)** الظاهرة والباطنة وبالتقرب إلى الله تعالى بما يستطيعون

من المظالم والتوبة من المعاصي، ثم يخرج بهم في اليوم الرابع وبالعجائز والصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة متواضعين ـ بخلاف العيد ـ وقيل: يستحب إخراج الدواب لمشاركتها في الحاجة، ولقوله ﷺ: «لولا صبيان رُضّع ومشايخ ركّع وبهائم رتع

من الخير من عتق الرقاب وفك العاني وإطعام الطعام وغير ذلك، **(ثم يخرج بهم يوم الرابع)** صياماً، ففي صوم يومها والثلاثة التي قبلها أثر ظاهر في رياضة النفس واجابة الدعاء، وقال أصحابنا: إنما يخرجون ثلاثة أيام متتابعات لأنها مدة ضربت لابداء الأعذار، ولم ينقل أكثر منها ويقدمون الصدقة في كل يوم قبل خروجهم ويجددون التوبة ويستغفرون للمسلمين ويتراضون بينهم. كذا في التبيين أي بطلب المسامحة منهم من التبعات، ويستحب الخروج **(بالعجائز)** جمع عجوز أي بالضعفة والشيوخ وليست جمع عجوزة **(والصبيان)** أي الأطفال الصغار، وفي الروضة: ويستحب إخراج الصبيان والمشايخ ومن لا هيئة لها من النساء اهـ.

ويستحب أن يخرجوا مشاة **(متنظفين)** بالماء والسواك وقطع الرائحة الكريهة **(في ثياب بذلة)** وهي التي تلبس في حال الخدمة والشغل بالأعمال للاتباع رواه الترمذي وصححه، وعند أحمد وأصحاب السنن من حديث ابن عباس رفعه: «خرج متبذلاً متواضعاً متضرعاً في المصلي فرقي المنبر» الحديث وينزعها بعد فراغه من الخطبة. وقال أصحابنا في ثياب خلقة غير مرقعة أو مرقعة وهو أولى اظهاراً لصفة كونهم، وقوله: **(واستكانة)** هو عطف تفسير، وعبارة الروضة في ثياب بذلة وتخشع **(متواضعين)** خاشعين لله تعالى ناكسي رؤوسهم **(بخلاف العيد)**، فإنه يؤمر فيه بالطيب والزينة والتجمل في كل شيء، **(وقيل: يستحب إخراج الدواب)** أيضاً **(لمشاركتهم في الحاجة)**، وعبارة الروضة: ويستحب إخراج البهائم على الأصح، وعلى الثاني لا يستحب، فإن أخرجت فلا بأس اهـ.

وقال أصحابنا: ويستحب إخراج الدواب وأولادها ويفرقون فيما بينها ليحصل التحنن وظهور الضجيج بالحاجات اهـ.

ولقوله ﷺ: **(«لولا صبيان رضع)** جمع راضع **(ومشايخ ركع)** جمع راكع **(وبهائم رتع)** جمع راتعة **(لصب عليكم البلاء صباً»)** قال العراقي: أخرجه البيهقي وضعفه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وأخرجه أبو يعلى أيضاً من حديث أبي هريرة، وأخرجه الطيالسي والطبراني في الكبير والأوسط والبيهقي أيضاً، وابن منده وابن عدي وآخرون كلهم من حديث هشام بن عمار عن عبد الرحمن بن سعد بن عمار عن مالك بن عبيدة بن مانع الديلمي، عن أبيه، عن جده ولفظهم: «لولا عباد الله ركع وصبية رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صباً» وعند بعضهم: «البلاء» بدل «العذاب» وعند الطبراني والبيهقي زيادة ثم رص رصاً. قال الذهبي في المهذب:

لصب عليكم العذاب صباً ». ولو خرج أهل الذمة أيضاً متميزين لم يمنعوا فإذا اجتمعوا في المصلى الواسع من الصحراء نودي: « الصلاة جامعة »

حديث ضعيف مالك وأبوه مجهولان، وقال الهيثمي بعدما عزاه للطبراني فيه عبد الرحمن بن سعد بن عمار وهو ضعيف اهـ.

وأخرج ابن ماجه من حديث عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر مرفوعاً في حديث أوله: « يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن فذكرها ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا.

ولفظ حديث أبي هريرة عند البيهقي: « لولا شباب خشع وبهائم رتع وشيوخ ركع وأطفال رضع لصب عليكم العذاب صباً » وفي سنده ابراهيم بن خيثم قال النسائي متروك، وقال الأزدي: كذاب ذكره صاحب الميزان، وذكر له هذا الحديث.

وعند البخاري مرفوعاً: « هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم ».

وأخرج الحاكم بإسناد صحيح: « أن نبياً من الأنبياء استسقى فإذا هو بنملة رافعة ببعض قوائمها إلى السماء فقال ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل النملة ».

(ولو خرج أهل الذمة متميزين) بعلاماتهم **(أيضاً لم يمنعوا)** من الخروج، وفي الروضة: وأما خروج أهل الذمة فنص الشافعي رحمه الله على كراهته والمنع منه إن حضروا مستسقى المسلمين وإن تميزوا ولم يخلطوا بالمسلمين لم يمنعوا، وحكى الروياني وجهاً أنهم يمنعون وإن تميزوا إلا أن يخرجوا في غير يوم المسلمين اهـ.

قلت: وبمثل ما حكى الروياني قاله أصحابنا مستدلين بقوله تعالى: ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ [غافر: ٥٠] ولأنه لا يتقرب إلى الله بأعدائه والاستسقاء لاستنزال الرحمة، وإنما تنزل عليهم اللعنة كذا في التبيين أي فلا يصلح حضورهم في ذلك الوقت، وبه قال أصبغ من المالكية، وهو قول الزهري، وعزا شارح المختار من أصحابنا إلى مالك الجواز كمذهب الشافعي وقال: لأن دعاءهم قد يستجاب في أمور الدنيا، وفي الدراية لأصحابنا لا يمنع أهل الذمة من ذلك، فلعل الله يستجيب دعاءهم استعجالاً لحظهم في الدنيا اهـ.

ولكن المذهب الأول، وأورد بعض المتأخرين بأنه ليس المراد إلا الرحمة العامة الدنيوية وهو المطر والرزق وهم من أهلها، ولذا قال ابن الهمام: الصواب أنهم لا يمكنون من أن يستسقوا وحدهم لاحتمال أن يسقوا فقد تفتتن بهم ضعفاء العوام.

(فإذا اجتمعوا في المصلى) وهو الموضع **(الواسع في الصحراء)** لا في المسجد حيث لا عذر للاتباع، ولأنه يحضرها غالب الناس والصبيان والحيض والبهائم وغيرهم، فالصحراء أوسع لهم وأليق، واستثنى صاحب الخصال المسجد الحرام وبيت المقدس. قال الاذرعي: وهو حسن وعليه عمل السلف والخلف لفضل البقعة واتساعها كما مر في العيد اهـ.

فصلى بهم الإمـــــام ركعتين مثـــــل صلاة العيـــــد ـ بغير تكبير ـ

لكن الذي عليه الأصحاب استحبابها في الصحراء مطلقاً للاتباع والتعليل السابق، ففي حديث عبدالله بن زيد خرج النبي ﷺ إلى المصلى يستسقي.

قلت: واستحب أصحابنا أيضاً الخروج إلى الصحراء للاتباع وللتعليل السابق واستثنوا المسجد الحرام والمسجد الأقصى، فيجتمعون فيهما لشرف المحل ولزيادة فضله ونزول الرحمة به، وقاس بعض أصحابنا المتأخرين عليهما أيضاً المسجد النبوي لاتحاد كل من الثلاثة في التعليل الذي ذكروا، وحمل بعضهم عدم ذكره فيما استثني على ضيق المسجد النبوي غير ظاهر، لأن من هو مقيم بالمدينة المنوّرة لا يبلغ قدر الحاج، وعند اجتماع جملتهم يشاهد اتساع المسجد الشريف في أطرافه **(نودي « الصلاة جامعة »)** كما ينادى، بها في العيدين أي بلا أذان ولا إقامة، **(وصلى بهم الإمام ركعتين)** يكبّر في الأولى سبع تكبيرات زائدة، وفي الثانية خمساً ويجهر فيهما بالقراءة، ويقرأ في الأولى بعد الفاتحة: « ق » وفي الثانية « اقتربت ». وقال بعض الأصحاب: يقرأ في إحداهما: ﴿إنا أرسلنا نوحاً﴾ [نوح: ١] ولتكن في الثانية، وفي الأولى « ق » ونص الشافعي رحمه الله تعالى أنه يقرأ فيهما ما يقرأ في العيد وإن قرأ: ﴿إنّا أرسلنا﴾ كان حسناً، وهذا يقتضي أن لا خلاف في المسألة وإن كلاً سائغ، ومنهم من قال في الأحب خلاف، والأصح انه يقرأ ما يقرأ في العيد. كذا في الروضة، ولذا قال المصنف: **(مثل صلاة العيد بلا فرق)** أي في التكبيرات. وفي القراءة وفي الوقوف بين كل تكبيرتين مسبحاً حامداً مهللاً، وقيل: يقرأ في الأولى سبح اسم ربك، وفي الثانية الغاشية. واستدل له صاحب المهذب بما رواه الدارقطني أن مروان أرسل إلى ابن عباس يسأله عن سنة الاستسقاء، فقال: الصلاة كالصلاة في العيدين إلا أنه ﷺ قلب رداءه وصلى ركعتين كبّر في الأولى سبع تكبيرات، وقرأ سبح اسم ربك الأعلى، وقرأ في الثانية هل أتاك، وكبر خمس تكبيرات. لكن قال النووي في المجموع إنه حديث ضعيف نعم حديث ابن عباس عند الترمذي، ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيدين أخذ بظاهره الشافعي فقال: يكبّر فيها كما سبق، وذهب الجمهور إلى أنه يكبر فيها تكبيرة واحدة للإحرام كسائر الصلوات، وبه قال مالك، وأحمد، وأبو يوسف، ومحمد لحديث الطبراني في الأوسط عن أنس مرفوعاً « أنه استسقى فخطب قبل الصلاة واستقبل القبلة وحوّل رداءه ثم نزل فصلى ركعتين لم يكبر فيهما إلا تكبيرة » وأجابوا عن حديث الترمذي السابق كما يصلي في العيدين يعني في العدد والجهر بالقراءة وركون الركعتين قبل الخطبة.

فصل

وقد اختلفت عبارات أصحابنا في صلاة الاستسقاء، ففي مختصر القدوري ليس في الاستسقاء صلاة مسنونة في جماعة، فإن صلّى الناس وحداناً جاز، وسأل أبو يوسف أبا حنيفة عن الاستسقاء هل فيه صلاة أو دعاء مؤقت أو خطبة؟ فقال: أما صلاة بجماعة فلا، ولكن فيه الدعاء أو الاستغفار.

ثم يخطب خطبتين وبينهما جلسة خفيفة، وليكن الاستغفار معظم الخطبتين، وينبغي في

وإن صلوا وحداناً فلا بأس به، وهذا ينفي كونها سنّة أو مستحبة، ولكن إن صلوا وحداناً لا يكون بدعة ولا يكره فكأنه يرى إباحتها فقط في حق المنفرد. وذكرَ صاحب التحفة وغيره أنه لا صلاة في الاستسقاء في ظاهر الرواية، وهذا ينفي مشروعيتها مطلقاً، وعبارة الكنز له صلاة لا بجماعة، وهذا يشير إلى انها مشروعة في حق المتفرد. وقال محمد: يصلي الإمام أو نائبه ركعتين بجماعة كما في الجمعة، وأبو يوسف معه في رواية، ومع أبي حنيفة في أخرى.

ولأبي حنيفة ما في الصحيحين من حديث أنس: « إن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ، ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: اللهم اغثنا اللهم اغثنا اللهم اغثنا » الحديث بطوله.

وأخرج أبو داود، والنسائي نحوه. فقد استسقى رسول الله ﷺ ولم يصلِّ له.

وثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى ولم يصلِّ، ولو كانت سنّة لما تركها لأنه كان أشد الناس اتباعاً لسنّة رسول الله ﷺ، وتأويل ما رواه أنه ﷺ فعله مرة وتركه أخرى بدليل ما رويناه عن عمر، والسنة لا تثبت بمثله بل بالمواظبة كذا في التبيين.

وفي المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن عيسى بن حفص بن عاصم، عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي عن أبيه قال: خرجنا مع عمر بن الخطاب نستسقي فما زاد على الاستغفار.

حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن مطرف، عن الشعبي أن عمر بن الخطاب خرج يستسقي فصعد المنبر فقال: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾ [نوح: ١٠ - ١٢] ثم نزل، فقالوا يا أمير المؤمنين: لو استسقيت؟ فقال: « لقد طلبته بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر ».

حدثنا جرير عن مغيرة عن أسلم العجلي قال: خرج أناس مرة يستسقون وخرج ابراهيم معهم، فلما فرغوا قاموا يصلون، فرجع ابراهيم ولم يصل معهم.

حدثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم أنه خرج مع المغيرة بن عبدالله الثقفي يستسقي قال: فصلى المغيرة فرجع ابراهيم حيث رآه صلّى.

(**ثم يخطب خطبتين**) أركانها وشرائطها كما تقدم في العيد (**بينهما جلسة خفيفة**).

وأخرج البخاري من حديث عبدالله بن زيد قال: « رأيت النبي ﷺ يوم خرج يستسقي قال فحول إلى الناس ظهره واستقبل القبلة يدعو ثم حول رداءه ثم صلى لنا ركعتين جهر فيهما بالقراءة » استدل شارحه ابن بطال من التعبير بثم في قوله: ثم حول إن الخطبة قبل الصلاة لأن « ثم » للترتيب.

وسط الخطبة الثانية أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحوّل رداءه في هذه الساعة تفاؤلاً بتحويل الحال. هكذا فعل رسول الله ﷺ

وأجيب: بأنه معارض بقوله في حديثه الآخر عند البخاري استسقى فصلى ركعتين وقلب رداءه لأنه اتفق على أن قلب الرداء إنما يكون في الخطبة وتعقب بأنه لا دلالة فيه على تقديم الصلاة لاحتمال أن تكون الواو في وقلب للحال أو للعطف ولا ترتيب فيه. نعم في سنن أبي داود بإسناد صحيح مرفوعاً «أنه خطب ثم صلى» فلو قدم الخطبة جاز كما نقله في الروضة عن صاحب التتمة ونصه: قال الشافعي والأصحاب: إذا ترك الإمام الاستسقاء لم يتركه الناس، ولو خطب قبل الصلاة قال صاحب التتمة: يجوز وتصح الخطبة والصلاة، ويحتج لهذا بما ثبت ثم ساق حديث البخاري وأبي داود اهـ كلام الروضة.

لكن الأحاديث التي ذكر فيها تأخير الخطبة أكثر رواة ومعتضدة بالقياس على خطبة العيد والكسوف، وممن نقل جواز تقديم الخطبة على الصلاة الشيخ أبو حامد كما نقله النووي في المجموع، وقال أصحابنا: ولا يخطب عند أبي حنيفة لأنها تبع للجماعة ولا جماعة عنده، وعند أبي يوسف ومحمد يخطب، ولكن عند أبي يوسف خطبة واحدة، وعند محمد خطبتين وهو رواية عن أبي يوسف.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن هشام بن إسحاق بن عبدالله بن كنانة عن أبيه قال: أرسلني أمير من الأمراء إلى ابن عباس اسأله عن الاستسقاء، فقال ابن عباس: ما منعه أن يسألني. قال ابن عباس: خرج رسول الله ﷺ متواضعاً متبذلاً متخشعاً متضرعاً مترسلاً فصلى ركعتين كما يصلي في العيد ولم يخطب خطبتكم هذه، وتخالف خطبة الاستسقاء خطبة العيد في أمور وإليه أشار المصنف بقوله:

(وليكن الاستغفار معظم الخطبتين) أي يبدل التكبيرات المشروعة في أولها بالاستغفار، فيقول: استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ويختم كلامه بالاستغفار ويكثر منه في الخطبة، ومن قوله: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾ [نوح: ١٠] الآية. قال النووي في الروضة: ولنا وجه حكاه في البيان عن المحاملي أنه يكبر هنا في ابتداء الخطبة كالعيد، والمعروف الأول. **(و)** منها أنه **(ينبغي في وسط الخطبة الثانية)** وهو نحو ثلثها كما في دقائق المنهج للنووي **(ان يستدبر الناس ويستقبل القبلة)**، وأما في الخطبة الأولى وصدر من الثانية يكون مستقبلهم مستدبر القبلة، **(و)** منها أنه **(يحوّل رداءه في هذه الساعة)** أي عند تحوّله إلى القبلة **(تفاؤلاً بتحويل الحال)** عما هو عليه وتغيره إلى الخصب والسعة. **(هكذا فعل رسول الله ﷺ)** قال العراقي: أخرجاه من حديث عبدالله بن زيد اهـ.

قلت: لفظ البخاري باب تحويل الرداء في الاستسقاء، حدثنا إسحاق، حدثنا وهب، أخبرنا شعبة، عن محمد بن أبي بكر، عن عباد بن تميم، عن عبدالله بن زيد: «أن النبي ﷺ استسقى

فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين. وكذلك يفعل الناس ويدعون في هذه الساعة سراً، ثم يستقبلهم فيخطب الخطبة ويدعون

فقلب رداءه». وأخرج أيضاً في أول الاستسقاء وفي الدعوات ومسلم في الصلاة، وكذا أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

ولفظ البخاري: حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن عبدالله بن أبي بكر، عن عباد بن تميم عن عمه قال: خرج النبي ﷺ يستسقي وحوّل رداءه.

وقال البخاري أيضاً: حدثنا علي بن عبدالله، حدثنا سفيان قال عبدالله بن أبي بكر: سمع عباد بن تميم يحدث أباه عن عمه عبدالله بن زيد: «أن النبي ﷺ خرج إلى المصلى فاستسقى فاستقبل القبلة وقلب رداءه وصلى ركعتين». وأخرجه الترمذي أيضاً وقال: حسن صحيح، وأخرجه ابن حبان وغيره، ومثله في حديث أنس عند الطبراني في الأوسط. ولفظه: «واستقبل القبلة وحوّل رداءه ثم نزل فصلى ركعتين» وقد ورد التصريح بما قاله المصنف في التفاؤل فيما أخرج الدارقطني بسند رجاله ثقات مرسلاً، عن جعفر بن محمد عن أبيه بلفظ: «حول رداءه ليتحوّل القحط».

وأخرج الحاكم في المستدرك وصححه من حديث جابر بلفظ: «وحوّل رداءه ليتحوّل القحط إلى الخصب». وفي مسند إسحاق ليتحوّل السنّة من الجدب إلى الخصب ذكره من قوله وكيع قال في الروضة: وهل ينكسه مع التحويل قولان الجديد نعم والقديم لا، وقد أشار المصنف إلى بيان كيفية التحويل والتنكيس معتمداً على القول الجديد فقال: **(فيجعل أعلاه أسفله)** وهو تفسير التنكيس، **(و)** أما تفسير التحويل فإن يجعل **(ما على)** عاتقه **(اليمين على)** عاتقه **(الشمال و)** بالعكس بأن يجعل **(ما على)** عاتقه **(الشمال على)** عاتقه **(اليمين)** قال في الروضة: ومتى جعل الطرف الأسفل الذي على شقه الأيسر على عاتقه الأيمن، والطرف الأسفل الذي على شقه الأيمن على عاتقه الأيسر حصل التحويل والتنكيس جميعاً. هذا في الرداء المربع، فأما المقوّر والمثلث فليس فيه إلا التحويل اهـ.

والجمهور على استحباب التحويل فقط، والذي اختاره الشافعي أحوط، **(وكذلك يفعل الناس)** بأرديتهم فيحوّلونها تفاؤلاً. وعند أحمد في مرسل جعفر بن محمد الذي تقدم ذكره وحوّل الناس معه وهو حجة على من خصه بالإمام، **(و)** يستحب أن **(يدعون في هذه الساعة)** أي عند استقباله القبلة في أثناء الخطبة الثانية **(سراً)** وجهراً ويبالغون فيه، وإذا أسرّ الإمام دعا الناس سراً. كذا في الروضة، وفي كلام بعضهم ويسر ببعض الدعاء فيها، **(ثم يستقبلهم)** ويستدبر القبلة **(فيختم الخطبة)** بما سيأتي بيانه **(ويدعون)** أي يتركون **(أرديتهم محوّلة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب)**.

أرديتهم محوّلة كما هي حتى ينزعوها متى نزعوا الثياب. ويقول في الدعاء: «اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد دعونا كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا. اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا واجابتك في سقيانا وسعة أرزاقنا». ولا بأس بالدعاء أدبار

تنبيه:

في حديث عبدالله بن زيد عند البخاري في باب كيف حوّل النبي ﷺ رداءه قال: رأيت النبي ﷺ يوم خرج يستسقى قال: فحوّل إلى الناس ظهره واستقبل القبلة يدعو، ثم حوّل رداءه الحديث ظاهره أن الاستقبال وقع سابقاً لتحويل الرداء وهو ظاهر كلام الشافعي، ووقع في كلام كثير من الأصحاب كما عند المصنف هنا أنه يحوّله حال الاستقبال، والفرق بين تحويل الظهر والاستقبال أنه في ابتداء التحويل وأوسطه يكون منحرفاً حتى يبلغ الانحراف غايته فيصير مستقبلاً. كذا في فتح الباري.

(و) يستحب أن **(يقول في الدعاء)** في هذه الحالة: **(اللهم إنك)** وفي رواية: أنت **(أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد)** وفي رواية: وقد **(دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا)** وفي رواية: فأجبنا **(كما وعدتنا اللهم فامنن)** وفي رواية: امنن **(علينا بمغفرة ما قارفنا)** أي اكتسبنا **(واجابتك في سقيانا وسعة رزقنا)**. هذا الدعاء منقول عن الشافعي، ثم المتبادر من سياق المصنف أن هذا الدعاء محله بعد ختم الخطبة وليس كذلك، ففي الروضة قال الشافعي: وليكن من دعائهم في هذه الحالة: اللهم أنت أمرتنا إلخ. ثم قال: فإذا خرج من الدعاء أقبل بوجهه على الناس وحثهم على طاعة الله وصلى على النبي ﷺ ودعا للمؤمنين والمؤمنات وقرأ آية أو آيتين ويقول: استغفر الله لي ولكم هذا لفظ الشافعي رضي الله عنه، وهو يدل على أن الدعاء المذكور محله قبل إتمام الخطبة.

فصل

ولم يقل أبو حنيفة بتحويل الرداء إذ ليس فيما تقدم من الأحاديث التي استدل بها عليه ما يدل على أنه سنّة أو مندوب لكل إمام مع عدم فعله عليه السلام في غيره من الأوقات كما في حديث الصحيحين وغيره.

قال البخاري: باب ما قيل إن النبي ﷺ لم يحوّل رداءه في الاستسقاء يوم الجمعة، وذكر فيه حديث أنس: «أن رجلاً شكا إلى النبي ﷺ هلاك المال وجهد العيال فدعا الله يستسقي ولم ذكر انه حول رداءه ولا استقبل القبلة فاستنبط منه الجواز لا السنية كما استنبطنه عدم سنية صلاتها». وأخرجه البخاري أيضاً في الاستئذان، ومسلم، والنسائي في الصلاة، ولا يلزم من عدم قوله بسنية الصلاة والتحويل قوله بأنها بدعة، كما نقله عنه بعض المتعصبين المشنعين عليه وعدم فعل الصحابة كعمر وغيره أول دليل له على عدم سنيته وما ورد منه في الأحاديث المتقدمة محمول

الصلوات في الأيام الثلاثة قبل الخروج ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها، وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات.

على أنه عليه الصلاة والسلام عمله مرة للتفاؤل كما مر، أو ليكون الرداء أثبت على عاتقه عند رفع يديه في الدعاء أو عرف بالوحي تغير الحال عند تغييره الرداء. وتوسط محمد فقال يقلب الإمام رداءه دون القوم. وعن أبي يوسف روايتان. قال محمد: وما روي أن القوم فعلوه محمول على أنهم فعلوه موافقة له ﷺ كخلع النعال ولم يعلم به، والأحسن في صفة التحويل على قول محمد ما قال في المحيط إن ما أمكن أن يجعل أعلاه أسفله جعله وإلا جعل يمينه على يساره، لكن قوله: جعل أعلاه أسفله يمكن أن يراد به جعل ما يلي البدن مما يلي السماء وجعل ما يلي الرجل مما يلي الرأس وكل منهما جائز ولكل منهما قائل والله أعلم.

(ولا بأس بالدعاء أدبار الصلاة) فرضاً كانت أو نفلاً **(في الأيام الثلاثة قبل الخروج)** إلى المصلى وهو بيان لأحد أنواع الاستسقاء، كما تقدمت الإشارة إليه في أول الباب. **(ولهذا الدعاء)** في تلك الحالة **(آداب وشرائط باطنة من التوبة)** عن المعاصي **(ورداً لمظالم)** إلى أهلها **(وغيرها، وسيأتي ذلك في كتاب الدعوات)** إن شاء الله تعالى.

لواحق الباب وفوائده:

الأولى: قال في الروضة: إذا استسقوا فسقوا فذاك فإن تأخرت الإجابة استسقوا وصلوا ثانياً وثالثاً حتى يسقيهم الله تعالى، وهل يعودون من الغد أو يصومون ثلاثة أيام قبل الخروج كما يفعلون في الخروج الأول. قال في المختصر: يعودون في الغد، وفي القديم يصومون، فقيل قولان أظهرهما الأول، وقيل على حالتين، فإن لم يشق على الناس ولم ينقطعوا عن مصالحهم عادوا غداً وبعد غد، وإن اقتضى الحال التأخير أياماً صاموا. قال النووي، ونقل أبو الطيب عن عامة الأصحاب: ان المسألة على قول واحد نقل المزني الجواز والقديم الاستحباب والله أعلم.

ثم جماهير الأصحاب قطعوا باستحباب تكرير الاستسقاء كما ذكرنا، لكن الاستحباب في المرة الأولى آكد، وحكى وجه أنهم لا يفعلون ذلك إلا مرة.

الثانية: لو تأهبوا للخروج للصلاة فسقوا قبل موعد الخروج خرجوا للوعظ والدعاء والشكر وهل يصلون شكراً؟ فيه طريقان. قطع الأكثرون بالصلاة وهو المنصوص في الام، وحكى إمام الحرمين والغزالي وجهين. أصحهما هذا، والثاني لا يصلون، وأجرى الوجهان فيما إذا لم تنقطع المياه، وأرادوا أن يصلوا للاستزادة.

الثالثة: يستحب أن يذكر كل واحد في نفسه ما فعل من خير فيجعله شافعاً ويستأنس لذلك ما أخرجه البخاري في الصحيح من قصة الثلاثة الذين آووا إلى غار فانطبق عليهم وخلصهم الله تعالى.

الرابعة: يستحب أن يستسقى بالأكابر وأهل الصلاح، لا سيما أقارب رسول الله ﷺ، ففي

....

صحيح البخاري في حديث أنس أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقي بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا لنتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون اهـ.

ويروى أنه شاور الصحابة فقال كعب الأحبار: يا أمير المؤمنين إن بني إسرائيل كانوا إذا قحطوا استسقوا بعصبة أنبيائهم، فقال: هذا العباس عم رسول الله ﷺ وصنو ابيه فاجلسه على المنبر ووقف بجنبه وقال: القول المذكور فما نزل من المنبر حتى سقوا وقد ذكر الزبير بن بكار في الأنساب أن عمر استسقى بالعباس عام الرمادة، وذكر غيره أن عام الرمادة كان سنة ثمان عشرة من الهجرة ودام القحط تسعة أشهر، وكان من دعاء العباس ذلك اليوم فيما ذكره الزبير بن بكار: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس.

الخامسة: وقت هذه الصلاة قال في الروضة: قطع الشيخ أبو علي وصاحب المهذب بأن وقتها صلاة العيد، واستغرب إمام الحرمين هذا، وذكر الروياني وآخرون أن وقتها يبقى بعد الزوال ما لم تصل العصر، وصرح صاحب التتمة بأن صلاة الاستسقاء لا تختص بوقت بل أي وقت صلوها من ليل أو نهار جاز، وقد قدمنا عن الأئمة وجهين في كراهة صلاة الاستسقاء في الأوقات المكروهة، ومعلوم أن الأوقات المكروهة غير داخلة في وقت صلاة العيد ولا مع انضمام ما بين الزوال والعصر إليه، فيلزم أن لا يكون وقت الاستسقاء منحصراً في ذلك، وليس لحامل أن يحمل الوجهين في الكراهة على قضائها، فإنها لا تقضى. قال النووي: ليس بلازم ما قاله، فقد تقدم أن الأصح دخول وقت العيد بطلوع الشمس وهو وقت كراهة وممن قال بانحصار وقت الاستسقاء في وقت العيد الشيخ أبو حامد والمحاملي، ولكن الصحيح الذي نص عليه الشافعي وقطع به الأكثرون وصححه الرافعي في المحرر والمحققون أنها لا تختص بوقت وممن قطع به صاحب الحاوي والشامل، ونقله صاحب الشامل وصاحب جمع الجوامع من نص الشافعي. وقال إمام الحرمين: لم أرَ التخصيص لغير الشيخ أبي علي والله أعلم.

قلت: وبما قطع به الشيخ أبو علي وصاحب التهذيب هو مذهب الحنفية والمالكية والحنابلة فقالوا: إن وقت صلاتها وقت العيد، والذي صرّح به ابن الصلاح والماوردي أن وقتها المختار عند الشافعي هو وقت صلاة العيد وقال غيرهما: وإنما قال الشافعي ليس لها وقت معين لأنها ذات سبب، فدارت مع سببها كصلاة الكسوف.

وأخرج أبو داود، وابن حبان من حديث عائشة: «شكا الناس إلى رسول الله ﷺ قحط المطر فأمر بمنبر وضع له في المصلى ووعد الناس يوماً يخرجون فيه فخرج حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر» الحديث.

السادسة: يسن في وقت الدعاء أن يستقبل القبلة ويستدبر القوم، ورد ذلك في صحيح البخاري من حديث عبدالله بن زيد لأن الدعاء مستقبلها أفضل، فإن استقبل له في الخطبة الأولى لم يعده في الثانية. قال النووي: ويلحق باستحباب استقبال القبلة للدعاء الوضوء والغسل والأذكار والقراءة وسائر الطاعات إلا ما خرج بدليل كالخطبة.

السابعة: يستحب رفع اليدين في الدعاء للاستسقاء لحديث أنس عند البخاري، فرفع رسول الله ﷺ يديه يدعو، ورفع الناس أيديهم معه يدعون، ولذا لم يرد عن الإمام مالك أنه رفع يديه إلا في دعاء الاستسقاء خاصة، وهل ترفع في غيره في الأدعية أم لا؟ الصحيح الاستحباب في سائر الأدعية رواه الشيخان وغيرهما.

وأما حديث أنس المروي في الصحيحين وغيرهما مرفوعاً: «أنه كان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء، فإنه كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه» فمؤوّل على أنه لا يرفعهما رفعاً بليغاً، ولذا قال في المستثنى: «حتى يرى بياض إبطيه» نعم. ورد في رفع يديه ﷺ في مواضع نحواً من ثلاثين أوردها النووي في شرح المهذب بالأحاديث الواردة فيها من الصحيحين وغيرهما، وللمنذري الحافظ فيه جزء مفرد.

الثامنة: قال أصحاب الشافعي وغيرهم: السنة في دعاء القحط وغيره من رفع بلاء أن يجعل ظهر كفيه إلى السماء وفي صفة الرهبة وإن سأل شيئاً يجعل بطونها إلى السماء.

وأخرج مسلم وأبو داود من حديث أنس: «أنه ﷺ كان يستسقي هكذا ومدّ يديه وجعل بطونها مما يلي الأرض حتى رأيت بياض إبطيه» والحكمة في ذلك أن القصد رفع البلاء بخلاف القاصد حصول شيء أو تفاؤلاً لتقلب الحال ظهراً لبطن وذلك نحو صنيعه في تحويل الرداء أو إشارة إلى ما يسأله وهو أن يجعل بطن السحاب إلى الأرض لينصب ما فيه من المطر.

التاسعة: في الأدعية الواردة في الاستسقاء، فمن ذلك: «اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً هنيئاً مريئاً مريعاً غدقاً مجللاً سحاً طبقاً دائماً». ومن ذلك اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً نافعاً غير ضار عاجلاً غير آجل. اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك واحيِ بلدك الميت» ومن ذلك: اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، ومن ذلك: اللهم إن بالبلاد والعباد والخلق من اللأواء والجهد والضنك ما لا نشكو إلا إليك. اللهم أنبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع واسقنا من بركات السماء وأنبت لنا من بركات الأرض، اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك. اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً فارسل السماء علينا مدراراً، ومن ذلك الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لا إله إلا الله يفعل ما يريد. اللهم أنت الله الذي لا إله إلا أنت أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت قوة وبلاغاً إلى حين.

العاشر: قال الأصحاب: وإذا كثرت الأمطار وتضررت به المساكن والزروع، فالسنة أن يسألوا الله عز وجل رفعه: «اللهم حوالينا ولا علينا» كما ورد ذلك في الصحيحين ونقلوا عن نص الشافعي أنه لا يشرع لذلك صلاة.

فصل

قال الشيخ الأكبر في كتاب الشريعة: والحقيقة الحجة لمن قال بصلاة الاستسقاء إن من لم يذكر شيئاً فليس بحجة على من ذكر، وقد ثبت أنه ﷺ خرج بالناس يستسقي فصلى بهم ركعتين جهر فيهما بالقراءة وحوّل رداءه ورفع يديه واستسقى واستقبل القبلة، والعلماء مجمعون على أن الخروج للاستسقاء والبروز عن المصر والدعاء والتضرع إلى الله تعالى في نزول المطر سنّة سنها رسول الله ﷺ، واختلفوا في الصلاة في الاستسقاء، فمن قائل بها، ومن قائل لا صلاة فيه، والذي أقول: إن الصلاة ليست من شرط صحة الاستسقاء، والقائلون بأن الصلاة من سنّته يقولون أيضاً إن الخطبة من سننه، وقد ثبت أنه ﷺ صلى فيه وخطب، واختلف القائلون بالخطبة هل هي قبل الصلاة أو بعدها؟ واتفق القائلون بالصلاة أن قراءتها جهر، واختلفوا هل يكبّر فيها مثل تكبير العيدين أو مثل تكبير سائر الصلوات، ومن السنّة في الاستسقاء استقبال القبلة واقفاً والدعاء ورفع اليدين وتحويل الرداء باتفاق، واختلفوا في كيفية تحويل الرداء فقال قوم: يجعل الأعلى أسفل والأسفل أعلى، وقال قوم: يجعل اليمين على الشمال والشمال على اليمين، واختلفوا متى يحول ثوبه؟ فقال قوم: عند الفراغ من الخطبة، وقال قوم: إذا مضى صدر من الخطبة، واختلفوا في الخروج إليه. فقيل في وقت صلاة العيدين، وقيل عند الزوال.

وروى أبو داود: «أن النبي ﷺ خرج إلى الاستسقاء حين بدا حاجب الشمس».

الاعتبارات في جيع ما ذكرنا.

أما اعتبار الاستسقاء، فاعلم أن الاستسقاء طلب السقيا، وقد يكون طلب السقيا لنفسه أو لغيره. أولها بحسب ما تعطيه قرائن الأحوال، فأما أهل الله المختصون به الذين شغلهم به عنهم وعرفهم بأنهم إن قاموا فهو معهم وهم معه، وإن رحلهم رحلوا به إليه فلا يبالون في أي منزل أنزلهم إذا كان هو مشهودهم في كل حال، فإن عاشوا في الدنيا فبه عيشهم، وإن انقلبوا إلى الأخرى فإليه انقلبوا، فلا أثر لفقد الأسباب عندهم ولا لوجودها، فهؤلاء لا يستسقون في حق نفوسهم إذ علموا أن الحياة تلزمهم لأنها أشد افتقاراً إليهم منهم إليها. وفائدة الاستسقاء إبقاء الحياة الدنيا فاستسقاء العلماء بالله في الزيادة من العلم بالله كما قال الله تعالى لنبيه حين أمره: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ [طه: ١١٤] فهذا الدعاء هو عين الاستسقاء، فإذا استسقى النبي عليه الصلاة والسلام ربه في إنزال المطر والعلماء بالله لم يستسقوه في حق نفوسهم، وإنما استسقوه في حق غيرهم ممن لا يعرف الله معرفتهم تخلقاً بصفته تعالى حيث يقول كما ورد في الحديث الصحيح:

« استسقيتك عبدي فلم تسقني. قال: كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ فقال: استسقاك فلان فلم تسقه » فهذا الرب قد استسقى عبده في حق عبده لا في حق نفسه، فإنه يتعالى عن الحاجات، فكذلك استسقاء النبي والعلماء بالله إنما يقع عنهم لحق الغير فهم ألسنة أولئك المحجوبين بالحياة الدنيا عن لزوم الحياة لهم حيث كانوا تخلقاً بالاستسقاء الإلهي. إذ الفقير المحقق من لا تقوم به حاجة معينة فتملكه لعلمه بأنه عين الحاجة فلا تقيده حاجة، فإن حاجة الكون إلى الله مطلقة من غير تقييد، كما ان غناه سبحانه عن العالم مطلق من غير تقييد فهم يقابلون ذاتاً بذات وينسبون إلى كل ذات بما تعطيها حقيقتها، فإذا كان الحق يستسقي عبده؟ فالعبد أولى، وإذا كان الحق ينوب عن عبده في استسقاء عبده ليسقي عبده فالعبد أولى أن يستسقي ربه ليسقي عبده وهو أولى بالنيابة عن مثله من الحق عنه إذ ليس كمثله شيء، فمن الأدب مع الله الاستسقاء في حق الغير، فإن أصحاب الأحوال محجوبون بالحال عن العلم الصحيح، فصاحب الحال غير مؤاخذ بسوء الأدب إذ كان لسانه لسان الحال، وصاحب العلم مؤاخذ بأدنى شيء، وشتان بين المقامين شاهد العلم عدل وشاهد الحال فقير إلى من يزكيه في حاله ولا يزكيه إلا صاحب العلم، والعلم متجل يظهر نفسه، والحال ملتبس يحتاج إلى دليل يقويه لضعفه أن يلحق بدرجة الكمال، فصاحب الحال يطلب العلم، وصاحب العلم لا يطلب الحال أي عاقل يكون من يطلب الخروج من الوضوح إلى اللبس، فإذا فهمت ما قررناه تعين عليك الاستسقاء فاشرع فيه.

وأما **اعتبار البروز** إلى الاستسقاء، فاعلم أن الاستسقاء له حالان.

الحال الأولى: أن يكون الإمام في حال أداء واجب فيطلب منه الاستسقاء فيستسقي على حالة تلك من غير تغيير ولا خروج عنها ولا صلاة ولا تغير هيئة، بل يدعو الله ويتضرع في ذلك، فحال هذا بمنزلة من يكون حاضراً مع الله فيما أوجب الله عليه، فيتعرض له في خاطره ما يرد به إلى السؤال في أمر لا يؤثر السؤال فيه في ذلك الواجب الذي هو بصدده، بل هو ربما مشروع فيه كمسألتنا ألا ترى أن الشارع قد شرع للمصلي أن يقول في جلوسه بين السجدتين: اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارزقني، فشرع له في الصلاة طلب الرزق، والاستسقاء طلب الرزق، فليس لمن هذه حالته أن يبرز إلى خارج المصر ولا يغير هيئته، فإنه في أحسن الحالات، وعلى أحسن الهيئات، لأن أفضل الأمور أداء الواجبات. دخل أعرابي على رسول الله ﷺ يوم الجمعة من باب المسجد ورسول الله ﷺ يخطب على المنبر خطبة الجمعة فشكا إليه الجدب وطلب منه أن يستسقي الله فاستسقى له ربه كما هو على منبره وفي نفس خطبته ما تغير عن حاله ولا أخر ذلك إلى وقت آخر.

وأما **الحالة الأخرى؛** فهو أن لا يكون العبد في حال اداء واجب فيعرض له ما يؤديه إلى أن يطلب من ربه أمراً في حق نفسه أو في حق غيره مما يحتاج أن يتأهب له أهبة جديدة على هيئة مخصوصة، فيتأهب لذلك الأمر ويؤدي بين يديه أمراً واجباً ليكون بحكم عبودية الاضطرار،

فإن المضطر تجاب دعوته بلا شك، كذلك العبد إذا لم يكن في حال أداء واجب، وأراد الاستسقاء برز إلى المصلى وجمع الناس وصلى ركعتين، فالشروع في تلك الصلاة عبودية اختيار واداء ما فيها من قيام وركوع وسجود عبودية اضطرار، فإنه يجب عليه في الصلاة النافلة بحكم الشروع الركوع والسجود، وكل ما هو فرض في الصلاة، فإذا دعا عقيب عبودية الاضطرار فقمن أن يستجاب له ويدخل في الهيئة الخاصة من رفع اليدين وتحويل الرداء واستقبال القبلة والتضرع إلى الله والابتهال في حق المحتاجين إلى ذلك كائناً من كان، ولما ذكرناه وقع الاختلاف في البروز إلى الاستسقاء، وقد برز رسول الله ﷺ إلى خارج المدينة فاستسقى بصلاة وخطبة، واعتبار البروز من المصر إلى خارجه خروج الإنسان من الركون إلى الأسباب إلى مقام التجريد والفضاء حتى لا يكون بينه وبين السماء الذي هو قبلة الدعاء حجاب سقف ولا غيره، فهو خروج من عالم ظاهره مع عالم باطنه في حال الاقتصار إلى ربه بنية التخلق بربه في ذلك أو بنية الرحمة بالغير أو بنفسه أو بمجموع ذلك كله.

وأما **اعتبار الوقت** الذي يبرز إن برز فمن ابتداء طلوع حاجب الشمس إلى الزوال، وذلك عندما يتجلى الحق لقلب العبد بالتجلي المشبه بالشمس لشدة الوضوح ورفع اللبس وكشف المراتب والمنازل على ما عليه حتى يعلم ويرى أين يضع قدمه لئلا يهوي أو يخطىء الطريق، أو تؤذيه هوام أفكار ردية ووساوس شيطانية، فإن الشمس تجلو كل ظلمة وتكشف كل كربة، فإن بطلوعها شرع أهل الأسباب في طلب المعاش، والمستسقي طالب غيش بلا شك، فما دام الحق يطلب العبد لنفسه بما ينقبض من الظل من طلوع الشمس إلى الزوال ليكون طلبه للأشياء من الله بربه لا بنفسه، لذلك نبهه على ذلك بقبض الظل إلى حد الزوال، فلهذا كان البروز إلى المصلى من طلوع الشمس، فإن النبي ﷺ لما برز إلى الاستسقاء خرج حين بدا حاجب الشمس، فاعتبرناه على ذلك الحد للمناسبة والمطابقة.

وأما **اعتبار الصلاة** في الاستسقاء، فاعلم أنه لما شرع الله في الصلاة الدعاء بقوله: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ والاستسقاء دعاء، فأراد الحق أن يكون ذلك الدعاء في مناجاة مخصوصة يدعو فيها بتحصيل نصيبه المعنوي من الهداية إلى الصراط المستقيم صراط النبيين الذين هداهم الله تهمماً بطلب الاولى الذي فيه السعادة المخصوصة بأهل الله، ثم بعد ذلك يستشفعون في طلب ما يعم الجميع من الرزق المحسوس الذي يشترك جميع الحيوانات وجميع الناس من طائع وعاص وسعيد وشقي فيه، فابتدأ بالصلاة ليقرع باب التجلي واستجابة الدعاء فيما يزلف عند الله، فيأتي طلب الرزق عقيب ذلك ضمناً ليرزق الكافر بعناية المؤمن والعاصي بعناية الطائع، فلهذا شرعت الصلاة في الاستسقاء فعبودية الاختيار قبل عبودية الاضطرار تأهب واستحضار وتزيين محل وتهيؤه، وعبودية الاختيار عقيب عبودية الاضطرار شكر وفرح وبشرى بحصول عبودية الاضطرار، فالأولى بمنزل النافلة قبل الفرض، والثانية بمنزلة النافلة بعد اداء الفرض وعبادة الشكر مغفول عنها، ولذا قال تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [سبأ: ١٣] وما بأيدي

....

الناس من عبادة الشكر إلا قولهم الحمد لله أو الشكر لله لفظ ما فيه كلفة، وأهل الله يزيدون على مثل هذا اللفظ العمل بالابدان والتوجه بالهمم وقال: ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾ [سبأ: ١٣] ولم يقل قولوا الأمة المحمدية أولى بهذه الصفة من كل أمة إذ كانت ﴿خير أمة أخرجت للناس﴾ [آل عمران: ١١٠].

وأما **اعتبار التكبير** فيها فمن شبهها بصلاة العيدين، لأن العيد الأول عيد فطر فهو خروج من حال صيام والصيام يناسب الجدب، فإن الصائم يعطش كما تعطش الأرض في حال الجدب، وعيد الأضحى هو عيد زمان الحج، وأيام عشر الحج أيام ترك زينة، ولهذا شرع للمحرم ترك الزينة وشرع لمن أراد أن يضحي إذا أهَلّ بهلال ذي الحجة أن لا يقص ظفراً ولا يأخذ من شعره، ولما لم تكن زينة الأرض إلا بالأزهار والأزهار لا تكون إلا بالأمطار، وهذه الأحوال تقتضي عدم الزينة، فأشبهت الأرض الجدبة التي لا زينة لها لعدم الزهر بعدم المطر فأشبهت صلاة الاستسقاء صلاة العيدين فكبّر فيها كما يكبّر في العيدين، ومن حمل صلاة الاستسقاء على سائر السنن والنوافل وصلوات الفرائض لم يزد على التكبير المعلوم شيئاً وهو أولى، فإن حالة الاستسقاء حالة واحدة ما هي مختلفة الأنواع، فإن المقصود إنزال المطر، فلا يزيد على تكبيرة الإحرام شيئاً لأنه ما ثم حالة تطلب تكبيرة أخرى زائدة على تكبيرة الاحرام، فيحرم على المصلي في الاستسقاء في تكبيرة الإحرام جميع ما تلتذ به النفوس من الشهوات، ويفتقر إلى ربه في تلك الحالة، كما حرم على الأرض الجدبة الماء الذي بها حياتها وزينتها ونعيمها، ليناسب حال العبد بالاحرام حال الأرض فيما حرمت من الخصب.

وأما **اعتبار الخطبة** فالخطبة ثناء على الله بما هو أهله ليعطي ما هو أهله، فيثني عليه ثناء آخر بما يكون منه، وهو الشكر على ما أنعم والمصلي مثن على الله بما هو أهله، وعلى ما يكون منه. فالخطبة ينبغي أن تكون في الاستسقاء، ومن رأى أن الصلاة ثناء على الله يقول: حصل المقصود فأغنى عن الخطبة وتضاعف الثناء على الله أولى من الاقتصار على حال واحدة، فإن الخطبة تتضمن الثناء والذكرى ﴿وإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات: ٥٥] والاستسقاء طلب منفعة بلا شك.

وأما **اعتبار متى يخطب**، فالتشبيه بالسنّة لكونها سنّة أولى من أن تشبه بالفريضة، فتشبيه الاستسقاء بالعيدين أولى فيخطب لها بعد الصلاة إلا أن يرد نص صريح بأن النبي ﷺ خطب لها قبل الصلاة، فيكون النص فيها فلا تقاس على سنة، ولا على فريضة، بل تكون هي أصلاً في نفسها يقيس عليها من يجيز القياس، وإذا كان العيد يخطب فيه بعد الصلاة، مع أن المراد بالخطبة تذكير الناس وتعليمهم وهم لا يقيمون، بل ينصرف أكثرهم بتمام الصلاة، فالخطبة في الاستسقاء بعد الصلاة أولى، لأنهم لا ينصرفون حتى يستسقي الامام بهم، فإنهم للاستسقاء خرجوا، والخطبة إنما تكون بعد الصلاة وقبل الدعاء بالاستسقاء، فلا ينصرف الناس ليحصل المقصود من الخطبة.

وأما **الاعتبار في القراءة جهراً** فإنه يجهر المصلي في الاستسقاء بالقراءة ليسمع من وراءه ليحول بينهم وبين وساوسهم بما يسمعونه من القرآن ليتدبروا آياته ويشتغلوا به، وليثابوا من حيث سمعهم، فقد يكون حسن استماعهم لقراءة الإمام من الأسباب المؤثرة في نزول المطر، فإنه من ذكر الله في ملأ فيذكره الله في ملأ خير منهم، فقد يكون في ذلك الملأ من يسأل الله تعالى في قضاء حاجة ما توجه إليه هذا الامام بهذه الجماعة فيمطرون بدعاء ذلك الملك الكريم لهم من ذلك الملأ الظاهر عند الله، فالجهر بالقراءة فيها أولى وبالقراءة جهر رسول الله ﷺ في صلاة الاستسقاء.

وأما **الاعتبار في تحويل الرداء** فهو إشارة إلى تحويل الحال من الجدب إلى الخصب، كما تحول أهل هذا المصر من حالة البطر والأشر وكفران النعمة إلى حالة الافتقار والمسكنة، فطلبوا التحويل بالتحويل فيقولون: أي ربنا إهدنا إليك ورجعنا عما كنا عليه، فالتنعم بالنعم والخصب على جهة البطر أوجب الجدب والافتقار والمسكنة والخشوع والذلة أوجب الخصب، فإن الشيء لا يقابل إلا بضده حتى ينتجه فهذا تحويل الرداء.

وأما **الاعتبار في كيفية تحويله**، فهو على ثلاث مراتب يجمعها كلها العالم إذا أراد أن يخرج من الخلاف، وهو أن يرد ظاهره باطنه وباطنه ظاهره وأعلاه أسفله وأسفله أعلاه، والذي على يمينه يرده على يساره، والذي على شماله يرده على يمينه، وكل ذلك إشارة إلى تحويل الحال التي هم عليها من الجدب إلى حالة الخصب.

فأما **اعتبار ظاهر الرداء وباطنه**، فهو أن تؤثر أعمال ظاهره في باطنه وأعمال باطنه تظهر بالفعل على ظاهره، وهو من نوى أن يعمل خيراً أو هو قادر على فعله، فليفعله، ومن عمل عملاً صالحاً أثر له في نفسه المحبة والطلب إلى الشروع في عمل آخر، ولا سيما إن انتج له ذلك العمل علماً في نفسه كما قال ﷺ: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»، وقال تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ [البقرة: ٢٨٢] وأما تحويل أعلى الرداء وأسفله فهو الحاق العالم الأعلى بالأسفل وإلحاق العالم الأسفل بالأعلى في النسبة إلى الله والافتقار إليه، فإن الله كما توجه إلى أعلى الموجودات قدراً وهو القلم الإلهي أو العقل الأول، كذلك توجه إلى أدنى الموجودات قدراً وهو أشقاهم عند الله وأخسهم منزلة على حد واحد، لأن الله لا يتفاضل في نفسه، فالعالم كله أعلاه وأسفله مرتبط في وجوده بحقيقة إلاهيته فلا تفاضل، فهذا إلحاق الأسفل بالأعلى وإلحاق الأعلى بالأسفل، وأما تحويل ما هو على الشمال على اليمين وبالعكس، فاعلم أن صفات السعداء في الدعاء الخشوع والذلة وهم أهل اليمين، فتتحول هذه الصفة على أهل الشمال في الدار الآخرة، فكان السعداء أخذوها منهم في الدنيا قال تعالى في السعداء: ﴿والذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون: ٢]، وقال: خاشعين لله وقال: ﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ [النور: ٣٧] وقال: ﴿أذلة على المؤمنين﴾ [المائدة: ٥٤] وقال في حق الأشقياء في

الدار الآخرة خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال: ﴿وجوه يومئذ خاشعة ★ عاملة ناصبة ★ تصلى ناراً حامية﴾ [الغاشية: ٢-٤] وتحويل آخر، وهو أن يتصف العبد السعيد في الآخرة بما يتصف به السعيد في الدنيا من العزة والجاه والتنعم، فينقلب إليه المؤمن في الآخرة، وينقلب عنه الكافر في الآخرة بصفة المؤمن في الدنيا من الفقر والفاقة والسجن والبلاء، فهذا أنواع التحويل.

وأما **الاعتبار في وقت التحويل،** فهو في الاستسقاء في أول الخطبة أو بعد مضي صدر الخطبة، فاعلم أن اعتبار التحويل في أول الخطبة هو أن يكون الإنسان في حال نظره لربه بربه، فينظر في أول الخطبة لربه بنفسه، وهو قوله في أول الصلاة حمدني عبدي، فلو كان حال المصلي في وقت الحمد حال فناء بمشاهدة ربه أنه تعالى حمد نفسه على لسان عبده لم يصدق من جميع الوجوه حمدني عبدي وهو صدق، ومن قال بعد مضي صدر الخطبة فهو إذا قال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فكان في أول الخطبة يثني على ربه بربه في حال فناء علمي ومشهد سني بربه عن نفسه، فلما أوقع الخطاب كان ثناؤه بنفسه على ربه فيحول عن حالته تلك في هذا الوقت، فهذا اعتبار تعيين التحويل أو بعد مضي صدرها.

وأما **اعتبار استقبال القبلة** فمن كان وجهاً كله، فإنه يستقبل ربه بذاته. «كان رسول الله ﷺ يرى من خلفه كما يرى من أمامه فكان وجهاً كله» فينبغي للمستقي ربه أن يقبل عليه بجميع ذاته، فإنه فقير إليه بكله، ولهذا يجيب الله المضطرين الدعاء، فإن المضطر هو الذي دعا ربه عن ظهر فقر إليه وما منع الناس الإجابة من الله في دعائهم إياه في أكثر الأوقات، إلا أنهم يدعون ربهم عن ظهر غنى من حيث لا يشعرون، ونتيجته عدم الاخلاص والمضطر مخلص.

أخبرني الرشيد الفرغاني، عن الفخر عمر ابن خطيب الري عالم زمانه أن السلطان اعتقله عازماً على قتله. قال الرشيد: فأخبرني رحمه الله قال: طمعت أن أجمع همي على الله في أمري فما تخلص لي ذلك لما يخطر لي من الشبه في إثبات وجود الباري وتوحيده، فطال مكثي في السجن، فلما كانت ليلة كنت أنتظر في صبيحتها هلاكي اجتمعت همتي على الله الذي يعتقده العامة، ولم أجد في نفسي شبهة فيه تقدح، وأخلصت له التوجه. وسألته فما أصبح إلا وقد فرج الله عني، وأخرجت من السجن ورضي عني السلطان، فهذا استقبال القبلة فإنه إشارة إلى القبول.

وأما **الاعتبار في الوقوف عند الدعاء،** فالقيام في الاستسقاء عند الدعاء مناسب لقيام الحق بعباده فيما يحتاجون إليه، فإنه طلب للرزق بإنزال المطر كما قال تعالى: ﴿الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ [النساء: ٣٤] فيسمى من يجعل الله الرزق على يده قائماً على من يرزق بسببه فشرع القيام في الدعاء في الاستسقاء كأنه يقول: بحال قيامه بين يدي ربه ارزقنا ما نقوم به على عيالنا بما تنزله من الغيث الذي هو سبب في وجود معاشنا.

الثالثة: صلاة الجنائز: وكيفيتها مشهورة. وأجمع دعاء مأثور ما روي في الصحيح

وأما **اعتبار الدعاء**، فالدعاء مخ العبادة وبه تكون القوّة للأعضاء، كذلك الدعاء هو مخ العبادة أي به تتقوى عبادة العابدين، فإنه روح العبادة وهو مؤذن بالذلة والفقر والحاجة.

وأما **اعتبار رفع الأيدي في الدعاء** على الكيفيتين، فإن الأيدي محل القبض للعطية كما يعطيه المسؤول من الخير فيرفع يديه مبسوطتين ليجعل الله فيها ما سأل من نعمه، فإن رفعها وجعل بطونها إلى الأرض فرفعها يقول فيه العلو والرفعة ليدي ربي تعالى التي هي اليد العليا ويداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ويجعل بطونها مما يلي الأرض أي انزل علينا مما في يديك من الخير ما تسد به فقرنا وفاقتنا إليك وهو إنزال المطر الذي وقع السؤال فيه، فهذا وأشباهه اعتبار صلاة الاستسقاء وأحوال أهله، والله أعلم.

(الثالثة: صلاة الجنازة) بفتح الجيم وكسرها اسم للميت في النعش، وحكى الأصمعي وابن الأعرابي بالكسر الميت نفسه وبالفتح السرير وعن ثعلب عكس ذلك.

قلت: وهو المشهور المعروف. وقال الأزهري: في التهذيب لا يسمى جنازة حتى يشد الميت عليه مكفناً.

(وكيفيتها مشهورة) قال في الروضة: أما أقلها فأركانها سبعة.

أحدها: النية ولا يشترط التعرض لفرض كفاية، بل يكفي مطلق الفرض على الأصح، ولو نوى الصلاة على من يصلي عليه الإمام جاز ولو عين الميت وأخطأ لم يصح. هذا إذا لم يشر إلى العين، فإن أشار صحّ في الأصح، ويجب على المقتدي نية الاقتداء.

الثاني: القيام فلا يجزىء عنه القعود مع القدرة على المذهب.

الثالث: التكبيرات الأربع فلو كبر خمساً ساهياً لم تبطل صلاته، وإن كان عامداً لم تبطل أيضاً على الأصح الذي قاله الأكثرون. وقال ابن سريج: الأحاديث الواردة في تكبير الجنازة أربعاً وخمساً هي من الاختلاف المباح والجميع سائغ ولو كبر امامه خمساً.

فإن قلنا: الزيادة مبطلة فارقه وإلاّ فلا. لكن لا يتابعه فيها على الأظهر، وهل يسلم في الحال أم له انتظاره ليسلم معه؟ وجهان أصحها الثاني.

الرابع: السلام وفي وجوب نية الخروج عنه ما سبق في سائر الصلوات، ولا يكفي السلام عليك على المذهب وفيه تردد جواز عن الشيخ أبي علي.

الخامس: قراءة الفاتحة بعد التكبيرة الأولى، وظاهر كلام الغزالي أنه ينبغي أن تكون الفاتحة عقب الأولى متقدمة على الثانية، ولكن حكى الروياني وغيره عن نصه أنه لو أخّر قراءتها إلى التكبيرة الثانية جاز.

عن عوف بن مالك قال: « رأيت رسول الله ﷺ صلّى على جنازة فحفظت من دعائه

السادس: الصلاة على النبي ﷺ بعد الثانية، وفي وجوب الصلاة على الأول قولان. أو وجهان كسائر الصلوات.

السابع: الدعاء للميت بعد التكبيرة الثالثة، وفيه وجه أنه لا يجب تخصيص الميت بالدعاء، بل يكفي إرساله للمؤمنين والمؤمنات، وقدر الواجب من الدعاء ما ينطلق عليه الإسم، وأما الأفضل فسيأتي، وأما أكمل هذه الصلوات فلها سنن. منها رفع اليدين في تكبيراتها الأربع ويجمع يديه عقب كل تكبيرة، ويضعها تحت صدره كما في الصلوات ويؤمن عقب الفاتحة ولا يقرأ السورة على المذهب ولا دعاء الاستفتاح على الصحيح، ويتعوّذ على الأصح ويسر بالقراءة في النهار قطعاً، وكذا في الليل على الصحيح، ونقل المزني في المختصر أنه عقب التكبيرة الثانية يحمد الله تعالى ويصلي على النبي ﷺ وهن ركن كما تقدم، وأولها الحمد ولا خلاف أنه لا يجب، وفي استحبابه وجهان. أحدهما: وهو مقتضى كلام الأكثرين لا يستحب، والثاني يستحب وجزم به صاحب التتمة والتهذيب. ونقل إمام الحرمين اتفاق الأصحاب على الأول وان ما نقله المزني غير سديد، وكذا قال جهور أصحابنا المصنفين، ولكن جزم جماعة بالاستحباب وهو الأرجح، وأما ثالثها الدعاء للمؤمنين والمؤمنات فمستحب عند الجمهور، وحكى إمام الحرمين فيه تردداً للأئمة، ولا يشترط ترتيب هذه الثلاثة، لكنه أولى ومن المسنونات إكثار الدعاء للميت في الثالثة، ويقول: اللهم هذا عبدك وابن عبديك خرج من روح الدنيا وسعتها ومحبوبه وأحباؤه فيها إلى ظلمة القبر وما هو لاقيه فيه كان يشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك وأنت أعلم به اللهم إنه نزل بك وأنت خير منزول به، وأصبح فقيراً إلى رحمتك وأنت غني عن عذابه، وقد جئناك راغبين إليك شفعاء له. اللهم إن كان محسناً فزد في إحسانه وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه ولقه برحمتك رضاك وقه فتنة القبر وعذابه وافسح له في قبره وجاف الأرض عن جنبيه ولقه برحمتك الأمـن من عذابك حتى تبعثه آمناً إلى جنتك يا أرحم الراحمين هذا نص الشافعي في المختصر، فإن كان الميت امرأة قال: اللهم هذه أمتك وبنت عبديك ويؤنث الكنايات ولو ذكرها على إرادة الشخص جاز، ويسن أن يقول قبل ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلّى على جنازة قال: « اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا. اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفَّه على الإيمان ».

(و) قال البخاري، وسائر الحفاظ: **(أجمع دعاء مأثور)** عن النبي ﷺ في الجنازة وأصحها هو **(ما روي في الصحيح عن)** أبي عبد الرحمن **(عوف بن مالك)** بن أبي عون الأشجعي الغطفاني رضي الله عنه، ويقال في كنيته أيضاً أبو عبد الله، ويقال أبو محمد، ويقال أبو حماد، ويقال أبو عمر. وشهد فتح مكة، ويقال: كانت معه راية أشجع يومئذ، ثم نزل الشام وسكن دمشق ومات سنة ثلاث وسبعين روى له الجماعة. **(قال: صلى رسول الله ﷺ على**

اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار» حتى قال عوف: تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت.

جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول «اللهم اغفر لي وله وارحمني وارحمه وعافني وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار». قال عوف) رضي الله عنه راوي هذا الحديث **(حتى تمنيت أن أكون ذلك الميت)** هكذا في سائر نسخ الكتاب، قال العراقي: أخرجه مسلم دون الدعاء للمصلي اهـ.

أي نص مسلم «اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه» الخ، وهكذا رواه الترمذي والنسائي أيضاً.

وقد وجدت أيضاً في بعض نسخ الكتاب موافقاً لما عند الجماعة وكأنه من تصليح النساخ والدعاء الذي ذكره الشافعي التقطه من عدة أحاديث قاله البيهقي، وما ذكره في الروضة عن أبي هريرة رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم قال: وله شاهد صحيح، فرواه من حديث أبي سلمة عن عائشة نحوه، وأعلّه الدارقطني بعكرمة بن عمار وقال: إنه يتهم في حديثه، وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن حديث يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة فقال: الحفاظ لا يذكرون أبا هريرة إنما يقولون أبو سلمة عن النبي ﷺ مرسلاً اهـ.

ورواه أحمد والنسائي والترمذي من حيث أبي إبراهيم الأشهلي عن أبيه مرفوعاً مثل حديث أبي هريرة.

قال البخاري: أصح هذه الروايات رواية أبي إبراهيم عن أبيه نقله عنه الترمذي قال: فسألته عن أبيه فلم يعرفه، وقال ابن أبي حاتم، عن أبيه أبو إبراهيم مجهول، وقد توهم بعض الناس أنه عبد الله بن أبي قتادة وهو غلط، لأن أبا إبراهيم من بني عبد الأشهل، وأبو قتادة من بني سلمة، قال البخاري: أصح حديث في هذا الباب حديث عوف بن مالك وقال: بعض العلماء: اختلاف الأحاديث في ذلك محمود على أنه كان يدعو على ميت بدعاء وعلى آخر بغيره، والذي أمر به أصل الدعاء.

ثم قال في الروضة وان كان طفلاً اقتصر على رواية أبي هريرة، ويضم إليه: اللهم اجعله فرطاً لابويه وسلفاً وذخراً وعظة واعتباراً وشفيعاً، وثقل به موازينهما، وأفرغ الصبر على قلوبهما، ولا تفتنهما بعده ولا تحرمهما أجره.

وأما التكبيرة الرابعة، فلم يتعرض الشافعي لذكر عقبها. ونقل البويطي عنه أن يقول عقبها:

....

« اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده » كذا نقله الجمهور عنه، وهذا الذكر ليس بواجب قطعاً وهو مستحب على المذهب، وأما السلام فالأظهر أنه يستحب تسليمتان. وقال في الإملاء تسليمة يبدأ بها إلى يمينه ويختمها ملتفتاً إلى يساره فيدير وجهه وهو فيها هذا نصه، وقيل: يأتي بها تلقاء وجهه بغير التفات، وإذا اقتصر على تسليمة فهل يقتصر على السلام عليكم أو يزيد ورحمة الله فيه تردد حكاه أبو علي.

فصل

وقال أصحابنا: أركان صلاة الجنازة التكبيرات والقيام، لكن التكبيرة الأولى شرط باعتبار الشروع بها ركن باعتبار أنها قائمة مقام ركعة كباقي التكبيرات وشرائطها ست: إسلام الميت وطهارته وتقدمه وحضوره وكون المصلي عليها غير راكب وكون الميت موضوعاً على الأرض الا لعذر، وسننها أربع قيام الإمام بحذاء صدر الميت ذكراً كان أو أنثى، والثناء بعد التكبيرة الأولى، ولو قرأ الفاتحة بقصد الثناء جاز، والصلاة على النبي ﷺ بعد الثانية، والدعاء للميت بعد الثالثة، ولا يتعين له شيء، والمأثور أحسن ويسلم وجوباً بعد الرابعة من دعاء في ظاهر الرواية، واستحسن بعضهم أن يقال ﴿ربَّنا آتِنَا في الدنيا حسنة﴾ [البقرة: ٢٠١] الآية ﴿أو ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ [آل عمران: ٨] الآية وينوي بالتسليمتين الميت مع القوم ويخافت في الدعاء ويجهر بالتكبير ولا يرفع يديه في غير الأولى في ظاهر الرواية، وكثير من مشايخ بلخ اختاروا الرفع في كل تكبيرة، ولو كبّر الإمام خمساً لم يتبع، ولكن ينتظر سلامه على المختار ليسلم معه، وهذا الذي ذكروه من عدم متابعة الإمام على ما زاد على الأربع هو قول مالك والشافعي، وعن أحمد روايات إحداها أنه يتابع في الخامسة واختارها الخرقي، والأخرى كمذهب الجماعة، والثالثة يتبعه إلى سبع.

فصل

واتفقوا على أن تكبيرات الجنازة أربعة، وكان ابن أبي ليلى يقول: هي خمس تكبيرات وهو رواية عن أبي يوسف والآثار اختلفت في فعله ﷺ، فروي الخمس والسبع والتسع، وأكثر من ذلك إلا أن آخر فعله كان أربع تكبيرات، فكان ناسخاً لما قبله لا أن ابن أبي ليلى. قال: التكبيرة الأولى للافتتاح، فينبغي أن يكون بعدها أربع تكبيرات كل تكبيرة قائمة مقام ركعة كما في الظهر والعصر. وأجيب: بأن التكبيرة الأولى وإن كانت للافتتاح، ولكن بهذا لا تخرج من أن تكون تكبيراً أي قائماً مقام ركعة، ونقل ابن الهمام عن الكافي أن أبا يوسف يقول في التكبيرة الأولى معنيان معنى الافتتاح والقيام مقام ركعة، ومعنى الافتتاح يترجح فيها، ولذا خصت برفع اليدين اهـ.

....

فصل

وقال الشيخ الأكبر قدس سرّه في كتاب الشريعة في عدد التكبير اختلف الصدر الأول في ذلك من ثلاث إلى سبع وما بينهما لاختلاف الآثار ورد حديث «أن النبي ﷺ كان يكبر على الجنازة أربعاً وخمساً وستاً وسبعاً وثمانياً» وقد ورد «أنه كبر ثلاثاً ولما مات النجاشي وصلى عليه كبر أربعاً، وثبت على أربع حتى توفاه الله تعالى.

والاعتبار في ذلك أن أكثر عدد الفرائض أربع ولا ركوع في صلاة الجنازة بل هي قيام كلها وكل وقوف فيها للقراءة له تكبيرة فكبر أربعاً على أتم عدد ركعات الصلاة المفروضة فالتكبيرة الأولى للاحرام يحرم فيها أن لا يسأل في المغفرة لهذا الميت إلا الله تعالى، والتكبيرة الثانية يكبر الله سبحانه ن كونه حياً لا يموت إذ كانت كل نفس ذائقة الموت وكل شيء هالك إلا وجهه، والتكبيرة الثالثة لكرمه ورحمته في قبول الشفاعة في حق ما يشفع فيه أو يسأل فيه مثل الصلاة على النبي ﷺ لما مات، وقد كان عرفنا أنه من سأل الله له الوسيلة حلت له الشفاعة، فإن النبي ﷺ لا يشفع فيه من صلّى عليه، وإنما يسأل له الوسيلة من الله لتحضيضه أمته على ذلك، والتكبيرة الرابعة تكبيرة شكر لحسن ظن المصلي بربه في أنه قد قبل من المصلي سؤاله فيمن صلّى عليه، فإنه سبحانه ما شرع الصلاة على الميت إلا وقد تحققنا أنه يقبل سؤال المصلي في المصلى عليه، فإنه اذن من الله تعالى لنا في السؤال فيه، وقد أذن لنا أن نشفع في هذا الميت بالصلاة عليه، فقد تحققنا الإجابة بلا شك، ثم يسلم بعد تكبيرة الشكر سلام انصراف عن الميت أي لقيت من ربك السلام.

وأما رفع اليدين عند كل تكبيرة والتكتيف فإنه مختلف فيها، ولا شك أن رفع الدين يؤذن بالافتقار في كل حال من أحوال التكبير يقول ما بأيدينا شيء هذه قد رفعناها إليك في كل حال ليس فيها شيء ولا تملك شيئاً، وأما التكتيف فإنه شافع والشافع سائل والسؤال حال ذلة وافتقار فيما يسأل فيه سواء كان ذلك السؤال في حقه أو في حق غيره، فإن السائل في حق الغير هو نائب في سؤاله عن ذلك الغير، فلا بدّ أن يقف موقف الذلة والحاجة لما هو مفتقر إليه والتكتيف صفة الأذلاء وصفة وضع اليد على الأخرى بالقبض عليها فيشبه أخذ العهد في الجمع بين اليدين يد المعاهد ويد المعاهد أي أخذت علينا العهد أن ندعوك وأخذنا عليك العهد بكرمك في ان تجيبنا، فالإجابة متحققة عند المؤمن، ولهذا جعلنا التكبيرة الآخرى شكراً والسلام سلام انصراف وتعريف بما يلقي الميت من السلام والسلامة عند الله ومنا من الرحمة له، والكف عن ذكر مساويه. وأما القراءة فيها فمن قائل ما في صلاة الجنازة قراءة إنما هو الدعاء، وقال بعضهم: إنما يحمد الله ويثني عليه بعد التكبيرة الأولى، ثم يكبر الثانية فيصلي على النبي ﷺ، ثم يكبر الثالثة فيشفع للميت، ثم يكبر الرابعة ويسلم وقال آخر: يقرأ بعد التكبيرة الأولى بفاتحة الكتاب، ثم يفعل في سائر التكبيرات مثل ما تقدم في الذي قبله، وبه أقول. وذلك أنه لا بد من التحميد

والثناء فبكلام الله أولى، وقد انطلق عليها اسم صلاة فالعدول عن الفاتحة ليس يحسن وبه قال الشافعي وأحمد وداود. والاعتبار في ذلك.

قال أبو يزيد البسطامي: اطلعت على الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم أربع تكبيرات. قال بعض شيوخنا: رأى أبو يزيد عالم نفسه هذه الصفة تكون لمن لا معرفة له بربه ولا يتعرف إليه، وتكون لأكمل الناس معرفة بالله فالعارف المكمل يرى نفسه ميتاً بين يدي ربه بربه إذا كان الحق سمعه وبصره ولسانه ويده، فتكون نفسه عين الجنازة، ويكون الحق من كونه سمعه وبصره ولسانه ويده يصلي عليه قال تعالى: ﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ [الأحزاب: ٤٣] فإذا كان الحق هو المصلي فيكون كلامه القرآن فالعارفون لا بدّ لهم من قراءة فاتحة الكتاب يقرؤها الحق على لسانهم ويصلي عليهم، فيثني على نفسه بكلامه، ثم يكبّر نفسه عن هذا الاتصال في ثنائه بلسان عبده في صلاته على جنازة عبده بين يدي ربه، ويكون الرحمن في قبلته وهو المسؤول، ويكون المصلي هو الحي القيوم، ثم يصلي بعد التكبيرة الثانية على نبيه المبلغ عنه. قال الله تعالى: ﴿إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [الأحزاب: ٥٦] ثم يكبر نفسه على لسان هذا المصلي من العارفين عن التوهم الذي يعطيه هذا التنزل الإلهي في تفاضل النسب بين الله وبين عباده من حيث ما يجتمعون فيه ومن حيث ما يتميزون به في مراتب التفضيل فربما يؤدي ذلك التوهم ان الحقائق الإلهية يفضل بعضها بعضاً بتفاضل العباد. إذ كل عبد في كل حالة مرتبط بحقيقة إلهية والحقائق الإلهية نسب تتعالى عن التفاضل، فلهذا كبّر الثالثة ثم شرع بعد القراءة والصلاة على النبي ﷺ في الدعاء للميت، فأول ما يدعى به للميت في الصلاة عليه ويثنى على الله به في الصلاة القرآن، فإذا عرف العارف فلا يتكلم ولا ينطق إلا بالقرآن، فإن الإنسان ينبغي له أن يكون في جميع أحواله كالمصلي على الجنازة، فلا يزال يشهد ذاته جنازة بين يدي ربه وهو يصلي على الدوام في جميع الحالات على نفسه بكلام ربه دائماً، فالمصلي داع أبداً والمصلي عليه ميت أو نائم أبداً فمن نام بنفسه فهو ميت ومن مات بربه فهو نائم نومة العروس والحق ينوب عنه فيقول: اللهم أبدله داراً خيراً من داره يعني النشأة الآخرة، فيقول الله: فقد فعلت، فإن النشأة الدنيا هي داره وهي دار منتنة كثيرة العلل والأمراض والتهدم تختلف عليها الأهواء والأمطار ويخربها مرور الليل والنهار والنشأة الآخرة التي بدلها وهي داره كما وصفها الشارع من كونهم لا يبولون ولا يتغوّطون ولا يتمخطون نزهها عن القذارات، وأن تكون محلاً يقبل الخراب أو تؤثر فيها الأهواء ثم يقول: وأهلاً خيراً من أهله فيقول: قد فعلت، فإن أهله في الدنيا كانوا أهل بغي وحسد وتدابر وتقاطع وغل وشحناء قال تعالى في الأهل الذي تنقلب إليه: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾ [الحجر: ٤٧] ثم يقول وزوجاً خيراً من زوجه وكيف لا يكون خيراً وهن قاصرات الطرف مقصورات في الخيام لا تشاهد في نظرها أحسن منه ولا يشاهد أحسن منها قد زينت لها وزين له فدعاؤهم في الصلاة على الميت مقبول، لأنه دعاء بظهر الغيب،

ومن أدرك التكبيرة الثانيـة فينبغـي أن يـراعـي تـرتيـب الصلاة في نفسـه ويكبر مـع

وما من شيء يدعون به في حق الميت إلا والملك يقول لهذا المصلي ولك بمثله ولك بمثليه نيابة عن الميت ومكافأة له على صلاته، وما أحسنها من رقدة بين ربه عز وجل وبين المصلي عليه، فإن كان المصلي عليه عارفاً بربه بحيث أن يكون الحق سمعه وبصره ولسانه، فيكون المصلي عليه ربه، فنسأل الله تعالى إذا جاء أجلنا أن يكون المصلي علينا عبداً يكون الحق سمعه وبصره آمين بعزته لنا ولاخواننا وأصحابنا وأولادنا وأهلينا وجمع المسلمين.

ولما كان حال الموت حال لقاء الميت ربه واجتماعه به تعين على المصلي أن يقرأ القرآن في الصلاة على الميت لأن القرآن إنما سمي قرآنا لجمعه ما تفرق في سائر الكتب والصحف المنزلة، واختص من القرآن الفاتحة لكونها مقسمة بين الله وبين عبده، وقد سماها الشرع صلاة وقال: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي، وخص الفاتحة بالذكر دون غيرها من القرآن فتعينت قراءتها بكل وجه وهي سورة تتضمن الثناء والدعاء، ولا بدّ لكل شافع أن يثني على المشفوع عنده بما يستحقه لأن المدح محمود لذاته فتعين على الشافع أن يمدح ربه بلا شك، فإنه أمكن لقبول الشفاعة والله أعلم.

وأما التسليم من صلاة الجنازة فاختلف الناس فيه هل هو تسليمة واحدة أو اثنتان، فالجماعة يقولون تسليمة واحدة، وقالت طائفة: يسلم تسليمتين، وكذلك اختلفوا هل يجهر فيها بالسلام أو لا يجهر، والذي أقول به إن كان الإمام أو المأموم على يساره أحد سلم عليه فيسلم تسليمتين، وإن لم يكن فلا يسلم إلا واحدة عن يمينه، فإن الملك عن يمينه فإن كان عن يمينه أحد عمم بذلك السلام كل من كان على يمينه، والاعتبار في ذلك لما كان الشافع بين يدي المشفوع عنده، وأقام المشفوع فيه بينه وبين ربه ليعين المشفوع فيه كما يحضر الشفيع نازلة من يشفع من أجلها عند المشفوع عنده، فأقام حضور الجاني بين يديه مقام النازلة التي كان يذكرها لو لم يحضره، فهو في حال غيبة عن كل من دون ربه بتوجهه إليه، فإذا فرغ من شفاعته رجع إلى الناس فسلم عليهم كما يعمل في الصلاة سواء وهي بشرى من الله في حق الميت، كأنه يقول ما ثم إلا السلامة وأن الله قد قبل الشفاعة، فلهذا ينبغي للداعي للميت بأن يطلب له النجاة من كل ما يحول بينه وبين النعيم والسعادة، فإن ذلك أنفع للميت وإذا فعل هكذا صح التعريف بالسلام من الصلاة أي لقد لقي السلامة من كل ما يكرهه والله اعلم.

(ومن أدرك) الإمام في أثناء هذه الصلاة كبّر ولم ينتظر تكبيرة الإمام المستقبلة، ثم يشتغل عقب تكبيره بالفاتحة، ثم يراعي في الأذكار ترتيب صلاة نفسه، فلو كبر المسبوق وكبر الإمام **(التكبيرة الثانية من صلاة الجنازة)** مع فراغه من الاولى، **(فينبغي أن)** يكبّر معه الثانية، ثم **(يراعي)** في الأذكار **(ترتيب صلاة نفسه ويكبّر مع تكبيرات الإمام)** وسقطت عنه القراءة كما لو ركع الإمام في سائر الصلوات عقب تكبيره، ولو كبّر الامام الثانية والمسبوق في أثناء الفاتحة، فهل يقطع القراءة ويوافقه أم يتمها؟ وجهان كالوجهين فيما إذا ركع الإمام والمسبوق في أثناء الفاتحة أصحهما عند الأكثرين يقطع ويتابعه، وعلى هذا هل يتم القراءة بعد

تكبيرات الإمام، فإذا سلّم الإمام قضى تكبيره الذي فات كفعل المسبوق، فإنه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلاة معنى، فالتكبيرات هي الأركان الظاهرة وجدير بأن تقام مقام الركعات في سائر الصلوات، هذا هو الأوجه عندي وإن كان غيره محتملاً.

التكبيرة لأنه محل القراءة بخلاف الركوع أم لا يتم؟ فيه احتمالان لصاحب الشامل أصحهما الثاني، **(فإذا)** فاته بعض التكبيرات و**(سلم الإمام قضى تكبيره الذي فات)** وتداركه بعد سلام الإمام **(كفعل المسبوق)** في سائر الصلوات، **(فإنه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة)** أي الاقتداء بالامام **(في هذه الصلاة معنى)**، فإذا قضى ما فات فهل يقتصر على التكبيرات نسقاً بلا ذكر أم يأتي بالذكر والدعاء؟ قولان: أظهرهما الثاني: قال النووي: والقولان بالوجوب وعدمه صرح به صاحب البيان وهو ظاهر، ويستحب أن لا ترفع الجنازة حتى يتم المسبوقون ما عليهم، فلو رفعت لم تبطل صلاتهم وإن حوّلت عن القبلة بخلاف ابتداء عقد الصلاة، ولو تخلف المقتدي فلم يكبر مع الإمام الثانية أو الثالثة، حتى كبّر الإمام التكبيرة المستقبلة من غير عذر بطلت صلاته كتخلفه بركعة. وقال أصحابنا: المسبوق فيها يقضي ما فاته من التكبيرات بعد سلام الإمام نسقاً بغير دعاء لأنه لو قضاه به ترفع الجنازة فتبطل الصلاة لأنها لا تجوز إلا بحضورها نقله ابن الهمام.

وقال المارديني من أصحابنا: المسبوق لا يشتغل بشيء لما فاته بل يدخل أولا مع الامام ثم يتم ما فاته أو يقضيه عملاً بالروايتين، وكل تكبيرة منها بمنزلة ركعة، فكما لا تؤدي ركعة قبل الدخول، فكذا التكبيرة، ولو فاتته تكبيرة فكبر ثم قضى ما فاته صارت تكبيراته خمساً، ولهذا قال أبو حنيفة، ومحمد بن الحسن: ينتظر حتى يكبر الامام فيكبر معه، ثم بعد السلام يقضي ما فاته وهو رواية ابن القاسم عن مالك.

(فالتكبيرات هي الأركان الظاهرة)، وقول ابن الهمام من أصحابنا إن الذي يفهم من كلامهم أن أركانها الدعاء والقيام والتكبير لقولهم ان حقيقتها هي الدعاء وهو المقصود منها اهـ معارض بما أسبقنا نقله عنه قبل هذا أن المسبوق يكبر متوالياً بلا دعاء خشية رفعها، فلو كان الدعاء ركنا ما جاز تركه بحال من غير ما يقوم مقامه فتأمل، وهذا على مذهبنا.

وأما على مذهب المصنف، فقد سبق أن الدعاء ركن، **(وجدير بأن تقام مقام الركعات في سائر الصلوات)**، فكل تكبيرة منها مقام ركعة إلا أن ابن الهمام من أصحابنا لا يقول بركنية التكبيرة الأولى، فإنه قال: ولا يخفى أن التكبيرة الأولى شرط لأنها تكبيرة الإحرام اهـ.

وذلك لأن الشرط غير المشروط فيجعلها كتحريمة الصلاة الكاملة خارجة عن الحقيقة فتكون شرطاً محضاً والمذهب ما قدمناه آنفاً بأن أركانها التكبيرات الأربع والقيام والله أعلم.

(هذا هو الأوجه عندي، وإن كان غيره محتملاً والأخبار) الصحيحة **(الواردة في**

والأخبار الواردة في فضل صلاة الجنازة وتشييعها مشهورة. فلا نطيل بإيرادها، وكيف

فضل صلاة الجنازة وتشييعها مشهورة) في الكتب (فلا نطول بإيرادها)، فمن ذلك ما أخرجه مسلم والترمذي، عن أبي هريرة، وأحمد، والضياء، عن أبي سعيد «من صلى على جنازة ولم يتبعها فله قيراط وإن تبعها فله قيراطان. قيل: وما القيراطان؟ قال: أصغرهما مثل أحد».

وأخرج أحمد والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة «من صلّى على جنازة فله قيراط ومن انتظرها حتى توضع في اللحد فله قيراطان والقيراطان مثل الجبلين العظيمين».

وأخرج أحمد عن عبد الله بن مغفل «من صلى على جنازة فله قيراط فإن انتظرها حتى يفرغ منها فله قيراطان».

وأخرج مسلم، وابن ماجه، عن ثوبان، والحكيم الترمذي عن ابن مسعود «من صلى على جنازة فله قيراط فإن شهد دفنها فله قيراطان القيراط مثل أحد».

وأخرج ابن النجار عن البراء «من صلّى على جنازة فله قيراط ومن شهد دفنها فله قيراطان أحدهما مثل أحد».

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس «من صلى على جنازة فانصرف قبل أن يفرغ منها كان له قيراط فان انتظر حتى يفرغ منها فله قيراطان والقيراط مثل أحد في ميزانه يوم القيامة».

وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن معروف الخياط عن واثلة «من شهد جنازة ومشى امامها وحمل بأربع زوايا السرير وجلس حتى تدفن كتب الله له قيراطين من أجر أخفهما في ميزانه يوم القيامة أثقل من أحد» ومعروف ليس بالقوي.

وأخرج الشيخان والنسائي وابن حبان عن أبي هريرة «من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن كان له قيراطان قيل وما القيراطان قال مثل الجبلين العظيمين».

وأخرج الحكيم الترمذي عن عبد الله بن مغفل «من شيع جنازة حتى تدفن فله قيراطان ومن رجع قبل أن تدفن فله قيراط مثل أحد».

وأخرج أحمد وابن ماجه وأبو عوانة والدارقطني في الافراد والطبراني في الأوسط والضياء عن أبيّ بن كعب «من تبع جنازة حتى يصلي عليها ويفرغ منها فله قيراطان ومن تبعها حتى يصلي عليها فله قيراط والذي نفس محمد بيده لهو أثقل في ميزانه من أحد».

وأخرج الطبراني في الكبير، عن ابن عمر «من تبع جنازة حتى يصلي عليها ثم يرجع فله قيراط ومن صلى عليها ثم مشى معها حتى يدفنها فله قيراطان القيراط مثل أحد».

وأخرج أحمد والنسائي والروياني والضياء عن البراء وأحمد ومسلم وأبو عوانة عن ثوبان «من تبع جنازة حتى يصلي عليها كان له من الأجر قيراط ومن مشى مع الجنازة حتى تدفن كان له من الأجر قيراطان والقيراط مثل أحد».

لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات؟ وإنما تصير نفلاً في حق من لم تتعين عليه بحضور غيره، ثم ينال بها فضل فرض الكفاية وإن لم يتعين لأنهم بجملتهم قاموا بما هو فرض الكفاية وأسقطوا الحرج عن غيرهم، فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن أحد، ويستحب طلب كثرة الجمع تبركاً بكثرة الهمم والأدعية واشتماله على ذي

وأخرج البخاري والنسائي وابن حبان عن أبي هريرة «من تبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معها حتى يصلي عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط من الأجر».

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة «من تبع جنازة وحملها ثلاث مرات فقد قضى ما عليه من حقها».

وأخرج مسلم، وأبو داود عن أبي هريرة «من خرج مع جنازة من بيتها وصلّى عليها ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد».

(**وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرائض الكفايات**) باتفاق أهل المذاهب المتبوعة إذا قام به قوم سقط عن الباقين، (**وإنما تصير نفلاً في حق من لم تتعين عليه بحضور غيره، ثم ينال بها فضل فرض الفكاية، وإن لم تتعين لأنهم بجملتهم قاموا بما هو فرض، وأسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن أحد**)، وقد تقدم البحث فيه في كتاب العلم حيث ذكر فيه أقسام الفروض فراجعه، (**ويستحب طلب كثرة الجمع**) قال في الروضة: ولا يشترط فيها الجماعة، لكن يستحب وفي أقل ما يسقط فرض الكفاية في هذه الصلاة قولان وجهان أحد القولين بثلاث والثاني بواحد واحد الوجهين باثنين والثاني بأربعة، والأظهر عند الروياني وغيره سقوطه بواحد، ومن اعتبر العدد قال سواء صلوا فرادى أو جماعة ولو بان حدث الإمام أو بعض المأمومين فإن بقي العدد المعتبر سقط الفرض، وإلاّ فلا ويسقط بصلاة الصبيان المميزين على الأصح، ولا يسقط بالنساء على الصحيح، وقال كثيرون: لا يسقط بهن قطعاً وإن كثرن فالخلاف فيما إذا كان هناك رجال فإن لم يكن رجل صلين منفردات وسقط الفرض بهن، قال في العدة: وظاهر المذهب أنه لا يستحب لهن الجماعة في جنازة الرجل والمرأة، وقيل: يستحب في جنازة المرأة. قال النووي: إذا لم يحضر إلا النساء توجه الفرض عليهن، وإذا حضرن مع الرجال لم يتوجه الفرض عليهن، فلو لم يحضر الأرجل ونساء، وقلنا لا يسقط إلا بثلاثة توجه التتميم عليهن والله أعلم.

وإنما قيل باستحباب طلب كثرة الجمع (**تبركاً بكثرة الهمم والأدعية واشتماله على ذي**

دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس: أنه مات له ابن فقال: يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال: فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال: تقول هم أربعون؟ قلت: نعم، قال: أخرجوه فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله عز وجل فيه» وإذا شيع الجنازة فوصل المقابر أو دخلها ابتداء قال: السلام عليكم أهل

دعوة مستجابة) من أرباب الصلاح والأحوال ممن كان الحق سمعه وبصره ولسانه ويده، فإن مثل هذا دعوته وشفاعته مقبولتان كما تقدم **(لما روى)** أبو رشـدين **(كريب)** بن أبي مسلم الحجازي مولى ابن عباس وثقة ابن معين والنسائي مات سنة ثمان وتسعين من الهجرة بالمدينة روى له الجماعة **(عن ابن عباس)** رضي الله عنه **(أنه مات ابن له)** أي لابن عباس، **(فقال)** لمولاه المذكور: **(انظر ما اجتمع له من الناس قال)** كريب. **(فخرجت)** فنظرت **(فإذا ناس قد اجتمعوا له)** أي ينتظرون الجنازة **(فأخبرته فقال: تقول)** يا كريب **(هم أربعون)** بالظن **(قال، قلت نعم، قال: أخرجوه)** أي المتوفى **(فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله تعالى شيئاً إلا شفعهم الله تعالى فيه»)** قال العراقي: أخرجه مسلم اهـ.

قلـت: ورواه كذلك أحمد، وأبو داود، والبيهقي في السنن، وفي رواية لهم خلا مسلم «ما من مسلم يموت» وفي آخره «إلا شفعوا فيه».

وفي معناه ما أخرجه أحمد والطبراني في الكبير من حديث ميمونة «ما من مسلم يصلي عليه أمة إلا شفعوا فيه».

وعند النسائي والبيهقي من حديثها «ما من ميت يصلي عليه أمة من الناس إلا شفعوا فيه».

وأخرج أحمد ومسلم والنسائي وابن حبان والبيهقي من حديث أنس وعائشة «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون أن يكونوا مائة فيشفعون له إلا شفعوا فيه».

وأخرج أحمد، وأبو داود، والطبراني من حديث مالك بن هبيرة «ما من مسلم يموت فيصلي عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا أوجب».

وأخرجه الترمذي وحسنه بلفظ «من صلّى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب» **(فإذا شيع الجنازة)** من بيتها إلى المصلى **(و)** منه إلى أن **(وصل المقابر)** جمع مقبرة وهي الموضع الذي يقبر فيه. قال في الروضة: والدفن يجوز في غير المقبرة، لكن فيها أفضل، فلو قال بعض الورثة: يدفن في ملكه، وبعضهم في المقبرة المسبلة دفن في المسبلة، ولو بادر بعضهم فدفنه في الملك كان للباقين نقله إلى المسبلة، والأولى أن لا يفعلوا، ولو أراد بعضهم دفن في ملك نفسه لم يلزم

هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. والأولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت فإذا سوي على الميت قبره قام عليه وقال: اللهم عبدك رُدّ إليك فارأف به وارحمه، اللهم جاف الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن، اللهم إن كان محسناً فضاعف له في إحسانه وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه.

الباقين قبوله، **(ودخلها)** أي المقابر **(ابتداء قال: السلام على أهل الديار من المؤمنين** والمسلمين، **ورحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا ان شاء الله بكم لاحقون)** وفي بعض النسخ: السلام عليكم أهل الديار بدل على أهل الديار ويرحم الله بدل رحم الله، وفي الروضة: والسنّة أن يقول الزائر: «سلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم» وقد تقدم الكلام على تخريج هذا القول في أواخر قواعد العقائد في مسألة الاستثناء.

(والاولى أن لا ينصرف المشيع حتى يدفن الميت) اعلم أن الانصراف عن الجنازة أربعة أقسام.

أحدها: ينصرف عقب الصلاة، فله من الأجر قيراط.

الثاني: أن يتبعها حتى توارى ويرجع قبل إهالة التراب.

الثالث: أن يقف إلى الفراغ من القبر وينصرف من غير دعاء.

الرابع: يقف بعده عند القبر ويستغفر الله تعالى للميت وهذا أقصى الدرجات في الفضيلة، وحيازة القيراط الثاني تحصل لصاحب القسم الثالث، وهل تحصل للثاني؟ حكى الإمام فيه تردداً واختار الحصول قال النووي وحكى صاحب الحاوي هذا التردد وجهين، وقال: أصحهما لا يحصل إلا بالفراغ من دفنه، وهذا هو المختار. ولذا قال المصنف: والأولى الخ، ويحتج له برواية البخاري حتى يفرغ من دفنها، ويحتج للآخر برواية لمسلم حتى توضع في اللحد، والله أعلم.

(فإذا سوي على الميت قبره) بأن فرغ من وضعه في لحده ونصب اللبن عليه وسد فرجه وحثا كل من دنا ثلاث حثيات ثم يهال عليه التراب بالمساحي **(قام عليه وقال اللهم عبدك)** هذا **(ردّ إليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله بقبول حسن. اللهم إن كان محسناً فضاعف له في حسناته وإن كان مسيئاً فتجاوز عن سيئاته)**.

وقال في الروضة: ويستحب لمن يدخله القبر أن يقول: بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ، ثم يقول: اللهم أسلمه إليك الاشحاء من ولده وأهله وقرابته وإخوانه وفارقه من كان يحب قربه

....

وخرج من سعة الدنيا والحياة إلى ظلمة القبر وضيقة ونزل بك وأنت خير منـزول بـه إن عـاقبتـه فبذنبه وإن عفوت عنه فأنت أهل العفو أنت غني عن عذابه وهو فقير إلى رحمتك. اللهم تقبل حسنته واغفر سيئته وأعذه من عذاب القبر واجمع له برحمتك الأمن من عذابك واكفه كل هول دون الجنة. اللهم واخلفه في تركته في الغابرين وارفعه في عليين وعد عليه برحمتك يا أرحم الراحمين، وهذا الدعاء نص عليه الشافعي رحمه الله في المختصر.

فصل

في بيان لواحق هذا الباب:

الأولى: تجوز الصلاة على الغائب بالنية، وإن كان في غير جهة القبلة والمصلي يستقبل القبلة، وسواء كان بينهما مسافة القصر أم لا؟ فإن كان المصلي والميت في بلد، فهل يجوز أن يصلي إذا لم يكن بين يديه؟ وجهان. أصحهما لا. قال الشيخ أبو محمد: وإذا شرطنا حضور الميت اشترط أن لا يكون بينهما أكثر من ثلاثمائة ذراع تقريباً. وقال أصحابنا: من شرائط صلاة الجنازة حضور من يصلي عليه فلا تصح الصلاة على غائب، وأما صلاته ﷺ على النجاشي وعلى معاوية المزني، فمن خصوصياته لأنهما أحضرا بين يديه حتى عاينهما، فتكون صلاة من خلفه على ميت يراه الإمام وبحضرته دون المأمومين، وهذا غير مانع من صحة الاقتداء.

وفي التمهيد لابن عبد البر: أكثر أهل العلم يقولون: هذا مخصوص بالنبي ﷺ، ودلائله في هذه المسألة واضحة لا يجوز أن يشرك النبي ﷺ فيها غيره، لأنه والله أعلم أحضر روح النجاشي بين يديه حتى شاهدها وصلى عليها أو رفعت له جنازته كما كشف له عن بيت المقدس حين سألته قريش عن صفته.

وقد روي أن جبريل أتاه بروح جعفر أو جنازته وقال: قم فصل عليه، ومثل هذا يدل على أنه مخصوص به ولا يشاركه فيه غيره، ثم أسند ابن عبد البر عن أبي المهاجر، عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه فقام فصففنا خلفه فكبر عليه أربعاً وما نحسب الجنازة إلا بين يديه» اهـ.

ولو جازت الصلاة على غائب لصلى عليه الصلاة والسلام على من مات من أصحابه ولصلى المسلمون شرقاً وغرباً على الخلفاء الأربعة وغيرهم ولم ينقل ذلك.

الثانية: قال في الروضة: لا تكره الصلاة على الميت في المسجد قالوا: بل الصلاة فيه أفضل للحديث في قصة سهيل بن البيضاء في صحيح مسلم.

وأما الحديث الذي رواه أبو داود وغيره «من صلى على جنازة في المسجد فلا شيء له» فعنه ثلاثة أجوبة. **أحدها**. ضعفه، **والثاني** الموجود في سنـن أبي داود فلا شيء عليـه هكـذا هـو في

أصول سماعنا مع كثرتها وفي غيرها من الأصول المعتمدة، **والثالث:** حمله على نقصان أجره إذا لم يتبعها للدفن اهـ.

قلـت: قوله أحدها ضعفه يشير إلى ما ذكره البيهقي عقب إيراده لهذا الحديث ما نصه فيه صالح مولى التوأمة مختلف في عدالته كان مالك يجرحه اهـ.

ولكن ذكر صاحب الكمال عن ابن معين أنه قال صالح ثقة حجة. وقيل إن مالكاً ترك السماع منه. قال: إنما أدركه مالك بعد ما كبر وخرف، والثوري إنما أدركه بعد ما خرف، ومن سمع منه قبل أن يختلط فهو ثبت، وقال العجلي: صالح ثقة وقال ابن عدي: لا بأس به إذا سمعوا منه قديماً مثل ابن أبي ذئب، وابن جريج، وزياد بن سعد وغيرهم ولا أعرف له قبل الاختلاط حديثاً منكراً إذا روى عنه ثقة، وقال ابن حنبل: ما أعلم بأساً ممن سمع منه قديماً، فثبت بهذا إنما تكلم فيه لاختلاطه، وأنه لا اختلاف في عدالته كما ادعى البيهقي، وان مالكاً لم يجرحه وإنما ترك السماع منه لأنه أدركه بعد ما اختلط، ففي الحديث حجة لأنه رواه عنه من سمع منه قبل اختلاطه، وهو ابن أبي ذئب وقوله في الجواب الثاني إنه الموجود في أصول السماع فلا شيء عليه هو خلاف ما نقله البيهقي في السنن، فإنه اعتمد على الرواية المشهورة، ولذا تمهل في إسقاطه بصالح مولى التوأمة وما خالفه أظنه إصلاحاً من أحد الرواة، فعند أحمد في مسنده، وفي سنن النسائي هذا الحديث بلفظ «فليس له شيء» وهذا لا يحتمل التغيير، وقوله في الجواب الثالث أنه محمول على نقصان الأجر إذا لم يتبعها كيف يكون ذلك، وقد أعطى قيراطاً من الأجر كل قيراط مثل جبل أحد كما تقدم، إلا أن يقال إنه ناقص الأجر بالنسبة إلى القيراطين، ولكن لفظ الحديث فلا شيء له يدل على عدم الأجر مطلقاً. وقال أصحابنا: الصلاة عليها في المسجد مكروه كراهية التحريم في رواية وكراهية التنزيه في أخرى، أما الذي بني لأجل صلاة الجنازة فلا يكره فيه.

وأجاب صاحب المحيط عن صلاة النبي ﷺ على سهيل بن البيضاء في المسجد بأنه ﷺ كان معتكفاً إذ ذاك فلم يمكنه الخروج من المسجد، فأمر بالجنازة فوضعت خارج المسجد، فصلى عليها في المسجد للعذر، وهذا دليل على أن الميت إذا وضع خارج المسجد لعذر، والقوم كلهم في المسجد أو الإمام، وبعض القوم خارج المسجد والباقون في المسجد لا يكره، ولو كان من غير عذر اختلف فيه المشايخ بناءعلى اختلافهم ان الكراهة لأجل التلويث، أو كان المسجد بني لأداء المكتوبات لا لصلاة الجنازة، ولما صلت أزواج النبي ﷺ على جنازة سعد بن أبي وقاص في المسجد، قالت عائشة رضي الله عنها هل عاب الناس علينا ما فعلنا فقيل لها نعم، فقالت: ما أسرع ما نسوا ما صلى سول الله ﷺ على جنازة سهل بن البيضاء إلا في المسجد، وفيه دليل على أن الناس ما عابوا عليها ذلك وانكروه، وجعله بعضهم بدعة إلا لاشتهار ذلك عندهم لما فعلوه، ولا يكون ذلك إلا لأصل عندهم لأنه يستحيل عليهم أن يروا رأيهم حجة على حديث عائشة،

الرابعة: تحية المسجد: ركعتان فصاعداً سنّة مؤكدة حتى انها لا تسقط. وإن كان

ويدل على ذلك أنه ﷺ لما نعى النجاشي إلى الناس خرج بهم إلى المصلى، فصلى عليه، ولم يصل عليه في المسجد مع غيبته، فالميت الحاضر أولى أن لا يصلى عليه في المسجد.

وقد روي الصلاة على أبي بكر في المسجد بسند رجاله ثقات أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف قال: حدثنا حفص يعني ابن غياث، عن هشام عن أبيه قال: ما صلي على أبي بكر إلا في المسجد وهذا يصلح أن يكون حجة للإمام الشافعي رضي الله عنه، وهو أولى بالاحتجاج مما أخرجه البيهقي في السنن من طريقين ضعيفين في إحداهما إسماعيل الغنوي وهو متروك وفي الثانية عبدالله بن الوليد لا يحتج به.

وقال الشيخ الأكبر قدس سره في كتاب الشريعة: أما الصلاة على الجنائز في المقابر ففيه خلاف، وبالجواز أقول في ذلك كله إلا في الصلاة عليها في المسجد، فإني رأيت رسول الله ﷺ يكره ذلك، فكرهته رأيته ﷺ في النوم، وقد دخل بجنازة في جامع دمشق فكره ذلك وأمر بإخراجها، فاخرجت إلى باب جيرون وصلى عليها هنالك وقال: لا تدخلوا الجنازة المسجد.

الثالثة: قال في الروضة: ويستحب أن يلقن الميت بعد الدفن فيقال: يا عبدالله يا ابن أمة الله اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن البعث حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأنك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وبالقرآن إماماً، وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخواناً، ورد به الخبر عن النبي ﷺ.

قال النووي: هذا التلقين استحبه جماعات من أصحابنا منهم القاضي حسين، وصاحب التتمة، والشيخ نصر المقدسي في كتابه التهذيب وغيرهم، ونقله القاضي حسين عن الأصحاب مطلقاً. والحديث الوارد فيه ضعيف، ولكن أحاديث الفضائل يتسامح فيها عند أهل العلم من المحدثين وغيرهم، وقد اعتضد هذا الحديث بشواهد من الأحاديث الصحيحة كحديث أسألوا الله له التثبيت.

ووصية عمرو بن العاص: «أقيموا عند قبري قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمها حتى استأنس بكم واعلم ماذا أراجع به رسل ربي» رواه مسلم في صحيحه، ولم يزل أهل الشام على العمل بهذا التلقين من العصر الأول وفي زمن من يقتدى به قال الأصحاب: ويقعد الملقن عند رأس القبر، وأما الطفل ونحوه فلا يلقن والله أعلم.

(الرابعة: تحية المسجد) وهي **(ركعتان فصاعداً)** فهم منه أنها لا تحصل بأقل من ركعتين، وبه قال الجمهور من الأصحاب ومن غيرهم وهو ظاهر حديث جابر في قصة سليك الغطفاني إذ قال له ﷺ: «صل ركعتين» وقال بعض الأصحاب: تحصل بركعة واحدة،

الإمام يخطب يوم الجمعة مع تأكد وجوب الإصغاء إلى الخطيب وإن اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل إذ المقصود أن لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياماً بحق المسجد. ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء، فإن دخل لعبور أو جلوس فليقل: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» يقولها أربع مرات. يقال: إنها عدل ركعتين في الفضل. ومذهب الشافعي رحمه الله أنه

وبالصلاة على الجنازة وبسجود التلاوة، والشكر لأن المقصود إكرام المسجد وهو حاصل بذلك. قال الولي العراقي: وهذا ضعيف مخالف لظاهر الحديث اهـ.

وقال في الروضة: ولو صلى الداخل على جنازة أو سجد لتلاوة أو شكرٍ أو صلى ركعة واحدة لم تحصل التحية على الصحيح اهـ.

قلت: ولكن ثبت فعل ذلك اعني تحية المسجد بركعة واحدة عن عمر بن الخطاب وغيره ذكره ابن أبي شيبة في المصنف، وتقدم ذلك وقوله: فصاعداً يفهم منه أنه لو صلى أكثر من ركعتين بتسليمة واحدة جاز، وكانت كلها تحية لاشتمالها على الركعتين كذا في شرح المهذب وهي (سنّة مؤكدة) للداخل في المسجد (حتى انها لا تسقط) بحال، (وإن كان الخطيب في) حال (الخطبة يوم الجمعة) هذا (مع تأكد وجوب الإصغاء) أي الاستماع (إلى الخطيب) وهو مذهب الشافعي وأحمد. ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن الحسن البصري، وحكاه ابن المنذر، عن مكحول وسفيان بن عيينة، وأبي عبد الرحمن المقري والحميدي وإسحاق وأبي ثور وطائفة من أهل الحديث، وقال به محمد بن الحسن وأبو القاسم السيوري عن مالك، وحكاه ابن حزم عن جمهور أصحاب الحديث. وحجتهم في استحباب هاتين الركعتين ما أخرجه الشيخان عن جابر قال: دخل رجل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب قال: «اصليت ركعتين» قال: لا. قال: «صل ركعتين» وتقدم الكلام على هذا الحديث وما يتعلق به.

(وإن اشتغل) الداخل فيه (بفرض) أو سنة أو ورد (أو قضاء تأدى التحية وحصل الفضل) سواء نوى مع ذلك التحية أو لم ينوها، ويجوز ان يطرد فيه الخلاف المذكور فيمن نوى غسل الجنابة هل تحصل له الجمعة والعيد إذا لم ينوهما ولا يضر نية التحية لأنها سنة غير مقصودة بخلاف نية فرض وسنة مقصودة، فلا يصح كذا في شرح المهذب. (إذ المقصود أن لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياماً بحق المسجد، ولهذا) قالوا (يكره) للرجل (أن يدخل المسجد على غير وضوء) إذ يفوته استحباب التحية (فإن دخل) المسجد (لعبور) أي مرور بأن كان المسجد له بابان أو أكثر فعبر من باب إلى باب (أو جلوس) لأمر من الأمور وهو على غير وضوء، (فليقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يقولها أربع مرات فيقال) على ما ذكره صاحب القوت في كتاب الجمعة (إنها) تلك الكلمات (عدل ركعتين في الفضل) وجه المناسبة أن الكلمات أربعة، فإذا قالها أربع مرات

لا تكره التحية في أوقات الكراهية، وهي بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب، لما روي أنه ﷺ صلّى ركعتين بعد العصر فقيل له: أما نهيتنا عن هذا؟ فقال: «هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد».

تتحصل ست عشرة مرة، وكل ركعة فيها قيام وركوع وسجدتان هؤلاء أربعة، والركعة الثانية كذلك صار المجموع ثمانية، وفي كل ركعة أربع تكبيرات، فإذا جمعت صارت ثمانية فالمجموع ستة عشر. (**ومذهب الشافعي رضي الله عنه أنه لا تكره التحية في أوقات الكراهة**)يعني يقول باستحبابها في كل حال حتى في أوقات الكراهة (**وهي**) خمسة (**بعد**) صلاة (**العصر**) حتى تغرب الشمس (**وبعد**) صلاة (**الصبح**) حتى تطلع الشمس (**ووقت الزوال**) وهي حالة استواء الشمس في كبد السماء حتى تزول (**ووقت الطلوع و**) وقت (**الغروب**) فهذه خمسة أوقات نهى عن الصلاة فيها (**لما روي «أنه ﷺ صلى ركعتين بعد العصر فقيل له اما نهيتنا عن هذا**) أي عن الصلاة بعد العصر حتى تغرب (**فقال: هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد»**).

قال العراقي: أخرجاه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة: «كان يصلي ركعتين قبل العصر ثم أنه شغل عنهما» الحديث اهـ.

قلت: لفظ البخاري في باب إذا كلم وهو يصلي فأشار بيده واستمع، حدثنا يحيى بن سليمان، حدثني ابن وهب، أخبرني عمرو، عن بكير عن كريب أن ابن عباس والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن أزهر أرسلوه إلى عائشة رضي الله عنها فقالوا: اقرأ عليه السلام منا جميعاً وسلها عن الركعتين بعد صلاة العصر وقل لها: إنا أخبرنا أنك تصليهما، وقد بلغنا أن النبي ﷺ نهى عنهما. قال ابن عباس: وكنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنهما. فقال كريب، فدخلت على عائشة فبلغتها ما أرسلوني به فقالت: سل أم سلمة، فخرجت إليهم فاخبرتهم بقولها فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني إلى عائشة، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت النبي ﷺ ينهى عنهما ثم رأيته يصليهما حين صلى العصر ثم دخل علي وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار فارسلت إليه الجارية فقلت: قومي بجنبه قولي له تقول لك أم سلمة يا رسول الله سمعتك تنهى عن هاتين وأراك تصليهما، فإن أشار بيده فاستأخري عنه، ففعلت الجارية فاشار بيده فاستأخرت عنه، فلما انصرف قال «يا بنت أبي أمية سألت عن الركعتين بعد العصر وأنه أتاني ناس من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان».

وأخرجه كذلك في المغازي، ومسلم، وأبو داود في الصلاة، وأورده معلقاً مختصراً في الباب الذي يليه، وأيضاً في باب ما يصلى بعد العصر من الفوائت.

وأخرج في هذا الباب من طريق عبد الواحد بن أبي أيمن عن أبيه أنه سمع عائشة تقول: والذي ذهب به ما تركها حتى لقي الله تعني الركعتين بعد صلاة العصر، ومن طريق هشام بن

فأفاد هذا الحديث فائدتين.

احداهما: ان الكراهية مقصورة على صلاة لا سبب لها، ومن أضعف الأسباب قضاء النوافل إذا اختلف العلماء في أن النوافل هل تقضى، وإذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء، وإذا انتفت الكراهية بأضعف الأسباب فبالحري أن تنتفي بدخول المسجد وهو سبب قوي ولذلك لا تكره صلاة الجنازة إذا حضرت ولا صلاة الخسوف والاستسقاء في هذه الأوقات لأن لها أسباباً.

عروة عنها قالت له: يا ابن أختي ما ترك النبي ﷺ السجدتين بعد العصر عندي قط، ومن طريق أبي إسحاق قال: رأيت الأسود ومسروقاً شهدا على عائشة قالت: ما كان النبي ﷺ يأتيني في يوم بعد العصر إلا صلّى ركعتين. **(فأفاد هذا الحديث فائدتين)**.

إحداهما: ان الكراهة مقصورة على صلاة لا سبب لها).

قال الولي العراقي في شرح التقريب: ذهب أصحابنا إلى أن النهي في جميع الصور إنما هو في صلاة لا سبب لها فأما ما له سبب متقدم عليه أو مقارن له، فيجوز فعله في وقت الكراهة، وهذا كالفائتة، ولو كانت من الرواتب أو من النوافل التي اتخذها الإنسان وردا له وكصلاة الجنازة وسجود التلاوة والشكر وركعتي الطواف وصلاة الكسوف وسنة الوضوء، ولو توضأ في وقت الكراهة، وصلاة الاستسقاء على الأصح خلافاً لما صححه النووي في شرح المهذب فيها في بابها وتحية المسجد إذا دخل لفرض غير صلاة التحية، فلو دخل لا لحاجة بل ليصلي التحية فقط ففيه وجهان. ذكر الرافعي والنووي أن أقيسهما الكراهة هذا، وقوله المسجد في ذلك الوقت بذلك القصد لا فعل التحية في ذلك الوقت وقولي أولاً ماله سبب متقدم أو مقارن له خرج به ما له سبب متأخر عنه كصلاة الاستخارة وركعتي الإحرام، فيكره فعلها في وقت الكراهة على الأصح، وقال في شرح المهذب إن مقابله قوي اهـ.

(ومن أضعف الأسباب قضاء النوافل إذ) قد **(اختلف العلماء في أن النوافل هل تقضى)** أم لا، **(وإذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء)** أو اداء فيه خلاف. وقال أصحابنا: الأداء تسليم عين الواجب والقضاء تسليم مثل الواجب، وقد يستعمل أحدهما في الآخر والقضاء يجب بما يجب به الأداء **(فإذا انتفت الكراهة بأضعف الأسباب)** الذي هو قضاء النافلة **(فبالحري أن تنتفي)** الكراهة **(بدخول المسجد وهو سبب)** قوي، **(ولذلك لا تكره صلاة الجنازة إذا حضرت)** حكى ابن المنذر في جوازها بعد الصبح والعصر الإجماع، وعن أحمد وأبي حنيفة منعها في الأوقات الثلاثة من أوقات الكراهة غير الوقتين المذكورين، وعن أحمد رواية أخرى بجوازها في الأوقات كلها كمذهب الشافعي إلا أن الشافعي رضي الله عنه كان يكره أن يتحرى الدفن عند الطلوع والغروب خاصة ومنع مالك صلاة الجنازة عند الطلوع والغروب كما منع أبو حنيفة وأحمد وضابط ذلك عندهم من وقت الإسفار والاصفرار. وأما

الفائدة الثانية: قضاء النوافل. إذ قضى رسول الله ﷺ ذلك ولنا فيه أسوة

فعلها بعد صلاة الصبح وقبل الإسفار وبعد صلاة العصر وقبل الاصفرار، ففيه عندهم ثلاثة أقوال. المنع وهو مذهب الموطأ وهو نقد في نقل ابن المنذر الإجماع في صلاة الجنازة في هذين الوقتين كما تقدم، والجواز وهو مذهب المدونة، وتخصيص الجواز بما بعد الصبح دون ما بعد العصر، وهو رأي ابن أبي حبيب. قال ابن عبد البر: وهذا لا وجه له في النظر إذ لا دليل عليه من خبر ثابت ولا قياس صحيح اهـ.

وهذا كله ما لم يخش تغير الميت، فإن خيف ذلك صلي عليه في جميع الأوقات (و) كذا لا تكره (**صلاة الخسوف والاستسقاء في هذه الأوقات لأن لها أسباباً**). وقد تقدم اختلاف أبي حنيفة ومالك في صلاتي الخسوف والاستسقاء في بابيهما قريباً، وقد ظهر بما تقدم أن أرباب المذاهب الثلاثة جوزوا في أوقات النهي ما له سبب في الجملة، وإن اختلفوا في تفصيل ذلك، وإن الحنفية جوزوا ذلك في وقتين من أوقات الكراهة وما بعد الصبح والعصر دون بقية الأوقات، وجوز ابن حزم في أوقات النهي ما له سبب إذا لم يتذكره إلا فيها فإن تذكره قبلها، فتعمد تأخيره إليها لم يجز فعله فيها، وتمسك الجمهور بما في الصحيحين من حديث أنس: «من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها». وبحديث أم سلمة وعائشة في الركعتين بعد العصر المتقدم ذكرهما قريباً، والفرق بين بعض ذوات السبب وبعضها لا معنى له، وكذا الفرق بين بعض أوقات الكراهة وبعضها، فالواجب طرد الحكم في جميع الصور لأنا فهمنا من نفس الشرع تخصيص النهي بغير ذات السبب، فطردنا الحكم في سائر الصور، فهذا ما يؤيد مذهب المصنف في هذه المسألة والله أعلم.

(**الثانية: قضاء النوافل إذ قضى رسول الله ﷺ ذلك ولنا فيه أسوة حسنة**) قال في الروضة: النافلة قسمان. أحدهما: غير مؤقتة وإنما تفعل لسبب عارض كصلاة الكسوفين والاستسقاء وتحية المسجد وهذا لا مدخل للقضاء فيه، والثاني مؤقتة كالعيد والضحى والرواتب التابعة للفرائض، وفي قضائها أقوال أظهرها تقضى، والثاني لا. والثالث ما استقل كالعيد والضحى قضي وما كان تبعاً كالرواتب فلا. وإذا قلنا: تقضى فالمشهور أنها تقضى أبداً، والثاني تقضي صلاة النهار ما لم تغرب شمسه وفائت الليل ما لم يطلع فجره فتقضى ركعتا الفجر ما دام النهار باقياً، والثالث يقضي كل تابع ما لم يصل فريضة مستقبلة فيقضى الوتر ما لم تصل الصبح وتقضى سنة الصبح ما لم تصل الظهر، والباقي على هذا المثال. وقيل: على هذا الاعتبار بدخول وقت المستقبلة لا بفعلها اهـ.

وقال الولي العراقي في شرح التقريب: وافقنا الحنابلة في قضاء الفائتة إذا كانت فريضة، وفي ركعتي الطواف وفصلوا في قضاء النافلة فقالوا في الوتر: إن له فعله قبل صلاة الصبح، ومع أن المشهور عندهم ثبوت الكراهة من طلوع الفجر حكى ابن أبي موسى في الإرشاد عن أحمد، ان له

حسنة. وقالت عائشة رضي الله عنها: « كان رسول الله ﷺ إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من أوّل النهار اثنتي عشرة ركعة ». وقد قال العلماء: من كان في الصلاة ففاته جواب المؤذن فإذا سلّم قضى وأجاب وإن كان المؤذن سكت ولا معنى الآن لقول من يقول: إن ذلك مثل الأوّل وليس يقضى، إذ لو كان كذلك لما صلاّها

قضاء صلاة الليل قبل فعل الصبح قياساً على الوتر، وروي مثل ذلك عن المالكية وجوزوا أيضاً قضاء سنة الفجر بعدها، وإن كان الأفضل عندهم تأخير ذلك إلى الضحى.

وأما بقية الرواتب فالصحيح عندهم جواز قضائها بعد صلاة العصر خاصة دون بقية أوقات النهي، وعن أحمد رواية أخرى أنه يجوز فعلها في أوقات النهي مطلقاً، وأما كل صلاة لها سبب كتحية المسجد وصلاة الكسوف وسجود التلاوة، فالمشهور عندهم منعها في كل أوقات النهي، وقيل بجوازها مطلقاً، وأما المالكية فاستثنوا من أوقات الكراهة قضاء الفائتة عموماً أي الفرائض، فإنهم يمنعون قضاء النوافل مطلقاً، ولو كانت رواتب واستثنوا أيضاً ركعتي الفجر، واستدراك قيام الليل لمن نام عن عادته قبل فعل الصبح فيهما كما تقدم.

وأما حكم صلاة الجنازة، فقد تقدم ذكرها قريباً ثم قال: ولا يقال إن الذي في حديث أم سلمة وعائشة من حديث ركعتي العصر من خصائصه ﷺ، فالأصل عدم التخصيص، وما روي من أن أم سلمة قالت افتقضيهما يا رسول الله إذا فاتتك قال: لا لم يصح كما أوضحه البيهقي وغيره، والذي اختص به عليه السلام أنه كان يأتي بالركعتين دائماً بعد العصر، وإن لم يفوتاه لأنه كان إذا عمل عملاً أثبته، ولهذا كان المرجح عند الأصحاب أنه لو قضى فائتة في هذه الأوقات لم يكن له المواظبة على مثلها في وقت الكراهة، وقال بعضهم: له ذلك ولم يجعل هذا من الخصائص، وهو الذي حكاه ابن حزم عن الشافعي، وقال ابن قدامة في المغني بعد أن قرر جواز قضاء الفرائض الفائتة في جميع أوقات النهي روي ذلك عن علي وعن غير واحد من أصحابه، وبه قال أبو العالية والنخعي والشعبي والحكم وحماد والأوزاعي وإسحاق وأبو ثور وابن المنذر، ثم قال: وممن طاف بعد الصبح والعصر، وصلى ركعتين ابن عمر وابن الزبير وعطاء وطاوس وفعله ابن عباس والحسن والحسين ومجاهد والقاسم بن محمد وفعله عروة بعد الصبح اهـ.

(وقالت عائشة رضي الله عنها « كان رسول الله ﷺ إذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة) لتهجده بسبب النوم أو المرض **(صلى)** بدل ما فاته منه **(من النهار)** أي فيه **(اثنتي عشرة ركعة »)** قال العراقي: أخرجه مسلم اهـ.

قلت: وأخرجه أبو داود أيضاً ولفظه « كان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة ».

(وقد قال العلماء من كان في صلاة) وأذن المؤذن **(ففاته جواب المؤذن، فإذا سلم)** من صلاته **(قضى فأجاب وإن كان المؤذن قد سكت ولا معنى الآن لقول من يقول: إن**

رسول الله ﷺ في وقت الكراهة. نعم. من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي أن لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت آخر حتى لا تميل نفسه إلى الدعة والرفاهية. وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس. ولأنه ﷺ قال: «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلّ». فيقصد به أن لا يفتر في دوام عمله. وروت عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: «من عبد الله عز وجل بعبادة ثم تركها ملالة مقته الله عز وجل» فليحذر أن يدخل تحت الوعيد. وتحقيق هذا الخبر أنه مقته الله تعالى بتركها ملالة، فلولا المقت والإبعاد لما سلطت الملالة عليه.

ذلك مثل الأول وليس ذلك بقضاء إذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله ﷺ في وقت الكراهة) أي: بعد العصر **(أجل)** أي: نعم **(من كان له ورد)** عود نفسه به **(فعاقه)** أي منعه **(عن ذلك عذر)** من نوم أو مرض أو غير ذلك، **(فينبغي أن لا يرخص لنفسه في تركه)** مطلقاً، **(بل يتداركه في وقت آخر كيلا تميل نفسه إلى الدعة)** أي الراحة **(والرفاهية)** أي السعة **(وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس)** وترويضها على العمل، **(ولأنه ﷺ قال: «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل»)** قال العراقي: أخرجاه من حديث عائشة اهـ.

والمعنى أن العمل المداوم عليه وإن قل فإنه من أحب الأعمال إلى الله تعالى لأن النفس تألفه فيدوم بسببه الإقبال على الحق ولأن تارك العمل بعد الشروع كالمعرض بعد الوصل، ولأن المواظب ملازم للخدمة وليس من لازم الباب كمن جد ثم انقطع عن الإعتاب، ولهذا قال بعضهم: لا تقطع لخدمة ولو ظهر لك عدم القبول وكفى لك شرفاً أن يقيمك في خدمته، **(فيقصد بذلك أن لا يفتر في دوام عمله)** الذي وفقه الله للقيام به بالقسمة الأزلية.

(وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «من عبدالله تعالى عبادة ثم تركها ملالة) أي كسلاً وفتوراً **(مقته الله)** أي غضب عليه، والمقت: أشد الغضب. قال العراقي: رواه ابن السني في كتاب رياضة المتعبدين موقوفاً على عائشة اهـ.

قلت: وسيأتي هذا الحديث أيضاً في آخر الباب الأول من الأوراد، ووجدت في حاشية كتاب المغني ما نصه مصلح في نسخة من عود الله تعالى بالواو بدل عبد.

(فليحذر) السالك **(أن يدخل تحت هذا الوعيد)** الشديد، **(وتحقيق هذا الخبر أنه مقته الله فتركها)** أي تلك العبادة **(ملالة)** وكسل عنها، **(ولولا المقت)** من الله **(والإبعاد)** عن رحمته **(لما سلطت عليه الملالة)** وهو أشبه شيء بالدور.

فصل

في فروع هذا الباب:

الأول قال في الروضة: من تكرر دخوله في المسجد في الساعة الواحدة مراراً قال المحاملي في اللباب: ارجو أن تجزئه التحية مرة واحدة، وقال صاحب التتمة لو تكرر دخوله يستحب التحية كل مرة وهو الأصح اهـ.

وقال أصحابنا الحنفية: سن تحية المسجد بركعتين يصليهما في غير وقت مكروه قبل الجلوس وأداء الفرض ينوب عنها، وكذا كل صلاة، أداها عند الدخول بلا نية التحية لأنها لتعظيمه وحرمته وأي صلاة صلاها حصل ذلك كما في البدائع، فلو نوى التحية مع الفرض فظاهر ما في المحيط وغيره أنه يصح عندهما. وعند محمد لا يكون داخلاً في الصلاة فإنهم قالوا: لو نوى الدخول في الظهر والتطوع فإنه يجوز عن الفرض عند أبي يوسف وهو رواية عن أبي حنيفة، وعند محمد لا يكون داخلاً، وإذا تكرر دخوله يكفيه ركعتان في اليوم.

الثاني: قال المحاملي في اللباب: وتكره التحية في حالتين. إحداهما: إذا دخل في المكتوبة، والثانية إذا دخل المسجد الحرام فلا يشتغل بها عن الطواف اهـ.

أما الأول؟ فلقوله ﷺ: «إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة» وأما الثاني فلاندراجها في الطواف تحت ركعتيه، وكذا إذا شرع في إقامة الصلاة أو قرب إقامتها. وكذا للخطيب يوم الجمعة عند صعوده المنبر على الصحيح كما في الروضة وقال أصحابنا الحنفية لو دخل وقت كراهة كره له أن يصليها وبه قال مالك.

الثالث: قال في الروضة ومما يحتاج إلى معرفته أنه لو جلس في المسجد قبل أن يصليها وطال الفصل لم يأت بها وأنه لا يشرع قضاؤها وإن لم يطل، والذي قاله الأصحاب أنها تفوت بالجلوس فلا يفعلها. وذكر ابن عبدان أنه لو نسي التحية وجلس فذكر بعد ساعة صلاها وهذا غريب، وفي الصحيحين ما يؤيده من حديث الداخل يوم الجمعة اهـ.

والذي جزم به في التحقيق بأنه إذا جلس لا يشرع له التدارك، ولو جلس سهواً وقصر الفصل شرع له ذلك، ومقتضى استغرابه قول ابن عبدان في الروضة أنه إذا تركها جهلاً أو سهواً له فعلها ان قصر الفصل. قال في المجموع وهو المختار. وقال أصحابنا الحنفية: إن التحية لا تفوت بالجلوس، ولكن الأفضل فعلها قبله، ولذا قال عامة العلماء: يصليها كما دخل. وقال بعضهم: يجلس ثم يقوم فيصليها، وإنما قلنا إنها لا تسقط بالجلوس لما روى أبو نعيم في الحلية وابن حبان في الصحيح من حديث أبي ذر قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده، فقال: «يا أبا ذر إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان فقم فاركعهما فقمت فركعتها» الحديث، وقد تقدم بطوله عند قوله: «الصلاة خير موضوع».

فصل

قال الشيخ الأكبر قدس سره في كتاب الشريعة في ركعتي دخول المسجد من قائل بأنها سنة ومن قائل بوجوبها والذي أذهب إليه انها لا تجب عليه إلا إن أراد القعود فيه فإن وقف أو عبر ولم يرد القعود فإن شاء ركع وان شاء لم يركع ولا حرج عليه ويأثم بتركها ان قعد ولا يركع إلا ان يدخل في زمان النهي والاعتبار في ذلك أنه لا يخلو هذا الداخل أن يدخل في زمان إباحة النافلة أو في زمان النهي عنها، فإن دخل في زمان النهي فلا يركع، فإنه ربما يتخيل بعض الناس أن الأمر بتحية المسجد يعارض النهي عن الصلاة في الأوقات المنهي عنها.

فاعلم أن النهي عند الفقهاء لا يعارض به الأمر الثابت إلا عندنا فإنه لنا في ذلك نظر، وهو أن النهي إذا ثبت والأمر إذا ثبت فإن النبي ﷺ أمرنا إذا نهانا أن نمتثل ذلك من غير تخصيص، وان نجتنب كل منهي عنه يدخل تحت حكم ذلك النهي. وقال في الأمر الثابت: وإذا أمرتكم بأمر فافعلوا منه ما استطعتم، فقد أمرنا بالصلاة عند دخول المسجد ونهانا عن الصلاة بعد الصلاة التي هي صلاة الفجر وصلاة العصر، فقد حصلنا بالنهي في حكم من لا يستطيع اتيان ما أمر به في هذه الحالة لوجود النهي، فانتفت الاستطاعة شرعاً كما تنفى عقلاً فإن النبي ﷺ لم يقل فافعلوا منه ما استطعتم لا الاستطاعة المشروعة ولا المعقولة، فوجب العموم في ذلك، فيقول: إن النهي المطلق منعني من الاتيان بجميع ما يحويه هذه الأمر الوارد من الأزمنة، فلا أستطيع على هذه الصلاة في هذا الوقت المخصص بالنهي شرعاً.

فاعلم أن ذلك المسجد بيت الله وكرسي تجليه لمن أراد ان يناجيه، فمن دخل عليه في بيته وجب عليه أن يحييه، فعلمنا رسول الله ﷺ كيف نحيي ربنا إذا دخلنا عليه في بيته فنسلم على الحاضرين من الملأ الأعلى بقولنا: السلام عليكم إذا كان هنالك من البشر من كان، وإذا لم يكن إلا الملأ الأعلى فلا يخلو هذا الداخل إما أن يكون ممن قد كشف الله عن بصره حتى أدرك من بالمسجد منهم، فسلم عليهم كما يسلم على من وجد فيه من البشر، وإن لم يكن من أهل الكشف لمن فيه فليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وينوي كل صالح من عباده ولا يقول السلام على الله، فإن الله هو السلام، ويركع ركعتين بين يدي ربه ويجعل الحق في قبلته، وتكون تلك الركعتان مثل التحية التي تحيي بها الملوك إذا تجلوا لرعيتهم فإن كان دخوله في غير وقت صلاة فعندما يدخل المسجد يقوم بين يديه خاضعاً ذليلاً مراقباً ممتثلاً أمر سيده في نهيه عن الصلاة في ذلك الوقت، فإن رسم له بالقعود في بيته فليركع ركعتين شكراً لله تعالى حيث أمره بالقعود عنده في بيته، فهاتان الركعتان في ذلك الوقت صلاة شكر، ومن ركع قبل الجلوس وليس في نيته الجلوس وهو وقت صلاة فتلك الركعتان تحية لله لدخوله عليه في بيته، ومن راعى من العارفين دخوله على الحق في بيته ولم يخطر له خاطر التقييد بالأوقات كان ركوعه ركوع تحية لدخوله، ومن كان حاضراً على الدوام مناجياً لله في كل حال فليست بتحية مطلقاً. ولكنها

الخامسة: ركعتان بعد الوضوء: مستحبتان لأن الوضوء قربة ومقصودهـا الصلاة والاحداث عارضة فربما يطرأ الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعي، فالمبادرة إلى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات، وعرف ذلك بحديث بلال إذ قال ﷺ: «دخلت الجنة فرأيت بلالاً فيها فقلت لبلال: بِمَ سبقتني إلى الجنة؟ فقال بلال: لا أعرف شيئاً إلا أني لا أحدث وضوءاً إلا أصلي عقيبه ركعتين».

ركوع شكر لله تعالى حيث جعله من المتقين بدخوله بيت الله إذ جعل الله المسجد بيت كل تقي والله أعلم.

(**الخامسة: ركعتان بعد الوضوء**) وهما (**مستحبتان**) سواء كان بعد الوضوء الواجب أو غيره قال النووي: ينوي بهما سنّة الوضوء، (**لأن الوضوء قربة**) يتقرب به إلى الله تعالى (**والاحداث عارضة**) عليه، (**فربما طرأ الحدث قبل الصلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعي والمبادرة إلى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوت وعرف ذلك**) أي الاستحباب (**بحديث**) أبي عبد الله (**بلال**) بن رباح القرشي التيمي المؤذن رضي الله عنه، وأمه حمامة مولاة لبعض بني جمح قديم الإسلام والهجرة شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وسكن دمشق قال ابن إسحاق لا عقب له، وقال البخاري: هو أخو خالد وغفرة مات بالشام سنة عشرين. قال أبو زرعة: قبره بدمشق، ويقال بداريا، ويقال إنه لما مات كان قارب السبعين وروى له الجماعة (**إذا قال ﷺ «دخلت الجنة فرأيت بلالاً فيها فقلت لبلال بم سبقتني إلى الجنة؟ فقال: لا اعرف شيئاً إلا أني لا أحدث وضوءاً إلا أصلي عقيبه ركعتين»**) وفي بعض النسخ هنا زيادة (**«أو كما قال»**) وهي زيادة حسنة يؤتى بها للتأدب مع كلام رسول الله ﷺ. قال العراقي أخرجاه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: أخرجاه من طريق أبي زرعة، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال لبلال عند صلاة الفجر: «يا بلال أخبرني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة. قال: ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهوراً في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي» هذا لفظ البخاري، وقال مسلم «فإني سمعت خشف نعليك» الحديث وقال «من أني لا أتطهر طهوراً تاماً» الحديث.

وفي الصحيحين من حديث جابر رفعه: «دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خشفة فقلت: من هذا؟ فقال هذا بلال». الحديث وقد ظهر بذلك أن قول العراقي أخرجاه من حديث أبي هريرة أي بمعناه، ولفظ الحديث في سياق المصنف هو عند الترمذي من حديث بريدة الأسلمي. قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال «يا بلال بم سبقتني إلى الجنة ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي؟ فقال: ما أحدثت إلا توضأت وصليت ركعتين. فقال رسول الله ﷺ بهذا» قال الترمذي: حديث حسن غريب.

السادسة: ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه. روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا خرجت من منزلك فصلّ ركعتين تمنعانك مخرج السوء، وإذا دخلت إلى منزلك فصلّ ركعتين تمنعانك مدخل السوء ». وفي معنى هذا

وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في المسند وابن حبان والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط الشيخين، وقد انفرد الترمذي بهذا السياق خاصة دون بقية الستة.

وعند الترمذي أيضاً في هذا الحديث فقال يا رسول الله « ما أذنت قط إلا صليت ركعتين وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله علي ركعتين، فقال رسول الله ﷺ بهما ». وقوله « بم سبقتني » هكذا في نسخ المسند على الصواب، ويوجد في نسخ سنن الترمذي بإثبات الألف بعد الميم وهو ضعيف، ولغة القرآن حذف الألف كقوله تعالى: ﴿لم أذنت لهم﴾ ﴿وعم يتساءلون﴾.

فإن قيل هل يظهر لمجازاته بهذا على هذا الفعل مناسبة؟ فالجواب: نعم له مناسبة وهو أن بلالاً كان يديم الطهارة فمن لازمه أنه كان يبيت على طهارة، ومن كان كذلك فإنه يعرج روحه إلى أعلى الجنة ويؤمر بالسجود تحت العرش: ولسبق بلال رضي الله عنه مناسبة أخرى وهو سبقه إلى الإسلام، وعذب في ذات الله فصبر فجوزي بذلك، وفي حديثه هذا استحباب صلاة ركعتين عقب الوضوء واستحباب دوام الطهارة، وأنه يستحب الوضوء عقب الحدث، وإن لم يكن وقت صلاة، ولم يرد الصلاة وهو المراد بقوله ﷺ: « ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » فالظاهر أن المراد به دوام الوضوء لا الوضوء الواجب فقط عند الصلاة والله أعلم.

(**السادسة: ركعتان عند دخول المنزل و**) ركعتان (**عند الخروج منه**)، فقد (**روى أبو سلمة**) بن عبد الرحمن بن عوف الفقيه التابعي المدني، روى عن أبيه، وعن أبي هريرة، وعنه ابنه عمر والزهري وغيرهما وفي وفاته أقوال وهو معروف بكنيته روى له الجماعة (**عن أبي هريرة**) رضي الله عنه (**قال قال رسول الله ﷺ: « إذا خرجت**) أي أردت الخروج (**من منزلك**) وفي رواية من بيتك (**فصلّ**) ندبا (**ركعتين**) أي خفيفتين ويحصل الفضل بفرض أو راتبة نويت أو لا ثم ذكر حكمة ذلك وأظهرها في غالب العلة فقال: (**تمنعانك**) أي تحولان بينك وبين (**مخرج السوء، وإذا دخلت إلى منزلك فصل ركعتين تمنعانك مدخل السوء »**).

قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من رواية معاذ بن فضالة الزهراني عن يحيى بن أيوب عن بكر بن عمر وعن صفوان بن سليم. قال بكر: حسبته عن أبي سلمة، عن أبي هريرة فذكره اهـ.

قلت: رواه البزار كذلك من هذه الطريق إلا انه قدم الجملة الأخيرة وقال: لا نعلمه روي عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله موثقون. قال السيوطي: ووجدت له شاهداً. قال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن

كل أمر يبتدىء به مما له وقع، ولذلك ورد ركعتان عند الإحرام وركعتان عند ابتداء السفر وركعتان عند الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت، فكل ذلك مأثور من فعل رسول الله ﷺ. وكان بعض الصالحين إذا أكل أكلة صلى ركعتين. وإذا

عثمان بن أبي سودة أن النبي ﷺ قال: «صلاة الأوابين وصلاة الأبرار ركعتان إذا دخلت بيتك، وركعتان إذا خرجت».

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن اسحاق، حدثنا أبو بكر بن أبي داود، حدثنا علي ابن خشرم، حدثنا عيسى بن يونس، عن رجل، عن عثمان بن أبي سودة قال: كان يقال صلاة الأوابين ركعتان حين يخرج من بيته وركعتان حين يدخل وعثمان تابعي ثقة اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر: هو أي حديث البزار حديث حسن، ولولا شك بكر لكان على شرط الصحيح، وبه يعرف استرواح ابن الجوزي في الحكم عليه بوضعه، ثم قال العراقي: وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة إذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فإن الله جاعل له من ركعتيه خيراً. قال ابن عدي: وهو بهذا الإسناد منكر، وقال البخاري: لا أصل له اهـ.

قلت: وأخرجه أيضاً العقيلي والبيهقي، وقال: أنكره البخاري بهذا الإسناد، لكن له شاهد يعني به حديث بكر عن صفوان المتقدم بذكره، والمراد بالبيت محل الإقامة من نحو منزل أو خلوة أو مدرسة، وقوله: أنكره البخاري بهذا الإسناد يريد بذلك أن في سنده إبراهيم بن يزيد ابن قديد رواه عن الاوزاعي عن يحي بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وعنده مناكير عن الأوزاعي منها هذا الحديث قاله الازدي، ولكن قال الحافظ في اللسان إبراهيم هذا ذكره ابن حبان في الثقات.

(وفي معنى هذا كل أمر يبتدىء به مما له وقع) وشأن في النفوس. **(ولذلك ورد)** في الأخبار المروية **(ركعتان عند الإحرام)** بحج أو عمرة **(وركعتان عند ابتداء السفر)** أي إنشائه وتأهبه للخروج والسفر أعم من أن يكون لغزو أو حج أو غيرهما، **(وركعتان عن الرجوع من السفر)** إلى وطنه **(في المسجد قبد دخول البيت)** أي المنزل، **(فكل ذلك مأثور)** أي منقول مروي **(من فعل رسول الله ﷺ)**.

قال العراقي: أما حديث ركعتي الإحرام، فرواه البخاري من حديث ابن عمر وحديث ركعتين عند ابتداء السفر. رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس «ما استخلف عبد في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن العبد في بيته إذا شد عليه ثياب سفره» الحديث وهو ضعيف اهـ.

ووجدت في هامش الكتاب بخط الشيخ شمس الدين الحريري ما نصه: لا ينطبق هذا الحديث

....

على صلاة ركعتين، وإنما يحتج لذلك بالحديث الذي رواه الطبراني في كتابه المناسك من حديث المطعم بن المقدام الصنعاني مرسلاً: حدثنا موسى بن إبراهيم، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن المطعم بن المقدام قال قال رسول الله ﷺ: «ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفراً».

قلت: هو في المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة بهذا الإسناد مرفوعاً إلى النبي ﷺ بلفظ: «ما خلف عبد على أهله» والمطعم بن المقدام تابعي كبير روى عن مجاهد والحسن وثقه ابن معين، وقد أورده السيوطي في جامعه هكذا بلفظ «ما خلف عبد على أهله» الحديث. وعزاه لأبي بكر ابن أبي شيبة وأنه مرسل، وقول المناوي في شرحه وفيه محمد بن عثمان بن أبي شيبة أورده الذهبي في الضعفاء اهـ. غير ظاهر فإن هذا الرجل ليس في سند أبي بكر بن أبي شيبة، بل هو رواه عن عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن المطعم. والظاهر أنه الراوي عن أبي بكر بن أبي شيبة وكأنه ابن أخيه، فإن كان هو ضعيفاً فسند شيخه سالم من الضعف.

وقد أورده النووي في الأذكار وقال: قال بعض أصحابنا: يستحب أن يقرأ في الأولى بعد الفاتحة الكافرون، وفي الثانية الإخلاص، وقال بعضهم: يقرأ فيهما المعوّذتين، وإذا سلّم قرأ آية الكرسي ولإيلاف، ووجدت بخط الشيخ شمس الدين المذكور ما نصه: وقد ذكر هذا الحديث النووي في الأذكار ووقع له تصحيف عجيب جداً فقال: لما روينا عن المقطم الصحابي فصحف المطعم بالمقطم والصنعاني بالصحابي، ولم يقع للشيخ رحمه الله تعالى في كتبه نظيره قط مع تحريه وقد رأيناه بخطه، وفي عدة نسخ معتمدة ومنها مقروء عليه اهـ.

قلت: وقد نبه عليه الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار، وقد عرف مما تقدم أن إيراد الحافظ العراقي حديث الخرائطي المذكور غير منطبق مع كلام المصنف، وقد ذكره المصنف بلفظ الخرائطي في كتابه هذا بعد في كتاب آداب السفر كما سيأتي.

ومما يطابق سياق المصنف أيضاً ما رواه البزار من حديث أنس مرفوعاً «كان إذا نزل منزلاً لم يرتحل منه حتى يصلي فيه ركعتين».

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن الحرث عن علي قال: «إذا خرجت فصل ركعتين».

وأخرج عن أبي معاوية عن عبد الله، عن نافع، عن ابن عمر «انه كان إذا أراد أن يخرج دخل المسجد فصلّى».

وأخرج عن حميد بن عبد الرحمن، عن زهير عن أبي إسحاق قال: رأيت الحرث بن أبي ربيعة صلى حين أراد أن يخرج إلى باضميري في الحجر ضحى ركعتين، وصلى معه نفر منهم الأسود بن يزيد.

شرب شربة صلى ركعتين، وكذلك في كل أمر يحدثه، وبداية الأمور ينبغي أن يتبرك فيها بذكر الله عز وجل وهي على ثلاث مراتب.

بعضها يتكرر مراراً كالأكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل، قال ﷺ: « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر ».

ثم قال العراقي: وأما ركعتين عند الرجوع من السفر أخرجاه من حديث كعب بن مالك اهـ.

يشير إلى ما أخرجاه من حديث رفعه « أن لا يقدم من سفر إلا نهاراً في الضحى فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس فيه » هذا لفظ مسلم.

وأخرجه ابن أبي شيبة عن أبي أسامة، عن ابن جريج، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه مثله ولم يقل « ثم جلس فيه ».

وفي المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة: حدثنا وكيع عن أسامة بن زيد، عن معاذ بن عبد الله ابن حبيب، عن جابر قال: لما قدمنا مع رسول الله ﷺ قال لي: « يا جابر هل صليت؟ قلت: لا قال « فصلِّ ركعتين ».

حدثنا وكيع، عن كامل بن العلاء، عن أبي صالح أن عثمان كان إذا قدم من سفر صلّى ركعتين.

حدثنا وكيع عن مالك بن مغول، عن مقاتل بن بشير العجلي، عن رجل يقال له موسى أن ابن عباس قدم من سفر فصلى في بيته ركعتين على طنفسة.

(وكان بعض الصالحين إذا أكل أكلة صلى ركعتين، وإذا شرب شربة صلى ركعتين، وكذلك في كل أمر يحدثه) يصلي عنده ركعتين، وهذا مشهد المستغرق بنعمة الله تعالى، وتلك الصلاة عند كل ما يحدث هي صلاة شكر على نعمه التي تتجدد عليه في كل أمر وحال يحدثه، **(وبداية الأمور ينبغي أن يتبرك فيها بذكر الله تعالى)** وهو على وجه العموم **(وهي على ثلاث مراتب)**.

(بعضها: يتكرر مراراً) في اليوم والليل **(كالأكل والشرب)** مثلاً، **(فيبدأ فيه باسم الله عز وجل)** على سبيل التبرك والاستمداد، فقد **(قال رسول الله ﷺ « كل أمر ذي بال)** أي حال شريف يحتفل به ويهتم كما يفيده التنوين المشعر بالتعظيم **(لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر »)** الكلام على هذا الحديث من وجوه:

الأول: رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، وأبو عوانة في مسنده، والبيهقي، والبغوي كلهم من حديث أبي هريرة ولفظهم: « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله

....

أقطع » وعند ابن ماجه « بالحمد » وعند البغوي « بحمد الله » وعند عبد القادر الرهاوي في الأربعين له بلفظ « لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع » وعنده أيضاً في الأربعين المذكورة بلفظ « بحمد الله والصلاة عليَّ فهو أقطع أبتر ممحوق من كل بركة » وهكذا رواه الديلمي أيضاً وابن المديني، وابن منده وآخرون. ولفظ أبي داود « كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم ». وهكذا رواه العسكري في الأمثال. ولفظ البيهقي « بالحمد لله رب العالمين أقطع ». وروى أبو الحسين أحمد بن محمد بن ميمون في فضائل علي بلفظ « كل كلام لا يذكر الله فيه فيبدأ به ويصلى علي فيه فهو أقطع أكتع ممحوق من كل بركة » وكل هؤلاء عن أبي هريرة رضي الله عنه واشتهر الحديث به. وقد روي ذلك أيضاً عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه بلفظ ابن ماجه السابق « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد أقطع » أخرجه الطبراني في الكبير، والرهاوي في الأربعين.

الثاني: الحديث الذي رواه ابن ماجه والبيهقي قال ابن الصلاح حسن وتبعه النووي. قال: وإنما لم يصح لأن في سنده قرة بن عبد الرحمن ضعفه ابن معين وغيره، وأورده الذهبي في الضعفاء وقال أحمد: منكر الحديث جداً ولم يخرج له مسلم إلا في الشواهد. وقال النووي في الأذكار بعد سياقه هذا الحديث، والذي خرجه عبد القادر الرهاوي في أربعينه ما نصه: روينا هذه الألفاظ في الأربعين للرهاوي وهو حديث حسن، وقد روي موصولاً ومرسلاً قال: ورواية الموصول جيدة الإسناد، وإذا روي الحديث موصولاً ومرسلاً فالحكم للاتصال عند الجمهور اهـ.

وأما الحديث الذي فيه زيادة الصلاة عند الرهاوي فقد قال بنفسه بعد ما أخرجه غريب تفرّد بذلك الصلاة فيه سهيل بن أبي زياد وهو ضعيف جداً لا يعتد بروايته ولا بزيادته اهـ.

ولذا قال التاج السبكي حديثه غير ثابت، وفي الميزان إسماعيل بن أبي زياد، قال الدارقطني: متروك يضع الحديث، وقال الخليل: شيخ ضعيف، والراوي عنه حسين الزاهد الاصفهاني مجهول.

الثالث: ورد في هذا الحديث عند أبي داود كل كلام والأمر أعم من الكلام لأنه قد يكون فعلاً فلذا آثروا روايته. وقال التاج السبكي: والحق أن بينهما عموماً وخصوصاً من وجه، فالكلام قد يكون أمراً وقد يكون نهياً وقد يكون خبراً والأمر قد يكون فعلاً وقد يكون قولاً.

الرابع: ذكر الله أعم من الحمد والبسملة. وفي رواية الحمد، فالمراد به الثناء على الجميل من نعمته وغيرها من أوصاف الكمال والجلال والإكرام والأفضال، ولفظ المصنف بذكر الله صححه ابن حبان وفي إسناده مقال، ولكن الرواية المشهورة فيه بحمد الله. قال الحافظ ابن حجر: الابتداء بالحمد واشتراط التشهد خاص بالخطبة بخلاف بقية الأمور المهمة فبعضها يبدأ فيه بالبسملة تامة

الثانية: ما لا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة، فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول المزوج: «الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ زوجتك ابنتي» ويقول القابل: «الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ قبلت النكاح». وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد.

كالمراسلات، وبعضها ببسم الله فقط كما في أول الجماع والذبيحة، وبعضها بلفظ من الذكر مخصوص كالتكبير اهـ.

وإذا أريد بالحمد ما هو أعم من لفظه وأنه ليس القصد خصوص لفظ فلا تنافي بين الروايات.

الخامس: قال الكازروني: وقد فهموا من تخصيص الأمر بذي البال أنه لا يلزم في ابتداء الأمر الحقير التسمية لأن الأمر الشريف ينبغي حفظه عن صيرورته ابتر والحقير لا اهتمام ولا اعتداد بشأنه.

السادس: كل روايات هذا الحديث بلفظ «اقطع» من غير ادخال الفاء على خبر المبتدأ، وجاء في رواية أبي داود «فهو أجذم» بادخال الفاء وليس ذا في أكثر الروايات. قال التاج السبكي: دخول هذه الفاء في خبر المبتدأ مع عدم اشتماله على واقع موقع الشرط أو نحوه موصولاً بظرف أو شبهه أو فعل صالح للشرطية، فجاز دخول الفاء على حدّ قوله كل أمر مباعد وجهه أن المبتدأ هو كل أضيف لموصوف بغير ظرف ولا جار ولا مجرور ولا فعل صالح للشرطية أو مداني، فمنوط بحكمة المتعالي.

السابع: فيه توقيف على أدب جميل وبعث على التيمن بالذكر والتبرك به والاستظهار بمكانه على قبول ما يلقى إلى السامعين وإصغائهم إليه وإنزاله عن قلوبهم.

(**الثانية: ما لا يكثر تكرره وله وقع**) وشأن (**كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب في**) كل (**ذلك أن يصدر**) كلامه (**بحمد الله سبحانه، فيقول المزوّج**) بعد البسملة: (**«الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ زوجتك«ابنتي»**) فلانة بالمهر المسمى بيننا (**ويقول القابل**) بعد البسملة: (**«الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ قبلت هذا النكاح»**) أو قبلت نكاحها، وهذا الأقل في كيفيات عقد النكاح. (**وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد**) على الله تعالى وذكر نعوته وجلاله حسبما يقتضيه المقام، فإنها من الأمور المهمة التي تقتضي بداءتها بالتحميد، وقد يقال: إنه يكتفي في مثل هذه بالبسملة، ويؤيد ذلك: كتبه ﷺ الرسالة إلى ملوك الآفاق المصدرة بالبسملة فقط دون التحميد لعدم الاحتياج إلى ذلك، فعلم بذلك أنها

الثالثة: ما لا يتكرر كثيراً وإذا وقع دام وكأن له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والإحرام وما يجري مجراه، فيستحب تقديم ركعتين عليه وأدناه الخروج من المنزل والدخول إليه فإنه نوع سفر قريب.

السابعة: صلاة الاستخارة: فمن همّ بأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف أن الخير في تركه أو في الإقدام عليه، فقد أمره رسول الله ﷺ «بأن يصلي ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون، وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد، فإذا فرغ دعا وقال: اللهم إني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من

ليست كخطبة النكاح في الاهتمام بشأنه، لكن قد توارث العلماء والفصحاء والوعاظ كابراً عن كابر إفتتاح رسالاتهم ومخاطباتهم إلى الأقران والأكابر بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والمترسلون أشدهم محافظة لذلك.

(**الثالثة: ما لا يتكرر كثيراً و**) لكنه (**إذا وقع دام وكان له وقع**) في النفوس (**كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام**) بحجة أو عمرة (**وما يجري مجراه**) في الحكم، (**فيستحب تقديم ركعتين عليه**) وهما مشتملتان على ذكر الله (**وأدناه الخروج من المنزل**) لكسب وقضاء حاجه وغير ذلك، (**والدخول فيه فإنه نوع سفر خفيف**) لكونه يفارق منزله وأهله في الجملة (**وقدوم**) عليهم.

(**السابعة: صلاة الاستخارة**) وأصل الاستخارة طلب الخير من الله عز وجل (**فمن همَّ بأمر**) من أمور دنياه أو آخرته (**وكان لا يدري عاقبته**) ماذا (**ولا يعرف**) أي لا يهتدي إلى (**أن الخيرة في تركه أو في الإقدام عليه، فقد أمر رسول الله ﷺ**) أصحابه (**بأن يصلي**) من أهمه ذلك (**ركعتين من غير الفريضة يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب، وقل يا أيها الكافرون، وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد، فإذا فرغ**) من صلاته رفع يديه و(**دعا وقال: اللهم**) أي يا الله اقصد فادخل الارادة لأن القصد الإرادة فحذف الهمزة واكتفى بالهاء من الله لقرب المخرج والمجاورة، وليدل بذلك على عظيم الوصلة (**إني**) أي اقصد حقيقتي انية الشيء حقيقته (**استخيرك بعلمك**) أي بالله أقصد حقيقتي بما اختاره علمك مما حقيقتي فيه خير (**واستقدرك بقدرتك**) لأن القدرة صفة الإيجاد وهي أخص تعلقاً من العلم فيصرف بالعلم ويوجد بالقدرة ولا يصرف بها، فقدم العلم على القدرة لأنه قد تكون الخيرة له في ترك ما طلب تحصيله فكأنه يقول: وإن كان في تحصيل ما طلبته خير لي فإني استقدرك بقدرتك أي اقدرني على تحصيله إن كان ممن يقول بنسبة الفعل للعبد، وهذا بعيد. وتكون الاضافة في قوله بقدرتك أي بالقدرة التي تخلقها في عبادك وإن كان ممن لا يقول بنسبة القدرة للعبادة فقوله بقدرتك يعني قدرة الحق التي هي صفته أي المنسوبة إليه بحكم الصفة لا بحكم الخلق. (**واسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر**) يتجه قول هذا من الطائفتين أي فإنك تقدر أن تخلق

فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فقدره لي وبارك لي فيه ثم يسره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرفه عني وقدّر لي الخير أينما كان إنك على كل

لي القدرة على تحصيله إن كان قد علمت أن لي فيه خيراً وقد يريد الاخبار عن حقيقة نفي القدرة عن العبد فيقول: فإنك تقدر على إيجاده وتحصيل ما طلبته ولا أقدر أي مالي قدرة أحصله بها. (**وتعلم**) ما يصلح لي من الخير (**ولا أعلم**) في هذا الذي توجهت في طلبه (**وأنت علام الغيوب**). أي: ما غاب عني وأنت تعلمه، ولتعلم أن العلم بالأمر لا يقتضي شهوده، فدل أن نسبة رؤية الأشياء غير نسبة العلم بها، فالنسبة العلمية تتعلق بالشهادة والغيب، فإنه من شاهد شيئاً فقد علمه ولا يلزم من علم شيئاً أنه يشهده، وما ورده في الشرع قط أن الله يشهد الغيوب كما ورد أنه يعلمها، ولهذا وصف نفسه بالرؤية والبصر والعلم، ففرق بين النسب وميّز بعضها عن بعض ليعلم ما بينها، ولما لم يتصوّر أن يكون في حق الله غيب علمنا أن الغيب أمر إضافي لما غاب عنا، فكأنه يقول: علام الغيوب أي يعلم ما غاب عنا، وكذلك عالم الغيب والشهادة أي يعلم ما غاب عنا وما نشهده ويشهده، فإنه لا يلزم من شهود الشيء العلم بحقيقة ذلك الشيء، ويلـزم من العلم بالشيء معرفة حقيقته، وإن لم يكن كذلك فما علمته فالأشياء كلها مشهودة للحق في حال عدمها، ولو لم تكن مشهودة له لما حض بعضها بالخروج على التعيين دون بعض إذ العدم المحض لا يقع فيه تميز، فكون العلم ميز الأشياء وفصل بعضها عن بعض هو المعبر عنه بشهوده إياها وتعيينه لها أي هي بعينه يراها، وإن كانت موصوفة بالعدم لنفسها فما هي معدومة لله الحق، كما أن تصوّر الإنسان المخترع للأشياء صورة ما يريد إختراعها في نفسه ثم يبرزها فيظهر عينها لها، فاتصفت بالوجود العيني، وكانت في حال عدمها موصوفة بالوجود الذهني في حقنا والوجود العلمي في حق الله ظهور الأشياء من وجود إلى وجود من وجود شهودها لموجدها إلى وجود شهودها لا عين المحدثات والمحال الذي هو العدم المحض لا يتصوّر فيه تمييز البتة. (**اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر**) الذي تحركت لأجله ويسمى حاجته حينئذ (**خير لي**) في فعله وظهور عينه (**في ديني ودنياي**)، وفي بعض الروايات: ومعاشي بدل دنياي (**وعاقبة أمري وعاجله**) كذا في النسخ، والمشهور في هذا الدعاء أو قال في عاجل أمري بدل قوله وعاقبة أمري، لكن جمع احتياطاً للروايات (**وآجله فقدره**) كذا في النسخ، والرواية المشهورة فاقدره (**لي**) أي فاخلقه من أجلي (**ثم يسره لي**) يعني بذلك الأسباب التي علامات على تحصيل المطلوب، وفي رواية ويسره لي، وفي أخرى وبارك لي فيه ثم يسره لي (**وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي**) وفي رواية: ومعاشي بدل ودنياي (**وعاقبة أمري وعاجله**) وفي رواية أو قال في عاجل أمري وآجله (**فاصرفه عني**) إن كان الخير في تركه وعدم ظهور عينه لكوني استحضرته في خاطري، فقد اتصف بضرب من الوجود وهو تصوّره في خاطري فلا

شيء قدير » رواه جابر بن عبدالله. قال: « كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن ». وقال ﷺ: « إذا همّ أحدكم بأمر فليصلِّ ركعتين ثم ليسمّ الأمر ويدعو بما ذكرنا ».

تجعله حاكماً علي بظهور عينه، فهذا معنى قوله فاصرفه عني، ثم قال (**واصرفني عنه**) أي حل بيني وبين وجوده في خاطري واجعل بيني وبينه الحجاب الذي بين الوجود والعدم حتى لا استحضره ولا يحضرني، (**واقدر لي الخير أينما كان**) وفي رواية حيث كان أي أنت أعلم بالأماكن التي لي الخير فيها من غيرها وبعده زيادة قوله: ثم ارضني به وفي رواية: ثم رضني به أي اجعل عندي السرور والفرح بحصوله أو بتركه وعدم حصوله من أجل ما اخترته في سابق علمك (**إنك على كل شيء قدير**) قال: ويسمى حاجته (**رواه جابر بن عبد الله**) الأنصاري رضي الله عنه (**قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن، وقال: إذا هم أحدكم بأمر فليصل ركعتين ثم يسمي الأمر ويدعو بما ذكرنا**) وهذا يشعر بأن تسمية الأمر قبل الدعاء، والصحيح أنه بعده كما هو في رواية الجماعة والاستخارة في الحج والجهاد وجميع أبواب الخير تحمل على تعيين الوقت لا على نفس الفعل، وإذا استخار مضى لما ينشرح له صدره، وينبغي أن يكررها سبع مرات ثم انظر إلى الذي سبق إلى قلبك فهو الخير. قال العراقي: رواه البخاري من حديث جابر، وقال أحمد: حديث منكر اهـ.

قلت: رواه الجماعة إلا مسلماً. وروى ابن أنس في عمل يوم وليلة والديلمي في الفردوس من حديث أنس: « إذا هممت بأمر فاستحر ربك فيه بسع مرات ثم انظر إلى الذي يسبق إلى قلبك فإن الخيرة فيه ». قال الحافظ ابن حجر في الفتح بعد ما عزاه لابن السني هذا الحديث لو ثبت لكان هو المعتمد لكن سنده واه جداً اهـ.

وكأنه يشير إلى أن في سنده إبراهيم بن البراء. قال الذهبي: اتهموه بالوضع، وقال النووي: فيه أنه يفعل بعد الإستخارة ما ينشرح له صدره، لكنه لا يقدم على ما كان له فيه هوى قبل الإستخارة قال: والأكمل الإستخارة عقيب ركعتين بنيتها ويحصل أصل السنة بمجرد الدعاء.

فصل

وقال الشيخ الأكبر قدس سره: ورد أن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه الإستخارة كما يعلمهم السورة من القرآن، وورد أنه كان يأمر أن يصلي لها ركعتين ويوقع الدعاء عقيب الصلاة من الركعتين اللتين يصليهما من أجلها، واستحب له أن يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقوله تعالى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾ [القصص: ٦٨] الآية. وقل يا أيها الكافرون، ويقرأ في الركعة الثانية فاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، ويدعو بالدعاء المروي في ذلك عقيب السلام يفعل ذلك في كل حاجة مهمة يريد فعلها أو قضاءها. ثم يشرع في حاجته

الثامنة: صلاة الحاجة. فمن ضاق عليه الأمر ومسته حاجة في صلاح دينه ودنياه إلى أمر تعذر عليه فليصلّ هذه الصلاة، فقد روي عن وهيب بن الورد أنه قال: إن من الدعاء الذي لا يرد أن يصلي العبد اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بأم الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله أحد، فإذا فرغ خرَّ ساجداً ثم قال: «سبحان الذي لبس

وإن كان له فيها خيرة سهل الله أسبابها إلى أن تحصل فتكون عاقبتها محمودة، وإن تعذرت الأسباب ولم يتفق تحصيلها، فيعلم أن الله قد اختار تركها فلا يتألم لذلك وسيحمد عاقبتها تركاً كان أو فعلاً، وينبغي لأهل الله أن يصلوا صلاة الإستخارة في وقت معين لهم من ليل أو نهار في كل يوم، فإذا قالوا الدعاء يقولون في الموضع الذي أمر أن يسمى حاجته المعينة يقول: اللهم إن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك فيه في حق وفي حق غيري وجميع ما يتحرك فيه في حق وفي حق أهلي وولدي وما ملكت يميني من ساعتنا هذه إلى مثلها من اليوم الآخر خير لي، ويذكر الدعاء المذكور. وإن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك فيه في حق وفي حق غيري وجميع ما يتحرك فيه في حق وفي حق أهلي وولدي وما ملكت يميني من ساعتي هذه إلى مثلها من اليوم الآخر شرٌّ لي في ديني ويذكر باقي الدعاء، فإنه لا يتحرك في حركة ولا يتحرك في حقه كما ذكر إلا كان له في ذلك خير بلا شك يفعل ذلك في كل يوم في وقت معين وجربنا ذلك، ورأينا عليه كل خير اهـ.

وفي الإستخارة صلوات وأدعية بكيفيات متعددة منقولة عن المشايخ، والذي ذكره المصنف هو ما ورد في السنة فينبغي الاقتصار عليه.

(**الثامنة: صلاة الحاجة**) ذكرها غير واحد من العلماء بكيفيات مختلفة في الدعاء وعدد الركعات، (**فمن ضاق صدره**) بوارد من هم أو غم (**ومسته الحاجة**) والاضطرار (**في صلاح دينه أو دنياه إلى أمر تعذر عليه**) وتعسرت أسبابه الميسرة له، (**فليصل هذه الصلاة**) الآتي ذكرها. (**فقد روي عن**) أبي عثمان، ويقال: أبو أمية (**وهيب بن الورد**) بن أبي الورد القرشي المكي مولى بني مخزوم، واسمه عبد الوهاب، ووهيب لقب غلب عليه. قال ابن معين، والنسائي: ثقة وقال أبو حاتم كان من العباد المتجردين لترك الدنيا والمنافسين في طلب الآخرة، وكان إذا تكلم قطرت دموعه من عينيه قيل: لم ير ضاحكاً قط، وقال سفيان بن عيينة: رأى وهيب قوماً يضحكون يوم الفطر فقال: إن كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كانوا لم يتقبل منهم فما هذا فعل الخائفين. قال أبو حاتم ابن حبان: توفي سنة ثلاث وخمسين ومائة روى له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي (**أنه قال**): وترجمة أبو نعيم في الحلية فأطال وأطاب وفيه: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد الدورقي حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس قال: سمعت وهيباً يقول: (**إن من الدعاء الذي لا يرد أن يصلي العبد اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بأم القرآن وآية الكرسي وقل هو الله**

العز وقال به سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به، سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان ذي المن والفضل، سبحان ذي العز والكرم، سبحان ذي الطول أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامات العامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلي على محمد وعلى آل محمد». ثم يسأل حاجته التي لا معصية فيها فيجاب إن شاء الله عز وجل. قال وهيب: بلغنا أنه كان يقال لا تعلموها لسفهائكم فيتعاونون بها على معصية الله عز وجل.

أحد، فإذا فرغ خر ساجداً ثم قال: سبحان الذي لبس العز وقال به. سبحان الذي تعطف بالمجد وتكرم به. سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه. سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له سبحان ذي المن والفضل سبحان ذي العز والتكرم. سبحان ذي الطول أسألك بمعاقد العز من عرشك) ونص الحلية بمعاقد عزك من عرشك ومعاقد بتقديم العين على القاف وهي الرواية الصحيحة، والمشهور على الألسنة تقديم القاف على العين، وقد صرح أصحابنا في فروع المذهب بعدم جواز الدعاء بذلك وكأنه لما فيه من إيهام التشبيه، **(ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلي على محمد وعلى آل محمد، ثم يسأل الله حاجته التي لا معصية فيها)** ونص الحلية: ثم يسأل الله تعالى ما ليس بمعصية **(فيجاب إن شاء الله عز وجل)** وسقطت هذه الجملة من الحلية.

(قال وهيب: بلغنا أنه كان يقال لا تعلموها سفهاءكم فيتعاونون بها). ونص الحلية فيتعاونوا بها بإسقاط النون **(على معصية الله عز وجل)** أي فيستجاب لهم، فكان الذي يعلمه إياهم يعينهم على معصية.

وأوردها الحافظ السخاوي في القول البديع ولفظه: فيتقوّون بها على معاصي الله عز وجل، وقال: رواه عبد الرزاق الطبسي في الصلاة له من وجهين والنميري في الاعلام وابن بشكوال قال وقد جاء نحوه عن ابن مسعود مرفوعاً وقال العراقي: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بإسنادين ضعيفين جداً وفيهما عمر بن هارون البلخي كذبه ابن معين وفيه علل أخرى اهـ.

قلت: عمر بن هارون وأبو حفص البلخي الحافظ روى عنه أبو داود وجماعة. قال الذهبي في الكاشف، قال ابن حبان: مستقيم الحديث، وقد روي له الترمذي وابن ماجة، فمثل هذا لا يترك حديثه على أن الذي أورده المصنف من كتاب الحلية سنده قوي محمد بن يزيد بن خنيس راويه عن وهيب. قال أبو حاتم: شيخ صالح كتبنا عنه، وأحمد بن إبراهيم الدورقي إمام مشهور وثقة غير واحد وأحمد بن الحسين بغدادي وثقة الحاكم، ثم قال العراقي: وقد وردت «صلاة الحاجة

ركعتين » رواه الترمذي ، وابن ماجة من حديث عبدالله بن أبي أوفى ، وقال الترمذي : حديث غريب وفي إسناده مقال اهـ.

قلت : قال الترمذي : حدثنا علي بن عيسى بن يزيد البغدادي ، حدثنا عبدالله بن بكر السهمي ، عن فائد بـن عبد الرحمن ، عن عبدالله بن أبي أوفى قال ، قال رسول الله ﷺ : « من كانت له حاجة إلى الله أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ فليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله وليصل على النبي ﷺ ثم ليقل لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ولا هماً إلا فرجته ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين ، قال الترمذي : هذا حديث غريب وفائد يضعف في الحديث ، وقال أحمد : متروك اهـ لفظ الترمذي .

وفي اللآليء المصنوعة للحافظ السيوطي عقيب هذا الكلام . قلت : أخرجه الحاكم في المستدرك ، وقال أبو الورقاء فائد مستقيم الحديث ، وقد أخرجه ابن النجار في تاريخ بغداد من وجه آخر عن فائد بزيادة في آخره فقال : أخبرنا أبو الفتح محمد بن عيسى بن بركة الجصاص ، أخبرنا أبو الحسن علي بن أنوشتكين بن عبدالله الجوهري ، أخبرنا أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون الربسي ، أخبرنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن فدويه المعدل ، أخبرنا أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن أبي السري البكائي ، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي ، حدثنا حسين بن محمد بن شيبة ، حدثنا عبد الرحمن بن هارون العناني ، حدثنا فائد بن عبد الرحمن ، حدثنا عبدالله بن أبي أوفى قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « من كانت له حاجة إلى الله أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ فليحسن وضوءه ثم ليصل ركعتين ثم يقول : لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين . اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ولا هماً إلا فرجته ولا غماً إلاَّ كشفته ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين . قال رسول الله ﷺ لتطلب الدنيا والآخرة فإنهما عند الله » .

وقال الحافظ ابن حجر : وجدت لـه شاهداً من حديث أنس وسنده ضعيف أيضاً .

قال الطبراني في الدعاء : حدثنا جبرون بن عيسى ، حدثنا يحي بن سليمان المغربي ، حدثنا أبو معمر عباد بن عبد الصمد ، عن أنس بن مالك رفعه « إذا طلبت حاجة فأردت أن تنجح فقـل لا إله إلا الله وحده لا شريك له العلي العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ [النازعات : ٤٦] ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ [الأحقاف : ٣٥] اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر

والفوز بالجنة والنجاة من النار. اللهم لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ولا هماً إلا فرجته ولا حاجة هي لك رضا إلا قضيتها يا أرحم الراحمين». وأبو معمر ضعيف جداً.

قال الحافظ ابن حجر: وللحديث طريق أخرى عن أنس في مسند الفردوس من رواية شقيق البلخي الزاهد عن أبي هاشم عن أنس بمعناه وأتم منه، لكن أبو هاشم واسمه كثير بن عبدالله كأبي معمر في الضعف وأشد. قال: وجاء عن أبي الدرداء مختصراً بسند حسن أخرجه أحمد: حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ميمون أبو محمد التميمي عن يوسف بن عبدالله بن سلام، عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من توضأ فاسبغ وضوءه ثم صلى ركعتين يتمهمها أعطاه الله ما سأل معجلاً أو مؤخراً».

وأخرجه أحمد أيضاً والبخاري في التاريخ من وجه آخر عن يوسف بنحوه، وأخرجه الطبراني من وجه ثالث عنه أتم منه لكن سنده أضعف اهـ.

قال الحافظ السيوطي: وحديث أبي هاشم عن أنس قال الديلمي: أخبرنا أبي، أخبرنا أبو الحسن الهكاري، حدثنا علي بن الحسين بن علي الحسني، وذكر أن له مائة وخمسة وخمسين سنة، حدثني شيخي شقيق بن إبراهيم البلخي، حدثنا أبو هاشم الأبلي عن أنس رفعه: «من كانت له حاجة إلى الله فليسبغ الوضوء وليصل ركعتين يقرأ في الأولى بالفاتحة وآية الكرسي. وفي الثانية بالفاتحة وآمن الرسول، ثم يتشهد ويسلم ويدعو بهذا الدعاء. اللهم يا مؤنس كل وحيد ويا صاحب كل فريد ويا قريباً غير بعيد ويا شاهداً غير غائب ويا غالباً غير مغلوب يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا بديع السموات والأرض أسألك باسمك الرحمن الرحيم الحي القيوم الذي عنت له الوجوه وخشعت له الأصوات ووجلت له القلوب من خشيته أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وأن تفعل بي كذا وكذا فإنه تقضى حاجته» اهـ.

قلت: أبو الحسن الهكاري شيخ والد الديلمي قد تكلم فيه ابن عساكر وقال: لم يكن موثوقاً به كما تقدم في ترجمته في صلاة يوم الإثنين، وفي كيفية صلاة الحاجة روايات مختلفة، ومنها ما تقدم ذكره المصنف في صلاة ليلة الاثنين.

ومنها ما قدمناه في صلاة يوم الجمعة، ومنها ما نقله الحافظ السخاوي في القول البديع عن عبد الرزاق الطبسي في كتاب الصلاة له عن مقاتل بن حيان في قصة طويلة من أراد أن يفرج الله كربته ويكشف غمته ويبلغه أمله وأمنيته ويقضي حاجته ودينه ويشرح صدره ويقر عينه، فليصل أربع ركعات متى شاء وإن صلاها في جوف الليل أو ضحوة النهار كان أفضل يقرأ في كل ركعة الفاتحة ومعها في الأولى يس، وفي الثانية الم السجدة، وفي الثالثة الدخان، وفي الرابعة تبارك، فإذا فرغ من صلاته وسلم فليستقبل القبلة بوجهه ويأخذ في قراءة هذا الدعاء فيقرأه مائة مرة لا يتكلم بينها، فإذا فرغ سجد سجدة فيصلي على النبي ﷺ وعلى أهل بيته مرات، ثم يسأل الله حاجته فإنه يرى الإجابة من قريب ثم ساق الدعاء اهـ وهو مشهور يعرف بدعاء مقاتل بن حيان ويقال: إن فيه الإسم الاعظم.

ومنها ما نقله أبو العباس الشرجي من متأخري أصحابنا في كتاب الفوائد عن بعضهم قال: من كانت له إلى الله حاجة فليصل أربع ركعات يقرأ في الأولى الفاتحة وسورة الإخلاص عشر مرات، وفي الثانية الفاتحة وسورة الإخلاص عشرين مرة، وفي الثالثة الفاتحة وسورة الإخلاص ثلاثين مرة، وفي الرابعة الفاتحة وسورة الإخلاص أربعين مرة، وبعد الفراغ يقول: اللهم بنور وجهك وجلالك وبهذا الاسم الأعظم وبنبيك محمد ﷺ أسألك أن تقضي حاجتي وتبلغني سؤلي وأملي ويدعو بهذا الدعاء فإنه يستجاب له وهو هذا: بسم الله الرحمن الرحيم الله الله لا إله إلا الله الأحد الصمد الله الله لا إله إلا الله بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام اللهم إني أسألك باسمائك المطهرات المعروفات المكرمات الميمونات المقدسات التي هي نور على نور ونور فوق نور ونور تحت نور ونور السموات والأرض ونور العرش العظيم. أسألك بنور وجهك وبقوة سلطانك المبين وجبروتك المتين الحمد لله الذي لا إله إلا هو بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام يا الله يا الله يا الله يا رب يا رب يا رب يا رب يا رباه يا رباه يا رباه اغفر لي ذنوبي وانصرني على أعدائي واقض حاجتي في الدنيا والآخرة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم».

قال وعن محمد بن درستويه قال: رأيت في كتاب الإمام الشافعي رحمه الله بخطه صلاة الحاجة لألف حاجة علمها الخضر عليه السلام لبعض العباد يصلي ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب والكافرون عشر مرات، وفي الثانية فاتحة الكتاب والإخلاص عشر مرات ثم يسجد بعد السلام ويصلي على النبي ﷺ في سجوده عشرات، ويقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عشر مرات ويقول: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ [البقرة: ٢٠١] عشر مرات ثم يسأل الله حاجته بإنها تقضى إن شاء الله تعالى.

قال الشيخ أبو القاسم الحكيم: بعثت إلى العابد رسولاً يعلمني هذه الصلاة فعلمنيها فصليتها، وسألت الله تعالى الحكمة فاعطانيها وقضى لي ألف حاجة فقال الحكيم: من أراد أن يصليها يغتسل ليلة الجمعة ويلبس ثياباً طاهرة ويأتي بها عند السحر وينوي بها قضاء الحاجة تقضى إن شاء الله تعالى.

وهذه كيفية أخرى منقولة من كتاب آداب الفقراء للشيخ أبي القاسم القشيري رحمه الله: يتوضأ لها وضوءاً جديداً ثم يصلي أربع ركعات بتشهدين وتسليمتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة: ﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ [الكهف: ١٠] الآية عشراً. وفي الثانية بعد الفاتحة: ﴿رب اشرح لي صدري﴾ [طه: ٢٥] الآية عشراً وفي الثالثة بعد الفاتحة ﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾ [غافر: ٤٤] الآية عشراً وفي الرابعة بعد الفاتحة ﴿ربنا أتمم لنا نورنا﴾ [التحريم: ٦٦] الآية عشراً. ثم يسجد بعد الفراغ ويقول في سجوده ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧] إلى آخرها إحدى وأربعين مرة، ثم يسأل الله حاجته تقضى بإذن الله تعالى.

وأخرج البيهقي في الدلائل والنسائي في اليوم والليلة والنميري من طريق أبي أمامة عن سهل

وقال بعض الحكماء من أعطي أربعاً لم يمنع أربعاً من أعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب.

التاسعة: صلاة التسبيح: وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب، ويستحب أن لا يخلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة، فقد روى

ابن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف ان رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته قال عثمان بن حنيف: فشكا ذلك إليه فقال له: أئت الميضأة فتوضأ ثم أئت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتقضي لي حاجتي واذكر حاجتك ثم رح حتى أروح، فانطلق الرجل فصنع ذلك. ثم أتى باب عثمان بن عفان، فجاءه البواب فأخذ بيده وأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطنفسة فقال حاجتك فذكر حاجته فقضاها له، ثم قال: ما فهمت حاجتك حتى كان الساعة وما كانت لك من حاجة فسل، ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته، فقال له عثمان بن حنيف: ما كلمته ولا كلمني، ولكن شهدت رسول الله ﷺ وأتاه رجل ضرير البصر فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي ﷺ: «أئت الميضأة فتوضأ ثم أئت المسجد فصل ركعتين ثم قل اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتجلى لي عن بصري اللهم شفعه في وشفعني في نفسي» قال عثمان: فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل كأنه لم يكن به ضرر.

ورواه أيضاً الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وأحمد وابن خزيمة والحاكم وصححه من طريق عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف نحوه والله أعلم.

(**وقال بعض الحكماء من أعطي أربعاً لم يمنع أربعاً**) أولها (**من أعطي الشكر**) على النعمة (**لم يمنع المزيد**) لقوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم: ٧] (**و**) الثاني (**من أعطي التوبة**) أي، من وفق لها (**لم يمنع القبول**) والإجابة (**و**) الثالث (**من أعطي الاستخارة**) أي وفق لها في أمورها كلها (**لم يمنع الخيرة**) من الله تعالى، (**و**) الرابع (**من أعطي المشورة**) في أموره مع أهل الخير والصلاح (**لم يمنع الصواب**) لما ورد: لا خاب من استخار ولا ندم من استشار. وهذ القول أورده صاحب القوت هكذا والله أعلم.

(**التاسعة: صلاة التسبيح، وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تتخصص بوقت**) معين (**ولا بسبب**) خاص (**ويستحب**) للمريد (**أن لا يخلو الأسبوع**) أي الأيام السبعة (**منها مرة واحدة**) إما في نهار وهو الأفضل أو في ليلة فإن كان في نهار فبتسليمة واحدة أو في ليل فبتسليمتين كما سيأتي (**أو في الشهر**) إن لم يمكنه في الأسبوع أو في السنة في إحدى

عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنه ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب: ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك بشيء إذا أنت فعلته غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده سره وعلانيته. تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغت من القراءة في أوّل ركعة وأنت قائم تقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات، ثم ترفع من الركوع فتقولها قائماً عشراً، ثم تسجد فتقولها عشراً، ثم ترفع من السجود فتقولها جالساً عشراً، ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشراً، ثم ترفع من السجود فتقولها عشراً، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل، فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففي السنة مرة». وفي رواية أخرى: «أنه

لياليها المباركة أو في العمر، (**فقد روى**) العلماء في ذلك ما يدل على ما ذكرنا كما سيأتي ولحديثها روايات مختلفة الأولى: وهي أمثلها قال أبو داود وابن ماجة في سننهما، حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، حدثنا موسى بن عبد العزيز، حدثنا الحكم بن أبان، (**عن عكرمة عن ابن عباس**) رضي الله عنه (**أن النبي ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب**) «يا عماه (**ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك**) هذه الثلاثة ألفاظ مترادفة ذكرت للتأكيد، وفي بعض الروايات أولها زيادة الا أعلمك وفي بعضها مع ذلك الاقتصار على الأولى والثالثة وزيادة ألا أفعل بك عشر خصال بدل قوله (**بشيء إذا أنت فعلته**) وفي رواية فعلت ذلك (**غفر الله ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده وسره وعلانيته**). هكذا هو في سياق القوت، وعند الجماعة بعد عمده صغيره وكبيره وكذا عند الدارقطني زاد عشر خصال: أن (**تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة**) من القرآن أي سورة كانت، ويستحب أن تكون عشرين آية كما سيأتي (**فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت**) وفي رواية قلت وأنت قائم (**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**) أي هذه الكلمات الأربعة (**خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها**) وأنت راكع (**عشراً**) أي بعد الإتيان بتسبيحات الركوع ثلاثاً كما سيأتي، (**ثم ترفع رأسك**) من الركوع (**فتقولها عشراً**) وأنت مطمئن في القيام (**ثم تسجد**) كذا في رواية الجماعة، وعند الدارقطني: ثم تهوي ساجداً (**فتقولها عشراً وأنت ساجد**) أي بعد الإتيان بتسبيحات السجود، (**ثم ترفع رأسك**) من السجود (**فتقولها عشراً**) وأنت جالس (**ثم تسجد فتقولها عشراً**) وأنت ساجد (**ثم ترفع رأسك**) من السجود (**فتقولها عشراً فذلك خمس وسبعون**) تسبيحة (**في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصليها في كل يوم**) مرة (**فافعل فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة**») إلى هنا آخر سياق صاحب

القوت، وعند الجماعة زيادة فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففي عمرك مرة هذا حديث صحيح غريب جيد الإسناد والمتن.

وأخرجه الدارقطني بهذا السياق فقال: حدثنا عبدالله بن سليمان بن الأشعث، حدثنا عبد الرحمن بن بشر فساقه مثله سواء.

ورواه ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن بشر وإسحاق بن أبي إسرائيل كلاهما عن موسى بن عبد العزيز به.

وأخرجه الحافظ أبو يعلى الخليلي في الإرشاد عن أحمد بن محمد بن عمر الزاهد، عن أحمد بن محمد الشرقي عن عبد الرحمن بن بشر ثم قال عقبة: قال أبو حامد بن الشرقي: سمعت مسلم بن الحجاج وكتب معي هذا عن عبد الرحمن بن بشر يقول: لا يروى في هذا الحديث إسناد أحسن من هذا اهـ.

وأما رجال الإسناد فعكرمة احتج به البخاري في صحيحه كثيراً، وجمهور أهل الحديث. وتكلم فيه بما هو مندفع باحتجاج البخاري به، وكان من بحور العلم. والحكم بن أبان وثقة يحيى بن معين، وأحمد بن عبدالله العجلي وجماعة واحتج به النسائي وغيره، وقال النسائي: ثقة ولينه ابن المبارك وكان الإمام أحمد ممن يحتج به، وقال العجلي: كان ثقة صاحب سنة إذا هدأت العيون يقف في البحر إلى ركبتيه يذكر الله تعالى حتى يصبح، وأما موسى بن عبد العزيز فشيخ قليل الحديث. قال ابن معين والنسائي: ليس به بأس ولم يضعفه أحد. وساقه ابن الجوزي من طريق الدارقطني وقال في آخره لا يثبت موسى بن عبد العزيز مجهول عندنا اهـ.

وهذا مردود عليه فقد أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة وصححه وطريق هؤلاء ليست ضعيفة فضلاً عن أن يقال موضوعة، وقوله موسى بن عبد العزيز مجهول عندنا، فاعلم أن الجهل عند المحدثين على قسمين جهل العين وجهل الحال، وموسى المذكور ليس بمجهول العين ولا مجهول الحال غاية ما قيل فيه إنه شيخ قليل الحديث وهذا لا يثبت جهلاً فيه، كيف وقد روى عنه بشر بن الحكم وابنه عبد الرحمن، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وزيد بن المبارك الصنعاني، ومحمد بن أسد، وتقدم قول ابن معين والنسائي ليس به بأس، وهذا يفيد الاحتجاج بالرجل ورفع الجهالة عنه بلا خلاف، وقد رد الأئمة عليه في إيراده هذا الحديث من هذا الطريق في الموضوعات.

وأورد الحافظ ابن حجر هذا الحديث في كتاب الخصال المكفرة وقال: رجال إسناده لا بأس بهم عكرمة احتج به البخاري: والحكم صدوق وموسى بن عبد العزيز قال فيه ابن معين لا أرى به بأساً وقال النسائي: نحو ذلك وقال ابن المديني: ضعيف. فهذا الإسناد من شرط الحسن فإن له شواهد تقويه، وقول ابن الجوزي إن موسى مجهول مردود عليه لأن من يوثقه ابن معين والنسائي لا يضره أن يجهل حاله من جاء بعدهما وأحسن أسانيده ما أخرجه الدارقطني من حديث العباس

يقول في أوّل الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وتقدست أسماؤك ولا إله غيرك، ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشراً بعد القراءة والباقي كما سبق عشراً عشراً ولا يسبح بعد السجود الأخير قاعداً، وهذا هو الأحسن

والترمذي، وابن ماجه من حديث أبي رافع، ورواه أبو داود من حديث ابن عمرو بإسناد لا بأس به، ورواه الحاكم من حديث ابن عمر وله طرق أخرى اهـ.

وقال في أمالي الأذكار حديث صلاة التسبيح من حديث عبدالله بن عباس وغيره ثم ذكرهم على ما سيأتي ثم قال: فأما حديث ابن عباس فأخرجه أبو داود وابن ماجه والحاكم والحسن بن علي المعمري في كتاب اليوم والليلة، عن عبد الرحمن بن بشر بن الحكم، عن موسى بن عبد العزيز، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة عن ابن عباس وهذا إسناد حسن وقال الحاكم: وأخبرناه أيضاً أبو بكر بن قريش عن الحسن بن سفيان عن إسحاق بن راهويه عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه، وزاد الحاكم أن النسائي أخرجه في كتابه الصحيح عن عبد الرحمن، ولم نر ذلك في شيء من نسخ السنن لا الصغرى ولا الكبري، وأخرجه الحاكم والمعمري أيضاً من طريق بشر بن الحكم والد عبد الرحمن بن موسى بالسند المذكور، وأخرجاه أيضاً وابن شاهين في كتاب الترغيب من طريق إسحاق بن أبي إسرائيل عن موسى، وقال ابن شاهين: سمعت أبا بكر بن أبي داود يقول سمعت أبي يقول: أصح حديث في صلاة التسبيح حديث ابن عباس هذا وقال الحاكم: ومما يستدل به على صحته استعمال الأئمة له كابن المبارك قال الترمذي: وقد رأى ابن المبارك وغير واحد من أهل العلم صلاة التسبيح وذكروا الفضل فيه، وقال الحاكم في موضع آخر أصح ما صححه ابن خزيمة فإنه أخرجه هو وإسحاق بن راهويه قبله من طريق إبراهيم بن الحكم، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس اهـ.

وقال صاحب القوت: وقد روينا فيها روايتين.

احداهما: حديث الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس فساقه ولم يجاوز الشهر ثم قال بعد ذلك: حدثناه عن أبي داود السجستاني يقال: ليس في صلاة التسبيح حديث أصح من هذا، فذكر في هذه الرواية أنه يسبح في القيام خمس عشرة بعد القراءة وأنه يسبح عشراً بعد السجدة الثانية في الركعة الأولى قبل القيام كأنه يجلس جلسه قبل أن ينهض، وفي الركعة الثانية أيضاً كذلك قبل التشهيد.

(وفي رواية أخرى أنه يقول): ولفظ القوت: وروينا في الخبر الآخر أنه يفتتح الصلاة ويقول: **(سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة مرة قبل القراءة)** ثم يقرأ الحمد وسورة، **(و)** يسبح **(عشراً بعد القراءة)** المذكورة **(والباقي كما سبق عشراً عشراً)** فيكون له في قيامه خمس وعشرون تسبيحة **(ولا يسبح بعد السجدة الأخيرة قاعداً)** أي لا يسبح في الجلسة الأولى بين الركعتين ولا في جلسة التشهد شيئاً

وهو اختيار ابن المبارك. والمجموع من الروايتين ثلاثمائة تسبيحة فإن صلاها نهاراً فبتسليمة واحدة وإن صلاها ليلاً فبتسليمتين أحسن، إذ ورد: أن صلاة الليل مثنى

كما في القوت. قال: وكذلك روينا في حديث عبدالله بن جعفر بن أبي طالب أن النبي ﷺ علمه صلاة التسبيح فذكره وقال فيه بعد تكبيره الافتتاح يقول ذلك خمس عشرة يعني الكلمات المذكورة ولم يذكر هذا للسجدة الثانية عند القيام أن يقولها، **(وهذا هو الأحسن)** ولفظ القوت: وهذه الرواية أحب الوجهين إلي **(وهو اختيار)** عبدالله **(بن المبارك)** رحمه الله تعالى وقال البيهقي بعد تخريج حديث ابن عباس: كان ابن المبارك يصليها وتداولها الصالحون بعضهم عن بعض، وفي ذلك تقوية للحديث المرفوع.

(والمجموع في الروايتين ثلاثمائة تسبيحة) وإن اختلفت كيفيتها، وقد جاء التصريح بهذا اللفظ عن ابن المبارك رواه ابن أبي زرعة عنه كما في القوت، **(فإن صلاها نهاراً فبتسليمة واحدة)** وتشهدين **(وإن صلاها ليلاً فبتسليمتين)** وتشهدين **(أحسن)**، وهذا أيضاً مروي عن ابن المبارك.

قال صاحب القوت: حدثونا عن سهل بن عاصم عن أبي وهب قال سألت ابن المبارك عن الصلاة التي يسبح فيها فقال: يقول سبحان الله والحمد لله الكلمات خمس عشرة مرة، ثم يتعوّذ ويقرأ فاتحة الكتاب وسورة ويقولها عشراً ثم يركع وذكرها. قال: فذلك خمس وسبعون يصلي أربع ركعات على هذا إن صليت ليلاً فأحب أن يسلم في الركعتين وإن صليت نهاراً صليت أربعاً وإن شئت سلمت وإذا عدّ في الركوع يعد بأصبعه على ركبتيه، وفي السجود بإصبعه على الأرض.

قلت: وكذا أخرجه الحاكم، ورواه الترمذي في جامعه عن أحمد بن عبدة، عن أبي وهب محمد بن مزاحم.

قال صاحب القوت: وحدثونا عن محمد بن جابر قال: قلت لابن المبارك في صلاة التسبيح إذا رفعت رأسي للقيام من آخر السجدتين اسبح قبل أن أقوم؟ قال: لا. تلك القعدة ليست من سنة الصلاة اهـ.

قلت: وقال التقي السبكي: وقد كان عبدالله بن المبارك يواظب عليها غير أنه كان يسبح قائماً قبل القراءة خمس عشرة مرة ثم بعد القراءة عشراً ولا يسبح عند رفع الرأس من السجدتين، وهذا يغاير حديث ابن عباس فإن فيه الخمسة عشر بعد القراءة والعشر بعد الرفع من السجدتين، وأنا أحب العمل بما تضمنه ولا يمنعني الفصل بين الرفع والقيام فإن جلسة الاستراحة حينئذ مشروعة، وينبغي للمتعبد أن يعمل بحديث ابن عباس تارة وبما عمله ابن المبارك تارة أخرى اهـ.

وقال النووي في شرح المهذب في استحباب صلاة التسبيح نظر وحديثها ضعيف. وفيه تغيير لنظم الصلاة المعروفة، فينبغي أن لا تفعل فإن حديثها ليس بثابت اهـ.

وخالف ذلك في تهذيب الأسماء واللغات، فقال فيها حديث حسن، وكذا قال ابن الصلاح: إن حديثها حسن، وان المنكر لها غير مصيب، وأجاب بعضهم عن قول النووي فيها تغيير نظم الصلاة بأن النافلة يجوز فيها القيام والقعود وبعضهم بأنه قد ثبت مشروعيتها كذلك كما تقدم عن السبكي، ثم استدل المصنف على أحسنية أربع ركعات بتسليمتين إن صلاها ليلاً بقوله: **(وورد)** أي في الخبر **(« صلاة الليل مثنى مثنى »)** قال العراقي: أخرجاه من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: أخرجاه أبو داود والنسائي من طريق مالك عن نافع وعبدالله بن دينار كلاهما عن ابن عمر أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى ». ورواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من طريق الليث عن نافع.

وأخرج مسلم والنسائي وابن ماجه من طريق سفيان بن عيينة، والبخاري، والنسائي من طريق شعيب بن أبي حمزة، ومسلم والنسائي من طريق عمرو بن الحرث، والنسائي من طريق محمد بن الوليد الزبيدي أربعتهم عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: سمعت النبي ﷺ سئل كيف نصلي بالليل؟ قال: « ليصل أحدكم مثنى مثنى فإذا خشي الصبح فليوتر بواحدة » وقوله: مثنى مثنى أي اثنين اثنين وهو ممنوع من الصرف للعدل والوصف. وفي صحيح مسلم عن عقبة بن حريث فقيل لابن عمر: ما مثنى مثنى؟ فقال: يسلم من ركعتين.

فإن قلت: إذا كان مدلول مثنى اثنين، فهلا اقتصر على مرة واحدة وما فائدة تكرير ذلك؟ قلت: هو مجرد تأكيد. وقوله: مثنى محصل للغرض، وفيه أن الأفضل في نافلة الليل أن يسلم من كل ركعتين وهو قول مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد والجمهور. رواه ابن أبي شيبة عن أبي هريرة والحسن البصري وسعيد بن جبير وعكرمة وسالم بن عبدالله بن عمر ومحمد بن سيرين وابراهيم النخعي وغيرهم، وحكاه ابن المنذر عن الليث بن سعد، وحكاه ابن عبد البر عن ابن أبي ليلى وأبي ثور وداود. وقال الترمذي في جامعه: والعمل على هذا عند أهل العلم ان صلاة الليل مثنى مثنى وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق اهـ.

وقال أبو حنيفة: الأفضل أن يصلي أربعاً أربعاً وإن شاء ركعتين وإن شاء ستاً، وإن شاء ثمانياً، وتكره الزيادة على ذلك، ودليله: ما رواه الشيخان من حديث عائشة « كان يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن » الحديث.

وأجاب بعض المالكية عن هذا الحديث بأن القول إذا عارضه الفعل قدم القول لاحتمال الفعل التخصيص، وقد استدل بمفهوم حديث ابن عمر الذي أورده المصنف على أن نوافل النهار لا

مثنى ». وإن زاد بعد التسبيح قوله: « لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم » **فهو حسن** فقد ورد ذلك في بعض الروايات، **فهذه الصلوات المأثورة**. ولا يستحب شيء من هذه

يسلم فيها من كل ركعتين، بل الأفضل أن يصليها أربعاً أربعاً، وبهذا قال أبو حنيفة وصاحباه، ورجح ذلك بفعل ابن عمر راوي الحديث، فقد صح عنه أنه كان يصلي بالنهار أربعاً أربعاً.

ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عنه، وعن نافع مولاه، وابراهيم النخعي، ويحي بن سعيد الأنصاري، وحكاه ابن المنذر عن إسحاق بن راهويه، وحكاه ابن عبد البر عن الأوزاعي. وذهب مالك والشافعي وأحمد والجمهور إلى أن الأفضل في نوافل النهار أيضاً التسليم من كل ركعتين. ورواه ابن أبي شيبة عن أبي هريرة، والحسن، وابن سيرين، وسعيد بن جبير، وحماد بن أبي سليمان. وحكاه ابن المنذر عن الليث، وحكاه ابن عبد البر عن ابن أبي ليلى وأبي يوسف، ومحمد، وأبي ثور، وداود، والمعروف عن أبي يوسف ومحمد في نوافل النهار ترجيح أربع على ركعتين. كما تقدم، وأجابوا عن مفهوم حديث ابن عمر بجوابين **أحدهما** أنه مفهوم لقب وليس بحجة عند الأكثرين، **وثانيهما** انه خرج جواباً لسؤال من يسأل عن صلاة الليل، فكان التقييد بصلاة الليل ليطابق الجواب السؤال لا لتقييد الحكم بها. كيف وقد تبين من رواية أخرى أن حكم المسكوت عنه وهو صلاة النهار مثل حكم المنطوق به وهو صلاة الليل، وأما فعل راوي الحديث ابن عمر وهو صلاته بالنهار أربعاً فقد عارضه قوله: إن صلاة الليل والنهار مثنى مثنى، وأيضاً فالعبرة عند الجمهور بما رواه الصحابي لا بما رآه وفعله.

قلت: الذي عارضه هو ما رواه أصحاب السنن الأربعة وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما من طريق شعبة عن يعلى بن عطاء عن علي بن عبدالله البارقي، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: « صلاة الليل والنهار مثنى مثنى » وهذا قد اختلف فيه، فمنهم من صححه، ومنهم من نفاه وأنكره، وممن صححه البخاري والحاكم وابن خزيمة وابن حبان وقال النسائي: هذا خطأ، وكذلك أنكره يحي بن معين وكان شعبة أحد رواته ينفيه وربما لم يرفعه. وقال الخطابي: روى هذا الحديث عن ابن عمر جماعة من أصحابه لم يذكر فيها أحد صلاة النهار إلا أن سبيل الزيادات أن تقبل. وقال الدارقطني: المحفوظ عن ابن عمر مرفوعاً « صلاة الليل مثنى مثنى » وكان ابن عمر يصلي بالنهار أربعاً وإنما تعرف صلاة النهار عن يعلى بن عطاء عن علي الأزدي عن ابن عمر وخالفه نافع وهو احفظ منه. وقال ابن قدامة في المغني حديث البارقي قد تفرد بزيادة لفظة النهار من بين سائر الرواة، وقد رواه عن ابن عمر نحو من خمسة عشر لم يقل ذلك أحد سواه، وكان ابن عمر يصلي أربعاً فدل ذلك على ضعف روايته والله أعلم.

ثم قال المصنف: **(وإن زاد بعد التسبيح)** أي بعد كلماته **(قوله لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات)** وهي رواية عبدالله بن زياد بن سمعان، عن معاوية بن عبدالله بن جعفر عن أبيه مرفوعاً قال: فيها يفتتح الصلاة فيكبر

ثم يقول فذكر الكلمات وزاد فيها ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. كذا في القوت وسيأتي الكلام على هذه الرواية قريباً.

فصل

قد قدمنا أن أصح الطرق لحديث ابن عباس السابق في صلاة التسبيح الحكم عن عكرمة عنه، وقد روى عن ابن عباس أيضاً عطاء، وأبو الجوزاء، ومجاهد.

أما حديث عطاء فأخرجه الطبراني في الكبير عن ابراهيم بن نائلة عن شيبان بن فروخ عن نافع أبي هرمز عنه عن ابن عباس. قال الحافظ ابن حجر: ورواته ثقات إلا أبا هرمز فإنه متروك.

قلت: الذي روى عن عطاء هو نافع مولى يوسف وهو الذي قال فيه أبو حاتم متروك الحديث، وأما نافع أبو هرمز فإنه مشهور الرواية عن أنس وعنه سعدويه، وقال فيه النسائي ليس بثقة ولينه ابن معين. وهكذا فرق بينهما الذهبي في الديوان فإن كان أبو هرمز ثبتت روايته عن عطاء فذاك. ويكون من رواية الأقران وإلاّ فهو من خطأ النساخ في المعجم، وقد ذكر الحافظ العراقي في شرح التقريب أن المعجم الكبير لقلة تداوله في أيدي المحدثين كثر فيه الخطأ والقلب من النساخ، وأما حديث أبي الجوزاء وهو أوس بن عبدالله البصري من ثقات التابعين، فقد اختلف فيه عليه فقيل عنه عن ابن عباس وقيل عنه عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وقيل عنه عن ابن عمر وفي روايته عن ابن عباس كذلك اختلف عليه فيه فروي عنه عن ابن عباس موصولاً وروي عنه كذلك موقوفاً عليه.

أما الموصول فأخرجه الطبراني في الأوسط عن ابراهيم بن هاشم البغوي عن محرز بن عون عن يحي بن عقبة بن أبي العيزار عن محمد بن جحادة عنه عن ابن عباس قال: يا أبا الجوزاء ألا أحبوك ألا انحلك؟ قلت: بلى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى أربعاً فذكر الحديث. قال الحافظ في الآمالي وكلهم ثقات إلا يحي بن عقبة فإنه متروك اهـ.

قلت: قال الذهبي: في الديوان قال أبو حاتم كان يفتعل الحديث، وقال النسائي ليس بثقة، وأما شيخه محمد بن جحادة فمن رجال الستة إلا أنه كان يغلو في التشيع قاله أبو عوانة لكنه وثق، وأما محرز بن عون الهلالي فهو شيخ مسلم.

وأما الموقوف فقد ذكر أبو داود في الكلام على حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أن روح بن المسيب، وجعفر بن سليمان روياه عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء موقوفاً على ابن عباس. قال الحافظ: ورواية روح وصلها الدارقطني في كتاب صلاة التسبيح من طريق يحي بن يحي النيسابوري عنه.

قلت: روح قال فيه ابن حبان روى الموضوعات عن الثقات لا تحل الرواية عنه.

وأما جعفر بن سليمان فأخرج له مسلم صدوق له مناكير ضعفه يحي القطان وغيره، ورواه القاسم بن الحكم العرني عن أبي جناب عن محمد بن جحادة عن أبي الجوزاء عن ابن عباس موقوفاً عليه من قوله، وأبو جناب يحي بن أبي حية الكلبي قال ابن معين صدوق. وقال النسائي والدارقطني: ضعيف، وقال النسائي ليس بالقوي، وقال يحي بن سعيد القطان لا استحل الرواية عنه، وكذلك رواه يحي بن عمرو بن مالك النكري عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس موقوفاً عليه ويحي بن عمر وهذا ضعيف قال فيه حماد بن زيد أنه كذاب، وكذلك رواه يحي بن سعيد الأنصاري وأبو مالك العقيلي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس موقوفاً عليه وكل هذا الاختلاف لا يعلل به حديث عكرمة بشيء منه.

وأما حديث مجاهد عن ابن عباس فأخرجه الطبراني في الأوسط عن ابراهيم بن محمد الصنعاني عن أبي الوليد هشام بن ابراهيم المخزومي عن موسى بن جعفر بن أبي كثير عن عبدالقدوس بن حبيب عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً. قال الحافظ: وعبد القدوس شديد الضعف اهـ.

قلت: ولفظه يا غلام ألا أحبوك ألا انحلك فذكره وفيه زيادة، ولفظ الذهبي في الديوان عبدالقدوس بن حبيب أبو سعيد الكلاعي عن التابعين تركوه.

فصل

وقد روى حديث صلاة التسبيح غير ابن عباس جماعة من الصحابة منهم الفضل بن العباس وأبوه العباس بن عبدالمطلب، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وأبو رافع مولى رسول الله ﷺ، وعلي بن أبي طالب، وأخوه جعفر بن أبي طالب، وابنه عبدالله بن جعفر، وأم المؤمنين أم سلمة والأنصاري غير مسمى، وقد قيل إنه جابر بن عبدالله رضي الله عنهم أجمعين.

أما حديث الفضل بن عباس: فأخرجه أبو نعيم في كتاب القربان من رواية موسى بن إسماعيل عن عبدالحميد بن عبدالرحمن الطائي عن أبيه عن أبي رافع، عن الفضل بن عباس أن النبي ﷺ قال فذكره. قال الحافظ الطائي المذكور لا أعرفه ولا أباه. قال: وأظن أن أبا رافع شيخ الطائي ليس أبا رافع الصحابي، بل هو إسماعيل بن رافع أحد الضعفاء اهـ.

وأما حديث العباس، فقال الدارقطني، حدثنا عثمان بن أحمد بن عبدالله، حدثنا أبو الأحوص محمد بن الهيثم القاضي، ثنا أحمد بن أبي شعيب الحراني، ثنا موسى بن أعين، عن أبي رجاء الخراساني، عن صدقة، عن عروة بن رويم، عن ابن الديلمي، عن العباس بن عبدالمطلب قال، قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أهب لك ألا اعطيك ألا أمنحك فظننت أنه يعطيني من الدنيا شيئاً لم يعطه أحداً قبلي قال أربع ركعات إذا قلت فيهن ما أعلمك غفر الله لك تبدأ فتكبر ثم تقرأ بفاتحة الكتاب وسورة، ثم تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة

مرة، فإذا ركعت فقل مثل ذلك عشر مرات، فإذا قلت سمع الله لمن حمده قلت مثل ذلك عشر مرات، فإذا سجدت قلت مثل ذلك عشر مرات قبل أن تقوم ثم افعل في الركعة الثانية مثل ذلك غير أنك إذا جلست للتشهد قلت ذلك عشر مرات قبل التشهد ثم افعل في الركعتين الباقيتين مثل ذلك فإن استطعت أن تفعل في كل يوم وإلا ففي كل جمعة وإلاّ ففي كل شهر وإلاّ ففي كل سنة». هكذا أخرجه الدارقطني في الأفراد، وأبو نعيم في القربان، وابن شاهين في الترغيب كلهم من هذا الطريق إلا أنه وقع في رواية أبي نعيم وابن شاهين صدقة الدمشقي فنسباه ووقع في رواية الدارقطني غير منسوب فأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من هذا الطريق وقال صدقة هذا هو ابن يزيد الخراساني، ونقل كلام الأئمة فيه. قال الحافظ: ووهم في ذلك. والدمشقي هو ابن عبدالله ويعرف بالسمين وهو ضعيف من قبل حفظه ووثقه جماعة فيصلح في المتابعات بخلاف الخراساني، فإنه متروك عند الأكثر، وأبو رجاء الذي في السند اسمه عبدالله بن محرز الجزري وابن الديلمي اسمه عبدالله بن فيروز اهـ.

قلت: عبدالله بن محرز هكذا هو في نسخة الأمالي. والصواب في اسم أبيه محرر كمعظم بمهملات كذا هو مضبوط بخط الذهبي ونقل في الديوان عن البخاري أنه متروك كذا في الكاشف. وفي الديوان قال ابن حبان: لا يحتج به. قال الحافظ: ولحديث العباس طريق أخرى أخرجها ابراهيم بن أحمد الخرقي في فوائده. وفي سنده حماد بن عمرو النصيبي كذبوه اهـ.

قلت: ويروى أيضاً عن ابن المنكدر، عن ابن عباس، عن أبيه بنحوه ولا يصح السند إليه.

وأما حديث عبدالله بن عمرو فأخرجه أبو داود من رواية مهدي بن ميمون عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء قال: حدثني رجل كانت له صحبة يرون انه عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال فذكر الحديث قال أبو داود. ورواه المستمر بن ريان عن أبي الجوزاء، عن عبدالله بن عمرو موقوفاً عليه من قوله. قال المنذري: رواة هذا الحديث ثقات. قال الحافظ: لكن اختلف فيه على أبي الجوزاء ثم ذكر الاختلاف الذي ذكرت آنفاً.

قلت: ولفظ أبي داود في السنن: حدثنا محمد بن سفيان الايلي، حدثنا حبان بن هلال، حدثنا مهدي بن ميمون فساقه، وفيه: قال لي غداً أحبوك وأعطيك حتى ظننت أنه يعطيني عطية. قال: فإذا زال النهار، فقم فصلّ أربع ركعات فذكر الحديث وفيه: ثم ترفع رأسك يعني من السجدة الثانية فاستوِ جالساً ولا تقم حتى تسبح عشراً وتحمد عشراً وتكبّر عشراً وتهلل عشراً ثم تصنع ذلك في الأربع ركعات، فإنك لو كنت أعظم أهل الأرض ذنباً غفر لك. قلت: فإن لم أستطع أن أصليها تلك الساعة قال صلها من الليل والنهار، ولكن الذي في سياق أبي داود أن الضمير في قال لي راجع إلى عبدالله بن عمرو قاله لأبي الجوزاء، وهذا صريح في أنه موقوف عليه وهو خلاف ما تقدم عن الحافظ، وممن رواه مرفوعاً أبان بن أبي عياش عن أبي الجوزاء عن ابن عمرو وأبان متروك بالاتفاق، وكذا رواه محمد بن حميد الرازي الحافظ عن جرير بن عبد الحميد عن أبي

خباب الكلبي عن أبي الجوزاء عن ابن عمرو مرفوعاً. ومحمد بن حميد كذبوه وتركوه وممن رواه عن المستمر بن ريان يحي بن السكن البصري وهو صدوق قال فيه أبو حاتم ليس بالقوي، وقال أبو بكر الخلال في كتاب العلل. قال علي بن سعيد سألت أحمد بن حنبل عن صلاة التسبيح فقال ما يصح عندي فيها شيء، فقلت حديث عبدالله بن عمر وقال كل يرويه عن عمرو بن مالك يعني وفيه مقال، فقلت: وقد رواه المستمر بن الريان عن أبي الجوزاء قال: من حدثك؟ قلت: مسلم يعني ابن ابراهيم فقال المستمر شيخ ثقة وكأنه أعجبه اهـ.

وعلي بن سعيد هذا هو النسائي الحافظ من شيوخ النبل. قال الحافظ فكأن أحمد لم يبلغه إلا من رواية عمرو بن مالك وهو النكري، فلما بلغه متابعة المستمر أعجبه، فظاهره أنه رجع عن تضعيفه، ثم قال الحافظ. ولحديث ابن عمرو طريق آخر أخرجه الدارقطني عن عبدالله بن سليمان بن الأشعث عن محمود بن خالد عن الثقة، عن عمر بن عبد الواحد، عن ابن ثوبان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، عن النبي ﷺ أنه قال لجعفر بن أبي طالب: «ألا أهب لك ألا أمنحك تصلي في كل يوم أو في كل جمعة أو في كل شهر أو في كل سنة أربعاً تقرأ بأم القرآن وسورة» وذكر الحديث هكذا في النسخة التي نقلت منها هذا الحديث، وفي بعضها أبو بكر بن أبي داود، ثنا محمود بن خالد السلمي، ثنا عمر بن عبد الواحد، عن ابن ثوبان، حدثني الثقة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده فساقه، وهذا إسناد جيد لولا جهالة الثقة فيه لكان حسناً قوياً.

قال الحافظ: وأخرجه ابن شاهين من وجه آخر عن عمرو بن شعيب واسناده ضعيف.

وأما حديث عبدالله بن عمر فأخرجه الحاكم في المستدرك من طريق الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً وقال صحيح الاسناد لا غبار عليه، وتعقبه الذهبي في التلخيص بأن في سنده أحمد بن داود بن عبد الغفار الحراني كذبه الدارقطني. كذا نقله الحافظ.

قلت الذي رواه الحاكم وفي سنده أحمد بن داود هو من طريق حيوة بن شريح، عن يزيد بن أبي حبيب، وأن هذه القصة لجعفر بن أبي طالب لا ابن عمر قال: حدثناه أبو علي الحافظ، حدثنا أحمد بن داود بمصر، حدثنا إسحاق بن كامل، حدثنا ادريس بن يحي، عن حيوة بن شريح، عن يزيد بن أبي حبيب، عن نافع، عن ابن عمر قال: وجه رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب إلى بلاد الحبشة، فلما قدم اعتنقه وقبل بين عينيه، ثم قال: «ألا أهب لك ألا أبشرك ألا أمنحك» فذكر حديث صلاة التسبيح بنحو رواية ابن عباس، ثم قال الحاكم: هذا اسناد صحيح لا غباره عليه اهـ.

ويحتمل أن أدريس بن يحي روى عن كل من الليث وحيوة، وقال أبو حاتم الرازي، حدثنا أبو غسان معاوية بن عبدالله الليثي، حدثنا عبدالله بن نافع عن عبيدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال لعبدالله بن جعفر: «ألا أهب لك ألا أنحلك» قال: بلى يا رسول

الله. قال: تصلي أربعاً فذكر الحديث، وعبدالله العمري ليس بالقوي، والترمذي يحسن حديثه وغيره يوثقه، وعبدالله بن نافع الصائغ ثقة وأبو غسان مدني صدوق.

وأما حديث أبي رافع مولى رسول الله ﷺ فقال الدارقطني: حدثنا أبو علي الكاتب علي بن محمد بن أحمد بن الجهم، حدثنا أحمد بن يحيى بن مالك السوسي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا موسى بن عبيدة الربذي، حدثني سعيد بن أبي سعيد مولى أبي بكر بن حزم، حدثني أبو رافع مولى النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ للعباس: «ألا أصلك ألا أحبوك ألا أنفعك؟ قال: بلى. قال: صلّ أربع ركعات تقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة فإذا انقضت القراءة فقل الله أكبر والحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله خمس عشرة مرة قبل أن تركع ثم اركع فقلها عشراً قبل أن ترفع رأسك ثم ارفع رأسك فقلها عشراً ثم اسجد فقلها عشراً ثم اسجد فقلها عشراً قبل أن ترفع رأسك. ثم ارفع رأسك فقلها عشراً قبل أن تقوم فتلك خمس وسبعون في كل ركعة وهي ثلاثمائة في أربع ركعات فلو كانت ذنوبك مثل رمل عالج غفرها الله لك. قال: يا رسول الله، ومن يستطيع أن يقولها في كل يوم؟ قال: وإن لم تستطع فقلها في كل جمعة وإن لم تستطع فقلها في كل شهر فلم يزل يقول له ذلك حتى قال قلها في كل سنة».

وأخرجه الترمذي وابن ماجه وأبو نعيم في القربان كلهم من طريق زيد بن الحباب عن موسى، وأورده ابن الجوزي من طريق الدارقطني وقال: لا يثبت موسى الربذي ضعيف وقال يحيى ليس بشيء اهـ.

وقال الزركشي في تخريج أحاديث الشرح غلط ابن الجوزي في إخراج حديث صلاة التسبيح في الموضوعات لأنه رواه من ثلاثة طرق أحدها حديث ابن عباس وهو صحيح وليس بضعيف فضلاً عن أن يكون موضوعاً وغاية ما علله بموسى بن عبدالعزيز فقال مجهول وليس كذلك، فقد روى عنه جماعة وذكرهم، ولو ثبتت جهالته لم يلزم كون الحديث موضوعاً ما لم يكن في إسناده من يتهم بالوضع والطريقان الآخران في كل منها ضعيف، ولا يلزم من ضعفهما أن يكون حديثهما موضوعاً، وابن الجوزي متساهل في الحكم على الحديث بالوضع اهـ.

وأما حديث علي فأخرجه الدارقطني من طريق عمر مولى غفرة قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «يا علي ألا أهدي لك» فذكر الحديث وفي سنده ضعف وانقطاع وله طريق آخر أخرجه الواحدي من طريق أبي علي بن الأشعث، عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر الصادق عن آبائه نسقاً إلى علي، وهذا السند أورد به أبو علي المذكور كتاباً رتبه على الأبواب كله بهذا السند، وقد طعنوا فيه وفي نسخته.

وأما حديث جعفر بن أبي طالب فأخرجه الدارقطني من رواية عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده عن علي عن جعفر قال: قال لي رسول الله ﷺ فذكر الحديث.

وأخرجه سعيد بن منصور في السنن والخطيب في كتاب صلاة التسبيح في رواية يزيد بن هارون عن أبي معشر نجيح بن عبدالرحمن عن أبي رافع اسماعيل بن رافع قال: بلغني أن النبي ﷺ قال لجعفر بن أبي طالب.

وأخرجه عبد الرزاق عن داود بن قيس عن إسماعيل بن رافع عن جعفر بن أبي طالب أن النبي ﷺ قال له: «ألا أحبوك» فذكر الحديث. وأبو معشر ضعيف. وكذا شيخه أبو رافع.

وأما حديث عبدالله بن جعفر فأخرجه الدارقطني من وجهين عن عبدالله بن زياد بن سمعان قال في أحدهما عن معاوية وإسماعيل ابني عبد الله بن جعفر، وقال في الأخرى وعون بدل إسماعيل عن أبيهما قال قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعطيك» فذكر الحديث. وابن سمعان ضعيف، وهذه الرواية هي التي أشار إليها صاحب القوت وهي الثانية عنده. قال: وكذلك روينا في حديث عبدالله بن زياد بن سمعان عن معاوية بن عبدالله بن جعفر عن أبيه أن النبي ﷺ علمه صلاة التسبيح قال فيها يفتتح الصلاة فيكبر ثم يقول فذكر الكلمات وزاد فيها الحوقلة» وقال فيه: «يقول ذلك خمس عشرة ولم يذكر هذا لسجدته الثانية عند القيام أن يقولها قال: وهو الذي اختاره ابن المبارك كما تقدم.

وأما حديث أم سلمة فأخرجه أبو نعيم من طريق عمرو بن جميع عن عمرو بن قيس عن سعيد بن جبير عن أم سلمة أن النبي ﷺ قال للعباس يا عماه فذكر الحديث. وعمرو بن جميع ضعيف. وفي إدراك سعيد أم سلمة نظر.

قلت: وقال ابن عدي عمرو بن جميع يتهم بالوضع، وقد رواه أبو ابراهيم الترجاني عن عمرو بن جميع بهذا السند ولفظه، قالت: «كان رسول الله ﷺ في يومي وليلتي حتى إذا كان في الهاجرة جاءه إنسان فدق الباب فقال: من هذا؟ فقالوا: العباس. فقال: الله أكبر لأمر جاء فأدخلوه، فلما دخل قال يا عم» فذكره. وفيه زيادات منكرة وفيه قال: «من يطيق ذلك» إلى ان قال: «ففي عمرك مرة».

وأما حديث الأنصاري الذي لم يسمّ فأخرجه أبو داود في السنن، أخبرنا الربيع بن نافع، أخبرنا محمد بن مهاجر، عن عروة بن رويم، حدثنا الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال لجعفر بن أبي طالب قال فذكر نحو حديث مهدي. قال المزني قيل: إنه جابر بن عبدالله.

قال الحافظ: مستنده أن ابن عساكر أخرج في ترجمة عروة بن رويم أحاديث عن جابر وهو الأنصاري، فجوز أن يكون هو الذي ذكر ههنا، لكن تلك الأحاديث من رواية غير محمد بن مهاجر عن عروة أخرجها من طريق أبي توبة هو الربيع بن نافع شيخ أبي داود فيه بهذا السند بعينه فقال فيها: حدثني أبو كبشة الأنماري، فلعل الميم كبرت قليلاً فأشبهت الصاد، فإن يكن كذلك فصحابي هذا الحديث أبو كبشة، وعلى التقدير فسند هذا الحديث لا ينحط عن درجة الحسن، فكيف إذا ضم إلى رواية أبي الجوزاء عن عبدالله بن عمرو التي أخرجها أبو داود، وقد

حسنها المنذري. قال الحافظ: وممن صحح هذا الحديث أو حسنه غير من تقدم ابن منده وألف فيه كتاباً، والآجري، والخطيب، وأبو سعد السمعاني، وأبو موسى المديني، وأبو الحسن بن المفضل، والمنذري، وابن الصلاح والنووي في تهذيب الأسماء واللغات، والسبكي وآخرون. وقال البيهقي: أقدم من روي عنه فعلها أبو الجوزاء أوس بن عبدالله البصري وهو من ثقات التابعين أخرجه الدارقطني بسند حسن عنه أنه كان إذا نودي بالظهر أتى المسجد فيقول للمؤذن: لا تعجلني عن ركعاتي فيصليها بين الأذان والإقامة، وقال عبدالعزيز بن أبي رواد وهو أقدم من ابن المبارك من أراد الجنة فعليه بصلاة التسبيح، وقال أبو عثمان الخيري الزاهد، ما رأيت للشدائد والغموم مثل صلاة التسبيح، وقد نص على استحبابها أئمة الطريقين من الشافعية كالشيخ أبي حامد والمحاملي والجويني وولده إمام الحرمين والغزالي والقاضي حسين والبغوي والمتولي وزاهر بن أحمد السرخسي والرافعي، وتبعه النووي في الروضة قال: وقد أفرط بعض المتأخرين من اتباع الإمام أحمد، فذكر الحديث في الموضوعات. وقد تقدم الرد عليه وكابن تيمية وابن عبد الهادي فقالا: إن خبرها باطل اهـ. كلام الحافظ ملخصاً من تسعة مجالس.

ونقل السيوطي في اللآلىء المصنوعة عن الحافظ صلاح الدين العلائي في أجوبته على الأحاديث التي انتقدها السراج القزويني على المصابيح حديث صلاة التسبيح حديث صحيح أو حسن ولا بد، وقال الشيخ سراج الدين البلقيني في التدريب: حديث صلاة التسبيح صحيح وله طرق يشد بعضها بعضاً فهي سنة ينبغي العمل بها، ثم ذكر كلام الزركشي الذي قدمناه آنفاً في الرد على ابن الجوزي، ومن جملة كلامه الذي لم نذكره، وذكر الحاكم بسنده عن ابن المبارك أنه سئل عن هذه الصلاة فذكر صفتها. قال الحاكم: ولا يتهم بعبدالله أن يعلم ما لم يصح عنده سنده.

قال الزركشي: وقد أدخل بعضهم في حديث أنس أن أم سليم غدت على النبي ﷺ فقالت علمني كلمات أقولهن في صلاتي. فقال: «كبري الله عشراً وسبحي الله عشراً واحمديه عشراً ثم صلي ما شئت». يقول نعم نعم رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم اهـ.

ثم قال السيوطي: ثم بعد أن كتبت هذا رأيت الحافظ ابن حجر تكلم على هذا الحديث في تخريج أحاديث الرافعي كلاماً مخالفاً لما قاله في أمالي الأذكار. وفي الخصال المكفرة فقال ثم ساقه، وقد أوردته قبل هذا بكراريس وحاصله: أنه حكم على حديث ابن عباس بالشذوذ لشدة الفردية وعدم المتابع، والشاهد من وجه معتبر ومخالفة هيئتها لهيئة باقي الصلوات، وموسى بن عبد العزيز وإن كان صادقاً صالحاً، فلا يحتمل منه هذا التفرد اهـ. وبه تم ما أورده السيوطي مع التلخيص والزيادات عليه وبقيت هنا فوائد مما يتعلق بهذه الصلاة لا بأس أن نلم بذكرها.

الأولى: قال التقي السبكي: صلاة التسبيح من مهمات مسائل الدين ولا يغتر بما فهم عن النووي في الأذكار من ردها فإن اقتصر على رواية الترمذي، وابن ماجه، ورأى قول العقيلي

ليس فيها حديث صحيح ولا حسن، والظن به أنه لو استحضر تخريج أبي داود لحديثها وتصحيح ابن خزيمة والحاكم لما قال ذلك.

وقال ولده التاج السبكي في الترشيح لصلاة التسبيح: الحديث فيها عندي قريب من الصحة، ثم ذكر جماعة أخرجوه، ثم قال: وقد نص على استحبابها من أصحابنا، ثم ذكر جماعة منهم، وقال: والمتأخرون آخرهم الوالد في شرح المنهاج، وغالبهم ذكرها في غير مظنتها، ثم نقل عن الروياني في البحر ويستحب أن يعتادها في كل حين ولا يتغافل عنها، ثم قال: ولا يغتر بما فهم من كلام النووي في الأذكار من ردها، وذكر ما قدمته آنفاً من كلام والده، ومن جملة كلامه فيه: وأنا أحب العمل بما يقتضيه حديث ابن عباس ولا يمنعني من التسبيح بعد السجدتين لنصل بين الرفع والقيام، فإن جلسة الاستراحة حينئذ مشروعة فلا يستنكر الجلوس حينئذ للتسبيح في هذا المحل، وينبغي للمتعبد أن يعمل بحديث ابن عباس تارة وبما عمله ابن المبارك أخرى، وقال في آخر كلامه: وإما أطلت الكلام في هذه الصلاة لإنكار النووي لها واعتياد أهل العصر عليه، فخشيت أن يغتروا بذلك، فينبغي الحرص عليها وأما من يسمع عظم الثواب الوارد فيها ثم يتغافل عنها فما هو إلا متهاون في الدين غير مكترث بأعمال الصالحين لا ينبغي أن يعد من أهل العزم في شيء نسأل الله السلام اهـ كلام التاج السبكي مع اختصار.

الثانية: الصفة التي ذكرها ابن المبارك هي التي ذكرها صاحب مختصر البحر من أصحابنا الحنفية وهي الموافقة لمذهبنا لعدم الاحتياج فيها إلى جلسة الاستراحة إذ هي مكروهة عندنا على ما ذكر في موضعه، وقد نص على استحبابها غير واحد من أصحابنا آخرهم صاحب البحر والبرهان الحلبي وذكرها فخر الإسلام البزدوي في شرح الجامع الصغير لمحمد بن الحسن وذكرفيه عن مشايخه أنه إن احتاج إلى عد التسبيح يعده إشارة لا افصاحاً ويعمل بقولها في المضطر اهـ.

وهو إشارة لما تقدم إن عد التسبيح في الصلاة باليد مكروه عند أبي حنيفة، وجوزه الصاحبان. وذلك بأن يكون بقبض الأصابع أو بسبحة يمسكها بيده، ولا يكره الغمز بالأنامل ولا الإحصاء بالقلب اتفاقاً، والعد باللسان مفسد إتفاقاً كذا في شرح الديري على الكنز، ولكن قال في مجمع الروايات قيل أراد الشيخ به العد بالأصابع، وقيل بالقلب والأصابع أيضاً لأنه ينقص من الخشوع، وقيل محمد مع أبي حنيفة، وقيل لا بأس في التطوع إجماعاً وإنما الخلاف في المكتوبة، وقيل يكره في المكتوبة إتفاقاً وإنما الخلاف في التطوع.

الثالثة: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: حديث صلاة التسبيح قد ضعفه الأئمة الأكابر كأحمد وغيره وكرهوها ولم يعمل بها أحد من أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة ولا ابن المبارك ولا غيرهم، بل نص أحمد وغيره على كراهتها ولم يسبحها أحد من الائمة، لكن ابن المبارك جوز أن يصلي إذا لم يسبح قبل القيام عشراً بل يسبح في القيام خمس عشرة مرة لأن ابن

....

المبارك رأى هذه الصلاة توافق المشروع إلا هذه القعدة قبل القيام، فإنها تخالف الصلاة الشرعية فأباحها لكون جنسها مشروعاً، ولم يبح ما اختص بحديثها فإنه لا يجوز إثبات شرع بحديث لا تعرف صحته، فكيف بما يعلم أنه موضوع. فإن قوله: «إذا فعلت ذلك غفر لك ذنبك كله دقه وجله أوله وآخره سره وعلانيته» كلام مجازفة لا يقوله رسول الله ﷺ فإن مجرد صلاة أربع ركعات لا توجب هذا كله، ولم يثبت عن النبي ﷺ أنه ضمن في عمل أنه يغفر لصاحبه ما تأخر من ذنبه، وقد جمع عبد العظيم المنذري في ذلك مصنفاً وأحاديثه كلها ضعيفة بل باطلة حتى حديث العمرة بإحرام من المسجد الأقصى، وإنما الأحاديث الصحيحة مثل قول ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» «من يقم ليلة القدر إماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه» وكقوله «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» فهذه الأحاديث وأمثالها هي الأحاديث الصحيحة التي رواها أهل الصحيح وتلقاها أهل العلم بالقبول اهـ.

قلت: قد اختلف فيه قول الإمام أحمد، وتقدم إنكاره لحديث عمرو بن مالك السكري عن أبي الجوزاء، فلما أخبر رواية المستمر بن ريان عنه سكت وكأنه أعجبه، وقال إسحاق بن منصور في مسائله لأحمد وابن راهويه، قلت لأحمد: صلاة التسبيح ما ترى فيها؟ قال أحمد: لا أدري ليس فيها حديث يثبت. قال ابن راهويه: لا أرى بأساً أن تستعمل على ما قد جاء أن النبي ﷺ أمر العباس بذلك لأنه يروى من أوجه مرسلاً، وإن بعضهم أسنده ويشد بعضهم بعضاً، وقد ذكر فيه من الفضائل ما ذكر، وقال أحمد بن صيرم بن خزيمة المزني في مسائله لأحمد: سمعته سئل عن صلاة التسبيح التي تروي أن النبي ﷺ قال للعباس: «يا عم ألا أحبوك» فضعفه من قبل الرجال وقال: ليس في هذا حديث يعني يعتمد عليه اهـ.

فهذا الكلام كله في حديث العباس، والظن به أنه لو بلغه حديث عكرمة عن ابن عباس لقال به.

وقوله: ولم يعمل بها أحد من الائمة. ولا ابن المبارك إلى آخره هذا غريب، فقد ثبت مما قدمناه عمل أبي الجوزاء وابن أبي رواد هما أقدم من ابن المبارك وثبت عن ابن المبارك العمل بها وحث الناس عليها ولا يحسن به أن يعمل أو يحث على شيء لم يثبت عنده من طريق صحيح.

وقوله: لكن ابن المبارك جوز الخ هذا الذي جوزه ابن المبارك، فقد ثبت في حديث عبدالله ابن جعفر كما قدمناه، وأخرجه الدارقطني وغيره، وكون أن في إسناده ابن سمعان وقد تكلم فيه يصير الحديث ضعيفاً لا موضوعاً ما لم يكن في الإسناد من يتهم بالوضع.

وأما حديث الإحرام بعمرة من الأقصى فقد أخرجه ابن ماجه بإسناد صحيح، ورواه

البخاري في تاريخه الكبير بطرق بعضها أضبط من إسناد ابن ماجه ولم يذكر فيه وما تأخر، وقال البخاري في بعض رواته: لا يتابع في هذا الحديث اهـ فهذا القدر لا يكون الحديث به باطلاً فتأمل ذلك.

الرابعة: قال صاحب القوت، قال ابن أبي رزمة، عن ابن المبارك قلت له: تقول سبحان العظيم سبحان ربي الأعلى ثلاث مرار. قال: نعم. قلت: فإن سها يسبح في السهو عشراً؛ قال: لا إنما هي ثلاثمائة تسبيحة اهـ.

الخامسة: اختلف في القراءة فيها، فقال صاحب القوت: أحب أن تكون السورة التي تقرأ فيها مع الحمد فوق العشرين آية، فقد روينا في حديث عبدالله بن جعفر الذي رواه إسماعيل بن رافع أن النبي ﷺ قال في السورة التي بعد أم القرآن عشرين آية فصاعداً. قال صاحب القوت: فإن قرأ مع الفاتحة في كل ركعة عشر مرار قل هو الله أحد، فقد ضاعف العدد واستكمل الأجر اهـ.

وقال التقي السبكي: أن يقرأ فيها من طوال المفصل وتارة بالزلزلة والعاديات والفتح والإخلاص، وقال ولده التاج السبكي: وتارة بالتكاثر والعصر والكافرون والإخلاص قال: وقد أحببت أنا أن تكون السور فيها من الخمس المسبحات: الحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن إلا أني لم أجد في ذلك سنة غير أنه ورد طوال المفصل وهي منه واسمهن يناسب اسم هذه الصلاة.

السادسة: قال النووي: ولو رفع رأسه من الركوع قبل أن يأتي بالتسبيحات لا يجوز له أن يعود ولا أن يقضي تلك التسبيحات في الاعتدل، ويقضيها في السجود كما إذا ترك سورة الجمعة في الأولى من الجمعة يأتي بها مع المنافقين في الثانية. قال: وإذا جلس عقب الركعة الأولى يقعد مكبراً وإذا سبح يقوم غير مكبر، ويحتمل أن يقال «يكبر» والله أعلم.

السابعة: الدعاء الوارد في هذه الصلاة يؤتى به بعد التشهد وقبل السلام رواه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس ولفظه: «فإذا فرغت قلت بعد التشهد وقبل التسليم اللهم إني أسألك توفيق أهل الهدى، وأعمال أهل اليقين، ومناصحة أهل التوبة، وعزم أهل الصبر، وجد أهل الخشية، وطلبة أهل الرغبة، وتعبد أهل الورع، وعرفان أهل العلم حتى أخافك. اللهم إني أسألك مخافة تحجزني بها عن معاصيك وحتى اعمل بطاعتك عملاً استحق به رضاك وحتى أناصحك في التوبة خوفاً منك وحتى أخلص لك النصيحة حباً لك وحتى أتوكل عليك في الأمور حسن الظن بك. سبحان خالق النور». وأورده الطبراني أيضاً من حديث العباس وفي سنده متروك.

الثامنة: قال التاج السبكي: وللحافظ ابن سعد السمعاني في هذه الصلاة مصنف لم أقف عليه ولأبي موسى المديني الحافظ كتاب حافل سماه «دستور الذاكرين ومنشور المتعبدين» جمع فيه

النوافل في الأوقات المكروهة إلا تحية المسجد، وما أوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا، لأن النهي مؤكد وهذه الأسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية. وقد رأيت بعض المتصوفة يصلي في الأوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لأن الوضوء لا يكون سبباً للصلاة، بل الصلاة سبب الوضوء. فينبغي أن يتوضأ ليصلي لا أنه يصلي لأنه توضأ. وكل محدث يريد أن يصلي في وقت الكراهية فلا سبيل له إلا أن يتوضأ ويصلي فلا يبقى للكراهية معنى. ولا ينبغي أن ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي

فأوعى جمع فيه جميع ما ذكر مسنداً غير أن منه الضعيف، فينبغي عمله وإن لم يصح لأنه لا ينافي ما صح لا سيما وهو في فضائل الأعمال والله أعلم.

ثم نعود لشرح كلام المصنف قال: (**فهذه هي الصلاة المأثورة**) على وجهها، (**ولا يستحب شيء من هذه النوافل**) المذكورة (**في الأوقات**) الخمسة (**المكروهة**) المتقدم بذكرها (**إلا تحية المسجد**) فهي مستثناة من ذلك، (**وما أوردناه قبلها**) وهي صلاة الكسوف والاستسقاء والجنازة، فإن كلاً من ذلك مستثناة مثل تحية المسجد، وعند أبي حنيفة: النهي عنها على العموم إلا صلاة الجنازة كما تقدم، (**وما أوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا يجوز لأن النهي مؤكد**)، فإن في بعض روايات الحديث الوارد في النهي بنون التأكيد. (**وهذه الأسباب ضعيفة**) يشير إلى ما اجمعوا عليه من كراهة صلاة لا سبب لها في هذه الأوقات، ثم قسم أصحاب الشافعي السبب إلى قوي وضعيف، فاعتبروا من الأسباب ما كان قوياً واعتبروا أيضاً أن يكون السبب متقدماً ومقارناً له، فيجوز فعله في وقت الكراهة، وحيث ثبت أن أسباب ما أورده بعد التحية ضعيفة، (**فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية**) فإن أسبابها قوية ولكن في ركعتي الوضوء اختلاف، والذي ذهب إليه المصنف هنا أنها لا تجوز في وقت الكراهة. وذهب الولي العراقي في شرح التقريب إلى جوازها. ولو توضأ في وقت الكراهة وقالوا في صلاة الاستسقاء بجوازها على الأصح خلافاً لما صححه النووي في شرح المهذب وفي تحية لمسجد قالوا: بجوازها إذا دخل لغرض غير صلاة التحية، فلو دخل لا لحاجة بل ليصلي التحية فقط ففيه وجهان. ذكر الرافعي والنووي أن أقيسها الكراهة. (**وقد رأيت بعض المتصوفة يصلي في الأوقات المكروهة ركعتي الوضوء**) معتمداً على ما نقلناه عن الولي العراقي بجوازها لأنها ذات سبب مقارن، (وذلك في غاية البعد) عن الصواب (**لأن الوضوء لا يكون سبباً للصلاة بل الصلاة سبب للوضوء، فينبغي أن يتوضأ ليصلي لا أنه يصلي لأنه توضأ، وكل محدث يريد أن يصلي في وقت الكراهة فلا سبيل له إلا**) وفي نسخة إلى (**أن يتوضأ ويصلي فلا يبقى للكراهة معنى**)

التحية، بل إذا توضأ صلى ركعتين تطوعاً كي لا يتعطل وضوؤه كما كان يفعله بلال فهو تطوّع محض يقع عقيب الوضوء. وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء فيستحيل أن ينوي بالصلاة الوضوء بل ينبغي أن ينوي بالوضوء الصلاة. وكيف ينتظم أن يقول في وضوئه أتوضأ لصلاتي، وفي صلاته يقول: أصلي لوضوئي، بل من أراد أن يحرس وضوءه عن التعطيل في وقت الكراهية فلينوِ قضاء إن كان يجوز أن يكون في ذمته صلاة تطرق إليها خلل لسبب من الأسباب، فإن قضاء الصلوات في أوقات الكراهية غير مكروه فأما نيـة التطـوّع فلا وجه لها ففي النهي في أوقات الكراهية مهمات ثلاثة: **أحدها**: التوقي من مضاهاة عبدة

حينئذ، **(ولا ينبغي أن ينوي ركعتي الوضوء كما ينوي ركعتي التحية)** إلا أن النووي قال في الروضة: ينوي بهما سنة الوضوء **(بل إذا توضأ صلى ركعتين تطوعاً)** ينوي فيهما أصلي ركعتين لله تعالى **(كيلا يتعطل وضـوؤه كما كـان يفعلـه بلال)** رضي الله عنـه كما تقـدم في حديثه السابق **(فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء، وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب)** للصلاة **(كالخسوف والتحية حتى ينوي ركعتي الوضوء، فيستحيل أن ينوي بالصلاة الوضوء، بل ينبغي أن ينوي بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم أن يقول في وضوئه أتوضأ لصلاتي و)** يقول في صلاته **(أصلي لوضوئي، بل من أراد أن يحرس وضوءه عن التعطيل)** وكان توضأ في وقت الكراهة **(فلينو)** بتلك الركعتين **(قضاء)** مما عليه في ذمته **(إن كان يجوز أن يكون في ذمته قضاء تطرق الخلل إليها بسبب من الأسباب، فإن قضاء الصلوات)** الفائتة **(في أوقات الكراهية غير مكروهة)** صرح به الأصحاب قالوا: ولو كانت من السنن الرواتب أو من النوافل التي اتخذها الإنسان ورداً له **(فأما نية التطوع)** في هذه الأوقات **(فلا وجه له)** وهذا اختيار المصنف والمشهور في المذهب أن ركعتي الوضوء تؤديان في وقت الكراهة وإن لها سبباً مقارناً وأن ما له سبب متأخر عنه يكره فعله في وقت الكراهة كركعتي الاستخارة وركعتي الإحرام على الأصح. وقال أحمد: يجوز قضاء الفوائت في وقت الكراهة إذا كانت فريضة، وفي قضاء النافلة تفصيل مر ذكره، واستثنى مالك قضاء الفائتة إن كانت فرضاً من أوقات النهي ولا تقضى عندهم النوافل مطلقاً، ولو كانت رواتب وقد مر ذكره، وهل إذا قضى فائتة في هذه الأوقات له المواظبة على مثلها قال بعض الأصحاب نعم وقد تقدم النقل عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره فيمن جوز قضاء الفوائت في جميع أوقات النهي، **(ففي النهي)** عن الصلاة **(في أوقات الكراهية مهمات ثلاثة)**.

أولاً نذكر أحاديث النهي. روى نافع عن ابن عمر مرفوعاً «لا يتحرى أحدكم فيصلي عنـد طلوع الشمس ولا عند غروبها» رواه الشيخان، وعندهما أيضاً من حديثه «إذا طلع حاجب الشمس فأخروا الصلاة حتى ترتفع».

الشمس، **والثاني:** الاحتراز من انتشار الشياطين، إذ قال ﷺ: « إن الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فإذا طلعت قارنها وإذا ارتفعت فارقها، فإذا استوت قارنها فإذا زالت فارقها، فإذا تضيفت للغروب قارنها فإذا غربت فارقها ». ونهى عن الصلوات في هذه الأوقات ونبه به على العلة. **والثالث:** أن سالكي طريق الآخرة لا يزالون يواظبون

وعند مسلم من حديث عقبة بن عامر: « ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نصلي فيهن وإن نقبر فيهن موتانا حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تزول وحين تضيف الشمس للغروب ».

وعند مسلم أيضاً من حديث عمرو بن عتبة قال، قلت يا نبي الله أخبرني عن الصلاة قال: « صل صلاة الصبح ثم اقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار ثم صلِّ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم فإذا أقبل الفيء فصل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، ثم اقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب، بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكافر ».

(**أحدها: التوقي عن مضاهاة عبدة الشمس**) وهم الكفار، فإن الشيطان يسول لهم أن يسجدوا لها في هذه الأوقات.

(**والثاني: الاحتراز من انتشار الشياطين**) فإنها تنتشر في هذه الأوقات (**إذا قال رسول الله ﷺ: « إن الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان**) قيل هو حقيقة وقيل محمول على المجاز كما سيأتي، (**فإذا طلعت قارنها فإذا ارتفعت فارقها فإذا استوت قارنها فإذا زالت فارقها فإذا تضيفت**) أي مالت (**للغروب قارنها فإذا غربت فارقها » فنهى عن الصلاة في هذه الأوقات ونبه به على العلة**).

قال العراقي: رواه النسائي من حديث عبدالله الصنابحي، وهو مرسل ومالك هو الذي يقول عبدالله الصنابحي ووهم فيه، وإنما هو عبد الرحمن، ولم ير النبي ﷺ اهـ.

والمعنى مقارنة الشيطان الشمس في هذه الأوقات وعليه حمل الخطابي ما رواه البخاري في صفة إبليس وجنوده من رواية عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر. فإنها تطلع بين قرني شيطان أو الشيطان، وكذلك عند مسلم من رواية هشام بلفظ: « فإنها تطلع بقرني شيطان » وأشار بذلك إلى العلة في النهي عن الصلاة في هاتين الحالتين، وقيل: معنى قرن الشيطان قوته من قولك: أنا مقرن لهذا الأمر أي مطيق له قوي عليه، وذلك لأن الشيطان إنما يقوي أمره في هذه الأوقات لأنه يسول لعبدة الشمس أن يسجدوا لها في هذه الأوقات، وقيل قرنه حزبه وأصحابه الذين يعبدون الشمس، وقيل: إن هذا تمثيل وتشبيه وذلك أن تأخير الصلوات إنما هو من تسويل الشيطان لهم وتزيينه ذلك في قلوبهم، وذوات القرون إنما تعالج الأشياء أو تدفعها

على الصلاة في جميع الأوقات، والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملل. ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعي والإنسان حريص على ما منع منه، ففي تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت، فخصصت هذه

بقرونها، وقيل: إن الشيطان يقابل الشمس عند طلوعها وينتصب دونها حتى يكون طلوعها بين قرنيه وهما جنبا رأسه فينقلب سجود الكفار للشمس عبادة له اهـ كلام الخطابي.

وقال عياض: ومعنى قرني الشيطان هنا يحتمل الحقيقة والمجاز إلى الحقيقة ذهب الداودي وغيره ولا بعد فيه، وقد جاءت آثار مصرحة بغروبها على قرني الشيطان، وأنها تريد عند الغروب السجود لله تعالى، فيأتي شيطان بعدها فتغرب بين قرنيه ويحرقها الله، وقد قيل: إن الشيطان حينئذ يجعلها بين قرنيه ليغالط نفسه فيمن يعبدها ويسجد لها عند طلوعها وغروبها، وأنهم إنما يسجدون له، وقيل قرنه علوه وارتفاعه بهذا، وقيل معناه المجاوز الاتساع وان قرني الشيطان أو قرنه الأمة التي تعبد الشمس وتطيعه في الكفر بالله، وانها لما كانت تسجد لها ويصلي من يعبدها من الكفار حينئذ نهى ﷺ عن التشبه بهم ويعضد هذا التأويل قوله في بعض طرق هذا الحديث: «فإنها تطلع على قرن الشيطان ويصلي لها الكفار» وفي رواية «يسجد لها الكفار» وقيل: قرنة قوته وسلطانه وهو عبادة من عبدها حينئذ ممن أطاعه.

وقال الحربي في غريب الحديث: قرنا الشيطان ناحيتا رأسه، وقال: هذا مثل أي حين يتسلط الشيطان، وصحح النووي الوجه الأخير في كلام الخطابي وعزا للخطابي الجزم بالوجه الرابع وقد عرفت أنه حكى هنا خمسة أوجه من غير ترجيح، والله أعلم.

(والثالث: أن سالكي طريق الآخرة) من أهل الخصوص **(لا يزالون يواظبون على الصلاة في جميع الأوقات)** لأنها وصلة بينهم وبين الله تعالى فلا يفترون عنها، بل الدنيا عندهم كلها بمنزلة ساعة واحدة يشغلونها بالطاعة، **(والمواظبة على نمط واحد من العبادات)** مما **(يورث الملال)** والفتور في الطبيعة عن الأقدام والإقبال **(ومهما منع منها ساعة زاد النشاط)** واستجدت النشأة **(وانبعثت الدواعي)** من كل جانب، **(والإنسان)** كما قيل **(حريص على ما منع منه)**. وقد جاء في المرفوع رواه عبدالله بن أحمد في رواية المسند، والطبراني ومن طريقها الديلمي في مسند الفردوس من حديث يوسف بن عطية، عن هارون بن كثير، عن زيد بن أسلم، عن أبيه عن ابن عمر رفعه بلفظ: «إن ابن آدم لحريص على ما منع». قال السخاوي في المقاصد: وسنده ضعيف، وقوله ابن أسلم تحريف، والصواب سالم، وحينئذ فالثلاثة مجهولون لقول أبي حاتم عقب حديث لهارون عن زيد بن سالم عن أبيه عن أبي أمامة هذا باطل لا أعرف من الإسناد سوى أبي أمامة اهـ. ويوسف بن عطية الصفار أورده الذهبي في الضعفاء وقال ضعفه أبو زرعة والدارقطني.

(ففي تعطيل هذه الأوقات) عن الصلوات **(زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء**

الأوقات بالتسبيح والاستغفار حذراً من الملل بالمداومة وتفرجاً بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر. ففي الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط، وفي الاستمرار على شيء واحد استثقال وملال. ولذلك لم تكن الصلاة سجوداً مجرداً ولا ركوعاً مجرداً ولا قياماً مجرداً، بل رتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة، فإن القلب يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال إليها. ولو واظب على الشيء الواحد لتسارع إليه الملل، فإذا كانت هذه أموراً مهمة في النهي عن ارتكاب أوقات الكراهة إلى غير ذلك من أسرار أخـر ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها. فهذه المهمات لا تترك إلا بأسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد. فأما ما ضعف عنها فلا ينبغي أن يصادم به مقصود النهي. هذا هو الأوجه عندنا، والله أعلم.

الوقت) المنهي عنه، **(فخصصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار)** وغيرهما من أنواع الأذكار وأفضلها مراقبة جلال الله الواحد القهار **(حذراً من الملال)** والكسل **(بالمداومة وتفرجاً بالانتقال من نوع عبادة إلى نوع آخر ففي الاستطراف والاستجداد)** كلاهما بمعنى واحد يقال: استطرف الشيء واستجده إذا أخذه طارفاً وجديداً **(لذة)** لا تكيف **(ونشاط)** لا يوصف **(وفي الاستمرار)** أي المداومة **(على شيء واحد)** ونوع واحد **(استثقال)** للطبيعة **(وملال)** وفتور، **(ولذلك لم تكن الصلاة سجوداً مجرداً)** كما عليه طائفة من الملائكة **(ولا ركوعاً مجرداً)** كما عليه طائفة أخرى منهم، **(ولا قياماً مجرداً)** كما عليه طائفة أخرى منهم، **(بل رتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار)** خاصة **(متباينة)** من ثناء وتكبير وتحميد وتهليل وتسبيح ودعاء، **(فإن القلب يدرك من كل منها لذة جديـدة)** ويعطيه ذلك العلم وذلك الذكر نشأة ينصبغ فيها على قدر إقباله عليه، وذلك **(عند الانتقال إليها)** من عمل إلى عمل، ومن ذكر إلى ذكر. **(ولو واظب على الشيء الواحد)** من عمل أو ذكر **(لسارع إليه الملال)** على كل حال، **(فإذا كانت هذه أموراً مهمة في النهي عن الأوقات المكروهة إلى غير ذلك من أسرار أخرى)** هي خفيفة المدرك **(ليس في قوة البشر)** مع ما أودع فيها من الكمال **(الاطلاع عليها)** أي على ترك الأسرار **(والله)** تعالى **(ورسوله)** ﷺ **(أعلم بها فهذه المهمات لا تترك إلا بأسباب مهمة في الشرع)** قوية يهتم لها **(مثل قضاء الصلاة)** الفائتة فريضة كانت أو راتبة، **(وصلاة الاستسقاء، و)** صلاة **(الخسوف، و)** ركعتي **(تحية المسجد)**، وصلاة الجنازة، وسجود التلاوة والشكر وركعتي الطواف **(فأما ما ضعف عن هذه فلا ينبغي أن يصادم بها)** أي يعارض **(مقصود النهي)** في كلام الشارع **(هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم بالصواب)**.

تمّ كتاب: أسرار الصلاة من كتاب إحياء علوم الدين ويليه كتاب أسرار الزكاة.

وبه **(تم كتاب أسرار الصلاة من كتاب الإحياء)** للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي قدس سره، وفيما أوردناه من شرح كلامه كفاية في حصول الغرض لمحبي جنابه والله المستعان وعليه التكلان، وأسأل الله العظيم متوسلاً إليه بجاه حبيبه محمد ﷺ وآله وأحبائه، وهذا الإمام مؤلف هذا الكتاب أن يمن عليَّ باتمامه على المنوال الذي شرعت فيه مستوفياً لمقاصده محيطاً لفوائده إنه تعالى نعم المسؤول والمجيب وما يسره على عبده فهو قريب، وكان الفراغ من شرح هذا الكتاب في أذان عصر يوم السبت المبارك لأربع بقين من شهر ذي الحجة الحرام ختام عام سبع وتسعين ومائة وألف من هجرة من له العز والشرف حامداً لله ومصلياً ومسلماً على نبيه وآله وصحبه وذويه وعترته مستغفراً محسبلاً محوقلاً، وكتب أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر له بمنه وحسبنا الله ونعم الوكيل

تم الجزء الثالث من إتحاف السادة المتقين بشرح اسرار إحياء علوم الدين ويليه الجزء الرابع أوله كتاب أسرار الزكاة

كتاب أسرار الزكاة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً. الحمد لله الذي أنزل على عبده كتاباً مفصلاً للأحكام. مبيناً لاجمالها الذي يقع فيه الايهام. آمراً فيه باقامة الصلاة. مردفاً لها بايتاء الزكاة تكميلاً لشعائر الإسلام. والصلاة والسلام الاتمان الأكملان على هذا النبي الكريم الذي اصطفاه من بين الأنام، وأيده بالمعجزات الباهرة الأعلام، وزكاه وطهره وقدسه وجعله لبنة التمام، ووصف دينه بالاكمال ونعمته عليه بالاتمام. فهو السيد المرتضى المجتبى الإمام السند المنتقى قائد الغر المحجلين في يوم الزحام. صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين المطهرين الأعلام وأصحابه الزاكين المزكين الكرام، وتابعيهم باحسان إلى يوم القيام ما دارت الليالي بالأيام وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.

وبعد فهذا شرح (**كتاب أسرار الزكاة**) وهو الخامس من الربع الأول من كتاب الاحياء لحجة الاسلام الامام أبي حامد الغزالي قدّس الله روحه وأوصل إلينا بره وفتوحه يوضح مشكل ألفاظه ومعانيه، ويحرر مباني مسائله لمعانيه توضيحاً يكشف اللبس عن مخدّرات الأسرار وتحريراً يجلي الخفاء عن وجوه موارد الاعتبار حتى يقرب ما بعد منه للافهام، ويتضح سبيله للراغبين فيه بالاهتمام مستمداً من فيض الفياض بما أفاض مستجيراً بحول الله وقوّته في تزكية النفوس من العلل والاغراض إنه ولي كل إمداد والملهم لما يرشد إلى السداد وهو حسبي وعليه الاعتماد وإليه الاستناد، ولنقدم قبل الخوض مقدمة لطيفة تشتمل على فوائد الكتاب قبل الدخول من الباب.

الأولى الزكاة إما من الزكاء بالمد بمعنى النماء والزيادة يقال: كالزرع يزكو زكاء وزكوا كقعود أي نما وزاد، وكذلك زكت الأرض وأزكى الله المال وزكاة تزكية أنماه وزاده، أو من معنى الطهارة كما في قوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ [الشمس: ٩] أي طهرها من المعاصي والشرك، وكذا قوله تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ [الأعلى: ١٤] أي تطهر، وزكى الرجل ماله تزكية والزكاة اسم منه سمي القدر المخرج من المال زكاة على المعنى الاوّل، لأن المال يزيد بها ويكثر لأنها شكر المال إذ شكر كل شيء بحسبه، وقد قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لازيدنكم﴾ [ابراهيم: ٧] وعلى المعنى الثاني لأن الزكاة مطهرة. قال الله تعالى: ﴿خُذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ [التوبة:١٠٣] وقال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ التزكية الإنماء والإعلاء بالتقوى، وتبعه المولى أبو السعود. ولفظ البيضاوي: زكاها أنماها بالعلم

والعمل. وقال ابن الهمام في الاستشهاد بهذه الآية نظر؛ إذ المصدر فيه جاء على زكاء بالمد فيجوز كون الفعل المذكور منه لا من الزكاة بل كونه منها يتوقف على ثبوت عين لفظ الزكاة في معنى النماء اهـ.

وقد بحث بعض أصحابنا المتأخرين في هذا النظر، وقال: قد نص صاحب ضياء الحلوم على ورود عين لفظ الزكاة في معنى النماء فجاز كون الفعل المذكور مأخوذاً من الزكاة كما جاز كونه مأخوذاً من الزكاء.

الثانية: العبادات أنواع ثلاثة: بدني محض كالصلاة والصوم، ومالي محض كالزكاة، ومركب منهما كالحج. فمن راعى هذا ذكر الصوم عقب الصلاة بهذه المناسبة، ومن راعى سياق الكتاب العزيز في اقترانها بالصلاة في نحو اثنين وثمانين موضعاً منه ذكر الزكاة عقب الصلاة وترك القياس، واختار المصنف ذلك. وقد تقدم شيء من ذلك في خطبة كتاب العلم، وكانت فرضية الزكاة في السنة التي فرض فيها الصوم وهي الثانية من الهجرة، وقيل قبلها. وفي المحيط قال أبو الحسن الكرخي: إنها على الفور، وفي المنتقى: إذا ترك حتى حال عليه حول فقد أساء وأثم، وعن محمد إذا لم يؤد الزكاة لا تقبل شهادته. وذكر ابن شجاع عن أصحابنا أنها على التراخي. وهكذا ذكر أبو بكر الجصاص. وفي التحقيق: إن الأمر المطلق عن الوقت وهو الأمر الذي لم يتعلق اداء المأمور به فيه بوقت محدود على وجه يفوت الأداء بفوته كالأمر بالزكاة وصدقة الفطر والعشر والكفارات وقضاء رمضان والنذور المطلقة. ذهب أكثر أصحابنا والشافعي وعامة المتكلمين إلى أنه للتراخي، وذهب بعض أصحابنا منهم أبو الحسن الكرخي، وبعض أصحاب الشافعي منهم أبو بكر الصيرفي، وأبو حامد الغزالي إلى أنه على الفور، وكذا كل من قال بالتكرار يلزمه الفور معنى يجب على الفور أنه يجب تعجيل الفعل في أول أوقات الإمكان، ومعنى يجب على التراخي أنه يجوز تأخيره عن أول أوقات الإمكان لأنه يجب تأخيره بحيث لو أتى فيه لا يعتد به لأنه ليس مذهباً لأحد. كذا في شرح النقاية للتقي الشمني.

الثالثة: لما كان موجب الزكاة وجود المال تعين معرفة الوجود التي منها يحصل. اعلم أن المال من الخيرات المتوسطة لأنه كما يكون سبباً للخير يكون سبباً للشر، والناس خاص وعام، فالخاص يفضلك بما يحسن، والعام بما يملك واكتسابه من الوجه الذي ينبغي صعب وتفريقه سهل، ومن رام اكتسابه من وجهه صعب عليه، فالمكاسب الجميلة قليلة عند الحر العادل، ومن رضي بكسبه من حيث اتفق قد يسهل عليه، والفاضل ينقبض عن اقتناء المال ويسترسل في إنفاقه ولا يريده لذاته بل لاكتساب المحمدة، وغير الفاضل يسترسل في اقتنائه وينقبض عن انفاقه ويطلبه لذاته لا لادخار الفضيلة به، والمال يحصل من وجهين. أحدهما منسوب إلى الجد المحض والبخت الصرف من غير اكتساب من صاحبه، كمن ورث مالاً أو وجد كنزاً أو قيض له من أولاه شيئاً. **والثاني:** أن يكتسب الانسان كمن يشتغل بتجارة أو صناعة فيدخر منها مالاً، وهذا

الضرب أيضاً لا يستغنى فيه عن الجد، فحظ الجد في المال أكثر من حظ الكد بخلاف الأخلاق والأعمال الآخروية التي حظ الكد فيها أكثر، وقد نبه الله سبحانه على ذلك بقوله: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾ الآية إلى قوله ﴿مشكوراً﴾ [الاسراء: ١٨، ١٩] فاشترط في العاجلة مشيئته للمعطي وإرادته للمعطى له، ولم يشترط السعي، واشترط في الآخرة السعي لها مع الإيمان ولم يشترط إرادته تعالى ومشيئته، ولو كان ذلك لا يعرى منها فحق العاقل أن يعنى بما إذا طلبه ناله، وإذا ناله لم يخف زواله ويقلل المبالاة بما إذا قدر له أتاه طلبه أو لم يطلبه.

الرابعة: في سبب إخفاق العاقل وإنجاح الجاهل. اعلم أن الحكمة تقتضي أن يكون العاقل الحكيم في أكثر الأحوال مقللاً، وذلك لأنه يأخذ كما يجب من الوجه الذي يجب ثم إذا ناله لم يدخره عن مكرمة تعن له، والجاهل يسهل عليه الجمع من حيث لا يبالي فيما يتناوله بارتكاب محظور واستباحة محجور واستنزال الناس عنها بالمكر ومساعدتهم على ارتكاب الشر طمعاً في نفعهم، وكثيراً ما ترى من هو من جملة الموصوفين بقوله تعالى: ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق﴾ [البقرة: ٢٠٠] شاكين لخبثهم، فبعض يغضب على الفلك، وبعض يغضب على القدر، وبعض يتجاوز الأسباب فيعاتب الله وذلك لحرصهم على ارتكاب المقابح وجهلهم بما يقيض الله لعباده من المصالح.

الخامسة: اعلم أن الله تعالى أوجد أعراض الدنيا بلغة فاتخذها الناس عقدة وصيّر الدنيا مرتحلاً وممراً فصيروها موطناً ومقراً، ومن وجه منحة منحت للانسان لينتفع بها مدة ويذرها لينتفع بها غيره من بعده، ومن وجه وديعة في يدها رخص له استعمالها والانتفاع بها بعد أن لا يسرف فيها، لكن الإنسان لجهله ونسيانه لما عهد إليه اغترّ بها وظن أن جعلت له هبة مؤبدة فركن إليها واعتمد عليها ولم يؤد أمانة الله فيها لما طولب بردها تضرر منه وضجر، فلم ينزع عنها إلا بنزع روحه أو كسر يده وبعضهم وهم الأقلون حفظوا ما عهد إليهم فتناولوها تناول العارية والمنحة والوديعة فأدوا فيها الأمانة، وعلموا أنها مسترجعة، فلما استردت منهم لم يغضبوا ولم يجزعوا وردوها شاكرين لما نالوه ومشكورين لأداء الأمانة فيها، وقد ذكر بعض الحكماء مثلاً فقال: إن مثل الدنيا فيما أعطوه من أعراض الدنيا مثل رجل دعا قوماً إلى داره، فاخذ طبق ذهب عليه بخور ورياحين، وكان إذا دخل أحدهم تلقاه به ورفعه إليه لا ليتملكه بل ليشمه ويدفعه إلى من يجيء بعده، فمن كان جاهلاً برسومه ظن أنه قد وهب له فيضجر إذا استرجع منه، ومن كان عارفاً برسومه أخذه بشكر ورده بانشراح صدر.

السادسة: في عقوبة مانع الزكاة. اعلم أن لله عز وجل عقوبتين في معاقبة من تناول ما لا يجوز له تناوله من الدنيا، أو يتناوله من الوجه الذي يجوز لكنه لم يوف حقه إحداهما: ظاهرة وذلك عقوبة من منع حق الله من الزكاة أو غصب مالاً مجاهرة أو سرقه خفية، فإن عقوبات

بسم الله الرحمن الرحيم

ذلك ظاهرة أمر السلطان بإقامتها، والثانية: خفية عن البصر مدركة ببصائر أولي الألباب كعقوبة من تناول مالاً من حيث لا يجوز تناوله، أو منعه من حيث لا يجوز منعه لا على وجه فيه حد أمر السلطان بإقامته، فهذا عقوبته ما روي: أي أمرىء سكن قلبه حب الدنيا بلي بثلاث: شغل لا يبلغ مداه، وفقر لا يدرك غناه، وأمل لا يدرك منتهاه. وما روي: من كانت الدنيا أكبر همه شتت الله أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يبال الله بأي واد من الدنيا هلك، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ [طه: ١٢٤] وليس يعني قلة المعيشة، وإنما يعني ما يقاسي فيها من الغموم والهموم التي تكدر العيش عليه.

السابعة: قول المصنف: كتاب أسرار الزكاة مشعر بربط الحكم المشروع بالاعتبار الباطني لكمال الثناء، وكذا الحال فيما سبق آنفاً كتاب أسرار الطهارة كتاب أسرار الصلاة، وفيما يجيء بعد كتاب أسرار الصيام كتاب أسرار الحج. فإنه ما يظهر في العالم صورة من أحد من خلق الله بأي سبب ظهرت من أشكال وغيرها إلاَّ ولتلك العين الحادثة في الحس روح يصحب تلك الصورة والشكل الذي ظهر، فإن الله هو الموجد على الحقيقة لتلك الصورة بنيابة كون من أكوانه من ملك أو جن أو أنس أو حيوان أو نبات أو جماد، وهذه هي الأسباب كلها لوجود تلك الصورة في الحس. فلما علمنا أن الله قد ربط بكل صورة حسية روحاً معنوياً بتوجه إلهي عن حكم اسم رباني لهذا اعتبرنا خطاب الشارع في الباطن على حكم ما هو في الظاهر قدماً بقدم، لأن الظاهر منه صورته الحسية والروح الإلهي المعنوي في تلك الصورة هو الذي نسميه الاعتبار في الباطن من عبرت الوادي إذا جزته، وهو قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾ [آل عمران: ١٣]. وقال تعالى: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ [الحشر: ٢] أي جوزوا مما رأيتموه من الصور بأبصاركم إلى ما تعطيه تلك الصور من المعاني والأرواح في بواطنكم فتدركونها ببصائركم، فأمر وحث على الاعتبار.

قال الشيخ الأكبر قدس سره: هذا باب أغفله العلماء ولا سيما أهل الجمود على الظاهر، فليس عندهم من الاعتبار إلا التعجب، فلا فرق بين عقولهم وعقول الصبيان الصغار، فهؤلاء ما عبروا قط من تلك الصورة الظاهرة كما أمرهم الله، والله يرزقنا الإصابة في النطق والاخبار عما استهديناه وعلمناه من الحق علم كشف وشهود وذوق، فإن العبارة عن ذلك فتح من الله لتأتي بحكم المطابقة، وكم من شخص لا يقدر أن يعبر عما في نفسه، وكم من شخص تفسد عبارته صحة ما في نفسه والله الموفق لا ربّ غيره، وهذا أوان الشروع لحل ألفاظ الكتاب، بعون الملك الوهاب.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(بسم الله الرحمن الرحيم)** إذ كل أمر ذي بال لا يبدأ ببسم الله فهو ممحوق البركة، ولما كان كتاب الزكاة ومعرفة أسرارها من مهمات الدين ولما وقع في النفوس

الحمد لله الذي أسعد وأشقى وأمات وأحيا، وأضحك وأبكى، وأوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأضر وأقنى، الذي خلق الحيوان من نطفة تمنى، ثم تفرد عن الخلق

وشأن عظيم تعين قراءة باسم الله المفيض لأنواع الخيرات، الرحمن بعباده بإدرار الأرزاق من السموات، الرحيم بهم بتزكيتهم عن الذنوب والمعاصي والزلات، ثم أردف ذلك بما افتتح الله سبحانه كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

(**الحمدلله**)، وهو الثناء على الله على أفعاله فهي جميلة، والشكر على نعمائه فهي جزيلة، والرضا بأقضيته فهي حميدة، والمدح بكل صفاته فهي جليلة، والحمد بهذه المعاني الأربعة منقول عن السلف الصالح ذكره الامام نجم الدين النسفي رحمه الله تعالى، ولما كان الرضا بما قضاه وقدره من جملة ما تضمنه لفظ الحمد أشار إلى ذلك مع نوع من براعة الاستهلال بقوله: (**الذي أسعد واشقى**) يقال: سعد فلان يسعد من باب علم سعداً في دين أو دنيا فهو سعيد وأسعده الله فهو مسعد، ولاحظ المصنف هنا من السعادة كثرة المال وهو إطلاق صحيح مشهور مراعاة لبراعة الاستهلال، واشقى ضده وقد شقي شقا وشقاء، ومن شقاوة الدنيا قلة اليسار وكثرة العيال. (**وأمات وأحيا**) يحتمل أن يكون المراد به الإماتة والإحياء على ظاهرهما، أو أن المراد بذلك إماتة القلوب بظلام الغفلات فهو دائماً في الكد بتحصيل ما ضمن له الله، واحياها بأنوار المعارف وأنواع الكمالات فهو غني النفس عما في أيدي الناس لا يعتريه في شهوده نقص ولا إلباس. (**وأضحك وأبكى**) الضحك لا يكون إلا عن سرور، والسرور أنموذج الجمال ولا يتم الجمال إلا بالمال، ونظر المتنبي إلى هذه فقال:

فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجده

فصاحب المال أبداً ضاحك مسرور. والبكاء ضده وينشأ عن حزن والحزن ينشأ من قلة ذات اليد، فترى صاحبه أبداً ذليلاً باكياً حيراناً. دخل أصحاب محمد بن سوقة عليه وهو يعجن ويبكي ويقول: لما قلَّ مالي جفاني اخواني. (**وأوجد وأفنى**) الإيجاد هو أن يخلق شيئاً لم يكن موجوداً، والإفناء إعدامه بعد أن كان. هذا هو الظاهر من معناه، ويحتمل أن يكون من أوجده خلق فيه جدة أو جعله ذا جدة أي سعة، وأفناه سلب عنه ذلك وهذا المعنى هو الأنسب لبراعة الاستهلال. (**وافقر واغنى**) أي جعل من شاء فقيراً لا يملك شيئاً، وجعل من شاء غنياً مظهراً لآثار نعمه، (**وأضر**) أي منع وفي بعض النسخ: أضر (**واقنى**) أي أعطى وأرضى من قنوت الشيء أقنوه قنواً من باب قتل، وقنوة بالكسر واقتنيه اتخذه لنفسي قنية أي ملكاً لا للتجارة هكذا قيدوه. وقال ابن السكيت: قنوت الغنم أقنوها وقنيتها أقنيها اتخذتها للقنية، وهو مال قنية وقنوة وقنيان وقنوان بالكسر والضم، واقناه أعطاه وأرضاه. (**الذي خلق الحيوان**) وهو كل ذي قوة حساسة ناطقاً كان أو غير ناطق مأخوذ من الحياة يستوي فيه الواحد والجمع، لأنه مصدر في الأصل (**من نطفة**) هي بضم النون الماء الصافي قلّ أو كثر، ويطلق على ماء الذكر والأنثى على التشبيه لأنها صافية لتولدها من خالص الغذاء (**إذا تمنى**) يقال: مني الرجل يمنى

بوصف الغنى، ثم خصص بعض عباده بالحسنى فأفاض عليهم من نعمه ما أيسر به من شاء واستغنى وأحوج إليه من أخفق في رزقه وأكدى إظهاراً للامتحان والابتلاء. ثم جعل الزكاة للدين أساساً ومبنى، وبيَّن أن بفضله تزكى من عباده من تزكى، ومن

كرمى يرمي لغة في أمنى امناء أراق منيه، ومعنى تمنى أي تراق وتصب أي في الأرحام وفيه إشعار بأن الذي في يد الإنسان ملك لله تعالى وهو الموجد وهو الغني، وكيف يصلح منه أن يدعي ملكاً وهو من نطفة مذرة، أم كيف يفتخر ومعاده إلى جيفة قذرة، أم كيف يتكبر وهو حامل بينهما عذرة، فما ملكت يداه هو بتمليك مولاه اياه فمن منع حق الله منه فهو الشحيح الذي لاحظّ له في الإسلام، **(ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى)** فلا تعلق له بغيره لا في ذاته ولا في صفاته بل هو منزه عن العلاقة مع الأغيار، ولا يتصوّر التفرد بهذا الوصف إلا لله تعالى، ومن تعلق ذاته أو صفات ذاته بامر خارج من ذاته يوقف عليه وجوده وكماله فهو محتاج وفقير إلى الكسب، **(ثم خصص بعض عباده)** من فائض فضله **(بالحسنى)** تأنيث الأحسن أفعل من الحسن بالضم إسم لكل ملائم للطبع مرغوب فيه مستحسن من جهة الحس والبصيرة، ومن الحسن كون الشيء صفة كمال كالعلم، وكون الشيء يتعلق به المدح كالعبادة والحسن لمعنى في نفسه ما اتصف بالحسن لمعنى ثبت في ذاته كالإيمان بالله وصفاته، والحسن لمعنى في غيره ما اتصف بالحسن لمعنى ثبت في غيره كإخراج المال، فإنه لا يحسن لذاته لأنه تنقيص الأموال، وإنما حسن لما فيه من النماء والتطهير وليحصل التعاون بتحقيق مصداق قوله صلى الله عليه وسلم «المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً». **(فأفاض عليه)** أي منحه منحاً متتابعاً مفاضاً إفاضة السيل إذا أخذ من كل جانب. وبملاحظة هذا العموم قيل: اتق شر الأعميين السيل والليل. **(ومن نعمه)** المتوالية المتتابعة **(ما أيسر به)** أي صار ذا يسار، **(واستغنى)** أي صار متصفاً بالغنى باغناء الله إياه وامداده له في كل ما يحتاجه وإليه والذي يحتاج ومعه ما يحتاج إليه فهو مستغن في الجملة، وانما قلنا ذلك لأن التفرد بوصف الغنى مطلقاً ليس إلا لله تعالى، ويحتمل أن يكون السين في استغنى للوجدان. والمعنى من أفاض الله عليه من المعارف والكمالات وجد سر الغنى في قلبه وانقطعت حاجته عما سوى الحق تعالى، فكان عبداً بالله لله، **(وأحوج إليه)** أي إلى بعض العباد المفاض عليه **(من أخفق في رزقه)** أي خاب سعيه فيه أي في تحصيله، وأصل الخفق الحركة والاضطراب والهمزة للسلب والإزالة، **(وأكدى)** أي تعب وأصله من أكدى الحافر إذا وصل إلى الكدية بالضم وهي الأرض الصلبة، وبه سمي السائل الملحّ مكدياً وحرفته الكدية **(إظهاراً للامتحان والابتلاء)** وكلاهما الاختبار البليغ والبلاء الجهيد، وسميت الدنيا داراً لهما لما فيها كل ذلك، **(ثم جعل الزكاة للدين)** أي لقواعده **(أساساً ومبنى)** أي كالأساس الذي يبنى عليه، **(وبيّن)** أي أظهر **(ان بفضله تزكى من عباده من تزكى)** أي تطهر من تطهر من الكبر والمعصية، وبه فسر قوله تعالى: ﴿**قد افلح من تزكى**﴾ [الأعلى: ١٤] ﴿**بغناه**﴾ وفي بعض النسخ ومن غناه، والضميران يعودان إلى الله تعالى ﴿**زكّى ماله من زكّى**﴾ وذلك لأن

غناه زكى ماله من زكى، والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى.

أما بعد؛ فإن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الإسلام وأردف بذكرها الصلاة التي هي أعلى الأعلام، فقال تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ [البقرة: ٤٣] وقال ﷺ: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة

ذلك القدر المعين من مال المزكي المسمى زكاة ليس من ماله بل هو أمانة عنده لتوجه الأمر عليه بالإخراج، فمن يزكي إنما يزكي بغناه جل وعز، **(والصلاة على محمد المصطفى)** وفي بعض النسخ: النبي المصطفى أي المختار من خلقه اصطفاه الله تعالى وصفاه ووفى له بموعوده ورقاه، **(سيد الورى)** أي الخلق كلهم له السيادة الكاملة عليهم، لما قد ورد: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر». **(وشمس الهدى)** بالضم بمعنى الهداية أي هو شمس الهداية الإلهية يهتدي بنوره السائرون إلى الله تعالى، **(وعلى آله)** المراد بهم وارثو أحواله سواء من قرابته أو لا، **(وأصحابه)** الذين شاهدوا طلعة أنواره واتبعوا سبل آثاره **(المخصوصين بالعلم)** الكامل الذي لا يعتريه شوب وهم ونقص، **(و)** أشار إلى كمال العلم من وجه آخر وهو أن يكون مصحوباً معه **(التقى)** فهو كالشرط لكماله وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة، وخصوا بهذين الوصفين لتكمل سيادتهم ويحوزوا من الشرف الحظ الأعلى وإليه أشار البوصيري رحمه الله تعالى في وصف أهل البيت:

سدتم الناس بالتقى وسواكم ... سودته الصفراء والبيضاء

وفي الاقتصار على الصلاة عليه ﷺ دون السلام بحث مشهور، فالمتقدمون يجوّزون الاكتفاء عليها دونه، وقد استعمله المصنف في خطب كتابه هذا كثيراً، وبسطنا ذلك في شرح خطبة كتاب العلم على أنه هنا في بعض النسخ وسلم كثيراً وحينئذ فلا بحث ولا إشكال.

(أما بعد، فإن الله تعالى جعل الزكاة إحدى مباني الأسلام) فمن جحدها كفر إلا أن يكون حديث عهد بالإسلام لا يعرف وجوبها فيعرف، ومن منعها وهو يعتقد وجوبها أخذت منه قهراً، فإن امتنع قوم قاتلهم الإمام عليها. كذا في الروضة، وقال الشربيني في شرح المنهاج: الكلام في الزكاة المجمع عليها أما المختلف فيها كزكاة التجارة والركاز والثمار والزروع في الأرض الخراجية وفي مال غير المكلف فلا يكفر جاحدها لاختلاف العلماء في وجوبها، **(وأردف بذكرها الصلاة التي هي أعلى الاعلام)** في نحو اثنتين وثمانين موضعاً من القرآن كما تقدم، وقد ثبتت فرضيتها بالكتاب والسّنة والاجماع وأشار إلى الأول بقوله: **(فقال عز وجل: وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) [البقرة: ٤٣]** والأمر فيهما للوجوب، وأشار إلى الثاني بقوله: **(وقال رسول الله ﷺ «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة»)** إلى آخر الخبر، وقد تقدم في كتاب العلم من حديث ابن عمر إخراجه في الصحيحين.

وايتاء الزكاة » وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال: ﴿والَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَ يَنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بعذابٍ أليمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، ومعنى الانفاق في سبيل

وقال الجلال الخبازي من أصحابنا في حواشي شرح الهداية ما نصه: الزكاة فرض لأنه ثبت بدليل مقطوع به، وهو قوله تعالى ﴿وآتوا الزكاة﴾ غير أنه مجمل والحكم فيه أنه يتوقف فيه مع الإيمان ان ما أراد الله تعالى حق، والله تعالى فوض البيان إلى النبي ﷺ بقوله: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل: ٤٤] والنبي ﷺ بين بقوله: « يا علي ليس عليك في الذهب شيء حتى يبلغ عشرين مثقالاً » فيكون أصل الزكاة ثابتاً بكتاب الله تعالى ووصفها ثابتاً بالحديث. فإطلاق من أطلق لفظ الوجوب باعتبار أن وصفه ثبت بالحديث اهـ.

قلت: وفي سنن أبي داود عن حبيب المالكي قال: قال رجل لعمران بن حصين: يا أبا نجيد إنكم لتحدثونا بأحاديث ما نجد لها أصلاً في القرآن، فغضب عمران وقال للرجل أوجدتم في كتاب الله في كل أربعين درهماً درهم، وفي كل كذا وكذا شاة شاة، وفي كذا وكذا بعيراً كذا وكذا أوجدتم هذا في القرآن؟ قال: لا. قال: فعمن أخذتم هذا أخذتموه عنا وأخذناه عن نبي الله ﷺ، وذكر أشياء نحو هذا.

(وشدّد الوعيد على المقصرين فيها) أي في إيتائها، والوعيد يستعمل في الشر خاصة، وقد أوعد إيعاداً كما أن الوعد يستعمل في الخير خاصة، وإليه يشير قول الشاعر:

واني وإن أوعدته أو وعدته　　لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

(فقال تعالى: والذين يكنزون) أي يجمعون ويخزنون **(الذهب والفضة)** سواء كانا في باطن الأرض أو ظاهرها **(ولا ينفقونها)** الضمير للكنوز الدال عليها يكنزون أو للأموال، فإن الحكم عام وتخصيصها بالذكر لأنها قانون التموّل، أو للفضة لأنها أقرب. ويدل على أن حكم الذهب كذلك بطريق الأولى **(في سبيل الله)** المراد به المعنى الأعظم لا خصوص أحد السهام الثمانية، وإلاّ ترجح بالصرف إليه بمقتضى هذه الآية **(فبشرهم بعذاب أليم)** [التوبة: ٣٤] هذا من باب التهكم، والعذاب مجمل بينه بقوله: ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم﴾ [التوبة: ٣٥] الآية والكنز: لغة جمع المال بعضه على بعض وادخاره، وقيل: المال المدفون. وقد صار في الشرع صفة لكل مال لم يخرج منه الواجب وإن لم يكن مدفوناً. هذا حاصل ما قاله أئمة اللغة، ففي النهاية هو في الأصل المال المدفون تحت الأرض، فاذا خرج منه الواجب لم يبق كنزاً وإن كان مكنوزاً قال وهو حكم شرعي تجوّز فيه عن الأصل اهـ.

وقال ابن عبد البر: أما قوله تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ وما في معناه، فالجمهور على أنه ما لم تؤد زكاته وعليه جماعة فقهاء الأمصار، ثم ذكر عن عمر، وابنه عبد الله، وجابر بن عبد الله، وابن مسعود، وابن عباس، ثم استشهد لذلك بما رواه عن أم سلمة قالت: كنت ألبس أوضاحاً من ذهب فقلت يا رسول الله: أكنز هو؟ قال « ما بلغ أن تؤدي زكاته فزكي فليس بكنز » قال: وفي اسناده مقال.

قال الولي العراقي: قد اخرجه أبو داود، وقال والده في شرح الترمذي إسناده جيد رجاله رجال البخاري.

قلت: يشير إلى ان في اسناده عتاب بن بشير أبو الحسن الحراني، وقد أخرج له البخاري وتكلم فيه غير واحد.

ثم قال ابن عبد البر: ويشهد بصحته حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال «إذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك».

قال الولي العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن غريب، والحاكم في مستدركه وقال: صحيح من حديث المصريين، وفي معناه أيضاً حديث جابر مرفوعاً: «إذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره». رواه الحاكم في مستدركه، وصححه على شرط مسلم، ورجح البيهقي وقفه على جابر، وكذلك ذكره ابن عبد البر، وكذا صحح أبو زرعة وقفه على جابر ذكره بلفظ «ما أدى زكاته فليس بكنز»

قلت: وهكذا أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر، عن حجاج، عن ابن الزبير، عن جابر موقوفاً عليه. ورواه عن مكحول، عن ابن عمر مثله، ورواه عن عكرمة عن ابن عباس مثله، وعن حنظلة عن عطاء ومجاهد قال: «ليس مال بكنز أدى زكاته وإن كان تحت الأرض وإن كان لا يؤدي زكاته فهو كنز وإن كان على وجه الأرض» وروى البيهقي عن ابن عمر مرفوعاً مثل قول عطاء ومجاهد .قال البيهقي: ليس بمحفوظ والمشهور وقفه.

وفي سنن أبي داود، عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ قال: كبر ذلك على المسلمين، فقال عمر: إذاً أفرج عنكم فانطلق، فقال النبي ﷺ يانبي الله: كبر على أصحابنا هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ «إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم» الحديث. قال ابن عبد البر: والإسم الشرعي قاض على الإسم اللغوي وما أعلم مخالفاً في أن الكنز ما لم تؤد زكاته إلا شيئاً روي عن علي وأبي ذر والضحاك ذهب إليه قوم من أهل الزهد قالوا: «إن في المال حقوقاً سوى الزكاة» أما أبو ذر فذهب إلى أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسواد العيش فهو كنز وإن آية الوعيد نزلت في ذلك، وأما علي فروي عنه أنه قال: أربعة آلاف نفقة فما كان فوقها فهو كنز، وأما الضحاك فقال: من ملك عشرة آلاف درهم فهو من الأكثرين، وكان مسروق يقول في قوله عز وجل: ﴿سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ هو الرجل يرزقه الله المال فيمنع الحق الذي فيه فيجعل حية يطوّقها.

قلت: وممن قال: إن في المال حقاً سوى الزكاة إبراهيم النخعي، ومجاهد، والشعبي، والحسن البصري. روى عنهم ذلك أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف.

الله إخراج حق الزكاة. وقال الأحنف بن قيس: كنت في نفر من قريش فمرَّ أبو ذر

وأما ما رواه عن مسروق أخرجه ابن أبي شيبة، عن خالد بن خليفة، عن أبي هاشم، عن أبي وائل، عن مسروق بلفظ «هو الرجل يرزقه الله المال فيمنع قرابته الحق الذي فيه فيجعل حية فيطوّقها، فيقول: ما لي ومالك. فتقول الحية: أنا مالك». وروي من وجه آخر عن إبراهيم النخعي قال في تفسير هذه الآية: طوق من نار، وروي عن ابن مسعود قال: يطوّقون ثعباناً بفيه زبيبتان ينهشه يقول: أنا مالك الذي بخلت به. قال ابن عبد البر بعد أن نقل قول مسروق السابق: وهذا ظاهره غير الزكاة، ويحتمل أنه الزكاة، ثم قال: وسائر العلماء من السلف والخلف على ما تقدم في الكنز. قال: وما استدل به من الأمر بإنفاق الفضل فمعناه أنه على الندب أو يكون قبل نزول فرض الزكاة ونسخ بها كما نسخ صوم عاشوراء برمضان وعاد فضيلة بعد أن كان فريضة اهـ.

قلت: وإذا حملت الآية على ما قال المصنف في تفسيرها:

(ومعنى الانفاق في سبيل الله إخراج حق الزكاة)، فمن أخرج القدر المعلوم من المال لله تعالى فلا يكون داخلاً تحت هذا الوعيد، فحينئذ فلا نسخ على ما زعم ابن عبد البر. وقد أشار إليه الرماني في شرح البخاري، واتفقوا أن هذه الآية نزلت فيمن لم يؤد زكاة ماله وهي عامة في المسلمين وأهل الكتاب وعليه أكثر السلف، خلافاً لمن ذهب إلى أنها خاصة بالكفار، ووقع في شأن نزولها التشاجر بين أبي ذر وبين معاوية رضي الله عنهما، حتى أدى ذلك إلى خروج أبي ذر من الشام إلى المدينة، ثم منها إلى الربذة، وبها مات سنة اثنين وثلاثين.

قال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا ابن إدريس، عن حصين، عن زيد بن وهب قال: مررنا على أبي ذر بالربذة فسألناه عن منزله. قال: كنت بالشام فقرأت هذه الآية ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ الآية فقال معاوية: إنما هي في أهل الكتاب، فقلت: إنها لفينا وفيهم.

وأخرجه البخاري عن علي غير منسوب أنه سمع هشيماً أخبره حصين عن زيد بن وهب فساقه نحوه، وفي آخره: فكان بيني وبينه في ذلك وكتب إلى عثمان يشكوه فكتب إلي عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها وساق الحديث.

قال ابن عبد البر: وإن أكثر ما تواتر عن أبي ذر في الأخبار الإنكار على من أخذ المال من السلاطين لنفسه ومنع أهله، فهذا مما لا خلاف عنه في إنكاره، وأما إيجاب غير الزكاة فمختلف عنه فيه.

قلت: وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق حميد بن هلال عبد الله بن الصامت ابن أخي أبي ذر قال: دخلت مع عمي على عثمان فقال لعثمان: ائذن لي بالربذة فذكر الحديث، وفيه: وكانوا يقتسمون مال عبد الرحمن بن عوف وكان عنده كعب، فقال عثمان لكعب: ما تقول فيمن جمع هذا المال فكان يتصدق منه ويعطي ابن السبيل ويفعل ويفعل؟ قال إني لأرجو له خيراً، فغضب

فقال: بشِّر الكانزين بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي في أقفائهم يخرج من

أبو ذر ورفع العصا على كعب، وقال: ما يدريك يا ابن اليهودية ليودّن صاحب هذا المال يوم القيامة لو كانت عقارب تلسع السويداء من قلبه. وروى أيضاً من طريق سعيد بن الحسن، عن عبد الله بن الصامت قال: «إن خليلي عهد إليَّ أنه أيما ذهب أو فضة أوكيء عليه فهو جمر على صاحبه حتى ينفقه في سبيل الله».

تنبيه

الانفاق ضربان ممدوح ومذموم، والممدوح منه ما يكسب صاحبه العدالة وهو بذل ما أوجبت الشريعة بذله كالصدقة المفروضة والإنفاق على العيال، وهو من الزمته الشريعة الإنفاق عليه، ومنه ما يكسب صاحبه الحرمة وهو بذل ما ندبت الشريعة إلى بذله، فهذا يكسب من الناس شكراً، ومن ولي النعمة أجراً. والمذموم ضربان. إفراط وهو التبذيروالإسراف، وتفريط وهو التقتير والإمساك وكلاهما يراعى فيه الكمية والكيفية، فالتبذير من جهة الكمية أن يعطي أكثر مما يحتمله حاله، ومن جهة الكيفية فبأن يضعه في غير موضعه، والاختبار فيه بالكيفية أكثر منه بالكمية، فربَّ منفق درهماً من ألوف وهو في إنفاقه مسرف وببذله مفسد ظالم، وربَّ منفق ألوفاً لا يملك غيرها هو فيها مقتصد وببذلها متحمد، كما روي في شأن الصديق رضي الله عنه. والتقتير من جهة الكمية أن ينفق دون ما يحتمله حاله، ومن حيث الكيفية أن يمنع من حيث يجب ويضع حيث لا يجب، والتبذير عند الناس أحمد لأنه جود لكنه أكثر مما يجب، والتقتير بخل، والجود على كل حال أحمد من البخل لأن رجوع المبذر إلى السخاء سهل، وارتقاء البخيل إليه صعب. ولأن المبذر قد ينفع غيره وإن أضرّ بنفسه، والمقتر لا ينفع غيره ولا نفسه، على أن التبذير في الحقيقة هو من وجه أقبح إذ لا إسراف إلا وبجنبه حق مضيع، ولأن التبذير يؤدي بصاحبه إلى أن يظلم غيره، ولهذا قيل: إن الشحيح أغدر من الظالم لأنه جاهل بقدر المال الذي هو سبب استبقاء النفس، والجهل رأس كل شر، والمتلاف ظالم من وجهين: لأخذه من غير موضعه، ووضعه في غير موضعه. وسيأتي إلمام لهذا البحث في كلام المصنف فليكن ذلك على ذكر منك.

(وقال الأحنف بن قيس) بن معاوية بن حصين التميمي السعدي، أبو بحر البصري. والأحنف لقب. واسمه الضحاك، وقيل: صخر. قال العجلي: تابعي ثقة، وكان أعور أحنف ذميماً قصيراً كوسجاً له بيضة واحدة. وقال ابن سعد: كان ثقة مأموناً قليل الحديث. مات سنة اثنتين وسبعين بالكوفة. روى له الجماعة وهو الذي يضرب بحلمه المثل، وكان سيد قومه وهذا القول فيما رواه مسلم من طريقه قال: **(كنت في نفر من قريش فمرّ بنا أبو ذر)** جندب بن خباب الغفاري رضي الله عنه **(فقال)** ولفظ مسلم: فمر أبو ذر وهو يقول: **(بشّر الكانزين)** أي للذهب والفضة **(بكي في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي من أقفائهم)** وهو جمع القفا

جباهم. وفي رواية: انه يوضع على حلمة ثدي أحدهم فيخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل، وقال أبو ذر انتهيت إلى

(يخرج من جباههم) قال: ثم تنحّى فقعد قال: قلت من هذا؟ قالوا: هذا أبو ذر. قال: فقمت إليه فقلت ما شيء سمعتك تقول قبل؟ قال: ما قلت إلا شيئاً قد سمعته من نبيهم ﷺ الحديث. وهذا اللفظ لم يخرجه البخاري.

(وفي رواية أخرى) لحديث الأحنف **(أنه يوضع)** الرضف **(على حلمة ثدي أحدهم)** الحلمة محركة ما نشز من الثدي **(يخرج من)** نغض **(كتفيه ويوضع على نغض كتفيه)**، وهو بضم النون وسكون الغين وآخره ضاد معجمتين هو العظم الرقيق على طرف الكتف أو هو أعلاه، ويسمى الغضروف أيضاً **(حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل)** ذلك الرضف أي يتحرك ويضطرب هذا لفظ البخاري في كتاب الزكاة قال:

حدثنا عباس، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا الجريري، عن أبي العلاء، عن الأحنف بن قيس قال: جلست ح.

وحدثني إسحاق بن منصور، أخبرنا عبد الصمد، حدثني أبي، حدثنا الجريري، حدثنا أبو العلاء بن الشخير أن الأحنف بن قيس حدثهم قال: جلست إلى ملأ من قريش فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم فسلم، ثم قال: بشّر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم ثم يوضع الرضف على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه، ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل، ثم ولّى فجلس إلى سارية وتبعته وجلست إليه أنا ولا أدري من هو، فقلت له: لا أرى القوم إلا قد كرهوا الذي قلت. قال: إنهم لا يعقلون شيئاً قال لي خليلي قلت: من خليلك؟ قال النبي ﷺ: «يا أباذر أتبصر أحداً؟ قال: فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار وأنا أرى أن رسول الله ﷺ يرسلني في حاجة له. قلت: نعم. قال: ما أحب أن لي مثل أحد ذهباً أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير »وأن هؤلاء لا يعقلون إنما يجمعون الدنيا لا والله لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله ».

وأخرجه مسلم في الزكاة إلا أنه قال: «إذ جاء رجل أحسن الثياب أحسن الجسد أحسن الوجه» والباقي نحوه.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد، عمن سمع أباذر يقول، وقد قال له رجل: مالك إذا جلست إلى قوم قاموا وتركوك؟ قال «إني أنهاهم عن الكنوز».

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة، عن محمد بن بشر، حدثنا سفيان، عن المغيرة بن النعمان، عن عبدالله بن الأقبع الباهلي، عن الأحنف بن قيس قال: «كنت جالساً في مسجد المدينة فأقبل رجل لا تراه حلقة إلا فرّوا منه حتى انتهى إلى الحلقة التي كنت فيها فثبت وفروا فقلت: من

رسول الله ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال: « هم الأخسرون ورب الكعبة، فقلت: ومن هم؟ قال: الأكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها

أنت؟ قال: أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ. قال: فقلت ما نفر الناس منك؟ قال: إني أنهاهم عن الكنوز ».

وقال الشيخ الأكبر قدس سره في كتاب الشريعة: واعلم أن الله تعالى لما قال ﴿ الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ كان ذلك قبل الزكاة التي فرض الله على عباده، فلما فرض الله الزكاة على عباده المؤمنين في أموالهم وطهر نفوسهم إذا أعطوها من أن يطلق عليهم اسم البخل لمنعهم ما أوجب عليهم، ثم فسر العذاب الأليم بما هو الحال عليه فقال: ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم﴾ وذلك أن السائل اذا رآه صاحب المال مقبلاً عليه انتصبت أسارير وجهه وهي الخطوط التي في جبهة الإنسان، وقطب وهو المعتاد في الإنسان إذا رأى ما يكره رؤيته فكوى الله بذلك المال جبهته، فإن السائل يعرف ذلك في وجهه فيجد في قلبه ألماً لذلك، ثم قال ﴿وجنوبهم﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥] وذلك أنه اذا رأى السائل قد أقبل تمعّر وجهه وأعطاه جانبه وتغافل عنه عسى يرجع عنه ولا يواجهه بالسؤال فكوى الله جنبه، فإذا علم من السائل أنه يقصده ولا بد أعطاه ظهره وسارع كأنه لم يره وكأنه يريد يفعل شغلاً عرض له، ولا يخفى ذلك على الله فيرجع السائل محروماً. فكوى الله ظهره، فلذا خصّ الجباه والجنوب والظهور بالكي والله أعلم بما أراده.

وقد ألمّ بهذا الولي العراقي في شرح التقريب فنقل عن بعضهم في هذه الثلاثة أن مانع الزكاة إذا جاءه المسكين أعرض بوجهه وإن عاد له تحوّل عنه فيصير إليه جنبه فإن عاد ولاه ظهره، وقال بعضهم: أكلوا بتلك الأموال في بطونهم فصار المأكول في جنوبهم، واكتسوابها على ظهورهم. ويحتمل أنهم أحرموا المسكين بمنعه حقه منها أن يأكل بها في جنبه أو يكتسي بها على ظهره، ويحتمل أن يكون العذاب شاملاً لجميع البدن، وإنما نبه بهذه المذكورات على ما عداها والله أعلم.

(وقال أبو ذر) رضي الله عنه فيما رواه الشيخان، فالبخاري في الإيمان والنذور وفي الزكاة، ومسلم في الزكاة وهذا لفظه: **(انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال: « هم الأخسرون ورب الكعبة »)**قال: فجئت حتى جلست فلم أتقار أن قمت **(فقلت)**: يا رسول الله فداك أبي وأمي **(ومن هم؟ قال:)**هم **(« الاكثرون أموالاً إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه و)** عن **(شماله وقليل ما هم ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت**

وتطؤه بأظلافها كلما نفذت أُخراها عادت عليه أُولاها حتى يقضى بين الناس ». وإذا

وأسمنه فتنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفذت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس ») هذا لفظ مسلم. وفي طريق أخرى وذكر نحو ما تقدم غير أنه قال: « والذي نفسي بيده ما على الأرض رجل يموت فيدع إبلاً أو بقراً أو غنماً لم يؤد زكاتها ».

وفي بعض طرق البخاري « هم الاخسرون ورب الكعبة هم الاخسرون ورب الكعبة قلت ما شأني أترى بي شيئاً ما شأني فجلست وهو يقول: فما استطعت أن أسكت وتغشاني ما شاء الله، فقلت من هم بأبي أنت » الحديث أخرجه في كتاب الإيمان والنذور وذكر الوعيد، على من كانت له ابل أو بقر أو غنم ولم يؤد حقها من حديث أبي ذر بمثل ما ذكره مسلم في ذلك ثم قال: رواه بكير عن أبي صالح، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

وأخرج مسلم من حديث أبي ذر قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة عشاء ونحن ننظر إلى أحد فقال لي رسول الله ﷺ: « يا أبا ذر قال. قلت: لبيك يا رسول الله. قال: ما أحب أن أحداً ذاك عندي ذهب أمسى ثالثة عندي منه دينار إلاَّ دينار أرصده في دين إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وحثا بين يديه وهكذا عن يمينه وهكذا عن شماله. قال: ثم مشينا فقال يا أبا ذر فقلت لبيك يا رسول الله. قال: إن الأكثرين هم الاقلون يوم القيامة إلاَّ من قال هكذا وهكذا وهكذا مثل ما صنع في المرة الأولى » الحديث.

وأخرج أيضاً من حديثه قال: خرجت ليلة من الليالي فإذا برسول الله ﷺ يمشي وحده وليس معه إنسان. قال: فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد. قال: فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرآني، فقال: « من هذا؟ فقال أبو ذر: جعلني الله فداك. قال يا أبا ذر: تعال. قال فمشيت معه ساعة. فقال: إن المكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً فنفح به عن يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً. قال: فمشيت معه ساعة » الحديث.

وأخرج أحمد، وهناد، وعبد بن حميد، وأبو يعلى من حديث أبي سعيد بلفظ: « هلك المكثرون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا وقليل ما هم ». وأخرجه الطبراني في الكبير من حديث عبد الرحمن بن أبزي.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من حديث أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ « يا أبا ذر اعقل ما أقول لك إن المكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال كذا وكذا » الحديث.

وروى مسلم من طريق زيد بن أسلم عن أبي صالح، عن أبي هريرة رفعه « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فكوي بها جبينه وجنبه ثم أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى

يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . قيل : يا رسول الله فالإبل ؟ قال : ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أدخر ما كانت لا يفقد فيها فصيلاً واحداً تطؤه باخفافها وتعضه بأفواهها كلما مرّ عليه أولاها ردّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار .قيل يا رسول الله : فالبقر والغنم ؟ قال : ولا صاحب بقر وغنم لا يؤدي منها حقها إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء فتنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مرّ عليه أولاها ردّ عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، ثم ذكر الخيل والحمر » وفي رواية له : « ما من صاحب إبل لا يؤدي حقها ولم يقل فيها »

أخرج البخاري من هذا الحديث ذكر الخيل الخ . وذكر في الوعيد على من لم يؤد زكاته من رواية شعيب بن أبي حمزة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رفعه « تأتي على صاحبها على خير ما كانت إذا هو لم يعط فيها حقها تطؤه بأخفافها ، وتأتي الغنم على صاحبها على خير ما كانت إذا لم يعط فيها حقها تطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها » .

وروى مسلم عن الزبير سمع جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من صاحب إبل لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت قط وقعد لها بقاع تثير عليه بقوائمها وأخفافها ، ولا صاحب بقر لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بقوائمها ، ولا صاحب غنم لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ليس فيها جماء ولا منكسر قرنها ، ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبعه فاتحاً فاه فإذا أتاه فرّ منه فيناديه خذ كنزك الذي خبأته فأنا غني عنه فإذا رأى أنه لا بدّ منه سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل » . قال أبو الزبير : سمعت عبيد بن عمير يقول هذا القول ، ثم سألنا جابر بن عبد الله عن ذلك ، فقال مثل قول عبيد بن عمير .

وفي لفظ آخر عن جابر رفعه « ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي حقها إلا أقعد لها يوم القيامة بقاع قرقر تطؤه ذات الظلف بظلفها وتنطحه ذات القرن بقرنها ليس فيها يومئذ جماء ولا مكسورة القرن ، ولا من صاحب مال لا يؤدي زكاته إلا تحول يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبع صاحبه حيث ذهب وهو يفر منه يقال : هذا مالك الذي كنت تبخل به ، فإذا رأى أنه لا بدّ منه أدخل يده في فيه فجعل يقضمها كما يقضم الفحل » . ولم يخرج البخاري عن جابر في هذا شيئاً .

وخرّج عن أبي هريرة رفعه : « كنز أحدكم يوم القيامة شجاع أقرع » وعنه رفعه : « من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه -

كان هذا التشديد مخرجاً في الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا يستغني عن معرفته مؤدي الزكاة وقابضها وينكشف ذلك في أربعة فصول.

يعني بشدقيه ـ ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ﴿لا يحسبن الذين يبخلون﴾ » الآية [آل عمران: ١٨٠] وزاد في طريق أخرى « والله لن يزال يطلبه حتى يبسط يده فيلقمها فاه »، وقال رسول الله ﷺ: « إذا ما رب النعم لم يعط حقها تسلطت عليه يوم القيامة تخبط وجهه بأخفافها » ذكر هذه الزيادة في كتاب الخيل.

تنبيه

فيه فائدتان متعلقتان بحديث مسلم الذي أورده المصنف.

الأولى: قوله « حتى يقضى بين الناس » قال العراقي في شرح الترمذي: يمكن أن يؤخذ منه أن مانع الزكاة آخر من يقضى فيه، وأنه يعذب بما ذكر حتى يفرغ من القضاء بين الناس فيقضى فيه بالنار أو الجنة، ويحتمل أن المراد حتى يشرع في القضاء بين الناس ويجيء القضاء فيه إما في أوائلهم أو وسطهم أو آخرهم على ما يريد الله وهذا أظهر اهـ.

قال ولده في شرح التقريب: قد يشير إلى الأول قوله: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ويقال إنما ذكر في معرض استيعاب ذلك اليوم بتعذيبه لجواز أن يكون القضاء فيه في آخر الناس، وإن احتمل أن يكون فصل أمره في وسطه أو أوّله، والله أعلم.

الثانية: فيه أن هذا الوعيد في حق المسلمين والكفار، فإن في رواية أخرى من هذا الحديث عند مسلم فيرى سبيله إما إلى الجنة هو المسلم، والذي إلى النار فيحتمل أن يكون على سبيل التأبيد فيها فهو الكافر، ويحتمل أن يكون على سبيل التعذيب والتمحيص ثم دخول الجنة وهو المسلم، وفي دخول المسلم في هذا الوعيد رد على المرجئة حيث يقولون: إنه لا يضر مع الإسلام معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، والكتاب والسنّة مشحونتان بما يخالف قولهم واعتذروا عن ذلك بأن المراد به التخويف لينزجر الناس عن المعصية وليس على حقيقته وظاهره وهو باطل، ولو صح قولهم لارتفع الوثوق عما جاءت به الشرائع، واحتمل في كل منها ذلك وهذا يؤدي إلى هدم الشرائع وسقوط فائدتها، والله أعلم.

(وإذا كان هذا التشديد) والوعيد الشديد في حق مانع الزكاة **(مخرجاً في الصحيحين)** للبخاري ومسلم أي اتفقا على إخراج ذلك في كتابيهما وإلى اتفاقهما المنتهى، **(فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجليه)** لأهل ظاهر الشرع **(والخفية)** لأهل باطن الشرع وهم أهل الاعتبار، **(ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على ما لا)** بدّ منه مما لا **(يستغني عن معرفته مؤدي الزكاة)** أي معطيها **(وقابضها، وينكشف)** بيان **(ذلك في أربعة فصول)** هي للكتاب أساس الوصول.

الفصل الأول: في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها.

الثاني: في آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة.

الثالث: في القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه.

الرابع: في صدقة التطوّع وفضلها.

(**الفصل الأول: في**) بيان (**أنواع الزكاة وأسباب وجوبها**).

الفصل (الثاني: في آدابها وشروطها الظاهرة والباطنة)

الفصل (الثالث في القابض) لها (**وشروطها استحقاقه**) لقبضها.

الفصل (الرابع) في صدقة التطوع وفضلها.

ولنذكر بعد كل فصل ما يليق به من الاعتبارات.

الفصل الأول

في أنواع الزكاة وأسباب وجوبها والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعادن وزكاة المعشرات وزكاة الفطر.

النوع الأوّل: زكاة النعم.

ولا تجب هذه الزكاة وغيرها إلا على حُر مسلم ولا يشترط البلوغ، بل تجب في مال

الفصل الاوّل

في أنواع الزكوات

هكذا بلفظ الجمع في النسخ، وفي بعضها بالافراد، **(وأسباب وجوبها، والزكاة باعتبار متعلقاتها ستة أنواع: زكاة النعم)** وهي الإبل والبقر والغنم الإنسيَّة، **(وزكاة المعشرات)** وهو القوت وهو ما يجب فيه العشر، **(وزكاة النقدين)** الذهب والفضة ولو غير مضروب فيشمل التبر، **(وزكاة التجارة، وزكاة الركاز والمعادن، وزكاة الفطر)**، وهذه الأنواع ثمانية أصناف من أجناس المال الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والزرع والنخل والكرم، ولذلك وجبت لثمانية أصناف من طبقات الناس، ولما كانت النعم أكثر أموال العرب بدأ بها اقتداء بكتاب الصديق رضي الله عنه فقال:

النوع الاوّل: زكاة النعم:

بفتح النون والعين المهملة، وحكى ابن سيده: ان إسكانها لغة وفيها قولان. أحدهما: أنه واحد الانعام يستعمل في الإبل والبقر والغنم وأكثر استعماله في الإبل وخصه بعضهم بالابل والغنم، وهو الذي ذكره في المحكم الثاني: انه يختص بالابل وليست الانعام جمعاً له، فإنها تطلق عليها وعلى البقر والغنم ذكره صاحب المشارق، وحكاه ابن سيده عن ابن الاعرابي.

ثم أشار المصنف قبل الشروع فيها إلى من تجب عليه الزكاة فقال: **(ولا تجب هذه الزكاة وغيرها إلاّ على)** كل **(حر مسلم)**. أما الإسلام فلقول أبي بكر رضي الله عنه: « هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين » رواه البخاري. فلا تجب على الكافر الاصلي

لأنه ليس بمطالب بإخراجها في الحال ولا زكاة عليه بعد الإسلام عن الماضي، وأما المرتد فلا يسقط عنه ما وجب عليه في الاسلام، وإذا حال الحول على ماله في الردة فطريقان. أحدهما: قال ابن سريج تجب الزكاة قطعاً كالنفقات والغرامات، والثاني: وهو الذي قاله الجمهور يبنى على الأقوال في ملكه. إن قلنا يزول بالردة فلا زكاة، وإن قلنا لا يزول وجبت، وإن قلنا موقوف فالزكاة موقوفة أيضاً، وإذا قلنا تجب فالمذهب أنه إذا أخرج في حال الردة أجزأه كما لو أطعم عن الكفارات.

وقال صاحب التقريب: لا يبعد أن يقال لا يخرجها ما دام مرتداً، وكذا الزكاة الواجبة قبل الردة فإن عاد إلى الاسلام أخرج الواجبة في الردة وقبلها وإن مات مرتداً بقيت العقوبة في الآخرة.

قال إمام الحرمين: هذا خلاف ما قطع به الأصحاب، لكن يحتمل أن يقال: إذا أخرج في الردة ثم أسلم هل يعيد الإخراج. فيه وجهان كالوجهين في أخذ الزكاة من الممتنع كذا في الروضة، وأما الحرية فهي الشرط الثاني، فلا تجب على رقيق ولو مدبراً أو معلقاً عتقه بصفة وأم ولد لعدم ملكه، وعلى القول القديم يملك بتمليك سيده ملكاً ضعيفاً ومع ذلك لا زكاة عليه ولا على سيده على الأصح.

وعبارة الروضة: ولا تجب الزكاة على المكاتب فإن عتق وفي يده مال ابتدأ الحول عليه، وأما العبد القن فلا يملك بغير تمليك السيد قطعاً ولا بتمليكه على المشهور، فإن ملكه السيد مالاً زكوياً وقلنا لا يملك، فالزكاة على سيده، وإذا قلنا يملك فلا زكاة على العبد قطعاً لضعف ملكه ولا على السيد على الأصح لعدم ملكه، والثاني تجب لأن تصرفه ينفذ فيه والمدبر وأم الولد كالقن، ومن بعضه حر يلزمه زكاة ما ملكه بحريته على الصحيح لتمام ملكه، والثاني لا يلزمه كالمكاتب.

تنبيه:

ضم صاحب الحاوي إلى الإسلام والحرية شرطين آخرين. أحدهما: كونه لمعين فلا زكاة في الموقوف على جهة عامة وتجب في الموقوف على معين. الثاني: كونه متعين الوجود فلا زكاة في مال الحمل الموقوف له بارث أو وصية على الأصح، فلو انفصل الجنين ميتاً فيتجه كما قال الأسنوي عدم الوجوب على الورثة لضعف ملكهم، ويمكن كما قال الولي العراقي في شرح البهجة الاحتراز عن هذا الشرط بقوله: وتجب في حال الصبا كذا في شرح المنهاج للخطيب.

(ولا يشترط البلوغ والعقل بل تجب في مال الصبي والمجنون) لشمول الحديث السابق لهما، وبالقياس على زكاة المعشرات وزكاة الفطر فإن الخصم قد وافق عليهما ولأن المقصود من الزكاة سد الخلة وتطهير المال ومالهما قابل لأداء النفقات والغرامات كقيمة ما اتلفاه. وقال في الروضة: ويجب على الولي إخراجها من مالهما فإن لم يخرج أخرج الصبي بعد بلوغه والمجنون بعد

الصبي والمجنون هذا شرط من تجب عليه. وأما المال؛ فشروطه خمسة: أن يكون نعماً

الإفاقة زكاة ما مضى. **(هذا شرط من تجب عليه الزكاة)** عند الشافعي رضي الله عنه، وقال أصحابنا: لا تجب الزكاة إلا على حر مسلم عاقل بالغ، أما الحرية فلأن كمال الملك بها، وأما الاسلام فلأن الزكاة عبادة ولا تتحقق من الكافر، وليس على الصبي والمجنون زكاة لقوله ﷺ «رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى ينتبه». وفي إيجاب الزكاة عليهما إجراء القلم عليهما ولأنها عبادة فلا تتأدى إلا بالاختيار تحقيقاً لمعنى الابتلاء ولا اختيار لهما لعدم العقل، ولو فاق في بعض السنة فهو بمنزلة الإفاقة في بعض الشهور في الصوم، وعن أبي يوسف أنه يعتبر أكثر الحول ولا فرق بين الأصل والعارض، وعن أبي حنيفة أنه إذا بلغ مجنوناً يعتبر الحول من وقت الإفاقة بمنزلة الصبي.

تنبيه:

ذكر البيهقي في السنن في باب من تجب عليه الصدقة، عن عمرو بن شعيب، عن سعيد بن المسيب، عن عمر أنه قال: «ابتغوا بأموال اليتامى لاتأكلها الزكاة». وقال: إسناده صحيح.

قلت: كيف يكون صحيحاً ومن شرط الصحة الاتصال، وسعيد ولد لثلاث سنين مضت من خلافة عمر ذكره مالك وأنكر سماعه منه. وقال ابن معين: رآه وكان صغيراً ولم يثبت له سماع منه، وروى البيهقي نفسه في كتاب المدخل بسنده إلى مالك أنه سئل هل أدرك ابن المسيب عمر؟ قال: لا، ولكنه ولد في زمانه، فلما كبر أكب على المسألة عن شأنه حتى كأنه رآه، ولهذا لم يخرج الشيخان لابن المسيب عن عمر شيئاً، ثم ان هذا الأثر اختلف فيه، فرواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن شعيب عن عمر، ولم يذكر ابن المسيب، وخالفه حماد بن زيد فرواه عن عمرو بن دينار، عن مكحول ولم يذكر ابن المسيب ولا عمرو بن شعيب كذا ذكره الدارقطني في علله، ثم ان ابن المسيب خالف هذا الأثر. قال ابن المنذر في الإشراف: لا يزكي الصبي حتى يصلي ويصوم، وهو قول النخعي وأبي وائل والحسن وسعيد بن المسيب، وهذا لأن الزكاة عبادة فلا تجب على الصبي لارتفاع القلم عنه كالحج والصلاة.

فصل

في أن الزكاة نوعان:

قال أصحاب الشافعي رضي الله عنه: الزكاة نوعان. زكاة الأبدان وهي زكاة الفطر ولا تتعلق بالمال إنما يراعى فيها إمكان الاداء، والثاني: زكاة الأموال وهي ضربان. أحدهما: يتعلق بالمالية والقيمة وهي زكاة التجارة، والثاني: يتعلق بالعين والأعيان التي تتعلق بها الزكاة ثلاثة حيوان وجوهر ونبات، فتختص من الحيوان بالنعم، ومن الجواهر بالنقدين، ومن النبات بما يقتات. ولما كانت النعم أكثر أموال العرب بدأ بها المصنف، اقتداء بكتاب الصديق رضي الله عنه فقال:

سائمة باقية حولاً نصاباً كاملاً مملوكاً على الكمال.

الشرط الأول: كونه نعماً فلا زكاة إلا في الإبل والبقر والغنم. أما الخيل والبغال والحمير والمتولد من بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها.

(**فأما المال فشروطه خمسة**). أحدها: (**أن يكون**) المال (**نعماً**) متمحضة وإنما سميت نعماً لكثرة نعم الله فيها على خلقه لأنها تتخذ للنماء غالباً لكثرة منافعها. الثاني: أن تكون تلك النعم (**سائمة**). الثالث: أن يكون المال (**باقياً حولاً**)، والمراد دوام الملك فيه للحول. الرابع: أن يكون (**نصاباً كاملاً**). الخامس: أن يكون (**مملوكاً على الكمال**)، فهذه شروط خمسة. وهكذا عدها النووي في المنهاج، وعدها في الروضة تبعاً للمصنف في الوجيز ستة، فجعل الحول شرطاً، ودوام الملك للحول الذي عبر عنه المصنف بالبقاء شرطاً آخر.

(**الشرط الأول: كونه نعماً فلا زكاة إلا في الإبل والبقر والغنم**) الإنسية. أفاد بذلك أن الثلاثة تسمى نعماً عند العرب ولا تجب في حيوان غيرها، وإليه أشار بقوله: (**أما الخيل**) هو مؤنث اسم جمع لا واحد له من لفظه يطلق على الذكر والأنثى سميت لاختيالها في مشيها، (**والبغال**): جمع بغل وهو المتولد من الحمار والفرس، (**والحمير**) جمع حمار، وهكذا ذكروا في القرآن نسقاً واحداً، (**والمتولد من بين الظباء**) بالكسر والمد جمع ظبي وهو الغزال، (**والغنم**) سواء كانت الغنم فحولاً أو أمات. كذا في الروضة (**فلا زكاة فيه**)، وكذا كل متولد بين زكوي وغيره لأن الأصل عدم الوجوب كذا في شرح الخطيب، حتى لو كانت له تسعة وثلاثون غنماً وتم أربعون بما تولد من الظباء والغنم وحال عليه الحول لم يجب. كذا في شرح تحرير المحرر. وقال أصحابنا: من كان له خيل سائمة ذكور واناث أو أناث فإن شاء أعطى عن كل فرس ديناراً وإن شاء قوّمها وأعطى من كل مائتي درهم خمسة دراهم. هذا عند أبي حنيفة وهو قول زفر. وقال أبو يوسف ومحمد: لا زكاة في الخيل لقوله عليه السلام «ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة» ولأبي حنيفة قوله ﷺ «في كل فرس سائمة دينار أو عشرة دراهم» وتأويل ما روياه فرس الغازي وهو المنقول عن زيد بن ثابت. والتخيير بين الدينار والتقويم مأثور عن عمر، وليس في ذكورها منفردة زكاة لأنها لا تتناسل. وكذا في الاناث المنفردات في رواية، وعنه الوجوب فيها لأنها تتناسل بالفحل المستعار بخلاف الذكور، وعنه تجب في الذكور المنفردة أيضاً. كذا في الهداية. ولا زكاة في البغال والحمير ليسا للتجارة لأنه ﷺ لما سئل عنها فقال «لم ينزل عليَّ فيها شيء إلا الآية الجامعة ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ وقوله ﷺ «ليس في الكسعة صدقة» الكسعة الحمير.

وروى أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، عن الزهري أن عثمان كان يصدق الخيل، وعنه: أن السائب ابن أخت نمر أخبره أنه كان يأتي عمر بصدقة الخيل.

وأما المتولد بيْن الظباء والغنم وبين البقر الإنسية والوحشية فقال أبو حنيفة: إن كانت الأمّات

الثاني: السوم فلا زكاة في معلوفة وإذا أسيمت في وقت وعلفت في وقت فظهرت بذلك مؤنتها فلا زكاة فيها.

وحشية فلا تجب فيها الزكاة، وإن كانت الأمات أهلية تجب. ومذهب مالك كذلك فيما حكاه ابن نصر. وقال أحمد: تجب فيها سواء كانت الأمَّات أهلية والفحولة وحشية أو الأمات وحشية والفحولة أهلية كذا نقله ابن هبيرة في الافصاح.

وفي شرح المنهاج للخطيب ما نصه: وقال أحمد تجب الزكاة في المتولد مطلقاً، وأبو حنيفة إن كانت الأمات غنماً، وأما المتولد من واحد من الغنم ومن آخر فيها كالمتولد بين إبل وبقر فقضية كلامهم أنها تجب فيه.

وقال الولي العراقي في مختصر المهمات: ينبغي القطع به. قال: والظاهر أنه يزكى زكاة أخفها فالمتولد بين الإبل والبقر يزكى زكاة البقر لأنه المتيقن اهـ فتأمل ذلك مع ما اتبعناه من نقل المذهب.

(الثاني: السوم) وهو الرعي بالكلأ. يقال: سامت الماشية سوماً أي رعت واسامها صاحبها وهي سائمة وهن السوائم. **(فلا زكاة في معلوفة)** وهي التي تعلف في البيوت، وقد علفها علفاً وأعلفها لغة فيه. وفي خبر أنس «وفي صدقة الغنم من سائمتها» الحديث. دل بمفهومه على نفي الزكاة في معلوفة الغنم، وقيس بها الإبل والبقر. وعند أبي داود وغيره «في كل سائمة إبل في أربعين بنت لبون». وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وإنما شرط السوم فيها لتوفر مؤنتها بالرعي في كلأ مباح، **(ولو أسيمت في وقت وعلفت في وقت فظهرت مؤنتها فلا زكاة فيها)**. وفي الروضة: فإن علفت في معظم الحول ليلاً ونهاراً فلا زكاة، وإن علفت قدراً يسيراً لا يتمّون فلا أثر له قط، والزكاة واجبة، وإن أسيمت في بعض الحول وعلفت دون معظمه فأربعة أوجه.

أحدها: وهو الذي قطع به الصيدلاني وصاحب المهذب وكثير من الائمة: إن علفت قدراً تعيش الماشية بدونه لم يؤثر ووجبت الزكاة، وإن كان قدراً لو لم ترع لم تجب الزكاة. قالوا: والماشية تصبر اليومين ولا تصبر الثلاثة غالباً. وقال إمام الحرمين: ولا يبعد أن يلحق الضرر البين بالمهالك على هذا الوجه.

والوجه الثاني: إن علفت قدراً يعد مؤنة بالإضافة إلى رفق السائمة فلا زكاة وإن احتقر بالإضافة إليه وجبت الزكاة، وفسر الرفق بدرها ونسلها وأصوافها وأوبارها، ويجوز أن يقال رفق اسامتها.

الثالث: لا ينقطع الحول ولا تمتنع الزكاة إلا بالعلف في أكثر السنة. وقال إمام الحرمين: على هذا الوجه لو استويا ففيه تردد والظاهر السقوط. قلت: وهو الذي اختاره المصنف هنا.

الرابع: كل ما يتمول من العلف وإن قل يقطع السوم، فإن أسيمت بعده استأنف الحول،

....

ولعل الأقرب تخصيص هذه الأوجه بما إذا لم يقصد بعلفه شيئاً فإن قصد به قطع السوم انقطع الحول لا محالة. كذا ذكره صاحب العمدة وغيره، ولا أثر لمجرد نية العلف، ولو كانت تعلف ليلاً وترعى نهاراً في جميع السنة كان على الخلاف. قال النووي: وأصح الأوجه الأربعة أولها وصححه في المحرر اهـ.

تنبيه:

ولو أسيمت في كلأ مملوك فهل هي سائمة أم معلوفة؟ وجهان. حكاهما في البيان كذا في الروضة. أحدهما: وهو المعتمد كما جزم به ابن المقرى، وأفتى به القفال أنها سائمة لأن قيمة الكلأ غالباً تافهة ولا كلفة فيه لعدم جزه. والثاني: إنها معلوفة لوجود المؤنة. ورجح السبكي أنها سائمة إن لم يكن للكلأ قيمة أو كانت قيمة يسيرة لا يعد مثلها كلفة في مقابلة نمائها، وإلا فمعلوفة. أما إذا حزه وأطعمها إياه ولو في المرعى فليست بسائمة كما أفتى به القفال، وجزم به ابن المقري. كذا في شرح المنهاج للخطيب.

وقال أصحابنا: السائمة هي التي تكتفي بالرعي في أكثر السنة حتى لو علفها نصف الحول لا تكون سائمة. قالوا: لأن إسم السائمة لا يزول بالعلف اليسير فلا يمنع دخولها في الخبر، ولأن اليسير من العلف لا يمكن الاحتراز عنه، وقد لا يوجد المرعى في جميع السنة وهو الظاهر، فدعت الضرورة إلى العلف في بعض الفصول، فلو اعتبر اليسير منه لما وجبت الزكاة أصلاً بخلاف ما إذا كان بعض النصاب معلوفاً لأن النصاب بوصف الاسامة علة، فلا بدّ من وجوده في جميعه والحول شرطه فيكتفى بأكثره، وإذا علفها نصف الحول وقع الشك في السبب لأن المال إنما صار سبباً بوصف الاسامة فلا يجب الحكم مع الشك. نقله الزيلعي من الغاية.

فرع:

قال في الروضة: السائمة التي تعمل كالناضح وغيرها فيها وجهان. أصحهما لا زكاة فيها، وبه قطع معظم العراقيين لأنها كثياب البذلة ومتاع الدار اهـ.

قلت: وفي عبارة أصحابنا: السوائم التي فيها الزكاة هي التي تسام للدر والنسل، فإن أسامها لحمل والركوب فلا زكاة فيها، وإن أسامها للبيع والتجارة ففيها زكاة التجارة لا زكاة السائمة لأنهما مختلفان قدراً وسبباً، فلا يجعل أحدهما من الآخر ولا يبنى حول أحدهما على حول الآخر.

فرع:

قال في الروضة: هل يعتبر القصد في العلف والسوم؟ وجهان تتفرع عليهما مسائل. منها: لو اعتلفت السائمة بنفسها القدر المؤثر ففي انقطاع الحول وجهان. الموافق منهما لاختيار الأكثرين في نظائر منه الانقطاع، لأنه فات شرط السوم فصار كفوات سائر شروط الزكاة، ولا فرق بين فقدها قصداً واتفاقاً. ولو سيمت الماشية بنفسها ففي وجوب الزكاة الوجهان. وقيل: لا تجب

الثالث: الحول؛ قال رسول الله ﷺ : « **لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول** » ويستثنى من هذا نتاج المال فإنه ينسحب عليه حكم المال وتجب الزكاة فيه لحول الأصول، ومهما باع المال في أثناء الحول أو وهب انقطع الحول.

هنا قطعاً، ولو علف ماشيته لامتناع الرعي بالمباح وقصد ردّها إلى الإسامة عند الامكان انقطع الحول على الأصح لفوات الشرط، ولو غصب سائمة فعلفها ففيه خلاف يأتي في أن المغصوب هل فيه زكاة أم لا؟ إن قلنا: لا زكاة فيه فلا شيء وإلاّ فأوجه. أصحها عند الأكثرين لا زكاة لفوات الشرط، والثاني تجب لأن فعله كالعدم، والثالث: إن علفها بعلف من عنده لم ينقطع وإلاّ انقطع، ولو غصب معلوفه فأسامها. وقلنا: تجب الزكاة في المغصوب، فوجهان: أصحهما لا تجب، والثاني تجب كما لو غصب حنطة فبذرها يجب العشر فيما ينبت، فإن أوجبناها فهل تجب على الغاصب لأنها مؤنة وجبت في فعله أم على المالك لأن نفع خفة المؤنة عائد إليه؟ فيه وجهان وإن قلنا على المالك ففي رجوعه فيها على الغاصب طريقان. أحدهما: القطع بالرجوع واشهرهما على وجهين أصحهما الرجوع. فإن قلنا: يرجع فيرجع قبل إخراج الزكاة أم بعده؟ وجهان. وقياس المذهب أن الزكاة إن وجبت كانت على المالك ثم يغرم الغاصب، أما إيجاب الزكاة على غير المالك فبعيد.

(**الثالث: الحول**) فلا زكاة حتى يحول عليه الحول. (**قال رسول الله ﷺ « لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول »**)قال العراقي: رواه أبو داود من حديث علي بإسناد جيد، وابن ماجه من حديث عائشة بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: هذا لفظ ابن ماجه وفي إسناده جارية بن أبي الرحال قال ابن حجر: هو ضعيف. وقال البيهقي: ليس بحجة. ورواه الدارقطني هكذا من حديث أنس وفي سنده حسان بن سياه، وكذا ابن عدي في الكامل في ترجمته وضعفه.

وأما لفظ أبي داود في أثناء حديث طويل رواه عن عاصم بن حمزة، وعن الحرث الأعور، عن علي: « ليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول ». واختلف في رفعه. ووقفه بجرير بن حازم قال: كان ابن وهب يزيد في الحديث عن النبي ﷺ وشعبة وسفيان وغيرهما لم يرفعوه. قال المنذري: والحرث وعاصم ليسا بحجة، ففي قول العراقي باسناد جيد نظر، وأراد بالمال النامي كالمواشي والنقود لأن نماءها لم يظهر إلا بمضي مدة الحول عليها. وأما الزرع والثمار فلا يراعى فيها الحول، وإنما ينظر إلى وقت ادراكها واستحصادها فيخرج الحق منها. قاله الخطابي في معالم السنن، ومثله للمناوي في شرح الجامع قال: هذا فيما يرصد للزيادة والنماء أما ما هو نماء في نفسه كحب وثمر فلا يعتبر فيه الحول عند الشافعي اهـ.

(**ويستثنى من هذا نتاج المال فإنه ينسحب عليه حكم المال تجب الزكاة فيه بحول الأصول**) وقال في الروضة: فإنه يضم إلى الأمّات بشرطين.

....

أحدهما: أن يحدث قبل تمام الحول وإن قلّت البقية، فلو حدث بعد الحول والتمكن من الأداء لم يضم إليها في الحول الأول قطعاً، ويضم في الثاني، وإن حدث بعد الحول وقبل إمكان الاداء لم يضم في الحول الماضي على المذهب، وقيل في ضمه قولان.

الشرط الثاني: أن يحدث النتاج بعد بلوغ الأمّات نصاباً، فلو ملك دون النصاب فتوالدت وبلغته ابتدأ الحول من حين بلوغه، وإذا وجد الشرطان فماتت الأمّات كلها أو بعضها والنتاج نصاب زكى النتاج لحول الأمات على الصحيح الذي قطع به الجمهور، وفيه وجه قاله الإنماطي. لا يزكي بحول الأمّات إلا إذا بقي منها نصاب، ووجه ثالث يشترط بقاء شيء من الأمّات ولو واحدة، وفائدة ضم النتاج إلى الأمّات إنما تظهر إذا بلغت به نصاباً آخر بأن ملك مائة شاة فولدت أحداً وعشرين فتجب شاتان، فلو تولد عشرون فقط لم تكن فيه فائدة. أما المستفاد بشراء أو إرث أو هبة فلا يضم إلى ما عنده في الحول، لكن يضم إليه في النصاب على الصحيح، ثم بين ذلك بصور ذكرها ثم قال: والاعتبار في النتاج بالانفصال، فلو خرج بعض الجنين وتم الحول قبل انفصاله فلا حكم له، ولو اختلف الساعي والمالك فقال المالك: حصل النتاج بعد الحول، وقال الساعي: قبل الحول، أو قال حصل من غير النصاب وقال الساعي من نفس النصاب فالقول قول المالك فإن اتهمه حلفه، ولو كان عنده نصاب فقط فهلكت منه واحدة وولدت واحدة في حالة واحدة لم ينقطع الحول، لأنه لم يخل من نصاب.

وقال صاحب البيان: ولو شك هل كان التلف والولادة دفعة أو سبق أحدهما لم ينقطع الحول لأن الأصل بقاؤه، والله أعلم.

وقال أصحابنا: شرط وجوب أداء الزكاة حولان الحول لما أخرجه أبو داود من حديث علي وسبق ذكره، ولأنه الممكن في النمو لاشتماله على الفصول الأربعة التي الغالب فيها تفاوت الاسعار. ولا زكاة في الفصلان والحملان والعجاجيل إلا أن يكون معها كبار. هذا آخر أقوال أبي حنيفة، وبه قال محمد، وكان يقـول أولاً يجب فيها ما يجب في المسان وهو قول زفر ومالك، ثم رجع فقال واحدة منها، وبه أخذ أبو يوسف وعدّ هذا من مناقبه حيث أخذ بكل قول من أقاويله مجتهـد ولم يضع من أقاويله شيئاً. وقال محمد بن شجاع: لو قال قـولاً رابعـاً لأخـذت به. وجه قوله الأول إن الإسم المذكور في الخطاب ينتظم الصغار والكبار، ووجهه الثاني تحقيق النظر من الجانبين كما في المهازيل واحد منها، ووجه قوله الأخير إن المقادير لا يوجبها القياس، فإذا امتنع ايجاب ما ورد به الشرع امتنع أصلاً صورته إذا كان لرجل خمس وعشرون إبلاً وثلاثون بقرة وأربعون غنماً فولدت أولاداً قبل تمام الحول، فهلكت الأمهات وبقي الاولاد أو استفاد صغاراً وهلكت المسان فتم على هذه الأولاد حول الأمهات فلا زكاة فيها لأنه لو أخذ من الصغار ما يؤخذ من الكبار لكان إضراراً ولو أخذ واحداً منها لأدى إلى تقدير المقادير الشرعية بالرأي وذا ممنوع، ولو كان فيها واحد من المسان جعل الكل تبعاً له في انعقادها نصاباً دون تأدية الزكاة حتى لو كان له أربعون جملاً إلا واحدة مسّنة تجب شاة وسط كذا في شرح المختار.

الرابع: كمال الملك والتصرف: **فتجب الزكاة في الماشية المرهونة لأنه الذي حجر**

(ومهما باع المال في أثناء الحول أو وهب انقطع الحول) . وهذه المسألة ذكرها المصنف في الوجيز في الشرط الذي زاده على الخمسة، وتبعه النووي في الروضة وهو بقاء الملك في المال جميع الحول، فلو زال الملك في خلال الحول إما ببيع أو هبة انقطع الحول وكذا المبادلة بأن يبادل بماشية ماشية من جنسها أو من غيره استأنف كل واحد منها الحول، وكذا مبادلة الذهب بالذهب أو بالورق يستأنف الحول إن لم يكن صيرفياً يقصد التجارة به فإن كان فقولان. وقيل: وجهان. أظهرهما ينقطع. ولو باع النصاب في الحول بشرط الخيار وفسخ البيع، فإن قلنا الملك في زمن الخيار للبائع أو موقوف بنى على حوله، وإن قلنا الملك للمشتري استأنف البائع بعد الفسخ، وإذا مات في أثناء الحول وانتقل المال إلى وارثه هل يبنى على حول الميت؟ قولان. القديم نعم، والجديد لا. بل يبتدىء حولاً. وقيل: يبتدىء قطعاً.

قال النووي: المذهب أنه يبتدىء حولاً ولا فرق في انقطاع الحول بالمبادلة والبيع في اثنائه بين أن يكون محتاجاً إليه وبين أن لا يكون، بل قصد الفرار من الزكاة إلا أنه يكره الفرار كراهة تنزيه. وقيل: يحرم وهو خلاف المنصوص وخلاف ما قطع به الجمهور. كذا في الروضة، وعبارة الوجيز: ومن قصد بيع ماله في آخر الحول لسقوط الزكاة صح بيعه وأثم اهـ.

قال الشارح: وفي وجه لا يأثم. وقال مالك وأحمد: لا يصح بيعه. وتقدم للمصنف في كتاب العلم في تقسيم العلم إلى الضار وإلى النافع أنه لا يبرأ في الذمة في الباطن، وأن أبا يوسف كان يفعله، ثم قال: وهذا من العلم الضار، وتكلمنا هناك على هذا. ونقل عن ابن الصلاح أنه كان يقول: يكون آثماً بقصده لا بفعله.

(الرابع: كمال الملك والتصرف) وفي هذا الشرط خلاف يظهر بتفاريع مسائله. وقال المصنف في الوجيز: وأسباب الضعف ثلاثة. امتناع التصرف، وتسلط الغير على ملكه، وعدم قرار الملك. وجميع المسائل في هذا الشرط يتفرع على هذه الأسباب الثلاثة. ومن مسائل هذا الشرط ما أشار إليه بقوله: **(فتجب الزكاة في الماشية المرهونة)** وكذا غيرها من أموال الزكاة، وهذا هو المذهب وبه قطع الجمهور قالوا: **(لأنه هو الذي حجر على نفسه فيها)**. وقيل: فيه وجهان بناء على المغصوب لامتناع التصرف والذي قاله الجمهور تفريع على أن الدين لا يمنع وجوب الزكاة وهو الراجح وفيه خلاف، وإذا أوجبنا الزكاة في المرهون فمن أين يخرج؟ قال في الروضة: إذا رهن مال الزكاة بعد الحول، فالقول في صحة الرهن في قدر الزكاة كالقول في صحة بيعه، فإذا صححنا في قدر الزكاة فما زاد أولى وإن أبطلناه فالباقي يرتب على البيع إن صححناه فالرهن أولى، فإذا صححنا الرهن في الجميع فلم يؤد الزكاة من موضع آخر فللساعي أخذها منه، فإذا أخذها انفسخ الرهن فيها وفي الباقي الخلاف المتقدم في البيع، وإن أبطلناه في الجميع أو في قدر الزكاة وكان الخيار مشروطاً في بيع، ففي فساد البيع قولان. فإن لم يفسد فللمشتري الخيار ولا يسقط خياره بأداء الزكاة من موضع آخر، أما إذا رهن قبل تمام الحول فتم ففي

على نفسه فيه ولا تجب في الضال والمغصوب إلا إذا عاد بجميع نمائه فتجب زكاة ما

وجوب الزكاة خلاف والرهن لا يكون إلا بدين، وفي كون الدين مانعاً من الزكاة الخلاف المعروف. فإن قلنا: الرهن لا يمنع الزكاة، وقلنا الدين لا يمنع أيضاً، أو قلنا يمنع وكان له مال آخر يفي بالدين وجبت الزكاة، وإلاّ فلا. ثم إن لم يملك الراهن مالاً آخر أخذت الزكاة من عين المرهون على الأصح ولا تؤخذ منه على الثاني، فعلى الأصح لو كانت الزكاة من غير جنس المال كالشاة من الإبل بيع جزء من المال فيها، ثم أخذت الزكاة من غير المرهون فأيسر الراهن بعد ذلك فهل يؤخذ منه قدرها ليكون رهناً عند المرتهن؟ إن علقنا الزكاة بالذمة أخذ، وإلاّ فلا على الأصح. وإذا قلنا بالأخذ فإن كان النصاب مثلياً أخذ المثل، وإلاّ فالقيمة على قاعدة الغرامات، أما إذا ملك مالاً آخر فالذي قطع به الجمهور ان الزكاة تؤخذ من سائر أمواله ولا تؤخذ من غير المرهون. وقال جماعة: تؤخذ من عينه إن علقناها بالعين هذا هو القياس، كما لا يجب على السيد فداء المرهون إذا جنى.

ومن تفاريع هذا الشرط ما أشار إليه بقوله: **(ولا تجب الزكاة في الضال)** وهو المال الغائب إن لم يكن مقدوراً عليه لانقطاع الطريق أو انقطاع خبره، **(ولا في)** المال **(المغصوب)** وكذا في المسروق وتعذر انتزاعه، أو أودعه فجحد، أو وقع في بحر، ففي وجوب الزكاة في كل هؤلاء ثلاث طرق. وأصحها أن المسألة على قولين. أظهرهما: وهو الجديد وجوبها، والقديم لا تجب. والطريق الثاني: القطع بالوجوب، والثالث: وهو الذي اختاره المصنف أنها لا تجب. **(إلا إذا عاد)** المال المذكور **(إليه بجميع نمائه)** أي إن عاد **(فتجب فيه زكاة ما مضى عند عوده)**.

فإن قلنا بالطريق الأول فالمذهب أن القولين جاريان مطلقاً، وقيل موضعهما إذا عاد المال بلا نماء، فإن عاد معه وجبت الزكاة قطعاً، وعلى هذا التفصيل لو عاد بعض النماء كان كما لو لم يعد شيء، ولذا قال المصنف: بجميع نمائه. ومعنى العود بلا نماء أن يتلفه الغاصب ويتعذر تغريمه، فأما إن غرم أو تلف في يده شيء كأن يتلف في يد المالك أيضاً، فهو كما لو عاد النماء بعينه. هذا كله إن عاد المال إليه ولا خلاف أنه لا يجب إخراج الزكاة قبل عود المال إليه، فلو تلف في الحيلولة بعد مضي أحوال سقطت الزكاة على قول الوجوب لأنه لم يتمكن والتلف قبل التمكن يسقط الزكاة، وموضع الخلاف في الماشية المغصوبة إذا كانت سائمة في يد المالك والغاصب، فإن علفت في يد أحدهما فالنظر فيه كما تقدم في إسامة الغاصب وعلفه هل يؤثران، وزكاة الأحوال الماضية إنما تجب على قول الوجوب إذا لم تنقص الماشية عن النصاب بما تجب الزكاة بأن كان فيها وقص، أما إذا كانت نصاباً فقط ومضت أحوال، فالحكم على هذا القول لو كانت في يده، ومضت أحوال لم تخرج منها زكاة.

ومن فروع هذا الشرط لو كانت له أربعون شاة فضلت واحدة ثم وجدها إن قلنا لا زكاة

....

في الضال استأنف الحول سواء وجدها قبل تمام الحول أو بعده، وإن أوجبناها في الضال ووجدها قبل تمام الحول بنى، وإن وجدها بعده زكى الأربعين.

ومن فروع هذا الشرط لو دفن ماله في موضع ثم نسيه ثم تذكر، فهذا ضال ففيه الخلاف سواء دفن في داره أو غيره، وقيل: تجب الزكاة هنا قطعاً لتقصيره.

ومن فروع هذا الشرط لو أسر المالك وحيل بينه وبين ماله وجب الزكاة على المذهب لنفوذ تصرفه، وقيل: فيه الخلاف، ولو اشترى مالا زكوياً فلم يقبضه حتى مضى حول في يد البائع، فالمذهب وجوب الزكاة على المشتري، وبه قطع الجمهور. وقيل لا تجب قطعاً لضعف الملك، وقيل: فيه الخلاف الذي في المغصوب.

ومن فروع هذا الشرط المال الغائب إن لم يكن مقدوراً عليه لانقطاع الطريق وانقطاع خبره فكالمغصوب، وقيل تجب قطعاً ولا يجب الإخراج حتى يصل إليه، وإن كان مقدوراً عليه وجب إخراج زكاته في الحال ويخرجها في بلد المال فإن أخرجها في غيره ففيه خلاف. نقل الزيلعي وهذا إذا كان المال مستقراً في موضع فإن كان سائراً قال في العمدة: لا يخرج زكاة حتى يصل إليه فإن وصل زكى الماضي بلا خلاف.

فصل

في أنه يشترط لوجوب الزكاة أن يكون المال نامياً:

وقال أصحابنا: يشترط لوجوب الزكاة أن يكون المال نامياً حقيقة بالتولد والتناسل وبالتجارات، أو تقديراً بأن يتمكن من الاستنماء بأن يكون المال في يده أو يد نامية، لأن السبب هو المال النامي فلا بدّ منه تحقيقاً أو تقديراً، فإن لم يتمكن من الاستنماء فلا زكاة عليه لفقد شرطه مثل مال امضمار كالآبق والمفقود والمغصوب والوديعة إذا نسي المودع وليس هو من معارفه، وإن كان من معارفه تجب عليه زكاة الماضي إذا تذكر، وفي المدفون في كرم أو أرض اختلاف المشايخ. وقال زفر: تجب في جميع ذلك لتحقق السبب وهو ملك نصاب نام، وفوات اليد لا يخل بوجوب الزكاة كمال ابن السبيل، ولنا قول علي رضي الله عنه: «لا زكاة في المال الضمار» موقوفاً ومرفوعاً وهو المال الذي لا ينتفع به مأخوذ من قولهم بعير ضمار إذا كان لا ينتفع به لهزاله، أو من الإضمار وهو الإخفاء والتغييب، ولأن السبب هو المال النامي ولا نماء إلا بالقدرة على التصرف ولا قدرة عليه. كذا قاله الزيلعي.

وقال غيره: الضمار مال تعذر الوصول إليه مع قيام الملك، وفي القاموس: هو من المال الذي لا يرجى رجوعه، وفي البدائع: هو كل مال غير مقدور الانتفاع به مع قيام أصل الملك، والحق بمال الضمار المال المغصوب إذا لم تكن عليه بيّنة إلا في غصب السائمة، فإنه ليس على صاحبها الزكاة، وإن كان الغاصب مقراً كذا في الخانية.

مضى عند عوده، ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه، فإنه ليس غنياً به إذ الغنى ما يفضل عن الحاجة.

وقيد صاحب الدرر المال المدفون أن يكون في مغارة وقضيته أنه إذا دفن في بيت له أو لغيره كبيراً أو صغيراً ليس بضمار فيكون نصاباً. وقال تاج الشريعة: إذا كان البيت كبيراً فحكمه حكم المغارة.

(ولو كان عليه دين مستغرق لماله فلا زكاة عليه، فإنه ليس غنياً به إذ الغنى ما يفضل عن الحاجة) وهو القول القديم للشافعي، وبه قال أبو حنيفة. وعبارة المصنف في الوجيز: وإذا استقرض المفلس مائتي درهم ففي زكاته قولان. وجه المنع ضعف الملك بتسلط مستحق الدين عليه وقد يعلل بادائه إلى تثنية الزكاة إذ تجب على المستحق باعتبار يساره بهذا المال، وعلى هذا إن كان المستحق لا يلزمه الزكاة بكونه مكاتباً أو بكون الدين حيواناً أو ناقصاً عن النصاب وجبت الزكاة على المستقرض، وإن كان المستقرض غنياً بالعقار وغيره لم يمتنع وجوب الزكاة بالدين، وقيل: الدين لا يمنع الزكاة إلا في الأموال الباطنة اهـ.

وقد فصله النووي في الروضة فقال: الدين الثابت على الغير له أحوال. **أحدها:** أن لا يكون لازماً كمال الكتابة فلا زكاة فيه. **الثاني:** أن يكون لازماً وهو ماشية فلا زكاة أيضاً. **الثالث:** أن يكون دراهم أو دنانير أو عرض تجارة فقولان. القديم لا زكاة في الدين بمال، والجديد وهو المذهب الصحيح المشهور وجوبها في الدين على الجملة، وتفصيله: إنه إن تعذر الاستيفاء لاعسار من عليه أو جحوده ولا بينة أو مطله أو غيبته فهو كالمغصوب تجب الزكاة على المذهب. وقيل: تجب في الممطول وفي الدين على مليء غائب قطعاً، ولا يجب الإخراج قبل حصوله قطعاً وإن لم يتعذر استيفاؤه بأن كان على مليء باذل أو جاحد عليه بينة أو يعلمه القاضي. وقلنا: يقضي بعلمه فإن كان حالاً وجبت الزكاة ولزم إخراجها في الحال، وإن كان مؤجلاً فالمذهب أنه على القولين في المغصوب، وقيل: تجب الزكاة قطعاً، وقيل لا تجب قطعاً فإن أوجبناها لم يجب الإخراج حتى يقضيه على الأصح، وعلى الثاني يجب في الحال.

تنبيه:

حاصل الدين في أنه هل يمنع وجوب الزكاة أو لا؟ فيه ثلاثة أقوال. **أظهرها:** وهو المذهب والمنصوص في أكثر الكتب الجديدة لا يمنع، والثاني: يمنع قاله في القديم، واختلاف العراقيين. والثالث: يمنع في الأموال الباطنة وهي الذهب والفضة وعروض التجارة، ولا يمنع في الظاهرة وهي الماشية والزرع والتمر والمعدن لأن هذه نامية بنفسها، وهذا الخلاف جار سواء كان الدين حالاً أو مؤجلاً، وسواء كان من جنس المال أم لا هذا هو المذهب.

وقيل: إن قلنا يمنع عند اتحاد الجنس فعند اختلافه وجهان، فإذا قلنا الدين يمنع فأحاطت بالرجل ديون وحجر القاضي فله ثلاثة أحوال. **أحدها:** يحجر ويفرق ماله بين الغرماء فيزول

....

ملكه ولا زكاة. **والثاني:** أن يعين لكل غريم شيء من ملكه ويمكنهم من أخذه فحال الحول قبل أخذهم، فالمذهب الذي قطع به الجمهور لا زكاة عليه أيضاً لضعف ملكه، وقيل فيه خلاف المغصوب. **الثالث:** أن لا يفرق ماله ولا يعين لكل واحد شيء ويحول الحول في دوام الحجر، ففي وجوب الزكاة ثلاثة طرق. أصحها أنه على الخلاف في المغصوب، والثاني القطع بالوجوب، والثالث القطع به في المواشي لأن الحجر لا يؤثر في نمائها، وأما الذهب والفضة فعلى الخلاف لأن نماءها بالتصرف وهو ممنوع منه.

وإذا قلنا: الدين يمنع الزكاة ففي علته وجهان. أصحهما ضعف ملك المديون، والثاني أن مستحق الدين تلزمه الزكاة، فلو أوجبناها على المديون أيضاً أدى إلى تثنية الزكاة في المال الواحد، وتتفرع على الوجهين مسائل.

احداها: لو كان مستحق الدين ممن لا زكاة عليه كالذمي فعلى الوجه الأول لا تجب وعلى الثاني تجب.

الثانية: لو كان الدين حيواناً بأن ملك أربعين شاة سائمة وعليه أربعون سلماً، فعلى الوجه الأول لا تجب وعلى الثاني تجب. ومثله لو أنبت أرضه نصاباً من الحنطة وعليه مثله سلماً.

الثالثة: لو ملك نصاباً والدين الذي عليه دون نصاب فعلى الأول لا زكاة عليه وعلى الثاني تجب، ولو ملك بقدر الدين مما لا زكاة فيه كالعقار وغيره وجبت الزكاة في النصاب الزكوي على هذا القول أيضاً على المذهب. وقيل: لا تجب بناء على التثنية، ولو زاد المال الزكوي على الدين، فإن كان الفاضل نصاباً وجبت الزكاة فيه وفي الباقي القولان وإلا لم تجب على هذا القول في قدر الدين ولا في الفاضل.

فصل

في أن شرط وجوب الزكاة الفراغ عن الدين:

قال الزيلعي من أصحابنا: شرط وجوب الزكاة الفراغ عن الدين كالفراغ عن الحاجة الأصلية، وهو قول عثمان، وابن عباس، وابن عمر. وكان عثمان يقول: هذا شهر زكاتكم فمن كان عليه دين فليؤدِّ دينه حتى تخلص أمواله فيؤدي منها الزكاة بمحضر من الصحابة من غير نكير. فكان اجماعاً. ولأن الزكاة تجب على الغني لإغناء الفقير ولا يتحقق الغنى بالمال المستقرض ما لم يقبضه، ولأن ملكه ناقص حيث كان للغريم أن يأخذه إذا ظفر بجنس حقه. فصار كمال المكاتب، ولا يلزم على هذا الموهوب له حيث تجب عليه الزكاة، وإن كان للواهب أن يرجع فيه لأنه ليس له أن يأخذه إلا بقضاء القاضي أو برضا الموهوب له فلا يصح رجوعه بدونهما، وفيما قاله الشافعي رضي الله عنه: إن في القول الجديد يلزم تزكية مال في سنة واحدة مراراً بأن كان لرجل عبد يسلوي ألفاً فباعه من آخر بدين، ثم باعه الآخر كذلك حتى تداولته عشرة أنفس

....

مثلاً فحال عليه الحول تجب على كل واحد منهم زكاة ألف والمال في الحقيقة واحد، حتى لو فسخت البياعات بعيب رجع إلى الأول ولم يبق لهم شيء، ولا فرق في الدين بين المؤجل والحال، والمراد بالدين دين له مطالب من جهة العباد حتى لا يمنع دين النذر والكفارة، ودين الزكاة مانع حال بقاء النصاب لأنه ينقص به النصاب، وكذا بعد الاستهلاك خلافاً لزفر فيهما ولأبي يوسف في الثاني لأنه مطالب به من جهة الإمام في الأموال الظاهرة، ومن جهة نوابه في الأموال الباطنة لأن الملاك نوابه، فإن الإمام كان يأخذها إلى زمن عثمان وهو فوضعها إلى أربابها في الأموال الباطنة قطعاً لطمع الظلمة فيها، فكان ذلك توكيلاً منه لأربابها.

وقيل لأبي يوسف: ما حجتك على زفر؟ فقال: ما حجتي على رجل يوجب في مائتي درهم أربعمائة درهم. ومراده: إذا كان لرجل مائتا درهم وحال عليها ثمانون حولاً. ولو طرأ الدين خلال الحول يمنع وجوب الزكاة عند محمد كهلاك النصاب كله. وعند أبي يوسف لا يمنع كنقصان النصاب في أثناء الحول. ثم لا فرق بين أن يكون الدين بطريق الكفالة أو الأصالة حتى لا تجب عليهما الزكاة بخلاف الغاصب وغاصب الغاصب، حيث تجب على الغاصب من ماله دون غاصب الغاصب، والفرق أن الأصيل والكفيل كل واحد منهما مطالب به. أما الغاصبان فكل واحد منهما غير مطالب به بل أحدهما، وإن كان ماله أكثر من الدين زكّى الفاضل إذا بلغ نصاباً لفراغه عن الدين، وإن كان له نصب يصرف الدين إلى أيسرها قضاء.

مثاله: إذا كان له دراهم ودنانير وعروض التجارة وسوائم من الإبل ومن البقر والغنم وعليه دين، فإن كان يستغرق الجميع فلا زكاة عليه، وإن كان لم يستغرق صرف إلى الدراهم والدنانير أولاً إذ القضاء منهما أيسر لأنه لا يحتاج إلى بيعها، ولأنه لا تعلق للمصلحة بعينها ولأنهما لقضاء الحوائج وقضاء الدين منهما، ولأن للقاضي أن يقضي الدين منهما جبراً، وكذا للغريم أن يأخذ منهما إذا ظفر بهما وهما من جنس حقه فإن فضّل الديـن منهما أو لم يكـن لـه منهما شيء صرف إلى العروض لأنها عرضت للبيع بخلاف السوائم فإنها للنسل والدرّ والقنية، فإن لم يكن لها عروض أو فضل الدين عنها صرف إلى السوائم، فإن كانت السوائم أجناساً صرف إلى أقلها زكاة نظراً للفقراء، وإن كان له أربعون شاة وخمس من الابل يخير لاستوائهما في الواجب وقيل يصرف إلى الغنم لتجب الزكاة في الإبل في العام القابل.

فصل

لا زكاة عندنا على الدين المجحود:

ولا زكاة عندنا على الدين المجحود إذا لم تكن عليه بينة، ثم صارت له بعد سنين بأن أقرّ عند الناس، ولو كانت له فيه بيّنة وجبت لأن التقصير جاء من قبله. وقال محمد: لا تجب لأن كل بيّنة لا تقبل وكل قاض لا يعدل، ولو كان الدين على مقر معسر فهو نصاب عند أبي

....

حنيفة تجب فيه الزكاة لأنه يمكنه الوصول إليه ابتداء أو بواسطة التحصيل. وقال الحسن بن زياد: لا تجب إذا كان الغريم فقيراً لأنه لا ينتفع به، وكذا قال محمد: إذا كان مفلساً بناء على تحقق الإفلاس بالتفليس عنده، وأبو يوسف معه فيه، ومع أبي حنيفة في حكم الزكاة رعاية لجانب الفقراء.

قلت: وعبارة الهداية ومن له على آخر دين فجحده سنين ثم قامت له بيّنة لم يزكها لما مضى معناه صارت له بيّنة بأن أقر عند الناس اهـ.

والمراد بهذه البيّنة البينة على الإقرار لا البيّنة على أصل الدين، وإنما لم تجب عليه لأن حجة الإقرار دون حجة البيّنة فكأنه لا حجة له بالنسبة إلى حجة البيّنة، بخلاف ما إذا كانت له حجة البينة وغابت سنين، فإنه تجب عليه زكاة ما مضى.

وقيد في الخانية: الدين المجحود الذي لا بيّنة عليه بما إذا حلفه القاضي وحلف أما قبل ذلك فيكون نصاباً. وقول محمد صحح في التحفة، والخانية، وفي حاشية الدرر لبعض أصحابنا: أن الإمام أبا حنيفة قسم الدين على ثلاثة أقسام قوي وهو بدل القرض وعروض التجارة وثمن السوائم، ومتوسط وهو بدل ما ليس للتجارة كثمن عبيد الخدمة وثياب البذلة وأجرة التجارة، وضعيف وهو بدل ما ليس بمال كالمهر والوصية وبدل الخلع والصلح عن دم العمد والدية والكتابة والسعاية، فالدين إذا كان نصاباً كاملاً وحال عليه الحول عند المديون ثم قبضه الدائن فإن كان المقبوض من الدين القوي يجب عند قبضه أربعين درهماً درهم، وفيما زاد بحسابه، ولا يجب فيما نقص عنه لأن في الكسور لا زكاة فيه عنده، وإن كان من الدين المتوسط يجب عند قبض مائتي درهم خمسة دراهم ويعتبر ما مضى من الحول في الصحيح، ولا يشترط أن يحول عليه الحول بعد القبض، وإن كان من الدين الضعيف يجب عند قبض مائتي درهم خمسة دراهم، ويشترط أن يحول عليه الحول بعد القبض وقال: تجب زكاة ما قبض من أي دين كان قل أو كثر لأن الديون كلها في المالية سواء، والدين ملحق بالعين وتمام الحول عليه في الذمة كتمامه وهو عين، واستثنينا من حكم الدين دين بدل الكتابة والسعاية، وكذا الدية وارش الجراحة قبل الحكم بها في رواية، وله: إن الدين ليس بمال حقيقة لأنه عرض والمال جوهر. وشرعاً لأن من حلف أن لا مال له لا يحنث إذا كانت له ديون غير مقبوضة، فاعتبر الدين بما هو بدله فإن كان بدلاً عن مال تجارة أخذ حكمه فصار قوياً فلا يشترط فيه الحول ولا قبض النصاب الكامل، وإن كان بدلاً عن مال ليس للتجارة فباعتبار كونه بدل مال لا يشترط فيه الحول ولا قبض النصاب، وباعتبار أن المال ليس لتجارة يشترط كل منهما، فشرطنا النصاب دون الحول عملاً بالشبهين وإن كان بدلاً عما ليس بمال يكون ضعيفاً فيشترط الحول والنصاب لأنه ليس بمال باعتبار ذاته ولا باعتبار بدله.

وروى الكرخي أن أبا حنيفة الحق الدين الأوسط بالدين الأخير في اشتراك الحول بعد قبض النصاب نظراً إلى أنه ليس بمال في ذاته وترجيحاً لاعتبار ذاته على اعتبار بدله.

وفي المحيط الخلاف فيما إذا لم يكن له مال غير الدين. فإن كان له مال غير الدين يضم ما قبضه إلى ما عنده اتفاقاً لأنه بمنزلة الفائدة اهـ.

ولو ورث ديناً على رجل فهو كالوسط ولو أجّر داره أو عبده بنصاب إن لم يكونا للتجارة فكالضعيف، وإن كان لها فكالقوي، ولو اختار الشريك تضمين المعتق إن كان المعتق للتجارة فكالوسط وهو الصحيح، وأن كان للخدمة فكذلك أيضاً، ولو اختار استسعاء العبد فكالضعيف.

وفي القنية عن الظهير المرغيناني: ولو أبرأ رب الدين المديون عن الدين بعد الحول فإن كان المديون فقيراً لا يضمن بالاجماع وإن كان غنياً ففيه روايتان اهـ.

تنبيه:

أورد البيهقي في السنن في باب الدين مع الصدقة قول عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي استدل به أصحابنا وسبق ذكره وهو قوله: «هذا شهر زكاتكم فمن كان عليه دين فليؤد دينه حتى تخلص أموالكم فتؤدون منها الزكاة». أورده من طريق الزهري عن السائب بن يزيد عن عثمان أنه خطبنا على منبر رسول الله ﷺ يقول فساقه. وقال: رواه البخاري عن أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهري.

ثم ذكر عن حماد قال: يزكي ماله وإن كان عليه من الدين مثله، ثم قال: وهو قول الشافعي في الجديد وكان يقول: يشبه أن يكون عثمان إنما أمر بقضاء الدين قبل حلول الصدقة في المال، وقوله: «هذا شهر زكاتكم» أي الذي إذا مضى حلت زكاتكم.

قلت: الكلام معه في هذا الباب من وجوه.

أولاً: بأن البخاري لم يذكره في صحيحه هكذا، وإنما ذكر عن السائب أنه سمع عثمان على منبر رسول الله ﷺ لم يزد على هذا. ذكره في كتاب الاعتصام في ذكر المنبر، وكذا ذكر الحميدي في الجمع قال: ومقصود البخاري به إثبات المنبر هكذا تعقبه النووي في شرح المهذب، ونقله الحافظ في تخريج الرافعي.

ثانياً: هذا تأويل مخالف للظاهر، وقد أخرج الطحاوي في أحكام القرآن كلام عثمان ولفظه «فمن كان عليه دين فليقضه وأدّوا زكاة بقية أموالكم». وقوله: زكوا ما بقي من أموالكم دليل على وجوب الزكاة عليه قبل ذلك ولو كان رأيه وجوب الزكاة في قدر الدين لكان أبعد الخلق من إبطال الزكاة تعليمهم الحيلة فيه.

وثالثاً: هذا الأثر رواه مالك في الموطأ، والشافعي عنه عن الزهري، ثم روى عن يزيد بن

الخامس: كمال النصاب:

أما الإبل: فلا شيء فيها حتى تبلغ خمساً ففيها جذعة من الضأن والجذعة هي التي تكون في السنة الثانية أو ثنية من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة. وفي عشر

خصيفة أنه سأل سليمان بن يسار عن رجل له مال وعليه دين أعليه زكاة؟ قال: لا. وقال صاحب التمهيد: قول عثمان رضي الله عنه يدل على أن الدين يمنع الزكاة العين، وأنه لا تجب الزكاة على من عليه دين، وبه قال سليمان بن يسار، وعطاء، والحسن، وميمون بن مهران، والثوري، والليث، وأحمد، وإسحاق، ومالك إلا أنه قال: إن كان عنده عروض تفي بدينه عليه زكاة العين. وقال الاوزاعي: الدين يمنع زكاة العين اهـ.

(**الخامس: كمال النصاب**) أي تمامه بتقدير النبي ﷺ.

(**أما الإبل**): يتناول البخت والعراب، وإنما قدم ذكر الإبل على البقر لكثرة استعمالها عند العرب، ولأنها أشرف أموالهم (**فلا شيء فيها حتى تبلغ خمساً، فإذا بلغت خمساً ففيها جذعة من الضأن، والجذعة**): محركة والذال معجمة (**هي التي تكون في السنة الثانية، أو ثنيـة من المعز وهي التي تكون في السنة الثالثة**)وفي مختار الصحاح، قال ابن الاعرابي: الأجذع وقت ليس بسن ينبت ولا يسقط فالعفاق تجذع لسنة، وربما أجذعت قبل تمامها للخصب فتسمن فيبرع أجذاعها فهي جذعة، ومن الضاب إذا كان من شابين يجذع لستة أشهر إلى سبعة، وإذا كان من هرمين أجذع من ثمانية إلى عشرة اهـ.

وفسره صاحب الهداية من أصحابنا بما أتى عليه أكثر السنة، وفي الأجناس للناطفي: هو ما تم له ثمانية أشهر، وقال الزعفراني: ما تم له سبعة أشهر. وقال الأقطع الجذع عند الفقهاء ما له ستة أشهر. قال في البحر: وهو الظاهر.

وأما الثني كغني ما تم له سنة وهي ثنية، والغنم اسم جنس يقع على الذكر والأنثى شامل للضأن والمعز، والضأن اسم للذكر، والنعجة للأنثى والمعز بالفتح والتحريك نوع من الغنم. والضـأن والمعز وإن كانا مختلفي النوع لكنهما متفقان في الحكم أي في تكميل النصاب، ثم أن تعبير المصنف بهذا هنا مع أن النص ورد في حديث أنس عند البخاري وغيره « **في كل خمس ذود شاة** ». وهكذا عبر به في الوجيز وتبعه النووي في الروضة، وهكذا هو في كتب أصحابنا، واسم الشاة يقع على الذكر والأنثى كما سيأتي بيانه في زكاة الغنم.

وقال الخطيب في شرح المنهاج: وإنما وجبت الشاة وإن كان وجوبها على خلاف الأصل للرفق بالفريقين لأن إيجاب البعير يضر بالمالك وإيجاب جزء من بعير وهو الخمس مضر به وبالفقراء اهـ.

وقال شارح المختار من أصحابنا: وإنما وجب الشاة مع أن الأصل في الزكاة أن يجب في كل

شاتان، وفي خمس عشرة ثلاث شياه، وفي عشرين أربع شياه. وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي في السنة الثانية، فإن لم يكن في ماله بنت مخاض، فابن لبون ذكر وهو الذي في السنة الثالثة يؤخذ وإن كان قادراً على شرائها. وفي ست وثلاثين ابنة لبون. ثم إذا بلغت ستاً وأربعين ففيها حقة وهي التي في السنة الرابعة. فإذا صارت إحدى

نوع منه لأن الإبل إذا بلغت خمساً كان مالاً كثيراً لا يمكن اخلاؤه عن الواجب، ولا يمكن إيجاب واحدة منها لما فيه من الإجحاف، ولأنه يكون خمساً. وفي إيجاب الشقص ضرر عيب الشركة. زاد في السراج في شرح القدوري، وقيل لأن الشاة كانت تقوّم بخمسة دراهم ذلك الوقت، وبنت المخاض بأربعين درهماً، وإيجاب الشاة في الخمس من الإبل كإيجاب الخمسة في المائتين من الدراهم. **(وفي عشر)** من الإبل **(شاتان)** أي لا تزيد الزكاة إذا زادت الإبل فوق الخمس إلا اذا بلغت عشراً فإذا بلغته ففيها شاتان.**(وفي خمس عشرة ثلاث شياه، وفي عشرين أربع شياه، وفي خمس وعشرين بنت مخاض وهي التي تكون)** أي تدخل **(في السنة الثانية)**. اعلم أن المخاض إسم للنوق الحوامل واحدتها خلفة لا واحد لها من لفظها، وبنت مخاض وابن مخاض ما دخل في السنة الثانية لأن أمه لحقت بالمخاض وهي الحوامل وإن لم تكن حاملاً وقيل: هو الذي حملت أمه أو حملت الإبل التي معها أمه وإن لم تحمل هي، وهذا هو المعنى في قولهم بنت مخاض لأن الناقة الواحدة لا تكون بنت نوق، فالمراد أن يكون في وقت قد حملت النوق التي وضعت مع أمها، وإن لم تكن أمها حاملاً فنسبتها إلى الجماعة بحكم مجاورتها أمها، وإنما سمي ابن مخاض في السنة الثانية لأن العرب إنما كانت تحمل على الإبل بعد وضعها بسنة ليشتد ولدها فهي تحمل في الثانية وتمخض فيكون ولدها ابن مخاض، **(فإن لم يكن في المال بنت مخاض فابن لبون ذكر)** ذكر الذكر تأكيداً، وقيل احترازاً من الخنثى، فقد أطلق عليه الإسمان، وقيل منبهاً على بعض الذكورية في الزكاة مع ارتفاع السن، وقيل: لأن الولد يقع على الذكر والأنثى، ثم قد يوضع الإبن موضع الولد فيعبر به عن الذكر والأنثى فقيد به ليزول الالتباس، وقيل: لأن ابن يقال لذكر بعض الحيوانات وإناثه كابن آوى وابن عرس لا يقال بنت آوى ولا بنت عرس فرفع الاشكال بذكر الذكر، **(وهو)** أي ابن لبون من ولـد الناقة **(الذي يكون)** يدخل بعد أن استكمل الثانية **(في السنة الثالثة)**، والانثى بنت لبون سمي بذلك لأن أمه ولدت غيره فصار لها لبن وجمع الذكر كالاناث بنات لبون وهو نكرة وتعرف بالألف واللام. قال الشاعر:

وابـن اللبـون إذا ما لز في قـرن لم يستطع صـولـة البـذل القنـاعيس

(يؤخذ وإن كان قادراً على شرائها). وعبارة الوجيز: فإذا بلغت خمساً وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض أنثى، فإن لم يكن في ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر، **(وفي ست وثلاثين)** إلى خمس وأربعين **(بنت لبون ثم إذا بلغت ستاً وأربعين)** إلى ستين **(ففيها**

وستين ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة، فإذا صارت ستاً وسبعين ففيها بنتا لبون. فإذا صارت إحدى وتسعين ففيها حقتان، فإذا صارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون. فإذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب، ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون.

حقة) بالكسر، **(وهي التي)** تكون **(في السنة الرابعة)**. قال الخطابي: الحق بالكسر هو الذي استكمل السنة الثالثة قاله الهروي، وقيل هو ما كان ابن ثلاث سنين وقد دخل في الرابعة. وقيل ما دخل في الرابعة إلى آخرها، والأنثى حقة والجمع حقاق وجمع الحقة حقق كسدرة وسدر، وسميت حقة لأنها استحقت أن يضربها الفحل، وقيل: لأنها تستحق الحمل والركوب، وقيل لأن أمها استحقت الحمل من العام المقبل، **(فإذا صارت إحدى وستين)** إلى خمسة وسبعين **(ففيها جذعة وهي التي في السنة الخامسة)** هكذا فسره الخطابي في معالم السنن، وإنما سميت بها لأنها لا يستوفى ما يطلب منها إلا بضرب تكلف وحبس مأخوذ من قولك جذعت الدابة إذا حبستها من غير علف. قال شارح المختار من أصحابنا. وهذه الأسنان صغار كلها لا تجوز في الضحايا، وإنما تجوز التضحية بالثني وهو ما استكمل الخامسة ودخل في السادسة، **(فإذا صارت ستاً وسبعين)** إلى تسعين **(ففيها بنتا لبون فإذا صارت إحدى وتسعين)** إلى عشرين ومائة **(ففيها حقتان، فإذا صارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون)** بهذا اشتهرت كتب الصدقات من رسول الله ﷺ، وإنما اختار الشرع ذلك تيسيراً على أرباب المواشي، وجبرت ذلك بالانوثة لأن الانوثة تعد فضلاً في الإبل. كذا ذكره فخر الإسلام في المبسوط، **(فإذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب)** ثم يدور الحساب على الأربعينات والخمسينات **(ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون)**، وفيه خلاف لأبي حنيفة ومالك وأحمد ووجه في المذهب. قال في الوجيز بعد ما ذكر هذا، وكل ذلك لفظ أبي بكر رضي الله عنه في كتاب الصدقة، وبنت المخاض لها سنة، وبنت اللبون لها سنتان، وللحقة ثلاث، وللجذعة أربع اهـ.

والحديث الذي أشار إليه هو ما أخرجه البخاري، وابن ماجه من حديث عبدالله بن المثنى الأنصاري، عن عمه ثمامة.

وأخرجه أبو داود والنسائي من طريق حماد وهو ابن سلمة واللفظ لأبي داود قال: أخذت من ثمامة بن عبدالله بن أنس كتاباً زعم أن أبا بكر رضي الله عنه كتبه لأنس وعليه خاتم رسول الله ﷺ حين بعثه مصدقاً وكتب له، فإذا فيه: « **هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين التي أمر الله بها نبيه ﷺ. فمن سألها من المسلمين على وجهها فليعطها ومن سأل فوقها فلا يعطه فيما دون خمس وعشرين من الإبل الغنم في كل خمس ذود شاة، فإذا بلغت خمساً** وعشرين ففيها ابنة مخاض إلى أن تبلغ خمساً وثلاثين، فإن لم يكن فيها بنت مخاض فابن لبون ذكر، فإذا بلغت ستاً وثلاثين ففيها بنت لبون إلى خمس وأربعين، فإذا بلغت ستاً وأربعين ففيها

حقة طروقة الفحل إلى ستين، فإذا بلغت إحدى وستين ففيها جذعة إلى خمس وسبعين، فإذا بلغت ستاً وسبعين ففيها ابنتا لبون إلى تسعين، فإذا بلغت إحدى وتسعين ففيها حقتان طروقتا الفحل إلى عشرين ومائة، فإذا زادت على عشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين حقة» الحديث بطوله.

وأخرجه الدارقطني من حديث النضر بن شميل، عن حماد بن سلمة قال: أخذنا هذا الكتاب من ثمامة بن عبدالله بن أنس، فحدثه عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ وقال: إسناد صحيح وكلهم ثقات.

وقال الشافعي: حديث أنس حديث ثابت من جهة حماد بن سلمة وغيره عن رسول الله ﷺ وبه نأخذ.

قلت: وبه قال أحمد في رواية وعند مالك وأحمد في رواية أخرى، ولو زاد عشرة على مائة وعشرين فالخبرة للساعي بين حقتين وثلاث بنات لبون وبنت مخاض.

فصل

قال في الروضة: فإذا زادت على مائة وعشرين واحدة وجب ثلاث بنات لبون، والصحيح لا يجب إلا حقتان، وإذا زادت واحدة وأوجبنا ثلاث بنات لبون، فهل للواحدة قسط من الواجب؟ وجهان. قال الاصطخري: لا. وقال الاكثرون: نعم ثم بعد مائة وإحدى وعشرين يستقر الأمر فيجب في كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة، وإنما يتغير الواجب بزيادة عشرة مثاله في مائة وثلاثين بنتا لبون وحقة، وفي مائة وأربعين حقتان وبنتا لبون، وفي مائة وخمسين ثلاث حقاق، وفي مائة وستين أربع بنات لبون، وفي مائة وسبعين ثلاث بنات لبون وحقة، وفي مائة وثمانين بنتا لبون وحقتان وعلى هذا أبداً.

فصل

وقال أصحابنا ثم إذا زاد على مائة وعشرين تستأنف الفريضة فيكون في الخمس شاة كالأول إلى مائة وخمس وأربعين ففيها حقتان وبنت مخاض إلى مائة وخمسين ففيها ثلاث حقاق، ثم يستأنف الفريضة فيكون في الخمس شاة كالأول إلى مائة وخمس وسبعين ففيها ثلاث حقاق وبنت مخاض، وفي مائة وست وثمانين ثلاث حقاق وبنت لبون، وفي مائة وست وتسعين أربع حقاق إلى مائتين، ثم تستأنف الفريضة أبداً كما استؤنف بعد المائة والخمسين، ومعنى هذه الجملة أن الفريضة تستأنف بعد المائة والعشرين، فيجب في كل خمس ذود شاة مع الحقتين إلى خمس وعشرين ففيها بنت مخاض مع الحقتين، فيكون هذا مع المائة الأولى مائة وخمساً وأربعين، وهو المراد بقولهم إلى مائة وخمس وأربعين ففيها حقتان وبنت مخاض، ثم إذا زادت خمساً يجب فيها ثلاث حقاق، وهو

....

المراد بقولهم وفي مائة وخمسين ثلاث حقاق والعفو فيه بين الواجبات أربعة أربعة. ثم تستأنف الفريضة فيجب في كل خمس شاة مع ثلاث حقاق إلى خمس وعشرين فيجب فيها بنت مخاض مع ثلاث حقاق فيكون مع الأول مائة وخمس وسبعون وهو المراد بقولهم وفي مائة وخمس وسبعين ثلاث حقاق وبنت مخاض، وفي ست وثلاثين بنت لبون مع ثلاث حقاق فيكون مع الأول مائة وست وثمانون، وهو المراد بقولهم: وفي مائة وست وثمانين ثلاث حقاق وبنت لبون. وفي ست وأربعين حقة مع الثلاث الأول فيكون جملة الإبل مائة وستا وتسعين، وهو المراد بقولهم: وفي مائة وست وتسعين أربع حقاق، فإذا تم خمسين وهو مائتان مع الأول تستأنف الفريضة دائماً كما استؤنف في هذه الخمسين التي بعد المائة والخمسين والعفو فيه بين الواجبات ظاهر لأنه مثل ما كان في الابتداء لا في صورة واحدة، وهي ما إذا وجب الحقة في ست وأربعين فإن العفو فيها في الأول إلى واجب آخر أربع عشرة، وهنا ثمانية في كل ذود، وهو المراد بقولهم: ثم تستأنف الفريضة أبداً كما بعد مائة وخمسين، ودليلنا فيما ذكرناه كتاب رسول الله ﷺ إلى عمرو بن حزم فكان فيه « إذا بلغت إحدى وتسعين ففيها حقتان إلى أن تبلغ عشرين ومائة، فإذا كانت أكثر من ذلك ففي كل خمسين حقة، وفي كل أربعين بنت لبون فما فضل فإنه يعاد إلى أول فرائض الإبل، فما كان أقل من خمس وعشرين ففيه الغنم ففي كل ذود شاة » رواه أبو داود والترمذي والطحاوي.

وقال ابن الجوزي، قال أحمد بن حنبل: حديث ابن حزم في الصدقات صحيح ومذهبنا منقول عن ابن مسعود وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وكفى بهما قدوة وهما أفقه الصحابة وعلي كان عاملاً فكان أعلم بحال الزكاة وما رواه الشافعي قد عملنا بموجبه فإننا أوجبنا في أربعين بنت لبون وفي خمسين حقة، فإن الواجب في الأربعين ما هو الواجب في ست وثلاثين، والواجب في الخمسين ما هو الواجب في ست وأربعين، ولا يتعرض هذا الحديث لنفي الواجب عما دونه فنوجبه بما رويناه ونحمل الزيادة فيما رواه الشافعي على الزيادة الكثيرة جمعاً بين الأخبار. ألا ترى ما يرويه الزهري عن سالم عن أبيه أنه قال: « كان رسول الله ﷺ قد كتب الصدقة ولم يخرجها إلى عماله حتى توفي، ثم أخرجها أبو بكر من بعده فعمل بها حتى توفي، ثم أخرجها عمر فعمل بها حتى توفي، ثم أخرجها عثمان فعمل بها، ثم أخرجها علي فعمل بها، فكان فيها في إحدى الروايات في إحدى وتسعين حقتان إلى عشرين ومائة، فإذا كثرت الإبل ففي كل خمسين حقة وفي كل أربعين بنت لبون » الحديث. رواه داود والترمذي وبزيادة الواحد لا يقال كثرت. وهذا يؤيد ما ذكرنا بل ينص عليه.

وقد وردت أحاديث كلها تنص على وجوب الشاة بعد المائة والعشرين ذكرها الشمس السروجي في شرحه على الهداية، ولأن الواحدة الزائدة على مائة وعشرين إن كان لها حصة من الواجب يكون في كل أربعين ثلاث بنات لبون. فيه من مخالفاً لحديثه لأنه أوجبها في كل

أربعين، وإن لم يكن لها صحة من الواجب كما هو مذهبه فهو مخالف لأصول الزكاة، فإن ما لا يكون له حظ من الواجب لا يتغير به الواجب، والله أعلم.

تنبيه:

حديث عمرو بن حزم الذين احتج به أصحابنا هو ما رواه الطحاوي عن سليمان بن شعيب: حدثنا الخصيب بن ناصح ح.

وعن أبي بكرة: حدثنا أبو عمر الضرير قال: حدثنا حماد بن سلمة قال، قلت لقيس بن سعد اكتب لي كتاب أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، فكتب لي في ورقة ثم جاء بها وأخبرني أنه أخذه من أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وأخبرني أن النبي ﷺ كتبه لجده عمرو بن حزم في ذكر ما يخرج من فرائض الإبل، فكان فيه: «أنها إذا بلغت تسعين ففيها حقتان إلى أن تبلغ عشرين ومائة، فإذا كانت أكثر من ذلك ففي كل خمسين حقة فما فضل فإنه يعاد إلى أول فريضة الإبل، فما كان أقل من خمس وعشرين ففيه في كل خمس ذود شاة» وقد أخرجه البيهقي في السنن وقال: هو منقطع. وقيس أخذه عن كتاب لا سماع، وكذلك حماد بن سلمة أخذه عن كتاب لا سماع، وقيس وحماد وإن كانا من الثقات فروايتها هذه بخلاف رواية الحفاظ من كتاب عمرو، وحماد ساء حفظه في آخر عمره، فالحفاظ لا يحتجون بما يخالف فيه ويتجنبون ما ينفرد به عن قيس بن سعد وأمثاله. هذا آخر كلامه.

قلت: قد صرح الحفاظ أن كل ما روي عن رسول الله ﷺ في هذا الباب منقطع، فإن كنتم لا تسوغون لمخالفكم الاحتجاج بالمنقطع في غير هذا الباب، فلم تحتجون عليه في هذا الباب؟ فأن وجب أن يكون عدم الاتصال في موضع من المواضع يزيد قبول الخبر أنه ليجب أن يكون كذلك هو في كل المواضع، ولئن وجب أن يقبل الخبر وإن لم يتصل إسناده لثقة من حدث به في باب واحد أنه ليجب أن يقبل في كل الأبواب.

وقد احتج البيهقي في هذا الباب بحديث معمر، عن عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم، عن أبيه، عن جده وهو منقطع أيضاً أنَّ جده محمد بن عمرو بن حزم لم ير النبي ﷺ ولا ولد إلا بعد أن كتب النبي ﷺ هذا الكتاب لأبيه لأنه إنما ولد بنجران قبل وفاة رسول الله ﷺ سنة عشر من الهجرة، ولم ينقل في الحديث إلينا أن محمد بن عمرو روى هذا الحديث عن أبيه، فقد ثبت انقطاع هذا الحديث أيضاً.

وأما حماد بن سلمة فثقة حجة، ولم أر أحداً من أئمة هذا الشأن ذكره بشيء مما ذكره البيهقي، وقيس بن سعد حجة حافظ وثقه كثيرون، وأخرج له مسلم، وعبدالله بن أبي بكر فليس في الثبت والإتقان كقيس بن سعد.

قال الطحاوي، ولقد حدثني يحي بن عثمان قال: سمعت ابن الوزير يقول: سمعت الشافعي

وأما البقر فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين، ففيها تبيع وهو الذي في السنة الثانية. ثم

يقول: سمعت سفيان بن عيينة يقول: كنا إذا رأينا الرجل يكتب الحديث عن واحد من أربعة ذكر فيهم عبد الله بن أبي بكر سخرنا عنه لأنهم كانوا لا يصرفون الحديث، فلما لم يكافىء عبد الله بن أبي بكر قيساً في الضبط صار الحديث عندنا ما رواه قيس، لا سيما وقد ذكر قيس أن أبا بكر بن محمد كتبه له.

وأما قول البيهقي: وقيس أخذه عن كتاب الخ. فقد صرح بنفسه في المدخل أن الحجة تقوم بالكتاب وإن كان السماع أولى منه بالقبول، ثم أن حديث ثمامة الذي احتجوا به ومن ذكره منقطع أيضاً.

قال الدارقطني في كتاب التتبع والاستدراك على الصحيحين: إن ثمامة لم يسمعه عن أنس، وأن عبد الله بن المثنى لم يسمعه من ثمامة أيضاً اهـ. وذكروا أيضاً أن حماد بن سلمة أخذه أيضاً من كتاب، فالكلام هنا كالكلام هناك سواء فتأمل ذلك، والله أعلم.

(**وأما البقر**) وإنما قدمه على الغنم لقربه من الإبل من حيث الضخامة حتى شملها إسم البدنة، وأنواعه ثلاثة. العراب، والجاموس، والدربانية. قال في القاموس: الدربانية جنس من البقر ترق أظلافها وجلودها ولها أسنمة اهـ.

والبقر يشمل الكل فيكون حكمها واحداً في قدر النصاب والواجب، وعند الاختلاط يجب ضم بعضها إلى بعض لتكميل النصاب، ثم تؤخذ الزكاة من أغلبها إن كان بعضها أكثر من بعض، وإن لم يكن يؤخذ أعلى الأدنى وأدنى الأعلى. هكذا نقله الزيلعي من أصحابنا، وقول بعضهم: والجاموس كالبقر لأنه بقر حقيقة إذ هو نوع منه فتتناولها النصوص الواردة باسم البقر ليس بجيد، لأنه يوهم أنه ليس ببقر، وعلى هذا ينظر فيما نقله الشمس السروجي في شرح الهداية وعزاه إلى المحيط: أنه لو حلف لا يشتري بقراً فاشترى جاموساً يحنث، وكذا قولهم: إذا حلف لا يأكل لحم البقر فأكل لحم الجاموس لا يحنث لأن مبنى الإيمان على العرف، وفي العادة أن أوهام الناس لا تسبق إليه فتأمل.

(**فلا شيء فيها حتى تبلغ ثلاثين، فإذا بلغت ثلاثين ففيها تبيع**) كأمير، (**وهو الذي**) طعن (**في السنة الثانية**) والأنثى تبيعة ولا زيادة حتى تبلغ أربعين، (**وفي أربعين مسنة ولا يؤخذ الأنثى**) إن كان في ماله أنثى أو كان الكل اناثاً لورود النص بالاناث. كذا في الوجيز (**وهي**) أي المسنة (**بنت أربع سنين**) وفي الروضة: التي طعنت في الثالثة والذكر مسن. قال: وما ذكر في تفسير التبيع والمسنة هو المذهب المشهور، وحكى جماعة وجهاً أن التبيع له ستة أشهر والمسنة سنة.

قلت: قال المصنف في الوجيز ففي ثلاثين منه تبيع وهو الذي له سنة، وفي أربعين مسنة وهي

في أربعين مسنة وهي التي في السنة الثالثة. ثم في ستين تبيعان. واستقر الحساب بعد ذلك. ففي كل أربعين مسنّة، وفي كل ثلاثين تبيع.

التي لها سنتان ثم لا شيء حتى تبلغ ستين، **(ثم في الستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك، ففي كل أربعين مسنة وفي كل ثلاثين تبيع)** ويتغير الفرض بعشر عشر، ففي سبعين تبيع ومسنة وفي ثمانين مسنتان، وفي تسعين ثلاثة أتبعة، وفي مائة مسنة وتبيعان، وهكذا أبداً.

وقال أصحابنا: في ثلاثين بقراً تبيع ذو سنة أو تبيعة وفي أربعين مسن ذو سنتين أو مسنة، وهو قول علي بن أبي طالب، وأبي سعيد الخدري. والتبيع: ما طعن في الثانية سمي به لأنه يتبع أمه، والمسن ما طعن في الثالثة وفيما زاد بحسابه، ففي الواحدة الزائدة ربع عشر مسنة أو ثلث عشر التبيع، وفي الإثنتين نصف عشر مسنة أو ثلثا عشر تبيع، وفي الثالثة ثلاثة أرباع عشر مسنة أو عشر تبيع، وهذا عند أبي حنيفة في رواية الأصل رواه أبو يوسف عنه. وروى الحسن عن أبي حنيفة أنه لا يجب في الزيادة شيء حتى تبلغ خمسين ففيها مسنة وربع مسنة أو ثلث تبيع. وقال أبو يوسف ومحمد: لا شيء في الزيادة حتى تبلغ ستين وهو رواية عن أبي حنيفة، ورواه أيضاً أسد بن عمرو عن أبي حنيفة وهو قول مالك والشافعي. قال في المحيط: هذه الرواية أعدل الأقوال، وفي البدائع: هي أوفق الروايات عنه، وفي جوامع الفقه: المختار قولهما.

وفي الينابيع: وعليه النقول، ودليل الصاحبين: حديث معاذ لما بعثه رسول الله ﷺ أمره أن يأخذ من كل ثلاثين من البقر تبيعاً أو تبيعة، ومن كل أربعين مسنة فقالوا: الأوقاص؟ فقال: ما أمرني فيها بشيء، وسأسأل رسول الله ﷺ إذا قدمت عليه، فلما قدم على رسول الله ﷺ سأله عن الأوقاص، فقال: ليس فيها شيء، وفسروها بما بين الأربعين إلى الستين، ولأن الأصل في الزكاة أن يكون بين كل واجبين وقص، لأن توالي الواجبات غير مشروع فيها لا سيما فيما يؤدي إلى التشقيص في المواشي. وجه رواية الحسن، وهو القياس أن أوقاص البقر تسع كما قبل الأربعين وبعد الستين، فكذا هنا، ووجه رواية الأصل لأن المال سبب للوجوب ونصب النصاب بالرأي لا يجوز، وكذا إخلاؤه عن الواجب بعد تحقق سببه، واجتماع معاذ برسول الله ﷺ بعد قدومه من اليمن لم يثبت، ولئن ثبت فقد قيل المراد به الصغار إذا كانت وحدها، وبه نقول فلا يلزم حجة مع الاحتمال.

فإن قلت: فيما قلت أيضاً خلاف القياس وهو إيجاب الكسور فبم يترجح مذهبه على مذهبهما؟ قلنا: إيجاب الكسور أهون من نصب النصاب بالرأي لأن إثبات التقدير وإخلاء المال عن الواجب بالرأي ممتنع، ولأن الاحتياط في العبادات الإيجاب أيضاً، فكان أولى، وإنما ذكروه من الوقص وهو تسعة عشر ليس من أوقاص البقر إذ هي تسعة تسعة فبطل قياسهم عليها.

وأما الغنم: فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من

فصل

وفي الروضة: ما بين الفريضتين يسمى وقصاً. منهم من يفتح قافه، ومنهم من يسكنها. والشنق: بمعنى الوقص، وقيل: الوقص في البقر والغنم خاصة، والشنق في الإبل خاصة وهو المنقول عن الأصمعي وغيره يجعلها سواء لما بين الفريضتين، وقد استعمله الفقهاء فيما دون النصاب، ويقال فيه وقس بالسين المهملة.

قلت: ونقله البيهقي في السنن عن المسعودي، ولكن المشهور عند أهل الفقه والحديث بالصاد المهملة. ونقل النووي أيضاً أن ابن بري لحن الفقهاء في إسكان قاف الوقص وليس تلحينه صحيحاً، بل هما لغتان. قال، وأوضحت ذلك في شرح المهذب وتهذيب الأسماء واللغات.

فصل

ونقل أصحابنا عن أهل الظاهر أنهم قالوا: لا زكاة في أقل من خمسين من البقر، وادعوا فيه الإجماع من حيث أن أحداً لم يقل بعدم وجوب الزكاة في الخمسين، وقال آخرون في خمس من البقر شاة وفي العشر شاتان، وفي خمس عشرة ثلاث شياه، وفي عشرين أربع شياه، وفي خمس وعشرين بقرة إلى خمس وتسعين، فإذا زادت واحدة ففيها بقرتان إلى مائة وعشرين، فإذا زادت واحدة ففي كل أربعين بقرة مسنة اعتبروه بالإبل، وقالوا: هو قول عمر بن الخطاب، وجابر بن عبدالله رضي الله عنهما، وهم محجوجون بحديث معاذ المتقدم رواه الترمذي وغيره، وكذلك نقلوا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في زكاة الإبل من أنه يجب في خمس وعشرين خمس شياه، وفي ست وعشرين بنت مخاض، وقالوا: ذلك شاذ لا يكاد يصح عنه، حتى قال سفيان الثوري: هذا غلط وقع من رجال علي. أما علي، فإنه أفقه من أن يقول ذلك فإن فيه موالاة بين الواجبين ولا وقص بينهما وهو خلاف أصول الزكاة، والله أعلم.

(وأما الغنم)؛ هو اسم جنس يطلق على الضأن والمعز، وقد يجمع على أغنام ولا واحد للغنم من لفظها قاله ابن الأنباري. وقال الأزهري: الغنم الشاء الواحدة شاة، وتقول العرب: راح على غنمان أي قطيعان من الغنم كل قطيع مفرد برعي وراع، وقال الجوهري: الغنم اسم مؤنث موضوع لجنس الشاء يقع على الذكور وعلى الإناث حتى وعليها جميعاً ويصغر فتدخل الهاء، ويقال غنيمة لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين وصغرت، فالتأنيث لازم لها. **(فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين، فإذا بلغت أربعين ففيها شاة جذعة)** بالتحريك **(من الضأن أو ثنية من المعز)**، وهل يتعين أحد النوعين من الضأن والمعز؟ فيه أوجه أحدها: يتعين نوع غنم صاحب الإبل المزكى، والثاني: ينبغي غالب غنم البلد. قطع به صاحب المهذب، ونقل عن نص الشافعي: فإن استويا يخير بينهما. والثالث: وهو الصحيح كذا في الروضة وفي شرح

المعز. ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان إلى مائتي شاة وواحدة ففيها ثلاث شياه إلى أربعمائة ففيها أربع شياه. ثم استقر الحساب في كل مائة شاة، وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد في النصاب، فإذا كان بين رجلين

المنهاج وهو الأصح: أنه يخرج ما شاء من النوعين ولا يتعين الغالب. صححه الأكثرون، وربما لم يذكروا سواه. ونقل صاحب التقريب نصوصاً للشافعي تقتضيه ورجحها، والمذهب أنه لا يجوز العدول عن غنم البلد، وقيل وجهان فعلى المذهب لو أخرج غير غنم البلد وهي في القيمة خير من غنم البلد أو مثلها أجزأه إنما يمتنع دونها، وهل يجزىء الذكر منها أم يتعين الأنثى؟ وجهان أصحهما يجزىء كالأضحية، وسواء كانت الإبل ذكوراً كلها أو إناثاً أو مختلطة. وقيل: الوجهان مختصان بما إذا كانت كلها ذكوراً وإلا فلا يجزىء الذكر قطعاً، والأصح الاجزاء مطلقاً.

(**ثم لا شيء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة**) وعبارة الوجيز مائة وواحدة وعشريـن، وهكذا هو في الروضة (**شاتان**) ولا شيء فيها (**وإلى**) أن تبلغ (**مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه**) ولا شيء فيها (**إلى**) أن تبلغ (**أربعمائة ففيها أربع شياه**) وما بينهما أوقاص لا يعتد بها، ووجه في المذهب أنه يعتد بها وهو قول أبي حنيفة كما تقدم، (**ثم استقر الحساب ففي كل مائة شاة**) وتقدم تفسير الجذعة والثنية في زكاة الإبل بالذي تقدم اشتهرت كتب رسول الله ﷺ وكتب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وعليه انعقد الإجماع.

فصل

وقال أصحابنا: يؤخذ الثني في زكاة الغنم لا الجذع، والثني ما تمت له سنة، والجذع ما أتى عليه أكثرها. هذا تفسير الفقهاء: وعند أهل اللغة ما يخالف ذلك، ويروى عن أبي حنيفة أنه يجزئه الجذع من الضأن، وبه قال صاحباه، وإنما يشترط أن يكون الجذع من الضأن لأنه ينزو فيلقح والمعز لا يلقح. وجه الظاهر قول علي رضي الله عنه: لا يؤخذ في الزكاة إلا الثني فصاعداً، وتأويل ما روي أنه يجوز بطريق القيمة.

وقال صاحب الهداية: المراد بما روي الجذعة من الإبل وفيه نظر، لأن الجذع لا يجوز في زكاة الإبل، وهو المروي في الحديث، وإنما تجوز الجذعة وهي الأنثى، ويؤخذ في زكاة الغنم الذكور والإناث لأن المذكور في الحديث في كل أربعين شاة شاة، واسم الشاة يتناولها، ولأن الذكر والأنثى في الغنم لا يتفاوتان، فجاز أحدهما كما في البقر بخلاف الإبل، لأن الأنثى فيها منصوص عليها وهي بنت اللبون وبنت المخاض والحقة والجذعة، ولأنهما من الإبل يتفاوتان تفاوتاً فاحشاً فلا يقوم الذكر مقام الأنثى والله أعلم.

(**وصدقة الخليطين، كصدقة المالك الواحد في النصب**) جمع نصاب. أعلم أن الخلطة على نوعين خلطة اشتراك وخلطة جوار، وقد يعبر عن الأول بخلطة الأعيان وبخلطة الشيوع، وعن الثاني بخلطة الأوصاف، والمراد بالأول أن لا يتميز نصيب أحد الرجلين أو الرجال عن نصيب

أربعون من الغنم ففيها شاة. وإن كان بين ثلاثة نفر مائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم. وخلطة الجوار كخلط الشيوع ولكن يشترط أن يريحا معاً ويسقيا

غيره كماشية ورثها قوم أو ابتاعوها معاً فهي شائعة بينهم، وبالثاني أن يكون مال كل واحد معيناً متميزاً عن مال غيره، ولكن يجاوره مجاورة المال، ولكل واحدة من الخلطتين أثر في الزكاة فتجعلان مال الشخصين أو الأشخاص بمنزلة الواحد، ثم قد توجب الزكاة أو تكثرها. (**فإذا كان بين رجلين أربعون من الغنم**) أي خلطا عشرين بعشرين (**ففيها شاة**) ولو انفردت لم يجب شيء، (**وإن كان بين ثلاثة نفر مائة وعشرون**) أي خلطوا أربعين بأربعين لغيرهم (**ففيها شاة على جميعهم**) وصورة تكثيرها خلط مائة شاة وشاة بمثلها وجب على كل واحد شاة ونصف، ولو انفرد ألزمه شاة فقط، أو خلط خمساً وخمسين بقرة بمثلها لزم كل واحد مسنة ونصف تبيع، ولو انفردا كفاه مسنة، وقد تقللها كرجلين خلطا أربعين بأربعين يجب عليهما شاة، ولو انفرد أوجب على كل واحد شاة.

وحكى الحناطي وجهاً غريباً أن خلطة الجوار لا أثر لها وليس بشيء كذا في الروضة. وقد يستدل لخلطة الجوار بما رواه البخاري من حديث أنس لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة. نهى المالك عن التفريق وعن الجمع خشية وجوبها أو كثرتها، ونهى الساعي عنهما خشية سقوطها أو قلتها، والخبر ظاهر في خلطة الجوار ومثلها خلطة الشيوع بل أولى، وإنما سميت خلطة الشيوع خلطة الأعيان لأن كل عين مشتركة.

وقد ذكر شارح المنهاج للخلطتين ثلاثة شروط.

أحدها: كون المالين من جنس واحد لا غنم مع بقر.

الثاني: كون مجموع المالين نصاباً فأكثر أو أقل ولأحدهما نصاب فأكثر، فلو ملك كل واحد منهما عشرين من الغنم فخلطا تسعة عشر بمثلها وتركا شاتين منفردتين فلا خلطة ولا زكاة.

الثالث: دوام الخلطة سنة إن كان المال حولياً فلو ملك كل منهما أربعين شاة في أول المحرم وخلطا في أول صفر، فالجديد أنه لا خلطة في الحول، بل إذا جاء المحرم وجب على كل منهما شاة، وإن لم يكن اشترط بقاؤها إلى زهو الثمر واشتداد الحب في النبات.

وفي الوجيز مع شرحه: وفي وجود الاختلاط في أول السنة وجريان الاختلاط واتفاق أوائل الأحوال خلاف أي وجهان في جميع الصور إلا في وجود الاختلاط في أول السنة، فهو من هذه المسألة قولان. وفي تأثير الخلطة في الثمار والزروع ثلاثة أقوال: الأصح أنه يثبت مطلقاً، فعلى الثالث تؤثر خلطة الشيوع دون الجوار وفيه خلاف لمالك وأحمد، وهل تؤثر خلطة الجوار في مال التجارة؟ قولان. أصحهما أنه لا يؤثر وفي الشيوع قولان أصحهما أنه يؤثر.

(**وخلطة الجوار كخلطة الشيوع**) في وجوب الزكاة، (**لكن بشرط أن**) لا تتميز ماشية

معاً ويحلبا معاً ويسرحا معاً، ويكون المرعى معاً، ويكون انزاء الفحل معاً. وأن يكونا جميعاً من أهل الزكاة ولا حكم للخلطة مع الذمي والمكاتب. ومهما نزل في واجب

أحدهما عن ماشية الآخر. وذلك بان **(يريحا معاً)** أي يتحد مراحهما وهو مأواها ليلاً **(ويسرحا معاً)** أي يتحد مسرحهما وهو الموضع الذي ترعى فيه ثم تساق إلى المرعى. **(ويسقيا معاً)** أي يتحد مسقاهما بأن يشربا من ماء واحد نهر أو عين أو بئر أو حوض أو مياه متعددة، بحيث لا تختص ماشية أحدهما بالشرب من موضع وماشية الآخر من غيره، فهذه ثلاثة شروط والشرط الرابع لم يذكره المصنف هنا وهو مذكور في الوجيز وهو اتحاد المرعى، وهو المرتع الذي ترعى فيه. فهذه الشروط الأربعة متفق عليها عند الأصحاب.

وعبارة الوجيز: وشرط الخلطة اتحاد المشرع والمرعى والمراح والمشرع وإياه تبع النووي في الروضة، وقال في المنهاج: وفي المشرع والمسرح والمراح فهذه ثلاثة كما هنا في الإحياء، ولعل اعتبار اتحاد المرعى داخل في اتحاد المسرح لأن من المسرح تساق إلى المرعى، فكان متصلاً به فتأمل.

ويشترط أيضاً اتحاد المكان الذي توقف فيه عند ارادة السقي كما في شرح المنهاج واتحاد الممر بينهما عند الذهاب إلى المسرح كما في المجموع، **(و)** من شروط الخلطة **(أن يكونا)** أي المختلطان **(معاً من أهل الزكاة)** أي من أهل وجوبها، **(فلا حكم للخلطة مع الذمي والمكاتب)** أي فلو كان أحدهما ذمياً أو مكاتباً فلا أثر للخلطة، بل إن كان نصيب الحر المسلم نصاباً زكاه زكاة الانفراد، وإلا فلا شيء عليه، وقد عرف مما تقدم أن المصنف ذكر لخلطة الجوار من الشروط المتفق عليها ثلاثة، وأعرض عن ذكر الشروط المختلف فيها، فمن ذلك اتحاد الراعي ذكره في الوجيز، والأظهر كما في الشرح، والأصح كما في الروضة اشتراطه ومعناه: أن لا يختص غنم أحدهما براع، ولا بأس بتعدد الرعاة لها قطعاً، ومن ذلك اتحاد الفحل. الأظهر كما في الشرح وفي الروضة المذهب أنه شرط وبه قطع الجمهور، وقيل: وجهان أصحهما اشتراطه، والمراد أن تكون الفحول مرسلة بين ماشيتها لا يختص أحدهما بالفحل، سواء كانت الفحول كلها مشتركة أو مملوكة أحدهما أو مستعارة، وفي وجه أن تكون مشتركة بينهما واتفقوا على ضعفه.

وإذا قلنا: لا يشترط اتحاد الفحل اشترط كون الإنزاء في محل واحد، ومن ذلك اتحاد المحلب أي الموضع الذي تحلب فيه لا بد منه كالمراح ذكره في الوجيز. وفي الشرح الأظهر أنه يشترط فلو حلب هذا ماشيته في أهله وذاك ماشيته في أهله فلا خلطة.

ومن ذلك اتحاد الحالب وهو الشخص الذي يحلب فيه وجهان أصحهما ليس بشرط، والثاني يشترط بمعنى أنه لا ينفرد أحدهما بحالب يمتنع من حلب ماشية الآخر.

ومنها اتحاد الإناء الذي تحلب فيه وهو المحلب فيه وجهان أصحهما لا يشترط كما لا يشترط

....

اتحاد آلة الجز، والثاني يشترط فلا ينفرد أحدهما بحالب أو بمحالب ممنوعة من الآخر، وعلى هذا هل يشترط خلط اللبن؟ وجهان أصحهما لا. والثاني يشترط. ويتسامحون في قسمته كما يخلط المسافرون زادهم ثم يأكلون وفيهم الزهيد والرغيب، ومن ذلك نية الخلطة هل تشترط؟ وجهان أصحهما لا تشترط ويجري الوجهان فيما لو افترقت الماشية في شيء مما يشترط الاجتماع بنفسها أو فرقها الراعي ولم يعلم المالكان إلا بعد طول الزمان هل تنقطع الخلطة أم لا؟ أما لو فرقاها هما أو أحدهما قصدا في شيء من ذلك فتنقطع الخلطة وإن كان يسيراً. وأما التفريق اليسير من غير قصد فلا يؤثر لكن لو اطلعا عليه فأقراها على تفرقها ارتفعت الخلطة، ومهما ارتفعت فعلى من نصيبه نصاب زكاة الانفراد إذا تم الحول من يوم الملك لا من ارتفاعها.

فصل

قال في الروضة: أخذ الزكاة من مال الخليطين قد يقتضي التراجع بينهما، وقد يقتضي رجوع أحدهما على صاحبه دون الآخر، ثم الرجوع والتراجع يكثران في خلطة الجوار، فتارة يمكن الساعي أن يأخذ من نصيب كل واحد منهما ما يخصه، وتارة لا يمكنه. فإن لم يمكنه فله أن يأخذ فرض الجميع من نصيب أيهما شاء، وإن لم يجد سن الفرض إلا في نصيب أحدهما أخذه أما إذا أمكنه فوجهان أصحهما وبه قال ابن أبي هريرة والجمهور: يأخذ من جنب المال ما اتفق ولا حجر عليه، بل لو أخذ من مال كل واحد ما يخصه كما قاله صاحب الوجه الأول ثبت التراجع لأن المالين لواحد.

ونقل صاحب جمع الجوامع في منصوصات الشافعي: لو كانت غنماهما سواء وواجبها شاتان فأخذ من غنم كل واحد شاة وكانت قيمة الشاتين مختلفة لم يرجع واحد منهما على صاحبه بشيء، لأنه لم يؤخذ منه إلا ما عليه في غنمه لو كانت منفردة اهـ.

ولو ظلم الساعي فأخذ من أحد الخليطين شاتين والواجب شاة أو أخذ ماخضاً، أو ربى رجع المأخوذ منه بنصف قيمة الواجب لا قيمة المأخوذ ويرجع المظلوم على الظالم، فإن كان المأخوذ باقياً في يد الساعي استرده وإلا استرد الفضل والفرض ساقط، ولو أخذ القيمة في الزكاة أو أخذ من السخال كبيرة رجع على الأصح لأنه مجتهد فيه.

وأما خلطة الاشتراك فإن كان الواجب من جنس المال فاخذه الساعي منه فلا تراجع، وإن كان من غيره كالشاة فيما دون خمس من الإبل رجع المأخوذ منه على صاحبه بنصف قيمتها، فلو كان بينهما عشرة فأخذ من كل واحدة شاة تراجعا، فإن تساوت القيمتان خرج على أقوال التقاص، ومتى ثبت الرجوع وتنازعا في قيمة المأخوذ، فالقول قول المرجوع عليه لأنه غارم، وإذا اجتمع في ملك الواحد ماشية مختلطة وغير مختلطة من جنسها بأن ملك ستين شاة خالط بعشرين منها عشرين لغيره خلطة جوار أو شيوع وانفرد بالأربعين، فكيف يزكيان؟ قولان: أظهرهما أن

....

الخلطة خلطة ملك أي كل ما في ملكه يثبت فيه حكم الخلطة، واختاره ابن سريج، وأبو إسحاق والأكثرون، فعلى هذه الصورة عليهما شاة ثلاثة أرباعها على صاحب الستين، وربعها على صاحب العشرين، والقول الثاني: أن الخلطة خلطة عين أي يقصر حكمها على المخلوط، فعلى صاحب العشرين نصف شاة بلا خلاف وفي صاحب الستين أوجه أصحها وهو المنصوص يلزمه شاة، والثاني ثلاثة أرباع شاة كما لو خالط بالجميع، والثالث خمسة أسداس شاة ونصف سدس يخص الأربعين منها ثلثان كأنه انفرد بجميع الستين، ويخص العشرين ربع شاة كأنه خالط بالجميع، والرابع: شاة وسدس يخص الأربعين ثلثان والعشرين نصف، والخامس: شاة ونصف كأنه انفرد بأربعين وخالطه بعشرين وهذا ضعيف أو غلط. أما إذا خلط عشرين بعشرين لغيره ولكل واحد منهما أربعون منفردة ففي واجبها القولان: إن قلنا خلطتها خلطة ملك فعليهما شاة على كل واحد نصف لأن الجميع مائة وعشرون، وإن قلنا: خلطة عين فسبعة أوجه. أصحها على كل واحد شاة تغليباً للانفراد، والثاني على كل واحد ثلاثة أرباع شاة، والثالث على كل واحد نصف شاة، والرابع على كل واحد خمسة اسداس ونصف سدس، والخامس خمسة اسداس، والسادس على كل واحد شاة وسدس، والسابع على واحد شاة ونصف، ولا فرق بين هاتين المسألتين بين أن يكون الأربعون المنفردة في بلد المال المختلطة أم في غيره، والله أعلم.

فصل

وقال أصحابنا: لا زكاة في السائمة المشتركة إلا أن يبلغ نصيب كل شريك نصاباً فيؤدي كل زكاته على الانفراد، وذكروا في صحته شروطاً كما ذكره أصحاب الشافعي من اتحاد المسرح والمشرع والمرعى والراعي والفحل والمحلب، وزادوا اتحاد الطلب. وزاد صاحب الأسرار أن يجمعها بئر واحد، وأن يكون الخليطان أهلاً للوجوب. وفي القصد في الخلطة قولان، وإنما قيدوا بالسائمة لأنه لو كان لإثنين مائتا درهم لا زكاة فيها اتفاقاً، ولا في الخلطة في ثمار رجلين إذا اتحد ظرفها وحافظها ومكان حفظها ودكان بيعها كذا في شرح المختار.

وفي الإشراق لابن المنذر: لو كان بينهما ماشية بحيث لو انفردت لم تجب عليه زكاة. قال مالك، وأبو ثور، وأهل العراق. لا زكاة. وقال الشافعي عليهما الزكاة. قال ابن المنذر: والأول أصح.

وفي قواعد ابن رشد قال مالك وأبو حنيفة: لا زكاة حتى يكون لكل واحد منهما نصاب، وقال الشافعي: المال المشترك كمال رجل واحد وحديث: «ليس فيما دون خمس أواق صدقة» يحتمل الأمرين إلا أن محمداً قال: اشتراط النصاب كما كان هو [1] لأن الأول اظهر اهـ.

ويدل عليه حديث أنس: «فإذا كانت سائمة الرجل من أربعين شاة واحدة فليس صدقة»

---

(١) بياض في الأصل.

الإبل عن سن إلى سن فهو جائز ما لم تجاوز بنت مخاض في النزول. ولكن يضم إليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهماً. ولسنتين أربع شياه أو أربعين درهماً. وله أن يصعد في السن ما لم يجاوز الجذعة في الصعود. ويؤخذ الجبران من الساعين من

أخرجه البيهقي. وقوله ﷺ: «لا يجمع بين متفرق» معناه في الملك فالجمع بين غنمها مخالف لهذا الحديث، ولأن الخلطة لا تؤثر في إيجاب الحج، فكذا الزكاة لأنها لا تفيده غنى كما لا تفيده استطاعة والله أعلم.

ثم قال المصنف: **(ومهما نزل في واجب الإبل من سن إلى سن فهو جائز ما لم يجاوز بنت المخاض في النزول، ولكن يضم إليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهماً ولسنتين أربع شياه أو أربعين درهماً)** . فلو وجبت حقة وليست عنده جاز أن يخرج بنت لبون مع ما ذكرنا، ولو وجبت بنت لبون وليست عنده جاز أن يخرج بنت مخاض مع ما ذكر، **(وله أن يصعد في السن ما لم يجاوز الجذعة في الصعود)** وهي الطاعنة في الخامسة، وهو آخر أسنان الزكاة، فمن وجب عليه بنت مخاض وليست عنده جاز أن يخرج بنت لبون ويأخذ من الساعي الجبران، وإذا وجبت عليه جذعة فأخرج بدلها ثنية ولم يطلب جبراناً جاز، وقد زاد خيراً، ولو طلب الجبران فوجهان، أرجحهما عند العراقيين وهو ظاهر النص جوازه، وأرجحهما عند الغزالي وصاحب التهذيب المنع.

قال النووي في زيادات الروضة: الأول أصح عند الجمهور. قال: وكما يجوز الصعود والنزول بدرجة يجوز بدرجتين بأن يعطي بدل بنت لبون جذعة عند فقدها وفقد الحقة ويأخذ جبرانين ويعطي بدل الحقة بنت مخاض مع جبرانين، وكذلك ثلاث درجات بأن يعطي بدل الجذعة عند فقدها وفقد الحقة وبنت لبون بنت مخاض مع ثلاث جبرانات أو يعطي بدل بنت المخاض الجذعة عند فقد ما بينهما ويأخذ ثلاث جبرانات، وهل يجوز الصعود والنزول بدرجتين مع القدرة على الدرجة القربى كما إذا لزمه بنت لبون فلم يجدها ووجد حقة وجذعة فصعد إلى الجذعة. الأصح عند الجمهور لا يجوز والخلاف فيما إذا صعد وطلب جبرانين، فأما لو رضي بجبران فلا خلاف في الجواز ويجري الخلاف في النزول من الحقة إلى بنت مخاض مع وجود بنت اللبون. وأما إذا لزمه بنت لبون فلم يجدها ولا حقة ووجد جذعة وبنت مخاض فهل له ترك بنت المخاض ويخرج الجذعة؟ وجهان مرتبان. وبالجواز قطع الصيدلاني ولو أخرج المالك عن جبرانين شاتين وعشرين درهماً جاز. ولو أخرج عن جبران شاة وعشرة دراهم لم يجز، ولو لزمه بنت لبون فلم يجدها ووجد ابن لبون وحقة وأراد دفع ابن اللبون مع الجبران، فوجهان أصحهما المنع، والثاني الجواز، لأن الشرع جعله كبنت المخاض، ولو وجب عليه بنت مخاض فلم يجدها ووجد ابن اللبون وبنت لبون فأخرجها وطلب الجبران لم يقبل على الأصح، بل عليه دفع ابن اللبون بلا جبران. لأنه بدل بنت المخاض بالنص، ولو وجبت حقة فأخرج بدلها بنتي لبون، أو وجبت جذعة فأخرج حقتين أو بنتي لبون جاز على الصحيح، لأنهما يجزئان عما زاد، ولو ملك إحدى

بيت المال ولا تؤخذ في الزكاة مريضة إذا كان بعض المال صحيحاً ولو واحدة.

وستين بنت مخاض فأخرج واحدة منها فالصحيح الذي قاله الجمهور أنه يجب منها ثلاث جبرانات وفي الحاوي وجه: أنها تكفيه وحدها حذراً من الإجحاف وليس بشيء.

(ويؤخذ الجبران من الساعي من بيت المال) فإن احتاج الإمام إلى إعطاء الجبران ولم يكن في بيت المال دراهم باع شيئاً من مال المساكين وصرفه في الجبران.

وقال الزيلعي من أصحابنا في شرح الكنز: ولو وجب سن ولم يوجد دفع أعلى منها وأخذ الفضل أو دونها ورد الفضل أو دفع القيمة، واشتراط عدم السن الواجب لجواز دفع الأعلى والأدنى أو لجواز دفع القيمة وقع اتفاقاً حتى لو دفع أحد هذه الأشياء مع وجود السن الواجب جاز، والخيار في ذلك لرب المال ويجبر الساعي على القبول إلا إذا دفع أعلى منها وطلب الفضل لأنه شراء للزيادة ولا اجبار فيه وله أن يطلب قدر الواجب اهـ.

(ولا يؤخذ في الزكاة مريضة إذا كان بعض المال صحيحاً ولو واحدة) اعلم أن المرض من جملة أسباب النقص في هذا الباب، فإن كانت ماشيته كلها مراضاً أجزأته مريضة متوسطة، ولو كان بعضها صحيحاً وبعضها مريضاً، فإن كان الصحيح قدر الواجب فأكثر لم تجز المريضة إن كان الواجب حيواناً واحداً، فإن كان إثنين ونصف ماشيته صحاح ونصفها مراض كبنتي لبون في ست وسبعين وكشاتين في مائتين، فهل يجوز أن يخرج صحيحة ومريضة؟ وجهان حكاهما في التهذيب: أصحهما عنده يجوز وأقربهما إلى كلام الأكثرين لا، وإن كان الصحيح من ماشيته دون قدر الواجب كشاتين في مائتين ليس فيها صحيحة إلا واحدة، فالمذهب أنه يجزئه صحيحة ومريضة، وبه قطع العراقيون والصيدلاني. وقيل: وجهان ثانيهما يجب صحيحتان قاله الشيخ أبو محمد.

(ويؤخذ من الكرام كريمة ومن اللئام لئيمة). قال صاحب التبيين من أصحابنا يؤخذ في الزكاة وسط سن وجب حتى لو وجب عليه بنت لبون مثلاً لا يؤخذ خيار بنات لبون في ماله، ولا أردأ بنت لبون فيه، وإنما يؤخذ بنت لبون وسط وكذا غيرها من الأسنان لقوله ﷺ: «إياكم وكرائم أموالهم» رواه الجماعة.

وقال الزهري: «إذا جاء المصدق قسم الشياه ثلاثاً: ثلث جياد، وثلث أوساط، وثلث شرار، وأخذ المصدق من الوسط» رواه أبو داود والترمذي، ورواه سفيان بن حسين، وروى نحو هذا عمر رضي الله عنه اهـ.

وأخرج أبو داود، عن عبدالله بن معاوية القاضي رفعه «ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان من عبدالله وحده وانه لا إله إلا الله وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه وافدة عليه كل عام، ولا يعطي الهرمة ولا الدرفة ولا المريضة ولا الشرهة اللئيمة ولكن من وسط أموالكم فإن الله لم يسألكم خيره ولم يأمركم بشره». هكذا رواه منقطعاً، وذكره البغوي في معجم الصحابة والطبراني وغيرهما مسنداً.

ويؤخذ من الكرائم كريمة ومن اللئام لئيمة. ولا يؤخذ من المال الأكولة ولا الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غراء المال.

النوع الثاني: زكاة المعشرات:

فتجب العشر في كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة مِنّ ولا شيء فيما دونها ولا في

(ولا تؤخذ من المال الأكولة) وهي المسمنة للأكل قاله في المحرر، وفي المصباح: هي الشاة تسمن وتعزل لتستريح وليست بسائمة فهي من كرائم الأموال، **(ولا الماخض)** أي الحامل، والمخاض وجع الولادة ومخضت المرأة وكل حامل من باب تعب دنا ولادتها وأخذها الطلق فهي ماخض، **(ولا الرُبّى)** بضم الراء وتشديد الباء الموحدة والقصر هي الحديثة العهد بالنتاج شاة كانت أو ناقة أو بقرة، ويطلق عليها هذا الإسم. قال الأزهري إلى خمسة عشر يوماً من ولادتها، والجوهري إلى شهرين. كذا في شرح المنهاج وفي المصباح: الربى الشاة التي وضعت حديثاً، وقيل: هي التي تحبس في البيت للبنها وهي فعلى، وجمعها رباب كغراب وشاة ربى بينة الرباب ككتاب. قال أبو زيد: ليس لها فعل وهي من المعز، وقال في المجرد: إذا ولدت الشاة فهي ربى وذلك في المعز خاصة، وقال جماعة من المعز والضأن وربما أطلق على الإبل اهـ.

(ولا الفحل) أي فحل الغنم وهو التيس، وقد جاء التصريح به في الخبر، وقد روي جميع ذلك في الخبر مرفوعاً بلفظ: «لا تأخذوا الأكولة ولا الماخض ولا الربى ولا فحل الغنم» والصحيح أنه من قول عمر رضي الله عنه، **(ولا غراء الغنم)** أي خيارها نعم لو كانت ماشيته كلها كذلك أخذ منها إلا الحوامل فلا يطالب بحامل منها، لأن الأربعين مثلاً فيها شاة واحدة، والحامل شاتان. كذا نقله الإمام عن صاحب التفريق واستحسنه كذا في شرح المنهاج.

النوع الثاني: زكات المعشرات:

(ففيها العشر في كل مستنبت مقتات). أعلم أن الائمة ضبطوا ما يجب فيه العشر بقيدين: أحدهما: أن يكون قوتاً، والثاني أن يكون من جنس ما ينبته الآدميون. قالوا: فإن فقد الأول كبذر القطونا، أو الثاني كالقت على ما سيأتي تفسيره، أو كلاهما كحب الرشاد فلا زكاة، وإنما يحتاج إلى ذكر القيدين من أطلق القيد الأول، فأما من قيده فقال: أن يكون قوتاً في حال الاختيار كما سيأتي فلا يحتاج إلى الثاني إذ ليس فيما لا يستنبت ما يقتات اختياراً، واعتبر العراقيون مع القيدين قيدين آخرين. أحدهما: أن يدخره، والثاني أن ييبس، ولا حاجة إليها، فإنهما لازمان لكل مقتات مستنبت كذا في الروضة، ثم أنه لا يكفي في وجوب الزكاة كون الشيء مقتاتاً على الإطلاق، بل المعتبر أن يقتات على الاختيار فقد يقتات الشيء في حال الضرورة فلا زكاة فيه كالقت وحب الحنظل وسائر بزور البرية، واختلف في تفسير القت فقال المزني، وطائفة، هو حب الغاسول وهو الاشنان، وقال آخرون: هو حب أسود يابس يدفن فيلين قشره فيزال ويطحن ويخبز يقتاته اعراب طيء.

ثم أشار المصنف إلى اعتبار النصاب في المعشرات فقال: **(بلغ ثمانمائة مِنّ)** هكذا بتشديد

الفواكه والقطن، ولكن في الحبوب التي تقتات وفي التمر والزبيب. ويعتبر أن تكون

النون في لغة بني تميم ويثنى منان ويجمع أمنان، وهو عبرة خمسة أوسق الوارد في الحديث الذي رواه مسلم «ليس في حب ولا تمر صدقة حتى يبلغ خمسة أوسق» والوسق ستون صاعاً الصاع خمسة أرطال وثلث بالبغدادي فالخمسة ألف وستمائة رطل بالبغدادي والمن رطلان فنصف الألف والستمائة ثمانمائة، فصح أن الخمسة الأوسق عبرتها ثمانمائة منّ بالحساب المتقدم والأصح عند الأكثرين أن هذا القدر تحديد، وقيل تقريب، فعلى التقريب يحتمل نقصان القليل كالرطلين، وحاول إمام الحرمين ضبطه فقال: الأوسق الأوقار والوقر المقتصد ثلاثمائة وعشرون رطلاً، فكل نقص لو وزع على الأوسق الخمسة لم تعد منحطة عن حد الاعتدال لا يضر وإن عدت منحطة ضر، وإن أشكل فيحتمل أن يقال لا زكاة حتى تتحقق الكثرة، ويحتمل أن يقال يجب إبقاء الأوسق. قال: وهذا أظهر. ثم قال إمام الحرمين: الاعتبار فيما علقه الشرع بالصاع والمد بمقدار موزون يضاف إلى الصاع، والمد لا بما يحوي المد ونحوه، وذكر الروياني وغيره ان الاعتبار بالكيل لا بالوزن وهذا هو الصحيح. قال أبو العباس الجرجاني: إلا العسل إذا أوجبنا فيه الزكاة فالاعتبار فيه بالوزن، وتوسط صاحب العدة فقال: هو على التحديد في الكيل وعلى التقريب في الوزن، وإنما قدره العلماء استظهاراً. قال النووي في زيادات الروضة: الصحيح اعتبار الكيل كما صححه، وبهذا قطع الدارمي وصنف في هذه المسألة رسالة وسيأتي مزيد الإيضاح في قدر رطل بغداد في زكاة الفطر، والأصح أنه مائة وثمانية وعشرون درهماً وأربعةاسباع درهم، وعلى هذا الأوسق الخمسة بالرطل الدمشقي ثلاثمائة وإثنان وأربعون رطلاً ونصف رطل وثلث رطل وسبعا أوقية، وقال القمولي: وقدر النصاب بأردب مصر ستة أرادب وربع أردب بجعل القدحين صاعاً كزكاة الفطر وكفارة اليمين. وقال السبكي في شرح المنهاج خمسة أرادب ونصف وثلث، فقد اعتبرت القدح المصري بالمد الذي حررته فوسع مدين وسبعاً تقريباً فالصاع قدحان إلاّ سبعي مد فكل خمسة عشر مداً سبعة أقداح، وكل خمسة عشر صاعاً ويبة ونصف فثلاثون صاعاً ثلاث ويبات ونصف وثلث، فالنصاب على قول السبكي خمسمائة وستون قدحاً، وعلى قول القمولي ستمائة وهو المعلوم، والله أعلم.

(ولا شيء فيما دونها) أي الثمانمائة منّ **(و)** كذا **(لا)** شيء **(في الفواكه)** كالتين والسفرجل والخوخ والتفاح والجوز واللوز والرمان بلا خلاف، **(و)** غيرها من الثمار مثل **(القطن)** والكتان وبزر القطونا وحب الرشاد والكمون والكزبرة والبطيخ والقثاء والسلق والجزر والقنبيط وحبوبها وبزرها بلا خلاف أيضاً، ومن المختلف فيه الزيتون. فالجديد المشهور لا زكاة فيه، والقديم يجب ببدوّ صلاحه وهو نضجه واسوداده ويعتبر فيه النصاب عند الجمهور.

وخرج ابن القطان النصاب فيه وفي سائر ما يختص القديم بإيجاب الزكاة فيه على قولين: ثم إن كان الزيتون مما لا يجيء منه الزيت كالبغدادي أخرج عشره زيتوناً وإن كان مما يجيء منه الزيت كالشامي فثلاثة أوجه: الصحيح المنصوص القديم إنه إن شاء أخرج الزيت وإن شاء الزيتون

ثمانمائة من تمر أو زبيباً لا رطباً وعنباً، ويخرج ذلك بعد التجفيف. ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة لجميعهم ثمانمائة من

والزيت أولى، والثاني يتعين الزيت، والثالث يتعين الزيتون بدليل أنه يعتبر النصاب بالزيتون دون الزيت بالإتفاق، ومنها الزعفران والورس فلا زكاة فيهما على الجديد المشهور، وقال في القديم: يجب إن صح الحديث في الورس، فإن أوجبنا فيه ففي الزعفران قولان: فإن أوجبنا فيهما فالمذهب أنه لا يعتبر النصاب، بل يجب في القليل. وقيل: فيه قولان، ومنها العسل لا زكاة فيه على الجديد وعلق القول فيه في القديم، وقطع أبو حامد وغيره بنفي الزكاة قديماً وجديداً فإن أوجبنا فاعتبار النصاب كما سبق، ومنها القرطم وهو حب العصفر. الجديد: لا زكاة فيه، والقديم يجب، فعلى هذا المذهب في اعتبار النصاب كسائر الحبوب، وفي العصفر نفسه طريقان. قيل: كالقرطم، وقيل لا يجب قطعاً. ومنها الترمس الجديد لا زكاة فيه والقديم يجب، ومنها حب الفجل حكى ابن كج وجوب الزكاة فيه على القديم، ولم أره لغيره كذا في الروضة.

(ولكن في الحبوب التي تقتات) كالحنطة والشعير والأرز والعدس والحمص والباقلا والدخن والذرة واللوبيا والماش والجلبان، **(وفي)** ثمار الأقوات من النخل والعنب و **(التمر والزبيب)** أشار به إلى الحال الذي يعتبر فيه بلوغ المعشر خمسة أوسق إن كان نخلاً أو عنباً اعتبر تمراً أو زبيباً **(لا رطباً وعنباً ويخرج بعد التجفيف)** أما إذا كان يتجفف رديئاً ففيه وجهان أحدهما: يعتبر بنفسه بلوغه نصاباً وإن كان حشفاً والثاني بأقرب الأرطاب إليه، فأما إذا كان يفسد بالكلية فيتعين الوجه الأصح وهو توسيقه رطباً، ولا خلاف في ضم ما لا يجفف منهما إلى ما يجفف في تكميل النصاب هذا في التمر والزبيب.

أما الحبوب فيعتبر بلوغها نصاباً بعد التصفية من التبن ثم قشورها من أضرب أحدها: قشر لا يدخر الحب فيه ولا يؤكل معه فلا يدخل في النصاب، والثاني: قشر يدخر الحب فيه ويؤكل كالذرة فيدخل القشر في الحساب فإنه طعام، وإن كان قد يزال كما تقشر الحنطة وفي دخول القشرة السفلى من الباقلا في الحساب وجهان قال في العدة: المذهب لا تدخل. الثالث: قشر يدخر الحب فيه ولا يؤكل معه، ولا يدخل في حساب النصاب، ولكن يؤخذ الواجب فيه كالعلس والأرز. العلس: بالعين المهملة واللام على وزن جبل وهو نوع من الحنطة يكون في القشر منه حبتان وقل ما يكون واحدة أو ثلاث كما في المصباح. قال الشافعي في الأم: يبقى بابس العلس على كل حبتين منه كما لا يزول إلا بالرحى الخفيفة أو بمهراس وادخاره في ذلك الكمام أصلح له، وإذا أزيل كان الصافي نصف المبلغ فلا يكلف صاحبه إزالة ذلك الكمام عنه، ويعتبر بلوغه بعد الدياس عشرة أوسق ليكون الصافي منه خمسة أوسق. وعن أبي حامد أنه قد يخرج منه الثلث فيعتبر بلوغه قدراً يكون الخارج منه نصاباً

(ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر في خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة

من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون مناً من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه. ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير، ويكمل نصاب الشعير بالسلت فإنه نوع

لجميعهم ثمانمائة مِنّ من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون مناً من زبيب بقدر حصصهم ولا تعتبر خلطة الجوار فيه) اعلم أن ثبوت الخلطة في الثمار والزروع مختلف فيها وإنها إن ثبتت فهل تثبت خلطتا الشيوع والجوار أم الشيوع فقط؟ والمذهب ثبوتهما معا فإن قلنا: لا تثبتان لم يكمل ملك رجل بملك غيره في إتمام النصاب وإن اثبتناهما كمل بملك الشريك والجار، ولو مات إنسان وخلف ورثة ونخيلاً مثمرة أو غير مثمرة وبدا الصلاح في الحالين في ملك الورثة. فإن قلنا: لا تثبت الخلطة في الثمار فحكم كل واحد منقطع عن غيره، فمن بلغ نصيبه نصاباً زكى، ومن لا فلا. وسواء قسموا أم لا. وإن قلنا تثبت قال الشافعي رحمه الله: إن اقتسموا قبل بدو الصلاح زكوا زكاة الانفراد فمن لم يبلغ نصابه نصاباً فلا شيء عليه، وهذا إن لم تثبت خلطة الجوار أو أثبتناها وكانت متباعدة، أما إذا كانت متجاورة فاثبتناها فيزكون زكاة الخلطة كما قبل القسمة، وإن اقتسموا بعد بدو الصلاح زكوا زكاة الخلطة لاشتراكهم حالة الوجوب، ثم هذا إذا لم يكن على الميت دين فإن مات وعليه دين وله نخيل مثمرة فبدا الصلاح فيها بعد موته وقبل أن تباع، فالمذهب والذي قطع به الجمهور وجوب الزكاة على الورثة لأنها ملكهم ما لم تبع في الدين، وقيل: قولان أظهرهما هذا، والثاني لا تجب لعدم استقرار الملك في الحال ويمكن بناؤه على الخلاف في أن الدين يمنع الإرث أم لا؟ فعلى المذهب حكمهم في كونهم يزكون زكاة خلطة أم إنفراد على ما سبق إذا لم يكن دين ثم إن كانوا موسرين أخذ الزكاة منهم وصرفت النخيل والثمار إلى دين الغرماء، وإن كانوا معسرين فطريقان انظر تفصيله في الروضة.

(ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير) لاختلاف النوعين، **(ويكمل نصاب الحنطة بالسلت فإنه نوع منه)** أعلم أنه لا يضم التمر إلى الزبيب في إكمال النصاب، وتضم أنواع التمر بعضها إلى بعض، وأنواع الزبيب بعضها إلى بعض، ولا تضم الحنطة إلى الشعير ولا سائر أجناس الحبوب بعضها إلى بعض، ويضم العلس إلى الحنطة فإنه نوع منها، وأكمته تحوي الواحد منها حبتين، وإذا نحيت الأكمة خرجت الحنطة الصافية، وقبل التنحية إذا كان له وسقان من العلس وأربعة من الحنطة تم نصابه، فلوكانت الحنطة ثلاثة أوسق لم يتم النصاب إلا بأربعة أوسق علساً، وعلى هذا القياس.

وأما السلت فقال العراقيون، وصاحب التهذيب: وهو حب يشبه الحنطة في اللون والنعومة والشعير في برودة الطبع، وعكس الصيدلاني وآخرون فقالوا: هو في صورة الشعير وطبعه حار كالحنطة. قال النووي في زيادات الروضة: الصحيح بل الصواب ما قاله العراقيون، وبه قطع جماهير الأصحاب، وهو الذي ذكره أهل اللغة والله أعلم ثم فيه ثلاثة أوجه أصحها وهو نصه في البويطي: أنه أصل بنفسه لا يضم إلى غيره، والثاني يضم إلى الحنطة، والثالث إلى الشعير.

منه، هذا قدر الواجب إن كان يسقى بسيح أو قناة فإن كان يسقى بنضح أو دالية فيجب نصف العشر، فإن اجتمعا فالاغلب يعتبر. وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب

(**وهذا قدر الواجب**) في الثمار والزروع (**إن كان يسقى بسيح**) أي الماء الجاري أو يسقى بماء السماء، وكذا البعل وهو الذي يشرب بعروقه لقربه من الماء، (**أو**) يسقى من ماء ينصب إليه من جبل أو نهر أو عين كبيرة أو (**قناة**) أو ساقية محفورة من النهر العظيم، ففي كل ذلك العشر، (**فإن كان يسقى بنضح**) أو دلاء أو دواليب (**أو دالية**) وهي المنجنون تديرها البقرة أو ناعورة وهي ما يديره الماء بنفسه، (**فيجب نصف العشر**) وكون ما يسقى من القناة كماء السماء هو المذهب المشهور الذي قطع به طوائف الأصحاب من العراقيين وغيرهم. وادعى إمام الحرمين اتفاق الأئمة عليه لأن مؤنة القنوات إنما تتحمل لإصلاح الضيعة والأنهار تشق لاحياء الأرض، وإذا تهيأت وصل الماء إلى الزرع بنفسه مرة بعد أخرى بخلاف النواضح ونحوها، فإن المؤنة فيها لنفس الزرع، قال النووي: ولنا وجه أفتى به أبو سهل الصعلوكي أنه يجب نصف العشر في السقي بماء القناة، وقال صاحب التهذيب: إن كانت العين أو القناة كثيرة المؤنة بأن لا تزال تنهار وتحتاج إلى احداث حفر وجب نصف العُشر، وإن لم تكن لها مؤنة أكثر من مؤنة الحفر الأول وكسحها في بعض الأوقات فالعشر والمذهب ما قدمناه.

(**فإن اجتمعا**) أي إذا اجتمع في الزرع الواحد السقي بماء السماء والنضح فله حالان أحدهما: أن يزرع عازماً على السقي بهما ففيه قولان أظهرهما: الواجب عليهما، فإن كان ثلثا السقي بماء السماء والثلث بالنضح وجب خمسة أسداس العشر، ولو سقى على التساوي وجب ثلاثة أرباع العشر، والثاني أشار إليه المصنف بقوله: (**فبالغالب يعتبر**) فإن كان ماء السماء أغلب وجب العشر، وإن غلب النضح فنصف العشر، فإن استويا فوجهان أصحهما يسقط كالقول الأول، وبهذا قطع الأكثرون، والثاني يجب العشر نظراً للمساكين، ثم سواء قسطنا أم اعتبرنا الأغلب فالنظر إلى ماذا؟ وجهان. أحدهما: النظر إلى عدد السقيات والمراد السقيات النافعة دون ما لا ينفع، والثاني وهو الأوفق لظاهر النص الاعتبار بعيش الزرع أو الثمر ونمائه، وعبَّر بعضهم عن هذا الثاني بالنظر إلى النفع، وقد تكون السقية الواحدة أنفع من سقيات كثيرة.

قال إمام الحرمين: والعبارتان متقاربتان إلا أن صاحب الثانية لا ينظر إلى المدة بل يعتبر النفع الذي يحكم به أهل الخبرة، وصاحب الأول يعتبر المدة، وأعلم أن اعتبار المدة هو الذي قطع به الأكثرون تفريعاً على الوجه الثاني، وذكروا في المثال أنه لو كانت المدة من يوم الزرع إلى يوم الإدراك ثمانية أشهر واحتاج في سنة أشهر زمن الشتاء والربيع سقيتين فسقى بماء السماء، وفي شهرين زمن الصيف ثلاث سقيات فسقى بالنضح، فإن اعتبرنا عدد السقيات فعلى قول التوزيع يجب خمسا العشر وثلاثة أخماس نصف العشر، وعلى اعتبار الأغلب يجب نصف العشر، وإن اعتبرنا المدة فعلى قول التوزيع يجب ثلاثة أرباع العشر وربع نصف العشر، وعلى اعتبار الأغلب

اليابس والحب اليابس بعد التنقية. ولا يؤخذ عنب ولا رطب إلا إذا حلت بالأشجار آفة وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الإدراك فيؤخذ الرطب فيكال تسعة للمالك

يجب العشر. ولو سقى بماء السماء والنضح جميعاً وجهل المقدار وجب ثلاثة أرباع العشر على الصحيح الذي قطع به الجمهور.

وحكى ابن كج وجهاً: أنه يجب نصف العشر لأن الأصل براءة الذمة مما زاد الحال الثاني أن يزرع ناوياً السقي بأحدهما فيقع الآخر، فهل يستصحب حكم ما نواه أولاً، أم يعتبر الحكم؟ وجهان أصحهما الثاني ولو اختلف المالك والساعي في أنه بماذا سقي، فالقول قول المالك لأن الأصل عدم وجوب الزيادة ولو سقى زرعاً بماء السماء وآخر بالنضح ولم يبلغ واحد منهما نصاباً ضم أحدهما إلى الآخر لتمام النصاب، وإن اختلف قدر الواجب.

فصل

إذا كان الذي يملكه من الثمار والحبوب نوعاً واحداً أخذت منه الزكاة، فإن أخرج أعلى منه أجزأه ودونه لا يجوز وإن اختلفت أنواعه، فإن لم يعسر أخذ الواجب من كل نوع أخذ بالحصة بخلاف نظيره في المواشي ففيه خلاف، لأن التشقيص محذور في الحيوان دون الثمار، وطرد ابن كج القولين هنا، والمذهب الفرق فإن عسر أخذ الواجب من كل نوع بأن كثرت وقل ثمرها ففيه أوجه. الصحيح: أنه يخرج من الوسط رعاية للجانبين، والثاني يؤخذ من كل نوع بقسطه، والثالث: من الغالب. وقيل يؤخذ الوسط قطعاً. وإذا قلنا بالوسط فتكلف، وأخرج من كل نوع بقسطه جاز ووجب على الساعي قبوله والله أعلم.

(وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب إلا اذا حلت بالاشجار آفة) سماوية أو أرضية، **(وكانت المصلحة في قطعها قبل تمام الادراك)** بحيث لو ترك الثمار عليها إلى وقت القطع لأضرت بها جاز قطع ما يندفع به الضرر إما كلها أو بعضها، وهل يستقل المالك بقطعها أم يحتاج إلى استئذان الإمام أو الساعي؟ قال الصيدلاني، وصاحب التهذيب، وطائفة: يستحب الاستئذان، وقال آخرون: ليس للاستقلال، فلو استقل عزر إن كان عالماً وهو الأصح وبه قطع العراقيون والسرخسي. **(فيؤخذ الرطب)** حينئذ **(فيكال)** إذا أراد الساعي أخذ العُشر **(تسعة للمالك)** أي رب المال **(وواحد للفقير)** يأخذه الساعي بإسمه، وإنما بدىء بالمالك لأن حقه أكثر، وبه يعرف حق المساكين، فإن كان الواجب نصف العشر كيل لرب المال تسعة عشر ثم للفقير واحداً، وإن كان ثلاثة أرباع العشر كيل للمالك سبعة وثلاثون وللساعي ثلاثة، ولا يهز المكيال ولا يزنفل ولا تؤخذ اليد فوقه ولا يمسح، لأن ذلك يختلف بل يصب فيه ما يحتمله ثم يفرغ. ثم اعلم أن الساعي إذا علم قبل القطع وأراد القسمة بأن يخرص الثمار ويعين حق المساكين في نخلة أو نخلات بأعيانها فقولان منصوصان. قال الأصحاب: هما بناء على أن القسمة بيع أو إفراز حق، فإن قلنا: إفراز

وواحد للفقير. ولا يمنع من هذه القسمة قولنا: إن القسمة بيع بل يرخص في مثل هذا للحاجة. ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح في الثمار وإن يشتد الحب. ووقت الأداء بعد الجفاف.

جاز ثم للساعي أن يبيع نصيب المساكين للمالك أو غيره وأن يقطع ويفرقه بينهم يفعل ما فيه الخطة لهم، وإن قلنا إنه بيع لم يجز وعلى هذا الخلاف تخريج القسمة بعد قطعها إن قلنا إفراز جازت وإلا ففي جوازها خلاف مبني على جواز بيع الرطب الذي لا يثمر بمثله، وإن جوّزناه جازت القسمة بالكيل وإلا فوجهان. احدهما: يجوز مقاسمة الساعي لأنها ليست مقاسمة، وإليه أشار المصنف بقوله: **(ولا يمنع من هذه القسمة قولنا: إن القسمة بيع بل يرخص في مثل هذا)** فلا يراعى فيها تعبدات الربا. وأيضاً **(للحاجة)** الداعية إليها وأصحها عند الأكثرين لا يجوز. فعلى هذا له في الأخذ مسلكان. أحدهما: يأخذ قيمة عشر الرطب المقطوع، وجوّز بعضهم القيمة للضرورة. والثاني: يسلم عُشره مشاعاً إلى الساعي ليتعين حق المساكين وطريق تسليم العشر تسليم الجميع، فإذا تسلمه فللساعي بيع نصيب المساكين للمالك أو غيره أو يبيع هو والمالك ويقسمان الثمن، وهذا المسلك جائز بلا خلاف وهو متعين عند من لم يجوّز القسمة وأخذ القيمة وخيّر بعض الاصحاب الساعي بين القسمة وأخذ القيمة، وقال: كل منهما خلاف القاعدة، واحتمل للحاجة فيفعل ما فيه حظ للمساكين وفي المسألتين مستدرك حسن لإمام الحرمين قال: إنما يثور الإشكال على قولنا المساكين شركاء في النصاب بقدر الزكاة، وحينئذ ينتظم التخريج على القولين في القسمة، فأما إذا لم نجعلهم شركاء فليس لهم تسليم جزء إلى الساعي قسمة حتى يأتي فيه القولان في القسمة بل هو توفية حق إلى مستحق، **(ووقت الوجوب)** أي وجوب زكاة النخل والعنب الزهوّ وهو **(أن يبدو الصلاح في الثمار)** ووقت الوجوب في الحبوب **(أن يشتد الحب)** هذا هو المذهب، والمشهور **(ووقت الأداء بعد الجفاف)** والتنقية، وحكى قول ان وقت الوجوب الجفاف ولا يتقدم الوجوب على الأمر بالأداء، وقول قديم: إن الزكاة لا تجب عند فعل الحصاد، ثم الكلام في معنى بدوّ الصلاح وأن بدوّ الصلاح في البعض كبدوّه في الجميع. ولا يشترط تمام اشتداد الحب كما لا يشترط تمام الصلاح في الثمار، وإذا قلنا بالمذهب ان بدوّ الصلاح واشتداد الحب وقت الوجوب لم يكلف الإخراج في ذلك الوقت. لكن ينعقد سببا الوجوب الاخراج إذا صار تمراً أو زبيباً أو حباً مصفى، وصار للفقراء حق في الحال حتى يدفع إليهم آخر. فلو أخرج الرطب في الحال لم يجز، فلو أخذ الساعي من الرطب لم يقع الموقع ووجب ردّه إن كان باقياً، فإن تلف فوجهان الصحيح الذي قطع به الأكثرون، ونص عليه الشافعي أنه يرد قيمته، والثاني يرد مثله والخلاف مبني على أن الرطب والعنب مثليان أم لا. ولو جف عند الساعي فإن كان قدر الزكاة أجزأ وإلاّ رد التفاوت أو أخذه. كذا قاله العراقيون، ولي وجه آخر ذكره ابن كج أنه لا يجزىء بحال لفساد القبض من أصله.

فصل

في وجوب العشر في كل شيء أخرجته الأرض:

قال أصحابنا: يجب العُشر في كل شيء أخرجته الأرض سواء سقي سيحاً أو سقته السماء، ولا يشترط فيه النصاب ولا أن يكون مما يبقى حتى يجب في الخضروات إلا الحطب والقصب والحشيش، وهذا عند أبي حنيفة وقالا: لا يجب العُشر إلا فيما له ثمرة باقية إذا بلغ خمسة أوسق، وبه قال مالك والشافعي وأحمد، فصار الخلاف في موضعين في اشتراط النصاب وفي اشتراط البقاء، واستدلوا للأخير بما رواه الترمذي «ليس في الخضراوات صدقة» والجواب عنه أن الترمذي قال عقب هذا الحديث: لم يصح في هذا الباب عن رسول الله ﷺ شيء، ولئن ثبت فهو محمول على صدقة يأخذها العاشر لأنه إنما يأخذ من مال التجارة إذا حال عليه الحول، وهذا بخلافه ظاهراً أو على أنه لا يأخذ من عينه بل يأخذ من قيمته لأنه يتضرر بأخذ العين في البراري حيث لم يجد من يشتريه، أما الحطب والقصب والحشيش لا يقصد بها استغلال الأرض غالباً لا يبقى عنها حتى لو استغل بها أرضه وجب فيها العُشر، وعلى هذا كل ما لا يقصد به استغلال الأرض لا يجب فيه العُشر، وذلك مثل السعف والتبن وكل حبّ لا يصلح للزراعة كبزر البطيخ والقثاء لكونها غير مقصودة في نفسها، وكذا لا عشر فيما هو تابع للأرض كالنخل والأشجار لأنه بمنزلة جزء من الأرض، ولهذا يتبعها في البيع وكل ما يخرج من الشجر كالصمغ والقطران لا يجب فيه العُشر لأنه لا يقصد به الاستغلال، ويجب في العصفر والكتان وبزره، لأن كل واحد منها مقصود فيه، ثم اختلف أبو يوسف ومحمد فيما لا يوسق إذا كان مما يبقى كالزعفران والقطن، فقال أبو يوسف: يجب فيه العُشر إذا بلغت قيمته خمسة أوسق من أدنى ما يدخل تحت الوسق كالذرة في زماننا. لأنه لا يمكن إعتبار التقدير الشرعي فيه فوجب ردّه إلى ما يمكن كما في عروض التجارة لما لم يمكن اعتباره رددناه إلى التقدير، واعتبار الأدنى لكونه أنفع للفقراء. وقال محمد: يجب العُشر إذا بلغ الخارج خمسة أعداد من أعلى ما يقدر به نوعه، فاعتبر في القطن خمسة أحمال كل حمل ثلاثمائة منّ، ومن الزعفران خمسة أمنان لأن الاعتبار بالوسق كان لأجل أنه أعلى ما يقدر به نوعه، فوجب اعتبار كل نوع بأعلى ما يقدر به نوعه قياساً عليه، ولو كان الخارج نوعين يضم أحدهما إلى الآخر لتكميل النصاب إذا كانا من جنس واحد بحيث لا يجوز بيع أحدهما بالآخر متفاضلاً، والعسل يجب فيه العُشر قلّ أو كثر عنده إذا أخذ من أرض العشر، وعند أبي يوسف: أنه يعتبر قيمة خمسة أوسق كما هو أصله فيما لا يوسق، وعنه أنه قدره بعشر قرب، لأن بني سيابة كانوا يؤدون إلى النبي ﷺ كذلك، وروي عنه التقدير بعشرة أرطال، وعن محمد بخمسة افراق كل فرق ستة وثلاثون رطلاً لأنه أعلى ما يقدر به نوعه، وممن أوجب الزكاة في العسل الاوزاعي، وربيعة، والزهري، ويحيى بن سعيد، وهو قول ابن وهب من المالكية، وما يوجد في الجبال من العسل والثمار ففيه العشر. وعن أبي يوسف أنه لا يجب فيه شيء

لأن السبب الأرض النامية ولم يوجد. قلنا: المقصود الخارج وقد حصل، وفي قصب السكر العُشر قلّ أو كثر عنده، وعلى قياس قول أبي يوسف أن يعتبر قيمة ما يخرج من السكر إن بلغ خمسة أوسق، وعند محمد نصاب السكر خمسة أمنان لأنه أعلى ما يقدر به نوعه كالزعفران، ثم وقت وجوب العشر عند ظهور الثمر عند أبي حنيفة، وعند أبي يوسف عند الإدراك، وعند محمد وقت تصفيته وحصوله في الحظيرة وثمرة الخلاف تظهر في وجوب الضمان بالإتلاف.

تنبيه:

دليل الجماعة في اعتبار النصاب حديث أبي سعيد الخدري «ليس فيما دون خمس أوسق صدقة وليس فيما دون خمسة ذود صدقة وليس فيما دون خمس أواق صدقة» أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه والطحاوي.

وفي رواية للنسائي «لا صدقة فيما دون خمسة أوساق من التمر ليس في حب ولا تمر صدقة حتى يبلغ خمسة أوسق».

وعند أبي داود من طريق أبي البحتري الطائي عنه رفعه «ليس فيما دون خمسة أوساق زكاة» والوسق ستون مختوماً.

وأخرجه النسائي، وابن ماجه مختصراً قال داود، وأبو البحتري: لم يسمع من أبي سعيد.

ومن ذلك حديث جابر بن عبدالله الأنصاري «لا صدقة في شيء من الزرع أو الكرم حتى يكون خمسة أوسق ولا في الرقة حتى تبلغ مائتي درهم» أخرجه مسلم، والطحاوي من حديث عمرو بن دينار عنه.

وعند مسلم والطحاوي أيضاً من حديث أبي الزبير عنه بلفظ «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة» وروى مسلم أيضاً من حديث جابر مثل لفظ حديث أبي سعيد المتقدم.

ومن ذلك حديث ابن عمر «ليس فيما دون خمس من الإبل صدقة ولا فيما دون خمس أواق ولا خمسة أوساق صدقة» أخرجه الطحاوي من طريقين مرفوعاً وموقوفاً.

ومن ذلك حديث أبي هريرة مثله، أخرجه أحمد والدارقطني والطحاوي.

ومن حديث عمرو بن حزم أخرجه الطحاوي والبيهقي من طريق سليمان بن داود، حدثني الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل اليمن بكتاب فيه الفرائض والسنن فكتب فيه: «ما سقت السماء أو كان سيحاً أو بعلاً فيه العشر إذا بلغ خمسة أوسق وما سقي بالرشاء أو بالدالية ففيه نصف العُشر إذا بلغ خمسة أوسق» هذا ما احتج به الجماعة وقالوا: لا تجب الصدقة في شيء من الزرع والثمار حتى يكون خمسة أوسق، وكذلك كل شيء مما تخرجه الأرض فليس في شيء منه صدقة حتى يبلغ هذا المقدار أيضاً.

....

والذي احتج به الإمام أبو حنيفة حديث معاذ بن جبل قال: « بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فأمرني أن آخذ مما سقت السماء العشر ومما سقي بعلاً نصف العشر » أخرجه ابن ماجه والطحاوي.

وروى البخاري والطحاوي من حديث ابن عمر « فيما سقت السماء والعيون وكان عثرياً العشر وما سقي بالنضح نصف العشر » وروى مسلم والطحاوي من حديث جابر « فيما سقت الأنهار والغيم العُشر وفيما سقي بالسانية نصف العشر » وروى البزار من طريق قتادة عن أنس رفعه « سنّ فيما سقت السماء العُشر وما سقي بالنواضح نصف العشر » هكذا رواه الحفاظ عن قتادة. ورواه أبو حنيفة عن أبان عن أنس رفعه « في كل شيء أخرجت الأرض العشر أو نصف العشر » قال أبو حنيفة: ولم يذكر صاعكم. ففي هذه الآثار أن رسول الله ﷺ جعل فيما سقت السماء ما ذكر فيها ولم يقدر في ذلك مقداراً ففي ذلك ما يدل على وجوب الزكاة في كل ما خرج من الأرض قلّ أو كثر وهو قول النخعي ومجاهد.

أما قول النخعي، فأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، عن وكيع والطحاوي من طريق شريك كلاهما عن منصور عن إبراهيم قال « في كل شيء أخرجت الأرض زكاة » هذا لفظ وكيع، وقال شريك: « الصدقة » بدل « زكاة ».

وأما قول مجاهد، فأخرجه ابن أبي شيبة، عن معمر بن سليمان، والطحاوي من طريق موسى ابن أعين كلاهما عن حبيب عن مجاهد قال: « فيما أخرجت الأرض فيما قلّ منه أو كثر العُشر أو نصف العشر » وقد رواه ابن أبي شيبة عن حماد وعن الزهري. فقول حماد رواه عن منذر عن شعبة عنه قال: « في كل شيء أخرجت الأرض العشر أو نصف العشر » وقول الزهري رواه عن عبد الأعلى عن معمر عنه أنه « كان لا يوقت في الثمرة شيئاً » وقال « العشر ونصف العشر ». وروى عن عبد الأعلى عن معمر قال: كتب بذلك عمر بن عبد العزيز إلى أهل اليمن.

قال أبو جعفر الطحاوي: والنظر الصحيح أيضاً يدل على ذلك، وذلك أنا رأينا الزكوات تجب في الأموال والمواشي في مقدار منها معلوم بعد وقت معلوم وهو الحول، فكانت تلك الأشياء تجب بمقدار معلوم ووقت معلوم، ثم رأينا ما تخرج الأرض تؤخذ منه الزكاة في وقت ما يخرج ولا ينتظر به وقت، فلما سقط أن يكون له وقت تجب فيه الزكاة بحلوله سقط أن يكون له مقدار تجب فيه الزكاة ببلوغه، فيكون حكم المقدار والميقات في هذا سواء إذا سقط أحدهما سقط الآخر كما كانا في الأموال التي ذكرنا سواء لما ثبت أحدهما ثبت الآخر فهذا هو النظر، وهو قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى. وأما ما سقي بقرب أو دالية ففيه نصف العُشر لما روينا، ولأن المؤنة تكثر فيه وتقل فيما سقي سيحاً أو سقته السماء، وإذا اجتمعا فالمعتبر أكثر السنة كما مرّ في السائمة والمعلوفة. ونقل الشمس السروجي في الغاية إن سقي نصفها بكلفة ونصفها بغير كلفة، قال مالك والشافعي وأحمد: يجب ثلاثة أرباع العشر فيؤخذ نصف كل واحد من الوضيفتين ولا

النوع الثالث: زكاة النقدين:

فإذا تم الحول على مائتي درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهماً. ونصاب الذهب عشرون مثقالاً خالصاً بوزن مكة

نعلم فيه خلافاً. قال الزيلعي: قياس هذا على السائمة يوجب الأقل لأنه تردد بينهما فشككنا في الاكثر فلا يجب الزيادة بالشك، كما قلنا هناك انه إذا علفها نصف الحول تردد بين الوجوب وعدمه فلا يجب بالشك.

النوع الثالث زكاة النقدين:

هكذا في الوجيز، وقال النووي في المنهاج: زكاة النقد، وقال في الروضة: زكاة الذهب والفضة، وأصل النقد الإعطاء. ثم أطلق على المنقود من باب إطلاق المصدر على المفعول، وفي المشارق النقد ضد العرض والدين اهـ. فيشتمل المضروب وغيره.

وقال الاسنوي: النقد هو المضروب من الذهب والفضة خاصة، ثم أن المراد بالنقدين هنا الذهب والفضة لا زكاة فيهما فيما دون النصاب، ونصاب الفضة مائتا درهم والذهب عشرون مثقالاً. **(فإذا تَّم الحول على مائتي درهم)** والاعتبار فيها **(بوزن مكة نقرة خالصة)** غير مغشوشة **(ففيها خمسة دراهم)**، وقدم الفضة على الذهب لأنها أغلب **(وهو)** أي خمسة دراهم **(ربع العُشر)** لأن عُشر المائتين عشرون وفي العشرين أربعة أرباع صحيحة بضرب أربعة في خمسة. فالخمسة ربع العشرين لما روى الشيخان من حديث أبي سعيد «ليس فيما دون خمس أواق صدقة» وكانت الأوقية إذ ذاك أربعين درهماً. **(وما زاد)** عن النصاب **(فبحسابه)** قلّ أو كثر **(ولو درهماً)**. أي إذا زاد على المائتين درهم يجب فيها خمس دراهم وجزء من أربعين جزء من درهم، وقس على هذا. وهو قول علي بن أبي طالب، وبه قال الشافعي، وأبو يوسف. ومحمد. وعند أبي حنيفة: في كل خمس نصاب يجب فيه بحسابه وهو أربعون درهماً من الورق فيجب فيه درهم، وقد وقع التصريح بذلك في حديث عمرو بن حزم وعلي بن أبي طالب وهما صحيحا الإسناد.

وروى ابن أبي شيبة، عن الحسن البصري قال: كتب عمر إلى أبي موسى: فما زاد على المائتين ففي كل أربعين درهماً درهم، وقال صاحب التمهيد، وهو قول ابن المسيب، والحسن ومكحول وعطاء وطاوس، وعمرو بن دينار والزهري. وبه يقول أبو حنيفة والاوزاعي، وذكر الخطابي الشعبي معهم.

(ونصاب الذهب عشرون ديناراً خالصة) بالإجماع ووقع في المنهاج مثقالاً بدل دينار، ومآلهما واحد لأن كل دينار زنته مثقال **(بوزن مكة)** لما روى أبو داود والنسائي بإسناد صحيح «المكيال مكيال المدينة والوزن وزن مكة» **(ففيها ربع العشر)** وهو نصف دينار ففي الصحيحين وفي الرقة ربع العشر، وعند أبي داود من حديث علي رفعه «ليس في أقل من عشرين

ففيها ربع العشر وما زاد فبحسابه، وإن نقص من النصاب حبة فلا زكاة. وتجب على

ديناراً شيء وفي عشرين نصف دينار» وعنده أيضاً «ليس عليك شيء حتى يكون عشرون ديناراً فإذا كانت لك وحال عليها الحول ففيها نصف دينار». **(وما زاد فبحسابه)** هذا مذهب الشافعي، وبه قال أبو يوسف ومحمد وعند أبي حنيفة في خمس نصاب يجب فيه بحسابه من الذهب أربعة دنانير فيجب فيها قيراطان وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال في الروضة: اما المثقال فمعروف ولم يختلف قدره في الجاهلية ولا في الإسلام، وأما الفضة فالمراد دراهم الإسلام ووزن الدرهم ستة دوانق، وكل عشرة دراهم سبعة مثاقيل ذهباً أنه أجتمع أهل العصر الأول على هذا التقدير. قيل: كان في زمن بني أمية وقيل في زمن عمر بن الخطاب اهـ.

وفي شرح المختار لأصحابنا: المعتبر في الدراهم كل عشرة توزن بوزن سبعة مثاقيل، لأن المثقال هو الدينار، والدينار عشرون قيراطاً، والدرهم أربعة عشر قيراطاً، فسبعة مثاقيل يكون مائة وأربعين قيراطاً، فعشرة دراهم يكون كذلك. وكل قيراط خمس شعيرات. وقيل: كانت الدراهم قبل عهد عمر رضي الله عنه مختلفة صنف منها كل عشرة دراهم عشرة مثاقيل كل درهم مثقال، وصنف منها كل عشرة خمسة مثاقيل كل درهم نصف مثقال، وصنف منها كل عشرة ستة مثاقيل وكل درهم ثلاثة اخماس مثقال، فطلبهم عمر في الخراج بأكبر الدراهم وهم التمسوا منه التخفيف فجمع حساب زمانه ليتوسطوا بين ما رامه وبين ما رامته الرعية، فاستخرجوا له وزن السبعة، وإنما فعلوا ذلك بوجوه. أحدها: أنك إذا جمعت أعداد الأصناف الثلاثة يعني من كل صنف عشرة دراهم صار الكل احدى وعشرين مثقالاً، فإذا أخذت ثُلث ذلك كان سبعة مثاقيل، فشاور عمر الصحابة فاجتمع رأيهم على هذا، فبنى عليه أحكام الزكاة والخراج ونصاب السرقة وتقدير الديات والمهر في النكاح اهـ.

ونقل القسطلاني في شرح البخاري عن بعضهم ما نصه: نصاب الذهب أربعمائة قيراط وسبعة وخمسون قيراطاً وسُبع قيراط، ووزنه ثلاث حبات وثلاثة أرباع خمس حبة أو ثُمن حبة وهي من الشعير المتوسط الذي لم يقشر بل قطع من طرفي الحبة منه ما دق وطال، وإنما كان القيراط ما ذكر لأنه ثلاثة أثمان الدانق الذي هو سُدس درهم وهو ثمان شعيرات وخُمسا شعيرة على الارجح. وذلك هو الدرهم الإسلامي وهو ستة عشر قيراطاً وزد عليه ثلاثة أسباع من الحب وهي إحدى وعشرون حبة وثلاثة أخماس حبة، فيكون الدينار الشرعي الذي هو مثقال اثنين وسبعين حبة، ويكون النصاب ألفاً وأربعمائة حبة وأربعين حبة، وإنما زيد على الدراهم ثلاثة أسباعه من الحب لأن المثقال درهم وثلاثة أسباعه اهـ.

(وإن نقص من النصاب حبة) أو بعض حبة **(فلا زكاة فيه)** وإن راج روجان التام أو زاد على التام لجودة نوعه ولو نقص في بعض الموازين وتم في بعضها فوجهان. الصحيح أنه لا زكاة فيه. وبه قطع المحاملي وغيره كذا في الروضة.

من معه دراهم مغشوشة إذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة، وتجب الزكاة في

تنبيه:

يشترط ملك النصاب بتمامه حولاً كاملاً كما تقدم في كلام المصنف، ولا يكمل نصاب أحد النقدين بالآخر. ويكمل الجيد بالرديء من الجنس الواحد، والمراد بالجودة النعومة والصبر على الضرب ونحوهما وبالرداءة الخشونة والتفتت عند الضرب، وإما إخراج زكاة الجيد والرديء، فإن لم تكثر أنواعه أخرج من كل بقسطه وإن كثرت وشق اعتبار الجميع أخرج من الوسط، ولو أخرج من الجيد عن الرديء فهو أفضل، وإن أخرج الرديء عن الجيد لم يجزه على الصحيح الذي قطع به الأصحاب. وقال الصيدلاني يجزئه وهو غلط، ويجوز إخراج الصحيح من المكسر ولا يجوز عكسه بل يجمع المستحقين ويصرف إليهم الدينار الصحيح بأن يسلمه إلى واحد بإذن الباقين هذا هو الصحيح المعروف، وحكي وجه أنه يجوز أن يصرف إلى كل واحد حصته مكسراً، ووجه أنه يجوز ذلك لكن مع التقارب بين الصحيح والمكسر ووجه أنه يجوز إذا لم يكن بين الصحيح والمكسر فرق في المعاملة.

(وتجب على من معه دراهم) أو دنانير **(مغشوشة إذا كان فيها هذا القدر من النقرة الخالصة)** أي الذهب الخالص أي لا زكاة فيها حتى يبلغ خالصها نصاباً فإذا بلغه أخرج الواجب خالصاً، أو أخرج من المغشوش ما يعلم اشتماله على خالص بقدر الواجب، ولو أخرج من أخرج عن ألف مغشوشة خمسة وعشرين خالصة أجزأه وقد تطوّع بالفضل، ولو أخرج خمسة مغشوشة عن مائتين خالصة لم يجزه وهل له الاسترجاع؟ حكوا عن ابن سريج فيه قولين. أحدهما: لا. وأظهرهما: نعم. كما لو عجل الزكاة فتلف ماله. قال ابن الصباغ: وهذا إذا كان قد بين عند الدفع أنه يخرج عن هذا المال.

تنبيه:

ما لو كان له إناء من ذهب وفضة وزنه ألف من أحدهما ستمائة، ومن الآخر أربعمائة ولا يعرف أيها الأكثر، فإن احتاط فزكى ستمائة ذهباً وستمائة فضة أجـزأه، وإن لم يحتط ميزهما بالنار أو امتحنها بأن يوضع قدر المخلوط من الذهب الخالص في ماء، ويعلم على الموضع الذي يرتفع إليه الماء ثم يخرج ويوضع مثله من الفضة الخالصة. ويعلم على موضع لارتفاع. وهذه العلامة تقع فوق الأولى لأن أجزاء الذهب أكثر اكتنازاً، ثم يوضع فيه المخلوط وينظر ارتفاع الماء به أهو إلى علامة الفضة أقرب أم إلى علامة الذهب ولو غلب على ظنه الاكثر منها: قال الشيخ أبو حامد: إن كان يخرج الزكاة بنفسه فله اعتماد ظنه وإن دفعها إلى الساعي لم يقبل ظنه بل يلزمه الاحتياط والتمييز، وقال إمام الحرمين: الذي قطع به أئمتنا أنه لا يجوز اعتماد ظنه. قال الإمام: ويحتمل أن يجوز له الأخذ بما شاء من النقدين لأن اشتغال ذمته بغير ذلك غير معلوم، وجعل المصنف في الوسيط هذا الاحتمال وجهاً.

....

فصل

وقال أصحابنا: المعتبر في الذهب والفضة أن يكون المؤدى قدر الواجب وزناً ولا يعتبر فيه القيمة، وكذا في حق الوجوب يعتبر أن يبلغ وزنها نصاباً ولا يعتبر فيه القيمة. أما الاوّل: وهو اعتبار الوزن في الأداء فهو قول أبي حنيفة، وأبي يوسف. وقال زفر: تعتبر القيمة، وقال محمد: يعتبر الأنفع للفقراء حتى لو أدى عن خمسة دراهم جياد خمسة زيوفاً قيمتها أربعة دراهم جياد جاز عندهما ويكره، وقال محمد وزفر: لا يجوز حتى يؤدي الفضل. لأن زفر يعتبر القيمة، ومحمد يعتبر الأنفع، وهما يعتبران الوزن. ولو أدى أربعة جياداً قيمتها خمسة رديئة عن خمسة رديئة لا يجوز إلا عند زفر، ولو كان له إبريق فضة وزنه مائتان وقيمته لصياغته ثلاثمائة إن أدى من العين يؤدي ربع عشره وهو خمسة قيمتها سبعة وإن أدى خمسة قيمتها خمسة جاز عندهما. وقال محمد وزفر: لا يجوز إلا أن يؤدي الفضل، ولو أدى من خلاف جنسه تعتبر القيمة بالاجماع. وأما اعتبار الوزن في حق الوجوب فمجمع عليه حتى لو كان له إبريق فضة وزنها مائة وخمسون وقيمتها مائتان لا يجب فيها، وكذلك الذهب، وإذا كان الغالب على الورق الفضة فهو فضة ولا يكون عكسه فضة وهو أن يكون الغالب عليه الغش، وإنما هو عروض لأن الدراهم لا تخلو عن قليل غش وتخلو عن الكثير، فجعلنا الغلبة فاصلة، وهو أن يزيد على النصف اعتباراً للحقيقة، ثم إن كان الغالب فيه الفضة تجب فيه الزكاة كيفما كان لأنه فضة، وإن كان الغالب فيه الغش نظر، فإن نواه للتجارة تعتبر قيمته مطلقاً، وإن لم ينوه للتجارة ينظر، فإن كانت فضة تتخلص تعتبر فتجب فيها الزكاة إن بلغت نصاباً وحدها أو بالضم إلى غيرها، لأن عين الفضة لا يشترط فيها نية التجارة ولا القيمة، وإن لم تتخلص منه فضة فلا شيء عليه لأن الفضة فيه قد هلكت إذ لم ينتفع بها لا حالاً ولا مآلاً فبقيت العبرة للغش وهو عروض فتشترط فيه نية التجارة فصارت كالثياب المموّهة بماء الذهب، وعلى هذا التفضيل الذهب المغشوش وأركان الفضة والغش سواء. ذكر الشيخ أبو نصر أنه تجب فيه الزكاة احتياطاً، وقيل لا تجب، وقيل يجب فيها درهمان ونصف. وكان الشيخ أبو بكر محمد بن الفضل يوجب الزكاة في القطريفية والعادلية كل مائتي درهم خمسة دراهم عدداً لأن الغش فيهما غالب فصارا فلوساً فوجب اعتبار القيمة فيه لا الوزن، والذهب المخلوط بالفضة إن بلغ الذهب نصاب الذهب وجبت فيه زكاة الذهب، وإن بلغت الفضة نصاب الفضة وجبت فيه زكاة الفضة، وهذا إذا كانت الفضة غالبة، وأما إذا كانت مغلوبة فهو كله ذهب لأنه اعز وأغلى قيمة والله أعلم.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وتجب الزكاة في التبر)** وهو ما كان من الذهب والفضة غير مضروب، فإن ضرب دنانير فهو عين. وقال ابن فارس: هو ما كان منهما غير مصوغ. وقال الزجاج: هو كل جوهر قبل استعماله كالنحاس والحديد وغيرهما. كل ذلك في المصباح، ولكن المتعارف الآن في الاطلاق هو من الذهب ما أخرج من الأرض لم يخلص من التراب، **(وفي**

التبر وفي الْحُلي المحظور كأواني الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب في

الحُليّ) بضم الحاء المهملة وكسر اللام وتشديد الياء جمع حلى بفتح فسكون **(المحظور)** أي المحرم وهو نوعان. **(محرم)** لعينه **(كأواني الذهب والفضة)** والملاعق والمجامر منها **(ومراكب الذهب)** والفضة **(للرجال)**، كالسروج منها ونحوها كاللجام والقلادة والثفر وأطراف السيور مما هو ملبوس للفرس، والثاني محرم بالقصد بأن يقصد الرجل بحلى النساء الذي يملكه كالسوار والخلخال أن يلبسه أو يلبسه غلمانه أو قصدت المرأة بحلي الرجل كالسيف والمنطقة أن تلبسه أو تلبس جواريها أو غيرهن من النساء، أو أعد الرجل حلي الرجال لنسائه أو جواريه أو أعدت المرأة حلي النساء لزوجها وغلمانها، فكل ذلك حرام ولو اتخذ حلياً ولم يقصد به استعمالاً مباحاً ولا محرماً بل قصد كنزه، فالمذهب وجوب الزكاة فيه وبه قطع الجمهور، وقيل: فيه خلاف. **(ولا تجب في الحلي المباح)** في أظهر القولين كالعوامل من الإبل والبقر، والثاني يجب لأن زكاة النقد تناط بجوهره. قال في شرح المنهاج: ويستثنى من إطلاق هذا القول أنه لا زكاة في الحلي المباح ما لو مات عن حلي مباح ولم يعلم به وارثه إلا بعد الحول، فإنه تجب زكاته لأن الوارث لم ينو إمساكه لاستعمال مباح. ذكره الروياني اهـ.

وقال أصحابنا: تجب الزكاة في حلي النساء، واستدلوا بما رواه حسين المعلم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن امرأة أتت رسول الله ﷺ وفي يدها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب، فقال رسول الله ﷺ «أتعطي زكاة هذا؟ قالت: لا. قال: أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة بسوارين من نار فخلعتهما وألقتهما إلى رسول الله ﷺ وقالت: هما لله ورسوله». أخرجه أبو داود هكذا والترمذي بنحوه، وقال: ولا يصح في هذا الحديث عن النبي ﷺ شيء. وأخرجه النسائي مسنداً ومرسلاً، وذكر المرسل أولى بالصواب. أخرجه البيهقي من هذا الطريق، ثم قال: ينفرد عمرو اهـ.

قلت: وقد ذكر البيهقي نفسه في باب الطلاق قبل النكاح عن ابن راهويه أنه إذا كان الرواي عنه ثقة، فهو كأيوب عن نافع عن ابن عمر، وذكر عن جماعة من الحفاظ أنهم يحتجون بحديثه فلا يضر تفرده بالحديث، ولذا قال النووي: إسناده حسن، ومن ذلك ما رواه عبد الله بن شداد بن الهاد أنه قال: دخلنا على عائشة زوج النبي ﷺ فقالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ فرأى في يدي فتخات من ورق فقال: «ما هذا يا عائشة؟ فقلت: صنعتهن لك يا رسول الله أتزين. قال: أتؤدين زكاتهن؟ قلت: لا. أو ما شاء الله. قال: هو حسبك من النار». أخرجه أبو داود والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

وأخرجه البيهقي من طريق شيخه الحاكم وسكت عنه، ومن ذلك عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كنت ألبس أوضاحاً من ذهب فقلت يا رسول الله: أكنزهن، فقال: ما بلغ أن تؤدي زكاته فليس بكنز» أخرجه أبو داود. وقال المنذري: فيه عتاب بن بشير أبو الحسن الحراني، وقد أخرج له البخاري وتكلم فيه غير واحد. وأخرجه البيهقي ثم قال ينفرد به ثابت بن عجلان.

الحلي المباح، وتجب في الدين الذي هو على مليء ولكن تجب عند الاستيفاء، وإن كان مؤجلاً فلا تجب إلا عند حلول الأجل.

النوع الرابع: زكاة التجارة:

وهي كزكاة النقدين، وإنما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشتري

قلت: أخرج له البخاري، ووثقه ابن معين وغيره، فلا يضر الحديث تفرده، ولهذا أخرجه الحاكم **وقال**: صحيح على شرط البخاري.

وفي الأشهاد لابن المنذر: روينا عن عمر، وعبد الله بن عمرو، وابن مسعود، وابن عباس، وابن المسيب، وسعيد بن جبير، وعبد الله بن شداد، وميمون بن مهران، وابن سيرين، ومجاهد، والثوري، والزهري، وجابر بن زيد وأصحاب الرأي وجوب الزكاة في حلي الذهب والفضة وبه أقول اهـ.

وفي المعالم للخطابي: الظاهر من الكتاب يشهد لقول من أوجبها والأثر يؤيده والاحتياط اهـ.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وتجب)** الزكاة **(في الدين الذي هو على مليء)** على فعيل أي على مقتدر، **(ولكنها تجب عند الاستيفاء)** منه، **(وإن كان الدين مؤجلاً)** أي مضروباً له الأجل **(فلا تجب إلا بعد حلول الأجل)** أشار بذلك إلى مسائل منها: لو ملك مائة درهم في يده وله مائة مؤجلة على مليء فكيف يزكي؟ يبني على أن المؤجل تجب فيه زكاة أم لا، والمذهب وجوبها، وإذا أوجبناها فالأصح أنه لا يجب الإخراج في الحال. وإليه أشار بقوله: إلاّ بعد حلول الأجل، وإن قلنا لا زكاة في المؤجل فلا شيء عليه في مسألتنا لعدم النصاب، وإن أوجبنا زكاة المؤجل في الحال يزكي المائتين في الحال، فإن أوجبناها ولم نوجب الإخراج في الحال، فهل يلزمه إخراج حصة المائة التي في يده في الحال أم يتأخر إلى قبض المؤجلة؟ وجهان: أصحهما تجب في الحال وهما بناء على أن الإمكان شرط للوجوب أو للضمان إن قلنا بالأول لم يلزمه لاحتمال أن لا يحصل المؤجل، وإن قلنا بالثاني أخرج، ومتى كان في يده دون نصاب وتمامه مغصوب أو دين ولم نوجب فيهما زكاة ابتداء الحول من حين يقبض ما يتم به النصاب.

النوع الرابع زكاة التجارة:

(وهي) واجبة **(كزكاة النقدين)** نص عليه في الجديد، ونقل عن القديم ترديد قول فمنهم من قال له في القديم قولان، ومنهم من لم يثبت خلاف الجديد، والأصل في وجوبها قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ [البقرة: ٢٦٧] قال مجاهد: نزلت في التجارة، وما رواه الحاكم في المستدرك بإسنادين صحيحين على شرط الشيخين عن أبي ذر رفعه « في الإبل صدقتها وفي البقر صدقتها وفي الغنم صدقتها وفي البز صدقته » والبز فسروه بالثياب المعدة للبيع عند البزازين وعلى السلاح قاله الجوهري، وزكاة العين لا تجب في الثياب والسلاح

البضاعة إن كان النقد نصاباً فإن كان ناقصاً أو اشتري بعرض على نية التجارة فالحول

فتعين الحمل على زكاة التجارة، قال ابن المنذر: وأجمع عامة أهل العلم على وجوبها. وأما خبر: ليس على المسلم في عبده وفرسه صدقة فمحمول على ما ليس للتجارة والتجارة تقليب المال بالمعاوضة على غرض الربح، كذا في شرح المنهاج، وفي الروضة: مال التجارة كل ما قصد الإتجار فيه عند اكتساب الملك بمعاوضة محضة، وتفصيل هذه القيود يظهر من سياق المصنف فيما سيأتي، ثم إن الحول معتبر في زكاة التجارة بلا خلاف والنصاب معتبر أيضاً بلا خلاف، ولكن في وقت اعتباره ثلاثة أوجه، وعبّر عنها إمام الحرمين والمصنف بأقوال، والصحيح أنها أوجه. الأول منهـا منصوص والآخران مخرجان، فالأول أصح أنه يعتبر في آخر الحول فقط، والثاني: يعتبر في أوله وفي آخره دون وسطه، والثالث يعتبر في جميع الحول، حتى لو نقصت قيمته عن النصاب في لحظة انقطع الحول، فإن كمل بعد ذلك ابتدأ الحول من يومئذ فإذا قلنـا بالأصح فاشترى عرضاً للتجارة بشيء يسير انعقد الحول عليه ووجبت فيه الزكاة إذا بلغت قيمته نصاباً آخر الحول، ثم إن مال التجارة تارة يملكه بنقد وتارة بغيره، فإن ملكه بنقد نظر إن كان نصاباً بأن اشترى بعشرين ديناراً أو بمائتي درهم فابتداء الحول من حين ملك ذلك النقد.

وإليه أشار المصنف بقوله: **(وإنما ينعقد الحول من وقت ملك النقد الذي به اشتري البضاعة إن كان النقد)** الذي هو رأس المال **(نصاباً)** ويبنى حول التجارة عليه هذا إذا اشتري بعين النصاب، أما إذا اشتري بنصاب في الذمة ثم نقده في ثمنه فينقطع حول النقد ويبتدئ حول التجارة من حين المشترى، **(وإن كان)** ذلك النقد **(ناقصاً)** أي دون نصاب ابتدأ الحول من حين ملك عرض التجارة إذا قلنا لا يعتبر النصاب في أول الحول، ولا خلاف أنه لا يحسب الحول قبل الشراء للتجارة لأن المشترى به لم يكن زكاة لنقصه، أما إذا ملك بغير نقد وإليه أشار بقوله: **(أو اشتري بعرض على نية التجارة)** فله حالان: أحدهما: ذلك العرض إن كان مما لا زكاة فيه كالثياب والعبيد، **(فالحول من وقت الشراء)** أي ابتداؤه من حين ملك مال التجارة بالشراء إن كان قيمة العرض نصاباً أو كانت دونه، وقلنا بالأصح إن النصاب لا يعتبر إلا في آخر الحول، والثاني: أن يكون مما تجب فيه الزكاة بأن ملك بنصاب من السائمة، فالصحيح الذي قطع به جماهير الأصحاب أن حول الماشية ينقطع ويبتدئ حول التجارة من حين ملك مال التجارة، ولا يبنى لاختلاف الزكاتين قدراً ووقتاً.

وقال الاصطخري: يبنى على حول السائمة كما لو ملك بنصاب من النقدين ثم زكاة التجارة، والنقد يبنى حول كل منهما على الآخر، فإذا باع مال تجارة بنقد بنية القنية بنى حول النقد على حول التجارة، كما يبنى حول التجارة على حول النقد، ثم لا خلاف ان قـدر زكاة التجارة ربع العُشر كالنقد، ومن أين يخرج؟ فيه ثلاثة أقوال، المشهور الجديد يخرج من القيمة ولا يجوز أن يخرج من عين العرض، والثاني يجب الإخراج من العين ولا يجوز من القيمة، والثالث يتخير بينهما، فلو اشترى بمائتي درهم مائتي قفيز حنطة أو بمائة وقلنا يعتبر النصاب آخر الحول فقط،

من وقت الشراء. وتؤدى الزكاة من نقد البلد وبه يقوّم، فإن كان ما به الشراء نقداً وكان نصاباً كاملاً كان التقويم به أولى من نقد البلد. ومن نوى التجارة من مال قنية

وحال الحول وهي تساوي مائتين، فعلى المشهور عليه خمسة دراهم، وعلى الثاني خمسة أقفزة، وعلى الثالث يتخير بينهما.

واعتمد المصنف القول الأول، وإليه أشار بقوله: **(وتؤدى الزكاة)** أي زكاة التجارة وهي ربع العشر **(من نقد البلد)** أما كون واجبها ربع العُشر فلا خلاف فيه وقد تقدم، وأما كونه من القيمة فهو الجديد المشهور كما تقدم أيضاً، ثم المعتبر في القيمة نقد البلد، **(وبه يقوّم)** أي فيما يقوّم به مال التجارة لرأس المال أحوال.

أحدها: ما أشار إليه المصنف بقوله: **(فإن كان ما به الشراء نقداً وكان نصاباً كاملاً)** بأن اشترى عرضاً بمائتي درهم أو عشرين ديناراً فيقوم آخر الحول به، و**(كان التقويم به أولى من نقد البلد)**، فإن بلغ بها نصاباً زكاه وإلاّ فلا، وإن كان الثاني غالب نقد البلد، ولو قوّم به لبلغ نصاباً حتى لو اشترى بمائتي درهم عرضاً فباعه بعشرين ديناراً، وقصد التجارة مستمر فتم الحول والدنانير في يده ولا يبلغ قيمتها مائتي درهم فلا زكاة، هذا هو المذهب المشهور، وعن صاحب التقريب حكاية قول: إن التقويم أبداً يكون بغالب نقد البلد، ومنه يخرج الواجب سواء كان رأس المال نقداً أم لا. وحكى الروياني هذا عن ابن الحداد.

الحال الثاني: أن يكون نقداً دون النصاب فوجهان: أصحهما يقوّم بذلك النقد، والثاني بغالب نقد البلد كالعرض.

الحال الثالث: أن يملك بالنقدين جميعاً وهو على ثلاثة أضرب.

أحدها: أن يكون كل واحد نصاباً فيقوّم بهما على نسبة التقسيط يوم الملك وطريقة تقويم أحد النقدين بالآخر.

الضرب الثاني: أن يكون كل واحد منهما دون النصاب، فإن قلنا ما دون النصاب كالعرض قوم الجميع بنقد البلد، وإن قلنا كالنصاب قوّم ما ملكه بالدراهم بدراهم وما ملكه بالدنانير بدنانير.

الضرب الثالث: أن يكون أحدهما نصاباً والآخر دونه فيقوم ما ملكه بالنقد الذي هو نصاب بذلك النقد، وما ملكه بالنقد الآخر على الوجهين، وكل واحد من المبلغين يقوّم في آخر حوله وحول المملوك بالنصاب من حين ملك ذلك النقد وحول المملوك بما دونه من حين ملك العرض، وإذا اختلف جنس المقوّم به فلا ضم.

الحال الرابع: أن يكون رأس المال غير نقد بأن ملك بعرض قنية أو ملك بخلع أو نكاح بقصد التجارة، وقلنا يصير مال تجارة فيقوّم في آخر الحول بغالب نقد البلد من الدراهم

فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشتري به شيئاً، ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة. والأولى أن تؤدى زكاة تلك السنة وما كان من ربح في السلعة في آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس المال ولم يستأنف له حول كما في النتاج

والدنانير فإن بلغ نصاباً زكاه وإلاّ فلا، وإن كان يبلغ بغيره نصاباً فلو جرى في البلد نقدان متساويان، فإن بلغ بأحدهما نصاباً دون الآخر قوّم به، وإن بلغ بهما فأوجه أصحها يتخير المالك فيقوم بما شاء منهما، والثاني يراعي الأغبط للمساكين، والثالث يتعين التقويم بالدراهم لأنها أرفق. والرابع: يقوم بالنقد وغيره فما قابل الدراهم يقوّم بها وما قابل العرض يقوّم بنقد البلد، فإن كان النقد دون النصاب عاد الوجهان.

(ومن نوى التجارة في مال قنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته)، أما عرض التجارة فإنه يصير قنية بنيتها لأنها الأصل فاكتفى فيها بالنية، وأما عرض التقنية فإنه لا يصير للتجارة بمجرد نيتها فلا ينعقد الحول بذلك لأنها خلاف الأصل، كما أن المسافر يصير مقيماً بمجرد النية، فإذا نوى وهو ماكث لا يصير مسافراً إلا بفعل، وأيضاً القنية هي الجنس للانتفاع، وقد وجد بالنية المذكورة مع الإمساك، والتجارة هي التقليب بقصد الأرباح ولم يوجد ذلك، فلو لبس ثوب تجارة بلانية قنية فهو مال تجارة فإن نواها به فليس مال تجارة وإنما يصير العرض للتجارة إذا قرنت نيتها بكسبه بمعاوضة محضة، وهو المراد بقول المصنف: **(حتى يشتري به شيئاً)** وقال في الروضة: مجرد نية التجارة لا يصيره مال تجارة، فلو كان له عرض قنية ملكه بشراء أو غيره فجعله للتجارة لم يصر على الصحيح الذي قطع به الجماهير، وقال الكرابيسي: يصير وأما إذا اقترنت نية التجارة بالشراء، فإن المشترى يصير مال تجارة ويدخل في الحول سواء اشتري بعرض أو نقد أو دين حال أو مؤجل لانضمام قصد التجارة إلى فعلها، وإذا ثبت حكم التجارة لا تحتاج كل معاملة إلى نية جديدة. وفي معنى الشراء: لو صالح على دين له في ذمة إنسان على عرض بنية التجارة صار للتجارة، سواء كان الدين قرضاً أو ثمن مبيع أو ضمان متلف، وكذلك الاتهاب بشرط الثواب إذا نوى به التجارة، وأما الهبة المحضة والاحتطاب والاحتشاش والاصطياد والإرث فليست من أسباب التجارة ولا أثر لاقتران النية بها، وكذلك الرد بالعيب والاسترداد، **(ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة)** لأن تمام الحول معتبر فيها بلا خلاف كما تقدم، **(والأولى أن يؤدي زكاة تلك السنة)** احتياطاً، **(وما كان من ربح في السلعة في آخر الحول وجبت الزكاة فيه لحول رأس المال ولم يستأنف له حول كما في النتاج)** أي مع الأمهات. إعلم أن ربح مال التجارة ضربان: حاصل من غير نضوض المال، وحاصل مع نضوضه.

فالأول: مضموم إلى الأصل كالنتاج. قال إمام الحرمين: حكى الأئمة القطع بذلك، لكن من يعتبر النصاب في جميع الحول قد لا يسلم وجوب الزكاة في الربح في آخر الحول، ومقتضاه أن يقول ظهور الربح في أثنائه كنضوضه وفيه خلاف يأتي. قال الإمام: وهذا لا بدّ منه، والمذهب

....

الصحيح ما سبق، فعلى المذهب لو اشترى عرضاً بمائتي درهم فصارت قيمته في أثناء الحول ثلاثمائة زكّى ثلاثمائة في آخر الحول، وإن كان ارتفاع القيمة قبل آخر الحول بلحظة، ولو ارتفعت بعد الحول فالربح مضموم إلى الأصل في الحول الثاني كالنتاج.

الضرب الثاني: الحاصل مع النضوض فينظر إن صار ناضاً من غير جنس رأس المال، فهو كما لو أبدل عرضاً بعرض لأنه لا يقع به التقويم، هذا هو المذهب. أما إذا صار ناضاً من جنسه فتارة يكون ذلك في أثناء الحول وتارة بعده، وعلى التقدير الأول قد يمسك الناض إلى أن يتم الحول وقد يشتري به سلعة.

الحال الأول: أن يمسك الناض إلى تمام الحول، فإن اشترى عرضاً بمائتي درهم فباعه في أثناء الحول بثلاثمائة، وتم الحول وهي في يده ففيه طريقان، أصحهما وبه قال الأكثرون: على قولين أظهرهما يزكي الأصل بحوله ويفرد الربح بحول، والثاني يزكي الجميع بحول الأصل، والطريق الثاني القطع بإفراد الربح، وإذا أفردنا ففي ابتداء حوله وجهان، أصحهما من حين النضوض، والثاني من حين الظهور.

الحال الثاني: أن يشتري بها عرضاً قبل تمام الحول فطريقان. أصحهما أنه كما لو أمسك الناض. والثاني القطع بأنه يزكي الجميع لحول الأصل.

الحال الثالث: إذا نض بعد تمام الحول فإن ظهرت الزيادة قبل تمام الحول زكى الجميع بحول الأصل بلا خلاف، فإن ظهرت بعد تمامه فوجهان. أحدهما: هكذا وأصحهما يستأنف للربح حولاً، وجميع ما ذكرناه فيما إذا اشترى العرض بنصاب من النقد أو بعرض آخر قيمته نصاب، فأما إذا اشترى بمائة درهم مثلاً وباعه بعد ستة أشهر بمائتي درهم وبقيت عنده إلى تمام الحول من حين الشراء، فإن قلنا: بالأصح إن النصاب لا يشترط إلا في آخر الحول بني على القولين في أن الربح من الناض هل يضم إلى الأصل في الحول؟ إن قلنا: نعم فعليه زكاة المائتين، وإن قلنا لا لم يزك مائة الربح إلا بعد ستة أشهر أخرى، فإن قلنا: النصاب يشترط في جميع الحول أو في طريقه فابتداء حول الجميع من حين باع ونض، فإذا تم زكى المائتين ولو ملك عشرين ديناراً فاشترى بها عرضاً للتجارة ثم باعه بعد ستة أشهر من ابتداء الحول بأربعين ديناراً واشترى بها سلعة أخرى ثم باعها بعد تمام الحول بمائة، فإن قلنا: الربح من الناض لا يفرد بحول فعليه زكاة جميع المائة وإلاّ فعليه زكاة خمسين ديناراً لأنه اشترى السلعة الثانية بأربعين منها عشرون رأس ماله، الذي مضى عليه ستة أشهر وعشرون ربح استفاده يوم باع الأول، فإذا مضت ستة أشهر فقد تم الحول على نصف السلعة فيزكيه بزيادته وزيادته ثلاثون ديناراً لأنه ربح على العشر [1] ، وكان كامناً وقت تمام الحول، ثم إذا مضت ستة أشهر أخرى فعليه زكاة العشرين الثانية، فإن حولها حينئذ تم ولا يضم إليها ربحها لأنه صار ناضاً قبل تمام حولها، فإذا مضت ستة أشهر أخرى فعليه زكاة

(١) بياض في الأصل.

وأموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات، وزكاة ربح

ربحها وهو الثلاثون الباقية، فإن كانت الخمسون التي أخرج زكاتها في الحول الأول باقية عنده فعليه زكاتها أيضاً للحول الثاني مع الثلاثين، هذا هو قول ابن الحداد تفريعاً على أن الناض يفرد ربحه بحول.

وحكى الشيخ أبو يعلى وجهين آخرين ضعيفين، أحدهما: يخرج عند البيع الثاني زكاة عشرين فإذا مضت ستة أشهر أخرج زكاة عشرين أخر، وهي التي كانت ربحاً في الحول الأول، فإذا مضت ستة أشهر أخرج زكاة الستين الباقية لأنها إنما استقرت عند البيع الثاني فمنه يبتدئ حولها.

والوجه الثاني: أنه عند البيع الثاني يخرج زكاة عشرين، ثم إذا مضت ستة أشهر زكى الثمانين الباقية لأن الستين هي الربح حصلت في حول العشرين التي هي الربح الأول، فضمت إليها في الحول، ولو كانت المسألة بحالها لكنه لم يبع السلعة الثانية فيزكي عند تمام الحول الأول خمسين وعند تمام الثاني الخمسين الثانية، لأن الربح الأخير لم يصر ناضاً، ولو اشترى بمائتين عرضاً وباعه بعد ستة أشهر بثلاثمائة، واشترى بها عرضاً وباعه بعد تمام الحول بستمائة إن لم يفرد الربح بحول زكى الستمائة وإلاَّ فزكاة أربعمائة، فإذا مضت ستة أشهر زكى مائة، فإذا مضت ستة أشهر أخرى، زكّى المائة الباقية. هذا على قول ابن الحداد، وأما على الوجهين الآخرين فيزكي عند البيع الثاني مائتين، ثم على الوجه الأول إذا مضت ستة أشهر من البيع الثاني زكى ربع المائة الأخرى.

تنبيه:

مال التجارة إن كان حيواناً فله حالان، أحدهما: أن يكون مما تجب الزكاة في عينه كنصاب الماشية وقد تقدم حكمه، والثاني: لا تجب في عينه كالخيل والجواري والمعلوفة من النعم، فهل يكون نتاجها مال تجارة، وجهان، أصحهما يكون مال تجارة لأن الولد له حكم أمه، والوجهان فيما إذا لم تنقص قيمة الأم بالولادة، فإن نقصت جبرت من قيمة الولد، كذا قال ابن سريج وغيره. قال الإمام: وفيه احتمال ظاهر ومقتضى قوله: أنه ليس مال تجار أن لا تجبر به الأم كالمستفاد بسبب آخر وثمار أشجار التجارة كأولاد حيوانها ففيها الوجهان، فإن لم تجعل الأولاد والثمار مال تجارة، فهل يجب فيها في السنة الثانية فما بعدها زكاة؟ قال إمام الحرمين: الظاهر أن لا توجب لأنه منفصل عن تبعية الأم وليس أصلاً في التجارة، وأما إذا ضممناها إلى الأصل وجعلناها مال تجارة ففي حولها طريقان. أصحهما: حولها حول الأصل كنتاج السائمة وكالزيادة المتصلة، والثاني على قول ربح الناض، فعلى هذا ابتداء حولها من انفصال الولد وظهور الثمار.

(وأموال الصيارفة) جمع صيرفي وهو الذي ينقد الدراهم والدنانير ويصرفها للناس **(لا ينقطع حولها بمجرد المبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات)** هذا قول في المذهب. وقال في شرح

مال القراض على العامل وإن كان قبل القسمة هذا هو الأقيس.

المنهاج ولو اشترى نقداً بنقد، فإن لم يكن للتجارة انقطع الحول، وإن كان لها كالصيارفة، فالأصح انقطاعه أيضاً، وحكي عن ابن سريج أنه قال: بشر الصيارفة بأن لا زكاة عليهم اهـ.

فهذا يدل على أن أصح القولين انقطاع الحول في أموال الصيارف، هذا إذا كانت المبادلة صحيحة وإلاّ فلا ينقطع. **(وزكاة ربح مال القراض)** المشروط للعامل **(على)** حصة **(العامل)**،وفي بعض النسخ على العامل أعني حصته، إن قلنا انه يملك الربح المشروط له ويلزم المالك زكاة رأس المال وحصته من الربح، وإنما قلنا انه يلزم العامل زكاة حصته من الربح لأنه متمكن من التوصل إليه متى شاء بالقسمة فأشبه الدين الحال على مليء، وعلى هذا ابتداء حصته من حين الظهور، ولا يلزمه إخراجها قبل القسمة على المذهب وله الاستبداد بإخراجها من مال القراض، فقول المصنف: **(وإن كان قبل القسمة)** لا يخالف هذا القول لكونه متمكناً من التوصل إليه متى شاء. **(هذا هو الأقيس)** وبه قطع بعضهم ورجحه النووي في المجموع، والثاني لا تلزمه زكاة حصته لأنه غير متمكن من كمال التصرف فيها وبه قطع بعضهم، وإن قلنا عامل القراض لا يملك الربح المشروط له بالظهور وهو الأصح بل بالقسمة، فعلى المالك عند تمام الحول زكاة الجميع رأس المال والربح لأن الجميع ملكه، فإذا أخرجها من غير مال القراض فذاك أو من ماله حسبت من الربح في الأصح، ولا يجعل إخراجها كاسترداد المالك جزءاً من المال تنزيلاً لها منزلة المؤن التي تلزم المال من أجرة الدلّال والكيال وفطرة عبد التجارة وجناياتهم، والثاني تحسب من رأس المال لأن الوجوب على من له مال، والثالث زكاة الأصل من الأصل وزكاة الربح من الربح لأنها وجبت فيهما، والله أعلم.

فصل

وقال أصحابنا يجب رُبع العُشر في عروض تجارة بلغت قيمتها من الورق والذهب نصاباً ويعتبر فيها الأنفع للمساكين هذا قول أبي حنيفة، ومعناه: يقوّم بما يبلغ نصاباً إن كان يبلغ بأحدهما ولا يبلغ بالآخر احتياطاً لحق الفقراء، وفي الأصل خيره لأن الثمنين في تقدير قيم الأشياء بهما سواء. وقال أبو يوسف: يقوّمها بما اشترى إذا كان الثمن من النقود لأنه أقرب لمعرفة المالية وإن اشتراها بغير النقود يقوّمها بالغالب من النقود، وقال محمد: يقوّمها بالنقد الغالب على كل حال كما في المغصوب والمستهلك وأروش الجنايات، ويقوم بالمصر الذي هو فيه، وإن كان في مفازة تعتبر قيمته بأقرب الأمصار الى ذلك الموضع، وتعتبر القيمة يوم الوجوب عنده ويوم الأداء عندهما، وإذا كان النصاب كاملاً في ابتداء الحول وانتهائه فنقصانه فيما بين ذلك لا يسقط الزكاة، وقال زفر: يسقطها لأن حولان حول على النصاب كاملاً شرط الوجوب، ولأبي حنيفة أن الحول لا ينعقد إلا على النصاب ولا تجب الزكاة إلا في النصاب، ولا بدّ منه فيهما، ويسقط الكمال فيما بين ذلك للحرج لأنه قل ما يبقى المال حولاً على حاله،

النوع الخامس: الركاز والمعدن:

والركاز مال دفن في الجاهلية ووجد في أرض لم يجر عليها في الإسلام ملك، فعلى

ونظيره: اليمين حيث يشترط فيها الملك حالة الانعقاد وحالة نزول الجزاء، وفيما بين ذلك لا يشترط إلا أنه لا بدّ من بقاء شيء من النصاب الذي انعقد عليه الحول ليضم المستفاد إليه لأن هلاك الكل يبطل انعقاد الحول إذ لا يمكن اعتباره بدون المال، وعلى هذا قالوا: لو اشترى عصيراً للتجارة يساوي مائتي درهم فتخمر في أثناء الحول ثم تخلل. والخل يساوي مائتي درهم يستأنف الحول للخل ويبطل الحول الأول، ولو اشترى شياهاً تساوي مائتي درهم فماتت كلها ودبغ جلدها وصار يساوي مائتي درهم لا يبطل الحول الأول، بل يزكيها إذا تم الحول الأول من وقت الشراء، والفرق بينهما أن الخمر إذا تخمرت هلكت كلها وصارت غير مال فانقطع الحول ثم بالتخلل صار مالاً مستحدثاً غير الأول، والشياه إذا ماتت لم يهلك كل المال لأن شعرها وصوفها وقرنها لم يخرج عن أن يكون مالاً فلم يبطل الحول لبقاء البعض وتضم قيمة العروض إلى الذهب والفضة، ويضم الذهب إلى الفضة بالقيمة، فيكمل به النصاب لأن الكل جنس واحد لأنها للتجارة، وإن اختلفت جهة الاعداد ووجوب الزكاة باعتبارها هذا قول أبي حنيفة، وعندهما يضم بالأجزاء حتى لو كان له مائة درهم وخمسة دنانير قيمتها مائة درهم تجب الزكاة عنده خلافاً لهما، وعكسه لو كان له مائة درهم وعشرة دنانير تبلغ مائة درهم تجب فيهما الزكاة عندهما لا عنده. كذا ذكره بعضهم. ونظر فيه الزيلعي وقال: إذا كانت عشرة دنانير لا تبلغ مائة درهم، فالمائة تبلغ عشرة دنانير ضرورة، ومما يبنى على هذا الاختلاف ما لو كان له فضة وعروض أو ذهب وعروض كان له أن يقوّم الذهب أو الفضة بخلاف جنسه ويضم قيمته إلى قيمة العروض بالقيمة عند أبي حنيفة، وعندهما تقوم العروض به ويضم قيمته إليهما بالأجزاء، وليس له أن يقوم الذهب والفضة كما ذكرنا، والله أعلم.

النوع الخامس زكاة الركاز والمعدن:

(والركاز) بكسر **(ما دفن في الجاهلية)** من الأموال فعال بمعنى مفعول كبساط بمعنى مبسوط، ويطلق على المعدن أيضاً، وقد أركز الرجل وجد ركازاً. كذا في المصباح، والمراد بالجاهلية ما قبل الإسلام أي مبعث النبي ﷺ كما صرح به الشيخ أبو علي سموا بذلك لكثرة جهالتهم، ويعتبر في كون الدين الجاهلي ركازاً كما قاله أبو إسحاق المروزي: أن لا يعلم أن مالكه بلغته الدعوة، فإن علم أنها بلغته وعاند ووجد في بنائه أو بلدته التي أنشأها كنزاً فليس بركاز، بل فيء حكاه في المجموع عن جماعة وأقره، ولم يبين المصنف هل المراد بالجاهلي ضرباً أو دفناً، ولكن قوله في الوجيز ويشترط كونه على ضرب الجاهلية فإن كان على ضرب الإسلام فلقطة أو مال ضائع يحفظه الإمام اهـ يدل على إرادته.

وعبارة المنهاج هو الموجود الجاهلي، وعبارة الروضة هو دفن الجاهلية واستحسنوها، فإن

واجده في الذهب والفضة منه الْخُمس والحول غير معتبر . والأولى أن لا يعتبر النصاب

الحكم منوط به فيهم إذ لا يلزم من كونه على ضرب الجاهلية كونه دفن الجاهلية لاحتمال أن مسلماً عثر بكنز جاهلي فأخذه ثم دفنه، وأجيب عنه بأن الأصل والظاهر عدم أخذ مسلم له ثم دفنه ثانياً، ولو قلنا به لم يكن لنا ركاز بالكلية. قال السبكي في شرح المنهاج: والحق أنه لا يشترط العلم بكونه من دفنهم فإنه لا سبيل إليه، وإنما يكتفى بعلامة تدل عليه من ضرب أو غيره اهـ.

قال الخطيب: وهذا أولى، والتقييد بدفن الجاهلية يقتضي أن ما دفن في الصحارى من دفن الحربيين الذين عاصروا الإسلام لا يكون ركازاً بل فيئاً قال الأسنوي: يدل له كلام أبي إسحاق المروزي السابق، ويشترط في كونه ركازاً أيضاً أن يكون مدفوناً، فإن وجد ظاهراً بأن السيل أظهره فركاز أو انه كان ظاهراً فلقطة، وإن شك فكما لو شك في أنه ضرب الجاهلية أو الإسلام. قاله الماوردي.

ثم قال المصنف: **(ووجد في أرض لم يجر عليها في الإسلام ملك)**. قال في الروضة: الكنز الموجود بالصفة المتقدمة تارة يوجد في دار الإسلام، وتارة في دار الحرب فالذي في دار الإسلام إن وجد في موضع لم يعمره مسلم ولا ذو عهد فهو ركاز سواء كان مواتاً أو من القلاع العادية التي عمرت في الجاهلية، فإن وجد في طريق مسلوكة فالمذهب والذي قطع به العراقيون والقفال أنه لقطة، وقيل: ركاز، وقيل وجهان، والموجود في المسجد لقطة على المذهب ويجيء فيه الوجه الذي في الطريق أنه ركاز، وما عدا هذه المواضع ينقسم إلى موقوف ومملوك، فالمملوك إن كان لغيره ووجد فيه كنزاً لم يملكه الواجد، بل إن ادعاه مالكه فهو له بلا يمين، وإلّا فهو لمن تلقى صاحب الأرض الملك منه وإن كان الموضع موقوفاً، فالكنز لمن في يده الأرض كذا في التهذيب. هذا كله إذا وجد في دار الإسلام، ولو وجده في دار الحرب في موات نظر إن كانوا لا يذبون عنه فهو كموات دار الإسلام، وإن كانوا يذبون عنه ذبهم عن العمران، فالصحيح الذي قطع به الأكثرون أنه كمواتهم. وقال الشيخ أبو علي: هو كعمرانهم، وإن وجد في موضع مملوك لهم نظر إن أخذ بقهر وقتال فهو غنيمة كأخذ أموالهم ونقودهم من بيوتهم، وإن أخذ بغير قتال ولا قهر فهو فيء ومستحقه أهل الفيء كذا في النهاية.

(فعلى واجده) إن كان من أهل الزكاة على القول بأن مصرفه مصرف الزكاة **(في الذهب والفضة منه)** خاصة وكون الموجود ذهباً أو فضة شرط فيه، وقيل في اشتراطه قولان الجديد: الاشتراط، ولذا قال في الوجيز: ويشترط كونه من جوهر النقدين على الجديد، وعلى لفظ جوهر علامة خلاف الأئمة الثلاثة **(الْخُمس)** ومصرفه مصرف الزكاة على المشهور، لأنه حق واجب في المستفاد من الأرض فأشبه الواجب في الزرع والثمار، ورجح في أصل الروضة والمجموع القطع به. وإنما كان الخمس فيه لكثرة نفعه وسهولة اخذه، **(والحول غير معتبر)** بلا خلاف صرح به الرافعي والنووي، وإن جرى في المعدن خلاف فقول القاضي أبي بكر بن العربي اختلف

أيضاً لأن إيجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة. واعتباره أيضاً ليس ببعيد لأن مصرفه مصرف الزكاة، ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين.

وأما المعادن؛ فلا زكاة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطحن

الناس في اعتبار الحول فيه، فرأى مالك أنه كالزرع لأنه مال زكوي يخرج من الأرض، ورأى الشافعي أنه ذهب وفضة يجريان على حكمهما، فراعى الشافعي اللفظ، وراعى مالك المعنى وهو أسعد به اهـ.

فيه نظر لمخالفته مذهب الشافعي، ولعل هذا الخلاف في المعدن، فإن الاختلاف فيه في اشتراط الحول معروف كما سيأتي، وأما النصاب ففيه قولان جديد وقديم، أحدهما أنه شرط فيه على المذهب لأنه مال مستفاد من الأرض فاختص بما تجب فيه الزكاة قدراً ونوعاً كالمعدن، والثاني: لا يشترط لعموم قوله ﷺ «وفي الركاز الْخُمس» ومنهم من لم يثبته قولاً.

(والأولى أن لا يعتبر النصاب) فيه **(أيضاً لأن إيجاب الْخُمس)** فيه اتفاقاً **(يؤكد شبهه بالغنيمة)**. وأيضاً فعموم الخبر المتقدم دال على عدم اعتباره، وبه قال أبو حنيفة، ومالك. وأحمد. وحكاه ابن المنذر عن إسحاق وأبي عبيد وأصحاب الرأي، واختاره ابن المنذر وقال: هو أولى بظاهر الحديث. **(واعتباره ليس أيضاً بعيداً)** في النظر، **(لأن مصرفه مصرف الزكاة)** على القول المشهور في المذهب، وحكي قول: وقيل فيه وجه أنه يصرف مصرف خمس الفيء، وقول آخر أنه يصرف لأهل الخمس لأنه مال جاهلي حصل الظفر به من غير إيجاف خيل ولا ركاب، فكان كالفيء، فعلى هذا يجب على المكاتب والكافر ولا يحتاج إلى نية. والمصرف في الموضعين بكسر الراء فيهما محل الصرف وهو المراد هنا وبفتح الراء مصدر، **(ولذلك يخصص على الصحيح من القولين)** في المذهب **(بالنقدين)** الذهب والفضة دون سائر المنطبعات كالحديد والرصاص وغيرهما. وقال أحمد: لا فرق في الركاز بين أن يكون ذهباً أو فضة أو نحاساً أو حديداً أو جواهر أو غيرها من الأموال، وحكاه ابن المنذر عنه، وعن إسحاق وأبي عبيد وأصحاب الرأي قال: وبه أقول. قال: وقال الأوزاعي: ما أرى بأخذ الْخُمس من ذلك كله بأساً، وعن مالك فيه روايتان كالقولين، وحكى كل منهما عن ابن القاسم. وقال بالتعميم: مطرف، وابن الماجشون، وابن نافع، وبالتخصيص ابن المواز قال ابن المنذر: وأصح قولي مالك ما عليه سائر أهل العلم والله أعلم.

(أما المعادن) جمع معدن كمجلس للمكان الذي خلق الله تعالى فيه الجواهر من الذهب والفضة والحديد والنحاس سمي بذلك لعدونه أي إقامته. يقال: عدن بالمكان إذا أقام فيه، ويسمى المستخرج معدناً أيضاً، والأصل في زكاته قبل الإجماع قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ [البقرة: ٢٦٧] أي زكوا من خيار ما كسبتم من المال فشمل المعادن من طيبات ما أخرجنا لكن من الأرض أي من الحبوب والثمار، وخبر الحاكم في صحيحه

والتخليص ربع العشر على أصح القولين، وعلى هذا يعتبر النصاب. وفي الحول قولان، وفي قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر، وفي النصاب قولان. والأشبه ـ والعلم عند الله تعالى ـ أن يلحق في قدر الواجب بزكاة التجارة فإنه نوع اكتساب وفي الحول بالمعشرات فلا يعتبر لأنه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمعشرات. والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير، ومن عين النقدين أيضاً خروجاً عن شبهة هذه الاختلافات

«أنه ﷺ أخذ من المعادن القبلية الصدقة» وهي ناحية بين الحرمين تسمى بالفرع، وقد اجمعت الأمة على وجوب الزكاة في المعدن، **(فلا زكاة فيما استخرج منها)** أي من المعادن **(سوى الذهب والفضة)** هذا هو المذهب المعروف، والذي قطع به الأصحاب لا غيرهما من الحديد والنحاس والياقوت والزبرجد، وحكي وجه: أنه يجب زكاة كل مستخرج منها منطبعاً كان كالحديد والنحاس أو غيره كالكحل والياقوت وهذا شاذ منكر. وفي واجب النقدين المستخرجين منها ثلاثة أقوال.

أحدها أشار إليه المصنف بقوله: **(ففيها بعد الطحن والتحصيل)** بمعالجة النار أو الحفر أو غير ذلك **(ربع العشر على أصح القولين)** في المذهب، ولكن بشرط ان ناله بالتعب واحتاج إلى ما ذكر من المعالجة، **(وعلى هذا يعتبر النصاب)** لوجوب الزكاة فيه هذا هو المذهب، وقيل في اشتراطه قولان، **(وفي الحول قولان)**، والمذهب المنصوص عليه في معظم كتب الشافعي أنه لا يشترط الحول.

(وفي قول يجب الخمس) وهذا هو القول الثاني من الأقوال الثلاثة، ووجه هذا القول أنه كالركاز بجامع الخفاء في الأرض.

والقول الثالث: أنه يجب ربع العشر مطلقاً من غير قيد المعالجة والتعب، والذي اعتمده الأكثرون في ضبط الفرق الحاجة إلى الطحن والتحصيل والاستغناء عنها فما احتاج فربع العشر وما استغنى عنها فالخمس لأن الواجب يزداد بقلة المؤنة وينقص بكثرتها كالمعشرات، **(فعلى هذا)** أي على قول من أوجب الخمس **(لا يعتبر الحول)** على الأصح **(وفي النصاب قولان)** أصحها القطع باشتراط النصاب **(والأشبه)** في هذه المسألة **(والعلم عند الله)** أتى بهذه الجملة تأدباً وتبركاً **(أن يلحق في قدرالواجب بزكاة التجارة، فإنه نوع اكتساب)** وهذا هو الجامع بينهما، **(و)** أن يلحق **(في الحول بالمعشرات)** أي قياساً عليها **(فلا يعتبر الحول)** فيه كما لا يعتبر في المعشرات **(لأنه عين الرفق)** بالواجد، ولأن الحول إنما يعتبر للتمكن من تنمية المال وهذا نماء في نفسه، **(ويعتبر النصاب كالمعشرات)** لأن ما دون النصاب لا يحتمل المواساة، **(والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ومن غير النقدين أيضاً)** مما ذكر **(خروجاً من شبهة الخلاف)** بين الأئمة، فان أبا حنيفة ومالكاً وأحمد وإسحاق وأبا عبيد لا يشترطون فيه في وجوب الخمس أن يبلغ نصاباً أم لا، وأن أحمد وإسحاق وأبا عبيد والأوزاعي لا

فإنها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه.

يفرقون بين أن يكون المستخرج نقداً أو غيره، **(فإنها ظنون قريبة من التعارض، وجزم الفتوى فيها مخطر)** وفي نسخة: خطر **(لتعارض الأشباه)**، وتتعلق بهذا الباب فروع:

الأول: إذا شرطنا النصاب فليس من شرطه أن ينال في الدفعة الواحدة نصاباً ناله بدفعات ضم بعضه إلى بعض ان تتابع العمل وتواصل النيل.

الثاني: إذا نال من المعدن دون نصاب وهو يملك من جنسه نصاباً فصاعداً فأما أن يناله في آخر جزء من حول ما عنده أو مع تمام حوله أو قبله، ففي الحالين الأولين يصير مضموماً إلى ما عنده وعليه في ذلك النقد حقه وفيما ناله حقه على اختلاف الأقوال فيه، وأما إذا ناله قبل تمام الحول فلا شيء فيما عنده حتى يتم حوله، وفي وجوب حق المعدن فيما ناله وجهان. أصحهما يجب وهو ظاهر نصه في الام، والثاني لا، فعلى هذا يجب فيما عنده ربع العشر عند تمام حوله وفيما ناله ربع العشر عند تمام حوله، ولو كان ما يملكه من جنسه دون نصاب بأن ملك مائة درهم فنال من المعدن مائة نظر إن نال بعد تمام حول ما عنده ففي وجوب حق المعدن فيما ناله الوجهان. فعلى الأول يجب في المعدن حقه ويجب فيما عنده ربع العشر إذا مضى حول من حين كمل النصاب بالنيل، وعلى الثاني لا يجب شيء حتى يمضي حول من يوم النيل فيجب في الجميع ربع العشر.

الثالث: إذا قلنا بالمذهب أن الحول لا يعتبر فوقت وجوب حق المعدن حصول النيل في يده، ووقت الإخراج التخليص والتنقية، فلو أخرج قبل التنقية من التراب والحجر لم يجز وكان مضموماً على الساعي يلزمه ردّه، فلو اختلفا في قدره بعد التلف أو قبله، فالقول قول الساعي مع يمينه ومؤنة التخليص والتنقية على المالك كمؤنة الحصاد والدراس.

الرابع: المكاتب يملك ما يأخذه من المعدن ولا زكاة عليه فيه، وأما ما يأخذه الرقيق فلسيده فتلزمه زكاته. ويمنع الذمي من أخذ المعدن والركاز من دار الإسلام كما يمنع من إحيائها لأن الدار للمسلمين وهو دخيل فيها والمانع له الحاكم فقط، وإن صرح المصنف بأنه يجوز لكل مسلم.

فصل

وقال أصحابنا: إذا وجد معدن ذهب أو فضة أو حديد أو رصاص أو صفر في أرض خراج أو عشر أخذ منه الخمس، وكذا إذا وجد في الصحراء التي ليست بعشرية ولا خراجية، ولا يجب فيما وجد في داره. وفيما إذا وجد في أرضه روايتان، ففي رواية الأصل لا يجب، وفي رواية الجامع الصغير وفي الكنز الخمس لبيت المال وباقيه للمختط له وهو الذي ملكه الإمام هذه البقعة أول الفتح، فإذا وجد في أرض غير مملوكة لأحد فهو للواجد. وقال أبو يوسف: هو للواجد في

المملوكة أيضاً، ويشترط أن يكون من ضرب الجاهلية وإلا فهو لقطة وإن اشتبه فهو جاهلي في ظاهر المذهب، لأنه الأصل، وقيل: إسلامي في زماننا لتقادم العهد والمتاع من السلاح والآلات وأثاث المنازل والفصوص والقماش في هذا كالكنز، وعنده في الزئبق الخمس وبه قال محمد. وقال أبو يوسف لا شيء فيه ولا يخمس ركاز وجده مستأمن في دار الحرب، لأنه ليس بغنيمة ثم ان وجده في دار بعضهم يرده عليهم تحرزاً عن الغدر، وإن وجده في صحراء فهو له ولا يخمس فيروزج ولا ياقوت. وكذا جميع الجواهر والفصوص إذا أخذها من معدنها، وأما إذا وجدت كنزاً وهو دفين الجاهلية ففيه الخمس لأنه لا يشترط في الكنوز إلا المالية لأنه غنيمة، والحلية المستخرجة من البحر حتى الذهب والفضة فيه بأن كانت كنزاً في قعر البحر لا تخمس عند أبي حنيفة ومحمد. وقال أبو يوسف يجب في جميع ما يخرج من البحر، فحاصل ما يوجد تحت الأرض نوعان: معدن وكنز، ولا تفصيل في الكنز بل يجب فيه الخمس كيفما كان سواء كان من جنس الأرض أو لم يكن بعد أن كان مالاً متقوماً لأنه دفين الكفار [1] أيدينا قهراً، فصار غنيمة، وفيها يشترط المالية لا غير.

وأما المعدن فعلى ثلاثة أنواع: ما يذوب بالنار وينطبع كالذهب والفضة وغيرهما، ونوع لا يذوب ولا ينطبع كالكحل وسائر الحجارة، ونوع يكون مائعاً كالقير والنفط والملح المائي، فالوجوب يختص بالنوع الأول دون الأخير، والله أعلم.

تنبيه:

قال صاحب الغاية من أصحابنا: المال المستخرج من الأرض له أسام ثلاثة: الكنز، والمعدن والركاز، والكنز إسم لما دفنه بنو آدم، والمعدن إسم لما خلقه الله تعالى في الأرض يوم خلقت الأرض، والركاز إسم لهما جميعاً، والكنز مأخوذ من كنز المال إذا جمعه، والمعدن من عدن بالمكان أقام به، والركاز من ركز الرمح أي غرزه، وعلى هذا جاز إطلاقه عليهما جميعاً لأن كل واحد منهما مركوز في الأرض أي مثبت، وإن اختلف الراكز اهـ. أي المثبت في المعدن الخالق وفي الكنز المخلوق.

وقال ابن الهمام في فتح القدير: الركاز يعمهما لأنه من الركز مراد به في المركوز أعم من كون راكزه الخالق أو المخلوق، فكان حقيقة فيهما مشتركاً معنوياً وليس خاصاً بالدفين، ولو دار الأمر فيه بين كونه مجازاً فيه أو متواطئاً إذ لا شك في صحة إطلاقه على المعدن كان التواطؤ متعيناً اهـ.

وبه اندفع ما في غاية البيان والبدائع وشرح المختار من أن الركاز حقيقة في المعدن لأنه خلق فيها مركباً، وفي الكنز مجازاً بالمجاورة محطه أن ما في الكتب الثلاثة من أن الركاز حقيقة في المعدن ومجاز في الكنز ممنوع لأنه يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز بلفظ، والباب معقود لهما.

(١) بياض في الأصل

....

فالصحيح أنه حقيقة فيهما، وحجة من قال المعدن ليس بركاز ما أخرجه الشيخان وأصحاب السنن الأربعة من حديث أبي هريرة رفعه قال: «العجماء جرحها جبار والمعدن جبار والبئر جبار».

وفي الركاز الخمس ووجه الاحتجاج عطف الركاز على المعدن وفرق بينهما وجعل لكل منهما حكماً ولو كانا بمعنى واحد لجمع بينهما، وقال: والمعدن جبار وفيه الخمس، أو قال: والركاز جبار وفيه الخمس، فلما فرق بينهما دل على تغايرهما.

قال ابن المنذر في الإشراق، قال الحسن البصري: الركاز المدفون دفن الجاهلية دون المعادن، وبه قال الشعبي، ومالك، والحسن بن صالح، والأوزاعي، وأبو ثور، وقال الزهري، وأبو عبيد: الركاز المال المدفون والمعدن جميعاً وفيهما جميعاً الخمس اهـ.

قلت: وللخصم أن يقول المعدن هو الركاز، فلما أراد أن يذكر لها حكماً آخر ذكره بالاسم الآخر وهو الركاز، ولفظ الصحيح كما تقدم: «والبئر جبار وفي الركاز الخمس» فلو قال وفيه الخمس لحصل الالتباس باحتمال عود الضمير إلى البئر فتأمل.

وأما حجة من قال: المعدن ركاز وفيه الخمس حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو وفيه: «وما كان في الطريق غير الميت وفي القرية غير المسكونة فضة وفي الركاز الخمس». أخرجه البيهقي وقال: أجاب عن هذا من قال بالأول يعني بأن المعدن ليس بركاز. والجواب: إن هذا ورد فيما يوجد من أموال الجاهلية ظاهراً فوق الأرض في الطريق غير الميت، وفي القرية غير المسكونة فيكون فيه وفي الركاز الخمس وليس ذلك من المعدن بسبيل.

ثم حكي عن الشافعي ما ملخصه: إن كان عمرو بن شعيب حجة فالمخالف احتج منه بشيء واحد إنما هو توهم وخالفه في غير حكم، وإن كان غير حجة فالحجة بغير حجة جهل.

ثم قال البيهقي قوله: إنما هو توهم إشارة إلى ما ذكره أنه ليس بوارد في المعدن، وإنما هو في معنى الركاز من أموال الجاهلية.

قلت روى البيهقي في باب الطلاق قبل النكاح عن أبي بكر النيسابوري أنه قال: صح سماع عمرو عن أبيه شعيب، وسماع شعيب عن جده عبد الله، ثم قال البيهقي في باب وطء المحرم، وفي باب الخيار من البيوع ما دل على سماع شعيب عن جده عبد الله إلا أنه إذا قيل عمرو عن أبيه عن جده يشبه أن يراد بجده محمد بن عبد الله، وليست له صحبة، فيكون الخبر مرسلاً. وإذا قيل عن جده عبد الله زال الإشكال وصار الحديث موصولاً اهـ كلامه.

وهذا الحديث قيل فيه عن أبيه عن عبد الله فهو على هذا حجة فلا وجه لترديد الشافعي.

وقد أورد ابن عبد البر هذا الحديث في التمهيد ولفظه قال ﷺ في كنز وجده رجل «إن كنت وجدته في خربة جاهلية أو قرية غير مسكونة أو في غير سبيل ميتاً ففيه وفي الركاز

الخمس» وكذا أورد البيهقي هذا الحديث في باب زكاة الركاز. وهذه الرواية تدفع الجواب الذي ذكر البيهقي أن الشافعي أشار إليه وهو أنه ورد فيما يوجد ظاهراً فوق الأرض لأن الكنز على ما ذكره الجوهري وغيره هو المال المدفون.

وفي الفائق للزمخشري: الركاز ما ركزه الله في المعادن من الجواهر.

وقال الهروي اختلف في تفسير الركاز أهل العراق وأهل الحجاز، فقال أهل العراق: هي المعادن، وقال أهل الحجاز هي كنوز أهل الجاهلية، وكل محتمل في اللغة، وذكر نحو صاحب المشارق، وعطف الركاز على الكنز في الحديث الذي ذكرناه دليل على أن الركاز غير الكنز وأنه المعدن كما يقول أهل العراق فهو حجة لمخالف الشافعي.

وقال الخطابي: الركاز وجهان فالمال الذي يوجد مدفوناً في الأرض لا يعلم له مالك وعروق الذهب والفضة ركاز.

وقال الطحاوي في أحكام القرآن: وقد كان الزهري وهو راوي حديث الركاز يذهب إلى وجوب الخمس في المعادن: حدثنا يحي هو ابن عثمان المصري، حدثنا نعيم، حدثنا ابن المبارك، حدثنا يونس، عن الزهري في الركاز: المعدن واللؤلؤ يخرج من البحر والعنبر في ذلك الخمس اهـ.

وروى ابن عبد البر عن الأوزاعي مثل قول الزهري في وجوب الخمس في المعادن والله أعلم.

النوع السادس صدقة الفطر:

ويقال: زكاة الفطرة وهكذا عبر به النووي في المنهاج. سميت بذلك لأن وجوبها بدخول الفطر، ويقال أيضاً زكاة الفطرة بكسر الفاء وفي آخرها تاء كأنها من الفطرة التي هي المرادة بقوله تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ [الروم: ٣٠] وقال ابن الرفعة: بضم الفاء واستغرب، والمعنى أنها وجبت على الخلقة تزكية للنفس وتنمية لعملها. قال وكيع بن الجراح: زكاة الفطر لشهر رمضان كسجدة الشهر للصلاة تجبر نقصان الصوم كما يجبر السجود نقصان الصلاة. وقال في المجموع: يقال للمخرج فطرة بالكسر لا غير كذا في شرح المنهاج، وفي كتب أصحابنا باب صدقة الفطر هكذا في الهداية، ومختصر القدوري، والكنز، والمختار، والمجمع، ووقع في الوقاية والنقاية والإصلاح والدرر باب صدقة الفطرة بزيادة التاء في آخره، وعده بعضهم من لحن العوام. وقال الزيلعي: الفطر لفظ إسلامي اصطلح عليه الفقهاء كأنه من الفطرة التي هي في النفوس والخلقة اهـ.

يعني أنها كلمة مولدة لا عربية ولا معربة، بل هي اصطلاح للفقهاء، فتكون حقيقة شرعية، ووقع في القاموس أنها عربية فاعترض عليه الشيخ ابن حجر المكي في شرح اللباب وجلب عليه

وهي واجبة ـ على لسان رسول الله ﷺ ـ

النكير، وقد تعرضت له في شرحي على القاموس وأجبت عن سبب خلطه الحقائق الشرعية بالحقائق اللغوية في كتابه المذكور وليس هذا محله، ثم في إيراد المصنف هذا الباب هنا هو المشهور عند المصنفين من الفقهاء، ومنهم من خالف هذا الترتيب فذكره عقب الصوم اعتباراً لترتيبه الطبيعي إذ هي تكون عقب الصوم وهو ملحظ صاحب المبسوط من أئمتنا، ولكن ذكر هذا الباب هنا أولى إذ هي عبادة مالية كالزكاة.

قال الشيخ أكمل الدين: فصدقة الفطر مناسبة بالزكاة والصوم، أما بالزكاة فلأنها من الوظائف المالية مع انحطاط درجتها عن الزكاة، وأما بالصوم فباعتبار الترتيب الوجودي فإن شرطها الفطر وهو بعد الصوم. وقال صاحب النهاية: وإنما رجح هذا الترتيب لما أن المقصود هو المضاف لا المضاف إليه خصوصاً إذا كان مضافاً إلى شرطه، والصدقة عطية يراد بها المثوبة من الله سميت بها لأن بها يظهر صدق الرغبة في تلك المثوبة كالصداق تظهر به رغبة الرجل في المرأة اهـ.

قلت: إنما كانت درجة صدقة الفطر منحطة عن درجة الزكاة لأن الزكاة ثبتت بالكتاب، فصدقة الفطر ثبتت بالسنة، فما ثبت بالكتاب على درجة مما ثبت بالسنة، وقوله مضافاً إلى شرطه يشير إلى أن هذه الإضافة من قبيل إضافة الشيء إلى شرطه، وفيه قول آخر أنه من قبيل إضافة الشيء إلى سببه، والمختار الأول: إذ لا شك أن الفطر ليس سبباً، ولذا ذكر الحدادي في الجوهرة القول الثاني بصيغة التمريض حيث قال: هذا من إضافة الشيء إلى شرطه كما في حجة الإسلام، وقيل: من إضافة الشيء إلى سببه كما في حج البيت وصلاة الظهر. وقال صاحب البحر بعد أن نقل القول الأول وهو مجاز لأن الحقيقة إضافة الحكم إلى سببه وهو الرأس بدليل التعدد بتعدد الرأس. وجعلوها في الأصول عبادة فيها معنى المؤنة لأنها وجبت بسبب الغير كما تجب مؤنته، ولذا لم يشترط لها كمال الأهلية فوجبت في مال الصبي والمجنون خلافاً لمحمد انتهى.

(وهي واجبة) اتفاقاً **(على لسان رسول الله ﷺ)**. وقال ابن اللبان: غير واجبة قال النووي: وهو قول شاذ منكر بل غلط صريح اهـ.

وقال ابن المنذر أجمع عوام أهل العلم على ذلك، وقال إسحاق يعني ابن راهويه: هو كالإجماع من أهل العلم، وقال الخطابي: قال به عامة أهل العلم، وحكى ابن عبد البر عن بعض أهل العراق وبعض متأخري المالكية وبعض أصحاب داود أنها سنة مؤكدة، وأن معنى قوله فرض قدر كقولهم فرض القاضي نفقة اليتيم. قال: وهو ضعيف مخالف للظاهر وادعاء على النص بالخرجة عن المعهود فيه لأنهم لم يختلفوا في قوله فريضة من الله إن معناه إيجاب من الله، وكذلك قولهم: فرض الصلاة والزكاة وفرض الله طاعة الله ورسوله اهـ.

والأصل في وجوبها قبل الإجماع حديث أبي سعيد الخدري: « كنا نخرج زكاة الفطر إذ كان

«على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته

فينا رسول الله ﷺ صاعاً من طعام أو صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من زبيب أو صاعاً من أقط فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه ما عشت». رواه الشيخان.

وحديث ابن عمر «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان على المسلمين صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين» رواه الشيخان، والمشهور أنها وجبت في السنة الثانية من الهجرة عام فرض صوم رمضان وهو الصحيح، إلا أن افتراض الصوم والأمر بصدقة الفطر كانا قبل افتراض الزكاة على الصحيح، ولذا ذهب بعض العلماء إلى أنها منسوخة بالزكاة، وإن كان الصحيح خلافه.

ثم اختلفوا بعد اتفاقهم على وجوبها (**«على كل مسلم**) في صفة من تجب عليه من المسلمين، فقال مالك والشافعي: هو من (**فضل**) أي زاد (**عن قوته**) لنفسه (**وقوت من يقوته**) أي عياله الذين تلزمه مؤنتهم (**يوم الفطر وليلته**) وقال أبو حنيفة: لا تجب إلا على من ملك نصاباً أو ما قيمته نصاب فاضل عن مسكنه وأثاثه وثيابه وفرسه وسلاحه وعبده، ولا يشترط النماء إذ هو شرط وجوب الزكاة لا شرط الحرمان. وفي الخبر: أغنى عن المسألة في هذا اليوم، والإغناء إنما يكون من الغنى والغنى حده الشرع بملك نصاب. قال العبدري: ولا يحفظ هذا عن غير أبي حنيفة، وحكى ابن حزم عن سفيان الثوري أنه قال: من كان له خمسون ديناراً فهو غني وإلا فهو فقير قال: وقال غيره درهماً.

وروى الدارقطني حديثاً عن عبدالله بن ثعلبة بن صقر عن أبيه رفعه وفيه: «والغني والفقير أما غنيكم فيزكيه وأما فقيركم فيرد عليه أكثر مما أعطى» ومال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي إلى مقالة أبي حنيفة فقال: والمسألة له قوية، فإن الفقير لا زكاة عليه ولا أمر النبي ﷺ بأخذها منه، وإنما أمر باعطائها له. وحديث ثعلبة لا يعارض الأحاديث الصحاح ولا الأصول القطعية، وقد قال: «لا صدقة إلا من ظهر غنى وأبدأ بمن تعول وإذا لم يكن هذا غنياً فلا تلزمه الصدقة» اهـ.

قال الولي العراقي: وهو ضعيف وليس التمسك في ذلك بحديث ثعلبة، وإنما هو بالعموم الذي في قوله: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان على الناس» وقد ذكر ذلك هو في أول كلامه إلا. أنا اعتبرنا القدرة على الصاع لما علم من القواعد العامة فأخرجنا عن ذلك العاجز عنه اهـ.

وقوله: على كل مسلم خرج منه الكافر الأصلي لما تقدم في الخبر من المسلمين وهو إجماع قاله الماوردي، لأنها طهرة والكافر ليس من أهلها والمراد أنه ليس مطالباً بإخراجها والعقوبة عليها في الآخرة. فعلى الخلاف في تكليفه بالفروع قاله في المجموع، والأصح أنه مكلف بها.

وقال السبكي: يحتمل أن هذا التكليف الخاص لم يشملهم لقوله في الحديث من المسلمين، وأما

صاع مما يقتات» بصاع رسول الله ﷺ وهو منوان وثلثا من

فطرة المرتد ومن عليه مؤنته فموقوفة على عوده إلى الإسلام، وكـذا العبد المرتد ولو غربت الشمس ومن يلزم الكافر نفقته مرتد لم يلزمه فطرته حتى يعود إلى الإسلام كذا في شرح المنهاج، وفي الروضة يشترط في مؤدي الفطرة ثلاثة أمور.

الأول: الإسلام فلا فطرة على كافر عن نفسه ولا عن غيره إلا إذا كان له عبد مسلم أو قريب مسلم أو مستولدة مسلمة، ففي وجوب الفطرة عليه وجهان بناء على أنها تجب على المؤدي ابتداء أم على المؤدى عنه، ثم يتحمل المؤدي قال النووي: أصحهما الوجوب، وصححه الرافعي في المحرر وغيره وهو مقتضى البناء.

الأمر الثاني: الحرية فليس على الرقيق فطرة نفسه ولا فطرة زوجته ولو ملكه السيد عبداً وقلنا بملكه سقطت فطرته عن سيده لزوال ملكه، ولا تجب على المتملك لضعف ملكه، وفي المكاتب ثلاثة أقوال أو أوجه أصحها لا فطرة عليه ولا على سيده عنه.

الأمر الثالث: اليسار فالمعسر لا فطرة عليه، وكل من لم يفضل عن قوته وقوت من في نفقته ليلة العيد ويومه ما يخرجه في الفطرة فهو معسر، ومن فضل عنه ما يخرجه في الفطرة من أي جنس كان من المال فهو موسر، ولم يذكر الشافعي وأكثر الأصحاب في ضبط اليسار والإعسار إلا هذا القدر، وزاد الإمام فاعتبر كون الصاع فاضلاً عن مسكنه وعبده الذي يحتاج إليه في خدمته ولم يذكره غيره وهو كالبيان والاستدراك لما أهمله الأولون. وحكى الشيخ أبو علي وجهاً أن عبد الخدمة لا يباع في الفطرة كما لا يباع في الكفارة. وأعلم أن دين الآدمي يمنع وجوب الفطرة بالاتفاق، كما أن الحاجة إلى صرفه في نفقة القريب يمنعه كما قاله الإمام، ثم اليسار إنما يعتبر وقت الوجوب، فلو كان معسراً عنده ثم أيسر فلا شيء عليه، والواجب في الفطرة **(صاع مما يقتات» بصاع رسول الله ﷺ وهو منوان وثلثا من)** قد تقدم تقدير المن والكلام فيه، وفي قدر الصاع النبوي اختلاف بين الأئمة، فقال مالك، والشافعي وأحمد: هو خمسة أرطال وثلث بالبغدادي قال الرافعي: وهي ستمائة درهم وثلاثة وتسعون درهماً وثلث درهم. قال النووي: هذا الذي قاله على مذهب من يقول رطل بغداد مائة وثلاثون درهماً، ومنهم من يقول: مائة وثمانية وعشرون درهماً وأربعة أسباع درهم، وهو الأرجح وبه الفتوى، فعلى هذا الصاع ستمائة درهم وثمانون وخمسة أسباع درهم والله أعلم.

قلت: وذكره صاحب القاموس عن الماوردي هكذا ثم قال: وجربته فوجدته صحيحاً اهـ.

وذكر هنا أنه قدحان بكيل القاهرة، وقد تقدم شيء من ذلك عن القمولي في زكاة المعشرات، وينبغي أن يزيد شيئاً يسيراً لاحتمال اشتمالها على طين وتبن أو نحو ذلك.

قال ابن الرفعة: كان قاضي القضاة عماد الدين ابن السكري رحمه الله تعالى يقول حين يخطب بمصر خطبة عيد الفطر: والصاع قدحان بكيل بلدكم هذه سالم من الطين والعيب والغلث ولا يجزىء في بلدكم هذه إلا القمح اهـ.

....

وذكر القفال الشاشي في محاسن الشريعة معنى لطيفاً في إيجاب الصاع وهو: أن الناس تمتنع غالباً من الكد في العيد وثلاثة أيام بعده ولا يجد الفقير من يستعمله فيها لأنها أيام سرور وراحة عقب الصوم والذي يتحصل من الصاع عند جعله خبزاً ثمانية أرطال من الخبز، فإن الصاع خمسة أرطال وثلث، ويضاف إليه من الماء نحو ثلثين فيأتي منه ذلك وهو كفاية النفقة أربعة أيام لكل يوم رطلان. وقال ابن الصباغ وغيره: الأصل فيه الكيل، وإنما قدره العلماء بالوزن استظهاراً. قال النووي: قد يستشكل ضبط الصاع بالأرطال، فإن الصاع المخرج به في زمن النبي ﷺ مكيال معروف. ويختلف قدره وزناً باختلاف جنس ما يخرج كالذرة والحمص وغيرهما، فالصواب ما قاله أبو الفرج الدارمي من أصحابنا أن الاعتماد في ذلك على الكيل دون الوزن، وأن الواجب أن يخرج بصاع معين بالصاع الذي كان يخرج به في عصر رسول الله ﷺ، وذلك الصاع موجود ومن لم يجده وجب عليه إخراج قدر يتيقن أنه لا ينقص عنه، وعلى هذا فالتقدير بخمسة أرطال وثلث تقريباً. وقال جماعة من العلماء: الصاع أربع حفنات بكفي رجل معتدل الكفين، والله أعلم.

فصل

وقال أبو حنيفة ومحمد: الصاع النبوي ثمانية أرطال بالبغدادي وهو مذهب أهل العراق.

وقال أبو جعفر الطحاوي في شرح معاني الآثار. حدثنا ابن أبي عمران، حدثنا محمد بن شجاع، وسليمان بن بكار، وأحمد بن منصور الرمادي قالوا: حدثنا يعلى بن عبيد، عن موسى الجهني، عن مجاهد قال: دخلنا على عائشة رضي الله عنها فاستسقى بعضنا فأتي بعك. قالت عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يغتسل بمثل هذا». قال مجاهد: فحزرته فيما احزر ثمانية أرطال تسعة أرطال عشرة أرطال. قال: فذهب ذاهبون إلى أن وزن الصاع ثمانية أرطال، واحتجوا في ذلك بهذا الحديث وقالوا: لم يشك مجاهد في الثمانية وإنما شك فيما فوقها فثبتت الثمانية بهذا الحديث، وانتفى ما فوقها. وممن قال بهذا القول أبو حنيفة رحمه الله تعالى، وخالف في ذلك آخرون فقالوا وزنه خمسة أرطال وثلث رطل، وممن قال بذلك أبو يوسف وقالوا: هو الذي كان يغتسل به رسول الله ﷺ، وذكر ما في ذلك عن عائشة رضي الله عنها: «كنت اغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد وهو الفرق» رواه الزهري عن عروة عنها. والفرق: ثلاثة آصع فكان ما يغتسل به كل واحد منهما صاع ونصف، فإذا كان ذلك ثمانية أرطال كان الصاع ثلثيها وهو خمسة أرطال وثلث رطل، وهذا قول أهل المدينة أيضاً، فكان من الحجة عليهم لأهل المقالة الأولى أن حديث عروة عن عائشة إنما فيه ذكر الفرق الذي كان يغتسل منه رسول الله ﷺ وهي ولم تذكر مقدار الماء الذي كان يكون فيه هل هو ملؤه أو أقل من ذلك؟ فقد يجوز بملئه ويجوز أن يكون بأقل من ملئه مما هو صاعان، فيكون كل واحد منهما مغتسلاً بصاع من ماء، ويكون معنى هذا الحديث موافقاً لمعاني الأحاديث التي رويت عن رسول الله ﷺ: «أنه كان يغتسل بصاع».

فإنه قد روي عنه في ذلك ما حدثنا فهر: حدثنا محمد بن سعيد بن الاصبهاني، أخبرنا عبد الرحيم بن سليمان، عن حجاج، عن إبراهيم، عن صفية بنت شعبة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع ».

وحدثنا أحمد بن داود، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام، عن قتادة، عن سفية بنت شعبة. عن عائشة: « أن رسول الله ﷺ كان يغتسل بقدر الصاع ويتوضأ بقدر المد » وفي بعض الروايات عنها بالمد ونحوه.

وحدثنا أبو أمية، حدثنا حيوة بن سريج، حدثنا بقية، عن عتبة بن أبي حكيم، حدثني عبد الله بن عبد الله بن جبير بن عتيك قال: سألنا أنساً عن الوضوء الذي يكفي الرجل من الماء، فقال: « كان رسول الله ﷺ يتوضأ من مدّ فيسبغ الوضوء وعسى أن يفضل منه » قال: وسألنا عن الغسل من الجنابة كم يكون من الماء قال « الصاع » فسألت عنه أعني النبي ﷺ ذكر الصاع. قال: « نعم مع المد ».

وقد روي عن جابر مثل ذلك قال: « كان رسول الله ﷺ يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع » وعن سفينة مولى أم سلمة مثل ذلك قال: « كان رسول الله ﷺ يغسله الصاع من الماء ويوضئه المد » قال: ففي هذه الآثار أن رسول الله ﷺ كان يغتسل بصاع وليس مقدار الصاع كم هو، وفي حديث مجاهد عن عائشة ذكر ما كان يغتسل به وهو ثمانية أرطال، وفي حديث عروة عن عائشة أنها كانت تغتسل هي ورسول الله ﷺ من إناء واحد هو الفرق، ففي هذا الحديث ذكر ما كانا يغتسلان منه خاصة، وليس فيه ذكر مقدار الماء الذي كانا يغتسلان به، وفي الآثار الاخر مقدار ذكر الماء الذي كان يغتسل به، وأنه كان صاعاً فثبت بذلك لما صححت هذه الآثار وجمعت وكشفت معانيها أنه كان يغتسل من إناء هو الفرق وبصاع وزنه ثمانية أرطال، فثبت بذلك ما ذهب إليه أبو حنيفة رحمه الله تعالى، وقد قال بذلك أيضاً محمد بن الحسن.

وقد روي عن أنس بن مالك أيضاً ما يدل على هذا المعنى، حدثنا ابن أبي عمران، حدثنا يحيي بن عبد الحميد، حدثنا شريك، عن عبد الله بن عيسى، عن ابن جبير، عن أنس بن مالك قال: « كان رسول الله ﷺ يتوضأ بالمد وهو رطلان ».

وحدثنا فهر، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا شريك عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الله، يعني ابن جبير، عن أنس بن مالك قال: « كان رسول الله ﷺ يتوضأ برطلين ويغتسل بالصاع » فهذا أنس قد أخبر أن مدّ رسول الله ﷺ رطلان، والصاع أربعة أمداد، فإذا ثبت أن المد رطلان ثبت أن الصاع ثمانية أرطال.

فإن قال قائل فإن أنس بن مالك قد روي عنه خلاف هذا فذكر ما حدثنا أحمد بن داود، حدثنا أبو الوليد الطيالسي، حدثنا شعبة، أخبرنا عبد [illegible] بن عبد الله بن جبير سمع أنس بن

مالك يقول: « إن النبي ﷺ كان يتوضأ بالمكوك ويغتسل بخمس مكاك » قال: فهذا الحديث يخالف الحديث الأوّل. قيل له: فما في هذا عندنا خلاف له، لأن حديث شريك إنما فيه أن رسول الله ﷺ كان يتوضأ بالمد، وقد وافقه على ذلك عتبة بن أبي حكيم فروى عن عبد الله بن جبير نحواً من ذلك، فلما روى شعبة ما ذكرنا عن عبد الله بن جبير احتمل أن يكون أراد بالمكوك المدّ لأنهم كانوا يسمون المد مكوكاً فيكون الذي كان يتوضأ به مداً، ويكون الذي يغتسل به خمسة مكاك يغتسل باربعة منها وهي أربعة أمداد وهي صاع، ويتوضأ بآخر وهو مد فجمع في هذا الحديث ما كان يتوضأ به للجنابة وما كان يغتسل به لها. وأفرد في حديث عنه ما كان يغتسل به لها خاصة دون ما كان يتوضأ به وإن كان للوضوء لها أيضاً.

وسمعت ابن أبي عمران يقول: سمعت ابن الثلجي يقول: إنما قدر الصاع على وزن ما يعتدل كيله ووزنه من الماش والزبيب والعدس، فإنه يقال إن كيل ذلك ووزنه سواء. حدثنا ابن أبي عمران. أخبرنا علي بن أبي صالح، وبشر بن الوليد جميعاً عن أبي يوسف قال: قدمت المدينة فأخرج إلي من اثق به صاعاً، فقال: هذا صاع النبي ﷺ فقدرته فوجدته خمسة أرطال وثلثاً، وسمعت ابن أبي عمران يقول يقال إن الذي أخرج هذا لأبي يوسف هو مالك بن أنس.

وسمعت أبا حازم يذكر أن مالكاً سئل عن ذلك فقال: هو تحري عبد الملك لصاع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان مالك لما ثبت عنده أن عبد الملك تحرى ذلك من صاع عمر وصاع عمر صاع النبي ﷺ، وقد قدر صاع عمر على خلاف ذلك. حدثنا أحمد بن داود، حدثنا يعقوب بن حميد، حدثنا وكيع، عن علي بن صالح، عن أبي إسحاق، عن موسى بن طلحة قال الحجاجي صاع عمر بن الخطاب.

حدثنا أحمد، حدثنا يعقوب، حدثنا وكيع، عن أبيه، عن أبي مغيرة، عن إبراهيم قال: عيرنا الصاع فوجدناه حجاجياً والحجاجي عندهم ثمانية أرطال بالبغدادي.

حدثنا ابن أبي داود، حدثنا سفيان بن بشر الكوفي، حدثنا شريك، عن مغيرة وعبيدة، عن إبراهيم قال: وضع الحجاج قفيزه على صاع عمر رضي الله عنه، فهذا أولى مما ذكر مالك من تحري عبد الملك لأن التحري ليس معه حقيقة، وما ذكره إبراهيم وموسى بن طلحة من العيار معه حقيقة. فهذا أولى اهـ سياق أبي جعفر الطحاوي.

قلت: وقول موسى بن طلحة أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، عن وكيع، عن علي ابن صالح مثله سنداً ومتناً، وروي عن يحي بن آدم، عن ابن شهاب، عن حجاج، عن فضيل، عن إبراهيم قال: قفيز الحجاج هو الصاع. وروي عن جرير، عن يزيد بن أبي زياد، عن ابن أبي ليلى قال: عيرنا صاع المدينة فوجدناه يزيد مكيالاً على الحجاجي، وعن جرير، عن مغيرة قال ما كان يفتي فيه إبراهيم في كفارة يمين أو في إطعام ستين مسكيناً وفيما فيه العشر ونصف العشر قال: كان يفتي بقفيز الحجاج. قال: هو الصاع. وعن يحي بن آدم قال: سمعت حسناً يعني حسن

....

ابن صالح يقول: صاع عمر ثمانية أرطال، وقال شريك: أكثر من سبعة أرطال وأقل من ثمانية اهـ سياق المصنف.

وقال صاحب المصباح من الشافعية: الصاع مكيال، وصاع النبي ﷺ الذي بالمدينة أربعة أمداد وذلك خمسة أرطال وثلث بالبغدادي، وقال أبو حنيفة: الصاع ثمانية أرطال لأنه الذي تعامل به أهل العراق وردّ بأن الزيادة عرف طارىء على عرف لما حكي أن أبا يوسف لما حجّ مع الرشيد فاجتمع بمالك في المدينة وتكلما في الصاع، فقال أبو يوسف: الصاع ثمانية أرطال، وقال مالك: صاع رسول الله ﷺ خمسة أرطال وثلث، ثم احضر مالك جماعة ومعهم عدة أصواع فأخبروا عن آبائهم أنهم كانوا يخرجون بها الفطرة ويدفعونها إلى رسول الله ﷺ فتعايروها جميعاً فكانت خمسة أرطال وثلثاً، فرجع أبو يوسف عن قوله إلى ما أخبره به أهل المدينة؛ وسبب الزيادة ما حكاه الخطابي أن الحجّاج لما ولي العراق كبّر الصاع ووسعه على أهل الأسواق للتسعير فجعله ثمانية أرطال، وقال الأزهري: وأهل الكوفة يقولون الصاع ثمانية أرطال والمدّ عندهم رُبعه وصاعهم هو القفيز الحجاجي ولا يعرفه أهل المدينة.

وروى الدارقطني عن إسحاق بن سليمان قال: قلت لمالك أبا عبد الله كم قدر صاع رسول الله ﷺ؟ قال: خمسة أرطال وثلث بالعراقي إنحـزرتـه قال: أبا عبد الله خالفت شيخ القوم. قال: من هو؟ قلت: أبو حنيفة يقول ثمانية أرطال قال، فغضب غضباً شديداً ثم قال لجلسائه: يا فلان هات صاع جدك يا فلان هات صاع عمك يا فلان هات صاع جدتك. قال، فاجتمع عنده عدة أصواع فقال هذا: أخبرني أبي عن أبيه أنه كان يؤدي الفطرة بهذا الصاع إلى النبي ﷺ، وقال هذا: أخبرني أبي عن أخيه أنه كان يؤدي بهذا الصاع إلى النبي ﷺ وقال هـذا: أخبرني أبي عن أمه أنها كانت تؤدي بهذا الصاع إلى النبي ﷺ. قال مالك: أنا حزرتها فكانت خمسة أرطال وثلثاً اهـ.

والذي في التبيين أن الحجاج عاير صاعه على صاع رسول الله ﷺ وكان يفتخر به على أهل العراق، ويقول ألم أخرج لكم صاع رسول الله ﷺ، ولذلك سمي بالحجاجي فبطل به ما نقله الخطابي أن الحجاج لما ولي العراق كبر الصاع ووسعه على أهل الأسواق بالتسعير.

وقال البيهقي في السنن باب ما دل على أن صاعه ﷺ كان خمسة أرطال وثلثاً، وذكر فيه عن الحسين بن الوليد لقيت مالكاً فسألته عن الصاع ثم ساق نحواً من سياق الدارقطني الذي مضى وفيه، فلقيت عبد الله بن يزيد بن أسلم فقال: حدثني أبي عن جدي أن هذا صاع عمر.

قلت: وهذا السند ينظر فيه، فإن عبد الله هذا ضعفه الجمهور كذا قاله الذهبي. وقال ابن المديني ليس في بني زيد بن أسلم ثقة.

وقال البيهقي نفسه في باب الحوت يموت في الماء أولاده كلهم ضعفاء عبد الرحمن وأسامة وعبد الله. ثم ذكر البيهقي أن النبي ﷺ كان يغتسل بالصاع ثمانية أرطال، ثم ذكر أن صاع

يخرجه من جنس قوته أو من أفضل منه؛ فإن اقتات بالحنطة لم يجز الشعير، وإن اقتات حبوباً مختلفة اختار خيرها ومن أيها أخرج أجزأه. وقسمتها كقسمة زكاة الأموال

الزكاة وصاع الغسل مختلفان، وأن قدر ما يغسل به كان مختلفاً باختلاف الاستعمال قال: فلا معنى لترك الأحاديث الصحيحة في قدر الصاع المعدّ لزكاة الفطر اهـ.

ولم يذكروا حديثاً واحداً فيه تعيين قدر الصاع المعد لزكاة الفطر وأنه خمسة أرطال وثلث فتأمل وانصف. والجماعة الذين أخبروا مالكاً بالصاع لا تقوم بهم حجة لكونهم مجهولين نقلوا عن مجهولين مثلهم، وربما احتج أهل المقالة الأولى بما رواه ابن خزيمة وابن حبان من حديث أبي هريرة قال، قيل يا رسول الله: صاعنا أصغر الصيعان ومدنا أكبر الأمداد، فقال: «اللهم بارك لنا في صاعنا وبارك لنا في قليلنا وكثيرنا واجعل لنا مع البركة بركتين» أي وخمسة أرطال وثلث أصغر من الثمانية، وهذا ليس فيه دلالة على ما قالوا، وإنما يثبت أنه أصغر، وجاز أن يكون ثمانية أرطال أصغر الصيعان، بل هو الظاهر لأنهم كانوا يستعملون الصاع الهاشمي وهو أكبر من الحجاجي لأن الهاشمي إثنان وثلاثون رطلاً.

تنبيه آخر:

وبعض علمائنا قد رفع الخلاف بين أبي حنيفة وأبي يوسف فقال: وجد أبو يوسف الصاع خمسة أرطال وثلثاً برطل المدينة، وأبو حنيفة يقول: الصاع ثمانية أرطال بالبغدادي وهي تعدل خمسة أرطال وثلثاً بالمدني لأن الرطل المدني ثلاثون إستاراً والبغدادي عشرون استاراً. والإستار: بالكسر ستة دراهم ونصف، وإذا قابلت ثمانية أرطال بالبغدادي بخمسة أرطال وثلث بالمدني وجدتها سواء. أعني ألفاً وأربعين درهماً قال الزيلعي: وهذا أشبه لأن محمداً لم يذكر في المسألة خلاف أبي يوسف ولو كان فيها خلاف لذكره وهو أعرف بمذهبه اهـ.

وردّه في الينابيع بأن الخلاف ثابت بينهم في الحقيقة اهـ.

وقال بعض معاصري شيوخ مشايخنا ما نصه: تمام هذا الكلام يحتاج إلى اثبات نفي ما تقدم من أن أبا يوسف حرره بالرطل المدني وهو أكثر من الرطل البغدادي، وإلى نفي ما قالوه من أن الرطل كان في زمن أبي حنيفة عشرين إستاراً وزاد في عصر أبي يوسف فصار ثلاثين إستاراً، فالرطل في زمن أبي حنيفة كان مائة وثلاثين درهماً، وفي زمن أبي يوسف مائة وخمسة وتسعين درهماً، فإذا قابلتها تجد كل واحد منها ألفاً وأربعين درهماً، والله أعلم.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: **(من جنس قوته)** الذي يقتاته **(أو أفضل منه، فإن اقتات بالحنطة لم يجز الشعير، وإن اقتات حبوباً مختلفة اختار خيرها ومن أيها أخرج اجزأه)**.

قال الرافعي في الواجب من الأجناس المجزئة ثلاثة أوجه. أصحها: عند الجمهور غالب قوت البلد، والثاني قوت نفسه، وصححه ابن عبدان والثالث: يتخير في الأجناس وهو الأصح عند

القاضي أبي الطيب، ثم إذا أوجبنا قوت نفسه أو البلد فعدل إلى ما دونه لم يجز، وإن عدل إلى أعلى منه جاز بالاتفاق وفيما يعتبر به الأعلى والأدنى وجهان. أصحهما الاعتبار بزيادة صلاحيته للاقتيات، والثاني بالقيمة، فعلى هذا يختلف باختلاف الأوقات والبلاد إلا أن تعتبر زيادة القيمة في الأكثر، وعلى الأول البر خير من التمر والأرز. ورجح في التهذيب الشعير على التمر وعكسه الشيخ أبو محمد قال في الزبيب والشعير وفي التمر والزبيب تردد. قال، والأشبه تقديم التمر على الزبيب، وإذا قلنا المعتبر قوت نفسه وكان يليق به البر وهو يقتات الشعير بخلاً لـزمـه البر، ولـو كان يليق به الشعير. وكان يتنعم ويقتات البر فالأصح أنه يجزئه الشعير، والثاني يتعين البر وإذا أوجبنا غالب قوت البلد وكانوا يقتاتون أجناساً لا غالب فيها أخرج ما شاء، والأفضل أن يخرج من الأعلى.

واعلم أن المصنف قال في الوسيط: المعتبر غالب قوت البلد يوم الفطر. قال الرافعي: وهذا التقييد لم أظفر به في كلام غيره، وقالت الحنابلة: يخير بين هذه المذكورة في الحديث فيخـرج مـا شاء منها وإن لم يكن قوتاً له. قالوا: وأفضلها التمر ثم البر، وقال بعضهم: الزبيب قالوا: ولا يجوز العدول عن هذه الأجناس مع القدرة على أحدها، ولو كان المعدول إليه قوت بلده فإن عجز عنها أجزأه كل مقتات من كل حبة وثمرة قاله الخرقي. قال ابن قدامة: وظاهره أنه لا يجزئه المقتات من غيرها كاللحم واللبن، وقال أبو بكر: يعطي ما قام مقام الأجناس المنصوص عليها عند عدمها، وقال ابن صالح: يجزئه عند عدمها الإخراج مما يقتات كالذرة والدخن ولحوم الحيتان والأنعام ولا يردون إلى أقرب قوت الأمصار.

وأما المالكية فإن المشهور عندهم أن جنسه المقتات في زمنه ﷺ من القمح والشعير والسلت والزبيب والتمر والأقط والذرة والدخن والأرز، وزاد ابن حبيب العلس وقال: أشهب من الست الأول خاصة فلو اقتيت غيره كالقطاني والتين والسويق واللحم واللبن فالمشهـور الاجزاء، وأما الدقيق فيأتي ذكره. قالوا: ويجزىء من غالب قوت البلد فإن كان قوته دونه لا لشح فقولان.

وأما أصحابنا الحنفية فالتخيير بين البر والدقيق والسويق والزبيب والتمر والشعير والدقيـق أولى من البر، والدراهم أولى من الدقيق فيما يروى عن أبي يوسف وهو اختيار الفقيه أبي جعفر الهندواني، لأنه ادفع للحاجة، وعن أبي بكر الأعمش تقديم القمح لأنه أبعد من الخلاف قال الولي العراقي: من قال بالتخيير فقد أخذ بظاهر الحديث، وأما من قال بتعيين غالب قوت البلد أو قوت نفسه فإنه حمل الحديث على ذلك ولم يحمله على ظاهره من التخيير واقتصر في المشهور من روايات ابن عمر على التمر والشعير لأنهما غالب ما يقتات بالمدينة في ذلك الوقت، فإما أن يكون محمولاً على إيجاب التمر على من يقتاته والشعير على من يقتاته، وإمـا أن يكـون مخيراً بينهما لاستوائهما في الغلبة فلا ترجح لأحدهما على الآخر فالمخرج مخير بينهما، والله أعلم.

فصل

اعلم أن مذهب الشافعي رضي الله عنه: أن الواجب في إخراج صدقة الفطر من الأصناف المذكورة في حديث أبي سعيد الخدري الماضي ذكره الصاع من كل منهـا فلا يجزىء نصف صاع من بر، واحتج بحديث أبي سعيد المذكور آنفاً ولفظه «صاعاً مـن طعـام أو صـاعـاً مـن تمر» الخ. وفسر الطعام فيه بالبر ولم يختلف في ذلك، وبه قال مالك وأحمد وجمهور العلماء من السلف والخلف، وحكاه ابن المنذر عن الحسن البصري، وأبي العالية، وجابر بن زيد، وإسحاق بن راهويه.

وقال أبو حنيفة: القدر الواجب نصف صاع من بر أو دقيقه أو سويقه أو زبيب أو صاع تمر أو شعير، وقال أبو يوسف ومحمد: الزبيب بمنزلة الشعير وهو رواية الحسن عن أبي حنيفة، والأوّل رواية الجامع الصغير، وقيل: الفتوى على رواية الحسن، وحكاه ابن المنذر عن سفيان الثوري، وأكثر الكوفة عن أبي حنيفة.

وقال البيهقي في السنن باب من قال لا يخرج من الحنطة إلا صاعاً، ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري السابق، فعرف من تبويبه أنه يريد من الطعام في الحديث البر، ولا يخفى أن الطعام كما يطلق على البر وحده يطلق على كل ما يؤكل. كذا ذكره الجوهري وغيره، قال الله تعالى: ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾ [المائدة: ٥] أي ذبائحهم. وفي الحديث الصحيح «طعام الواحد يكفي الاثنين»، «ولا صلاة بحضرة الطعام» «ونهى عليه السلام عن بيع الطعام ما لم يقبض» وفي حديث المصراة «صاعاً من طعام» قال الأزهري: أراد من تمر لا من حنطة والتمر طعام، وقال القاضي عياض: يفسره قوله في الروايات الأخر «صاعاً من تمر» فعلى هذا المراد بالطعام في هذا الخبر الأصناف التي ذكرها فيما بعد وفسر الطعام بها، ويدل على ذلك ما في صحيح البخاري في هذا الحديث «وكان طعامنا الشعير والزبيب والاقط والتمر» وفي صحيح مسلم «كنا نخرج زكاة الفطر من ثلاثة أصناف صاعاً من تمر صاعاً من اقط صاعاً من شعير» وللنسائي «كنا نخرج في عهده ﷺ صاعاً من تمر أو صاعاً من اقط أو صاعاً من شعير لا نخرج غيره» ولا ذكر للبر في شيء من ذلك.

فإن قيل: قد جاء في هذا الحديث من طريق إسحاق «أو صاعاً من حنطة». قلت: هو غير محفوظ أشار إليه أبو داود في سننه، وعلى ذلك فالحفاظ يتوقفون فيمـا ينفرد به، ثم لو سلم أن للبر ذكراً في الحديث. وأن الواجب فيه صاع، ففي هذا الحديث أن معاوية قدره بنصف صاع والصحابة متوافرون. وانهم اخذوا بذلك وهو الجري مجرى الإجماع، وقد ذكر البيهقي في هذا الباب أن أبا سعيد الخدري لما قيل له أو مدين من قمح. قال: تلك قيمة معاوية لا أقبلها ولا أعمل بها، وفي سنده ابن إسحاق، وقد سبق الكلام عليه.

....

ويروى عن ابن عمر: «كان الناس يخرجون زكاة الفطر على عهد رسول الله ﷺ صاعاً من شعير أو صاعاً من تمر أو سلت أو زبيب، فلما كان عمر وكثرت الحنطة جعل نصف صاع حنطة مكان صاع من تلك الأشياء».

أخرجه أبو داود بسند جيّد على شرط البخاري ما خلا الهيثم بن خالد وهو ثقة وثقه أبو داود والعجلي، وتابعه على ذلك شعيب بن أيوب كذا أخرجه الدارقطني في سننه ووثق شعيباً هذا فدل هذا الحديث على اتفاق تقويم عمر ومعاوية.

وفي الصحيحين عن ابن عمر «أنه ﷺ فرض صاعاً من تمر أو شعير» فعدل الناس به نصف صاع من بر، وهذا صريح في الإجماع على ذلك، ولو صح عن النبي ﷺ صاعاً من بر لما جاز لهم إخراج نصف صاع.

وقول أبي سعيد الخدري: فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه يحتمل أنه لم يرد مخالفتهم، وأنه يخرج صاعاً من البر، بل أراد الإخراج من الأصناف التي كانوا يخرجونها في عهده ﷺ، وقد صرح بذلك في رواية لمسلم فقال: لا اخرج فيها إلا الذي كنت أخرج في عهده ﷺ صاعاً من تمر أو صاعاً من زبيب أو صاعاً من شعير أو صاعاً من اقط.

ثم ذكر البيهقي حديث سعيد بن عبيد الرحمن الجمحي، حدثنا عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر فساقه وفيه «أو صاعاً من بر».

قلت: تفرد به سعيد عن عبد الله ولقد لينه النسائي واتهمه ابن حبان، وسيأتي الكلام عليه فيما بعد، وحديث عبيد الله عن نافع رواه عنه جماعة في الصحيحين وغيرهما ولا ذكر للبر فيه، ولذا اعترض على الحاكم في قوله في المستدرك بعد أن أخرجه صحيح على شرط مسلم، فإن سعيداً لا يحتمل هذا التفرد مع مخالفته غيره من الثقات.

ثم ذكر البيهقي من حديث أبي إسحاق عن الحرث أنه سمع علياً يأمر بزكاة الفطر صاعاً من تمر أو شعير أو حنطة الخ. ثم قال وروي مرفوعاً والموقوف أصح.

قلت لا يصح هذا مرفوعاً ولا موقوفاً لأنه مع الاضطراب في سنده مداره على الحرث الأعور وقد كذبه جماعة، وحكى البيهقي نفسه تكذيبه عن الشعبي في باب القسامة، وصحح ابن حزم عن عثمان وعلي وغيرهما من الصحابة نصف صاع من بر.

وأخرج الدارقطني في سننه من حديث علي مرفوعاً «نصف صاع من بر» ثم قال: الصواب أنه موقوف.

ثم ذكر البيهقي عن أبي إسحاق كتب إلينا ابن الزبير صدقة الفطر صاع صاع.

قلت: لكن لم يصرح بذكر البر، بل لما كان الواجب في غالب الأصناف صاعاً اطلق ذلك

....

على الغالب، وقد روي عن ابن الزبير خلاف ذلك قال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا محمد بن بكير، عن ابن جريج، عن عمر أنه سمع ابن الزبير وهو على المنبر يقول «مدان من قمح» الخ. وهذا سند صحيح جليل، وهو أولى من السند الذي ذكره البيهقي وفيه كتابة.

وقال ابن حزم: روينا عن ابن جريج، أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع ابن الزبير يقول على المنبر «زكاة الفطر مدان من قمح أو صاع من تمر أو شعير» وقد صح ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين، ثم ذكر البيهقي عن الحسن عمن صام «صاع تمر أو صاع بر».

قلت: قد جاء عن الحسن خلاف هذا فروى ابن أبي شيبة بسند صحيح إلى الشعبي قال: «صدقة الفطر عمن صام من الأحرار وعن الرقيق من صام منهم ومن لم يصم نصف صاع من بر أو صاع من تمر أو صاع من شعير» ثم قال: حدثنا هشيم، عن منصور، عن الحسن أنه قال مثل قول الشعبي فيمن لم يصم من الأحرار.

فصل

ومما احتج به الإمام أبو حنيفة ما رواه أبو داود، وعبد الرزاق، والدارقطني، والطبراني، والحاكم من حديث عبد الله بن ثعلبة بن صعير العدوي، ويقال: ابن صعير العذري عن أبيه أن النبي ﷺ خطب قبل العيد بيوم أو يومين فقال «إن صدقة الفطر مدان من بر على كل إنسان أو صاع مما سواه من الطعام» هذا لفظ الدارقطني ولفظ الجماعة أدوا عن كل حر وعبد صغير أو كبير نصف صاع من بر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من تمر. وقال صاحب الهداية: رواه ثعلبة ابن صعير العدوي أو العذري، وقال الشيخ أكمل الدين، قال الإمام حميد الدين الضرير العذري بالعين والذال أصح منسوب إلى قبيلة، ومن قال العدوي نسبه إلى حدي وسو جده اهـ.

وقال ابن حجر: ومداره على الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة، فمن أصحابه من قال عن أبيه، ومنهم من لم يقله، وذكر الدارقطني الاختلاف فيه على الزهري، وحاصل الاختلاف في اسم صحابيه، فمنهم من قال عبد الله بن ثعلبة، ومنهم من قال عبد الله بن ثعلبة بن صعير، ومنهم من قال عبد الله بن ثعلبة بن أبي صعير، ومنهم من قال ثعلبة بن عبد الله بن أبي صعير اهـ.

قلت: ورواه عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج، عن ابن شهاب، عن عبد الله بن ثعلبة.

ومما احتج به الإمام ما رواه الحاكم في المستدرك من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ «انه أمر عمرو بن حزم في زكاة الفطر بنصف صاع من حنطة أو صاع من تمر» وقال: هو على شرط الشيخين.

وذكر البيهقي حديث الحسن عن ابن عباس فرض عليه الصلاة والسلام هذه الصدقة وفي آخره «صاع تمر أو صاع شعير أو نصف صاع قمح» ثم قال: هو مرسل.

قلت: وهو وإن كان مرسلاً فقد تأيد بحديث عطاء عن ابن عباس رفعه وفيه « مدان من قمح » ذكره البيهقي في باب وجوب الفطر على أهل البادية، وذكر هناك أنه منفرد به يحي بن عباد عن ابن جريج اهـ.

قلت: أخرجه الدارقطني في السنن من هذا الطريق قال: وكان يحي من خيار الناس، وأخرجه أيضاً من طريق آخر عن ابن عباس فهو شاهد لحديث يحي هذا، وأخرجه ابن أبي شيبة فقال: حدثنا عبد الرحيم بن سليمان بن حجاج، عن ابن عطاء، عن ابن عباس قال « الصدقة صاع من تمر أو نصف صاع من طعام » وأراد به هنا البر إذ الواجب في غيره صاع ولم يذكر نصف صاع إلا في البر، وهذا السند على شرط الصحيح ما خلا حجاجاً وكأنه ابن أرطأة، وهو وإن تكلم فيه فقد وثقه جماعة، وأخرج له مسلم مقروناً بغيره فيصلح للاستشهاد به، ومما يتأيد به أيضاً حديث سعيد بن المسيب قال « فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر مدين من حنطة » وقد ذكره البيهقي ثم قال قال الشافعي خطأ اهـ.

قلت: الشافعي رحمه الله تعالى يقبل مراسيل ابن المسيب قال: لأنها عن الثقات وأنه وجد ما يدل على تسديدها، وقال ابن الصلاح: لأنها وجدت مسندة ومرسلة هذا نص البيهقي في رسالته إلى أبي محمد الجويني أن إسناده صحيح، فكيف رده الشافعي وقال: انه خطأ مع أنه اعتضد بما ذكرنا.

وأخرج الدارقطني نحوه من طريقين من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، ومن طريقين من حديث ابن عباس، ومن طريقين من حديث ابن عمر في أحدهما « مدان من حنطة » وفي الآخر « نصف صاع من حنطة ».

وأخرجه من حديث علي مرفوعاً « نصف صاع من بر » ومن حديث عصمة بن مالك « مدان من قمح ».

وأخرج أحمد في مسنده والطحاوي في شرح الآثار من ثلاث طرق: إحداها عن ابن لهيعة عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، عن فاطمة بنت المنذر، عن اسماء بنت أبي بكرقالت: « كنا نؤدي زكاة الفطر على عهد رسول الله ﷺ مدين من قمح بالمد الذي تقتاتون به » والثانية: من طريق يحي بن أيوب عن هشام، عن أبيه، عن أسماء نحوه. والثالثة: من طريق عقيل، عن هشام، عن أبيه، عن أسماء مثله.

وفي التمهيد روي عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس على اختلاف عنه، وأبي هريرة وجابر ومعاوية وابن الزبير « نصف صاع بر » وفي الاسناد عن بعضهم ضعف، وروي أيضاً عن المسيب وعطاء وطاوس ومجاهد وعمر بن عبد العزيز وعروة وسعيد بن جبير وأبي سلمة ومصعب بن سعد، وذكر ابن المنذر ذلك عن المذكورين، وزاد في التابعين ممن روي عنه ذلك: أبا قلابة، وعبد الله بن شداد وهو قول في مذهب مالك، وذكر ابن حزم ذلك عن

فيجب فيها استيعاب الأصناف. ولا يجوز إخراج الدقيق والمسوّس ويجب على الرجل

عثمان وعلي وأبي هريرة وجابر والخدري وعائشة وأسماء قال: وهو عنهم كلهم صحيح والله أعلم.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وقسمتها)** أي صدقة الفطر **(كقسمة زكاة الأموال)** سواء كما يدل تسميتها زكاة، وبهذا قال مالك والشافعي وأحمد والجمهور، وقال بعض المالكية: إنما يجوز دفعها إلى الفقير الذي لم يأخذ منها، وعن أبي حنيفة أنه يجوز دفعها إلى ذمي، وعن عمرو بن ميمون، وعمرو بن شرحبيل، ومرة الهمداني أنهم كانوا يعطون الرهبان.

وقال الأولون: **(فيجب فيها استيعاب الأصناف)** الثمانية عند الإمكان أن يعطى من كل صنف ثلاثة، وبه قال الشافعي، وداود، وابن حزم فإن شقت القسمة جمع جماعة فطرتهم ثم قسموها، ووجوب التسوية بين الأصناف ذكره غير واحد من الأصحاب قالوا: وإن كانت حاجة بعضهم أشد، وأما التسوية بين آحاد الصنف سواء استوعبوا أو اقتصر على بعضهم فلا يجب، لكن يستحب عند تساوي الحاجات، وذهب مالك وأحمد وأبو حنيفة إلى أنه يجوز أن يعطي فطرته لواحد بل يجوز إعطاء فطرة جماعة لواحد، وقال ابن المنذر: وأرجوه أن يجزىء، وكذا اختار الشيخ أبو إسحاق الشيرازي جواز الصرف إلى واحد، وقال الاصطخري: يجوز صرفها إلى ثلاثة من المساكين أو الفقراء، وكذا إلى ثلاثة من أي صنف كان، وصرح المحاملي والمتولي بأنه لا يجوز عنده الصرف إلى غير المساكين والفقراء، وسيأتي تفصيل ذلك وما فيه من الخلاف.

(ولا يجوز إخراج الدقيق) أي ولا السويق. وعبارة الوجيز ولا يجزىء الدقيق فإنه بدل، وقيل: إنه أصل، وعلم على لفظ الدقيق بالحاء والألف يشير إلى خلاف أبي حنيفة وأحمد وعبارة المنهاج الواجب الحبّ.

قال: قال شارحه: حيث تعين فلا تجزىء القيمة اتفاقاً ولا الخبز ولا الدقيق ولا السويق ونحو ذلك لأن الحب يصلح لما يصلح له هذه الثلاثة اهـ.

وعبارة الروضة: ولا يجزىء الدقيق ولا السويق ولا الخبز كما لا تجزىء القيمة. وقال الانماطي: يجزىء الدقيق. قال ابن عبدان يقتضي قوله إجزاء السويق والخبز وصححه اهـ.

ونص أحمد بن حنبل على جواز إخراج الدقيق، وكذلك السويق ولا يجزىء عندهم الخبز، وأما مالك فعنه في الدقيق قولان، وعند أصحابنا الحنفية دقيق البر وسويقه كبر. ودقيق الشعير وسويقه كالشعير، والأولى أن يراعي فيها القدر والقيمة احتياطاً وإن نص على الدقيق في بعض الأخبار لكونه مشهوراً كذا في شرح المختار.

قلت: وروى صاحب العناية من حديث أبي هريرة رفعه «أدّوا قبل خروجكم زكاة فطركم فإن على كل مسلم مدين من قمح أو دقيقه» ولأبي داود في حديث أبي سعيد الماضي ذكره «أوصاعاً من دقيق» وقال: هذه وهم من ابن عيينة. قال حامد بن يحي: فانكروا عليه فتركه

المسلم فطرة زوجته ومماليكه وأولاده وكل قريب هو في نفقته أعني من تجب عليه نفقته

سفيان، وأما الخبز عنه فاختلف فيه فقال بعضهم يعتبر فيه القدر، وهو أن يكون منوين لأنه كما جاز من دقيقه نصف صاع، فأولى أن يجوز من غيره ذلك القدر لكونه أنفع، وقال بعضهم: يعتبر فيه القيمة ولا يراعي فيه القدر، وصححه صاحب الهداية لأنه لم يرد فيه الأثر فصار كالذرة وغيرها من الحبوب التي لم يرد فيها الأثر بخلاف الدقيق والزبيب، ومعنى قولهم يراعي في الدقيق والسويق القدر والقيمة احتياطاً أن يؤدي نصف صاع من دقيق البر تبلغ قيمته قيمة نصف صاع من بر. وأما لو أدى مِنا أو نصف مِنّ من دقيق البر، ولكن لا تبلغ قيمته قيمة نصف صاع من بر لا يكون عاملاً بالاحتياط. وقال ابن الهمام وجب الاحتياط بأن يعطي نصف صاع دقيق حنطة أو صاع دقيق شعير يساويان نصف صاع بر وصاع شعير لا أقل من نصف يساوي نصف صاع بر أو أقل من صاع يساوي صاع شعير، ولا نصف لا يساوي نصف صاع بر أو صاع لا يساوي صاع شعير اهـ.

وذكر الشيخ علاء الدين التركماني من أصحابنا ما نصه: جوز الشافعي رحمه الله تعالى إخراج الأرز والذرة والدخن إذا كانت غالب قوت البلد، وجوز الإقط مع أنه يتولد من الحيوان ولم يجوّز الدقيق، فإن عمل بظاهر الحديث فليست هذه الأشياء مذكورة فيه ولا اعتبر فيه غالب القوت بل ذكرت أشياء بخصوصها، وإن اعتبر غالب القوت فالدقيق قوت غالب بل هو أسرع منفعة وأعجل إغناء للفقير عن المسألة في ذلك اليوم، ثم أن الشارع ذكر تلك الأشياء «بأو» المقتضية للتخيير، فمقتضاه أنه لو كان غالب القوت الحنطة فاخرج شعيراً أنه يجوز، ومذهب الشافعي أنه لا يجوز اهـ.

(والمسوّس) أي ولا يجوز إخراج الحب المسوس الذي قد دخله السوس وهو إسم للدود الذي يأكل الحب والخشب. الواحدة سوسة، وإذا وقع السوس في الحب فلا يكاد يخلص منه، وقد ساس الطعام يسوس ويساس وأساس وسوّس بالتشديد، وكلها أفعال لازمة كذا في المصباح، فعلى هذا ضبطه بكسر الواو على وزن محدث، وقد صرح به في المغرب فقال: حنطة مسوّسة بكسر الواو المشددة، وعبارة الوجيز ثم لا يجزىء المسوس والمعيب، وعبارة المنهاج الواجب الحبّ السليم. قال شارحه: فلا يجزىء المسوس وإن كان يقتاته والمعيب قال تعالى ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ [البقرة: ٢٦٧] وفي العدس والحمص قولان. القديم لا يجزئان ويجزىء الإقط في الأظهر لثبوته في الصحيحين من حديث أبي سعيد والثاني لا. لأنه لا عشر فيه فأشبه التين ونحوه وفي معنى الإقطِ لبن وجبن لم ينزع زبدهما فيجزئان واجزاء كل من الثلاثة لمن هو قوته، سواء كان من أهل البادية أو الحاضرة، وقيل: أهل البادية فقط حكاه في المجموع وضعفه، وأما منزوع الزبد فلا كالكشك والمخيض والمصل واللحم.

(ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته المسلمة) وهو المفهوم من حديث ابن عمر: «على كل حر وعبد ذكر وأنثى من المسلمين» ولكن ظاهره إخراجها عن نفسها من غير فرق بين أن يكون لها زوج أم لا، بهذا قال أبو حنيفة، والثوري، وابن المنذر، وداود، وابن حزم، وابن

من الآباء والأمهات والأولاد. قال ﷺ: «أدّوا صدقة الفطر عمن تمونون». وتجب

أشرش من المالكية. وذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق والليث بن سعد إلى أن المتزوجة تجب فطرتها على زوجها. وقال أبو حنيفة: إنما لم تجب عليه عنها لقصور الولاية والمؤنة لأنه لا يلي عليها في غير حقوق الزوجية ولا يمونها في غير الرواتب كالمداواة. قال ابن الهمام: يعني أن السبب هو رأس عليه مؤنته لأن المفاد بالنص من قوله: تمونون ممن عليكم مؤنته وليس كل منهما مؤنة بل بعضها وبعض الشيء ليس إياه ولا سبب إلا هذا، فعند انتفائه يبقى على العدم الأصلي لأن العدم لا يؤثر شيئاً، لكنه لو أدى عنها بغير أمرها أجزأها استحساناً لثبوت الإذن عادة. كذا في الهداية، فالسبب رأس يمونه ويلي عليه.

ثم قال المصنف: **(ومماليكه)** أي تجب على الرجل فطرة عبيده الذين ملكهم **(وأولاده)** صغاراً كانوا أو كباراً تجب نفقتهم، **(وكل قريب هو في نفقته اعني من تجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد)**. قال في الروضة: الفطرة قد يؤديها عن نفسه وقد يؤديها عن غيره، وجهات التحمل ثلاث: الملك والنكاح والقرابة، وكلها تقتضي وجوب الفطرة في الجملة فمن لزمته نفقته بسبب منها لزمته فطرة المنفق عليه، ولكن يشترط في ذلك أمور، ويستثنى منها صور منها متفق عليه، ومنها مختلف فيه، فمن المستثنى أن الابن تلزمه نفقة زوجة أبيه تفريعاً على المذهب في وجوب الإعفاف، وفي وجوب فطرتها عليه وجهان. أصحهما: عند المصنف وطائفة وجوبها وأصحهما عند صاحب التهذيب والعدة وغيرهما لا تجب، والثاني هو الأصح وجزم الرافعي بصحته في المحرر، ويجري الوجهان في فطرة مستولدته، ثم من عدّ الأصول والفروع من الأقارب كالاخوة والأعمام لا تجب فطرتهم كما لا تجب نفقتهم، وأما الأصول والفروع إن كانوا موسرين لم تجب نفقتهم وإلاّ فكل من جمع منهم إلى الإعسار الصغر أو الجنون أو الزمانة وجبت نفقته، ومن تجرد في حقه الإعسار ففي نفقته قولان، ومنهم من قطع بالوجوب في الأصول وحكم الفطرة حكم النفقة اتفاقاً واختلافاً إذا ثبت هذا، فلو كان الإبن الكبير في نفقة أبيه فوجد قوته ليلة العيد ويومه فقط لم تجب فطرته على الأب لسقوط نفقته، ولا على الإبن لإعساره، وإن كان الابن صغيراً والمسألة بحالها ففي سقوط الفطرة الواجبة على الغير هل تلاقي المؤدي عنه ثم يتحمل عنه المؤدي أم تجب على المؤدي ابتداء فيه خلاف. يقال: وجهان، ويقال قولان مخرجان أصحهما الأوّل، ثم الأكثرون طردوا الخلاف في كل مؤد عن غيره من الزوج والسيد والقريب. قال الإمام وطوائف من المحققين: هذا الخلاف في فطرة الزوجة فقط أما فطرة المملوك والقريب فتجب على المؤدي ابتداء قطعاً لأن المؤدى عنه لا يصلح للإيجاب لعجزه، فلو كان الزوج معسراً أو الزوجة أمة أو حرة موسرة فطريقان: أصحهما فيهما قولان بناء على الأصل المذكور إن قلنا: الوجوب يلاقي المؤدى عنه أولاً وجبت الفطرة على الحرة وسيد الأمة، وإلاّ فلا تجب على أحد، والطريق الثاني: تجب على سيد الأمة ولا تجب على الحرة وهو المنصوص والفرق كمال تسليم الحرة نفسها بخلاف الأمة.

قلت: أوجبت الحنابلة على الحرة فطرة نفسها في هذه الصورة اهـ.

أما إذا نشزت فتسقط فطرتها عن الزوج قطعاً.

قلت: وقال أبو الخطاب الحنبلي: لو نشزت وقت الوجوب لا تسقط فطرتها اهـ.

قال الإمام والوجه عندي القطع بإيجاب الفطرة عليها، وإن قلنا لا يلاقيها الوجوب لأنها بالنشوز خرجت عن مكان التحمل، ولو كان زوج الأمة موسراً ففطرتها كنفقتها، وأما خادم الزوجة فإن كانت مستأجرة أي بغير المؤنة لم تجب فطرتها، وإن كانت من إماء الزوجة والزوج ينفق عليها لزمه فطرتها لأنه يمونه نص عليه الشافعي. وتجب فطرة الرجعية كنفقتها. وأما البائن فإن كانت حائلاً فلا فطرة كما لا نفقة وإن كانت حاملاً فطريقان أحدهما: تجب كالنفقة وهذا هو الراجح عند الشيخ أبي علي، والإمام، والمصنف. والثاني وبه قطع الأكثرون أن وجوب الفطرة مبني على الخلاف في أن النفقة للحامل أم للحمل. إن قلنا بالاوّل وجبت وإلاّ فلا لأن الجنين لا تجب فطرته. هذا إذا كانت الزوجة حرة فإن كانت أمه ففطرتها بالاتفاق مبنية على ذلك الخلاف. ولا تجب على المسلم فطرة عبده ولا زوجته ولا قريبه الكفار اهـ.

وقد لخصته من فروع ثلاثة. وقال أصحابنا الحنفية يخرج عن نفسه وعن ولده الصغير إن كان فقيرا لأنه إذا كان له مال يجب من ماله عندهما خلافاً لمحمد هو يقول إنها عبادة فلا تجب على الصغير. وهما يقولان فيها معنى المؤنة بدليل أنه يتحملها عن الغير وصارت كنفقة الأقارب بخلاف الزكاة لأنها عبادة محضة، ولهذا لا يتحملها أحد عن أحد. وعلى هذا الخلاف ولده المجنون الكبير لا عن ولده الكبير لأنه لا يمونه ولا يلي عليه فانعدم السبب، وكذا إن كان في عياله لعدم الولاية عليه، ولو أدى عنه بغير أمره جاز استحساناً لأنه مأذون فيه عادة ولا يؤدي عن اجداده وجداته ونوافله لأنهم ليسوا في معنى نفسه.

وقال في شرح التقْريب في الصحيحين وغيرهما في هذا الحديث زيادة وهي على الصغير والكبير، وذلك يقتضي إخراج زكاة الفطر عن الصغير الذي لم يبلغ أيضاً وهو كذلك، لكن هل هي في ماله إن كان له مال أو على أبيه؟ قال مالك، والشافعي، وأحمد، وأبو يوسف، والجمهور: هي في ماله إن كان له مال فإن لم يكن له مال فعلى من عليه نفقته من أب وغيره. وقال محمد بن الحسن: هي على الأب مطلقاً ولو كان للصغير مال لم تخرج منه. وقال ابن حزم الظاهري: هي في مال الصغير إن كان له مال، فإن لم يكن له شيء سقطت عنه ولا تجب على أبيه، وحكى ابن المنذر الإجماع على خلافه. قال أصحابنا: ولا تختص ذلك بالصغير بل متى وجبت نفقة الكبير لزمانة ونحوها وجبت فطرته، فلو كان الإبن الكبير في نفقة أبيه فوجد قوته ليلة العيد ويومه لم تجب فطرته على الأب لسقوط نفقته عنه في وقت الوجوب ولا على الابن، لإعساره، وكذا الابن الصغير إذا كان كذلك على الأصح.

....

تنبيه:

استدل ابن حزم الظاهري بالرواية التي فيها ذكر الصغير على وجوب زكاة الفطر على الجنين في بطن أمه فقال: والجنين يطلق عليه اسم صغير فإذا كمل مائة وعشرين يوماً في بطن أمه قبل انصداع الفجر من ليلة الفطر وجب أن يؤدى عنه صدقة الفطر، ثم استدل بحديث ابن مسعود الثابت في الصحيحين يجمع أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه وفيه ثم ينفخ فيه الروح ثم قال هو قبل ما ذكرنا موات فلا حكم على ميت، وأما إذا كان حياً فكل حكم وجب على الصغير فهو واجب عليه، ثم ذكر من رواية بكر ابن عبد الله المزني، وقتادة أن عثمان رضي الله عنه كان يعطي صدقة الفطر عن الصغير والكبير وعن الحمل في بطن أمه. وعن أبي قلابة قال: كان يعجبهم أن يعطوا زكاة الفطر عن الصغير والكبير حتى الحمل في بطن أمه. قال: وأبو قلابة أدرك الصحابة وصحبهم وروى عنهم. وعن سليمان بن يسار أنه سئل عن الحمل أيزكى عنه؟ قال: نعم. قال: ولا يعرف لعثمان في هذا مخالف عن الصحابة اهـ.

قال العراقي في شرح الترمذي بعد أن نقل هذا الكلام عنه: واستدلاله بما استدل به على وجوب زكاة الفطر على الجنين في بطن أمه في غاية العجب. أما قوله على الصغير والكبير فلا يفهمه عاقل منهم إلا الموجودين في الدنيا أما المعدوم فلا نعلم أحداً أوجب عليه. وأما حديث ابن مسعود فلا يطلع على ما في الرحم إلا الله تعالى كما قال: ﴿ويعلم ما في الارحام﴾ [لقمان: ٣٤] وربما يظن حملها وليس بحمل، وقد قال امام الحرمين: لا خلاف في أن الحمل لا يعلم، وإنما الخلاف في أنه يعامل معاملة المعدوم بمعنى أنه يؤخر له ميراث لاحتمال وجوده، ولم يختلف العلماء في أن الحمل لا يملك شيئاً في بطن أمه ولا يحكم على المعدوم حتى يظهر وجوده. قال: وأما استدلاله بما ذكر عن عثمان وغيره فلا حجة فيه لأن أثر عثمان منقطع، فإن بكراً وقتادة روايتهما عن عثمان مرسلة، والعجب أنه لا يحتج بالموقوفات، ولو كانت صحيحة متصلة. وأما أثر أبي قلابة فمن الذين كان يعجبهم ذلك وهو لو سمى جمعاً من الصحابة لما كان ذلك حجة، وأما سليمان بن يسار فلم يثبت عنه، فإنه من رواية رجل لم يسم عنه فلم يثبت فيه خلاف لأحد من أهل العلم، بل قول أبي قلابة كان يعجبهم ظاهر في عدم وجوبه، ومن تبرع بصدقة عن حمل رجاء حفظه وسلامته فليس عليه فيه بأس، وقد نقل الاتفاق على عدم الوجوب قبل مخالفة ابن حزم، فقال ابن المنذر: ذكر كل من يحفظه عنه من علماء الأمصار أنه لا يجب على الرجل إخراج زكاة الفطر عن الجنين في بطن أمه، ومن حفظ ذلك عنه عطاء بن أبي رباح، وأبو ثور، ومالك، وأصحاب الرأي. وكان أحمد بن حنبل يستحب ذلك ولا يوجبه ولا يصح عن عثمان خلاف ما قلناه اهـ.

وعن أحمد بن حنبل رواية أخرى بوجوب إخراجها عن الجنين. وقال ابن عبد البر في

التمهيد: فيمن ولد له مولود بعد يوم الفطر لم يختلف قول مالك أنه لا يلزمه فيه شيء قال: وهذا إجماع منه ومن سائر العلماء أشار إلى أن ما ذكر عن مالك وغيره من الإخراج عمن ولد في بقية يوم الفطر محمول على الاستحباب، وكذا ما حكاه عن الليث فيمن ولد له مولود بعد صلاة الفطر أن على أبيه زكاة الفطر عنه. قال: وأحب ذلك للنصراني يسلم ذلك الوقت ولا أراه واجباً عليه.

قال العراقي: فقد صرح الليث بعدم وجوبه، ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيداً لأنه يمتد وقت إخراجها إلى آخر يوم الفطر قياساً على الصلاة يدرك وقت أدائها، ثم قال العراقي: ومع كون ابن حزم قد خالف الإجماع في وجوبها على الجنين فقد تناقض كلامه، فقال: إن الصغير لا يجب على أبيه زكاة الفطر عنه إلا أن يكون له مال فيخرج عنه من ماله، فإن لم يكن مال لم تجب عليه حينئذ ولا بعد ذلك، فكيف لا يوجب زكاته على أبيه. والولد حي موجود ويوجبها وهو معدوم ولم يوجد. فإن قلت: يحمل كلامه على ما إذا كان للحمل مال. قلت: كيف يمكن أن يكون له مال وهو لا يصح تمليكه، ولو مات من يرثه الحمل لم يملكه وهو جنين فلا يوصف بالملك، إلا بعد أن يولد، وكذلك النفقة. الصحيح أنها تجب للأم الحامل لا للحمل، ولو كان للحمل لسقطت بمضي الزمان كنفقة القريب وهي لا تسقط اهـ. كلام العراقي.

قال ولده الولي، قال أصحابنا: فلو خرج بعض الجنين قبل الغروب ليلة الفطر وبعضه بعده لم تجب فطرته لأنه في حكم الجنين ما لم يكمل خروجه منفصلاً والله أعلم اهـ.

ثم الذين أوجبوها على الزوج بالقياس على النفقة تمسكوا واستأنسوا بالحديث الذي أشار إليه المصنف بقوله: **(قال رسول الله ﷺ «أدّوا صدقة الفطر عمن تمونون»)** هكذا أورده الرافعي في شرح الوجيز، وهو ملفق من حديثين أوله من حديث ثعلبة بن صعير الماضي ذكره. ولفظه «أدوا عن كل حر وعبد صغير أو كبير نصف صاع من بر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من تمر» وقد ذكرها فيما سبق أخرجه عبد الرزاق، وأبو داود، والطبراني، والحاكم. وأخرجه من حديث ابن عمر «أمر رسول الله ﷺ بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون» قال الحافظ في تخريج الرافعي: أخرجه الدارقطني والبيهقي من طريق الضحاك بن عثمان عن نافع عن ابن عمر اهـ.

وقال العراقي: رواه الدراقطني والبيهقي من حديث ابن عمر، وقال البيهقي: إسناده غير قوي اهـ.

وأخرج ابن أبي شيبة، عن حفص، عن الضحاك بن عثمان، عن نافع عن ابن عمر نحوه وزاد: ان ابن عمر كان يعطيه عمن يعول ومماليك نسائه إلا مكاتبين كانا له لم يكن يعطي عنهما. والضحاك بن عثمان وثقه ابن معين. وقال أبو حاتم: صدوق، وقال ابن سعد: كان ثبتاً، وقد أخرج له مسلم وما ظهر لي معنى قول البيهقي إسناده غير قوي.

وقد أخرج ابن أبي شيبة أيضاً عن وكيع، عن هشام بن عروة، عن فاطمة، عن أسماء أنها

....

كانت تعطي صدقة الفطر عمن تمون من أهلها الشاهد والغائب، ثم قال الحافظ في التخريج المذكور على حديث ابن عمر السابق. ورواه الدراقطني من حديث علي وفيه ضعف، ورواه الشافعي عن إبراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه مرسلاً اهـ.

وفي شرح التقريب وعبر ابن حزم هنا بعبارة بشعة فقال: وفي هذا المكان عجب عجيب وهو أن الشافعي رحمه الله لا يقول بالمرسل، ثم أخذ ها هنا بأبين مرسل في العالم من رواية ابن أبي يحيى اهـ.

قال الولي: ولم ينفرد به ابن أبي يحيى، فقد رواه غيره، وقد روي من حديث ابن عمر كما تقدم. ثم ان المعتمد القياس على النفقة مع ما انضم إلى ذلك من فعل راوي الحديث، ففي الصحيحين عنه «أنه كان يعطى عن الصغير والكبير» قال نافع حتى إن كان بنياً اهـ.

قلت: وأراد ابن حزم بابن أبي يحيى هو شيخ الشافعي إبراهيم بن محمد الأسلمي المدني، فإنه كان يعرف بابن أبي يحيى كان الشافعي يوثقه، وكان أحمد يتحامل عليه، وتركه أبو داود وغيره. وقول الولي لم ينفرد به ابن أبي يحيى فقد رواه غيره يشير إلى ما في السنن للبيهقي.

ورواه حاتم بن إسماعيل، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي قال: «فرض رسول الله ﷺ على كل صغير أو كبير أو عبد ممن تمونون صاعاً من شعير أو صاعاً من تمر أو صاعاً من زبيب عن كل إنسان» وفيه انقطاع

وروى الثوري في الجامع عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن أبيه قال: «من جرت عليه نفقتك نصف صاع بر أو صاع من تمر» وهذا موقوف. وعبد الأعلى ضعيف اهـ.

قال النووي في شرح المهذب بعد أن ذكر من خرج هذا الحديث: فالحاصل أن هذه اللفظة «ممن تمونون» ليست بثابتة. كذا نقله عنه الولي في شرح التقريب.

قلت: هي من طريق جعفر بن محمد بالوجهين متكلم فيه بالإرسال والانقطاع، وهو ظاهر اما من طريق الضحاك عن نافع عن ابن عمر فلا وجه لإسقاطها لثقة رواتها كما أشرنا إلى ذلك. وقد عقد البيهقي على هذا الحديث باب إخراج الفطر عن نفسه وغيره ممن تلزمه مؤنته.

وقال الشيخ علاء الدين علي بن عثمان من أصحابنا وهو من شيوخ الحافظ العراقي ما نصه: وقوله ﷺ في الصحيح «على الذكر والأنثى» من حديث ابن عمر دليل على سقوطه صدقة الزوجة عن الزوج ووجوبها عليها فلا تسقط عنها إلا بدليل، ولأنه يلزمها الاخراج عن عبيدها، فكان يلزمها عن نفسها أولى، ويلزم الشافعي رحمه الله الإخراج عن أجيره ورقيقه الكافر لأنه يمونهما اهـ.

تنبيه:

أورد أصحابنا هذا الحديث وجعلوه أصلاً واستدلوا به على أن سبب وجوب صدقة الفطر رأس يمونه ويلي عليه. ووجه الاستدلال أن ما بعد عن يكون سبباً عما قبلها، وكذا بعد «على» بعدما قامت الدلالة على أن المراد به معنى «عن» كقوله:

إذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله أعجبني رضاها

فاستفدنا منه أن هذه صدقة تجب على الإنسان بسبب هؤلاء، والقطع من جهة الشرع أنه لا يجب عمن لم يكن من هؤلاء في مؤنته وولايته فإنه لا يجب على الإنسان بسبب عبد غيره وولده. وفي لفظ الدارقطني كما تقدم «ممن تمونون» ولو مات صغيراً لله تعالى لا لولاية شرعية له علي لم يجب أن يخرج عنه إجماعاً. فلزم أنهم السبب إذ كانوا بذلك الوصف، وقد يلزم على هذا الضابط تخلف الحكم عن السبب في الجد إذا كانت نوافله صغاراً في عياله، فإنه لا يجب عليه الإخراج عنهم في ظاهر الرواية ويدفع بادعاء انتفاء جزء السبب بسبب أن ولاية الجد منتقلة من الأب إليه. فكانت كولاية الوصي غير قوي إذ الوصي لا يمونه إلا من ماله إذا كان له مال بخلاف الجد إذا لم يكن للصبي مال. فكان كالأب فلم يبق إلا مجرد انتقال الولاية فلا أثر له كمشتري العبد ولا مخلص إلا بترجيح رواية الحسن عن أبي حنيفة أن على الجد صدقة فطرهم، وهذه مسائل يخالف فيها الجد الأب في ظاهر الرواية ولا يخالفه في رواية الحسن هذه والتبعية في الإسلام وجر الولاء والوصية لقرابة فلان. نقله ابن الهمام.

(وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا تجب الصدقة عن العبد الكافر).

اعلم أن العبد لا يخلو من أن يكون حاضراً أو غائباً، والحاضر لا يخلو من أن يكون منفرداً في ملك واحد أو مشتركاً بين اثنين أو مبعضاً أو مشترى للتجارة أو للخدمة أو مغصوباً محجوراً أو مكاتباً أو كافراً أو مرهوناً أو موصى برقبته لشخص أو بمنفعته لآخر، أو يكون لبيت المال أو موقوفاً على مسجد أو على رجل بعينه أو عاملاً في ماشية أو حائط، وكذلك الغائب لا يخلو من أن يكون ضالاً لم يعرف موضعه، أو أسيراً في يد الكفار، أو آبقاً. ولكل هذه الأقسام أحوال وأحكام مفصلة. وقد أشار المصنف هنا إلى قسمين وسكت عن الباقي، ونحن نشير إلى الكل على اختلاف أقوال أئمة المذاهب وغيرهم من علماء الأمة فيه، والأصل في وجوب الصدقة على العبد حديث ابن عمر في الصحيح ولفظه: «على كل حر وعبد» وظاهره إخراج العبد عن نفسه، وبه قال داود الظاهري، لا نعلم أحداً قال به سواه، ولم يتابعه على ذلك ابن حزم ولا أحد من أصحابه، ويبطله قوله ﷺ «ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة إلا صدقة الفطر في الرقيق» والاستثناء به في صحيح مسلم بلفظ «ليس في العبد صدقة إلا صدقة الفطر» وذلك يقتضي أن زكاة الفطر ليست على العبد نفسه وإنما هي على سيده. وقال ابن قدامة لا نعلم فيه خلافاً، وسبقه في ذلك ابن المنذر فحكى الإجماع فيه واستثنى المكاتب والمغصوب والآبق

....

والمشترى للتجارة. وسيأتي اختلاف العلماء في هؤلاء قريباً فأما العبد المشترك بين اثنين وهو الذي صدر به المصنف ففطرته واجبة على سيديه عند الجمهور، وبه قال مالك والشافعي وأحمد في الجملة إلا أنهم اختلفوا في تفصيل ذلك، فقال أصحاب الشافعي: إن لم يكن بينهما مهايأة، فالوجوب عليهما بقدر ملكيهما وإن كانت بينهما مهايأة فالاصح اختصاصه بمن وقع زمن الوجوب في نوبته. وعن أحمد روايتان الظاهر عنه كمذهب الشافعي كما قاله ابن قدامة، والثانية عنه أنه تجب على كل واحد من المالكين صاع، ولا فرق عند الحنابلة أن يكون بينهما مهايأة أم لا. وفي مذهب مالك ثلاثة أقوال. هذان. والثالث إن على كل من السيدين نصف صاع وإن تفاوت ملكهما والإيجاب عليهما بقسط ملكهما هو رواية ابن القاسم كما ذكره ابن شاس وهو المشهور كما ذكره ابن الحاجب. وقال أبو حنيفة: لا فطرة على واحد منهما، وحكاه ابن المنذر عن الحسن البصري وعكرمة والثوري وأبي يوسف، وحكى عن محمد بن الحسن موافقة الجمهور اهـ.

قلت: وليس في كتب أصحابنا ذكر خلاف عندهم في هذه الصورة إنما حكى صاحب الهداية منهم الخلاف في عبيد بين اثنين، فقال أبو حنيفة: لا زكاة عليهما فيهم أيضاً. وقال صاحباه أبو يوسف ومحمد: على كل واحد منهما ما يخصه من الرؤوس دون الأشقاص، وذكر أن مثار الخلاف أنه لا يرى قسمة الرقيق وهما يريانها اهـ.

وفي شرح الكنز في تقرير أبي حنيفة: ولا يجب عن عبيد أو عبد مشترك بين إثنين لقصور الولاية والمؤنة في حق كل واحد منهما وقالا: يجب. ثم ذكر مثار الخلاف مثل ما ذكره صاحب الهداية، ثم قال: وقيل لا يجب بالإجماع لأن النصيب لا يجتمع قبل القسمة فلم تتم الرقبة لكل واحد منهما، ولو كانت لهما جارية فجاءت بولد فادعياه لا يجب عليهما عن الأم لما قلنا، وعن الولد يجب على كل واحد منهما صدقة تامة عند أبي يوسف لأن البنوّة تابعة في حق كل واحد منهما كملاً لأن ثبوت النسب لا يتجزأ: ولهذا لو مات أحدهما كان ولداً للباقي منهما، وقال محمد: تجب عليهما صدقة واحدة لأن الولاية لهما والمؤنة عليهما، فكذا الصدقة لأنها قابلة للتجزيء كالمؤنة اهـ.

ولو كان أحدهما موسراً والآخر معسراً فعلى الآخر صدقة تامة عندهما. وقال ابن الهمام في شرح الهداية عند قوله في تقرير مذهب الصاحبين وقالا: الخ. هذا بناء على كون قول أبي يوسف كقول محمد، بل الأصح أن قوله مع أبي حنيفة، ثم أبو حنيفة مرّ على أصله من عدم جواز قسمة الرقيق جبراً ولم يجتمع لواحد ما يسمى رأساً، ومحمد مرّ على أصله من جواز ذلك، وأبو يوسف مع محمد في القسمة، ومع أبي حنيفة في صدقة الفطر لأن ثبوت القسمة بناء على الملك وصدقة الفطر باعتبار المؤنة عن ولاية لا باعتبار الملك، ولذا تجب عن الولد ولا ملك، ولا تجب عن الابن مع الملك فيه، ولو سلم فجواز القسمة ليس علة تامة لثبوتها، وكلامنا فيما قبلها وقبلها لم يجتمع في ملك أحد رأس كامل، وقد قيل: إن الوجوب عند محمد على العبد وفيه نظر. فإنه لو كان لم

يختلف الحال بين العبيد والعبد الواحد فكان يجب على سيدي العبد الواحد، ولا يجب على سيد العبد الكافر كقول الشافعي، وعن هذا قيل أعني عدم الوجوب على واحد من الشريكين في العبيد بالإجماع أي بالاتفاق.

تنبيه:

قال أصحابنا: يتوقف وجوب صدقة فطر العبد المبيع بشرط الخيار لأحدهما أولهما، وإذا مرّ يوم الفطر والخيار باق تجب على من يصير العبد له، فإن تم البيع فعلى المشتري وإن فسخ فعلى البائع. وقال زفر من أصحابنا: يجب على من له الخيار كيفما كان لأن الولاية له والزوال باختياره، فلا يعتبر في حق حكم عليه كالمقيم إذا سافر في نهار رمضان حيث لا يباح له الفطر في ذلك اليوم لأنه باختياره إنشاء فلا يعتبر. وقال الشافعي رحمه الله: على من له الملك لأنه من وظائفه كالنفقة، ولنا أن الملك والولاية موقوفان فيه، فكذا ما ينبني عليهما، ألا ترى لو فسخ يعود إلى قديم ملك البائع، ولو أجيز استند الملك للمشتري إلى وقت العقد حتى يستحق به الزوائد المتصلة والمنفصلة بخلاف النفقة لأنها للحاجة الناجزة فلا تحتمل التوقف، وعلى هذا الخلاف زكاة التجارة وصورته، ما إذا اشترى عبداً للتجارة بشرط الخيار لأحدهما، وكان عند كل واحد منهما نصاب فتم الحول في مدة الخيار فعندنا يضم إلى نصاب من يصير العبد له فيزكيه مع نصابه، ولو كان البيع ثابتاً فلم يقبضه حتى مرّ يوم الفطر فإن قبضه بعد ذلك فعليه صدقته، لأن الملك كان ثابتاً له وقد تقرر بالقبض، وإن لم يقبضه حتى هلك عند البائع لا يجب على واحد منهما، أما المشتري فلأنه لم يتم ملكه ولم يتقرر، وأما البائع فلأنه عاد إليه غير منتفع به فكان بمنزلة العبد الآبق، فإن ردّه قبل القبض بخيار عيب أو رؤية بقضاء أو غيره فعلى البائع لأنه عاد إليه قديم ملكه منتفعاً به، وبعد القبض فعلى المشتري لأنه زال ملكه بعد تمامه وتأكده، ولو اشتراه شراء فاسداً وقبضه قبل يوم الفطر فباعه أو أعتقه فصدقته عليه لتقرر ملكه، ولو قبضه بعد يوم الفطر فعلى البائع لأن الملك كان له يوم الفطر وملك المشتري يقتصر على القبض والله أعلم.

وقال ابن حزم: ما نعلم لمن أسقط صدقة الفطر عنه وعن سيده حجة أصلاً إلا أنهم قالوا: ليس أحد من سيديه يملك عبداً، ثم استدل ابن حزم على الوجوب في هذه الصورة بقوله ﷺ: «ليس على المسلم في عبده وفرسه صدقة إلا صدقة الفطرة في الرقيق» قال: والعبد المشترك رقيق.

فصل

وأما المبعض فقال الشافعي رحمه الله: يخرج هو من الصاع بقدر حريته وسيده بقدر رقه وهو إحدى الروايتين عن أحمد وعنه رواية أخرى إن على كل منهما صاعاً كما تقدم في المشترك، قال أصحاب الشافعي: فإن كان بينهما مهايأة فالأصح اختصاصها بمن وقعت في نوبته، ولم يفرق

....

أحمد بين المهايأة وعدمها كما تقدم في المشترك، والمشهور عند المالكية أن على المالك بقدر نصيبه ولا شيء على العبد، وقيل: يجب الجميع على المالك، وقيل: على المالك بقدر نصيبه وعليه في ذمته بقدر حريته، فإن لم يكن له مال أخرج السيد الجميع، وقيل لا يجب عليه ولا على سيده شيء حكاه ابن المنذر عن أبي حنيفة، وقيل: يجب الجميع على العبد حكاه ابن المنذر عن أبي يوسف ومحمد، وبه قال داود، وابن حزم.

فصل

وأما العبد المشترى للتجارة فالجمهور على أنه يجب على السيد فطرته كغيره لعموم الحديث، وبه قال مالك، والشافعي، وأحمد، والليث بن سعد، والأوزاعي، وإسحاق بن راهويه، وابن المنذر وأهل الظاهر، وقال أبو حنيفة: لا تجب فطرته لوجوب زكاة التجارة فيه، وحكى عن عطاء، والنخعي، والثوري، وعبارة الكنـز: لا يجب عليه عن عبيده للتجارة كيلا يؤدي إلى التني ونحوه عبارة الهداية، وضبطوه بكسر الثاء المثلثة مقصوراً، وأورد عليه أن الثني عبارة عن ثنية الشيء الواحد وهو منتف لاختلاف الواجبين كماً وسبباً فإنه في الفطر الرأس، وفي الـزكاة ماليتها لا هي نفسها ومحلاً، ففي الفطر الذمة حتى لا تسقط بعروض الفقر بعد الوجـوب، وفي الزكاة المال حتى يسقط به بأن هلك المال فلا شيء على أنه لو كان لزم قبوله بعد لزومه شرعاً بثبوته بالدليل الموجب للزكاة مطلقاً، والدليل الموجب للفطر مطلقاً وعدم ثبوت نافيه وقيل: الوجه غير ما ذكروه وهو أن الانتفاء لانتفاء السبب لأنه ليس رأساً أعد للمؤنة بل بين ضرورة بقائه، فيحصل مقصوده من الربح في التجارة ولا يخفى أنهم لم يقيموا الدليل سوى على أن السبب رأس يمونه الخ. لا بقيد كونه أعدّ لأن يمان. غاية ما في الباب أن الرأس الواحدة جعلت سبباً في الزكاة باعتبار ماليتها، وفي صدقة أخرى باعتبار معنى المؤنة والولاية عليه ولا مانع من ذلك فتأمل.

فصل

وقال أصحابنا: لو كان له عبيد وعبيد عبيد يجب على العبيد لما قلنا، ولا يجب على عبيد العبيد إن كانوا للتجارة، وإن كانوا للخدمة يجب إن لم يكن على العبيد دين مستغرق، فإن كان عليهم دين مستغرق لا يجب عند أبي حنيفة، وعندهما يجب بناء على أن المولى هل يملك كسب عبده إذا كان عليه دين مستغرق أم لا؟

فصل

وأما المغصوب المجحود وهو الذي لم يكن في يد المالك: فمذهب الشافعي وجوب فطرته في الحال، وبه قال مالك، وأحمد. وحكى ابن المنذر في ذلك إجماع عامة أهل العلم، وكذا ابن

قدامة. وقال أبو حنيفة: لو كان له عبد مغصوب مجحود لا يجب عليه فطرته بسببه ولا يجب عليه أيضاً عن نفسه، هذا إذا كانت له بينة وحيث لا بينة وحلف الغاصب ورد المغصوب بعد يوم الفطر كان عليه صدقة ما مضى.

فصل

وأما المكاتب ففيه ثلاثة أقوال في مذهب الشافعي، **أصحها** عند أصحابه أنها لا تجب عليه ولا على سيده عنه، وبه قال أبو حنيفة، وروى ابن أبي شيبة، عن حفص، عن الضحاك بن عثمان، عن نافع، عن ابن عمر قال: كان له مكاتبان فلم يعط عنهما، وعن ابن الدراوردي، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر أنه كان لا يرى على المكاتب زكاة الفطر.

والثاني: تجب على سيده وهو المشهور من مذهب مالك كما قاله ابن الحاجب، وبه قال عطاء، وأبو ثور، وابن المنذر، وروى ابن أبي شيبة عن كثير عن هشام، عن جعفر بن برقان قال: بلغني أن ميمون كان يؤدي عن المكاتب صدقة الفطر، وعن سهل بن يوسف عن عمرو، عن الحسن أنه كان يرى على المكاتب صدقة الفطر، وعمرو: هو ابن عبيد المعتزلي غير مقبول عند الجماعة.

والثالث: تجب عليه في كسبه كنفقته، وبه قال أحمد بن حنبل.

وفي المسألة قول **رابع** أنه يعطي عنه إن كان في عياله، وإلا فلا، حكاه ابن المنذر عن إسحاق ابن راهويه.

وقول **خامس** أن السيد يخرجها عنه إن لم يؤد شيئاً من كتابته، وإن أدى شيئاً من كتابته وإن قلّ فهي عليه قاله ابن حزم الظاهري، وربما يستأنس له ما رواه ابن أبي شيبة، عن محمد بن بكر، عن ابن جريج، عن عطاء قال: إن كان مكاتباً فطرح عن نفسه فقد كفى نفسه، وإن لم يطرح عن نفسه فيطعم عنه سيده.

فصل

وأما العبد الكافر فاشترط الشافعي الإسلام في وجوب زكاة الفطر، ومقتضاه أنه لا يجب على الكافر إخراج زكاة الفطر لا عن نفسه ولا عن غيره، فأما كونه لا يخرجها عن نفسه فمتفق عليه، وأما كونه لا يخرجها عن غيره من عبد ومستولدة وقريب مسلمين فأمر مختلف فيه، وفي ذلك لأصحابه وجهان مبنيان على أنها وجبت على المؤدي ابتداء أم على المؤدى عنه، ثم يتحمل المؤدي والأصح الوجوب بناء على الأصح وهو وجوبها على المؤدى عنه، ثم يحملها المؤدي وهو المحكي عن أحمد بن حنبل، واختاره القاضي من الحنابلة. وقال ابن عقيل منهم: يحتمل أن لا تجب وهو قول أكثرهم، وبه قال أصحابنا الحنفية. ونقل ابن المنذر الاتفاق على ذلك فقال:

....

وكل من يحفظ عنه من أهل العلم يقولون لا صدقة على الذمي في عبده المسلم، ونظر صاحب الهداية إلى ظاهر عبارة ابن المنذر فقال: لما ذكر هذه المسألة فلا وجوب بالاتفاق اهـ.

وفيه نظر فقد عرفت أن الخلاف في ذلك موجود ومشهور، وقد نازع ابن الهمام من أصحابنا قول أصحاب الشافعي أنها على العبد ويتحمله السيد بأن المقصود الأصلي من التكليف أن يصرف المكلف نفس منفعته لمالكه وهو الرب تعالى ابتلاء له لتظهر طاعته من عصيانه، ولذا لا يتعلق التكليف إلا بفعل المكلف، فإذا فرض كون المكلف لا يلزمه شرعاً صرف تلك المنفعة التي هي فيما نحن فيه فعل الإعطاء، وإنما يلزم شخصاً آخر لزم انتفاء الابتلاء الذي هو مقصود التكليف في حق ذلك المكلف، وثبوت الفائدة بالنسبة إلى ذلك الآخر يتوقف على الإيجاب على الأولّ، لأن الذي له ولاية الإيجاب والإعدام تعالى يمكن أن يكلف ابتداء السيد بسبب عبده الذي ملكه له من فضله، فوجب لهذا الدليل العقلي وهو لزوم انتفاء مقصود التكليف الأوّل أن يحمل ما ورد من لفظ علي في نحو قوله «على كل حر وعبد» على معنى «عن» هذا لو لم يجيء شيء من ألفاظ الروايات بلفظ عن كيلا ينافيه الدليل العقلي، فكيف وفي بعض روايات حديث ثعلبة بن صعير وقع التصريح بها على أن المتأمل لا يخفى عليه أن قول القائل كلف بكذا ولا يجب عليه فعله يجر إلى التناقض فضلاً عن انتفاء الفائدة بأدنى تأمل، والله أعلم اهـ.

وأما عكسه وهو إخراج المسلم عن قريبه وعبده فلا يجب عند الشافعي، وهو الذي أشار إليه المصنف في سياقه، وبه قال مالك وأحمد. وحكاه ابن المنذر عن علي، وجابر بن عبد الله، وابن المسيب، والحسن البصري وغيرهم، وقال أبو حنيفة: بالوجوب لإطلاق ما روي ولأن الوجوب على المولى فلا يشترط فيه إسلام العبد كالزكاة. وحكاه ابن المنذر عن عطاء، وعمر بن عبد العزيز، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والنخعي، والثوري، وإسحاق، وأصحاب الرأي، وذكر ابن رشد وغيره أن مذهب ابن عمر وجوب الفطرة على العبد الكافر، وفي الاستذكار قال الثوري وسائر الكوفيين: يؤدي الفطرة عن عبده الكافر، ثم حكى عن الخمسة الذين حكى عنهم ابن المنذر، ثم قال: وروي عن أبي هريرة وابن عمر.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عمرو بن مهاجر عن عمر بن عبد العزيز قال: «سمعته يقول يؤدي الرجل المسلم عن مملوكه النصراني صدقة الفطر».

حدثنا عبد الله بن داود عن الأوزاعي قال: بلغني عن ابن عمر أنه كان يعطي عن مملوكه النصراني صدقة الفطر.

وكيع، عن ثور، عن سليمان بن موسى قال: كتب إلى عطاء يسأله عن عبيد يهود ونصارى أطعم عنهم زكاة الفطر. قال: نعم حدثنا ابن عياش، عن عبيدة، عن إبراهيم قال: مثل قول عمر ابن عبد العزيز. محمد بن بكر عن ابن جريج قال: قال عطاء: إذا كان لك عبيد نصارى لا يدارون يعني للتجارة فزك عنهم يوم الفطر. قال: وروي عن أبي إسحاق قال: حدثني نافع أن

عبد الله بن عمر كان يخرج صدقة الفطر عن أهل بيته كلهم حرهم وعبدهم صغيرهم وكبيرهم مسلمهم وكافرهم من الرقيق.

تنبيه:

استدلال أصحاب الشافعي في عدم إيجاب صدقة الفطر عن عبده الكافر حديث ابن عمر السابق ذكره، ففيه في بعض رواياته زيادة من المسلمين، قال الحافظ في تخريج الرافعي: هذه الزيادة اشتهرت عن مالك. قال أبو قلابة: ليس أحد يقولها غير مالك، وكذا قال أحمد بن خالد، عن محمد بن وضاح. وقال الترمذي: لا نعلم كذا قالها غير مالك اهـ.

قلت: ونص الترمذي في آخر كتابه في العلل: ورب حديث إنما يستغرب لزيادة تكون في الحديث، وإنما يصح إذا كانت الزيادة ممن يعتمد على حفظه مثل ما روى مالك عن نافع عن ابن عمر فذكر هذا الحديث. قال: وزاد مالك في هذا الحديث من المسلمين، قال: وقد روى أيوب السختياني، وعبيد الله بن عمر، وغير واحد من الأئمة هذا الحديث، عن نافع، عن ابن عمر، ولم يذكروا فيه من المسلمين، وقد روى بعضهم عن نافع مثل رواية مالك ممن لا يعتمد على حفظه اهـ.

وتبعه على ذلك ابن الصلاح في علوم الحديث، ثم قال الحافظ قال ابن دقيق العيد: ليس كما قالوا، فقد تابعه عمر بن نافع، والضحاك، وعثمان، والعلاء بن إسماعيل، وعبيد الله بن عمر، وكثير بن فرقد، والمعمر، ويونس بن يزيد اهـ.

قال الحافظ: وقد أوردت طرقه في النكت عن ابن الصلاح وزدت فيه من طريق أيوب السختياني أيضاً، ويونس بن زيد، ويحيى بن سعيد، وموسى بن عقبة، وابن أبي ليلى، وأيوب بن موسى اهـ كلام الحافظ.

وقال الحافظ العراقي في شرح الترمذي: ولم ينفرد مالك بهذه الرواية بل قد رواها جماعة ممن يعتمد على حفظهم، واختلف على بعضهم في زيادتها وهم عشرة أو أكثر منهم: عمر بن نافع، والضحاك بن عثمان، وكثير بن فرقد، والعلاء بن إسماعيل، ويونس بن يزيد، وابن أبي ليلى، وعبد الله بن عمر العمري، وأخوه عبيد الله بن عمر، وأيوب السختياني على اختلاف عليهما في زيادتها. فأما رواية عمر بن نافع عن أبيه فأخرجها البخاري في صحيحه، وأما رواية الضحاك ابن عثمان فأخرجها مسلم في صحيحه، وأما رواية كثير بن فرقد فرواها الدارقطني في سننه والحاكم في المستدرك وقال: إنه صحيح على شرطها. وأما رواية العلاء بن إسماعيل فرواها ابن حبان في صحيحه، والدارقطني في سننه، وأما رواية يونس بن يزيد فرواها الطحاوي في بيان المشكل، وأما رواية ابن أبي ليلى، وعبد الله بن عمر العمري، وأخيه عبيد الله التي أتى فيها بهذه الزيادة فرواها الدارقطني في سننه، وأما رواية أيوب السختياني فذكرها الدارقطني في سننه، وانها رويت عن ابن شوذب عن أيوب عن نافع اهـ كلام العراقي.

....

قلت: ورواية عمر عن نافع عن أبيه بهذه الزيادة رواها أيضاً أبو داود والنسائي ورواية عبيد الله بن عمر العمري، عن نافع بهذه الزيادة، رواها أيضاً أبو داود من طريق سعيد بن عبد الرحمن الجمحي عنه، وسعيد وثقه ابن معين، واتهمه ابن حبان قاله الذهبي، والمشهور عن عبيد الله ليس فيه من المسلمين.

وروى الحاكم في مستدركه رواية سعيد هذه ولفظها «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من بر على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين» وصححها وفيه كلام سبق عند إخراج الواجب من البر.

ورواية يونس بن يزيد التي أخرجها الطحاوي فلفظه: حدثنا فهد، حدثنا عمرو بن طارق، أخبرنا يحيي بن أيوب، عن يونس بن يزيد أن نافعاً أخبره قال: قال عبد الله بن عمر «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على كل إنسان ذكر حر أو عبد من المسلمين».

فصل

واستدلال أصحاب الشافعي على مدعاهم بهذه الزيادة واضح لا غبار عليه، وقد نازعهم ابن حزم على هذا الاستدلال فقال: ليس فيها إسقاطها عن المسلم في الكفار من رقيقه ولا إيجابها قال: فلو لم يكن إلا هذا الخبر لما وجبت علينا زكاة الفطر إلا على المسلم من رقيقنا فقط، ولكن وجدنا حديث أبي هريرة مرفوعاً «ليس على المسلم في فرسه وعبده صدقة إلا صدقة الفطر في الرقيق» قال: فأوجب عليه السلام صدقة الفطر عن الرقيق عموماً فهي واجبة على السيد عن رقيقه لا على الرقيق.

وأجاب عنه الولي العراقي فقال: يخص عموم حديث أبي هريرة بقوله في حديث غيره من المسلمين، وقد تبين بذكر الصغير أنه ﷺ أراد المؤدى عنه لا المؤدي اهـ.

وأورد البيهقي حديث ابن عمر في السنن من طرق إحداها فيه أبو عتبة أحمد الفرج الحمصي ولفظه «عن كل نفس من المسلمين» واستدل به على أن الكافر يكون فيمن يمون فلا يؤدى عنه زكاة الفطر.

قلت: قد تقدم أن «عن» يأتي بمعنى «على» في مواضع كثيرة، فالمراد من يلزمه الإخراج ولا يكون إلا مسلماً فلا دلالة فيه على عدم وجوب الإخراج عن الكافر، وأيضاً فأبو عتبة ضعيف ولو كان ثقة فقد خالف الجماعة فلا يقبل منه. وقال أصحابنا لفظ «العبد» في حديث أبي هريرة، وأبي سعيد، وابن عمر بعمومه يتناول «الكافر» فهو بعينه ما استدل به ابن حزم سواء، ورواية أبي عتبة هذه على تقدير صحتها ذكرت بعض أفراد هذا العام فلا تعارضه ولا تخصه إذ المشهور الصحيح عند أهل الأصول أن ذكر بعض أفراد العام لا تخصه خلافاً لأبي ثور، ثم

....

الجمهور على أنها تجب على السيد، ولهذا لو لم يؤد عنه حتى عتق لم يلزمه إخراجها عن نفسه إجماعاً، فعلى هذا قوله «على كل حر وعبد» بمعنى «عن» ومن زعم أنها تجب على العبد ويتحمل السيد عنه بجعل «على» على بابها، وعلى التقديرين هو ذكر لبعض أفراد العام كما قررناه.

وقول الولي العراقي في جواب ابن حزم يخص عموم حديث أبي هريرة بقوله في حديث غيره من المسلمين يريد بذلك أن ليس هذا ذكر بعض أفراد العام، بل هو تخصيص للعام بمفهوم الصفة في قوله من المسلمين.

والجواب عن هذا من أصحابنا أننا نمنع أولاً دلالة المفهوم، وثانياً لو سلمناه لا نسلم أنه يخص به العموم، وقال ابن الهمام: الإطلاق في العبد في الصحيح يوجبها في الكافر والتقييد في الصحيح أيضاً بقوله «من المسلمين» لا يعارضه لما عرف من عدم حمل المطلق على المقيد في الأسباب، لأنه لا تزاحم فيها فيمكن العمل بهما فيكون كل من المطلق والمقيد سبباً بخلاف ورودهما في حكم واحد، وكل من يقول بأن افراد فرد من العام لا يوجب التخصيص يلزمه أن يقول: إن تعليق حكم بمطلق ثم تعليقه بعينه بمقيد لا يوجب تقييد ذلك المطلق بأدنى تأمل نعم إذا لم يمكن العمل بهما صير إليه ضرورة.

فصل

وأما العبد المرهون، فزكاته واجبة على مولاه عند مالك والشافعي والجمهور وهو ظاهر الحديث، والمشهور عند أصحابنا الحنفية عدم الوجوب إلا إذا كان عند مولاه مقدار ما يوفي ذمته وفضل مائتي درهم، وعن أبي يوسف عدم الوجوب مطلقاً.

قال الزيلعي والفرق بينه وبين العبد المستغرق بالدين والعبد الجاني حيث تجب عنهما كيفما كان أن الدين في الرهن على المولى ولا دين عليه في المستغرق والجاني، وإنما هو على العبد وذلك لا يمنع الوجوب.

فصل

وأما العبد الموصى برقبته لشخص وبمنفعته لآخر، ففطرته على الموصى له بالرقبة عند الشافعي والأكثرين، وحكاه ابن المنذر عن أصحاب الرأي، وأبي ثور، وفي مذهب مالك ثلاثة أقوال قال ابن القاسم في المدونة: وهي على الموصى له بالرقبة، وقال في رواية ابن المواز عنه هي على الموصى له بالمنفعة، وقيل: إن قصر زمن الخدمة فهي على الموصى له بالرقبة، وإن كان فهي على الموصى له بالمنفعة، ووقع في شرح الكنز للزيلعي من أصحابنا ما نصه: والعبد الموصى برقبته لإنسان لا تجب فطرته اهـ. هو من سهو قلم النساخ نبه عليه ابن الهمام في فتح القدير، فإن

....

الصواب في المذهب أنها تجب على مالك رقبته كما حكاه ابن المنذر وغيره.

فصل

وأما عبد بيت المال والموقوف على مسجد، فلا فطرة فيهما على الصحيح عند أصحاب الشافعي، وكذا الموقوف على رجل بعينه على الأصح عند النووي وغيره بناء على أن الملك في رقبته له تعالى.

فصل

وأما العبد العامل في ماشية أو حائط، فالجمهور على الوجوب كغيره وبه قال الأئمة الأربعة. وروى ابن أبي شيبة عن ابن عمر أنه كان يعطي عن غلمان له في أرض عمر الصدقة، وعن محمد ابن عبد الرحمن، وسعيد بن المسيب، وعطاء بن يسار، وأبي سلمة بن عبد الرحمن قالوا: من كان له عبد في زرع أو ضرع فعليه صدقة الفطر. وعن طاوس أنه كان يعطي عن عمال أرضه، وعن أبي العالية والشعبي وابن سيرين قالوا: هي على الشاهد والغائب، وحكى ابن المنذر عن عبد الملك بن مروان أنه لا زكاة عليه وهو قول شاذ.

قال أبو بكر بن أبي شيبة محمد بن بكر، عن ابن جريج، أخبرني أمية بن أبي عثمان، عن أبيه أن عبد الله بن نافع بن علقمة كتب إلى عبد الملك بن مروان يسأله عن العبد في الحائط والماشية عليه زكاة يوم الفطر؟ قال: لا. وروي أيضاً عن محمد بن بكر عن ابن جريج قال: قلت لعطاء هل على غلام ماشية أو حرث زكاة؟ قال: لا.

فصل

وأما العبد الغائب، فمذهب الشافعي وجوب فطرته وإن لم يعلم حياته بل انقطع خبره، وكذا الضال الذي لم يعرف موضعه، وكذا المأسور فإنه يجب إخراج الفطرة عن هؤلاء حكاه ابن المنذر. وفي هذه الصور خلاف ضعيف عندهم، وكذلك مذهب أحمد إلا في منقطع الخبر فإنه لم يوجب فطرته لكنه قال: لو علم بعد ذلك حياته لزمه الإخراج لما مضى، ولم يوجب أبو حنيفة زكاة الأسير كالمغصوب المجحود.

فصل

وأما العبد الآبق، فحكى ابن المنذر عن الشافعي، وأبي ثور وجوب الإخراج عنه، وعن الزهري، وأحمد، وإسحاق وجوبها إذا علم مكانه، وعن الأوزاعي وجوبها إذا كان في دار

بالإخراج عن نفسها أجزأتها وللزوج الاخراج عنها دون إذنها، وإن فضل عنه ما يؤدي عن بعضهم أدي عن بعضهم وأولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد. وقد قدم

الإسلام. وعن عطاء والثوري وأصحاب أبي حنيفة عدم وجوبها، وعن مالك وجوبها إذا كانت غيبته قريبة ترجى رجعته، فإن بعدت غيبته وأيس منه سقطت عن سيده، فهذه خمسة أقوال. وعن أبي حنيفة رواية بالوجوب، قال شارح الكنز: ولو كان له عبد آبق أو مأسور أو مغصوب مجحود ولا بيّنة وحلف الغاصب فعاد الآبق ورد المغصوب بعد يوم الفطر عليه صدقة ما مضى والله أعلم.

ثم قال المصنف رحمه الله: **(وإن تبرعت الزوجة بالإخراج عن نفسها)** مع يسار الزوج بغير إذنه **(أجزأتها)**، إن قلنا ان الزوج متحمل وهو وجه في المذهب، **(وللزوج الإخراج عنها دون إذنها)** وفي وجه آخر أنه لا يجزئ بناء على أن الزوج لا يتحمل، ويجري الوجهان فيما لو تكلف من فطرته على قريبه باستقراض أو غيره وأخرج بغير إذنه، والمنصوص في المختصر الإجزاء، ولو أخرجت الزوجة أو القريب بإذن من عليه أجزأ بلا خلاف، بل لو قال الرجل لغيره: ادّعني فطرتي ففعل أجزأه، كما لو قال: اقض ديني كذا في الروضة، وقال أبو حنيفة: لو أدى عن ولده الكبير وعن زوجته بغير أمرهما جاز استحساناً لأنه مأذون فيه عادة، قالوا: والثابت عادة كالثابت بالنص فيما فيه معنى المؤنة بخلاف ما هو عبادة محضة كالزكاة لا يسقط عنها إلا بإذنها صريحاً إذ لا يتحقق معنى الطاعة والابتلاء، إلا به.

قال ابن الهمام: وفيه نظر فإن معنى المؤنة لا ينفي ما فيه من معنى العبادة المتفرعة عن الابتلاء واختيار الطاعة من المخالفة. فإن ادعى أن ذلك تابع في صدقة الفطر منعناه، وقد صرحوا بأن الغالب في صدقة الفطر معنى العبادة. نعم إن أمكن أن يوجه هكذا بأن الثابت عادة لما كان كالثابت نصاً كان أداؤه متضمناً اختيارها ونيتها بخلاف الزكاة، فإنها لا عادة فيها، ولو قدر فيها عادة قلنا بالإجزاء فيها أيضاً لكنها منتفية فيها، وإلاّ فلا يخفى ما فيه.

ثم قال المصنف رحمه الله: **(وإن فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم أدي عن بعضهم وأولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد)** قال في الروضة: لو فضل معه عما يجب عليه بعض صاع لزمه إخراجه على الأصح، ولو فضل صاع وهو يحتاج إلى إخراج فطرة نفسه وزوجته وأقاربه فأوجه. أصحها يلزمها تقديم فطرة نفسه أي لخبر مسلم «ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلأهلك. فإن فضل من أهلك شيء فلذي قرابتك». والثاني: يلزمه تقديم الزوجة، والثالث: يتخير إن شاء أخرجه عن نفسه وإن شاء عن غيره، فعلى هذا لو أراد توزيعه عليهم لم يجز على الأصح. والوجهان على قولنا: من وجد بعض صاع فقط لزمه إخراجه، فإن لم يلزمه لم يجز التوزيع بلا خلاف، ولو فضل صاع وله عبد صرفه عن نفسه وهل يلزمه أن يبيع في فطرة العبد جزءاً منه؟ فيه أوجه: أصحها إن كان يحتاج إلى خدمته لم يلزمه وإلا لزمه، ولو فضل صاعان وفي نفقته جماعة فالأصح أنه يقدم نفسه بصاع، وقيل يتخير، وأما الصاع الآخر فإن

رسول الله ﷺ نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم. فهذه أحكام

كان من في نفقته أقارب قدم منهم من يقدم نفقته ومراتبهم وفاقاً وخلافاً موضعها في كتاب النفقات، فإن استووا فيتخير أو يسقط، وجهان: أصحها التخيير، ولو اجتمع مع الأقارب زوجة فأوجه أصحها تقديم الزوجة، والذي أخرناه إلى كتاب النفقات هو أنه يقدم نفسه ثم زوجته ثم ولده الصغير ثم الأب ثم الأم ثم الولد الكبير اهـ سياق الروضة.

وفي المنهاج وشرحه: ولو وجد بعض الصيعان قدم نفسه لخبر مسلم إبدأ بنفسك ثم زوجته لأن نفقتها آكد لأنها معاوضة لا تسقط بمضي الزمان، ثم ولده الصغير لأن نفقته ثابتة بالنص والإجماع، ولأنه أعجز من بعده ثم الأب وإن علا ولو من قبل الأم، ثم الأم لقوة خدمتها بالولادة، ثم الولد الكبير على الأرقاء، لأن الحر أشرف وعلاقته لازمة بخلاف الملك، فإنه عارض ويقبل الزوال، ومحل ما ذكره في الكبير إذا كان لا كسب له وهو زمن أو مجنون، فإن لم يكن كذلك فالأصح عدم وجوب نفقته، وهذا الترتيب ذكره أيضاً في الشرح الكبير، والذي صححاه في باب النفقات تقديم الأم في النفقة على الأب، وفرق في المجموع بين البابين بأن النفقة لسد الخلة، والأم أكثر حاجة وأقل حيلة والفطرة لتطهير المخرج عنه وشرفه، والأب أحق به فإنه منسوب إليه ويشرف بشرفه، وأبطل الأسنوي الفرق بالولد الصغير فإنه يقدم هنا على الأبوين وهما أشرف منه، وأجاب الشهاب الرملي عن ذلك بأنهم إنما قدموا الولد الصغير لأنه كجزء المخرج مع كونه أعجز من غيره ثم الرقيق، وقال شيخ الإسلام زكريا: وينبغي أن يقدم منه أم الولد ثم المدبر ثم المعلق عتقه، فإن استوى إثنان في درجة كزوجتين وابنين تخير في إستوائهما في الوجوب.

(وقد قدم رسول الله ﷺ نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقة الزوجة على نفقة الخادم).

قال العراقي: رواه أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة بسند صحيح، وابن حبان، والحاكم وصححه، ورواه النسائي، وابن حبان أيضاً بتقديم الزوجة على الولد وسيأتي اهـ.

قلت: رواه النسائي من طريق ابن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة بلفظ: قال رجل يا رسول الله عندي دينار. قال «تصدق به على نفسك. قال عندي آخر. قال: تصدق به على زوجتك. قال عندي آخر. قال: تصدق به على ولدك. قال عندي آخر. قال: تصدق به على خادمك. قال عندي آخر. قال: أنت أبصر به». وهذا الذي قال فيه العراقي وسيأتي أي في آخر هذا الكتاب أي كتاب الزكاة. والمفهوم كما تقدم من سياق الروضة إطباق أصحاب الشافعي على تقديم الزوجة كما في حديث النسائي لأن نفقتها لا تسقط بمضي الزمان ولا بالإعسار، ولأنها وجبت عوضاً عن التمكين، والله أعلم.

فقهية لا بد للغني من معرفتها ، وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله أن يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد إحاطته بهذا المقدار .

(**فهذه أحكام فقهية**) ومسائل شرعية (**لا بد للغني**) السالك في طريق الآخرة (**من معرفتها**) إجمالاً إن لم يمكنه الوقوف على تفصيلها بالتطبيق على الأصول والقواعد ، (**وقد تعرض له**) في أثناء ذلك (**وقائع نادرة**) غريبة (**خارجة عن هذا**) الذي أوردناه (**فله أن يتكل فيها على الاستفتاء**) عن سادة العلماء المتقنين (**عند نزول الواقعة**) وحدوث النازلة (**بعد إحاطته بهذا المقدار**) الذي ذكرناه في هذا الكتاب والله أعلم .

ولنذكر ما تضمن هذا الفصل من الاعتبارات التي سبق الوعد بذكرها مجموعة في موضع واحد مستفاداً من كلام الشيخ الكبير قدس سره مما ذكره في كتاب الشريعة ، والحقيقة مقتصراً منها على مسائل الفصل التي تقدم تفصيلها على لسان الشرع الظاهر .

قال رحمه الله : لما كان الزكاة معناه التطهير كان لها من الأسماء الإلهية الإسم القدوس وهو الطاهر ، وما في معناه من الأسماء الإلهية ، ولما لم يكن المال الذي يخرج في الصدقة من جملة مال المخاطب بالزكاة وكان بيده أمانة لأصحابه لم يستحقه غير صاحبه ، وإن كان عند هذا الآخر ولكنه هو عنده بطريق الأمانة إلى أن يؤدى إلى أهله كذلك في زكاة النفوس ، فإن النفوس لها صفات تستحقها وهي كل صفة يستحقها الممكن ، وقد يوصف الإنسان بصفات لا يستحقها الممكن من حيثما هو ممكن ، ولكن يستحق تلك الصفات الحق سبحانه فيتعين على العبد أن يؤدي مثل هذه الصفات إلى الله تعالى إذا وصف بها ليميزها عن صفاته التي يستحقها ، كما أن الحق سبحانه وصف نفسه بما هو حق للممكن تنزلاً منه سبحانه ورحمة بعباده ، فزكاة نفسك إخراج حق الله منها وهو تطهيرها بذلك الإخراج من الصفات التي ليست بحق لها ، فتأخذ مالك منه وتعطي مالـه منك وإن كان كما قـال الله تعالى ﴿بل لله الأمر جميعاً﴾ [الرعد : ٣١] فكل ما سوى الله فهو لله بالله إذ لا يستحق أن يكون له إلا ما هو منه . قال ﷺ : « مولى القوم منهم » وهي إشارة بديعة فإنها كلمة تقتضي غاية الوصلة حتى لا يقال إلا أنه هو ، وتقتضي غاية البعد حتى لا يقال انه هو إذ ما هو منك فلا يضاف إليك ، لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه لعدم المغايرة . فهذا غاية الوصلة ، وما يضاف إليك ما هو فيك فهذا غاية البعد لأنه قد أوقع المغايرة بينك وبينه ، فمعنى قوله ﴿لله الأمر جميعاً﴾ أي ما توصف أنت به ويوصف الحق به هو لله كله ، فما لك لا تفهم ما لك بما في قوله أعطني ما لك ، ففي من باب الإشارة واسم من باب الدلالة أي الذي لك ، وأصليته من اسم المالية ، ولهذا قال ﴿خذ من أموالهم﴾ [التوبة : ١٠٣] أي المال الذي في أموالهم مما ليس لهم ، بل هو صدقة مني على من ذكرتهم في كتابي يقول الله ألا تراه قد قال إن الله قد فرض علينا صدقة أو زكاة في أموالنا بجعل أموالهم ظرفاً للصدقة ، والظرف هو عين المظروف ، فمال الصدقة ما هو عين ما لك ، بل ما لك ظرف له فما طلب الحق منا ما هو لك فالزكاة في النفوس آكد منها في الأموال ، ولهذا قدّمها الله في الشراء فقال ﴿ إن

....

الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾ [التوبة: ١١١] ثم قال ﴿وأموالهم﴾ فالعبد ينفق في سبيل الله نفسه وماله.

فصل

(في وجوب الزكاة):

هي واجبة بالكتاب والسنّة والإجماع فلا خلاف في ذلك. أجمع كل ما سوى الله على أن وجود ما سوى الله إنما هو بالله فردّوا وجودهم إليه سبحانه لهذا الإجماع، ولا خلاف في ذلك بين كل ما سوى الله، فهذا اعتبار الإجماع في زكاة الوجود فرددنا ما هو لله إلى الله فلا موجود ولا موجد إلا الله، أما الكتاب فقوله ﴿كلّ شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص: ٨٨] وليس الوجه إلا الوجود، وأما السنّة « فلا حول ولا قوّة إلا بالله » فهذا اعتبار وجوب الزكاة العقلي والشرعي.

فصل

(في ذكر من تجب عليه الزكاة):

فاتفق العلماء على أنها واجبة على كل مسلم حر بالغ عاقل مالك النصاب ملكاً تاماً هذا محل الاتفاق. واختلفوا في وجوبها على اليتيم والمجنون والعبد وأهل الذمة والناقص الملك مثل الذي عليه الدين أوله الدين ومثل المال المحبس الأصل، فاعتبار ما اتفقوا عليه: المسلم هو المنقاد لما يراد منه، وقد ذكرنا أن كل ما سوى الله قد انقاد في رد وجوده إلى الله، وأنه ما استفاد الوجود إلا من الله ولا بقاء له في الوجود إلا بالله.

وأما الحرية فمثل ذلك فإنه من كان بهذه المثابة فهو حر أي لا ملك عليه في وجوده لأحد من خلق الله.

وأما البلوغ، فاعتباره إدراكه للتمييز بين ما يستحقه ربه وما لا يستحقه، فإذا عرف مثل هذه فقد بلغ الحد الذي يجب عليه رد الأمور كلها إلى الله وهي الزكاة الواجبة عليه.

وأما العقل، فهو أن يعقل عن الله ما يريد الله منه في خطابه إياه في نفسه بما يلهمه، أو على لسان رسوله ﷺ، ومن قيد وجوده بوجود خالقه فهو عقل نفسه، إذ العقل مأخوذ من عقال الدابة، وعلى الحقيقة عقال الدابة مأخوذ من العقل، فإن العقل متقدم على عقال الدابة، فإنه لولا ما عقل أن هذا الحبل إذا شد به الدابة قيدها عن السراح ما سماه عقالاً.

وأما قولهم المالك للنصاب ملكاً تاماً، فملكه للنصاب هو عين وجوده لما ذكرنا من الإسلام والحرية والبلوغ والعقل، وأما قولهم ملكاً تاماً إذ التام هو الذي لا نقص فيه والنقص صفة عدمية

فهو عدم فالتام هو الموجود، فهو قول الإمام أبي حامد يعني المصنف، وليس في الإمكان أبدع من هذا العالم إذ كان إبداعه عين وجوده ليس غير ذلك أي ليس في الإمكان أبدع من وجوده، فإنه ممكن لنفسه وما استفاد إلا الوجود فلا أبدع في الإمكان من الوجود وقد حصل، فإنه ما يحصل للممكن من الحق سوى الوجود، فهذا معنى اعتبار قولهم ملكاً تاماً. وأما اعتبار ما اختلفوا فيه فقال قوم تجب الزكاة في أموالهم وبه أقول، وقال قوم: لا. وفرق آخرون بين ما تخرجه الأرض وما لا تخرجه فقالوا: عليه الزكاة فيما تخرجه الأرض وليس عليه فيما عدا ذلك من الماشية والناض والعروض، وفرّق آخرون بين الناض وغيره فقالوا عليه الزكاة إلا في الناض خاصة.

الاعتبار اليتيم من لا أب له بالحياة وهو غير بالغ أي لم يبلغ الحلم بالسن او الانبات أو رؤية الماء قال الله تعالى: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ [الإخلاص: ٣] وقال سبحانه: ﴿أنى يكون له ولد﴾ [الأنعام: ١٠١] فليس الحق بأب لأحد من خلق الله ولا أحد من خلقه يكون له ولداً سبحانه وتعالى، فمن اعتبر التكليف في عين المال قال بوجوبها، ومن اعتبر التكليف في المالك قال لا تجب عليه لأنه غير مكلف، كذلك من اعتبر وجوده لله قال: لا تجب الزكاة فإنه ما ثَمَّ من يقبلها لو وجبت، فإنه ما ثم إلا الله. ومن اعتبر إضافة الوجود لغير الممكن وقد كان لا يوصف بالوجود قال بوجوب الزكاة، ولا بدّ إذ لا بد للإضافة من تأثير معقول، ولهذا تقسم الموجودات إلى قسمين: قديم وحادث. فوجود الممكن وجود حادث أي حدث له هذا الوصف، ولا يدل حدوث الشيء عندنا على أنه لم يكن له وجود قبل حدوثه عندنا، كما تقول: حدث عندنا اليوم ضيف فإنه لا يدل ذلك على أنه لم يكن له وجود قبل ذلك، فمن راعى أن الوجود الحادث غير حق للموصوف به قال بوجوب الزكاة على اليتيم لأنه حق للواجب الوجود، فما اتصف به هذا الممكن كما يراعي من يرى وجوبها على اليتيم في ماله أنها حق الفقراء في عين هذا المال فيخرجها منه من يملك التصرف في ذلك المال وهو أولى، ومن راعى أن الزكاة عبادة لم يوجب الزكاة، لأن اليتيم ما بلغ حدّ التكليف، ومن ذلك أهل الذمة، والأكثر أنه لا زكاة على ذمي إلا طائفة روت تضعيف الزكاة على نصارى بني تغلب وهو أن يؤخذ منهم ما يؤخذ من المسلمين في كل شيء، وقال به جماعة ورووه من فعل عمر بهم وكأنهم رأوا أن مثل هذا توقيف وإن كانت الأصول تعارضه، والذي أذهب إليه أنه لا يجوز أخذ زكاة من كافر وهي واجبة عليه وهو معذب على منعها إلا أنها لا تجزئ حتى يسلم، وكذلك الصلاة فإذا أسلم تفضل الله بإسقاط ما سلف من ذلك عنه. قال تعالى: ﴿وويل للمشركين★ الذين لا يؤتون الزكاة﴾ [فصلت: ٦، ٧] وقال تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ [الأنفال: ٣٨].

الاعتبار الذمة. العهد والعقد، فإن كان عهداً مشروعاً فالوفاء به هو زكاته، فالزكاة على

أهل الذمة، ومن أسقط عنه الزكاة رأى أن الذمي لما عقد ساوى بين اثنين في العقد، ومن ساوى بين اثنين جعلهما مثلين، وقد قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] فلا يقبل توحيد بشرك فإن الدليل يضاد المدلول والتوحيد المدلول، والدليل مغاير فلا توحيد، فمن جعل الدليل على التوحيد نفس التوحيد لم يكن هناك من تجب عليه الزكاة فلا زكاة على الذمي، والزكاة طهارة فلا بدّ من الإيمان لأن الإيمان هو طهارة الباطن، ومعنى قولهم: لا زكاة على أهل الذمة أنها لا تجزئ منهم إذا أخرجوها مع كونها واجبة عليهم كسائر جميع فروض الشريعة لعدم الشرط المصحح لها وهو الإيمان بجميع ما جاءت به الشريعة لا ببعضها، فلو آمن بالزكاة وحدها أو بشيء من الفرائض لم يقبل إيمانه حتى يؤمن بالجميع، ومن ذلك العبد والناس فيه على ثلاثة مذاهب: فمن قائل لا زكاة في ماله أصلاً لأنه لا يملك ملكاً تاماً إذ للسيد انتزاعه ولا يملك السيد ملكاً تاماً لأن يد العبد هي المتصرفة فيه إذاً فلا زكاة في مال العبد، وقالت طائفة: زكاة مال العبد على سيده لأن له انتزاعه منه، وقالت طائفة: على العبد في ماله الزكاة لأن اليد على المال توجب الزكاة فيه لمكان تصرفها فيه تشبيهاً بتصرف الحر. قال شيخنا: وجمهور من قال لا زكاة في مال العبد على أن لا زكاة في مال المكاتب حتى يعتق، قال أبو ثور: في مال المكاتب الزكاة.

الاعتبار العبد وما يملكه لسيده والزكاة إنما هي حق أوجبه الله في المال لأصناف مذكورين وهو بأيدي المؤمنين أمانة وما هو مال ليس للحر ولا للعبد، فوجب أداؤه لأصحابه ممن هو عنده من الأحرار أو العبيد المؤمنين والكل عبيد الله، فلا زكاة على العبد لأنه مؤد أمانة والزكاة عليه بمعنى إيصال هذا الحق إلى أهله ليطهر به والزكاة على السيد لأنه ملكه من باب ما أوجبه الحق لخلقه على نفسه مثل قوله: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ [الأنعام: ٥٤] فكل من راعى أصلاً مما ذكرناه ذهب في الزكاة في ملك العبد مذهبه، ومن ذلك المالكون الذين عليهم الديون التي تستغرق أموالهم وتستغرق بما تجب الزكاة فيه من أموالهم، وبأيديهم أموال تجب الزكاة فيها، فمن قائل لا زكاة في ملك حباً كان أو غيره حتى تخرج منه الديون، فإن بقي ما تجب فيه الزكاة زكّى وإلا فلا. وقالت طائفة: الدين لا يمنع زكاة الحبوب ويمنع ما سواها. وقالت طائفة: الدين يمنع زكاة الناض فقط إلا أن يكون له عروض فيها وفاء من دينه فإنه لا يمنع. وقال قوم: الدين لا يمنع زكاة أصلاً.

الاعتبار الزكاة عبادة فهي حق الله وحق الله أحق أن يقضى بذا ورد النص. الزكاة حق من ذكر من الأصناف، والدين حق مترتب متقدم، فالدين أحق بالقضاء من الزكاة، ومن ذلك المال الذي هو في ذمة الغير وليس هو بيد المالك وهو الدائن، فمن قائل: لا زكاة فيه وإن قبض حتى يحول عليه حول وهو في يد القابض وبه أقول. ومن قائل إذا قبضه زكاه لما مضى من السنين. وقال بعضهم: يزكيه لحول واحد وإن قام عند المديان سنين إذا كان أصله من عوض، فإن كان على غير عوض مثل الميراث فإنه يستقبل به الحول.

الاعتبار لا مالك إلا الله ومن ملكه الله إذا كان ما ملكه بيده بحيث يمكنه التصرف فيه، فحينئذ تجب عليه الزكاة بشرطها. إذ لا مراعاة لما مرّ من الزمان على ذلك المال حين كان بيد المديان فإنه على الفتوح مع الله دائماً الذي بيده المال هو الله، فالزكاة فيه واجبة لما مرّ عليه من السنين.

فصل

إذا أخرج الزكاة فضاعت فيه خمسة أقوال: قول انه لا يضمن بإطلاق، وقول انه يضمن بإطلاق، وقول إن فرط ضمن وإن لم يفرط لم يضمن وبه أقول، وقول إن فرط ضمن وإن لم يفرط زكى ما بقي. والقول الخامس يكونان شريكين في الباقي، وأما إذا ذهب بعض المال بعد الوجوب وقبل تمكن إخراج الزكاة قيل يزكّي ما بقي. وقال قوم حال المساكين وحال رب المال حال الشريكين يضيع بعض مالهما، وأما إذا وجبت الزكاة وتمكن من الإخراج فلم يخرج حتى ذهب بعض المال فإنه ضامن بالاتفاق والله أعلم، إلاّ في الماشية عند من يرى أن وجوبها إنما يتم بشرط خروج الساعي مع الحول وهو مذهب مالك.

الاعتبار قال رسول الله ﷺ: «لا تمنحوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم» وإنفاق الحكمة عين زكاتها ولها أهل كما للزكاة أهل، فإذا أعطيت الحكمة غير أهلها وأنت تظن أنه أهلها فقد ضاعت كما ضاع هذا المال بعد إخراجه ولم يصل إلى صاحبه فهو ضامن لما ضاع، لأنه فرط حيث لم يتثبت في معرفة من ضاعت عنده هذه الحكمة، فوجب عليه أن يخرجها مرة أخرى لمن هو أهلها حتى تقع في موضعها، وأما حكم الشريكين في ذلك كما تقرر، فإن حامل الحكمة إذا جعلها في غير أهلها على الظن فهو أيضاً مضيع لها، والذي أعطيت له ليس بأهل لها فضاعت عنده فيضيع بعض حقها فيستدرك معطي الحكمة غير أهلها ما فاته بأن ينظر في حال من ضاعت عنده الحكمة فيخاطبه بالقدر الذي يليق به ليستدرجه حتى يصير أهلاً لها، ويضيع من حق الآخر على قدر ما نقصه من فهم الحكمة الأولى التي ضاعت عنده، والحال فيما بقي من وجوه الخلاف في الاعتبار على هذا الأسلوب سواء، فمن قال بعموم قوله ﷺ «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار» فسأله من ليس بأهل للحكمة فضاعت الحكمة. قال: لا يضمن على الإطلاق، ومن أخذ بقوله ﷺ «لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها» قال يضمن على الإطلاق وضمانها أنه يعطيها من الوجوه فيما سأله ما يليق به، وإن لم يصح ذلك في نفس الأمر كالأبنية فيمن لا يتصف بالتحيز، ومن أعرض عن الجواب الأول إلى جواب في المسألة يقتضيه حال السائل والوقت. قال يزكي ما بقي ويكون حكم ما مضى وضاع كحكم مال ضاع قبل الحول، ومن قال يتعين عليه النظر في حال السائل والوقت. فلما لم يفعل بعد فرط، فإن فعل وغلط لشبهة قامت له تخيل أنه من أهل الحكمة فلم يفرط، فهو بمنزلة من قال إن فرط ضمن وإن لم يفرط لم يضمن، والقول الخامس: قد تقدم في الشريك ولا يخلو العالم أن يعتقد

فيما عنده من العلم الذي يحتاج الجند إليه أن يكون عنده لهم كالأمانة، فحكمه في ذلك حكم الأمين إذ يعتقد فيه أنه دين عليه لهم، فحكمه حكم الغريم والحكم في الأمانة والدين والضياع معلوم فيمشي عليه الإعتبار بتلك الوجوه، والله أعلم.

فصل

وأما إذا مات بعد وجوب الزكاة عليه، فقال قوم: تخرج من رأس ماله، وقال قوم: إن أوصى بها أخرجت من الثلث وإلاّ فلا شيء، ومن هؤلاء من قال نبدأ بها إن ضاق الثلث، ومنهم من قال: لا نبدأ بها.

الاعتبار: الرجل من أهل الطريق يعطى العلم بالله، وقد قلنا ان زكاة العلم تعليمه فجاء مريد صادق متعطش، فيسأل من سأله عن علم ما هو عالم به، فهذا أول وجوب تعليمه إياه ما سأله عنه كوجوب الزكاة بكمال الحول والنصاب فلم يعلمه ما سأله فيه من العلم، فإن الله يسلب العالم تلك المسألة فيبقى جاهلاً بها فيطلبها في نفسه فلا يجدها، فذلك موته بعد وجوب الزكاة، فإن الجهل موت، أو يكون العالم يجب عليه تعليم من هو أهل فعلم من ليس بأهل فذلك موته حيث جهل الأهلية ممن هو للحكمة أهل ووضعها في غير أهلها، ففي الأول قد يمنح المريد الصادق تلك المسألة، ولكن من مشاهدة هذا العالم بأن يسمعه يعلمها غيره أو يعلمها ممن قد علمه ذلك العالم قبل ذلك، فتكون في ميزان العالم الأول، وإن كان قد جهلها فهذا معنى تجزئ عنه وتخرج من رأس ماله، فإن اعتذر ذلك العالم للمريد واعترف بعقوبته وذنبه، ففتح الله على المريد بها فاعترافه بمنزلة من أوصى بها. وأما إخراجها من الثلث فإن المريض لا يملك في ماله سوى الثلث لا غير فكأنها وجبت فيما يملك، وكذلك هذا العالم لا يملك في هذه الحالة من نفسه إلا الإعتذار، والثلثان الآخران لا يملكهما وهو المنة فلا منّة له في التعليم بعد هذه الواقعة ولا تجب عليه. فإنه قد نسيها. وبالجملة فينبغي لمن هذه حالته أن يجدد توبته مما وقع ويستغفر الله فيما بينه وبين الله، فإن الله يحب التوّابين.

فصل

فيما تجب فيه الزكاة:

اتفقوا أنها تجب في ثمانية أشياء: الذهب والفضة والإبل والبقر والغنم والحنطة والشعير والتمر وفي الزبيب خلاف شاذ

الاعتبار الزكاة تجب من الإنسان في ثمانية أعضاء: البصر والسمع واللسان واليد والبطن و الفرج والرجل والقلب، ففي كل عضو وعلى كل عضو من هذه الأعضاء صدقة واجبة يطلب الله

....

العبد بها في الدار الآخرة، وأما صدقة التطوع فعلى كل عرق فيه صدقة، فالزكاة التي في هذه الأعضاء هو حق الله تعالى الذي أوجب الله عليه في كل صنف منها كما أوجب في هذه الثمانية المذكورة، فتعين على المؤمن أداء حق الله من كل عضو، فزكاة البصر مما يجب لله تعالى فيه من الحق كالغض عن المحرمات والنظر إلى ما يؤدي النظر إليه من القربة عند الله كالنظر إلى المصحف وإلى وجه من يسر بنظرك إليه من أهل وولد وكالنظر إلى الكعبة، وعلى هذا المثال تنظر بقية أصناف الأعضاء بتصريفها فيما ينبغي وكفها عما لا ينبغي، واعلم أن هذه الأصناف قد أحاطت بمولدات الأركان وهي المعدن والنبات والحيوان وما ثم مولد رابع سوى هذه الثلاثة. ففرض الله الزكاة في أنواع مخصوصة من كل جنس من المولدات لطهارة الجنس فيطهر النوع بلا شك، وذلك لأن الأصل الذي ظهرت عنه كلها قدوس، فلما طهرت الأشياء لأنفسها وحصلت فيها دعاوى الملاك لما طرأ عليها من نسبة الملك لغير منشئها ما أزالها عن الطهارة الأصلية التي كانت لها في أنفسها فأوجب الله فيها الزكاة ليكون فيها نصيب يرجع إلى الله بأمر الله لينبه إلى مالكها الأصلي فتكسب الطهارة بذلك التنبيه، وكذلك في الاعتبار هذه الأعضاء هي طاهرة بحكم الأصل فإنها على الفطرة الأولى، ولا تزول عنها تلك الطهارة والعدالة، ولهذا تستشهد يوم القيامة وتقبل شهادتها لزكاتها الأصلية عند الحاكم ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلاً﴾ [الإسراء: ٣٦] ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ [النور: ٢٤] ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا﴾ [فصلت: ٢١] فهذا كله إعلام من الله لنا أن كل جزء فينا شاهد عدل زكي مرضي، وذلك بشرى خير، فإن الأمر إذا كان بهذه المثابة فالمآل إلى خير. فإن الله أجل وأعظم وأعدل من أن يعذب مكرهاً مقهوراً فسعد عالم الحس بلا شك والنفس المطلوبة بالوقوف عند الحدود المسؤلة عنها مرتبطة بالحس لا انفكاك لها عن هذه الأدوات الجسمية الطبيعية الزاكية العادلة الزكية، ولا عذاب للنفس إلا بوساطة تعذيب هذه الجسوم، وقد أخبر الشارع بمآلها إلى السعادة لكون المقهور غير مؤاخذ بما جبر عليه والنفس غير مؤاخذة بالهم ما لم تعمل، ولا عمل لها إلا بهذه الأدوات المقهورة فوقع العذاب بالمجموع إلى أجل مسمى، ثم تقضي عدالة الأدوات فيرتفع العذاب ثم يقضي حكم الشرع بالرفع عن النفس بما همت فيرتفع العذاب المعنوي فلا يبقى عذاب معنوي ولا حسي على أحد بفضل الله إلا قدر زمان وقوع العمل في الدنيا وبقدر ما قصر الزمان في الدار الدنيا بذلك العمل لوجود اللذة فيه. فإن أيام النعيم قصار يكون طول العذاب على النفس مع قصر الزمان المطابق لزمان العمل. فإن أنفاس الهموم طوال. فما أطول الليل على أصحاب الآلام وما أقصره بعينه على أصحاب العوافي. فزمان الشدة طويل على صاحبه، وزمان الرخاء قصير، واعلم أن للزكاة نصاباً وحولاً أي مقداراً في العين والزمان، كذلك الاعتبار في زكاة الأعضاء لها مقدار في العين والزمان. فالنصاب بلوغ العين إلى النظرة الثانية والإصغاء إلى السماع الثاني والقدر الزماني يصحبه، والله أعلم.

....

فصل

اعتبار زكاة الإبل:

حكم الشارع على الإبل أنها شياطين، فأوجب فيها الزكاة لتطهر بذلك من هذه النسبة إذ الزكاة مطهرة رب المال من صفة البخل الشيطنة البعد، وسمي الشيطان لبعده من رحمة الله لما أبى واستكبر وكان من الكافرين، فالأفعال والأعمال إذا لم تنسب إلى الله فقد أبعدت عن الله فوجبت الزكاة فيها وهو ما لله فيها من الحق يرد من الله سبحانه، فإذا ردت إليه اكتسبت حلة الحسن فقيل: أفعال الله كلها حسنة، فالزكاة واجبة على المعتزلي من حيث اعتقاده خلق أعمال العباد لهم، والأشعري تجب عليه الزكاة لإضافة كسبه في العمل إلى نفسه، وكان في كل خمس ذود شاة والخمس هو عين الزكاة من الورق وهو ربع العشر، فصارحكم العدد الذي كان زكاة يزكى أيضاً كمن يرى الزكاة في الأوقاص، فيخرج من كل أربعة دنانير درهم، ومن أربعين درهماً درهم، وكما أخرجت من الذهب درهماً في الأوقاص وليس الورق من صنف الذهب، وكذلك الشاة تخرج في زكاة خمس من الإبل، وليست من صنفها كذلك نأخذ حق الله من الجارحة بالحرق بالنار والقطع في السرقة والنفس المكلفة هي السارقة، وليست من جنس الجارحة وتطهرت من حكم السرقة بقطع اليد، كما تطهر الخمس من الإبل بإخراج الشاة وليست من جنس المزكى.

وأما الاعتبار في زكاة الغنم فقال تعالى في نفس الإنسان ﴿قد أفلح من زكّاها﴾ [الشمس: ٩] وقد أقام الله سبحانه الرأس من الغنم مقام الإنسان الكامل فهو قيمته، فانظر ما أكمل مرتبته حيث كان الواحد منها قيمة نبي. قال تعالى: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ [الصافات: ١٠٧] فناب منابه وقام مقامه فوجبت الزكاة في الغنم كما أفلح من زكى نفسه.

وأما الاعتبار في زكاة البقر فقال تعالى: ﴿قد أفلح من زكّاها﴾ [الشمس: ٩] يعني النفس. ولما كانت المناسبة بين البقر والإنسان قوية لذلك حي به الميت لما ضرب ببعضها، فأتى الضرب لأنها صفة قهرية لما صعب على الإنسان أن يكون سبب حياته بقرة لأنها ذبحت فزالت حياتها فحي بحياتها هذا الإنسان، وكان قد أبى لما عرضت عليه فضرب بها فحيي عن صفة قهرية للانفة التي جبل الله الإنسان عليها، وفعل الله ذلك ليعرفه أن الاشتراك بينه وبين الحيوان في الحيوانية محقق في الحد والحقيقة، فوجبت الزكاة في البقر كما ظهرت في النفس، ثم مناسبة البرزخية بين البقر والإنسان فإنها وسط بين الإبل والغنم في الحيوان المزكي، ثم البقرة التي ظهر الإحياء بموتها والضرب بها برزخية بقوله ﴿عوان بين ذلك﴾ [البقرة: ٦٨] فتحقق ما أومأنا إليه في هذا الاعتبار.

فصل

اختلفوا في نوع من الحيوان وهو الخيل، فالجمهور على أنه لا زكاة في الخيل، وقالت طائفة: إذا كانت سائمة وقصد بها النسل ففيها الزكاة أعني إذا كانت ذكراناً وإناثاً.

الاعتبار هذا النوع من الحيوان من جملة زينة الله التي أخرج لعباده، ثم أنه من الحيوان الذي له الكر والفر فهو أنفع حيوان يجاهد عليه في سبيل الله، فالأغلب فيه أنه لله، وما كان لله فما فيه حق لله لأنه كله لله النفس مركبها البدن، فإذا كان البدن في مزاجه وتركيب طبائعه يساعد النفس الطاهرة المؤمنة على ما تريد منه من الإقبال على الله تعالى، والفرار عن مخالفة الله كان لله، وما كان لله فلا حق فيه لله لأنه كله لله، وإذا كان البدن يساعد وقتاً ولا يساعد وقتاً آخر لخلل فيه كان ردّ النفس بالقهر فيما لا تساعد فيه من طاعة الله زكاة فيه كمن يريد الصلاة، ويجد كسلاً في أعضائه وتكسراً فيتثبط عنها مع كونه يشتهيها، فأداء الزكاة في ذلك الوقت أن يقيمها ولا يتركها مع كسلها، ومن ذلك الوقت سائمة من الساعة اعتبار متخذة للنسل لأن فيها ذكراناً وإناثاً أي خواطر عقل وخواطر نفس.

تنبيه:

وفي قوله ﷺ «في كل خمس ذود من الإبل شاة» اعتبار آخر هو هل يطهر الشيء بنفسه او يطهر بغيره؟ فالأصل الصحيح أن الشيء لا يطهر إلا بنفسه، هذا هو الحق الذي يرجع إليه، وإن وقع الخلاف في الصورة فالمراعاة إنما هي في الأصل لما فرض الله الطهارة للعبادة بالماء والتراب، وهما مخالفان في الصورة غير مخالف في الأصل، فالأصل أنه من الماء خلق كل شيء حي وقال في آدم ﴿خلقه من تراب﴾ [آل عمران: ٥٩] فما أوقع الطهارة في الظاهر إلا بنفس ما خلق منه كالحيوانية الجامعة للشاء والإبل والمالية للشاء والإبل وغير ذلك، فلولا هذا الأمر الجامع ما صحت الطهارة، فلهذا صحّت الزكاة في بعض الأموال بغير الصنف الذي تجب فيه الزكاة، ففي الخبر: من عرف نفسه عرف ربه، فبمعرفته بنفسه صحت طهارته لمعرفته لربه، فالحق هو القدوس المطلق وتقديس العبد معرفته بنفسه فما طهر إلا بنفسه فتحقق هذا.

فصل

اعتبار من اشترط السوائم في الأصناف الثلاثة، ومن لم يشترط السائمة الأفعال المباحة كلها وغير السائمة ما عدا المباح، فمن قال: الزكاة في السائمة قال إن المباح لما كانت الغفلة تصحبه أوجبوا فيه الزكاة، وهو أن لا يحضر الإنسان عند فعله المباح أنه مباح بإباحة الشارع له ولو لم يبح فعله ما فعله، فهذا القدر من النظر هو زكاته، وأما غير السائمة فلا زكاة فيها لأنها كلها أفعال مقيدة بالوجوب أو الندب أو الحظر أو الكراهة فكلها لا تخيير على الإطلاق للعبد فيها

....

فكلها لله تعالى، وما كان لله لا زكاة فيه فإن الزكاة حق الله وهذا كله لله، والحق بعض أصحابنا المندوب، والمكروه بالمباح فجعل فيه الزكاة كالمباح سواء. وقالت طائفة أخرى: ما هو مثل المباح فإن فيه ما يشبه الواجب والمحظور وفيه ما يشبه المباح، فإن كان وقته تغليب أحد النظرين فيها كان حكمه بحكم الوقت فيها وهو أن يحضر له في وقت إلحاقها بالمباح، وفي وقت إلحاقها بالواجب والمحظور والصورة في النسبة أن السائمة مملوكة وغير السائمة مملوكة فالجامع بينها الملك، ولكن ملك غير السائمة أثبت لشغل المالك بها وتعاهده إياها، والسائمة ليست كذلك وإن كانت ملكاً، وكذلك المندوب والمكروه وهو مخير في الفعل والترك فأشبه المباح وهو مأجور في الفعل فيها، والترك فأشبه الواجب والمحظور، وهذا أشد مذاهب القوم عندنا، ومن قال الزكاة في الكل قال إنما وجب ذلك في الكل سائمة وغير سائمة لأن الأفعال الواقعة من العبد منسوبة للعبد نسبة إلّهية، وإن اقتضى الدليل خلافها فوجبت الزكاة في جميع الأفعال لما دخلها من النسبة إلى المخلوق، وصورة الزكاة فيها استحضارك أن جميع ما يقع منك بقضاء وقدر عن مشاهدة حضور تام في كل فعل عند الشروع في الفعل، وذلك القدر هو زمن الزكاة بمنزلة انقضاء الحول، وقدر ذلك الفعل الذي يمكن الرد فيه إلى الله ذلك هو النصاب لذلك الفعل، وهذا مذهب العلماء بالله أن الأفعال كلها لله بوجه وتضاف إلى العبد بوجه فلا يحجبهم وجه عن وجه كما لا يشغله شأن عن شأن.

فصل

اعتبار زكاة العوامل عمل الأرواح عوامله الهياكل، ولا زكاة على العامل في بدنه، وإنما الزكاة على الروح وهو قصده وتقواه قال الله تعالى: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ [الحج: ٣٧].

فصل

اعتبار ما لا يؤخذ في صدقة الغنم:

الهرمة مثل قوله: ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى﴾ [النساء: ١٤٢] وقال ﷺ: «وليصل أحدكم نشاطه ولا ذات عوار» وهو العمل بغير نية أو نية بغير عمل مع التمكن من العمل، وأما مشيئة المصدق في تيس الغنم فاعتباره أن لا يجحف على صاحب المال وهو الحضور في العمل من أوله إلى آخره، فربما يقول لا يقبل العمل إلا هكذا، ويكفي في العمل النية في أول الشروع، ولا يكلف المكلف أكثر منه، فإن استحضر المكلف النية في جميع العمل فله ذلك وهو مشكور عليه حيث أحسن في عمله وأتى بالأنفس في ذلك، والجامع لهذا الباب اتقاء ما يشين العبادات مثل الالتفات في الصلاة والعبث فيها والتحدث في الصلاة في النفس بالمحرمات

والمكروهات وتخيلها، وأمثال هذا مما هو مثل الجعرور، ولون الحبيق في زكاة التمر وغير ذلك من العيوب.

فصل

اعتبار زكاة الخليطين:

قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ [المائدة: ٢] فالمعاونة في الشيء اشتراك فيه. وهذا معنى الخليطين فالخوض كل عمل أو علم يؤدي إلى حياة القلوب فيستعينا عليه بحسب ما يحتاج كل واحد منهما من صاحبه فيه، وهو في إنسان القلب والجارحة خليطان، فالجارحة تعين القلب بالعمل، والقلب يعين الجارحة بالإخلاص لها فهما خليطان فيما شرعا فيه من عمل أو طلب علم، وأما الراعي فهو المعني الحافظ لذلك العمل وهو الحضور والاستحضار مثل: الصلاة لا يمكن أن يصرف وجهه إلى غير القبلة، ولا يمكن أن يقصد بتلك العبادة غير ربه، وهذا هو الحفظ لتلك العبادة والقلب والحس خليطان فيه، وأما الفحل فهو السبب الموجب لما ينتجه ذلك العلم أو العمل عند الله من القبول والثواب، فهما شريكان في الأجر فتأخذ النفس ما يليق بها مما يعطيه العلم، ويأخذ الجسم ما يليق به من جنس الصورة في الدار الآخرة. والمعنى المنتج لهذا هو الفحل وهما فيه خليطان.

فصل

اعتبار إخراج الزكاة من الجنس في الظاهر زكاة، وهو ما قيد الشرع به الظاهر من الأعمال الواجبة التي لها شبه في المندوب، ففريضة الصلاة زكاة النوافل من الصلاة فإنها الواجبة أو صلاة ينذرها الإنسان على نفسه أو أي عبادة كانت، وكذلك في الباطن زكاة من جنسه وهو أن له أن يكون الباعث على العبادة خوف أو طمع، والزكاة في الباعث الباطن من ذلك أن يكون باعث لما تستحقه الربوبية من امتثال أمرها ونهيها لا رغبة ولا رهبة إلا وفاء حق.

فصل

وأما ما اختلفوا فيه من النبات بعد اتفاقهم على الأصناف الثلاثة، فمنهم من لم ير الزكاة إلا في تلك الأصناف الثلاثة، ومنهم من قال الزكاة في جميع المدخر المقتات، ومنهم من قال الزكاة في كل ما تخرجه الأرض ما عدا الحشيش والحطب والقصب.

الاعتبار في كونه نباتاً، فهذا النوع مختص بالقلب فإنه محل نبات الخواطر وفيه يظهر حكمها على الجوارح، فكل خاطر نبت في القلب وظهر عينه على ظاهر أرض بدنه ففيه الزكاة، لشهادة كل ناظر فيه أنه فعل من ظهر عليه، فلا بدّ أن يزكيه برده إلى الله ذلك هو زكاته، وما لم

....

يظهر فلا يخلو صاحبه لما نبت في قلبه ما نبت هل كان؟ فمن رأى الله فيه أو قبله فإن كان من هذا الصنف فلا زكاة عليه فيه، فإنه لله، ومن رأى الله بعده من أجله فتلك عين الزكاة قد أداها وإن لم ير الله بوجه وجبت عليه الزكاة عند العلماء بالله، ولم تجب عليه عند الفقهاء من أهل الطريق لأن الشارع لم يعتبر الهم حتى يقع الفعل فكان نباتاً سقطت فيه الزكاة كما سقطت المؤاخذة عليه، فإن كان العبات من الخواطر التي فيها قوت للنفس وجبت الزكاة لما فيها من حظ النفس، فإن كان حظ النفس تبعاً فلا زكاة فإن قوت هذا الذي هذه صفته هو الله الذي به يقوم كل شيء. قيل لسهل بن عبد الله: ما القوت؟ قال: الله. قيل: سألتك عن قوت الأشباح؟ قال: الله، فلما ألحوا عليه قال: ما لكم ولها دع الديار إلى مالكها وبانيها إن شاء عمرها وإن شاء خربها.

فصل

وأما النصابُ في الأعضاء فهو أن يتجاوز في كل عضو من الأول إلى الثاني، ولكن من الأول المعفو عنه لا من الأوّل المندوب، فإن الأول معفو عنه لا زكاة فيه فإنه لله، والثاني لك ففيه الزكاة، ولا بدّ سواء كان في النظرة الأولى أو السماع الأوّل أو اللفظة الأولى أو البطشة الأولى أو الشعب الأول أو الخطر الأوّل والجامع كل حركة لعضو لا قصد له فيها فلا زكاة عليه، فإذا كانت الثانية التالية إليها فإنها لا تكون إلا نفسية عن قصد، فوجبت الزكاة أي طهارتها والزكاة فيها هي التوبة منها لا غير فتلتحق بالحركة الأولى في الطهارة من أهل التوبة، فالتوبة زكاتها، هذا حد النصاب فيما تجب فيه الزكاة من جميع ما تجب فيه، ولا حاجة لتعدادها في الحكم الظاهر المشروع في تلك الأصناف لأن المقصود الاعتبار وقد بان، والله أعلم.

فصل

في اعتبار توقيت ما سقي بالنضح وما لم يسق به أعمال المراد وأعمال المريد، فالمريد مع نفسه لربه فيجب عليه نصف العشر وهو أن يزكي من فعله ما طهرت فيه نفسه، والمراد مع ربه لا مع نفسه فيجب عليه العُشر وهو نفسه كله فإنه لا نفس له لرفع التعب عنه، وكذلك اعتباره في العلم الموهوب والعلم المكتسب، فالعلم المكتسب لم يخلص لله منه إلا نصفه والموهوب كله لله، والكل عبارة عن قدر الزكاة لا غير وهو ما ينسب لله من ذلك العلم أو العمل، وما ينسب للعبد من حيث حضور العبد مع نفسه في ذلك العلم أو العمل.

فصل

في اعتبار المقدار كيلاً ووزناً وعدداً جعل الوسق في الحبوب وهي النبات وهو ستون صاعاً، فالخمسة الأوسق ثلاثمائة صاع وهو ما ينبته التخلق بالأسماء من الأخلاق الإلهية، وقد ورد: إن

لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها دخل الجنة وكلها أخلاق يصرفها الإنسان مع المخلوقات على حد أمر الله، والزكاة منها هو الخلق الذي يصرفه مع الله فإنه أولى بمن يتخلق معه، فإنه من المحال أن يبلغ الإنسان بأخلاقه مرضاة العالم، فإيثار جناب الله أولى وهو أن يتخلق مع كل صنف بالخلق الإلهي الذي صرفه الله معه فتكون موافقاً للحق، وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة، فهذا من عدد الأعيان ولا ينعد بالعين إلا العمل لا العلم، فإن مقدار العلم معنوي ومقدار العمل حسي، ولا فيما دون خمس أواق صدقة والأوقية أربعون درهماً والأربعون في الأوقية نظير الأربعين صباحاً من أخلصها ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، فإذا ظهرت من العبد في خمسة أحوال كما هي في الزكاة خمسة أواق حال في ظاهره له أوقية وهو إخلاص ظاهر، وحال في باطنه مثله، وحال في حده مثله، وحال في مطلعه مثله، وحال في المجموع مثله. فهذه خمسة أحوال مضروبة في أربعين يكون الخارج مائتان، وهو حد النصاب فيها خمسة دراهم من كل أربعين درهماً درهم، وهو ما يتعلق بكل أربعين من التوحيد المناسب لذلك النوع ومقادير المعاني والأرواح أقدار من قوله: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ [الأنعام: ٩١] ومقادير المحسوسات من الأعمال أوزان وبالأوزان عرفت الأقدار

فصل

اعتبار آخر في نصاب المكيل والموزون المكيل المعقول لما ورد في الخبر من تقسيمه في الناس بالقفيز والقفيزين والأكثر والأقل، فألحقه الشارع بالمكيل فإن كان معنى فهو صاحب الكشف الأتم الأعم الأجل، والحضرات ثلاثة: معنوية وحسية وحالية، وهي التي تنزل المعاني إلى صورة المحسوس أعني تجليها فيها إذ لا تعقلها إلا هكذا، ومن هذه الحضرة قسمها الشارع كيلاً لكونها تجلت له في صورة المكيل، أعني العقول لما أراد الله من ذلك، وأما الموزون بالأعمال وهي أيضاً معان عرضية تعرض للعامل فألحقها الله بالموزون فقال ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقال ﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ [الزلزلة: ٧] فأدخل العمل في الميزان فكان موزوناً. ولكن في هذه الحضرة المثالية التي لا تدري المعاني إلا في صورة المحسوس، وقد عبَّر الشارع عليه الصلاة والسلام من صورة اللبن إلى العلم، ومن صورة القيد إلى الثبات في الدين، فهذا معرفة النصاب بما هو نصاب لا بما هو نصاب في كذا، فإن ذلك يرد في نصاب ما تخرج منه الزكاة، ويندرج في هذا الباب معرفة واحدة وكميات كثيرة، فإن لنا في ذلك مذهباً من أجل أن قطعة الفضة أو الذهب قد تكون غير مشكوكة فتكون جسماً واحداً، فإذا وزنت أعطى وزنها النصاب أو أزيد من ذلك، فمن كونها جسماً واحداً هل لذلك الجسم كمية واحدة أو كميات كثيرة، أعني أزيد من واحد؟ فاعلم أن الأعداد تعطى في الشيء كثرة الكميات وقلتها والعدد كمية، فإن كان العدد بسيطاً غير مركب فليس له سوى كمية واحدة، وهو من الواحد إلى العشرة إلى عقد العشرات عقداً عقداً كالعشرين والثلاثين إلى المائة إلى المائتين إلى الألف إلى

الألفين، وانتهى الأمر، فإذا كان الموزون أو المكيل ينطلق عليه وهو جسم واحد عند هذه الألقاب العددية فإنه ذو كمّ واحد، فإن انطلق عليه غير هذه الألقاب من الأعداد مثل أحد عشر، أو مثل مائة وعشرون، أو مثل ثلاثمائة، أو مثل ثلاثة آلاف، أو ما تركب من العدد فكمياته من العدد بحسب ما تركب، أو يكون الموزون ليس جسماً واحداً كالدراهم والدنانير فله أيضاً كميات كثيرة، فإن كان العدد مركّباً والموزون مجموعاً من آحاد، وكان العدد والموزون ذا كمية فإن كان أحدهما مركباً أو مجموعاً والآخر ليس بمجموع أو ليس بمركب كان ما ليس بمركب ولا مجموع ذا كمية واحدة، وكان المركب والمجموع ذا كميات، فاعلم ذلك.

وتحدث الكميات في الأجسام بحدوث الانقسام إذ الأجسام تقبل القسمة بلا شك، ولكن هل يرد الانفصال بالقسمة على اتصال أم لا؟ فإن ورد على اتصال كما يراه بعضهم فالجسم الواحد ذو كميات، وإن لم يرد على اتصال كما يراه بعضهم فليس له سوى كمية واحدة. وهذا التفصيل الذي ذكرناه من كميات الموزون وكميات العدد على هذا ما رأينا أحداً تعرض له وهو مما يحتاج إليه ولا بدّ، ومن عرف هذه المسألة عرف هل يصح إثبات الجوهر الفرد الذي هو الجزء الذي لا يقبل القسمة أم لا يصح؟ ثم لتعلم أن من حكمة الشرع جمع أصناف العدد فيما تجب فيه الزكاة وهي الفردية، فجعلها في الحيوان فكان في ثلاثة أصناف، والثلاثة أوّل الأفراد وهي الإبل والبقر والغنم، وجعل الشفعية في صنفين في المعدن وهو الذهب والفضة، وفي الحبوب وهو الحنطة والشعير، وجعل الأحدية في صنف واحد من الثمر وهو التمر خاصة هذا بالاتفاق بلا خلاف، وما عدا هذا مما يزكى فبخلاف غير مجمع عليه فمنه خلاف شاذ ومنه غير شاذ.

فصل

اعتبار زكاة الورق لكل صنف كمال ينتهي إليه، والكمال في الصنف المعدني حازه الذهب كما سيأتي، والورق على النصف من درجة الكمال، والمدة الزمانية لحصول الكمال المعدني ستة وثلاثون ألف سنة، والورق ثمان عشرة ألف سنة وهو نصف زمان الكمال، وجميع المعارف تطلب درجة الكمال لتحصلها فتطرأ في الطريق علل تحول بينها وبين البلوغ إلى الغاية، فالواصل منها إلى الغاية هو المسمى ذهباً وما نزل عن هذه الدرجة لمرض غلب عليه حدث له اسم آخر من فضة ونحاس وأسرب وقزدير وحديد وزئبق، فيكون الذهب عن إيجاد أبويه بالنكاح، والتسوية في التناسب واستيلاء حرارة المعدن في الكل على السواء، ولم يعرض للأبوين من البرودة واليبوسة ما يؤثر في هذا الطالب درجة الكمال قبل تحكم سلطان حرارة المعدن، فإذا كان السالك بهذه المثابة بلغ الغاية فوجد عين الذهب، فإن دخل عليه في سلوكه من البرودة فوق ما يحتاج إليه أمرضه وحال بينه وبين مطلوبه حدث له اسم الفضة، فما نزلت عن الذهب إلا بدرجة واحدة، والكمال في الأربعة، وقد نقص هذا عن الكمال بدرجة واحدة من أربعة والأربعة أوّل عدد كامل، ولهذا يتضمن العشرة، فكان في الفضة ربع العُشر لنقصان درجة واحدة عن الذهب بغلبة البرودة

والبرودة أصل فاعلي والحرارة أصل فاعلي، واليبوسة والرطوبة فرعان منفعلان فتبعت الرطوبة البرودة لكونها منفصلة عنها، فلهذا تكوّنت الفضة على النصف من زمان تكوين الذهب، ولما كان المنفعل يدل على الفاعل ويطلبه بذاته لهذا استغنينا بذكر المنفعل عن ذكر ما انفعل عنه لتضمنه إياه فقال تعالى: ﴿ولا رطب ولا يابس﴾ [الأنعام: ٥٩] ولم يذكر ولا حار ولا بارد، وهذا من فصاحة القرآن وإعجازه وحيث علم أن الذي أتى به وهو محمد ﷺ لم يكن ممن اشتغل بالعلوم الطبيعية فيعرف هذا القدر، فعلم قطعاً أن ذلك ليس من جهته وأنه تنزيل من حكيم حميد، وأن القائل هذا عالم وهو الله تعالى، فعلم النبي ﷺ كل شيء بتعليم الله وإعلامه لا بفكره ونظره وبحثه، فلا يعرف مقدار النبوّة إلا من أطلعه الله على مثل هذه الأمور، فانظر ما أحكم علم الشرع في فرض الزكاة في هذه الأصناف على هذا الحد المعلوم في صنف صنفٌ صنف لمن نظر واستبصر.

فصل

في نصاب الذهب:

قالت طائفة تجب الزكاة في عشرين ديناراً كما تجب في مائتي درهم، ومن قائل ليس في الذهب شيء حتى يبلغ أربعين ديناراً ففيه دينار واحد وهو ربع العشر - أعني عشرها - ومن قائل ليس في الذهب زكاة حتى يبلغ صرفه مائتي درهم أو قيمتها، فإذا بلغ ففيه ربع عشره، وسواء بلغ عشرين ديناراً أو أقل أو أكثر هذا فيما كان من ذلك دون الأربعين حينئذ يكون الاعتبار في الذهب ما ذكرناه، فإذا بلغ الأربعين كان الاعتبار بها نفسها لا بالدراهم لا صرفاً ولا قيمة.

الاعتبار في كل أربعين ديناراً دينار وهو ربع العُشر من ذلك قد ذكرنا أن الفضة لما حكم عليها وهي تطلب الكمال الذي ناله الذهب طبع واحد وهو البرودة من الأربع الطبائع، فأخذت من الذهب طبعاً واحداً أخرجته من محل الاعتدال، فلهذا أخذ من الأربعين التي هي نصاب الذهب دينار واحد وهو ربع العشر، لأنك إذا ضربت أربعة في عشرة كانت أربعين، فالأربعة عُشر الأربعين، والواحد رُبع الأربعة، فهو رُبع عُشرها وهو الواحد الذي أخذته الفضة وصارت به فضة في طلبها درجة الكمال، فنقص من الذهب هذا القدر فكانت زكاته ديناراً، وهذا الدينار قد اجتمع مع الخمسة الدراهم في كونه ربع عشر ما أخذ منه، فإن العشرين عُشر المائتين وربع العشرين خمسة فكان في المائتين خمسة دراهم وهي ربع عشرها، فمن حمل الذهب على الفضة وقال: إن في عشرين ديناراً كما في مائتي درهم، أو من قال بالصرف والقيمة بمائتي درهم، فأوجب الزكاة فيما هذا قيمته أو صرفه من الذهب وهذا فيما دون الأربعين، فإنه ما ورد نهي فيما دون الأربعين من الذهب كما ورد في الورق، فإنه قال: ليس فيما دون خمس أواق صدقة، ولم

يقل ليس فيما دون الأربعين، ولهذا ساغ الخلاف في الذهب ولم يسغ في الورق، واجتمعا في ربع العشر بكل وجه، واعتبر العشر والربع منه لتضمن الأربعة العشرة فضربت فيها ولم تضرب في غيرها لأن الأربعة تتضمن عينها وما تحتها من العدد فيكون من المجموع عشرة، ولهذا قيل في الأربعة انه أول عدد كامل فإن في الأربعة عينها، وفيها الثلاثة فيكون سبعة، وفيها الإثنان فيكون تسعة، وفيها الواحد فيكون عشرة، فمن ضرب الأربعة في العشرة كان كمن ضرب الأربعة في نفسها مما تحوي عليه، فوجبت الزكاة لنظرها لنفسها في ذلك ولم تنظر إلى بارئها وموجدها، فأخذ الحق منها نظرها لنفسها وسماه زكاة لها أي طهارة من الدعوى، فبقيت لربها فلم يتعين له فيها حق يتميز لأنها كلها لله لا لذاتها.

فصل

في اعتبار زكاة الحلي:

الحلي ما يتخذ للزينة والزينة مأمور بها. قال تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ [الأعراف: ٣١] وقال ﴿قل من حرم زينة الله﴾ [الأعراف: ٣٢] فأضافها إليه، والزكاة حق لله وما كان مضافاً إليه لا يكون فيه حق لله، لأنه كله لله، فلا زكاة في زينة الله، ومن اتخذه لزينة الحياة الدنيا وسلب عنه زينة الله أوجب فيه الزكاة، وهو أن يجعل لله نصيباً فيه يجيء به ما أضاف منه لنفسه ويزكو ويتقدس، كما شرع الله للإنسان أن يستعين بالله ويطلب العون منه في أفعاله التي كلفه سبحانه أن يعملها وهو العامل سبحانه لا هم، فكذلك ينبغي أن يجعل الزكاة في زينة الحياة الدنيا وإن كانت زينة الله التي أخرج لعباده فأوجبوا الزكاة في تلك الزينة كما أوجبها في الحلي.

فصل

في الأوقاص:

وهو ما زاد على النصاب مما يزكى. أجمع العلماء على عدم زكاة الأوقاص في الماشية، وعلى أنه لا أوقاص في الحبوب، واختلفوا في أوقاص النقدين وبتركها فيها. أقول: فإن إلحاقها بالحبوب أولى من إلحاقها بالماشية، فإن الحيوان مجاور للنبات، والنبات مجاور للمعدن، فإلحاقه في الحكم بالمجاور أحق فإن الجار أحق بصقبه.

الاعتبار الكمال لا يقبل النقص والزكاة نقص من المال، ولهذا لما كمل الحيوان بالإنسانية لم تكن فيه زكاة، فإن الأشياء ما خلقت إلا لطلب الكمال فلا كامل إلا الإنسان، وأكمل المعادن الذهب، ولهذا لا يقبل النقص بالنار مثل ما يقبله سائر المعادن.

فإن قلت: فالفضة قد نزلت من درجة الكمال فهي ناقصة فوجبت الزكاة في أوقاصها. قلنا:

قد أشركها الحق في الزكاة إذا بلغت النصاب بالذهب، ولم يفعل ذلك في سائر المعادن، فلولا أن بينهما مناسبة قوية لما وقع الإشتراك في الحكم، فلتكن في الأوقاص كذلك.

فإن قلت: إن الزكاة نقص من المال، ومن بلغ الكمال لا ينقص والذهب قد بلغ الكمال والزكاة فيه إذا بلغ النصاب وهو ذهب في النصاب وذهب في الأوقاص ما زال عنه حكم الكمال. قلت: كذلك أقول هكذا ينبغي لو جرينا على هذا الأصل، لكن عارضنا أصل آخر إلهي وهو التبدل والتحوّل في الصور عند التجلي الإلهي، واختلاف النسب، والاعتبارات على الجناب الإلهي، والعين واحدة والنسب مختلفة، فهي العالمة من كذا، والقادرة والخالقة من كذا، فالحق سبحانه ما فرض الزكاة في أعيان المزكي من كونها أعياناً بل من كونها على الخصوص أموالاً في هذه الأعيان خاصة لا في كل ما ينطلق عليه اسم مال، فاعتبرنا لما جاء الحكم فيهما إذا بلغا النصاب المالية، وما اعتبرنا أعيانها، واعتبرنا في الأوقاص أعيانها لا المالية فرفعنا الزكاة فيها كما اعتبرنا في تحول التجليات الاعتقادات والمرتبة وما اعتبرنا في الذات. واعتبرنا في التنزيه الذات وما اعتبرنا المرتبة ولا الاعتقادات، فلما كان أصل الوجود وهو الحق يقبل الاعتبارات سرت تلك الحقيقة في بعض الموجودات، فاعتبرنا بها وجودها مختلفة تارة لأمور عقلية، وتارة لأمور شرعية، ألا ترى الرقيق وهو إنسان وله الكمال إذا اعتبرنا فيه المالية واعتبرنا أيضاً في المشتري له التجارة قوّمنا عليه بالقيمة منزلة ما يزكي به من المال، فأفرضنا من قيمته الزكاة، ألا ترى كمالية الحق لا تقبل وصفاً من نعوت المحدثات، فلما تجلت في حضرة التمثيل للأبصار المقيدة بالحس المشترك تبعت الأحكام هذا التجلي الخاص فقال تعالى: «جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني ومرضت فلم تعدني» ولما وقع النظر فيه من حيث رفع النسب قال ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] وقال ﴿إنه غنيّ عن العالمين﴾ [آل عمران: ٩٧] فمن كان غنياً عن الدلالة عليه كان هو الدليل على نفسه لشدة وضوحه، فإنه لا شيء أشد من الشيء في الدلالة من الشيء على نفسه، فقد نبهتك على أن الأحكام تتبع الاعتبارات والنسب، وبعد أن وقع الحكم من الشارع في أمر بما حكم به عليه، فلا بدّ لنا أن ننظر ما اعتبر فيه حتى حكم عليه بذلك الحكم، وبهذا يفضل العالم على الجاهل، فإذا تقرر هذا فاعلم أن البلوغ للعقل هو كالنصاب في المال، فكما أن النصاب إذا وجد في المال وجبت الزكاة فيه، كذلك يجب التكليف على العاقل إذا بلغ، ثم بعد أوان البلوغ يستحكم عقله بمرور الأزمان عليه كما يزيد المال بالتجارة فتظهر الأوقاص، فمن لم يجد في استحكام عقله أن الله هو الفاعل مطلقاً وأن العبد لا أثر له في الفعل وجبت عليه الزكاة في الأوقاص، والزكاة حق الله في المال فيضيف إلى الله من أعماله ما ينبغي أن يضيف، وهنا رجلان، منهم من يضيف إلى الله ما يضيفه على جهة الحقيقة ويضيف إلى نفسه من أعماله ما يضيف على جهة الأدب، ومنهم من يضيف ذلك العمل كله إلى الإنسان عقلاً وشرعاً كالمعتزلي ويضيف إلى الله من ذلك خلق القدرة له في هذا العامل لا غير، وأما من لا يرى الأفعال في استحكام عقله إلا من الله لا أثر للعبد فيها لم ير الزكاة في الأوقاص لأنه ما ثم

ما يرد إلى الله فإنه علم أن الكل لله، ومن هنا قول شيبان الراعي لما سئل عن الزكاة فقال للسائل: على مذهبنا أو على مذهبكم؟ إن كان على مذهبنا فالكل لله لا نملك شيئاً، وأما على مذهبكم ففي كل أربعين شاة من الغنم شاة، فاعتبر شيبان أمراً ما فأوجب الزكاة واعتبر أمراً آخر فلم يوجب الزكاة والمال هو المال بعينه.

فصل

في ضم الورق إلى الذهب:

فمن قائل تضم الدراهم إلى الدنانير، فإذا كان من مجموعها النصاب وجبت الزكاة، ومن قائل لا تضم فضة إلى ذهب ولا ذهب إلى فضة وبه أقول.

الاعتبار: قال عليه السلام: «إن لعينك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً فكُل ونم» وإن كان الإنسان هو الجامع لعينه ونفسه الحيوانية، ولكن جعل الله لكل واحد منها حقاً يخصه، فحق العين هنا النوم، وحق النفس النباتية التغذي وهو الأكل، فلا يضم شيء إلى شيء، فإن النوم ما يقوم مقام الأكل، ولا الأكل يقوم مقام النوم، فلا يضم الشيء إلى الشيء، ومن يرى ضم الشيء إلى الشيء يرى ضم النوم إلى الأكل، فإن الأكل سبب في حصول النوم لما يتولد منه من الأبخرة المرطبة التي يكون بها النوم، فتنال العين حقها والنفس حقها، فلا بأس بضم الذهب إلى الفضة لحصول الحق من ذلك المجموع.

فصل

في الشريكين:

فمن قائل: إن الشريكين لا زكاة في مالهما حتى يكون لكل واحد منهما نصاب وبه أقول، ومن قائل ان المال المشترك حكمه حكم مال رجل واحد.

الاعتبار: العمل من الإنسان إذا وقع فيه الاشتراك فليس فيه حق لله فلا زكاة فيه، ففي الخبر من قال: هذا لله وبوجوهكم فهو لوجوهكم، ليس لله منه شيء فالنصاب بالاشتراك غير معتبر. فإن الشريكين في حكم الانفصال وإن كانا متصلين فإن الاتصال هو الدليل على وجود الانفصال، إذ لولا الفصل لم يكن الاتصال، وإذا كان الحكم للانفصال ولم يبلغ أحدهما ما عنده النصاب فيما له لم تجب عليه الزكاة، فإن الزكاة وإن كانت تطلب المال فما تطلبه إلا من المطلق بإخراجه، ألا ترى المال في بيت المال ما فيه زكاة لاشتراك الخلق فيه مع وجود النصاب فيه وحلول الحول إذا مسكه الإمام ولم يفرقه لمصلحة رآها في ذلك، فلما اعتبر الخلق المشتركون فيه لم يبلغ حصة واحد منهم النصاب، ولم يتعين أيضاً رب المال، فإذا عينه الإمام ودفع له ما يبلغ النصاب فقد خرج من بيت المال وتعين مالكه فزال ذلك الحكم، وإذا مضى عليه الحول أدى زكاته.

فصل

اعتبار الحول في الزكاة:

الحول في وجوبها كمال الزمان فأشبه كمال النصاب، فكما وجبت بكمال النصاب وجبت بكمال الزمان. ومعنى كمال الزمان تعميمه للفصول الأربعة فيه، ولهذا ينتظر بالعنين الحول الكامل حتى تمر عليه الفصول الأربعة فلا تغير في حاله شيئاً أي لا حكم له في عنته لعدم استعداده لتأثيرها، وكمال الإنسان إنما هو في عقله فإذا كمل في عقله فقد كمل حوله، فوجب عليه إخراج الزكاة وهي أن يعلم ما لله عليه من الحقوق فيجتهد في أداء ذلك، ووقت الحبوب والتمر يوم حصاده وجذه من غير اشتراط الحول إذ قد مرّ الحول على الأصل وهو ما للخريف والشتاء والربيع والصيف فيه من الأثر. فكأنه ما خرج عن حكم الحول بهذا الاعتبار، فمن العبادات ما هي مرتبطة بالحول كالحج والصيام وما ذكر من صنف ما من أصناف المال المزكى، ومن العبادة الواجبة ما لا يرتبط بالحول كالصلاة والعمرة ونوافل الخيرات ما عدا الحج فإن واجبه ونافلته سواء في الحول.

فصل

في زكاة المعدن:

فمنهم من راعى فيه الحول مع النصاب تشبيهاً بالنقدين، ومنهم من راعى فيه النصاب دون الحول تشبيهاً بما تخرجه الأرض مما تجب فيه الزكاة.

الاعتبار: المعدن للطبيعة التي تتكوّن عنها الأجسام، ونفوس الأجسام الجزئية والطبيعية أربعة حقائق بتأليفها ظهر عالم الأجسام، وفي العلم الإلهي أن العالم ظهر عن الله تعالى من كونه حياً عالماً مريداً قادراً لا غير، وكل اسم له حكم في العالم فداخل تحت حيطة هذه الأربعة الأسماء الأمهات، فمن راعى النصاب دون الحول اعتبر هذا فإنه فوق الزمان، فإذا تكون عن الإنسان بما يتكوّن عن الطبيعة فقد بلغ النصاب فوجبت الزكاة وهي الحاق ذلك بالأربع الصفات الثابتة في العلم الإلهي الذي لا يصح التكوين إلا بها، والطبيعة آلة لا إله. ومن اعتبر الحول مع النصاب فإنه إذا تكوّن عن الانسان ما يتكوّن عن العناصر لا عن الطبيعة والعناصر لا يتكوّن عنها شيء إلا بمرور الأزمان عليها وهي حركات الأفلاك التي فوقها، فزكاتها مقيدة بالزمان وهي إعطاء حق الله من ذلك التكوين بإضافته إلى الوجه الخاص الإلهي الذي له في كل ممكن من غير نظر إلى شبيه، وهذا هو عالم الخلق والأمر والأوّل هو عالم الأمر خاصة فاعلم ذلك.

فصل

اعتبار زكاة الركاز:

ما هو مركوز في طبيعة الإنسان هو الركاز وهو حب الرئاسة وجلب المنافع ودفع المضار والخُمس فيه إذا وجد الرئاسة في قلبه فليقصد بها إعلاء كلمة الله وزكاتها أن لا يقصد بها إلا إهانة الكفار وعدم المبالاة بهم، وكذلك جلب المنافع ودفع المضار، فزكاة جلب المنافع أن تكون المنفعة تعينه على القيام بطاعة الله مثل نوم أو أكل أو شرب أو مال، وكذلك دفع المضار أن لا يدفعها إلا من حيث أنها تضر بدينه فذلك خمس زكاتها، والله أعلم.

فصل

في حول ربح المال:

فطائفة رأت أن حوله يعتبر من يوم استفيد سواء كان الأصل نصاباً أو لم يكن وبه أقول، وطائفة قالت: حول الربح هو حول الأصل أي إذا كمل الأصل حولاً زكى الربح معه سواء كان الأصل نصاباً أو أقل من نصاب إذا بلغ الأصل مع ربحه نصاباً وانفرد بهذا مالك وأصحابه، وفرقت طائفة بين أن يكون رأس المال الحائل عليه الحول نصاباً أو لا يكون، فقالوا: إن كان نصاباً زكى ربحه مع رأس ماله وإن لم يكن نصاباً لم يزك.

الاعتبار الأعمال هي المال وربحها ما يكون عنها من الصور كالمصلي أو الذاكر يخلق له من ذكره وصلاته ملكاً يستغفر له إلى يوم القيامة، فالصور التي تلبس الأعمال هي أرباحها كمانع الزكاة يأتيه ماله الذي هو قدر الزكاة شجاعاً أقرع يطوّق به، ويقال له: هذا كنزك. والأعمال على قسمين: عمل روحاني وهو عمل القلوب، وعمل طبيعي وهو عمل الأجسام، وهي الأعمال المحسوسة؛ فما كان من عمل محسوس اعتبر فيه الحول، وما كان من عمل معنوي لم يعتبر فيه الحول لأنه صار حينئذ من حكم الزمان ولا بدّ من اعتبار النصاب في المعنى والحس، وقد تقدم ذلك. وصورة الزكاة في ذلك الربح هو ما يعود منه على العامل من الخير من كونه موصوفاً بصفات الدين بإعطائهم الزكاة من فقير ومسكين وغير ذلك.

فصل

في اعتبار زكاة الفطر:

أوجبها رسول الله ﷺ على كل إثنين صغير أو كبير اعتباره متعلم أو عالم، وحر أو عبد اعتباره من تحرز عن رق الأكوان، فكان وقته شهوده كونه حراً عنها أو عبد من كان وقته شهوده عبودية لربه من غير نظر إلى الأكوان، وذكر أو أنثى اعتباره عقل أو نفس إلهي

....

أو طبيعي، وغني أو فقير اعتباره غني بالله أو فقير إلى الله، وقوله « صاع من تمر » الصاع أربعة أمداد ونشأته من أربعة أركان، فتكون زكاته عن إقامة أركانه، أو نشأته على الكمال من روحه وعقله وجسده ومرتبته شهوده فيها الأربع نسب التي يصف بها في إيجاد عينه وأصول كونه من حياة وعلم وإرادة وقدرة لكل صفة مدّ ليكون الجملة صاعاً. إذ لهذه النسب صح أن يكون له رباً والآخر مربوباً.

فصل

في اعتبار إخراجها عن كل من يمونه:

الإنسان الشيخ يقصد بالتلميذ في التربيـة ما لا يبلغه علم التلميذ حتى يحصل له بذلك زكاة تعليمه. فإن فضل ذلك المقري على التلميذ يعود، فكأن التلميذ أعطاه، وينجر في هذا الفصل زكاة الولـي من مال اليتيم.

وإذ قد فرغنا من ذكر الاعتبارات المتعلقة بمسائل الفصل، فلنشرع في شرح كلام المصنف قال رحمه الله:

الفصل الثاني
في الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة

اعلم انه يجب على مؤدي الزكاة مراعاة خمسة أمور .

الفصل الثاني
في الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة:

أما الأداء فهو واجب على الفور بعد التمكن. وروى إمام الحرمين وغيره عن أبي حنيفة: أنها واجبة على التراخي، ونقل صاحب الشامل وغيره اختلافاً لأصحابه فيه، ففي الكرخي أنها على الفور، وعن أبي بكر الرازي أنها على التراخي، ودليل من قال على الفور أن الأمر بإيتائها وارد وحاجة المستحقين ناجزة، فيتحقق الوجوب في الحال، ثم الأداء يفتقر إلى أمور هي بمنزلة الشروط، فمنها ما هي ظاهرة، ومنها ما هي باطنة. فقدم ذكر شروطه الظاهرة على الباطنة نظراً إلى تقدم الظاهر المحسوس على الباطن المعقول، فالظاهر عنوان الباطن وما لم يدرك ظاهر الشيء لا يصل إلى معرفة باطنه فقال:

بيان الشروط الظاهرة:

لأداء الزكاة. (**اعلم أنه يجب على مؤدي الزكاة**) بعد تمكنه منها (**مراعاة خمسة أمور**). ولم يذكر في هذه الأمور الخمسة الفعل مع أن الاداء مفتقر إليه كافتقاره إلى الأمور الخمسة، ونحن نذكره فنقول: الفعل على ثلاثة أضرب.

أحدها: أن يفرق المالك بنفسه وهو جائز في الأموال الباطنة وهي الذهب والفضة وعروض التجارة والركاز وزكاة الفطر، وحكى صاحب البيان وجهاً في زكاة الفطر أنها من الأموال الظاهرة. ونقل صاحب الحاوي عن الأصحاب أنها باطنة وهو ظاهر نص الشافعي وهو المذهب، وأما الأموال الظاهرة وهي المواشي والمعشرات والمعادن ففي جواز تفريقها بنفسه قولان: أظهرهما وهو الجديد يجوز، والقديم لا يجوز، بل يجب صرفها إلى الإمام إن كان عادلاً، وإن كان جائراً فوجهان. أصحهما يجب الصرف إليه لنفاذ حكمه وعدم انعزاله، وعلى هذا القول لو فرق بنفسه لم يجب، وعليه أن يؤخر ما دام يرجو مجيء الساعي، فإذا أيس فرق بنفسه.

الضرب الثاني: أن يصرف إلى الإمام وهو جائز.

الثالث: أن يوكل في الصرف إلى الإمام أو التفرقة على الأصناف حيث يجوز التفرقة بنفسه

الأول: النية؛ وهو أن ينوي بقلبه زكاة الفرض وليس عليه تعيين الأموال. **فإن كان له مال غائب فقال: هذا عن مالي الغائب إن كان سالماً وإلاّ فهو نافلة جاز لأنه إن لم يصرح به فكذلك يكون عند إطلاقه. ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي.**

وهو جائر، وأفضل هذه الأضـرب التفرقة بنفسه أفضل من التوكيل بلا خلاف، ن الوكيل قد يخون فلا يسقط الفرض عن الموكل، وأما الأفضل من الضربين الأخيرين فإن كانت الأموال باطنة فوجهان: أصحها: عند جمهور الأصحاب الدفع إلى الإمام أفضل لأنه يتيقن سقوط الفرض به بخلاف تفرقته بنفسه، فإنه قد يدفع إلى غير مستحق، والثاني: بنفسه أفضل لأنه أوثق وليباشر العبادة ليخص الأقارب والجيران، والأحق وإن كانت الأموال ظاهرة فالصرف إلى الإمام أفضل قطعاً هذا هو المذهب وبه قطع الجمهور، وطرد المصنف في الوسيط فيه الخلاف، ثم حيث قلنا الصرف إلى الامام أولى إن كان عادلاً فإن كان جائراً فوجهان أصحها: التفريق بنفسه أفضـــل وفي المذهب وجه أنه لا يجوز الصرف إلى الجائر وهذا غريب ضعيف مردود كذا في الروضة.

ثم شرع المصنف في ذكر الأمور الخمسة فقال:

(الأول: النية) : وهي واجبة قطعاً وهل تتعين بالقلب أم يقوم النطق باللسان مقامهـا؟ فيه طريقان. أحدهما: تتعين، وأشهرهما على وجهين، وقيل: على قولين أصحهما تتعين، والثاني يتخير بين القلب والاقتصار على اللسان. ثم أشار المصنف إلى صفة النية مع اعتبار أصح القولين الذي هو التعين بالقلب فقال: **(وهو أن ينوي بقلبه زكاة الفرض)** أي هذا فرض زكاة مالي، أو فرض صدقة مالي، أو زكاة مالي المفروضة أو الصدقة المفروضة، ولا يكفي التعرض لفرض المال. لأن ذلك قد يكون كفارة ونذراً، ولا يكفي مطلق الصدقة على الأصح، ولو نوى الزكاة دون الفرضية أجزأه على المذهب وقيل وجهان. **(وليس عليه تعيين الأموال)** التي يزكيها، فلو ملك مائتي درهم حاضرة ومائتين غائبة، فأخرج عشرة بلا تعيين جاز، وكذا لو ملـك أربعين شاة وخمسة أبعرة، فأخرج شاتين بلا تعيين أجزأه، ولو أخرج خمسة دراهم مطلقاً ثم بان تلف المالين أو تلف أحدهما بعد الإخراج فله أن يجعل المخرج عن الباقي، فلو عيّن مـالا لم ينصرف إلى غيره كما لو أخرج الخمسة عن الغائب فبان تالفاً لم يكن له صرفه إلى الحاضر، **(فإن كان مال غائب فقال)** عند إخراج زكاته. **(هذا عن مالي الغائب إن كان سالماً)** باقياً فبان تـالفـاً لم يكن له صرفه إلى الحاضر على الأصح، ولو قال: هذه عن الغائب فإن كان تالفاً فهي صدقته، أو قال إن كان الغائب باقياً فهذه زكاته، **(وإلاّ فهو نافلة)** أو صدقة **(جاز)** لأن هذه صفة إخراج زكاة الغائب **(لأنه لم يصرح به، فكذلك يكون عند إطلاقه)**، فلو اقتصر على زكاة الغائب حتى لو بان تالفاً لا يجوز له الاسترداد إلا إذا صرح فقال: هذه عن مالي الغائب فإن بان تالفاً استرددتها وليست هذه الصورة. كما لو أخرج الخمسة، وقال: إن كان مورثي مات فورثت ماله فهي زكاته. فبان أنه ورثه لا يحسب المخرج زكاة لأن الأصل عدم الإرث وهنا الاصل

بقاء المال والتردد اعتضد بالأصل. أما إذا قال: هذه زكاة الغائب فإن كان تالفاً فعن الحاضر فالمذهب، والذي قطع به الجمهور إن كان الغائب باقياً وقع عنه وإلاّ وقع عن الحاضر ولا يضر التردد، فإن التعيين ليس بشرط حتى لو قال هذه عن الحاضر أو الغائب أجزأه وعليه خمسة للآخر، وعن صاحب التقريب تردد في اجزائه عن الحاضر، ولو قال: هذه عن الغائب إن كان باقياً وإلاّ فعن الحاضر أو هي صدقة وكان الغائب تالفاً لم يقع عن الحاضر كما قال الشافعي رحمه الله. ولو قال: إن كان مالي الغائب سالماً فهذه زكاته أو نافلة وكان سالماً لم يجزه لأنه لم يخلص القصد عن الفرض. وقولنا في هذه المسائل مال غائب يتصوّر إذا كان غائباً في بلد آخر وجوّزنا فعل الصدقة أو معه في البلد وهو غائب عن مجلسه.

فصل

وقال أصحابنا: شرط صحة ادائها نية مقارنة للأداء أو لعزل مقدار الواجب أو تصدق بجميع النصاب لأنها عبادة فلا تصح إلا بالنية، والأصل فيه الاقتران بالأداء كسائر العبادات إلا أن الدفع يتفرق فيخرج باستحضار النية عند كل دفع، فاكتفى بوجودها حالة العزل دفعاً للحرج كتقديم النية في الصوم، وهذا لأن العزل فعل منه، فجازت النية عنده بخلاف ما إذا نوى أن يؤدي الزكاة ولم يعزل شيئاً وجعل يتصدق شيئاً فشيئاً إلى آخر السنة ولم تحضره النية ولم يجزه عن الزكاة، لأن نيته لم تقترن بفعل مّا فلا تعتبر. وقولنا: أو تصدق بكله لأنه إذا تصدق بجميع ماله فقد دخل الجزء الواجب فيه، فلا حاجة إلى التعيين استحساناً لكون الواجب جزءاً من النصاب، ولا فرق بين أن ينوي النفل أو لم تحضره النية بخلاف صوم رمضان حيث لا يكون الإمساك مجزئاً عنه إلا بنية القربة، فالفرق إن دفع المال بنفسه قربة كيفما كان والإمساك لا يكون قربة إلا بنية فافترقا، وهذا لأن الركن في الموضعين إيقاعه قربة وقد حصل بنفس الدفع إلى الفقير دون الإمساك، ولو دفع جميع النصاب إلى الفقير ينوي به النذر، أو عن واجب آخر يقع عما نوى ويضمن قدر الواجب كالنذر المعين في الصوم إذا نوى فيه التطوّع يقع عن النذر، وإن صام فيه عن واجب آخر يقع ما نوى ويقضي النذر، ولو وهب بعض النصاب من الفقير سقط عنه زكاة المؤدي عند محمد اعتباراً للجزء بالكل، إذ الواجب شائع في الكل فصار كالهلاك، وعند أبي يوسف لا يسقط لأن البعض غير متعين لكون الباقي محلاً للواجب بخلاف الهلاك. لأنه لا صنع له فيه فتعذر الدفع بصنعه فلا يعذر، وعلى هذا لو كان له دين على فقير فابرأه عنه سقطت زكاته عنه نوى به عن الزكاة أو لم ينو لأنه كالهلاك، ولو أبرأه عن البعض سقط الزكاة عن ذلك البعض لما قلنا، وزكاة الباقي لا تسقط عنه، ولو نوى به الأداء عن الباقي لأن الساقط ليس بمال والباقي يجوز أن يكون مالاً فكان الباقي خيراً منه فلا يجوز الساقط عنه، وكذا لا يجوز أداء الدين عن العين بخلاف العكس، ولو كان الدين على غني فذهب منه بعد وجوب الزكاة فيه قيل يضمن قدر الواجب عليه، وقيل لا يضمن والله أعلم.

ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكاة، ولكن في ظاهر حكم الدنيا

ثم اذا ناب في إخراج الزكاة عن المالك غيره، فله صور: **منها** نيابة الولي عن الصبي والمجنون، وإليه أشار المصنف بقوله: **(ونية الولي تقوم مقام نية المجنون والصبي)** أي فيجب على الولـي ان ينوي. قال القاضي ابن كج: فلو دفع بلا نية لم يقع الموقع وعليه الضمان.

ومنها أن يتولى السلطان قسمة زكاة انسان وإليه أشار المصنف بقوله: **(ونية السلطان تقوم مقام نية المالك)** فإن دفعها إليه طوعاً ونوى عند الدفع كفى وكذا حال **(الممتنع عن الزكاة)** فيأخذها منه قهراً إذا نوى عند الدفع كفى، ولا يشترط نية السلطان عند التفرقة لانه نائب المساكين، فإن لم ينو المالك ونوى السلطان أو لم ينو. فوجهان أحدهما: يجزئه وهو ظاهر نصه في المختصر وبه قطع كثير من العراقيين، والثاني لا يجزئه لأنه نائب عن المساكين، ولو دفع المالك إلى المساكين بلا نيّة لم يجزه فكذا إلى نائبهم، وهذا الثاني هو الأصح عند القاضى أبي الطيـب، وصاحـبي المهذب والتهذيب، وجمهور المتأخرين وحملوا كلام الشافعي رحمه الله على الممتنع يجزئه المأخوذ، وان لم ينو لكن نقل عن نصه في الأم أنه قال يجزئه وإن لم ينو طائعاً كان أو كارهاً، فإذا امتنع عن اداء الزكاة فللسلطان أخذها منه كرهاً خلافاً لأبي حنيفة.

قال الرافعي: لنا قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم﴾ [التوبة: ١٠٣] ولا يأخذ إلا قدر الزكاة على الجديد لقوله ﷺ في المال «ليس في المال حق سوى الزكاة» وقال في القـديم: يأخذ مع الزكاة شطر ماله لما روي أنه ﷺ قال: «في كل أربعين من الإبل السائمة بنت لبون من اعطاها مؤتجراً بها فله أجرها ومن منعها فأنا آخذها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا ليس لآل محمد فيها شيء».

وقال النووي في زيادات الروضة: المشهور هو الجديد، والحديث الوارد بأخذ شطر ماله ضعفه الشافعي رحمه الله، ونقل أيضاً عن أهل العلم بالحديث أنهم لا يثبتونه، وهذا الجواب هو المختار اما جواب من أجاب من أصحابنا أنه منسوخ فضعيف، فإن النسخ يحتاج إلى دليل ولا قدرة لهم عليه هنا اهـ.

قلـت: الحديث المذكور أخرجه أحمد، وأبو داود، والنسائي، والحاكم، والبيهقي من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وقد قال يحي بن معين في هذه الترجمة إسناده صحيح إذا كان من دون بهز ثقة، وقال أبو حاتم: هو شيخ يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال الشافعي: ليس بحجة. وهذا الحديث لا يثبته أهل العلم بالحديث ولو ثبت لعلمنا به وكان قال به في القديم، وسئل عنه أحمد فقال: ما أدري ما وجهه، فسئل عن إسناده. فقال: صالح الإسنـاد. وقـال ابـن حبان: كان يخطىء كثيراً ولولا هذا الحديث لأدخلته في الثقات، وهو ممن استخير الله فيه. وقال ابن عدي: لم أر له حديثاً منكراً، وممن قال بأن حديث بهز هذا منسوخ أبو جعفر الطحاوي في بيان المشكل، والبيهقي.

ـ أعني في قطع المطالبة عنه ـ أما في الآخرة فلا ، بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن يستأنف

وتعقب النووي ذلك من أن الذين ادعوا كون العقوبة كانت بالأموال في أول الإسلام ليس بثابت ولا معروف ودعوى النسخ غير مقبولة مع الجهل بالتاريخ.

والجواب عن ذلك ما أجاب به إبراهيم الحربي فإنه قال في سياق هـذا المتن لفظـة وهـم فيهـا الراوي وانما هـو نـانا أخذوها من شطر ماله أي يجعل ماله شطرين فيخير عليه المصدق ونأخذ الصدقة من خير الشطرين عقوبة لمنعه الزكاة فاما ما لا يلزمه فلا. نقله ابن الجوزي في جامع المسانيد عن ابراهيم الحربي اهـ.

(ولكن في ظاهر حكم الدنيا ـ أعني في قطع المطالبة عنه ـ أما في الآخرة فلا ، بل تبقى ذمته مشغولة إلى أن يستأنف الزكاة) . قال الرافعي : فإن نوى الممتنع حالة الأخذ برئت ذمته ظاهراً وباطناً ، ولا حاجة إلى نية الإمام ، وان لم ينو فهل تبرأ ذمته؟ نظر إن نوى الإمام سقط عنه الفرض ظاهراً ولا يطالب به ثانياً وهل يسقط باطناً؟ وجهان. أحدهما : إنه يسقط إقامة لنية الإمام مقام نيته كما أن قسمه قائم مقام قسمه ، فإذا اختص خرج منه الوجهان المشهوران في أن الممتنع إذا أخذت منه الزكاة ولم ينو هل يسقط الفرض عنه باطناً؟ فبنى امام الحرمين والمصنف في الوجيز وجوب النية على الإمام على هذين الوجهين. إن قلنا : لا تبرأ ذمة الممتنع باطناً فلا تحسب ، وإن قلنا يبرأ فوجهان. أحدهما : لا لئلا يتهاون المالك فيما هو متعبد به ، والثاني : نعم. وظاهر المذهب أنه يجب عليه أن ينوي ولو لم ينو عصى وان نيته مقام نية المالك. وهذا لفظ القفال في شرح التلخيص

فصل

وقال أصحابنا : السلطان الجائر إذا أخذ صدقة الأموال الظاهرة الصحيح أنها تسقط الزكاة عن أربابها ولا يؤمر بالأداء ثانياً ، وإن أخذ الجبايات أو مالاً بطريق المصادرة فنوى صاحب المال عند الدفع الزكاة اختلفوا فيه ، والصحيح أنه يسقط عنه فرض الزكاة قاله صاحب المحيـط هـذا لفظ الخلاصة.

وقال في الخانية : السلطان الجائر إذا أخذ صدقة الأموال الظاهرة اختلفوا فيه ، والصحيح ما قاله أبو جعفر الهندواني أنه تسقط الزكاة عن أربابها ولا يؤمر بالأداء ثانياً لأن له ولاية الأخذ فصح أخذه وإن لم يضع الصدقة موضعها ، ثم ساق في الجبايات والمصادرة بمثل سياق الخلاصة ، والذي في البحر أن المفتى به التفصيل إن كان في الأموال الظاهرة فإنه يسقط الفرض عن أربابها بأخذ السلطان أو نائبه ، لأن الولاية له فبعد ذلك إن لم يضع السلطان موضعها لا يبطل أخذه عنه وإن كان في الأموال الباطنة لا يسقط عن أربابها لأنه ليس للسلطان ولاية أخذ زكاة الأموال الباطنة فلم يصح أخذه. كذا في التجنيس والواقعات والولوالجية اهـ.

الزكاة، وإذا وكل باداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه لأن توكيله بالنية نية.

الثاني: البدار عقيب الحول وفي زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان. ووقت تعجيلها شهر

ومنها: أن يوكل من يفرق زكاته وإليه أشار المصنف بقوله: **(وإذا وكل الوكيل في أداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه لأن توكيله بالنية نية)**. قال الرافعي: فإن نوى الوكيل عند الدفع إلى المساكين، ونوى الموكل عند الدفع إلى الوكيل فهو الأولى، وإن لم ينو واحد منهما، أو لم ينو الموكل لم يجز، كما لو دفع الى المساكين بنفسه ولم ينو، وإن نوى الموكل عند الدفع ولو ينو الوكيل ففيه طريقان. أحدهما: القطع بالجواز، وأظهرهما أنه يبنى على أنه لو فرق بنفسه هل يجزئه تقديم النية على التفرقة؟ فيه وجهان. أحدهما: لا. وأظهرهما نعم، وبه قال أصحاب أبي حنيفة، لأن المقصود والأظهر من الزكاة اخراجها ليسد خلات المستحقين لها، ولذلك جازت النيابة فيه مع القدرة على المباشرة، وعلى هذا يكفي نية الموكل عند الدفع إلى الوكيل، وعلى الأوّل لا بدّ من نية الوكيل عند الدفع إلى المساكين أيضاً، ولو وكل وكيلاً وفوّض إليه النية أيضاً جاز ذكره في النهاية والوسيط، ولو تصدق بجميع ماله ولم ينو الزكاة لم تسقط عنه الزكاة وعن أصحاب أبي حنيفة أنها تسقط.

قلت: قد تقدم ما لأصحابنا فيه من أن شرط كون الزكاة مؤداة أحد الأمرين. الأوّل: النية المقارنة للاداء أو لعزل ما وجب، والثاني: التصدق بكل النصاب فتسقط به الزكاة بلا نية استحساناً، والقياس أن لا تسقط لعدم النية وبه قال زفر، ووجه الاستحسان أن الواجب جزء النصاب فإذا تصدق بكله دخل الجزء الواجب فيه فلا حاجة إلى التعيين الذي هو النية، ولا فرق في ذلك بين أن ينوي النفل أو لم تحضره النية أصلاً.

(الثاني) من الأمور الخمسة: **(البدار)** أي المبادرة **(عقب الحول)** أي العام سمي به لكونه تحول عليه أي تمضي الفصول الأربعة، وذلك في الأموال التي يعتبر فيها الحول، وأما ما لا يعتبر فيه كالزرع والثمار فوقت الوجوب إدراك الثمار واشتداد الحب، **(وفي زكاة الفطر)** خاصة **(لا يؤخرها عن يوم الفطر)** وفي وقت وجوبها أقوال: أظهرها وهو الجديد اقتصر عليه المصنف فقال: **(ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من رمضان)** أي ليلة العيد لكونها أضيفت إلى الفطر، وذلك هو وقت الفطر وإضافتها إلى الفطر لأنه وقت الوجوب، وبه قال أحمد بن حنبل وهو أحد الروايتين عن مالك. وحكاه ابن المنذر عن إسحاق ابن راهويه، وحكاه ابن قدامة عن سفيان الثوري، والثاني: وهو القديم تجب بطلوع الفجر يوم العيد وبه قال أبو حنيفة، وهو إحدى الروايتين عن مالك وبه قال من أصحابه مطرف وابن القاسم وابن الماجشون. قال القاضي أبو بكر بن العربي: وهو الصحيح، وحكاه ابن المنذر عن

أصحاب الرأي، وأبي ثور، وحكاه ابن قدامة عن الليث بن سعد، وزعم هؤلاء أن طلوع الفجر هو وقت الفطر الذي تجدد فيه. أما الليل فلم يكن قط محلاً للصوم لا في رمضان ولا في غيره. وقال الشيخ تقي الدين في شرح العمدة: وكلا الاستدلالين ضعيف لأن إضافتها إلى الفطر من رمضان لا يستلزم أنه وقت الوجوب، بل يقتضي إضافة هذه الزكاة إلى الفطر من رمضان، فيقال حينئذ بالوجوب بظاهر لفظة فرض ويؤخذ وقت الوجوب من أمر آخر اهـ.

قال الولي العراقي: لا معنى لإضافتها للفطر إلا أنه وقت الوجوب، وفي مذهب الشافعي قول ثالث انها تجب بمجموع الوقتين. قال الصيدلاني: خرّجه صاحب التلخيص واستنكره الأصحاب، وعبارة التلخيص تقتضي أنه منصوص، وقال بعض المالكية: تجب بطلوع الشمس يوم العيد، وقال آخرون منهم: تجب بغروب الشمس ليلة الفطر وجوباً موسعاً آخره غروب الشمس من يوم الفطر، وفي المسألة قول سادس انها تجب على من أدرك طلوع الفجر إلى أن يعلو النهار حكاه ابن المنذر عن بعض أهل العلم. وقال ابن حزم الظاهري: وقتها اثر طلوع الفجر إلى أن تبيض الشمس وتحل الصلاة، فإن كان صاحب القول المتقدم أراد بعلو النهار بياض الشمس اتحد مع قول ابن حزم، وإن أراد شيئاً غير ذلك فهي حينئذ سبعة أقوال، وتظهر ثمرة الخلاف في صور كثيرة يأتي ذكر بعضها.

ثم اعلم أن عبارة إمام الحرمين، والمصنف، والرافعي تقتضي على الأوّل اعتبار ادراك آخر جزء من رمضان، وأوّل جزء من شوال صرح به غير واحد، ونص عليه الشافعي، ويظهر أثر ذلك فيما لو قال لعبده: أنت حر مع أوّل جزء من شوال فمقتضى الأوّل أن العبد المذكور يجب عليه إخراج الفطرة عن نفسه ولا يجب عليه على الثاني المرجح، وقد يستدل له بإضافة الزكاة إلى الفطر من رمضان، فإنه يقتضي اعتبار جزء من رمضان وجزء من زمن الفطر والله أعلم.

وذكر النووي في الروضة الأقوال الثلاثة الأول، ثم ذكر صوراً منها: لو ملك عبداً أو أسلم عبده الكافر أو نكح امرأة أو ولد له ولد ليلة العيد لم تجب فطرتهم على الجديد والمخرج، وتجب على القديم. ولو مات ولده أو عبده أو زوجته أو طلقها بائناً ليلة العيد أو ارتد العبد أو الزوجة لم تجب على القديم والمخرج، وتجب على الجديد. وكذا الحكم لو أسلم الكافر قبل الغروب ومات بعده، ولو حصل الولد أو العبد أو الزوجة بعد الغروب وماتوا قبل الفجر فلا فطرة على الأقوال كلها، ولو زال الملك في العبد بعد الغروب وعاد قبل الفجر وجبت على الجديد والقديم، وأما على المخرج فوجهان، ولو باع العبد بعد الغروب واستمر ملك المشتري فعلى الجديد الفطرة على[1] المشترى، وعلى القديم على المشتري، وعلى المخرج لا تجب على واحد منهما. ولو مات مالك العبد ليلة العيد فعلى الجديد الفطرة في تركته، وعلى القديم تجب على الوارث. وعلى

---

(١) قوله: فعلى الجديد على المشتري لعل صوابه على البائع تأمل اهـ مصححه.

رمضان كله، ومن أخَّر زكاة ماله مع التمكن عصى. ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه

المخرج لا فطرة أصلاً، وفيه وجه أنه تجب على الوارث على هذا القول بناء على القديم أن الوارث يبني على حول المورث، والله أعلم.

(ووقت تعجيلها شهر رمضان كله) وإنما جاز تعجيلها لكونها ليست مما تتعلق الزكاة فيه بالحول فيجوز تعجيلها بعد دخول رمضان وهذا هو الصحيح، وفي وجه يجوز من أول يوم من رمضان لا من أول الليلة، وفي وجه يجوز قبل رمضان، وإذا لم يعجل يستحب أن لا يؤخر إخراجها عن صلاة العيد ويحرم تأخيرها عن يوم العيد، فإن أخّر قضى كذا في الروضة. وحكى في شرح المهذب جواز إخراجها بعد طلوع الفجر الأول من رمضان وبعده إلى آخر الشهر، ولا يجوز في الليلة الأولى لأنه لم يشرع بعد الصوم، والثاني أنه يجوز في جميع السنة اهـ.

وقال الولي العراقي: المشهور من مذاهب العلماء جواز تقديمها قبل الفطر، لكن اختلفوا في مقدار التقديم، فاقتصر أكثر الحنابلة على رواية ابن عمر في البخاري وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين، وقالوا: لا يجوز تقديمها بأكثر من يومين، وعند المالكية في تقديمها بيوم إلى ثلاثة قولان. وقال بعض الحنابلة: يجوز من بعد نصف الشهر كما يجوز تعجيل أذان الفجر والدفع من مزدلفة بعد نصف الليل، والمشهور عن الحنفية جواز تعجيلها من أول الحول وعندهم في ذلك خلاف فحكى الطحاوي عن أصحابهم جواز تعجيلها من غير تفصيل، وحكى أبو الحسن الكرخي جوازها يوماً أو يومين، وروى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال: يجوز تعجيلها سنة وسنتين، وروى هشام عن الحسن بن زياد أنه لا يجوز تعجيلها، وتمسك أكثرهم في جواز إخراجها في جميع الشهر بأنها حق مالي وجب لسببين: وهما رمضان والفطر منه، فيجوز تقديمها على أحدهما وهو الفطر، ولا يجوز عليهما معاً كما في زكاة المال يجوز تقديمها بعد ملك النصاب وقبل الحول. ومنع ابن حزم تقديمها قبل وقتها أصلاً وهو ضعيف، وحديث ابن عمر حجة عليه، والله أعلم.

(ومن أخَّر زكاة ماله مع التمكن) من الأداء **(عصى)** لأنه فوري عند الشافعي كما قدمنا. وبه قال أبو الحسن الكرخي من أصحابنا. قالوا: ولهذا يأثم بتأخير الزكاة بعد التمكن، وصرح به الحاكم الشهيد في المنتقى حيث قال: من ترك الزكاة حتى حال عليه الحولان فقد أساء وأثم اهـ.

وروي عن محمد بن الحسن ما يدل عليه، فإنه قال: من أخر الزكاة من غير عذر لا تقبل شهادته. وقال في الخلاصة: روى الفقيه أبو جعفر عن أبي حنيفة أنه قال: يكره أن يؤخر الزكاة من غير عذر، وكذا يكره أن يؤخر الحج، وهكذا ذكر أبو يوسف في الأمالي. والكراهة إذا أطلقت عندنا تنصرف إلى كراهة التحريم، فتبين بما ذكرنا أن الإثم بتأخير أداء الزكاة بعد التمكن منها قول أئمتنا الثلاثة، والإثم منوط بترك الواجب. فيكون وجوب الزكاة فورياً عندهم. وذهب أبو بكر الرازي المشهور بالجصاص: إلى أنه على التراخي لأن جميع العمر وقت للأداء، ولهذا لا يضمن بهلاك النصاب بعد التفريط أي التأخير البالغ. وذكر محمد بن شجاع عن

بمصادفة المستحق. وإن أخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكاة عنه. وتعجيل

أئمتنا مثل ذلك. وقال تاج الشريعة: هو المختار. وقال الشيخ ابن الهمام: والوجه المختار أن الأمر بالصرف إلى الفقير معه قرينة الفور وهي أنه لدفع حاجته وهي معجلة، والأمر المطلق وإن لم يقتض الفور لكن المعنى الذي عيناه يقتضيه وهو ظني، فتكون الزكاة فريضة وفوريتها واجبة فيلزم بتأخيرها من غير ضرورة الإثم، وما ذكر ابن شجاع عن أئمتنا أن الزكاة على التراخي يجب حمله على أن المراد بالنظر إلى دليل الافتراض أي دليل الافتراض لا يوجبها فوراً هو لا ينفي دليل الإيجاب. وقال شارح الدرر: قول ابن الهمام والوجه المختار لا يعارض ما مرّ عن تاج الشريعة من أن كونه على التراخي هو المختار، فإن كلام ابن الهمام في وجه الحكم لا في الحكم، وكلام تاج الشريعة في الحكم لا في وجه الحكم فتدبر اهـ.

ثم قال ابن الهمام: هذا ولا يخفى على من أمعن التأمل أن المعنى الذي قدمناه لا يقتضي الوجوب لجواز أن يثبت دفع الحاجة مع دفع كل مكلف متراخياً إذ بتقدير اعتبار الكل للتراخي وهو بعيد لا يلزم اتحاد زمن أداء جميع المكلفين فتأمل اهـ.

ثم قال المصنف رحمه الله: **(ولم تسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق)** من نحو المسكين أو السلطان. وقال في الوجيز: في تأخيرها وهو سبب الضمان والعصيان عند التمكن. قال الشارح: أي يدخل في ضمانه حتى لو تلف المال بعد ذلك لزمه الضمان سواء تلف بعد مطالبة الساعي أو الفقراء أو قبل ذلك، لأنه قصر بحبس الحق عن المستحق فلزمه ضمانه. وعند أبي حنيفة تسقط ولا ضمان إن كان التلف قبل المطالبة، وإن كان بعدها فلأصحابه اختلاف. وعبارة الوجيز: وإن تلف النصاب بعد الحول وقبل التمكن فلا زكاة. قال الشارح: أي لا شيء عليه كما لو دخل وقت الصلاة فعرض له جنون ونحوه قبل التمكن من فعلها، أو ملك الزاد والراحلة ولم يتمكن من فعل الحج.

وحكى صاحب الشامل عن أحمد: أنه لا تسقط الزكاة كما لو أتلفه اهـ. وإن أتلفه بنفسه بعد الحول وقبل التمكن لم تسقط عنه الزكاة باتلافه لتقصيره.

وعن مالك: إن لم يقصد بالإتلاف الفرار عن الزكاة سقط اهـ. وإن أتلفه غيره يبنى على أصل وهو أن الإمكان من شرائط الوجوب أو من شرائط الضمان إن قلنا بالأول فلا زكاة كما لو تلف قبل الحول، وإن قلنا بالثاني وقلنا مع ذلك الزكاة تتعلق بالذمة فلا زكاة أيضاً لأنه تلف قبل حصول شرط الاستقرار، وإن قلنا تتعلق بالعين انتقل حق المستحقين إلى القيمة.

وقال أبو حنيفة: إنه ليس إلا من شرائط الضمان لأنه لو أتلف المال بعد الحول لا تسقط عنه الزكاة، ولولا الوجوب لسقطت كما لو تلف قبل الحول، وبه قال الشافعي في القديم ومال إليه كثيرون من الأصحاب.

ثم أن إمكان الأداء يعتبر معه شيء آخر وهو وجوب الإخراج، وذلك بأن تجتمع شرائطه.

الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول. ويجوز تعجيل زكاة

فمنها: أن يكون المال حاضراً عنده فأما إذا كان غائباً فلا يوجب إخراج زكاته، وإن جوّزنا نقل الصدقات. ومنها ان يجد المصروف إليه والأموال على ما ذكر ظاهرة وباطنة، والباطنة يجوز صرف زكاتها إلى السلطان ونائبه، ويجوز أن يفرقها بنفسه فيكون واجداً للمصروف إليه سواء وجد أهل السهمان أو الإمام أو نائبه، وأما في الأموال الظاهرة فكذلك إن جوزنا له أن يفرق زكاتها بنفسه وإلاّ فلا إمكان حتى يجد الإمام أو نائبه **(وإن أخرها العدم)** وجدان **(المستحق)** ممن يجوز الصرف إليه من مسكين أو سلطان **(فتلف ماله سقطت الزكاة عنه)** ولو وجده، لكن أخرّ لطلب الأفضل، ففي جوازه وجهان، وذلك كما إذا وجد الإمام أو نائبه فأخر ليفرق بنفسه حيث قلنا انه أولى أو وجد أهل السهمان فأخر ليدفع إلى الإمام أو نائبه حيث قلنا انه أولى، أو أخر لانتظار قريب أو جار أو من هو أحوج إليه. أحد الوجهين أنه لايجوز التأخير لذلك، لأن المستحق حاضر والزكاة واجبة على الفور فلا تؤخر، وأظهرهما الجواز لأنه تأخير لغرض ظاهر وهو اقتناص الفضيلة فيسامح به، فعلى هذا لو أخر فتلف ماله هل تسقط عنه الزكاة ولا يضمن أم تسقط ويضمن؟ فيه وجهان. أحدهما: ما ذكره المصنف بقوله: سقطت الزكاة عنه أي ولا يضمن فهو كالتأخير بسائر الأسباب الجائزة، والثاني: لا تسقط.

قال الرافعي: وهو الأصح لأن الإمكان حاصل، وإنما يؤخر لغرض نفسه.

قلت: وهو المفهوم من سياق الوجيز حيث قال: فإن حضر مستحق فأخر لانتظار القريب أو الجار لم يعص على أحد الوجهين، ولكن جواز التأخير مقيد بشرط الضمان على أصح الوجهين.

(وتعجيل الزكاة جائز) في الجملة هذا هو الصواب المعروف، وبه قال أبو حنيفة، وأحمد. وحكى الموفق بن طاهر، عن أبي عبيد بن حربويه من أصحاب الشافعي منع التعجيل. قال النووي: وليس بشيء ولا تفريع عليه، ثم أن مال الزكاة ضربان: متعلق بالحول والنصاب وغير متعلق، فالأول أشار إليه المصنف بقوله: **(بشرط أن يقع)** أي ذلك التعجيل **(بعد كمال النصاب وانعقاد الحول)** خلافاً لمالك حيث قال لا يجوز. قال المسعودي: إلا أن يقرب وقت الوجوب بأن لم يبق من الحول إلا يوم أو يومان يقول مالك إن السبب هو المال النامي بكونه حولياً فلا يجوز التقديم على الحول كما لا يجوز التقديم على أصل النصاب، ولأن الأداء إسقاط للواجب عن ذمته ولا إسقاط قبل الوجوب فصار كأداء الصلاة قبل الوقت. ودليل الجماعة ما رواه أصحاب السنن من حديث علي رضي الله عنه «أن العباس سأل رسول الله ﷺ في تعجيل صدقته قبل أن تحل فرخص له».

وروى أبو داود الطيالسي من حديث أبي رافع أن النبي ﷺ قال لعمر «إنا كنا تعجلنا صدقة مال العباس عام الأول» وأيضاً فإن الزكاة حق مالي أجل رفقاً فجاز تعجيله قبل محله

كالدين المؤجل وككفارة اليمين قبل الحنث، فإن مالكاً سلم جواز التعجيل في الكفارة، ولا يجوز التعجيل قبل كمال النصاب. كما إذا ملك مائة درهم فعجل منها خمسة دراهم، أو ملك تسعاً وثلاثين شاة فعجل شاة ليكون المعجل عن زكاته إذا تَّم النصاب وحال عليه الحول، وذلك لأن الحق المالي إذا تعلق بسببين ووجد أحدهما يجوز تقديمه على الآخر لكن لا يجوز تقديمه عليهما جميعاً، وهذا في الزكاة العينية. أما إذا اشترى عرضاً للتجارة يساوي مائة درهم فعجل زكاة مائتين وحال الحول وهو يساوي مائتين جاز المعجل عن الزكاة على ظاهر المذهب، وإن لم يكن يوم التعجيل نصاباً لأن الحول منعقد والاعتبار في زكاة التجارة بآخر الحول.

(ويجوز تعجيل زكاة حولين). وعبارة الوجيز: وفي تعجيل صدقة عامين وجهان قال الشارح: أي لو عجل صدقة عامين فصاعداً فهل يجزىء المخرج عما عدا السنة الأولى؟ فيه وجهان. أحدهما نعم لما روي أنه ﷺ قال «تسلفت من العباس صدقة عامين» وبهذا قال أبو إسحاق. والثاني لا. والوجه الأول الأصح عند المصنف ذكره في الوسيط، وكذا قال الشيخ أبو محمد، وصاحب الشامل، والأكثرون على توجيه الوجه الثاني، ومنهم معظم العراقيين، وصاحب التهذيب، وحملوا الحديث على أنه تسلفها بدفعتين.

قلت: وهذا القول الثاني هو المشهور في مذهب الشافعي، ولذا قال أصحابنا في كتبهم، وقال الشافعي: لا يجوز التقديم إلاّ لسنة واحدة لأن حوله لم ينعقد بعد، ولهذا لا يجوز التعجيل قبل كمال النصاب. وعبارة أصحابنا: ولو عجل ذو نصاب لسنتين أو لنصب صّح، ومعنى قولهم: أو لنصب أن يكون عنده نصاب فيقدم لنصب كثيرة وليست في ملكه بعد، فإنه يجوز لأن حولها قد انعقد ولهذا يضم إلى النصاب فيزكي بحوله وفيه خلاف زفر هو يقول كل نصاب أصل بنفسه في حق الزكاة فيكون أداء قبل وجود السبب، ونحن نقول النصاب الأول هو الأصل وما بعده تابع له بدليل ما ذكرنا من الضم إليه.

فصل

وقال الشيخ الأكبر قدس سره في تقدم الزكاة قبل الحول: فمن العلماء من منع ذلك وبالمنع أقول ظاهراً لا باطناً، ومنهم من جوّز ذلك. أما اعتبار التجويز فقوله تعالى: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ [البقرة: ١١٠] وقوله ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقوله تعالى ﴿أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ [المؤمنون: ٦١] وقوله عليه السلام «فيمن أتى بالشهادة قبل أن يسألها فعظم ما فيها من الأجر على من أتى بالشهادة بعد أن طولب بادائها» وأما اعتبار المنع فإن الحكم للوقت فلا ينبغي أن يفعل فيه ما لا يقتضيه، وهنا دقائق من العلوم من علوم الأسماء الإلهية، وهل يحكم إسم في وقت سلطنة إسم آخر مع بقاء حكم صاحب الوقت، وهل يشتركان في الوقت الواحد فيكون الحكم لكل واحد

حولين. ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول أو ارتد أو صار غنياً بغير ما عجل إليه، أو تلف مال المالك، أو مات، فالمدفوع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع، فليكن المعجل مراقباً آخر الأمور وسلامة العاقبة.

من الأسماء حكم في وقته، وهل حكم الوقت هو الحاكم على الإسم فإن جعله يحكم لاستعداد المحكوم فيه الذي أعطاه الوقتُ فما وقع حكم إلا في وقته والله أعلم.

ثم شرع المصنف في بيان الطوارىء المانعة عن الاجزاء في المعجل، فالشرط في كون المعجل مجزئاً أما في القابض أن يبقى بصفة الاستحقاق إلى آخر الحول، وأما في المالك بأن يبقى بصفة وجوب الزكاة عليه إلى آخر الحول. أشار إلى الأول بقوله: **(ومهما عجل فمات)** المستحق القابض للزكاة وهو **(المسكين)** مثلاً **(قبل)** كمال **(الحول أو ارتد)** قبله كذلك **(أو صار غنياً بغير ما عجل)** أي دفع **(إليه)** على سبيل التعجيل، ومقتضاه إن استغنى بالمدفوع إليه أو به وبمال آخر لم يضر، فإن الزكاة إنما تصرف إليه ليستغني فلا يصير ما هو المقصود مانعاً من الاجزاء وإن استغنى بمال آخر كما أشار إليه المصنف لم يحسب المعجل عن الزكاة بخروجه عن أهلية أخذ الزكاة عند الوجوب، وإن عرض شيء في الحالات المانعة ثم زال وكان بصفة الاستحقاق عند تمام الحول ففيه وجهان: أحدهما: انه لا يجزىء المعجل كما لو لم يكن عند الأخذ من أهله، ثم صار عند تمام الحول فإنه لا يجزىء بلا خلاف، وأصحهما أنه يجزىء اكتفاء بالأهلية في طرف الوجوب والأداء. هذا ما يشترط في القابض.

وأشار إلى الثاني بقوله: **(أو تلف مال المالك)** جميعه أو باعه أو نقص عن النصاب **(أو مات)** وكذا لو ارتد. وقلنا: الردة تمنع وجوب الزكاة عليه، **(فالمدفوع)** في هذه الصور **(ليس بزكاة)** وهل يجب في صورة الموت عن زكاة الوارث؟ نقل عن نصه في الأم أن المعجل يقع عن الوارث، وإذا فرعنا على الصحيح الجديد أن الوارث لا يبني على حول الموروث فلا يجزىء المعجل عن الوارث لأنه مالك جديد، وذلك المعجل تقدم على النصاب والحول في حقه هذا هو الأظهر. ومنهم من قال يجزئه كما ذكر في الأم وهو جواب على أحد الوجهين في تعجيل صدقة عامين فيجعل السنة المستأنفة في حق الوارث كالسنة الثانية في حق المعجل.

ثم أشار المصنف رحمه الله إلى حكم الرجوع عند طرئان هذه الأحوال فقال: **(واسترجاعه)** أي من يد القابض **(غير ممكن إلا إذا قيد الدفع بالاسترجاع، فليكن المعجل مراقباً آخر الأمر وسلامة العاقبة)**. يعني إذا دفع الزكاة المعجلة إلى الفقير وقال: إنها معجلة فإن عرض مانع استرددت فله الاسترداد إن عرض مانع وإن اقتصر على قوله: هذه زكاة معجلة وعلم القابض ذلك ولم يذكر الرجوع، فهل له الاسترداد عند عروض ما يمنع ؟ وجهان. حكاهما الشيخ أبو محمد وغيره. أحدهما: لا لأن العادة جارية بأن المدفوع إلى الفقير لا يسترد، فكأنه ملكه بالجهة المعينة إن وجد شرطها، وإلا فهو صدقة، وصار كما لو صرح وقال هذه زكاتي المعجلة

....

فإن وقعت الموقع فذلك وإلاّ فهو نافلة، وهذا معنى قول المصنف: واسترجاعه غير ممكن. وأصحهما، ولم يذكر المعظم غيره أن له الرجوع لأنه عين الجهة، فإذا بطلت رجع.

قال صاحب الوجه الأول: وهذا مشكل بما إذا قال هذه الدراهم عن مالي الغائب وكان تالفاً فإنه يقع صدقة، ولا يتمكن من الرجوع إلا إذا شرط الرجوع بتقدير تلف الغائب. أجاب الصيدلاني بأنه إذا تعرض لكونها معجلة فقد تعرض للرجوع إن عرض مانع، وقد ظهر من هذا أن المصنف مشى على الوجه الأول تبعاً لوالد شيخه، ولو جرى الدفع من غير تعرض للتعجيل ولا علم القابض به، فهل يثبت الاسترداد؟ ظاهر نصه في المختصر أنه إن كان المعطي الإمام يثبت، وإن أعطى المالك بنفسه فلا يثبت، وللأصحاب فيه طريقان. أحدهما: تقرير النصين. والفرق أن المالك يعطي من ماله الفرض والتطوّع، فإذا لم يقع عن الفرض وقع تطوّعاً والإمام يقسم مال الغير فلا يعطي إلا الفرض، وكان مطلق دفعه كالمقيد بالفرض، وهذا هو الذي ذكره القاضي ابن كج وعامة العراقيين. والثاني: أنه لا فرق بين الإمام والمالك لأن الإمام قد يتصدق بمال نفسه كما يعرف مال الغير وبتقدير لا يقسم إلا الفرض، لكنه قد يكون معجلاً. وقد يكون في وقته، واختلف هؤلاء على طريقين أحدهما: تنزيل النصين على حالين حيث قال يثبت الرجوع فذلك عند وقوع تعرض التعجيل، وحيث قال لا يثبت فذلك عند إهماله. والثاني: أن فيهما قولين نقلاً وتخريجاً. أحدهما: إنه يثبت الرجوع كما لو دفع مالاً إلى غيره على ظن أن له عليه ديناً [1] فلم يكن له الاسترداد والثاني: لا يثبت لأن الصدقة تنقسم إلى فرض وتطوع، وإذا لم تقع فرضاً تقع تطوّعاً.

فإن قلنا: يثبت الاسترداد وإن لم يتعرض للتعجيل ولا علمه القابض لها. قال المالك: قصدت التعجيل ونازعه القابض، فالقول قول المالك مع اليمين، فإنه أعرف بنيته ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهته، ولو ادعى المالك علم القابض بأنها كانت معجلة، فالقول قول القابض لأن الأصل عدم العلم والغالب هو الأداء في الوقت.

وإن قلنا: لا يثبت الاسترداد عند عدم التعرض للتعجيل وعلم القابض، فلو تنازعا في أنه هل شرط الرجوع أو لا؟ ففيه وجهان. أحدهما: أن القول قول المالك مع يمينه لأنه المؤدي وهو أعرف بنيته، وأظهرهما ولم يذكر في العدة غيره أن القول قول المسكين مع يمينه لأن الأصل عدم الاشتراط، والغالب يكون الأداء في الوقت ولأنهما اتفقا على انتقال اليد والملك والأصل استمرارها.

---

(١) بياض في الأصل

الثالث: أن لا يخرج بدلاً باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه، فلا يجزىء ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وإن زاد عليه في القيمة. ولعل بعض من لا يدرك

تنبيه:

قال إمام الحرمين وغيره: لا يحتاج مخرج الزكاة إلى لفظ أصلاً بل يكفيه دفعها وهو ساكت، لأنها في حكم دفع إلى مستحق قال: وفي صدقة التطوّع تردد والظاهر الذي عليه الناس كافة أنه لا يحتاج إلى لفظ أيضاً.

فصل

وقال أصحابنا: لا استرداد في المعجلة وإن عرض مانع إلا إذا كان المال بعد في يد الإمام أو الساعي. وفي شرح الكنز المقدم: يقع زكاة إذا تم الحول والنصاب كامل، فإن لم يكن كاملاً فإن كانت الزكاة في يد الساعي يستردها، لأن يده يد المالك حتى يكمل به النصاب بما في يده، ويد الفقير أيضاً حتى تسقط عنه الزكاة بالهلاك في يده فيسترده منه إن كان باقياً ولا يضمنه إن كان هالكاً، والله أعلم.

الثالث من الأمور الخمسة **(أن لا يخرج بدلاً)** في الزكاة **(باعتبار القيمة بل يخرج)** الوارد في الحديث **(المنصوص عليه، فلا يجزىء ورق)** أي فضة بدلاً **(عن ذهب)** إذا وجبت فيه **(ولا ذهباً)** بدلاً **(عن ورق)** إذا وجبت فيه **(وإن زاد عليه في القيمة)** كما في الهدايا والضحايا، لأن الشرع أوجب علينا، والواجب ما لا يسع تركه ومتى ساغ غيره وسعه تركه فلا يكون واجباً وبه قال مالك وأحمد.

وقال أصحابنا: يجوز دفع القيمة في الزكاة والكفارة وصدقة الفطر والعشر والخراج والنذر، لأن الأمر بالأداء إلى الفقير إيجاب للرزق الموعود، فصار كالجزية بخلاف الهدايا والضحايا، فإن المستحق فيه إراقة الدم وهي لا تعقل، ووجه القربة في المتنازع فيه سدّ خلة المحتاج وهو معقول، ومما استدل به أصحابنا ما أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً في باب العرض في الزكاة ما نصه: قال طاوس. قال معاذ لأهل اليمن «ائتوني بعرض ثياب خميص وليس في الصدقة مكان الشعير والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب النبي ﷺ».

قلت: طاوس هو ابن ذكوان اليماني.

وهذا الأثر أخرجه يحيى بن آدم في كتاب الخراج، وخميص: اسم جنس جمعي واحده خميصة، وذكره على إرادة الثوب. قال الكرماني: هو كساء أسود مربع له علمان والمشهور بالسين المهملة. قال أبو عبيد: هو ما طوله خمسة أذرع وليس فعيل بمعنى ملبوس. وقوله خير الخ أرفق لأن مؤنة النقل ثقيلة فرأى الأخف في ذلك خيراً من الأثقل، فهذا صريح في جواز دفع القيم في الزكاة كما قاله أصحابنا.

قال ابن رشيد: والبخاري كثير المخالفة للحنفية لكن قاده إليه الدليل، وقد تكلموا على هذا الأثر بأوجه.

منها: أن طاوساً لم يسمع من معاذ فهو منقطع. والجواب: من وجهين أولاً أن البخاري أورده في معرض الاحتجاج، وهذا يقتضي قوته عنده، وثانياً نقل الحافظ ابن حجر في تخريج الرافعي عن الشافعي أنه قال: طاوس عالم بأمر معاذ، وإن لم يلقه لكثرة من لقيه ممن أدرك معاذاً وهذا مما لا أعلم من أحد فيه خلافاً اهـ.

ومنها: حكى البيهقي عن الإسماعيلي قال: قال بعضهم: فيه من الجزية بدل الصدقة، فإن ثبت فقد سقط الاحتجاج، ثم قال البيهقي هذا هو الأليق بمعاذ والأشبه بما أمره النبي ﷺ من أخذ الجنس في الصدقات، وأخذ الدينار أو عدله (١) ثياب اليمن في الجزية وأن يرد الصدقات إلى فقرائهم لا أن ينقلها إلى المهاجرين بالمدينة الذين أكثرهم أهل فيء لا أهل صدقة اهـ.

قلت: وهذا الذي حكاه الإسماعيلي عن بعضهم من لفظ الجزية غير مشهور عند المحدثين، ولو كان صحيحاً لذكر له سنداً، ولو ذكر له سنداً نظرنا فيه، لكنه لم يذكر. وكيف يكون ذلك جزية، وقد قال معاذ: مكان الذرة الشعير ولا مدخل لها في الجزية، وإنما أمره عليه السلام بأخذ الجنس لأنه هو الذي يطالب به المصدق، والقيمة إنما تؤخذ باختيارهم، وعلى هذا يحمل قوله ﷺ «الحب من الحب» الحديث. والمقصود من الزكاة سدّ خلة المحتاج، فالقيمة في ذلك تقوم مقام تلك الأجناس، فوجب أن تجوز عنها، وهذا كما عين ﷺ الأحجار للاستنجاء، ثم اتفق الجميع على جوازه بالخرق والخشب ونحوهما لحصول الإنقاء بها كما يحصل بالأحجار، وإنما عين ﷺ تلك الأجناس في الزكاة تسهيلاً على أرباب الأموال لأن كل ذي مال إنما يسهل عليه الإخراج من نوع المال الذي عنده كما جاء في بعض الآثار «أنه ﷺ جعل في الدية على أهل الحلل حللاً» ويجوز أن يريد معاذ نقل ما زاد عن فقرائهم، ومتى لم يوجد أهل السهمان في بلد نقلت الصدقة، والمراد بالمهاجرين الفقراء منهم كما تقول الزكاة حق المسلمين والمراد فقراؤهم. وذكر البيهقي حديث عطاء بن ياسر عن معاذ بعثه عليه السلام إلى اليمن فقال «خذ الحب من الحب والشاة من الغنم والبعير من الإبل».

قلت: وهذا مرسل وإمامه لا يحتج بالمراسيل لأن عطاء ولد سنة تسع عشرة فلم يدرك معاذاً لأنه توفي سنة ثمان عشرة في طاعون عمواس، ثم لو صح حديث عطاء فظاهره متروك لأن الشاة تؤخذ عن الإبل، وأيضاً لو أعطى بعيراً عن خمس من الإبل إلى عشرين جاز عند أصحاب الشافعي، مع أن المنصوص عليه الشياه.

فان قيل: إنما جوّزنا ذلك لأنه عليه السلام قال: «والبعير من الإبل». قلنا: فوجب أن يجوز

---

(١) بياض في الأصل

غرض الشافعي رضي الله عنه يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما أبعده عن التحصيل، فإن سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود، بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام:

قسم: هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والأغراض فيه، وذلك كرمي الجمرات مثلاً إذ لاحظ للجمرة في وصول الحصى إليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته ويفعل ما لا يعقل له معنى، لأن ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه إليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية، إذ العبودية تظهر بأن

عن خمس من الإبل بعير لا يساوي شاة، فلما لم يجز علمنا أنه بالقيمة، ومنهم من دفع أثر معاذ وقال: لا حجة فيه على أخذ القيم في الزكاة مطلقاً لأنه لحاجة علمها بالمدينة وأن المصلحة في ذلك، واستدل به على نقل الزكاة. وأجيب بأن الذي صدر من معاذ كان على سبيل الاجتهاد فلا حجة فيه، وعورض بأن معاذاً كان أعلم الناس بالحلال والحرام، وقد بين له النبي ﷺ لما أرسله إلى اليمن ما كان يصنع.

ثم إن المصنف رحمه الله أشار بالرد على من قصر نظره على المقصود من إخراج القيمة الذي هو سدّ خلة المحتاج، وأن وراء ذلك أمراً آخر بعيد الغور فهمه الشافعي فقال: **(ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعي)** رضي الله عنه في عدم اعتباره تجويز القيم **(يتساهل في ذلك ويلاحظ المقصود من سدّ خلة)** أي الاحتياج **(وما أبعده عن التحصيل)** لدرك أسرار مسائل الفقه، **(فإن سدّ الخلة مقصود)** في الجملة كما ذكروا **(وليس هو كل المقصود بل)** وراءه أمر آخر ينبغي الإحاطة بمعرفته، وبيان ذلك أن **(واجبات الشرع)** التي أوجبها الله على لسان الشارع ﷺ **(ثلاثة أقسام)** بالاستقراء.

(قسم: هو تعبد محض) غير معقول المعنى **(لا مدخل للحظوظ)** النفسية **(والأغراض)** الظاهرة **(فيه، وذلك كرمي الجمار مثلاً إذ لاحظ للجمرة في وصول الحصى إليها فمقصود الشرع في ذلك الابتلاء بالعمل)** أي الاختبار به **(ليظهر العبد رقّه وعبوديته)** أي خضوعه **(ويفعل ما لا يعقل له معنى)** هذا بالنسبة إلى قاصر النظر على ظواهر الأحكام، ولكن من تعدى هذا الطور وأعطي منحاً إلهية فإنه يعقل لرمي الجمار معنى غريباً غير ما يعرفه القاصرون، وكذا سائر المتعبدات الشرعية التي يحكم عليها أهل الظاهر بأنه تعبدي فله معنى معقول عند أهل الباطن، كما سيأتي بيان ذلك على التفصيل في كتاب الحج إن شاء الله تعالى. **(لأن ما يعقل معناه)** بأي وجه كان **(قد يساعد الطبع)** الإنساني **(عليه ويدعو إليه)** ويحمله على العمل به **(فلا يظهر به خلوص الرق والعبوديه)** لا يتم كمال الخضوع المأمور به، **(إذ العبودية)** المحضة **(تظهر بأن تكون الحركة بحق أمر من الله)**

تكون الحركة لحق أمر المعبود فقط لا لمعنى آخر. وأكثر أعمال الحج كذلك، ولذلك قال ﷺ في إحرامه: «لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقاً» تنبيهاً على أن ذلك إظهار للعبودية بالانقياد لمجرد الأمر وامتثاله كما أمر من غير استئناس العقل منه بما يميل إليه ويحث عليه.

القسم الثاني: من واجبات الشرع. ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المغصوب فلا جرم لا يعتبر فيه فعله ونيته. ومهما وصل الحق إلى مستحقه بأخذ المستحق أو ببدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع. فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك في دركهما جميع الناس.

والقسم الثالث: هو المركب الذي يقصد منه الأمران جميعاً وهو حظ العباد

جل جلاله فقط (**لا لأمر آخر**) سواه. وهذه هي حقيقة العبودية والرق فلا يخطر بباله غير امتثال أمر الحق ولا يتسارع لسوى ذلك. (**وأكثر أعمال الحج كذلك**) أي من هذا القبيل يراعى فيه التعبد فقط. مثل الرمل في الطواف فإنه تعبد محض وأمثال ذلك ـ كما سيأتي تفصيله في موضعه ـ (**ولذلك قال ﷺ في**) حال (**إحرامه**) للحج: (**«لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقاً»**) قال العراقي: أخرجه البزار، والدارقطني في العلل من حديث أنس اهـ.

قلت: ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديثه أيضاً ولفظه «لبيك حجاً حقاً تعبداً ورقاً». (**تنبيها**) لمن في سنة الغفلة عن أسرار المعاني (**على أن ذلك**) منه صدر (**إظهاراً للعبودية بالانقياد لمجرد الأمر**) الشريف، (**وامتثاله كما أمر من غير استئناس العقل بما يميل إليه ويحث عليه**) وفيه تعليم لأمته كي يقتدوا به.

(**القسم الثاني: من واجبات الشرع. ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد**) أصلاً (**كقضاء دين الآدميين**) جمع آدمي المنسوب إلى آدم عليه السلام، والمراد بهم الناس. (**ورد المغصوب**) عرضاً أو متاعاً أو أرضاً أو حيواناً أو غير ذلك، (**فلا جرم**) أي البتة (**لا يعتبر فيه**) أي في مثله (**فعله ونيته**) لكونهما غير مقصودين بالذات، (**ومهما وصل الحق**) المطلوب (**إلى مستحقه**) أي صاحبه إما (**بأخذ المستحق**) أي ما كان يستحقه بعينه، (**أو ببدل عنه عند رضاه**) بذلك البدل أو العيب (**تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع**) عنه فلا يطالب بذلك الحق أبداً. (**فهذان قسمان لا تركيب فيهما**) بل كل منهما منفرد برأسه (**يشترك في دركهما جميع الناس**).

(**القسم الثالث: هو المركب الذي يقصد منه الأمران جميعاً**) باختلاف الاعتبارات (**وهو حظ العباد**) المعقول في نفسه (**وامتحان المكلف بالاستعباد**) أي الرق (**فيجتمع**

وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمي الجمار وحظ ردّ الحقوق. فهذا قسم في نفسه معقول، فإن ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغي أن ينسى أدق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب أجلاهما، ولعل الأدق هو الأهم والزكاة من هذا القبيل ولم يتنبه له غير الشافعي رضي الله عنه، فحظ الفقير مقصود في سد الخلة وهو جلي سابق إلى الأفهام، وحق العبد في اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج في كونها من مباني الإسلام. ولا شك في أن على المكلف تعباً في تمييز أجناس ماله وإخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته، ثم توزيعه على الأصناف الثمانية كما سيأتي والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير لكنه قادح في التعبد ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات. ومن أوضحها أن الشرع أوجب في خمس من الإبل شاة، فعدل

فيه) من ملاحظة القسمين **(تعبد رمي الجمار وحظ ردّ الحقوق، فهذا قسم في نفسه معقول)** بلا ريب، **(فإن ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين)** بالاعتبارين، **(ولا ينبغي)** مع ذلك **(أن ينسى أدق المعنيين)** فيه **(وهو التعبد والاسترقاق بسبب أجلاهما)** أي أجلى المعنيين، **(ولعل الأدق هو الأهم)** عند الخواص **(وما)** نحن فيه الذي هو **(الزكاة من هذا القبيل)** أي من أقسام القسم الثالث **(ولم يتنبه له غير)** فارس هذا الميدان الشم الأشم الإمام **(الشافعي)** رضي الله عنه **(فحظ الفقير)** أو المسكين **(مقصود في سدّ الخلة)** ودفع الاحتياج **(وهو جلي سابق إلى الافهام)** إذ لا يفهم من قوله: يؤخذ من أغنيائهم ويرد إلى فقرائهم إلا سد خلتهم، **(وحق التعبد في اتباع التفاصيل)** المذكورة **(مقصود للشرع باعتباره صارت الزكاة قرينة الصلاة)**، فما ذكرت الصلاة إلا وذكرت هي، ولذا قيل لها: أخت الصلاة، ومن هنا قال من قال:

أخت الصلاة هي الزكاة فلا تقـ ... س النص في هذي وتلك على السوا
قامت على التثمين نشأتها لذا ... حملت على التقسيم عرش الاستوا

ولذلك تقسم في ثمانية من الأصناف شرعاً وهو حكم من استوى، **(و)** صارت أيضاً قرينة **(الحج)** والصوم **(في كونها من مباني الإسلام)** الخمسة، **(ولا شك في أن على المكلف تعباً)** ومشقة **(في تمييز أجناس ماله وإخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته)** من الإبل والبقر والغنم والتقدير **(ثم توزيعه)** أي تقسيمه **(على الأصناف الثمانية)** المذكورة في الآية **(كما سيأتي)** من كل صنف ثلاثة. **(والتساهل فيه غير قادح في حظ الفقير، لكنه قادح في التعبد. ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع)** المذكورة في حديث معاذ **(أمور ذكرناها في كتب الخلاف من الفقهيات)** كالبسيط والوسيط. **(ومن أوضحها)**

من الإبل إلى الشاة ولم يعدل إلى النقدين والتقويم، وإن قدر أن ذلك لقلة النقود في أيدي العرب بطل بذكره عشرين درهماً من الجبران مع الشاتين فلِمَ لم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة؟ ولِمَ قدر بعشرين درهماً وشاتين، وإن كانت الثياب والأمتعة كلها في معناها، فهذا وأمثاله من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما في الحج، ولكن جمع بين المعنيين. والأذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا شأن الغلط فيه.

بياناً (**أن الشرع أوجب في**) كل (**خمس من الإبل شاة**) فيما أخرجه البخاري من حديث أنس الطويل وقد تقدم ذكره، (**فعدل من الإبل إلى الشاة**) وهما جنسان مختلفان، (**ولم يعدل إلى التعديل والتقويم**). والأصل في هذه المسألة هل يطهر الشيء بنفسه أو بغيره؟ فالأصل الصحيح أن النفس لا تطهر إلا بنفسه. هذا هو الحق الذي يرجع إليه، وإن وقع الخلاف في الصورة فالمراعاة إنما هو في الأصل. وقد تقدم في الاعتبارات. والقائل بالأوقاص يخرج من الذهب درهماً وليس الورق من صنف الذهب، كذلك الشاة تخرج في زكاة خمس من الإبل وليست من صنفها، وإنما لم يعدل إلى التقويم لكمال المناسبة بين الشاة والإبل بخلاف النقدين. (**وإن قدر أن ذلك لقلة النقود في أيدي العرب**) إذ ذاك، وكان الحيوان أسهل عليهم لأنه كان غالب أموالهم فلذلك وقع التعيين (**بطل بذكره عشرين درهماً في الجبران مع الشاتين**) على ما تقدم تفصيله، (**فلم لم يذكر في الجبران قدر النقصان من القيمة؟ ولم قدرّ بعشرين درهماً وشاتين إن كانت الثياب والأمتعة كلها في معناها؟**) وقد ذكر البيهقي مثل ذلك في السنن فقال: لا يؤدي فيما وجب إلا ما وجب عليه استدلالاً بالتنصيص على الواجب في كل جنس، ونقله في بعضه إلى بدل معين وتقديره الجبران في بعضه بمقدر مع اختلاف القيم باختلاف الزمان وافتراق المكان اهـ.

لكن يقال إنما وقع التعيين على الحيوان لأنه كان غالب أموالهم فكان أسهل عليهم، ثم نقلهم من بدل يقرب من الواجب غالباً، وجعل زيادة اليسير بمقابلة فضل الأنوثة، وذلك لا ينقص عن قيمة الواجب غالباً، والجبران في الصدقات محمول على ما إذا كانت القيمة لذلك، لأنه ﷺ لا يجحف بأرباب الأموال ولا يضر بالمساكين، ومعلوم بالضرورة أن المصدق إذا أخذ مكان حقة جذعة قيمتها عشرون درهماً ودفع عشرين درهماً فقد أضر بالفقراء، وإذا أخذ مكان حقة قيمتها عشرون درهماً بنت لبون وعشرين، فقد اجحف برب المال، فتأمل ذلك.

(**فهذا وأمثاله من التخصيصات يدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات**) الشرعية (**كما في**) أفعال (**الحج**) على ما سيأتي، (**ولكن جمع بين المعنيين**) الحظ المعقول والتعبد، (**والأذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات**) منهما لعدم تعديها عن طور الظاهر، (**فهذا مثار الغلط فيه**)، والحاصل أن الشافعي رضي الله عنه في هذه المسألة ومسألة

الرابع: أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر، فإن أعين المساكين في كل بلدة تمتد إلى أموالها، وفي النقل تخييب للظنون. فإن فعل ذلك أجزأه في قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف أولى، فليخرج زكاة كل مال في تلك البلدة ثم لا بأس أن يصرف إلى الغرباء في تلك البلدة.

التقسيم على الأصناف شدد نظراً إلى أدق المعنيين، وأبو حنيفة رحمه الله نظر إلى وجه القربة في المتنازع فيه فخفف تسهيلاً على الأمة، وفي بعض مسائل هذا الباب شدد أبو حنيفة وخفف الشافعي فرجع الأمر إلى مرتبتي الميزان، فالأولى بالمصنف أن يقول: فهذا مثار الخلاف فيه كما لا يخفى، وكلهم مرضيون هداة مثابون على اجتهادهم وحسن نظرهم، فرضي الله عنهم وأرضاهم عنا.

(**الرابع**) من الأمور الخمسة (**أن لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر**) مع وجود المستحقين سواء كان النقل إلى مسافة أو دونها، (**فإن أعين المساكين**) والفقراء (**في بلدة تمتد إلى أموالها**) فينبغي تفريقها عليهم، (**وفي النقل تخييب للظنون فإن فعل ذلك أجزأه في قول**)، وفي قول لا يجزىء وهو الأظهر، وفي المراد بهما طرق أصحها أن القولين في سقوط الفرض ولا خلاف في تحريمه، والثاني: أنهما في التحريم ولا خلاف أنه يسقط، ثم قبل هذا في النقل إلى مسافة القصر فما فوقها، فإن نقل إلى دونها جاز، والأصح طرد القولين، وإذا أوصى للفقراء والمساكين وسائر الأصناف أو وجبت عليه كفارة أو نذر فالمذهب في الجميع جواز النقل لأن الأطماع لا تمتد إليها امتداد الزكاة. (**ولكن الخروج عن شبهة الخلاف أولى**) للمريد في طريق الآخرة، (**فليخرج زكاة كل مال في تلك البلد**) فلو كان المال ببلد والمالك ببلد، فالاعتبار ببلد المال لأنه سبب الوجوب ويمتد إليه نظر المستحقين فيصرف العشر إلى فقراء بلد الأرض التي حصل منها العشر وزكاة النقدين، والمواشي والتجارة إلى فقراء البلد التي تم فيه حولها، ولو كان المال في بادية صرف إلى فقراء أقرب البلاد إليه، ولو كان تاجراً مسافراً صرفها حيث حال الحول وإن كان ماله في مواضع متفرقة قسم زكاة كل طائفة من ماله ببلدها ما لم يقع تشقيص، (**ثم لا بأس أن يصرف إلى الغرباء**) الطارئين (**في تلك البلدة**) وليسوا من أهلها.

اعلم أن أرباب الأموال صنفان: أحدهما: المقيمون في موضع لا يظعنون فعليهم صرف زكاتهم إلى من في موضعهم من الأصناف سواء فيه المقيمون والغرباء. الثاني: أهل الخيام الطائفون في البلاد دائماً، فعليهم أن يصرفوها إلى من معهم من الأصناف، فإن لم يكن معهم مستحق نقلوه إلى أقرب البلاد إليهم عند تمام الحول والله أعلم.

وأخرج أبو داود، وابن ماجه من طريق إبراهيم بن عطاء مولى عمران بن حصين عن أبيه أن زياداً أو بعض الأمراء بعث عمران بن حصين على الصدقة، فلما رجع قال لعمران: أين المال؟ قال: وللمال أرسلتني. أخذناها من حيث كنا نأخذها على عهد رسول الله ﷺ، ووضعناها حيث كنا نضعها على عهد رسول الله ﷺ.

الخامس: أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين في بلده، فإن استيعاب الأصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾. الآية [التوبة: ٦٠] فإنه يشبه قول المريض إنما ثلث مالي للفقراء والمساكين، وذلك يقتضي التشريك في التمليك والعبادات ينبغي أن يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر. وقد عدم من الثمانية صنفان في أكثر البلاد: وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكاة. ويوجد في جميع البلاد أربعة أصناف: الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون ـ أعني أبناء السبيل ـ وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمكاتبون.

وقال أبو حنيفة: يكره نقل الزكاة من بلد إلى بلد إلا أن ينقلها إلى قرابة له محاويج أو قوم هم أمس حاجة من أهل بلده فلا يكره.

وقال مالك: لا يجوز إلا أن يقع بأهل بلد حاجة فينقلها الإمام إليهم على سبيل النظر والاجتهاد.

وقال أحمد في المشهور عنه لا يجوز نقلها إلى بلد آخر تقصر فيها الصلاة إلى قرابته أو غيرهم ما دام يجد في بلده من يجوز دفعها إليهم، وأجمعوا على أنه إذا استغنى أهل بلدة عنها جاز نقلها إلى من هم أهلها.

(**الخامس: أن يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين في بلده فإن استيعاب الأصناف واجب**) عند القدرة عليهم سواء فرق بنفسه أو فرق الإمام، (**وعليه**) أي على وجوب الإستيعاب (**يدل ظاهر قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ الآية [التوبة: ٦٠] فإنه شبيه قول المريض: إنما ثلث مالي للفقراء والمساكين**). أضاف جميع الصدقات إليهم بلام التمليك، والشرك بينهم بواو التشريك. (**وذلك يقتضي التشريك في التمليك**) وفيه تحقيق وتأكيد وحصر يقتضي حصر جنس الصدقات على الأصناف المعدودة ولأنها مختصة بهم لا تتجاوز إلى غيرهم، لأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم. (**والعبادات ينبغي أن يتوقى**) أي يتحفظ (**عن الهجوم فيها على الظواهر، وقد عدم من**) الأصناف (**الثمانية في أكثر البلاد صنفان: وهم المؤلفة قلوبهم، والعاملون على الزكاة**) وفيه تفصيل يأتي في الفصل الثالث. (**ويوجد في جميع البلاد أربعة أصناف**) وهم: (**الفقراء والمساكين، والغارمون**) وهم المدينون، (**والمسافرون أعني أبناء السبيل وصنفان يوجدان في بعض البلاد دون بعض وهم الغزاة**) تفسير لقوله ﴿وفي سبيل الله﴾ [التوبة: ٦٠] (**والمكاتبون**) تفسير لقوله: ﴿وفي الرقاب﴾ [التوبة: ٦٠] عند الكل سوى مالك كما سيأتي.

فإذا قلنا: بإسقاط العامل فرق على سبعة سواء فرق بنفسه أو الإمام، وحكي قول إذا فرق بنفسه سقط أيضاً نصيب المؤلفة وفيه تفصيل يأتي، ومتى فقد صنف أو أكثر قسم المال على

فإن وجد خمسة أصناف مثلاً قسم بينهم زكاة ماله بخمسة أقسام متساوية أو متقاربة وعين لكل صنف قسماً، ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقه إما متساوية أو متفاوتة، وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فإن له أن يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد. وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغي أن ينقص في كل صنف عن ثلاثة إن وجد. ثم لو لم يجب إلا صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف

الباقين، فإن لم يوجد أحد من الأصناف حفظت الزكاة حتى يوجدوا أو يوجد بعضهم، وإذا قسم الإمام لزمه استيعاب آحاد كل صنف، ولا يجوز الاقتصار على بعضهم لأن الإستيعاب لا يتعذر عليه، وليس المراد أنه يستوعبهم بزكاة كل شخص، بل يستوعبهم من الزكوات الحاصلة في يده، وله أن يخص بعضهم بنوع من المال وآخرين بنوع، فإن قسم المالك فإن أمكنه الإستيعاب بأن كان المستحقون في البلد محصورين يفي بهم المال، فقد أطلق في التتمة أنه يجب الإستيعاب، وفي التهذيب يجب إن لم نجوز نقل الصدقة وإلا فيستحب وإن لم يمكن سقط الوجوب والاستحباب اهـ.

(**فإن وجد خمسة أصناف**) من الثمانية (**مثلاً قسم بينهم زكاة ماله**) إن وفت وإلا فمن الزكوات كما تقدم (**بخمسة أقسام متساوية، وعين لكل صنف قسماً، ثم قسم كل قسم ثلاثة أسهم فما فوقها إما متساوية أو متفاوتة، وليس عليه التسوية بين آحاد النصف**) سواء استوعبوا أو اقتصر على بعضهم فلا يجب، (**فله أن يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد**)، لكن إذا تساوت الحاجات يستحب التسوية. (**وأما الأصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان**) وإن كانت حاجة بعضهم أشد فالتسوية بينهم واجبة، إلا أن العامل لا يزاد على أجرة عمله كما سيأتي ثم أن عدم وجوب التسوية بين آحاد الأصناف مقيد بما إذا قسم المالك. فأما إن قسم الإمام فلا يجوز تفضيل بعضهم على بعض عند تساوي الحاجات لأن عليه التعميم فلزمه التسوية، والمالك لا تعميم عليه فلا تسوية قاله صاحب التتمة.

قال النووي: وهذا التفصيل وإن كان قوياً في الدليل فهو خلاف مقتضى إطلاق الجمهور استحباب التسوية وحيث لا يجب الإستيعاب.

قال الأصحاب: يجوز الدفع إلى المستحقين من المقيمين في البلد والغرباء ولكن الموطنون أفضل لأنهم جيرانه. (**ولا ينبغي أن ينقص في كل صنف من ثلاثة إن وجد**) لأنه تعالى ذكرهم بلفظ الجمع، وأقل الجمع ثلاثة، فاقتضى أن يكون أقل ما يجزىء من كل صنف ثلاثة.

قال الرافعي: وإن لم يمكن الإستيعاب سقط الوجوب والاستحباب، لكن لا ينقص الذين ذكرهم الله تعالى بلفظ الجمع من الفقراء وغيرهم عن ثلاثة إلا العامل، فيجوز أن يكون واحداً وهل يكتفى في ابن السبيل بواحد؟ وجهان. أصحهما المنع كالفقراء قال بعضهم: ولا يبعد طرد الوجهين أي الوجوب والاستحباب في الغزاة لقوله تعالى: ﴿وفي سبيل الله﴾ بغير لفظ الجمع.

تنبيه:

إذا عدم في بلد جميع الأصناف وجب نقل الزكاة إلى أقرب البلاد إليه، فإن نقل إلى الأبعد فهو على الخلاف، وإن عدم بعضهم فإن كان العامل سقط سهمه وإن كان غيره، فإن جوزنا نقل الزكاة نقل نصيب الباقي وإلا فوجهان. أحدهما: ينقل وأصحهما يرد على الباقين.

فإن قلنا: ينقل فينقل إلى أقرب البلاد، فإن نقل إلى غيره أو لم ينقل ورده على الباقين ضمن، وإن قلنا لا ينقل فنقل ضمن، ولو وجد الأصناف فقسم فنقص سهم بعضهم عن الكفاية وزاد سهم بعضهم عليها فهل يصرف ما زاد إلى من نقص نصيبه أم ينتقل إلى ذلك النصف بأقرب البلاد؟ فيه هذا الخلاف. وإذا قلنا يرد على من نقص سهمهم رد عليهم بالتسوية، فإن استغنى بعضهم ببعض المردود قسم الباقي بين الآخرين بالسوية ولو زاد نصيب جميع الأصناف على الكفاية أو نصيب بعضهم ولم ينقص نصيب الآخرين نقل ما زاد إلى ذلك الصنف.

فصل

وقال مالك، وأبو حنيفة، وأحمد: يجوز وضع الصدقات في صنف واحد من الأصناف الثمانية، وعبارة أصحابنا: صاحب المال مخير إن شاء أعطى جميعهم، وإن شاء اقتصر على صنف واحد، وكذا يجوز أن يقتصر على شخص واحد من أي صنف شاء، وهو قول جماعة من الصحابة: عمر بن الخطاب، وعلي، وابن عباس، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان وآخرين. ولم يرو عن غيرهم من الصحابة خلاف ذلك، فكان إجماعاً كذا في شرح الكنز.

ورواه البيهقي في السنن عن عمر، وحذيفة وابن عباس من عدة طرق[1] وأعلاها ومن جملة تلك الطرق أنه أخرجه عن الحسن هو ابن عمارة، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس.

قلت: قد جاء هذا من وجه آخر رواه عبد الرزاق في مصنفه عن ابن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس قال: إذا وضعتها في صنف واحد من هذه الأصناف فحسبك، وقال الطحاوي، وابن عبد البر: لا نعلم لابن عباس وحذيفة في ذلك مخالفاً من الصحابة. وقال أبو بكر الرازي: روي ذلك عن عمر وحذيفة وابن عباس ولا يروى عن أحد من الصحابة خلافه.

ومما احتج به أصحاب الشافعي ما رواه أبو داود في سننه عن زياد بن الحرث العدائي قال: أتيت رسول الله ﷺ فبايعته، وذكر حديثاً طويلاً فأتاه رجل فقال أعطني من الصدقة فقال له رسول الله ﷺ: «إن الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك حقك» اهـ.

وقالوا إنه نص فيه، وقد أخرجه البيهقي كذلك وسكت عنه. قال المنذري في مختصر السنن: وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي، وقد تكلم فيه غير واحد اهـ.

---

(١) بياض في الأصل

....

وكذا ذكره صاحب التمهيد: أنه انفرد به وهو ضعيف، وضعفه البيهقي أيضاً في باب عتق أمهات الأولاد، وقال في باب فرض التشهد: ضعفه القطان، وابن مهدي، وابن معين، وابن حنبل وغيرهم ثم على التسليم بصحة هذا الحديث إنما جزأ الله ثمانية لئلا تخرج الصدقة عن تلك الأجزاء.

ومما احتج به أصحابنا قوله تعالى: ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خيرٌ لكم﴾ بعد قوله تعالى: ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي﴾ [البقرة: ٢٧١] وقد تناول جنس الصدقات وبين أن إتيانها إلى الفقراء لا غيرهم خير لنا ولا يقال أراد به نصيبهم، لأن الضمير عائد إلى الصدقات وهو عام يتناول جميع الصدقات.

وقال ﷺ لمعاذ حين وجهه إلى اليمن أعلمهم «أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم» رواه البخاري ومسلم.

وأخرج ابن جرير في التفسير، عن عمران بن عيينة، عن عطاء عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ [التوبة: ٦٠] الآية قال: في أي صنف وضعته أجزأك.

وعن جرير عن ليث، عن عطاء عن عمر بن الخطاب قال: أيما صنف أعطيته من هذا أجزأ عنك.

وعن حفص، عن ليث، عن عطاء، عن عمر أنه كان يأخذ الفرض من الصدقة فيجعله في صنف واحد.

وعن الحجاج بن أرطأة، عن المنهال بن عمر، وعن زيد بن حبيش عن حذيفة أنه قال: إذا وضعتها في صنف واحد أجزأك.

وأخرج نحو ذلك عن سعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رياح، وإبراهيم النخعي، وأبي العالية، وميمون بن عمران بأسانيد حسنة ولا يضرنا ضعف ليث هو ابن أبي سليم والحجاج في بعضها، فقد قوى بعض هذه الطرق بعضها.

وقد استدل ابن الجوزي في التحقيق بحديث معاذ السابق فقال: والفقراء صنف واحد، لكن رده الشيخ ابن الهمام وقال: هو غير صحيح، فإن ذلك المقام مقام إرسال البيان لأهل اليمن وتعليمهم، والمفهوم من فقرائهم من اتصف بصفة الفقر أعم من كونه غارماً أو غازياً، وسيأتي لذلك بقية في الفصل الثالث.

والجواب عما ذكره الشافعي أن «اللام» هنا للعاقبة، والمعنى: عاقبة الصدقات للفقراء لا للتمليك بمعنى أنها ملكهم، وقد تكون للاختصاص وهو أصلها واستعمالها في الملك لما فيه من الاختصاص، ولهذا لم يذكر الزمخشري في المفصل غير الاختصاص وجعلها للتمليك غير ممكن

هنا لأنهم غير معينين، ولا يعرف مالك غير معين في الشرع، وكذا الملك غير متعين حتى جاز له نقله إلى غير ذلك المال من جنسه بأن يشتري قدر الواجب من غيره فيدفعه إلى الفقراء، ولأنه لو كانت للملك لما جاز له أن يطأ جارية له للتجارة لمشاركة الفقراء فيها وهو خلاف الإجماع، ولأن بعضهم ليس فيه لام وهو قوله ﴿وفي الرقاب﴾ ﴿وفي سبيل الله﴾ ﴿وابن السبيل﴾ فلا يصح دعوى التمليك.

وقولهم: وقد ذكرهم بلفظ الجمع الخ لا يستقيم لأن الجمع المحلى بالألف واللام يراد به الجنس ويبطل معنى الجمع كقوله تعالى: ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ [الأحزاب: ٥٢] حتى حرمت عليه الواحدة، ولأن بعضهم ذكر باسم المفرد كابن السبيل، واشتراط الجمع فيه خلاف المنصوص، ولم يشترط هو في العامل أن يكون جمعاً والمذكور فيه بلفظ الجمع وهذا خلف. هذا ما قرره الزيلعي في شرح الكنز مع زيادات عليه.

وقرره ابن الهمام بوجه آخر فقال: حقيقة «اللام» الاختصاص الذي هو المعنى الكلي الثابت في ضمن الخصوصيات من الملك والاستحقاق، وقد يكون مجرداً، فحاصل التركيب إضافة الصدقات العام الشامل لكل صدقة متصدق إلى الأصناف العام كل منها الشامل لكل فرد فرد بمعنى أنهم أجمعين أخص بها كلها، وهذا لا يقتضي لزوم كون كل صدقة واحدة ينقسم إلى أفراد كل صنف، غير أنه استحال ذلك فلزم أقل الجمع منه، بل إن الصدقات كلها للجميع أعم من كون كل صدقة صدقة لكل فرد فرد، ولو أمكن أوكل صدقة جزئية لطائفة أو لواحد، وأما على اعتبار أن الجمع إذا قوبل بالجمع أفاد من حيث الاستعمال العربي انقسام الآحاد على الآحاد على نحو: ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ [نوح: ٧] وركب القوم دوابهم، فالإشكال أبعد حينئذ إذ يفيد أن كل صدقة لواحد، وعلى هذا الوجه فلا يفيد الجمع من كل صنف إلا أنهم صرحوا بأن المستحق هو الله سبحانه وتعالى، غير أنه أمر بصرف استحقاقه إليهم على إثبات الخيار للمالك في تعيين من يصرفه إليه، فلا تثبت حقيقة الاستحقاق لواحد إلا بالصرف إليه إذ قبله لا تعين له ولا استحقاق إلا لمعين، وجبر الإمام لقوم علم أنهم لا يؤدون على إعطاء الفقراء ليس إلا للخروج عن حق الله تعالى لا لحقهم. ثم رأينا المروي عن الصحابة نحو ما ذهبنا إليه، ثم ساق ما ذكرناه عن ابن جرير آنفاً، ثم قال: وقال أبو عبيد في كتاب الأموال: ومما يدل على صحة ذلك أن النبي ﷺ أتاه بعد ذلك مال فجعله في صنف واحد وهم المؤلفة قلوبهم: الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، وعلقمة بن علاثة، وزيد الخيل قسم فيهم الذهبية التي بعث بها معاذ من اليمن، وإنما تؤخذ من أهل اليمن الصدقة، ثم أتاه مال آخر فجعله في صنف آخر وهم: الغارمون فقال لقبيصة بن المخارق حين أتاه وقد تحمل حمالة «يا قبيصة أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها» وفي حديث سلمة بن صخر البياضي أنه أمر له بصدقة قومه، وأما الآية فالمراد بها بيان الأصناف التي يجوز الدفع إليهم، والله أعلم اهـ.

فعليه أن يوصله إلى خمسة عشر نفراً. ولو نقص منهم واحد مع الإمكان غرم نصيب ذلك الواحد. فإن عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم إليهم حتى يتساهموا فيه، فإن ذلك لا بدَّ منه.

بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة:

اعلم أن على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف.

ثم لما كان حكم صدقة الفطر كبقية الصدقات في جواز النقل ومنعه وفي وجوب استيعاب الأصناف قال المصنف رحمه الله: **(ثم لو لم يجب إلاّ صاع للفطرة ووجد خمسة أصناف)** من الثمانية **(فعليه أن يوصله إلى خمسة عشر نفراً)** منهم من كل صنف ثلاثة **(ولو نقص منهم واحد مع الإمكان)** أي القدرة **(غرم نصيب ذلك الواحد)**، فلو صرف ما عليه إلى إثنين مع القدرة على الثالث غرم للثالث، وفي قدره قولان: المنصوص في الزكاة أنه يقوم ثلث نصيب ذلك الصنف والقياس أنه يقوم قدراً لو أعطاه في الابتداء أجزأه لأنه الذي فرط فيه، ولو صرفه إلى واحد فعلى الأول يلزمه الثلثان، وعلى الثاني أقل ما يجوز صرفه، ولو لم يجد إلا دون الثلاثة من صنف يجب إعطاء ثلثه منه من وجد وهل يصرف باقي السهم إليه إذا كان مستحقاً أم ينقل إلى بلد آخر؟ الأول صححه نصر المقدسي ونقله عن نص الشافعي، **(وإن عسر عليه ذلك)** أي شقت عليه القسمة **(لقلة الواجب فليشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم إليهم)** ذلك **(حتى يتساهمون فيه)** أي يقتسمون بالسهام **(فإن ذلك لا بد منه)**.

ونقل الرافعي عن الاصطخري أنه قال: يجوز صرفها إلى ثلاثة من الفقراء، ويروى من الفقراء والمساكين، ويروى من أي صنف اتفق واختار أبو إسحاق الشيرازي جواز الصرف إلى واحد. قال النووي: اتفق المتأخرون على أن مذهب الاصطخري جواز الصرف إلى ثلاثة من المساكين أو الفقراء قال أكثرهم: وكذلك يجوز عنده الصرف إلى ثلاثة من أي صنف كان، وصرح المحاملي والمتولي بأنه لا يجوز عنده الصرف إلى غير المساكين والفقراء. قال المتولي: ولا يسقط به الفرض، واختار الروياني في الحلية صرفها إلى ثلاثة، وحكي اختياره عن جماعة من الأصحاب، والله أعلم.

بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة:

وما فيها من الاعتبار لمن يعتبره من أهله قال رحمه الله: **(اعلم أن على مريد طريق الآخرة بزكاته)** ان وجبت عليه **(وظائف)** ثمانية.

الوظيفة الأولى: فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وأنها لم جعلت من مباني الإسلام مع أنها تصرف مالي وليست من عبادة الأبدان وفيه ثلاثة معان.

الأول: أن التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بإفراد المعبود وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد، فإن المحبة لا تقبل الشركة، والتوحيد باللسان قليل الجدوى، وإنما يمتحن درجة المحب بمفارقة المحبوب والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم

(**الأولى: فهم وجوب الزكاة**) بالكتاب والسنة والإجماع شرعاً وعقلاً (**ومعناها**) الذي هو التطهير والتقديس والتنمية (**ووجه الامتحان**) من الله (**فيها وأنها لم جعلت من مباني الإسلام**) الخمسة (**مع أنها تصرف مالي وليس من عبادات الأبدان**) كقرنائها من الصلاة والحج والصوم، (**وفيه ثلاثة معان**) التزام العقد، والتطهير، والشكر، ويتعين على كل موجود ذلك واعتباره.

(**الأول**) من المعاني الثلاثة. اعلم أن (**التلفظ بكلمتي الشهادة**) الذي هو أول الأركان الخمسة المبني عليها الإسلام هو (**التزام للتوحيد**) الخالص (**وشهادة بإفراد المعبود**) على الشريك والشبيه وكل ما لا يليق به وهو مفاد إحدى الكلمتين (**وشرط تمام الوفاء به**) أي بهذا الالتزام، وفي بعض النسخ «بها» أي بتلك الشهادة (**أن لا يبقى للموحد**) في عقد ضميره (**محبوب**) يميل إليه (**سوى الواحد الفرد**) جل جلاله، (**فإن المحبة لا تقبل الشركة**) أي الاشتراك والمراد بها الاختيارية، وأما الاضطرارية فالإنسان مجبول فيها إلى ما يستلذه طبعاً ولا تكون المحبة كاملة حتى تكون مع المحبوب اضطراراً واختياراً، فحينئذ لا يخطر بباله شيء سواه وإن خطر ما عداه فيعده من جملة مظاهره وتعيناته، (**والتوحيد باللسان**) من غير عقد القلب على التفريد (**قليل الجدوى**) في حكم الأخرى وإن صين به عرضه ودمه في حكم الدنيا، (**وإنما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات**) والمستلذات النفيسة اضطراراً واختياراً (**والأموال**) التي جعلها الله نعماً بأصنافها (**محبوبة عند الخلق**) يميلون إليها بالطبع والاضطرار، وإنما قرنت بالأولاد في قوله: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ التساوي المحبة فيهما، ثم قال: ﴿والله عنده أجر عظيم﴾ [التغابن: ١٥] أي إذا رزأكم في شيء منها، والزكاة وإن كانت مطهرة من البخل فهي رزء في المال فله أجر المصاب وهو من أعظم الأجور. قال عيسى عليه السلام: إجعوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم في السماء، لأن قلب كل إنسان حيث ماله، وإنما سمي المال مالاً لميل النفوس إليه، وإنما مالت النفوس إلى الأموال (**لأنها آلة تمتعهم بالدنيا**) وبها تقضى حاجاتهم والإنسان مجبول على الحاجة لأنه فقير بالذات فمال إليها بالطبع الذي لا ينفك عنه، ولو كان الزهد في المال حقيقة لم يكن مالاً ولكان الزهد في الآخرة أتم مقاماً من الزهد في الدنيا وليس الأمر كذلك، ولكونها من الخيرات المتوسطة جاء في الخبر: نعم المال الصالح للرجل الصالح. وقال

وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقاً إلى لقاء الله عز وجل والمسامحة بالمال أهون. ولما فهم هذا المعنى

طلحة رضي الله عنه في دعائه: اللهم ارزقني مجداً ومالاً، فلا يصلح المجد إلا بالمال ولا يصلح المال إلا بمراعاة المجد. وقال بعضهم: الفقير مقصوص الجناح وذلك لأن المال للغني كالجناح للطائر يطير به كيف شاء، وكذلك الغني يدرك به لذات نفسه كيف شاء، بخلاف الفقير فإنه لا يقدر درك أوطاره، لذلك قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿وريشاً ولباس التقوى﴾ [الأعراف: ٢٦] أن المراد بالريش هنا المال، **(وبسببها)** أي تلك الأموال **(يأنسون بهذا العالم)** في تحصيل أغراضهم **(وينفرون عن الموت)** أشد النفرة حتى عن ذكره **(مع أن فيه)** أي الموت **(لقاء المحبوب)**، ولذا قيل: الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب، وفي الخبر: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، **(فامتحنوا بتصديق دعواهم)** بالمحبة **(في المحبوب فاستنزلوا عن)** خصم **(المال الذي هو مرموقهم)** أي منظورهم **(ومعشوقهم)** بالطبع .والصبر على فقد المحبوب من أعظم الصبر ولا يصبر عليه إلا مؤمن أو عارف، فإن الزاهد لا زكاة عليه لأنه ما ترك له شيئاً تجب فيه الزكاة، والعارف ليس كذلك لأنه يعلم أن فيه من حيث ما هو مجموع العالم من يطلب المال فيوفيه حقه فتجب عليه الزكاة من حيث ذلك الوجه وهو زاهد من وجه آخر، فالعارفون هم الكمل من الرجال فلهم الزهد والادخار والتوكل وإثبات الأسباب، ولهم المحبة في جميع العالم كله، ولا يقدح حبه للمال والدنيا في حبه لله والآخرة فإنه ما يحبه منه لأمر ما إلا ما يناسب ذلك الأمر من العوالم، **(ولذلك قال الله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله﴾)** الآية [١١١، من سورة التوبة] **(وذلك بالجهاد)** في سبيله **(وهو مسامحة بالمهجة)** أي النفس **(شوقاً إلى لقاء الله)** وإعلاء لكلمة الله **(والمسامحة بالمال أهون)** من مسامحة المهجة، وتحقيق هذا المقام أن الله تعالى أنزل النفوس من ذواتها منزلة الأموال، فجعل فيها الزكاة كما جعلها في الأموال قال: ﴿زكوا أموالكم﴾ وقال في النفس: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ [الشمس: ٩] وقد جعل فيها حكم البيع والشراء كما في هذه الآية. فجعل الشراء في الأموال والنفوس كذلك جعل الزكاة في الأموال والنفوس، فزكاة الأموال معلومة وقد ذكرت، وزكاة النفوس ببذلها في سبيل الله إعلاء لكلمة الله وشوقاً للقاء الله بجهاد كفار الظاهر والباطن، ولما كان بذل الأنفس في سبيل الله شديداً قدم ذكرها على الأموال تنبيهاً على علو مقامه وأوقع الشراء عليها قبل الأموال تنويهاً في شأنه ولزكاة النفوس تقرير آخر مبني على أصل أصيل فيه عبرة للمعتبر، وذلك أن الزكاة حق الله في المال والنفس ما هو حق لرب المال ولا النفس فنظرنا في النفس ما هو لها فلا تكليف عليها بزكاة وما هو لله بتلك الزكاة فنعطيه لله من هذه النفس لنكون من المفلحين بقوله: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ فإذا نظرنا إلى

في بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام: قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا ديناراً ولا درهماً، فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم: كم يجب من الزكاة في مائتي درهم؟ فقال: أما على العوام بحكم

عين النفس لذاتها من كونها عيناً ممكنة لذاتها لا زكاة عليها في ذلك، فإن الله لا حق له في الإمكان فإنه سبحانه واجب لذاته غير ممكن بوجه من الوجوه، ووجدنا هذه النفس قد اتصفت بالوجود فقلنا هذا الوجود هو لها لذاتها أم لا. فرأينا أن وجودها ليس هو عين ذاتها ولا هو لذاتها فنظرنا لمن هو فوجدناه لله كما وجدنا القدر المعين في مال زيد المسمى زكاة ليس من مال زيد، وإنما هو أمانة عنده، كذلك الوجود للنفس في هذه العين إنما هو أمانة عنده، فقلنا لهذه النفس هذا الوجود الذي أنت فيه ليس هو لك إنما هو لله فاخرجه لله وأضفه إلى صاحبه وابق أنت على إمكانك لا ينقصك شيء مما هو لك، وأنت إذا فعلت ذلك كان لك من الثواب عند الله والمنزلة ما لا يقدر قدر ذلك إلا الله تعالى وهو الفلاح الذي هو البقاء، فيبقي الله هذا الوجود لك لا يأخذه منك أبداً، فهذا معنى قوله: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ وهو بقاء خاص ببقاء الله تعالى، ومن هنا وجبت الزكاة في النفوس كما وجبت في الأموال ووقع فيها البيع والشراء كما وقع في الأموال.

فإن قلت: هذا الذي ذكرته في زكاة النفس يعارضه قوله تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ [النجم: ٣٢].

فالجواب أنه ليس معنى هذه الآية كما يقولون، وإنما المراد به أن الله تعالى لا يقبل زكاة من أضاف نفسه إليه أي إذا رأيتم أن أنفسكم لكم لا لي والزكاة إنما هي حقي وأنتم أمناء عليه، فإذا ادعيتم فيها فتزعمون أنكم أعطيتموني ما هو لكم ولمني سألتكم ما ليس لي والأمر على خلاف ذلك، فمن كان بهذه المثابة من العطاء فلا يزكي نفسه وينكشف الغطاء في الدار الآخرة، فتعلمون في ذلك الوقت هل كانت نفوسكم التي أوجبت الزكاة فيها لي أو لكم حيث لا تنفعكم معرفتكم بذلك فلا معارضة بين الآيتين، فالزكاة في النفوس آكد منها في الأموال ولهذا قدمها الله في الشراء فقال: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم﴾ ثم قال: ﴿وأموالهم﴾ فالعبد ينفق في سبيل الله نفسه وماله.

(**ولما فهم هذا المعنى في بذل المال انقسم الناس بحكم الأصل ثلاثة أقسام: قسم صدقوا في التوحيد ووفوا بعهدهم**) الذي عقدوا ضميرهم عليه (**ونزلوا عن جميع أموالهم**) لله تعالى ووضعوها في مواضعها (**فلم يدخروا ديناراً ولا درهماً، وأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم**) وهؤلاء مشهدهم رؤية الأفعال من الله، وأنه لا أمر للعبد فيها لأنه ما ثم ما يرد إلى الله فإنهم علموا أن الكل لله (**حتى قيل لبعضهم**) ممن هو في هذا المشهد: (**كم يجب في مائتي درهم**) ورق (**من زكاة؟ فقال: أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم**) وهو

الشرع فخمسة دراهم، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع، ولهذا تصدق أبو بكر رضي الله عنه بجميع ماله، وعمر رضي الله عنه بشطر ماله، فقال ﷺ: « ما أبقيت لأهلك » فقال: مثله. وقال لأبي بكر رضي الله عنه: « ما أبقيت لأهلك ؟ » قال: الله ورسوله. فقال ﷺ: « بينكما ما بين كلمتيكما ». فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك

ربع عشر المائتين، **(وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع)** أشار بذلك إلى مقامه الذي هو فيه، وقيل: المراد بالبعض هنا هو شيبان الراعي، وكان الشافعي، وابن حنبل يزورانه ويعتقدانه فسألاه يوماً عن الزكاة فقال لهما: على مذهبكم أو على مذهبنا إن كان على مذهبنا فالكل لله لا نملك شيئاً، وان كان على مذهبكم ففي كل أربعين شاة من الغنم شاة، وقد تقدم هذا للمصنف في كتاب العلم، وذكرنا هناك أن المحدثين لا يثبتون لقاء الإمامين به ويقدحون فيه، وقد أثبت ذلك جماعة من العارفين كأبي طالب المكي، والمصنف، والشيخ الأكبر، وذكر ذلك في عدة مواضع من كتبه الفتوحات المكية وكتاب الشريعة، وتقدم بعض هذه العبارة في سياق زكاة الأوقاص في الاعتبارات. **(ولهذا جاء أبو بكر رضي الله عنه)** إلى رسول الله ﷺ **(بجميع ماله، وعمر رضي الله عنه بشطر ماله، فقال النبي ﷺ «ماذا أبقيت لأهلك» فقال: مثله. وقال لأبي بكر: « ماذا أبقيت لأهلك» فقال: الله ورسوله)**. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححاه من حديث عمر إلاّ أنه ليس فيه **(فقال النبي ﷺ « بينكما ما بين كلمتيكما »)**.

قلت: لفظ أبي داود من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: « ما أبقيت لأهلك » قلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: « ما أبقيت لأهلك » قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً اهـ.

قلت: وروي عن يونس عن الحسن مرسلاً أنه قال لهما « ما بين صدقتكما كما بين كلامكما ».

وتحقيق هذا المقام أن العارفين بالله منهم من يكشف له عن حقيقة ما يعطي، فيقال له هذا ملكك فيقبله منه بالأدب والعلم في ذلك أنه ملك استحقاق لمن يستحقه ومن هو حق له، وملك أمانة لمن هو أمانة بيده، وملك وجود لمن هو موجود عنده، فالأشياء كلها ملك لله وجودي وهي للعبد بحسب الحال فما لا بد له في نفس الأمر من المنفعة به على التعيين فهو ملك استحقاق له وهو من الطعام والشراب بما يتغذى به في حين التغذي به مما يتغذى، لا مما يفضل عنه. ويخرج من سبيله وغير ذلك، ومن الثياب ما يقيه حر الهواء وبرده. وأما ما عدا هذا القدر فهو ملك أمانة بيده لمن يدفع به أيضاً ما وقع به هو عن نفسه مما ذكرنا حينئذ، فلا يخلو صاحب هذا

سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله. القسم الثاني: درجتهم دون درجة هؤلاء وهم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الإنفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البر

المقام إما أن يكون ممن كشف عن أسماء من هي له وهم أهل القسم الثاني، وسيأتي ذكرهم في الذي يليه، ومنهم من لا يكشف له ذلك فلا يعرف على التعيين ما هو رزقه من الذي هو عنده، فإذا كوشف فيعمل بحسب كشفه، فإن الحكم للعلم في ذلك، وإن لم يكاشف فالأولى أن يخرج عن ماله كله صدقة لله ورزقه لا بدّ أن يأتيه ثقة بما عند الله إن كان قد بقي له عند الله ما يستحقه وإن لم يبق له عند الله شيء فلا ينفعه إمساك ما هو ملك له شرعاً، فإنه لا يستحقه في نفس الأمر وهو تارك له وهو غير محمود. هذه أحوال العارفين.

وقد يخرج صاحب الكشف عن ماله كله عن كشف لأنه يرى عليه اسم الغير فلا يستحق منه شيئاً فتنبه بالصورة من خرج عن ماله كله من غير كشف، فإن لم يكن عنده ثقة بالله فيذمه الشرع إن لم يخرج من ماله كله، ثم بعد ذلك يسأل الناس الصدقة فمثل هؤلاء لا تقبل صدقته كما ورد في ذلك في حديث النسائي في الرجل الذي تصدق عليه بثوبين، ثم جاء رجل آخر يطلب أن يتصدق عليه أيضاً فألقى هذا المتصدق الأول أحد ثوبيه صدقة عليه، فانتهره رسول الله وقال «خذ ثوبك» فلم يقبل صدقته، فإذا علم من نفسه أنه لا يسأل ولا يتعرض، فحينئذ له أن يخرج عن ماله كله، ولكن يميز أن الأفضلية إن كان عالماً إذا لم يكن له كشف، فإن كان صاحب كشف عمل بحسب كشفه فينبغي للعالم بنفسه أن يعامل نفسه بما يعامله به الشرع الحاكم عليه، ولا ينظر المريد لما يخطر له في الوقت فيكون تحت حكم خاطره فيكون خطؤه أكثر من إصابته، وهنا يتميز العاقل العالم من الجاهل، لكن هذا كله ممن لا كشف له من أهل الله، وقد سكت رسول الله ﷺ عن أبي بكر رضي الله عنه لما أتاه بماله كله لمعرفته بحاله ومقامه وما قال له: هلا أمسكت لأهلك شيئاً من مالك، وإليه أشار المصنف بقوله: (**فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله**) ، وأثنى عليه عمر بذلك بحضرة النبي ﷺ ولم ينكره عليه، وقال لكعب بن مالك: أمسك بعض مالك، وكان كعب بن مالك قد انخلع من ماله كله صدقة لخاطر خطر له، فلم يعامله رسول الله ﷺ بخاطره وعامله بما يقتضيه حاله، فقال: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك».

(**القسم الثاني: درجتهم دون درجة هؤلاء وهم الممسكون أموالهم**) على طريق ملك استحقاق لمن يستحق من ذلك، وملك أمانة لم هو أمانة بيده، وملك وجود لمن هي موجودة عنه، (**المراقبون**) أي المنتظرون (**لمواقيت الحاجات**) الطارئة (**ومواسم الخيرات**) الدينية، (**فيكون قصدهم في الادخار**) والإمساك (**الإنفاق**) أي الصرف على نفسه بما لا بد في نفس الأمر من المنفعة به (**على قدر الحاجة**) من الطعام والشراب واللباس (**دون التنعم**) بالزائد على القدر الضروري (**وصرف**) معطوف على قوله الإنفاق أي وقصدهم بالادخار أيضاً

مهما ظهر وجوهها، وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة. وقد ذهب جماعة من

صرف **(الفاضل)** منه **(عن الحاجة إلى وجوه البر مهما ظهرت وجوهها)** أي هو بيده ملك أمانة لمن يدفع به أيضاً ما دفع هو عن نفسه. **(وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة)** وهم ممن كشف له عن أسماء أصحاب الأشياء مكتوبة عليها فيمسكها لهم حتى يدفعها إليهم في الوقت الذي قدره الحكم وعينه، فيفرق بين ما هو له فيسميه ملك استحقاق لأن اسمه عليه وهو يستحقه، وبين ما هو لغيره فيسميه ملك أمانة لأن اسم صاحبه عليه والكل بلسان الشرع ملك له في الحكم الظاهر وتحقيق هذا المقام أن من شحّ النفس الأدون والشبهة لها إلى وقت الحاجة فإذا تعين المحتاج كان العطاء على هذا أكثر نفوس الصالحين.

وأما العامة، وهم أهل القسم الثالث فلا كلام لنا معهم، وإنما نتكلم مع أهل الله العارفين على طبقاتهم، والقليل من أهل الله من يطلب على أهل الحاجة حتى يوصل إليهم ما بيده فرضاً كان أو تطوّعاً، فالفرض من ذلك قد عين الله أصنافه ورتبه على نصاب وزمان معين، والتطوّع من ذلك لا يقف عند شيء، فإن التطوّع إعطاء ربوبية فلا يتقيد، والفرض إعطاء عبودية فهو بحسب ما يرسم له سيده وإعطاء العبودية أفضل، فإن الفرض أفضل من النفل، وأين عبودية الاضطرار من عبودية الاختيار. وهذا الصنف قليل في الصالحين وشبهتهم انا لم نكلف الطلب عليهم والمحتاج هو الطالب، فإذا تعين بالحال أو بالسؤال أعطيته والذين هم فوق هذه الطبقة التي تعطي على حد الاستحقاق منهم أيضاً أعلى من هؤلاء، وهم الذين يعطون ما بيدهم كرماً إلهياً وتخلقاً فيعطون المستحق وغير المستحق، وهو من جهة الحقيقة الآخذية لأنه ما أخذ إلا بصفة الفقر والحاجة لا بغيرهما، سواء كانت العطية ما كانت من هدية أو وصية أو غير ذلك من أصناف العطايا، فما أعطى إلا غني عما أعطاه سواء كان لغرض أو عوض، ولو ما كان غنياً عما أعطى وما أخذ إلا مستحق أو محتاج لما أعطي لغرض أو عوض أو بما كان فافهم فإنه دقيق.

ثم أهل البصائر الذين يراقبون مواقيت الحاجات فيدخرون [1] للشبهة التي وقعت لهم، فمنهم من يدخر على بصيرة، ومنهم من لا على بصيرة وهؤلاء لا نسلم لهم ادخارهم لأنه لا عن بصيرة وليس من أهل الله، فإن أهل الله هم أصحاب البصائر والذي عن بصيرة لا يخلو إما أن يكون من أمر إلهي يقف عنده ويحكم عليه أو لا عن أمر إلهي، فإن كان عن أمر إلهي فهو عبد محض لا كلام لنا معه فإنه مأمور، وكان في هذا المقام القطب عبد القادر الجيلي قدس سره والله أعلم لما كان عليه من التصرف في العالم وإن لم يكن عن أمر إلهي فإما أن يكون عن اطلاع أن هذا القدر المدخر لفلان لا يصل إليه إلا على يده هذا فيمسكه لهذا الكشف وهو أن عين وجوه عبد القادر وأمثاله وإما أن يعرف أنه لفلان ولكنه لم يطالع على أنه على يده أو على يد غيره فإمساك مثله لشح في الطبيعة بالموجود، ويحتجب عن ذلك بكشفه من هو صاحبه فينبغي

---

(١) بياض في الأصل.

التابعين إلى أن في المال حقوقاً سوى الزكاة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد . قال الشعبي ، بعد أن قيل له : هل في المال حق سوى الزكاة ؟ قال : نعم ، أما سمعت قوله عز وجل ﴿ وآتى الْمَالَ عَلَى حُبِّه ذَوي القُربَى ﴾ [البقرة : ١٧٧] الآية ، واستدلوا بقوله عز وجل : ﴿ ومما

لمثل هذا أن لا يدخر ، ولقد انصف أبو السعود ابن الشبل حيث قال : نحن تركنا الحق يتصرف لنا فلم يزاحم الحضرة الإلهية ، فلو أمر وقف عند الأمر أو عين له وقف عند التعيين وفيه خلاف ، فإن من الرجال من عين لهم أن ذلك المدخر لا يصل إلى صاحبه إلا على يده في الزمن الفلاني المعين ، فمنهم من يمسكه إلى ذلك الوقت ، ومنهم من يقول : ما أنا حارس أن أخرجه عن يدي إذ الحق تعالى ما أمرني بإمساكه ، فإذا وصل الوقت يرده إلى يدي حتى أوصله إلى صاحبه وأكون ما بين الزمانين غير موصوف بالادخار ، لأني خزانة الحق ما أنا خازنه إذ قد تفرغت إليه وفرغت نفسي إليه لقوله : وسعني قلب عبدي فلا أحب أن يزاحمه في تلك السعة أمر ليس هو ، فاعلم ذلك فقد نبهتك على أمر عظيم في هذه المسألة فلا تصح الزكاة من عارف إلا إذا ادخر عن أمر إلهي أو كشف محقق معين أنه ما سبق في العلم أن يكون لهذا الشيء خازناً غيره ، فحينئذ يسلم له ذلك وما عدا هذا فإنما يزكي من حيث ما تزكي العامة ، والله أعلم .

(وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن في المال حقوقاً سوى الزكاة) الواجبة **(كالنخعي)** إبراهيم بن زيد ، **(والشعبي)** عامر بن شراحيل **(وعطاء ، ومجاهد)** هكذا ساقهم صاحب القوت .

أما النخعي : فأخرج أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف عن حفص عن الأعمش عنه قال : كانوا يرون في أموالهم حقاً سوى الزكاة .

و **(قال الشعبي)** فيما رواه ابن أبي شيبة عن ابن فضيل عن بيان عنه **(لما قيل له هل لك في المال حق سوى الزكاة؟ قال: نعم أما سمعت قوله تعالى: ﴿وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب﴾ الآية [البقرة: ١٧٧])** وفي بعض النسخ **(وآتى المال على حبه)** الآية ولم يذكر تمامها ، وهكذا هو في القوت .

وأما قول عطاء : فأخرجه ابن أبي شيبة عن ابن علية ، عن ابن أبي حيان ، حدثنا مزاحم بن زفر قال : كنت جالساً عند عطاء فأتاه اعرابي فسأله أن لي إبلاً فهل عليَّ فيها حق بعد الصدقة ؟ قال : نعم .

وأما قول مجاهد ، فرواه ، عن وكيع ، عن سفيان ، عن منصور وابن أبي نجيح عن مجاهد : في أموالهم حق معلوم قال سوى الزكاة ، وقد روي ذلك أيضاً عن الحسن رواه عبد الأعلى عن هشام عن الحسن قال : في المال صدقة سوى الزكاة ، وقد روي عن ابن عمر رواه عن معاذ ، حدثنا حاتم بْن أبي صغيرة ، حدثنا رباح بن عبيدة ، عن قزعة قال : قلت لابن عمر إن لي مالاً فما

رَزَقْنَاهُم يُنْفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٣] وبقوله تعالى: ﴿وأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [المنافقون: ١٠] وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة، بل هو داخل في حق المسلم على المسلم،

تأمرني إلى من أدفع زكاته؟ قال ادفعها إلى ولي القوم يعني الأمراء، ولكن في مالك حق سوى ذلك يا قزعة.

تنبيه:

قد ورد: ليس في المال حق سوى الزكاة. قال الحافظ في تخريج الرافعي: رواه ابن ماجه والطبراني من حديث فاطمة بنت قيس، وفيه أبو حمزة ميمون الأعور راويه عن الشعبي عنها وهو ضعيف. وقال ابن دقيق العيد في الإمام: كذا هو في النسخة من روايتنا عن ابن ماجه، لكن روى الترمذي بالإسناد الذي أخرجه منه ابن ماجه بلفظ: إن في المال حقاً سوى الزكاة، وقال: إسناده ليس بذاك، ورواه بيان وإسماعيل بن سالم عن الشعبي قوله وهو أصح. وقال البيهقي: أصحابنا يذكرونه في تعاليقهم ولست أحفظ له إسناداً، وروي في معناه أحاديث منها ما رواه أبو داود في المراسيل عن الحسن مرسلاً «من أدى زكاة ماله فقد أدى الحق الذي عليه ومن زاد فهو أفضل» وروى الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً «إذا أديت الزكاة فقد قضيت ما عليك» وإسناده ضعيف، ورواه الحاكم من حديث جابر مرفوعاً وموقوفاً بلفظ «إذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شره» قال: وله شاهد صحيح عن أبي هريرة اهـ كلام الحافظ.

قلت: حديث أبي هريرة قال فيه الترمذي حسن غريب والحاكم في مستدركه وقال صحيح من حديث المصريين. وقال الحافظ العراقي: هو على شرط ابن حبان في صحيحه، وحديث جابر المذكور صححه الحاكم على شرط مسلم، ورجح البيهقي وقفه على جابر، وكذا صحح أبو زرعة وقفه على جابر بلفظ «ما أدى زكاته فليس بكنز».

(فاستدلوا) أي هؤلاء الذين يقولون: إن في المال حقاً سوى الزكاة **(بقوله تعالى ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الأنفال: ٣] وبقوله تعالى: ﴿وانفقوا مما رزقناكم﴾ [المنافقون: ١٠] وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة)**.

ولفظ القوت: وقد كان المؤمنون يرون المواساة والقرض والقيام بمؤن العجزة عن أنفسهم وأهليهم من المعروف والبر والإحسان، وأن ذلك واجب على المتقين وعلى المحسنين من أهل اليسار والمعروف، وكذلك مذهب جماعة من أهل التفسير أن قوله عز وجل: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ وقوله ﴿وانفقوا مما رزقناكم﴾ ما هو مأمور به وان ذلك غير منسوخ بآية الزكاة، **(بل هو داخل)** ولفظ القوت: وأنه داخل **(في حق المسلم على المسلم)** وواجب لحرمة الإسلام ووجود الحاجة اهـ لفظ القوت.

وكان مسروق يقول في قوله عز وجل: ﴿سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾ هو الرجل يرزقه الله المال فيمنع الحق الذي فيه فيجعل حية يطوّقها. قال ابن عبد البر: وهذا ظاهره غير

ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجاً أن يزيل حاجته فضلاً عن مال الزكاة، والذي يصح في الفقه من هذا الباب أنه مهما أرهقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية إذ لا يجوز تضييع مسلم، ولكن يحتمل أن يقال ليس على الموسر إلا تسليم ما يزيل الحاجة قرضاً ولا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه، ويحتمل أن يقال يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقتراض أي لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض، وهذا مختلف فيه. والاقتراض نزول إلى الدرجة الأخيرة من درجات العوام، وهي درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه وهي أقل الرتب، وقد

الزكاة، ويحتمل أنه الزكاة قال: وسائر العلماء من السلف والخلف على أن المال إذا أدى زكاته فليس بكنز، وما استدل به من الأمر بإنفاق الفضل فمعناه على الندب أو يكون قبل نزول فرض الزكاة، ونسخ بها كما نسخ صوم عاشوراء بصوم رمضان، وعاد فضيلة بعد أن كان فريضة.

ثم قال المصنف رحمه الله: **(ومعناه أنه يجب على الموسر)** أي الغني **(مهما وجد محتاجاً أن يزيل حاجته)** في الحال **(فضلاً عن مال الزكاة)** أي بما زاد عنه، **(والذي يصح في الفقه)** ويتعلق به نظر الفقيه في تفريع الأحكام **(من هذا أنه مهما أرهقت الحاجة)** أي اشتدت ولزمت **(كانت إزالتها)** عن المحتاج **(فرضاً على الكفاية)** إن قام بها بعض سقط عن آخرين **(إذ لا يجوز تضييع مسلم)**وقد أوجب الله حقه على أخيه المسلم، **(ولكن يحتمل أن يقال ليس على الموسر الا تسليم ما يزيل الحاجة فرضاً)** أي بطريق الفرض، **(ولا يلزم بـذل ما فضل عن الزكاة)** وفي نسخة: ولا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه. **(ويحتمل أن يقال يلزمه بذله في الحال، ولا يجوز له الإقراض)** أي لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض، **(وهذا مختلف فيه)** عند أهل النظر في الفقه، والذي يصح عند أهل الكشف أنه ما من شيء إلا وله وجه ونسبة إلى الحق، ووجه ونسبة إلى الخلق. ولهذا جعله إنفاقاً فقال ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فراعى سبحانه في هذا الخطاب أكابر العلماء لأنهم الذين لهم العطاء من حيث ما هو إنفاق عليهم بالنسب إليهم لأنه من النفق، وهو حجر يسمى النافقة يعمله اليربوع، له بابان إذا طلب من باب ليصاد خرج من الباب الآخر، كالكلام المحتمل إذا قيدت صاحبه بوجه أمكن أن يقول لك أنا أردت الوجه الآخر من محتملات اللفظ، ولما كان العطاء له نسبة إلى الحق والحاجة، ونسبة إلى الخلق والحاجة سماه إنفاقاً، فعلماء الخلق ينفقون بالوجهين فيرون الحق فيما يعطونه معطياً وآخذاً، ويشاهدون أيديهم هي التي يظهر فيها العطاء والأخذ ولا يحجبهم هذا عن هذا، فهؤلاء لا يرون إلا معصية فكل آخذ إنما أخذ بحكم الاستحقاق، ولو لم يستحقه لاستحال القبول منه لما أعطيه كما يستحيل عليه الغنى المطلق ولا يستحيل عليه الفقر المطلق.

ثم قال المصنف: **(والاقراض نزول إلى الدرجة الأخيرة من درجات العوام وهي درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب)** في اخراج المال، **(ولا يزيدون عليه ولا**

اقتصر جميع العوام عليها لبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبهم للآخرة. **قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوها فَيُحْفِكُم تَبْخَلُوا﴾ [محمد ﷺ : ٣٧] يحفكم أي يستقصي عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة وبين عبد لا يستقصي عليه لبخله، فهذا أحد معاني أمر الله سبحانه عباده ببذل الأموال.**

المعنى الثاني: التطهير من صفة البخل فإنه من المهلكات. **قال ﷺ** : « ثلاث

ينقصون عنه) ويقفون على هذا الحد **(وهي أقل الرتب)** عند العارفين بالله إذ جعل صاحب هذا المقام ما عدا المخرج ملك استحقاق خصه لنفسه ولم يلاحظ ملك الأمانة، **(وقد اقتصر جميع العوام)** أي عامة الناس **(عليها)** أي على هذه الرتبة، وفي نسخة « عليه » وليس المراد بالعوام السوقة وأهل المكاسب، بل يدخل فيهم كل من لم يغرف في طريق القوم مشرباً من مشاربهم ولا خبرة عنده بالوجوه والاعتبارات والنسب في أسرار معاملة الله مع عباده، **(لبخلهم بالمال)** وإمساكهم له **(وميلهم إليه وضعف حبهم للآخرة)**، ومنشأ هذا كله الجهل بمقامي الربوبية والعبودية، فصاحب القسم الثاني عارف من حيث سره الرباني مستخلف فيما بيده من المال فهو كالوصي على مال المحجور عليه يخرج عنه الزكاة، وصاحب القسم الثالث وإن كان مثله في كونه جامعاً فإنه لا يعلم ذلك، فأضيف المال إليه فقيل له: أموالكم فيخرج منها الزكاة فالعارف يخرجها بحكم الوصاية، والثاني يخرجها بحكم الملك فما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون، وكلا الفريقين صادق وصاحب دليل فيما نسب إليه، فلولا المحبة ما فرضت الزكاة ليثابوا ثواب من رزق في محبوبه، ولولا المناسبة بين المحب والحبيب لما كانت محبة ولا تصوّر وجودها، ولما كان حب المال منوطاً بالقلوب صاغ لهم السامري العجل من حليهم لأن قلوبهم تابعة لأموالهم فسارعوا إلى عبادته حين دعاهم إلى ذلك وفي غلبة ميلهم إلى حب المال.

(قال الله تعالى: ﴿إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا﴾) [محمد ﷺ : ٣٧] معنى قوله: **(يحفكم أي يستقصي عليكم)** يقال أحفاه في المسألة بمعنى ألحّ وألحف واستقصى، **(فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له)** عوض ما بذله **(الجنة وبين عبد لا يستقصي)** أي لا يبالغ عليه **(لبخله)** شتان بينهما. **(فهذا أحد معاني أمر الله تعالى عباده بفضل الأموال)**.

(المعنى الثاني: التطهير من صفة البخل) أي تطهير النفس منها، فإنها قد جبلت على الشحّ والبخل، وسبب ذلك أنه خلق فقيراً محتاجاً لأنه ممكن بالاصالة، وكل ممكن مفتقر إلى مرجح فالفقر له لازم، والإنسان ما دامت حياته مرتبطة بجسده فإن حاجته بين عينيه وفقره مشهود له، وبه يأتيه اللعين في وعده فقال ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ [البقرة: ٢٦٨] فلا يغلب نفسه ولا الشيطان إلا الشديد بالتوفيق الإلهي، فإنه يقاتل نفسه والشيطان المساعد لها عليه، فلو لم يأمل البقاء وتيقن بالفراق لهان عليه إعطاء المال لأنه مأخوذ عنه بالقهر والغلبة شاء أو أبى، وبهذا

مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه» وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] وسيأتي في ربع المهلكات وجه كونه مهلكاً وكيفية التقصي منه، وإنما تزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتياداً. فالزكاة بهذا المعنى طهرة أي تطهر

الاعتبار قال المصنف: (**فإنه من المهلكات**) ثم استدل عليه بالحديث فقال: (**قال رسول الله ﷺ: «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه»**) رواه أبو الشيخ في كتاب التوبيخ، والبزار، وأبو نعيم، والبيهقي، والطبراني في الأوسط من حديث أنس وسنده ضعيف، وقد تقدم هذا الحديث للمصنف في كتاب العلم وتكلمنا عليه هناك. قال الراغب: خص المطاع لينبه أن الشح في النفس ليس بما يستحق به ذم إذ ليس هو من فعله، وإنما يذم بالانقياد له اهـ. وهو يشير إلى ما ذكرنا قريباً أنه من لوازم الفقر والفقر مما جبل عليه الإنسان بل هو حقيقته.

وقال القرطبي: إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله، فإن احتقر مع ذلك غيره فهو الكبر.

(**وقال الله تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر: ٩]**) وقال تعالى: ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ [النساء: ١٢٨] وفي الخبر لا يجتمع شح وإيمان في قلب عبد أبداً.

اعلم أن الشحس يقابل السخاء، والبخل يقابل الجود هذا هو الأصل وإن كان قد يستعمل كل واحد منهما في الآخر. ويدل على صحة هذا الفرق أنهم جعلوا الفاعل من السخاء والشح على بقاء الأفعال الغريزية، فقالوا: شحيح وسخي، وقالوا: جواد وباخل، وأما قولهم بخيل فمصروف عن لفظه الفاعل للمبالغة كقولهم: راحم ورحيم، وقد عظم الله الشح وخوّف منه، والبخل على ثلاثة أضرب: بخل الإنسان بماله، وبخله بمال غيره على غيره، وبخله على نفسه بمال غيره وهو اقبح الثلاثة، والمال عارية في يد الإنسان مستردة ولا أحد أجهل ممن لا ينقذ نفسه من العذاب الأليم بمال غيره قاله الراغب في الذريعة. فالنفس مجبولة على حب المال وجمعه، والكرم فيها خلق لا خلق، والشح من لوازم حب المال وتطهيرها منه بذله لما يحبه.

(**وسيأتي في ربع المهلكات وجه كونه مهلكاً وكيفية التوقي منه**) إن شاء الله تعالى (**وإنما تزول صفة البخل**) والشح (**بأن يتعوّد بذل المال**) أي يجعل صرفه في مواضعه عادة له تخلقاً (**فحب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتياداً**) أي عادة له. (**والزكاة بهذا المعنى طهرة أي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك**) كما تطهر ماله فلا يطلق عليه اسم البخل، وإنما اشتدت على الغافلين لكونهم قد تحققوا أن أموالهم لهم ملك وأنه لا حق لغيرهم فيما ملكت أيمانهم من الأموال لا من دين ولا من بيع ولا غير ذلك، فلما

صاحبها عن خبث البخـل المهلك، وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى.

المعنى الثالث: شكر النعمة فإن لله عز وجل على عبده نعمة في نفسه وفي ماله، فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال، وما أخس من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج إليه، ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر الله تعالى

جعل الله لقوم في أموالهم حقاً يؤدونه وماله سبب ظاهر تركن النفس إليه إلا ما ذكره الله من ادخار ذلك له ثواباً إلى الآخرة شق على النفوس المشاركة في الأموال، ولما علم الله هذا منهم أخرج الأموال من أيديهم فقال ﴿وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ [الحديد: ٧] أي هذا المال مالكم إلا مـا تنفقون منه لله تعالى وما تبخلون بـه فإنكم تبخلون بما لا تملكون فإنكم فيه خلفاء لورثتكم إذا متم خلفتموه وراءكم لأصحابه، فنبههم بأنهم مستخلفون فيه ليسهل عليهم بذلك رحمة بهم يقول الله لهم كما أمرناكم أن تنفقوا مما أنتم مستخلفون فيه من الأموال أمرنا رسولنا ونوابنـا فيكم أن يأخذوا من هذه الأموال التي أنتم مستخلفون فيها مقداراً معلوماً سميناه زكاة يعود خيرها عليكم. فما تصرف نوابنا فيما هو لكم ملك وإنما تصرفون فيما أنتم مستخلفون فيه كما أبحنا لكم أيضاً فيه التصرف فلما يعز عليكم، فالمؤمن لا مال له وله المال كله عـاجلاً وآجلاً، فقد أعلمتك بهذا أن بذل المال شديد على النفس، **(وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه وإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى)** فإن بذله حصلت له الطهارة وتضاعف الأجـر وإن فرح به واستبشر بمثل هذا فوق تضاعف الأجر بما لا يقاس ولا يحـد كما ورد في الماهر بالقرآن أنه ملحق بالملائكة السفرة الكرام، والذي يتعتع عليه القرآن يضاعف له الأجر للمشقة التي ينالها في تحصيله ودرسه فله أجر المشقة والزكاة من كونها بمعنى التطهير والتقديس، فلما أزال الله عن معطيها من إطلاق اسم البخيل والشحيح عليه، فلا حكم للبخل والشح فيه وبما فيها من النموّ، والبركة سميت زكاة لأن الله تعالى يربيها كما قال: ﴿ويربي الصدقات﴾ [البقرة: ٢٧٦] فلهذا اختصت بهذا الاسم لوجود معناه، فمن ذلك البركة في المال وطهارة النفس والصلابة في دين الله، ومن أوتي هذه الصفات فقد أوتي خيراً كثيراً.

(المعنى الثالث شكر النعمة) الإلهية في بذل ما في يده **(فإن لله)** عز وجل **(على عبده نعمة في نفسه)** حيث أوجدها من العدم وشرفها بالتوحيد ووفقه لتطهيرها من الصفات الذميمة، **(وفي ماله)** حيث ملكه إياه وجعله يتصرف فيه كيف يشاء، **(فالعبادات البدنية)** المحضة كالصلاة والصوم **(شكر لنعمة البدن و)** العبـادات **(الماليـة)** المحضـة كـالـزكـاة والصدقة **(شكر لنعمة المال)** والمركبة منها شكر للنعمتين، **(ومن أخس)** أفعل من الخسة **(من ينظر)** بعينه **(إلى)** حال **(الفقير)** المعدم أو يسمع به **(وقد ضيق عليه الرزق)** وصار مقتراً فيه **(وأحوج إليه)** أي صار محتاجاً إلى أخذ المال ليدفع به عن نفسه الحاجة أو

على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بربع العشر أو العشر من ماله.

الوظيفة الثانية: في وقت الأداء، ومن آداب ذوي الدين التعجيل عن وقت الوجوب إظهاراً للرغبة في الامتثال بإيصال السرور إلى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان إن تعوقه عن الخيرات، وعلماً بأن في التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب. ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن، فينبغي أن يغتنم فإن ذلك لمة الملك «وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن». فما أسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر. وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة

المعنى الجيء إلى الفقر، (**ثم لا تسمح نفسه**) المجبولة على الشح (**بان يؤدي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وأحوج غيره إليه بربع العشر**) الذي أوجب الله عليه ذلك القدر (**أو العشر من ماله**)، فالله يحب التعاون على فعل الخير وندب إليه، والمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

(**الوظيفة الثانية: في وقت الأداء**) للزكاة المفروضة قال رحمه الله، (**ومن آداب ذوي الدين**) المستحسنة إخراجها في أول ما يجب وأفضل من هذا (**التعجيل**). والسارعة (**عن وقت الوجوب**) أي قبله (**إظهاراً للرغبة في الامتثال**) لأمر الله تعالى (**بإيصال السرور إلى قلوب الفقراء**) والمساكين (**ومبادرة لعوائق الزمان**) أي موانعه الصارفة عن الخير (**أن تعيق**) أي تمنع وتصرف (**عن الخيرات**) والعبادات، (**وعلماً بأن في التأخير آفات**) وعوارض، وللدنيا نوائب، وللنفس بدوات، وللقلوب تقليب (**مع ما يتعرض له**) أي لنفسه (**من العصيان**) والإساءة (**لو أخّر عن وقت الوجوب**) بناء على أنها فورية لا على التراخي كما تقدم الاختلاف فيه، (**ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن**) واستشعر به من نفسه (**فينبغي أن يغتنم**) ذلك فإنها فرصة رحمانية، (**فإن ذلك لمة الملك و**) في الخبر (**«قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن»**) أي يقلبه كيف شاء (**فما أسرع تقلبه**) ومنه قول الشاعر:

وما سمي الإنسان إلا لنسيه ... ولا القلب إلا أنه يتقلب

وروى البيهقي عن أبي عبيدة بن الجراح مرفوعاً «قلب ابن آدم مثل العصفور يتقلب في اليوم سبع مرات» (**والشيطان يعد الفقر**) ويمني به (**ويأمر بالفحشاء والمنكر**) وذلك لأن الإنسان ما دامت حياته مرتبطة بجسده فإن حاجته بين عينيه وفقره مشهود له وبه يأتيه اللعين بوعده وأمره، (**وله لمة عقيب لمة الملك**) فلا يغلبه إلا الشديد المصارع إذا ساعده التوفيق الإلهي، (**فليغتنم الفرصة في ذلك**) فهذا أفضل وأزكى لأنه من المسارعة إلى الخير، ومن المعاونة على البر والتقوى، وداخل في التطوّع بالخير وفعله الذي أمر به خصوصاً إذا رأى أنها

فيه، وليعين لزكاتها إن كان يؤديها جميعاً شهراً معلوماً، وليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سبباً لنماء قربته وتضاعف زكاته، وذلك كشهر المحرم فإنه أوّل السنة وهو من الأشهر الحرم، أو رمضان فقد كان ﷺ أجود الخلق، وكان في

موضع يتنافس فيه ويغتنم خوف فوته من غاز في سبيل الله، أو في دين على مطالب، أو إلى رجل فقير فاضل طرأ في وقته، أو ابن السبيل غريب وأمثالهم.

وأخرج الترمذي وحسنه، والنسائي، وابن حبان، وابن جرير، وابن المنذر من حديث ابن مسعود رفعه «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة. فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الآخر فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ [البقرة: ٢٦٨] الآية».

(**وليعين لزكاته إن كان يؤديها جميعاً**) أي مرة واحدة (**شهراً**) من السنة (**معلوماً وليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سبباً لنماء قربته**) وربوها (**وتضاعف زكاته**) في الأجر، (**كشهر**) الله (**المحرم فإنه أوّل السنة**) العربية، وأصل التحريم المنع وباسم المفعول منه سمي الشهر الأوّل من السنة، وأدخلوا عليه الألف واللام لمحا للصفة في الأصل وجعلوه علماً بهما مثل النجم والدبران ونحوه، ولا يجوز دخولهما على غيره من الشهور عند قوم وعند قوم يجوز على صفر وشوّال وجمع المحرم محرمات، (**وهو من الأشهر الحرم**) وهي أربعة: واحد فرد وثلاثة سرد، وهو رجب وذو العقدة وذو الحجة والمحرم.

ووقع في كتاب شرح الوجيز للرافعي حديث عثمان أنه قال في المحرم: هذا شهر زكاتكم فمن كان عليه دين فليقض دينه ثم ليزك ماله، قال الحافظ في تخريجه: رواه مالك في الموطأ، والشافعي عنه عن ابن شهاب، عن السائب بن يزيد، عن عثمان بن عفان: خطبنا على منبر رسول الله ﷺ يقول: هذا شهر زكاتكم. قال: ولم يسم لي السائب الشهر ولم أسأله عنه. الحديث. اهـ.

وقد تقدم الكلام عليه في مسألة الدين ولم يمنع الزكاة ولم أر لأحد غير الرافعي هذه الخطبة كانت في المحرم، بل في بعض الروايات أنها كانت في رمضان، ولكن اشتهر عند الخاصة والعامة إخراج زكاة الأموال في هذا الشهر لا سيما في العاشر منه، وبقي العمل عليه في غالب الأمصار لأمور عديدة: منها أنه أول السنة حقيقة وقد تحقق حولاً في الحول على المال فلا يقبل الغلط في الحساب، ومنها: أنه من الأشهر الحرم، ومنها أن فيه يوماً ورد في صومه، والتصدق والتوسع على العيال والفقراء فضل عظيم في أخبار مروية جمعت في رسائل خاصة، فإذا عين المريد لإخراج زكاته هذا الشهر فهو حسن لما فيه من الفضائل التي ذكرنا، وإن خص فيه عاشره كان أحسن لما تمتد أطماع الفقراء فيه ففيه إنجاح لحاجاتهم وجبر لخواطرهم.

رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئاً، ولرمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه

تنبيه:

وفي الروضة ينبغي للإمام أن يبعث السعاة لأخذ الزكوات. والأموال ضربان ما يعتبر فيه الحول، وما لا يعتبر كالزرع والثمار. فهذا يبعث السعاة فيه لوقت وجوبه، وهو إدراك الثمار واشتداد الحب. وأما الأوّل فالحول يختلف في حق الزكاة فينبغي للساعي أن يعين شهراً يأتيهم فيه، واستحب الشافعي رحمه الله أن يكون ذلك الشهر المحرم صيفاً كان أو شتاء، فإنه أول السنة الشرعية. قال النووي: هذا الذي ذكرناه من تعيين الشهر هو على الاستحباب على الصحيح، وفي وجه يجب. ذكره الرافعي في آخر قسم الصدقات. قال: وينبغي أن يخرج قبل المحرم ليصله في أوله، ثم إذا جاءهم فمن تم حوله أخذ زكاته وإن شاء أخر إلى مجيئه من قابل فإن وثق به فوّض التفريق إليه اهـ.

(أو) يعين شهر **(رمضان)** المعروف قيل: سمي بذلك لأن وضعه وافق الرمض وهو شدة الحر، وجمعه رمضانات وأرمضاء. وعن يونس أنه سمع رماضين مثل شعابين، **(فإنه كان ﷺ أجود الخلق في رمضان، وكان فيه كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئاً)**. قال العراقي: أخرجاه من حديث ابن عباس.

قلت: لفظ البخاري في أول كتابه حدثنا عبدان، أخبرنا عبدالله، أخبرنا يونس، عن الزهري ح.

وحدثنا بشر بن محمد، أخبرنا عبدالله قال: أخبرني عبيد الله بن عبدالله، عن ابن عباس قال: « كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة ». هكذا أخرجه البخاري في أربعة مواضع من الصحيح في باب الوحي، وفي صفة النبي ﷺ، وفي فضائل القرآن، وبدء الخلق. وأخرجه مسلم في الفضائل النبوية.

فوائد هذا الحديث:

منها: أن جوده ﷺ في رمضان يفوق على جوده في سائر أوقاته.

ومنها: أن المراد من مدارسته للقرآن مع جبريل عليه السلام مقابلته على ما أوحاه إليه من الله تعالى ليبقى ما بقي ويذهب ما نسخ توكيداً واستئناساً وحفظاً، ولهذا عرضه في السنة الأخيرة على جبريل مرتين وعارضه به جبريل كذلك، ولهذا فهم عليه السلام اقتراب أجله. قاله العماد بن كثير، ولا يعارض هذا ما ذكره ابن الصلاح في فتاويه: أن قراءة القرآن كرامة أكرم بها البشر، وقد ورد: أن الملائكة لم يعطوا ذلك وأنها حريصة لذلك على استماعهم من الإنس لانها خصوصية لجبريل عليه السلام من دون الملائكة.

القرآن. وكان مجاهد يقول: لا تقولوا رمضان فإنه اسم من أسماء الله تعالى، ولكن قولوا شهر رمضان. وذو الحجة أيضاً من الشهور الكثيرة الفضل، فإنه شهر حرام وفيه

ومنها: تخصيصه بليالي رمضان لأن الوقت موسم الخيرات إذ نعم الله على عباده تربو فيه على غيره.

ومنها: أن فيه تخصيصاً بعد تخصيص على سبيل الترقي فضّل أوّلاً جوده مطلقاً على جود الناس كلهم، ثم فضل ثانياً جود كونه في رمضان على جوده في سائر أوقاته، ثم فضل ثالثاً جوده في ليالي رمضان عند لقاء جبريل على جوده في رمضان مطلقاً.

ومنها: أن المراد بالريح المرسلة هي المطلقة وعبرّ بها إشارة إلى أن دوام هبوبها بالرحمة وإلى عموم النفع بجوده ﷺ كلما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه.

ثم قال المصنف: **(ولرمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن)**.

ولفظ القوت: وأما شهر رمضان فإن الله تعالى خصه بتنزيل القرآن وحصل فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وجعله مكاناً لأداء فرضه الذي افترضه على عباده من الصيام وشرفه بما أظهر فيه من عمارة بيوته بالقيام.

ثم قال: **(و)** قد **(كان مجاهد)** هو ابن جبر أبو الحجاج المكي التابعي الجليل مولى السائب ابن أبي السائب المخزومي إمام في القراءة والتفسير، روى له الجماعة وتوفي سنة ١٠٤ **(يقول: لا تقولوا رمضان فإنه إسم من أسماء الله تعالى، ولكن قولوا شهر رمضان)** هكذا نقله صاحب القوت قال: وقد رفعه إسماعيل بن أبي زياد فجاء به مسنداً اهـ.

وفي كتاب الشريعة: رمضان إسم من أسمائه تعالى وهو الصمد ورد الخبر النبوي بذلك. روى أبو أحمد بن عدي الجرجاني من حديث نجيح بن معشر، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رفعه بلفظ «لا تقولوا رمضان فإن رمضان إسم من أسماء الله تعالى» قال: وإن كان في هذا أبو معشر، فإن علماء هذا الشأن قالوا فيه انه مع ضعفه يكتب حديثه فاعتبروه، وكذا قال الله تعالى ﴿شهر رمضان﴾ [البقرة: ١٨٥] ولم يقل «رمضان» وقال ﴿فمن شهد منكم الشهر﴾ [البقرة: ١٨٥] ولم يقل «رمضان» فتقوى بهذا حديث أبي معشر مع قول العلماء فيه انه يكتب حديثه مع ضعفه فزاد قوّة في هذا الحديث بما أيده القرآن من ذلك اهـ.

وفي المصباح، قال بعض العلماء: يكره أن يقال جاء رمضان وشبهه إذا أراد به الشهر وليس معه قرينة تدل عليه، وإنما يقال جاء شهر رمضان، واستدل بهذا الحديث أي المذكور، وهذا قد ضعفه البيهقي وضعفه ظاهر لأنه لم ينقل عن أحد من العلماء أن رمضان من أسماء الله تعالى فلا يعمل به، والظاهر جوازه من غير كراهة كما ذهب إليه البخاري وجماعة من المحققين لأنه لم يصح في الكراهة شيء، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة ما يدل على الجواز مطلقاً كقوله «إذا

الحج الأكبر وفيه الأيام المعلومات وهي العشر الأول والأيام المعدودات وهي أيام التشريق، وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر، وأفضل أيام ذي الحجة العشر الأول.

جاء رمضان فتحت أبواب الجنة» الحديث. وقال القاضي عياض: ففيه دليل على جواز استعماله من غير لفظ شهر خلافاً لمن كرهه من العلماء اهـ.

قلت: وتضعيف البيهقي له من قبل رواية إسماعيل بن أبي زياد فقد تكلم فيه، وأبي معشر نجيح بن عبد الرحمن السنوي مولى بني هاشم روى له أصحاب السنن تقدم الكلام فيه أنه يكتب حديثه مع ضعفه، وهذا قول ابن عدي. وقال ابن معين: ليس بالقوي، وقال أحمد صدوق مستقيم الإسناد.

وأما إطلاق رمضان من غير ذكر الشهر، فقد جاء في عدة أحاديث أشهرها «من قام رمضان ايماناً» الحديث، وجاء أيضاً بذكر الشهر منه قوله تعالى ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ [البقرة: ١٨٥] ولا بد لذكر الشهر مرة ولتركه أخرى من نكتة، وقد أشار إليها السهيلي في الروض ما حاصله: إن ما ذكر مصافاً لاشهر فإن المراد به بعضه وما ذكر بترك لفظ الشهر فالمراد به كله، فالقرآن ما نزل في جميع الشهر إنما هو في بعض لياليه، وقيام رمضان المطلوب فيه إدامة العمل به في جميع الشهر وهو ظاهر، وقد ذكرته في شرحي على القاموس فراجعه.

ثم قال المصنف رحمه الله: (**وذو الحجة أيضاً من الشهور الكثيرة الفضل**) وهو بكسر الحاء وبعضهم يفتح، وجمعه ذوات الحجة. ولفظ القوت: وأما ذو الحجة فإنا لا نعلم شهراً جمع خمس فضائل غيره، (**فإنه شهر حرام**)، وشهر حج (**وفيه**) يوم (**الحج الأكبر**) وهو يوم عرفة وإنما قيل له بذلك لأن العمرة تعرف بالحج الأصغر، (**وفيه الأيام المعلومات وهي العشر الأول**) منه. وفي الحقيقة هي تسعة أيام، ولكن أطلق اسم العشرة تغليباً وهو سائغ، (**وفيه الأيام المعدودات وهي أيام التشريق**) التي أمر الله تعالى بذكره فيها وهي ثلاثة سوى يوم النحر عند الشافعي، وعند أبي حنيفة هي ثلاثة مع يوم النحر. (**وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر**) لما فيها ليلة القدر، (**وأفضل أيام ذي الحجة العشر الأول**) لما فيها يوم عرفة وكل منها مفضل.

قال صاحب القوت: وقد استحب بعض أهل الورع أن يقدم في كل سنة بشهر لئلا يكون مؤخراً عن رأس الحول لأنه إذا أخرج في شهر معلوم، ثم أخرج القابل في مثله فإن ذلك الشهر يكون الثالث عشر، وهذا تأخير فقالوا: إذا أخرج في رجب فليخرج من القابل في جمادى الأخيرة ليكون آخر سنة بلا زيادة، وإذا أخرج في رمضان فليخرج من القابل في شعبان على هذا لئلا يزيد على السنة شيئاً وهذا حسن غامض وليتق أن يكون مخرجاً للفرض في كل شهر اهـ.

الوظيفة الثالثة: الإسرار . فإن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة . قال ﷺ : « أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير في سر » وقال بعض العلماء : ثلاث من كنوز البر منها إخفاء الصدقة ، وقد روي أيضاً مسنداً . وقال ﷺ : « إن العبد ليعمل عملاً في السر

قلت : وقد جاء في خصوص شهر رمضان حديث .أخرج الترمذي ، والديلمي من حديث أنس « أفضل الصدقة صدقة في رمضان » . وأخرجه البيهقي في الشعب ، والخطيب في التاريخ ، وسليم الرازي في جزئه من حديثه أيضاً بلفظ « أفضل الصدقة في رمضان » وقد تكلم ابن الجوزي في هذا الحديث وعله بأحد رواته صدقة بن موسى . قال ابن معين : ليس بشيء وإنما خص رمضان بذلك لما فيه من إفاضة الرحمة على عباده أضعاف ما يفيضها في غيره ، فكانت الصدقة فيه أعظم قرباً منها في غيرها ، ولفظ الصدقة أعم في الواجب والتطوّع وقيل : يسمى الواجب صدقة إذا تحرى الصدق في فعله كما سيأتي .

(**الوظيفة الثالثة: الإسرار**) بها (**فإن ذلك أبعد عن الرياء والسمعة**) واستدل على ذلك بأحاديث تدل على أفضلية الإسرار ، وبآية من القرآن كذلك ، فقال : (**قال ﷺ « أفضل الصدقة جهد المقل**) بضم الجيم وسكون الهاء . والمقل: صيغة اسم فاعل من أقل الرجل صار قليل المال (**إلى فقير في سر »**) .

قال العراقي : رواه أحمد ، وابن حبان ، والحاكم من حديث أبي ذر ، ولأبي داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة : « أي الصدقة أفضل ؟ قال : جهد المقل » . اهـ .

قلت : وعند الطبراني من حديث أبي أمامة « أفضل الصدقة سر إلى فقير وجهد من مقل » .

وعند ابن أبي حاتم ، وابن المنذر من حديثه قال : قلت يا رسول الله أي الصدقة أفضل ؟ قال « جهد مقل أو سر إلى فقير ، ثم تلا ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هي ﴾ الآية [البقرة : ٢٧١] » .

وأما حديث أبي هريرة فقد أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة وسكت عليه ، وأقره المنذري ، وأخرجه الحاكم فيها وصححه على شرط مسلم ، وأقره الذهبي ولفظه « أفضل الصدقات جهد المقل وابدأ بمن تعول » . ومعنى جهد المقل أن يكون بذله من فقر وقلة ، لأنه يكون بجهد ومشقة لقلة ماله وهو شديد صعب على من حاله الإقلال ، ومن ثم قال بشر : أشد الأعمال ثلاثة الجود في القلة والورع في الخلوة ، وكلمة حق عند من يخاف ويرجى ، ومما يؤيد جهد المقل ما رواه البزار والطبراني عن عمار بن يسار « ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان. الإنفاق من الإقتار ، وبذل السلام ، والإنصاف من نفسك » والمراد بالمقل الغني القلب ولو كان ما بيده قليلاً ليوافق ما في الحديث الآخر « أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى كما لا يخفى »

(**وقال بعض العلماء: ثلاث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة، وقد روي أيضاً مسنداً**) هكذا هو في القوت إلا أن لفظه وقد روينا مسنداً من طريق اهـ .

فيكتبه الله له سراً فإن أظهره نقل من السر وكتب في العلانية، فإن تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء». وفي الحديث المشهور: «سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطت يمينه». وفي الخبر: «صدقة

وقال العراقي رواه أبو نعيم في كتاب الإيجاز، وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف اهـ.

قلت: وأخرج الطبراني في الكبير، وأبو نعيم أيضاً في الحلية. كلاهما من طريق قطني بن ابراهيم النيسابوري، عن الجارود بن يزيد، عن سفيان بن أشعث، عن ابن سيرين، عن أنس مرفوعاً بلفظ «ثلاث من كنوز إخفاء الصدقة، وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى» الحديث. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال: تفرد به الجارود وهو متروك، وتعقبه الحافظ السيوطي في اللآلىء المصنوعة بأنه لم يتهم بوضع بل هو ضعيف.

(وقال ﷺ «إن العبد ليعمل عملاً في السر فيكتبه الله له سراً فإن أظهره نقله من السر وكتب في العلانية. فإن تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء») هكذا في القوت إلا أنه قال: وروينا في الخبر فساقه، وفيه: «فإن تحدث فجيء من السر والعلانية فكتب رياء». والباقي سواء.

وقال العراقي: رواه الخطيب في التاريخ من حديث أنس بإسناد ضعيف اهـ.

قال صاحب القوت: فلو لم يكن في إظهار الصدقة مع الإخلاص بها إلا فوت ثواب السر لكان فيه نقص عظيم، فقد جاء في الاثر: «صدقة السر تفضل على صدقة العلانية سبعين ضعفاً».

(وفي الحديث المشهور «سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظلّه أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطته يمينه»).

ولفظ القوت، وفي الحديث المشهور: «سبعة في ظل عرش الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطت يمينه». وفي لفظ آخر: «وأخفى عن شماله ما تصدقت به يمينه» وهذا من المبالغة في الوصف وفيه مجاوزة الحد في الإخفاء أي أن يخفي من نفسه فكيف غيره اهـ.

قال العراقي: أخرجاه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: قال البخاري باب صدقة السر، وقال أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه» ولم يذكر في هذا الباب سوى هذا المعلق.

ثم أورد بعد بابين باب صدقة اليمين، حدثنا مسدد، حدثنا يحي، عن عبيدالله، عن حفص بن

عاصم، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ».

وهكذا رواه مسلم إلا أن عنده اختلافاً في السياق في مواضع منه قال: « الإمام العادل وشاب نشأ بعبادة الله » وقال « حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله » والمعروف ما ذكره البخاري وغيره « لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ».

وفي رواية لمسلم وتفرد بها « ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ».

وفي حديث سلمان، عند سعيد بن منصور بإسناد حسن « يظلهم الله في ظل عرشه » وعند الجوزقي من طريق حماد بن يزيد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه « وشاب نشأ في عبادة الله حتى توفي على ذلك » وفي حديث سلمان عند سعيد بن منصور « وشاب أفنى شبابه ونشاطه في عبادة الله » وزاد حماد بن زيد كما عند الجوزقي « ففاضت عيناه من خشية الله ».

قال ابن بطال: قوله: حتى لا تعلم شماله الخ هذا مثال ضربه ﷺ في المبالغة في الاستتار بالصدقة لقرب الشمال من اليمين، وإنما أراد أن لو قدر أن لا يعلم من يكون على شماله من الناس نحو: ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف: ٨٢] لأن الشمال لا توصف بالعلم فهو من مجاز الحذف، وألطف منه ما قال ابن المنير: ان يراد لو أمكن أن يخفي صدقة على نفسه لفعل، فكيف لا يخفي عن غيره؟ والإخفاء عن النفس ممكن باعتبار وهو أن يتغافل المتصدق عن الصدقة ويتناساها حتى ينساها وهذا ممدوح عند الكرام شرعاً وعرفاً.

وروى أحمد، عن أنس بسند حسن: « إن الملائكة قالت يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد. قالت: فهل شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم النار. قالت: فهل أشد من النار؟ قال: نعم الماء. قالت: فهل أشد من الماء؟ قال: نعم الريح. قالت: فهل أشد من الريح؟ قال: نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيه عن شماله »

وقال الشيخ الأكبر قدس سره: اعلم أن إخفاء الصدقة شرط في نيل المقام العالي الذي خص الله به الأبدال السبعة، وصورة إخفائها على وجوه.

منها: أن لا يعلم بها من تصدقت عليه وتتلطف في إيصال ذلك إليه بأي وجه كان.

ومنها: أن تعلمه كيف يأخذ وأنه يأخذ من الله لا منك حتى لا يرى لك فضلاً عليه بما أعطيته فلا يظهر عليه بين يديك أثر ذلة أو مسكنة ويحصل له علم جليل ممن أعطاه، فتغيب أنت عن عينه حين تعطيه فإنه قد قررت عنده أنه ما يأخذ سوى ما هو له، فهذا من إخفاء الصدقة

ومنها: أن يخفي كونها صدقة فلا يعلم المتصدق عليه أنه أخذ صدقة، ولهذا فرض الله العامل

في الصدقة حتى لا يذل المتصدق عليه بين يدي المتصدق، فإذا أخذها العامل أخذها بعزة وقهر منك، فإذا حصلت بيد السلطان الذي هو الوكيل من قبل الله أعطاها لأرباب الثمانية فأخذوها بعزة نفس لا بذلة، فإنه حق لهم بيد هذا الوكيل، فلم يعلم الآخذ في أعطيته من هو رب ذلك المال على التعيين عين ماله على التعيين، فكان هذا أيضاً من إخفاء الصدقة لأنه لم يعلم المتصدق عين من تصدق عليه، ولا علم المتصدق عليه عين من تصدق عليه وليس في الإخفاء أخفى من هذا فلم تعلم شماله ما أنفقته يمينه. هذا هو عين ذلك، وقد ذكر رسول الله ﷺ ما قلناه إخفاء الصدقة في الإبانة عن المنازل السبعة التي هي لخصائص الحق المستظلين يوم القيامة بظل عرش الرحمن، لأنهم من أهل الرحمن سبعة يظلهم الله الحديث.اهـ.

وقد جمع ما زاد على هذا العدد ممن يستظل تحت ظله الحافظ ابن حجر وغيره من الحفاظ كالحافظ السخاوي. وآخرهم الحافظ السيوطي، فأوصل ذلك زيادة على السبعين، وألف فيه تأليفاً سماه «بزوغ الهلال في الخصال الموجبة للظلال».

وقد نقل القسطلاني في شرح البخاري هذا العدد الزائد عن شيخه السخاوي وأنا أذكره باختصار.

٨: «ورجل كان في سرية مع قوم فلقوا العدوّ فانكشفوا فحمى آثارهم» وفي لفظ: «أدبارهم حتى نجوا أو نجا أو استشهد» روي ذلك من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة.

٩: «ورجل تعلم القرآن في صغره فهو يتلوه في كبره» رواه البيهقي في الشعب من طريق أبي صالح عن أبي هريرة.

١٠ و١١: «ورجل يراعي الشمس لمواقيت الصلاة، ورجل إن تكلم تكلم بعلم وإن سكت سكت عن حلم» رواه عبدالله بن أحمد في كتاب الزهد لأبيه عن سلمان. قال السخاوي: وحكمه الرفع.

١٢: «ورجل تاجر اشترى وباع فلم يقل إلا حقاً» رواه ابن عدي في الكامل من حديث أنس.

١٣ و١٤: «من أنظر معسراً أو وضع له». رواه مسلم عن أبي اليسر مرفوعاً.

١٥: «أو ترك لغارم». رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند من حديث عثمان.

١٦: «من أنظر معسراً أو تصدق عليه» رواه الطبراني في الأوسط عن شداد بن أوس.

١٧: «أو أعان أخرق» وهو من لا صناعة له ولا يقدر أن يتعلم صنعة. رواه أيضاً في الأوسط من حديث جابر.

١٨ و١٩ و٢٠: «من أعان مجاهداً في سبيل الله أو غارماً في عسرته أو مكاتباً في رقبته». رواه الحاكم، وابن أبي شيبة، عن سهل بن حنيف.

٢١ : « من أظل رأس غاز ». رواه الضياء في المختارة من حديث عمر.

٢٢ و٢٣ و٢٤ : « الوضوء على المكاره والمشي إلى المساجد في الظلم وإطعام الجائع » رواه أبو القاسم التيمي في الترغيب من حديث جابر.

٢٥ : « من أطعم الجائع حتى يشبع » رواه الطبراني من حديث جابر.

٢٦ : « تاجر لا يتمنى الغلاء للمؤمنين » رواه الشيخ في الثواب بسند ضعيف.

٢٧ : « إحسان الخلق ولو مع الكفار » رواه الطبراني في الأوسط من طريق أبي هريرة.

٢٨ و٢٩ : « من كفل يتيماً أو أرملة » رواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر.

٣٠ و ٣١ و ٣٢ : « من إذا أعطي الحق قبله وإذا سأله بذله وحكم للناس كحكمه لنفسه » رواه أحمد في مسنده وفيه ابن لهيعة.

٣٣ : « الحزين » رواه ابن شاهين في الترغيب من حديث أبي ذر.

٣٤ : « من نصح الوالي في نفسه وفي عباد الله » رواه شاهين من حديث أبي بكر.

٣٥ : « من يكون بالمؤمنين رحيماً » رواه أبو بكر بن لال في فوائده وأبو الشيخ في الثواب.

٣٦ : « الصبر على الثكلى » رواه الدراقطني في الافراد، وابن شاهين في الترغيب من حديث أبي بكر، لفظه عند ابن السنـي : « من عزى الثكلى ».

٣٧ و٣٨ : « عيادة المريض وتشييع الهالك » رواه ابن أبي الدنيا من طريق فضيل بن عياض قال : بلغني أن موسى عليه السلام قال : الحديث.

٣٩ : « شيعة علي ومحبوه » رواه أبو سعيد السكري في الكنجروذيات.

٤٠ و٤١ و٤٢ : « من لا ينظر بعينه للزنا ولا يبتغي في ماله للربا ولا يأخذ على أحكامه الرشا » رواه العيشوني في فوائده، عن أبي الدرداء، عن موسى عليه السلام.

٤٣ و٤٤ و٤٥ : « رجل لم تأخذه في الله لومة لائم ورجل لم يمد يده إلى ما لا يحل له ورجل لم ينظر إلى ما حرم عليه » وراه أبو قاسم التيمي من حديث ابن عمر وفيه عتبة وهو متروك.

٤٦ : « من قرأ إذا صلى الغداة ثلاث آيات من سورة الأنعام إلى ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ [الأنعام : ٣] رواه أيضاً عن ابن عباس، وفيه جزء بن الصقر وهو ضعيف.

٤٧ و٤٨ و٤٩ : « واصل الرحم وامرأة مات زوجها وترك عليها أيتاماً وصغاراً فقالت : لا أتزوّج على أيتامي حتى يموتوا أو يغنيهم الله، ورجل صنع طعاماً فأطاب صنعه وأحسن نفقته فدعا عليه اليتيم والمسكين فأطعمهم لوجه الله » رواه الديلمي في مسند الفردوس، وأبو الشيخ في الثواب من حديث أنس.

....

٥٠ و٥١ : « رجل حيث توجه علم أن الله معه ورجل يحب الناس لجلال الله » رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة وفيه بشر بن نمير وهو متروك.

٥٢ : « المؤذن في ظل رحمة الله حتى يفرغ من أذانه » رواه الحرث بن أبي أمامة من حديث ابن عباس وأبي هريرة، وفيه ميسرة بن عبد ربه متهم بالوضع.

٥٣ و٥٤ و٥٥ : « من فرج عن مكروب من أمتي وأحيا سنتي وأكثر الصلاة عليّ » رواه الديلمي بلا إسناد عن السنن.

٥٦ و٥٧ و٥٨ : « حملة القرآن في ظل الله مع أنبيائه وأصفيائه » رواه الديلمي من حديث علي.

٥٩ : « المريض » رواه أبو يعلى من حديث أنس.

٦٠ : « أهل الجوع » رواه ابن شاهين من حديث عمر.

٦١ : « الصائمون » رواه ابن أبي الدنيا في الأهوال عن مغيث بن سمي أحد التابعين ومثله لا يقال رأياً.

٦٢ : « من صام من رجب ثلاثة عشر يوماً » رواه ابن ناصر في أماليه من حديث أبي سعيد الخدري وسنده ضعيف جداً.

٦٣ : « من صلى ركعتين بعد ركعتي المغرب قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة » رواه الحرث بن أبي أسامة من حديث علي وهو منكر.

٦٤ : « أطفال المؤمنين » رواه الديلمي عن أنس.

٦٥ : « من ذكر الله بلسانه وقلبه » رواه أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه عن موسى عليه السلام.

٦٦ و٦٧ و٦٨ و٦٩ : « رجل لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة ولا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله » رواه البيهقي في الشعب عن موسى عليه السلام.

٧٠ و٧١ و٧٢ و٧٣ و٧٤ و٧٥ : « الطاهرة قلوبهم النقية أبدانهم الذين إذا ذكروا الله ذكروا به وإذا ذكروا ذكر الله بهم يفيئون إلى ذكره كما يفيء النسور إلى وكرها ويغضبون لمحارمه إذا استحلت كما يغضب النمر ويكلفون بحبه كما يكلف الصبي بحب الناس » رواه أحمد في الزهد عن عطاء بن يسار عن موسى عليه السلام.

٧٦، و٧٧ : « الذين يعمرون مساجدي ويستغفروني في الأسحار » رواه ابن المبارك في الزهد عن رجل من قريش عن موسى عليه السلام.

السر تطفىء غضب الرب » . وقال تعالى : ﴿ وإن تُخْفُوها وتُؤْتُوها الْفُقَراءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٧١] وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة ، فقد قال ﷺ : « لا

---

٧٨ : « الذين أذكرهم ويذكروني » رواه أبو نعيم في الحلية ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن موسى عليه السلام .

٧٩ : « أهل لا إله إلا الله » رواه الديلمي من حديث أنس .

٨٠ : « شهداء أحد أرواحهم في قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش » رواه أبو داود والحاكم وقال : على شرط مسلم من حديث ابن عباس .

٨١ : « المعلمين للقرآن أطفال المسلمين » .

٨٢ و٨٣ : « الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وداعي الناس إلى طاعة الله » رواه أبو نعيم في الحلية . أوحى الله إلى موسى عليه السلام في التوراة هذا ما ورد في الخصال الموجبة للظلال ، والله أعلم .

(وفي الخبر) عنه ﷺ **(« صدقة السر تطفيء غضب الرب »)** أورده صاحب القوت وقال : ويروى صدقة الليل .

قال الطيبي : يمكن حمل إطفاء الغضب على المنع من إنزال المكروه في الدنيا ووخامة العاقبة في العقبى من إطلاق السبب على المسبب كأنه نفى الغضب ، وأراد الحياة الطيبة في الدنيا والجزاء الحسن في العقبى اهـ .

قال العراقي : رواه الطبراني من حديث أبي أمامة ، ورواه أبو الشيخ في الثواب ، والبيهقي في الشعب من حديث أبي سعيد ، وكلاهما بسند ضعيف ، وللترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة « إن الصدقة لتطفىء غضب الرب » ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضاً اهـ .

قلت : ورواه الطبراني في الصغير ، عن عبدالله بن جعفر العسكري في السرائر عن أبي سعيد ، ولفظ الترمذي ، وابن حبان عن أنس « إن الصدقة لتطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء » وقال الترمذي : غريب . قال عبد الحق : راويه أبو خلف منكر الحديث ، وقال ابن حجر : أعله ابن حبان ، والعقيلي ، وابن طاهر ، وابن القطان . وقال ابن عدي : لا يتابع عليه . وسيأتي الكلام على هذا الحديث في باب صدقة التطوّع . ونذكر هناك ما المراد بالغضب وكيف إطفاؤه ، والقصة التي جرت لبعض علماء المغرب ، وقد أخبر الله سبحانه أن الإخفاء أفضل ومعه يكون تكفير السيئات .

(وقال) الله **(تعالى) :** ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هي ﴾ أي فنعم شيئاً إبداؤها **(وإن تخفوها وتؤتوها)** أي تعطوها **(الفقراء)** مع الإخفاء ﴿ **(فهو خير لكم)** ونكفر عنكم من

يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملأ من الناس يبغي الرياء والإخفاء والسكوت هو المخلص منه». وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي فكان بعضهم يلقيه في يد أعمى،

سيئاتكم﴾ [البقرة: ٢٧١] أي فالإخفاء خير لكم. وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فإن إبداء الفرض لغيره أفضل لنفي التهم كما سيأتي.

وروى ابن أبي حاتم في التفسير، وابن مردويه، وابن عساكر، عن الشعبي في هذه الآية: نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أتى عمر فجاء بنصف ماله حتى دفعه إلى النبي ﷺ فقال له: «ما خلفت وراءك لأولادك يا عمر» قال خلفت لهم نصف مالي، وأما أبو بكر رضي الله عنه فجاء بماله كله حتى كاد أن يخفيه عن نفسه حتى دفعه إلى النبي ﷺ فقال له «ما خلفت وراءك يا أبا بكر» قال: عدة الله وعدة رسوله فبكى عمر، وقال: بأبي أنت يا أبا بكر والله ما استبقنا إلى باب خير قط إلا كنت سابقاً اهـ.

وقد تقدم سياق هذه القصة من رواية أبي داود بنحو من هذا عند قول المصنف: «بينكما كما بين كلمتيكما» وليس فيه حتى كاد أن يخفيه، وبهذه الزيادة يظهر سر سبب النزول.

(وفائدة الإخفاء الخلاص من آفة الرياء والسمعة، فقد قال ﷺ: «لا يقبل الله من مسمع) بالتشديد كمحدث **(ولا مراء ولا منان)**.

هكذا هو في القوت ولفظه: وقد جاء في الخبر ثم ساقه، ثم قال: فجمع بين المنة والسمعة والرياء ورد بهن الأعمال، فالمسمع الذي يتحدث بما صنعه من الأعمال ليستمعه من لم يكن رآه فيقوم ذلك مقام الرؤية للعمل فهو مشتق من السمع، كالرياء مشتق من الرؤية فسوى بينهما في إبطال العمل لأنهما عن ضعف اليقين إذ لم يكتف المسمع بعلم مولاه، كما لم يقنع المرائي بنظره فأشرك فيه سواه والحق المنان بهما لأن في المنة معناهما من أنه ذكر فقد سمع غيره به أو رأى نفسه في العطاء فما فخربه وأراه غيره فقد رأياه اهـ وقال العراقي لم اظفر به هكذا اهـ.

(فالمتحدث بصدقته يطلب الرياء والسمعة والمعطي) للصدقة **(في ملأ من الناس يبغي)** أي يطلب **(الرياء والإخفاء)** بها **(والسكوت)** عنها **(هو المخلص من ذلك، و)** بهذا الاعتبار **(قد بالغ في قصد الإخفاء جماعة)** من أهل الورع **(حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي)**.

وقال صاحب القوت: وقد تستعمل العرب المبالغة في الشيء على ضرب المثل والتعجب وإن كان فيه مجاوزة الحد من ذلك ان الله تعالى وصف قوماً بالبخل فبالغ في وصفهم فقال: ﴿أم لهم نصيب من الملك فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً﴾ [النساء: ٥٣] والنقير لا يريده أحد ولا يطلبه

وبعضهم يلقيه في طريق الفقير، وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي، وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم، وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي، وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه، كل ذلك توصلاً إلى إطفاء غضب الرب سبحانه واحترازاً من الرياء والسمعة. ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى المسكين والمسكين لا يعرف أولى، إذ في معرفة المسكين الرياء والمنة جميعاً وليس في معرفة المتوسط إلا

ولا يعطاه لأنه هو النقطـة التي تكون على ظهر النواة منه منبت النخلة، وفيه معنى أشد من هذا وأغمض أنه لما قال: فأخفى عن شماله كان بهذا القول حقيقة في الخفاء، فهو أن لا يحدث نفسه بذلك ولا يخطر على قلبه وليس يكون هذا إلا أن لا يرى نفسه في العطاء أصلاً، ولا يجري وهم ذلك على قلبه كما تقول في سر الملكوت: إن الله لا يطلع عليه إلا من لا يحدث به ويخفيه. ليس أعني عن غيره، لكن يخفيه عن نفسه ولا يحدثها به بمعنى أنه لا يخطر على قلبه ولا يذكره ولا يشهد نفسه فيه شغلاً عنه بما اقتطع به وبأنه لا يباليه، فعندها صلح أن يظهر عن السر، فإن لم يمكنك على الحقيقة أن تخفي صدقتك عن نفسك فاخف نفسك فيها حتى لا يعلم المعطي أنك أنت المعطي، وهذا مقام في الإخلاص، فإن اظهرت يدك في العطاء فاخفها سراً إلى المعطي هذا حال الصادق اهـ.

وقد تقدم ما يقرب من هذا التقرير من كلام ابن المنير قريباً، **(فكان بعضهم)** أي من المخلصين **(يلقيه)** وفي نسخة: يلقي صدقته **(في يد أعمى)** أي ولا يخبره عن نفسه، **(وبعضهم يلقيه في طريق الفقير)** حيث يمر عليه، **(و)** بين يديه في **(موضع جلوسه حيث يراه)** فيأخذه **(و)** هو **(لا يرى المعطي)** ولا يعلمه.

قال القسطلاني وأنبئت عن بعضهم أنه كان يطرح دراهمه في المسجد ليأخذها المحتاج اهـ.

(وبعضهم كان يصرها في ثوب الفقير وهو نائم) فلا يعلم من جعله قال صاحب القوت: وقد رأيت من يفعل ذلك. **(وبعضهم كان يوصل للفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي، وكان يستكتم المتوسط شأنه)** أي يطلب منه أن يكتم ذلك **(ويوصيه أن لا يفشيه)** أي لا يظهر اسمه. قال صاحب القوت: فأما من فعل هكذا فلا يحصى ذلك من المسلمين **(كل ذلك توصلاً إلى إطفاء غضب الرب سبحانه واحترازاً من)** الوقوع في **(الرياء والسمعة. ومهما لم يتمكن من الإعطاء إلا أن يعرف)** وفي نسخة: ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد **(فتسليمها)** وفي نسخة: فتسليمه **(إلى وكيل)** أي واسطة **(يسلمها إلى الفقير)** وفي نسخة إلى المسكين **(والمسكين لا يعرف أولى إذ في معرفة المسكين)** له **(الرياء والمنة معاً)** وفي نسخة: جميعاً **(وليس في معرفة المتوسط إلا الرياء)** فقط، **(ومهما**

الرياء، ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد منهما مهلك في الآخرة، ولكن صفة البخل تنقلب في القبر في حكم المثال عقرباً لاذعاً، وصفة الرياء تنقلب في القبر أفعى من الأفاعي وهو مأمور بتضعيفهما أو قتلهما لدفع أذاهما أو تخفيف أذاهما، فمهما قصد الرياء والسمعة فكأنه جعل بعض أطراف العقرب مقوياً للحية فبقدر ما ضعف من العقرب زاد في قوّة الحية، ولو ترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه، وقوّة هذه الصفات التي بها قوّتها العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها. فأي فائدة في أن يخالف دواعي البخل ويجيب دواعي الرياء فيضعف الأدنى ويقوي الأقوى؟ وستأتي أسرار هذه المعاني في ربع المهلكات.

كانت الشهرة مقصودة) في العمل **(حبط العمل)** ونقص أجره **(لأن الزكاة)** الشرعية إنما يراد منها **(إزالة البخل)** أي لهذا الوصف عن صاحبها **(وتضعيف)** أي توهين **(لحب المال)** الذي جبلت عليه النفس وصار شركاً للشيطان، **(وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال وكل منهما)** أي حب الجاه والمال **(مهلك في الآخرة)** كما سيأتي بيانه في ربع المهلكات، **(لكن صفة البخل تنقلب في القبر)** في عالم المثال **(عقرباً لادغاً)** وفي نسخة: لداغاً يذكر ويؤنث والتأنيث أكثر، **(وصفة الرياء)** فيه في حكم المثال **(تنقلب حية)** لساعة، وفي نسخة: أفعى من الأفاعي، ولما كان الرياء ضرره أشد وأعم وقع تمثيله بالحية والأفعى والبخل بالنسبة إليه أخف ضرراً إذ هو منع البذل وقع تمثيله بالعقرب، **(والعبد مأمور بتضعيفهما)** أي توهينهما **(أو قتلهما)** مهما أمكنه **(لدفع أذاهما)** عنه **(أو تخفيفه)** أي الأذى، فالعقرب يلدغ ويمكن التحرز عنه بالبعد، والحية هجامة يعسر التخلص من شرها، **(فمهما قصد الرياء والسمعة)** في بذله وأراد أن يتخلص به من صفة البخل، **(فكأنه جعل بعض أطراف العقرب مقوياً)** وفي نسخة: قوتاً وفي نسخة أخرى: قوة **(للحية فبقدر ما ضعف)** أي أوهن **(من العقرب زاد قوة في الحية، ولو ترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه، وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها، وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها)** والتنصل عنها **(والعمل بخلاف مقتضاها فأي فائدة)** وأي ثمرة **(في أن تخالف داعي البخل)** ببذلك لما في يدك حتى لا تسمى بخيلاً **(و)** مع ذلك **(تجيب داعي الرياء)** والسمعة **(فتضعف الأدنى)** الذي هو صفة البخل **(وتقوي الأقوى)** الذي هو صفة الرياء والسمعة، **(وستأتي أسرار هذه المعاني)** الدقيقة الغامضة **(في ربع المهلكات)** إن شاء الله تعالى.

الوظيفة الرابعة: أن يظهر حيث يعلم أن في إظهاره ترغيباً للناس في الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذي سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء، فقد قال الله عز وجل: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١] وذلك حيث يقتضي الحال الإبداء إما للإقتداء وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس، فلا ينبغي أن يترك التصدق خيفة من الرياء في الإظهار، بل ينبغي أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الإمكان، وهذا لأن في الإظهار محذوراً ثالثاً سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير، فإنه ربما يتأذى بأن يرى في صورة المحتاج فمن أظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى في إظهاره وهو كإظهار الفسق على من تستر به، فإنه محظور والتجسس فيه والاغتياب بذكره منهي عنه، فأما من أظهره فإقامة الحد عليه إشاعة، ولكن هو السبب فيها. وبمثل هذا المعنى قال ﷺ: «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة

(**الوظيفة الرابعة. أن يظهر**) عطاءه (**حيث يعلم أن في إظهاره**) على مرأى من الناس (**ترغيباً للناس في الاقتداء**) به، وإرادة للسنة وتحريضاً على مثل ذلك من غيره لينافس فيه أخوه ويسرع إلى مثله أمثاله منهم (**ويحرس سره**) أن يحفظ باطنه (**عن داعية الرياء**) والسمعة (**بالطريق الذي سنذكره في معالجة الرياء في كتاب الرياء**) من ربع المهلكات فهو حسن، وذلك من التحاض على طعام المسكين، (**فقد قال الله تعالى: ﴿إن تبدوا الصدقات﴾**)وهي أعم من أن تكون واجبة أو تطوعاً ولكن إطلاقها في التطوع أكثر كما سيأتي (**فنعما هي**) [البقرة: ٢٧] فمدح المبدي بنعم (**وذلك**) لا يحسن إلا (**حيث يقتضي الحال الإبداء**) أي الإظهار، (**إما للاقتداء**) والتأسي أي كي يقتدي به أمثاله كما تقدم (**وأما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس**) فأظهر نفسه وكشفها للسؤال وآثر التبذل على الصون والتعفف، (**فلا ينبغي أن يترك التصدق**) عليه في تلك الحالة (**خيفة من الرياء في الإظهار، بل ينبغي أن يتصدق**) عليه (**ويحفظ سره عن الرياء بقدر الإمكان**)، فكان مفاد هذه الآية لهذا السائل الذي يسأل بلسانه وكفه، والآية التي بعدها كأنها للمستخفين بالمسألة وهي لخصوص الفقراء الذين لا يظهرون نفوسهم بها يمنعهم الحياء والتعفف، فمن أظهر نفسه فأظهر إليه ومن أخفاها فاخف له. (**وهذا لأن في الاظهار محذوراً ثالثاً سوى المن والرياء وهو هتك ستر الفقير لأنه ربما يتأذى بأن يرى في صورة المحتاج**) بمد لسانه وكفه، (**فمن أظهر السؤال**) وأبدى صفحة خده للتكفف (**فهو الذي هتك ستر نفسه**) بنفسه ونصال قرابه أدمى يده (**فلا يحذر هذا المعنى في إظهاره وهو**) بهذا الاعتبار (**كإظهار الفسق على من يتستر به، فإنه محظور**) أي ممنوع شرعاً (**والتجسس فيه والاغتياب بذكره منهي عنه**) بلسان الشرع، (**فأما من أظهره**) أي الفسق وتجاهر به (**فإقامة الحد عليه إشاعة**) في الخلق وإظهار، (**ولكن هو السبب فيها**) والحامل لها أي كشف عورة الفاسق إنما حرم عليك أن تظهر عورة

له » . وقد قال الله تعالى : ﴿ وأنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُم سِرّاً وَعَلانِيَةً ﴾ [فاطر : ٢٩] ندب إلى

من يخفي عنك نفسه ، فإذا أظهر نفسه بها وأعلن فلا بأس أن تظهر عليه كما في القوت ، **(ولمثل هذا المعنى قال ﷺ : « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له »)** .

قال العراقي : رواه ابن عدي ، وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف اهـ .

قلت : ولفظ ابن عدي في الكامل « من خلع » وأخرجه أيضاً الخرائطي في مساوىء الأخلاق ، وأبو الشيخ في الثواب ، والبزار والبيهقي ، والخطيب ، وابن عساكر ، والديلمي ، والقضاعي ، وابن النجار ، والقشيري في الرسالة كلهم من حديث أنس ، وقال البيهقي : في إسناده ضعف وإن صح حمل على فاسق معلن بفسقه اهـ .

قال الذهبي في المهذب : أحد رواته أبو سعيد الساعدي مجهول ، وفي الميزان : ليس بعمدة ثم أورد له هذا الخبر اهـ .

ورواه الهروي في ذم الكلام وحسنه ، وقد رد عليه الحافظ السخاوي في المقاصد ، والحاصل أن جميع طرق هذا الحديث ضعيفة ، فطريق أبي الشيخ ، والبيهقي فيه ابن الجراح عن أبي سعد الساعدي وقد ذكر حاله ، وطريق ابن عدي فيه الربيع بن بدر عن أبان وهذا أضعف من الأول .

ولكن للحديث شواهد تقويه من غير هذه الطرق فقد أخرج الطبراني ، وابن عدي في الكامل ، والقضاعي من حديث جعدبة بن يحيى ، عن العلاء بن بشر عن ابن عيينة ، عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة ، عن أبيه عن جده مرفوعاً « ليس لفاسق غيبة » قال الدارقطني : وابن عيينة لم يسمع من بهز ، وأورده البيهقي في الشعب ونقل عن شيخه الحاكم أنه غير صحيح ولا يعتمد وأخرجه أبو يعلى ، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، والعقيلي ، وابن عدي ، وابن حبان والطبراني ، والبيهقي من طريق الجارود بن يزيد عن بهز ، فهذا الإسناد بلفظ : « انزعوا عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس » وهذا أيضاً لا يصح ، فإن الجارود ممن رمي بالكذب ، وقال الدارقطني : هو من وضعه ، وقد روي أيضاً من طريق يعمر عن بهز بهذا الإسناد أخرجه الطبراني في الأوسط من طريق عبد الوهاب الصغاني عنه ، وعبد الوهاب كذاب ، وللحديث طرق أخرى عن عمر بن الخطاب رواه يوسف بن أبان : حدثنا الأبرد بن حاتم أخبرني منهال السراج عن عمر .

قال السخاوي : وبالجملة فقد قال العقيلي : ليس لهذا الحديث أصل من حديث بهز ، ولا من حديث غيره ، ولا يتابع عليه من طريق تثبت وأخرج البيهقي في الشعب بسند جيد عن الحسن أنه قال : « ليس في أصحاب البدع غيبة » ومن طريق ابن عيينة أنه قال : « ثلاثة ليس لهم غيبة الإمام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذي يدعو الناس إلى بدعته » ومن طريق زيد بن أسلم قال : « إنما الغيبة لمن يعلن بالمعاصي » ومن طريق شعبة قال : « الشكاية والتحذير ليسا من الغيبة » وقال عقبة : هذا صحيح فقد يصيبه من جهة غيره أذى فيشكوه ويحكي ما جرى عليه من الأذى فلا يكون ذلك حراماً ولو صبر عليه كان أفضل ، وقد يكون مزكياً في رواة الأخبار والشهادات

العلانية أيضاً لما فيها من فائدة الترغيب، فليكن العبد دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيه، فإن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص، فقد يكون الإعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل. ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال.

فيخبر بما يعلمه من الراوي أو الشاهد ليتقي خبره أو شهادته فيكون ذلك مباحاً والله أعلم.

(وقد قال الله تعالى: ﴿وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية﴾) [فاطر: ٢٩] قيل سراً التطوع وعلانية الصدقة المفروضة، **(فهذا ندب إلى العلانية أيضاً لما فيه من فائدة الترغيب)** والتحريض لأمثاله على مثل ذلك، **(فليكن العبد)** العارف **(دقيق التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيها)** هل يتساويان أو يرجح أحدهما على الآخر، **(فإن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص)** أي باختلافها، **(فقد يكون الإعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل)** بهذا الاعتبار، **(ومن عرف الفوائد)** المثمرة **(والغوائل)** المهلكة **(ولم ينظر بعين الشهوة)** النفسية بل عزلها عن مداخلتها في هذا المعنى **(اتضح له الأولى)** منها **(و)** ظفر **(الأليق)** فيها **(بكل حال)** وحيث انتهينا من حل كلام المصنف في هذا الفصل، فاعلم أنه في جميع ما أورده تبع فيه صاحب القوت، والمحاسبي، والقشيري، ولم يرتضه الشيخ الأكبر قدس سره ورد عليهم هذا التقسيم في كتاب الشريعة، وهذا نص عبارته في الكتاب المذكور قال:

وأما أحوال أهل الصدقة في الجهر بها والكتمان، فمنهم من يراعي صدقة السر لأجل ثناء الحق على ذلك في الخبر الحسن الذي يتضمن أنه لا تدري [شماله] ما تنفق يمينه وما جاء في صدقة السر واعتناء الله بذلك، فيسر بها لعلم الله في ذلك لا من طريق الإخلاص، فإن القوم منزهون عن الشرك في الأعمال لمشاهدتهم الحق في الأعمال، فيعلمون أن الحق ما ذكر باب السر في مثل هذا، وفضله على الإعلان إلا لعلم له تعالى في ذلك وإن لم يطلع عليه مع التساوي في حالتي الجهر والسر لصدق العلم بالله، ومعرفة من يعطي ومن يأخذ، ومن هذا الباب ذكر الله في النفس والملأ الوارد في الخبر، وأما صاحب الإعلان في الصدقة فليس هذا مشهده ولا أمثاله، وإنما الغالب على قلبه مشاهدة الحق في كل شيء فكل حال عنده إعلان بلا شك ما يشهد غير هذا، فيعلن بالصدقة كما يذكره بالملأ فإنه من ذكره في الملأ فقد ذكره في نفسه، وما كل من ذكره في نفسه ذكره في الملأ. فهذه حالة زائدة على الذكر النفسي لها مرتبة تفوت صاحب ذكر النفس، فإن ذكر النفس لا يطلع عليه في الحالتين فهو سر بكل وجه، فصدقة الإعلان تؤذن بظهور الاقتدار الإلهي فعمن يخفيها أو يسرها وهو الظاهر في المظاهر الإمكانية ﴿قل الله ثم ذرهم﴾ [الأنعام: ٩١] ﴿أغير الله تدعون﴾ [الأنعام: ٤٠].

وأما ما يذكره عامة أهل الطريق مثل أبي حامد، والمحاسبي وأمثالها من العامة من الرياء في

الوظيفة الخامسة: أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى. قال الله تعالى: ﴿لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بالْمَنِّ والأذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤] واختلفوا في حقيقة المن والأذى فقيل المن

ذلك، فإنما ذلك خطاب بلسان العامة الجهلاء ما هو لسان أهل الله، ونحن إنما نتكلم مع أهل الله في ذلك، ولقد كان شيخنا يقول لأصحابه: اعلنوا بالطاعة كما يعلن هؤلاء بالمعاصي، فإن كلمة الله هي العليا. قال بعضهم لأصحاب شيخ مقبر: بماذا كان يأمركم الشيخ؟ قال: كان يأمرنا بإخفاء الأعمال ورؤية التقصير فيها، فقال: أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بإظهار الأعمال وبرؤية مجريها ومنشئها على أيديكم فهذا من هذا الباب فقد نبهتك على السر والإعلان في العطايا مع الخلاف الذي بين علماء الرسوم في الصدقة المكتوبة وصدقة التطوع وهو مشهور لا يحتاج إلى ذكره.

وأما الكامل من أهل الله، فهو الذي يعطي بالحالتين ليجمع بين المقامين، ويحصل النتيجتين وينظر بالعينين، فيعلن في وقت في الموضع الذي يرى أن الحق آثر فيه الإعلان، ويسر في وقت في الموضع الذي يرى أن الحق تعالى آثر فيه الإسرار وهو الأولى بالمكمل من أهل الله اهـ.

قلت: والحق أن ما ذكره المصنف هو تسليك للمريد السالك في طريق الآخرة نظراً إلى أنه لا ينفك غالب أحواله من الاتصاف بما لا يجوز له الدخول في الحضرة الإلهية، فمثل هذا لا يغلب على قلبه مشاهدة الحق في كل شيء وإن ما ذكره الشيخ قدس سره فهو مسلم أيضاً وهو مشهد كمل العارفين الذين جازوا هذه المفاوز وقطعوا تلك الفيافي فهم يشهدون في المظاهر والتعينات ما لا يدخل تحت وزن، فقد يكون المحذور عندهم عين المحضور والمنظور فلا معارضة بين الكلامين لأن كلاً منهما باعتبارين مختلفين، ومع ذلك فالأذواق تختلف باختلاف المشارب وللناس فيما يألفون مذاهب والله أعلم.

(**الوظيفة الخامسة: أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى قال الله تعالى**): ﴿يا أيها الذين آمنوا (**لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى**) كالذي ينفق ماله رئاء الناس﴾ [البقرة: ٢٦٤] شبه سبحانه الذي يبطل صدقته بالمن والأذى بالذي ينفق ماله رئاء الناس لأجل مدحتهم وشهرته بالصفات الجميلة مظهراً أنه يريد وجه الله، ولا ريب أن الذي يرائي في صدقته أسوأ حالاً من المتصدق بالمن، لأنه معلوم أن المشبه به أقوى حالاً من المشبه، ومن ثم قال الله تعالى: ﴿ولا يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ ثم ضرب مثل ذلك المرائي بالإنفاق بقوله: ﴿فمثله كمثل صفوان﴾ [البقرة: ٢٦٤] أي حجر أملس عليه تراب فأصابه وابل مطر كبير القطر فتركه صلداً أملس نقياً من التراب، كذلك أعمال المرائين تضمحل عند الله فلا يجد المرائي بالإنفاق يوم القيامة ثواب شيء من نفقته كما لا يحصل النبات من الأرض الصلدة، والضمير في لا يقدرون للذي ينفق باعتبار المعنى، لأن المراد الجنس أو الجمع أي: لا ينتفعون بما فعلوا ولا يجدون ثوابه، وفي قوله تعالى: ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ [البقرة: ٢٦٤] تعريض بأن الرياء والمن

أن يذكرها، والأذى أن يظهرها. وقال سفيان: من منّ فسدت صدقته، فقيل له: كيف المن؟ فقال: أن يذكره ويتحدث به، وقيل: المن أن يستخدمه بالعطاء، والأذى أن يعيّره بالفقر، وقيل: المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه، والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة. وقد قال ﷺ: «لا يقبل الله صدقة منّان». وعندي لن المن له أصل ومغرس وهو من

والأذى على الإنفاق من صفة الكفار، فلا بد للمؤمن أن يجتنبها. وأخرج ابن أبي حاتم في التفسير قال: لما سمعت «لا يدخل الجنة منان» شق ذلك عليَّ حتى وجدت في كتاب الله في صفة المنان هذه الآيَة.

(**واختلفوا في حقيقة المن والأذى**) اللذين تبطل بهما الصدقة (**فقيل: المن**) على من أعطى تلك الصدقة (**أن يذكرها**) أي يمن بذكر الإعطاء له ويعدد نعمه عليه فيقول له: ألم أعطك كذا وكذا. أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن. (**والأذى أن يظهرها**) ويفشيها.

(**وقال سفيان**) الثوري: ولفظ القوت وحدثت عن بشر بن الحرث قال قال سفيان: (**من منَّ فسدت صدقته. قيل له: كيف المن**) يا أبا نصر؟ (**قال: أن يذكره ويتحدث به**). ولفظ القوت: أو يتحدث به، وعلى هذه الرواية التحدث به غير الذكر كما لا يخفى، فقد قال بنفسه قبل هذه العبارة، وأن يسر ذلك إلى الفقير سراً ولا يذكر ذلك، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿صدقاتكم بالمن والأذى﴾ أن يظهرها فجعل الإظهار تفسيراً لكليهما.

(**وقيل: المن أن يستخدمه بالعطاء، والأذى أن يعيره بالفقر، وقيل: المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه، والأذى: أن ينتهره**) ويغلظ له القول رواه ابن المنذر عن الضحاك. (**أو يوبخه بالمسألة**). وهذه الأقوال نقلها صاحب القوت عن المفسرين، وقد جاء النهي عن المن والأذى في الصدقات في آية أخرى قال الله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة: ٢٦٢] فأثنى الله تعالى على من لا يتبع ما ينفقه مناً على من أعطى ولا أذى بأن يتطاول عليه بسبب ما أنعم عليه فيحبط به ما أسلف من الإحسان، فحظر الله المن بالصنيعة واختص به صنعة لنفسه إذ هو من العباد تكدير ومن الله إفضال وتذكير لهم بنعمته. (**وقد قال ﷺ: «لا يقبل الله صدقة منان»**) هكذا أورده صاحب القوت وقال العراقي: لم أجده هكذا انتهى.

قلت: ومما يناسب الاستدلال به من الأحاديث الواردة في المنان الذي يمن بعطائه ما أخرجه أحمد، ومسلم، والأربعة من حديث أبي ذر «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم. المسبل إزاره، والمنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منة، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب».

وفي فوائد رستة عن أبي هريرة «ثلاثة لا يحجبون من النار المنان، وعاق والديه، ومدمن الخمر».

وعند الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة «ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفاً ولا

أحوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح فأصله أن يرى نفسه محسناً إليه ومنعماً عليه، وحقه أن يرى الفقير محسناً إليه بقبول حق الله عز وجل منه الذي هو طهرته ونجاته من النار، وأنه لو لم يقبله لبقي مرتهناً به، فحقه أن يتقلد منة الفقير إذ جعل كفه نائباً عن الله عز وجل في قبض حق الله عز وجل، قال رسول الله ﷺ: « إن الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع في يد السائل » فليتحقق أنه

عدلاً عاق ومنان ومكذب بالقدر » وعنده أيضاً من حديث ابن عمر « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة المنان عطاءه، والمسبل إزاره خيلاء، ومدمن الخمر ».

وعند مسلم، والنسائي، والحاكم من حديثه بلفظ: « العاق لوالديه والمدمن الخمر والمنان ما أعطى » فهذه الأحديث تصلح للاحتجاج لما ساقه المصنف في الباب على أنه يفهم من سياق ما أوردناه من حديث ابن عمر عند الطبراني صحة ما أورده المصنف باللفظ المذكور فتأمل.

(وعندي أن المن) في الأعطية سواء كان في الواجب أو في التطوع **(له أصل)** يعتمد عليه **(ومغرس)** تتفرع منه أفنانه **(وهو من أحوال القلب وصفاته)** المعنوية لا تعلق للجوارح عليها إلا باعتبار، **(ثم تتفرع عليه)** أي على ذلك الأصل **(أفعال ظاهرة على اللسان والجوارح)** هي ثمرات أفنانه الباسقة عن ذلك الأصل **(وأصله أن يرى المعطي نفسه محسناً إليه)** بعطائه **(ومنعماً عليه)** به، **(وحقه أن يرى الفقير)** الآخذ **(هو المحسن بقبول حق الله منه)** وهو الواجب عليه إنفاقه **(الذي هو طهرته)** من الأخلاق الرذيلة من البخل والشح والإقتار وطهرة ماله كذلك، **(ونجاته من النار)** إذ يوقى بها من ميتة السوء كما في حديث الترمذي، وإليه يشير حديث البخاري « اتقوا النار ولو بشق تمرة » كما سيأتي. **(و)** يرى **(أنه لو لم يقبله)** الفقير منه **(لبقي)** صاحبه **(مرتهناً به)** معلقاً كالرهن في ذمته، **(فحقه أن يتقلد)** في عنقه منة **(من الفقير)** إذ قبله منه ولم يرده و**(إذ جعل كفه نائباً)** في الأخذ **(عن الله في قبض حق الله)**.

وقد أشار إليه صاحب القوت حيث قال: وليكن ناظراً إلى نعمة الله تعالى عليه عارفاً بحسن توفيقه له، وأن يعتقد فضل من يعطيه من الفقراء عليه ولا ينتقصه بقلبه ولا يزدريه، وليعلم أن الفقير خير منه لأنه جعل طهرة وزكاة له ورفعة ودرجة في دار المقامة والحياة، وأنه هو قد جعل سخرة للفقير وعمارة لدنياه، كما حدثنا عن بعض العارفين قال: أريد مني ترك التكسب وكنت ذا صنعة جليلة فجال في نفسي من أين المعاش فهتف بي هاتف: لا أراك تنقطع إلينا وتتهمنا فيك علينا أن نخدمك ولياً من أوليائنا أو نسخر لك منافقاً من أعدائنا اهـ.

(قال رسول الله ﷺ: « إن الصدقة تقع بيد الله تعالى قبل أن تقع في يد السائل ») قال العراقي: رواه الدارقطني في الافراد من حديث ابن عباس وقال: غريب من حديث عكرمة عنه، والبيهقي في الشعب بسند ضعيف اهـ.

مسلم إلى الله عز وجل حقه، والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته إلى الله عز

وأورده صاحب القوت ولفظه « قبل أن تقع بيد السائل » اهـ.

(فليتحقق أنه في إعطائه هذا مسلم إلى الله عز وجل حقه، والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته إلى الله عز وجل)، وهذا شأن الموقنين فإنهم يأخذون الرزق من يد الله تعالى ولا يعبدون إلا إياه ولا يطلبون إلا منه كما أمرهم بقوله: ﴿فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه﴾ [العنكبوت: ١٧].

وفي كتاب الشريعة: العارفون بالله على مراتب: منهم الذين يعطون ما بأيديهم كرماً إلهياً وتخلقاً المستحق وغير المستحق، والآخذ في الحقيقة مستحق لأنه ما أخذ إلا بصفة الفقر والحاجة لا بغيرها كالتاجر الغني صاحب الآلاف يجوب القفار ويركب البحار ويقاسي الأخطار ويتغرب عن الأهل والولد ويعرض بنفسه وماله للتلف في أسفاره، وذلك لطلب درهم زائد على ما عنده، فحكمت عليه صفة الفقر عن مطالعة هذه الأحوال، وهونت عليه الشدائد لأن سلطان هذه الصفة في العبد قوي، فمن نظر هذا النظر الذي هو الحق فإنه يرى أن كل من أعطاه شيئاً أخذه منه ذلك الآخر، فإنه مستحق لمعرفته بالصفة التي أخذها منه إلا أن يأخذها قضاء حاجة له لكونه يتضرر بالرد عليه أو لستر مقامه بالأخذ، فذلك يده يد حق، كما ورد أن الصدقة تقع بيد الرحمن قبل وقوعها بيد السائل، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله، فهذا أخذ من غير خاطر حاجة في الوقت وغاب عن أصله الذي حركه للأخذ، وهو أن تقتضيه حقيقة الممكن، فهذا شخص قد استترت عنه حقيقته في الأخذ بهذا الأمر العرض، فنحن نعرفه حين يجهل نفسه فما أعطى إلا غني عما أعطاه سواء كان لغرض أو عوض أو ما كان فإنه غني عما أعطى، وما أخذ إلا مستحق أو محتاج لما أخذ لغرض أو عوض أو ما كان لأن الحاجة إلى تربية ما أخذ حاجة إذ لا يكون مربياً إلا بعد الأخذ فافهم فإنه دقيق غامض اهـ.

وقال في موضع آخر: الصدقة إذا حصلت في يد المتصدق عليه أخذها الرحمن بيمينه فإن كان المعطي في نفس هذا العبد حين يعطيها هو الله، فلتكن يده تعلو يد المتصدق عليه، ولا بد فإن اليد العليا هي يد الله، وإن شاهد هذا المعطي يد الرحمن آخذة منه حين يتناولها المتصدق عليه فتبقى يده من حيث الله تعالى على يد الرحمن كما هي، فإنه صفته له والرحمن نعت من نعوت الله تعالى، ولكن ما يأخذ منها عينها، وإنما يناله تقوى المعطي في إعطائه، وأكمل وجوهه فيشهد المعطي أن الله هو المعطي، وأن الرحمن هو الآخذ فإذا أخذها الرحمن في كفيه بيمينه جعل محلها هذا العبد فاعطاه الرحمن إياها ولا يتمكن إلا ذلك، فإن الصدقة رحمة فلا يوصيها إلا الرحمن بحقيقته، وتناولها الله من حيث ما هو موصوف بالرحمن الرحيم لا من حيث مطلق الإسم، فمثل هذه الصدقة إذا أكلها المتصدق عليه أثمرت له طاعة وهداية ونوراً وعلماً اهـ.

وجل، ولو كان عليه دين لإنسان فأحال به عبده أو خادمه الذي هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدي الدين كون القابض تحت منته سفهاً وجهلاً، فإن المحسن إليه هو المتكفل برزقه. أما هو فإنما يقضي الذي لزمه بشراء ما أحبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره، ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم يرَ نفسه محسناً إلا إلى نفسه، إما ببذل ماله إظهاراً لحب الله تعالى أو تطهيراً لنفسه عن رذيلة البخل، أو شكراً على نعمة المال طلباً للمزيد. وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسناً إليه، ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى نفسه محسناً إليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو التحدث به وإظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الأمور، فهذه كلها ثمرات المنة، ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه. وأما الأذى: فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر

ثم قال المصنف رحمه الله: (**ولو كان عليه دين لإنسان**) يتقاضاه (**فأحال صاحب الدين به عبده أو خادمه الذي هو متكفل برزقه**) ويمونه (**لكان اعتقاد مؤدي الدين كون القابض**) هذا المحال عليه بطلب الدين (**تحت منته**) وجيله (**سفهاً**) في رأيه (**وجهلاً، فإن المنة**) إنما هي (**للمحسن إليه المتكفل برزقه**) لا غير، (**فأما هو فقائم بقضاء الدين الذي لزمه بشراء ما أحبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره**)، فالمال مال الله، والعبد مديون مرهن الذمة، والفقير محال عليه يأخذ ذلك الدين منه، ولا منة للمعطي على الفقير بوجه من الوجوه، وإنما المنة عليه لصاحب المال الذي أمره بالأخذ. (**ومهما عرف المعاني الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه**) منعماً ولا (**محسناً إلا إلى نفسه إما ببذل ماله**) في مواضعه (**إظهاراً لحب الله**) وجلاله وتقرباً إليه به، (**أو تطهيراً لنفسه عن رذيلة البخل**) المذموم، (**أو شكراً على نعمة المال**) حيث جعله مستخلفاً فيه (**طلباً للمزيد**) لقوله: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم: ٧] (**وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسناً إليه**) بوجه من الوجوه، (**ومهما حصل هذا الجهل**) من رعونة النفس (**بأن يرى نفسه محسناً إليه**) وأبى إلا ذلك (**تفرع منه على ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو التحدث به**) بتعديد ما أعطى، (**وإظهاره**) للناس (**وطلب المكافأة منه**) أي المقابلة (**بالشكر**) على ما أعطى، (**والدعاء**) له (**والخدمة والتوقير**) والتبجيل (**والتعظيم والقيام بالحقوق**) من قضاء المصالح وغيره، (**والتقدم في المجالس**) والتنويه بشأنه (**والمتابعة في الأمور**) الظاهرة. (**فهذه كلها ثمرات المنة**) والناس واقعون فيها، وقل من يتنبه لذلك. (**ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه**) قريباً.

(**وأما الأذى**) كذلك له ظاهر وباطن، (**فظاهره التوبيخ**) على سوء الفعل والتعنيف

بالإظهار وفنون الاستخفاف، وباطنه وهو منبعه أمران، أحدهما: كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه، فإن ذلك يضيق الخلق لا محالة. والثاني: رؤيته أنه خير من الفقير، وأن الفقير لسبب حاجته أخس منه، وكلاهما منشؤه الجهل. أما كراهية تسليم المال فهو حمق لأن من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي ألفاً فهو شديد الحمق. ومعلوم أنه يبذل المال لطلب رضا الله عز وجل. والثواب في الدار الآخرة، وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكراً لطلب المزيد، وكيفما فرض فالكراهة لا وجه لها. وأما الثاني؛ فهو أيضاً جهل لأنه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الأغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته، فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة، بعد الفقراء بخمسمائة عام، ولذلك قال ﷺ: «هم

والعتاب عليه (**والتعيير**) هو نسبة القبح إليه (**وتخشين الكلام**) في خطابه (**وتقطيب الوجه**) عند مقابلته (**وهتك السر بالإظهار**) والإعلان (**وفنون الاستخفاف**) أي أنواعه (**وباطنه وهو منبعه**) أي أصله (**أمران: أحدهما: الكراهية لرفع اليد عن المال**) ظناً منه أنه بإخراج بعضه يحصل فيه نقص، (**ولشدة ذلك على نفسه**) مما جبلت على الفقر والطمع قال تعالى: ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ [العاديات: ٨] وفسروا الخير بالمال، (**فإن ذلك يضيق الخلق لا محالة**) أي البتة. (**الثاني: رؤيته أنه خير من الفقير وأن الفقير لسبب حاجته**) وفقره (**أخس**) أي أنقص (**رتبة منه، وكلاهما**) أي الأمران (**منشؤه الجهل**) المضر (**اما كراهية تسليم المال فهو حمق**) أي فساد في العقل (**لأن مركزه بذل درهم في مقابلة ما يساوي ألفاً**) وفي نسخة: ما يسوّى وهي لغة مرذولة، (**فهو شديد الحمق، ومعلوم أنه**) إنما (**يبذل المال**) لأحد أمور ثلاثة: إما (**لطلب رضا الله عز وجل**) في امتثال أمره (**و**) رجاء (**الثواب في الدار الآخرة وذلك أشرف مما بذله**) قطعاً لأنه اشترى الباقي بالفاني، (**أو يبذله ليطهر نفسه عن رذيلة البخل**) وهذا دون الأول وفيه القرب إلى الله، فقد ورد: السخي قريب من الجنة قريب من الله، والبخيل بعيد عن الجنة بعيد عن الله، (**أو**) يبذله (**شكراً**) على نعمة المال (**لطلب المزيد**) فيه وهذا دون الثاني، (**وكيفما فرض فالكراهة لا وجه لها، وأما الثاني**) وهو رؤية نفسه خيراً من الفقير (**فهو أيضاً جهل لأنه لو عرف فضل الفقير على الغني**) وفضل الفقر على الغنى (**وعرف خطر الأغنياء**) وخطر الغنى وما ينشأ عنه (**لما استحقر الفقير**) أصلاً، (**بل تبرك به وتمنى درجته**) وعظم في عينه، (**فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام**).

أخرج الترمذي من حديث أبي سعيد وحسنه «فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام».

الأخسرون ورب الكعبة. فقال أبو ذر: من هم؟ قال: هم الأكثرون أموالاً » الحديث. ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله تعالى متجرة له؟ إذ يكتسب المال بجهده

وروي أيضاً عن جابر وحسنه « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً ». وهكذا أخرجه أحمد، وعبد بن حميد. وأخرجه الطبراني في الكبير، عن ابن عمر، وعن أبي الدرداء.

وأخرج مسلم من حديث عبدالله بن عمر « وفقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً »

وأخرج أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح، وابن ماجه من حديث أبي هريرة « يدخل فقراء المسلمين قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام ».

وعند أبي نعيم من حديثه « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم بيوم مقداره ألف عام » وعنده أيضاً من حديثه « يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بمائة عام ».

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادره من حديث سعيد بن عامر بن خريم « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة سنة حتى أن الرجل من الأغنياء ليدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج ».

وأخرج أحمد عن رجال من الصحابة « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم بأربعمائة عام حتى يقول المؤمن الغني يا ليتني كنت عيلاهم الذين إذا كان مكروه بعثوا له وإذا كان مغنم بعث إليه سواهم وهم الذين يحجبون عن الأبواب ». واختلاف هذه الأخبار يدل على أن الفقراء مختلفو الحال، وكذلك الأغنياء. وفي الجمع بين هذه الأخبار كلام تعرض له القرطبي في شرح مسلم.

(**ولذلك قال ﷺ**) فيما رواه مسلم عن أبي ذر قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة، فلما رآني قال: (**« هم الأخسرون ورب الكعبة. فقال أبو ذر**): فجئت حتى جلست فلم أتقار أن قمت فقلت: (**من هم يا رسول الله**) فداك أبي وأمي؟ (**قال: هم الأكثرون أموالاً**) إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم » (**الحديث**) إلى آخره. وقد تقدم في بعض طرق البخاري « هم الأخسرون ورب الكعبة هم الأخسرون ورب الكعبة. قال أبو ذر: قلت ما شأني؟ أترى فيّ شيئاً ما شأني. فجلست، وهو يقول فما استطعت أن أسكت وتغشاني ما شاء الله، فقلت من هم بأبي أنت؟ » الحديث وقد تقدم. (**ثم كيف يستحقر الفقير**) ويعرض عنه بوجهه (**وقد جعله الله سخرة له**) أي من المسخرين لإعانته؟ (**إذ**) هو (**يكتسب المال بجهده**) بالسفر إلى البلاد البعيدة ومفارقة الأهل وتحمل المشاق وركوب البحار والبراري والقفار (**ويستكثر منه**) يطلب الأرباح (**ويجتهد في حفظه**)

ويستكثر منه ويجتهد في حفظه بمقدار الحاجة، وقد ألزم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلم إليه، فالغني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عليه بتقليد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات إلى أن يموت فيأكله أعداؤه، فإذاً مهما انتفت الكراهية وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى له في أداء الواجب وتقبيضه الفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى الأذى والتوبيخ وتقطيب الوجه، وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة، فهذا منشأ المن والأذى.

فإن قلت: فرؤيته نفسه في درجة المحسن أمر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم يرَ نفسه محسناً؟ فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة، وهو أن يقدر أن الفقير لو جنى عليه جناية أو مالأ عدواً له عليه مثلاً هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق؟ فإن زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة لأنه توقع بسببه ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك.

بنفسه وخدمه (**لمقدار الحاجة، وقد ألزم**) بلسان الشرع (**أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته**) بما يسوغ به حاله (**ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلم إليه، فالغني**) إذاً (**مستخدم**) في صورة مخدوم (**لا سعي في**) تحصيل (**رزق الفقير**) من هنا ومن هنا (**ومتميز عنه بتقليد المظالم**) على عنقه (**والتزام المشاق**) بالأسفار في طلب الأرباح والفوائد لزيادة المال (**وحراسة الفضلات**) الزائدة عن حاجة الفقير، وهكذا حاله (**إلى أن يموت فيأكله أعداؤه**) ويتمتعون به، (**فإذاً مهما انتفت الكراهة وتبدلت بالسرور والفرح**) والاستبشار (**بتوفيق الله تعالى له في أداء الواجب**) عليه (**وتقبيضه**) إياه (**الفقير حتى يخلصه عن عهدته**) ويفكه عن ذمته (**بقبوله منه**) على الوجه المرضي (**انتفى الأذى**) المنهي عنه (**و**)كذا (**التوبيخ**) والتعيير (**وتقطيب الوجه**) والإعراض، (**وتبدل بالاستبشار**) وسعة الخلق (**والثناء**) الحسن (**وقبول المنة**) والإقبال، (**فهذا**) الذي ذكرته هو (**منشأ المن والأذى**).

(**فإن قلت: فرؤيته نفسه في درجة المحسن أمر غامض**) خفي المدرك (**فهل من علامة يمتحن بها قلبه**) ويختبره (**فيعرف بها**) أي بتلك العلامة (**أنه لم ير نفسه محسناً، فاعلم أن له علامة دقيقة**) تدق على بعض الأفهام وهي (**واضحة**)عند التعليم والأفهام، (**وهي أن يقدر**) في نفسه (**أن الفقير لو جنى عليه جناية**) مثلاً (**أو مالأ عدواً له عليه مثلاً**) يقال: مالأه ممالأة عاونه وتمالؤا على الأمر تعاونوا عليه. وقال ابن السكيت: اجتمعوا عليه. (**هل كان يزيد استنكاراً واستبعاداً له**) على استنكاره عليه (**قبل**) حالة (**التصدق؟ فإن زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة لأنه توقع بسببه**) وفي نسخة: بسبب صدقته (**ما لم يتوقعه**) وفي نسخة: ما لم يكن يتوقعه (**قبل ذلك**) أي قبل التصدق والتوقع الترجي.(**فإن**

فإن قلت: فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب أحد عنه فما دواؤه؟ فاعلم أن له دواء باطناً ودواء ظاهراً. أما الباطن؛ فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في فهم الوجوب وأن الفقير هو المحسن إليه في تطهيره بالقبول. وأما الظاهر؛ فالأعمال التي يتعاطاها متقلد المنة فإن الأفعال التي تصدر عن الأخلاق تصبغ القلب بالأخلاق ـ كما سيأتي أسراره في الشطر الأخير من الكتاب ـ ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائماً بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لو ردّه. وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه وتكون يد الفقير هي العليا. وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفاً إلى فقير قالتا للرسول: احفظ ما يدعو به، ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان: هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا. فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه شبه المكافأة وكانوا يقابلون الدعاء

قلت: فهذا أمر غامض) خفي المدرك **(ولا ينفك قلب أحد عنه)** بحكم التسويل الشيطاني **(فما دواؤه)**: أي علاجه الذي يداوى به هذا المرض الخفي. **(فاعلم أن له دواء باطناً ودواء ظاهراً، أما)** الدواء **(الباطن: فالمعرفة)** الخاصة **(بالحقائق)** هي المعاني الثلاثة **(التي ذكرناها في فهم الوجوب و)** خلاصته معرفة **(أن الفقير هو المحسن إلى الغني في تطهيره)** عن رذيلة البخل وتطهير ماله **(بالقبول)** فمتى عرف هذا المعنى وتأمل فيه زال ما في قلبه من الريبة والتردد، **(وأما)** الدواء **(الظاهر: فالأعمال التي يتعاطاها متقلد المنة)** على عنقه، **(فإن الأفعال التي تصدر عن الأخلاق تصبغ القلوب بالأخلاق)** وتؤثر سرها فيها **(ـ كما ستأتي أسراره في الشطر الأخير من الكتاب ـ)** إن شاء الله تعالى فإذا وصلت إلى الفقير معروفاً فبحسن أدب ولين جانب ولطف كلام وتواضع وتذلل، **(ولذلك كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير)** على الأرض **(ويمثل قائماً بين يديه ويسأله قبولها)** منه **(حتى يكون هو في صورة السائلين)** ولا يناوله بيده إعظاماً **(وهو يستشعر مع ذلك كراهية الرد)** منه **(لو ردت عليه)** نقله صاحب القوت **(وكان بعضهم)** إذا أراد أن يدفع إلى فقير شيئاً **(يبسط كفه)** بالعطاء **(ليأخذ الفقير منه لتكون يد الفقير هي العليا))** ويد المعطي هي السفلى نقله صاحب القوت، قال: فإذا دعا لك مسكين عند الصدقة فاردد عليه مثل دعائه حتى يكون ذلك جزاء لقوله وتخلص لك صدقتك، وإلا كان دعاؤه مكافأة على معروفك.

(وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفاً) أي صدقة **(إلى فقير)** وأصل المعروف ما يعرفه الشرع من الخير والرفق والإحسان، ومنه قولهم: من كان آمراً بالمعروف فليأمر بالمعروف. أي: من أمر بخير فليأمر برفق **(قالتا للرسول: احفظ ما يدعو به، ثم كانتا تردان عليه مثل قوله)** في الدعاء **(وتقولان: هذا بذاك حتى تخلص لنا**

بمثله، وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما، وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة، ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل، وهذه الشريطة من "الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة، وثبت ذلك بقوله ﷺ: «ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها». وهذا كقوله ﷺ: «لا يتقبل الله صدقة منان» وكقوله عز وجل: ﴿لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر، وقد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة.

صدقتنا، فكانوا لا يتوقعون الدعاء) منه في تلك الحالة (**ولأنه شبه المكافأة**) على المعروف (**فكانوا**) يتحفظون من ذلك و(**يقابلون الدعاء بمثله**) وهو أقرب إلى التواضع، وأن لا ترى أنك مستحق لذلك لما وصلت به لأنك عامل في واجب عليك لمعبودك أو توفي للمعطي رزقه وما قسم له من تعبدك بذلك. (**وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما**) في مقابلة الدعاء بمثله، (**فهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم**) وهو يدل على معرفة العبد بربه وحسن أدبه في عبادته، ومن أحب الثناء والذكر على معروفه كان ذلك حظه منه وبطل أجره، وربما كان عليه فضل من الوزر لمحبته الثناء والذكر فيما لله تعالى أن يفعله، أو في رزق الله تعالى لعبده الذي أجراه على يده، فإن تخلص سواء بسواء فما أحسن حاله. (**ولا دواء من حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة، ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها**) آنفاً (**هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم**) والمرض المذكور منبعه القلب (**ولا يعالج القلب**) إذا وجد فيه هذا الداء (**إلا بمعجون**) مركب من (**العلم والعمل**)، فبعض أجزائه من العلم وبعضها من العمل ليتعادل في الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. (**وهذه الشريطة في الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة**) وكل منها ثابت بالكتاب والسنة (**ثبت ذلك**) بقوله تعالى: ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ [النساء: ٤٣] وبقوله تعالى: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ [المؤمنون: ٢] و(**بقوله ﷺ «ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها»**) تقدم الكلام عليه في كتاب الصلاة. (**وثبت هذا بقوله: ﷺ «لا يقبل الله صدقة منان»**) تقدم الكلام عليه قريباً وأنه لم يرو بهذا اللفظ، وإنما معناه في حديث الترمذي وغيره، (**وبقوله عز وجل ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾**) [البقرة: ٢٦٤] وهو يدل على أن المنان صدقته باطلة. (**وأما فتوى الفقيه بوقوعها**) أي الزكاة (**موقعها وبراءة ذمته منها فهو دون هذا الشرط، وفي حديث آخر**) ولكل مقام مقال. (**وقد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة**) فراجعه وقس عليه.

الوظيفة السادسة: أن يستصغر العطية فإنه إن استعظمها أعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال. قال تعالى: ﴿ويَوم حُنَيْن إذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرتُكُم فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾ [التوبة: ٢٥] ويقال: إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل. والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل. وقيل: لا يتم المعروف إلا بثلاثة أمور تصغيره وتعجيله وستره. وليس الاستعظام هو المن والأذى، فإنه لو صرف ماله

(**الوظيفة السادسة: أن يستصغر**) المعطي (**العطية**) ويستقلها (**فإنه إن استعظمها**) في نفسه (**أعجب بها والعجب من المهلكات**)، كما روى الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه» وقد تقدم قريباً، (**وهو**) مع كونه مهلكاً (**محبط للأعمال**) أي مفسد لها ومهدر. (**قال الله تعالى**) مخاطباً لنبيه ﷺ: (**ويوم حنين**) أي أذكر يوم حنين، وهو مصغر واد بين مكة والطائف مذكر منصرف وقد يؤنث على معنى البقعة (﴿**إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً**﴾) [التوبة: ٢٥]. وقصته أن النبي ﷺ فتح مكة في رمضان سنة ثمان خرج منها لقتال هوازن وثقيف، وقد بقيت أيام من رمضان فصار إلى حنين، فلما التقى الجمعان قال بعض المسلمين: لن نغلب عن كثرة فداخلهم العجب، فانكشف المسلمون ثم أمدهم الله بنصره وعطفوا وقاتلوا المشركين فهزموهم وغنموا أموالهم وعيالهم، ثم سار المشركون إلى أوطاس واقتتلوا فانهزم المشركون إلى الطائف وغنم المسلمون منها أيضاً أموالهم وعيالهم، ثم سار إلى الطائف فقاتلهم بقية شوال، فلما أهل ذو القعدة ترك القتال لأنه شهر حرام ورحل راجعاً، فنزل الجعرانة وقسم غنائم أوطاس وحنين ويقال: كانت ستة آلاف سبي.

(**ويقال: إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله تعالى، و**) أن (**المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى**) كذا في القوت، (**وقيل**) عن بعض العلماء (**لا يتم المعروف إلا بثلاث**) صفات (**تصغيره**) أي استحقاره واستقلاله، (**وتعجيله**) أي المسارعة في إيصاله إلى المستحق، (**وستره**) بأن لا يذكره على لسانه ولا يبث به نقله صاحب القوت.

واعلم أن ما ذهب إليه المصنف تبعاً لصاحب القوت وغيره من العارفين هو المشهور عندهم من استحقار ما يعطى، والذي صرح به الشيخ الأكبر قدس سره في كتاب الشريعة أن الأذواق والمشارب في هذه المسألة مختلفة بحسب أحوالهم، وأشار إلى أن منهم من يرى استعظام ما يعطي وهو أيضاً مشهد من مشاهدهم، فقال: الناس على أربعة أقسام، فيما يعطونه وفيما يأخذونه: قسم يستعظم ما يعطي ويستحقر ما يأخذ، وقسم يستحقر ما يعطي ويستعظم ما يأخذ، وقسم يستحقر ما يعطي وما يأخذ، وقسم يستعظم ما يعطي وما يأخذ، ولهذا منهم من ينتقي وهم الذين لا يرون وجه الحق في الأشياء، ومنهم من لا ينتقي وهم الذين يرون وجه الحق في الأشياء، وقد ينتقون لحاجة الوقت وقد لا ينتقون لاطلاعهم على فقرهم المطلق فمنهم ومنهم فإن مشاربهم مختلفة

وكذلك مشاهدهم، فإن الحال للنفس الناطقة كالمزاج للنفس الحيوانية فإن المزاج على الجسم والحال حاكم على النفس.

ثم اعلم أن استعظام الصدقة مشروع قال الله تعالى: ﴿فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾ [الحج: ٢٨] وقال ﴿وأطعموا القانع والمعتر﴾ [الحج: ٣٦] يعني من البدن التي جعلها الله من شعائر الله ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ ﴿لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ يعني البدن. وفي هذه القصة قال ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ [البقرة: ٣] وقد تقدم في شرح المنفق الذي الإنفاق منه كونه له وجهان، فكذلك هنا فنالنا منها لحومها، ونال الحق منها التقوى منا فيها، ومن تقواها تعظيمها فقد يكون استعظام الصدقة من هذا الباب عند بعض العارفين، فلهذا يستعظم ما يعطي إن كان معطياً أو ما يأخذ إن كان آخذاً، وقد يكون مشهده ذوقاً آخر وهو أول مشهد ذقناه من هذا الباب في هذا الطريق، وهو أني حملت في يدي يوماً شيئاً محقراً مستقذراً في العادة عند العامة لم يكن أمثالنا يحمل مثل ذلك من أجل ما في النفوس من رعونة الطبع ومحبة التميز على من لا يلحظ بعين التعظيم، فرأيت شيخنا ومعه أصحابه مقبلاً فقال له أصحابه: يا سيدنا هذا فلان قد أقبل وما قصر في الطريق لقد جاء هو نفسه تراه يحمل في وسط السوق حيث يراه الناس كذا وذكروا له ما كان بيدي، فقال الشيخ: فلعله ما حمله مجاهدة لنفسه. قالوا له: فما ثم إلا هذا. قال: فسلوه إذا اجتمع بنا، فلما وصلت إليهم سلمت على الشيخ فقال لي بعد رد السلام بأي خاطر حملت هذا في يدك وهو أمر مستحقر وأهل منصبك من أرباب الدنيا لا يحملون مثل هذا في أيديهم لحقارته واستقذاره؟ فقلت له: يا سيدنا حاشاك من هذا النظر ما هو نظر مثلك إن الله تعالى ما استقذره ولا حقره لما علق القدرة بإيجاده كما علقها بإيجاد العرش وما تعظمونه من المخلوقات، فكيف بي وأنا عبد حقير ضعيف أستحقر أو أستقذر ما هو بهذه المثابة فقبلني ودعا لي وقال لأصحابه: أين هذا الخاطر من حمل الجاهد نفسه، فقد يكون استعظام الصدقة من هذا الباب في حق المعطي وفي حق الآخذ، فلاستعظام الأشياء وجوه مختلفة يعتبرها أهل الله، أوحى الله إلى موسى يا موسى: إذا جاءتك من أحد باقلاة مسوسة فاقبلها فإني الذي جئت بها إليك فيستعظمها المعطي من حيث أنه نائب عن الحق في إيصالها، ويستعظمها الآخذ من حيث أن الله جاء بها إليه، فيد المعطي هنا يد الحق عن مشاهدة أو إيمان قوي، فإن الله تعالى يقول: إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده، فأضاف القول إليه والعبد هو الناطق بذلك، وقال تعالى في الخبر: كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً، وقد يكون استعظامها عند أهل الكشف لما يرى ويشاهد ويسمع من تسبيح تلك الصدقة أو العطية أو الهبة أو الهدية أو ما كانت لله تعالى وتعظيمها لخالقها باللسان الذي يليق بها من قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ [الإسراء: ٤٤] فتعظم عنده لما عندها من تعظيم الحق وعدم الغفلة والفتور دائماً كما تعظم الملوك الصالحين وإن كانوا فقراء مهانين عبيداً كانوا أو إماء، وأهل بلاء كانوا أو معافين، ويتبركون بهم لانتسابهم إلى طاعة الله

إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام ولا يمكن فيه المن والأذى، بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ودواؤه علم وعمل. أما العلم: فهو أن يعلم أن العُشر أو ربع العُشر قليل من كثير. وإنه قد قنع لنفسه بأخس درجات البذل كما ذكرنا في

عما يقال، فكيف بصاحب المشهد الذي يعاين، فمن كان هذا مشهده أيضاً من معط وآخذ يستعظم خلق الله إذ هو كله بهذه المثابة، وقد يقع التعظيم له أيضاً من باب كونه فقيراً لذلك الشيء محتاجاً إليه من كون الحق جعله سبباً لا يصل الى حاجته إلا به، سواء كان معطياً أو آخذاً إذا كان هذا مشهده، وقد يستعظم ذلك أيضاً من حيث قول الله تعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ [فاطر: ١٥] فتسمى الله في هذه الآية بكل شيء يفتقر إليه وهذا منها، وأسماء الحق معظمة وهذا من أسمائه. وهي دقيقة لا يتفطن إليها كل أحد إلا من شاهد هذا المشهد، وهو من باب الغيرة الإلهية والنزول الإلهي العام، فقد تستعظم الصدقة من هذا الكشف.

وأما استحقارها عند بعضهم فلمشهد آخر ليس هذا، فإن مشاهد القوم وأحوالهم وأذواقهم ومشاربهم تحكم عليهم بقوتها وسلطانها، وهل كل ما ذكرناه من الاستعظام إلا من باب حكم الأحوال والأذواق والمشاهد على أصحابها، فمنها أن يشاهد إمكان ما يعطيه من صدقة إن كان معطياً أو ما يأخذ إن كان آخذاً والإمكان للممكن صفة افتقارية وذلة وحاجة وحقارة فيستحقر صاحب هذا المشهد كل شيء سواء كان ذلك من أنفس الأشياء في العادة أو غير نفيس، وقد يكون مشربه أيضاً في الاستحقار من يعطي من أجل الله أو يأخذ بيد الله.

رأيت بعض أهل الله وشخص قد سأله فقير أن يعطيه شيئاً لأجل الله وهو ينتقي من صرة في يده فيها قطع فضة صغار وكبار، فانتقى منها أصغرها ودفعها للسائل فقال لي ذلك الرجل الصالح يا أخي تعرف على ما ينتقي هذا المعطى من هذه القطع؟ قلت له: لا. قال لي: إنما ينتقي قيمته عند الله، فكلما خرجت له قطعة كبيرة يقول ما نسوى هذا عند الله فما أعطى لله إلا قدر ما يسوى عند الله لأن السائل من أجل الله سأل وكل محتقر في جنب الله إذ لا يقاوم الله شيء فلا بدّ من الاستحقار لمن هذا مشهده وأمثال هذا مما يطول ذكره، وقد نبهنا على ما فيه كفاية من ذلك مما يدخل فيه الأربعة الأقسام التي قسمنا العالم إليها في أول الفصل، والله أعلم اهـ. فتأمل ذلك فإنه يميز لك مشارب العارفين وأذواقهم في الاستعظام والاستحقار باختلاف الاعتبارات والكل صحيح.

ثم قال المصنف بناء على مشربه الذي عوّل عليه: (**وليس الاستعظام هو المن والأذى**) كما يظهر في أول وهلة، (**فإنه**) لو قدر أنه (**لو صرف ماله إلى عمارة مسجد**) يصلي فيه (**أو**) عمارة (**رباط**) يسكنه المرابطون (**أمكن فيه الاستعظام**) ولا يتصور فيه المن والأذى، (**بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات**) وهو واد مهلك (**ودواؤه**) المعجون المركب من (**علم وعمل: أما العلم: فهو أن يعلم**) ويتحقق (**أن العُشر**) من ماله (**أو ربع العشر قليل من كثير**) وهذا ظاهر لكل متأمل، (**وأنه قد قنع لنفسه بأخس درجات**

فهم الوجوب فهو جدير بأن يستحي منه، **فكيف يستعظمه؟ وإن ارتقى إلى الدرجة** العليا فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال وإلى ماذا **يصرفه؟ فالمال لله** عز وجل وله المنة عليه إذ أعطاه ووفقه لبذله فلم **يستعظم في حق الله تعالى ما هو عين** حق الله سبحانه؟ وإن كان مقامه **يقتضي أن ينظر إلى الآخرة وأنه يبذله للثواب فلم** يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافه؟ وأما العمل: **فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله** بإمساك بقية ماله عن الله عز وجل، **فتكون هيئة الانكسار والحياء كهيئة من يطالب** بردّ وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لأن المال كله لله عز وجل وبذل جميعه هو

البذل) وأنقصه (**كما ذكرنا في فهم الوجوب**) قريباً (**فهو جدير**) حقيق (**بأن يستحيا منه**) وفي نسخة: من ذلك (**فكيف يستعظمه**)؟ أي يعده عظيماً (**وإن ارتقى**) في البذل (**إلى الدرجة**) الوسطى أو (**العليا فبذل كل ماله**) وهي الدرجة العليا، فإن خرج عنه لله ولم يبق له شيئاً إلا وجه الله (**أو أكثره**) بأن بذل ثلثيه أو نصفه وثلثه وهي الدرجة الوسطى (**فليتأمل**) في نفسه (**من أين**) حصل (**له**) هذا (**المال**) ويذكر مبدأ نشأته من نطفة من ماء مهين وقد خرج من بطن أمه ولا شيء معه، (**و**) يتأمل أيضاً (**إلى ماذا يصرفه**) وإلى من يصرفه (**فالمال لله**) عز وجل أي ملك له وجوده لكونه وجد عنه، (**وله المنة عليه إذ أعطاه**) ملك استحقاق لمن يستحقه ومن هو حق له، (**ووفقه لبذله**) لمن هو أمانة بيده، (**فلم يستعظم في حق الله ما هو غير حق الله**) وملك وجوده (**وإن كان مقامه يقتضي**) في ترقيه (**أن ينظر إلى الآخرة وأنه يبذله للثواب**) والقرب من رب الأرباب، (**فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه**) مرات لما تقدم «إن الصدقة تقع بيد الرحمن فيربيها له حتى تكون مثل جبل أحد» هذا هو الدواء العلمي.

(**وأما العمل: فهو أن يعطيه عطاء الخجل**) أي المستحي (**من بخله بإمساك بقية ماله عن الله عز وجل**) فإن الذي يعطيه في سبيله إنما هو قل من كثر (**فتكون هيئته**) عند العطاء (**الانكسار والحياء**) والذل (**كهيئة من يطالب برد وديعة**) عنده أودعها شخص، (**فيمسك بعضها ويرد البعض**) فيستقبحه، فهذا المال عنده وديعة كما قال القائل:

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولا بد يوماً أن ترد الودائع

(**لأن المال كله لله عز وجل**) والعبد مستخلف فيه ويده يد أمانة وما هو ملك له شرعاً لأنه لا يستحقه في نفس الأمر وهو تارك له وهو غير محمود (**وبذل جميعه**) صدقة لله (**هو الأحب عند الله**) ليتفرغ قلبه عن الميل إلى سوى الله، وهذا إن لم يكن من أهل الكشف بأن ما في يده لشخص معين، (**وإنما لم يأمر به**) أي ببذله كله (**عبده**) بلسان الشرع (**لأنه يشق**

الأحب عند الله سبحانه، وإنما لم يأمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله، كما قال عز وجل ﴿فَيُحْفِكُم تَبْخَلُوا﴾.[محمد ﷺ : ٣٧].

الوظيفة السابعة: أن ينتقي من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه، فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً. وإذا كان المخرج من شبهه فربما لا يكون ملكاً له مطلقاً فلا يقع الموقع. وفي حديث أبان عن أنس بن مالك: « طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية ».

وإذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب إذ قد يمسك الجيد لنفسه أو

عليه بسبب بخله) ومقتضى جبلته، **(كما قال تعالى: ﴿إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا﴾)** [محمد ﷺ : ٣٧] والإحفاء الاستقصاء كما تقدم، وهذه الصفة الجبلية التي هي الشح والبخل إذا حكمت على العبد استبدله الله بغيره نسأل الله العافية. وهكذا ورد: فإن تتولوا عما سألتموه من إعطاء ما بأيديكم من المال وبخلتم به يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم أي على صفتكم بل يعطون ما سألوه.

(الوظيفة السابعة: أن ينتقي من ماله) ما يخرجه صدقة لله **(أجوده)** أي أحسنه جودة **(وأحبه إليه وأجله)** مما يقدر عليه **(وأطيبه)** في نفسه وجهده، وقد روي في معنى قوله عز وجل: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال طيباً. **(فإن الله تعالى طيب)** أي منزه عن النقائص مقدس عن الآفات والعيوب **(لا يقبل إلا طيباً)** أي الحلال الذي لم يعلم أصله وجريانه على الوجه الشرعي العاري عن ضروب الحيل وشوائب الشبه أي: فلا ينبغي أن يتقرب إليه إلا بما يناسب هذا المعنى وهو خيار الأموال، وهذا قد أخرجه الترمذي من حديث سعد وأبي ذر بلفظ « إن الله طيب يحب الطيب » وفي صحيح البخاري في أثناء حديث أبي هريرة الآتي ذكره « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب » الحديث. والطيب: لا يناسبه إلا الطيب ولا يسكن إلا إليه ولا يطمئن إلا به، وبين الطيب والخبيث كمال الانقطاع ومنع الاجتماع، **(وإذا كان المخرج من شبهة)** ملتبسة، **(فربما لا يكون ملكاً له طلقاً)** أي مطلوقاً له من الشرع **(فلا يقع الموقع)**. وزكاء الصدقة ونماؤها عند الله تعالى على حسب حلها ووضعها في الأخص الأفضل من أهلها.

(وفي حديث أبان) بن أبي عياش العبدي مولاهم البصري قال أحمد والنسائي وابن معين: متروك، وقال وكيع وشعبة: ضعيف **(عن أنس)** بن مالك رضي الله عنه **(« طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية »)** هكذا في القوت.

قال العراقي: رواه ابن عدي والبزار بسند ضعيف اهـ.

قلت: وضعفه من قبل راويه عن أنس وتقدم الكلام فيه.

وأخرج البغوي، والماوردي، وابن قانع، والطبراني، والبيهقي، وتمام، وابن عساكر عن

لعبده أو أهله، فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره، ولو فعل هذا بضيفه وقدم إليه أردأ طعام في بيته لأوغر بذلك صدره. هذا إن كان نظره إلى الله عز وجل وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى، والذي يأكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار، وقد قال تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا

ركب المصري رضي الله عنه رفعه «طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وذل في نفسه في غير مسكنة، وأنفق من مال جمعه في غير معصية، وخالط أهل العفة والحكمة ورحم أهل الذل والمسكنة. طوبى لمن ذل نفسه وطاب كسبه وحسنت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره. طوبى لمن عمل بعلمه وانفق المال من فضله وأمسك الفضل من قوله».

(**وإذا لم يكن المخرج من جيد المال**) وطيبه (**فذاك**) أي إخراجه هكذا (**من سوء الأدب**) مع الله تعالى. (**وإذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده**) مثله (**أو أهله فيكون**) ممن (**قد آثر على الله عز وجل غيره**) وإن فعل أسوأ من هذا، ولا يقوم سوء أدب واحد في معاملة بجميع المعاملات. (**ولو**) فرض أنه (**فعل هذا بضيفه**) الذي نزل به (**وقدم إليه أردأ طعام**) وجد (**في بيته لأوغر بذلك صدره**) أي ملأه حرارة وحقداً وعداوة. (**هذا إن كان نظره إلى الله عز وجل وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه في الآخرة**) فيما عند الله عز وجل (**فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه**) وقد تحقق أنه (**ليس له من ماله إلا ما تصدق**) به على الفقير (**فأمضى أو أكل فأفنى**)، وهذا معناه في بعض الأخبار: ابن آدم ليس لك من مالك إلا ما قدمت فأبقيت أو أكلت فأفنيت، وهذا ظاهر لا مرية فيه، فإن الذي يتركه وارثه إما لوارث أو لحادث وهو مذموم على كل حال. (**والذي يأكله قضاء وطر**) أي نيل حاجة (**في الحال وليس من العقل قصور النظر عن العاجلة**) التي هي الدنيا (**وترك الادخار إلى**) دار (**الآخرة**)، كيف (**وقد قال الله تعالى**) في كتابه العزيز: (﴿**يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم**﴾) أي من التجارة الحلال كما أخرجه سعيد بن منصور والطبري وابن أبي حاتم عن مجاهد ﴿**ومما أخرجنا لكم من الأرض**﴾ **أي من طيبات ما أخرجنا من** الحبوب والثمار والمعادن بحذف المضاف لتقدم ذكره، وأخرج ابن جرير عن علي رضي الله عنه قال في قوله تعالى: ﴿أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ أي من الذهب والفضة ﴿ومما أخرجنا لكم من الأرض﴾ يعني من الحب والتمر كل شيء عليه زكاة ﴿**ولا تيمموا**﴾ أي لا تعمدوا واعلموا أن الله غني عن صدقاتكم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن البراء بن عازب (﴿**الخبيث**﴾) أي الحرام. رواه ابن جرير عن ابن زيد، وأخرج الفريابي وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، عن عبد الله بن مغفل في قوله ﴿ولا تيمموا الخبيث﴾ قال: كسب المسلم لا يكون خبيثاً ولكن لا يتصدق بالحشف والدرهم الزيف وما لا خير فيه (﴿**منه تنفقون**﴾) أي تتصدقون.

مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وممّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْه تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فيه﴾ [البقرة: ٢٦٧] أي لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض، فلا تؤثروا به ربكم. وفي الخبر: سبق درهم

وأخرج ابن جرير عن الحسن قال: كان الرجل يتصدق برذالة ماله، فنزلت ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾. وأخرج أيضاً عن عطاء قال: علق إنسان حشفا في الإقناء التي تعلق، فقال رسول الله ﷺ: «من علق هذا» فنزلت ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ وأخرج الحاكم عن عوف بن مالك قال: خرج رسول الله ﷺ وبيده عصا فإذا اقناء معلقة في المسجد قنو منها حشف فطفا في ذلك القنو. قال: «ما يضر صاحبه لو تصدق بأطيب من هذا إن صاحب هذه ليأكل الحشف يوم القيامة».

وقال صاحب القوت: وينبغي أن يجعل صدقته بأفضل ما يحبه من المال ومن جيد ما يدخر ويقتني وتستأثر به النفوس فيؤثر مولاه به كما أمره، وضرب المثل له فقال: ﴿أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ ثم قال: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ ثم قال في ضرب المثل بالعبيد: (**﴿ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ [البقرة: ٢٦٧] أي لا**) تقصدوا الرديء فتجعلوه لله تعالى ولو أعطيتم ذلك لا (**تأخذوه إلا**) بإغماض أي (**مع كراهية وحياء وهو معنى الإغماض فلا**) تجعلوا لله دون ما تستجيدونه لأنفسكم ولا تقصدوا الرديء و(**تؤثروا به ربكم**).

وأخرج الترمذي، والحاكم وصححاه، وابن ماجه، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وابن مردويه، عن البراء بن عازب قال: نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ثم ساقوا الحديث وفيه قال «لو أن أحدكم أهدي إليه مثل ما أعطى لم يأخذه إلا على إغماض وحياء. قال: فكنا بعد ذلك يأتي أحدنا بصالح ما عنده».

وأخرج ابن جرير، عن عبيدة السلماني عن علي رضي الله عنه في قوله ﴿ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾ يقول: ولا يأخذ أحدكم هذا الرديء حتى يهضم له.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر من طريق ابن عباس عن علي في قوله: ﴿ولستم بآخذيه﴾ قال: لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه، فذلك قوله: ﴿إلا أن تغمضوا فيه﴾ فكيف ترضون لي ما لا ترضونه لأنفسكم وخفي عليكم من أطيب أموالكم وأنفسها، وهو قوله تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران: ٩٢].

وأخرج ابن جرير من طريق العوفي، عن ابن عباس في الآية قال: لو كان بعضهم يطلب بعضاً ثم قضاه لم يأخذه إلا أنه قد أغمض عنه حقه.

(**وفي الخبر: سبق درهم مائة ألف درهم**). قال العراقي: رواه النسائي، وابن حبان، والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة اهـ.

مائة ألف درهم، وذلك بأن يخرجه الإنسان وهو من أحل ماله وأجوده **فيصدر ذلك** عن الرضا والفرح بالبذل، وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله **فيدل ذلك على** انه ليس يؤثر الله عز وجل بشيء مما يحبه. وبذلك ذم الله تعالى قوماً جعلوا لله ما يكرهون. فقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُون للهِ مَا يَكْرهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُم الكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ

قلت: وأخرج ابن المنذر عن أبي هريرة قال «لدرهم طيب أحب إليَّ من مائة ألف وقرأ ﴿يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ الآية». وبه يظهر مناسبة إيراد هذا الخبر بعد هذه الآية، ثم أن هذه الجملة هكذا أوردها صاحب القوت واقتصر عليها، وقلده المصنف ثم فسر ذلك بقوله: **(وذلك بان يخرجه الإنسان)** أي الدرهم **(وهو من أحل ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا)** وطيب النفس **(والفرح بالبذل، وقد يخرج مائة ألف)** درهم **(مما يكره من ماله فيدل ذلك على أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشيء مما يحبه)**، وهذا المعنى صحيح موافق لسياق صاحب القوت دل عليه خبر أبي هريرة السابق، وأيده قوله الذي أخرجه ابن المنذر، وقد روي الخبر المذكور بزيادة جملة أخرى فيها بيان لمعنى الخبر، وذلك فيما رواه النسائي عن أبي ذر، والنسائي أيضاً، وابن حبان، والحاكم في الزكاة وقال: على شرط مسلم عن أبي هريرة رفعاه «سبق درهم مائة ألف. قالوا يا رسول الله: كيف يسبق درهم مائة ألف؟ قال: رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها» فظاهر هذا السياق دال على ان المراد بذلك الاخبار بأن الصدقة من القليل أنفع وأفضل منها من الكثير، وإليه جنح المناوي في شرحه على الجامع ناقلاً ذلك عن صاحب المطاع. ولا يخفى أن هذا الذي فهمه من الخبر غير الذي قرره المصنف، وقرره بعضهم بوجه آخر فقال: إذا أخرج الرجل من ماله مائة ألف درهم وتصدق بها غير منشرح بذلك صدره، وأخرج آخر درهماً واحداً من درهمين طيبة بها نفسه صار صاحب الدرهم الواحد أفضل من صاحب مائة ألف، وهذا نقل عن اليافعي وهو أيضاً موافق لسياق الجماعة، وعندي أنه لا تضاد في المعنيين الأولين، فإن الرجل إذا أخرج درهماً واحداً وكان لـه درهمان فالغالب أن هذا من كسبه الذي ليس في معصية فهو من أطيب ما عنده، والذي عنده مال كثير فالغالب عليه الشبهة لأنه اكتسبه من جهات مختلفة فلا يخلو من طرئانها عليه، فإذا أخرج منه فقد أخرج ما فيه شبهة لأنهم قالوا: الحلال ضيق قليل، فتأمل.

ثم قال المصنف: **(وبذلك ذم الله قوماً جعلوا لله ما يكرهون)** وتصف ألسنتهم الكذب، **(فقال تعالى: ﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب﴾)** حمل المصنف تابعاً لصاحب القوت أن المراد بجعلهم ما يكرهون ما يقدمونه في سبيل الله من صدقة أو هبة أو هدية، وعموم الآية لا يمنع من ذلك. والذي أخرجه ابن أبي حاتم عن الضحاك في تفسير هذا القول يقول: تجعلون لي البنات وتكرهون ذلك لأنفسكم. وأخرج ابن أبي حاتم، عن السدي في قوله ﴿ما يكرهون﴾ قال: هن الجواري، وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن

الْحُسْنَى لا ﴾ [النحل :٦٢] وقف بعض القراء على النفي تكذيباً لهم ثم ابتدأ وقال : ﴿ جَرَمَ أنَّ لَهُمُ النَّارَ ﴾ [النحل : ٦٢] أي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار .

الوظيفة الثامنة: أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ، ولا يكتفي بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية ، فإن في عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة .

الأولى: أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة . قال ﷺ : « لا تأكل إلاّ طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي » وهذا لأن التقي يستعين به

أبي حاتم عن مجاهد في قوله ﴿وتصف ألسنتهم الكذب﴾ قال: قول كفار قريش لنا البنون ولله البنات ، وهذه التفاسير كلها مواطئة لسياق الآية ، فإن الله تعالى قال قبل هذه الآية ﴿ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون﴾ **(أن لهم الحسنى)** جاء في تفسيره أي الغلمان رواه ابن جرير وعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة وقوله ﴿**لا**﴾ [النحل : ٥٧] **(وقف بعض القراء على النفي تكذيباً ، ثم ابتدأ وقال:)** وعبارة القوت: وفي الآية وقف غريب لا يعلمه إلا الحذاق من أهل العربية يقف على « لا » فيكون نفياً لوصفهم ﴿أن لهم الحسنى﴾ ثم يستأنف: ﴿**جرم أن لهم النار**﴾ [النحل : ٦٢] **(أي كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار)** أي بجرمهم واكتسابهم. وقال أبو محمد عبد السلام بن علي بن عمر المالكي في كتاب الوقف والابتداء مثل ما ذكره صاحب القوت ، فقال: قيل يجوز الوقف على « لا » في هذه الآية لما فيها من الرد عليهم وتكذيبهم فيما زعموا أن لهم الحسنى ، وشبهت « لا » هنا « بكلا » في موضع يكون الرد ، وجرم يبتدأ بها بمعنى حقاً وجبت لهم النار .

(الوظيفة الثامنة: أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة) أي تنمو ، **(ولا يكتفي بأن يكون من عموم الاصناف الثمانية)** المذكورة في الآية ، **(فإن في عمومهم خصوصاً فليراع خصوص تلك الصفات وهي ست)** .

(الصفة الأولى) منها : **(أن يطلب الأتقياء)** الأخفياء **(المعرضين)** بكمال شهودهم **(عن)** إعراض **(الدنيا)** الفانية **(المتجردين)** بكمال هممهم **(لتجارة الآخرة)** أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي قلابة عن عبد الله بن عمر قال: مرّ عمر بن الخطاب بمعاذ وهو يبكي فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « أحب العباد إلى الله الاتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا شهدوا لم يعرفوا . أولئك أئمة الهدى ومصابيح الظُّلَم » .

(قال ﷺ : « لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلاّ تقي ») .

قال العراقي: رواه أبو داود ، والترمذي من حديث أبي سعيد بلفظ « لا تصحب إلاّ مؤمناً ولا يأكل طعامك إلاّ تقي » اهـ .

التقوى فتكون شريكاً له في طاعته بإعانتك اياه، وقال ﷺ: «**أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين**». وفي لفظ آخر: «**أضف بطعامك من تحبه في الله تعالى**». وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له: لو

قلت وكذلك رواه ابن المبارك، وأحمد، والدارمي، وأبو يعلى، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي. والضياء. وقال الترمذي: حسن. وفي الرياض: إسناده لا بأس به. وقال الحاكم: صحيح. وأقره الذهبي إلا أن لفظهم «لا تصاحب» فالجملة الأخيرة من الحديث هي الموافقة لحديث أبي سعيد، وإنما نهى عن مؤاكلة غير تقي لأن المطاعمة توجب الإلفة وتؤدي إلى المخالطة. بل هي أوثق عرا المداخلة، ومخالطة غير التقي تخل بالدين وتوقع في الشبهة والمحظورات، فكأنه نهى عن مخالطة الفجار إذ لا تخلو عن فساد إما بمتابعة فعل أو مسامحة في اغضاء عن منكر، فإن سلم من ذلك فلا يخطئه فتنته الغيرية.

ثم ذكر المصنف فقال: (**وهذا لأن التقي يستعين به على**) البر و (**التقوى فتكون**) أنت أيها المطعم (**شريكاً له في طاعته**) وقصده (**بإعانتك إياه**) قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ [المائدة: ٢] وهذا إذا كان الطعام الذي تطعمه من حل، وهو الذي يعين على التقوى، وليس المراد به حرمان غير التقي بل أن يكون القصد به للمتقين اصالة فلا يقصد به فاجراً يتقوى به على الفجور فتكون إعانة على معصية.

(**وقال ﷺ: «أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين»**) قال العراقي: رواه ابن المبارك في البر والصلة من حديث أبي سعيد الخدري. قال ابن طاهر: غريب وفيه مجهول اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان، وأبو يعلى والديلمي ومعنى الجملة الأخيرة: خالطوا الذين حسنت أخلاقهم وأحوالهم في معاملة ربهم وواسوهم بمعروفكم وخصوهم بصنوفه.

(**وفي خبر آخر «أضف بطعامك من تحبه في الله تعالى»**) قال العراقي: رواه ابن المبارك. أخبرنا جويبر، عن الضحاك مرسلاً اهـ.

وفي بعض نسخ الكتاب «وفي لفظ آخر» بدل قوله «وفي خبر آخر» وهكذا هو نص القوت.

(**وكان بعض العلماء**) من معاصري الجنيد (**يؤثر بالطعام**) كذا في النسخ، وصوابه: بالعطاء.

ونص القوت: وعلى العبد أن يجتهد في طلب الأتقياء وذوي الحاجة من الفقراء ويبلغ غاية علمه بذلك، فإن قصر علمه ولم تنفذ فراسته ومعرفته في الخصوص استعان بعلم من هو أعلم منه، وأنفذ نظراً وأعرف بالصالحين وأهل الخير منه ممن يوثق بدينه وأمانته من علماء الآخرة لا من علماء

عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل. فقال: لا هؤلاء قوم هممهم لله سبحانه، فإذا طرقتهم فاقة تشتت همُّ أحدهم فلأن أردّ همة واحد إلى الله عز وجل أحب إليَّ من أن أعطي ألفاً ممن همته الدنيا، فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال: هذا ولي من أولياء الله تعالى، وقال: ما سمعت منذ زمان كلاماً أحسن من هذا، ثم حكي أن هذا الرجل اختل حاله وهمّ بترك الحانوت فبعث إليه الجنيد مالاً وقال: اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت، فإن التجارة لا تضر مثلك، وكان هذا الرجل بقّالاً لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه.

الصفة الثانية: أن يكون من أهل العلم خاصة فإن ذلك إعانة له على العلم، والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية. وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم

الدنيا، وعلماء الآخرة هم الزاهدون في الدنيا الورعون من التكاثر فيها، فإن حبّ الدنيا غامض قد هلك فيها خلق كثير لم ينج من العلماء ولم يسلم من الدينا إلا المتحققون بالعلم واليقين وهم المتقللون من الدنيا، وقد قال تعالى: ﴿وتثبيتاً من أنفسهم﴾ [البقرة: ٢٦٥] أي يقيناً يعني أنهم يتثبتون في صدقاتهم أي يضعونها في يقين ليستروح إليه القلب وتطمئن به النفس.

وقد كان بعض العلماء يؤثر بالعطاء **(فقراء الصوفية)** أي المتجردين ذوي الحاجة منهم **(دون غيرهم فقيل له)** يا فلان: **(لو عممت بمعروفك جميع الفقراء كان أفضل. فقال: لا)** أفعل بل أؤثر هؤلاء على غيرهم. قيل: ولم؟ قال: لأن **(هؤلاء هممهم لله سبحانه)** وفي القوت: هممهم الله تعالى **(فإذا طرقتهم فاقة)** أي أصابتهم حاجة **(تشتت هم أحدهم، فلأن أرد همة واحد إلى الله تعالى أحب إليَّ من أن أعطي ألفاً ممن همته)** وفي القوت: همه **(الدنيا: فذكـــر هذا الكلام للجنيد)** أبي القاسم رحمه الله تعالى **(فاستحسنه)** أي عدّه حسناً **(وقال: هذا ولي من أولياء الله تعالى، وقال)** ونص القوت؛ ثم قال: **(ما سمعت منذ زمان كلاماً أحسن من هذا، ثم حكى)** ونص القوت: وبلغني **(أن هذا الرجل اختلّ حاله)** في أمر الدنيا **(وهمَّ)** وفي القوت، حتى همَّ **(بترك الحانوت)** أي الدكان، **(فبعث)** وفي القوت فوجه **(إليه الجنيد مالاً)** وفي القوت: بمال كما صرف إليه **(وقال: اجعله بضاعتك)** وفي القوت اجعل هذا بضاعتك **(ولا تترك الحانوت فإن التجارة لا تضر مثلك، و)** يقال **(كان هذا الرجل)** أي صاحب القصة **(بقّالاً لا يأخذ)** وفي القوت ولم يكن يأخذ **(من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه)** رحمه الله تعالى.

(الصفة الثانية: أن يكون) من يخصه بعطائه **(من أهل العلم خاصة)** وهم الذين يشتغلون بتعلمه وتعليمه لله تعالى ليس لهم همّ سوى ذلك فهم في مقام الإرشاد، **(فإن ذلك)** العطاء **(إعانة له)** في الجملة **(على العلم)** أي للاشتغال به تعلماً وتعليماً، **(والعلم من أشرف العبادات)** وأفخر الطاعات **(مهما صحت النية فيه)** أن يكون قاصداً به وجه الله تعالى.

فقيل له لو عممت، فقال: إني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء، فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل.

الصفة الثالثة: أن يكون صادقاً في تقواه وعلمه بالتوحيد. وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره، ورأى ان النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة. فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه وهو أن يرى أن النعمة كلها منه. وفي وصية لقمان لابنه: لا تجعل بينك وبين الله منعماً وأعدد نعمة غيره عليك مغرماً، ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن أن الواسطة مقهور ومسخر بتسخير الله عز وجل إذ

(**وكان عبد الله بن المبارك**) رحمه الله (**يخصص بمعروفه أهل العلم**) أي يجعل معروفه خاصة فيهم (**فقيل له: لو عممت**) به غيرهم. (**فقال: إني لا أعرف بعد مقام النبوّة أفضل من مقام العلماء**) أي: فالصدقة إليهم أفضل، وإنما كان أفضل لأن مرتبته في الحقيقة مرتبة الإرشاد والتسليك وإهداء الضال وهي مرتبة النبوّة، (**فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته**) أو العيلة (**لم يتفرغ للعلم**) أي تعلمه (**ولم يقبل على التعليم**) للناس (**فتفريغهم للعلم أفضل**).

ولفظ القوت: فرأيت أن أعينهم وأكفيهم حاجاتهم لتفرغ قلوبهم للعلم وينشطوا بتعليم الناس. هذه طرائق السلف الصالح والتوفيق من الله للعبد في وضع صدقته في الأفضل كالتوفيق منه في إطعام الحلال الذي يوفقه لاوليائه ويستخرجه لهم من علمه كيف يشاء بقدرته.

(**الصفة الثالثة: أن يكون**) من يعطيه مع كونه متقياً عالماً (**صادقاً في تقواه وعلمه بالتوحيد**) الإلهي وصدقه في تقواه صيانة النفس مهما أمكن عما يوجب بعده عن الحضرة الإلهية. وصدقه في علمه أن لا يرى منعماً سواه، (**وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء**) من يد المعطي (**حمد الله تعالى وشكره، ورأى ان النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة**) في نعمة. (**فهذا هو أشكر العباد**) أي أكثرهم شكراً (**لله تعالى**) لأن حقيقة الشكر لله شهود النعمة منه والاخلاص بحسن المعاملة له، وأن لا يشهد في النعمة بالعطاء سواه، وهذا معنى قوله: (**وهو أن يرى أن النعمة منه**) فمثل هذه الصدقة بهذا الشهود تثمر له طاعة وهداية ونوراً وعلماً، لأنها تقع في يد الرحمن قبل وقوعها في يد الآخذ فيربيها للمتصدق، وهذا كله هو تربية الرحمن لها.

(**وفي وصية لقمان لابنه**): يا بني (**لا تجعل بينك وبين الله منعماً واعدد نعمة غيره عليك مغرماً**) هكذا هو في القوت إلا أنه قال وفي وصية علي رضي الله عنه وساقه سواء، ويحتمل أن يكون هذا قول لقمان من رواية علي رضي الله عنه، (**ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم**) حق المعرفة (**ولم يتيقن**) في نفسه (**أن الواسطة مقهور ومسخر**

سلط الله تعالى عليه دواعي الفعل ويسّر له الأسباب فأعطى وهو مقهور، ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل في قلبه أن صلاح دينه ودنياه في فعله، فمهما قوي الباعث أوجب ذلك جزم الإرادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوي الذي لا تردد فيه والله عز وجل خالق للبواعث ومهيجها ومزيل للضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث، فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب، وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطي من ثناء غيره وشكره، فذلك حركة لسان يقل في الأكثر جدواه وإعانة مثل هذا العبد الموحد لا تضيع. وأما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الإيذاء

بتسخير الله تعالى إذ سلط الله عليه دواعي الفعل ويسّر له الأسباب) الظاهرة وسهّل له طرقها (**فأعطى**) ما أعطى (**وهو مقهور**) ملجأ إلى ذلك. (**ولو أراد تركه**) أي الإعطاء (**لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله تعالى في قلبه**) وألهمه (**أن صلاح دينه ودنياه في فعله**) هذا، (**فمهما قوي الباعث**) المحرك (**أوجب ذلك جزم الإرادة وانتهاز القدرة**) وفي بعض النسخ الفرصة، وصوابه: وانتهاض القدرة. (**ولم يستطع العبد مخالفة الباعث الذي لا تردد فيه والله عز وجل هو خالق البواعث**) والإرادات (**ومهيجها ومزيل الضعف والتردد عنها، و**) هو (**مسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث**) الباطنة (**فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب**)، وحاصله: أن من أعطاه رزقه فأثنى عليه ومدحه وشهده فيه فحمده فيكون قد حمد غير الذي أعطاه ونظر إلى سواه وذكر غير الذي ذكره بالعطاء لأن الذي يحمد الله ويشكره ويثني عليه برزقه ويذكره يرى أن الله سبحانه هو المنعم المعطي فينظر إليه من قرب، (**وتيقن مثل هذا للعبد أنفع للمعطي من ثناء غيره وشكره**) عند الله، (**فإن الثناء والشكر حركة في اللسان**) وفي بعض النسخ فذلك حركة لسان (**يقلّ في الأكثر جدواه**) أي نفعه (**وإعانة مثل هذا الموحد لا تضيع**) ولا نفعيته وجه آخر هو كان سبباً لنفع موقن فيكون واضعاً للشيء في حقيقة موضعه، ومدح الآخر له ودعاؤه لأجل أنه يراه هو المعطي فينظر إليه فيه فيمدحه، فضعف يقين هذا بربه أشد على المنفق من دعائه إن كان ناصحاً لله تعالى في خلقه ولخلق الله تعالى فيه إلا أن لا ينصح لمولاه لغلبة هـواه على تقواه ولجهله بعائد النفع له في عقباه فنقص هذا بمقامه من التوحيد أعظم من زيادته بصدقته على أنه لا يأمن الاستشراف من الآخر إليه والاعتياد منه والطمع فيه فيتأذى بذلك في عاجلته قبل الآجلة ويضجر فيتبرم به فيتكلم فيه بكلام يحبط عمله.

وأشار المصنف إلى نقص هذا المقام بوجه آخر فقال: (**وأما الذي يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع**) ويقع فيه عنده (**ويدعو بالشر عند اليأس من العطاء**) فيكون هو سبب حمله عليه وهو آمن مطمئن. هذا كله في الموقن المشاهد وهو لا يأخذ رزقه إلا من الله تعالى،

وأحواله متفاوتة. وقد روي أنه ﷺ بعث معروفاً إلى بعض الفقراء وقال للرسول: احفظ ما يقول، فلما أخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره، ثم قال: اللهم إنك لم تنسَ فلاناً ـ يعني نفسه ـ فاجعل فلاناً لا ينساك ـ يعني بفلان نفسه ـ فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فسرّ، وقال ﷺ: «علمت أنه يقول ذلك». فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده، وقال ﷺ لرجل: «تب». فقال: أتوب إلى الله وحده ولا أتوب إلى محمد؟ فقال ﷺ: «عرف الحق لأهله» ولما نزلت براءة

ولا يعبد إلا الله تعالى، ولا يطلب إلا منه كما أمره في قوله: ﴿فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه﴾ [العنكبوت: ١٧] (**وأحواله متفاوتة، وقد روي أنه ﷺ بعث معروفاً إلى بعض الفقراء وقال للرسول: احفظ ما يقول فلما أخذ قال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره، ثم قال: اللهم إنك لم تنس فلاناً ـ يعني نفسه ـ فاجعل فلاناً لا ينساك ـ يعني بفلان نفسه ـ فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فسرّ به وقال «قد علمت أنه يقول ذلك»**) هكذا هو في القوت إلا أنه قال: فلما أوصله إليه قال الحمد لله الخ، وقال في أوّله: وجه رسول الله ﷺ إلى بعض الفقراء بمعروف والباقي سواء، وقال: وقد يروى ذلك عن عمر وأبي الدرداء مع حدير رضي الله عنهم اهـ.

وقال العراقي: لم أجد له أصلاً إلا في حديث ضعيف من حديث ابن عمر رواه ابن منده في الصحابة ولم يسق فيه هذه اللفظة التي أوردها المصنف، وسمى الرجل حُديراً، وقد روينا من طريق البيهقي أنه وصل لحدير من أبي الدرداء أشياء فقال: اللهم إنك لم تنس حديراً فاجعل حديراً لا ينساك، وقيل: إن هذا آخر لا صحبة له يكنى أبا بردة، وقد ذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وذكره في الصحابة أبو أحمد الحاكم وابن عبد البر، وروى ابن الجوزي في صفوة الصفوة من طريق الخلال قصة حدير هذا اهـ.

(**فانظر كيف قصر التفاته**) أي الرجل المذكور (**إلى الله وحده**) حيث ما رأى المعطي إلا الله. (**وقال ﷺ لرجل «تب. فقال: أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد. فقال ﷺ: «عرف الحق لأهله»**) هكذا هو في القوت.

وقال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث الأسود بن سريع بسند ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحاكم في التوبة، والبيهقي والضياء عنه ولفظهم جميعاً قال: جيء بأسير إلى رسول الله ﷺ فقال له ﷺ: «تب. فقال: اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، فقال ﷺ: عرف الحق لأهله خلوا سبيله». وقال الحاكم: صحيح، ورده الذهبي وقال: فيه محمد بن مصعب ضعفوه، وقال الهيثمي: فيه عند أحمد والطبراني محمد بن مصعب وثقه أحمد وضعفه غيره وبقية رجاله رجال الصحيح.

عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك قال أبو بكر رضي الله عنه: قومي فقبّلي رأس رسول الله ﷺ، فقالت: والله لا أفعل ولا أحمد إلا الله. فقال ﷺ: « دعها يا أبا بكر » وفي لفظ آخر: « أنها رضي الله عنها قالت لأبي بكر رضي الله عنه بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك ». فلم ينكر رسول الله ﷺ عليها ذلك مع أن الوحي وصل إليها على لسان رسول الله ﷺ. ورؤية الأشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين. قال الله تعالى: ﴿ وإذا ذُكِرَ اللهُ وحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوب الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخِرةِ وَإذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إذاً هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥]، ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلا

(ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك) المشهورة **(قال)** لها **(أبو بكر رضي الله عنه: قومي فقبّلي رأس رسول الله ﷺ، فقالت: والله لا أفعل ولا أحمد إلاَّ الله تعالى فقال رسول الله ﷺ: « دعها يا أبا بكر »)**.

قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عائشة بلفظ: « فقال أبواي: **قومي فقبّلي رأس رسول** الله ﷺ، فقلت: أحمد الله لا إياكما ». وللبخاري تعليقاً فقال أبواي: **قومي إليه فقلت: لا والله** لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمدكما لكن أحمد الله، وله ولمسلم فقالت لي أمي: **قومي إليه، فقلت:** والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله، وللطبراني من حديث ابن عمر قال أبو بكر: **قومي فاحتضني** رسول الله ﷺ، فقالت: لا والله لا أدنو منه.

(وفي لفظ: « أنها قالت لأبي بكر رضي الله عنها بحمد الله لا بحمدك ») رواه الطبراني من حديث ابن عمر، وفي لفظ آخر: لا بحمدك **(ولا بحمد صاحبك)** رواه الطبراني من حديث ابن عباس، وله أيضاً من حديث عائشة فقالت: بحمد الله لا بحمد صاحبك. **(فلم ينكر رسول الله ﷺ عليها ذلك)** بل سرّه وأمر أباها بالكف عنها، **(مع أن الوحي)** في شأنها **(وصل إليها على لسان رسول الله ﷺ)** ولكنها قد عرفت الحق لأهله، **(ورؤية الأشياء من غير الله تعالى وصف الكافرين)** فإن شأنهم إذا ذكر الله وحده في شيء تقبضت قلوبهم، وإذا ذكر غيره فرحوا وجعل الله من نعتهم أنه إذا ذكر توحيده تعالى وإفراده عند شيء غطوا ذلك وكرهوه وإذا أشرك غيره في ذلك صدقوا به.

(قال الله تعالى: ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾) [الزمر: ٤٥] وقال أيضاً: ذلكم بأنه إذا دعي الله **وحده** كفرتم، والكفر التغطية، وان يشرك به تؤمنوا والشرك الخلط وأن يخلط بذكره ذكر من سواه، ثم قال: فالحكم لله العلي الكبير أي العلي في عظمته الكبير في سلطانه لا شريك له في ملكه وعطائه ولا ظهير له من عباده، ففي دليل هذا الكلام وفهمه من الخطاب أن المؤمنين إذا ذكر الله تعالى بالتوحيد والإفراد في شيء انفردت صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشروا بذكر الله وتوحيده، وإذا ذكرت الأواسط والأسباب التي دونه كرهوا ذلك واشمأزت قلوبهم، وهذه علامة صحيحة فاعرفها من قلبك أو من قلب غيرك لتستدل بها على حقيقة التوحيد في القلب أو

من حيث أنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفي سره، **فليتّقِ الله** سبحانه في تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه.

الصفة الرابعة: أن يكون مستتراً مخفياً حاجته لا يكثر البث والشكوى، أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته **فهو** يتعيش في جلباب التجمل. **قال الله** تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُم لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾ [البقرة: ٢٧٣] أي لا يلحون في السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم أعزة بصبرهم، وهذا ينبغي أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين في كل محلة ويستكشف عن بواطن أحوال أهل

وجود خفي الشرك في النفس وإلى هذا أشار المصنف بقوله: **(ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث أنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفي سره فليتق الله في تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه)** والله الموفق.

(الصفة الرابعة: أن يكون) من يعطاه **(مستتراً)** حاله على الناس غامضاً فيهم **(مخفياً حاجته)** وفقره **(لا يكثر البث)** أي الحزن **(والشكوى)** مؤثراً إخفاء ذلك على الإظهار، **(أو يكون من أهل المروءة)** وهي قوّة نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات **(ممن ذهبت نعمته)** بإصابة حوادث الدهر **(وبقيت عادته)** التي كان يعتادها في زمن النعمة **(فهو)** الفقير في صورة الغني **(يتعيش في جلباب التجمل)** أولئك **(قال الله تعالى)** في وصفهم تنبيهاً للجاهلين بوصف المؤمنين: **﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾** أي لظهور تعففهم عن المسألة حياء، ثم أكد وصفهم وأظهر للخلق تعريفهم بياناً منه وكشفاً لحالهم إذا ستروها بالعفة فقال **﴿تعرفهم بسياهم﴾** والسيا هي العلامة اللازقة دون التحلي والنسبة الظاهرة **﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾** [البقرة: ٢٧٣] أي بهذه العلامة أيضاً تعرفهم إن اشتبهوا عليك بانهم **(لا يلحون في السؤال)** ثقة وقناعة، ولا يلازمون المسؤول حتى يعطيهم، وقيل هو نفي للسؤال والإلحاح كقوله.

على لاحب لا يهتدي بمناره

وهو ادخل في التعفف، وقيل: ومعنى الحافاً لا يلتحفون بالاغنياء ولا يلاحفون أهل الدنيا تملقاً وخداعة، **(لأنهم)** منفردون بأحوالهم **(أغنياء بيقينهم)** بالله **(اعزة بصبرهم)** على مجاهدة النفس والإلحاف مشتق من اللحاف الذي يلتحف به، فيلزم الجسم. يقال: ليسوا ممن يفعل ذلك لا يلتحفون الأغنياء كاللحاف ولا يلتحفون المسألة لزاماً كالصنعة كما يلتحف بالثوب. **(وهذا ينبغي أن يطلب بالفحص عن أهل الدين في كل محلة، ويستكشف عن بواطن أهل الخير والتجمل)** ممن فيه هذا الوصف كله أو بعضه **(فثواب صرف المعروف إليهم**

الخير والتجمل، فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال.

الصفة الخامسة: أن يكون معيلاً أو محبوساً بمرض أو سبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] أي حبسوا في طريق الآخرة بعيلة أو ضيق معيشة أو اصلاح قلب ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] لأنهم مقصوصو الجناح مقيدو الأطراف، فبهذه الأسباب كان عمر رضي الله عنه يعطي أهل البيت القطيع من الغنم - العشرة فما فوقها - وكان ﷺ يعطي العطاء

أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال) في الطرق والمنازل، وبعضهم غني في صورة فقير، وبعضهم اتخذ ذلك ديدناً له.

(**الصفة الخامسة: أن يكون**) الرجل الذي يعطيه (**معيلاً**) أي صاحب عيال يقال: أعال الرجل إذا صار صاحب عيال أو عيلة وهو الفقر، (**أو محبوساً**) أي ممنوعاً (**بمرض**) يمنعه من التكسب (**أو بسبب من الأسباب**) الخارجة غير المرض (**فيوجد فيه معنى قوله تعالى: ﴿للفقراء الذين احصروا في سبيل الله﴾**) وهو متعلق بمحذوف أي اجعلوا صدقاتكم لهؤلاء، ومعنى احصروا في سبيل الله (**أي حبسوا في طريق الآخرة**) اما (**لعيلة**) أي فقر (**أو ضيق معيشة**) بأن لا يكفي دخله خرجه، (**أو إصلاح قلب**) بأن يشتغل به عن التكسب. وقيل: معنى احصروا في سبيل الله أي أحصرهم الجهاد. قيل: هم أهل الصفة وكانوا نحواً من أربعمائة وهم من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون أوقاتهم بالتعلم والعبادة، وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ، ثم وصفهم فقال: (**﴿لا يستطيعون ضرباً في الأرض﴾**) أي ذهاباً فيها لنحو تجارة وتحصيل معاش وإصلاح، (**لأنهم مقصوصو الجناح مقيدو الأطراف بهذه الأسباب**)، إذ المال للغني بمنزلة الجناح للطائر يطير في الأرض حيث شاء من البلاد، وينبسط في شهواته كيف شاء من المراد، والفقير محصر عن ذلك لا يستطيعه لقبض يد، أو قدّر رزقه، ومن هذا قوله تعالى: **﴿قد أنزلنا عليكم لباساً يواري** سوآتكم وريشاً﴾ [الأعراف: ٢٦] قيل المال، وقيل: المعاش ووصفهم بعدم استطاعة الضرب في الارض يدل على عدم الغنى إذ من استطاع ضرباً فيها فهو واجد لنوع من الغنى، ويدل على ذلك ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعاً «ولا يجد غنى يغنيه، والغنى هو اليسار ويغنيه صفة له. وهو قدر زائد على اليسار إذ لا يلزم من حصول اليسار للمرء أن يغنى به بحيث لا يحتاج إلى شيء آخر، واللفظ محتمل لأن يكون المراد نفي أصل اليسار المقيد بأنه يغنيه مع وجود أصل اليسار، وعلى الاحتمال الثاني. فتأمل.

(**و**) قد (**كان عمر**) بن الخطاب رضي الله عنه (**يعطي أهل البيت القطيع من الغنم**) أي طائفة من الغنم، وجمع القطيع قطعان كرغيف ورغفان (**- العشرة فما فوقها -**) ليغنيهم عن الحاجة فيكون له بعددهم أجور أمثالهم من المنفردين إذ هم جماعة نقله صاحب القوت قال:

على مقدار العيلة، وسئل عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء؟ فقال: كثرة العيال وقلة المال.

الصفة السادسة: أن يكون من الأقارب وذوي الأرحام فتكون صدقة وصلة رحم

اذ كذلك السنة، فقد روينا أنه **(كان ﷺ يعطي العطاء على قدر العيلة)** ويعطي المتأهل ضعف ما يعطي العزب، ويعطي صاحب العيال ضعفي ما يعطي المتزوّج، ويعطي كل رجل على قدر أهل بيته هذا لفظ القوت.

قال العراقي: لم أجد له أصلاً ولأبي الدرداء من حديث عوف بن مالك «أن رسول الله ﷺ كان إذا أتاه الفيء قسمه في يومه فأعطى الآهل حظين واعطى العزب حظاً» وقال أحمد: حديث حسن اهـ.

قلت: وأخرجه أبو داود كذلك، ولا شك أن هذا بمعنى ما ذكره صاحب القوت، وتبعه الغزالي، وفي المنتقى لابن الجارود من حديث عوف بن مالك كان رسول الله ﷺ إذا جاء شيء، وفيه فدعيت فاعطاني حظين وكان لي أهل، ويوافق معناه أيضاً حديث جابر لما أعطاه ثم أعطاه وقال: هذا لبنات عبد الله يعني أخواته فافهم ذلك.

ثم قال صاحب القوت: وحدثنا عن بعض هذه الطائفة قال: صحبنا أقواماً كان برهم لنا الألوف من الدارهم انقرضوا، وجاء آخرون كان برهم لنا المائتين، ونحن بين قوم صلتهم لنا العشرات نخاف أن يجيء قوم شر من هؤلاء.

وقال بعض السلف: رأينا قوماً كانوا يفعلون ولا يقولون ذهب أولئك، وجاء قوم يقولون ويفعلون، ونخاف أن يجيء قوم يقولون ولا يفعلون، وإن اتفق ذو دين في عيلة من مساكين فذلك غنيمة المتقين وذخيرة المنفقين والمعروف في مثله واقع في حقيقته.

(وسئل عمر رضي الله عنه) كذا في النسخ، والذي في القوت وسئل ابن عمر رضي الله عنهما **(عن جهد البلاء)** ما هو؟ **(فقال: كثرة العيال وقلة المال)** وقد جاء في الخبر «أن النبي ﷺ استعاذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وشماتة الأعداء» وسيأتي في الدعوات ويروى عن أبي عاصم النبيل أنه قال: جهد البلاء في عشرة أشياء جار حسود، ورسول بطيء، وخادم مذموم. وامرأة منافرة. وخف ضيق، وحطب رطب، وسنور يعوي، وسراج مظلم، وبيت يكف. ومائدة تنتظر.

(الصفة السادسة: أن يكون) من يعطيه **(من الأقارب)** جمع أقرب ويجمع أيضاً بالواو والنون. ومنه والأقربون أولى بالمعروف، والقرابة تختلف فقد تكون قريبة وقد تكون بعيدة، والقرابة القريبة هي أولى بالتقديم في المواساة. **(وذوي الأرحام)** وهم خلاف الأجانب، وأصل الرحم موضع تكوين الولد، ثم سميت القرابة والوصلة من جهة الولادة رحماً، **(فتكون صدقة**

وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى. قال علي رضي الله عنه: لأن أصل أخاً من إخواني بدرهم أحب إليَّ من أن أتصدق بعشرين درهماً، ولأن أصله بعشرين درهماً أحب إليّ من أن أتصدق بمائة درهم، ولأن أصله بمائة درهم أحبّ إلي من أن أعتق رقبة. والأصدقاء وأخوان الخير أيضاً يقدمون على المعارف كما يتقدم الأقارب على الأجانب، فليراع هذه الدقائق، فهذه هي الصفات المطلوبة وفي كل صفة درجات، فينبغي أن يطلب أعلاها، فإن وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى، ومهما اجتهد في ذلك وأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، فإن أحد أجريه في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكيد حب الله عز وجل في قلبه واجتهاده في طاعته. وهذه الصفات هي التي تقوى في قلبه فتشوقه إلى لقاء الله عز وجل والأجر الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فإن قلوب

وصلة رحم) وله أجر الصدقة وأجر الصلة. **(وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى)** وفي أخبار واردة يأتي ذكرها في مواضعها إن شاء الله تعالى.

(قال علي رضي الله عنه)، ولفظ القوت: والأفضل في المعروف أن يؤثر الرجل إخوانه من الفقراء على غيرهم من الأجانب، فقد روي عن علي رضي الله عنه: **(لأن أصل أخاً من إخواني بدرهم أحب إلي من أن اتصدق بعشرين درهماً ولأن أصله بعشرين درهماً أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم، ولأن أصله بمائة درهم أحب إلي من أن أعتق رقبة)** ولأن الله تعالى ضم الأصدقاء إلى الأقارب، ، فكان فضل الصدقة على الصديق دون البعيد كفضل الصدقة على القرابة دون الأباعد لأنه ليس بعد صلة الرحم في معناها أفضل من صلة الإخوان.

وكان بعض السلف يقول: أفضل الأعمال صلات الإخوان، وإليه أشار المصنف بقوله: **(والأصدقاء وإخوان الخير أيضاً يقدمون على المعارف كما يتقدم الأقارب على الأجانب، فلتراع هذه الدقائق)** المذكورة، **(فهذه من الصفات المطلوبة)** ولا يخفى أن **(في كل صفة)** من الصفات المذكورة **(درجات)** منها ما هي عليا ومنها ما هي وسطى، **(فينبغي أن يطلب أعلاها)** إما بمعرفته بنفسه أو بتعريف من غيره ممن له نفوذ بصيرة ونور فراسة إيمانية، **(فإن وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى)** للمتقين **(والغنيمة العظمى)** للمنفقين، **(ومهما اجتهد في ذلك وأصاب)** في معرفته وإدراكه للمطلوب **(فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، فإن أحد أجريه في الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل)** وتطهر ماله، **(وتأكيد حب الله عز وجل في قلبه)** بإخراج ما يشغله عنه، **(واجتهاده في طاعته، وهذه الصفات)** أي كل من التطهير والتأكيد والاجتهاد **(هي التي تقوى في قلبه)** أي تقوى ثمراتها **(فتشوقه إلى لقاء الله عز وجل واليوم الآخر)** الذي

الأبرار لها آثار في الحال والمآل. فإن أصاب حصل الأجران، وإن أخطأ حصل الأول دون الثاني، فبهذا يضعف أجر المصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر المواضع، والله أعلم.

هو المطلوب الأعظم. والأجر **(الثاني ما يعود إليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فإن قلوب الأبرار لها آثار في الحال والمآل)** وقد ورد: إنا عند المنكسرة قلوبهم، فإذا صادف العطاء لمن هو متصف بهذا الوصف كان لهمته ودعوته أثراً حسناً **(فإن أصاب حصل)** له **(الأجران)** المذكـــوران، **(وإن أخطأ حصل)** له **(الأول)** وهو المتضمن للتطهير والتأكيد والاجتهاد **(دون الثاني، فهذا معنى تضاعف أجر المصيب في الاجتهاد ههنا وفي سائر المواضع)** وتقدم تحقيق ذلك في كتاب العلم. والله أعلم.

الفصل الثالث

في القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه:

بيان أسباب الاستحقاق:

اعلم أنه لا يستحق الزكاة إلاّ حر مسلم ليس بهاشمي ولا مطلبي اتصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله عز وجل، ولا تصرف زكاة إلى

الفصل الثالث

في القابض للصدقة وأسباب استحقاقه التي بها يستحق ووظائف قبضه

بيان أسباب الاستحقاق:

(اعلم أنه لا يستحق الزكاة) أي أخذها **(إلا حر مسلم)** فخرج العبد والكافر، وشرط في المسلم وصفان **(ليس بهاشمي ولا مطلبي)** قطعاً ولا مولى لهم على الأصح، والهاشمي من ولد هاشم ثالث جد لرسول الله ﷺ، وهو ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وهو قريش، وفي عبد مناف ثلاث أبطن: بنو المطلب، وبنو عبد شمس، وبنو نوفل، وهم أولاد عبد مناف، ومن بني المطلب الإمام الشافعي رضي الله عنه وهو الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، ومن بني عبد شمس بنو أمية، ومنهم الأعياص والعنابس، وبنو المطلب يدّ مع بني هاشم جاهلية وإسلاماً، كما أن بني نوفل يد مع بني أمية، وانقرض جميع أولاد هاشم من الذكور سوى السيد عبد المطلب فلا عقب لهاشم إلا من عبد المطلب لا غير، فإذا قيل: بنو هاشم فالمراد به بنو عبد المطلب كما أنه إذا قيل بنو النضر بن كنانة بن خزيمة فالمراد به بنو فهر، وهو قريش بن مالك بن النضر إذ لا عقب له إلا منه هكذا ذكره أئمة النسب. **(اتصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين في كتاب الله عز وجل)** وهو قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ [التوبة: ٦٠] قال صاحب الكشاف ذكر الصدقات ليشمل أنواعها وقوله: «إنما» للحصر فيقتضي حصر جنس الصدقات على الأصناف المعدودة ولأنها مختصة بهم لا تتجاوز إلى غيرهم كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم، وعدل عن اللام إلى في في الأربعة الأخيرة ليؤذن أنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره ولأن

كافر، ولا إلى عبد، ولا إلى هاشمي، ولا مطلبي. أما الصبي والمجنون؛ فيجوز

في للوعاء وتكرير في من قوله: ﴿وفي سبيل الله وابن السبيل﴾ يؤذن بترجيح لهذين على الرقاب والغارمين اهـ.

(ولا تصرف زكاة إلى كافر) وبه قال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد لقوله ﷺ لمعاذ: « خذ من أغنيائهم ورد إلى فقرائهم » والمأخوذ من أغنياء المسلمين فكذا المدفوع إلى فقرائهم، وخالفهم زفر من أصحابنا فقال: يجوز دفع الصدقة إلى الذمي لقوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾ [الممتحنة: ٨] الآية ولقوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ إلى غير ذلك من النصوص من غير قيد بالإسلام، والتقييد زيادة وهو نسخ على ما عرف في موضعه، ولهذا جاز صرف الصدقات كلها إليهم بخلاف الحربي المستأمن حيث لا يجوز دفع الصدقة إليه بدليل الآية المتقدمة، ودليل الجماعة حديث معاذ السابق.

فإن قيل: حديث معاذ خبر الواحد فلا تجوز الزيادة به لأنه نسخ. قلنا: النص مخصوص بقوله تعالى: ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين﴾ الآية [الممتحنة: ٩] وأجمعوا على أن فقراء أهل الحرب خرجوا من عموم الفقراء فجاز تخصيصه بعد ذلك بخبر الواحد والقياس، مع أن أبا زيد الدبوسي ذكر أن حديث معاذ مشهور مقبول بالإجماع فجاز التخصيص بمثله، وأما دفع غير الزكاة من الصدقات كصدقة الفطر والكفارات إلى الكافر فقال الشافعي: لا يجوز أيضاً، ووافقه أبو يوسف، ودليلها حديث معاذ، ولهذا لا يجوز صرف الزكاة إليه فصار كالحربي. وقال أبو حنيفة ومحمد: يجوز ودليلهما عموم قوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾ الآية ولولا حديث معاذ لقالا بجواز صرف الزكاة إلى الذمي والحربي خارج بالنص.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن سعيد بن جبير مرسلاً مرفوعاً: « لا تصدقوا إلا على أهل دينكم » فأنزل الله تعالى ﴿ليس عليك هداهم﴾ إلى قوله ﴿وما تنفقوا من خير يوف إليكم﴾ فقال ﷺ « تصدقوا على أهل الأديان » وهو باطلاقه يتناول الزكاة. ولكن خرجت منه لحديث معاذ.

(ولا إلى عبد) ولو مدبراً أو معلقاً عتقه بصفة أو أم ولد لعموم الخروج عن ملكه أو مكاتباً ولو عبداً للغير على الإطلاق، وبه قال مالك وأحمد وقال أصحابنا: لا يجوز دفع الزكاة إلى عبد نفسه ومكاتبه ومدبره وأم ولده ولا إلى عبد لغني، لأن الملك واقع للمولى إذا لم يكن عليه دين يحيط برقبته وكسبه، وإن كان عليه دين يحيط بها جاز عند أبي حنيفة خلافاً لصاحبيه بناء على أن المولى يملك اكسابه عندهما وعنده لا يملك فصار كالمكاتب.

وفي الذخيرة: إذا كان العبد زمناً وليس في عيال مولاه ولا يجد شيئاً يجوز، وكذا إذا كان

مولاه غائباً، روي ذلك عن أبي يوسف، ولا يجوز دفعها إلى معتق البعض عند أبي حنيفة لأنه كالمكاتب عنده، وعندهما إذا أعتق بعضه عتق كله. وصورته: أن يعتق مالك الكل جزءاً شائعاً منه أو يعتقه شريكه فيستسعيه الساكت فيكون مكاتباً له أما إذا اختار التضمين أو كان أجنبياً عن العبد جاز له أن يدفع الزكاة إليه لأنه كمكاتب الغير.

(ولا إلى هاشمي ولا مطلبي) أي أولاد هاشم والمطلب قال النووي في الروضة: فلو استعمل هاشمي أو مطلبي لم يحل له سهم العامل على الأصح، ولو انقطع خمس الخمس من بني هاشم وبني المطلب لخلو بيت المال من الفيء والغنيمة أو لاستيلاء الظلمة عليها لم يعطوا الزكاة على الأصح الذي عليه الأكثرون، وجوزه الاصطخري، واختاره القاضي أبو سعد الهروي، ومحمد بن يحي اهـ.

وقال ابن هبيرة في الإفصاح: اتفقوا على أن الصدقة المفروضة حرام على بني هاشم وهم خمس بطون آل عباس، وآل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وولد الحرث بن المطلب. واختلفوا في بني المطلب هل يحرم عليهم؟ فقال أبو حنيفة: لا يحرم عليهم، وقال مالك والشافعي: يحرم عليهم، وعن أحمد روايتان أظهرهما أنه حرام عليهم اهـ.

وقال أصحابنا: ودليل حرمة الصدقة على بني هاشم ما رواه مسلم «إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس وأنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد».

وروى البخاري «نحن أهل بيت لا تحل لنا الصدقة» ويجمعهم ثلاث عينات وجيم وحاء ومواليهم كساداتهم وفائدة تخصيصهم بالذكر جواز الدفع إلى بعض بني هاشم وهم بنو أبي لهب لأن حرمة الصدقة كرامة لهم استحقوها بنص النبي ﷺ في الجاهلية والإسلام، ثم سار ذلك إلى أولادهم، وأبو لهب آذى النبي ﷺ وبالغ في إذايته فاستحق الإهانة. قال أبو نصر البغدادي: وما عدا المذكورين لا تحرم عليهم الزكاة. وقال في الهداية: ولا يدفع إلى بني هاشم. قال الشارح هذا ظاهر الرواية. وروى أبو عصمة عن أبي حنيفة أنه يجوز في هذا الزمان، وإنما كان ممتنعاً في ذلك الزمان وعنه وعن أبي يوسف: أنه يجوز أن يدفع بعض بني هاشم إلى بعض زكاتهم.

وظاهر ما روي من قوله ﷺ: «يا بني هاشم إن الله كره لكم غسالة ايدي الناس وأوساخهم وعوضكم منها بخمس الخمس» لا ينفيه للقطع بأن المراد بالناس غيرهم لأنهم المخاطبون بالخطاب المذكور عن آخرهم والتعويض بخمس الخمس عن صدقات الناس لا يستلزم كونه عوضاً عن صدقات أنفسهم، لكن هذا اللفظ غريب والمعروف ما عند مسلم «أن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس».

ونقل الطحاوي في تبيين المشكل، عن أبي يوسف، ومحمد تحريم الصدقة مطلقاً على بني هاشم سواء كانت مفروضة أو غيرها. قال: واختلف عن أبي حنيفة في ذلك فروي عنه أنه قال: لا

الصرف إليهما إذا قبض وليهما، فلنذكر صفات الأصناف الثمانية.

بأس بالصدقات كلها على بني هاشم، وذهب في ذلك إلى أن الصدقات إنما كانت حرمت عليهم لأجل ما جعل لهم في الخمس من سهم ذوي القربي، فلما انقطع ذلك عنهم ورجع إلى غيرهم بموت رسول الله ﷺ حل لهم ما قد كان محرماً عليهم من أجل ما قد كان أحل لهم.

وقد حدثني سليمان بن شعيب عن أبيه عن محمد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول أبي يوسف فبهذا نأخذ ولا يكره للهاشمي أن يكون عاملاً على الصدقة، وكان أبو يوسف يكره ذلك إذا كانت جعالته منها قال:لأن الصدقة تخرج من مال المتصدق إلى الأصناف التي سماها الله تعالى، فيملك المصدق بعضها وهي لا تحل له، وخالفه آخرون وقالوا: لا بأس أن يجتعل منها الهاشمي لأنه إنما يجتعل على عمله وذلك قد يحل للأغنياء فلما كان هذا لا يحرم على الأغنياء الذين يحرم عليهم غناهم الصدقة كان كذلك أيضاً في النظر لا يحرم على بني هاشم الذين يحرم عليهم نسبهم الصدقة، وحديث بريرة هو عليها صدقة ولنا هدية، دليل على ذلك. فلما كان ما تصدق به على بريرة جائزاً للنبي ﷺ أكله لأنه إنما ملك بالهدية جاز أيضاً للهاشمي أن يجتعل من الصدقة لأنه إنما يملكه بعمله لا بالصدقة، فهذا هو النظر وهو أصح مما ذهب إليه أبو يوسف رحمه الله في ذلك، والله أعلم اهـ.

وأما دليل عدم جواز أخذها لموالي بني هاشم فما رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، والطبراني من حديث أبي رافع مولى رسول الله ﷺ: «أن النبي ﷺ بعث رجلاً من بني مخزوم على الصدقة فقال لأبي رافع اصحبني فإنك تصيب منها قال حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله فأتاه فسأله فقال: مولى القوم من أنفسهم وانا لا تحل لنا الصدقة». قال الترمذي: حديث حسن صحيح وكذا صححه الحاكم.

(**أما الصبي والمجنون فيجوز الصرف إليهما إذا قبض عنهما وليهما**) بشرط أن يكونا فقيرين. وقال أصحابنا: لو دفعها إلى الصبي الفقير غير العاقل والمجنون، فإنه لا يجوز وإن دفعها الصبي إلى أبيه قالوا كما لو وضع زكاته على دكان فجاء الفقير وقبضها لا يجوز، فلا بد لذلك من أن يقبضها لهما الأب أو الوصي أو من كان في عياله من الأقارب أو الأجانب الذين يعولونه، فإن كان الصبي مراهقاً أو يعقل القبض بأن كان لا يرمي به ولا يخدع عنه يجوز، ولو وضع الزكاة على يده فانتهبها الفقراء جاز. والدفع إلى المعتوه مجزىء وبقيت هنا مسائل ينبغي التنبه لها.

فمنها قال أصحابنا لا يجوز أن يبنى بالزكاة المسجد لأن التمليك شرط فيها ولم يوجد، وكذا لا تبنى القناطر والسقايات وإصلاح الطرقات وكرب الأنهار والحج والجهاد وكل ما لم تملك فيه، وبه قال مالك والشافعي وأحمد.

ومنها أنه لا يجوز عندنا أن يكفن بها ميت ولا يقضى بها دين الميت لانعدام ركنها وهو

التمليك وبه قال مالك والشافعي وأحمد. أما التكفين فظاهر لاستحالة تمليك الميت، ولهذا لو تبرع شخص بكفنه ثم أخرجته السباع وأكلته يكون الكفن للمتبرع به لا لورثة الميت، وأما قضاء دينه فإن قضاء دين الحي لا يقتضي التمليك من المدين بدليل أنهما لو تصادقا أن لا دين عليه يسترده الدافع وليس للمدين أن يأخذه وذكر السروجي في شرح الهداية معزياً إلى المحيط: والمفيد أنه لو قضى بها دين حي أو ميت بأمره جاز.

ومنها أنه لا يجوز أن يشترى بها عبداً فيعتق، خلافاً لمالك فإنه قال: تعتق منها الرقبة ويكون الولاء للمسلمين كما سيأتي والحيلة في هذه الأشياء أن يتصدق بها على الفقير ثم يأمره أن يفعل هذه الأشياء فيحصل له ثواب الصدقة، ويحصل للفقير ثواب هذه القرب.

ومنها: أنه لا يجوز دفعها إلى أصوله وهم الأبوان والجدود والجدات من قبل الأب والأم وإن علوا ولا إلى فروعه وإن سفلوا، لأن بين الأصول والفروع اتصالاً في المنافع لوجود الاشتراك ما بينهم عادة خلافاً لمالك، فإنه قال: من وراء الجد والجدة يجوز دفعها إليهم، وكذلك إلى بني البنين لسقوط نفقتهم عنده.

ومنها: أنه لا يجوز عندنا دفعها إلى زوجته كما لا يجوز لها دفعها إلى زوجها، وفي الثانية خلاف الشافعي وأبي يوسف ومحمد، واحتجوا بحديث زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: كنت في المسجد فرآني النبي ﷺ فقال: «تصدقن ولو من حليكن» وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها فقالت لعبد الله: سل رسول الله ﷺ ايجزىء عني إن أنفقت عليك وعلى أيتام في حجري من الصدقة؟ قال: سلي أنت رسول الله ﷺ، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي فمر علينا بلال فقلت: سل لنا رسول الله ﷺ هل يجزىء عني أن أتصدق على زوجي وأيتام في حجري من الصدقة. وقلنا لا تخبر بنا. قال: فدخل فسأله فقال: «من هما»؟ قال: زينب. قال: «أي الزيانب هي». قال: امرأة عبد الله. فقال: «نعم يكون لها أجر القرابة وأجر الصدقة». وأجاب عن هذا الحديث: من قال بعدم الجواز أن تلك الصدقة إنما كانت من غير الزكاة.

وقد بين ذلك في رواية أخرى لهذا الحديث فيما رواه هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبيد الله ابن عبد الله، عن رائطة بنت عبد الله امرأة عبد الله بن مسعود، وكانت امرأة صنعاء وليس لابن مسعود مال، فكانت تنفق عليه وعلى ولده منها، فقالت: لقد شغلتني والله أنت وولدك عن الصدقة فما استطيع أن أتصدق معكم بشيء. فقال: ما أحب إن لم يكن في ذلك أجر أن تفعلي، فأتت رسول الله ﷺ هي وهو، فقالت: يا رسول الله إني امرأة ذات صنعة أبيع منها وليس لولدي ولا لزوجي شيء فشغلوني فلا أتصدق فهل لي فيهم أجر؟ فقال: «لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم فانفقي عليهم» ففيه أن تلك الصدقة مما لم تكن فيه زكاة. ورائطة هذه هي زينب امرأة عبد الله لا نعلم أن عبد الله كانت له امرأة غيرها في زمن رسول الله ﷺ، ويدل على ما

الصنف الأول: الفقراء. والفقير هو الذي ليس له مال ولا قدرة له على

ذكرنا قولها: كنت امرأة صنعاء أصنع بيدي فأبيع من ذلك، فانفق على عبد الله وعلى ولده مني وقد اجمعوا أنه لا يجوز للمرأة أن تنفق على ولدها من زكاتها، فلما كانت ما أنفقت على ولدها وليس من الزكاة، فكذلك ما أنفقت على زوجها ليس هو أيضاً من الزكاة.

وقد روي عن أبي هريرة أيضاً ما يدل على ذلك وفيه: فأتت امرأة عبد الله بن مسعود بحلي لها فقالت: أتصدق بهذا يا رسول الله؟ فقال لها: «تصدقي على عبد الله وبنيه فإنهم له موضع» فكان ذلك الصدقة بكل الحلي، وذلك من التطوع لا من الزكاة لأن الزكاة لا توجب الصدقة بكل المال، وإنما توجب بجزء منه، فقد بطل بما ذكرنا أن يكون في حديث زينب ما يدل أن المرأة تعطي زوجها من زكاة مالها إذا كان فقيراً والله أعلم.

ومنها: أنه لا يجوز دفعها إلى طفل الغني لأنه يعد غنياً بيسار أبيه، بخلاف ما إذا كان كبيراً لأنه لا يعد غنياً بمال أبيه، وإن كانت نفقته عليه ولا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى، وبين أن يكون في عيال الأب أو لم يكن في الصحيح، وبخلاف امرأة الغني لأنها لا تعد غنية بيسار الزوج وبقدر النفقة لا تصير موسرة.

ومنها: أنه إذا تحرى وغلب على ظنه أنه مصرف ودفع فهو جائز أصاب أو أخطأ عند أبي حنيفة ومحمد، خلافاً لأبي يوسف إذا تبين خطؤه، وإذا دفعها ولم يخطر بباله أنه مصرف أم لا فهو على الجواز إلا إذا تبين أنه غير مصرف، وإذا دفعها وهو شاك ولم يتحر أو تحرى ولم يظهر له أنه مصرف. أو غلب على ظنه أنه ليس بمصرف فهو على الفساد إلا إذا تبين أنه مصرف.

ثم قال المصنف: (**فلنذكر صفات الأصناف الثمانية**) المذكورة في الآية.

(**الصنف الأول: الفقراء**) جمع الفقير، (**والفقير**) فعيل بمعنى فاعل يقال فقر فقراً من باب تعب إذا قل ماله. قال ابن السراج: ولم يقولوا فقر أي بالضم استغنوا عنه بافتقر، وقد اختلف أئمة اللغة والفقه في حده وحد المسكين اختلافاً كثيراً. ونقل صاحب المصباح عن ابن الأعرابي أنه قال: المسكين هو الفقير وهو الذي لا شيء له فجعلهما سواء اهـ.

وهذا حكاه ابن عبد البر عن ابن القاسم وسائر أصحاب مالك وفيه كلام سيأتي ومجمل القول ان الفقير أسوأ حالاً من المسكين عند الشافعي وهو قول لأبي حنيفة، وإليه مال الأصمعي، وأبو جعفر أحمد بن عبيد الله. وقال محمد بن يحيى تلميذ المصنف: وهو الصحيح عندي لأن الله عز وجل بدأ به. وقال صاحب القوت: وهو عندي كذلك من قبل أن الله قدمه على الأصناف فبدأ به فدلَّ أنه هو الأحوج فالأحوج أو الأفضل فالأفضل. وعند أبي حنيفة بالعكس وهو قول ابن السكيت، ومال إليه يونس بن حبيب وابن قتيبة، واختاره أبو إسحاق المروزي من الشافعية كما نقله في الروضة، ولكل وجه يأتي بيانه.

الكسب، فإن كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين، وإن كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وإن كان معه قميص. وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير، لأنه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه وما هو عاجز عنه، فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فإن هذا غلوّ، والغالب أنه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتاداً للسؤال، فلا يجعل السؤال كسباً بخلاف ما لو قدر على كسب فإن ذلك يخرجه عن الفقر فإن قدر على الكسب بآلة فهو فقير، ويجوز

وقد شرع المصنف في بيان الفقير فقال: **(هو الذي ليس له مال ولا قدرة على التكسب)** الذي يقع موقعاً من حاجته، فالذي لا يقع موقعاً من حاجته كمن يحتاج عشرة ولا يملك إلا درهمين أو ثلاثة فلا يسلبه ذلك اسم الفقير، وكذا الدار التي يسكنها والثوب الذي يلبسه متجملاً به. وذكره صاحب التهذيب وغيره، ولم يتعرضوا لعبده الذي يحتاج إلى خدمته وهو في سائر الأصول ملحق بالمسكين قاله الرافعي. زاد النووي فقال: قد صرح ابن كج في كتابه التجريد بأنه كالمسكين وهو متعين والله أعلم.

ثم المفهوم من قول المصنف: ولا قدرة على الكسب أي أصله وليس كذلك بل المعتبر في عجزه عن الكسب عجزه عن كسب يقع موقعاً من حاجته كما قدرته أولاً، **(فإن كان معه قوت يومه)** أي ما يتقوى به ويتعيش **(وكسوة حاله)** بما يليق به **(فليس بفقير ولكنه مسكين، وإن كان معه نصف قوت يومه)** أي ما يكفيه في أحد الوقتين **(فهو فقير، وإن كان معه قميص)** وهو الثوب الذي يلبس تحت الثياب سواء كان من قطن أو كتان **(وليس معه منديل)** وهو ثوب يتمسح به يقال تمندل وتندل **(ولا خف)** وهو ما يلبس في الرجل **(ولا سراويل)** وهي أعجمية، وبعضهم يظن أنها جمع لأنه على وزن الجمع **(ولم تكن قيمة القميص بحيث تفي بجميع ذلك كما يليق بالفقراء)** أي بحالهم **(فهو فقير، لأنه في الحال قد عدم ما هو محتاج إليه وما هو عاجز عنه، فلا ينبغي أن يشترط في الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ستر العورة)** كما شرطه بعضهم **(فإن هذا غلو)** وتجاوز عن الحد، **(والغالب أنه لا يوجد مثله)** وفي نسخة: مثل هذا **(ولا يخرجه عن الفقر كونه معتاداً للسؤال)** ومعروفاً به، **(فلا يجعل السؤال كسباً)** أي قائماً مقام الكسب ولو تيسر له منه. وقال النووي في الروضة: ولا يشترط في الفقير الزمانة والتعفف عن السؤال على المذهب، وبه قطع المعتبرون وقيل: قولان الجديد كذلك والقديم يشترط **(بخلاف ما لو قدر على كسب ما، فإن ذلك يخرجه عن الفقر)** لقدرته على الكسب، **(فإن قدر على الكسب بآلة وليس له آلة فهو فقير)** لأنه في حكم العاجز كأن يكون نجاراً مثلاً وليس معه القدوم والمنشار، **(ويجوز أن**

أن يشترى له آلة. وإن قدر على كسب لا يليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير، وإن كان متفقهاً ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته، وإن كان متعبداً يمنعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لأن الكسب أولى من ذلك. قال ﷺ: «طلب الحلال فريضة بعد الفريضة». وأراد به السعي في

يشتري له آلة) ولكن الآلات تتفاوت، فمنها ما يشتد الاحتياج إليه ولا يتم الكسب بدونه وهو المراد هنا، ومنها ما ليس كذلك، والصنعة الواحدة تستدعي آلات.

ثم أشار إلى ما يعتبر في الكسب فقال: **(فإن قدر على كسب لا يليق بمروءته وبحال مثله فهـو فقير)** أي أن المعتبر في الكسب أن يكون مما يليق بمروءته وبحاله، **(وإن كان متفقهاً)** أي مشتغلاً ببعض العلوم الشرعية كالفقه مثلاً والحديث أو التفسير أو ماله حكم هؤلاء **(ويمنعه الإشتغال بالكسب عن التفقه)** أي لو أقبل على الكسب لانقطع عن التحصيل **(فهو فقير)** حلت له الزكاة، **(ولا تعتبر قدرته)** على الكسب. ومفهومه: أنه لو كان مشتغلاً بغير العلوم الشرعية كالمنطق والكلام والفلسفة والرياضة لا يدخل في هذا **(وإن كان متعبداً)** بأن يكون معطلاً معتكفاً في مدرسة أو رباط مقتصراً على الأذكار والعبادات **(يمنعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الأوقات)** الليلية والنهارية **(فليكتسب قدرته)** أي على قدرها **(لأن الكسب أولى به)** وهذه عبادة نفعها قاصر على نفسه، فلا تحل له الزكاة مع القدرة على الكسب، والمشتغل بالعلوم الشرعية ليس كذلك فإن نفعها متعدٍ إلى الغير، وعلى هذا من لا يتأتى منه تحصيل العلوم الشرعية فلا يحل له أخذ الزكاة أيضاً مع القدرة على الكسب صرح به الرافعي.

وقال النووي: هذا الذي ذكره في المشتغل بالعلم هو المعروف في كتب أصحابنا، وذكر الدارمي فيه ثلاثة أوجه: أحدها: يستحق، والثاني لا والثالث إن كان نجيباً يرجى تفقهه ونفع الناس به استحق وإلا فلا، ومن أقبل على نوافل العبادات والكسب يمنعـه عنها أو عن استغراق الوقت بها لا تحل له الصدقة، وإذا لم يجد الكسوب من يستعمله حلت له الزكاة.

ثم استدل المصنف على أولوية الكسب مع القدرة للمتعبدين فقال: **(قال النبي ﷺ: « الكسب)** كذا في نسخ الكتاب وفي نسخة العراقي: طلب الحلال **(فريضة بعد الفريضـة »)** قال العراقي: رواه الطبراني والبيهقي في شعب الإيمان من حديث ابن مسعود بسند ضعيف اهـ.

قلت: ولفظهما: « كسب الحلال » وهكذا رواه القضاعي في مسند الشهاب كلهم من طريق عباد بن كثير، عن الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة عن ابن مسعود به مرفوعاً، وقال الهيثمي: تفرد به عباد وهو ضعيف وقال أبو أحمد الفراء: يسأل عن حديث عباد في الكسب فإذا انتهى إلى رسول الله ﷺ قال: إن كان قاله.

الاكتساب، وقال عمر رضي الله عنه: كسب في شبهة خير من مسألة. وإن كان مكتفياً بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير.

قال الحافظ السخاوي في المقاصد: وله شواهد بعضها يؤكد بعضاً منها: «طلب الحلال واجب على كل مسلم». رواه الطبراني في الأوسط والديلمي عن أنس، وإسناد الطبراني حسن.

ومنها: «طلب الحلال جهاد» رواه القضاعي في مسند الشهاب من طريق محمد بن الفضل، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عباس. وهو عند أبي نعيم في الحلية. ومن طريق الديلمي عن ابن عمر، وقد روي في حديث ابن مسعود السابق أيضاً بلفظ: «طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة» أي بعد المكتوبات الخمس. وسيأتي في كتاب الحلال والحرام الكلام على هذا إن شاء الله تعالى.

قال المصنف: **(وأراد به السعي في الاكتساب)** مع القدرة. **(وقال عمر رضي الله عنه: كسب في شبهة خير من مسألة)**

قال الشهاب القليوبي في البدور المنوّرة: إكتسب ولو من شبهة ولا تكن عولة على الناس. هـو من كلام مالك اهـ. وكأنه أراد به الإمام المشهور هذا هو المفهوم عند الاطلاق، ويحتمل أن يكون مالك بن دينار، والله أعلم.

(وإن كان مكتفياً بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير). قال في الروضة: المكتفي بنفقة أبيه وغيره ممن تلزمه نفقته، والفقيرة التي ينفق عليها زوج غني هل يعطيان من سهم الفقراء؟ يبنى على مسألة وهي: لو أوصى أو وقف على الفقراء أقاربه فكانا في أقاربه هل يستحقان سهماً من الوقف والوصية؟ فيه أربعة أوجه. أصحها: لا. قاله أبو زيد والحضرمي وصححه الشيخ أبو علي وغيره، والثاني: نعم قاله ابن الحداد، والثالث: يستحق القريب دون الزوجة لا تستحق عوضها وتستقر في ذمة الزوج قاله الأودني. والرابع: عكسه ففي مسألة الزكاة إن قلنا لا حق لهما في الوقف والوصية، فالزكاة أولى وإلاّ فيعطيان على الأصح، وقيل لا يعطيان.

فصل

إن كان عليه دين فيمكن أن يقال القدر الذي يؤدى به الدين لا عبرة به في منع الاستحقاق. وفي فتاوى صاحب التهذيب: أنه لا يعطى سهم الفقراء حتى يصرف ما عنده إلى الدين. قال: ويجوز أخذ الزكاة لمن ماله على مسافة القصر إلى أن يصل إلى ماله، ولو كان له دين مؤجل فله أخذ كفايته إلى حلول الأجل وقد تردد الناظر في اشتراط مسافة القصر.

الصنف الثاني: المساكين: والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه، فقد يملك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك إلا فأساً وحبلاً وهو غني، والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين، وكذا أثاث البيت أعني ما يحتاج إليه وذلك ما يليق به، وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة، وإذا لم يملك إلا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر. وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فإنه محتاج إليه، ولكن ينبغي أن يحتاط في فهم الحاجة بالكتاب، فالكتاب محتاج إليه لثلاثة

(**الصنف الثاني: المساكين. والمسكين**) بكسر الميم هي اللغة المشهورة مفعيل من سكن المتحرك سكوناً ذهبت حركته سمي به لسكونه إلى الناس وفي لغة بني أسد بفتح الميم والمرأة مسكينة والقياس حذف الهاء لأن بناء مفعيل ومفعال في المؤنث لا تلحقه الهاء نحو امرأة معطير ومكسال، لكنها حملت على فقيرة فدخلت الهاء كذا في المصباح. وقد تقدم أن أئمة اللغة والفقه اختلفوا في حده كما اختلفوا في حد الفقير، وأن المسكين أحسن حالاً من الفقير عند أصحاب الشافعي. وقد أشار المصنف إلى ذلك فقال: (**هو الذي لا يفي دخله**) أي ما يدخل له في اليد من معاملة الدنيا لا يفي (**بخرجه**)الذي يصرفه على نفسه وعائلته، (**فقد يملك ألف درهم وهو مسكين**) لسعة ما يخرجه فلا يفيه هذا القدر بل وأكثر منه، (**وقد لا يملك إلا فأساً**) يكسر به الحطب (**وحبلاً**) يربط به فيحمله على ظهره ويبيعه (**وهو غني**) لأنه يكفيه ما يتحصل منه. (**والدويرة**) تصغير الدار (**التي يسكنها**) هو وعياله، (**والثوب الذي يستره على قدر حاله**) وحال امثاله (**لا يسلبه**) اسم (**المسكين، وكذلك أثاث البيت**) من فرش وغطاء ونحو ذلك. (**أعني ما يحتاج إليه وذلك مما يليق به**) وبأمثاله.

وفي الروضة: المسكين هو الذي يملك ما يقع موقعاً من كفايته ولا يكفيه بأن احتاج إلى عشرة وعنده سبعة أو ثمانية، وفي معناه: من يقدر على كسب ما يقع موقعاً ولا يكفي وسواء كان ما يملك من المال نصاباً أو أقل أو أكثر ولا يعتبر في المسكين التعفف عن السؤال قطع بذلك أكثر الأصحاب، ومنهم من نقل عن القديم اعتباره. قال: والمعتبر من قولنا موقعاً من كفايته حاجة المطعم والمشرب والملبس والمسكن وسائر ما لا بدّ منه على ما يليق بالحال من غير إسراف ولا تقتير للشخص ولمن هو في نفقته.

وقال الرافعي: سئل المصنف عن القوي من أهل البيوتات الذين لم تجر عادتهم بالتكسب بالبدن هل له أخذ الزكاة؟ فقال: نعم. قال: وهذا جار على ما سبق أن المعتبر حرفة تليق به.

ثم قال المصنف: (**وكذا كتب الفقه**) للفقيه (**لا تخرجه عن المسكنة**) فإنها مما يحتاج إليها (**وإذا لم يملك سوى الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر**) كالذي ملك ثوباً يلبسه.(**وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فإنه محتاج إليه**) أي إلى كل من الثوب والأثاث، (**ولكن ينبغي أن يحتاط في فهم الحاجة بالكتاب**) الذي عنده، (**فالكتاب محتاج إليه لثلاثة**

أغراض: التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة. أما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الأشعار وتواريخ الأخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجري في الدنيا إلا مجرى التفرج والاستئناس، فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر ويمنع إسم المسكنة. وأما حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس بأجرة فهذه آلته فلا تباع في الفطرة كأدوات الخياط وسائر المحترفين، وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك إسم المسكين لأنها حاجة مهمة، وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتب طب ليعالج بها نفسه، أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به، فإن كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه وإن لم يكن فهو محتاج إليه، ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة فينبغي أن يضبط مدة الحاجة. والأقرب

أغراض) لا غير: **(التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة)** أي فما كان لغير هذه الأغراض الثلاثة كالتجارة أو المباهاة بين أقرانه كما يفعله أرباب الأموال الجاهلون بالعلم فإنه خارج عن هذا البحث. **(أما حاجة التفرج)** بالمطالعة **(فلا تعتبر)** أي لا تعد حاجة **(كاقتناء كتب الأشعار)** من دواوين الشعراء الماضين جاهلية وإسلاماً أو المتأخرين منهم سواء كانت الأشعار من الخماسيات أو المختارات من مدائح الملوك أو الأغنياء أو غيرهم، **(وتواريخ الأخبار)** الماضية والقصص السالفة سواء كانت من أخبار بدء العالم أو أحوال الأنبياء السالفين أو الملوك الماضين أو الوقائع المكانية في العالم، **(وأمثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجري)** أي لا ينفع **(في الدنيا إلا مجرى التفرج)** وإرخاء النظر فيه **(والاستئناس)** فالنفوس مشغوفة إلى هذه الترهات وقد انقطع بها خلق كثير عن تحصيل ما هو أهم. **(فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر، ويمنع اسم المسكنة)** عنه فلا يعطى سهم المساكين. **(وأما حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمؤدب)** للأطفال في البيوت **(والمعلم)** غيره **(والمدرس)** في الربط والمدارس. كل هؤلاء **(بأجرة)** معلومة. **(فهذه آلته)** أي يستعين بها على تأديبه وتعليمه وتدريسه فلا تباع في الفطرة وحكمها **(كأدوات الخياطين)** كالمقص والذراع واللوح، **(وكذا)** أدوات **(سائر المحترفين)** المكتسبين بالحرف والصنائع، **(وإن كان يدرّس)** لا لأجرة بل **(للقيام بفرض الكفاية)** عن غيره ممن هو في البلد **(فلا تباع أيضاً ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لأنها حاجة مهمة)** في حقه. **(وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتاب طب ليعالج به نفسه)** إن احتاج الأمر إليه **(أو كتاب وعظ ليطالعه ويتعظ به)** في خلواته **(فإن كان في البلد طبيب)** يرجع إليه في معرفة الأمراض والمعالجات **(وواعظ)** يعظ الناس في كل أسبوع مرة مثلاً، **(فهذا مستغنى عنه)** بهما، **(وإن لم يكن)** في البلد طبيب ولا واعظ **(فهو محتاج إليه)** ولا بدّ، **(ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة)** تمضي عليه، **(فينبغي أن يضبط هذه الحاجة، والأقرب أن يقال)** في ضبط مدة الحاجة **(ما لايحتاج إليه في السنة**

أن يقال ما لا يحتاج إليه في السنّة فهو مستغنى عنه فإن من فضل من قوت يومه شيء لزمته الفطرة. فإذا قدرنا القوت باليوم فحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغي أن تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالثياب والأثاث أشبه، وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلى إحداهما، فإن قال إحداهما أصح والأخرى أحسن فأنا محتاج إليهما؟ قلنا: اكتف بالأصح وبع الأحسن ودع التفرج والترفه. وإن كان نسختان من علم واحد احداهما بسيطة والأخرى وجيزة، فإن كان مقصوده الاستفادة فليكتفِ بالبسيطة وإن كان قصده التدريس فيحتاج إليهما إذ في كل واحدة فائدة ليست في الأخرى وأمثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له في فن الفقه،

فهو مستغن عنه) غير محتاج إليه، **(فإن من فضل عن قوت يومه شيء لزمته الفطرة)** كما تقدم ذكره، **(فإن قدرنا حاجة القوت باليوم فحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغي أن تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف)** وهي البيض الخفيفة المحمل **(في الشتاء ولا ثياب الشتاء)** وهي المألوفات الثقيلة المحمل. وفي حكمها الفراء **(في الصيف والكتب بالثياب والأثاث أشبه)** في الاحتياج إليها، فهذا مقدار ضبط الحاجة، **(وقد يكون له من كتاب)** واحد **(نسختان فلا حاجة)** له **(إلى إحداهما)** فإنه قد حصل الاستغناء بالثانية **(فإن قال: إحداهما أصح)** وقد قوبلت على نسخة المصنف أو هي بخط المصنف مثلاً **(والأخرى أحسن)** ورقاً وخطاً **(فأنا محتاج إليهما .قلنا)** له: **(اكتف بالأصح)** منهما **(وبع الأحسن ودع التفرج والترفه وإن كانتا نسختين)** وفي نسخة: وإن كان نسختان **(من علم واحد إحداهما بسيطة)** أي مسائلها كالتسهيل لابن مالك في النحو **(والأخرى وجيزة)** كشرح الاشموني على الألفية. **(فإن كان مقصوده الاستفادة)** لنفسه **(فليكتف بالبسيط)** فإن فيه له مقنعاً، **(وإن كان قصده التدريس)** وإفادة الغير **(فيحتاج إليهما)** جيعاً **(إذ في كل واحدة فائدة ليست في الأخرى)**. وقد نقل النووي هذا السياق بتمامه في الروضة، ثم قال: وهو حسن إلا قوله في كتاب الوعظ انه يكتفي بالواعظ ولا يخفى أنه ليس كل أحد ينتفع بالواعظ كانتفاعه في خلوته وعلى حسب ارادته اهـ.

فصل

في أن الكتب إذا لم تكن معدة للتجارة لم تجب فيها الزكاة:

وقال أصحابنا: الكتب ما لم تكن معدة للتجارة لا تجب فيها الزكاة، وإن ساوت نصباً سواء كان مالكها أهلاً لها أو لم يكن وإنما يفترق الحال بين الأهل وغيره إن الأهل إذا كان محتاجاً لها للتدريس وغيره لا يخرج بها عن الفقر فله أخذ الزكاة إلا أن يفضل عن حاجته ما يساوي نصاباً كأن يكون عنده من كل تصنيف نسختان وقيل ثلاث والمختار الأول بخلاف غير الأهل فإنه

وإنما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بجنس هذا النظر على غيره. فإن استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يتعدى مثل هذا النظر في أثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن وفي الدار وسعتها وضيقها. وليس لهذه الأمور حدود محدودة، ولكن

يخرج بها عن الفقر فيحرم عليه أخذ الزكاة، لأن حرمة أخذها تعلقت بملك قدر نصاب غير محتاج إليه، وإن لم يكن نامياً لأن النماء ليس بشرط لحرمة أخذ الزكاة بل هو شرط لوجوبها عليه، ثم إن المراد بالكتب كتب الفقه والحديث والتفسير، أما كتب الطب والنجوم والنحو فمعتبرة في المنع مطلقاً هكذا قالوا، والذي يقتضيه النظر أن نسخة من النحو أو نسختين على الخلاف لا يعتبر من النصاب، وكذا من أصول الفقه، والكلام غير المخلوط بالأداء بل مقصور على تحقيق الحق في مذهب أهل السنة إلا أن لا يوجد غير المخلوط فإن هذه من الحوائج الأصلية.

قال في الخلاصة: رجل له من كتب العلم ما يساوي مائتي درهم إن كان مما يحتاج إليها في الحفظ والدراسة والتصحيح لا تكون نصاباً وحل له أخذ الصدقة فقهاً كان أو حديثاً أو أدباً، والمصحف على هذا وإن كان زائداً على قدر الحاجة لا يحل له أخذ الصدقة، وإن كان له نسختان من كتاب النكاح أو الطلاق إن كان كلاهما من تصنيف مصنف واحد أحدهما يكون نصاباً هو المختار، وإن كان كل واحد من تصنيف مصنف مستقل لا زكاة فيهما اهـ.

وفي قوله: والمصحف على هذا دلالة على أن المصحف الواحد لا يعتبر نصاباً وقد نص عليه في فتح القدير، لكن نقل الحدادي في الجوهرة عن الخجندي أنه إن بلغ قيمته نصاباً لا يجوز له أخذ الزكاة لأنه قد يجد مصحفاً يقرأ فيه اهـ.

قلت: قال بعض أصحابنا: قد يقال مثل هذا في الكتب أيضاً فيلزم أن يعتبر الكتاب الواحد في حرمة أخذ الزكاة إذا بلغت قيمته نصاباً والحال انه لا قائل به، فالمختار ما في الخلاصة وفتح القدير.

وفي قوله: إن كان كلاهما من تصنيف مصنف واحد دلالة على أن النسختين من الفقه والحديث والتفسير إنما تمنعان أخذ الزكاة إذا كانتا من تصنيف مصنف واحد، أما إذا كانتا لمصنفين فلا تمنعان أخذها والله أعلم.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: **(وأمثال هذه الصور لا تنحصر)** تحت ضابط **(ولم يتعرض له في فن الفقه)** إلا بالتلويحات، **(وإنما أوردناه)** هنا **(لعموم البلوى)** هذا في زمانه وما في زماننا أكثر **(والتنبيه بجنس هذا النظر على غيره)** قياساً وإلحاقاً. **(فإن استقصاء هذه الصور غير ممكن إذ يتعدى مثل هذا النظر في أثاث البيت في مقداره وعدده ونوعه و)** كذا **(في ثياب البدن و)** كذا **(في الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الأمور حدود محدودة)** وفي نسخة: حد محدود، **(ولكن الفقيه)** المتفطن **(يجتهد فيها**

الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب في التحديدات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات. والمتورع يأخذ فيه بالأحوط ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه. والدرجات المتوسطة المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجي منها إلا الاحتياط، والله أعلم.

رأيه) مهما أمكن **(ويقرب في التحديدات بما يراه)** مما أراه الله، **(ولا يقتحم فيه خطر الشبهات، و)** أما **(المتورع)** فإنه **(يأخذ)** فيه **(بالأحوط)** فالأحوط **(ويدع)** أي يترك **(ما يريبه)** أي يوقعه في الريب والشبهة **(إلى ما لا يريبه)** وهو إشارة إلى الحديث المشهور «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» وقد تقدم في كتاب العلم. **(والدرجات المتوسطة المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجلية)** الظاهرة **(كثيرة ولا ينجي منها إلا الاحتياط)** في دين الله عز وجل، وقد بقي في هذا الباب ما ذكر النووي في الروضة: ولو كان له عقار ينقص دخله عن كفايته فهو فقير أو مسكين فيعطى من الزكاة تمامها ولا يكلف بيعه ذكره الجرجاني في التحرير والشيخ نصر وآخرون، والله أعلم.

فصل

في ذكر حد الفقير والمسكين:

عند أئمة اللغة واختلافهم في ذلك وما لأصحابنا وأصحاب الشافعي فيهما من الكلام ففي المصباح قال ابن السكيت: المسكين الذي لا شيء له، والفقير الذي له بلغة من العيش، وكذا قال يونس، وجعل الفقير أحسن حالاً من المسكين قال: وسألت أعرابياً أفقير أنت؟ فقال: لا والله بل مسكين. وقال الأصمعي: المسكين أحسن حالاً من الفقير وهو الوجه لأن الله تعالى قال: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين﴾ [الكهف: ٧٩] وكانت تساوي جملة وقال في حق الفقير: ﴿لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾ [البقرة: ٢٧٣] وقال صاحب القوت قيل: الفقير الذي لا يسأل والمسكين هو السائل، وقيل: الفقير هو المحارب وهو المحروم، والمسكين الذي به زمانة واشتقاقه من السكون أي أسكنه الفقر لما سكنه فقلل حركته، وهذه أوصافه يقال: قد تمسكن الرجل وتسكن كما يقال تمدرع وتدرع إذا لبس المدرعة، فكذلك الفقير إذا كانت المسكنة لبسته، وأهل اللغة مختلفون فيهما قال بعضهم: المسكين أسوأ حالاً من الفقير لأن الله تعالى قال ﴿أو مسكيناً ذا متربة﴾ [البلد: ١٦] فهو الذي لا شيء له قد لصق بالتراب من الجهد، وذهب إلى هذا القول يعقوب بن السكيت ومال إليه يونس بن حبيب، وبعضهم يقول غير هذه فيقول: ذا متربة من الغنى ويقال: قد أترب الرجل إذا استغنى فهو مترب من المال أي قد كان مترباً غنياً من أهل النعم ثم افتقر فهذا أفضل من أعطي، وقال بعض أهل اللغة في قوله ﴿ذا متربة﴾ دليل أن المسكين أحسن حالاً قال: لأن الله تعالى لما نعته بهذا خاصة علمت أنه ليس كل مسكين بهذا النعت ألا ترى أنك إذا قلت: اشتريت ثوباً ذا علم نعته بهذا النعت لأنه ليس كل ثوب له علم، فكذلك المسكين الأغلب عليه أن يكون له شيء،

فلما كان هذا المسكين مخالفاً لسائر المساكين بيّن الله تعالى نعته، وبهذا المعنى استدل أهل العراق من الفقهاء أن اللمس هو الجماع بقوله: فلمسوه بأيديهم. إن اللمس يكون بغير اليد وهو الجماع، فلما قال: بأيديهم خص هذا المعنى، فردوه على من احتج به من علماء أهل الحجاز في قولهم اللمس باليد، وقال آخرون: بل الفقير أسوأ حالاً من المسكين لأن المسكين يكون له شيء والفقير لا شيء له. قال الله تعالى في أصحاب السفينة ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾ [الكهف: ٧٩] فأخبر أن لهم سفينة وهي تساوي جملة، وقالوا: سمي فقيراً لأنه نزعت فقرة من ظهره فانقطع صلبه من شدة الفقر، فهو مأخوذ من فقار الظهر ومال إليه الاصمعي وهو عندي كذلك من قبل أن الله تعالى قدمه على الأصناف فبدأ به، فدل أنه هو الأحوج فالأحوج أو الأفضل فالأفضل.

وقال قوم: الفقير هو الذي يعرف بفقره لظهور أمره، والمسكين هو الذي لا يفطن له ولا يؤبه به لتخفيه وتستره، وقد جاءت السنة بوصف هذا في الخبر المروي: ليس المسكين الذي ترده الكسرة والكسرتان والتمرة والتمرتان إنما المسكين المتعفف الذي لا يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه، وقد قال بعض العلماء في مثل هذا، وقد سئل أي الاشياء أشد؟ فقال: فقير في صورة غني، وقيل لحكيم آخر: ما أشد الأشياء؟ فقال: من ذهب ماله وبقيت عادته.

وقال الفقهاء: المسكين الذي له سبب ويحتاج إلى أكثر منه لضيق مكسب أو وجود عيلة، فهذا أيضاً قد وردت السنة بفقره وذكر فضله في الحديث الذي جاء «إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال ويبغض السائل الملحف». وفي الخبر الآخر «إن الله يحب عبده المؤمن المحترف» وكل هذه الأقوال صحيحة اهـ.

وقال أصحابنا الفقير من له دون نصاب هكذا هو في النقاية لصدر الشريعة، وتبعه صاحب الدرر، وقال صاحب الهداية: الفقير من له أدنى شيء، والمسكين من لا شيء له وهذا مروي عن أبي حنيفة وقد قيل على العكس ولكل وجه اهـ. والأول أصح وهو المذهب كما في الكافي.

وقال ابن الهمام: الفقير من له مال دون نصاب أو قدر نصاب غير تام وهو مستغرق في الحاجة، والمسكين من لا شيء له فيحتاج للمسألة لقوته، أو ما يواري بدنه ويحل له ذلك بخلاف الأول، فإنه لا يحل لمن يملك قوت يومه بعد سترة بدنه، وعند بعضهم لا يحل لمن كان كسوباً أو يملك خمسين درهماً، ويجوز صرف الزكاة لمن لا تحل له المسألة بعد كونه فقيراً ولا يخرجه عن الفقر ملك نصب كثيرة غير نامية إذا كانت مستغرقة بالحاجة، ولذا قلنا: يجوز للعالم وإن كانت له كتب تساوي نصباً كثيرة على تفصيل ما ذكرنا فيما إذا كان محتاجاً إليها للتدريس أو الحفظ أو التصحيح، ولو كانت ملك عامي وليس له نصاب نام لا يحل دفع الزكاة له لأنها غير مستغرقة في حاجته فلم تكن كثياب البذلة، وعلى هذا جميع آلات المحترفين إذا ملكها صاحب تلك الحرفة.

....

والحاصل: أن النصب ثلاثة: نصاب يوجب الزكاة على مالكه وهو النامي خلقة أو اعداداً وهو سالم من الدين ونصاب لا يوجبها وهو ما ليس أحدهما فإن كان مستغرقاً لحاجة مالكه حل له أخذها وإلآ حرمت عليه كثياب تساوي نصاباً لا يحتاج إلى ملكها أو أثاث لا يحتاج إلى استعماله كله في بيته وعبد وفرس لا يحتاج إلى خدمته وركوبه، ودار لا يحتاج إلى سكناها، فإن كان محتاجاً إلى ما ذكرنا حاجة أصلية فهو فقير يحل دفع الزكاة له وتحرم عليه المسألة،ونصاب يحرم المسألة وهو ملك قوت يومه أو لا يملك لكنه يقدر على الكسب أو يملك خمسين درهماً على الخلاف في ذلك اهـ.

ولا خلاف في أنهما صفتان لأن العطف في الآية يقتضي المغايرة بينهما وإنما اختلفوا في أنهما صنفان أو صنف واحد في غير الزكاة كالوصية والوقف والنذر، فقال أبو حنيفة بالأول وهو الصحيح. وقال أبو يوسف: بالثاني فلو أوصى بثلث ماله لفلان وللفقراء والمساكين فعلى قول أبي حنيفة لفلان ثلث الثلاث ولكل من الفريقين ثلثه، وعلى قول أبي يوسف لفلان نصف الثلث وللفريقين النصف الآخر، وكذا الوقف والنذر ذكر فخر الإسلام ان الصحيح قول أبي حنيفة، ثم ان قول من قال: إن الفقير أسوأ حالاً من المسكين استدل عليه بوجوه خمسة.

الأول: قوله تعالى ﴿أما السفينة فكانت لمساكين﴾ [الكهف: ٧٩] فإنه أثبت للمسكين سفينة.

والثاني: قوله ﷺ «اللهم احيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين» مع ما روي أنه تعوّذ بالله من الفقر.

والثالث: أن الله تعالى قدمهم في الآية فدل على زيادة الاهتمام بهم وذلك مظنة زيادة حاجتهم.

والرابع: أن الفقير بمعنى المفقور وهو المكسور الفقار، فكان أسوأ حالاً.

والخامس: قول الشاعر:

هل لك في أجر عظيم تؤجره   تغيث مسكيناً كثيراً عسكره

عشر شياه سمعه وبصره.

والجواب عن ذلك أما عن الاول فلا دلالة في الآية، فإنها لم تكن لهم وإنما كانوا فيها أجراء وكانت عارية لهم، ويدل على ذلك قراءة من قرأ المساكين بالتشديد، أو قيل لهم مساكين ترحماً على حالهم. كما يقال لمن ابتلي ببلية مسكين وهذا فاش في لغة عرب اليمن، أو لأنهم كانوا مقهورين بقهر الملك، وقد يقال للذليل المقهور مسكين، كما قال تعالى ﴿ضربت عليهم الذلة والمسكنة﴾ [البقرة: ٦١] نقله صاحب المصباح.

وأما الجواب عن الثاني، فإن الفقر المتعوّذ منه ليس إلا فقر النفس لما صح أنه ﷺ كان يسأل العفاف والغنى، والمراد منه غنى النفس لا كثرة العرض فلا دليل فيه لما ذكر.

....

وأما الجواب عن الثالث فإنه قد يمنع بأنه قدم العاملين على الرقاب مع أن حالهم أحسن ظاهراً وأخّر في سبيل الله وابن السبيل مع الدلالة لزيادة تأكيد للدفع إليهم حيث أضاف إليهم بلفظة « في »، **أقول**: إن التقديم لاعتبار آخر غير زيادة الحاجة، والاعتبارات المناسبة لا تدخل تحت ضبط خصوصاً من علام الغيوب.

وأما الجواب عن الرابع فبالمنع لجواز أن يكون الفقير مأخوذاً من قولهم فقرت له فقرة من مالي أي قطعة منه، فيكون الفقير له قطعة منه لا تغنيه، وهذا منقول عن الاخفش.

وأما الجواب عن الخامس: فعورض بقول الآخر

أمـا الفقير الذي كـانـت حلـوبتـه وقـف العيـال فلم يترك لـه سبـد

يقال: ماله سبد ولا سبد أي شيء وقد سماه فقيراً وله حلوبة ولا حجة لهم فيما أنشدوه لأنه لم يرد به أن له عشر شياه. أي أنها مملوكته هي سمعه، بل لو حصلت له عشر شياه لكانت سمعه وبصره فيكون سائلاً من المخاطب عشر شياه ليستعين بها على عسكره أي عياله ويؤجر فيها المخاطب الدافع لها.

فصل

وأما وجه من قال: إن المسكين أسوأ حالاً من الفقير قوله تعالى ﴿أو مسكيناً ذا متربة﴾ [البلد: ١٦] أي ألصق جلده بالتراب محتفراً حفرة جعلها إزاره لعدم ما يواريه، أو الصق بطنه للجوع وتمام الاستدلال به موقوف على أن الصفة كاشفة والاكثر خلافه فيحمل عليه فتكون مخصصة، وخص هذا الوصف بالحض على إطعامهم كما خص اليوم بكونه ﴿ذا مسغبة﴾ [البلد: ١٤] أي مجاعة لقحط وغيره، ومن تخصيص هذا اليوم علمنا أن المقصود في هذه الآية الحض على الصدقة في حال زيادة الحاجة زيادة حض، وقوله ﷺ « ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يعرف ولا يفطن له فيعطى ولا يقوم فيسأل الناس ». متفق عليه فمحل الإثبات أعني قوله: ولكن المسكين إلخ مراد معه وليس عنده شيء فإنه نفي المسكنة عمن يقدر على لقمة ولقمتين بطريق المسألة وأثبتها لغيره، فهو بالضرورة من لا يسأل مع أنه لا يقدر على اللقمة واللقمتين، لكن المقام مبالغة في المسكنة فالمسكنة المنفية عن غيره هي المسكنة المبالغ فيها لا مطلق المسكنة، وحينئذ لا يفيد المطلوب الثالث موضع الاشتقاق وهو السكون يفيد المطلوب كأنه عجز عن الحركة فلا يبرح، والله أعلم.

فصل

اعتبار الفقير والمسكين في كتاب الشريعة:

أما الفقير الذي يجب له أخذ الصدقة فهو الذي يفتقر إلى كل شيء لنظره الحق في كل شيء حيث تسمى له باسم كل شيء يمكن أن يفتقر إليه من لا يعرف، ولا يفتقر إليه شيء لوقوف

الصنف الثالث: العاملون: وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على أجرة المثل، فإن فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الأصناف وإن نقص كمل من مال المصالح.

هذا الفقير عند قوله ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾ [فاطر : ١٥] فتحقق بهذه الآية، فأوجب الله له الطهارة والزكاة حيث تأدب مع الله فلم تظهر عليه صفة غني بالله ولا بغير الله فيفتقر إليه من ذلك الوجه، فصح له مطلق الفقر فكأن الله غناه ما هو من الأغنياء بالله فإن الغني بالله من افتقر إليه الخلق وزها عليهم بغناه بربه، فكذلك لا يجب له أن يأخذ هذه الزكاة.

وأما المسكين فهو الذي ذل تحت عز كل عزيز لتحققه أن العزة لله وأن عزته هي الظاهرة في كل عزيز وإن كان ذلك العزيز من أهل من أشقاه الله بعزه، فإن هذا المسكين لم ير بعينه إذ كان لا يرى إلا الله سوى عز الله ولا يغلبه سوى عز الله، ونظر إلى ذلة الجميع بالعين التي ينبغي أن ينظر إليهم بها فتخيل المخلوق الموصوف عند نفسه بالعزة أنه ذل هذا المسكين لعزه، وإنما كان ذله للعز خاصة والعز ليس إلا لله فوفى المقام حقه، فمثل هذا هو المسكين الذي يجب أن يأخذ الصدقة والله أعلم.

ثم قال المصنف:

(**الصنف الثالث: العاملون**) عليها. أي على الصدقات من طرف الإمام فإنه يجب على الإمام بعث السعاة لأخذ الصدقات، وإليه أشار بقوله: (**وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات**) فيدخل في إسم العامل الساعي (**سوى الخليفة**) أي الإمام الأعظم (**والقاضي**) وكذا والي الإقليم، فإن هؤلاء لا حق لهم فيها بل رزقهم إذا لم يتطوعوا في خُمس الخمس المرصد للمصالح العامة. وهو موافق لما قال أصحابنا انه لا تصرف إلى الإمام ولا إلى القاضي لأن كفايتها في الفيء من الخراج والجزية ونحوه. وهو المعد لمصالح المسلمين فلا حاجة إلى الصدقات، (**ويدخل فيه**) أي في لفظ العامل (**العريف**) وهو كالنقيب للقبيلة (**والكاتب**) وهو معروف (**والمستوفي**) وهو الحاسب (**والحافظ**) للأموال (**والنقّال**) الذي ينقل المال من موضع إلى موضع. كذلك القسّام والحاشر الذي يجمع أرباب الأموال، قال المسعودي: وكذا الجندي، فهؤلاء يدخلون في إسم العامل، ولهم سهم من الزكاة (**ولا يزاد واحد منهم على أجرة المثل، فإن فضل شيء من الثمن على أجر مثلهم ردّ على بقية الأصناف وإن نقص كمل من المصالح**)، وإنما قدر بالثمن لأن الأصناف ثمانية والشركة تقتضي المساواة، وإذا لم تقع الكفاية بعامل واحد من ساع وكاتب وغيرهما زيد قدر الحاجة، وفي أجرة الكيال والوازن وعاد الغنم وجهان. أحدهما: من سهم العاملين، وأصحهما أنها على المالك لأنها لتوفية ما عليه كأجرة الكيال

في البيع فإنها على المالك. قال النووي: هذا الخلاف في الكيال ونحوه ممن يميز نصيب الفقير من نصيب المالك فأما الذي يميز بين الأصناف فأجره من سهم العاملين بلا خلاف، وأما أجرة الراعي والحافظ بعد قبضها فهل هي في سهم العاملين أم في جملة الصدقات؟ وجهان. حكاهما في المستظهري أصحهما الثاني، وبه قطع صاحب العدة وأجرة الناقل والمخزن في الجملة، وأما مؤنة احضار الماشية ليعدها الساعي فعلى المالك.

فصل

وقال أصحابنا: ما يأخذه العامل أجرة على عمله وليس من الزكاة وإنما هو عن عمله، وبه قال أحمد وهو ما يكفيه واعوانه غير مقدر بالثمن لأن الثمن فيه بطريق الكفاية، ولهذا يأخذ وإن كان غنياً إلا أن فيه شبهة الصدقة فلا يأخذه العامل الهاشمي تنزيهاً لقرابة الرسول ﷺ عن شبهة الوسخ، والغني لا يوازيه في استحقاق الكرامة فلم تعتبر الشبهة في حقه، ثم ما يعطيه الإمام العامل وأعوانه وسطا ذهاباً وإياباً من غير تقتير ولا إسراف، ولا يزاد على النصف لأن التنصيف عين الإنصاف، وتقدير الشافعي بالثمن بناء على صرف الزكاة إلى كل الأصناف وهم ثمانية إنما يتم على اعتبار عدم سقوط المؤلفة قلوبهم ـ كما سيأتي ـ هذا ما دام المال باقياً في يده لأنه فرغ نفسه لهذا العمل وليس ذلك على وجه الاجارة لأنها لا تكون إلا على عمل معلوم وحدة معلومة وأجر معلوم ولا بطريق الصدقة، لما مر أن صاحب الزكاة لو دفعها إلى الإمام بنفسه لم يستحق العامل شيئاً ويأخذ ولو كان غنياً وإنما قيدنا بما دام المال باقياً في يده لأنه لو هلك أوضاع في يده بطلت عمالته ولا يستحق شيئاً، ويسقط الواجب عن أرباب الأموال لأن يده كيد الإمام في القبض أو هو نائب عن الفقراء فيه، فإذا تم القبض سقط الواجب.

قال في البزازية: المصدق إذا أخذ عمالته قبل الوجوب، فإن الأفضل عدم التعجيل لاحتمال أنه لا يعيش إلى المدة اهـ. وهل يسترد ما اذا هلك المال بيده وتعجل عمالتهوجهان. أظهرهما:لا

ثم على قول أصحابنا وأحمد يجوز أن يكون العامل عليها من ذوي القربى، لكن المعتمد عنده عدم صحة تولية الهاشمي، واختاره ابن الكمال في إصلاح الإيضاح، ويجوز عند أحمد أن يكون عبداً رواية واحدة عنه وعنه في الكافر روايتان. وقال أبو حنيفة، ومالك والشافعي: لا يجوز وأن الإسلام شرط في العامل، قال يحي بن محمد: ولا أرى أن مذهب أحمد في إجازة أن يكون الكافر على عمل الزكاة على أنه يكون عاملاً عليها، وإنما أرى أن إجازة ذلك إنما هو على أن يكون سواقاً لها ونحو ذلك من المهن التي يلابسها مثله.

فصل

اعتبار العامل هو المرشد إلى معرفة هذه المعاني والمبين لحقائقها، والمعلم والاستاذ والدال عليها وهو الجامع لها بعلمه من كل من تجب عليه فله منها على حد عمالته. قالت الأنبياء: إن أجري

الصنف الرابع: المؤلفة قلوبهم على الإسلام، وهم الأشراف الذين أسلموا وهم مطاعون في قومهم، وفي إعطائهم تقريرهم على الإسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم.

إلاّ على الله، وهو هذا القدر الذي لهم من الزكاة الإلهية فلهم أخذ زكاة الاعتبار لا زكاة المال، فإن الصدقة الظاهرة على الأنبياء حرام لأنهم عبيد، والعبد لا يأخذ الصدقة.

ثم قال المصنف رحمه الله:

(**الصنف الرابع: المؤلفة قلوبهم على الإسلام وهو الشريف**) أي الرئيس، وليس المراد به أن يكون ممن ينسب إلى البضعة الظاهرة، فإن هذا عرف طارىء، ولذا قال: (**الذي أسلم وهو مطاع في قومه**) أي يطيعه قومه فيأتمرون لأمره وينتهون عند وقوفه، (**وفي اعطائه**) الصدقة (**تقريره على الإسلام**) وإثباته عليه (**و**) قد يكون ذلك الإعطاء لأجل (**ترغيب نظائره وأتباعه**) إلى الإسلام، وفي نسخة: وهم أشراف قوم قد أسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي اعطائهم تقريرهم على الإسلام وترغيب نظرائهم واتباعهم.

قال في الروضة: المؤلفة قلوبهم ضربان، كفار ومسلمون، فالكفار قسمان: قسم يميلون إلى الإسلام ويرغبون فيه باعطاء مال، وقسم يخاف شرهم فيتألفون لدفع شرهم فلا يعطى القسمان من الزكاة قطعاً ولا من غيرها على الأظهر، وفي قول: يعطون من خمس الخمس، وأشار بعضهم إلى أنه لا يعطون إلا أن ينزل بالمسلمين نازلة، وأما مؤلفة المسلمين، فأصناف: صنف دخلوا في الإسلام ونيتهم ضعيفة فيتألفون ليثبتوا، وآخرون لهم شرف في قومهم يطلب بتألفهم إسلام نظائرهم، وفي هذين الصنفين ثلاثة أقوال. أحدها لا يعطون، والثاني يعطون من سهم المصالح، والثالث: من الزكاة، وصنف يراد بتألفهم أن يجاهدوا من يليهم من الكفار أو من مانع الزكاة ويقبضوا زكاتهم، فهؤلاء يعطون قطعاً ومن أين يعطون؟ فيه أقوال: أحدها: من خمس الخمس، والثاني: من سهم المؤلفة، والثالث: من سهم الغزاة، والرابع: قال الشافعي رحمه الله يعطون من سهم المؤلفة وسهم الغزاة، فقال طائفة من الأصحاب: على هذا الرابع يجمع بين السهمين للشخص الواحد، وقال بعضهم: المراد إن كان التألف لقتال الكفار فمن سهم الغزاة وإن كان لقتال مانعي الزكاة فمن سهم المؤلفة، وقال آخرون: معناه يتخير الإمام لمن شاء من ذا السهم وإن كان من ذاك، وربما قيل إن شاء جمع السهمين، وحكي وجه أن المتألف لقتال مانعي الزكاة وجمعها يعطى من سهم العاملين، وأما الاظهر من هذا الخلاف في الأصناف فلم يتعرض له الأكثرون بل أرسلوا الخلاف.

وقال الشيخ أبو حامد في طائفة الأظهر من القولين في الصنفين الأولين، أنهم لا يعطون، وقياس هذا أن لا يعطى الصنفان الآخران من الزكاة لأن الأولين أحق باسم المؤلفة من الآخرين لأن في الآخرين معنى الغزاة العاملين، وعلى هذا فيسقط سهم المؤلفة بالكلية وقد صار إليه من المتأخرين الروياني وجماعة، لكن الموافق لظاهر الآية ثم لسياق الشافعي والأصحاب اثبات سهم

المؤلفة وأنه يستحقه الصنفان وأنه يجوز صرفه إلى الآخرين أيضاً، وبه أفتى أقضى القضاة الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية اهـ.

وحاصل هذا الكلام أن هذا الصنف إما كفار أو مسلمون، والكفار إما يرجى خيرهم أو يكفى شرهم، وكان النبي ﷺ يعطيهم فهل يعطون بعده؟ على قولين. أحدهما: نعم، والمسلمون على أربعة أضرب: شرفاء يعطـون ليرغب نظراؤهم في الإسلام، وآخرون لتتقوّى نياتهم على الإسلام، وكان النبي ﷺ يعطيهم فهل يعطون بعده؟ قولان. أحدهما: لا. والثاني: نعم، وعلى هذا فمن أين يعطون قولان أحدهما: من الزكاة، والثاني: من خمس الخمس، والضرب الثالث قوم مسلمون يليهم قوم من الكفار إن أعطوا قاتلوهم، وقوم يليهم قوم من أهل الصدقات إن أعطوا أوجبوا الصدقات، فعنه فيه أربعة أقوال. أحدها انهم يعطون من سهم المصالح، والثاني من سهم المؤلفة، والثالث من سهم الغزاة من الزكاة، والرابع وهو الذي عليه أصحابه أنه من السهمين الغزاة والمؤلفة.

فصل

وقال أحمد: حكم المؤلفة باق لم ينسخ ومتى وجد الإمام قوماً من المشركين يخاف الضرر منهم ويعلم بإسلامهم مصلحة جاز أن يتألفهم بمال الزكاة، وعنـه رواية أخرى حكمهم منسوخ وهو مذهب أبي حنيفة. وقال مالك: لم يبق للمؤلفة سهم لغنى المسلمين عنهم هذا هو المشهور عنه، وعنه رواية أخرى أنهم إن احتاج إليهم بلد من البلدان أو ثغر من الثغور استألفهم الإمام لوجود العلة هذا على وجه الاجمال. وقد روى ابن جرير في تفسيره باسناده إلى يحي بن أبي كثير قال: المؤلفة قلوبهم جماعة من عدة قبائل ثم عدهم، ثم قال: أعطى النبي ﷺ كل رجل منهم مائة ناقة إلا عبد الرحمن بن يربوع وحويطب بـن عبد العزى، فإنه أعطى لكل رجل منهم خمسين، وأسند أيضاً قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جاءه عيينة بن الحصن ﴿الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف: ٢٩] يعني ليس اليوم مؤلفة.

وأخرج ابن أبي شيبة عن الشعبي: إنما كانت المؤلفة على عهد النبي ﷺ، فلما ولي أبو بكر انقطعت. وفي شرح الكنز: هم أصناف ثـلاثة كان النبي ﷺ يؤلفهم على الإسلام لإعلاء كلمة الله، فكان يعطيهم كثيراً حتى أعطى أبا سفيان وصفوان والأقرع وعيينة وعباس بن مرداس كل واحد منهم مائة من الإبل، وقال صفوان: لقد أعطاني ما أعطاني وهو أبغض الناس إليَّ فما زال يعطيني حتى صار أحب الناس إليَّ، ثم في أيام أبي بكر جاء عيينة والأقرع يطلبان أرضاً فكتب لهما بها، فجاء عمر فمزق الكتاب وقال: إن الله أعز الإسلام وأغنى عنكم، فإن تبتم عليه وإلا فبيننا وبينكم السيف، فانصرفا إلى أبي بكر وقالا: أنـت الخليفـة أم هـو؟ فقـال: هـو إن شـاء ولم ينكر عليه ما فعل فانعقد الإجماع عليه اهـ.

وقال صاحب النهاية النسخ بالاجماع جوزه بعض مشايخنا باعتبار أن الإجماع موجب على اليقين كالنص، فيجوز أن يثبت النسخ به والإجماع في كونه حجة أقوى من الخبر المشهور، فإن كان يجوز النسخ بالخبر المشهور بالزيادة فبالإجماع أولى، وأما اشتراط حياة النبي ﷺ في حق جواز النسخ فجائز أن لا يكون مشروطاً على قول ذلك البعض الذي يرى أن النسخ بالمتواتر والمشهور بطريق الزيادة جائز، ولا يتصور النسخ بالمتواتر والمشهور إلا بعد وفاة النبي ﷺ كما أنه إنما عرف التفرقة بين المتواتر والمشهور والآحاد بهذه الأسامي إلا في القرن الثاني والثالث فتأمل.

والحاصل؛ أنه اختلف أئمتنا في وجه سقوط هذا الصنف بعد النبي ﷺ بعد ثبوته بالكتاب إلى حين وفاته ﷺ، فمنهم من ارتكب النسخ وإليه مال صاحب النهاية ورجحه شارح المختار، والناسخ هنا هل هو الإجماع أو دليل الإجماع؟ أظهرهما الثاني بناء على أنه لا إجماع إلا عن مستند بدليل إفادة تقييد الحكم بحياته ﷺ وهو موافقة الصديق وسائر الصحابة لعمر في ذلك دلت على أنهم كانوا عالمين بما هنالك، والآية التي قرأها عمر وتقدم ذكرها تصلح أن تكون دليل الإجماع، وكذا حديث معاذ لما بعثه إلى اليمن لأنه كان آخر الأمر منه ﷺ، ومنهم من قال: هو من قبيل انتهاء الحكم بانتهاء علته، وقد اتفق انتهاؤها بعد وفاته ﷺ والمراد بالعلة الغائية أو الدفع لهم هو العلة للإعزاز لما أنه يحصل به، فانتهى ترتيب الحكم وهو الإعزاز على الدفع الذي هو علته، لأن الله تعالى أعز الإسلام وأغنى عنهم، وعن هذا قال صاحب الغاية: عدم الدفع لهم الآن تقرير لما كان في زمنه ﷺ لا نسخ لأنه كان للإعزاز وهو الآن في عدمه، وتعقبه الشيخ ابن الهمام في فتح القدير: إن هذا لا ينفي النسخ لأن إباحة الدفع حكم شرعي كان ثابتاً وقد ارتفع، وغاية الأمر أنه نسخ لزوال علته اهـ.

وقال صاحب الكشف: سقوطهم تقرير لما كان في زمنه ﷺ من حيث المعنى، لأن الدفع إليهم في ذلك الوقت كان إعزازاً لأهل الإسلام لكثرة أهل الكفر، والإعزاز بعد ذلك في عدم الدفع لكثرة أهل الإسلام، ونظير ذلك العاقلة في زمنه ﷺ كانت العشيرة وبعده أهل الديوان، لأن الوجوب على العاقلة بسبب النصرة والنصرة في زمنه بالعشيرة وبعده بالديوان، والله أعلم.

فصل

اعتبار المؤلفة قلوبهم هم الذين تألفهم الإحسان على حب المحسن، فإن القلوب تتقلب فتألفها هو أن تتقلب في جميع الأمور كما تعطى حقائقها، ولكن لعين واحدة وهو عين الله، فهذا تألفها عليه لا تملكها عيون متفرقة لتفرق الأمور التي تتقلب فيها، فإن الجداول إذا كانت ترجع إلى عين واحدة فينبغي مراعاة تلك العين والتألف بها، فإنه إن أخذته الغفلة عنها ومسكت تلك العين ماءها لم تنفعه تلك الجداول بل يبست وذهب عنها، وإذا راعى العين وتألف بها تبحرت جداوله واتسعت مذانبه.

الصنف الخامس: المكاتبون فيدفع إلى السيد سهم المكاتب وإن دفع إلى المكاتب جاز، ولا يدفع السيد زكاته إلى مكاتب نفسه لأنه يعد عبداً له.

(الصنف الخامس): وفي الرقاب أي: وللصرف في فك الرقاب وهم **(المكاتبون)** فيدفع إليهم من الصدقة ما يعينهم على العتق بشرط أن لا يكون معه ما يفي بنجومه، ويشترط كون الكتابة صحيحة، ويجوز الصرف قبل حلول النجم على الأصح، وإنما جاز الدفع إليهم لأنهم من سهم الرقاب وبه قال أبو حنيفة وأحمد. **(ويدفع إلى السيد سهم المكاتب)** بإذنه على الأحوط والأفضل، ولا يجوز بغير إذن المكاتب لأنه المستحق، لكن يسقط عن المكاتب بقدر المصروف لأن من أدى دين غيره بغير إذنه برئت ذمته. قال النووي: وكون الدفع إلى السيد أحوط وأفضل هو الذي أطلقه جماهير الأصحاب، وقال الشيخ نصر المقدسي: إن كان الحاصل آخر النجوم يحصل العتق فالدفع إلى السيد بإذن المكاتب أفضل، وإن حصل دون ما حصل عليه لم يستحب دفعه إلى السيد لأنه إذا دفعه إلى المكاتب اتجر فيه ونماه فهو أقرب إلى العتق اهـ.

(وإن دفع إلى المكاتب) بغير إذن السيد **(جاز)** وإذا استغنى المكاتب عما أعطيناه وعتق بتبرع السيد بإعتاقه أو بإبرائه أو بأداء غيره عنه أو بأدائه هو من مال آخر، وبقي مال الزكاة في يده. فوجهان. وقيل: قولان. أصحهما يسترد منه لعدم حصول المقصود بالمدفوع، وإن كان قد تلف المال في يده بعد العتق غرمه، وإن تلف قبله فلا على الصحيح. قال في الوسيط: وكذا لو أتلفه وإذا عجز المكاتب وكان المال في يده استرد، وإن كان تالفاً لزمه غرمه على الأصح، وهل يتعلق بذمته أو برقبته؟ وجهان. أصحهما بذمته، ولو دفعه إلى السيد وعجز ببقية النجوم فالأصح الاسترداد، فإن تلف عنده ففي الغرم الخلاف السابق، ولو ملكه السيد شخصاً لم يسترد منه بل يغرم السيد إن قلنا بتغريمه، وإذا لم يعجز نفسه واستمر في الكتابة فتلف ما أخذه وقع الموقع. ونقل بعض الأصحاب عن الإمام أن للمكاتب أن ينفق ما أخذ ويؤدي النجوم من كسبه، ومنعه صاحب الشامل وقطع به، ونقله صاحب البيان عنه ولم يذكر غيره قال النووي: وهذا أقيس من قول الإمام. وقال البغوي في الفتاوى: ولو اقترض ما أدى به النجوم فعتق لم يصرف إليه من سهم الرقاب ولكن من سهم الغارمين.

(ولا يدفع السيد زكاته إلى مكاتب نفسه) على الصحيح **(لأنه يعد عبداً له)** فتعود الفائدة إليه، وجوّزه ابن خيران منهم، ووافق أصحابنا أصحاب الشافعي في المسائل المذكورة إلا ما ندر - كما ستأتي الإشارة إليه -. وعن أحمد روايتان: أظهرهما جواز دفعها إلى المكاتبين، وخالفهم مالك فقال: لا يجوز الدفع إليهم فإن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم، فكيف يعطى من الزكاة. واختلفوا هل يجوز أن يبتاع من الزكاة رقبة كاملة فيعتقها؟ فقال أبو حنيفة، والشافعي، والليث وأكثر الكوفيين: لا يجوز. وقوله تعالى ﴿وفي الرقاب﴾[التوبة: ٦٠] محمول

عندهم على أنه يعان المكاتبون في فك رقابهم، وقال مالك: في المشهور انه يجوز ويكون الولاء للمسلمين، وروى ابن وهب عن مالك مثل قول الجماعة، وإلى قول مالك المشهور مال البخاري وابن المنذر، واحتج هؤلاء بأن شراء الرقيق ليعتق أولى من إعانة المكاتب لأنه قد يعان ولا يعتق، وعن أحمد روايتان: أظهرهما الجواز، وفي المقنع للمرداوي الحنبلي: والمكاتب الآخذ من الزكاة قبل حلول نجم ويجزىء أن يشتري منها رقبة لا تعتق عليه فيعتقها ولا يجزىء عتق عبده ومكاتبه منها اهـ.

وهو موافق لما رواه ابن أبي حاتم وأبو عبيد في الأموال بإسناد صحيح عن الزهري أنه كتب لعمر بن عبد العزيز أن سهم الرقاب يجعل نصفين: نصف لكل مكاتب يدعي الإسلام، ونصف تشترى به رقاب من صلّى وصام، ومذهب الجماعة هو المنقول عن جماعة من الصحابة والتابعين.

أخرج ابن جرير في التفسير من طريق محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار عن الحسن البصري أن مكاتباً قام إلى أبي موسى الأشعري وهو يخطب يوم الجمعة فقال له أيها الأمير: حث الناس عليّ فحث عليه أبو موسى فألقى الناس عليه هذا يلقي عمامة وهذا يلقي ملاءة وهذا يلقي خاتماً حتى ألقى الناس عليه سواداً كثيراً، فلما رأى أبو موسى ما ألقي عليه قال: اجمعوه ثم أمر به فبيع فأعطى المكاتب مكاتبته، ثم أعطى الفضل في الرقاب ولم يرده على الناس وقال: إن الذي أعطوه في الرقاب.

وأخرج أيضاً عن البصري، والزهري، وعبد الرحمن بن يزيد بن أسلم أنهم قالوا: المراد بالرقاب أهل الكتابة ومعهم النظر لأن الركن في الزكاة التمليك ولا يتصوّر من القن فتعين المكاتب، وهذا لأنها لا يخلو إما أن تكون مصروفة لمولاه أو إلى نفس العبد ولا جائز أن يكون الأول لأنه قد يكون غنياً ولا الثاني، لأن العبد لا يملك رقبة نفسه بذلك وإنما يتلف على ملك مولاه والدفع إلى عبد الغني كالدفع إلى مولاه بخلاف المكاتب لأنه جدير ولا سبيل للمولى على ما في يده.

تنبيه:

قال أصحابنا: قولهم المراد بالرقاب أهل الكتابة هو مطلق فيشمل ما إذا كان مولاه فقيراً أو غنياً كبيراً أو صغيراً هاشمياً أو غيره. هذا هو المشهور في المذهب، وخالف الحداد فقال في الجوهرة: لا يجوز دفعها إلى مكاتب الغني والصغير والهاشمي مطلقاً. وقال صاحب الاختيار: قالوا لا يجوز دفعها إلى مكاتب هاشمي لأن الملك يقع للمولى. وقال الإمام أبو الليث: لا يدفع إلى مكاتب الغني. ولكن إطلاق النص يقتضي الجواز، وهذا مبني على أن المدفوع للمكاتب ومن ذكر بعده في الآية هل يصير ملكاً لهم أو لا؟ وجهان في المذهب. وقيل: قولان: الأول لا يصير ملكاً لهم ولهذا عدل فيهم عن «اللام» إلى «في» أي إنما يصرف المال إلى مصالح تتعلق بهم، الثاني: يصير ملكاً لهم والعدول إلى «في» للإيذان بأنهم في الاستحقاق أرسخ من غيرهم، وإلى

الصنف السادس: الغارمون: والغارم هو الذي استقرض في طاعة أو مباح وهو فقير فإن استقرض في معصية فلا يعطى إلا إذا تاب، وإن كان غنياً لم يقضِ دينه إلا إذا كان استقرض لمصلحة أو إطفاء فتنة.

هذا مال صاحب البدائع فقال: وإنما جاز دفع الزكاة إلى المكاتب لأن الدفع إليه تمليك، فهذا ظاهر في أن الملك يقع للمكاتب وما بعده بالطريق الأولى، فإذا قلنا: بهذا الوجه هل لهم الصرف إلى غير تلك الجهة؟ قولان: أصحهما لا، وعلى هذا فرع صاحب المحيط عدم جواز دفعها إلى مكاتب هاشمي مستدلاً بأن الملك يقع للمولى من وجه، والشبهة ملحقة بالحقيقة في حقهم والمعوّل على هذا التفريع ولا ينظر إلى النص ولو صححـوه. قال صاحب المجمع: فإن عجز المكاتب وانتقلت الصدقة إلى مولاه الغني تحل له لأنها وقعت في مصرفها عند الأخذ.

فصل

اعتبار الرقاب هم الذين يطلبون الحرية من رق كل ما سوى الله، فإن الأسباب قد استرقت أكثر العالم وأعلاه استرقاق من استرقته الأسماء الإلهية وليس أعلى من هذا الاسترقاق، ومع هذا ينبغي لهم أن لا تسترقهم الأسماء لغلبة نظرهم إلى أحدية الذات من كونها ذاتاً لا من كونها إلهاً ففي مثل هذه الرقاب تخرج الزكاة.

ثم قال المصنف رحمه الله.

(الصنف السادس: الغارمون والغارم هو الذي) غرم من غرمت الدية والكفالة، ونحو ذلك إذا أديته بعد ما لزمك غرماً ومغرماً وغرامة، ويتعدى بالهمزة والتضعيف، والديون ثلاثة أضرب.

الأوّل: دين لزمه لمصلحة نفسه فيعطى من الزكاة ما يقضى به بشروط.

أحدها: أن يكون **(استقرض)** لنفقة **(في طاعة أو مباح)** فيعطى منها **(وهو فقير، فإن استقرض في معصية)** كالخمر والإسراف في النفقة **(فلا يعطى)** قبل التوبة على الصحيح **(إلا إذا تاب)** فانه يعطى وهو أصح الوجهين عند أبي خلف السلمي والروياني، وقطع به في الإفصاح وهو قول إسحاق. وقال النووي: وهو الأصح. وممن صححه غير المذكورين المحاملي في المقنع، وصاحب التنبيه، وقطع به الجرجاني في التحرير، والوجه الثاني: لا يعطى وصححه صاحب الشامل وصاحب التهذيب، وبه قال ابن أبي هريرة، وبه جزم الرافعي في المحرر، ولم يتعرضوا هنا لاستبراء حاله ومضي مدة بعد توبته يظهر فيها صلاح الحال إلا أن الروياني قال: يعطى على أحد الوجهين إذا غلب على الظن صدقه في توبته، فيمكن أن يحمل عليه.

الشرط الثاني: أن يكون به حاجة إلى قضائه منها، فلو وجد ما يقضيه من نقد أو عرض فقولان: القديم يعطى والأظهر المنع، فلو لم يملك شيئاً ولكن يقدر على قضائه بالاكتساب وجهان أصحهما يعطى، وأما معنى الحاجة المذكورة فعبارة الأكثرين تقتضي كونه فقيراً لا يملك شيئاً،

وربما صرحوا به وفي بعض شروح المفتاح: أنه لا يعتبر المسكن والملبس والفراش والآنية، وكذا الخادم والمركوب إن اقتضاها حاله، بل يقضي دينه وإن ملكها. وقال بعض المتأخرين: لا يعتبر الفقر والمسكنة هنا بل لو ملك قدر كفايته، وكان لو قضى دينه لنقص ماله عن كفايته ترك معه ما يكفيه وأعطي ما يقضى به الباقي وهذا أقرب.

الشرط الثالث: أن يكون حالاً فإن كان مؤجلاً ففي إعطائه أوجه. ثالثها إن كان الأجل يحل تلك السنة أعطي وإلا فلا يعطى من صدقة تلك السنة، قال النووي: والأصح لا يعطى، وبه قطع في البيان.

الضرب الثاني: هو ما أشار إليه المصنف فقال: **(وإن كان)** أي الغارم **(غنياً)** بعقار قطعاً وكذا بنقد على الصحيح والغني بالعروض كالغني بالعقار على المذهب، وقيل: كالنقد واستدان مالاً **(لم يقض دينه)** من سهم الغارمين **(إلا إذا كان قد استقرض لمصلحة)** أي لإصلاح ذات البين مثل أن يخاف فتنة قبيلتين أو شخصين فيستدين طلباً للصلاح **(وإطفاء فتنة)** واسكان ثائرة، فينتظر إن كان ذلك في دم تنازع فيه قبيلتان ولم يظهر القاتل فتحمل الدية يقضي دينه من سهم الغارمين فقيراً أو غنياً، ولو تحمل فيه مالاً فتلف أعطي مع الغنى مع الأصح، وحاصل ما فهمت من هذه المسألة أن الغرم على ضربين ضرب غرم لإصلاح ذات بين وهو ضربان: ضرب غرم في حمل دية فيعطى مع الفقر والغنى، وضرب غرم لقطع ثائرة ولتسكين فتنة فإنه يعطى مع الغنى على ظاهر المذهب، وضرب غرم في مصلحة نفسه في غير معصية فهل يعطى مع الغنى؟ قولان: أحدهما لا يعطى ذكره في الأم، والآخر يعطى ذكره في القديم، وهذا الذي ذكرته حاصل في الضربين.

الضرب الثالث: ما التزمه بضمان له أربعة أحوال: **أحدها:** أن يكون الضامن والمضمون عنه معسرين فيعطى الضامن ما يقضي به الدين. **الثاني:** أن يكونا موسرين فلا يعطى لأنه إذا غرم رجع على الأصل. **الثالث:** أن يكون المضمون عنه موسراً والضامن معسراً، فإن ضمن بإذنه لم يعط لأنه يرجع وإلا أعطي على الأصح. **الرابع:** أن يكون المضمون عنه معسراً والضامن موسراً فيجوز أن يعطى المضمون عنه، وفي الضامن وجهان أصحهما: لا يعطى، وفي هذا الباب فروع لا بأس بإيرادها تكميلاً للفائدة.

الأول: إنما يعطى الغارم عند بقاء الدين، فأما إذا أداه من ماله فلا يعطى لأنه لم يبق غارماً وكذا لو بذل ماله ابتداء لم يعط لأنه ليس غارماً.

الثاني: قال أبو الفرج السرخسي: ما استدانه لعمارة المسجد وقرى الضيف حكمه حكم ما استدانه لمصلحة نفسه. وحكى الروياني عن بعض الأصحاب أنه يعطى لهذا مع الغنى بالعقار، ولا يعطى مع الغنى بالنقد. قال الروياني: هذا هو الاختيار.

الثالث: يجوز الدفع إلى الغريم بغير إذن صاحب الدين ولا يجوز إلى صاحب الدين بغير إذن المديون، لكن يسقط من الدين قدر المصروف ويجوز الدفع إليه بإذن المديون وهو أولى إلا إذا لم يكن وافياً وأراد المديون أن يتجر فيه.

الرابع: لو أقام بيّنة أنه غرم وأخذ الزكاة ثم بان كذب الشهود، ففي سقوط الفرض القولان المذكوران فيمن أدى إلى من ظنه فقيراً فبان غنياً. قاله إمام الحرمين.

الخامس: لو دفع إلى رجل وشرط أن يقضيه ذلك عن دينه لم يجزه قطعاً ولا يصح قضاء الدين بها، فلو نويا ذلك ولم يشترط جاز. قال في التهذيب: ولو قال المديون ادفع إلي من زكاتك حتى أقضيك دينك ففعل أجزأه عن الزكاة ولا يلزم المديون دفعه إليه عن دينه، ولو قال صاحب الدين اقض ما عليك لأرده عليك من زكاتي ففعل صح القضاء ولا يلزمه رده.

السادس: لو مات رجل وعليه دين ولا وفاء له، ففي قضائه من سهم الغارمين وجهان حكاهما صاحب البيان ولم يبين الأصح والأصح الأشهر لا يقضي منه.

السابع: لو ضمن دية مقتول عن قاتل لا يعرف أعطي مع الفقر والغنى كما سبق، وان ضمن عن قاتل معروف لم يعط مع الغنى. حكاه صاحب البيان عن الصيمري.

فصل

قال أصحابنا: الغارم من لزمه دين ولا يملك نصاباً فاضلاً عن دينه أو كان له مال على الناس لا يمكنه أخذه ولا يدفع إليه إلا مع الفقر، وبه قال مالك وأحمد، ولهم أن الزكاة لا تحل لغني، والغريم يطلق على المديون وعلى صاحب الدين، وأصل الغرامة في اللغة اللزوم. ومن فروع هذه المسألة لو دفع إلى فقيرة لها مهر على زوجها يبلغ نصاباً وهو موسر بحيث لو طلبت أعطاها لا يجوز، وإن كان بحيث لا يعطي لو طلبت جاز، ولا يأخذ الغارم المتحمل عندنا إذا لم يفضل له بعدما ضمنه قدر نصاب. وفي مختصر القدوري: الغارم هو المديون، وتبعه صاحب الكنز وغيره، وقال صاحب الهداية: هو المديون الفقير وهذا القيد لا حاجة إليه لأن الفقر شرط في الأصناف كلها إلا العامل، وأما ابن السبيل فإنه فقير يداً وإن كان له مال في وطنه أو في غيره، وفي الفتاوى الظهيرية والدفع إلى من عليه الدين أولى من الدفع إلى الفقير.

فصل

في اعتبار الغارمين:

الغارمون هم الذين أقرضوا الله قرضاً حسناً عن أمره، وهو قوله تعالى: ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ [الحديد: ١٨] عطفاً على أمرين واجبين، وهو قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ [البقرة: ٤٣] ومن الناس من أقرض الله قرض اختيار، وهو الذي لم يبلغه الأمر

الصنف السابع : الغزاة: الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف إليهم سهم، وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على الغزو .

وبلغه قوله تعالى : ﴿من ذا الَّذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ [الحديد : ١١] فيأخذ الزكاة الغارم الأول الذي أعطى على الوجوب الصدقة بحكم الوجوب أي أنها تجب له، ويأخذها الثاني باختيار المصدق حيث ميزه دون غيره، ولا سيما في مذهب من يرى في عدد هؤلاء الأصناف أنه حصر المصرف في هؤلاء المذكورين أي لا يجوز أن يعطى لغيرهم، فإذا أعطيت لصنف منهم دون صنف فقد برئت الذمة وهي مسألة خلاف، فهذا المقرض بآية ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ لا يأخذها بحكم الوجوب، والمقرض بآية الأمر يأخذها بحكم الوجوب لأنه أدّى واجباً فجزاؤه واجب ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ [الروم : ٤٧] و﴿فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ [الأعراف : ١٥٦] وهذه كلها واجبات فأوجب الرحمة لهم بلا شك .

ثم قال المصنف رحمه الله .

(الصنف السابع) وفي سبيل الله هم **(الغزاة الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة)** أي لا رزق لهم في الفيء **(فيصرف إليهم سهم)** ولا يصرف شيء من الصدقات إلى الغزاة المرتزقة. كما لا يصرف شيء من الفيء إلى المطوعة، فإن لم يكن مع الإمام شيء للمرتزقة واحتاج المسلمون إلى من يكفيهم شر الكفار، فهل يعطى المرتزقة من الزكاة من سهم سبيل الله، فيه قولان. أظهرهما لا. بل تجب إعانتهم على أغنياء المسلمين، والغزاة يعطون **(وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على الغزو)** وبه قال مالك وأحمد، يأخذ الغني منهم كما يأخذ الفقير، وقال أبو حنيفة : هذا السهم مخصص بجنس خاص من الغزاة وهو الفقير المنقطع منهم، وبه فسر في سبيل الله. وبه قال أبو يوسف وهو المفهوم من اللفظ عند الإطلاق، فلا يصرف إلى أغنياء الغزاة واختاره النسفي، وقال الإسبيجاني : هو الصحيح، وقال الاتقاني : هو الأظهر واقتصر عليه كثيرون، وقال محمد هو منقطع الحاج، وهو رواية عن أحمد اختارها الخرقي وأبو بكر عبد العزيز وأبو حفص البرمكي، واحتج أحمد بما رواه أبو عبيد في الأموال عن مجاهد عن ابن عباس قال : يعتق الرجل من زكاة ماله ويعطي في الحج، ثم رجع الإمام أحمد عنه كما في رواية المجوني لاضطرابه لكونه اختلف في إسناده على الأعمش، ومن ثم لم يجزم به البخاري حيث أورده في الصحيح بصيغة التمريض فقال : ويذكر عن ابن عباس فساقه، ولكن جزم المرداوي في المقنع بصحته في العتق والحج وعلى قوله الفتوى عند الحنابلة .

واستدل محمد بن الحسن بما روي أن رجلاً جعل بعيراً له في سبيل الله فأمره رسول الله ﷺ أن يحمل عليه الحاج رواه أبو داود[١] من حديث أم معقل بلفظ : « أعطها فلتحج عليه فإنه في سبيل الله » وفي الاستدلال بهذا نظر، لأن المقصود ما هو المراد بسبيل الله المذكور في الآية، وليس ذلك المراد في الآية بل نوع مخصوص وإلاّ فكل الأصناف في سبيل الله بذلك، ثم لا ريب أن

الخلاف فيه لا يوجب خلافاً في الحكم للاتفاق على أنه إنما يعطي الأصناف كلهم سوى العامل بشرط الفقر فمنقطع الحاج يعطى اتفاقاً.

وقال في النهاية: فإن قيل: وفي سبيل الله مكرر سواء كان منقطع الغزاة أو منقطع الحاج لأنه إما أن يكون له في وطنه مال أو لا. فإن كان فهو ابن السبيل، وان لم يكن فهو فقير بعد أن يكون العدد سبعة. أجيب: بأنه فقير إلا أنه ازداد فيه شيء آخر سوى الفقر، وهو الانقطاع في عبادة الله من حج أو غزاة، فلذلك غاير الفقر المطلق بأن المقيد يغاير المطلق لا محالة.

ودليل أصحاب الشافعي ما رواه مالك، وأبو داود، وابن ماجه قوله ﷺ: «لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة العامل عليها، ورجل اشتراها بماله، وغارم وغاز في سبيل الله، ورجل له جار مسكين تصدق بها عليه فأهداها إلى الغني».

ودليل أصحابنا ما رواه أبو داود والترمذي. والطحاوي من طريق ريحان بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو رفعه: «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي قوة سوي». وقد روي ذلك عن أبي هريرة وغيره من الصحابة من طرق كثيرة.

وأخرج أبو داود، والنسائي، والطحاوي من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال: أخبرني رجلان أنهما أتيا النبي ﷺ وهو يقسم الصدقة فسألاه فرفع فينا البصر وخفضه فرآنا جلدين فقال: «إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب».

قال صاحب التنقيح: حديث صحيح قال ما أجوده من حديث هو أحسنها إسناداً فهذا مع ما قبله، وحديث معاذ السابق عند الستة «تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم» يقيد منع غني الغزاة والغارمين عنها فهو حجة على الشافعي في تجويزه لغني الغزاة إذا لم يكن له شيء في الديوان ولم يأخذ من الفيء. وما تقدم من أن الفقراء في حديث معاذ صنف واحد كما قاله ابن الجوزي غير صحيح، فإن ذلك المقام مقام إرسال البيان لأهل اليمن وتعليمهم، والمفهوم من فقرائهم من اتصف بصفة الفقر أعم من كونه غارماً أو غازياً، فلو كان الغني منهما مصرفاً كان فيه ترك البيان في وقت الحاجة لأن في ذلك إبقاء للجهل البسيط، وفي هذا إيقاعهم في الجهل المركب لأن المفهوم لهم من ذلك أن الغني مطلقاً ليس يجوز الصرف إليه غازياً أو غيره، فإذا فرض أنه خلاف الواقع لزم ما قلنا وهو غير جائز فلا ما يفضي إليه مع أن نفس الأسماء المذكورة في الآية تفيد أن المناط في الدفع إليهم الحاجة لما عرف من تعليق الحكم بالمشتق أن مبدأ اشتقاقه علة ومأخذ الاشتقاقات في هذه الأسماء تنبه على قيام الحاجة، فالحاجة هي العلة في جواز الدفع إلا المؤلفة قلوبهم، فإن مأخذ اشتقاقه يفيد أن المناط التأليف وإلا العامل فإنه يفيد أنه العمل وفي كون العمل سبباً للحاجة تردد، فإنه ظاهراً تكون له أعونة وخدم ويهدى إليه وغالباً تطيب نفس إمامه إما بكثير مما يهدى إليه فلا يثبت عليه الفقر في حقه بالشك وما استدل به أصحاب الشافعي من الحديث المذكور فالجواب عنه من وجوه. قيل إنه لم يثبت ولو ثبت لم يقو قوة حديث معاذ

الصنف الثامن : ابن السبيل : وهو الذي شخص من بلده ليسافر في غير معصية أو اجتاز بها فيعطى إن كان فقيراً وإن كان له مال ببلد آخر أعطي بقدر بلغته.

فإنه اتفق عليه الستة ولو قوي قوته ترجح حديث معاذ بأنه مانع، وما رواه مبيح مع أنه دخله التأويل عندهم حيث قيد الآخذ له بأن لا يكون له شيء من الديوان ولا آخذاً من الفيء وهم أعم من ذلك، وذلك يضعف الدلالة بالنسبة إلى ما لم يدخله، والله أعلم.

فصل

في اعتبار إخراجها في سبيل الله :

يمكن أن يريد المجاهدين والإنفاق منها في الجهاد لأنه يطلق عليه هذا الإسم عرفاً، ويمكن أن يريد سبيل الخير كلها المقربة إلى الله، وأما هذا الصنف بحسب ما يقضيه الطريق فسبيل الله ما تعطيه حقيقة هذا الإسم دون غيره من الأسماء الإلهية فيخرجها فيما تطلبه مكارم الأخلاق من غير اعتبار صنف من أصناف المخلوقين، بل ما تقتضيه المصلحة العامة لكل إنسان بل لكل حيوان حتى الشجرة يراها تموت عطشاً، فيكون عنده بما يشتري لها ما يسقيها به من مال الزكاة فيسقيها بذلك، فإنه من سبيل الله، وإن أراد المجاهدين فالمجاهدون معلومون بالعرف من هم، والمجاهدون أنفسهم أيضاً في سبيل الله فيعانون بذلك على جهاد أنفسهم. وفي الخبر: رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر يريد جهاد النفوس ومخالفتها في أغراضها الصارفة عن طريق الله

ثم قال المصنف رحمه الله:

(الصنف الثامن ابن السبيل) سمي به من ذكر بعد لملازمته له فصار كأنه ولده كما يقال: الصوفي ابن وقته **(وهو)** شخصان.

أحدهما: (الذي شخص) أي خرج **(من بلده)** أو بلد كان مقيماً به **(مسافراً)** أي منشئاً للسفر. فهذا يعطى قطعاً، ويشترط أن يكون سفره **(في غير معصية)** فيعطى في سفر الطاعة، وكذا في المباح كالتجارة وطلب الآبق على الصحيح. فإذا قلنا: يعطى في المباح ففي سفر التنزه وجهان لأنه ضرب من الفضول والأصح أنه يعطى.

الثاني: أشار إليه المصنف بقوله: **(أو اجتاز)** أي غريب اجتاز **(فيه)** أي في البلد فيعطى أيضاً على المذهب، وقيل: إن جوزنا نقل الصدقة جاز الصرف إليه وإلا فلا، لكن **(إن كان فقيراً)** لا مال له أصلاً ولا ما يحتاج له في سفره **(و)** كذا **(إن كان له مال ببلد آخر)** غير المنتقل منه **(أعطي بقدر بلغته)** وقال مالك، وأبو حنيفة: ابن السبيل هو المجتاز دون المنشيء، وعن أحمد روايتان كالمذهبين أظهرهما المجتاز، واختاره الوزير ابن هبيرة وقال: هو الصحيح. قال شارح الكنز من أصحابنا: جاز للمسافر الأخذ من الزكاة قدر حاجته وإن كان له مال ببلد بعيد إن لم يقدر عليه في الحال ولا يحل له أن يأخذ أكثر من حاجته، لأن الحاجة هي

المعتبرة، وقد وجدت لأنه فقير يداً، وإن كان غنياً ثم لا يلزمه أن يتصدق بما فضل في يده عند قدرته على ماله كالفقير إذا استغنى أو المكاتب إذا عجز اهـ.

وفي شرح المختار: ابن السبيل غني ملكاً تجب الزكاة في ماله ويؤمر بأدائها إذا وصل إليه، وهو فقير يداً حتى تصرف إليه الصدقة في الحال لحاجته. وفي المحيط: وإن كان تاجر له دين على الناس لا يقدر على أخذه ولا يجد شيئاً يحل له أخذ الزكاة لأنه فقير يداً كابن السبيل اهـ.

قال في فتح القدير: وهو أولى من جعله غارماً.

تنبيه

قال شارح المجمع: إعلم أن المذكورات مصارف العشور والزكوات، وما أخذ العاشر من تجار المسلمين، وإن مصارف خمس الغنائم والمعدن ثلاثة لأن سهم الله ورسوله واحد في قوله تعالى: ﴿واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ [الأنفال: ٤١] وسهم الرسول وذوي القربى ساقط فبقي ثلاثة، وأما مصارف ما أخذ مما أخرجته الأرض وجزية الرؤوس، وما أخذ العاشر من تجار أهل الذمة والمستأمن بمصالح المؤمنين من سد الثغور وعمارات الرباط والجسور وأرزاق العلماء النافعين والقضاة العادلين والمقاتلة والمحتسبين، وأما مصارف بيت المال فمعالجة المرضى وأكفان الموتى ونفقة اللقيط ومن هو عاجز عن الكسب، والواجب على الأئمة أن يجعلوا كل نوع من الأموال المذكورة بيتاً على حدة فيصرفوا كلا منها في مصرفه ولو خلطوها ولم يراعوها يكون ظلماً والله أعلم.

فصل

في اعتبار أبناء السبيل:

هم أبناء طريق الله ونصيبهم من الزكاة التي هي الطهارة الإلهية ثم لتعلم أن الأمور التي يتصرف فيها الإنسان حقوق الله كلها غير أن هذه الحقوق وإن كانت كثيرة فإنها بوجه ما منحصرة في قسمين: قسم منها حق الخلق لله وهو قوله عليه السلام: « إن لنفسك عليك حقاً ولعينيك عليك حقاً ولزوجك عليك حقاً ».والقسم الآخر: حق الله لله وهو قوله عليه السلام: « لي وقت لا يسعني فيه غير ربي » وهذا الحق الذي لله هو زكاة الحقوق التي للخلق لله، وهذه الحقوق بجملتها ثمانية أصناف: العلم والعمل وهما بمنزلة الذهب والفضة، ومن الحيوان الروح والنفس والجسم في مقابلة الغنم والبقر والإبل، ومن النبات الحنطة والشعير والتمر. وفي الاعتبار ما تنبته الأرواح والنفوس والجوارح من العلوم والخواطر والأعمال فالغنم للروح، والبقر للنفس، والإبل للجسم. وإنما جعلنا الغنم للأرواح لأن الله تعالى جعل الكبش قيمة روح نبي مكرم فقال: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ [الصافات: ١٠٧] فعظمه وجعله فداء ولد إبراهيم نبي ابن نبي عليهما السلام، فليس في الحيوان بهذا الاعتبار أرفع درجة من الغنم وهي ضحايا هذه الأمة ألا تراها أيضاً قد جعلت حق الله في الإبل وهو في كل خمس ذود شاة، وجعلت من الإبل فداء نفس ليس برسول ولا نبي، فانظر أين

فإن قلت: فبم تعرف هذه الصفات؟ قلنا: أما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولا

مرتبة الغنم من مرتبة الإبل، ثم أن رسول الله ﷺ أمرنا بالصلاة في مرابض الغنم والصلاة قربة إلى الله تعالى وأماكنها مساجد الله، فمرابض الغنم من مساجد الله فلها درجة القربة والإبل ليست لها هذه المرتبة، وإن كانت أعظم خلقاً، ولهذا جعلناها للأجسام. ألا ترى أن من أسمائها البدنة، والجسم يسمى البدن والبدن من عالم الطبيعة والطبيعة بينها وبين الله درجتان النفس والعقل، فهي في ثالث درجة من القرب.

وأما كون البقر في مقابلة النفوس وهي دون الغنم في الرتبة وفوق الإبل كالنفس فوق الجسم ودون العقل الذي هو الروح الإلهي، وذلك أن بني إسرائيل لما قتلوا نفساً وتدافعوا فيها أمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا الميت ببعضها فيحيا بإذن الله، فلما حيي به نفس الميت عرفنا أن بينها وبين النفوس نسبة فجعلناها للنفس، ثم أن الروح الذي هو العقل يظهر عنه مما زرع الله فيه من العلوم والحكم والأسرار ما لا يعلمه إلا الله. وهذه العلوم كلها منها ما يتعلق بالكون، ومنها ما يتعلق بالله وهم بمنزلة الزكاة من الحنطة لأنها أرفع الحبوب، وأن النفس يظهر عنها مما زرع الله فيها من الخواطر والشهوات ما لا يعلمه إلا الله، فهذا نباتها وهو بمنزلة التمر وزكاة الله منها الخاطر الأول ومن الشهوات الشهوة التي تكون لأهل الله، وإنما قرناها بالتمر لأن النخلة هي عمتنا فهي في العقل بمنزلة النخلة من آدم، فإنها خلقت من بقية طينه، وأما الجوارح فزرع الله تعالى فيها الأعمال كلها فانبتت الأعمال وحظ الزكاة منها الأعمال المشروعة التي يرى الله فيها فهذه ثمانية أصناف تجب فيها الزكاة، فأما العلم الذي هو بمنزلة الذهب فيجب فيه ما يجب في الذهب، وأما العمل الذي هو بمنزلة الفضة فيجب فيه ما يجب في الورق، وأما الروح فيجب فيه ما يجب في الغنم، وأما النفس فيجب فيها ما يجب في البقر، وأما الجوارح فيجب فيها ما يجب في الإبل، وأما ما ينتجه العقل من المعارف وينبته من الأسرار فيجب فيه ما يجب في الحنطة، وأما ما تنتجه النفس من الشهوات والخواطر وتنبته من الواردات فيجب فيه ما يجب في التمر، وأما ما تنتجه الجوارح من الأعمال وتنبته من صور الطاعات وغيرها فيجب فيها ما يجب في الشعير.

واعلم أن الأوقات في طريق الله للعلماء العاملين بمنزلة الأقوات لمصالح الأجسام الطبيعية، وكما أنه بعض الأقوات هو عين زكاة ذلك الصنف كذلك الوقت الإلهي هو زكاة الأقوات الكيانية، فإن في الوقت أغذية للأرواح كما في الأقوات أغذية للأشباح وغذاء الجوارح الأعمال، والعلم والعمل معدنان بوجودهما تنال المقاصد الإلهية في الدنيا والآخرة، كما أن بالذهب والفضة ينال جميع المقاصد من الأعراض والأغراض والله أعلم.

ثم أشار المصنف إلى كيفية الصرف إلى المستحقين وفيما يعول عليه في صفاتهم بالاختصار في صورة سؤال وجواب فقال:

(فإن قلت: فبم تعرف هذه الصفات؟ قلنا) قال الأصحاب: من طلب الزكاة وعلم

يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز اعتماد قوله إذا لم يعلم كذبه، وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إني غاز فإن لم يفِ به استرد. وأما بقية الأصناف فلا بدّ

الإمام أنه ليس مستحقاً لم يجز الصرف إليه، وإن علم استحقاقه جاز ولم يخرجوه عن القضاء بعلمه، وإن لم يعرف حاله فالصفات قسمان خفية وجلية. وقد أشار إلى القسم الأول بقوله: **(أما الفقر والمسكنة فيقول الآخذ ولا يطالب)** مدعيها **(ببينة)** لعسرها لأنها من الصفات الخفية، لكن إن عرف له مال فادعى هلاكه طولب بالبينة لسهولتها ولم يفرقوا بين دعواه الهلاك بسبب خفي كالسرقة أو ظاهر كالحريق، وإن قال لي عيال لا يفي كسبي بكفايتهم طولب بالبينة على العيال على الأصح، ولو قال: لا كسب لي وحاله يشهد بصدقه فإن كان شيخاً كبيراً أو زمناً أعطي بلابينة **(ولا يحلف)** وإن كان قوياً جلداً **(بل يجوز اعتماد قوله إذا لم يعلم كذبه)** بشهادة الحال. أو قال: لا مال لي واتهمه الإمام فهل يحلف؟ وجهان أصحهما لا. فإن حلفناه فهل هو واجب أو مستحب؟ وجهان فإن نكل وقلنا اليمين واجبة لم يعط، وإن قلنا مستحبة أعطي، فهذا ما يتعلق بالصفات الخفية.

وأما الصفة الجلية فضربان:

أحدهما: يتعلق الاستحقاق فيه بمعنى في المستقبل، وإليه أشار المصنف بقوله: **(وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى)** الغازي **(بقوله إني غاز)** وابن السبيل بقوله: إني مسافر بلا بينة ولا يمين، **(فإن لم يف)** الغازي ولم يحقق الموعود **(به)** بأن لم يخرج للغزو **(استرد)** منه وكذا ابن السبيل، وجمعهما المصنف في ضمير واحد لاتحاد الحكم مع جامعية السفر، فإن الغزو أيضاً سفر، ولم يتعرض الجمهور لبيان القدر الذي يحتمل تأخير الخروج فيه، وقدره السرخسي في أماليه بثلاثة أيام فإن انقضت ولم يخرج استرد منه، ويشبه أن يكون هذا على التقريب وأن يعتبر ترصده وكون التأخير لانتظار الرفقة وتحصيل الأهبة وغيرهما.

الضرب الثاني: يتعلق الاستحقاق فيه بمعنى في الحال ويدخل فيه بقية الأصناف، وإليه أشار المصنف بقوله: **(وأما بقية الأصناف فلا بد فيها من البينة)** فإذا ادعى العامل العمل طولب بالبينة لسهولتها ويطالب بها المكاتب والغارم، فلو صدقهما المولى وصاحب الدين كفى على الأصح، ولو كذبه المقر له لغا الإقرار، وأما المؤلف قلبه فإن قال: نيتي في الإسلام ضعيفة قبل قوله لأن كلامه يصدقه، وإن قال أنا شريف مطاع في قولي طولب بالبينة. كذا فصله جمهور الأصحاب، ومنهم من أطلق أنه يطالب بالبينة ويقوم مقام البينة الاستفاضة بإشهار الحال بين الناس لحصول العلم أو غلبة الظن، ويشهد لما ذكرنا من اعتبار غلبة الظن ثلاثة أمور. **أحدها:** لو أخبر عن الحال واحد يعتمد قوله كفى قاله بعض الأصحاب. **الثاني:** قال الإمام رأيت للأصحاب رمزاً إلى تردد في أنه لو حصل الوثوق بقول من يدعي الغرم وغلب على الظن صدقه هل يجوز اعتماده. **الثالث:** لا يعتبر في البينة في هذه المواضع سماع القاضي والدعوى والإنكار

فيها من البيِّنة. فهذه شروط الاستحقاق. وأما مقدار ما يصرف إلى كل واحد فسيأتي.

بيان وظائف القابض وهي خمسة:

الأولى: أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرف الزكاة إليه ليكفي همه ويجعل همومه هماً واحداً، فقد تعبد الله عز وجل الخلق بأن يكون همهم واحداً وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعني بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُون﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق

والإشهاد، بل المراد اختبار عدلين حكاه بعض المتأخرين، واعلم أن كلام المصنف في الوسيط يوهم أن إلحاق الاستفاضة بالبينة يختص بالمكاتب فالغارم، ولكن الوجه تعميم ذلك في كل مطالب بالبينة من الأصناف والله أعلم.

(فهذه شروط الاستحقاق) وأما قدر ما يعطون فقد أشار إليه المصنف بقوله: **(فأما مقدار ما يصرف إلى كل واحد)** من هذه الأصناف **(فسيأتي)** قريباً ونتكلم عليه هناك إن شاء الله تعالى.

بيان وظائف القابض:

أي الآخذ للزكاة **(وهي خمسة)**:

(الأولى: أن يفهم أن الله عز وجل) إنما **(أوجب صرفه إليه)** في كتابه على لسان رسوله ﷺ **(ليكفي)** بذلك **(همه)** الذي يعرض له **(ويجعل همومه)** المتشعبة كلها **(هماً واحداً)** وحينئذ يسهل عليه دفع الخاطر إذا ورد من باب واحد لتفرغ القلب في دفعه، بخلاف ما إذا كانت هموماً كثيرة. فإنه إن اشتغل بدفع واحد عارضه الثاني فيتشتت حاله ويقع بسببه في تفرقة ويصعب علاجه، **(فقد تعبد الله الخلق بأن يكون همهم واحداً وهو)** أي ذلك الواحد **(الله سبحانه واليوم الآخر)** فقد روى ابن ماجه، والحكيم الترمذي، والشاشي، والبيهقي عن ابن مسعود مرفوعاً: « من جعل الهموم هماً واحداً هم المعاد كفاه الله سائر همومه ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك ». وأخرج الحاكم من حديث ابن عمر « من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله ما أهمه في أمر الدنيا والآخرة ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلك ». **(وهو المعنى)** أي المراد **(بقوله تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)** [الذاريات: ٥٦] أن يقصدوني بعبادتهم وتذللهم فاكفي مؤنتهم وهمومهم، **(ولكن لما اقتضت الحكمة)** الإلهية الرحمانية **(أن يسلط على العبد الشهوات)** النفسية **(والحاجات)** الظاهرية حيث كان مؤمناً بطبعه **(وهي)** أي كل من الشهوات والحاجات **(تفرق همه)** فالنفس الشهوانية تطلب نكاحاً وأكلاً وشرباً ولبساً وسكنى

همه اقتضى الكرم إفاضة نعمة تكفي الحاجات فأكثر الأموال وصبها في أيدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم، فمنهم من أكثر ماله فتنة وبلية فاقحمه في الخطر، ومنهم من أحبه فحماه عن الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق إليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم، وفائدته تنصبّ إلى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب الفاقة، وهذا

وغير ذلك من الطوارىء الحسية والمعنوية **(اقتضى الكرم)** الحقيقي الأصلي **(إفاضة نعمة)** من الفيض المطلق **(تكفي الحاجات)** كلها والهموم إنما تحدث بسبب تلك الحاجات **(بأكثر الأموال)** الظاهرة والباطنة **(وصبها في أيدي عباده)** وملكها لهم على وجه التعميم، فمن وجه هي عارية مستردة ومن وجه منحة منحوا بها **(لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم)** فينتفعوا بها مدة ويذروها لينتفع بها غيرهم، **(و)** من وجه وديعة في أيديهم رخص لهم استعمالها والانتفاع بها بعد أن لا يسرف فتكون وسيلة **(لتفرغهم لطاعاتهم)** المأمورين بها وانقسم هؤلاء قسمين، **(فمنهم من أكثر ماله)** واعراضه **(فجعله فتنة وبلية)** حيث اغتر بها من جهله ونسيانه لما عهد إليه ولم يجد له عزماً فظن أن جعلت له هبة مؤبدة فركن إليها واعتمد عليها ولم يؤد أمانة الله فيها، ولما طولب بردها تضرر منه وضجر فلم ينزع عنها إلا بنزع روحه أو كسر يده، **(فأقحمه في الخطر)** والهلاك. **(ومنهم من)** وفقه فحفظ ما عهد إليه فتناوله تناول العارية والمنحة والوديعة فادى فيه الأمانة وعلم أنه مسترجع، ومنهم من **(أحبه فحماه من الدنيا)** وأعراضها **(كما يحمي المشفق)** الخائف **(مريضه)** من تعاطي ما يضره **(فزوى)** أي أبعد **(عنه فضولها)** أي الدنيا وهي الزائدة على قدر الكفاية، فالمراعون لأمور الدنيا والآخرة على ثلاثة أضرب، فالأول: هم المنهمكون في الدنيا بلا التفات منهم في العقبى، وهم المسمون عبدة الطاغوت، وشر الدواب ونحوها من الأسماء والثاني: وهم المتوسطون وفوا الدارين حقهما. والثالث: هم المخالفون للقسم الأول يراعون العقبى من غير التفات منهم إلى مصالح الدنيا **(و)** هؤلاء أقسام كثيرة أعظمهم حظاً من **(ساق)** الله **(إليه)** رزقه **(قدر حاجته)** وكفايته وحاجة عياله وكفايتهم **(على أيدي الأغنياء)** إما من أهل القسم الأول أو من القسم الثاني **(ليكون شغل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم)** خاصة، **(وفائدته تنصب)** وفي نسخة: منصبة **(إلى الفقراء ليتجردوا)** وفي نسخة: فيتجردون **(لعبادة الله تعالى)** بتفريغ الخاطر **(والاستعداد)** أي التهيؤ **(لما بعد الموت)**، وهؤلاء جعلوا الدنيا قنطرة فعبروها ولم يعمروها **(فلا تصرفهم عن ذلك فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب الفاقة)** والحاجة، ومن وصفهم أنهم لا يقدمون على تناول مباح حتى يضطروا إليه فيتحتم تناوله عليهم فيصير ما كان مباحاً تناوله فرضاً عليهم، **(وهذا منتهى النعمة)** قد بلغوا مقصدهم المذكور في قوله تعالى: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾

منتهى النعمة. فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه ـ كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه إن شاء الله تعالى ـ فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقاً له وعوناً له على الطاعة ولتكن نيته فيه أن يتقوّى به على طاعة الله، فإن لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله عز وجل فإن استعان به على معصية الله كان كافراً لأنعم الله عز وجل مستحقاً للبعد والمقت من الله سبحانه.

الثانية: أن يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه، وللطريق حق من حيث جعله الله طريقاً وواسطة وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله سبحانه، فقد قال ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله». وقد أثنى الله عز وجل على عباده في

[النجم: ٤٢] **(فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر)** وما خصه الله به، **(ويتحقق أن فضل الله تعالى عليه فيما زواه عنه)** أي أبعده **(أكثر من فضله فيما أعطاه)** ويتفرع عنه مسألة هل الفقير أفضل أو الغني الشاكر؟ **(كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه، فليأخذ ما يأخذه من)** يد **(الله سبحانه)** بواسطة هذا العبد المعطى **(رزقاً له)** سيق له بإلهامه وإيجابه **(وعوناً على الطاعة)** ليجمع همومه ويجعلها هماً واحداً، **(ولتكن نيته فيه)** عند أخذه **(أن يتقوى به على طاعة الله)** عز وجل، **(فإن لم يقدر عليه فليصرفه إلى ما أباحه الله تعالى)** أي يقتصر منها لنفسه على تناول بلغته ويجعل الباقي مصروفاً إلى ما دعي إليه، وهو إذاً يصير بذلك من خلفاء الله، **(فإن استعان به على معصية الله)** وما فيه مخالفة أمر الله **(كان كافراً للنعمة مستحقاً للبعد والمقت من الله تعالى)**، فيلتحق بأهل القسم الأول وعد من الهالكين أعاذنا الله من ذلك بعونه ومنه.

(الثانية أن يشكر المعطي ويدعو له) بالخير **(ويثني عليه)** في حضوره وغيبته يخصه بذلك شكراً لما أولاه، **(ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرج عن كونه)** جعل **(واسطة)** للبر وسبباً للخير، **(ولكنه طريق وصول نعمة الله إليه)**، والشكر له هو الدعاء له وحسن الثناء عليه، فيكون قول المصنف: ويدعو له ويثني عليه بعد قوله: أن يشكر من باب عطف التفسير **(وللطريق حق من حيث جعله الله طريقاً وواسطة)** في الظاهر، وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله سبحانه، فإن الآخذ إنما يأخذه من يد الله فهو في شهوده هذا غير مستريب، ولما كان ظهورها على يد هذا المعطي لزم شكره بحسب هذا الظهور فلا تنافي بين الشهودين، **(فقد قال ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»)** فإن فيه إثبات حكم الوسائط واستعمال حسن الأدب في الإظهار والتخلق بأخلاق المنعم، لأنه أنعم عليهم ثم شكر لهم كرماً منه، فكذلك

العبد الموقن يشهد يد مولاه في العطاء فحمده ثم شكر المنفقين إذ جعلهم مولاه سبباً وظرفاً لرزقه، فقد أمر المولى بشكر الناس فمن لم يشكرهم لم يطعه في امتثال أمره، والشكر إنما يتم بمطاوعته فمن لم يطعه لم يكن مؤدياً شكره، وقد وجه البيضاوي في الحديث وجهاً آخر فقال: لأن من لم يشكر الناس مع ما يرى من حرصهم على حب الثناء على الإحسان فأولى بأن يتهاون في شكر من يستوي عنده الشكران والكفران، والأول أقرب لسياق المصنف وهو الذي فهمه صاحب القوت وغيره، ومن ثم اقتصر عليه القاضي أبو بكر بن العربي حيث قال: الشكر في العربية إخبار عن النعمة المسداة إلى المخبر، وفائدته صرف النعم في الطاعة، وأصل النعم من الله والخلق وسائط وأسباب، فالمنعم في الحقيقة هو الله فله الحمد والشكر، فالحمد خبر عن حاله، والشكر خبر عن إنعامه وإفضاله، لكن أذن في الشكر للناس لما فيه من تأكيد المحبة والألفة اهـ.

قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد، وله ولأبي داود وابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة، وقال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: أخرجه الترمذي في البر، وأخرجه أحمد وقال الهيثمي: سنده حسن، والضياء في المختارة، وابن جرير في التهذيب، والحرث بن أبي أسامة كلهم من حديث أبي سعيد به مرفوعاً.

وفي الباب عن أبي هريرة أخرجه ابن جرير، وعن جابر أخرجه الطبراني في الكبير، والديلمي. وعن النعمان أخرجه القضاعي في مسند الشهاب وقد أفرد الحافظ الدمياطي طرقه في جزء كذا قال الحافظ السخاوي في المقاصد.

قلت: والمراد بقول العراقي نحوه، وقول السخاوي في الباب هو حديث «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» الذي رواه أحمد، وأبو داود، وابن جرير، وابن حبان، وصاحب الحلية، والبيهقي عن أبي هريرة، وقد أخرجه الطبراني والضياء من حديث جرير، وأخرجه هناد والبيهقي من حديث أبي سعيد، وأخرجه أيضاً من حديث الأشعث بن قيس، وأخرجه الطبراني في الكبير. والدارقطني في الافراد عن بشر بن أبي المليح عن أسامة عن أبيه عن جده، قال الدارقطني: تفرد به بشر ولم يرو عنه غير عباد بن سعيد.

وأما حديث النعمان بن بشير الذي أخرجه الطبراني فلفظه: «لا يشكر الله عز وجل من لا يشكر الناس والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب» واختلفوا في ضبط هذا الحديث قال ابن العربي روي برفع الله والناس وبضمها ورفع أحدهما ونصب الآخر. قال العراقي: والمعروف المشهور في الرواية بضمها ويشهد له رواية عبدالله بن أحمد «من لم يشكر للناس لم يشكر لله» اهـ.

مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى: ﴿نِعْمَ العَبْدُ إنَّهُ أوّابٌ﴾ [ص: ٣٠] إلى غير ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله قلبك في قلوب الأبرار وزكى عملك في عمل الأخيار وصلى على روحك في أرواح الشهداء، وقد قال ﷺ: « من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد

(وقد اثنى الله عز وجل على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها) أي أن الله تعالى يشهد نفسه في العطاء، ثم قد أثنى على عبده وشكر له في الإعطاء **(نحو قوله تعالى)** في مقام الثناء **(نعم العبد إنه أواب)** [ص: ٣٠] وهو مبالغة من آب أوباً رجع إليه أي كثير الرجوع إلى الله تعالى في أحواله كلها **(إلى غير ذلك)** من الآيات القرآنية، **(وليقل القابض في)** وفي بعض النسخ: وليكن من **(دعائه طهر الله قلبك في قلوب الأبرار وزكى عملك في عمل الأخيار)** كذا في النسخ وفي القوت في أعمال الأخيار. وهو المناسب لما قبله وما بعده. **(وصلى على روحك في أرواح الشهداء)** فهذا هو شكر الناس المأمور به وهو دعاء وثناء. وكلمة « في » في المواضع الثلاثة بمعنى « مع » وفي هذه الجمل الثلاثة مناسبة لحال المعطي حيث طهر ماله بإخراج ما أوجب الله فيه إلى موضعه، فدعا له بتطهير القلب كما طهر قلوب أبراره، ولما زكى ماله دعا له بتزكية الأعمال أي تنميتها كما زكى أعمال اخياره، وفي الجملة الثالثة إشارة إلى الآية ﴿وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم﴾. وفي الصحيح قوله ﷺ: « اللهم صلّ على آل أبي أوفى » وقد اختلف العلماء في جواز ذلك لغيره ﷺ: الأكثرون على المنع قال البخاري في الصحيح: باب صلاة الإمام ودعائه لأهل الصدقة. قال الشارح المراد من الصلاة معناها اللغوي وهو الدعاء وعطف الدعاء على الصلاة ليبين أن لفظ الصلاة ليس بحتم بل غيره من الدعاء ينزل منزلته قاله ابن المنير، ويؤيده ما في حديث وائل بن حجر عند النسائي أنه ﷺ قال في رجل بعث بناقة حسنة في الزكاة: « اللهم بارك فيه في إبله » وروى ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن السدي في قوله ﴿وصل عليهم﴾ أي أدع لهم، وأما قوله ﷺ: « اللهم صلّ على آل أبي أوفى » فهذا من خصائصه ﷺ إذ يكره لنا كراهة التنزيه الذي عليه الأكثرون كما قاله النووي إفراد الصلاة على غير الأنبياء لأنه صار شعاراً لهم إذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم، وإن كان المعنى صحيحاً كما لا يقال محمد عز وجل وإن كان عزيزاً جليلاً. وإن قال تقبل الله منك أو آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت. أو قال بارك الله فيك. أو قال جزاك الله خيراً فقد أثنى ودعا. فقد أخرج الترمذي وقال: حسن صحيح غريب، وابن السني في اليوم والليلة، وابن حبان من حديث أسامة بن زيد مرفوعاً: « من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيراً فقد أبلغ الثناء معنى ذلك أنه اعترف بتقصيره وعجز عن جزائه ففوضه إلى الله تعالى ليجزيه الجزاء الأوفى. فلذلك كان مبلغاً في الثناء.

(وقد قال ﷺ: « من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه ») هكذا أورده صاحب القوت.

كافأتموه». ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء إن كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع إذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطي الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه إذ موجبات التصغير والتعظيم لا تتعارض. والنافع للمعطي ملاحظة أسباب التصغير ويضره خلافه والآخذ بالعكس منه، وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل، فإن من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وإنما المنكر أن يرى الواسطة أصلاً.

وقال العراقي: رواه أبو داود والنسائي من حديث ابن عمر بإسناد صحيح بلفظ: «من صنع» اهـ.

قلت: وأخرج البيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ: من صنع إليه معروف فليكافئ به فإن لم يستطع فليذكره فمن ذكره فقد شكره» وأما لفظ «من أسدى» فهو من حديث آخر أخرجه الشيرازي في الألقاب عن ابن عباس رفعه «من أسدى إلى قوم نعمة فلم يشكروها له فدعا عليهم استجيب».

(**ومن تمام الشكر**) للناس (**أن يستر عيوب العطاء إن كان فيه عيب**) في نفسه (**ولا يحقره ولا يذمه**) فإن تحقير العطاء وتعييبه ينشأ عن جهل وذعارة وسوء نظر في النعمة، (**ولا يعيّره**) أي المعطي (**عند المنع إذا منع**) ولا يعيبه عند القبض إذا قبض، فإن المانع والقابض هو الله. كما أن المانح والمعطي هو الله، (**ويفخم**) أي يعظم (**عند نفسه وعند الناس صنيعه**) وذلك تأويل الخبر السابق «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» إذ فيه التخلق بأخلاق المنعم لأنه أنعم عليهم ثم شكر لهم كرماً منه، وهذا هو الشكر للناس، وأما شكر الله سبحانه على العطاء فهو اعتقاد المعرفة أنه من الله تعالى لا شريك له فيها والعمل بطاعته بها. (**فوظيفة المعطي**) كما سبق (**الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنّة والاستعظام**) لما أعطي، (**وعلى كل عبد منهم**) من المعطين والقابضين (**القيام بحقه**) الذي ألزمه، (**وذلك لا تناقض فيه إذ موجبات التصغير والتعظيم لا تتعارض**) لأنها باختلاف النسب والاعتبارات التي ذكرناها آنفاً، (**والنافع للمعطي ملاحظة أسباب التصغير**) ليعرف أنه ليست له في ذلك منّة وما يعطيه قليل وحقير بالنسبة إلى ما يمسكه (**ويضره خلافه**) فإنه لو استعظم عطاءه دخلته الرعونة في النفس والعلوّ على أخيه المسلم ونسبة المنة لنفسه (**والآخذ بالعكس منه**)، فإنه ينفعه ملاحظة أسباب التعظيم ويضره التحقير، (**وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل فإن من لا يرى الواسطة**) في النعمة (**واسطة فقد جهل**) وأخطأ (**وإنما المنكر**) عند الموقنين (**أن يرى الواسطة أصلاً**) فحينئذ يسقط شهود رؤية النعمة من الله عز وجل، فهذا مضر للإيمان ومسقط كمال توحيد الواحد المنان.

الثالثة: أنه ينظر فيما يأخذه فإن لم يكن من حل تورع عنه ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ★ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] وَلَن يعدم المتورع عن الحرام فتوحاً من الحلال فلا يأخذ من أموال الأتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام، إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان ما يسلم إليه لا يعرف له مالكاً معيناً فله أن يأخذ بقدر الحاجة، فإن فتوى الشرع في مثل هذا أن يتصدق به على ما سيأتي بيانه في

(**الثالثة أن ينظر**) الآخذ (**فيما يأخذه فإن لم يكن**) المأخوذ (**من حله**) أي المعطي أي من حلاله (**تورّع عنه**) أي امتنع من أخذه تورعاً فقد قال الله تعالى في كتابه العزيز (**ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب**) [الطلاق: ٢، ٣]. ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

أخرج سعيد بن منصور، والبيهقي في الشعب، وابن مردويه، عن مسروق عن ابن مسعود قال مخرجاً « إن يعلم أن الله هو يعطيه وهو يمنعه ومن حيث لا يحتسب لا يدري ».

وأخرج أبو نعيم في الحلية، عن عبد بن حميد عن قتادة قال مخرجاً: « من شبهات الدنيا والكرب عند الموت ومن حيث لا يحتسب لا يؤمل ولا يرجو ».

وأخرج أبو يعلى من طريق عطاء بن يسار، عن ابن عباس مثله.

وأخرج الطبراني وابن مردويه، عن معاذ بن جبل، سمعت رسول الله ﷺ يقول « أيها الناس اتخذوا تقوى الله تجارة يأتكم الرزق بلا بضاعة ولا تجارة » ثم قرأ هذه الآية.

(**ولن يعدم المتورع عن الحرام**) توكلاً على ربه (**فتوحاً من الحلال**) يأتي الله به من حيث لم يكن يأمله (**فلا يأخذن من أموال الأتراك**) جمع الترك بالضم جيل من الناس الواحد تركي، (**والجنود**) أي العساكر الذين يستخدمون الاتراك الواحد جندي، (**وعمال السلاطين**) على جباية أموال البلاد بأنواعهم (**و**) من أهل الكسب أيضاً (**من أكثر كسبه**) وتجارته (**من الحرام**) والأولون، فإن أكثرهم ظالمون وغاصبون بأموالهم كلها من ذلك، والتاجر الذي كسبه من حرام فسبيل ماله ملحق بهؤلاء، وإن كان بعض كسبه حلالاً وبعضه حراماً، ففي أخذ ما يعطيه وجهان كما سيأتي، (**إلا إذا ضاق الأمر عليه**) فإنه يتسع ويجوز له الأخذ من أموال هؤلاء، (**و**)كذا إذا (**كان ما يسلم إليه**) من العطاء (**لا يعرف له مالكاً معيناً**) أي بعينه، (**فله أن يأخذ**) في هذا الوجه لكن (**بقدر الحاجة**) وعلى سبيل الحاجة ويمتنع عما زاد عن الحاجة، (**فإن فتوى الشرع**) الظاهر (**في مثل هذا**) أي من وصل ماله إلى هذا القدر (**أن يتصدق به**)، ومن قواعدهم الأمر إذا ضاق اتسع (**على ما سيأتي في كتاب الحلال والحرام**) بيانه وتفصيله، (**وذلك إذا عجز عن الحلال**) ولم يمكن الوصول إليه،

كتاب الحلال والحرام، وذلك إذا عجز عن الحلال، فإذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام.

الرابعة: أن يتوقى مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما يأخذه فلا يأخذ إلا المقدار المباح ولا يأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق، فإن كان يأخذه بالكتابة والغرامة فلا يزيد على مقدار الدين وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجرة المثل وإن أعطي زيادة أبى وامتنع إذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع به، وإن كان مسافراً لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده، وإن كان غازياً لم يأخذ إلا ما

(**فإذا أخذ لم يكن أخذه زكاة**) وإنما هو أخذ حاجة (**إذ لا يقع**) ذلك (**زكاة عن مؤديه وهو حرام**) وهو مؤاخذ به كما سيأتي.

(**الرابعة: أن يتوقى**) الآخذ أي يتحفظ (**مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما يأخذه فلا يأخذ إلا القدر المباح**) كما ذكر (**ولا يأخذ إلا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق**) من الصفات الثمانية، (**فإن كان يأخذ بالكتابة أو الغرامة فلا يزيد على مقدار الدين**) فإن قدر المكاتب والغارم على بعضه يأخذ الباقي، (**وإن كان يأخذ بالعمل**) على الصدقة (**فلا يزيد على أجرة المثل فإن أعطي زيادة أبى**) من أخذه (**وامتنع إذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع به**)، اعلم أن العامل استحقاقه بالعمل حتى لو حمل أصحاب الأموال زكاتهم إلى الإمام أو إلى والي البلد قبل قدوم العامل فلا شيء له ويستحق أجرة المثل لعمله، فإن شاء الإمام بعثه بلا شرط ثم أعطاه مثل أجرة عمله، وإن شاء سمى له قدر أجرته إجارة أو جعالة ويؤديه من الزكاة، ولا يسم أكثر من أجرة المثل، فإن زاد فهل تفسد التسمية أم يكون قدر الأجرة من الزكاة والزائد في خالص مال الإمام؟ وجهان. قال النووي: أصحها الأول فإن زاد سهم العاملين على أجرته رد الفاضل على سائر الأصناف وإن نقص فالمذهب أنه يكمل من مال الزكاة ثم يقسم. وفي قول: من خمس الخمس، وقيل: يتخير الإمام بينهما بحسب المصلحة، وقيل: إن بدأ بالعامل كمله من الزكاة وإلاّ فمن الخمس لعسر الاسترداد من الأصناف، وقيل: إن فضل من حاجة الأصناف فمن الزكاة وإلا فمن بيت المال، وهذا الخلاف في جوازالتكميل من الزكاة، واتفقوا على جواز التكميل من سهم المصالح مطلقاً بل لو رأى الإمام أن يجعل أجرة العامل كلها من بيت المال جاز وتقسم الزكاة على سائر الأصناف.

(**وإن كان**) يأخذه لكونه ابن السبيل أي (**مسافراً لم يزد على**) ما يبلغه من (**الزاد**) أي النفقة والكسوة إن احتاج إليها بحسب الحال شتاء وصيفاً، ويأخذ المركوب إن كان بنفسه ضعيفاً لا يستطيع المشي أو كان السفر طويلاً، وإن كان السفر قصيراً أو هو قوي على المشي لم يأخذ، ويأخذ ما ينقل زاده ومتاعه إلا أن يكون قدراً يعتاد مثله أن يحمله بنفسه. (**و**)قال السرخسي في الأمالي إن ضاق المال أعطي (**كراء الدابة**) وإن اتسع اشترى من ذلك المال

يحتاج إليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة. وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد، وكذا زاد السفر. والورع ترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، وإن أخذ بالمسكنة فلينظر أولاً إلى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغني عنه بعينه أو يستغني عن نفاسته

مركوباً إلى أن يبلغ (**إلى مقصده**) أو موضع ماله إن كان له في طريقه مال، وإذا تم سفره ردّ الدابة على الصحيح الذي قاله الجمهور، ثم كما يأخذ لذهابه يأخذ لرجوعه إن أراد الرجوع ولا مال له في مقصده هذا هو الصحيح، وفي وجه لا يأخذ للرجوع في ابتداء سفره لأنه سفر آخر، وإنما يأخذ إذا أراد الرجوع، ووجه ثالث أنه إن كان على عزم أن يصل الرجوع بالذهاب أخذ للرجوع أيضاً، وإن كان على عزم أن يقيم هناك مدة لم يأخذ ولا يأخذ لمدة الإقامة إلا مدة المسافرين بخلاف الغازي حيث يأخذ للمقام في الثغر وإن طال، لأنه قد يحتاج إليه لتوقع فتح الحصن ولأنه لا يزول عنه الاسم بطول المقام هذا هو الصحيح، وعن صاحب التقريب: إن أقام ابن السبيل لحاجة يتوقع زوالها أخذ، وإن زادت إقامته الحاضرين، وهل يأخذ ابن السبيل جميع كفايته أو ما زاد بسبب السفر؟ وجهان: أصحهما الأول.

(**وإن كان غازياً لم يأخذ**) إلا إذا حضر وقت الخروج ليهيئ به أسباب سفره، فإذا أخذ ولم يخرج فإنه يسترد منه، فإن مات في الطريق أو امتنع من الغزو يسترد منه ما بقي، وإن غزا فرجع ومعه بقيته فان لم يقتر على نفسه وكان الباقي شيئاً صالحاً رده وإن قتر على نفسه أو لم يقتر إلا أن الباقي شيء يسير لم يسترد قطعاً وفي مثله في ابن السبيل يسترد على الصحيح، لأن الغازي لحاجتنا وهي أن يغزو وقد فعل، وفي ابن السبيل لحاجته وقد زالت، ثم إن الغازي إذا أخذ بهذه الصفة فلا يأخذ (**إلا ما يحتاج إليه للغزو خاصة من فرس وسلاح ونفقة**). وفي بعض شروح المفتاح: إن الغازي يأخذ نفقته ونفقة عياله ذهاباً ومقاماً ورجوعاً، وسكت الجمهور عن نفقة العيال، لكن أخذها ليس ببعيد، ثم أن للإمام الخيار إن شاء دفع الفرس والسلاح إلى الغازي تمليكاً وإن شاء استأجر له مركوباً، وإن شاء اشترى خيلاً من هذا السهم ووقفها في سبيل الله تعالى فيعيرهم إياها عند الحاجة، فإذا انقضت استرد وفيه وجه أنه لا يجوز أن يشتري لهم الفرس والسلاح قبل وصول السلاح إليهم. (**وتقدير ذلك**) كله (**بالاجتهاد وليس له حد**) يوقف عليه، (**وكذا زاد السفر**) كابن السبيل (**والورع**) في ذلك كله (**ترك ما يريبه إلى ما لا يريبه**) كما ورد ذلك في الخبر، (**وإن أخذ بالمسكنة**) أو بالفقر فإنه يأخذ ما تزول به حاجته وتحصل كفايته، ويختلف ذلك باختلاف الناس والنواحي، فالمحترف الذي لا يجد آلة حرفته يأخذ ما يشتريها به قلت قيمتها أو كثرت، والتاجر يأخذ رأس مال ليشتري به ما يحسن التجارة فيه ويكون قدره ما يفي به ربحه بكفايته غالباً، وأوضحوه بالمثال فقالوا: البقلي يكتفي بخمسة دراهم، والباقلاني بعشرة، والفاكهي بعشرين، والخباز بخمسين، والبقال بمائة، والعطار بألف، والبزار بألفين، والصيرفي بخمسة آلاف، والجوهري بعشرة آلاف. (**فلينظر**) المسكين (**أولاً إلى أثاث بيته**) ومتاعه (**و**) إلى (**كتبه**) التي يملكها (**هل فيها ما يستغني عنه**

فيمكن أن يبدل بما يكفي ويفضل بعضِ قيمته؟ وكلٌ ذلك إلى اجتهاده. وفيه طرف ظاهر يتحقق معه أنه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق وبينهما أوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، والاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهراً وللمحتاج في تقدير الحاجات مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع إلى التضييق وميل المتساهل إلى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجاً إلى فنون من التوسع وهو ممقوت في الشرع، ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذن مالاً كثيراً بل ما يتمم كفايته من وقت أخذه إلى سنة، فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث أن السنه إذا تكررت تكررت أسباب الدخل. ومن حيث أن رسول الله ﷺ ادخر لعياله

بعينه أو يستغني عن نفاسته فيمكن أن يبدل) ذلك **(بما يكفي)** كأن يكون عنده كتابان في فن واحد أحدهما يغني عن الآخر **(ويفضل قيمته)** وإلا فلا يجوز له أخذ شيء باسم المسكنة، **(وكل ذلك)**موكول **(إلى اجتهاده، وفيه طرف ظاهر يتحقق معه أنه مسكين ومستحق)** باسم المسكنة، **(وطرف آخر مقابل)** للظاهر **(يتحقق)** معه **(أنه غير مستحق)** بهذا الاسم، **(وبينهما)** أن يبين الطرفين **(أوساط)** مشتبهة، **(ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه)** كما ورد ذلك في الصحيح في حديث طويل، **(والاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهراً)** بأن يقول: أنا مسكين أنا فقير فيصدق في قوله، لأن معرفة الفقر والمسكنة والغنى أمر خفي لا يظهر في أول وهلة، **(وللمحتاج في تقدير الحاجات مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه)** أي تقدير الحاجات، **(وميل الورع)** الموقن **(إلى التضييق)** أكثر، **(وميل المتساهل)** في أمور دينه **(إلى التوسيع)** أكثر **(حتى)** أن المتساهل **(يرى نفسه محتاجاً إلى فنون)** أي ضروب **(من التوسيع هي ممقوتة)** أي مبغوضة **(في الشرع)** منهي عنها، **(ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذ مالاً كثيراً بل)** قدر ما تزول به حاجته كما أشرنا إليه، وذلك **(ما يتمم به كفايته من وقت أخذه إلى سنة، فهذه أقصى ما يرخص فيه)** وبه صرح البغوي في التهذيب، وقطع به صاحب التلخيص والرافعي في المحرر، وقول آخر للعراقيين: انه يأخذ كفاية العمر، وسيذكره المصنف قريباً.

ثم علل المصنف وصاحب التهذيب لما ذهبا إليه فقالا: وذلك **(من حيث أن السنة إذا تكررت تكررت أسباب المدخل)** أي الزكاة تكرر كل سنة، **(ومن حيث أن رسول الله ﷺ ادّخر لعياله قوت سنة)**.

قال العراقي: أخرجاه من حديث عمر «كان يعزل نفقة أهله سنة» وللطبراني في الأوسط من حديث أنس «كان إذا ادخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقي» قال الذهبي: حديث منكر اهـ.

قلت: وفي حديث عمر بن الخطاب ومخاصمة علي وابن عباس في أموال بني النضير ما نصه،

قوت سنة، فهذا أقرب ما يحدّ به حد الفقير والمسكين ولو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى. ومذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة، فمن مبالغ في التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قدر قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية «أنه ﷺ نهى عن السؤال مع الغنى فسُئل عن غناه ففال ﷺ غداؤه وعشاؤه». وقال آخرون: يأخذ إلى حد الغنى. وحد الغنى نصاب الزكاة إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة إلا على الأغنياء فقالوا له: أن يأخذ لنفسه ولكل

قال: فإني سأخبركم عن هذا الفيء ثم ساق وفيه «ولقد قسمها بينكم وبثها فيكم حتى بقي منها هذا المال فكان ينفق منه على أهله رزق سنة ثم يجمع ما بقي منه مجمع مال الله عز وجل». الحديث. وفي رواية «وكان ينفق منها على أهله» فهذا يؤيد ما أخرجه الطبراني فتأمل.

(فهذا أقرب ما يجد به حق الفقير والمسكين، ولو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى، ومذاهب) السلف من **(العلماء)** رحمهم الله تعالى **(في قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته)** وما زاد منه فلا ينبغي أخذه، **(وتمسك بما روى)** سهل **(بن الحنظلية)** الأوسي صحابي شهد أحداً وكان متعبداً متوحداً روى له أبو داود والنسائي: **(أن النبي ﷺ نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه فقال ﷺ غداؤه وعشاؤه)**.

قال العراقي: رواه أبو داود، وابن حبان بلفظ «من سأل وله ما يغنيه فإنما يستكثر من جر جهنم» اهـ.

قلت: وفي رواية «وعنده ما يغنيه» وفيه قالوا: وما يغنيه يا رسول الله قال «قدر ما يغديه أو يعشيه». وهكذا رواه أحمد، وابن خزيمة، وابن جرير، والطبراني في الكبير، والحاكم والبيهقي.

وقال الطحاوي في تبيين المشكل: حدثنا أبو البشر الرقي، حدثنا أيوب بن سويد، عن عبد الرحمن، عن يزيد بن جابر، حدثني ربيعة بن يزيد، عن أبي كبشة السلوي قال: حدثني سهل بن الحنظلية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من سأل الناس عن ظهر غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم» قلت: يا رسول الله وما ظهر غنى؟ قال «أن يعلم أن عند أهله ما يغديهم أو ما يعشيهم».

وروى عبد الله بن أحمد في زيادات المسند من حديث علي «من سأل من مسألة عن ظهر غنى استكثر بها من رضف جهنم. قالوا: ما ظهر غنى؟ قال: عشاء ليلة».

(وقال آخرون: يأخذ إلى حد الغنى) والغنى بالكسر مقصوراً هو اليسار، **(وحد الغنى نصاب الزكاة إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة إلا على الأغنياء، فقالوا له: أن يأخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة)**، وقد تقدم أن أصحابنا ذكروا أن النصب ثلاثة نصاب

واحد من عياله نصاب زكاة. وقال آخرون: حد الغنى خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب لما روى ابن مسعود أنه ﷺ قال: « من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش فسئل وما غناه؟ قال: خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب ». وقيل: راويه ليس بقوي. وقال قوم: أربعون، لما رواه عطاء بن يسار منقطعاً أنه ﷺ قال:

يوجب الزكاة على مالكه وهو النامي خلقة واعداداً، ونصاب لا يوجبها وهو ما ليس أحدهما، ونصاب يحرم المسألة وهو ملك قوت يومه أو لا يملكه لكنه يقدر على الكسب **(وقال قائلون: حد الغنى خمسون درهماً)** وهو من النصب التي تحرم المسألة في قول **(لما روى)** عبد الله **(بن مسعود)** رضي الله عنه **(أنه ﷺ قال « من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش، فسئل ما غناه؟ قال: خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب » .)** قال العراقي: رواه أصحاب السنن، وقال الترمذي: حسن اهـ.

قلت: ورواه أحمد، وابن جرير في تهذيبه، والحاكم، والبيهقي، وروى أحمد هذا الحديث أيضاً بلفظ « من سأل مسألة وهو عنها غني جاءت يوم القيامة كدوحاً في وجهه ولا تحل الصدقة لمن له خمسون درهماً أو عوضها من الذهب ».

ورواه ابن أبي شيبة، عن علي وعبد الله جميعاً « لا تحل الصدقة لمن له خمسون درهماً أو عوضها من الذهب ». وعن إبراهيم النخعي، وسفيان والحسن البصري وحماد مثله.

وقال الطحاوي: حدثنا الحسن بن نصر، حدثنا الفريابي ح.

وحدثنا ابن مرزوق، حدثنا أبو عاصم قالا جميعاً، عن سفيان، عن حكيم بن جبير، عن محمد ابن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن ابن مسعود رفعه « لا يسأل عبد مسألة وله ما يغنيه إلا جاءت شيناً أو كدوحاً أو خدوشاً في وجهه يوم القيامة. قيل يا رسول الله: وماذا غناه؟ قال: خمسون درهماً أو حسابها من الذهب ».

حدثنا أحمد بن خالد البغدادي، حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا يحي بن آدم، حدثنا سفيان فذكر بإسناده مثله غير أنه قال: « كدوحاً في وجهه » ولم يشك وزاد فقيل لسفيان: لو كانت عن غير حكيم، فقال: حدثنا زبيد عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد مثله.

(وقيل: راويه ليس بقوي) قلت: عنى به حكيم بن جبير، فقد ضعفوه متهم بالرفض، ولذا ضعف الحديث النسائي والخطابي، ولذا طلبوا من سفيان الرواية عن غيره، فحدثهم عن زبيد فصار الحديث بهذا الطريق قوياً، والله أعلم.

(وقال قوم:) غناه **(أربعون)** درهماً **(لما رواه عطاء بن يسار)** الهلالي مولى ميمونة من

« من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال ». وبالغ آخرون في التوسيع فقالوا له أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني به طول عمره أو يهيء بضاعة ليتجر بها

كبار التابعين وعلمائهم، مات سنة ثلاث ومائة (**منقطعاً أنه ﷺ قال « من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال »**).

قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي من رواية عطاء عن رجل من بني أسد متصلاً وليس بمنقطع كما ذكر المصنف، لأن الرجل صحابي فلا يضر عدم تسميته، وأخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث أبي سعيد اهـ.

قلت: قال الطحاوي يونس حدثنا ابن وهب أن مالكاً حدثه عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن رجل من بني أسد قال: نزلت أنا وأهلي بقيع الغرقد فقال لي أهلي اذهب إلى رسول الله ﷺ فسله لنا شيئاً نأكله وجعلوا يذكرون حاجتهم، فذهب إلى رسول الله ﷺ فوجد عنده رجلاً يسأله ورسول الله ﷺ يقول: لا أجد ما أعطيك فولى الرجل وهو مغضب وهو يقول لعمري انك لتفضل من شئت، فقال رسول الله ﷺ إنه ليغضب عليّ لا أجد ما أعطيه من سأل منكم وعنده أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً قال الأسدي: فقلت للقمة لنا خير من أوقية قال: والأوقية أربعون درهماً. قال: فرجعت ولم أسأله، فقدم علي رسول الله ﷺ بعد ذلك بشعير وزبيب فقسم لنا منه حتى أغنانا الله تعالى.

وأما حديث أبي سعيد فقد أخرجه أيضاً ابن خزيمة، والدارقطني بلفظ « من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف ».

ورواه الطحاوي من طريق عمارة بن غزية عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه غير أنه قال « فهو ملحف ».

وأخرج النسائي والبيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « من سأل وله أربعون درهماً فهو الملحف ».

وروى أحمد والبيهقي عن رجل من بني أسامة بلفظ « من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً ».

(**وبالغ آخرون في التوسيع فقالوا**): من لا يحسن الكسب بحرفة ولا تجارة (**له أن يأخذ**) كفاية العمر الغالب، وبه قال العراقيون من أصحاب الشافعي، قال النووي: وهو الأصح وهو نص الشافعي رضي الله عنه، ونقله الشيخ نصر المقدسي عن جمهور الأصحاب، قال: وهو المذهب. وإذا قلنا يأخذ كفاية العمر فكيف طريقه.

قال في التتمة: وغيرها يأخذ (**مقدار ما يشتري به ضيعة**) أو عقاراً ليستغل منه كفايته (**يستغني به طول عمره أو يهيئ بضاعة ليتجر فيها ويستغني لأن هذا هو الغنى**) ومنهم

ويستغني بها طول عمره لأن هذا هو الغنى، وقد قال عمر رضي الله عنه: إذا أعطيتم فأغنوا حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ بقدر ما يعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد الاعتدال، ولما شغل أبو طلحة ببستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة، فقال ﷺ: « اجعله في قرابتك فهو خير لك » فأعطاه

من يشعر كلامه أن يأخذ ما ينفق عينه في حاجاته، والأول أصح، **(وقد قال عمر رضي الله عنه: إذا أعطيتم فاغنوا)**. يعني من الصدقة، هكذا أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، عن حفص عن ابن جرير عن عمرو بن دينار قال قال عمر فساقه، وقال أصحابنا يجوز له أن يأخذ قدر النصاب فصاعداً مع الكراهة في ذلك، ومنعه زفر من أصحابنا مطلقاً، وعلل بأن الغنى قارن الأداء لأن الغنى حكمه والحكم مع العلة يقترنان فحصل الأداء إلى الغنى، وقد رد ذلك عليه بأن الأداء يلاقي الفقر لأن الزكاة إنما تتم بالتمليك، وحالة التمليك المدفوع إليه فقير، وإنما يصير غنياً بعد تمام التمليك فيتأخر الغنى عن التمليك ضرورة، ولأن حكم الشيء لا يكون مانعاً له لأن المانع ما يسبقه لا ما يلحقه وقالوا: إنما يكره له الأخذ ذلك القدر إذا لم يكن غارماً أو صاحب عيلة. وإلا فلا بأس أن يأخذ قدر ما يقضي به دينه وزيادة دون مائتين لأن قدر ذلك لا يمنع له الأخذ منه، والله أعلم.

(حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ بقدر ما يعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف).

قلت: نقل الولي العراقي في شرح التقريب عن الضحاك قال: من ملك عشرة آلاف درهم فهو من الأكثرين الأخسرين إلا من قال بالمال هكذا وهكذا، ولما حكى القاضي ابن العربي هذا القول قال: إنما جعله أول حد الكثرة لأنه قيمة النفس المؤمنة وما دونه في حد القلة، وإني لأستحبه قولاً وأصوبه رأياً اهـ.

ويروى عن علي رضي الله عنه قال: أربعة آلاف نفقة فما كان فوقها فهو كنز **(إلا إذا** ...رج **عن حد الاعتدال)** فليس له الأخذ في الكثير فإنه يطغيه.

(ولما شغل أبو طلحة) الأنصاري **(ببستانه)** لما طار دبسيّ فاتبعه بصره وهو يصلي فاشتغل ... فلم يدر كم صلى **(قال: جعلته صدقة)** في سبيل الله، وهذا القدر تقدم للمصنف في كتاب الصلاة، وأما قوله: **(فقال ﷺ « اجعله في قرابتك فهو خير لك » ، فأعطاه حسان وأبا قتادة)** فأخرجه البخاري ومسلم والنسائي.

قال البخاري في باب الزكاة على الأقارب: حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد،

حسان وأبا قتادة. فحائط من نخل لرجلين كثير مغن. وأعطى عمر رضي الله عنه أعرابياً ناقة معها ظئر لها فهذا ما حكي فيه. فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الأبواب وذلك مستنكر وله حكم آخر، بل التجويز إلى أن يشتري ضيعة فيستغني بها أقرب إلى الاحتمال وهو أيضاً مائل إلى

وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران: ٩٢] جاء أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وإن أحب أموالي إليّ بيرحاء وأنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «بخ ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. وجزم التيمي بأن المراد ببيرحاء البستان معللاً بأن بساتين المدينة تدعى بآبارها، وقال عياض: هو اسم أرض لأبي طلحة بالمدينة، وأهل الحديث يحسبون أنها بئر من آبار المدينة.

وفي بعض طرق البخاري «بخ يا أبا طلحة ذلك مالك رابح قبلناه منك ورددناه عليك فاجعله في الأقربين» فتصدق به أبو طلحة على ذوي رحمه قال: وكان منهم حسان وأبو قتادة قال فباع حسان حصته من معاوية. وخرجه في الوصايا بلفظ «اجعلها لفقراء قرابتك». ثم قال البخاري: وحسان يجتمع مع أبي طلحة في الأب الثالث ومع أبي قتادة في الجد السابع.

قلت: وأبو طلحة هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام، وحسان هو ابن ثابت بن المنذر بن حرام فهو ابن عم أبي طلحة القريب، وأبو قتادة هو الحرث بن ربعي بن بلذمة بن خناس يجتمع مع أبي طلحة في الجد الأعلى فهو ابن عمه البعيد، **(فحائط من نخل لرجلين كثير مغن)** وهذا فيه إشارة إلى اتحاد القصة. والمفهوم من سياق الجماعة أن سبب تصدقه بالحائط المذكور سماع الآية فيحتمل أنه وقع له الاشتغال، ثم سمع هذه الآية، فبمجموع الأمرين أخرج عن ذمته والله أعلم.

(وأعطى عمر رضي الله عنه اعرابياً ناقة معها ظئرها) الظئر بالكسر وسكون الهمزة ويجوز تخفيفها الناقة تعطف على غير ولدها، ومنه قيل للمرأة تحضن غير ولدها ظئر، وللرجل الحاضن ظئر أيضاً كذا في المصباح. **(فهذا ما يحكى فيه)** أي في التوسيع، **(فأما التقليل إلى قوت اليوم)** غداء وعشاء **(و)** إلى **(الأوقية)** وهي أربعون درهماً **(فذلك ورد في كراهية السؤال)** كما سبق ذلك في الأحاديث السابقة **(و)** في كراهية **(التردد على الأبواب)** بالتكفف **(وذلك مستنكر)** شرعاً إذ قد ورد النهي عنه **(وله حكم آخر)**، وبه ظهر أن نصاب ما يمنع به السؤال غير نصاب الزكاة، **(بل التجويز إلى أن يشتري به ضيعة)** أو عقاراً

الإسراف والأقرب إلى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق. وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف فليس للمجتهد إلا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع: «استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك» كما قاله ﷺ إذ الإثم حزاز القلوب، فإذا وجد القابض في نفسه شيئاً مما يأخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللاً بالفتوى من علماء الظاهر، فإن لفتواهم قيوداً ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات. والتوقي من الشبهات من شيم ذوي الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة.

الخامسة: أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه، فإن كان ما يعطيه فوق

كما قاله العراقيون، **(فيستغني بها أقرب إلى الاحتمال وهو أيضاً مائل إلى الإسراف)** والتجاوز عن الحد، **(والأقرب إلى الاعتدال الكفاية لسنة)** كما قدمنا، **(وما وراء ذلك ففيه خطر وفيما دونه تضييق، وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف)** من الشرع **(فليس للمجتهد إلا الحكم بما يقع له، ثم يقال للورع: «استفت قلبك وإن أفتوك» كما قاله ﷺ)**. وتقدم في كتاب العلم **(إذ الإثم حزاز القلوب)** وهذا أيضاً تقدم في كتاب العلم، **(فإذا وجد القابض في نفسه شيئاً مما يأخذه)** من شبهة أو شبهها **(فليتق الله فيه)** وليقدم الخوف من الله تعالى، **(ولا يترخص)** في أخذه **(تعللاً بالفتوى من علماء الظاهر)** معتقداً من قلد عالماً لقي الله سالماً، **(فإن لفتاويهم قيوداً)** معلومة **(ومطلقات من الضرورات)** في المحظورات، **(وفيها تخمينات)** وظنون **(واقتحام شبهات)** باختلاف نوازل وواقعات، **(والتوقي من الشبهات)** أي التحفظ منها **(من شيم ذوي الدين)** المتقين **(وعادات السالكين لطريق الآخرة)** نفعنا الله بهم آمين.

وبقي عليه مما يتعلق بالباب ما إذا اجتمع في شخص صفتان فهل يأخذ بهما أم بإحداهما فقط؟ فيه طرق أصحها على قولين، أظهرهما بإحداهما فيأخذ بأيهما شاء، والطريق الثاني القطع بهذا، والثالث إن اتحد جنس الصفتين أخذ بإحداهما، فإن اختلف فيهما فالاتحاد كالفقر مع الغرم لمصلحة نفسه لأنهما يأخذان لحاجتهما إلينا، وكالغرم للإصلاح مع الغزو فإنهما لحاجتنا إليهما، والاختلاف كالفقر والغزو، فإن قلنا بالمنع فكان العامل فقيراً فوجهان بناء على أن ما يأخذه العامل أجرة لأنه إنما يستحق بالعمل أم صدقة لكونه معدوداً في الأصناف، وفيه وجهان. وإذا جوزنا الأخذ بمعنيين جاز بمعان وفيه احتمال للحناطي، قال النووي، قال الشيخ نصر: إذا قلنا لا يأخذ إلا بسبب فأخذ بالفقر كان لغريمه أن يطالبه بدينه فيأخذ ما حصل له، وكذا ان أخذ لكونه غارماً فإذا بقي بعد أخذه فقيراً فلا بدّ من أخذه من سهم الغرماء لأنه الآن محتاج، والله أعلم.

(الخامسة: أن يسأل) القابض **(صاحب المال)** أي دافع الزكاة **(عن قدر الواجب**

الثمن فلا يأخذه منه، فإنه لا يستحق مع شريكه إلا الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف إلى اثنين من صنفه. وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق فإنهم لا يراعون هذه القسمة إما لجهل وإما لتساهل، وإنما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم. وسيأتي ذكر مظان السؤال ودرجات الاحتمال في كتاب الحلال والحرام إن شاء الله تعالى.

عليه) من الزكاة، **(فإن كان ما يعطيه فوق الثمن)** وهو بضم الميم للاتباع وبالتسكين جزء من ثمانية أجزاء والثمين كأمير طائر لغة فيه، **(فلا يأخذه منه)** وإنما يأخذ بعضه **(لأنه لا يستحق مع شريكه)** وفي نسخة: مع شركائه **(إلا الثُمن فلينقص من الثمن بمقدار ما يصرف إلى اثنين من صنفه)** فإن دفع إليه الثمن بكماله لم يحل له الأخذ، **(وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق)** وفي نسخة: الناس **(فإنهم لا يراعون هذه القسمة)** الشرعية المنصوصة، **(إما لجهل)** منهم بذلك **(أو لتساهل)** في أمور الدين، **(وإنما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور)** الدقيقة **(إذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم)**، وقد نقل النووي هذه العبارة مع اختصار السياق في الروضة وختم به كتاب الزكاة واستحسنه. **(وسيأتي ذكر مضار السؤال ودرجات الاحتمال في كتاب الحلال والحرام إن شاء الله تعالى)**، ونتكلم هنالك بما يليق بالمقام بعون الله وحسن توفيقه.

الفصل الرابع

في صدقة التطوّع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها

الفصل الرابع

في صدقة التطوّع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها

الصدقة اسم من تصدقت على الفقراء والجمع الصدقات، وتصدق بكذا أعطاه صدقة والفاعل متصدق، ومنهم من يخفف بالبدل والإدغام فيقول: مصدق.

قال ابن قتيبة: ومما تضعه العامة غير موضعه قولهم هو يتصدق إذا سئل وذلك غلط، وإنما المتصدق المعطي. وفي التنزيل ﴿وتصدق علينا﴾ [يوسف: ٨٨] وأما المصدق فهو الذي يأخذ صدقات النعم كذا في المصباح.

واختلف في اشتقاقها فقيل من قولهم رمح صدق أي صلب سميت به لأن خروجها عن النفس بشدة وكراهية، وقيل فيها غير ذلك كما ستأتي الإشارة إليه، وقال أبو الحسن الحراني: الصدقة الفعلة التي يبدو بها صدق الإيمان بالغيب من حيث أن الرزق غيب، وقال ابن الكمال: هي العطية يبتغي بها المثوبة من الله، وقال الراغب: هو ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزكاة، لكن الصدقة في الأصل يقال للمتطوع به والزكاة للواجب، ويقال لما يسامح به الإنسان من حقه تصدق به نحو قوله ﴿فمن تصدق به فهو كفارة له﴾ [المائدة: ٤٥] وقوله ﴿وأن تصدقوا فهو خير لكم﴾ [البقرة: ٢٨٠] فإنه أجرى ما يسامح به المحسن مجرى الصدقة ومنه قوله ﴿فدية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا﴾ [النساء: ٩٢] فسمى إعفاءه صدقة، وقوله في الحديث: « ما أكلت العافية صدقة »

والتطوع لغة تكلف الطاعة وعرفاً التبرع بما لا يلزم كالنفل، قال تعالى: ﴿فمن تطوّع خيراً فهو خير له﴾ [البقرة: ١٨٤] ذكره الراغب. وقال ابن الكمال: التطوع اسم لما شرع زيادة على الفرض والواجب هذا ما يتعلق بالظاهر، وأما ما يتعلق بأسرارها فقد قال الله تعالى آمراً عباده: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ [المزمل: ٢٠] فالقرض هنا صدقة التطوّع، وورد الأمر بالقرض كما ورد باعطاء الزكاة، والفرق بينهما أن الزكاة مؤقتة بالزمان والنصاب، والأصناف الذين تدفع إليهم والقرض ليس كذلك، وقد تدخل الزكاة هنا في

القرض فكأنه يقول: وآتوا الزكاة قرضاً لله بها فيضاعفها لكم، فالقرض الذي لا يدخل في الزكاة غير مؤقت لا في نفسه ولا في الزمان ولا بصنف من الأصناف، والزكاة المشروعة والصدقة لفظتان بمعنى واحد قال تعالى ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ [التوبة: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء﴾ [التوبة: ٦٠] فسماها صدقة فالواجب منها يسمى زكاة وصدقة، وغير الواجب يسمى صدقة التطوّع ولا يسمى زكاة شرعاً أي لم يطلق عليه الشرع هذه اللفظة مع وجود المعنى فيها من النموّ والبركة والتطهير في الخبر الصحيح أن الأعرابي لما ذكر للنبي ﷺ أن رسوله زعم أن علينا صدقة في أموالنا وقال له ﷺ « صدق » فقال الأعرابي: هل علي غيرها: فقال « لا. إلا أن تطوّع ». فلهذا سميت صدقة التطوّع يقول إن الله لم يوجبها عليكم فمن تطوّع خيراً فهو خير له، ولهذا قال تعالى بعد قوله: ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ [المزمل: ٢٠] وإن كان الخير كل فعل مقرب إلى الله من صدقة وغيرها، ولكن مع هذا فقد انطلق على المال خصوصاً اسم الخير. قال تعالى: ﴿وإذا مسّه الخير منوعاً﴾ [المعارج: ٢١] وقال تعالى ﴿إنه لحب الخير لشديد﴾ [العاديات: ٨] يعني المال هنا وجعل الكرم فيه تخلقاً لا خلقاً حيث قال: ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ [الحشر: ٩، والتغابن: ١٦] ولهذا سماها صدقة أي كلفة شديدة على النفس لخروجها عن طبعها في ذلك، ولذا آنسها الحق تعالى بأنها تقع بيد الرحمن قبل أن تقع بيد السائل، وأنه يربيها كما يربي أحدكم فصيله حتى تربو، فتكون المنة لله على السائل لا للمتصدق، فإن الله تعالى طلب منه القرض والسائل ترجمان الحق في طلب هذا القرض، فلا يخجل السائل اذا كان مؤمناً من المتصدق ولا يرى أن له فضلاً عليه، فإن المتصدق إنما اعطى لله للقرض الذي سأله، وليربيها له فهذا من الغيرة الإلهية والفضل الإلهي والأمر الآخر ليعلمه أنها مودعة في موضع تربو له فيه وتزيد. كل هذا ليسخو باخراجها ويتقي شح نفسه، وفي جبلة الانسان طلب الأرباح في التجارة ونمو المال، فلهذا جاء في الخبر: « إن الله تعالى يربي الصدقات » ليكون العبد في إخراج المال من الحرص عليه الطبيعي لأجل المعاوضة والزيادة والبركة بكونه زكاة كما هو في جميع المال وشح النفس من الحرص عليه الطبيعي، فوفق الله به حيث لم يخرجه عما جبله الله عليه، فيرى التاجر يسافر إلى الأماكن القاصية الخطرة المتلفة للنفوس والأموال ويبذل الأموال ويعطيها رجاء في الأرباح والزيادة ونمو المال وهو مسرور النفس بذلك، فطلب الله منه المقارضة بالكل إذ قد علم منه أنه يقارض بالثلثين والنصف، فيكون قرضه بمن يقارضه بالكل أتم وأعظم، فالبخيل بالصدقة بعد هذا التعريف الإلهي وما تعطيه جبلة النفوس من تضاعف الأموال دليل على قلة الإيمان عند هذا البخيل مما ذكرناه. إذ لو كان مؤمناً على يقين من ربه مصدقاً له فيما أخبر به عن نفسه في قرض عبده وتجارته لسارع بالطبع إلى ذلك كما يسارع به في الدنيا مع إشكاله عاجلاً وآجلاً، فإن العبد إذا قارض إنساناً بالنصف أو بالثلث وسافر المقارض إلى بلد آخر وغاب سنين وهو في باب الاحتمال أن يسلم أو يهلك أو لا يربح شيئاً، وإذا هلك المال لم يستحق في ذمة المقارض شيئاً،

ومع هذه المحتملات يعمى الإنسان ويعطي ماله وينتظر ما لا يقطع بحصوله وهو طيب النفس مع وجود الأجل والتأخير والاحتمال فاذا قيل له أقرض الله وتأخذ في الآخرة أضعافاً مضاعفة بلا ثلث ولا نصف بل الربح ورأس المال كله لك وما تصبر إلاّ قليلاً وأنت قاطع بحصول ذلك كله تأبى النفس وما تعطي إلا قليلاً ، فهل ذلك كله إلا من عدم حكم الإيمان على الانسان في نفسه حيث لا يسخو بما تعطيه جبلته من السخاء به ، ويقارض زيداً وعمراً كما ذكرنا طيب النفس والموت أقرب إليه من شراك نعله ، ولهذا سماها الله صدقة أي هو أمر شديد على النفس أي تجد النفس لإخراج هذا المال لله شدة وحرجاً ، كما قال ثعلبة بن حاطب أو غيره في الزكاة إنها أخت الجزية فأعقبه الله لهذه الكلمة نفاقاً في قلبه إلى يوم القيامة ، فلم يقبل رسول الله ﷺ صدقته بعد ذلك لما جاء بها حين بلغه ما أنزل فيه ، وسبب ذلك أن الله تعالى أخبر في حقه أنه يلقاه منافقاً ، والصدقة إذا أخذها النبي ﷺ طهره بها وزكاه وصلى عليه ، وكانت صلاته سكناً يسكن المتصدق إليها ، وهذه أوصاف كلها تناقض النفاق ، وما يجده المنافق عند الله فلم يتمكن لرسول الله ﷺ أن يأخذ منه الصدقة لما جاء بها بعد منعها .

وقوله ما قال وامتنع منها أيضاً فلم يأخذها منه حين جاء بها أبا بكر في خلافته وعمر وأخذ منه عثمان الصدقة متأوّلاً أنها حق الأصناف الذين أوجب الله لهم هذا القدر في غير هذا المال ، وهو من جملة ما انتقد عليه ، وينبغي للمجتهد أن لا ينتقد عليه في حكم إذا أداه إليه اجتهاده ، فإن الشرع قد قدر حكم المجتهد ، والنبي ﷺ ما نهى أحداً أن يأخذ من هذا الشخص صدقته ، وقد ورد الأمر بإخراج الزكاة وحكم النبي في هذه الأمور قد يقارن حكم غيره ، وقد يختص ﷺ من ذلك بأمور لا تلزم الغير لخصوص وصف تقتضيه النبوّة ، فمن شاء وقف لوقوفه ، ومن شاء لم يقف ومضى لأمر الله العام في ذلك ، إذ كان رسول الله ﷺ لم ينه أحداً ولا أمره فيما توقف فيه واجتنبه ، فساغ الاجتهاد وراعى كل مجتهد ما غلب على ظنه ، فمن خطّأ عثمان فما وافى المجتهد حقه ، فإن المصيب والمخطىء واحد لا بعينه . هذا ، وقد علمت أن الزكاة من حيث هي صدقة شديدة على النفس ، فإذا أخرجها الإنسان تضاعف له الأجر ، وإن أخرجها من غير مشقة فمثل هذا فوق تضاعف الأجر بما لا يقاس ولا يحد .

وأما أمره سبحانه أن نقرضه قرضاً حسناً فالإحسان في العمل أن تشاهد الله فيه ، وهو أن يعلم أن المال مال الله وما ملكته إلا بتمليك الله وبعد التمليك نزل إليك في ألطافه لباب المقارضة يقول لك لا يغيب عنك طلبي منك القرض في هذا المال ما تعرفه من أن المال هو عين مالي ماهو مالك فكما لا يعز عليك ولا يصعب إذا رأيت أحداً يتصرف في ماله كيف شاء ، كذلك لا يعز عليك ولا يصعب ما أطلبه منك مما جعلتك مستخلفاً فيه عن معرفتك بأني ما طلبت منك إلا ما هو مالي لأعطيه لمن أشاء من عبادي ، فإن هذا القدر من الزكاة ما اعطيته قط لك بل أمنتك عليه ، والأمين لا يصعب عليه أداء الأمانة إلى أهلها ، فإذا جاءك المصدق الذي هو وكيل أرباب الأمانات فأدِّ إليه أمانته عن طيب نفس ، فهذا هو القرض الحسن .

بيان فضيلة الصدقة:

من الأخبار: قوله ﷺ: «تصدّقوا ولو بتمرة فإنها تسدّ من الجائع وتطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار». وقال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا

وقد جاء في الخبر الصحيح في معنى الإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه» لأنك إذا رأيته علمت أن المال ماله والعبد عبده والتصرف له ولا مكره له، وتعلم أن هذه الأشياء لا يعود على الله منها نفع ولا إذا أمسكت ضرر، وأن الكل يعود عليك فالزم الأحسن إليك تكن محسناً لنفسك، وإذا كنت محسناً كنت متقياً أذى شح نفسك فيجمع لك هذا الفعل الإحسان والتقوى فيكون الله معك كما قال ﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ [النحل: ١٢٨] ومن المتقين من يوق شح نفسه بأداء زكاته ﴿والذين هم محسنون﴾ [النحل: ١٢٨] وهم الذين عبدوني كأنهم يروني وشاهدوني، ومن جملة شهودهم إياي علمهم بأني ما كلفتهم التصدق إلا فيما هو لي لا فيما هو لهم ولهم الثناء الحسن على ذلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

بيان فضيلة الصدقة:

(من الأخبار): المروية **(قوله ﷺ: «تصدقوا ولو بتمرة فإنها تسد من الجائع وتطفيء الخطيئة كما يطفىء الماء النار»)** قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد من حديث عكرمة مرسلاً، ولأحمد من حديث عائشة بسند حسن «اشتر من النار ولو بشق تمرة فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان» وللبزار وأبي يعلى من حديث أبي بكر «اتقوا النار ولو بشق تمرة فإنها تقيم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان» واسناده ضعيف، وللترمذي، وصححه وللنسائي في الكبراء، وابن ماجه من حديث معاذ: «والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار» اهـ.

(وقال ﷺ «اتقوا النار) أي اجعلوا بينكم وبينها وقاية بالصدقة **(ولو)** كان الاتقاء **(بشق تمرة)** واحدة فإنه يفيد فقد يسد الرمق سيما للطفل والشق بالكسر النصف منها أو جانبها فلا يحقر الإنسان ما يتصدق به وقاية من النار «فلو» هنا للتعليل كما في المغني **(فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة»)** يرده بها ويطيب قلبه ليكون ذلك سبباً لنجاته من النار. قال العراقي: أخرجاه من حديث عدي بن حاتم اهـ.

قلت: ورواه أيضاً النسائي، ورواه أحمد عن عائشة، والبزار، والطبراني في الأوسط، والضياء عن أنس، والبزار عن النعمان بن بشير، وعن أبي هريرة، والطبراني في الكبير، عن ابن عباس وأبي أمامة. والحديث متواتر.

وفي حديث آخر «إن الكلمة الطيبة صدقة وكل تسبيحة صدقة وكل تهليلة صدقة» رواه مسلم.

فبكلمة طيبة ». وقال ﷺ : « ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيباً إلا كان الله آخذها بيمينه فيربيها كما يربي أحدكم فصيله حتى تبلغ

وأخرج مسلم أيضاً عن عدي بن حاتم مرفوعاً « من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل ».

(وقال ﷺ « ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلّا طيباً إلا كان الله عز وجل هو يأخذها بيمينه فيربيها له كما يربي أحدكم فصيله أو فلوه) على مثال عدو المهر حين يفطم **(حتى تبلغ التمرة مثل أحُد »)** قال العراقي: رواه البخاري تعليقاً، ومسلم، والترمذي والنسائي في الكبراء واللفظ له، وابن ماجه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: أخرجه البخاري معلقاً في كتاب التوحيد بلفظ « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا طيب ».

وأخرجه في كتاب الزكاة موصولاً بلفظ « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب وان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل ».

وأخرجه مسلم بلفظ « ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله ». وفي لفظ آخر « لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو قلوصه حتى يكون مثل الجبال أو أعظم » وفي رواية: « من الكسب الطيب فيضعها في حقها ».

وأخرجه البزار من حديث عائشة بلفظ « فيتلقاها الرحمن بيده ». وعند الترمذي من حديث أبي هريرة « حتى أن اللقمة لتصير مثل أحد ». وقوله « بيمينه » قال الخطابي ذكر البيهقي لأنها في العرف لما عز والآخر لما هان. وقال ابن اللبان نسبة الأيدي إليه تعالى استعارة لحقائق أنوار علوية يظهر عنها تصرفه وبطشه بدأ وإعادة، وتلك الأنوار متفاوتة في روح القرب، وعلى حسب تفاوتها وسعة دوائرها تكون رتبة التخصيص لما ظهر عنها، فنور الفضل باليمين ونور العدل باليد الأخرى والله تعالى منزه عن الجارحة اهـ.

وفي فتح الباري: إنما ضرب المثل بالمهر لأنه يزيد زيادة بيّنة، ولأن الصدقة نتاج العمل وأحوج ما يكون النتاج إلى التربية إذا كان فطيماً فإذا أحسن العناية به إلى حد الكمال وكذلك الصدقة فإن العبد إذا تصدق من كسب طيب لا يزال نظر الله إليها يكسبها نعت الكمال حتى تنتهي إلى نصاب يقع المناسبة بينه وبين ما قدم نسبة ما بين التمرة إلى الجبل اهـ.

وفي كتاب الشريعة اعلم أن الطيب من الصدقات هو أن تتصدق بما تملكه عن طيب نفس مؤدي أمانة يسميها الشارع صدقة بلسان الظاهر، وتكون يدك يد الله عند الإعطاء، ولهذا قلنا

أمانة فإن أمثال هذا لا ينتفع بها خالقها، وإنما يستحقها من خلقت من أجله وهو المخلوق فهي عند الله من الله أمانة لهذا العبد يؤديها إليه إما منه إليه وإما على يد عبد آخر هذا أطيب الصدقات. فإذا حصلت في يد المتصدق عليه أخذها الرحمن بيمينه ثم أعطاه إياها، فمثل هذه الصدقة إذا أكلها المتصدق عليه أثمرت له نوراً ويراها في الآخرة في ميزانه وفي ميزان من أعطاه فيقال له: هذه ثمرة صدقتك فقد عادت بركتها عليك وعلى من تصدقت عليه، فإن صدقتك على زيد هي عين صدقتك على نفسك فإن خيرها عليك يعود، وأفضل الصدقات ما يتصدق به الإنسان على نفسه فيحضر هذا المتصدق على أكمل الوجوه في نفسه، فمثل هذه الصدقة لا يقال لمعطيها يوم القيامة من أين تصدقت ولا لمن أعطيت، فإنه بهذه المثابة فإن كان الآخذ مثله في هذه المرتبة تساويا في السعادة وفضل المتصدق بدرجة واحدة لا غير، وإن لم يكن بهذه المثابة فيكون بحيث الصفة التي يقيمه الله فيها، فإن كانت الصدقة صدقة تطوّع فهي منة إلهية كونية فإن كانت زكاة فرض فهي منة إلهية، فإن كانت نذراً فهي إلهية كونية قهرية، فإن النذر يستخرج به من البخيل وإن كانت هذه الأعطية هدية. فما هو من هذا الباب فإنه مخصوص بإعطاء ما هو صدقة لا غير، فتكبر هذه الصدقة في كف الرحمن حساً ومعنى، فالحس منها من حيث ما هي محسوسة فيجدها في الجنة حسية المشهد مرئية بالبصر، والمعنى منها من حيث ما قام به من الكسب الحلال والتقوى فيه والمسارعة بها وطيب النفس بها عند خروجها ومشاهدته ما ذكرناه من الشؤون الإلهية فيها فيجدها في الكتب عند المشاهدة العامة ويجدها في كل زمان يمر عليه الموازن لزمن إخراجها وهو في الجنة، فيختص من الله بمشهد في عين جنته لا يشهده إلا من هو بهذه المثابة. وكل من نزل عن صدقته عن هذه الدرجة كانت منزلته عند الله بمنتهى علمه وقصده. والصدقة لا تكون إلا من الإسم الغني الشاكر ذي القوّة المتين بطريق الامتنان غير طالب للشكر عليها، فإن اقترن معها طلب الشكر فليست من الإسم الغني، بل من الاسم المريد الحكيم العالم. فإن خطر للمتصدق أن يقرض الله قرضاً حسناً بصدقته تلك مجيباً لأمر الله، فهذا الباب أيضاً يلحق بالصدقة لكونه مأموراً بالقرض، وقد يكون نفس الزكاة الواجبة فإن طلب عوضاً زائداً ينتفع به على ما أقرض خرج عن حده قرضاً، وكانت صدقته غير موصوفة بالقرضية فإنه لم يعط القرض المشروع. فإن الله تعالى لا ينهى عن الربا ويأخذه منا. كذا قال رسول الله ﷺ. فإن كل قرض جر منفعة فهو ربا. وهو أن يخطر له هذا عند الإعطاء فلا يعطيه إلا لهذا وللمعطى الذي هو المقترض أن يحسن في الوفاء ويزيد فوق ذلك ما شاء من غير أن يكون شرطاً في نفس القرض، فإن الله يعاملنا بما شرع لنا لا بغير ذلك. ألا تراه قد أمر نبيه أن يسأله يوم القيامة أن يحكم بالحق الذي بعثه به بين عباده وبينه، فقال له: قل رب احكم بالحق. والألف واللام للحق المعهود الذي بعث به، وعلى هذا تجري أحوال الخلق يوم القيامة، فمن أراد أن يرى حكم الله يوم القيامة فلينظر إلى حكم الشرائع الإلهية في الدنيا حذوك النعل بالنعل من غير زيادة ولا نقصان. فكن على بصيرة من شرعك فإنه عين الحق الذي إليه مالك،

التمرة مثل أحد ». وقال ﷺ لأبي الدرداء: « إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف ». وقال ﷺ: « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته ». وقال ﷺ: « كل امرىء في ظل صدقته حتى يُقْضَى بين الناس ». وقال ﷺ: « الصدقة تسد سبعين باباً من الشر ».

ولا تغتر وكن على حذر وحسن الظن بربك واعرف مواقع خطابه في عباده من كتابه العزيز وسنة نبيه ﷺ اهـ.

(**وقال ﷺ لأبي الدرداء**) رضي الله عنه (**« إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه**) أي من مائها (**بمعروف »**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي ذر قال ذلك له، وما ذكره المصنف أنه قال لأبي الدرداء وهم اهـ.

قلت: هكذا وقع في سائر نسخ الكتاب وهو تابع لما في القوت وهكذا هو فيه، ولعله وقع تصحيف من النساخ فإن اللفظتين متقاربتان، ثم أن لفظ مسلم « إذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك » أورده في البر والصلة، لكن من حديث أبي هريرة لا أبي ذر.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة، وأحمد، والبزار من حديث جابر بلفظ « إذا طبختم اللحم فأكثروا المرق فإنه أوسع وأبلغ بالجيران » والأمر فيه للندب عند الجمهور وللوجوب عند الظاهرية. وفيه تنبيه لطيف على تسهيل الأمر على مريد الخير حيث لم يقل فأكثر لحمها أو طعامها إذ لا يسهل ذلك على كثير، والمرق يسمى أحد اللحمين لما فيه من خاصيته.

(**وقال ﷺ: « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته »**) أما إحسان العبد الصدقة وصفة كمالها، فان يخرجها بانشراح صدر ومن أطيب ماله، والمسارعة فيها خوف الحوادث، وعدم التكبر في رؤيتها وعدم استعظامها إلى غير ذلك من الأحاديث التي ذكرت في سياق المصنف والمراد بتركته أولاده، ومعنى إحسان الله الخلافة فيهم أن يخلفه في أولاده وعياله بالحفظ لهم والحراسة.

والحديث. قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد من حديث ابن شهاب مرسلاً بإسناد صحيح، وأسنده الخطيب في أسماء من روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه اهـ.

قلت: ابن شهاب هو الزهري، وقد رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريقه عن أنس كذا قاله الحافظ السيوطي في الجامع الكبير.

(**وقال ﷺ « كل امرىء في ظل صدقته يوم القيامة**) أي حين تدنو الشمس من الرؤوس (**حتى يقضى بين الناس »**) قال العراقي: رواه ابن حبان، والحاكم وصححه على شرط مسلم من حديث عقبة بن عامر اهـ.

قلت: ولفظ الحاكم حتى يفصل، وأقر الذهبي على تصحيحه، وقال في المذهب: اسناده قوي،

وقال ﷺ : « صدقة السر تطفىء غضب الرب عز وجل ». وقال ﷺ : « ما الذي

وقد رواه أحمد أيضاً ورجاله ثقات قاله الهيثمي. ومعنى الحديث أن المتصدق يكفى المخاوف ويصير في كنف الله وستره. يقال: أنا في ظل فلان أي في ذراه وحماه، أو المراد الحقيقة بأن تجسد الصدقة فيصير لها ظل بخلق الله وإيجاده، كما قيل في نظائره من ذبح الموت ووزن الأعمال. وقال بعض السلف. لا يأتي علي يوم إلا أتصدق ولو ببصلة أو لقمة.

وفي الطبراني في الكبير من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً بلفظ « إن الصدقة لتطفىء عن أهلها حر القبور وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته ». وفي اسناده ابن لهيعة.

(وقال ﷺ « الصدقة تسد سبعين باباً من الشر ») كذا في النسخ، وفي بعضها من السوء.

قال العراقي: رواه ابن المبارك في البر من حديث أنس بسند ضعيف « إن الله ليدرأ بالصدقة سبعين باباً من ميتة السوء » اهـ.

قلت: قد رواه الطبراني في الكبير عن رافع بن خديج بلفظ المصنف، وهكذا في نسخ المعجم من السوء، وفي بعضها من الشر. قال الهيثمي: فيه حماد بن شعيب وهو ضعيف.

وأورد الخطيب في تاريخه في ترجمة الحرث الهمداني عن أنس رفعه « الصدقة تمنع سبعين باباً من أنواع البلاء أهونها الجذام والبرص » والحرث هو ابن النعمان ضعيف.

وروى القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة « الصدقة تمنع ميتة السوء » قال العامري: صحيح ورد بأن فيه من لايعرف كذا قال الحافظ ابن حجر، والمراد بميتة السوء سوء الخاتمة ووخامة العاقبة أعاذنا الله منها وسائر المسلمين.

(وقال ﷺ : « صدقة السر تطفىء غضب الرب عز وجل ») وهذا قد تقدم الكلام عليه في الفصل الثاني وأنه رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري، وروى الترمذي عن أنس بن مالك مرفوعاً « ان الصدقة لتطفىء غضب الرب وتدفع عن ميتة السوء » وقال: حسن غريب.

قال في الشريعة: فهذا من آثار الصدقة الدفع وإطفاء نار الغضب فإن الله يغضب يوم القيامة غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله على الوجه الذي يليق بجلاله، فإن الغضب الذي خاطبنا به معلوم بلا شك، ولكن نسبته إلى الله مجهولة لا أن الغضب مجهول أو يحمل على ما ينتجه في الغاضب، أو يحمل على معنى آخر لا نعلمه نحن إذ لو كان ذلك لخوطبنا بما لا نفهم فلا يكون له أثر فينا ولا يكون موعظة، فإن المقصود الإفهام بما يعلم ولكن إنما جهلنا النسبة خاصة لجهلنا بالمنسوب إليه لا بالمنسوب فاعلم ذلك.

وقد جرى لبعض شيوخنا من أهل المزية بالمغرب الأقصى أن السلطان رفع إليه في حقه أمور

أعطى من سعة بأفضل أجراً من الذي يقبل من حاجة » ولعل المراد به الذي يقصد من

يجب قتله بها ، فامر بإحضاره مقيداً ونادى في الناس أن يحضروا بأجمعهم حتى يسألهم عنه ، وكان الناس على كلمة واحدة في قتله والقول بكفره وزندقته فمر الشيخ في طريقه بجتاز فقال له : أقرضني نصف قرصة فأقرضه فتصدق بها على شخص عابد ، ثم حمل وأجلس في ذلك الجمع العظيم والحاكم قد عزم إن شهد الناس فيه بما ذكر عنه أنه يقتل شر قتلة ، وكان الحاكم من أبغض الناس فيه ، فقال : يا أهل البلد هذا فلان ما تقولون فيه ؟ فنطق الكل بلسان واحد انه عدل رضا ، فتعجب الحاكم فقال له الشيخ : لا تعجب فما هذه المسألة بعيدة أي أعظم غضبك أو غضب الله وغضب النار ؟ قال : غضب الله وغضب النار قال : وأي وقاية أعظم وزناً وقدراً نصف قرصة أو نصف تمرة ؟ قال : نصف قرصة . قال دفعت غضبك وغضب هذا الجمع بنصف قرصة لما سمعت النبي ﷺ يقول « اتقوا النار ولو بشق تمرة » وقال : « إن الصدقة لتطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء » وقد فعل الله ذلك دفع عني شركم وميتة السوء بنصف رغيف مع حقارتكم وعظم صدقتي ، فإن صدقتي أعظم من شق تمرة ، وهول غضبكم أقل من غضب النار وغضب الرب ، فتعجب الحاضرون من قوة إيمانه ، وأسوأ الموتات أن يموت الإنسان على حالة تؤديه إلى الشقاء ولا يغضب الله إلا على شقي ، فانظر أثر الصدقة كيف أثرت في غضب وفي أسوأ الموتات وفي سلطان جهنم ، فالمتصدق على نفسه عند الغضب ليس إلا بأن يملكها عند ذلك فإن ملكه إياها عند الغضب صدقة عليها من حيث لا يشعر ، قال ﷺ : « ليس الشديد بالصرعة فإنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب فإن الغضب نار محرقة » فهذا من صدقة الإنسان على نفسه اهـ .

(وقال ﷺ « ما المعطي من سعة بأفضل أجراً من الذي يقبل من حاجة ») أي بأن كان عاجزاً غير مكتسب وخاف هلاكه وضياع من يعول فإنه حينئذ مأجور على القبول بل والسؤال ولا يربو أجر المعطي على أجره ، بل قد يكون السؤال واجباً لشدة الضرورة فيزيد أجره على أجر المعطي ، والحديث رواه صاحب القوت ، عن عائذ بن شريح عن أنس .

قال العراقي : رواه ابن حبان في الضعفاء ، والطبراني في الأوسط من حديث أنس ، ورواه في الكبير من حديث ابن عمر بسند ضعيف اهـ .

قلت : وكذا رواه أبو نعيم في الحلية ولفظه ولفظ الطبراني في الاوسط ، وكذا لفظ ابن حبان « ما الذي يعطي بأعظم أجراً من الذي يقبل إذا كان محتاجاً » وفي مسند الطبراني فقال قال الهيثمي فيه عائذ بن شريح صاحب أنس وهو ضعيف ، وقال الذهبي في الميزان قال أبو حاتم في حديثه ضعف ، وقال ابن طاهر : ليس بشيء وفيه أيضاً يوسف بن أسباط متروك وهذان أيضاً في مسند أبي نعيم ، وأما لفظ الطبراني في الكبير الذي أشار إليه العراقي « ما المعطي من سعة بأفضل من الآخذ إذا كان محتاجاً » وقوله بسند ضعيف أي فيه مصعب بن سعيد وهو ضعيف قاله الهيثمي .

دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساوياً للمعطي الذي يقصد بإعطائه عمارة دينه. وسئل رسول الله ﷺ: أيّ الصدقة أفضل؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان

ثم قال المصنف: **(ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين)** كالاشتغال بالعلم وبذكر الله **(فيكون مساوياً للمعطي الذي يقصد بإعطائه عمارة دينه)** وكذا إذا قصد من دفع حاجته زوال الهلاك عن نفسه أو عمن يعوله، فحينئذ أيضاً يكون مساوياً للمعطي في الأجر وفي الحديث: فضل الفقر والصبر عليه على الغنى.

(وسئل رسول الله ﷺ: أي الصدقة أفضل) أجراً **(وقال «أن تصدق)** بتخفيف الصاد وحذف إحدى التاءين أو بإبدال احدى التاءين صاداً **(وأنت صحيح)** أي في جسمك **(شحيح)** أي بخيل بمالك **(تأمل البقاء وتخشى الفاقة)** أي ترجو أن تعيش في الدنيا وتخشى الفقر لمجاهدة النفس حينئذ على إخراج المال مع قيام المانع وهو الشح إذ فيه دلالة على صحة القصد وقوّة الرغبة في القربة **(ولا تمهل)** بالجزم على النهي أو بالنصب عطفاً على تصدق أو بالرفع وهو الرواية **(حتى إذا بلغت)** الروح أي قاربت **(الحلقوم)** بضم الحاء المهملة مجرى النفس عند الغرغرة **(قلت لفلان كذا ولفلان كذا)** كناية عن الموصى له والموصى به فيهما **(وقد كان لفلان»)** أي وقد صار ما أوصى به للوارث فيطلبه إن شاء إذا زاد على الثلث أو أوصى به لوارث آخر والمعنى تصدق في حال صحتك واختصاص المال بك وشح نفسك بأن تقول لا تتلف مالك كيلا تصير فقيراً إلا في حال سقمك وسياق موتك لأن المال حينئذ خرج منك وتعلق بغيرك.

قال العراقي: أخرجاه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وأخرجه أحمد، وأبو داود والنسائي كذلك إلا أن في سياقهم تفاوتاً.

فلفظ مسلم: «أي الصدقة أعظم؟ فقال: أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان لفلان» وفي لفظ آخر: «أي الصدقة أعظم أجراً قال: أما وأبيك لتنبأنه أن تصدق وأنت شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان» وفي رواية «أي الصدقة أفضل» تفرد مسلم بقوله: أما وأبيك لتنبأنه، وبقوله وتأمل البقاء.

وفي بعض طرق البخاري «وأنت صحيح حريص» ذكره في الوصايا وبه يظهر لك أن السياق الذي ساقه المصنف ملفق من روايات.

وفي كتاب الشريعة: إن من عباد الله من يكشف له فيما بيده من الرزق وهو ملك له أنه لفلان ولفلان ويرى أسماء أصحابه عليه ولكن على يده، فإذا أعطى من هذه صفته صدقة هل تكتب له

كذا وقد كان لفلان». وقد قال ﷺ يوماً لأصحابه: «تصدقوا. فقال رجل: إن عندي ديناراً، فقال: أنفقه على نفسك. فقال: إن عندي آخر. قال: أنفقه على زوجك. قال: إن عندي آخر. قال: أنفقه على ولدك. قال: إن عندي آخر. قال: أنفقه على خادمك. قال: إن عندي آخر. قال ﷺ: أنت أبصر به». وقال ﷺ: «لا

صدقة؟ قلنا: نعم تكتب له صدقة من حيث ما نسب الله الملك له، وإن كوشف فلا يضره ذلك الكشف، ألا ترى المحتضر قد أزيل عنه اسم الملك وحجر عليه التصرف فيه، وما أبيح له منه إلا الثلث وما فوق ذلك فلا يسمع له فيه كلام لأنه يتكلم فيما لا يملك. وأعلم أن النفس قد جبلت على الشح والإنسان خلق فقيراً محتاجاً وحاجته بين عينيه والشيطان يعده ويمنيه فلا يغلب نفسه ولا الشيطان إلا الشديد بالتوفيق الإلهي، فلو لم يأمل البقاء وتيقن الفراق لهان عليه إعطاء المال لأنه مأخوذ عنه بالقهر شاء أم أبى، فمن طمع النفس أن تجود في تلك الحالة لعل يحصل بذلك في موضع آخر قدر ما فارقته كل ذلك من حرصها فلم تجد مثل هذه النفس عن كرم ولا وقاها الله شحها، فينبغي لمن لم يقه الله شح نفسه، وقد وصل إلى بلوغ الروح الحلقوم وارتفع عنه في تعيينه لفلان طائفة من ماله أن يكون ذلك صدقة فليجعل في نفسه عند تعيينه أنه مؤدٍّ أمانة وان ذلك وقتها في علم الله فيحشر مع الأخلاء المؤدين أمانتهم لا مع المتصدقين ولا يخطر له خاطر الصدقة ببال إن أراد أن ينصح نفسه، والله أعلم.

(وقال ﷺ لأصحابه يوماً «تصدقوا فقال رجل: إن عندي ديناراً. فقال: أنفقه على نفسك، فقال: إن عندي آخر قال: أنفقه على زوجك، فقال: إن عندي آخر قال: أنفقه على ولدك. قال: إن عندي آخر قال: أنفقه على خادمك. قال: إن عندي آخر قال أنت أبصر به»).

قال العراقي رواه أبو داود الخ. والنسائي واللفظ له، وابن حبان، والحاكم من حديث أبي هريرة، وقد تقدم قبل بيسير اهـ.

قلت: تقدم في أول الباب وفيه تقديم نفقة الولد على نفقة الزوجة وهنا بعكسه، وتقدم الكلام عليه.

وأخرج مسلم من حديث الليث عن ابن الزبير عن جابر مرفوعاً «ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلأهلك فإن فضل عن أهلك فلذي قرابتك فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا يقول بين يديك وعن يمينك وعن شمالك». وهكذا أخرجه النسائي أيضاً والاعتبار في ذلك أن أقرب أهل الرجل إليه نفسه، فهو أولى بما يتصدق به من غيرها بالصدقة التي تليق بها ثم جوارحه ثم الأقرب إليه بعد ذلك من زوج وولد وخادم. وقال أهل البصائر: وتلميذ وطالب حكمة أو فائدة إذا تحقق العارف به حتى كان كله نوراً وكان الحق سمعه وبصره وجميع قواه، وكان حقاً كله فمن كان من أهل الله فإنه أهل هذا الشخص بلا شك كما ورد

تحل الصدقة لآل محمد إنما هي أوساخ الناس». وقال: «ردوا مذمة السائل ولو بمثل

أهل القرآن أهل الله وخاصته، كذلك من هم أهل الله وخاصته هم أهل هذا الشخص لأنه حق كله ولهذا قال عليه السلام «واجعلني كلي نوراً» لما رأى أن الحق سمى نفسه نوراً، والمتصدق على أهل الله هو المتصدق على أهله إذا كان المتصدق بهذه المثابة.

قال الشيخ قدس سره: دخلت على شيخنا أبي العباس، وأردنا أو أراد أحد إعطاء معروف، فقال له شخص الأقربون أولى بالمعروف، فقال الشيخ: إلى الله فما أبردها على الكبد، فلا ينبغي أن يأكل نعم الله إلا أهل الله وهم المقصودون بالنعم، ومن عداهم إنما يأكلها بحكم التبعية بالمجموع، ومن حيث التفصيل فما منه جزء فرد إلا هو مسبح لله وهو من أهل الله، وهذه المسألة من أغمض المسائل والله أعلم.

وقال النووي في الروضة: وصرفها إلى الأقارب والجيران أفضل، والأولى أن يبدأ بذي الرحم المحرم كالأخوة والأخوات والأعمام والعمات، والأخوال، ويقدم الأقرب فالأقرب، وقد ألحق الزوج والزوجة بهؤلاء ثم بذي الرحم غير المحرم كأولاد العم والخال، ثم المحرم بالرضاع ثم بالمصاهرة ثم المولى من أعلى وأسفل ثم الجار، فإذا كان القريب بعيد الدار في البلد قدم على الجار الأجنبي، فإن كان الأقارب خارجين عن البلد قدم الأجنبي وإلا فالقريب، وكذا أهل البادية فحيث كان القريب والأجنبي الجار بحيث يجوز الصرف إليهما قدم القريب اهـ.

(وقال ﷺ: «لا تحل الصدقة لآل محمد إنما هي أوساخ الناس») قال العراقي: رواه مسلم من حديث المطلب بن ربيعة اهـ.

قلت: ورواه أحمد والطحاوي كذلك، ولفظ مسلم من طريق مالك عن الزهري، أن عبد الله ابن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب، حدثه أن عبد المطلب بن الحرث بن ربيعة حدثه قال: اجتمع ربيعة بن الحرث والعباس بن عبد المطلب فقالا: والله لو بعثنا هذين الغلامين قال لي وللفضل بن العباس إلى رسول الله ﷺ فكلماه فامرهما على هذه الصدقة فأديا ما يؤدي الناس وأصابا مما يصيب الناس قال: فبينما هما على ذلك جاء علي بن أبي طالب فوقف عليهما فذكرا له ذلك. فقال علي: لا تفعلا فوالله ما هو بفاعل، فانتحاه ربيعة بن الحرث فقال: والله ما تصنع هذا إلا نفاسة منك علينا، فوالله لقد نلت صهر رسول الله ﷺ فما نفسناه عليك. قال علي: أرسلوهما فانطلقا واضطجع علي. قال: فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر سبقناه إلى الحجرة فقمنا عندها حتى جاء فأخذ بآذاننا، ثم قال أخرجا ما تصرران، ثم دخل ودخلنا عليه وهو يومئذ عند زينب ابنة جحش. قال: فتواكلنا ثم تكلم أحدنا، فقال: يا رسول الله أنت أبر الناس وأوصل الناس، وقد بلغنا النكاح فجئنا لتؤمرنا على بعض هذه الصدقات فنؤدي إليك كما يؤدي الناس ونصيب ما يصيبنا. قال: فسكت طويلاً حتى أردنا أن نكلمه قال: وجعلت زينب تلمع إلينا من وراء الحجاب أن لا تكلماه. قال: ثم قال: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس،

أدعوا لي محمأة » وكان على الخمس ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب فجاءا لـه، فقـال لمحمأة: انكـح هذا الغلام ابنتك للفضل بن عباس فانكحه، وقال لنوفل بن الحرث: انكح هذا الغلام لي فأنكحني، وقال لمحمأة: أصدق عنهما من الخمس كذا وكذا. قال الزهري: ولم يسمه لي.

في طريق أخرى لمسلم: « فالقى على رداءه ثم اضطجع عليه فقال: أنا أبو حسن القوم والله لا أريم مكاني حتى يرجع إليكما ابناؤكما بخبر ما بعثما به إلى رسول الله ﷺ، ثم قال لنا: إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس وأنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد، وفيه: ثم قال رسول الله ﷺ: ادعوا لي محمأة بن جزء وهو رجل من بني أسد كان رسول الله ﷺ يستعمله على الأخماس ».

ولم يخرج البخاري هذا الحديث ولا أخرج عن عبد المطلب بن ربيعة في كتابه شيئاً، وقد أخرج تحريم الصدقة على آل محمد من حديث أبي هريرة.

وأخرجه الطحاوي من طريق جريرة بن أسماء، عن مالك، عن الزهري كسياق مسلم الأول سواء.

وأخرج الترمذي، والنسائي، والحاكم، والطحاوي عن أبي رافع مولى النبي ﷺ: « ان الصدقة لا تحل لنا وان مولى القوم منهم ».

تنبيه:

لفظ المصنف: « لا تحل » وارد عند مسلم في بعض طرقه كما عرفت، وفي بعضها « لا تنبغي » واستعمالها صالح للكراهة والتحريم باعتبار قيام القرينة وهو هنا للتحريم والقرينة محكمة، ويؤيده رواية « لا تحل » وهي صريحة. والمراد بالصدقة المعرفة بالألف واللام المعهودة وهي الزكاة، ونبه على أن علة التحريم الكراهة، بقوله: « إنما هي أوساخ الناس » لأنها تطهر أدرانهم فهي كغسالة الأوساخ، فهي محرمة عليهم بعمل أو غيره، حتى من بعضهم لبعض وفيه خلاف أبي حنيفة وقد تقدم.

قال الطيبي: وقد اجتمع في هذا التركيب مبالغات شتى حيث جعل المشبه به أوساخ الناس للتهجين والتقبيح تنفيراً واستقذاراً وجل حضرة الرسالة أن ينسب إلى ذلك، ولذلك جرد من نفسه الطاهرة من أن يسمى محمداً كأنه غيره وهو هو.

قلت: ولكن في رواية لمسلم التي ذكرناها « لا تحل لمحمد ولا لآل محمد » ففيه تصريح بذكر اسمه الشريف، وسأل بعض الآل عمر أو غيره جملاً من الصدقة فقال: أتحب أن رجلاً بادناً في يوم حار غسل ما تحت رفغه فشربته فغضب وقال: أتقول لي هذا؟ قال: إنما هي أوساخ الناس يغسلونها. فإن قلت: فقد أصدق النبي ﷺ عن الفضل والمطلب من الخمس وحكمه حكم الصدقات. قلت: قد يجوز أن يكون ذلك من سهم ذوي القربي في الخمس وذلك خارج من الصدقات المحرمة عليهم لأنه إنما حرم عليهم أوساخ الناس والخمس ليس كذلك.

رأس الطائر من الطعام». وقال ﷺ: «لو صدق السائل ما أفلح من رده». وقال عيسى عليه السلام: من ردّ سائلاً خائباً من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة

(وقال ﷺ: «ردوا مذمة السائل) بفتح الميم والذال المعجمة فيها الوجهان الفتح والكسر أي ما تذمون به على إضاعته **(ولو بمثل رأس الطائر من الطعام»)** أي ولو بشيء قليل جداً مما ينتفع به والأمر للندب.

قال العراقي: رواه العقيلي في الضعفاء عن عائشة اهـ.

قلت: وفي بعض رواياته «ولو بمثل رأس الذباب».

وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات وقال: لا يصح والمتهم به إسحاق بن نجيح، قال أحمد: هو من أكذب الناس، وقال يحي: كان يضع، وقال الذهبي: آفته من عثمان الوقاصي.

وأخرج ابن أبي شيبة، عن ابن علية، عن خباب بن المختار، عن عمرو بن سعيد أن سائلاً سأل حميد بن عبد الرحمن فساق الحديث وفيه فقال حميد كان يقال: «ردوا السائل ولو بمثل رأس القطاة».

(وقال ﷺ: «لو صدق السائل ما أفلح من رده»).

قال العراقي: رواه العقيلي في الضعفاء، وابن عبد البر في التمهيد من حديث عائشة. قال العقيلي: لا يصح في هذا الباب شيء، وللطبراني نحوه من حديث أبي أمامة بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه العقيلي أيضاً من حديث ابن عمرو، وفي الاستذكار لابن عبد البر روي من جهة جعفر بن محمد عن أبيه عن جده به مرفوعاً، ومن جهة يزيد بن رومان، عن عروة عن عائشة مرفوعاً أيضاً بلفظ: «لولا أن السؤال يكذبون ما أفلح من ردهم، وحديث عائشة عند القضاعي بلفظ: «ما قدس» بدل «ما أفلح». قال ابن عبد البر: وأسانيدها ليست بالقوية.

قال الحافظ السخاوي: وسبقه ابن المديني فأدرجه في خمسة أحاديث قال إنه لا أصل لها، ثم نقل عن العقيلي ما تقدم أنه لا يصح في هذا الباب شيء.

قلت: هكذا ذكره الذهبي في الميزان عنه، وأما قوله: وللطبراني نحوه الخ فلفظه: «لولا أن المساكين يكذبون ما أفلح من ردهم» وفيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف قاله الهيثمي. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، ونازعه الحافظ السيوطي في اللآلىء المصنوعة، والمعنى: لو صدق السائل في صدق ضرورته وحاجته لما حصل الفلاح والتقديس لراده. وفي الرواية الثانية تخفيف أمر الرد وعدم الجزم بوقوع التهديد لاحتمال أمرهم كذباً وصدقاً، وذلك أن بعضهم جعل المسألة حرفة. سمعت عائشة رضي الله عنها سائلاً يقول: من يعشني أطعمه الله من ثمار الجنة فعشته فخرج فإذا هو ينادي من يعشني فقالت: هذا تاجر لا مسكين.

(وقال عيسى عليه السلام: من رد سائلاً خائباً) أي من غير شيء ولو قليلاً **(لم تغش**

أيام، وكان نبينا ﷺ لا يكل خصلتين إلى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده. وقال ﷺ: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان إنما المسكين المتعفف اقرؤوا إن شئتم ﴿لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلحافاً﴾

الملائكة) أي لم تدخل **(ذلك البيت سبعة أيام)** أي ملائكة الرحمة لأن تخييب السائل فيه خطر عظيم، فقد روى أحمد والبخاري في التاريخ والنسائي من حديث حواء بنت السكن رضي الله عنها رفعته: «ردوا السائل ولو بظلف محرق» يعني لا تردوه رد حرمان بلا شيء ولو أنه ظلف ففيه مبالغة وتحذير عن الرد.

(وكان نبينا ﷺ لا يكل خصلتين إلى غيره) أي لا يستعين بأحد فيهما **(كان يضع طهوره)** أي الماء الذي يتوضأ به **(بالليل)** عند قيامه **(ويخمره)** أي يغطيه بيده، **(وكان يناول المسكين)** الفقير من الصدقة **(بيده)** ليكون أوفر ثواباً وأكثر أجراً.

قال العراقي: رواه الدارقطني من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك في البر مرسلاً اهـ.

قلت: ورواه ابن ماجه من حديث ابن عباس، وأعله الحافظ مغلطاي في شرح ابن ماجه بأن فيه علقمة بن أبي جرة وهو مجهول، ومطهر بن الهيثم متروك ولفظه: «كان لا يكل طهوره إلى أحد ولا صدقته التي يتصدق بها بل يكون هو الذي يتولاها بنفسه». والظاهر أن المراد بالجملة أنه كان لا يستعين بأحد في الوضوء حيث لا عذر، وأما في إحضاره الماء فلا بأس، وكل من الأمرين سنة لأنه أقرب إلى التواضع ومحاسن الأخلاق. أما الأول: فمن أمور البيت، وقد روى أحمد من حديث عائشة: «كان ﷺ يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم». وأما مناولة المسكين إن لم يمكنه فبواسطة ويثاب الواسطة بمناولته إياه، ولعل النبي ﷺ كان يختص به لأنه أقرب إلى التواضع أو أن غيره ربما يضعها في غير موضعها اللائق بها.

وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن موسى بن عبيدة، عن عباس بن عبد الرحمن المدني قال: خصلتان لم يكن النبي ﷺ يكلهما إلى أحد من أهله: «كان يناول المسكين بيده ويضع الطهور لنفسه».

وعن وكيع عن أبي المنهال قال رأيت علي بن الحسين له جمة وعليه ملحفة ورأيته يناول المسكين بيده.

قلت: ومما كان ﷺ يفعل بيده ولا يوكل فيه أحداً ذبح الأضحية، فقد روى أحمد من حديث عائشة «كان يذبح أضحيته بيده».

(وقال ﷺ: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان إنما المسكين المتعفف اقرؤوا إن شئتم. ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾) [البقرة: ٢٧٣] قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة.

[البقرة: ٢٧٣] . وقال ﷺ: « ما من مسلم يكسو مسلماً إلا كان في حفظ الله عز وجل ما دامت عليه منه رقعة ».

الآثار: قال عروة بن الزبير: لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين ألفاً إن

قلت: هكذا قال من حديث عائشة والذي في الصحيحين من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري في كتاب الزكاة من طريق شعبة عن محمد بن زياد، سمعت أبا هريرة، عن النبي ﷺ فساقه. وسياق المصنف أقرب إلى سياق مسلم بل هو هو، فإنه قال عن أبي هريرة مرفوعاً: « ليس المسكين بالذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان إن المسكين المتعفف اقرؤوا إن شئتم ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾.

وفي لفظ آخر له: « ليس المسكين بهذا الطواف الذي يطوف على الناس فترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان. قالوا فما المسكين يا رسول الله؟ قال الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يسأل الناس شيئاً ».

ولفظ البخاري: « ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان ولكن المسكين الذي ليس له غنى ويستحي أو لا يسأل الناس إلحافاً ».

وأخرجه مالك، وأحمد وأبو داود والنسائي، والطحاوي كلهم من حديث أبي هريرة، فألفاظه متقاربة بعضها من بعض.

(**وقال ﷺ: « ما من مسلم يكسو مسلماً إلا كان في حفظ الله عز وجل ما دامت عليه منه رقعة »**). قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه، والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن عباس، وفيه خالد بن طهمان ضعيف اهـ.

قلت: رواه الترمذي في أثناء أبواب الحوض، وقال: حسن غريب، ومن طريقه الحاكم وصححه بلفظ: « ما من مسلم كسا مسلماً ثوباً إلا كان في حفظ من الله تعالى ما دام عليه منه خرقة ».

وعند أبي الشيخ في كتاب الثواب عن ابن عباس: « من كسا مسلماً ثوباً لم يزل في ستر الله ما دام عليه منه خيط أو سلك ». وعند ابن النجار بلفظ: « من كسا مسلماً ثوباً كان في حفظ من الله ما بقي عليه منه خرقة ».

قال الطيبي: وإنما لم يقل في حفظ الله ليدل على نوع من تفخيم وشيوع هذا في الدنيا وأما في الآخرة فلا حصر ولا عد لثوابه وكلامه، واحتج بهذا الحديث في تفضيل الغنى على الفقر لأن النفع والإحسان صفة الله وهو يحب من اتصف بشيء من صفاته فصفته الغني الجواد فيحب الغني الجواد، وأما خالد بن طهمان أبو العلاء فهو صدوق لكنه شيعي وضعفه ابن معين وقال خلط قبل موته، ولما فرغ من ذكر الأخبار المسندة في فضيلة الصدقة شرع في الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين ومن دونهم فقال:

درعها لمرقع. وقال مجاهد في قول الله عز وجل: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيتيماً وأسيراً﴾ [الإنسان: ٨] فقال: وهم يشتهونه. وكان عمر رضي الله عنه يقول: اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوي الحاجة منا. وقال عبد العزيز بن عمير: الصلاة تبلغك نصف الطريق، والصوم يبلغك باب الملك، والصدقة تدخلك عليه. وقال ابن أبي الجعد: إن الصدقة لتدفع سبعين باباً من السوء وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفاً وإنها لتفك لحي سبعين شيطاناً، وقال ابن مسعود: إن رجلاً عبد الله

الآثار: أي الدالة على فضيلة الصدقة. (**قال عروة بن الزبير**) أبو عبدالله: كان فقيهاً عالماً كثير الحديث روى عن أبويه وخاليه وعلي وعنه أولاده والزهري مات وهو صائم، (**لقد تصدقت عائشة**) رضي الله عنها للفقراء (**بخمسين ألفاً**) درهماً (**وأن درعها**) أي خمارها (**لمرقع**) أي قديم فيه رقع. (**وقال مجاهد**) التابعي الجليل (**في**) تفسير (**قول الله عز وجل: ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾**) أي لأجل حب الله عز وجل (**﴿مسكيناً**) ويتيماً وأسيراً﴾ [الإنسان: ٨] (**فقال: وهم يشتهونه**) أي الطعام أي ينفقون من أحب الأشياء إليهم وهذا من باب الإيثار. (**وكان عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه يقول**) في دعائه: (**اللهم اجعل الفضل**) أي زيادة المال عن الحاجة (**عند خيارنا لعلهم يعودون**) بالبذل منه (**على أولي الحاجة**) والافتقار (**منا**) أي من المسلمين، والخيار إذا زاد عندهم مما لا يحتاجون بذلوا للفقراء والمساكين. (**وقال عبد العزيز بن عمير**) هكذا هو بالتصغير في سائر نسخ الكتاب، وفي بعضها عبد العزيز بن عمر، وهو حفيد عمر بن عبد العزيز الخليفة، روى عن أبيه، ومجاهد. وعنه القطان، وأبو نعيم ثقة توفي قبل الخمسين ومائة وروى له الجماعة: (**الصلاة تبلغك نصف الطريق، والصوم يبلغك باب الملك، والصدقة تدخلك عليه**) وكل من الثلاثة لا بد للسالك منها.

(**وقال ابن أبي الجعد**) سالم الأشجعي مولاهم الكوفي واسم أبيه رافع، روى عن عمر وعائشة مرسلا. وعن ابن عباس. وابن عمر، وعنه منصور الأعمش توفي سنة مائة وواحد: (**إن الصدقة لتدفع سبعين باباً من السوء وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفاً وأنها لتفك لحي سبعين شيطاناً**). الجملة الأولى: رواها الطبراني في الكبير عن رافع بن خديج مرفوعاً بلفظ: « إن الصدقة تدفع سبعين باباً من السوء » وقد تقدم قريباً. وروى الخطيب عن أنس « الصدقة تمنع سبعين نوعاً من أنواع البلاء » والجملة الثانية ففي القوت، وفي الخبر: « صدقة السر تفضل على صدقة العلانية سبعين ضعفاً ». ولحي مثنى لحي [1] بالكسر وهو عظم الحنك وهو الذي ينبت عليه الشعر.

(**وقال**) عبدالله (**بن مسعود**) رضي الله عنه: (**إن رجلاً**) فيما مضى من الزمان

---

(١) هكذا هو بالنسخ ومقتضى عبارة القاموس أن يكون بالفتح اهـ. مصححه.

سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله، ثم مرَّ بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة. وقال لقمان لابنه: إذا أخطأت خطيئة فأعط الصدقة. وقال يحي بن معاذ: ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة. وقال عبد العزيز بن أبي روّاد: كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة: كتمان المرض، وكتمان الصدقة، وكتمان المصائب. وروي مسنداً. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن

(عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله فمر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة)، وظهر مصداق قوله ﷺ: « إن الصدقة لتطفىء غضب الرب كما يطفىء الماء النار » وهذا من جملة آثار الصدقة المقبولة، ويقرب من ذلك ما أخرجه ابن عساكر في التاريخ عن أبي هريرة قال: كان فيمن قبلكم رجل يأتي وكر طائر إذا أفرخ فيأخذ فرخه فشكا ذلك الطير إلى الله عز وجل ما يصنع ذلك الرجل، فأوحى الله إن هو عاد فسأهلكه، فلما فرخ خرج ذلك الرجل كما كان يخرج وأسند سلماً، فلما كان في طريق القرية لقيه سائل فأعطاه رغيفاً من زاده ومضى حتى أتى ذلك الوكر فوضع سلمه فتسور فأخذ الفرخين وأبواهما ينظران فقالا يا رب: إنك وعدتنا أن تهلكه إن عاد وقد عاد فأخذهما ولم تهلكه، فأوحى الله إليهما أو لم تعلما أني لا أهلك أحداً تصدق بصدقة ذلك اليوم بميتة سوء. أورده السيوطي في الجامع الكبير، وبه يظهر مصداق قوله ﷺ: « إن الصدقة تمنع ميتة السوء » وقد تقدم شيء من ذلك قريباً.

(وقال لقمان لابنه) يعظه: يا بني **(إذا أخطأت خطيئة فأعط الصدقة)** أي فإنها تمحوها وتغطي عليها.

وروى الديلمي عن أنس رفعه « الصدقات بالغدوات يذهبن العاهات ».

وروى أبو نعيم في الحلية عن علي « الصدقة على وجهها تحول الشقاء سعادة وتزيد في العمر وتقي مصارع السوء ».

(وقال يحي بن معاذ) الرازي من رجال الحلية: **(ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة)** أي فإنها تقع في كف الرحمن قبل وقوعها في يد السائل فيربيها له حتى تكون مثل جبل أحد في ميزان عمل المتصدق في يوم القيامة. وقد تقدم ذلك.

(وقال عبد العزيز بن أبي رواد) مولى المهلب بن أبي صفرة، روى عن عكرمة وسالم. وعنه ابنه عبد المجيد والقطان وخلاد بن يحي ثقة عابد توفي سنة ١٥٩. **(كان يقال: ثلاثة من كنوز الجنة أو من كنوز البر: كتمان المرض وكتمان الصدقة وكتمان المصائب)** وتقدم له قريباً بلفظ: « ثلاثة من كنوز البر منها كتمان الصدقة ». وعزاه لبعض العلماء فالمراد به هو عبد العزيز هذا، **(و)** قد **(روي)** ذلك **(مسنداً)** مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

الأعمال تباهت فقالت الصدقة: أنا أفضلكن. وكان عبدالله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول: سمعت الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] والله يعلم أني أحب السكر. وقال النخعي: إذا كان الشيء لله عز وجل لا يسرني أن يكون فيه عيب. وقال عبيد بن عمير: يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأعطش ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط، فمن أطعم لله عز وجل أشبعه الله، ومن سقى لله عز

أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا القاضي أبو أحمد، وعبد الرحمن بن محمد المذكر، وأبو محمد بن حبان في جماعة: قالوا: حدثنا الحسن بن هارون، حدثنا محمد بن بكار، حدثنا زافر بن سليمان، عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من كنوز البر كتمان المصائب والأمراض، والصدقة». قال: غريب من حديث نافع وعبد العزيز تفرد به عنه زافر.

(**وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الأعمال تباهت**) أي تفاخرت (**فقالت الصدقة: أنا أفضلكن**) أي لوقوعها في يد الرحمن قبل يد السائل وكف الآخذ فيها نائب عن كف الرحمن وهـذا لا يوجد في غيرها من الأعمال.

(**وكان عبد الله بن عمر**) بن الخطاب رضي الله عنهما (**يتصدق بالسكر**) على الفقراء (**ويقول**) في تأويل ذلك: (**سمعت الله عز وجل يقول**) في كتابه العزيز ﴿**لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**﴾ [**آل عمران: ٩٢**] **والله يعلم أني أحب السكر**) وليس المراد به السكر المعروف فيما يظهر إذ لم يكن إذ ذاك فاشياً عندهم كثيراً، وإنما المراد به نوع من الرطب شديد الحلاوة. قال أبو حاتم في كتاب النخلة: نخل السكر الواحدة سكرة. وقال الأزهري في كتاب العين التمر نخل السكر وهو معروف عند أهل البحرين فافهم ذلك.

(**وقال**) إبراهيم بن يزيد (**النخعي**) رحمه الله تعالى: (**إذا كان الشيء لله عز وجل**) أي ينفقه لله وفي سبيل الله (**لا يسرني أن يكون فيه عيب**) أي فلا يقدم إلى الله إلا الطيب، والذي فيه عيب أو نقص فهو مردود على صاحبه.

(**وقال عبيد بن عمير**) بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع بن ليث الليثي. ثم الجندعي أبو عاصم المكي قاضي أهل مكة. قال مسلم بن الحجاج: ولد في زمن النبي ﷺ، وقال غيره له رواية وأبوه له صحبة. قال ابن معين، وأبو زرعة: ثقة. وقال العوام بن حوشب: رؤي ابن عمر في حلقة عبيد بن عمير يبكي حتى بل الحصى بدموعه، وكان من أبلغ الناس في الوعظ. روى عن أبي وعمر وطائفة. وعنه ابنه وابن أبي مليكة وعمرو بن دينار وآخرون، وفي الكاشف وذكر ثابت البناني أنه قص على عهد عمر وهذا بعيد. مات سنة ٧٤ قبل ابن عمر روى له الجماعة: (**يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأعطش ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، فمن أطعم لله عز وجل**) في الدينا (**أشبعه الله**) يوم القيامة (**ومن سقى لله عز وجل**)

وجل سقاه الله، ومن كسا لله عز وجل كساه الله. وقال الحسن: لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم، ولكنه ابتلى بعضكم ببعض، وقال الشعبي: من لم يرَ نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه. وقال مالك: لا نرى بأساً بشرب الموسر من الماء الذي يتصدق به ويسقى في المسجد لأنه إنما جعل للعطشان من كان، ولم يرد به أهل الحاجة والمسكنة على الخصوص، ويقال: إن الحسن مرّ به نخّاس ومعه جارية، فقال للنخاس: أترضى ثمنها الدرهم والدرهمين؟ قال: لا. قال: فاذهب فإن الله عز وجل رضي في الحور العين بالفلس واللقمة.

في الدنيا (**سقاه الله**) يوم القيامة، (**ومن كسا لله عز وجل**) في الدنيا (**كساه الله**) يوم القيامة. ومعنى هذا القول قد روي مسنداً أخرجه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس «من كسا ولياً لله ثوباً كساه الله من خضر الجنة ومن أطعمه على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقاه على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة».

وروى أبو الشيخ في الثواب، وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي سعيد «من أطعم مسلماً جائعاً أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة».

وروي الديلمي، عن عبد الله بن جراد رفعه «من أطعم كبداً جائعة أطعمه الله من أطيب طعام الجنة، ومن برد كبداً عطشانة سقاه الله وأرواه من شراب الجنة». وأما حديث من كسا لله فقد تقدم قريباً.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**لو شاء الله لجعلكم**) كلكم (**أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض**) فجعل بعضكم غنياً وبعضكم فقيراً ليبلوكم في حسن سياسة النعمة وصنيعها والتعاون بها على أسباب الآخرة وفي حسن الصبر على فقدها والقناعة بأقلها.

(**وقال**) عامر بن شراحيل (**الشعبي**) رحمه الله تعالى: (**من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة**) التي تصدق بها (**أحوج**) أي أكثر افتقاراً (**من الفقير إلى**) أخذ (**صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه**) أي أبطل ثوابها وما ادخره الله له فالمنة للآخذ أكثر من المعطي.

(**وكان مالك**) بن أنس الإمام رحمه الله تعالى (**لا يرى بأساً بشرب الموسر**) أي الغني (**من الماء الذي يتصدق به**) في سبيل الله (**ويسقى في المسجد**) في يوم الجمعة وغيره (**لأنه إنما جعل للعطشان**) أي (**من كان ولم يرد به أهل الحاجة والمسكنة على الخصوص**). وقد ذكره النووي في الروضة عن بعض الأصحاب في آخر باب الجمعة وتقدمت الإشارة إليه هناك.

(**ويقال إن الحسن**) البصري (**مر به نخاس**) وهو في الأصل لمن ينخس الدابة، ثم قيل ذلك لدلال الدواب خاصة، ثم استعمل فيما هو أعم دلال الرقيق والدواب وغير ذلك، (**ومعه جارية**) للبيع (**فقال للنخاس أترضى ثمنها الدرهم والدرهمين؟ قال: لا. قال: فاذهب**

....

فإن الله عز وجل رضي في الحور العين) نساء أهل الجنة ذكرهن الله تعالى في كتابه في قوله: ﴿وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ ثم قال: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ [الواقعة: ٢٢ ـ ٢٤] **(بالفلس)** يتصدق به على الفقير **(واللقمة)** يطعم بها الجائع، وورد أيضاً لقاطة المائدة مهور الحور العين.

وروى العقيلي في الضعفاء من حديث ابن عمر: « كم من حوراء عيناء ما كان مهرها إلا قبضة من حنطة أو مثلها من تمر » وفيه تنبيه على أن العمل إذا صدر بالإخلاص فإنه وإن كان قليلاً يربو عند الله ويعوضه الله به ما هو أعظم منه بأضعاف مضاعفة، وبهذه المناسبة أورد المصنف ذلك هنا.

ولنختم هذا الباب بفصلين من كتاب الشريعة.

الأول: إن المال يقبل أنواع العطاء، وهو ثمانية أنواع لها ثمانية أسماء، فنوع يسمى الإنعام ونوع يسمى الوهب، ونوع يسمى الصدقة، ونوع يسمى الكرم، ونوع يسمى الهدية، ونوع يسمى الجود، ونوع يسمى السخاء، ونوع يسمى الإيثار. وهذه الأنواع كلها يعطي بها الإنسان ويعطى بسبعة منها الحق، وهي ما عدا الإيثار لأنه غني عن الحاجة، والإيثار إعطاء ما أنت محتاج إليه. إما في الحال وإما بالمآل، وهو أن تعطي مع حصول التوهم في النفس أنك محتاج إليه فتعطيه مع هذا التوهم فيكون عطاؤك إيثاراً، وهذا في حق الحق محال فقد ظهر في الوجود أمر لا ترتبط به حقيقة إلهية.

فنقول: قد قدمنا أن الغنى المطلق إنما هو للحق من حيث ذاته تعرف عن نسبة العالم إليه، فإذا نسبت العالم إليه لم تعتبر الذات فلم تعتبر الغنى، وإنما اعتبرتِ كونها إلهاً فاعتبرت المرتبة، فالذي ينبغي للمرتبة هو ما تسمت به الأسماء وهي الصورة الإلهية لا الذات من حيث عينها، بل من كونها إلهاً ثم أنه أعطاك الصورة وسمّاك بالأسماء كلها على طريق المحمدة فقد أعطاك ما هي المرتبة موقوفة بسببها إليه وهي الأسماء الحسنى، فمن هذه الحقيقة صدر الإيثار في العالم، فالإنعام إعطاء ما هو نعمة في حق المعطي مما يلائم مزاجه ويوافق غرضه، والوهب الإعطاء لينعم خاصة. والهدية الإعطاء لاستجلاب المحبة فإنها عن محبة، والصدقة إعطاء عن شدة وقهر وإباية، فأما في الإنسان لكونه جبل على الشح. فإذا أعطى بهذه المثابة فلا يكون عطاؤه إلا عن قهر منه لما جبلت النفس عليه، وفي حق الحق هذه النسبة حقيقة ما ورد في التردد الإلهي في قبض نسمة المؤمن ولا بدّ له من اللقاء مع التردد كما سبق في العلم من ذلك فهو في حق الحق كأنه وفي حق العبد كأنه أدب إلــهي، ودليل العقل يرمي مثل هذا لقصوره وعدم معرفته بما يستحقه الإله المعبود والحق عرف عباده بهذه الحقيقة التي هو عليها فقبلتها العقول السليمة من حكم أفكارها عليها بصفة القبول التي هي عليها حين ردتها العقول التي تحت حكم أفكارها في ذلك، وهذه هي المعرفة التي طلب منا الشرع أن نعرف بها ربنا ونصفه بها لا المعرفة التي أثبتناه بها. فإن تلك مما

....

يستقل العقل بإدراكها وهي بالنسبة إلى هذه المعرفة نازلة فإنها تثبت بحكم العقل، وهذه تثبت بالإخبار الإلهي وهو بكل وجه أعلم بنفسه منا، والكرم العطاء بعد السؤال حقاً وخلقاً والجود العطاء قبل السؤال حقاً لا خلقاً، فإذا نسب إلى الخلق فمن حيث أنه ما طلب منه الحق هذا الأمر الذي عينه الخلق على التعيين، وإنما طلب منه الحق أن يتطوّع بصدقة وما عين فإذا عين العبد ثوباً أو درهماً أو ديناراً أو ما كان من غير أن يسأل في ذلك فهو الجود خلقاً، وإنما قلنا لا خلقاً في ذلك لأنه لا يعطي على جهة القربة إلا بتعريف إلهي، فلهذا قلنا حقاً لا خلقاً، وإذا لم يعتبر الشرع في ذلك فالعطاء قبل السؤال لا على جهة القربة موجود في العالم بلا شك، ولكن غرض الصوفي أن لا يتصرف إلا في أمر يكون قربة ولا بدّ فلا مندوحة له في مراعاة حكم الشرع في ذلك، والسخاء العطاء على قدر الحاجة من غير مزيد لمصلحة يراها المعطي إذ لو زاد على ذلك ربما كان فيه هلاك المعطى له. **قال تعالى: ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾** [الشورى: ٢٧] والإيثار إعطاء ما أنت محتاج إليه في الوقت أو توهم الحاجة إليه قال تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ [الحشر: ٩] وكل ما ذكرناه من العطاء فأمه الصدقة في حق العبد لكونه مجبولاً على الشح والبخل، كما أن الأم في الأعطيات الإلهية من هذه الأقسام الثمانية إنما هو الوهب وهو الإعطاء لينعم لا لأمر آخر فهو الوهاب على الحقيقة في جميع أنواع عطائه كما هو عليه العبد متصدق في جميع إعطائه لأنه غير مجرد عن الغرض وطلب العوض لفقره الذاتي، فما ينسب إلى الله بحكم العرض ينسب إلى المخلوق بالذات، وما ينسب إلى الحق بالذات كالغنى ينسب إلى المخلوق بالعرض النسبي الإضافي خاصة، قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ [التوبة: ١٠٣] أي ما يشتد عليهم في نفوسهم إعطاؤها، فالصدقة أصل كوني والوهب أصل إلهي، فما فرض الله الزكاة وأوجبها وطهر بها النفوس من الشح والبخل إلا لهذا الأمر المحقق، فالفرض منها أشد على النفوس من صدقة التطوّع للجبر الذي في الفرض، والاختيار الذي في التطوّع والله أعلم.

الثاني: صدقة التطوّع صدقة عبودية اختيار مشوبة بسيادة، وإن لم تكن هكذا وإلاَّ فما هي صدقة تطوع، فإنه أوجبها على نفسه إيجاب الحق الرحمة على نفسه لمن تاب وأصلح من العاملين السوء بجهالة، فهذه ربوبية مشوبة بحكم عليها، فإن الله لا يجب عليه شيء إلا ما أوجبه على نفسه من حيث ما هو موجب، فمن أعطى بهذا الوجوب من هذه المنزلة فلو فرضنا أن هذه المرتبة الإلهية إذا فعلت مثل هذا ما يكون ثوابها ذلك الثواب بعينه يكون للعبد المصدق بالتطوّع، فإنه من ذلك المقام يعطيه الحق إذا كان هذا شربه، وهذه مسألة ما رأيت أحداً قبلي نبه عليها وإن كان قد أدركها، فإنه لا بدّ لأهل الله أن يدركوا مثل هذا، ولكن قد لا يجريه الله على أنفسهم أو يتعذر على بعضهم العبارة عن ذلك، وبهذا الاعتبار تعلو صدقة التطوّع على صدقة الفرض ابتداء، **فإن هذا التطوع أيضاً قد يكون واجباً بإيجاب الله حيث أوجبه العبد على** نفسه فأوجبه الله عليه كالنذر، فإن الله أوجبه بإيجاب العبد. قال الاعرابي لرسول الله ﷺ في

بيان إخفاء الصدقة وإظهارها :

قد اختلف طريق طلاب الإخلاص في ذلك فمال قوم إلى ان الإخفاء أفضل ، ومال قوم إلى أن الإظهار أفضل ، ونحن نشير إلى ما في كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه .

أما الاخفاء ففيه خمسة معان:

الأوّل: أنه أبقى للستر على الآخذ ، فإن أخذه ظاهراً هتك لستر المروءة ، وكشف

فرض الزكاة: هل عليّ غيرها ؟ قال: « لا إلا أن تطوّع » فقوله: إلا أن تطوع يحتمل أن الله أوجب عليه ذلك إذا تطوع به فيلحقه بدرجة الفرض ، فيكون في الثواب على السواء مع زيادة معنى التطوّع في ذلك فيعلو على الفرض الأصلي بهذا القدر ، وقد نهى الشرع عن إبطال العمل وإن كان تطوعاً إذا شرع فيه ، ولهذا قال بعضهم: الشروع ملزم. وقال تعالى: ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ [محمد ﷺ : ٣٣] فسوّى بين المفروض وغير المفروض ، وقضى رسول الله ﷺ النافلة وأصبح صائماً متطوعاً فأفطر وقال: « نقضي يوماً مكانه ». وأمر بذلك لمن أفطر في التطوّع فأقامه مقام الفرض الأصلي في القضاء ، وليس معنى التطوّع في ذلك كله إلا أن العبد عبد بالأصالة ومحل لما يوجبه عليه سيده فهو بالذات قابل للوجوب ، فالمتطوع إنما هو الراجع إلى أصله والخروج عن الأصل إنما هو بحكم العرض ، فمن لازم الأصل دائماً فلا يرى إلا الوجوب دائماً لأنه مصرف مجبور في اختياره تشبيهاً بالأصل الذي عنه صدر ، وليس في الأصل إلا أمر واحد فليس في الكون إلا أمر واحد علمه من علمه وجهله من جهله فما ثم إلا واجب هذا تعطيه الحقائق بالإمكان لا عين له ، فانظر ما تعطيه صدقة التطوع وما أشرف هذه الإضافة ، والله أعلم.

بيان إخفاء الصدقة واظهارها :

وما فيها من المعاني الباطنة والآفات المستكنة وتفصيلها وبيان الأفضل منها . **(قد اختلف طريق طلاب)** وفي نسخة قد اختلفت طرق طالبي **(الإخلاص في ذلك فمال قوم إلى أن الإخفاء أفضل)** وهو مشرب القراء من العابدين من أهل الظاهر **(ومال قوم)** آخرون **(إلى أن الإظهار)** فيها **(أفضل)** وهو مشرب خاصتهم من أهل المعرفة الموصوفين بالتوحيد . **(ونحن نشير إلى ما في كل واحد من المعاني)** الباطنة **(والآفات)** المستكنة ، **(ثم نكشف الغطاء عن)** تحقيق **(الحق فيه)** ليعوّل عليه فأقول:

(أما الإخفاء ففيه خمسة معان:

الأول): وهو ملاحظة كثير من الناس **(أنه إبقاء للستر على الآخذ)** لما وقد أمرنا بإسبال الستر على إخواننا ، **(فإن أخذه)** إياها **(ظاهراً)** بحيث يراه الناس **(يهتك)** أي يخرق **(ستر المروءة ويكشف عن الحاجة)** والافتقار ، **(ويخرج)** الآخذ **(عن هيئة التعفف)** وهو

عن الحاجة، وخروج عن هيئة التعفف والتصوّن المحبوب الذي يحسب الجاهل أهله ﴿أغنياء من التعفف﴾ [البقرة: ٢٧٣].

الثاني: أنه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم، فإنهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنون انه آخذ مع الاستغناء أو ينسبونه إلى أخذ زيادة، والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى. وقال أبو أيوب السختياني: إني لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيراني حسداً. وقال بعض الزهاد: ربما تركت استعمال الشيء لأجل إخواني يقولون من أين له هذا؟ وعن ابراهيم التيمي:

تكلف العفة وهي كف ما يبسط للشهوة من الآدمي إلا بحقه ووجهه، **(والتصون)** أي التحفظ **(المحبوب الذي يحسب الجاهل)** ببواطن الأمور **(أهله)** الموسومين به(**﴿أغنياء من التعفف﴾**) أي من كفهم لما لا ينبغي تناوله أشار به إلى الآية المذكورة في شأنهم ثم قال ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾ [البقرة: ٢٧٣] وقد تقدم معناه.

(الثاني): وهو ملاحظة بعضهم **(أنه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم)** وأصلح **(فإنهم ربما يحسدونه)** فيما أخذ دونهم **(أو ينكرون عليه أخذه)** باللسان ومنشؤه الحسد الباطن، **(ويظنون أنه أخذه مع الاستغناء)** وانه غير محتاج إليه، ويزعمون أن الصدقة وقعت في غير موضعها. **(أو ينسبونه إلى أخذ زيادة على قدر الحاجة)** ففيه مع الحسد سوء ظن بأخيه وكلامه فيه بما لا يليق داخل في حد الغيبة، بل ربما أداه إلى البهت فيه. **(ومعلوم أن الحسد وسوء الظن والغيبة)** والنميمة **(من)** جملة **(الذنوب الكبائر)** أعاذنا الله منها، **(وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى)**. ثم ذكر عن بعض السلف من أحوالهم ومراعاتهم في ذلك بما يؤكد على هذا. فقال:

(قال أيوب السختياني) هو أيوب بن أبي تميمة البصري أبو بكر سيد شباب أهل البصرة وأشد الناس اتباعاً للسنّة تابعي جليل ثقة ورع عابد مات سنة ١٣١ روى له الجماعة: **(إني لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيراني حسد)** أي: فيقولون من أين له هذا، ويظنون ما لا يليق أي فلا أكون سبباً لإحداث هذا الوصف الذميم فيهم.

(وقال بعض الزهاد: ربما تركت استعمال الشيء) لبساً أو ركوباً أو غير ذلك **(لأجل)** حفظ سرائر **(إخواني)** وهم أعم من المجاورين وغيرهم. **(يقولون)** في أنفسهم من باب الظن: **(من أين له هذا)** ومن أعطاه كذا؟ نقله صاحب القوت.

(وعن إبراهيم التيمي) وهو إبراهيم بن يزيد بن شريك أبو أسماء الكوفي من تيم الرباب كان من العباد كان يمكث ثلاثين يوماً لا يأكل. روى عن عائشة مرسلاً، وعن أنس وعمرو بن ميمون. وعنه الأعمش وجماعة. وقال المحاربي: حدثنا الأعمش قال لي إبراهيم التيمي: ما أكلت

أنه رئي عليه قميص جديد، فقال بعض اخوانه: من أين لك هذا؟ **فقال**: كسانيه أخي خيثمة، ولو علمت أن أهله علموا به ما قبلته.

الثالث: إعانة المعطي على إسرار العمل، فإن فضل السر على الجهر في الإعطاء أكثر والإعانة على إتمام المعروف معروف، والكتمان لا يتم إلا باثنين فمهما أظهر هذا انكشف أمر المعطي. ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئاً ظاهراً فردّه إليه ودفع إليه آخر شيئاً في السر فقبله، فقيل له في ذلك فقال: إن هذا عمل بالأدب في إخفاء معروفه فقبلته وذاك أساء أدبه في عمله فرددته عليه. وأعطى رجل لبعض الصوفية شيئاً في

من أربعين يوماً إلا حبة عنب. قتله الحجاج سنة ٩٢، وما بلغ أربعين سنة روى له الجماعة: **(أنه رؤي عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه: من أين لك هذا؟ فقال كسانيه أخي خيثمة)** بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي الكوفي، لأبيه وجده صحبة. وكان خيثمة رجلاً صالحاً سخياً ورث مائتي ألف، فأنفقها على العلماء. روى عن علي وعائشة. وعنه الحكم ومنصور. مات بعد الثمانين **(ولو علمت أن أهله علموا به ما قبلته)** وهذا الذي ذكره المصنف. تابع فيه صاحب القوت فإنه قال: وحدثونا عن إبراهيم التيمي أنه رأى عليه صاحب له قميصاً جديداً، والذي ذكره المزني وغيره عن العجلي أن هذه الواقعة لإبراهيم النخعي لا التيمي وهذا لفظه: رؤي على إبراهيم النخعي قباء فقيل له من أين لك هذا؟ فقال: كسانيه خيثمة ولم ينج من فتنة ابن الأشعث إلا رجلان ابراهيم النخعي وخيثمة فتنبه لذلك.

(الثالث: إعانة المعطي على اسرار العمل) وإخفائه، **(فإن فضل السر على الجهر في الإعطاء)** بل في سائر الأعمال إلا ما استثني **(أكثر)**، وفي الإعطاء خاصة قد ذكر حديث « صدقة السر تفضل صدقة العلانية سبعين ضعفا ». تقدمت الإشارة إليه، **(والاعانة على إتمام المعروف معروف)** كما أن الإعانة على العبادة عبادة، **(والكتمان لا يتم إلا بإثنين فمهما أظهر هذا انكشف أمر المعطى)** فينبغي الإخفاء من الطرفين، وعبارة القوت: فإذا لم يعاونه هذا على إخفاء عطائه ولم يساعده على كتم معروفه لم يتم ذلك له بنفسه لأنه سرّ بين اثنين إن أفشاه أحدهما أو لم يتفقا على كتمه فقد ظهر من أيهما كان الخبر، كيف وقد جاء في الخبر « استعينوا على أموركم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود ».

(ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئاً ظاهراً) أي على ملأ من الناس **(فردّه، ودفع إليه)** رجل **(آخر شيئاً في السر فقبله، فقيل له في ذلك؟ فقال: إن هذا عمل بالأدب في)** معاملته من جهة **(إخفاء معروفه فقبلته)** أي قبلت عمله، **(وذاك)** أي الذي أظهر معروفه **(أساء أدبه في عمله)** أي معاملته **(فرددته عليه)** نقله صاحب القوت. **(وأعطى رجل بعض الصوفية شيئاً في الملأ)** من الناس **(فرده)** عليه **(فقال له)** وفي بعض النسخ، فقيل له:

الملأ فرده فقال له: لم ترد على الله عز وجل ما أعطاك؟ فقال: إنك أشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تقنع بالله عز وجل فرددت عليك شركك. وقبل بعض العارفين في السر شيئاً كان ردّه في العلانية، فقيل له في ذلك فقال: عصيت الله بالجهر فلم أكُ عوناً لك على المعصية، وأطعته بالإخفاء فأعنتك على برك. وقال الثوري: لو علمت أن أحدهم لا يذكُر صدقته ولا يتحدث بها لقبلت صدقته.

الرابع: أن في إظهار الأخذ ذلاً وامتهاناً وليس للمؤمن أن يذل نفسه. كان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية ويقول: إن في اظهاره إذلالاً للعلم وامتهاناً لأهله فما كنت بالذي أرفع شيئاً من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله.

الخامس: الاحتراز عن شبهة الشركة. قال ﷺ: «من أهدي له هدية وعنده قوم

(لم ترد على الله عز وجل ما أعطاك؟ فقال: أنت أشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تقنع بعين الله عز وجل في السر فرددت عليك شركك) كأنه رأى أن إعطاء ذلك بين الناس أراد به المراءاة فلذا جعله شركاً. **(وقبل بعض العارفين في السرّ شيئاً كان رده في العلانية فقيل له في ذلك)**. ولفظ القوت: وحدثنا أن رجلاً دفع إلى بعض العارفين شيئاً علانية فردّه ثم دفعه إليه سراً فقبله، فقال له: رددت في الجهر وقبلت في السر. **(فقال)**: لأنك **(عصيت الله بالجهر فلم أك عوناً لك على المعصية، وأطعته بالاخفاء فأعنتك على برك)** بقبوله.

(وقال الثوري) ولفظ القوت: وقد كان سفيان الثوري يقول: **(لو علمت أن أحدكم لا يذكر صلته)** أي عطيته **(ولا يتحدث بها)** عند الناس **(لقبلت صلته)**. وفي هذا مواطأة لما ندب الله إليه من الإخفاء، ولما أمر به رسول الله ﷺ فضله من أعمال السر.

(الرابع: إن في إظهار الأخذ ذلاً وامتهاناً وليس للمؤمن أن يذل نفسه) كما ورد في الخبر وتقدم ذكره في كتاب العلم، **(وقد كان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية ويقول في إظهاره إذلال للعلم وإمتهان لأهله)** ولفظ القوت: فسئل عن ذلك؟ فقال: إن في اظهاره إذلالاً للعلم وامتهاناً لأهله، **(فما كنت بالذي أرفع شيئاً من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله.**

الخامس: الاحتراز عن شبهة الشركة) أي الاشتراك فيما أعطي. **(قال ﷺ: «من أهدي إليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها»)** هكذا أورده صاحب القوت.

قال العراقي: رواه العقيلي، وابن حبان في الضعفاء، والطبراني في الأوسط، والبيهقي من حديث ابن عباس. وقال العقيلي: لا يصح في هذا المتن حديث، اهـ.

فهم شركاؤه فيها » وبأن يكون ورقاً أو ذهباً لا يخرج عن كونه هدية. **قال ﷺ:** « أفضل ما أهدى الرجل إلى أخيه ورقاً أو يطعمه خبزاً » **فجعل الورق هدية بانفراده**

قلت: ولفظهم كلهم « من أهديت إليه هدية » وهو أيضاً في مسند عبد بن حميد، ومصنف عبد الرزاق من حديث ابن عباس، وفي مسند إسحاق بن راهويه، والغيلانيات لأبي بكر الشافعي، ومعجم الطبراني من حديث الحسن بن علي، وعند العقيلي من حديث عائشة كلهم به مرفوعاً. وقال العقيلي: لا يصح في هذا الباب عن النبي ﷺ شيء، وأورده البخاري في الصحيح معلقاً فقال: ويذكر عن ابن عباس أن جلساءه شركاؤه فيها وأنه لم يصح، قال الحافظ السخاوي: ولكن هذه العبارة من مثله لا تقتضي البطلان بخلافها من العقيلي، وعلى كل حال فقد قال شيخنا يعني الحافظ ابن حجر: إن الموقوف أصح، والله أعلم.

(وإن كانت الهدية ورقاً) أي فضّة **(أو ذهباً فلا يخرجها ذلك عن كونها هدية)** أراد بهذا السياق الرد على من خص الشركة فيها بما إذا كانت من المأكولات أو المشمومات أو ما لم يكن نقداً أو مثمناً أو غير ذلك، ثم استدل على إثبات كون النقدين معدوداً من الهدايا فقال: **(قال ﷺ: « أفضل ما أهدى الرجل إلى أخيه ورقاً أو يطعمه خبزاً)** هكذا أورده صاحب القوت. وقوله: ورقاً هكذا بالنصب في سائر الكتاب ونسخ القوت، ووجدت بخط الحافظ العراقي في نسخة المغني صوابه ورق.

قلت: ووجهه أنه مرفوع على الخبر، وعلى تقديره يبقى المبتدأ بلا خبر فتأمل.

قال العراقي: رواه ابن عدي، وضعفه من حديث ابن عمر « إن أفضل العمل عند الله أن يقضي عن مسلم دينه أو يدخل عليه سروراً أو يطعمه خبزاً » ولأحمد والترمذي وصححه من حديث البراء « من منح منحة ورق أو منحة لبن أو اهدى زقاقاً فهو كعتاق نسمة » اهـ.

قلت: حديث ابن عمر يصلح أن يكون شاهداً للجملة الثانية وهو ظاهر، وللقائل أن يقول: لم خص الخبز مع أن إطعام اللحم وغيره من الأطعمة يدخل في الفضيلة؟ فالجواب: إنما خصه لعموم تيسير وجوده حتى لا يبقى للمرء عذر في ترك الأفضل عن الإخوان، ويصلح أن يكون أيضاً شاهداً للجملة الأولى، فإن الديون لا تقضى غالباً إلا بدفع النقود، ثم أن حديث ابن عمر المذكور أخرجه البيهقي وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج من حديث أبي هريرة: سئل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل؟ فقال « أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً أو تقضي عنه ديناً أو تطعمه خبزاً » وفي سند البيهقي عمار بن محمد فيه نظر، والوليد بن شجاع قال أبو حاتم لا يحتج به.

وأما حديث البراء فيصلح أن يكون شاهداً للجملة الأولى خاصة، وقد رواه ابن حبان كذلك، وصححه البغوي تبعاً للترمذي، وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح، ومعنى منحة ورق القرض هكذا فسره الزمخشري، ومعناه إعطاء الدراهم قرضاً فهو كالهدية، والمراد

فما يعطى في الملأ مكروه إلا برضا جميعهم ولا يخلو عن شبهة، فإذا انفرد سلم من هذه الشبهة.

إما الإظهار والتحدث به ففيه معان أربعة:

الأوّل: الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراءاة.

والثاني: إسقاط الجاه والمنزلة وإظهار العبودية والمسكنة والتبـري عن الكبرياء، ودعوى الاستغناء واسقاط النفس من أعين الخلق. قال بعض العارفين لتلميذه: أظهر

بمنحة اللبن أن يعير أخاه ناقته أو شاته يحلبهـا مرةثم يردها، وأما قوله: أو أهدى كذا وقع في بعض نسخ المغني وفي بعضها هدى بالتخفيف من الهداية، وفي بعضها هدأ من التهدئة للمبالغة من الهداية، أو في الهدية. والمراد بالزقاق بالضم الطريق الضيق أي يـرشـد ضـالاً أو أعمـى على طريقه، أو المعنى تصدق بزقاق من النخل وهو السكة والصف من شجره، وقيل: الرواية زقاق بالكسر جمع زق وهو السقاء، وهكذا رأيته في حاشية المغني وهي نسخة قرئت على المصنف، ولم يظهر لي معنى إهداء الزقاق إلا أن يكون المراد به زقاقاً ملىء من اللبن أو من العسل أو من السمن فتأمل.

وقال القاضي أبو بكر في شرح الترمذي: ومن أسلف رجلاً دراهم فهي أيضاً منحة، وفي ذلك ثواب كثير لأن إعطاء المنفعة مدة كإعطاء العين وجعله كعتق رقبة لأنه خلصه من أسر الحاجة والضلال كما خلص الرقبة من أصل الرق، وللباري تعالى أن يجعل القليل من العمل كالكثير، فإن الحكم لله العلي الكبير انتهى.

(**فجعل الورق هدية**) وإنما كان أفضل لأنه قيم الأشياء (**فانفراده بما يعطى في الملأ**) جهراً (**مكروه**) لأنه يلزمه الاشتراك للحاضرين فيها فيكره انفراده (**إلا برضا جميعهم**) أي أن يهبوا ذلك فإن لم يفعلوا فالكراهة باقية، (**ولا يخلو عن شبهة**) في تلك العطية، (**فإذا انفرد**) عن الناس في خلوة (**سلم عن هذه الشبهة**) **فهذا** ما قيل في إخفاء الصدقات.

(وأما الإظهار والتحدث به ففيه معان أربعة:

الأول: الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراءاة) أي أن الإظهار أفضل لأنه أدخل في الاخلاص وما بعده.

(**والثاني: إسقاط الجاه والمنزلة**) عند الناس (**وإظهار العبودية**) أي الـذل (**والمسكنة والتبـري عن الكبرياء**) والعظمة، (**ودعوى الاستغناء**) عن الخلق (**وإسقاط النفس من أعين الخلق**) فإنه إذا ردّ وزهد لزمته هذه الأوصاف الذميمة من الجاه والمنزلة والتلبيس والرياء والكبر والدعوى والرعونة وغير ذلك، فإذا أخذ سلم من ذلك، وقد قال تعالى: لا تكلف إلا

الأخذ على كل حال إن كنت آخذاً فإنك لا تخلو عن أحد رجلين رجل تسقط من قلبه إذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لأنه أسلم لدينك وأقل لآفات نفسك، أو رجل تزداد في قلبه بإظهارك الصدق فذلك الذي يريده أخوك لأنه يزداد ثواباً بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك، فتؤجر أنت إذ كنت سبب مزيد ثوابه.

الثالث: هو أن العارف لا نظر له إلا إلى الله عز وجل والسر والعلانية في حقه واحد، فاختلاف الحال شرك في التوحيد. قال بعضهم: كنا لا نعبأ بدعاء من يأخذ في السر ويرد في العلانية والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان في الحال، بل ينبغي أن يكون النظر مقصوراً على الواحد الفرد. حكي أن بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين، فأراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك

نفسك قالوا فليس علينا إذ علمنا سلامتنا وحكم حالنا من إسقاط جاهنا بالأخذ علانية ما وراء ذلك من أقوال الناس يتولى الله عز وجل من ذلك ما به ابتلاء.

(**قال بعض العارفين لتلميذه**)، ولفظ القوت: قال بعض المريدين: سألت أستاذي وكان أحد العارفين عن إظهاري للسبب أفضل أو إخفاؤه فقال: (**أظهر الأخذ على كل حال إن كنت آخذاً، فإنك لا تخلو عن أحد رجلين: رجل تسقط من قلبه إذا فعلت ذلك فذلك هو المراد**) أي الذي تريد (**لانه أسلم لدينك وأقل لآفات نفسك**). وينبغي أن تعمل في ذلك فقد جاءك بلا تكلف، (**أو رجل تزداد**) وترتفع (**في قلبه باظهارك الصدق**) من حالك، (**فذلك**) هو (**الذي يريده أخوك لأنه يزاد ثواباً بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك فتؤجر أنت إذ كنت سبب مزيد ثوابه**)، وينبغي أن تعمل في ذلك.

(**الثالث: هو أن العارف**) الكامل (**لا نظر له**) في الأمور كلها (**إلا إلى الله تعالى والسر والعلانية في حقه واحد**) لأن المعبود فيهما واحد، (**فاختلاف الحال**) في فعل أحدهما (**شرك في التوحيد**)، وهذا القول الذي جعله المصنف معنى من المعاني الأربعة نقله صاحب القوت عن بعضهم.

(**قال بعضهم**) أي بعض العارفين: (**كنا لا نعبأ بدعاء من يأخذ في السر ويرد في العلانية**) نقله صاحب القوت. (**والالتفات إلى الخلق حضروا أو غابوا نقصان في الحال**) عند السالكين، (**بل ينبغي أن يكون النظر مقصوراً على الواحد الفرد**) جل جلاله ولا يلتفت إلا إليه ولا يعبأ بسواه، وفي ذلك (**حكي عن بعض الشيوخ**) من أهل الطريق أنه (**كان كثير الميل**) والمحبة (**إلى واحد من جملة المريدين**) خاصة (**فشق على الآخرين ذلك**) بمقتضى ما جبلوا عليه ورأى الشيخ ذلك منهم، (**فأراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك**

المريد فأعطى كل واحد منهم دجاجة، وقال: لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه أحد، فانفرد كل واحد وذبح إلا ذلك المريد فإنه ردّ الدجاجة فسألهم فقالوا: فعلنا ما أمرنا به الشيخ، فقال الشيخ للمريد: ما لك لم تذبح كما ذبح أصحابك؟ فقال ذلك المريد: لم أقدر على مكان لا يراني فيه أحد، فإن الله يراني في كل موضع، فقال الشيخ: لهذا أميل إليه لأنه لا يلتفت لغير الله عز وجل.

الرابع: ان الاظهار إقامة لسنّة الشكر، وقد قال تعالى: ﴿وأمّا بنعمةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] والكتمان كفران النعمة، وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبُخْلِ ويَكْتُمُونَ ما آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِه﴾ [النساء: ٣٧] وقال ﷺ: «إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى

المريد) وما خصه الله به من الكمال في المعرفة فامتحنهم **(فأعطى كل واحد منهم دجاجة)** بالفتح ويكسر طائر معروف، **(وقال: لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه أحد)** فأخذوا ذلك، **(فانفرد كل واحد منهم وذبح دجاجته إلا ذلك المريد)** المحسود، **(فإنه ردّ دجاجته)** من غير ذبح، **(فسألهم فقالوا: فعلنا ما أمرنا به الشيخ، فقال الشيخ للمريد: مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك؟ فقال ذلك المريد: لم أقدر على مكان لا يراني فيه أحد فإن الله سبحانه يراني في كل موضع)** وفي بعض النسخ: لم أقدر على ذلك فإن الله سبحانه كان يراني في كل موضع، **(فقال الشيخ)** مخاطباً لهم: **(لهذا أميل إليه لأنه لا يلتفت إلى غير الله عز وجل)**، فمثل هذا يحب فإنه إذا كان في ابتداء سلوكه قد وصل إلى هذه المعرفة يرجى له الترقي فوق ذلك، وهكذا كان مشايخ السلف إذا رأوا نجيباً في السلوك أحبوه وقربوه.

(الرابع: إن الإظهار) فيه **(إقامة لسنّة الشكر)** والإظهار نعمة **(وقد قال تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾)** [الضحى: ١١] ومعنى تحديث النعمة إفشاؤها، **(والكتمان كفران النعمة، وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله من فضله وقرنه بالبخل)**، والبخل باب كبير في الدنيا **(وقال: ﴿الذين يبخلون)** بالأموال التي جعلهم الله مستخلفين فيها **(ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾)** [النساء: ٣٧] يدل ذلك على أن البخل والكتم كلاهما من باب واحد في الذم. وقال صاحب القوت، وقال بعض علمائنا يعني به سهلاً التستري: إظهار العطاء من الآخذ آخرة وكتمانه دنيا، واظهار الأعمال من الدنيا وكتمها آخرة قال: وكان هذا لا يكره الإظهار اهـ.

(وقال ﷺ: «إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى عليه») قال العراقي: رواه أحمد من حديث عمران بن حصين بسند صحيح، وحسنه الترمذي من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده اهـ.

نعمته عليه » وأعطى رجل بعض الصالحين شيئاً في السر فرفع به يده وقال: هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل والسر في أمور الآخرة أفضل. ولذلك قال بعضهم: إذا أعطيت في الملأ فخذ ثم اردد في السر والشكر فيه محثوث عليه. قال ﷺ: « من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل » والشكر قائم مقام المكافأة، حتى قال ﷺ: « من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تستطيعوا فأثنوا عليه به خيراً وادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه ». ولما قال المهاجرون في الشكر: يا رسول الله، ما رأينا خيراً من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله، فقال ﷺ: « كلا ما شكرتم لهم وأثنيتم عليهم به فهو مكافأة ». فالآن إذا عرفت هذه المعاني فاعلم أن ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافاً في المسألة بل هو اختلاف حال، فكشف الغطاء

(وأعطى رجل بعض العارفين شيئاً في السر فرفع به يده) علانية **(وقال: هذا من الدنيا والعلانية فيها)** أي في أمورها **(أفضل والسرّ في أمور الآخرة أفضل)** نقله صاحب القوت، **(ولذا قال بعضهم)** أي من العارفين: **(إذا أعطيت في الملأ فخذ)** وأظهر الأخذ فإنها نعمة من الله إظهارها أفضل، **(ثم اردد في السر)** وأخف ذلك فإنه عمل من أعمالك واسراره أفضل. قال صاحب القوت بعد ما نقله. وهذا لعمري قول فصل وهو طريق العارفين، ورجحه المصنف فيما بعد كما سيأتي في آخر الفصل.

(والشكر) على النعمة **(مستحب)** وفي بعض النسخ: محبوب أي أحبه الله عز وجل لنفسه وهو خلق من أخلاق الربوبية، وفي بعض النسخ محثوث عليه. **(قال ﷺ: « من لم يشكر الناس لم يشكر الله »)** تقدم قريباً. **(والشكر قائم مقام المكافأة حتى قال ﷺ « من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تستطيعوا فأثنوا عليه به خيراً وادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه »)** تقدم قريباً. **(و)** كذلك **(لما قال المهاجرون في الشكر يا رسول الله: ما رأينا خيراً من قوم نزلنا عندهم)** وفي نسخة « عليهم » يعني الأنصار **(قاسمونا الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله، فقال ﷺ: « كلا ما شكرتم لهم وأثنيتم عليهم به أي ذلك هو مكافأة »)** هكذا أورده صاحب القوت.

قال العراقي رواه الترمذي وصححه من حديث أنس، ورواه مختصراً أبو داود، والنسائي في اليوم والليلة، والحاكم وصححه اهـ.

قال صاحب القوت: وهذا هو الأقرب إلى قلوب الموحدين من العارفين لأنه مقتضى حالهم وموجب مشاهدتهم لاستواء ظروف الأيدي عندهم من العبيد ونفاذ نظرهم إلى المعطي الأول، فاستوت علانيتهم وسرهم في الأخذ من يده.

(فالآن إذا عرفت هذه المعاني فاعلم أن ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافاً

في هذا أنا لا نحكم حكماً بتاً بأن الإخفاء أفضل في كل حال أو الإظهار أفضل، بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الأحوال والأشخاص، فينبغي أن يكون المخلص مراقباً لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور، ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان، والمكر والخداع أغلب في معاني الإخفاء منه في الإظهار، مع أن له دخلاً في كل واحد منهما، فأما مدخل الخداع في الإسرار فمن ميل الطبع إليه لما فيه من خفض الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن أعين الناس ونظر الخلق إليه بعين الازدراء، وإلى المعطي بعين المنعم المحسن، فهذا هو الداء الدفين ويستكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتى يتعلل بالمعاني الخمسة التي ذكرناها. ومعيار كل ذلك ومحكه أمر واحد، وهو أن يكون تألمه بانكشاف أخذه الصدقة كتألمه بانكشاف صدقة أخذها بعض نظرائه وأمثاله، فإنه إن كان يبغي صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء

في المسألة بل هو اختلاف حال وكشف الغطاء في هذا)، ونبين ما هو الحق هو (**أنا لا نحكم حكماً بتاً**) أي قاطعاً (**بأن الاخفاء أفضل في كل حال**) أي مطلقاً (**أو**) أن (**الإظهار أفضل**) مطلقاً، (**بل**) نقول آنه (**يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الأحوال والأشخاص**)، والخلق مبتلى بعضه ببعض وفرض كل عبد القيام بحكم حاله ليفضل بحاله ويسلم بقيامه، (**فينبغي أن يكون المخلص مراقباً لنفسه**) قائماً بحكم حاله (**حتى لا يتدلى بحبل الغرور**) أي لا ينزل مستمسكاً بحبل الخداع وهو كناية عن الانخداع، ومنه قول الشاعر:

وإن الذي دنياه أكبر همه ... لمستمسك منها بحبل غرور

(**ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع أغلب**) وأقوى (**في معاني الإخفاء منه في الإظهار، مع أن له مدخلاً في كل واحد منهما**) أي من الإخفاء والإظهار، (**فأما مدخل الخداع في الاسرار فمن ميل الطبع إليه لما فيه من حفظ الجاه والمنزلة**) عند الناس، (**و**) فيه أيضاً (**توقي سقوط القدر**) أي المقام (**من أعين الناس و**) توقي (**نظر الناس إليه بعين الازدراء**) أي الاحتقار، (**وإلى المعطي بعين المنعم المحسن إليه**) فالطبع مائل إلى المروب من ذلك كله، (**فهذا هو الداء الدفين**) أي المدفون الذي يعجز عن معالجته (**ويستكن**) أي يستقر (**في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير**) ويزينها في العين (**حتى يتعلل بالمعاني الخمسة التي ذكرناها**) قريباً في الاسرار. (**ومعيار كل ذلك**) أي مقياسه (**ومحكه**) وهو الحجر الذي يحك عليه الذهب أو الفضة ليختبر (**أمر واحد، وهو أن يكون تألمه بانكشاف أخذه للصدقة كألمه بانكشاف صدقة أخذها بعض أقرانه وأمثاله**) ونظرائه، (**فإنه إن كان يبغي**) أي يطلب (**صيانة الناس**) وحفظهم (**عن**) الاتصاف بالأوصاف الذميمة مثل (**الغيبة والحسد وسوء الظن**) والتهمة، (**أو يتقي**) أي يتحفظ

الظن أو يتقي انتهاك الستر أو إعانة المعطي على الإسرار أو صيانة العلم عن الابتذال، فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة أخيه، فإن كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر من هذه المعاني أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه، فإن إذلال العلم محذور من حيث أنه علم لا من حيث أنه علم زيد أو علم عمرو، والغيبة محذورة من حيث أنها تعرض لعرض مصون لا من حيث أنها تعرض لعرض زيد على الخصوص، ومن أحسن من ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه وإلاّ فلا يزال كثير العمل قليل الحظ. وأما جانب الإظهار فميل الطبع إليه من حيث أنه تطييب لقلب المعطي واستحثاث له على مثله وإظهاره عند غيره أنه من المبالغين في الشكر حتى يرغبوا في إكرامه وتفقده، وهذا داء دفين في الباطن والشيطان لا يقدر على المتدين إلا بأن يروج عليه هذا الخبث في معرض السنة ويقول له: الشكر من السنّة والإخفاء من الرياء ويورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الإظهار وقصده الباطن ما ذكرناه ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لا ينتهي الخبر

(**انتهاك الستر**) وكشف الحال، (**أو**) يقصد (**إعانة المعطي على الإسرار، أو**) يريد (**صيانة العلم عن الابتذال**) أو أهله عن الامتهان، (**فكل ذلك يحصل بانكشاف صدقة أخيه**) من أقرانه. (**فإن كان انكشاف أمره**) في نفسه (**أثقل عليه من انكشاف غيره**) من إخوانه (**فتقديره الحذر**) والهروب (**عن هذه المعاني أغاليط**) جمع أغلوطة (**وأباطيل**) جمع باطل (**من**) جملة (**مكر الشيطان وخدعه**) وتلبيساته، (**فإن إذلال العلم محذور**) منهي عنه (**من حيث أنه علم لا من حيث أنه علم زيد أو علم عمرو، وكذا الغيبة محذورة من حيث أنها تعرض لعرض مصون**) محفوظ (**لا من حيث أنها تعرض لعرض زيد على الخصوص، ومن أحسن ملاحظة هذا**) بهذا الوجه الدقيق (**ربما يعجز الشيطان عنه**) ولا يكون له عليه سبيل ولا مدخل، (**وإلاّ فلا يزال كثير العمل**) يتعب نفسه فيه وهو مع ذلك (**قليل الحظ**) عديم الجدوى. فهذا ما يتعلق بالإسرار وما فيه من الآفات، (**وأما جانب الإظهار فميل الطبع إليه من حيث أنه تطييب لقلب المعطي**) في أخذه علانية (**واستحثاث له**) أي تحريك (**على مثل فعله وإظهار عند غيره أنه**) أي الآخذ (**من المبالغين في الشكر**) على النعمة (**حتى يرغبوا في إكرامه**) ومواساته (**وتفقده**) بأموالهم، و (**هذا داء دفين في الباطن**) صعب المعالجة (**والشيطان لا يقدر على المتدين إلاّ بأن يروج عليه**) ويزين (**هذا الخبث في معرض السنة ويقول: الشكر**) على النعمة (**من السنة**) وقد أمرت به (**والإخفاء من الرياء**) وقد نهيت عنه، (**ويورد عليه المعاني التي ذكرناها**) قبل ذلك في الإظهار (**فيحمله على الإظهار**) ويمنعه من الإسرار (**وقصده في الباطن ما ذكرناه**) من ترغيب الناس إليه، (**ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر إلى ميل نفسه الى الشكر حيث**

إلى المعطي ولا إلى من يرغب في عطائه، وبين يدي جماعة يكرهون إظهار العطية ويرغبون في إخفائها وعادتهم أنهم لا يعطون إلاّ من يخفي ولا يشكر، فإن استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أن باعثه هو إقامة السنّة في الشكر والتحدث بالنعمة، وإلاّ فهو مغرور، ثم إذا علم ان باعثه السنّة في الشكر فلا ينبغي أن يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر فإن كان هو ممن يحب الشكر والنشر، فينبغي أن يخفي ولا يشكر لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم وطلبه الشكر ظلم، وإذا علم من حاله أنه لا يحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته. ولذلك قال ﷺ للرجل الذي مُدِحَ بين يديه: «ضربتم عنقه لو سمعها ما أفلح» مع أنه ﷺ كان يثني على قوم في

لا ينتهي الخبر **إلى المعطي ولا إلى من يرغب في عطائه)** ويحتفل به، **(وبين يدي جماعة يكرهون إظهار العطية ويرغبون في إخفائها وعادتهم أنهم لا يعطون إلا من يخفي)** خبر العطية **(ولا يشكر)** بلسانه، **(فإن استوت هذه الأحوال عنده)** دل على صحة قصده وإخلاص نيته فيه ونفاذ مشاهدته بدوام نظره إلى المنعم الأول، **(فليعلم أن باعثه هو إقامة السنّة في الشكر والتحدث بالنعمة)** الواصلة إليه من يد هذا المعطي، **(وإلا فهو مغرور)** بخدع الشيطان، **(ثم إذا علم أن باعثه السنّة في الشكر فلا ينبغي أن يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر)** وفي نسخة فلينظر، **(فإن كان هو ممن يحب الشكر)** ويقتضيه منك على عطيته **(والنشر)** بالجميل، **(فينبغي أن يخفي)** عطيته **(ولا يشكر)** وهو يدل على نقصان علم المعطي وقوة آفات نفسه، فترك الثناء على هذا والكتم من الآخذ أفضل، **(لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم وطلبه للشكر ظلم)** فإن شكر له فأظهر عطاءه فقد ظلمه لإعانته إياه على ظلم نفسه وقد قويت آفات نفسه، **(وإذا علم من حاله أنه لا يحب الشكر)** والثناء **(ولا يقصده فعند ذلك يشكره)** ويثني عليه **(ويظهر صدقته)** ويتحدث بها، ثم من الناس من إذا أظهر معروفه فسد قصده واعتورته الآفات من التزين والتصنع، فمثل هذا لا يقبل منه ما أعلن به لأنه يكون معيناً له على معصيته، وهذا أيضاً لا يصلح أن يثنى عليه، فإن ذكر بمعروفه أو مدح به كان ذلك مفسدة له واغتراراً منه لقوة نظره إلى نفسه ونقصان معرفته بربه، فمن مدح هذا فقد قتله، ومن ذكره بمعروفه فقد أعانه على شركه وإلى هذا أشار المصنف بقوله:

(ولذلك قال ﷺ للرجل الذي مدح بين يديه: «ضربتم عنقه) ولفظ القوت: مدح رجل رجلاً عند النبي ﷺ فقال: «ضربت عنقه» قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي بكرة بلفظ «ويحك قطعت عنق صاحبك» وزاد الطبراني في رواية: «والله **(لو سمعها ما أفلح»)** أبداً. وفي سنده علي بن زيد بن جدعان تكلم فيه، وله نحوه من حديث أبي موسى اهـ.

قلت: لفظ الطبراني في معجمه الكبير «أخيك» بدل «صاحبك» وفيه بعد قوله: أبداً «إذا أثنى أحدكم على أخيه فليقل إن فلاناً ولا أزكي على الله أحداً» **(مع أنه ﷺ كان يثني على**

وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير، فقال لواحد: «انه سيد أهل الوبر» وقال ﷺ في آخر: «إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه» وسمع كلام رجل فأعجبه، فقال ﷺ: «إن من البيان لسحراً» وقال ﷺ: «إذا علم

قوم في وجوههم) ومن حيث يسمعون **(لثقته بيقينهم وعلمه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد)** أقبل إليه: **(إنه سيد أهل الوبر)** كذا في القوت.

قال العراقي: رواه البغوي والطبراني وابن نافع في معاجمهم، وابن حبان في الثقات من حديث قيس بن عاصم المنفرد: «أن النبي ﷺ قال له ذلك». اهـ.

قلت: ترجمه المزي في تهذيب الكمال فقال: وفد سنة تسع وكان شريفاً عاقلاً جواداً قال النبي ﷺ «هذا سيد أهل الوبر» نزل البصرة.

(وقال لآخر) ممن يسمع: **(«إذا جاءكم)** وفي القوت: إذا أتاكم **(كريم قوم فأكرموه»).**

قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر، ورواه أبو داود في المراسيل من حديث الشعبي مرسلاً بسند صحيح، وقال: روي متصلاً وهو ضعيف، والحاكم نحوه من حديث معبد بن خالد الأنصاري عن أبيه وصحح إسناده اهـ.

قلت: وحديث ابن عمر فيه محمد بن الصباح، ومحمد بن عجلان تكلم فيهما. وأخرجه البزار، وابن خزيمة، والطبراني في الكبير، وابن عدي، والبيهقي عن جرير بن عبد الله البجلي أنه قدم على رسول الله ﷺ فبسط له رداءه ثم قال له ذلك.

ورواه البزار أيضاً من حديث أبي هريرة، وابن عدي من حديث شهر، عن معاذ بن جبل، وأبي قتادة الأنصاري، والحاكم عن جابر بن عبد الله، والطبراني أيضاً عن ابن عباس، وعن عبد الله بن ضمرة البجلي، وابن عساكر رواه عن أنس وعدي بن حاتم، ورواه الدولابي في الكنى، وابن عساكر أيضاً عن ابن راشد عبد الرحمن بن عبيد لفظ هؤلاء الثلاثة «إذا أتاكم شريف قوم» قال الذهبي في مختصر المدخل: طرقه كلها ضعيفة وله شاهد مرسل اهـ.

وحكم ابن الجوزي بوضعه، وقد تعقبه الحافظ العراقي وتلميذه الحافظ ابن حجر، وتلاهما الحافظ السيوطي بأنه ضعيف لا موضوع، وفي بعض رواياته «إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه» ذكره ابن الأثير وقال الهاء فيه للمبالغة.

(وسمع) ﷺ **(كلام رجل)** تكلم بكلام فصل **(فأعجبه فقال «إن من البيان لسحراً») قال العراقي:** أخرجه البخاري من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: رواه البخاري في النكاح والطب، ورواه أيضاً مالك في الموطأ، وأحمد، وأبو داود في

أحدكم من أخيه خيراً فليخبره فإنه يزداد رغبة في الخير » وقال ﷺ : « إذا مدح المؤمن ربا الإيمان في قلبه ». وقال الثوري : من عرف نفسه لم يضره مدح الناس. وقال أيضاً ليوسف بن أسباط : إذا أوليتك معروفاً فكنت أنا أسرّ به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل عليَّ فاشكر، وإلاَّ فلا تشكر. ودقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يراعي قلبه، فإن أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع، ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه : إن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر وبالجهل به تموت عبادة العمر كله

الأدب، والترمذي في البر كلهم عن ابن عمر ووهم في المشارق حيث عزاه إلى علي، فإن البخاري لم يخرجه عنه، وقد تقدم معنى الحديث في كتاب العلم.

(وقال) ﷺ : **(« إذا علم أحدكم من أخيه خيراً فليخبره فإنه يزداد رغبة في الخير »)** قال العراقي : رواه الدارقطني في العلل من رواية ابن المسيب عن أبي هريرة وقال : لا يصح عن الزهري، وروي عن ابن المسيب مرسلاً.

(وقال) ﷺ : **(« إذا مدح المؤمن ربا)** أي زاد **(الإيمان في قلبه »)**. قال العراقي : رواه الطبراني من حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف اهـ.

قلت : وكذا رواه الحاكم ولفظها : « إذا مدح المؤمن في وجهه ربا الإسلام في قلبه » والمراد بالمؤمن الكامل الذي عرف نفسه وأمن عليها من نحو كبر وعجب ورياء، بل يكون ذلك سبباً لزيادته في العمل الصالح المؤدي لزيادة إيمانه فأما من ليس بهذه الصفات فالمدح عليه من أعظم الآفات المفضية بإيمانه إلى الخلل والحرج.

(وقال) سفيان **(الثوري: من عرف نفسه لم يضره مدح الناس)** له. كذا في القوت، وهو إشارة لما ذكرناه في تفسير المؤمن الكامل. **(وقال)** الثوري **(أيضاً ليوسف بن أسباط)** الشيباني من رجال الحلية من العباد الزهاد وثقه يحيى، وقال أبو حاتم : لا يحتج به قد تقدم ذكره في كتاب العلم : **(إذا أوليتك معروفاً فكنت)** أي فإن كنت **(أنا أسرّ به منك)** أي أكثر سروراً **(ورأيت ذلك نعمة من الله تعالى عليّ)** وكنت أشد حباً منك **(فاشكر وإلا فلا تشكر)** نقله صاحب القوت، **(فدقائق هذه المعاني ينبغي أن يلاحظها من يراعي قلبه)** من السالكين المخلصين، **(فإن أعمال الجوارح مع إهمال)** أي ترك **(هذه الدقائق)** رأساً **(ضحكة للشيطان وشماتة له)** أي يضحك عليه ويفرح به **(لكثرة التعب وقلة النفع)** والفائدة، **(ومثل هذا العلم هو الذي)** يقال فيه، **(إن تعلم مسألة واحدة)** على وجهها **(أفضل من عبادة سنة)**، ومن ذلك قولهم : تفكر ساعة خير من عبادة سنة، **(إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر)** فهو كالروح لها وبه قواها **(وبالجهل به)** أي بمداركه **(تموت عبادة**

وتتعطل، وعلى الجملة **فالأخذ** في الملأ والردّ في السر أحسن المسالك وأسلمها، **فلا ينبغي أن يدفع** بالتزويقات **إلا أن** تكمل المعرفة بحيث يستوي السر والعلانية. وذلك هو الكبريت الأحمر الذي يتحدث به ولا يرى. نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق.

العمر) أي تذهب عبادته هباء بلا نفع **(وتتعطل، وعلى الجملة)** من هذا التفصيل **(فالأخذ من الملأ)** علانية **(والردّ في السر أحسن المسالك وأسلمها)** للنفس لأنهم قالوا في التوحيد: إن الظاهر والباطن هو المعطي فلا معنى للرد عليه في الظاهر، **(فلا ينبغي أن يدفع بالتزويقات)** أي التوجيهات المموهة **(إلا أن تكمل المعرفة)** فيصح القصد وتنفذ مشاهدته بدوام نظره إلى المنعم الأول **(بحيث يستوي)** عنده **(السر والعلانية)**، فهذا إن قبلت منه علانيته صلح، وإن أثنيت عليه بذلك جاز لقوة معرفته وكمال عقله وسبق نظره الى مولاه فيما وفقه له وتولاه فيشكر له ذلك ويراه نعمة منه. **(وذلك هو الكبريت الأحمر)** والإكسير الأكبر الذي المثقال منه يصبغ الجبال، ومثل هذا **(يتحدث به)** في الألسنة والكتب **(ولا يرى)** فهو رابع الغول والعنقاء والخل الوفي وبالله التوفيق.

وقد أشار النووي في آخر كتاب الزكاة من الروضة إلى هذا التفصيل نقلاً عن المصنف فقال: وذكر أيضاً يعني المصنف اختلاف الناس في إخفاء أخذ الصدقة وإظهارها أيها أفضل، وفي كل واحد فضيلة ومفسدة، ثم قال: على الجملة الأخذ في الملأ وترك الأخذ في السر أحسن اهـ.

ثم إن المصنف لخص هذا السياق الذي في الفصل بتمامه من كتاب القوت وزاد عليه، وقد ذكر صاحب القوت في هذا التفصيل أربعة أنواع، وأنا ألخصه لك بالاختصار قال: وفصل الخطاب عندي أنه يحتاج الى تفصيل فنقول: فرض كل عبد القيام بحكم حاله ليفضل بقيامه ويسلم في حاله فعلى المعطي الإخفاء جهده، فإن أظهر ترك علم حاله فنقص بذلك فكانت هذه آفة من آفات نفسه ووباباً من دنياه، وعلى الآخذ أن يذكر وينشر فإن كتم فقد ترك ماله والإخلاص في عمله ونقص، وكانت آفة من آفات نفسه ووباباً من دنياه فإن كانت له نية في إخفاء العطاء لما يوجبه الوقت ويقتضيه السبب من أجل المعطي بخلاص عمله أو من أجل الحاضرين بصلاح قلوبهم وسكون نفوسهم ونفسه، فالأدب والمعاونة لأخيه على الفضل في إخفاء السبب لم يضره الكتم فيكون إذ ذاك فاضلاً فيما دبره بموافقة العلم. وروينا أن رسول الله ﷺ قيل له إن فلاناً أعطيته ديناراً فأثنى بذلك وشكر، فقال: لكن فلاناً أعطيته ما بين الثلاثة إلى العشرة فما أثنى ولا شكر أراد منه القيام بحكم حاله لعلمه أن في الشكر والثناء تحريضاً على المعروف، وأنه خلق من أخلاق الربوبية أحبه الله عز وجل من نفسه فيشكر للمنفقين صنعهم وهو الرازق وأحبه من أوليائه أن يشكروا للأواسط ويثنوا به عليهم وأن يشهدوا فيه الأول.

النوع الثاني: من التفصيل: أن على المعطي أن لا يحب أن يذكر معروفه ولا يشكر فإن علمت من يقتضيك ذلك ويحبه منك، فهذا يدل على نقصان علمه فترك الثناء على مثله أفضل، فإن شكر له وأظهر عطاءه فقد أعانه على ظلم نفسه وقوى آفاتها إذ هو ظالم من حيث لا يعلم.

بيان الأفضل من أخذ الصدقة أو الزكاة:

كان إبراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون أن الأخذ من الصدقة أفضل، فإن في أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقاً عليهم ولأنه ربما لا يكمل في أخذه صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب العزيز، وأما الصدقة فالأمر فيها أوسع. وقال

النوع الثالث: من التفصيل، من استوى عنده السر والعلانية، فالثناء على مثله يزداد به رغبة في الخير ويربو الإيمان في قلبه لكمال معرفته وقوة إيمانه، وفيه قال بعض العارفين: يمدح الرجل على قدر عقله، وفيه قال الثوري ما تقدم من قوله.

النوع الرابع: من التفصيل، من الناس من إذا أظهر معروفه فسد قصده بذلك واعتورته الآفات، فهذا إن قبل منه ما أعلن به أعانه على معصية، وإن أثنى عليه كانت مفسدة له في دينه لنقصان معرفته بربه. تفصيل آخر إن لله عز وجل في إظهار العطاء حكمة ونعمة ولطفاً ورحمة، وقد يكون ذلك سبباً للقدرة وطريقاً الى التأسي بالتحاض فينافس بعضهم بعضاً فيصير الإظهار مفتاحاً لكثرة المعروف وباباً لأفعال العطاء. وهو داخل في الخبر المشهور «أمتي كالبنيان يشد بعضه بعضاً» ولهذا جاء في الخبر: إن من الخيلاء ما يحبه الله عز وجل، فالخيلاء بالصدقة يحبه الله تعالى يعني بذلك أن ينافس بعضهم بعضاً فيه ويدعو بعضهم بعضاً إليه، فيظهر فعله لاخوانه ويظهر بحركته وإقدامه ما جنبوا عنه من الطاعات. فجملة ذلك أن المعطي حاله الإخفاء، والآخذ حاله الإظهار، فمن خالف فارق حاله وإن فرض المعطي أن يكره المدح والذكر، فمن علمت منه ذلك فعليك أن تثني عليه وتشكر، ومن علمت أنه يحب الإظهار والإشهار فحالك أن لا تعاونه على ظلمه لنفسه. وإن علمت أن إظهار العطاء انتشار لفعل المعروف والاقتداء أظهرت. وإن رأيت كتمه أقرب إلى صلاح النفوس لأجل الحسد أخفيته، قال بعض الحكماء: من كان يريد لنفسه ما يريد فلا يثني ولا يشكر ولا يظهر، وهذا تفصيل ما أجمله الصادقون وبالله التوفيق اهـ ملخصاً.

بيان الأفضل من أخذ الصدقة:

أي التطوع (**أو الزكاة**) أي الواجب، وقد اختلفوا فيه. (**كان إبراهيم**) بن أحمد (**الخوّاص**) من رجال الحلية والرسالة (**و**)أبو القاسم (**الجنيد**) بن محمد البغدادي (**وجماعة**) آخرون ممن وافقهما (**يرون أن الأخذ من الصدقة**) أي التطوع (**أفضل**) من أخذ الواجب وعللوا ذلك بوجوه وقالوا: (**فإن في أخذ الزكاة**) الواجب (**مزاحمة للمساكين وتضييقاً عليهم**) في حقوقهم (**ولأنه ربما لا تكمل في أخذه صفة الاستحقاق**) ولا يوجد فينا ما شرطه الله عز وجل لواجبه (**كما وصف في الكتاب**) العزيز، ولا نضعه في حقيقة موضعه أو لا نختلط بمن يسقط عنه الواجب به، (**وأما الصدقة فأوسع**) علينا أجروه مجرى الهدايا وقد أمرنا بقبولها للتحاب، ومع هذا فإن القائلين به يشهدون النفحة من الله عز وجل، وأن الدين إنما هو

قائلون: يأخذ الزكاة دون الصدقة لأنها إعانة على واجب، ولو ترك المساكين كلهم أخذ الزكاة لأثموا، ولأن الزكاة لا منّة فيها وإنما هو حق واجب لله سبحانه رزقاً لعباده المحتاجين، ولأنه أخذ بالحاجة والإنسان يعلم حاجة نفسه قطعاً، وأخذ الصدقة أخذ بالدين فإن الغالب أن المتصدق يعطي من يعتقد فيه خيراً، ولأن مرافقة المساكين أدخل في الذل والمسكنة وأبعد من التكبر، إذ قد يأخذ الإنسان الصدقة في معرض الهدية فلا تتميز عنه، وهذا تنصيص على ذل الآخذ وحاجته. والقول الحق في هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يغلب عليه وما يحضره من النية فإن كان في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي أن يأخذ الزكاة. فإذا علم أنه مستحق قطعاً كما إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه في قضائه فهو مستحق قطعاً، فإذا خير

لله عز وجل كما قال ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ [الزمر: ٣] وأنهم مستعملون بالديانة لا عاملون بأنفسهم حيث كانوا منعماً عليهم لا منعمين على أنفسهم.

(**وقال قائلون**) من العارفين: انه (**يأخذ الزكاة**) الواجب (**دون الصدقة**) فلا يقبل منها (**لأنه**) في أخذه (**إعانة على واجب، ولو ترك**) الفقراء و(**المساكين كلهم أخذ الزكاة**) وتواطؤوا عليه (**لأثموا**) لأنهم أحد الأركان لأنه لا يتأتى الإنفاق مع إمتناعهم عن الأخذ، ومن لم يجد من يقبل زكاته فلا حرج عليه إذا لم يقع منه تقصير ولا منع قالوا: (**ولأنه لا منّة**) لأحد علينا (**فيه**) ولا حق له يلزمنا عليه، (**وإنما هو حق واجب لله سبحانه**) أوجبه علينا أن نأخذه من واجب الزكوات (**رزقاً للعباد والمحتاجين**) إليه، قالوا: (**ولأنه أخذ بالحاجة**) والفاقة وحرمة الإسلام فقط، (**والإنسان يعلم حاجة نفسه قطعاً**) فإنما نستوجبه بذلك وهو أسلم لديننا لئلا يدخل علينا الأكل بالدين (**وأخذ الصدقة أخذ بالدين، فإن الغالب أن المتصدق يعطي من يعتقد فيه خيراً**) وصلاحاً واعتقاد فضل فلا نختص بشيء دون الفقراء، قالوا: (**ولأن موافقة المساكين**) والفقراء (**أدخل في الذل والمسكنة**) وأقرب إلى التواضع (**وأبعد من التكبر**) والرعونة (**إذ قد يأخذ الإنسان الصدقة في معرض الهدية فلا تتميز عنه وهذا تنصيص في ذل الآخذ وحاجته**)، وهذا مذهب القراء من العابدين، ومن ينظر إلى صلاحه ونفسه من الدين هو مقتضى حالهم وموجب مشاهدتهم، (**والقول الحق**) الفصل (**في هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يغلب عليه ويحضره من النية فإن كان**) الآخذ (**في شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق**) من الفقر والمسكنة وغيرهما مما هو مذكور في الآية (**فلا ينبغي أن يأخذ الزكاة**) وتركه في حقه هو الواجب، (**فإذا علم أنه مستحق**) بإحدى الصفات، علماً (**قطعاً**) لا شبهة فيه (**كما إذا حصل عليه دين**) استدانه لمهم خير و(**صرفه الى خير**) لا إلى معصية (**وليس له وجه في قضائه فهو مستحق قطعاً، فإذا خير هذا**) وأمثاله (**بين**) أخذ (**الزكاء وبين**) أخذ (**الصدقة**)

هذا بين الزكاة وبين الصدقة فإذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم يأخذه هو فليأخذ الصدقة فإن الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها إلى مستحقها ففي ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين، وإن كان المال معرضاً للصدقة ولم يكن في أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير والأمر فيهما يتفاوت، وأخذ الزكاة أشد في كسر النفس وإذلالها في أغلب الأحوال والله أعلم.

كمل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه، ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصوم والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة والمقربين من أهل السموات والأرضين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ينظر، (**فإذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لو لم يأخذ هو**) وعلم ذلك منه بالقرينة الصارفة إليه، (**فليأخذ الصدقة**) بلا حرج (**فإن الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها إلى مستحقها**) من الأصناف الثمانية، (**ففي ذلك تكثير للخير**) وإعانة للمعطي عليه، (**وتوسيع للمساكين**) أي لا تقع المزاحمة حينئذ، (**وإن كان المال**) المعطى (**معرضاً للصدقة**) أي على سبيلها ولا بد من إخراجها، (**ولم يكن في أخذ الزكاة تضييق على المساكين**) ولا مزاحمة (**فهو**) أي الآخذ (**مخير**) إن شاء أخذ منها وإن شاء منه، (**والأمر فيهما يتفاوت**) بتفاوت الأحوال والأشخاص والأوقات، (**وأخذ الزكاة أشد في كسر النفس**) عن شهواتها ومعانيها الخبيثة (**و**) أقوى في (**إذلالها في أغلب الأحوال**)، ونقل هذا السياق النووي عن المصنف في آخر كتاب الزكاة من الروضة مختصراً، وأما صاحب القوت فإنه بعدما نقل مذهب الفريقين قال: والأمر في ذلك عندي أن من لم يأخذ من كل إنسان ولا في كل أوان ولم يقبلها إلا عند الحاجة وما لا بدّ له منه، ثم قام بحكم الله تعالى في الواجب حكمه في التطوع أن الحالين يتقاربان لأن الواجب أمر الله تبارك وتعالى فيه حكم، والتطوع ندب، وله عز وجل فيه حكم، فعلى العبد أن ينظر لدينه ويحتاط لأخيه فيعمل بما يوجب الوقت من الحكم من أيها كان، فسواء ذلك ولا ينظر بظلمة النفس في هوى الحظ ففي ذلك سلامته، (**والله أعلم**) اهـ.

وبه تم ما أوردناه من شرح كتاب أسرار الزكاة للإمام أبي حامد الغزالي قدس سره بحمد الله تعالى وحسن توفيقه وعونه ومدده، والحمد لله الذي تتم به الصالحات، وذلك عند أذان ظهر يوم الاثنين لأربع مضين من صفر الخير سنة ١١٩٨، قاله العبد المقصر أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني وفقه الله لما يحبه ويرضاه حامداً لله ومصلياً ومسلماً على نبيه ومستغفراً ومحسبلاً بلغ مراجعة في غرة ربيع الثاني سنة ١١٩٨ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

كتاب أسرار الصوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعظم على عباده المنة، بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه، ورد أمله

(بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً يا ناصر كل صابر)

الحمد لله رافع منار الإيمان بشهادة التوحيد الصدق الذي أوجبه على الخاص والعام، وموطد دعائم الإسلام بالصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان في كل عام، والصلاة والسلام على أشرف الأنام، مولانا وسيدنا محمد الذي بين الشرائع والأحكام، وميز بين الحلال والحرام، وأرشد الخلق إلى دار السلام، وعلى آله البررة الكرام، وأصحابه الأئمة الأعلام مصابيح الظلام، وعلى التابعين لهم ما دامت الليالي والأيام.

وبعد؛ فهذا شرح **(كتاب أسرار الصوم)** وهو أول السادس من الربع الأول من إحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي قدس الله روحه، وأوصل إلينا فتوحه يفصل مجملاته، ويبين معضلاته وينشر مطوياته ويظهر مكنوناته بتحقيق تام المسائل وتوفيق عام بين الدلائل وتيسير بهي للفوائد وتفسير جلي للمقاصد، لم آل جهداً في الكشف عن مضامين عباراته والرفع لنقاب الخفاء من مظان إشاراته على وجه جميل يرتضيه أهل الظاهر والباطن بالتسليم معتصماً بالله، ومن عصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم.

قال رضي الله عنه في بدء كتابه: **(بسم الله الرحمن الرحيم)** عملاً بالحديث المشهور الذي تقدم ذكره كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم، ثم عقبه بقوله:

(الحمد لله) للتأسي والإقتداء بالكتاب العزيز حيث جاء ذكر الحمد بعد البسملة، وللعمل بالحديث الثاني الوارد فيه « لم يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع » وكل من الجذم والقطع أعم من أن يكونا بالصورة والصحة أو بالثمرة والبركة. أي كل فعل خلا عنهما فلا يخلو عن الجذم أو القطع إما بالصورة أو بالمعنى أو بهما جميعاً، ثم إن المعتبر في البداءة بهما كونهما بالقلب إذ عليه مدار المقاصد، ولكن لما كان الاطلاع على حقيقة ما في القلب متعسراً جعل اللسان دليلاً عليه لكونه معرباً عما في الضمير فحسنت الملازمة بينهما ليكون كل منهما مطابقاً للثاني، خصوصاً في مقام إظهار الشكر لظهور النعم **(الذي أعظم على عباده المنة)** هي بكسر الميم النعمة الثقيلة، إسم من من عليه وبه يمن مناً إذا أنعم عليه، والجمع منى كسدرة وسدر، وقد جاء فعلاها للماضي والمضارع في القرآن. قال تعالى: ﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ [طه: ٣٧] وقال تعالى:

وخيب ظنه، إذ جعل الصوم حصناً لأوليائه وجنة، وفتح لهم به أبواب الجنة، وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنة، وأن بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة في قصم خصمها قوية المنة، والصلاة على محمد قائد الخلق وممهد السنّة

﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ [الحجرات: ١٧] وامنن عليه به مثله وإعظامها وتعظيمها بمعنى واحد وهو توفيرها وتفخيمها (**بما دفع عنهم كيد الشيطان**) أي خداعه (**وفنه**) أي مكره وتلبيسه، وأصل الفن النوع والضرب من الشيء، والجميع فنون. ويقال: هو صاحب فنون لمن عنده حيل وتدابير، (**وردّ أمله**) بالخسران أي ما كان يؤمله من بني آدم المؤمنين منهم خاصة بإبعاده لهم بالشر، (**وخيب ظنه**) أي جعل ما كان يظنه منهم خائباً أو جعله خائباً فيما كان يظنه فلم يظفر بما رامه منهم، (**إذ جعل الصوم**) الذي لا مثل له في العبادات (**حصناً**) أي بمنزلة الحصن الذي يتحصن به من شر الأعداء (**لأوليائه**) وهم عباده المتقون لقوله تعالى: ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾ [الأنفال: ٣٤] بالولاية العامة والخاصة قال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] (**وجنة**) أي وقاية، وفيه تلميح لحديث أبي هريرة عند مسلم «والصوم جنة». وسيأتي. وأصل الجنة ما يتوقى به من الأعادي، والجمع جنن وللصوم شبه تام بالتوحيد من حيث أن كلاً منهما أمر باطني لا يطلع عليه إلا الله تعالى، ومن حيث أن كلاً منهما حصن من الأعداء والعذاب. أما الصوم فحديث أبي هريرة السابق، وأما التوحيد فما رواه أهل البيت: «لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي» (**وفتح لهم به أبواب الجنة**) أشار به إلى ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة» وسيأتي. وبين الجنة والجنة جناس، (**وعرفهم**) تعريفاً إلهامياً أو تعليمياً بواسطة سفرائه الكرام عليهم السلام (**أن وسيلة**) عدوهم (**الشيطان**) في التوصل (**إلى قلوبهم**) بقلبها عن وجهها هي (**الشهوات**) الخفية (**المستكنة**) أشار بذلك إلى ما ورد في الخبر: «إن الشيطان يجري من بني ادم مجرى الدم فسدوا مجاريه بالجوع والعطش» أي هذه الأسباب معينة له على ما يريده من الإنسان من التصرف في الفضول، وهو ما زاد عن التصرف المشروع. والشهوات هي المشتهيات والمستلذات التي لا تتمالك النفس عنها. (**وأن بقمعها**) أي دفع تلك الشهوات الخفية (**تصبح النفس المطمئنة**) وهي التي سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب لسبب معارضة الشهوات (**ظاهرة الشوكة**) أي غالبتها والشوكة شدة البأس (**في قصم**) أي قطع (**خصمها**) وهو الشيطان الذي يعارضها بالشهوات وبين الخصم والقصم جناس، (**قوية المنة**) بضم الميم من الأضداد يطلق على القوة وعلى الضعف قاله ابن القطاع. فإن أريد بها معنى القوة فلا بد من التجريد كما لا يخفى. (**والصلاة على سيدنا محمد قائد الخلق**) أي سائقهم إلى الحشر، وبه سمي الحاشر إذ يحشر الناس على قدمه، وقائد الغر المحجلين من أمته خاصة إلى الجنة أو أن المراد بالقائد الرئيس فهو ﷺ رئيس الخلق وسيدهم على الإطلاق، (**وممهد السنة**) أي مسهلها لسالكيها. والسنة الطريقة المسلوكة والمراد بها سنة الله وهي طريقة حكمته وطاعته،

وعلى آله وأصحابه ذوي الأبصار الثاقبة والعقول المرجحنة وسلم تسليماً كثيراً.

(وعلى آله وأصحابه ذوي الآراء الثاقبة) أي المضيئة بنور النبوة أو النافذة الصائبة، والرأي استخراج صواب العاقبة، **(والعقول المرجحنة)** أي الراجحة والنون زائدة، وأرجحن المطر: دام **(وسلم تسليماً كثيراً)** ومباحث الصلاة والسلام كالحمد وتعريف الآل والصاحب مشهورة في الكتب وقد أسلفنا شيئاً منها في أول كتاب العلم.

ثم اعلم: أن قول المصنف كتاب أسرار الصوم هو كقوله في الوجيز كتاب الصيام، وتبعه الرافعي في المحرر، والنووي في الروضة، وذلك لأن كلاً منهما بمعنى واحد يقال: صام صوماً وصياماً. وأبدى بعض أصحابنا بينهما فرقاً خاصاً حيث قال نقلاً عن الفتاوى الظهيرية: لو قال لله عليّ صوم لزمه يوم واحد، ولو قال صيام لزمه ثلاثة أيام كما في قوله تعالى: ﴿ففدية من صيام﴾ [البقرة: ١٩٦] اهـ.

ولعل وجهه كما قرره بعض المتأخرين أنه أريد بلفظ صيام في لسان الشرع ثلاثة أيام، فكذا في النذر خروجاً عن العهدة بيقين بخلاف لفظ صوم، وهذا على توهم أن الصيغة لها دلالة على التعدد، وعندي فيه نظر لا يخفى فتأمله.

تنبيه:

عقب الزكاة بالصوم اقتداء بالقرآن، وعملاً بالحديث المشهور « بني الإسلام على خمس » فإنه قدم الزكاة فيه على الصوم، والصوم على الحج وهي رواية ابن عمر، وعلى هذا عمل أكثر الفقهاء من أرباب المذاهب المتبوعة، وذكر الإمام محمد بن الحسن في الجامعين الكبير والصغير الصوم عقيب الصلاة. واختاره قاضيخان في فتاويه لأن كلاً منهما عبادة بدنية إذ هو ترك الأعمال البدنية أعني الأكل والشرب والجماع.

وقد جاء في بعض الأخبار هكذا وذلك فيما رواه الترمذي، وصححه الحاكم، وابن حبان من طريق سليم بن عامر قال: سمعت أبا أمامة يقول: سمعت رسول الله ﷺ في حجة الوداع يقول « اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدّوا زكاة أموالكم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم ».

وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين من حديث أبي الدرداء وفيه: « وحجوا بيت ربكم » بدل « أطيعوا ذا أمركم » ولأن وجود الصوم مقدم على وجود الزكاة لأنه افترض قبلها على الصحيح، فحيث كان وجوده مقدماً على وجودها ناسب أن يكون ذكره أيضاً كذلك ليطابق الذكر الوجود، على أنه قد جاء في بعض روايات حديث ابن عمر السابق تقديم الصوم على الزكاة، ولكن رجحت الرواية السابقة التي فيها تقديم الزكاة على الصوم، وتقديم الصوم على الحج لمطابقتها بما في القرآن قال الله تعالى: ﴿والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات﴾ [الأحزاب: ٣٥] على أن المراد بالصابرين والصابرات الصائمون والصائمات،

أما بعد، فإن الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله ﷺ: «الصوم نصف الصبر»

ولذا اتفق أكثر العلماء على تقديم الصوم على الحج وهو الواقع في أكثر الأحاديث الصحيحة، ولأن الصوم مفرد والحج مركب والمفرد مقدم على المركب في الوجود، فناسب في الذكر ليتطابقا. ولما كان الصوم من أشق التكاليف على النفوس اقتضت الحكمة الإلهية أن يبدأ بالأخف وهو الصلاة تمريناً للمكلف ورياضة له، ثم يثني بالوسط وهو الزكاة، ويثلث بالأشق وهو الصوم، وإليه وقعت الإشارة في الآية المذكورة. وفي حديث «بني الإسلام» فاعرف ذلك.

قال المصنف رحمه الله: **(أما بعد، فإن الصوم)** ثالث أركان الإسلام بعد لا إله إلا الله محمد رسول الله. شرعه سبحانه لفوائد؛ أعظمها: كونه موجباً سكون النفس الأمارة وكسر سورتها في الفضول المتعلقة بجميع الجوارح من العين واللسان والأذن والفرج فإن به تضعف حركتها في محسوساته، ولذا قيل: إذا جاعت النفس شبعت جميع الأعضاء، فإذا شبعت جاعت كلها. وعن هذا صفاء القلب من الكدر، فإن الموجب لكدوراته فضول اللسان والعين وباقيها وبصفائه تناط المصالح والدرجات.

ومنها: كونه موجباً للرحمة والعطف على المساكين، فإنه لما ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات ذكر من هذا حاله في جميع الأوقات فتسارع إليه الرقة عليه والرحمة حقيقتها في حق الإنسان نوع ألم باطن فيسارع لدفعه عنه بالإحسان إليه، فينال بذلك ما عند الله تعالى من حسن الجزاء.

ومنها: موافقة الفقراء بتحمل ما يتحملون وفي ذلك رفع حال عند الله تعالى، كما حكي عن بشر الحافي أنه دخل عليه رجل في الشتاء فوجده جالساً يرعد وثوبه معلق على المشجب، فقال له: في مثل هذا الوقت ينزع الثوب أو معناه؟ فقال: يا أخي الفقراء كثير وليس لي طاقة مواساتهم بالثياب فأواسيهم بتحمل البرد كما يتحملون.

وبالنظر إلى ما ذكرناه قيل: الصوم **(ربع الإيمان)** وذلك **(بمقتضى قوله ﷺ «الصوم نصف الصبر»)** قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه من حديث رجل من بني سليم، وابن ماجه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ولفظ ابن ماجه «الصيام نصف الصبر» وعند البيهقي من حديث أبي هريرة هكذا، لكن بزيادة «وعلى كل شيء زكاة وزكاة الجسد الصيام».

(وبمقتضى قوله ﷺ «الصبر نصف الإيمان») قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية، والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن اهـ.

قلت: وأخرجه البيهقي من هذا الوجه بزيادة «واليقين الإيمان كله». وقال: تفرّد به يعقوب ابن حميد، عن محمد بن خالد المخزومي، والمحفوظ عن ابن مسعود من قوله غير مرفوع اهـ. ويعقوب قال الذهبي: ضعفه أبو حاتم وغير واحد.

وبمقتضى قوله ﷺ: « الصبر نصف الإيمان ». ثم هو متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان. إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه ﷺ: « كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ». وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا

وقد ذكر المصنف فيما بعد في المنجيات تحقيق معنى هذا الحديث حيث قال: والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقيـن معرفة ان المعصية ضارة والطاعة نافعة، ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل، فكان الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار اهـ.

ثم وجهوا في كون الصيام نصف الصبر بأن الصبر حبس النفس عن إجابة داعي الشهوة والغضب، فالنفس تشتهي الشيء بحصول اللذة بإدراكه وتغضب لفوته وتنفر لنفرتها عن المؤلم والصوم صبر عن مقتضى الشهوة فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب، لكن من كمال الصوم حبس النفس عنهما.

وقال الحليمي: إنما كان الصيام نصف الصبر لأن جميع العبادات فعل وكف، والصوم يقمع الشهوة فيسهل الكف وهو شرط الصبر فهما صبران صبر عن أشياء وصبر على أشياء، والصوم معين على أحدهما فهو نصف الصبر اهـ.

ثم ما ذكر المصنف هنا من أنه نصف الصبر يعارضه ما صار إليه بعض المفسرين من أن المراد بالصبر في قوله تعالى ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ [البقرة: ٤٥] إنه الصوم بدليل مقابلته بالصلاة. وأما ما ذهب إليه الأكثر منهم في تفسيره بالعبادة كلها فلا يعارضه. **(ثم هو)** أي الصوم **(متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان)** الخمسة. **(إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه ﷺ: « كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به »)** قال العراقي: أخرجاه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: لفظ مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول، قال الله عز وجل: « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به » وفي رواية أخرى له عنه، قال رسول الله ﷺ، قال الله عز وجل: « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جنة ». وفي رواية أخرى له عنه: « كل عمل ابن آدم تضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال الله عز وجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي ». وهكذا هو عند ابن ماجه من رواية الأعمش عن أبي صالح عنه زاد ابن ماجه بعد قوله إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاء الله.

وأخرج مسلم عن أبي هريرة، وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل يقول « إن الصوم لي وأنا أجزي به يدع شهوته ».

وعند البخاري من طريق الأعرج عن أبي هريرة في أثناء حديث « كل حسنة بعشرة أمثالها

....

إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به » وفي بعض طرقه « لكل عمل كفارة والصوم لي » وفي الحديث فوائد.

الأولى: ظاهره يقتضي أن أقل التضعيف عشرة أمثال وغايته سبعمائة ضعف، وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ [البقرة: ٢٦١] فقيل: المراد يضاعف هذا التضعيف وهو السبعمائة، وقيل: المراد يضاعف فوق السبعمائة لمن يشاء. وقد ورد التضعيف بأكثر من السبعمائة في أعمال كثيرة في أخبار صحيحة. أكثر ما جاء فيه ما رواه الحاكم في صحيحه من حديث ابن عباس مرفوعاً « من حجَّ من مكة ماشياً حتى يرجع إلى مكة كتب الله له بكل خطوة سبعمائة حسنة كل حسنة مثل حسنات الحرم قيل: وما حسنات الحرم؟ قال: بكل حسنة مائة ألف حسنة ». وقد أخرجه أيضاً الدارقطني في الافراد، والطبراني في الكبير، والبيهقي، والجمع بينه وبين حديث أبي هريرة هذا أنه لم يرد بحديث أبي هريرة انتهاء التضعيف بدليل أن في بعض طرقه بعد قوله « إلى سبعمائة » إلى أضعاف كثيرة. وفي أخرى: إلى ما يشاء الله. فهذه الزيادة تبين أن هذا التضعيف يزاد على السبعمائة، والزيادة من الثقة مقبولة على الصحيح.

الثانية: قال القاضي أبو بكر بن العربي في قوله « إلى سبعمائة ضعف » يعني بظاهره الجهاد في سبيل الله، ففيه ينتهي التضعيف إلى سبعمائة من العدد بنص القرآن وقد جاء في الحديث الصحيح « إن العمل الصالح في أيام العشر أحب إلى الله من الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع » قال: فهذان عملان.

قال العراقي في شرح الترمذي: وعمل ثالث روى أحمد في مسنده « النفقة في الحج تضاعف كالنفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة ضعف » قال: وعمل رابع وهو « كلمة حق عند سلطان جائر » ففي الحديث « أنه أفضل الجهاد » رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه من حديث أبي سعيد قال: وعمل خامس وهو ذكر الله، فإنه قد ورد « أنه أفضل الجهاد » من حديث أبي الدرداء، وأبي سعيد، وعبد الله بن عمرو، ومعاذ.

فحديث أبي الدرداء رواه الترمذي، وابن ماجه والحاكم وصححه بلفظ « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى. قال: ذكر الله ».

وحديث أبي سعيد رواه الترمذي بلفظ « سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيراً. قلت: يا رسول الله: ومن الغازي في سبيل الله؟ قال: لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكرون الله عز وجل أفضل منه درجة ».

وحديث عبدالله بن عمرو، رواه البيهقي في الدعوات، وابن عبد البر في التمهيد وفيه « وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكركم الله. قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع ».

....

وحديث معاذ، رواه الطبراني في الكبير بلفظ «ما من عمل آدمي أنجى له من عذاب الله من ذكر الله. قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا، إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع». ثلاث مرار.

الثالثة: اختلف في هذا الاستثناء، فقيل: من التضعيف كما يومىء إليه سياق المصنف الآتي بعد هذا، وقيل: من العمل ويؤيده رواية أبي صالح عن أبي هريرة «كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به» وبه يظهر معنى قوله «لي» أي ليس للصائم فيه حظ وهو أحد الوجوه في تفسيره نقله القاضي عن الخطابي.

الرابعة: أختلفوا في قوله «لي وأنا أجزي به» مع كون العبادات كلها له تعالى على أقوال.

منـها: ما أشار إليه المصنف في تضاعيف كلامه تلويحاً وتصريحاً كما ستأتي الإشارة إليه.

ومنـها: ما تقدم عن الخطابي قريباً.

ومنـها: أن الاستغناء عن الطعام والشراب من صفات الله تعالى فكأنه يتقرب إلى الله بشبه صفة من صفاته وإن كان تعالى لا شبه له في صفاته نقله القاضي، وأشار إليه الشيخ الأكبر قـدس سره بقوله: ولما كان العبد موصوفاً بأنه ذو صوم، وأنه الصائم ثم بعد إثبات الصوم له سلبه الحق عنه وأضافه إلى نفسه فقال: «إلا الصيام فإنه لي» أي صفة الصمدانية وهي التنزيه عن الغذاء ليس الا لي، وإن وصفتك به فإنما وصفتك باعتبار تقييد ما من تقييدات التنزيه لا بإطلاق التنزيه الذي ينبغي لجلالي فقلت: «وأنا أجزي به» فكأن الحق جزاء الصوم للصائم.

ومنـها: قيل سبب إضافته إليه تعالى أنه لم يعبد به أحد سواه فلم تعظم الكفار في عصر من الأعصار معبوداً لهم بالصيام، وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود والصدقة والذكر وغير ذلك حكاه النووي في شرح مسلم. قال العراقي في شرح الترمذي: ونقضه بعضهم بأرباب الاستخدامات فإنهم يصومون للكـواكـب. قـال: وليس هـذا بنقـض صحيـح، لأن أربـاب الاستخدامات لا يعتقدون أن الكواكب آلهة، وإنما يقولون إنها فعالة بنفسها وإن كانت عندهم مخلوقة.

ومنـها: أن معنى هذه الإضافة أن سائر العبادات يوفى منها ما على العبد من الحقوق إلا الصيام فإنه يبقى موفراً لصاحبه لا يوفى منه حق، وقد ورد ذلك في حديث. قال أبو العباس القرطبي: وقد كنت استحسنته إلى أن وجدت حديثاً فيه ذكر للصوم في جلة الأعمال المذكورة للأخذ منها، فإنه قال فيه «المفلس الذي يأتي يوم القيامة بصلاة وصدقة وصيام ويأتي وقد شتم هذا» الحديث قال: وهذا يدل على أن الصيام يؤخذ كسائر الأعمال اهـ.

قال العراقي، قلت: إذا صحح ذلك الاستثناء فهو مقدم على هذا العموم فيجب الأخذ به والله أعلم. فهذا أربعة أقوال مع قول الخطابي.

يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر : ١٠] والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب، وناهيك في معرفة فضله قوله ﷺ : « والذي نفسي بيده لخلوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلي فالصوم لي وأنا أجزي به ». وقال ﷺ : « للجنة باب يقال له الريان لا

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وقد قال الله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**) [الزمر: ١٠] أي الكافون عن شهوات نفوسهم يوفى لهم الأجر ما لا يحيطه العد والحسبان، (**والصوم نصف الصبر**) على ما تقدم تقريره، (**فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب**) أي التضعيف في جزائه غير مقدر بقانون، فمعنى « لي » أي أنا المفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، كما قال: « وأنا أجزي به » وغيره من الحسنات اطلعت على مقادير أجورها، كما قال « كل حسنة بعشر أمثالها » الخ. والصوم موكول إلى سعة جوده وغيب علمه، كما قال ﴿إنما يوفى الصابرون﴾ الآية. وعلى هذا الوجه الاستثناء فيه من التضعيف، وهو القول **الخامس** نقله القاضي عياض عن أبي عبيد، واعترض أبو عباس القرطبي على هذا الوجه بأن في الحديث أن صوم اليوم بعشرة وأن صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر. فهذه نصوص في إظهار التضعيف فبطل هذا الوجه.

(**وناهيك في معرفة فضله قوله ﷺ « والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. يقول**) الله (**تعالى: إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه من أجلي والصوم لي وأنا أجزي به »**) أخرجه الشيخان وهو بعض حديث من الذي تقدم، وفي رواية لهما: « والذي نفس محمد بيده » وفي لفظ لمسلم والنسائي « أطيب عند الله يوم القيامة ». وليس في شيء من طرق البخاري يوم القيامة، ولمسلم بعد قوله « وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي » ولمسلم أيضاً « ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك ». وفي رواية همام عن أبي هريرة: « والذي نفس محمد بيده إن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يذر شهوته وطعامه وشرابه من جرائي فالصيام لي وأنا أجزي به » وفي الحديث فوائد.

الأولى: الخلوف: بالضم المعروف في كتب اللغة والغريب، وقال في المشارق: كذا قيدناه عن المتقنين وأكثر المحدثين يروونه بالفتح وهو خطأ عند أهل العربية، وبالوجهين ضبطناه عن القابسي. وقال في الإكمال: هكذا الرواية الصحيحة بالضم، وكثير من الشيوخ يروونه بالفتح وهو خطأ. وحكى عن القابسي الوجهين ونسبه إلى أهل المشرق، وصوّب النووي في شرح مسلم الضم، وهو الذي ذكره الخطابي وغيره، وهو ما يخلف بعد الطعام في الفم من ريح كريهة بخلاء المعدة من الطعام.

الثانية: فيه رد على أبي علي الفارسي في قوله: إن ثبوت الميم في الفم خاص بضرورة الشعر فإنها تثبت في قوله: فم الصائم في الاختيار ومن ثبوتها مع الإضافة أيضاً قول الشاعر:

....

يصبح عطشاناً وفي البحر فمه

الثالثة: اختلف في معنى كون هذا الخلوف أطيب من ريح المسك بعد الاتفاق على أنه سبحانه منزه عن استطابة الروائح الطيبة واستقذار الروائح الكريهة، فإن ذلك من صفات الحيوان الذي له طبائع يميل إلى شيء فيستطيبه وينفر من شيء فيستقذره على أقوال.

أحدها: أنه مجاز واستعارة لأنه جرت عادتنا بتقريب الروائح الطيبة منا، فاستعير ذلك في الصوم لتقريبه من الله تعالى. قال المازري: فيكون المعنى أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك أي عندكم أي يقرب إليه أكثر من تقريب المسك إليكم، وذكر ابن عبد البر نحوه.

الثاني: أن معناه أن الله تعالى يجزيه في الآخرة، حتى تكون نكهته أطيب من ريح المسك كما قال في المكلوم في سبيل الله الريح ريح مسك. حكاه القاضي عياض.

الثالث: أن المعنى أن صاحب الخلوف ينال من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك عندنا، لا سيما بالإضافة إلى الخلوف وهما ضدّان حكاه القاضي عياض أيضاً.

الرابع: أن المعنى أنه يعتد برائحة الخلوف ويدخر على ما هي عليه أكثر مما يعتد بريح المسك، وإن كانت عندنا نحن بخلافه حكاه القاضي أيضاً.

الخامس: أن الخلوف أكثر ثواباً من المسك حيث ندب إليه في الجمع والأعياد ومجالس الحديث والذكر وسائر مجامع الخير. قاله الداودي وأبو بكر بن العربي والقرطبي، وقال النووي: وهو الأصح.

السادس: قال صاحب المفهم: يحتمل أن يكون ذلك في حق الملائكة يستطيبون ريح الخلوف أكثر مما يستطيبون ريح المسك. وقال الشيخ الأكبر قدس سره في كتاب الشريعة: خلوف فم الصائم رائحة فمه التي لا توجد إلا مع التنفس، وكل نفس الصائم أطيب عند الله جاء بالإسم الجامع المنعوت بالأسماء كلها. وقوله: من ريح المسك فإن ريح المسك أمر وجودي تدركه المشام وتلذ به، فجعل الخلوف عند الله أطيب منه لأن نسبة إدراك الروائح إلى الله لا يشبه إدراك الروائح بالمشام فهو خلوف عندنا، وعنده هذا الخلوف فوق طيب المسك فإنه روح موصوف لا مثل لما وصف به ولا تشبه الرائحة الرائحة، فإن رائحة الصائم عن تنفس ورائحة المسك لا عن تنفس من المسك، ولما كانت الروائح الكريهة تنفر عنها الأمزجة الطبيعية من إنسان وملك لما يجدونه من التأذي في ذلك وذلك لعدم المناسبة، فإن وجه الحق في الروائح الكريهة لا يدركه إلا الله خاصة لا ملك ولا غيره، ولهذا قال: عند الله، فإن الصائم أيضاً في كونه إنساناً يكره خلوف الصوم من غيره، وهل يتحقق أحد من المخلوقين وقتاً ما أو في مشهد ما فيدرك الروائح الخبيثة طيبة على الإطلاق فما سمعنا بهذا. وقولي على الإطلاق من أجل أن بعض الأمزجة يتأذى بريح المسك، ولا سيما المحرور المزاج، وما يتأذى منه فليس بطيب عند صاحب ذلك المزاج، فلهذا

يدخله إلا الصائمون وهو موعود بلقاء الله تعالى في جزاء صومه». وقال ﷺ:

قلنا على الإطلاق إذ الغالب على الأمزجة طيب المسك والورد وأمثالها، والمتأذي من هذه الروائح الطيبة مزاج غريب أي غير معتاد، ولا أدري هل أعطى الله أحداً إدراك ذلك، بل المنقول عن الكمل من الناس ومن الملائكة التأذي بهذه الروائح الخبيثة وما انفرد بادراك ذلك طيباً إلا الحق. هذا هو المنقول ولا أدري أيضاً شأن الحيوان من غير الإنسان في ذلك ما هو لا فيما أقامني الحق في صورة حيوان غير إنسان كما أقامني في صورة ملكية، والله أعلم اهـ.

الرابعة: قوله في رواية مسلم والنسائي «أطيب عند الله يوم القيامة» يقتضي أن طيب رائحة الخلوف إنما هو في الآخرة، وقد وقع بين ابن الصلاح والعز بن عبد السلام في أن طيب الخلوف هل هو في الدنيا والآخرة أو في الآخرة فقط، فذهب ابن الصلاح إلى الأول، وابن عبد السلام إلى الثاني. وقد استدل ابن الصلاح بأقوال العلماء وليس في قول واحد منهم تخصيص الآخرة بل جزموا بأنه عبارة عن الرضا والقبول ونحوهما مما هو ثابت في الدنيا والآخرة، وأما ما ذكرتم يوم القيامة في الرواية فلأنه يوم الجزاء، وفيه يظهر رجحان الخلوف في الميزان على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلباً لرضا الله حيث يؤمر باجتنابها واجتلاب الرائحة الطيبة، فخص يوم القيامة بالذكر في رواية لذلك، كما خص في قوله تعالى ﴿إنّ ربهم بهم يومئذ لخبيرٌ﴾ [العاديات: ١١] وأطلق في باقي الروايات نظراً إلى أن الأفضلية ثابتة في الدارين.

الخامسة: قوله «إنما يذر شهوته» الخ هو من كلام الله تعالى حكاه عنه نبيه ﷺ، وقد وقع في بعض الروايات عدم التصريح بنسبته إلى الله تعالى للعلم بذلك وعدم الإشكال فيه، وهذه التي وقع التصريح فيها هي رواية أبي صالح عن أبي هريرة.

السادسة: ذكر الطعام والشراب بعد ذكر الشهوة من عطف الخاص على العام لدخولها فيها وذلك للاهتمام بشأنهما، فإن الابتلاء بهما أعم وأكثر تكراراً من غيرهما من الشهوات.

السابعة: قد يشير الإتيان بصيغة الحصر في قوله «إنما يذر» إلى أنه إذا أشرك مع ذلك غيره من مراعاة ترك الأكل لتخمة ونحوها لا يكون الصوم صحيحاً، وقد يقال: إنما أشير بذلك إلى الصوم الكامل.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وقال ﷺ: «للجنة باب يقال له الريّان لا يدخله إلاّ الصائمون»**) أخرجاه من حديث سهل بن سعد. قاله العراقي.

قلت: لفظ مسلم «إن في الجنة باباً يقال له الريّان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم. يقال: أين الصائمون فيدخلون منه فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد». وهكذا أخرجه أحمد.

« للصائم فرحتان فرحة عند إفطاره وفرحة عند لقاء ربه ». وقال ﷺ : « لكل شيء

وفي بعض طرق البخاري « في الجنة ثمانية أبواب فيها باب يسمى الريّان لا يدخله إلا الصائمون ».

وأخرجه الطبراني في الكبير من حديث سهل بن سعد بلفظ « لكل باب من أبواب البر باب من أبواب الجنة وأن باب الصيام يدعى الريّان ».

أخرج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث أبي هريرة رفعه « لكل أهل عمل باب من أبواب الجنة يدعون بذلك العمل ولأهل الصيام باب يقال له الريّان ».

وفي كتاب الشريعة: اعلم أن الشرع قد نعت الصوم من طريق المعنى بالكمال الذي لا كمال فوقه، حتى أفرد له الحق باباً خاصاً وسماه باسم خاص يقتضي الكمال يقال له « باب الريّان » منه يدخل الصائمون. والري: درجة الكمال في الشرب، فإنه لا يقبل بعد الري الشارب الشرب أصلاً، ومهما قبل فما ارتوى أرضاً كان أو غير أرض من أرض الحيوانات. قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة » الحديث. ولم يقل ذلك في شيء من منهي العبادات ولا مأمورها إلا في الصوم فبيّن بالريان أنهم حازوا صفة الكمال في العمل وقد اتصفوا بما لا مثل له وما لا يماثل هو الكامل على الحقيقة، فالصائمون من العارفين هنا دخلوه وهناك يدخلونه على علم من الخلائق أجمعين اهـ.

(**« وهو**) أي الصائم (**موعود بلقاء الله في جزاء صومه ». قال ﷺ : « للصائم فرحتان فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء ربه »**). أخرجه الشيخان والنسائي، من طريق عطاء بن أبي رباح، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة. ولهما أيضاً « للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه ».

وفي لفظ للنسائي « إذا أفطر فرح بفطره ».

ولمسلم، وابن ماجه من طريق الأعمش، عن أبي صالح « للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه عز وجل » وهذا أقرب إلى سياق المصنف.

وفي لفظ لمسلم « إن للصائم فرحتين إذا أفطر فرح وإذا لقي الله عز وجل فرح » وفي لفظ له: « وإذا لقي الله عز وجل فجزاه فرح ».

وفي كتاب الشريعة: وفرحة بالفطر في الدنيا من حيث إيصال حق النفس الحيوانية التي تطلب الغذاء لذاتها، فلما رأى افتقار نفسه الحيوانية إليه وجوده بما أوصل إليها من الغذاء قام في هذا المقام بصفة حق، فأعطى بيدي الله كما رأى عند اللقاء بعين الله، فلهذا فرح بفطره كما فرح بصومه اهـ.

(**وقال ﷺ « لكل شيء باب وباب العبادة الصوم »**) لأنه يصفي الذهن ويكون سبباً لإشراق النور على القلب، فينشرح الصدر للعبادة وتحصل الرغبة فيها.

باب وباب العبادة الصوم ». وقال ﷺ : « نوم الصائم عبادة ». وروى أبو هريرة رضي الله عنه، أنه ﷺ قال: « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين ونادى منادٍ يا باغي الخير هلـمّ ويا باغي الشر اقصر ». وقال

قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد، ومن طريقه أبو الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه هناد، عن ضمرة بن حبيب مرسلاً. وضمرة تابعي ثقة ولفظه: « إن لكل شيء باباً وباب العبادة الصيام ».

(وقال ﷺ : « نوم الصائم عبادة ») وصمته تسبيح وعلمه مضاعف ودعاؤه مستجاب وذنبه مغفور ». رواه البيهقي، والديلمي، وابن النجار من حديث عبدالله بن أبي أوفى الأسلمي.

قال البيهقي عقب إيراده: معروف بن حسان أي أحد رجاله ضعيف، وسليمان بن عمر النخعي أضعف منه اهـ.

وقال العراقي: سليمان النخعي أحد الكذابين اهـ.

قال المناوي في شرح الجامع: وفيه أيضاً عبد الملك بن عمير. قال أحمد: مضطرب الحديث، وقال ابن معين: مختلط، ثم اعترض المناوي على صاحب الجامع وقال: عجباً منه كيف يذكر هذا الطريق الضعيف بمرة ويترك طريقاً خالية عن كذّاب. أوردها الزين العراقي في أماليه من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: الذي قاله الزين العراقي رويناه في أمالي ابن ملة من رواية ابن المغيرة القواس عن عبدالله بن عمر بسند ضعيف، ولعله عبدالله بن عمرو فإنهم لم يذكروا لأبي المغيرة رواية الّا عنه اهـ.

قلت: وهو كذلك ذكره الذهبي وغيره.

(وروى أبو هريرة) رضي الله عنه **(أنه ﷺ قال « إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين »)** أخرجه البخاري ومسلم هكذا. وفي لفظ آخر لمسلم: « اذا جاء » بدل « إذا دخل » وفي لفظ له. « إذا كان رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين ». وهكذا رواه أحمد وابن أبي شيبة. وعند البخاري في بعض طرقه « فتحت أبواب السماء ». وزاد الترمذي وابن ماجه والحاكم: **(« ونادى مناد يا باغي الخير)** أي طالبه **(هلّم)** أي أقبل **(ويا باغي الشر أقصر »)** أي أمسك كما في رواية النسائي. قال الترمذي: غريب. وقال الحاكم: صحيح على شرطها. وصحح البخاري وقفه على مجاهد.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا معتمر بن سليمان، سمعت أيوب يحدث عن أبي قلابة، عن

وكيع في قوله تعالى: ﴿كُلُوا واشرَبُوا هنيئاً بما أَسْلَفْتُم في الأيامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] هي أيام الصيام إذ تركوا فيها الأكل والشرب، وقد جمع رسول الله ﷺ في رتبة المباهاة بين الزهد في الدنيا وبين الصوم فقال: « إن الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقـول:

أبي هريرة قال، قال النبي ﷺ وهو يبشر أصحابه: « **قد جاءكم رمضان شهر مبارك افترض عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين** ».

وحدثنا ابن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن عرفجة قال: كنت عند عتبة بن فرقة، وهو يحدثنا عن فضل رمضان، فدخل علينا رجل من أصحاب النبي ﷺ فسكت عنه وكأنه هابه، فلما جلس قال له عتبة: يا أبا فلان حدثنا بما سمعت من رسول الله ﷺ في رمضان. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب النار وتصفد فيه الشياطين وينادي مناد كل ليلة يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر أقصر ».

قلت: وهكذا رواه النسائي بهذه الزيادة عن عرفجة، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

وروى ابن أبي شيبة أيضاً من حديث أنس مرفوعاً « **هذا رمضان قد جاء تفتح فيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النار وتغل فيه الشياطين** ».

وفي كتاب الشريعة: لما كان مجيء رمضان سبباً في الشروع في الصوم فتح الله أبواب الجنة والجنة الستر، فدخل الصوم في عمل مستور لا يعلم منه إلا الله تعالى لأنه ترك وليس بعمل وجودي فيظهر للبصر أو يعمل بالجوارح، وغلق الله أبواب النار فإذا غلقت أبواب النار عاد نفسها عليها فتضاعف حرها وأكل بعضها بعضاً، كذلك الصائم في حكم طبيعته إذا صام غلق أبواب نار طبيعته، فوجد للصوم حرارة زائدة لعدم استعمال المرطبات، ووجد ألم ذلك في باطنه وتضاعفت شهوته للطعام الذي يتوهم الراحة بتحصيله فتتقوى نار شهوته بغلق باب تناول الأطعمة والأشربة. وصفدت الشياطين: وهي صفة البعد فكان الصائم قريباً من الله بالصفة الصمدانية فإنه في عبادة لا مثل لها فقرب بها من صفة ليس كمثله شيء، ومن كانت هذه صفته فقد صفدت الشياطين في حقه.

(**وقال وكيع**) بن الجراح بن سفيان الرؤاسي أحد الأعلام، عن الأعمش وهشام عن عروة. وعنه أبو بكر بن أبي شيبة وأحمد وإسحاق، ولد سنة ١٢٨ ومات بفيد يوم عاشوراء سنة ١٩٧ (**في قوله تعالى: كلوا واشربوا هنيئاً**) الخطاب لأهل الجنة (**بما أسلفتم**) أي قدمتم (**في الأيام الخالية**) أي الماضية. قال: (**هي أيام الصيام**). أي في الدنيا (**إذ تركوا فيها**) أي في تلك الأيام (**الأكل والشرب، وقد جمع رسول الله ﷺ في رتبة المباهاة**) أي المفاخرة (**بين الزهد في الدنيا**) أي التقلل منها (**وبين الصوم فقال « إن الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد**) من بني آدم يظهر لهم فضله ويعرفهم أنهم من أهل الحظوة لديه،

أيها الشاب التارك شهوته لأجلي المبذل شبابه لي أنت عندي كبعض ملائكتي ». وقال ﷺ في الصائم : يقول الله عز وجل انظروا يا ملائكتي إلى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي » . وقيل في قوله تعالى : ﴿ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُن جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] قيل : كان عملهم الصيام لأنه قال : ﴿ إِنَّمَا يوفّى الصابرون أجرهم بغير حسابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] فيفرغ للصائم جزاؤه إفراغاً ويجازف جزافاً فلا يدخل تحت وهم وتقدير ، وجدير بأن يكون كذلك لأن الصوم إنما كان له ومشرفاً

(ويقول: أيها الشاب التارك شهوته لأجلي) وهي أعم من الطعام والشراب والنكاح (المبدل شبابه لي) هكذا في النسخ كمحسن وفي بعضها كمحدث، ويجوز أن يكون المبتذل والمعنى لمتهن، وعلى الأولين بمعنى الصارف ومعنى « لي » أي ابتغاء مرضاتي (أنت عندي كبعض ملائكتي ») قال العراقي : رواه ابن عدي من حديث ابن مسعود بسند ضعيف اهـ .

قلت : وأخرج ابن السني في اليوم والليلة ، والديلمي من حديث طلحة أحد العشرة بلفظ « إن الله يباهي بالشاب العابد الملائكة يقول انظروا إلى عبدي ترك شهوته من أجلي » وفيه يحي بن بسطام وهو ضعيف، ويزيد بن زياد الشامي وهو متروك، ولذا ذكر بعضهم في معنى إضافة الصوم إلى الله تعالى ان الصائم على صفة الملائكة في ترك الطعام والشراب والشهوات وهو القول السادس .

وأخرج الطبراني في الاوسط من حديث أبي هريرة قال الله تعالى « عبدي المؤمن أحب إلي من بعض ملائكتي » وفيه إشارة إلى المباهاة المذكورة.

(وقال ﷺ في الصائم « يقول الله تعالى يا ملائكتي انظروا الى عبدي ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي ») قال العراقي : لم أجده اهـ .

قلت : هو من حديث طلحة عن ابن السني الذي قدمناه قبل هذا .

(وقيل في) تفسير (قوله تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) أي ما تقر به عيونهم ويفرحون به (جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [السجدة: ١٧] قيل) إن (عملهم الصيام لأنه تعالى قال: ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [الزمر: ١٠] والصوم نصف الصبر كما تقدم (فيفرغ للصائم) وفي نسخة: للصابر (إفراغاً) واسعاً (ويجازف جزافاً) أي مجازفة، (فلا يدخل تحت وهم وتقدير) أي من غير أن يعلم كيله أو وزنه أو عدده لا يعلم بقدره إلا الله عز وجل، فناسب ذلك قوله عز وجل: ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم ﴾ فالآيات الثلاث مطابقة المعنى، (وجدير) أي حقيق (بأن يكون كذلك لأن الصوم إنما كان له) عز وجل (ومشرفاً بالنسبة إليه) في قوله « الصوم لي » (وإن كانت العبادات كلها له) راجعة إليه

بالنسبة إليه، وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له لمعنيين.

أحدهما: أن الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد، وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى، والصوم لا يراه إلا الله عز وجل فإنه عمل في الباطن بالصبر المجرد.

(**كما شرف البيت**) العتيق (**بالنسبة إلى نفسه والأرض كلها له**) أي فإن هذه الإضافة للتخصيص والتشريف كما يقال: بيت الله وناقة الله ومسجد الله تعالى وجميع المخلوقات لله تعالى، وهذا هو القول **السابع في تفسير قوله** «لي» نقله القاضي عياض (**لمعنيين**:

أحدهما: **أن الصوم كف و**) إمساك وهو (**ترك**) الأكل والشرب (**وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد**) وحال الممسك شبعاً أو فاقة كحال الممسك تقرباً، وإنما القصد وما يبطنه القلب هو المؤثر في ذلك، (**وجميع الطاعات**) كالصلاة والحج والزكاة أعمال بدنية ظاهرة (**بمشهد من الخلق ومرأى**) يمكن فيها الرياء والسمعة، (**والصوم لا يراه إلا الله عز وجل**) فلا يمكن فيه الرياء والسمعة كما يمكن في غيره من الأعمال، (**فإنه عمل في الباطن بالصبر المجرد**)، وهو القول **الثامن في تفسير قوله** «لي» نقله المازري والقاضي، وأشار إليه أبو عبيد حيث قال في معنى «وأنا أجزي به» أي أنا أتولى جزاءه إذ لا يظهر فتكتبه الحفظة إذ ليس من اعمال الجوارح الظاهرة وإنما هو نية وإمساك اهـ.

وقد وقع التصريح بهذا المعنى فيما رواه ابن منيع، والبيهقي، وأبو نعيم من حديث أبي هريرة بلفظ «الصيام لا رياء فيه، قال الله تعالى هو لي وأنا أجزي به يدع طعامه وشرابه من أجلي».

وفي كتاب الشريعة: الصوم هو الإمساك والرفعة. يقال: صام النهار إذا ارتفع، قال امرؤ القيس:

إذا صام النهار وهجر

أي ارتفع، ولما ارتفع الصوم عن سائر أعمال العبادات كلها في الدرجة سمي صوماً ورفعة إلى نفي المثلية عنه كما سنذكره وسلبه الحق عن عباده وأضافه إليه سبحانه وجعل جزاء من اتصف به بيده من أنابته، فقال «وأنا أجزي به» وألحقه بنفسه في نفي المثلية وهو في الحقيقة ترك لا عمل، ونفي المثلية وصف سلبي فتفوت المناسبة بينه وبين الله تعالى، قال تعالى في حق نفسه: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] فنفى أن يكون له مثل فهو سبحانه لا مثل له.

وخرج النسائي عن أبي أمامة: «أتيت النبي ﷺ فقلت مرني بأمر آخذه عنك. قال: «عليك بالصوم» فإنه لا مثل له فنفى أن يماثل ومن عرف أنه وصف سلبي إذ هو ترك المفطرات. علم قطعاً أنه لا مثل له إذ لا عين له تتصف بالوجود الذي يعقل، ولهذا قال الله تعالى: إن الصوم

والثاني: أنه قهر لعدوّ الله عز وجل، فإن وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وإنما تقوى الشهوات بالأكل والشرب، ولذلك قال ﷺ: «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع» ولذلك قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «داومي قرع باب الجنة، قالت: بماذا؟ قال ﷺ: بالجوع». وسيأتي فضل الجوع في

له، فهو في الحقيقة لا عبادة ولا عمل، وإسم العمل إذا أطلق عليه تجوّز، ولا يقال في الصوم ليس كمثله شيء، فإن الشيء أمر ثبوتي أو وجودي والصوم ترك فهو معقول عدمي ونعت سلبي فهو لا مثل له لا أنه ليس كمثله شيء، فهذا الفرق بين نعت الحق في نفي المثلية وبين نعت الصوم بها اهـ.

(والثاني): من المعنيين **(أنه)** أي الصوم **(قهر لعدو الله)** تعالى ودفاع لفخوخه ومصائده **(فإن وسيلة الشيطان لعنه الله)** التي يتوسل بها في خداع بني آدم **(الشهوات)** النفسية **(وإنما تقوى)** تلك الشهوات **(بالأكل والشرب)** وبهما تتقوى شهوة الجماع، **(ولذلك قال ﷺ «إن الشيطان)** أي كيده **(ليجري من ابن آدم)** أي فيه **(مجرى الدم)** في العروق المشتملة على جميع البدن.

قال المناوي: ومجرى إما مصدر أي يجري مثل جريان الدم في أنه لا يحس بجريه كالدم في الأعضاء، ووجه الشبه شدة الاتصال فهو كناية عن شدة تمكنه من الوسوسة، أو ظرف ليجري ومن الإنسان حال منه أي يجري في مجرى الدم كائناً من الإنسان، أو بدل بعض من الإنسان أي يجري في الإنسان حيث يجري فيه الدم.

قال العراقي: هو متفق عليه من حديث صفية دون قوله: **(فضيقوا مجاريه بالجوع»)** اهـ.

قلت : وذكره المصنف أيضاً بهذه الزيادة مرسلاً في شرح عجائب القلب وهو في كتاب الشريعة بلفظ «فسدوا مجاريه بالجوع والعطش» اهـ.

وأنا أظن أن هذه الزيادة وقعت تفسيراً للحديث من بعض رواته فألحقها به من روى عنه.

وأما الجملة الأولى منه، فأخرجها الشيخان، وأبو داود وابن ماجه، وأول الحديث «أنه ﷺ انطلق مع صفية فمر به رجلان من الأنصار فدعاهما فقال: إنها صفية. قالا: فسبحان الله» فذكره. وأخرج الشيخان أيضاً، وأحمد، وأبو داود من حديث أنس بن مالك. وقد تقدم لهذا الحديث ذكر في كتاب العلم، ونقل صاحب العوارف عن بعضهم: أنه ينهزم الشيطان من جائع نائم فكيف إذا كان قائماً ويعانق شبعاناً قائماً فكيف إذا كان نائماً؟.

(وكذلك قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «داومي قرع باب الجنة. قالت: بماذا؟ قال: بالجوع») قال العراقي: لم أجده أصلاً اهـ.

كتاب شره الطعام ـ وعلاجه من ربع المهلكات ـ فلما كان الصوم على الخصوص قمعاً للشيطان وسداً لمسالكه وتضييقاً لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل، ففي قمع عدوّ الله نصرة لله سبحانه، وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له. قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد ﷺ: ٧]، فالبداية بالجد من العبد والجزاء بالهداية من الله عز وجل، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى

قلت: وهو في كتاب عوارف المعارف من قول عائشة بلفظ «أديموا قرع باب الملكوت يفتح لكم. قالوا: كيف نديم؟ قالت: بالجوع والعطش والظمأ» اهـ وهذا أشبه.

وسيأتي للمصنف هذا عن الحسن عن عائشة بهذا اللفظ في باب كسر الشهوتين كما قال: (**وسيأتي فضل الجوع في باب كسر شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات**) إن شاء الله تعالى، (**فلما كان الصوم على الخصوص**) من دون العبادات (**قمعاً للشيطان**) أي كيده (**وسداً لمسالكه وتضييقاً لمجاريه**) من ابن آدم (**استحق التخصيص بالنسبة الى الله تعالى**)، فالحاصل أن الإضافة في قوله «لي» إما إضافة تشريف كقولهم: بيت الله، أو تخصيص كقوله: هذه ناقة الله وهو القول **التاسع**.

ويحتمل أن يكون من باب إضافة الحماية كما في قوله تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر: ٤٢] **وهو القول العاشر، فهذه عشرة أقوال جمعتها من كلام العلماء منها ما** لوح إليها المصنف دون ما زدتها، وقد ذكر الخطيب في شرح المنهاج: أنهم اختلفوا في معناه على أقوال تزيد على خمسين، قال السبكي: من أحسنها قول سفيان بن عيينة: إن يوم القيامة تتعلق خصماء المرء بجميع أعماله إلا الصوم. إلى آخر ما ذكره، وقد ذكرت القول وما اعترض به عليه، والجواب عنه، وأنا عندي أحسنها ما أورده المصنف وغيره من أنه عمل السر لا يداخله رياء، فكان أولى بهذه الإضافة.

(**ففي قمع**) عتو (**عدو الله نصرة الله تعالى ونصرة الله تعالى للعبد موقوفة على النصرة له**) أي نصرة العبد له، ولذا (**قال الله تعالى: ﴿إن تنصروا الله**) أي بقمع أعداء الله (**ينصركم**) على أعدائكم (**ويثبت أقدامكم﴾**) [محمد ﷺ: ٧] عن المذلة. (**فالبداية بالجهد**) على الاستطاعة (**من العبد والجزاء بالهداية من الله عز وجل، ولذلك قال الله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا﴾**) أي دافعوا أعداء الدين في سبيلنا ووجهنا (**﴿لنهدينهم﴾**) أي لنرشدنهم (**﴿سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾**) [العنكبوت: ٦٩] أي معهم بالنصرة والهداية والتوفيق. (**وقال الله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم**) مما أنعم عليهم من أنواع النعم (**حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [الرعد: ١١] وإنما التغيير تكثير الشهوات**) بأن يعطي لنفسه

يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد : ١١] وإنما التغيير تكثير الشهوات فهي مـرتع الشياطين ومرعاهم، فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوباً عن لقائه. وقال ﷺ : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات ». فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنّة، وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلا بدّ من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة، ونبين ذلك بثلاثة فصول.

كل ما تشتهيه وتستلذه، **(فهي)** أي الشهوات **(مرتع الشياطين ومرعاهم، فما دامت)** الشهوات **(مخصبة)** المرعى **(لم ينقطع تردده إليها)**، فقد نقل صاحب العوارف عن بعضهم أن في نفس ابن آدم ألف عضو من الشر كلها في كف الشيطان فيتعلق بها، فإذا جوع بطنه وأخذ حلقه وروض نفسه ويبس كل عضو واحترق بنار الجوع فر الشيطان من ظله، وإذا أشبع بطنه وترك حلقه في لذائذ الشهوات فقد رطب أعضاءه وأمكره الشيطان والشبع نهر في النفس ترده الشياطين، والجوع نهر في الروح ترده الملائكة. وقال ذو النون: ما أكلت حتى شبعت ولا شربت حتى رويت إلا عصيت الله تعالى أو هممت بمعصية **(وما داموا يترددون)** إلى تلك المراعي **(لم ينكشف للعبد جلال الله تعالى)** وعظمته **(وكان محجوباً عن لقائه)** بعيداً عن رضاه، مطروداً عن حماه. (و)لذا **(قال ﷺ : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء »)**. قال العراقي: رواه أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه اهـ.

والمراد بملكوت السماء عالم الغيب المختص **(فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة)** الذي يدخل منه إليها **(وصار جنة)** واقية من الأعداء الظاهرة والباطنة.

أخرج النسائي من حديث معاذ « الصوم جنة ».

وأخرج البيهقي من حديث عثمان بن أبي العاص « الصوم جنة من عذاب الله ».

وعند الطبراني في الكبير بلفظ « الصوم جنة يستجن بها العبد من النار ».

وعند أحمد والنسائي من حديث أبي هريرة « الصيام جنة ».

وعندهما والنسائي، وأبي بكر بن أبي شيبة من حديث عثمان بن أبي العاص « الصيام جنة من النار كجنة أحدكم من القتال ».

وعند أحمد والبيهقي من حديث أبي هريرة: « الصيام جنة وحصن حصين من النار ».

وعند البيهقي من حديث جابر « الصيام جنة حصينة من النار ».

وعند الطبراني في الأوسط « الصيام جنة ما لم يخرقها بكذب أو غيبة ».

(وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر

....

أركانه وسننه وشروطه الباطنة) وما فيها من صوم العموم والخصوص. وبعد فراغنا من الكلام على أحكام المسألة التي يوردها المصنف في ذلك ننتقل إلى الكلام بلسان الخواص وخلاصتهم على صوم النفس بما هي آمرة للجوارح وهو إمساكها عما حجر عليها وارتفاعها عن ذلك وعلى صوم القلب الموصوف بالسعة للنزول الإلهي حيث قال: وسعني قلب عبدي المؤمن وصومه هو إمساكه هذه السعة أن يعمرها أحد غير خالقه، فإن عمرها أحد غير خالقه فقد أفطر زماناً لا يجب أن يكون فيه صائماً إيثاراً لربه والكلام على جملة المفطرات في شروع كل صوم على الاختصار والتقريب، **(وتبيين ذلك بثلاثة فصول)** .

الفصل الأول

في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بإفساده

أما الواجبات الظاهرة فستة:

الأول: مراقبة أول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال، فإن غمّ فاستكمال ثلاثين يوماً من شعبان. ونعني بالرؤية العلم، ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال

الفصل الأول

في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بإفساده

أما الواجبات الظاهرة فستة:

الأول: مراقبة) أي انتظار **(أول شهر رمضان)** وذلك بالتماس هلاله في ليلة الثلاثين من شعبان لأن الشهر قد يكون تسعة وعشرين يوماً كما في الخبر: الشهر هكذا وهكذا وهكذا يشير بأصابع يديه وخنس ابهامه في الثالثة يعني تسعة وعشرين يوماً وقال: الشهر هكذا وهكذا وهكذا من غير خنس يعني ثلاثين يوماً فيجب طلبه لإقامة الواجب، **(فإن غم)** بعلة كالغيم والغبار ونحوهما **(فباستكمال العدة ثلاثين يوماً من شعبان)** لما في البخاري من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ ذكر رمضان فقال: « لا تصوموا رمضان حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين ». وللحديث ألفاظ أخر في الصحيحين فمن رأى الهلال بنفسه لزمه الصوم به ولا يتوقف على كونه عدلاً، وقال عطاء بن أبي رباح لا يصوم إلا برؤية غيره معه اهـ. وكذا إذا لم يره بنفسه ولكن أخبر به فحصل له به العلم.

وإليه أشار بقوله **(ونعني بالرؤية العلم)** الشرعي الموجب للعمل وهو غلبة الظن، وكذا صرح به أصحابنا أيضاً لا بمعنى اليقين، كما ذهب إليه بعض أصحابنا **(ويحصل ذلك)** العلم **(بقول عدل واحد)** على الأظهر المنصوص في أكثر كتب الشافعي، والقول الثاني لا بد من اثنين، قال الاسنوي: وهذا هو مذهب الشافعي المتأخر، ففي الأم لا يجوز على هلال رمضان إلا شاهدان، ونقل البلقيني أن الشافعي رجع بعد فقال: لا يصام إلا بشاهدين. فإن قلنا: لا بد من اثنين فلا مدخل لشهادة النساء والعبيد، ولا بد من لفظ الشهادة ويختص بمجلس القضاء ولكنها شهادة حسبة لا ارتباط لها بالدعوى، ويكفي في الشهادة أشهد أني رأيت كما صرح به الرافعي في صلاة العيد والروياني وغيرهما، فإن قبلنا الواحد فهل هو بطريق الرواية أم الشهادة؟

شوّال إلا بقول عدلين احتياطاً للعبادة. ومن سمع عدلاً ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم، وإن لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه،

وجهان أصحهما شهادة فلا يقبل قول العبد والمرأة نص عليه في الأم، وإن قلنا رواية قبلا وهل يشترط لفظ الشهادة؟ قال الجمهور: وهو على الوجهين في كونه رواية أو شهادة، وقيل: يشترط قطعاً. وإذا قلنا رواية ففي الصبي المميز الموثوق به طريقان، أحدهما: على الوجهين في قبول رواية الصبي، والثاني وهو المذهب الذي قطع به الأكثرون بأنه لا يقبل.

(ولا يثبت هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطاً للعبادة)، وقال أبو ثور: يقبل فيه قول واحد، قال صاحب التقريب: ولو قلت به لم أكن مبعداً، **(ومن سمع عدلاً ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم، وإن لم يقض القاضي فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه)**، وبه قال ابن عبدان وصاحب التهذيب، ولم يفرعوه على شيء، ومثله في المجموع بزوجته وجارته وصديقه، وقال إمام الحرمين، وابن الصباغ: إذا أخبره موثوق به بالرواية لزمه قبوله، وإن لم يذكره عند القاضي، وفرعاه على أنه رواية واتفقوا على أنه لا يقبل قول الفاسق على القولين جميعاً، ولكن إن اعتبرنا العدد اشترطنا العدالة الباطنة، وإلا فوجهان جاريان في رواية المستور، ولا فرق على القولين بين أن تكون السماء مصحية أو مغيمة، وهل يثبت هلال رمضان بالشهادة على الشهادة؟ فيه طريقان. أحدهما: على قولين كالحدود لأنه من حقوق الله تعالى، وأصحهما القطع بثبوته كالزكاة وإتلاف حصر المسجد، وإنما القولان في الحدود المبنية على الإسقاط، فعلى هذا عدد الفروع مبني على الأصول وإن اعتبرنا العدد في الأصول، فحكم الفروع حكمهم في سائر الشهادات ولا مدخل للنساء والعبيد، وإن لم يعتبر العدد فإن قلنا طريقه الرواية، فوجهان: أحدهما يكفي واحد لرواية الأخبار، والثاني لا بد من اثنين قال في التهذيب: وهو الأصح لأنه ليس يخبر عن كل وجه، بدليل أنه لا يكفي أن يقول: أخبرني فلان عن فلان أنه رأى الهلال، فعلى هذا هل يشترط إخبار حرين ذكرين أم يكفي امرأتان وعبدان؟ وجهان: أصحهما الأول، وإذا قلنا طريقه الشهادة فهل يكفي واحد أم يشترط اثنان؟ وجهان وقطع في التهذيب باشتراط اثنين.

فصل

وقال أصحابنا: إذا كان بالسماء علة من غيم أو غبار أو نحوهما يقبل في هلال رمضان خبر واحد عدل، ولو كان عبداً أو امرأة، وفي هلال شوال تقبل شهادة رجل حر وامرأتين حرتين، أما هلال رمضان فلأنه أمر ديني فيقبل فيه خبر الواحد ذكراً كان أو أنثى حراً كان أو عبداً كرواية الاخبار، ولهذا لا يختص بلفظ الشهادة وتشترط العدالة، لأن قول الفاسق في الديانات التي يمكن تلقيها من جهة العدول غير مقبول كروايات الاخبار بخلاف الاخبار بطهارة الماء ونجاسته ونحوه حيث يتحرى في قبول الفاسق فيه لا يمكن تلقيه من جهة العدول لأنه واقعة

خاصة لأنه لا يمكن استصحاب العدول فيها، وفي هلال رمضان يمكن لأن المسلمين كلهم متشوفون إلى رؤية الهلال فيه وفي عدولهم كثرة فلا حاجة إلى قبول خبر الفاسق فيه كما في روايات الأخبار، وتأويل قول الطحاوي عدلاً كان أو غير عدل أن يكون مستوراً وهو الذي لم يعرف ولا بالذعارة، ويقبل فيه خبر المحدود في القذف بعد ما تاب، ويروى عن أبي حنيفة أنه لا يقبل لأنه شهادة من وجه، ألا ترى أنه يشترط الحضور إلى مجلس القاضي ولا يكون ملزماً إلا بعد القضاء والأول أصح لأنه من باب الاخبار، وأما هلال شوال فلأنه تعلق به نفع العباد وهو الفطر فأشبه سائر حقوقهم فيشترط فيه ما يشترط في سائر حقوقهم من العدالة والحرية والعدد ولفظ الشهادة، وينبغي أن لا يشترط فيه الدعوى كعتق الأمة وطلاق الحرة ولا تقبل في شهادة المحدود في قذف لكونه شهادة، وإن لم تكن بالسماء علة فيشترط أن يكون الشهود جمعاً كثيراً بحيث يقع العلم بخبرهم لأن التفرد في مثل هذه الحالة يوهم الغلط، فوجب التوقف في خبره حتى يكون جمعاً كثيراً بخلاف ما إذا كان بالسماء علة لأنه قد ينشق الغيم من موضع الهلال فيتفق للبعض النظر فيسد، وحد الكثرة أهل المحلة، وعن أبي يوسف خمسون رجلاً اعتباراً بالقسامة، وعن خلف بن أيوب خمسمائة ببلخ قليل، ولا فرق بين أهل مصر وبين من ورد من خارج المصر في قبول الشهادة لقلة الموانع من غبار ودخان، وكذا إذا كان في مكان مرتفع في المصر.

فصل

قال النووي في الروضة: إذا صمنا بقول واحد تفريعاً على الأظهر فلم نر الهلال بعد ثلاثين فهل نفطر؟ وجهان: أصحها عند الجمهور نفطر وهو نصه في الأم، ثم الوجهان جاريان سواء كانت السماء مصحية أو مغيمة هذا مقتضى كلام الجمهور، وقال صاحب العدة وحكاه صاحب التهذيب الوجهان إذا كانت مصحية فإن كانت مغيمة أفطرنا قطعاً ولو صمنا بقول عدلين ولم نر الهلال بعد ثلاثين، فإن كانت مغيمة أفطرنا قطعاً وإلا أفطرنا أيضاً على المذهب الذي قطع به الجماهير ونص عليه في الأم وحرملة وقال ابن الحداد: لا نفطر. ونقل عن ابن سريج أيضاً وفرع بعضهم على قول ابن الحداد فقال: لو شهد اثنان على هلال شوال ثم لم ير الهلال والسماء مصحية بعد ثلاثين قضينا أول يوم أفطرناه لأنه بان كونه من رمضان، لكن لا كفارة على من جامع فيه لأن الكفارة تسقط بالشبهة وعلى المذهب لا قضاء اهـ.

قلت: وقال أصحابنا إذا صاموا بشهادة الواحد وأكملوا ثلاثين يوماً ولم يروا هلال شوال لا يفطرون فيما روى الحسن عن أبي هريرة، عن أبي حنيفة للاحتياط، ولأن الفطر لا يثبت بشهادة الواحد، وعن محمد أنهم يفطرون ويثبت الفطر بناء على ثبوت الرمضانية بالواحد، وإن كان لا يثبت به الفطر ابتداء كاستحقاق الإرث بناء على النسب الثابت بشهادة القابلة، وإن كان الإرث لا يثبت بشهادتها ابتداء، والأشبه أن يقال: إن كانت السماء مصحية لا يفطرون لظهور غلطه وإن كانت مغيمة يفطرون لعدم ظهور الغلط، والله أعلم.

فصل

وقال أصحابنا أيضاً: وهلال الأضحى كهلال الفطر حتى لا يثبت به هلال الفطر لأنه تعلق به حق العباد وهو التوسع بلحوم الأضاحي، فصار كالفطر، وذكر في النوادر عن أبي حنيفة أنه كرمضان لأنه يتعلق به أمر ديني وهو ظهور وقت الحج، والأول أصح.

فصل

قال النووي في الروضة: لا يجب بما يقتضيه حساب المنجم الصوم عليه ولا على غيره. قال الروياني: وكذا من عرف منازل القمر لا يلزمه الصوم به على الأصح، وأما الجواز فقال في التهذيب: لا يجوز تقليد المنجم في حسابه لا في الصوم ولا في الفطر، وهل يجوز له أن يعمل بحساب نفسه وجهان، وجعل الروياني الوجهين فيما إذا عرف منازل القمر وعلم به وجود الهلال، وذكر أن الجواز اختيار ابن سريج والقفال والقاضي الطبري قال: فلو عرفه بالنجوم لم يجز الصوم به قطعاً، ورأيت في بعض المسودات تعدية الخلاف في جواز العمل به إلى غير المنجم اهـ.

وقال في شرح المنهاج: لو شهد برؤية الهلال واحد أو اثنان اقتضى الحساب عدم إمكان رؤيته، قال السبكي: لا تقبل هذه الشهادة لأن الحساب قطعي والشهادة ظنية، والظن لا يعارض القطع وأطال في رد هذه الشهادة والمعتمد قبولها إذ لا عبرة بقول الحساب اهـ.

وقال أصحابنا: ولا يثبت بقول الموقتين وإن كانوا عدولاً في الصحيح، وعليه اتفاق أصحاب أبي حنيفة، وعزاه الولي العراقي إلى جمهور أصحاب الشافعي، وصرح بأن الحكم إنما يتعلق بالرؤية دون غيرها قال: وبه قال مالك وأبو حنيفة والشافعي وجمهور العلماء من السلف والخلف اهـ.

ولعدم جواز الأخذ بقولهم قالوا يجب على الناس وجوب كفاية أن يلتمسوا هلال شهر رمضان ليلة الثلاثين من شعبان كما سبق، وفي فتح الباري ظاهر سياق قوله ﷺ «فإنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» يشعر بنفي تعليق الحكم بحساب النجوم أصلاً، ويوضحه قوله في الحديث الآخر «فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين» ولم يقل: اسألوا أهل الحساب اهـ.

ومما يدل على عدم الرجوع إلى قولهم ما ورد من حديث أبي هريرة عند أصحاب السنن والحاكم «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» وله شاهد من حديث جابر، وحديث عمران بن حصين أخرجها البزار بسندين جيدين بلفظ «من أتى كاهناً فصدقه» وأخرجه أبو يعلى من حديث ابن مسعود بسند جيد موقوفاً عليه بلفظ «من أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهناً» واتفقت ألفاظهم على الوعيد بلفظ حديث أبي هريرة إلا حديث مسلم فقال فيه: «لم تقبل له صلاة أربعين يوماً» والكاهن من يقضي بالغيب أو يتعاطى الخبر عن المستقبلات، والعراف من يتعاطى معرفة الخبيئة والمسروق والضالة، وهو والمنجم والرمال

وطارق الحصى داخلون في لفظ الكاهن والكل مذموم شرعاً، ومحكوم عليهم وعلى مصدقيهم بالكفر صرح به علماؤنا، وأن أرباب التقاويم من أنواع الكهان لأنهم يدعون العلم بالحوادث الآتية لأمور، ومن قال: إن الخواص يجوز أن يعلموا الغيب في قضية أو قضايا كما وقع لكثير منهم واشتهر، والذي اختص به تعالى إنما هو علم الجميع، فإن أراد أن ذلك بإعلام الله لهم إياه وحياً أو إلهاماً كالأنبياء أو إلهاماً فقط كما يقع للأولياء فهو صحيح لا شك فيه، وإن أراد غير ذلك فهو باطل مردود، والله أعلم.

فصل

وفي كتاب الشريعة شهر رمضان هو عين هذا الزمان المعلوم المشهور المعين من الشهور الإثني عشر الذي بين شعبان وشوال والمعين من هذا الزمان للصوم الأيام دون الليالي، وحد يوم الصوم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فهذا هو حد اليوم المشروع للصوم لا حد اليوم المعروف بالنهار، فإن ذلك من طلوع الشمس إلى غروبها فأول الصوم الطلوع الفجري وآخره الغروب الشمسي، فلم يجعل أوله يشبه آخره لأنه اعتبر في أوليته ما لم يعتبر في آخريته مما هو موجود في آخريته موصوف فيه الصائم بالإفطار، وفي أوليته موصوف فيه بالعدم، ولا فرق بين الشفق في الغروب، والطلوع من حين الغروب إلى مغيب الشفق أو من حين الانفجار إلى طلوع الشمس، ولهذا عدل الشرع إلى لفظة الفجر لأن حكم انفجاره لوجود النهار حكم غروب الشمس لإقبال الليل وحصوله، فكما علم بانفجار الصبح إقبال النهار وإن لم تطلع الشمس كذلك عرفنا بغروب الشمس إقبال الليل، وإن لم يغرب الشفق، فانظر ما أحكم وضع الشريعة في المعالم فالجامع بين الأول والآخر في الصوم وجود العلامة على إقبال زمان الصوم وزمان الفطر وهو إدبار النهار، كما أن بالفجر إدبار الليل، وأما تحديد الشهر سواء كان في شهر رمضان أو غيره فأقل مسمى الشهر تسعة وعشرون يوماً وأكثره ثلاثون يوماً هذا هو الشهر العربي القمري خاصة الذي كلفنا أن نعرفه وشهور العادين بالعلامة أيضاً، لكن أصحاب العلامة يجعلون شهراً تسعاً وعشرين، وشهراً ثلاثين، والشرع تعبدنا في ذلك برؤية الهلال وفي الغيم بأكثر المقدارين إلا في شعبان إذا غم علينا هلال رمضان فإن فيه خلافاً بين أن نمد شعبان إلى أكثر المقدارين، وهو الذي ذهب إليه الجماعة، وأما أن نرده إلى أقل المقدارين وهو تسعة وعشرون وهو مذهب الحنابلة ومن تابعهم، ومن خالف من غير هؤلاء لم يعتبر أهل السنة خلافهم فإنهم شرعوا ما لم يأذن به الله، وأما الشهور التي لا تعد بالقمر فلها مقادير مخصوصة أقل مقاديرها ثمانية وعشرون وهو المسمى بالرومية «فبرير» وأكثرها مقداراً ستة وثلاثون يوماً وهو المسمى بالقبطية مسرى وهو آخر شهور سنة القبط، ولا حاجة لنا بشهور الأعاجم فيما تعبدنا به من الصوم، فأما انتهاء الثلاثين في ذلك فهو عدد المنازل والمنازلين اللذين لا يخسفان وهما الشمس المشبهة بالروح الذي ظهرت به حياة الجسم للحس والقمر المشبه بالنفس لوجود الزيادة والنقص والكمال الزيادي والنقصي والمنازل مقدار المساحة التي يقطعها ما ذكرناه دائماً، فإن بالشهر ظهرت بسائط الأعداد

وإذا رؤي الهلال ببلدة ولم يرَ بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل، وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب.

ومركباتها بحرف العطف من أحد وعشرين الى تسعة وعشرين، وبغير حرف العطف من أحد عشر إلى تسعة عشر وحصر وجود الفردية في البسائط وهي الثلاثة وفي العقد وهي الثلاثون، ثم تكرار الفرد لكمال التثليث الذي عنه يكون الإنتاج في ثلاث مواضع وهي الثلاثة في البسائط والثلاثة عشر في العدد الذي هو مركب بغير حرف عطف، والثلاثة والعشرون بحرف العطف وانحصرت الأقسام، ولما رأينا أن الروح يوجد فتكون الحياة ولا يكون هناك نقص ولا زيادة فلا تكون للنفس عين موجودة لها حكم كموت الجنين في بطن أمه بعد نفخ الروح فيه أو عند ولادته، لذلك كان الشهر قد يوجد من تسعة وعشرين يوماً، فإذا علمت هذا فقد علمت حكمة مقدار الشهر العربي، وإذا عددناه بغير سير الهلال ونوينا شهراً مطلقاً في إيلاء أو نذر عملنا بالقدر الأقل في ذلك ولم نعمل بالأكثر، فإنا قد حزنا بالأقل حد الشهر ففرغنا، وإنما نعتبر القدر الأكثر في الموضع الذي شرع لنا أن نعتبره وذلك في الغيم على مذهب أو نعطي ذلك رؤية الهلال لقوله ﷺ « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ».

فصل

في اعتبار الشاهد والشاهدين اختلفوا فيما يراه أهل الله من التجلي في الأسماء الإلهية هل يقف مع رؤيته أو يتوقف حتى يقوم له في ذلك شاهد من الشرع. قال الجنيد: علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة. وقال تعالى: ﴿أفمن كَانَ عَلَى بَيِّنَة من ربه﴾ [هود : ١٧] وهو صاحب الرؤية ويتلوه شاهد منه وهو صاحب الخبر والشاهد الواحد كتاب أو سنّة، والشاهدان كتاب وسنّة وهو يتعذر الوقوف عليه، ولا سيما عند من لم يتقدم له علم من الكتاب ولا من السنّة، ولكن رأينا بعض الذي لقيناهم إذا أعطاهم الحق أمراً أعطاهم الشاهد على ذلك من الكتاب والسنّة أو من أحدهما ومتى لم يعط ذلك لم يحكم عليه ما رأى احتياطاً ولا يرده ويتركه موقوفاً، والذي أعرفه من قول الجنيد أنه أراد أن يفرق بين ما يظهر لصاحب الخلوات والرياضات على غير طريق الشرع بما تقتضيه رياضات النفوس وبين ما يظهر لهم على الطريقة المشروعة بأن ذلك الظاهر له من عند الله، فهذا معنى قول الجنيد علمنا هذا مقيد ومشيد بالكتاب والسنّة أي هو ينتجه عن عمل مشروع إلهي ليفرق بينه وبين ما يظهر لأرباب العقول، والمعلوم واحد. والطريق مختلفة، وصاحب الذوق يفرق بين الأمرين والله أعلم.

ثم قال المصنف رحمه الله: **(وإذا رؤي الهلال)** أي هلال رمضان **(ببلدة ولم يـر بأخرى)** فإن تقاربتا **(وكان بينهما أقل من مرحلتين)** فحكمهما حكم البلدة الواحدة، وحينئذ **(وجب الصوم على الكل)** أي على كل من أهل البلدتين **(وإن)**تباعدتا بأن **(كانت المسافة بينهما أكثر من ذلك كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب)** وفي ضبط البعد ثلاثة أوجه.

....

قيل: مقدر بمسافة القصر وبهذا قطع إمام الحرمين وتبعه المصنف وهذه عبارته في الوجيز، وإذا رأى الهلال في موضع لم يلزمه الصوم في موضع آخر بينهما مسافة القصر إذا لم ير فيه اهـ. وكذا قطع به صاحب التهذيب وادعى الإمام الاتفاق عليه، واختاره الرافعي في المحرر وصححه النووي في شرح مسلم، وقال: لأن الشرع علق بها كثيراً من الأحكام. والثاني: اعتباره باتحاد الإقليم واختلافه، والثالث: أن التباعد أن تختلف المطالع كالحجاز والعراق وخراسان، والتقارب أن لا يختلف كبغداد والكوفة والري وقزوين، وهذا القول قطع به العراقيون والصيدلاني، وصححه النووي في المنهاج والروضة.

قال شارح المنهاج: لأن الهلال لا تعلق له بمسافة القصر ولما روى مسلم عن كريب مولى ابن عباس أن أم الفضل بنت الحرث بعثته إلى معاوية بالشام قال: فقدمت الشام فقضيت حاجتها واستهل علي رمضان وأنا بالشام، فرأيت الهلال يوم الجمعة ثم قدمت المدينة آخر الشهر فسألني عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال فقال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت رأيناه ليلة الجمعة. فقال: أنت رأيته؟ فقلت: نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية، فقال: لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين يوماً أو نراه، فقلت أو لا نكتفي برؤية معاوية وصيامه. فقال: لا هكذا أمرنا رسول الله ﷺ وقياساً على طلوع الفجر والشمس وغروبها. قال الشيخ تاج الدين التبريزي: واختلاف المطالع لا يكون في أقل من أربعة وعشرين فرسخاً، فإن قيل: اعتبار اتحاد المطالع واختلافها يتعلق بالمنجم والحاسب، وقد تقدم أنه لا يعتبر قولها في اثبات رمضان. أجيب: بأنه لا يلزم من عدم اعتباره في الأصول والأمور العامة عدم اعتباره في التوابع والأمور الخاصة، فإن شك في الاتفاق في المطلع لم يجب على الذين لم يروا صوماً لأن الأصل عدم وجوبه لأنه إنما يجب بالرؤية ولم تثبت في حق هؤلاء لعدم ثبوت قربهم من بلد الرؤية قاله السبكي. وقد تختلف المطالع وتكون الرؤية في أحد البلدين مستلزمة للرؤية في الآخر من غير عكس، وذلك أن الليل يدخل في البلاد الشرقية قبل دخوله في البلاد الغربية، فمتى اتحد المطلع لزم من رؤيته في أحدهما رؤيته في الآخر، ومتى اختلف لزم من رؤيته في الشرقي رؤيته في الغربي ولا ينعكس، وعلى ذلك حديث كريب فإن الشام غربية بالنسبة إلى المدينة فلا يلزم من رؤيته في الشام رؤيته في المدينة.

فصل

وقال أصحابنا: لا عبرة باختلاف المطالع فإذا ثبت في مصر لزم سائر الناس، فيلزم أهل المشرق برؤية أهل المغرب في ظاهر المذهب، وقيل: يعتبر لأن السبب الشهر وانعقاده في حق قوم للرؤية لا يستلزم انعقاده في حق آخرين مع اختلاف المطالع، وصار كما لو زالت أو غربت الشمس على قوم دون آخرين وجب على الأولين الظهر والمغرب دون أولئك وجه الأول عموم الخطاب في قوله « صوموا » معلقاً بمطلق الرؤية في قوله « لرؤيته » وبرؤية قوم يصدق اسم الرؤية

....

فيثبت ما يتعلق به من عموم الحكم فيعم الوجوب بخلاف الزوال وأخيه فإنه لم يثبت تعلق عموم الوجوب بمطلق مسماه في خطاب من الشارع والله أعلم.

ثم إنما يلزم متأخري الرؤية إذا ثبت عندهم رؤية أولئك بطريق موجب حتى لو شهد جماعة أن أهل بلد كذا رأوا هلال رمضان قبلكم بيوم فصاموا وهذا اليوم ثلاثون بحسابهم، ولم ير هؤلاء الهلال لا يباح فطر غد ولا تترك التراويح هذه الليلة، لأن هذه الجماعة لم يشهدوا بالرؤية ولا على شهادة غيرهم، وإنما حكوا رؤية غيرهم. ولو شهدوا أن قاضي بلد كذا شهد عنده اثنان برؤية الهلال في ليلة كذا وقضى بشهادتها جاز لهذا القاضي أن يحكم بشهادتها لأن قضاء القاضي حجة وقد شهدوا به، ومختار صاحب التجريد وغيره من المشايخ اعتبار اختلاف المطالع. قال الزيلعي: وهو الأشبه. وقال ابن الهمام: والأخذ بظاهر الرواية أحوط، وحديث كريب اختلف فيه أحد رواته وهو يحي بن يحي في قوله: أو لا نكتفي بالنون أو التاء، ولا شك أن هذا أولى لأنه نص وذلك محتمل لكون المراد أمر كل أهل مطلع بالصوم لرؤيتهم، وقد يقال ان الإشارة في قوله هكذا إلى نحو ما جرى بينه وبين رسول أم الفضل، وحينئذ لا دليل فيه لأن مثل ما وقع من كلامه لو وقع لنا لم نحكم به لأنه لم يشهد على شهادة غيره ولا على حكم الحاكم، فإن قيل: إخباره عن صوم معاوية يتضمنه لأنه الإمام يجاب بأنه لم يأت بلفظ الشهادة ولو سلم فهو واحد لا يثبت بشهادته وجوب القضاء على القاضي، والله أعلم.

فصل

قال في الروضة: ولو شرع في الصوم في بلد ثم سافر إلى بلد بعيد ولم ير الهلال في يومه الأوّل واستكمل ثلاثين: فإن قلنا: لكل بلد حكم نفسه لزمه أن يصوم معهم على الأصح لأنه صار من جملتهم، وإن قلنا يعم الحكم جميع البلاد لزم أهل البلد المنتقل إليه موافقته إن ثبت عندهم حال البلد الأوّل بقوله أو بطريق آخر، وعليهم قضاء اليوم الأوّل، ولو سافر من البلد الذي لم ير فيه الهلال إلى بلد رؤي فيه فعيدوا اليوم التاسع والعشرين من صومه، فإن عممنا الحكم وقلنا له حكم المنتقل إليهم عيد معهم وقضى يوماً وإن لم يعمم الحكم وقلنا له حكم المنتقل منه فصادف أهلها صائمين. قال الشيخ أبو محمد: يلزمه إمساك بقية النهار إذا قلنا لكل بلدة حكمها واستبعد الإمام والمصنف إيجابه.

فصل

وفي الروضة أيضاً إذا رؤي الهلال بالنهار يوم الثلاثين. فهو الليلة المستقبلة سواء كان قبل الزوال أو بعده اهـ.

وقال أصحابنا: لو رؤي عند الزوال من يوم الثلاثين ففيه اختلاف، فعند أبي يوسف هو من الليلة الماضية فيجب صوم ذلك اليوم وفطره إن كان ذلك في آخر رمضان، وعند أبي حنيفة

الثاني: النية. ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة، **فلو نوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة** لم يكفه وهو الذي عنينا بقولنا: «كل ليلة»، ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض إلا التطوّع، وهو الذي عنينا بقولنا: «مبيتة».

ومحمد هو للمستقبلة هكذا حكي الخلاف في الإيضاح، وحكاه في المنظومة بين أبي يوسف ومحمد فقط. وفي التحفة قال أبو يوسف: فإذا كان قبل الزوال أو بعده إلى العصر فهو لليلة الماضية، وإن كان بعد العصر فهو للمستقبلة بلا خلاف، وروي عن ابن مسعود وأنس كقولها وعن عمر في رواية أخرى وهو قول علي وعائشة مثل قول أبي يوسف، ويروى عن أبي حنيفة أنه إن كان مجراه أمام الشمس والشمس تتلوه فهو للماضية، وإن كان خلفها فهو للمستقبلة. وقال الحسن بن زياد: وإن غاب بعد الشفق فللماضية وإن قبله فللآتية والمختار قولها وهو كونه للمستقبلة قبل الزوال وبعده إلا أن واحداً لو رآه في نهار الثلاثين من رمضان فظن انقضاء مدة الصوم وأفطر عمداً ينبغي أن لا يجب عليه كفارة وإن رآه بعد الزوال، والله أعلم.

(**الثاني: النية**) وهي ركن وعبّر عنه النووي بالشرط في المنهاج، فقال: النية شرط للصوم أي لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات». وقال في الروضة: ولا يصح الصوم إلا بالنية ومحلها القلب ولا يكفي باللسان قطعاً، ولا يشترط التلفظ بها قطعاً. وظاهر كلامه: إن النية شرط للصوم انه لو تسحر ليتقوّى على الصوم لم يكن ذلك نية، وبه صرح في العدة، والمعتمد أنه لو تسحر ليصوم أو شرب لدفع العطش نهاراً أو امتنع من الأكل أو الشرب أو الجماع خوف طلوع الفجر كان ذلك نية إن خطر بباله الصوم بالصفات التي يشترط التعرض لها لتضمن كل منها قصد الصوم. كذا في شرح المنهاج.

(**ولا بد لكل ليلة**) وقال في الوجيز لكل يوم (**من نية مبيتة**) أي واقعة ليلاً (**معينة جازمة**) أي يشترط في نية الصوم أن تكون كل ليلة، والتبييت والتعيين والجزم فهي أربعة والصبي المميز حكمه كالبالغ، واعتمده في المجموع تبعاً للروياني. قال: وليس على أصلنا صوم نفل يشترط فيه التبييت إلا هذا، (**فلو نوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه**) خلافاً لمالك، فإنه قال يجزئه نية واحدة ما لم ينقضها، وأبو حنيفة في هذه مع الشافعي، وعن أحمد روايتان أظهرهما أنه يفتقر كل ليلة والأخرى كمذهب مالك (**وهو الذي عنينا**) أي قصدنا (**بقولنا كل ليلة**)، فلو نوى صوم الشهر كله فهل يصح صوم اليوم الأول بهذه النية المذهب أنه يصح، وبه قطع ابن عبدان وتردد فيه الشيخ أبو محمد، (**ولو نوى بالنهار**) أي بعد أن أصبح (**لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض**) كالقضاء والنذر (**إلا**) صوم (**التطوّع**) فإنه يصح بنية قبل الزوال. وقال المزني وأبو يحي البلخي: لا يصح إلا من الليل وهو قول مالك، وهل يصح بعد الزوال؟ قولان. أظهرهما لا يصح وهو المنصوص في معظم كتبهم، وفي حرملة أنه يصح. قال النووي وعلى نصه في حرملة انه يصح في جميع ساعات النهار والله أعلم.

ولو نوى الصوم مطلقاً أو الفرض مطلقاً لم يجزه حتى ينوي فريضة الله عز وجل صوم

ثم إذا نوى قبل الزوال أو بعده وصححناه فهل هو صائم من أوّل النهار حتى ينال ثواب جميعه أم من وقت النية؟ وجهان أصحهما عند الأكثرين أنه صائم من أوّل النهار كمدرك الإمام في الركوع، وإذا قلنا بهذا اشترط جميع شروط الصوم من أوّل النهار، وإذا قلنا يثاب من حين النية ففي اشتراط خلو الأوّل عن الأكل والجماع وجهان. الصحيح الاشتراط، والثاني لا. وينسب إلى ابن سريج وابن زيد ومحمد بن جرير الطبري، وهل يشترط خلو أوّله عن الكفر والحيض والجنون أم يصح صوم من أسلم أو أفاق أو طهرت من الحيض ضحوة؟ وجهان: أصحهما الاشتراط. **(وهو الذي عنينا بقولنا مبيتة)**.

قال في الروضة: تبييت النية شرط في صوم الفرض، فلو نوى قبل غروب الشمس صوم الغد لم يصح، ولو نوى مع طلوع الفجر لم يصح على الأصح، ولا تختص النية بالنصف الأخير من الليل على الصحيح، وفي شرح المنهاج: ولو نوى ثم شك هل طلع الفجر أو لا صح لأن الأصل بقاء الليل، ولو شك نهاراً هل نوى ليلاً ثم تذكر ولو بعد مضي أكثر النهار أجزأه صومه، فإن لم يتذكر بالنهار لم يجزه لأن الأصل عدم النية ولم تنجبر بالتذكر نهاراً، ومقتضى هذا أنه لو تذكر بعد الغروب لم يجزه، والظاهر الاجزاء كما قاله الأذرعي، ولو شك بعد الغروب هل نوى أو لا ولم يتذكر لم يؤثر وهو المعتمد.

(ولو نوى الصوم مطلقاً أو الفرض مطلقاً) من غير تعيين **(لم يجزه حتى ينوي فريضة الله تعالى صوم رمضان)** أي يجب تعيين النية في صوم الفرض سواء فيه صوم رمضان والنذر والكفارة وغيرها. وحكى صاحب التتمة عن الحليمي أنه يصح صوم رمضان بنية مطلقة. قال النووي: وهو شاذ وكمال التعيين في رمضان أن ينوي صوماً عن أداء فرض رمضان هذه السنة لله تعالى بإضافة رمضان، وأما الصوم وكونه من رمضان فلا بد منهما إلا ما كان من وجه الحليمي المتقدم، وأما الأداء والفرضية والإضافة إلى الله تعالى ففيها الخلاف المذكور في الصلاة كذا ذكره الرافعي في كتبه. وتبعه النووي في الروضة: وظاهره أن يكون الأصح اشتراط الفرضية دون الأداء والإضافة إلى الله تعالى، لكن صحح في المجموع تبعاً للأكثرين عدم اشتراطها هنا وهو المعتمد بخلافه في الصلاة، وأما رمضان هذه السنة فالمذهب أنه لا يشترط، وحكى الإمام في اشتراطه وجها وزيفه، وحكى صاحب التهذيب وجهين في أنه يجب أن ينوي من فرض هذا الشهر أم يكفي فرض رمضان؟ والصواب والصحيح ما تقدم فإنه لو وقع التعرض لليوم ولم يضر الخطأ في أوصافه، فلو نوى ليلة الثلاثاء صوم الغد وهو يعتقده يوم الإثنين، أو نوى رمضان السنة التي هو فيها وهو يعتقدها سنة ثلاث وكانت سنة أربع صح صومه، بخلاف ما لو نوى صوم يوم الثلاثاء ليلة الإثنين أو رمضان سنة ثلاث وهو في سنة أربع، فإنه لا يصح لأنه لم يعين الوقت، وأما صوم التطوّع فإنه يصح بنية مطلق الصوم كما في

....

الصلاة، وقد عرف مما تقدم أنه لا بد من تعيين النية، وبه قال مالك وأحمد في أظهر روايتيه. وقال أبو حنيفة: لا يجب التعيين فإن نوى نفلاً أو مطلقاً أجزأه وهي الرواية الأخرى عن أحمد.

وأما وقت النية فتقدم في التبييت، وأول وقتها بعد غروب الشمس وآخره طلوع الفجر. الثاني: وتجب النية قبل طلوعه وهذا هو معنى التبييت وبه قال مالك وأحمد، وقال أبو حنيفة: تجوز نيته من الليل، ولو لم ينو حتى يصبح ونوى أجزأته النية ما بينه وبين الزوال، ودليل الجماعة حديث عائشة «من لم يبيت الصوم قبل الفجر فلا صيام له». أخرجه الدارقطني وقال: تفرد به عبد الله بن عباد عن مغفل بن فضالة، وأخرجه البيهقي كذلك.

وقد روي بألفاظ مختلفة عند أرباب السنن والأكثر على وقفه على ابن عمر وعائشة وحفصة وقد رفعه عبد الله بن أبي بكر عن الزهري يبلغ به حفصة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من لم يجمع قبل الفجر فلا صيام له» أخرجه البيهقي من هذا الطريق، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه، عن حفصة. ورواه معمر والزبيري وابن عيينة ويونس الأيلي عن الزهري عن حفصة موقوفاً عليها وقالوا: ولأنه فسد الجزء الأول لفقد النية إذ الغرض اشتراطه في صحة الصوم، ولم توجد في الأجزاء الأول من النهار ففسد الباقي، وإن وجد نيته فيه ضرورة عدم انقلاب الفاسد صحيحاً وعدم تجزيء الصوم صحة وفساداً، وهذا بخلاف النفل فإنه متجزيء لأنه مبني على النشاط.

ويدل على هذا الاعتبار حديث عائشة عند مسلم قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ ذات يوم فقال «هل عندكم شيء» فقلنا: لا. فقال: «إني إذاً صائم» ثم أتاني يوماً آخر فقلنا يا رسول الله: اهدي لنا حيس، فقال «أدنيه فلقد أصبحت صائماً فأكل». وأجاب أصحابنا عن حديث حفصة أنه اختلف فيه عن الزهري في رفعه ووقفه واضطرب إسناده اضطراباً شديداً، والذين وقفوه أجل وأكثر من عبد الله بن أبي بكر، ولهذا قال الترمذي: وقد روي عن نافع عن ابن عمر من قوله وهو أصح.

وأما حديث عبد الله بن عباد عن مغفل بن فضالة فقد ذكر الذهبي في الضعفاء عن عبد الله ابن عباد هذا وقال: واه. وقال ابن حبان يقلب الأخبار. قال: والراوي عنه روح بن الفرج روى عنه نسخة موضوعة. وفي سنده أيضاً يحيى بن أيوب وليس بالقوي.

واستدلوا بما رواه الأربعة عن ابن عباس قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: إني رأيت الهلال قال الحسن في حديثه يعني هلال رمضان، فقال: «أتشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال يا بلال: أذن في الناس فليصوموا». ولكن للخصم أن يقول: إن هذا محتمل لكونه شهد في النهار والليل فلا يحتج به.

واستدل الطحاوي بما في الصحيحين عن سلمة بن الأكوع «أنه ﷺ أمر رجلاً من أسلم أن أذن في الناس أن من أكل فليصم بقية يومه ومن لم يكن أكل فليصم فإن اليوم يوم عاشوراء» فيه

....

دليل على أنه كان أمراً يجاب قبل نسخه برمضان إذ لا يؤمر من أكل بإمساك بقية اليوم إلا في يوم مفروض الصوم بعينه ابتداء بخلاف قضاء رمضان إذا أفطر فيه، فعلم أن من تعين عليه صوم يوم ولم ينوه ليلاً أنه تجزئه نيته نهاراً، وهذا بناء على أن عاشوراء كان واجباً، فثبت أن الافتراض لا يمنع اعتبار النية مجزئة من النهار شرعاً ويلزمه عدم الحكم بفساد الجزء الذي لم يقترن بها في أوّل النهار من الشارع بل اعتباره موقوفاً إلى أن يظهر الحال من وجودها بعده قبل نصف النهار أو لا. فإذا وجدت ظهر اعتباره عبارة لا أنه انقلب صحيحاً بعد الحكم بالفساد، فبطل ذلك المعنى الذي عينوه لقيام ما رويناه دليلاً على عدم اعتباره شرعاً، ثم يجب تقديم ما رويناه على مرويهم لقوّة ما في الصحيحين بالنسبة إلى ما رواه بعد أن ذكرنا فيه من الاختلاف في صحة رفعه، وإن ادعى البيهقي أن عبد الله بن أبي بكر أقام إسناده ورفعه، وهو من الثقات فإنه لا يسلم له ذلك مع تصحيح الترمذي وقفه. وإذا سلمنا رفعه فهو محمول على نفي الكمال والفضيلة لا الصحة جمعاً بين الأخبار أن تتضاد في أمثاله نحو «لا صلاة لجار المسجد»، «لا وضوء لمن لم يسم» والمراد لم ينو كون الصوم من الليل، فيكون الحال وهو من الليل متعلقاً بصيام الثاني لا بينوي الخ. فحاصله لا صيام لمن لم يقصد أنه صائم من الليل أو من آخر أجزائه، فيكون نصاً لصحة الصوم من حين نوى من النهار كما قالوه، ولو تنزلنا إلى نفي الصحة وجب أن يخص عمومه بما رويناه عندهم مطلقاً، وعندنا لو كان قطعياً خص بعضه خصص به، فكيف وقد اجتمع فيه الظنية والتخصيص إذ قد خص منه النفل ويخص أيضاً بالقياس، ثم الكلام في تعيين أصل ذلك القياس فجعله صاحب الهداية النفل ويرد عليه أنه قياس مع الفارق إذ لا يلزم من التخفيف في النفل بذلك ثبوت مثله في الفرض. ألا يرى إلى جواز النافلة جالساً بلا عذر وعلى الدابة بلا عذر مع عدمه في الفرض، والحق أن صحته فرع ذلك النص، فإنه لما ثبت جواز الصوم في الواجب المعين بنية من النهار بالنص علم عدم اعتبار فرق بينه وبين النفل في هذا الحكم، والقياس الذي لا يتوقف على ذلك قياس النية المتأخرة على المتقدمة من أول الغروب بجامع التيسير ودفع الحرج، بيانه أن الأصل أنه النية لا تصح إلا إما بالمقارنة أو متقدمة مع عدم اعتراض ما ينافي المنوي بعدها قبل الشروع فيه، فإنه يقطع اعتبارها على ما قدمناه في شروط الصلاة ولم تجب فيما نحن فيه المقارنة وهو ظاهر، فإنه لو نوى عند الغروب أجزأ ولا عدم تخلل المنافي لجواز الصوم بنية تخلل بينها وبينه الأكل والشرب والجماع مع انتفاء حضورها بعد ذلك إلى انتهاء يوم الصوم، والمعنى الذي لأجله صحت المتقدمة لذلك التيسير ودفع الحرج اللازم لو ألزم أحدهما، وهذا المعنى يقتضي تجويزها من النهار للزوم الحرج لو ألزمت من الليل في كثير من الناس كالذي نسيها ليلاً وفي حائض طهرت قبل الفجر ولم تعلم إلا بعده وهو كثير جداً، فإن عادتهن وضع الكرسف عشاء ثم النوم ثم بعد الفجر وكثيراً ممن تفعل كذا، ثم تصبح فترى الطهر وهو محكوم بثبوته قبل الفجر، ولذا نلزمها بصلاة العشاء، وفي صبي بلغ بعده، وفي مسافر أقام وكافر أسلم، فيجب القول بصحتها نهاراً. وتوهم أن مقتضاه قصر الجواز على هؤلاء وأن

....

هؤلاء لا يكثرون كثرة غيرهم بعد عن النظر إذ لا يشترط اتحاد كمية المناط في الأصل والفرع، فلا يلزم ثبوت الحرج في الفرع وهو المتأخر بقدر ثبوته في الأصل وهو المتقدم بل يكفي ثبوته في جنس الصائمين. كيف والواقع أنه لم يعتبر المصحح الحرج الزائد ولا ثبوته في أكثر الصائمين في الأصل، وكذا يجب في الفرع، وهذا لأن أكثر الصائمين يكونون مفيقين قريب الفجر فقوم لتهجدهم وقوم لسحورهم، فلو لزمت النية قبل الفجر على وجه لا يتخلل المنافي بينها وبينه لم يلزم ذلك حرج في كل الصائمين ولا في أكثرهم، بل فيمن لا يفيق إلا بعد الفجر وهم قليل بالنسبة إلى غيرهم بخلاف المبيتين قبله إذ يمكنهم تأخير النية إلى ما بعد استيفاء الحاجة من الأكل والجماع، فتحصل بذلك نية سابقة لم يتخلل بينها وبين الشروع ما ينافي الصوم من غير حرج بهم، فلما لم يجب ذلك علم أن المقصود التيسير بدفع الحرج من كل وجه وعن كل صائم ويلزم المطلوب من شرعيته المتأخرة.

فإن قيل: فمن أين اختص اعتبارها بوجودها في أكثر النهار وما رويتم لا يوجبه؟ قلنا: لما كان ما رويناه واقعة حال لا عموم لها في جميع أجزاء النهار احتمل كون إجازة الصوم في تلك الواقعة لوجود النية فيها في أكثره بأن يكون أمره ﷺ الأسلمي بالنداء كان الباقي من النهار أكثر. واحتمل كونها للتجويز من النهار مطلقاً في الوجوب. فقلنا: بالاحتمال الأوّل لأنه أحوط خصوصاً ومعنا نص يمنعها من النهار مطلقاً وعضده المعنى، وهو أن الاكثر من الشيء الواحد حكم الكل في كثير من موارد الفقه، فعلى اعتبار هذا يلزم اعتبار كل النهار بلا نيّة. لو اكتفى بها في أقله فوجب الاعتبار الآخر. وإنما اختص بالصوم فلم نجز مثله في الحج والصلاة لأنه ركن واحد ممتد، فبالوجود في أكثره يعتبر قيامها في كله بخلافهما فإنهما أركان فيشترط قرانها بالعقد على أدائها وإلا خلت بعض الأركان عنها فلم يقع ذلك الركن عبادة، والله الموفق.

فصل

وقال أصحابنا صوم رمضان يتأدى بمطلق النية وبنية النفل وبنية واجب آخر، وكذا يتأدى النذر المعين بجميع ذلك إلاّ بنية واجب فإنه إذا نوى فيه واجباً آخر يكون عما نوى ولا يكون. وقالوا في عدم شرط التعيين في نيته أن رمضان لم يشرع فيه صوم آخر، فكان متعيناً للفرض، والمتعين لا يحتاج إلى التعيين فيصاب بمطلق النية وبنية غيره بخلاف الإمساك بلا نية حيث لا يكون عنه خلافاً لزفر لأن الإمساك متردد بين العادة والعبادة، فكان متردداً بأصله متعيناً بوصفه فيحتاج إلى التعيين في المتردد لا في المتعين فيصاب بالمطلق ومع الخطأ في الوصف.

فصل

ومن فروع النية عندنا أن الأفضل النية من الليل في الكل. ولو وجب عليه قضاء يومين من رمضان واحد. الأولى أن ينوي أول يوم وجب قضاؤه [illegible] هذا الرمضان، وإن لم يعين الأول

رمضان، ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غداً إن كان من رمضان لم يجزه فإنها ليست

جاز، وكذا لو كانا من رمضانين على المختار، حتى لو نوى القضاء لا غير جاز، ولو وجب عليه كفارة فطر فصام إحدى وستين يوماً عن القضاء والكفارة ولم يعين يوم القضاء جاز، وهل يجوز تقديم القضاء على الكفارة؟ قيل: يجوز وهو ظاهر. ولو وجب عليه قضاء رمضان سنة كذا فصام شهراً ينوي القضاء عن الشهر الذي عليه غير أنه نوى أنه رمضان سنة كذا لغيره. قال أبو حنيفة: إنه يجزئه، ولو صام شهراً ينوي القضاء عن سنة كذا على الخطأ وهو يظن أنه أفطر ذلك قال: لا يجوز به. ولو نوى بالليل أن يصوم غداً ثم بدا له في الليل وعزم على الفطر لم يصبح صائماً. فلو أفطر لا شيء عليه إن لم يكن رمضان، ولو مضى عليه لا يجزئه لأن تلك النية انتقضت بالرجوع، ولو قال: نويت صوم غد إن شاء الله تعالى، فعن الحلواني يجوز استحساناً.

فصل

في اعتبار التبييت:

قال في الشريعة: يكتب له الصيام حين يبيت من أول الليل كان أو وسطه أو آخره فيتفاضل الصائمون في الأجر بحسب التبييت، فالليل في الوصال أيضاً محل للصوم ومحل للفطر فصوم الليل على التخيير كصوم التطوّع في اليوم والصوم لله في الزمانين، فإنه يتبع الصائمين ففي أي وقت انطلق عليك اسم صائم، فإن الصوم لله وهو بالليل أوجه لكونه أكثر نسبة إلى الغيب، والحق سبحانه غيب لنا من حيث وعدنا برؤيته وهو من حيث أفعاله وآثاره مشهود لنا، فالحق على التحقيق في حقنا غيب في شهود، وكذلك الصوم غيب في شهود لأنه ترك والترك غير مرئي وكونه منوياً فهو مشهود، فإذا نواه في أي وقت نواه من الليل، فلا ينبغي أن يأكل بعد النية حتى تصح النية مع الشروع، فكل ما صام فيه من الليل كان بمنزلة صوم التطوّع حتى يطلع الفجر فيكون الحكم عند ذلك لصوم الفرض، فيجمع بين التطوّع والفرض فيكون له أجرهما، ولما كان الصوم لله وأراد ان يتقرب العبد بدخوله فيه واتصافه به إلى الله تعالى كان الأولى أن يبيته من أول الثلث الآخر من الليل أو الأوسط، فإن الله يتجلى في ذلك الوقت لعباده في نزوله إلى السماء الدنيا فيتقرب العبد إليه بصفته وهو الصوم، فإن الصوم لا يكون لله إلا إذا اتصف به العبد، وما لم يتصف به العبد لم يكن ثم صوم يكون لله، فإنه في هذا الموطن كالقرى لنزول الحق إليه، ولما كان الصائم بهذه المثابة كما ذكرنا جزاه بإنابته ولم يجعل ذلك لغيره، كما كان الصيام من العبد لله من غير واسطة كان الجزاء من الله للصائم من غير واسطة. وفي تلقي سيده بمايستحق كان إقبال السيد على من هذا فعله أتم إقبال والله غني عن العالمين.

ثم شرع المصنف في بيان الشرط الرابع من النية، وهو أن تكون جازمة وذكر فيها مسائل بها يتضح حال الجزم فقال: **(ولو نوى ليلة الشك)** وهي ليلة الثلاثين من شعبان **(أن يصوم غداً إن كان من رمضان)** أي لا يخلو حاله من أن يكون معتقداً كونه من رمضان أو لم يعتقد،

جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يبطل الجزم أو يستند إلى استصحاب حال كالشك في الليلة الأخيرة من رمضان، فذلك لا يمنع جزم النية أو يستند إلى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة إذا غلب على ظنه دخول

فإن لم يعتقده نظر إن ردد نيته قال: أصوم عن رمضان إن كان منه وإلا فأنا مفطر أو فأنا متطوع (**لم يجزه**) أي لم يقع صومه عن رمضان إذا بان اليوم منه، (**فإنها ليست جازمة**) أي لم نصمه على أنه فرض، وإنما صام على الشك. وقال أبو حنيفة والمزني يقع عن رمضان إذا بان أنه منه، كما لو قال: هذا زكاة مالي الغائب إن كان سالماً وإلا فهو تطوع فبان سالماً يجزئه. قال الأصحاب: الفرق أن الأصل هناك سلامة المال فله استصحاب ذلك الأصل، وهنا الأصل بقاء شعبان، ولو قال: أصوم غداً من رمضان أو تطوعاً، أو قال: أصوم أو لا أفطر لم يصح صومه لا في الأول ولا في الآخر، كما إذا قال: أصوم أو لا أصوم وإن لم يردد نيته وجزم بالصوم عن رمضان لم يصح أيضاً، فإنه إذا لم يعتقد كونه من رمضان لم يتأت منه الجزم بالصوم عن رمضان حقيقة وما تعرض حديث نفس لا اعتبار به. وعن صاحب التقريب حكاية وجه أنه يصح صومه هذا إذا لم يعتقد كونه من رمضان، وإن اعتقد كونه من رمضان نظر إن لم تستند نيته إلى ما يثير ظناً فلا عبرة به وإن استندت، وإليه أشار المصنف بقوله:

(**إلا أن تستند نيته إلى**) ما يثير ظناً، كما إذا اعتمد على قول من يثق به من حر أو عبد أو امرأة أو صبيان ذوي رشد ونوى صومه عن رمضان أجزأه إذا بان أنه من رمضان لأن غلبة الظن في مثل هذا له حكم اليقين كما في أوقات الصلاة، وكما إذا رأى الهلال بنفسه وإن قال في نيته والحالة هذه أصوم عن رمضان، فإن لم يكن عن رمضان فهو تطوع فقد قال الإمام: ظاهر النص أنه لا يعتد بصومه إذا بان اليوم من رمضان لمكان التردد قال: وفيه وجه آخر، وبه قال المزني انه يصح لاستناده إلى أصل ثم رأى طرد الخلاف فيما إذا جزم أيضاً ويدخل في قسم استناد الاعتقاد إلى ما شرطنا بناء الأمر على الحساب حيث جوزناه على التفصيل الذي سبق أو تستند نيته إلى (**قول شاهد عدل**) واحد وحكم القاضي بشهادته إذا جوزناه أو بشهادة عدلين وجب الصوم. (**واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يبطل الجزم**) أي لم يقدح ما عساه يبقى من التردد والارتياب. (**أو تستند**) نيته (**إلى استصحاب حال**) وهو نظير مسألة الزكاة المتقدمة (**كالشك في الليلة من رمضان**) بأن ينوي صوم الغد إن كان من رمضان وإلا فهو مفطر، (**فذلك لا يمنع جزم النية**) لأن الأصل بقاء رمضان فيستصحب ذلك بخلاف ما إذا نوى ليلة الثلاثين من رمضان كما تقدم (**أو تستند**) نيته (**إلى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة**) وهي حفرة تحفر تحت الأرض من طمرت الشيء سترته. قال ابن دريد: وبنى فلان مطمورة إذا بنى بيتاً في الأرض والجمع المطامير (**إذا**) اشتبه عليه شهر رمضان، فاجتهد و(**غلب على ظنه دخول رمضان**) فصام شهراً (**باجتهاده**) كما يجتهد للصلاة في القبلة والوقت (**فشكه لا**

رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية. ومهما كان شاكاً ليلة الشك لم ينفعه جزمه

يمنعه من النية) ولا يغنيه أن يصوم شهراً من غير اجتهاد، وإن وافق رمضان، ثم إذا اجتهد وصام شهراً نظر إن وافق رمضان فذاك وإن غلط بالتأخير أجزأه ذلك ولم يلزمه القضاء ولا يضر كونه مأتياً به على نية الأداء، وهل يكون الصوم المأتي به قضاء أم أداء؟ فيه وجهان. أظهرهما أنه قضاء لوقوعه بعد الوقت، والثاني: أنه أداء لمكان العذر والعذر قد يجعل غير الوقت وقتاً كما في الجمع بين الصلاتين، ويتفرع على الوجهين ما لو كان ذلك الشهر ناقصاً وكان رمضان تاماً إن قلنا انه قضاء لزمه يوم آخر، وإن قلنا انه أداء فلا. كما لو كان رمضان ناقصاً وإن كان الأمر بالعكس، فإن قلنا انه قضاء فله إفطار اليوم الأخير إذا عرف الحال، وإن قلنا انه أداء فلا، وإن وافق صومه شوالاً فالصحيح منه تسعة وعشرون إن كان كاملاً وثمانية وعشرون إن كان ناقصاً، فإن جعلناه قضاء وكان رمضان ناقصاً فلا شيء عليه على التقدير الأول، ويقضي يوماً على التقدير الثاني، وإن جعلناه أداء فعليه قضاء يوم بكل حال، وإن وافق ذا الحجة فالصحيح منه ستة وعشرون إن كان كاملاً أو خمسة وعشرون إن كان ناقصاً، فإن جعلناه قضاء وكان رمضان ناقصاً قضى ثلاثة أيام على التقدير الأول ويومين على التقدير الثاني، وإن كان كاملاً قضى أربعة أيام على التقدير الأول وثلاثة على التقدير الثاني، وإن جعلناه أداء قضى أربعة أيام بكل حال، وهذا مبني على ظاهر المذهب في أن صوم أيام التشريق غير صحيح بكل حال، فإن صححناه بناء أن للمتمتع أن يصومها وان من له سبب في صومها بمنزلة المتمتع فذو الحجة كشوال ذكر هذا المستدرك ابن عبدان، وإن غلط بالتقديم على رمضان نظر إن أدرك رمضان عند تبين الحال له فعليه أن يصومه بلا خلاف، وإن لم يتبين له الحال إلا بعد مضي رمضان فقولان. القديم أنه لا يقضي، والجديد وبه قال أبو حنيفة ومالك أنه يقضي لأنه أتى بالعبادة قبل الوقت. وبنى القفال وآخرون القولين على أنه لو وافق شهراً بعد رمضان كان قضاء إن قلنا بالأول فعليه القضاء لأن القضاء لا يسبق الوقت، وإن قلنا بالثاني فلا قضاء لأن ما بعد الوقت إن جاز أن يجعل وقتاً للعذر فكذلك ما قبل الوقت يجوز أن يجعل وقتاً للعذر. وعن أبي يوسف وغيره طريقة أخرى قاطعة بوجوب القضاء وإن تبين الحال بعد مضي بعض رمضان فقد حكى في النهاية طريقتين. إحداهما: طرد القولين في إجزاء ما مضى، والثاني القطع بوجوب الاستدراك إن استدرك شيئاً من الشهر، والأول أظهر.

فصل

وقال أصحابنا: إن اشتبه على الأسير المسلم في دار الحرب رمضان تحرى وصام، فإن ظهر صومه قبله لم يجز لأن صحة الإسقاط لا تسقط الوجوب وإن ظهر بعده جاز فإن ظهر أنه كان شوالاً فعليه قضاء يوم، فلو كان ناقصاً قضى يومين أو ذا الحجة قضى أربعة أيام لمكان أيام النحر والتشريق، فإن اتفق كونه ناقصاً من ذلك الرمضان قضى خمسة، ثم قالت طائفة من

النية باللسان، فإن النية محلها القلب ولا يتصوّر فيه جزم القصد مع الشك، كما لو قال في وسط رمضان: أصوم غداً إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ، ومحل النية لا يتصور فيه تردد، بل هو قاطع لأنه من رمضان، ومن نوى ليلاً ثم أكل

المشايخ: هذا إذا نوى أن يصوم ما عليه من رمضان أما إذا نوى صوم غد أو صيام رمضان فلا يصح إلا أن يوافق رمضان، ومنهم من أطلق الجواز وهو حسن.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: **(ومهما كان شاكاً ليلة الشك)** وهي ليلة الثلاثين من شعبان **(لم ينفعه جزمه النية باللسان فإن النية محلها القلب)** ولا يشترط النطق في الصوم بلا خلاف، **(ولا يتصور فيها جزم القصد مع الشك)** والترديد، **(كما لو قال في وسط رمضان أصوم غداً إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ)** لا اعتبار به، **(ومحل النية لا يتصور فيه التردد بل هو قاطع أنه من رمضان)** ولا يتأتى الجزم بالصوم إلا إذا قطع في اعتقاده كونه من رمضان، وقد علم مما تقدم أن مذهب الشافعي رضي الله عنه كراهة صوم يوم الشك إن لم يوافق صوماً له بالشروط المذكورة، ومذهب أصحابنا إباحته ومذهب أحمد وجوب صومه بنية رمضان في أصح الروايتين عنه ذكره ابن الجوزي في التحقيق، وهذه المسألة عند أصحابنا على وجوه.

أحدها: أن ينوي صوم رمضان وهو مكروه، ولو ظهر أنه من رمضان صح عنه لأنه شهد الشهر وصامه وإن أفطر لا قضاء عليه لأنه مظنون، وروي عن محمد لا يجزئه عن رمضان.

والثاني: أن ينوي عن واجب آخر وهو مكروه لمكان النهي، ولو ظهر أنه من رمضان يجزيه عن رمضان لما مر، وإن ظهر أنه من شعبان يكون تطوعاً.

والثالث: أن ينوي التطوع وهو غير مكروه.

والرابع: أن يردد في أصل النية بأن ينوي أن يصوم غداً إن كان من رمضان ولا يصوم إن كان من شعبان وفي هذا لا يصير صائماً لأنه لم يقع عن عزيمته.

والخامس: أن يردد في وصف النية بأن ينوي إن كان هذا من رمضان يصوم، وإن كان من شعبان ففي واجب آخر وهو مكروه لتردده بين أمرين مكروهين، ولو ظهر أنه من رمضان أجزأ عنه لما مر، وإن ظهر أنه شعبان لم يجزه عن واجب آخر لمكان النهي، والمختار في يوم الشك أن يصوم المفتي بنفسه أخذاً بالاحتياط، ويفتي العامة بالتلوم إلى وقت الزوال ثم بالإفطار حسماً لمادة اعتقاد الزيادة، ولئلا يتهم بالعصيان، فإنه أفتاهم بالإفطار بعد التلوم لحديث العصيان، وهو مشهور بين العوام، فإذا خالف إلى الصوم اتهموه بالمعصية.

وقصة أبي يوسف صريحة في أن من صامه من الخاصة لا يظهره للعامة وهي ما حكاه أسد بن عمرو: أتيت باب الرشيد، فأقبل أبو يوسف القاضي وعليه عمامة سوداء ومدرعة سوداء وخف أسود

لم تفسد نيته، ولو نوت امرأة في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها.

وراكب على فرس أسود وما عليه شيء من البياض إلا لحيته البيضاء وهو يوم شك، فأفتى الناس بالفطر فقلت له: أمفطر أنت؟ فقال: أدن إلي فدنوت منه فقال في أذني أنا صائم وقولنا المفتي ليس بقيد، بل كل من كان من الخاصة وهو من يتمكن من ضبط نفسه عن الإضجاع في النية وملاحظة كونه من الفرض إن كان غد من رمضان، والله أعلم.

تنبيه:

تقدم أن من نوى يوم الشك صوم رمضان، فظهر أنه رمضان. فعند محمد لا يجزئه عنه هذا على أصله الذي ذهب إليه من أنه إذا كبر ينوي الظهر والعصر، فإنه لا يصير شارعاً في الصلاة أصلاً. وعند أبي يوسف يصير شارعاً في الظهر، وعلى هذا الأصل بنى الأصحاب مسألة صوم الشك. لكن المسطور في غير موضع لو نوى القضاء والتطوع كان عن القضاء عند أبي يوسف لأنه أقوى، وعند محمد عن التطوع لأن النيتين تدافعتا فبقي مطلق النية فيقع عن التطوع، ولأبي يوسف ما قلنا ولأن نية التطوع للتطوع غير محتاج إليها فألغيت وبقيت نية القضاء فيقع عن القضاء، وهذا يقتضي أن يقع عن رمضان عند محمد، لأن التدافع لما أوجب بقاء مطلق النية حتى وقع عن التطوع وجب أن يقع عن رمضان لتأديه بمطلق النية، ونظيره من الفروع المنقولة أيضاً لو نوى قضاء رمضان وكفارة الظهار كان عن القضاء استحساناً وهو قول أبي يوسف في القياس وهو على قول محمد يكون تطوعاً لتدافع النيتين فصار كأنه صام مطلقاً. وجه الاستحسان أن القضاء أقوى لأنه حق الله تعالى وكفارة الظهار فيه حق له فيترجح القضاء، ولو نذر صوم يوم بعينه فنوى النذر وكفارة اليمين يقع عن النذر عند محمد، وفي هذه كلها ما ذكرنا من عدم بطلان مطلق النية عنده وصحة النذر لأنه نقل في حد ذاته، وهذا يقتضي أنه فرق بين الصوم والصلاة فإنه لو بقي أصل النية في نية الظهر والعصر لكان شارعاً في صلاة نفل وهو يمنعه على ما عرف في كتاب الصلاة من أنه إذا بطل وصف الفرضية لا تبقى أصل الصلاة عند محمد خلافاً لأبي حنيفة وأبي يوسف وهو مطالب بالفرق، أو يجعل ما ذكرنا عنه في الصوم رواية توافق قولهما في الصلاة، والله أعلم.

(ولو نوى ليلاً ثم أكل أو جامع لم تفسد نيته) على المذهب، وحكي عن أبي إسحاق بطلانها ووجوب تجديدها، وأنكر ابن الصباغ نسبة هذا إلى أبي إسحاق وقال الإمام: رجع أبو إسحاق عن هذا عام حج وأشهد على نفسه، فإن ثبت أحد هذين فلا خلاف في المسألة، ولو نوى ونام وانتبه والليل باق لم يجب تجديد النية على الصحيح. قال الإمام: وفي كلام العراقيين تردد في كون الغفلة كالنوم، **(و)** من المسائل المتعلقة بقيد الجزم ما **(لو نوت الحائض)** صوم الغد قبل أن ينقطع دمها **(ثم)** انقطع بالليل و**(طهرت)** هل يصح صومها إن كانت مبتدأة يتم لها بالليل أكثر الحيض أو معتادة عادتها أكثر الحيض وهو يتم بالليل **(صح صومها)** وإن أخرت غسلها حتى تصبح أو حتى تطلع الشمس، وإن كانت معتادة عادتها دون الأكثر وكانت

الثالث: الامساك عن إيصال شيء إلى الجوف عمداً مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط والحقنة، ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وإدخال

تم بالليل فوجهان، أظهرهما أنه يصح لأن الظاهر استمرار عادتها. والثاني: لا، لأنها قد تخلف وإن لم تكن لها عادة وكانت لا تتم أكثر الحيض بالليل أو كانت لها عادات مختلفة لم يصح الصوم. وقال عبد الملك بن الماجشون، ومحمد بن مسلمة عن مالك: أنه متى انقطع دمها في وقت يمكنها فيه الاغتسال والفراغ منه قبل طلوع الفجر، فإن صومها صحيح، وإن انقطع دمها في وقت يضيق عن غسلها وفراغها منه إلى أن يطلع الفجر لم يصح صومها.

(**الثالث: الإمساك عن إيصال شيء**) أي إدخاله (**إلى الجوف**) وقد ضبطوا الداخل الذي يفطر بالعين الواصل من الظاهر إلى الباطن في منفذ مفتوح (**عمداً**) أي عن قصد (**مع ذكر الصوم**) وفيه قيود: منها الباطن الواصل إليه وفيما يعتبر فيه وجهان مفهومان من كلام الأئمة تعريضاً وتصريحاً: أحدهما ان المعتبر ما يقع عليه اسم الجوف، والثاني يعتبر معه أن تكون فيه قوة تحيل الواصل إليه من غذاء أو دواء، وهذا هو الذي أورده المصنف في الوجيز، ولكن الموافق لتفريع الأكثرين هو الأول على ما سيأتي، ويدل عليه أنهم جعلوا الحلق كالجوف في بطلان الصوم بوصول الواصل ذكره في التهذيب، وحكاه الحناطي عن نص ابن القاص. وأورد الإمام أيضاً أنه إن جاوز الشيء الحلقوم فطر، ومن المعلوم أنه ليس في الحلق قوة الإحالة (**فيفسد صومه بالأكل والشرب والسعوط**) إذا وصل إلى الدماغ وهو بالضم مصدر وهو المراد هنا، وأما بالفتح فاسم ما يصب من الأنف حتى يصل إلى الدماغ دواء أو غيره، وقد سعط واستعط واسعطه الدواء يتعدى إلى مفعولين وبه قال أبو حنيفة وأحمد. أي: إذا استعط بدهن أو غيره فوصل إلى دماغه، وإن لم يصل إلى حلقه. وقال مالك: متى وصل إلى دماغه ولم يصل إلى حلقه منه شيء لم يفطر، واعلم أن ما جاوز الخيشوم في الاستعاط فقد حصل في حد الباطن، وداخل الفم والأنف إلى منتهى الخيشوم والغلصمة له حكم الظاهر من بعض الوجوه حتى لو خرج إليه القيء أو ابتلع منه نخامة بطل صومه، ولو أمسك فيه شيئاً لم يبطل ولو نجس وجب غسله وله حكم الباطن من حيث أنه لو ابتلع منه الريق لا يبطل صومه ولا يجب غسله على الجنب قاله الرافعي.

(**والحقنة**) بالضم اسم من الاحتقان كالفرقة من الافتراق، ثم أطلقت على ما يتداوى به، وقد حقنه واحتقنه أوصل الدواء إلى باطنه من مخرجه بالحقنة بالكسر، واحتقن هو. وهي مبطلة للصوم بحصول الوصول إلى الجوف المعتبر، وبه قال أبو حنيفة وأحمد. وعن القاضي حسين أنه لا تبطله وهو غريب. وفيها اختلاف رواية عن مالك. (**ولا يبطل بالفصادة**) بالكسر اسم من فصد فصداً وهو إخراج الدم من العروق بالمفصد، (**والحجامة**) وهو إخراج الدم بالشرط، وقد حجمه حجماً إذا شرطه بالموسى وهو حجام، واسم الصناعة الحجامة بالكسر أيضاً وبعدم فساد الصوم بالفصد. قال أبو حنيفة، ومالك وأحمد: وفي الحجامة اختلاف. أحمد فإنه قال:

....

« يفطر بها الحاجم والمحجوم » أخذاً بالحديث الذي رواه في ذلك وهو « أفطر الحاجم والمحجوم » وهو مما رواه وعمل به وليس هو في الصحيحين، وبقول أحمد قال ابن المنذر وابن خزيمة من أصحاب الشافعي.

تنبيه:

هذا الحديث رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم وابن حبان من طريق يحي بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي الأشعث عن شداد بن أوس، وصحح البخاري الطريقين تبعاً لعلي بن المديني نقله الترمذي في العلل، وقد استوعب النسائي طرق هذا الحديث في السنن الكبرى، ورواه الترمذي أيضاً من طريق معمر بن يحي بن أبي كثير عن إبراهيم بن قارط عن السائب بن يزيد عن رافع بن خديج. قال الترمذي: ذكر عن أحمد أنه قال: هو أصح شيء في هذا الباب، وصححه ابن حبان، والحاكم، ورواه النسائي، وابن ماجه من طريق عبد الله بن بشر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، ووقفه إبراهيم بن طهمان عن الأعمش، وله طريق عن شقيق بن نور عن أبيه عن أبي هريرة. ثم هذا الحديث معارض بما روي: « أنه ﷺ احتجم وهو صائم » رواه البخاري وغيره، وقيل لأنس: أكنتم تكرهون الحجامة؟ فقال: لا إلا من أجل الضعف رواه البخاري.

وقال أنس: أول ما كرهت الحجامة للصائم أن جعفر بن أبي طالب احتجم وهو صائم فمر به رسول الله ﷺ فقال: أفطر هذان، ثم رخص ﷺ في الحجامة بعد للصائم، وكان أنس يحتجم وهو صائم. رواه الدارقطني وقال: رواته ثقات، ولا أعلم له علة. وبما رواه البزار من حديث ابن عباس رفعه « ثلاثة لا يفطرون الصائم القيء والحجامة والاحتلام » وسيأتي ذكره.

(والاكتحال) إذ ليست العين من الأجواف وقد روي أنه ﷺ اكتحل في رمضان وهو صائم.

قال النووي في شرح المهذب: رواه ابن ماجه بإسناد ضعيف من رواية بقية عن سعيد بن أبي سعيد عن هشام بن عروة عن عائشة، وسعيد ضعيف قال: وقد اتفق الحفاظ على أن رواية بقية عن المجهولين مردودة اهـ.

قال الحافظ ابن حجر: وليس سعيد بن أبي سعيد بمجهول، بل هو ضعيف، واسم أبيه عبد الجبار على الصحيح، ورواه البيهقي من طريق محمد بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده: « أن رسول الله ﷺ كان يكتحل وهو صائم » ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر وسنده مقارب، ورواه ابن أبي عامر في كتاب الصيام له من حديث ابن عمر أيضاً بلفظ: « خرج علينا رسول الله ﷺ وعيناه مملوءتان من الاثمد » وذلك من رمضان وهو صائم، قال الرافعي ولا فرق بين أن يجد في الحلق منه طعماً أو لا يجد فإنه لا منفذ من العين إلى الحلق وما يصل إليه من المسام، وبه قال أبو حنيفة، وعن مالك وأحمد أنه إذا وجد في الحلق طعماً منه أفطر.

(وإدخال الميل في) باطن **(الأذن و)** باطن **(الإحليل)** وهو بالكسر مخرج البول من

الميل في الأذن والإحليل إلا أن يقطر فيه ما يبلغ المثانة، وما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه أو ما يسبق إلى جوفه في المضمضة فلا يفطر إلا إذا

الذكر واللبن من الثدي **(إلا أن يقطر فيه)** أي في باطن الإحليل **(ما يبلغ المثانة)** وهو مستقر البول من الإنسان والحيوان، وموضعها من الإنسان فوق المعي المستقيم، ومن المرأة فوق الرحم والرحم فوق المعي المستقيم.

قال الرافعي في بطلان الصوم بالتقطير في الأذن بحيث يصل إلى الباطن وجهان أحدهما وبه قال الشيخ أبو محمد أنه يبطل كالسعوط، والثاني لا يبطل لأنه لا منفذ من الأذن إلى الدماغ وما يصل من المسام فاشبه الاكتحال، ويروى هذا الوجه عن الشيخ أبي علي والفوراني والقاضي الحسين. وهو الذي أورده المصنف في الوجيز، ولكن الأول أظهر عند أكثر الأصحاب، ولهم أن يقولوا هب أن الأذن لا منفذ فيه إلى داخل الدماغ، لكنه نافذ إلى داخل قحف الرأس لا محالة والوصول إليه كاف في البطلان، وبنى الإمام هذا الخلاف على نوجهين السابقين فيما يعتبر في الباطن الذي يصل إليه الشيء، فإن داخل الأذن جوف لكن ليس فيه قوة الإحالة، وعلى الوجهين يتفرع ما إذا قطر في إحليله شيئاً ولم يصل إلى المثانة، ففي وجه يبطل صومه وهو الأظهر، كما لو وصل إلى حلقه ولم يصل إلى المعدة، وفي وجه لا يبطل كما لو وضع في فمه شيئاً، وبهذا قال أبو حنيفة وهو اختيار القفال، وتوسط بعض متأخري الأصحاب فقال: إن وصل إلى ما وراء الحشفة أفطر، وإلا لم يفطر تشبيهاً بالحلق والفم اهـ.

وقال ابن أبي هبيرة في الإفصاح واختلفوا فيما إذا قطر في إحليله فقال أبو حنيفة، ومالك وأحمد: لا يفطر، وقال الشافعي يفطر ويجب عليه القضاء اهـ.

وعبارة الهداية: ولو أقطر في إحليله لم يفطر عند أبي حنيفة، وقال أبو يوسف: يفطر، وقول محمد مضطرب والإفطار في اقبال النساء على هذا الخلاف، وقال بعضهم: يفسد بلا خلاف لأنه شبيه بالحقنة. قال في المبسوط: وهو الأصح.

(وما يصل) إلى الحلق **(من غير قصد)** منه **(من غبار الطريق)** وغربلة الدقيق **(أو ذبابة)** أو بعوضة تطير و **(تدخل إلى جوفه)** لم يكن مفطراً، وإن كان إطباق الفم واجتناب الطريق ومفارقة موضع الدقيق ممكناً، لأن تكليف الصائم الاحتراز عن الأفعال المعتادة التي يحتاج إليها فيه عسر شديد، بل لو افتتح فاه عمداً حتى وصل الغبار إلى جوفه فقد قال في التهذيب: أصح الوجهين أنه يقع عفواً، وشبهوا هذا الخلاف بالخلاف فيما إذا قتل البراغيث عمداً وتلوث بدمائها هل يقع عفواً؟ قال في المجموع: وقضيته أن محل عدم الإفطار به إذا كان قليلاً، ولكن ظاهر كلام الأصحاب: الإطلاق وهو الظاهر، وقد يفهم أنه لو خرجت مقعدة المبسور فردها قصدا أنه يفطر، والأصح كما في التهذيب والكافي أنه لا يفطر لاضطراره إليه كما لا يبطل طهر المستحاضة بخروج الدم. وقال أصحابنا: إذا دخل حلقه غبار أو ذباب وهو ذاكر لصومه لا يفطر لأنه لا يستطاع الامتناع عنه فأشبه الدخان وهذا استحسان، والقياس أن يفطر لوصول

بالغ في المضمضة فيفطر لأنه مقصر وهو الذي أردنا بقولنا: «عمداً». فأما ذكر

المفطر إلى جوفه وإن كان لا يتغذى به كالتراب والحصى ونحو ذلك وجه الاستحسان ما بينا أنه لا يقدر على الامتناع عنه، فصار كما إذا بقي في فيه بعد المضمضة، ونظيره ما ذكره في الخزانة أن دموعه أو عرقه إذا دخل حلقه وهو قليل مثل قطرة أو قطرتين لا يفطر، وإن كان أكثر بحيث يجد ملوحة في حلقه يفسده. واختلفوا في الثلج والمطر والأصح أنه يفسده لإمكان الامتناع عنه بأن تأويه خيمة أو سقف، وهذا يقتضي أنه لو لم يقدر على ذلك بأن كان سائراً مسافراً أفسده، ولو دخل فمه المطر فابتلعه لزمته الكفارة. **(أو ما سبق إلى جوفه في المضمضة فلا يفطر)**، وكذا إذا استنشق فوصل الماء إلى دماغه **(إلا إذا بالغ في المضمضة فيفطر لأنه مقصر، وهو الذي أردنا بقولنا عمداً)**.

وقال الرافعي: إذا تمضمض فسبق الماء إلى جوفه أو استنشق فوصل الماء إلى دماغه، فقد نقل المزني أنه يفطر، وقال في اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى: أنه لا يفطر إلا أن يتعمد الازدراد، وللأصحاب فيه طريقان. أصحهما أن المسألة على قولين: أحدهما وبه قال مالك وأبو حنيفة والمزني أنه يفطر لأنه وصل الماء إلى جوفه بفعله فإنه هو الذي أدخل الماء في فيه وأنفه، والثاني: وبه قال أحمد وهو اختيار الربيع لا لأنه وصل بغير اختياره فأشبه غبار الطريق، والثاني القطع بأنه لا يفطر حكاه المسعودي وغيره، ثم من القائلين من حمل منقول المزني على ما إذا تعمد الازدراد، ومنهم من حمله على ما إذا بالغ، وحمل النص الثاني على ما إذا لم يبالغ، ونفي الخلاف في الحالتين وإذا قلنا بطريقة القولين فما محلهما فيه؟ ثلاثة طرق. أصحها أن القولين فيما إذا بالغ أما إذا لم يبالغ فلا يفطر بلا خلاف، والفرق على الطريقين أن المبالغة منهي عنها، وأصل المضمضة والاستنشاق محثوث عليه فلا تحسن مؤاخذته مما يتولد منه بغير اختياره، والثالث: طرد القولين في الحالين، وإذا ميزنا حالة المبالغة عن حالة الاقتصار على أصل المضمضة والاستنشاق حصل عند المبالغة قولان مرتبان كما ذكر في الوجيز، وظاهر المذهب ما ذكرنا عند المبالغة الإفطار وعند عدم المبالغة الصحة، ولا يخفى ان محل الكلام فيما إذا كان ذاكراً للصوم، أما إذا كان ناسياً فلا يفطر بحال وسبق الماء عند غسل الفم لنجاسة كسبقه عند المضمضة، والمبالغة ههنا للحاجة ينبغي أن يكون كالسبق في المضمضة بلا مبالغة، ولو سبق الماء من غسله تبرداً أو من المضمضة في الكرة الرابعة، فقد قال في التهذيب: إن بالغ بطل صومه وإلا فهو مرتب على المضمضة، وأولى بالإفطار لأنه غير مأمور به.

قال النووي في زوائد الروضة: المختار في الرابعة الجزم بالإفطار كالمبالغة لأنها منهي عنها، ولو جعل الماء في فيه لا لغرض وسبق، فقيل: يفطر، وقيل: بالقولين، ولو مج ولم ينو صوماً فتمضمض ولم يبالغ فسبق الماء إلى جوفه، ثم نوى صوم تطوع صح على الأصح، وقال أصحابنا ومالك: سبق الماء في المضمضة والاستنشاق إلى الحلق مفسد للصوم، وسواء كان مبالغاً فيهما أو لم يكن، وقال أحمد: يفسد صومه إن لم يكن مبالغاً فإن كان بالغ فالظاهر من مذهبه أنه يفطر على احتمال، والله أعلم.

الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناسي فإنه لا يفطر أما من أكل عامداً في طرفي النهار ثم ظهر له أنه أكل نهاراً بالتحقيق فعليه القضاء. وإن بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغي أن يأكل في طرفي النهار إلا بظن واجتهاد.

(فأما) قولنا مع **(ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناسي فإنه)** إذا أكل ناسياً أو شرب كذلك نظر إن قل أكله **(لا يفطر)** خلافاً لمالك، فإنه قال: يفسد ويجب عليه القضاء.

قال الرافعي: لنا ما روي أنه ﷺ قال: «من نسي وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه». قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي هريرة ولابن حبان، والدارقطني، وابن خزيمة، والحاكم، والطبراني في الأوسط «إذا أكل الصائم ناسياً فإنما هو رزق ساقه الله إليه ولا قضاء عليه». ولها وللدارقطني والبيهقي: «من أفطر في شهر رمضان ناسياً فلا قضاء عليه ولا كفارة» قال الدارقطني: تفرد به محمد بن مرزوق عن الأنصاري وهو ثقة اهـ.

وإن كثر ففيه وجهان. كالوجهين في بطلان الصلاة بالكلام الكثير، والأصح عدم البطلان هنا بخلاف الصلاة لأن لها هيئة مذكرة بخلاف الصوم، وإن أكل جاهلاً بكونه مفطراً وكان قريب العهد بالإسلام، أو نشأ في بادية وكان يجهل ذلك لم يبطل وإلا فيبطل **(فأما من أكل عامداً في طرفي النهار)** على ظن أن الصبح لم يطلع بعد، وأن الشمس قد غربت فكان غالطاً، **(ثم ظهر له أنه أكل نهاراً بالتحقيق فعليه القضاء)** هكذا رواه المزني، ووافقه الأصحاب على هذه الرواية. ووجهه أنه تحقق خلاف ما ظنه، واليقين مقدم على الظن ولا يبعد استواء حكم الغلط في دخول الوقت وخروجه كما في الجمعة، وهذا هو الأصح والأظهر في المذهب، ومنهم من نقل عن المزني خلاف ذلك **(وإن بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه)**، والحكم بلزوم القضاء وعدمه في الصوم الواجب، أما في التطوع فيفطر ولا قضاء وحكى الموفق بن طاهر عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنه يجزئه الصوم في الطرفين، **(ولا ينبغي أن يأكل في طرفي النهار إلا بظن واجتهاد)**.

قال الرافعي: أما أكل الغالط في آخر النهار فالأحوط أن لا يأكل إلا بيقين غروب الشمس، لأن الأصل بقاء النهار فيستصحب إلى أن يتيقن خلافه، ولو اجتهد وغلب على ظنه دخول الليل بورد وغيره، ففي جواز الأكل وجهان أحدهما: وبه قال أبو إسحاق الإسفرايني أنه لا يجوز لقدرته على درك اليقين بالصبر، وأصحهما الجواز وأما في أول النهار فيجوز الأكل بالظن والاجتهاد لأن الاصل بقاء الليل، ولو هجم وأكل من غير يقين ولا اجتهاد نظر إن تبين له الخطأ فالحكم ما ذكرناه سابقاً، وإن تبين الصواب فقد استمر الصوم على الصحة والمعتمد، وإن لم يتبين الخطأ ولا الصواب واستمر الإشكال فينظر إن اتفق ذلك في آخر النهار وجب القضاء لأن الأصل بقاؤه وإن لم يتبين الأكل على أمر يعارضه وإن اتفق في أوله فلا قضاء لأن الأصل

الرابع: الإمساك عن الجماع وحده بتغييب الحشفة. وإن جامع ناسياً لم يفطر، وإن

بقاء الليل في جواز الأكل. وروى بعض الأصحاب عن مالك وجوب القضاء في هذه الصورة، وتردد ابن الصباغ في ثبوتها عنه، ولو أكل في آخر النهار بالاجتهاد وقلنا لا يجوز الأكل بالاجتهاد كان كما لو أكل من غير يقين ولا اجتهاد. قال النووي في زيادات الروضة. والأكل هجوماً بلا ظن حرام في آخر النهار قطعاً وجائز في أوله. وقال المصنف في الوسيط: لا يجوز، ومثله في التتمة وهو محمول على أنه ليس مباحاً مستوي الطرفين، بل الأولى تركه، وقد صرح الماوردي والدارمي وخلائق بأنه لا يحرم على الشاك الأكل وغيره بلا خلاف في هذا لقوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط﴾ [البقرة: ١٨٧] وصح عن ابن عباس كل ما شككت حتى يتبين لك، والله أعلم.

فصل

ومن مسائل هذا الباب ما نقل أصحابنا: لو أكل ناسياً فقال له آخر: أنت صائم ولم يتذكر فأكل ثم تذكر أنه صائم فسد صومه عند أبي حنيفة وأبي يوسف لأنه أخبر بأن هذا الأكل حرام عليه، وخبر الواحد في الديانات حجة. وقال زفر والحسن: لا يفسد لأنه ناس، ولو رأى صائماً يأكل ناسياً ورأى قوّة تمكنه أن يتم صومه بلا ضعف. المختار أنه يكره أن لا يخبره وإن كان بحال يضعف بالصوم، ولو أكل يتقوى على سائر الطاعات يسعه أن لا يخبره، ولو كان مخطئاً أو مكرهاً أفطر لوصول المفطر في جوفه وهو القياس في الناسي، إلا أنا تركنا بما رويناه فصار كما إذا أكره على أن لا يأكل هو بيده، أو كمن أكل وهو يظن أن الفجر لم يطلع، فإذا هو طالع والقياس على الناسي ممتنع لوجهين. أحدهما: أن النسيان غالب فلا يمكن الاحتراز عنه فيعذر، وهذه الأشياء نادرة فلا يصح إلحاقها به، والثاني أن النسيان من قبل من له الحق، وهذه الأشياء من العباد فيفترقان كالمريض والمقيد إذا صليا قاعدين بحيث يجب القضاء على المقيد دون المريض، وكذا النائم إذا صبّ في حلقه ما يفطر حكم المكره فيفطر والله أعلم.

وكان أبو حنيفة أوّلاً يقول في المكره على الجماع عليه القضاء والكفارة، لأنه لا يكون إلا بانتشار الآلة. وذلك إمارة الاختيار ثم رجع، وقال: لا كفارة عليه وهو قولهما لأن فساد الصوم يتحقق بالإيلاج وهو مكره فيه، مع أن ليس كل من انتشر آلته يجامع.

وقال الرافعي: لو أوجر مكرهاً لم يفطر فلو أكره حتى فعل بنفسه ففيه قولان. أحدهما. وبه قال أحمد لا يفطر، لأن حكم اختياره ساقط وأكله ليس منهياً عنه فأشبه الناسي، والثاني: وبه قال أبو حنيفة يفطر لأنه أتى بضد الصوم ذاكراً له غايته أنه أتى له لدفع الضرر عن نفسه، لكنه لا أثر له في دفع الفطر كما لو أكل أو شرب لدفع الجوع أو العطش، وهذا أصح عند المصنف.

(**الرابع: الإمساك عن الجماع وحدّه بتغيب الحشفة**) أي رأس الذكر وهو مبطل للصوم بالإجماع. (**فإن جامع ناسياً**) للصوم فقد نقل المزني أنه (**لم يفطر**). وقال النووي في الروضة:

جامع ليلاً أو احتلم فأصبح جنباً لم يفطر، وإن طلع الفجر وهو مخالط أهله فنزع في الحال صح صومه فإن صبر فسد ولزمته الكفارة.

هو الأصح، وقال الرافعي: وللأصحاب فيه طريقان. أصحهما القطع بأنه لا يبطل صومه كما نقله اعتباراً بالأكل، والثاني أنه يخرج على قولين كما في جماع المحرم ناسياً، ومن قال بهذا أنكر ما نقله المزني، وقال: لا نص للشافعي رضي الله عنه، وقال أصحابنا: وإذا ثبت في الأكل والشرب ثبت في الجماع دلالة لأنه في معناه. وقال في الهداية: للاستواء في الركنية أي أن الركن واحد وهو الكف عن كل منها فتساوت كلها في أنها متعلق الركن لا يفضل واحد منها على أخويه بشيء في ذلك، فإذا ثبت في فوات الكف عن بعضها ناسياً عدمه بالنسيان وإبقاء صومه كان ثابتاً أيضاً في فوات الكف ناسياً عن أخويه يحكم بذلك كل من علم ذلك الاستواء، ثم علم ذلك الثبوت وإن لم يكن من أهل الاجتهاد. **(وإن جامع ليلاً)** ثم نام ولم ينتبه حتى الصباح **(أو احتلم)** ليلاً **(فأصبح)** صائماً بالنية **(جنباً لم يفطر)** وصحّ صومه بالإجماع وإن أخّر الاغتسال بعد طلوع الفجر مع استحبابهم لها الغسل قبل طلوعه، **(وإن طلع الفجر وهو مخالط)** أي مجامع **(أهله فنزع في الحال صح صومه)** نص عليه في المختصر.

قال الرافعي: وتصوير المسألة على ثلاثة أوجه: أحدها: أن يحس وهو مجامع بتباشير الصبح فينزع بحيث يوافق آخر النزع ابتداء الطلوع. والثاني: أن يطلع الصبح وهو مجامع ويعلم بالطلوع كما طلع وينزع كما علم، والثالث: أن يمضي زمان بعد الطلوع ثم يعلم به. أما هذه الصورة الثالثة فليست مرادة بالنص بل الصوم فيها باطل، وإن نزع كما علم لأن بعض النهار مضى وهو مشغول بالجماع، فأشبه الغالط بالأكل. هذا ظاهر المذهب، وعلى الصحيح لو مكث في هذه الصورة فلا كفارة عليه، لأن مكثه مسبوق ببطلان الصوم، وأما الصورتان الأوليان فقد حكى الموفق بن طاهر: أن أبا إسحاق قال: النص محمول على الصورة الأولى، أما إذا طلع وأخرج فسد صومه، ولا شك في صحة الصوم في الصورة الأولى، لكن حمل النص عليها والحكم بالفساد في الثانية مستبعد، بل قضية كلام الأئمة نقلاً وتوجيهاً أن المراد من مسألة النص الصورة الثانية وحكوا فيها خلاف مالك وأحمد والمزني، واحتجوا عليهم بأن النزع ترك الجماع فلا يتعلق به ما يتعلق بالجماع، **(فإن)** طلع الفجر وعلم به كما طلع و **(صبر)** أي مكث ولم ينزع **(فسد صومه)** أي لم ينعقد لوجود المنافي **(ولزمته الكفارة)** نص عليه في المختصر، وأشار فيما إذا قال لامرأته: إن وطئتك فأنت طالق ثلاثاً فغيب الحشفة وطلقت ومكث إلى أنه لا يجب المهر، وعند أبي حنيفة وتجب الكفارة بالمكث، واختاره المزني، وساعدنا مالك وأحمد على الوجوب، والخلاف جار فيما إذا جامع ناسياً، ثم تذكر الصوم واستدام.

فإن قيل: كيف يعلم الفجر بمجرد طلوعه وطلوعه الحقيقي يتقدم على علمنا به؟ فأجاب الشيخ أبو محمد: بجوابين. أحدهما: أنها مسألة علمية على التقدير ولا يلزم وقوعها. والثاني: أنا تعبدنا بما نطلع عليه ولا معنى للصبح إلا ظهور الضوء للناظر وما قبله لا حكم له، فإذا كان الشخص عارفاً

الخامس: الإمساك عن الاستمناء وهو إخراج المنيّ قصداً بجماع أو بغير جماع، فإن ذلك يفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك إلا أن

بالأوقات ومنازل القمر فترصد بحيث لا حائل، فهو أول الصبح المقيد. قال النووي في زوائد الروضة: هذا الثاني هو الصحيح، وفي الإفصاح لابن هبيرة اختلفوا فيما إذا طلع الفجر وهو مخالط، فقال أبو حنيفة: إن نزع في الحال صحَّ صومه ولا شيء عليه، وإن استدام فعليه القضاء ولا كفارة عليه. وقال مالك: إن استدام فعليه القضاء والكفارة، وإن نزع فالقضاء فقط. وقال الشافعي: إن نزع مع طلوع الفجر صح صومه، وإن لم ينزع بل استدام وجب عليه القضاء والكفارة. وقال أحمد: إذا طلع الفجر وهو مخالط فعليه القضاء والكفارة معاً، وسواء نزع في الحال أو استدام اهـ.

وفي كتب أصحابنا: لو بدأ بالجماع ناسياً فتذكر ان نزع من ساعته لم يفطر، وإن دام على ذلك حتى أنزل فعليه القضاء، ثم قيل: لا كفارة عليه، وقيل: هذا إذا لم يحرك نفسه بعد التذكر، حتى أنزل فإن حرك نفسه بعده فعليه كما لو نزع ثم أولج، ولو جامع عامداً قبل الفجر فطلع وجب النزع في الحال، فإن حرك نفسه فهو على هذا نظيره ما قالوا أولج، ثم قال لها إن جامعتك فأنت طالق أو حرة إن نزع أو لم ينزع، ولم يتحرك حتى أنزل لا تطلق ولا تعتق، وإن حرك نفسه طلقت وعتقت ويصير مراجعاً بالحركة الثانية، ويجب للأمة المهر ولا حدّ عليهما.

(الخامس: الإمساك عن الاستمناء وهو إخراج المني قصداً بجماع أو بغير جماع، فإن ذلك يفطره) لأن الإيلاج من غير إنزال مبطل، فالإنزال بنوع شهوة أولى أن يكون مفطراً، فإن خرج بمجرد الفكر والنظر بالشهوة لم يكن مفطراً خلافاً لمالك في النظر، وعن أصحابه في الفكر اختلاف، ولأحمد حيث قال: إن كرر النظر حتى أنزل أفطر.

قلت: عن أحمد فيمن كرر النظر فأنزل روايتان. أحدهما: صومه فاسد وعليه القضاء فقط واختارها الخرقي، والأخرى كمذهب مالك عليه القضاء فقط. وقال أصحابنا إذا أنزل بنظر أو تفكر لم يفطر لعدم المباشرة فأشبه الاحتلام، ولا عبرة بالنظرة الأولى أو الثانية لأن ما يكون مفطراً لا يشترط التكرار فيه، وما لا يكون مفطراً لا يفطر بالتكرار، ولو عالج ذكره حتى أمنى فالمختار أنه يفسد صومه كما في التجنيس وهو قول عامة المشايخ، ولا يحل له إن قصد به قضاء الشهوة.

وقال ابن جريج: سألت عطاء عنه فقال: مكروه. وسمعت قوماً يحشرون وأيديهم حبالى، فأظن أنهم هؤلاء. وقال سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم، وإن قصد تسكين ما به من الشهوة يرجى أن لا يكون عليه وبال، ووجه كون الاستمناء مفطراً على المختار اعتبارهم المباشرة المأخوذة في معنى الجماع أعم من كونها مباشرة الغير أو لا بأن يراد مباشرة هي سبب الإنزال، سواء كان ما بوشر مما يشتهى عادة أو لا، ولهذا أفطر بالإنزال في فرج البهيمة والميتة وليسا مما يشتهى عادة، والله أعلم.

(ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل) أي إن أنزل بمباشرة فيما دون الفرج

يكون شيخاً أو مالكاً لأربه، فلا بأس بالتقبيل، وتركه أولى. وإذا كان يخاف من التقبيل أن ينزل فقبل وسبق المني أفطر لتقصيره.

السادس: الإمساك عن إخراج القيء فالاستقاء يفسد الصوم وإن ذرعه القيء لم

أو لمس أو قبلة أفطر لأنه أنزل بمباشرة هذا ما ذكره الجمهور. وذكر الإمام أن شيخه حكى وجهين فيما إذا ضم امرأة إلى نفسه وبينهما حائل. قال: وهو عندي كسبق الماء في صورة المضمضة، فإن ضاجعها متجرداً والتقت البشرتان فهو كصورة المبالغة في المضمضة، وفي شرح المنهاج: لو قبلها وفارقها ساعة ثم أنزل، فالأصح إن كانت الشهوة مستصحبة والذكر قائماً حتى أنزل أفطر والاّ فلا قاله في البحر.

(**لكن يكره ذلك**) أي تقبيلها ومضاجعتها للشاب إذا حركت القبلة شهوته ولم يأمن على نفسه، ولذا قال: (**إلا أن يكون شيخاً**) والمعانقة واللمس ونحوهما بلا حائل كالقبلة، وسواء كان رجلاً أو امرأة كما في المهات (**أو**) شاباً إلا أنه كان (**مالكاً لإربه**) وإليه الإشارة في حديث عائشة «أن النبي ﷺ كان يقبل بعض نسائه وكان أملككم لإربه» (**فلا بأس بالتقبيل وتركه أولى**) حسماً للباب. إذ قد يظنها غير محركة، ولأن الصائم يسن له ترك الشهوات مطلقا.

وروى أبو داود باسناد جيد عن أبي هريرة «أنه ﷺ سأله رجل عن المباشرة للصائم فرخص له وأتاه آخر فنهاه، فإذا الذي رخص له شيخ، والذي نهاه شاب» وهو يفيد التفصيل الذي ذكره المصنف.

قال أصحابنا: المباشرة كالتقبيل في ظاهر الرواية خلافاً لمحمد في المباشرة الفاحشة، وهي تجردهما متلاصقي البطنين، وهذا أخص من مطلق المباشرة وهو المفاد في الحديث المتقدم، فجعل الحديث دليلاً على محمد محل نظر إذ لا عموم للفعل المثبت في أقسامه، بل ولا في الزمان. وقول محمد هو رواية الحسن عن أبي حنيفة، وقال الرافعي: ومن كرهنا له القبلة فهل ذلك على سبيل التحريم أو التنزيه؟ حكي في التتمة فيه وجهين، والأول هو المذكور في التهذيب، وصحح النووي في المنهاج هذا القول لأن فيه تعريضاً لإفساد العبادة ولخبر الصحيحين «من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه» وقال أصحابنا: الأوجه الكراهة لأنها إذا كانت سبباً غالباً تنزل سبباً فأقل الأمور لزوم الكراهة من غير ملاحظة تحقق الخوف بالفعل.

(**وإذا كان يخاف من التقبيل**) أو اللمس (**أن ينزل**) أي كان ممن خاف ذلك (**فقبل**) أو لمس (**وسبق المني أفطر لتقصيره**) في ذلك، وقد كان يمكنه الاحتراس منه. وقال أحمد: إن لمس فأمذى فهد صومه، وعليه القضاء وعند الأئمة الثلاثة صومه صحيح.

(**السادس: الإمساك عن إخراج القيء بالاستقاءة**) أي طلبه (**فإنه إذا استقاء**) عامداً (**فسد صومه**) وبه قال مالك (**وإن ذرعه القيء**) أي غلبه (**لم يفسد صومه**) بالإجماع لما

روى أصحاب السنن الأربعة، واللفظ للترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً «من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء ومن استقاء عمداً فليقض». وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث هشام بن حسان عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ إلا من حديث عيسى بن يونس.

وقال البخاري: لا أراه محفوظاً لهذا أعني للغرابة ولا يقدح في ذلك بعد تصديقه الراوي، فإنه هو الشاذ المقبول، وقد صححه الحاكم، وابن حبان، ورواه الدارقطني وقال: رواته كلهم ثقات، ثم تابع عيسى بن يونس عن هشام حفص بن غياث رواه ابن ماجه، ورواه الحاكم وسكت عليه، ورواه مالك في الموطأ موقوفاً على ابن عمر. ورواه النسائي من حديث الأوزاعي موقوفاً على أبي هريرة، ووقفه عبد الرزاق على أبي هريرة وعلي أيضاً.

واختلفت أصحاب الشافعي في سبب الفطر إذا تقيأ عمداً فالأصح أن نفس الاستقاءة مفطرة كالإنزال، والثاني أن المفطر رجوع شيء مما خرج وإن قلّ فلو تقيأ منكوساً أو تحفظ فاستيقن أنه لم يرجع شيء إلى جوفه ففي فطره الوجهان. قال الإمام: فلو استقاء عمداً أو تحفظ جهده فغلبه القيء ورجع شيء. فإن قلنا الاستقاءة مفطرة بنفسها فهنا أولى، وإلاّ فهو كالمبالغة في المضمضة إذا سبق الماء إلى جوفه. وقال أصحابنا: جملة الكلام فيه أنه لا يخلو اما إن قاء عامداً أو ذرعه القيء وكل منهما لا يخلو إما أن يكون ملء الفم أو لا، وكل من هذه الأقسام لا يخلو اما ان عاد هو بنفسه أو أعاده أو خرج ولم يعده ولا عاد بنفسه، فإن ذرعه القيء وخرج لا يفطره قلّ أو كثر لإطلاق ما روينا. وإن عاد هو بنفسه وهو ذاكر للصوم إن كان ملء الفم فسَدَ صومه عند أبي يوسف لأنه خارج حتى انتقضت به الطهارة، وقد دخل وعند محمد لا يفسد وهو الصحيح لأنه لم يوجد منه صورة الفطر وهو الابتلاع، وكذا معناه إذ لا يتغذى به، فأبو يوسف يعتبر الخروج ومحمد يعتبر الصنع، وإن أعاده أفطر بالإجماع لوجود الصنع عند محمد والخروج عند أبي يوسف، وإن كان أقل من ملء الفم لا يفطر فإن عاد لا يفطره بالإجماع لعدم الخروج والصنع، وإن أعاده فسد صومه عند محمد لوجود الصنع، ولا يفسد عند أبي يوسف لعدم الخروج، وإن استقاء عامداً إن كان ملء فيه فسد صومه بالإجماع فلا يتأتى فيه تفريع على قوله، ولا يفطر عند أبي يوسف لعدم الخروج، وصححه شارح الكنز ولكنه خلاف ظاهر الرواية أي من حيث الإطلاق، ثم إن عاد بنفسه لم يفطر وإن أعاده ففيه روايتان وزفر مع محمد في أن قليله يفسد الصوم وهو جرى على أصله في انتقاض الطهارة، وقولهم: إذا استقاء عمداً يخرج به ما إذا كان ناسياً لصومه فإنه لا يفسد به كغيره من المفطرات، وهذا كله إذا كان القيء طعاماً أو ماء أو مرة، فإن كان بلغماً فغير مفسد للصوم عند أبي حنيفة ومحمد خلافاً لأبي يوسف إذا ملأ الفم بناء على قوله انه ناقض، وإن قاء مراراً في مجلس واحد لزمه القضاء، وإن كان في مجالس أو غدوة ثم نصف النهار ثم عشية لا يلزمه القضاء ولم يفصل في المبسوط في ظاهر الرواية بين ملء الفم وما دونه، وفي رواية الحسن عن أبي حنيفة فرق بينهما والله اعلم.

يفسد صومه، وإذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به إلا أن يبتلعه بعد وصوله إلى فيه فإنه يفطر عند ذلك.

وعند الإمام أحمد روايات في القيء الذي ينقض الوضوء والفطر معاً. إحداها: لا يفطر إلا بالفاحش منه وهي المشهورة. الثانية: ملء الفم. الثالثة: ما كان في نصف الفم، وعنه رواية أخرى رابعة في انتقاض الوضوء بالقيء قليله وكثيره، وهي في الفطر أيضاً إلا أن القيء الذي يفسد الصوم على اختلاف مذهبه في صفته، فإنه لم يختلف مذهبه في اشتراط التعمد فيه، والله أعلم.

(**وإن ابتلع**) كذا في النسخ، ومثله في الوجيز وفي بعضها اقتلع وهو الذي في شرح الرافعي (**نخامة**) وهي بالضم ما يخرجه الانسان (**من حلقه**) من مخرج الخاء المعجمة هكذا قيده ابن الأثير، (**أو**) من (**صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به**) وكذلك إذا حصلت في حدّ الظاهر من الفم ولم يقدر على صرفها ومجها حتى رجعت إلى الجوف، (**إلا أن يبتلعها بعد وصولها إلى**) فضاء (**فيه فإنه يفطر عند ذلك**) وإن قدر على قطعها من مجراها وعلى مجّها فتركها حتى جرت بنفسها فوجهان حكاهما الإمام أوفقهما لكلام الأئمة أنه يفطر لتقصيره. ونقل عن الحاوي وجهان في الإفطار بالنخامة والوجه تنزيلهما على الحالة التي حكم للإمام الخلاف فيها. وقال الرافعي في الشرح: إذا اقتلع نخامة من باطنه فلفظها. فقد حكى الشيخ أبو محمد فيه وجهين. أحدهما: أنه يفطر به إلحاقاً له بالاستقاءة، والثاني لا لأن الحاجة إليه تكثر فليرخص فيه، وبهذا أجاب الحناطي وكثير من الائمة ولم يذكروا غيره.

ومن لواحق هذه المسألة ابتلاع الريق وهو لا يفطر إجماعاً لأنه لا يمكن الاحتراز عنه وبه يحيا الإنسان وذلك بشروط.

أحدها: أن يكون الريق صرفاً فالمخلوط بغيره المتغير به يفطر بابتلاعه سواء كان الغير طاهراً كفتل الخيط المصبوغ أو نجساً كما لو دميت لثته، ولو تناول بالليل شيئاً نجساً ولم يغسل فمه حتى أصبح فابتلع الريق بطل صومه.

الثاني: أن يبتلعه. فلو خرج إلى ظاهر فمه ثم ردّه بلسانه وابتلعه بطل صومه، ولو أخرج لسانه وعليه الريق ثم ردّه وابتلع ما عليه فوجهان أظهرهما أنه لا يبطل صومه.

الثالث: أن يبتلعه وهو على هيئته المعتادة أما لو جمعه ثم ابتلعه ففيه وجهان أصحهما أنه لا يبطل، وبه قال أبو حنيفة.

فصل

في اعتبارات ما ذكر بالاختصار:

اعتبار النية عند من يراها شرطاً في صحة الصيام، ومن رأى أنها خاصة لمن يدركه الشهر مريضاً أو مسافراً فيريد الصوم.

اعلم أن النية القصد وشهر رمضان لا يأتي بحكم القصد من الإنسان الصائم، فمن راعى أن الصوم لله لا للعبد قال بالنية في الصوم، فإنه ما جاء شهر رمضان إلا بإرادة الحق من الإسم الإلهي رمضان، والنية إرادة بلا شك، ومن راعى أن الحكم للوارد وهو شهر رمضان فسواء نواه الصائم الإنسان أو لم ينوه، فإن حكمه الصوم، فليست النية شرطاً في صحة صومه، فإن لم يجب عليه مع كونه ورد كالمريض والمسافر صار حكمهما بين أمرين على التخيير، فلا يمكن أن يعدل إلى أحد الأمرين إلا بقصد منه وهو النية.

اعتبار تعيين النية المجزئة في ذلك قال تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ [الاسراء: ١١٠] فالحكم للمدعو بالأسماء الإلهية لا للأسماء، فإنها وإن تفرقت معانيها وتميزت فإن لها دلالة على ذات معينة في الجملة وفي نفس الأمر، وإن لم تعلم ولا يدركها أحد، فإنه لا يقدح ذلك في إدراكنا وعلمنا إن ثم ذاتاً تنطلق عليها هذه الأسماء، كذلك الصوم هو المطلوب، سواء كان مندوباً أو واجباً على كثرة تقاسيم الوجوب فيه، ومن راعى الإسم الإلهي رمضان فرّق بينه وبين غيره، فإن غيره هو من الإسم الممسك لا من اسم رمضان، والأسماء الإلهية وإن دلت على ذات واحدة فإنها تتميز في أنفسها من طريقين الواحد من اختلاف ألفاظها، والثاني من اختلاف معانيها وإن تقاربت غاية القرب وتشابهت غاية الشبه، فإنه لا بدّ فيها من فارق كالرحيم والرحمن. هذا في غاية الشبه وأسماء المقابلة في غاية البعد كالضار والنافع، والمعز والمذل، والمحيي والمميت فلا بدّ من مراعاة حكم ما تدل عليه من المعاني، وبهذا يتميز الجاهل من العالم، وما أتى الحق بها متعددة إلا لمراعاة ما تدل من المعاني ومراعاة قصد الحق تعالى في ذلك أولى من غيره، فلا بدّ من التعيين لحصول الفائدة المطلوبة بذلك اللفظ المعين دون غيره من تركيبات الألفاظ التي هي الكلمات الإلهية، ومن اعتبر حال المكلف وهو الذي فرق بين المسافر والحاضر، فله في التفرقة وجه صحيح، لأن الحكم يتبع الأحوال فيراعى المضطر وغير المضطر والمريض وغير المريض.

اعتبار وقت النية في الصوم. الفجر علامة على طلوع الشمس فهو كالاسم الإلهي من حيث دلالته على المسمى به لا على المعنى الذي يتميز به عن غيره من الأسماء، والقاصد للصوم قد يقصده اضطراراً واختياراً. والإنسان في علمه بالله قد يكون صاحب نظر فكري، أو صاحب شهود، فمن كان علمه بالله عن نظر في دليل فلا بدّ أن يطلب على الدليل الموصل له إلى المعرفة، فهو بمنزلة من نوى قبل الفجر إلى طلوع الشمس والمعرفة بالله واجبة كمعرفته بتوحيده في ألوهيته، ومعرفة غير واجبة كمعرفته بنسبة الأسماء إليه التي تدل على معان، فإنه لا يجب عليه النظر في تلك المعاني هل هي زائدة عليه أم لا ؟ فمثل هذه المعرفة لا يبالي متى قصدها هل بعد وصول الدليل بتوحيد الإله أو قبله ؟ وأما الواجب في الذمة فكالمعرفة بالله من حيثما نسب الشرع في الكتاب والسنّة، فإنه قد تعين بالدليل النظري أن هذا شرعه، وهذا كلامه فوقع الإيمان به، فحصل في الذمة فلا بدّ من القصد إليه من غير نظر إلى الدليل النظري لأن العلم النظري وهو الذي اعتبر فيه النية قبل الفجر،

لأن عنده علماً ضرورياً وهو المقدم على العلم النظري، لأن العلم النظري لا يحصل إلا أن يكون الدليل ضرورياً أو مولداً عن ضروري على قرب أو بعد، وإن لم يكن كذلك فليس بدليل قطعي ولا برهان وجودي.

اعتبار الطهارة من الجنابة للصائم. فالجمهور على أنها ليست شرطاً في صحة الصوم، وأن الاحتلام بالنهار لا يفسد الصوم إلا بعضهم، فإنه ذهب إلى أنه إن تعمد ذلك أفسد صومه، وهو قول النخعي وطاوس، وعروة بن الزبير، وقد روي ذلك عن أبي هريرة في المتعمد وغير المتعمد، فكان يقول: «من أصبح جنباً في رمضان أفطر». وقال بعض أصحاب مالك: إن الحائض إذا طهرت قبل الفجر فأخرت الغسل إن يومها يوم فطر، فاعلم أن الجنابة بعد والحيض أذى والأذى البعد، فهو بعيد من الاسم القدوس، والصوم يوجب القرب من الله، فكما لا يجتمع القرب والبعد لا يجتمع الصوم والجنابة والأذى، ومن راعى أن الجنابة حكم الطبيعة وكذلك الحيض، وقال: إن الصوم نسبة إلهية أثبت كل أمر في موضعه فقال بصحة الصوم للجنب، وللطاهرة من الحيض قبل الفجر إذا أخرت الغسل فلم تتطهر إلا بعد الفجر وهو الأولى في الاعتبار لما تطلبه الحكمة من إعطاء كل ذي حق حقه، والله أعلم.

اعتبار ما يمسك عنه الصائم من المطعوم والمشروب والجماع. أما المطعوم، فهو علم الذوق، فالصائم هو على صفة لا مثل لها ومن اتصف بما لا مثل له فحكمه أنه لا مثل له، والذوق أول مبادىء التجلي الإلهي وهي نسبة تحدث عند الذائق إذا طعمها، والصوم ترك والترك ماله صفة الحدوث لأن الترك ليس بشيء يحدث بل هو نعت سلبي والطعم يضاده، فلهذا حرم المطعوم على الصائم لأنه يزيل حكم الصوم عنه.

وأما المشروب، فهو تجل وسط. والوسط محصور بين طرفين، والحصر يقضي بالتجديد في المحصور، والصوم صفة إلهية، والحق لا يتصف بالحصر ولا بالحد ولا يتميز بذلك، فناقض المشروب الصوم، فلهذا حرم عليه المشروب، ثم أن المشروب لما كان تجلياً أذن بوجود الغير المتجلي له، والغير في الصائم لا عين له، لأن الصوم لله ليس لنا، وانا المنعوت به والشيء لا يتجلى لنفسه، فالصائم لا يتناول المشروب ويحرم عليه ذلك.

وأما الجماع، فهو لوجود اللذة بالشفعية، فكل واحد من الزوجين صاحب لذة فيه، فكل واحد مثل للآخر في الجماع، والصائم لا مثل له لاتصافه بصفة لا مثل له، فيحرم الجماع على الصائم. هذا موضع الإجماع على هذه الثلاثة التي تبطل الصوم عند أكثر العلماء ولا يكون الموصوف بها أو بواحد منها صائماً.

اعتبار ما يدخل الجوف مما ليس بغذاء وما يدخل الجوف من غير منفذ الطعام والشراب وما يرد باطن الأعضاء ولا يرد الجوف مشاركة الحكماء أصحاب الأفكار أهل الله فيما يفتح لهم من علم الكشف بالخلوة والرياضة من طريق النظر، وأهل الله بهما من طريق الإيمان واجتمعا في النتيجة، فمن فرق

من الأصحاب بينهما بالذوق وإن مدرك هذا غير مدرك هذا، وإن اشتركا في الصورة قال لا يفطر، ومن قال المدرك واحد والطريق مختلف، فذلك اعتبار من قال يفطر، وأما اعتبار باطن الأعضاء ما عدا الجوف، فهو أن يكون الصائم في حضرة إلهيـة فأقيم في حضرة مثالية، فهل لمن خرج من عباد الله في ذوقه عن حكم التشبيه والتمثيل أن يؤثر فيه قول الشارع «اعبد الله كأنك تراه» فيترك علمه وذوقه وينزل بهذه المنزلة أدباً مع الشرع، فيكون قد أفطر، أو لا ينزل ويقول: أنا مجموع من حقائق مختلفة وفيّ ما يبقيني على ما أنا عليه وفيّ ما يطلب مشاهدة هذا التنـزل وهو كوني متخيلاً أو ذا خيال، فتعلم أن الحق قد طلب مني أن نشهده في هذه الحضرة من هذه الحقيقة، وفي كل حقيقة فيّ، فيتعين لهذا التجلي المثال من هذه الحقيقة التي تطلبه ونبقي على ما أنا عليه من حقيقة أن لا خيال ولا تخيل، فهذا اعتبار من يرى أنه لا يفطر ما يرد باطن الأعضاء الخارجة عن المعدة.

اعتبار القبلة للصائم. هذه المسألة نقيض مسألة موسى عليه السلام، فإنه طلب الرؤية بعد ما حصل له منزلة الكلام، فالمشاهدة والكلام لا يجتمعان في غير التجلي البرزخي، والقبلة من الإقبال على الفهوانية إذ كان الفم محل الكلام، وكان الإقبال عليه أيضاً بالفم فمن كان في مقام المشاهدة المثالية، فإنه يتصور من صاحبها طلب الإقبال على الفهوانية، فإذا كلمه لم يشهده، فإن النفس الطالبة لتتفرغ لفهم الخطاب فتغيب عن المشاهدة فهو بمنزلة من يكره القبلة إذ الصائم هو صاحب المشاهدة لأن الصوم لا مثل له والمشاهدة لا مثل لها، وأما من أجازها فقال: التجلي مثالي فلا أبالي، فإن الذات من وراء ذلك التجلي، والتجلي لا يصح إلا في مقام المتجلى له، وأما لو كان المتجلي في غير مقام المتجلى له لم يصح طلب غير ما هو فيه لأن مشاهدة الحق فناء، ومع الفناء لا يتصوّر طلب، فإن اللذة أقرب من طلب الكلام لنفس المشاهدة، ومع هذا فلا يلتذ المشاهد في حال المشاهدة.

قال أبو العباس السياري رحمه الله تعالى: ما التذ عاقل بمشاهدة قط لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة، وأما من كرهها للشاب فاعتباره المبتدىء في الطريق، وأجازها للشيخ، واعتباره المنتهي فإن المنتهي لا يطلب الرجوع من المشاهدة إلى الكلام فيترك المشاهدة ويُقبل على الفهوانية إذ لا تصح الفهوانية إلا مع الحجاب، فالمنتهي يعرف ذلك فلا يفعله، وأما المبتدىء وهو الشاب فما عنده خبرة بالمقامات فإنه في مقام السلوك فلا يعرف منها إلا ما ذاقه، والنهاية إنما تكون في المشاهدة وهو يسمع بها من الأكابر، فيتخيل أنه لا يفقد المشاهدة مع الكلام، والمبتدىء في مشاهدة مثالية فيقال له ليس الأمر كما تزعم إن كلمك لم يشهدك، وإن أشهدك لم يكلمك، فلذلك لم يجوزها للشاب، وأجازها للشيخ لأن الشيخ لا يطلب الفهوانية إلا إذا كان وارثاً لرسول في التبليغ عن الله فيجوز له الإقبال على الفهوانية لفهم الخطاب.

اعتبار الحجامة للصائم. الاسم المحيي يرد على الاسم رمضان في حال حكمه في الصـائـم في شهـر

....

رمضان، أو على الاسم الممسك الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، أو يمسك السماء أن تقع على الأرض، إذ كانت الحياة الطبيعية في الأجسام بخار الدم الذي يتولد من طبخ الكبد الذي هو بيت الدم للجسد ثم يسري في العروق سريان الماء في الطوارق لسقي البستان لحياة الشجر، فإذا ظمىء يخاف أن ينعكس فعله في البدن فيخرج بالفصاد أو بالحجامة ليبقى منه قدر ما تكون به الحياة، فلهذا جعلنا الحكم للإسم المحيي أو الممسك فإن بالحياة تبقى سموات الأرواح وأرض الأجسام، وبه يكون حكم المحيي أقوى مما هو بنفسه، فهما إسمان الهيان إخوان، فإذا ورد على إسم الله رمضان في حكم الصائم أو على الإسم الإلهي الذي به أضاف الحق الصوم لنفسه في غير رمضان، ووجدا في المنزل الأقرب لهذا المحل الإسم الإلهي الضار، والمميت أسقانا بالاسم الإلهي النافع فصاروا ثلاثة أسماء إلهية يطلبون دوام هذه العين القائمة، فحركوه لطلب الحجامة فلم تفطر الصائم ولم تكره له، فإن بوجودها ثبت حكم الإسم الإلهي رمضان لها، ومن قال تكره ولا تفطر فوجه الكراهة في الاعتبار أن الصائم موصوف بترك الغذاء لأنه حرم عليه الأكل والشرب والغذاء سبب الحياة للصائم، وقد أمر بتركه في حال صومه وإزالة الدم إنما هو في هذه الحال بالحجامة من أجل خوف الهلاك، فقام مقام الغذاء لطلب الحياة وهو ممنوع من الغذاء فكره له ذلك، وبهذا الاعتبار وبالذي قبله يكون الحكم فيمن قال إنها تفطر والإمساك عنها واجب.

اعتبار القيء والاستقاءة. ومن الغريب قول ربيعة ومن تابعه: إن ذرع القيء مفطر، وقول طاوس: إن الاستقاء ليس بمفطر.

اعلم أن المعدة خزانة الأغذية التي عنها تكون الحياة الطبيعية وإبقاء الملك على النفس الناطقة الذي به تسمى ملكاً، وبوجوده تحصل العلوم الوهبية والكسبية، فالنفس الناطقة تراعي الطبيعية، والطبيعية وإن كانت خادمة البدن فإنها تعرف قدر ما تراعيها النفس الناطقة التي هي الملك، فإذا أبصرت الطبيعة أن في خزانة المعدة ما يؤدي إلى فساد هذا الجسم. قالت القوّة الدافعة أخرج الزائد المتلف بقاؤه في هذه الخزانة، فأخذته الدافعة من الماسكة وفتحت له الباب وأخرجته، وهذا هو الذي ذرعه القيء فمن راعى كونه كان غذاء فخرج على الطريق الذي منه دخل عن قصد، ويسمى لأجل مروره على ذلك الطريق، إذا دخل مفطراً أفطر عنده بالخروج أيضاً، ومن فرق بين حكم الدخول وحكم الخروج ولم يراع الطريق وهما ضدان. قال: لا يفطر، وهذا هو الذي ذرعه القيء، فإن كان للصائم في إخراجه تعمل وهو الاستقاء، فإن راعى وجود النفقة ودفع الضرر لبقاء هذا البنية فقام عنده مقام الغذاء والصائم ممنوع من استعمال الغذاء في حال صومه، وكان إخراجه ليكون عنه في الجسم ما يكون للغذاء. قال: إنه مفطر، ومن فرّق بين حكم الدخول وحكم الخروج قال ليس بمفطر، وهذا كله في الاعتبار الإلهي.

أحكام الأسماء الإلهية التي يطلبها استعداد هذا البدن لتأثيرها في كل وقت، فإن الجسم لا يخلو من حكم إسم إلهي فيه، فإن استعد المحل لطلب إسم إلهي غير الإسم الذي هو الحاكم فيه الآن زال

وأما لوازم الإفطار فأربعة:

القضاء والكفارة والفدية وإمساك بقية النهار تشبيهاً بالصائمين.

أما القضاء: فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر، فالحائض تقضي الصوم وكذا المرتد أما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم. ولا

الحكم ووليه الذي يطلبه الاستعداد ونظيره، والحكم أبداً للاستعداد والإسم الإلهي المعد لا يبرح دائماً لا ينعزل، ولا تصح المخامرة من أهل البلد عليه، فهذا لا يفارقه في حياة ولا موت ولا جمع ولا تفرقة، ويساعده الإسم الإلهي الحفيظ والقوي وأخواتها. فاعلم ذلك.

ولنعد إلى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى:

(وأما لوازم الإفطار) وموجباته **(فأربعة:**

القضاء، والكفارة، والفدية، وإمساك بقية النهار تشبيهاً بالصائمين.

أما القضاء: فوجوبه عام على كل مسلم) خرج به الكافر **(مكلّف)** خرج به الصبي والمجنون **(ترك الصوم)** من رمضان **(بعذر أو بغير عذر)**، فإذا وجب على المعذور فغيره أولى، وسبب الوجوب تحصيل المصلحة الفائتة إذ في صوم هذا اليوم مصلحة لأنه مأمور به، والحكيم لا يأمر إلا بما فيه مصلحة وقد فوته فيقضيه لتحصيلها، **(فالحائض تقضي)** ما فاتها من **(الصوم)** دون الصلاة، والنفساء في ذلك كالحائض. وفي عبارة أصحابنا: وتقضيانه دون الصلاة، وقد تقدمت المسألة في كتاب الصلاة، **(وكذا المرتد)** يجب عليه قضاء ما فات بالردة إذا عاد إلى الإسلام لأنه التزم الوجوب بالإسلام وقدر على الأداء، فهو كالمحدث يجب عليه أن يتطهر ويصلي، وكذا يجب على السكران قضاء ما فات به، وفي المرتد خلاف لأبي حنيفة. **(أما الكافر والصبي والمجنون)**فلا يجب الصوم عليهم، **(فلا قضاء عليهم)** والمراد بالكافر الكافر الأصلي فما فاته بسبب الكفر لا يجب عليه قضاؤه قال الله تعالى: ﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ [الأنفال: ٣٨] ولما في وجوبه من التنفير من الإسلام، وأما الصبي والمجنون، فلارتفاع القلم عنهما، ولو ارتد ثم جنّ أو سكر ثم جن، فالأصح في المجموع في الأولى قضاء الجميع، وفي الثانية أيام السكر لأن حكم الردة مستمر بخلاف السكر.

قال الرافعي: وما فات بالإغماء يجب قضاؤه سواء استغرق جميع الشهر أو لم يستغرق لأنه نوع مرضي يغشى العقل بخلاف الجنون ويخالف الصلاة حيث يسقط الإغماء قضاءها، لأن الصلاة تتكرر والإغماء قد يمتد وقد يتكرر فوجوب القضاء يجر عسراً وحرجاً، ولا فرق في إسقاط الجنون القضاء بين أن يستغرق النهار أو لا يستغرقه، ولا بين أن يستغرق الشهر أو لا يستغرقه. وقال مالك الجنون لا يسقط القضاء كالإغماء وهو إحدى الروايتين عن أحمد وفيما علق عن الشيخ أبي محمد حكاية قول في المذهب مثله، وحكى المحاملي وآخرون عن ابن سريج مثل ذلك وهو ينافي ما نقل

عنه في الإغماء، ويشبه أن يكون أحدهما غلطاً، وهذا أقرب إليه لأن كل من نقله ضعفه. وعند أبي حنيفة إذا أفاق المجنون في أثناء الشهر، فعليه قضاء ما مضى من الشهر. وذكر المحاملي ان المزني نقل في المنثور عن الشافعي مثله، وحكي عن زفر مثل قول الشافعي، وعبارة أصحابنا: ويقضي بإغماء سوى يوم حدث في ليلته الإغماء لوجود الصوم فيه، إذ الظاهر أنه ينوي من الليل حملاً لحال المسلم على الصلاح، فلو أغمي عليه رمضان كله قضاه كله إلا أوّل يوم منه، أو في شعبان قضاه كله لعدم النية وبجنون غير ممتد أي غير مستوعب لشهر رمضان، لأن في الممتد المستوعب حرجاً وهو مدفوع، ثم لا فرق بين الجنون الأصلي والعارض. وعن محمد: أنه فرق بينهما بالصبا، واختاره بعض المتأخرين.

واعلم أن الأعذار أربعة أقسام: ما لا يمتد غالباً كالنوم فلا يسقط به شيء من العبادات لعدم الحرج، ولهذا لم يجب عليه. وما يمتد خلقه كالصبا فيسقط به جميع العبادات لدفع الحرج عنه، وما يمتد وقت الصلاة لا وقت الصوم غالباً كالإغماء فإن امتد في الصلاة بأن زاد على يوم وليلة جعل عذراً دفعاً للحرج لكونه غالباً ولم يجعل عذراً في الصوم، لأن امتداده شهراً نادر، فلم يكن في إيجابه حرج، والدليل على أنه لا يمتد طويلاً أنه لا يأكل ولا يشرب، ولو امتد طويلاً لهلك وبقاء حياته بدونهما نادر، ولا حرج في النوادر. وما يمتد وقت الصلاة والصوم وقد لا يمتد وهو الجنون فإن امتد فيهما أسقطهما وإلاّ فلا، والله أعلم.

فصل

وفي كتاب الشريعة: اتفقوا على وجوب القضاء على المغمى عليه، واختلفوا في كون الإغماء والجنون مفسداً للصوم، فمن قائل انه مفسد، ومن قائل انه غير مفسد، وفرق قوم بين أن يكون أغمي عليه قبل الفجر أو بعده. وقال قوم: إن أغمي عليه بعد ما مضى أكثر النهار أجزأه أو قليله قضى.

الاعتبار الإغماء حالة الفناء والجنون حالة الوله، وكل واحد من أهل هذا الوصف ليس بمكلف، فلا قضاء عليه على أن القضاء عندنا لا يتصوّر في الطريق، فإن كل زمان له وارد يخصه فما ثم زمان يكون فيه حكم الزمان الذي مضى فما مضى من الزمان مضى بحاله، وما نحن فيه فنحن تحت سلطانه، وما لم يأت فلا حكم له فينا، فإن قالوا: قد يكون من حكم الزمان الحالي الذي هو الآن قضاها كان لنا أداؤه في الزمان الأول قلنا له فهو مؤد إذاً. إذ هو زمان أداء ما سميته قضاء، فإن أردت به هذا فمسلم في الطريق فأنت سميته قاضياً وزمان الحال ما عنده خبر لا بما مضى ولا بما يأتي، فإنه موجود بين طرفي عدم فلا علم له بالماضي ولا بما جاء ولا بما فات صاحبه منه، وقد يشبه ما يأتي به زمان الحال ما أتى به زمان الماضي في الصورة لا في الحقيقة كما تشبه صلاة العصر في زمان الحال الوجودي صلاة الظهر التي كانت في الزمان الماضي في أحوالها كلها حتى كأنها هي، ومعلوم أن حكم العصر ما هو حكم الظهر، والله أعلم.

يشترط التتابع في قضاء رمضان ولكن يقضي كيف شاء متفرقاً ومجموعاً.

وأما الكفارة: فلا تجب إلا بالجماع. وأما الاستمناء والأكل والشرب وما عدا

(ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان، ولكن يقضي كيف شاء مفرقاً ومجموعاً) أي لا يجب، وبه قال أبو حنيفة وأحمد لما رواه الدارقطني من حديث ابن عمر أنه ﷺ سئل عن قضاء رمضان فقال « إن شاء فرقه وإن شاء تابعه ». وفي إسناده سفيان بن بشير وتفرّد بوصوله. ورواه عطاء عن عبيد بن عمير مرسلاً. قال الحافظ: وإسناده ضعيف، ونقل إمام الحرمين والمصنف عن مالك إيجاب التتابع. قال الرافعي: لكن الذي رواه الأكثرون عن مالك عدم إيجابه، وإنما حكوا هذا المذهب عن داود، وبعض أهل الظاهر ذكروا أنهم وإن أوجبوه لم يشترطوه للصحة اهـ.

واستدل أصحابنا بقوله تعالى: ﴿فعدة من أيام أخر﴾ [البقرة: ١٨٤] وهو الذي نقله البخاري عن ابن عباس، ووجهه أنه مطلق يشمل التفرق والتتابع، ولذا قالوا باستحبابه من غير إيجاب مسارعة إلى اسقاط الواجب، وفي كتاب الشريعة: من العلماء من أوجب التتابع في القضاء كما كان في الأداء، ومنهم من لم يوجبه، وهؤلاء منهم من خير، ومنهم من استحب والجماعة على ترك إيجابه.

الاعتبار إذا دخل الوقت في الواجب الموسع بالزمان طلب الإسم الأول من المكلف الأداء، فإذا لم يفعل المكلف وأخر الفعل إلى آخر الوقت تلقاه الإسم الآخر، فيكون المكلف في ذلك الفعل قاضياً بالنسبة إلى الإسم الأول، وأنه لو فعله في أول دخول الوقت كان مؤدياً من غير دخل ولا شبهة، وكان مؤدياً بالنسبة إلى الاسم الآخر، فالصائم المسافر أو المريض إذا أفطر إنما الواجب عليه عدة من أيام أخر في غير رمضان، فهو واجب موسع الوقت من ثاني يوم من شوّال إلى آخر عمره أو إلى شعبان من تلك السنة، فيتلقاه الإسم الأول ثاني يوم شوّال فإن صامه كان مؤدياً من غير شبهة ولا دخل وإن أخره إلى غير ذلك الوقت كان مؤدياً من وجه قاضياً من وجه وبالتتابع في ذلك في أول زمانه يكون مؤدياً بلا شك وإن لم يتابع فيكون قاضياً فمن راعى قصر الأمل وجهل الأجل أوجب، ومن راعى اتساع الزمان خير، ومن راعى الاحتياط استحب، وكل حال من هذه الأحوال له إسم إلهي لا يتعدى حكمه فيه، فإن الكون في قبضة الأسماء الإلهية تصرفه بطريقين، فإن الأوصاف النفسية للأشياء أو غير الأشياء لا تنقلب، فافهم ذلك وتحققه تسعد إن شاء الله تعالى.

(وأما الكفارة). الكلام أوّلاً على أصلها ثم في موجبها ثم في كيفيتها، أما أصلها فما رواه الستة من حديث أبي هريرة: « أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: هلكت. قال: ما شأنك؟ قال: واقعت امرأتي في نهار رمضان. قال: تستطيع أن تعتق رقبة. قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكيناً؟ قال: لا. قال: فاجلس فأتي النبي ﷺ بفرق فيه تمر، فقال: خذ هذا فتصدق. قال: أفعلى أفقر منا، فضحك النبي ﷺ حتى

....

بدت نواجذه وقال: أطعمه عيالك » وأخرجه البخاري ومسلم أيضاً من حديث عائشة وله ألفاظ عندهما، وقوله « أطعمه عيالك » هو لفظ النسائي، وابن ماجه في حديث أبي هريرة، وفي رواية للدارقطني في العلل بإسناد جيد « أن أعرابياً جاء يلطم وجهه وينتف شعره ويضرب ويقول: هلك الأبعد » رواها مالك عن سعيد بن المسيب مرسلاً، وفي رواية الدارقطني في السنن فقال: « هلكت وأهلكت ». وزعم الخطابي أن معلى بن منصور تفرّد بها عن ابن عيينة، وفي لفظ لأبي داود زاد الزهري: وإنما كان هذا رخصة له خاصة، ولو أن رجلاً فعل ذلك اليوم لم يكن بدّ من التكفير. قال المنذري قول الزهري ذلك دعوى لا دليل عليها، وعن ذلك ذهب سعيد بن جبير إلى عدم وجوب الكفارة على من أفطر في رمضان بأي شيء أفطر. قال: لانتساخه بما في آخر الحديث بقوله: « كلها أنت وعيالك » اهـ.

وجمهور العلماء على قول الزهري.

وأما موجبها فقد أشار إليه المصنف بقوله: (فلا تجب إلا بالجماع) أي بإفساد صوم يوم من رمضان بجماع تام أثم به لأجل الصوم، وفي الضابط قيود منها الإفســاد فمن جامع ناسياً لا يفسد صومه على الصحيح من الطريقين وقد تقدم، ولا كفارة عليه. وإن قلنا يفسد صومه وبه قال مالك وأحمد فهل تلزمه الكفارة؟ فيه وجهان. أحدهما: وبه قال أحمد نعم لانتسابه إلى التقصير وأظهرهما وبه قال مالك لا لأنها تتبع الإثم، ومنها كون اليوم من رمضان فلا كفارة بإفساد التطوّع والنذر والقضاء والكفارة لأن النص ورد في رمضان وهو مخصوص بفضائل لا يشركه غيره فيها، وأما المرأة الموطوءة فإن كانت مفطرة بحيض أو غيره أو صائمة ولم يبطل صومها لكونها نائمة مثلاً فلا كفارة عليها، وإن مكنت طائعة حين وطئها الزوج فقولان. أحدهما: تلزمها الكفارة كما تلزم الرجل لأنها عقوبة فاشتركا فيها كحد الزنا وهذا أصح الروايتين عن أحمد وبه قال أبو حنيفة، ويروى مثله عن مالك وابن المنذر وهو اختيار أبي الطيب، ونسبه المصنف في الوجيز إلى القول القديم ونقله في الوسيط تبعاً لشيخه إمام الحرمين عن الإملاء وليس تسميته قديماً من هذا الوجه، فإن الإملاء محسوب من الكتب الجديدة أو أنه مروي عن القديم والإملاء معاً، ويشبه أن يكون له في القديم قولان. أحدهما: كالجديد، وأظهرهما لا يلزمها بل تجب على الزوج، فعلى الأول لو لم تجب الكفارة على الزوج لكونه مفطراً أو لم يبطل صومه لكونه ناسياً أو استدخلت ذكره نائماً لزمتها الكفارة، ويعتبر في كل واحد منهما حاله في اليسار والإعسار، وإذا قلنا بالأظهر فهل الكفارة التي يخرجها عنه خاصة ويلاقيها الوجوب أم هي عنه وعنها ويتحملها عنها فيه قولان مستنبطان من كلام الشافعي رحمه الله، وربما قيل وجهان أصحها عند المصنف الأول، وبـه قال الحناطي وآخرون. وذكر الإمام أن ظاهر المذهب هو الثاني، وقد يحتج له بقوله في المختصر، فالكفارة عليه واجبة عنه وعنها، لكن من قال بالأول حمله على أنها تجزيء عن الفعلين جميعاً ولا تلزمها كفارة خاصة خلاف ما قاله أبو حنيفة، وتتفرع على القولين صور.

إحداها: إذا أفطرت بزنا أو وطء شبهة فإن قلنا بالأول فلا شيء عليها، وإلاّ فعليها الكفارة لأن التحمل بالزوجية، وقيل: تجب عليها بكل حال. وهذا نقل عن الحاوي، وعن القاضي أبي حامد.

الثانية: إذا كان الزوج مجنوناً فعلى الأول لا شيء عليها، وعلى الثاني وجهان. أصحها تلزمها وهو الذي ذكره المصنف في الوجيز لأن التحمل لا يليق بحاله والمراهق كالمجنون، وقيل: كالبالغ تخريجاً من قولنا عمده عمد وإن كان ناسياً أو نائماً فاستدخلت ذكره فكالمجنون.

الثالثة: إذا كان مسافراً والزوجة حاضرة فإن أفطر بالجماع بنية الترخص فلا كفارة، وكذا إن لم يقصد الترخص على الأصح، وكذا حكم المريض الذي يباح له الفطر إذا أصبح صائماً ثم جامع، وكذا الصحيح إذا مرض في أثناء النهار ثم جامع، فحيث قلنا بوجوب الكفارة فهو كغيره، وحيث قلنا لا كفارة فهو كالمجنون وذكر العراقيون أنه إذا قدم المسافر مفطراً فأخبرته بفطرها وكانت صائمة أن الكفارة عليها إذا قلنا الوجوب يلاقيها لأنها غرته وهو معذور. ونقل النووي في زيادات الروضة عن صاحب المعاياة قال فيمن وطىء زوجته ثلاثة أقوال. أحدها: تلزمه الكفارة دونها، والثاني: تلزمه كفارة عنهما، والثالث: تلزم كل واحد منهما، ويتحمل الزوج ما دخله التحمل من العتق والإطعام، فإذا وطىء أربع زوجات في يوم لزمه على القول الأول كفارة فقط عن الوطء الأول، ولا يلزمه شيء عن باقي الوطآت، ويلزمه على الثاني أربع كفارات كفارة عن وطئه الأول عنه وعنها، وثلاث عنهن لأنها لا تتبعض إلا في موضع يوجد تحمل الباقي، ويلزمه على الثالث خمس كفارات كفارتان عنه وعنها بالوطء الأول قال: ولو كانت له زوجتان مسلمة وذمية فوطئها في يوم، فعلى الأول عليه كفارة واحدة بكل حال، وعلى الثاني إن قدم وطء المسلمة فعليه كفارة وإلا فكفارتان، وعلى الثالث كفارتان بكل حال لأنه إن قدم المسلمة لزمه كفارتان عنه وعنها ولم يلزمه للذمية شيء، وإن قدم الذمية لزمه لنفسه كفارة ثم للمسلمة آخر هذا كلامه وفيه نظر والله أعلم.

الرابعة: الوجوب يلاقيها إن اعتبرنا حالها جميعاً وقد يتفق وقد يختلف، فإن اتفق نظر إن كانا من أهل الإعتاق أو الإطعام أخرج المخرج عنها، وإن كانا من أهل الصيام لكونهما معسرين أو مملوكين لزم كل واحد منهما صوم شهرين، لأن العبادة البدنية لا تتحمل، وإن اختلف حالها فإن كان أعلى حالاً منها نظر إن كان من أهل العتق وهي من أهل الصيام أو الإطعام يجزئه العتق إلا أن تكون أمة فعليها الصوم، لأن العتق لا يجزىء عنها. والوجه الثاني لا يجزىء عنها لاختلاف الجنس، فعلى هذا يلزمها الصوم إن كانت من أهله وفيمن يلزمه الإطعام إن كانت من أهله وجهان. أصحها على الزوج وإن عجز ثبتت في ذمته إلا أن يقدر لأن الكفارة على هذا القول معدودة من مؤونة الزوجة الواجبة على الزوج. الثاني: يلزمها وإن كان من أهل الصيام وهي من أهل

الجماع فلا تجب به كفارة، فالكفارة عتق رقبة فإن أعسر فصوم شهرين متتابعين وإن

الإطعام. قال الأصحاب: يصوم عن نفسه ويطعم عنها، وأما إذا كانت أعلى حالاً منه، فإن كانت من أهل الإعتاق وهو من أهل الصيام صام عن نفسه وأعتق عنها إذا قدر، وإن كانت من أهل الصيام وهو من أهل الإطعام صامت عن نفسها وأطعم عن نفسه، واعلم أن جماع المرأة إذا قلنا لا شيء عليها والوجوب يلاقيها مستثنى عن الضابط.

المسألة الثانية: إذا فسد صومه بغير الجماع أشار إليه المصنف بقوله: (**أما الاستمناء والأكل والشرب وما عدا الجماع**) كالمباشرات المفضية إلى الإنزال (**فلا تجب به الكفارة**) لأن النص ورد في الجماع وما عداه ليس في معناه، وهل تلزمه الفدية؟ فيه خلاف سيأتي. وقال مالك: تجب الكفارة بكل إفساد يعصى به إلا الردة والاستمناء والاستقاء، وقال أبو حنيفة: تجب الكفارة بتناول ما يقصد تناوله ولا تجب بابتلاع الحصاة والنواة ولا بمقدمات الجماع. وقال أحمد: تجب بالأكل والشرب وتجب بالمباشرات المفسدة للصوم. ونقل عن الحاوي أن أبا علي ابن أبي هريرة قال: تجب بالأكل والشرب كفارة فوق كفارة الحامل والمرضع، ودون كفارة المجامع قال أقضى القضاة: وهذا مذهب لا يستند إلى خبر ولا إلى أثر وقياس، وأجاز ابن خلف الطبري وهو من تلامذة القفال وجوب الكفارة بكل ما أثم بالإفطار به، وقال النووي: هذان الوجهان غلط. وذكر الحناطي: أن ابن عبد الحكم روي عنه إيجاب الكفارة فيما إذا جامع دون الفرج فأنزل قال النووي: وهو شاذ.

المسألة الثالثة: تجب الكفارة بالزنا وجماع الأمة، وكذلك إتيان البهيمة والإتيان في غير المأتى، ولا فرق بين أن ينزل أو لا ينزل. وذهب بعض الأصحاب إلى بناء الكفارة فيها على الحد إن أوجبنا الحد فيها أوجبنا الكفارة وإلاّ فوجهان. وعند أبي حنيفة: إتيان البهيمة إن كان بلا إنزال لم يتعلق به الإفطار فضلاً عن الكفارة، وإن كان مع الإنزال أفطر ولا كفارة، وفي اللواط هل يتوقف الإفطار على الإنزال؟ فيه روايتان وإذا حصل ففي الكفارة روايتان، والأظهر أن الإفطار لا يتوقف على الإنزال، وأن الكفارة تجب. وعند أحمد تجب الكفارة في اللواط، وكذا في إتيان البهيمة على أصح الروايتين، فهذه المسائل الثلاث في الفعل متعلقة بالقيد الثالث في الضابط وهو كون الإفساد بجماع تام فتدخل فيه صورة المسألة الثالثة وتخرج صورة الثانية، وأما الأولى فقد قصد بوصف الجماع بالتام الاحتراز عنها، لأن المرأة إذا جومعت حصل فساد صومها قبل تمام حد الجماع بوصول أول الحشفة إلى باطنها، والجماع يطرأ على صوم فاسد، وبهذا المعنى علل أظهر القولين وهو أن المرأة لا تؤمر بإخراج الكفارة، ويروى هذا التعليل عن الاستاذ أبي طاهر وطائفة، لكن الأكثرين زيفوه وقالوا يتصوّر فساد صومها بالجماع بأن يولج وهي نائمة أو ساهية أو مكرهة ثم تستيقظ أو تتذكر أو تطاوع بعد الايلاج وتستديمه والحكم لا يختلف على القولين.

وأما القول في كيفية الكفارة فأشار إليه المصنف بقوله: (**والكفارة**) هذه مرتبة ككفارة الظهار، فيلزم تحرير أي (**عتق رقبة**) مؤمنة، وقال أصحابنا: مؤمنة كانت أو كافرة، (**فإن**

عجز فإطعام ستين مسكيناً مداً مداً.

أعسر) أي لم يجد **(فصوم شهرين متتابعين)**. قال أصحابنا: دون النقصان **(فإن عجز فإطعام ستين مسكيناً مداً مداً)** من حنطة أو شعير أو تمر. وقال أصحابنا: نصف صاع من بر أو صاع من شعير أو صاع من تمر هذه كيفية كفارة الإفطار والظهار، وأما كفارة القتل واليمين فينظر إلى باب الكفارات ليس هذا محل ذكرها، وقال مالك: يتخير بين الخصال الثلاث وهو رواية عن أحمد، والأصح عنه مثل مذهب الشافعي، وفي هذا الفصل صور.

منها: هل يلزمه مع الكفارة قضاء صوم اليوم الذي أفسده بالجماع؟ فيه ثلاثة أوجه أصحها يلزم، والثاني لا. والثالث إن كفر بالصيام لم يلزم. قال الإمام: ولا خلاف في أن المرأة يلزمها القضاء إذا لم تلزمها الكفارة.

ومنها: هل تكون شدة الغلمة عذراً في العدول عن الصيام إلى الإطعام؟ فيه وجهان أصحهما أنه عذر، وبه قطع صاحب التهذيب، ورجح المصنف المنع.

ومنها: لو كان من لزمته الكفارة فقيراً فهل له صرفها إلى أهله وأولاده؟ فيه وجهان: أحدهما يجوز وأصحهما لا.

ومنها: إذا عجز عن جميع خصال الكفارة هل تستقر في ذمته؟ قال الأصحاب الحقوق المالية الواجبة لله تعالى تنقسم إلى ما يجب لا بسبب يباشره العبد وإلى ما يجب بسبب يباشره، فالأول كزكاة الفطر إن كان قادراً وقت وجوبها وجبت وإلّا لم تستقر في ذمته إلى أن يقدر، والثاني على ضربين ما يجب على وجه البدل كجزاء الصيد فإن كان قادراً عليه فذاك وإلّا ثبت في ذمته إلى أن يقدر تغليباً لمعنى الغرامة وما يجب لا على وجه البدل ككفارة الوقاع واليمين والقتل والظهار، ففيها قولان أحدهما أنه يسقط عند العجز كزكاة الفطر، وبه قال أحمد، وأصحهما أنه لا يسقط كجزاء الصيد، فعلى هذا متى قدر على إحدى الخصال لزمته.

فصل

وفي كتاب الشريعة: هل الكفارة مرتبة كما هي في الظهار أو على التخيير؟ فقيل: إنها على الترتيب، وقيل: على التخيير، ومنهم من استحب الإطعام أكثر من العتق ومن الصيام، ويتصوّر هنا ترجيح بعض الأقسام على بعض بحسب حال المكلف أو مقصود الشارع، فمن رأى أنه يقصد التغليظ وأن الكفارة عقوبة فإن كان صاحب الواقعة غنياً أو ملكاً خوطب بالصيام، فإذا شق عليه وأردع فإن المقصود بالحدود والعقوبات إنما هو الزجر، وإن كان متوسط الحال في المال ويتصوّر بالاخراج أكثر مما يشق عليه الصوم أمر بالعتق أو الإطعام، وإن كان الصوم عليه أشق أمر بالصوم، ومن رأى أن الذي ينبغي أن يقدم في ذلك فليرفع الحرج، فإنه تعالى يقول: ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [الحج: ٧٨] فيكلف من الكفارة ما هو أهون عليه، وبه أقول في الفتيا، وإن لم أعمل به في حق نفسي لو وقع مني إلا أن لا أستطيع فإن الله لا يكلف نفساً إلا

وسعها وما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً، وكذلك فعل فإنه قال تعالى: ﴿فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا﴾ [الشرح: ٥، ٦] فاتى بعسر واحد وبيسرين معه، فلا يكون الحق يراعي اليسر في الدين ورفع الحرج ويفتي المفتي بخلاف ذلك فإن كون الحدود وضعت للزجر ما فيه نص من الله ولا رسوله، وإنما يقتضيه النظر الفكري فقد يصيب في ذلك ويخطىء لاسيما وقد رأينا خفيف الحد في أشد الجناية ضرراً في العالم، فلو أريد الزجر لكانت العقوبة أشد فيها، وبعض الكبائر ما شرع فيها حدّ، ولاسيما والشرع في بعض الحدود في الكبائر لا تقام إلا بطلب المخلوق وإن أسقط ذلك سقطت والضرر في اسقاط الحدّ في مثله أظهر كولي المقتول إذا عفا فليس للإمام أن يقتله. وأمثال هذا من الخفة والإسقاط فيضعف قول من يقول وضعت الحدود للزجر، ولو شرعنا نتكلم في سبب وضع الحدود وإسقاطها في أماكن وتخفيفها في أماكن أظهرنا في ذلك أسراراً عظيمة لأنها تختلف باختلاف الأحوال التي شرعت فيها، والكلام فيها يطول، وفيها إشكالات مثل السارق والقاتل وإتلاف النفس أشد من اتلاف المال، وإن عفا ولي المقتول لا يقتل قاتله، وإن عفا رب المال المسروق أو وجد عند السارق عين المال فردّ على ربه، ومع هذا فلا بدّ أن تقطع يده على كل حال. وليس للحاكم أن يترك ذلك ومن هنا تعرف أن حق الله في الأشياء أعظم من حق المخلوق فيها بخلاف ما يعتقده الفقهاء. قال عليه السلام: «حق الله أحق أن يقضى».

الاعتبار الترتيب في الكفارة أولى من التخيير، فإن الحكمة تقتضي الترتيب والله حكيم، والتخيير في بعض الأشياء من الترتيب لما اقتضته الحكمة والعبد في الترتيب عبد اضطرار كعبودية الفرائض والعبد في التخيير عبد اختيار كعبودية النوافل، وبين عبادة النوافل وعبادة الفرائض في التقريب الإلهي فرق بعيد. في علو المرتبة فإن الله تعالى جعل في القرب في الفرائض أعظم من القرب في النوافل، وإن ذلك أحب إليه، ولهذا جعل في النوافل فرائض، وأمرنا أن لا نبطل أعمالنا وإن كان العمل نافلة لمراعاة عبودية الاضطرار على عبودية الاختيار. ولأن ظهور سلطان الربوبية فيها أجلى ودلالتها عليها أعظم.

فصل

فيمن جامع متعمداً في رمضان:

أجمعوا أن عليه القضاء والكفارة، وقيل: القضاء فقط لأنه عليه السلام لم يأمره عند عدم العتق والإطعام أن يصوم، ولا بدّ إن كان صحيحاً، ولو كان مريضاً لقال له: إذا وجدت الصحة فصم. وقال قوم: ليس عليه إلا الكفارة فقط، والذي أذهب إليه أنه لا قضاء عليه واستحب له الكفارة.

الاعتبار القدرتان تجتمعان على إيجاد ممكن من ممكن، فما ينسب من ذلك للعبد يجب القضاء عليه وهو رده إلى الاقتدار الإلهي والكفارة ستر ذلك الاقتدار المنسوب إلى العبد في الفعل من كل

....

من لا يصل عقله إلى معرفة ذلك إما بعتق رقبة من الرق مطلقاً أو مقيداً، فإن أعتقه من الرق مطلقاً فهو أن يقيم نفسه في حال كون الحق سمعه وبصره وجميع قواه التي بها يكون انساناً، وأما إن كان العتق مقيداً فهو أن يعتق نفسه من رق الكون فيكون حراً عن الغير عبد الله والعتق من هذه العبودية في هذه الحال لا في الحال الأول. وأما الإطعام في الكفارة فالطعام سبب في حفظه الحياة على متناوله فهو في الإطعام متخلق باسم المحيي لما أمات بما فعله عبادة لا مثل لها كان عليها، فكان منعوتاً بالمميت في فعلها لأنه تعمد ذلك فأمر بالإطعام ليظهر اسم المقابل الذي هو المحيي فافهم.

وأما صوم شهرين في كفارته فالشهر عبارة عن استيفاء جميع المنازل بالسير القمري، فالشهر الواحد يسير فيها بنفسه ليثبت ربوبية خالقه عليه عند نفسه، والشهر الآخر يسير في تلك المنازل بربه من باب أن الحق سمعه وبصره وقواه، فإنه بالقوى قطع هذه المنازل والحق قوّته فقطعها بربه لا بنفسه، فهذا حكم الكفارة على من هذا فعله.

اعتبار من أكل أو شرب متعمداً الأكل والشرب تغذ لبقاء حياة الآكل والشارب عند هذا السبب، لأن حياته مستفادة، كما أن وجوده مستفاد، والصوم لله لا للعبد فلا قضاء عليه ولا كفارة، ومن قال بالكفارة أوجب عليه الستر لمقامه وحكمه فيها حكم المجامع في الاعتبار سواء، ومن قال بالقضاء عليه يقول ما أوجب عليه القضاء إلا كونه غيراً كما كان في أصل التكليف يصوم رمضان سواء فيقضيه برده إلى من الصوم له، فإن الصوم للعبد الذي هو لله كمن يسلِّف شيئاً من غيره فقضاؤه ذلك الدين إنما هو برده إلى مستحقه، والعبد إنما يصوم مستلفاً ذلك لأن الصمدانية ليست له والصوم صمدانية فهي لله لا له، فاعلم ذلك.

اعتبار من جامع ناسياً لصومه هذا من باب الغيرة الإلهية لما اتصف العبد بما هو لله وهو الصوم انساه أنه صائم فأطعمه وسقاه تنبيهاً له أن حقيقة الصمدانية ليست لك غيرة إلهية أن يدخل معه فيما هو له بضرب من الاشتراك، فلما لم يكن للعبد في ذلك قصد، ولا انتهك به حرمة المكلف سقط عنه القضاء والكفارة والجماع قد عرفت معناه في فصل من جامع، ومن قال عليه القضاء دون الكفارة قال يشهد بالصمدية لله دون نفسه في حال قيامها به فيكون موصوفاً بها مثل قوله: ﴿وما رميت إذ رميت﴾ [الأنفال: ١٧] فنفى وأثبت، ومن قال عليه القضاء والكفارة قال النسيان هو الترك والصوم ترك وترك الترك وجود نقيض الترك، كما أن عدم العدم وجود، ومن هذه حاله فلم يقم به الترك الذي هو الصوم، فما امتثل ما كلف به فلا فرق بينه وبين المتعمد، فوجب عليه القضاء والكفارة، والاعتبار قد تقدم في ذلك وأنه ليس في الحديث أن ذلك الأعرابي كان ذاكر الصوم حين جامع أهله ولا غير ذاكر ولا استفصله رسول الله ﷺ هل كان ذاكر الصوم أو غير ذاكر، وقد اجتمعا في التعمد للجماع فوجب على الناسي بما وجب على الذاكر لصوم، ولا سيما في الاعتبار فإن الطريق يقتضي المؤاخذة بالنسيان لأنه طريق الحضور والنسيان فيه غريب.

وأما إمساك بقية النهار: فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه، ولا يجب على

فصل

في الكفارة على المرأة إذا طاوعته فيما إذا أراد منها الجماع، فمن قائل عليها الكفارة، ومن قائل لا كفارة عليها، وبه أقول فإنه ﷺ في حديث الأعرابي ما ذكر المرأة ولا تعرض إليها ولا سأل عن ذلك، ولا ينبغي لنا أن نشرع ما لم يأذن به الله.

الاعتبار النفس قابلة للفجور والتقوى بذاتها فهي بحكم غيرها بالذات، فلا تقدر تنفصل عن التحكم فيها فلا عقوبة عليها والهدى والعقل هما المتحكمان فيها، فالعقل يدعوها إلى النجاة، والهوى يدعوها الى النار، فمن رأى أنه لا حكم لها فيما دعت إليه قال لا كفارة عليها، ومن رأى أن التخيير لها في القبول وإن حكم كل واحد منهما ما ظهر له حكم إلا بقبولها إذا كان لها المنع مما دعيت إليه والقبول، فلما رجحت أثيبت إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فقيل: عليها الكفارة.

فصل

هل يجب عليه الإطعام إذا أيسر وكان معسراً في وقت الوجوب؟ فمن قائل لا شيء عليه، وبه أقول. ومن قائل: يكفر إذا أيسر.

الاعتبار المسلوب الأفعال مشاهدة وكشفاً معسر لا شيء له، فلا يلزمه شيء، فإن حجب عن هذا الشهود وأثبت ذلك من طريق العلم بعد الشهود كمتخيل المحسوس بعدما قد أدركه بالحس فإن الأحكام الشرعية تلزمه بلا شك ولا يمتنع الحكم في حقه بوجود العلم ويمتنع بوجود المشاهدة فإنه يشاهد الحق محركاً له ومسكناً، وكذلك إن كان مقامه أعلى من هذا، وهو أن يكون الحق سمعه وبصره على الكشف والشهود، فمنا من قال حكمه حكم صاحب العلم، ومنا من ألحقه بمشاهدة الأفعال منه تعالى فلا يلزمه الحكم كما لا يلزمه هناك، وفي كل واحد من هذه المراتب يلزمه الحكم من وجه وينتفي عنه من وجه.

(**وأما الإمساك بقية النهار**) هو من خواص رمضان كالكفارة، ولا إمساك على من تعدى بالإفطار في قضاء أو نذر فإلى الأمر والأمر بالإمساك مشبه بالتغليظ وطرف من العقوبة ومضادة للفطر، ثم الممسك متشبه وليس في عبادة بخلاف المحرم إذا فسد إحرامه أو ارتكب محظوراً لا يلزمه شيء سوى الإثم، (**فيجب على من عصى**) بتعديه (**بالفطر**) في رمضان، وكذا لو ارتد أو نوى الخروج من الصوم، إن قلنا انه يبطل بنية الخروج (**أو قصر فيه**) بأن نسي النية من الليل إذ كان نسيانه يشعر بترك الاهتمام بالعبادة فهو ضرب تقصير، ويجوز أن يوجه الأمر بالإمساك بأن الأكل في نهار رمضان حرام على غير المعذور، فإن فاته الصوم بتقصير أو غير تقصير لم يرتفع التحريم، (**ولا يجب على الحائض إذا طهرت**) في خلال النهار إمساك

الحائض إذا طهرت إمساك بقية نهارها ولا على المسافر إذا قدم مفطراً من سفر بلغ مرحلتين، ويجب الإمساك إذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك. والصوم في السفر

(بقية النهار)، وكذلك النفساء بلا خلاف على ما رواه الإمام، لكن القضاء واجب عليها لا محالة لأن مستغرق الحيض لا يسقط القضاء فمنقطعه أولى، وهذا مبني على أن للخلاف في القضاء تعلقاً بالخلاف في الإمساك تشبيهاً. نقل الإمام عن الصيدلاني: أن من يوجب التشبيه به لا يوجب القضاء، ومن يوجب القضاء لا يوجب التشبيه، **(ولا على المسافر إذا قدم مفطراً من سفر بلغ مرحلتين)** وكذلك المريض إذا برئ بعد ما أفطر فيستحب لهما الإمساك لحرمة الوقت ولا يجب وبه قال مالك، خلافاً لأبي حنيفة حيث أوجبه، وبه قال أحمد في أصح الروايتين، وحكى صاحب الحاوي وجهين في المريض إذا أفطر ثم برئ لم يلزمه إمساك بقية النهار، وذكر أن الوجوب طريقة البغداديين من الأصحاب، والمنع طريقة البصريين، والفرق بين المريض والمسافر أن المريض إنما يفطر للعجز، فإذا قدر وجب أن يمسك والمسافر يفطر رخصة وإن أطاق الصوم، **(ويجب الإمساك إذا)** أصبح مفطراً ثم **(شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك)** وهو يوم الثلاثين من شعبان أنه من رمضان على أصح القولين، لأن الصوم واجب عليه، إلا أنه كان لا يعرفه، فإذا بان لزمه الإمساك. قال الإمام: وتخريجه على القاعدة التي ذكرنا أن الأمر بالإمساك تغليظ وعقوبة، إنا قد ننزل المخطئ منزلة العامد لانتسابه إلى ترك التحفظ، ألا ترى أنا نحكم بحرمان القاتل خطأ من الميراث، والثاني قاله في البويطي لأنه أفطر بعذر فلم يلزمه إمساك بقية النهار كالمسافر إذا قدم بعد الإفطار، وفرض أبو سعيد المتولي هذين القولين فيما إذا بان أنه من رمضان قبل أن يأكل شيئاً، ثم رتب عليه ما إذا بان بعد الأكل فقال: إن لم توجب الإمساك ثمة فها هنا أولى وإلا فوجهان: أظهرهما الوجوب أيضاً، والفرق بين صورة المريض والمسافر وصورة يوم الشك أن المسافر والمريض يباح لهما الأكل مع العلم بحال اليوم وكونه من رمضان حقيقة، وفي يوم الشك إنما أبيح الأكل لأنه لم يتحقق كونه من رمضان فإذا تحققه لزمه الإمساك.

فصل

وإذا بلغ الصبي أو أفاق المجنون أو أسلم الكافر في أثناء يوم من رمضان، فهل يلزمهم إمساك بقية اليوم؟ فيه أربعة أوجه، أصحها لا، لأنهم لم يدركوا وقتاً يسع الصوم ولا أمروا به والإمساك تبع للصوم وبه قال مالك، والثاني: نعم، وبه قال أبو حنيفة وهو أصح الروايتين عن أحمد، والثالث: أنه يجب على الكافر دون الصبي والمجنون، فإنهما معذوران ليس إليهما إزالة ما بهما، والكافر مأمور بترك الكفر والإتيان بالصوم. والرابع: أنه يجب على الصبي والكافر دون المجنون.

قال الرافعي: وإذا فهمت هذه الوجوه عرفت أن الكافر أولاهم بالوجوب، والمجنون أولاهم بالمنع، والصبي بينهما. ذلك أن نرتب فنقول في وجوب الإمساك على الكافر وجهان، أوجبنا ففي الصبي وجهان إن لم يجب ففي الكافر وجهان، ولهذا الترتيب نقل صاحب المعتمد

طريقة قاطعة بالوجوب على الكافر، هذا بيان الخلاف في وجوب الإمساك، وهل عليهم قضاء اليوم الذي زال العذر في خلاله.

أما الصبي إذا بلغ في أثناء النهار فينظر إن كان ناوياً من الليل صائماً فظاهر المذهب أنه لا قضاء عليه ويلزمه الإتمام، ولو جامع بعد البلوغ فيه فعليه الكفارة، وفيه وجه أنه يستحب الإتمام ويلزمه القضاء، ويحكى هذا عن ابن سريج، وإن أصبح مفطراً ففيه وجهان أصحهما وبه قال أبو حنيفة أنه لا يلزمه القضاء، وأما إذا أفاق المجنون أو أسلم الكافر ففيها طريقان. أحدهما طرد الخلاف وهذا أظهر عند الأكثرين، والأظهر من الخلاف أنه لا قضاء، ويحكى ذلك في الكافر عن نصه في القديم والأم والبويطي، والثاني القطع بالمنع في حق المجنون لأنه لم يكن مأموراً بالصوم في أول النهار وبالإيجاب في حق الكافر، لأنه متعد بترك الصوم في أول النهار، وهذا أصح عند صاحب التهذيب. ونقل الإمام عن الأصحاب أن الأمر بالقضاء فرع الأمر بالإمساك، فمن ألزم الإمساك ألزم القضاء، ومن لا فلا، وبنى صاحب التهذيب وغيره الخلاف في وجوب الإمساك على الخلاف في وجوب القضاء إن أوجبنا القضاء أوجبناه، وإلا فلا، فهذه ثلاثة طرق إحداها تقدم قبل ذلك عن نقل الإمام عن الصيدلاني وهي على اختلافها متفقة على تعلق إحدى الخلافين بالآخر والطريقان المذكوران هنا يشكلان بالحائض والنفساء إذا طهرتا في خلال النهار فإن القضاء واجب عليهما لا محالة والإمساك غير واجب عليهما على الأظهر كما تقدم، لأن صاحب المعتمد حكى طرق الخلاف فيهما، فإذا كان كذلك لم يستمر قولان بأن القضاء فرع الإمساك ولا بأن الإمساك فرع القضاء، والطريق الأول المنقول عن الصيدلاني فيما سبق يشكل بصورة يوم الشك والتعدي بالإفطار، فإن القضاء لازم مع التشبيه.

فصل

أيام رمضان متعينة لصوم رمضان، فإن كان الشخص معذوراً بسفر أو مرض، فإما أن يترخص بالفطر أو يصوم عن رمضان، وليس له أن يصوم عن فرض آخر أو تطوع وبه قال مالك وأحمد، وقال أبو حنيفة: للمسافر أن يصوم عن القضاء والكفارة، ولو صام عن تطوع ففي رواية يقع تطوعاً وفي رواية ينصرف إلى الفرض، وحكى الشيخ أبو محمد تردداً عن أصحابه في المريض الذي له الفطر إذا تحمل المشقة وصام عن غير رمضان، وحكى خلافاً فيمن أصبح في يوم من رمضان غير ناوٍ ونوى التطوع قبل الزوال، فذهب الجماهير أنه لا يصح تطوعه بالصوم، وعن الشيخ أبي إسحاق أنه يصح قال: فعلى قياسه يجوز للمسافر التطوع به.

(والصوم في السفر أفضل من الفطر لمن قوي عليه إلا إذا لم يطق) فالفطر أفضل وبه قال أبو حنيفة ومالك، وقال أحمد: الفطر للمسافر أفضل وإن لم يجهد، وهو قول ابن حبيب من المالكية وقال: لأنه آخر الأمرين من رسول الله ﷺ، وأجمعوا على أنه إذا صام في السفر فإن صومه صحيح مجزئ، وعزا صاحب الهداية من أصحابه إلى الشافعي بأن الفطر في السفر أفضل،

أفضل من الفطر إلا إذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيماً في أوله ولا يوم يقدم إذا قدم صائماً.

وقد رد عليه شراح الكتاب بأن مذهب الشافعي هو أن الصوم أفضل كمذهبنا، وإنما يروى أفضلية الفطر عن أحمد كما ذكرنا. نبه عليه ابن العماد وغيره.

(ولا يفطر يوم يخرج) من المدينة **(و)**قد **(كان مقيماً في أوله)** أي الشهر ندباً **(ولا)** يفطر أيضاً **(يوم يقدم)** من السفر إلى المدينة **(إذا قدم صائماً)** رعاية لحرمة الشهر، وإذا نوى المقيم الصوم ثم سافر في أثناء يومه لا يباح له الفطر اتفاقاً إلا أحمد فإنه أجازه في إحدى روايتيه، والمدنيون من أصحاب مالك.

فصل

في كتاب الشريعة في صوم المسافر والمريض شهر رمضان فمن قائل انهما إن صاماه وقع وأجزأهما، ومن قائل: إنه لا يجزئهما وأن الواجب عليهما عدة من أيام أخر، والذي أذهب إليه أنهما إن صاماه فإن ذلك لا يجزئهما وإن الواجب عليهما عدة من أيام أخر غير أني أفرق بين المريض والمسافر إذا أوقعا الصوم في هذه الحالة في شهر رمضان، فأما المريض فيكون الصوم له نفلاً، وهو عمل بر وليس بواجب عليه ولو أوجبه على نفسه فإنه لا يجب عليه. وأما المسافر لا يكون صومه في السفر في شهر رمضان ولا في غيره عمل برٍّ كان كمن لم يعمل شيئاً وهو أوفى درجاته.

الاعتبار السالك هو المسافر في المقامات بالأسماء الإلهية، فلا يحكم عليه الإسم الإلهي رمضان بالصوم الواجب ولا غير الواجب، ولهذا قال ﷺ: «ليس من البر الصيام في السفر» واسم رمضان يطلبه بتنفيذ الحكم فيه إلى انقضاء شهر سلطانه والسفر يحكم عليه بالانتقال الذي هو عدم الثبوت على الحال الواحدة فبطل حكم الإسم الإلهي رمضان في حكم الصائم. ومن قال: إنه يجزئه جعل سفره في قطع أيام الشهر، وجعل الحكم فيه لإسم رمضان، فجمع بين السفر والصوم، وأما حكم انتقاله المسمى سفراً فإنه ينتقل من صوم الى فطر ومن فطر الى صوم وحكم رمضان لا يفارقه، ولهذا شرع صيامه وقيامه. ثم جواز الوصال فيه أيضاً مع انتقاله من ليل إلى نهار ومن نهار إلى ليل، وحكم رمضان منسحب عليه فلهذا أجزأ المسافر صوم رمضان، وأما المريض فحكمه غير حكم المسافر في الاعتبار، فإن أهل الظاهر أجمعوا على أن المريض إن صام رمضان في حال مرضه أجزأ، والمسافر ليس كذلك عندهم فضعف استدلالهم بالآية. فالاعتبار أن المرض يضاد الصحة والمطلوب من الصوم صحة، والضدان لا يجتمعان. فلا يصح المرض والصوم واعتبرناه في شهر رمضان دون غيره لأنه واجب بإيجاب الله ابتداء، فالذي أوجبه هو الذي رفعه عن المريض، فلا يصح أن يرجع ما ليس بواجب من الله واجباً من الله في حال كونه ليس بواجب.

فصل

من يقول ان صوم المسافر والمريض يجزئهما في شهر رمضان، فهل الفطر لهما أفضل أم الصوم؟ فمن قائل إن الصوم أفضل، ومن قائل: إن الفطر أفضل، ومن قائل إنه على التخيير فليس أحدهما بأفضل من الآخر، فمن اعتبر أن الصوم لا مثل له وأنه صفة للحق قال انه أفضل، ومن اعتبر أنه عبادة فهو صفة ذلة وافتقار فهو بالعبد أليق. قال إن الفطر أفضل ولا سيما للسالك والمريض فإنهما يحتاجان إلى القوة ومنبعها الفطر عادة فالفطر أفضل، ومن اعتبر أن الصوم من الإسم الإلهي رمضان، وأن الفطر من الإسم الإلهي الفاطر، وقال لا تفاضل في الأسماء الإلهية بما هي أسماء للإله تعالى قال: ليس أحدهما بأفضل من الآخر لأن المفطر في حكم الفاطر والصائم في حكم رمضان، وهذا مذهب المحققين في رفع الشريف والأشرف والوضيع والشريف الذي في مقابلته من العالم، ثم الفطر الجائز للمسافر هل هو في سفر محدود أو غير محدود، فمن قائل باشتراط سفر القصر، ومن قائل في كل ما ينطلق عليه اسم السفر.

الاعتبار المسافرون إلى الله وهو الإسم الجامع وهو الغاية المطلوبة، والأسماء الإلهية في الطريق إليه كالمنازل للمسافر في الطريق إلى غايته ومقصده، وأقل السفر الانتقال من إسم إلى إسم، فإن وحد الله في أول قدم من سفره كان حكمه بحسب ذلك، وقد انطلق عليه أنه مسافر وليس لأكثره نهاية ولا حد، فهذا اعتبار من قال يفطر فيما ينطلق عليه اسم سفر، ومن قال بالتحديد في ذلك فاعتباره بحسب ما حدد، فمن اعتبر الثلاثة في ذلك كان كمن له الأحدية أو الواحدية لا حكم له في العدد، وإنما العدد في الإثنين فصاعداً، والسفر هنا إلى الله فلا يسافر إليه إلا به، فأول ما يلقاه من كونه مسافراً إليه في الفردية وهي الثلاثة، فهذا هو السفر المحدود، ثم المرض الذي يجوز فيه الفطر من قائل هو الذي يلحق من الصوم فيه مشقة وضرر، ومن قائل ان المرض الغالب، ومن قائل انه ما ينطلق عليه اسم مرض.

الاعتبار المريد تلحقه المشقة فإنه صاحب مكابدة وجهد فيعينه الإسم القوي على ما هو بصدده، فهذا مرض يوجب الفطر، وأما من اعتبر المرض بالميل وهو الذي ينطلق عليه إسم مرض والإنسان لا يخلو عن ميل بالضرورة فإنه بين حق وخلق وكل طرف يدعوه إلى نفسه فلا بد له من الميل، ولا سيما أهل طريق الله فإنهم في مباحهم في حال ندب فلا يخلص لهم مباح أصلاً، فلا يوجد من أهل الله أحد تكون كفتا ميزانه على الاعتدال وهو عين المريض، فلا بد فيه من الميل إلى جانب الحق، وهذا هو اعتبار من يقول يفطر فيما ينطلق عليه اسم مرض، وأن الله عند المريض بالاخبار الإلهي، ولهذا تراه يلجأ إليه ويكثر ذكره، ولو كان على أي دين كان فإنه بالضرورة يميل إليه ويظهر لك ذلك بيناً في طلب النجاة، فإن الإنسان بحكم الطبع يجري ويميل إلى طلب النجاة، وإن جهل طريقها، ونحن إنما نراعي القصد وهو المطلوب، وأما من اعتبر المرض الغالب فهو ما يضاف إلى العبد من الأفعال، فإنه ميل عن الحق في الأفعال إذ هي له فالموافق والمخالف يميل بها إلى العبد سواء مال اقتداراً أو خلقاً أو كسباً، فهذا ميل حسي شرعي، ثم متى يفطر

....

الصائم ومتى يمسك؟ فمن قائل يفطر يومه الذي خرج فيه مسافراً، ومن قائل لا يفطر يومه ذلك، واستحب العلماء لمن علم أنه يدخل المدينة ذلك اليوم أن يدخلها صائما وإن دخل مفطراً لم يوجبوا عليه كفارة.

الاعتبار: إذا خرج السالك في سلوكه على حكم اسم إلهي كان له إلى حكم اسم آخر دعاه إليه ليوصله إليه حكم اسم آخر ليس هو الذي خرج منه، ولا هو الذي يصل إليه كان بحكم ذلك الإسم الذي يسلك وهو معه أينما كان، فإن اقتضى ذلك الإسم الصوم كان بحكم صفة الصوم، وإن اقتضى له الفطر كان بحكم صفة الفطر، فإذا علم أنه يحصل في يومه الذي هو نفسه في حكم الإسم الذي دعاه إليه، ويريد النزول عليه، فليكن في حكم صفة ذلك الإسم من فطر أو صوم ولا أعين له حالاً من الأحوال، لأن أحوال الناس تختلف في ذلك، ولا حرج عليه، ثم اختلف العلماء فيمن دخل المدينة، وقد ذهب بعض النهار فقال بعضهم: يتمادى على فطره، وقال آخرون يكف عن الأكل، وكذلك الحائض تطهر تكف عن الأكل.

الاعتبار: من كان له مطلوب في سلوكه، فوصل إليه هل يحجبه فرحه لما وصل إليه عن شكره بمن أوصله إليه؟. فإن حجبه تغير الحكم عليه وراعى حكم الإمساك عنه، وإن لم يحجبه ذلك اشتغل عن الوصول بمراعاة من أوصله، فلم يخرج عن حكمه وتمادى على الصفة التي كان عليها في سلوكه عابداً لذلك الإسم عبادة شكر لا عبادة تكليف، وكذلك الحائض وهو كذب النفس ترزق الصدق فتطهر عن الكذب الذي هو حيضها، والحيض سبب فطرها فهل تتمادى على الصفة بالكذب المشروع من إصلاح ذات البين أو تستلزم ما هو وصف في محمود واجب أو مندوب؟ فإن الصدق المحظور كالكذب المحظور يتعلق بهما الإثم والحجاب على السواء. مثاله: من يتحدث بما جرى له مع امرأته في الفراش فأخبر بصدق وهو من الكبائر، وكذلك الغيبة والنميمة، ثم هل للصائم بعض رمضان أن ينشئ سفراً ثم لا يصوم فيه أو لا؟ فمن قائل يجوز له ذلك وهو الجمهور، ومن قائل لم يجز له الفطر، روي هذا القول عن سويد بن غفلة وغيره.

الأعتبار لما كان عند أهل الله كلهم أن كل إسم إلهي يتضمن جميع الأسماء، ولهذا ينعت كل إسم إلهي بجميع الأسماء الإلهية لتضمنه معناها كلها، ولأن كل اسم إلهي له دلالة على الذات كما له دلا: على المعنى الخاص به، وإذا كان الأمر كما ذكرناه، فأي إسم إلهي حكم عليك سلطانه قد يو- لك في ذلك الحكم معنى إسم إلهي آخر يكون حكمه في ذلك الإسم أجل منه وأوضح من الإ- م الذي أنت به في وقته[1] سلوكاً إليه، فمن قائل منا يبقى على تجلي الإسم الذي لاح فيه ذلك المعنى، ومنا من قال ينتقل إلى الإسم الذي لاح له معناه في التضمن، فإنه أجلى وأتم، فالرجل مخير إذا كان قوياً على تصريف الأحوال فإن كان تحت تصريف الأحوال كان بحكم حال الإسم الذي يتضمن عليه بسلطانه والله أعلم.

---

(١) هنا بياض بالأصل.

وأما الفدية: فتجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على ولديهما لكل يوم مدّ حنطة لمسكين واحد مع القضاء. والشيخ الهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مداً.

ولنعد إلى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى:

(وأما الفدية)، وهو مد من الطعام وجنسه جنس زكاة الفطر فيعتبر على الأصح غالب قوت البلد ومصرفها مصرف الصدقات إلى الفقراء والمساكين.

وقال أصحابنا: الفدية مثل صدقة الفطر لكل يوم نصف صاع من حنطة أو صاع من شعير أو تمر، وعند أحمد أنها مدّ من بر أو نصف صاع من تمر أو شعير (١) **(فتجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على ولديهما)** وأما إذا خافتا على أنفسهما أفطرتا وقضيتا، ولا فدية عليهما كالمريض، فإن خافتا على ولديهما ففي الفدية ثلاثة أقوال، أصحها: وبه قال أحمد أنها تجب **(لكل يوم)** من أيام رمضان مدّ حنطة، وكل مد بمثابة كفارة تامة فيجوز صرف عدد منها **(لمسكين واحد)** بخلاف أمداد الكفارة الواحدة يجب صرف كل واحد منها إلى مسكين **(مع القضاء)** أي لهما الإفطار، وعليهما القضاء، ودليل الفدية ما روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية﴾ [البقرة: ١٨٤] أنه منسوخ الحكم إلا في حق الحامل والمرضع. أخرجه أبو داود بمعناه، والقول الثاني من الأقوال الثلاثة أنه يستحب لهما الفدية ولا تجب، وبه قال أبو حنيفة والمزني، واختاره القاضي الروياني في الحلية، ووجه تشبيه الحامل بالمريض لأن الضرر الذي يصيب الولد يتعدى إليها، وتشبيه المرضع بالمسافر يفطران لئلا يمنعهما الصوم عما هما بصدده وهو الإرضاع في حق هذه، والسفر في حق ذاك، وقد يشبهان معاً بالمريض والمسافر من حيث أن الإفطار سائغ لهما والقضاء يكفي تداركاً، والقول الثالث: وبه قال مالك أنها تجب على المرضع دون الحامل، لأن المرضع تخاف على نفسها، والحامل تخاف بتوسط الخوف على الولد فكانت كالمريض، ويحكى القول الأول عن الإمام والقديم، والثاني عن رواية حرملة، والثالث عن البويطي، وإذا فرعنا على الأصح فلا تتعدد الفدية بتعدد الأولاد في أصح الوجهين، وهو الذي أورده صاحب التهذيب، وهل يفترق الحال بين أن ترضع ولدها أو غيره بإجارة أو غيرها؟ ونفى صاحب التتمة وقال: تفطر المستأجرة وتفدي، كما أن السفر لما أفاد جواز الفطر لا يفترق الحال فيه بين أن يكون بفرض نفسه أو بفرض غيره. وأجاب المصنف في الفتاوى: بأن المستأجرة لا تفطر بخلاف الأم لأنها متعينة طبعاً، وإذا لم تفطر فلا خيار لأهل الصبي. وقال النووي في زوائد الروضة: الصحيح قول صاحب التتمة، وقطع به القاضي حسين في فتاويه فقال: يحل لها الإفطار، بل يجب إن أضر الصوم بالرضيع وفدية الفطر على من تجب قال: يحتمل وجهين بناء على ما لو استأجر المتمتع، فعلى من يجب دمه؟ فيه وجهان. قال: ولو كان هناك مراضع فأرادت أن ترضع صبياً تقرباً إلى الله تعالى جاز الفطر لها والله أعلم.

---

(١) هنا بياض بالأصل.

....

قلت: وفي عبارة أصحابنا. والحامل والمرضع إذا خافتا على ولديهما أو على أنفسهما أفطرتا وقضتا لا غير قياساً على المريض دفعاً للحرج والضرر، ولا كفارة عليهما لأنه إفطار بعذر ولا فدية.

قال ابن الهمام: وقولهم على ولديهما يرد ما وقع في بعض حواشي الهداية معزياً إلى الذخيرة من أن المراد بالمرضع الظئر لوجوب الإرضاع عليها بالعقد بخلاف الأم، فإن الأب يستأجر غيرها، وكذا عبارة غير القدوري أيضاً أن ذلك للأم ولأن الإرضاع واجب على الأم ديانة اهـ.

(والشيخ الهرم) الذي لا يطيق الصوم أو تلحقه به مشقة شديدة لا صوم عليه، **(وإذا لم يصم)** ففي الفدية قولان. أصحهما أنها تجب، وإليه أشار المصنف بقوله: **(تصدق عن كل يوم بمد)** فلا قضاء وبه قال أبو حنيفة وأحمد. ويروى ذلك عن ابن عباس، وابن عمر، وأنس، وأبي هريرة رضي الله عنهم وهو ظاهر قوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ [البقرة: ١٨٤] فإن كلمة لا مقدرة أي لا يطيقونه أو المراد يطيقونه حال الشباب، ثم يعجزون عنه بعد الكبر، وروى البخاري أن ابن عباس وعائشة كانا يقرآن: وعلى الذين يطيقونه بتشديد الواو المفتوحة ومعناه يكلفون الصوم فلا يطيقونه، وقيل: لا تقدير في الآية، بل كانوا مخيرين في أول الإسلام بين الصوم والفدية فنسخ ذلك كما تقدم اهـ.

والقول الثاني: انها تجب، ويحكى عن رواية البويطي وحرملة وبه قال مالك، واختاره الطحاوي كالمريض الذي يرجو زوال مرضه إذا اتصل مرضه بالموت، وأيضاً فإنه يسقط فرض الصوم عنه، فأشبه الصبي والمجنون، وإذا أوجبنا الفدية على الشيخ، فلو كان معسراً هل تلزمه إذا قدر؟ فيه قولان. ولو كان رقيقاً فعتق ترتب الخلاف على الخلاف في زوال الإعسار، وأولى بأن لا تجب لأنه لم يكن من أهل الفدية عند الإفطار، ولو قدر الشيخ بعد ما أفطر على الصوم هل يلزمه الصوم قضاء؟ نقل صاحب التهذيب أنه لا يلزمه، لأنه لم يكن مخاطباً بالصوم، بل كان مخاطباً بالفدية.

تنبيه:

ومن مسائل الفدية ما إذا فاته صوم يوم أو أيام من رمضان ومات قبل القضاء فله حالتان.

الأولى: أن يكون موته بعد التمكن من القضاء، فلا بد من تداركه بعد موته وما طريقه فيه قولان: الجديد: وبه قال مالك، وأبو حنيفة أن طريقه أن يطعم من تركته لكل يوم مد ولا سبيل إلى الصوم عنه لأن الصوم عبادة لا تدخلها النيابة في الحياة، فكذا بعد الموت كالصلاة، والقديم: وبه قال أحمد أنه يجوز لوليه أن يصوم عنه لما في الخبر من حديث عائشة مرفوعاً «من مات وعليه صوم صام عنه وليه ولو مات وعليه صلاة أو اعتكاف لم يقض عنه وليه ولا يسقط عنه بالفدية». وعن البويطي أن الشافعي قال في الاعتكاف يعتكف عنه وليه، وفي رواية يطعم عنه وليه، قال

صاحب التهذيب: ولا يبعد تخريج هذا في الصلاة فليطعم عن كل صلاة مداً. قال النووي: في زيادات الروضة، والمشهور في المذهب تصحيح القول الجديد، وذهب جماعة من محققي أصحابنا إلى تصحيح القديم، وهذا هو الصواب، وينبغي أن يجزم بالفدية فإن الأحاديث الصحيحة ثبتت فيه وليس للجديد حجة من السنة، والحديث الوارد بالإطعام عن ابن عمر مرفوعاً وموقوفاً «من مات وعليه صوم فليطعم عنه وليه مكان كل يوم مسكيناً» ضعيف فيتعين القول بالقديم، ثم من جوز الصيام جوز الإطعام اهـ.

الحالة الثانية: أن يكون موته قبل التمكن من القضاء، بل لا يزال مريضاً من استهلال شوال إلى أن يموت، فلا شيء في تركته، ولا على ورثته كما لو تلف ماله بعد الحول، وقبل التمكن من الأداء لا شيء عليه.

فصل

في كتاب الشريعة في الحامل والمرضع: إذا أفطرتا ما عليهما؟ فمن قائل يطعمان ولا قضاء عليهما وبه أقول وهو نص القرآن، والآية عندي مخصصة غير منسوخة في حق الحامل والمرضع والشيخ والعجوز، ومن قائل يقضيان فقط ولا إطعام عليهما، ومن قائل يقضيان ويطعمان، ومن قائل الحامل تقضي ولا تطعم والمرضع تقضي وتطعم، والإطعام مدّ عن كل يوم أو يحفن حفاناً ويطعم، كما كان أنس يصنع.

الاعتبار أن الحامل الذي يملكه الحال والمرضع الساعي في حق الغير على حق الله لمسيس الحاجة، فإنه حكم الوقت، ومن قدم حق الله على حق الغير رأى قول النبي ﷺ ان حق الله أحق بالقضاء، ثم تقديم الله الوصية على الدين في آية المواريث فقدم حق الله. قال تعالى: ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾ [النساء: ١١] فأما المرضع وإن كانت في حق الغير فحق الغير من حقوق الله، وصاحب الحال ليس في حق من حقوق الله لأنه غير مكلف في وقت الحال، والمرضع كالساعي في حق الغير فهي في حق الله، فإنه في أمر مشروع، فقد وكلناك بعد هذا البيان والتفصيل إلى نفسك في النظر فيمن ينبغي له القضاء والإطعام أو أحدهما ممن ذكرنا.

أما الشيخ والعجوز، فقد أجمع العلماء على أنهما إذا لم يقدرا على الصوم أن يفطرا واختلفوا إذا أفطرا هل يطعمان أو لا؟ فقال قوم: يطعمان، وقال قوم: لا يطعمان وبه أقول، غير أنهما استحب لهما الإطعام، وأما الذي أقول به انهما لا يطعمان فإن الإطعام إنما شرع مع الطاقة على الصوم، وأما من لا يطيقه فقد سقط عنه التكليف به، وليس في الشرع حكم بإطعام من هذه صفته من عدم القدرة عليه.

الاعتبار: من كان مشهده أن لا قدرة له وهو الذي يقول: إن القدرة الحادثة لا أثر لها في المقدور وكان مشهده أن الصوم لله، فقد انتفى الحكم عنه بالصوم والإطعام، إنما هو عوض عن واجب يقدر عليه ولا واجب فلا عوض فلا إطعام، وهجر صاحب هذا المقام لا قوة إلا بالله

قائمة، وليس له في إياك نستعين مدخل، ولا في نون نفعل، ولا في ألف أفعل، لكن له من هذه الزوائد التاء في تفعل بضمير المخاطب وهو الأنتية والكاف والياء في يفعل بالهوية لا غير.

فصل

فيمن مات وعليه صوم:

فمن قائل يصوم عنه وليه، ومن قائل لا يصوم أحد عن أحد، واختلف أصحاب هذا القول، فبعضهم قال يطعم عنه وليه، وقال بعضهم لا صيام ولا إطعام إلا أن يوصى به، وقال قوم يصوم فإن لم يستطع أطعم، وفرق بين النذور والصيام المفروض فقالوا: يصوم عنه وليه في النذر، ولا يصوم في الصيام المفروض.

الاعتبار: قال الله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقال تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ [الأحزاب: ٦] فالمريد صاحب التربية يكون الشيخ قد أهله بذكر مخصوص لنيل حالة مخصوصة ومقام خاص، فإن مات قبل تحصيله فمنا من يرى أن الشيخ لما كان وليه وقد حال الموت بينه وبين ذلك المقام الذي لو حصل له نال به المنزلة الإلهية التي يستحقها رب ذلك المقام، فيشرع الشيخ في العمل الموصل إلى ذلك المقام نيابة عن المريد الذي مات، فإذا استوفاه سأل الله أن يعطيه ذلك التلميذ الذي مات، فيناله المريد عند الله على أتم وجوهه، وهذا مذهب شيخنا أبي يعقوب يوسف بن يخلف الكردي رحمه الله تعالى.

ومنا من قال: لا يقوم الشيخ عنه في العمل، ولكن يطلبه له من الله بهمته، وهذا اعتبار من قال: لا يصوم أحد عن أحد، ومن قال لا صيام ولا إطعام إلا أن يوصى به، فهو أن يقول المريد للشيخ عند الموت اجعلني من همتك واجعل لي نصاباً في عملك عسى الله أن يعطيني ما كان في أملي، وهذا إذا فعله المريد كان سوء أدب مع الشيخ حيث استخدمه في حق نفسه وتهمة منه للشيخ في نسيان حق المريد فيذكره بذلك، والطريق تقتضي أن الشيخ لا ينسى مريده الذي يربيه، بل لا ينسى من سلم عليه مرة واحدة وعرف وجهه، بل لا ينسى عند الله من سعى في أذاه ووقع فيه، وهذا كان حال أبي يزيد، بل لا ينسى أن في الناس من يعرف الشيخ ولا يعرفه الشيخ، فيسأل الله أن يغفر ويعفو عمن سمع بذكر الشيخ فأثنى عليه أو سبه، ووقع فيه ممن لم يعرفه الشيخ ولا سمع باسمه، وهذا مذهبنا ومذهب شيخنا أبي إسحاق بن طريف.

وأما من فرق بين النذر والصوم المفروض، فإن النذر أوجبه الله عليه بإيجابه، والصوم المفروض أوجبه الله على العبد ابتداء من غير إيجاب العبد، فلما كان للعبد في هذا الواجب تعمل بإيجابه صام عنه وليه لأنه من وجوب عبد فينوب عنه في ذلك عبد مثله حتى تبرأ ذمته، والصوم المفروض ابتداء لم يكن للعبد فيه تعمل، فالذي فرضه عليه هو الذي أماته، فلو تركه صامه فكانت الدية على القاتل، وقال تعالى فيمن خرج مهاجراً: ﴿ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على

وأما السنن فستة: تأخير السحور، وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة،

الله﴾ [النساء : ١٠٠] فالذي فرق كان فقيه النفس سديد النظر علاماً بالحقائق، وهكذا حكمه في الاعتبار.

ولنعد إلى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى:

(وأما السنن فست): وعبارته في الوجيز القول في السنن وهي ثمان فزاد إثنين، وهما: كف اللسان والنفس عن الهذيان والشهوات وتعجيل غسل الجنابة على الصبح. أما الأولى فسيأتي ذكرها للمصنف في صوم الخصوص قريباً ونتكلم عليها هناك، وأما تقديم غسل الجنابة أي عن الجماع والاحتلام على الصبح ولو أخره عن الطلوع لم يفسد صومه، وهذه قد تقدم ذكرها فلم يحتج إلى ذكرها ثانياً، ودليله ما في الخبر: « كان رسول الله ﷺ يصبح جنباً من جماع أهله ثم يصوم » أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة وأم سلمة زاد مسلم: « ولا يقضي » في حديث أم سلمة، وزادها ابن حبان في حديث عائشة، وما روي أنه ﷺ قال: « من أصبح جنباً فلا صوم له » أخرجه البخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة محمول عند الأئمة على ما إذا أصبح مجامعاً واستدامه مع علمه بالفجر هكذا قاله الرافعي، وأولى منه ما قاله ابن المنذر أحسن ما سمعت في هذا الحديث أنه منسوخ لأن الجماع في أول الإسلام كان محرماً على الصائم في الليل بعد النوم كالطعام والشراب، فلما أباح الله الجماع إلى طلوع الفجر كان للجنب إذا أصبح قبل الاغتسال، وكان أبو هريرة يفتي بما سمعه من الفضل على الأمر الأول، ولم يعلم النسخ فلما علمه من حديث عائشة وأم سلمة رجع إليه اهـ.

ولو طهرت الحائض ليلاً ونوت الصوم ثم اغتسلت بعد طلوع الفجر صح صومها أيضاً وهذا أيضاً قد تقدم ذكره.

ولنعد إلى شرح السنن الست التي ذكرها المصنف هنا.

الأولى: (تأخير السحور): اعلم أن التسحر مندوب إليه قال ﷺ: « تسحروا فإن في السحور بركة » متفق عليه من حديث أنس، ورواه النسائي، وأبو عوانة في صحيحه من حديث أبي ليلى الأنصاري، ورواه النسائي، والبزار من حديث ابن مسعود والنسائي من وجهين عن أبي هريرة. وأخرجه البزار من حديث قرة بن إياس المزني، وروى ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عباس بلفظ: « استعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبقيلولة النهار على قيام الليل ». وشاهده عند ابن حبان من حديث ابن عمر « إن الله وملائكته يصلون على المتسحرين » وفيه عنه: « تسحروا ولو بجرعة من ماء » ويستحب تأخيره ما لم يقع في مظنة الشك.

روي« أنه ﷺ وزيد بن ثابت تسحرا فلما فرغا من سحورهما قام نبي الله ﷺ إلى الصلاة فصلى قال، قلنا لأنس: كم كان بين فراغهما وسحورهما ودخولهما في الصلاة؟ قال: « قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية » رواه البخاري عن أنس.

(و) الثانية (تعجيل الإفطار): قال ﷺ: « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » متفق

وترك السواك بعد الزوال، والجود في شهر رمضان لما سبق من فضائله في الزكاة

عليه من حديث سهل بن سعد، وعند أحمد من حديث أبي ذر بلفظ: «ما أخروا السحور وعجلوا الفطور» وروى الترمذي من حديث أبي هريرة: «قال الله عز وجل أحب عبادي إلي أعجلهم فطراً».

قال الرافعي: وإنما يستحب التعجيل بعد تيقن غروب الشمس، والسنة أن يفطر **(على التمر أو الماء)** لما روي أنه ﷺ قال: «من وجد التمر فليفطر عليه ومن لم يجد التمر فليفطر على الماء فإنه طهور» رواه أحمد، وأصحاب السنن، وابن حبان، والحاكم من حديث سلمان بن عامر، واللفظ لابن حبان وله عندهم ألفاظ. ورواه الترمذي والحاكم وصححه من حديث مثله **(قبل الصلاة)** لما رواه أحمد والترمذي والنسائي عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي فإن لم يكن فعلى تمرات فإن لم يكن حسا حسوات من ماء» قال ابن عدي: تفرد به جعفر عن ثابت.

وأخرج أبو يعلى، عن إبراهيم بن الحجاج، عن عبد الواحد بن ثابت، عن أبيه، عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يحب أن يفطر على ثلاث تمرات أو شيء لم تصبه النار» وعبد الواحد قال البخاري منكر الحديث.

وروى الطبراني في الأوسط من طريق يحي بن أيوب، عن حميد، عن أنس «كان رسول الله ﷺ إذا كان صائماً لم يصل حتى نأتيه برطب وماء فيأكل ويشرب، وإذا لم يكن رطب لم يصل حتى نأتيه بتمر وماء». وقال: تفرد به مسكين بن عبد الرحمن، عن يحي بن أيوب وعنه زكريا بن بحر.

قال الرافعي: وذكر القاضي الروياني: «أنه يفطر على التمر فإن لم يجد فعلى حلاوة أخرى فإن لم يجد فعلى الماء». وعن القاضي حسين أن الأولى في زماننا أن يفطر على ماء يأخذه بكفه من النهر ليكون أبعد عن الشبهة. وقول المصنف بالتمر أو الماء ليس للتخيير بل الأمر فيه على الترتيب كما بيناه، وعبارة الوجيز تعجيل الفطر بعد تيقن الغروب بتمر أو ماء.

(و) الثالثة (ترك السواك بعد الزوال) لما فيه من إزالة الخلوف المشهود له بأنه أطيب من ريح المسك لأن ذلك مبدأ الخلوف الناشيء من خلو المعدة من الطعام والشراب، وبه قال الشافعي في المشهور عنه وعبارته في ذلك: «أحب السواك عند كل وضوء بالليل والنهار وعند تغير الفم إلا أني أكرهه للصائم آخر النهار من أجل الحديث في خلوف فم الصائم» اهـ.

وليس في هذه العبارة تقييد ذلك بالزوال، فلذلك قال الماوردي: لم يحد الشافعي الكراهة بالزوال، وإنما ذكر العشي فحده الأصحاب بالزوال. قال أبو شامة: ولو حدوه بالعصر لكان أولى لما في مسند الدارقطني عن أبي عمر كيسان القصاب، عن يزيد بن بلال مولاه، عن علي قال: إذا صمتم فاستاكوا بالغداة ولا تستاكوا بالعشي.

....

قال الولي العراقي في شرح التقريب: لا نسلم لأبي شامة أن تحديده بالعصر أولى بل اما أن يحد بالظهر وعليه تدل عبارة الشافعي فإنه يصدق اسم آخر النهار من ذلك الوقت لدخول النصف الآخير من النهار، واما أن لا يوقت بحد معين بل يقال يترك السواك متى عرف لمن تغير فمه ناشىء عن الصيام، وذلك يختلف باختلاف أحوال الناس وباختلاف بعد عهده بالطعام وقرب عهده به لكونه لم يتسحر أو تسحر، فالتحديد بالعصر لا يشهد له معنى ولا في عبارة الشافعي ما يساعده، والأثر المنقول عن علي يقتضي التحديد بالزوال أيضاً لأنه مبدأ العشي على أنه لم يصح عنه. قال الدارقطني: كيسان ليس بالقوي ومن بينه وبين علي غير معروف اهـ.

وقال ابن المنذر كره ذلك آخر النهار الشافعي، وأحمد وإسحاق وأبو ثور، وروي ذلك عن عطاء ومجاهد اهـ.

وحكاه ابن الصباغ، عن ابن عمر، والأوزاعي، ومحمد بن الحسن، وفرق بعض أصحاب الشافعي في ذلك بين الفرض والنفل، فكرهه في الفرض بعد الزوال ولم يكرهه في النفل لأنه أبعد من الرياء حكاه صاحب المعتمد عن القاضي حسين، وحكاه المسعودي وغيره عن الإمام أحمد، قد حصل من ذلك مذاهب: **الأول**: الكراهة بعد الزوال مطلقاً. **الثاني**: الكراهة آخر النهار من غير تقييد بالزوال، **الثالث**: تقييد الكراهة بما بعد العصر. **الرابع**: نفي استحبابه بعد الزوال من غير استيجاب الكراهة. **الخامس**: الفرق بين الفرض والنفل، ثم أن المشهور عند أصحاب الشافعي زوال الكراهة بغروب الشمس. وقال الشيخ أبو حامد: لا تزول الكراهة حتى يفطر، فهذا مذهب **سادس**، وذهب الأكثرون إلى استحبابه لكل صائم في أول النهار وآخره كغيره وهو مذهب مالك وأبي حنيفة والمزني. وقال الترمذي بعد روايته حديث عامر بن ربيعة رأيت النبي ﷺ ما لا أحصي يتسوك وهو صائم، والعمل على هذا عند أهل العلم لا يرون بالسواك للصائم بأساً، ثم قال: ولم ير الشافعي بالسواك بأساً أول النهار وآخره اهـ.

قال الولي العراقي: وهذا قول غريب عن الشافعي لا يعرف نقله إلا في كلام الترمذي، واختاره العز بن عبد السلام وأبو شامة والثوري. وقال ابن المنذر رخص فيه للصائم بالغداة والعشي النخعي، وابن سيرين وعروة بن الزبير، ومالك وأصحاب الرأي وروينا الرخصة فيه عن عمر، وابن عباس، وعائشة فكملت المذاهب في ذلك سبعة واختلفوا في مسألة أخرى وهي كراهة استعمال السواك الرطب للصائم. قال ابن المنذر: فمن قال لا بأس به أيوب السختياني، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأبو ثور، وأصحاب الرأي وروينا ذلك عن ابن عمر ومجاهد وعروة، وكره ذلك مالك وأحمد وإسحاق، ورويناه عن الشعبي وعمرو بن شرحبيل، والحكم، وقتادة اهـ.

(و) الرابعة (الجود) والإفضال، وهو مندوب إليه في جميع الأوقات وفي جميع **(شهر رمضان)** آكد استحباباً اقتداء برسول الله ﷺ: «فإنه كان أجود الناس بالخير من الريح

ومدارسة القرآن، والاعتكاف في المسجد، لا سيما في العشر الأخير فهو عادة رسول الله ﷺ: «كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش وشد المئزر ودأب وأدأب أهله» أي أداموا النصب في العبادة إذ فيها ليلة القدر. والأغلب أنها في أوتارها وأشبه

المرسلة، وأجود ما يكون في رمضان». كما رواه البخاري في الصحيح، والمعنى في **تخصيص** رمضان بزيادة الجود وإكثار الصدقات تفريغ الصائمين بالعبادة بدفع حاجاتهم، (**لما سبق من فضائله في الزكاة و**).

الخامسة (**مدارسة القرآن**)، وهو أن يقرأ على غيره ويقرأ غيره عليه. كان جبريل عليه السلام يلقى النبي ﷺ في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن كما رواه البخاري وتقدم البحث فيه فإن لم يمكن المدارسة بأن كان وحده فكثرة تلاوته مع حسن ترتيل وتدبر.

(**و**) **السادسة**: (**الاعتكاف**) وهو في اللغة الاقامة على الشيء ولزومه وحبس النفس عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾ [الأنبياء: ٥٢] وأما في الشريعة فقد فسره المصنف في الوجيز باللبث (**في المسجد**) ساعة مع الكف عن الجماع وهو سنة مؤكدة، (**لا سيا في العشر الأخير**) من رمضان وقال القدوري من أصحابنا: هو مستحب. وقال صاحب الهداية: الصحيح أنه سنة مؤكدة لأن النبي ﷺ واظب عليه في العشر الأخير من رمضان، والمواظبة دليل السنة، والحق أنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام: واجب وهو المنذور، وسنة وهو في العشر الأخير من رمضان، ومستحب وهو في غيره من الأزمنة. (**فهي عبادة رسول الله ﷺ: «كان إذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش وشد المئزر ودأب وأدأب معه أهله»**) قال العراقي: متفق عليه من حديث بلفظ: «أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر» اهـ.

ثم فسر المصنف دأب فقال: (**أي أدام**) وفي نسخة: أداموا (**النصب**) أي التعب (**في العبادة**) ثم أن استحباب الاعتكاف مجمع عليه كما حكاه غير واحد، وتقدم التصريح بأنها سنة مؤكدة. وحكى ابن العربي عن أصحابهم أنهم يقولون في كتبهم: الاعتكاف جائز قال: او هو جهل اهـ.

وقال في المدونة عن مالك: لم يبلغني أن أحداً من السلف ولا ممن أدركته اعتكف إلا أبو بكر ابن عبد الرحمن وليس بحرام ولكن لشدته وأن ليله ونهاره سواء، فلا ينبغي لمن لا يقدر أن يفي بشروطه أن يعتكف اهـ.

وفيه تأكده في العشر الأواخر من رمضان (**إذ فيها ليلة القدر**) فإنها عند الشافعي وآخرين منحصرة في العشر الأخير، وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال: اعتكفنا مع رسول الله ﷺ العشر الأوسط من رمضان فخرجنا صبيحة عشرين، فخطبنا رسول الله ﷺ صبيحة عشرين فقال: «إني أريت ليلة القدر وإني نسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر في وتر فإني أريت أني أسجد في ماء وطين، ومن كان اعتكف مع رسول الله ﷺ فليرجع فرجع الناس إلى المسجد

....

وما نرى في السماء قزعة فجاءت سحابة فمطرت وأقيمت الصلاة وسجد رسول الله ﷺ في الطين والماء، حتى رأيت الطين في أرنبته وجبهته». وفي رواية من صبح إحدى وعشرين.

وفي لفظ لمسلم: «أن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط، ثم أتيت فقيل لي انها في العشر الأواخر، فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف فاعتكف الناس معه» الحديث.

وليلة القدر بإسكان الدال وفتحها سميت بذلك لعظم قدرها لما فيها من الفضائل أي ذات القدر العظيم، أو لأن الأشياء تقدر فيها، وقد جوز المفسرون في الآية إرادة الشرف والتقدير مع كونه لم يقرأ إلا بالإسكان، وجزم الهروي وابن الأثير في تفسيرهما بالتقدير فقالا: وهي الليلة التي تقدر فيها الأرزاق وتقضى، وصححه النووي في شرح المهذب فقال: سميت ليلة القدر أي ليلة الحكم والفصل هذا هو الصحيح المشهور، وحكاه في شرح مسلم عن العلماء، والمراد بالعشر الأواخر هي الليالي، وكان يعتكف الأيام معها أيضاً، فلم يكن يقتصر على اعتكاف الليالي، وإنما اقتصر على ذكرها على عادة العرب في التاريخ بها، وهذا يدل على دخوله محل الاعتكاف قبل غروب الشمس ليلة الحادي والعشرين، وإلا لم يكن اعتكف العشر بكمالها، وهذا هو المعتبر عند الجمهور لمن أراد اعتكاف عشر أو شهر، وبه قال الأئمة الأربعة وحكاه الترمذي عن الثوري، وقال آخرون: بل يبدأ الاعتكاف من أول النهار وهو قول الأوزاعي، وأبي ثور، وإسحاق بن راهويه، وابن المنذر، والليث بن سعد في أحد قوليه. وحكاه الترمذي عن أحمد. وحكاه النووي في شرح مسلم عن الثوري، وصححه ابن العربي وقال ابن عبد البر: لا أعلم أحداً من فقهاء الأمصار قال به إلا الأوزاعي والليث وقال به طائفة من التابعين اهـ.

واحتجوا بحديث عائشة في الصحيحين «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يعتكف صلى الصبح ثم دخل معتكفه» وتأوله الجمهور على أنه دخل المعتكف وانقطع فيه وتخلى بنفسه بعد صلاة الصبح لا أن ذلك وقت ابتداء الاعتكاف، بل كان من قبل المغرب معتكفاً لابثاً في المسجد، فلما صلى الصبح انفرد.

ومن أحاديث الاعتكاف ما رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي من طريق عقيل، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: «أن رسول الله ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى قبضه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده».

وأخرجه النسائي من طريق عبد الرزاق هكذا بدون الجملة الأخيرة، وفي قولها: «حتى قبضه الله عز وجل» استمرار هذا الحكم وعدم نسخه، وأكدت ذلك بقولها: «ثم اعتكف أزواجه من بعده» فأشارت إلى استمرار حكمه حتى في حق النساء، فكن أمهات المؤمنين يعتكفن بعد النبي ﷺ من غير نكير، وإن كان هو في حياته قد أنكر عليهن الاعتكاف بعد إذنه لبعضهن كما هو في الحديث الصحيح. فذاك بمعنى آخر، وهو كما قيل خوف أن يكن غير مخلصات في الاعتكاف،

....

بل أردن القرب منه لغيرتهن عليه أو لغيرته عليهن إذ ذهاب المقصود من الاعتكاف بكونهن معه في المعتكف أو لتضييقهن المسجد بأبنيتهن والله أعلم.

ثم لا شك في أن اعتكافه ﷺ كان في مسجده، وكذا اعتكاف أزواجه فأخذ منه اختصاص الاعتكاف بالمساجد، وأنه لا يجوز في مسجد البيت وهو الموضع المهيأ للصلاة فيه لا في حق الرجل ولا في حق المرأة. إذ لو جاز في البيت لفعلوه ولو مرة لما في ملازمة المسجد من المشقة، لا سيما في حق النساء. وفي الصحيح عن نافع وقد أراني عبد الله المكان الذي كان يعتكف فيه رسول الله ﷺ من المسجد، وبهذا قال مالك والشافعي وأحمد وداود والجمهور، وقال أبو حنيفة: يصح اعتكاف المرأة في مسجد بيتها وهو قول قديم للشافعي. قال ابن قتادة وحكي عن أبي حنيفة أنه لا يصح اعتكافها في مسجد الجماعة، وحكاه ابن عبد البر عن أبي حنيفة والكوفيين مطلقاً أنهم قالوا: لا تعتكف إلا في مسجد بيتها ولا تعتكف في مسجد الجماعة، ثم حكى عن أصحاب أبي حنيفة أن لها الاعتكاف في المسجد مع زوجها، وجوزه بعض المالكية والشافعية للرجل أيضاً في مسجد بيته.

قلت الذي في كتب أصحابنا: المرأة تعتكف في مسجد بيتها، ولو اعتكفت في مسجد الجماعة جاز، والأول أفضل ومسجد حيها أفضل لها من المسجد الأعظم، وليس لها أن تعتكف في غير موضع صلاتها من بيتها وإن لم يكن فيه مسجد لا يجوز لها الاعتكاف فيه اهـ.

ثم اختلف الجمهور المشترطون للمسجد العام، فقال مالك والشافعي وجمهورهم: يصح الاعتكاف في كل مسجد. قال أصحاب الشافعي: ويصح في سطح المسجد ورحبته. وقال أحمد: يختص بمسجد تقام فيه الجماعة الراتبة إلا في حق المرأة فيصح في جميع المساجد، وقال أبو حنيفة: بمسجد يصلي فيه الصلوات كلها أي في حق الرجل، وروى الحسن عن أبي حنيفة أن كل مسجد له إمام ومؤذن معلوم. ويصلى فيه الصلوات الخمس بالجماعة. وقال أبو يوسف: إن الاعتكاف الواجب لا يجوز في غير مسجد الجماعة والنفل يجوز وقال الزهري وآخرون: يختص بالجامع الذي تقام فيه الجمعة وهو رواية عن مالك. وقالت طائفة: يختص بالمساجد الثلاثة حكي ذلك عن حذيفة بن اليمان وبمعناه ما حكي عن سعيد بن المسيب لا اعتكاف إلا في مسجد نبي، ولهذا جعلهما ابن عبد البر قولاً واحداً. وقال عطاء لا يعتكف إلا في مسجد مكة والمدينة حكاه الخطابي، ثم قد استدل بالحديث المذكور أنه لا يشترط لصحة الاعتكاف الصوم، وذلك من وجهين أحدهما: أنه اعتكف ليلاً أيضاً مع كونه فيه غير صائم ذكره ابن المنذر. ثانيهما: أن صومه في شهر رمضان إنما كان للشهر لأن الوقت مستحق له، ولم يكن لاعتكاف ذكره المزني والخطابي، وبهذا قال الشافعي وأحمد في أصح الروايتين عنه، وحكاه الخطابي عن علي وابن مسعود والحسن البصري. وقال مالك وأبو حنيفة والجمهور: يشترط لصحة الاعتكاف الصوم، وروي ذلك عن علي وابن عمر وابن عباس وعائشة. وروى الدارقطني في حديث عائشة المتقدم من رواية ابن جريج عن الزهري بزيادة «وإن السنة للمعتكف» فذكر أشياء منها: ويؤمر من اعتكف أن يصوم، ثم قال الدارقطني: إن قوله:

الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبع. والتتابع في هذا الاعتكاف أولى، فإن نذر

وأن السنة الخ ليس من قول النبي ﷺ، وأنه من كلام الزهري، ومن أدرجه في الحديث وهم، ولكن في سنن أبي داود صريحاً أنه من كلام عائشة أي: فمثله لا يعرف إلا سماعاً، والمسألة مقررة في كتب الخلاف.

(والأغلب أنها) أي ليلة القدر **(في أوتارها)** أي العشر الأواخر **(وأشبه الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبع)** ولنحك الخلاف في هذه المسألة.

فأحدها: أنها في السنة كلها، وهو محكي عن ابن مسعود، وتابعه أبو حنيفة وصاحباه، والذي في كتب أصحابنا عن أبي حنيفة أنها في رمضان ولا يدرى أية ليلة هي، وقد تتقدم وقد تتأخر، وعندهما كذلك إلا أنها معينة لا تتقدم ولا تتأخر. هكذا النقل عنهم في المنظومة والشرح، والذي في فتاوى قاضيخان وفي المشهور عنه: أنها تدور في السنة تكون في رمضان وفي غيره، فجعل ذلك رواية. وثمرة الاختلاف فيمن قال أنت حر أو أنت طالق ليلةالقدر، فإن قاله قبل دخول رمضان عتق وطلقت إذا انسلخ، وإن قال بعد ليلة منه فصاعداً لم يعتق حتى ينسلخ رمضان العام القابل عنده، وعندهما إذا جاء مثل تلك الليلة من رمضان الآتي وأجاب أبو حنيفة عن الأدلة المفيدة لكونها في العشر الأواخر بأن المراد في ذلك الرمضان الذي كان عليه السلام التمسها فيه، والسياقات تدل عليها لمن تأمل طرق الأحاديث وألفاظها كقوله: إن الذي تطلب أمامك وإنما كان يطلب ليلة القدر من تلك السنة، وغير ذلك مما يطلع عليه الاستقراء والله أعلم.

القول الثاني: أنها في شهر رمضان كله، وهو محكي عن ابن عمر وطائفة من الصحابة. وفي سنن أبي داود عن ابن عمر قال: سئل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر وأنا أسمع قال: «هي في كل رمضان» قال أبو داود: وروي موقوفاً عليه، وروى ابن أبي شيبة في المصنف عن الحسن هو البصري قال: «ليلة القدر في كل رمضان» قال المحاملي في التجريد: مذهب الشافعي أن ليلة القدر تلتمس في جميع شهر رمضان وآكده العشر الأواخر وآكده ليالي الوتر من العشر الأواخر اهـ. والمشهور من مذهب الشافعي اختصاصها بالعشر الأواخر كما سيأتي.

الثالث: أنها أول ليلة من شهر رمضان وهو محكي عن أبي رزين العقيلي أحد الصحابة.

الرابع: أنها في العشر الأوسط والأواخر حكاه القاضي عياض وغيره.

الخامس: أنها في العشر الأواخر فقط ويدل له قوله ﷺ: «التمسوها في العشر الأواخر» وبهذا قال جمهور العلماء.

السادس: أنها تختص بأوتار العشر الأخير، وعليه يدل حديث عبادة بن الصامت في مسند أحمد، والمعجم الكبير للطبراني أنه سأل رسول الله ﷺ عن ليلة القدر فقال: «في رمضان فالتمسوها في العشر الأواخر فإنها في وتر من إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس

وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو في آخر ليلة فمن قامها ابتغاءها ثم وفقت له غفر له ما تقدم من ذنبه». وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو حسن الحديث.

إن قلت قوله: «أو آخر ليلة» مشكل لأنها ليست وتراً إن كان الشهر كاملاً، وقد قال أولاً فإنها في وتر وإن كان ناقصاً فهي ليلة تسع وعشرين فلا معنى لعطفها عليها.

فالجواب: أن قوله: «أو في آخر ليلة» معطوف على قوله فإنها في وتر لا على قوله: «أو تسع وعشرين» فليس تفسيراً للوتر بل معطوفاً عليه.

السابع: أنها تختص بإشفاعه لحديث أبي سعيد في الصحيح: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، والتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة»، فقيل له: يا أبا سعيد إنكم أعلم بالعدد منا. قال: أجل نحن أحق بذلك منكم.

فإن قلت: ما التاسعة والسابعة والخامسة؟ قال: إذا مضت واحدة وعشرون فالتي تليها إثنتان وعشرون وهي التاسعة، فإذا مضت ثلاثة وعشرون، فالتي تليها السابعة، فإذا مضى خمس وعشرون فالتي تليها الخامسة.

الثامن: أنها ليلة سبع عشرة وهو محكي عن زيد بن أرقم وابن مسعود أيضاً والحسن البصري، ففي معجم الطبراني وغيره عن زيد بن أرقم قال: ما أشك وما امتري أنها ليلة سبع عشرة أنزل القرآن ويوم التقى الجمعان.

التاسع: أنها ليلة تسع عشرة، وهو محكي عن علي بن أبي طالب وابن مسعود أيضاً.

العاشر: أنها تطلب في ليلة سبع عشرة وإحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين. حكي ذلك عن علي وابن مسعود أيضاً.

الحادي عشر: أنها ليلة إحدى وعشرين ويدل له حديث أبي سعيد الثابت في الصحيح الذي يقول فيه، وإني أريتها ليلة وتر، وإني أسجد في صبيحتها في ماء وطين»، فأصبح من ليلة إحدى وعشرين وقد قام إلى الصبح فمطرت السماء فوكف المسجد فأبصرت الطين والماء فخرج حين فرغ من صلاته وجبينه وأرنبة أنفه فيها الطين والماء، وإذا هي ليلة إحدى وعشرين من العشر الأواخر.

الثاني عشر: أنها ليلة ثلاث وعشرين وهو قول جمع كثير من الصحابة وغيرهم، ويدل له ما رواه مسلم في صحيحه عن عبدالله بن أنس أن رسول الله ﷺ قال «أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأراني صبيحتها أسجد في ماء وطين. قال، فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله ﷺ فانصرف وأن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه».

الثالث عشر: أنها ليلة أربع وعشرين وهو محكي عن بلال وابن عباس والحسن وقتادة. وفي صحيح البخاري، عن ابن عباس موقوفاً عليه: «التمسوا ليلة القدر في أربع وعشرين» ذكره

عقب حديثه: « هي في العشر في سبع تمضين أو سبع تبقين ». وظاهره أنه تفسير للحديث فيكون عمدة، وفي مسند أحمد عن بلال أن رسول الله ﷺ قال « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين ».

الرابع عشر: أنها ليلة خمس وعشرين، حكاه ابن العربي في شرح الترمذي وقال في ذلك أثر.

الخامس عشر: أنها ليلة ثلاث وعشرين أو سبع وعشرين، وهو محكي عن ابن عباس، ويدل له ما في صحيح البخاري عنه مرفوعاً « هي في العشر في سبع تمضين اوسبع تبقين » يعني ليلة القدر.

السادس عشر: أنهـا ليلة سبع وعشرين، وبه قال جمع كثير من الصحابة وغيرهم، وكان أبي بن كعب يحلف عليه، وفي مصنف ابن ابي شيبة، عن زر بن حبيش: كان عمر وحذيفة وأناس من أصحاب رسول الله ﷺ لا يشكون فيها أنها ليلة سبع وعشرين، وحكاه الشاشي في الحليـة وأكثر العلماء وقال النووي في شرح المهذب: انه مخالف لنقل الجمهور، وقد وردت أحاديث صريحة في أنها ليلة سبع وعشرين، ففي سنن أبي داود عن معاوية مرفوعاً « ليلة القدر ليلة سبع وعشرين » وفي مسند أحمد عن ابن عمر مرفوعاً « من كان متحريها فليتحر ليلة سبع وعشرين » واستدل ابن عباس على ذلك بأن الله تعالى خلق السموات سبعاً والأرضين سبعاً والأيام سبعة وأن الإنسان خلق من سبع، وجعل رزقه في سبع ويسجد على سبعة أعضاء، والطواف سبع، والجمار سبع، واستحسن ذلك عمر بن الخطاب كما في الحليـة لأبي نعيم، واستدل بعضهم على ذلك بأن عدد كلمات السورة الى قوله هي سبع وعشرون، وفيه إشارة الى ذلك. وحكي ذلك عن ابن عباس نفسه، حكاه عنه ابن العربي وابن قدامة، وقال ابن عطية في تفسيره بعد نقل ذلك ونظيرين له: وهذا من ملح التفسير وليس من متين العلم، وحكاه ابن حزم عن ابن بكير المالكي وبالغ في إنكاره وقال: إنه من طرائف الوسواس ولو لم يكن فيه أكثر من دعواه أنه وقف على ما غاب من ذلك عن رسول الله ﷺ اهـ.

السابع عشر: أنها ليلة تسع وعشرين حكاه ابن العربي.

الثامن عشر: أنها آخر ليلة حكاه القاضي عياض وغيره، ويتداخل هذا القول مع الذي قبله إذا كان الشهر ناقصاً. وروى محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة من حديث معاوية مرفوعاً « التمسوا ليلة القدر آخر ليلة من رمضان » وفيه أقوال أخر أعرضت عن ذكرها أوردها الولي العراقي في شرح التقريب ثلاثة وثلاثين قولاً. وهذا كله تفريع على أنها تلزم ليلة بعينها كما هو مذهب الشافعي وغيره، وبه قال ابن حزم، والصحيح من مذهب الشافعي أنها تختص بالعشر الأخير، وأنها في الأوتار أرجى منها في الاشفـاع وأرجـاهـا ليلـة الحادي والعشريـن والثـالـث والعشرين.

وحكى الترمذي في جامعه عن الشافعي أنه قـال في اختلاف الأحـاديـث في ذلـك: كـان هـذا عندي والله أعلم أن النبي ﷺ كان يجيب على نحو ما يسأل عنه يقال له نلتمسها في ليلة كذا، فيقول: التمسوها في ليلة كذا. قال الشافعي: وأقوى الروايات عندي فيها ليلة إحدى وعشرين،

وحكى البيهقي في المعرفة عن الشافعي في القديم أنه قال: وكأني رأيت والله أعلم أقوى الأحاديث فيه ليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين اهـ.

وذهب جماعة من العلماء أنها تنتقل فتكون سنة في ليلة وسنة في ليلة أخرى، وهكذا رواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي قلابة، وهو قول مالك وسفيان الثوري وأحمد وإسحاق وأبي ثور وغيرهم، وعزاه ابن عبد البر في الاستذكار للشافعي ولا نعرفه عنه، ولكن قال به من أصحابه المزني وابن خزيمة وهو المختار عند النووي وغيره، واستحسنه ابن دقيق العيد للجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك فإنها اختلفت اختلافاً لا يمكن معه الجمع بينها إلا بذلك، وإذا فرعنا على انتقالها فعليه أقوال.

أحدها: أنها تنتقل فتكون إما ليلة الحادي والعشرين أو الثالث والعشرين أو الخامس والعشرين.

الثاني: أنها في ليلة الخامس والعشرين أو السابع والعشرين، أو التاسع والعشرين، وكلاهما في مذهب مالك، قال ابن الحاجب: وقول من قال من العلماء انها في جميع العشر الأواخر أو في جميع الشهر ضعيف.

الثالث: أنها تنتقل في العشر الأواخر، وهذا قول من قال بانتقالها من الشافعية.

الرابع: أنها تنتقل في جميع الشهر، وهو مقتضى كلام الحنابلة. قال ابن قدامة في المغنى: يستحب طلبها في جميع ليالي رمضان، وفي العشر الأواخر آكد، وفي ليالي الوتر منه آكد، ثم حكى قول أحمد هي في العشر الأواخر في وتر من الليالي لا تخطئ إن شاء الله تعالى، ومقتضاه اختصاصها بأوتار العشر الأخير، فإذا انضم إليه القول بانتقالها صار هذا قولاً خامساً على الانتقال، فتضم هذه الأقوال الخمسة لما تقدم. وقال ابن العربي بعد حكايته ثلاثة عشر قولاً مما حكيناه الصحيح منها أنها لا تعلم اهـ.

وهو معنى قول أهل العلم أخفى الله تعالى هذه الليلة على عباده لئلا يتكلوا على فضلها ويقصروا في غيرها، فأراد منهم الجد في العمل أبداً اهـ.

وهذا يحسن أن يكون قولاً مستقلاً وهو الكف عن الخوض فيها، وأنه لا سبيل الى معرفتها، وقال ابن حزم: هي في العشر الآخر في ليلة واحدة بعينها لا تنتقل أبداً إلا أنه لا يدرى أي ليلة هي منه إلا أنها في وتر منه، ولا بد فإن كان الشهر تسعاً وعشرين فأول العشر الأواخر ليلة عشرين منه، فهي إما ليلة عشرين، وإما ليلة اثنين وعشرين، وإما ليلة أربع وعشرين، وإما ليلة ست وعشرين، وإما ليلة ثمان وعشرين، لأن هذه الأوتار من العشر، وإن كان الشهر ثلاثين، فأول العشر الأواخر ليلة إحدى وعشرين، فهي إما ليلة إحدى وعشرين، وإما ليلة ثلاث وعشرين، وإما ليلة خمس وعشرين، وإما ليلة سبع وعشرين، واما ليلة تسع وعشرين لأن هذه

أوتار العشر بلا شك، ثم ذكر كلام أبي سعيد المتقدم، وحمله على أن رمضان كان تسعاً وعشرين وهو مسلك غريب بعيد.

فصل

وفي كتاب الشريعة للشيخ الأكبر قدس سره: اعلم أن القائمين في رمضان في قيامهم على خاطرين: منهم القائم لرمضان، ومنهم القائم لليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، والناس فيها على خلاف، فمنهم من قال انها في السنة كلها تدور، وبه أقول فإني رأيتها مرتين في شعبان في ليلة النصف منه، وفي ليلة تسعة عشر منه بالبيت المقدس، كما أني قد رأيتها في ليلتين في العشر الأوسط من شهر رمضان في ليلة ثلاثة عشر، وفي ليلة ثمانية عشر فما ندري لشيء كان في رؤية الهلال، فوقع الأمر على خلاف الرؤية. أم تكون أيضاً في ليلة سبع من الشهر، وقد رأيتها في كل وتر من العشر الأخير من شهر رمضان فأنا على يقين من أنها في السنة تدور وهي في رمضان أكثر وقوعاً على ما رأيت والله أعلم.

واعلم أن ليلة القدر إذا صادفها العبد هي خير له فيما ينعم الله به عليه من ألف شهر إن لو لم يكن إلا واحدة في ألف شهر، فكيف وهي في كل سنة، هذا معنى غريب لم يطرق أسماعكم إلا في هذا النص، ثم يتضمن معنى آخر وهو أنها خير من ألف شهر من غير تحديد، وإذا كان الزائد على ألف شهر غير محدود فلا يدري حيث ينتهي فيما جعل الله أنها تقاوم ألف شهر، بل جعلها خيراً من ذلك أي أفضل من غير توقيت، فإذا نالها العبد كان كمن عاش في عبادة ربه أكثر من ألف شهر من غير توقيت، كمن يتعدى العمر الطبيعي إذا وقع فيه وقع في العمر المجهول، وإن كان لا بد له من الموت ولكن لا يدري هل تقدمه العمر الطبيعي بنفس واحد أو بالألف سنين، فهكذا ليلة القدر إذا لم تكن محصورة كما قدمنا.

واعلم أن ليلة القدر هي ليلة يفرق فيها كل أمر حكيم فينزل الأمر إليها علينا واحدة، ثم يفرق فيها بحسب ما يعطيه من التفاصيل فهي ليلة مقادير الأشياء والمقادير ما تطلب سوانا، فلهذا أمرنا بطلب ليلة القدر لنستقبلها كما نستقبل المسافر إذا جاء من سفره، فلا بد له من هدية لأهله الذين يستقبلونه، فإذا استقبلوه دفع إليهم ما كان قد استعده من تلك المقادير، فمنهم من يكون هديته لقاء ربه، ومنهم من يكون هديته التوفيق الإلهي والاعتصام، وكل على حسب ما أراد المقدر أن يهبه ويعطيه لا تحجير عليه في ذلك، وعلامتها محق الأنوار بنورها وجعلها دائرة في الشهور حتى يأخذ كل شهر منها قسطه، كما جعل رمضان يدور في الشهور الشمسية حتى يأخذ كل شهر من الشهور الشمسية فضيلة رمضان، فيعم فضل رمضان فصول السنة، وكذلك الحج، وكذلك الزكاة فإن حولها ليس بمعين إنما هو من وقت حصول المال عنده، فما من يوم في السنة إلا وهو رأس حول لصاحب مال، فلا تنفك السنة إلا وأيامها كلها محل للزكاة وهي الطهارة

....

والبركة، فالناس كلهم في بركة زكاة كل يوم من زكى فيه ومن لم يزك، وإنما محى نور الشمس في صبيحة ليلتها إعلاماً بأن الليل زمان إتيانها والنهار زمان ظهور أحكامها، فلهذا تستقبل ليلاً تعظيماً لها حيث استقبلت لذاتها، ولهذا قال ﴿هي حتى مطلع الفجر﴾ [القدر : ٥] أي إلى مطلع الفجر، فذلك القدر الذي يتميز به حد الليل من النهار بالفجر الطالع ما هو ذلك الفجر إلا من نور الشمس ظهر في جرم القمر، فلو كان نور القمر من ذاته لكان له شعاع كما هو للشمس، ولما كان مستعاراً من الشمس لم يكن له شعاع، كذلك الشمس لها من نور ذاتها شعاع، فإذا محت ليلة القدر شعاع الشمس بقيت الشمس كالقمر لها ضوء في الموجودات من غير شعاع مع وجود الضوء، فذلك الضوء نور ليلة القدر حتى تعلو قيد رمح أو أقل من ذلك، فحينئذ يرجع إليها نورها فترى الشمس تطلع في صبيحة ليلة القدر كأنها طاس ليس لها شعاع مع وجود الضوء مثل طلوع القمر لا شعاع له، ثم جعلها ﷺ في الوتر من الليالي دون الشفع لأنه انفرد بها الليل دون النهار، فإنه وتر من اليوم واليوم شفع فإنه ليل ونهار، ولمعنى آخر أيضاً وهو أن الطلب إذا كان في ليالي وتر الشهر كان الوتر شاهداً لهذا العبد لما تعطيه هذه الليلة من البركات والخير، وهو في وتر من الزمان المذكر له وترية الحق، فيضيف ذلك الخير إلى الله لا إلى الليلة وإن كانت سبباً في حصوله، ولكن عين شهود الوتر يحفظه من نسبة الخير لغير الله مع ثبوت السبب عنده، فلو كانت في ليلة شفع وهي سبب لم يكن لهذا العبد من يذكره تذكير حال في وقت التماسه إياها أو في شهوده إياها إذا عثر عليها، فكان محصلاً للخير من يد غير أهله فيكون صاحب جهل وحجاب في أخذ ذلك الخير، فما كان يقاوم ما حصل له فيها من الخير ما حصل له من الحرمان والجهل بحجابه عن معطي الخير، فلهذا أيضاً جعلت في أوتار الليالي فاعلم.

وجعلت في العشر الأواخر لأنها نور والنور شهادة وظهور، فهو بمنزلة النهار إذ سمي النهار لاتساع النور فيه، والنهار متأخر عن الليل لأنه مسلوخ منه، والعشر الآخر متأخر عن العشر الوسط والأول، فكان ظهورها والتماسها في المناسب الأقرب أقوى من التماسها في المناسب الأبعد، وما رأيت أحداً رآها في العشر الأول، ولا نقل إلينا وإنما تقع في العشر الوسط والآخر.

خرّج مسلم عن أبي سعيد قال: « اعتكف رسول الله ﷺ العشر الأوسط من رمضان يلتمس ليلة القدر »، وكذلك التجلي الإلهي ما ورد قط في خبر نبوي صحيح ولا سقيم ان الله يتجلى في الثلث الأول من الليل وقد ورد أنه يتجلى في الثلث الأوسط والآخر من الليل ولم يكن في الثلث الأول.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: **(والتتابع في هذا الاعتكاف أولى، فإن نذر اعتكافاً)** فإما أن يطلق أو يقدر مدة، وعلى الثاني إما أن يطلقها أو يعينها.

الحالة الأولى: أن يطلقها فينظر إن اشترط تتابعاً لزمه كما لو اشترط التتابع في الصوم، وإن لم يشترطه لم يلزمه التتابع، وخرج ابن سريج قولاً انه يلزم، وبه قال مالك وأبو حنيفة

اعتكافاً متتابعاً أو نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة أو شهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة، وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع. وله أن

وأحمد وظاهر المذهب الأول، (**أو**) لم يتعرض له لفظاً، ولكن (**نواه**) بقلبه فهل يلزمه؟ فيه وجهان: أصحهما أنه لا يلزم.

الحالة الثانية: أن يعين المدة المقدوة فعليه الوفاء ولو فاته الجميع لا يلزمه التتابع إذا علمت ذلك، فاعرف أن من نذر اعتكافاً بسورة التتابع أو نواه (**انقطع بالخروج**) من المسجد (**تتابعه**) إذا كان الخروج (**من غير ضرورة**) داعية، (**كما لو خرج لعيادة مريض أو شهادة**) أي أدائها، (**أو**) حضور (**جنازة، أو زيارة**) أخ من أصحابه، (**أو تجديد طهارة**) إلا إذا شرط في ندره الخروج منه إن عرض عارض صح شرطه، لأن الاعتكاف إنما يلزمه بالتزامه فيجب بحسب الالتزام، وعن صاحب التقريب والحناطي حكاية قول آخر لا يصح، لأنه شرط يخالف مقتضى الاعتكاف المتتابع فيلغو، كما لو شرط المعتكف أن يخرج للجماع، وبالأول قال أبو حنيفة، وبالثاني قال مالك. وعن أحمد روايتان كالقولين، فإن قلنا بالأول وهو الصحيح المشهور فينظر إن عين نوعاً فقال: لا أخرج إلا لعيادة المريض أو عين ما هو أخص منه. فقال: لا أخرج إلا لعيادة زيد او لتشييع جنازته إن مات خرج لما عينه دون غيره من الأشغال، وإن كان أهم منه، وإن أطلق فقال: لا أخرج إلا لشغل معين لي أو لعارض كان له أن يخرج لكل شغل ديني كحضور الجمعة وعيادة المرضى وصلاة الجنازة، أو دنيوي كلقاء السلطان واقتضاء الغريم، ولا يبطل التتابع بشيء من ذلك، ويشترط في الشغل الدنيوي أن يكون مباحاً ونقل وجه عن الحاوي أنه لا يشترط.

(**وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع اعتكافه لقضاء الحاجة**) وفي معناه الخروج للاغتسال عند الاحتلام وأوقات الخروج لقضاء الحاجة لا يجب تداركها، وله مأخذان:

أحدهما: أن الاعتكاف مستمر، ولذلك لو جامع في أوقات الخروج ذلك الوقت بطل اعتكافه على الصحيح.

والثاني: أن زمان الخروج لقضاء الحاجة جعل كالمستثنى لفظاً عن المدة المنذورة لأنه لا بد منه، وإذا فرغ وعاد لم يحتج إلى تجديد النية، أما على المأخذ الأول فظاهر، واما على الثاني فلأن اشتراط التتابع في الابتداء رابطة لجميع ما سوى تلك الأوقات، ومنهم من قال: إن طال الزمان ففي لزوم التجديد وجهان، كما لو أراد البناء على الوضوء بعد التفريق الكثير.

فرع: لو كان في المسجد سقاية لم يكلف قضاء الحاجة فيها لما فيه من المشقة وسقوط المروءة، وكذا لو كان في جوار المسجد صديق وأمكنه دخول داره، فإن فيه مع ذلك قبول منه، بل له الخروج إلى داره إن كانت قريبة أو بعيدة غير متفاحشة البعد، وإن تفاحش البعد ففيه وجهان، أحدهما يجوز لإطلاق القول بأنه لا فرق بين قرب الدار وبعدها، والثاني: المنع لأنه قد يأتيه البول

يتوضأ في البيت ولا ينبغي أن يعرج على شغل آخر. « كان ﷺ لا يخرج إلا لحاجة الإنسان ولا يسأل عن المريض إلاَّ ماراً ». وينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل

إلى أن يرجع فيبقى طول يومه في الذهاب والمجيء إلا أن لا يجد في الطريق موضعاً للفراغ، أو كان لا يليق بحاله أو لا يدخل لقضاء الحاجة غير داره. ونقل الإمام: فيما إذا كثر خروجه لعارض يقتضيه، وجهين أيضاً، وقال: من أئمتنا من نظر إلى جنس قضاء الحاجة، ومنهم من خصص عدم تأثيره بما إذا قرب الزمان وقصر، وبالأول أجاز المصنف وهو قضية إطلاق المعظم، لكن إذا تفاحش البعد ووجه المنع أظهر عند العراقيين. وذكر الروياني في البحر أنه المذهب.

(وله أن يتوضأ في البيت) فلو كان له بيتان بحيث يجوز الخروج إليه لو انفرد، وأحدهما أقرب، ففي جواز الخروج إلى الآخر وجهان أحدهما. وبه قال ابن أبي هريرة يجوز، كما لو انفرد. وأصحهما لا يجوز للاستغناء عنه، ولا يشترط الجواز الخروج إزهاق الطبيعة وشدة الحاجة، وإذا خرج لم يكلف الإسراع، بل يمشي على سجيته المعهودة. قال النووي: فلو تأنى أكثر من عادته بطل اعتكافه على المذهب ذكره في البحر.

(ولا ينبغي أن يبرح) أي يقف **(على شغل آخر: « كان رسول الله ﷺ لا يخرج)** أي من معتكفه **(إلا لحاجة الإنسان)** قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة اهـ.

قلت: وهو في السنن أيضاً بلفظ « كان إذا اعتكف لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان » وعند الدارقطني من رواية ابن جريج عن الزهري في حديثها « وإن السنة للمعتكف أن لا يخرج إلا لحاجة الإنسان » ولفظ « الإنسان » ليس في صحيح البخاري. يريد بحاجة الإنسان البول والغائط هكذا فسره الزهري.

وقوله **(ولا يسأل عن المريض إلا ماراً »)** قال العراقي: رواه أبو داود بنحوه بسند لين اهـ.

قلت: أي في اعتكافه ولا يعرج عليه.

قال الحافظ ابن حجر: رواه أبو داود من فعل عائشة، وكذلك أخرجه مسلم وغيره، وقال ابن حزم صح ذلك عن علي اهـ.

قلت: وفي سنن أبي داود من حديث عائشة مرفوعاً « كان يمر بالمريض وهو معتكف فيمر كما هو ولا يعرج يسأل عنه ».

قال الرافعي ولو خرج لقضاء الحاجة فعاد في الطريق مريضاً نظر إن لم يقف ولا ازورّ عن الطريق، بل اقتصر على السلام والسؤال فلا بأس، وإن وقف فطال بطل اعتكافه وإن لم يطل، فوجهان منقولان في التتمة والعدة، والأصح أنه لا بأس به، وادعى الإمام إجماع الأصحاب عليه، ولو ازورّ عن الطريق قليلاً فعاده فقد جعلاه على هذين الوجهين، والأصح المنع لما فيه من إنشاء

ولا بأس في المسجد بالطيب وعقد النكاح وبالأكل والنوم وغسل اليد في الطست،

سير لغير قضاء الحاجة، وإذا كان المريض في بيت من الدار التي يدخلها لقضاء الحاجة فالعدول لعيادته قليل، وإن كان في دار أخرى فكثير، ولو خرج لقضاء الحاجة فصلى في الطريق على جنازة فلا بأس إذا لم ينتظرها ولا ازورّ عن الطريق. وحكى صاحب التتمة فيه الوجهين، لأن في صلاة الجنازة يفتقر إلى الوقفة، وقال في التهذيب: إن كانت متعينة فلا بأس، وإلا فوجهان. والأول أظهر، وجعل الإمام قدر صلاة الجنازة حد الوقفة اليسيرة، وتابعه المصنف واحتملاها لجميع الأعراض.

(وينقطع التتابع بالجماع) وعن مقدماته في قول، **(ولا ينقطع بالتقبيل)** سواء في الخد أو في الفم، **(ولا بأس)** للمعتكف **(في المسجد بالتطيب)** بأي طيب كان، **(وعند النكاح)** لنفسه ولغيره وبالتزين بلبس الثياب إذ لم ينقل أن النبي ﷺ غير ثوبه للاعتكاف. وعن أحمد أنه يستحب ترك التطيب والتزيين برفيع الثياب، **(وبالأكل)** الأولى أن يبسط سفرة ونحوها لأنه أبلغ في تنظيف المسجد، **(والنوم وغسل اليدين في الطست)** ونحوه حتى لا يبتل المسجد فيمنع غيره من الصلاة والجلوس فيه، ولأنه قد يستقذر فيصان المسجد عنه، وفي البول في الطست احتمالان، ذكرهما ابن الصباغ، والأظهر المنع وهو الذي أورده صاحب التتمة، لأنه قبيح، واللائق بالمسجد تنزيهه عنه، **(وكل ذلك قد يحتاج إليه في التتابع)** وليس في تقضي هذه الحاجات ما ينافي المسجد، فلو خرج للأكل فهل يجوز؟ فيه وجهان، أحدهما: وبه قال ابن سريج لا. لأن الأكل في المسجد ممكن وبه قال أبو حنيفة. قالوا: والنبي ﷺ كان يأكل في المسجد بلا ضرورة فكان مباحاً، والثاني: وبه قال أبو إسحاق نعم لأنه قد يستحي ويشق عليه، والأول أظهر عند الإمام، وصاحب التهذيب. والثاني: أظهر عند الأكثرين. وحكاه الروياني عن نصه في الإملاء، وفي عبارة المختصر ما يدل عليه، ولو عطش ولم يجد الماء في المسجد فهو معذور في الخروج، وإن وجده فهل له الخروج؟ فيه وجهان أصحهما لا. فإنه لا يستحي منه ولا يعد تركه من المروءة بخلاف الأكل، وقد أطلق في التنبيه القول بأن الخروج للأكل والشرب لا يضر، والوجه تأويله. وإذا فرعنا على أنه لا يجوز الخروج للأكل ينبغي أن يأكل لقماً، ولكن لو جامع في مروره بأن كان في هودج أو فرض ذلك في وقفة يسيرة ففي بطلان اعتكافه وجهان. أصحهما أنه يبطل إذا قلنا باستمرار الاعتكاف في أوقات الخروج لقضاء الحاجة، وأما إذا لم نقل به فلأن الجماع عظيم الوقع والاشتغال به أشد إعراضاً عن العبادة من إطالة الوقفة في عيادة مريض، والثاني أنه لا يبطل لأنه غير معتكف في تلك الحالة ولم يصرف إليه زماناً.

فصل

وقال أصحابنا: ولا يخرج من المسجد إلا لحاجة شرعية كالجمعة، أو طبيعية كالبول والغائط لأن هذه الأشياء معلوم وقوعها في زمن الاعتكاف فتكون مستثناة ضرورة، ولا يمكث في بيته

فكل ذلك قد يحتاج إليه في التتابع. ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه. « كان ﷺ

بعد فراغ طهوره لأن الثابت للضرورة يتقدر بقدرها والجمعة أشد حاجة، فيباح له الخروج لأجله، ولو ألزمناه الاعتكاف في الجامع لأجل الجمعة يكثر خروجه ومشيه المنافيان للاعتكاف لبعد منزله بخلاف مسجد حيه، ويخرج حين نزول الشمس إن كان معتكفه قريباً من الجامع بحيث لو انتظر زوال الشمس لا تفوته الخطبة، وإن كان تفوت لا ينتظر زوال الشمس، ولكن يخرج في وقت يمكنه أن يصل إلى الجامع ويصلي أربع ركعات قبل الأذان للخطبة. وفي رواية الحسن ست ركعات عند أبي حنيفة، وعندهما ست ركعات على حسب اختلافهم في سنة الجمعة، ولا يمكث أكثر من ذلك لأن الخروج للحاجة وهي باقية للسنة لأنها اتباع للفرائض فتكون ملحقة بها ولا حاجة بعد الفراغ منها، وإن مكث أكثر من ذلك لا يضره لأن المفسد للاعتكاف الخروج من المسجد لا المكث فيه إلا أنه لا يستحب له ذلك لأنه التزم الاعتكاف في مسجد واحد فلا يتمه في غيره، فإن خرج ساعة بلا عذر فسد اعتكافه وهذا عند ابي حنيفة وقالا: لا يفسد إلا بأكثر من نصف يوم، وقوله أقيس لأن الخروج ينافي اللبث، وما ينافي الشيء يستوي فيه القليل والكثير كالأكل في الصوم، والحدث في الطهر، وقولها استحسان وهو أوسع لأن القليل منه لو لم يبح لوقعوا في الحرج لأنه لا بد منه لإقامة الحوائج، ولا حرج في الكثير والفاصل أكثر من نصف يوم، إذ الأقل تابع للأكثر كما في نية الصوم، ولا يعود مريضاً، ولا يخرج لجنازة ولا لصلاتها ولو تعينت عليه، ولا لإنجاء غريق أو حريق أو جهاد أو أداء شهادة، إلا ان شرط وقت النذر ذلك كله كما التتارخانية نقلاً عن الحجة، ولو انهدم المسجد الذي هو فيه فانتقل الى مسجد آخر لم يفسد اعتكافه للضرورة، لأنه لم يبق مسجداً بعد ذلك ففات شرطه، وكذا لو تفرق أهله لعدم الصلاة الخمس فيه ولو أخرجه ظالم كرهاً أو خاف على نفسه أو ماله فخرج لا يفسد اعتكافه، ولو كانت المرأة معتكفة في المسجد فطلقت لها أن ترجع إلى بيتها وتبني على اعتكافها، ويباح للمعتكف أكله وشربه ونومه ومبايعته في المسجد حتى لو خرج لأجلها يفسد اعتكافه، وكره إحضار المبيع والصمت والتكلم إلا بخير، وله أن يبيع ويشتري ما بدا له من التجارات من غير إحضار السلعة، لكن بما لا بد منه، ويكره له الخياطة والخرز في المسجد، ولغير المعتكف يكره البيع مطلقاً، وتلازم قراءة القرآن والحديث والعلم والتدريس وكتابة أمور الدين، ويحرم الوطء ودواعيه وهو اللمس والتقبيل لقوله تعالى: ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ [البقرة: ١٨٧] ويبطل بوطئه سواء عامداً أو ناسياً ليلاً أو نهاراً لأنه محظور بالنص فكان مفسداً له كيفما كان، ولو جامع فيما دون الفرج أو قبل أو لمس فانزل فسد اعتكافه لأنه في معنى الجماع، وإن لم ينزل لا يفسد، ولو أمنى بالتفكر أو النظر لا يفسد اعتكافه والله أعلم.

ثم قال المصنف: **(ولا ينقطع التتابع بخروج بعض البدن)** اعلم أنه من جملة شروط التتابع الخروج بكل البدن عن كل المسجد بغير عذر، وفيه ثلاثة قيود:

أحــدهــا: كون الخروج بكل البدن والقصد به الاحتراز عما إذا أخرج يده أو رأسه فلا يبطل

يدني رأسه فترجله عائشة رضي الله عنها وهي في الحجرة». ومهما خرج المعتكف لقضاء

اعتكافه، واحتجوا له بما روي: (« كان رسول الله ﷺ يدني رأسه) إلى عائشة (**فترجله عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها**) وهو معتكف (**وهي في الحجرة**») ولو أخرج إحدى رجليه أو كليهما وهو قاعد ما دّلهما، وكذلك ان اعتمد عليهما فهو خارج.

الثاني: كون الخروج من كل المسجد والقصد به الاحتراز عما إذا صعد المنارة للأذان وللمنارة حالتان.

إحداهما: أن يكون بابها في المسجد أو رحبته المتصلة به فلا بأس بصعودها للأذان وغيره كصعود سطح المسجد، ولا فرق بين أن تكون على تربيع وسمت المسجد أو الرحبة، وبين أن تكون خارجة عن سمت البناء وتربيعه.

والثانية: أن لا يكون بابها في المسجد ولا رحبته المتصلة به، فهل يبطل اعتكاف المؤذن الراتب بصعودها للأذان؟ فيه وجهان. أظهرهما نعم.

الثالث: الفرق بين الراتب وغيره. قال صاحب التهذيب وغيره: وهو الأصح.

تنبيه:

الحديث الذي أورده المصنف فيه فوائد.

الأولى: أخرجه النسائي من طريق عبد الرزاق، وأخرجه البخاري من طريق هشام، وهو ابن يوسف الصنعاني كلاهما عن معمر، وأخرجه الأئمة الستة من طريق الليث بن سعد، والترمذي، والنسائي أيضاً من طريق مالك، ثلاثتهم عن الزهري كلهم بلفظ «أنها كانت ترجّل رسول الله ﷺ وهو معتكف يناولها رأسه وهي في حجرتها وهو في المسجد» ورواه عن الزهري أيضاً غير واحد، وله عن عائشة طرق أخرى في الصحيحين وغيرهما، وفي رواية الليث عند الأئمة الستة، وكذا في رواية الترمذي من طريق مالك عن عروة وعمرة كلاهما عن عائشة، وأخرج مسلم في صحيحه وغيره رواية مالك، وفيها عن عروة عن عمرة، فهذه ثلاثة أوجه من الاختلاف فيه على مالك: هل رواه الزهري عن عروة أو عن عروة وعمرة أو عن عروة عن عمرة؟ وقال الترمذي: هكذا روى غير واحد عن مالك يعني عن عروة وعمرة، وروى بعضهم، عن مالك، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عمرة، عن عائشة. والصحيح عن عروة وعمرة عن عائشة. وهكذا روى الليث بن سعد، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عمرة خبر مالك وعبيد الله بن عمر، وقال أبو داود: ولم يتابع أحد مالكاً على عروة عن عمرة. وقال الدارقطني في العلل: رواه عبيد الله بن عمر، وأبو أويس، عن الزهري، عن عروة، عن عمرة، عن عائشة. وكذلك رواه مالك في الموطأ رواه عنه القعنبي، ويحي بن يحي يعني النيسابوري، ومعن بن عيسى، وأبو مصعب، ومحمد بن الحسن، وروح بن عبادة، وخالد بن مخلد، ومنصور بن سلمة، وإسحاق بن الطباع، وخالفهم عبد الرحمن بن مهدي والوليد بن مسلم، وعيسى بن خالد، والحجبي، فرووه عن مالك عن الزهري عن عمرة عن عائشة،

....

ولم يذكر فيه عروة. وروى عن عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون فوهم فيه وهماً قبيحاً فقال: عن مالك عن سهيل بن أبي صالح، عن عروة، وعن عمرة، عن عائشة، ورواه ابن وهب، عن مالك، والليث بن سعد، ويونس بن يزيد، عن الزهري عن عروة، عن عمرة، عن عائشة. قال ابن عبد البر: أدخل حديث بعضهم في بعض، وإنما يعرف جمع عروة وعمرة ليونس والليث لا لمالك، وكذا قال البيهقي كأنه حمل رواية مالك على رواية الليث ويونس، ثم قال الدارقطني وكذلك قال شبيب بن سعيد عن يونس، وكذا قال القعنبي، وابن رمح عن الليث عن الزهري، وكذا قال عبد العزيز عن الحصين عن الزهري، كلهم قالوا عن عروة وعمرة عن عائشة. ورواه زياد بن سعيد، والاوزاعي، ومحمد بن إسحاق، ومحمد بن ميسرة، وهو ابن أبي حفصة، وسفيان ابن حسين، وعبد الله بن بديل بن ورقاء، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة. وقال ابن عبد البر: كذا رواه جمهور رواة الموطأ عن عروة عن عمرة وهو المحفوظ لمالك عند أكثر رواته. وقال أكثر أصحاب ابن شهاب عنه عن عروة عن عائشة، ثم حكي عن عبد الرحمن بن مهدي أنه قال: قلت لمالك عن عروة عن عمرة وأعدت عليه. فقال الزهري: عن عروة عن عمرة أو الزهري عن عمرة، ثم حكى ابن عبد البر عن محمد بن يحي الذهلي أنه ذكره في علل حديث الزهري عن جماعة من أصحابه، منهم يونس والاوزاعي والليث ومعمر وسفيان بن حسين والزبيدي، ثم قال: اجتمع هؤلاء كلهم على خلاف مالك، فجمع يونس والليث عروة وعمرة، واجتمع معمر والأوزاعي وسفيان بن حسين على عروة عن عائشة. قال: والمحفوظ عندنا حديث هؤلاء، قال: والذي أنكر على مالك ذكر عمرة لا غير، لأن ترجيل عائشة رسول الله ﷺ وهو معتكف لا يوجد إلا في حديث عروة وحده.

قال الولي العراقي: وجد من حديث عمرة أيضاً وقد تقدم أن جماعة رووه عنها، وهو في الصحيحين من طريق الليث عنها كما تقدم.

قال ابن عبد البر: وقد رواه عنه ابنه هشام بن عروة عن أبيه كلاهما في الصحيحين من طريق الليث عنها كما تقدم، قال ابن عبد البر: وقد رواه عنه ابن هشام وتميم بن سلمة، وفي حديثهما «وأنا حائض» وليس ذلك في حديث الزهري من وجه يثبت.

قال الولي العراقي: في الرواية التي تقدم ذكرها من صحيح البخاري من طريق معمر عن الزهري فيهما وهي حائض، وقد رواه غير البخاري أيضاً بهذا اللفظ والله أعلم.

قال ابن عبد البر: وقد رواه الأسود بن يزيد عن عائشة مثل رواية هارون سواء إلا في حديث الأسود يخرج إلي رأسه، وفي حديث عروة يدني.

قال الولي العراقي: رواية الأسود وهشام بن عروة عن أبيه كلاهما في الصحيحين، وقد رواه عن عروة أيضاً وفيه «وأنا حائض» محمد بن عبد الرحمن بن نوفل رواه مسلم في صحيحه وغيره.

الثانية: في الحديث فترجله أي تسرح وهو على حذف مضاف أي شعر رأس رسول الله ﷺ ففيه محذوفان كما قيل في قوله تعالى: ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾ [طه: ٩٦] أي من أثر حافر فرس الرسول. وقال في النهاية تبعاً للهروي: الترجيل تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه. وقال في المشارق: رجل شعره أي مشطه وأرسله، ثم قال قال الجوهري: الترجيل بل الشعر ثم يمشط.

قلت: ليس هو في الصحاح، وجزم به ابن عبد البر.

الثالثة: فيه استحباب تسريح الشعر، وإذا لم يترك النبي ﷺ ذلك في زمن الاعتكاف مع قصره واشتغاله بالعبادة ففي غيره أولى.

الرابعة: لفظ الحديث متعين لتسريح شعر الرأس، وفي بعض ألفاظ هذا الحديث ما يدل على احتمال تسريح شعر اللحية أيضاً. وروى الترمذي في الشمائل بإسناد ضعيف من حديث أنس «أن النبي ﷺ كان يكثر دهن الرأس وتسريح لحيته» لكن ما كان النبي ﷺ يكل تسريح لحيته إلى أحد، وإنما كان يتعاطى ذلك بنفسه بخلاف شعر الرأس، فإنه يعسر مباشرة تسريحه ولاسيما في مؤخره، فلذا كان يستعين بزوجاته.

الخامسة: فيه أن الاشتغال بتسريح الشعر لا ينافي الاعتكاف، قال الخاطبي: وفي معناه حلق الرأس، وتقليم الاظفار، وتنظيف البدن من الشعث والدرن اهـ.

ويؤخذ من ذلك فعل سائر الأمور المباحة كالأكل والشرب، وكلام الدنيا، وعمل الصنعة من خياطة وغيرها، وصرح به أصحاب الشافعي وأصحابنا كما تقدم. وعن مالك رحمه الله تعالى أنه لا يشتغل في مجالس العلم ولا يكتبه وإن لم يخرج من المسجد، والجمهور على خلافه. وهذا الحديث يرد عليه فإن الاشتغال بالعلم وكتابته أهم من تسريح الشعر، وقد تقدم ذلك أيضاً.

السادسة: فيه أن مماسة المعتكف النساء ومماستهن له إذا كان ذلك من غير شهوة لا ينافي اعتكافه وهو كذلك بلا خلاف، فإن كان بشهوة فهو حرام، وهل يبطل الاعتكاف؟ ينظر فإن اقترن به إنزال أبطل الاعتكاف، وإلّا فلا. هذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم. وقال مالك: يبطل به وإن لم ينزل، وأما الجماع في الاعتكاف فهو حرام مفسد له بالإجماع مع التعمد، فإن كان ناسياً فقال الشافعي: لا يفسد. وقال مالك، وأبو حنيفة، وأحمد: يفسد. وقد تقدم ذلك أيضاً.

السابعة: قال ابن عبد البر فيه: إن اليدين من المرأة ليستا بعورة ولو كانتا عورة ما باشرته بهما في اعتكافه لأن المعتكف ينهى عن المباشرة قال الله عز وجل: ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد﴾ [البقرة: ١٨٧] واعترضه الحافظ العراقي في شرح الترمذي فقال: إن كانت المباشرة المنهي عنها تختص بالعورة، فلو قبل المعتكف لم يكن بذلك آتياً لما نهي عنه، لأن الوجه ليس بعورة

وهو لا يقول به، فإن مذهب إمامه أن القُبْلة مبطلة الاعتكاف، أما من يحمل المباشرة على الجماع فلا إشكال في أنه غير مبطل إلا أن يتصل به الإنزال، فالمرجع حينئذ عند الشافعي البطلان.

الثامنة: فيه أنه لا بأس باستخدام الزوجة في مثل ذلك، وأنه ليس فيه نقص ولا هتك حرمة ولا إضرار بها.

وقال النووي في شرح مسلم فيه جواز استخدام الزوجة في الغسل والطبخ والخبز وغيرها برضاها، وعلى هذا تظاهرت دلائل السنّة وعمل السلف وإجماع الأمة، وأما بغير رضاها فلا يجوز لأن الواجب عليها تمكين الزوج من نفسها وملازمة بيته فقط اهـ.

قال الولي العراقي: وهذا الذي ذكره إنما هو بطريق القياس، فإنه ليس منصوصاً، وشرط القياس مساواة الفرع للأصل، وفي الفرع هنا زيادة مانعة من الإلحاق وهي المشقة الحاصلة من الغسل والطبخ ونحوهما، فلا يلزم من استخدامها في الأمر الخفيف احتمال ذلك في الثقيل الشديد، ولسنا ننكر هذا الحكم فإنه متفق عليه، وإنما الكلام في الاستدلال من الحديث والله أعلم.

وقد يقال انه من باب قياس أدون كقياس الأرز على الحنطة في الربا فتأمل.

التاسعة: استدل به الخطابي على أن المعتكف ممنوع من الخروج من المسجد إلا لغائط أو بول، ووجهه أنه لو جاز له الخروج لغير ذلك لما احتاج إلى إخراج رأسه من المسجد خاصة، ولكان يخرج بجملته ليفعل حاجته من تسريح رأسه في بيته، وقد يقال: هذا فعل لا يدل على الوجوب. وجوابه أنه بيَّن به الاعتكاف المذكور في القرآن، وذلك يدل على أن هذه طريقة الاعتكاف وهيئته المشروعة.

العاشرة: فيه أن إخراج الرأس من المسجد لا يبطل به الاعتكاف كما استدل به المصنف ويقاس به بقية الأعضاء. وقال الأسنوي في المهمات: لو اضطجع وأخرج بعض بدنه فيحتمل اعتبار الأكثر بالمساحة ويتجه اعتباره بالفعل.

الحادية عشر: هذا يدل على أن عائشة رضي الله عنها لم تكن تعتكف معه كلما كان يعتكف وهو كذلك، وقد تبين بالروايات الأخر أنها كانت حينئذ حائضاً، ولعل ذلك هو المانع من اعتكافها.

الثانية عشر: لفظ الحديث عند المصنف وهي في الحجرة، وفي رواية أخرى وهي في حجرتها فإضافة الحجرة إلى عائشة رضي الله عنها باعتبار سكناها بها، وإلاّ فهي للنبي ﷺ. وفي هذا قوله تعالى: ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ [الأحزاب: ٣٤] والله أعلم.

حاجته فإذا عاد ينبغي أن يستأنف النية إلا إذا كان قد نوى أولاً عشرة أيام مثلاً. والأفضل مع ذلك التجديد.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: **(ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجته فإذا عاد فينبغي أن تستأنف النية)**. اعلم أنه لا بدّ من النية في ابتداء الاعتكاف كما في الصلاة، ويجب التعرض في المنذور لنية الفرضية لتمتاز عن التطوّع، ثم في الركن مسألتان.

إحداهما: إذا نوى الاعتكاف لم يخل إما أن يطلق أو يعين بنيته زماناً، فإن أطلق كفاه ذلك، وان طال عكوفه. لكن لو خرج من المسجد ثم عاد لزمه استئناف النية سواء خرج لقضاء الحاجة أو لغيره، فإن ما مضى عبادة تامة، والثاني اعتكاف جديد قال في التتمة: فلو أنه عزم عند خروجه أن يقضي حاجته ويعود كانت هذه العزيمة قائمة مقام النية، ولو عين زماناً وإليه أشار المصنف بقوله: **(إلا إذا كان قد نوى أوّلاً)** اعتكاف **(عشرة أيام مثلاً)** فلا يحتاج إلى التجديد لأن النية شملت جميع المدة بالتعيين وهو أحد الأقوال الثلاثة المذكورة في الوجيز وسماها في الوسيط وجوهاً.

قال الرافعي: وهو الموافق لإيراد الأئمة، والقول الثاني انه إن لم تطل مدة الخروج فلا حاجة إلى التجديد، وإن طالت فلا بدّ منه لتعذر البناء، ولا فرق على هذا بين أن يكون الخروج لقضاء الحاجة أو لغيره، والقول الثالث انه إن خرج لقضاء الحاجة لم يجب التجديد لأنه لا بدّ منه فهو كالمستثنى عند النية، وإن خرج لغرض آخر فلا بدَّ من التجديد لقطعه الاعتكاف، ولا فرق على هذا بين أن يطول الزمان أو لا يطول، وهذا الثالث أظهر الوجوه.

ولذلك قال المصنف: **(والأفضل مع ذلك التجديد)**. وزاد صاحب التهذيب في التفصيل فقال: إن خرج لأمر يقطع التتابع في الاعتكاف المتتابع، فلا بدَّ من تجديد النية، وإن خرج لأمر لا يقطعه نظر إن لم يكن عنه بدّ كقضاء الحاجة والاغتسال عند الاحتلام فلا حاجة إلى التجديد، وإن كان منه بدّ أو طال الزمان ففي التجديد وجهان.

الثانية: لو نوى الخروج للاعتكاف ففي بطلان الاعتكاف الخلاف المذكور في بطلان الصوم بنية الخروج، والأظهر أنه لا يبطل. وأفتى بعض المتأخرين ببطلان الاعتكاف لأن مصلحته تعظيم الله تعالى كالصلاة وهي تختل بنقض النية ومصلحة الصوم قهر النفس وهي لا تفوت بنية الخروج.

فصل

وفي كتاب الشريعة للشيخ الأكبر قدس سره: الاعتكاف الإقامة بمكان مخصوص على عمل مخصوص بنية القربة إلى الله تعالى، وهو مندوب إليه شرعاً واجب بالنذر، وفي الاعتبار الإقامة مع الله على ما ينبغي لله إيثاراً لجناب الله، فإن أقام بالله فهو أتم من أن يقيم بنفسه، فأما العمل الذي يخصه فمن قائل أنه الصلاة وذكر الله وقراءة القرآن لا غير ذلك من أعمال البر والقرب، ومن قائل جميع أعمال البر المختصة بالآخرة، والذي أذهب إليه أن له أن يفعل جميع أفعال البر التي لا تخرجه

....

عن الإقامة بالموضع الذي أقام فيه، فإن خرج فليس بمعتكف، ولا يثبت فيه عندي الاشتراط. وقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أن السنَّة للمعتكف أن لا يشهد جنازة ولا يعود مريضاً، فاعلم أن الإقامة مع الله إذا كانت بالله فله التصدق في جميع أعمال البر المختصة بمكانه الذي اعتكف فيه، والخارجة عنه التي يخرجه فعلها عن مكانه، فإن الله يقول: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد: ٤] وإذا كانت الإقامة بنفسك لله فقد عينت مكاناً فتلزمها به حتى يتجلى لك في غيرها التزمتها به فافهم.

وأما المكان الذي يعتكف فيه فاعلم أن المساجد بيوت الله مضافة إليه، فمن استلزم الإقامة فيها فلا ينبغي له أن يصرف وجهه لغير رب البيت فإنه سوء أدب فإنه لا فائدة للاختصاص بإضافتها إلى الله، إلاّ أن يخالطها شيء من حظوظ الطبع، ومن أقام مع الله في غير البيت الذي أضافه لنفسه جاز له مباشرة أهله إلا في حال صومه في اعتكافه إن كان صائماً، ومباشرة المرأة رجوع العقل من حال العقل عن الله إلى مشاهدة النفس سواء جعلها دليلاً أو غير دليل، فإن جعلها دليلاً فالدليل والمدلول لا يجتمعان فلا تصح الإقامة مع الله وملابسة النفس، وأعلى الرجوع إلى النفس وملابستها أن يلابسها دليلاً، وأما إن لم يلابسها دليلاً فلم يبق إلا شهوة الطبع، فلا ينبغي للمعتكف أن يباشر النساء في مسجد كان أو في غير مسجد، ومن كان مشهده سريان الحق في جميع الموجودات وأنه الظاهر في مظاهر الأعيان وأن باقتداره واستعداداتها كان الوجود للأعيان رأى أن ذلك نكاح، فأجاز مباشرة المعتكف للمرأة إذا لم تكن في مسجد. فإن هذا المشهد لا يصح فيه أن يكون للمسجد عين موجودة فإنه لا يرى في الأعيان من حالته هذه إلا الله، فلا مسجد أي لا موضع تواضع ولا تطأطؤ فافهم.

وأما تعيين الوقت الذي يدخل فيه من يريد الاعتكاف إلى المكان الذي يقيم فيه. اعلم أن المعتكف وهو المقيم مع الله دائماً لا يصح له ذلك إلا بوجه خاص، وهو أن يشهده في كل شيء هذا هو الاعتكاف العام المطلق، وثم اعتكاف آخر مقيد يعتكف فيه مع اسم مّا إلّهي يتجلى لـه ذلـك الإسم بسلطانه فيدعوه للإقامة معه واعتبار مكان الاعتكاف في المعاني هو المكانة وما ثم إسم إلهي وهو بين إسمين إلهيين لأن الأمر الإلهي دوري، ولهذا لا يتناهى أمر الله في الأشياء فإن الدائرة لا أوّل لها ولا آخر إلا بحكم الفرض فلهذا أخرج العالم مستديراً على صورة الأمر الذي هو عليه في نفسه حتى في الاشكال، ولما كان التجلي الأعظم العام يشبه طلوع الشمس، ومع تجلي الشمس يكون الاعتكاف العام. قيل للمعتكف مع اسم مّا إلهي ادخل معتكفـك في وقـت ظهـور علامـة التجلي الأعظم الذي هو طلوع الفجر حتى لا يقيدك هذا الإسم الإلهي الذي أقمت معه، أو تريد الإقامـة معه عن التجلي الأعظم وهو طلوع الشمس، فتجمع في اعتكافك بين التقييد والإطلاق.

ثم اعلم أن الإقامة مع الله إنما هو أمر معنوي لا أمر حسي، فلا يقام مع الله إلا بالقلب ويقام

....

بالحس مع أفعال البر، وقد يكون من أفعال البر ملاحظة النفس ليؤدي إليها حقها المشروع لها، وقد يؤثر نفسه بإيصال الخير لها بأن يكلفها بعض مصالحه بما يرجع خيره إليها، كخروج المعتكف إلى حاجة الإنسان وإقباله على من كان من نسائه ليصلح بعض شأنه في حال إقامته، والمعتكف إذا انتقل لحاجة الإنسان من وضوء وما لا بدّ منه، فإن ذلك كله من حكم الإسم الذي أقام معه في مدة اعتكافه، وما من شأن المعتكف تشييع الزائر فما تحرك لذلك إلا من حكم الإسم الذي حرك الزائر لزيارة هذا المعتكف فالعين لا تعرف إلا أنها زائرة لقضاء غرضها من رؤيته والإسم الذي هو محركها من وراء حجاب حاجتها مطلبه إظهار عين سلطانه، والله أعلم.

الفصل الثاني

في أسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم أن الصوم ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص. أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله. وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام. وأما صوم خصوص الخصوص: فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية، ويحصل الفطر في هذا الصوم

الفصل الثاني

في أسرار الصوم ومهماته وشروطه الباطنة

ولما فرغ من بيان الشروط الظاهرة للصوم مما يتعلق بها نظر الفقيه اتفاقاً واختلافاً شرع في ذكر الشروط الباطنة له فقال:

(**اعلم**) : وفقك الله تعالى (**أن للصوم ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص. أما صوم العموم**) وهم عامة الناس، (**فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة**) في الأكل والشرب والجماع (**كما سبق تفصيله**) تقريباً (**وأما صوم الخصوص**) وهم خاصة الناس، (**فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح**) أي باقيها وهي ستة الخمسة المذكورة والفرج (**عن الآثام**)، فكف السمع عن الإصغاء إلى ما نهى عنه، وكف البصر عن النظر إلى ما نهى عنه، وكف اللسان عن الخوض فيما لا يعني، وكف اليد عن البطش فيما لا يحل، وكف الرجل عن نقلها إلى محظور، وكف الفرج عن المحرمات، فمن صام تطوّعاً بهذه الجوارح الست، وأفطر بجارحتي الأكل والشرب والجماع، فهو عند الله من الصائمين في الفضل، لأنه من الموقنين الحافظين للحدود، ومن أفطر بهذه الست أو ببعضها وصام بجارحتي البطن والفرج فما ضيع أكثر مما حفظ، فهذا مفطر عند العلماء صائم عند نفسه. (**وأما صوم خصوص الخصوص**) وهم خاصة الخاصة (**فصوم القلب**) أي صونه وحفظه (**عن الهمم الدنية**) أو الخسيسة الردية، (**والأفكار الدنيوية**) والخواطر الشهوانية (**وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية**)، وذلك يحصل بمراعاة القلب وحفظه الأنفاس بأن يعكف الهمم عليه فيقطع الخواطر والأفكار ويترك التمني الذي لا يجدي، (**ويحصل الفطر في هذا**

بالتفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالتفكر في الدنيا إلا دنيا تراد للدين، فإن ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال أرباب القلوب: من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة، فإن ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه الموعود، وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ولا يطوّل النظر في تفصيلها قولاً ولكن في تحقيقها عملاً. فإنه إقبال بكنه الهمه على الله عز وجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتلبس بمعنى قوله عز وجل: ﴿قُلْ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُم فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]، وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة أمور:

الأول: غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم ويكره، وإلى كل

الصوم بالتفكر فيما سوى الله تعالى و) فيما سوى (**اليوم الآخر**) بجميع ما يتعلق به (**وبالتفكر في**)أمور (**الدنيا**) عامتها (**إلا دنيا تراد للدين**) ويستعان بها في التوصل إليه، (**فإن ذلك زاد الآخرة وليس من أمور الدنيا**) بل هو عند أهل الله معدود من الدين، (**حتى قال أرباب القلوب: من تحركت همته بالتصرف**) أي التقلب للاكتساب (**في نهاره لتدبير ما يفطر عليه**) وفي بعض النسخ بالتدبير فيما يفطر عليه (**كتبت عليه خطيئة**) ولفظ القوت: ولا يهتم لعشائه قبل محل وقته. يقال: إن الصائم إذا اهتم بعشائه قبل محل وقته أو من أول النهار كتبت عليه خطيئة اهـ.

وفي العوارف: أدب الصوفية في الصوم ضبط الظاهر والباطن، وكف الجوارح عن الآثام كمنع النفس عن الاهتمام بالطعام، ثم كف النفس عن الاهتمام بالأقسام. سمعت أن بعض الصالحين بالعراق كان طريقه وطريق أصحابه أنهم كانوا يصومون، وكلما فتح عليهم بشيء قبل وقت الإفطار يخرجونه ولا يفطرون إلا على ما فتح لهم وقت الإفطار اهـ.

(**فإن ذلك**) أي الكد من أول النهار على تحصيل ما يفطر عليه ينشأ (**من قلة الوثوق**) أي الاعتماد (**بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود**) له وعدم الرضا باليسير مما قسم له أن يفطر عليه. (**وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين**) من ورثتهم (**ولا تطل النظر في تفصيل ذلك قولاً**) باللسان، (**ولكن في تحقيقه عملاً فإنه**) أي صوم هؤلاء (**إقبال بكنه الهمة على الله تعالى وانصرافه عن غيره**) بصرف النظر عنه (**وتلبس**) وانصباغ (**بمعنى قوله تعالى: ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾**) [الأنعام: ٩١] (**وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح**) الست (**عن الآثام**) كما تقدم، (**وتمامه بستة أمور**).

(**الأول: غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يذم أو يكره**) شرعاً

ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله عز وجل. قال ﷺ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس لعنه الله فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله عز وجل إيماناً يجد حلاوته في قلبه». وروى جابر، عن أنس، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة».

الثاني: حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء وإلزامه السكوت وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم

وعرفاً، **(وإلى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الله تعالى)** وهو المعبر عنه عند السادة النقشبندية بالنظر على القدم. **(قال ﷺ: « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه »)** رواه الحاكم وصحح إسناده من حديث حذيفة رضي الله عنه، وأورده ابن الجوزي في كتابه (تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر) بلفظ: « النظر إلى المرأة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركه ابتغاء مرضاة الله أعطاه الله إيماناً في قلبه يجد حلاوته ».

(وروى جابر، عن أنس، عن رسول الله ﷺ أنه قال « خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة ») إلى حليلته أو غيرها. هكذا في نسخ القوت كلها. وروى جابر عن أنس.

وقال العراقي رواه الأزدي في الضعفاء من رواية جابان عن أنس، وقوله جابر تصحيف، قال أبو حاتم الرازي: هذا كذب اهـ.

قلت: رواه كذلك الديلمي في مسند الفردوس من حديث جابان عن أنس بلفظ « خمس خصال يفطرن الصائم وينقضن الوضوء » فساقه.

ورواه الأزدي عن عيسى بن سليمان، عن داود بن رشيد، عن بقية، عن محمد بن حجاج، عن جابان، عن أنس. أورده في ترجمة محمد بن الحجاج الحمصي وقال: لا يكتب حديثه، وقال الذهبي في الكاشف محمد بن الحجاج عن جابان عن أنس متكلم فيه، وقول أبي حاتم: هذا كذب يشير إلى أنه رواه عن بقية أيضاً سعيد بن عنبسة كذبه ابن معين، وقال ابن الجوزي: هذا موضوع عن سعيد إلى أنس كلهم مطعون فيه، وجابان متروك الحديث.

قلت: أما طريق داود بن رشيد عن بقية فإسناده متقارب وليس فيه من رمي بالكذب إلا أنه ضعيف لضعف محمد بن حجاج والله أعلم.

(الثاني: حفظ اللسان عن الهذيان) وهو الكلام الذي لا فائدة فيه، **(والكذب)** وهو ما لا أصل له، **(والغيبة)** أن يذكر أخاه بما يكره، **(والنميمة)** وهو الكلام على وجه الإفساد بين اثنين، **(والفحش والجفاء والخصومة والمراء)** أي المجادلة، **(وإلزامه السكوت)** عما ذكر،

اللسان، وقد قال سفيان: الغيبة تفسد الصوم. رواه بشر بن الحرث عنه، وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصيام: الغيبة والكذب. وقال ﷺ: «إنما الصوم جنّة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم

(**وشغله بذكر الله**) قلباً ولساناً، (**وتلاوة القرآن**) غيباً ونظراً ومدارسة، وإذا كان بالنظر في المصحف فهو أفضل لأنه عبارة أخرى لاستعماله في القراءة لسانه وعينه (**فهذا صوم اللسان**) وفي القوت: صوم اللسان حفظه عن الخوض فيما لا يعني جملة مما إن كتب عنه كان عليه، وإن حفظ له كان له.

(**وقال سفيان**) الثوري: (**الغيبة تفسد الصوم**) أي تذهب بثوابه. (**رواه بشر بن الحرث**) الحافي (**عنه**). ولفظ القوت: وروى بشر بن الحرث عن سفيان من اغتاب فسد صومه، وهكذا رواه صاحب العوارف أيضاً، وقيل: إن مذهب سفيان إفساد الصوم بالغيبة حقيقة. هكذا حكاه المنذري عنه، وعن عائشة. وذهب الأوزاعي إلى هذا فأوجب عليه القضاء وسائر العلماء على خلافه.

(**وروى ليث**) هو ابن أبي سليم أبو بكر القرشي مولاهم الكوفي أحد العلماء، روى (**عن مجاهد**) وطبقته، ولا نعلمه لقي صحابياً. وعنه شعبة وزائدة وجرير وخلف. فيه ضعف يسير من سوء حفظه. كان ذا صلاة وصيام وعلم كثير، وبعضهم يحتج به. روى له مسلم والأربعة مات سنة ١٣٨. ولفظ القوت. وروينا عن الليث عن مجاهد (**أنه قال: خصلتان تفسدان الصوم: الغيبة والكذب**) إما أن يحمل على الحقيقة فيكون قوله كقول الاوزاعي وسفيان، وإلاّ فالمراد به ذهاب أجرهما، زاد صاحب القوت فقال: ويقال إن العبد إذا كذب أو اغتاب أو سعى في معصية في ساعة من صومه خرق صومه وإن صوم يوم يلفق له من صيام أيام حتى يتم بها صوم يوم ساعة ساعة، وكانوا يقولون: الغيبة تفطر الصائم، وقد كانوا يتوضئون من أذى المسلم، وروي عن جماعة في الوضوء مما مست النار لأن أتوضأ من كلمة خبيثة أحب إليَّ من أن أتوضأ من طعام طيب.

(**وقد قال رسول الله ﷺ «إنما الصوم جنّة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم إني صائم»**) أخرجه البخاري والنسائي من طريق مالك، وكذا أبو داود.

وأخرجه مسلم والنسائي من طريق سفيان بن عيينة، وأخرجه مسلم من رواية المغيرة الحزامي ثلاثتهم عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام جنّة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يجهل ولا يرفث» والباقي سواء، وليس في رواية أبي داود قوله «الصيام جنة» ولا في طريق سفيان.

وذكر ابن عبد البر في التمهيد الاختلاف على مالك في ذكر قوله «الصيام جنة» وأنه رواها عنه القعنبي، ويحيى، وأبو مصعب، وجماعة. ولم يذكرها ابن بكير.

وأخرجه الشيخان والنسائي من رواية عطاء بن أبي رباح، وعن أبي صالح، عن أبي هريرة في أثناء حديث.

وأخرج الترمذي من رواية علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة في أثناء حديث «والصوم جنة من النار وإن جهل على أحدكم جاهل وهو صائم فليقل إني صائم» وقال: حديث أبي هريرة حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وفي رواية لمسلم في أثناء حديث «والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يسخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم إني صائم» وله أيضاً عن أبي هريرة رواية: «إذا أصبح أحدكم يوماً صائماً» والباقي كسياق المصنف، وفي الحديث فوائد.

الأولى: معنى قوله «جنة» أي وقاية وسترة، وقد عرفت أنه في رواية الترمذي «جنة من النار» وكذا رواه النسائي من حديث عائشة، وروى النسائي وابن ماجه من حديث عثمان بن أبي العاص هكذا بزيادة «كجنة أحدكم من القتال» وكذا جزم به ابن عبد البر وصاحب المشارق وغيرهما «أنه جنة من النار». وقال صاحب النهاية أي تقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات، وجمع النووي بين المعنيين، وذكر صاحب الإكمال الاحتمالات الثلاثة فقال: ستر ومانع من الآثام أو من النار أو من جميع ذلك. وقال الحافظ العراقي في شرح الترمذي: وإنما كان الصوم جنة من النار لأنه إمساك عن الشهوات والنار محفوفة بالشهوات اهـ.

وسبقه إلى ذلك إبن العربي، وفي هذا الكلام تلازم الأمرين وأنه إذا كف نفسه عن الشهوات والآثام في الدنيا كان ذلك ستراً له من النار غداً.

الثانية: في سنن النسائي وغيره من حديث أبي عبيدة مرفوعاً وموقوفاً «الصوم جنة ما لم يخرقها» ورواه الدارمي في مسنده وفيه «بالغيبة» وبوب عليه باب الصائم يغتاب، وكذا أبو داود في باب الغيبة للصائم، وأشار في الحديث بذلك إلى أنه إذا أتى بالغيبة ونحوها فقد خرق ذلك الساتر له من النار بفعله، ففيه تحذير الصائم من الغيبة.

الثالثة: قوله «لا يرفث» بالتثليث والضم حكاه صاحب المحكم عن اللحياني، والمراد به هنا فحش في الكلام، ويطلق في غير هذا الموضع على الجماع وعلى مقدماته أيضاً، والجهل مثله أو قريب منه.

فإن قلت: فإذا كان بمعناه فلم عطف عليه والعطف يقتضي المغايره؟ قلت: لما كان الجهل يستعمل بمعنى آخر وهو خلاف العلم، والرفث يستعمل بمعنى آخر وهو الجماع ومقدماته وذكره أريد بالجمع بين اللفظين الدلالة على ما اشتركا في الدلالة عليه وهو فحش الكلام. وقال المنذري في حواشيه على السنن: لا يجهل أي لا يقل قول أهل الجهل من رفث الكلام وسفهه ولا يجفوه أحد أو يشتمه يقال: جهل عليه إذا جفاه.

إني صائم ». وجاء في الخبر: « إن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ فأجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا إلى رسول الله ﷺ يستأذناه

الرابعة: أشار بقوله في الرواية الأخرى « إذا كان أحدكم يوماً صائماً » إلا أنه لا فرق في ذلك بين يوم ويوم، فالأيام كلها في ذلك سواء، فمتى كان صائماً نفلاً أو فرضاً في رمضان أو غيره فليجتنب ما ذكر في الحديث.

الخامسة: قال القاضي عياض: معنى قاتله دافعه ونازعه، ويكون بمعنى شاتمه ولاعنه، وقد جاء القتل بمعنى اللعن. وقال ابن عبد البر: المعنى في المقابلة مقابلته بلسانه.

السادسة: المفاعلة في قوله « قاتله وشاتمه » لا يمكن أن تكون على ظاهرها في وجود المقابلة والمشاتمة من الجانبين بأنه مأمور أن يكف نفسه عن ذلك، ويقول « إني صائم » وإنما المعنى قتله متعرضاً لمقاتلته وشتمه متعرضاً لمشاتمته، والمفاعلة حينئذ موجودة بتأويل وهو إرادة القاتل والشاتم لذلك، وذكر بعضهم أن المفاعلة تكون لفعل الواحد كما يقال: سافر وعالج الأمر وعافاه الله، ومنهم من أول ذلك أيضاً وقال: لا تجيء المفاعلة إلا من اثنين إلا بتأويل، ولعل قائلاً يقول: إن المفاعلة في هذا الحديث على ظاهرها بأن يكون بدر منه مقابلة الشتم بمثله بمقتضى الطبع، فأمر بأن ينزجر عن ذلك ويقول: إني صائم، والأول أظهر ويدل على أنه لم يرد حقيقة المفاعلة قوله في الرواية الأخرى « شتمه » وقوله في رواية الترمذي « وإن جهل على أحدكم جاهل ».

السابعة: قوله « فليقل إني صائم » ذكر فيه العلماء تأويلين. أحدهما: وبه جزم المتولي ونقله الرافعي عن الأئمة أنه يقول في قلبه لا بلسانه، والثاني أن يسمعه صاحبه ليزجره عن نفسه، ورجحه النووي في الأذكار وغيرها فقال: إنه أظهر الوجهين، وقال في شرح المهذب: التأويلان حسنان، والقول باللسان أقوى ولو جمعهما كان حسناً اهـ.

وحكى الروياني في البحر وجهاً واستحسنه أنه إن كان في رمضان فيقوله بلسانه، وإن كان نفلاً فبقلبه، وادعى ابن العربي أن موضع الخلاف في التطوع وأنه في الفرض يقول ذلك بلسانه قطعاً فقال: لم يختلف أحد أنه يقول ذلك مصرحاً به في صوم الفرض كان رمضان أو قضاءه أو غير ذلك من أنواع الفرض، واختلفوا في التطوّع فالأصح أنه لا يصرح به وليقل لنفسه إني صائم فكيف أقول الرفث؟ اهـ.

ويدل على القول باللسان قوله في آخر الحديث عند النسائي فيما ذكره القاضي ينهى بذلك عن مراجعة الصائم.

الثامنة: فيه استحباب تكرير هذا القول وهو « إني صائم » سواء قلنا انه يقوله بلسانه أو بقلبه ليتأكد إنزجاره وانزجار من يخاطبه بذلك.

(وجاء في الخبر « أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ فأجهدهما أي أتعبهما **الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا)** أي تهلكا **(فبعثتا إلى رسول الله ﷺ**

في الإفطار ، فأرسل إليهما قدحاً ، وقال ﷺ : « قل لهما قيآ فيه ما أكلتما ، فقاءت إحداهما نصفه دماً عبيطاً ولحماً غريضاً ، وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك ، فقال ﷺ : هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله تعالى عليهما. قعدت إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم ».

الثالث: كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه ، ولذلك سوّى الله عز وجل بين المستمع وآكل السحت ، فقال تعالى: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢] ، وقال عز وجل: ﴿لَولاَ يَنْهَاهُمُ الربَانيُّونَ والأحْبَارُ عَنْ قَولِهِم الإثم وأكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣] ، فالسكوت على الغيبة حرام ، وقال تعالى: ﴿إنَّكُمْ إذاً مِثْلُهُم﴾ [النساء: ١٤٠] ، ولذلك قال ﷺ : « المغتاب والمستمع شريكان في الإثم ».

تستأذناه) أي تطلبان منه الإذن (**في الإفطار ، فأرسل إليهما قدحاً وقال للرسول: قل لهما قيآ فيه ما أكلتما ، فقاءت إحداهما نصفه دماً عبيطاً**) أي خالصاً (**ولحماً غريضاً**) أي طرياً ، (**وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه**) أي القدح ، (**فعجب الناس من ذلك . فقال رسول الله ﷺ : هاتان**) المرأتان (**صامتا عما أحل الله لهما**) أي الطعام والشراب ، (**وأفطرتا على ما حرم الله عليهما**) ثم بيّن ذلك بقوله: (**قعدت إحداهما إلى جنب الأخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم »**) هكذا أورده صاحب القوت والعوارف. وقال العراقي: رواه أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله ﷺ بسند فيه مجهول.

(**الثالث: كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه**) كرهه الشرع (**لأن كل ما حرم الله قوله حرم الإصغاء إليه**) لأن إصغاءه حينئذ يكون دليلاً على رضاه بالمحرم ، (**ولذلك سوّى الله تعالى بين السمع وأكل السحت**) ولفظ القوت: قرن الله تعالى الاستماع إلى الباطل والقول بالإثم إلى أكل الحرام (**فقال: ﴿سماعون للكذب أكالون للسحت﴾**) [المائدة: ٤٢] أي الحرام (**وقال تعالى ﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت﴾ [المائدة: ٦٣] فالسكوت على الغيبة حرام**) والساكت يشارك المغتاب في الحرمة ، (**وقال تعالى ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم﴾**) [النساء: ١٤٠] أي في الإثم ، ولذلك (**قال ﷺ « المغتاب والمستمع شريكان في الإثم »**) قال العراقي: غريب.

وللطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف « نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة » اهـ.

قلت: رواه في الكبير ، وكذا الخطيب في التاريخ بلفظ « نهى عن الغناء وعن الاستماع إلى الغناء ،

الرابع: كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرِجل وعن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار. فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام. فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصراً ويهدم مِصراً، فإن الطعام الحلال إنما يضر بكثرته لا بنوعه، فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفاً من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيهاً، والحرام سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره. وقصد الصوم تقليله، وقد قال ﷺ: «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش» فقيل: هو الذي يفطر على الحرام، وقيل: هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام. وقيل: هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام.

وعن الغيبة والاستماع إلى الغيبة، وعن النميمة والاستماع إلى النميمة». قال الهيثمي: في سندهما فرات بن السائب وهو متروك.

(**الرابع: كف بقية الجوارح من اليد والرجل عن المكاره**) الشرعية، فاليد كفّها عن البطش إلى محرم من مكسب أو فاحشة، والرجل حبسها عن السعي فيما لم يؤمر به ولم يندب إليه من غير أعمال البر، (**وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار**) أي عن تناول طعام فيه شبهة، فليس من الأدب أن يمسك المريد من مباح الطعام ويفطر بحرام الآثام، وإليه أشار المصنف بقوله: (**فلا معنى للصوم وهو الكف**) أي الإمساك (**عن الطعام الحلال**) أي الذي كان أحل الله تناوله، (**ثم الإفطار على الحرام، فمثل هذا الصائم مثال من يبني قصراً ويهدم مصراً**) وصوم مثل هذا مردود عليه، ومثاله أيضاً مثال من مسح كل عضو من أعضائه ثلاث مرات، ثم صلّى فقد وافق الفضل في العدد إلاّ أنه ترك الفرض من الغسل فصلاته مردودة عليه لجهله، (**فإن الطعام الحلال إنما يضر البدن بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله، وتارك الاستكثار من الدواء خوفاً من ضرره إذا عدل**) أي مال (**إلى تناول السمّ**) ولو كان قليلاً (**كان سفيهاً**) سخيف العقل، (**والحرام سمّ يهلك الدين**) كما أن السمّ يهلك البدن، (**والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره، وقصد الصوم تقليله. وقد قال ﷺ: «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش»**) رواه النسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة، وفي رواية «كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش». (**واختلف في المراد منه فقيل: هو الذي**) يجوع بالنهار و(**يفطر على الحرام**) من الطعام. (**وقيل: هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة**). وهذان الوجهان اقتصر عليهما صاحب العوارف. (**وقيل: هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام**). هكذا ذكر هذه الاوجه الثلاثة صاحب القوت إلا أن لفظه في الوجه الثالث «الذي لا يغض بصره ولا يحفظ لسانه عن الآثام» ثم قال: والمراد من الصيام مجانبة الآثام لا الجوع والعطش، كما ذكرناه من أمر الصلاة أن المراد بها الانتهاء عن الفحشاء والمنكر،

الخامس: أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلىء جوفه، فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن ملىء من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره، وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر. ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى. وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوّتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها، فروح

كما قال رسول الله ﷺ «من لم يترك قول الزور والعمل به فليس لله تعالى حاجة بأن يترك طعامه وشرابه».

(**الخامس: أن لا يستكثر من الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلىء**) منه، ولفظ القوت: ومن فضائل الصوم أن يجتنب من حظوظ هذه الجوارح الشبهات من الأشياء وفضول الحلال، ويرفض الشهوات الداعية إلى العادات، ولا يفطر إلا على حلال متقللاً منه، فبذلك يزكو الصيام اهـ.

(**فما من وعاء أبغض إلى الله تعالى من بطن ملىء من حلال**). وروى أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه».

(**وكيف يستفاد من الصوم قهر عدوّ الله**) إبليس (**وكسر الشهوة**) النفسية (**إذا تدارك الصائم عند إفطاره ما فاته ضحوة نهاره**) من المآكل والمشارب، و (**ربما يزيد عليه من ألوان الطعام**) في أنواعه كما هو مشاهد للمترفهين، (**حتى استمرت العادات بأن يدخر جميع الأطعمة لرمضان**) وكذلك الأشربة، (**فيؤكل من الأطعمة فيه**) ويستعمل من الأشربة (**ما لا يؤكل**) ولا يشرب في غيره (**في عدة أشهر**) كما هو معلوم مشاهد، لا سيما بعد عصر المصنف بكثير، فقد تجاوزوا في ذلك عن الحدود ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(**ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء**) أي الجوع (**وكسر الشهوة**) المفضية إلى تعاطي المخالفات المنهية (**لتقوى النفس على التقوى**) وتصفو الأخلاق ويتنوّر الباطن، (**وإذا دفعت المعدة من ضحوة النهار إلى العشاء حتى هاجت**) والتهبت (**شهوتها وقويت رغبتها**) لتلقي ما يرد عليها، (**ثم أطعمت من اللذات**) المتنوعة من الطعام الفاخر النفيس والشراب المشهى المبرد، (**واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوّتها وانبعثت من الشهوات**) الخفية (**ما عساها كانت راكدة**) أي ساكنة مستقرة وفي بعض النسخ راقدة (**لو تركت على عادتها**) التي كانت عليها، (**فروح الصوم وسره تضعيف القوى**) الشهوانية أي إماتتها وإبطالها وكسر قوّتها (**التي هي**

الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود إلى الشرور، ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم، فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلاً فلم ينتفع بصومه. بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدراً من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده، فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء، وليلة القدر عبارة عن الليلة

وسائل الشيطان) وحبائله **(في العود)** والجذب **(إلى الشرور)** الحاصلة من تلك الشهوات، **(ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل)** من المطعوم والمشروب، **(وهو أن يأكل أكلته)** بالضم ما يؤكل من الطعام **(التي كان يأكلها)** على عادته **(كل ليلة لو لم يصم، فأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلاً فلن ينتفع بصومه)**.

وقال صاحب العوارف: ومن آداب الصوفي في صومه أن يقلل الطعام عن الحد الذي كان يأكله وهو مفطر، وإلا إذا جمع الأكلات بأكلة واحدة فقد أدرك ما فوت، ومقصود القوم من الصوم قهر النفس ومنعها عن الاتساع، وأخذهم من الطعام قدر الصورة لعلمهم ان الاختصار على الضرورة يجذب النفس من سائر الأفعال والأقوال إلى الضرورة، والنفس من طبعها أنها إذا قهرت لله تعالى في شيء واحد على الضرورة تأدى ذلك إلى سائر أحوالها فيصير الأكل ضرورة، والنوم ضرورة، والقول والفعل ضرورة، وهذا باب كبير من أبواب الخير لأهل الله تعالى يجب رعايته وافتقاده، ولا يخص بعلم الضرورة وفائدتها وطلبها إلا عبد يريد الله أن يقربه ويدنيه ويصطفيه ويزيده اهـ.

(بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار) تعللاً بظاهر الحديث الذي تقدم ذكره «نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح». **(حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر)** من نفسه **(ضعف القوى)**، ولا يكون النوم عبادة إلا إذا دفع إليه ضرورة أو قصد به التقوّي على قيام الليل، وأما إذا نوى به تقصير المسافة كما هو عليه عامة الناس بل وخاصتهم اليوم فلا، إلا أن يكون ممن يخالطه الناس كثيراً فيخاف على نفسه من صدور شيء من الجوارح من المخالفات فيختار النوم فيكون حينئذ عبادة، **(فيصفو عند ذلك قلبه)** ويرق لتلقي الأنوار الملكوتية، **(ويستديم في كل ليلة قدراً من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده)** وما يستعمله، **(فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر في ملكوت السماء)** وهو العالم العلوي ويشهد لذلك قول المصنف في موضع آخر: إذا صار السالك في سماء الدنيا أمن خاطر الشيطان وعصم منه.

وقال الشيخ شمس الدين بن سودكين: سألت الشيخ الأكبر قدس سره عن معنى هذا الكلام، فقال: هنا تحقيق ينبغي أن يتفطن له، وذلك أن القول إنما يثبت إذا صار الجسد فوق سماء الدنيا إذا مات الإنسان وانتقلت نفسه، وأما إذا كان في عالم الكشف وكذا كشف السموات، فإنه فيها بروحانية فقط وخياله متصل، وللشيطان موازين يعلم بها أين مقام العبد من ذلك المشهد، فيظهر

التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل، وذلك هو الأمر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام. وسيأتي له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شاء الله عز وجل.

له من مناسبة المقام ما يدخل عليه به الوهم والشبهة فإن كان عند السالك ضعف أخذ منه وتحقق بالجهل ونال الشيطان منه غرضه في ذلك الوقت، وإن كان السالك عارفاً أو على يد شيخ محقق فإن تم سلوكاً يثبت به ما جاء به الشيطان ويستوفيه، ثم يأخذ منه فيصير ذلك المشهد الشيطاني مشهداً عليك ثابتاً لا يقدر الشيطان أن يدفعه فيذهب خاسراً خاسئاً فيجتهد في التخيل ويدقق الحيلة في أمر آخر يقيمه له فيفعل به السالك ذلك الفعل أبداً اهـ.

وإذا لم يحم على قلبه بادخال الوهم والشبهة نظر عجائب الملكوت العلوي. (**وليلة القدر**) عند أهل الله العارفين (**عبارة عن الليلة التي ينكشف**) وينجلي (**فيها شيء من أسرار الملكوت**) الأعلى (**وهو المراد بقوله تعالى ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾**) [القدر: ١] ومن جملة أسرار ذلك العالم تقدير الأشياء على ما هي عليه في جري نظام العالم، (**ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام**) والشراب (**فهو عنه**) أي عن عالم الملكوت (**محجوب**) ممنوع أي عن مشاهدته، (**ومن أخلى معدته**) عن الطعام والشراب (**فلا يكفيه ذلك**) القدر والاقتصار عليه (**لرفع الحجاب**) الظلماني (**ما لم تخل همته عن غير الله عز وجل**) بكليتها، (**وذلك**) أي إخلاء الهمة عما سواه (**هو الأمر كله**) والشأن الأعظم في وصول السالك، (**ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام**) واخلاء المعدة عنه، (**وسيأتي له مزيد بيان في كتاب الأطعمة إن شاء الله تعالى**) وقد خلط في هذا المقام ناس كثيرون حتى ظنوا أن الجوع غاية السالك ولم ينظروا وراءه، ولذلك قال أبو عبد الرحمن السلمي: الجوع من مغاليط الصوفية، بمعنى أن المراد من السالك قطع الشواغل، ولا شك ولا خفاء أن الجوع من جملة الشواغل، فإذا أعطيت النفس القوام الذي جعله الشارع نصيبها كان أولى.

قال ابن سودكين: سمعت الشيخ الأكبر قدس سره يقول: نظرنا في المتروكات وما تركت لأجله مما ارتبط بتركها من ذلك العلم، فلم نر للجوع أثراً في مقصد اللطيفة الإنسانية، وإنما رأينا أثره يعود على تحصيل الثواب في الآخرة وتوفير الذوقية على الروح الحيواني، وذلك أن الحق سبحانه ما جعل لك من هذه إلا ما فيه القوام مما لا بدّ منه في قوام البنية، فإذا طلب الزيادة واللذة والتنعم مما يؤخذ من ذلك النصيب نال، إلا أن ههنا نكتة وهو أنه من لبس هذا الثوب مثلاً يتنعم به نقص ذلك من نعيمه في الآخرة، وكذلك في أكله وشربه وغير ذلك، ومن لبسه بغير هذا القصد وهو لا يتأثر بنعيمه فلا ينقص ذلك من حقه في آخرته، وقد كان ﷺ يهدى إليه الثوب الحسن فيلبسه.

السادس: أن يكون قلبه بعد الإفطار معلقاً مضطرباً بين الخوف والرجاء إذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين؟ وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها، فقد روي عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه مرّ يوم العيد بقوم وهم يضحكون، فقال: إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام فخابوا، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون. أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته أي كان سرور المقبول يشغله

وعلامة صاحب هذه الدرجة أنه متى أخرج عن ذلك لا يتأثر، فإن كان وإن لنفسه به تعلقاً فمثل هذا ينقص نصيبه، وهذا في مقام الروح الحيواني. فمن جاع وتزهد على أن نصيبه يتضاعف ويتوفر له في الدار الآخرة فهذا صحيح مسلم، كما قيل لبعضهم: كل يا من لم يأكل، واشرب يا من لم يشرب. ويعطى كل واحد من مناسبة علمه، فأما الطبيعة الروحانية التي تتنعم بالعلوم الإلهية فليس هذا بابها وإنما بابها قطع الشواغل وترك الفضول وتعلق الهمة بالله تعالى، وإنما حملهم على الجوع أن تضعف القوى فيقل فضول النفس بهذا السبب، وقد رأينا الرجل إذا قوي ترد عليه الموارد الإلهية في شبعه وجوعه وفي خلوته وجلوته، فلو كان الجوع شرطاً لما صح زواله، ولكان الوارد يتوقف على الشرط، بل متى ورد صادقاً فيما يصف لكن لا يكون لكشفه نتيجة ولا فائدة، وأما إذا كان الوارد هو الذي يعمر المحل بحيث يبقى الإنسان عشرين يوماً مثلاً لا يأكل، فذلك المقصود. ولا يسمى السالك حينئذ جائعاً لأنه مستغن عن الطعام بالوارد ليس عنده مطالبة فهو شبعان غير جيعان، والله أعلم.

(**السادس: أن يكون قلبه بعد الإفطار**) من صومه (**معلقاً**) بالله (**مضطرباً بين الخوف**) من عدم قبوله (**والرجاء**) في قبوله. (**إذ ليس يدري أيقبل صومه**) عند الله (**فهو**) إذاً (**من المقربين**) في حضرته، (**أو يردّ عليه**) لما عسى أن داخله بعض ما نهى عنه (**فهو من الممقوتين**) المبغوضين، (**و**) ليس هذا خاصاً في الصوم بل (**ليكن كذلك في آخر كل عبادة**) حين (**يفرغ منها، فقد روي عن الحسن**) بن يسار (**البصري**) رحمه الله (**أنه مرَّ يوم العيد بقوم وهم يضحكون**) ويلعبون، (**فقال: إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضماراً**) وهو الميدان الذي تمتحن فيه السباق من الخيل من اللاحقين (**لخلقه**) أي جعله كالمضمار لهم (**يستبقون فيه لطاعته، فسبق أقوام ففازوا، وتخلّف أقوام فخافوا، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون وخاب فيه المبطلون**). هكذا في النسخ، ولو كان المبطئون فهو انسب. (**أما والله لو كشف الغطاء**) عن الحقائق (**لاشتغل المحسن بإحسانه واشتغل المسيء بإساءته**)، وهذا قد أورده صاحب القوت وصاحب الحلية (**أي سرور المقبول يشغله عن اللعب**) إذ المقبول لو علم أنه مقبول فسروره لذلك يمنعه عن

عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك. وعن الأحنف بن قيس؛ أنه قيل له: إنك شيخ كبير وان الصيام يضعفك. فقال: إني أعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه. فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم.

فإن قلت: فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء: صومه صحيح فما معناه؟ فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هي أضعف من هذه الأدلة التي أوردناها في هذه الشروط الباطنة، لا سيما الغيبة وأمثالها. ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليفات إلا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته، فأما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول إلى المقصود ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز

الضحك واللعب، (**وحسرة المردود تسدّ عنه باب الضحك**) أي لو علم أنه قد ردّ عمله هذا فيتحسر على ذلك فلا يليق الانبساط.

(**وعن الأحنف بن قيس**) تقدمت ترجمته في آخر سرّ الطهارة (**أنه قيل له: إنك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك**) أي يورثك ضعف القوّة (**فقال: إني أعده لسفر طويل**) أي أهيئه زاداً لسفر الآخرة، (**والصبر على طاعته أهون من الصبر على عذابه، فهذه**) وأمثالها (**هي المعاني الباطنة في الصوم**) كالمعاني الباطنة في الصلاة التي ذكرت.

(**فإن قلت: فإن اقتصر**) في صومه (**على كف شهوة البطن والفرج**) فقط (**وترك هذه المعاني**) التي ذكرت، (**وقد قال الفقهاء**): إنه (**صومه صحيح**) وأفتوا بذلك (**فما معناه**) وما سره؟ (**فاعلم أن فقهاء الظاهر مثبتون شروط الظاهر بأدلة هي أضعف من هذه الأدلة التي أوردناها في هذه الشروط الباطنة، لا سيا الغيبة وأمثالها**) كالكذب والنميمة والمراء الباطل، (**ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليف إلا ما تيسر**) أي سهل (**على عموم الغافلين**) أي عامتهم (**المقبلين على الدنيا**) المنهمكين على شهواتها (**الدخول تحته**) أي التكليف والدخول بالرفع على أنه فاعل تيسر، (**فأما حكماء الآخرة**) المقبلون عليها (**فيعنون بالصحة**) في العمل (**القبول، وبالقبول الوصول إلى المقصود**) الذي هو القرب من الله تعالى، (**ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله تعالى وهو الصمدية**)أي التحلي بمعنى من معاني أسمائه تعالى فيه كمال العبد وحظوظ المقربين من هذا المعنى ثلاثة.

الأول: معرفة على سبيل المكاشفة والمشاهدة حتى تتضح لهم الحقيقة بالبرهان الذي لا يجوز فيه الخطأ، وينكشف لهم اتصاف الله تعالى بصفة الصمدية انكشافاً يجري في الوضوح والبيان مجرى اليقين.

وجل وهو الصمدية، والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان، فإنهم منزهون عن الشهوات. وللإنسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك في الشهوات انحط إلى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم، وكلما قمع الشهوات ارتفع

(و)الثاني: (الاقتداء بالملائكة) الكرام المقربين عند الله باستعظام ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث منه الشوق إلى الاتصاف **(بالكف عن الشهوات بحسب الإمكان)** والطاقة، **(فإنهم منزهون عن الشهوات)** فإن لم يمكن كماله فينبعث الشوق إلى القدر الممكن منه لا محالة، ولا يخلو عن الشوق إلا لأحد أمرين: إما لضعف المعرفة واليقين بكون الوصف المعلوم من أوصاف الجلال والكمال، وإما لكون القلب ممتلئاً بشوق آخر مستغرقاً به والتلميذ إذا شاهد كمال أستاذه في العلم انبعث شوقه إلى التشبه والاقتداء به، إلا إذا كان ممنوعاً بالجوع مثلاً، فإن الاستغراق بشوق القوت ربما يمنع انبعاث شوق العلم، ولهذا ينبغي أن يكون الناظر في صفات الله تعالى خالياً بقلبه عن إرادة ما سوى الله تعالى، فإن المعرفة بذر الشوق ولكن مهما صادف قلباً خالياً عن حسيكة الشهوات فإن لم يكن خالياً لم يكن منيراً منجحاً.

والثالث: السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفة والتخلق واالتحلي بمحاسنها، وبه يصير العبد ربانياً رفيقاً للملأ الأعلى من الملائكة، وطلب القرب من الله بالصفة أمر غامض تكاد تشمئز القلوب من قبوله والتصديق به. فاعلم أن الموجودات منقسمة إلى كاملة وناقصة، فالكامل أشرف من الناقص، ومهما تفاوتت درجات الكمال واقتصر منتهى الكمال على واحد لم يكن الكمال المطلق إلا له، ولم يكن للوجودات الأخر كمال مطلق، بل كانت لها كمالات متفاوتة بإضافة، فأكملها أقرب لا محالة إلى الذي له الكمال المطلق بالمرتبة والدرجة، ثم الموجودات منقسمة إلى حية وميتة، وتعلم أن الحي أشرف وأكمل من الميت وإن درجات الأحياء ثلاث درجات: درجة الملائكة، ودرجة الإنس، ودرجة البهائم.

(وللإنسان رتبة فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته، ورتبة دون مرتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها) إذ درجته متوسطة بين الدرجتين، فكأنه مركب من بهيمية وملكية، والأغلب في بداية أمره البهيمية إذ ليس له أولاً من الإدراك إلا الحواس التي يحتاج في الإدراك بها إلى طلب القرب من المحسوس بالسعي والحركة إلى أن يشرق عليه بالآخرة نور العقل المتصرف في ملكوت السموات والأرض من غير حاجة إلى حركة وطلب قرب، أو مماسته مع المدرك له، بل مدركه الأمور المقدسة عن قبول القرب والبعد بالمكان، وكذلك المستولي عليه أولاً شهوته وغضبه، وبحسب مقتضاهما انبعاثه إلى أن يظهر فيه الرغبة في طلب الكمال والنظر للعاقبة وعصيان مقتضى الشهوة والغضب، **(فكلما انهمك في الشهوات انحط إلى أسفل سافلين والتحق بغمار البهائم)**، ودرجة البهائم أسفل في نفس الحياة

إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة والملائكة مقربون من الله عز وجل، والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم، فإن الشبيه من القريب قريب، وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات، وإذا كان هذا سر الصوم عند أرباب

التي بها شرفها وفي إدراكها نقص أما إدراكها فنقصانه أنه مقصور على الحواس وإدراك الحس قاصر لأنه لا يدرك الأشياء إلا بمماسة أو بقرب منها، فالحس معزول عن الإدراك إن لم يكن مماسة ولا قرب، وأما فعلها فهو أنه مقصور على مقتضى الشهوة والغضب لا باعث لها سواهما وليس لها عقل يدعو إلى أفعال مخالفة لمقتضى الشهوة والغضب.

(وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين والتحق بأفق الملائكة)، وإنما كانت درجة الملائكة أعلى لأنها عبارة عن موجود لا يؤثر القرب والبعد في إدراكه، بل لا يقتصر على ما يتصور فيه القرب والبعد. إذ القرب والبعد يتصور على الأجسام والأجسام أخس أقسام الموجودات، **(والملائكة مقربون من الله تعالى)** ومقدسون عن الشهوة والغضب، فليست أفعالهم بمقتضى الشهوات، بل داعون إلى طلب القرب من الله تعالى. **(والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله كقربهم)**. أي من يضرب إلى شبه من صفاتهم ينل شيئاً من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم إلى الحق تعالى. وبيان ذلك أنه إن غلب الشهوة والغضب حتى ملكها وضعفا من تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبهاً من الملائكة، وكذا إن عظم نفسه من الجمود والخيالات والمحسوسات وأنس بالإدراك عن أمور تجل من أن ينالها حس أو خيال أخذ شبهاً آخر من الملائكة، فإن خاصية الحياة الإدراك والفعل، وإليهما يتطرق النقصان والتوسط والكمال، ومهما اقتدى بهم في هاتين الخاصتين كان أبعد من البهيمية وأقرب من الملكية.

(فإن الشبيه بالقريب قريب) وإن شئت قلت الملك قريب من الله تعالى، والقريب من القريب قريب **(وليس القرب ثمّ بالمكان بل بالصفات)** والمراتب والدرج.

- فإن قلت: فظاهر هذا الكلام يشير إلى مشابهة بين العبد وبين الله تعالى، لأنه إذا تخلق بأخلاقه كان شبهاً له، ومعلوم شرعاً وعقلاً أن الله ليس كمثله شيء وأنه لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء. فأقول: مهما عرفت معنى المماثلة المنفية عن الله تعالى عرفت أنه لا مثل له، ولا ينبغي أن يظن أن المشاركة بكل وصف توجب المماثلة. أترى أن الضدين يتماثلان وبينهما غاية البعد الذي لا يتصور أن يكون بعد فوقه وهما متشاركان في أوصاف كثيرة. إذ السواد يشارك البياض في كونه عرضاً وفي كونه لوناً مدركاً بالبصر، وأموراً أُخر سواه. أفترى من قال: إن الله تعالى موجود لا في محل، وأنه سميع بصير عالم مريد متكلم حي قادر فاعل، وللإنسان أيضاً كذلك فقد شبّه قائل هذا إذاً وأثبت المثل. هيهات ليس الأمر كذلك، ولو كان الأمر كذلك لكان الخلق كلهم مشبهة. إذ لا أقل من إثبات المشاركة في الوجود وهو موهم للمشابهة، بل المماثلة عبارة عن المشاركة في النوع والماهية، والفرس وإن كان بالغاً في الكياسة لا يكون مثلاً للإنسان لأنه مخالف له بالنوع، وإنما

الألباب وأصحاب القلوب فأي جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الأخر طول النهار؟ ولو كان لمثله جدوى فأي معنى لقوله ﷺ: «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش؟». ولهذا قال أبو الدرداء: يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف لا يعيبون صوم الحمقى وسهرهم؟ ولذرة من ذي يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين، ولذلك قال بعض العلماء: كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم والمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب، والصائم المفطر هو الذي يجوع ويعطش ويطلق جوارحه.

يشاركه بالكياسة التي هي عارضة خارجة عن الماهية المقومة لذات الإنسانية، والخاصية الإلهية إنه الموجود الواجب الوجود بذاته التي يوجد عنها كل ما في الإمكان وجوده على أحسن وجوه النظام والكمال، وهذه الخاصية لا يتصوّر فيها مشاركة البتة، والمماثلة بها تحصل بكون العبد رحيماً صبوراً شكوراً لا يوجب المماثلة ولا بكونه سميعاً بصيراً عالماً قادراً حياً فاعلاً، بل أقول: الخاصية الإلهية ليست إلا لله تعالى، ولا يعرفها إلا الله تعالى، ولا يتصوّر أن يعرفها إلا هو أو من هو مثله، وإذا لم يكن له مثل فلا يعرفها غيره، فإذاً الحق ما قاله الجنيد رحمه الله تعالى قال: لا يعرف الله إلا الله تعالى، ولذلك لم يعط أحد خلقه إلا أسماء حجبه، فقال: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١] فوالله ما عرف الله غير الله في الدنيا والآخرة، لذلك قيل لذي النون المصري، وقد أشرف على الموت: ماذا تشتهي؟ فقال: أن أعرفه قبل أن أموت ولو بلحظة، وهذا الآن يشوّش قلوب أكثر الضعفاء ويوهم عندهم القول بالنفي والتعطيل، وذلك لعجزهم عن فهم هذا الكلام، وقد تقدم لهذا بحث فيما سبق، ولو أطلنا فيه لبعد المجال، وفي القدر الذي ذكرناه كفاية للمتطلع.

(**وإذا كان هذا سر الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فأي جدوى**) أي فائدة (**لتأخير أكلة**) في ضحوة النهار. (**وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك في الشهوات الأخر طول النهار، فلو كان لذلك جدوى فأي معنى لقوله ﷺ**) الذي تقدم تخريجه (**«كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش»**)؟ وكذا قوله ﷺ «من لم يدع قول الزور والعمل به ليس لله تعالى حاجة بأن يترك طعامه وشرابه». (**ولهذا قال أبو الدرداء**) عويمر بن عامر رضي الله عنه: (**يا حبذا نوم الأكياس**) أي العقلاء (**وفطرهم كيف يغبنون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من ذي يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين**) هكذا أورده صاحب القوت وصاحب العوارف، إلا أن صاحب العوارف قال: كيف يغبنون قيام الحمقى وصيامهم، وقال: من أمثال الجبال من أعمال المغترين والباقي سواء، وفي نص القوت: كيف يبغون قيام الحمقى وصومهم، وفي بعض نسخ الكتاب كيف يعيبون، (**ولذلك قال بعض العلماء**) بالله: (**كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم والمفطر الصائم هو الذي يحفظ جوارحه عن الآثام و**) هو مع ذلك (**يأكل ويشرب، والصائم المفطر هو الذي يجوع**

ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه في الوضوء ثلاث مرات، فقد وافق في الظاهر العدد إلا أنه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله، ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاءه مرة مرة فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل وإن ترك الفضل. ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال. وقد قال ﷺ: «إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته» ولما تلا قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُم أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَات إلى أهلها﴾ [النساء: ٥٨] وضع يده على سمعه وبصره فقال: «السمع أمانة والبصر أمانة» ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال ﷺ: «فليقل إني صائم» أي اني أودعت لساني لأحفظه فكيف أطلقه بجوابك؟ فإذاً قد ظهر أن لكل عبادة ظاهراً وباطناً وقشراً

ويعطش ويطلق جوارحه) في الآثام، (فمن فهم معنى الصوم وسرّه علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع) أي صام بجارحتين (وأفطر بمفارقة الآثام) بهذه الجوارح الست أو ببعضها فما ضيع أكثر مما حفظ فهذا مفطر عند العلماء صائم عند نفسه، وهو (كمن مسح على عضو من أعضائه في الوضوء ثلاث مرات) ولفظ القوت كل عضو ثلاث مرات، (فقد وافق في الظاهر). ولفظ القوت فقد وافق الفضل في العدد، (إلا أنه ترك المهم وهو الغسل) ولفظ القوت إلا أنه ترك الفرض من الغسل وصلى، (فصلاته مردودة عليه لجهله، ومثل من أفطر بالأكل) والجماع (وصام بجوارحه عن المكاره) والمناهي (كمن غسل أعضاءه مرة مرة) وصلى (فصلاته متقبلة لإحكامه الأصل) وتكميله الفرض وإحسانه في العمل (وإن ترك الفضل) في العدد وهو مفطر للسعة صائم في الفضل (و) مثل (من جمع بينهما) أي صام عن الأكل والجماع وصام بجوارحه عن الآثام (كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال) حيث أكمل الأمر والندب وهو من المحسنين، وعند العلماء من الصائمين وهذا صوم الموصوفين في الكتاب الممدوحين بالذكرى والألباب.

(وقد قال ﷺ: «إنما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته») رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود في حديث: والأمانة في الصوم وإسناده حسن قاله العراقي. (ولما تلا) ﷺ (قوله عز وجل ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ [النساء: ٥٨] وضع يده على سمعه وبصره فقال: «السمع أمانة والبصر أمانة») رواه أبو داود من حديث أبي هريرة دون قوله: «السمع أمانة». قاله العراقي: (ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال ﷺ) فيما تقدم من حديث أبي هريرة في المتفق عليه: «فإن امرؤ قاتله أو شاتمه (فليقل إني صائم» أي إني أودعت لساني) أي جعل عندي وديعة وأمانة (لأحفظه) من مثل هذا، (فكيف أطلقه

ولباً ولقشورها درجات، ولكل درجة طبقات فإليك الخيرة الآن في أن تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الألباب.

لجوابك) بالشتم وغيره، وقد تقدم اختلاف العلماء في معنى هذا القول قريباً، **(فإذاً قد ظهر لك أن لكل عبادة ظاهراً وباطناً وقشراً ولباً)** هو كالتفسير لما قبله، **(ولقشورها درجات، ولكل درجة طبقات)** وفي كل طبقة منازل عاليات وسافلات. **(فإليك)** أيها المتأمل **(الخيرة الآن في أن تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز)** أي تفيء **(إلى غمار)** أي جماعة **(أرباب الألباب)**.

الفصل الثالث

في التطوّع بالصيام وترتيب الأوراد فيه

الفصل الثالث

في التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه

(**اعلم أن استحبابه يتأكد في الأيام الفاضلة**) مندوب إليه، فمنه ما هو مرغب فيه بالحال كالصوم في الجهاد، وبالزمان كصوم الإثنين والخميس وغير ذلك، وما هو معين في نفسه من غير تقييده بزمان معين كيوم عاشوراء، فإنه لا يتعين فيه زمان مخصوص من حيث أيام الجمعة، لكن هو معين الشهر، ومنه ما هو معين أيضاً في الشهر كشهر شعبان، ومنه ما هو مطلق في الشهور كالأيام البيض وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، ومنه ما هو مطلق كصيام أي يوم شاء، ومنه ما هو مقيد بالترتيب كصيام داود وما يجري هذا المجرى، وأما صوم يوم عرفة في عرفة فمختلف فيه، وفي غير عرفة ليس كذلك، وكذلك الستة من شوال مختلف في صورتها من التتابع وغير التتابع، ومتى يبتدىء بها، وهل تقع في السنة كلها مع ابتداء أول يوم منها في شوال أو تقع كلها في شوال، وسيأتي بيان ذلك في أثناء كلام المصنف، غير أنه لم يشر هنا إلى ما هو مرغب في الحال وهو الصوم في سبيل الله.

وقد خرج مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً « ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً فذكر صوم العبيد لا صوم الأجراء والعبيد بالحال قليل وبالاعتقاد جميعهم والصوم تشبه إلهي، ولهذا قال: « الصوم لي » فنفاه عن العبد، وليس للعبد من الصوم إلا الجوع، فالتنزيه في الصوم له والجوع للعبد، فإذا أقيم العبد في هذا المقام كما يتخلق بالأسماء الإلهية في صفة القهر والغلبة للمنازع الذي هو العدو، ولهذا جعله في الجهاد لأن السبيل هنا في الظاهر الجهاد هذا تعطيه قرينة الحال لا مطلق اللفظ، فإن أخذناه على مطلق اللفظ وهو نظر أهل الله في الأشياء يراعون ما قيد الله وما أطلقه، فيقع الكلام فيه بحسب ما جاء فجاء بلفظ: التفكر في السبيل، ثم عرفه بالإضافة إلى الله والله هو الإسم الجامع لجميع حقائق الأسماء كلها وكلها لها بر مخصوص وسبيل إليها فأي بر كان العبد فيه فهو سبيل بر وهو سبيل الله، فلهذا أتى بالإسم الجامع فعم كما تعم النكرة أي لا تعين وكذلك نكر فيها وما عرفه ليوسع ذلك كله مع عبيده في القرب إلى الله، ثم نكر سبعين خريفاً فأتى بالتمييز، والتمييز لا يكون إلا نكرة ولم يعين زماناً، فلم يدر سبعين خريفاً من أيام الرب، أو أيام ذي المعارج، أو أيام منزلة من

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الأيام الفاضلة وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة، وبعضها يوجد في كل شهر، وبعضها في كل أسبوع.

أما في السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الأوّل من ذي

المنازل، أو أيام واحد من الجواري الخنس، أو أيام الحركة الكبرى فافهم الأمر فساوى التنكير الذي في سياق الحديث، ولذلك قوله: «وجهه» لم يدر هل هو وجهه الذي هو ذاته، أو وجهه المعهود في عرف العامة، وكذلك قوله: «من النار» هل أراد به النار المعروفة أو الدار التي فيها النار، لأنه قد يكون على عمل يستحق دخول تلك الدار ولا تصيبه النار، وعلى الحقيقة فما منا إلا من يردها فإنها الطريق إلى الجنة، وقد ألقيتك على مدرجة التحقيق في النظر في كلام الله وفي كلام المترجم عن الله من رسول أو ولي فافهمه.

(وفواضل الأيام بعضها يوجد في كل سنة) أي يتكرر بتكرر كل سنة، **(وبعضها)** يتكرر **(في كل شهر)** من السنة، **(وبعضها)** يتكرر **(في كل أسبوع)** من الشهر فهو على ثلاثة أقسام.

(أما) القسم الأول وهو ما يتكرر **(في السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة)** وهو اليوم التاسع من ذي الحجة. علم لا يدخلها الألف واللام وهي ممنوعة من الصرف للتأنيث والعلمية.

روي مسلم من حديث أبي قتادة مرفوعاً «صوم يوم عرفة كفارة سنتين وصوم يوم عاشوراء كفارة سنة» ورواه الطبراني من حديث زيد بن أرقم، وسهل بن سعد، وقتادة بن النعمان، وابن عمر. ورواه أحمد من حديث عائشة.

قال الرافعي، وهذا الاستحباب في حق غير الحجيج، فينبغي لهم أن لا يصوموا لئلا يضعفوا عن الدعاء وأعمال الحج، ولم يصمه النبي ﷺ بعرفة، وأطلق كثير من الأئمة كونه مكروهاً لما روي: «أنه ﷺ نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة» فإن كان الشخص بحيث لا يضعف بسبب الصوم، فقد قال أبو سعيد المتولي: الأولى أن يصوم حيازة للفضيلتين، ونسب هذا غيره إلى مذهب أبي حنيفة، وقال: الأولى عندنا أن لا يصوم بحال اهـ.

قال الحافظ: قوله «ولم يصمه ﷺ بعرفة» متفق عليه من حديث أم الفضل، ومن حديث ميمونة.

وأخرجه النسائي، والترمذي، وابن حبان من حديث ابن عمر بلفظ «حججت مع النبي ﷺ ولم يصم، ومع أبي بكر كذلك، ومع عمر كذلك، ومع عثمان فلم يصمه وأنا لا أصومه ولا آمر به ولا أنهى عنه». وأخرجه النسائي من حديث ابن عباس وهو في الصحيح، ومن حديثه عنه عن أم الفضل.

....

وأما حديث: « نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة » فأخرجه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي من حديث أبي هريرة وفيه: مهدي الحجري وهو مجهول.

ورواه العقيلي في الضعفاء من طريقه، وقال: لا يتابع عليه. قال العقيلي: وقد روي عن النبي ﷺ بأسانيد جياد: « أنه لم يصم يوم عرفة بها » ولا يصح عنه النهي عن صيامه.

قال الحافظ: قلت: قد صححه ابن خزيمة ووثق مهدياً المذكور ابن حبان اهـ.

وفي كتاب الشريعة: من صام هذا اليوم فانه أخذ بحظ وافر مما أعطى الله نبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ [الفتح: ٢] فلم يزل ﷺ عمره كله في الحكم حكم الصائم في يوم عرفة، وخصه باسم عرفة لشرف المعرفة التي هي العلم لأن المعرفة تتعدى إلى مفعول واحد فلها الأحدية، فهو اسم شريف سمى الله به العلم فكان المعرفة علم بالأحدية، والعلم قد يكون تعلقه بالأحدية وغيرها بخلاف المعرفة، فعلمنا شرف يوم عرفة من حيث اسمه لما يتضمنه من الأحدية التي هي أشرف صفة الواحد في جميع الموجودات، فإن الأحدية تسري في كل موجود قديم وحادث ولا يشعر بسريانها كل أحد كالحياة السارية في كل شيء، ولما كانت الأحدية للمعرفة، وأصل الأحدية لله تعالى رجحنا صومه على فطره إذ كان الصوم لله حقيقة، كما أن الأحدية له حقيقة فوقعت المناسبة بين الصوم ويوم عرفة فانه يوم لا مثل له لفعله فيما بعده وفيما قبله من التكفير، فظهر عرفة بصفة الحق تعالى في قوله: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ [الروم: ٤] وهذا ليس لغيره من الأزمان غاية عاشوراء أن يكفر ما ثبت، فمتعلقه الموجود ومتعلق عرفة بالموجود والمعدوم كما أن الحق تعالى يتعلق بالموجود حفظاً وبالمعدوم إيجاداً، فكثرت مناسبة يوم عرفة لأسماء الحق فترجح صومه، وإنما اختلف الناس في صومه في عرفة لا في غيرها لمظنة المشقة فيه على الحاج غالباً كالمسافر في رمضان، فمن العلماء من اختار الفطر فيه للحاج وصيامه لغير الحاج ليجمع بين الأثرين والله أعلم.

ثم قال المصنف: (ويوم عاشوراء) هو العاشر من المحرم على المشهور بين العلماء سلفهم وخلفهم، وفيه لغات المد والقصر مع الألف بعد العين، وعاشور كهارون. وقال بعضهم: هو تاسع المحرم وفي ذلك خلاف بيناه في شرح القاموس.

وقد روى مسلم، وابن حبان من حديث أبي قتادة مرفوعاً: « صوم عاشوراء يكفر سنة ».

قال العراقي: ويستحب أن يصوم معه التاسع منه لما روي أنه ﷺ قال: « لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع ».

قال الحافظ: رواه مسلم من وجهين من حديث ابن عباس، ورواه البيهقي من رواية ابن أبي ليلى، عن داود بن علي، عن ابن عباس بلفظ: « لئن بقيت إلى قابل لآمرن بصيام يوم قبله » أو يوم بعده يوم عاشوراء.

الحجة والعشر الأوّل من المحرم. وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم وهي أوقات

ثم قال الرافعي: في صوم التاسع معنيان منقولان عن ابن عباس. أحدهما: الاحتياط، فإنه ربما يقع في الهلال غلط فيظن العاشر التاسع، والثاني: مخالفة اليهود فإنهم لا يصومون إلا يوماً واحداً، فعلى هذا لو لم يصم التاسع معه استحب أن يصوم الحادي عشر.

قال الحافظ: أما المعنى الأول فروى البيهقي من طريق ابن أبي ذئب عن شعبة مولى ابن عباس قال: كان ابن عباس يصوم عاشوراء يومين، ويوالي بينهما مخافة أن يفوته، وأما المعنى الثاني، فقال الشافعي: أخبرنا سفيان أنه سمع عبدالله بن أبي يزيد يقول: سمعت ابن عباس يقول: صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود، وفي رواية له عنه: صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود وصوموا قبله يوماً أو بعده يوماً.

وفي كتاب الشريعة: قامت حركة يوم عاشوراء في القوة مقام قوى أيام السنة كلها إذا عومل كل يوم بما يليق به من عبادة الصوم، فحمل بقوته على الذي صامه جميع ما أجرم في السنة التي قبله فلا يؤاخذ بشيء مما اجترم فيها في رمضان وغيره من الأيام الفاضلة والليالي، مع كون رمضان أفضل منه ويوم عرفة وليلة القدر ويوم الجمعة مما يكفر الصوم، فمثله الإمام إذا صلى بمن هو أفضل منه كابن عوف حين صلى برسول الله ﷺ المقطوع بفضله، فإنه يحمل سهو المأموم مع كونه أفضل فلا تستبعد أن يحمل صوم عاشوراء جرائم المجرم في أيام السنة كلها، ولو شاهدت الأمر أو كنت من أهل الكشف عرفت صحة ما قلناه وما أراده الشارع.

وأما اعتبار أنه العاشر أو التاسع فاعلم أن هنا حكم الإسم الآخر فمن أقيم في مقام أحدية ذاته صام العاشر، فإنه أول آحاد العقد، ومن أقيم مقام الإسم الآخر الالهي صام التاسع، فإنه آخر بسائط العدد، ولما كان صوم عاشوراء مرغباً فيه وكان فرضه قبل فرض رمضان صح له مقام الوجوب وكان حكمه حكم الواجب، فمن صامه حصل له قرب الواجب وقرب المندوب إليه، فكان لصاحبه مشهدين وتجليين يعرفهما من ذاقهما من حيث أنه صام يوم عاشوراء.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: **(والعشر الأول من ذي الحجة والعشر الأول من المحرم)** الأول في الموضعين بضم الهمزة وفتح الواو جمع أولى. قال في المصباح: العشر بغير هاء عدد للمؤنث. يقال: عشر نسوة وعشر ليال، والعامة تذكر العشر على معنى أنه جمع الأيام فتقول العشر الأول والآخر وهو خطأ والشهر ثلاث عشرات، فالعشر الأول جمع أولى، والعشر الوسط جمع وسطى، والعشر الأخر جمع أُخرى، والعشر الأواخر أيضاً جمع آخرة، وهذا في غير التاريخ، وأما في التاريخ فيقولون: سرنا عشراً والمراد عشر ليال بأيامها فغلبوا المؤنث على المذكر هنا لكثرة دور العدد على ألسنتها اهـ.

وقوله: العشر الأول من ذي الحجة فيه تغليب وإنما هي تسعة أيام **(وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم وهي أوقات فاضلة)** شريفة **(« وكان رسول الله ﷺ يكثر صوم شعبان حتى**

فاضلة، «وكان رسول الله ﷺ يكثر صوم شعبان حتى كان يظن أنه في رمضان». وفي الخبر: «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم». لأنه ابتداء السنة فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته. وقال ﷺ: «صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره، وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام». وفي الحديث: «من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له بكل يوم عبادة تسعمائة عام» وفي الخبر: إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى

كان يظن أنه من رمضان») رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، وروى الترمذي والبيهقي من حديث أنس «أفضل الصوم بعد رمضان شعبان لتعظيم رمضان».

(وفي الخبر «أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم») رواه مسلم من حديث أبي هريرة بزيادة «وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل» وفي لفظ آخر له عن أبي هريرة أيضاً برفعه قال: سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة، وأي الصيام أفضل بعد شهر رمضان؟ فقال: «أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرم» ولم يخرج البخاري هذا الحديث.

(ولأنه ابتداء أول السنة) العربية **(فبناؤه على الخير أحب وأرجى لدوام البركة)** في سائر الشهور. وقال النووي في زيادات الروضة: أفضل الأشهر للصوم بعد رمضان الأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وأفضلها المحرم. ويلي المحرم في الفضيلة شعبان وقال صاحب البحر: رجب أفضل الحرم وليس كما قال اهـ.

(وقال ﷺ: «صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين من غيره، وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام») قال العراقي لم أجده هكذا، وفي المعجم الصغير للطبراني من حديث ابن عباس: «من صام يوماً من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوماً» اهـ. وعزاه السيوطي في جامعيه إلى معجمه الكبير.

(وفي الخبر: «من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله تعالى له عبادة سبعمائة عام») قال العراقي: رواه الأزدي في الضعفاء من حديث أنس اهـ.

قلت: ورواه ابن شاهين في الترغيب، وابن عساكر في التاريخ وسنده ضعيف بلفظ: «من صام في كل شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب له عبادة سبعمائة سنة». ورواه الطبراني في الأوسط من طريق يعقوب عن موسى المديني عن مسلمة عن أنس بلفظ: «كتب له عبادة سنتين» ويعقوب مجهول ومسلمة ضعيف.

(وفي الخبر: «إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان») قال العراقي: رواه الأربعة من حديث أبي هريرة وصححه الترمذي اهـ.

....

قلت: هذا لفظ ابن ماجه إلا أنه قال: « يجيء رمضان » ورواه أحمد أيضاً، ولفظ أبي داود: « إذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى يكون رمضان » وفي لفظ الترمذي والنسائي: « إذا بقي النصف من شعبان » وعند النسائي: « فكفوا عن الصيام ». ورواه ابن حبان بلفظ: « فافطروا حتى يجيء » وفي رواية له: « لا صوم بعد نصف شعبان حتى يجيء رمضان » ورواه ابن عدي بلفظ: « إذا انتصف شعبان فافطروا ». ورواه البيهقي بلفظ: « إذا مضى النصف من شعبان فامسكوا حتى يدخل رمضان ». وقال الترمذي بعد أن أخرجه: حسن صحيح، وتبعه الحافظ السيوطي، وتعقبه مغلطاي بقول أحمد هو غير محفوظ وروى البيهقي عن أبي داود، عن أحمد منكر. وقال الحافظ ابن حجر: كان ابن مهدي يتوقاه.

وفي كتاب الشريعة بعد أن أخرج حديث الترمذي: إذا بقي نصف من شعبان فلا تصوموا لما كانت ليلة النصف من شعبان أجال الخلق تكتب لملك الموت. كان الموت مشهوداً لأنه زمان استحضار الآجال، فإذا تلتها ليلة السادس عشر لم ينفك صاحب هذا الشهود عن ملاحظة الموت فهو معدود في حاله في أبناء الآخرة، وبالموت ينقطع التكليف فما هو في حالة يبيت فيها الصوم لمشاهدة حال الصفة التي تقطع بسببها الأعمال، فبقي سكراناً في أثر هذه المشاهدة، فمن بقيت له إلى دخول رمضان منع من صوم النصف كله، ومن لم يبق له منع السادس عشر ليلة نسخ الآجال وهي ليلة النصف، وإنما خص بعض العلماء من أهل الظاهر أنه محل لتحريم الصوم فيه بما أذكره، وهو أنه رحمه الله أورد حديثاً صحيحاً حدثنا به عبد الحق بن عبد الله بن عبد الرحمن، عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح الرعيني، حدثنا أبو محمد علي بن أحمد، حدثنا عبد الله بن ربيع، حدثنا عمر بن عبد الملك، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا أبو داود، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي قال: قدم عباد بن كثير المدينة فمال إلى مسجد العلاء بن عبد الرحمن وأخذ بيده فأقامه، ثم قال: اللهم إن هذا يحدث عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: « إذا انتصف شعبان فلا تصوموا » فقال العلاء: اللهم إن أبي حدثني عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال ذلك. قال أبو محمد: هكذا رواه سفيان عن العلاء، والعلاء ثقة روى عنه شعبة، والثوري، ومالك، وابن عيينة، ومسعر، وأبو العميس، وكلهم يحتج بحديثه، فلا يضره غمز ابن معين، ولا يجوز أن يظن بأبي هريرة مخالفة لما روي عن النبي ﷺ، والظن أكذب الحديث، فمن ادعى هنا إجماعاً فقد كذب، وقد كره قوم الصوم بعد النصف من شعبان جملة إلا أن الصحيح المتيقن مقتضى لفظ هذا الخبر النهي عن الصيام بعد النصف من شعبان، ولا يكون أقل من يوم، ولا يجوز أن يحمل على النهي عن صوم باقي الشهر. إذ ليس ذلك بيناً، ولا يخلو شعبان من أن يكون ثلاثين أو تسعاً وعشرين، فإذا كان ذلك فانتصافه بتمامه خمسة عشر يوماً، وإن كان تسعاً وعشرين فانتصافه في نصف اليوم الخامس عشر، ولم ينه إلا عن الصيام بعد النصف، فحصل بذلك النهي عن صيام السادس عشر بلا شك اهـ. كلام أبي محمد وهو الذي قال ان صوم السادس عشر لا يجوز، وعلل بما ذكرناه والله أعلم.

رمضان، ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياماً، فإن وصل شعبان برمضان فجائز فعل ذلك رسول الله ﷺ مرة وفصل مراراً كثيرة. ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة إلا أن يوافق ورداً له، وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهي بشهر رمضان. فالأشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان. والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب. واحد فرد وثلاثة سرد. وأفضلها ذو الحجة لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات، وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج، وشوّال من أشهر الحج وليس من الحرم، والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج. وفي الخبر: « ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله عز وجل من أيام عشر ذي الحجة إن صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه

(ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياماً، فإن وصل شعبان برمضان فجائز . فعل ذلك رسول الله ﷺ مرة) قال العراقي: رواه الأربعة من حديث أم سلمة لم يكن يصوم من السنة شهراً تاماً إلا شعبان يصل به رمضان، ولأبي داود والنسائي نحوه من حديث عائشة، **(وفصل بينهما مراراً كثيرة)**. قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عائشة قالت: « كان رسول الله ﷺ يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره، فإن غم عليه عد ثلاثين يوماً ثم صام » وأخرجه الدارقطني وقال: إسناده صحيح، والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين.

(ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين أو بثلاثة إلا أن يوافق ورداً له) فلا بأس، **(وكره بعض الصحابة)** رضوان الله عليهم **(أن يصام)** شهر **(رجب كله حتى لا يضاهي شهر رمضان)** ولو صام منه أياماً وأفطر أياماً فلا كراهة **(والأشهر الفاضلة)** الشريفة أربعة **(ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان)**، وأفضلهن المحرم كما سبق عن النووي، وقيل: رجب وهو قول صاحب البحر، وردّه النووي كما تقدم، **(والأشهر الحرم)** أربعة **(ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد)** منهن **(فرد)** وهو رجب **(وثلاثة سرد)** أي على التوالي وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وتقدم ذلك في كتاب الزكاة. **(وذو القعدة من الأشهر الحرم)** بل مفتتحها **(و)** من **(أشهر الحج وشوال)** هو شهر عيد الفطر جمعه شوالات وشواويل، وقد تدخله الألف واللام.

قال ابن فارس وزعم ناس أنه سمي بذلك لأنه وافق وقت ما تشول فيه الإبل اهـ.

وهو **(من أشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج)** وهما من أشهر الحرم، **(وفي الخبر « ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب إلى الله من أيام عشر ذي الحجة إن صوم يوم فيه يعدل صيام سنة، وقيام ليلة منه يعدل ليلة القدر »)** قال العراقي:

يعدل قيام ليلة القدر، قيل: ولا الجهاد في سبيل الله تعالى، قال: ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا من عقر جواده واهريق دمه».

رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة دون قوله: **(قيل: ولا الجهاد في سبيل الله. قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا من عقر جواده واهريق دمه»)** وعند البخاري من حديث ابن عباس: «ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذا العشر. قالوا: ولا الجهاد. قال: ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء» اهـ.

قلت: ولفظ الترمذي، وابن ماجه: «ما من أيام أحب إلى الله تعالى أن يتعبد له فيها أحب من عشر ذي الحجة يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر». قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث مسعود بن واصل عن النهاس. قال: وسألت محمداً يعني البخاري عنه فلم يعرفه. قال الصدر المناوي وغيره: والنهاس ضعفوه فالحديث معلول.

وقال ابن الجوزي: حديث لا يصح تفرد به مسعود بن واصل عن النهاس، ومسعود ضعيف ضعفه أبو داود، والنهاس قال القطان متروك. وقال ابن عدي لا يساوي شيئاً وقال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج به، وأورده في الميزان من مناكير مسعود عن النهاس. وقال: مسعود ضعفه الطيالسي، والنهاس فيه ضعف.

ومما بقي على المصنف من القسم الأول وهو ما يتكرر في السنة صوم ستة من شوال فإنه يستحب صومها، وبه قال أبو حنيفة وأحمد، لما روى أحمد ومسلم والأربعة من حديث أبي أيوب الأنصاري: «من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصوم الدهر» هذا لفظ مسلم. ولفظ أبي داود: «فكأنما صام الدهر» وفي الباب. عن جابر، وثوبان وأبي هريرة وابن عباس والبراء. وجمع الحافظ الدمياطي طرقه، وألف التقي السبكي فيه جزءاً أوسع الكلام فيه. وعن مالك أن صومها مكروه، والأفضل أن يصومها متتابعة على الاتصال بيوم العيد مبادرة إلى العبادة، وعن أبي حنيفة أن الأفضل أن يفرقها في الشهر، وبه قال أبو يوسف، وقد ألفت في المسألة جزءاً صغيراً وفي كتاب الشريعة جعلها الشارع ستاً ولم يجعلها أكثر أو أقل، وبين أن ذلك صوم الدهر لقوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام: ١٦٠] على هذا أكثر العلماء بالله، وهذا فيه حد مخصوص، وهو أن يكون عدد رمضان ثلاثين يوماً فإن نقص نزل هذه الدرجة، وعندنا أنه تجبر، فهذه الستة من صيام الدهر ما نقصه بالفطر في الأيام المحرم صومها وهي ستة أيام يوم الفطر ويوم النحر، وثلاثة أيام التشريق، ويوم السادس عشر من شعبان، فجبر بهذه الستة الأيام ما نقص بأيام تحريم الصوم فيها والاعتبار الآخر، وهو المعتمد عليه في صوم هذه الأيام من كونها ستة لا غير أن الله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وكنا نحن المقصود بذلك الخلق، فأظهر في هذه الستة الأيام من أجلنا ما أظهر من المخلوفات، فكان سبحانه لنا في تلك الأيام، فجعل لنا صوم هذه الستة الأيام في مقابلة تلك لأن نكون فيها متصفين بما هو له وهو الصوم كما اتصف هو بما هو لنا وهو الخلق والله أعلم.

وأما ما يتكرر في الشهر: فأول الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الأيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

وأما في الأسبوع: فالإثنين والخميس والجمعة، فهذه هي الأيام الفاضلة فيستحب

(وأما) القسم الثاني وهو **(ما يتكرر)** وقوعه **(في الشهر فأول الشهر وأوسطه وآخره)** فصوم أول الشهر يقال له صوم الغرر، وصوم آخره يقال له صوم السرر.

أخرج النسائي من حديث ابن مسعود: « كان رسول الله ﷺ يصوم ثلاثة أيام من غرة كل شهر ».

وأما صوم السرر فأخرج مسلم عن عمران بن حصين: « أن النبي ﷺ قال له أو لرجل وهو يسمع يا فلان أصمت في سرر هذا الشهر ؟. قال: لا قال: فإذا أفطرت فصم يومين ». وعنه « أن رسول الله ﷺ قال لرجل هل صمت من سرر شعبان؟ قال. لا قال: فإذا أفطرت من رمضان فصم يومين » وعنه « أن النبي ﷺ قال لرجل: هل صمت من سرر هذا الشهر شيئاً ؟ قال: لا. فقال: فإذا أفطرت من رمضان فصم يومين مكانه » وفي رواية: « صم يوماً أو يومين » على الشك.

ومن ألفاظ البخاري: « أما صمت سرر هذا الشهر » ولم يصل سنده بحديث: « سرر شعبان » إنما وصل بحديث « أما صمت سرر هذا الشهر ».

وأخرج مسلم عن معاذة أنها سألت عائشة: « أكان رسول الله ﷺ يصوم من كل شهر ثلاثة أيام. قالت: نعم فقلت لها: من أي أيام الشهر كان يصوم؟ قالت: كان لم يكن يبالي من أي أيام الشهر يصوم ».

(ووسطه الأيام البيض) على الإضافة لأن المعنى أيام الليالي البيض، **(وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر).**

قال النووي: هذا هو المعروف، ولنا وجه شاذ غريب حكاه الصيمري، والماوردي، والبغوي، وصاحب البيان: أن الثاني عشر بدل الخامس عشر والاحتياط صومها اهـ.

وأخرج الترمذي، والنسائي، وابن حبان من حديث أبي ذر: « أمرنا رسول الله ﷺ أن نصوم في الشهر ثلاثة أيام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ». وفي رواية عنه قال قال رسول الله ﷺ: « إذا صمت في الشهر ثلاثة أيام فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ». ورواه ابن حبان من حديث أبي هريرة أيضاً، ورواه ابن أبي حاتم في العلل عن جرير مرفوعاً، وصحح عن أبي زرعة وقفه، وأخرجه أبو داود، والنسائي من طريق ابن ملحان القيسي، عن أبيه. وأخرجه البزار من طريق ابن السلماني عن أبيه عن ابن عمر.

(وأما) ما يتكرر **(في الأسبوع فالإثنين والخميس والجمعة، فهذه الأيام الفاضلة)**

فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها ببركة هذه الأوقات.

الشريفة التي (**يستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات**) والبر والصدقات (**لتضاعف أجورها**) وتنمـو بركاتها (**ببركة هذه الأوقات**) .

أخرج مسلم من حديث أبي قتادة: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: كيف نصوم الحديث بطوله. وفيه، وسئل عن صوم يوم الإثنين. قال: « ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت أو أنزل علي فيه » . وفي هذا الحديث من رواية شعبة قال: وسئل عن صوم يوم الإثنين والخميس، قال مسلم: فسكتنا عن ذكر الخميس لما نراه وهما. وفي لفظ آخر: سئل عن صوم يوم الإثنين فقلل: « ولدت فيه وفيه أنزل علي » لم يخرج البخاري هذا الحديث.

وأخرج الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان من حديث عائشة مرفوعاً: « كان يتحرى صيام يوم الإثنين » .

وأخرج الترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً قال: « تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم » . وأخرجه أبو داود، والنسائي من حديث أسامة بن زيد بأتم منه.

وأما صوم يوم الجمعة فيكره إفراده لما رواه البخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة: « لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو بعده » .

وفي رواية لمسلم: « لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم » .

وأخرج الحاكم والبزار من حديث أبي هريرة مرفوعاً: « يوم الجمعة عيدنا فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده » .

وأخرج البخاري ومسلم، عن محمد بن عباد بن جعفر، سألت جابر بن عبد الله وهو يطوف بالبيت: « أنهى رسول الله ﷺ عن صيام يوم الجمعة؟ فقال: نعم، ورب هذا البيت » . زاد البخاري في رواية معلقة، ووصلها النسائي يعني: « أن ينفرد بصومه » .

وأخرج البخاري من حديث جويرية بنت الحرث: « أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال: أصمت أمس؟ قالت: لا . قال: تريدين أن تصومي غداً؟ قالت: لا . قال: فافطري » .

وفي كتاب الشريعة اعلم أن الجمعة هو آخر أيام الخلق، وفيه خلق من خلقه الله على صورته وهو آدم عليه السلام، وفيه ظهر كمال أيام الخلق وغايته، وبه ظهر أكمل المخلوقين وهو الإنسان، وسماه الله تعالى بلسان الشرع يوم الجمعة، وزينه الله بزينة الأسماء الإلهية وأقامه خليفة فيها بها، فلم يكن في الأيام أكمل من يوم الجمعة والإنسان كامل بربه لأجل الصورة، ويوم الجمعة كامل

....

بالإنسان لكونه خلق فيه، فخص الأكمل بالأكمل، والصوم لا مثل له في العبادات فأشبه من لا مثل له في نفي المثلية، ومن لا مثل له قد اتصف بصفتين متقابلتين من وجه واحد وهو الأوّل والآخر وهو ما بينهما. إذ كان هو الموصوف، فمن أراد أن يصوم يوم الجمعة يصوم يوماً قبله أو يوماً بعده، ولا يفرد بالصوم كما ذكرناه من الشبه في صيام ذلك وقيام ليلته، إذ كان ليس كمثل يوم فإنه خير يوم طلعت فيه الشمس، فما أحكم علم الشرع في كونه حكم أن لا يفرد بالصوم ولا ليلته بالقيام تعظيماً لرتبته على سائر الأيام، والله أعلم.

فصل

ولم يذكر المصنف صوم يوم السبت والأحد، واختلف العلماء فيه. فمنهم من منع ذلك، ومنهم من قال به.

قال الرافعي: وكره إفراد يوم السبت فإنه يوم اليهود، وقد روي أنه ﷺ قال: «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم» اهـ.

قلت: حجة المانعين هذا الحديث، وقد أخرجه الحاكم والأربعة وابن حبان والحاكم، والطبراني، والبيهقي من حديث عبد الله بن بسر، عن أخته الصماء، وهي لها صحبة بزيادة: «فإن لم يجد أحدكم إلا عود عنب أو لحي شجرة فليمضغه» وصححه ابن السبكي، وقال أبو داود وهذا منسوخ، وروى الحاكم عن الزهري، أنه كان إذا ذكر له هذا الحديث قال: هذا حديث حمصي. وعن الاوزاعي قال: ما زلت له كاتماً حتى رأيته اشتهر، وقال أبو داود في السنن، قال مالك: هذا الحديث كذب.

قال الحافظ: وقد أعل هذا الحديث بالاضطراب فقيل هكذا، وقيل عن عبدالله بن بسر من غير ذكر أخته، وهذه رواية ابن حبان وليست بعلة قادحة، فإنه أيضاً صحابي، وقيل عنه عن أبيه بسر، وقيل عنه عن الصماء عن عائشة. قال النسائي: هذا حديث مضطرب.

قال الحافظ: ويحتمل أن يكون عن عبدالله عن أبيه عن أخته وعنه عن أخته بواسطة، وهذه رواية من صححه، ورجح عبد الحق الرواية الأولى، وتبع في ذلك الدارقطني، لكن هذا التلون في الحديث الواحد بالإسناد الواحد مع اتحاد المخرج يـوهي روايته وينبيء بقلة ضبطه، إلا أن يكون من الحفاظ المكثرين المعروفين بجمع طرق الحديث فلا يكون ذلك دالاً على قلة ضبطه وليس الأمر هنا كذا، بل اختلف فيه أيضاً على الراوي عن عبدالله بن بسر، وادعى أبو داود نسخه، ولا يتبين وجه النسخ.

قال الحافظ: يمكن أن يكون أخذه من كونه ﷺ كان يحب موافقة أهل الكتاب في أول الأمر

ثم في آخر أمره، قال: « خالفوهم » فالنهي عن صوم يوم السبت يوافق الحالة الأولى، وصيامه يوافق الحالة الثانية، وهذه صورة النسخ اهـ.

وأما حجة من أجازه ما رواه الحاكم بإسناد صحيح عن كريب أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ بعثوني إلى أم سلمة ليسألها عن الأيام التي كان رسول الله ﷺ أكثر لها صياماً، فقالت: يوم السبت والأحد، فرجعت إليهم فقاموا بأجمعهم إليها فسألوها فقالت: صدق وكان يقول: « إنهما يوما عيد المشركين فأنا أريد أن أخالفهم » ورواه النسائي والبيهقي وابن حبان.

وروى الترمذي من حديث عائشة قالت: « كان رسول الله ﷺ يصوم من الشهر السبت والأحد والإثنين، ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس ».

وفي كتاب الشريعة: اعلم أن يوم السبت عندنا هو يوم الأبد الذي لا انقضاء ليومه، فليله في جهنم فهي سوداء مظلمة، ونهاره لأهل الجنان. فالجنة مضيئة مشرقة والجوع مستمر دائم في أهل النار، وضده في أهل الجنان فهم يأكلون عن شهوة لا لدفع ألم الجوع ولا عطش، فمن كان مشهده القبض والخوف اللذين هما من نعوت جهنم قال بصومه، لأن الصوم جنّة فيتقي به هذا الأمر الذي أذهله.

وقد روي في كتاب الترغيب لابن زنجويه مرفوعاً: « من صام يوماً ابتغاء وجه الله بعده الله من النار سبعين خريفاً » ومثل هذا ومن كان مشهده البسط والرجاء والجنة، وعرف أن السبت إنما سمي سبتاً لمعنى الراحة فيه، وإن لم تكن الراحة عن تعب قال بالفطر لما في الصوم من المشقة وهو يضاد الراحة لأنه ضد ما جبل عليه الإنسان من التغذي، وأما من صامه لمراعاة خلاف المشركين فمشهده أن مشهد المشرك الشريك الذي نصبه، فلما ولي الشريك أمورهم في زعمهم بما ولوه جعل لهم ذلك اليوم عيداً لفرحه بالولاية، فأطعمهم فيه وسقاهم، وأعني بالشريك صورته القائمة بنفوسهم لا عينه. وأما الذي جعلوه شريكاً لله فلا يخلو ذلك المجهول أن يرضى بهذا المحال أو لا يرضى، فإن رضي كان بمثابتهم كفرعون وغيره، وإن لم يرض وهرب إلى الله مما نسبوا إليه سعد هو في نفسه ولحق الشقاء بالناصبين له، فمن صامه بهذا الشهود فهو صوم مقابلة ضد لبعد المناسبة بين المشرك والموحد، فأراد أن يتصف أيضاً في حكمه في ذلك اليوم بصفة المقابل بالصوم الذي يقابل فطرهم، وكذلك كان يصومه ﷺ.

وأما صوم يوم الأحد فلما ذكرناه من هذا المشهد، فإنه يوم عيد للنصارى، ومن اعتبر فيه أنه أول يوم اعتنى الله فيه بخلق الخلق في أعيانهم صامه شكراً فقابله بعبادة لا مثل لها، فاختلف قصد العارفين في صومهم، ومن العارفين من صامه لكونه الأحد خاصة، والأحد صفة تنزيه للحق والصوم تنزيه، فوقعت المناسبة بينهما في صفة التنزيه فصامه لذلك وكل له شرب معلوم فعامله بأشرف الصفات، والله أعلم.

وأما صوم الدهر؛ فإنه شامل للكل وزيادة. وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراهته، والصحيح أنه إنما يكره لشيئين، أحدهما: أن لا يفطر في العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله، والآخر أن يرغب عن السنّة في

(وأما صوم الدهر، فإنه شامل للكل) مما ذكر في القسمين **(وزيادة)** عليه **(وللسالكين)** من أهل الله **(فيه طرق، فمنهم من كره ذلك إذ وردت أخبار تدل على كراهته)**.

قال العراقي: رواه البخاري، ومسلم من حديث عبدالله بن عمرو، في حديث له: «لا صام من صام الأبد» ولمسلم من حديث أبي قتادة قيل: يا رسول الله كيف بمن صام الدهر؟ قال: «لا صام ولا أفطر». وللنسائي نحوه من حديث ابن عمر، وعمران بن حصين، وعبدالله بن الشخير اهـ.

قلت: أخرجه مسلم من طريق عطاء بن أبي رباح، عن أبي العباس الشاعر، عن عبدالله بن عمرو قال: بلغ النبي ﷺ أني أسرد الصوم وأصلي الليل فإما أرسل إلي وإما لقيته، وفي هذا الحديث فقال النبي ﷺ: «لا صام من صام الأبد» ثلاثاً.

وفي بعض روايات البخاري: «الدهر» بدل «الأبد».

وأخرج مسلم من حديث أبي قتادة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ كيف نصوم؟ فغضب رسول الله ﷺ من قوله، فلما رأى عمر غضبه قال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، فجعل عمر يردد هذا الكلام حتى سكن غضبه، فقال عمر: يا رسول الله؛ كيف من يصوم الدهر كله؟ قال: «لا صام ولا أفطر» أو قال: «لم يصم ولم يفطر». وفي لفظ آخر: فسئل عن صيام الدهر.

وأما حديث عبدالله بن الشخير فأخرجه أحمد وابن حبان بلفظ: «من صام الأبد فلا صام ولا أفطر» وعن عمران بن حصين نحوه.

(والصحيح أنه إنما يكره) صوم الدهر **(لشيئين: أحدهما: أن لا يفطر في العيدين)** الفطر والأضحى **(وأيام التشريق)** وهي ثلاثة أيام بعد يوم الأضحى **(فهو الدهر كله)** وقال المصنف في الوجيز: وعلى الجملة صوم الدهر مسنون بشرط الافطار يومي العيد وأيام التشريق.

قال الرافعي: المسنون يطلق على معنيين. أحدهما: ما واظب عليه النبي ﷺ، ولا شك أن صوم الدهر ليس مسنوناً بهذا المعنى، والثاني: المندوب وفي كون صوم الدهر بهذه الصفة كلام، فإن صاحب التهذيب في آخرين أطلقوا القول بكونه مكروهاً، واحتجوا بما فيه من الأخبار الواردة من نهيه، وفصّل الأكثرون فقالوا: إن كان يخاف منه ضرر أو يفوت به حق فيكره، وإلاَّ فلا. وحملوا النهي على الحالة الأولى، أو على ما إذا لم يفطر العيد وأيام التشريق، وقوله: بشرط الإفطار يومي العيد وأيام التشريق ليس المراد منه حقيقة الاشتراط لأن إفطار هذه الأيام يخرج الموجود عن أن يكون صيام الدهر، وإذا كان كذلك لم يكن شرطاً لاستثنائه، فإن استئناف صوم الدهر يستدعي تحققه، وإنما المراد منه أن صوم الدهر سوى هذه الأيام مسنون، والله أعلم اهـ.

الإفطار ويجعل الصوم حجراً على نفسه مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه، فإذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك، فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم. وقال ﷺ فيما رواه أبو موسى الأشعري: «من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين».

(والآخر: أن يرغب عن السنة في الإفطار ويجعل الصوم حجراً على نفسه) أي منعاً، **(مع أن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه)** الرخص جمع رخصة وهي تسهيل الحكم على المكلف لعذر حصل والعزائم هي المطلوبات الواجبة أي فإن أمر الله في الرخصة والعزيمة واحد، وهذه الجملة قد رويت مرفوعاً من حديث ابن عمر. رواه أحمد والبيهقي، ومن حديث ابن عباس رواه الطبراني في الكبير، وعن ابن مسعود بنحوه رواه الطبراني أيضاً. قال: وقفه عليه أصح، ويروى أيضاً من حديث ابن عمر بلفظ: «كما يكره أن تؤتى معصيته» رواه أحمد، وابن حبان، والبيهقي، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني، ومسند الطبراني حسن.

(فإذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر) بأن لم يخف منه ضرراً في نفسه ولا فات حق أحد به **(فليفعل)** أي فليصم أبداً، **(فقد فعل ذلك جماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم)** مما هو معروف عند من طالع سيرتهم ومناقبهم، وكذلك من بعدهم من الخالفين لهم.

قال صاحب العوارف: وكان عبدالله بن جابان صام نيفاً وخمسين سنة لا يفطر في السفر والحضر، فجهد به أصحابه يوماً فأفطر فاعتل من ذلك أياماً، فإذا رأى المريد صلاح قلبه في دوام الصوم فليصم دائماً ويدع الإفطار جانباً فهو عون حسن له على ما يريد.

قلت: وقد كان على هذا القدم شيخنا الورع الزاهد محمد بن شاهين الدمياطي رحمه الله تعالى كان يوالي الصيام ولم يرَ مفطراً لا سفراً ولا حضراً، وكان كثير الزيارات والأسفار لمشاهد الأولياء الكرام، ولقد ضمنا وإياه مجلس في ثغر دمياط على شط بحر الملح فقلت له يا سيدي؛ اليوم عيدنا والعيد لا يصام فيه وجهدنا به حتى أفطر، فأخبرني أصحابه أنه اعتل بذلك علة شديدة.

(وقد قال النبي ﷺ فيما رواه أبو موسى الأشعري) رضي الله عنه: **(«من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم)** هكذا **(وعقد تسعين»)**. قال العراقي: رواه أحمد والنسائي في الكبرى، وابن حبان وحسنه أبو يعلى الطوسي اهـ.

قلت: قال ابن حبان أحد رواته: هو محمول على من صام الدهر الذي فيه أيام العيد والتشريق.

وقال البيهقي وقبله ابن خزيمة يعني ضيقت عنه فلم يدخلها.

وفي الطبراني عن ابن الوليد ما يومىء إلى ذلك.

ومعناه لم يكن له فيها موضع ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر بأن يصوم يوماً ويفطر يوماً. وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها، وقد ورد في فضله أخبار كثيرة لأن العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم، فقد قال ﷺ: «عرضت عليّ مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الأرض فرددتها وقلت أجوع يوماً وأشبع يوماً أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت». وقال ﷺ: «أفضل الصيام صيام أخي داود كان يصوم

وقال المصنف: (**معناه لم يكن له فيها موضع**) وهكذا ذكره صاحب العوارف أيضاً (**ودونه**) أي دون صوم الدهر (**درجة أخرى وهو بمنزلة صوم نصف الدهر بأن يصوم يوماً ويفطر يوماً وذلك أشد على النفس وأقوى في**) كسر شهوتها و(**قهرها**) وتذليلها، (**وقد ورد في فضل ذلك أخبار**) سيأتي ذكرها قريباً (**لأن العبد فيه بين صبر يوم**) وهو الصيام (**وشكر يوم**) وهو الإفطار.

(**قال النبي ﷺ: «عرضت عليَّ مفاتيح خزائن الدنيا و**) مفاتيح (**كنوز الأرض فرددتها**) أي على الملك الذي جاء بها (**وقلت أجوع يوماً وأشبع يوماً أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت»**) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي أمامة بلفظ: «عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً» وقال حسن اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وتمامه عندهما بعد قوله: «ذهبا» فقلت: «لا يا رب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك»، وهو من رواية ابن المبارك عن يحيى بن أيوب عن عبيدالله بن زهر عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة، وقول الترمذي حسن فيه نظر، فقد قال العلائي: فيه ثلاثة ضعفاء عبيدالله بن زهر، وعلي بن زيد، والقاسم. وفي الحديث جمع القربتين الصبر والشكر وهما صفتا المؤمن الكامل المخلص وفيه دلالة على أن ما كان عليه ﷺ من ضيق العيش والتقلل فيه لم يكن اضطرارياً، بل اختيارياً مع إمكان التوسع.

(**وقال ﷺ: «أفضل الصيام صوم أخي داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً»**)، رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبدالله بن عمر. وقال الترمذي: حسن صحيح، وزادوا بعده: «وكان لا يفر إذا لاقى» وفيه إشارة إلى أنه لأجل تقويه بالفطر كان لا يفر من عدوه إذا لاقاه للقتال، فلو انه سرد الصوم ربما أضعف قوّته وانتهك جسمه ولم يقدر على قتال الأبطال، فصوم يوم وفطر يوم جمع بين القربتين وقيام بالوظيفتين، والمراد بالأخوة هنا في النبوّة والرسالة.

وأخرجه مسلم من حديثه وفيه، قال له ﷺ: «صم يوماً وأفطر يوماً وذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام».

وفي لفظ له أيضاً قال: «نعم صوم داود نبي الله عليه السلام فإنه كان أعبد الناس. قال قلت يا نبي الله وما صوم داود؟ قال: كان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

يوماً ويفطر يوماً »، ومن ذلك: منازلته ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الصوم وهو يقول إني أطيق أكثر من ذلك، فقال ﷺ: « صم يوماً وافطر يوماً، فقال: إني أريد أفضل من ذلك، فقال ﷺ: لا أفضل من ذلك ». وقد روي: « أنه

وفي لفظ آخر من حديثه: « قلت: وما صوم نبي الله داود؟ قال: نصف الدهر ».

وفي لفظ آخر له من طريق عطاء عن ابن العباس الشاعر عنه في هذا الحديث قال: « نعم صيام داود عليه السلام قال: وكيف كان داود يصوم يا نبي الله؟ قال: كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى ».

وأخرجه أيضاً من حديثه مرفوعاً: « إن أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ».

وفي لفظ آخر: رواه ابن جريج عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أوس عنه عن النبي ﷺ قال: « أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم نصف الدهر ».

وأخرج باسناد آخر عنه أيضاً مرفوعاً: « لا صوم فوق صوم داود شطر الدهر صيام يوم وإفطار يوم ».

وعنه أيضاً قال له رسول الله ﷺ: « صم أفضل الصيام عند الله صوم داود عليه السلام كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ».

وأخرجه البخاري بهذا اللفظ، وفي لفظ له قال له: « صم صيام نبي الله داود ولا تزد عليه » وله ألفاظ أخر، والمعنى واحد.

وفي كتاب الشريعة: أفضل الصيام وأعدله صوم في حقك، وصوم يوم في حق ربك، وبينهما فطر يوم فهو أعظم مجاهدة على النفس، وأعدل في الحكم، ويحصل له في مثل هذا الصوم حال الصلاة كحالة الضوء من نور الشمس، فإن الصلاة نور والصبر ضياء وهو الصوم، والصلاة عبادة مقسومة بين رب وعبد، وكذلك صوم داود صوم يوم وفطر يوم فتجمع بين ما هو لك وما هو لربك.

(ومن ذلك منازلته ﷺ لعبد الله بن عمرو) بن العاص أبو محمد، ويقال: أبو عبد الرحمن رضي الله عنهما وكان من علماء الصحابة ومن العباد مات بمصر، وقيل بالطائف سنة ٦٥. **(في الصوم، وهو يقول: إني أريد أفضل من ذلك. فقال ﷺ: « صم يوماً وافطر يوماً فقال إني أريد أفضل من ذلك، فقال ﷺ: « لا أفضل من ذلك »)**. رواه البخاري ومسلم من حديثه.

ففي سياق مسلم من حديثه قال: أخبر رسول الله ﷺ أنه يقول: لأقومن الليل ولأصومن النهار ما عشت، فقال ﷺ: « فإنك لا تستطيع ذلك صم وافطر وقم ونم صم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر. قال: قلت فإني أطيق أفضل من ذلك قال: صم يوماً

ﷺ ما صام شهراً كاملاً قط إلا رمضان» بل كان يفطر منه. ومن لا يقدر على

وأفطر يومين. قال: قلت فإني أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله، قال: صم يوماً وأفطر يوماً وذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام. قال: قلت فإني أطيق أفضل من ذلك. قال رسول الله ﷺ: لا أفضل من ذلك».

وعنه قال: «كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة قال: فإما ذكرت للنبي ﷺ وإما أرسل إليّ فأتيته. فقال: ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟ فقلت: يا نبي الله ولَمْ أرد بذلك إلا الخير فساق الحديث وفيه: قال قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك».

وفي لفظ آخر له عنه، قال قال رسول الله ﷺ: «اقرأ القرآن في كل شهر. قال، قلت إني أجد قوّة، قال فاقرأ في سبع ولا تزد على ذلك».

ومن طريق عطاء عن ابن العباس الشاعر عنه قال: «بلغ النبي ﷺ أني أصوم أسرد الصوم وأصلي الليل فاما أرسل إلي وإما لقيته، فقال لي: ألم أخبر أنك تصوم ولا تفطر وتصلي الليل فلا تفعل فإن لعينك حظاً ولنفسك حظاً ولأهلك حظاً، فصم وافطر وصلّ ونم وصم من كل عشرة أيام يوماً ولك أجر تسعة. قال: إني أجدني أقوى يا نبي الله قال: فصم صيام داود».

وعنه أيضاً في هذا الحديث قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبدالله بن عمرو إنك لتصوم الدهر وتقوم الليل وإنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين ونهكت لا صام من صام الأبد. صوم ثلاثة أيام من الشهر صوم الشهر. قلت: فإني أطيق أكثر من ذلك قال: فصم صوم داود».

وفي لفظ آخر من حديثه قال إن رسول الله ﷺ ذكر له صومي فدخل علي فألقيت إليه وسادة من أدم حشوها ليف، فجلس على الأرض وصارت الوسادة بيني وبينه فقال لي: «أما يكفيك من كل شهر ثلاثة أيام؟ قلت: يا رسول الله؛ قال: خمسة. قلت يا رسول الله. قال: سبعة. قلت: يا رسول الله. قال: تسعة. قلت: يا رسول الله؛ قال: أحد عشر. قلت: يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «لا صوم فوق صوم داود».

وفي سياق البخاري من حديثه قال لي رسول الله ﷺ: «كيف تصوم؟ قال: كل يوم. قال: كيف تختم؟ قال: كل ليلة. قال صم كل شهر ثلاثة أيام، واقرأ القرآن في كل شهر. قال: قلت أطيق أكثر من ذلك. قال: صم ثلاثة أيام في الجمعة واقرأ القرآن في كل شهر. قال: أطيق أكثر من ذلك قال: افطر يومين وصم يوماً قال: أطيق أكثر من ذلك. قال: صم أفضل الصوم» الحديث.

(وقد روي «أنه ﷺ ما صام شهراً كاملاً قط إلا رمضان»). قال العراقي: أخرجه من حديث عائشة اهـ.

قلت: هو سياق حديث ابن عباس عند مسلم. قال: «ما صام رسول الله ﷺ شهراً كاملاً قط غير رمضان». وفي طريق أخرى: «شهراً متتابعاً منذ قدم المدينة»، وأخرجه البخاري ولم يقل منذ قدم المدينة.

صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه وهو أن يصوم يوماً ويفطر يومين. وإذا صام ثلاثة من أوّل الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث. وواقع في الأوقات الفاضلة وإن صام الإثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث. وإذا ظهرت أوقات

وأما حديث عائشة فلفظه عند مسلم عن عبدالله بن شقيق قلت لعائشة: هل كان النبي ﷺ يصوم شهراً معلوماً سوى رمضان؟ قالت: « والله ما صام شهراً معلوماً سوى رمضان حتى مضى لوجهه ولا أفطر حتى يصيب منه » وفي لفظ آخر: « أكان النبي ﷺ يصوم شهراً كله؟ قالت: ما علمته صام شهراً كله إلا رمضان » الحديث. وفي لفظ آخر قالت: « وما رأيته صام شهراً كاملاً منذ قدم المدينة إلا أن يكون رمضان ». **(بل كان يفطر في غيره)** أي في غير رمضان، **(ومن كان لا يقدر على صوم نصف الدهر)** الذي هو صوم يوم وفطر يوم **(فلا بأس بثلثه وذلك بأن يصوم يوماً ويفطر يومين)**. وقد اختاره بعض الصالحين.

وقد جاء ذلك في حديث عبدالله بن عمرو عند البخاري قال: « افطر يومين وصم يوماً ». وعند مسلم من حديث أبي قتادة قال عمر: كيف من يصوم يوماً ويفطر يومين وددت أني طوّقت ذلك.

(فإن صام ثلاثة من أوّل الشهر، وثلاثة من وسطه، وثلاثة من آخره فهو ثلث وواقع في الأوقات الفاضلة) التي هي الغرر والبيض والسرر.

ومنهم من اختار أن يصوم يومين ويفطر يوماً، وقد جاء ذكره في حديث أبي قتادة عند مسلم قال عمر: كيف يصوم يومين ويفطر يوماً؟ قال ﷺ: « ويطيق ذلك أحد؟» وقد اختاره بعض الصالحين.

وفي كتاب الشريعة: ولما رأى بعضهم أن حق الله أحق لم يرَ التساوي بين ما هو لله وما هو للعبد فصام يومين وأفطر يوماً، وهذا كان صوم مريم عليها السلام، فإنها رأت أن للرجال عليها درجة، فقالت: عسى ما جعل هذا اليوم الثاني في الصوم في مقابلة تلك الدرجة، وكذلك كان فإن النبي ﷺ شهد لها بالكمال كما شهد به للرجال، ولما رأت أن شهادة المرأتين تعدل شهادة الرجل الواحد فقالت: صوم اليومين مني بمنزلة اليوم الواحد من الرجل الواحد، فقامت مقام الرجال بذلك فساوت داود في الفضيلة في الصوم، فهكذا من غلبت عليه نفسه فقد غلبت أنوثته، فينبغي أن يعاملها بمثل ما عاملت به مريم نفسها. وهذا إشارة حسية لمن فهمها فإنه إذا كان الكمال لها لحوقها بالرجال فالأكمل لها لحوقها بربها كعيسى ولدها، فإنه كان يصوم الدهر ولا يفطر، ويقوم الليل فلا ينام فكان ظاهراً باسم الدهر في نهاره وباسم الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم في ليله، ولذا أثرت هذه الصفة من خلف حجاب الغيب في قلوب المحجوبين من أهل الكشف حتى قالوا فيه ما قالوا.

(وإن صام الإثنين والخميس والجمعة) من كل شهر **(فذلك أيضاً قريب من الثلث)**

الفضيلة فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم وأن مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله عز وجل. والفقيه بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله فقد يقتضي حاله دوام

وفي نسخة فهو قريب من الثلث، وفي بعض النسخ زيادة، وقريب من النصف أي باعتبار تكرير تلك الأيام في كل جمعة من الشهر إذ لو أهلَّ الشهر بالإثنين أو الأربعاء أو الجمعة أو الأحد كانت الأيام في الشهر ثلاثة عشر يوماً، ولو أهلَّ بالثلاثاء كانت إحدى عشر يوماً، ولو أهلَّ بالخميس كانت أربعة عشر يوماً، ولو أهلَّ بالسبت كانت اثني عشر يوماً، وهذا إذا كان الشهر كاملاً فإن كان ناقصاً فبحسابه.

(**وإذ قد ظهرت أوقات الفضيلة**) بما تقدم من الأخبار (**فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم**) ما هو (**وان مقصوده**) منه (**تصفية القلب**) عن الخطرات والوساوس (**وتفريغ الهم**) المشتت إلى أنحاء مختلفة (**لله عز وجل**) بحيث لا يخطر بباله ما يقطع بينه وبينه.

تنبيه:

حديث عائشة رضي الله عنها الذي قدمنا ذكره من تخريج الترمذي وهو قالت: « كان رسول الله ﷺ يصوم من الشهر السبت والأحد والإثنين، ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس » دال على استيعاب الأيام السبعة بالصيام، وعلمنا منه أنه ﷺ أراد أن يتلبس بعبادة الصوم في كل يوم إما امتناناً منه على ذلك اليوم، فإن الأيام يفتخر بعضها على بعض بما يوقع العبد فيها من الأعمال للقربة إلى الله من حيث أنها ظرف له، فيريد العبد الصالح أن يجعل لكل يوم من أيام الجمعة وأيام الشهر وأيام السنة جميع ما يقدر عليه من أفعال البر حتى يحمده كل يوم ويتجمل به عند الله ويشهد له، فإذا لم يقدر في اليوم الواحد أن يجمع جميع الخيرات فيعمل فيه ما قدر عليه، فإذا عاد عليه من الجمعة الأخرى عمل فيه ما فاته في الجمعة الأولى حتى يستوي فيه جميع الخيرات التي يقدر عليها، وهكذا في أيام الشهر وأيام السنة.

واعلم أن الشهور تتفاضل أيامها بحسب ما تنسب إليه كما تتفاضل ساعات النهار والليل بحسب ما تنسب إليه، فيأخذ الليل من النهار من ساعاته ويأخذ النهار من الليل، والتوقيت من حيث حركة اليوم الذي يعم الليل والنهار كذلك أيام الشهور تتعين بقطع الدراري في منازل الفلك لأقصى لا في الكواكب الثابتة التي تسمى في العرف منازل القمر، فللقمر أيام معلومة في قطع الفلك، ولعطارد أيام أخر، وللزهرة كذلك، وللشمس كذلك، وللمريخ كذلك، وللمشتري كذلك، ولزحل كذلك، فينبغي للعبد أن يراعي هذا كله في أعماله، فإن له من العمر بحيث أن يفي بذلك، فإن أكبر هذه الشهور لا يكون أكبر الأعمار من نحو ثلاثين سنة لا غير، وأما شهور الكواكب الثابتة في قطعها في فلك البروج فلا يحتاج إليه لأن الأعمار تقصر عن ذلك.

(**والفقيه**) المتبصر (**بدقائق الباطن**) وأسراره (**ينظر إلى أحواله**) التي أقامه الله فيها، (**فقد يقتضي حاله دوام الصوم**) في الأيام كلها، وقد يقتضي المواصلة فيه على رأي من يقول:

الصوم، وقد يقتضي دوام الفطر، وقد يقتضي مزج الإفطار بالصوم. وإذا فهم المعنى

إن النهي عن الوصال نهي تنزيه وهو مشهد العارفين بالله تعالى، لأنهم قالوا: إنما راعى ﷺ الشفقة والرحمة في ذلك بظاهر الناس، ولو كان حراماً ما واصل بهم ﷺ. وقد ورد أنه ﷺ قال: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق»، وقال: «لن يشادّ هذا الدين أحد إلاّ غلبه».

وخرج مسلم عن أنس قال: واصل رسول الله ﷺ في آخر شهر رمضان فواصل ناس من المسلمين فبلغه ذلك فقال: «لو مدّ لنا الشهر لواصلنا وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم» وقد يقتضي حاله المواصلة حتى السحر في كل يوم، فتدخل الليلة في الصوم كل ليلة ويكون حد السحر لفطرها كحد الغروب للنهار في حق من لا يواصل.

وأخرج البخاري عن أبي سعيد أنه ﷺ قال: «أيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر». **(وقد يقتضي)** حاله **(دوام الفطر)** في الأيام كلها ما عدا رمضان. **(وقد يقتضي مزج الإفطار بالصوم)** إما بصوم يوم وإفطار يوم كصوم داود عليه السلام، أو بصوم يومين وفطر يوم كما هو صوم مريم عليها السلام، أو بصوم ثلاثة في كل أسبوع، وللسالكين في ذلك طرائق مختلفة.

قال صاحب العوارف: كان سهل بن عبدالله التستري يأكل في كل خمسة عشر يوماً مرة، وفي رمضان يأكل أكلة واحدة ويفطر كل ليلة بالماء القراح للسنة.

وحكي عن الجنيد رحمه الله أنه كان يصوم على الدوام، فإذا دخل عليه إخوانه أفطر معهم ويقول: ليس فضل المساعدة مع الإخوان بأقل من فضل الصوم، ثم قال: غير أن هذا الإفطار يحتاج إلى علم، فقد يكون الداعي إلى ذلك شره النفس لا نية الموافقة، وتخليص النية بمحض الموافقة مع وجود شره النفس صعب. قال: وسمعت شيخنا يعني أبا النجيب يقول: لي سنين ما أكلت شيئاً بشهوة نفس ابتداء واستدعاء، بل يقدم إلي الشيء فأرى فضل الله ونعمته وفعله فأوافق الحق في فعله. ورأيت أبا السعود بن شبل يتناول الطعام في اليوم مرات أي وقت أحضر أكل منه، ويرى أن تناوله موافقة الحق عز وجل لأن حاله مع الله تعالى كان ترك الاختيار في جميع تصاريفه والوقوف مع فعل الحق، وقد كان له في ذلك بداية يعز مثلها حتى لقد كان يبقى أياماً لا يأكل، ولا يعلم أحد بحاله، ولا يتصرف هو لنفسه، ولا يتسبب إلى تناول شيء وينتظر فعل الحق بسياقه الرزق إليه ولم يشعر أحد بحاله مدة من الزمان، ثم إن الله تعالى أظهر حاله وأقام له الأصحاب وكانوا يتكلفون الأطعمة ويأتون بها إليه، وهو يرى في ذلك فعل الحق والموافقة. سمعته يقول: أصبح كل يوم وأحب ما إليّ الصوم وينقض الحق علي محبتي للصوم بفعله فأوافق الحق في فعله.

وحكي عن بعض الصادقين من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة، وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا في رمضان قال أبو نصر السراج: أنكر قوم هذا لمخالفة العلم، وإن كان الصوم

وتحقق جده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيباً مستمراً، ولذلك روي: «أنه ﷺ كان يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر

تطوّعاً، واستحسنه آخرون لأن صاحبه كان يريد بذلك تأديب النفس بالجوع وأن لا يتمتع برؤية الصوم، قال: ووقع لي أن هذا إن قصد أن لا يتمتع برؤية الصوم فقد يتمتع برؤية عدم التمتع برؤية الصوم، وهذا يتسلسل والأليق موافقة العلم وإمضاء الصوم، ولكن أهل الصدق لهم نيات فيما يفعلون فلا يعارضون والصدق محمود لعينه، كيف كان والصادق في خفارة صدقه كيف تقلب.

وقال بعضهم: إذا رأيت الصوفي يصوم صوم التطوّع فاتهمه، فإنه قد اجتمع معه شيء من الدنيا، وقيل: إذا كان جماعة متوافقون أشكالاً وفيهم مريد يحثون على الصيام فإن لم يساعدوه يتهموا لإفطاره ويتكلفوا له رفقاً به ولا يحملون حاله على حاله وإن كان جماعة مع شيخ يصومون لصيامه ويفطرون لإفطاره إلا من يأمره الشيخ بذلك، وقيل: إن بعضهم صام سنين بسبب شاب كان يصحبه حتى ينظر الشاب إليه فيتأدب به ويصوم بصيامه.

وحكي عن الحسن المكي أنه كان يصوم الدهر وكان مقيماً بالبصرة وكان لا يأكل الخبز إلا ليلة الجمعة، وكان قوته في كل شهر أربعة دوانيق يعمل بيده حبال الليف ويبيعها. وكان الشيخ أبو الحسن بن سالم يقول: لا أسلم عليه إلا أن يفطر ويأكل فكأنه اتهمه بشهوة خفية له في ذلك لأنه كان مشهوراً بين الناس، فهذه أحوال العارفين بالله في صيامهم وفطرهم.

(**فإذا فهم المعنى**) الحاصل من لفظ الصوم (**وتحقق جده**) وتشميره (**في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب**) ومحافظته عن أن يخطر فيه خاطر يجانب الصدق والإخلاص (**لم يخف عليه صلاح قلبه**) الذي هو دوامه مع الله، (**وذلك لا يوجب ترتيباً مستمراً. روي «أنه ﷺ كان يصوم حتى يقال انه لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم»**) رواه مسلم من حديث عبدالله بن شقيق عن عائشة قالت: «كان يصوم حتى تقول قد صام قد صام ويفطر حتى تقول قد أفطر قد أفطر». وفي لفظ آخر عن أبي سلمة عنها قالت: «كان يصوم حتى نقول قد صام ويفطر حتى نقول قد أفطر». وفي لفظ آخر: «كان يصوم حتى تقول لا يفطر ويفطر حتى تقول لا يصوم».

وأخرجه من حديث ابن عباس قال: «وكان يصوم إذا صام حتى يقول القائل لا والله لا يصوم». وفي لفظ آخر: «يصوم حتى تقول لا يفطر ويفطر حتى تقول لا يصوم». ورواه البخاري مثل ذلك.

وأخرج مسلم من حديث أنس: «أن رسول الله ﷺ كان يصوم حتى يقال قد صام قد صام ويفطر حتى يقال قد أفطر قد أفطر».

حتى يقال لا يصوم وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام». وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوّة من القيام بحقوق الأوقات. وقد كره العلماء أن يوالي بين الإفطار أكثر من أربعة أيام تقديراً بيوم العيد وأيام التشريق، وذكروا أن ذلك يقسي القلب ويولد رديء العادات ويفتح أبواب الشهوات. ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق لا سيما من يأكل في اليوم والليلة مرتين. فهذا ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به. والله أعلم بالصواب.

ورواه البخاري من حديث أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى يظن أنه لا يصوم منه شيئاً ويصوم حتى يظن أنه لا يفطر منه شيئاً».

وأما قوله: (**«وينام حتى يقال لا يقوم ويقوم حتى يقال لا ينام»**). فمعناه في حديث حميد عند البخاري قال: سألت أنساً عن صيام النبي ﷺ قال: «ما كنت أحب أن أراه من الشهر صائماً إلا رأيته ولا مفطراً إلا رأيته ولا من الليل قائماً إلا رأيته ولا نائماً إلا رأيته».

(**وكان ذلك بحسب ما ينكشف له**) ﷺ (**بنور النبوّة من القيام بحقوق الأوقات، وقد كره بعض العلماء**) من أهل الله (**أن يوالي**) المريد (**بين الإفطار أكثر من أربعة أيام**)، وذلك (**تقديراً**) له (**بيوم العيد وأيام التشريق**). إذ أباح الله فيها الفطر. (**وذكروا أن ذلك**) أي الموالاة بأكثر من ذلك مما (**يقسي القلب**) أي يورثه قساوة وغلظة، (**ويولد رديء العادات**) في الانهاك، (**ويفتح أبواب الشهوات**) الخفية والظاهرة. (**ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق**) فقد قست قلوبهم، وحجبوا عن أنوار المعرفة، ونقصت عزائمهم لعدم اعتيادهم على الصوم وإرخاء العنان للشهوات من كل وجه. (**لا سيا من يأكل في اليوم والليلة مرتين**). فهذا أعظم باعث على توليد العادات الرديئة في القلوب، فإذا بلي المريد بهذه العادات ولم ينبهه أحد فليتنبه وليجهد أن يجعل غذاءه في اليوم والليلة، مرة واحدة في أي وقت شاء. والأولى له إن كان صائماً بعد المغرب وإن كان ممن يقوم بالليل فيجعل أكله مرة واحدة في السحر، ويكتفي به سائر نهاره وليله إن أمكنه. ومن جملة أسباب التدريج أن لا يزيد على ما كان اعتاده بحسب مزاجه، ثم إذا تمكن من عدم الزيادة وأراد أن يلتحق بأرباب الرياضة فليصبر على ذلك الوزن جمعة يتناوله من الظهر إلى الظهر إن لم يكن صائماً بحيث يعتاده. وبعد ذلك يزيد ثلاث ساعات أخرى فيعود أكله العصر ويستديم على ذلك جمعة أخرى، ثم يزيد ثلاث ساعات فيبقى أكله المغرب هكذا يزيد ما أمكنه إلى أن يقف إلى حد يعجز غيره عن الزيادة، وإذا أمر المريد بذلك لأجل أن تضعف القوى فليقلّ فضول النفس بهذا السبب. وقال بعضهم: ما أخلص عبد قط إلا أحب أن يكون في جب لا يعرف، ومن أكل فضلاً من الطعام أخرج فضلاً من الكلام، وأما باب الوصول فهو قطع الشواغل وترك الفضول وتعلق الهمة بالله عز وجل.

تم كتاب أسرار الصوم والحمد لله بجميع محامده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم على جميع نعمه كلها ما علمنا منها وما لم نعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم، وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء. يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج، والله المعين لارب غيره وما توفيقي إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولنختم هذا الكتاب بحكاية رواها صاحب العوارف عن أبي محمد رويم البغدادي رحمه الله تعالى قال: أخبرت بالمهاجرة ببعض سكك بغداد فعطشت فتقدمت إلى باب دار فاستقيت فإذا جارية قد خرجت ومعها كوز جديد ملآن من الماء المبرد، فلما أردت أن أتناول من يدها قالت: صوفي ويشرب بالنهار، فضربت بالكوز على الأرض وانصرفت. قال رويم: فاستحييت من ذلك ونذرت أن لا أفطر أبداً. (**فهذا ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوّع به، والله أعلم**).

وبه تم كتاب أسرار الصوم والحمد لله بجميع محامده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم على كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء. قال مؤلفه الفقير أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني عفا الله عنه: فرغت من تسويده في عصر يوم السبت لسبع بقين من صفر الخير من شهور سنة ١١٩٨ حامداً لله ومصلياً ومسلماً ومحسبلاً.

كتاب أسرار الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله الذي جعل الحج إلى بيت الله الحرام أحد أركان الإسلام، وختم به عمد الدين المتين فكان سمة دالة على براعة المطلع وحسن الختام، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على مولانا وسيدنا محمد شمس الظلام الشفيع يوم الزحام. الهادي أمته إلى طرق الإرشاد السالمة من الشكوك والأوهام، وعلى آله الأئمة الاعلام وأصحابه المرضيين الكرام، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى بعد القيام، أما بعد فهذا شرح.

كتاب أسرار الحج

وهو سابع كتاب من الربع الأوّل من إحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي رضي الله عنه يبين من فوائده ما أجمل، ويوضح من مسائله ما أشكل، ويعرب من مهماته ما أغلق، ويقيد من تقييداته ما أطلق، شرح يشرح بحسن وضعه صدور ذوي الألباب، ويفتح للمسترشدين لطرق الحق باب الصواب. ذكرت فيه ما يختص به من الكشف عن الأفعال الظاهرة المشروعة في العموم والخصوص على ألسنة علماء الرسوم بالظواهر، واتبعته من الاعتبارات المختصة به في أحوال الباطن بلسان التقريب والاختصار والإشارة والإيماء طبق ما سبق في الأبواب المتقدمة سائلاً من الله تفريج كربي قائلاً الله حسبي إنه للداعين مجيب وله في كل لحظة فرج قريب.

قال المصنف رحمه الله تعالى في أول كتابه:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أي بكل إسم للذات الأقدس لا لغيره ملتبساً للتبرك ابتدىء والله علم للذات الجامعة لسائر صفات الكمال وما بعده صفتان له. أي الموصوف بكمال الإحسان بجميع النعم أصولها وفروعها جلائلها ودقائقها، أو بإرادة ذلك، فرفعها صفة فعل وذات، وأصلها واحد لكونها من الرحمة.

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزاً وحصناً، وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمناً، وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفاً وتحصيناً ومنّاً، وجعل زيارته والطواف به حجاباً بين العبد وبين العذاب ومجناً، والصلاة على محمد نبي الرحمة وسيد الأمة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فإن الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الأمر وتمام الإسلام وكمال الدين. فيه أنزل الله عز وجل قوله: ﴿اليومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُم

ولما كان المقام مقام تعظيم واللائق به التصريح لم يكتفِ بالتسمية، وقال (**الحمد لله**) لأن من اقتصر على التسمية لا يسمى حامداً، ومن ثم وقع التدافع ظاهراً بين حديثي الابتداء واحتيج التوفيق بما ذكر في أوائل الكتب المتقدمة (**الذي**) بمحض منه (**جعل كلمة التوحيد**) وهي لا إله إلا الله (**لعباده**) المضافين إليه (**حرزاً**) حريزاً (**وحصناً**) منيعاً لمن احتمى به عن نكاية الأعداء الظاهرة والباطنة، وفيه تلميح بالحديث الذي ورد من طريق أهل البيت: «لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي» وقد تقدم ذلك. (**وجعل البيت العتيق**) وهو الكعبة سمي عتيقاً لشرفه أو لكونه قديماً أو لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار، وقد روي ذلك مرفوعاً من حديث ابن الزبير أخرجه سعيد بن منصور، أو لأنه لم يملك قط قاله مجاهد، أو لأنه أعتق من الغرق زمن الطوفان قاله ابن السائب. (**مثابة**) مرجعاً (**للناس**) يثوبون إليه (**وأمناً**) يأمنون به من المخاوف، وفيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً﴾ [البقرة: ١٢٥]. (**وأكرمه بالنسبة إلى نفسه**) حيث سمّاه بيت الله (**تشريفاً**) لقدره (**وتخصيصاً**) له بتلك النسبة (**ومنّاً**) أي فضلاً، (**وجعل زيارته**) بالقصد إليه (**والطواف به**) حوله (**حجاباً بين العبد الزائر له والطائف به وبين العذاب**) الأبدي (**ومجناً**) بكسر الميم أي ترساً من جن عليه إذا ستره، وسمي الترس بذلك لأن صاحبه يتستر، والجمع المجان. (**والصلاة**) الكاملة (**على**) سيدنا (**محمد نبي الرحمة**) المفاضة العامة على العالمين (**وسيد الأمة**) بالسيادة المطلقة على الكل من الأزل، والأمة بالضم كل جماعة يجمعها أمر ما دين أو زمن أو مكان واحد، وسواء كان الأمر الجامع تسخيراً أو اختياراً أو هما من جملة أسمائه الشريفة. ذكرهما ابن دحية في المستوفي. وسيأتي ذكرهما في الدعوات. (**وعلى آله وصحبه قادة الحق**) جمع قائد من قاد الجيش إذا سار به، (**وسادة الخلق**) أي رؤسائهم بسبب قربهم منه ﷺ ومشاهدتهم له، (**وسلم**) عليه وعليهم تسليماً (**كثيراً**).

أما بعد، فإن الحج) لبيت الله الحرام (**من بين أركان الإسلام**) الخمسة (**ومبانيه**) التي بني عليها كما في حديث ابن عمر في الصحيحين: «بني الإسلام على خمس». (**عبادة العمر**) إذ وجوبه على المكلف مرة واحدة بخلاف غيره من باقي الأركان كما سيأتي قريباً. (**وختام الأمر**) إذ ختم به باقي الأركان، (**وتمام الإسلام**) أي وفاؤه، (**وكمال الدين**) فانتهى به إلى غاية ليس

وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعمتي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة: ٣]، وفيه قال ﷺ: « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً » فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال، وأجدر بها أن تصرف العناية إلى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها، وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل في ثلاثة أبواب.

وراءها مزيد من كل وجه. (**وفيه أنزل الله تعالى قوله**)، والنبي ﷺ واقف بعرفة يوم الجمعة في حجة الوداع (**﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾**) [المائدة: ٣] وسيأتي الكلام على هذه الآية والقصة قريباً. (**وفيه قال ﷺ: « من مات ولم يحج**) أي مع إمكانه أو مات عن عدم الإمكان بعد وجوده كان عاصياً لله تعالى من حين أمكنه إلى حين موته، ولم يكن كامل الإسلام لأن الله سبحانه أكمل الإسلام بالحج. وإليه الإشارة من باب التغليظ والزجر بقوله: (**فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً »**) قال العراقي: رواه ابن عدي من حديث أبي هريرة، والترمذي نحوه وقال في إسناده مقال اهـ.

قلت: قد روي هذا الحديث عن أبي أمامة أيضاً ولفظه عند الدارمي والبيهقي: « من لم يمنعه من الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر أو مرض حابس فمات ولم يحج » والباقي سواء.

وعن سعيد بن منصور، وأبي يعلى « من لم يحبسه مرض أو حاجة ظاهرة أو سلطان جائر فلم يحج » الحديث.

وعند صاحب القوت: « من لم يمنعه من الحج مرض قاطع أو سلطان جائر ومات ولم يحج فلا يبالي مات يهودياً أو نصرانياً ».

وعند أحمد والبيهقي أيضاً: « من كان ذا يسار فمات ولم يحج » والباقي مثل سياق المصنف.

وأما حديث علي عند الترمذي، فقد روي مرفوعاً وموقوفاً ولفظه: « من ملك زاداً أو راحلة، تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً وذلك أن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ ». وقال الترمذي: ضعيف. وأخرجه ابن جرير والبيهقي كذلك، والموقوف إسناده حسن. وقال المنذري: طريق أبي أمامة على ما فيها أصلح من هذه.

(**فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها**) صفة (**الكمال ويساوي تاركها**) بلا عذر (**اليهودي والنصراني**) وفي نسخة اليهود والنصارى (**في الضلال**) أي الغواية والخسران، (**وأجدر بها**) أي أليق (**أن تصرف العناية**) أي الاهتمام. وفي بعض النسخ وأجدر بنا أن نصرف العناية (**إلى شرحها**) وبيانها (**وتفصيل أركانها**) التي عليها مدارها (**وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها، وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل**) وعونه (**في ثلاثة أبواب:**

الباب الأوّل: في فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق وجمل أركانها وشرائط وجوبها.

الباب الثاني: في أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر إلى الرجوع.

الباب الثالث: في آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة.

فلنبدأ بالباب الأوّل، وفيه فصلان.

الباب الأول: **في فضائلها وفضل مكة والبيت العتيق وجمل من أركانها وشرائط وجوبها.**

الباب الثاني: **في أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر)** أي الخروج من الوطن **(إلى الرجوع)** إليه.

(الباب الثالث في) ذكر **(آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة)** وهي التي تنبغي مراعاتها لأهل القلوب.

(فلنبدأ) أوّلاً **(بالباب الأول)** من الأبواب لما فيه من فضائل هذه العبادة، ثم فضائل مكة على العموم، ثم فضائل البيت الشريف على الخصوص، ثم ما يتعلق بصحة هذه العبادة من الأركان والشروط. **(وفيه فصلان)**.

الباب الأول

الفصل الأول

في فضائل الحج، وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسها الله تعالى وشد الرحال إلى المساجد

فضيلة الحج

الباب الأول

الفصل الأول

(**في فضائل الحج**) قدمه للأهتمام به (**وفضيلة البيت**) الشريف زاده الله شرفاً، (**وفضل مكة والمدينة حرسها الله تعالى**) وسائر بلاد الإسلام، (**و**) بيان ما ورد (**في شد الرحال إلى المساجد**) الثلاثة، وفي نسخة إلى المشاهد العظام.

فضيلة الحج:

ولنقدم قبل الخوض فيه مهمات.

الأولى: اختلف العلماء في السنة التي فرض فيها الحج، والمشهور أنها سنة ست، وبه جزم الرافعي في كتاب السير، وصححه ابن الرفعة. وقيل: سنة خمس حكاه الواقدي محتجاً بقصة ضمام بن ثعلبة، وقيل: سنة تسع حكاه النووي في الروضة، وحكاه الماوردي في الأحكام السلطانية، وصححه القاضي عياض، وقيل: فرض فبل الهجرة حكاه الإمام في النهاية وهو بعيد وأبعد منه قول بعضهم انه فرض سنة عشر.

أخرج البخاري من حديث زيد بن أرقم: « **أن النبي ﷺ حج بعدما هاجر حجة واحدة** » **قال** ابن إسحاق وبمكة أخرى.

وأخرج الدارقطني من حديث جابر قال: « **حج رسول الله ﷺ ثلاث حجج حجتين قبل أن**

يهاجر وحجة قرن بها عمرة وكانت حجته بعدما هاجر سنة عشر، وحج أبو بكر الصدّيق في السنة التي قبلها سنة تسع. وأما سنة ثمان وهي عام الفتح فحج بالناس عتاب بن أسيد».

الثانية: المشهور عند العلماء أن العبادات ثلاثة أنواع: بدنية محضة وهي الصلاة والصوم، ومالية محضة وهي الزكاة، ومركبة منهما وهي الحج، وقدم بعض العلماء الصوم على الزكاة نظراً إلى أن كلاً منهما عبادة بدنية، وأخره أكثرهم عنها اقتداء بالكتاب والسنّة، واتفق الكل على تأخير الحج عن الثلاث والأفضلية فيهن على الترتيب الذي ذكره أكثر العلماء، فالصلاة أفضل الأعمال بعد الإيمان، ثم الزكاة، ثم الصوم، ثم الحج. وقال عمر بن نجيح: من أصحابنا المتأخرين وفي جعل الحج مركباً من العبادات المالية والبدنية نظر، بل هو عبادة بدنية محضة، والمال إنما هو شرط في وجوبه لا أنه جزء مفهومه وهو كلام نفيس إلا أنه مخالف لما عليه أكثر العلماء.

الثالثة: الحج لغة القصد. هكذا أطلقه أئمة اللغة، وقيده بعضهم بكونه إلى معظم، واستدل بقول الشاعر:

يحجون سب الزبرقان المزعفرا

وقال في النهاية: الحج القصد إلى كل شيء، وخصه الشرع بقصد البيت على وجه مخصوص، وفيه لغتان الفتح والكسر، وقيل: الفتح المصدر والكسر الإسم.

وقال النووي في شرح مسلم: الحج بالفتح هو المصدر، وبالفتح والكسر جميعاً هو الاسم منه وأصله القصد.

وقال الحافظ ابن حجر: الحج في اللغة القصد، وفي الشرع القصد إلى البيت الحرام بأعمال مخصوصة وهو بالفتح والكسر لغتان. نقل الطبري أن الكسر لغة أهل نجد. والفتح لغيرهم. وقيل: هو بالفتح الإسم وبالكسر المصدر، وقيل: بالعكس اهـ.

وفي سياق عبارات أصحابنا هو شرعاً زيارة مكان مخصوص وهو البيت الشريف في زمان مخصوص، وهو أشهر الحج بفعل مخصوص وهو الطواف والسعي والوقوف محرماً ففيه المعنى اللغوي مع زيادة وصف.

الرابعة: قال الرافعي في شرح الوجيز: لا يجب الحج بأصل الشرع في العمر إلاّ مرة واحدة، لما روى ابن عباس قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج، فقام الأقرع بن حابس فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ قال: لا لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوها. الحج مرة فمن زاد فمتطوّع». وقد يجب أكثر من مرة واحدة لعارض كالنذر والقضاء وليس من العوارض الموجبة الردة والإسلام بعدها، فمن حج وارتد ثم عاد إلى الإسلام لم يلزمه الحج خلافاً لأبي حنيفة ومأخذ الخلاف أن الردة عنده محبطة بشرط أن يموت عليها قال تعالى:

﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر﴾ [البقرة: ٢١٧] الآية. ويساعد أحمد أبا حنيفة في الآية، ولكن لا من جهة هذا المأخذ اهـ.

وكذلك قال أصحابنا: إنه فرض في العمر مرة استدلالاً بحديث الأقرع، وبحديث أبي هريرة فيما أخرجه الترمذي والحاكم، والبزار، والطحاوي لما نزل قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ [آل عمران: ٩٧] قال ﷺ: « حجوا. فقالوا: أفي كل عام أم مرة واحدة؟ فقال: لا بل مرة واحدة ». ولأن سبب وجوبه البيت لأنه يضاف إليه. ويقال حج البيت، والإضافة دليل السببية وأنه لا يقصد فلا يتكرر الوجوب.

الخامسة: قوله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ [آل عمران: ٩٧] الآية فيه أنواع من التأكيد منها قوله: ﴿ولله على الناس﴾ يعني حق واجب لله على رقاب الناس، لأن « على » للإلزام، ومنها أنه ذكر الناس، ثم أبدل منه ﴿من استطاع﴾ وفيه ضربا تأكيد أحدهما أن الإبدال تنبيه للمراد وتكرير له، والثاني أن الإيضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الإجمال إيراد له في صورتين مختلفتين. ومنها قوله: ﴿ومن كفر﴾ مكان من لم يحج تغليظاً على تارك الحج، ومنها ذكر الاستغناء، وذا دليل السخط والخذلان ومنها قوله: ﴿عن العالمين﴾ ولم يقل عنه لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة، ولأنه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط.

السادسة: اختلف فيه عند أصحابنا هل هو واجب على الفور أو على التراخي؟ والفور في اللغة الغليان استعير للسرعة ثم أطلق على الحال[1] التي للتراخي فيها مجازاً مرسلاً، وبالأول قال أبو يوسف،أي في أول أوقات الإسكان، فمن أخره عن العام الأول أثم وهو أصح الروايتين عن أبي حنيفة كما في المحيط والخانية وشرح المجمع وفي القنية أنه المختار. قال القدوري: وهو قول مشايخنا، وبالثاني قال أحمد، لكن جوازه مشروط بأن لا يفوته حتى لو مات ولم يحج أثم عنده أيضاً، ووقت الحج عند الأصوليين يسمى مشكلاً لوجهين. الوجه الأول: أنه يشبه المعيار لأنه لا يصح في عام واحد إلا حج واحد ويشبه الظرف لأن أفعاله لا تستغرق أوقاته، والوجه الثاني: أن أبا يوسف لما قال بتعيين أشهر الحج من العام الأول جعله كالمعيار، ومحمد لما قال بعدمه جعله كالظرف ولم يجزم كل منهما بما قال، فإن أبا يوسف لو جزم بكونه معياراً لقال: من أخَّره عن العام الأول يكون قضاء لا أداء، مع أنه لا يقول به، بل يقول انه يكون أداء، ولقال ان التطوع في العام الأول لا يجوز مع أنه لا يقول به، بل يقول انه يجوز، وأن محمداً لو جزم بكونه ظرفاً لقال: إن من أخَّره عن العام الأول لا يأثم أصلاً أي لا في مدة حياته ولا في آخر عمره، مع أنه لا يقـول بـه

---

(١) هنا سقطه.

قال الله عز وجل: ﴿وأذِّنْ في النَّاسِ بالْحَجِّ يَأْتُوك رِجَالاً وَعَلى كُلِّ ضَامرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فجٍّ عميقٍ﴾ [الحج: ٢٧] وقال قتادة: لما أمر الله عز وجل إبراهيم ﷺ وعلى نبينا

بل يقول: إن من مات ولم يحج أثم في آخر عمره، فحصل الإشكال. ثم ان القائل بالفور لا يجزم بالمعيارية، والقائل بالتراخي لم يجزم بالظرفية، بل كل منهما يجوز الجهتين، لكن القائل بالفور يرجح جهة المعيارية ويوجب أداءه في العام الأول حتى لو أخره عنه بلا عذر أثم لتركه الواجب، لكن لو أداه في العام الثاني كان أداء لا قضاء، والقائل بالتراخي يرجح جهة الظرفية، حتى لو أداه بعد العام الأول لا يأثم بالتأخير، لكن لو أخَّره فمات ولم يحج أثم في آخر عمره.

وقال بعض أصحابنا المتأخرين: والمعتمد أن الخلاف في هذه المسألة ابتدائي، فأبو يوسف عمل بالاحتياط لأن الموت في سنته غير نادر فيأثم، ومحمد حكم بالتوسع لظاهر الحال في بقاء الإنسان والله أعلم.

وممن قال: إن الحج على التراخي الشافعي والثوري والأوزاعي، وممن قال على الفور مالك وأحمد. وكان الكرخي يقول: هو مذهب أبي حنيفة.

وإذ قد فرغنا عن ذكر المهمات فلنعد إلى شرح كلام المصنف رحمه الله تعالى قال:

(قال الله عز وجل: ﴿وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾) [الحج: ٢٧] الخطاب في الآية لإبراهيم عليه السلام، وروى ابن جرير عن ابن عباس في قوله: ﴿رجالاً﴾ أي مشاة و﴿من كل فج عميق﴾ أي طريق بعيد. وفي رواية ﴿رجالاً﴾ أي على أرجلهم ﴿وعلى كل ضامر﴾ قال الإبل: ﴿يأتين من كل فج عميق﴾ يعني مكان بعيد. وروي عن مجاهد وأبي العالية وقتادة مثل ذلك.

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله: ﴿يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر﴾ قال: هم المشاة والركبان.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأبو سعيد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي عن ابن عباس قال: ما آسى على شيء فاتني إلا أني لم أحج ماشياً حتى أدركني الكبر أسمع الله تعالى يقول: ﴿يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر﴾ فبدأ بالرجال قبل الركبان.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير عن مجاهد قال: كانوا يحجون ولا يتزوّدون فأنزل: ﴿وتزوّدوا﴾ [البقرة: ١٩٧] الآية. وكانوا يحجون ولا يركبون فأنزل الله: ﴿يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر﴾ فأمرهم بالزاد ورخص في الركوب والمتجر.

(قال قتادة) بن دعامة أبو الخطاب السدوسي الأعمى التابعي الحافظ: **(لما أمر الله عز وجل**

وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن في الناس بالحج نادى: يا أيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتاً فحجوه، وقال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨] قيل: التجارة في الموسم

إبراهيم ﷺ أن يؤذن في الناس نادى: يا أيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتاً فحجوه) فأسمع الله نداءه كل من يريد الله عز وجل أن يحج من الذرية إلى يوم القيامة.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وابن منيع، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي في السنن عن ابن عباس قال: لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قال: رب قد فرغت. فقال: ﴿أذن في الناس بالحج﴾ قال: رب وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعليَّ البلاغ. قال: رب كيف أقول؟ قال: قل يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق، فسمعه من بين السماء والأرض ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى البلاد والأرض يلبون».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، والحاكم، والبيهقي عن ابن عباس قال: «لما بنى ابراهيم البيت أوحى الله إليه أن ﴿أذن في الناس بالحج﴾، فقال: ألا إن ربكم قد اتخذ بيتاً وأمركم أن تحجوه فاستجاب له ما سمعه من حجر أو شجر أو أكمة أو تراب أو شيء فقالوا: لبيك اللهم لبيك».

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «لما أمر الله ابراهيم أن ينادي في الناس بالحج صعد أبا قبيس فوضع أصبعيه في أذنيه ثم نادى: يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فأجيبوا ربكم فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال وأرحام النساء، وأول من أجابه أهل اليمن فليس حاج يحج من يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا من أجاب ابراهيم عليه السلام يومئذ».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن عباس قال: «قام إبراهيم عليه السلام على الحجر فنادى: يا أيها الناس قد كتب عليكم الحج فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء فأجاب من آمن ممن سبق في علمه أن يحج إلى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك».

وأخرج ابن جرير، عن سعيد بن جبير قال: «لما فرغ إبراهيم من بناء البيت أوحى الله أن أذّن في الناس بالحج فخرج فنادى في الناس: يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه فلم يسمعه يومئذ من أنس ولا جن ولا شجر ولا أكمة ولا تراب ولا جبل ولا مارّ ولا شيء إلا قال لبيك اللهم لبيك».

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن عكرمة قال: «لما أمر ابراهيم بالحج قام على المقام فنادى نداء سمعه جميع أهل الأرض: ألا إن ربكم قد وضع بيتاً وأمركم أن تحجوه فجعل الله أثر قدميه آية في الصخرة».

(وقال تعالى: ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ قيل:) في تفسيره **(التجارة في الموسم والأجر في الآخرة)** روي ذلك عن مجاهد. أخرجه ابن جرير، وعبد بن حميد عنه، ويروى عن ابن عباس في تفسيره قال: «أسواقاً كانت لهم ما ذكر الله منافع إلا للدنيا». أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر عنه. ويروى عنه أيضاً قال: «منافع في الدنيا ومنافع في الآخرة فأما منافع

والأجر في الآخرة. ولما سمع بعض السلف هذا قال: غفر لهم ورب الكعبة، وقيل في تفسير قوله عز وجل: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] أي طريق مكة. يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها. وقال ﷺ: «من حجَّ البيت فلم يرفث ولم يفسق

الآخرة فرضوان الله عز وجل. وأما منافع الدنيا فما يصيبون من لحوم البدن في ذلك اليوم والذبائح والتجارات».

(ولما سمع بعض السلف هذا قال: غفر لهم ورب الكعبة) هكذا نقله صاحب القوت. **(وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ [الأعراف: ١٦] أي طريق مكة يقعد الشيطان عليها)** أي على أفواه سككها **(ليمنع الناس منها)** ولفظ القوت: وروينا عن بعض السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ قال: طريق مكة يصدهم عنه.

قلت: رواه الصابوني في المائتين عن أبي أحمد المرادي، عن ابن عقدة، حدثنا عبدالله، حدثنا أحمد بن أبي ميسرة، حدثنا حفص بن عمر العدني، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: « ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ قال: طريق مكة».

(وقال ﷺ: «من حجّ البيت فلم يرفث) بتثليث الفاء في الماضي. قال الحافظ والأفصح من باب قعد أي لم يفحش في القول أو لم يخاطب امرأة بما يتعلق بجماع **(ولم يفسق)** أي لم يخرج عن حد الاستقامة بفعل معصية أو جدال أو مراء أو ملاحاة نحو رقيق أو أجير، وقال الطبري في مناسكه: الرفث الجماع على ما جاء في تفسير ابن عباس، وقيل: الفحش، وقيل: التصريح بذكر الجماع. قال الأزهري: هي كلمة جامعة لما يريد الرجل من المرأة. وروى البغوي في شرحه، عن ابن عباس أنه أنشد شعراً فيه ذكر الجماع فقيل له: أتقول الرفث وأنت محرم؟ فقال: إن الرفث ما روجه به النساء فكأنه يرى الرفث المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿فلا رفث﴾ [البقرة: ١٩٧] ما خوطب به المرأة دون ما يتكلم به من غير أن تسمع المرأة، والرفث في قوله تعالى: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث﴾ [البقرة: ١٨٧] الجماع والفسوق من المعاصي قاله ابن عباس، وقيل: السباب، وقيل: ما أصاب من محارم الله تعالى ومن الصيد، وقيل قول الزور. **(خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»)** وهو يشمل الكبائر والتبعات. وقال الطبري: هو محمول بالنسبة إلى المظالم على من تاب وعجز عن وفائها، وقال الترمذي: هو مخصوص بالمعاصي المتعلقة بحق الله لا العباد ولا يسقط الحق نفسه بل من عليه صلاة يسقط عنه أثم تأخيرها لا نفسها، فلو أخرها بعده تجدد إثم آخر.

وأما الحديث فقال العراقي: أخرجاه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وأخرجه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، والطبراني، والدارقطني ولفظهم: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه». إلا أن الطبراني والدارقطني زادا «من حج أو اعتمر له» ولفظ الشيخين «من حج فلم يرفث ولم يفسق» وفي لفظ لمسلم: «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم

خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ». وقال أيضاً ﷺ: « ما رؤي الشيطان في يوم أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة، وما ذلك إلا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام ». إذ يقال: « إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة ». وقد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله ﷺ. وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن إبليس لعنة الله عليه ظهر له في صورة شخص بعرفة، فإذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له: ما الذي أبكى عينك؟ قال: خروج الحاج إليه بلا تجارة، أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزنني ذلك. قال: فما الذي أنحل جسمك؟ قال: صهيل الخيل في سبيل الله عز وجلّ ولو كانت في سبيلي

يفسق » وعند الترمذي بلفظ: « من حج ولم يرفث ولم يفسق غفر له ما تقدم من ذنبه » وقال: حسن صحيح.

(وقال ﷺ: « ما رؤي الشيطان في يوم هو أصغر) أي أذل **(وأدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى من نزول الرحمة)** أي على الواقفين بها **(وتجاوز الله عن الذنوب العظام »)** قال العراقي: رواه مالك عن إبراهيم بن أبي عبلة عن طلحة بن عبيد الله ابن كريز مرسلاً.

قلت: ولفظ مالك: « ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رؤي يوم بدر » وقيل: « وما رؤي يوم بدر » قال: أما أنه رأى جبريل يزع الملائكة. والدحر: الدفع بعنف على سبيل الإهانة والإذلال. وفي رواية: أدحر ولا أرحق والرحق: الطرد والإبعاد. وأفعل التي هي للتفضيل من دحر ورحق كأشهر وأجن من شهر وجن، ومعنى يزع الملائكة أي يقودهم والوازع القائد. **(إذ يقال: « إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا الوقوف بعرفة » وقد أسنده جعفر بن محمد)** بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب **(إلى رسول الله ﷺ)** أي من طريق آبائه. هكذا نقله صاحب القوت ولفظه وقد رفعه جعفر بن محمد فأسنده. وقال العراقي لم أجد له أصلاً اهـ أي مرفوعاً.

(وذكر بعض المكاشفين) أي من الذين كوشف لهم عن حضرة الحق تعالى: **(من المقربين)**، ولفظ القوت وذكر بعضهم **(ان إبليس ظهر له في صورة شخص بعرفة فإذا هو ناحل الجسم)** أي ضعيفه **(مصفر اللون)** وفي بعض النسخ شاحب اللون **(باكي العين مقصوم الظهر)** مكسوره **(فقال له: ما الذي أبكى عينك)** أي أورث عينك البكاء؟ **(قال: خروج الحاج إليه)** أي إلى البيت **(بلا تجارة. أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم)** أي ما أملوه **(فيحزنني ذلك. قال: فما الذي أنحل جسمك)** أي أضعفه؟ **(قال: صهيل الخيل)** أي

كان أحب إليَّ قال: فما الذي غيَّر لونك؟ قال: تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب إليّ. قال: فما الذي قصف ظهرك؟ قال: قول العبد أسألك حسن الخاتمة. أقول يا ويلتي متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن. وقال ﷺ: «من خرج من بيته حاجاً أو معتمراً فمات أجري له أجر الحاج المعتمر إلى يوم القيامة، ومن مات في إحدى الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة». وقال ﷺ: «حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة».

همهمتهن (**في سبيل الله**) أي في الحج أو الغزو وكل منهما سبيل الله، (**ولو كانت في سبيلي كانت أحب إلي. قال: فما الذي غير لونك؟ قال: تعاون الجماعة على الطاعة**) وفي نسخة: تعاون الناس، وفي أخرى تعاون جماعة الناس. (**ولو تعاونوا على المعصية كان أحب إلي. قال: فما الذي قصم**) أي قطع وفي نسخة قصف وهو بمعناه (**ظهرك؟ قال: قول العبد أسألك حسن الخاتمة**). وفي نسخة خاتمة الخير. (**أقول: يا ويلتي متى يعجب هذا بعمله**) أي رآه بعين العجب (**أخاف أن يكون قد فطن**) أي قد علم بذلك. هكذا أورده صاحب القوت.

(**وقال ﷺ: «من خرج من بيته حاجاً أو معتمراً فمات**) أي في الطريق (**أجري له أجر الحاج المعتمر**) كذا في النسخ، وفي القوت: «والمعتمر إلى يوم القيامة». وقال العراقي: أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف اهـ. قلت: ولفظه في الشعب «من خرج حاجاً أو معتمراً أو غازياً ثم مات في طريقه كتب الله له أجر الغازي والحاج والمعتمر إلى يوم القيامة» (**ومن مات في أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة»**).

قال العراقي: رواه الدارقطني والبيهقي من حديث عائشة نحوه بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه أيضاً العقيلي، وابن عدي، وأبو نعيم في الحلية ولفظهم: «من مات في هذا الوجه حاجاً أو معتمراً لم يعرض ولم يحاسب، وقيل له ادخل الجنة».

ورواه البيهقي أيضاً من حديثها بلفظ: «من مات في طريق مكة لم يعرضه الله يوم القيامة ولم يحاسبه» وكذا رواه الحرث بن أسامة، وابن عدي عن جابر، وروى الطبراني في الكبير، والبيهقي في السنن، وضعفه من حديث سلمان بلفظ: «من مات في أحد الحرمين استوجب شفاعتي وكان يوم القيامة من الآمنين».

(**وقال رسول الله ﷺ: «حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة»**) هكذا هو في القوت.

وقال العراقي: أخرجاه من حديث أبي هريرة الشطر الثاني بلفظ: «الحج المبرور» وقال النسائي «الحجة المبرورة» وعند ابن عدي «حجة مبرورة» اهـ.

وقال ﷺ: «الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزوّاره إن سألوه أعطاهم، وإن استغفروه غفر لهم، وإن دعوا استجيب لهم، وإن شفعوا شفعوا». وفي حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام: «أعظم الناس ذنباً من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لم يغفر له». وروى ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين

قلت: لفظ البخاري، ومسلم «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

وروى أحمد من حديث جابر، والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

(وقال ﷺ: «الحجاج والعمار وفد الله تعالى وزواره إن سألوه أعطاهم وإن استغفروه غفر لهم وإن دعوه استجاب لهم وإن شفعوا شفعوا») هكذا هو في القوت.

وقال العراقي رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة دون قوله: «وزواره» ودون قوله: «إن سألوه أعطاهم وإن شفعوا شفعوا» وله من حديث ابن عمر «وسألوه فأعطاهم» ورواه ابن حبان اهـ.

قلت: ولفظ حديث ابن عمر عند البيهقي «الحجاج والعمار وفد الله إن سألوا أعطوا وإن دعوا أجابهم وإن أنفقوا أخلف لهم» وعنده من حديث [1] بلفظ: «يعطيهم ما سألوا ويستجيب لهم ما دعوا ويخلف عليهم ما أنفقوا الدرهم ألف ألف» وعند البزار من حديث جابر «دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم».

(وفي حديث مسند من طريق أهل البيت «أعظم الناس ذنباً من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له») ولفظ القوت ولقي رجل ابن المبارك وقد أفاض من عرفة إلى مزدلفة فقال: من أعظم الناس جرماً يا أبا عبد الرحمن في هذا الموقف فقال: من قال إن الله عز وجل لم يغفر لهؤلاء. وقد روينا فيه حديثاً مسنداً من طريق أهل البيت وساقه كما للمصنف اهـ.

وقال العراقي: رواه الخطيب في المتفق والمفترق، والديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف.

(وروى ابن عباس) رضي الله عنهما، **(عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين»)**.

---

(١) بياض في الأصل

....

قال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بإسناد حسن، وقال أبو حاتم حديث منكر اهـ.

قلت: قد وقع لي هذا الحديث مسلسلاً بالمكيين أخبرني به شيخنا المرحوم عبد الخالق بن أبي بكر المزجاني الحنفي، وقد أقام بمكة مدة وبها توفي في آخر حجاته قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكي ح.

وأخبرني أعلى من ذلك بدرجة عمر بن أحمد بن عقيل الحسيني المكي قالا: أخبرنا الحسن بن علي بن يحيي الحنفي المكي، عن زين العابدين عبد القادر بن يحيي بن مكرم الطبري، عن أبيه، عن جده يحيي، عن جده المحب الأخير الطبري عن عم والده أبي اليمن محمد الطبري، عن والده أحمد ابن إبراهيم الطبري، عن أبيه أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حرمي المكي، أخبرنا الحافظ أبو حفص عمر بن عبد المجيد الميانشي المكي، أخبرنا قاضي الحرمين أبو المظفر محمد بن علي الشيباني المكي قراءة عليه، أخبرنا جدي الحسين بن علي المكي، أخبرنا أبو الفتح خلف بن هبة الله سماعاً عليه بالمسجد الحرام، أخبرنا أبو عمر الحسن بن أحمد العبقسي المكي، حدثنا محمد بن نافع الخزاعي المكي، حدثنا إسحاق بن محمد الخزاعي المكي، حدثنا أبو الوليد محمد بن عبيد الله الأزرقي المكي المؤرخ عن جده، عن سعيد بن سالم القداح المكي، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس رفعه: «ينزل الله على هذا البيت كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة ستون منها للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين». هكذا أخرجه العز بن فهر وجار الله بن فهر في مسلسلاتها. ورواه الطبراني في معاجمه الثلاثة. وقال البلقيني في فتاويه المكية: لم أقف له على إسناد صحيح، وقال التقي الفاسي: لا تقوم به حجة، ونقل عن الحافظ ابن حجر أنه توقف فيه، لكن حسنه المنذري والعراقي والسخاوي. وإذا اجتمعت طرق هذا الحديث ارتقى إلى مرتبة الحسن إن شاء الله تعالى.

وفي المناسك للمحب الطبري، عن ابن عباس مرفوعاً: «ينزل على هذا البيت كل يوم وليلة عشرون ومائة رحمة ستون منها للطائفين بالبيت وأربعون للعاكفين حول البيت وعشرون للناظرين إلى البيت».

وفي رواية قال قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله على أهل المسجد مسجد مكة كل يوم عشرين ومائة رحمة» الحديث وقال فيه: «وأربعون للمصلين» ولم يقل «للعاكفين» قال: أخرجها أبو ذر الهروي والأزرقي، ولا تضادد بين الروايتين، بل يريد بمسجد مكة البيت، ويجوز أن يريد مسجد الجماعة وهو الأظهر، ويكون المراد بالتنزيل على البيت التنزيل على أهل المسجد، ولهذا قسمت على أنواع العبادات الكائنة في المسجد.

وقوله: «وستون للطائفين» الخ يحتمل في تأويل القسم بين كل فريق وجهان **الأول**: قسمة الرحمات بينهم على المسمى بالسوية لا على العمل بالنظر إلى قلته وكثرته وصفته، وما زاد على

وعشرون للناظرين ». وفي الخبر : « استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شيء تجدونه في صحفكم يوم القيامة، وأغبط عمل تجدونه ». ولهذا يستحب الطواف ابتداء

المسمى فله ثواب من غير هذا الوجه. الوجه الثاني: وهو الأظهر قسمتها بينهم على قدر العمل لأن الحديث ورد في سياق الحث والتحضيض وما هذا سبيله لا يستوي فيه الآتي بالأقل والأكثر. ثم أن الرحمات متنوعة بعضها أعلى من بعض فرحمة يعبر بها عن المغفرة، وأخرى عن المعصية، وأخرى عن الرضا، وأخرى عن القرب إلى الله، وأخرى عن تبوىء مقعد صدق، وأخرى عن النجاة من لنار. هكذا إلى ما لا نهاية له إذ لا معنى للرحمة إلا العطف، فتارة يكون باكتساب نعمة وتارة يدفع، وكلاهما يتنوعان إلى ما لا نهاية له، ومع هذا التنويع كيف يفرض التساوي بين المقل والمكثر والمخلص وغير المخلص، والحاضر قلبه والساهي، والخاشع وغير الخاشع، بل ينال كل من رحمات الله بقدر عمله وما يناسبه من الأنواع هذا هو الظاهر. ثم نقول: يحتمل أن يحصل لكل طائف ستون رحمة، ويكون ذلك العدد بحسب عمله في ترتب أعلى الرحمات وأوسطها وأدناها، ويحتمل أن جميع الستين بين الطائفين كلهم، وأربعين بين المصلين، والعشرين بين الناظرين، ويكون القسم بينهم على حساب أعمالهم في العدد والوصف حتى يشترك الغفير في رحمة واحدة من تلك الرحمات، وينفرد الواحد برحمات كثيرة. إذا تقرر ذلك فالتفضيل في الرحمات بين أنواع المتعبدين بأنواع العبادات الثلاث أدل دليل على أفضلية الطواف على الصلاة، والصلاة على النظر إذا تساووا في الوصف هذا هو المتبادر إلى الفهم فيخص به، وبما ورد في فضله من العمومات. أو نقول في الطواف نوع من الصلاة، ولا ينكر أن بعض الصلوات أفضل من بعض، ووجه تفضيل هذا النوع من الصلاة وهو الطواف على غيره من الأنواع ثبوت الأخصية له بمتعلق الثلاثة وهو البيت الحرام ولا خفاء بذلك، وإنما كانت الصلاة على تنوعها لم تشرع إلا عبادة، والنظر قد يكون عبادة إذا قصد التعبد به وقد لا يكون، وذلك إذا لم يقترن به قصد التعبد تأخر عن الرتبة، وكثير من العلماء يذهب في توجيه اختلاف القسم بين الطائفين والمصلين والناظرين، فإن الرحمات المائة والعشرين قسمت ستة أجزاء، فجعل جزء للناظرين، وجزآن للمصلين لأن المصلي ناظر في الغالب فجزء للنظر وجزء للصلاة، والطائف لما اشتمل على الثلاثة كان له ثلاثة: جزء للنظر، وجزء للصلاة، وجزء للطواف. وهذا القائل لا يثبت للطواف أفضلية على الصلاة وما ذكرناه أولى، والله أعلم.

(وفي الخبر : « استكثروا من الطواف بالبيت فإنه من أجل شيء تجدونه في صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه ») هكذا هو في القوت إلا أنه قال: من أقل شيء وهكذا هو في بعض نسخ هذا الكتاب.

وقال العراقي: رواه ابن حبان والحاكم من حديث ابن عمر: « استمتعوا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع في الثالثة ». وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: ورواه بهذا اللفظ أيضاً الطبراني في المعجم الكبير، لكنه لا يوافق سياق المصنف في كل من الوجوه كما لا يخفى.

من غير حج ولا عمرة. وفي الخبر: « من طاف أسبوعاً حافياً حاسراً كان له كعتق رقبة، ومن طاف أسبوعاً في المطر غفر له ما سلف من ذنبه ». ويقال: إن الله عز وجل إذا غفر لعبد ذنباً في الموقف غفره لكل من أصابه في ذلك الموقف. وقال بعض

(ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة) ولذا ينبغي أن لا يعرج القادم على شيء بعد دخول مكة قبله.

(وفي الخبر: « من طاف أسبوعاً حافياً) أي بلا نعلين **(حاسراً)** أي مكشوف الرأس **(كان له كعتق رقبة، ومن طاف أسبوعاً في المطر غفر له ما سلف من ذنبه »)** أورده صاحب القوت وقال: روي ذلك عن الحسن بن علي قال لأصحابه ورفعه إلى رسول الله ﷺ اهـ.

وقال العراقي: لم أجده هكذا. وعند الترمذي، وابن ماجه من حديث ابن عمر « من طاف بهذا البيت أسبوعاً فأحصاه كان كعتق رقبة » لفظ الترمذي وحسنه اهـ.

قلت: وقال الحافظ ابن حجر: حديث الطواف في المطر رواه ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف بالمعنى اهـ.

قلت: ولفظه عن أبي عقال قال: طفت مع أنس بن مالك في مطر، فلما قضينا الطواف أتينا المقام فصلينا ركعتين، فقال لنا أنس: « ائتنفوا العمل فقد غفر لكم هكذا قال لنا رسول الله ﷺ وقد طفنا معه في مطر ».

وأخرجه أبو ذر الهروي من طريق داود بن عجلان قال: « طفت مع أبي عقال » فساقه نحوه.

وأخرجه أبو سعيد الجندي، وأبو الوليد الأزرقي مع زيادة، وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح. قال: وقال ابن حبان: أبو عقال روى عن أنس « استأنفوا » موضوعة ما حدث بها أنس قط، ولا يجوز الاحتجاج به بحال اهـ.

وأما حديث ابن عمر الذي عند الترمذي ففيه زيادة: « لا يضع ولا يرفع أخرى إلا حط الله عنه بها خطيئة وكتب له بها حسنة ». ورواه كذلك النسائي والحاكم.

وعند ابن ماجه والبيهقي من حديث ابن عمر « من طاف بالبيت سبعاً وصلى ركعتين كان كعتق رقبة ».

وعند أحمد والطبراني: « من طاف بحذاء البيت أسبوعاً يحصيه كتب له بكل خطوة حسنة وكفرت عنه سيئة ورفعت له درجة وكان له كعتق رقبة ».

وعند أبي الشيخ في الثواب: « من طاف بالبيت وأحصاه وركع ركعتين كان له كعدل رقبة نفيسة من الرقاب ».

(ويقال: إن الله عز وجل إذا غفر ذنب العبد في الموقف غفر ذلك الذنب لكل من

السلف: إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل يوم في الدنيا، وفيه حج رسول الله ﷺ حجة الوداع وكان واقفاً إذ نزل قوله عز وجل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة: ٣] قال أهل الكتاب: لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد، فقال عمر رضي الله عنه: أشهد لقد أنزلت هذه الآية في يوم عيدين إثنين، يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله ﷺ

أصابه في ذلك الموقف) ولفظ القوت ويقال إن الله إذا غفر لعبد ذنباً في الموقف غفره لكل ما أصابه في ذلك الموقف.

(وقال بعض السلف) ولفظ القوت وزعم بعض السلف: **(إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة)**، ولفظ القوت لكل أهل الموقف، وقد أسنده رزين بن معاوية العبدري في تجريد الصحاح عن طلحة بن عبيد الله كرزين أن رسول الله ﷺ قال: « أفضل الأيام يوم عرفة وافق يوم جمعة وهو أفضل من سبعين حجة » قال: وعليه علامة الموطأ ولم أره في موطأ يحيى بن يحيى الليثي، فلعله في غيره من الموطآت **(وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله ﷺ حجة الوداع)** سنة عشر لم يحج بعد نزول فرض الحج غيرها كذا في القوت، وعاش ﷺ بعدها ثمانين يوماً، **(وكان واقفاً)** على راحلته **(إذ نزل)** عليه **(قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم)** [المائدة: ٣] قال البيضاوي: أي بالنصر والإظهار على الأديان كلها أو بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد. ﴿**وأتممت عليكم نعمتي**﴾ أي بالهداية والتوفيق أو باكمال الدين أو بفتح مكة وهدم منار الجاهلية﴿**ورضيت لكم الإسلام**﴾ أي اخترته لكم﴿ **ديناً**﴾ بينا بين الأديان وهو الدين عند الله تعالى.

(قال أهل الكتاب) ولفظ القوت وقال علماء أهل الكتاب: **(لو أنزلت علينا هذه الآية لجعلناها يوم عيد)** ولفظ القوت يومها عيداً **(فقال عمر رضي الله عنه: أشهد لقد أنزلت هذه الآية في يوم عيدين إثنين: يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة)**. هكذا في القوت، وقد أخرجه البخاري، ومسلم، والترمذي والنسائي. وقال الترمذي: حسن صحيح.

ولفظ البخاري حدثنا الحسن بن الصباح أنه سمع جعفر بن عوف، حدثنا أبو العميس، أخبرنا قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « أن رجلا من اليهود قال له يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معاشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال أي آية ؟ قال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ قال عمر: لقد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي أنزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم جمعة ».

قال الحافظ: والرجل المذكور هو كعب الأحبار قبل أن يسلم، كما قاله الطبراني في الأوسط

وهو واقف بعرفة، وقال ﷺ: «اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج». ويروى أن علي بن الموفق حجّ عن رسول الله ﷺ حججاً. قال: فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: يا ابن الموفق حججت عني؟ قلت: نعم. قال: ولبيت عني؟ قلت: نعم. قال: فإني أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك في الموقف فأدخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب. وقال مجاهد وغيره من العلماء: إن الحجاج إذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الإبل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقاً. وقال الحسن:

وغيره كلهم من طريق رجاء بن أبي سلمة، عن عبادة بن نسي، عن إسحاق بن قبيصة بن ذؤيب، عن كعب أنه قال لعمر الحديث. وإنما لم يقل جعلناه عيداً ليطابق جوابه السؤال لأنه ثبت في الصحيح أن النزول كان بعد العصر، ولا يتحقق العيد إلا من أول النهار، ولا ريب أن اليوم الثاني ليوم عرفة عيد للمسلمين فكأنه قال: جعلناه عيداً بعد إدراكنا استحقاق ذلك اليوم للتعبد فيه. قال: وعندي أن هذه الرواية اكتفي فيها بالإشارة وإلا فرواية إسحاق بن قبيصة نص على المراد ولفظه: «يوم جمعة يوم عرفة» وكلاهما بحمد الله لنا عيد، وللطبراني وهما لنا عيد، فظهر أن الجواب تضمن أنهم اتخذوا ذلك اليوم عيداً، واتخذوا اليهود يوم عرفة عيداً لأنه ليلة العيد اهـ.

وقال النووي: فقد اجتمع في ذلك فضيلتان وشرفان، ومعلوم تعظيمنا كلاً منهما، فإذا اجتمعا زاد التعظيم فقد اتخذنا ذلك اليوم عيداً وعظمنا مكانه والله أعلم.

(وقال ﷺ: «اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج») قال العراقي: رواه الحاكم من طريق أبي هريرة وقال: صحيح على شرط مسلم اهـ.

قلت: وتعقب بأن فيه شريكاً القاضي ولم يخرج له مسلم إلا في المتابعات، وقد أخرجه البيهقي والخطيب كذلك وفي بعض الروايات قال ذلك ثلاثاً فيتأكد طلب الاستغفار من الحاج ليدخل في دعائه ﷺ، وظاهره طلب ندب الاستغفار منه في سائر الأوقات، لكن سيأتي في قول عمر رضي الله عنه أن غاية طلبه إلى عشرين ربيع الأول، وقال الحافظ ابن رجب، فإن تأخر وصوله إلى وطنه فإلى وصوله.

(وروي أن علي بن الموفق) ولفظ القوت وكان علي بن الموفق قد **(حج عن رسول الله ﷺ حججاً قال: فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: يا بن الموفق حججت عني؟ قلت: نعم)** يا رسول الله **(قال: ولبيت عني؟ قلت نعم. قال: فإني أكافئك بها)** ولفظ القوت فهذه يد لك عندي أكافئك بها **(يوم القيامة آخذ بيدك في الموقف فأدخلك الجنة والخلائق في ركب الحساب، وقال مجاهد وغيره من العلماء)** ولفظ القوت: وروينا عن مجاهد وغيره من العلماء دخل حديث أحدهما في الآخر: **(أن الحاج إذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الإبل وصافحوا ركبان الحمر)** جمع حمير، **(واعتنقوا المشاة)** على أرجلهم **(اعتناقاً)** كذا في القوت.

من مات عقيب رمضان أو عقيب غزو أو عقيب حج مات شهيداً. وقال عمر رضي الله عنه: الحاج مغفور له ولمن يستغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول. وقد كان من سنّة السلف رضي الله عنهم أن يشيعوا الغزاة، وأن يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء ويبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام. ويروى عن علي بن الموفق قال: حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى في مسجد الخيف، فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه: يا عبد الله فقال الآخر: لبيك يا عبد الله، قال: أتدري كم حج بيت ربنا عز وجل في هذه السنة؟ قال: لا أدري. قال: حج بيت ربنا ستمائة ألف.

وأخرج ابن الجوزي في مثير العزم عن عائشة مرفوعاً «إن الملائكة لتصافح ركبان الحاج وتعتنق المشاة».

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(من مات عقيب رمضان أو عقيب غزو أو حج مات شهيداً)** نقله صاحب القوت إلا أنه قال بعقب شهر رمضان أو بعقب غزو أو بعقب حج.

وأخرجه ابن الجوزي عن الحسن بلفظ المصنف إلا أنه قال عقيب عمرة أو حجة أو غزوة.

(وقال عمر) بن الخطاب **(رضي الله عنه: الحاج مغفور له ولمن يستغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول)** كذا في القوت إلا أنه قال: شهر ذي الحجة من غير كلمة «في» ويوجد في بعض نسخ الكتاب وعشرين من ربيع الأول، واغتر به المناوي فنقله في شرح الجامع هكذا نقلاً عن الكتاب وهو وهم، والصواب ما تقدم. وتقدم عن الحافظ ابن رجب أنه إذا تأخر وصوله إلى وطنه عن هذه المدة فإلى وصوله.

روى أحمد من حديث ابن عمر مرفوعاً: «إذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه ومره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته فإنه مغفور له». وهذا شاهد جيد للجملة الأولى من قول عمر.

(وقد كان من سنة الخلف) رحمهم الله تعالى **(أن يشيعوا الغزاة)** أي يمشون معهم للتوديع **(وأن يستقبلوا الحاج)** إذا قدموا **(ويقبلوا بين أعينهم ويسألونهم الدعاء لهم)** كذا نقله صاحب القوت، **(ويبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام)**، وهذا القول نقله صاحب القوت عن مجاهد وغيره من العلماء بلفظ: «كانوا يتلقون الحاج يدعون لهم قبل أن يتدنسوا ويقولون تقبل الله منا ومنكم».

(ويروى عن علي بن الموفق) المتقدم ذكره، ولفظ القوت: وحدثونا عن علي بن الموفق **(أنه قال: حججت سنة فلما كان)** ولفظ القوت كانت **(ليلة عرفة بت بمنى في مسجد الخيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه: يا عبد الله! فقال الآخر: لبيك يا عبد الله. قال: أتدري كم حج بيت ربنا في هذه**

أفتدري كم قبل منهم؟ قال: لا. قال: ستة أنفس. قال: ثم ارتفعا في الهواء فغابا عني فانتبهت فزعاً واغتممت غماً شديداً وأهمني أمري فقلت: إذا قبل حج ستة أنفس فأين أكون أنا في ستة أنفس؟ فلما أفضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر في كثرة الخلق وقلة من قبل منهم، فحملني النوم فإذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما، فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بعينه، ثم قال: أتدري ماذا حكم ربنا عز وجل في هذه الليلة؟ قال: لا. قال: فإنه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف، قال: فانتبهت وبي من السرور ما يجل عن الوصف. وعنه أيضاً رضي الله عنه قال: حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لا يقبل حجه، فقلت: اللهم إني قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم تتقبل حجه. قال: فرأيت رب العزة في النوم جل جلاله فقال لي: يا عليّ تتسخى عليَّ وأنا خلقت السخاء والأسخياء وأنا أجود الأجودين

السنة؟ قال: لا أدري. قال: حج بيت ربنا ستمائة ألف قال: فتدري كم قبل منهم؟ قال: لا) أدري. (**قال: قبل منهم ستة أنفس. قال: ثم ارتفعا في الهواء فغابا علي فانتبهت فزعاً أي خائفاً واغتممت**) ولفظ القوت: فاغتممت (**غماً شديداً وأهمني أمري فقلت: إذا قبل حج ستة أنفس فأين أكون أنا في ستة أنفس؟ فلما أفضت من عرفة وبت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم، فحملني النوم فإذا أنا بالشخصين**) ولفظ القوت: فإذا الشخصان (**قد نزلا على هيئتهما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد ذلك الكلام**) الذي حصل به المراجعة (**بعينه، ثم قال: أتدري ماذا حكم به ربنا في هذه الليلة؟ قال: لا. قال: فإنه وهب لكل واحد من الستة**) المذكورة (**مائة ألف. قال فانتبهت وبي من السرور ما يكل عن الوصف**) هكذا نقله صاحب القوت.

ثم قال: ذكر في هذه القصة ستة ولم يذكر السابع، وهؤلاء هم الأبدال السبعة أوتاد الأرض المنظور إليهم كفاحاً، ثم ينظر إلى قلوب الأولياء من وراء قلوبهم، فأنوار هؤلاء من نور الجلال، ونور الأولياء من نورهم وأنصبتهم وعلومهم من أنصبة هؤلاء، فلم يذكر السابع وهو قطب الأرض والأبدال كلهم في ميزانه، ويقال: إنه هو الذي يضاهي الخضر من هذه الأمة في الحال ويجاريه في العلم، وأنهما يتفاوضان العلم ويجد أحدهما المزيد من الآخر فإنما لم يذكر والله أعلم. لأنه يوهب له من مات ولم يحج من هذه، لأنه أوسع جاهاً من جميعهم، وأنفذ قولاً في الشفاعة من الجملة.

(**وعنه أيضاً**) أي علي بن الموفق رحمه الله تعالى (**أنه قال: حججت سنة فلما قضيت مناسكي تفكرت فيمن لم يتقبل حجه فقلت: اللهم إني وهبت حجتي**) هذه (**وجعلت ثوابها لمن لم يتقبل حجه. قال: فرأيت رب العزة في النوم فقال يا علي: تتسخى علي وأنا خلقت**

وأكرم الأكرمين وأحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم أقبل حجه لمن قبلته.

فضيلة البيت ومكة المشرفة:

قال ﷺ: « إن الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه في كل سنة ستمائة ألف، فإن نقصوا أكملهم الله عز وجل من الملائكة وإن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة، وكل من حجها يتعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها. وفي الخبر: « إن الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة، وأنه يبعث يوم القيامة له عينان

السخاء و) خلقت (**الأسخياء، وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، وأحق بالجود والكرم من العالمين، وقد وهبت كل من لم أقبل حجه لمن قبلته**) هكذا أورده صاحب القوت بهذا السياق، والله أعلم.

فضيلة البيت الشريف ومكة:

ويقال فيها بكة بالموحدة على البدل، وقيل بالباء البيت وبالميم ما حوله، وقيل بالباء بطن مكة.

(**قال رسول الله ﷺ: « إن الله تعالى قد وعد هذا البيت أن يحجه في كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا**) أي عن هذا العدد (**أكملهم الله تعالى بالملائكة، وأن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة**) أي إلى بعلها (**وكل من حجها يتعلق بأستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلوا معها »**) هكذا أورده صاحب القوت، وقال العراقي: لم أجد لـه أصلاً اهـ.

(**وفي الخبر: « إن الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وأنه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق »**) هكذا هو في القوت.

وقال العراقي: رواه الترمذي وصححه، والنسائي من حديث ابن عباس: « الحجر الأسود من الجنة » لفظ النسائي، وباقي الحديث رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححه من حديث ابن عباس أيضاً، والحاكم من حديث أنس « الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة » وصحح إسناده ورواه الترمذي وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو اهـ.

قلت: وأخرج الأزرقي موقوفاً على ابن عباس قال: « ليس في الأرض من الجنة إلا الحجر الأسود والمقام فإنهما جوهرتان من جوهر الجنة ولولا ما مسهما من أهل الشرك ما مسهما ذو عاهة إلا شفاه الله ». ولفظ الترمذي عن ابن عباس مرفوعاً في الحجر « والله ليبعثه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق » وفي لفظ ابن حبان « له لسان وشفتان ».

ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحق وصدق » . وكان ﷺ يقبله كثيراً . وروي أنه ﷺ سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف

ورواه أحمد فقال: « يشهد لمن استلمه بحق » ولفظ حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد « له لسان وشفتان » وعنه أيضاً: « الحجر الأسود من حجارة الجنة لولا ما تعلق به من الأيدي الفاجرة ما مسه أكمه ولا أبرص ولا ذو داء إلا بريء » أخرجه سعيد بن منصور.

وعن مجاهد: « يأتي الركن والمقام يوم القيامة كل واحد منهما مثل أبي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالموافاة » . أخرجه الأزرقي وعبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو مسند ظهره إلى الكعبة: « الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة لولا أن الله طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب » أخرجه أحمد وابن حبان، وأخرجه الترمذي وقال: حديث غريب.

(وكان رسول الله ﷺ يقبله كثيراً) هكذا في القوت.

قال العراقي: أخرجاه من حديث عمر دون قوله كثيراً، وللنسائي أنه كان يقبله كل مرة ثلاثاً إن رآه خالياً اهـ.

(وروي أنه ﷺ سجد عليه) كذا في القوت بلفظ: وروينا أنه سجد عليه.

وقال العراقي: رواه البزار والحاكم من حديث عمر وصححا إسناده اهـ.

قلت: وأخرج الدارقطني عن ابن عباس: « أن النبي ﷺ سجد على الحجر » .

وأخرج الشافعي في مسنده عنه بلفظ، « قبل الركن وسجد عليه ثلاث مرات » .

وأخرج البيهقي عنه قال « رأيت عمر بن الخطاب قبل وسجد عليه، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل هكذا » .

وأخرج الشافعي، والبيهقي والأزرقي عنه « أنه ﷺ قبل الحجر ثلاثاً وسجد عليه إثر كل تقبيلة » قال الطبري في المناسك: وكره مالك السجود على الحجر وقال: هو بدعة وجمهور أهل العلم على جوازه والحديث حجة على المخالف.

(وكان) ﷺ **(يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل المحجن)** هكذا في القوت ولم يخرجه العراقي، وهو في الصحيحين من حديث أبي الطفيل وجابر فلفظ أبي الطفيل عند مسلم: « كان يقبل الركن بمحجن معه ويقبل المحجن » ولم يقل البخاري « ويقبل المحجن » ولا أخرجه عن أبي الطفيل، ولفظ جابر عند البخاري « طاف رسول الله ﷺ على راحلته يستلم الركن بمحجنه ثم يعطف المحجن ويقبله » وأخرج أبو داود من حديث ابن عمر أن رجلاً سأله عن استلام الحجر فقال: كان أحدنا إذا لم يخلص إليه قرعه بعصا.

المحجن، وقبّله عمر رضي الله عنه ثم قال: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك، ثم بكى حتى علا نشيجه، فالتفت إلى ورائه فرأى علياً كرّم الله وجهه ورضي عنه فقال: يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات، فقال علي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع. قال: وكيف؟ قال: إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتاباً ثم ألقمه هذا الحجر، فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود. قيل: فذلك

(وقبّله عمر رضي الله عنه ثم قال: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك لما قبلتك). أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر.

ولفظ مسلم قال: «قبّل عمر بن الخطاب الحجر ثم قال: أما والله لقد علمت أنك حجر ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك».

وعن عبد الله بن سرجس قال: رأيت الأصلع - يعني عمر - يقبّل الحجر ويقول: «والله إني لأقبلك وإني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلـك ما قبلتك».

وعن سويد بن غفلة قال: رأيت عمر قبّل الحجر والتزمه وقال: «رأيت رسول الله ﷺ بك حفياً»، لم يخرج البخاري في هذا الحديث التزام الحجر ولا قال: رأيت الأصلع، وفي بعض روايـات البخاري ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ استلمك ما استلمتك.

(ثم بكى حتى علا نشيجه) اي صوته **(فالتفت إلى ورائه فرأى علياً كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن: ههنا تسكب العبرات)** هكذا في القوت أخرجه الشامي في مسنده، وأبو ذر الهروي من حديث ابن عمر قال: استقبل النبي ﷺ بيده فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلاً يبكي، فالتفت فإذا هو بعمر بن الخطاب يبكي، فقال يا عمر: ما هذا؟ قال عمر: ههنا تسكب العبرات. **(فقال علي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع. قال: وكيف؟ قال إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتاباً ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمنين بالوفاء وعلى الكافرين بالجحود)**. كذا في القوت، إلا أنه لم يقل عليهم وقال للمؤمن وعلى الكافر.

وقال العراقي: هذه الزيادة في هذا الحديث أخرجها الحاكم وقال: ليس من شرط الشيخين اهـ.

قلت: وأخرج الأزرقي هذا الحديث بتلك الزيادة ولفظه فقال علي: بلى يا أمير المؤمنين هو يضر وينفع. قال: وبم؟ قال: بكتاب الله عز وجل. قال: وأين ذلك من كتاب الله عز وجل؟ قال: قال الله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم. وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ [الأعراف: ١٧٢] قال: فلما خلق الله عز وجل آدم مسح ظهره فأخرج ذريته من ظهره فقررهم أنه الرب وأنهم العبيد ثم كتب ميثاقهم في رق، وكان هذا الحجر له عينان

هو معنى قول الناس عند الاستلام: «اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك». وروي عن الحسن البصري رضي الله عنه: أن صوم يوم فيها بمائة ألف يوم، وصدقة درهم بمائة ألف درهم، وكذلك كل حسنة بمائة ألف. ويقال: طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة. وفي الخبر الصحيح: «عمرة في رمضان

ولسان فقال له: افتح فاك، قال: فألقمه ذلك الرق وجعله في هذا الموضع، فقال: تشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة. قال: فقال عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا حسن.

وأخرج الدولابي في الذرية الطاهرة عن الحسين بن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لما أخذ الله ميثاق الكتاب جعله في الحجر فمن[1] بالبيعة استلام الحجر.

وفي مثير العزم لابن الجوزي، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ «إن الله لما أخذ من بني آدم ميثاقهم جعله في الحجر».

وقال الطبري في مناسكه: وإنما قال عمر ما قال في تقبيل الحجر والله أعلم، لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر هو مثل ما كانت العرب تفعله، فأراد عمر أن استلامه لا يقصد به إلا تعظيم الله عز وجل والوقوف عند أمر نبيه ﷺ، وأن ذلك من شعائر الحج التي أمر الله بتعظيمها، وأن استلامه مخالف لفعل الجاهلية في عبادتهم الأصنام، لأنهم كانوا يعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى، فنبه عمر على مخالفة هذا الاعتقاد وأنه لا ينبغي أن يعبد إلا من يملك الضرر والنفع وهو الله جل وعلا اهـ.

(قيل؛ فذلك هو معنى قول الناس) في الدعاء **(عند الاستلام: «اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك»)** يعنون هذا الكتاب والعهد، كذا في القوت، وهذا الدعاء أخرجه أبو ذر الهروي بزيادة «الله أكبر» في أوله عن علي رضي الله عنه كما سيأتي.

(وروي عن الحسن البصري رحمه الله تعالى قال: إن صوم يوم فيها بمائة ألف وصدقة درهم فيها بمائة ألف) ورواه صاحب القوت عن ابن عباس، **(وكذلك كل حسنة)** فيها **(بمائة ألف)** وهو مصداق حديث ابن عباس كما سيأتي «صلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة» وهو عند ابن الجوزي في (مثير العزم) من كلام الحسن كما أورده في المصنف.

(ويقال: طواف سبعة أسابيع تعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة) وأن العمرة من الحجة الصغرى، ومن العرب من سمى العمرة حجاً. كذا في القوت.

وروى الطبري في مناسكه عن ابن عباس في حديث طويل «أن آدم عليه السلام كان يطوف بالليل سبعة أسابيع وبالنهار خمسة» وكذا كان ابن عمر يفعله أخرجه الأزرقي.

(وفي الخبر الصحيح عن النبي ﷺ «عمرة في رمضان كحجة»).

---

(١) بياض بالأصل.

كحجة معي » وقال ﷺ : « أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي، ثم آتي أهل مكة فأحشر بين الحرمين». وفي الخبر: « ان آدم ﷺ لما قضى

أخرجاه من حديث عطاء، سمعت ابن عباس: يحدثنا قال: قال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار سماها ابن عباس فنسيت إسمها « ما منعك أن تحجي معنا؟ قالت: لم يكن لنا إلا ناضحان فحج أبو ولدها وابنها على ناضح وترك لنا ناضحاً ننضح عليه، قال: فإذا جاء رمضان فاعتمري فإن عمرة فيه تعدل حجة » وقال البخاري: « حجة » أو نحواً معاً. قال: وخرج أيضاً هذا الحديث من طريق جابر تعليقاً.

ولمسلم من طريق أخرى « فعمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة (معي ») وسمى المرأة أم سنان، وقد أخرج البخاري هذا الطريق وقال: أم سنان الأنصارية.

قال العراقي: ورواه الحاكم بزيادتها من غير شك اهـ.

قلت: وأخرجه بتلك الزيادة الطبراني، والبزار، وسمويه في الفوائد عن أنس، وفي طريق سمويه داود بن يزيد الأودي ضعيف، وعزاه ابن العربي في شرح الترمذي إلى أبي داود بغير شك، وقال: إنه صحيح، وقد روي من غير تلك الزيادة عن أم معقل ووهب بن خنيس أخرجه ابن ماجه، وحديث الزبير بن العوام أخرجه الطبراني في الكبير، وحديث علي وأنس أخرجه البزار، وأما الحديث الذي أورده البخاري تعليقاً أخرجه أيضاً أحمد وابن ماجه، وحديث ابن عباس الذي أخرجه الشيخان أخرجه أيضاً أحمد وأبو داود وابن ماجه، ومعنى تعدل حجة أي تماثلها في الثواب لأن الثواب يفضل بفضل الوقت.

وقال الطيبي: هذا من باب المبالغة وإلحاق الناقص بالكامل ترغيباً وبعثاً عليه، وإلا كيف يفضل ثواب العمرة ثواب الحج؟ اهـ.

فعلم أنها لا تقوم مقامه في إسقاط الفرض للإجماع على أن الاعتمار لا يخرج عن حج الفرض وفيه: أن الشيء يشبه الشيء ويجعل عدله إذا أشبهه في بعض المعاني لا كلها، وأن ثواب العمل بزيادة شرف الوقت كما يزيد بحضور القلب وخلوص النية، وأن أفضل أوقات العمرة رمضان. نقله المناوي في شرح الجامع.

(وقال ﷺ « أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم آتي أهل مكة فأحشر بين الحرمين ») كذا أورده صاحب القوت.

وقال العراقي: رواه الترمذي وحسنه، وابن حبان من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: ولفظها « أنا أول من تنشق الأرض عنه، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة ».

مناسكه لقيته الملائكة فقالوا: برّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام». وجاء في الأثر: إن الله عز وجل ينظر في كل ليلة إلى أهل الأرض فأول من ينظر إليه أهل الحرم، وأوّل من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام، فمن رآه طائفاً غفر له، ومن رآه مصلياً غفر له، ومن رآه قائماً مستقبل الكعبة غفر له. وكوشف بعض الأولياء رضي الله عنهم قال: إني رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان، ورأيت عبادان ساجدة لجدة ويقال: لا تغرب الشمس من يوم إلاَّ ويطوف بهذا البيت

(وفي الخبر «أن آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا له برّ حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام») هكذا أورده صاحب القوت.

وقال العراقي: رواه المفضل الجندي، ومن طريقه ابن الجوزي في العلل من حديث ابن عباس وقال: لا يصح، ورواه الأزرقي في تاريخ مكة موقوفاً على ابن عباس اهـ.

قلت: ورواه الشافعي مرفوعاً على محمد بن كعب القرظي.

وأما لفظ حديث ابن عباس عند الأزرقي على ما نقله الطبري في مناسكه قال «حج آدم عليه السلام فطاف بالبيت سبعاً فلقيته الملائكة في الطواف فقالوا بر حجك يا آدم إنا حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام. قال: فما كنتم تقولون في الطواف؟ قال: كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. قال آدم: فزيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله فزادت الملائكة فيها ذلك، فقال لهم إبراهيم عليه السلام: ماذا تقولون في طوافكم؟ قال: كنا نقول قبل أبيك آدم عليه السلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فأعلمناه ذلك، فقال: زيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله، فقال إبراهيم عليه السلام: زيدوا فيها العلي العظيم ففعلت الملائكة».

(وجاء في الأثر: أن الله تعالى ينظر في كل ليلة إلى أهل الأرض فأول من ينظر إليه أهل الحرم، وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفاً) بالبيت **(غفر له، ومن رآه مصلياً غفر له، ومن رآه قائماً مستقبل الكعبة غفر له)**، أورده صاحب القوت إلا أنه قال: فمن رآه ساجداً غفر له، ومن رآه مصلياً غفر له، ومن رآه قائماً مستقبل القبلة غفر له، ثم قال: وذكرت الصلاة بعبادان لأبي تراب النخشبي رحمه الله تعالى فقال: نومة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة بعبادان، ثم قال: **(وكوشف بعض الأولياء)** أي رأى مكاشفة **(قال: رأيت الثغور كلها)** جمع ثغر وهو من البلاد الموضع الذي يخاف منه هجوم العدو فهو كالثلمة في الحائط يخاف هجوم السارق منها **(تسجد لعبادان)** مثنى عباد كشداد بلد على بحر فارس بقرب البصرة شرقاً يميل إلى الجنوب، وقال الصغاني: هو جزيرة أحاط بها شعبتا دجلة ساكبتين في بحر فارس.

(ورأيت عبادان ساجدة لجدة) وهي بضم الجيم ثغر مكة لأنها خزانة الحرم وفرضة أهل المسجد الحرام.

رجل من الأبدال، ولا يطلع الفجر من ليلة إلاَّ طاف به واحد من الأوتاد، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى الناس لها أثراً، وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد. ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف، ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة. ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية، ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب

ثم قال صاحب القوت: وكنت أنا بمكة سنة فأهمني الغلاء بها حتى ضقت ذرعاً به، فرأيت في النوم شخصين بين يدي يقول أحدهما للآخر: كل شيء في هذا البلد عزيز كأنه بعض الغلاء، وقال الآخر: الموضع عزيز فكل شيء فيه عزيز، فإن أردت أن ترخص الأشياء فضمها إلى الموضع حتى ترخص، ثم قال صاحب القوت: وأكثر الأبدال في أرض الهند والزنج وبلاد الكفر.

(ويقال: لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال) جمع بدل محركة كأنهم أرادوا أنهم أبدال الأنبياء وخلفاؤهم، وهم عند القوم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، لكل بلد إقليم فيه ولايته منهم واحد على قدم الخليل، وله الإقليم الأول والثاني على قدم الكليم، والثالث على قدم هارون، والرابع على قدم إدريس، والخامس على قدم يوسف الصديق، والسادس على قدم عيسى، والسابع على قدم آدم عليهم السلام على ترتيب الأقاليم، وهم عارفون بما أودع الله في الكواكب السيارة من الأسرار والحركات والمنازل وغيرها، ولهم في الأسماء أسماء الصفاء وكل واحد بحسب ما يعطيه حقيقة ذلك الإسم الإلهي من الشمول والإحاطة ومنه يكون تلقيه.

(ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد) وهم أربعة في كل زمن لا يزيدون ولا ينقصون. قال الشيخ الأكبر قدس سره: رأيت منهم رجلاً بمدينة فاس ينخل الحناء بالأجرة اسمه ابن جعدون أحدهم يحفظ الله به المشرق وولايته فيه، والآخر المغرب، والآخر الجنوب، والآخر الشمال، ويعبر عنهم بالجبال فحكمهم في العالم حكم الجبال في الأرض، وأسماؤهم في كل زمن عبد الحي، وعبد العليم، وعبد القادر، وعبد الرب.

ثم قال صاحب القوت: **(وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه)** أي البيت **(من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى لها أثر)**. وفي القوت لا يرون لها أثراً، **(وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد)** أي من آفاق البلاد بسبب فساد الطرق، **(ثم يرفع القرآن من المصاحف)** جمع مصحف **(فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح)** أي يظهر **(ليس فيه حرف)** مكتوب، **(ثم ينسخ القرآن)** أي يزال **(من القلوب)** أي ينسى فلا تذكر منه كلمة، **(ثم يرجع الناس إلى)** حفظ **(الأشعار)** بأنواعها **(والأغاني)** هي الألحان المطربة **(وأخبار الجاهلية)** ومن مضى من الدول، **(ثم يخرج الدجال وينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقتل**

التي تتوقع ولادتها. وفي الخبر: «استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة». وروي عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال، قال الله تعالى: «إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره».

فضيلة المقام بمكة حرسها الله تعالى وكراهيته:

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة.

الأول: خوف التبرم والانس بالبيت، فإن ذلك ربما يؤثر في تسكين حرقة القلب

الدجال) والأخبار في ذلك مشهورة في تصانيف مستقلة، **(والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب)** التي **(يتوقع)** أي ينتظر **(ولادها)**. كل هذا قد ذكره صاحب القوت، وتابعه المصنف مع مخالفة لسياقه، ثم قال صاحب القوت وفي الحديث «لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والمقام».

وروي أن الحبشة يغزون الكعبة فيكون أولهم عند الحجر الأسود وآخرهم على ساحل البحر بجدة فينقضونها حجراً حجراً يناول بعضهم بعضاً حتى يرموها في البحر، وكذلك يذكر عن بعض الصحابة وقراء الكتب السالفة كأني أنظر إليه حبشياً أصلع أجدع قائماً عليها يعني الكعبة يهدمها بمعوله حجراً حجراً ثم قال:

(وفي الخبر «استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة»).

قال العراقي: رواه البزار، وابن حبان، والحاكم وصححه من حديث ابن عمر «استمتعوا في هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع في الثالثة» وقد تقدم قريباً.

ثم قال صاحب القوت: ورفعه الذي ذكرناه يكون بعد هدمه لأنه يبنى بعد ذلك حتى يعود إلى مثل حاله ويحج مراراً ثم يرفع بعد ذلك.

(ويروى عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال قال الله تعالى «إني إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره») قال صاحب القوت: رويناه عن ابن رافع عن علي، وقال العراقي: ليس له أصل.

فضيلة المقام بمكة وكراهيته:

أي بيان حكم الإقامة بها فضيلة وكرامة.

(فاعلم أنه قد كره الخائفون من الله) تعالى **(المحتاطون)** لدينهم **(من العلماء)** بالله تعالى **(المقام بمكة لمعان ثلاثة:**

أحدها: **خوف التبرم بالمقام)** أي التضجر **(والأنس بالبيت فإن ذلك)** أي التبرم **(ربما**

في الاحترام، وهكذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول: يا أهل اليمن يمنكم، ويا أهل الشام شامكم، ويا أهل العراق عراقكم. ولذلك همّ عمر رضي الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف، وقال: خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت.

الثاني: تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فإن الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمناً، أي يثوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطراً. وقال بعضهم: تكون في بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر. وقال بعض السلف: كم من رجل بخراسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به؟ ويقال: إن لله تعالى عباداً تطوف بهم الكعبة تقرّباً إلى الله عز وجل.

يؤثر في تسكين حرقة القلب في الاحترام) له، (**ولهذا كان عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول: يا أهل اليمن خذوا يمنكم، ويا أهل الشام**) خذوا (**شامكم، ويا أهل العراق خذوا عراقكم**) أي الحقوا بلادكم ولا تجاوروا بمكة خوفاً أن يتضجروا فتسقط هيبة البيت في الأعين، وهذا القول من عمر أورده صاحب القوت.

وفي المصنف لابن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن عمر بن أبي معروف، عن ابن أبي مليكة قال: قال عمر: لا تقيموا بعد النفر إلا ثلاثاً، وفيه أيضاً: حدثنا وكيع، عن عيسى، عن الشعبي، عن عبد الله قال: مكة ليست بدار إقامة ولا مكث.

(**ولهذا أيضاً همّ**) أي قصد (**عمر رضي الله عنه بمنع الناس**) من كثرة الطواف بالبيت (**وقال: خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت**) أي: ومن يأنس بالشيء كثيراً تسقط منه مهابته وهذا مشاهد.

(**الثاني: تهييج الشوق**) أي إثارته (**بالمفارقة لتنبعث داعية العود**) إليه (**فإن الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمناً أي يثوبون**) أي يرجعون (**ويترددون**) بالعود (**إليه مرة بعد أخرى**) من ثاب إليه إذا رجع، (**ولا يقضون منه وطراً**) كذا في القوت، (**وقال بعضهم: لأن تكون في بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك في بلد أخرى**) كذا في القوت قال: وروى ابن عيينة عن الشعبي قال: لأن أقيم بحمّام أعين أحب إليّ من أن أقيم بمكة. قال سفيان: يعني إعظاماً لها وتوقياً من الذنب.

(**وقال بعض السلف: كم من رجل بخراسان**) إقليم مشهور ببلاد العجم (**وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به**) كذا في القوت، والمشهور على الألسنة قوم بخراسان وقلوبهم بمكة، (**ويقال إن لله عباداً تطوف بهم الكعبة تقرباً إلى الله تعالى**) نقله صاحب القوت وزاد ما

الثالث: الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فإن ذلك مخطر، وبالحري أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع. وروي عن وهيب بن الورد المكي قال:

نصه: وحدثني شيخ لنا عن أبي علي الكرماني رحمه الله تعالى شيخنا بمكة، وكان من الأبدال إلا أني ما سمعت منه هذه الحكاية قال: سمعته يقول: رأيت الكعبة ذات ليلة تطوف بشخص من المؤمنين، وقال لي هذا الشيخ ربما نظرت إلى السماء واقعة على سطح الكعبة قد ماستها الكعبة ولزقت بها اهـ.

وقال الشيخ الأكبر: ولقد نظرت يوماً إلى الكعبة وهي تسألني الطواف بها وزمزم تسألني التضلع من مائها رغبة في الاتصال بنا فخفنا من الحجاب بهما لعظيم مكانتهما عما نحن عليه من حال القرب الإلهي في معرفتنا، فقلت لهما، أخاطب كل واحد منهما: يا كعبة الله ويا زمزمه كم تسألان الوصل، ثم إن كان وصلي بكما واقعاً فرحمة لا رغبة فيكم وذكر عدة أسماء على هذا النمط.

(الثالث: الخوف من ركوب الخطايا والذنوب فإن ذلك مخطر) أي أمر خطر وفي بعض النسخ مخطور، **(وبالحري أن يورث)** ذلك **(مقت الله تعالى)** وسخطه **(لشرف الموضع)** ورفعة قدره عند الله تعالى.

وهذه المعاني الثلاثة ذكرهن صاحب القوت عن السلف إجمالاً.

وقد حكي في استحباب المجاورة ما روي عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى قال: كان عبد الله بن صالح رجل له سابقة جليلة، وكان يفر من الناس من بلد إلى بلد حتى أتى مكة فطال مقامه بها فقلت له: لقد طال مقامك بها. فقال لي: ولم لا أقيم بها ولم أجد بلداً تنزل فيه الرحمة والبركة أكثر من هذا البلد والملائكة تغدو فيه وتروح، وإني أرى فيه أعاجيب كثيرة وأرى الملائكة يطوفون به على صور شتى ما يقطعون ذلك، ولو قلت لك كل ما رأيت لقصرت عنه عقول قوم ليسوا بمؤمنين. فقلت: أسألك بالله ألا أخبرتني بشيء من ذلك. فقال: ما من ولي لله عز وجل صحت ولايته إلا وهو يحضر هذا البلد في كل جمعة ولا يتأخر عنه، فمقامي ههنا لأجل من أراه منهم، ولقد رأيت رجلاً يقال له مالك بن القاسم صلى وقد جاء وفي يده غمرة فقلت: إنك قريب عهد بالأكل، فقال: استغفر الله فإنني منذ أسبوع لم آكل، ولكن أطعمت والدتي وأسرعت لألحق الصلاة وبينه وبين الموضع الذي جاء سبعمائة فرسخ، فهل أنت مؤمن؟ فقلت: نعم. فقال: الحمد لله رب العالمين أراني مؤمناً موقناً. كذا في مثير العزم لابن الجوزي.

وعن إبراهيم قال: كان الاختلاف إلى مكة أحب إليهم من المجاورة، وعن الشعبي قال: لم يكن أحد من المهاجرين والأنصار يقيم بمكة ذكرهما سعيد بن منصور، وكره أبو حنيفة الجوار بها خوف الملل وقلة الاحترام لمداومة الأنس بالمكان، وخوف ارتكاب ذنب هنالك، وتهييجاً للشوق بسبب الفراق. قال عمر والزجاجي: من جاور بالحرم وقلبه متعلق بشيء سوى الله تعالى فقد ظهر خسرانه، ولم يكرهها أحمد في جماعة وقالوا: انها فضيلة وما يخاف من ذنب فيقابل بما يرجى لمن أحسن من تضعيف الثواب، وقد نزل بها من الصحابة أربعة وخمسون رجلاً والله أعلم.

كنت ذات ليلة في الحجر أصلّي فسمعت كلاماً بين الكعبة والأستار يقول: إلى الله أشكو ثم إليك يا جبرائيل ما ألقى من الطائفين حولي من تفكههم في الحديث ولغوهم ولهوهم، لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني إلى الجبل الذي

(**وروي عن وهيب بن الورد المكي**) الزاهد. ثقة، روى له مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي تقدمت ترجمته قريباً (**قال: كنت ذات ليلة في الحجر**) بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم هو الموضع المحجور عن البيت ويسمى الحطيم (**أصلي فسمعت كلاماً**) خفياً (**بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشكو ثم إليك يا جبريل ما ألقى**) هو مفعول أشكو (**من الطائفين حولي من تفكههم في الحديث**) أي الدنيوي أي انبساطهم فيه (**ولغوهم**) هو الكلام الباطل (**ولهوهم، لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفض انتفاضة**) أي أتحرك حركة بعنف (**يرجع كل حجر مني إلى الجبل الذي قطع منه**) هكذا أورده صاحب القوت، وأخرجه الأزرقي في نحو من ذلك في تاريخ مكة تحت الميزاب بعد العشاء الأخيرة، فسمعت من تحت الأستار: إلى الله أشكو وإليك يا جبريل ما ألقى من الناس من التفكه حولي من الكلام.

وأخرجه أبو بكر بن سدي في مسألة الطائفين بلفظ: إليك يا جبريل أشكو إلى الله ثم إليك ما يفعل هؤلاء الطائفون حولي من تفكههم في الحديث ولغطهم وسهوهم. قال وهيب: فأولت أن البيت شكا إلى جبريل.

وأخرج أبو بكر الآجري في مسألته وابن الجوزي في مثير العزم عن علي بن الموفق يخبر عن نفسه أو عن غيره أنه رقد في الحجر فسمع البيت يقول: لئن لم ينته الطائفون حولي عن معاصي الله لأصرخن صرخة أرجع إلى المكان الذي جئت منه، وقد علم من هذه السياقات أن الذي أورده المصنف تبعاً لصاحب القوت هو مركب من كلام وهيب وابن الموفق.

وقال الشيخ الأكبر: وكانت بيني وبين الكعبة في زمان مجاورتي بها مراسلة وتوسلات ومعاتبة دائماً، وقد ذكرت ما بيني وبينها من المخاطبات في جزء سميناه [**تاج الرسائل ومنهاج الوسائل**] تحوي فيما أظن على سبع رسائل من أجل السبعة الأشواط لكل شوط رسالة مني إلى الصفة الإلهية التي تتجلى لي في ذلك الشوط، ولكن ما عملت من تلك الرسائل ولا خاطبتها بها إلا لسبب حادث، وذلك أني كنت أفضل عليها نشأتي وأجعل مكانتها في مجلى الحقائق دون مكانتي، واذكرها من حيثما هي نشأت جمادية في أول درجة من المولدات، وأعرض عما خصها الله من علو الدرجات، وذلك لأرقى همتها ولا تحجب بطواف الرسل والأكابر بذاتها وتقبيل حجرها، فإني على بينة من ترقي العوالم علوها وسفلها مع الأنفاس لاستحالة ثبوت الأعيان على حالة واحدة، فإن الأصل الذي ترجع إليه جميع الموجودات وهو الله وصف نفسه بأنه ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾، فمن المحال أن يبقى شيء في العالم على حالة واحدة زمانية فتختلف الأحوال عليه لاختلاف التجليات بالشؤون، وكان ذلك مني في حقها لغلبة حال عليّ فلا شك أن الحق أراد أن ينبهني على ما أنا من

قطع منه. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ما من بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلاَّ مكة، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فيه بإلْحادٍ بظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أليم﴾ [الحج: ٢٥]

سكر الحال فأقامني من مضجعي في حالة باردة مقمرة فيها رش مطر، فتوضأت وخرجت إلى الصلاة بانزعاج شديد، وليس في الطواف أحد سوى رجل واحد فيما أظن والله أعلم، فقبلت الحجر وشرعت في الطواف، فلما جئت مقابلة الميزاب من وراء الحجر نظرت إلى الكعبة فرأيتها فيما خيل لي قد شمرت أذيالها واستعدت إذا وصلت بالطواف الى الركن الشامي، أن تدفعني بنفسها وترمي بي عن الطواف بها فجزعت جزعاً شديداً، وأظهر الله لي فيها حرجاً وغيظاً بحيث لم أقدر على البراح من موضعي ذلك وتسترت بالحجر ليقع الضرب منها عليه جعلته كالمجن بيني وبينها وأسمعها والله هي تقول لي تقدم حتى ترى ما أصنع بك، كم تضع من قدري وترفع من قدر بني آدم، وتفضل العارفين علي وعزة من له العزة لا تركتك تطوف بي فرجعت إلى نفسي، وعلمت أن الله يريد تأديبي فشكرت الله على ذلك، وزال جزعي الذي كنت أجده وهي والله فيما تخيل لي قد ارتفعت عن الأرض بقواعدها مشمرة الأذيال كما يشمر الإنسان إذا أراد أن يثب من مكان يجمع عليه ثيابه، هكذا خيلت لي قد جمعت ثيابها عليها لتثب علي وهي في صورة جارية لم أر أحسن منها ولا يتخيل أحسن، فارتجلت أبياتاً في الحال أخاطبها بها وأستنزلها عن ذلك الحرج الذي عاينته فيها، فما زلت أثني عليها في تلك الأبيات وهي تتسع وتنزل بقواعدها إلى مكانها وتظهر السرور بما أسمعها إلى أن عادت على حالها كما كانت وأمنتني، وأشارت إلي بالطواف فرميت نفسي على المستجار وما في مفصل إلا وهو يضطرب من قوة الحال إلى أن سري عني وصالحتها وأودعتها شهادة التوحيد عند تقبيل الحجر فخرجت الشهادة في صورة سلك، وانفتح في الحجر الأسود مثل الطاق حتى نظرت إلى قعر طول الحجر، فرأيته نحو ذراع ورأيت الشهادة قد صارت مثل الكبة، واستقرت في قعر الحجر وانطبق الحجر عليها وانسد ذلك الطاق وأنا أنظر اليه، فقالت لي: هذه أمانة عندي أرفعها لك إلى يوم القيامة، فشكرتها على ذلك. ومن ذلك الوقت وقع الصلح بيني وبينها وخاطبتها بتلك الرسائل السبعة فزادت بي فرحاً وابتهاجاً والله أعلم.

ثم قال صاحب القوت واتق الهمم الردية والأفكار الدنية، فإنه يقال: إن العبد يؤاخذ بالهمة في ذلك البلد.

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالهمة**) وفي نسخة بالنية، ولفظ القوت بالإرادة (**قبل العمل إلا مكة**) ولفظ القوت إلا بمكة، وقال أيضاً: لو هم العبد بعدن أبين أن يعمل سوءاً بمكة عاقبه الله (**وتلا**) ولفظ القوت ثم تلا (**قوله عز وجل: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ [الحج: ٢٥] أي أنه على مجرد الإرادة**) ولفظ القوت يعني أنه علق العذاب بالإرادة دون الفعل.

وقوله الثاني: لو هم العبد بعدن أبين أخرجه ابن أبي شيبة عن وكيع عن سفيان، عن السدي،

أي أنه على مجرد الإرادة. ويقال: إن السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات. وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول: الاحتكار بمكة من الإلحاد في الحرم، وقيل: الكذب أيضاً وقال ابن عباس: لأن أذنب سبعين ذنباً بركية أحب إليّ من أن أذنب ذنباً واحداً بمكة. «وركية» منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين إلى أن لم يقض حاجته في الحرم، بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة. وبعضهم أقام شهراً

عن عبدالله قال: «من هم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها وإن هم بعدن أبين أن يقتل عند المسجد الحرام أذاقه الله من عذاب أليم. ثم تلا قوله تعالى».

ثم قال صاحب القوت: **(ويقال ان السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات)** وأن السيئات التي تكتب هنالك.

قلت: ونقل ذلك عن ابن عباس ونقله ابن الجوزي عن مجاهد.

(وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: الاحتكار بمكة من الإلحاد بالحرم) وهو حبس الطعام إرادة الغلاء والإسم الحكرة بالضم.

وأخرج أبو داود من حديث يعلى بن أمية مرفوعاً «احتكار الطعام بمكة إلحاد بها» ونقل الطبري عن أهل العلم: الإلحاد في الحرم القتل والمعاصي.

(وقيل: الكذب أيضاً) من الإلحاد كذا في القوت.

وروي عن ابن عمر أنه أتى ابن الزبير وهو جالس في الحجر فقال: يا بن الزبير إياك والإلحاد في حرم الله فإني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول يحلها رجل من قريش، وفي رواية أنه سيلحد فيه رجل من قريش، لو وزنت ذنوبه ذنوب الثقلين لوزنتها، فانظر أن لا تكون أخرجه أحد.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنهما: **(لأن أذنب سبعين ذنباً بركية أحب إلي من أن أذنب ذنباً واحداً بمكة)** نقله صاحب القوت قال: **(وركية)** أي بالضم ممنوعاً **(منزل بين مكة والطائف)**.

قلت: وهي من قرى الطائف كان ينزلها ابن عباس، ولذلك خصها بالذكر، وقال ذلك الكلام لما قيل له: ما لك لا تمكث بمكة كثيراً؟ فقال: ما لي والبلد الذي تضاعف فيه السيئات كما تضاعف فيه الحسنات لأن أذنب إلخ.

(ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين) بها **(إلى أنه لم يقض حاجته)** من البول والغائط **(في الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة، وبعضهم أقام شهراً وما وضع جنبه فيه على الأرض)** وفي القوت: وقد كان الورعون من السلف منهم عبد الله بن عمر، وعمر بن

وما وضع جنبه على الأرض وللمنع من الإقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة. ولا تظنن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة لأن هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع، فمعنى قولنا ان ترك المقام به أفضل أي بالإضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم، أما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات!

عبد العزيز وغيرهما يضرب أحدهم فسطاطين فسطاطاً في الحرم وفسطاطاً في الحل، فإذا أراد أن يصلي أو يعمل شيئاً من الطاعات دخل فسطاط الحرم ليدرك فضل المسجد الحرام، لأن المسجد الحرام عندهم في جميع ما نذكر إنما هو الحرم كله، وإذا أراد أن يأكل أو يكلم أهله أو يتغوط خرج إلى فسطاط الحل، ويقال: إن الحجاج في سالف الدهر كانوا إذا قدموا مكة خلعوا نعالهم بذي طوى تعظيماً للحرم، وقد سمعنا من لم يتغوط ولا يبول في الحرم من المقيمين بمكة، ورأينا بعضهم لا يتغوط ولا يبول حتى يخرج الى الحل تعظيماً لشعائر الله تعالى وتنزيهاً لحرمه.

قلت: وفعل عبد الله بن عمرو من اتخاذ الفسطاطين أخرجه أبو ذر الهروي.

وخلع النعال بذي طوى نقله الطبري عن ابن الزبير قال: إذا كانت الأمة من بني اسرائيل لتقدم مكة، فإذا بلغت ذا طوى خلعت نعالها تعظيماً للحرم.

وأخرج ابن الحاج في منسكه عن عياش بن ربيعة، عن النبي ﷺ قال: لا تزال هذه الأمة بخير ما عظمت هذه الحرمة حق تعظيمها لله عز وجل - يعني الكعبة والحرم - فإن ضيعوا هلكوا».

(وللمنع من الإقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة). وكان ابن عباس يقول: البيوت بيوت مكة حرام، ولا تقوم الساعة حتى يستحل الناس اثنين إتيان النساء في أدبارهن وأجور بيوت مكة. وكان الثوري، وبشر، وجماعة من الفقهاء وأهل الورع يكرهون أن يدفع الرجل كراء بيوت مكة، حتى قال الثوري: إذا طالبوك ولم يكن بدّ من أن تعطيهم فخذ لهم من البيت قيمة ما أخذوه منك كذا في القوت.

وأخرج سعيد بن منصور، عن مجاهد رفعه « إن مكة حرم حرمها الله تعالى لا يحل بيع رباعها ولا أجور بيوتها ».

وأخرج أيضاً عن ابن جريج قال: إني قرأت كتاب عمر بن عبد العزيز ينهى عن كراء بيوت مكة.

(ولا تظنن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة لأن هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع) من الآداب، **(فمعنى قولنا ان ترك المقام بها أفضل أي بالإضافة إلى مقام)** أي إقامة **(مع التقصير)** عن أداء حق الموضع **(والتبرم)** أي التضجر **(فأما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحق البقعة فهيهات)** أي بعيد، **(وكيف لا . ولما**

وكيف لا. ولما عاد رسول الله ﷺ إلى مكة استقبل الكعبة وقال: «إنك لخير أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى إليّ ولولا أني أخرجت منك لما خرجت» وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه.

فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد:

عاد رسول الله ﷺ إلى مكة استقبل الكعبة وقال: «إنك لخير أرض الله وأحب بلاد الله إليّ ولولا أني أخرجت منك لما خرجت»).

قال العراقي: رواه الترمذي وصححه النسائي في الكبرى وابن ماجه وابن حبان من حديث عبدالله بن عدي بن الحمراء اهـ.

قلت: وعبدالله بن عدي هذا زهري له صحبة. روى عنه أبو سلمة، ومحمد بن جبير، وهو من رجال الترمذي والنسائي وابن ماجه.

ولفظ الترمذي والنسائي: أن عبدالله بن عدي سمع رسول الله ﷺ وهو واقف على راحلته على الحزورة من مكة وهو يقول لمكة «والله انك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» وأخرجه ابن حبان في التقاسيم والأنواع وسعيد بن منصور في سننه. قال الطبري في مناسكه: وذكره رزين عن الموطأ من حديث أبي سلمة عن عبد الرحمن، عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ولم أره في موطأ يحيى بن يحيى، وأخرجه أحمد وقال: وهو واقف بالحزورة في سوق مكة. وأخرجه رزين أيضاً عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة وقف عند الحزورة وقال: «ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك» وعلم عليه علامة الموطأ ولم أره في موطأ يحيى بن يحيى اهـ.

(**وكيف لا والنظر إلى البيت عبادة**) وهذا قد روي مرفوعاً من حديث عائشة أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني بلفظ «النظر إلى الكعبة عبادة» وهو في مصنف ابن أبي شيبة بلفظ المصنف من طريق كثيرة، (**والحسنات**) أي أعمال البر (**فيها مضاعفة**) فيما روي عن ابن عباس (**كما ذكرناه**) قريباً.

فضيلة مدينة رسول الله ﷺ على سائر البلاد:

وهي أشهر أسمائها ووزنها فعيلة لأنها من مدن أو مفعلة لأنها من دان والجمع مدن ومدائن بالهمز على اصالة الميم، ووزنها فعائل وبغير همز مع زيادة الميم، ووزنها مفاعل لأن للياء أصلاً فترد إليه والنسبة مدني وهو الأشهر ومديني، وأما المدائني فإلى مدائن كسرى بالعراق، وهذه أسماؤها على حروف المعجم: أثرب، أرض الله، أرض الهجرة، أكالة البلدان، أكالة القرى، الايمان. البارة، برة البحر، البحرة، البلاط، بيت الرسول، تندر، تندر الجبابرة، جبار، الجبابرة، جزيرة العرب. الحبيبة. الحرم، حرم رسول الله. الخير، الخيرة، الدار، دار الأبرار،

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله ﷺ ، فالأعمال فيها أيضاً مضاعفة. قال ﷺ : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » وكذلك كل عمل بالمدينة بألف وبعد مدينته الأرض المقدسة، فإن الصلاة فيها

دار الإيمان، دار السنة، دار السلامة، دار الفتح، دار الهجرة، الدرع الحصينة، دار الحجر. ذات الحرار، ذات النخل، سيدة البلدان، الشافية. طابة، طيبة، طيابا. العاصمة، العذراء الغراء. الفاصحة. القاصمة، قبة الإسلام، القرية، قرية الأنصار، قرية رسول الله، قلب الإيمان، المؤمنة، المباركة، المجبورة، المحبة، المحبوبة، المحربة، المحروسة، المحفوفة، المحفوظة، المختارة، مدخل صدق، المدينة المرحومة، المرزوقة، المسجد الأقصى، المسكينة، المسلمة، مضجع رسول الله، المطيبة، المقدسة، المقر، المكينة، مهاجر رسول الله، الموفية، نبلا، النحرا، نيدر، الهزار، الموطن، يثرب، يندر. وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى.

فإذا علمت ذلك فاعلم: **(ما بعد مكة حرسها الله تعالى بقعة أفضل من مدينة الرسول ﷺ ، فالأعمال فيها مضاعفة)** أي أعمال البر. **(قال رسول الله ﷺ « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه)** من المساجد **(إلا المسجد الحرام »)** وكذا قيل: إن الأعمال في المدينة كفضل الصلاة كل عمل بألف عمل، والحديث قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة، ورواه مسلم من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديث أبي هريرة ورواه أحمد أيضاً، والنسائي، وابن ماجه من حديث ابن عمر. ورواه مسلم أيضاً من حديث ميمونة، وأحمد أيضاً من حديث جبير بن مطعم، وسعد، وأرقم ولفظهم كلهم « أفضل » بدل « خير » وزاد مسلم والنسائي في بعض روايات حديث أبي هريرة « فإني آخر الأنبياء وإن مسجدي آخر المساجد ».

وأخرجه أحمد، وابن ماجه من حديث جابر بزيادة « وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه ».

وأخرجه أحمد، وابن حبان من حديث ابن الزبير بزيادة « وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة ألف صلاة ».

وأخرجه البيهقي من حديث ابن عمر بزيادة: « وصيام شهر رمضان بالمدينة كصيام ألف شهر فيما سواه وصلاة الجمعة بالمدينة كألف جمعة فيما سواها ».

وعنده من حديث جابر بلفظ: « الصلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، والجمعة في مسجدي هذا أفضل من ألف جمعة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وشهر رمضان في مسجدي هذا أفضل من ألف شهر رمضان فيما سواه إلا المسجد الحرام ».

(وكذلك كل عمل بالمدينة) كفضل الصلاة كل عمل **(بألف)** عمل **(وبعد المدينة الأرض**

بخمسمائة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام، وكذلك سائر الأعمال. وروى ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: « صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة، وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة، وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ». وقال ﷺ: « من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعاً يوم القيامة ». وقال ﷺ: « من

المقدسة فإن) فضل (الصلاة فيها بخمسمائة) صلاة **(فيما سواه إلا المسجد الحرام، وكذا سائر الأعمال)** كل عمل يضاعف بخمسمائة.

(وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: « صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة، وصلاة في المسجد الأقصى بألف صلاة، وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة »). قال صاحب القوت: رويناه عن عطاء عن ابن عباس مرفوعاً هكذا.

وقال العراقي: الحديث غريب بجملته هكذا، ولابن ماجه من حديث ميمونة بإسناد جيد في بيت المقدس « إئتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره » وله من حديث أنس « صلاة في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة في مسجدي بخمسين ألف صلاة » ليس في إسناده من يضعف، وقال الذهبي: انه منكر اهـ.

قلت: أخرجه ابن ماجه من حديث هشام بن عمار، حدثنا أبو الخطاب الدمشقي، حدثنا رزيق أبو عبد الله الالهاني، عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: « صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة وصلاته في المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » رزيق الالهاني ضعفه ابن حبان والراوي له عنه أبو الخطاب إن كان هو معروف الخياط فقد ذكر ابن عدي هذا الحديث في ترجمته، وإن كان هو عمار الدمشقي كما وقع عند الطبراني فهو مجهول.

وعند البيهقي من حديث جابر: « صلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة وصلاة في مسجدي ألف صلاة وفي بيت المقدس خمسمائة صلاة ».

وعند الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء مثله إلا أنه قال: « الصلاة ».

وفي الحلية لأبي نعيم من حديث أنس: « الصلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة والصلاة في مسجدي عشرة آلاف صلاة والصلاة في مسجد الرباطات ألف صلاة ».

(وقال رسول الله ﷺ: « لا يصبر على شدتها ولأوائها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة ») رواه مسلم من حديث أبي هريرة وابن عمر وأبي سعيد قاله العراقي.

ولمسلم أيضاً من حديث سعد « لا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة ». وأخرجه الترمذي بلفظ المصنف، واخرجه مالك نحواً من سياق مسلم.

وقال الطبري: قوله شهيداً أو شفيعاً ليست « أو » هنا للشك خلافاً لمن ذهب إليه إذ قد رواه

استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة » وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع متساوية إلا الثغور، فإن المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم، ولذلك قال ﷺ: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة

جابر وأبو هريرة وأبو سعيد وسعد وأسماء بنت عميس بهذا اللفظ، وببعد اتفاق الكل على الشك، بل الظاهر أنه ﷺ قاله كذلك، فتكون: « أو » للتقسيم، ويمكن أنه ﷺ شفيعاً لبعض أهل المدينة وشهيداً لبعضهم إما شهيداً للطائعين شفيعاً للعاصين، أو شهيداً لمن مات في حياته شفيعاً لمن مات بعده أو غير ذلك مما الله أعلم به. وفي تخصيص هذه الشفاعة أو الشهادة تخصيص زائد بزيادة منزلة لهم، وقد تكون: « أو » بمعنى الواو، وإن كانت « أو » للشك. فإن كانت اللفظة الصحيحة الشهادة فلا إشكال إذ هي زائدة على الشفاعة المؤخرة وإن كانت الشفاعة فاختصاص أهل المدينة بها يدل على أنها شفاعة أخرى خاصة إما لزيادة الدرجات أو لتخفيف الحساب أو غير ذلك اهـ.

(**وقال ﷺ: من استطاع أن يموت بالمدينة**) أي يقيم بها حتى يدركه الموت (**فليمت**) أي فليقم بها حتى يموت فهو تحريض على الإقامة بها ليتأتى له أن يموت بها إطلاقاً للمسبب على سببه كما في قوله تعالى: ﴿ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢] (**فإنه لم يمت بها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة »**) . أي خاصة غير الشفاعة العامة.

قال العراقي: رواه الترمذي، وابن ماجه من حديث ابن عمر، وقال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: ورواه أحمد كذلك بسند رجاله رجال الصحيح خلا عبدالله بن عكرمة ولم يتكلم فيه أحد بسوء قاله الهيثمي، وكذا رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وابن حبان والبيهقي ولفظهم كلهم: « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن يموت بها » والأقرب إلى سياق المصنف حديث صمية التيلية « من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة » هكذا رواه الطبراني في الكبير، والبيهقي في السنن، ورويا مثل ذلك عن سبعية الأسلمية ورواه الطبراني خاصة من حديث يتيمة من ثقيف كانت عند رسول الله ﷺ، وعند ابن حبان عن صمية المذكورة بلفظ: « من استطاع منكم أن لا يموت إلا بالمدينة فليمت بها فإنه من يمت بها تشفع وتشهد له ».

(**وما بعد هذه البقاع الثلاثة**) المذكورة (**المواضع فيها متساوية**) أي لا يبقى مندوب إليه مقصود لفضل دل الشرع عليه (**إلا الثغور**) التي بإزاء العدو، (**فإن المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل**) دل الشرع عليه وللصلاة في مسجدها فضل، كذلك لما تقدم من حديث أنس: « الصلاة في مسجد الرباطات بألف صلاة ».

(**ولذلك قال ﷺ: « لا تشد**) بصيغة المجهول نفي بمعنى النهي، لكنه أبلغ منه لأنه كالواقع بالامتثال لا محالة (**الرحال**) جمع رحل وهو للبعير بقدر سنامه أصغر من القتب كنى بشدها عن السفر. إذ لا فرق بين كونه براحلة أو فرس أو بغل أو حمار أو ماشياً فذكر شدها أغلبي (**إلا إلى**

مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » . **وقد ذهب بعض العلماء إلى** الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء . وما

ثلاثة مساجد) الاستثناء مفرغ، والمراد لا يسافر لمسجد للصلاة فيه إلا لهذه الثلاثة لا أنه لا يسافر أصلاً إلا لها والنهي للتنزيه عند الجمهور خلا من خالف كما سيأتي **(مسجد الحرام)** بالجر بدل من ثلاثة، وبالرفع خبر لمبتدأ محذوف وتالياه معطوفان عليه، والمراد به هنا نفس المسجد لا الكعبة ولا مكة ولا الحرم كله، وإن كان يطلق على الكل والحرام بمعنى المحرم **(ومسجدي هذا)** أشار به إلى مسجد المدينة **(والمسجد الأقصى »)** وهو بيت المقدس والمقتضى لشرف هذه المواضع الثلاثة لكونها أبنية الأنبياء أو متعبداتهم، وقيل: لأن الأول إليه الحج والقبلة والثاني أسس على التقوى، والثالث قبلة الأمم الماضية، ومن ثم لو نذر إتيانها لزمه عند مالك وأحمد وبعض الشافعية، والصحيح من مذهب الشافعي أن الأول يغني عن الآخر، ومسجد المدينة يغني عن المسجد الأقصى دون مسجد مكة. وقال أصحابنا: يلزمه إذا نذر المشي لا الإتيان وشدها لغير هذه الثلاثة لنحو علم أو زيارة ليس للمكان، بل لمن فيه.

قال العراقي: الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد اهـ.

قلت: ورواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه من حديث أبي هريرة. ورواه أحمد، وعبيد بن حميد، والترمذي، وابن ماجه من حديث أبي سعيد. وروراه ابن ماجه أيضاً من حديث عبدالله بن عمرو، ورواه الطبراني في الكبير من حديث أبي بصرة الغفاري. ورواه ابن النجار في تاريخه من حديث عبادة بن الصامت. ورواه الباوردي، والطبراني أيضاً من حديث أبي الجعد الضمري. وعند ابن عساكر في التاريخ من حديث ابن عمر بلفظ: « لا تشد المطي » وعند أحمد، وأبي يعلى، وابن خزيمة، والطبراني، والضياء من حديث أبي سعيد بلفظ: « لا تشد رحال المطي إلى مسجد يذكر الله فيه إلا إلى ثلاثة مساجد ».

تنبيه:

قال عياض: أجمعوا على أن موضع قبره ﷺ أفضل بقاع الأرض وأن مكة والمدينة أفضل بقاع الأرض بعده، ثم اختلفوا في أيها أفضل، فذهب عمر وبعض الصحابة إلى تفضيل المدينة وهو قول مالك وأكثر المدنيين، وذهب أهل الكوفة إلى تفضيل مكة وبه قال ابن حبيب وابن وهب من أصحاب مالك، وإليه ذهب الشافعي، ولكل دليل والله أعلم.

(وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث في المنع عن الرحلة لزيارة المشاهد) الفاضلة **(وقبور الصالحين)** وحمل النهي على التحريم، وعنى بهذا البعض والد شيخه إمام الحرمين، ووافقه القاضي حسين. ومن المالكية القاضي عياض، ومن الحنابلة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وألفا في ذلك رسائل، وقد رد عليه التقي السبكي في هذه المسألة بكتاب مستقل ذكر فيه الأحاديث التي وردت في إباحة شد الرحال لزيارة الأنبياء والصالحين، وقد نقل النووي

تبين لي أن الأمر كذلك بل الزيارة مأمور بها. قال ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً» والحديث إنما ورد في المساجد وليس في معناها المشاهد، لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد إلا وفيه مسجد، فلا معنى للرحلة إلى مسجد آخر. وأما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل. نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد وينتقل إليه بالكلية إن شاء، ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام مثل إبراهيم وموسى ويحيي وغيرهم عليهم السلام، فالمنع من ذلك في غاية الإحالة، فإذا جوّز هذا فقبور الأولياء والعلماء والصلحاء في معناه، فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة، كما أن زيارة العلماء في الحياة من المقاصد، هذا في الرحلة؛ أما المقام فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه إذا لم

مقالة الجويني، والقاضي حسين، والقاضي عياض وقال: هو غلط ومعنى «لا تشد» لا فضيلة في شد.

وسبقه المصنف إلى ذلك فقال: **(وما تبين لي أن الأمر كذلك)** أي ما ذكروه من حمل النهي على التحريم، **(بل الزيارة مأمور بها. قال رسول الله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً»)** رواه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي، وقد تقدم في قواعد العقائد. **(والحديث)** المذكور في الباب **(وإنما ورد في المساجد)** التي يصلى فيها **(وليس في معناه المشاهد)** أي مشاهد الخير، **(لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة)** المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى. **(متماثلة)** متساوية **(ولا بلد إلا وفيه مسجد)** معظم، **(فلا معنى للرحلة إلى مسجد آخر)** مع وجود المسجد في بلده، **(وأما المشاهد فلا تتساوى)** ولا تتماثل **(بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله تعالى أجل)** أي نعم **(لو كان)** المريد **(في موضع لا مسجد فيه، فله أن يشد الرحل إلى موضع فيه مسجد، وينتقل إليه بالكلية إن شاء)** لأجل العبادة ومضاعفة الحسنات. **(ثم ليت شعري)** أي علمي **(هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء)** عليهم السلام **(مثل قبر إبراهيم)** في غار جرور، **(وموسى)** في الكثيب الأحمر، **(ويحيى)** في دمشق أو حلب، **(وغيرهم)** كقبر هود بحضرموت **(صلوات الله عليهم)** وسلامه وعلى نبينا ﷺ، **(والمنع من ذلك في غاية الإحالة)** ونهاية الامتناع، **(وإذا جوز ذلك)** مع التسليم، **(فقبور الأولياء والعلماء والصالحين في معناها)** من غير مانع، **(فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة)** المندوب إليها، **(كما أن زيارة العلماء في الحياة من)** جملة **(المقاصد)** المهمة. **(هذا)** الذي مضى الكلام فيه **(في الرحلة)** للمريد من بلد إلى بلد.

يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه، فإن لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو أقرب إلى الخمول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة فهو أفضل المواضع له. قال ﷺ: «البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فأي موضع رأيت فيه رفقاً فأقم واحمد الله تعالى». وفي الخبر: «من بورك له في شيء فليلزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه». وقال أبو نعيم: رأيت سفيان الثوري

(أما المقام) أي حكم الإقامة **(فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر)** والحركة **(استفادة علم)** لم يكن عنده من يستفيد منه أو استفادة حال في السلوك **(مهما سلم له حاله في وطنه)** فإنه أدعى لجمع حواسه في سلوكه وأصون من التشتيت، وهذا هو مشرب السادة النقشبندية، فإنهم يأمرون بذلك المريد لسلامة حاله، **(فإن لم يسلم)** له حاله في وطنه لعذر أو مانع ظاهر، **(فليطلب)** بحركته **(من المواضع ما هو أقرب)** له **(إلى الخمول)** وعدم الظهور، **(وأسلم للدين وأفرغ للقلب)** من خطور الخواطر الردية فيه، **(وأيسر للعبادة)** والتحصيل **(له، وقد قال رسول الله ﷺ: «البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فأي موضع رأيت فيه رفقاً فأقم وأحمد الله تعالى»)** ولفظ القوت وبعد المساجد الثلاثة فأي موضع صلح فيه قلبك وسلم لك دينك واستقام فيه حالك فهو أفضل المواضع لك، وقد جاء في الخبر «البلاد بلاد الله تعالى والخلق عباده فأي موضع رأيت فيه رفقاً فأقم واحمد الله تعالى».

وقال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث الزبير بسند ضعيف اهـ.

قلت: رواه أحمد بلفظ: «فحيثما أصبت خيراً فأقم» رواه من طريق أبي يحي مولى آل الزبير عن الزبير. قال الهيثمي: في سنده من لم أعرفه، وتبعه السخاوي وغيره.

ومعنى هذا الحديث في قوله تعالى: ﴿يا عبادي الذي آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾ وجرى إلى ما ذهب إليه المصنف هنا الزمخشري في الكشاف فقال: معنى الآية أنه إذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش أمر دينه كما يحب فليهاجر لبلد آخر يقدر أنه فيه أسلم قلباً وأصح ديناً وأكثر عبادة وأحسن خشوعاً. قال: وقد جربنا فلم نجد أعون على ذلك من مكة اهـ.

(وفي الخبر) المرفوع: **(«من بورك له في شيء فليلزمه)** كذا في النسخ، وفي بعضها من رزق له وهي نسخة العراقي، وعبارة القوت «من خفر له» وهي بمعنى «بورك».

قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أنس بسند حسن اهـ.

قلت: وأخرجه من طريق الديلمي وغيره، ورواه البيهقي كذلك لكن في سنده محمد بن عبد الله الأنصاري وهو ضعيف، عن فروة بن يونس، وقد ضعفه الأزدي عن هلال بن جبير وفيه جهالة. وفي بعض روايات البيهقي: «من رزقه الله رزقاً في شيء فليلزمه».

(ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه»).

وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده فقلت: إلى أين يا أبا عبد الله؟ قال: إلى بلد أملأ فيه جرابي بدرهم. وفي حكاية أخرى: بلغني عن قرية فيها رخص أقيم فيها قال، فقلت وتفعل هذا يا أبا عبد الله؟ فقال: نعم إذا سمعت برخص في بلد فاقصده فإنه أسلم لدينك وأقل لهمك، وكان يقول: هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين، فكيف بالمشهورين؟ هذا زمان تنقل يتنقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن، ويحكى عنه أنه قال: والله ما أدري أي البلاد أسكن؟ فقيل له: خراسان. فقال: مذاهب مختلفة وآراء فاسدة. قيل: فالشام. قال: يشار إليك بالأصابع ـ أراد الشهرة ـ

قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ: «إذا سبب الله لأحدكم رزقاً من وجه فلا يدعه حتى يتغير له أو يشكر له» اهـ.

وأورد صاحب القوت الجملتين معاً في حديث، وتبعه المصنف كما ترى، وهما حديثان لكن مخرجهما واحد.

(**وقال أبو نعيم**) الفضل بن دكين مولى آل طلحة. روى عنه البخاري بلا واسطة والباقون بالواسطة. (**رأيت سفيان**) بن سعيد (**الثوري قد جعل جرابه على كتفه وأخذ قلته**) هكذا في النسخ، ومثله في القوت، وفي بعض النسخ نعليه (**بيده فقلت: إلى أين يا أبا عبد الله؟ فقال: إلى بلد أملأ فيه جرابي بدرهم**) هكذا نقله صاحب القوت وصاحب الحلية.

(**وفي حكاية أخرى**) ولفظ القوت في رواية أخرى أي من غير طريق أبي نعيم: (**بلغني أن قرية فيها رخص**) أريد أن (**أقيم بها قال**) الراوي عنه: (**وتفعل هذا يا أبا عبد الله قال: نعم إذا سمعت ببلد فيه رخص فاقصده، فإنه أسلم لدينك وأقل لهمك. وكان**) يعني الثوري (**يقول: هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين، فكيف بالمشهورين؟ هذا زمان ينتقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن**) كذا في القوت والحلية. زاد في القوت: وقد كان الفقراء والمريدون يقصدون الأمصار للقاء العلماء والصالحين للنظر إليهم وللتبرك والتأدب بهم، وكان العلماء ينتقلون في البلاد ليعلموا ويردوا الخلق إلى الله تعالى، ويعرفوا الطريق إليه، فإذا فقد العالمون وعدم المريدون فالزم موضعاً ترى فيه أدنى سلامة دين وأقرب صلاح قلب وأيسر سكون نفس ولا تنزعج إلى غيره، فإنك لا تأمن من أن تقع في شر منه وتطلب المكان الأول فلا تقدر عليه اهـ.

وقوله: يفر بدينه من الفتن هو في حديث البخاري، وقد عقد عليه باب الفرار بدينه في الفتن من الإيمان.

(**ويحكى عنه**) أي عن الثوري (**أنه قال: والله ما أدري أي البلاد أسكن، فقيل له: خراسان. فقال: مذاهب مختلفة وآراء فاسدة. قيل له الشام، قال: يشار إليك بالأصابع**

قيل: فالعراق؟ قال: بلد الجبابرة. قيل: مكة؟ قال: مكة تذيب الكيس والبدن. وقال له رجل غريب: عزمت على المجاورة بمكة فأوصني. قال: أوصيك بثلاث: لا تصلين في الصف الأول، ولا تصحبن قرشياً، ولا تظهرن صدقة، وإنما كره الصف الأول لأنه يشتهر فيفتقد إذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع.

الفصل الثاني

في شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته

أما الشرائط؛ فشرط صحة الحج إثنان: الوقت والإسلام. فيصح حج الصبي ويحرم

أراد) بذلك **(الشهرة)** فإن المشهور هكذا صفته، **(فقيل له: فالعراق. قال بلد الجبابرة)** وبه قرن الشيطان، **(قيل: فمكة؟ قال: مكة تذيب الكيس)** أي لما فيها من الغلاء في أكثر الأوقات لأنها بوادٍ غير ذي زرع **(والبدن)** أشار بذلك إلى المجاهدة في الطاعة والقيام بواجب العبادة هكذا نقله صاحب القوت وصاحب الحلية والزمخشري في ربيع الأبرار.

(وقال له) أي للثوري **(رجل: قد عزمت على المجاورة بمكة فأوصني.** قال: **أوصيك بثلاث: لا تصحبن قرشياً، ولا تظهرن صدقة، ولا تصلين في الصف الأول)** أورده صاحب القوت قال: **(وإنما كره)** له الصلاة في **(الصف الأول من أجل الشهرة فيفتقد إذا غاب)** فيعرف إذا واظب فيحب أن يرب الحال بلزوم الموضع **(فيختلط بعمله التزين والتصنع)** ويذهب الإخلاص اهـ.

وكذا الحال في إظهار الصدقة وصحبة القرشي فإن كلا منهما باعث للشهرة وعدم الراحة، وزاد صاحب القوت فقال وجاء رجل إلى سفيان بمكة فسأله، فقال: أرسل معي رجل بمال فقال ضعه في سدانة الكعبة أو قال في سدنة الكعبة فما ترى؟ قال سفيان. قد جهل فيما أمرك به، وأن الكعبة لغنية عن ذلك قال فما ترى؟ قال: اصرفه إلى الفقراء والأرامل وإياك وبني فلان فإنهم سراق الحجاج.

الفصل الثاني

(في) ذكر **(شروط وجوب الحج وأركانه وواجباته ومحظوراته.**

أمـا الشرائط): اعلم أن الشخص إما أن يجب عليه أو لا يجب، ومن لا يجب عليه إما أن يجزئه المأتي به عن حجة الإسلام حتى لا يجب عليه بعد ذلك بحال أو لا يجزئه، ومن لا يجزئه اما أن تصح مباشرته الحج أو لا تصح، ومن لا تصح مباشرته إما أن يصح له الحج أو لا يصح. فههنا أربعة أحكام. أحدها: مطلق صحة الحج له، وثانيها: صحته له مباشرة، وثالثها وقوعها عن حجة الإسلام، ورابعها: وجوب حجة الإسلام.

بنفسه إن كان مميزاً ويحرم عنه وليه إن كان صغيراً ويفعل به ما يفعل في الحج من الطواف والسعي وغيره. وأما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة إلى

وشروط هذه الأحكام مختلفة أشار إلى الأول بقوله: **(فشرط صحة الحج إثنان الوقت والإسلام)** فلا يصح الحج من الكافر كالصوم والصلاة وغيرهما، ولصحة المباشرة شرط زائد على الإسلام وهو التمييز فلا يصح مباشرة المجنون ولا الصبي الذي لا يميز كسائر العبادات وإليه أشار بقوله: **(فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه إن كان مميزاً)** ثم القول في أنه يستقل به ويفتقر إلى إذن الولي سيأتي ذكره في موضعه، ولا يشترط في الصحة المطلقة التكليف، وإليه أشار بقوله: **(ويحرم عنه)** أي عن الصبي الذي لا يميز **(وليه إن كان صغيراً ويفعل به ما يفعل في الحج من الطواف والسعي وغيره)** خلافاً لأبي حنيفة فإنه لا يجوزه. ولا تشترط الحرية بل يصح من العبد مباشرة الحج كسائر العبادات. وفي المبسوط لأصحابنا: الصبي لو أحرم بنفسه وهو يعقل أو أحرم عنه أبوه صار محرماً، وينبغي أن يجرده ويلبسه إزاراً ورداء.

(وأما الوقت) لصحة الحج **(فهو شوال وذو القعدة وتسع)** ليال بأيامها **(من ذي الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر)**.

قال الرافعي: وفي ليلة النحر وجهان حكاهما الإمام والمصنف. أصحهما ولم يورد الجمهور سواه أنها وقت له أيضاً لأنها وقت للوقوف بعرفة، ويجوز أن يكون الوجه الآخر صادراً عمن يقول إنها ليست وقتاً له. واعلم أن لفظ الشافعي رضي الله عنه في المختصر وأشهر الحج وهي شوال، وذو القعدة، وتسع من ذي الحجة، وهو يوم عرفة فمن لم يدركه إلى الفجر يوم النحر فقد فاته الحج وفيه بحثان.

أحدهما: قوله وهو يوم عرفة قال المسعودي: معناه والتاسع يوم عرفة وفيه معظم الحجيج، وقوله: فمن لم يدركه اختلفوا في تفسيره فقال الأكثرون: أراد من لم يدرك الإحرام بالحج إلى الفجر من يوم النحر. وقال المسعودي: أراد من لم يدرك الوقوف بعرفة.

الثاني: اعترض ابن داود فقال: قوله تسع من ذي الحجة إما أن يريد به الأيام أو الليالي إن أراد الأيام، فاللفظ مختل لأن جمع المذكر في العدد بالهاء وإن أراد الليالي فالمعنى مختل لأن الليالي عنده عشر لا تسع قال الأصحاب: ههنا قسم آخر وهو أن يريد الليالي والأيام جميعاً، والعرب تغلب التأنيث في العدد، ولذلك قال أربعة أشهر وعشراً، ثم هب أن المراد الليالي، ولكن أفردها بالذكر لأن أيامها ملحقة بها، فأما الليلة العاشرة فنهارها لا يتبعها فأفردها بالذكر حيث قال: فمن لم يدركه إلى الفجر من يوم النحر، وهذا على تفسير الأكثرين، وأما على تفسير المسعودي فلمن يمنع إنشاء الإحرام ليلة النحر أن يتمسك بظاهر قوله: تسع من ذي الحجة، ولا يلزمه إشكال ابن داود. وقال أبو حنيفة وأحمد: عشر من ذي الحجة بأيامها ويقول مالك وذو الحجة كله. قال جماعة من الأصحاب: وهذا اختلاف لا يتعلق به حكم. وعن القفال: إن فائدة

طلوع الفجر من يوم النحر. فمن أحرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة، وجميع السنة وقت العمرة. ولكن من كان معكوفاً على النسك أيام منى فلا ينبغي أن يحرم بالعمرة لأنه لا يتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله بأعمال منى.

الاختلاف مع مالك كراهة العمرة في ذي الحجة فإن عنده تكره العمرة في أشهر الحج، وحكى المحاملي في الأوسط قولاً عن الإملاء كمذهب مالك، (**فمن أحرم بالحج في غير هذه المدة فهي عمرة**) وقال أبو حنيفة، ومالك، وأحمد: الإحرام بالحج ينعقد في غير أشهر الحج إلا أنه مكروه، (**وجميع السنة وقت العمرة**) أي السنة كلها وقت الإحرام بالعمرة، ولا تختص بأشهر الحج وفي الخبر: عمرة في رمضان تعدل حجة كما تقدم، واعتمرت عائشة رضي الله عنها من التنعيم ليلة المحصب وهي الليلة التي يرجعون فيها من منى إلى مكة ولا تكره في وقت منها، وبه قال أحمد. وقال أبو حنيفة: مكروره في خمسة أيام يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق، وتقدم عن مالك كراهيته في أشهر الحج، وتوقف والد الإمام في ثبوته عنه، وروي عن أحمد كراهة فعلها في أيام التشريق على الإطلاق، ولا يكره أن يعتمر في السنة مراراً بل يستحب الإكثار منها، وبه قال أبو حنيفة وأحمد. وعن مالك أنه لا يعتمر في السنة إلا مرة، وقد يمنع الإحرام بالعمرة لا باعتبار الوقت، بل باعتبار عارض كمن كان محرماً بالحج لا يجوز له إدخال العمرة على أظهر القولين، (**ولكن من**) تحلل عن التحللين و(**كان معكوفاً على النسك أيام منى، فلا ينبغي أن يحرم بالعمرة**) وفي شرح الرافعي لم ينعقد إحرامه بالعمرة، (**لأنه لا يتمكن من الاشتغال بها**) أي بأعمالها في الحال (**عقيبه لاشتغاله بأعمال منى**) من المبيت والرمي نص عليه قال الإمام: وكان من حق تلك المناسك أن لا تقع إلا في زمان التحلل، فإن نفر النفر الأول فله الإحرام بها لسقوط بقية الرمي عنه.

تنبيه:

قال الرافعي: لو أحرم بالحج في غير أشهر الحج ما حكمه؟ لا شك في أنه لا ينعقد ثم أنه نص في المختصر على أنه يكون عمرة، وفي موضع آخر على أنه يتحلل بعمل عمرة، وللأصحاب فيه طريقان: أظهرهما: أن المسألة على قولين أصحهما أن إحرامه ينعقد بعمرة، والثاني لا. ولكن يتحلل بعمل عمرة، كما لو فات حجه لأن كل واحد من الزمانين ليس وقتاً للحج، فعلى الأول إذا أتى بأعمال العمرة سقطت عنه عمرة الإسلام، إذا قلنا بافتراضها، وعلى الثاني لا. وأظهر الطريقين القطع بأنه يتحلل بعمل عمرة، ولا ينعقد إحرامه عمرة لأنه لم ينوها. والثاني: حكى الإمام عن بعض التصانيف أن إحرامه ينعقد بها إن صرفه إلى العمرة كان عمرة صحيحة وإلاَّ تحلل بعمل عمرة، والنصان منزلان على هذين الحالين، ولو أحرم قبل أشهر الحج إحراماً مطلقاً، فإن الشيخ أبا علي أخرجه على وجهين، فيما إذا أحرم بالعمرة قبل أشهر الحج ثم أدخل عليها الحج في أشهره هل يجوز؟ إن قلنا يجوز العقد بها وإذا دخل أشهر الحج فهو بالخيار في جعله حجاً أو عمرة أو قراناً، ويحكى هذا عن الحصري، وإن قلنا لا يجوز انعقد إحرامه بعمرة وهذا هو جواب

وأما شروط وقوعه عن حجة الإسلام فخمسة: الإسلام، والحرية، والبلوغ، والعقل، والوقت. فإن أحرم الصبي أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر أجزأهما عن حجة الإسلام، لأن الحج عرفة وليس عليهما دم إلا شاة. وتشترط هذه الشرائط في وقوع العمرة عن فرض الإسلام إلا الوقت.

الجمهور في هذه المسألة، والقاطعون بأنه يتحلل بفعل عمرة في الصورة نزلوا نصه في المختصر على هذه الصورة والله أعلم.

(فأما شرط وقوعه عن حجة الإسلام فخمسة: الإسلام، والحرية، والبلوغ، والعقل، والوقت) . والدليل على اعتبار الحرية والبلوغ ما روي أنه ﷺ قال: « أيما صبي حج ثم بلغ فعليه حجة الإسلام، وأيما عبد حج ثم عتق فعليه حجة الإسلام » والمعنى فيه أن الحج عبادة عمر لا تتكرر فاعتبر وقوعها في حال الكمال، وإذا جمعت شرائط هذا الحكم قلت هي أربع الإسلام والتمييز والبلوغ والحرية.

وأما الوقت فهو شرط لكل من الصحة المطلقة وشرط الوقوع، وكذا الإسلام والبلوغ والعقل، فالزوائد إثنان فإن اختصرت قلت في ثلاث الإسلام والتكليف والحرية، وعليه مشى المصنف في الوجيز، ولو تكلف الفقير الحج وقع حجه عن الفرض كما لو تحمل الغني خطر الطريق وحج، وكما لو تحمل المريض المشقة وحضر الجمعة.

(فإن أحرم الصبي أو العبد، ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر أجزأهما عن حجة الإسلام لأن الحج عرفة) . وقد روى أحمد والأربعة والحاكم والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن يعمر: « الحج عرفة من جاء قبل طلوع الفجر من ليلة جمع فقد أدرك الحج » الحديث.

(وليس عليهما إلا دم شاة وتشترط هذه الشرائط في وقوع العمرة عن فرض الإسلام إلا الوقت) قال أصحابنا: لو أحرم صبي أو عبد فبلغ أو عتق فمضى لم يجز عن فرضه، لأن إحرامه انعقد لأداء النفل، فلا ينقلب للفرض كالضرورة، كما إذا أحرم للنفل لا يؤدي به الفرض، وكإحرام الصلاة إذا عقد للنفل ليس له أن يؤدي الفرض.

فإن قيل: الإحرام شرط عندكم فوجب أن يجوز أداء الفرض به كالصبي إذا توضأ ثم بلغ جاز له أن يؤدي الفرض بذلك الوضوء؟ قلنا: الإحرام يشبه الركن من وجه من حيث اتصال الأداء به، فأخذنا بالاحتياط في العبادة، وأصل الخلاف في الصبي إذا بلغ في أثناء الصلاة بالسن يكون عن الفرض عند الشافعي، وعندنا لا يكون عنه. ولو جدد الصبي الإحرام قبل الوقوف بعرفة ونوى حجة الإسلام أجزأه، ولو فعل العبد ذلك لم يجزه عنه لأن إحرام الصبي غير لازم لعدم

وأما شروط وقوع الحج نفلاً عن الحر البالغ: فهو بعد براءة ذمته عن حجة الإسلام فحج الإسلام متقدم، ثم القضاء لمن أفسده في حالة الوقوف، ثم النذر، ثم النيابة، ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وإن نوى خلافه.

الأهلية فيمكن الخروج بالشروع في غيره، وإحرام العبد لازم فلا يمكنه ذلك، ألا ترى أن الصبي إذا أحصر وتحلل لا قضاء عليه ولا دم ولا يلزمه الجزاء بارتكاب محظوراته والله أعلم.

(وأما شرط وقوع الحج نفلاً عن الحر البالغ فهو براءة ذمته عن حجة الإسلام فمن عليه حجة الإسلام) ليس له أن يحج عن غيره، وكذا من عليه حجة نذر أو قضاء. وقال مالك وأبو حنيفة: يجوز التطوّع بالحج قبل أداء الفرض، ويجوز لمن عليه الحج أن يحج عن غيره، وأظهر ما روي عن أحمد مثل مذهب الشافعي، ودليل أصحاب الشافعي ما روي عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول لبيك عن شبرمة. قال: من شبرمة؟ قال: أخ لي أو قريب لي. قال: أحججت عن نفسك؟ قال: لا. قال: حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة». وفي رواية: «هذه عنك وحج عن شبرمة» دل الحديث على أنه لا بدّ من تقديم فرض نفسه على ما استؤجر له، وفهم منه أنه لا بدّ من تقديم فرضه على ما يتطوّع به، والعمرة إذا قيل بوجوبها كالحج في جميع ذلك.

ثم أشار المصنف إلى أن الترتيب لا بدّ منه بقوله: **(فحجة الإسلام تتقدم في حق من يتأهل لها ثم)** حجة **(القضاء لما أفسده في حالة الرق)** وصورة اجتماعها أن يفسد الرقيق حجه ثم يعتق، فعليه القضاء ولا يجزئه عن حجة الإسلام، فإن القضاء يتلو تلو الأداء **(ثم)** حجة **(النذر)** أي كذلك حجة الإسلام تقدم على حجة النذر، ولو اجتمعا مع حجة الإسلام قدمت هي، ثم القضاء الواجب بأصل الشرع ثم حجة النذر تقديماً للأهم فالأهم، **(ثم)** حجة **(النيابة عن الغير، ثم)** حجة **(النفل، وهذا الترتيب مستحب وكذلك يقع، وإن نوى خلافه)** وتردد الإمام في تقديم القضاء على النذر. وتابعه المصنف في الوسيط، والصحيح ما ذكره في الوجيز، وههنا فإذا عرفت ذلك فاعلم أنه لو استأجر المعضوب من يحج عن نذره وعليه حجة الإسلام فنوى الأجير النذر وقع عن حجة الإسلام، ولو استأجر من لم يحج عن نفسه وهو الذي يسمى صرورة ليحج عن المستأجر، فنوى الحج عنه لغت إضافته، ووقع عن الأخير دون المستأجر. وفي رواية عن أحمد: لا يقع عنه ولا عن المستأجر بل يلغو، ولو نذر صرورة أن يحج في هذه السنة ففعل وقع عن حجة الإسلام وخرج عن نذره، وليس في نذره إلا تعجيل ما كان له أن يؤخره. ولو استأجر الصرورة للحج في الذمة جاز. والطريق أن يحج عن نفسه، ثم عن المستأجر في سنة بعدها وإجارة العين تفسد، فإنه يتعين لها السنة الأولى فإن إجارة السنة القابلة لا تجوز، فإذا فسدت الإجارة نظر إن ظنه قد حج فبان صرورة لم يستحق أجرة لتغريره، وإن علم أنه صرورة وقال يجوز في اعتقادي أن يحج الصرورة عن غيره فحج الأجير يقع عن نفسه كما تقدم.

ولكن في استحقاقه أجرة المثل قولان، أو وجهان. ولو استأجر للحج من يحج ولم يعتمر أو

وأما شروط لزوم الحج فخمسة: البلوغ والإسلام والعقل والحرية والاستطاعة. ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة، ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن

للعمرة من يعتمر ولم يحج فقرن الأجير وأحرم بالتسكين جميعاً عن المستأجر أو أحرم بما استؤجر له عن المستأجر، وبالآخر عن نفسه، فقد حكى صاحب التهذيب وغيره فيه قولين. الجديد أنهما يقعان عن الأجير لأن نسكي القران لا يتفرقان لإتحاد الإحرام، ولا يمكن صرف ما لم يأمر به المستأجر إليه، والثاني إن ما استؤجر له يقع عن المستأجر والآخر عن الأجير، وعلى القولين لو استأجر رجلان من حج واعتمر أحدهما ليحج عنه، والآخر ليعتمر عنه فقرن عنهما، فعلى الأول يقعان عن الأجير، وعلى الثاني يقع عن كل واحد منهما ما استأجره له. ولو استأجر المعضوب رجلين ليحجا عنه في سنة واحدة أحدهما حجة الإسلام والآخر حجة قضاء أو نذر ففيه وجهان. أحدهما: لا يجوز لأن حجة الإسلام لا يتقدم عليها غيرها وأظهرهما، ويحكى عن نصه في الأم الجواز لأن غيرها لا يتقدم عليها، وهذا القدر هو المرعي، فعلى الأول إن أحرم الأجيران معاً انصرف إحرامها لأنفسهما، وأن يسبق إحرام أحدهما وقع ذلك عن حجة الإسلام عن المستأجر وانصرف إحرام الآخر إلى نفسه، ولو أحرم الأجير عن المستأجر ثم نذر حجاً نظر إن نذر بعد الوقوف لم ينصرف حجه إليه، ووقع عن المستأجر وإن نذر قبله فوجهان. أظهرهما انصرافه إلى الأجير، ولو أحرم الرجل بحج تطوّع ثم نذر حجاً بعد الوقوف لم ينصرف إلى النذر، وإن كان قبله فعلى الوجهين، ولو استأجر المعضوب من يحج عنه تلك السنة وأحرم الأجير عن نفسه تطوّعاً، فقد روى الإمام عن شيخه أن إحرامه ينصرف إلى المستأجر لأن حجة الإجارة في هذه السنة مستحقة عليه، والمستحق في الحج مقدم على غيره، وعن سائر الأصحاب أنه لا ينصرف لأن استحقاقه ليس من حكم الوجوب يؤول إلى الحج، وإنما يتقدم واجب الحج على تطوّعه إذا رجع الوجوب إلى نفس الحج والله أعلم.

(وأما شروط لزوم الحج فخمسة: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والحرية، والاستطاعة) فلا يلزم على الكافر والصبي والمجنون والعبد وعادم الاستطاعة، **(فمن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة)** اعلم أن في كون العمرة من فرائض الإسلام قولين. أصحهما وبه قال أحمد انها من فرائضه كالحج، وروي عن ابن عباس أنها كقرينتها في كتاب الله عز وجل: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ [البقرة: ١٩٦] وروي عن النبي ﷺ أنه قال: « الحج والعمرة فريضتان »، والثاني: وبه قال أبو حنيفة انها سنّة لما روي عن جابر أن النبي ﷺ سئل عن العمرة أواجبة هي؟ فقال: « لا وأن تعتمر خير لك فهو أولى » والأوّل هو القول الجديد، والثاني القديم. وإذا قلنا بالوجوب فهي في شرائط مطلق الصحة. وصحة المباشرة والوجوب والاجزاء عن عمرة الإسلام على ما ذكر في الحج، وفي قوله: فمن لزمه فرض الحج إشارة إلى أن شرائط وجوب العمرة كشرائط وجوب الحج وأن الاستطاعة الواحدة كافية لهما جميعاً.

حطاباً لزمه الإحرام على قول، ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج.

وأما الاستطاعة فنوعان: أحدهما المباشرة وذلك له أسباب أما في نفسه فبالصحة،

(ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطاباً) وفي معناه الحشاش **(لزمه الإحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج)**.

قال النووي في الروضة: ومن قصد مكة لا لنسك استحب أن يحرم بحج أو عمرة، وفي قول: يجب إلا أن يتكرر دخوله كحطاب وصياد، وقال في شرح مسلم: وإذا دخل مكة أو حرمها لحاجة لا تتكرر من تجارة أو زيارة ونحوهما، ففي وجوب الإحرام بحج أو عمرة خلاف للعلماء، وهما قولان للشافعي أصحهما استحبابه، والثاني وجوبه بشرط أن لا يدخل لقتال ولا خائفاً من ظهوره وبروزه اهـ.

يعني أن الآفاقي إذا قصد دخولها لنسك يجب عليه الإحرام قولاً واحداً، وإذا قصدها لحاجة لا تتكرر كتجارة أو زيارة أو نحوهما فله في وجوب الإحرام عليه قولان. وأصحهما استحبابه، وإذا قصدها خائفاً من القتال أو مريداً لقتال أو حاجة متكررة كاحتطاب واصطياد، فلا يجب عليه الإحرام قولاً واحداً، أما في الحاجة المتكررة فللحرج واما في الخوف من القتال فللضرورة، ولما في القتال فلأنه ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر والمحرم يجب عليه كشف رأسه، وأورد لدخوله ﷺ بلا إحرام وجهين.

الأول: أنه كان خائفاً من القتال متهيئاً له، واستشكل النووي هذا الوجه لأن مذهب الشافعي أن مكة فتحت صلحاً، وحينئذ فلا خوف. ثم أجاب عنه بأنه صالح أبا سفيان، وكان لا يأمن من غدر أهل مكة فدخلها صلحاً وهو متأهب للقتال إن غدروا.

والثاني: أن ذلك من خصائصه ﷺ هذا تقرير مذهب الشافعي رضي الله عنه. وقال أصحابنا: يجب الإحرام على من قصد دخول مكة مطلقاً أي سواء أراد الحج أو العمرة أو حاجة أخرى متكررة كانت أو لا، وسواء كان خائفاً من القتال أو مريداً إياه لما أخرجه ابن أبي شيبة، والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً: «لا يجاوز أحد الميقات إلا محرماً» وأخرجه الشافعي موقوفاً. وأخرج إسحاق بن راهويه من وجه آخر عنه موقوفاً أيضاً، والمرفوع سنده ضعيف والموقوف قوي. ودخوله ﷺ مكة بلا إحرام يوم الفتح كان مختصاً بتلك الساعة لما روى الشيخان من حديث أبي شريح العدوي: وإنما أذن لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس أراد بالحرمة الدخول بلا إحرام لا الدخول للقتال، فإنه جائز بالإجماع عند تغلب الكفار والبغاة والله أعلم.

ثم إن لوجوب حجة الإسلام بعد اعتبار تلك الشرائط المذكورة شرطاً زائداً وهو الاستطاعة قال الله تعالى: ﴿من استطاع إليه سبيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧] وإليه أشار المصنف بقوله:

(وأما الاستطاعة فنوعان: أحدهما) استطاعة **(المباشرة، ولذلك أسباب لما في نفسه**

وأما في الطريق فبأن تكون خصبة آمنة بلا بحر مخطر. ولا عدوّ قاهر، وأما في المال

فالصحة) وهي قوله يستمسك بها على الراحلة، والمراد أن يثبت على الراحلة من غير أن تلحقه مشقة شديدة، فأما إذا لم يثبت أصلاً أو كان يثبت ولكن بمشقة شديدة، فليس له استطاعة المباشرة سواء فرض ذلك لمرض أو غيره لما روي أنه ﷺ قال: «من لم يحبسه مرض أو مشقة ظاهرة أو سلطان جائر فلم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً» وقد تقدم الكلام عليه. وفي هذا الفصل مسألتان إحداهما: الأعمى إذا وجد مع الزاد والراحلة قائداً يلزمه الحج بنفسه لأنه مستطيع له، والقائد في حقه كالمحرم في حق المرأة، وبه قال أحمد. وقال أصحابنا: لا حج عليه وهو عبارة الكرخي في مختصره، وهو ظاهر المذهب عن الإمام وهو رواية عن الصاحبين، وظاهر الرواية عنهما أنه يجب عليه، وهو رواية الحسن عن الإمام وثمرة الخلاف تظهر في وجوب الإحجاج، فعند الإمام وهو رواية عنهما لا يجب الإحجاج بماله لأنه بدل عن الحج بالبدل، وكذا حكم المريض والمقعد المفلوج والزمن ومقطوع الرجلين والشيخ الكبير الذي لا يستطيع على الراحلة والمحبوس والخائف من السلطان كالمريض، ولما لم يجب الأصل لم يجب البدل، وعندهما وهو رواية عنه يجب لأن الأصل وهو الحج بالبدل لزمهم في الذمة وقد عجزوا عنه فيجب البدل عليهم، وهذا الخلاف عندنا مبني على أن الصحة من شرائط الوجوب أو وجوب الأداء. قال الإمام بالأوّل وهما بالثاني، ومحل الخلاف فيما إذا لم يقدروا وهم أصحاء، أما إذا قدروا وهم أصحاء، ثم زالت القدرة قبل أن يخرجوا إلى الحج فإنه يتقرر ديناً في ذمتهم فيجب عليهم الإحجاج بما لهم اتفاقاً، أما إن خرجوا إليه فماتوا في الطريق فإنه لا يجب عليهم الإيصاء بالحج لأنهم لم يؤخروا بعد الإيجاب كذا في التجنيس، ولو تكلفوا الحج بأنفسهم سقط عنهم حتى لو صحوا بعد ذلك لا يجب عليهم الأداء لأن سقوط الوجوب عنهم لدفع الحرج، فإذا تحملوه وقع عن حجة الإسلام كالفقير إذا حج الثانية.

قال الرافعي: المحجور عليه بالسفه كغيره في وجوب الحج عليه إلاّ أنه لا يدفع المال إليه لتبذيره، بل يخرج الولي معه لينفق عليه في الطريق بالمعروف، ويكون قواماً عليه، وذكر في التهذيب أنه إذا شرع السفيه في حج الفرض أو في حج نذره قبل الحج بغير إذن الولي لم يكن له أن يحلله، ويلزمه أن ينفق عليه إلى أن يفرغ فإن شرع في حج تطوّع ثم حجر عليه كان للولي أن يحلله إن كان ما يحتاج إليه للحج يزيد على نفقته المعهودة ولم يكن له كسب، فإن لم يزد أو كان له كسب يفي بقدر النفقة للحج وجب إتمامه ولم يكن للولي أن يحلله.

ثم قال المصنف: **(وأما في الطريق فبأن تكون خصبة آمنة)** أي ذات خصب وأمن، ويشترط الأمن في ثلاثة أشياء على النفس والعرض والمال. قال إمام الحرمين: ولا يشترط الأمن الذي يغلب في الحضر، بل الأمن في كل مكان على حسب ما يليق به، أما الأمن على النفس فعدم الخوف على نفسه من سبع أو عدوٍ في طريق، ولهذا جاز التحلل عن الإحرام بمثل ذلك، وهذا إذا لم يجد طريقاً آخر آمناً أما إذا وجده لزمه سلوكه إذا كان في مثل مسافة الأوّل، وأما إذا كان أبعد

....

كما لو لم يجد طريقاً سواه. وذكر في التتمة وجهاً له لا يلزمه كما لو احتاج إلى بذل مؤنة زائدة في ذلك الطريق **(بلا بحر مخطر)**.

اعلم أنه لو كان في الطريق بحر لم يخل إما أن يكون له في البر طريق أو لا يكون إن كان لزمه الحج وإلاَّ فقد قال في المختصر : ولم يبن لي أن أوجب ركوب البحر في الحج، ونص في الأم على أنه لا يجب، وفي الإملاء أنه إن كان أكثر معيشة في البحر يجب، وأظهر القولين في المسألة إن كان الغالب فيه الهلاك إما باعتبار خصوص ذلك البحر أو هيجان الأمواج في بعض الأحوال لم يلزمه الركوب، وإن كان الغالب السلامة فأظهر القولين كسلوك طريق البر عند غلبة السلامة.

وقال العراقي : ما يغلب فيه الهلاك بحر القلزم فإنه كثير الخطر بتجربة، وما يغلب فيه السلامة بحر الإسكندرية بتجربة.

ونقل الإمام عن بعض الأصحاب اللزوم عند جرأة الراكب وعدمه عند استشعاره الخوف، وإذا قلنا لا يجب ركوبه فهل يستحب؟ فيه وجهان. أظهرهما نعم، والوجهان فيما إذا كان الغالب السلامة، أما إذا كان الغالب الهلاك فيحرم الركوب هكذا نقل الإمام، وإذا لم نوجب الركوب فلو توسط البحر هل له الانصراف أم عليه التمادي؟ فيه وجهان أظهرهما الثاني. قال في التتمة : وهو المذهب، وليست الأنهار العظيمة كجيحون في معنى البحر لأن المقام فيها لا يطول والخطر فيها لا يعظم.

وأما الأمن على العرض فلم يذكره المصنف هنا، وذكره في الوجيز وبيانه أن المرأة لا يجب عليها الحج حتى تأمن على نفسها فإن خرج معها زوج أو محرم إما بنسب أو غيره فذلك، وإلاّ فينظر إن وجدت نسوة ثقات يخرجن فعليها أن تحج معهن، وهل يشترط أن يكون مع كل واحدة منهن محرم؟ فيه وجهان. أحدهما وبه قال القفال نعم، وأصحهما لا لأن النساء إذا كثرن انقطعت الأطماع منهن وكفين أمرهن، وإن لم تجد نسوة ثقات لم يلزمها الحج هذا ظاهر المذهب، ووراءه قولان. **أحدهما** أن عليها أن تخرج مع المرأة الواحدة، ويحكى هذا عن الإملاء. والثاني واختاره جماعة من الأئمة أن عليها أن تخرج وحدها إذا كان الطريق مسلوكاً، ويحكى هذا عن الكرابيسي.

وقال أصحابنا : شرط في حج المرأة سواء كانت شابة أو عجوزاً شيئان. الأوّل الزوج أو المحرم وهو من يحرم عليه نكاحها على التأبيد بسبب قرابة أو رضاع أو مصاهرة بشرط أن يكون عاقلاً بالغاً مسلماً مأموناً أو كافراً غير مجوسي حراً كان أو عبداً، لأن الصبي والمجنون عاجزان عن صيانتها والمجوسي يستحل نكاحها والفاسق غير أمين، والصبية التي بلغت حد الشهوة بمنزلة البالغة ونفقة المحرم عليها لأنها تتوسل به إلى أداء الحج، وإذا وجدت المرأة محرماً ليس للزوج منعها من الحج المفروض دون النفل، فلا يجوز لها أن تحج بغيرها إذا كان بينها وبين مكة مسيرة ثلاثة أيام، وفي أقل من ذلك لها أن تخرج بغير محرم وزوج إلاّ أن تكون معتدة، وإن حجت بغير محرم أو زوج جاز حجها بالاتفاق، لكنها تكون عاصية، ومعنى قولهم: لا يجوز لها أن تحج بغير محرم أي لا يجوز لها الخروج إلى الحج، وأما الحج فإنه يجوز. **والثاني** عدم العدة من طلاق بائن أو رجعي أو

فبأن يجد نفقة ذهابه وإيابه إلى وطنه ـ كان له أهل أو لم يكن ـ لأن مفارقة الوطن

وفاة حتى لو كانت معتدة عند خروج أهل بلدها لا يجب عليها الحج، فإن حجت وهي في العدة جاز حجها وكانت عاصية والله أعلم.

وأشار المصنف إلى الأمن على المال بقوله: **(ولا عدوٌّ قاهر)** فلو كان يخاف على ماله في الطريق من عدو أو رصدي لم يلزمه الحج وإن كان الرصدي يرضى بشيء يسير فيلغى ذلك الطريق، ولا فرق بين أن يكون من يخاف منه مسلمين أو كفاراً ويكره بذل المال للرصديين لأنهم يحرصون بذلك على التعرض على الناس، ولو وجدوا من يبذرقهم بأجرة فهل يلزمهم استئجاره؟ فيه وجهان، أظهرهما عند الإمام نعم، لأن بذل الأجرة بذل مال بحق ورتب عليه لزوم استئجار المحرم على المرأة إذا لم يساعدها بلا أجرة، وأما أصحابنا فقد اختلفوا في أمن الطريق فقال ابن شجاع: هو من شروط الوجوب لأنه لا يتأتى الحج بدونه، فصار كالزاد والراحلة وهو مروي عن الإمام لأن الوصول إلى البيت لا يتصوّر بدونه إلا بمشقة عظيمة، فصار من جملة الاستطاعة. وكان القاضي أبو حازم يقول: هو شرط الأداء لأنه ﷺ لما سئل عن الاستطاعة فسّرها بالزاد والراحلة، ولو كان أمن الطريق من الاستطاعة لبينه لأنه موضع الحاجة إلى البيان، فلا تجوز الزيادة في شرط العبادة بالرأي، ولأن هذا من العباد فلا يسقط به الواجب كالقيد من الظالم لا يسقط به خطاب الشرع، وإن طال بخلاف المرض وثمرة الخلاف تظهر في وجوب الإيصاء، فمن جعله شرط الأداء يوجبه، ومن جعله شرط الوجوب لا يوجبه والله أعلم.

(وأما في المال فبأن يجد نفقة ذهابه) من وطنه إلى مكة **(وإيابه)** أي رجوعه منها **(إلى وطنه إن كان له أهل)** وعشيرة **(أو لم يكن له أهل)** وعشيرة هذا أصح الوجهين، **(لأن مفارقة الوطن شديدة)** فتسرع النفوس إليه لما في الغربة من الوحشة، والوجه الثاني إن لم يكن له أهل وعشيرة فلا تشترط مؤنـة الإيـاب لأن البلاد في مثل هذا الشخص متقاربة، ويجري الوجهان في اعتبار الراحلة للإياب، وهل يختص الوجهان بما إذا لم يملك ببلده مسكناً أم لا؛ أبدى الإمام احتمالين. ورأى الأظهر التخصيص، وأغرب أبو عبدالله الحناطي فنقل وجهاً أن مؤنـة الإياب لا تعتبر في حق ذي الأهل والعشيرة أيضاً. وقال أصحابنا: هل تشترط قدرته على نفقته ونفقة عياله بعد إيابه إلى وطنه؟ فظاهر الرواية لا. وقيل: لا بدّ من زيادة نفقة يوم، وقيل شهر. الأوّل رواية عن الإمام، والثاني عن أبي يوسف والله أعلم.

والمراد بالأهل في كلام المصنف من تلزمه نفقتهم لا غير وفي قوله إن لم يكن له أهل لا يمكن الحمل على هؤلاء فحسب إذ ليس ذلك موضع الوجهين، وإنما الوجهان فيما إذا لم يكن له عشيرة أصلاً. كذا ذكره الصيدلاني وغيره لأنه يعظم على الإنسان مفارقة العشيرة، فلا بدّ من اعتبار الإياب إذا كان الرجل ذا عشيرة. قـال الإمـام: ولم يتعـرض أحـد مـن الأصحـاب للمعـارف والأصدقاء لأن الاستبدال بهم متيسر، وقال أصحابنا: المراد بالزاد نفقته ذاهباً وآيباً بلا تقتير ولا إسراف، والقدرة عليه تثبت بالملك لا بالإباحة قالوا: ويعتبر في كل إنسان ما يصح به بدنه

شديدة، وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته في هذه المدة، وأن يملك ما يقضي به ديونه، وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة إن استمسك على الزاملة.

والناس متفاوتون في ذلك، فالمترفه المعتاد بأكل اللحم ونحوه من الأطعمة المترفهة إذا قدر على ما تيسر من خبز وجبن دون لحم لا يعد قادراً والله أعلم.

(وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته في هذه المدة) وهم الأهل لا غير، **(وأن يملك ما يقضي به ديونه)** يشير إلى اعتبار كون الزاد فاضلاً عن الدين، أما إذا كان حالاً فلأنه ناجز والحج على التراخي، وأما إذا كان مؤجلاً فلأنه إذا صرف ما معه إلى الحج فقد يحل الأجل ولا يجد ما يقضي به الدين، وقد تخترمه المنية فتبقى ذمته مرتهنة، وفيه وجه أن المدة إن كانت بحيث تنقضي بعد رجوعه من الحج لزمه الحج، ولو كان ماله ديناً في ذمة إنسان نظر إن تيسر تحصيله في الحال بأن كان حالاً ومن عليه مليء مقر وعليه بينة فهو كالحاصل في يده، وإن لم يتيسر بأن كان من عليه منكراً ولا بيّنة عليه أو كان مؤجلاً فهو كالمعدوم، وقد يتوصل المحتال بهذا إلى دفع الحج فيبيع ماله نسيئة إذا قرب وقت الخروج، فإن المال إنما يعتبر وقت خروج الناس، **(وأن يقدر على راحلة)** وهي المركب من الإبل ذكراً كان أو أنثى فاعلة بمعنى مفعولة، **(أو كرائها)** إن لم يقدر على ملكها **(بمحمل)** كمجلس ومنبر الهودج. كذا في المصباح، أو شق محمل مع شريك **(أو زاملة)** وهو البعير من زملت الشيء إذا حملته سمي به لكونه يحمل متاع المسافر **(إن استمسك)** بقوّة بدنه **(على الزاملة)**.

قال الرافعي: الناس على قسمين. **أحدهما**: من بينه وبين مكة مسافة القصر فلا يلزمه الحج إلا إذا وجد راحلة سواء كان قادراً مع المشي أو لم يكن، وقال مالك: القادر على المشي يلزمه الحج ماشياً، فإذا عرفت ذلك فينظر إن كان يستمسك على الراحلة من غير محمل ولا يلحقه ضرر ولا مشقة شديدة، فلا يعتبر في حقه إلا وجدان الراحلة وإلاَّ فيعتبر مع وجدان الراحلة وجدان المحمل أيضاً. قال في الشامل: وعلى هذا لو كان يلحقه مشقة غليظة في ركوب المحمل اعتبر في حقه الكنيسة وهي أعواد مرتفعة في جوانب المحمل يكون عليها ستر دافع للبرد والحر، وذكر المحاملي وغيره من العراقيين أن في حق المرأة يعتبر المحمل، وأطلقوا القول فيه لأنه أستر لها وأليق بها، ثم العادة جارية بركوب اثنين في المحمل، فإن وجد مؤونة محمل ووجد شريكاً يجلس في الجانب الآخر لزمه الحج، وإن لم يجد الشريك فلا. أما إذا لم يجد إلاَّ مؤونة الشق فظاهر، وأما إذا وجد مؤونة المحمل بتمامه فقد علله في الوسيط بأن بذل الزيادة خسران لا مقابل له أي هي مؤونة مجحفة يعسر احتمالها، وكان لا يبعد تخريجه على الخلاف في وجوب أجرة البذرقة، وفي كلام الإمام إشارة إليه.

الثاني: فيمن ليس بينه وبين مكة مسافة القصر بأن كان من أهل مكة أو كان بينه وبينها دون مسافة القصر، فإن كان قوياً على المشي لزمه الحج ولم يعتبر في حقه وجدان الراحلة، وإن كان ضعيفاً لا يقوى على المشي أو يناله منه ضرر ظاهر، فلا بدّ من الراحلة والمحمل أيضاً إن لم يمكنه

وأما النوع الثاني: فاستطاعة المعضوب بماله وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ

الركوب دونه كما في حق البعيد، وقد وجدت لبعض أئمة طبرستان من المتأخرين تخريج وجه في أن القريب كالبعيد مطلقاً، والمشهور الفرق ولا يؤمر بالزحف بحال وإن أمكن. قال النووي في زيادات الروضة: وحكى الدارمي وجهاً ضعيفاً من حكاية ابن القطان أنه يلزمه الحبو والله أعلم.

وإذا اعتبرنا وجدان الراحلة والمحمل فالمراد منه أن يملكها أو يتمكن من تحصيلها ملكاً أو استئجاراً بثمن المثل أو أجرة المثل.

فصل

وقال أصحابنا: المراد بالراحلة شق محمل أو رأس زاملة لا عقبة وهو بالضم أن يكتري اثنان راحلة يتعقبان عليها يركب أحدهما مرحلة والآخر مرحلة، فلا يجب عليه لأنه غير قادر على الراحلة في جميع الطريق وهو الشرط، سواء كان قادراً على المشي أو لا، والقدرة على الراحلة تثبت بالملك أو الإجارة لا بالإباحة والإعارة، وهذا في حق غير أهل مكة، وأما هم فليس من شرط الوجوب عليهم الراحلة لعدم المشقة في حقهم، والمراد بأهل مكة من يستطيع المشي منهم، وأما من لا يستطيعه فلا بدّ له منها كالآفاقي، ولو قدر على غير الراحلة من بغل أو حمار، فالمفهوم من تفسير الراحلة أنه لا يجب عليه وليس بصريح، وإنما صرحوا بالكراهة، والمعتبر في الراحلة في حق كل إنسان ما يبلغه، فمن قدر على رأس زاملة المسمى في عرفنا بالمقتب وأمكنه السفر عليه وجب، وإن لم يمكنه السفر عليه بأن كان مترفهاً فلا يجب إلا إذا قدر على شق محمل وهو جانبه، لأن للمحمل جانبين ويكفي للراكب أحد جانبيه.

فصل

قال الرافعي: ويشترط لوجوب الحج وجود الزاد والماء في المواضع التي جرت العادة بحمل الزاد والماء منها، فإن كان عام جدب وخلا بعض تلك المنازل عن أهلها وانقطعت المياه لم يلزمه الحج، لأنه إن لم يحمل معه خاف على نفسه، وإن حمله لحقه مؤونة عظيمة، وكذلك الحكم لو كان يوجد فيها الزاد والماء ولكن بأكثر من ثمن المثل وهو القدر اللائق به في ذلك المكان والزمان، وإن وجدهما بثمن المثل لزم التحصيل سواء كانت الأسعار راخية أو غالية إذا وفى ماله، ويحتمل حملها قدر ما جرت به العادة في طريق مكة كحمل الزاد من الكوفة إلى مكة، وحمل الماء مرحلتين أو ثلاثاً إذا قدر عليه، ووجدت آلات الحمل. وأما علف الدابة فيشترط وجوده في كل مرحلة لأن المؤونة تعظم في حمله لكثرته ذكره صاحب التهذيب والتتمة وغيرهما، والله أعلم.

(وأما النوع الثاني فاستطاعة المعضوب بماله) وهو بالعين المهملة والضاد المعجمة الزمن الذي لا حراك به كأن الزمانة عضبته أي قطعته ومنعته الحركة، وجوز الرافعي فيه إهمال الصاد من عصبته الزمانة أي حبسته.

الأجير عن حجة الإسلام لنفسه، ويكفي نفقة الذهاب بزاملة في هذا النوع. والإبن

اعلم أن الاستنابة في الحج قد تكون بطريق الجواز وقد تكون بطريق الوجوب، وقد تكون بطريق الاستحباب أما جواز الاستنابة فلا يخفى أن العبادات بعيدة عن قبول النيابة، لكن احتمل في الحج أن يحج الشخص عن غيره إذا كان المحجوج عنه عجز عن الحج بنفسه إما بسبب الموت أو بكبر أو بزمانة أو مرض لا يرجى برؤه، والمعتبر في الكبر أن لا يثبت على راحلة أصلاً أو بمشقة، فالمقطوع اليدين والرجلين إذا أمكنه الثبوت على الراحلة من غير مشقة شديدة، فلا تجوز النيابة عنه، وكذا عن مرض يرجى زواله، فإنه يتوقع مباشرته له، وكذا من وجب عليه الحج ثم جن لم يكن للولي أن يستنيب عنه لأنه ربما يفيق فيحج عنه نفسه، وهذا كله في حجة الإسلام وفي معناها حجة النذر حكى ذلك من نصه، ويلحق بها القضاء.

وأما حجة التطوع: فهل يجوز استنابة المعضوب فيها؟ فيه قولان أحدهما لا. لبعد العبادات البدنية عن قبول النيابة، وإنما جوزنا في الفرض للضرورة وأصحهما، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد نعم لأنه عبادة تدخل النيابة في فرضها فيدخل في نفلها، فإن جوزنا الاستئجار للتطوع فللأجير الأجرة المسماة، وإن لم نجوز وقع الحج عن الأجير ولا يستحق المسمى، وفي أجرة المثل قولان مرويان عن الأم: أحدهما أنه لا يستحق أيضاً لوقوع الحج عنه، وصححه الخوارزمي في الكافي، وأظهرهما عند المحاملي وغيره أنه يستحقها لأنه دخل في العقد طامعاً في الأجرة، وتلفت منفعته عليه وإن لم ينتفع بها المستأجر فصار كما لو استأجر لحمل طعام(مغصوب فحمل يستحق الأجرة.

وأما وجوب الاستنابة فقد أشار إليه المصنف بقوله: **(وذلك بأن)** اعلم أن المعضوب تلزمه الاستنابة في الجملة، ولا فرق بين أن يطرأ العضب بعد الوجوب، وبين أن يبلغ معضوباً واجداً للمال، وبه قال أحمد. وعند مالك لا استنابة على المعضوب بحال لأنه لا نيابة عن الحي عنده ولا حج على من لا يستطيعه بنفسه. وعن أبي حنيفة أنه لا حج عن المعضوب ابتداء، لكن لو طرأ العضب بعد الوجوب لم يسقط، وعليه أن ينفق على من يحج إذا تقرر ذلك فلوجوب الاستنابة على المعضوب طريقان أحدهما أن يجد مالاً **(يستأجر)** به **(من يحج عنه بعد فراغ الأجير من حجة الإسلام عن نفسه، و)** أن **(يكفي نفقة الذهاب بزاملة في هذا النوع)** والشرط أن يكون المال فاضلاً عن نفقة العيال وكسوتهم يوم الاستئجار، ولا يعتبر بعد فراغ الأجير من الحج إلى إيابه، وهل تعتبر مدة الذهاب؟

حكى صاحب التهذيب فيه وجهين أصحهما أنه لا يعتبر بخلاف ما لو كان يحج بنفسه، ثم إن وفى ما يجده بأجرة أجير راكب فذاك فإن لم يجد إلا أجرة ماش ففي لزوم الاستئجار وجهان. أصحهما: يلزم بخلاف ما لو كان يحج بنفسه لا يكلف المشي لما فيه من المشقة ولا مشقة عليه في المشي الذي يتحمله الأجير، والثاني: ويحكى عن اختيار القفال أنه لا يلزم لأن الماشي على خطر، وفي بذل المال في أجرته تغرير به، ولو طلب الأجير أكثر من أجرة المثل لم يلزم الاستئجار فإن رضي

إذا عرض طاعته على الأب الزمن صار به مستطيعاً، ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعاً لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للولد، وبذل المال فيه منة على الوالد، ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير، ولكنه فيه على خطر فإن تيسر له ولو في آخر عمره

بأقل منها لزمه، وإن امتنع من الاستئجار فهل يستأجر عليه الحاكم؟ فيه وجهان أشبههما أنه لا يستأجر الطريق. الثاني: لوجوب الاستنابة على المعضوب أن لا يجد المال، ولكن يجد من يحصل له الحج وفيه صور.

إحداها: أن يبذل الأجنبي مالاً ليستأجر به، وفي لزوم قبوله وجهان حكاهما الحناطي وغيره، أحدهما يلزم لحصول الاستطاعة بما يبذله وأصحهما أنه لا يلزم، وهو الذي اقتصر عليه المصنف في الوجيز قال لما فيه من المنة الثقيلة.

الثانية: وإليه أشار المصنف بقوله: **(والإبن إذا عرض طاعته على الأب الزمن صار بذلك مستطيعاً)** وفي معنى الإبن إبن الإبن وإبن البنت أي إذا بذل واحد من بنيه وبناته وأولادهم الطاعة، فيلزم القبول والحج خلافاً لأبي حنيفة وأحمد، وإذا تقرر ذلك، فاعلم أنه يشترط فيه أن لا يكون المطيع صرورة ولا معضوباً، وأن يكون موثوقاً بصدقه، وإذا توسم أثر الطاعة فهل يلزمه الالتماس؟ فيه وجهان أحدهما: لا، لأن الظن قد يخطىء، والثاني: وهو أظهرهما نعم. إذا وثق بالإجابة بحصول الاستطاعة، وهذا ما اعتمده أصحاب الشيخ أبي حامد، وحكوه عن نص الشافعي، ولو بذل المطيع الطاعة، فلم يأذن المطاع فهل ينوب عنه الحاكم؟ فيه وجهان أصحهما لا لأن مبنى الحج على التراخي، وإذا اجتمعت الشرائط ومات المطيع قبل أن يأذن، فإن مضى وقت إمكان الحج استقر في ذمته، وإلا فلا، وإذا بذل الوالد الطاعة، ثم أراد الرجوع فإن كان بعد الإحرام ولم يجد إليه سبيلاً، وإن كان قبله رجع على أظهر الوجهين.

الثالثة: أن يبذل الأجنبي الطاعة ففي لزوم القبول وجهان أصحهما وهو ظاهر نصه في المختصر أنه يلزم لحصول الاستطاعة، كما لو كان الباذل الولد، والثاني لا يلزم لأن الولد بضعة منه، فنفسه كنفسه بخلاف غيره، والأخ والأب في بذل الطاعة كالأجنبي، لأن استخدامها يثقل وفي بعض تعاليق الظاهرية حكاية وجه أن الأب كالابن كما أنهما يستويان في وجوب النفقة.

الرابعة: أشار إليه المصنف بقوله: **(ولو عرض عليه ماله)** أي لو بذل الإبن المال لوالده **(لم يصر به مستطيعاً)** على أصح الوجهين، وبه قال ابن سريج، **(لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد)**. ألا ترى، أن الإنسان يستنكف عن الاستعانة بمال الغير. ولا يستنكف عن الاستعانة ببديه مع الاشتغال، والوجه الثاني نعم كما لو بذل الطاعة، والوجهان صادران من القائلين بعدم وجوب القبول من الأجنبي، فإن أوجبناه فههنا أولى، وبذل الأب المال للإبن كبذل الابن للأب أو كبذل الأجنبي ذكر الإمام فيه احتمالين أظهرهما الأول. **(ومن استطاع)** أي مهما تمت الاستطاعة مع سائر الشرائط **(لزمه الحج)** على التراخي وهو في العمر كالصلاة بالإضافة إلى وقتها، **(وله التأخير)** كما يجوز تأخير الصلاة إلى آخر الوقت، فكذا يجوز

سقط عنه، وإن مات قبل الحج لقي الله عز وجل عاصياً بترك الحج، وكان الحج في تركته يحج عنه وإن لم يوص كسائر ديونه، وإن استطاع في سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله في تلك السنة ـ قبل حج الناس ـ ثم مات لقي الله عز وجل ولا حجّ عليه.

تأخير الحج إلى آخر العمر، وبه قال محمد بن الحسن. وقال مالك وأحمد والمزني: انه على الفور، وبه قال أبو يوسف، وهو أصح الروايتين عن أبي حنيفة كما في المحيط والخانية. وشرح المجموع وفي القنية أنه المختار، وقال القدوري: وهو قول مشايخنا، وقال صاحب الهداية: وعن أبي حنيفة ما يدل عليه، وهو ما رواه محمد بن شجاع عنه أنه سئل عمن له مال يبلغه إلى بيت الله تعالى أيحج أم يتزوج؟ فقال: بل يحج ووجه الدلالة أنه أطلق الجواب بتقديم الحج على النكاح، مع أنه يكون واجباً في بعض أحواله، ولو لم يكن وجوبه على الفور لما أمر بما يفوت الواجب مع إمكان حصوله في وقت آخر لما أن المال غادٍ ورائح، **(ولكنه فيه على خطر)** وهل يكون قضاء أو أداء تقدم الاختلاف فيه في أول هذا الكتاب، **(فإن تيسر له ولو في آخر عمره سقط عنه الفرض، وإن مات قبل الحج لقي الله عاصياً بترك الحج، وكان الحج في تركته يحج عنه)** أي استقر الوجوب عليه، ولزم الإحجاج من تركته **(وإن لم يوص)** بالإحجاج عنه **(كسائر ديونه)** المستقرة في ذمته، **(وإن استطاع في سنة)** وتحقق الإمكان، **(فلم يخرج مع الناس فهلك ماله في تلك السنة قبل حج الناس لقي الله ولا حج عليه)** لأنه لم تدم له الاستطاعة، وعن يحيى البلخي أنه يستقر عليه الحج، وذكر في المهذب أن أبا إسحاق أخرج إليه نص الشافعي رحمه الله تعالى فرجع عنه، وقال في التهذيب ورجوع القافلة ليس بشرط حتى لو مات بعد انتصاف ليلة النحر، ومضى إمكان السير إلى منى والرمي بها، وإلى مكة والطواف بها استقر الفرض عليه، وإن مات أوجن قبل انتصاف ليلة النحر لم يستقر، وإن ملكه بعد إياب الناس أو مضى إمكان الإياب استقر الحج وإن ملك بعد حجهم، وقبل الإياب وإمكانه ففيه وجهان. أصحهما أنه لا يستقر وإن أحصر الذين تمكن من الخروج معهم فتخلفوا لم يستقر الفرض عليه، وإن سلكوا طريقاً آخر فحجوا استقر، وكذلك إذا حجوا في السنة التي بعدها إذا عاش وبقي ماله، وإذا دامت الاستطاعة وتحقق الإمكان ولم يحج حتى مات، فهل يعصي؟ فيه وجهان أحدهما وبه قال أبو إسحاق لا لأننا جوزنا له التأخير، وأظهرهما نعم وإلا ارتفع الحكم بالوجوب والمجوز هو التأخير دون التفويت.

تنبيه:

قول المصنف: لقي الله عاصياً فإذا قلنا يموت عاصياً فمن أي وقت يحكم بعصيانه؟ فيه وجهان. أحدهما: من أول سنة الإمكان لاستقرار الفرض عليه يومئذ، وأظهرهما وبه قال أبو إسحاق يأثم من آخر سنة الإمكان لجواز التأخير إليها، وفيه وجه ثالث أنه يحكم بموته عاصياً من غير أن يسنده إلى زمن مضى، ومن فوائد الحكم بموته عاصياً لو كان شهد عند القاضي ولم يقض

ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى. قال عمر رضي الله عنه: لقد هممت أن أكتب إلى الأمصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلاً. وعن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي ومجاهد وطاوس: لو علمت رجلاً غنياً وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه، وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم

بشهادته حتى مات لا يقضي كما لو بان فسقه، ولو قضى بشهادته من الأول من سني الإمكان، وآخرها فإن عصيناه من آخرها لم ينقض ذلك الحكم بحال، وإن عصيناه من أولاها ففي نقضه القولان فيما إذا بان للشهود فسقه والله أعلم.

(ومن مات ولم يحج مع اليسار) وتحقق الإمكان **(فأمره شديد عند الله تعالى)** لما تقدم من الخبر: « من لم يمنعه من الحج مرض قاطع أو سلطان جائر ومات ولم يحج فلا يبالي مات يهودياً أو نصرانياً ».

(قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وهو يومئذ أمير المؤمنين) أي في حال توليه خلافة المسلمين **(لقد هممت أن أكتب إلى الأمصار أن تضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلاً)** كذا في القوت بلفظ في الأمصار، ولم يقل وهو يومئذ أمير المؤمنين.

وأخرجه سعيد بن منصور، والبيهقي من طرق، فلفظ سعيد: لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من كان له جدة ولم يحج فيضربوا عليه الجزية ما هم مسلمين ما هم مسلمين، ولفظ البيهقي أن عمر قال: ليمت يهودياً أو نصرانياً يقولها ثلاث مرات رجل مات ولم يحج وجد لذلك سعة وخليت سبيله.

وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن شعبة، عن الحكم، عن عدي بن عدي، عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب: من مات وهو موسر ولم يحج فليمت أي حال شاء يهودياً أو نصرانياً، وأخرجه أيضاً عن غندر، عن عتبة، عن الحكم عن عدي بن عدي، عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزم عن عمر.

(وعن سعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، ومجاهد، وطاوس) رحمهم الله تعالى كل منهم قال: **(لو علمت رجلاً غنياً وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه)** هكذا أورده صاحب القوت عنهم.

قال أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه: حدثنا وكيع، عن شعبة عن أبي المعلى، عن سعيد بن جبير قال: لو كان لي جار موسر ثم مات ولم يحج لم أصل عليه.

وقال: حدثنا وكيع عن سفيان عن مجاهد بن رومي وكان ثقة قال: سألت سعيد بن جبير، وعبد

يحج فلم يصلّ عليه. وكان ابن عباس يقول: من مات ولم يزكّ ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا وقرأ قوله عز وجل: ﴿ربّ ارْجِعُونِ ★ لعَلِّي أعْمَلُ صَالِحاً فيما تَركْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] قال: الحج.

الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الله بن مغفل [1] مات وهو لله عاص. وقال ابن أبي ليلى إني لأرجو آن حج عنه وليه.

وقال: حدثنا جرير بن عبد الحميد، عن منصور، عن إبراهيم قال: قال الأسود لرجل منهم موسر: لو مت ولم تحج لم أصل عليك.

وقال: حدثنا وكيع عن إسرائيل، عن ثوير، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: من مات وهو موسر ولم يحج جاء يوم القيامة وبين عينيه مكتوب كافر.

(**وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه**) نقله صاحب القوت.

(**وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة إلى الدنيا وقرأ قول الله تعالى: ﴿رب ارجعون ★ لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾**) [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] وكان يفسره في هذه ويقول: أي أحج، ومثله فيقول: ﴿رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾ [المنافقون: ١٠] قال: أحج وأزكي، وكان يقول: هذه الآية من أشد شيء على أهل التوحيد كذا في القوت.

فصل

في اعتبارات ما ذكر في الفصل الأول وبعض ما في الفصل الثاني:

قال الشيخ الأكبر قدس سره: الحج تكرار القصد إلى المقصود والعمرة الزيارة، ولما نسب الله البيت إليه سبحانه، وأخبر أنه أول بيت وضعه الله لنا معبداً وجعله نظيراً ومثالاً لعرشه، وجعل الطائفين به كالملائكة الحافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم أي بالثناء على الله تعالى، وثناؤنا على الله في طوافنا أعظم من ثناء الملائكة عليه بما لا يتقارب، لأنهم في هذا الثناء نواب عن الحق يثنون عليه بكلامه الذي أنزله عليهم، وهم أهل الله وأهل القرآن، فهم نائبون عنه في الثناء، فلم يشبه ثناؤهم استنباطاً نفسياً ولا اختياراً كونياً عما سمع من ثنائهم إلا كلامه الذي أثنى به على نفسه، فهو ثناء إلهي قدوس طاهر، ولما جعل الله تعالى قلب عبده بيتاً كريماً وحرماً جسيماً، وذكر أنه وسعه حين لم يسعه سماء ولا أرض، علمنا قطعاً أن قلب المؤمن أشرف من هذا البيت وجعل الخواطر التي تمر عليه كالطائفين، ولما كان في الطائفين من يعرف حرمة البيت فيعامله في الطواف به بما يستحقه من الإجلال، ومنهم من لا يعرف ذلك فيغفل ويلغو، كذلك الخواطر التي تمر على قلب المؤمن منها مذموم، ومنها محمود كما كتب الله طواف كل طائف للطائف به على أي حالة

---

(١) لعل هنا سقطاً

كان، وعفا عنه فيما كان منه، كذلك الخواطر المذمومة عفا الله عنها ما لم يظهر حكمها على ظاهر الجسم للحس، ثم أن الله تعالى جعل أربعة أركان بسر إلهي وهي في الحقيقة ثلاثة أركان، فإذا اعتبرتها جعلتها في القلب ركن الخاطر الإلهي، والآخر ركن الخاطر الملكي، والآخر ركن الخاطر النفسي، فالإلهي ركن الحجر والملكي الركن اليماني والنفسي المكعب الذي في الحجر لا غير، وليس للخاطر الشيطاني فيـه محل، وعلى هذا الشكل قلوب الأنبياء مثلثة الشكل على شكل الكعبة، ولما أراد الله سبحانه ما أراد من إظهار الركن الرابع جعله للخاطر الشيطاني وهو الركن العراقي والركن الشامي للخاطر النفسي، وإنما جعلنا الخاطر الشيطاني للركن العراقي، لأن الشارع شرع أن يقال عنده أعوذ بالله من الشيطان والنفاق وسوء الأخلاق وبالذكر المشروع في كل ركن تعرف مراتب الأركان، وعلى هذا الشكل المربع قلوب المؤمنين ما عدا الرسل والأنبياء المعصومين ليميز الله رسله وأنبياءه من سائر المؤمنين للعصمة التي أعطاهم، فليس لنبي إلا ثلاثة خواطر إلهي وملكي ونفسي ولغيرهم هذه، وزيادة الخاطر الشيطاني العراقي، فمنهم من ظهر حكمه عليه في الظاهر وهم عامة الخلق، ومنهم من يخطر له ولا يؤثر في ظاهره وهم المحفوظون من أوليائه وارتفاع البيت سبعة وعشرون ذراعاً وذراع التحجير الأعلى فهو ثمانية وعشرون ذراعاً كل ذراع مقدار لأمر ما إلهي يعرفه أهل الكشف، فهي هذه المقادير نظير منازل القلب التي تقطعها كواكب الإيمان السيارة لإظهار الحوادث في العالم العنصري سواء حرفاً حرفاً، ومعنى معنى، ثم أن الله تعالـى جعل هذا البيت على أربعة أركان، كذلك جعل القلب على أربعة طبائع تحمله، وعليها قامت نشأته كقيام البيت على أربعة أركان فاعلم ذلك ولما كان الحج لهذا البيت تكرار القصد في مكان مخصوص، كذلك القلب تقصده الأسماء الإلهية في حال مخصوص إذ كل اسم له حال خاص يطلبه، فمهما ظهر الحال من العبد طلب الإسم الذي يخصه فيقصده ذلك الإسم، فلهذا تحج الأسماء الإلهية بيت القلب، وقد تحج إليه من حيث أن القلب وسع الحق، فلما تكرر ذلك منها سمي ذلك القصد حجاً كما يتكرر القصد من الناس والجن والملائكة إلى الكعبة في كل سنة للحج الواجب والنفل، وفي غير زمان الحج وحاله يسمى زيارة لا حجاً وهو العمرة، وتسمى حجاً أصغر، وهذا الحكم في الآخرة في الزور العام هو بمنزلة الحج في الدنيا وحج العمرة هو بمنزلة الزور الذي يخص كل إنسان، فعلى قدر اعتماره تكون زيارته لربـه والزور الأعـم في مـوضـع خـاص للـزمـان الخاص الذي للحـج والزور الأخص التي هي العمرة لا تختص بزمان دون زمان، فحكمها أنفذ في الزمان من الحج الأكبر، وحكم الحج الأكبر أنفذ في استيفاء المناسك من الحج الأصغر ليكون كل واحد منهما فاضلاً مفضولاً لينفرد الحق بالكمال الذي لا يقبل المفاضلة، وما سوى الله ليس كذلك. فالزيارة الخاصة التي هي العمرة مطلقة الزمان على قدر مخصوص والله أعلم.

ثم أنه لا خلاف في وجوبه بين علماء الإسلام قال الله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧] فوجب على كل مستطيع من الناس صغير وكبير ذكر وأنثى حر وعبد مسلم وغير مسلم ولا يقع بالفعل إلا بشروط له معينة، فإن الإيمان والإسلام

....

واجب على كل إنسان والأحكام كلها الواجبة واجبة على كل إنسان، ولكن يتوقف قبول فعلها أو فعلها من الإنسان على وجود الإسلام منه، فلا يقبل تلبسه بشيء منها إلا بشرط وجود الإسلام عنده، فإن لم يؤمن أخل بالواجبين جميعاً يوم القيامة وجوب الشرط الصحيح لقبول هذه العبادات ووجوب المشروط التي هي هذه العبادات وقرىء بكسر الحاء وهو الإسم وبفتحها وهو المصدر، فمن فتحها وجب عليه قصد البيت ليفعل ما أمره الله به أن يفعله عند الوصول إليه في المناسك التي عين الله له أن يفعلها، ومن قرأ بالكسر وأراد الإسم، فمعناه أن يراعي قصد البيت فيقصد ما يقصده البيت وبينهما بون بعيد، فإن العبد بالفتح يقصد وبالكسر يقصد قصد البيت فيقوم في الكسر مقام البيت ويقوم بالفتح مقام خادم البيت، فيكون حال العبد في حجه بحسب ما يقيمه فيه الحق من الشهود.

وأما باعتبار شرط صحته الذي هو الإسلام فالإسلام الانقياد إلى ما دعا الحق إليه ظاهراً وباطناً على الصفة التي دعاك أن تكون عليها عند الإجابة، فإن جئت بغير تلك الصفة التي قال لك أن تجيء بها فما أجبت دعاء الإسم الذي دعاك ولا انقدت إليه، وما في الكون إلا مسلم لأنه ما ثم إلا منقاد للأمر الإلهي لأنه ما ثم من قيل له كن فأبى بل يكون من غير تثبط ولا يصح إلا ذلك، فإذا وقع الحج ممن وقع من الناس ما وقع إلا من مسلم قال عليه السلام لحكيم بن حزام: «أسلمت على ما أسلفت من خير» ولم يكن مشروعاً من جانب أراه ذلك في حال الجاهلية، فاعتبره له الله سبحانه لحكم الانقياد الأصلي الذي تعطيه حقيقة الممكن، وهو الإسلام العام، فمن اعتبر المجموع وجد، ومن اعتبر عين الفقه وجد، ومن اعتبر الذات وجد، ولكل واحد شرب معلوم من علم خاص فإنه يدخل فيه هذا الإسلام الخاص المعروف في العرف العام في الظاهر والباطن معاً، فإن حكم في الظاهر لا في الباطن كالمنافق الذي أسلم للتقية حتى يعصم ظاهره في الدنيا، فهذا ما فعل ما فعل من الأمور الخيرية التي دعي إليها لخيريتها فما له أجر، والذي فعلها وهو كافر لخيريتها نفعته بالخبر النبوي، فلا بد أن ينقاد الباطن والظاهر، وبالمجموع تحصل الفائدة دعاه بالإسم الجامع والمدعو دعي من الإسم الجامع لصفة جامعة وهو الحج، والحج لا يكون إلا بتكرار القصد فهو جمع في المعنى، فما في الكون إلا مسلم، فوجب الحج على كل مسلم، فلهذا لم يتصور فيه خلاف بين علماء الرسوم وعلماء الحقيقة، وإن كان أهل الرسوم لا يريدون بالإسلام إلا التلفظ بالشهادة، وهذا لا يقدح فيما يراه المحقق، فإن هذا الإسلام المقرر عنده إنما هو عن الإسلام الذي يراه المحقق فعالم الرسوم في ضمن عالم الحقائق وعالم الحقائق أتم من عالم الرسوم في هذه المسألة وأمثالها، فإن حج الطفل الرضيع يصح ولا تلفظ له بالإسلام عنده ولا بالاعتقاد، ولكن له الإسلام العام الذي يثبته المحقق، فقد اعتبره الشرع لما رفع إليه صبي فقيل: ألهذا حج؟ قال: نعم، ولك أجر فنسب الحج إليه وهو غير قاصد في ظاهر الأمر، فلو لم يكن لذلك الرضيع قصد بوجه ما عرفه الشارع ما صح أن ينسب الحج إليه والله أعلم.

والمجوز في حج الطفل صاحب الحج شرعاً وحقيقة، فإن الشرع جعل له الحج وأثبته وأين

الإسلام في حق الصبي الرضيع إلا بحكم التبع عند أهل الظاهر؟ وأما عندنا فهو بالاصالة والتبع فهو ثابت في الصغار بطريقين، وفي الكبار بطريق واحد وهو الاصالة، والصغير على فطرة الإيمان، وما طرأ بعد ذلك عليه أمر يخرجه عن حكم الإقرار الأول، وصحته فهو مؤمن بالاصالة. ثم حكم له بإيمان أبيه في أمور ظاهرة، فقال: ﴿ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ [الطور: ٢١] وأقيمت فيهم أحكام الإسلام كلها مع كونهم على حال لا يعقلون جملة واحدة، ثم قال: ﴿ما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ [الطور: ٢١] وأضاف العمل إليهم يعني قولهم بل تبقى لهم على غاية التمام ما نقصهم منه شيئاً، فالرضيع أتم إيماناً من الكبير بلا شك فحجه أتم من حج الكبير، فإنه حج بالفطرة وباشر الأفعال بنفسه مع كونه مفعولاً به فيها كما هو الأمر عليه في نفسه في كل وجه صح له الحج حقيقة وشرعاً.

وأما اعتبار الراحلة والزاد: فالراحلة عين هذا الجسم لأنه مركب الروح الذي هو اللطيفة الإنسانية المنفوخة فيه فيما يصدر منه بواسطة هذا الجسم من أعمال صلاة وصدقة وحج وإماطة، وتلفظ بذكر كل ذلك أعمال موصلة إلى الله تعالى والسعادة الأبدية والجسم هو المباشر لها والروح بواسطته، فلا بد من الراحلة أن تشترط في هذا العمل الخاص بهذه الصورة، وأما الزاد فمن أخذه من الزيادة وهو السبب الذي بوجوده يكون التقوي الذي تكون عنه القوة التي بها تحصل هذه الأفعال بأي شيء حصلت تلك القوة، سواء بذاتها أو بهذا الزائد المسمى زاداً لأن الله زاده في الحجاب، ولهذا تعلقت به النفس في تحصيل القوة وسكنت عند وجوده واطمأنت واحتجبت من الله به، وهي مسرورة بوجود هذا الحجاب لما حصل لها من السكون إذ كانت الحركة متعبة، وإذا فقد الزاد تشوش بباطنه واضطرب طبعاً ونفساً، وتعلق عند فقد هذا السبب المسمى زاداً وزال عنه ذلك السكون، فكلما يؤديه إلى السكون فهو زاد وهو حجاب أثبته الحق بالفعل وقرره الشرع بالحكم فتقوى اساسه، فلهذا كان أثر الأسباب أقوى من التجرد عنها لأن التجرد عنها خلاف الحكمة والاعتماد عليها خلاف العلم، فينبغي للإنسان أن يكون مثبتاً لها فاعلاً بها غير معتمد عليها، وذلك هو القوي من الرجال، ولكن لا يكون له مقام هذه القوة من الاعتماد أن تؤثر فيه الأسباب أي بعد حصول الابتلاء بالتجريد عن الأسباب المعتادة وطرحها من ظاهره والاشتغال بها، فإذا حصلت له هذه القوة الأولى حينئذ ينتقل إلى القوة الأخرى التي لا يؤثر فيها عمل الأسباب، وأما قبل ذلك فغير مسلم للعبد القول به، وهذا هو علم الذوق والعالم الذي يجد الاضطراب وعدم السكون، فليس ذلك العلم هو المطلوب فإنه غير معتبر، بل إذا أمعنت النظر في تحقيقه وجدته ليس بعلم ولا اعتقاد، فلهذا لا أثر له ولا حكم في هذه القوة المطلوبة التي حصلت عن علم الذوق والحال، وهذا هو مرض النفس، وأما وجود الأخذ بالآلام الحسية من جوع وتعب، فذلك لا يقدح فأنه أمر يقتضيه الطبع والله أعلم.

وأما اعتبار صفة النائب في الحج فمن رأى أن الإيثار يصح في هذا الطريق قال لا يشترط فيه أن يكون قد حج عن نفسه، والحق ذلك بالفتوة حيث نفع الغير، وسعى في حقهم قبل سعيه في

....

حق نفسه فله ذلك، ومن رأى أن حق النفس أوجب وعاملها معاملة الأجنبي وأنها الجار الأحق فهو بمنزلة من قال لا يحج عن غيره حتى يكون قد حج عن نفسه وهو الأولى في الاتباع وهو المرجوع إليه، لأنه الحقيقة وذلك أنه إن سعى أولاً في حق نفسه فهو الأولى بلا خلاف، وإن سعى في حق غيره فإن سعيه فيه إنما هو في حق نفسه، فإنه الذي يجني ثمرة ذلك بالثناء عليه والثواب فيه فلنفسه سعى في الحالتين، ولكن يسمى بالغير فتى ومؤثراً لتركه فيما يظهر حق نفسه لحق غيره الواجب على ذلك الغير لا عليه، فإنه في هذا أدى ما لا يجب عليه وجزاء الواجب أعلى من جزاء غير الواجب لاستيفاء عين العبودية في الواجب، وفي الآخرة رفعة وامتنان حالي على المتفق عليه فهو قائم في حق الغير بصفة إلهية لأن لها الامتنان وهو في قيام حق نفسه من طريق الوجوب تقيمه صفة عبودية محضة وهو المطلوب الصحيح من العباد. هذا كله ما لم تقع فيه إجارة، فإن وقعت النيابة بإجارة فلها حكم آخر والله أعلم.

وأما حج العبد فمن قائل بوجوبه عليه، ومن قائل لا يجب عليه حتى يعتق، وبالأول أقول وإن منعه سيده مع القدرة على تركه كان السيد من الذين يصدون عن سبيل الله كان أحمد بن حنبل في حال سجنه أيام المحنة إذا سمع النداء بالجمعة توضأ وخرج إلى باب السجن، فإذا منعه السجان ورده قام له العذر بالمانع من أداء ما وجب عليه، وهكذا العبد فإنه من جملة الناس المذكورين في الآية اعلم أنه من استرقه الكون فلا يخلو إما أن يكون استرقه بحكم مشروع كالسعي في حق الغير، والسعي في شكر من أنعم عليه من المخلوقين نعمة استرقه بها، فهذا عبد لا يجب عليه الحق، فإنه في أداء واجب حق مشروع يطلب به ذلك الزمان وهو عند الله مقيد لغير الله في أمر الله لأداء حق الله، وإن كان استرقه غرض نفسي وهوى كياني ليس للحق المشروع فيه رائحة وجب عليه إجابة الحق فيما دعاه إليه من الحج إليه في ذلك الفعل، فإذا نظر إلى وجه الحق في ذلك الغرض كان ذلك عتقه فوجب الحج عليه، وإن غاب عنه ذلك لغفلة لم يجب عليه وكان عاصياً لمعرفته بأن الله خاطبه بالحج مطلقاً وإن كان مشهده في ذلك الوقت أنه مظهر والمخاطب بالحج الظاهر فيه ليس عينه لم يوجب الحج عليه، وهذا العبد المخلص لله وهذه عبودية لا عتق فيها والله أعلم.

وأما باعتبار إيجابه على الفور أو على التراخي، وبالأول أقول مع الاستطاعة، فاعلم أن الأسماء الإلهية على قسمين في الحكم في العام به من الأسماء ما يتمادى حكمه ما شاء الله ويطول، فإذا نسيته من أوله إلى آخره قلت بالتوسع والتراخي كالواجب الموسع بالزمان، فكل واجب توقعه في الزمان الموسع فهو زمانه سواء أوقعته في أول الزمان أو في آخره أو فيما بينهما، فإن الكل زمانه وأديت واجباً فاستصحاب حكم الإسم الإلهي على المحكوم عليه موسع كالعلم في استصحابه للمعلومات وكالمشيئة، وهكذا المكلف إن شاء فعل في أول وإن شاء فعل في آخر، ولا يقال هنا: وإن شاء لم يفعل لأن حقيقة فعل أثر وحقيقة لم يفعل استصحاب الأصل فلا أثر فلم يكن للمشيئة هنا حكم عياني، ومن الأسماء من لا يتمادى حكمه كالموجد فهو بمنزلة من هو على الفور، فإذا وقع لم يبق له

وأما الأركان التي لا يصح الحج بدونها فخمسة: الإحرام والطواف والسعي بعده

حكم فيه، فإنه تعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن على الفور من غير تراخ، فإن الموجد ناظر إلى تعلق الإرادة بالكون، فإذا رأى حكمها قد تعلق بالتعيين أوجد على الفور مثل الاستطاعة إذا حصلت تعين الحج والله أعلم.

وأما اعتبار مسافرة الزوج أو المحرم مع المرأة في وجوب الحج عليها، فاعلم أن النفس تريد الحج الى بيت الله وهو النظر في معرفة الله من طريق الشهود، فهل يدخل المريد إلى ذلك بنفسه أو لا يدخل إلى ذلك إلا بمرشد؟ والمرشد أحد شخصين إما عقل وافر وهو بمنزلة الزوج للمرأة، وإما علم بالشرع وهو ذو المحرم؟ فالجواب لا يخلو هذا الطالب أن يكون مراداً مجذوباً أو لا يكون، فإن كان مجذوباً فالعناية الإلهية تصحبه فلا يحتاج إلى مرشد من جنسه وهو قادر، وإن لم يكن مجذوباً فإنه لا بدّ من الدخول على يد موقف إما عقل أو شرع، فإن كان طالب المعرفة الأولى فلا بد من العقل بالوجوب الشرعي، وإن طلب المعرفة الثانية فلابد من الشرع يأخذ بيده في ذلك، وبالمعرفة الأولى يثبت الشرع عنده، وبالمعرفة الثانية يثبت الحق عنده ويزيل عنه من أحكام المعرفة الأولى العقلية أكثرها والله أعلم.

وأما اعتبار وجوب العمرة أو سنيتها أو استحبابها فالعمرة زيارة الحق بعد معرفته بالأمور المشروعة، فإذا أراد أن يناجيه فلا يتمكن له ذلك إلا بأن يزوره في بيته وهو كل موضع تصح الصلاة فيه فيميل إليه بالصلاة فيناجيه لأن الزيارة الميل، وإذا أراد أن يزوره بخلعته تلبس بالصوم وتجمل ليدخل به عليه، وإذا أراد أن يزوره بعبوديته تلبس بالحج، فالزيارة لا بد منها فالعمرة واجبة في أداء الفرائض سنة في الرغائب تطوع في النوافل غير المنطوق بها في الشرع، فأي جانب حكم عليه مما ذكرناه حكمت على العمرة من وجوب أو سنة أو تطوع، والله أعلم.

وأما اعتبار الآفاقي إذا أراد مكة ولم يرد نسكاً فاعلم أن رجال الله على نوعين: رجال يرون أنهم مسيرون، ورجال يرون أنهم يسيرون، فمن رأى أنه مسير لزمه الإحرام على كل حال فإنه مسير على كل حال، ومن رأى أنه يسير لا غير فهو في حكم ما بعثه على السير فإن كان باعثه يقتضي له الإحرام أحرم، وإن كان باعثه غير ذلك فهو بحسب باعثه، وليس له أن يحرم وهو ما نوى نسكاً، ولا ثم شرع يوجب عليه أن ينوي أحد النسكين ولا بد والله أعلم.

(وأما الأركان التي لا يصح الحج دونها فخمسة: الإحرام) لأن كل عبادة لها تحليل فلها إحرام، **(والطواف)** بالبيت وهو طواف الزيارة بعد الوقوف بعرفة وبعد اعتكاف ليلة النحر، وقال صاحب القوت: وطواف الحج ثلاثة. واحد فريضة إن تركه بطل حجه وهو طواف الزيارة، وواحد سنّة إن تركه كان عليه دم وحجه تام وهو طواف الوداع، وواحد مستحب إن تركه فلا شيء عليه وهو طواف الورود اهـ وقوله: سنّة أي واجب.

(والسعي) بين الصفا والمروة **(بعده)** أو بعد طواف القدوم، **(والوقوف بعرفة)** بعد

والوقوف بعرفة والحلق بعده على قول. وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف والواجبات المجبورة بالدم ست: الإحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلاً فعليه شاة والرمي فيه الدم قولاً واحداً، وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة

زوال **الشمس** من يوم عرفة وآخره بعد الوقوف طلوع الفجر من يوم النحر، **(و)**الرابع **(الحلق في قول)** بأنه ركن وفي قول بأنه واجب.

وقال أصحابنا: الإحرام شرط لا ركن لأنه يدور إلى الحلق ولا ينتقل عنه إلى غيره ويجامع كل ركن، ولو كان ركناً لما كان كذلك وإن فات واحد من الثلاثة الإحرام والوقوف وطواف الزيارة بطل الحج وعليه القضاء.

وفي الينابيع من فاته الوقوف بعرفة فاته الحج، ويأتي بطواف الزيارة في جميع السنة إلا أنه إذا أتى به في أيام النحر لا يلزمه دم، وإن أخره عن ذلك لزمه دم في قول أبي حنيفة وقالا: لا شيء عليه بالتأخير اهـ.

(وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف) بعرفة، وبالوقوف امتاز الحج من العمرة فسمي حجاً أكبر والعمرة حجاً أصغر، لأنها لم تعم جميع المناسك **(والواجبات المجبورة بالدم)** أي التي إذا تركها تجبر بالدم **(ست: الإحرام)** أي إنشاؤه **(من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلاً)** أي حالة كونه حلالاً **(فعليه شاة)** أي إذا جاوز الموضع الذي لزمه الإحرام منه غير محرم أثم وعليه العود إليه والإحرام منه إن لم يكن له عذر وإن كان أحرم ومضى على وجهه، ثم إذا لم يعد فعليه دم، فإن عاد لا يخلو إما أن يعود وينشئ الإحرام منه أو يعود إليه بعدما أحرم، ففي الحالة الأولى إن عاد قبل أن يبعد عن الميقات بمسافة القصر فلا دم عليه لأنه حافظ على الواجب في تعب تحمله، وإن عاد بعد ما دخل مكة لم يسقط عنه الدم لوقوع المحذور وهو دخول مكة غير محرم، مع كونه على قصد النسك، وإن عاد بعد ما بعد عن الميقات بمسافة القصر فوجهان. أظهرهما أنه يسقط، والثاني لا. هذا ما ذكره إمام الحرمين والمصنف والجمهور قضوا بأنه لو عاد وأنشأ الإحرام منه فلا دم عليه ولم يفصلوا التفصيل المذكور، وفي الحالة الثانية أطلق المصنف وطائفة في سقوط الدم فيها وجهين. ورواهما القاضي أبو الطيب قولين وجه عدم السقوط وبه قال مالك وأحمد تأكد الإساءة بإنشاء الإحرام من غير موضعه. وقال أبو حنيفة: إذا أحرم بعد أن جاوز الميقات وعاد قبل أن يتلبس بنسك ولبى سقط عنه الدم، وإن عاد ولم يلب لم يسقط عنه، وقال أيضاً: الجائي من طريق المدينة إذا لم يكن مدنياً وجاوز ذا الحليفة، وأحرم من الجحفة لم يلزمه دم، ويروى ذلك في حق المدني وغيره **(والرمي)** أي رمي جمرة العقبة يوم النحر إذا تركه **(فيه الدم قولاً واحداً)** أي من غير اختلاف فيه بين الأصحاب. وقال ابن الماجشون من أصحاب مالك هو ركن من أركان الحج لا يتحلل من الحج إلا به كسائر الأركان. **(وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس)** من ليلة النحر **(والمبيت بمزدلفة)** عند المشعر الحرام **(وطواف**

والمبيت بمنى وطواف الوداع، **فهذه الأربعة يجبر تركها بالدم على أحد القولين، وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب.**

وأما وجوه أداء الحج والعمرة فثلاثة:

الأول: الإفراد وهو الأفضل وذلك أن يقدم الحج وحده فإذا فرغ خرج إلى الحل فأحرم واعتمر، وأفضل الحل لإحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية، وليس على المفرد دمٌ إلاّ أن يتطوّع.

الوداع، فهذه الأربعة يجبر تركها بالدم على أحد القولين) في المذهب **(وفي القول الثاني فيها دم على وجه الاستحباب) .**

وقال أصحابنا: إذا ترك شيئاً من الواجبات يلزمه دم بتركه ويجزئه الحج سواء تركه عمداً أو سهواً، لكن في العمد يأثم. وقال في البدائع: إن الواجبات كلها إن تركها لعذر لا شيء عليه وإن تركها لغير عذر فعليه دم اهـ.

ويستثنى من هذا الحلق وركعتا الطواف، فإنهما واجبان ولا يجب الدم بتركهما. وقال أبو حنيفة، وأحمد: طواف الوداع واجب وتركه لغير عذر يوجب دماً، وقال مالك: ليس بواجب ولا مسنون، وإنما هو مستحب ولا يجب فيه دم.

(وأما وجوه أداء الحج والعمرة فثلاثة:) اعلم أن من أحرم بنسك لزمه فعل أمور وترك أمور، والنظر في الأمور المفعولة من وجهين: أحدهما: في كيفية أعمالها، والثاني: في كيفية آدابها باعتبار القران بينهما وعدمه، فلا جرم حصر الكلام في ثلاثة، وإنما انقسم أداء النسكين إلى الوجوه الثلاثة لأنه إما أن يقرن بينهما وهو المسمى قرانا أو لا يقرن فإما أن يقدم الحج على العمرة وهو الإفراد أو يقدم العمرة على الحج وهو التمتع، وفيه شروط ستظهر من بعد والوجوه جميعاً جائزة بالاتفاق، وقد أشار المصنف إلى ذلك بقوله:

(الأول: الإفراد وهو الأفضل) كما سيأتي الكلام عليه قريباً **(وذلك)** أي الإفراد **(أن يقدم الحج وحده، فإذا فرغ)** من أعماله **(خرج إلى الحل فأحرم واعتمر) .** وقال في الوجيز الإفراد أن يأتي بالحج منفرداً من ميقاته وبالعمرة مفردة من ميقاتها.

قال الرافعي: أراد مثلها ولا يلزمه العود إلى ميقات بلده، وفيما علق عن الشيخ أبي محمد أن أبا حنيفة يأمره بالعود ويوجب دم الإساءة إن لم يعد، **(وأفضل الحل)** أي أحب البقاع من أطراف الحل **(لإحرام العمرة الجعرانة)** بكسر الجيم وسكون العين المهملة وتخفيف الراء، واقتصر عليه أبو يعلى في البارع، ونقله جماعة عن الأصمعي وهو مضبوط كذلك في المحكم، وعن ابن المديني العراقيون يثقّلون الجعرانة والحديبية، والحجازيون يخففونها فأخذ به المحدثون على أن هذا اللفظ

الثاني: القران، وهو أن يجمع فيقول: «لبيك بحجة وعمرة معاً» فيصير محرماً بهما

ليس فيه تصريح بأن التثقيل مسموع من العرب، وليس للتثقيل ذكر في الأصول المعتمدة عن أئمة اللغة إلا ما حكاه في المحكم تقليداً له في الحديبية. وفي العباب الجعرانة بسكون العين وقال الشافعي: المحدثون يخطئون في تشديدها، وكذلك قال الخطابي وهو موضع بين مكة والطائف على سبعة أميال من مكة كذا في المصباح. وقال الرافعي في الشرح على ستة فراسخ من مكة. **(ثم التنعيم)** وهو بلفظ المصدر إسم موضع قرب مكة وهو أقرب أطراف الحل إليها وبينه وبين مكة أربعة أميال وقيل ثلاثة ويعرف بمساجد عائشة كذا في المصباح وقال الرافعي على فرسخ من مكة وهو على طريق المدينة وفيه مسجد عائشة رضي الله عنها. **(ثم الحديبية)** اسم بئر قرب مكة على طريق جدة دون مرحلة، ثم أطلق على الموضع. ويقال بعضه في الحل وبعضه في الحرم وهو أبعد. ونقل الزمخشري عن الواقدي أنها على سبعة أميال من المسجد. وقال الطبري في كتاب دلائل القبلة: حد الحرم من طريق المدينة ثلاثة أميال، ومن طريق جدة عشرة أميال، ومن طريق الطائف سبعة أميال، ومن طريق اليمن سبعة أميال، ومن طريق العراق سبعة أميال وأهل الحجاز يخففون. قال الطرطوشي: هي مخففة، وقال ثعلب: لا يجوز فيها غيره، وهذا هو المنقول عن الشافعي، وقال السهيلي: التخفيف أعرف عند أهل العربية قال: وقال أبو جعفر النحاس سألت كل من لقيت ممن أثق بعلمه من أهل العربية فلم يختلفوا على أنها مخففة. ونقل البكري التخفيف عن الأصمعي أيضاً وأشار بعضهم إلى أن التثقيل لم يسمع في فصيح كذا في المصباح، وقال الرافعي: الأفضل لإحرام العمرة من أطراف الحل الجعرانة فإن لم يتفق فمن التنعيم فإن لم يتفق فمن الحديبية.

قال النووي في زيادة الروضة: هذا هو الصواب، وأما قول صاحب التنبيه والأفضل أن يحرم بها من التنعيم فغلط والله أعلم.

قلت: وقول صاحب التنبيه موافق لقول أصحابنا، ثم قال الرافعي: وليس النظر فيها إلى المسألة بل المتبع سنة رسول الله ﷺ، وقد نقلوا أنه اعتمر من الجعرانة مرتين عمرة القضاء سنة سبع ومرة عمرة هوازن، ولما أرادت عائشة رضي الله عنها أن تعتمر أمر أخاها عبد الرحمن أن يعمرها من التنعيم فأعمرها منه، وصلى بالحديبية عام الحديبية وأراد الدخول فيها للعمرة فصده المشركون عنها، فقدم الشافعي رحمه الله ما فعله ثم ما أمر به ثم ما همّ به.

(وليس على المفرد دم) لأنه لم يجمع بين النسكين **(إلا أن يتطوّع)** على نفسه.

(الثاني: القران) وهو بالكسر مصدر قرن بين الحج والعمرة إذا جمع بينهما بنية واحدة هذا هو المفهوم من صريح كلام أئمة اللغة، ومصدر الثلاثي يجيء على وجوه كثيرة، منها فعال بالكسر وظاهر كلام المصباح أنه إسم لا مصدر، **(وهو)** أي القران صورته الأصلية **(أن يجمع)** بين الحج والعمرة، **(فيقول لبيك بحجة وعمرة معاً فيصير محرماً بهما)** جميعاً **(ويكفيه)** أي

ويكفيه أعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء **تحت الغسل إلا أنه** إذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين، **وأما طوافه فغير** محسوب لأن **شرط طواف** الفرض في الحج أن يقع بعد الوقوف. **وعلى القارن دم شاة** إلا أن يكون **مكيًا فلا شيء** عليه لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة.

الثالث: التمتع وهو أن يجاوز الميقات محرماً بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع

القارن (**أعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج**) فيتحد الميقات والفعل، (**كما يندرج الوضوء تحت الغسل**) وقال أبو حنيفة: لا يتحد الفعل فيأتي بطوافين وسعيين أحدهما للحج والآخر للعمرة (**إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين، وأما طوافه فغير محسوب لأن شرط طواف الفرض في الحج أن يقع بعد الوقوف**).

اعلم أنه إن أحرم بالعمرة في أشهر الحج وأدخل عليها الحج في أشهره فإن لم يشرع في الطواف جاز وصار قارناً وإن شرع في الطواف فأتمه لم يجز إدخال الحج عليها لمعان أربعة ذكرها الرافعي في شرحه، ولو أحرم بالحج في وقته أولاً، ثم أدخل عليه العمرة ففي جوازه قولان القديم، وبه قال أبو حنيفة انه يجوز والجديد، وبه قال أحمد انه لا يجوز لأن الحج أقوى وآكد من العمرة لاختصاصه بالوقوف والرمي والضعيف لا يدخل على القوي، وإن جوّزنا إدخال العمرة على الحج فإلى متى؟ فيه وجوه، أحدها: أنه يجوز قبل طواف القدوم، ولا يجوز بعد اشتغاله به لإتيانه بعمل من أعمال الحج، وذكر في التهذيب أن هذا أصح، والثاني يحكى عن الحصري أنه يجوز بعد طواف القدوم ما لم يسع وما لم يأت بفرض من فروض الحج، فإن اشتغل بشيء فلا، والثالث يجوز وإن اشتغل بفرض ما لم يقف بعرفة فإذا وقف فلا، وعلى هذا لو كان قد سعى فعليه إعادة السعي ليقع عن النسكين جميعاً كذا قاله الشيخ في شرح الفروع، والرابع يجوز وإن وقف ما لم يشتغل بشيء من أسباب التحلل من الرمي وغيره، فإن اشتغل به فلا، وعلى هذا لو كان قد سعى فقياس ما ذكره الشيخ وجوب إعادته، وحكى الإمام فيه وجهين. وقال في المذهب انه لا يجب. (و) يجب (**على القارن دم شاة**) لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: أهدى رسول الله ﷺ عن أزواجه بقرة وكن قارنات ولأن الدم واجب على المتمتع بنص القرآن وأفعال المتمتع أكثر من أفعال القارن، وإذا وجب عليه الدم فلأن يجب على القارن أولى، ونقل صاحب العدة وجهين في أن دم القران دم جبر أو دم نسك قال والمشهور أنه دم جبر اهـ.

وعن مالك أن على القارن بدنة، وحكى الحناطي عن القديم مثله. (**إلا أن يكون مكياً**) أي من أهل مكة (**فلا شيء عليه لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة**) وجميع الحرم ميقاته.

(**الثالث: التمتع**) يقال تمتع بالشيء إذا انتفع به ومتعه بكذا وأمتعه والإسم المتعة بالضم والكسر، (**وهو أن يجاوز الميقات**) أي ميقات بلده (**بعمرة محرماً ويتحلل بمكة ويتمتع**

بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعاً إلا بخمس شرائط.

أحدها: أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيه الصلاة.

بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج) أي ينشئ بالحج من مكة. سمي متمتعاً لاستمتاعه بمحظورات الإحرام بينهما أو تمكنه من الاستمتاع بحصول التحلل، وعند أبي حنيفة: إن كان قد ساق الهدي لم يتحلل بفراغه من العمرة بل يحرم بالحج، فإذا فرغ منه حل منهما جميعاً، وإن لم يسق الهدي تحلل عند فراغه من العمرة. وقول المصنف: ثم يحرم بالحج فيه إشارة إلى أن أفعالها لا تتداخل، بل يأتي بهما على الكمال بخلاف ما في القران. وقول المصنف في الوجيز: ولكن يتحد الميقات إذ يحرم بالحج من جوف مكة معناه أنه بالتمتع من العمرة إلى الحج يربح ميقاتاً لأنه لو أحرم بالحج من ميقات بلده فكان يحتاج بعد فراغه من الحج إلى أن يخرج إلى أدنى الحل فيحرم بالعمرة منه، وإذا تمتع استغنى عن الخروج لأنه يحرم بالحج من جوف مكة فكان رابحاً أحد الميقاتين **(ولا يكون متمتعاً إلا بخمس شرائط.**

أحدها: أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام) قال الله تعالى: ﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ [البقرة: ١٩٦] والمعنى فيه أن الحاضر بمكة ميقاته للحج نفس مكة فلا يكون بصورة التمتع رابحاً ميقاته، **(وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيه الصلاة)** أي من كان مسكنه دون مسافة القصر، فإن زادت المسافة فلا. وبه قال أحمد، وعند أبي حنيفة حاضر والمسجد الحرام وأهل المواقيت والحرم وما بينهما. وقال مالك: هم أهل مكة وذي طوى، وربما روي أنهم أهل الحرم.

قال الرافعي: والمسافة المذكورة مرعية من نفس مكة أو من الحرم. حكى إبراهيم المروروذي فيه وجهين، والثاني هو الدائر في عبارات العراقيين، ويدل عليه أن المسجد الحرام عبارة عن جميع الحرم لقوله تعالى: ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ [التوبة: ٢٨] وإن كان له مسكنان أحدهما في حد القرب من الحرم، والثاني في حد البعد، فإن كان مقامه في البعيد أكثر فهو آفاقي، وإن كان في القرب أكثر فهو من الحاضرين، وإن استوى مقامه بهما نظر إلى ماله وأهله، فإن اختص بأحدهما أو كان في أحدهما أكثر، فالحكم له، وإن استويا في ذلك أيضاً اعتبر حاله بعزمه، فأيهما عزم على الرجوع إليه فهو من أهله، فإن لم يكن له عزم فالاعتبار بالذي خرج منه، ولو استوطن غريب بمكة فهو من الحاضرين، ولو استوطن مكي بالعراق فليس له حكم الحاضرين، والاعتبار بما آل إليه الأمر. ولو قصد الغريب مكة ودخلها متمتعاً ناوياً للإقامة بها بعد الفراغ من النسكين أو من العمرة، أو نوى الإقامة بها بعدما اعتمر لم يكن من الحاضرين ولم يسقط عنه دم التمتع، فإن الإقامة لا تحصل بمجرد النية، وذكر المصنف في هذا الشرط صورة هو أنه قال: والآفاقي إذا جاوز الميقات الأعلى مريداً للنسك، فلما دخل مكة اعتمر ثم حج لم يكن

الثاني: أن يقدم العمرة على الحج.

الثالث: أن تكون عمرته في أشهر الحج.

الرابع: أن لا يرجع إلى ميقات الحج ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحج.

متمتعاً إذ صار من الحاضرين إذ ليس يشترط فيه قصد الإقامة، وقد توقف الإمام الرافعي فيها وقال: لم أجدها لغيره بعد البحث، وما ذكر من عدم الاشتراط في الإقامة مما تنازع فيه كلام عامة الأصحاب ونقلهم عن نصه في الإملاء، والقديم فإنه ظاهر في اعتبار الإقامة بل في اعتبار الاستيطان. وقال النووي في زيادات الروضة: المختار في هذه الصورة أنه متمتع ليس بحاضر بل يلزمه الدم والله أعلم.

(**الثاني: أن يقدم العمرة على الحج**) فلو حجّ ثم اعتمر فلا دم عليه لأن الدم إنما يجب إذا زاحم بالعمرة حجة في وقتها وترك الإحرام بحجة من الميقات.

(**الثالث: أن تكون عمرته**) أي وقوعها (**في أشهر الحج**)، فلو أحرم وفرغ من أعمالها قبل أشهر الحج ثم حج لم يلزمه الدم لأنه لم يجمع بين الحج والعمرة في وقت الحج، فأشبه المفرد لما لم يجمع بينهما لم يلزمه دم، وقد ذكر الأئمة أن دم التمتع منوط من جهة المعنى بأمرين: أحدهما: ربح الميقات كما سبق، والثاني: وقوع العمرة في أشهر الحج، وكانوا لا يزحمون الحج بالعمرة في مظنته ووقت إمكانه ويستنكرون ذلك، فهو إذاً للمتمتع رخصة وتخفيف إذ الغريب قد ورد قبل عرفة بأيام ويشق عليه استدامة الإحرام لو أحرم، ولا سبيل إلى مجاوزته فجوّز له أن يعتمر ويتحلل، ولو أحرم بها قبل أشهر الحج وأتى بجميع أفعالها في أشهره فيه قولان: أحدهما: يلزمه الدم قاله في القديم والإملاء لأنه حصلت المزاحمة في الأفعال وهي المقصودة والإحرام كالتمهيد لها، وأصحهما لا يلزم قاله في الأم، وبه قال أحمد لأنه لم يجمع بين النسكين في أشهر الحج لتقدم بعض أركان العمرة عليها. وعن ابن سريج: أن النصين محمولان على حالين وليست المسألة على قولين إذا قام بالميقات بعد إحرامه بالعمرة حتى دخل أشهر الحج أو عاد إليه محرماً بها في الأشهر لزمه الدم، وإن جاوزه قبل الأشهر ولم يعد إليه لم يلزمه، والفرق حصوله بالميقات محرماً في الأشهر مع التمكن من الإحرام بالحج، وإن سبق الإحرام مع بعض الأعمال أشهر الحج، فالخلاف فيه مرتب إن لم نوجب الدم إذا سبق الإحرام وحده، فهنها أولى. وإن أوجبناه فوجهان، والظاهر أنه لا يجب أيضاً، وعن مالك رحمه الله أنه مهما حصل التحلل في أشهر الحج وجب الدم، وعند أبي حنيفة إذا أتى بأكثر أفعال العمرة في الأشهر كان متمتعاً، فإذا لم نوجب دم التمتع في هذه الصورة ففي وجوب دم الإساءة وجهان. أحدهما: يجب وبه قال الشيخ أبو محمد، وأصحهما لا يجب.

(**الرابع: أن لا يرجع إلى ميقات الحج**) إلى أي ميقات لا خصوص ميقات إحرامه الأول

الخامس: أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد . فإذا وجدت هذه الأوصاف

لأنه ميقات عمرة التمتع لا ميقات حج وصورة هذا الشرط ما إذا أحرم بالعمرة ثم أتمها ثم عاد إلى الميقات، ولو إذا لم يكن الذي أنشأ العمرة منه وأحرم بالحج فلا دم عليه لأنه لم يربح ميقاتاً والله أعلم. **(ولا إلى مثل مسافته)** أي الميقات، وقوله: **(لإحـرام الحج)** راجع إلى الجملتين أي فلو عاد إلى مثلها وأحرم منه فكذلك لا دم عليه، لأن المقصود قطع تلك المسافة محرماً ذكره الشيخ أبو محمد وغيره، ولو أحرم من جوف مكة وعاد إلى الميقات محرماً ففي سقوط الدم مثل الخلاف فيما إذا جاوز الميقات غير محرم وعاد إليه محرماً، ولو عاد إلى ميقات أقرب إلى مكة من ذلك الميقات وأحرم منه كما إذا كان ميقاته الجحفة فعاد إلى ذات عرق فهل هو كالعود إلى ذلك الميقات؟ فيه وجهان. أحدهما: لا وعليه الدم إذا لم يعد إلى ميقاته ولا إلى مثل مسافته، والثاني: نعم لأنه أحرم من موضع ليس ساكنوه من حاضري المسجد الحرام، وهذا هو المحكي عن اختيار القفال، والمعتبرين، وأيدوه بأن دم المتمتع خارج عن القياس لإحيائه كل ميقات بنسك، فإذا أحرم بالحج من مسافة القصر بطل تمتعه وترفهه فلا ينقدح إيجاب الدم عليه بحال كذا نقله الرافعي.

قلت: لكن ذكـر إمام الحرمين أن دم التمتع إنما ثبت بالنص، وأنه تعبد لا يعقل معناه اهـ.

ثم قال الرافعي: ولو دخل القارن مكة قبل يوم عرفة ثم عاد إلى الميقات للحج هل يلزمه الدم؟ ذكر الإمام أنه مرتب على المتمتع إذا أحرم، ثم عاد إليه إن لم يسقط الدم، فههنا أولى، وإن أسقطنا. فوجهان والفرق أن اسم القران لا يزول بالعود إلى الميقات بخلاف التمتع، قال الحناطي: والأصح أن لا يجب أيضاً وقد نص عليه في الإملاء.

(الخامس: أن تكون حجته وعمرته عن شخص واحد) كما يشترط وقوعها في سنة واحدة وهو وجه في المذهب. ويروى عن الحصري، وقال الجمهور: لا يشترط وقوع النسكين عن شخص واحد لأن زحمة الحج وترك الميقات لا يختلف. وهذا الأمر المختلف في اشتراطه يفرض فواته في ثلاث صور، إحداها: أن يكون أجيراً من قبل شخصين استأجره أحدهما للحج والآخر للعمرة، والثانية: أن يكون أجيراً للعمرة ويعتمر للمستأجر ثم يحج عن نفسه، والثالثة: أن يكون أجيراً للحج فيعتمر لنفسه ثم يحج عن المستأجر فإن تلفا فمـذهب الجمهور فقد ذكروا أن نصف دم التمتع على من يقع له الحج، ونصفه على من تقع له العمرة. وليس هذا الكلام على هذا الإطلاق، بل هو محمول على تفصيل ذكره صاحب التهذيب.

أما في الصورة الأولى: فقد قال: إن أذنا في التمتع فالدم عليهما نصفان، وإن لم يأذنا فهو على الأجير وعلى سياقه إن أذن أحدهما دون الآخر فالنصف على الآذن، والنصف على الأجير.

وأما في الصورتين، فقد قال: إن أذن له المستأجر في التمتع فالدم عليهما نصفان، وإلا فالكل

وكان متمتعاً ولزمه دم شاة فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم النحر متفرقة .

على الأجير، فهذا شرح ما ذكره المصنف من الشروط الخمسة، ووراءها شرطان آخران ذكرهما الرافعي في شرحه. أحدهما: اشتراط وقوع النسكين في شهر واحد حكاه إبن خيران وأباه عامة الأصحاب. **الثاني**: أن يحرم بالعمرة من الميقات، فلو جاوزه مريداً للنسك ثم أحرم بها فالمنقول عن نصه أنه ليس عليه دم التمتع، لكن يلزمه دم الإساءة وقد أخذ بإطلاقه آخرون. وقال الأكثرون: هذا إذا كان الباقي بينه وبين مكة دون مسافة القصر فإن بقيت مسافة القصر فعليه الدمان معاً.

(فإذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتعاً ولزمه دم) اعلم أن هذه الشروط المذكورة معتبرة في لزوم الدم لا محالة على ما فيها من الوفاق والخلاف، وهل هي معتبرة في نفس التمتع حتى إذا انخرم شرط من الشرائط كانت الصورة صورة الإفراد. وظاهر سياق المصنف يلوح إلى هذا حيث يقول: كان متمتعاً، وهو أيضاً المفهوم من سياقه في الوجيز، ومنهم من لا يعتبرها في نفس التمتع وهذا أشهر، ولذلك رسموا صحة التمتع من المكي مسألة خلافية فقالوا: يصح عندنا التمتع والقران من المكي، وبه قال مالك، وعند أبي حنيفة: لا يصح منه قران ولا تمتع، وإذا أحرم بها ارتفعت عمرته وإن أحرم بالحج بعدما أتى بشوط في الطواف للعموم نقض حجه في قول أبي حنيفة وعمرته في قول أبي يوسف ومحمد.

ثم لما فرغ المصنف من القول في تصوير التمتع والشرائط المرعية فيه أشار إلى الدم وفي بدله وما يتعلق بها بقوله: **(شاة)** أي المتمتع يلزمه دم شاة إذا وجد وبه فسر قوله تعالى: ﴿فما استيسر من الهدي﴾ [البقرة: ١٩٦] وصفتها صفة شاة الأضحية ويقوم مقامها السبع من البدنة والبقرة ووقت وجوبه الإحرام بالحج، وبه قال أبو حنيفة لأنه حينئذ يصير متمتعاً بالعمرة إلى الحج، وعن مالك أنه لا يجب حتى يرمي جمرة العقبة فيتم الحج، وإذا وجب جاز إراقته ولم يتأقت بوقت كسائر دماء الجبرانات إلا أن الأفضل إراقته يوم النحر، وقال مالك، وأبو حنيفة، وأحمد: لا يجوز إراقته إلا يوم النحر، وهل يجوز إراقته قبل الإحرام بالحج وبعد التحلل من العمرة؟ فيه قولان، وقيل: وجهان أحدهما: لا يجوز كما لا يجوز الصوم في هذه الحالة، وأصحهما الجواز لأنه حق مالي تعلق بشيئين وهما الفراغ من العمرة والشروع في الحج، فإذا وجد أحدهما جاز إخراجه كالزكاة والكفارة، **(فإن لم يجد)** الهدي بأن كان معسراً في الحال، وإن قدر عليه في بلده فلا نظر إليه **(فصيام)** عشرة أيام بنص القرآن ويجعلها قسمين **(ثلاثة أيام)** وسبعة أيام. أما الثلاثة فيصومها **(في الحج)** ولا يجوز تقديمها على الإحرام بالحج خلافاً لأبي حنيفة حيث قال: يجوز بعد الإحرام بالعمرة، ولأحمد حيث قال في رواية بقول أبي حنيفة، وقال في رواية: انه يجوز بعد التحلل من العمرة، ثم لأداء الصوم وقتان وقت الجواز ووقت الاستحباب فوقت الجواز **(قبل يوم النحر)**، ووقت الاستحباب قبل يوم عرفة، فإن الأحب للحاج أن يكون مفطراً يوم عرفة وإنما

أو متتابعة، وسبعة إذا رجع إلى الوطن، وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام

يمكنه ذلك إذا تقدم إحرامه بالحج بحيث يقع بين إحرامه، ويوم عرفة ثلاثة أيام، قال الأصحاب: وهذا هو المستحب للمتمتع الذي من أهل الصوم، ويحرم قبل اليوم السادس من ذي الحجة يصوم الثلاثة ويفطر يوم عرفة، ونقل الحناطي عن شرح أبي إسحاق وجهاً أنه إذا لم يتوقع هدياً يجب عليه تقديم الإحرام بحيث يمكنه صوم الأيام الثلاثة قبل يوم النحر، وأما الواجد قبل للهدي فالمستحب له أن يحرم يوم التروية بعد الزوال متوجهاً إلى منى، وإذا فاته صوم الأيام الثلاثة في الحج لزمه القضاء خلافاً لأبي حنيفة حيث قال: ولا يسقط الصوم ويستقر الهدي عليه، وعن ابن سريج وأبي إسحاق تخريج قول مثله، والمذهب الأول لأنه صوم واجب فلا يسقط بفوات وقته لصوم، وإذا قضاها لم يلزمه دم خلافاً لأحد. (متفرقة أو متتابعة) إن أحرم قبل يوم النحر بأكثر من ثلاثة أيام، والأوجب صومها متتابعة ولا يجب عليه أن يحرم قبل بثلاثة أيام لأنه لا يجب تحصيل سبب الوجوب، فلو أحرم والباقي أقل من ثلاث صام ما أمكنه وصام الباقي بعد أيام التشريق، ولا يجوز صوم أيام التشريق على المعتمد، ولو رجع إلى أهله ولم يصمها صامها ثم صام السبعة كما سيأتي، ويجب التفريق بين الثلاثة والسبعة وفيما [1] التفريق أربعة أقوال تتولد من أصلين. أحدهما: أن المتمتع هل له صوم أيام التشريق، والثاني: أن الرجوع ماذا؟ فإن قلنا ليس له صوم أيام التشريق، وفسرنا الرجوع بالرجوع إلى الوطن كما سيأتي فالتفريق بأربعة أيام ومدة إمكان السير إلى أهله على العادة الغالبة، وإن قلنا ليس له صومها وفسرنا الرجوع بالفراغ من الحج كما سيأتي، فالتفريق أربعة أيام لا غير لتمكنه من الابتداء بصوم السبعة أيام التشريق، وإن قلنا له صومها وفسرنا الرجوع بالرجوع إلى الوطن فالتفريق بمدة إمكان السير إلى أهله، فإن قلنا له صومها وفسرنا الرجوع بالفراغ من الحج فوجهان، أصحهما: أنه لا يجب التفريق لأنه يمكنه في الأداء على هذا أن يصوم أيام التشريق الثلاثة ويصل بعدها صوم السبعة، والثاني: لا بد من التفريق بيوم لأن الغالب أنه يفطر يوم الرجوع إلى مكة، وأيضاً فإن الثلاثة تنفصل في الأداء عن السبعة بحالتين متغايرتين لو فرغ أحدهما في الحج والآخر بعده، فينبغي أن يقيم في القضاء مقام ذلك التفريق بإفطار يوم.

وأما السبعة فقد أشار إليه المصنف بقوله: (وسبعة إذا رجع إلى الموطن) لقوله تعالى: ﴿وسبعة إذا رجعتم﴾ وما المراد من الرجوع أصحهما وهو نصه في المختصر وحرملة: إن المراد منه الرجوع إلى الأهل والوطن، والثاني أن المراد منه الفراغ من الحج، وبهذا قال أبو حنيفة وأحمد لأن قوله: ﴿وسبعة إذا رجعتم﴾ [البقرة: ١٩٦] مسبوق بقوله ثلاثة أيام في الحج فيصرف إليه، وكأنه بالفراغ رجع عما كان مقبلاً عليه من الأعمال، فإن قلنا بالأول فلو توطن بمكة بعد فراغه من الحج صام بها، وإن لم يتوطنها لم يجز صومه بها، وهل يجوز في الطريق إذا

---

(١) بياض بالأصل.

العشرة تتابعاً أو متفرقاً وبدل دم القران والتمتع سواء، والأفضل الإفراد ثم التمتع ثم القران.

توجه إلى وطنه؟ وروى الصيدلاني وغيره فيه وجهين أحدهما: نعم لأن ابتداء السير أول الرجوع وأصحهما لا، وبهذا قطع العراقيون تفريعاً على القول الأصح وجعلوا الوجه قولاً برأسه حملاً للرجوع في الآية على الانصراف من مكة والوجه ما فعلوه، فإنا إذا جوّزنا الصوم في الطريق فقد تركنا التوقيت بالعود الى الوطن، وإذا فرعنا على أن المراد من الحج الانصراف من مكة فلو أخره حتى رجع إلى وطنه جاز، وهل هو أفضل أم التقديم أفضل مبادرة إلى العبادة؟ حكى العراقيون فيه قولين أصحهما وبه قال مالك: ان التأخير أفضل تحرزاً عن الخلاف، وسواء قلنا ان الرجوع هو الرجوع إلى الوطن أو الفراغ من الحج، فلو أراد أن يوقع بعض الأيام السبعة في أيام التشريق لم يجز، وإن حكمنا بأنها قابلة للصوم. أما على القول الأول فظاهر، وأما على الثاني فلأنه بعد في أشغال الحج، وإن حصل التحلل. ونقل بعضهم عن الشافعي أن المراد من الرجوع هو الرجوع من منى إلى مكة والإمام والمصنف عدا هذا قولاً وراء قول الرجوع الى الوطن، وقول الفراغ من الحج واحد، وبأن الغرض منه بأن ما يتنزل عليه لفظ الرجوع في الآية وهـذا الأشبه. وبتقدير أن يكون قولاً برأسه فعلى ذلك القول لو رجع من منى إلى مكة صح صومه وإن تأخر طوافه للوداع.

(وإن لم يصم الثلاثة) في الحج **(حتى)** فرغ و **(رجع إلى الوطن صام العشرة)** أي لزمه صوم العشرة **(متتابعة أو متفرقة)**، وإذا قلنا بالمذهب فهل يجب التفريق في القضاء بين الثلاثة والسبعة؟ فيه قولان في رواية الحناطي والشيخ أبي محمد، ووجهان في رواية غيرهما أحدهما، وبه قال أحمد انه لا يجب، لأن التفريق في الأداء يتعلق بالوقت فلا يقع حكمه في القضاء. هذا أصح عند الإمام، والثاني: وهو الأصح عند الأكثرين أنه يجب التفريق كما في الأداء على هذا هل يجب التفريق بمثل ما يجب التفريق في الأداء؟ فيه قولان. أحدهما: لا بل يكفي التفريق بيوم لأن المقصود انفصال أحد قسمي الصوم عن الآخر، وهذا حاصل باليوم الواحد، وحكى هذا عن نصه في الإملاء وأصحهما أنه يجب التفريق في القضاء بمقدار ما يقع به التفريق في الأداء ليتم الأداء وقد تقدم ما فيه، **(وبدل دم القران والتمتع سواء)** كما أن صفة دمهما سواء، **(والأفضل الإفراد ثم التمتع ثم القران)**.

قال الرافعي: وأما الأفضل فإن قول الشافعي رحمه الله لا يختلف في تأخير القران عن الإفراد والتمتع، لأن أفعال النسكين فيهما أكمل منها في القران، وقال أبو حنيفة القران أفضل منهما.

ويحكى ذلك عن اختيار المزني وابن المنذر وأبي إسحاق المروزي لما روي عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يصرخ بهما صراخاً يقول «لبيك بحجة وعمرة» ولكن هذه رواية معارضة بروايات أخر راجحة على ما سيأتي، واختلف قوله في الإفراد والتمتع أيهما

....

أفضل؟ قال في اختلاف الحديث التمتع أفضل، وبه قال أحمد وأبو حنيفة لما روي أن النبي ﷺ قال «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولجعلتها عمرة» وجه الاستدلال أنه ﷺ تمنى تقديم العمرة، ولولا أنه أفضل لما تمنى، وقال في عامة كتبه: الإفراد أفضل وهو الأصح، وبه قال مالك لما روي عن جابر «أن النبي ﷺ أفرد» وروي مثله عن ابن عباس وعائشة، ورجح الشافعي رواية جابر على رواية رواة القران والتمتع فإن جابراً أقدم صحبة وأشد عناية بضبط المناسك وأفعال النبي ﷺ من لدن خروجه من المدينة إلى أن تحلل.

وأما قوله «لو استقبلت من أمري ما استدبرت» الخ فإنما ذكره تطييباً لقلوب أصحابه واعتذاراً لهم، وتمام الخبر ما روي عن جابر «أن النبي ﷺ أحرم إحراماً مبهماً» وكان ينتظر الوحي في اختيار الوجوه الثلاثة فنزل الوحي بأن من ساق الهدي فليجعله حجاً ومن لم يسق فليجعله عمرة، وكان النبي ﷺ وطلحة قد ساقا الهدي دون غيرهما فأمرهم أن يجعلوا إحرامهم عمرة ويتمتعوا، وجعل النبي ﷺ إحرامه حجاً فشق عليهم ذلك، ولأنهم كانوا يعتقدون من قبل أن العمرة في أشهر الحج من أكبر الكبائر، فالنبي ﷺ قال ذلك وأظهر الرغبة في موافقتهم لو لم يسق الهدي، فإن الموافقة الجالبة للقلوب أهم بالتحصيل من فضيلة ومزية، واتفق الأصحاب على القولين على أن النبي ﷺ كان مفرداً عام حجة الوداع، وحكى الإمام عن ابن سريج أنه كان متمتعاً، ونقل عن بعض التصانيف شيئاً آخر في الفصل واستبعده، وهو أن الإفراد مقدم على القران والتمتع جزماً، والقولان في التمتع والقران أيهما أفضل، واعلم أن تقديم الإفراد على التمتع والقران مشروط بأن يعتمر في تلك السنة، أما لو أخر فكل واحد من التمتع والقران أفضل منه لأن تأخير العمرة عن سنة الحج مكروه.

فصل

وحاصل ما قاله أصحابنا: أن المحرمين أربعة: مفرد بالحج ومفرد بالعمرة، وقارن بينهما في عام واحد بإحرام واحد، ومتمتع أي جامع بينهما في عام بإحرامين، والقران أفضل من التمتع والإفراد والتمتع أفضل من الإفراد، والإفراد بالحج أفضل من الإفراد بالعمرة، وهذا ظاهر الرواية. وروى الحسن عن أبي حنيفة أن الإفراد أفضل من التمتع، وقال مالك والشافعي: الإفراد أفضل ثم التمتع ثم القران، وقال أحمد: التمتع أفضل ثم الإفراد، ومنشأ الخلاف اختلاف روايات الصحابة في صفة حجه ﷺ هل كان قارناً أم مفرداً أو متمتعاً؟ ورجح أئمتنا أنه كان قارناً إذ بتقديره يمكن الجمع بين الروايات.

فمن أدلة القران ما في الصحيحين من حديث عمر واللفظ للبخاري قال: سمعت رسول الله ﷺ بوادي العقيق يقول «أتاني الليلة آت من عند ربي عز وجل فقال: صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة».

وعندهما من حديث أنس: سمعت رسول الله ﷺ يلبي بالحج والعمرة جميعاً، وفي لفظ

....

« لبيك عمرة وحجاً » وعند ابن ماجه من حديث أبي طلحة أنه قال: « قرن النبي ﷺ في حجة الوداع » وعند أحمد وأصحاب السنن عن السري بن معبد أنه قال « أحللت بهما معاً » فقال عمر: هديت لسنة نبيك. وعند النسائي من حديث علي برواة موثقين « أنه جمع بين الحج والعمرة طاف طوافين وسعى سعيين » وحدث أن رسول الله ﷺ فعل ذلك، ومما جمعوا به بين الروايات أن هذا الاختلاف مبني على اختلاف السماع، فإن بعضهم سمع أنه يلبي بالحج وحده، فروى أنه كان مفرداً، وأن بعضهم سمع أنه يلبي بالعمرة وحدها فروى أنه كان متمتعاً، وأن بعضهم سمع أنه يلبي بهما معاً فروي أنه كان قارناً، ومحل الاختلاف بيننا وبين الشافعي إنما هو إفراد كل نسك بإحرام في سنة واحدة أفضل أو الجمع بينهما بإحرام واحد أفضل؟ ولم يقل أحد بتفضيل الحج وحده على القران، وما روي عن محمد أنه قال: حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل عندي من القران فليس بموافق لمذهب الشافعي في تفضيل الإفراد، فإنه يفضل الإفراد سواء أتى بنسكين في سفرة واحدة أو سفرتين، ومحمد: إنما الأفضل الإفراد إذا اشتمل على سفرتين، ومما استدل به على أفضلية القران غير ما ذكر ما رواه ابن أبي شيبة والطحاوي من حديث أم سلمة رفعته « أهلوا يا آل محمد بعمرة في حجة » ولأن فيه جمعاً بين العبادتين فأشبه الصوم والاعتكاف والحراسة في سبيل الله وصلاة الليل، وعلى أفضلية التمتع على الإفراد لأن فيه جمعاً بين العادتين فأشبه القران، والله أعلم.

فصل

في اعتبار المحرمين:

فالقارن من قرن بين صفات الربوبية وصفات العبودية في عمل من الأعمال كالصوم، أو من قرن بين العبد والحق في أمر بحكم الاشتراك فيه على التساوي بأن يكون لكل واحد من ذلك الأمر حظ مثل ما للآخر، كانقسام الصلاة بين الله وعبده، فهذا أيضاً قران، وأما الإفراد فهو مثل قوله: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ [آل عمران: ١٢٨] ومثل قوله ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقوله تعالى ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ [هود: ١٢٣] وما جاء من مثل هذا مما انفرد به عبد دون رب أو انفرد به رب دون عبد. قوله تعالى ﴿أنتم الفقراء إلى الله﴾ [فاطر: ١٥] وقال لأبي يزيد تقرب إلي بما ليس لي الذلة والافتقار، فهذا معنى القران والإفراد.

واعلم أن أشهر الحج حضرة إلهية انفردت بهذا الحكم فأي عبد اتصف بصفة سيادة من تخلق إلهي، ثم عاد إلى صفة حق عبودية، ثم رجع إلى صفة سيادية في حضرة واحدة فذلك هو المتمتع، فإن دخل في صفة عبودية بصفة ربانية في حال اتصافه بذلك فهو القادر وهو متمتع، ومعنى التمتع أنه يلزمه حكم الهدي، فإن كان له هدي وهو بهذه الحالة من الإفراد أو القران فذلك

....

الهدي كاف ولا يلزمه هدي ولا ينسخ جملة واحدة، وإن أفرد الحج ومعه فلا فسخ «فإلى» هنا بمعنى «مع» ولهذا يدخل القارن فيه لقوله تعالى ﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج﴾ [البقرة: ١٩٦] أي مع الحج فيعم المفرد والقارن بالدلالة، فإن العمرة الزيارة فإذا قصدت على التكرار وأقل التكرار مرة ثانية كانت الزيارة حجاً، فدخلت العمرة في الحج أي يحرم بها في الوقت الذي يحرم بالحج، فإذا أحل المتمتع لأداء حق نفسه ثم ينشئ الحج، فقد يكون تمتعه بصفة ربانية، ولا سيا إن كان ممن جعله الله نوراً، أو كان الحق سمعه وبصره فلا يتصرف فيما يتصرف فيه إلا بصفة ربانية، والصفات الإلهية على قسمين: صفة إلهية تقتضي التنزيه كالكبير والعالي، وصفة إلهية تقتضي التشبيه كالمتكبر والمتعالي، وما وصف الحق به نفسه مما يتصف به العبد فمن جعل ذلك نزولاً من الحق إلينا جعل ذلك صفة للعبد، ومن جعل ذلك صفة للحق إلهية لا نعقل نسبتها إليه لجهلنا به كان العبد في اتصافه بها يوصف بصفة ربانية في حال عبوديته، ويكون جميع صفات العبد التي نقول فيها لا تقتضي التنزيه هي صفات الحق تعالى لا غيرها، غير أنها لما تلبس بها العبد انطلق عليها لسان استحقاق للعبد، والأمر على خلاف ذلك. وهذا الذي يرتضيه المحققون من أهل الطريق وهو قريب إلى الأفهام إذا وقع الإنصاف.

واعلم أن المحرم لا يحرم كما أن الموجود لا يوجد، وقد أحرم المردف قبل أن يردف، ثم أردف على إحرام العمرة المتقدم وأجزأه بلا خلاف، والإحرام ركن في كل من العملين وبالاتفاق جوازه فيترجح من يقول يطوف لهما طوافاً واحداً وسعياً واحداً وحلاقاً واحداً أو تقصيراً على من لا يقول بذلك، وقد عرفت حكم تداخل الأسماء الإلهية في الحكم وانفراد حكم الإسم الإلهي الذي لا يداخله حكم غيره في حكمه، فمن أفرد قال الأفعال كلها لله والعبد محل ظهورها، ومن قرن قال: الأفعال لله بوجه وتنسب إلى من تظهر فيه بوجه يسمى ذلك كسباً في مذهب قوم وخلقاً في مذهب آخرين، واتفق الكل على أن خلق القدرة المقارنة لظهور الفعل من العبد لله تعالى، وأنها ليست من كسب العبد ولا من خلقه، واختلفوا هل لها أثر في المقدور أم لا؟ فمنهم من قال لها أثر في المقدور ولا يكون مقدورها إلا عنها، وبه صح التكليف وتوجه على العبد إذ لو لم يكن قادراً على الفعل لما كلف ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وهو ما تقدر على الإتيان به، وقال في أن القدرة لله التي في العبد: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾ [الطلاق: ٧] والذي أعطاها إنما هو القدرة التي خلق فيه، ومنهم من قال ليس للقدرة الحادثة أثر خلق في المقدور الموجود من العبد، وليس للعبد في الفعل الصادر منه إلا الكسب، وهو اختياره لذلك إذ لم يكن مضطراً ولا محصوراً فيه، وأما عند أهل الله الذين هم أهله فأعيان الأفعال الظاهرة من أعيان الخلق في أعيان الممكنات ما ظهر من الأفعال، والعطاء بطريق الاستعداد لا يقال فيه انه فعل من أفعال المستعد لا أنه لذاته اقتضاه كما أعطى قيام العلم لمن قام به حكم العالم، وكون العالم عالماً ليس فعلاً بالاقتضاءات الذاتية العلمية ليست أفعالاً منسوبة لمن ظهرت عنه، وإنما هي أحكام له، فأفعال المكلفين فيما كلفوا به من الأفعال

وأما محظورات الحج والعمرة فستة:

الأول: اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة، بل ينبغي أن يلبس إزاراً

والتروك مع علمنا بأن الظاهر الموجود هو الحق لا غيره بمنزلة محاورة الأسماء الإلهية ومجاراتها في مجالس المناظرة وتوجهاتها على المحل الموصوف بصفة ما بأحكام مختلفة، وقهر بعضها لبعض كفاعل الفعل المسمى ذنباً ومعصية يتوجه عليه الإسم العفو والإسم الغفار والإسم المنتقم، فلا بد أن ينفذ فيه أحد أحكام هذه الأسماء، إذ لا يصح أن ينفذ فيه الجميع في وقت واحد لأن المحل لا يقبله للتقابل الذي بين هذه الأحكام، فقد ظهر قهر بعض الأسماء في الحكم لبعض الحضرة الإلهية واحدة، فإذا علمت هذا هان عليك أن تنسب الأفعال كلها لله تعالى، كما تنسب الأسماء الحسنى كلها لله تعالى، أو الرحمن مع أحدية العين واختلاف الحكم، فاعلم ذلك وخذه في جميع ما يسمى فعلاً والله أعلم.

(**وأما محظورات الحج والعمرة فستة**) أي ما يحرم بسبب الإحرام بالحج أو العمرة.

(**الأول: لبس القميص والسراويل والخف والعمامة**) والكلام فيه في الرجل غير المعذور. وقد أشار إلى البدل بقوله: لبس القميص إلى قوله والخف، وأشار إلى الرأس بقوله: والعمامة أي ما سوى الرأس من البدن يجوز للمحرم ستره، ولكن لا يجوز له لبس القميص والسراويل والتبان والخف ونحو ذلك من كل مخيط، فلو لبس شيئاً من ذلك مختاراً لزمته الفدية، سواء طال زمان اللبس أو قصر. وقال أبو حنيفة: إنما تلزم الفدية التامة إذا استدام اللبس يوماً كاملاً، فإن كان أقل فعليه صدقة، قال صاحب الهداية: وكل صدقة غير مقدرة فهي نصف صاع من بر إلا ما يجب بقتل القملة والجرادة، هكذا روي عن أبي يوسف، وإنما قيده بقوله غير مقدرة احترازاً عما إذا كانت مقدرة بنص كما في حلق الرأس واللبس لعذر، فإن الصدقة ثم مقدرة بثلاثة أصوع من الطعام، واستثنى ما يجب بقتل الجرادة والقملة، فإن التصدق فيها غير مقدر بنصف صاع بل بما شاء والله أعلم.

ولو لبس القباء تلزمه الفدية سواء أدخل يده في الكمين أو أخرجهما منهما أم لا، وبه قال مالك وأحمد خلافاً لأبي حنيفة في الحالة الثانية، ولو ألقى على نفسه قباء أو فرجية وهو مضطجع قال الإمام: إن أخذ من بدنه ما إذا قام عن لابسه فعليه الفدية، فإن كان بحيث لو قام أو قعد لم يمسك عليه فلا.

ونقل عن الحاوي: أنه لو كان من أقبية خراسان قصير الذيل ضيق الأكمام وجبت الفدية، وإن لم يدخل اليد في الكم، وإن كان من أقبية العراق طويل الذيل واسع الكم فلا فدية حتى يدخل يديه في كميه، ثم أن قولهم ان المحرم لا يلبس المخيط ترجمة لها جزءان لبس ومخيط، فأما اللبس فهو مرعي في وجوب الفدية على ما يعتاد في كل ملبوس إذ به يحصل الترفه والتنعم، فلو ارتدى بقميص أو قباء أو التحف فيهما أو اتزر بسراويل فلا فدية عليه، كما لو اتزر بإزار خيط

ورداء ونعلين، فإن لم يجد نعلين فمكعبين فإن لم يجد إزاراً فسراويل ولا بأس بالمنطقة

عليه رقاع، وأما المخيط فخصوص الخياطة غير معتبر، بل لا فرق بين المخيط والمنسوج كالدرع والمعقود كجبة اللبد والملزق بعضه ببعض قياساً لغير المخيط على المخيط والمتخذ من القطن والجلد وغيرهما سواء، ويجوز له أن يعقد الإزار ويشد عليه الخيط ليثبت. وأن يجعل له مثل الحجزة ويدخل فيها التكة إحكاماً، وأن يشد طرف إزاره في طرف ردائه ولا يعقد رداءه، وله أن يغرزه في طرف إزاره، ولو اتخذ لردائه شرجاً وعراً، وربط الشرج بالعرا فأصح الوجهين أنه تجب الفدية لأن هذه الإحاطة قريبة من الخياطة.

وقال النووي في زيادات الروضة: المذهب المنصوص أنه لا يجوز عقد الرداء، وكذا لا يجوز يخله بخلال أو مسلة ولا ربط طرفه إلى طرفه بخيط ونحوه والله أعلم.

ولو شق الإزار نصفين ولف كل نصف مع ساق وعقده، فالذي نقله الأصحاب وجوب الفدية لأنه حينئذ كالسراويل، ورأى الإمام أنها لا تجب بمجرد اللف والعقد، وإنما تجب إذا فرضت خياطة أو شرج أو عرا، وأما ساتر الرأس فلا فرق بين أن يستر بمخيط كالقلنسوة أو بغير مخيط كالعمامة والإزار والخرقة وكل ما يعد ساتراً، فإذا ستر لزمته الفدية لأنه باشر محظوراً كما لو حلق ولو توسد بوسادة فلا بأس، وكذا لو توسد بعمامة مكورة لأن المتوسد يعد في العرف حاسر الرأس، كما لو استظل ببناء، وكذا لو انغمس في ماء فاستوى الماء على رأسه.

ثم أشار المصنف إلى ما ينبغي للمحرم لبسه فقال: **(بل ينبغي أن يلبس إزاراً ورداء ونعلين، فإن لم يجد نعلين فمكعبين وإن لم يجد إزاراً فسراويل)** لما في الصحيحين من حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ سئل عما يلبس المحرم من الثياب فقال «لا يلبس القميص ولا السراويلات ولا العمائم ولا البرانس ولا الخفاف إلا أحد لا يجد نعلين فليلبس خفين وليقطعهما أسفل من الكعبين». وفي لفظ آخر «ولا ثوباً مسه ورس ولا زعفران» وزاد البخاري «ولا تنتقب المحرمة ولا تلبس القفازين».

ومن حديث ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب يقول: «السراويل لمن لم يجد الإزار والخفان لمن لم يجد النعلين» يعني المحرم، وفي رواية: يخطب بعرفات.

وعند مسلم وحده عن جابر مرفوعاً «من لم يجد نعلين فليلبس خفين ومن لم يجد إزاراً فليلبس سراويل» وقد علم من ذلك أن لباس المحرم الإزار والرداء والنعلان، فلو لم يجد الرداء لم يجز له لبس القميص بل يرتدي ويتوشح به، ولو لم يجد الإزار ووجد السراويل نظر إن لم يتأت اتخاذ الإزار منه إما لصغر أو لفقد آلات الخياطة أو لخوف التخلف عن القافلة فله لبسه ولا فدية عليه للحديث المذكور.

وقال أبو حنيفة، ومالك: تجب الفدية وإن تأتى اتخاذ إزار منه فلبسه على هيئته، فهل تلزمه الفدية؟ فيه وجهان، أحدهما: نعم كما لو لبس الخف قبل أن يقطعه، والثاني لا لإطلاق الخبر.

....

وفي الخف أمر بالقطع على ما روي من حديث ابن عمر السابق، وبالوجه الأول أجاب الإمام وتابعه المصنف حيث قال في الوجيز: ولو فتقه فلم يتأت إزار فلا فدية، ولكن الأصح عند الأكثرين إنما هو الوجه الثاني، وإذا لبس السراويل لفقد الإزار ثم وجده فعليه النزع، فلو لم يفعل فعليه الفدية، وإذا لم يجد نعلين لبس المكعب أو قطع الخف أسفل من الكعب ولبسه، وهل يجوز لبس الخف المقطوع والمكعب مع وجود النعلين؟ فيه وجهان. أحدهما: نعم لشبهه بالنعل، ألا ترى أنه لا يجوز المسح عليه، وأصحها لا لأن الإذن في الخبر مقيد بشرط أن لا يجد النعلين، وعلى هذا لو لبس الخف المقطوع ثم وجد النعلين نزع الخف، ولو لم يفعل افتدى وإذا جاز لبس الخف المقطوع لم يضر استتار ظهر القدم بما بقي منه لحاجة الاستمساك كما لا يضر استتاره بشراك النعل.

فإن قلت: ما معنى عدم وجدان الإزار والنعل؟ قلنا: المراد منه أن لا يقدر على تحصيله إما لفقده في ذلك الموضع، أو لعدم بذل المالك إياه، أو لعجزه عن الثمن إن باعه، أو الأجرة إن آجره، ولو بيع بغبن أو نسيئة لم يلزم شراؤه، ولو أعير منه وجب قبوله ولم يجب إن وهب ذكر هذه الصورة القاضي ابن كج.

تنبيه:

وقال عطاء: يلبس الخفين ولا يقطعها لأنه فساد والله لا يحب الفساد، ومطلق حديث ابن عباس أن الخفين لمن لم يجد النعلين ولم يذكر قطعها، وبه قال أحمد، والاعتبار في هذه المسألة أن القدم صفة إلهية وصف الحق بها نفسه وليس كمثله شيء، فمن راعى التنزيه وأدركته الغيرة عن الحق في نزوله لما هو من وصف العبد المخلوق قال بلباس الخف غير المقطوع، لأنه أعظم في الستر، ومن راعى ظهور ما أظهره الحق لكون الحق أعرف بنفسه من عبده به ونزه نفسه في مقام آخر لم يرد أن يتحكم على الحق بفعله وقال: الرجوع إليه أولى من الغيرة عليه، فإن الحقيقة تعطي أن يغار له لا عليه، وما شرع لباس الخفين إلا لمن لم يجد النعلين والنعل واق غير ساتر، فقال يقطع الخفين وهو أولى.

وأما اعتبار من لبسها مقطوعين مع وجود النعلين فاعلم أنه لما اجتمع الخف مع النعل في الوقاية من أذى العالم الأسفل وزاد الخف الوقاية من أذى العالم الأعلى من حيثما هما عالم لمشترك الدلالة والدلالة تقبل الشبه، وهو الأذى الذي يتعلق بها، ولهذا معرفة الله بطريق الخبر أعلى من المعرفة به من طريق النظر فإن طريق الخبر في معرفة الله إنما جاء بما هي عليه ذاته تعالى، وطريق الدليل العقلي في معرفة الله تعالى إنما جاء بما ليست عليه ذاته تعالى، فالمعرفة بالدليل العقلي سلبية وبالخبر ثبوتية وسلبية في ثبوت، فلما كان الخبر أكشف لم يرجح جانب الستر فجعل النعل في الإحرام هو الأصل، فإنه ما جاء اتخاذ النعل إلا للزينة والوقاية من الأذى الأرضي، فإذا عدم عدل إلى الخف، فإذا زال اسم الخف بالقطع ولم يلحق بدرجة النعل لستره ظاهر الرجل فهو لا خف ولا

....

نعل فهو مسكوت عنه كمن يمشي حافياً فإنه لا خلاف في صحة إحرامه وهو مسكوت عنه، وكل ما سكت عنه الشرع فهو عافية، وقد جاء الأمر بالقطع فالتحق بالمنطوق عليه بكذا وهو حكم زائد صحيح يعطي ما لا يعطي الإطلاق، فتعين الأخذ به، فإنه ما قطعهما إلا ليلحقهما بدرجة النعل، غير أن فيه ستراً على الرجل ففارق النعل ولم يستر الساق ففارق الخف فهو لا خف ولا نعل وهو قريب من الخف وقريب من النعل، وجعلناه وقاية في الأعلى لوجود المسح على أعلى الخف، فلولا اعتبار أذى في ذلك بوجه ما مسح أعلى الخف بالوضوء، لأن إحداث الطهارة مؤذن بعلة وجودية تريد زوالها بإحداث تلك الطهارة والطهارة التي هي غير حادثة ما لها هذا الحكم، فإنه طاهر الأصل لا عن تطهر، فالإنسان في هذه المسألة إذا كان عارفاً بحسب ما يقام فيه وما يكون مشهده فإن أعطاه شهوده أن يلبس مع وجود النعلين حذراً من أثر العلو في ظاهر قدمه عصم بلباسه قدمه من ذلك الأثر، وإن كان عنده قوة إلهية يدفع بها ذلك الأثر قبل أن ينزل به لبس النعلين ولم يجز له لباس المقطوعين إذ كان الأصل في استعمال ذلك عدم النعلين، فرجح الكشف والإعلان على الستر والإسرار في معرفة الله في الملأ الأعلى وهو علم التنزيه المشروع والمعقول، فإن التنزيه له درجات في العقل، فأدونه تنزيه بتشبيه، وأعلاه تنزيه بغير تشبيه، ولا سبيل لمخلوق إليه إلا برد العلم فيه إلى الله تعالى وبالله التوفيق.

وأما اعتبار الإزار والرداء، فاعلم أنهما لما لم يكونا مخيطين لم يكونا مركبين، فلهذا وصف الحق نفسه بهما لعدم التركيب، إذ كان كل مركب في حكم الانفصال، وهذا سبب قول القائل: بأن صفات المعاني الإلهية ليست بزائدة مخافة التركيب لما في التركيب من النقص، إذ لو فرض انفصال المتصل لم يكن محالاً من وجه انفصاله، وإنما يستحيل ذلك إذا استحال لاتصافه بالقدم والقديم يستحيل ان ينعدم، فإذا فرضنا عدم صفة المعنى التي بوجودها يكون كمال الموصوف كما يفرض المحال ظهر نقص الموصوف وهو كامل بالذات، فاجعل بالك فقال تعالى: إن الكبرياء رداؤه والعظمة إزاره، فذكر ثوبين ليسا بمخيطين، فالمحرم قد تلبس بصفة هي للحق كما تلبس الصائم بصفة هي للحق، ولهذا جعل في قواعد الإسلام مجاوراً له، وإن كان في الحقيقة وجود العظمة والكبرياء إنما محلهما قلب العبد لا الكبير ولا العظيم فهما حال الإنسان لا صفتاه، ولو اتصف بهما هلك، وإذا كانا حالاً له نجا وسعد، فأول درجة هذه العبادة أن الحق المتلبس بها بربه في التنزيه عن الاتصاف بالتركيب فتلبس بالكمال في أول قدم فيها، فالعبد إذا لم يقمه الله في مقام شهود العظمة التي هي الإزار، وأقيم في مقام الإدلال لبس السراويل ستراً للعورة التي هي محل السر الإلهي، وستراً للأذى لأنها محل خروج الأذى أيضاً، فتأكد سترها بما يناسبها وهو السراويل. والسراويل أشد في السترة للعورة من الإزار والقميص وغيره، لأن الميل عن الاستقامة عيب، فينبغي ستر العيب، ولهذا سميت عورة لميلها فإن لها درجة السر في الإيجاد الإلهي، وأنزلها الحق منزلة القلم الإلهي كما أنزل المرآة منزلة اللوح لرقم هذا القلم، فلما مالت عن هذه المرتبة العظمى إلى أن تكون محلاً لوجود الروائح الكريهة الخارجة منها من أذى الغائط

والاستظلال في المحمل، ولكن لا ينبغي أن يغطي رأسه فإن إحرامه في الرأس.

والبول، وجعلت نفسها طريقاً لما تخرجه القوة الدافعة من البدن سميت عورة وسترت، لأنه ميل إلى عيب، فالتحقت بعالم الغيب وانحجبت عن عالم الشهادة فبالسراويل لا تشهد ولا تشهد، فالسراويل أستر في حقها، ولكن رجح الحق الإزار لأنه خلق العبد للتشبيه به لكونه خلقه على صورته والله أعلم.

(ولا بأس بالمنطقة) أي شدها على الوسط، وكذا الهميان لحاجة النفقة ونحوها، وقد روي الترخص فيها عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم.

أما أثر عائشة، فرواه ابن أبي شيبة، والبيهقي من طريق القاسم عنها «أنها سئلت عن الهميان للمحرم فقالت: أوثق نفقتك في حقوك» وروى ابن أبي شيبة نحو ذلك عن سالم وسعيد بن جبير وطاوس وابن المسيب وعطاء وغيرهم.

وأما أثر ابن عباس، فرواه ابن أبي شيبة، والبيهقي من طريق عطاء عنه قال «لا بأس بالهميان للمحرم» ورفعه الطبراني في الكبير وابن عدي من طريق صالح مولى التوأمة عن ابن عباس وهو ضعيف.

قال الرافعي: ونقل عن مالك المنع من شد الهميان والمنطقة ولم يثبت المثبتون في النقل الرواية عنه. وكذا لا بأس بتقليد المصحف والسيف. قدم أصحاب رسول الله ﷺ مكة متقلدين بسيوفهم عام عمرة القضاء، **(و)** كذا **(الاستظلال بالمحمل)** لا بأس به والمظلة في حكم المحمل، ولا فرق بين أن يفعل ذلك لحاجة من دفع حر أو برد أو لغير حاجة، وخص صاحب التتمة نفي الفدية في صورة الاستظلال بما إذا لم يمس المظلة رأسه وحكم بوجوبها إذا كانت تمسه.

قال الرافعي: وهذا التفصيل لم أره لغيره وإن لم يكن منه بدّ فالوجه إلحاقه بوضع الزنبيل على الرأس، والأصح فيه أنه لا فدية كما سيأتي. وعن مالك وأحمد أنه إذا استظل بالمحمل راكباً افتدى، وإن استظل به نازلاً فلا. وروى الإمام الخلاف عن مالك في صورة الانغماس أيضاً، وقول أصحابنا كقول أصحاب الشافعي، والدليل عليه ما رواه مسلم والنسائي وأبو داود من حديث أم الحصين قالت: «حججت مع النبي ﷺ حجة الوداع فرأيت أسامة بن زيد وبلالاً أحدهما آخذ بخطام ناقة النبي ﷺ، والآخر رافع ثوبه ويستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة». وفي رواية: «على رأس رسول الله ﷺ يظله من الشمس». ولو وضع زنبيلاً على رأسه أو حملاً فقد ذكر أن الشافعي رحمه الله حكى عن عطاء أنه لا بأس به، ولم يعترض عليه. وذلك يشعر بأنه ارتضاه فإن من عادته الردّ على المذهب الذي لم يرتضه.

وعن ابن المنذر والشيخ أبي حامد أنه نص في بعض كتبه على وجوب الفدية. الأصحاب من قطع بالأوّل لم يثبت الثاني، ومنهم من أطلق القولين [1] وجه الوجوب، ويروى عن أبي حنيفة أنه

---

(١) بياض في الأصل

وللمرأة أن تلبس كل مخيط بعد أن لا تستر وجهها بما يماسه، فإن إحرامها في وجهها.

غطى رأسه فأشبه ما لو غطاه بشيء آخر، ووجه عدم الوجوب أن مقصوده نقل المتاع لا تغطية الرأس، على أن المحرم وغيره ممنوع من التغطية بما لا يقصد الستر به، ولو طين رأسه ففي وجوب الفدية وجهان. والمذهب الوجوب هذا إذا كان ثخيناً ساتراً، وكذا حكم الحناء والمراهم ونحوهما.

(ولا ينبغي أن يغطي رأسه فإن إحرامه في الرأس) فقد روى الشافعي والبيهقي من حديث إبراهيم بن أبي حرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رفعه: «في المحرم الذي خر من بعيره لا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً»، وإبراهيم مختلف فيه سواء كان الساتر مخيطاً أو غير مخيط، ولا يشترط لوجوب الفدية استيعاب الرأس بالستر، كما لا يشترط في فدية الحلق الاستيعاب، وضبطه أن يكون المستور قدراً يقصد ستره لغرض من الأغراض كشدّ عصابة وإلصاق لصوق لشجة ونحوها ـ هكذا ضبطه المصنف عن الإمام، وقد نقلا وغيرهما أنه لو شدّ خيطاً على رأسه لم يضره ولم تجب الفدية، لأن ذلك لا يمنع من تسميته حاسر الرأس، وهذا ينقض الضابط المذكور لأن ستر المقدار الذي يحويه شد الخيط قد يقصد أيضاً لغرض منع الشعر من الانتثار وغيره، فالوجه النظر إلى تسميته حاسر الرأس ومستور جميع الرأس أو بعضه. وقال أبو حنيفة: لا تكمل الفدية إلا إذا ستر ربع الرأس فصاعداً، فإن ستر أقل من ذلك فعليه صدقة. وقال النووي في زيادات الروضة: تجب الفدية بتغطية البياض الذي وراء الأذن قاله الروياني وغيره، وهو ظاهر. ولو غطى رأسه بكف غيره. فالمذهب أن لا فدية ككف نفسه. وفي الحاوي والبحر: وجهان لجواز السجود على كف غيره، والله أعلم.

(وللمرأة أن تلبس كل مخيط) من القميص والسراويل والخف **(بعد أن لا تستر وجهها بما يماسه فإن إحرامها في وجهها)**. أي أن الوجه في حق المرأة كالرأس في حق الرجل، ويعبر عن ذلك بأن إحرام الرجل في رأسه، وإحرام المرأة في وجهها، والأصل في ذلك ما روى البخاري من حديث نافع عن ابن عمر مرفوعاً: «لا تنتقب المرأة ولا تلبس القفازين» ونقل البيهقي عن الحاكم عن أبي علي الحافظ: أن لا تنتقب المرأة من قول ابن عمر أدرج في الخبر. وقال صاحب الإمام: هذا يحتاج إلى دليل، وقد حكى ابن المنذر أيضاً الخلاف هل هو من قول ابن عمر أو من حديثه؟ وقد رواه مالك في الموطأ عن نافع عن ابن عمر موقوفاً، وله طرق في البخاري موصولة ومعلقة، ثم ان قوله: «فإن إحرامها في وجهها» هو لفظ حديث أخرجه البيهقي في المعرفة عن ابن عمر قال: «إحرام المرأة في وجهها وإحرام الرجل في رأسه».

وأخرج الدارقطني والطبراني والعقيلي وابن عدي من حديثه بلفظ: «ليس على المرأة إحرام إلا في وجهها» وإسناده ضعيف. وقال العقيلي: لا يتابع على رفعه إنما يروى موقوفاً. وقال الدارقطني في العلل: الصواب وقفه. وليس للرجل لبس القفازين كما ليس له لبس الخفين، وهل للمرأة؟ فيه قولان أحدهما لا يجوز قاله في الأم والإملاء، وبه قال مالك وأحمد. والثاني: وهو منقول المزني نعم، وبه قال أبو حنيفة. وفي الوجيز أنه أصح القولين، لكن أكثر النقلة على ترجيح القول الأول،

....

منهم صاحب التهذيب والقاضي الروياني، فإن جوّزنا لها لبسها فلا فدية إذا لبست، وإلاّ وجبت الفدية، ولو اختضبت بالحناء والقت على يدها خرقة فوقها أو ألقتها على اليد من غير حناء، فعن الشيخ أبي حامد أنها إن لم تشد الخرقة فلا فدية وإن شدت فعلى قولي القفازين، ورتب الأكثرون فقالوا: إن قلنا لها لبس القفازين فلا فدية عليها، وإن منعنا ففي وجوب الفدية هنا قولان أحدهما: يجب، ويروى هذا عن الأم، والثاني: لا يجب ويروى عن الإملاء، والقولان على ما ذكر القاضي أبو الطيب، وغيره مبنيان على المعنى المحرم لبس القفازين فيه قولان مستخرجان أحدهما: أن المحرم تعلق الإحرام بيدها كتعلقه بوجهها لأن كل واحد منها ليس بعورة، وإنما جاز الستر بالكمين للضرورة، فعلى هذا تجب الفدية في صورة الخرقة، والثاني: أن المحرم كون القفازين ملبوسين معمولين لما ليس بعورة من الأعضاء فألحقنا بالخفين في حق الرجل، فعلى هذا لا فدية في الخرقة، وهذا أصح القولين.

وإذا أوجبنا الفدية تعليلاً بالمعنى الأول فهل تجب الفدية بمجرد الحناء؟ فيه ما سبق من القولين في الرجل إذا خضب رأسه بالحناء، ولو اتخذ الرجل لساعده أو لعضو آخر شيئاً مخيطاً أو للحية خريطة يقلبها إذا اختضب، فهل يلتحق بالقفازين؟ فيه تردد عن الشيخ أبي محمد، والأصح الالتحاق، وبه أجاب كثيرون، ووجه المنع أن المقصود اجتناب الملابس المعتادة، وهذا ليس بمعتاد والله أعلم.

تنبيه:

وإذا ستر الخنثى المشكل رأسه أو وجهه فلا فدية لاحتمال أنه امرأة في الصورة الأولى ورجل في الثانية. وإن سترهما معاً وجبت قاله الرافعي.

قلت: ليس في هذا الكلام تعرض للمقدار الذي يجب عليه ستره. وقال القاضي أبو الطيب في التعليق: لا خلاف إنا نأمره بالتستر ولبس المخيط، كما نأمره في صلاته أن يستتر كالمرأة. قال: والأصل فيه عدم الفدية على الأصح، لأن الأصل براءة ذمته، وقيل: تلزمه للاحتياط وفي البيان عن العجلي أنه يمنع من كشف الرأس والوجه، والله أعلم.

فصل

في المسارعة إلى البيان عند الحاجة واعتبار احتزام المحرم:

أخرج أبو داود عن صالح بن حسان أن النبي ﷺ رأى رجلاً محرماً محتزماً بحبل ابرق فقال: «يا صاحب الحبل ألقه» فيحتجون بمثل هذا الحديث أن المحرم لا يحتزم، والنبي ﷺ ما قال: «ألقه» لأنك محرم فما علل الإلقاء بشيء، فيحتمل أن يكون لكونه محرماً، ويحتمل أن يكون لأمر آخر، وهو أن يكون ذلك الحبل إما مغصوباً عنده، وإما للتشبيه بالزنار الذي جعل علامة للنصارى.

....

فاعلم أن الاحتزام مأخوذ من الحزم وهو الاجتهاد في الأخذ بالأمور التي يكون في الأخذ بها حصول السعادة للإنسان ومرضاة الرب إذا كان الحزم على الوجه المشروع، والحبل إذا كان حبل الله وهو السبب الموصل إلى ادراك السعادة، فإن كان ذلك المحتزم احتزم بحبل الله معلماً بأخذ الشدائد والأمور المهمة، وقال له: « ألقه »، فإنما ذلك مثل قوله: « من يشادّ هذا الدين يغلبه » « وإن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » وكان كثيراً ما يأمر النبي ﷺ بالرفق وقال: « إن الله يحب الرفق في الأمر كله » والحزم ضد الرفق فإن الحزم سوء الظن، وقد نهينا عن سوء الظن والأمر أيسر مما يتخيله الحازم وهو يناقض المعرفة، فإنه لا يؤثر في القدر الكائن والأمر الشديد إذا تقسم على الجماعة هان هذا اعتباره الذي يحتاج إليه، ولا سيما المحرم فإنه محجور عليه فزاد بالحبل احتجاراً على احتجار فكأنه قال له: يكفيك ما أنت عليه من الاحتجار فلا تزد فما كان أرفقه بأمته ﷺ، وإنما رخص رسول الله ﷺ في الهميان للمحرم، لأن نفقته فيه الذي أمره الله أن يتزوّد بها إذا أراد الحج فقال: ﴿وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى﴾ [البقرة: ١٩٧] فالتقوى هنا ما يتخذه الحاج من الزاد ليقي به وجهه من السؤال ويتفرغ لعبادة ربه هذا هو التقوى المعروف، ولهذا ألحقه بقوله عقيب ذلك ﴿واتّقون يا أولي الألباب﴾ [البقرة: ١٩٧] فأوصاه أيضاً مع تقوى الزاد بالتقوى فيه، وهو أن لا يكون إلا من وجه طيب، ولما كان الهميان محلاً له وظرفاً ووعاء وهو مأمور به في الاستصحاب رخص له في الاحتزام به، فإنه من الحزم أن تكون نفقة الرجل صحبته، فإن ذلك أبعد من الآفات التي يمكن أن تطرأ عليه فتتلفه.

ذكر ابن عدي الجرجاني من حديث ابن عباس قال: « رخص رسول الله ﷺ في الهميان للمحرم » وإن كان هذا الحديث لا يصح عند أهل الحديث وهو صحيح عند أهل الكشف.

فصل

في اعتبار إحرام المرأة في وجهها:

هو رجوع إلى الأصل فإن الأصل أن لا حجاب ولا ستر، والأصل ثبوت المعنى لا وجودها، ولم تزل بهذا النعت موصوفة وبقبولها لسماع الكلام إذا خوطبت صفوته فهي مستعدة لقبول نعت الوجود مسارعة لمشاهدة المعبود، فلما قال لها كن فكانت فبانت لنفسها وما بانت. فوجدت غير محجور عليها في صورة موجدها ذليلة في عين مشهدها لا تدري ما الحجاب ولا تعرفه، فلما بانت للأعيان وآثرت الطبيعة الشح في الحيوان ووفره في حقيقة الإنسان لما ركبه الله عليه في نشأته من وفور العقل وتحكيم القوى الروحانية والحسية منه انجرت الغيرة المصاحبة للشح والوهم أقوى فيه مما سواه، والعقل ليس بينه وبين الغيرة مناسبة في الحقيقة، ولهذا خلقه الله في الإنسان لدفع سلطان الشهوة والهوى الموجبين لحكم الغيرة فيه، فإن الغيرة من مشاهدة الغير المماثل المزاحم له فيما يروم تحصيله أو هو حاصل له من الأمور التي إذا ظفر به واحد لم يكن عند غيره وهو مجبول على الحرص، والطمع أن يكون كل شيء له وتحت حكمه لإظهار حكم سلطان الصورة التي خلق

الثاني: الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيباً، فإن تطيب أو لبس فعليه دم شاة.

عليها، وللغيرة موطن مخصوص شرعه له لا يتعداه فكل غيرة تتعدى ذلك الحد فهي خارجة عن حكم العقل منبعثة عن شح الطبيعة وحكم الهوى، فمن غار الغيرة الإيمانية في زعمه، فحكمه أن لا يظهر منه ولا يقوم به ذلك الأمر الذي غار عليه حين رآه في غيره، فإن قام به فما تلك غيرة الإيمان، وذلك من شح الطبيعة فوقاه الله منه فليس بمفلح في غيرته. وما أكثر وقوع هذا من المحجوبين حين غلبت أهواؤهم، والله أعلم.

الثاني: من المحظورات **(الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيباً فإن تطيب أو لبس)** شيئاً مسّه طيب **(فعليه دم شاة)** الكلام على هذا الفصل مما تتعلق به الفدية في ثلاثة أمور: الطيب والاستعمال والقصد.

أما الطيب فالمعتبر فيه أن يكون معظم الغرض التطيب واتخاذ الطيب فيه أو يظهر منه الغرض كالمسك والعود والعنبر والكافور والصندل، ثم ما له رائحة طيبة من نبات الأرض أنواع: منها ما يطلب للطيب واتخاذ الطيب منه كالورد والياسمين والخيزي وكذا الزعفران، وإن كان يطلب للصبغ والتداوي أيضاً كالورس وهو كما يقال أشهر طيب بلاد اليمن، ومنها ما يطلب للأكل والتداوي به غالباً فلا تتعلق به الفدية كالقرنفل والدارصيني والسنبل وسائر الأبازير الطيبة، وكذا السفرجل والتفاح والبطيخ والأترج والنارنج. ومنها ما يتطيب به ولا يتخذ منه الطيب كالنرجس والريحان الفارسي والمرزنجوش ونحوها ففيه قولان: القديم انه تتعلق به الفدية لأن هذه الأشياء لا تبقى لها رائحة إذا جفت، وقد روي أن عثمان رضي الله عنه سئل عن المحرم هل يدخل البستان؟ قال: نعم. ويشم الريحان. رويناه في مسلسلات ابن ناصر الدين الدمشقي من طريق الطبراني وهو في المعجم الصغير بسنده إلى جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران عن أبان بن عثمان عن عثمان. وأورده المنذري في تخريج أحاديث المهذب مسنداً أيضاً. وقال النووي في شرح المهذب: انه غريب يعني أنه لم يقف على إسناده، والجديد التعلق لظهور قصد التطيب فيها كالورد والزعفران، وأما البنفسج فأصح الطرق فيه أنه طيب كالورد والياسمين، وأما ما نقلوا عن نصه أنه ليس بطيب فإنهم حملوه على الجاف منه أو على بنفسج الشام والعراق والمري بالكسر المستهلك فيه، وفي اللينوفر قولا النرجس والريحان. ومنهم من قطع بأنه طيب. ومنها ما ينبت بنفسه ولا يستنبت كالشيح والقيصوم والشقائق فلا تتعلق بها الفدية أيضاً وكذا العصفر وبه قال أحمد. وقال أبو حنيفة: تتعلق به الفدية والحناء ليس بطيب، وقال أبو حنيفة هو طيب، وفي دهن الورد وجهان أصحها أنه تتعلق به الفدية، وفي دهن البنفسج وجهان. أظهرهما: أنه ليس بطيب، وأما اللبان ودهنه فنقل الإمام عن النص أنهما ليسا بطيب، وأطلق الأكثرون القول بأن كلاً منهما طيب، وفي كون دهن الأترج طيباً وجهان. حكاهما الماوردي والروياني، وقطع الروياني بأنه طيب.

الأمر الثاني: الاستعمال وهو إلصاق الطيب بالبدن على الوجه المعتاد من ذلك الطيب، فلو

....

طيب جزءاً من بدنه بغالية أو مسك مسحوق أو ماء ورد لزمته الفدية، وعن أبي حنيفة أن الفدية التامة إنما تلزم إذا طيب عضواً أو ربع عضو، فإن طيب أقل منه لم تلزمه، ولا فرق بين أن يتفق الإلصاق بظاهر البدن أو داخله كما لو أكله أو احتقن به أو تسعط به، وقيل: لا فدية في الحقنة والسعوط، ولو جلس في حانوت عطار أو عند الكعبة وهي تجمر أو في بيت تجمر ساكنوه فعبق به الريح دون العين فلا فدية، لأن ذلك لا يسمى متطيباً، ثم إن قصد الموضع لا لاشتمام الرائحة لم يكره، وإلاّ كره على الأصح. وعن القاضي الحسين أن الكراهة ثابتة لا محالة، والخلاف في وجوب الفدية. ولو احتوى على مجمرة فتبخر بالعود بدنه وثيابه لزمته الفدية لأن هذا هو طريق التطيب، وعن أبي حنيفة أنه لا فدية عليه، ولو مسّ طيباً ولم يعلق ببدنه شيء من عينه، ولكن عبقت به الرائحة فهل تلزمه الفدية؟ فيه قولان أحدهما: لا وهو منقول المزني، والثاني نعم. وهو المروي عن الإملاء. وذكر صاحب العدة أن هذا أصح القولين، وكلام الأكثرين يميل إلى الأول، ولو شد المسك أو العنبر أو الكافور في طرف ثوبه أو جيبه وجبت الفدية، وفي العود لا، وإن حمل مسكاً في فارة غير مشقوقة فوجهان. أصحهما وبه قال القفال انه تجب، وأصحهما وبه قال الشيخ أبو حامد لا. ولو جلس على فراش مطيب ونام عليه مفضياً ببدنه أو ملبوسه إليها لزمته الفدية فلو فرش فوقه ثوباً. ثم جلس عليه أو نام لم تجب، ولو داس بنعله طيباً لزمته الفدية لأنها ملبوسة له.

الأمر الثالث: كون الاستعمال عن قصد، فلو تطيب ناسياً لإحرامه أو جاهلاً بتحريم الطيب لم تلزمه الفدية، وعند مالك وأبي حنيفة والمزني تجب الفدية على الناسي والجاهل، وعن أحمد روايتان. وإن علم بتحريم الاستعمال وجهل وجوب الفدية لزمته الفدية، ولو علم تحريم الطيب وجهل كون الممسوس طيباً فجواب الأكثرين أنه لا فدية. وحكى الإمام وجهاً آخر أنها تجب. ولو مس رطباً وهو يظن أنه يابس لا يعلق به شيء منه ففي وجوب الفدية قولان. أحدهما: انها تجب، والثاني: لا. وبالقول الأول أجاب صاحب الكتاب ورجحه الإمام وقطع به في الشامل، ولكن طائفة من الأصحاب رجحوا الثاني. وذكر صاحب التقريب أنه القول الجديد، ومتى لصق الطيب ببدنه أو ثوبه على وجه لا يوجب الفدية، وإن كان ناسياً أو ألقته الريح عليه، فعليه أن يبادر إلى غسله أو معالجته بما يقطع رائحته، والأولى أن يأمر غيره به، وإن باشره بنفسه لم يضره لأن قصده الإزالة فإن توانى فيه ولم يزله مع الإمكان فعليه الفدية فإن كان زمناً لا يقدر على الإزالة فلا فدية عليه كما لو أكره على الطيب. قاله في التهذيب.

فصل

وأما اعتبار الطيب للمحرم، فاعلم أن رائحة الطيب يستلذ بها صاحب الطبع السليم، ولا تستخبثها نفسه وهو الثناء على العبد بالنعوت الإلهية الذي هو التخلق بالأسماء الحسنى لا بمطلق الأسماء وهو في هذه العبادة الأغلب عليه مقام العبودية لما فيها من التحجر، ومن الأفعال التي يجهل حكمتها النظر العقلي فكأنها مجرد عبادة فلا تقوم إلا بأوصاف العبودية، فالمحرم في حالة إحرامه

الثالث: الحلق والقلم وفيها الفدية أعني دم شاة. ولا بأس بالكحل ودخول الحمّام.

تحت قهر اسم العبودية فليس له أن يحدث طيباً أي ثناء إلهياً فيزيل عنه حكم ما يعطيه الاسم الحاكم لتلك العبادة، فإنها لا تتصوّر عبادة إلا بحكم هذا الإسم، فإذا زال لم يكن ثم من يقيمها إلا النائب الذي هو الفدية لا غير، والله أعلم.

الثالث: من المحظورات **(الحلق والقلم وفيها الفدية أعني دم شاة)**. اعلم أن حلق الشعر قبل أوان التحلل محظور، فإن الله تعالى قال: ﴿ولا تحلقوا رؤوسكم﴾ [البقرة: ١٩٦] الآية. وأوجب الفدية على المعذور والحلق حيث قال: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذًى من رأسه﴾ [البقرة: ١٩٦] الآية. وإذا وجبت الفدية على المعذور فعلى غير المعذور أولى، ولا فرق بين شعر الرأس والبدن. أما شعر الرأس فمنصوص عليه وأما غيره فالتنظيف والترفه في إزالته أكثر. وذكر المحاملي أن في رواية عن مالك لا تتعلق الفدية بشعر البدن والتقصير كالحلق، كما أنه في معناه عند التحلل وقلم الاظفار كحلق الشعر، فإنها تراد للتنظيف والترفه، وليس الحكم في الشعر منوطاً بخصوص الحلق بل بالإزالة والإبانة فيلحق به النتف والإحراق وغيرهما، وكذلك يلحق بالقلم الكسر والقلع فلو كشط جلدة الرأس فلا فدية عليه، ولو امتشط لحيته فانتتفت شعرات فعليه الفدية وإن شك في أنه كان منسلاً فانفصل أو انتتف بالمشط، فقد حكى الإمام والمصنف في وجوب الفدية قولين، وقال الأكثرون فيه وجهان أحدهما: تجب لأن الأصل بقاؤه نابتاً إلى وقت الامتشاط، وأصحها أنه لا تجب لأن النتف لا يتحقق، والأصل براءة الذمة عن الفدية.

فصل

ولا يعتبر في وجوبها حلق جميع الرأس ولا قلم جميع الأظفار بالإجماع، ولكن يكمل الدم في حلق ثلاث شعرات وقلم ثلاث أظفار من أظفار اليد والرجل، سواء كانت من طرف واحد أو طرفين خلافاً لأبي حنيفة حيث قال: لا يكمل بحلق ثلاث شعرات، وإنما يكمل إذا حلق من رأسه القدر الذي يحصل به إماطة الأذى، ولأحمد حيث قدر في رواية بأربع شعرات، والرواية الثانية مثل قول الشافعي.

قال الرافعي لنا: ان المفسرين ذكروا في قوله تعالى: ﴿أو به أذى من رأسه ففدية من صيام﴾ أن المعنى فحلق ففدية، ومن حلق ثلاث شعرات فقد حلق.

قلت: وهذا الاستدلال ناقص لأنه جمع مضاف فيفيد العموم، فينبغي تتميم الاستدلال بأن يقال الاستيعاب متروك بالإجماع فحملناه على أقل الجمع والله أعلم.

وإن اقتصر على شعرة أو شعرتين ففيه أقوال أظهرها: ان في شعرة مداً من طعام، وفي شعرتين مدين لأن تبعيض الدم عسير والشرع قد عدل الجبران بالطعام في جزاء الصيد وغيره، والشعرة الواحدة هي النهاية في القلة، والمد أقل ما وجب في الكفارات فقوبلت به. والثاني: في شعرة درهم وفي شعرتين درهمان، ويحكى ذلك عن مذهب عطاء. والثالث: رواه الحميدي عن الشافعي في شعرة

ثلث دم وفي شعرتين ثلثا دم، وهناك قول رابع حكاه صاحب التقريب ان الشعرة الواحدة تقابل بدم كامل وهو اختيار الاستاذ أبي طاهر، وأما أبو حنيفة فلا يوجب فيما دون الربع شيئاً مقدراً، وإنما يوجب صدقة. ثم ان الخلاف في الشعرة والشعرتين جار في الظفر والظفرين، ولو قلّم دون القدر المعتاد كان كما لو قصر الشعر، ولو أخذ من بعض جوانب ولم يأتِ على رأس الظفر كله فقد قال الأئمة إن قلنا يجب في الظفر الواحد ثلث دم أو درهم، فالواجب فيه ما يقتضيه الحساب، وإن قلنا يجب فيه مدّ فلا سبيل إلى تبعيضه.

فصل

وإذا حلق شعر غيره، فإما أن يكون الحالق حراماً والمحلوق حلالاً أو بالعكس، أو يكونا حرامين أو حلالين. أما الحالة الأخيرة فلا يخفى حكمها، وأما إذا كان الحالق حراماً والمحلوق حلالاً فلا منع منها ولا يجب على الحالق شيء وبه قال مالك وأحمد. وقال أبو حنيفة: ليس للمحرم أن يحلق شعر غيره ولو فعل فعليه صدقة. أما إذا حلق الحلال أو الحرام شعر الحرام فقد أساء ثم ينظر إن حلق بأمره، فالفدية على المحلوق لأن فعل الحالق بأمره مضاف إليه، وإن حلق لا بأمره فينظر إن كان نائماً أو مكرهاً أو مغمى عليه ففيه قولان. أصحهما: أن الفدية على الحالق وبه قال مالك وأحمد، والثاني: وبه قال أبو حنيفة، واختاره المزني أنها على المحلوق لأنه المرتفق به. وقد ذكر المزني أن الشافعي رضي الله عنه قد خط على هذا القول، لكن الأصحاب نقلوه عن البويطي ووجدوه غير مخطوط عليه وبنوا القولين على أن استحفاظ الشعر في يد المحرم جار مجرى الوديعة أو مجرى العارية وفيه جوابان إن قلنا بالأول فالفدية على الحالق كما أن ضمان الوديعة على المتلف دون المودع، وإن قلنا بالثاني وجب على المحلوق وجوب الضمان على المستعير. قالوا: والأوّل أظهر وإن لم يكن نائماً ولا مغمى عليه ولا مكرهاً لكنه سكت عن الحلق ففيه قولان وقال المعظم وجهان أحدهما: إن الحكم كما لو كان نائماً لأن السكوت ليس بأمر، وأصحهما أنه كما لو حلق بأمره لأن الشعر عنده إما كالوديعة أو كالعارية، وعلى التقديرين يجب الدفع عنه، ولو أمر حلال حلالاً بحلق شعر حرام وهو نائم. فالفدية على الآمر إن لم يعرف المحلوق الحال، وإن عرف فعليه في أصح الوجهين، ولو طارت نار إلى شعره فأحرقته. قال الروياني: إن لم يمكنه إطفاؤها فلا شيء عليه، وإلاّ فهو كمن حلق رأسه وهو ساكت.

(ولا بأس) للمحرم **(بالكحل)** ما لم يكن فيه طيب، وعن أبي حنيفة جوازه مطلقاً وهو المنقول عن المزني وعن الإملاء أنه يكره مطلقاً وتوسط متوسطون فقالوا: إن لم يكن فيه زينة كالتوتيا الأبيض لم يكره الاكتحال به، وإن كان فيه زينة كالإثمد فيكره إلا لحاجة الرمد ونحوه، **(ودخول الحمام)** أي يجوز للمحرم أن يغتسل فيدخل الحمام ويزيل الدرن عن نفسه لما روي عن أبي أيوب: « أن النبي ﷺ كان يغتسل وهو محرم ».

وروى الشافعي والبيهقي بسند فيه إبراهيم بن يحي عن ابن عباس: « أنه دخل حمام الجحفة

....

وهو محرم » وقال: « إن الله لا يعبأ بأوساخكم شيئاً » وهل يكره ذلك ؟ المشهور أنه لا يكره ذلك. وحكى الحناطي والإمام قولاً عن القديم أنه يكره.

فصل

في اعتبار غسل الرأس للمحرم:

لما كان الرأس محل القوى الإنسانية كلها ومجمع القوى الروحانية اعتبر فيه الحكم دون غيره من الأعضاء لجمعيته، فحفظه متعين على المكلف لأنه لو اختل من قواه قوة أدى ذلك الاختلال إلى فساد يمكن إصلاحه، أو إلى فساد لا يمكن إصلاحه، وإما إلى فساد يكون فيه تلفه فيزول عن إنسانيته ويرجع من جملة الحيوانات فيسقط عنه التكليف فتنقطع المناسبة بينه وبين الإسم المنعوت الجامع مناسبة التقريب خاصة لا مناسبة الافتقار، لأن مناسبة الافتقار لا تزول عن الممكن أبداً لا في حال عدمه ولا في حال وجوده فإذا اغترب الإنسان عن موطن عبوديته فهي جنابته فيقال له ارجع إلى وطنك حتى يمنحك الحق ما شاء، فهذا اعتبار غسل الجنابة، وإما في غير الجنابة فحكمة الغسل لحفظ القوى وحفظها من أوجب الحكم، لا سيما وكونها واجباً لأنها دلت على العلم بعينها، وكل حكم لها لذاتها كالكيف والكم فضلها الله على خلقه بما لها من جودة الفهم، فمن راعى حفظ هذه القوى مما ينالها من الضرر لسد المسام وانعكاس الأبخرة المؤذية لها المؤثرة فيها قال بالغسل، ومن غلب الحرمة لضعف الزمان في ذلك وندور الضرر، وإن كان الغسل بالماء يزيد شعثاً في تلبيد الرأس، والله تعالى قد أمرنا بإلقاء الشعث عنا لما ذكرناه من حفظ القوى وما في معناها لأن الطهارة والنظافة مقصودة للشارع لأنه القدوس وما له اسم يقابله فيكون له حكم ولما جهل علماء الرسوم حكمة هذه العبادة من حيث أنهم ليس لهم كشف إلهي من جانب الحق جعلوا أكثر أفعالها تعبداً، ونعم ما فعلوا فإن هذا في جميع العبادات كلها مع عقلنا بعلل بعضها من جهة الشرع بحكم التعريف أو بحكم مناط الاستنباط، ومع هذا كله فلا نخرجها عن أنها تعبد من الله إذ كانت العلل غير مؤثرة في إيجاب الحكم مع وجود العلة وكونها مقصودة، وهذا أقوى في تنزيه الجناب الإلهي إذا فهمت.

وأما اعتبار دخول المحرم الحمام فاعلم أنه ليس في أحوال الدنيا ما يدل على الآخرة، بل على الله تعالى وعلى قدر الإنسان مثل الحمام، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دخل الحمام بالشام: نعم البيت بيت الحمام ينعم البدن وينقي الدرن ويذكر بالآخرة. ومن هذه آثاره في العبد لا يكره له استعماله، فإنه نعم الصاحب وبه سمي، لأن الحمام من الحميم والحميم الصاحب، وبه سمي حميماً لحرارته، واستعمل فيه الماء لما فيه من الرطوبة، فالحمام حار رطب وهو طبع الحياة وبها ينعم البدن، وبالماء يزول الدرن وبتجريد الداخل فيه عن لباسه ويبقى عرياناً ما عدا عورته حافي الرأس لا شيء في بدنه من جميع ما يملكه يذكر الآخرة عند قيام الناس من قبورهم عراة حفاة لا يملكون شيئاً، فدخول الحمام أدل على أحوال الآخرة من الموت، فإن الميت لا ينقلب إلى قبره حتى يكسى

والفصد والحجامة وترجيل الشعر.

وداخل الحمام لا يدخل إليه حتى يعرى، والتجريد أدل، ثم إن النبي ﷺ من دعائه: «اللهم نقني من الذنوب كما ينقى الثوب من الدرن» والتنقية من الدرن من صفات الحمام، واعتبار الحمام عظيم وما يعقل ذلك إلا العالمون.

فصل

قال الرافعي: يستحب أن لا يغسل رأسه بالسدر والخطمي لما فيه من التزيين لكنه جائز لا فدية فيه بخلاف التدهين فإنه يؤثر في التنمية مع التزيين، وإذا غسل رأسه فينبغي أن يرفق في الدلك حتى لا ينتتف شعره، ولم يذكر الإمام ولا المصنف في الوسيط خلافاً في كراهة غسله بالسدر والخطمي، لكن الحناطي حكى القول القديم فيه أيضاً اهـ.

قلت: واعتبار هذه المسألة فاعلم أن كل سبب موجب للنظافة ظاهراً أو باطناً استعماله في كل حال، وما ورد كتاب ولا سنة ولا إجماع على منع المحرم من غسل رأسه بشيء، ولما أمر الله تعالى الإنسان أن يدخل في الإحرام فيصير حراماً بعد ما كان حلالاً وصفه بصفة العزة أن يصل إليه بعض الأشياء التي كانت تصل إليه قبل أن يتصف بهذه المنعة فاعتز وامتنع عن بعض الأشياء ولم يمتنع عن أن يناله بعضها، وأمره أن يحرم فدخل في الإحرام فصار حراماً وما جعل ذلك حراماً عن أمره سبحانه إلا ليكون ذلك قربة إليه ومزيد مكانة عنده تعالى، وحتى لا ينسى عبوديته التي خلق لها بكونه تعالى جعله مأموراً في هذه المنعة ودواء له نافعاً يمنع من علة تطرأ عليه لعظيم مكانته، فلا بد أن يؤثر فيه عزة في نفسه فشرعها له في طاعته بأمر وأمره فيه بأن يكون حراماً لا احتجار عليه بل احتجار له والله أعلم.

ثم قال المصنف: **(والفصد والحجامة)** أي يجوز للمحرم أن يفصد ويحتجم ما لم يقع شعره. وقال أصحابنا: وإن حلق موضع المحاجم فعليه دم عند أبي حنيفة، وقال: عليه صدقة لأنه إنما يحلق لأجل الحجامة وهي ليست من المحظورات، فكذا ما يكون وسيلة إليها إلا أن فيه إزالة شيء من التفث فتجب الصدقة، ولأبي حنيفة إن حلقه مقصود لأنه لا يتوسل إلى المقصود إلا به، وقد وجد إزالة التفث عن عضو كامل فيجب الدم. وفي الصحيحين عن ابن عباس: «أنه ﷺ احتجم وهو محرم» ولو كان يوجب الدم لما باشره ﷺ، لكن يحتمل أنه ﷺ احتجم في موضع لا شعر فيه وهو الظاهر.

(وترجيل الشعر) أي تسريحه بالمشط سواء كان شعر الرأس أو اللحية ما لم يقطع شعره، وأما ترجيله بمثل دهن الشيرج واللوز والجوز وفي معناهما السمن والزبد فلا يجوز استعماله في الرأس واللحية لما فيه من التزيين والمحرم منعوت بالشعث الذي يضاد ذلك، ولو كان أقرع أو أصلع فدهن رأسه أو أمرد فدهن ذقنه فلا فدية عليه إذ ليس فيه تزيين شعره، وإن كان محلوق الرأس

الرابع: الجماع وهو مفسد قبل التحلل الأوّل وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه، وإن

فوجهان أحدهما ويروى عن المزني أنه لا فدية إذ لا شعر، وأظهرهما الوجوب لتأثيره في تحسين الشعر الذي ينبت بعده، ويجوز تدهين سائر البدن شعرته وبشرته فإنه لا يقصد التزيين، ولا فرق بين أن يستعمل الدهن في ظاهر البدن أو باطنه وعن مالك أنه إذا استعمل في ظاهر البدن فعليه الفدية. وعن أبي حنيفة إذا استعمل الزيت والشيرج وجبت الفدية سواء استعمل في رأسه أو لحيته أو سائر بدنه إلا أن يداوي به جرحه أو شقوق رجليه، وهو إحدى الروايتين عن أحمد، والثانية وهي الأصح أن استعماله لا يوجب الفدية وإن كان في شعر الرأس واللحية.

(**الرابع**): من المحظورات (**الجماع**) قال الله تعالى: ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ [البقرة: ١٩٧] والرفث مفسر بالجماع (**وهو مفسد**) النسك يروى ذلك عن عمر وعلي وابن عباس وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة، واتفق الفقهاء عليه بعدهم، وإنما يفسد الحج بالجماع (**قبل التحلل الأول**) اعلم أن أسباب تحلل الحج غير خارجة عن الأعمال الأربعة، والذبح غير معدود منها لأنه لا يتوقف التحلل عليه. بقي الرمي والحلق والطواف، فإن لم نجعل الحلق نسكاً فللتحلل سببان الرمي والطواف، فإذا أتى بأحدهما يحصل التحلل الأول، وإذا أتى بالثاني لا بد من السقي بعد الطواف إن لم يسع قبل، لكنهم لم يفردوه وعدوه مع الطواف شيئاً واحداً وإن جعلنا الحلق نسكاً فالثلاثة أسباب التحلل، فإذا أتى باثنين منها إما الحلق والرمي أو الرمي والطواف أو الحلق والطواف حصل التحلل الأول وإذا أتى بالثالث حصل الثاني قال الإمام وشيخه: كان ينبغي التنصيف لكن ليس للثلاثة نصف صحيح فأنزلنا الأمر على إثنين، فإذا ظهر لك معرفة أسباب التحلل للحج فاعلم أن المصنف قال في الوجيز: إن الجماع إنما يفسد الحج إذا وقع قبل التحللين.

قال الرافعي: لقوة الإحرام ولا فرق بين أن يقع قبل الوقوف بعرفة أو بعده.

قلت: والذي نقله القاضي الحسين والماوردي: الإجماع على فساد الحج بالجماع إذا كان قبل الوقوف بعرفة اهـ.

وقال أبو حنيفة: لا يفسد بالجماع بعد الوقوف، ولكن تلزم به الفدية.

وأما الجماع بين التحلل فلا أثر له في الفساد وعن مالك وأحمد أنه يفسد ما بقي من إحرامه، ويقرب منه ما ذكر القاضي ابن كج أن أبا القاسم الداركي، وأبا علي الطبري حكيا قولاً عن القديم أنه يخرج إلى أدنى الحل ويجدد منه إحراماً ويأتي بعمل عمرة، وأطلق الإمام نقل وجه أنه مفسد كما قبل التحلل، ثم سائر العبادة لا حرمة لها بعد الفساد ويصير الشخص خارجاً منها، لكن الحج والعمرة وإن فسدا يجب المضي فيهما، وذلك بإتمام ما كان يفعله لولا عروض الفساد.

روي عن ابن عمر، وعلي، وابن عباس، وأبي هريرة رضي الله عنهم أنهم قالوا من أفسد حجه مضى في فاسده وقضى من قابل. كذا رواه مالك في الموطأ بلاغاً عنهم.

كان بعد التحلل الأوّل لزمه البدنة ولم يفسد حجه.

تنبيه:

وتفسد العمرة أيضاً بالجماع قبل حصول التحلل، ووقت التحلل عنها مبني على الخلاف السابق في الحلق، فإن لم نجعله نكساً فإنما يفسد بالجماع قبل السعي، وإن جعلناه نسكاً فيفسد أيضاً بالجماع قبل الحلق. وقال أبو حنيفة: إنما تفسد إذا جامع قبل أن يطوف أربعة أشواط، فأما بعد ذلك فلا. ثم إن اللواط وإتيان البهيمة في الإفساد كالوطء في الفرج، وبه قال أحمد خلافاً لأبي حنيفة فيهما، ولمالك في إتيان البهيمة. وروى ابن كج وجهاً كمذهب مالك.

ثم أشار المصنف إلى كفارة الجماع فقال: **(وفيه بدنة)** أي ذبحها **(أو)** ذبح **(بقرة أو)** ذبح **(سبع شياه)** واعلم أن في خصال فدية الجماع وجهين أصحهما أنها هذه الثلاثة المذكورة والإطعام بقدر قيمة البدنة على سبيل التعديل، والصيام عن كل مد يوماً، والثاني حكاه ابن كج أن خصالها الثلاث الأول فإن عجز عنها فالهدي في ذمته إلى أن يجد تخريجاً من أحد القولين في دم الأحصار، وإن جرينا على الصحيح وهو إثبات الخصال الخمس فهذا الدم دم تعديل لا محالة لأنا في الجملة نقوّم البدنة، وهل هو تخيير أو ترتيب؟ فيه قولان. ومنهم من يقول وجهان أصحهما دم ترتيب، فعليه بدنة إن وجدها وإلا فبقرة وإلا فسبع من الغنم، وإلا قوم البدنة بدراهم والدراهم طعاماً، ثم فيه وجهان أحدهما: أنه يصوم عن كل مد يوماً فإن عجز عن الصيام أطعم كما في كفارة الظهار والقتل، وأصحهما أن الترتيب على العكس ويتقدم الطعام على الصيام في هذا المقام خاصة.

وذكر القفال وآخرون: إن القول في أن دم الجماع دم ترتيب أو تخيير مبني على أن الجماع استهلاك أو استمتاع إن جعلناه استهلاكاً فهو على التخيير كفدية الحلق والقلم، وإن جعلناه استمتاعاً فهو على الترتيب كفدية الطيب واللباس.

(وإن كان بعد التحلل الأول لزمته البدنة ولم يفسد حجه) والعمرة كالحج في وجوب الفدية. وعن أبي إسحاق نقلاً عن بعض الأصحاب أنه لا يجب في إفسادها إلا شاة لانخفاض رتبتها عن رتبة الحج.

وقال أبو حنيفة: القارن إذا جامع بعد الوقوف كان عليه بدنة للحج وشاة للعمرة، وبعد الحلق قبل الطواف شاتان وهنا مسألتان.

الأولى: لو جامع بين التحللين وفرعنا على الصحيح، وهو أنه لا يفسد ففيما يجب فيه قولان، أظهرهما شاة لأنه لا يتعلق فساد الحج به فأشبه المباشرة فيما دون الفرج، واختار المزني هذا القول في تخريجه للشافعي، وقيل: إنه حكاه في غير المختصر عن نصه، والثاني: أن الواجب بدنة لأنه وطء محظور في الحج، فأشبه الوطء قبل التحلل، وبهذا قال مالك وأحمد. ونقل الإمام قولاً ثالثاً وهو انه لا يجب فيه أصلاً وهو ضعيف لأن الوطء لا يقصر عن سائر محظورات الإحرام وهي بين التحللين موجبة للفدية على ظاهر المذهب.

الثانية: إذا فسد الحج بالجماع ثم جامع ثانياً فينظر إن لم يفد عن الأول ففي وجوب شيء للتالي قولان. أحدهما: لا تجب بل يتداخلان، وأصحهما، أنه لا يتداخل لبقاء الإحرام ووجوب الفدية بارتكاب المحظورات، وحيث قلنا بعدم التداخل ففيما يجب بالجماع الثاني قولان. أحدهما: بدنة كما في الجماع الأول، وأظهرهما شاة، وإذا اختصرت هذه الاختلافات.

قلت في المسألة ثلاثة أقوال: أظهرها الجماع الثاني يوجب شاة، وبه قال أبو حنيفة والثاني لا يوجب شيئاً وبه قال مالك، وعند أحمد إن كفر عن الأول وجبت في الثاني بدنة، والله أعلم.

فصل

وفي كتاب الشريعة للشيخ الأكبر قدس سره: أجمع المسلمون على أن الوطء يحرم على المحرم مطلقاً، وبه أقول غير أنه إذا وقع فعندنا فيه نظر في زمان وقوعه، فإن وقع منه بعد انقضاء زمان جواز الوقوف بعرفة من ليل أو نهار، فالحج فاسد، وليس بباطل لأنه مأمور بإتمام المناسك مع الفساد، ويحج بعد ذلك، وإن جامع قبل الوقوف بعرفة وبعد الإحرام، فالحكم فيه عند جميع العلماء كحكمه بعد الوقوف يفسد ولا بد من غير خلاف، ولا أعرف لهم دليلاً على ذلك، ونحن وإن قلنا بقولهم واتبعناهم في ذلك، فإن النظر يقتضي إن وقع قبل الوقوف أن يرفض ما مضى ويجدد ويهدي، وإن كان بعد الوقوف فلا لأنه لم يبق زمان للوقوف. وهنا بقي زمان للإحرام لكن ما قال به أحد فجرينا على ما أجمع عليه العلماء مع أني لا أقدر عن صرف هذا الحكم عن خاطري، ولا أعمل عليه، ولا أفتي به، ولا أجد دليلاً، وقد رفضت العمرة عائشة رضي الله عنها حين حاضت بعد التلبس وأحرمت بالحج فقد رفضت إحراماً. وفي أمر عائشة وشأنها عندي نظر أيضاً هل أردفت على عمرتها أو هل زالت عنها بالكلية؟ فإن أراد بالرفض الخروج عن الإحرام بالعمرة وان وجود الحيض أثر في صحتها مع بقاء زمان الإحرام فالجماع مثله في الحكم، وإن لم يرد بالرفض الخروج عن العمرة وإنما أراد إدخال الحج عليها فرفض أحدية العمرة لا اقترانها بالحج فهي على إحرامها بالعمرة والحج مردف عليها.

الاعتبار: لا شك أن الإنسان لما كان مصرفاً تحت حكم الأسماء الإلهية ومحلاً لظهور آثار سلطانها، ولكن يكون حكمها فيه بحسب ما يمكنها حال الإنسان أو زمانه أو مكانه، فالأحوال والأزمان تولي الأسماء الإلهية عليها، وإن كان كل حال هي عليه أو دخول الإنسان في ظرفية زمان خاص أو ظرفية مكان ما هو إلا عن حكم إلهي بذلك، فقد يتوجه على الإنسان أحكام أسماء إلهية كثيرة في آن واحد، ويقبل ذلك كله بحاله لأنه قد يكون في أحوال مختلفة يطلب كل حال حكم إسم خاص فلا يتوجه عليه إلا ذلك الإسم الذي يطلبه ذلك الحال الخاص، ومع هذا كله فلا بد أن يكون الحاكم الأكبر إسماً ما له المضاء فيه والرجوع إليه مع هذه المشاركة، فلهذا أمر المحرم إذا جامع أهله أن يمضي في تمام نسكه إلى أن يفرغ مع فساده ولا يعتد به، وعليه القضاء من قابل على صورة مخصوصة شرعها له الشارع لأن صاحب الوقت الذي هو المحرم عليه أفعال مخصوصة

الخامس: مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة. وكذا في الاستمناء ويحرم النكاح والإنكاح ولا دم فيه لأنه لا ينعقد.

أوجبتها هذه العبادة التي التبس بها هو الحاكم الأكبر، واتفق أن هذا المحرم التفت بالإسم الخاذل إلى امرأته فجامعها في حال إحرامه، فلما لم يكن الوقت له وكان لغيره لم يقوَ قوّته فأفسد منه ما أفسد وبقي الحكم لصاحب الوقت، فأمره أن يمضي في نسكه مع فساده وعاقبه بتلك الالتفاتة إلى الخاذل حيث أعانه عليه بنظره إلى امرأته واستحسانه لإيقاع ما حكم عليه به حاكم الوقت أن يعيد من قابل، فلو بطل وأزال حكمه عنه في ذلك الوقت ووقع الجماع بعد الإحرام وقبل الوقوف رفض ما كان واستقبل الحج كما هو، ولم يكن عليه إلاّ دم لا غير لما أبطل، فلما لم يزل حكمه منه بذلك الفعل أمرنا بتمام نسكه الذي نواه في عقده وهو مأجور فيما فعل من تلك العبادة مأزور فيما أفسد منها بإتيانه ما حرم عليه إتيانه كما قال تعالى: ﴿فلا رفث﴾ وهو النكاح ﴿ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ [البقرة: ١٩٧].

أخرج أبو داود في المراسيل قال: حدثنا أبو توبة، حدثنا معاوية يعني ابن سلام، أخبرني يزيد ابن نعيم شك أبو توبة أن رجلاً من جذام جامع امرأته وهما محرمان، فسأل الرجل رسول الله ﷺ فقال لهما: «أقضيا نسككما واهديا هدياً ثم ارجعا إذا كنتما بالمكان الذي أصبتما فيه ما أصبتما فتفرقا ولا يرى أحد منكما صاحبه فاحرما وأتما نسككما وأهديا». فهذا ترجمان الحق الذي هو الرسول قوى الإسم الإلهي الذي هو حاكم الوقت، وصاحب الزمان فيما يريده من إتمام هذه العبادة مع ما طرأ فيها من الإخلال، وما وقع من المجامع هي زلة أوجبت علماً، فشفع ذلك العلم في صاحب هذه الزلة فجبر له نقصه، فلولا زلة هذا المجامع في الحج ما عرفنا حكم الشرع فيه، لو وقع هذا بعد موت المترجم فمن رحمة الله حصل تقدير هذا العلم لنكون على بصيرة من ربنا في عبادتنا، والله أعلم.

(**الخامس**): من المحظورات (**مقدمات الجماع كالقبلة**) بالشهوة والمباشرة فيما دون الفرج كالمفاخذة (**والملامسة**) بالشهوة (**التي تنقض الطهر**) أي الوضوء (**مع النساء فهو محرم**) قبل التحلل الأول، وفي حلها بعد التحلل الأول خلاف، (**وفيه شاة**) إذا باشر شيئاً منها عمداً. روي عن علي وابن عباس: أنهما أوجبا في القبلة شاة.

أما أثر علي فرواه البيهقي من طريق جابر الجعفي وهو ضعيف، عن أبي جعفر، عن علي ولم يدركه.

وأما أثر ابن عباس فذكره البيهقي ولم يسنده، وإن كان ناسياً لا يلزمه شيء بلا خلاف، لأنه استمتاع محض ولا يفسد شيء منها الحج، ولا تجب البدنة بحال سواء أنزل أو لم ينزل، وبه قال أبو حنيفة. وعند مالك: يفسد الحج إذا أنزل وهو أظهر الروايتين عن أحمد، وعنه روايتان في أنه تجب

السادس: قتل صيد البر أعني ما يؤكل أو هو متولد من الحلال والحرام، فإن قتل

بدنة أو شاة تفريعاً على عدم الإفساد في صورة عدم الإنزال. وحكى المصنف في الوسيط عن مالك أنه لا يجب الدم عند الإنزال قال الرافعي: وإلا غلب على الظن أنه وهم فيه.

(وكذا في الاستمناء) باليد فإنه موجب للفدية على أصح الوجهين. الثاني: لو باشر فيما دون الفرج، ثم جامع هل تدخل الشاة في البدنة أم تجبان جميعاً فيه وجهان قال النووي في زيادات الروضة: الأصح تدخل ولا يحرم اللمس بغير شهوة، وأما قول المصنف في الوسيط والوجيز: يحرم كل مباشرة تنقض الوضوء فشاذ بل غلط، والله أعلم.

(ويحرم النكاح والإنكاح ولا دم فيه لأنه لا ينعقد) أي لا ينعقد نكاح المحرم ولا إنكاحه ولا نكاح المحرمة، ولا يستحب خطبة المحرم وخطبة المحرمة فلا تلزم فيه الفدية، ومنهم من قال: لا بأس أن ينكح المحرم وينكح، واعتبار كل من القولين أن الإحرام عقد والنكاح عقد فاشتركا في النسبة فجاز الوطء للمحرم حرام والعقد بـه سبب مبيح للوطء فحرم أو كره، فإنه حمى والراتع حول الحمي يوشك أن يقع فيه، وإنما اجتنبت الشبه خوف الوقوع في المحظور النكاح، والعقد لا يصح إلا بين إثنين لا يصح من واحد فحرم أو كره لأنا مطلوبون بمعرفة الوحدة. فاعلم أنه لا إله إلا هو التجلي في الأحدية لا يصح لأن التجلي يطلب الإثنين، ولا بد من التجلي فلا بد من الإثنين فعقد النكاح للمحرم جائز فالعارف على قدر ما يقام فيه من أحوال الشهود، والله أعلم.

(السادس): من المحظورات **(قتل صيد البر)** لقوله تعالى: ﴿وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً﴾ [المائدة: ٩٦] ولا يختص تحريمه بالإحرام، بل له سبب آخر وهو كونه في الحرم، ولما اشترك السببان فيما يقتضيانه من التحريم والجزاء، ولذا قال أصحابنا المراد بجناية الإحرام ما تكون حرمته بسبب الإحرام أو الحرم.

ثم قال المصنف: **(أعني ما يؤكل)** إذا كان وحشياً، ولا فرق في وجوب الجزاء بين أن يكون الصيد مملوكاً لإنسان أو مباحاً. نعم يجب في المملوك مع الجزاء ما بين قيمته حياً ومذبـوحـاً بحق الملك. وعن المزني أنه لا جزاء في الصيد المملوك وما ليس بمأكول من الطيور والدواب صنفان ما ليس له أصل مأكول وما أحد أصليه مأكول، أما الصنف الأول، فلا يحرم التعرض له بالإحرام ولو قتله المحرم لم يلزمه الجزاء، وبه قال أحمد، وقال أبو حنيفة: يجب الجزاء بقتل غير المأكول من الصيد إلا الذئب والفواسق الخمس، وقال مالك: ما لا يبتدىء بالإيذاء يجب الجزاء فيه كالصقر والبازي، ثم الحيوانات الداخلة في هذا الصنف على أضرب.

منها: ما يستحب قتلها للمحرم وغيره وهي المؤذيات بطبعها نحو الفواسق الخمس وفي معناها الحية والذئب والأسد والنمر والدب والنسر والعقاب والبرغوث والبق والزنبور، ولو ظهر القمل

صيداً فعليه مثله من النعم يراعي فيه التقارب في الخلقة، وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه.

على بدن المحرم أو ثيابه لم يكن له تنحيته ولو قتله لم يلزمه شيء، وللصئبان حكم القمل. ويكره أن يفلي رأسه ولحيته، فإن فعل فاخرج منها قملة قتلها تصدق ولو بلقمة. نص عليه وهو عند الأكثرين محمول على الاستحباب.

ومنها الحيوانات التي فيها منفعة ومضرة، كالفهد والصقر والبازي فلا يستحب قتلها لما يتوقع من المنفعة، ولا يكره لما يخاف من المضرة.

ومنها التي لا تظهر فيها منفعة ولا مضرة كالخنافس والجعلانات والسرطان والرخمة والكلب الذي ليس بعقور فيكره قتلها. قال النووي: أي كراهة تنزيه، وفي كلام بعضهم ما يقتضي التحريم ولا يجوز قتل النمل والنحل والخطاف والضفدع لورود النهي عن قتلها، وفي وجوب الفداء بقتل الهدهد والصرد خلاف مبني على الخلاف في أكلها، والصنف الثاني ما أحد أصليه مأكول كالمتولد بين الذئب والضبع وبين حمار الوحش وحمار الأهل فيحرم التعرض له، ويجب الجزاء فيه احتياطاً كما يحرم أكله احتياطاً وإليه أشار المصنف.

(**أو ما هو متولد من الحلال والحرام**) . وأما الحيوانات الأنسية كالنعم والخيل والدجاج يجوز للمحرم ذبحها ولا جزاء عليه، وأما ما يتولد من الوحشي والإنسي كالمتولد من اليعقوب والدجاجة أو الضبع والشاة فيجب في ذبحه الجزاء احتياطاً، (**فإن قتل صيداً فعليه مثله من النعم يراعي فيه التقارب في الخلقة**) . اعلم أن الصيد على قسمين مثلي هو ماله مثل من النعم، وغير مثلي. أما الأول فجزاؤه على التخيير والتعديل قال الله تعالى: ﴿فجزاء مثل ما قتل من النعم﴾ إلى قوله ﴿صياماً﴾ [المائدة: ٩٥] ثم أن المثلي ليس معتبراً على التحقيق إنما هو معتبر على التقريب وليس معتبراً في القيمة بل في الصورة والخلقة لأن الصحابة رضي الله عنهم حكموا في النوع الواحد من الصيد النوع الواحد من النعم مع اختلاف البلاد وتقارب الأزمان واختلاف القيم بحسب اختلافها، فعلم أنهم اعتبروا الخلقة والصورة، فما ورد فيه نص فهو متبع وكذلك كل ما حكم فيه عدلان من الصحابة والتابعين أو من أهل عصر آخر من النعم أنه مثل الصيد المقتول يتبع حكمهم، ولا حاجة إلى تحكيم غيرهم قال الله تعالى: ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾ [المائدة: ٩٥] وقد حكما. وعن مالك: لا بد من تحكيم عدلين من أهل العصر وما ليس بمثلي كالعصافير وغيرها من الطيور ففيه قيمته وفيه تفصيل يراجع في فروع المذهب.

(**وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه**) لقوله تعالى: ﴿أحل لكم صيد البحر﴾ الآية [المائدة: ٩٦] قال الأصحاب: وصيد البحر هو الذي لا يعيش إلا في البحر، أما ما يعيش في البر والبحر فهو كالبري والطيور المائية التي تغوص في الماء وتخرج من صيد البر لأنها لو تركت في الماء هلكت، والجراد من صيد البر ويجب الجزاء بقتله، وبه قال ابن عمر وابن عباس. وحكى الموفق بن طاهر قولاً غريباً أنه من صيود البحر لأنه يتولد من روث السمك، والله أعلم.

....

فصل

على تحريم صيد البر اتفق عامة العلماء وهو اتفاق أهل الله أيضاً في اعتباره ومعناه. قال بعضهم: الزاهد: صيد الحق من الدنيا، والعارف صيد الحق من الجنة، فالخلق صيد للحق من نفوسهم براً وبحراً. فاعلم أن الحق تعالى نصب حبالات لصيد النفوس الشاردة مما خلقت له من عبادته، ثم خدعهم بالحب الذي جعل لهم في تلك الحبالات أو الطعوم، أو ذوات الأرواح المشتهية لهم في الحياة جعلها مقيدة في الحبالات من حيث لا يشعرون، فمن الصيد من أوقعه في الحبالة رؤية الجنس طمعاً في اللحوق بهم، فصار في قبضة الصائد فقيده وهو كان المقصود لأنه مطلوب لعينه، ومن الصيد من أوقعه الطمع في تحصيل الحب المبذور في الحبالات فأبصره فقاده الإحسان، فرمى نفسه عليه فصاده، فلولا الإحسان ما جاء إليه فمجيئه معلول والبر هو المحسن والإحسان والحق غيور، فما أراد من هذه الطائفة الخاصة الذين جعلهم حراماً ليكونوا له أن يجعلهم عبيد إحسان فيكون للإحسان لا له، ولهذا دعاهم شعثاً غبراً مجردين من المخيط ملبين لإجابته بالإهلال، كما أجاب الطائر لصوت الصائد فحرم عليهم لمكانتهم صيد البر الذي هو الإحسان ما داموا حرماً حالاً في المكان الحلال والحرام ومكاناً في الحرام وإن كانوا حلالاً أو حراماً، فحيثما كانت الحرمة امتنع صيد الإحسان، فإن الله من صفاته الغيرة فلم يرد أن يدعو هذه الطائفة المنعوتين بالإحرام من باب النعم والإحسان، فيكونون عبيد إحسان لا عبيد حقيقة، فإنه استهضام بالجناب الإلهي. يقال: من صحبك لغرض انقضت صحبته بانقضائه، وصحبة العبد ربه ينبغي أن تكون ذاتية كما هي في نفس الأمر لأنه لا خروج للعبد عن قبضة سيده، وإن أبق في زعمه كما هو ملكه وهو جاهل بملك سيده، فلهذا حرم على الحاج صيد البر ما دام حراماً، فإذا خرج من إحرامه وصار حلالاً حل له صيد البر، وهو قوله ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه» خطاباً منه لعبيد الإحسان حيث جهلوا مقاديرهم، وما ينبغي لجلال الله من الانقياد بالطاعة إليه، ولم يحرم صيد البحر على المحرم ما دام حرماً لأن صيد البحر صيد ماء وهو عنصر الحياة، والمطلوب بإقامة هذه العبادة وغيرها إنما هو حياة القلوب والجوارح وقعت المناسبة بين ما طلب منه وبين الماء فلم يحرم صيده أن يتناله. ولهذا جاء بلفظ البحر لاتساعه فإنه يعم، وكذلك هو الأمر في نفسه فإنه ما من شيء خلقه إلا هو يسبح بحمده ولا يسبح إلهي فسرت الحياة في جميع الموجودات فاتسع حكمها فناسب البحر في الإتساع، ولذا لم يقل صيد الماء لمراعاة السعة التي في البحر، فصيد البحر حلال للحلال والحرام، والله أعلم.

الباب الثاني

في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهي عشر جمل

الجملة الأولى: في السير من أول الخروج إلى الاحرام وهي ثمانية:

الأولى: في المال. فينبغي أن يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع، ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وإيابه من غير تقتير، بل على وجه يمكنه معه التوسع في

الباب الثاني

في ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر

أي من أول إنشائه الخروج من دويرة أهله (**إلى الرجوع**) إليها (**وهي عشر جمل**):

(**الجملة الأولى: في السنن**) التي ينبغي مراعاتها (**من أول الخروج إلى**) وقت (**الإحرام وهي ثمانية:**

الأولى: في المال، فينبغي أن يبدأ بالتوبة) الصادقة الناصحة عما صدر منه من الآثام إجمالاً وتفصيلاً إن أمكن له التذكر، (**ورد المظالم**) إلى أربابها إن أمكنه، (**وقضاء الديون المترتبة على ذمته لأربابها لئلا تبقى ذمته مشغولة**) بحق شرعي (**واعداد النفقة**) أي إحضارها، والنفقة محركة إسم لما ينفقه في طريقه أعم من أن يكون مأكولاً أو نقداً، ويعبر عنها بالزاد (**لكل من تلزمه نفقته**) شرعاً من الأهل والعيال (**إلى وقت الرجوع**)، وفيه إشارة إلى أنه ليس من الشرط قدرته على نفقته ونفقة عياله بعد الرجوع وهو ظاهر الرواية عن أبي حنيفة، وقيل: لا بد من زيادة نفقة يوم، وقيل شهراً. الأول رواية عن الإمام، والثاني عن أبي يوسف، (**ويرد ما عنده من الودائع**) المودعة عنده، وكذا العواري لتتفرغ ذمته بالعبادة (**ويستصحب مالاً**) المراد هنا النقد (**من حلال طيب**) لا شبهة فيه بأن حصله من ربح تجارة أو زراعة أو إرث من وجه صحيح أو غير ذلك (**يكفيه لذهابه وإيابه**) وشرط أصحابنا أنه لا بد أن يفضل له بعد ذلك رأس مال يتجر به لو كان تاجراً وآلة حرث لو كان حراثاً ذكره قاضيخان في فتاويه، وجزم به صاحب النهاية، وفتح القدير، وعزاه في السراج الوهاج والخلاصة إلى روضة العلماء، ثم قال صاحب الخلاصة: أما المحترف إذا ملك قدر ما يحج به ونفقة عياله ذاهباً وجائياً فعليه الحج اهـ.

الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف أو يكتريها ، فإن اكترى فليظهر للمكاري كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه .

الثانية : في الرفيق : ينبغي أن يلتمس رفيقاً صالحاً محباً للخير معيناً عليه إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وإن جبن شجعه وإن عجز قوّاه وإن ضاق صدره صبره .

ثم قال عمر بن نجيم من أصحابنا : يعني اتفاقاً لأنه غير محتاج إلى رأس مال لقيام حرمته وينبغي أن يعتد بحرفة لا تحتاج إلى آلة . أما المحتاجة إليها فيشترط أن يبقى له قدر ما يشتري به اهـ .

(**ومن غير تقتير**) أي تضييق ولا إسراف ، (**بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالفقراء**) بالإطعام والإعطاء ، (**و**) يستحب أن (**يتصدق بشيء**) ولو قليلاً كلقمة أو تمرة (**قبل خروجه**) فإنه يكون سبباً لدفع البلايا عنه ، (**وليشتر له**) أي لنفسه قبل إنشاء السفر وفي نسخة ويشتري لنفسه (**دابة قوية على الحمل**) يعني من الإبل فإنها هي التي تقوى على حمل الأثقال في الأسفار المعتدة ، وما عداها لا يقوى قوتها ، ولذا قال : (**لا تضعف**) أي عن الحمل لقوتها وصبرها (**أو يكتريها**) أي إن لم يقدر على الشراء فبالكراء ، وإذا أعاره إنسان دابة ليركبها أو أباح له ركوبها إلى غاية سفره جاز إلا أنه لا يعد قادراً شرعاً ، (**فإن اكتراها**) بمال معلوم (**فليظهر للمكاري**) أي صاحب الدابة (**كل ما يريد أن يحمله**) معه عليها (**من قليل وكثير**) ولا يكتم ، (**ويحصل رضاه فيه**) ولو بإعطاء شيء زائد على الأجرة ، تطييباً لخاطره ورفعاً للشبهة .

(**الثانية : في الرفيق**) الذي يرافقه في سفره : (**ينبغي أن يلتمس**) في سفره (**رفيقاً صالحاً محباً للخير معيناً عليه**) بحيث (**إن نسي**) شيئاً من طرق الخير (**ذكره**) به ليفعله ودله على الأصح ، (**وإن ذكر**) شيئاً من الخير (**أعانه**) عليه بظاهره أو باطنه أو بهما معاً ، (**وإن جبن**) عن الإقدام على خير (**شجعه**) أي قوى قلبه بمساعدته إياه ، (**وإن عجز**) بضعفه (**قواه**) بمسارعته لا لهواه ، (**وإن ضاق صدره**) لنازلة نزلت به (**صبره**) وسلاه .

وأخرج أبو داود ، والبيهقي من حديث عائشة : « إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه » .

وروى الطبراني في الكبير ، وابن أبي خيثمة ، وأبو الفتح الأزدي ، والعسكري في الأمثال من حديث رافع بن خديج رفعه : « التمسوا الرفيق قبل الطريق والجار قبل الدار » وسنده ضعيف .

وروى الخطيب في الجامع من حديث علي مرفوعاً « الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق والزاد قبل الرحيل » .

ويودع رفقاءه المقيمين وإخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتمس أدعيتهم فإن الله تعالى جاعل في أدعيتهم خيراً. والسنّة في الوداع أن يقول: أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم

وروى أيضاً من حديث خفاف بن ندبة مرفوعاً: «ابتغ الرفيق قبل الطريق فإن عرض لك أمر لم يضرك وإن احتجت إليه رفدك».

(ورفقاؤه المقيمون) في الوطن **(وإخوانه)** ومعاشروه ومعارفه وجيرانه فيذهب إليهم بنفسه **(فيودعهم)** عند خروجه، **(ويلتمس أدعيتهم)** الصالحة، **(فإن الله تعالى جاعل في أدعيتهم البركة)** ويكفيك من ذلك قوله ﷺ لعمر بن الخطاب لما استأذنه في العمرة فأذن له وقال: «لا تنسنا من دعائك يا أخي» وفي رواية: «أشركنا في صالح دعائك» رواه أبو داود والبزار.

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة رفعه «إذا أراد أحدكم سفراً فليسلم على إخوانه فإنهم يزيدونه بدعائهم إلى دعائه خيراً».

وأخرج الخرائطي من طريق نفيع بن الحرث عن زيد بن أرقم رفعه «إذا أراد أحدكم سفراً فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل له في دعائهم خيراً». وهو حديث غريب ونفيع متروك.

(والسنّة في الوداع أن يقول: استودع الله دينكم وأمانتكم وخواتم أعمالكم) هكذا هو في نسخة بضمير الجمع، وفي بعضها بالإفراد.

قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وصححه النسائي من حديث ابن عمر أنه كان يقول للرجل إذا أراد سفراً: أدن مني حتى أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا «أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك» اهـ.

قلت: ورواه كذلك النسائي في اليوم والليلة، والبخاري في التاريخ، وأحمد في المسند، وقال الترمذي: صحيح غريب.

وأخرج أبو داود والحاكم من حديث عبد الله بن يزيد الخطمي رفعه «كان إذا أراد أن يستودع الجيش قال استودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم» ومعنى أستودع استحفظ، وذلك لأن السفر محل الاشتغال عن الطاعات التي يزيد الدين بزيادتها وينقص بنقصها، والمراد بالأمانة الأهل ومن يتخلف بعده منهم، والمال المودع تحت يد أمين وقدم الدين على الأمانة لأن حفظه أهم، والمراد بخواتيم العمل العمل الصالح الذي يجعل آخر عمله في الإقامة فإنه يسن للمسافر أن يختم إقامته بعمل صالح كتوبة، وخروج عن المظالم وصدقة وصلة رحم ووصية وإبراء ذمة ونحوها مما ذكره المصنف، وكذا قراءة آية الكرسي، وصلاة ركعتين، ويندب لكل من المتوادعين أن يقول هذه الكلمات ويزيد المقيم بعد ذلك وردك في خير.

عملك، وكان ﷺ يقول لمن أراد السفر: « في حفظ الله وكنفه زوّدك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت ».

الثالثة: في الخروج من الدار: ينبغي إذا همّ بالخروج أن يصلي ركعتين أولاً يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون، وفي الثانية الإخلاص، فإذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صاف ونية صادقة، وقال: اللهم أنت الصاحب في السفر وأنت الخليفة في الأهل والمال والولد والأصحاب احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة. اللهم إنا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى. اللهم إنا نسألك أن

(وكان النبي ﷺ يقول لمن أراد السفر « في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت »).

قال العراقي: رواه الطبراني في الدعاء من حديث أنس، وهو عند الترمذي وحسنه دون قوله « في حفظ الله وكنفه » اهـ.

قلت: ورواه الطبراني في الكبير من حديث قتادة بن هشام الرهاوي أنه لما ودعه النبي ﷺ قال له « جعل الله التقوى زادك وغفر لك ذنبك ووفقك إلى الخير حيثما تكون ».

وأخرجه البغوي من حديث أنس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: إني أريد سفراً فزودني، قال « وغفر ذنبك ». قال: زوّدني قال « ويسر لك الخير حيثما كنت ». وقد أخرجه الترمذي كذلك.

وأخرج الدارمي والخرائطي في مكارم الأخلاق والمحاملي في الدعاء بلفظ « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا نبي الله إني أريد السفر، فقال: متى؟ قال: غداً إن شاء الله تعالى فأتاه فأخذ بيده فقال له (١).

(الثالثة في الخروج من المنزل) وفي نسخة من الدار: **(ينبغي إذا همَّ بالخروج من منزله أن يصلي أولاً ركعتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون، وفي الثانية سورة الإخلاص)** أي بعد الفاتحة، وقد تقدم في آخر كتاب الصلاة سنية الركعتين عند إرادة السفر وقبل الخروج من المنزل، **(فإذا فرغ)** من صلاته **(رفع يديه)** قريباً من صدره **(ودعا إلى الله تعالى عن إخلاص صاف)** أي بتوجه القلب، **(ونية صادقة وقال: اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفَة في الأهل والمال والولد والأصحاب احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة. اللهم إنا نسألك في مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم إني أسألك أن**

---

(١) بياض في الأصل.

تطوي لنا الأرض وتهوّن علينا السفر وأن ترزقنا في سفرنا سلامة البدن والديـن والمال، وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد ﷺ. اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد والأصحاب. اللهم اجعلنا وإياهم في جوارك ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك.

تطوي لنا الأرض وتهوّن علينا السفر، وأن ترزقنا في سفرنا هذا سلامة الدين والبدن والمال، وأن تبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد ﷺ، اللهم اجعلنا وإياهم في جوارك ولا تسلبنا وإياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك»). رواه مالك في الموطأ بلفظ «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل. اللهم ازو لنا الأرض وهوّن علينا. اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب ومن سوء المنظر في المال والأهل».

وأخرجه أحمد، وأبو داود، والنسائي من حديث أبي هريرة مرفوعاً قال: كان إذا سافر قال «اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في المال والأهل والولد».

وأخرجه الترمذي والنسائي بلفظ كان إذا سافر فركب راحلته قال بإصبعه ومد إصبعه: «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل. اللهم أزوِ لنا الأرض وهون علينا السفر، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب، اللهم اصحبنا بنصح واقلبنا بسلامة» قال الترمذي: حسن غريب.

وأخرج البخاري خارج الصحيح من حديث جابر، سمعت رسول الله ﷺ وقد راح قافلاً إلى المدينة وهو يقول «آيبون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في المال والأهل والولد».

وأخرج أحمد والترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني أريد سفراً فأوصني فقال: «إني أوصيك بتقوى الله والتكبير على كل شرف» فلما ولى قال «اللهم اطو له الأرض وهون عليه السفر».

وأخرج مسلم من طريق عامر الأحول، عن عبد الله بن سرجس رفعه «كان إذا خرج من سفر أو أراد سفراً قال: اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور ودعوة المظلوم وسوء المنقلب في المال والأهل، فإذا رجع قال مثلها إلا أنه يقدم الأهل» وأخرج ابن ماجه كذلك، وأكثر من روى هذا الحديث عن عاصم قدم «الأهل» على «المال» ولم يذكر الرجوع ولا ما فيه.

وأخرج ابن منده بلفظ: «كان إذا سافر قال: اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر» فذكر الحديث بدون الزيادة في آخره.

الرابعة: إذا حصل على باب الدار قال: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي. اللهم إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة، بل

(الرابعة: إذا حصل على باب الدار قال: بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

أخرج الطبراني في الدعاء من حديث أنس رفعه « من قال إذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله فإنه يقال له حينئذ هديت ووقيت وكفيت ويتنحى عنه الشيطان » وأخرجه الترمذي وأبو داود وابن حبان والدارقطني، وقال الترمذي حسن غريب.

وأخرجه الحافظ أبو طاهر السلفي في فوائده، من حديث عوف بن عبد الله بن عتبة رفعه: قال « إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله حسبي الله توكلت على الله. قال الملك: كفيت وهديت ووقيت ».

وأخرج البخاري في الأدب المفرد، وابن ماجه والطبراني في الدعاء، والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة قال: « كان رسول الله ﷺ إذا خرج من منزله قال بسم الله التكلان على الله لا حول ولا قوة إلا بالله » وله طريق أخرى عند ابن ماجه والطبراني في الدعاء بأتم منه ولفظه « إذا خرج الرجل من بيته كان معه ملكان فإذا قال بسم الله قالا هديت، فإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قالا وقيت، فإذا قال توكلت على الله قالا كفيت فيلقاه قرينه فيقولان ما تريد من رجل هدي ووقي وكفي » هذا ما يتعلق بالجملة الأولى وليس عند هؤلاء العلي العظيم، لكن زيادته حسن.

ثم قال: **(رب أعوذ بك أن أضل)** أي بنفسي وهو بفتح الهمزة وكسر الضاد المعجمة صيغة متكلم معلوم من الضلال ضد الهداية **(أو أُضل)** بضم الهمزة وفتح الضاد أي يضلني غيري أو هو بكسر الضاد بمعنى أكون سبباً لضلال غيري، **(أو أزل أو أُزل)** بالضبطين المتقدمين من الزلل **(أو أذل أو أُذل)** من الذل ضد العز، **(أو أظلم أو أُظلم أو أجهل أو يجهل عليَّ)**.

قال النسائي: حدثنا سليمان بن عبيد الله، عن بهز بن أسد، عن شعبة، عن منصور بن المعتمر قال: سمعت الشعبي يحدث عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يقول إذا خرج من بيته « اللهم إني أعوذ بك من أن أضل أو أزل أو أظلم أو أُظلم أو أجهل أو يجهل علي ».

وقال الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا شعبة، عن منصور، عن الشعبي، عن أم سلمة قالت: ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي صباحاً إلا رفع بصره إليّ وقال « اللهم إنني أعوذ بك من أن أضل أو أُضل أو أزل أو أُزل أو أظلم أو يظلم علي » وأخرجه أبو داود عن مسلم بن إبراهيم بهذا اللفظ إلا أنه قال « قط » بدل « صباحاً » و« طرفه » بدل « بصره ».

وقال أحمد في مسنده: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، عن منصور فذكر مثل حديث بهز بدون «من» وزاد في أول الدعاء «بسم الله».

وأخرجه النسائي عن بندار عن عبد الرحمن بن مهدي.

وقال أحمد أيضاً حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن منصور، عن الشعبي عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا خرج من بيته قال «بسم الله توكلت على الله اللهم إني أعوذ بك من أن نضل أو نزل أو نظلم أو نظلم أو نجهل أو يجهل علينا» أخرجه الترمذي في الجامع، والنسائي في الكبرى جميعاً عن محمود بن غيلان عن وكيع، ولم يجيء في شيء من الطرق بالنون بصيغة الجمع إلا في رواية وكيع، وكذا زيادة توكلت على الله، ولا في شيء من طرقه بزيادة «أضل وأزل» بضم الهمزة فيهما إلا في رواية مسلم بن إبراهيم، قال الترمذي بعد تخريجه: حديث حسن صحيح، وقال الحاكم بعد تخريجه في المستدرك من رواية عبد الرحمن بن مهدي: صحيح على شرطهما، فقد صح سماع الشعبي عن أم سلمة وعن عائشة هكذا. قال: وقد خالف ذلك في علوم الحديث له فقال: لم يسمع الشعبي من عائشة، وقال علي بن المديني في كتاب العلل: لم يسمع الشعبي من أم سلمة، وعلى هذا فالحديث منقطع.

قال الحافظ: وله علة أخرى وهي الاختلاف على الشعبي، فرواه زبيد عنه مرسلاً لم يذكر فوق الشعبي أحداً، هكذا أخرجه النسائي في اليوم والليلة من رواية عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان الثوري، عن زبيد، ورواه مجالد عن الشعبي فقال عن مسروق عن عائشة، ورواه أبو بكر الهذلي عن الشعبي فقال: عن عبد الله بن شداد عن ميمونة، وهذه العلة غير قادحة فإن منصوراً ثقة ولم يختلف عليه فيه، فقد رواه ابن ماجه من طريق عبد بن حميد، والنسائي أيضاً من طريق جرير، والطبراني في الدعاء من طريق القاسم بن معن، ومن طريق الفضيل بن عياض، وابن نجيح في جزء له من طريق إدريس الأزدي، كلهم عن منصور كذلك فما له علة سوى الانقطاع، فلعل من صححه سهل الأمر فيه لكونه من الفضائل، ولا يقال اكتفى بالمعاصرة لأن محل ذلك أن لا يحصل الجزم بانتفاء التقاء المعاصرين إذا كان النافي واسع الاطلاع مثل ابن المديني، والله أعلم.

وقال الحافظ أبو عبد الله بن منده: أخبرنا أحمد بن محمد، حدثنا الحارث بن محمد، حدثنا أبو زيد سعيد بن الربيع، أخبرنا شعبة، عن منصور، عن الشعبي عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: قال شعبة أكبر علمي أن فيه «بسم الله» وزعم سفيان يعني الثوري أنه فيه «اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أذل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي» هكذا هو الأصل بالذال المعجمة من الذل، والذي في أكثر الروايات بالزاي من الزلل، وقد عرفت من مجموع ما سقناه أن المصنف جمع بين الروايات المختلفة والله أعلم.

(اللهم إني لم أخرج أشراً) بالتحريك وهو كفر النعمة، **(ولا بطراً)** وهو بوزنه ومعناه،

خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنّة نبيك شوقاً إلى لقائك، فإذا مشى قال: اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت. اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي فاكفني ما أهمني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك. اللهم زوّدني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت. ويدعو بهذا الدعاء في كل منزل يدخل عليه.

(**ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك**) أي غضبك، (**وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقاً إلى لقائك فإذا مشى**) من باب داره (**قال: اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي فاكفني ما أهمني**) من أمور الدنيا (**وما لا أهتم به**) أي لم يخطر ببالي (**وما أنت أعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك. اللهم زوّدني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت** ») .

قال الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا عبد الرحمن المحاربي، عن مساور العجلي، عن أنس قال: لم يرد رسول الله ﷺ سفراً قط إلا قال حين ينهض من جلوسه: « اللهم بك انتشرت وإليك توجهت وبك اعتصمت، اللهم اكفني ما أهمني وما لا أهتم له وما أنت أعلم به مني. اللهم اغفر لي ذنبي وزوّدني التقوى ووجهني للخير حيثما توجهت » ثم يخرج. وفي نسخة « حيثما كنت ».

وأخرج أحمد في مسنده، عن هاشم بن القاسم، حدثنا أبو جعفر الرازي، عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، عن صالح بن كيسان، عن رجل، عن عثمان بن عفان رفعه « ما من مسلم يريد سفراً أو غيره فقال: بسم الله آمنت بالله اعتصمت بالله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله إلا رزق خير ذلك المخرج وصرف عنه شره ».

وأما قوله « عز جارك » إلى قوله « غيرك » فعند الطبراني في الدعاء قال: حدثنا عبد الرحمن بن مسلم، حدثنا سهل بن عثمان، حدثنا جنادة بن سلم، عن عبيدالله بن عمر، عن عتبة بن عبدالله بن عتبة بن عبدالله بن مسعود، عن أبيه، عن جده، عن جد أبيه عبدالله بن مسعود أن النبي ﷺ قال « إذا تخوّف أحدكم السلطان فليقل » فذكره وفيه « عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ». وفي رواية: « ولا إله إلا أنت ».

ورواه البخاري في الأدب المفرد من وجه آخر موقوفاً على ابن مسعود وسنده صحيح، ورواه ابن السني من حديث ابن عمر مرفوعاً « إذا خفت سلطاناً أو غيره فقل » فساقه وفي آخره « لا إله إلا أنت عز جارك وجل ثناؤك » والإخلاص وإمحاض النية وإحضار القلب مع معرفة معاني هذه الأدعية شرط ليكون أدعى للإجابة.

(**ويدعو بهذا الدعاء**) بتمامه أو بعضه (**في كل منزل** يرحل عنه) تشبيهاً له بمنزله الذي خرج منه.

الخامسة: في الركوب: فإذا ركب الراحلة يقول: بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون. اللهم إني وجهت وجهي إليك وفوّضت أمري كله إليك، وتوكلت في جميع أموري عليك. أنت حسبي ونعم

(الخامسة في الركوب: فإذا ركب الراحلة يقول « بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون. اللهم إني وجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وتوكلت في جميع أموري عليك. أنت حسبي ونعم الوكيل ») :

قال مسلم في صحيحه: حدثنا هارون بن عبد الله، عن حجاج بن محمد، عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أن علياً الأزدي أخبره أن ابن عمر أخبره أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً ثم قال « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون. اللهم إني أسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال ».

وأخرجه أبو نعيم، عن أبي بكر بن خلاد عن الحرث بن أبي أسامة عن روح بن عبادة عن ابن جريج.

وأخرجه أبو داود، عن الحسن بن علي، عن عبد الرزاق، عن ابن جريج.

وأخرجه أبو نعيم في المستخرج عن محمد بن إبراهيم بن علي عن محمد بن بركة، عن يوسف بن سعيد، عن حجاج بن محمد.

وقال الطبري: حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا مسدد، حدثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق عن علي بن ربيعة قال: شهدت علياً رضي الله عنه أتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال « بسم الله » فلما استوى على ظهرها قال « الحمد لله » ثم قال « سبحان الذي سخر لنا هذا » إلى قوله « منقلبون » ثم قال « الحمد لله » ثلاث مرات ثم قال: « الله أكبر » ثلاث مرات ثم قال « سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » ثم ضحك فقلت يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت؟ فقال: « رأيت رسول الله ﷺ فعل كما فعلت ثم ضحك، فقلت يا رسول الله من أي شيء ضحكت فقال: إن ربنا ليعجب من عبده إذا قال اغفر قال علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري »[1].

---

(١) هنا بياض بالأصل.

الوكيل، فإذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبع مرات. وقال: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف: ٤٣] اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور.

السادسة: في النزول. والسنّة أن لا ينزل حتى يحمى النهار ويكون أكثر سيره بالليل. قال ﷺ: «عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار» وليقلل نومه بالليل حتى يكون عوناً على السير، ومهما أشرف على المنزل فليقل: «اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما

وأخرجه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن أبي الأحوص.

وأخرج الدارقطني في الافراد من طريق عبد الله بن سعيد، عن يونس بن جناب، عن شقيق الأزدي، عن علي بن ربيعة قال: اردفني علي خلفه فذكر الحديث.

(فإذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» سبع مرات. وقال: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف: ٤٣] اللهم أنت الحامل على الظهر والمستعان على الأمور») وقد جاء في رواية مسلم، والترمذي التكبير ثلاثاً عند الاستواء على الراحلة من حديث ابن عمر.

(السادسة: في النزول: والسنّة أن لا ينزل حتى يحمي النهار) وذلك لاغتنام السفر في بكرة النهار، **(ويكون أكثر سيره بالليل)** خصوصاً في البلاد الحارة كالحجاز واليمن، **(قال رسول الله ﷺ «عليكم بالدلجة)** بالضم والفتح سير الليل، وهو اسم من الإدلاج بالتخفيف السير أول الليل أو من الادلاج بالتشديد وهو السير في الليل كله، ولعله المراد هنا لقوله **(فإن الأرض تطوى بالليل)** أي ينزوي بعضها لبعض ويتداخل فيقطع المسافر فيه من المسافة ما لا يقطعه نهاراً **(ما لا تطوى بالنهار»)**.

قال العراقي: رواه أبو داود من حديث أنس دون قوله «ما لا تطوى بالنهار» وهذه الزيادة في الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسلاً اهـ.

قلت: أسنده ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث عبد الله بن سعد الأسلمي، ورواه الحاكم في الحج والجهاد، والبيهقي بدون تلك الزيادة، وقال الحاكم على شرطهما. وأقره الذهبي في موضع، وقال في موضع آخر: إن سلم من مسلم بن خالد بن يزيد اليعمري فجيد، وأما سند أبي داود فحسن.

(وليقلل نومه بالليل حتى يكون له ذلك عوناً على السفر) فيه، **(ومهما أشرف على منزل فليقل: «اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن)** أي

أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شره وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم». فإذا نزل المنزل صلّى

حلن (**ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله، وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر أهله وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم»**).

قال الطبري في الدعاء: حدثنا القاسم بن عباد، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا حفص بن ميسرة، عن موسى بن عتبة عن عطاء بن أبي مروان، عن أبيه أن كعباً حلف بالله الذي فلق البحر لموسى عليه السلام أن صهيباً رضي الله عنه حدثه أن رسول الله ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها «اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها». وقال كعب: إنها دعوة داود عليه السلام حين يرى العدو.

ورواه الطبراني أيضاً عن عبيد الله بن محمد العمري، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، عن حفص ابن ميسرة هذا حديث حسن أخرجه النسائي، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم كلهم من رواية عبد الله بن وهب عن حفص بن ميسرة.

وأخرجه ابن السني من طريق محمد بن أبي السري، عن حفص، ويروى بزيادة رجل بين أبي مروان وكعب.

وهكذا رواه الحسن بن محمد الزعفراني، والعباس بن محمد الدوري، وابراهيم بن هانئ، وهارون ابن عبد الله أربعتهم عن سعد بن عبد الحميد، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن موسى بن عقبة، عن عطاء، عن أبيه أن عبد الرحمن بن معتب الأسلمي حدثه قال: قال كعب فذكر الحديث بطوله. أخرجه النسائي عن هارون بن عبد الله، وأشار إلى ضعف زيادة عبد الرحمن في السند، وقال ابن حبان في الطبقة الثالثة من الثقات أبو مروان والد عطاء اسمه عبد الرحمن بن معتب، روى عن كعب وعنه ابنه عطاء، فعلى هذا كأنه كان في الأصل عطاء بن مروان، عن أبيه عبد الرحمن بن معتب، وقد جاء هذا الحديث من وجه عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن أبي معتب.

قال الحافظ أبو عبد الله بن منده أخبرنا أبو محمد بن حليمة، حدثنا أبو حاتم الرازي، حدثنا أبو جعفر النفيلي، حدثنا محمد بن سلمة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني من لا اتهمه عن عطاء بن أبي مروان، عن أبيه، عن أبي معتب بن عمرو أن رسول الله ﷺ أشرف على خيبر فقال لأصحابه: قفوا ثم قال «اللهم رب السموات السبع وما أظللن» فذكر الحديث، وهكذا أخرجه النسائي عن إبراهيم بن يعقوب عن النفيلي، والطبراني عن أبي شعيب الحراني عن النفيلي، ووقع في

رواية وقال لأصحابه « قفوا فوقفوا وأنا فيهم » وهذا يدل على صحبة أبي معتب ، فكان الحديث عن أبي مروان بسندين هذا والذي مضى وهو كعب عن صهيب .

وقد جاء الحديث عن أبي مروان قال فيه ، عن ابيه ، عن جده ، قال المحاملي : حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يونس بن بكر ، عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصاري ، عن صالح بن كيسان ، عن أبي مروان الأسلمي عن أبيه عن جده قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ، حتى إذا كنا قريباً وأشرفنا عليها قال للناس « قفوا فوقفوا فقال : اللهم رب السموات وما أظللن » فذكر الحديث مثل اللفظ الأول إلا الرياح ، زاد في آخره « اقدموا بسم الله » هكذا جاء عن جده غير مسمى ، وكأنه المذكور قبل وهو أبو معتب بن عمرو ، فيصير هكذا أبو مروان عبد الرحمن ابن معتب عن أبيه معتب عن جده أبي معتب ، وعلى هذا يكون سقط قوله عن أبيه من رواية أبي إسحاق ، ومدار هذا الحديث على أبي مروان المذكور ، وقد اختلف فيه اختلافاً متبايناً فذكره الطبري في الصحابة ، وذكر أخباراً مرفوعة وموقوفة تدل على ذلك ، لكنها كلها من رواية الواقدي ، وذكره الأكثر في التابعين . وقال النسائي : لا يعرف ، وذكره ابن حبان في أتباع التابعين ، وعلى القول الأول تكون روايته عن كعب الأحبار من رواية الصحابة عن التابعين وهي قليلة .

طريق آخر للحديث : قال الطبراني : حدثنا الحسن بن علي المعمري ، ومحمد بن علي الطرائفي قالا : حدثنا علي بن ميمون الرقي ، حدثنا سعيد بن مسلمة ، حدثنا محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال « إذا خرجتم من بلادكم إلى بلد تريدونها فقولوا اللهم رب السموات السبع وما أظلت » فذكر مثل الحديث الماضي ، لكن بالإفراد فيها وزاد « ورب الجبال أسألك خير هذا المنزل وخير ما فيه وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه ، اللهم ارزقنا جناه واصرف عنا وباه وحببنا إلى أهله وحبب أهله إلينا » وسعيد فيه ضعف ، لكنه ترفع بحديث عائشة .

وهو ما أخرج ابن السني من طريق عيسى بن ميمون ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أشرف على الأرض يريد دخولها قال « اللهم إني أسألك من خير هذه الأرض وخير ما جمعت فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما جمعت ، اللهم ارزقنا جناها وأعذنا من وباها وحببنا إلى أهلها وحبب صالحي أهلها إلينا » .

ولحديث ابن عمر طريق آخر ، قال الطبراني : حدثنا عبد الرحمن بن الحسين الصابوني ، حدثنا عبد الأعلى بن واصل ، حدثنا إسماعيل بن صبيح ، حدثنا مبارك بن حسان ، عن نافع عن ابن عمر قال : كنا نسافر مع النبي ﷺ فإذا رأى قرية يريد دخولها قال « اللهم بارك لنا فيها » ثلاث مرات « اللهم ارزقنا جناها وجنبنا وباها » وذكر بقية الحديث مثل حديث عائشة ، وفي مبارك أيضاً مقال ، ولكن بعض هذه الطرق يعضد بعضاً .

(فإذا نزلت المنزل فصلّ فيه ركعتين) ، فقد ثبت أن النبي ﷺ ما نزل منزلاً إلا ودّعه

ركعتين فيه، ثم قال: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر

بركعتين، (**ثم قل: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق»**).

قال أبو نعيم في المستخرج، حدثنا أحمد بن يوسف، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله، وإبراهيم بن محمد، ومحمد بن إبراهيم قال الأول: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا يحي بن بكير، وقال الثاني: حدثنا الحسن بن سفيان، وقال الثالث والرابع: حدثنا محمد بن إسحاق قال: حدثنا قتيبة، وقال الخامس: حدثنا محمد بن زياد، أخبرنا محمد بن رمح، قال الثلاثة: حدثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن الحرث بن يعقوب أن يعقوب بن عبد الله بن الأشج، حدثه أن بسر بن سعيد، حدثه أن سعد بن أبي وقاص، حدثه قال: سمعت خولة بنت حكيم تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لا يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك» هذا حديث صحيح أخرجه مالك بلاغاً عن يعقوب، وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة، ومسلم أيضاً عن محمد بن رمح، ورواه المحاملي عن إبراهيم بن هانىء عن عبدالله بن صالح عن الليث.

وقال الطبراني: حدثنا أبو يزيد القراطيسي، حدثنا عبد الله بن عبد الحكم، حدثنا ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث أن يزيد بن أبي حبيب، والحرث بن يعقوب حدثاه، عن يعقوب ابن عبد الله بن الأشج، عن بسر بن سعيد، عن سعد بن أبي وقاص، عن خولة بنت حكيم السلمية أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا نزل أحدكم منزلاً فليقل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل منه» رواه أبو نعيم عن محمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن الحسن حدثنا حرملة عن ابن وهب، ورواه المحاملي عن إبراهيم بن هانئ، عن عثمان بن صالح، عن ابن وهب، ورواه أبو نعيم أيضاً عن عبد الله بن محمد، عن ابن معدان عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، ورواه أيضاً عن محمد بن عبد الله بن سعيد، عن عبدان بن أحمد، عن أبي الطاهر بن السرح عن ابن وهب، وأخرجه مسلم عن أبي الطاهر بن السرح، وهارون بن سعيد الأيلي عن ابن وهب، وأخرجه ابن خزيمة وأبو عوانة عن يونس بن عبد الأعلى، واتفق مالك والليث وتابعهما ابن لهيعة عن شيوخهم عن يعقوب عن بسر، وخالفهم محمد بن عجلان، وكذلك أخرجه أحمد عن عفان، وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن عفان، فإن كان ابن عجلان حفظه حمل على أن ليعقوب فيه شيخين.

وقد وقع هذا الحديث من وجه آخر في مسند الإمام أحمد قال: حدثنا أبو معاوية، ويزيد بن هارون، ومحمد بن يزيد فرقهم ثلاثتهم مظنون قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق زاد يزيد ثلاثاً إلا وقي شر منزله حتى يظعن منه»

ما خلق». فإذا جن عليه الليل يقول: «يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دبّ عليك. أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب، ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد ﴿وَلَهُ ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم﴾ .[الأنعام: ١٣].

السابعة: في الحراسة: ينبغي أن يحتاط بالنهار فلا يمشي مفرداً خارج القافلة لأنه ربما يغتال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظاً عند النوم، فإن نام في ابتداء الليل افترش ذراعه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه نصباً وجعل رأسه في كفه. هكذا كان ينام رسول الله ﷺ في سفره لأنه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون

أخرجه العقيلي في الضعفاء في ترجمة الربيع بن مالك، وكذا ذكره ابن حبان في الضعفاء، وقال: لا أدري جاء الضعف منه أو من الحجاج.

(فإذا جن عليه الليل فليقل «يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك، أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد﴿وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم﴾»[الأنعام: ١٣].

قال أحمد في المسند: حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، عن صفوان بن عمر، وحدثني شريح بن عبيد أنه سمع الزبير بن الوليد يحدث عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا غزا أو سافر فأدركه الليل قال «يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما دب عليك. أعوذ بالله من شر أسد وأسود ومن حية وعقرب ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد» هذا حديث حسن أخرجه أبو داود، والنسائي في الكبرى جميعاً من طريق بقية بن الوليد، عن صفوان، ورواه المحاملي عن العباس بن عبد الله، ومحمد بن هارون كلاهما عن أبي المغيرة، والزبير المذكور شامي تابعي انفرد شريح بالرواية عنه وهو حمصي ثقة. وأخرجه الحاكم من وجه آخر عن أبي المغيرة وقال: صحيح الإسناد.

(السابعة: في الحراسة) أي الحفظ والحماية، **(فينبغي أن يحتاط بالنهار ولا يمشي منفرداً)** عن أصحابه **(خارجاً عن القافلة لأنه ربما يغتال)** من عدوّ أو سبع، **(أو ينقطع)** فلا يهتدي للطريق، أو لا يمكنه الوصول إليهم، ولكن إذا فارقهم وبعد عنهم قليلاً بحيث يتراؤون لقضاء الحاجة فلا بأس، **(ويكون بالليل متحفظاً عند النوم)** متيقظاً في أحواله، **(فإن نام في أول الليل افترش ذراعه، وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه وجعل رأسه في كفه. هكذا كان ينام رسول الله ﷺ في اسفاره)**.

ما يفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج. والأحب في الليل أن يتناوب الرفيقان في الحراسة، فإذا نام أحدهما حرس الآخر فهو السنّة، فإن قصده عدوّ أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي، وشهد الله، والإخلاص، والمعوّذتين وليقل: بسم الله ما شاء الله ولا قوّة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتي بالخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله حسبي الله وكفى وسمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ ﴿كَتَبَ اللهُ لأغلبَنَّ أنا ورُسُلِي إنَّ اللهَ قَوِيٌّ عزيز﴾ [المجادلة: ٢١] تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت. اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام

قال العراقي رواه أحمد، والترمذي في الشمائل من حديث أبي قتادة بسند صحيح، وعزاه أبو مسعود والدمشقي والحميدي إلى مسلم ولم أره فيه اهـ.

قلت: وجدت بخط الشيخ زين الدين القرشي الدمشقي المحدث في هامش نسخة العراقي ما نصه: ليس هو بصحيح في مسلم، وإنما هو زيادة وقعت في حديث أبي قتادة الطويل في نوم النبي ﷺ وأصحابه في الوادي، فأصل الحديث في مسلم دون هذه الزيادة التي وقعت في بعض رواياته في السند، وعزاه ابن الجوزي في جامع المسانيد بجميع رواياته إلى مسلم وليس كذلك، ولفظ هذه الزيادة: «كان رسول الله ﷺ إذا عرس وعليه ليل توسد يمينه وإذا عرس الصبح وضع رأسه على كفه اليمنى وأقام ساعده».

(فإنه ربما يستثقل في النوم فتطلع الشمس وهو لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج، والأحب بالليل أن يتناوب الرفيقان في الحراسة فإذا نام أحدهما حرس الآخر وذلك هو السنّة).

قال العراقي: رواه البيهقي من طريق ابن إسحاق من حديث جابر في حديث فيه، فقال الأنصاري للمهاجري: أي الليل أحب إليك أن أكفيك أوله أو آخره؟ فقال: لا بل اكفني أوله، فاضطجع المهاجري. الحديث. والحديث عند أبي داود، لكن ليس فيه قول الأنصاري للمهاجري.

(فإن قصده عدوّ أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي) إلى ﴿خالدون﴾ [البقرة: ٢٥٥، ٢٥٧] **(وشهد الله أنه لا إله إلا هو)** إلى قوله ﴿الإسلام﴾ [آل عمران: ١٨] والآية التي بعدها إلى قوله ﴿بغير حساب﴾ **(وسورة الاخلاص والمعوّذتين، وليقل: بسم الله ما شاء الله لا قوّة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتي بالخيرات إلا الله. ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله. حسبي الله وكفى. سمع الله لمن دعا. ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ. ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ [المجادلة: ٢١] تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت. اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام**

واكنفنا بركنك الذي لا يرام . اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا . اللهم أعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين .

الثامنة : مهما علا نشزاً من الأرض في الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثاً ، ثم يقول : اللهم لك الشرف على كل شرف ، ولك الحمد على كل حال ، ومهما هبط سبح ومهما

واكنفنا بركنك الذي لا يرام . اللهم ارحمنا بقدرتك علينا ولا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا . اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت ارحم الراحمين ») .

أما قراءة آية الكرسي ، فأخرج الديلمي في مسنده من حديث أبي قتادة مرفوعاً « من قرأ آية الكرسي عند الكرب أغاثه الله تعالى » وسنده ضعيف .

وأخرج الطبراني وابن السنى من طريق عمرو بن سمرة ، عن أبيه ، عن يزيد بن مرة عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ « الا أعلمك كلمات إذا وقعت في ورطة قلتها ؟ فقلت : بلى جعلني الله فداءك فربَّ خير قد علمتنيه . قال : إذا وقعت في ورطة فقل بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم فإن الله يصرف بها ما شاء من أنواع البلاء » .

(**الثامنة : مهما علا شرفاً أو نشزاً**) بالتحريك فيهما ما ارتفع من الأرض (**فيستحب أن يكبر ثلاثاً ثم ليقل « اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط**) وادياً (**سبح »**) روى البخاري في الصحيح من حديث ابن عمر قال : « كان النبي ﷺ إذا قفل من الحج أو العمرة كلما أوفى على فدفد أو ثنية كبر ثلاث تكبيرات » .

ورواه مسلم بلفظ : « كان إذا قفل من الجيوش أو السرايا أو الحج أو العمرة إذا أوفى على نشز أوفدفد كبر ثلاثاً » .

ولفظ مالك في الموطأ « كان إذا قفل من غزوة أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات » .

وقال الطبراني في الدعاء : حدثنا علي بن عبد العزيز ، حدثنا مسلم بن ابراهيم ، حدثنا عمارة بن زاذان ، عن زياد النميري ، عن أنس قال : « كان رسول الله ﷺ إذا سافر فصعد أكمة قال « اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال » .

وأخرجه ابن السني من وجه آخر عن عمارة وهو ضعيف .

وأخرجه المحاملي في الدعاء بلفظ « إذا صعد نشزاً من الأرض أو أكمة » .

وأخرج البخاري ، والنسائي والمحاملي من طريق سالم بن أبي الجعد ، عن جابر رضي الله عنه قال : « كنا إذا صعدنا الثنايا كبرنا وإذا هبطنا سبحنا » .

خاف الوحشة في سفره قال سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت.

الجملة الثانية: في آداب الإحرام من الميقات إلى دخول مكة وهي خمسة:

الأول: أن يغتسل وينوي به غسل الإحرام-أعني إذا انتهى إلى الميقات المشهور

وفي مصنف عبد الرزاق: أخبرنا ابن جريج قال: « كان النبي ﷺ وجيوشه إذا صعدوا الثنايا كبروا وإذا هبطوا سبحوا » فوضعت الصلاة على ذلك.

(ومهما خاف الوحشة في سفره قال: « سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت »).

قال الطبراني: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبد الحميد بن صالح، حدثنا محمد بن أبان، حدثنا درمك بن عمر، وعن أبي إسحاق عن البراء بن عازب أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال: « قل سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعزة والجبروت » فقالها الرجل فذهبت عنه الوحشة. هذا حديث غريب وسنده ضعيف أخرجه ابن السني عن محمد بن عبد الوهاب عن محمد بن أبان وهو كوفي ضعفوه وشيخه درمك. قال أبو حاتم الرازي: مجهول، وذكره العقيلي في كتاب الضعفاء وأورد له هذا الحديث وقال: لا يتابع عليه ولا يعرف إلاَّ به، والله أعلم.

الجملة الثانية في آداب الاحرام من الميقات:

المكاني **(إلى)** حين **(دخول مكة)** شرفها الله تعالى وهي خمسة

(الأول: أن يغتسل وينوي به غسل الاحرام. أعني إذا انتهى إلى الميقات المشهور الذي يحرم الناس منه)، وهذا الغسل من الاغسال المسنونة المستحبة وهي تسعة هذا أحدها، ويأتي بيان البقية في شرح الجملة الثالثة قريباً.

اعلم أن من سنن الإحرام أن يغتسل إذا اراد الاحرام، فقد روى الترمذي، والدارقطني، والبيهقي، والطبراني من حديث زيد بن ثابت « أن النبي ﷺ تجرد لإهلاله واغتسل » حسنه الترمذي، وضعفه العقيلي.

وروى الحاكم، والبيهقي من طريق يعقوب بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس قال: « اغتسل رسول الله ﷺ ثم لبس ثيابه، فلما أتى ذا الحليفة صلى ركعتين ثم قعد على بعيره فلما استوى به على البيداء أحرم بالحج » ويعقوب ضعيف.

ويستوي في استحبابه الرجل والمرأة والصبي، وإن كانت حائضاً أو نفساء لأن المقصود من هذا الغسل التنظيف، وقطع الروائح الكريهة لدفع أذاها عن الناس عند اجتماعهم، فقد روى مالك في

الموطأ عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن اسماء بنت عميس امرأة أبي بكر، أنها نفست بذي الحليفة فأمرها رسول الله ﷺ أن تغتسل للإحرام، ولو كانت يمكنها المقام بالميقات حتى تطهر، فالأولى أن تؤخر الإحرام حتى تطهر وتغتسل ليقع إحرامها على أكمل حالها، وإذا لم يجد المحرم ماء أو لم يقدر على استعماله تيمم لأن التيمم عن الغسل الواجب، ففي المندوب أولى. نص عليه في الأم، واختار إمام الحرمين أنه لا يتيمم وجعله وجهاً في المذهب، وإن لم يجد من الماء ما يكفيه للغسل توضأ قاله صاحب التهذيب.

قال النووي، وكذا المحاملي: فإن أراد أنه يتوضأ ثم يتيمم فحسن وإن أراد الاقتصار فليس بجيد لأن المطلوب هو الغسل والتيمم يقوم مقامه دون الوضوء والله أعلم.

وحكى ابراهيم المروزي قولاً: انه لا يسن للحائض والنفساء الاغتسال، وإذا اغتسلتا فهل تنويان؟ فيه نظر لإمام الحرمين والظاهر إنهما ينويان لأنهما يقيمان مسنوناً.

فصل

وقال صاحب الهداية من أصحابنا: وإذا أراد الإحرام اغتسل أو توضأ والغسل أفضل لما روي فيه إلا أنه للتنظيف حتى تؤمر به الحائض، وإن لم يقع فرضاً عنها فيقوم الوضوء مقامه كما في الجمعة، ولكن الغسل أفضل لأن معنى التنظيف به أتم، ولأنه ﷺ اختاره اهـ.

والحاصل أن من أراد أن يحرم يستحب له أن يغتسل، فقد أخرج ابن أبي شيبة، والبزار، والدارقطني، والحاكم من حديث ابن عمر أنه قال «السنة أن يغتسل إذا أراد أن يحرم» والمراد بهذا الغسل تحصيل النظافة، وإزالة الرائحة حتى تؤمر به الحائض والنفساء، ولا يتصور حصول الطهارة لها بهذا الغسل، ولذا قالوا لا يعتبر التيمم عند العجز عن الماء بخلاف الجمعة والعيدين، وسوّى في الكافي بين الإحرام والجمعة والعيدين.

قال عمر بن نجيم في شرح الكنز وهو التحقيق لأن التراب لا أثر له في تحصيل النظافة لأنه ملوث ويغبر اهـ.

فالتيمم لا ينوب عن غسل الاحرام اتفاقاً والوضوء ينوب عنه، وهل ينوب عن غسل الجمعة والعيدين؟ فالمشهور أنه ينوب والتحقيق أنه لا ينوب.

فصل

وأما اعتبار هذا الغسل، فاعلم أن الطهارة الباطنة في كل عبادة واجبة عند أهل الله إلا من يرى أن المكلف إنما هو الظاهر في مظهر ما عن أعيان الممكنات، فإنه يراه سنّة لا وجوباً، ومن يرى من أهل الله أن الاستعداد الذي هو عليه عين المظهر كما أثر في الظاهر فيه أن يتميز عن ظهور آخر بامر مّا وباسم مّا من حيوان أو إنسان أو مضطر أو بالغ أو عاقل أو مجنون، فذلك الاستعداد

الذي يحرم الناس منه ـ ويتمم غسله بالتنظيف ويسرح لحيته ورأسه ويقلم اظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة.

الثاني: أن يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوبي الإحرام فيرتدي ويتزر بثوبين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل ويتطيب في ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب

عينه أوجب عليه الحكم بأمر مّا كما أوجب له الإسم، فقال له: اغتسل لإحرامك أي تطهر بجمعك حتى تعم الطهارة ذاتك لكونك تريد أن تحرم عليك أفعالاً مخصوصة لا يقتضي فعلها هذه العبادة الخاصة المسماة حجاً فاستقبالها بصفة تقديس أولى، لأنك تريد بها الدخول على الاسم القدوس، فلا تدخل عليه إلا بصفة وهي الطهارة كما لم تدخل عليه إلا بأمره إذ المناسبة شرط في التواصل والصحبة، فوجب الغسل. ومن رأى أنه إنما تحرم على المحرم أفعال مخصوصة لا جميع الأفعال قال: فلا يجب عليه الغسل الذي هو عموم الطهارة فإنه لم يحرم عليه جميع أفعاله فيجزىء الوضوء فإنه غسل أعضاء مخصوصة من البدن كما أنه ما يحرم عليه إلا أفعال مخصوصة في أفعاله، وإن اغتسل فهو أفضل، وكذلك إن عمم الطهارة الباطنة فهو أولى وأفضل، والله أعلم.

(**وتمم غسله بالتنظيف**) والإزالة (**فيسرح رأسه**) إن كان ذا شعر بالمشط وكذا لحيته، (**ويقلم اظفاره**) بالوجه المذكور سابقاً، (**ويقص شاربه**) حتى يبدو الإطار ويحلق عانته، (**ويستكمل النظافة التي ذكرناها في**) كتاب اسرار (**الطهارة**) من غسل البراجم والرواجب وغيرها، وكل ذلك من الفطرة الاسلامية.

(**الثاني: أن يفارق الثياب المخيطة**) أي يتجرد عنها إذ ليس للمحرم لبس المخيط، (**فيلبس ثوب الاحرام فيرتدي**) برداء يكون على الظهر والاكتـاف، (**ويتزر**) بازار يكون من السرة إلى الركبة، ويلبس النعلين لما روى أبو عوانة في صحيحه من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر «أن النبي ﷺ قال» فذكر الحديث، وفيه «وليحرم أحدكم في إزار ورداء ونعلين». (**بثوبين أبيضين**) هما الازار والرداء، (**فالافضل من الثياب البياض وهي أحب الثياب إلى الله تعالى**) كما ورد في الخبر وسبق ذكره في كتاب الجمعة.

وروى الخمسة غير النسائي من حديث ابن عباس «خير ثيابكم البيض فكفنوا فيها موتاكم والبسوها» قال الترمذي: صحيح.

قال الرافعي: وليكونا جديدين فإن لم يجد فليكونا غسيلين، ويكره له لبس المصبوغ لما روي عن عمر أنه رأى على طلحة بن عبيد الله ثوبين مصبوغين وهو حرام فقال: أيها الرهط إنكم أئمة يهتدى بكم فلا يلبس أحدكم من هذه الثياب المصبغة. قال الحافظ في تخريجه رواه مالك في الموطـأ عن نافع أنه سمـع اسلم مولى عمر يحدث عبد الله بن عمر رأى على طلحة ثوباً مصبوغاً فذكر نحوه وأتم منه.

وقال أصحابنا: ويلبس ثوبين جديدين أو غسيلين قالوا وفي ذكر الجديد نفي لقول من يقول

يبقى جرمه بعد الإحرام، فقد رؤي بعض المسك على مفرق رسول الله ﷺ بعد الإحرام مما كان استعمله قبل الإحرام.

بكراهة الجديد عند الاحرام، وإنما استحبوا الجديد لأنه أنظف لأنه لم تركبه النجاسة، والأولى أن يكونا أبيضين لأنه خير الثياب وقد علم من كلام المصنف أن المعدود من السنن إنما هو التجرد بالصفة المذكورة، فاما مجرد مفارقة الثياب فلا يعد من السنن لأن ترك لبس المخيط في الإحرام لازم ومن ضرورة لزومه التجرد قبل الإحرام.

(ويتطيب في بدنه وثيابه) لما في الصحيحين من حديث عائشة: « كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت ».

(ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام) أي لا فرق بين ما يبقى له أثر وجرم بعد الاحرام وبين ما لا يبقى له، **(فقد رؤي وبيص المسك)** أي بريقه **(على مفرق رسول الله ﷺ بعد الاحرام مما كان استعمله قبل الاحرام)**.

قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة قالت: « كنت أنظر إلى وبيص المسك » الحديث اهـ.

وتمامه « في مفرق رسول الله ﷺ وهو محرم » هذا لفظ مسلم ولفظ البخاري « الطيب » بدل « المسك » و« مفارق » بدل « مفرق ». وزاد النسائي وابن حبان بعد ثلاث وهو محرم.

وفي رواية لمسلم « كان إذا أراد أن يحرم تطيب باطيب ما يجد ثم أرى وبيص المسك في رأسه ولحيته بعد ذلك » وإنما أدرج المصنف التطيب تحت لبس الازار والرداء ولم يعده سنة مستقلة لأن من الأصحاب من روى وجهاً أنه ليس من السنن والمحبوبات، وإنما هو مباح نقله الرافعي، ثم أن اللفظ مطلق لا يفرق بين الرجال والنساء والاستحباب شامل للصنفين في ظاهر المذهب، وحكى في المعتمد قولاً عن نقل الداركي أنه لا يستحب لهن الطيب بحال، ووجهاً أنه لا يجوز لهن الطيب بطيب يبقى عينه.

وقول المصنف: ولا بأس الخ فيه خلاف أبي حنيفة ومالك فقد روت شرذمة عن أبي حنيفة المنع من ذلك، ومنهم المصنف في الوسيط، لكن الثابت عنه مثل مذهب الشافعي، وروي عن مالك كراهة الطيب الذي تبقى رائحته بعد الإحرام، ويروى عنه منع الطيب مطلقاً.

تنبيه:

إذا تطيب لإحرامه فله أن يستديم بعد الإحرام ما تطيب به، بخلاف ما إذا تطيبت المرأة ثم لزمتها العدة تلزمها إزالته في وجه، لأن في العدة حق الآدمي، فتكون المضايقة فيها أكثر، ولو أخذه من موضعه بعد الإحرام ورده إليه أو إلى موضع آخر لزمته الفدية. وروى الحناطي فيه قولين، ولو انتقل من موضع إلى موضع بإسالة العرق إياه فوجهان. أصحهما: أنه لا يلزمه شيء لتولده عن

مندوب إليه من غير قصد منه، والثاني أن عليه الفدية إذا تركه كما لو أصابه من موضع لأن في الحالين أصاب الطيب بعد الاحرام موضعاً لم يكن عليه طيب. هذا كله في البدن.

وفي تطييب إزار الاحرام وردائه وجهان. أحدهما: لا يجوز لأن الثوب ينزع ويلبس، فإذا نزعه ثم أعاده كان كما لو استأنف لبس ثوب مطيب، وأصحهما أنه يجوز كما يجوز تطييب البدن، وبعضهم ينقل هذا الخلاف قولين، والمشهور الأوّل. وفي النهاية وجه ثالث وهو الفرق بين أن لا تبقى عليه عين بالإحرام فيجوز، وبين أن يبقى فلا يجوز، كما لو شد مسكاً في ثوبه واستدامه. قال الإمام: والخلاف فيما إذا قصد تطييب الثوب أما إذا طيب بدنه فتعطر ثوبه تبعاً فلا حرج بلا خلاف. فإن جوّزنا تطييب الثوب للإحرام فلا بأس باستدامة ما عليه بعد الإحرام كما في البدن، لكن لو نزعه ثم لبسه ففي الفدية وجهان. أحدهما: لا تلزم لأن العادة في الثوب أن ينزع ويعار فجعل عفواً، وأصحهما إنها تلزم كما لو أخذ الطيب من بدنه ثم رده إليه، وكما لو ابتدأ لبس ثوب مطيب بعد الاحرام.

فصل

تقدم أن المصنف عزا في الوسيط إلى الإمام أبي حنيفة القول بمنع استعمال الطيب للمحرم قبل إحرامه، وأنه ليس بمشهور عنه كما قال وهو كذلك، فإن أصحابنا نقلوا أنه يجوز له ذلك بأي طيب كان سواء كان مما يبقى فيه بعد الاحرام أو مما لا يبقى وهو ظاهر الرواية.

وروي عن محمد وزفر تقييده بما لا تبقى عينه بعد الإحرام كما في الصحيحين من حديث يعلى ابن أمية قال: أتى النبي ﷺ رجل متضمخ وعليه جبة فقال يا رسول الله: كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة بعدما تضمخ بطيب؟ فقال النبي ﷺ «أما الذي بك فاغسله ثلاث مرات. وأما الجبة فانزعها ثم اصنع في عمرتك ما تصنع في حجتك» ولأنه يصير بعد الاحرام منتفعاً بعين الطيب وهو ممنوع عنه، ولأبي حنيفة حديث عائشة المتقدم ذكره.

وأجاب عن حديث يعلى بأنه منسوخ لأنه كان في سنة ثمان بالجعرانة، وحديث عائشة في حجة الوداع سنة عشر، وهكذا أجاب عنه الشافعي أيضاً وقيل في الجواب: بأن الطيب كان من زعفران وقد نهي الرجل عن التزعفر.

قال الحافظ ابن حجر: وكأن هذا الجواب مأخوذ من رواية مسلم وهو مصفر رأسه ولحيته، وأصرح منه حديث أحمد «وأغسل عنك هذا الزعفران» وحديث النهي عن التزعفر متفق عليه عن أنس والله أعلم.

وأجيب عن قولهم انه يصير بعد الإحرام منتفعاً بعين الطيب بأن الباقي من الطيب في جسده بعد الاحرام تابع له كالحلق هذا في البدن، وأما في الثوب ففيه روايتان، والمأخوذ به أنه لا يجوز، والفرق أنه اعتبر في البدن تابعاً والمتصل بالثوب منفصل عنه وأيضاً المقصود من استنانه وهو

الثالث: أن يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته إن كان راكباً أو يبدأ بالسير إن كان راجلاً فعند ذلك ينوي الإحرام بالحج أو بالعمرة قراناً أو إفراداً كما

حصول الارتفاق حالة المنع منه حاصل بما في البدن، فاغنى عنه بتجويزه في الثوب والله أعلم.

فرع

قال الرافعي: يستحب للمرأة أن تخضب بالحناء يديها إلى الكوعين قبل الإحرام، روي أن من السنة أن تمسح المرأة يديها للاحرام بالحناء، وتمسح وجهها أيضاً بشيء من الحناء لأنا نأمرها في الاحرام بنوع تكشف، فلتستر لون البشرة بلون الحناء، ولا يخص أصل الاستحباب بحالة الإحرام، بل هو محبوب في غيرها من الاحوال.

روي أن امرأة بايعت النبي ﷺ فأخرجت يدها فقال رسول الله ﷺ: «أين الحناء» نعم في حالة الاحرام لا فرق بين ذات الزوج والخلية في سائر الأحوال لها تعميم اليد بالخضاب دون التنقيش والتسويد والتطريف، والتطريف أن تخضب أطراف الأصابع، وقد ورد النهي عنه والله أعلم.

(الثالث: أن يصبر بعد لبس ثوبي الاحرام حتى تنبعث به راحلته إن كان راكباً أو يبتدىء بالسير إن كان راجلاً فعند ذلك ينوي الإحرام بالحج أو العمرة قراناً أو افراداً كما أراد).

اعلم أن من سنن الاحرام التي لم يشر إليها المصنف أن يصلي ركعتين قبل الاحرام لما في الصحيحين من حديث ابن عمر «انه ﷺ صلى بذي الحليفة ركعتين ثم أحرم».

وعند أحمد وأبي داود والحاكم من حديث ابن عباس «انه ﷺ خرج حاجاً فلما صلى في مسجده بذي الحليفة ركعتيه أوجب في مجلسه فأهل بالحج حين فرغ من ركعتيه» وإنما يستحب ذلك في غير وقت الكراهة، وأما في وقت الكراهة فأصح الوجهين الكراهة إن كان في غير الحرم، ولو كان احرامه في وقت فريضة وصلاها أغنته تلك عن ركعتي الاحرام.

قال النووي: والمستحب أن يقرأ فيها قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد. والله أعلم.

ثم إذا صلى نوى ولبّى وفي الافضل قولان أصحهما أن ينوي ويلبي حين تنبعث به راحلته إن كان راكباً وحين يتوجه إلى الطريق إن كان ماشياً لما روي «أنه ﷺ لم يهل حتى انبعثت به دابته» كما هو في الصحيحين من حديث ابن عمر، وعند البخاري من حديث جابر «أهل من ذي الحليفة حين استوت به راحلته» ورواه عن أنس نحوه.

وروى أبو داود، والبزار، والحاكم من حديث سعد بن أبي وقاص «كان النبي ﷺ إذا أخذ طريق الفرع أهلّ إذا استوت به راحلته».

قال إمام الحرمين: وليس المراد من انبعاث الدابة ثورانها، بل المراد استواؤها في صوب مكة،

أراد، ويكفي مجرد النية لانعقاد الإحرام ولكن السنّة أن يقرن بالنية لفظ التلبية.

والثاني أن الافضل أن ينوي ويلبي كما تحلل من الصلاة وهو قاعد، ثم يأخذ في السير، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد، لما روى أصحاب السنن من حديث ابن عباس «أن النبي ﷺ أهل في دبر الصلاة» وعند الحاكم «فأهل بالحج حين فرغ من ركعتيه» ويشتهر القول الأوّل بالجديد، والثاني بالقديم.

ويروى أيضاً عن المناسك الصغير من الأم وأجازه طائفة من الأصحاب، وحملوا اختلاف الرواية على أن النبي ﷺ أعاد التلبية عند انبعاث الدابة، فظن من سمع أنه حينئذ كما رواه أبو داود والبيهقي في حديث ابن عباس، والاكثرون على ترجيح الأوّل.

(ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام، ولكن السّنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية) ووجه آخر في المذهب أن التلبية من واجبات الإحرام، لا من سننه ذكره الرافعي وحكاه قوام الدين في شرح الهداية عن القدوري أي بالوجوب.

قال صاحب البحر: يحتمل أنه أراد بالوجوب الفرضية كما أطلقه عليه الأصحاب في مواضع، وفي شرح الآثار للطحاوي: أن التكبيرة والتلبية ركنان من أركان الصلاة والحج، ونقل عن أبي حنيفة أنها فريضة فلا يصح الحج بدونها.

قال الطرابلسي في المناسك: أي مرة واحدة حين يشرع وما زاد سنّة، وقال السروجي في شرح الهداية، وابن الهمام، وصاحب الاختيار: ان التلبية مرة شرط والزيادة سنة، وأما انعقاد الإحرام بمجرد النية ولو لم يلب هو مذهب الشافعي، وبه قال مالك وأحمد لأنه عبادة ليس في أوّلها ولا في أثنائها نطق واجب، وكذلك في ابتدائها كالطهارة والصوم. ونقل عن ابن خيران، وابن أبي هريرة، وأبي عبد الله الزبيري مثل قول أبي حنيفة وهو: أن التلبية شرط لانعقاد الإحرام إلا أن عند أبي حنيفة سوق الهدي وتقليده والتوجه معه يقوم مقام التلبية.

وحكى الشيخ أبو محمد وغيره قولاً للشافعي مثل مذهبه، وحكى الحناطي هذا القول في الوجوب دون الاشتراط وذكر تفريعاً انه لو ترك التلبية لزمه دم، وقد علم مما سبق أن النية هي المعتبرة دون التلبية فإن لم ينوِ ولبّى فقد حكي عن رواية الربيع أنه يلزمه ما لبى به، وقال في المختصر: وإن لم يرد حجاً ولا عمرة فليس بشيء، واختلف الأصحاب على طريقين أضعفها إن المسألة على قولين: أصحها أن احرامه لا ينعقد على ما ذكره في المختصر، والثاني أنه يلزمه ما سماه لأنه التزمه بقوله.

قال النووي: وهذا القول ضعيف جداً وكذا التأويل ضعيف والله أعلم.

وعلى هذا لو أطلق التلبية انعقد له احرام مطلق يصرفه إلى ما شاء من كلا النسكين أو أحدهما، وأصحها القطع بعدم الانعقاد، وحمل منقول الربيع على ما إذا تلفظ بأحد النسكين على التعيين ولم ينوه، ولكن نوى الإحرام المطلق فيجعل لفظه تفسيراً أو تعييناً للاحرام المطلق،

فيقول: « لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا

ويترتب على قولنا السابق النية هي المعتبرة ما لو نوى بالعمرة الحج فهو حاج، ولو كان بالعكس فهو معتمر، ولو تلفظ بأحدهما ونوى القران فقارن، ولو تلفظ بالقران ونوى أحدهما فهو محرم بما نوى، ثم إذا أحرم مطلقاً ما الأفضل من إطلاق الإحرام وتعينه؟ فيه قولان: قال في الإملاء الاطلاق أفضل، وقال في الأم وهو الأصح التعيين أفضل، وبه قال أبو حنيفة لأنه أقرب إلى الاخلاص، وعلى هذا فهل يستحب التلفظ بما عينه؟ فيه وجهان أصحهما وهو المنصوص لا، بل يقتصر على النية لأن اخفاء العبادة أفضل، والثاني وبه قال أبو حنيفة نعم لخبر جابر « قدمنا مع رسول الله ﷺ ونحن نقول لبيك بالحج » ولأنه يكون أبعد من النسيان.

(**فيقول: « لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك »**) وهي تلبية رسول الله ﷺ.

قال ابن الحاجب في كافيته: ومنها ما وقع مثنى مثل لبيك وسعديك، وقال شارحها ملا جامي أي ما وقع على لفظ التثنية، وإن لم يكن للتثنية بل للتكرير والتكثير، ولا بدّ من تتميم هذه القاعدة من قيد الإضافة أي مثنى مضاف إلى الفاعل أو المفعول لئلا يرد عليه مثل قوله تعالى ﴿فارجع البصر كرتين﴾ [الملك: ٤] أي رجعاً مكرراً كثيراً وفي جعل المثال تتمة التعريف لإفادة هذا القيد تكلف مثل لبيك أصله ألب لك البابين أي أقيم لخدمتك وامتثال أمرك ولا أبرح عن مكاني إقامة كثيرة متتالية، فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه، ورد إلى الثلاثي بحذف زوائده، ثم حذف حرف من المفعول، وأضيف المصدر إليه، ويجوز أن يكون من لب بالمكان بمعنى ألب فلا يكون محذوف الزوائد اهـ.

اعلم ان لبيك من التلبية وهو مصدر لبى أي أجاب الداعي، وأختلف في الداعي هنا فقيل: هو الله تعالى، وقيل: هو النبي ﷺ. وقيل: هو إبراهيم عليه السلام، وهذا هو المختار لما سبق، وهو مستثنى عند سيبويه والجمهور، وهو الصحيح، وهذه التثنية ليست حقيقية، بل هي للتكثير والمبالغة. واختلفوا في اشتقاقها ومعناها فقيل: إنها من الب بالمكان ولب به إذا أقام فيه، وهو قول الفراء. وقال الخليل: إنها من قولهم داري تلب داره أي تواجهها فمعناها اتجاهي وقصدي إليك، وقيل: إنها من قولهم: امرأة لبة لزوجها أي محبته فمعناها محبتي لك، وقيل من قولهم حب لباب أي خالص محض فمعناها إخلاصي لك.

قال النووي في شرح مسلم نقلاً عن القاضي، قال ابراهيم الحراني في معناها: أي قرباً منك وطاعة، والالباب القرب، وقال أبو نصر: أنا ملب بين يديك أي خاضع اهـ.

وقوله (**« ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك »**) هذه الجملة من بقية تلبية رسول الله ﷺ.

قال الرافعي قوله « إن » قد يكسر على تقدير الابتداء، وقد يفتح على معنى لأن الحمد لك.

وقال النووي في زيادات الروضة: الكسر اصح واشهر والله اعلم.

....

وقال في شرح مسلم: الكسر والفتح وجهان مشهوران لأهل الحديث وأهل اللغة. قال الجمهور: الكسر أجود. قال الخطابي: الفتح رواية العامة، وقال ثعلب: الاختيار الكسر وهو أجود في المعنى من الفتح لأن من كسر جعل معناه: إن الحمد والنعمة لك على كل حال اهـ.

وقال محمد بن الحسن، والكسائي، والفراء، وثعلب «إن» من قوله: إن الحمد بكسر الهمزة على الاستئناف لزيادة الثناء. وقال أبو حنيفة وآخرون إنها بفتح الهمزة على التعليل. قال الزيلعي: وبالكسر لا يتعين لأنه يجوز أن يكون تعليلاً ذكره صاحب الكشاف، وربما يعطي ظاهر سياقه أن اختيار أبي حنيفة الكسر واختيار الشافعي الفتح، وهو خلاف ما اسبقناه عن النووي وغيره، وقال في الهداية: قوله «إن الحمد» بكسر الألف لا بفتحها ليكون ابتداء لا بناء إذ الفتحة صفة الأولى اهـ.

وقال في الينابيع: الكسر أصح، وقال في العناية: مراد صاحب الهداية الحقيقة وهي المعنى القائم بالذات لا الصفة النحوية وتقديره: ألبي ان الحمد والنعمة لك أي وأنا موصوف بهذا القول، وقيل: المراد به التعليل لأنه يكون بتقدير اللام أي ألبي لأن الحمد لك وفيه بعد. وقيل: مراده أنه صفة التلبية أي ألبي تلبية هي أن الحمد لك، وعلى هذا قيل: من كسر فقد عم، ومن فتح فقد خص، وقوله: والنعمة لك المشهور فيه نصب النعمة. قال عياض: ويجوز رفعها على الابتداء ويكون الخبر محذوفاً. قال ابن الانباري: وإن شئت جعلت خبر إن محذوفاً تقديره: إن الحمد لك والنعمة مستقرة لك.

وقوله: والملك فيه وجهان أيضاً أشهرهما النصب عطفاً على اسم «إن» والثاني الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر المتقدم عليه، ثم ان لفظ التلبية على الوجه الذي تقدم أخرجه الائمة الستة في كتبهم من طرق مختلفة عن ابن عمر «أن النبي ﷺ كان يلبي هكذا» فروى مسلم عن سالم وحمزة ابني عبد الله بن عمر ونافع مولى ابن عمر عن ابن عمر «أن رسول الله ﷺ كان إذا استوت به راحلته قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهلَّ فقال» فذكره. قالوا: وكان عبد الله بن عمر يقول «تلبية رسول الله ﷺ». وعن ابن عمر قال: «تلقفت التلبية من في رسول الله ﷺ بمثل -- يثهم». وعن سالم عن ابن عمر قال: «سمعت رسول الله ﷺ يهلّ ملبياً» فذكره إلى قوله «لا شـ يك» لا يزيد على هؤلاء الكلمات.

وأخرجه البخاري كذلك، ومن حديث عائشة قالت: «إني لأعلم كيف كان النبي ﷺ يلبي» فذكره.

قال الرافعي: والاحب أن لا يزيد على هذه الكلمات بل يكررها، وبه قال أحمد، وعن أصحاب أبي حنيفة: أن الأحب الزيادة فيها.

قلت: الذي قاله أصحابنا ان الأحب أن لا ينقص من هذه التلبية لأنها المرفوعة إلى النبي

شريك لك ». وإن زاد قال: « لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء إليك لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقاً. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ».

الرابع: إذا انعقد إحرامه بالتلبية المذكورة فيستحب أن يقول: اللهم إني أريد

ﷺ، وإن زاد عليها جاز، وقال القدوري في شرحه: استحب بدل جاز، وإليه يشير قول المصنف:

(وان زاد قال « لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء إليك والعمل »).

وهي زيادة ابن عمر رواه مسلم من طريق نافع، كان ابن عمر يزيد مع هذا « لبيك لبيك لبيك وسعديك والخير بيديك والرغباء إليك والعمل » ومن طريق سالم كان ابن عمر يقول: كان عمر بن الخطاب يهل بإهلال رسول الله ﷺ من هؤلاء الكلمات ويقول: « لبيك اللهم لبيك لبيك وسعديك والخير في يديك والرغباء إليك والعمل » ولم يذكر البخاري زيادة عمر ولا زيادة ابن عمر ،وقد رواها أيضاً أبو داود والنسائي عن نافع، وابن ماجه ومسلم أيضاً من طريق عبيدالله بن عمر.

وقوله: « وسعديك » اعرابها وتثنيتها كما سبق في لبيك أي أسعدك إسعاداً بعد إسعاد بمعنى أعينك إلا أن أسعد يتعدى بنفسه بخلاف ألب، فإنه يتعدى باللام.

وقوله والخير بيديك، أي: الخير كله في قبضتك وملكك.

وقوله والرغباء إليك فيه ثلاثة أوجه فتح الراء والمد وهو أشهرها، وضم الراء والقصر وهو مشهور أيضاً، وحكى أبو عبيدة فيه الفتح مع القصر مثل سكرى واستغرب.

وقوله: العمل أي والعمل كله لله لأنه المستحق للعبادة وحده، وفيه حذف. والتقدير والعمل لك، أو والعمل إليك أي القصد به والانتهاء به إليك لتجازي عليه.

وروى ابن المنذر والبزار من حديث أنس أنه ﷺ كان يقول في تلبيته: **(« لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقاً »)** وذكر الدارقطني الاختلاف فيه وساقه بسنده مرفوعاً، ورجح وقفه، ووقع عند الرافعي « لبيك حقا حقاً » وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الزكاة.

ويستحب إذا فرغ من التلبية يقول: **(« اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد »)** رواه الدارقطني، وأبو ذر الهروي في مناسكه عن القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأن يسأل الله رضوانه والجنة ويستعيذ برحمته من النار كما رواه الشافعي من حديث خزيمة بن ثابت « أنه ﷺ كان إذا فرغ من تلبيته في حج أو عمرة سأل الله رضوانه والجنة واستعاذ برحمته من النار ثم يدعو بما أحب ولا يتكلم في اثناء التلبية بأمر ونهي » وغير ذلك لكن لو سلم عليه رد نص عليه. **قال النووي:** ويكره التسليم عليه في حال التلبية.

(الرابع: إذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة) وظاهر كلام أصحابنا انه يصير شارعاً بالنية والتلبية. وقال حسام الدين الشهيد: يصير شارعاً بالنية، لكن عند التلبية لا بالتلبية كما يصير

الحج فيسره لي وأعني على أداء فرضه وتقبله مني. اللهم إني نويت أداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك واجعلني من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم. اللهم، فيسر لي أداء ما نويت من الحج. اللهم قد أحرم لك لحمي وشعري ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة. ومن وقت الإحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها.

الخامس: يستحب تجديد التلبية في دوام الإحرام خصوصاً عند اصطدام الرفاق، وعند اجتماع الناس، وعند كل صعود وهبوط، وعند كل ركوب ونزول رافعاً بها

شارعاً بالصلاة عند التكبير لا بالتكبير، وعن أبي يوسف أنه يصير شارعاً بالنية وحدها من غير تلبية، وبه قال الشافعي لأنه بالإحرام التزم الكف عن المحظورات فيصير شارعاً بمجرد النية كالصوم، وقال صاحب الهداية: ولا يصير شارعا في الاحرام بمجرد النية ما لم يأت بالتلبية خلافاً للشافعي لأنه عقد على الاداء، فلا بدّ من ذكر كما في تحريمة الصلاة اهـ.

(فيستحب له أن يقول « اللهم اني أريد الحج فيسره لي وأعني على اداء فرضه وتقبله مني »). لما كان الحج لا يخلو عن المشقة عادة لأن اداءه في أزمنة متفرقة، وأماكن متباعدة فحسن سؤال التيسير من الله تعالى لأنه الميسر لكل عسير، وكذا سؤال القبول منه كما سأل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في قوله: ﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ [البقرة: ١٢٧] وهذا القدر من الدعاء يكفي ولا بأس أن يزيد عليه فيقول: **(اللهم اني نويت أداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك)** أي في جواب النداء من الأصلاب والأرحام، **(وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك واجعلني من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت. اللهم فيسر لي أداء ما نويت من الحج. اللهم قد أحرم لك شعري ولحمي ودمي وعصبي ومخي وعظامي، وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة »)** ولا بد من ملاحظة معاني هذه الكلمات مع توجه القلب. **(ومن وقت الإحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها.**

الخامس: يستحب تجديد التلبية) وتكثيرها **(في دوام الإحرام)** قائماً كان أو قاعداً، راكباً كان أو ماشياً، لأنه ذكر لا إعجاز فيه فاشبه التسبيح، **(وخصوصاً عند اصطدام الركاب وتلقي الرفاق، وعند اجتماع الناس، وعند كل صعود وهبوط، وعند كل)** حدوث حادث من **(ركوب ونزول)** أو فراغ من صلاة، وعند اقبال الليل والنهار، ووقت السحر.

ويروى عن جابر « أنه ﷺ كان يلبي في حجه إذا لقي ركباً أو علا أكمة أو هبط وادياً وفي

صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر، فإنه لا ينادي أصم ولا غائباً كما ورد في الخبر.

ادبار المكتوبة وآخر الليل» وعند ابن أبي شيبة من رواية أبي سابط قال: كان السلف يستحبون التلبية في أربعة مواضع في دبر الصلاة، وإذا هبطوا وادياً أو علوه، وعند التقاء الرفاق.

(**رافعاً صوته**) بها أي يستحب رفع الصوت بها لما أخرجه مالك في الموطأ، والشافعي عنه، وأحمد، وأصحاب السنن، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي من حديث خلاد بن السائب عن أبيه رفعه قال: «أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي فيرفعوا أصواتهم بالتلبية» قال الترمذي: صحيح، وصححه ابن حبان والحاكم.

وأخرج الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه رفعه «أفضل الحج العج والثج» والعج رفع الصوت بالتلبية.

ورواه أبو حنيفة في مسنده، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب عنه، وهو عند ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي أسامة، عن أبي حنيفة، وفيه كلام ذكرناه في الجواهر المنيفة، وإنما يستحب رفع الصوت في حق الرجل (**بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر**) أي لا يرفع بحيث يجهده ويقطع صوته بالبحوحة والانبهار والنساء يقتصرن على أنفسهن ولا يجهرن كما لا يجهرن في الصلاة. قال القاضي الروياني: فلو رفعت صوتها بالتلبية لم يحرم لأن صوتها ليس بعورة خلافاً لبعض الأصحاب.

(**فإنه لا ينادي أصمّ ولا غائباً كما ورد في الخبر**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي موسى اهـ.

قلت: أخرجه البخاري من طريق سفيان الثوري، ومسلم من طريق حفص بن غياث، ومحمد ابن فضيل، وأبو داود من طريق أبي إسحاق الفزاري، وابن ماجه من رواية جرير كلهم عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان، عن أبي موسى قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر فاشرفنا على واد فقالوا: لا إله إلا الله والله أكبر وجعلوا يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً وهو معكم» وأخرجه مسلم أيضاً عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عاصم، وأخرجه أحمد عن أبي معاوية الضرير، وأخرجه عبد بن حميد عن حسين الجعفي عن زائدة كلاهما عن عاصم مثله إلا أن في رواية زائدة «أنه معكم».

وأخرجه مسلم أيضاً من طريق معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسى الأشعري قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فكان الرجل إذا علا ثنية أو عقبة قال لا إله إلا الله والله أكبر، فقال النبي ﷺ: «انكم لا تدعون أصم ولا غائباً» أخرجه الترمذي والنسائي وابن خزيمة جميعاً عن محمد بن بشار عن مرحوم بن عبد العزيز عن أبي نعامة السعدي عن أبي عثمان مثله، إلا أن في لفظ أبي نعامة «فلما أشرفنا كبر الناس تكبيرة رفعوا بها أصواتهم» والباقي سواء.

ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلاثة فإنها مظنة المناسك ـ أعني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات ـ وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت، وكان ﷺ إذا أعجبه شيء قال: «لبيك إن العيش عيش الآخرة».

وترجم البخاري في الصحيح باب رفع الصوت بالاهلال، وأورد فيه حديث أنس «صلى النبي ﷺ الظهر بالمدينة أربعاً والعصر بذي الحليفة ركعتين وسمعتهم يصرخون بها جميعاً».

وفي المنصف لابن أبي شيبة من طريق المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أصواتهم بالتلبية حتى تبح أصواتهم».

وأخرج سعيد بن منصور، والبيهقي عن أبي حازم «كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا أحرموا لم يبلغوا الروحاء حتى تبح أصواتهم».

وأخرج سعيد بن منصور من حديث أبي الزبير، عن جابر، وعن ابن عمر «انه كان يرفع صوته بالتلبية حتى سمع دوي صوته من الجبال».

وأخرج البيهقي عن عائشة قالت «خرجنا مع رسول الله ﷺ فما بلغنا الروحاء حتى سمعنا عامة الناس وقد بحت أصواتهم» وعن أنس مثله. فهذه الاخبار كلها تدل على جواز رفع الصوت حتى يبح، والمعتمد عند الفقهاء حديث أبي موسى المتقدم.

(ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلاثة فإنها مظنة المناسك. أعني المسجد الحرام ومسجد الخيف) بمنى **(ومسجد الميقات)** الذي يحرم، **(وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت)** بحيث يسمع نفسه ومن يليه.

قال الطبري في المناسك: رفع الصوت عندنا بالتلبية مشروع في المساجد وغيرها، وقال مالك: لا يرفع الصوت بها في مساجد الجماعات، بل يسمع نفسه ومن يليه إلا في مسجد منى والمسجد الحرام، فإنه يرفع صوته بها فيهما وهو قول قديم للشافعي، وزاد: مسجد عرفة لأن هذه المساجد تختص بالنسك، ورفع الصوت بها مستحب عند الجمهور، وأوجبه أهل الظاهر لظاهر الأحاديث المتضمنة له اهـ.

وعبارة الرافعي في الشرح: ويستحب الاتيان بها في مسجد مكة وهو المسجد الحرام، ومسجد الخيف بمنى، ومسجد إبراهيم بعرفة، فإنها مواضع النسك. وفي سائر المساجد قولان: القديم لا يلبي فيها حذراً من التشويش على المتعبدين والمصلين بخلاف المساجدالثلاثة، فإن التلبية معهودة فيها، ويروى هذا عن مالك، والجديد أنه يلبي فيها كسائر المساجد، ويدل عليه اطلاق الأخبار الواردة في التلبية. فإنها لا تفرق في موضع وموضع، وهذا الخلاف أورده الأكثرون في أصل التلبية فإن استحببناه استحببنا رفع الصوت وإلاّ فلا، وجعل إمام الحرمين الخلاف في انها هل يستحب فيها

الجملة الثالثة في آداب دخول مكة إلى الطواف وهي ستة:

الأول: أن يغتسل بذي طوى لدخول مكة والاغتسالات المستحبة المسنونة في الحج

رفع الصوت بالتلبية؟ ثم قال: إن لم يؤمر برفع الصوت بالتلبية في سائر المساجد ففي الرفع في المساجد الثلاثة وجهان، وهل تستحب التلبية في طواف القدوم والسعي بعده؟ فيه قولان: الجديد أنه لا يستحب لأن فيها ادعية وأذكاراً خاصة فصار كطواف الإفاضة والوداع، والقديم أنه يستحب ولكن لا يجهر بها بخلاف طواف الإفاضة فإن هناك شرع في أسباب التحلل فانقطعت التلبية.

(وكان رسول الله ﷺ إذا أعجبه شيء قال « لبيك إن العيش عيش الآخرة »).

قال العراقي: رواه الشافعي في المسند من حديث مجاهد مرسلاً بنحوه، وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس « إن رسول الله ﷺ وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك قال إنما الخير خير الآخرة » اهـ.

قلت: رواه من حديث عكرمة عن ابن عباس، ورواه كذلك ابن خزيمة، والبيهقي. ورواه سعيد بن منصور من حديث عكرمة مرسلاً. قال: نظر رسول الله ﷺ إلى من حوله وهو واقف بعرفة فقال فذكره.

وأما الشافعي فإنه رواه في المسند عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج، عن حميد الأعرج عن مجاهد قال: « كان النبي ﷺ يظهر من التلبية لبيك اللهم لبيك » الحديث قال: حتى إذا كان يوم والناس يصرفون عنه كأنه أعجبه ما هو فيه فزاد فيها « لبيك ان العيش عيش الآخرة » كذا في تخريج الحافظ.

وأخرج أبو ذر الهروي في مناسكه من حديث أنس « أن النبي ﷺ أحرم من ذي الحليفة فلما انبعثت به راحلته لبى وتحته قطيفة تساوي درهمين، فلما رأى كثرة الناس رأيته تواضع في رحله وقال لا عيش إلا عيش الآخرة ».

الجملة الثالثة في آداب دخول مكة إلى الطواف وهي ستة:

(الأول: ان يغتسل بذي طوى لدخول مكة) وهو بضم الطاء المهملة والقصر موضع عند باب مكة، سمي بذلك ببئر مطوية فيه هكذا ضبطه بعضهم وضبطه الأصيلي بكسر الطاء، وقال الأصمعي: هي بفتح الطاء. قال المنذري: وهو الصواب، فأما الموضع الذي بالشام فبالكسر، والضم ويصرف ولا يصرف، وقد قرىء بهما، وأما التي بطريق الطائف فممدود.

وقد روي في الصحيحين عن ابن عمر أنه كان لا يقدم مكة إلا بات بذي طوى حتى يصبح ويغتسل ثم يدخل مكة نهاراً، ويذكر عن النبي ﷺ أنه فعله.

تسعة. الأول: للإحرام من الميقات، ثم لدخول مكة، ثم لطواف القدوم، ثم للوقوف بعرفة، ثم للوقوف بمزدلفة، ثم ثلاثة أغسال لرمي الجمار الثلاث. ولا غسل لرمي جمرة

وروى مالك عن عروة «أن رسول الله ﷺ بات بذي طوى حتى صلى الصبح ثم اغتسل ثم دخل مكة».

وأخرج الشافعي في المسند عن عائشة أنها كانت تغتسل بذي طوى حين تقدم مكة.

وروى مالك عن ابن عمر «أنه كان إذا خرج حاجاً أو معتمراً لم يدخل مكة حتى يغتسل ويأمر من معه فيغتسلوا».

وروي أيضاً عنه «أن النبي ﷺ اغتسل بفخ قبل دخول مكة» وفخ موضع قريب من مكة، ويكون هذا الغسل في غير حجة الوداع لأن غسله في حجة الوداع كان بذي طوى.

(والاغسال المسنونة المستحبة في الحج تسعة: الأول للإحرام من الميقات) قال النووي، قال الشافعي في الأم أكره ترك الغسل للإحرام وقد تقدم ما فيه، **(ثم لدخول مكة)** وهو الغسل المذكور بذي طوى، وقد روي ذلك من فعله ﷺ كما ذكر قريباً، **(ثم للوقوف بالمزدلفة)** زاد في الوجيز غداة يوم النحر، وهكذا عبر به النووي في المنهاج، إلا أنه لم يذكر الوقوف ولفظه: وبمزدلفة غداة يوم النحر، ومعناه وبليلة غداة يوم النحر، وتقديره: وبمزدلفة في غداة يوم النحر، وإنما عبر بالمزدلفة ولم يقل بليلة النحر لاختصاص استحباب الغسل بالمزدلفة، وغداة مخفوض إما بإضافة الليلة إليه أو بإضافة المزدلفة إليه، والتقدير: وبمزدلفة غداة النحر استغناء بالمضاف عن المضاف إليه، وتقدير قول المصنف في الوجيز: ويستحب الغسل بالمزدلفة في ليلة غداة النحر أي لا في غيرها، وهذا التحقيق هكذا وجدته بخط بعض المقيدين على طرة كتاب الرافعي، وفي زيادات الروضة، وهذا الغسل هو للوقوف بالمزدلفة هو الذي ذكره الجمهور، ونص عليه في الأم، وجعل المحاملي في كتبه وسليم الرازي، والشيخ نصر المقدسي هذا الغسل للمبيت بالمزدلفة ولم يذكروا غسل الوقوف بها والله أعلم.

(ثم لطواف القدوم) هكذا هو في سائر النسخ، ولم يذكره الرافعي، ولا النووي، والظاهر أن الغسل الذي لدخول مكة ينوب عنه، **(ثم للوقوف بعرفة)** عشية عرفة.

وفي صحيح البخاري عن سالم عام نزل بابن الزبير سأل عبد الله بن عمر: كيف أصنع في الموقف؟ قال سالم: إن كنت تريد السنة فهجر بالصلاة يوم عرفة. قال عبد الله: صدق، وفيه قول الحجاج: انظرني حتى أفيض على رأسي، وفي ذلك دلالة على أنه في ذلك تابع للسنة، ولذلك أجابه ابن عمر إليه، وأقره عليه، فالحجة في تقرير ابن عمر لا في فعل الحجاج، ولو كان خلاف السنة لأنكره عليه.

وروى مالك عن ابن عمر «أنه كان يغتسل لاحرامه قبل أن يحرم ولدخوله مكة ولوقوفه عشية عرفة» وأخرج سعيد بن منصور عنه أنه اغتسل حين راح إلى الموقف، وأخرج عنه أيضاً انه

العقبة، ثم لطواف الوداع، ولم يرَ الشافعي رضي الله عنه في الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع فتعود إلى سبعة.

الثاني: أن يقول عند الدخول في أول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك

كان يغتسل إذا راح إلى عرفة، وإذا أتى بالجمار. وأخرج أيضاً عن عبـد الرحمن بن يزيد أن ابن مسعود اغتسل تحت الأراك حين راح إلى عرفة.

(ثم ثلاثة اغسال لرمي الجمرات الثلاث) أيام التشريق.

قال الرافعي: وسببها أن هذه مواطن يجتمع لها الناس فاستحب فيها قطعاً للروائح الكريهة واغسال أيام التشريق في حق من لم ينفر في النفر الأوّل، فإن نفر سقط عنه غسل اليوم الثالث، وهذه الاغسال قد نص عليها الشافعي رضي الله عنه قديماً وجديداً أعني سوى غسل طواف القدوم، ويستوي في استحبابها الرجل والمرأة وحكم الحائض، ومن لم يجد الماء فيها على ما ذكرناه في غسل الإحرام. قال الأئمة. **(ولا غسل لرمي جمرة العقبة)** يوم النحر ولم يستحبه الشافعي لأمرين. أحدهما: اتساع وقته فإن وقته من انتصاف ليلة النحر إلى الزوال، ووقت رمي الجمرات من الزوال إلى الغروب، والتقريب بعد هذا من وجهين. أحدهما: أن اتساع الوقت مما يقلل الزحمة، والثاني: أن ما بعد الزوال وقت شدة الحر وانصباب العرق، فتكون الحاجة إلى دفع ما يـؤذي الغير أكثر. والثالث: ان في غسل يوم العيد يوم النحر والوقوف بعرفة غنيـة عن الغسل لرمي جمرة العقبة لقرب وقتها منه اهـ.

قلـت: ووجدت بخط بعض المقيدين على طرة كتاب الرافعي ما نصه: غسل عرفة يدخل بالزوال ويستمر إلى طلوع الفجر، فهو مزاحم لغسل مزدلفة في الوقت دون المكان لاختصاص غسلها بها ومزاحم لغسل العيد فيما بين نصف الليل الأخير إلى فجر يوم النحر، وإنما لم يستحب الغسل للرمي يوم النحر لمزاحمة غسل العيد له في الوقت ولقربه من غسل عرفة، والتعليل بمزاحمة غسل العيد هو الأولى لانتفاء الاستحباب مع انتفاء غسل عرفة، فإنه لو لم يغتسل لعرفة ولا للمبيت بمزدلفة لم يستحب الغسل للرمي أيضاً لأن في الاغتسال للعيد غنيـة، فالأولى الاقتصار عليه، فلو لم يغتسل للعيد استحب الغسل للرمي على مقتضى تعليلهم والله أعلم.

ثم أن المصنف ذكر في سياقه ثمانية أغسال وأشار إلى التاسع بقوله: **(ثم لطواف الوداع)** وهو قول قديم للشافعي، وكذا لطواف الزيارة وقال: لأن الناس يجتمعون لها، **(ولم ير الشافعي)** رضي الله عنه **(في)** القول **(الجديد)** الغسل **(لطواف الزيارة)** وهو طواف الإفاضة، **(ولا لطواف الوداع)** قال: لأن وقتها متسع فلا تغلب الزحمة فيها غلبتها في سائر المواطن، **(فتعود إلى سبعة)**. وعن القاضي أبي الطيب حكاية غسل آخر عن القديم وهو عند الحلق نقله الرافعي.

(الثاني: أن يقول عند الدخول في أول الحرم) من أي جهة كانت **(وهو خارج مكة)** قبل دخوله بها وحدود الحرم معلومة **(اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمي ودمي وبشري)**

وأمنك فحرم لحمي ودمي وشعري وبشري على النار. وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلني من أوليائك وأهل طاعتك.

الثالث: أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو من ثنية كداء ـ بفتح الكاف ـ عدل رسول الله ﷺ من جادة الطريق إليها، فالتأسي به أولى. وإذا خرج خرج من ثنية كدى ـ بضم الكاف ـ وهي الثنية السفلى والأولى هي العليا.

أي ظاهر جلدي **(على النار وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك)**. سأل تحريم النار عليه من لفظ الحرم، والأمان من العذاب من لفظ الأمن **(واجعلني من أوليائك وأهل طاعتك)**.

(الثالث: أن يدخل مكة من جانب الأبطح) وهو كل ميل يجتمع فيه دق الحصى، والأباطح جمعه والبطحاء بمعناه، **(وهو من ثنية كداء بفتح الكاف والمد)** غير مصروف وهي من أعلى مكة مما يلي مقابر مكة عند الحجون، وفي كداء هذه خمسة أوجه. أحدها: ما ذكرناه، والثاني: كذلك ويصرف. والثالث: بالفتح مع القصر، والرابع: بالضم مع القصر، والخامس: بالضم مع التشديد. وفي المصباح كداء بالفتح والمد الثنية العليا بأعلى مكة عند المقبرة، ولا ينصرف للعلمية والتأنيث، وتسمى تلك الناحية المعلى.

(عدل رسول الله ﷺ من جادة الطريق إليها فالتأسي به ﷺ أولى، وإذا خرج خرج من كُدى بضم الكاف) مع القصر **(وهي الثنية السفلى)** مما يلي باب العمرة يشير إلى ما رواه الشيخان من حديث ابن عمر: «أن النبي ﷺ كان يخرج من طريق الشجرة ويدخل من طريق المعرس، وإذا دخل مكة دخل من الثنية العليا ويخرج من الثنية السفلى» وفي رواية من كداء من الثنية العليا التي بالبطحاء وخرج من الثنية السفلى.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها: «أن النبي ﷺ دخل عام الفتح من كدى وخرج من كداء من أعلى مكة» وفي رواية: دخل عام الفتح من كداء من أعلى مكة زاد أبو داود «ودخل في العمرة من كدى» قال هشام: وكان عروة يدخل على كليهما من كداء وكدى، وأكثر ما يدخل من كدى وكان أقربها من منزله. وقال مسلم: أكثر ما يدخل من كداء.

قال الرافعي: وهذه السنة في حق من جاء من طريق المدينة والشام، وأما الجاؤون من سائر الأقطار فلا يؤمرون بان يدوروا حول مكة ليدخلوا من ثنية كداء، وكذلك القول في إيقاع الغسل بذي طوى وقالوا: إنما دخل النبي ﷺ من تلك الثنية اتفاقاً لا قصداً لأنها على طريق المدينة، وههنا شيئان. أحدهما: إن قضية هذا الكلام ان لا يتعلق نسك واستحباب بالدخول من تلك الثنية في حق الجائين من طريق المدينة أيضاً، وهكذا أطلق الإمام نقله عن الصيدلاني، والثاني أن الشيخ أبا محمد نازع فيما ذكروه من موضع الثنية، وقال: ليست هي على طريق المدينة بل هي في جهة المعلى، وهو في أعلى مكة والمرور فيه يفضي إلى باب بني شيبة ورأس الردم، وطريق المدينة تفضي إلى باب إبراهيم، ثم ذهب الشيخ إلى استحباب الدخول منها لكل جاء تأسياً برسول الله ﷺ، وساعد الجمهور في الحكم الذي ذكروه وشهد للشيخ بأن الحق في موضع الثنية ما ذكره.

الرابع: إذا دخل مكة وانتهى إلى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت، **فليقل:**

تنبيه:

قال الطبري في المناسك: ثنية كداء كسحاب احدى الكدايا التي بمكة، وهذه هي التي يستحب الدخول منها مما يلي الحجون، وكدى بالضم والقصر والتنوين هي الثنية السفلى، وهي التي يستحب الخروج منها، وكدى مصغراً موضع بأسفل مكة، ومن هذه يخرج من يخرج إلى جهة اليمن، والأوليان هما المشهورتان هكذا ضبط عن المحققين منهم أبو العباس أحمد بن عمر العذري فإنه كان يرويه عن أهل المعرفة بمواضع مكة من أهلها حكاه عنه الحميدي اهـ.

وفي المصباح: الكدية بالضم الأرض الصلبة، والجمع كدى كمدية ومدي، وبالجمع سمي موضع بأسفل مكة بقرب شعب الشافعيين، وقيل فيه ثنية كدى فاضيف للتخصيص ويكتب بالياء، ويجوز بالألف لأن المقصور إن كانت لامه ياء نحو كدى ومدي جازت الياء تنبيهاً على الأصل، وجاز الألف اعتباراً باللفظ إذ الأصل كدي باعراب الياء، لكن قلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وان كانت لامه واواً فإن كان مفتوح الأول نحو عصا كتبت بالألف بلا خلاف، ولا يجوز إمالته إلا إذا انقلب واوه ياء نحو الأسى، فإنها قلبت ياء في الفعل، فقيل: أسي فكتبت بالياء جوازاً، ويمال وإن كان الأول مضموماً نحو الضحى، أو مكسورا نحو الصبي؛ فاختلف العلماء فيه، فمنهم من يكتبه بالياء ويميله، وهو مذهب الكوفيين لأن الضمة عندهم من الواو والكسرة من الياء، ولا تكون عندهم لام الكلمة واواً وفاؤها واواً أو ياء فيجعلون اللام ياء فراراً مما لا يرونه ولعدم نظيره في الأصل، ومنهم من يكتبه بالألف وهو مذهب البصريين اعتباراً بالأصل، ومنه ﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس: ١] و﴿يمحق الله الربا﴾ [البقرة: ٢٧٦] قرىء في السبعة بالفتح والامالة، وقد ذكر الشاعر الموضعين في قوله:

أقفرت بعد عبد شمس كداء ... وكدى فالركن فالبطحاء اهـ.

فائدة:

قيل في وجه المناسبة ان الداخل يقصد موضعاً عالي المقدار، فناسب الدخول من العلياء والخارج عكسه فناسب السفل. وذكر السهيلي عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام حين قال ﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾ [إبراهيم: ٣٧] كان على كداء الممدود، فلذلك استحب الدخول منه.

(الرابع: إذا دخل مكة وانتهى إلى) موضع يقال **(رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت)**.

قال الرافعي: بناء البيت رفيع يرى قبل دخول المسجد من موضع يقال له رأس الردم إذا دخل الداخل من أعلى مكة، وحينئذ يقف ويدعو اهـ.

« لا إله إلا الله والله أكبر . اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام . اللهم إن هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته . اللهم فزده تعظيماً وزده تشريفاً وتكريماً وزده مهابة وزد من حجه براً وكرامة . اللهم افتح لي أبواب

وأصل الردم السد . يقال : ردمت الثلمة ردماً ، ويسمى هذا الموضع بالمصدر ، وقال الطبري في المناسك : وأول موضع يقع فيه بصره على البيت رأس الردم لمن يأتي من أعلى مكة ، وقد كان ذلك فاما اليوم فقد سدّ بالأبنية اهـ .

(**فليقل: « لا إله إلا الله والله أكبر »**) وقال صاحب الوقاية من أصحابنا وحين رأى البيت كبّر وهلل ، وزاد صاحب النقاية ودعا ، وذلك لأن الدعاء عند رؤية البيت مستجاب . وقال صاحب الهداية . ومحمد : لم يعين في الأصل لمشاهد الحج شيئاً من الدعوات لأن التوقيت يذهب بالرقة وإن تبرك بالمنقول منها فحسن اهـ .

ومما يدعى به : (**« اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام »**) هكذا في نسخ الكتاب ، وفي شرح الرافعي : « اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام » وقال : يروى ذلك عن ابن عمر .

قلت : قال الحافظ : رواه ابن المفلس ، عن هشيم ، عن يحي بن سعيد ، عن محمد بن سعيد بن المسيب ، عن أبيه أن عمر كان إذا نظر إلى البيت قال ذلك . كذا قال هشيم . ورواه سعيد بن منصور في السنن له عن ابن عيينة عن يحي بن سعيد فلم يذكر عمر .

ورواه الحاكم من حديث ابن عيينة ، عن ابراهيم بن طريف ، عن حميد بن يعقوب ، سمع سعيد ابن المسيب قال : سمعت ابن عمر يقول كلمة ما بقي أحد من الناس سمعها غيري سمعته يقول « إذا رأى البيت » فذكره . ورواه البيهقي عنه اهـ .

وقال الطبراني : حديث ابن المسيب عن عمر صحيح صححه الحفاظ ، وأخرج سعيد بن منصور ، عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول ذلك إذا نظر إلى البيت ، وأخرجه الشافعي كذلك .

ومن الأدعية المأثورة : (**« اللهم إن هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته . اللهم فزده تعظيماً وزده تشريفاً وتكريماً وزده مهابة وزد من حج إليه براً وكرامة »**) .

ونص الرافعي : إذا وقع بصره على البيت قال ما روي في الخبر : وهو أن النبي ﷺ كان إذا رأى البيت رفع يديه ثم قال : « اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وزد شرفه وعظمه ممن حجه أو اعتمره تشريفاً وتكريماً وتعظيماً ومهابة وبراً » . وهكذا أورده المصنف في الوجيز ، ثم قال الرافعي : ولعلك تنظر في لفظ الكتاب في الدعاء فتقول : إنه جمع أولاً بين المهابة والبر ، ولم يزد في الخبر إلا المهابة وذكر آخرون البر دون المهابة وكذا رويتموه في الخبر ، ونقل المزني في المختصر المهابة دون البر فما الحال فيها .

فاعلم أن الجمع بين المهابة والبر لم نره إلا للمصنف ولا ذكر له في الخبر ولا في كتب

رحمتك وأدخلني جنتك وأعذني من الشيطان الرجيم».

الخامس: إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة، وليقل: «بسم الله

الأصحاب، بل البيت لا يتصور منه بر فلا يصح إطلاق هذا اللفظ إلا أن يعني البر إليه، وأما الثاني فالثابت في الخبر الاقتصار على البر كما أورده ولم يثبت الأئمة ما نقله المزني اهـ.

قال الحافظ: هذا الدعاء رواه البيهقي من حديث سفيان الثوري عن أبي سعيد الشامي، عن مكحول به مرسلاً، وأبو سعيد هو محمد بن سعيد المصلوب كذاب، ورواه الأزرقي في تاريخ مكة من حديث مكحول أيضاً وفيه: «مهابة وبراً» في الموضعين وهو ما ذكره المصنف في الوسيط، وتعقبه الرافعي بأن البر لا يتصور من البيت. وأجاب النووي بأن معناه البر بزيارته. ورواه سعيد ابن منصور في السنن له من طريق برد بن سنان سمعت ابن قسامة يقول: «إذا رأيت البيت فقل اللهم زد». فذكره سواء. ورواه الطبراني من مرسل حذيفة بن أسيد بسند فيه كذاب، واصل هذا ما رواه الشافعي عن سعيد بن سالم عن ابن جريج «أن النبي ﷺ كان إذا رأى البيت» فذكره مثل ما أورده الرافعي إلا أنه قال: «وكرمه» بدل «وعظمه» وهو معضل اهـ.

قلت: في مسند سعيد بن منصور بن قسامة هكذا في نسخ التخريج، وفي كتاب الطبري عباد ابن ثمامة قال: وأخرجه أبو حفص الملا في سيرته عن أبي أسيد عن النبي ﷺ ولم يقل ورفع يديه.

ثم قال المصنف: («**اللهم افتح لي أبواب رحمتك وادخلني جنتك واعذني من الشيطان الرجيم**») وفي كتب أصحابنا أن هذا الدعاء يقوله عند دخوله في باب المسجد فيقدم رجله اليمنى، ويقول: بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله اللهم افتح لي أبواب رحمتك وادخلني فيها.

وذكر الرافعي هنا دعاء وهو أن يقول: اللهم إنا كنا نحل عقدة ونشد أخرى ونهبط وادياً ونعلو آخر حتى أتيناك غير محجوب أنت عنا فيا من إليه خرجنا وبيته حججنا ارحم ملقى رحالنا بفناء بيتك ثم يدعو بما أحب من مهمات الدنيا والآخرة وأهمها سؤال المغفرة.

قال الحفاظ: هذا الدعاء رواه الشافعي عن بعض من مضى من أهل العلم فذكره.

(**الخامس: إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة**).

روى الطبراني من حديث ابن عمر دخل رسول الله ﷺ ودخلنا معه من باب بني عبد مناف، وهو الذي يسميه الناس باب بني شيبة، وخرجنا معه من باب الحزورة وهو من باب الخياطين وفي إسناده عبدالله بن نافع وفيه ضعف.

وقال البيهقي: رويناه عن ابن جريج عن عطاء قال: يدخل الحرم من حيث شاء، ودخل النبي ﷺ من باب بني شيبة، وخرج من باب بني مخزوم إلى الصفا.

قال الرافعي: وقد أطبقوا على استحبابه لكل قادم، لأن النبي ﷺ دخل المسجد منه قصداً لا

وبالله ومن الله وإلى الله. وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ »، فإذا قرب من البيت قال: « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى. اللهم صلّ على محمد عبدك ورسولك وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك » وليرفع يديه وليقل: « اللهم إني

اتفاقاً لأنه لم يكن على طريقه، وإنما كان على طريقه باب إبراهيم والدوران حول المسجد لا يشق بخلاف الدوارن حول البلد، وكان المعنى فيه أن ذلك الباب من جهة باب الكعبة والركن الأسود كذا قاله الرافعي.

وقال أصحابنا: والسر في ذلك أن نسبة باب البيت إلى البيت كنسبة وجه الإنسان إلى الإنسان، والأدب أن يقصد الإنسان من جهة وجهه وكذا تقصد الكعبة من جهة بابها.

(وليقل) أي بعد أن يقدم رجله اليمنى: **(« بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ فإذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون. اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك » وليرفع يديه)** وهو مستقبل البيت، فقد أخرج أبو داود من طريق عبيد الله بن أبي يزيد أن عبد الرحمن بن طارق، أخبره عن أبيه: « أن رسول الله ﷺ كان إذا جاز من دار يعلى نسيه عبيد الله استقبل البيت فدعا ».

وتقدم قبل هذا أن الشافعي أخرج عن سعيد بن سالم، عن ابن جريج: « كان النبي ﷺ إذا نظر إلى البيت رفع يديه » الحديث. وأخرجه عن ابن عباس أنه كان يرفع يديه في المواطن فذكر فيها وإذا رأى البيت.

وأخرج سعيد بن منصور عن طلحة بن مطرف قال ترفع الأيدي في ثمانية مواطن ثم ذكر ما تقدم.

ورواه الشافعي بسنده عن مقسم مولى عبد الله بن الحرث عن النبي ﷺ هكذا أخرجه البيهقي مرسلاً. قال: وقال يعني الشافعي في الإملاء وليس في رفع اليدين شيء أكرهه ولا استحبه عند رؤية البيت وهو عندي حسن.

قال البيهقي: وكأنه لم يعتمد على الحديث لانقطاعه، وقد رواه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وعن نافع عن ابن عمر موقوفاً ومرة مرفوعاً هذا آخر كلامه.

وأخرجه الأزرقي في تاريخ مكة ورفعه إلى النبي ﷺ والرفع في الدعاء معلوم نصاً. وعن طاوس قال: لما رأى النبي ﷺ البيت رفع يديه فوقع زمام ناقته فأخذه بشماله ورفع يده اليمنى.

وهذه الآثار وإن كان بعضها مرسلاً وبعضها موقوفاً فإذا انضمت إلى المتصل أكد بعضها

أسألك في مقامي هذا في أول مناسكي أن تتقبل توبتي وأن تتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وأمناً وجعله مباركاً وهدى للعالمين. اللهم إني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئتك أطلب رحمتك وأسألك مسألة المضطر الخائف من عقوبتك الراجي لرحمتك الطالب مرضاتك».

السادس: أن تقصد الحجر الأسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول:

بعضاً. قال البغوي: وروي ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال سفيان وابن المبارك وأحمد وإسحاق.

وأما ما رواه أبو داود من حديث جابر أنه سئل عن الرجل يرى البيت فيرفع يديه فقال: ما كنت أرى أن أحداً يفعل هذا إلا اليهود. حججنا مع رسول الله ﷺ فلم نكن نفعله، وما رواه الأزرقي في التاريخ عن عثمان بن الأسود قال: كنت مع مجاهد فخرجنا من باب المسجد فاستقبلت الكعبة فرفعت يدي فقال لي: لا تفعل إن هذا من فعل اليهود، ففيما رواه الشافعي مرسلاً وموقوفاً ومتصلاً رد على قول جابر ومجاهد.

قال البيهقي: وليس في حديث جابر أن النبي ﷺ نفي ما اثبتوه من فعل النبي ﷺ ولا نفي ما أثبت من رواية مقسم من قوله ﷺ إنما في حديث جابر نفي فعله وفعل رفقائه، ولو صرح جابر بأن رسول الله ﷺ لم يفعله وأثبته غيره كان القول قول المثبت والله أعلم.

(وليقل: « اللهم إني أسألك في مقامي هذا في أول مناسكي أن تتقبل توبتي وتتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري)، ثم ليقل اثر ذلك: **(الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وأمناً وجعله مباركاً وهدى للعالمين. اللهم إني عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئت أطلب رحمتك أسألك مسألة المضطر الخائف عقوبتك الراجي رحمتك الطالب مرضاتك »)**. وفي النوازل لأصحابنا إذا دخل الحرم يقول: « اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك والعبد عبدك فوفقني لما تحب وترضى » اهـ.

(السادس: أن يقصد الحجر الأسود) هكذا جاء وصفه في عبارات الفقهاء باعتبار ما عليه الآن من لونه، فقد أخرج الترمذي وصححه عن ابن عباس مرفوعاً: « نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم ».

قال الحافظ ابن حجر: وقد طعن بعض الملحدة كيف سودته الخطايا ولم تبيضه الطاعات، أجيب بأن الله تعالى أجرى عادته أن السواد يصبغ ولا ينصبغ، وبان في ذلك عظة ظاهرة هي تأثير الذنوب في الحجارة السود، فالقلوب أولى. كذا أخرج الجندي في فضائل مكة بسند ضعيف عن ابن عباس إنما غير بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا لزينة الجنة، فإذا ثبت هذا فهو الجواب اهـ.

اللهم أمانتي أديتها وميثاقي وفيته أشهد لي بالموافاة فإن لم يستطع التقبيل وقف في

وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام أن النبي ﷺ قال: « الحجر الأسود يمين الله في الأرض » ورواه أبو الطاهر المخلص في فوائده في الجزء الثاني من التاسع، وزاد، « فمن لم يدرك بيعة رسول الله ﷺ يمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله » ورواه ابن الجوزي في مثير العزم موقوفاً على ابن عباس.

(بعد ذلك) أي بعد أن يأتي بتلك الأدعية المأثورة **(ويمسه بيده اليمنى ويقبله)** أما ما مسه بيده اليمنى فهو استلامه. أخرج الحاكم من حديث أبي جعفر الباقر، عن جابر أنه ﷺ دخل المسجد فبدأ بالحجر فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء وقوله ويقبله أي الحجر بشفتيه إن أمكن من الزحمة ففي حديث ابن عمر ثم وضع شفتيه عليه طويلاً يبكي رواه الشافعي وقد تقدم بطوله وإن زوحم فيقبل يده بعد وضعها عليه ففي الصحيحين عن ابن عمر أنه استلم الحجر بيده ثم قبل يده وقال: ما تركته منذ رأيت رسول الله ﷺ يفعله.

وأخرج الدارقطني عن عطاء قال: رأيت أبا سعيد، وأبا هريرة، وابن عمر وجابر بن عبدالله: « إذا استلموا الحجر قبلوا أيديهم ». وأخرج سعيد بن منصور عن القاسم بن محمد أنه كان إذا استلم الحجر وضع يده على أنفه وفمه.

وأخرج الأزرقي عن عبدالله بن يحي السهمي قال رأيت عطاء بن أبي رباح، وعكرمة بن خالد، وابن أبي مليكة يستلمون الركن الأسود واليماني ويقبلون أيديهم ويمسحون بها وجوههم، وربما استلموا ولا يمسحون بها أفواههم ولا وجوههم وعن عبيد بن أبي زياد قال: رأيت عطاء ومجاهداً وسعيد بن جبير إذا استلموا الركن قبلوا أيديهم وعن ابن جريج قال عمرو بن دينار: جفا من استلم الركن ولم يقبل يده.

قال الطبري: والعمل عندنا أن يضع يده على الحجر ثم يضعها على فيه، وكذلك هو عند جمهور أهل العلم إلا مالكاً في أحد قوليه قال: لا يقبل يده، وكذلك القاسم بن محمد اهـ.

ونقل الرافعي عن مالك لا يقبل يده فيها ولكنه بعد الاستلام يضع يده على فمه **(ويقول: اللهم أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته اشهد لي بالموافاة)** يشير بذلك إلى ما رواه الأزرقي عن مجاهد قال: يأتي الركن والمقام يوم القيامة كل واحد منها مثل أبي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالموافاة وتقدم الكلام على ذلك قريباً بأبسط مما هنا. ونقل الطبري هذا الدعاء عن المصنف عند استلام الحجر، وكذا عند كل ركن وعند الباب أدعية، وقال: لم أعرف لأكثرها أصلاً. قلت: والوارد المأثور فيه هو الذي سيذكره في ابتداء الطواف كما سيأتي ذكره قريباً.

(فإن لم يستطع التقبيل فليقف في مقابلته وليقل ذلك).

قال الرافعي: ومن السنن أن يستلم الحجر الأسود بيده في ابتداء الطواف ويقبله ويضع جبهته

مقابلته ويقول ذلك، ثم لا يعرج على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم إلا أن يجد الناس في المكتوبة فيصلي معهم ثم يطوف.

الجملة الرابعة في الطواف: فإذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم وإما لغيره فينبغي أن يراعي أموراً ستة.

الأول: أن يراعي شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والمكان وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة، ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام.

عليه فإن منعته الزحمة من التقبيل اقتصر على الاستلام فإن لم يمكن اقتصر على الإشارة باليد ولا يشير إلى التقبيل اهـ.

وهكذا ذكره أصحابنا أن الاستلام وهو لمس الحجر بيده أو كفه وتقبيله إن قدر بلا إيذاء لما أخرج أحمد وإسحاق والطحاوي، عن سعيد بن المسيب، عن عمر أن النبي ﷺ قال له: «يا عمر إنك رجل قوي لا تزاحم على الحجر فتؤذي الضعيف إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فاستقبله وهلل وكبر» فالاستلام سنة والتحرز عن الإيذاء واجب أورد عليه أن كف النظر عن العورة واجب قد يترك سنة الختان. وأجيب: بأن الختان من سنن الهدى وبأنه لا خلف له بخلاف الاستلام. قال بعض المتأخرين: والصواب أن يقال وجوب الكف مقيد بغير الضرورة والختان عنها.

(ثم لا يعرج على شيء دون الطواف وهو طواف القدوم) ويسمى طواف التحية وطواف اللقاء **(إلا أن يجد الناس في الصلاة المكتوبة فيصلي معهم ثم يطوف)** وجدت بخط الشيخ شمس الدين أي الحريري ما نصه: هو كذلك في غير حق المتمتع أما المتمتع فإنما يطوف للعمرة ويجزئه عن طواف القدوم ولو وقف أولاً فليس في حقه طواف قدوم لدخول وقت الطواف المفروض اهـ أي أن دخل بعد نصف ليلة النحر.

الجملة الرابعة في الطواف بالبيت:

(فإذا أراد افتتاح الطواف اما لقدوم أو لغيره، فينبغي أن يراعي أموراً ستة،

الأولى: أن يراعي) فيه **(شروط الصلاة)** المتقدم ذكرها في الكتاب الرابع **(من طهارة الحدث والخبث في الثوب والبدن والمكان وستر العورة)**. اعلم أن للطواف بأنواعه وظائف واجبة وأخرى مسنونة الأولى الواجبات، وقد عدها المصنف في الوجيز سبعة. أحدها الطهارة عن الحدث والخبث وستر العورة كما في الصلاة، وبه قال مالك **(فالطواف بالبيت صلاة، ولكن الله تعالى أباح فيه الكلام)** رواه الترمذي من حديث ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «الطواف بالبيت مثل الصلاة إلا أنكم تتكلمون فيه فمن تكلم فلا يتكلم إلا بخير».

....

وأخرجه أحمد والنسائي عن طاوس عن رجل أدرك النبي ﷺ قال: «الطواف بالبيت صلاة فأقلوا من الكلام».

وأخرجه الشافعي عن طاوس، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «الطواف بالبيت صلاة ولكن أحل الله فيه المنطق فمن نطق فيه فلا ينطق إلا بخير» وأخرجه سعيد بن منصور كذلك.

وأخرجه عن ابن عباس قال: «الطواف بالبيت» الحديث بنحو حديث الترمذي، وعنه أنه قال: «إذا طفت بالبيت فأقل الكلام فإنك في صلاة». وعن أبي سعيد الخدري أنه كان يقول لبنيه: إذا طفتم بالبيت فلا تلغوا ولا تهجروا ولا تقاصوا أحداً إن استطعتم وأقلوا الكلام. أخرجها سعيد بن منصور، وعن ابن عمر أنه قال: «أقلوا الكلام في الطواف فإنما أنتم في الصلاة». أخرجه النسائي وأخرجه الشافعي عن عمر وقال: «في صلاة» وعن عطاء قال: طفت خلف ابن عمر وابن عباس فما سمعت واحداً منهما متكلماً حتى فرغ من طوافه وكان عطاء يكره الكلام في الطواف إلا الشيء اليسير منه إلا ذكر الله تعالى وقراءة القرآن أخرجه الشافعي، وعن عروة بن الزبير قال: حججت مع ابن عمر فألتقينا في الطواف فسلمت عليه ثم خطبت عليه ابنته فما رد علي جواباً فغمني ذلك وقلت في نفسي لم يرضني لابنته، فلما قدمنا المدينة جئته مسلماً فقال لي ما فعلت فيما كنت القيته إلى فقلت لم ترد علي جواباً فظننت أنك لم ترضني لابنتك قال تخطب إلي في مثل ذلك الموضع ونحو نترايا الله عز وجل ثم قال بل قد رضيتك فزوجني أخرجه الآجري في مسألة الطائفين بسنده.

تنبيه:

قال الطبري قوله: الطواف بالبيت صلاة أو مثل صلاة فيه دليل على أنه يشترط في الطواف الطهارة والستر، وإن حكمه حكم الصلاة إلا فيما وردت فيه الرخصة من الكلام بشرط أن يكون بخير، ووجهه إن جعله صلاة أو مثل الصلاة، ومقتضى ذلك إبطاله بالكلام مطلقاً، فلما رخص في كلام خاص وجب أن يقتصر عليه، فلا يلحق به ما عداه تقليلاً لمخالفة الدليل، وما ورد في إباحة الكلام مطلقاً فيحمل على هذا القيد، ومن الخير المشار إليه في الحديث بأن يسلم على أخيه ويسأله عن حاله وأهله ويأمر الرجل الرجل بالمعروف وينهاه عن المنكر وأشباه ذلك من تعليم جاهل أو إجابة مسألة وهو مع ذلك كله مقبل على الله تعالى في طوافه خاشع بقلبه ذاكر بلسانه متواضع في مسألته يطلب فضل مولاه ويعتذر إليه فمن كان بهذا الوصف يرجى أن يكون ممن يباهى به، وما ورد عن السلف من إباحة الكلام والضحك والشرب فيه فهو محمول على ما ذكرناه.

وقال الرافعي: ولو طاف جنباً أو محدثاً أو عارياً أو طافت المرأة أيضاً وهي حائض أو طاف وعلى ثوبه أو بدنه نجاسة لم يعتد بطوافه، وكذا لو كان في مطافه النجاسات ولم أر للأئمة تشبيه مكان الطواف بالطريق في حق المتنقل ماشياً أو راكباً وهو تشبيه لا بأس به.

وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو أن يجعل وسط ردائه تحت إبطه اليمنى ويجمع طرفيه

قلت: وفي شرح المهذب ومما عمت به البلوى غلبة النجاسة في موضع الطواف، فينبغي أن يقال يعفى عما يشق الاحتراز عنه من ذلك اهـ.

ثم قال الرافعي: ولو أحدث الطائف في خلال طواف نظر إن تعمد الحدث فقولان في أنه يبني أو يستأنف إذا توضأ ويقال: وجهان أحدهما يستأنف كما في الصلاة وأصحهما أنه يبني، ويحتمل في الطواف ما لا يحتمل في الصلاة كالفعل الكثير والكلام وان سبقه الحدث يرتب على حالة التعمد إن قلنا يبني عند التعمد، فههنا أولى. وإن قلنا يستأنف فههنا قولان. أو وجهان، والأصح البناء، وكل هذا إذا لم يطل الفصل وحيث لا يوجب الاسئناف فلا شك في استحبابه. وعند أبي حنيفة: لو طاف جنباً أو محدثاً أو عارياً أو طافت المرأة حائضاً لزمت الإعادة ما لم يفارق مكة، فإن فارقها أجزأه دم شاة إن طاف مع الحدث وبدنة إن طاف مع الجنابة، وعند أحمد رواية مثله، وقد أشار المصنف إلى القولين عن أبي حنيفة في الوجيز معلماً بالحاء والألف.

قال الرافعي والإعلام بهما لا يصح إلا إذا كان المراد من وجوب شرائط الصلاة في الطواف اشتراطها فيه دون الوجوب المشترك بين الشرط وغيره فإنا قد نوجب الشيء ولا نشترطه كركعتي الطواف وفي الطواف على أحد القولين، والذي حكي عن أبي حنيفة ينافي الاشتـراط دون الوجوب المشترك والله أعلم.

ومن سنن الطواف الاضطباع وإليه أشار المصنف بقوله: **(وليضطبع قبل ابتداء الطواف)** أي طواف القدوم **(وهو)** أي الاضطباع المفهوم من قوله: وليضطبع افتعال من الضبع وهو العضد وأصله اضتباع أبدلت تاؤه طاء لبعد التاء من الطاء فى الصفة وقرب التاء من الدال في المخرج، وهيئته: **(أن يضع وسط إزاره تحت إبطه الأيمن ويجمع طرفيه على منكبه الأيسر فيرخي طرفاً وراء ظهره وطرفاً على صدره)**.

وقال الرافعي: معنى الاضطباع أن يجعل وسط ردائه تحت منكبه الأيمن وطرفيه على عاتقه الأيسر ويبقى منكبه مكشوفاً كدأب أهل الشطارة وفي عبارات أصحابنا أن يجعل رداءه تحت إبطه الأيمن ويلقي طرفه على كتفه الأيسر، وقد نقل ذلك عن رسول الله ﷺ.

أخرج أبو داود بسند حسنه المنذري عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ وأصحابه: «اعتمروا من الجعرانـة فرملوا بالبيت وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم وقذفوها على عواتقهم اليسرى».

ثم قال الرافعي: وكل طواف لا يسن فيه الرمل لا يسن فيه الاضطباع وما يسن فيـه الرمـل يسـن فيه الاضطباع ،لكن الرمل مخصوص بالأشواط الثلاثة، والاضطباع يعم جميعها وليس في السعي بين الجبلين بعدها أيضاً على المشهور، ويخرج من قول المسعودي وغيره وجهاً أنه لا يسن ويروى ذلك عن أحمد وهل يسن في ركعتي الطواف؟ فيه وجهان: أحدهما: نعم كما في سائر أنواع الطواف

على منكبه الأيسر فيرخي طرفاً وراء ظهره وطرفاً على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالأدعية التي سنذكرها.

وأصحها لا لكراهة الاضطباع في الصلاة والخلاف فيها متولد من اختلاف الأصحاب في لفظ الشافعي في المختصر، وهو أنه قال: ويضطبع حتى يكمل سعيه، ومنهم من نقل هكذا، ومنهم من نقله حتى يكمل سبعة، وهذا الاختلاف عند بعض الشارحين يتولد من اختلاف النص، وعند بعضهم من اختلاف القراءة لتقاربها في الخط، فمن نقل سعيه حكم بإدامة الاضطباع في الصلاة والسعي، ومن قال سبعة قال لا يضطبع إلا في الأشواط السبعة وظاهر المذهب، ويحكى عن نصه أنه إذا فرغ من الأشواط ترك الاضطباع حتى يصلي الركعتين، فإذا فرغ منها أعاد الاضطباع وخرج إلى السعي وهذا يخرج إلى تأويل لفظ المختصر على التقديرين، وتأويله على التقدير الأول أن يضطبع مرة بعد أخرى، وعلى التقدير الثاني أنه يديم اضطباعه الأول إلى تمام الأشواط، وليس على النساء اضطباع ولا رمل حتى لا ينكشفن. وحكى القاضي ابن كج وجهين في أن الصبي على يضطبع؟ والظاهر أنه يضطبع، ثم قول المصنف أن يضع وسط إزاره ذكر الرداء في هذا الموضع أليق وكذلك قاله الشافعي، وعامة الأصحاب نبه عليه الرافعي.

(ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالأدعية التي سنذكرها). أخرج الترمذي عن ابن عباس يرفع الحديث أنه كان يمسك عن التلبية في العمرة إذا استلم الحجر وقال: حسن صحيح.

وأخرجه الدارقطني عنه بلفظ: «لا يمسك المعتمر عن التلبية حتى يفتتح الطواف».

وأخرج أبو ذر الهروي في منسكه عنه مرفوعاً: «أنه كان يمسك عن التلبية في العمرة إذا استلم الحجر».

وأخرج الشافعي والبيهقي وتمام الرازي عنه مرفوعاً «أنه لبى في العمرة حتى استلم الحجر» ورواه أحمد عن عبد الله بن عمر، ومثله قال الطبري وهو قول أكثر أهل العلم ان المعتمر يلبي حتى يفتتح الطواف.

قال ابن عباس: يلبي المعتمر إلى أن يفتتح الطواف مستلماً وغير مستلم، وبه قال الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق، وأورد الشافعي في إلزام العراقيين فيما خالفوا فيه ابن مسعود بعد أن أخرج عنه من طريقه أنه لبى في عمرة على الصفا بعد ما طاف بالبيت فقال: وليسوا يقولون بهذا ولا أحد من الناس علمناه، وإنما اختلف الناس، فمنهم من يقول يقطع التلبية في العمرة إذا دخل الحرم وهو قول ابن عمر، ومنهم من يقول: إذا استلم الركن وهو قول ابن عباس، وبه نقول ويقولون هم أيضاً، فأما بعد الطواف بالبيت فلا يلبي أحد، والله أعلم.

الثاني: إذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الأسود وليتنح عنه قليلاً ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه في ابتداء طوافه،

(**الثاني**) : من الأمور الستة الترتيب وهو الواجب الثاني من السبعة وإليه أشار المصنف بقوله: (**إذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره**) .

ولنقدم في موضع البيت وما لحقه من التغيير مقدمة فنقول لبيت الله أربعة أركان: ركنان يمانيان وركنان شاميان وكان لاصقاً بالأرض وله بابان شرقي وغربي، فذكر أن السيل هدمه قبل مبعث رسول الله ﷺ بعشر سنين، وأعادت قريش عمارته على الهيئة التي هو عليها اليوم، ولم يجدوا من النذر والهدايا والأموال الطيبة ما يفي بالنفقة فتركوا من جانب الحجر بعض البيت، وخلفوا الركنين الشاميين عن قواعد إبراهيم عليه السلام وضيقوا عرض الجدار من الركن الأسود إلى الثاني الذي يليه فبقي من الأساس شبه الأركان مرتفعاً وهو الذي يسمى الشاذروان.

وقد روي أن النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها: «لولا حدثان قومك بالشرك لهدمت البيت ولبنيته على قواعد إبراهيم عليه السلام فألصقته بالأرض وجعلت له بابين شرقياً وغربياً» ثم أن ابن الزبير هدمه أيام ولايتـه وبناه على قواعد إبراهيم عليه السلام كما تمناه رسول الله ﷺ، ثم لما استولى عليه الحجاج هدمه وأعاده على الصورة التي هو عليها اليوم وهو بناء قريش والركن الأسود، والباب في صوب الشرق، والأسود هو أحد الركنين اليمانيين والباب بينه وبين أحد الشاميين، وهو الذي يسمى عراقياً أيضاً، والباب إلى الأسود أقرب منه إليه ويليه الركن الآخر الشامي والحجر بينهما والميزاب بينهما، ويلي هذا الركن اليماني الآخر الذي هو عن يمين الأسود، وإذا عرفت ذلك. فاعلم أنه يعتبر في الطواف شيئان قد يعبر عنهما معاً بالترتيب وقد يعبر به عن أحدهما.
أحدهما.

أحدهما: ما أشار له المصنف بقوله: فليجعل البيت على يساره.

والثاني: ما أشار إليه بقوله: (**وليقف عند الحجر الأسود وليتنح عنه قليلاً ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر**) أي يحاذيه (**بجميع بدنه**) في مروره (**في ابتداء طوافه**) ، وذلك بأن لا يقدم جزءاً من بدنه على جزء من الحجر، فلو حاذاه ببعض بدنه وكان بعضه محاذياً إلى جانب الباب، ففيه قولان الجديد أنه لا يعتد بتلك الطوفة، والقديم أنه يعتد بها، ويكفي المحاذاة ببعض بدنه، وهذا الخلاف كالخلاف فيما إذا استقبل القبلة ببعض بدنه وصلى هل تصح صلاته؟ وفيما علق عن الشيخ أبي محمد وغيره أن الخلاف ثم مخرج من الخلاف في الطواف، وعكس الإمام ذلك فأشار إلى تخريج هذا من ذلك، ولو حاذى بجميع البدن بعض الحجر دون البعض أجزأه كما يجزئه أن يستقبل بجميع بدنه بعض الكعبة ذكره العراقيون، وفي شرح المهذب للنووي أنه لا خلاف فيـه،

وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريباً من البيت فإنه أفضل، ولكي لا يكون طائفاً على الشاذروان فإنه من البيت وعند الحجر الأسود يتصل الشاذوران بالأرض ويلتبس به، والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف في البيت.

وقال ابن الرفعة: الظاهر تخريجه على القولين أيضاً لأنه لم يحاذ كل جزء جميع الحجر، وحكى الإمام عن والده فيها احتمالين وقال الأمر كما قال محتمل وقد توقفوا في تصوير هذا القسم وتوقفوا ولا وقفة فيه ولا تكلف وصورته: أن لا يستقبل الحجر بوجهه بل يجعله على يساره، وحينئذ فيكون الحجر في سمت عرض بدنه، والغالب أن المنكب ونحوه كما هو جهة العرض دون جهة الحجر اهـ هذا ما يتعلق بالقسم الثاني من الترتيب.

وأما القسم الأول وهو أن يجعل البيت على يساره، فلو جعل البيت على يمينه كما إذا ابتدأ من الحجر الأسود ومر على وجهه نحو الركن اليماني لم يعتد بطوافه. وقال أبو حنيفة: يعتد بالطواف ما دام بمكة وإن فارقها أجزأه دم شاة ولو لم يجعله على يمينه، ولكن استقبله بوجهه وطاف معترضاً. قال القفال: وفيه وجهان أحدهما الجواز لحصول الطواف في يسار البيت. والثاني: المنع لأنه لم يول الكعبة شقه الأيسر والخلاف جار فيما إذا ولاها شقه الايمن، ومن قهقـر نحو الباب سرى جريانه فيما إذا استدبرها ومر معترضاً وقال النووي في زيادات الروضة: الصواب القطع بأنه لا يصح هذا الطواف في هذه الصورة فإنه منابذ لما ورد الشرع به والله أعلم وما الأظهر من هذا الخلاف الذي أورده صاحب التهذيب وغيره في الصورة الثانية له يجوز ويكره. قال الإمام: الأصح المنع كما أن المصلي لما أمر أن يولي الكعبة صدره ووجهه لم يجزه أن يوليها شقه، وهذا أوفى لعبارة الأكثرين، فإنهم قالوا يجب أن يجعل البيت على يساره ولم يوجد ذلك في هذه الصورة قالوا لو جعله على يمينه لم يصح، وقد وجد ذلك في صورة الرجوع قهقرى، ومن صحح الطواف في هذه الصورة فالمعتبر عنده أن يكون تحرك الطائف ودورانه في يسار البيت لا غير والله أعلم.

ولو ابتدأ الطائف من غير الحجر الأسود لم يعتد بما فعله حتى ينتهي إلى الحجر فيكون منه ابتداء طوافه.

ثم أشار المصنف إلى الواجب الثالث من واجبات الطواف وهو الطواف المأمور به وما فيه من الصور الأولى منها بقوله: **(وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريباً من البيت فإنه أفضل)** أي الطواف قرب البيت أفضل، وأشار إلى الصورة الثانية بقوله: **(ولكيلا يكون طائفاً على الشاذروان فإنه من البيت)**، فلو مشى على شاذروان البيت لم يصح طوافه. **(وعند الحجر الأسود قد يتصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به، والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف في البيت)** لا بالبيت، وقد قال الله تعالى: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيـق﴾ [الحج: ٢٩] وإنما يكون طائفاً به إذا كان خارجاً عنه، وإلا فهو غير طائف بالبيت، **(والشاذروان)**

والشاذروان هو الذي فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدىء الطواف.

الثالث: أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل في ابتداء الطواف: « بسم الله والله أكبر. اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ »

بالذال المعجمة المفتوحة وسكون الراء **(هو الذي فضل من عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار)** وفي المصباح: هو دخيل وهو من جدار البيت الحرام ما ترك من عرض الأساس خارجاً ويسمى تأزيراً لأنه كالأساس للبيت اهـ.

وقال الرافعي: وسماه المزني تأزير البيت أي هو كالإزار له، وقد يقال التأزيز بزاءين وهو التأسيس، **(ثم من هذا يبتدىء بالطواف)**.

والصورة الثالثة ينبغي أن يدور في طوافه حول الحجر المحوّط عليه بالجدار بين الركنين الشاميين فيصير بينه وبين كل واحد من الركنين فتحة، وكلام جماعة من الأصحاب يقتضي كون جميعه من البيت وهو ظاهر لفظه في المختصر، لكن الصحيح أنه ليس كذلك، بل الذي هو من البيت منه قدر ستة أذرع يتصل بالبيت، ومنهم من يقول أو سبعة كأن الأمر فيه على التقريب، ولفظ المختصر محمول على هذا القدر.

وقال النووي في شرح مسلم، قال أصحابنا: ستة أذرع من الحجر مما يلي البيت محسوبة من البيت بلا خلاف، وفي الزائد خلاف، فإن طاف في الحجر وبينه وبين البيت أكثر من ستة أذرع ففيه وجهان لأصحابنا، أحدهما يجوز ورجحه جماعة من الخراسانيين، والثاني لا يصح طوافه حتى يكون خارجاً من جميع الحجر، وهذا هو الصحيح التي قطع به جماهير الأصحاب من العراقيين، وقال به سائر العلماء سوى أبي حنيفة اهـ.

وقال في زيادات الروضة: الأصح أنه لا يصح الطواف في شيء من الحجر وهو ظاهر المنصوص، وبه قطع معظم الأصحاب تصريحاً وتلويحاً، ودليله: أن النبي ﷺ طاف خارج الحجر اهـ.

الصورة الرابعة: لو كان يطوف ويمس الجدار بيده في موازاة الشاذروان، أو أدخل يده في هواء ما هو من البيت من الحجر ففي صحة طوافه وجهان. أحدهما: أنه يصح لأن معظم بدنه خارج، وحينئذ يصدق أن يقال أنه طائف بالبيت وأصحهما باتفاق فرق الأصحاب، ومنهم الإمام أنه لا يصح لأن بعض بدنه في البيت كما لو كان يضع إحدى رجليه أحياناً على الشاذروان ويقف بالأخرى.

الثالث: من الأمور الستة فيما يستحب أن يقوله الطائف من الأدعية المأثورة **(أن يقول قبل مجاوزة الحجر، بل في ابتداء الطواف: « بسم الله والله أكبر اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك**

ويطوف. فأول ما يجاوز الحجر ينتهي إلى باب البيت فيقول: «اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الأمن أمنك وهذا مقام العائذ بك من النار». وعند ذكر المقام يشير بعينه إلى مقام إبراهيم عليه السلام: «اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم

ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ» ويطوف). هكذا ذكره المصنف في الوجيز.

وقال الرافعي: روي ذلك عن عبدالله بن السائب، عن النبي ﷺ.

وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده هكذا هو في الأم عن سعيد بن سالم عن ابن جريج، وقد ذكره صاحب المهذب من حديث جابر وقد بيض له المنذري والنووي، وخرّجه ابن عسكر من طريق ابن ناجية بسند له ضعيف.

ورواه الشافعي عن ابن أبي نجيح قال: أخبرت أن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: يا رسول الله؛ كيف نقول إذا استلمنا؟ قال: «قولوا بسم الله والله أكبر إيماناً بالله وتصديقاً لما جاء به محمد ﷺ».

وروى البيهقي والطبراني في الأوسط والدعاء من حديث ابن عمر أنه كان إذا استلم الحجر قال: «بسم الله والله أكبر» وسنده صحيح.

وروى العقيلي من حديثه أيضاً أنه كان إذا أراد أن يستلم يقول: «اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك واتباعاً لسنة نبيك ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يستلمه» اهـ.

قلت: هكذا هو في نسخة التخريج الشافعي عن ابن أبي نجيح، وفي بعضها عن ابن جريج كما هو في مناسك الطبري. وحديث ابن عمر المذكور أخرجه الأزرقي في تاريخ مكة، وأبو ذر الهروي في منسكه. وحديثه الثاني الذي عند العقيلي أخرجه كذلك أبو ذر الهروي، وأخرج أبو ذر الهروي من حديث عليّ أنه كان إذا استلم الحجر قال: «الله أكبر اللهم ايماناً بك وتصديقاً بكتابك واتباعاً لسنّتك وسنة نبيك».

وأخرج الأزرقي عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول إذا كبّر لاستلام الحجر: بسم الله والله أكبر على ما هدانا الله لا إله إلا الله وحده لا شريك له آمنت بالله وكفرت بالطاغوت واللات والعزى وما يدعى من دون الله أنْ وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، وقد فهم من سياق ما أوردناه أن هذه الأدعية التي ذكرت إنما هي لاستلام الحجر لا لابتداء الطواف، وتقدم للمصنف الدعاء الذي يقال عند استلام الحجر غير ما ذكر هنا.

(فأول ما يجاوز الحجر ينتهي إلى باب البيت فيقول: «اللهم إن هذا البيت بيتك والحرم حرمك والأمن أمنك وهذا مقام العائذ بك من النار»). قال الطبري في المناسك لم أجد له أصلاً.

(وعند ذكر المقام يشير بعينيه إلى مقام ابراهيم الخليل عليه السلام)، ولفظ الرافعي:

وأنت أرحم الراحمين فأعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرّم لحمي ودمي على النار وآمني من أهوال يوم القيامة واكفني مؤونة الدنيا والآخرة ». ثم يسبح الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي. فعنده يقول: « اللهم إني أعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق وسوء المنظر في الأهل والمال والولد »، فإذا بلغ

وأورد أبو محمد الجويني أنه يستحب له إذا انتهى إلى محاذاة الباب وعلى يمينه مقام ابراهيم عليه السلام أن يقول: « اللهم إن هذا البيت » إلى قوله: « من النار » ويشير إلى مقام ابراهيم عليه السلام اهـ.

ووجدت في طرة الكتاب بخط الشيخ شمس الدين بن الحريري ما نصه: هكذا قاله الشيخ أبو محمد، وقال غيره: يشير إلى نفسه أي هذا مقام الملتجىء المستعيذ من النار وأطلق النـووي في المنسك أنه لا يشير اهـ.

(ثم يقول: « اللهم بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين فأعذني من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمي ودمي على النار وأمني من هول يوم القيامة واكفني مؤونة الدنيا والآخرة » ثم يسبح الله ويحمده) ويهلل ويكبر لما روى ابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً: « من طاف بالبيت سبعاً لا يتكلم إلا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله محيت عنه عشر سيئات وكتبت له عشر حسنات ورفع له عشر درجات ».

وتقدم حديث ابن عباس الذي أخرجه الأزرقي قبل هذا وفيه: ان آدم عليه السلام سأل الملائكة ما كنتم تقولون في طوافكم فقالوا: كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر قال آدم: فزيدوا فيها ولا حول ولا قوة إلا بالله وأن ابراهيم عليه السلام أمرهم أن يزيدوا فيها العلي العظيم.

(حتى يبلغ الركن العراقي فعنده يقول: « اللهم إني أعوذ بك من الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق وسوء المنقلب في الأهل والمال والولد »). هكذا أورده المصنف في الوجيز إلا أنه قال: « المنظر » بدل « المنقلب ».

وقال الحافظ: هكذا ذكره الرافعي، ولم يذكر له مستنداً، وقد أخرجه البزار من حديث أبي هريرة مرفوعاً، لكنه لم يقيده بما عند الركن ولا بالطواف اهـ.

قلت: وأخرج ابن حبيب الأندلسي المالكي في كتابه جامع الأدعية عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان يقول: « اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق ومن سوء الأخلاق ومن كل أمر لا يطاق » قال زيد بن أسلم: أما الشقاق فمفارقة الإسلام وأهله، وأما النفاق فإظهار الايمان واسرار الكفر، وأما سوء الأخلاق فالزنا والسرقة وشرب الخمر والخيانة وكل ما حرم الله فهو من سوء الأخلاق.

الميزاب قال: « اللهم أظلنا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك. اللهم اسقني بكأس محمد ﷺ شربة لا اظمأ بعدها أبداً ». فإذا بلغ الركن الشامي قال: « اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور. رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم » فإذا بلغ الركن اليماني قال: « اللهم إني

وأخرج البيهقي حديث أبي هريرة الذي هو عند البزار، وأشار إليه الحافظ ولفظه كان يدعو: « اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق ».

وعن أنس مرفوعاً بلفظ كان يقول في دعائه: « اللهم إني أعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق » وهذه الأحاديث الثلاثة وردت في الاستعاذة بها من غير تقييد بالطواف ولا بركن مخصوص.

(فإذا بلغ الميزاب) ولفظ الرافعي: وإذا انتهى إلى تحت الميزاب من الحجر **(فليقل: « اللهم أظلني تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظل عرشك)** ولفظ الرافعي: اللهم أظلني في ظلك يوم لا ظل إلا ظلك **(اللهم اسقني بكأس محمد ﷺ شربة لا أظمأ بعدها أبداً »)** ولفظ الرافعي: « واسقني بكأس محمد ﷺ مشرباً هنيئاً لا أظمأ بعده أبداً يا ذا الجلال والإكرام ».

قلت: وأخرج الأزرقي عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا حاذى ميزاب الكعبة وهو في الطواف يقول: « اللهم إني أسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب ».

وقال الطبري في مناسكه: وروي أن رسول الله ﷺ قال: « ما من أحد يدعو تحت الميزاب إلا استجيب له » قال: ذكره بعض مشايخنا في منسك له.

(فإذا بلغ الركن الشامي فليقل: « اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً وسعياً مشكوراً وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور »). هكذا أورده الرافعي إلا أنه قال: فإذا صار بين الركن الشامي واليماني يقول: « اللهم اجعله » فذكره سواء، وذكر الطبري ان أصحاب المناسك ذكروا أدعية الركن الشامي هو ما تقدم عن ابن حبيب من حديث زيد بن أسلم، وعن البيهقي من حديث أبي هريرة وأنس سوى ما وقع من رواية ابن حبيب من قوله: « ومن كل أمر لا يطاق » وسوى ما وقع في رواية البيهقي من قوله: « والفسوق » فلم يذكرهما أهل المناسك اهـ.

وأما قوله: **(« رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك أنت الأعز الأكرم ») . فقد** حكى البيهقي عن الشافعي قال: وأحب كل ما حاذى الحجر الأسود أن يكبر وأن يقول في رمله: « اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً وسعياً مشكوراً » ويقول في الأطواف الأربعة: « رب اغفر وارحم واعف عما تعلم وأنت الأعز الأكرم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ».

(فإذا بلغ الركن اليماني فليقل: « اللهم إني أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر

أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة» ويقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا برحمتك فتنة القبر وعذاب

ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة»).
أخرجه الأزرقي في تاريخ مكة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان إذا مرَّ بالركن اليماني قال: «بسم الله والله أكبر السلام على رسول الله ﷺ ورحمة الله وبركاته اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر والذل ومواقف الخزي في الدنيا والآخرة. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار».

وأخرج أيضاً عن سعيد بن المسيب أن النبي ﷺ إذا مرَّ بالركن قال ذلك.

وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وكِّل به سبعون ملكاً - يعني الركن اليماني - فمن قال: اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة. اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا آمين».

وأخرج أبو ذر الهروي في مناسكه عن ابن عباس مرفوعاً: «ما مررت بالركن اليماني إلا وعنده ملك ينادي يقول آمين آمين فإذا مررتم به فقولوا: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» ولا تضادد بين الحديثين، فإن السبعين موكلون به لم يكلفوا قول آمين دائماً وإنما عند سماع الدعاء والملك كلف أن يقول آمين دائماً، سواء سمع دعاء أو لم يسمعه، وعلى هذا يحمل ما روي عن ابن عباس من وجه آخر مرفوعاً قال: «على الركن اليماني ملك موكل به منذ خلق السموات والأرض. فإذا مررتم به فقولوا: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار فإنه يقول آمين آمين» أخرجه ابن الجوزي في مثير العزم، وإن كان ظاهر لفظه يدل على أن تأمينه عند الدعاء، لكنه محتمل لما ذكرناه ويكون التقدير: فإنه يقول آمين آمين دائماً فيحمل عليه جمعاً بين الحديثين وحملاً لهما على معنيين، والله أعلم.

(وليقل بين الركن اليماني والحجر الأسود: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب القبر وعذاب النار»). وفي بعض النسخ فتنة القبر وعذاب النار.

قال الحافظ: أخرجه أبو داود، والنسائي من حديث عبدالله بن السائب قال: سمعت النبي ﷺ يقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ الآية. وصححه ابن حبان والحاكم انتهى.

قلت: وكذلك رواه الشافعي في المسند.

وأخرج ابن ماجه والحاكم عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول بين الركنين: «اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه واخلف على كل غائبة لي بخير» وأخرجه سعيد بن منصور موقوفاً، وكذا الأزرقي بلفظ: «واحفظني في كل غائبة لي بخير إنك على كل شيء قدير».

النار » فإذا بلغ الحجر الأسود قال: « اللهم اغفر لي برحمتك أعوذ برب هذا الحجر من الدَّيْن والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر ». وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية في كل شوط.

قال الطبري: وقد رواه ابن عباس، عن النبي ﷺ ولم يعتد بما بين الركنين. وقد جاء عن الحسن وغيره في تفسير الحسنة في الآية أنها في الدنيا هي الطاعة والعبادة وفي الآخرة الجنة، وقيل: في الدنيا المرأة الصالحة، وفي الآخرة الحور العين، وقيل في الدنيا التوفيق للخير والصحة والكفاف وفي الآخرة الجنة.

(فإذا بلغ الحجر الأسود فليقل: « اللهم اغفر لي برحمتك وأعوذ برب هذا الحجر من الدَّين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر »).

وأخرج أبو ذر الهروي عن أبي شعبة قال: كنت أطوف مع ابن عمر، فإذا حاذى بالركن قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير حتى إذا حاذى بالحجر قال: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار، فقلت: ما سمعتك تزيد على هذا. فقال: ألست قد شهدت بكلمة الإخلاص وأثنيت على الله تعالى وسألته الخير كله واستعذت به من الشر كله. والظاهر من هذا السياق أنه يريد بالركن كل ركن فكأنه يستوعب طوافه بذلك الذكر والدعاء.

وعن ابن أبي نجيح قال: كان أكثر كلام عمر وعبد الرحمن بن عوف في الطواف ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار.

وعن خبيب بن صهيب قال: رأيت عمر بن الخطاب وهو يطوف بالبيت وماله هجيري إلاَّ أن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. أخرجها الأزرقي. وأخرج مالك عن عروة أنه كان إذا طاف بالبيت الأشواط الثلاثة يقول: لا إله إلا أنت وأنت تحي بعدما أمتنا يخفض بها صوته.

(وعند ذلك) أي عند بلوغه الحجر **(قد تم له شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط ويدعو بهذه الأدعية في كل شوط).**

قال الرافعي: الشوط هو الطوفة الواحدة وقد كره الشافعي رحمه الله تعالى هذا اللفظ، واستحب أن يقال طواف وطوافان.

قلت: عبارة الشافعي في الأم ولا يقال شوط ولا دور وكره مجاهد ذلك، وقال: أنا أكره ما كره مجاهد فيقال طواف وطوافان كما سماه الله تعالى قال: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ [الحج: ٢٩].

الرابع: أن يرمل في ثلاثة أشواط ويمشي في الأربعة الأخـر على الهيئة المعتادة، ومعنى الرمل الإسراع في المشي مع تقارب الخطا وهو دون العدو وفوق المشي المعتاد. والمقصود منه ومن الاضطباع إظهار الشطارة والجلادة والقوّة. هكذا كان القصد أوّلاً قطعاً لطمع الكفار وبقيت تلك السنّة. والأفضل الرمل مع الدنوّ من البيت، فإن لم

(**الرابع: أن يرمل في الثلاثة الأشواط الأول**) من الطواف، (**ويمشي في الأربعة الأخيرة على الهيئة المعتادة**) وفي عبارات أصحابنا على هينته وهي بالكسر السكينة والوقار، (**ومعنى الرمل**) محركة (**هو الإسراع في المشي مع تقارب الخطا وهو دون الوثوب والعدو وفوق المشي المعتاد**) . ويقال له الخبب.

قال الرافعي: وغلط الأئمة من ظن كونه دون الخبب.

قلت: ونقل الطبري عن المنذري أن الرمل والخبب وثب في المشي مع هز المنكبين دون وثب، والهرولة ما بين المشي والعدو والسعي يقع على الجميع.

(**والمقصود منه ومن الاضطباع**) الذي تقدم ذكره (**إظهار الشطارة والجلادة والقوّة. هكذا كان القصد أوّلاً قطعاً لطمع الكفار فبقيت تلك السنة**) .

أما الرمل ففي الصحيحين عن ابن عباس قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة فقال المشركون: إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب ولقوا منها شدة فجلسوا مما يلي الحجر، وأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط ويمشوا ما بين الركنين ليرى المشركون جلدهم، فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد منا. وفي رواية: كانوا إذا تغيبوا من قريش مشوا ثم يطلعون عليهم يرملون تقول قريش كأنهم الغزلان، وفي رواية لأحمد: فاطلع الله نبيه على ما قالوا فأمرهم بذلك. وفي رواية للبخاري من حديث عمر: ما لنا وللرمل إنما كنا راءينا به للمشركين وقد أهلكهم الله، ثم قال شيء صنعه رسول الله ﷺ فلا نحب أن نتركه.

وأما الاضطباع ففي رواية لأبي داود من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة فرملوا بالبيت وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى، وللطبراني من هذا الوجه واضطبعوا. وروى أبو داود أيضاً، وابن ماجه، والحاكم وصححه من حديث عمر قال: فيم الرملان الآن وكشف المناكب، وقد أعز الله الإسلام ونفى الكفر وأهله، ومع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ، وقد رواه البزار والبيهقي كذلك من رواية أسلم مولى عمر عن عمر.

وروى مسلم من حديث جابر أن النبي ﷺ لما قدم مكة أتى الحجر فاستلمه ثم مشى على يمينه فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ورواه أيضاً من حديث ابن عمر أنه ﷺ رمل من الحجر إلى الحجر ثلاثاً ومشى أربعاً. ورواه ابن ماجه من حديث جابر بهذا اللفظ. وأخرجه أحمد من حديث أبي الطفيل، وإذا فهمت هذا فاعلم أن في الرمل صوراً.

يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل، فليخرج إلى حاشية المطاف وليرمل ثلاثاً ثم ليقرب إلى البيت في المزدحم وليمش أربعاً، وإن أمكنه استلام الحجر في كل شوط

إحداها: حيث يسن الرمل فإنما يسن في الأشواط الثلاثة الأول، وأما الأربعة الأخيرة فالسنّة فيها الهينة، وهذا قد ذكره المصنف.

الثانية: لا خلاف في أن الرمل لا يسن في كل طواف وفيمَ يسن فيه قولان. أحدهما: قال في التهذيب وهو الأصح الجديد يسن في طواف القدوم والابتداء لأنه أول العهد بالبيت فيليق به النشاط والاهتزاز، والثاني أنه إنما يسن في طواف يستعقب السعي لانتهائه إلى مواضع الحركات بين الجبلين، وهذا أظهر عند الأكثرين ولم يتعرضوا لتاريخ القولين، وعلى القولين لا يرمل في طواف الوداع لأنه ليس للقدوم ولا يستعقب السعي ويرمل إذا قدم مكة معتمراً لوقوع طوافه عن القدوم واستعقابه السعي ويرمل أيضاً الآفاقي الحاج إن دخل مكة بعد الوقوف، فإن دخلها قبل الوقوف فهل يرمل في طواف القدوم ينظر إن كان لا يسعى عقيبه ويؤخره إلى أثر طواف الإفاضة؟ فعلى القول الأول يرمل، وعلى الثاني لا، وإنما يرمل في طواف الإفاضة وإن كان قد سعى عقيبه يرمل فيه على القولين، وإذا رمل فيه وسعى فلا يرمل في طواف الإفاضة إن لم يرد السعي عقيبه وإن أراد فكذلك في أصح القولين، فإن طاف للقدوم وسعى بعده بلا رمل، فهل يقضيه في طواف الافاضة؟ فيه وجهان. ويقال: قولان أحدهما لا. كما لو ترك الرمل في الثلاثة الأول لا يقضيه في الأربعة الأخيرة، وإن طاف ورمل ولم يسع فجواب الأكثرين أنه يرمل في طواف الإفاضة هنا لبقاء السعي عليه. وكون هيئة الرمل مع الاضطباع مرغبة فيه، والسعي تبع لطوافه فلا يزيد في الصفة على الأصل وهذا الجواب في غالب الظن منهم مبني على القول الثاني، وإلاَّ فلا اعتبار باستعقاب السعي، وهل يرمل المكي المنشىء حجه من مكة في طوافه؟ إن قلنا بالقول الأول فلا ويسن له طواف قدوم ودخول، وإن قلنا بالثاني فنعم لاستعقابه السعي.

الثالثة: لو ترك الرمل في الأشواط الأول لم يقضه في الأخيرة، لأن الهينة والسكينة مسنونة فيها استنان الرمل في الأول، فلو قضاه لفوت سنة حاضرة كما لو ترك الجهر في الركعتين الأولين لا يقضيه في الأخيرتين ويخالف ما لو ترك سورة الجمعة في الأولى يقرأها مع المنافقين في الثانية لأن الجمع ممكن هناك.

الرابعة: ما أشار إليه المصنف بقوله: (**والأفضل الرمل مع الدنو من البيت فإن لم يمكن للزحمة فالرمل مع البعد أفضل فليخرج إلى حاشية المطاف، وليرمل ثلاثاً ثم ليقرب إلى البيت في المزدحم وليمشِ أربعاً**). اعلم أن القرب من البيت مستحب تبركاً به ولا نظر إلى كثرة الخطا لو تباعد، ولو تعذر الرمل مع القرب لزحمة الناس فينظر إن كان يجد فرجة لو توقف توقف ليجدها ويرمل فيها، وإن كان لا يرجو ذلك فالبعد عن البيت والمحافظة على الرمل أولى

فهو الأحب، وإن منعته الزحمة أشار باليد وقبّل يده، وكذلك استلام الركن اليماني يستحب من سائر الأركان. وروي: «أنه ﷺ كان يستلم الركن اليماني ويقبله ويضع

لأن القرب فضيلة تتعلق بموضع العبادة، والرمل فضيلة تتعلق بنفس العبادة والفضيلة المتعلقة بنفس العبادة أولى بالرعاية، ووجهه في البيان بأن الدنو من البيت فضيلة في الطواف، والرمل هيئة في الطواف ومراعاة الهيئة أولى من مراعاة الفضيلة، ولو كان في حاشية المطاف نساء ولم يأمن من مصادمتهن لو تباعد، فالقرب من البيت والسكينة أولى من التباعد والرمل تحرزاً عن مصادمتهن وملابستهن.

الخامسة: ليكن من دعائه في الرمل: «اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً وسعياً مشكوراً». روي ذلك عن النبي ﷺ. هكذا ذكره الرافعي.

قال الحافظ: لم أجده، وذكره البيهقي من كلام الشافعي، وروى سعيد بن منصور في السنن عن هشيم عن مغيرة قال: كانوا يحبون للرجل إذا رمى الجمار أن يقول: «اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً» وأسنده من وجهين ضعيفين عن ابن مسعود وابن عمر من قولهما عند رمي الجمرة.

قلت: وقد تقدم الكلام عليه عند ذكر الركن الشامي قريباً.

السادسة: متى تعذر الرمل على الطائف، فينبغي أن يتحرك في مشيته ويرى من نفسه أنه لو أمكنه الرمل لرمل، فإن طاف راكباً أو محمولاً ففيه قولان: أصحهما أنه يرمل به الحامل ويحرك هو الدابة. وقال الطبري في مناسكه: الأولى للراكب أن لا يرمل لئلا يؤذي الناس، ومنهم من خص القولين بالبالغ المحمول فإنه يرمل به حامله والله أعلم.

(وإن أمكنه استلام الحجر) أي لمسه بيده **(في كل شوط فهو الأحب وإن منعته الزحمة أشار بيده نحوه)** من بعيد ولا يزاحم **(وقبّل يده)**، وهذا قد تقدم قريباً في السادس من الجملة الثالثة، وتقدم هناك عن الرافعي أنه لا يشير بالفم إلى التقبيل ولا يقبّل الركنين الشاميين ولا يستلمها، ولا يقبل الركن اليماني، ولكن يستلمه باليد. وروي عن أحمد أنه يقبله، وعند أبي حنيفة لا يستلمه ولا يقبله وإليه أشار المصنف بقوله:

(وكذلك استلام الركن اليماني مستحب من بين سائر الأركان روي: «أن رسول الله ﷺ كان يستلم الركن اليماني ويقبله ويضع خده عليه»). أما استلامه فمتفق عليه من حديث ابن عمر بألفاظ: منها لم أرَ رسول الله ﷺ يمس من الأركان إلا اليمانيين، ولمسلم من حديث ابن عباس لم أرَه يستلم غير الركنين اليمانيين، وأما تقبيله له فمتفق عليه من حديث عمر كما تقدم، وللبخاري من حديث ابن عمر رأيت رسول الله ﷺ يقبله ويستلمه، وله في التاريخ من حديث ابن عباس كان النبي ﷺ إذا استلم الركن اليماني قبله.

وأما وضع الخد عليه، فرواه الدارقطني والحاكم من حديث ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ

خده عليه». ومن أراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر في الركن اليماني على الاستلام أغنى عن اللمس باليد فهو أولى.

الخامس: إذا تم الطواف سبعاً فليأتِ الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع

قبّل الركن ووضع خده عليه». قال الحاكم: صحيح الإسناد. قال العراقي: فيه عبدالله بن مسلم بن هرمز ضعفه الجمهور.

قلت: وأخرجه الأزرقي عن مجاهد: «كان النبي ﷺ يستلم الركن اليماني ويضع خده عليه».

(ومن أراد تخصيص) الأسود **(بالتقبيل واقتصر في الركن اليماني على الاستلام. أعني المس باليد فهو الأولى إذ هو الأشهر في الرواية)**. قال الشافعي رحمه الله: وفعل من اقتصر على الركنين أحب إليَّ لأنه المروي عن رسول الله ﷺ وليس ترك استلام الركنين الآخرين يدل على أنهما مهجوران، وكيف يهجر من طاف به. ولو كان ترك استلامهما هجراً لهما لكان ترك استلام ما بين الأركان هجراً لها اهـ.

وحكى إمام الحرمين أنه يتخير حين يستلم الركنين بين أن يقبل يده ثم يمس الركن وبين أن يمسه ثم يقبل اليد. قال: وهكذا يتخير بين الوجهين إذا منعته الزحمة من تقبيل الحجر. قال الرافعي: ولم يذكر المعظم في الصورتين سوى الوجه الثاني. وقال مالك: لا يقبل يده فيهما ولكنه بعد الاستلام يضع يده على فمه.

فصل

قال صاحب الهداية من أصحابنا: ويستلم الركن اليماني وهو حسن في ظاهر الرواية، وعن محمد هو سنّة ولا يستلم غيرهما اهـ.

وصحح الكرماني ظاهر الرواية فإن استلمه لا يقبله في ظاهر الرواية. وقال محمد: السنة أن يفعل به كما فعل بالحجر الأسود، فمحمد مع الشافعي في هذه المسألة والأحاديث دالة على ما ذهب إليه محمد حتى قال بعضهم: إن الفتوى عليه.

(الخامس: إذا تم الطواف سبعاً) أي سبعة أشواط **(فليأتِ الملتزم وهو ما بين الحجر)** الأسود **(والباب)**. أخرجه الأزرقي في تاريخ مكة، عن أبي الزبير، عن ابن عباس قال: الملتزم ما بين الحجر والباب لا يلزم بينهما أحد يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه. قال أبو الزبير: فقد دعوت هنالك فاستجيب لي، وقال الأزرقي أيضاً: الملتزم والمدعي والمتعوّذ ما بين الحجر والباب وذرعه أربعة أذرع. وقال الشافعي: أحب له إذا ودع أن يقف في الملتزم وهو بين الركن والباب فيقول، وذكر الدعاء المشهور، **(وهو موضع استجابة الدعاء)** روي ذلك عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الملتزم موضع يستجاب فيه الدعاء وما دعا عبدالله دعوة إلا استجابها» أو نحو ذلك، وهو حديث حسن غريب من رواية عمرو بن دينار عن ابن عباس.

استجابة الدعوة، وليلتزق بالبيت وليتعلق بالأستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الأيمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه، وليقل: «اللهم يا رب البيت العتيق أعتق

وقد وقع لنا مسلسلاً رويناه عن شيخنا السيد عمر بن أحمد بن عقيل الحسيني المكي، عن عبدالله بن سالم البصري، عن أبي الحسن علي بن عبد القادر الطبري، عن أبيه، عن جده يحي بن مكرم الطبري، عن عم والده أبي اليمن الطبري، عن أبيه، عن حافظ الحجاز محب الدين بن عبدالله الطبري قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن يوسف الهمداني، أخبرنا الحافظ أبو عبدالله محمد بن مسدي نزيل الحرم، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن البلنتي، أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفي قال: أخبرنا أبو الفتح الغزنوي، أخبرنا أبو الحسن الكتاني، أخبرنا حمزة بن عبد العزيز، أخبرنا عبدالله بن محمد، أخبرنا محمد بن الحسن، أخبرنا الحميدي، أخبرنا محمد بن إدريس، أخبرنا سفيان، عن عمرو بن دينار قال: سمعت ابن عباس فذكره. قال ابن عباس: فوالله ما دعوت الله عز وجل فيه قط إلا أجابني، قال عمرو: وأنا والله ما أهمني أمر فدعوت الله عز وجل فيه إلا استجاب لي منذ سمعت منه هذا الحديث، وهكذا قال كل راوٍ إلى أن وصل إلينا.

وأخرج الأزرقي عن ابن عباس قال: «من التزم الكعبة ودعا استجيب له» وهذا يجوز أن يكون على عمومه، وأن يكون محمولاً على الملتزم.

وعن مجاهد قال: ما بين الركن والباب يدعى الملتزم ولا يقدم عبد ثم فيدعو الله عز وجل إلا استجاب له. وعنه قال: رأيت ابن عباس وهو يستعيذ ما بين الركن والباب، وروي عن الحسن أن الدعاء هنالك مستجاب في خمسة عشر موضعاً فذكر فيهن الملتزم.

(وليلتصق بالبيت وليتعلق بالأستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الأيمن ويبسط عليه ذراعيه وكفيه).

أخرج أبو داود، وابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن أبيه قال: طفت مع عبد الله بن عمرو بن العاص، فلما جئنا دبر الكعبة قلت: ألا تتعوذ؟ قال: نعوذ بالله من النار، ثم مضى حتى استلم فأقام بين الركن والباب فوضع صدره ووجهه وذراعيه هكذا وبسطهما بسطاً، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ يفعله.

وأخرجه الأزرقي بزيادة ولفظه: عن عمرو بن شعيب عن أبيه قال: طاف محمد بن عبد الله بن عمرو مع أبيه عبد الله بن عمرو بن العاص، فلما كان في السابع أخذ بيده فجبذه وقال احدهما أعوذ بالله من النار، وقال الآخر أعوذ بالله من الشيطان، ثم مضى حتى أتى الركن فاستلمه ثم ذكر الحديث.

وأخرج أبو داود عن عبد الرحمن بن صفوان قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة قلت لألبسن ثيابي فلأنظرن كيف يصنع رسول الله ﷺ، فانطلقت فرأيت رسول الله ﷺ قد خرج من الكعبة هو وأصحابه وقد استلموا البيت من الباب إلى الحطيم، وقد وضعوا خدودهم على البيت ورسول

رقبتي من النار وأعذني من الشيطان الرجيم وأعذني من كل سوء وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني. اللهم إن هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار. اللهم اجعلني من أكرم وفدك عليك» ثم ليحمد الله كثيراً في هذا الموضع وليصلِّ على رسوله ﷺ وعلى جميع الرسل كثيراً وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه. كان بعض السلف في هذا الموضع يقول لمواليه: تنحوا عني حتى أقرَّ لربي بذنوبي.

الله ﷺ وسطهم. وسياق هذا اللفظ يشعر بأن الحطيم هو الحجر الاسود، والمشهور فيه أنه ما بين الركن والباب، فلعله يريد ما بين الباب وانتهاء الحطيم على حذف المضاف. وفي الحطيم أقوال غير ما ذكرت.

وأخرج أحمد عن عبد الرحمن بن صفوان قال: «رأيت رسول الله ﷺ بين الحجر والباب واضعاً وجهه على البيت» قوله: «واضعاً وجهه». وفي الحديث الأول فوضع صدره، ووجهه يحتمل أن يكون يريد وضع الخد كما سبق ويطلق عليه وضع الوجه، ويحتمل أن يريد وضعه كهيئة الساجد فيكون فيه رد لقول من أنكره.

وأخرج الدارقطني عن ابن عمر أنه كان يلزق صدره ووجهه بالملتزم. وعن أبي إسحاق قال: رأيت ابن عمر رجلاً جسيماً آدم وقد أثر خلوق الكعبة بصدره، وروى الشافعي في المسند عن عروة أنه كان يلصق ظهره وبطنه وجنبه بالبيت.

(وليقل: «اللهم يا رب البيت العتيق أعتق رقبتي من النار وأعذني من الشيطان الرجيم. وأعذني من كل سوء وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيما آتيتني. اللهم إن هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار. اللهم اجعلني من أكرم وفدك عليك») قوله: وأعذني الخ يلاحظ أن هذا الموضع يسمى متعوذاً، وقوله: «وقنعني» إلى قوله «آتيتني» تقدم ذكره في الدعاء ما بين الركنين، ولفظه: «اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه واخلف لي على كل غائبة بخير» رواه ابن ماجه والحاكم. وقوله «إن هذا البيت بيتك» الخ. تقدم ذكره في أدعية ابتداء الطواف.

(ثم ليحمد الله كثيراً في ذلك الموضع) ويثني عليه بما يلهمه الله على لسانه. **(وليصل على رسوله ﷺ وعلى سائر الرسل كثيراً وليدع بحوائجه الخاصة ويستغفر من ذنوبه)** ويتنصل عنها مع التضرع والانكسار وجمع الهمة وإحضار القلب.

(كان بعض السلف في هذا الموضع يقول لمواليه: تنحوا عني حتى أقر لربي بذنوبي).

ومن الأدعية المأثورة في هذا الموضع ما أخرجه الأزرقي في تاريخ مكة، عن عبد الله بن أبي سليمان مولى بني مخزوم قال: طاف آدم عليه السلام حين نزل بالبيت سبعاً، ثم صلى تجاه الكعبة

السادس: إذا فرغ من ذلك ينبغي أن يصلي خلف المقام ركعتين يقرأ في الأولى قل

ركعتين، ثم أتى الملتزم فقال « اللهم إنك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي وتعلم حاجتي فاعطني سؤالي. اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي والرضا بما قضيت عليّ » فأوحى الله تعالى « يا ادم قد دعوتني بدعوات واستجبت لك ولن يدعوني بها أحد من ولدك إلا كشفت همومه وكففت عليه ضيعته ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه، واتجرت له من وراء تجارة كل تاجر. وأتته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدها. »

وعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ « طاف آدم عليه السلام بالبيت سبعاً حين نزل » ثم نسق مثل هذا الحديث أخرجه الازرقي أيضاً.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يدعو بين الباب والحجر « اللهم إني أسألك ثواب الشاكرين ونزل المقربين ويقين الصادقين وخلق المتقين يا أرحم الراحمين ».

(السادس: إذا فرغ من ذلك) يعني من طوافه، **(فينبغي أن يصلي خلف المقام ركعتين)** أراد به التعرض لما يشترك فيه القولان، وهو أصل الشرعية. وقد اختلف فيهما هل هما واجبتان أو مسنونتان؟ فيه قولان. أحدهما: واجبتان، وبه قال أبو حنيفة لأن النبي ﷺ لما صلاهما تلا قوله عز وجل: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ [البقرة: ١٢٥] رواه أحمد والنسائي عن جابر فافهم أن الآية أمر بهذه الصلاة والأمر للوجوب إلا أن ذلك أمر ظني، فكان الثابت به الوجوب وأصحهما مسنونتان، وبه قال مالك وأحمد لقوله ﷺ في حديث الاعرابي « إلا أن تطوع » ولمالك رواية أخرى أنها واجبتان، وأخرى أنها تابعتان للطواف في صفته، واحتج الشيخ أبو علي لهذا القول أعني بالسنية بشيئين. أحدهما: أنها لو وجبت لوجب شيء بتركها كالرمي ولا يلزم، والثاني: أنها لو وجبت لاختص فعلها بمكة ولا يختص بل يجوز في بلده، وأي موضع شاء ولك أن تقول.

أما الأول فيشكل بالأركان فإنها واجبة ولا تجبر بشيء وقد تعد هذه الصلاة منها، ثم الجبر بالدم إنما يكون عند فوات المجبور، وهذه الصلاة لا تفوت إلا بأن يموت، وحينئذ لا يمتنع جبرها بالدم قاله الإمام وغيره.

وأما الثاني: فلم لا يجوز أن تكون واجبات الحج وأعماله منقسمة إلى ما يختص بمكة وإلى ما لا يختص؟ ألا ترى أن الاحرام أحد الواجبات ولا اختصاص له بمكة، ثم ان تقييد المصنف كون هذه الصلاة خلف المقام وركعتين فيه كلام.

أما كونها خلف المقام فهو بيان للفضيلة لأنه يجوز فعلها في غيره. قال الرافعي: يصليها خلف المقام وإلا ففي الحجر وإلا ففي المسجد وإلا ففي أي موضع شاء من الحرم وغيره. وقال أصحابنا الحنفية: يجوز أن يصليها في أي مكان شاء ولو بعد الرجوع إلى أهله لأنها على التراخي مالم يرد أن يطوف اسبوعاً آخر، فعلى الفور كما سيأتي ففي الجعديات عن سفيان عن عبد الله عن نافع عن ابن عمر أنه طاف بالبيت فصلى ركعتين في البيت.

يا أيها الكافرون، وفي الثانية الإخلاص وهما ركعتا الطواف. قال الزهري: مضت السنّة أن يصلي لكل سبع ركعتين، وإن قرن بين أسابيع وصلى ركعتين جاز. فعل ذلك

وأخرج النسائي عن المطلب بن أبي وداعة قال: «رأيت رسول الله ﷺ حين فرغ من سعيه جاء حاشية المطاف فصلى ركعتين وليس بينه وبين الطوافين أحد».

وأخرجه ابن حبان في الصحيح بلفظ «رأيت رسول الله ﷺ يصلي حذو الركن الأسود والرجال والنساء يمرون بين يديه ما بينهم وبينه سترة».

وأخرج الازرقي عن موسى بن عقبة قال: طفت مع سالم بن عبد الله بن عمر خمسة أسابيع كلما طفنا سبعاً دخلنا الكعبة فصلينا فيها ركعتين.

وأخرج مالك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه صلاهما بذي طوى.

وأخرج رزين أنه صلاهما في الحل، وعن أم سلمة أنها صلت ركعتي الطواف في الحل.

وأما كونها ركعتين فقد اختلف، فالثابت فيه عن رسول الله ﷺ ركعتان. وأخرج الازرقي عن عطاء قال: طاف النبي ﷺ ولم يزد على الركعتين في حجته وعمرته كلها، فلا أحب أن يزيد في ذلك السبع على الركعتين، فإن زاد فلا بأس، ويروى عن سفيان الثوري إباحة الزيادة، فقد أخرج البغوي عنه: وسئل عن الرجل يطوف أسبوعاً أيصلي أربع ركعات؟ قال: نعم. وإن شئت فعشراً.

(يقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون، وفي الثانية سورة الاخلاص) أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر أن النبي ﷺ لما انتهى إلى مقام ابراهيم قرأ ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾ فصلى ركعتين قرأ فاتحة الكتاب، ﴿وقل يا أيها الكافرون﴾ و﴿قل هو الله أحد﴾ ثم عاد إلى الركن فاستلمه، وشك مسلم في وصله وإرساله، ووصله النسائي وغيره، وأخرجه الترمذي وقال: قرأ سورتي الإخلاص ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ﴿وقل هو الله أحد﴾. قال الرافعي: ويجهر بالقراءة فيهما ليلاً ويسر بهما نهاراً. **(وهما ركعتا الطواف قال)** محمد بن شهاب **(الزهري: مضت السنّة ان يصلي لكل أسبوع ركعتين)**.

قال العراقي: ذكره البخاري تعليقاً السنة أفضل لم يطف النبي ﷺ اسبوعاً إلا صلّى ركعتين.

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين اهـ.

قلت: لفظ البخاري عن الزهري. وقد قيل له إن عطاء يقول تجزىء المكتوبة عن ركعتي الطواف؟ فقال: السنة أفضل ثم ساقه.

قال المحب الطبري: والوجه عندنا أن ذلك يبنى على وجوبها، فمن قال بوجوبها لم يتجه اجزاء

رسول الله ﷺ وكل أسبوع طواف. وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل: « اللهم يسر

المكتوبة عنده عنها، ومن لم يقل بوجوبها فالوجه عنده الاجزاء كتحية المسجد، ولا خلاف عندنا أنها ليستا من أركان الطواف، ولا من أركان الحج، وأن الطواف يصح دونها، وإنما في وجوبها قولان. واختلف الاصحاب في محلها فقيل في الطواف الواجب، فعلى هذا لا يجبان في طواف القدوم، وقيل: القولان في الجميع وهو الصحيح اهـ.

وقال الرافعي: فلو صلى فريضة بعد الطواف حسب على ركعتي الطواف اعتباراً بتحية المسجد حكى ذلك عن نصه في القديم والإمام حكاه عن الصيدلاني نفسه واستبعده اهـ.

قلت: وهذا القول حكاه الشافعي في نصه في القديم، عن سالم بن عبد الله، ولم يعترض عليه فدل على أنه قد ارتضاه. وحكى ابن المنذر ذلك عن عطاء وجابر بن زيد والحسن البصري وسعيد بن جبير.

وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن ابن عباس أنه كان يقول: « إذا فرغ الرجل من طوافه وأقيمت الصلاة فإن المكتوبة تجزىء عن ركعتي الطواف ».

وعن الحسن إذا تم أسبوعاً ثم أدركت المكتوبة فإن المكتوبة تجزئك عن ركعتي الطواف.

وعن مجاهد أنه طاف اسبوعاً وفرغ وأقيمت الصلاة عند فراغه فصلّى المكتوبة فلما قضى الصلاة قيل له: ألا تقوم فتصلي ركعتين؟ قال: وأي صلاة أفضل من المكتوبة.

وعن سالم بن عبد الله سئل عن الرجل يطوف، ثم يصلي المكتوبة قال: تجزىء عنه.

وعن عطاء ومجاهد قالا: إن شئت اجتزيت في ركعتي الطواف بالمكتوبة، وإن شئت ركعت قبلها، وإن شئت بعدها.

وعن سعيد بن جبير في الرجل يطوف بعد العصر قال: إن شئت تصلي إذا غابت الشمس وإن شئت أجزأت عنك المكتوبة وإن شئت صليت إذا صليت المكتوبة أخرج جميع ذلك سعيد بن منصور.

(وإن قرن بين أسابيع) جمع أسبوع. والأسبوع بضم الهمزة وبحذفها سبعة أشواط، ومن الحجر إلى الحجر شوط. **(وصلى ركعتين جاز. فعل ذلك رسول الله ﷺ وكل أسبوع طواف)**.

قال العراقي: رواه ابن أبي حاتم من حديث ابن عمر « أن النبي ﷺ قرن ثلاثة أطواف ليس بينها صلاة » ورواه العقيلي في الضعفاء، وابن شاهين في أماليه من حديث أبي هريرة، وزاد: « ثم صلى لكل اسبوع ركعتين » وفي إسنادهما عبد السلام بن أبي الجنوب منكر الحديث اهـ.

قلت: وأخرج أبو عمرو بن السماك في السابع من أجزائه المشهورة عن أبي هريرة رضي الله

عنه قال: «طاف النبي ﷺ ثلاثة أسابيع جميعاً، ثم أتى المقام فصلى خلفه ست ركعات يسلم من كل ركعتين يميناً وشمالاً» قال أبو هريرة: إنما أراد أن يعلمنا.

وأخرج أبو ذر الهروي في منسكه عن محمد بن السائب بن بركة عن أمه أنها كانت تطوف مع عائشة ومعها عائلة بنت خالد بن سعيد بن العاص، وأم عبد الوهاب بن عبد الله بن أبي ربيعة، فلما أكملت سبعها تعوّذت بين الركنين ثم استلمت الحجر، ثم أنشأت في سبع آخر، فلما فرغت منه تعوذت بين الركن والباب، ثم أنشأت في سبع آخر، فلما فرغت منه تعوذت بين الركن والباب، ثم أنشأت في سبع آخر، فلما فرغت منه انطلقت إلى صفة زمزم فصلت ركعتين ثم تكلمت فصلت ركعتين.

قال المحب الطبري: هكذا نقلته من نسخة بخط أبي ذر، والمشهور عنها ثلاثة أسابيع، وكذلك ذكر الصلاة ركعتين لا غير، وصوابه لكل اسبوع ركعتين، وعنه وعن أمه أنها طافت مع عائشة ثلاثة أسابيع لم تفصل بينها بصلاة فلما فرغت ركعت ركعات أخرجه سعيد بن منصور والأزرقي، ثم قال الطبري: واحتج بهذه الأحاديث من قال يجوز الإقران بين أسابيع، واستدل بها على عدم الكراهة، وقد روي ذلك عن المسور وسعيد بن جبير وطاووس وعطاء وذكره الجندي وبه قال الشافعي وأحمد، وقال مالك وأبو حنيفة: يكره لأنه لم يصح من فعل رسول الله ﷺ لأن تأخير الركعتين يخل بالموالاة بينها وبين الطواف. قال: ولا حجة في ذلك فإن النبي ﷺ لم يُرْوَعنه أنه طاف اسبوعين ولا ثلاثة في المشهور عنه، وذلك غيره مكروه بالاتفاق لأن عدم فعله ﷺ لا يدل على الكراهة. وأما الموالاة بين الطواف وركعتيه فغير معتبر بدليل أن عمر رضي الله عنه صلاهما بذي طوى كما سبق اهـ.

قلت: وقال أصحابنا: وصل الأسابيع مكروه تحريماً عند أبي حنيفة ومحمد خلافاً لأبي يوسف، وعبارة مجمع البحرين لابن الساعاتي: ويجيز الوصل بين الأسابيع إذا صدر عن وتر وكرهاه. يعني إذا جمع بين ثلاثة أسابيع أو خمسة أو سبعة من غير أن يصلي ركعتين بين الأسبوعين لا يكره عند أبي يوسف، ويكره عندهما قيد بقوله عن وتر، لأن الاسابيع لو كانت شفعاً يكره الوصل بينها اتفاقاً، لأن الاصل في الطواف الوتر، كما أن الأصل في الصلاة الشفع والخلاف بينه وبينهما محمول على ما إذا لم يكن في الوقت التي تكره فيه الصلاة، أما إذا كان فيه فإنه لا يكره الوصل اتفاقاً.

وقد روي المنع من الجمع بين أسابيع عن عروة وعطاء والثوري والنخعي وغيرهم. أما قول عروة، فأخرجه سعيد بن منصور عنه أنه كان لا يجمع بين السبعين، ولكنه كان يصلي لكل أسبوع ركعتين، وربما صلّى عند المقام وغيره. وأما قول عطاء، فأخرجه أبو ذر الهروي عنه أنه كان يكره أن يجمع الرجل بين اسبوعين، وقال: أول من قرن عائشة والمسور بن مخرمة. وأما قول سفيان الثوري، فأخرجه البغوي وأبو ذر الهروي عنه أنه سئل عن الإقران في الطواف فنهى عنه وشدد

لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الآخرة والأولى واعصمني بألطافك حتى لا أعصيك. وأعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين. اللهم حببني إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين. اللهم فكما هديتني إلى الإسلام فثبتني عليه بألطافك وولايتك واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك وأجرني من مضلات الفتن». ثم ليعد إلى الحجر

وقال: لكل أسبوع ركعتان، فقيل: عمن؟ فقال: عن غير واحد. وأما قول إبراهيم النخعي، فأخرجه سعيد بن منصور عنه قال: لكل سبع ركعتان.

وأخرج الأزرقي في تاريخ مكة عن يحي بن سليم عن إسماعيل بن أمية قال سمعت غير واحد من الفقهاء يقول: بني هذا البيت على أسبوع وركعتين، وقال أيضاً: لئن طالت بك حياة لترين الناس يطوفون حول الكعبة ولا يصلون.

ثم قال المصنف: **(وليدع بعد ركعتي الطواف وليقل)** في دعائه **(«اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الآخرة والأولى. اللهم اعصمني بألطافك حتى لا أعصيك وأعني على طاعتك بتوفيقك وجنبني معاصيك، واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين. اللهم حببني إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين. اللهم وكما هديتني للإسلام فثبتني عليه بألطافك ودلالتك عليه)** وفي بعض النسخ: «وولايتك» بدل قوله «ودلالتك» عليه. **(واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك وأجرني من مضلات الفتن»)** هذا الدعاء أخرجه أبو ذر الهروي في منسكه عن ابن عمر أنه كان إذا قدم حاجاً طاف بالبيت اسبوعاً ثم صلى ركعتين يطيل فيهما الجلوس، فيكون جلوسه أطول من قيامه لمدحه ربه وطلبته حاجته يقول مراراً «اللهم اعصمني بدينك وطاعتك وطواعية رسولك. اللهم جنبني حدودك. اللهم اجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ويحب رسلك ويحب عبادك الصالحين. اللهم حببني اليك وإلى ملائكتك وإلى رسلك وإلى عبادك الصالحين. اللهم يسرني لليسرى وجنبني العسرى واغفر لي في الآخرة والأولى. اللهم اجعلني أوف بعهدك الذي عاهدت عليه واجعلني من أئمة المتقين ومن ورثة جنة النعيم واغفر لي خطيئتي يوم الدين» وكان يقول ذلك على الصفا والمروة وبعرفات وبجمع وعلى الجمرتين وفي الطواف.

وقال الرافعي: ويقول عند الفراغ من ركعتي الطواف وخلف المقام «اللهم ان هذا بلدك ومسجدك الحرام وبيتك الحرام وأنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك أتيتك بذنوب كثيرة وخطايا جمة وأعمال سيئة، وهذا مقام العائذ بك من النار فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم إنك دعوت عبادك إلى بيتك الحرام وقد جئت اليك طالباً رحمتك مبتغياً رضوانك وأنت مثيب على ذلك فاغفر لي وارحمني إنك على كل شيء قدير» اهـ.

وليستلمه وليختم به الطواف. قال ﷺ: «من طاف بالبيت أسبوعاً وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة» وهذه كيفية الطواف. والواجب من جلته بعد شروط الصلاة

وفي كتاب مثير العزم لابن الجوزي عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال، قال النبي ﷺ «لما أهبط الله عز وجل آدم إلى الأرض طاف بالبيت سبعاً وصلّى خلف المقام ركعتين، ثم قال: اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي» إلى آخر الحديث. وقد تقدم ذكره قريباً.

وفي رواية «أن آدم عليه السلام ركع إلى جانب الركن اليماني ركعتين ثم قال: اللهم إني أسالك إيماناً يباشر قلبي» الحديث وقد سبق أيضاً.

وأخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب اليقين، عن عون بن خالد قال: وجدت في بعض الكتب أن آدم عليه السلام ركع إلى جانب الركن فذكره. وأخرجه الأزرقي أيضاً وقد سبق.

(**ثم ليعد إلى الحجر**) الأسود (**وليستلمه وليختم به الطواف**) جاء ذلك في حديث جابر الطويل ما يدل عليه.

وأخرج الترمذي عن جابر «أن النبي ﷺ أتى الحجر بعد الركعتين فاستلمه ثم خرج إلى الصفا» أظنه قال: ﴿إنَّ الصَّفا والمروة من شعائر الله﴾ [البقرة: ١٥٨].

وأخرج أحمد عنه «أن النبي ﷺ رمل ثلاثة أطواف من الحجر إلى الحجر وصلى ركعتين، ثم عاد إلى الحجر فاستلمه، ثم ذهب إلى زمزم فشرب منها، ثم صب على رأسه، ثم رجع فاستلم الركن، ثم خرج إلى الصفا فقال: أبدأ بما بدأ الله به».

وأخرج أبو ذر الهروي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم أنهما كانا إذا قضيا أسبوعهما أتيا الملتزم فاستعاذا به، ثم استلما الحجر ثم خرجا.

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن عمر: «كان إذا طاف الطواف الواجب ثم صلى الركعتين ثم أراد الخروج إلى الصفا لم يخرج حتى يستلم الحجر الاسود أو يستقبله».

(**قال رسول الله ﷺ: «من طاف بالبيت أسبوعاً وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة»**).

قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه، وقال الآخران: من طاف بهذا البيت أسبوعاً فأحصاه كان كعتق رقبة» وللبيهقي في الشعب «من طاف سبعاً وركع ركعتين كان كعتاق رقبة» اهـ.

قلت: وعند الترمذي في هذا الحديث زيادة وهي قوله وسمعته يقول «لا يرفع قدماً ولا يضع أخرى إلا حطّ الله بها عنه خطيئة وكتبت له بها حسنة».

أن يستكمل عدد الطواف سبعاً بجميع البيت، وأن يبتدىء بالحجر الأسود ويجعل البيت على يساره، وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا في

وأخرجه البخاري ومسلم بتغيير بعض اللفظ وتقديم وتأخير، وأخرج ابن حبان هذه الزيادة وزاد «ورفع له بها درجة» وحديث ابن ماجه أخرجه أبو سعيد الجندي في تاريخ مكة وقال: «كعتق رقبة نفيسة من الرقاب» ولفظ النسائي «من طاف سبعاً فهو كعتق رقبة» وأخرجه ابن الجوزي في مثير العزم بزيادة «وصلى خلف المقام ركعتين فهو عدل محرر».

وأخرج أبو سعيد الجندي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من طاف بالبيت سبعاً وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفر له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت» وأخرجه الواحدي مسنداً في تفسيره الوسيط، وهو حديث غريب من حديث أبي معشر عن محمد بن المنكدر عن جابر، وأخرج سعيد بن منصور عن مولى لأبي سعيد قال: رأيت أبا سعيد يطوف بالبيت وهو متكىء على غلام له يقال له طهمان وهو يقول: لأن أطوف بهذا البيت أسبوعاً لا أقول فيه هجراً وأصلي ركعتين أحب إليَّ من أن أعتق طهمان.

(هذه كيفية الطواف والواجب من جملته بعد وجوب شروط الصلاة) يعني بها طهارة الثوب والبدن والمطاف وستر العورة، وهذا القول غير مجري على ظاهره، فإن المعتبر في الطواف بعضها وهي التي ذكرناها، ولا يشترط فيه استقبال القبلة وترك الكلام وترك الأفعال الكثيرة وترك الأكل فتأمل. (أن يستكمل عدد الطواف سبعاً بجميع البيت) أي يجب رعاية العدد في الطواف، وهو أن يطوف سبعة فإن اقتصر على ستة أشواط لم تجزه، وبه قال مالك وأحمد. وعن أبي حنيفة: لو اقتصر على أكثر الطواف وأراق عن الباقي دماً أجزأه وبنى على ذلك أنه لو كان يدخل في الأشواط كلها من إحدى فتحتي الحجر ويخرج من الأخرى. كفاه أن يمشي وراء الحجر سبع مرات ويريق دماً، وبدواره ما وراء الحجر يكون معتداً به في الأشواط كلها والله أعلم.

(وأن يبتدىء بالحجر) الأسود فيحاذيه بجميع بدنه في مروره وقد تقدم ما يتعلق به فهذه ثلاثة وظائف من واجبات الطواف.

(و) الرابعة: أن (يجعل البيت على يساره) وهذا أيضاً قد تقدم ذكره، (و) الخامسة (يطوف داخل المسجد) كما يجب أن لا يطوف خارج مكة والحرم، ولا بأس بالحائل بين الطائف والبيت كالسقاية والسواري ولا بكونه في أخريات المسجد وتحت السقف ولا على الأروقة والسطوح إذا كان البيت أرفع بناء على ما هو اليوم، فإن جعل سقف المسجد أعلى فقد ذكر في العدة: أنه لا يجوز الطواف على سطحه ولو اتسعت خطة المسجد اتسع المطاف. (و) السادسة أن يطوف (خارج البيت لا على الشاذروان ولا في الحجر) وهذا قد تقدم بما فيه من الصور،

الحجر، وأن يوالي بين الأشواط ولا يفرقها تفريقاً خارجاً عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهيئات.

الجملة الخامسة في السعي:

فإذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو في محاذاة الضلع الذي بين الركن اليماني والحجر، فإذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات في حضيض الجبل بقدر قامة الرجل. رقي رسول الله ﷺ حتى بدت له

(و) السابعة **(أن يوالي بين الاشواط)** أي اشواط الطواف وأبعاضه **(ولا يفرقها تفريقاً خارجاً عن المعتاد)**، فلو خالف وفرق هل يجوز البناء على ما أتى به؟ فيه قولان أصحهما الجواز وهما كالقولين في جواز تفريق الوضوء، لأن كل واحد منهما يجوز أن يتخللها ما ليس منها بخلاف الصلاة، والقولان في التفريق الكثير من غير عذر، فأما إذا فرق يسيراً أو كثيراً بالعذر، فالحكم على ما بين في الوضوء. قال الإمام: والتفريق الكثير هو الذي يغلب على الظن تركه الطواف إما بالإضراب عنه أو لظنه أنه أنهاه نهايته ولو أقيمت المكتوبة وهو في أثناء الطواف فتخللها بينها فهو تفريق بالعذر، وقطع الطواف المفروض بصلاة الجنازة والرواتب مكروه إذ لا يحسن ترك فروض العين للتطوّع أو فرض الكفاية. وقال العمراني في البيان، قال الشافعي رحمه الله: وأكره أن يخرج من الطواف والسعي إلى صلاة الجنازة إلا أن تكون الجنازة على طريق فيصلي عليها من غير أن يعرج عليها، ولو خرج إليها لم يكن عليه الاستئناف بل يبني، فهذا شرح واجبات الطواف وفي وجوب النية فيه خلاف. **(وما عدا هذا)** الذي ذكرناه **(فهي سنن وهيئات)** تقدم ذكر أكثرها في اثناء بيان الأمور الستة.

الجملة الخامسة في السعي:

بين الصفا والمروة وله وظائف، منها ما هي واجبة، ومنها ما هي سنّة. وقد ذكر المصنف هنا واجباته مخلوطة بسننه فقال: **(فإذا خرج من الطواف)** أي بعد صلاته ركعتين واستلامه الحجر والركن وشربه ماء زمزم، **(فليخرج من باب الصفا)** أحد أبواب الحرم من جهة الصفا وهو باب بني مخزوم والصفا مقصوراً الحجارة ويقال لحجارة الملس الواحدة صفاة كحصاة وحصى وهو اسم موضع بمكة سمي الباب به، ويجوز في الصفا التذكير والتأنيث باعتبار المكان والبقعة. **(وهذا)** أي باب الصفا **(في محاذاة)** أي مقابلة **(الضلع بين الركن اليماني والحجر الأسود فإذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجاً في حضيض الجبل)** أي أسفله **(بقدر قامة الرجل. رقي رسول الله ﷺ فيه حتى بدت له الكعبة)**.

قال العراقي: رواه مسلم في حديث جابر « فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت » وله من حديث أبي هريرة « أتى الصفا فعلا عليه حتى نظر إلى البيت » اهـ.

الكعبة، وابتداء السعي من أصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة، ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغي أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمماً للسعي، وإذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات. وعند رقيه في الصفا ينبغي أن يستقبل البيت ويقول: «الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها. لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده

قلت: وأخرج سعيد بن منصور عن نافع قال: كان عبد الله بن عمر يخرج إلى الصفا فيبدأ به فيرقى حتى يبدو له البيت فيستقبله ولا ينتهي في كل ما حج واعتمر حتى يرى البيت من الصفا والمروة، ثم يستقبله منها.

وقال أصحابنا: ويخرج إلى الصفا من أي باب شاء، وإنما خرج النبي ﷺ من باب بني مخزوم لأنه كان أقرب الأبواب إلى الصفا لا أنه سنّة هذه عبارة الهداية.

واخرج الطبراني، عن ابن عمر «أن النبي ﷺ خرج من المسجد إلى الصفا من باب بني مخزوم» وإسناده ضعيف، ولكن له شاهد عن عطاء مرسل، عند ابن أبي شيبة وهو صحيح.

وأخرج أحمد والنسائي وابن حبان بلفظ «لما قدم رسول الله ﷺ وسلم مكة طاف بالبيت سبعاً ثم خرج إلى الصفا من الباب الذي يخرج إليه منه» قال ابن عمر: هو سنة، فقول صاحب الهداية لا أنه سنة مخالف لما روى ابن عمر، لكنه موافق لكلام أهل المذهب ففي البدائع وغيره أن الخروج من باب الصفا ليس بسنة بل هو مستحب، فيجوز الخروج من غيره بدون الإساءة والله أعلم.

(وابتداء السعي من أصل الجبل كاف، وهذه الزيادة مستحبة لكن بعض تلك الدرج مستحدثة، فينبغي أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متماً للسعي).

قال الرافعي: الترقي على الصفا والمروة من السنن والواجب السعي بينهما، وقد يتأتى ذلك من غير رقي بأن يلصق العقب بأصل ما يسير منه، ويلصق رؤوس أصابع رجليه بما يسير إليه بين الجبلين. وروي عن أبي حفص بن الوكيل أنه يجب الرقي عليهما قامة رجل، والمشهور هو الأول، وقد روي عن عثمان وغيره من الصحابة رضي الله عنهم من غير إنكار.

قلت: وأخرج الأزرقي، عن ابن جريج أن إنساناً سأل عطاء أيجزىء الذي يسعى بين الصفا والمروة أن لا يرقي واحداً منهما وأن يقوم بالأرض قائماً قال: أي لعمري وما له، وأخرج سعيد بن منصور بلفظ قال: نعم ما كان يصعد رسول الله ﷺ على الصفا إلا قليلاً.

(وإذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات، وعند رقيه في الصفا ينبغي أن يقبل على البيت) أي يستقبله **(ويقول « الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي**

الخير وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده. لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. لا إله إلا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴿فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحونَ★ وَلَهُ الْحَمدُ في السَّمَواتِ والأرضِ وعشياً وحين تُظْهِرُونَ★ يُخْرِجُ الحيَّ من الميِّتِ ويخرج الميِّتَ من الحيِّ ويحيي الأرضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذلِكَ تُخْرجُونَ★ ومِن آيَاتِهِ أنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إذَا أنْتُم بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: ١٧ - ٢٠] اللهم إني أسألك إيماناً دائماً، ويقيناً صادقاً، وعلماً نافعاً، وقلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً، وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة، ويصلي على محمد ﷺ ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء. ثم ينزل ويبتدىء السعي وهو يقول: «رب اغفر وارحم

ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده. لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. لا إله إلا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون★ وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون★ يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون★ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ [الروم: ١٧ - ٢٠] اللهم إني أسألك إيماناً دائماً ويقيناً صادقاً وعلماً نافعاً وقلباً خاشعاً ولساناً ذاكراً، وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، ويصلي على النبي ﷺ» ويدعو الله بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء).

أخرجه البيهقي في السنن والآثار عن الشافعي رضي الله عنه قال: أحب أن يخرج إلى الصفا من باب الصفا ويظهر عليه بحيث يرى البيت ويستقبل البيت فيكبر ويقول «الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد. الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما هدانا وأولانا. لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله صدق وعده ونصره عبده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون» ثم يدعو ويلبي ثم يعود ويقول مثل هذا القول حين يقوله ثلاثاً، ويدعو في كل ما بين كل تكبيرتين بما بدا له من دين ودنيا اهـ.

قلت: وروي عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا وقف على الصفا كبر ثلاثاً ثم يقول «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» يصنع ذلك ثلاث مرات ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك. زاد في رواية «يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير» قال ثلاث مرات لا إله إلا الله وحده الخ فكبر الله وحمده ثم دعا ما قدر له، ثم مشى حتى أتى المروة فصعد فيها ثم بدا له البيت فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له الخ ثلاث مرات وسبحه وحمده ثم دعا بما شاء الله، ثم فعل هذا حتى فرغ. أخرجه النسائي بطرقه.

وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم. اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة

وأخرج رزين فيما ذكر أنه متفق عليه عن سعيد بن جبير أنه كان يكبر ثلاثاً ويقول: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له » الخ يصنع ذلك سبع مرات، ويصنع على المروة كذلك في كل شوط.

وأخرجه أبو ذر الهروي وزاد بعد قوله « يصنع ذلك سبع مرات » فذلك إحدى وعشرون تكبيرة وسبع من التهليل ويدعو فيما بين ذلك ويسأله على المروة مثل ذلك. وفي رواية « ويصلي على النبي ﷺ ».

وأخرج أبو ذر أيضاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يعلم الناس بمكة ويقول: « إذا قدم أحدكم حاجاً أو معتمرا فليطف بالبيت سبعاً وليصل عند المقام ثم يبدأ بالصفا فيقوم عليه ويستقبل البيت ويكبّر سبع تكبيرات بين كل تكبيرتين حمداً لله تعالى وثناء عليه وصلاة على النبي ﷺ ومسألة لنفسه وعلى المروة مثل ذلك » وأخرج معناه سعيد بن منصور في السنن.

وأخرج البغوي في شرح السنّة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « أقبل رسول الله ﷺ فدخل مكة فأقبل إلى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت ثم أتى الصفا فعلا حتى نظر إلى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله ما شاء أن يذكره ويدعوه والأنصار تحته ».

وقال الرافعي: وليكن من دعائه على الجبلين ما يؤثر عن ابن عمر: « اللهم اعصمني بدينك وطواعيتك وطواعية رسولك. اللهم اجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك وعبادك الصالحين. اللهم آتني من خير ما تؤتي عبادك الصالحين. اللهم اجعلني من المتقين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لي خطيئتي يوم الدين ».

قلت: قال الحافظ: رواه الطبراني والبيهقي في كتاب الدعاء والمناسك له من حديثه موقوفاً. قال الضياء: إسناده جيد اهـ.

قلت: وأخرجه أبو ذر الهروي بأتم منه كما سبق في الدعاء بعد ركعتي الطواف، وأخرجه سعيد بن منصور وزاد بعد قوله « واغفر لي خطيئتي يوم الدين اللهم إنك قلت ادعوني استجب لكم وإنك لا تخلف الميعاد. اللهم إذ هديتني للإسلام فلا تنزعه مني ولا تنزعني منه حتى تتوفاني عليه وقد رضيت عني، اللهم لا تقدمني لعذاب ولا تؤخرني لسيء العيش » وأخرج مالك طرفاً منه، وأخرجه بكماله ابن المنذر وهذه الزيادة التي عند أبي ذر الهروي أخرجها البخاري ومسلم بلفظ « اللهم إنك قلت ادعوني أستجب لكم وإنك لا تخلف الميعاد وإني أسألك كما هديتني للإسلام أن لا تنزعه مني حتى تتوفاني وأنا مسلم » وهذه الزيادة هي التي رواها مالك، وأما قول المصنف في أثناء الدعاء: « اللهم إني أسألك إيماناً دائماً » إلى قوله « الآخرة » روي ذلك من حديث أبي ذر الغفاري مرفوعاً بينته في شرحي على الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي قدس سره.

(ثم ينزل) من الصفا **(ويبتدىء السعي وهو يقول: « رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الاكرم »)** رواه الطبراني في الدعاء، وفي الأوسط من حديث ابن مسعود أن

وقنا عذاب النار ». ويمشي على هينة حتى ينتهي إلى الميل الأخضر وهو أول ما يلقاه إذا نزل من الصفا ـ وهو على زاوية المسجد الحرام ـ فإذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة أذرع أخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي إلى الميلين الأخضرين. ثم يعود

رسول الله ﷺ كان إذا سعى بين الصفا والمروة في بطن المسيل قال « اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم » وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، وقد رواه البيهقي موقوفاً من حديث ابن مسعود أنه لما هبط إلى الوادي سعى فقال، فذكره وقال: هذا أصح الروايات في ذلك عن ابن مسعود. قال الحافظ: يشير إلى تضعيف المرفوع.

قلت: وأخرج سعيد بن منصور عن شقيق قال: كان عبد الله إذا سعى في بطن الوادي قال: « رب اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم ».

وأخرج أيضاً عن مسعود بن الأجدع عن ابن مسعود أنه اعتمر، فلما خرج إلى الصفا بعد طوافه قام على شق في وسطها ثم استقبل بوجهه الكعبة ثم لبّى، فقلت يا أبا عبد الرحمن إن ناساً من أصحابك ينهون عن التلبية هنا. قال: ولكن آمرك به هل تدري ما الإهلال إنما استجابة لربه عز وجل فقام عنيه هنيهة ثم نزل فمشى ومشيت حتى أتى إلى المسعى فسعى وسعيت معه، حتى جاوز الوادي وهو يقول « رب اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم » ثم مشى حتى انتهى إلى المروة فصعد عليها فاستقبل الكعبة وصنع مثل ما فعل على الصفا، ثم طاف بينهما حتى أتم سبعة أطواف.

وأخرج أبو حفص الملّا في سيرته عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ يقول في سعيه رب اغفر وارحم واهدني السبيل الأقوم ».

وعن امرأة من بني نوفل أي النبي ﷺ كان يقول بين الصفا والمروة « رب اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم » وزاد إمام الحرمين في النهاية بعد قوله: الأكرم (**« ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »**) وقال: صح أن رسول الله ﷺ كان يقول بين الصفا والمروة ذلك اهـ.

وقال الحافظ: وفيه نظر أي لم يثبت ذلك من طريق يصح ولا ضعيف لما عرفت في الآثار المتقدمة.

قلت: ونقل البيهقي عن الشافعي أنه قال: أن تقول في الأطواف الأربعة « رب اغفر وارحم واعف عما تعلم وأنت الاعز الأكرم، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » اهـ لكن هذا في خصوص الاطواف بالبيت لا بين الصفا والمروة.

(ويمشي على هينة) أي سكينة وأصلها هونة بالضم **(حتى ينتهي إلى الميل الأخضر وهو أول ما يلقاه إذا نزل من الصفا وهو على زاوية المسجد الحرام، فإذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة أذرع أخذ في السير السريع وهو الرمل)** محركة **(حتى ينتهي إلى الميلين الأخضرين)**.

إلى الهينة. فإذا انتهى إلى المروة صعدها كما صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء، وقد حصل السعي مرة واحدة؛ فإذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان.

قال الرافعي: ثم إن المسافة بين الجبلين يقطع بعضها مشياً وبعضها عدواً، وبيَّن الشافعي ذلك فقال: ينزل من الصفا ويمشي على سجية مشيه حتى يبقى بينه وبين الميل الأخضر المعلق بفناء المسجد وركنه قدر ستة أذرع، فحينئذ يسرع في المشي ويسعى سعياً شديداً، وكان ذلك الميل موضوعاً على متن الطريق في الموضع الذي يبتدأ منه السعي إعلاماً، وكان السيل تهدمه فرفعوه على أعلى ركن المسجد، ولذلك سمي معلقاً فوقع متأخراً عن مبتدأ السعي حتى توسط بين الميلين الأخضرين اللذين أحدهما متصل بفناء المسجد عن يسار الساعي، والثاني متصل بدار العباس، فإذا حاذاهما عاد إلى سجية المشي حتى ينتهي إلى المروة. قال القاضي الروياني وغيره: وهذه الأسامي كانت في زمن الشافعي رحمه الله تعالى وليس هناك اليوم دار تعرف بدار العباس ولا ميل أخضر وتغيرت الأسامي اهـ.

وقال أصحابنا: وصف الميلين بالأخضرين على التغليب، وإلاَّ فأحدهما أحمر، وقيل: أصفر. قال الشمني في شرح النقاية: وكلاهما في جهة اليسار لمن يمر إلى المروة، وكذلك في جهة يمينه جعلا علامة على بطن الوادي وآخره الذي هو محل السعي لما أذهبت السيول أثره اهـ.

وقال في المغرب: هما علامتان لموضع الهرولة في ممر بطن الوادي بين الصفا والمروة.

(فإذا انتهى إلى المروة صعدها كما صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء) وفي حديث عمر الذي تقدم من تخريج أبي ذر الهروي أنه يقبل بوجهه على البيت حتى يراه، ولعل هذا كان في ذلك الوقت وفي زمن المصنف وقبل كثرة العمارات، فالواقف على المروة لا يمكنه النظر للبيت، ولعل هذا وجه قول المصنف وأقبل بوجهه على الصفا، **(وقد حصل السعي مرة واحدة فإذا عاد إلى الصفا حصلت مرتان)**.

قال الرافعي: ويحسب الذهاب من الصفا إلى المروة مرة والعود منها إلى الصفا أخرى ليكون الابتداء بالصفا والختم بالمروة، وذهب أبو بكر الصيرفي إلى أن الذهاب والعود يحسب مرة واحدة لينتهي إلى ما منه ابتدأ كما في الطواف. وكما أن في مسح الرأس يذهب باليدين إلى القفا ويردهما ويكون ذلك مرة واحدة، ويروى هذا عن عبد الرحمن ابن بنت الشافعي وابن الوكيل اهـ.

قلت: ومثل هذا القول روي عن أبي جعفر الطحاوي من أصحابنا وقاسه على الطواف فإنه من الحجر إلى الحجر، وفي الذخيرة: لا خلاف بين الأصحاب ان الذهاب من الصفا إلى المروة شوط، وأما الرجوع منها إليه هل هو شوط آخر أشار محمد في الأصل إلى أنه شوط آخر، وكان الطحاوي لا يعتبره شوطاً آخر والأصح أنه شوط آخر اهـ.

قلت: هو ظاهر المذهب، ولفظ الطحاوي يحتمل معنيين:

الأول: أنه لا يعتبره شوطاً آخر بل شرطاً لتحصيل الشوط الثاني.

يفعل ذلك سبعاً ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون ـ كما سبق ـ وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة فإذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنّتان. والطهارة مستحبة للسعي وليست بواجبة بخلاف الطواف، وإذا سعى فينبغي أن لا يعيد السعي بعد الوقوف ويكتفي بهذا ركناً، فإنه ليس من شرط السعي أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط في طواف الركن. نعم شرط كل سعي أن يقع بعد طواف أي طواف كان.

والثاني: أنه لا يعتبره أصلاً وهو ضعيف لمخالفته حديث جابر، فإن فيه فلما كان آخر طوافه على المروة وقياسه على الطواف قياس مع الفارق لأن السعي يتم بالمروة، فيكون الرجوع تكراراً والطواف لا يتم إلا بالوصول إلى الحجر، وأن تكون الأشواط أربعة عشر، وقد اتفق رواة نسكه ﷺ على أنه سعى سبعة أشواط، وإليه أشار المصنف بقوله:

(يفعل ذلك سبعاً) ثم قال: **(ويرمل في موضع الرمل في كل مرة ويسكن في موضع السكون كما سبق)**، وهو في حديث جابر الطويل عند مسلم « أن النبي ﷺ نزل عن الصفا إلى المروة حتى إذا انتصبت قدماه رمل في بطن الوادي حتى إذا صعد مشى حتى أتى المروة». وعن حبيبة بنت أبي تجزاة « أن النبي ﷺ سعى حتى أن مئزره ليدور من شدة السعي » وأخرج النسائي عن أم ولد شيبة بن عثمان أنها أبصرت النبي ﷺ وهو يسعى بين الصفا والمروة ويقول « لا يقطع الأبطح إلا الأشداء ». وعن ابن الزبير أنه كان يوكيء بين الصفا والمروة، وفسر الأزهري الإيكاء بالسعي الشديد.

(وفي كل نوبة يصعد الصفا والمروة) ويكبر ويهلّل ويدعو كما سبق، **(فإذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعي وهما سنتان والطهارة)** عن الحدث والخبث **(مستحبة للسعي وليست بواجبة)** وكذا ستر العورة وسائر الشروط للصلاة كما في الوقوف وغيره من أعمال الحج **(بخلاف الطواف)** فإنه صلاة كما ورد في الخبر، وسبق ذكره.

وأخرج سعيد بن منصور عن عائشة وأم سلمة أنهما كانتا تقولان إذا طافت المرأة بالبيت وصلت ركعتين ثم حاضت فلتطف بالصفا والمروة ففيه تصريح بعدم اشتراط الطهارة في السعي.

(وإذا سعى فينبغي أن لا يعيد السعي بعد الوقوف ويكتفي بهذا ركناً فإنه ليس من شروط السعي أن يتأخر عن الوقوف، وإنما ذلك شرط في طواف الركن بل شرط كل سعي أن يقع بعد طواف أي طواف كان) فلو قدمه على الطواف لم يجزه، وقول المصنف بعد طواف أي طواف كان ينظر فيه، فإنه لا يتصور وقوع السعي بعد طواف الوداع لأن طواف الوداع هو الواقع بعد فراغ النسك، فإذا بقي السعي عليه لم يكن المأتي به طواف وداع. واعلم أن السعي بين الصفا والمروة ركن في الحج والعمرة، وهو مذهب عائشة وابن عمر وجابر، وبه قال مالك والشافعي

وأحمد في أحد روايتيه. فلا يحصل التحلل عند هؤلاء دونه ولا ينجبر بالدم، وذهب جماعة إلى نفي الوجوب مستدلين بالآية ﴿فلا جناح عليه أن يطوف بهما﴾ [البقرة: ١٥٨] وقالوا رفع الحرج يدل على الإباحة، وهو قول ابن عباس وابن سيرين وعطاء ومجاهد ومن عند هو للاصل وهي الرواية الثانية عن أحمد أنه مستحب وليس بواجب، وقال أبو حنيفة، وسفيان الثوري: هو واجب وليس بركن، وعلى من تركه دم واستدلا بالآية المذكورة، وأن مثله يستعمل للإباحة فينفي الركنية والإيجاب إلا أنهما عدلا عنه إلى الإيجاب، ولأن الركنية لا تثبت إلا بدليل مقطوع به ولم يوجد.

فصل

ومن سنن السعي الموالاة في مرات السعي وبين الطواف والسعي، بل لو تخلل بينهما فصل طويل لم يقدح قاله القفال. ثم لا يجوز أن يتخلل بينهما ذكر بأن يطوف للقدوم ثم يقف ثم يسعى، بل عليه إعادة السعي بعد طواف الإفاضة. وذكر في التتمة أنه إذا طال الفصل بين مرات السعي أو بين الطواف والسعي، ففي إجزاء السعي قولان، وإن لم يتخلل بينهما ركن والله أعلم.

تنبيه:

تقدم أن من واجبات السعي وقوعه بعد الطواف، فلو سعى قبل أن يطوف لم يحتسب إذ لم ينقل من فعل رسول الله ﷺ ومن بعده السعي إلاَّ مرتباً على الطواف ترتيب السجود على الركوع، ولا يشترط وقوعه بعد طواف الإفاضة لأن السعي ليس بقربة في نفسه كالوقوف بخلاف الطواف فإنه عبادة يتقرب بها وحدها. وعن الشيخ أبي محمد أنه يكره إعادته فضلاً عن عدم الاستحباب، ومن واجبات السعي الترتيب وهو الابتداء بالصفا لقوله ﷺ: «ابدؤوا بما بدأ الله به» فإن بدأ بالمروة لم يحسب مروره منها إلى الصفا.

وقال النووي في زيادات الروضة: ويشترط في المرة الثانية أن يبدأ بالمروة، فلو أنه لما وصل المروة ترك العود في طريقه وعدل إلى المسجد وابتدأ المرة الثانية من الصفا أيضاً لم يصح على الصحيح وفيه وجه شاذ في البحر وغيره والله أعلم.

قال الرافعي: وعن أبي حنيفة أنه لا يجب الترتيب ويجوز الابتداء بالمروة اهـ.

قلت: الصحيح من مذهب أصحابنا أنه لو بدأ بالمروة لا يعتد بالأولى لمخالفة الأمر في قوله ﷺ: «ابدؤوا بما بدأ الله به» ومن واجبات السعي العدد فلا بدَّ أن يسعى بين الجبلين سبعاً، فلو شك في العدد أخذ بالأقل. وكذلك يفعل في الطواف ولو طاف وسعى وعنده أنه أتم العدد وأخبره عدل عن بقاء شيء، فالأحب أن يرجع إلى قوله لأن الزيادة لا تبطلها، ولو جرى على ما هو جازم به جاز.

الجملة السادسة في الوقوف وما قبله:

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف، وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرماً إلى اليوم السابع من ذي الحجة. فيخطب الإمام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة ويأمر الناس

فصل

ويجوز السعي ماشياً وراكباً وقولهم المشي أفضل يدل على جواز الركوب مطلقاً دون عذر لأنه لا يقال في حق غير القادر على المشي المشي أفضل، وإنما يقع التفضيل عند القدرة على الركوب. نعم يكره الركوب عند القدرة على المشي ولا شيء عليه، وقد روي عن أنس أنه كان يسعى بينهما راكباً على حماره. وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: أوّل من ركب بين الصفا والمروة معاوية. أخرجه سعيد بن منصور، ونقل أصحاب مالك أن من سعى راكباً من غير عذر أعاد إن لم يفت الوقت، وإن فات فعليه دم، وكذلك قال أبو حنيفة إن سعى راكباً من غير عذر وأمكنه أن يعيده أعاده، وإن رجع إلى بلده أجزأه وعليه دم، ويقولون: إنما سعى رسول الله ﷺ راكباً لعذر وهو كثرة الناس وغشيانهم له.

وأخرج رزين عن عروة أنه كان إذا رأى من يطوف على دابة قال: خاب هؤلاء أو خسروا.

وأخرج سعيد بن منصور عن علي رضي الله عنه أنه كان يقول: من كان لا يستطيع المشي بين الصفا والمروة فليركب دابة وعليه دم، قال المحب الطبري: وهذا مذهب ثالث.

فصل

وليس الاضطباع في السعي على المشهور من مذهب الشافعي، وحكى المراوزة من أصحابه في استحبابه فيه وجهين، ومذهب أحمد أنه لا يضطبع، وقد روى أحمد في المسند عن بعض بني يعلى ابن أمية قال: «رأيت النبي ﷺ مضطبعاً بين الصفا والمروة ببرد نجراني».

الجملة السادسة في الوقوف وما قبله:

اعلم أن (**الحاج إن**) سار من الميقات و(**انتهى يوم عرفة**) هو اليوم التاسع (**إلى عرفات**) الموضع المعلوم وقد يطلق الأوّل على الثاني خلافاً لبعضهم، (**فلا يتفرغ إلى طواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف**)، وليس هذا لكل الحجيج، وإنما يفعله حجاج العراق خاصة، (**وإذا وصل مكة قبل ذلك بأيام**) فينظر إن كان متمتعاً طاف وسعى وحلق وتحلل من عمرته، ثم يحرم بالحج من مكة ويخرج على ما مرّ في صورة التمتع، وكذلك يفعل المقيمون بمكة، وإن كان مفرداً بالحج أو قارناً بين النسكين (**طاف طواف القدوم ويمكث محرماً إلى اليوم السابع من ذي الحجة فيخطب الإمام**) أو المنصوب من طرفه (**خطبة**) واحدة بعد صلاة (**الظهر عند**

بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والمبيت بها، وبالغدوّ منها إلى عرفة لإقامة فرض الوقوف بعد الزوال. إذ وقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من

الكعبة) أي قريباً منها في حاشية المطاف، **(ويأمر الناس) فيها (بالاستعداد إلى الخروج إلى منى يوم التروية والمبيت بها)** أي بمنى **(والغدوّ منها إلى عرفة)** ويخبرهم بما بين أيديهم من المناسك. وروى الحاكم والبيهقي من حديث ابن عمر « كان رسول الله ﷺ إذا كان يوم التروية خطب الناس فأمرهم مناسكهم » وقال أصحابنا: في الحج ثلاث خطب.

الأولى: بمكة قبل يوم التروية.

والثانية: بعرفات يوم التاسع منه.

والثالثة: بمنى يوم الحادي عشر منه يفصل بين كل خطبتين بيوم وفيه خلاف زفر لأنه قال يخطب في ثلاثة أيام متوالية أولها يوم التروية، وقال أحمد: لا يخطب اليوم السابع، وحديث ابن عمر السابق حجة لنا، والخطبة الثانية تفارق الأولى من وجهين: الأول: أن تلك واحدة وهذه اثنتان بينهما جلسة خفيفة كخطبة يوم الجمعة، والثاني أن تلك قبل صلاة الظهر وهذه بعدها، وأما الثالثة فلا فرق بينها وبين الأولى بوجه، والمراد هنا بالمناسك بعضها لأنه يعلم بعضها في الأولى وهو الخروج إلى منى والوقوف بعرفات والصلاة فيها.

ولذا قال المصنف: **(لإقامة فرض الوقوف بعد زوال الشمس)** وكذا الإفاضة منها، وبعضها في الثانية وهو الوقوف بعرفات والمزدلفة والإفاضة منها ورمي الجمار والنحر والحلق وطواف الزيارة، وبعضها في الثالثة وهو ما بقي منها - كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى - وإنما يعلم الوقوف في الخطبة الثانية بعد تعليمه في الخطبة الأولى لاحتمال أن يكون بعض الناس غير حاضر في تلك الخطبة، أو لكونه ركناً أعظم في الحج، وإنما سمي ثامن ذي الحجة يوم التروية لأنهم كانوا يروون إبلهم في ذلك اليوم استعداداً للوقوف لأن عرفات لم يكن بها ماء إذ ذاك، وقيل: لأن إبراهيم عليه السلام رؤي أي فكر في رؤياه فيه، واختار صاحب الصحاح الأوّل، واختار الزمخشري الثاني، وجوّز صاحب القاموس الوجهين. وقيل: إنما سمي به لأن الإمام يري الناس مناسكهم. وقال المطرزي في المغرب: أصلها الهمز وأخذها من الرواية خطأ ومن الري منظور فيه **(إذ وقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر)** وبه قال أبو حنيفة، وقال أحمد: يدخل وقته بطلوع الفجر يوم عرفة لما روى الدارقطني والحاكم عن عروة بن مضرس الطائي أن النبي ﷺ قال « من صلى معنا هذه الصلاة - يعني الصبح يوم النحر - وأتى عرفات قبل ذلك ليلاً أو نهاراً فقد تم حجه وقضى تفثه » لنا اتفاق المسلمين من عصر رسول الله ﷺ على الوقوف بعد الزوال، فلو جاز قبله لما اتفقوا على تركه، وبه يستدل على أن المراد من الخبر ما بعد الزوال.

قال الرافعي: وينبغي للإمام أن يأمر في خطبته المتمتعين أن يطوفوا قبل الخروج للوداع، فلو

يوم النحر، فينبغي أن يخرج إلى منى ملبياً، ويستحب له المشي من مكة في المناسك إلى انقضاء حجته إن قدر عليه. والمشي من مسجد إبراهيم عليه السلام إلى الموقف أفضل وآكد. فإذا انتهى إلى منى قال: «اللهم هذه منى فامنن عليَّ بما مننت به على أوليائك

وافق اليوم السابع يوم الجمعة خطب للجمعة وصلاها ثم خطب هذه الخطبة، **(فينبغي أن يخرج)** بهم اليوم وهو يوم التروية **(إلى منى)** وهي قرية من الحرم بينهـا وبين مكة فرسخ، والغالب فيها التذكير والصرف، وقد تكتب بالألف كذا في المغرب. ومفهوم هذا الكلام أن النادر فيها التأنيث والمنع، واقتصر صاحب الصحاح على الغالب حيث قال: وهي مقصور موضع بمكة وهو مذكر يصرف، وكذا صاحب القاموس حيث قال: ومنى كإلى قرية بمكة ويصرف، والتحقيق ما قاله صاحب المغرب لما أن النحاة ذكروا أن الغالب في أسماء البقاع التأنيث فلا تتصرف في المعرفة إلا أنه قد جاء عن العرب تذكير ثلاثة مواضع وصرفوها، وجاء عنهم التذكير والتأنيث في خمسة مواضع وعدوا منى منها، ثم قالوا: ما عدا هذه المواضع الثمانية الغالب في كلام العرب ترك صرفه وإن خلا من علامة التأنيث والله أعلم.

(ملبياً) أي حالة كونه يلبي عند الخروج إلى منى ويدعو بما شاء.

قال الرافعي: ومتى يخرج؟ المشهور أنه يخرج بعد صلاة الصبح بحيث يوافقون الظهر بمنى، وحكى ابن كج أن أبا إسحاق ذكر قولاً أنهم يصلون الظهر بمكة ثم يخرجون فإذا خرجوا إلى منى باتوا بها ليلة عرفة وصلوا مع الإمام بها الظـهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح يوم عرفة على المشهور، وعلى ما ذكره أبو إسحاق يصلون بها ما سوى الظهر اهـ.

وقال أصحابنا: اختلف في المستحب من وقت الخروج إلى منى على ثلاثة أقوال، والأصـح منها أنه بعد طلوع الشمس وهو مبني على اختلاف الروايات في خروجه ﷺ من مكة إلى منى متى كان، ففي بعضها ضحوة النهار، وفي بعضها بعد الزوال، وفي بعضها قبل صلاة الظهر، ويمكن أن يكون ﷺ تأهب للتوجه ضحوة النهار، وتوجه في أول الزوال ويكون أمره بالرواح للراكب المخف الذي يصل إلى منى قبل فوات الصلاة وأمره بالغدوّ للماشي أو لذي الثقل، أو يكون أمر توسعة فيها فالمتوجه إلى منى مخير بين الغدو والرواح لذلك، والله أعلم.

(ويستحب له المشي من مكة في المناسك) كلها **(إلى انقضاء حجه إن قدر على ذلك)** سواء فيه الآفاقي والحاضر، **(والمشي من مسجد إبراهيم)** الذي بعرفة **(إلى الموقف أفضل وآكد)** لكونه أقرب إلى التواضع، وقيل: الركوب أفضل مطلقاً تأسياً به ﷺ، وليكون أعون له على الدعاء وهو المهم في هذا الموضع، **(فإذا انتهى إلى منى)** فلينزل بالقرب من مسجد الخيف و**(قال «اللهم هذه منى فامنن عليّ فيها بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك»)** يشير بهذا الدعاء أنه يلاحظ معنى المنة في «منى» ولو اختلف مأخذها، فإن منى معتل والمنة مضاعفة وإنما سمي منى لما تمنى أي تسال وتراق فيه من الدماء وقيل: من التمني لأن جبريل عليه السلام لما أراد

وأهل طاعتك » وليمكث هذه الليلة بمنى » ـ وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك ـ فإذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فإذا طلعت الشمس على ثبير سار إلى عرفات ويقول: « اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط وأقربها من رضوانك وأبعدها من سخطك. اللهم

أن يفارق آدم عليه السلام قال له: ماذا تتمنى؟ فقال آدم عليه السلام: الجنة، وجمع بينهما ابن عباس فيما أخرجه ابن الجوزي في مثير العزم عن سعيد بن جبير عنه أن رجلاً سأله لم سميت منى؟ فقال: لما يقع فيها من دماء الذبائح وشعور الناس تقرباً إلى الله تعالى وتمنياً للأمان من عذابه. (**وليمكث هذه الليلة « بمنى » ـ وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك ـ**)وعبارة الرافعي : والمبيت ليلة عرفة بمنى هيئة وليس بنسك يجبر بالدم والغرض منه الاستراحة للسير من الغد إلى عرفة من غير تعب اهـ. كذا قاله إمام الحرمين، والقاضي أبو الطيب، وصاحب الشامل.

وقال النووي في شرح المهذب: لا خلاف في أنه سنّة، وقول القاضي ليس بنسك مراده أنه ليس بواجب ولم يريدوا أنه لا فضيلة فيه اهـ.

وقال أصحابنا مثل هذا أنه يبيت بمنى إلى فجر يوم عرفة عملاً بالسنة، ولو تركه جاز وأساء. وفي الهداية: فلو بات بمكة ليلة عرفة وصلى بها الفجر ثم غدا إلى عرفات ومرّ بمنى أجزأه لأنه لا يتعلق بمنى في هذا اليوم إقامة نسك، ولكنه أساء بتركه الاقتداء برسول الله ﷺ اهـ.

وقد اتفقت الروايات كلها أن النبي ﷺ صلّى بمنى الظهر والعصر.

تنبيه:

قال الرافعي: وما ذكر من الخروج بعد صلاة الصبح أو الظهر يوم التروية فذاك في غير يوم الجمعة. فأما إذا كان يوم الجمعة فالمستحب الخروج قبل طلوع الفجر، لأن الخروج إلى السفر يوم الجمعة إلى حيث لا يصلى الجمعة حرام أو مكروه، وهم لا يصلون الجمعة بمنى، وكذا لا يصلونها بعرفة لو كان عرفة يوم الجمعة لأن الجمعة إنما تقام في دار الإقامة. قال الشافعي رحمه الله: فإن بني بها قرية واستوطنها أربعون من أهل الكمال أقاموا الجمعة والناس معهم اهـ.

قال المحب الطبري: فلو وافق يوم التروية يوم الجمعة، فينبغي أن يخرج قبل الفجر لئلا تلزمه الجمعة على قول بطلوع الفجر، وإن أقام إلى الزوال لزمت قولاً واحداً وتعينت على جميع أهل البلد إذا وجد شرطها، (**فإذا أصبح يوم عرفة صلّى الصبح**) بمنى، (**فإذا طلعت الشمس على ثبير**) وهو كأمير جبل بين مكة ومنى، ويرى من منى وهو على يمين الداخل منها الى مكة (**سار إلى عرفات**) وهو موضع وقوف الحجيج، ويقال: بينها وبين مكة تسعة أميال تقريباً، وتعرب إعراب مسلمات ومؤمنات والتنوين شبيه بتنوين المقابلة كما في مسلمات وليس بتنوين صرف لوجود مقتضى المنع من الصرف وهو العلمية والتأنيث ولهذا لا يدخلها الألف واللام، (**ويقول « اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط وأقربها من رضوانك وأبعدها من سخطك.**

إليك غدوت وإياك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلني ممن تباهي به اليوم من هو خير مني وأفضل» فإذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريباً من المسجد، فثمّ ضرب رسول الله ﷺ قبته. ونمرة: هي بطن عرنة دون الموقف ودون

اللهم إليك غدوت وإياك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلني ممن تباهي به) أي تفاخر **(اليوم من هو خير مني وأفضل»)** وهم الملائكة، فقد ورد في الخبر: إن الله يباهي بهم الملائكة في هذا اليوم، فعند مسلم والنسائي عن عائشة: وأنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء. وعند ابن حبان عن جابر ينزل الله إلى سماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، وعن أبي هريرة أن الله يباهي بأهل عرفات ملائكة السماء، ولفظ أحمد: إن الله عز وجل يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة. وعند أبي ذر الهروي عن أنس: إن الله يطول على أهل عرفات فيباهي بهم الملائكة. والأخبار في المباهاة كثيرة.

(فإذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريباً من المسجد، فثمّ) أي هناك **(ضرب رسول الله ﷺ قبته)** وعبارة الرافعي: فإذا انتهوا إلى نمرة ضربت قبة الإمام بها. روي أن النبي ﷺ مكث حتى طلعت الشمس ثم ركب وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة فنزل بها.

قلت: رواه مسلم من حديث جابر الطويل، ولفظه: «فأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة» الحديث.

وعند أحمد وأبي داود من حديث ابن عمر قال: «غدا رسول الله ﷺ حتى صلى الصبح في صبيحة يوم عرنة حتى أتى عرفة فنزل بنمرة، وهو منزل الإمام الذي ينزل به بعرفة، الحديث.

(ونمرة) بفتح فكسر **(هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة)**. قال في المصباح: نمرة موضع قيل من عرفات، وقيل بقربها خارج عنها اهـ.

وأما عرنة بضم العين وفتح الراء قال في المغرب: وادٍ بحذاء عرفات وبتصغيرها سميت عرينة أبو القبيلة اهـ.

وذكر القرطبي في تفسيره أنها بفتح الراء وادٍ بغربي مسجد عرفة، حتى قال بعض العلماء: إن الجدار الغربي من مسجد عرفة لو سقط سقط في بطن عرنة. وحكى الباجي عن ابن حبيب أن عرفة في الحل، وعرنة في الحرم، ثم أن عرفة كلها موقف إلاّ بطن عرنة، وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد لما أخرجه الطبراني والحاكم. وقال: على شرط مسلم عن ابن عباس مرفوعاً قال: «عرفة كلها موقف وارفعوا عن بطن عرنة».

وأخرج أحمد والبزار وابن حبان من حديث جبير بن مطعم نحوه، وأخرجه ابن عدي من حديث أبي هريرة، وقال مالك: نمرة من عرفة وهي في عرنة، ويدل له حديث ابن عمر الذي رواه أحمد وأبو داود، وسبق ذكره قريباً، وسيأتي لذلك مزيد بيان قريباً.

عرفة وليغتسل للوقوف فإذا زالت الشمس خطب الإمام خطبة وجيزة وقعد، وأخذ المؤذن في الأذان والإمام في الخطبة الثانية، ووصل الإقامة بالأذان، وفرغ الإمام مع تمام إقامة المؤذن. ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين، وقصر الصلاة، وراح إلى

(**وليغتسل للوقوف**). أخرج مالك عن ابن عمر: «أنه كان يغتسل لإحرامه قبل أن يحرم ولدخوله مكة ولوقوفه عشية عرفة» وقد تقدم ما يتعلق به عند ذكر الأغسال المسنونة قريباً.

(**وإذا زالت الشمس خطب الإمام**) أو من كان منصوباً من طرفه خطبتين الأولى منها (**خطبة وجيزة**) أي مختصرة بين فيها ما يحتاج إليه الحاج من المناسك ويحرضهم على الإكثار من الدعاء والتهليل بالموقف، (**و**) إذا فرغ منها (**قعد**) بقدر سورة الإخلاص، ثم يقوم إلى الخطبة الثانية.

(**وأخذ المؤذن في الأذان**) ويخفف الخطبة ويكون أخذ المؤذن في الأذان، (**والإمام في الخطبة الثانية ووصل الإقامة بالأذان وفرغ الإمام بعد تمام إقامة المؤذن**) على ما رواه إمام الحرمين في النهاية، والمصنف في كتبه الثلاثة، والمتولي وغيرهم. أو مع فراغ المؤذن من الأذان على ما رواه صاحب التهذيب وغيره. قال النووي: وهذا هو الأصح وبه قطع الجمهور.

قلت: ونقله ابن المنذر عن الشافعي، وممن قطع به القاضي أبو الطيب، والماوردي، وأبو علي، والمحاملي.

قال الحافظ: وعند مسلم في حديث جابر الطويل ما دل على أنه ﷺ خطب ثم أذن بلال ليس فيه ذكر أخذ النبي ﷺ في الخطبة الثانية ويترجح ذلك بأمر معقول، وهو أن المؤذن قد أمر بالإنصات للخطبة، فكيف يؤذن ولا تبقى للخطبة معه فائدة. قاله المحب الطبري. قال: وذكر الملا في سيرته أن النبي ﷺ لما فرغ من خطبته أذن بلال وسكت رسول الله ﷺ، فلما فرغ بلال من الأذان تكلم بكلمات ثم أناخ راحلته وأقام بلال الصلاة.

(**ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين**) وهو قول الشافعي وأصحابه وأبي ثور، وأصحاب الظاهر، وأبي حنيفة وأصحابه، وقال مالك: الجمع بينهما بأذانين وإقامتين لكل صلاة أذان وإقامة. وقال سفيان الثوري وأحمد: يجمع بينهما بإقامتين لكل صلاة إقامة، ولم يذكرا أذاناً إلا أن أحمد قال: فإن أذن فلا بأس، واعتمد في ذلك على مرسل عطاء أن النبي ﷺ صلّى بعرفة بإقامتين كل صلاة بإقامة وصلّى بجمع بإقامتين كل صلاة بإقامة. وهذا مرسل لا تقوم به حجة على أنه يمكن الجمع ـ كما سيأتي في الجمع بمزدلفة ـ واختلف أصحاب الشافعي: هل كان جمعه ﷺ بعلة مطلق السفر أو الطويل أو بعلة النسك؟ والظاهر أنه بعلة النسك حتى يجوز للآفاقي والمكي والمزدلفي والعرفي، وعلى الأوّل يجوز للمزدلفي، وعلى الثاني لا يجوز لغير الآفاقي، ولا خلاف بأنه سنّة حتى لو صلى كل صلاة وحدها في وقتها جاز، ومعنى قول المصنف: أي ينزل عن راحلته أو عن منبره فيقيم المؤذنون فيصلي بالناس الظهر، ثم يقيم فيصلي بهم العصر على سبيل الجمع. هكذا فعل رسول الله ﷺ في حجة الوداع. رواه الشافعي من حديث إبراهيم بن أبي يحيى،

....

عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بلفظ: « ثم أقام بلال فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر » قال البيهقي: تفرد به إبراهيم. وعند أبي حنيفة تجعل الأذان قبل الخطبة الأولى كما في الجمعة إلا أنه لو ترك الخطبة وجمع بين الصلاتين أو خطب قبل الزوال أجزأه وأساء بخلاف الجمعة. وفي الهداية: فإن صلّى بغير خطبة أجزأه، لأن هذه الخطبة ليست بفريضة. وقال الزيلعي: ولو خطب قبل الزوال جاز لحصول المقصود. وفي الهداية: يؤذن للظهر ويقيم للظهر ثم يقيم للعصر لأن العصر يؤدى قبل وقته المعهود فيفرد بالإقامة إعلاماً للناس، ولا يتطوّع بين الصلاتين تحصيلاً لمقصود الوقوف، ولهذا قدم العصر على وقته فلو أنه فعل فعل مكروهاً وأعاد الأذان للعصر في ظاهر الرواية خلافاً لما روي عن محمد لأن اشتغاله بالتطوّع أو بعمل آخر يقطع نور الأذان الأوّل فيعيده للعصر اهـ.

وفي إطلاق التطوّع إيماء إلى أنه لا يصلي سنّة الظهر البعدية، لكن ذكر في الذخيرة والمحيط أنه يأتي بها، وعليه مشى صاحب الكافي فعلى الأوّل يعاد الأذان، وعلى الثاني لا يعاد. وظاهر الرواية هو الأول وهو الصحيح، ثم أنه لا بدّ للجمع بين الصلاتين في هذا المكان عند أصحابنا من شرطين الإمام أو نائبه والإحرام للحج، فلو صلى الظهر بلا إحرام أصلاً أو مع إحرام العمرة منفرداً أو بجماعة، ثم أحرم بالحج وصلّى العصر في وقت الظهر معه بجماعة، أو صلى الظهر مع إحرام الحج بجماعة وصلى العصر في وقت الظهر بدونه منفرداً أو بجماعة لا يجمع. أي: لا يجوز عصره في الصورتين لفقد شرطي الجمع أو أحدهما في الصلاتين، ثم إن اشتراط الإمام الأعظم والإحرام بالحج في الصلاتين للجمع بينهما مذهب أبي حنيفة. وقال صاحباه: يشترط فيهما الإحرام بالحج فقط لا غير، فالمنفرد يجمع عندهما ولا يجمع عنده، وقال زفر من أصحابنا: يشترط للجمع بينهما الإمام والإحرام بالحج في العصر خاصة، فلو صلى الظهر وحده محرماً بالحج ثم أدرك الإمام في العصر لا يجمع عند أبي حنيفة لعدم الإمام في الظهر، ويجمع عند الثلاثة أما عندهما فلوجود الإحرام فيهما، وأما عند زفر فلوجود الإحرام والإمام في العصر، ولو صلى الظهر مع الإمام غير محرم ثم أحرم بالحج يجمع عند زفر لما مرّ، ولا يجمع عند الثلاثة. أما عند أبي حنيفة فلعدم الإحرام والإمام في الظهر، وأما عندهما فلعدم الإحرام فيه. ونقل الطرابلسي في المناسك: ولو لحق الناس الفزع بعرفات فصلّى الإمام وحده الصلاتين جميعاً لا يجزئه العصر عنده ولو نفر الناس عن الإمام فصلّى وحده الصلاتين إن نفروا بعد الشروع جاز وقبله جاز عندهما. واختلف عن أبي حنيفة قيل يجوز عنده، وقيل لا يجوز اهـ.

ويقال: الجماعة شرط الجمع عند أبي حنيفة، لكن في حق غير الإمام لا في حق الإمام نفسه، واختاره صاحب المحيط فقولهم: بشرط الإمام يعني بشرط أدائهما بالجماعة مع الإمام، والله أعلم.

(و) إذا كان مسافراً **(قصر الصلاة)** هذا هو السنّة والمكيّون والمقيمون حولها لا يقصرون خلافاً لمالك، وليقل الإمام إذا سلم: « أتموا يا أهل مكة فإنا قوم سفر » كما قاله رسول الله ﷺ هكذا نقله الرافعي.

الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن في وادي عرنة. وأما مسجد إبراهيم عليه السلام فصدره

رواه الشافعي، وأبو داود، والترمذي، عن ابن علية عن علي بن زيد، عن أبي نضرة، عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: غزوت مع النبي ﷺ فلم يصلّ إلا ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة، وحججت معه فلم يصلّ إلا ركعتين ثم يقول لأهل البلد: «أتموا فإنا سفر» لفظ الشافعي. وزاد الطبراني في بعض طرقه إلا المغرب. ورواه مالك في الموطأ من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما قدم مكة صلى بهم ركعتين ثم انصرف فقال: «يا أهل مكة إنا قوم سفر» ثم صلى عمر بمنى ركعتين. قال مالك: ولم يبلغني أنه قال لهم شيئاً.

قال الحافظ عرف بهذا أن ذكر الرافعي له في مقال الإمام بعرفة ليس بثابت، وكذا نقل غيره أنه يقول: الإمام بمنى لكن يتمسك بعموم لفظ رواية الطيالسي، ومن طريق البيهقي من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه وفيه: ثم حججت معه واعتمرت فصلّى ركعتين فقال: «يا أهل مكة أتموا الصلاة فإنا قوم سفر» ثم ذكر ذلك عن أبي بكر، ثم عن عمر، ثم عن عثمان قال: ثم أتم عثمان **(وراح إلى الموقف)** عقيب الصلاة كما في حديث جابر الطويل عند مسلم، والموقف كمجلس موضع الوقوف سواء كان راكباً أو ماشياً وقد تقدم حكم ذلك قريباً، **(فليقف بعرفة)** أي موضع وقف فيه منها أجزأه، **(ولا يقفن في وادي عرنة)** لما روي عن ابن عباس رفعه: «عرفة كلها موقف وارفعوا عن بطن عرنة» أخرجه الطبراني والحاكم وسبق قريباً.

قال الرافعي: فإن قلت نمرة التي ذكرتم النزول بها هل هي من حد عرفة أو لا، وهل الخطبتان والصلاتان بها أو بموضع آخر؟ قلنا: أما الأوّل فإن صاحب الشامل في طائفة قالوا بأن نمرة موضع من عرفات، ولكن الأكثرون نفوا كونها من عرفات فيهم أبو القاسم الكرخي، والقاضي الروياني، وصاحب التهذيب وقالوا: إنها موضع قريب من عرفات. وأما الثاني فإيراد موردين يشعر بأن الخطبتين والصلاة لها، لكن رواية الجمهور أنهم ينزلون بها حتى تزول الشمس، فإذا زالت ذهب الإمام بهم إلى مسجد إبراهيم عليه السلام وخطب وصلّى فيه، ثم بعد الفراغ من الصلاة يتوجهون إلى الموقف، وهل المسجد من عرفة؟ سيأتي الكلام عليه، وإذا لم تعد البقعة من عرفات فحيث أطلقنا أنهم يجمعون بين الصلاتين بعرفة عنينا به الموقف القريب منها اهـ.

(وأما مسجد إبراهيم عليه السلام) وجدت بخط الإمام الفقيه الشيخ شمس الدين بن الحريري ما نصه: قد وقع للفقهاء في نسبة هذا المسجد لإبراهيم الخليل عليه السلام كلام، وقد نسبه إليه جماعة منهم ابن كج، وابن سراقة، والبغوي، والقاضي الحسين، والأزرقي وتبعهم الشيخ النووي وجماعة من المتأخرين. وادعى الأسنوي أنه خطأ، وإنما هو شخص إسمه ابراهيم من رؤوس الدولة المتقدمة كما قاله غير الأسنوي، فالتبس بالخليل عليه السلام، ورد الأذرعي هذا بأن الأزرقي من أعلم الناس بهذا، وقد نسبه إلى الخليل عليه السلام قال: وعلى تسليم أن يكون قد بناه من ذكر فلا يمتنع أن يكون منسوباً من أصله إلى الخليل عليه السلام إما لأنه صلى هناك أو اتخذ مصلى للناس فنسب إليه اهـ.

في الوادي وأخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة. ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والأفضل أن يقف عند

قال الرافعي: بيّن الشافعي رحمه الله تعالى حدّ عرفة فقال: هي ما جاوز وادي عرنة إلى الجبال المقابلة مما يلي بساتين بني عامر وليس وادي عرنة من عرفة، وهو على منقطع عرفة مما يلي صوب مكة ومسجد إبراهيم عليه السلام، (**فصدره**) من عرنة (**في الوادي وأخرياته من عرفة، فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة**) قال في التهذيب: وثم يقف الإمام للخطبة والصلاة، (**ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت هناك**).

قال النـووي في زوائد الروضة: الصواب أن نمرة ليست من عرفات، وأما مسجد إبراهيم عليه السلام، فقد قال الشافعي رحمه الله: انه ليس من عرفة فلعله زيد بعده في آخره، وبين هذا المسجد وبين موقف النبي ﷺ بالصخرات نحو ميل.

قال إمام الحرمين: وتطيف بمنعرجات عرفات جبال وجوهها المقبلة من عرفة والله أعلم.

وقال المحب الطبري في المناسك: اتفق العلماء على أنه لا موقف إلا عرفة ولا موقف في عرنة، واختلفوا إذا خالف ووقف بعرنة، فعندنا لا يصح وقوفه. وعند مالك يصح. حكاه ابن المنذر وعرنة عند مالك من عرفة. قال ابن حبيب: ومنه مسجد عرفة وهو من الحرم، وهذا لا يصح بل هو خارج من الحرم والمسجد بعضه في عرنة وبعضه في عرفة.

قال الشافعي في الأوسط من مناسكه ما جاوز وادي عرنة وليس الوادي ولا المسجد منها إلى الجبال القابلة مما يلي حوائط ابن عامر وطريق الحضن، وما جاوز ذلك فليس من عرفة حكى ذلك صاحب الشامل.

وحكى أبو حامد الاسفرايني أن الشافعي قال في القديم: وعرفة ما بين المشرق إلى الجبال القابلة يميناً وشمالاً، ثم قال أبو حامد: والجبل المشرق جبل الرحمة، وحكى القولين صاحب الذخائر، وقال في الثاني: وهذا موافق للقول الأوّل.

وقال صاحب البيان: حد عرفة من الجبل المشرف على جبل عرنة إلى اجبال عرفة إلى وصيق إلى ملتقى وصيق إلى وادي عرنة، ووصيق بصاد مهملة وقاف كأمير والحضن بفتح الحاء والضاد المعجمة اسم جبل.

وقال أبو زيد البلخي: عرفة ما بين وادي عرنة إلى حائط ابن عامر إلى ما أقبل على الصخرات التي يكون بها موقف الإمام إلى طريق حضن، وقال: حائط ابن عامر عند عرنة وبقربه مسجد الإمام الذي يجمع فيه الصلاتين وهو حائط نخل، وفيه عين ينسب إلى عبدالله بن عامر بن كريز.

قال الطبري: وهو الآن خراب وهذا المسجد يقال له مسجد إبراهيم، ويقال له مسجد عرنة بالنون وضم العين، كذلك قيده ابن الصلاح في منسكه، والمتعارف فيه عند أهل مكة وتلك

الصخرات بقرب الإمام مستقبلاً للقبلة راكباً. وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح

الأمكنة مسجد عرفة بالفاء، قال: وحدد بعض أصحابنا عرفة فقال: الحد الواحد منها ينتهي إلى جادة طريق المشرق وما يلي الطريق، والحد الثاني ينتهي إلى حافات الجبل الذي وراء عرفات، والحد الثالث ينتهي إلى الحوائط التي تلي قرية عرنة. وهذه القرية على يسار مستقبل القبلة إذا صلّى بعرفة، والحد الرابع ينتهي إلى وادي عرنة. قال: واختلف في تسمية ذلك الموضع عرفة، فقيل: لأن جبريل عليه السلام قال لإبراهيم عليه السلام في ذلك الموقف بعد فراغه من تعليم المناسك: عرفت؟ قال: نعم. وقيل: لأن حوّاء وآدم عليهما السلام اجتمعا فيه وتعارفا، وقيل: لأن الناس يتعارفون فيه، وقيل: لأنهم يعترفون فيه بذنوبهم، وقيل: لأن الله عز وجل يعرفهم البركة والرحمة فيه. إذا تقرر ذلك فهل تلك المواضع وجبلها من عرفة وليس وادي عرنة منها وهما ما يلي مكة في طرف عرفات يقطعه من يجيء من مكة إلى عرفة ومسجد صدره في الوادي وأخرياته في عرفة، وإن ثبت قول ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ «يخطب بعرفات خطبة في بطن الوادي» كان ذلك حجة لمالك أن عرنة من عرفة إلا أنه يحتمل أنه قال ذلك بالموقف، وأي موضع وقف فيه من عرفة أجزأه، والأولى أن لا يقف على سنن القوافل وهي تنصب في عرفة فيتأذى بها وينقطع عليه الدعاء. وأن يبعد عن كل موضع يتأذى فيه أو يؤذي أحداً، وحسن أن يجمع بين المواقف كلها فيقف ساعة في سهلها وساعة في جبلها.

(والأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الإمام) وأن يكون موقف الإمام من وراء ظهره عن يمينه، فإن بعد منه فلا بأس إذا كان بعرفة لما أخرج أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن يزيد بن سنان أنهم كانوا في موقف بعرفة بعيد من موقف الإمام، فإذا هم بابن مربع الأنصاري فقال لهم: إني رسول رسول الله ﷺ يأمركم أن تقفوا على مشاعركم، فإنكم على إرث من إرث إبراهيم، قال الترمذي: حديث حسن، وإبن مربع إسمه يزيد، والمراد: قفوا بعرفة خارج الحرم، فإن إبراهيم عليه السلام هو الذي جعلها مشعراً وموقفاً للحاج فهي كلها موروثة عنه، وأنتم على حظ منها حيث كنتم.

وأخرج سعيد بن منصور، عن عبد الرحمن بن عوف أنه كان يقف بين يدي الموقف بعرفات، ومن تمكن من موقف رسول الله ﷺ فالأولى أن يلازمه.

وقد روى أبو الوليد الأزرقي بإسناده عن ابن عباس أن موقف رسول الله ﷺ كان بين الأجبل الثلاثة النبعة والنبيعة والنابت، وموقفه ﷺ منها على النابت. قال: والنابت على النشزة التي خلف موقف الإمام، وموقفه ﷺ على ضرس من الجبل النابت مضرس بين أحجار هناك نابتة من الجبل الذي يقال له إلال ككتاب.

قال المحب الطبري: وعلى هذا يكون موقفه ﷺ على الصخرات الكبار المفترشة في طرف الجبيلات الصغار التي كأنها الروابي عند الجبل الذي يعتني الناس بصعوده، ويسمونه جبل الرحمة، وإسمه عند العرب إلال بالكسر، وذكر الجوهري فيه الفتح، والمحفوظ خلافه. وهذا يرجع

ضبط من ضبط قول جابر في حديثه الطويل، وجعل جبل المشاة بين يديه بالجيم، فإن الواقف كما وصفناه يكون هذا الجبل، أعني إلالاً بين يديه وهو جبل المشاة.

وذكر ابن حبيب أن إلالاً جبل من الرمل يقف الناس به بعرفات عن يمين الإمام حكاه عنه أبو عمرو عثمان بن علي الأنصاري في تعاليقه على الجوهري.

وذكر ابن أبي الصيف في بعض تعاليقه على الجوهري أن إسم جبل الرحمة الذي يقال له جبل المشاة كبكب.

قال المحب الطبري: والمشهور في كبكب أنه اسم جبل بأعلى نعمان بقرب الثنايا عنده قوم يدعون الكباكبة نسبة إليه، والمشهور في جبل الرحمة ما ذكرناه. إذا تقرر هذا فمن كان راكباً ينبغي أن يلابس بدابته الصخرات المذكورة، كما روي عنه ﷺ. ومن كان راجلاً وقف عليها أو عندها بحسب ما يتمكن من غير إيذاء أحد. ولا يثبت في الجبل الذي يعتني الناس بصعوده خبر ولا أثر. قال: وذكر شيخنا أبو عمرو بن الصلاح في منسكه عن صاحب الحاوي أنه يقصد الجبل الذي يقال له جبل الدعاء، وهو موقف الأنبياء عليهم السلام.

وعن محمد بن جرير الطبري أنه يستحب الوقوف على الجبل الذي عن يمين الإمام. يعني جبل الرحمة، والذي ذكره صاحب الحاوي لا دلالة فيه على إثبات فضله لهذا الجبل، فإنه قال: والذي نختار في الموقف أن يقصد نحو الجبل الذي عند الصخرات السود وهو الجبل الذي يقال له جبل الدعاء، وهو موقف الأنبياء عليهم السلام، والموقف الذي وقف فيه رسول الله ﷺ، وهو من الأجبل الثلاثة على النابت، ثم ساق ما أوردناه سابقاً، ثم قال: وهذا أحب المواقف إلينا للإمام والناس.

قال المحب الطبري: وهذا صريح في أنه أراد بجبل الدعاء النابت الذي وقف عليه رسول الله ﷺ ولا تعرض في كلامه لجبل الرحمة بنفي ولا إثبات، وما فهمه رحمه الله أنه جبل الرحمة غير مطابق، وقوله: وهو الجبل أراد سهله وهو من الأضداد يطلق على المكان المرتفع والمنخفض، والنبي ﷺ إنما وقف عليه لكونه موقف الأنبياء عليهم السلام.، وكلام ابن جرير ظاهر الدلالة أنه أراد بالجبل الذي عن يمين الإمام الجبل الذي وقف عليه النبي ﷺ وهو النابت كما تقدم بيانه. والظاهر؛ أنهما أراداه بقولهما فيكونان قد أثبتا له شيئاً من الفضل، ولا نعلم من أين أخذا ذلك إذ لم يثبت في فضله خبر، ولو ثبت له فضل فموقف رسول الله ﷺ أفضل منه، وهو الذي خصه العلماء بالذكر والفضل.

ثم قال الطبري، نقلاً عن صاحب النهاية: في وسط عرفة جبل يقال له جبل الرحمة ولا نسك في الرقي عليه، وإن كان يعتاده الناس. وقال غيره: قد افتتنت العامة بهذا الجبل في زماننا، وأخطأوا في أشياء منها جعلوا الجبل هو الأصل في الوقوف، فهم بذكره لهجون وعليه دون غيره معرجون،

والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة، ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على

حتى ربما اعتقد بعض العامة أن الوقوف لا يصح بدون الرقي، ومنها احتفالهم بالوقوف عليه قبل وقت الوقوف، ومنها إيقادهم النيران عليه ليلة عرفة واهتمامهم لذلك باستصحاب الشموع من بلادهم واختلاط النساء بالرجال هنالك صعوداً وهبوطاً بالشمع الكثير الموقد، وإنما حدث ذلك بعد انقراض السلف الصالح، ومن كان متبعاً آثار النبوّة فلا يحصل بعرفة قبل دخول وقت الوقوف يأمر بذلك ويعين عليه وينهى عن مخالفته اهـ.

(مستقبلاً القبلة راكباً) اقتداء برسول الله ﷺ وهو نص الشافعي في القديم، وبه قال أحمد. ونص في الأم على أن لا مزية للراكب على الراجل، وفيه قول ثالث: الراجل أفضل، وهذا أظهرها فمن كان قوياً لا يضعف بسبب ترك الركوب عن الدعاء، ولا يكون ممن ينبغي أن يركب ليظهر فيقتدي به، وعلى أي حال وقف أجزاه.

أخرج النسائي عن أسامة بن زيد قال: « كنت ردف النبي ﷺ » الحديث.

وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: « أفاض رسول الله ﷺ من عرفة وردفه أسامة » الحديث.

وقال أصحابنا: ولو وقف على قدميه جاز لكن الأفضل أن يقف على ناقته لأن النبي ﷺ وقف عليها وهو في حديث جابر أيضاً.

وأما استقبال القبلة، فقد صح أن النبي ﷺ وقف كذلك كما في حديث جابر. وروى الطبراني، وأبو يعلى، وابن عدي عن ابن عمر رفعه: « أكرم المجالس ما استقبل به القبلة ». وعند أبي نعيم في تاريخ أصبهان بلفظ: « خير المجالس » وعند أبي داود والحاكم وابن عدي والعقيلي عن ابن عباس رفعه: « إن لكل شيء شرفاً وإن شرف المجالس ما استقبل به القبلة ».

(وليكثر من أنواع التحميد، والتهليل والتسبيح والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة) والتضرع والابتهال والبكاء، وهنالك تسكب العبرات وتستقال العثرات وتنجح الطلبات، فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يجتهد في الدعاء في هذا الموقف.

أخرج أبو ذر الهروي عن ابن عباس قال: « رأيت النبي ﷺ يدعو بعرفة بالموقف ويداه إلى صدره كاستطعام المسكين ».

وروى مالك في الموطأ من مرسل طلحة بن عبدالله بن كريز أن النبي ﷺ قال: « أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ». وروي عن مالك موصولاً ذكره البيهقي وضعفه، وكذا ابن عبد البر في التمهيد، وسيأتي لذلك مزيد بيان قريباً.

(ولا يصوم في هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء). أخرج سعيد بن منصور، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « أنه نهى عن صوم يوم عرفة في الحج وكان يقول يوم اجتهاد وعبادة ودعاء ».

المواظبة على الدعاء، ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الأحب أن يلبي تارة ويكب على

وأخرج أحمد والنسائي عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: « إن يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهي أيام أكل وشرب » قال الترمذي: حديث صحيح.

وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال: « حججت مع رسول الله ﷺ فلم يصمه يعني يوم عرفة، ومع أبي بكر فلم يصمه، ومع عمر فلم يصمه، وأنا فلا أصومه ولا أنهى عنه » وأخرجه سعيد بن منصور وزاد: « ومع عثمان فلم يصمه » ثم ذكر ما بعده.

وأخرج سعيد بن منصور عن سالم بن عبدالله سأله رجل أما أنت صائم؟ فقال: لا أصوم هذا اليوم، ولا كان عبدالله بن عمر يصومه، ولا كان أحد من آبائي يصومه.

وأخرج سعيد بن منصور، وأبو ذر الهروي، عن ابن عباس أنه أفطر بعرفة فأتي برمان فأكله وقال: حدثتني أم الفضل « أن رسول الله ﷺ أفطر بعرفة فأتيته بلبن فشربه » فهذه الأحاديث تدل على استحباب الفطر أو كراهة الصوم يوم عرفة بعرفة فيحمل ما جاء في الترغيب فيه على من لم يكن حاجاً.

(ولا يقطع التلبية يوم عرفة، بل المستحب أن يلبي تارة ويكب على الدعاء أخرى) .
أخرجه النسائي عن سعيد بن جبير قال: كنت مع ابن عباس بعرفات، فقال: ما لي لا أسمع الناس يلبون؟ قلت: يخافون من معاوية، فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال: « لبيك اللهم لبيك ».

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن عباس قال: لعن الله بني فلان عمدوا إلى أفضل أيام الحج فمحوا زينته، وإنما زينة الحج التلبية.

وأخرج أيضاً عنه قال: أشهد على عمر أنه أهلّ وهو واقف بعرفة.

وأخرج أيضاً عن عكرمة بن خالد المخزومي وقد ذكر عنده التلبية يوم عرفة، أو قال يوم النحر فقال عكرمة: أوَليس قد لبّى رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة؟ قال: فنظر إلى الناس حوله وهو بالموقف بعرفة فقال: « لبيك اللهم لبيك ان الخير خير الآخرة ».

وأخرج أبو ذر الهروي عن عبدالله بن سنجرة قال: غدوت مع عبدالله بن مسعود من منى إلى عرفات قال: وكان يلبي. قال: وكان عبدالله رجلاً آدم له ضفيرتان عليه مسحة أهل البادية، قال: فاجتمع عليه غوغاء الناس وقالوا: يا أعرابي إن هذا ليس بيوم التلبية إنما هو يوم تكبير، فعند ذلك التفت إليَّ وقال: « أجهل الناس أم نسوا والذي بعث محمداً بالحق لقد خرجت مع رسول الله ﷺ فما ترك التلبية حتى رمى جمرة العقبة إلا أن يخلطها بتكبير أو تهليل ».

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر قال: « غدوت مع رسول الله ﷺ من منى إلى عرفات منّا الملبي ومنّا المكبر » وعنه قال: « كنا مع رسول الله ﷺ غداة عرفة منا المكبر ومنا المهلل »، وأما نحن فنكبر. وفي رواية من حديث أنس: يهلل المهلل فلا ننكر عليه ويكبر المكبر فلا ننكر عليه.

الدعاء أخرى. وينبغي أن لا ينفصل من طرف عرفة إلا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار، وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان الغلط في الهلال فهو الحزم، وبه الأمن من الفوات. ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج، فعليه أن يتحلل عن إحرامه بأعمال العمرة ثم يريق دماً لأجل الفوات ثم يقضي

(وينبغي أن لا ينفصل من طرف عرفة إلا بعد الغروب ليجمع في عرفة بين الليل والنهار) وهل الجمع بينهما واجب؟ فيه خلاف. وذكر إمام الحرمين أن القولين في وجوب الدم يلزم منهما حصول قولين في لزوم الجمع بين الليل والنهار في الوقوف، لأن ما يجب جبره من أعمال الحج لا بدّ وأن يكون واجباً.

قال الرافعي: لكن في كلام الأصحاب ما ينازع فيه، لأن منهم من وجه عدم الوجوب لأن الجمع ليس بواجب فلا يجب بتركه الدم. فقدر عدم وجوب الدم متفق عليه.

(وإن أمكنه الوقوف) بها **(يوم الثامن ساعة عند إمكان الغلط في الهلال فهو الحزم)** والاحتياط، **(وبه الأمن من الفوات، ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج، فعليه أن يتحلل من إحرامه بأعمال العمرة ثم يريق دماً لأجل الفوات ثم يقضي من العام الآتي)**.

قال الرافعي: لو اقتصر على الوقوف ليلاً كان أو نهاراً كان مدركاً للحج على المذهب المشهور، ونقل الإمام عن بعض التصانيف فيه قولين واستبعده، وعن شيخه أن الخلاف فيه مخصوص بما إذا أنشأ الإحرام ليلة النحر، فإذا لحظ ذلك خرج ثلاثة أوجه كما ذكره المصنف في الوسيط. أصحها أن المقتصر على الوقوف ليلاً يدرك سواء أنشأ الإحرام قبل ليلة العيد أو فيها وكل منهما جائز، والثاني أنه ليس يدرك على التقديرين، والثالث أنه مدرك بشرط تقديم الإحرام عليها، ولو اقتصر على الوقوف نهاراً وأفاض قبل الغروب. كان مدركاً وإن لم يجمع بين الليل والنهار في الوقوف. وقال مالك: لا يكون مدركاً وهل يؤمر بإراقة دم؟ نظر إن عاد قبل الغروب وكان حاضراً بها حتى غربت الشمس فلا، وإن لم يعد حتى طلع الفجر فنعم، وهل هو مستحب أو واجب؟ أشار في المختصر والأم إلى وجوبه، ونص في الاملاء على الاستحباب، وللأصحاب ثلاثة طرق رواها القاضي ابن كج. أصحها: ان المسألة على قولين. أحدهما: وبه قال أبو حنيفة وأحمد وجوب الدم لأنه ترك نسكاً، والثاني أنه مستحب، وهذا أصح القولين قاله المحاملي والروياني.

وفي التهذيب أنه القول القديم فإن ثبتت المقدمتان فالمسألة مما يفتى فيها على القديم، لكن أبا القاسم الكرخي ذكر أن الوجوب هو القديم، والطريق عن أبي إسحاق أنه إن أفاض مع الإمام فهو معذور لأنه تابع وإن انفرد بالإفاضة ففيه قولان الثالث: نفي الوجوب والجزم بالاستحباب مطلقاً، وإذا قلنا بالوجوب فلو عاد ليلاً فوجهان: أظهرهما لا شيء عليه كما لو عاد قبل الغروب

من العام الآتي. وليكن أهم أشغاله في هذا اليوم الدعاء، ففي مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات. والدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ، وعن السلف في يوم عرفة أولى ما يدعو به فليقل: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله

فصبر حتى غربت الشمس، والثاني يجب ويحكى هذا عن أبي حنيفة وأحمد لأن النسك هو الجمع بين آخر النهار وأول الليل بعرفة والله أعلم.

(**وليكن أهم أشغاله في هذا اليوم الدعاء**) والذكر (**ففي مثل تلك البقعة**) تسكب العبرات، (**وفي مثل ذلك اليوم**) تستقال العثرات، (**و**) في (**مثل ذلك الجمع**) تجتمع خيار عباد الله ومن لا يشقى بهم جليسهم من أولياء الله و(**ترجى إجابة الدعوات**) ببركاتهم واسرارهم، والله أعلم.

الدعوات المأثورة:

أي المروية (**عن رسول الله ﷺ و**) عن (**السلف**) الصالح (**في يوم عرفة**) أعم من أن يكون غدوته أو عشيته. (**فليقل: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له»**) رواه مالك في الموطأ عن زياد بن أبي زياد المخزومي، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز كأمير وآخره زاي منقوطة، ولا نظير له في الأسماء، وهو خزاعي تابعي ثقة أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له». هكذا أخرجه مالك واتفق عليه رواة الموطأ، وأخرجه البيهقي كذلك في كتاب الدعوات الكبير قال: وروي عن مالك بسند آخر ضعيف، وقال ابن عبد البر في التمهيد: لم نجده موصولاً من هذا الوجه. قال الحافظ: وكأنه عنى وجود وصله بذكر الصحابي الذي حدث به طلحة وإلا فقد وجد موصولاً من طريق مالك بسند آخر إلى أبي هريرة كما سيأتي ذكره.

وقال الترمذي: حدثنا أبو عمرو مسلم بن عمرو، حدثنا عبد الله بن نافع، عن حماد بن أبي حميد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له (**له الملك وله الحمد**) وهو على كل شيء قدير» هذا حديث غريب أخرجه الترمذي هكذا وقال: غريب من هذا الوجه وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد، وهو أبو إبراهيم الأنصاري المدني وليس هو بالقوي عند أهل الحديث اهـ.

وأخرجه أحمد، عن روح بن عبادة، عن محمد بن أبي حميد هكذا هو في رواية روح. ورواه المحاملي في الدعاء عن الصغاني عن النضر بن شميل، أخبرنا أبو إبراهيم عن عمرو بن شعيب فإسم الراوي محمد كما في رواية روح، ولقبه حماد كما في رواية الترمذي، وكنيته أبو إبراهيم كما عند المحاملي، وقد أشار إلى ذلك الترمذي.

الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل

وقال الطبراني في المناسك : حدثنا الفضل بن هارون البغدادي صاحب أبي ثور ، حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي ، حدثنا فرج بن فضالة ، عن يحيى بن سعيد ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : كان عامة دعاء النبي ﷺ والأنبياء قبله عشية عرفة : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » هذا حديث غريب أخرجه إسماعيل بن محمد الطلحي في الترغيب والترهيب من طريق أحمد بن إبراهيم الموصلي وقال : هذا إسناد حسن . قال الحافظ : فرج ضعيف فكأنه حسنه شواهده .

وقوله (« **يحيي ويميت** ») رواه المحاملي في الدعاء من وجه آخر منقطع من حديث علي ، وفي سنده راوٍ ضعيف ، ولفظه : كان أكثر دعاء النبي ﷺ عشية عرفة : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير » .

وقوله : (« **وهو حي لا يموت** ») هذه الزيادة لم أجدها في سياق هذه الأحاديث المذكورة هنا .

وقوله : (« **بيده الخير وهو على كل شيء قدير** ») هو في حديث علي الذي أشرنا إليه .

قال المحاملي في الدعاء : حدثنا أبو هشام الرفاعي ، ويوسف بن موسى قالا : حدثنا وكيع ، حدثنا موسى بن عبيدة عن علي رضي الله عنه فساقه . وموسى بن عبيدة هو الربذي ضعيف ، وقد سقط من السند بعده عن أخيه عبدالله بن عبيدة فقد أخرجه البيهقي في السنن من طريق عبيد الله ابن موسى ، عن موسى بن عبيدة ، عن عبد الله بن عبيدة ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده ، وابن أبي شيبة في المصنف ، عن وكيع ، وثبت في روايتها ذكر عبد الله بن عبيدة . قال الحافظ : وعبد الله لم يسمع من علي فهذا وجه الانقطاع .

ورواه الدارقطني من وجه آخر منقطع أيضاً : حدثنا الحسن بن المثنى ، حدثنا عفان بن مسلم ، حدثنا قيس بن الربيع ، حدثنا الأغر بن الصباح ، عن خليفة بن حصين ، عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أفضل ما قلت أنا والنبيون قبلي عشية عرفة » فساقه مثل رواية النضر عند المحاملي ، لكن فيه « بيده الخير » . وأخرج بعضه ابن خزيمة في الصحيح من حديث علي . وقيس بن الربيع ضعفوه ، واعتذر عنه ابن خزيمة كونه في محض الدعاء . وأخرجه البيهقي من طريقه في فضائل الأوقات مطولاً .

وأما حديث أبي هريرة الذي تقدم الوعد بذكره ، فأخرجه ابن عدي قال : حدثنا علي بن إبراهيم بن الهيثم ، وصالح بن أحمد بن يونس قالا : حدثنا علي بن حرب ، حدثنا عبد الرحمن بن يحيى المدني ، حدثنا مالك ، عن سمي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « أفضل الدعاء يوم عرفة وأفضل قولي وقول الأنبياء قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير » . قال ابن عدي : هذا بهذا السند منكر عن مالك لم يروه غير عبد الرحمن وهو غير معروف اهـ .

في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً وفي لساني نوراً. اللهم اشرح لي صدري ويسّر لي أمري. وليقل: اللهم رب الحمد لك الحمد كما نقول وخيراً مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحيايَ ومماتي وإليك مآبي وإليك ثوابي. اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر. اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل، ومن شر ما يلج في النهار. ومن شر ما تهب به الرياح. ومن شر بوائق الدهر. اللهم إني أعوذ بك من تحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك. اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في الآخرة والأولى يا خير مقصوذ وأسنى منزول به وأكرم مسؤول ما

وأخرجه الدارقطني في غرائب مالك، عن يعقوب بن إبراهيم العسكري، عن علي بن حرب تفرد به عبد الرحمن (**« اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً. اللهم اشرح لي صدري ويسر لي أمري، وليقل: اللهم رب لـك الحمد كما نقول وخيراً مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي. اللهم إني أعوذ بك من وساوس الصدور وشتات الأمر وعذاب القبر. اللهم إني أعوذ بك من شر ما يلج في الليل ومن شر ما يلج في النهار ومن شر ما هبت به الرياح وشر بوائق الدهر »**) أخرجه البيهقي في السنن من طريق عبيد الله ابن موسى عن موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن عبيدة، عن علي رضي الله عنه قال: « كان أكثر دعاء النبي ﷺ عشية عرفة لا إله إلا الله » إلى قوله: « قدير. اللهم اجعل في سمعي نوراً وفي بصري نوراً وفي قلبي نوراً. اللهم اغفر لي ذنبي ويسر لي أمري واشرح لي صدري اللهم إني أعوذ بك من وسواس الصدر ومن شتات الامر ومن عذاب القبر. اللهم إني أعوذ بك مـن شر مـا يلـج في الليل وما يلج في النهار ومن شر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر » هذا حديث غريب من هذا.

وقد رواه إسحاق، وابن أبي شيبة عن وكيع، عن موسى بن عبيدة ورواه المحاملي في الدعاء من هذا الوجه إلا أنه أسقط عبد الله بن عبيدة، من السند، وتقدم الكلام عليه قريباً.

وأخرجه المستغفري في الدعوات بلفظ: « يا علي إن أكثر دعاء من قبلي يوم عرفة أن أقول لا إله إلا الله » فساقه مثل سياق المصنف وإسناده ضعيف.

وأخرج الترمذي من حديث علي قال: « أكثر ما دعا به رسول الله ﷺ عشية عرفة في الموقف اللهم لك الحمد كالذي نقول وخيراً مما نقول لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي وإليك مآبي ولك رب تراثي. اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر. اللهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح » وقال: ليس إسناده بالقوي.

(**« اللهم إني أعوذ بك من تحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك. اللهم اهدني بالهدى واغفر لي في الآخرة والأولى يا خير مقصود إليه وأيسر**) وفي نسخة: وأسنى (**منزول عليه وأكرم مسؤول ما لديه أعطني العشية أفضل ما تعطـي أحداً من خلقك**

لديه أعطني العشية أفضل ما أعطيت أحداً من خلقك وحجاج بيتك يا أرحم الراحمين. اللهم يا رفيع الدرجات ومنزل البركات ويا فاطر الأرضين والسموات ضجت إليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات وحاجتي إليك أن لا تنساني في دار البلاء إذا نسيني أهل الدنيا. اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من أمري. أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير. دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك

وحجاج بيتك) يا أرحم الراحمين **(اللهم يا رفيع الدرجات ويا منزل البركات ويا فاطر الأرضين والسموات ضجت إليك الأصوات بصنوف اللغات)**. ونسخة بضروب اللغات، وفي أخرى بجميع اللغات. **(يسألونك الحاجات وحاجتي إليك أن تذكرني)** وفي نسخة: وحاجتي أن لا تنساني. **(في دار البلاء إذا نسيني أهل الدنيا»)**.

رواه الطبراني في الدعاء قال: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا حماد ابن سلمة، عن عاصم بن سليمان، عن عبد الله بن الحرث أن ابن عمر رضي الله عنهما: «كان عشية عرفة يرفع صوته لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم اهدنا بالهدى وزينا بالتقوى واغفر لنا في الآخرة والأولى» ثم يخفض صوته يقول: «اللهم إني أسألك من فضلك رزقاً طيباً مباركاً. اللهم إنك أمرتنا بالدعاء وقضيت على نفسك بالإجابة وإنك لا تخلف وعدك ولا تنكر عهدك. اللهم ما أحببت من خير فحببه إلينا ويسره لنا، وما كرهت من شيء فجنبناه وكرهه لنا، ولا تزغ عنا الإسلام بعد إذ أعطيتناه».

قال الحافظ: هذا موقوف صحيح الإسناد.

قلت: وأخرجه أبو ذر الهروي في منسكه بلفظ: «كان يقول بالموقف الله أكبر ثلاث مرات ثم يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد» مرة واحدة. ثم يقول: «اللهم اهدني بالهدى واعصمني بالتقوى واغفر لي في الآخرة والأولى» ثلاث مرات. ثم يسكت قدر ما يقرأ بفاتحة الكتاب ثم يعود فيقول مثل ذلك حتى يفرغ وكان يقول: «اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً».

وقد تقدم عن ابن عمر دعاء أطول من ذلك فيما يقال بعد ركعتي الطواف وأنه كان يقول ذلك بعرفات أيضاً. **(«اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه. أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير)** أي المضرور **(دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك خده ورغم لك**

أنفه. اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقياً وكن بي رؤوفاً رحيماً يا خير المسؤولين وأكرم

أنفه. اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقياً وكن بي رؤوفاً رحياً يا خير المسؤولين وأكرم المعطين »)

قال العراقي: رواه الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عباس قال: كان فيما دعا به رسول الله ﷺ عشية عرفة: « اللهم إنك ترى مكاني وتسمع كلامي وتعلم سري وعلانيتي » ذكر الحديث إلى قوله: « يا خير المسؤولين ويا خير المعطين » وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن جميع في مسنده، وأبو ذر الهروي في منسكه.

وتقدم في دعاء ركعتي الطواف حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن آدم عليه السلام كان يقول: « اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي » الخ ذكره ابن الجوزي في مثير العزم. فهذه الأدعية المذكورة منها ما هو مأثور عن النبي ﷺ كما أشرنا إليه، ومنها ما هو موقوف على بعض رواته عنه، ومنها ما هو مأثور عمن بعدهم، ومن المرفوع ما ليس مقيداً بيوم عرفة.

ونسوق هنا ذكر بعض أدعية مأثورة على شرط المصنف، فمن ذلك: ما أخرج ابن الجوزي في مثير العزم عن علي رضي الله عنه قال: لا أدع هذا الموقف ما وجدت إليه سبيلاً لأنه ليس في الأرض يوم إلا لله فيه عتقاء من النار وليس يوم أكثر عتقاً للرقاب من يوم عرفة فأكثر فيه أن تقول: اللهم اعتق رقبتي من النار وأوسع لي في الرزق الحلال واصرف عني فسقة الإنس والجن، فإنه عامة ما أدعو به اليوم.

وأخرج أبو ذر الهروي، عن سالم بن عبد الله أنه كان يقول بالموقف: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله إلهاً واحداً ونحن له مسلمون لا إله إلا الله ولو كره المشركون لا إله إلا الله ربنا ورب آبائنا الأولين، ولم يزل يقول ذلك حتى غابت الشمس، ثم التفت إلى بكير بن عتيق بالتصغير فيهما فقال: قد رأيت لوذانك بي اليوم، ثم قال: حدثني أبي، عن أبيه، عمر بن الخطاب، عن النبي ﷺ قال: « يقول الله من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ».

قلت: قال البيهقي: أخبرنا أبو ذر عبد بن أحمد الهروي قدم علينا، أخبرنا أبو حكيم محمد بن أبي القاسم الدارمي، حدثنا أبي، عن أبيه، عن أبي عبيدة السري بن يحيى أنه حدثه، حدثنا عثمان ابن زفر، عن صفوان بن أبي الصهباء، عن بكير بن عتيق قال: حججت فتوسمت رجلاً أقتدي به، فإذا رجل مصفر اللحية، فإذا هو سالم بن عبد الله بن عمر، وإذا هو في الموقف يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله إلهاً واحداً ونحن له مسلمون لا إله إلا الله ولو كره المشركون لا إله إلا الله ربنا ورب آبائنا الأولين. فلم يزل

....

يقول هذا حتى غابت الشمس، ثم نظر إلي فقال: قد رأيت لـوذانك بي منذ اليوم. حدثني أبي عن أبيه فساقه.

وأخرجه ابن شاذان، عن عبد الله بن محمد الأصبهاني، حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدثنا أبو مسعود هو الرازي، حدثنا أبو نعيم هو ضرار بن صرد حدثنا صفوان بن أبي الصعباء فذكر الحديث دون القصة. وأخرجه البخاري في كتاب العباد عن أبي بكر بن أبي عاصم، وأخرجه ابن شاهين في كتاب الترغيب من طريق يحي الحماني عن صفوان، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات.

قال الحافظ: ولم يصب صفوان ذكره البخاري في التاريخ ولم يذكر فيه جرحاً، وأما شيخه فهو ثقة عندهم، والله أعلم.

ومن ذلك، ما قال المحب الطبري في المناسك: أخبرنا أبو الحسين بن المغيرة إجازة قال: أنبأنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي، أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه، أخبرنا عبيد الله بن أحمد الأزهري، أخبرنا محمد بن علي بن زيد بن مروان، حـدثـنـا أبـو يـوسـف يعقـوب بـن إبـراهيم الجصاص، حدثنا أبو الحسن محمد بن المنذر، حدثنا عبد الله بن عمران، حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمي، عن الحر بن قيس، ومعاوية بن قرة، وأبي وائل شقيق بن سلمة، عن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «ليس في الموقف قول ولا عمل أفضل من هذا الدعاء، وأول من ينظر الله إليه صاحب هذا القول إذا وقف بعرفة فيستقبل البيت الحرام بوجهه ويبسط يديه كهيئة الداعي، ثم يلبي ثلاثاً ويكبر ثلاثاً، ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت بيده الخير. يقول ذلك مائة مرة، ثم يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. أشهـد أن الله على كـل شيء قـديـر، وأن الله قـد أحـاط بكـل شيء علماً يقول ذلك مائة مرة، ثم يتعـوذ مـن الشيطـان الرجيم إن الله هـو السميـع العليم يقـول ذلـك ثلاث مرات، ثم يقرأ فاتحة الكتاب ثلاث مرات يبدأ في كل سورة بسم الله الرحمن الرحيم وفي آخر فاتحته يقول كل مرتين آمين، ثم يقرأ قل هو الله أحد مائة مرة يقول أولها بسم الله الرحمن الرحيم ثم يصلي على النبي ﷺ فيقول: صلى الله وملائكته على النبي الأمي وعلى آله وعليه السلام ورحمة الله وبركاته مائة مرة، ثم يدعو لنفسه ويجتهد في الدعاء لوالديه ولقرابته ولإخوانه في الله من المؤمنين والمؤمنات، فإذا فرغ من دعائه عاد في مقالته هذه يقول ثلاثاً لا يكون له في الموقف قول ولا عمل حتى يمسي على هذا فإذا أمسى باهى الله به الملائكة يقول: انظروا إلى عبدي استقبل بيتي فكبرني ولباني وسبحني وحمدني وهللني وقرأ بأحب السور إلي وصلى على نبيي أشهدكم أني قد قبلت عمله وأوجبت له أجره وغفرت له ذنبه، وشفعته فيمن تشفع له ولو شفع في أهل الموقف شفعته فيهم».

قلت: أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات وقال: وفي سنده عندي بعض من أتهم بالكذب.

ومن ذلك ما قال المحب الطبري أيضاً: أخبرنا أبو الحسن بن المغيرة إجازة، أنبأنا أبو بكر بن الزاغوني، أخبرنا عبد الله بن محمد العلاف، حدثنا أبو الفتح بن أبي الفوارس الحافظ، حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن وسنة، حدثنا عبد السلام بن عمرة الحنفي، حدثنا

المعطين. إلهي من مدح لك نفسه فإني لائم نفسي. إلهي أخرست المعاصي لساني فما لي وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الأمل. إلهي إني أعلم أن ذنوبي لم تبق لي عندك جاهاً ولا للاعتذار وجهاً ولكنك أكرم الأكرمين. إلهي إن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغني ورحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء. إلهي إن ذنوبي وإن كانت عظاماً ولكنها صغار في جنب عفوك فاغفرها لي يـا كريم. إلهي أنت أنت وأنا أنا، أنا العوّاد إلى الذنوب وأنت العوّاد إلى المغفرة. إلهي إن كنت لا ترحم إلا أهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون. إلهي تجنبت عن طاعتك عمداً وتوجهت إلى معصيتك قصداً

عروة بن قيس، حدثتني أم الفيض مولاة عبد الملك بن مروان قالت: سألت عبد الله بن مسعود عن هذا الحديث عن النبي ﷺ؟ قال نعم. ما من عبد أو أمة دعا بهذه الدعوات ليلة عرفة ألف مرة وهي عشرة كلم إلا لم يسأل ربه عز وجل شيئاً إلا أعطاه إياه إلاّ قطيعة رحم، أو مأثماً. « سبحان الذي في السماء عرشه، سبحان الذي في الأرض موطئه، سبحان الذي في البحر سبيله، سبحان الذي في النار سلطانه، سبحان الذي في الجنة رحمته، سبحان الذي في القبر قضاؤه، سـبحان الذي رفع السماء، سبحان الذي وضع الأرض، سبحان الذي لا منجى ولا ملجأ منه إلا إليه، سبحان الذي في القرآن وحيه ».

قلـت: وهكذا رواه ابن الجزري الحافظ المقرىء في جزء أخرجه له الحافظ تقي الدين بن مهد فيما يتعلق بعرفة.

ثم شرع المصنف في ذكر أدعية ومناجاة نقلت عن السلف فقال: **(إلهي من مدح إليك نفسه)** بأنواع البر **(فإني لائم لنفسي)** بغاية القصور. **(إلهي أخرست المعاصي لساني)** أي أسكتته **(فأي وسيلة)** أتوسل بها إليك **(من عمل)** صالح **(ولا شفيع)** لي عندك **(سوى الأمل)** والرجاء في عفوك. **(اللهم إني أعلم)** وأتيقن **(أن ذنوبي لم تبق لي عندك)** أي شؤمها **(جاهاً)** أعتد به **(ولا للاعتذار)** إلى إبـداء العـذر **(وجهـاً ولكنـك أكـرم الأكـرمين)** فاعتمدت على كرمك. **(إلهي إن لم أكن أهلاً)** ومستحقاً **(أن أبلغ رحمتك فإن رحمتك أهل أن تبلغني)** أي تصلني **(رحمتك التي وسعت كل شيء)** أي عمته بشمولها **(وأنا شيء)** من الأشياء.

ومثله قول القطب أبي الحسن الشاذلي قدس سره في حزبه الكبير: إلهي إن لم نكن لرحمتك أهلاً أن ننالها فرحمتك أهل أن تنالنا، **(إلهي إن ذنوبي وإن كانت عظاماً فهي صغار في جنب عفوك)** إذا قرنت به **(فاغفرها لي يا كريم، إلهي أنت أنت)** في كمال ربوبيتك **(وأنا أنا)** في كمال عبوديتي **(أنا العواد)** أي الكثير العود **(إلى الذنوب)** والمخالفات، **(وأنت العواد إلى المغفرة)** لها بمحض فضلك. **(إلهي إن كنت لا ترحم إلا أهل طاعتك)** وخاصتك **(فإلى من يفزع)** أي يلتجىء **(المذنبون)** والمقصرون. **(إلهي تجنبت عن طاعتك عمداً)** لشؤم

فسبحانك ما أعظم حجتك عليّ وأكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي عنك وفقري إليك وغناك عني ألا غفرت لي يا خير من دعاه داع، وأفضل من رجاه راج بحرمة الإسلام وبذمة محمد عليه السلام أتوسل إليك فاغفر لي جميع ذنوبي واصرفني من موقفي هذا مقضي الحوائج وهب لي ما سألت وحقق رجائي فيما تمنيت. إلهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه. إلهي ما أنت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه خاشع لك بذلته مستكين بجرمه متضرع إليك من عمله، تائب إليك من اقترافه، مستغفر لك من ظلمه، مبتهل إليك في العفو عنه، طالب إليك نجاح حوائجه، راج إليك في موقفه مع كثرة ذنوبه، فيا ملجأ كل حي وولي كل مؤمن من أحسن فبرحمتك يفوز ومن أخطأ فبخطيئته يهلك. اللهم إليك خرجنا وبفنائك أنخنا وإياك أملنا وما عندك طلبنا ولإحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا وإليك بأثقال الذنوب هربنا ولبيتك الحرام حججنا. يا من

نفسي الأمارة، **(وتوجهت إلى معصيتك قصداً)** مني، **(فسبحانك ما أعظم حجتك علي)** في كلا الحالتين **(وأكرم عفوك عني فبوجوب حجتك علي)** فيما أسرفت على نفسي **(وانقطاع حجتي)** عنك **(وفقري إليك)** من سائر الوجوه **(وغناك عني)** في سائر الأطوار. **(الا ما غفرت لي يا أرحم الراحمين. يا خير من دعاه داع)** فأجابه، **(وأفضل من رجاه راج)** فقربه وأعطاه **(بحرمة الإسلام)** أي أركانه **(وبذمة)** أي عهد **(محمد عليه السلام أتوسل إليك فاغفر لي جميع ذنوبي)** دقها وجليلها، **(واصرفني عن موقفي هذا)** أي عرفات **(مقضي الحوائج)** أي متمومها **(وهب لي ما سألت)** في مقامي هذا، **(وحقق رجائي فيما تمنيت)** من أمور الدنيا والآخرة **(إلهي دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه)** أي ألهمتني إياه، **(فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه)** على لسان رسلك. **(إلهي ما أنت صانع العشية)** أي في هذه العشية **(بعبد مقر لك بذنبه)** غير منكر **(خاشع لك)** أي لجلالك **(بذله)** الذي هو وصف حقيقي له **(مستكين)** أي ضارع **(بجرمه متضرع إليك من)** سيء **(عمله تائب إليك من افترائه)** واعتدائه، **(مستغفر لك من ظلمه)** لنفسه **(مبتهل إليك في العفو عنه طالب إليك في نجاح حوائجه)** أي الفوز بها سواء دنيوية أو أخروية، **(راج لك)** أي لإحسانك **(في موقفه مع كثرة ذنوبه)** ومعاصيه. **(فيا ملجأ كل حي)** ما من شأنه الحياة ظاهراً أو باطناً **(وولي كل مؤمن)** كما في قوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] **(من أحسن)** لنفسه **(فبرحمتك يفوز، ومن أساء)** عليها **(فبخطيئته)** وشؤمه **(يهلك اللهم إليك خرجنا وبفنائك)** أي رحابك **(أنخنا)** رواحلنا، **(وإياك)** لا غيرك **(أملنا وما عندك)** من الفضل **(طلبنا ولإحسانك)** العام **(تعرضنا ورحمتك)** الواسعة **(رجونا ومن عذابك)** الدنيوي والأخروي **(أشفقنا)** أي خفنا، **(ولبيتك الحرام حججنا)** أي قصدنا. **(يا من يملك حوائج**

يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمائر الصامتين. يا من ليس معه رب يدعى، ويا من ليس فوقه خالق يخشى، ويا من ليس له وزير يؤتى، ولا حاجب يرشى. يا من لا يزداد على كثرة السؤال إلاَّ جوداً وكرماً وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلاً وإحساناً. اللهم إنك جعلت لكل ضيف قرى ونحن أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة. اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية، ولكل راج ثواباً، ولكل ملتمس لما عندك جزاء، ولكل مسترحم عندك رحمة، ولكل راغب إليك زلفى، ولكل متوسل إليك عفواً. وقد وفدنا إلى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام، وشهدنا هذه المشاهد الكرام. رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا. إلهنا تابعت النعم حتى اطمأنت الأنفس بتتابع نعمك وأظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك، وظاهرت المنن حتى اعترف

السائلين) أي إنجاحها، **(ويعلم ضمائر الصامتين)** أي ما في ضمائرهم ولو لم يتكلموا. **(يا من ليس معه رب)** يشاركه في ربوبيته فيقصد، **(ويدعى)** أي يتوجه إليه بالطلب. **(ويا من ليس فوقه خالق يخشى)** بأسه، **(ويا من ليس له وزير)** وهو من يحمل عن الملك تقل التدبير **(يؤتى)** إليه في قضاء الحاجات، **(ولا حاجب)** على بابه **(يرشي)** أي يعطى رشوة وهي بالكسر ما يعطيه الشخص للحاكم أو غيره ليحكم له أو يحمله على ما يريد. **(ويا من لا يزداد على كثرة السؤال)** من عبيده **(إلا تكرما وجوداً)** وفضلاً، **(و)** لا يزداد **(على كثرة الحوائج)** المرفوعة إليه **(إلا تفضلاً وإحساناً)** ومنحاً. **(اللهم إنك جعلت لكل ضيف قرى)** هو ما يقريه من الطعام والشراب، **(ونحن أضيافك)** وردنا على موائد كرمك، **(فاجعل قرانا منك الجنة)** الفوز بها. **(اللهم إن لكل وفد)** هم القوم يفدون ومنه الحاج وفد الله **(جائزة)** هو إسم لما يجاز به الوفد من المال وغيره، **(ولكل زائر كرامة)** أي إكراماً، **(ولكل سائل عطية)** فإنه لا يمنع بحال، **(ولكل راج ثواباً)** أي جزاء يثوب إليه أي يرجع، **(ولكل ملتمس لما عندك أجراً)** وفي نسخة: جزاء، **(ولكل مترحم)** أي طالب رحمة **(عندك رحمة)** تعطاه، **(ولكل راغب إليك زلفة)** بالضم أي قربة، **(ولكل متوسل إليك عفواً. وقد وفدنا إلى بيتك الحرام ووقفنا عند هذه المشاعر العظام)** هي مواضع المناسك، **(وشاهدنا هذه المشاهد الكرام)** جمع مشهد وهو كل موضع تشهده الملائكة أو أهل الخير والصلاح **(رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا)**.

ثم أشار المصنف إلى مشهد الجمع فقال: **(إلهنا تابعت النعم)** أي أفضتها علينا متتابعة **(حتى اطمأنت الأنفس)** أي سكنت **(بتتابع نعمك)** وترادفها، **(وأظهرت العبر)** جمع عبرة بالكسر هي ما يعتبر بها الإنسان **(حتى نطقت الصوامت بحجتك)** نطقاً يليق بها، **(وظاهرت المنن)** أي تابعتها مرادفة **(حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن)** أداء بعض **(حقك)** الثابت

أولياؤك بالتقصير عن حقك، وأظهرت الآيات حتى أفصحت السموات والأرضون بأدلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك، وعنت الوجوه لعظمتك إذا أساء عبادك حلمت وأمهلت، وإن أحسنوا تفضلت وقبلت، وإن عصوا سترت، وإن أذنبوا عفوت وغفرت، وإذا دعونا أجبت، وإذا نادينا سمعت، وإذا أقبلنا إليك قربت، وإذا ولينا عنك دعوت. إلهنا انك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] فأرضاك عنهم الإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود، وإنا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد بالرسالة مخلصين، فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الإجرام، ولا تجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل في الإسلام. إلهنا إنك أحببت التقرب إليك بعتق ما ملكت أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالتفضل فأعتقنا. وإنك أمرتنا أن نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا، ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق

عليهم، **(وأظهرت الآيات)** الدالة على كمال قدرتك **(حتى أفصحت السموات والأرضون)** بلسان حالها **(بأدلتك)** الدالة على كمال وحدانيتك، **(وقهرت بقدرتك)** أي تجليت بصفة القاهر **(حتى خضع)** أي ذل **(كل شيء لعزتك)** ومنعتك، **(وعنت الوجوه)** أي وجوه كل شيء أي خضعت **(لعظمتك)** وكبريائك. **(إذا أساء عبادك)** بجهلهم **(حلمت)** عليهم **(وأمهلت)** لهم، **(وإذا أحسنوا)** بالطاعة **(تفضلت)** عليهم **(وقبلت)** منهم، **(وإذا عصوا سترت)** عليهم، **(فإذا أذنبوا عفوت)** عن ذنوبهم **(وغفرت)** لهم، **(وإذا دعونا)** بلسان الاضطرار **(أجبت)** دعاءنا وجبرت اضطرارنا، **(وإذا نادينا)** بلسان الافتقار **(سمعت)** نداءنا، **(وإذا أقبلنا إليك)** بكليتنا **(قربت)** قرباً يليق بذاتك. وفي نسخة: دنوت، **(وإذا ولينا عنك)** بشؤم غفلتنا **(دعوت)** وطلبت. **(إلهنا إنك قلت في كتابك المبين)** المفصح للأحكام والأسرار **(لمحمد خاتم النبيين)** ﷺ **(قل للذين كفروا)** أي ستروا نعمة الحق ببغيهم وعنادهم **(إن ينتهوا)** عن وصفهم ذلك **(يغفر لهم ما قد سلف)** [الأنفال: ٣٨] أي تقدم **(فأرضاك الإقرار)** بألسنتهم الظاهرة **(بكلمة التوحيد بعد الجحود)** والإنكار **(وإنا نشهد لك)** أي نقر ونخضع **(لك بالتوحيد)** الظاهر والباطن حال كوننا **(مخبتين)** أي خاضعين، **(ولمحمد نبيك)** ﷺ **(بالرسالة)** العامة **(مخلصين، فاغفر لنا بهذه الشهادة)** الشاهدة على الإخبات والإخلاص **(سوالف الإجرام)** أي الذنوب المتقدمة، **(ولا تجعل حظنا فيه منك أنقص من حظ من دخل في الإسلام)** إيماء لانقياد الظاهر. **(اللهم إنك أحببت التقرب إليك بعتق ما ملكت ايماننا)** من العبيد والإماء، **(ونحن عبيدك)** بالرق الحقيقي، **(وأنت أولى بالتفضل علينا فاعتقنا)** أي رقابنا من النار. **(وإنك أمرتنا أن نتصدق على فقرائنا)** بأن نواسيهم بالمال وغيره، **(ونحن فقراؤك)** محتاجون إليك **(وأنت أحق بالتطول)** أي التفضل

بالكرم فاعفُ عنا، ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ربنا آتِنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا برحمتك عذاب النار»، وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أن يقول: «يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الأصوات، يا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات، يا من لا يبرمه إلحاح الملحين ولا تضجره مسألة السائلين أذقنا برد عفوك وحلاوة مناجاتك». وليدع بما بدا

علينا، (**فتصدق علينا و**) أنت (**وصيتنا**) على لسان رسولك ﷺ (**بالعفو عمن ظلمنا**) وتعدى علينا، (**وقد ظلمنا أنفسنا**) بتعديها عن حدودك، (**وأنت أحق بالكرم فاعف عنا**) وسامحنا. (**ربنا اغفر لنا**) ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا (**وارحمنا**) برحمتك العامة (**أنت مولانا**) وسيدنا. (**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار»**) ختم به المناجاة تبركا ولكونه جامعاً شاملاً لسائر خيور الدنيا والآخرة.

(**وليكثر من دعاء**) سيدنا أبي العباس (**الخضر عليه السلام**) فيما يقال انه علمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (**وهو أن يقول: «يا من لا يشغله شأن عن شأن**) وكل يوم هو جل وعز في شأن، (**ولا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الأصوات**) مع اختلافها وتباين صنوفها. (**يا من لا تغلطه المسائل**) أي لا توقعه في غلط ونسيان (**ولا تختلف عليه اللغات**) مع تباينها. (**يا من لا يبرمه**) أي لا يضجره (**الحاح الملحين**) في مسائلهم، (**ولا تعجزه مسألة السائلين**) مع كثرتهم وكثرة مسائلهم (**أذقنا برد عفوك ومغفرتك ورحمتك»**) هكذا نسب هذا الدعاء إلى الخضر عليه السلام صاحب القوت وغيره من العارفين.

وأخرج ابن الجوزي في مثير العزم، عن علي رضي الله عنه قال: يجتمع في كل يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر عليهم السلام فيقول جبريل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فيرد عليه ميكائيل: ما شاء الله كل نعمة من الله، فيرد عليهما إسرافيل فيقول: ما شاء الله الخير كله بيد الله، فيرد عليهم الخضر فيقول: ما شاء الله لا يدفع السوء إلا الله. ثم يفترقون فلا يجتمعون إلى قابل في مثل ذلك اليوم.

وأخرج أيضاً عن ابن عساكر قال: لا أعلمه مرفوعاً. قال: يلتقي الخضر وإلياس في كل عام في الموسم، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله. بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله. بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله. بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلا بالله. قال ابن عباس: من قالهن حين يصبح ويمسي ثلاث مرات أمنه الله من الحرق والغرق والرق. قال عطاء: وأحسبه من الشيطان والسلطان والحية والعقرب.

(**وليدع بما بدا له**) مما يلهمه الله على قلبه ولسانه من الأدعية الجامعة والنافعة.

له وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات، وليلح في الدعاء وليعظم المسألة فإن الله لا يتعاظمه شيء. وقال مطرف بن عبدالله وهو بعرفة: اللهم لا ترد الجميع من أجلي. وقال بكر المزني؛ قال رجل: لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أني كنت فيهم.

وقال ابن دريد: أخبرنا عبد الرحمن ابن عمة الأمير قال: سمعت أعرابياً يدعو بعرفات يقول: اللهم إن ذنوبي لم تبق إلا رجاء عفوك وقد تقدمت إليك فامنن عليّ بما لا أستأهله وأعطني ما لا أستحقه بطولك وفضلك.

(وليستغفر لنفسه ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات) الأحياء منهم والأموات بأي صيغة اتفقت، وأقلها أن يقول: أستغفر الله لذنبي وسبحان الله وبحمد ربي.

(وليلح في الدعاء) مع التضرع والابتهال والبكاء ولا يتكلف السجع في الدعاء ولا يفرط في الجهر، **(وليعظم المسألة)** أي يسأل الله تعالى أموراً عظاماً، **(فإن الله سبحانه لا يتعاظمه شيء)** ومن هنا **(قال مطرف بن عبدالله)** بن الشخير الحرشي العامري، أبو عبدالله البصري **(وهو)** واقف **(بعرفة)** في جملة ما دعا به: **(اللهم لا ترد الجميع)** أي من الواقفين في ذلك الموقف العظيم **(لأجلي)** أي اقبل شفاعتي فيهم. **(وقال بكر)** بن عبدالله **(المزني)** تقدمت ترجمته في كتاب العلم. **(قال رجل: ولما نظرت)** يعني **(إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أني كنت فيهم)** أخرجه ابن الجوزي في مثير العزم عن صالح المري قال: وقف مطرف وبكر بن عبدالله فقال مطرف: اللهم لا تردهم اليوم من أجلي، وقال بكر: ما أشرفه من موقف وأرجاه لأهله لولا أني فيهم.

وعن الفضيل بن عياض أنه وقف بعرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء ثكلى محترقة، فلما كادت الشمس تسقط قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: واسوأتاه منك وإن غفرت.

وعن أبي الأديان قال: كنت بالموقف فرأيت شاباً مطرقاً منذ وقف الناس إلى أن سقط القرص، فقلت: يا هذا ابسط يدك للدعاء. فقال لي ثم وجه فقلت له: هذا يوم العفو من الذنوب قال: فبسط يده وفي بسط يده وقع ميتاً.

وعن الرياشي قال: رأيت أحمد بن المغول في الموقف في يوم شديد الحر، وقد ضحى للشمس، فقلت أبا الفضل: لو أخذت بالسعة فأنشأ يقول:

ضحيت له كي أستظل بظله ... إذ الظل أضحى في القيامة قالصا
فوا أسفا إن كان سعيك باطلاً ... ويا حزناً إن كان حظك ناقصا

....

أخرج جميع ذلك ابن الجوزي في الكتاب المذكور.

ومما يناسب من الأدعية في هذا الموقف ما ذكره البوني في اللمعة النورانية وهو، أن يقول: اللهم إني أسألك بالإسم الذي فتحت به باب الوقوف بعرفة، وبما أظهرت فيه من تنزيلات الرحمة، وبالسر الذي أهبطت فيه ملائكة البيت المعمور فتباهت به أهل السموات والأرض. أسألك أن تفيض عليَّ من ألطافك ما سبقت بإفاضته على خواص خدامك بلا مسألة تقدمت ولا سابقة سؤال سبقت، بل أعطيتهم قبل أن تلهمهم وأعنتهم قبل أن تعلمهم إنك على كل شيء قدير اهـ.

ومن ذلك دعاء أهل البيت في خصوص هذا الموقف المذكور في الصحيفة السجادية، وهو ما أخبرنا به السيد القطب محيي الدين نور الحق بن عبدالله الحسيني، والسيد عمر بن أحمد بن عقيل الحسيني، عن محمد طاهر الكوراني، عن أبيه إبراهيم بن الحسن الكوراني، عن المعمر عبدالله بن سعدالله المدني، عن الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد الحنفي، عن أبيه، عن الإمام الحافظ نور الدين أبي الفتوح أحمد بن عبدالله الطاوسي، عن السيد شرف الدين محمد المطلق الحسيني، عن قطب الأقطاب السيد جلال الدين الحسيني بن أحمد بن الحسين الحسيني، عن أبيه، عن جده، عن أبيه السيد أبي المؤيد علي، عن أبيه أبي الحرث جعفر، عن أبيه محمد، عن أبيه محمود، عن أبيه عبدالله، عن أبيه علي الأشقر، عن أبيه أبي الحرث جعفر، عن أبيه علي التقي، عن أبيه محمد التقي، عن أبيه علي الرضى، عن أبيه موسى الكاظم، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه الإمام السجاد ذي النفثات زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. أنه كان يقول في يوم عرفة: الحمد لله رب العالمين، اللهم لك الحمد بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام رب الأرباب وإله كل مألوه، وخالق كل مخلوق، ووارث كل شيء ليس كمثله شيء، ولا يعزب عنه علم شيء وهو بكل شيء محيط وهو على كل شيء رقيب. أنت الله لا إله إلا أنت الأحد المتوحد الفرد المتفرد، وأنت الله لا إله إلا أنت الكريم المتكرم العظيم المتعظم الكبير المتكبر، وأنت الله لا إله إلا أنت العلي المتعال الشديد المحال، وأنت الله لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم العليم الحكيم، وأنت الله لا إله إلا أنت السميع البصير القديم الخبير، وأنت الله لا إله إلا أنت الكريم الأكرم الدائم الأدوم، وأنت الله لا إله إلا أنت الأول قبل كل أحد والآخر بعد كل عدد، وأنت الله لا إله إلا أنت الداني في علوه والعالي في دنوه، وأنت الله لا إله إلا أنت ذو البهاء والمجد والكبرياء والحمد، وأنت الله لا إله إلا أنت الذي أنشأت الأشياء من غير شبح وصورت ما صورت من غير مثال، وابتدعت المبتدعات بلا اهتداء. أنت الذي قدرت كل شيء تقديراً ويسرت كل شيء تيسيراً، ودبرت كل ما دونك تدبيراً. أنت الذي لم يعنك على خلقك ولم يوازرك في أمرك وزير ولم يكن لك مشابه ولا نظير. أنت الذي أردت فكان حتماً ما أردت، وقضيت فكان عدلاً ما قضيت، وحكمت فكان نصفاً ما حكمت. أنت الله الذي لا يحويك مكان ولم يقم لشأنك سلطان ولا يعيك برهان ولا بيان. أنت الذي أحصيت كل شيء عدداً وجعلت

وقدرت كل شيء تقديراً. أنت الذي قصرت الأوهام عن ذاتيتك وعجزت الأوهام عن كيفيتك ولم تدرك الأبصار موضع أينيتك. أنت الله الذي لا تحد فتكون محدوداً ولم تمثل فتكون موجوداً ولم تلد فتكون مولوداً. أنت الله الذي لا ضدّ معك فيعاندك ولا عدل فيكاثرك ولا ندّ لك فيعارضك. أنت الذي ابتدأ واخترع واستحدث وابتدع وأحسن صنع ما صنع. سبحانك ما أجل شأنك وأسنى مكانك وأصدع بالحق فرقانك سبحانك من لطيف ما ألطفك ورؤوف ما أرأفك وحكيم ما أتقنك. سبحانك من مليك ما أمنعك وجواد ما أوسعك ورفيع ما أرفعك ذو البهاء والمجد والكبرياء والحمد. سبحانك بسطت بالخيرات يدك وعرفت الهداية من عندك فمن التمسك لدين أو دنيا وجدك. سبحانك خضع لك من جرى في علمك، وخشع لعظمتك ما دون عرشك، وانقاد للتسليم لك كل خلقك. سبحانك لا تحس ولا تجس ولا تمس ولا تكاد ولا تماط ولا تنازع ولا تجادل ولا تماري ولا تخادع ولا تماكر. سبحانك سبيلك جد وأمرك رشد وأنت حي صمد. سبحانك قولك حكم وقضاؤك حتم وإرادتك عزم. سبحانك لا راد لمشيئتك ولا مبدل لكلماتك. سبحانك باهر الآيات فاطر السموات بارىء السموات لك الحمد حمداً يدوم بدوامك، ولك الحمد حمداً خالداً بنعمتك، ولك الحمد حمداً يوازي صنعك، ولك الحمد حمداً يزيد على رضاك، ولك الحمد حمداً مع حمد كل حامد وشكراً قصر عنه كل شاكر. حمداً لا ينبغي إلا لك ولا يتقرب به إلا إليك، حمداً يستدام به الأول ويستدعى به دوام الآخر، حمداً يتضاعف على كرور الأزمنة ويتزايد أضعافاً مترادفة، حمداً يعجز عن إحصائه الحفظة ويزيد على ما أحصته في كتابك الكتبة، حمداً يوازي عرشك المجيد ويعادل كرسيك الرفيع، حمداً يكمل لديك ثوابه ويستغرق كل جزاء جزاؤه، حمداً ظاهره وفق لباطنه وباطنه وفق لصدق النية، حمداً لم يحمدك خلق مثله ولا يعرف أحد سواك فضله، حمداً يعان من اجتهد في تعديده ويؤيد من أغرق نوعاً في توفيته، حمداً يجمع ما خلقت من الحمد وينتظم ما أنت خالقه من بعد، حمداً لا حمد أقرب إلى قولك منه ولا أحمد ممن يحمدك به، حمداً يوجب بكرمك المزيد بوفوره وتصله بمزيد بعد مزيد طولاً منك، حمداً يجب لكرم وجهك ويقابل عن جلالك. ربّ صلّ على محمد المنتخب المصطفى المكرم المفضل أفضل صلواتك، وبارك عليه أتم بركاتك، وترحم عليه أسبغ ترحماتك. ربّ صلّ على محمد وآل محمد صلاة زاكية لا تكون صلاة أزكى منها، وصلّ عليه صلاة نامية لا تكون صلاة أنمى منها، وصلّ عليه صلاة راضية لا تكون صلاة فوقها، ربِّ صلّ على محمد وآله صلاة ترضيه وتزيد على رضاه وصلّ عليه صلاة ترضيك وتزيد على رضاك له، وصلّ عليه صلاة لا ترضى له إلا بها ولا ترى غيره أهلاً لها. ربِّ صلّ على محمد وآله صلاة تجاوز رضوانك، ويتصل اتصالها ببقائك لا تنفد كما لا تنفد كلماتك. ربِّ صلّ على محمد وآله صلاة تنتظم صلوات ملائكتك وأحبائك وأنبيائك ورسلك وأهل طاعتك، وتشتمل على صلوات عبادك من جنك وإنسك وأهل إجابتك تشتمل على صلوات كل من ذرأت وبرأت من أصناف خلقك. ربِّ صلّ على محمد وآله صلاة تحيط بكل صلاة سالفة ومستأنفة، وصلِّ عليه وعلى آله صلاة لك ولمن دونك

....

وتنشيء مع ذلك صلوات تضاعف معها تلك الصلوات عندها وتزيدها على كرور الايام زيادة في تضاعيف لا يعدها غيرك. ربِّ صلِّ على أطايب أهل بيته الذين اخترتهم لأمرك وجعلتهم خزنة علمك وحفظة دينك وخلفاءك في أرضك وحججك على عبادك وطهرتهم من الرجس والدنس تطهيراً بإرادتك وجعلتهم الوسيلة إليك والمسلك إلى جنتك. ربِّ صلِّ على محمد وآله صلاة تجزل لهم بها من نحلك وكرامتك، وتكمل لهم بها الأشياء من عطاياك ونوافلك، وتوفر عليهم الحظ من عوائدك وفوائدك. ربِّ صلِّ عليه وعليهم صلاة لا أمد في أولها ولا غاية لأمدها ولا نهاية لآخرها. ربِّ صلِّ عليهم زنة العرش وما دونه وملء سمواتك وما فوقهن وعدد أرضك وما تحتهن وما بينهن. صلاة تقربهم منك زلفى، وتكون لك ولهم رضا ومتصلة بنظائرهن أبداً. اللهم هذا يوم عرفة يوم شرفته وكرمته وعظمته ونشرت فيه رحمتك ومننت فيه بعفوك وأجزلت فيه عطيتك وتفضلت به على عبادك. اللهم وأنا عبدك الذي أنعمت عليه قبل خلقك له وبعد خلقك إياه، فجعلته ممن هديته لدينك ووفقته لحقك وعصمته بحبلك، وأدخلته في حزبك وأرشدته لموالاة أوليائك ومعاداة أعدائك، ثم أمرته فلم يأتمر، وزجرته فلم ينزجر، ونهيته عن معصيتك فخالف أمرك إلى نهيك لا معاندة لك ولا استكباراً عليك، بل دعاه هواه إلى ما زيلته وإلى ما حذرته وأعان على ذلك عدوك وعدوه وأقدم عليه عارفاً بوعيدك راجياً لعفوك واثقاً بتجاوزك، وكان أحق عبادك مع ما مننت عليه أن لا يفعل، وها أنا ذا بين يديك صاغراً ذليلاً متواضعاً خاشعاً خائفاً معترفاً بعظيم من الذنوب تحملته، وجليل من الخطايا اجترمته مستجيراً بصفحك لائذاً برحمتك موثقاً أنه لا يجيرني منك مجير، ولا يمنعني منك مانع، فعد عليَّ بما تعود به على من اقترف من تغمدك وُجد عليَّ بما تجود به على من ألقى بيده إليك من عفوك، وامنن عليَّ بما لا يتعاظمك أن تمن به على من أملك من غفرانك، واجعل لي في هذا اليوم نصيباً أنال به حظاً من رضوانك، ولا تردني صفراً مما ينقلب به المتعبدون لك من عبادك، وإني وإن لم أقدم ما قدموه من الصالحات، فقد قدمت توحيدك ونفي الأضداد والأنداد والأشباه عنك، وآتيتك من الأبواب التي أمرت أن تؤتى منها، وتقربت إليك بما لا يقرب أحد منك إلا بالتقرب به، ثم أتبعت ذلك بالإنابة إليك والتذلل والاستكانة لك وحسن الظن بك والثقة بما عندك وشفعته برجائك الذي قلّ ما يخيب عليك راجيك، وسألتك مسألة الحقير الذليل البائس الفقير الخائف المستجير، ومع ذلك خيفة وتضرعاً وتعوذاً وتلوذاً لا مستطيلاً بتكبر المتكبرين، ولا متعالياً بدلالة المطيعين، ولا مستطيلاً بشفاعة الشافعين، وأنا بعد أقل الأقلين وأذل الأذلين ومثل الذرة أو دونها. فيا من لا يعاجل المسيئين ولا ينده المترفين، ويا من يمن بإقالة العاثرين ويتفضل بإنظار الخاطئين. أنا المسيء المعترف الخاطىء العاثر. أنا الذي أقدم إليك مجترئاً. أنا الذي عصاك متعمداً أنا الذي استخفى من عبادك وبارزك. أنا الذي هاب عبادك وأمنك. أنا الذي لم يرهب سطوتك ولم يخف بأسك. أنا الجاني على نفسه. أنا المرتهن ببليته. أنا القليل الحياء. أنا الطويل العناء بجاه من انتخبت من خلقك وبمن اصطفيته لنفسك بحق من اخترت من بريتك ومن أحببت لشأنك

....

ووصلت طاعته بطاعتك ومعصيته بمعصيتك وقرنت موالاته بموالاتك ونطت معاداته بمعاداتك تغمدني في يومي هذا مما تتغمد به من جاز إليك متنصلاً وعاد باستغفارك تائباً، وتولني بما تتولى به أهل طاعتك والزلفى لديك والمكانة منك، ولا تؤاخذني بتفريطي في جنتك وتعدي طوري في حدودك ومجاوزة أحكامك، ولا تستدرجني بإدلائك إلى استدراج من منعني خير ما عنده ولم يشركك في حلول نقمته بي ونبهني من رقدة الغافلين، وسنة المترفين، ونعمة المخذولين، وخذ بقلبي إلى ما استعملت به القانتين، واستعبدت به المتعبدين، واستنقذت به المتهاونين، وأعذني مما يباعدني منك ويحول بيني وبين حظي منك ويصدني مما أحاول لديك وسهل لي مسالك الخيرات إليك والمسابقة إليها من حيث أمرت والمشاحة فيها على ما أردت، ولا تمحقني فيمن تمحق من المستخفين لما أوعدت، ولا تهلكني مع من تهلك من المتعرضين لمقتك ولا تتبرني فيمن تتبر من المنحرفين عن سبيلك، ونجني من غمرات الفتنة، وخلصني من لهوات البلوى، وأجرني من أخذ الإملاء، وحل بيني وبين عدو يضلني وهوى يوبقني ومنقصة ترهقني، ولا تعرض عني إعراض من لا ترضى عنه بعد غضبك، ولا تؤيسني من الأمل فيك فيغلب عليَّ القنوط من رحمتك، ولا تمتحني بما لا طاقة به فتبهظني بما تحملنيه من فضل محبتك، ولا ترسلني من يدك إرسال من لا خير فيه ولا حاجة بك إليه، ولا إنابة له. ولا ترم بي رمي من سقط من عين رعايتك ومن اشتمل عليه الخزي من عندك، بل خذ بيدي من سقطة المتردين، ووهلة المتعسفين، وزلة المغرورين، وورطة الهالكين، وعافني مما ابتليت به طبقات عبيدك وإمائك، وبلّغني مبالغ من عنيت به وأنعمت عليه ورضيت عنه فاعشته حميداً وتوفيته سعيداً، وطوقني طوق الإقلاع عما يحبط الحسنات ويذهب البركات، وأشعر قلبي الازدجار من قبائح السيئات، وفواضح الحوبات، ولا تشغلني بما لا أدركه إلا بك عما لا يرضيك عن غيره، وانزع من قلبي حب دنيا دنية تنهى عما عندك وتصد عن ابتغاء الوسيلة إليك، وتذهل عن التقرب منك، وزيّن لي التفرد بمناجاتك بالليل والنهار، وهب لي عصمة تدنيني من خشيتك وتقطعني من ركوب محارمك، وتفكني من أسر العظائم. وهب لي التطهير من دنس العصيان، وأذهب عني درن الخطايا، وسربلني بسربال عافيتك، وردني رداء معافاتك، وجللني سوابغ نعمائك وظاهر لدن فضلك وطولك، وأيدني بتوفيقك وتسديدك، وأعني على صالح النية ومرضي القول ومستحسن العمل، ولا تكلني إلى حولي وقوّتي دون حولك وقوتك، ولا تخزني يوم تبعثني للقائك، ولا تفضحني بين يدي أوليائك، ولا تنسني ذكرك، ولا تذهب عني ذكرك، ولا تذهب عني شكرك بل ألزمنيه في أحوال السهو عند غفلات الجاهلين لآلائك، وأوزعني أن آتي بما أوليتنيه وأعترف بما اسديته إليَّ. واجعل رغبتي إليك فوق رغبة الراغبين، وحمدي إياك فوق حمد الحامدين، ولا تخذلني عند فاقتي إليك، ولا تهلكني بما اسديته إليك، ولا تجبهني بما جبهت به المعاندين فإني لك مسلم اعلم أن الحجة لك، وأنك أولى بالفضل وأعود بالإحسان وأهل التقوى وأهل المغفرة، وإنك بأن تعفو أولى منك بأن تعاقب، وأنك بان تستر أقرب منك إلى أن تشهر، فاحيني حياة طيبة تنتظم بما أريد وتبلغ ما أحب من حيث لا آتي ما تكره، ولا أرتكب ما نهيت عنه،

....

وأمتني ميتة من يسعى نوره بين يديه وعن يمينه، وذللني بين يديك، وأعزني عند خلقك، وضعني إذا خلوت بك، وارفعني بين عبادك، واغنني عمن هو غني عني، وزدني إليك فاقة وفقراً. وأعذني من شماتة الأعداء ومن حلول البلاء ومن الذل والعناء، وتغمدني فيما اطلعت عليه مني بما يتغمد به القادر على البطش لولا حلمه، والآخذ على الجريرة لولا أناته، وإذا أردت بقوم فتنة أو سوءاً فنجني منها لواذاً بك، وإذا لم تقمني مقام فضيحة في دنياك فلا تقمني مثله في آخرتك، واشفع لي أوائل منتك بأواخرها وقديم فوائدك بحوادثها، ولا تمد لي مداً يقسو معه قلبي، ولا تقرعني بقارعة يذهب لها بهائي، ولا تسمني خسيسة يصغر لها قدري، ولا نقيصة يجهل من أجلها مكاني، ولا ترعني روعة أبلس بها ولا خيفة أوجس دونها. اجعل هيبتي في وعيدك وحذري من إعذارك وإنذارك ورهبتي عند تلاوة آياتك، واعمر ليلي بإيقاظي فيه لعبادتك وتفردي بالتمجيد لك وتجردي بسكوني إليك، وإنزال حوائجي بك ومنازلتي إياك في فكاك رقبتي من نارك وإجارتي مما فيه أهلها من عذابك، ولا تذرني في طغياني عامياً ولا في غمرتي ساهياً حتى حين عظة من اتعظ ولا نكالاً لمن اعتبر، ولا فتنة لمن نظر، ولا تمكر بي فيمن تمكر به، ولا تستبدل بي غيري، ولا تغير لي اسماً، ولا تبدل لي جسماً، ولا تتخذني هزواً لخلقك، ولا سخرياً لك، ولا تبعاً إلا لمرضاتك، ولا ممتهناً إلا بالانتقام لك، وأوجد لي برد عفوك وروحك وريحانك وجنة نعيمك، وأذقني طعم الفراغ لما تحب بسعة من سعتك والاجتهاد فيما يزلف لديك وعندك، وأتحفني بتحفة من تحفاتك، واجعل تجارتي رابحة وكرتي غير فاسدة، وأخفني مقامك وشوقني للقاك، وتب عليَّ توبة نصوحاً لا تبق معها ذنوباً صغيرة ولا كبيرة، ولا تذر معها علانية ولا سريرة، وانزع الغل من صدري للمؤمنين واعطف بقلبي على الخاشعين، وكن لي كما تكون للصالحين، وحلني لديك حلية المتقين، واجعل لي لسان صدق في الغابرين وذكراً نامياً في الآخرين، وتمم سبوغ نعمتك عليَّ وظاهر كراماتها لدي، واملأ من فوائدك يدي، وسق كرائم مواهبك إليَّ وجاور بي الأطيبين من أوليائك، في الجنات التي زينتها لأصفيائك، وجللني شرائف نحلك في المقامات المعدة لأحبابك، واجعل لي عندك مقيلاً آوي إليه مطمئناً ومثابة اتبوأها، واقر عيناً ولا تقايسني بعظيمات الجرائر، ولا تهلكني يوم تبلى السرائر، وأزل عني كل شك وشبهة، واجعل لي في الحق طريقاً من كل رحمة، واجزل لي قسم المواهب من ثوابك، ووفر عليَّ حظوظ الإحسان من إفضالك، واجعل قلبي واثقاً بما عندك وهمي مستفرغاً لما هو لك، واستعملني بما تستعمل به خاصتك، وأشرب قلبي عند ذهول العقول طاعتك، واجمع الغنى والعفاف والدعة والمعافاة والصحة والسعة والطمأنينة والعافية ولا تحبط حسناتي بما يشوبها من معصيتك، ولا تبلني بما يعرض من نزغات فتنتك، وصن وجهي عن الطلب إلى أحد من العالمين، وديني عن التماس ما عند الفاسقين، ولا تجعلني للظالمين ظهيراً ولا لهم عن محو كتابك يداً ونصيراً، وحطني من حيث لا أعلم حياطة تقيني بها، وافتح لي أبواب قربتك ورحمتك ورأفتك ورزقك الواسع إني إليك من الراغبين، وأتمم لي إنعامك، أنت خير المنعمين، واجعل باقي عمري في الحج والعمرة ابتغاء وجهك يا رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين

الطاهرين والسلام عليه وعليهم أبد الآبدين. إلى هنا آخر الدعاء.

ومما يناسب لهذا الموقف من الأدعية ما ذكره الشيخ عبد العزيز بن أحمد الديريني رحمه الله تعالى في آخر كتاب طهارة القلوب، وهو: اللهم يا حسيب كل غريب، ويا أنيس كل كئيب أي منقطع إليك لم تكفه بنعمتك. أم أي طالب لم تلقه بوجهك أم أي من هجر فيك الخلق فلم تصله. أم أي محب خلا بذكرك فلم تؤنسه. أم أي داع دعاك فلم تجبه، ويروى عنك سبحانك أنك قلت: وما غضبت على أحد كغضبي على مذنب أذنب ذنباً فاستعظمه في جنب عفوي. االلهم يا من يغضب على من لا يسأله لا تمنع من قد سألك. إلهي كيف نجترىء على السؤال مع الخطايا والزلات. أم كيف نستغني عن السؤال مع الفقر والفاقات. أم كيف بعبد أبق عن باب مولاه أن يقف على الباب طالباً جزيل عطاياك إنما ينبغي له طلب المغفرة والتعلق بأذيال المعذرة، لكنك ملك كريم دللت بجودك عليك، وأطلقت الألسنة بالسؤال لديك، وأكرمت الوفود إذا ارتحلوا إليك، من ذا الذي عاملك فلم يفرح، ومن وصل إلى بساط قربك واشتهى أن يبرح، واعجباً لقلوب مالت إلى غيرك ما الذي أرادت إلى مرضاتك، ولنفوس طلبت الراحة هلا طلبت منك واستفادت، ولعزائم سبقت إلى مرضاتك ما الذي ردّها فعادت هل نقصت أموال استقرضتها. لا وحقك بل زادت سبق اختيارك فبطلت الحيل وجرت أقدارك فلا يغيرها العمل، وتقدمت محبتك لأقوام قبل في الأزل، وغضبت على قوم فلم ينفع عاملهم العمل، فلا قوّة على طاعتك إلا بإعانتك، ولا حول عن معصيتك إلا بمشيئتك، ولا ملجأ إلا عليك، ولا خير يرجى إلا في يديك. يا من بيده إصلاح القلوب أصلح قلوبنا. يا من تصاغرت جنب عفوه الذنوب اغفر ذنوبنا. اللهم إنا قد آتيناك طالبين فلا تردنا خائبين. لم نزل إلى باب جودك ماثلين فأصلح كل قلب قسا فما يلين، واسلك بنا مناهج المتقين، وألبسنا خلع الإيمان واليقين، وحصنا بدروع الصدق فإنهن باقين لا تجعلنا مما تعاهد على التوبة ويمين، واجعلنا بفضلك من أهل اليمين. إلهي لولا منتك بالفضل ما كان عبدك إلى الذنوب يعود، ولولا محبتك للغفران ما أمهلت من يبارزك بالعصيان، وأسبلت سترك على من أسبلت، وقابلت إساءتنا منك بالإحسان.

أستغفر الله مما كان من زللي	ومن ذنوبي وتفريطي وإصراري
يا رب هب لي ذنوبي يا كريم فقد	أمسكت حبل الرجا يا خير غفار

إلهي ما أمرتنا بالاستغفار إلا وأنت تريد المغفرة، ولولا كرمك ما ألهمتنا المعذرة. أنت المبدىء بالنوال قبل السؤال، والمعطي من الأفضال فوق الآمال. أنا لا أرجو إلا غفرانك، ولا أطلب إلا إحسانك، وإن عصيتك فرجعت إليك أذنبت ذنباً عظيماً وأنت أعظم منه ضيعت حقي بجهل، ولم أصنه فصنه إن لم أكن مستحقاً للعفو منك فكن. اللهم إني أسألك رحمتك التي ابتدأت

بها الطائعين حتى قاموا بطاعتهم أن تمن بها على العاصين بعد معصيتهم، فإنك المحسن بادياً عادياً يا كريم.

أجل ذنوبي عند عفوك سيدي حقير وإن كانت ذنوبي عظائما
فما زلت غفاراً وما زلت راحماً وما زلت ستاراً على الحر دائما
لئن كنت قد تابعت جهلي في الهوى وقضيت أوطار البطالة هائما
فها أنا قد أقررت مولاي بالذي جنيت وقد أصبحت حيران نادما

إلهي أنت المحسن وأنا المسيء، ومن شأن المحسن إتمام إحسانه، ومن شأن المسيء الاعتراف بعدوانه. يا من أمهل وما أهمل وستر حتى كأنه غفر. إنك الغني وأنا الفقير، وإنك العزيز وأنا الحقير. اللهم انظر إلينا نظر الرضا، ونحنا من ديوان أهل الجفا، وأثبتنا في ديوان أهل الصفا، وارزقنا ما عهدناك أحسن الوفا، إلهي لك بهاء الجلال عن الانفراد وحدانيتك، ولك سلطان العز في ديوان ربوبيتك. بعدت على قربك أوهام الباحثين عن بلوغ صفتك، وتحيرت ألباب العارفين في جلالك وعظمتك. إلهي أطمعنا في عفوك وكرمك وألهمنا شكر نعمتك وأتِ بنا إلى بابك ورغبنا فيما أعددته لأحبابك، هل ذلك كله إلاّ منة دللتنا عليك وجئت بنا إليك. إليك جئنا وأنت جئت بنا. إلهي عودتني كريم آلائك وأطمعتني كثرة أفضالك في جميل إقبالك. إلهي كم سألتك فأعطيتني فوق مناي، وكم رجوتك فحققت حسن رجائي. اللهم جللنا بسترك واعف عنا بكرمك وعاملنا بلطفك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

اللهم يا حسيب المحتسبين، ويا سرور العابدين، ويا قرة عين العارفين، ويا أنيس المنفردين، ويا حرز اللاجئين، ويا ظهر المنقطعين، ويا من حنت إليه قلوب الصديقين اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين.

اللهم إن ذنوبنا وإن كانت فظيعة فإنا لم نرد بها القطيعة.

اللهم إنا لم نبرح عن بابك فلا تعذبنا بأليم حجابك. نحن إن لم نكن كما أمرتنا فأنت ذو غنى عنا ونحن المساكين، فلمن تكلنا إلى من نلتجيء إن صرفتنا إلى أين نذهب إن طردتنا إلى أين نذهب إن رددتنا، بمن نتوسل إن حجبتنا من يقبل علينا إن أعرضت عنا.

اللهم إنا نعبدك طوعاً ونعصيك كرهاً نخافك لأنك عظيم ونرجوك لأنك كريم نرجوك لأنك كريم، نرجوك لأنك إله ونخافك لأنا عبيد، فلك حبنا ولك خوفنا فارحمنا لكرم الربوبية أو لضعف العبودية.

إلهي كيف ترد عنا الذنوب عن سؤالك وعن الفقر إلى نوالك ها نحن أنخنا ببابك فتعطف علينا مع أحبابك، رضينا أن نكون لك عبيداً وكفانا شرفاً أن تكون لنا رباً.

إلهي أنت لنا كما تحب. إلهي كل فرح بغيرك زائل، وكل شغل بسواك باطل. السرور بك السرور والسرور بغيرك هو الغرور. إلهي جد علينا بكرمك، واغفر لأحيائنا ولأمواتنا ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات، يا من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

تنبيه:

تقدم سابقاً قوله: «خير الدعاء يوم عرفة وأفضل الدعاء يوم عرفة لا إله إلا الله» الخ. قال المحب الطبري: إنما سمي هذا الذكر دعاء لثلاثة أوجه.

أحدها: ما تضمنه حديث سالم بن عبد الله بن عمر الذي فيه قصة بكير بن عتيك، وجهه أنه لما كان الثناء يحصل أفضل ما يحصل الدعاء أطلق عليه لفظ الدعاء لحصول مقصوده. وروي عن الحسين بن الحسن المروزي قال: سألت سفيان بن عيينة عن أفضل الدعاء فقال: أما تعرف حديث مالك بن الحرث هو تفسيره، فقلت: حدثنيه أنت فقال: حدثنا منصور عن مالك بن الحرث قال: يقول الله عز وجل: إذا شغل عبدي ثناؤه علي عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين. قال: وهذا تفسير قول النبي ﷺ، ثم قال سفيان: أما علمت ما قال أمية بن أبي الصلت حين أتى عبدالله بن جدعان يطلب نائله؟ فقلت: لا فقال: قال أمية:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوماً ... كفاه من تعرضه الثناء

ثم قال يا حسين: هذا مخلوق يكفى بالثناء عليه دون مسألة، فكيف بالخالق؟

الوجه الثاني: معناه أفضل ما يستفتح الدعاء على حذف المضاف، ويدل عليه الحديث الآخر فإنه قال: «أفضل الدعاء أن أقول لا إله إلا الله» الخ.

الثالث: معناه أفضل ما يتبدل به عن الدعاء يوم عرفة لا إله إلا الله الخ، والأول أوجه اهـ.

قلت: أخرج البيهقي عن أبي علي الروذباري، أخبرنا الحسين بن الحسن الفسوي، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا الحسين بن الحسن المروزي كان جاور بمكة حتى مات قال: سألت سفيان ابن عيينه عن تفسير هذا الحديث: «كان أكثر دعاء النبي ﷺ لا إله إلا الله» وإنما هي ذكر. فقال: أما سمعت حديث منصور عن مالك بن الحرث قال، يقول الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل، فإن ذاك تفسيره. أما سمعت ما قال أمية بن أبي الصلت لما أتى ابن جدعان يطلب معروفه؟ قلت: لا قال: لما أتاه قال فساق البيتين المذكورين. قال سفيان: فهذا مخلوق نسب للجود فقيل له كفانا تعرضك بالثناء عليك حتى تأتي على حاجتنا، فكيف بالخالق سبحانه وتعالى.

قال الحافظ في تخريج الأذكار: وقد وقعت لي القصة من وجه آخر بعلو أخبرني أبو العباس أحمد بن الحسن الزيني، أنبأنا أبو العباس أحمد بن علي بن أيوب، أنبأنا أبو الفرج بن عبد المنعم،

الجملة السابعة في بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمي والنحر والحلق والطواف:

فإذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس، فينبغي أن يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل وإيضاع الإبل كما يعتاده بعض الناس. فإن رسول الله ﷺ،

أخبرنا أبو الفرج بن عبد الوهاب عن أبي طاهر حمزة بن أحمد، أنبأنا إلياس بن مضر التميمي، أنبأنا أبو القاسم الروادي أنبأنا أبو تراب محمد بن إسحاق أنبأنا إبراهيم بن عبد الله بن حيدرة، سمعت الحسين بن الحسن يقول: سألت سفيان بن عيينة، فذكر بنحو الأثر المتقدم، وفيه الشعر. لكن ليس فيه الحديث: «من شغله ذكري» وقال فيه: «هذا دعاء» بدل قوله: «ذكر» وقال في آخره: وهذا مخلوق اكتفى بأن نسبه إلى الجود، فكيف بالخالق.

وأخرجه ابن عبد البر في التمهيد من وجه آخر إلى الحسين بن الحسن بتمامه، وزاد فيه: قال الحسين بن الحسن: ما أعدله سألت من علماء العراق عن هذا الحديث فلم يفسره لي أحد كما فسره سفيان بن عيينة.

قال الحافظ: وحديث مالك بن الحرث مقطوع ظاهراً وهذا في حكم المرسل، فإن مالكاً تابعي ثقة، ومثله لا يقال من جهة الرأي.

وقد أخرجه الخطابي في كتاب الأدعية من وجه آخر عن الحسين بن الحسن قال: سألت ابن عيينة فقال: أما بلغك حديث منصور عن مالك بن الحرث؟ فقلت: حدثني عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري عن منصور، وحدثتني أنت عن منصور فذكر الحديث، والله أعلم.

الجملة السابعة:

في ذكر (**بقية أعمال الحج**) التي (**بعد الوقوف**) بعرفة (**من المبيت**) بالمزدلفة (**والرمي والنحر والحلق والطواف**) وما يتعلق بذلك من السنن والآداب والهيئات.

(**فإذا أفاض**) أي دفع هذا هو الأصل ويقال: أفاض من المكان إذا أسرع عنه إلى المكان الآخر، سمي به لأنهم إذا انصرفوا ازدحموا ودفع بعضهم بعضاً (**من عرفة بعد غروب الشمس**) من ليلة العيد، ففي حديث جابر الطويل عند مسلم «فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس» وعند أبي داود والترمذي وابن ماجه من حديث علي: «ثم أفاض حين غربت الشمس».

(**فينبغي أن يكون**) في سيره (**على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل**) يقال: وجف الفرس وجيفاً وأوجف الفرس إيجافاً إذا أسرع في السير، (**والركاب**) هي الإبل، والإيجاف يستعمل في كل منهما قال تعالى: ﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ [الحشر: ٦] (**كما يعتاده الناس، فإن رسول الله ﷺ نهى عن وجيف الخيل وإيضاع الإبل**) وهو سير

نهى عن وجيف الخيل وإيضاع الإبل وقال: « اتقوا الله وسيروا سيراً جميلاً لا تطأوا ضعيفاً ولا تؤذوا مسلماً » فإذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لأن المزدلفة من الحرم فليدخله

مثل الخبب، وقيل هو حمل الركاب على السير، واختاره البغوي قال: ومنه قوله تعالى: ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ [التوبة: ٤٧] **(وقال: « اتقوا الله وسيروا سيراً جميلاً لا تطأوا ضعيفاً ولا تؤذوا مسلماً »).**

قال العراقي: رواه النسائي والحاكم وصححه من حديث أسامة بن زيد: « عليكم بالسكينة والوقار فإن البر ليس في إيضاع الإبل ». وقال الحاكم: « ليس في إيضاع الإبل »، وقال الحاكم: « ليس البر في إيجاف الخيل والإبل » وللبخاري من حديث ابن عباس: « فإن البر ليس بالإيضاع » اهـ.

قلت: وردت في صفة سيره ﷺ أحاديث. منها عند البخاري ومسلم عن أسامة أنه سئل عن رسول الله ﷺ حين أفاض من عرفة قال: « كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص » وقد رواه بعض رواة الموطأ فرجة بالراء وهي بمعناها وفي هذا دلالة على أن السكينة المأمور بها في الحديث بعده إنما هي من أجل الرفق بالناس، « فإن لم يكن زحام سار كيف شاء ».

وأما حديث ابن عباس فاخرجاه بلفظ: « إن النبي ﷺ دفع فسمع من ورائه زجراً شديداً وضرباً للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال: « أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاع ».

وعند أبي داود: « فإن البر ليس بالإيجاف » وفيه دليل على استحباب الرفق في الدفع بالإبل وإبقاء عليهم لئلا يجحفوا بأنفسهم، وقوله: « عليكم بالسكينة » قيل إنما قال ذلك في ذلك الوقت الذي لم يجد فجوة.

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن عمر أنه قال: سرت مع عمر حين أفاض فما كان يزيد على العنق. قال: وسمعته يقول: لا تزيدوا على العنق، وروي عنه أنه كان يوضع وينشد:

إليك تعدو قلقاً وضينها   مخالفاً دين النصارى دينها

وأخرج عن ابن الزبير أنه كان يوضع أشد الايضاع أخذ ذلك عن عمر، وهكذا أخرجه الهروي، والزمخشري عن عمر.

وأخرجه الطبراني في المعجم عن سالم عن أبيه: « أن رسول الله أفاض من عرفات وهو يقول: إليك تعدو قلقاً وضينها ».

وأخرج أبو داود عن علي رضي الله عنه: « أن النبي ﷺ جعل يعنق على ناقة والناس يضربون الإبل يميناً وشمالاً ولا يلتفت إليهم ويقول: السكينة أيها الناس ». وأخرجه الترمذي أتم منه وقال: حسن صحيح. قال بعضهم: رواية من روى يلتفت إليهم بإسقاط لا أصح فإنه كان ينظر إليهم وهم يضربون الإبل يشير إليهم يميناً وشمالاً السكينة السكينة.

بغسل. وإن قدر على دخوله ماشياً فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم، ويكون في الطريق رافعاً صوته بالتلبية، فإذا بلغ المزدلفة قال: « اللهم إن هذه مزدلفة جمعت فيها

(فإذا بلغ المزدلفة) علم على البقعة لا يدخلها ألف ولام إلا لمحاً للصفة في الأصل كدخولها في الحسن والعباس. سميت بها لازدلافها أي اقترابها من عرفات، وازدلف الشيء جمعه. وقال في المغرب: ازدلف إليه اقترب، ومنه الموضع الذي ازدلف فيه آدم إلى حواء، ولذا سمي جمعاً. وفي المصباح يقال للمزدلفة جمع لأن الناس يجتمعون فيها أو لأن آدم اجتمع هناك بحواء، وأصله مزتلفة فأبدل من التاء دال لقرب المخرج.

(فليغتسل) إن أمكنه **(فإن المزدلفة من الحرم فليدخلها بغسل)** وقد تقدم ذكر هذا الغسل في الأغسال المسنونة قريباً، **(ويكون في الطريق رافعاً صوته بالتلبية)**.

أخرج سعيد بن منصور عن الأسود قال: أفاض عمر عشية عرفة على جمل أحمر وهو يلبي: « لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك ».

وفي الصحيحين عن ابن عباس عن أسامة والفضل: « إن النبي ﷺ لم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة » وأخرجه أبو ذر الهروي من حديث ابن مسعود نحوه.

وأخرج أبو داود عن أشعث بن سليم عن أبيه قال: أقبلت مع ابن عمر من عرفات إلى المزدلفة فلم يكن يفتر من التكبير والتهليل حتى أتينا المزدلفة.

وأخرج الأزرقي عن أسامة: « أن النبي ﷺ لم يزل يلبي حتى دخل جمعاً ».

تنبيه:

روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد قال: « دفع رسول الله ﷺ من عرفة حتى إذا كان بالشعب نزل فبال » وقال مسلم: « فأناخ ناقته » قال: وما قال: إهراق الماء، ثم دعا بالوضوء. وفي رواية عنده فلما جاء بالشعب أناخ راحلته ثم ذهب إلى الغائط قالا: ثم توضأ ولم يسبغ الوضوء قال له الصلاة. قال الصلاة أمامك، فركب فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ وأسبغ الوضوء الحديث.

والشعب قال البخاري: الأثر الذي دون المزدلفة، وكذلك ابن حزم، وقال الملا على يسرة الطريق بين المأزمين، ويقال له شعب الأذخر، وقال أبو داود: الشعب الذي ينيخ الناس فيه للتعريس، والمأزم المضيق بين الجبال حيث يلتقي بعضها ببعض.

وأخرج أبو ذر الهروي عن ابن عمر أنه حين أفاض انتهى إلى المضيق دون المأزمين فأناخ وقضى حاجته، ثم ذكر: « ان النبي ﷺ لما انتهى إلى هذا المكان أناخ وقضى حاجته ».

قال المحب الطبري: ونزوله ﷺ في الشعب إنما كان نزول حاجة، وليس هو من الشك في شيء.

ألسنة مختلفة تسألك حوائج مؤتنفة فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته » ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء قاصراً لها بأذان وإقامتين ليس بينهما نافلة، ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين، ويبدأ بنافلة

وعن عطاء: « أن النبي ﷺ لما جاء الشعب الذي يصلي فيه الخلفاء اليوم المغرب يعني خلفاء بني مروان نزل فأهراق الماء ثم توضأ ثم انطلق ثم جاء جمعاً » الحديث. وعنه أنه كان إذا ذكر الشعب يقول: اتخذه رسول الله ﷺ مبالاً واتخذتموه مصلى يعني خلفاء بني مروان، وكانوا يصلون به المغرب. أخرجها أبو الوليد الأزرقي وقال: سألت جدي عن الشعب الذي نزل فيه رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة حين أفاض من عرفة قال: هو الشعب الكبير الذي من جاز من عرفة عن يسار المقبل من عرفة إلى مزدلفة في أقصى المأزم مما يلي نمرة، وفي هذا الشعب صخرة كبيرة وهي الصخرة التي لم يزل من أدركت من أهل العلم يزعم أن النبي ﷺ بال خلفها واستتر بها، ثم لم يزل أئمة الحج يدخل هذا الشعب فيبول فيه ويتوضأ إلى اليوم.

وقال أبو محمد: أحسب أن جد أبي الوليد وهم وذلك أن أبا يحي بن ميسرة أخبرني أنه الشعب الذي في بطن المأزم عن يمينك وأنت مقبل في عرفة بين الجبلين إذا أفضت من مضيق المأزمين وهو أقرب وأوصل بالطريق لأن الشعب الذي ذكره جد أبي الوليد أقرب إلى الصحة لأن البخاري نص على أنه عن يسرة الطريق، والظاهر أنه يريد لمن أفاض لا لمن قصد عرفة لأنهم كانوا مفيضين، وقد جاء ما يضاد الحديث قبله، وهو ما أخرجه أحمد، وأبو داود، وأبو ذر الهروي عن الشريد بن سويد الثقفي أنه قال: أفضت مع رسول الله ﷺ فما مست قدماه الأرض حتى أتى جمعاً.

قال المحب الطبري: ما رواه أسامة أثبت فإنه كان ردف النبي ﷺ وأخبر الشريد عما عمله ولم يبلغه ذلك.

(فإذا بلغ المزدلفة قال: « اللهم إن هذه مزدلفة جمعت فيها ألسنة مختلفة تسألك حوائج مؤتنفة) أي مستأنفة مبتدأة **(فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته » ثم يجمع بين المغرب والعشاء قاصراً لها بأذان وإقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين، ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين)** .

أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر قال: « جمع رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء بجمع ليس بينهما سجدة وصلى المغرب ثلاثاً وصلى العشاء ركعتين » وقوله: « ليس بينهما سجدة » أي صلاة نافلة، وقد جاءت السجدة بمعنى الركعة.

وعن أبي أيوب « أن النبي ﷺ جمع في حجة الوداع المغرب والعشاء بالمزدلفة ». قال المحب الطبري: وهذا الجمع سنة بإجماع من العلماء، وإن اختلفوا فيما لو صلى كل صلاة في وقتها، فعند

....

أكثر العلماء يجوز. وقال الثوري وأصحاب الرأي: إن صلى المغرب دون مزدلفة فعليه الإعادة، وجوزوا في الظهر والعصر أن يصلي كل واحدة في وقتها مع كراهية هـ.

وقال الرافعي: ولو انفرد بعضهم في الجمع بعرفة أو بمزدلفة أو صلى إحدى الصلاتين مع الإمام والأخرى وحده جاز، ويجوز أن يصلي المغرب بعرفة أو في الطريق، وقال أبو حنيفة لا يجوز ويجب الجمع بمزدلفة اهـ.

قلت: وعبارة أصحابنا: وأعاد مغرباً أداه في الطريق، أو عرفات ما لم يطلع الفجر، هذا قول أبي حنيفة ومحمد. وقال أبو يوسف: يجزئه وقد أساء، وعلى هذا الخلاف إذا صلى بعرفات لأبي يوسف أنه أداها في وقتها فلا تجب إعادتها كما بعد طلوع الفجر إلا أن التأخير من السنة فيصير مسيئاً بتركه، ولهما ما مر من حديث أسامة الصلاة أمامك معناه وقت الصلاة، وبه يفهم وجوب التأخير، وإنما وجب ليمكنه الجمع بين الصلاتين بالمزدلفة، فكان عليه الإعادة ما لم يطلع الفجر ليصير جامعاً بينهما، وإذا طلع الفجر لا يمكنه الجمع فتسقط الإعادة، وقيل في قوله: الصلاة أمامك معناه مكان الصلاة أمامك فيكون من ذكر الحال وإرادة المحل لحديث المصلى أمامك، وقولهم: إنه يفيد وجوب التأخير أي لأنه لو لم يكن كذلك لكان معناه القضاء بعد خروج الوقت وتفويت الصلاة عن وقتها لا يجوز لغيره فضلاً عنه ﷺ، فيجب النظر في سببه، فهو إما أن يكون إيصال السير، أو إمكان الجمع بين الصلاتين لا سبيل إلى الأول، لأن ميله ﷺ إلى الشعب وقضاء حاجته يأباه فتعين الثاني، فمهما كان ممكناً لا يصار إلى غيره والإمكان ما لم يطلع الفجر فتجب الإعادة ما لم يطلع، وأما إذا طلع فقد فات الإمكان فسقطت الإعادة، وإنما قلنا: إن لم يخف طلوع الفجر لأنه إن خاف طلوعه جاز أن يصليها في الطريق، لأنه لو لم يصلها لصارتا قضاء، ولو قدم العشاء على المغرب بمزدلفة يصلي المغرب ثم يعيد العشاء، فإن لم يعد العشاء حتى انفجر الصبح أعاد العشاء إلى الجواز، وهذا كما قال أبو حنيفة فيمن ترك صلاة الظهر ثم صلى بعدها خمساً وهو ذاكر للمتروكة لم يجز، فإن صلى السادسة آل إلى الجواز.

وأورد على قولهما من جانب أبي يوسف إشكال وهو أن ما صلاه في الطريق أو في عرفات من المغرب أو العشاء إن وقعت صحيحة فلا تعاد أصلاً، وإن وقعت فاسدة تعاد مطلقاً فما وجه تقييد البطلان بالإعادة قبل طلوع الفجر والصحة بعدم الإعادة قبله؟ أجيب: بأن الحكم بالصحة والبطلان موقوف على إعادتها بمزدلفة قبل طلوع الفجر، فإن أعادها فيه قبله بطلت وإلى النفل انقلبت، وإن لم يعدها حتى طلع الفجر صحت لأن علة البطلان وهي إمكان الجمع فقدت.

والتحقيق في الجواب أنهما لم يقولا بالإعادة مطلقاً لئلا يلزم تقديم الظني على القطعي، وهو ممتنع. وتوضيحه أن الدليل الظني هو حديث أسامة يفيد تأخير المغرب إلى وقت العشاء ليتوصل به إلى الجمع بمزدلفة، فعملنا بمقتضاه ما لم يلزم تقديمه على القطعي وهو الدليل الموجب للمحافظة على الوقت، فقبل الطلوع لم يلزم تقديمه على القطعي، وبعده يلزم. وذلك لأن بعده انتفى تدارك هذا

....

الواجب وتقرر الإثم، فلو وجبت الإعادة بعده كان معنا عدم الجواز مع الصحة فيما هو مؤقت قطعاً، وفيه التقديم الممتنع. وقد يقال بوجوب الإعادة مطلقاً لأنه أداها قبل وقتها الثابت بالحديث فتعليله بالجمع، فإذا فات سقطت الإعادة تخصيص للنص بالمعنى المستنبط منه، ومرجعه إلى تقديم المعنى على النص، وكلمتهم متفقة على أن العبرة في المنصوص عليه بعين النص لمعنى النص والله أعلم.

وقول المصنف: بأذان وإقامتين هو الذي جاء في حديث جابر الطويل عند مسلم: «أن النبي ﷺ صلى بالمزدلفة المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما شيئاً». وهو قول أحمد، وأصح قولي الشافعي وغيرهما من العلماء، وبه قال زفر من أصحابنا، واختاره الطحاوي، واستدلوا بما تقدم من حديث جابر بحديث أسامة في الصحيحين وفيه: «فلما جاء المزدلفة نزل فتوضأ ثم أقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم أناخ كل إنسان بعيره في منزله، ثم أقيمت الصلاة فصلى العشاء ولم يصل بينهما شيئاً».

وقال أبو حنيفة بأذان واحد وإقامة واحدة لما أخرج أبو داود عن أشعث بن أبي الشعثاء عن أبيه قال: أقبلت مع ابن عمر من عرفات إلى المزدلفة فأذن وأقام وأمر إنساناً فأذن وأقام فصلى بنا المغرب ثلاث ركعات، ثم التفت إلينا فقال: الصلاة، فصلى بنا العشاء ركعتين ثم دعا بعشائه، فقيل له في ذلك. فقال: صليت مع النبي ﷺ هكذا. وأبو الشعثاء اسمه سليم بن أسود.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن راهويه، والطبراني عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: «صلى رسول الله ﷺ بالمزدلفة المغرب والعشاء بإقامة».

وأخرج الطبراني من وجه آخر عنه: «أن النبي ﷺ جمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة بأذان واحد وإقامة واحدة».

وفي صحيح مسلم عن سعيد بن جبير أفضنا مع ابن عمر فلما بلغنا جمعاً صلى بنا المغرب ثلاثاً والعشاء ركعتين بإقامة واحدة، فلما انصرف قال ابن عمر هكذا صلى بنا رسول الله ﷺ في هذا المكان.

وأخرج أبو الشيخ، عن الحسين بن حفص، حدثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس «أن النبي ﷺ صلى المغرب والعشاء بجمع بإقامة واحدة».

قال ابن الهمام: فقد علمت ما في هذا من التعارض، فإن لم يرجح ما اتفق عليه الصحيحان على ما انفرد به مسلم وأبو داود حتى تساقطا كان الرجوع إلى الأصل يوجب تعدد الإقامة بتعدد الصلاة كما في قضاء الفوائت، بل أولى لأن الصلاة الثانية هنا وقتية، فإذا أقيم للأولى المتأخرة عن وقتها المعهود كانت الحاضرة أولى أن يقام لها بعدها والله أعلم.

وقال مالك: بأذانين وإقامتين واحتج بفعل ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه أحمد،

....

والبخاري، وابن أبي شيبة ولفظ الأخير: « فلما أتى جمعاً أذن وأقام فصلى المغرب ثلاثا ثم تعشى ثم أذن وأقام فصلى العشاء ركعتين ».

وعند البخاري عن ابن عمر: « أنه جمع بين الصلاتين بالمزدلفة فصلى الصلاتين كل صلاة وحدها بأذان وإقامة والعشاء بينهما » وفي رواية: « أنه لما صلى المغرب صلى بعدها ركعتين ثم دعا بعشاء ثم أذن بالعشاء وأقام فصلاها ».

ومنهم من قال: يجمع بينهما بإقامتين دون أذان، واحتجوا بما رواه البخاري، عن ابن عمر: « أن رسول الله ﷺ صلى المغرب والعشاء بجمع كل واحدة بإقامة ولم يسبح بينهما ولا على أثر كل واحدة منهما ».

وأخرجه أبو داود وقال: ولم يناد في الأولى ولم يسبح على أثر واحدة منهما. وفي رواية عنه أيضاً: ولم يناد في واحدة منهما.

وحكى البغوي والمنذري: أن هذا قول الشافعي، وإسحاق بن راهويه، وحكى غيرهما أن أصح قوليه ما تقدم.

ومنهم من قال بإقامة واحدة دون أذان ودليلهم ما رواه الشيخان، والنسائي عن ابن عمر « أنه صلى بجمع المغرب والعشاء بإقامة واحدة ثم انصرف » فقال: هكذا صلى بنا رسول الله ﷺ في هذا المكان. زاد النسائي « ولم يسبح بينهما ولا على أثر واحدة منهما ».

وأخرجه أبو داود وزاد بعد قوله: « بإقامة واحدة ثلاثاً وإثنين ».

وروى الجمع بإقامة واحدة عبد الله بن مالك عن ابن عمر عن النبي ﷺ ورواه سعيد بن جبير عن ابن عمر عن النبي ﷺ أخرجها أبو داود، وبه قال سفيان الثوري وقال: أيها فعلت اجزأك.

قال المحب الطبري وهذه الأحاديث المختلفة في هذا الباب توهم التضاد والتهافت، وقد تعلق كل من قال بقول منها بظاهر ما تضمنه ويمكن الجمع بين أكثرها.

فنقول: قوله بإقامة واحدة أي لكل صلاة أو على صفة واحدة لكل منها، ويتأيد برواية من صرح بإقامتين، ثم نقول: المراد بقول من قال كل واحدة بإقامة أي: ومع إحداهما أذان تدل عليه رواية من صرح بأذان وإقامتين.

وأما قول ابن عمر لما فرغ من المغرب قال: الصلاة قد يوهم الاكتفاء بذلك دون إقامة، ويتأيد برواية من روى أنه صلاهما بإقامة واحدة فنقول: يحتمل/أنه قال الصلاة تنبيهاً لهم عليها لئلا يشتغلوا عنها بأمر آخر، ثم أقام بعد ذلك أو أمر بالإقامة، وليس في الحديث أنه اقتصر على قوله الصلاة ولم يقم.

وأما حديث البخاري أنه صلى كل واحدة منهما بأذان وإقامة والعشاء بينهما فهو مضاد

المغرب ثم بنافلة العشاء كما في الفريضتين. فإن ترك النوافل في السفر خسران ظاهر. وتكليف إيقاعها في الأوقات إضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرائض، فإذا جاز أن يؤدي النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فبأن يجوز أداؤها على حكم الجمع بالتبعية أولى. ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض في جواز أدائه على الراحلة لما أومأنا إليه من التبعية والحاجة. ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك، ومن

للأحاديث كلها، ويحمل ذلك على أنه فعل ذلك مرة أخرى غير تلك المرة، ويستدل به على عدم وجوب الموالاة، ويؤيده حديث: ثم أناخ كل واحد بعيره كما تقدم.

ومنهم من قال بجمع بينهما بغير أذان ولا إقامة رواه علي بن عبد العزيز البغوي، عن طلق بن حبيب، عن ابن عمر، وأخرجه عنه ابن حزم في صفة حجة الوداع الكبرى، وعن نافع قال: لم أحفظ عن ابن عمر أذاناً ولا إقامة بجمع، وهذا قال به بعض السلف، وهو محمول على ما تقدم من التأويل بين الأحاديث.

ونقول: العمدة من هذه الأحاديث كلها حديث جابر دون سائر الأحاديث لأن من روى أنه جمع بإقامة معه زيادة علم على من روى الجمع دون أذان ولا إقامة، وزيادة الثقة مقبولة. ومن روى بإقامتين فقد أثبت ما لم يثبته من روى بإقامة فقضى به عليه، ومن روى بأذان وإقامتين وهو حديث جابر وهو أتم الأحاديث، فقد أثبت ما لم يثبته من تقدم ذكره فوجب الأخذ به والوقوف عنده، ولو صح حديث مسند عن رسول الله ﷺ بمثل حديث ابن عمر وابن مسعود الذي أخذ به مالك من أذانين وإقامتين لوجب المصير إليه لما فيه من إثبات الزيادة، ولكن لا سبيل إلى التقدم بين يدي الله ورسوله، ولا إلى الزيادة على ما صح عنه ﷺ، والله أعلم.

(**وهكذا فعل الجامع**) بين الصلاتين (**في السفر**) أي الابتداء بنافلة الأولى ثم بالثانية، (**فإن ترك النافلة في السفر خسران ظاهر، وتكليف إيقاعها في الأوقات إضرار وقطع التبعية بينها وبين الفرائض، وإذا جاز أن تؤدى النوافل مع الفرائض بتيمم واحد**) كما سبق في اسرار الطهارة (**فبأن يجوز أداؤها على حكم الجمع بالتبعية أولى، ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض في جواز أدائه على الراحلة لما أومأنا إليه من التبعية والحاجة**).

قال الرافعي: « وذكر الشافعي أنهم لا يتنفلون بين الصلاتين إذا جمعوا ولا على أثرهما » إما بينهما فلمراعاة الموالاة، وأما على أثرهما فقد قال القاضي ابن كج في الشرح: لا يتنفل الإمام لأنه متبوع، فلو اشتغل بالنوافل لاقتدى به الناس وانقطعوا عن المناسك، وأما المأموم ففيه وجهان. أحدهما: لا يتنفل أيضاً كالإمام، والثاني أن الأمر واسع له لأنه ليس بمتبوع، وهذا في النوافل المطلقة دون الرواتب والله أعلم.

(**ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك، ومن خرج منها في النصف الأول من**

خرج منها في النصف الأول من الليل ولم يبت فعليه دم، وإحياء هذه الليلة الشريفة من

الليل ولم يبت فعليه دم). اعلم أن مبيت أربع ليال نسك في الحج ليلة النحر بمزدلفة، والثاني أيام التشريق بمنى، لكن مبيت الليلة الثالثة منها ليس بنسك على الإطلاق، بل في حق من لم ينفر اليوم الثاني من أيام التشريق على ما سيأتي، وفي الحد المعتبر للمبيت قولان حكاهما الإمام عن نقل شيخه وصاحب التقريب. أظهرهما أن المعتبر كونه بمعظم المبيت في معظم الليل، والثاني الاعتبار بحال طلوع الفجر. قال النووي: المذهب ما نص عليه الشافعي في الأم وغيره أن الواجب في مبيت المزدلفة ساعة في النصف الثاني من الليل والله أعلم.

وقال في موضع آخر: لو لم يحضر مزدلفة في النصف الأول وحضرها ساعة في النصف الثاني حصل المبيت. نص عليه في الإملاء، والقديم يحصل بساعة من نصف الليل وطلوع الشمس، وفي قول يشترط معظم الليل، والأظهر وجوب الدم في ترك المبيت والله أعلم اهـ.

قال الإمام: وطرد القولين المذكورين على هذا النسق في ليلة مزدلفة محال لأنا جوزنا الخروج منها بانتصاف الليل، ولا ينتهون إليها إلا بعد غيبوبة الشفق غالباً، ومن انتهى إليها والحالة هذه وخرج بعد انتصاف الليل لم يكن بها حال طلوع الفجر، ولا في معظم الليل فلا يتجه فيها إذ الآعتبار حالة الانتصاف، ثم هذا النسك مجبور بالدم، وهل هو واجب أو مستحب؟ أما في ليلة مزدلفة فقد مر وأما في غيرها ففيه قولان أحدهما: أنه واجب، والثاني أنه مستحب، لأنه غير لازم على المعذور، ولو وجب الدم لما سقط بالعذر كالحلق واللبس، وكلام الأكثرين يميل إلى ترجيح الإيجاب ولا دم على من ترك المبيت بعذر، وهم أصناف: منهم رعاة الإبل، ومنهم سقاة الناس، ولا تختص السقاية بالعباسية لأن المعنى يعمهم وغيرهم. وعن مالك، وأبي حنيفة: أنها تختص بأولاد العباس وهو وجه لأصحاب الشافعي، ولو استحدث سقاية للحج فللمقيم بشأنها ترك المبيت أيضاً، ومن المعذورين الذين ينتهون إلى عرفة ليلة النحر ويشغلهم الوقوف عن المبيت بمزدلفة فلا شيء عليهم، وإنما يؤمر بالمبيت المتفرغون له، ومن المعذورين من له مال يخاف ضياعه لو اشتغل بالمبيت، أو مريض يحتاج إلى تعهده، أو كان يطلب عبداً أبق أو يشتغل بأمر آخر يخاف فوته ففي هؤلاء وجهان: أصحهما ويحكى عن نصه أنه لا شيء عليهم بترك المبيت كالرعاة والسقاة.

قلت: وقال أصحابنا: المبيت بها سنة لا شيء عليه في تركه، ولا تشترط النية للوقوف كوقوف عرفة، ولو مر بها قبل طلوع الفجر من غير أن يبيت بها جاز ولا شيء عليه لحصول الوقوف في ضمن المرور كما في عرفة، ولو وقف بعد ما أفاض الإمام قبل الشمس أجزاه ولا شيء عليه كما لو وقف بعدما افاض الإمام ولو دفع قبل الناس أو قبل أن يصلي [1]. لا شيء عليه إلا أنه خالف السنة إذ السنه حد الوقوف إلى الاسفار والصلاة مع الإمام، والله أعلم.

(وإحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر على ذلك) وتقدم في آخر

(١) بياض في الأصل

محاسن القربات لمن يقدر عليه، ثم إذا انتصف الليل يأخذ في التأهب للرحيل ويتزوّد الحصى منها ـ ففيها أحجار رخوة ـ فليأخذ سبعين حصاة فإنها قدر الحاجة، ولا بأس

كتاب أسرار الصلاة حديث: «من أحيا ليلتي العيدين وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

وفي مثير العزم لابن الجوزي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى ليلة النحر ركعتين يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب خمس عشرة مرة، وقل أعوذ برب الفلق خمس عشرة مرة، وقل أعوذ برب الناس خمس عشرة مرة فإذا سلم قرأ آية الكرسي ثلاث مرات واستغفر الله خمس عشرة مرة جعل الله إسمه في أصحاب الجنة وغفر له ذنوب السر وذنوب العلانية وكتب له بكل آية قرأها حجة وعمرة وكأنما أعتق ستين رقبة من ولد إسماعيل، وإن مات فيما بينه وبين الجمعة الأخرى مات شهيداً».

وقال الفريابي: كنت بالمزدلفة أحيي الليل فإذا امرأة تصلي إلى الصباح ومعها شيخ فسمعته يقول: اللهم إنا قد جئناك من حيث تعلم وحججنا كما أمرتنا ووقفنا كما دللتنا، وقد رأينا أهل الدنيا إذا شاب المملوك في خدمتهم تذمموا أن يبيعوه، وقد شبنا في خدمتك فاعتقنا.

(ثم مهما انتصف الليل) ومضى أول جزء بعده على المعتمد في المذهب كما تقدمت الإشارة إليه، **(فليأخذ للتأهب للرحيل وليتزوّد الحصى)** الصغار **(منها ففيها حجارة رخوة)** اعلم أنهم اختلفوا من أين يلتقط الحصى، فالذي نص عليه الأصحاب أنه يلتقط من المزدلفة، وهكذارواه أبو حفص الملاّ في سيرته عن أبان بن صالح.

وفي الصحيحين من حديث الفضل بن عباس أن رسول الله ﷺ قال غداة جمع حين دفعوا «عليكم بالسكينة وهو كاف ناقته حتى دخل محسراً وهو في منى قال عليكم بحصى الخذف الذي يرمى به الجمرة» وأخرجه النسائي وزاد: «والنبي ﷺ يشير بيده كما يخذف الإنسان» وبوب عليه من أين يلتقط الحصى، وذكر ابن حزم «أن النبي ﷺ رمى بحصيات التقطها له عبد الله بن عباس من موقفه الذي رمى فيه مثل حصى الخذف» ولا تضاد بينه وبين ما تقدم فإنه لم يقل في الحديث: أنه التقط وإنما أمر بالالتقاط، فيحتمل أنه لم ير تكليف الالتقاط لنفسه في ذلك الموضع لاشتغال الناس فيه بالسعي، وإن تكلفوا ذلك في حق أنفسهم، ويجوز أن يكون التقط له ثم سقط منه، وأن الأمر به من وادي محسر لمن لم يأخذ من المزدلفة، أو يكون الراوي نسب محسراً إلى مزدلفة لأنه حدّ لها كما سيأتي، فأضاف الأخذ إليها وهو منه، وإنما يستحب أخذ حصى رمي جمرة العقبة لا غير ليكون غير معرج على شيء غير الرمي عند وصوله إلى منى.

وأما الالتقاط من حصى الجمرة الذي قد رمى به فهو مكروه، والتقاط ابن عباس في الحديث المتقدم لم يكن من المرمى نفسه، بل كان من مكان الوقوف وهو بطن الوادي على ما دل عليه حديث جابر وغيره. وقال أصحابنا: ويأخذ الحصى من أي موضع شاء إلا من عند الجمرة فإنه

بأن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها، ولتكن الحصى خفافاً بحيث يحتوي عليه

يكره، وهذا يتضمن خلاف ما قيل انه يلتقطها من الجبل الذي على الطريق من مزدلفة. قال بعضهم: جرى التوارث بذلك وما قيل يأخذها من المزدلفة، وما قيل يأخذها من المزدلفة سبعاً ومن جمرة العقبة في اليوم الأول فقط فأفاد أنه لا سنّة في ذلك توجب خلافها الإساءة. وعن ابن (١) انه كان يأخذها من جمع بخلاف موضع الرمي لأن السلف كرهوه لأنه المردود، ومع هذا لو فعل بأن أخذها من موضع الرمي أجزأه مع الكراهة وما هي إلا كراهة تنزيه، والله أعلم.

(فليأخذ سبعين حصاة فإنها قدر الحاجة) هكذا اختاره بعض أصحاب الشافعي أن يلتقط من المزدلفة حصى جمار أيام التشريق وهي ثلاث وستون حصاة، فتكون الجملة سبعين حصاة كذا في المفتاح. **(ولا بأس أن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضه)** أي لا بأس أن يزيد احتياطاً لأنه ربما سقط منه شيء. قال أصحابنا: ويكره أن يلتقط حجراً واحداً فيكسره سبعين حجراً صغيراً كما يفعله كثير من الناس، ويستحب أن يغسل الحصيات قبل أن يرميها ليتيقن طهارتها، فإنه يقام بها قربة، ولو رمى بمتنجسة بيقين كره وأجزأه.

ثم أشار إلى قدر ما يرمي به من الحصى فقال: **(وليكن الحصى خفافاً بحيث يحوي عليها أطراف البراجم)** أي الأصابع، فقد روى أحمد والنسائي عن ابن عباس قال: قال لي رسول الله ﷺ: « هات القط لي فلقطت له حصيات من حصى الخذف، فلما وضعتهن في يده قال بأمثال هؤلاء إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك الذين من قبلكم الغلو في الدين ».

وأخرج أبو داود والبغوي في شرح السنّة عن سليمان بن عمرو بن الأحوص الأزدي عن أمه قالت: سمعت رسول الله ﷺ وهو في بطن الوادي وهو يقول « يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضاً إذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف ».

قال المحب الطبري: وهذا التقدير محمول على الأولوية، حتى لو رمى بأكبر منه جاز إذا وقع عليه إسم الحجر من مرو أو برام أو فهر، وان كان من زرنيخ أو نحوه لم يجزه. وقال أصحابنا: يجوز الرمي بكل ما كان من اجزاء الأرض كالحجر والطين والنورة والكحل والكبريت والزرنيخ، وظاهر إطلاقهم جواز الرمي بالفيروزج والياقوت، لأنهما من أجزاء الأرض، وفيهما خلاف منعه الأكثرون بناء على أن كون المرمي به استهانة شرط، وأجازه بعضهم بناء على نفي ذلك الاشتراط، وممن ذكر الجواز الفارسي في مناسكه.

والحاصل انه إما ان يلاحظ مجرد الرمي أو مع الاستهانة أو خصوص ما وقع منه ﷺ، والأول يستلزم الجواز بالجواهر، والثاني بالبعرة والخشبة التي لا قيمة لها، والثالث بالحجر، فليكن هذا أولى لكونه أسلم، والأصل في أعمال هذه المواطن إلا ما قام دليل على عدم تعينه كما في الرمي من أسفل الجمرة والله أعلم.

---

(١) هنا بياض بالأصل.

أطراف البراجم. ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ في المسير حتى إذا انتهى إلى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو إلى الاسفار، ويقول: « اللهم بحق المشعر الحرام

(ثم ليغلس بصلاة الصبح) أي يصليها بغلس. قال الرافعي: والتغليس ههنا أشد استحباباً اهـ.

وفي الصحاح والقاموس: الغلس محركة ظلمة آخر الليل، والمراد منه ههنا ما كان بعد طلوع الفجر الثاني. قال ابن الهمام من أصحابنا: الأوفق لما نحن فيه ما نقل عن الديوان انه آخر ظلمة الليل اهـ.

فالمعنى يصلي الفجر بعد طلوع الفجر الثاني قبل زوال الظلام وانتشار الضياء، وأخرج مسلم عن ابن مسعود « وصلى الفجر قبل ميقاتها بغلس » يعني قبل ميقاتها المعتاد، ولفظ البخاري « وصلاها حين طلع الفجر » وقائل يقول: لم يطلع الفجر. وقال صاحب الهداية: ولأن في التغليس دفع حاجة الوقوف، فيجوز كتقديم العصر بعرفة يعني لما جاز تعجيل العصر على وقتها للحاجة إلى الوقوف بعدها، فلأن يجوز التغليس بالفجر وهو في وقتها أولى.

(وليأخذ في السير حتى إذا انتهى إلى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فليقف) على قزح **(ويدعو إلى الاسفار)** وفي حديث جابر الطويل « أن رسول الله ﷺ لما أتى المزدلفة صلى المغرب والعشاء ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام ولم يزل واقفاً حتى أسفر جداً ثم دفع قبل طلوع الشمس ». قال المحب الطبري: وهذا كمال السنة في المبيت بالمزدلفة، وعليه اعتمد من أوجب ذلك، وقال أبو حنيفة: إذا لم يكن بها بعد طلوع الفجر لزمه دم إلا لعذر من ضعف أو غيره، فإن كان بها أجزأه وإن لم يكن قبله، وهو ظاهر ما نقله البغوي عن مالك وأحمد.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث جابر « أنه ﷺ وقف بالمزدلفة وقال وقفت ههنا ومزدلفة كلها موقف ».

وأخرج أبو داود والترمذي عن علي رضي الله عنه « أن النبي ﷺ لما أصبح بجمع أتى قزح فوقف عليه وقال هذا قزح وهو الموقف وجمع كلها موقف » قال الترمذي: حسن صحيح.

وفي حديث جابر الطويل « أنه ﷺ لما صلى الصبح بالمزدلفة ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده ولم يزل واقفاً حتى أسفر جداً ».

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن عمر أنه رأى ناساً يزدحمون على الجبل الذي يقف عليه الإمام فقال: يا أيها الناس لا تشقوا على أنفسكم ألا إن ما ههنا مشعر كله.

وأخرج أبو ذر الهروي، عن ابن عمر قال « المشعر الحرام المزدلفة كلها ».

وقال الرافعي والمشعر من المزدلفة فإن المزدلفة ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر اهـ.

والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام أبلغ روح محمد منّا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام يا ذا الجلال والإكرام »، ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي إلى

قال المحب الطبري قوله تعالى: ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ [البقرة: ١٩٨] قال أكثر المفسرين المشعر الحرام هو المزدلفة، ودل عليه حديث ابن عمر السابق، وحديث علي، وجابر المتقدمان يدلان على أن قزح هو المشعر الحرام وهو المعروف في كتب الفقه، فتعين أن يكون في أحدهما حقيقة، وفي الآخر مجازاً دفعاً للاشتراك إذ المجاز خير منه، فترجح احتماله عند التعارض، فيجوز أن يكون حقيقة في قزح، فيجوز إطلاقه على الكل لتضمنه إياه وهو أظهر الاحتمالين في الآية، فإن قوله تعالى ﴿عند المشعر الحرام﴾ يقتضي أن يكون الوقوف في غيره، وتكون المزدلفة كلها عنده لما كانت كالحريم له، ولو أريد بالمشعر الحرام المزدلفة لقال من المشعر الحرام، ويجوز أن يكون في المزدلفة كلها، وأطلق على قزح وحده تجوّزاً لاشتمالها عليه، وكلاهما وجهان من وجوه المجاز. أعني إطلاق اسم الكل على البعض وبالعكس. وهذا القائل يقول حروف المعاني يقوم بعضها مقام بعض، فقامت « عند » مقام « في ». وفي الحديث والأثر ما يصدق كل واحد من الاحتمالين.

وقزح: كزفر موضع من المزدلفة، وهو موقف قريش في الجاهلية إذ كانت لا تقف بعرفة. وفي الصحاح: قزح إسم جبل بعرفة.

قال المحب الطبري: وقد بني عليه بناء، فمن تمكن من الرقي عليه رقي وإلّا وقف عنده مستقبل القبلة فيدعو ويكبر ويهلل ويوحّد ويكثر من التلبية إلى الاسفار، ولا ينبغي أن يفعل ما تطابق عليه الناس اليوم من النزول بعد الوقوف من درج في وسطه مضيق يزدحم الناس على ذلك، حتى يكاد يهلك بعضهم بعضاً وهو بدعة شنيعة، بل يكون نزوله من حيث رقيه من الدرج الظاهرة الواسعة، وقد ذكر ابن الصلاح في مناسكه أن قزح جبل صغير في آخر المزدلفة، ثم قال بعد ذلك: وقد استبدل الناس بالوقوف على الموضع الذي ذكرناه الوقوف على بناء مستحدث في وسط المزدلفة، ولا تتأدى به هذه السنّة. هذا آخر كلامه. والظاهر أن البناء إنما هو على الجبل ولم أر ما ذكره لغيره والله أعلم.

(وليقل) في دعائه **(« اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام بلغ روح محمد منا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام يا ذا الجلال والإكرام»)**.

وهذا الدعاء أورده الجزولي في دلائله بلفظ « اللهم رب الحل والحرام ورب المشعر الحرام ورب البيت الحرام ورب الركن والمقام أبلغ لسيدنا ومولانا محمد منا السلام » وإنما جره إلى اختيار هذا الدعاء لما فيه من لفظ المشعر الحرام، وإلا فقد قال الطبري: إن المستحب في هذا الموضع أن يدعو بدعاء ابن عمر الذي تقدم ذكره عند ركعتي الطواف وعند السعي.

(ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس) كما دل على ذلك حديث جابر « أن النبي ﷺ دفع قبل

موضع يقال له: « وادي محسر » فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي، وإن كان راجِلاً أسرع في المشي. ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي

طلوع الشمس وأردف الفضل بن عباس » وفي الصحيحين عن عمرو بن ميمون قال: شهدت عمر حين صلى بجمع الصبح فقال: ان المشركين كانوا لا يدفعون حتى تطلع الشمس ويقولون: أشرق ثبير وأن النبي ﷺ خالفهم فدفع قبل طلوع الشمس. وفي رواية « حتى تطلع الشمس على ثبير » ونقل الطبري عن طاوس قال: كان أهل الجاهلية يدفعون من عرفة قبل أن تغيب الشمس، ومن المزدلفة بعد أن تطلع الشمس ويقولون: أشرق ثبير كيما (١) فأخر الله هذه وقدم هذه، قال الشافعي: يعني قدم المزدلفة قبل أن تطلع الشمس وأخرّ عرفة إلى أن تغيب الشمس.

(حتى ينتهي إلى وادي محسر) بالسين المهملة كمحدث، **(فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي وإن كان راجلاً أسرع في المشي)**.

قال الرافعي: فإذا أسفروا ساروا وعليهم السكينة ومن وجد فرجة أسرع فإذا انتهوا إلى وادي محسر فالمستحب للراكبين أن يحركوا دوابهم، وللماشين أن يسرعوا قدر رمية حجر، روي ذلك عن جابر عن النبي ﷺ وقيل: إن النصارى كانت تقف ثم فأمر بمخالفتهم اهـ.

قلت: لفظ حديث جابر « أن النبي ﷺ لما أتى بطن محسر حرك قليلاً » وعند أحمد من حديثه أوضع في وادي محسر.

وأخرج الترمذي وقال حسن صحيح من حديث علي « أن رسول الله ﷺ لما أفاض من جمع وانتهى إلى وادي محسر قرع ناقته فخبت حتى جاوز الوادي فوقفت وأردف الفضل » الحديث.

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن عمر « أنه كان يجهد ناقته إذا مرّ بمحسر » قال المحب الطبري: وما ذكر في حديث علي أنه أردف الفضل بعد مجاوزة وادي محسر، وتقدم من حديث جابر عند مسلم أنه كان ردفه حال الدفع ولا تضاد بينهما. إذ يجوز أن يكون أنزله من أوّل الوادي تخفيفاً عن الراحلة ليكون أسرع لها أو ليلتقط الحصى، لما تقدم أن الحصى يلتقط منه، ثم أردفه لما جاوز الوادي، واختلفوا في محسر فقيل: هو واد بين مزدلفة ومنى، وقيل ما حسب منه في مزدلفة فهو منها، وما حسب منه في منى فهو منها، وصوّبه بعضهم، وقد جاء ومزدلفة كلها موقف إلا بطن محسر، فيكون على هذا قد أطلق بطن محسر، والمراد منه ما خرج من مزدلفة وإطلاق اسم الكل على البعض جائز مجازاً شائعاً، وسمي بذلك لأنه حسر فيه فيل أصحاب الفيل: أي أعيا، وقيل لأنه يحسر سالكيه ويتعبهم وحسرت الناقة أتعبتها.

قال الشافعي في الأم: وتحريكه ﷺ الراحلة فيه، يجوز أن يكون ذلك لسعة الموضع، ويجوز أن يكون فعله لأنه مأوى الشياطين، وقيل: لأنه كان موقفاً للنصارى، فاستحب الإسراع فيه، وأهل مكة يسمون هذا الوادي وادي النار. يقال: إن رجلاً اصطاد فيه فنزلت نار فأحرقته.

---

(١) هنا بياض بالأصل.

وفي قول المصنف: أسرع في المشي فيه وجه في المذهب أن الماشي لا يعدو ولا يرمل نقله الرافعي في بعض الشروح.

وقال أبو جعفر الطحاوي: للمزدلفة ثلاثة أسماء هي، جمع والمشعر الحرام والمأزمان بوادي محسر، وأول محسر من القرن المشرق من الجبل الذي على يسار الذاهب إلى منى، وآخره أول منى وليس وادي محسر من منى ولا من المزدلفة، فالاستثناء في قوله: إلا وادي محسر منقطع، ثم ان ظاهر كلام القدوري والهداية أن كلاً من وادي محسر وعرنة ليسا مكان وقوف، فلو وقف فيهما لا يجزئه سواء قلنا انهما من مزدلفة وعرفة أو لا. وهكذا هو عبارة كلام محمد خلافاً لما في البدائع، فإنه صرح في وادي محسر بالاجزاء مع الكراهة وسكت عن عرنة، وحكمهما واحد وهذا مع مخالفته لكلام الأصحاب غير مشهور، والذي يقتضيه النظر إن لم يكن إجماع على عدم إجزاء الوقوف بهما هو أنهما إن كانا من مسمى عرفة والمشعر الحرام يجزىء الوقوف بهما ويكون مكروهاً لأن القاطع أطلق الوقوف لمسماهما مطلقاً، وخبر الواحد منعه في بعضه فقيده، والزيادة عليه بخبر الواحد لا تجوز، فيثبت الركن بالوقوف في مسماهما مطلقاً، والوجوب في كونه في غير المكانين المستثنيين، وإن لم يكونا من مسماهما لا يجزىء أصلاً وهو ظاهر والله أعلم.

ثم إن هذا الوقوف كما تقدمت الإشارة إليه واجب عندنا وليس بركن، حتى لو تركه بغير عذر لزمه الدم، ونسبوا إلى الشافعي أنه ركن كما في الهداية، وهو سهو بل هو عندهم سنّة، ونسبه في المبسوط إلى الليث بن سعد، وفي الإسرار إلى علقمة بن قيس وجه الركنية قوله تعالى: ﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ [البقرة: ١٩٨] قلنا: غاية ما يفيد إيجاب الكون في المشعر بالالتزام لأجل الذكر ابتداء، وهذا لأن الأمر فيها إنما هو بالذكر عنده لا مطلقاً، فلا يتحقق الامتثال إلا بالكون عنده، فالمطلوب هو المقيد فيجب القيد ضرورة لا قصداً، فإذا أجمعنا على أن نفس الذكر الذي هو متعلق الأمر ليس بواجب انتفى وجوب الأمر فيه بالضرورة، فانتفى الركنية والإيجاب من الآية. وإنما عرفنا الإيجاب من غيرها، وهو ما رواه أصحاب السنن عن عروة بن مضرس رضي الله عنه رفعه «من شهد صلاتنا هذه ووقف معنا حتى يدفع وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً ونهاراً فقد تم حجه» قال الحاكم: صحيح على شرط كافة أصحاب الحديث، وهو من قواعد الإسلام، ولم يخرجاه على أصلهما أن عروة بن مضرس لم يرو عنه إلا الشعبي، وقد وجدنا عروة بن الزبير قد حدث عنه ثم ساقه، علق به تمام الحج هو يصلح لإفادة الوجوب لعدم القطعية، فكيف مع حديث البخاري عن عمر أنه كان يقدم ضعفة أهله فيقفون عند المشعر الحرام بليل، الحديث. فإن بذلك تنتفي الركنية لأن الركن لا يسقط للعذر، بل إن كان عذر يمنع أهل العبادة سقطت كلها أو أخرت أما إن شرع فيها فلا تتم إلا بأركانها. وكيف وليست هي سوى أركانها، فعند عدم الأركان لم يتحقق مسمى تلك العبادة أصلاً والله أعلم.

تارة ويكبّر أخرى. فينتهي إلى منى ومواضع الجمرات وهي ثلاثة، فيتجاوز الأولى

تنبيه:

أخرج ابن ماجه، والطبراني، والحكيم الترمـذي، وعبد الله بن أحمد، وابن جرير، والبيهقي في السنن، والضياء، وأبو يعلى، وابن عدي، عن العباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لأمته بالمغفرة والرحمة وأكثر الدعاء فأوحى الله إليه إني قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضاً وأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها. فقال: يا رب إنك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيراً من مظلمته وتغفر لهذا الظالم فلم يجبه تلك العشية، فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجا ب الله تعالى أن قد غفرت لهم فتبسم رسول الله ﷺ، فسأله أصحابه فقال: تبسمت من عدو الله ابليس أنه لما علم أن الله قد استجاب لي في أمتي أهوى يدعو بالويل والثبور ويحثو التراب على رأسه» وأخرجه أبو سعد في شرف النبوة بمعناه، وأبو بكر الآجري في الثمانين بتقديم وتأخير.

وقال ابن الجوزي: هذا الحديث لا يصح تفرّد به عبد العزيز بن أبي رواد ولم يتابع عليه. قال ابن حبان: وكان يحدث على التوهم والحسبان فبطل الاحتجاج به، وقد رد عليه الحافظ ابن حجر وألف في ذلك جزءاً سماه (الحجاج في عموم المغفرة للحجاج) وذكر فيه ما حاصله: أن هذا الحديث صححه الضياء في المختارة.

وأخرج أبو داود طرفاً منه فسكت عليه فهو عنده صالح فهو على شرط الحسن، وأخرجه أيضاً من طرق أخرى يعضد بعضها بعضاً، وله شواهد من حديث ابن عمر وأنس وغيرهما والله أعلم.

وأخرج ابن ماجه عن بلال بن رباح أن النبي ﷺ قال له: «يا بلال أسكت الناس أو انصت الناس، ثم قال: إن الله تطول عليكم في جمعكم هذا فوهب مسيئكم لمحسنكم وأعطى محسنكم ما سأل ادفعوا بسم الله» وأخرجه تمام الرازي في فوائده وقال: «ادفعوا على بركة الله».

(ثم إذا أصبح يوم النحر) سار على هينته كما في حديث الفضل بن عباس في الصحيحين، **(وخلط التكبير بالتلبية فليلب تارة ويكبر أخرى)** نقل مثل ذلك عن القفال حيث قال: إن رحلوا من مزدلفة مزجوا التلبية بالتكبير في ممرهم، وكان المصنف تبعه. وقال الإمام: لم أر هذا لغيره هكذا نقله الرافعي.

قلت: والذي ورد حال الإفاضة من جمع إلى منى التلبية فقط، ففي حديث ابن عباس في الصحيحين «فما زال يلبي حتى رمى جمرة العقبة» وعندهما أيضاً من حديث ابن مسعود «أنه لبى حين أفاض من جمع»، فقيل أعرابي هذا، فقال عبد الله أنسي الناس أم ضلوا؟ سمعت الذي أنزلت عليه سورة البقرة يقول في هذا المكان «لبيك اللهم لبيك» وعنه أنه قال ذلك بجمع أخرجه مسلم، وفي رواية «أنه لبى غداة جمع فقال الناس من هذا الاعرابي فقال عبد الله لبيك عدد الحصى والتراب، ثم قال: ما بال الناس أضلّ الناس أم نسوا» ثم ذكر معنى ما تقدم. أخرجه سعيد بن منصور، وروي عنه مثل ذلك في حال التوجه من عرفة إلى منى وأنكر عليه وأجاب بمثل ذلك،

والثانية، فلا شغل له معها يوم النحر، حتى ينتهي إلى جمرة العقبة وهي على يمين مستقبل القبلة في الجادة ـ والمرمى مرتفع قليلاً في سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ـ ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقيد رمح: وكيفيته أن يقف مستقبلاً

ولعل الإنكار تكرر عليه فلا تضاد بين الروايات، وتخصيص ابن مسعود سورة البقرة بالذكر لأنها أكثر اشتمالاً على مناسك الحج.

وأخرج رزين في التجريد عن عثمان «أنه دفع حين أسفر فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة».

وأخرج أحمد عن عكرمة قال: أفضت مع الحسين بن علي من المزدلفة فلم أزل أسمعه يلبي حتى رمى جمرة العقبة فسألته فقال: «أفضت مع رسول الله ﷺ فلم أزل أسمعه يلبي حتى رمى جمرة العقبة».

(فينتهي إلى منى) وحدها من آخر وادي محسر إلى العقبة التي يرمي بها الجمرة يوم النحر، **(ومواضع الجمرات)** فيوافيها بعد طلوع الشمس **(وهي ثلاث)** جمرات، **(فيجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معها يوم النحر حتى ينتهي إلى جمرة العقبة وهي)** في موضع حضيض الجبل **(عن يمين مستقبل القبلة)** أي السائر إلى مكة **(في الجادة والمرمى مرتفع قليلاً في سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات)**، وينبغي أن لا يعرج الناسك إذا أفاض من مزدلفة وأتى منى على شيء قبل رمي جمرة العقبة اقتداء برسول الله ﷺ، وهو تحية منى فلا يبدأ بشيء قبلها وهي آخر الجمرات مما يلي مكة، **(ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقيد رمح)**.

أخرج البخاري ومسلم عن جابر قال: «رمى رسول الله ﷺ الجمرة يوم النحر ضحى وأما بعد فإذا زالت الشمس».

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال «قدّم رسول الله ضعفة أهله وقال لا ترموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس» وعنه قال: «قدمنا رسول الله ﷺ ليلة المزدلفة أغيلمة بني عبد المطلب على [1] جمرات وجعل يلطم أفخاذنا ويقول أبني لا ترموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس» أخرجه أبو داود، واستدل بظاهر هذه الأحاديث من قال لا يجوز الرمي إلا بعد طلوع الشمس وهو قول كثير من أهل العلم، وذهب قوم إلى جوازه بعد الفجر وقبل طلوع الشمس، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد، وذهب الشافعي إلى جوازه بعد نصف الليل.

وكيفية الرمي أن يقف مستقبل القبلة، وإن استقبل الجمرة فلا بأس **(ويرمي سبع حصيات)** هذا بيان لكيفية الوقوف لرمي جمرة العقبة، وبيان حصي الجمرة، ففي حديث جابر الطويل «انه ﷺ رمى الجمرة من بطن الوادي بسبع حصيات».

---

(١) بياض في الأصل.

....

وأخرج أبو داود عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أمه «أنها رأت النبي ﷺ يرمي الجمرة من بطن الوادي».

وفي الصحيحين عن ابن مسعود «انه لما رمى جمرة العقبة جعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه وقال: هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة، وفي رواية أنه استبطن الوادي فاستعرضها فرماها بسبع حصيات يكبّر مع كل حصاة، فقيل له يا أبا عبد الرحمن. فقال: هذا والذي لا إله غيره مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة.

وأخرج الترمذي عنه «أنه استبطن الوادي واستقبل الكعبة وجعل يرمي الجمرة على حاجبه الأيمن ثم رمى بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة» الحديث وقال: حسن صحيح، وربما توهم تضاد بين الحديثين وليس كذلك، فإن قوله من ههنا إشارة الى بطن الوادي، وقوله: هذا مقام إشارة إلى هيئة الوقوف للرمي، ويكون ابن مسعود قد رمى مرتين في عامين وافق في إحداهما كمال السنة والأخرى أصاب فيها بعض السنة، وفاته البعض إما لجمام الدابة أو كثرة الزحام أو عذر غير ذلك.

قال المحب الطبري: وقد اختلف أصحابنا في كيفية الوقوف للرمي، والمختار استقبال الجمرة ومنى عن يمينه ومكة عن يساره كما تضمنه حديث مسلم، وقيل: يستقبل الكعبة كما تضمنه حديث الترمذي، وقيل يستدبر القبلة ويستقبل الجمرة، وبه قطع الشيخ أبو حامد اهـ.

وأما كيفية الرمي فلم يذكرها المصنف، وأخرج أبو داود من حديث سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أمه قالت: «رأيت رسول الله ﷺ عند جمرة العقبة راكباً ورأيت بين أصابعه حجراً فرمى ورمى الناس معه».

وأخرج أحمد عن حرملة بن عمرو قال: «حججت حجة الوداع فلما وقفنا بعرفات رأيت رسول الله ﷺ واضعاً إحدى أصبعيه على الاخرى فقلت لعمي: ماذا يقول رسول الله ﷺ؟ قال: يقول ارموا الجمرة بمثل حصى الخذف».

قال بعض أهل العلم يضع الحصاة على طرف إبهامه ثم يخذفها بمسبحته أو بين أصبعيه السبابتين.

وقال أصحابنا: قولهم رمى سبع حصيات أي سبع رميات بسبع حصيات، فلو رماها دفعة واحدة كان عن واحدة لأن المنصوص عليه سبع متفرقة والتقييد بالسبع لمنع النقص لا لمنع الزيادة، حتى لو زاد على السبع لم يضره كذا في المحيط، وإن كان خلاف السنة واختلفوا في كيفية الرمي على قولين. أحدهما: أن يضع أطراف إبهامه اليمنى على وسط السبابة ويضع الحصاة على ظاهر الإبهام كأنه عاقد سبعين فيرميها، وعرف منه أن المسنون في كون الرمي باليد اليمنى، والآخر أن يحلق سبابته ويضعها على مفصل إبهامه كأنه عاقد عشرة وهذا في التمكن من الرمي به مع الزحمة والوهجة عسر. وقيل: يأخذها بطرفي إبهامه وسبابته وهذا هو الأصح لأنه الأيسر

للقبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس ويرمي سبع حصيات رافعاً يده، ويبدل التلبية

المعتاد، وصححه صاحب النهاية والولوالجي؛ وهذا الخلاف في الأولوية لا في أصل الجواز، فلا يتقيد بهيئة دون هيئة، بل يجوز كيف كان، واختلفوا في قدر الحصى فقيل أصغر من الأنملة طولاً وعرضاً، وقيل مثل بندقة القوس، وقيل قدر النواة، وقيل قدر الحمصة، وقيل قدر الباقلا قيل هو المختار، وهذا بيان الاستحباب، وأما الجواز فيجوز ولو بالأكبر مع الكراهة كما تقدم شيء من ذلك، وأما مقدار موضع الرمي فقال صاحب الهداية: أن يكون بين الرامي وبين موضع الرمي خمسة أذرع كذا روى الحسن عن أبي حنيفة لأن ما دون ذلك يكون طرحاً ولو طرحها طرحاً أجزأه لأنه رمى إلى قدميه، إلاّ أنه خالف السنّة، ولو وضعها وضعاً لم يجزه لأنه ليس برمي، ولو رمى فوقعت قريباً من الجمرة يكفيه لأن هذا المقدار مما لا يمكن الاحتراز عنه، ولو وقعت بعيداً عنها لا يجزئه لأنه لم تعرف قربة إلا في مكان مخصوص. قال ابن الهمام: وما قدر به بخمسة أذرع في رواية الحسن فذلك تقدير أقل ما يكون بينه وبين المكان المسنون والله أعلم.

وقال الرافعي: ولا ينزل الراكبون حتى يرموا كما فعل رسول الله ﷺ.

قلت: وهو في حديث جابر الطويل «أن النبي ﷺ رمى جمرة العقبة على راحلته من بطن الوادي» وعنه أيضاً «رأيت رسول الله ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر يقول لنا خذوا عني مناسككم» أخرجاه.

وعند الترمذي عن قدامة بن عبد الله قال «رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمار على ناقة ليس ضرب ولا طرد ولا إليك إليك» وقال: حسن صحيح، وأخرجه أبو داود وقال «على ناقة صهباء».

قال المحب الطبري: اتفق أهل العلم على جواز الرمي راكباً، واختلفوا في الأفضل، فاختار قوم الركوب اقتداء به ﷺ، واختار قوم المشي. وقالوا: كان ركوبه لتبيين الجواز وليشرف على الناس حتى يسألوه.

ثم قول المصنف سبع حصيات هو الذي صح عن رسول الله ﷺ من رواية ابن عباس وجابر وابن مسعود وابن عمر وعائشة، وقد اختلفوا في ذلك والذي ذهب إليه الجمهور أن رمي جمرة العقبة يوم النحر ورمي الجمرات الثلاث أيام التشريق كل جمرة منها سبع حصيات السّنة الثابتة في ذلك وعمل الأمة، وقد روي عن سعد بن مالك أنه إن رمى بست أجزأه كما عند النسائي، وكذا عند أبي مجلز نحوه، وحكى الطبري عن بعضهم أنه لو ترك رمي جميعهن بعد أن يكبر عند كل جمرة سبع تكبيرات أجزأه ذلك وقال: إنما جعل الرمي في ذلك بالحصى سبباً لحفظ التكبيرات السبع، وقال عطاء إن رمى بخمس أجزأه، وقال مجاهد: إن رمى بست فلا شيء عليه، وبه قال أحمد وإسحاق. وعن طاوس أنه سئل عن رجل رمى الجمرة بست قال: يطعم تمرة أو لقمة.

ثم قال المصنف: (**«رافعاً يده»**) أي حتى يرى بياض إبطه (**ويبدل التلبية بالتكبير»**)

بالتكبير ويقول مع كل حصاة: « الله أكبر على طاعة الرحمن، ورغم الشيطان. اللهم تصديقاً بكتابك واتباعاً لسنّة نبيك » فإذا رمى قطع التلبية والتكبير إلا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر إلى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق. ولا

أخرج ابن ماجه عن ابن عباس وفيه « فلما رماها قطع التلبية » وعند البخاري ومسلم « فلم يزل يلبي حتى رمى جرة العقبة » **(ويقول مع كل حصاة « الله أكبر »)**.

قال الرافعي: والسنة أن يكبروا مع كل حصاة ويقطعوا التلبية إذا ابتدؤوا الرمي. روي « أن النبي ﷺ قطع التلبية عند أوّل حصاة رماها » والمعنى فيه أن التلبية شعار الإحرام، والرمي أحد أسباب التحلل اهـ.

قلت: التكبير مع كل حصاة جاء في حديث جابر الطويل، وفي حديث ابن عمر نحوه أخرجه البخاري تعليقاً، وعن عطاء قال: إذا رميت الجمرة فكبّر وأتبع الرمي التكبيرة. أخرجه سعيد بن منصور، وقال أصحابنا: هذا بيان للأفضل، ولو هلل أو سبّح أجزأه لحصول التعظيم بالذكر، وهو من آداب الرمي، وظاهر الرواية أنه يقتصر على التكبير أي يقول « الله أكبر ».

ومنهم من زاد فقال: ويقول بعده: **(« على طاعة الرحمن ورغم الشيطان »)** وروى الحسن ابن زياد عن أبي حنيفة أن يزيد رغماً للشيطان وحزبه، وقال بعضهم: يزيد على ذلك: **(« اللهم تصديقاً لكتابك واتباعاً لسنة نبيك »)** وأخرج سعيد بن منصور، عن ابن مسعود أنه لما رمى جرة العقبة قال « اللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً » وعن ابن عمر « أنه كان يرمي الجمار ويقول مثل ذلك ». وعن إبراهيم النخعي: إنهم كانوا يحبون للرجل إذا رمى جمرة العقبة أن يقول ذلك. قيل له: نقول ذلك عند كل جمرة؟ قال: نعم إن شئت.

(فإذا رمى قطع التلبية والتكبير) وقد تقدم ذلك في حديث ابن عباس في الصحيحين، وفي البدائع للكاساني من أصحابنا: فإن زار البيت قبل أن يرمي ويذبح ويحلق قطع التلبية في قول أبي حنيفة، وعن أبي يوسف أنه يلبي ما لم يحلق، أو تزول الشمس من يوم النحر. وعن محمد ثلاث روايات. إحداها: كأبي يوسف، والثانية رواية ابن سماعة عنه من لم يرم قطع التلبية إذا غربت الشمس من يوم النحر، والثالثة رواية هشام عنه إذا مضت أيام النحر، وظاهر روايته مع أبي حنيفة، ولو ذبح قبل الرمي وهو متمتع أو قارن يقطعها في قول أبي حنيفة لا ان كان مفرداً لأن الذبح محلل في الجملة في حقها بخلاف المفرد، وعند محمد لا يقطع إذ لا تحلل به [١] بالرمي والحلق، والله أعلم.

(إلا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر إلى عقيب الصبح آخر أيام التشريق) فإنه سنّة، وقد تقدم اختلاف العلماء في ذلك في آخر كتاب أسرار الصلاة عند ذكر عيد الأضحى.

---

(١) بياض في الأصل.

يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله. وصفة التكبير أن يقول: « الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله والله أكبر » ثم ليذبح الهدي إن كان معه والأولى أن يذبح بنفسه وليقل: « بسم الله والله أكبر. اللهم منك وبك وإليك تقبل

(**ولا يقف في هذا اليوم للدعاء بل يدعو في منزله**) أخرج سعيد بن منصور عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أمه قالت « رأيت رسول الله ﷺ رمى جمرة العقبة من بطن الوادي سبع حصيات ولم يقف عندها ».

(**وصفة التكبير أن يقول « الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده لا إله إلا الله والله أكبر »**) تقدم ما يتعلق به في فصل صلاة العيدين في أواخر كتاب أسرار الصلاة مفصلاً مبسوطاً فراجعه.

(**ثم ليذبح الهدي إن كان معه**) فإنه سنة، (**والأولى به أن يذبحه بيده**) **ففي الصحيحين** من حديث أنس قال « ضحى رسول الله ﷺ بكبشين املحين اقرنين ذبحها بيده ».

(**وليقل « بسم الله والله أكبر »**) جاء ذلك في حديث أنس في الصحيحين الذي تقدم قبله ذبحها بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحها. (**« اللهم منك وبك ولك تقبل مني كما تقبلت من إبراهيم خليلك »**) رواه أبو داود من حديث أنس، وهو الذي سبق ذكره عن الصحيحين وزاد فلما وجهها قال: « إني وجهت وجهي » إلى « وأنا من المسلمين. اللهم منك وإليك ». وعن محمد رواية « بسم الله والله أكبر ».

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها « إن النبي ﷺ أمر بكبش أقرن يطؤ في سواد ويبرك في سواد وينظر في سواد فأتى به ليضحي به فقال لها يا عائشة: هلمي المدية، ثم قال اشحذيها ففعلت، ثم أخذها وأخذ الكبش فأضجعه ثم ذبحه، ثم قال: بسم الله اللهم تقبل من محمد وآل محمد ومن أمة محمد وضحى به » زاد البخاري « ويأكل في سواد ».

قال المحب الطبري: في هذه الأحاديث دليل على ذبح الغنم على الوصف المذكور، وعلى استحباب حدّ المدية، وعلى استحباب التوجيه والتسمية والدعاء، فإن ترك التسمية لم يحرم، وبه قال مالك. وقال أبو ثور وداود: التسمية شرط في الإباحة مطلقاً. وقال أبو حنيفة: هي شرط في حال الذكر، وعن أحمد الأقوال الثلاثة، وما قدر على ذبحه لا يحل إلا بقطع الحلقوم وهو مجرى النفس في الرقبة، والمريء: وهو مجرى الطعام والشراب، ويستحب قطع الودجين وهما عرقان في

مني كما تقبلت من خليلك إبراهيم » والتضحية بالبدن أفضل ثم بالبقر ثم بالشاء والشاة أفضل من مشاركة ستة في البُدنة أو البقرة. والضأن أفضل من المعز. قال رسول الله ﷺ: « خير الأضحية الكبش الأقرن والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء ». وقال أبو هريرة: « البيضاء أفضل في الأضحى من دم سوداوين وليأكل منه إن كانت من هدي التطوّع ولا يضحين بالعرجاء والجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء » والجدع في الأنف والأذن القطع منها، والعضب في القرن وفي

جانبي العنق وقد تقطعان من الحيوان فيبقى، وقال أبو حنيفة: يشترط قطع المريء وكل واحد منهما. وقال مالك: لا بدّ من قطع هذه الأربعة. حكاه عنه صاحب الحاوي، ولو أبان الرأس لم يحرم خلافاً لسعيد بن المسيب.

(**والتضحية بالبدن أفضل ثم بالبقر ثم بالشاة**) على هذا الترتيب. وفي القوت: أفضل الهدي بدنة ثم بقرة ثم كبش أقرن أبيض ثم الثني من المعز وإن ساق هديه من الميقات فهو أفضل من حيث لا يكره ولا يجهده اهـ.

وفي حديث جابر « فنحر ﷺ ثلاثاً وستين بدنة ثم أعطى علياً فنحر ما بقي وأشركه في هديه وما بقي سبع وثلاثون بدنة لأن الكل كانت مائة ». قال ابن حبان: والحكمة في أنه ﷺ نحر ثلاثاً وستين بدنة أنه كان له يومئذ ثلاث وستون سنة فنحر لكل سنة بدنة.

(**والشاة أفضل من مشاركة ستة في البدنة أو البقرة والضأن أفضل من المعز**) وكل ذلك تقدم الكلام عليه في صلاة العيدين في أواخر أسرار الصلاة.

(**قال ﷺ « خير الأضحية الكبش الأقرن »**).

قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عبادة بن الصامت، والترمذي، وابن ماجه من حديث أبي أمامة. قال الترمذي: غريب، وعفير يضعف في الحديث.

(**والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء قال أبو هريرة رضي الله عنه « البيضاء أفضل في الأضاحي من دم سوداوين »**) تقدم الكلام عليه في فصل العيدين، (**وليأكل من ذبيحته إن كانت من هدي التطوّع**).

وفي القوت: وأحب أن يذبح وإن لم يجب عليه ويجتنب الأكل من ذبح ما كان واجباً عليه مثل نسك قران أو متعة أو كفارة، واستحب أن يأكل مما لم يكن عليه واجباً.

ثم شرع المصنف في ذكر المعايب الثمانية المنهي عنها في الذبيحة والأضحية في الآثار فقال: (**ولا يضحين بالجدعاء والعضباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء**)، ثم شرع في تفسير هذه الألفاظ اللغوية فقال: (**والجدع**) بفتح الجيم والدال المهملة وآخره عين مهملة (**في الأذن والأنف القطع منها**) وفي القوت فيهما وفي المصباح: جدعت الأنف جدعاً من باب نفع قطعته،

نقصان القوائم، والشرقاء: المشقوقة الأذن من فوق، والخرقاء من أسفل، والمقابلة المخروقة الأذن من قدام، والمدابرة من خلف، والعجفاء المهزولة التي لا تنقى أي لا

وكذا الأذن واليد والشفة، وجدعت الشاة جدعاً من باب تعب قطعت أذنها من أصلها فهي جدعاء، **(والعضب)** : بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة الكسر **(في القرن وفي نقصان القوائم)** هكذا هو في القوت، وفي المصباح: عضبت الشاة والناقة أيضاً شق أذنها وهو أعضب وهي عضباء مثل أحمر وحمراء، وعضبت الشاة عضباً من باب تعب انكسر قرنها، وبعضهم يزيد الداخل، وقوله: وفي نقصان القوائم كأنه مأخوذ من قولهم: رجل معضوب أي زمن لا حراك به كأن الزمانة عضبته ومنعته الحركة وناقص القوائم هكذا حاله، **(والشرقاء المشقوقة الأذن من فوق)** هكذا هو في القوت، وفي المصباح: شرقت الدابة شرقاً من باب تعب إذا كانت مشقوقة الأذن باثنتين فهي شرقاء. **(والخرقاء)** : المشقوقة الأذن **(من أسفل)** كذا في القوت. وفي المصباح: خرقت الشاة خرقاً من باب تعب إذا كان في أذنها خرق وهو ثقب مستدير فهي خرقاء. **(والمقابلة المخروقة الأذن من قدام، والمدابرة)** المخروقة الاذن **(من خلف)** كذا في القوت وفي المصباح: المقابلة على صيغة المفعول الشاة التي قطع من أذنها قطعة ولم تبن وتبقى معلقة من قدام، فإن كانت من أخرى فهي المدابرة. وقال الأصمعي المقابلة والمدابرة هي التي قطع من أذنها سواء بان أم لا. **(والعجفاء المهزولة التي لا تنقى أي لا)** . نقى بكسر النون وسكون القاف أي لا **(مخ لها من الهزال)** وانقت الدابة تنقى إذا كثر نقيها من سمنها وقد عجفت الشاة عجفاً.

تنبيه:

في بيان مكان النحرفي الحج والعمرة في الصحيحين من حديث جابر أن النبي ﷺ قال «نحرت ههنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم».

وأخرجه أبو داودوزاد «وكل فجاج مكة طريق ومنحر».

وعن أنس «أن رسول الله ﷺ أتى منى فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى فنحر» أخرجاه.

وعن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: «منى هذا المنحر وكل منى منحر وفي العمرة هذا المنحر يعني المروة وكل فجاج مكة وطرقها منحر».

وعن ابن عمر «انه كان ينحر في منحر رسول الله ﷺ». وعنه «أنه كان يبعث هديه من جمع آخر الليل حتى يدخل به منحر رسول الله ﷺ» أخرجها البخاري وفيه حث على النحر في منحر رسول الله ﷺ.

وعن ابن عباس قال «نحر رسول الله ﷺ في منحر إبراهيم الذي نحر فيه الكبش فاتخذوه منحراً وهو المنحر الذي ينحر فيه الخلفاء اليوم فقال هذا المنحر وكل منى منحر» وقال ابن

مخ فيها من الهزال. ثم ليحلق بعد ذلك، والسنّة أن يستقبل القبلة ويبتدىء بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ثم يحلق الباقي ويقول: « اللهم أثبت

عباس: تقول اليهود إن المفدي إسحاق وكذبت إنما هو اسماعيل أخرجه ابو ذر الهروي. وعنه قال « الصخرة التي بمنى بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداء اسماعيل أو إسحاق وهو الكبش الذي قربه ابن آدم فقبل منه كان مخزوناً حتى فدى به إسماعيل أو إسحاق وكان أعين اقرن له ثغاء » أخرجه أبو سعد في شرف النبوّة.

(**ثم ليحلق بعد ذلك**) اعلم أنه اختلف في الحلق في وقته هل هو نسك أم لا ؟ أحد القولين انه ليس بنسك وإنما هو استباحة محظور، وأصحها وبه قال أبو حنيفة ومالك وأحمد انه نسك مثاب عليه، والقولان جاريان في العمرة، ووقته في العمرة يدخل بالفراغ من السعي، فعلى القول الأصح هو من أعمال النسكين وليس هو بمثابة الرمي والمبيت، بل هو معدود من الأركان، ولهذا لا يجبر بالدم ولا تقام الفدية مقامه، ولو جامع المعتمر بعد السعي وقبل الحلق فسدت عمرته لوقوع جماعه قبل التحلل، وللرجال إقامة التقصير مقام الحلق وكل واحد من الحلق والتقصير يختص بشعر الرأس.

(**والسّنة**) إذا حلق « **أن يستقبل القبلة ويبدأ بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا**) روي ذلك عن ابن عمر « أنه كان يقول للحالق ابلغ العظم » أخرجه الشافعي وقال: هو العظم الذي عند منقطع الصدغين، وأخرجه سعيد بن منصور وقال: ابلغ العظمين واحب البداءة بالأيمن ثم الايسر، فرواه الشيخان من حديث أنس بلفظ « ثم قال للحلاق خذ رأسه إلى جانبه الأيمن ثم الايسر » وفي رواية فبدأ بالشق الايمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس.

(**ثم يحلق الباقي**) وبه تم جميع الرأس وهو الأفضل، وأن يكبر بعد الفراغ وأن يدفن شعره وأن يصلي بعده ركعتين.

وروى ابن الجوزي في مثير العزم عن وكيع قال: قال لي أبو حنيفة: اخطأت في خمسة أبواب من المناسك فعلمنيها حجام، وذلك أني حين أردت أن أحلق رأسي وقفت على حجام فقلت له: بكم تحلق رأسي؟ فقال: أعراقي أنت؟ قلت: نعم. قال: النسك لا يشارط عليه اجلس فجلست منحرفاً عن القبلة فقال لي: حرك وجهك للقبلة وناولت الجانب الأيسر، فقال أدر الشق الأيمن فأدرته وجعل يحلق وأنا ساكت، فقال لي: كبِّر فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب، فقال لي: اين تريد؟ قلت: رحلي. قال صلِّ ركعتين ثم امض، فقلت له: من اين لك هذا؟ قال: رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل[1]. وإن قصّر فليقصر الجميع، وأقل ما يجزىء حلق ثلاث شعرات أو تقصيرها، وفي تكميل الفدية في الشعرة الواحدة رأي بعيد وهو عائد في حصول النسك بحلقها، ولو حلق ثلاث شعرات في دفعات أو أخذ من شعرة واحدة شيئاً ثم عاد ثانياً وأخذ منها شيئاً ثم عاد فالنسك

---

(١) بياض في الأصل

لي بكل شعرة حسنة وامح عني بها سيئة وارفع لي بها عندك درجة» والمرأة تقصر الشعر. والأصلع يستحب له إمرار الموسى على رأسه ومهما حلق بعد رمي الجمرة فقد

واحد، فإن كملنا الفدية لو كان محظوراً قلنا بحصول النسك، ولا فرق إذا قصر بين أن يكون المأخوذ مما يحاذي الرأس أو من المسترسل وفي وجه لا يغني الأخذ من المسترسل اعتباراً بالمسح، وقال أبو حنيفة: لا أقل من حلق ربع الرأس، وقال مالك: لا بدّ من حلق الأكثر، ولا يتعين للحلق والتقصير آلة بل حكم النتف والإحراق والإزالة بالنورة والموسى والمقص واحد. وقال الشافعي: ولو أخذ من شاربه أو لحيته شيئاً كان أحب إليّ لئلا يخلو من أخذ الشعر.

قلت: روي ذلك عن ابن عمر عند مالك، وأبي ذر الهروي، وأخرج الملاّ في سيرته «أن النبي ﷺ لما حلق أخذ شاربه وعارضيه وقلم اظفاره وأمر بشعره واظفاره ان يدفنا ثم افاض».

(وليقل) عند الحلق أو التقصير: **(«اللهم أثبت)** وفي نسخة اكتب **(لي بكل شعرة حسنة وامح عني بكل شعرة سيئة وارفع لي بها عندك درجة» والمرأة تقصر من شعرها)** لما روي أنه ﷺ قال «ليس على النساء حلق وإنما يقصرن» أخرجه أبو داود، والدراقطني، والطبراني من حديث ابن عباس.

قال الحافظ: وإسناده حسن، وقوّاه أبو حاتم في العلل، والبخاري في التاريخ، وأعله ابن القطان وردّ عليه ابن الموّاز فأصاب، والمستحب لهن في التقصير أن يأخذن من طرف شعورهن بقدر أنملة من جميع الجوانب قاله الرافعي.

قلت: روي ذلك عن ابن عمر مرفوعاً بلفظ «تجمع رأسها وتأخذ قدر أنملة» وروي موقوفاً عليه بلفظ: المرأة إذا أرادت أن تقصر جمعت شعرها إلى مقدم رأسها ثم أخذت منه أنملة. وعن عطاء قال: تأخذ قدر ثلاث أصابع مقبوضة أو أربع أصابع. وعنه: تأخذ من أطرافه طويله وقصيره، وعن إبراهيم مثله، وعنه في المرأة تقصر من شعرها قدر مفصلين. أخرج جميع ذلك سعيد ابن منصور، وأخرج الدارقطني عن عطاء قال: تأخذ المحرمة من رأسها إذا قصرت أصبعاً بقدر السبابة.

(والأصلع) الذي لا شعر على رأسه خلقة **(يستحب له إمرار الموسى على رأسه)** تشبيهاً بالحالقين، وعند أبي حنيفة يجب إمرار الموسى على الرأس، وللشافعي أن العبادة إذا تعلقت بجزء من البدن سقطت بفواته كغسل الأعضاء في الوضوء.

قال الرافعي: وجميع ما ذكر فيما إذا لم يلتزم الحلق أما إذا التزمه فنذر الحلق في وقته تعين ولم يقم التقصير مقامه ولا النتف ولا الإحراق، وفي استئصال الشعر بالمقص وإمرار الموسى من غير استئصال تردد للإمام، والظاهر المنع لفوات اسم الحلق، ولو نذر استيعاب الرأس بالحلق ففيه تردد عن القفال.

حصل له التحلل الأوّل وحل له كل المحذورات إلا النساء والصيد. ثم يفيض إلى مكة ويطوف كما وصفناه، وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة، وأوّل وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر، وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر إلى أي وقت شاء، ولكن يبقى مقيداً بعلقة الإحرام فلا تحل له النساء إلى

(**ومهما حلق بعد رمي الجمرة فقد حصل له التحلل الأوّل**) كما سيأتي بيانه قريباً، ثم أشار إلى ما يحل بالتحلل الأوّل فقال: (**ويحل له المحظورات في الإحرام**) لا خلاف في أن الوطء لا يحل ما لم يوجد التحللان لكن المستحب أن لا يطأ حتى يرمي أيام التشريق، ويحل اللبس والتقليم وستر العورة والحلق إذا لم نجعله نسكاً بالتحلل الاوّل.

وروي أنه ﷺ قال « إذا رميتم وحلقتم رؤوسكم فقد حل لكم الطيبات واللباس وكل شيء (**إلا النساء** ») رواه أحمد عن عائشة مرفوعاً بهذا اللفظ.

ورواه أبو داود بلفظ « إذا رمى أحدكم جمرة العقبة فقد حل لكم كل شيء إلا النساء ».

وفي عقد النكاح والمباشرة فيما دون الفرج كالقبلة والملامسة (**و**) **قتل** (**الصيد**) **قولان**. أحدهما: أنها تحل أما في غير الصيد فلأنها محظورات الاحرام لاتفسده فأشبهت الحلق والتقليم، وأما في الصيد فلأنه لم يستثن في الخبر المذكور إلا النساء، والثاني لا تحل، أما في غير الصيد فلتعلقها بالنساء، وأما الصيد فلقوله تعالى: ﴿لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾[المائدة: ٩٥] والإحرام باق، ثم اتفقوا في مسألة الصيد على أن قول الحل أصح، واختلفوا في النكاح والمباشرة، فذكر صاحب المهذب وطائفة أن الأصح فيهما الحل. وقال الآخرون: بل الأصح فيهما المنع، ومنهم المسعودي، وصاحب التهذيب، وهو الأكثر عدداً وقولهم أوفق لظاهر النص في المختصر، وفي التطيب طريقان، والمذهب انه يحل بل يستحب أن يتطيب لحله بين التحللين.

(**ثم يفيض إلى مكة ويطوف**) بالبيت (**كما وصفنا**) أوّلاً (**وهذا الطواف طواف ركن في الحج ويسمى طواف الزيارة**) لأنهم يأتون من منى زائرين البيت، ويعودون في الحال، وإنما سمي طواف ركن لأنه لا بدّ منه في حصول الحج، ويسمى طواف الإفاضة للإتيان به عقيب الإفاضة من منى، وربما يسمى طواف الصدر أيضاً والأشهر أن طواف الصدر طواف الوداع.

(**وأوّل وقته**)، اعلم أن المستحب أن يرمي بعد طلوع الشمس ثم يأتي بباقي الأعمال فيقع الطواف في ضحوة النهار ويدخل وقتها جميعاً (**بعد نصف الليل من ليلة النحر**)، وبه قال أحمد، وعن أبي حنيفة ومالك أن شيئاً منها لا يجوز قبل طلوع الفجر. (**وأفضل وقته**) أي الطواف (**يوم النحر ولا آخر لوقته**) أي لا يتأقت آخره، وكذلك الحلق. (**بل له أن يؤخر إلى أي وقت شاء، ولكن يبقى مقيداً بعلقة الإحرام**) فلا يخرج من مكة حتى يطوف، فإن طاف للوداع وخرج وقع عن الزيارة، (**و**) إن خرج ولم يطف أصلاً (**لا تحل له النساء إلى أن**

أن يطوف، فإذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الإحرام بالكلية ولم يبقَ إلا رمي أيام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال الإحرام على سبيل الاتباع للحج. وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق في طواف القدوم، فإذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم، وإن كان قد سعى فقد وقع ذلك ركناً فلا ينبغي أن يعيد السعي.

وأسباب التحلل ثلاثة: الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن، ومهما أتى باثنين من

يطوف) وإن طال الزمان، (**فإذا طاف تم تحلله وحل له الجماع وارتفع عنه الإحرام بالكلية ولم يبق عليه إلا رمي أيام التشريق والمبيت بمنى**)، وأما آخر وقت بقية أعمال الحج فقد ذكرنا أن الحلق مثل الطواف في أنه لا آخر لوقته، وأما الرمي فيمتد وقته إلى غروب الشمس يوم النحر، وهل يمتد تلك الليلة؟ فيه وجهان. أصحهما لا، وأما الذبح فالهدي لا يختص بزمان، ولكن يختص بالحرم بخلاف الضحايا تختص بالعيد وأيام التشريق ولا تختص بالحرم، وقضية قولهم لا يتأقت الطواف من طريق الاجزاء أن لا يصير قضاء، لكن في التتمة: أنه إذا تأخر عن أيام التشريق صار قضاء، وعند أبي حنيفة آخر وقت الطواف آخر اليوم الثاني من أيام التشريق، (**وهي واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج، وكيفية هذا الطواف مع الركعتين**) وبعده (**كما سبق في طواف القدوم**) سواء، (**فإذا فرغ من الركعتين**) المذكورتين (**فليسع كما وصفنا**) هذا (**إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم، وإن كان قد سعى فقد وقع ذلك ركناً فلا ينبغي أن يعيد السعي**) لأن السعي لم يشرع الامرة واحدة.

قال الشمني من أصحابنا: لكن موضع السعي بطريق الاصالة عقيب طواف الزيارة لأن السعي عقيب الطواف والشيء إنما يتبع ما هو أقوى منه، والسعي واجب وطواف الزيارة ركن، وإنما جاز السعي عقيب طواف القدوم لكثرة أفعال الحج يوم النحر اهـ.

إلا أن الأفضل تأخيرها إلى هذا الطواف، وينبغي أن يعلم أن السعي بعد طواف القدوم إنما يعتد به إذا كان في أشهر الحج، أما إذا لم يكن فلا يعتد به، والله أعلم.

وفي القوت: وليطف لقرانه ويسع طوافين وسعيين ليخرج من اختلاف العلماء جمعها أو فرقها اهـ.

قلت: وهو مذهب أبي حنيفة، وقول علي وابن مسعود والشعبي ومجاهد.

(**وأسباب التحلل ثلاثة: الرمي والحلق والطواف الذي هو ركن**) اعلم أن أعمال الحج يوم النحر إلى أن يعود إلى منى أربعة: الثلاثة التي ذكرها المصنف، والذبح وهو بعد الرمي، والترتيب فيها على النسق المذكور مسنون وليس بواجب، أما أنه مسنون فلأن النبي ﷺ كذلك فعلها، وأما انه ليس بواجب فلما سيأتي قريباً. وعن مالك وأبي حنيفة وأحمد أن الترتيب بينها واجب ولو

هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع

تركه فعليه دم، ثم ان المستحب أن يرمي بعد طلوع الشمس ثم يأتي بباقي الاعمال فيقع الطواف في ضحوة النهار ويدخل وقتها بعد انتصاف ليلة النحر كما تقدم قريباً، فإذا عرفت ذلك فنقول للحج تحللان وللعمرة تحلل واحد، وذلك لأن الحج يطول زمانه وتكثر أعماله بخلاف العمرة وأبيح بعض محظوراته دفعة وبعضها أخرى، وهذا كالحيض والجنابة لما طال زمان الحيض جعل لارتفاع محظوراته محلان انقطاع الدم والاغتسال والجنابة لما قصر زمانها جعل لارتفاع محظوراتها محل واحد، ثم أسباب تحلل الحج غير خارجة عن الأعمال الأربعة والذبح غير معدود منها لأنه سنّة ولا يتوقف التحلل عليه، ولذا لم يذكره المصنف في جملة الأسباب بقي الرمي والحلق والطواف، فإن لم نجعل الحلق نسكاً فللتحلل سببان الرمي والطواف، فإذا أتى بأحدهما يحصل التحلل الأوّل، وإذا أتى بالثاني لا بدّ من السعي بعد الطواف قبل، كما أشار إليه المصنف، لكنهم لم يفردوه وعدوه مع الطواف شيئاً واحداً وإن جعلنا الحلق نسكاً كما ذهب إليه المصنف فالثلاثة أسباب التحلل.

(**ومهما أتى باثنين من هذه الثلاث**) أما الحلق والرمي أو الرمي والطواف أو الحلق والطواف، (**فقد تحلل أحد التحللين**) وهو الأول، وإذا أتى بالثالث حصل الثاني. قال الإمام. وشيخه: كان ينبغي التنصيف، لكن ليس للثلاثة نصف صحيح، فنزلنا الأمر على اثنين كما صنعنا في تمليك العبد طلقتين، ونظائره هذا ما أورده عامة الأصحاب واتفقوا عليه، ووراءه وجوه مهجورة. أحدها: عن أبي سعيد الاصطخري أن دخول وقت الرمي بمثابة نفس الرمي في إفادة التحلل، والثاني: عن أبي القاسم الداركي أنا إذا جعلنا الحلق نسكاً حصل التحللان معاً بالحلق والطواف وبالرمي والطواف ولا يحصل بالحلق والرمي إلا أحدهما، والثالث عن أبي إسحاق عن بعض الأصحاب إنا وإن جعلنا الحلق نسكاً فإن أحد التحللين يحصل بالرمي، وحده وبالطواف وحده، ومن فاته الرمي ولزمه بدله فهل يتوقف التحلل على الاتيان ببدله؟ فيه ثلاثة أوجه. أشبهها نعم تنزيلاً للبدل منزلة المبدل.

وأما العمرة فتحللها بالطواف والسعي لا غير إن لم نجعل الحلق نسكاً وهما مع الحلق إذا جعلناه نسكاً.

قال الرافعي: ولست أدري لم عدوا السعي من أسباب التحلل في العمرة دون الحج، ولم يعدوا أفعال الحج كلها أسباب التحلل كما فعلوه في العمرة، ولواصطلحوا عليه لقالوا التحلل يحصل بها سوى الواحد للأخير، والثاني بذلك الأخير، ويمكن تفسير أسباب التحلل في العمرة بأركانها الفعلية، وأيضاً بالأفعال التي يتوقف عليها تحللها، ولا يمكن التفسير في الحج بواحد منها. أما الأول فلإخراجهم الوقوف عنها، وأما الثاني فلإدخالهم الرمي فيها، مع أن التحلل لا يتوقف عليه ولا على بدله على رأي، وعلى كل حال فإطلاق اسم السبب على كل واحد من أسباب التحلل ليس على معنى استقلاله، بل هو كقولنا اليمين والحنث سببان للكفارة، والنصاب والحول سبب للزكاة.

الذبح، ولكن الأحسن أن يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف، والسنّة للإمام في هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله ﷺ، ففي الحج أربع خطب: خطبة يوم السابع، وخطبة يوم عرفة، وخطبة يوم النحر، وخطبة يوم النفر الأوّل، وكلها عقيب الزوال وكلها افراد إلا خطبة يوم عرفة فإنها خطبتان بينهما جلسة. ثم إذا فرغ

ثم أشار المصنف إلى ما سبق به الوعد من أن الترتيب في أعمال الحج الأربعة المذكورة ليس بواجب بقوله: **(ولا حرج عليه في التقديم والتأخير في هذه الثلاث مع الذبح)** وذلك لما روي عن ابن عمر قال: « وقف رسول الله ﷺ في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه فجاء رجل فقال يا رسول الله إني حلقت قبل أن أرمي. قال: أرم ولا حرج، فجاء آخر فقال: إني أفضت إلى البيت قبل أن أرمي. فقال: أرم ولا حرج. فما سئل عن شيء قدم ولا أخر إلا قال: إفعل ولا حرج ».

(ولكن الاحسن أن يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف) وقد وقع للمصنف في الوجيز خلاف ذلك، فقال: ثم يحلقون وينحرون، فقدم ذكر الحلق على النحر. ونبه الرافعي في شرحه أن المستحب أن يكون النحر مقدماً على الحلق ثم نعود إلى المسائل المتعلقة بهذه المسألة فنقول: لو ترك المبيت بمزدلفة وأفاض إلى مكة قبل أن يرمي ويحلق أو ذبح قبل أن يرمي فلا بأس ولا فدية، ولو حلق قبل أن يرمي وقبل أن يطوف. فإن قلنا: الحلق نسك فلا بأس، وإن جعلناه استباحة محظور فعليه الفدية لوقوع الحلق قبل التحلل. وروى القاضي ابن كج أن أبا إسحاق وابن القطان ألزماه الفدية، وإن جعلنا الحلق نسكاً والحديث حجة عليها ومؤيد للقول الأصح، وهو أن الحلق نسك قاله الرافعي. وقال ابن دقيق العيد وفي هذا نظر لأنه لا يلزم من كون الشيء نسكاً أن يكون من أسباب التحلل.

(والسنة للإمام في هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله ﷺ) رواه البخاري من حديث أبي بكر خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر، وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر، وفي حديث علقه البخاري ووصله ابن ماجه من حديث ابن عمر: « وقف النبي ﷺ يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال: أي يوم هذا » الحديث. وفيه « ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع ».

(ففي الحج أربع خطب خطبة يوم السابع، وخطبة يوم عرفة، وخطبة يوم النحر، وخطبة يوم النفر الأوّل وكلها عقيب الزوال وكلها إفراد إلا خطبة يوم عرفة فإنها خطبتان بينهما جلسة). وقد تقدم الكلام على هذه الخطب عند ذكر أوّلها تفصيلاً وهذه هي خطب الحج. وما رواه أبو داود عن رافع بن عمر والمزني قال: « رأيت رسول الله ﷺ يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعلي يعبر عنه والناس بين قائم وقاعد » فمحمول على أنها خطبة تعليم لا أنها من خطب الحج.

من الطواف عاد إلى منى للمبيت والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لأن الناس في غد يقرون بمنى ولا ينفرون، فإذا أصبح اليوم الثاني من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الأولى التي تلي عرفة وهي على يمين الجادة ويرمي إليها بسبع حصيات، فإذا تعداها انحرف قليلاً عن يمين الجادة ووقف مستقبل ا نبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبّر، ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلاً على الدعاء، ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الأولى ويقف كما وقف للأولى، ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمي سبعاً، ولا يعرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول، ويصبح فإذا صلّى الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رمى في هذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود إلى مكة، فإن

(ثم إذا فرغ من الطواف عاد إلى منى للمبيت والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى) هذه الليلة **(ليلة القر)** بالفتح **(لأن الناس في غدها يقرون بمنى)** للنحر **(ولا ينفرون)** ولذلك يقال ليومها أيضاً يوم القر وقد قرَّ بالمكان. قرّ واستقر بمعنى واحد، **(فإذا أصبح اليوم الثاني من العيد)** وهو أوّل يوم من أيام التشريق **(وزالت الشمس اغتسل للرمي)** وهو سنة. وقد تقدم عند ذكر الاغسال المسنونة، **(وقصد الجمرة الأولى التي تلي عرفة)** على يمين المقبل منها إلى منى **(وهي على متن الجادة)** التي يسلكها الناس، **(ويرمي إليها بسبع حصيات فإذا تعداها)** أي تجاوزها **(انحرف)** أي مال **(قليلاً عن متن الجادة ووقف مستقبل القبلة، فحمد الله تعالى وهلله وكبره ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءةسورة البقرة مقبلاً على الدعاء ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرميها)** بسبع حصيات **(كما رمى)** الجمرة **(الأولى ويقف)** عندها **(كما وقف في الأولى ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرميها بسبع)** حصيات **(ولا يعرج على شغل ولا يقف لدعاء بل يرجع إلى منزله)** رواه البخاري من حديث ابن عمر «أنه كان يرمي في الجمرة الدنيا بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة، ثم يتقدم فيسهل فيقوم مستقبل القبلة ثم يدعو ويرفع يديه ويقوم طويلاً، ثم يرمي الجمرة ذات العقبة من بطن الوادي ولا يقف عندها ثم ينصرف، ويقول: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل» ورواه النسائي والحاكم ووهم في استدراكه.

(ويبيت تلك الليلة بمنى أيضاً وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول) ويومها يوم النفر الأول والنفر بالتحريك، **(ويصبح فإذا صلى الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رمى في هذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله)** لكل جمرة سبعة سبعة هكذا تواتر النقل فيه قولاً وعملاً، **(ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود إلى مكة فإن خرج من منى قبل)**

خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وإن صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني أحداً وعشرين حجراً كما سبق.

غروب (**الشمس فلا شيء عليه**) أي له ذلك ويسقط عنه مبيت الليلة الثالثة، والرمي من الغد ولا دم عليه، والأصل فيه قوله تعالى ﴿فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى﴾ [البقرة: ٢٠٣] (**وإن صبر إلى الليل لم يجز له الخروج بل يلزمه المبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني إحدى وعشرين حصاة كما سبق**) وبه قال مالك وأحمد، وقال أبو حنيفة: يشرع النفر ما لم يطلع الفجر.

قال الرافعي: وإذا ارتحل فغربت الشمس قبل أن ينفصل عن منى كان له أن ينفر كيلا يحتاج إلى الحط بعد الترحال، ولو غربت الشمس وهو في شغل الارتحال فهل له أن ينفر؟ فيه وجهان أصحهما نعم، ومن نفر وكان قد تزود الحصى للأيام الثلاثة طرح ما بقي عنده أو دفعها لغيره. قال الأئمة: ولم يؤثر شيء فيما يعتاده الناس من دفنها اهـ.

وقد عرف من سياق المصنف أن وقت الرمي في أيام التشريق يدخل بالزوال ويبقى إلى غروب الشمس، وبهذا قال مالك وأحمد. وعن أبي حنيفة يجوز الرمي في اليوم الثالث قبل الزوال، وهل يمتد وقتها إلى طلوع الفجر، أما في اليوم الثالث فلا، وأما في اليومين الأولين، فوجهان: أصحهما أنه لا يمتد.

وروى أحمد، وأبو داود، وابن حبان، والحاكم من حديث عائشة قالت: « أفاض رسول الله ﷺ من آخر يومه من النحر حين صلى الظهر ثم رجع إلى منى فمكث بها ليالي أيام التشريق يرمي الجمرة إذا زالت الشمس كل جمرة سبع حصيات يكبر مع كل حصاة ويقف عند الأولى والثانية ويتضرع ويرمي الثالثة ولا يقف عندها ».

وقال الرافعي: والسنّة أن يرفع اليد عند الرمي فهو أعون عليه، وأن يرمي في أيام التشريق مستقبل القبلة، وفي يوم النحر مستدبرها كذلك ورد في الخبر وأن يكون نازلاً في رمي اليومين الأولين وراكباً في اليوم الأخير يرمي ويسير عقيبه كما أنه يوم النحر يرمي ثم ينزل. هكذا أورده الجمهور ونقلوه عن نصه في الإملاء.

وفي التتمة: أن الصحيح ترك الركوب في الأيام الثلاثة. قال النووي في زيادات الروضة: هذا الذي قاله في التتمة ليس بشيء، والصواب ما تقدم، وأما جزم الرافعي بأنه يستدبر القبلة يوم النحر فهو وجه قاله الشيخ أبو حامد وغيره، ولنا وجه أنه يستقبلها، والصحيح أنه يجعل القبلة على يساره وعرفات على يمينه ويستقبل الجمرة، فقد ثبت فيه أنه الصحيح والله أعلم.

ثم قال الرافعي: والسنّة إذا رمى في الجمرة الأولى أن يتقدم قليلاً قدراً تبلغه حصاة الرامين، ويقف مستقبل القبلة ويدعو ويذكر الله قليلاً بقدر قراءة سورة البقرة، وإذا رمى إلى الثانية فعل مثل ذلك ولا يقف إذا رمى إلى الثالثة اهـ.

قال الحافظ: رواه البخاري من حديث ابن عمر.

فصل

في مسائل الرمي وتفاريعها:

إحداها: إذا ترك رمي يوم القر عمداً أو سهواً هل يتداركه في اليوم الثاني والثالث؟ أو ترك رمي اليوم الثاني أو رمي اليومين الأولين هل يتداركه في اليوم الثالث؟ فيه قولان:

التفريع: إن قلنا أداء فجملة أيام منى في حكم الوقت الواحد وكل يوم للقدر المأمور به فيه وقت اختيار كأوقات الاختيار للصلوات، ويجوز تقديم رمي يوم التدارك على الزوال، وإن قلنا انه قضاء فتوزيع الأقدار المعينة على الأيام مستحق، ولا سبيل إلى تقديم رمي يوم على يوم ولا إلى تقديمه على الزوال، وهل يجوز بالليل؟ فيه وجهان أصحهما نعم لأن القضاء لا يتأقت، وهل يجب الترتيب بين الرمي المتروك ورمي يوم التدارك؟ فيه قولان أصحهما: نعم.

التفريع: إن لم نوجب الترتيب، فهل يجب على أصحاب الأعذار كالرعاة؟ فيه وجهان قاله في التتمة، ولو رمى إلى الجمرات كلها عن اليوم قبل أن يرمي إليها عن أمسه أجزأه إن لم نوجب الترتيب، فإن أوجبناه، فوجهان أصحهما أنه يجزئه ويقع عن القضاء، ولو رمى إلى كل جمرة أربع عشرة حصاة سبعاً عن أمسه وسبعاً عن يومه جاز إن لم نعتبر الترتيب، وإن اعتبرناه لا يجوز وهو نصه في المختصر هذا كله في رمي اليوم الأول والثاني من أيام التشريق، أما إذا ترك رمي يوم النحر ففي تداركه في أيام التشريق طريقان. أصحهما أنه على قولين.

الثانية: يشترط في رمي أيام التشريق الترتيب في المكان وهو أن يرمي أولاً إلى الجمرة التي تلي مسجد الخيف وهي أقرب الجمرات من منى وأبعدها من مكة، ثم إلى الجمـرة الوسطى، ثم إلى الجمرة القصوى وهي جمرة العقبة فلا يعتد برمي الثانية قبل تمام الأولى ولا بالثالثة قبل تمام الأوليين،وعند أبي حنيفة لو عكسها أعاد، فإن لم يفعل أجزأه، فلو ترك حصاة ولم يدر من أين تركها أخذ بأنه تركها من الجمرة الأولى ورمى إليها واحدة ويعيد رمي الأخيرتين، وفي اشتراط الموالاة بين رمي الجمرة الواحدة خلاف.

الثالثة: إذا ترك رمي بعض الأيام وقلنا انه يتدارك في بقية الأيام فيتدارك ولا دم عليه وقد حصـل الانجبار، ولو نفر يوم النحر أو يوم النفر قبل أن يرمي ثم عاد ورمى قبل الغروب وقع الموقع ولا دم عليه، ولو فرض ذلك في النفر الأول فكمثل ذلك في أصح الوجهين، ولو لم يتدارك ما تركه، أو قلنا لا يمكن التدارك لزم الدم لا محالة يختلف ذلك بحسب قدر المتروك وفيه صور. إحداها: إذا ترك رمي أيام التشريق والتصوير فيما إذا توجه عليه رمي اليوم الثالث أيضاً ففيه قولان: أحدهما: يلـزمـه ثلاثـة دماء، لكن رمي كل يوم عبادة برأسها، والثاني لا يجب أكثر من دم كما لا يجب لترك الجمرات الثلاث أكثر من دم ولو ترك معها رمي يوم النحر أيضاً إن قلنا

وفي ترك المبيت والرمي إراقة دم، وليتصدق باللحم. وله أن يزور البيت في ليالي منى

بالأول فعليه أربعة دماء، وإن قلنا بالثاني فوجهان أصحها أنه يلزمه دمان أحدهما ليوم النحر، والثاني لأيام التشريق لاختلاف الزمنين في الحكم، والله أعلم.

فصل

واضطرب كلام أئمتنا في حكم الترتيب بين الجمرات، وقد صرح أكثرهم بأنه سنَّة، وممن صرح به صاحب البدائع، والكرماني، وصاحب الفتاوىٰ الظهيرية، وصاحب المحيط.

قال صاحب البدائع: فلو ترك الترتيب في اليوم الثاني فبدأ بجمرة العقبة فرماها ثم بالوسطى ثم بالتي تلي المسجد ثم ذكر ذلك في يومه، فإنه ينبغي أن يعيد الوسطى وجمرة العقبة لتركه الترتيب وأنه سنّة، وإذا ترك المسنون تستحب الإعادة ولا يعيد الأولى لأنه إذا أعاد الوسطى وجمرة العقبة صارت هي الأولى وإن لم يعد الوسطى والعقبة أجزأه.

وقال الكرماني: ثم الترتيب في رمي الجمرات مستحب عندنا، حتى لو عكس الرمي يستحب أن يعيد ليكون على الوجه المسنون، فإن لم يفعل أجزأه ولا دم عليه.

وقال صاحب الظهيرية: فإن غير هذا الترتيب أعاد الوسطى والعقبة يأتي بهما مرتباً مسنوناً.

وقال صاحب المحيط: فإن رمى كل جمرة بثلاث أتم الأولى بأربع ثم أعاد الوسطى بسبع ثم العقبة بسبع لأنه رمى عن الأولى أقلها، والأقل لا يقوم مقام الكل فلا عبرة به، فكأنه أتى بهما قبل الأولى ابتداء فيعيدهما، فإن رمى كل واحدة بأربع أتم كل واحدة بثلاث لأنه أتى بالأكثر من الأولى، وللأكثر حكم الكل فكأنه رمى الثانية والثالثة بعد الأولى، وإن استقبل رميها كان أفضل ليكون إتيانه على الوجه المسنون وقال في الينابيع: فإن ترك الترتيب في رمي الجمار أجزأه وأساء، وقال زفر: لا يجزئه دل هذا على أن الترتيب شرط عند زفر دون الأئمة الثلاثة والله أعلم.

(**وفي ترك المبيت والرمي إراقة دم**) أي كلاهما نسكان مجبوران بالدم، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال «من ترك نسكاً فعليه دم».

أما المبيت فليلة النحر بمزدلفة والثاني من أيام التشريق بمنى، لكن مبيته الليلة الثالثة منها ليس نسك على الإطلاق، بل في حق من لم ينفر اليوم الثاني من أيام التشريق على ما مرت الإشارة في كلام المصنف، وتقدم الكلام في الحد المعتبر في المبيت، وكذا الكلام على أنه هل الدم واجب أو مستحب؟ وكلام الأكثرين يميل إلى ترجيح الإيجاب، وروى القاضي ابن كج طريقة ناطقة بالاستحباب، ويبقى الكلام في أن الدم متى يكمل وهل يزيد على الواحد أم لا إن ترك المبيت ليلة النحر وحدها أراق دماً وإن ترك مبيت الليالي الثلاث فكذلك على المشهور، وعن صاحب التقريب رواية قول ان في كل ليلة دماً وإن ترك ليلة منها فم يجبر؟ فيه ثلاثة أقوال: أظهرها بمدّ، والثاني بدرهم، والثالث بثلث دم، وإن ترك ليلتين فعلى هذا القياس، وإن ترك مبيت الليالي

بشرط أن لا يبيت إلا بمنى. كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك، ولا يتركن حضور الفرائض مع الإمام في مسجد الخيف فإن فضله عظيم، فإذا أفاض من منى فالأولى أن

الأربع فقولان: أظهرهما بدمين أحدهما لليلة المزدلفة والآخر لليالي منى لاختلافهما في الموضع وتقاربهما في الأحكام. قال الإمام: وهذا في حق من يتقيد الليلة الثالثة بأن كان بمنى وقت المغرب، فإن لم يكن بها حينئذ ولم يبت وأفرد بدم ليلة مزدلفة فوجهان، لأنه لم يترك مبيت النسك إلا ليلتين. أحدهما عليه مدّان أو درهمان أو ثلثا دم، والثاني عليه دم كامل لترك جنس المبيت بمنى. قال: وهذا أفقه ولا بدّ من عوده فيما إذا ترك ليلتين بمنى من الثلاث دون ليلة مزدلفة إذا لم يتقيد الثالثة. وعند أبي حنيفة لا يجب الدم بترك المبيت بمنى وهو رواية عن أحمد، ولا دم على من ترك المبيت بعذر. وهذا قد تقدم بيانه.

وأما الرمي فاعلم أن أعمال الحج تنقسم إلى ثلاثة أقسام: أركان وأبعاض وهيئات، ووجه الحصر أن كل عمل يفرض فإما أن يتوقف التحلل عليه فهو ركن أو لا يتوقف، فإما أن يجبر بالدم فهو بعض أو لا يجبر فهو هيئة. والأركان خمسة: الإحرام، والوقوف، والطواف، والسعي، والحلق أو التقصير على القول بأنه نسك، وإلا فأربعة، وما سوى الوقوف فأركان في العمرة أيضاً، ولا مدخل للجبران فيها، فأما الابعاض فمجاوزة الميقات والرمي مجبوران بالدم وفاقاً، وفي ترك رمي الأيام الأربعة ثلاثة أقوال: دم دمان أربعة دماء كذا ذكره المصنف في الوجيز، ولو ترك رمي يوم النحر أو رمي واحد من أيام التشريق بأسره يلزمه دم، وإن ترك بعض رمي اليوم نظر إن كان من واحد من أيام التشريق فقد جمع الإمام فيه طرقاً. أحدها: أن الجمرات الثلاث كالشعرات الثلاث فلا يكمل الدم في بعضها، وإن ترك بعض رمي يوم النحر فقد ألحقه في التهذيب بما إذا ترك من الجمرة الأخيرة من اليوم الأخير. وقال في التتمة: يلزمه دم. وإن ترك حصاة لأنها من أسباب التحلل، فإذا ترك شيئاً لم يتحلل إلا ببدل كامل، وعن أبي حنيفة أنه إذا ترك من يوم النحر أربع حصيات فعليه دم، وإن ترك عشراً وأقل فلا اكتفاء بالأكثر، وباقي مسائل الرمي تقدم ذكرها قريباً والله أعلم.

(**ويتصدق باللحم**) لأنه دم واجب فليجتنب أكله، (**وله أن يزور البيت**) الشريف (**في ليالي منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى، كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك**) رواه أبو داود في المراسيل من حديث طاوس قال: « أشهد أن رسول الله ﷺ كان يفيض كل ليلة من ليالي منى ». قال أبو داود: وقد أسند.

قال العراقي: وصله ابن عدي عن طاوس، عن ابن عباس قال: « كان رسول الله ﷺ يزور البيت أيام منى » وفيه عمر بن رباح ضعيف والمرسل صحيح الإسناد، ولأبي داود من حديث عائشة « أن النبي ﷺ مكث بمنى ليالي أيام التشريق ».

(**ولا يترك حضور الفرائض**) أي الصلاة (**مع الإمام بمسجد الخيف، فإن فضله عظيم**)

يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنّة. رواه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، فإن لم يفعل ذلك فلا شيء عليه.

والخيف في الأصل ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع من مسيل الماء، وبه سمي المسجد بمنى لأنه بني على خيف الجبل. وقال ابن جماعة في منسكه: ويستحب التبرك بالصلاة في مسجد الخيف، فقد روي عن النبي ﷺ «أنه صلى في مكانه سبعون نبياً منهم موسى عليه السلام وأنه فيه قبر سبعين نبياً». ويقال: إن مصلى رسول الله ﷺ عند الأحجار أمام المنارة اهـ.

(فإذا أفاض من منى فالأولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهي السنة. روي ذلك عن جماعة من الصحابة فإن لم يفعل ذلك فلا شيء عليه).

وعبارة الرافعي: واعلم أن الحاج إذا فرغ من رمي اليوم الثالث من أيام التشريق فيستحب له أن يأتي المحصب وينزل به ليلة الرابع عشر ويصلي به الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

وروي: «أن النبي ﷺ صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع بها هجعة ثم دخل مكة ولو ترك النزول به لم يلزمه شيء» روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت «نزل رسول الله ﷺ المحصب وليس سنة من شاء نزله ومن لم يشأ لم ينزله» وحد المحصب من الأبطح ما بين الجبلين إلى المقبرة يسمى به لاجتماع الحصا فيه لحمل السبيل فإنه موضع منهبط اهـ.

قال الحافظ: رواه البخاري عن أنس بلفظ: «إن النبي ﷺ صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد رقدة بالمحصب» ورواه من حديث ابن عمر بلفظ «صلى الظهر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة ثم ركب إلى البيت فطاف به».

وأما حديث عائشة فلم أره هكذا، ولمسلم عنها: نزول الأبطح ليس بسنة ولهما عن عروة أنها لم تكن تفعل ذلك يعني نزول الأبطح وتقول: «إنما نزل رسول الله ﷺ لأنه كان أسمح لخروجه» اهـ.

قلت: أما حديث عروة عن عائشة، فرواه مسلم والنسائي من هذا الوجه من رواية عبد الرزاق عن معمر، عن الزهري، عن سالم «أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وابن عمر كانوا ينزلون بالأبطح». قال الزهري: وأما عروة عن عائشة فإنها لم تكن تفعل ذلك الحديث. واقتصر النسائي على ذكر ابن عمر.

وأخرجه الأئمة الستة من رواية هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: «نزول الأبطح ليس بسنة إنما نزله رسول الله ﷺ لأنه كان أسمح لخروجه إذا خرج» هذا لفظ مسلم والباقي بمعناه، ولم يقل البخاري والترمذي ليس بسنّة.

ورواه النسائي وابن ماجه من رواية إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت «أدلج رسول الله ﷺ من البطحاء ليلة النفر إدلاجاً».

الجملة الثامنة: في صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع:

من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الإحرام

قال النووي: المحصب والحصبة والأبطح والبطحاء وخيف بني كنانة إسم لشيء واحد اهـ.

وروى البخاري عن خالد بن الحارث قال: سئل عبيد الله عن التحصيب فحدثنا عن نافع قال « نزل بها رسول الله ﷺ وعمر وابن عمر » وعن نافع أن ابن عمر كان يصلي بها الظهر والعصر. أحسبه قال: والمغرب، قال خالد: لا أشك في العشاء ويهجع هجعة، ويذكر ذلك عن النبي ﷺ، ثم ان النزول به مستحب عند الأئمة الأربعة، وهو عند الحجازيين آكد منه عند الكوفيين قاله ابن عبد البر، وقول المصنف: روي ذلك عن جماعة من الصحابة، فالمراد بهم أبو بكر وعمر وابن عمر كما في صحيح مسلم، وعثمان كما عند الترمذي وابن ماجه، وقد روي إنكاره عن عائشة وابن عباس وطاوس ومجاهد، وسعيد بن جبير، والله أعلم.

الجملة الثامنة: في صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع:

لما فرغ من ذكر أعمال الحج اشتغل بالكلام في العمرة فقال: **(ومن أراد أن يعتمر بعد حجه أو قبله كيفما أراد فليغتسل وليلبس ثياب الإحرام كما سبق في الحج)**، ولنقدم قبل الخوض ما جاء في فضلها والحث عليها، وقد تقدم للمصنف أحاديث تتضمن الحج والعمرة في أول الباب، ومن ذلك ما أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح، وابن حبان عن ابن مسعود رفعه « تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ».

وأخرج ابن أبي خيثمة في تاريخه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « تابعوا بين الحج والعمرة فإن متابعة بينهما تزيد في العمر والرزق وتنفي الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد » ومعنى المتابعة يحتمل أن يكون المراد به أن يأتي بكل واحد من النسكين عقيب الآخر بحيث لا يتخلل بينهما زمان يصح إيقاع الثاني فيه، وهو الظاهر من لفظ المتابعة، ويحتمل أن يراد به اتباع أحد النسكين الآخر، ولو تخلل بينهما زمان بحيث يظهر مع ذلك الاهتمام بهما ويطلق عليه في العرف أنه ردفه وتبعه، والاحتمال الثاني أظهر إذ القصد به الاهتمام وعدم الإهمال وهو يحصل بما ذكرناه، وسواء تقدمت العمرة أو تأخرت لأن اللفظ يصدق على الحالين.

وأخرج أبو داود، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه أن عمر استأذن النبي ﷺ في العمرة فأذن له وقال « لا تنسنا من دعائك أو أشركنا في دعائك ».

وأخرجه أحمد بزيادة ولفظه « يا أخي لا تنسنا من دعائك » وفي لفظ: « يا أخي أشركنا في دعائك » قال: ما أحب أن يكون لي بها ما طلعت عليه الشمس لقوله يا أخي.

وأخرجه كذلك الحافظ السلفي، وصاحب الصفوة، وأخرجه علي بن حرب الطائي في الحربيات بلفظ « أشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا » ثم اختلف العلماء فيها فقيل: واجبة وهو قول

كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها، وأفضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم

ابن عمر، وابن عباس، وهو مذهب الشافعي، وأحمد. وقال مالك، وأبو حنيفة: هي سنّة.

فمن دلائل الوجوب قول ابن عباس « الحج والعمرة واجبان » أخرجه سعيد بن منصور، وعنه أيضاً « العمرة واجبة لوجوب الحج لمن استطاع إليه سبيلاً » أخرجه الدارقطني عن ابن عمر أنه قال: « ليس أحد إلا وعليه حج وعمرة » أخرجه البخاري، وعن عطاء مثله أخرجه البيهقي، وعن زيد بن ثابت رفعه « الحج والعمرة فريضتان لا يضرك بأيها بدأت » أخرجه الدارقطني، وعن علي وابن عباس أنهما قالا الحج الأكبر يوم النحر والحج الأصغر العمرة » أخرجه أبو ذر الهروي.

وأما حجة من قال: لا تجب مطلقاً ما أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح عن جابر رضي الله عنه رفعه « أنه سئل عن العمرة أهي واجبة؟ قال: لا وأن تعتمر هو أفضل » وأخرجه أحمد ولفظه « وأن تعتمر خير لك » وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي عن أبي صالح الحنفي رفعه « الحج جهاد والعمرة تطوع ».

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن المعتمر إما أن يكون خارج الحرم أو فيه، فإن كان خارج الحرم فموضع إحرامه بالعمرة هو موضع إحرامه بالحج بلا فرق وإليه أشار المصنف بقوله: **(ويحرم بالعمرة من ميقاتها)** وإن كان في الحرم سواء كان مكبراً أو مقيماً بمكة فالكلام في ميقاته الواجب ثم الأفضل، أما الواجب فهو أن يخرج إلى الحل ولو بخطوة من أي جانب شاء، فإن خالف وأحرم بها في الحرم انعقد إحرامه ثم له حالتان.

إحداهما: أن لا يخرج إلى الحل بل يطوف ويسعى ويحلق، فهل يجزئه ذلك عن عمرته؟ فيه قولان محكيان عن نصه في الأم أصحهما نعم، وبه قال أبو حنيفة لأن إحرامه قد انعقد وأتى بعده بالأفعال الواجبة، لكن يلزمه دم لتركه الإحرام من الميقات الثاني لا لأن العمرة أحد النسكين، فيشترط فيه الجمع بين الحل والحرم كما في الحج، فإن قلنا بالأول فلو وطئ بعد الحلق لم يلزمه شيء لوقوعه بعد التحلل، وإن قلنا بالثاني فالوطء واقع قبل التحلل لكنه يعتقد كونه بعد التحلل فهو بمثابة وطء الناسي، وفي كونه مفسداً قولان، فإن جعلناه مفسداً فعليه المضي في الفاسد بأن يخرج الى الحل ويعود فيطوف ويسعى ويحلق ويلزمه القضاء وكفارة الإفساد، ويلزمه للحلق دم أيضاً لوقوعه قبل التحلل.

الحالة الثانية: أن يخرج إلى الحل ثم يعود فيطوف ويسعى فيعتد بما أتى به لا محالة، وهل يسقط عنه دم الإساءة؟ حكى الإمام فيه طريقين أظهرهما: القطع بالسقوط، وهو الذي أورده الأكثرون، فعلى هذا الواجب هو خروجه إلى الحل قبل الأعمال. هذا في ميقاتها الواجب.

وأما الأفضل فأشار إليه المصنف بقوله: **(وأفضل مواقيتها)** من أطراف الحل لإحرامها **(الجعرانة)** وقد تقدم ضبطها واختلاف العلماء فيها، **(ثم)** إن لم يتفق فمن **(التنعيم)** وقد

الحديبية. وينوي العمرة ويلبي ويقصد مسجد عائشة رضي الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء. ثم يعود إلى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام، فإذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعاً وسعى سبعاً كما وصفنا. فإذا فرغ حلق رأسه وقد

تقدم التعريف به، (**ثم**) إن لم يتفق فمن (**الحديبية**) وقد تقدم التعريف بها. قال النووي: هذا هو الصواب وأما قول صاحب التنبيه: والأفضل أن يحرم بها من التنعيم فغلط والله أعلم.

قال الرافعي: وليس النظر فيها إلى المسافة بل المتبع سنّة رسول الله ﷺ، وقد نقلوا أنه اعتمر من الجعرانة مرتين عمرة القضاء سنة سبع ومرة عمرة هوازن وأمر عائشة أن تعتمر من التنعيم وصلى بالحديبية،وأرادالدخول فيها للعمرة فصدّه المشركون عنها، فقدم الشافعي رحمه الله ما فعله ثم ما أمر به ثم ما همّ به.

(**وينوي العمرة ويلبي ويقصد مسجد عائشة رضي الله عنها**) بالتنعيم على فرسخ من مكة على طريق المدينة، (**ويصلي ركعتين**) ثم يحرم بعدهما، (**ويدعو بما شاء**) مما تقدم ذكره في أدعية الحج، (**ثم يعود إلى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام، فإذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف بالبيت سبعاً وصلى ركعتي الطواف، وسعى سبعاً بين الصفا والمروة كما وصفناه في الحج**) سواء، (**فإذا فرغ**) من السعي (**حلق رأسه وقد تمت عمرته**). وتقدم أن تكرارها في السنة مستحب عند الائمة الثلاثة خلافاً لمالك.

وقد أخرج سعيد بن منصور عن الحسن وإبراهيم أنهما كانا يقولان: العمرة في السنة مرة واحدة، وعن سعيد بن جبير، وسئل عن تكرار العمرة في السنة قال: أما أنا فأعتمر في السنة مرة واحدة.

وأما دليل الجماعة فما أخرجه الترمذي عن عائشة «أن النبي ﷺ اعتمر عمرتين عمرة في ذي القعدة وعمرة في شوال».

وأخرج الشافعي في مسنده عن سعيد بن المسيب: أن عائشة اعتمرت في سنة واحدة مرتين مرة من ذي الحليفة ومرة من الجحفة.

وعن نافع أن ابن عمر اعتمر أعواماً في عهد ابن الزبير عمرتين في كل عام، وعن أنس: أنه كان إذا حمّ رأسه خرج فاعتمر، وعن مجاهد أن علياً رضي الله عنه قال «في كل شهر عمرة» أخرجه سعيد بن منصور والبيهقي وأبو ذر، وأخرج أبو ذر عن عطاء أنه قال «في كل شهر عمرة وفي كل شهر عمرتان، وفي كل شهر ثلاث عمر» وعن القاسم أن عائشة اعتمرت في شهر ثلاث عمر.

وقوله في حديث أنس كان إذا حم رأسه أي اسود بعد الحلق في الحج بنبات الشعر، والمعنى أنه كان لا يؤخر العمـرة إلى المحرم، بل كان يخرج إلى الميقات ويعتمر في ذي الحجة، ومن عوام الرواة من يرويه بالجيم يذهب به إلى الجمة والمحفوظ بالمهملة والله أعلم.

تمت عمرته. والمقيم بمكة ينبغي أن يكثر الاعتمار والطواف. وليكثر النظر إلى البيت.

(والمقيم بمكة) يعني به الغريب الذي قصد مجاورتها **(ينبغي)** له **(أن يكثر الاعتمار والطواف)** ولم يرد بالمقيم الحاضر وإن كان لفظ الإقامة يشملها، وهكذا عبّر به المصنف في الوجيز في باب العمرة فقال في سياق عبارته إلا في حق المكي والمقيم بها. وقال الرافعي في شرحه كالمعترض عليه: لا شك أن المراد بالمكي الحاضر بمكة، فلو اقتصر على قوله في حق المقيم بمكة لأغناه ودخل فيه ذلك المكي اهـ.

ثم لا يخفى أن الصلاة والاعتمار والطواف كل منها أفضل في ذاته، ولكن هل الصلاة أفضل من الطواف أو بالعكس؟ فقطع الماوردي في الحاوي بأن الطواف أفضل مطلقاً. وروي مثل ذلك عن سعيد بن جبير قال: الطواف هناك أحب إليَّ من الصلاة يعني بالبيت حكاه الماوردي في تفسيره وقال: ولهذا القول وجه، وإن كان فضل الصلاة أعم، ومنهم من فضل الصلاة على الطواف مطلقاً نظراً إلى عموم فضلها، ومنهم من توسع فقال: أما أهل مكة فالصلاة لهم أفضل، وأما أهل الأقطار فالطواف روي ذلك عن ابن عباس أخرجه البغوي في شرح السنة، ومثله عن عطاء، ومجاهد نقله الماوردي. وفي المغني لابن قدامة عن ابن عباس الطواف لكم يا أهل العراق أفضل، والصلاة لأهل مكة أفضل، ومنهم من قرر هذا التوسط بوجه آخر فقال: الطواف للشاب أفضل والصلاة للشيخ أفضل رواه البغوي في شرح السنة عن موسى الجهني عن مجاهد.

وأما تفضيل الطواف على الاعتمار فأخرج الأزرقي عن قدامة بن موسى بن قدامة بن مظعون أن أنس بن مالك قدم المدينة فركب إليه عمر بن عبد العزيز فسأله عن الطواف للغرباء أفضل أم العمرة؟ فقال: بل الطواف، ومراده والله أعلم أن تكرار الطواف أفضل من العمرة، ولا يريد طواف أسبوع واحد، فإنه موجود في العمرة وتزيد العمرة بما فيها من غيره.

قال المحب الطبري: وقد ذهب قوم من أهل عصرنا إلى تفضيل العمرة عليه ويرون الاشتغال بها أفضل من تكراره والاشتغال به. ويستفرغون وسعهم فيها بحيث لا تبقى في أحدهم منعة يستعين بها على الطواف وذلك خطأ ظاهر. وأول دليل على خطئه مخالفة السلف الصالح في ذلك قولاً وفعلاً إذ لم ينقل تكرارها والإكثار منها عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وقد اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر في أربع سفرات في أربعة أعوام، ولم ينقل أنه ﷺ زاد في كل سفرة على عمرة، ولا أحد ممن كان معه من الصحابة غير عائشة في حجة الوداع لمعنى اقتضى ذلك، وكذلك كل من سكن الحرم من الصحابة والتابعين لم ينقل عنهم الإكثار منها فضلاً عن مداركتها في أيام أو في يوم، وأكثر ما روي عن عطاء أنه قال «في كل شهر عمرة وفي كل شهر عمرتان وفي كل شهر ثلاث عمر» وعن علي «في كل شهر عمرة» وعن أنس «أنه كان إذا حمم رأسه خرج فاعتمر» وعن ابن عمر «أنه كان يعتمر في رجب في كل عام» وعن عمر وعثمان مثله، وعن القاسم: أن عائشة اعتمرت في عام واحد ثلاث عمر، ففعل

فإذا دخله فليصلّ ركعتين بين العمودين فهو الأفضل وليدخله حافياً موقراً. قيل

أنس محمول على السبب، وفعل غيره محمول على مقاصد العبادة حتى لا تصير مهجورة، ولا يلزم من القدرة على الأفضل أن لا يتعاطى المفضول فقصد التعهد له عند هجر الناس له أفضل من تعاطي الأفضل، وينتظم به في سلك ذاكري الله في الغافلين، ولأجل هذا المعنى فضلت الصلاة في مسجد الجوار على الأكثر جماعة، فهذا تأويل مذهب من ذكرناه من الصحابة في تكراره لها.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: يا أهل مكة ما عليكم أن لا تعتمروا إنما عمرتكم طوافكم بالبيت. يشير بذلك إلى أن اشتغالهم به أفضل من اشتغالهم بها، وتخصيص الغرباء في سؤال عمر بن عبد العزيز بالذكر خرج مخرج الغالب، فإن الغالب أن تكرارها إنما يكون حرصاً منهم عليها لأنها تغرب بمفارقتهم الحرم، وهذا المعنى موجود في الطواف، فكان اشتغالهم به أولى من العمرة إذ هو المقصود منها، فإن معنى العمرة زيارة البيت والطواف تحيته، ويتأيد ذلك بأنه ليس منها ما هو عبادة مستقلة غيره وما سواه منها إنما كان عبادة بربط القصد إليه فهو تابع له إما وسيلة سابقة أو تتمة لاحقة، ولهذا لو انفك عن ربط القصد إليه عدّ متلاعباً مساواة بين المقصود والتابع، وهذا طاووس من أكبر الأئمة يقول: الذين يعتمرون من التنعيم ما أدري يؤجرون عليها أم يعذبون؟ قيل له: فلِمَ يعذبون؟ قال: لأن أحدهم يدع الطواف بالبيت ويخرج إلى أربعة أميال ويجيء، ومراده بالتعذيب والله أعلم إتعابه نفسه لا أن الله يعذبه على ذلك. وذهب مالك إلى كراهة تكرارها في العام الواحد، وذهب أحمد إلى أنها تستحب في أقل من عشرة أيام، ولم يذهب أحد إلى كراهة تكرار الطواف، بل أجمعوا على استحبابه. وقد روي تكراره والإكثار منه عن كثير من الصحابة، وقد روي عنه ﷺ: «أنه كان في حجة الوداع يفيض من البيت كل ليلة من ليالي منى وفي بعض الأيام مع قوله ﷺ انها أيام أكل وشرب وبعال».

وروي عن ابن عمر: أنه كان يطوف سبعة أسابيع بالليل وخمسة بالنهار وكان طواف آدم عليه السلام كذلك على أنا لا ندعي به كراهة تكرارها، بل نقول إنها عبادة كثيرة الفضل عظيمة الخطر، لكن الاشتغال بتكرار الطواف مثل مدتها أفضل من الاشتغال بها والله أعلم.

(وليكثر النظر إلى البيت) فقد تقدم في حديث ابن عباس في نزول الرحمات: وفيه عشرون للناظرين. وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرفوعاً: «النظر إلى الكعبة محض الإيمان» وعن مجاهد أنه قال: «النظر إلى الكعبة عبادة». وعن سعيد بن المسيب أنه قال: «من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً خرج من خطاياه كيوم ولدته أمه» وعن عطاء قال: «النظر إلى البيت يعدل عبادة سنة قيامها وركوعها وسجودها» وعن ابن السائب قال: «من نظر إلى الكعبة إيماناً وتصديقاً تحاتت عنه الذنوب كما يتحات الورق عن الشجر» وعنه قال: «النظر إلى البيت عبادة والناظر إليه بمنزلة الصائم القائم الدائم المخبت المجاهد في سبيل الله» كل ذلك أخرجه الأزرقي في التاريخ.

(وإذا دخله فليصلّ بين العمودين) الكلام هنا أوّلاً على استحباب الدخول، ثم الصلاة فيه

ثم موضع الصلاة، فاعلم أنه اختلف العلماء في دخول البيت هل يستحب أم لا ؟ فأجازه قوم ومنعه آخرون.

فأما استحبابه فأخرج تمام الرازي في فوائده عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال، قال النبي ﷺ : « من دخل البيت دخل في حسنة وخرج من سيئة مغفوراً له » وهو حديث حسن غريب.

وأما حجة من قال: لا يستحب، فما رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: « خرج رسول الله ﷺ من عندي وهو قرير العين طيب النفس ثم رجع إليَّ وهو حزين، فقلت له فقال: دخلت الكعبة ووددت أن لم أكن فعلت إني أخاف أن أكون أتعبت أمتي من بعدي » ولا دلالة في هذا الحديث على عدم الاستحباب، بل نقول دخوله ﷺ دليل الاستحباب.

وقال البخاري: باب من لم يدخل الكعبة، وأورد عن عبدالله بن أبي أوفى قال: « اعتمر رسول الله ﷺ فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين ومعه من يستره من الناس فقال له رجل: أدخل رسول الله ﷺ الكعبة؟ قال: لا ». وأخرجه مسلم كذلك.

وروى البخاري تعليقاً عن ابن عمر أنه حج كثيراً ولم يدخل البيت، وأخرج الأزرقي عن ابن عباس قال: ليس من الحج دخول البيت فتؤذي وتؤذى. وعن سفيان قال: سمعت غير واحد من أهل العلم يذكرون: « أن رسول الله ﷺ إنما دخل الكعبة مرة واحدة عام الفتح وحج ولم يدخلها، وأخرج سعيد بن منصور عن عطاء أن رجلاً قال له: إني طفت بالبيت ولم أدخله فقال عطاء: وما عليك أن لا تدخله إنما أمرت بالطواف به ولم تؤمر بالدخول فيه.

والجواب عن ذلك أن قول ابن عمر انه حج كثيراً ولم يدخله لا دلالة فيه على كراهية الدخول، فقد يكون منعه عذر، وكذلك عدم دخوله ﷺ في عمرته يجوز أن يكون للعذر، ولعله تركه شفقة على أمته كما دل عليه حديث عائشة، وقول ابن عباس ليس من أمر الحج إلخ، يشير إلى واجبات الحج. وقول عطاء محمول على عدم رؤية الوجوب لا على نفي الاستحباب.

وأما الصلاة في الكعبة فذهب أبو حنيفة والثوري والشافعي وجماعة من السلف وبعض أهل الظاهر إلى أنه يصلى فيها كل شيء. وقال مالك: يصلى فيها التطوع فقط لا الفرض والوتر وركعتا الفجر وركعتا الطواف. وقال بعض أهل الظاهر: لا يصلى فيها مكتوبة ولا تطوّع.

وأمّا موضع الصلاة فيها ففي الصحيحين عن ابن عمر: « أن النبي ﷺ دخل الكعبة هو وأسامة وبلال وعثمان بن طلحة الحجبي فأغلقها عليه ثم مكث فيها. فقال ابن عمر: فسألت بلالاً حين خرج ما صنع رسول الله ﷺ ؟ قال: جعل عمودين عن يساره وعموداً عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى » وفي رواية عند البخاري، وأبي داود: « عموداً

لبعضهم: هل دخلت بيت ربك اليوم؟ فقال: والله ما أرى هاتين القدمين أهلاً للطواف حول بيت ربي، فكيف أراهما أهلاً لأن أطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث

عن يساره وعمودين عن يمينه». وكذلك أخرجه مالك في الموطأ. قال البيهقي: وهو الصحيح، وفي رواية عندهما أيضاً: «عموداً عن يمينه وعموداً عن يساره» وفي رواية عندهما، وعند أحمد، وأبي داود: «ثم صلى وبينه وبين القبلة ثلاثة أذرع» ولم يذكر في هذه الرواية السواري.

وعند رزين في البحرين في حديث ابن عمر فقلت له: «أين صلى رسول الله ﷺ؟ قال: صلى بين العمودين من السطر المقدم وجعل الباب خلف ظهره» هذا لفظ رزين وهو متفق عليه. وجاء في الصحيح: «أنه صلى بين العمودين اليمانيين وفي أخرى بين العمودين تلقاء وجهه وبين العمودين المقدمين».

وأشار بقوله: (**فهو الأفضل**) إلى موافقته لمصلى رسول الله ﷺ كما سبق في الأحاديث المتقدمة. (**وليدخله حافياً**) أشار بهذه الجملة إلى بعض آداب دخول البيت، فمنها أنه إذا أراد الدخول خلع نعليه. روي ذلك عن سعيد بن جبير وعن عطاء وطاوس ومجاهد: أنهم كانوا يقولون: «لا يدخل أحد الكعبة في خف ولا نعل» أخرجها سعيد بن منصور، ومنها أن يغتسل لدخوله أخرجه الأزرقي عن داود بن عبد الرحمن عن عبد الكريم بن أبي المخارق أنه أوصاه بذلك. ومنها أن يكون (**موقراً**) أي معظماً. وفي بعض النسخ متوقراً أي يلزم نفسه الأدب فلا يطلق بصره في أرجاء البيت، فذلك قد يولد الغفلة واللهو عن القصد، ولا يكلم أحداً إلا لضرورة أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، ويلزم قلبه الخشوع والخضوع وعينيه بالدموع إن استطاع ذلك، وإلاَّ حاول صورهما.

قال المحب الطبري: ويحترز عن خصلتين ابتدعهما بعض الفجرة ليضل الناس، وربما تسبب بهما إلى طمع.

إحداهما: ما يسمى بالعروة الوثقى وقع في قلوب الكثير من العامة أن من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثقى، فتراهم يركب بعضهم بعضاً لنيل ذلك، وربما ركبت المرأة على ظهر الرجل وكان ذلك سبباً لانكشاف عورتها وذلك من أشنع البدع وأفحشها.

الثانية: ما يسمى بسرة الدنيا وهو مسمار في وسط البيت يكشف العامة ثيابهم عن بطونهم حتى يضع الإنسان سرته عليه وينبطح بجملته على الأرض حتى يكون واضعاً سرته على سرة الدنيا. قاتل الله مخترع ذلك ومبدعه، فلقد جاء بموجبات مقت الله عز وجل، وينضم إلى كون فاعل ذلك مرتكباً بدعة لغط وأذى بمزاحمة ومخالفة الأدب المستحق في ذلك المكان، ويقع ذلك ضرورة لمن فعل ذلك فليحذر داخل البيت من ملابسة ذلك. والله أعلم.

(قيل لبعضهم: هل دخلت بيت ربك اليوم؟ فقال: والله ما أرى هاتين القدمين أهلاً للطواف حول بيته، فكيف أراهما أهلاً لأن أطأ بهما بيت ربي. وقد علمت حيث مشتا وإلى

مشيتا وإلى أين مشيتا. وليكثر شرب ماء زمزم. وليستق بيده من غير استنابة إن أمكنه

أين مشتا) وهذا نظر العارفين بالله تعالى، فإنهم يتحامون عن الدخول في البيت تأدباً وإجلالاً لأنهم لا يرون لأنفسهم أهلية لهذا القرب مع كمال معرفتهم بالقصور.

(وليكثر شرب ماء زمزم) وهو عين مكة. وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس: «أن هاجر لما أشرفت على المروة حين أصابها وولدها العطش سمعت صوتاً فقالت: صه تريد نفسها، ثم تسمّعت فسمعته أيضاً فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه، أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تخوضه، وتقول بيدها هكذا تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغترف. قال ابن عباس، قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال: لو لم تغترف في الماء لكانت زمزم عيناً معيناً». قال، فشربت وأرضعت ولدها. فقال لها الملك: «لا تخافوا الضيعة فإن ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله»، وكان البيت مثل الرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله.

(وليستق الماء بيده من غير استنابة إن أمكنه) وفي حديث جابر الطويل: «أن النبي ﷺ لما أفاض أتى بني عبد المطلب وهم يسقون على زمزم فناولوه دلواً فشرب منه».

قال ابن السكن: نزع له الدلو العباس بن عبد المطلب، وذكر الملا في سيرته عن ابن خديج: «أن النبي ﷺ نزع لنفسه دلواً فشرب منه ثم عاد إلى منى». وذكر الواقدي أنه لما شرب صبّ على رأسه، وذكر أبو ذر في منسكه عن علي رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ لما أفاض دعا بسجل من زمزم فشرب منه وتوضأ» وأخرجه أحمد أيضاً وقال: «فدعا بسجل من زمزم فشرب منه، وتوضأ». وأخرجه أيضاً من حديث ابن عباس وزاد وقال: «لولا أن يتخذها الناس نسكاً ويغلبوكم عليه لنزعت منكم» وفي رواية عنده: «إنهم لما نزعوا الدلو غسل منه وجهه وتمضمض منه ثم أعادوه فيها» وكذلك أخرجه سعيد بن منصور.

وعن عاصم عن الشعبي أن ابن عباس حدثهم قال: «سقيت رسول الله ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم» قال عاصم: فحلف عكرمة ما كان يومئذ إلا على بعير أخرجه البخاري، ورواه ابن حزم عنه. وأخرجه النسائي ويجوز أن يكون الأمر فيه على ما حلف عليه عكرمة، وهو أنه شرب وهو على الراحلة ويطلق عليه قائم، ويكون ذلك مراد ابن عباس من قوله: «قائماً» فلا يكون بينه وبين النهي عن الشرب قائماً تضاد، ويجوز أن يحمل على ظاهره ويكون دليلاً على إباحة الشرب قائماً.

وعنه: «أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى فقال العباس: يا فضل اذهب إلى أمك فأتِ رسول الله ﷺ بشراب من عندها، فقال: اسقني. فقال يا رسول الله؛ إنهم يجعلون أيديهم فيه، فقال: اسقني فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسقون عليها فقال: اعملوا فإنكم على عمل صالح، ثم قال: لولا أن تغلبوا لنزعت حتى أضع الحبل على هذه» وأشار إلى عاتقه. أخرجاه، وفي

وليرتو منه حتى يتضلع وليقل: «اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني

هذا دليل على ترجيح الاحتمال الأول في الحديث قبله، لأن قوله: «لنزعت» يدل على أنه كان راكباً إلا أن النبي ﷺ مكث بمكة قبل الوقوف أربعة أيام بلياليها من صبيحة يوم الأحد إلى صبيحة يوم الخميس، فلعل ابن عباس سقاه من زمزم وهو قائم في بعض تلك الأيام وفي رواية أن هذا شراب قد مرث ومغث أفلا نسقيك لبناً وعسلاً؟. فقال: «اسقونا مما تسقون منه المسلمين» وفي رواية قال: «اسقوني من النبيذ» فقال العباس: إن هذا شراب قد مغث ومرث وخالطته الأيدي ووقع فيه الذباب، وفي البيت شراب هو أصفى منه فقال: «منه فاسقني» يقول ذلك ثلاث مرات فسقاه منه أخرجها الأزرقي، وأخرج معناها سعيد بن منصور، وأخرج الثاني الشافعي ولم يقل يقول ذلك ثلاث مرات، وذكر الملا في سيرته قوله: إنهم يجعلون أيديهم فيه فقال: «اسقني لأتبرك بأكف المسلمين».

(وليرتـو منه حتى يتضلع) التضلع الامتلاء حتى تمتد أضلاعه **(وليقل: «اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقنا الإخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة»)** هذا شروع في بيان آداب شرب ماء زمزم.

أخرج الدارقطني عن عبدالله بن أبي مليكة قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال له: من أين جئت؟ قال: شربت من زمزم. فقال: أشربت منها كما ينبغي؟ فقال: وكيف يا أبا عباس؟ قال: إذا شربت منها فاستقبل القبلة واذكر اسم الله تعالى وتنفس وتضلع منها، فإذا فرغت فاحمد الله تعالى، فإن رسول الله ﷺ قال: «إن بيننا وبين الناس أنهم لا يتضلعون من زمزم».

وأخرج أيضاً عن عكرمة قال: كان ابن عباس إذا شرب من زمزم قال: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاء من كل داء» وكذلك أخرجها ابن ماجه وأخرج سعيد بن منصور، عن ابن جريج أن ابن عباس قال: إذا شربت ماء زمزم فاستقبل القبلة، ثم قل: «اللهم اجعله» إلخ.

وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من ماء زمزم».

وأخرج الأزرقي عنه مرفوعاً «التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق».

وعنه أيضاً قال: «كنا مع النبي ﷺ في صفة زمزم فأمر بدلو فنزعت له من البئر فوضعها على شفة البئر ثم وضع يده من تحت عراقي الدلو ثم قال: بسم الله ثم كرع فيها فأطال ثم أطال، فرفع رأسه فقال الحمد لله، ثم عاد فقال بسم الله ثم كرع فيها فأطال وهو دون الأول، ثم رفع رأسه فقال: الحمد لله ثم قال ﷺ: علامة ما بيننا وبين المنافقين لم يشربوا منها قط حتى يتضلعوا»

ومما جاء في فضل زمزم وبركاتها ما أخرجه الأزرقي في التاريخ عن ابن عباس قال: صلوا في

....

مصلى الأخيار واشربوا من شراب الأبرار، قيل له: ما مصلى الأخيار؟ قال: تحت الميزاب. قيل: وما شراب الأبرار؟ قال: ماء زمزم.

وروى البخاري في الصحيح من حديث أبي ذر رضي الله عنه: «فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم» وفي حديثه أيضاً قال: «ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكني وما أجد على كبدي سخفة جوع، فقال ﷺ: إنها طعام طعم» وكذلك رواه مسلم، ورواه أبو داود الطيالسي، وزاد: «وشفاء سقم» وعزا البيهقي هذه الزيادة إلى صحيح مسلم، وليست فيه.

وأخرج الأزرقي، وسعيد بن منصور، عن ابن خيثم قال: «قدم علينا وهب بن منبه فاشتكى فجئناه نعوده فإذا عنده من ماء زمزم، فقال: فقلنا له: لو استعذبت فإن هذا الماء فيه غلظ. قال: ما أريد أن أشرب حتى أخرج منها غيره، والذي نفس وهب بيده إنها لفي كتاب الله تعالى زمزم لا تنزف ولا تذم، وإنها لفي كتاب الله تعالى برة شراب الأبرار، وإنها في كتاب الله تعالى مضنونة، وإنها لفي كتاب الله تعالى طعام طعم وشفاء سقم، والذي نفس وهب بيده لا يعمد إليها أحد فيشرب حتى يتضلع إلا نزعت منه داء وأحدثت له شفاء».

وأخرج الأزرقي عن كعب الأحبار أنه كان يقول إني لأجد في كتاب الله المنزل أن زمزم طعام طعم وشفاء سقم أول من سقي ماءها إسماعيل.

وأخرج أيضاً عن الأسود قال: كنت مع أهلي بالبادية فابتعت بمكة فاعتقت فمكثت ثلاثة أيام لا أجد شيئاً آكله، فكنت أشرب من ماء زمزم، فانطلقت حتى أتيت زمزم فبركت على ركبتي مخافة أن أستقي وأنا قائم فيرفعني الدلو من الجهد، فجعلت أنزع قليلاً قليلاً حتى أخرجت الدلو فشربت، فإذا أنا بصريف اللبن بين ثناياي، فقلت لعليّ ناعس فضربت بالماء على وجهي وانطلقت وأنا أجد قوّة اللبن وشبعه.

وأخرج أيضاً عن العباس بن عبد المطلب قال: تنافس الناس في زمزم في الجاهلية حتى أن كان أهل العيال يغدون بأعيالهم فيشربون منها، فيكون صبوحاً لهم، وقد كنا نعدهم مؤناً على العيال.

وأخرج أيضاً عن أبي الطفيل قال: سمعت ابن عباس يقول: كانت تسمى في الجاهلية شباعة يعني زمزم، وتزعم أنها نعم العون على العيال.

وأخرج أبو داود الهروي عن ابن عباس قال: كان أهل مكة لا يسابقهم أحد إلا سبقوه ولا يصارعهم أحد إلا صرعوه حتى رغبوا عن ماء زمزم فأصابهم المرض في أرجلهم.

وأخرج ابن الجوزي في مثير العزم، عن عبد الرحمن بن يعقوب قال: قدم علينا شيخ من هراة يكنى أبا عبدالله شيخ صدق فقال: دخلت المسجد في السحر فجلست إلى زمزم فإذا شيخ قد

الإخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة. قال ﷺ: « ماء زمزم لما شرب له » أي يشفي ما قصد به.

دخل من باب زمزم وقد سدل ثوبه على وجهه فأتى البئر فنزع بالدلو فشرب فأخذت فضلته فشربتها فإذا سويق لوز لم أذق قط أطيب منه، ثم التفت فإذا الشيخ قد ذهب، ثم عدت من الغد في السحر إلى زمزم، فإذا الشيخ قد دخل فأتى البئر فنزع بالدلو وشرب وأخذت فضلته فشربتها، فإذا ماء مضروب بعسل لم أذق قط أطيب منه، ثم التفت فإذا الشيخ قد ذهب ثم عدت في السحر، فإذا الشيخ قد دخل فأتى البئر فنزع بالدلو فشرب فأخذت فضلته فشربتها، فإذا سكر مضروب بلبن لم أذق قط أطيب منه، فأخذت ملحفته فلففتها على يدي فقلت: يا شيخ؛ بحق هذه البنية عليك من أنت؟ قال: تكتم عليَّ حتى أموت؟ قلت: نعم. قال: أنا سفيان بن سعيد الثوري.

ومن فضل زمزم وبركاتها ما أشار إليه المصنف بقوله: **(قال النبي ﷺ: « ماء زمزم لما شرب له » أي يشفي ما قصد به)** رواه أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه والبيهقي من حديث عبدالله بن المؤمل عن أبي الزبير عن جابر رفعه بلفظ المصنف قال البيهقي: تفرد به عبدالله وهو ضعيف، ثم رواه البيهقي بعد ذلك من حديث ابراهيم بن طهمان عن أبي الزبير. لكن الثانية مردودة، ففي رواية ابن ماجه التصريح. ورواه البيهقي في شعب الايمان، والخطيب في التاريخ من حديث سويد بن سعيد، عن ابن المبارك، عن ابن أبي الموالي عن محمد بن المنكدر عن جابر. قال البيهقي: غريب. تفرّد به سويد قال الحافظ: وهو ضعيف جداً، وإن كان مسلم قد أخرج له، فإنما أخرج له في المتابعات، وأيضاً فكان أخذه عنه قبل أن يعمى ويفسد حديثه، وكذا أمر أحمد بن حنبل ابنه بالأخذ عنه كان قبل عماه، ولما أن عمي صار يلقن فيتلقن حتى قال يحي بن معين لو كان لي فرس ورمح لغزوت سويداً من شدة ما كان يذكر له عنه من المناكير. قال الحافظ: وقد خلط في هذا الإسناد أخطأ فيه علي بن المبارك، وإنما رواه ابن المبارك عن ابن المؤمل عن أبي الزبير. كذلك رويناه في فوائد أبي بكر بن المقري من طريق صحيحة، فجعله سويد عن ابن أبي الموالي عن ابن المنكدر، واغتر الحافظ الدمياطي بظاهر هذا الاسناد، فحكم بأنه على رسم الصحيح لأن ابن أبي الموالي انفرد به البخاري. وسويد انفرد به مسلم، وغفل عن أن مسلماً إنما خرج لسويد ما توبع عليه لا ما انفرد به، فضلاً عما خولف فيه. وله طريق أخرى من حديث أبي الزبير عن جابر أخرجها الطبراني في الأوسط في ترجمة علي بن سعيد الرازي.

وله طريق أخرى من غير حديث جابر رواه الدارقطني والحاكم من طريق محمد بن حبيب الجارودي، عن سفيان بن عيينة، عن ابن نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: « ماء زمزم لما شرب له. إن شربته تستشفي به شفاك الله وإن شربته لشبعك اشبعك الله وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله وهي خدمة جبريل وسقيا إسماعيل » وهكذا أخرجه سعيد بن منصور موقوفاً. وأخرجه أبو ذر الهروي في منسكه مرفوعاً. وقال الحاكم في المستدرك بعد إيراده: هو صحيح الإسناد إن سلم من محمد بن حبيب الجارودي.

قال العراقي: قال ابن القطان: سلم منه، فإن الخطيب قال فيه كان صدوقاً. قال ابن القطان: لكن الراوي عنه مجهول وهو محمد بن هشام المروزي اهـ.

قلت: قال الذهبي في ترجمة الجارودي إن محمد بن هشام هذا معروف موثق يقال له ابن أبي الدميك، وبخط الحافظ ابن حجر ومحمد بن هشام لا بأس به لكنه شذّ، والمحفوظ مرسل. كذا رواه الحميدي وغيره عن سفيان.

وقال في تخريج الرافعي والجارودي صدوق إلا أن روايته شاذة فقد رواه حفاظ أصحاب ابن عيينة الحميدي وابن أبي عمر وغيرهما عن ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله.

ومما يقوي رواية ابن عيينة ما أخرجه الدينوري في المجالسة من طريق الحميدي قال: كنا عند ابن عيينة فجاء رجل فقال: يا أبا محمد الحديث الذي حدثتنا عن ماء زمزم صحيح؟ قال: نعم. قال: فإني شربته الآن لتحدثني مائة حديث، فقال: اجلس فحدثه مائة حديث، والله أعلم.

الجملة التاسعة في طواف الوداع:

اعلم أن طواف الوداع ثابت عن رسول الله ﷺ فعلاً وقولاً، أما الفعل فظاهر من الأحاديث، وأما القول فنحو ما روي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «لا ينفرن أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت إلا أنه رخص للحائض» كما في الصحيحين، ولفظ مسلم: «خفف» بدل «رخص» وللبخاري: «رُخص للحائض أن تنفر إذا أفاضت» ومضمون هذه الجملة صور نشرحها.

إحداها: ذكر الإمام في النهاية أن طواف الوداع من مناسك الحج وليس على الخارج من مكة وداع لخروجه منها، وتابعه المصنف في الوجيز وهنا، فقال في الوجيز وهو مشروع إذا لم يبق شغل وتم التحلل فخصه بحال تمام التحلل، وذلك إنما يكون في حق الحاج، وصرّح من بعد فقال: ولا يجب على غير الحاج وقال: هنا بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة - كما سيأتي - لكن صاحب المهذب والتتمة وغيرهما أوردوا أن طواف الوداع ليس من جملة المناسك حتى يؤمر به من أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر، سواء كان مكياً يريد سفراً أو آفاقياً يريد الرجوع إلى أهله، وهذا أقرب وتشبهاً لاقتضاء خروجه للوداع باقتضاء دخوله للإحرام، ولأنهم اتفقوا على أن المكي إذا حج وهو على عزم أن يقيم بوطنه لا يؤمر بطواف الوداع، وكذا الآفاقي إذا حج وأراد المقام بها، ولو كان من جملة المناسك لأشبه أن يعم الحجيج. وعن أبي حنيفة: أن الآفاقي إن نوى الإقامة بعد النفر لم يسقط عنه الوداع.

وقال النووي في زيادات الروضة: ومما يستدل به من السنّة لكونه ليس من المناسك ما ثبت في صحيح مسلم وغيره أن النبي ﷺ قال: «يقيم المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه ثلاثاً». ووجه الدلالة

أن طواف الوداع يكون بعد الرجوع فسماه قبله قاضياً للمناسك، وحقيقته أن يكون قضاها كلها، والله أعلم.

الثانية: طواف الوداع ينبغي أن يقع بعد جميع الأشغال، ويعقبه الخروج من غير مكث، فإن مكث نظر إن كان لغير عذر أو اشتغل بغير أسباب الخروج من شراء متاع أو قضاء دين أو زيارة صديق أو عيادة مريض، فعليه إعادة الطواف خلافاً لأبي حنيفة حيث قال: لا حاجة إلى الإعادة، وإن أقام بها شهراً أو أكثر، وإن اشتغل بأسباب الخروج من شراء الزاد وشد الرحال ونحوهما، فقد نقل الإمام وجهين. أحدهما: أنه لا يحتاج لأن المشغول بأسباب الخروج مشغول بالخروج غير مقيم.

وقال النووي: ولو أقيمت الصلاة فصلّى لم يعده والله أعلم.

الثالثة: طواف الوداع واجب مجبور بالدم أو مستحب غير مجبور فيه قولان. وجه الوجوب، وبه قال أبو حنيفة ما رواه مسلم، وأبو داود من حديث ابن عباس أنه ﷺ قال: «لا ينصرفن أحد حتى يكون آخر عهده الطواف بالبيت» وهذا أصح على ما قاله صاحب التهذيب والعدة، ووجه المنع وبه قال مالك: أنه لو كان واجباً لوجب على الحائض جبره بالدم. وقال المصنف في الوجيز: وفي كونه مجبوراً بالدم قولان: أي على سبيل الوجوب إذ لا خلاف في أصل الجبر لأنه مستحب إن لم يكن واجباً.

وروى القاضي ابن كج طريقة قاطعة بنفي الوجوب.

الرابعة: إذا خرج من غير وداع وقلنا بوجوب الدم، ثم عاد وطاف فلا يخلو إما أن يعود.قبل الانتهاء إلى مسافة القصر أو بعده، فأما في الحالة الأولى فيسقط عنه الدم كما لو جاوز الميقات غير محرم ثم عاد إليه، وفي الحالة الثانية وجهان. أصحهما: أنه لا يسقط لاستقراره بالسفر الطويل ووقوع الطواف بعد العود حقاً للخروج الثاني، والثاني يسقط كما لو عاد قبل الانتهاء إليها، ولا يجب العود في الحالة الثانية، وأما في الأولى فسيأتي.

الخامسة: ليس على الحائض طواف وداع، ثم إن طهرت قبل مفارقة خطة مكة لزمها العود والطواف، وإن جاوزته وانتهت إلى مسافة القصر لم يلزمها، وإن لم ينتهِ إلى مسافة القصر فالنص أنه لا يلزمها العود، ونص في المقصر بالترك أنه يلزمه العود، فمنهم من قرر بالنصين وهو الأصح، ومنهم من قال في الصورتين قولان بالنقل والتخريج. أحدهما: أنه يلزمه العود فيها لأنه بعد في حد حاضري المسجد الحرام، والثاني لا يلزم لأن الوداع يتعلق بمكة، فإذا فارقها لم يفترق الحال بين أن يبعد عنها أو لا يبعد، فإن قلنا بالثاني فالنظر إلى نفس مكة أو إلى الحرم فيه وجهان: أولها: أظهرهما، فإذا علمت ذلك فاعرف أن طواف الوداع حكمه حكم سائر أنواع الطواف في الأركان والشرائط. وعن أبي يعقوب الأبيوردي أنه يصح طواف الوداع من غير طهارة وتجبر الطهارة بالدم.

مهما عنَّ له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فلينجز أولاً أشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر أشغاله وداع البيت. ووداعه بأن يطوف به سبعاً ـ كما سبق ـ ولكن من غير رمل واضطباع. فإذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم، ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول: «اللهم إن البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك، فإن كنت رضيت عني فازدد عني رضا وإلا فمن الآن قبل تباعدي عن بيتك هذا أوان انصرافي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك. اللهم أصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني وأحسن منقلبي وارزقني طاعتك أبداً ما أبقيتني واجمع لي خير

وقد أشار المصنف إلى تلك المسائل بالإجمال فقال: **(ومهما عنّ)** أي بدا **(له)** أي للحاج **(الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام)** أفعال **(الحج والعمرة)** وتم التحلل، **(فلينجز أوّل أشغاله)** أي يطلب قضاءها ممن وعده إياها وقد نجزها تنجيزاً، **(وليشد رحله)** على بعيره مثلاً، **(وليجعل آخر أشغاله وداع البيت)** لئلا يشتغل بعده بشيء، **(ووداعه بأن يطوف سبعاً)** أي سبعة أشواط **(كما سبق، وليكن من غير رمل واضطباع)** إذ ليس بعده سعي، **(فإذا فرغ منه صلّى ركعتين خلف المقام ويشرب من ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع)** روي ذلك عن مجاهد بلفظ: «إذا أردت أن تنفر فادخل المسجد فاستلم الحجر وطف بالبيت سبعاً ثم ائت المقام فصلّ خلفه ركعتين ثم اشرب من ماء زمزم ثم ائت ما بين الحجر والباب فألصق صدرك وبطنك بالبيت وادع الله عز وجل واسأل ما أردت ثم عد إلى الحجر فاستلمه» أخرجه سعيد بن منصور.

(وليقل) ولفظ البيهقي والرافعي قال الشافعي: أحب إذا ودع البيت الحرام أن يقف في الملتزم وهو ما بين الركن والباب فيقول: **(«اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيّرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني بقضاء مناسكك فإن كنت رضيت عني فازدد عني رضا وإلا فمن الآن)** بكسر الميم من الجارة هكذا هو عند البيهقي والرافعي، وفي بعض نسخ الكتاب فمن بضم الميم وتشديد النون المفتوحة على أنه فعل أمر من منَّ يمن والمفعول محذوف دل عليه ما قبله تقديره، وإلا فمُنَّ علي الرضا الآن **(قبل تباعدي عن بيتك)** كذا في النسخ، وفي بعضها قبل أن تنأى عن بيتك داري، وهكذا هو عند البيهقي أي تبعد من الانتياء افتعال من النأي وهو البعد، وعن الرافعي قبل أن تنأى. وزاد ويبعد عنه مزاري **(هذا أوان انصرافي)** أي رجوعي **(إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك)** ولا راغب عنك ولا عن بيتك. **(اللهم اصحبني)** هكذا عند الرافعي وعند البيهقي: اللهم فاصحبني **(العافية في بدني والعصمة في ديني وأحسن منقلبي وارزقني طاعتك ما أبقيتني)**

الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير. اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وإن جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة » والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه.

الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها:

إلى هنا انتهى نص البيهقي والرافعي. قال الرافعي: وما زاد فحسن قال: وزيد فيه **(واجع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير)**. ونص الرافعي إنك قادر على ذلك، وزاد غير الرافعي: **(اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وإن جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة »)** قال الرافعي: ثم يصلي على النبي ﷺ وينصرف. **(والأحب أن لا تصرف بصرك عن البيت حتى تغيب عنه)** وذلك أن يمشي قهقرى حتى يخرج من أحد أبواب الحرم إن أمكنه ذلك.

الجملة العاشرة في زيارة مسجد المدينة وآداب الزيارة:

أما مسجد المدينة وفضله والصلاة فيه، فقد تقدم طرف من ذلك في أول الباب.

منها: حديث: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » وقد تقدم الكلام عليه.

ومنها: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن المسجد الذي أسس على التقوى قال: « مسجدكم هذا مسجد المدينة » أخرجه مسلم. وعن ابن عباس: أن امرأة شكت شكوى فقالت: إن شفاني الله تعالى لأخرجن فلأصلين في بيت المقدس فبرئت ثم تجهزت تريد الخروج، فجاءت ميمونة زوج النبي ﷺ فاخبرتها ذلك فقالت: اجلسي فكلي ما صنعت وصلي في مسجد رسول الله ﷺ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا مسجد الكعبة » أخرجه مسلم. وقد روي ذلك من حديث الأرقم بن أبي الأرقم، عن النبي ﷺ ولفظه قال: قلت يا رسول الله: إني أريد أن أخرج إلى بيت المقدس. قال: « فلم؟ قلت: الصلاة فيه. قال: « الصلاة هناك أفضل من الصلاة هنا بألف مرة » أخرجه ابن الجوزي في مثير العزم. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » فإن رسول الله ﷺ آخر الأنبياء، وأن مسجده آخر المساجد أخرجاه. وقد روي ذلك من حديث عائشة، عن النبي ﷺ قال: « أنا خاتم الأنبياء ومسجدي آخر المساجد أحق أن يزار وتركب إليه الرواحل » أخرجه ابن الجوزي في مثير العزم. وعن أنس أن النبي ﷺ قال: « من صلى في مسجدي أربعين صلاة كتب له براءة من النار وبراءة العذاب وبرىء من النفاق » أخرجه أحمد. وقال ابن حبان في التقاسيم والأنواع: ذكر الخبر الدال على أن الخارج من منزله يريد مسجد المدينة من أي بلد تكتب له بكل خطوة حسنة وتحط الأخرى عنه سيئة إلى أن يرجع إلى بلده. وأخرج فيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « إن من حين يخرج

قال ﷺ: « من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي ». وقال ﷺ: « من وجد سعة ولم يفد إليَّ فقد جفاني ». وقال ﷺ: « من جاءني زائراً لا يهمه إلا زيارتي كان

أحدكم من منزله إلى مسجدي فرجل تكتب له حسنة ورجل تحط عنه خطيئة حتى يرجع » والحديث الأول حجة على من قال: « المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد قباء » وقول ميمونة: للتي نذرت أن تصلي في بيت المقدس حجة لأصحاب الشافعي على أن المكي والمدني إن نذرا الخروج إلى بيت المقدس والصلاة فيه لا يلزمها ذلك لأن مكانها أفضل. وقوله: « إلا المسجد الحرام » اختلف في المراد بهذا الاستثناء، فعند الشافعي أن المراد إلا المسجد الحرام فإنه أفضل من مسجدي فعلى هذا فتكون مكة أفضل من المدينة. وقال عياض: أجمعوا على أن موضع قبره ﷺ أفضل بقاع الأرض، وأن مكة والمدينة أفضل بقاع الأرض بعده، ثم اختلفوا في أيها أفضل؟ فذهب عمر وجماعة من الصحابة إلى تفضيل المدينة، وهو قول مالك وأكثر المدنيين، وحملوا الاستثناء المذكور على أن مسجدي يفضله بدون الألف، وذهب أهل الكوفة إلى تفضيل مكة، وبه قال ابن وهب وابن حبيب من أصحاب مالك، وإليه ذهب الشافعي اهـ.

وقد وردت أحاديث في فضل زيارته ﷺ أورد المصنف منها ثلاثة فقال: **(قال رسول الله ﷺ: « من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي »)** قال العراقي: رواه ابن عدي والطبراني والدارقطني والبيهقي وضعفه من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: ورواه البزار، وأبو يعلى، وابن عدي، والدارقطني من طريق حفص بن أبي داود، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر. ومن هذا الوجه رواه البيهقي ووجه تضعيفه أن راويه حفصاً ضعيف الحديث وإن كان أحمد قال فيه صالح. وأما الطبراني فرواه في الأوسط من طريق الليث ابن بنت الليث بن أبي سليم عن عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبي سليم، عن ليث ابن أبي سليم، وفي هذا الإسناد من لا يعرف.

وأخرج سعيد بن منصور، عن ابن عمر مرفوعاً: « من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي » وكذلك لفظ الدارقطني وأبي الشيخ، والطبراني، وابن عدي، والبيهقي. وزاد ابن الجوزي في مثير العزم « وصحبني ».

وعن حاطب بن الحرث قال: قال رسول الله ﷺ: « من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن مات في أحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة »أخرجه الدارقطني، وابن نافع، والبيهقي، وأبو بكر الدينـوري في المجالسة وابن الجوزي في الموضوعات. وقال ابن حبان في سنـده النعمان بن شبل وهو يأتي عن الثقات بالطامات.

وقال الدارقطني: الطعن في هذا الحديث على ابن أبنه محمد بن مهر بن النعمان على النعمان.

(وقال ﷺ: « من وجد سعة ولم يغد إلي فقد جفاني ») قال العراقي: رواه ابن عدي،

حقاً على الله سبحانه أن أكون له شفيعاً » . فمن قصد زيارة المدينة فليصلّ على رسول

والدارقطني في غرائب مالك، وابن حبان في الضعفاء، والخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر بلفظ: « من حج ولم يزرني فقد جفاني » وذكره ابن الجوزي في الموضوعات.

وروى البخاري في تاريخ المدينة من حديث أنس « ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر » اهـ.

قلت: وحديث ابن عمر رواه أيضاً الديلمي، وعبد الواحد التميمي الحافظ في كتاب (جواهر الكلام في الحكم والأحكام من كلام سيد الأنام) وقد رد الحافظ السيوطي على ابن الجوزي في إيراده في الموضوعات وقال: لم يصب وحديث أنس أخرجه أبو محمد بن عساكر في فضائل المدينة.

(وقال ﷺ: « من جاءني زائراً لا يهمه إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً »).

قال العراقي: رواه الطبراني من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن اهـ.

قلت: ورواه الدارقطني والخلعي في فوائده بلفظ: « لم تنزعه حاجة إلا زيارتي » وتصحيح ابن السكن إياه وايراده له في أثناء الصحاح له، وكذا صححه عبد الحق في سكوته عنه، والتقى السبكي في رد مسألة الزيارة لابن تيمية باعتبار مجموع الطرق.

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده: حدثنا سوار بن ميمون أبو الجراح المعبري قال: حدثني رجل من آل عمر، عن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من زارني لا يهمه إلا زيارتي كنت له شفيعاً أو شهيداً ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله من الآمنين » فهذه ثلاثة أحاديث أوردها المصنف.

وفي الباب أحاديث أخر منها: عن أنس رضي الله عنه قال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة أظلم منها كل شيء ولما دخل المدينة أضاء منها كل شيء، فقال رسول الله ﷺ: « المدينة بها قبري وبها بيتي وتربتي وحق على كل مسلم زيارتها » أخرجه أبو داود.

وعنه أيضاً: « من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة » أخرجه البيهقي وابن الجوزي في مثير العزم.

وأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور: حدثنا سعيد بن عثمان الجرجاني، حدثنا ابن أبي فديك، أخبرني أبو المثنى سليمان بن يزيد الكعبي، عن أنس فساقه. وسليمان ضعفه ابن حبان الدارقطني.

وعن رجل من آل حاطب رفعه « من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة » الحديث.

الله ﷺ في طريقه كثيراً، فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال: «اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأماناً من العذاب وسوء الحساب». وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس أنظف ثيابه. فإذا دخلها فليدخلها متواضعاً معظماً وليقل: بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ: ﴿رب أدْخلني

أخرجه البيهقي وهو مرسل، والرجل المذكور مجهول. وزاد عبد الواحد التميمي في جواهر الكلام «من زارني إلى المدينة».

ورواه عن أنس وعن أبي هريرة مرفوعاً: «من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا بخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره» أخرجه ابن أبي شيبة، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي.

وعن ابن عباس: «من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتب له حجتان مبرورتان» أخرجه الديلمي.

وعن ابن عمر رفعه «من زار قبري وجبت له شفاعتي» أخرجه الحكيم الترمذي، وابن عدي، والدارقطني، والبيهقي من طريق موسى بن هلال العبدي عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، وموسى قال أبو حاتم مجهول أي العدالة، ورواه ابن خزيمة في صحيحه من طريقه وقال: إن صح الخبر فإن في القلب من إسناده شيئاً، ثم رجح أنه من رواية عبد الله بن عمر العمري المكبر الضعيف لا المصغر الثقة، وجزم الضياء في الأحكام وقبله البيهقي بأن عبد الله بن عمر المذكور في هذا الإسناد هو المكبر.

وإذا فهمت ذلك، فاعلم أن زيارة قبر النبي ﷺ من أهم القربات، ويندب أن ينوي الزائر مع التقرب بزيارته ﷺ التقرب بالمسافرة إلى مسجده الشريف بالصلاة كيلا تفوته فضيلة شد الرحال، وكره مالك أن يقال: زرنا قبر النبي ﷺ، وأحسن ما علل به وجه الكراهة ما روي من قوله ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» فكره إضافة هذا اللفظ إلى القبر لئلا يقع التشبه بأولئك سداً للذريعة وحسماً للباب، فعلى هذا إذا قال زرنا النبي ﷺ، **(فمن قصد الزيارة فليصل على رسول الله ﷺ في طريقه كثيراً)** بأن يجعل أكثر ورده ذلك مع كمال المراقبة وحضور القلب، **(فإذا وقع بصره على جدار المدينة)** الأولى حيطان المدينة بدليل قوله: **(وأشجارها)** فإن حيطانها وهي نخلها المحوط عليها إنما هي خارجة المدينة **(فليقل: «اللهم هذا حرم)** نبيك **(ورسولك ﷺ فاجعله لي وقاية من النار وأماناً)** وفي بعض النسخ وأمناً **(من العذاب)** وزيد في رواية **(وسوء الحساب». وليغتسل قبل الدخول)** إليها **(من بئر الحرة)** وهو موضع خارج المدينة، وبه كانت الواقعة المشهورة بوقعة الحرة. والحرة في الأصل أرض ذات أحجار سود، **(وليتطيب)** بأحسن ما يجد عنده من الطيب **(وليلبس أفضل ثيابه وأنظفها)** وأحسنها **(وليدخل المدينة متواضعاً)** متمسكناً **)ومعظماً وليقل: بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ ﴿رب أدخلني مدخل**

مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ واجعل لي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نصيراً﴾ [الإسراء : ٨٠] ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين. ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه، فذلك موقف رسول الله ﷺ قبل أن يغير المسجد. وليجتهد أن يصلي في المسجد الأول قبل أن يزاد فيه، ثم يأتي قبر النبي ﷺ فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر، ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله بل

صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ [الإسراء: ٨٠] ثم ليقصد المسجد ويدخله) من باب جبريل عليه السلام مقدماً يمناه في الدخول قائلاً: بسم الله. اللهم رب محمد صل على محمد، رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك.**(ويصلي بجنب المنبر الشريف)** في الروضة **(ركعتين)** يحي بها المسجد، **(ويجعل عمود المنبر بحذاء منكبه الأيمن وليستقبل السارية)** هي الاسطوانة **(التي إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه)** أي مواجهة له، **(فذلك موقف رسول الله ﷺ)** في صلاته **(قبل أن يغير المسجد)**.

وروي عن ابن عمر قال إن الناس كثروا في عهد عمر فقال له قائل: يا أمير المؤمنين لو وسعت في المسجد ؟. فقال له عمر: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إني أريد أن أزيد في قبلة مسجدنا » ما زدت فيه. وزاد عمر في القبلة إلى موضع المقصورة، وكان بين المنبر وبين الجدار الذي كان على عهد رسول الله ﷺ قدر ما تمر شاة، فأخرجه عمر إلى موضع المقصورة اليوم، وأدخل عمر في هذه الزيادة داراً للعباس بن عبد المطلب وجعلها للمسلمين.

وعن خارجة بن زيد قال: زاد عثمان في قبلة المسجد ولم يزد في شرقيه، وزاد في غربيه قدر اسطوانة وبناه بالحجارة المنقوشة والقصة، وزاد فيه إلى الشام خمسين ذراعاً ثم لم يزد أحد فيه شيئاً إلى زمن الوليد بن عبد الملك، فأمر عمر بن عبد العزيز بالزيادة فيه كما هو مفصل في تواريخ المدينة.

(ثم يأتي قبر النبي ﷺ) من ناحية القبلة **(فيقف عند وجهه)** ويسمى ذلك بالمواجهة، **(وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر)** ويتباعد عنه قليلاً **(على نحو أربعة أذرع)** وهو اختيار المصنف، وقال غيره: نحو ثلاثة أذرع **(من السارية التي في زاوية جدار القبر)** وهذا قبل أن يعمل عليه شباك من صفر **(و)** عن ابن أبي فديك قال: أخبرني عمر بن حفص أن ابن أبي مليكة كان يقول: من أحب أن يقوم تجاه النبي ﷺ **(فليجعل القنديل)** الذي في القبلة عند القبر **(على رأسه)** ونقله كذلك ابن الجوزي في مثير العزم وقال: وثم ما هو أوضح من القنديل وهو مسمار من صفر في حائط القبر إذا حاذاه القائم كان القنديل فوق رأسه اهـ.

الوقوف من بعد أقرب للاحترام، فيقف ويقول: « السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا أمين الله، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أبا القاسم، السلام عليك يا ماحي، السلام عليك يا عاقب، السلام عليك يا حاشر، السلام عليك يا بشير، السلام عليك يا نذير، السلام عليك يا طهر، السلام عليك يا طاهر، السلام عليك يا أكرم ولد آدم، السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا خاتم النبيين، السلام عليك يا رسول رب العالمين، السلام

وليكن نظره إلى أسفل ما يستقبله من القبر، **(وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله)** كما تقوله العامة **(بل الوقوف من بعد أقرب إلى الاحترام)** والتوقير **(فيقف ويقول)** في تسليمه عليه السلام غير رافع صوته بل يكون مقتصراً، والمروي عن الأولين الإيجاز في ألفاظهم عند التسليم.

روي عن مالك أنه قال: يقول المسلم السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

وعن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر دخل المسجد ثم أتى القبر فقال: **(السلام عليك يا رسول الله)**، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه وإن قال ما يقوله الناس وهو الذي ذكره المصنف هنا فلا بأس إلا أن الإتباع أولى من الابتداع ولو حسن.

قال أبو عبدالله الحليمي: لولا أن رسول الله ﷺ قال: لا تطروني لوجدنا فيما يثنى به عليه ما يكل الألسن عن بلوغ مداه، لكن امتثال نهيه خصوصاً بحضرته أولى، فليعدل عن التوسع في ذلك إلى الدعاء له، فقد روى ابن أبي فديك قال: سمعت بعض من أدركت يقول: بلغنا أن من وقف عند قبر النبي ﷺ ثم يقول: صلى الله عليك يا محمد يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة.

ثم إن الذي زيد على القدر المذكور عن السلف وهو ما ذكره المصنف بعد قوله السلام عليك يا رسول الله، **(السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا أمين الله، السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك يا خيرة الله، السلام عليك يا أحمد)** وهو إسمه الشريف الذي لم يسم به أحد قبله، **(السلام عليك يا محمد)** وهو أشهر أسمائه ﷺ، **(السلام عليك يا أبا القاسم)** وهو من أشهر كناه ﷺ، **(السلام عليك يا ماحي)** وقد ورد تفسيره في الحديث بأنه الذي يمحو الله به الكفر حقيقة بأن يزال من بلاد العرب وما والاها، أو حكماً بأن يخمد ويهد. **(السلام عليك يا عاقب)** وهو الآتي بعد الأنبياء فلا نبي بعده، **(السلام عليك يا بشير، السلام عليك يا نذير، السلام عليك يا طهر)** وهو بالضم اسم من طهر ومعناه النقاء من الدنس، **(السلام عليك يا طاهر)** وهو وما قبله بمعنى، **(السلام عليك يا أكرم ولد آدم)** عليه السلام، **(السلام عليك يا سيد المرسلين، السلام عليك يا خاتم النبيين، السلام عليك يا**

عليك يا قائد الخير، السلام عليك يا فاتح البر، السلام عليك يا نبي الرحمة، السلام عليك يا هادي الأمة، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين، السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، السلام عليك وعلى أصحابك الطيّبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن قومه ورسولاً عن أمته، وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون، وصلى عليك في الأوّلين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ما صلّى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين، فصلى

رسول رب العالمين، السلام عليك يا قائد الخير) أي يقود الخير إلى أهله فزمامه بيده لا ينفك، أو المعنى قائد أهل الخير أي متقدمهم ومتبوعهم، **(السلام عليك يا فاتح البر)** بالكسر الخير والفضل أي فاتح أبوابه ومقرب أسبابه، **(السلام عليك يا نبي الرحمة)** لأنه به تمت مظاهر الرحمة الحقية على خلقه، **(السلام عليك يا سيد الأمة)** أي رئيسهم ومطاعهم، **(السلام عليك يا قائد الغر المحجلين)** أي قائدهم إلى الجنة أو المعنى متقدمهم ومتبوعهم، والغر: جمع الأغر والغرة في الأصل بياض في الفرس، والمراد هنا مطلق بياض الوجه، والتحجيل بياض في القوائم. وفي الصحيح: « إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من أثر الوضوء ». **(السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس)** القذر والنتن حساً ومعنى **(وطهرهم تطهيراً)** أشار به إلى قوله تعالى: ﴿ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] **(السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين)** الموصوفين بالطيب حساً ومعنى، **(وعلى أزواجك الطاهرات)** حساً ومعنى، **(أمهات المؤمنين)** لقوله تعالى: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ [الأحزاب: ٦] **(جزاك الله عنا أفضل ما جازى نبياً عن قومه ورسولاً عن أمته)** أي أهل ملته، **(وصلى)** الله **(عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك الغافلون، وصلى)** الله **(عليك في الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ما صلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك)** أي خلصنا **(من الضلالة)** هي ضد الرشد **(وبصرنا بك)** أي فتح أبصارنا **(من العماية)** وهي الحيرة **(وهدانا بك من الجهالة)** وهي عدم الاهتداء للحق. **(أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله وأمينه)** على وحيه النازل من السماء، **(وصفيه وخيرته)** أي مختاره **(من خلقه، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوك)** وهم الكفار والمشركون أعداء الدين إذ كان قد أمر بجهادهم، **(وهديت أمتك)** على الطريق الواضح المبين، **(وعبدت ربك حتى أتاك اليقين)** أي

الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم» وإن كان قد أوصي بتبليغ سلام فيقول: «السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان» ثم يتأخر قدر ذراع ويسلّم على أبي بكر الصديق رضي الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله ﷺ، ورأس عمر رضي الله عنه عند منكب أبي بكر رضي الله عنه. ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه ويقول: «السلام عليكما يا وزيري رسول

الموت كما في أحد الأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ [الحجر: ٩٩] (**فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين وكرم وشرف وعظم»**) هذا آخر ما يقوله الزائر في المواجهة الشريفة، (**وإن كان قد أوصي بتبليغ سلام**) من أحد أحبابه (**فليقل**) بعد الدعاء المذكور (**السلام عليك**) يا رسول الله (**من فلان»**) بن فلان (**أو فلانة**) بنت فلانة فقد جرى بذلك العمل في السلف والخلف.

وكانت الملوك تبرد لتبليغ السلام بريداً لينوب عنه في إبلاغ السلام روي ذلك عن عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد من الشام يقول: سلم لي على رسول الله ﷺ. أخرجه ابن الجوزي في مثير العزم.

وهذه أخبار فيما جاء في السلام عليه ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه» أخرجه أبو داود.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام» أخرجه ابن حبان وأحمد.

وعن سليمان بن سحيم قال: رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت يا رسول الله: هؤلاء الذي يأتونك يسلمون عليك أتعلم سلامهم قال: «نعم وأرد عليهم» أخرجه سعيد بن منصور.

وعن أبي طلحة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وهو مسرور فقال: «إن الملك جاءني فقال يا محمد إن الله تعالى يقول: أما ترضى أن لا يصلي عليك أحد من عبادي صلاة إلا صليت عليه بها عشراً ولا يسلم عليك تسليمة إلا سلمت عليه بها عشراً؟ فقلت: بلى أي رب» أخرجه ابن حبان.

(**ثم ليتأخر**) الزائر (**قدر ذراع**) على هينته وليسلم على صاحبه ورفيقه وخليفته (**أبي بكر الصديق رضي الله عنه**). واختلف في اسمه على أقوال وهو مشهور بكنيته (**لأن رأسه عند منكب رسول الله ﷺ ورأس عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه عند منكب أبي بكر رضي الله عنه، ثم يتأخر قليلاً قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضي الله عنه**) وإنما لقب بالفاروق لتفريقه بين الحق والباطل وتفصيله بين الأمور.

وقال شارح الدلائل ما ملخصه: اختلف أهل السير وغيرهم في صفة القبور الثلاثة على نحو سبع روايات أصحها روايتان.

الأولى: ما عليه الأكثر وجزم به غير واحد أن قبره ﷺ مقدم إلى جدار القبلة، وقبر أبي بكر رضي الله عنه حذاء منكبيه ﷺ ، وقبر عمر رضي الله عنه حذاء منكبي أبي بكر رضي الله عنه قال: وعلى هذا اقتصر الغزالي في الإحياء والنووي في الاذكار وصفته هكذا:

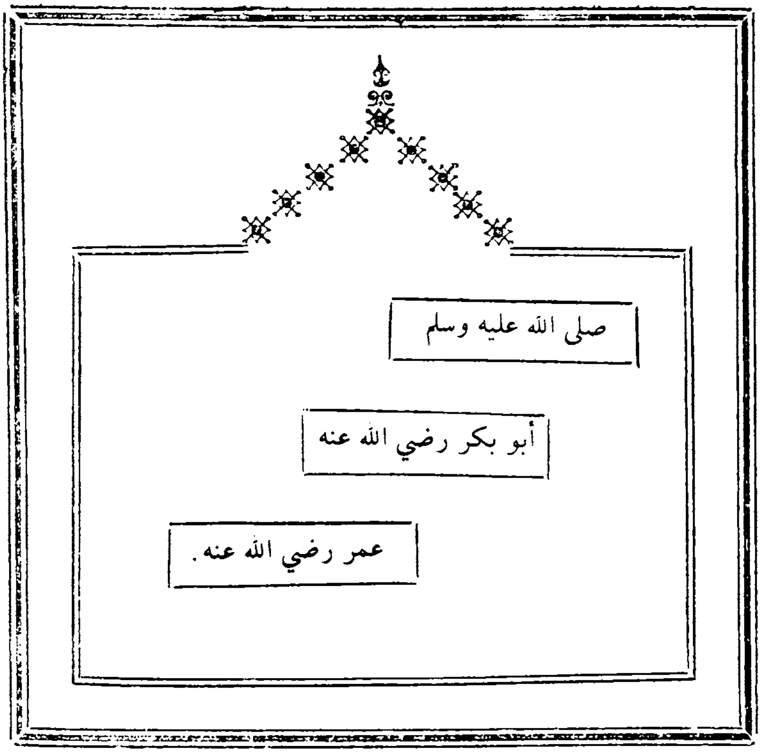

قال السيد السمهودي: وهذه الصفة هي أشهر الروايات.

والثانية: ما رواه أبو داود، والحاكم، وصحح إسناده عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أن رسول الله ﷺ مقدم، وأبو بكر رضي الله عنه رأسه بين كتفيه ﷺ ، وعمر رضي الله عنه رأسه عند رجليه ﷺ . قال السمهودي: وهذا أرجح ما روي عن القاسم بن محمد، ثم صورها عن ابن عساكر هكذا:

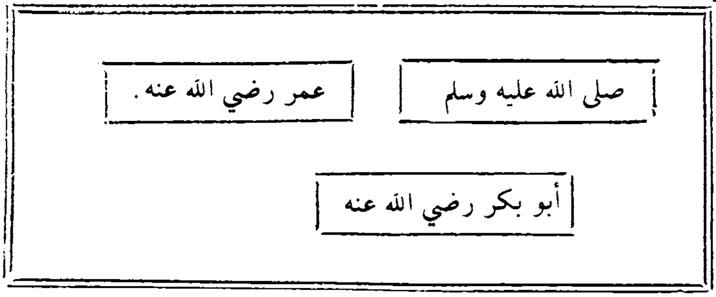

....

قال السمهودي: فهاتان أرجح ما ورد في ذلك، وصور الحافظ أبو الفرج بن الجوزي بوضعها هكذا:

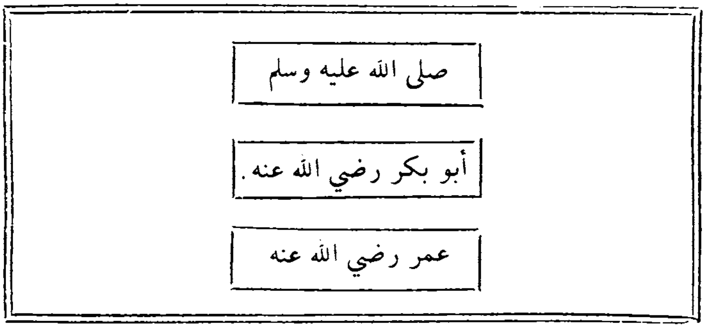

ونسب الحافظ ابن حجر هذه الصفة إلى الأكثر، وما عدا هذه الثلاثة ضعيف اهـ.

وصور صاحب الدلائل صفة الروضة المشرفة وعزاها إلى عروة بن الزبير هكذا:

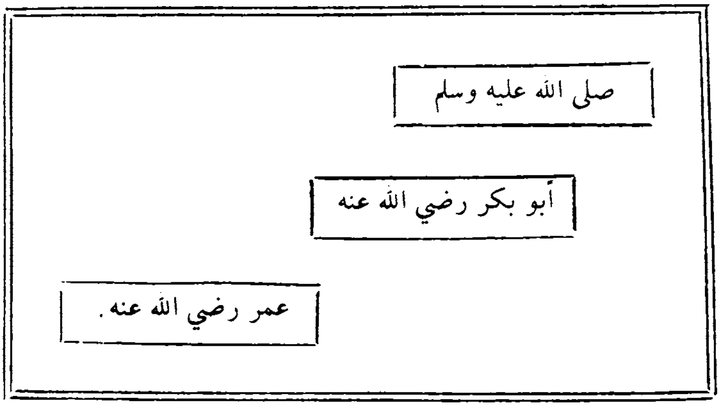

ثم قال: هكذا ذكره عروة بن الزبير قال: دفن رسول الله ﷺ في السهوة، ودفن أبو بكر رضي الله عنه خلف رسول الله ﷺ، ودفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند رجلي أبي بكر رضي الله عنه، وبقيت السهوة الشرقية فارغة فيها موضع قبر. يقال والله أعلم أن عيسى ابن مريم عليه السلام يدفن فيه، وكذلك جاء في الخبر عن رسول الله ﷺ، وقالت عائشة رضي الله عنها: رأيت ثلاثة أقمار سقوطاً في حجرتي فقصصت رؤياي على أبي بكر رضي الله عنه فقال لي يا عائشة: ليدفنن في بيتك ثلاثة هم خير أهل الأرض، فلما توفي رسول الله ﷺ ودفن في بيتي قال لي أبو بكر هذا واحد من أقمارك وهو خيرهم ﷺ اهـ.

وعلم من سياق شارح الكتاب أن هذه الصفة التي اختارها صاحب الدلائل من الروايات

الله ﷺ والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حياً والقائمين في أمته بعده بأمور الدين تتبعان في ذلك آثاره وتعملان بسنته، فجزاكما الله خير ما جزى وزيري نبي عن دينه» ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله ﷺ - بين القبر والأسطوانة اليوم - ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجل وليمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ثم يقول: «اللهم إنك قد قلت وقولك الحق ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُوكَ فاسْتَغْفَرُوا اللهَ واسْتَغْفَرَ لَهُمْ الرَسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تواباً رحيماً﴾ [النساء: ٦٤] اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك متشفعين به إليك في ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من

الضعيفة، حتى قال: إن ما ذكره عن عروة بن الزبير لم أقف عليه، وفي سياق عروة خلف رسول الله ﷺ يحتمل المساواة وعدمها، لكن في بعض النسخ زيادة مؤخر قليلاً كأنه عند منكبيه.

وقوله: وبقيت السهوة الشرقية فارغة ظاهره أن البيت فيه سهوتان غربية وشرقية وأن رسول الله ﷺ دفن في الغربية، ويحتمل أن يكون المراد وبقيت السهوة الشرقية أي الجهة الشرقية من السهوة فأطلق اسم الكل على البعض فتأمل.

(**ويقول**) في السلام عليهما: (« **السلام عليكما يا وزيري رسول الله ﷺ**) . **قد تقدم**: أن الوزير من يحمل عن الملك ثقل التدبير، واختلف في اشتقاقه فقيل: من الوزر وهو السلاح سمي به لثقله، وقيل غير ذلك، وقد ورد لي وزيران في السماء ووزيران في الأرض أما في السماء فجبريل وميكائيل، وأما في الارض فأبو بكر وعمر. (**والمعاونين له على القيام بالدين**) أي النصرة له في إقامته (**ما دام حياً**) أي في حياته (**القائمين في أمته بعده بأمور الدين**) وشرائع الإسلام. وناهيك بما حصل في خلافة الصديق رضي الله عنه من ارتداد طوائف العرب ومنعهم الزكاة ومقاتلته لهم، وقوله: والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه فلم يزل بهم حتى قطع شأفتهم وردهم إلى خالص الدين، وبما حصل في زمان عمر رضي الله عنه من الفتوحات الجليلة وتمصير الأمصار وامتداد شوكة الإسلام حتى دخلت الناس فيه أفواجاً من سائر الأقطار. (**تتبعان في ذلك آثاره وتعملان بسنته**) أي طريقته الواضحة (**فجزاكما الله خير ما جزى وزراء نبي عن دينه** ») ووزراء الأنبياء عليهم السلام خلفاؤهم المتبعون آثارهم المحيون طريقتهم، (**ثم يرجع**) إلى الموضع الذي كان فيه (**فيقف عند رأس رسول الله ﷺ بين القبر**) الشريف (**و**) بين (**الأسطوانة**) الموجودة (**اليوم**) أي في زمان المصنف، (**ويستقبل القبلة**) هناك ويستدبر القبر الشريف. (**وليحمد الله عز وجل**) بمحامده اللائقة به، (**وليمجده**) تمجيداً حرياً بجنابه، (**وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ**) في تضاعيف الحمد والتمجيد، (**ثم ليقل « اللهم إنك قلت وقولك الحق**) في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل (﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً** ﴾ [النساء: ٦٤] **اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك**

أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا. فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك. اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان. اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين».

ثم يأتي الروضة فيصلي فيها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله ﷺ: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة» «ومنبري على حوضي». ويدعو عند المنبر

مستغيثين به إليك من) وفي بعض النسخ في **(ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا)** التي ارتكبناها **(تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا)** ويشير بذلك إلى حضرته ﷺ بالتفات وجهه إليه **(وارفعنا)** أي ارفع قدرنا **(بمنزلته)** وجاهه ومكانته **(عندك وحقه عليك)** وهذا من باب الفضل والامتنان وإلا فلا حق لمخلوق على الخالق. **(اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار واغفر لاخواننا الذين سبقونا بالإيمان)** من سائر الإخوان. **(اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك)** ﷺ **(ولا من حرمك)** يعني مكة **(يا أرحم الراحمين»)** وإن لم يستحضر هذا الدعاء فليدع بما أحب وألهمه الله على لسانه وقلبه.

وأخرج أبو أحمد بن عساكر عن محمد بن كعب الهلالي قال: دخلت المدينة فأتيت قبر النبي ﷺ فزرته وجلست بحذائه، فجاء اعرابي فزاره ثم قال: يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً وقال فيه ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ [النساء: ٦٤] وإني جئتك مستغفراً لديك من ذنوبي مستشفعاً بـك إلى الله فيها ثم بكى وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف، فرقدت فرأيت النبي ﷺ في نومي وهو يقول: إلحق الرجل فبشره بأن الله قد غفر له بشفاعتي فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده.

(ثم ليأت الروضة ويصلي فيها وليكثر من الدعاء) بما أحب واختار **(ما استطاع)** منه **(لقول رسول الله ﷺ: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة» وقوله ﷺ: «منبري على حوضي»)** جعل المصنف كل واحد حديثاً منفرداً والذي في الصحيحين كلاهما حديث واحد، ولذا قال العراقي: متفق عليهما من حديث أبي هريرة وعبد الله بن زيد اهـ.

قال الحافظ ابن حجر: إنما اتفق عليهما بلفظ: «بيتي» لا «قبري» اهـ.

قلت: وبيته قبره، وقد جاء هكذا كما عند المصنف في بعض روايات هذا الحديث.

وعند أحمد من حديث جابر رضي الله عنه رفعه: «ما بين منبري إلى حجرتي روضة من رياض

ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التي كان رسول الله ﷺ يضع يده عليها عند

الجنة وأن منبري على ترعة من ترع الجنة ». وعنده أيضاً في رواية من حديث عبد الله بن زيد مرفوعاً: « ما بين هذه البيوت يعني بيوته إلى منبري روضة من رياض الجنة ». وعنده أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: « قواعد منبري رواتب في الجنة ».

تنبيه:

قوله: « ما بين بيتي ومنبري روضة » يحتمل أن يكون ذلك الموضع ينتقل بعينه إلى الجنة، ويحتمل أن يريد العمل فيه بطاعة الله تعالى يكون سبباً لنيل ذلك. كذا ذكره الخطابي وابن عبد البر، وذكر الأخير عن بعض العلماء لما كان جلوسه وجلوس الناس إليه يتعلمون القرآن والدين والإيمان هناك شبه ذلك الموضع بالروضة لكرم ما يجتني فيه، وأضافه إلى الجنة لأنها تؤول إلى الجنة. وقوله: « ومنبري على حوضي » قيل: يحتمل أن منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو الأظهر، وعليه أكثر الناس. وقيل: إن هناك منبراً على حوضه، وقيل: إن قصد منبره والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة تورد الحوض وتوجب الشرب منه والله أعلم [1]. فأنه أحد المواضع التي يستجاب فيها الدعاء.

(ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التي كان رسول الله ﷺ يضع يده عليها عند الخطبة) وقد غير منبره الشريف بعد المصنف، بل وقيل أيضاً بعد إصابة الحريق في المسجد الشريف سنة أربع وخمسين وستمائة بمسجد ومنبر آخر كما ذكره المؤرخون.

وقال العراقي: وضعه ﷺ يده عند الخطبة لم أقف له على أصل، وذكر محمد بن الحسن بن زبالة في تاريخ المدينة أن طول رمانتي المنبر اللتين كان يمسكهما رسول الله ﷺ بيديه الكريمتين إذا جلس شبر وأصبعان اهـ.

قلت: بل وجدت له أصلاً، قال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا عبد الله بن سلمة القعنبي وخالد ابن مخلد البجلي قالا: حدثنا أبو عوانة عبد العزيز مولى الهذيل، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال: رأيت أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ إذا دخلوا المسجد أخذوا برمانة المنبر الصلعاء التي تلي القبر بميامنهم، ثم استقبلوا القبلة يدعون. قال أبو عبد الله: ذكر عبد الله بن سلمة الصلعاء ولم يذكرها خالد بن مخلد.

وذكر حافظ الشام ابن ناصر الدين الدمشقي في عرف العنبر في وصف المنبر ما نصه: وفي غالب طرق أحاديث المنبر أن درجه ثلاث درج بالمقتد، وكان له رمانتان والتي تلي الحجرة الشريفة منهما هي التي كان يمسكها النبي ﷺ بيمينه إذا استقبل الناس على المنبر، ويقال لها الصلعاء.

---

(١) بياض في الأصل

الخطبة، ويستحب له أن يأتي أحداً يوم الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلي الغداة في

وذكر ابن النجار في تاريخ المدينة أن طول رمانتي المنبر اللتين كان النبي ﷺ يمسكهما بيديه الكريمتين إذا جلس شبر وأصبعان اهـ.

والمنبر الذي كان في زمن المصنف هو من عمل بعض خلفاء بني العباس، ثم احترق في سنة ٦٥٤ فأرسل صاحب اليمن الملك المظفر يوسف بن رسول سنة ٦٥٦ منبراً رمانتاه من الصندل فنصب إلى سنة ٦٦٦، فأرسل صاحب مصر الظاهر بيبرس منبراً طوله أربعة أذرع، ومن رأسه إلى قبته سبعة أذرع وهو ودرجاته سبعة بالمقعد، ثم جدده الملك الأشرف قايتباي، ثم بعد ذلك جدده ملوك الروم والله أعلم.

(**ويستحب أن يأتي أُحُداً**) بضمتين جبل بقرب المدينة المشرفة من جهة الشام، وكان به الوقعة في أوائل شوال سنة ثلاث من الهجرة وهو مذكر فينصرف، وقيل يجوز فيه التأنيث على توهم البقعة فيمنع وليس بالقوي.

وأما فضله فقد أخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى أحد فقال: «إن أحداً جبل يحبنا ونحبه».

ولعل تخصيص إتيانه (**يوم الخميس**) لكون الوقعة كانت في يوم الخميس أو لكونه يوم فراغ أهل المدينة من أشغالهم أو للنظر إلى قوله ﷺ «بورك لأمتي في غدوة الخميس» أو لغير ذلك، وهذا إن اتفق للحاج الزائر فإن لم يمكنه ففي أي يوم يتفق. (**ويزور قبور الشهداء**) هناك الذين استشهدوا في تلك الوقعة، وسيدهم سيدنا حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي ﷺ، (**فيصلي الغداة في مسجد رسول الله ﷺ، ثم**) يمكث إلى طلوع الشمس و(**يخرج**) مع رفقة صالحة فيزور تلك المشاهد ويصعد الجبل ويصلي في مصلى رسول الله ﷺ ويشرب من ماء العين هناك.

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر قال: مرّ رسول الله ﷺ بمصعب بن عمير حين رجع فوقف عليه وعلى أصحابه وقال «أشهد أنكم أحياء عند الله فزوروهم وسلموا عليهم، فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احدإلا ردوا عليه إلى يوم القيامة».

وأخرجه ابن السراج مختصراً من حديث ابن عمر مرفوعاً بلفظ «سلموا على إخوانكم هؤلاء الشهداء فإنهم يردون عليكم».

وأخرج ابن الجوزي في مثير العزم عن أبي مصعب الزبيري عن العطاء بن خالد قال: حدثتني خالة لي وكانت من العوابد قالت: جئت قبر حمزة فصليت ما شاء الله ولا والله ما في الوادي داع ولا مجيب وغلامي آخذ برأس دابتي فلما فرغت من صلاتي قلت: السلام عليكم فسمعت ردّ السلام عليَّ من تحت الأرض أعرفه كما أعرف أن الله عز وجل خلقني فاقشعرت كل شعرة مني، فدعوت الغلام وركبت.

مسجد النبي ﷺ، ثم يخرج ويعود إلى المسجد لصلاة الظهر فلا يفوته فريضة في الجماعة في المسجد، ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله ﷺ ويزور قبر عثمان رضي الله عنه وقبر الحسن بن علي رضي الله عنهما، وفيه أيضاً قبر علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد رضي الله عنهم، ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها، ويزور قبر إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وقبر صفية عمة رسول

وأما ما في سنن أبي داود عن طلحة بن عبيد الله قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ نزور قبور الشهداء حتى إذا أشرفنا على حرة واقم فلما تدلينا منها فإذا قبور بمحنية، قال قلنا يا رسول الله، أقبور إخواننا هذه؟ قال: قبور أصحابنا، فلما جئنا قبور الشهداء قال: هذه قبور إخواننا». فلعله الموضع المعروف بقبور الشهداء الآن على طريق حاج مصر.

(**ويعود إلى المسجد**) النبوي (**لصلاة الظهر فلا تفوته فضيلة في جماعة في مسجد رسول الله** ﷺ) لما فيه من المضاعفة المتقدم ذكرها، (**ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع**) وهو بقيع الغرقد مقبرة المدينة كان فيه شجر يقال له الغرقد بالغين المعجمة والقاف وقد زال وبقي الإسم (**بعد السلام على رسول الله** ﷺ **ويزور قبر**) أمير المؤمنين (**عثمان**) بن عفان (**رضي الله عنه**) في آخر البقيع بموضع يقال له: حش كوكب وعليه قبة مبنية وأسفل منه قبر فاطمة ابنة أسد أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (**و**) يزور مشهد العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وهو قبة عالية واسعة فيها (**قبر**) أمير المؤمنين (**الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما**) استشهد مسموماً ودفن هناك، (**و**)فيه أيضاً (**قبر**) السجاد ذي الثفنات زين العابدين (**علي بن الحسين بن علي**) بن أبي طالب، (**و**)قبر ولده أبي عبد الله (**محمد**) الباقر (**بن علي**) بن الحسين ابن علي بن أبي طالب، وفي هذا المشهد قبر عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه، ولاشتمال هذه القبة على هؤلاء السادة الكرام عرفت بقبة الأنوار.

وأما ما اشتهر بمصر من مقام زين العابدين فإنما هو مشهد رأس ولده الإمام زيد بن علي، وفي طرف قبة الأنوار محراب لطيف يقال ان به قبر السيدة فاطمة رضي الله عنها، وقيل بل قبرها في طرف الروضة الشريفة وقد دفنت ليلاً ولذا وقع فيه الاختلاف.

(**ويصلي في مسجد فاطمة رضي الله عنها**) كأنه يعني به المقام المنسوب إليها في قبة الأنوار، (**ويزور قبر إبراهيم ابن النبي** ﷺ) وعليه قبة لطيفة، وبالقرب منه قبر نافع القارئ والإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى، (**و**)يزور (**قبر صفية**) بنت عبد المطلب (**عمة رسول الله** ﷺ)، ويزور قبور أمهات المؤمنين وهن كلهن في قبة واحدة (**وذلك كله في البقيع**).

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كانت ليلتي منه يخرج من الليل إلى البقيع فيقول «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وآتاكم ما توعدون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد». أخرجه مسلم.

وعنها قالت: لما كانت ليلتي أتى رسول الله ﷺ فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما مقدار رقدت فأخذ رداءه رويداً وانتقل رويداً وفتح الباب رويداً فخرج فأجافه رويداً، فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري ثم انطلقت على أثره حتى جاء البقيع، فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت فأسرع فأسرعت فهرول فهرولت فأحضر فأحضرت فسبقته فدخلت فليس إلا به أن اضطجعت فدخل فقال «ما لك يا عائشة شيئاً رأيته». قالت: قلت لا شيء. قال: لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير فأخبرته. قال: فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟ قلت: نعم، فلهزني في صدري لهزة أوجعتني ثم قال: أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله؟ قالت: قلت مهما يكتم الناس يعلمه الله عز وجل؟ قال: نعم. قال: فإن جبريل أتاني حين رأيت فناداني فأخفى منكي فأجبته فأخفيته منكي، ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك وقد ظننت أن قد رقدت وكرهت أن أوقظك، وخشيت أن تستوحشي فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم قالت: كيف أقول يا رسول الله؟ قال: قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله للاحقون» أخرجه مسلم.

وعن ابن عمر مرفوعاً: «أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة حتى يحشروا بين الحرمين» أخرجه ابن حبان وابن الجوزي في مثير العزم.

وعن نافع قال: حدثتني أم قيس بنت محصن قالت: لقد رأيتني ورسول الله ﷺ آخذ بيدي في سكة المدينة ما هي إلا نخل ما بها بيت حتى انتهى إلى بقيع الغرقد فقال: «يا أم قيس. قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: ترين هذه المقبرة؟ قلت نعم يا رسول الله قال: يبعث منها يوم القيامة سبعون ألفاً على صورة القمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب. فقام رجل فقال يا رسول الله. وأنا؟ قال: وأنت. فقام آخر فقال وأنا؟ قال: سبقك بها عكاشة». أخرجه أبو محمد القاسم بن علي ابن عباس في فضائل المدينة.

فصل

نذكر فيه من دفن بالبقيع من الصحابة من المهاجرين والأنصار وغيرهم على طريق الاختصار بترتيب حروف التهجي: الأرقم بن أبي الأرقم، أسامة بن زيد، أسعد بن زرارة، أسيد بن حضير، بسر بن أرطأة، البراء بن معرور، جابر بن عبد الله، جبار بن صخر، جبير بن مطعم، الحرث بن خزيمة، حاطب بن أبي بلتعة، حكيم بن حزام، حويطب بن عبد العزى، ركانة بن عبد يزيد، زيد بن ثابت، أبو طلحة زيد بن سهل، سعد بن مالك، أبو سعيد الخدري، سعد بن معاذ، سعد بن أبي وقاص، سعيد بن زيد، سعيد بن يربوع، سهل بن وهب، سهل بن سعد

الله ﷺ ، فذلك كله بالبقيع. ويستحب له أن يأتي مسجد قباء في كل سبت ويصلي فيه، لما روي أن رسول الله ﷺ قال: « من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلي

صهيب بن سنان، عثمان بن مظعون، عبد الرحمن بن عوف، عبد الله بن صخر ،أبو هريرة، عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، عبد الله بن أنيس، عبد الله بن سلام، عبد الله بن عبد الأسد، أبو سلمة، عبد الله بن عتيك، عبد الله بن عمرو بن قيس هو ابن أم مكتوم، عبد الله بن كعب بن عمرو، عبد الله بن مسعود، عمرو بن أبي سلمة، عمرو بن أمية الضمري، عمرو بن حزم، عويمر بن ساعدة، قتادة بن النعمان، كعب بن عجرة، كعب بن عمرو ،أبو اليسر مكتوم بن المهدم، كناز بن الحصين،أبو مرثد، مالك بن أوس بن الحدثان، مالك بن التيهان، أبو الهيثم، مالك بن ربيعة، أبو أسيد الساعدي، محمد بن مسلمة، مخرمة بن نوفل، مسلمة بن مخلد، مسطح بن أثاثة، معاذ بن عفراء، نوفل بن الحرث بن عبد المطلب، نوفل بن معاذ رضي الله عنهم أجمعين.

(ويستحب أن يأتي مسجد قباء) بضم القاف يقصر ويمد ويصرف ولا يصرف موضع على نحو ميلين من المدينة من جهة الجنوب. **(في كل سبت ويصلي فيه لما روي أن رسول الله ﷺ قال « من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلي فيه كان عدل عمرة »)**.

قال العراقي: رواه النسائي، وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف بإسناد صحيح اهـ.

قلت: وأخرج ابن الجوزي في مثير العزم عن سهل بن حنيف مرفوعاً بلفظ « من توضأ فأسبغ الوضوء وجاء مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان له أجر عمرة ».

وأخرجه الطبراني في الكبير بلفظ « من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى في مسجد قباء ركعتين كانت له عمرة ».

وأخرجه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والطبراني أيضاً بلفظ « من توضأ فأحسن الوضوء ثم دخل مسجد قباء فركع فيه أربع ركعات كان ذلك عدل عمرة ».

وأخرج الخطيب عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ « من توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج عامداً إلى مسجد قباء لا ينزعه إلا الصلاة فيه فصلى فيه ركعتين كانتا عدل عمرة ».

وأخرج أبو نعيم في المعرفة بلفظ « ثم خرج إلى مسجد قباء لا يخرجه إلا الصلاة فيه انقلب بأجر عمرة » رواه عن سليمان بن محمد الكرماني عن أبيه وقال: صوابه عن محمد بن سليمان الكرماني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه.

وأخرج ابن سعد في الطبقات، عن أسيد بن ظهير، والطبراني في الكبير عن سهل بن حنيف

فيه كان له عدل عمرة». ويأتي بئر أريس. يقال: إن النبي ﷺ تفل فيها وهي عند

مرفوعاً بلفظ «من أتى مسجد قباء فصلى فيه كان كعمرة» وهو عند أحمد والترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث أسيد بن ظهير بلفظ «الصلاة في مسجد قباء كعمرة» قال الترمذي: لا نعلم لأسيد بن ظهير شيء يصح غير هذا الحديث.

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر «أن رسول الله ﷺ كان يأتي قباء كل سبت كان يأتيه راكباً وماشياً». وأخرجه أبو داود بزيادة «ويصلي ركعتين».

وعن نافع قال: لم يكن ابن عمر يأتي ماشياً من المساجد التي بالمدينة غير مسجد قباء، أخرجه أبو محمد بن عساكر في فضائل المدينة.

وأخرج ابن الجوزي في مثير العزم عن أبي غزية قال: كان عمر بن الخطاب يأتي قباء يوم الإثنين والخميس فجاء يوماً فلم يجد أحداً من أهله فقال «والذي نفسي بيده لقد رأيت رسول الله ﷺ وأبا بكر في أصحابه ينقلون حجارته على بطونهم يدسسه رسول الله ﷺ بيده وجبريل يؤم به البيت ومحلوف عمر بالله لو كان مسجدنا هذابطرف من الأطراف لضربنا إليه أكباد الإبل».

وأخرج أيضاً عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عن أبيها قال «والله لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إليّ من أن آتي بيت المقدس مرتين ولو يعلمون ما فيه لضربوا إليه أكباد الإبل».

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن عاصم قال: أخبرنا أنه من صلى في المساجد الأربعة غفر له قال له أبو أيوب: يا ابن أخي أدلك على ما هو أيسر من ذلك إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من توضأ كما أمر وصلى كما أمر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» والمراد بالمساجد الأربعة المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد الأقصى ومسجد قباء، وفيما ذكر دليل على فضل هذا المسجد واستحباب زيارته في يوم السبت، وقد كره ابن مسلمة من أصحاب مالك ذلك مخافة أن يتخذ سنّة في ذلك اليوم، ولعله لم يبلغه الحديث وفيه دليل على جواز تخصيص بعض الأيام ببعض القربات أو بزيارة الأخوان أو افتقاد بعض أمورهم ويجعله يوم راحة من أشغال العامة، وإحجام نفسه سبتاً كان أو غيره ما لم يتمالأ الناس كلهم على يوم واحد، ويظنه الجهال سنة وهذا الذي كرهه ابن مسلمة.

(ويأتي بئر أريس) كأمير بالقرب من مسجد قباء وهي التي وقع فيها خاتم النبي ﷺ من يد عثمان رضي الله عنه، وبريس بالياء التحتية لغة فيه، قال شيخنا في شرح القاموس: وسئل الشيخ ابن مالك عن صرفه فأفتى بالجواز.

(ويقال: «إن النبي ﷺ تفل فيها من ريقه») قال العراقي لم أقف له على أصل وإنما ورد أنه تفل في بئر البصة وهو غرس كما سيأتي قريباً، **(وهي)** أي تلك البئر **(عند المسجد)** أي

المسجد فيتوضأ منها ويشرب من مائها، ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق، وكذا يأتي سائر المساجد والمشاهد. ويقال: إن جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعاً يعرفها أهل البلد فيقصد ما قدر عليه، وكذلك يقصد الآبار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها، وهي سبع آبار طلباً للشفاء وتبركاً به ﷺ. وإن

مسجد قباء أي بالقرب منه في بستان، **(ويتوضأ منها)** اتباعاً للسنة **(ويشرب من مائها)** تبركاً، **(ويأتي مسجد الفتح وهو على الخندق)**.

أخرج ابن الجوزي في مثير العزم عن معروف بن كثير عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ دعا يوم الخندق على الأحزاب في موضع الأسطوانة الوسطى من مسجد الفتح الذي على الجبل.

وأخرج هو والقاسم بن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه «أن النبي ﷺ مر بمسجد الفتح الذي على الجبل، وقد حضرت صلاة العصر فرقي فصلى فيه العصر» وعنه أيضاً «أن النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين فعرف السرور في وجهه». أخرجه ابن الجوزي في مثير العزم.

(وكذلك يأتي سائر المساجد والمشاهد) المباركة المعروفة. **(ويقال: إن جميع المساجد والمشاهد بالمدينة)** المنورة **(ثلاثون مسجداً)** وفي نسخة موضعاً **(يعرفها أهل البلد)** وهي المواضع التي صلى فيها النبي ﷺ، منها: مسجد القبلتين، ومسجد ابن عبد الأشهل، ومسجد بني عصيفة، ومسجد بني معاوية، ومسجد بني ظفر، وفي هذا المسجد حجر جلس عليه النبي ﷺ فقل امرأة يصعب حملها تجلس على ذلك الحجر إلا حملت، ومسجد بني الحرث بن الخزرج، ومسجد الشيخ، ومسجد بني خطمة، ومسجد بني وائل، ومسجد العجوز في بني خطمة وهي امرأة من بني سليم، ومسجد بني أمية بن زيد، ومسجد بني بياضة، ومسجد بني واقف، وفي بيت أنس ذكرهن ابن الجوزي في مثير العزم.

قال: وصلى ﷺ في مواضع يطول ذكرها **(فيقعد ما قدر عليه)** ويتبع آثاره ﷺ لمن عرفها. **(وكذلك يقصد الآبار)** جمع بئر **(التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة آبار طلباً للشفاء وتبركاً به ﷺ)**. وتلك الآبار السبعة هي بئر أريس. وبئر حاء. وبئر رومة، وبئر غرس. وبئر بضاعة، وبئر البصة. واختلف في السابعة فقيل هي بئر السقيا أو العهن أو بئر جمل. فحديث بئر أريس رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري في حديث فيه «متى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضأ» الحديث.

وحديث بئر حاء متفق عليه من حديث أنس قال: «كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلاً وكان أحب أمواله إليه بئر حاء وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب» الحديث وقد تقدم ذكره في كتاب الزكاة مفصلاً مشروحاً.

....

وحديث بئر رومة رواه الترمذي والنسائي من حديث عثمان أنه قال « أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال: من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين » الحديث قال الترمذي: حسن صحيح وفي رواية لها: « هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن فابتعتها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل ». الحديث قال: حسن صحيح.

وروى البغوي والطبراني من حديث بشير الأسلمي « كان لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بمد » الحديث. قال نصر: بئر رومة بواد العقيق وماؤها أعذب.

وبئر غرس بالفتح جزم به ابن الأثير وغيره وصوبه السيد السمهودي في تواريخه، وحكي عن خط المراغي بالضم، وكذلك ضبطه الحافظ الذهبي الجاري على الألسنة، وقد تعقبه الحافظ ابن حجر وصوّب الفتح.

ومما يروى في فضل هذه البئر ما رواه ابن عباس مرفوعاً « غرس من عيون الجنة ».

ويروى عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ وهو جالس على شفير بئر غرس « رأيت الليلة أني جالس على عين من عيون الجنة » يعني هذه البئر.

وعن عمير بن الحاكم مرسلاً قال رسول الله ﷺ « نعم البئر بئر غرس، هي من عيون الجنة ».

وروى ابن حبان في الثقات من حديث أنس أنه قال: « ائتوني بماء من بئر غرس فإني رأيت رسول الله ﷺ يشرب منها ويتوضأ » ولابن ماجه بإسناد جيد من حديث علي مرفوعاً: « إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من ماء غرس ».

وفي تاريخ المدينة لابن النجار بسند ضعيف مرسل « أن النبي ﷺ توضأ منها وبزق فيها وغسل منها حين توفي ».

وأما بئر بُضاعة: فبالضم وتكسر حكاهما الجمهور والصغاني، وقال غيرهما: المحفوظ بالضم نسبة إلى امرأة اسمها كذلك والكسر نقله ابن فارس أيضاً، وحكى ابن الأثير عن بعضهم بالصاد المهملة أيضاً وهي التي كان يطرح فيها خرق الحيض ولحوم الكلاب والنتن، وحديثها رواه أصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري أنه قيل لرسول الله ﷺ: « أيتوضأ من بئر بضاعة » الحديث قال يحيى بن معين: إسناده جيد، وقال الترمذي: حسن.

وللطبراني من حديث أسيد « بصق النبي ﷺ في بئر بضاعة » ورواه ابن النجار في تاريخه من حديث سهل بن سعد، وقد تقدم ذكر هذه البئر في أوائل كتاب أسرار الطهارة.

ونقل الإمام أبو جعفر الطحاوي في شرح مشكل الآثار، عن أبي جعفر بن أبي عمران، عن أبي عبد الله محمد بن شجاع الثلجي عن الواقدي أن بئر بضاعة كانت طريقاً للماء في البساتين، وقد رد عليه البيهقي في السنن بأن الواقدي لا يحتج به فيما يسنده، فكيف فيما يرسله؟ وأن الثلجي

أمكنه الإقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم. قال ﷺ: «لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة». وقال ﷺ: «من استطاع أن

متكلم فيه، وأجاب عنه العيني بأن هذا تحامل من البيهقي على الطحاوي مع ما نقل عن أبي مصعب الزبيري في الواقدي أنه ثقة مأمون، والحال أنه مخبر عن مشاهدة لأنه من أهل المدينة وهو أخبر بحالها وحال أماكنها من غيره، ولولا هو والثلجي ثقتان عند الطحاوي ما روى عنهما في معرض الاستدلال وتضعيف غيره إياهما لا يلزمه على ما عرف في موضعه والله أعلم.

وحديث بئر البصة رواه ابن عدي من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ جاءه يوماً فقال «هل عندكم من سدر أغسل به رأسي فإن اليوم الجمعة» قال: نعم، فأخرج له سدراً وخرج معه إلى البصة فغسل رسول الله ﷺ رأسه وصب غسالة رأسه ومراقة شعره. وفيه محمد بن الحسن ابن زبالة ضعيف.

وحديث بئر السقيا رواه أبو داود من حديث عائشة «أن النبي ﷺ كان يستعذب له من بيوت السقيا» زاد البزار في مسنده «أو من بئر السقيا».

ولأحمد من حديث علي خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص قال رسول الله ﷺ: «ائتوني بوضوء فلما توضأ قام» الحديث. وقد ذكرت في شرحي على القاموس أن السقيا موضع بين المدينة ووادي الصفراء، وقيل: على يومين من المدينة، وقيل: ما في رأس رملة من إبط الدهناء، وفي كتاب المقصور والممدود لأبي علي القالي موضع في بلاد عذرة يقال سقيا الجزل قريب من وادي القرى.

وأما بئر العهن، فذكر ابن النجار في تاريخ المدينة أنها بالعالية يزرع عليها وعندها سدرة وأقره المطري وقال: إنها مليحة جداً منقورة في الجبل ولا تكاد تنزف أبداً.

وأما بئر جمل ففي الصحيحين من حديث أبي الجهم «أقبل رسول الله ﷺ من نحو بئر جمل» الحديث. وصله البخاري وعلقه مسلم، والمشهور أن الآبار بالمدينة سبعة.

وقد روى الدارمي من حديث عائشة أن النبي ﷺ قال في مرضه «صبوا علي من سبع قرب من آبار شتى» الحديث وهو عند البخاري دون قوله «من آبار شتى».

(وإن أمكنه الإقامة بالمدينة) والمجاورة به إلى آخر العمر **(مع مراعاة الحرمة)** أي الاحترام له ﷺ ولجيرانه، **(فلها فضل عظيم)** فروى مسلم عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً قال «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها خيراً منه» الحديث.

وروي عن أبي هريرة مرفوعاً «يفتح الشام فيخرج من المدينة قوم بأهلهم يسبون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

و**(قال رسول الله ﷺ «لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً يوم**

يموت بالمدينة فليمت فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة » ثم إذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب أن يأتي القبر الشريف ويعيد دعاء الزيارة ـ كما سبق ـ ويودع رسول الله ﷺ ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة إليه، ويسأل السلامة في سفره، ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهي موضع مقام رسول الله ﷺ قبل أن زيدت المقصورة في المسجد، فإذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولاً ثم اليمنى وليقل: « اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط أوزاري بزيارته وأصحبني في سفري السلامة ويسر رجوعي إلى أهلي ووطني سالماً يا أرحم الراحمين ». وليتصدق على جيران رسول الله ﷺ بما قدر عليه وليتتبع المساجد التي بين المدينة ومكة فيصلي فيها وهي عشرون موضعاً.

القيامة ») تقدم الكلام عليه قريباً، وفي هذا الحديث والذي بعده الحث على الصبر على سكناها وكراهية الخروج منها.

(**وقال ﷺ « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة »**) تقدم الكلام عليه كذلك، وأنه من رواية جابر، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وسعد بن أبي وقاص، وأسماء بنت عميس، ورواه بهذا السياق، وأن « أو » ليست هنا للشك إذ يبعد اتفاق الكل واتفاق رواتهم على الشك، ووقوعه بصيغة واحدة وقد أشرت إليه هناك فراجعه.

(**ثم إذا فرغ من أشغاله**) وحوائجه وعزم على الخروج من المدينة، فالمستحب أن يأتي للقبر الشريف ويعيد دعاء الزيارة كما سبق بعينه، (**ويودع رسول الله ﷺ**) قائلاً: الوداع يا رسول الله، (**ويسأل الله تعالى أن يرزقه العودة**) أي الرجوع (**إليه**) مرة أخرى (**ويسأل السلامة في سفره**) عن الموانع والشدائد ويدعو مهما أحب، (**ثم يصلي ركعتين في الروضة الصغيرة وهو موضع مقام رسول الله ﷺ قبل أن زيدت المقصورة في المسجد**). وقد تقدم من حديث ابن عمر أن عمر زاد في القبلة إلى موضع المقصورة، (**فإذا خرج**) من المسجد (**فليخرج رجله اليسرى أولاً ثم اليمنى**) كما هو السنة (**وليقل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك**) ﷺ (**وحط أوزاري بزيارته واصحبني في سفري**) إشارة إلى الدعاء المروي: اللهم أنت الصاحب في السفر، (**ويسر رجوعي إلى وطني واجعلني من السالمين يا أرحم الراحمين »**) يقول هذا الدعاء في حالة خروجه من المسجد الشريف، (**وليتصدق على جيران رسول الله ﷺ**) وهم المجاورون بها من المتأهلين والعزاب (**بما قدر عليه**) واستطاع من كثير أو قليل، (**وليتبع المساجد التي بين المدينة ومكة ويصلي فيها وهي عشرون موضعاً**).

....

قال البخاري في صحيحه باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلّى فيها النبي ﷺ :

حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا موسى بن عقبة قال : رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق فيصلي فيها ، ويحدث أن أباه كان يصلي فيها وأنه رأى النبي ﷺ يصلي في تلك الأمكنة .

وحدثني نافع عن ابن عمر « أنه كان يصلي في تلك الأمكنة » وسألت سالماً فلا أعلمه إلا وافق نافعاً في الأمكنة كلها إلا أنهما اختلفا في مسجد بشرف الروحاء .

حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا أنس بن عياض ، حدثنا موسى بن عقبة ، عن نافع أن عبد الله أخبره : أن رسول الله ﷺ كان ينزل بذي الحليفة حين يعتمر ، وفي حجته حين حج تحت سمرة في موضع المسجد الذي بذي الحليفة ، وكان إذا رجع من غزو كان في تلك الطريق أو في حج أو عمرة هبط من بطن واد فإذا ظهر من بطن واد أناخ بالبطحاء التي على شفير الوادي الشرقية فعرس ثم حتى يصبح ليس عند المسجد الذي بحجارة ولا على الأكمة التي عليها المسجد كان ثم خليج يصلي عبد الله عنده في بطنه كثب كان رسول الله ﷺ ثم يصلي فدحا السيل فيه بالبطحاء حتى دفن ذلك المكان الذي كان عبد الله يصلي فيه ، وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي ﷺ صلى حيث المسجد الصغير الذي دون المسجد الذي بشرف الروحاء ، وقد كان عبد الله يعلم المكان الذي كان صلى فيه النبي ﷺ يقول : ثم عن يمينك حين تقوم في المسجد تصلي ، وذلك المسجد على حافة الطريق اليمنى وأنت ذاهب إلى مكة بينه وبين المسجد الأكبر رمية بحجر أو نحو ذلك ، وأن ابن عمر كان يصلي إلى العرق الذي عند منصرف الروحاء ، وذلك العرق انتهاء طرفه على حافة الطريق دون المسجد الذي بينه وبين المنصرف وأنت ذاهب إلى مكة ، وقد ابتني ثم مسجد فلم يكن عبد الله يصلي في ذلك المسجد كان يتركه على يساره ووراءه ويصلي أمامه إلى العرق نفسه ، وكان عبد الله يروح من الروحاء فلا يصلي الظهر حتى يأتي ذلك المكان فيصلي فيه الظهر ، وإذا أقبل من مكة فإن مر به قبل الصبح بساعة أو من آخر السحر عرس حتى يصلي بها الصبح ، وأن عبد الله حدثه أن النبي ﷺ كان ينزل تحت سرحة ضخمة دون الرويثة عن يمين الطريق ووجاه الطريق في مكان بطح سهل حتى يفضي من أكمة دوين بريد الرويثة بميلين وقد انكسر أعلاها فانثنى في جوفها وهي قائمة على ساق في ساقها كثب كثيرة ، وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي ﷺ صلى في طرف تلعة من وراء العرج ، وأنت ذاهب إلى هضبة عند ذلك المسجد قبران أو ثلاثة على القبور رضم من حجارة عن يمين الطريق عند سلمات الطريق بين أولئك السلمات كان عبد الله يروح من العرج بعد أن تميل الشمس بالهاجرة فيصلي الظهر في ذلك المسجد ، وأن عبد الله بن عمر حدثه أن رسول الله ﷺ نزل عند سرحات عن يسار الطريق في مسيل دون هرشي ذلك المسيل لاصق بكراع هرشي بينه وبين الطريق قريب من غلوة ، وكان عبد الله يصلي إلى سرحة هي أقرب السرحات إلى الطريق وهي أطولهن ، وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي

فصل

في سنن الرجوع من السفر:

كان رسول الله ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على رأس كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده». وفي بعض الروايات: «وكل شيء

ﷺ كان ينزل في المسيل الذي في أدنى مر الظهران قبل المدينة حين يهبط من الصفراوات ينزل في بطن ذلك المسيل عن يسار الطريق، وأنت ذاهب إلى مكة ليس بين منزل رسول الله ﷺ وبين الطريق إلاّ رمية بحجر، وأن عبد الله بن عمر حدثه أن النبي ﷺ كان ينزل بذي طوى ويبيت بها حتى يصبح يصلي الصبح حين يقدم مكة ومصلى رسول الله ﷺ ذلك على أكمة غليظة ليس في المسجد الذي بنى ثم ولكن أسفل من ذلك على أكمة غليظة، وأن عبد الله حدثه أن النبي ﷺ استقبل فرضتي الجبل الذي بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة فجعل المسجد الذي بني ثم يسار المسجد بطرف الأكمة ومصلى النبي ﷺ أسفل منه على الأكمة السوداء تدع من الأكمة عشرة أذرع أو نحوها، ثم تصلي مستقبل الفرضتين من الجبل الذي بينك وبين الكعبة اهـ نص البخاري رحمه الله تعالى.

وإنما كان ابن عمر يصلي في هذه المواضع للتبرك، وهذا لا ينافي ما روي من كراهة أبيه عمر لذلك لأنه محمول على اعتقاد من لا يعرف وجوب ذلك، وابنه عبد الله مأمون من ذلك، وكان عمر رضي الله عنه يقول: إن هذه المساجد التي صلى فيها رسول الله ﷺ ليست من المشاعر ولا لاحقة بالمساجد الثلاثة في التعظيم، ثم أن هذه المساجد المذكورة لا يعرف منها اليوم غير مسجد ذي الحليفة، ومساجد الروحاء يعرفها أهل تلك الناحية. وفي سياق البخاري المذكورة تسعة أحاديث أخرجها الحسن بن سفيان في مسنده معرفة إلا أنه لم يذكر الثالث، وأخرج مسلم الأخير في كتاب الحج والله أعلم.

فصل

في سنن الرجوع من السفر:

(**كان رسول الله ﷺ إذا قفل**) أي رجع (**من غزو**) أي جهاد (**أو حج أو عمرة أو غيره يكبّر على كل شرف**) أي مرتفع (**من الأرض ثلاث تكبيرات**) أي يقول «الله أكبر» ثلاث مرات، (**ويقول «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون**) أي راجعون (**تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»**) هذا الحديث فيه فوائد.

الأولى: أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي من طريق مالك.

وأخرج مسلم، والترمذي من طريق أيوب السختياني، ومسلم والنسائي من طريق عبيد الله بن عمر، ومسلم وحده من طريق الضحاك بن عثمان كلهم، عن نافع، عن ابن عمر «أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة» فساقوه مثل سياق المصنف إلا أنه عندهم ثم يقول بدل: ويقول، ولفظ عبيدالله كان إذا قفل من الجيوش أو السرايا أو الحج إذا أوفى على ثنية أو فدفد كبَّر ثلاثاً والباقي مثله، وفي حديث أيوب عند مسلم التكبير مرتين، وفي رواية الترمذي بدل ساجدون سائحون، وعنده أيضاً فعلا فدفداً من الأرض أو شرفا. وقال: حسن صحيح.

الثانية: كان إذا قفل من القفول هو الرجوع من السفر ولا يستعمل إلا في انتهاء السفر، وإنما سمي المسافرون قافلة تفاؤلاً لهم بالقفول والسلامة، والشرف: محركة المكان المرتفع، والفدفد: كجعفر المكان الذي فيه ارتفاع وغلظ، ورجحه النووي وغيره، وقيل: الأرض المستوية قاله الجوهري، وقيل: الفلاة التي لا شيء فيها ذكره صاحب المشارق، وقيل: غليظ الأرض ذات الحصى. والمراد بالأحزاب هنا الكفار الذين اجتمعوا يوم الخندق، وتحزبوا على رسول الله ﷺ فأرسل الله تعالى عليهم ريحاً وجنوداً لم يروها. قال النووي: هذا هو المشهور، وقيل: المراد أحزاب الكفر في جميع الأيام والمواطن نقله القاضي عياض.

الثالثة: فيه استحباب الإتيان بهذا الذكر في القفول من سفر الغزو والحج والعمرة، وهل يختص ذلك بهذه الأسفار أو يتعدى إلى كل سفر طاعة كالرباط، وطلب العلم وصلة الرحم أو يتعدى إلى السفر المباح أيضاً كالنزهة، أو يستمر في كل سفر، ولو كان محرماً يحتمل أوجهاً.

أحدها: الاختصاص وذلك لأن هذا ذكر مخصوص شرع بأثر هذه العبادات المخصوصة فلا يتعدى إلى غيرها والأذكار المخصوصة متعبد بها في لفظها ومحلها ومكانها وزمانها.

الثاني: أنه يتعدى إلى سائر أسفار الطاعة لكونها في معناها في التقرب بها.

الثالث: أنه يتعدى إلى الأسفار المباحة أيضاً، وعلى هذين الاحتمالين فالتقييد في الحديث إنما هو لكونه ﷺ لم يكن يسافر لغير المقاصد الثلاثة فقيده بحسب الواقع لا لاختصاص الحكم به.

الرابع: تعديه إلى الأسفار المحرمة لأن مرتكب الحرام أحوج إلى الذكر من غيره لأن الحسنات يذهبن السيئات، وكلام النووي محتمل، فإنه قال في تبويبه في شرح مسلم ما يقول: إذا رجع من سفر الحج وغيره مما هو مذكور في الحديث وهو العمرة والغزو وقد يريد غيره مطلقا.

وقال العراقي في شرح الترمذي: سواء فيه السفر لحج أو عمرة أو غزو كما في الحديث أو لغير ذلك من طلب علم وتجارة وغيرهما اهـ.

فمثل بطلب العلم وهو من الطاعات وبالتجارات وهي من المباحات ولم يمثل المحرم لكنه مندرج في إطلاقه.

الرابعة: الحديث صريح في اختصاص التكبير ثلاثاً بحالة كونه على المكان المرتفع، وأما قوله ويقول، وعند الجماعة ثم يقول لا إله إلا الله الخ فيحتمل الإتيان به، وهو على المكان المرتفع، ويحتمل أن لا يتقيد بذلك بل إن كان المرتفع واسعاً قال فيه: وإن كان ضيقاً كمل بقية الذكر بعد انهباطه ولا يستمر واقفاً في المكان المرتفع لتكميله.

الخامسة: قال العراقي في شرح الترمذي: مناسبة التكبير في المكان المرتفع أن الاستعلاء والارتفاع محبوب للنفوس وفيه ظهور وغلبة من هو دونه، فينبغي لمن تلبس به أن يذكر عند ذلك كبرياء الله ويشكر له ذلك يستمطر بذلك المزيد مما منَّ به عليه.

السادسة: قوله «آيبون» وما بعده خبر مبتدأ محذوف أي نحن آيبون.

فإن قلت: ما فائدة الإخبار بالأوب وهو ظاهر من حالهم، فما تحت الإخبار بذلك من الفائدة؟ قلت: قد يراد أوب مخصوص وهو الرجوع من المخالفة إلى الطاعة، أو التفاؤل بذلك، أو الاعلام بأن السفر المقصود قد انقضى فهو استبشار بكمال العبادة والفراغ منها وحصول المقصود والظفر به.

السابعة: قوله «تائبون» يحتمل أن يكون إشعاراً بحصول التقصير في العبادة فيتوب من ذلك وهو تواضع وهضم النفس أو تعليم لمن يقع ذلك منه في سفر الطاعات فيخلطه بما لا يجوز فعله، ويحتمل الإشارة بذلك إلى أن ما كان فيه من طاعة الحج أو العمرة أو الغزو قد كفرت ما مضى، فيسأل الله التوبة فيما بعده، وقد تستعمل التوبة في العصمة فيسأل أن لا يقع منه بعده ما يحتاج إلى تكفير، وهذا اللفظ وإن كان خبراً فهو في معنى الدعاء، ولو كان إشعاراً بأنهم رجعوا بهذه الأوصاف لنصبها على الحال وهو غير مناسب أيضاً لما فيه من تزكية النفس وإظهار الأعمال.

الثامنة: قوله «ساجدون» بعد قوله «عابدون» من ذكر الخاص بعد العام وقوله «لربنا» يحتمل تعلقه بقوله «ساجدون» أي نسجد له لا لغيره، ويحتمل أن يكون معمولاً مقدماً لقوله حامدون أي نحمده دون غيره إذ هو المنعم بالنعم لا رب سواه.

التاسعة: في قوله «آيبون» الخ دليل على جواز السجع في الدعاء والكلام إذا كان بغير تكلف والمنهي عنه من ذلك ما كان باستعمال وروية لأنه يشغل عن الإخلاص، وأما ما ساقه الطبع وقذف به قوّة الخاطر فمباح في كل شيء، وسيأتي ذلك في الفصل الثالث من كتاب الدعوات.

العاشرة: مجموع هذا الذكر إنما كان ﷺ يأتي به عند القفول وكان يأتي بصدره في الخروج أيضاً، ففي صحيح مسلم وغيره عن ابن عمر «أن النبي ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبّر ثلاثاً ثم قال: سبحان الذي» إلى آخر الدعاء الذي ذكرناه أوّلاً. وفي آخره: وإذا رجع قالهن وزاد «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون».

(وفي بعض الروايات: وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون») قال العراقي: رواه المحاملي في الدعاء بإسناد جيد.

هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون» فينبغي أن يستعمل هذه السنّة في رجوعه. وإذا أشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول: «اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً» ثم ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كي لا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنّة؛ ولا ينبغي أن يطرق أهله ليلاً فإذا دخل البلد فليقصد المسجد أولاً وليصلّ ركعتين فهو السنّة. كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ، فإذا دخل بيته قال: «توباً توباً لربنا أوباً لا يغادر علينا حوباً» فإذا استقر في منزله فلا ينبغي أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه ﷺ، فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللهو والخوض في المعاصي، فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته أن يعود زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة متأهباً للقاء رب البيت بعد لقاء البيت.

(**فينبغي أن يستعمل هذه السنة في رجوعه**) إلى وطنه، (**وإذا أشرف على مدينته**) التي بها مسكنه (**فليحرك دابته**) أي يسرع بها في السير دون إجهاد، (**وليقل: «اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً»**) ولو قال: «اللهم أرني خيرها وخير ما فيها واكفني شرها وشر ما فيها» كان حسناً، (**ثم يرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه ولا يقدم عليهم بغتة**) أي فجأة (**فذلك هو السنة**).

قال العراقي: لم أجد فيه ذكر الإرسال، وفي الصحيحين من حديث جابر «كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال امهلوا حتى ندخل ليلاً أي مساء كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة».

(**ولا ينبغي أن يطرق أهله ليلاً**) بل الأولى أن يبات خارجاً في البلد إن أمكن أو في بيوت بعض الأصحاب حتى يصبح فيأتيهم بعد الإخبار، (**فإذا دخل البلد فيقصد المسجد أولاً**) المراد به مسجد الحي (**وليصل فيه ركعتين فهي السنة، كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ**) تقدم ذلك في كتاب أسرار الصلاة، (**فإذا دخل بيته فليقل توباً توباً لربنا أوباً لا يغادر علينا حوباً**) أي إثماً (**فإذا استقر في منزله فلا ينبغي أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته**) المكرم (**وحرمه**) المعظم، (**وقبر نبيه ﷺ**) ووفقه لتحصيل كل من ذلك (**فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة**) عن الحضور والانتباه (**واللهو**) واللعب (**والخوض في المعاصي**) وفيما لا يعنيه (**فما ذلك من علامة الحج المبرور، بل من علامته أن يعود زاهداً في الدنيا**) أي مقللاً منها (**راغباً في الآخرة**) أي في أمورها، وهذا مروي عن الحسن البصري، وفي معناه قول غيره علامة بر الحج أن يزداد بعده خيراً ويهاجر المعاصي بعد رجوعه. وقيل في تفسير الحج المبرور غير ما ذكر كما سيأتي، وزاد المصنف (**متأهباً**) أي متهيئاً (**للقاء رب البيت بعد لقاء البيت**) إذ هو المقصود الأعظم من هذه العبادة، بل العبادات كلها إنما يراد بها الوصول إلى الله تعالى. والله أعلم.

الباب الثالث

في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة

بيان دقائق الآداب وهي عشرة:

الأول: أن تكون النفقة حلالاً وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق

الباب الثالث

في الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة

في أفعال الحج، وقد قسم هذا الباب على قسمين: الأول الآداب التي لدقتها خفيت على كثير من الحجاج، والثاني: في الأعمال التي تبطن عن إدراك أكثر الفهوم وهي كالأرواح لأفعال الحج.

بيان دقائق الآداب وهي عشرة:

(**الأول: أن تكون النفقة**) التي ينفقها في هذا السبيل (**حلالاً**) طيباً، فقد أخرج أبو ذر الهروي في منسكه عن أبي هريرة رفعه « من يمم هذا البيت بالكسب الحرام شخص في غير طاعة الله فإذا أهلّ ووضع رجله في الركاب وبعث راحلته وقال: لبيك اللهم لبيك نادى منادٍ من السماء لا لبيك ولا سعديك كسبك حرام وثيابك حرام وراحلتك حرام وزادك حرام ارجع مأزوراً غير مأجور وأبشر بما يسوؤك، وإذا خرج الرجل حاجاً بمال حلال ووضع رجله في الركاب وبعث راحلته وقال: لبيك اللهم لبيك ناداه منادٍ من السماء لبيك وسعديك أجبت بما تحب راحلتك حلال وثيابك حلال وزادك حلال ارجع مبروراً غير مأزور وائتنف العمل ».

وأخرج ابن الجوزي في مثير العـزم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفعه « إذا حج الرجل بمال من غير حله فقال: لبيك اللهم لبيك قال الله عز وجل: لا لبيك ولا سعديك هذا مردود عليك ».

وأخرج سعيد بن منصور، عن مكحول يرفعه إلى النبي ﷺ قال « أربع لا تقبل من أربع نفقة من خيانة أو غلول أو مال يتيم في حج ولا عمرة ولا صدقة ولا جهاد ».

وأخرج ابن الجوزي في مثير العزم، عن أحمد بن أبي الحواري، عن أبي سليمان الداراني أنه قال: « بلغني أنه من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل: لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك ».

الهم حتى يكون الهم مجرداً لله تعالى والقلب مطمئناً منصرفاً إلى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره، وقد روي في خبر من طريق أهل البيت: « إذا كان آخر الزمان خرج الناس إلى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة ». وفي الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التي يتصوّر أن تتصل

(**وتكون اليد خالية**) ولفظ القوت فارغة (**من تجارة تشغل القلب**) فإنه لا محالة أن قلب الإنسان حيث ماله، ولذا قال عيسى عليه السلام: اجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم عندها، وقد تقدم ذلك في أسرار الزكاة، (**وتفرق الهمّ**) أي تجعل الهمّ الواحد هموماً متشعبة، (**حتى يكون الهمّ مجرداً لله تعالى**) لا لغيره، (**والقلب**) ساكناً (**مطمئناً**) مملوءاً بأنوار الذكر (**متفرغاً**) عن الهوى (**إلى ذكر الله تعالى ومعظماً لشعائره**) وفي بعض النسخ وتعظيم شعائره ناظراً أمامه غير ملتفت إلى ورائه، (**فقد روي في خبر**) طويل (**من طريق أهل البيت « إذا كان آخر الزمان خرج الناس في الحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة**) أي التنزه والتفرج، (**وأغنياؤهم للتجارة، وفقراؤهم للمسألة، وقرّاؤهم للسمعة »**) هكذا هو في القوت.

وقال العراقي: رواه الخطيب من حديث أنس بإسناد مجهول، وليس فيه ذكر السلاطين، ورواه أبو عثمان الصابوني في كتاب المائتين فقال « تحج أغنياء أمتي للنزهة وأوساطهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للرياء والسمعة » اهـ.

قلت: وهكذا أخرجه ابن الجوزي في مثير العزم بلفظ « يأتي على الناس زمان » فساقه. والديلمي في مسند الفردوس.

وأما الذي في المائتين للصابوني قال: أخبرنا أبو سور الرستمي، انبأنا أبو نصر المطري، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى الخالدي، حدثنا أبو الليث نصر بن خلف بن سيار، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن الهيثم الضرير المعلم، حدثنا أبو زكريا يحيى بن نصر، حدثنا علي بن إبراهيم، عن ميسرة بن عبدالله الشتري، عن موسى بن جابان، عن أنس قال: لما حج النبي ﷺ حجة الوداع أخذ بحلقة باب الكعبة ثم قال: « يا أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا فإني مخبركم باقتراب الساعة ألا من اقتراب الساعة إقامة الصلاة » فساق الحديث بطوله.

وأورده أيضاً من طريق سليمان بن أرقم، عن الحسن، عن أنس، ومن طريق جعفر بن سليمان عن ثابت البناني عن أنس. ودخل محدث بعضهم في بعض اختلفت ألفاظهم والمعنى واحد، ومتن الحديث بطوله لإبراهيم بن الهيثم الضرير. وفي كل مرة يقول سليمان: وإن هذا الكائن في أمتك يا نبي الله؟ ويقول ﷺ: « أي والذي نفسي بيده عندها يكون كذ وكذا » وقد رأيت الحافظ العراقي اختصر المائتين في نحو عشر ورقات فذكر هذا الحديث فيما رأيته بخطه. وقال أبو عثمان الصابوني بعد أن أورد هذا الحديث: هذا حديث غريب لم أكتبه إلا من هذا الطريق عن هذا الشيخ، والله أعلم.

بالحج، فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص، لا سيما إذا كان متجراً بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة. وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد، لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين. فعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم بإسقاط الفرض عنه، وفي مثله ينزل قول رسول الله ﷺ: «يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة: الموصي بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه». ولست أقول: لا تحل الأجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الإسلام عن نفسه، ولكن الأولى أن لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره، فإن الله عز وجل يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي

(**وفي الخبر**) المذكور (**إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التي يتصوّر أن تتصل بالحج**) أي يمكن توصلها به، (**فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج**) ويذهب بهاءه (**ويخرجه عن حيز حج الخصوص**) ويدخله في حدّ حج العموم، (**لاسيا إذا كان متجراً بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة**) مخصوصة (**فيطلب الدنيا بعمل الآخرة، وقد كره الورعون**) من السلف الصالحين (**وأرباب القلوب ذلك**) أي طلب الدنيا بعمل الآخرة (**إلا أن يكون قصده**) ونيته (**المقام بمكة**) أي المجاورة بها، (**ولم يكن له**) من المال (**ما يبلغه**) إليها، (**فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين، وعند ذلك**) وفي نسخة فعند ذلك (**ينبغي أن يكون قصده**) من حركته (**زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم بإسقاط الفرض عنه، وفي مثله ينزل قول رسول الله ﷺ «يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصي بها والمنفذ لها ومن حج عن أخيه»**) قال العراقي: رواه البيهقي من حديث جابر بسند ضعيف اهـ.

ولفظ القوت: وفي الخبر «يؤجر في الحجة الواحدة ثلاثة، ويدخل الجنة الموصي بها، والمنفذ للوصية. والحاج الذي يقيمها لأنه ينوي خلاص أخيه المسلم والقيام بفرضه».

(**ولست أقول: لا تحل الأجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الإسلام عن نفسه**) كما هو مذهب الشافعي، وقال مالك وأبو حنيفة: لو لم يحج لنفسه وفيه تفصيل سبق، (**ولكن الأولى أن لا يفعل**) ذلك (**ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره**) وسبباً لتحصيل الحطام الدنيوي، (**فإن الله تعالى يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا**). وأصل هذا السياق لصاحب القوت ولفظه: وأكره أجر الحج فيجعل نصبه وعناه لغيره ملتمساً غرض الدنيا، وقد كره ذلك بعض العلماء، ولأنه من أعمال الآخرة ويتقرب به إلى الله تعالى يجري مجرى الصلاة والأذان والجهاد ولا يؤخذ على ذلك أجر إلا في الآخرة، وقد قال ﷺ لعثمان بن أبي العاص

الدين بالدنيا. وفي الخبر: «مثل الذي يغزو في سبيل الله عز وجل ويأخذ أجراً مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرها». فمن كان مثاله في أخذ الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه فإنه يأخذه ليتمكن من الحج والزيارة فيه، وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الإرضاع بتلبيس حالها عليهم.

الثاني: أن لا يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأعراب المترصدين في الطريق، فإن تسليم المال إليهم إعانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم فهو كالإعانة بالنفس؛ فليتلطف في حيلة الخلاص فإن لم

«واتخذ مؤذناً لا يأخذ على الأذان أجراً» وسئل عن رجل خرج مجاهداً فأخذ ثلاثة دنانير فقال ليس له من دنياه وآخرته إلا ما أخذ فإن كان نية عبد الآخرة أو همته المجاورة واضطر إلى ذلك، فإن الله تعالى قد يعطي الدنيا على نية الآخرة ولا يعطي الآخرة على نية الدنيا رجوت أن يسعه ذلك.

(**وفي الخبر: «مثل الذي يغزو في سبيل الله تعالى ويأخذ أجراً**) ولفظ القوت: مثل المجاهد الذي يأخذ في جهاده أجراً (**مثل أم موسى عليه السلام**) واختلف في اسمها على أقوال: أشهرها يوحانذ بنت حنة وقصتها مذكورة في القرآن. (**ترضع ولدها وتأخذ أجرها»**) ولفظ القوت يحل أجرها وترضع ولدها.

قال العراقي: رواه ابن عدي وقال: منتفي الإسناد منكر المتن اهـ.

(**فمن كان مثاله في أخذ الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه لأنه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة وليس**) في نيته أن يحج (**ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج، كما أخذت أم موسى ليتيسر لها الإرضاع بتلبيس حالها عليهم**) ولفظ القوت: هذا إذا كانت نيته الجهاد واحتاج إلى معونة عليه، كذلك من كانت نيته في حجته الآخرة والتقرب إلى الله بالطواف والعمرة بعد قضاء ما عليه لم يضره أجر حجه إن شاء الله تعالى.

(**الثاني: أن لا يعاون أعداء الله عز وجل بتسليم المكس**) هو في الأصل الجباية وغلب استعماله فيما يأخذه أعوان السلطان ظلماً عند البيع والشراء، قال الشاعر:

وفي كل أسواق العراق اقادة ... وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم

(**وهم الصادّون عن المسجد الحرام**) أي المانعون عنه (**من أمراء مكة**) وقوّادها وذي شوكتها، (**والأعراب المترصدين في الطريق**) من قبائل شتى، (**فإن تسليم المال إليهم**) بالطريق المذكور (**إعانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم، فهو كالإعانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص**) وأصله في القوت حيث قال: ومن فضائل الحج أن لا يقوي أعداء الله الصادّين

يقدر فقد قال بعض العلماء ـ ولا بأس بما قاله ـ ان ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة، فإن هذه بدعة أحدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية. ولا معنى لقول القائل: إن ذلك يؤخذ مني وأنا مضطر فإنه لو قعد في البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء، بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته، فلو كان في زي الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه إلى حالة الاضطرار.

الثالث: التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والإنفاق من غير تقتير ولا إسراف

عن المسجد الحرام بالمال، فإن المعونة والتقوية بالمال يضاهي المعونة بالنفس، والصد عن المسجد الحرام يكون بالمنع والإحصار، ويكون بطلب المال فليحتل في التخلص من ذلك، **(فإن لم يقدر فقد قال بعض العلماء: ولا بأس بما قاله إن)** ولفظ القوت: فإن بعض علمائنا كان يقول: **(ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة)** ولفظ القوت: ترك التنفل بالحج والرجوع عنه أفضل من تقوية الظالمين بالمال، **(فإن هذه بدعة أحدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها سنّة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية)** ولفظ القوت: لأن ذلك عنده دخيلة في الدين ووليجة في طريق المؤمنين وإقامة وإظهار لبدعة أحدثت في الآخذ والمعطي، فهما شريكان في الإثم والعدوان، وهذا كما قال لأن جعل بدعة سنة ودخلاً في صغار وذلة ومعاونة على وزر أعظم في الجرم من تكلف حج نافلة، وقد سقط فرضه. كيف وفي ذلك إدخال ذلة وصغار على المسلمين والإسلام مضاهاة للجزية.

وقد روينا عن رسول الله ﷺ « كن واحداً من المسلمين على ثغر من ثغور الإسلام فإن ترك المسلمون فأشد ولا يؤتى الإسلام من قبلك » وفي الخبر المشهور: « المسلمون كرجل واحد ومثل المسلمين كمثل الرأس من الجسد يألم الجسد كما يألم الرأس ويألم الرأس كما يألم الجسد ».

(ولا معنى لقول القائل: إن ذلك يؤخذ مني وأنا مضطر فإنه لو قعد في البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته، فلو كان في زي الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه إلى الاضطرار). ولفظ القوت: وقد يترخص القائل في ذلك بتأويل أنه مضطر إليه، وليس كما يظن لأنه لو رجع لما أخذ منه شيء، ولو خرج في غير زي المترفهين مما أحدث من المحامل لما أخذ منه شيء، فقد زال الاضطرار وحصل منه بالطوع والشهوة والاختيار، ولعل هذا الذنب عقوبة ما حملوا على الإبل فوق طاقتها فجعلوه يحمل مقدار أربعة وزيادة، وأدى ذلك إلى تلفها، ولعله ذنب ما خرجوا به من التجارات وفضول الأسباب وشبهات الأموال، أو لسوء النيات وفساد المقاصد أو لغير ذلك.

(الثالث: التوسع في الزاد) الذي يحمله معه مما لا بدّ له منه مما يحتاج إليه **(من غير تقتير**

بل على الاقتصاد، وأعني بالإسراف التنعم بأطايب الأطعمة والترفه بشرب أنواعها على عادة المترفين، فأما كثرة البذل فلا سرف فيه إذ لا خير في السرف ولا شرف في الخير، كما قيل. وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله عز وجل والدرهم بسبعمائة درهم. قال ابن عمر رضي الله عنهما: من كرم الرجل طيب زاده في سفره. وكان يقول: أفضل الحاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقيناً. وقال ﷺ:

ولا إسراف) أي لا يضيق على نفسه ورفيقه ولا يوسع توسيعاً، **(بل)** يستعمل **(على الاقتصاد)** في كل شيء والكفاية، **(وأعني بالإسراف التنعم بأطايب الأطعمة)** بالنسبة إلى حاله **(والترفه بشرف أنواعها على عادة المترفين)** المتنعمين، **(فأما كثرة البذل)** في محله **(فلا سرف فيه إذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل)** ونقله الراغب في الذريعة. **(وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله تعالى والدرهم بسبعمائة)** نقله صاحب القوت. وقال: روي ذلك عن رسول الله ﷺ.

قلت: أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة، عن بريدة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ «النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة ضعف» وفي معنى ذلك ما أخرجه الدارقطني من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها في عمرتها «إن لك من الأجر قدر نصبك ونفقتك» وقد جاء أيضاً «إن النفقة في الحج يبدل الدرهم أربعين ألف ألف».

قال المحب الطبري: أخبرنا عمر بن محمد البغدادي، أخبرنا الحافظ أبو سعيد أحمد بن محمد البغدادي، أخبرنا عمرو بن أبي عبد الله بن منده قال: أخبرني والدي الحافظ، أخبرنا أحمد بن عبد الله الحمصي، حدثنا موسى بن عيسى، حدثنا موسى بن أيوب، حدثنا الحسن بن عبد الله، عن عقبة الفزاري، عن يعقوب بن عطاء، عن أبيه، عن هانىء بن قيس، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا خرج الحاج من بيته كان في حرز الله فإن مات قبل أن يقضي نسكه وقع أجره على الله وإن بقي حتى يقضي نسكه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنفاق الدرهم الواحد في ذلك الوجه يعدل أربعين ألف ألف فيما سواه».

ثم قال صاحب القوت: **(قال ابن عمر)** رضي الله عنهما وغيره: **(من كرم الرجل طيب زاده في سفره)**.

قلت: وهذا يحتمل أن يكون معناه نفاسة زاده، أو المراد طيب نفسه في بذله، وسيأتي قول ابن عمر هذا للمصنف في الباب الثاني من كتاب آداب الأكل.

ثم قال صاحب القوت: **(وكان يقول)** أي ابن عمر: **(أفضل الحجاج أخلصهم تقية)** هكذا هو لفظ القوت، وفي بعض نسخ الكتاب أخلصهم له نية، **(وأزكاهم نفقة)** أي أطيبهم، **(وأحسنهم يقيناً)** أي بالله. **(وقال رسول الله ﷺ «الحج المبرور ليس له جزاء إلا**

« الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة. فقيل له: يا رسول الله؛ ما برّ الحج؟ فقال: طيب الكلام وإطعام الطعام ».

الرابع: ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن. والرفث اسم جامع لكل لغو وخنا وفحش من الكلام، ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته، فإن ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي إلى المحظور محظور، والفسوق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل. والجدال هو المبالغة في الخصومة

الجنة ») متفق عليه من حديث أبي هريرة، وأوله « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والمبرور هو الذي لا يخالطه إثم، وقيل المتقبل، وقيل الذي لا رياء فيه ولا سمعة ولا رفث ولا فسوق، وقوله: ليس له جزاء الخ أي لا يقتصر فيه على تكفير بعض الذنوب، بل لا بد أن يبلغ به الجنة ».

وقد رويت زيادة في هذا الحديث وهي (**« قيل يا رسول الله: وما بر الحج؟ قال: طيب الكلام وإطعام الطعام »**) وهو بهذه الزيادة رواه أحمد من حديث جابر بن عبد الله بسند لين، ورواه الحاكم مختصراً وقال: صحيح الإسناد قاله العراقي.

قلت: هكذا هو عند المخلص الذهبي بلفظ « إطعام الطعام وطيب الكلام » ولفظ أحمد « إطعام الطعام وإفشاء السلام ».

(**الرابع: ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن**) وهو قوله تعالى: ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ [البقرة: ١٩٧] (**والرفث**) محركة في هذه الآية (**اسم جامع لكل لغو وخنا وفحش في الكلام، ويدخل فيه مغازلة النساء وملاعبتهن والتحدث بشأن الجماع**) هكذا نقله صاحب القوت زاد المصنف: (**ومقدماته، فإن ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي إلى المحظور محظور**)، وهذا الذي ذكره المصنف تبعاً لصاحب القوت هو معنى قول الأزهري في التهذيب حيث قال: كلمة جامعة لما يريد الرجل من المرأة اهـ.

وهناك أقوال أخر فقيل لا رفث أي لا جماع روي ذلك عن ابن عباس وقيل: لا فحش في القول، وقال آخرون: الرفث يكون في الفرج بالجماع، وفي العين بالغمز للجماع، وفي اللسان المواعدة به.

وروى البغوي في شرح السنة، عن ابن عباس أنه أنشد شعراً فيه ذكر الجماع فقيل له: أتقول الرفث وأنت محرم؟ فقال: إنما الرفث ما وجه به النساء فكأنه يرى الرفث المنهي عنه في الآية ما خوطب به المرأة دون ما يتكلم به من غير أن تسمع المرأة اهـ. والشعر المذكور هو قوله:

وهن يمشين بنا هميسا ... إن يصدق الطير ننك لميسا

(**والفسوق**) جمع فسق هو (**إسم جامع لكل خروج عن طاعة الله تعالى**)؛ ولكل تعدي

والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق. وقد قال سفيان: من رفث فسد حجه، وقد جعل رسول الله ﷺ طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج، والمماراة تناقض طيب الكلام، فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيره من أصحابه، بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله عز وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى. وقيل: سمي السفر سفراً لأنه يسفر عن أخلاق الرجال، ولذلك قال

حد من حدود الله تعالى كذا في القوت، وقيل: المراد بالفسوق من المعاصي قاله ابن عباس، وقيل: السباب، وقيل ما أصاب من محارم الله تعالى ومن الصيد، وقيل قول الزور، وأصل الفسق خروج الشيء من الشيء على وجه الفساد يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرتها، وكذلك كل شيء خرج عن قشره فقد فسق قاله السرقسطي قال ابن الاعرابي: ولم يسمع فاسق في كلام الجاهلية مع أنه عربي فصيح ونطق به الكتاب العزيز.

(والجدال) بالكسر **(هو المبالغة في الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق)**، فهذه ثلاثة أسماء جامعة مختصرة لهذه المعاني المثبتة أمر الله تعالى بتنزيه شعائره ومناسكه منها، لأنها مشتملة على الآثام وهن أصول الخطايا والآثام.

(وقد قال سفيان) أبو سعيد الثوري: **(من رفث فسد حجه)** نقله صاحب القوت عن بشر الحافي عنه، **(وقد جعل رسول الله ﷺ طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج)** كما تقدم في الحديث، بل هو من مطلق البر كما قال الشاعر:

بنـــي إنّ البرّ شيء هين　　　المنطـــق اللين والطعيم

(والمماراة تناقض طيب الكلام) وتخالفه، **(فلا ينبغي أن يكون)** الحاج **(كثير الاعتراض على رفيقه)** ولا يخالفه فيما يأمره به ويفعله **(و)** لا يعترض على **(جماله)** ومكاريه، وما نقله ابن حجر المكي وغيره من أرباب المناسك من تمام الحج ضرب الجمال فليس له أصل يستند اليه. نعم إذا كان من باب التأديب الشرعي فلا بأس به، **(ولا على غيرهما)** من جميع الناس، **(بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله الحرام)** ويراعي فيهم وجه الله من النصيحة والإرشاد، **(ويلزم)** معهم جميعاً **(حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الأذى)** عنهم فقط كما هو المتبادر، **(بل احتمال الأذى)** من جملة حسن الخلق، فينبغي أن يكف أذاه عنهم أولاً، ثم يحتمل أذاهم، وبهذه المعاني يفضل الحج، **(وقيل)**: إنما **(سمي السفر سفراً لأنه يسفر)** أي يكشف **(عن أخلاق الرجال)**، وبعضهم يقول: يسفر عن صفات النفس وجوهرها إذ ليس كل من حسنت صحبته في الحضر حسنت في السفر، وكل من صلح أن يصحب في السفر

عمر رضي الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلاً: هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا. فقال: ما أراك تعرفه.

الخامس: أن يحج ماشياً إن قدر عليه، فذلك الأفضل. أوصى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بنيه عند موته فقال: يا بني حجوا مشاة فإن للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم، قيل: وما حسنات الحرم؟ قال: الحسنة بمائة

صلح في الحضر، **(ولذلك قال عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلاً)** ولفظ القوت لما سأل عن الرجل من ذكر انه يعرفه فقال: **(هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا. فقال: ما أراك تعرفه)**، ورواه الإسماعيلي في مناقب عمر بلفظ: روي عن عمر أن رجلاً أثنى عنده على رجل فقال: أصحبته في السفر؟ قال: لا. قال: أعاملته؟ قال: لا. قال: فما تعرفه والله اهـ.

(الخامس: أن يحج ماشياً) على رجليه **(إن قدر على ذلك فهو أفضل)** فقد روي عن ابن عباس قال: كانت الأنبياء يحجون مشاة حفاة يطوفون بالبيت العتيق ويقضون المناسك مشاة حفاة. وعنه أن آدم عليه السلام حج أربعين حجة على قدميه، قيل لمجاهد: أفلا كان يركب؟ قال: وأي شيء كان يحمله؟ أخرجها ابن الجوزي في مثير العزم.

(أوصى عبدالله بن عباس) رضي الله عنهما **(بنيه)** أخرج أبو ذر الهروي في منسكه عن سعيد بن جبير قال: دخلت على ابن عباس في مرضه الذي مات فيه فسمعته يقول لبنيه: **(يا بني حجوا مشاة)** فإني[1] ما أمشي على شيء ما أمسي على شيء ما أسيء على ابن لم أحج ماشياً. قالوا: من أين؟ قال: من مكة حتى ترجعوا إليها. **(فإن)** للراكب بكل خطوة سبعين حسنة، **(وللماشي بكل خطوة يخطوها)** وليس عند أبي ذر يخطوها **(سبعمائة حسنة من حسنات)** مكة. قالوا: وما حسنات مكة؟ قال: الواحدة بمائة ألف. قال عطاء: ولا أحسب السيئة إلا مثلها.

وأخرج أيضاً عن زاذان قال: مرض ابن عباس مرضاً شديداً فدعا ولده فجمعهم فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خرج من مكة ماشياً حتى يرجع إلى مكة كتب الله له بكل خطوة سبعمائة حسنة كل مثل حسنات **(الحرم. قيل: وما حسنات الحرم؟ قال: الحسنة بمائة ألف حسنة»)**. وأخرجها كذلك أبو الوليد الأزرقي في تاريخ مكة، وقال: بكل قدم مكان خطوة.

وأخرج ابن الجوزي في مثير العزم، عن ابن عباس رفعه: «من حج من منى إلى عرفة ماشياً كتب له مائة ألف حسنة من حسنات الحرم قالوا: يا رسول الله؛ وما حسنات الحرم؟ قال: الحسنة بمائة ألف حسنة» وأخرج أيضاً عن ابن عباس قال: «حجّ الحواريون فلما دخلوا الحرم مشوا حفاة

---

(١) هكذا في الأصل فلينظر معناه.

ألف حسنة. والاستحباب في المشي في المناسك والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى آكد منه في الطريق» وإن أضاف إلى المشي الإحرام من دويرة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج قاله عمر، وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله عز وجل: ﴿وأَتِمّوا الْحَجَّ والعُمْرَةَ للهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقال بعض العلماء: الركوب أفضل لما فيه من الإنفاق

تعظيماً للحرم». وقال مصعب الزبيري: حجّ الحسن بن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً وكان ابن جريج والثوري يحجان ماشيين، وعن علي بن شعيب السقاء أنه حجّ من نيسابور على قدميه نيفاً وستين حجة.

وعن عبدالله بن إبراهيم قال: حدثني أبي قال: سافر المغيرة بن حكيم إلى مكة أكثر من خمسين سفراً حافياً محرماً صائماً.

وعن محمد بن عبدالله قال: سمعت أبا العباس العباسي يقول: حججت ثمانين حجة على قدمي، وحجّ أبو عبدالله المغربي على قدميه سبعاً وتسعين حجة، وعاش مائة وعشرين سنة. ذكر كل ذلك ابن الجوزي في مثير العزم.

(**واستحباب المشي في المناسك والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى آكد منه في الطريق**) لما تقدم من حديث ابن عباس، وروي عن إسحاق بن راهويه المشي مطلقاً أفضل، (**وإن أضاف إلى المشي الإحرام من دويرة أهله**) مصغر دارة وهي المنزل، (**فقد قيل: إن ذلك من إتمام الحج قاله عمر**) بن الخطاب، (**وعلي**) بن أبي طالب، (**و**) عبدالله (**بن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله**) جل وعز: (**﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾**) [البقرة: ١٩٦] اعلم أن معنى التوقيت بالمواقيت المعروفة منع مجاوزتها إذا كان مريداً للنسك أما الإحرام قبل الوصول إليها فلا منع عند الجمهور، ونقل غير واحد الإجماع عليه، بل ذهب طائفة إلى ترجيح الإحرام من دويرة أهله على التأخير إلى الميقات وهو أحد قولي الشافعي، ورجحه من أصحابه القاضي أبو الطيب والروياني والمصنف والرافعي، وهو مذهب أبي حنيفة.

وروي عن عمر وعلي أنهما قالا في قوله تعالى: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ إتمامهما أن تحرم من دويرة أهلك.

وقال ابن المنذر: وثبت أن ابن عمر أهلّ من إيليا يعني بيت المقدس، وكان الأسود، وعلقمة، وعبدالرحمن، وأبو إسحاق يحرمون من بيوتهم اهـ.

لكن الأصح عند النووي من قولي الشافعي أن الإحرام من الميقات أفضل، ونقل تصحيحه عن الأكثرين والمحققين، وبه قال أحمد وإسحاق. وحكى ابن المنذر فعله عن عوام أهل العلم، بل زاد مالك على ذلك فكره تقديم الإحرام على الميقات.

والمؤونة ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب إلى سلامته وتمام حجه. وهذا عند التحقيق ليس مخالفاً للأول، بل ينبغي أن يفصل. ويقال: من سهل عليه المشي فهو أفضل. فإن كان يضعف ويؤدي به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل، كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض ما لم يفض إلى ضعف وسوء خلق.

وسئل بعض العلماء عن العمرة: أيمشي فيها أو يكتري حماراً بدرهم؟ فقال: إن

قال ابن المنذر: وروينا عن عمر أنه أنكر على عمران بن حصين إحرامه من البصرة، وكره الحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، ومالك الإحرام من المكان البعيد اهـ.

وعن أبي حنيفة رواية أنه إن كان يملك نفسه عن الوقوع في محظور، فالإحرام من دويرة أهله أفضل، وإلاَّ فمن الميقات، وبه قال بعض الشافعية، وشذَّ ابن حزم الظاهري فقال: إن أحرم قبل هذه المواقيت، وهو يمر عليها فلا إحرام له إلا أن ينوي إذا صار إلى الميقات تجديد إحرام، وحكاه عن داود وأصحابهم وهو قول مردود بالإجماع قبله على خلافه قاله النووي. وقال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن من أحرم قبل أن يأتي الميقات فهو محرم، وكذا نقل الإجماع في ذلك الخطابي وغيره والله أعلم.

(وقال بعض العلماء: الركوب أفضل لما فيه من الإنفاق والمؤونة ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب إلى سلامته وتمام حجه)، وهو قول مالك والشافعي قالا: الركوب أحب إلينا من المشي. قال ابن المنذر: وهو أقرب إلى الفضل من المشي لأنه موافق لفعله ﷺ، وأعون على العبادة، ثم إن المراد ببعض العلماء الشافعي كما تبين لك من السياق، وقد تبع في ذلك صاحب القوت حيث قال: وبعض علماء الظاهر يقول: إن الحج راكباً أفضل لما فيه من الإنفاق، ثم ساق العبارة مثل سياق المصنف إلى قوله: وتمام حجه، ثم قال بعده: فهذا عندي بمنزلة الإفطار يكون أفضل إذا ساء عليه خلقه وضاق به ذرعه وكثر عليه ضجره، لأن حسن الخلق وانشراح الصدر أفضل، وقد يكون كذلك لبعض الناس دون بعض، فمن يكون حاله الضجر ووصف السخط وقلة الصبر أو لم يكن اعتاد المشي اهـ.

وقد أخذه المصنف فقال: **(وهذا عند التحقيق)** والتأمل **(ليس مخالفاً للأول، بل ينبغي أن يفصل تفصيلاً ويقال من سهل عليه المشي)** ولم تكن فيه له مشقة **(فهو الأفضل، وإن كان يضعف)** عن المشي، **(ويؤدي ذلك إلى سوء خلق)** أو ضجر وتسخط **(وقصور عن عمل)** من أعمال الخير **(فالركوب له)** وفي حقه **(أفضل)** من المشي، **(كما أن الصوم أفضل للمسافر والمريض ما لم يفض إلى ضعف)** قوة وسقوط همة **(وسوء خلق)** وضجر. وقد تقدم تفصيل ذلك في كتاب أسرار الصيام.

(وسئل بعض العلماء عن العمرة) هل **(المشي فيها أفضل أو يكري حماراً بدرهم؟**

كان وزن الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشي، وإن كان المشي أشد عليه كالأغنياء فالمشي له أفضل؛ فكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجه. ولكن الأفضل له أن يمشي ويصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى المكاري عوضاً عن ابتذال الدابة، فإذا كان لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه.

السادس: أن لا يركب إلا زاملة. أما المحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف على الزاملة أن لا يستمسك عليها لعذر، وفيه معنيان: أحدهما: التخفيف على البعير فإن المحمل يؤذيه، والثاني: اجتناب زي المترفين المتكبرين. «حج رسول الله ﷺ على

فقال: إن كان وزن الدرهم أشد عليه، فالكراء أفضل من المشي وإن كان المشي أشد عليه كالأغنياء، فالمشي له أفضل). ولفظ القوت: وسألت بعض فقهائنا بمكة عن تلك العُمَر التي تعتمر من مكة إلى التنعيم وهو الذي يقال له مسجد عائشة وهو ميقاتنا للعمرة في طول السنة أي ذلك أفضل المشي في العمرة، أو يكتري حماراً بكسر درهم إلى درهم يعتمر عليه، فقال: يختلف ذلك على قدر شدته على الناس، فمن كان الدرهم عليه أشد من المشي فالاكتراء أفضل لما فيه من إكراه النفس عليه وشدته عليها، ومن كان المشي عليه أشق فالمشي أفضل لما فيه من المشقة، ثم قال: هذا يختلف لاختلاف أحوال الناس من أهل الرفاهية والنعمة. فيكون المشي عليهما أشد اهـ.

(وكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس وله وجه، ولكن الأفضل أن يمشي ويصرف ذلك الدرهم إلى خير فهو أولى من صرفه إلى المكاري عوضاً عن إيذاء الدابة، فإن كان لا تسع نفسه الجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد) ولفظ القوت: وعندي أن الاعتمار ماشياً أفضل، وكذلك الحج ماشياً لمن أطاق المشي ولم يتضجر به وكان له همة وقلب.

(السادس: أن لا يركب إلاّ زاملة) وهي البعير الذي يحمل عليه الزمالة وهي بالكسر أداة المسافر، وما يكون معه في السفر كأنها فاعلة من زمل.

وروى البخاري وابن حبان عن أنس: «أن النبي ﷺ حجّ على رحل وكانت زاملة».

(أما المحمل فليجتنب) ركوبه **(إلا إذا كان يخاف على الزاملة أن لا يستمسك عليها)** أي لا يثبت بنفسه عليها **(لعذر)** ضعف أو مرض أو غير ذلك. وفي القوت وأن يحج على رحل أو زاملة، فإن هذا حجّ المتقين وطريق الماضين يقال: حج الأبرار على الرحال اهـ.

(وفيه معنيان: أحدهما: التخفيف عن البعير فإن المحمل يؤذيه) ويخاف أن بعض تماوت الإبل يكون ذلك لثقل ما يحمل، ولعله عدل أربعة وزيادة مع طول المشقة وقلة الطعم، **(والثاني: اجتناب زي المترفين)** فإن هذه للتشبه بهم وبأهل الدنيا من أهل التفاخر والتكاثر فيكتب من

راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس إلى هديه وشمائله ». وقال ﷺ: « خذوا عني مناسككم ». وقيل: إن هذه المحامل أحدثها الحجَّاج، وكان العلماء في وقته ينكرونها. فروى سفيان الثوري عن أبيه أنه قال: برزت من الكوفة إلى القادسية للحج ووافت الرفاق من البلدان، فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل، وما رأيت في جميعهم إلا محملين. وكان ابن عمر

(المتكبرين، حج رسول الله ﷺ على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم). والقطيفة: كساء له خمل أي هدب.

قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل، وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده أيضاً، وعند أبي ذر الهروي بلفظ: « حج النبي ﷺ على رحل رث عليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم، وقال: اللهم اجعله حجاً لا رياء فيه ولا سمعة » وقد تقدم ذلك قريباً.

(وطاف ﷺ على الراحلة) في حجة الوداع متفق عليه من حديث ابن عباس وحديث جابر الطويل، وتقدم قريباً، وفي الباب عن عائشة، وأبي الطفيل عند مسلم، وعن صفية بنت شيبة عند أبي داود، عن عبدالله بن حنظلة في علم الحلال، وإنما فعل ذلك لبيان الجواز.

(ولينظر الناس إلى هديه وشمائله) فيتبعوه **(وقال ﷺ: « خذوا عني مناسككم »)**. رواه مسلم والنسائي واللفظ له من حديث جابر. **(وقيل: إن هذه المحامل)** والقباب **(أحدثها الحجاج)** بن يوسف الثقفي فركب الناس سنّته، **(و)** قد **(كان العلماء في وقته ينكرونها)** ويكرهون الركوب فيها وأنشد بعضهم:

أوّل من اتخذ المحاملا   أخزاه ربي عاجلاً وآجلاً

(روى) أبو محمد **(سفيان)** بن سعيد بن مسروق **(الثوري)** رحمه الله **(عن أبيه)** سعيد بن مسروق. روى عن أبي وائل والشعبي وعنه إبناه وأبو عوانة ثقة روى له الجماعة **(أنه قال: برزت من الكوفة)** وهي المدينة المشهورة بالعراق **(إلى القادسية للحج)**. والقادسية موضع بقرب الكوفة من جهة الغرب على طرف البادية نحو خمسة عشر فرسخاً وهي آخر أرض العرب، وأوّل حد سواد العراق، وكانت هناك وقعة مشهورة في خلافة عمر رضي الله عنه، ويقال: إن إبراهيم عليه السلام دعا لتلك الأرض بالقدس فسميت بذلك، **(ووافت الرفاق من البلدان)** أي اجتمعت هناك، **(فرأيت الحاج كلهم على زوامل)** جمع زاملة وقد تقدم التعريف بها، **(وجوالقات)** جمع جوالق بالضم معرب، **(ورواحل)** جمع راحلة وهي البعير يرحل أي يركب. **(وما رأيت في جميعهم إلا محملين)** نقله صاحب القوت ثم قال: وقال مجاهد قلت لابن عمر، وقد دخلت القوافل ما أكثر الحاج فقال: ما أقلهم ولكن قل ما أكثر الركب.

إذا نظر إلى ما أحدث الحاج من الزي والمحامل يقول: الحاج قليل والركب كثير. ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال: هذا نعم من الحجاج.

السابع: أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر، فيكتب في ديوان المتكبرين المترفهين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين، فقد أمر ﷺ بالشعث والاحتفاء، ونهى عن التنعم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد. وفي الحديث: «إنما الحاج الشعث التفث

(**وكان ابن عمر**) رضي الله عنه (**إذا نظر إلى ما أحدثه الحاج من الزي والمحامل يقول: الحاج قليل والركب كثير، ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جواليق فقال: هذا نعم من الحجاج**) نقله صاحب القوت، وأخرجه سعيد بن منصور أن ابن عمر سمع رجلاً يقول: ما أكثر الحاج، فقال ابن عمر: ما أقلهم، فنظر فإذا رجل جالس بين جواليقه فقال: لعل هذا يكون منهم.

(**السابع: أن يكون**) الحاج (**رث الهيئة**) في لبسه (**أشعث**) الشعر (**أغبر**) بحيث لا يؤبه به (**غير مستكثر من الزينة**) الدنيوية من الملابس الفاخرة وغيرها، (**ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر**) على عادة أهل الدنيا فلا يتشبه بهم، (**فيكتب من المتكبرين والمترفين ويخرج من حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين، فقد أمر ﷺ بالشعث والاحتفاء**). أما الشعث: محركة هو انتشار الشعر لقلة التعاهد به والاحتفاء المشي حافياً.

قال العراقي: رواه البغوي والطبراني من حديث عبدالله بن أبي حدرد مرفوعاً: «تمعددوا واخشوشنوا وانتعلوا وامشوا حفاة» وفيه اختلاف أي في الألفاظ رواه ابن عدي من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف.

(**ونهى عن التنعم والرفاهية في حديث فضالة بن عبيد**) رضي الله عنه كذا في القوت وهو صحابي شهد أُحُداً والحديبية، وولي قضاء دمشق سنة ٥٣. قال العراقي: رواه أبو داود بلفظ: «إن النبي ﷺ كان ينهى عن كثير من الإرفاه» ولأحمد من حديث معاذ: «إياك والتنعم» الحديث.

قلت: وقال أحمد في المسند: حدثنا يزيد، أنبأنا عاصم عن أبي عثمان أن عمر رضي الله عنه قال: «ائتزروا وارتدوا وانتعلوا وألقوا الخفاف والسراويلات وألقوا الركب (١) وعليكم بالهدية وارموا الأغراض وذروا التنعم وزي العجم وإياكم والحرير».

(**وفي الخبر: «إنما الحاج الشعث التفل**) رواه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر.

---

(١) بياض في الأصل

يقول الله تعالى انظروا إلى زوار بيتي قد جاؤوني شعثاً غبراً من كل فج عميق ». وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩] والتفث: الشعث والاغبرار، وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والأظفار. وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد: اخلولقوا واخشوشنوا. أي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الأشياء، وقد قيل: زين الحجيج أهل اليمن لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف، فينبغي أن يجتنب

وقال الترمذي: غريب. وفي نسخة: « التفث » بدل « التفل » **(ويقول الله عز وجل)** لملائكته **(انظروا إلى زوار بيتي فقد جاؤوني شعثاً غبراً من كل فج عميق »)**. رواه الحاكم وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله: « من كل فج عميق »، وكذا رواه أحمد من حديث عبدالله بن عمر وقاله العراقي.

قلت: ورواه ابن حبان في الصحيح، وكذا أحمد من حديث أبي هريرة بلفظ: « فيقول انظروا إلى عبادي هؤلاء جاؤوني شعثاً غبراً » وأخرجه ابن حبان أيضاً من حديث جابر وفيه: « من كل فج عميق » ومثله لأبي ذر الهروي في منسكه من حديث أنس بلفظ: « انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً يضربون إليّ من كل فج عميق فاشهدوا اني قد غفرت لهم » الحديث.

(وقال تعالى: ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾[الحج:٢٩] التفث: الشعث) لفظاً ومعنى. **(و)** في معناه **(الاغبرار وقضاؤه بالحلق)** أي حلق الرأس، **(وقص الأظفار)** كذا نقله صاحب القوت، **(وكتب عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد)** وهم النوّاب في البلاد، **(اخلولقوا واخشوشنوا أي البسوا الخلقات)** من الثياب، **(واستعملوا الخشونة في الأشياء)**. قال صاحب القوت وبعض أصحاب الحديث يصحف في هذا الحديث، ويقول: « احلولقوا » من الحلق. ولا يجوز أن يأمرهم بإسقاط سنّة. كيف وقد قال لصبيغ حين توسم فيه مذهب الخوارج: « اكشف رأسك فرآه ذا ضفرين فقال: لو كنت محلوقاً لضربت عنقك ». قال ولينحُ مثال أهل اليمن من الأثاث، وأن الاقتداء بهم والاتباع لشمائلهم في الحج طريقة السلف. على ذلك الهدي والوصف كان رسول الله ﷺ وأصحابه وما عدا وصفهم وخالف هديهم فهو محدث ومبتدع.

(و) لهذا المعنى **(قد قيل: زين الحجيج أهل اليمن لأنهم على)** منهاج الصحابة، و **(هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف)** وطريقتهم.

وروى الطبراني في الكبير والأوسط من طريق حبان بن بسطام قال: كنا عند ابن عمر فذكروا دأب حاج اليمن وما يصنعون فيه فقال ابن عمر: لا تسبوا أهل اليمن سمعت رسول الله ﷺ يقول: « زين الحاج أهل اليمن » قال الهيثمي إسناده حسن فيه ضعفاء وثقوا. قال صاحب القوت: وقد كان العلماء قديماً إذا نظروا إلى المترفين قد خرجوا إلى مكة يقولون: لا تقولوا خرج فلان حاجاً ولكن قولوا خرج مسافراً.

الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت على العموم، فقد روي أنه ﷺ كان في سفر فنزل أصحابه منزلاً فسرحت الإبل فنظر إلى أكسية حمر على الأقتاب فقال ﷺ: «أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم، قالوا فقمنا إليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الإبل».

الثامن: أن يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها. كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل. قال ﷺ: «لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي». ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنّة، وفيه آثار عن السلف. وكان بعض السلف يكتري بشرط أن لا ينزل ويوفي الأجرة، ثم كان

(**وينبغي أن يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص**) من باقي الألوان، (و) يجتنب (**الشهرة**) التي يشار إليها بالأصابع (**كيفما كانت على العموم**) فإن ذلك مكروه، (**فقد روي أنه ﷺ كان في سفر فنزل أصحابه منزلاً**) ولفظ القوت منهلاً (**فسرحت الإبل فنظر إلى أكسية حمر على الأقتاب فقال: «أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم. قالوا: فقمنا إليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الإبل»**) قال العراقي: رواه أبو داود من حديث رافع بن خديج وفيه رجل لم يسمّ.

(**الثامن: أن يرفق**) الحاج (**بالدابة**) التي يركبها سواء كانت ملكاً له أو بالكراء، (**فلا يحملها ما لا تطيق**) حمله، (**والمحمل**) الذي أحدثوه (**خارج عن حد طاقتها**) لعله عدل أربعة أنفس وزيادة، (**والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها**) فليجتنب النوم على ظهورها، فإن النائم يثقل على البعير. وقد (**كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلاَّ غفوة**) بعد غفوة (**عن قعود**) عند الغلبة، (**وكانوا**) أيضاً (**لا يقفون عليها الوقوف الطويل**) لأن ذلك يشق عليها. (**قال النبي ﷺ: «لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي»**) رواه أحمد من حديث سهل بن معاذ عن أبيه بسند ضعيف، ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه قاله العراقي. قلت: ورواه كذلك ابن حبان.

(**ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية ويروّحها بذلك فهو سنّة**) قال العراقي: روى الطبراني في الأوسط من حديث أنس بإسناد جيد: «أن النبي ﷺ كان إذا صلّى الفجر في السفر مشى» ورواه البيهقي في الأدب وقال: «مشى قليلاً وناقته تقاد». (**وفيه آثار عن السلف رضي الله عنهم**) أنهم كانوا يمشون والدواب تقاد بين أيديهم.

(**وكان بعض السلف يكتري بشرط أن لا ينزل**) ولفظ القوت. وكان بعض الناس: يكتري لازماً ويشترط أن لا ينزل، (**ويوفي الأجرة، ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسناً**

ينزل عنها ليكن بذلك محسناً إلى الدابة فيكون في حسناته ويوضع في ميزانه لا في ميزان المكاري، وكل من آذى بهيمة وحملها ما لا تطيق طولب به يوم القيامة. قال أبو الدرداء لبعير له عند الموت: يا أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك. وعلى الجملة في كل كبد حراء أجر، فليراع حق الدابة وحق المكاري جميعاً، وفي نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكاري. قال رجل لابن المبارك: احمل لي هذا الكتاب معك لتوصله، فقال: حتى أستأمر الجمّال فإني قد اكتريت، فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع، فإنه إذا فتح باب القليل انجر إلى الكثير يسيراً يسيراً.

التاسع: أن يتقرب بإراقة دم، وإن لم يكن واجباً عليه، ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه، وليأكل منه إن كان تطوّعاً ولا يأكل منه إن كان واجباً. قيل في

إلى الدابة فيكون ذلك في حسناته ويوضع في ميزانه لا ميزان المكاري) ولفظ القوت: ثم أنه ينزل للرواح ليكون ما رفقه من الدابة من حسناته محتسباً له في ميزانه، **(وكل من آذى بهيمة)** بأن نخسها أو ضربها من غير سبب **(وحملها ما لا تطيق طولب به يوم القيامة)** أي يقتص منه ذلك.

(قال أبو الدرداء) عويمر بن عامر رضي الله عنه، **(لبعير له عند الموت: يا أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك)** نقله صاحب القوت، وقال: وقد يعاقب الله تعالى على الذنب بذنب مثله أو فوقه. **(وعلى الجملة في كل كبد حرّاء أجر)** كما ثبت في الصحيح، **(فليراع حق الدابة وحق المكاري جميعاً وفي نزوله ساعة)** من أي وقت كان، وخاصة في آخر السير قبل النزول في المنزل أو في موضع كثير الرمل وما أشبهه **(ترويح للدابة وسرور قلب المكاري)** ففيه مراعاة الحقين، ولا يحمل على الدابة المكتراة إلا ما قاضى عليه الجمّال وما أذن له فيه.

(قال رجل لابن المبارك: احمل لي هذا الكتاب معك لتوصله، فقال: حتى أستأمر الجمال) أي أستأذنه **(فإني قد اكتريت)** نقله صاحب القوت، **(فانظر كيف تورع)** ابن المبارك **(في استصحاب كتاب لا وزن له، وذلك هو طريق الحزم في الورع، فإنه إذا فتح باب القليل انجرّ إلى الكثير يسيراً يسيراً)** فمن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه.

(التاسع: أن يتقرب بإراقة دم، وإن لم يكن واجباً عليه) بأن كان مفرداً فإن كان قارناً من ميقاته ففيه إيجاب هدي يقربه. **(ويستحب أن يكون)** ما يتقرب به **(من سمين النعم ونفيسه، وليأكل منه إن كان تطوعاً ولا يأكل منه إن كان واجباً)** مثل نسك قران أو متعة

تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ [الحج: ٣٢] إنه تحسينه وتسمينه، وسوق الهدي من الميقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس في شرائه، فقد كانوا يغالون في ثلاث ويكرهون المكاس فيهن: الهدي والأضحية والرقبة، فإن أفضل ذلك أغلاه ثمناً وأنفسه عند أهله. وروى ابن عمر: أن عمر رضي الله عنهما: أهدى بختية فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله ﷺ أن يبيعها ويشتري بثمنها بدناً فنهاه عن ذلك وقال: «بل اهدها» وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون، وفي

أو كفارة. (**قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وذلك ومن يعظم شعائر الله﴾**) فإنها من تقوى القلوب﴾ [الحج: ٣٢] (**أي تحسينه وتسمينه**) نقله صاحب القوت. (**وسوق الهدي من الميقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكده**) كذا في القوت. وفي صحيح البخاري عن ابن عمر: «أن النبي ﷺ ساق الهدي من ذي الحليفة». (**وليترك المكاس في شرائه**) وهو نقص الثمن، (**فقد كانوا يغالون في ثلاث**) وفي القوت بثلاث، (**ويكرهون المكاس فيهن الهدي والأضحية والرقبة**) كذا في القوت.

ونقل المحب الطبري عن أبي الشعثاء أنه كان لا يماكس في الكراء إلى مكّة ولا في الرقبة يشتريها للعتق، ولا في الأضحية، ولا يماكس في كل شيء يتقرب به إلى الله تعالى.

وأخرج مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يقول لبنيه: يا بني لا يهدي أحدكم لله تعالى من البدن شيئاً يستحي أن يهديها لكريمه، فإن الله أكرم الكرماء وأحق من اختير له.

(**وروى ابن عمر أن عمر رضي الله عنهما أهدى نجيبة**) من الإبل. هكذا في النسخ، وفي بعضها بختية بضم الموحدة وسكون الخاء المعجمة، (**فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل النبي ﷺ أن يبيعها ويشتري بثمنها بدناً فنهاه عن ذلك وقال: «بل اهدها»**) قال العراقي: رواه أبو داود. وقال: «انحرها» اهـ.

قلت: ولفظ أبي داود، عن ابن عمر أن عمر أهدى بختية فأعطي ثلاثمائة دينار فقال: يا رسول الله، إني أهديت بختية فأعطيت بها ثلاثمائة دينار فأبيعها وأشتري بثمنها بدناً، قال: «لا انحرها إياها، ثم قال: وهذا لأنه كان أشعرها».

قال المحب الطبري: وفيه حجة على أبي حنيفة حيث يقول: يجوز بيع الهدي المنذور وإبداله بغيره، وله أن يحمله على الأولوية اختياراً للهدي، والبختية أنثى البخت من الإبل معرب، وقيل: عربي وهي إبل طوال الأعناق غلاظ كثيرة الشعر والجمع بخاتي غير مصروف، ولك أن تخفف الياء فتقول البخاتي. قال صاحب القوت: فهذا سنّة من تخير الهدي وحسن الأدب في المعاملة وترك الاستبدال إلاّ طلباً للكثرة.

(**وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون** وفي **ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة**

ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم، ولكن ليس المقصود اللحم إنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل: ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحومُها وَلا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالُه التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] وذلك يحصل بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد أو قلّ. وسئل رسول الله ﷺ ما برّ الحج؟ فقال: «العج والثج» والعج هو رفع الصوت بالتلبية، والثج هو نحر البدن. وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما عمل آدمي يوم النحر أحب إلى الله عز وجل من

وفيها تكثير اللحم) أيضاً، **(ولكن ليس المقصود)** من ذلك **(اللحم إنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم له عز وجل: ﴿فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾)** [الحج: ٣٧] وذلك يحصل بمراعاة النفاسة **(في القيمة قلّ ذلك أو كثُر)** وقد سبق ذلك في كتاب أسرار الزكاة مفصلاً.

وأخرج سعيد بن منصور، عن نافع أن ابن عمر سار فيما بين مكة على ناقة بختية فقال لها: بخ بخ فأعجبته فنزل عنها وأشعرها وأهداها.

(وسئل رسول الله ﷺ ما برّ الحج؟ فقال: «العج والثج») قال صاحب القوت: رواه ابن المنكدر عن جابر قال: **(والعج: هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن)**.

وقال العراقي: رواه الترمذي واستغربه، وابن ماجه والحاكم وصححه، والبزار واللفظ له من حديث أبي بكر. وقال الباقون: إن الحج أفضل اهـ.

وقال الحافظ في تخريج الرافعي: «أفضل الحج العج والثج» رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، والبيهقي من حديث أبي بكر رضي الله عنه، واستغربه الترمذي وحكى الدارقطني الاختلاف فيه. وقال: الأشبه بالصواب رواية من رواه عن الضحاك عن عثمان عن ابن المنكدر عن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه عن أبي بكر فقد أخطأ، وقد قال الدارقطني: قال أهل النسب: من قال سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع فقد وهم، وإنما هو عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع.

وفي الباب عن جابر أشار إليه الترمذي ووصله أبو القاسم في الترغيب والترهيب وإسناده في مسند أبي حنيفة من روايته عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب عنه، وهو عند ابن أبي شيبة عن أسامة عن أبي حنيفة. ومن طريق أبي أسامة أخرجه أبو يعلى في مسنده.

(وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ما عمل ابن آدم يوم النحر أفضل من إهراق دم») وفي نسخة: «من اهراقه دماً» ورواية الترمذي: «من إهراق الدم».

إهراقه دماً وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وإن الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفساً ». وفي الخبر: « لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنـة، وأنها لتوضع في الميزان فأبشروا ». وقال ﷺ: « استنجدوا هداياكم فإنها مطاياكم يوم القيامة ».

العاشر: أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدي وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بدن ان أصابه ذلك، فإن ذلك من دلائل قبول حجه، فإن المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة درهم وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب، فلا يضيع منه

(وإنها لتأتي) وفي نسخة تأتي بلا لام **(يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأن الدم ليقع من الله عز وجل بمكان قبل أن يقع بالأرض فطيبوا بها نفساً)**.

قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه ابن حبان. وقال البخاري: إنه مرسل ووصله ابن خزيمة اهـ.

قلت: إلا أن عند الترمذي بقرونها وأشعارها وأظلافها وإهراق الدم إراقته، والهاء في هراق بدل من الهمزة في أراق. والحديث عام في الهدي والأضحية.

(وفي الخبر « لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وبكل قطرة من دمها حسنة وإنها لتوضع في الميزان فابشروا ») كذا في القوت.

وقال العراقي: رواه ابن ماجه، والحاكم وصححه، والبيهقي من حديث زيد بن أرقم، ورواه أحمد في حديث فيه « بكل شعرة حسنة » قالوا فالصوف؟ قال « بكل شعرة من الصوف حسنة ». وفي رواية البيهقي « بكل قطرة حسنة » وقال البخاري: لا يصح.

وروى أبو الشيخ في كتاب الضحايا من حديث علي « أما إنها يجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع في ميزانك » يقوله لفاطمة رضي الله عنها انتهى.

قلت: وفي المستدرك للحاكم وصححه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه « اشهدي أضحيتك فإنه يغفر لك عند كل قطرة من دمها وقولي إن صلاتي ». الحديث.

(العاشر: أن يكون) الحاج **(طيب النفس)** منشرح الصدر **(بما أنفقه من نفقة وقدمه من هدي، وبما أصابه من خسران ومصيبة في مال وبدن إن أصابه ذلك فإنه من دلائل قبول حجه)** ودليل نظر الله إليه في قصده، **(فإن المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله. الدرهم)** الواحد **(بسبعمائة درهم)**، وذلك لأن الحج أشبه بالجهاد. وفي كل منهما الأجر على قدر النصب، ولذلك قال: **(وذلك بمثابة الشدائد في طريق الجهاد)** ذكره صاحب القوت **(فله بكل أذى احتمله)** أعم من أن يكون من الأوجاع والأمراض أو من الرفقاء

شيء عند الله عز وجل. ويقال: إن من علامة قبول الحج أيضاً ترك ما كان عليه من المعاصي وأن يتبدل باخوانه البطالين إخواناً صالحين، وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة.

بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أوّل الحج إلى آخره:

اعلم أن أوّل الحج الفهم ـ أعني فهم موقع الحج في الدين ـ ثم الشوق إليه، ثم العزم عليه، ثم قطع العلائق المانعة منه، ثم شراء ثوب الإحرام، ثم شراء الزاد، ثم اكتراء

والأتباع، (**وخسران أصابه**) أعم من أن يكون سرق له أو أخذ منه قهراً، أو وقع منه (**ثواب**) عظيم، (**ولا يضيع من ذلك عند الله شيء**) بل يخلف الله عليه كل ما ذهب له من بدن أو مال.

(**ويقال: إن من علامة قبول الحج أيضاً ترك ما كان**) العبد (**عليه من المعاصي وأن يستبدل بإخوانه البطالين**) أي عن الأعمال (**إخواناً صالحين، وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة**) نقله صاحب القوت. وقال أيضاً، وقيل في وصف الحج المبرور: هو كف الأذى واحتمال الأذى وحسن الصحبة وبذل الزاد، وذكر قولاً ثالثاً تقدم للمصنف إيراده قريباً، ثم فمن وفق للعمل بما ذكرناه فهو علامة قبول حجه ودليل نظر الله إليه في قصده.

(**بيان الأعمال الباطنة في الحج**)

(**ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومكانيها من أول الحج إلى آخره**) على الترتيب المذكور في كتب الفقه .

(**اعلم أن أول**) ما يفتقر إليه الإنسان في (**الحج الفهم**) وهو بسكون الهاء اسم بمعنى العلم هكذا ذكره أئمة اللغة والمصدر بالتحريك وقيل بالسكون مصدر وهي لغة فاشية، (**وأعني فهم موقع الحج في الدين**) بأن يفهم أنه أحد أركان الدين الذي لا يتصوّر الدين مع عدمه، (**ثم الشوق له**) وهو أولى ما يبدو له بعد الفهم، (**ثم العزم عليه**) بجزم القلب وهو نتيجة الشوق، (**ثم**) بعد العزم مباشرة الأسباب التي توصله إليه وأعظمها (**قطع العلائق المانعة منه**) حساً ومعنى، (**ثم**) بما يكون دليلاً على صحة قصده وصلاح جزمه مثل (**شراء ثوبي الإحرام**) إزار ورداء جديدين أو غسيلين، (**ثم**) بما يزيده تأكيداً مثل (**شراء الزاد**) من كعك وزيت وما يحتاج إليه في مؤونته على اختلاف أحوال الناس فيه، (**ثم**) بما يؤكده تأكيداً فوق تأكيد مثل (**اكتراء الراحلة**) أو شرائها، (**ثم**) بما يتمم قصده وهو (**الخروج**) من منزله في أيامه،

الراحلة، ثم الخروج، ثم المسير في البادية، ثم الإحرام من الميقات بالتلبية، ثم دخول

والمبيت في موضع خارج البلد، والمكث به يوماً أو يومين لقضاء مهماته، وليلحق به باقي الرفقة. **(ثم السير في البادية)** أي الصحراء، **(ثم الإحرام من الميقات)** إذا وصل إليه **(بالتلبية)** عقيب غسل وركعتين كما تقدم، ولم يتقدم للمصنف في كتابه هذا ذكر المواقيت، ولا بأس بالكلام عليها إجمالاً فنقول:

اعلم أن المواضع الاربعة المذكورة في حديث ابن عمر في الصحيحين والسنن الاربعة هي مواقيت الإحرام لأهل البلاد المذكورة فيه، فلأهل المدينة ذو الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن، ولأهل اليمن يلملم، وهذا مجمع عليه عند فقهاء الأمصار حكى الإجماع في ذلك ابن المنذر والنووي وغيرهما.

ومعنى التوقيت بها أنه لا يجوز لمريد النسك أن يجاوزها غير محرم، والمراد بأهل هؤلاء البلاد كل من سلك طريق سفرهم بحيث أنه مرّ على هذه المواقيت، وإن لم يكن من بلادهم، فلو مرَّ الشامي على ذي الحليفة كما يفعل الآن لزمه الإحرام منها، وليس له مجاوزتها إلى الجحفة التي هي ميقاته. وقد صرح بذلك في حديث ابن عباس في الصحيحين وغيرهما فقال: «هن لهن ولمن عليهن من غير أهلهن» فمن أراد الحج والعمرة، وقوله: «لهن» أي الأقطار المذكورة وهي المدينة وما حولها، والمراد «لأهلهن» فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وفي رواية «لهم» أي أهل هذه المواضع وهو أظهر توجيها.

وذو الحليفة: موضع قرب المدينة على ستة أميال ذكره المصنف وعياض والنووي، وقيل سبعة أميال. وقال ابن حزم: أربعة أميال. وذكر ابن الصباغ وتبعه الرافعي أن بينهما ميلاً. قال المحب الطبري: وهو وهم والحسن يرد ذلك، وذكر الأسنوي في المهمات أنها على ثلاثة أميال أو تزيد قليلاً، والقول الأوّل هو الذي صوّبه غير واحد من أهل المعرفة، وهو ماء من مياه بني جشم بينهم وبين خفاجة العقيليين، وهو أبعد المواقيت من مكة بينهما نحو عشر مراحل أو تسع.

وذو الحليفة أيضاً: موضع آخر بتهامة ليس هو المذكور في الحديث، والشام حدّها من العريش إلى نابلس، وقيل إلى الفرات قاله النووي.

وعند النسائي من حديث عائشة: ولأهل الشام ومصر الجحفة. وهذه زيادة يجب الأخذ بها وعليها العمل.

والجحفة: على ستة أميال من البحر وثماني مراحل من المدينة ونحو ثلاث مراحل من مكة وهي مهيعة، وهي الآن خربة لا يصل إليها أحد لوخمها، وإنما يحرم الناس من رابغ وهي على محاذاتها.

والنجد ما ارتفع من الارض وهو اسم خاص لما دون الحجاز مما يلي العراق.

وقرن بفتح فسكون يقال له قرن المنازل وقرن الثعالب على نحو مرحلتين من مكة وهو أقرب المواقيت إلى مكة، وفي المشارق هو على يوم وليلة من مكة.

وقال ابن حزم: أقرب المواقيت إلى مكة يلملم وهو جبل من جبال تهامة على ثلاثين ميلاً من

مكة، ثم استتمام الأفعال كما سبق. وفي كل واحد من هذه الأمور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف وإشارة للفطن. فلنرمز إلى مفاتحها حتى إذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه.

أما الفهم: اعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات. ولأجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا

مكة والمراد باليمن بعضه وهو تهامة منه خاصة، وأما أهل نجد اليمن فميقاتهم قرن.

وبقي ميقات خامس لم يتعرض له في حديث ابن عمر وهو ذات عرق ميقات أهل العراق بينها وبين مكة اثنان وأربعون ميلاً. وهذا الميقات مجمع عليه.

وحكى ابن حزم عن قوم أنهم قالوا: ميقات أهل العراق العقيق، وعند أبي داود من حديث ابن عباس مرفوعاً «وقت لأهل المشرق العقيق وسكت عليه» وحسنه الترمذي، ثم اختلفوا هل صادف ذلك ميقاتاً لهم بتوقيت النبي ﷺ أم باجتهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟ وفي ذلك خلاف لأصحاب الشافعي حكاه الرافعي والنووي وجهين، وحكاه القاضي أبو الطيب قولين. المشهور منهما من نص الشافعي أنه باجتهاد عمر، وهو الذي ذكره المالكية، والذي عليه أكثر الشافعية أنه منصوص، وهو مذهب الحنفية. وهنا تحقيق آخر أودعته في كتابي الجواهر المنيفة في أصول أدلة مذهب أبي حنيفة فإني قد وسعت هناك الكلام في هذه المسألة فراجعه.

(**ثم دخول مكة**) محرماً ملبياً (**ثم استتمام**) باقي (**الأفعال كما سبق**) بيانه. (**وفي كل واحد من هذه الأمور تذكرة للمتذكر وعبرة**) تامة (**للمعتبر وتنبيه**) واضح (**للمريد الصادق**) وإرادته (**وتعريف**) ظاهر، (**واشارة**) باهرة (**للفطن**) العاقل، (**فلنرمز**) أي نذكر بطريق الرمز والتلويح (**إلى أطرافها حتى إذا انفتح بابها**) ورفع حجابها (**وعرفت أسبابها**) لأربابها، (**وانكشف لكل حاج**) لبيت ربه (**من أسرارها**) وخفي معانيها (**ما يقتضيه صفاء قلبه**) من كدورات السوء (**وطهارة باطنه**) عن خبث الغيرية (**وغزارة علمه**) في المدارك الفيضية فنقول:

(**أما الفهم**): وهو أول الأمور (**فاعلم أنه لا وصول إلى حضرة الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه**) والتباعد (**عن**) ملابسة (**الشهوات**) النفسية والكونية، (**والكف عن اللذات**) الحسية، (**والاقتصار على الضرورات فيها**) أي ما لا بد له عنها، (**والتجرد إلى الله تعالى**) عن كونه (**في جميع الحركات والسكنات**) واللحظات والارادات، (**ولأجل هذا انفرد الرهابين**) جمع راهب والمشهور رهباني، وقيل: الرهابين جمع الجمع وهم عباد النصارى، والإسم

إلى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل، فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعاً في الآخرة، وأثنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنهُم قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وأَنَّهُم لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الحديد: ٢٧] فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التهجد لعبادة الله عز وجل وفتروا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ لإحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها. فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال ﷺ: «أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف» يعني الحج. وسئل ﷺ عن

الرهبانية من الرهبة وهو الخوف، وقد ترهب الراهب انقطع للعبادة (**من الملل السالفة**) أي الأمم الماضية (**عن**) معاشرة (**الخلق وانحازوا**) أي لجأوا (**إلى قلل الجبال**) أي رؤوسها لئلا يعلم مكانهم، (**وآثروا**) أي اختاروا (**التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل فتركوا لله عز وجل**) أي لأجله (**اللذات الحاضرة**) العاجلة، (**وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة**) الشديدة على النفس من ترك الأكل والشرب والملابس الفاخرة، (**طمعاً في الآخرة فأثنى الله عز وجل عليهم في كتابه**) العزيز (**فقال ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾**) [المائدة: ٨٢] ومدحهم الله تعالى على الرهبانية ابتداء فقال ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾ [الحديد: ٢٧] ثم ذمهم على ترك شرطها بقوله ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ [الحديد: ٢٧] لأن كفرهم بمحمد ﷺ أحبطها. (**فلما اندرس ذلك**) ومحي رسمه (**وأقبل الخلق على اتباع الشهوات**) النفسانية، (**وهجروا التجرد لعبادة الله تعالى وفتروا عن ذلك**) وتكاسلت هممهم (**بعث الله عز وجل محمداً ﷺ لإحياء**) ما اندرس من (**طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها**) ودخل الناس في دينه أفواجاً من كل طرف، (**فسأله أهل الملل**) ممن أسلم منهم (**عن السياحة**) في الشعاب والجبال، (**والرهبانية في دينه فقال ﷺ «أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف»**) أي مرتفع من الأرض (**يعني**) بالجهاد (**الحج**) رواه أبو داود من حديث أبي أمامة أن رجلاً قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة. فقال: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله».

رواه الطبراني بلفظ «إن لكل أمة سياحة وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الرباط في نحر العدو».

وللبيهقي في الشعب من حديث أنس «رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله» وكلاهما ضعيف.

وللترمذي وحسنه، والنسائي في اليوم والليلة، وابن ماجه من حديث أبي هريرة أن رجلاً قال يا رسول الله: إني أريد أن أسافر فأوصني. فقال «عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف» وهذا قد تقدم قريباً.

السائحين فقال: « هم الصائمون » فأنعم الله عز وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه تعالى، ونصبه مقصداً لعباده وجعل ما حواليه حرماً لبيته تفخيماً لأمره، وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه، وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره. ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوّار من كل فج عميق، ومن كل أوب سحيق شعثاً غبراً متواضعين لرب البيت ومستكنين له خضوعاً لجلاله واستكانة لعزته. مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم وأتم في إذعانهم وانقيادهم، ولذلك وظف عليهم فيها أعمالاً لا تأنس بها النفوس ولا تهتدي إلى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار. وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية. فإن الزكاة إرفاق ووجهه مفهوم وللعقل إليه ميل. والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدوّ الله وتفرغ للعبادة وبالكف عن الشواغل. والركوع والسجود

(**وسئل ﷺ عن**) معنى (**السائحين**) في الآية (**فقال « هم الصائمون »**) رواه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة، وقال: المحفوظ عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلاً هكذا قاله العراقي، ووجدت بخط الحافظ ابن حجر على هامش نسخة المغني ما نصه: لعله موقوف. (**فأنعم الله عز وجل على هذه الأمة**) المرحومة (**بأن جعل**) الخروج إلى (**الحج رهبانية لهم**) أي بمنزلتها لما في كل منهما قطع المألوفات والمستلذات من سائر الأنواع، (**فشرف البيت العتيق بالإضافة إلى نفسه**) إذ سماه بيت الله، (**ونصبه مقصداً لعباده**) يقصدونه من كل جهات، (**وجعل ما حواليه حرماً لبيته**) بالحدود المعلومة (**تفخيماً لأمره**) وتعظيماً لشأنه، (**وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه وأكد حرمة المواضع بتحريم صيده**) البري، (**وقطع شجره ووضعه على مثال حضرة الملوك**) في الدنيا (**يقصده الزوّار**) والوفاد (**من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق**) أي بعيد، (**شعثاء غبراء**) جمع أشعث وأغبر (**متواضعين لرب البيت ومستكنين له**) أي متذللين (**خضوعاً لجلاله واستكانه لعزته مع الاعتراف بتنزهه**) وتقدسه (**عن أن يحويه بيت أو يكنفه بلد**) تعالى عن ذلك علواً كبيراً، (**فيكون ذلك أبلغ في رقهم و**) آكد في (**عبوديتهم**) وذلّهم، (**وأتم لإذعانهم وانقيادهم، ولذلك وظف عليهم**) وقرر (**فيها أعمالاً**) غريبة المعنى (**لا تأنس بها النفوس**) البشرية ولا تألفها (**ولا تهتدي إلى معانيها العقول**) القاصرة عن إدارك المعاني الغريبة، (**كرمي الجمار**) الثلاث، (**والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار**) وغيرهما، (**وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق و**) تمام (**العبودية**) والذل، (**فإن الزكاة إنفاق ارفاق**) أي بذل ما فيه الرفق لفقراء المسلمين (**ووجه مفهوم**) عند التأويل (**وللعقل إليه سبيل**) والفة وايناس، (**والصوم فيه كسر الشهوة التي هي آلة الشيطان عدو الله عز وجل**) ونصب حبالاته وذلك

في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هي هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل، فأما ترددات السعي ورمي الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظ للنفوس ولا أنس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل إلى معانيها، فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث أنه أمر واجب الاتباع فقط، وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه فإن كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلاً مّا فيكون ذلك الميل معيناً للأمر وباعثاً معه على الفعل فلا يكاد يظهر كمال الرق والانقياد. ولذلك قال ﷺ في الحج على الخصوص: «لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقاً» ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها، وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم، وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس فصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق، وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال

بترك المستلذات، **(وفيه تفرغ بالكف عن الشواغل)** الحسية والمعنوية، **(والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هي هيئة التواضع)** من انحناء الظهر ووضع الجبهة في الأرض، **(وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل)** وألفة به مفهومة، **(فأما ترداد السعي)** بين الجبلين **(ورمي الجمار)** بتلك الهيئة، **(وأمثال هذه الأعمال فلاحظاً للنفوس)** وفي بعض النسخ **(ولا أنس للطبع فيها)** لعدم الضبط بذلك، **(ولا اهتداء للعقل إلى معانيها)** الباطنة، **(فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر من حيث انه أمر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل)** وتصرفاته **(عن تصرفه وصرف الطبع والانس عن محل طبعه)** وفي نسخة وصرف النفس والطبع عن محل أنسه، **(فإن كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلاً ما)** أي نوعاً من الميل، **(فيكون ذلك الميل معيناً للأمر)** على اتباعه **(وباعثاً معه على الفعل)** والاقدام عليه، **(فلا يكاد يظهر بذلك كمال الرق)** وتمام العبودية **(والانقياد، ولذلك قال ﷺ في)** حق **(الحج على الخصوص «لبيك بحجة حقاً تعبداً ورقا»)** تقدم الكلام عليه في كتاب الزكاة. **(ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها)** من الطاعات، **(وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف ما تهواه طباعهم)** وتألفه نفوسهم بحسب الاعتياد، **(وأن يكون زمامها بيد الشرع)** ليصرفها على المتعبدين بمقتضى الحكمة الإلهية، **(فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدي إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات)** وآكدها **(في تزكية النفوس)** وتطهيرها **(وصرفها عن مقتضى الطباع)** المركوزة، **(والاخلاق إلى مقتضى الاسترقاق)** والاستعباد، **(وإذا تفطنت لهذا فهمت أن حجب النفوس من)** مطالعة أسرار **(هذه**

العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات وهذا القدر كاف في تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى.

وأما الشوق: فإنما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله عز وجل وأنه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد إلى الله عز وجل وزائر له وإن من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر إلى وجه الله الكريم في دار القرار، ومن حيث أن العين القاصرة الفانية في دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر إلى وجه الله عز وجل، ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها، وإنها إن أمدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب

الأفعال العجيبة مصدره الذهول) والغفلة **(عن أسرار هذه التعبدات)** الإلهية، **(وهذا القدر كاف في تفهم أصل الاعمال)**.

وقد أشار الشيخ الأكبر قدس سره في كتاب الشريعة حيث قال: الحاج وفد الله دعاهم الحق إلى بيته وما دعاهم إليه سبحانه بمفارقة الأهل والوطن والعيش الترف وطاهم بحلية الشعث والغبرة إلا ابتلاء ليريهم من وقف مع عبوديته ممن لم يقف، ولهذا أفعال الحج أكثرها تعبدات ولا تعلل ولا يعرف لها معنى من طريق النظر، لكن قد تنال من طريق الكشف والإخبار الإلهي الوارد على قلوب العارفين من الوجه الخاص الذي لكل موجود من ربه، فزينة الحاج تخالف زينة جميع العبادات. وقال في موضع آخر من كتابه: أفعال الحج مخصوصة [1] للعبد منها منفعة دنيوية، ولهذا تميز حكم الحج عن سائر العبادات في أغلب أحواله في التعليل فهو تعبد محض لا يعقل له معنى عند الفقهاء، فكان هو عين الحكمة ما وضع لحكمة، وفيه أجر لا يكون في غيره من العبادات، وتجليات إلهيه لا تكون في غيره من العبادات.

(وأما الشوق: فإنما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله عز وجل وأنه وضع) للناس **(على مثال)** غريب ونمط بديع، وجعله محترماً مثل **(حضرة الملوك فقاصده)** في الحقيقة **(قاصد إلى الله عز وجل وزائر له)** وثبت ذلك في الأخبار ما يدل على ذلك تقدم بعضها، **(وان من قصد البيت في الدنيا)** برسم زيارته **(جدير بأن لا تضيع زيارته)** ولا تخسر تجارته **(فيرزق مقصود الزيارة)** أي ما هو القصد منها **(في ميعاده المضروب له)** وأجله المعهود **(وهو النظر إلى وجه الله الكريم)** جل جلاله **(في دار القرار من حيث أن العين القاصرة الفانية في دار الدنيا لا تتهيأ)** أي لا يمكنها التهيؤ **(لقبول نور النظر إلى وجه الله عز وجل، ولا تطيق احتمال ذلك ولا تستعد للاكتحال به لقصورها)** عن درك ذلك، **(وإنها إن أمدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء**

---

(١) بياض في الأصل

التغير والفناء استعدت للنظر والإبصار، ولكنها بقصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم. فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لا محالة، هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ما له إلى محبوبه إضافة والبيت مضاف إلى الله عز وجل فبالحري أن يشتاق إليه لمجرد هذه الإضافة فضلاً عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل.

وأما العزم: فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجهاً إلى زيارة بيت الله عز وجل. وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت، وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وأن من طلب عظيماً خاطر بعظيم، وليجعل عزمه خالصاً لوجه الله سبحانه بعيداً عن شوائب الرياء والسمعة،

استعدت للنظر والإبصار) بحسب قابليتها المفاضة عليها، **(ولكنها بقصد البيت والنظر إليه استحقت لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم)**، فالحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة وفيها تقع المشاهدة إذ هي دار المشاهدة واللقاء.

يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج فرأى ركباً فقال: من الركب؟ فقالوا: أحاجين قال: أنهزكم غيره ثلاث مرات، قالوا: لا، قال: لو يعلم الركب بمن اناخوا لقرت أعينهم بالفضل بعد المغفرة.

(والشوق إلى لقاء الله عز وجل يسوقها إلى أسباب اللقاء لا محالة) ففي الصحيحين عن أنس مرفوعاً «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» **(هذا مع أن المحب يشتاق إلى كل ماله إلى محبوبه إضافة)** ونسبة ولو من بعيد، **(والبيت مضاف إلى الله تعالى،فبالحري)** أي باللائق **(أن يشتاق إليه)** في كل مرة **(بمجرد هذه الإضافة فضلاً عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل)**، بل ربما يقطع نظره عن تأمل ذلك.

(وأما العزم، فليعلم أنه بعزمه) الحازم **(قاصد إلى مفارقة)** كل مألوف من **(الأهل والوطن)** والأحباب والمسكن، **(ومهاجرة الشهوات)** النفيسة **(واللذات)** الحسية حالة كونه **(متوجهاً إلى زيارة بيت الله تعالى)** فإذا تحقق عنده هذا العزم، **(فليعظم في نفسه قدر البيت لقدر رب البيت)** وتعظيمه ينشأ عن تعظيم من أضافه إلى نفسه، **(وليعلم أنه عزم على أمر عظيم رفيع شأنه)** أي مرتفع بين الشؤون، **(خطير أمره)** أي عظيم الخطر، **(وأن من طلب عظيماً)** في نفسه **(خاطر بعظيم)** ما عنده، وحينئذ تهون عليه المصائب والشدائد في البدن والمال، **(وليجعل عزمه خالصاً لله عز وجل من شوائب الرياء والسمعة)** فقد روى سعيد بن منصور، عن عمر رضي الله عنه: من أتى هذا البيت لا يريد إلا إياه وطاف طوافاً كان من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وفي رواية: لا ينهزه غير صلاة فيه رجع كما ولدته أمه. **(وليتحقق أنه لا يقبل**

وليتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص، وإن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه بإخلاصه وإخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة فليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

أما قطع العلائق: فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي، فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادي عليه ويقول له: إلى أين تتوجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له؟ أو لا تستحي أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك، فإن كنت راغباً في قبول زيارتك فنفذ أوامره ورد المظالم وتب إليه أوّلاً من جميع المعاصي، واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك لتكون متوجهاً إليه بوجه قلبك، كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك. فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أوّلاً إلا

من قصده وعمله إلا الخالص لوجه الله تعالى) عما ذكر، فالاتيان إلى البيت مشروط بالإخلاص وتصحيح القصد كما دل عليه قول عمر وهو أهم ما يشترط فيه، (**فإن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه، والمقصود**) منه (**غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه**) وتصفيته (**بإخلاصه وإخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة**) وغيرهما من الأوصاف الذميمة كما دلت عليه الأخبار، وتقدم حديث أنس في إعلام من يأتي في آخر الزمان يحج للرياء والسمعة، (**وليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير**) فيقع في مقت وطرد وخسران.

(**وأما قطع العلائق، فمعناه ردّ المظالم**) إلى أهلها والتنصل عنها (**والتوبة**) المحضة (**الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي**) والمخالفات (**فإن كل مظلمة علاقة**) لازمة لا تنفك، (**وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه**) جمع لبب محركة على غير قياس، وهو من سيور السرج ما يقع على اللبة أي المنحر، ولببه تلبباً أخذه بمجامعه (**ينادي عليه ويقول له: إلى أين تتوجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في نزلك هذا ومستهين به ومهمل له**) بارتكاب منهياته ومحظوراته ومخالفة مأموراته؟ (**أو لا تستحي من أن تقدم عليه قدوم العاصي**) الشارد (**فيردك ولا يقبلك؟ فإن كنت راغباً في قبول زيارتك إياه فنفذ أوامره**) وانته عن مخالفاته (**وردّ المظالم**) لاهلها (**وتب إليه أولاً من جميع المعاصي**) حسب الطاقة (**واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ما وراءك**) من الأهل والمال والولد، (**لتكون متوجهاً إليه بوجه قلبك، كما أنك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك**) فيجتمع قلب الباطن وقلب الظاهر، ويكون كل منهما بشرط الإخلاص والتجرد، (**فإن لم تفعل ذلك لم يكن لك من**

النصب والشقاء، وآخراً إلا الطرد والرد. وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر أن لا يعود إليه وليكتب وصيته لأولاده وأهله فإن المسافر وماله لعلى خطر إلا من وقى الله سبحانه. وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة، فإن ذلك بين يديه على القرب وما يقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير، فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر.

وأما الزاد: فليطلبه من موضع حلال، وإذا أحس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد، فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر وأن زاده التقوى وأن ما عداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه، كالطعام الرطب الذي يفسد في أول

سفرك أولاً) ومكابدتك للأهوال في البوادي **(إلا النصب)** أي التعب **(والشقاء آخراً إلا الطرد)** عن الحضرات **(والرد)** عن وجه المقصود. **(وليقطع العلائق عن)** تعلقات **(وطنه قطع من انقطع عنه)** لم يبق له به ما يتأسف عليه، **(وقدر)** في نفسه **(أنه لا يعود إليه وليكتب وصيته)** الشرعية **(لأهله وأولاده)**وذوي قرابته وغيرهم من وجوه الخير، **(فإن المسافر وماله لعلى قَلَتٍ)** محركة أي هلاك. يقال: قلت قلتاً من حد تعب هلك، وتسمى المفازة مقلتة، لأنها محل الهلاك. وفي بعض النسخ: لعلى خطر **(إلا ما وقى الله سبحانه)** أي حفظ، فقد روى أبو الشيخ في الوصايا عن قيس بن قبيصة مرفوعاً «من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى» الحديث.

وروى ابن ماجه عن جابر مرفوعاً «من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات مغفوراً له».

(وليتذكر عند قطع العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فإن ذلك بين يديه على القرب) ولا بدّ منه وإن طال الأمد **(وما يقدمه من هذا السفر)** فهو **(طمع في تيسير ذلك السفر)** وحصوله **(وهو المستقر)** الثابت، **(وإليه المصير)** أي المرجع آخراً. **(فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا النفر)**، ويكون نصب عينيه مراعياً أحواله وما يترتب عليه.

(وأما الزاد، فيطلبه من موضع حلال) طيب ولا يحمل منه إلا ما خف وكفى، **(وإذا أحس من نفسه بالحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر)** إلى أن يعود إلى وطنه **(ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد)** مثل الكعك والزيت والسويق، **(فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر وان زاده)** هناك **(التقوى)** وما أورثه التقوى، **(وإن ما عدا التقوى مما يظنه زاداً يتخلف عنه عند الموت ويخونه)** ولا يغشاه **(فلا يبقى معه**

منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيراً محتاجاً لا حيلة له، فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت، بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير.

وأما الراحلة: اذا أحضرها فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه إلى دار الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها، فإن أمر الحج من وجه يوازي أمر السفر إلى الآخرة، ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زاداً له لذلك السفر على ذلك المركب فما أقرب ذلك منه. وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل، وركوب الجنازة مقطوع به وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه، فكيف يحتاط في أسباب السفر المشكوك فيه. ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن؟

كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر) فلا ينتفع به فيبقى وقت الحاجة والاضطرار (**متحيراً**) في حاله (**محتاجاً لا حيلة له**) في دفع احتياجه، (**فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده إلى الآخرة**) أي بمنزلة الزاد للمسافر (**لا تصحبه بعد الموت**) وتتأخر عنه، (**بل تفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير**)، فإن الأعمال بمنزلة العسل والشوائب كالخل فهي تفسدها كإفساد الخل للعسل.

(**وأما الراحلة إذا أحضرها**) بين يديه (**فليشكر الله بقلبه عز وجل على تسخير الله تعالى له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة**) وليذكر قوله تعالى ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلاَّ بشق الأنفس﴾ [النحل: ٧] (**وليتذكر**) أيضاً (**عند ذلك المركب الذي يركبه إلى الدار الآخرة وهي الجنازة أن يحمل عليها**) فوق أعناق الرجال، وقد تقدم تحقيق لفظ الجنازة في أواخر كتاب الصلاة، (**فإن أمر الحج من وجه يوازي**) أي يواجه (**أمر السفر إلى الآخرة، ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب**) الذي بين يديه (**لأن يكون زاداً إلى ذلك السفر**) الذي إلى الآخرة (**على ذلك المركب**) الذي هو الجنازة، (**فما أقرب ذلك منه**) إذ كل آت فلا بدّ منه، (**وما يدريه لعل الموت قريب**) يفجؤه بغتة فلا يقبل شفيعاً ولا زاداً. (**ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه لجهازه**) في سفر الحج، (**فركوب الجنازة مقطوع به**) مشاهد بين عينيه يقيناً، (**وتيسير أسباب السفر مشكوك فيه**) تارة يحصل وتارة لا (**فكيف يحتاط**) العاقل (**في أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في**) إعداد (**زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن**) إن هذا لعجيب.

وأما شراء ثوبي الإحرام: فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فإنه سيرتدي ويتزر بثوبي الإحرام عند القرب من بيت الله عز وجل، وربما لا يتم سفره إليه، وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفاً في ثياب الكفن لا محالة، فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفاً عادته في الزي والهيئة، فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت إلا في زي مخالف لزي الدنيا. وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما في الكفن.

وأما الخروج من البلد: فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجهاً إلى الله عز وجل في سفر لا يضاهي أسفار الدنيا فليحضر في قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه وزيارة من يقصد؟ وأنه متوجه إلى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوّقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذي فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسلياً بلقاء البيت عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم. وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا إدلالاً بأعماله في الارتحال ومفارقة الأهل والمال. ولكن

(**وأما شراء ثوبي الإحرام**) لحجه، (**فليتذكر عند ذلك الكفن ولفه فيه فإنه سيرتدي ويأتزر بثوبي الإحرام**) بعد تجرده من ثيابه (**عنه**) عند وصوله إلى الميقات المكاني على (**القرب من بيت الله عز وجل، وربما لا يتم سفره إليه**) لمانع من أنواع الإحصار، (**وإنه سيلقى الله عز وجل ملفوفاً في ثياب الكفن لا محالة**) لما ورد « يحشر الميت في ثيابه » ولذلك أمر بتحسين الأكفان. (**فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفاً عادته في الزي والهيئة، فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت إلا في زي مخالف لزي الدنيا**) وهيئة تخالف الهيئة، (**وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما في الكفن**) ليس فيه مخيط فما أشبهه به.

(**وأما الخروج من البلد، فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجهاً إلى الله عز وجل في سفر لا يضاهي**) أي لا يشابه (**أسفار الدنيا**) من وجوه عديدة، (**فليحضر في قلبه أنه ماذا يريد**) من هذه الحركة، (**وأين يتوجه**) في سفره هذا، (**وزيارة من يقصد؟ وأنه متوجه إلى ملك الملوك**) جل جلاله (**في زمرة الزائرين له الذين نودوا**) على لسان خليله إبراهيم عليه السلام بعد فراغه من بناء البيت، (**فأجابوا**) نداءه من الأصلاب، وشوّقوا فاشتاقوا (**واستنهضوا**) أي طلبوا النهضة (**فقطعوا العلائق**) المعيقة، (**وفارقوا الخلائق**) من الإخوان والخلان، (**وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذي فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره**) تعريفاً لهم على لسان أنبيائه ورسله، (**تسلياً بلقاء البيت**) ومشاهدته (**عن لقاء رب البيت إلى أن يرزقوا منتهى مناهم**) وأقصى مقاصدهم، (**ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم**) في الكثيب الأبيض يوم الزور الأعم، (**وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول**) منه سبحانه

ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته، وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته المنية في الطريق لقي الله عز وجل وافداً إليه إذ قال جل جلاله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بيتهِ مُهَاجراً إلى اللهِ ورسولِهِ ثم يُدْرِكهُ الموتُ فَقَدْ وَقَع أَجْرُه على اللهِ﴾.

[النساء: ١٠٠].

وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات: فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات. وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير، ومن سباع البوادي عقارب

(**لا إدلالاً بأعماله**) التي صدرت منه، (**بل**) مدة (**الارتحال**) عن وطنه (**ومفارقة الأهل والمال**) والعيش المترف، فإن الإدلال بالأعمال وبال ومضار للاقبال، (**ولكن ثقة**) واعتماداً (**بفضل الله عز وجل**)وإحسانه وكرمه (**ورجاء لتحقيق وعده**) الكريم الذي لا يخلف(**لمن زار بيته**) من رجوعه كيوم ولدته، ورفع الدرجات بكل خطوة، وتكفير السيئات والأخلاق في النفير وغير ذلك مما تقدم ذكره. (**وليرج أنه إن لم يصل**) إليه (**وأدركته المنية في الطريق لقي الله عز وجل وافداً إليه إذ قال جل جلاله**) في كتابه العزيز ﴿**ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله**﴾ [النساء: ١٠٠] والهجرة المذكور أعم من أن تكون للجهاد في سبيل الله وللحج إلى البيت ولطلب العلم وغير ذلك من وجوه الخير. وهكذا جاءت السنّة، فقد روى الخطيب وابن عساكر عن ابن عباس مرفوعاً «من مات محرماً حشر ملبياً».

وروى ابن عدي، والبيهقي من حديث عائشة «من مات في هذا الوجه حاجاً أو معتمراً لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة».

وروى الحكيم الترمذي من حديث سلمان «من مات مرابطاً في سبيل الله أجير من فتنة القبر وجرى عليه صالح عمله الذي كان يعمل إلى يوم القيامة».

وروى الطبراني في الكبير والحاكم من حديث فضالة بن عبيد «من مات على مرتبة من هذه المراتب بعث عليها يوم القيامة رباط أو حج أو غير ذلك».

وروى الديلمي من حديث ابن عمر «من مات بين الحرمين حاجاً أو معتمراً بعثه الله عز وجل يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب» قال الحافظ وفي الإسناد من يضعف.

(**وأما دخول البادية إلى**) حين وصوله إلى (**الميقات**) المكاني (**ومشاهدة تلك العقبات**) والثنايا الشاقة، (**فليتذكر بها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات القيامة**) البرزخية وغيرها، (**وما بينهما من الأهوال**) البرزخية وغيرها، (**والمطالبات. وليتذكر من هول قطاع الطريق**) المستبيحين أخذ أموال الناس عدواناً (**هول سؤال منكر ونكير**) في القبر، (**ومن**

القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات، ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته، وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزوداً لمخاوف القبر.

وأما الإحرام والتلبية من الميقات: فليعلم أن معناه إجابة نداء الله عز وجل، فأرج أن تكون مقبولاً واخش أن يقال لك لا لبيك ولا سعديك، فكن بين الرجاء والخوف متردداً وعن حولك وقوّتك متبرئاً وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلاً، فإن وقت التلبية هو بداية الأمر وهي محل الخطر.

قال سفيان بن عيينة: حج علي بن الحسين رضي الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفرّ لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فقيل له: لمَ لا

سباع البوادي) ووحوشها **(عقارب القبر وديدانه)** وما فيه من الحشرات والعقارب تألف القبور كثيراً كما هو مشاهد.

ولقد أخبرني من رأى عقرباً في مقبرة غريبة الشكل كبيرة الجرم كثيرة الأرجل ولها زباني لا تشبه زبان العقارب، فاستشهد عليها جماعة ممن معه وأرادوا أخذها ليتفرج عليها الناس فلم يوافقه أصحابه وقتلوها وحين أخبرني بذلك خطر ببالي أنها من العقارب التي سلطها الله تعالى على بعض من في تلك المقبرة والله تعالى أعلم.

(وما فيه من الأفاعي) الموحشة **(والحيات)** القتالة، **(ومن انفراده عن أهله وقرابته)** ومألوفاته يتذكر **(وحشة القبر وكربته ووحدته)** فيه، **(وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزوداً لمخاوف القبر)** وما فيه من الأهوال.

(وأما الإحرام والتلبية من الميقات: فليعلم أن معناه اجابة نداء الله عز وجل) في قوله «لبيك» كما تقدم تحقيقه، **(فيرجو)** في قوله ذلك وعمله **(أن يكون مقبولاً)** وبالعفو مشمولاً، **(ويخشى أن يقال له لا لبيك ولا سعديك)** كما قيل لغيره، **(وليكن بين الرجاء والخوف متردداً)** كما هو شأن المؤمن في أحواله **(وعن حوله وقوّته متبرئاً)** ولها إلى الله مسلماً. **(وعلى فضل الله تعالى وكرمه متكلاً، فإن وقت التلبية هو بداية الأمر)** إذ بها يدخل في أعمال الحج **(وهو محل الخطر)**.

(قال سفيان بن عيينة) الهلالي مولاهم المكي: **(حج علي بن الحسين)** بن علي بن أبي طالب الملقب بزين العابدين، **(فلما أحرم واستوت به راحلته اصفرّ لونه وانتقض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فقيل له: لم لا تلبي؟ فقال: أخشى أن يقال لي لا**

تلبي؟ فقال: أخشى أن يقال لي لا لبيك ولا سعديك. فلما لبى غشي عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه.

وقال أحمد بن أبي الحواري: كنت مع أبي سليمان الداراني رضي الله عنه حين أراد الإحرام فلم يلب حتى سرنا ميلاً فأخذته الغشية ثم أفاق، وقال: يا أحمد؛ إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام مر ظلمة بني إسرائيل أن يقلوا من ذكري فإني أذكر من ذكرني منهم باللعنة. ويحك يا أحمد بلغني أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل: لا لبيك ولا سعديك حتى تردّ ما في يديك فما نأمن أن يقال لنا ذلك.

لبيك ولا سعديك، فلما لبّى غشي عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه).

ولفظ ابن الجوزي في مثير العزم: فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وارتعد ولم يستطع أن يلبي فقيل: ما بالك لا تلبي؟ فقال أخشى أن يقول لي لا لبيك ولا سعديك.

وروي عن جعفر الصادق أنه حج فلما أراد أن يلبي تغيَّر وجهه، فقيل: مالك يا بن رسول الله؟ فقال: أريد أن ألبي فأخاف أن أسمع غير الجواب.

(وعن أحمدبن أبي الحواري قال: كنت مع أبي سليمان الداراني) تقدمت ترجمتها في كتاب العلم **(حين أراد الإحرام فلم يلبّ حتى سرنا ميلاً فأخذته الغشية ثم أفاق وقال يا أحمد: إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام مُرْ ظلمة بني إسرائيل أن يقلوا من ذكري فإني أذكر من يذكرني منهم باللعنة. ويحك يا أحمد لمن من حجّ من غير حله ثم لبّى قال الله عز وجل: «لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك» فلأنا خائف من أن يقال لنا ذلك)** وفي نسخة: فأنا خائف من أن يقال لنا ذلك أخرجه ابن الجوزي في مثير العزم، ونقله الطبري في المناسك إلى قوله «يديك» وعندهما أن «لا يذكروني» بدل «أن يقلوا من ذكري».

وأما قول الداراني إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام، فقد أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس بلفظ «أوحى الله إلى داود أن قل للظلمة لا يذكروني فإني أذكر من يذكرني وإن ذكري إياهم أن ألعنهم».

وفي القوت: وروينا في الإسرائيليات «أوحى الله عز وجل إلى نبيه موسى وداود عليهما السلام مر عصاة بني إسرائيل لا يذكروني» والآتي مثل سياق ابن عساكر.

وأما قوله: بلغني ان من حج الخ فقد رواه الشيرازي في الألقاب، وأبو مطيع في أماليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفعه «من حج بمال حرام فقال لبيك اللهم لبيك قال الله عز وجل له: لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك».

وليتذكر الملبي عند رفع الصوت بالتلبية في الميقات إجابته لنداء الله عز وجل، إذ قال: ﴿وأذِّنْ في النَّاس بالْحجِّ﴾ [الحج: ٢٧] ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه ومنقسمين إلى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في أوّل الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا ؟

وأما دخول مكة: فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمناً وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل، وليخشَ أن لا يكون أهلاً للقرب

وروى الديلمي عن أنس « إذا حج بمال حرام فلبَّى قال الرب لا لبيك ولا سعديك ثم يلف فيضرب وجهه ».

وروى أبو ذر الهروي في المناسك، عن أبي هريرة رضي الله عنه« من يمم هذا البيت بالكسب الحرام شخص في غير طاعة الله فإذا أهلَّ ووضع رجله في الركاب وبعث راحلته وقال: لبيك اللهم لبيك ناداه منادٍ من السماء لا لبيك ولا سعديك كسبك حرام وثيابك حرام وراحلتك حرام وزادك حرام ارجع مأزوراً غير مأجور وابشر بما يسوءك » الحديث.

وأخرج ابن الجوزي في مثير العزم، عن أبي الجلاء قال: « كنت بذي الحليفة وشاب يريد أن يحرم فكان يقول: يا رب أريد أن أقول لبيك اللهم لبيك فأخشى أن تجيبني بلا لبيك ولا سعديك يردد ذلك مراراً، ثم قال: لبيك اللهم لبيك يمدّ بها صوته وخرجت روحه ». فهذه أحوال الخائفين من الله تعالى.

(وليتفكر الملبّي عند رفع الأصوات بالتلبية في الميقات إجابته لنداء الله سبحانه إذا قال) على لسان خليله إبراهيم عليه السلام(﴿ وأذن في النـاس بالحج) يأتوك رجالاً﴾[الحج: ٢٧] الآية. **(نداء الخلق)** هو مفعول يتفكر **(حين ينفخ في الصور)** ينفخه إسرافيل عليه السلام، **(و)** كذلك يتفكر **(حشرهم في القبور، وازدحامهم في عرصات القيامة)** حالة كونهم **(مجيبين لنداء الله عز وجل، ومنقسمين إلى)** أقسام بين **(مقربين)** في الحضرة **(وممقوتين)** مبغوضين، **(ومقبولين ومردودين)** عن الحضرة، **(ومترددين في أول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات)** حالة إحرامهم، **(بحيث لا يدرون أيتيسر لهم تمام الحج وقبوله أم لا)**؟ فحال هؤلاء لا يوازي حال هؤلاء.

(وأما دخول مكة) شرفها الله تعالى، **(فليتذكر عند ذلك أنه قد انتهى إلى حرم الله عز وجل وأمنه)** كالذي يدخل في حضرة الملك فيأمن من سائر المخاوف، **(وليرج)** من الله **(بدخوله الأمن من عذاب الله عز وجل)** الموعود به أهل المخالفات، **(وليخش أن لا يكون أهلاً للقرب)** من الحضرة الإلهية، **(فيكون بدخوله الحرم خائباً)** خاسراً **(مستحقاً للمقت)**

فيكون بدخوله الحرم خائباً ومستحقاً للمقت، وليكن رجاؤه في جميع الأوقات غالباً، فالكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع.

وأما وقوع البصر على البيت: فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه إياه. وارج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم. واشكر الله تعالى على تبليغه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين عليه. واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة، ثم انقسامهم إلى مأذونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين. ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما تراه فإن كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة.

والطرد، فلا ينفعه من دخول الحرم شيء، (**وليكن رجاؤه في جميع الأوقات**) في سائر أعماله (**غالباً**) على الخوف، (**فالكرم**) الالهي (**عميم**).

قال الشيخ الأكبر: ولقد أشهدني الحق سبحانه في سري وقال لي: بلغ عبادي ما عاينته من كرمي بالمؤمن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها والسيئة لا يقاوم فعلها الإيمان بها إنها سيئة فما لعبادي يقنطون من رحمتي ورحمتي وسعت كل شيء، فانظر وفقك الله إلى هذا الكرم الالهي.

(**وشرف البيت عظيم**) وكفاه من شرفه كونه مضافاً إليه، (**وحق الزائر مرعي**) إذ حق على المزور أن يرعى زائره ويكرمه، (**وذمام المستجير**) به (**اللائذ**) بأعتابه (**غير مضيع**).

(**وأما وقوع البصر على البيت**) حين يدخل من المسجد، (**ينبغي أن يحضر عند ذلك عظمة البيت**) وجلالته (**في القلب وليقدر عند ذلك كأنه مشاهد لرب البيت**) فيغض بصره ولا يلتفت يميناً وشمالاً كما هو مقام الإحسان، وذلك (**لشدة تعظيمه إياه**) المشعر بكمال الهيبة، (**وليرج**) مع ذلك (**أن يرزقه الله النظر إلى وجهه الكريم**) في الزور الأعم، (**كما رزقه النظر إلى بيته العظيم وليشكر الله تعالى على تبليغه إياه هذه المرتبة وإلحاقه إياه بزمرة الوافدين إليه**) فإنه نعمة جليلة لا يطيق أن يقوم بواجب شكرها، (**وليذكر عند ذلك انصباب الناس في**) يوم (**القيامة**) بعد جمعهم في الموقف (**إلى جهة الجنة آملين**) راجين (**لدخولها كافة، ثم انقسامهم إلى مأذونين**) لهم (**في الدخول ومصروفين**) عنها بالحرمان (**انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين، ولا يغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما يراه، فإن كل أحوال الحج دليل على أحوال الآخرة**) وقد سبقت الإشارة إليه آنفاً.

وأما الطواف بالبيت: فاعلم أنه صلاة فاحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة. واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله. ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدىء الذكر إلا منه، ولا تختم إلا به كما تبتدىء الطواف من البيت وتختم بالبيت، واعلم أن الطواف الشريف هو

(**وأما الطواف بالبيت، فاعلم أنه صلاة**). أخرج أحمد، والنسائي، عن طاوس، عن رجل أدرك النبي ﷺ قال «الطواف بالبيت صلاة فأقلّوا من الكلام».

وأخرجه الشافعي، عن طاوس، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال «الطواف بالبيت صلاة ولكن الله أحل فيه المنطق فمن نطق فيه فلا ينطق إلاّ بخير».

وأخرج النسائي عن ابن عمر أنه قال: «أقلوا الكلام في الطواف فإنما أنتم في الصلاة».

وأخرج الشافعي عن عمر وقال «في صلاة» وقد تقدم ذلك في ذكر الطواف.

(**فاحضر في قلبك فيه من التعظيم**) والهيبة (**والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب**) أسرار (**الصلاة**) بدليل أن حكمه حكم الصلاة إلّا ما وردت فيه الرخصة من الكلام وغيره، ومقتضى ما ذكر إبطاله بما يبطل الصلاة حيث جعل حكمه حكمها. (**واعلم أنك بالطواف**) بالبيت (**متشبه بالملائكة المقربين الحافّين حول العرش الطائفين حوله**) لأن الله سبحانه نسب العرش إلى نفسه كما نسب البيت إلى نفسه، وجعل العرش محل الاستواء للرحمن وقال ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] وجعل الملائكة حافين به بمنزلة الحراس الذين يدورون بدار الملك والملازمين بابه لتنفيذ أوامره، وجعل الله الكعبة بيته، ونصب الطائفين به على ذلك الأسلوب، وبذلك تم التشبه، ولكن البيت تميز عن العرش بأمر ما هو في العرش وهو يمين الله في الأرض، كما يأتي الكلام عليه قريباً.

وقال الشيخ الأكبر: نسب الله إليه البيت سبحانه، وأخبر أنه أول بيت وضعه الله تعالى معبداً وجعله نظيراً ومثلاً لعرشه، وجعل الطائفين به كالملائكة الحافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم. (**ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت، بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت، حتى لا يبتدأ الذكر إلا منه، ولا يختم إلا به كما يبتدأ بالطواف من البيت ويختم بالبيت**) وهذا هو الذي وقعت الإشارة إليه في قوله ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ [فاطر: ٧ والزمر: ٧٥] أي بالثناء على ربهم، وثناؤنا على الله في طوافنا أعظم من ثناء الملائكة عليه سبحانه بما لا يتقارب لأنهم في هذا الثناء نواب عن الحق يثنون عليه بكلامه الذي أنزله عليهم، وهم أهل الله وأهل القرآن، فهم نائبون عنه في الثناء عليه فلم يشبه ذكرهم استنباطاً نفسياً ولا اختياراً كونياً.

(**واعلم أن الطواف الشريف هو تطواف القلب لحضرة الربوبية، وأن البيت مثال**

طواف القلب بحضرة الربوبية، وان البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت، كما أن البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب. وأن عالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب. وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت

ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر، وهي في عالم الملكوت، كما أن البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر، وهو في عالم الغيب، وأن عالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب).

اعلم أن من وجوه تشبيه الكعبة بالقلب بالوجه الذي ذكر هو أنه لما جعل الله تعالى قلب عبده بيتاً كريماً وحرماً جسيماً وذكر أنه وسعه حين لم يسعه سماء ولا أرض جعل الخواطر التي تمر عليه كالطائفين، ولما كان في الطائفين من يعرف حرمة البيت فيعامله بالطواف بما يستحقه من التعظيم والإجلال، ومن الطائفين من لا يعرف ذلك فيطوفون به بقلوب غافلة لاهية، وألسنة بغير ذكر الله ناطقة، بل ربما نطقوا بفضول من القول وزور، كذلك الخواطر التي تمر على قلب المؤمن منها مذموم ومنها محمود، وكما كتب الله طواف كل طائف للطائف به على أي حالة كان، وعفا عنه فيما كان منه، كذلك الخواطر المذمومة عفا الله عنها ما لم يظهر حكمها على ظاهر الجسم للمس، وكما أن في البيت يمين الله للمبالغة الإلهية ففي قلب العبد الحق سبحانه من غير تشبيه ولا تكييف كما يليق بجلاله سبحانه حيث وسعه، ثم أن الله تعالى جعل لبيته أربعة أركان بسر إلهي وهي في الحقيقة ثلاثة أركان الركن الواحد الذي يلي الحجر كالحجر في الصورة مكعب الشكل ولأجل ذلك سمي كعبة تشبيهاً بالمكعب، فإذا اعتبرت الثلاثة الأركان جعلها في القلب محل الخاطر الإلهي، والآخر ركن الخاطر الملكي، والآخر ركن الخاطر النفسي، فالإلهي ركن الحجر، والملكي الركن اليماني، والنفسي المكعب الذي في الحجر الأسود، وليس للخاطر الشيطاني فيه محل، وعلى هذا الشكل قلوب الأنبياء مثلثة الشكل على شكل الكعبة، ولما أراد الله سبحانه من إظهار الركن الرابع جعله للخاطر الشيطاني وهو الركن العراقي، والركن الشامي للخاطر النفسي، وإنما جعلنا الخاطر الشيطاني للركن العراقي لأن الشارع شرع أن يقال عنده أعوذ بالله من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق، وبالذكر المشروع في كل ركن تعرف مراتب الأركان، وعلى هذا الشكل المربع قلوب المؤمنين ما عدا الرسل والأنبياء والمعصومين ليميز الله رسله وأنبياءه من سائر المؤمنين، فليس لنبي إلا ثلاثة خواطر إلهي وملكي ونفسي، ولغيرهم هذه وزيادة الخاطر الشيطاني العراقي، فمنهم من ظهر حكمه عليه في الظاهر، وهم عامة الخلق، ومنهم من يخطر له ولا يؤثر في ظاهره وهم المحفوظون من أوليائه، ولما اعتبر الله الشكل الأول الذي للبيت جعل له الحجر على صورته وسماه حجراً لما حجر عليه أن ينال تلك المرتبة أحد من غير الأنبياء والمرسلين حكمة منه سبحانه، فلنا الحفظ الإلهي ولهم العصمة.

المعمور في السموات بإزاء الكعبة. فإن طواف الملائكة به كطواف الإنس بهذا البيت،

واعلم أن الله تعالى قد أودع في الكعبة كنزاً أراد رسول الله ﷺ أن يخرجه فينفقه، ثم بدا له في ذلك لمصلحة رآها، ثم أراد عمر رضي الله عنه بعده أن يخرجه، فامتنع اقتداء برسول الله ﷺ فهو فيه إلى الآن، كذلك جعل الله في قلب العارف كنز المعرفة بالله فشهد لله بما شهد الحق به لنفسه من وحدانيته في الوهيته، فجعلها كنزاً في قلوب العلماء بالله مدخراً أبداً، كلما ظهر في الأحيان من الخير فهو من أحكامها وحقها، ثم أن الله جعل هذا البيت الذي هو محل ذكر اسم الله على أربعة أركان كقيام العرش اليوم على أربع حملة. كذا ورد في الخبر أنهم اليوم أربعة وغداً يكونون ثمانية، فإن الآخرة فيها حكم الدنيا والآخرة، فلذلك تكون غداً ثمانية فيظهر في الآخرة حكم سلطان الأربعة الآخرة، وكذلك يكون القلب في الآخرة تحمله ثمانية. الأربعة التي ذكرناها والأربعة الغيبية وهي العلم والقدرة والإرادة والكلام ليس غير ذلك.

فإن قلت: فهي موجودة اليوم فلماذا جعلتها في الآخرة؟.

قلنا وكذلك الثمانية من الحملة موجودين اليوم في أعيانهم، لكن لا حكم لهم في الحمل الخاص إلا كذلك. هذه الصفات التي ذكرنا إنما حكم لهم في الآخرة، فلا يعجز السعيد عن تكوين شيء وإرادته نافذة فما يهم بشيء يحضر إلا حضر وكلامه نافذ، فما يقول لشيء كن إلا ويتكوّن، فالعلم له عين في الآخرة، وليس هذا حكم هذه الصفات في النشأة الدنيا مطلقة. فاعلم ذلك فالإنسان في الآخرة نافذ الاقتدار، فالله بيته قلب عبده المؤمن، والبيت بيت إسمه تعالى والعرش مستوى الرحمن ﴿فأياً ما تدعو فله الأسماء الحسنى﴾ [الإسراء: ١١٠].

(وإلى هذه الموازنة وقعت الإشارة بأن البيت المعمور في السماء بإزاء الكعبة، وأن طواف الملائكة به كطواف الإنس) والجن **(بهذا البيت)**.

أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في الشعب، عن أنس أن النبي ﷺ قال: «البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة».

وأخرج الطبراني، وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه «البيت المعمور في السماء يقال له الضراح على مثل البيت بحياله لو سقط عليه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لم يروه قط وأن له في السماء حرمة على قدر حرمة مكة» وأخرجه عبد الرزاق في المصنف عن كريب مولى ابن عباس مرسلاً.

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن جرير، وابن الانباري في المصاف عن ابن الطفيل أن ابن الكوا سأل علياً رضي الله عنه عن البيت المعمور ما هو؟ قال «الضراح بيت فوق سبع سموات تحت العرش يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة».

وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس قال «إن في السماء بيتاً يقال له الضراح وهو فوق

ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الإمكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم، والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى.

وأما الاستلام: فاعتقد عنده انك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت. وقد روى ابن عباس رضي الله

البيت العتيق من حياله له حرمة في السماء كحرمة هذا في الأرض يلجه كل ليلة سبعون ألف ملك يصلون فيه لا يعودون إليه أبداً غير تلك الليلة».

(ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الإمكان ووعدوا بأن من تشبه بقوم فهو منهم).

قال العراقي: رواه أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح اهـ. قلت: ورواه البزار عن ابن عبيدة بن حذيفة عن أبيه.

(والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال: إن الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله تعالى) وقد تقدم شيء من ذلك في أوّل الباب.

(وأما الاستلام، فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء) وفي نسخة فصمم عند ذلك قيامك بالوفاء **(ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت).**

قال الشيخ الأكبر قدس سره: اعلم أن البيت تميز على العرش بأمر ما هو في العرش، وهو يمين الله في الأرض لتبايعه في كل شوط مبايعة رضوان وبشرى وقبول لما كان معاً في كل شوط من الذكر والحضور والحركة، فإذا انتهينا إلى اليمين الذي هو الحجر استشعرنا من الله سبحانه بالقبول فبايعناه وقبّلنا يمينه المضافة إليه قبلة قبول وفرح واستبشار، وهكذا في كل شوط فإن كثر الازدحام إليه أشرنا إليه إعلاماً بأنا نريد تقبيله وإعلاماً بعجزنا عن الوصول إليه، ولا تقف تنظر النوبة حتى تصل إلينا فتقبله لأنه لو أراد ذلك منا ما شرع لنا الإشارة إليه إذا لم نقدر عليه، فعلمنا انه يريد منا اتصال المشي في السبعة الأشواط من غير أن يتخللها وقوف إلّا قدر التقبيل في مرورنا إن وجدنا السبيل إليه.

وقال في موضع آخر: الاستلام لا يكون إلا في الحجر خاصة لكون الحق جعله يميناً له فلمسه بطريق البيعة.

(وقد روى ابن عباس، عن النبي ﷺ انه قال «الحجر الأسود يمين الله عز وجل في

عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الحجر الأسود يمين الله عز وجل في الأرض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه».

وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم: فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حباً وشوقاً للبيت ولرب البيت وتبركاً بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء من بدنك لما في البيت. ولتكن نيتك في التعلق بالستر الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرع إليه في عفوه عنه المظهر له أنـه لا ملجأ له منه إلا إليه، ولا مفزع له إلا كرمه وعفوه، وأنه لا يفارق ذيله إلا بالعفو وبذل الأمن في المستقبل.

وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت: فإنه يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائياً وذاهباً مرة بعد أخرى إظهاراً للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين

الأرض يصافح بها كما يصافح الرجل أخاه») قال العراقي: تقدم في العلم من حديث ابن عمرو اهـ.

قال الشيخ زين الدين الدمشقي الواعظ: لكن حديث ابن عباس هذا لم يتقدم، ولفظه عن ابن عباس قوله «إن هذا الركن يمين الله في الأرض يصافح بها عباده مصافحة الرجل أخاه» رواه ابن أبي عمر المعدني في مسنده.

وروى الطبراني عنه أنه قال «الركن - يعني الحجر - يمين الله في الأرض يصافح بها خلقه بيده ما حاذى به عبد مسلم يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه» لكن في رواية الطبراني ابن يزيد وهو ضعيف.

(**وأما التعلق بأستار الكعبة والالتزاق بالملتزم**) ، وهو بين الباب والحجر الأسود (**فلتكن نيته في الالتزام طلب القرب**) من الله تعالى (**حباً وشوقاً للبيت ولرب البيت**) مع تصحيح القصد في ذلك، (**وتبركاً بالمماسة**) واتباعاً لسنته ﷺ، (**ورجاء للتحصن من النار**) فإنه مقام أمن (**في كل جزء من بدنك لما في البيت**) من الصدر والذراعين وأجزاء الوجه، (**ولتكن نيته في التعلق بالأستار الإلحاح في طلب المغفرة**) والعفو من الله تعالى، (**وسؤال الأمان**) من العذاب (**كالمذنب المتعلق**) بكليته (**بثياب من أذنب إليه**) الفار منه إليه، (**المتضرع إليه**) بغاية ذله وانكساره (**في عفوه عنه**) وتجاوزه له، (**المظهر له**) بظاهره وباطنه (**أنه لا ملجأ منه إلا إليه ولا مفزع إلا عفوه وكرمه وأنه لا يفارق ذيله إلا بالعفو**) عنه لما مضى (**وبذل الأمن في المستقبل**) مما سيقدم عليه.

(**وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت، فإنه يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك**) حالة كونه (**جائياً وذاهباً مرة بعد أخرى إظهاراً للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة**) عسى أن يقع عليه نظر الملك في بعض ملاحظاته فتشمله رحمته في جملة

الرحمة، كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول أو ردّ. فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى، وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات، وليتذكر تردده بين الكفتين ناظراً إلى الرجحان والنقصان متردداً بين العذاب والغفران.

وأما الوقوف بعرفة: فاذكر ـ بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات

المرحومين، **(كالـذي دخل على الملك)** لزيارته ومشاهدته **(وخرج)** من عنده **(وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه في قبول أو ردّ)** أو تقريب أو طرد، **(فلا يزال يتردد على فناء الدار)** وحريمها **(مرة بعد أخرى يرجو ان يرحم في الثانية إن لم يرحم في الأولى)** أو في الثالثة إن لم يرحم في الثانية، **(وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة)** لوزن أعماله **(وليمثل الصفا بكفة الحسنات)** لأن الله تهمم بها بالذكر فبدأ بها.

وقال رسول الله ﷺ: « أبدأ بما بدأ الله به » فبدأ بالصفا وقرأ الآية، ولذلك ناسب تمثيله بكفة الحسنات، **(والمروة بكفة السيئات)** إذ بها يختم السعي وكلاهما نظيران كما أن الحسنات نظير السيئات، وحكمهما على السواء لأن الشيء المقابل هو من مقابله على خط السواء، **(وليتذكر تردده بين الكفتين ناظراً إلى الرجحان والنقصان مردداً بين العذاب والغفران)**، وأيضاً كان على الصفا أساف وعلى المروة نائلة، فلا يغفلها الساعي بينهما، فعندما يرقى في الصفا يعبر إسمه من الأسف وهو حزنه على ما فاته من تضييع حقوق الله تعالى عليه، ولهذا يستقبل البيت بالدعاء والذكر ليذكره ذلك فيظهر عليه الحزن، فإذا وصل إلى المروة وهو موضع نائلة يأخذه من النول وهو العطية فيحصل نائلة الأسف أي أجره، وليفعل ذلك في السبعة الأشواط لأن الله تعالى امتن عليه بسبع صفات ليتصرف فيها ويصرفها في أداء حقوق الله لا يضيع منها شيئاً، فيأسف على ذلك فيعجل الله له أجره في اعتبار نائلة بالمروة إلى أن يفرغ، وليلاحظ أن السعي في هذا الموضع جمع الأحوال الثلاثة: وهي الانحدار والترقي والاستواء، فانحداره إلى الله وصعوده إلى الله واستواؤه مع الله بالله في الله عن أمر الله، فليكن في كل من أحواله الثلاثة مع الله لله، وليتحقق أن الصفا والمروة من الحجارة، والمطلوب منهما ما تعطيه حقيقتهما من الخشية والحياة والعلم بالله والثبات في مقامهما، فمن سعى ووجد مثل هذه الصفات في نفسه حال سعيه قد سعى وحصل نتيجة سعيه، فانصرف من مسعاه حي القلب بالله ذا خشية من الله عالماً بقدره وبماله ولله وان لم يكن كذلك فما سعى بين صفا ومروة.

(وأما الوقوف بعرفة فليذكر ما يرى من ازدحام الخلق) واجتماعهم **(وارتفاع**

واختلاف اللغات واتباع الفرق أئمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيراً بسيرهم ـ في عرصات القيامة واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول. وإذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله عز وجل فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالإجابة. فالموقف شريف والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض. ولا ينفك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد، وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب. فإذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم وامتدت إليه أعناقهم وشخصت نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم. ولذلك قيل: إن من

الأصوات) من كل جهة، **(واختلاف اللغات)** وتباينها، **(واتباع الفرق)** من الناس **(أئمتهم)** الذين يتبعونه **(في الترددات على المشاعر)** أي المعالم **(اقتفاء لهم و)** اتباعاً **(سيراً بسيرهم في عرصات القيامة، واجتماع الأمم مع الأنبياء والائمة)** الهادين المقتدى بهم في الدنيا، **(واقتفاء كل أمة نبيها وطمعهم في شفاعتهم)** لهم **(وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد)** الأفيح **(بين الرد والقبول، فإذا تذكر ذلك فليلزم قلبه الضراعة والابتهال إلى الله تعالى)** مع خلوص القلب، **(فعساه يحشره في زمرة الفائزين)** المقبولين **(المرحومين، وليتحقق رجاؤه بالإجابة فالموقف شريف)** والهمم فيه مجتمعة، **(والرحمة)** العامة **(إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض)** وعمدها وأركانها وانجابها، **(ولا ينفك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد)** والانجاب والطنائر. **(وطبقات من الصالحين وأرباب القلوب)** وما دعاهم الله إلى هذا الموقف للوقوف بين يديه إلا تذكرة لقيام الناس يوم القيامة لرب العالمين، ويتميز الفرق بعضهم من بعض بسياهم، وإن اتيان الله لهم في هذا الموقف إتيان بمغفرة ورحمة وفضل وانعام ينال ذلك الفضل الإلهي في هذا اليوم من هو أهله يعني المحرمين بالحج، ومن ليس من أهله ممن شاركهم في الوقوف والحضور في ذلك اليوم، وليس بحاج كالجليس مع القوم الذين لا يشقى جليسهم، فتعمهم مغفرة الله ورضوانه.

(فإذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم) باخلاصها وتمحيضها، **(وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم، وامتدت إليه أعناقهم، وشخصت نحو السماء)** الذي هو قبلة الدعاء **(أبصارهم)** فرآهم في شؤونهم سكارى هائمين نشاوى سارحين، **(مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة)** والعفو والغفران، **(فلا تظنن أنه)** سبحانه **(يخيب أملهم)** الذي

أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له، وكان اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأولاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده، فلا طريق إلى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد.

وأما رمي الجمار: فاقصد به الانقياد للأمر وإظهاراً للرق والعبودية وانتهاضاً لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه. ثم اقصد به التشبه بإبراهيم عليه السلام

أملوه، **(ويضيع سعيهم)** الذي اعتوروه، **(ويدخر عنهم رحمة)** واسعة **(تغمرهم)** أي تعمهم. **(ولذلك قيل: إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات، ويظن أن الله لم يغفر له)** كما روي ذلك من طريق أهل البيت وتقدم الكلام عليه آنفاً. **(وكان اجتماع الهمم)** المختلفة **(والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد)** وأرباب القلوب الصالحين **(والمجتمعين من أقطار البلاد)** الشاسعة **(هو سر الحج وغاية مقصوده)** وفي بعض النسخ وغايته ومقصوده، **(فلا طريق إلى استدرار رحمة الله سبحانه)** أي استجلابها **(مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد)**. ومن هنا قال العارفون: إذا قرئت سورة يس في جوف الليل الذي هو الثلث الأخير لأي حاجة قضيت مع الاخلاص، لأنه اجتمعت فيه ثلاثة قلوب قلب الداعي وقلب القرآن وقلب الليل، فإذا كان هذا في قلوب ثلاثة فما بال آلاف من القلوب مع شرف الموقف وهو سر جليل.

(وأما رمي الجمار) الثلاث، **(فليقصد به الانقياد للأمر)** الإلهي **(إظهاراً للرق والعبودية)** التي هي أصل وصفة، **(وانتهاضاً لمجرد الامتثال)** لأوامر الله ورسوله **(من غير حظ)** معقول **(للعقل والنفس في ذلك)** لما سبق أنه أمر تعبدي لا مدخل فيه للعقل والنفس، وإنما هو مجرد اتباع. ولا شك أن من ترك شيئاً من اتباع الرسول فإنه ينقص من محبة الله إياه، على قدر ما نقص من اتباع الرسول وكذب نفسه في محبته لله بعدم تمام الاتباع. وعند أهل الله لو اتبعه في جميع أموره وأخلّ بالاتباع في أمر واحد ما اتبعه قط، وإنما اتبع هوى نفسه لا هو مع ارتفاع الاعذار الموجبة لعدم الاتباع هذا مقرر عندهم فلا ينبغي التساهل فيه.

ولقد حكى القطب الشعراني قدس سره في بعض كتبه أنه اجتمع به رجل من أعيان المالكية كأنه الشريف التاجوري، فلما أراد النهوض قال له الشيخ: هلم نقرأ الفاتحة؛ فقال الرجل: لم يثبت عندي في ذلك شيء من السنّة، فقال في نفسه: ولا علي من ذلك فقراءة الفاتحة كلها بركة وخير، فرأى النبي ﷺ في المنام وعاتبه على ذلك، وأمره بمطالعة كتب المالكية.

وقد ذكر الشيخ الأكبر قدس سره في ذلك حكاية عن القطب أبي زيد البسطامي قدس سره قال: كنت أعمل على الاتباع وأن حرمة الشريعة قائمة عندي ليس لي في ذلك الاتباع والمبادرة

حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية، فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأمله. فإن خطر لك

إليه هوى نفس، فقالت لي والدتي في ليلة باردة: اسقني ماء يا أبا يزيد فوجدت لقيامي إلى ما التمسته مني من الماء ثقلاً وكراهة لشدة البرد، فأبطأت للتثاقل الذي وجدت، ثم جئت بالكوز فوجدتها قد سارع إليها النوم ونامت، فوقفت بالكوز على رأسها حتى استيقظت فناولتها الكوز، وقد بقيت في أذن الكوز قطعة من جلد أصبعي لشدة البرد انقرضت، فقامت الوالدة لذلك ورجعت إلى نفسي وقلت لها حبط عملك في كونك كنت تدعي في نشاطك للعبادات والاتباع من محبتك لله، فإنه ما كلفك ولا ندبك وأوجب عليك إلا ما هو محبوب له، وكل ما يأمر به المحبوب عند المحب محبوب، ومما أمرك الله به يا نفسي البر بوالدتك والإحسان إليها والمحب يفرح ويبادر لما يحبه حبيبه. ورأيتك قد تكاسلت وتثاقلت وصعب عليك أمر الوالدة حين طلبت الماء، فقمت بكسل وكراهية فعلمت أنه كل ما نشطت فيه من أعمال البر وفعلته لا عن كسل ولا تثاقل، بل عن فرح ولذة به، إنما كان ذلك لهوى كان لك فيه لا لأجل الله. إذ لو كان لله لما صعب عليك الإحسان لوالدتك، وهو شيء يحبه الله منك وأمرك به وأنت تدعي حبه، وأن حبه أورثك النشاط واللذة في عبادته، فلم يسلم لنفسه هذا القدر، وكذلك قال وكذلك غير أبي يزيد كان يحافظ على الصلاة في الصف الأول دائماً منذ سبعين سنة وهو يزعم أنه يفعل ذلك رغبة فيما رغبه الله فيه موافقة لله، فاتفق له عائق عن المشي إلى الصف الأوّل، فخطر له خاطر أن الجماعة التي تصلي في الصف الأوّل، إذا لم يروه أن يقولوا أين هو فبكى وقال لنفسه: خدعتني منذ سبعين سنة تخيل لي أني لله وأنا في هواك، وماذا عليك إذا فقدوك فتاب وما رؤي بعد ذلك يلزم في المسجد مكاناً واحداً، فهكذا حاسبوا نفوسهم، ومن كانت حالته هذه ما يستوي مع من هو فاقد لهذه الصفة، كذلك سبيل من رمى الجمار بمجرد الاتباع من غير أن يكون له ملاحظة حظ للنفس أو العقل فافهم ذلك.

(ثم ليقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى في الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية، فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأمله).

روى عثمان بن ساج قال: أخبرني محمد بن إسحاق قال: « لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت الحرام جاءه جبريل عليه السلام فقال له: طف به سبعاً » ثم ساق الحديث وفيه: « انه لما دخل منى وهبط من العقبة تمثل له إبليس عند جمرة العقبة فقال له جبريل كبّر وارمِه سبع حصيات فغاب عنه، ثم برز له عند الجمرة الوسطى فقال له جبريل: كبّر وارمه فرماه ابراهيم سبع حصيات، ثم برز له عند الجمرة السفلى فقال له جبريل: كبّر وارمه فرماه سبع حصيات مثل حصى الخذف فغاب عنه إبليس، ثم مضى ابراهيم في حجه ». الحديث.

أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه، وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان؟ فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه، وأنه يضاهي اللعب فلِمَ تشتغل به؟ فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي فيه برغم أنف الشيطان. واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى إلى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره إذ لا يحصل إرغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيماً له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه.

(فإن خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه، وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر) الذي خطر لك هو **(من الشيطان، وأنه الذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي)** ويدخل عليك بالوسواس والتردد، **(ويخيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه، وأنه يضاهي اللعب)** ويشبهه **(فلم تشتغل به)**. فإذا أحسست من نفسك هذا **(فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي، فبذلك ترغم أنف الشيطان)**. ولهذه الملاحظة شرع فيه من الدعاء رغماً للشيطان كما تقدم في الادعية.

(واعلم أنك في الظاهر ترمي الحصى إلى العقبة، وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره) وتخيب به أمله. **(إذ لا يحصل ارغام أنفه)** وقصم ظهره وخيبة أمله **(إلا بامتثالك أمر الله سبحانه تعظيماً له بمجرد الأمر من غير حظ النفس والعقل فيه)**.

ثم اعلم أن هذا الذي ذكره المصنف أوّلاً وثانياً أن رمي الجمار أمر تعبدي، والعقل والنفس معزولان فيه كغالب أعمال الحج هو الذي صرح به العارفون في كتبهم، وربما يفهم منه أنه غير معقول المعنى وليس إلا التعبد والتشبه فقط وهو ليس على ظاهره، فإن في رمي الجمار اعتباراً لأهله في سياقه غموض ودقة، وإنما أورده على الاجمال. فاعلم أن الجمرات الجماعات وكل جمرة جماعة أية جماعة كانت، ومنه الاستجمار في الطهارة، ويستحب أن يكون وتراً من ثلاث فصاعداً وأكثره سبعة في العبادة لا في اللسان، فإن الجمرة الواحدة سبع حصيات، وكذلك الجمرات الزمانية التي تدل على خروج فصل شدة البرد كل جمرة في شباط سبعة أيام وهي ثلاث جمرات متصلة كل جمرة سبعة أيام، فتنقضي الجمرات بمضي أحد وعشرين يوماً من شباط مثل رمي الجمار احد وعشرون حصاة وهي ثلاث جمرات، وكذلك الحضرة الإلهية تنطلق بإزاء ثلاث معان: الذات والصفات والأفعال، ورمي الجمرات مثل الأدلة والبراهين على سلب كحضرة الذات، أو إثبات كحضرة الصفات المعنوية، أو نسب وإضافة كحضرة الأفعال، فدلائل الجمرة الأولى لمعرفة الذات، ولهذا يقف عندها لغموضها إشارة إلى الثبات فيها، وهي ما يتعلق بها من السلوب، إذ لا يصح أن يعرف بطريق إثبات صفة معينة، ولا يصح أن يكون لها صفات نفسية متعددة، بل صفة نفسه عينه لا أمر آخر، فلا بدّ أن تكون صفته النفسية الثبوتية واحدة وهي عينه لا غير فهو مجهول العين معلوم بالافتقار إليه، وهذه هي معرفة أحديته تعالى، فيأتي خاطر الشبهة بالإمكان لهذه

الذات فيرجه بحصاة الافتقار إلى المرجح وهو واجب الوجود لنفسه، ويأتي بصورة الدليل على ما يعطيه نظمه في موازين العقول، فهذه حصاة واحدة من الجمرة الأولى، فإذا رماه بها مكبراً أي يكبر عن هذه النسبة الإمكانية إليه فيأتيه في الثانية بأنه جوهر فيرميه بالحصاة الثانية، وهو دليل الافتقار إلى التحيز أو إلى الوجوب بالغير، فيأتيه بالجسمية فيرميه بحصاة الافتقار إلى الأداة والتركيب والابعاد فيأتيه بالعرضية فيرميه بحصاة الافتقار إلى المحل، والحدوث بعد أن لم يكن، فيأتيه بالعلية فيرميه بالحصاة الخامسة وهي دليل مساوقة المعلول له في الوجود وهو كان ولا شيء معه، فيأتيه في الطبيعة فيرميه بالحصاة السادسة وهي دليل نسبة الكثرة إليه وافتقار كل واحد من آحاد الطبيعة إلى الأمر الآخر في الاجتماع به إلى ايجاد الأجسام الطبيعية، فيأتيه في العدم وهو أن يقول له: إذا لم يكن هذا ولا هذا ويعدد ما تقدم فما ثم شيء فيرميه بالحصاة السابعة وهي دليل آثاره في الممكن والعدم لا أثر له.

وقد ثبت بدليل افتقار الممكن في وجوده إلى مرجح وموجود كواجب الوجود لنفسه، وهذا هو الذي أثبتناه مرجحاً وانقضت الجمرة الأولى، ثم أتينا إلى الثانية وهي حضرة الصفات المعنوية فقال لك سلمنا ان ثم ذاتاً مرجحةللممكن ،فمن قال إن هذه الذات عـالمة بما ظهـر عنهـا فـرمينـاه بالحصاة الأولى ان كان هذا هو الخاطر الأوّل الذي خطر لهذا الحاج المعنوي، وقد يخطر له الطعن في صفة أخرى أولاً فيرميه بحسب ما يخطر له إلى تمام سبع صفات وهي: الحياة والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام. وبعض الأصحاب لا يشترط هذه الثلاثة أعني السمع والبصر والكلام في الأدلة العقلية، ويتلقاه من السمع إذا ثبت ويجعلها كأنها ثلاثة أخـر، وهي علم ما يجب له وما يجوز وما يستحيل عليه مع الأربعة التي هي القدرة والإرادة والعلم والحياة. فهذه سبعة علوم فورد الخاطر الشيطاني بشبهه في كل علم منها فيرميه هذا الحاج بحصاة كل دليل عقلي على الميزان الصحيح في نظم الأدلة بحسب ما يقتضيه، ويطيل التثبت في ذلك. ثم يأتي الجمرة الثالثة وهي حضرة الأفعال وهي سبع أيضاً فيقوم في خاطره أولاً المولدات وأنها قامت بأنفسها فيرميه بحصاة افتقارها من الوجه الخاص إلى الحق سبحانه، فإذا علم الخاطر أنه لا يرجع عن علمه بالافتقار أظهر له أن افتقاره إلى سبب آخر غير الحق وهو العناصر، ومنهم من كان يعبدها وإذا خطر له ذلك، فإما أن يتمكن منه بأن ينفي أثر الحق تعالى عنه منها، وإن لم يقدر فقصاراه أن يثبتها شركاء فيرميه بالحصاة الثانية فيرميه في دلالتها أن العناصر مثل المولدات في الافتقار إلى غيرها وهو الله تعالى، فإذا رماه بالحصاة الثانية كما ذكرنا أخطر له السبب الذي توقف وجود الأركان عليه وهو الفلك فقال: إن موجد هذه الأركان الفلك وصدقت فيما قلته فيرميه بالحصاة الثالثة، وهو افتقار الفلك فيصدقه في الافتقار ويقول له: أنت غالط إنما كان افتقار الشكل إلى الجسم الذي لولاه ما ظهر الشكل فيرميه بالحصاة الرابعة، وهو افتقار الجسم إلى الله من الوجه الخاص فيصدقه ويقول له: صحيح ما قلت من الافتقار القائم، ولكن إلى جوهر الهيولي الذي لم تظهر صورة الجسم إلا فيه، فيرميه بالحصاة الخامسة وهو دليل افتقار الهيولي إلى الله فيقول: بل افتقارها إلى النفس الكلية،

وأما ذبح الهدي: فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال فأكمل الهدي وارج أن يعتق الله بكل جزء منه جزءاً منك من النار. فهكذا ورد الوعد. فكلما كان الهدي أكبر واجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم.

وأما زيارة المدينة: فإذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه ﷺ، وجعل إليها هجرته وأنها داره التي شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسنته وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى ان توفاه الله عز وجل. ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده رضي الله عنهما. ثم مثل في نفسك مواقع أقدام

فيرميه بالحصاة السادسة وهو دليل افتقار النفس الكلية إلى الله فيصدقه في الافتقار ولكن يقول له بل افتقارها إلى العقل الأوّل الذي عنه انبعثت، فيرميه بالحصاة السابعة وهو دليل افتقار العقل الأوّل إلى الله وليس وراء الله مرمى فما يجد ما يقول له بعد الله، فهذا تحرير رمي جمرات حج العارفين بمنى.

(**وأما ذبح الهدي، فاعلم أنه تقرب لله تعالى بحكم الامتثال**) لأمره على لسان نبيه ﷺ، (**فليكمل الهدي وأجزاءه وليرج**) من الله (**أن يعتق بكل جزء منه جزءاً من أجزائه من النار، فهكذا ورد الوعد**).

قال العراقي: لم أقف له على أصل. وفي كتاب الضحايا لأبي الشيخ من حديث أبي مسعود: « فإن لكِ بأوّل قطرة تقطر من دمها يغفر لك ما سلف من ذنوبك » يقوله لفاطمة رضي الله عنها وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: وأخرج الحاكم نحوه من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه وقد تقدم ذلك في أواخر الباب الثالث.

(**فكلما كان الهدي أكبر وأجزاؤه أوفر كان الفداء به من النار أعم**) وأشمل.

(**وأما زيارة المدينة**) المنوّرة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، (**فإذا وقع بصره على حيطانها**) من بعيد، (**فليذكر**) في نفسه (**أنها البلدة**) المباركة (**التي اختارها الله تعالى لنبيه** ﷺ) ولا يختار الحبيب لحبيبه إلا أشرف البقاع (**وجعل إليها هجرته**) ورحلته، (**وأنها داره التي شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسننه**) أحكامه التي يحتاجون إليها، (**وجاهد عدوّه**) من المشركين والجاحدين، (**وأظهر بها دينه**) أي معالمه (**إلى أن توفاه الله عز وجل**) بعد إكمال الشرائع وإتمام الشعائر، (**ثم جعل تربته فيها**) حيث دفن بها، (**و**) كذا جعل (**تربة وزيريه القائمين بالحق**) أي بنصرته والمناضلة عنه (**من بعده**) وهما أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما، (**ثم ليمثل في نفسه مواقع أقدام رسول الله ﷺ عند تردداه فيها**)

رسول الله ﷺ عند تردداته فيها وأنه ما من موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع أقدامه العزيزة فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى، حتى قرنه بذكر نفسه وإحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته. ثم تذكر ما منّ الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه وأعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة أصحابه رضي الله عنهم. ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته في الدنيا وأنك من رؤيته في الآخرة على خطر، وانك ربما لا تراه إلا بحسرة، وقد حيل بينك وبين قبوله إياك بسوء عملك، كما قال ﷺ: «يرفع الله إليّ أقواماً فيقولون يا محمد يا محمد، فأقول يا رب أصحابي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول بعداً وسحقاً» فإن تركت حرمة

ذاهباً وجائياً (**وأنه ما من موضع قدم يطؤه**) وفي نسخة موطوأة (**إلا وهو موقع قدمه العزيز**) ولو تغيرت الهيئات في السكك، (**فلا يضع قدمه**) على تلك التربة (**إلا على سكينة**) واطمئنان (**ووجل**) وهيبة منه ﷺ تأدباً. (**وليذكر مشيه ﷺ وتخطيه في سككها**) حالة خروجه منها ودخوله، (**ويتصوّر خشوعه وسكينته في المشي**) كأنما ينحط من صبب، (**وما استودع الله قلبه**) الشريف (**من عظيم معرفته**) بالله (**ورفعة ذكره**) حيث قال تعالى: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ [الشرح: ٤] وجاء في تفسيره ما ذكرت إلاّ وذكرت معي وإليه أشار بقوله: (**حتى قرنه بذكر نفسه**)، وناهيك ان كلمة الشهادة لا تتم إلا بذكره ﷺ، (**و**) بتصوّر أيضاً (**إحباط عمل من هتك حرمته، ولو برفع صوته على صوته**) لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ ثم قال: ﴿أن تحبط أعمالكم﴾ [الحجرات: ٢] (**ثم ليتذكر ما منّ به**) وأنعم (**على الذين أدركوا**) زمانه ونالوا (**صحبته وسعدوا بمشاهدته**) الشريفة. (**واستماع كلامه**) الشريف، (**وليعظم تأسفه على ما فاته من**) شرف (**صحبته وصحبة أصحابه رضي الله عنهم**) فإنها هي النعمة الجليلة التي ينبغي التأسف على فواتها، فإن شرف صحبته عظيم ثم شرف صحبة أصحابه يليه في الشرف، وقد شهد ﷺ بخيرية قرنه ثم الذي يليه، (**ثم يتذكر أنه قد فاتته رؤيته في الدنيا**) بالبصر، (**وانه من رؤيته في الآخرة على خطر**) هيهات! (**وأنه ربما لا يراه إلا بحسرة وقد حيل بينه وبين قبوله إياه لسوء عمله**) وشؤم حظه، (**كما قال النبي ﷺ: «يرفع إليّ أقوام فيقولون يا محمد يا محمد؛ فأقول يا رب أصحابي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول بُعداً وسحقاً»**).

قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن مسعود، وأنس وغيرهما دون قوله: «يا محمد يا محمد».

قلت: ورواه الدارقطني في الافراد من حديثه بلفظ: «لأنازعن رجالاً عن الحوض فيختلجون دوني فأقول: أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته. وليعظم مع ذلك رجاؤك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك الإيمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا، بل لمحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته، فما أجدرك بأن ينظر الله تعالى إليك بعين الرحمة، فإذا بلغت المسجد فاذكر أنها العرصة التي اختارها الله سبحانه لنبيه ﷺ ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة. وإن فرائض الله سبحانه أوّل ما أقيمت في تلك العرصة وأنها جمعت أفضل خلق الله حياً وميتاً، فليعظم أملك في الله سبحانه أن يرحمك بدخولك فادخله خاشعاً معظماً. وما أجدر هذا المكان بأن يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكي عن

(**فإن كنت تركت**) مراعاة (**حرمة شريعته**) واتباعها (**ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه**) في ذلك الموطن (**بعدولك عن محجته**) بالاخلال في الاتباع، ولو في أمر واحد من غير عذر موجب للمقت عند أهل طريق الله قال الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتّبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] فجعل الاتباع دليلاً وما قال في شيء دون شيء ﴿يحببكم الله﴾ وقال تعالى: ﴿وأوفوا بعهدي﴾ أي في دعواكم محبتي ﴿أوفِ بعهدكم﴾ [البقرة: ٤٠] وهو اني أحبكم إذا صدقتم في محبتي، وجعل الدليل على صدقهم ومحبة الله إياهم الاتباع، فعلى قدر ما ينقص ينقص، وعند أهل الله هو أمر لا يقبل النقص وأن العذر لا ينفعه فإنه في جنب الله عن الاتباع في أمر مّا فالحق ينوب عنه في ذلك.

(**وليعظم مع ذلك رجاؤك أن لا يحال بينك وبينه**) . في ذلك الموطن (**بعد ان رزقك الله الإيمان به**) على الغيب ولم تدرك زمانه ولا زمان أصحابه، (**وأشخصك**) أي أخرجك من وطنك لأجل زيارته من غير داعية (**تجارة ولا حظّ في**) تحصيل (**دنيا**) وتوابعها، (**بل لمحض حبك له وتشوّقك إلى أن تنظر إلى آثاره**) المتبركة (**وإلى جدار قبره**) الشريف (**إذ سمحت نفسك بالسفر لمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته**) الشريفة، (**فما أجدرك**) وأحقك (**بأن ينظر الله سبحانه إليك بعين الرحمة**) والتجاوز والغفران، (**فإذا بلغت المسجد**)المكرم حيث كان يصلي فيه النبي ﷺ (**فاذكر**) في نفسك (**أنها**) هي (**العرصة**) أي الساحة (**التي اختارها الله عز وجل للنبي ﷺ ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة**) يشير به إلى حضرة الصديق رضي الله عنه، (**وأن فرائض الله تعالى**) التي فرضها على عباده (**أوّل ما أقيمت في تلك العرصة**) ثم انتشرت بعد إلى أقطار الأرض. (**وأنها جمعت أفضل خلق الله حياً وميتاً**) وهذا نهاية الشرف، (**فليعظم أملك**) أيها المحب (**في أن يرحمك بدخولك إياه**) أي المسجد (**فادخله**) برجلك اليمنى ذاكراً الله تعالى مصلياً عليه ﷺ، (**خاشعاً**) بقلبك وجوارحك، (**معظماً**) له ولمقامه.

أبي سليمان أنه قال: حج أويس القرني رضي الله عنه ودخل المدينة، فلما وقف على باب المسجد قيل له: هذا قبر النبي ﷺ فغشي عليه، فلما أفاق قال: اخرجوني فليس يلذ لي بلد فيه محمد ﷺ مدفون.

وأما زيارة رسول الله ﷺ: فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفنا وتزوره ميتاً كما تزوره حياً ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حياً، وكما كنت ترى الحرمة في أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلاً بين يديه فكذلك فافعل فإن المس والتقبيل للمشاهدة عادة النصارى واليهود. واعلم انه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وأنه يبلغه سلامك وصلاتك، فمثل صورته الكريمة في

(**وما أجدر هذا المكان بأن يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن**) والدموع من عينه، (**كما حكي عن أبي سليمان**) الداراني رحمه الله (**انه قال: حج أويس**) بن عامر (**القرني**) بالتحريك نسبة إلى بطن من مراد، (**ودخل المدينة**) زائراً (**فلما وقف على باب المسجد قيل: إن هذا قبر النبي ﷺ فغشي عليه، فلما أفاق قال: أخرجوني فليس يلذ لي بلد فيه محمد ﷺ مدفون**). وكان أويس من المستغرقين في حبه ﷺ، وأخباره في ذلك مشهورة وترجمته واسعة، وقد أورد قصة اجتماعه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه مسلم في أواخر صحيحه.

(**وأما زيارة رسول الله ﷺ: فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفنا**) آنفاً (**وتزوره ميتاً كما تزوره حياً**) بكمال الاحترام والأدب التام والخشوع والخضوع، (**ولا تقرب من قبره**) الشريف (**إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حياً**) وقد تقدم أن الأولى أن يكون بينه وبين القبر الشريف نحو أربعة أذرع، (**وكما كنت ترى الحرمة**) أي الاحترام (**في أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعيد**) على قدر مقامك منه (**ماثلاً بين يديه فكذلك فافعل بجدار قبره**) الشريف.

ولقد حكي عن الإمام النووي رحمه الله تعالى: أنه لما أتى إلى مصر لزيارة قبر الشافعي رضي الله عنه وقف عند باب القرافة من بعيد ونزل عن الجمل، وذلك بحيث يرى القبة الشريفة وسلم عليه فقيل له: ألا تتقدم فقال: لو كان الشافعي حياً ما كان مقامي أن أتقرب منه إلا على هذا من المسافة أو كما قال، فهذه ملاحظة العارفين في حق أحبار هذه الأمة، فكيف به ﷺ؟.

ولا تنظر ما اكب عليه العامة الآن وقبل الآن من رفع أصواتهم عند دخولهم للزيارة وترامیهم على شباك الحجرة الشريفة وتقبيلهم اياه، (**فإن المس والتقبيل للمشاهد من عادة النصارى واليهود**) وقد ورد النهي عن ذلك فليحذر منه.

(**ثم اعلم**) وتحقق (**أنه ﷺ عالم بحضورك**) بين يديه (**وقيامك ولزيارتك**) له (**وانه يبلغه سلامك وصلاتك**) وهداياك، (**فمثّل صورته الكريمة في خيالك**) بما كان عليها في

خيالك موضوعاً في اللحد بإزائك، وأحضر عظيم رتبته في قلبك، فقد روي عنه ﷺ : « أن الله تعالى وكل بقبره ملكاً يبلغه سلام من سلّم عليه من أمته »، هذا في حق من لم يحضر قبره، فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقاً إلى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريمة؟ وقد قال ﷺ : « من صلّى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشراً » فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه؟ ثم ائت منبر الرسول ﷺ وتوهم صعود النبي ﷺ المنبر ومثل في قلبك طلعته البهية كأنها على المنبر وقد أحدق به المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم، وهو ﷺ يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته، وسل الله عز وجل أن لا يفرق في القيامة

حياته (**موضوعاً في اللحد**) الشريف (**بازائك**) معتقداً حياته ﷺ، وأنه في قبره الشريف طري كما وضع، (**واحضر عظيم مرتبته في قلبك**) على قدر معرفتك به، (**فقد روي عنه ﷺ : « أن الله تعالى وكل بقبره ملكاً يبلغه سلام من سلّم عليه من أمته »**).

قال العراقي: رواه النسائي، وابن حبان، والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود بلفظ: « ان لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام » اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد.

(**هذا فيمن لم يحضر قبره**) الشريف وكان في الأقطار البعيدة، (**فكيف بمن فارق الوطن**) والأهل والعيش الناعم، (**وقطع البوادي**) والعقاب (**شوقاً إلى لقائه واكتفاء بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاتته مشاهدة غرته الكريمة**) في دار الدنيا، (**وقد قال ﷺ : « ومن صلّى عليَّ مرة صلى الله عليه عشراً »**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة وعبدالله بن عمر اهـ.

قلت: ورواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان عن أبي هريرة. ورواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر، وابن عمرو، وأبي موسى، وعن أنس عن أبي طلحة. ورواه البيهقي عن أبي طلحة بزيادة: « فليكثر عبد من ذلك أو ليقل ». وروى الطبراني عن أبي أمامة بزيادة: « بها ملك موكل حتى يبلغنيها ».

(**فهذا جزاء المصلي عليه بلسانه**) بأن يصلي الله عليه أضعافاً مضاعفة، (**فكيف الحضور لزيارته ببدنه**)؟ فمجازاته الالهية لا تكيف. (**ثم ائت منبر رسول الله ﷺ**) بعد الزيارة (**وتوهم**) في نفسك (**صعود النبي ﷺ**) ذلك (**المنبر**) الشريف حالة خطبة، (**ومثّل في قلبك طلعته البهية**) وشمائله الزكية حالة كونه (**قائماً على**) ذلك (**المنبر، وقد أحدق به المهاجرون والأنصار**) وسائر أصحابه الكرام من غيرهم، (**وهو ﷺ يحثهم على طاعة الله عز وجل**) والإئتمار بأوامره (**بخطبته**) الشريفة بكمال فصاحته وقوّة بلاغته وجزالة لفظه، (**واسأل**

بينك وبينه. فهذه وظيفة القلب في أعمال الحج، فإذا فرغ منها كلها فينبغي أن يلزم قلبه الحزن والهم والخوف، وأنه ليس يدري أقبل منه حجه وأثبت في زمرة المحبوبين أم ردّ حجه وألحق بالمطرودين، وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فإن صادف قلبه قد ازداد تجافياً عن دار الغرور وانصرافاً إلى دار الانس بالله تعالى، ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول، فإن الله تعالى لا يقبل إلا من أحبه ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوّه إبليس لعنه الله، فإذا ظهر ذلك عليـه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب. نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك.

الله عز وجل ان لا يفرق في) يوم (**القيامة بينك وبينه**)، فإن الدعاء عند المنبر مستجاب. (**فهذه وظيفة القلب في أعمال الحج، فإذا فرغ منها كلها**) ويسر الله له ذلك (**فينبغي أن يلزم**) لسانه الحمد والشكر على هذه النعمة التي لا مزيد عليها ويلزم (**قلبه الهم والحزن والخوف، فإنه ليس يدري أقبل منه حجه وأثبت في زمرة المحبوبين**) المقربين (**أم ردّ حجه**) عليه، (**وألحق بالمطرودين**) عن الحضرة الإلهية؟ وهل لذلك علامة يتميز بها المقبول من المردود؟ أشار المصنف إلى ذلك بقوله: (**وليعرف ذلك من قلبه وأعماله**) فإن كلاً منهما أوّل دليل على حضور مرتبة التمييز، (**فإن صادف قلبه قد ازداد تجافياً**) وبُعداً (**عن دار الغرور**) وهي الدنيا فإنها تغر بأهلها فتوقعهم في المهالك (**وانصرافاً إلى دار الانس بالله عز وجل**) وهي الدار الآخرة فإنها هي الحيوان، (**ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع**) أي يكون صدورها في الاعتدال الشرعي، (**فليثق بالقبول فإن الله تعالى لا يقبل إلا من أحبه ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته**) وتلك الآثار هي العلامات الدالة على توليه إياه، (**وكف عنه سطوة عدوّه إبليس**) إذ ولاية الله له هي الحصن المانع من كيوده، وهذا هو المعبر عنه بالحفظ فهو لأوليائه كالعصمة لأنبيائه.

قال الشيخ الأكبر قدس سره: أخبرني بعض الأولياء من أهل الله أن بعض الشيوخ رأى إبليس فقال له: كيف حالك مع الشيخ أبي مدين؟ فقال: ما شبهت نفسي فيما نلقي إليه في قلبه إلا كشخص وقف على شاطىء البحر المحيط فبال فيه، فقيل: لم تبول فيه؟ قال: حتى أنجسه فلا تقع به الطهارة. فهل رأيتم أسخف من هذا الشخص؟ كذلك أنا وقلب أبي مدين فما القيت عليه أمراً إلا قلب عينه.

(**فإذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب**) لا غير، (**نعوذ بالله من ذلك**).

....|

خاتمة:

أحببت أن أورد فيها حكاية الشبلي مع بعض أصحابه متضمنة لاعتبارات أعمال الحج من أولها إلى الآخر ذكرها الشيخ الأكبر قدس سره في كتاب الشريعة قال صاحب الشبلي: قال لي الشبلي، عقدت الحج؟ فقلت: نعم. فقال لي: فسخت بعقدك كل عقد عقدته منذ خلقت مما يضاد ذلك العقد؟ فقلت: لا. فقال لي: ما عقدت؟ نزعت ثيابك؟ قلت: نعم. فقال لي تجردت من كل شيء؟ فقلت: لا فقال لي: ما نزعت. تطهرت؟ قلت: نعم. قال: زال عنك كل علة بطهرك؟ قلت: لا. قال: ما تطهرت. لبيت؟ قلت: نعم. قال: وجدت جواب التلبية بتلبيتك مثله؟ قلت: لا. فقال: ما لبيت. دخلت الحرم؟ قلت: نعم. قال: اعتقدت في دخولك الحرم ترك كل محرم؟ قلت: لا. قال: ما دخلت الحرم. قال: أشرفت على مكة؟ قلت: نعم. قال: أشرف عليك حال من الحق لإشرافك مكة؟ قلت: لا. فقال: ما أشرفت على مكة. دخلت المسجد؟ قلت: نعم. فقال: دخلت في قربه من حيث علمت؟ قلت: لا. قال: ما دخلت المسجد. قال رأيت الكعبة؟ قلت: نعم قال: رأيت ما قصدت له؟ فقلت: لا. قال: ما رأيت الكعبة. قال: رملت ثلاثاً ومشيت أربعاً؟ فقلت: نعم. فقال لي: هربت من الدنيا هرباً علمتَ أنك فاصلتها وانقطعت عنها ووجدت بمشيك الأربع أمنا مما هربت فازددت لله شكراً لذلك؟ قلت: لا. قال: ما رملت. صافحت الحجر وقبلته؟ قلت نعم فزعق زعقة وقال: ويحك إنه قد قيل إن من صافح الحجر فقد صافح الحق سبحانه، ومن صافحه الحق فهو في محل الأمن أظهر عليك أثر الأمن؟ قلت: لا. قال: ما صافحت. وقفت الوقفة بين يدي الله عز وجل خلف المقام وصليت ركعتين؟ قلت: نعم. قال: وقفت على مكانتك من ربك فأديت قصدك؟ قلت: لا. قال: فما صليت. خرجت إلى الصفا فوقفت بها؟ قلت: نعم. قال: ايش عملت؟ قلت: كبرت سبعاً وذكرت الحج وسألت الله القبول فقال لي: كبرت بتكبيرك الملائكة ووجدت حقيقة تكبيرك في ذلك المكان؟ قلت: لا. قال: ما كبرت. نزلت من الصفا قلت: نعم. قال: زال عنك كل علة حتى صفيت؟ قلت: لا. فقال: ما صعدت ولا نزلت. هرولت؟ قلت: نعم. قال: ففررت إليه وبرئت من فرارك ووصلت إلى وجودك؟ قلت: لا. قال: ما هرولت. وصلت إلى المروة؟ قلت: نعم. قال: رأيت السكينة على المروة فأخذتها إذ نزلت عليك؟ قلت: لا. قال: ما وصلت إلى المروة. خرجت إلى منى؟ قلت: نعم. قال: تمنيت على الله غير الحال الذي عصيته فيها؟ قلت: لا. قال: ما خرجت إلى منى، دخلت مسجد الخيف؟ قلت: نعم. قال: خفت الله في دخولك وخروجك ووجدت من الخوف ما لا تجده إلا فيه؟ قلت: لا. قال: ما دخلت مسجد الخيف. دخلت إلى عرفات؟ قلت: نعم. قال: وقفت بها؟ قلت: نعم. قال: عرفت الحال التي خلقت من أجلها والحال التي تريدها والحال التي تصير إليها، وعرفت المعرف لك هذه الأحوال، ورأيت المكان الذي إليه الإشارات فإنه هو الذي نفس الأنفاس في كل حال؟ قلت: لا. قال: ما وقفت بعرفات. نفرت إلى المزدلفة؟ قلت: نعم. قال: رأيت المشعر الحرام؟ قلت: نعم. قال: ذكرت الله ذكراً أنساك ذكر ما سواه، فاستقللت به؟

تم كتاب أسرار الحج يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرآن.

قلت: لا. قال: ما وقفت بالمزدلفة. دخلت منى؟ فقلت: نعم. قال: ذبحت؟ قلت: نعم. قال: نفسك؟ قلت: لا. قال: ما ذبحت. رميت؟ قلت: نعم. قال: رميت جهلك عنك بزيادة علم ظهر عليك؟ قلت: لا. قال: ما رميت. زرت؟ قلت: نعم. قال: كوشفت بشيء من الحقائق، ورأيت زيادات الكرامات عليك للزيارة فإن النبي ﷺ قال: «الحاج والعمار زوار الله وحق على المزور أن يكرم زواره» قلت: لا. قال: ما زرت. أحللت؟ قلت: نعم. قال: عزمت على أكل الحلال؟ قلت: لا. قال: ما أحللت. ودعت؟ قلت: نعم. قال: خرجت من نفسك وروحك بالكلية؟ قلت: لا. قال: ما ودعت. وعليك العود، فانظر كيف تحج بعد هذا، فقد عرفت وإذا حججت فاجتهد أن تكون كما وصفت لك.

قال الشيخ الأكبر: إنما سقنا هذه الحكاية تنبيهاً وتذكرة واعلاماً أن طريق أهل الله على هذا مضى حالهم فيه، والشبلي هكذا كان إدراكه في حجه فإنه ما سأل إلا عن ذوقه هل أدركه غيره أم لا؟ وغيره قد يدرك ما هو أعلى منه وأدون منه، فما منهم إلا من له مقام معلوم، والأذواق تتفاوت بحسب ما تكون عناية الله بالعبد في ذلك. انتهى.

وبهذا تم شرح (كتاب أسرار الحج) من الإحياء، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً في سائر الشؤون والاعتبارات.

فرغت منه في الساعة الخامسة من ليلة الإثنين ثامن شهر ربيع الثاني سنة ١١٩٨ سائلاً من الله ومتضرعاً أن يكشف كربي ويشفي مريضي ويحسن عواقبي ويصلح فساد قلبي إنه سميع قريب مجيب حامداً مصلياً مسلماً مستغفراً محسبلاً.

(تم كتاب أسرار الحج يتلوه
إن شاء الله كتاب آداب
تلاوة القرآن)

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً
الله ناصر كل صابر

الحمد لله الذي وفق قلوب الأحباب لموافقة مراسم السنة وأحكام الكتاب، وفتح بصائر أبصارهم فابصروا مواقع الصواب إذ رفع لهم عن مشاهدة عين الحقائق الحجاب، والهمهم سلوك المحجة البيضاء وناداهم بلسان المحبة من جناب جنات الاقتراب فكحلوا نواظرهم بالسهاد وجفوا مضاجعهم طيب الرقاد وقاموا بتلاوة الكتاب، وجدوا في أثر الإطلاب مع الطلاب، جعلوا نهارهم ليلاً، وأفراحهم ميلاً، وتذللوا على الأعتاب، فأقامهم على حاضره وباديه، وأسمعهم أوامره ونواهيه وهداهم إلى الباب، وأذاقهم لذيذ الخطاب يا عبادي أنا التواب، وروق لهم شراب الاتصال في دار الوصال فناهيك به من شراب، وناهيك بهم من شرّاب، أحمده حمداً استوجب به أثواب الثواب، وأشكره شكراً استزيد به زيادات أولي الألباب، وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنزهه عن الحلول والاتحاد، والظهور والبطون والابتداء والانتهاء والاستتار والاحتجاب، وتقدس ذاته المقدسة عن مقالات أولي الجهالات من الكم والكيف والأين والمكان والزمان والإياب والذهاب، ونمجده فيما أبرزه بحكمته من الأكوان لا عن التفكر والتدبر والمعاونة والمشاورة والراحة والنصب والانتصاب، ونعظمه عن التشبيه والتمثيل والتعديل والتحويل والتبديل والتركيب والارتكاب. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف محبوب وأعظم مشرف وأكرم مرسل وأطهر منسل وأخص الأحباب، أرسله بفضل الكتاب وفصل الخطاب وأيده بأفضل كتاب، وأجل خطاب، أخجل فصحاء الأعراب بالإعراب والإيجاز والإسهاب، واعجز بلغاء الأحزاب ببدائع النهي والإيجاب، وأضربهم عما يعبدونه مما ينحتونه ما أتى به من الإضراب، فانفذ الأحباب من مهاوي الارتياب ومغاوي الأعراب، واعقب الإعراب بالعقاب على الأعقاب، وكشف عن وجه نور الإسلام مكفرات ظلمات الإشراك والضباب، صلى الله عليه وعلى آله الأنجاب وأصحابه الأحباب، وعلى الخلفاء الراشدين الأئمة المهديين الأقطاب. أبي بكر الصديق وأبي حفص عمر بن الخطاب، وأبي عمرو ذي النورين جامع القرآن والأخشى في ذات الله أبي تراب وسلم تسليماً كثيراً كثيراً، ورضي عنهم وأرضاهم عنا وعن التابعين لهم بإحسان إلى ما بعد يوم الحساب، وبعد فهذا شرح:

كتاب آداب تلاوة القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي امتن على عباده بنبيه المرسل ﷺ وكتابه المنزل الذي ﴿لاَ يَأْتِيهِ

كتاب آداب تلاوة القرآن

وهو الثامن من الربع الأول من كتاب إحياء العلوم للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي روَّح الله روحه ومنحنا فتوحه حللت منه عقدة الألفاظ وحللت بوضعه ذروة الحفاظ، معولاً ثاقب الفكر على إيضاح ما خفي من الإشارات والرموز، معتنياً بفك ما أغفله الأكثرون مما فيه من الذخائر والكنوز، مع الكشف عن مظان الروايات، وتطبيق العبارات بالعبارات، وعزو الأقوال إلى أربابها، ورد الوجوه لأصحابها معترفاً بغاية العجز الوقير، متلفعاً برداء الزمانة والتقصير، سائلاً من المولى اللطيف الخبير، متوسلاً بهذا الإمام إليه في تفريج كروبي، وتيسير كل عسير إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، لا إله غيره ولا خير إلا خيره.

فأقول استفتح المصنف رحمه الله تعالى كتابه بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

لما أن نسبتها من متلو الكتب نسبة أم القرآن من القرآن، فحسن مراعاة اقترانها بالأقوال والأفعال في سائر الأحيان، وكما أنها افادت نسبة الأمور كلها إليه سبحانه وحده أفادت أنه الإله وحده، وذلك هو إجمال تفصيل ما في الكتاب، وبها يتم سر أسرار الخطاب، ولما كان اسم الجلالة علماً، وكان جامعاً لمعاني الأسماء الحسنى أعقبه بالرحمن من حيث أنه كالعلم في أنه لا يوصف به غيره، ومن حيث أنه أبلغ من الرحيم، فأولى الأبلغ، وذلك موافق لترتيب الوجود والإيجاد، ثم النعم العامة ثم النعم الخاصة، وفي ذكر الوصفين ترغيب. وطويت النقمة في إفهام اختصاص الثاني لتمام الترغيب بلا إشارة الترهيب، والمراد بهما هنا أنه سبحانه يستحق الاتصاف بهما لذاته، وفيهما الدلالة على سائر الصفات الحسنى، لأن من عمت رحمته امتنع أن يكون فيه شوب نقص. ولما كانت البسملة نوعاً من الحمد ناسب كل المناسبة تعقيبها باسم الحمد الكلي الجامع لجميع افراده فقال:

(الحمد لله) وهو المستحق للمحامد كلها لا غيره، **(الذي امتن)** يقال: من عليه وامتن

البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حكيمٍ حميدٍ﴾ [فصلت : ٤٢] حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والاخبار . واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الأحكام . وفرّق به بين الحلال والحرام فهو الضياء

وامتنه أيضاً بمعنى واحد (**عباده**) المضافين إليه بالعبودية المحضة (**بنبيه المرسل**) أي بإرسال هذا النبي الكريم ، وقد أشار بذلك أنه تعالى جمع له بين مقامي النبوة والرسالة ، والنبوة سفارة بين الله وبين ذوي العقول من عبيده لإزاحة عللهم في معاشهم ومعادهم ، والنبي سمي به لكونه منبئاً بما تسكن إليه العقول الزكية ، ويصح كونه فعيلاً بمعنى فاعل ، وكونه بمعنى مفعول. والرسالة من الرسل وهو الانبعاث على تؤدة ، وقد أرسله الله فهو رسول ومرسل سمي به لتتابع الوحي عليه ، وهو باعتبار الملائكة أعم من النبي إذ قد يكون من الملائكة ، وباعتبار البشر أخص منه إذ الرسول رجل بعثه الله لتبليغ الأحكام ، (**وكتابه المنزل**) وهو القرآن (**الذي﴿لا يأتيه الباطل**) ضد الحق وهو ما لا ثبات له من المقال والفعال عند الفحص عنه ، (**من بين يديه ولا من خلفه**) أي هو محفوظ من إتيان الباطل إليه من سائر جهاته (**تنزيل من حكيم**) هو المحكم للأشياء وموجدها على غاية الإحكام (**حميد﴾**)[فصلت :٤٢]هو المحمود الفعال ، فالتنزيل إذا كان من عند من هذه صفاته كيف يأتيه الباطل وفيه الاقتباس من قوله تعالى : ﴿وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل﴾ [فصلت : ٤١ ، ٤٢] الآية . والكلام في الفرق بين الإنزال والتنزيل مشهور لا نطيل به ، (**حتى اتسعت على أهل الافتكار**) الصحيح (**طريق الاعتبار**) وهي الحالة التي يتوصل بها من معرفة الشاهد إلى غيره ، وقيل : هو التدبر وقياس ما غاب على ما ظهر ، (**بما فيه من القصص والاخبار**) من سوالف الأعصار . قال تعالى : ﴿ إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾ [آل عمران : ١٣ ، والنور : ٤٤] في آي كثيرة تلوح إلى ذلك ، (**واتضح به سلوك المنهج**) هو الطريق الواضح (**القويم**) المعتدل الذي لا اعوجاج فيه ، (**وهدى به الصراط المستقيم**) وهو الطريق الحق الواضح المعتدل ، (**بما فصل فيه من الأحكام**) الإلهية ، (**وفرق به بين الحلال والحرام**) فيه تخصيص بعد تعميم ، (**فهو الضياء والنور**) هما مترادفان ، وقيل : الضياء أخص من النور . وتقدم ذلك في أوائل كتاب العلم ، وقال بعضهم : النور هو الضوء المنتشر الذي يعين على الابصار ، وهنا قاعدة نذكرها وهي أنهم قالوا إن نفي العام يدل على نفي الخاص ، وثبوته لا يدل على ثبوته ، وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام ، ونفيه لا يدل على نفيه ، ولا شك أن زيادة المفهوم من اللفظ توجد الالتذاذ به ، فلذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص ، وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام فالأول : كقوله : ﴿ فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم﴾ [البقرة : ١٧] ولم يقل : « بضوئهم » بعد قوله : « اضاءت » لأن النور أعم من الضوء إذ يقال على القليل والكثير ، وإنما يقال : الضوء على الكثير من النور ، ولذلك قال : ﴿ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً﴾ [يونس : ٥] ففي الضوء دلالة على النور ، فهو أخص منه فعدمه يوجب عدم الضوء بخلاف العكس ، والقصد إزالة النور عنهم أصلاً ولذا قال عقبه : ﴿وتركهم في ظلمات﴾ [البقرة : ١٧] والثاني كقوله : ﴿جنة

والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور . من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره أضلّه الله. هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى، وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير . لا تنقضي عجائبه ولا تتناهى غرائبه لا يحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد . هو الذي أرشد الأوّلين والآخرين، ولما سمعه الجن لم يلبثوا إن ولّوا إلى

عرضها السموات والأرض﴾ [آل عمران: ١٣٣] ولم يقل طولها لأن العرض أخص إذ كل ما له عرض له طول ولا عكس، والله أعلم.

(**وبه النجاة من الغرور**) وهو كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشيطان، وفسر أيضاً بالدنيا لأنها تغر وتمد وتضر، وأصل الغرور سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع . (**وفيه شفاء لما في الصدور**) من سائر أمراضها وعللها الخفية من الوساوس والأوهام والخطرات والشكوك (**من خالفه**) أي أحكامه بأن لم يعمل بموجبها (**من الجبابرة**) جمع جبار. قال الخطابي: جبر خلقه على ما أراد من أمره ونهيه. يقال: جبره وأجبره بمعنى (**قصمه الله**) أي كسر ظهره إذ القصم يستعمل في كسر الشيء طولاً، (**ومن ابتغى العلم**) أي طلبه (**في غيره**) ظناً منه بأنه ليس فيه (**أضله الله**) أي أطمه في هوة الضلال والخسران، (**وهو حبل الله المتين**) أي القوي فمن تعلق به وصل وبالحق اتصل، (**ونوره المبين**) أي الظاهر الواضح، (**والعروة**) بالضم ما تشد به الثياب ونحوها بتداخلها بعضها في بعض دخولاً لا ينفصم بعضه عن بعض إلا بفصم طرفه إذا فصمت منه عروة انفصم جميعه (**الوثقى**) فعلى للمبالغة من الوثوق ليشد باستيثاقه ما يخاف وهنه سماه بها على التشبيه بالعروة التي يستمسك بهاوليستوثق. ومنه الحديث: « وذلك أوثق عرا الإيمان ». (**والمعتصم**) على صيغة إسم المفعول الموضع الذي يعتصم ويلتجأ إليه (**الأوفى**) أفعل من الوقاية وهي الحفظ. وروى البيهقي عن رجل من الصحابة لم يسم رفعه: « القرآن هو النور المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم ». (**وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير**) لقوله تعالى: ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [الأنعام: ٥٩] (**لا تنقضي**) على مر الدهور (**عجائبه**) لكثرتها، (**ولا تتناهى**) ما كرت العصور (**غرائبه**) أي نوادره الغريبة لا يعرفها إلا من يمارسها ويغوص في تيارها (**لا يحيط بفوائده**) جمع فائدة وهي ما استفيدت من طريقة مال هذا هو الأصل، ثم استعير منه في فائدة العلم والأدب (**عند أهل الفهم**) وفي نسخة: العلم (**تحديد ولا يخلقه**) أي لا يبليه (**عند أهل التلاوة**) له (**كثرة الترديد**) بل يزداد جدة كلما ردّد فيه، (**فهو الذي أرشد**) وفي نسخة أعيا (**الأولين والآخرين**) أي أرشدهم إلى الصواب، وسلموا من طرق الضلال، والعناد، وعلى النسخة المذكورة معناه أعياهم فهم معانيه الخفية، (**ولما سمعه**) أي القرآن نفر من (**الجن**) من وفد نصيبين قيل: كانوا سبعة، وروي ذلك عن ابن عباس، وقيل: تسعة رواه عاصم عن زر بن حبيش (**لم يلبثوا أن ولّوا إلى قومهم**) انصرفوا (**منذرين**) مخوفين داعين بأمر رسول الله ﷺ.

قومهم منذرين ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً ★ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ

قال ابن عباس: جعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم وهو قوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين★ قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم★ يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣١] وقال في سورة الجن ﴿قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن (**فقالوا إنا سمعنا قرآناً**) أي كتاباً (**عجباً**) أي بديعاً مبايناً لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة (**يهدي إلى الرشد**) أي الحق والصواب (**فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾**) [الجن: ١ ،٢]على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد.

وروى البخاري في صحيحه فقال: حدثنا مسدد، حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: قد حيل بيننا وبين خبر السماء فأرسلت علينا الشهب. فقالوا: ما حال بينكم وبينها إلا شيء حدث فأضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم قالوا: يا قومنا ﴿إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ فأنزل الله على نبيه ﴿قل أوحي إلي﴾ وإنما أوحي قول الجن».

وقال مسلم في صحيحه: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا داود بن أبي هند، عن عامر قال: سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول ﷺ ليلة الجن؟ فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ فقالوا: لا ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ففقدناه فالتمسناه من الأودية والشعاب، فقلنا استطير أو اغتيل. قال: فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال: فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم قال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت القرآن فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم» الحديث.

ورواه كذلك عن علي بن حجر: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن داود بهذا الإسناد قال الشعبي: وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة.

وروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي زياد بن كعب القرظي: «أن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خبر ثقيف، حتى إذا كان بنخلة قام في جوف الليل يصلي فمر به نفر من الجن أهل نصيبين اليمن فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم

نُشْرِكَ بربِّنا أحداً ﴾ [الجن : ١ ، ٢] فكل من آمن به فقد وفق ، ومن قال به فقد صدق ، ومن تمسك به فقد هُدِيَ ، ومن عمل به فقد فاز . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] . ومن أسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه ، والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة . وذلك لا بدّ من بيانه وتفصيله ؛ وتنكشف مقاصده في أربعة ابواب .

منذرين قد آمنوا فأجابوا لما سمعوا ، فقص الله خبرهم عليه فقال : ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾ » الآية .

قال البغوي في تفسيره : وروي أنهم لما رجموا بالشهب بعث إبليس سراياه ليعرف الخبر فكان أول بعث بعث ركباً من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم ، فبعثهم إلى تهامة .

وقال أبو حمزة الثمالي بلغنا أنهم من بني الشيعبان وهم أكثر الجن عدداً وهم عامة جنود إبليس ، فلما رجعوا قالوا : ﴿ إنا سمعنا قرآناً عجباً ﴾ .

(فكل من آمن به فقد وفق) في أحواله ، **(ومن قال به فقد صدق)** في أقواله ، **(ومن تمسك به فقد هدي)** إلى الاستقامة **(ومن عمل به فقد فاز)** فوزاً أبدياً إلى يوم القيامة ، ثم ان هذا السياق الذي أورده المصنف بعد سياق جملة الحمد من غير أن يتبعها بالصلاة والسلام على نبيه ﷺ كما جرت به عادته وعادات المصنفين إما نسياناً منه أو اكتفاء بما صلى به وسلم في نفسه منتزع من حديث علي رضي الله عنه ، وهو ما أورده صاحب القوت من حديث علي رضي الله عنه على ما سيأتي للمصنف في أواخر الباب الثالث من هذا الكتاب .

(قال الله عز وجل : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر ﴾) بنون العظمة في الموضعين مع ضمير المتكلم مع الغير إشارة إلى فخامة أمره وعظم شأنه ، والمراد بالذكر القرآن وقد سمى الله إياه بالذكر في عدة مواضع : منها هذا ، ومنها قوله : ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ [فصلت : ٤١ ، ٤٢] **(﴿وإنا له لحافظون﴾)** [الحجر : ٩] أي من التغيير والتبديل وتحريف المبطلين .

وقال مجاهد ﴿ إنا له لحافظون ﴾ أي عندنا رواه ابن أبي شيبة وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وقال قتادة : أي من إبليس فلا يستطيع أن يزيد فيه باطلاً ولا ينقص منه حقاً حفظه الله من ذلك رواه عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(ومن أسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته) أي قراءته **(والمواظبة على دراسته)** أي مدارسته مع غيره بالمناوبة كما كان يفعله النبي ﷺ مع جبريل عليه السلام **(بآدابه)** المعلومة **(وشروطه)** التي لا بد منها ، والمحافظة **(على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة ، وذلك لا بد من بيانه وتفصيله)** والكشف عن مظانه ، **(وتنكشف مقاصده في أربعة أبواب .**

الباب الأول: في فضل القرآن وأهله.

الباب الثاني: في آداب التلاوة في الظاهر.

الباب الثالث: في الأعمال الباطنة عند التلاوة.

الباب الرابع: في فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره.

البـاب الأول): منها (**في**) بيان (**فضل القرآن وأهله**) أي حملته وما فيه وفيهم من الأحاديث والآثار عن السلف.

(**الباب الثاني: في آداب التلاوة في الظاهر**) وفيه من آثار السلف.

(**الباب الثالث: في الأعمال الباطنة عند التلاوة**) التي هي كالروح لها.

(**الباب الرابع: في فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره**) وما فيه من اختلاف الأقوال عند العلماء.

الباب الأوّل

في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته

فضيلة القرآن:

قال ﷺ: «من قرأ القرآن ثم رأى أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله تعالى». وقال ﷺ: «ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره». وقال ﷺ: «لو كان القرآن في إهاب ما مسّته النار». وقال

الباب الأول

في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته والغافلين

فضيلة القرآن:

(قال رسول الله ﷺ: من قرأ القرآن ثم رأى أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله تعالى») قال العراقي: «رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف اهـ.

قلت: رواه في الكبير، ورواه كذلك محمد بن نصر في كتاب قيام الليل، وأبو بكر بن أبي شيبة، لكنه موقوف على ابن عمرو ولفظهم جميعاً: «من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم ما صغر الله وصغر ما عظم الله» الحديث. ورواه الخطيب كذلك عن ابن عمر.

(وقال ﷺ: «ما من شفيع أفضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره»).

قال العراقي: رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلاً وللطبراني من حديث ابن مسعود: «والقرآن شافع ومشفع». ولمسلم من حديث أبي أمامة «اقرؤا القرآن فإنه يجيء يوم القيامة شفيعاً لصاحبه».

(وقال ﷺ: «لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار»).

قال التور بشتي. إنما ضرب المثل بالإهاب وهو جلد لم يدبغ لأن الفساد إليه أسرع ولفح النار فيه أنفذ ليبسه وجفافه بخلاف المدبوغ للينه، والمعنى: لو قدر أن يكون في إهاب ما مسته النار

ﷺ : « أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن » : وقال ﷺ أيضاً : « إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت : طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تنطق بهذا » . وقال ﷺ :

بركة مجاورته للقرآن ، فكيف بمؤمن تولى حفظه والمواظبة عليه ، والمراد نار الله الموقدة المميزة بين الحق والباطل اهـ .

وقال الطيبي : تحريره أن التمثيل وارد على المبالغة والفرض كما في قوله تعالى : ﴿قل لو كان البحر مداداً﴾ [الكهف : ١٠٩] أي ينبغي ويحق أن القرآن لو كان في مثل هذا الشيء الحقير الذي لا يؤبه به ويلقى في النار ما مسته اهـ .

وقال المناوي : تحريره لو جاز حلول القرآن في محل ثم حل الإهاب لم تمس الإهاب النار ، وفائدة الخبر حفظ مواضع الشكوك من الناس عند احتراق مصحف ، أو ما كتب فيه قرآن فيستعظمون إحراقه ويدخلهم الشك والله أعلم .

قال العراقي : رواه الطبراني وابن حبان في الضعفاء من حديث سهل بن سعد ، ولأحمد والدارمي والطبراني نحوه من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة . ورواه ابن عدي والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عصمة بن مالك بإسناد ضعيف اهـ .

قلت : لكن لفظ الطبراني من حديث عقبة وعصمة : « ما أكلته النار » وفي رواية : « ما أحرقته النار » وعند البيهقي عن عصمة بن مالك بلفظ : « لو جمع القرآن في إهاب ما أحرقه الله بالنار » اهـ .

والإهاب : بالكسر الجلد قبل أن يدبغ ، وبعضهم يقول : الإهاب الجلد ، وهذا الإطلاق محمول على ما قيده الأكثر ، فإن قوله ﷺ : « أيما إهاب دبغ » يدل عليه كما في المصباح .

(وقال ﷺ : « أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن ») لأنه أصل العلوم وأسها وأهمها ، فالاشتغال به أفضل من غيره من سائر الاذكار إلا ما ورد فيه نص خاص في وقت مخصوص .

قال العراقي : رواه أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير ، وأنس بإسناد ضعيف اهـ .

قلت : رواه البيهقي كذلك ، ورواه ابن نافع ، عن أسيد عن جابر التميمي والسنجري في الإبانة عن أنس بلفظ : « أفضل العبادات قراءة القرآن » .

(وقال ﷺ : « إن الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل عليهم هذا . وطوبى لأجواف تحمل هذا ، وطوبى لألسنة تنطق بهذا ») قال العراقي : رواه الدارمي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف اهـ .

« خيركم من تعلم القرآن وعلمه ». وقال ﷺ: « يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين ». وقال ﷺ: « ثلاثة يوم

قلت: وأخرجه كذلك ابن خزيمة في التوحيد، والعقيلي في الضعفاء، والطبراني في الأوسط، وابن عدي في الكامل، وابن مردويه والبيهقي في الشعب بلفظ: « قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام » وتتكلم بدل تنطق، والباقي سواء.

(وقال ﷺ: « خيركم من تعلم القرآن وعلمه ») قال العراقي: رواه البخاري من حديث عثمان بن عفان اهـ.

قلت: ورواه كذلك الطيالسي، وأحمد، وأبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح، وابن ماجه وابن حبان كلهم من حديث عثمان، ورواه البخاري والترمذي عن علي بن أبي طالب، والخطيب عن عبد الله بن عمر وابن مردويه في كتاب أولاد المحدثين، وابن النجار عن ابن مسعود، ورواه ابن الضريس والبيهقي عن عثمان بزيادة: « وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »، وذلك لأنه منه. وعند الطبراني عن ابن مسعود: « خيركم من قرأ القرآن وأقرأه ». ورواه البيهقي عن أبي أمامة بزيادة « إن لحامل القرآن دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له ».

(وقال ﷺ: « يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين »).

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد « من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » وقال: حسن غريب رواه ابن شاهين بلفظ المصنف اهـ.

قلت: رواه الترمذي عن محمد بن إسماعيل عن شهاب بن عباد عن محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، عن عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد قال الترمذي: غريب وفي بعض النسخ حسن غريب.

وقال الدارمي في سننه: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم الترجمان، حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد فساقه مثل سياق الترمذي.

وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن حميد، ثنا حامد بن شعيب، حدثنا الحسن بن حمدان، ثنا محمد ابن الحسين بن أبي يزيد فساقه أيضاً كسياق الترمذي والدارمي.

وقال الطبراني في الدعاء: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ومحمد بن عبد الله الحضرمي قالا: حدثنا الحسن بن حمدان، حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد فساقه بلفظ: « من شغله القرآن وذكري عن مسألتي » والباقي سواء.

وقال البزار: حدثنا محمد بن عمر الكردي، وقال العقيلي في الضعفاء: حدثنا بشر بن موسى قال: ثنا الحسين بن عبد الأول بن محمد بن الحسن. وقال الدارقطني: تفرد به محمد بن الحسن عن عمرو بن قيس، وكذا قاله البزار أيضاً. قال الحافظ ابن حجر هو وعطية ضعيفان إلا أنهم لا

القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس: رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل ورجل أمَّ به قوماً وهم به راضون». وقال ﷺ: «أهل القرآن أهل الله وخاصتـه». وقال ﷺ: «إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، فقيل يا رسول الله؛ وما جلاؤها؟ فقال: تلاوة القرآن وذكر الموت».

يخرجون لها إلا في المتابعات. قال ابن عدي في محمد بن الحسن مع ضعفه يكتب حديثه هذا ما يتعلق بحديث الترمذي.

وقال الطبراني في الدعاء: حدثنا علي بن عبد العزيز، ثنا عثمان بن زفر، ويحيى هو ابن عبد الحميد الحماني.

وقال الطبراني أيضاً: ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا أبو نعيم ضرار بن صرد قالوا: ثنا صفوان بن أبي الصهباء التيمي عن بكير بن عتيق، عن سالم عن ابن عمر، عن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل إذا شغل عبدي ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» ورواه البخاري هكذا في كتاب خلق أفعال العباد فقال: حدثنا ضرار بن صرد. وقال في التاريخ قال لي ضرار بن صرد، فذكره.

ورواه البزار، عن رافع بن ابن سهل، عن عثمان بن زفر، ورواه العسكري في فضائل القرآن، عن يوسف بن يعقوب الواسطي، ورواه ابن شاهين في الترغيب عن البغوي كلاهما عن يحيى الحماني، ووقع في رواية ابن شاهين وحده بلفظ المصنف، والله أعلم.

(وقال ﷺ «ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسْود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ مما بين الناس. رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله تعالى وأمَّ به قوماً هم به راضون» الحديث) أي إلى آخر الحديث، وقد تقدم الكلام عليه في باب الإمامة من كتاب الصلاة.

(وقال ﷺ «أهل القرآن) هم **(أهل الله وخاصته»)** والمراد بأهل القرآن حفظته، الملازمون له بالتلاوة، العاملون بما فيه أي أن هؤلاء هم أولياء الله وخاصته أي المختصون به اختصاص أهل الإنسان به سموا بذلك تعظيماً لهم كما يقال «بيت الله».

قال العراقي: رواه النسائي في الكبرى، وابن ماجه، والحاكم من حديث أنس بإسناد حسن اهـ.

قلت: وكذا أحمد. وأخرجه أبو القاسم بن حيدر في مشيخته عن علي بن أبي طالب.

(وقال ﷺ «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، فقيل يا رسول الله: ما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن وذكر الموت») قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف اهـ.

قلت: وفي المعجم الصغير للطبراني «وجلاؤها الاستغفار».

وقال ﷺ : « لله أشد أذناً إلى قارىء القرآن من صاحب القينة إلى قينته ».

الآثار:

قال أبو أمامة الباهلي: اقرأوا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يعذب قلباً هو وعاء للقرآن. وقال ابن مسعود: إذا أردتم العلم فانثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين. وقال أيضاً: اقرأوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف منه

(**وقال** ﷺ **« لله أشدّ أذناً**) بالتحريك أي استماعاً وإصغاء وذلك عبارة عن الإكرام والإنعام (**إلى قارئ القرآن من صاحب القينة إلى قينته »**) هي أمته المغنية.

قال العراقي: رواه ابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيد اهـ.

قلت: رواه من طريق الاوزاعي عن إسماعيل بن عبد الله بن فضالة بن عبيد عن فضالة بن عبيد. وقال الحاكم على شرطهما، وردّه الذهبي فقال: بل منقطع، ورواه البيهقي كذلك بلفظ « الله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته » وفيه « حل سماع الغناء من قينته » ونحوها. لأن سماع الله لا يجوز أن يقاس على محرم وخرج بقينته قينة غيره فلا ينبغي سماعها، بل يحرم إن خاف فتنة.

(**الآثار**) الواردة في ذلك.

(**قال أبو أمامة**) صدي بن عجلان (**الباهلي**) رضي الله عنه: (**اقرأوا القرآن**) أي ما تيسر منه على الوجه الذي يسهل عليكم، (**ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن**) أي حفظه وتدبره وعمل بما فيه، فمن حفظ ألفاظه وضيع حدوده فهو غير واع له، ثم إن هذا الأثر مشتمل على ثلاثة جمل.

الأولى: « اقرأوا القرآن » رواه أحمد ومسلم من حديث أبي أمامة مرفوعاً بزيادة « فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ».

الثانية: قوله « ولا تغرنكم » إلى آخر الحديث رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديثه مرفوعاً بلفظ « لا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة إن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن ».

الثالثة: « فإن الله لا يعذب » إلخ رواه تمام الرازي في فوائده من حديثه مرفوعاً بلفظ « اقرأوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن » وإذا علمت ذلك ظهر لك أن هذا الأثر ليس بموقوف عليه بل هو مرفوع إلى النبي ﷺ.

(**وقال**) عبد الله (**بن مسعود**) رضي الله عنه: (**إذا أردتم العلم**) أي الفهم فيه (**فانثروا القرآن**) أي ابحثوا فيه، (**فإن فيه علم الأولين والآخرين**) ولفظ القوت: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن.

عشر حسنات أما إني لا أقول الحرف (الم) ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف. وقال أيضاً: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله ﷺ، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله ﷺ. وقال عمرو بن العاص: كل آية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في

قلت: وسيأتي ذلك للمصنف في الباب الرابع وقد روي بهذا اللفظ من حديث أنس مرفوعاً أخرجه الديلمي في مسند الفردوس.

(وقال) ابن مسعود **(أيضاً: اقرأوا القرآن)** أي لازموا على قراءته، **(فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات، أما اني لا أقول « ألم » حرف، ولكن أقول: ألف حرف واللام حرف والميم حرف)** رواه البخاري في تاريخه، والترمذي وقال: حسن صحيح غريب، وابن الضريس، والحاكم والبيهقي: عن ابن مسعود مرفوعاً بلفظ « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول « ألم » حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ».

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف، والطبراني في الكبير عن عوف بن مالك الأشجعي مرفوعاً بلفظ « من قرأ حرفاً من القرآن كتب له حسنة لا أقول ﴿ألم ذلك الكتاب﴾، ولكن الألف واللام والميم والذال واللام والكاف ».

وروى البيهقي عنه بلفظ: « لا أقول بسم الله ولكن باء وسين وميم ولا أقول الم ولكن الألف واللام ».

وروى الديلمي عن أنس « من قرأ القرآن كتب له بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأ القرآن كتب له بكل حرف حسنة وحشر في جملة من يقرأ ويرقى ».

(وقال أيضاً: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله ورسوله وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله) كذا في القوت، وقد فسره سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى فقال: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي حب السنّة، وعلامة حبها حب الآخرة، وعلامة حبها بغض الدنيا، وعلامة بغضها أن لا يتناول منها إلا البلغة.

(وقال عمرو بن العاص) رضي الله عنه: **(كل آية في القرآن درجة)** فيقال للقارئ أرق في درجها على قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميعه استوى على أقصى درج الجنة، ومن قرأ جزءاً منها فرقيه في الدرج بقدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة، **(ومصباح في بيوتكم)** من كثرة الملائكة المفيضين للرحمة والمستمعين لتلاوته، ثم إن هذا القول قد أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً، وفي إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف، وروى البيهقي عنه مرفوعاً بلفظ « من قرأ آية من القرآن كان له درجة في الجنة ومصباح من نور ».

بيوتكم. وقال أيضاً: من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوّة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه. وقال أبو هريرة: إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين، وإن البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين. وقال أحمد بن حنبل: رأيت الله عز وجل في المنام. فقلت: يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك؟ قال: بكلامي يا أحمد، قال قلت: يا رب بفهم أو بغير فهم؛ قال: بفهم وبغير فهم. وقال محمد بن كعب القرظي: إذا سمع الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم

(وقال أيضاً من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحي إليه) هكذا رواه ابن أبي شيبة في المصنف موقوفاً على عبد الله بن عمرو بلفظ « فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه ».

ورواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة والطبراني في الكبير عنه مرفوعاً.

وأخرج ابن الأنباري في المصاحف، والبيهقي، وابن عساكر عن أبي أمامة مرفوعاً، والخطيب عن ابن عمر كذلك بلفظ « من قرأ ثلث القرآن فقد أعطي ثلث النبوة، ومن قرأ نصف القرآن أعطي نصف النبوة، ومن قرأ ثلثيه أعطي ثلثي النبوة، ومن قرأ القرآن كله فقد أعطي النبوة كلها غير أنه لا يوحى إليه » الحديث.

وأخرج الحاكم والبيهقي عن عبدالله بن عمرو رفعه: « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه ».

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(إن البيت الذي يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره)** أي بورك فيه، **(وحضرته الملائكة)** أي لاستماعه فيضيء لهم البيت ويحضرون بالرحمة والخير والبركة والسكينة، **(وخرجت منه الشياطين)** فإنهم لا يطيقون سماع القرآن، **(وأن البيت الذي لا يتلى فيه القرآن ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين)**.

وقد روى أبو نعيم في المعرفة من حديث باسط بن أبي حميضة الجمحي رفعه « أن البيت الذي يذكر الله فيه ليضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض ».

(وقال أحمد بن حنبل) الإمام رحمه الله تعالى: **(رأيت الله عز وجل في المنام فقلت يا رب: ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك؟ قال: بكلامي يا أحمد، قال: قلت بفهم أو بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم)**. هكذا نقله ابن الجوزي في مناقب الإمام، والمراد بفهمه فهم معانيه ومعرفة أحكامه فيحل حلاله ويحرم حرامه.

(وقال محمد بن كعب القرظي) تابعي حجة ثقة، روى عن أبي ذر وغيره مرسلاً، وعن أبي

يسمعوه قط. وقال الفضيل بن عياض: ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء فمن دونهم، فينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه. وقال أيضاً: حامل القرآن حامل راية الإسلام فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن. وقال سفيان الثوري: إذا قرأ الرجل

هريرة وعائشة وزيد بن أرقم، وعنه يزيد بن الهاد، وأبو معشر السندي، وعبد الرحمن بن أبي الموالي، قال أبو داود: سمع من علي وابن مسعود. توفي سنة ثمان ومائة روى له الجماعة: **(إذا سمع الناس القرآن من الله يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قط).**

قلت: وهذا قد روي مرفوعاً من حديث بريدة عند الحكيم الترمذي ولفظه: « إن أهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين فيقرأ عليهم القرآن فإذا سمعوه منه كأنهم لم يسمعوه قبل». وفي رواية « لم يسمعوا شيئاً أعظم منه ولا أحسن منه » الحديث.

(وقال الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته في كتاب العلم، **(وينبغي لحامل القرآن)** أي حافظه والعامل به **(أن لا يكون له إلى أحد حاجة)** أي لا يظهر ذله إلى أحد في قضاء حاجة لنفسه **(ولا إلى الخلفاء)** والملوك ومن في معناهم، **(فمن دونهم)** من الأمراء ورؤساء العشائر، **(وينبغي أن تكون حوائج الخلق)** كلهم **(إليه)** تعظيماً لما حمله واحتراماً له فإنه نعمة جسيمة، ومتى احتاج حامله الى أهل الدنيا فقد استصغر ما عظمه الله ولحقه الوعيد السابق.

(وقال أيضاً: حامل القرآن حامل راية الإسلام) فيه استعارة فإنه لما كان حاملاً للحجة المظهرة للإسلام وقمع الكفار كان كحامل الراية في حربهم، **(فلا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن)** واشتغالاً برفع راية الإيمان هكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة الفضيل.

روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضعيف « حامل القرآن حامل راية الإسلام من أكرمه فقد أكرم الله ومن أهانه فعليه لعنة الله ».

وأخرجه محمد بن نصر في الصلاة والطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه « ليس ينبغي لحامل القرآن أن يسفه فيمن يسفه أو يغضب فيمن يغضب أو يحقد فيمن يحقد لكن يعفو ويصفح لفضل القرآن ».

ورواه ابن أبي شيبة موقوفاً عليه، ورواه البيهقي والحاكم بلفظ « لا ينبغي لصاحب القرآن أن يحد مع من حدّ، ولا يجهل مع من يجهل، وفي جوفه كلام الله ».

ورواه الخطيب عن ابن عمر رفعه « لا ينبغي لحامل القرآن أن يحد فيمن يحد ولا يجهل فيمن يجهل ولكنه يعفو ويصفح لعز القرآن ».

القرآن قبل الملك بين عينيه. وقال عمرو بن ميمون: من نشر مصحفاً حين يصلي الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا. ويروى: «أن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: اقرأ علي القرآن فقرأ عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى﴾ [النحل: ٩٠] الآية. فقال له: اعد فأعاد فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمورق وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا

(**وقال سفيان**) بن سعيد (**الثوري**) رحمه الله تعالى: (**إذا قرأ الرجل القراءة**) أي ابتغاءً لمرضاة الله تعالى وقصداً للتقرب إليه به (**قبّل الملك بين عينيه**) تعظيماً لما قرأه واحتراماً لقارئه، والملائكة أكثر الخلق حباً في استماع القرآن من بني آدم.

(**وقال عمر بن ميمون**) الرماح قاضي بلخ: روى عن الضحاك وغيره، وعنه ابنه عبد الله قاضي نيسابور، ويحي بن يحي، وداود بن عمرو، وآخرون وثقوه، وروى له الترمذي. ومات سنة إحدى وسبعين ومائة: (**من نشر مصحفاً حين يصلي الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا**). والمراد من قوله: نشر مصحفاً أي يقرأه نظراً فيه، وقد ورد في فضله عن أنس عند ابن النجار، وعن حذيفة عند الرافعي، وفي قراءة مائة آية ورد عن تميم الداري عند ابن السني في عمل يوم وليلة، وعن أنس عند الرافعي، وعن أبي الدرداء عند البيهقي.

(**ويروى أن خالد بن عقبة**) بن أبي معيط (**جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: اقرأ عليَّ القرآن**) أي شيئاً منه مما أنزل إليك (**فقرأ عليه**) هذه الآية (**﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ [النحل: ٩٠] فقال له: أعد فأعاد فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة**) بالضم والفتح لغة فيه أي بهجة (**وأن أسفله لمغدق**) أي كثير الغدق (**وإن أعلاه لمثمر**) أي ذو ثمر (**وما يقول هذا بشر**).

قال العراقي: ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير إسناد، ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال: الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة، وكذا ذكره ابن إسحاق في السيرة بنحوه اهـ.

قلت: وهذه الآية فيها الإيجاز الجامع وهو أن يحتوي اللفظ على معان متعددة، فالعدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط المؤتى به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية، والإحسان هو الإخلاص في واجبات العبودية لتفسيره في الحديث: «أن تعبد الله كأنك تراه» أي تعبده مخلصاً في نيتك واقفاً في الخضوع آخذاً أهبة الحذر إلى ما لا يحصى ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ هو الزيادة على الواجب من النوافل، هذا في الأوامر.

وأما النواهي، فبالفحشاء الإشارة إلى القوة الشهوانية، وبالمنكر الإفراط الحاصل من آثار الغضبية أو كل محرم شرعاً، وبالبغي إلى الاستعلاء الفائض عن الوهمية، ولهذا قال ابن مسعود:

بشر. وقال الحسن: والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة. وقال الفضيل: من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء، ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء. وقال القاسم بن عبد الرحمن: قلت لبعض النساك ما ههنا أحد يستأنس به فمد يده إلى المصحف ووضعه على حجره وقال: هذا. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم، السواك والصيام وقراءة القرآن.

« ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية » أخرجه الحاكم في المستدرك. وروى البيهقي في الشعب عن الحسن أنه قرأها يوماً ثم وقف فقال « إن الله جمع لكم الخير والشر في آية واحدة فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئاً إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئاً إلا جمعه ».

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(والله ما دون القرآن من غنى)** أي من حازه حاز غنى ما بعده غنى مثله، **(وما بعده من فاقة)** أي ليس بعد فقده من فاقة أشد منها، ولو ملك أموالاً.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: **(من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء، ومن قرأها حين يمسي ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء)**. وهذا قد روي مرفوعاً من حديث أبي أمامة بلفظ « من قرأ خواتم الحشر من ليل أو نهار فقبض في ذلك اليوم أو الليلة فقد أوجب الجنة » هكذا رواه ابن عدي، وابن مردويه، والبيهقي، والخطيب وبلفظ « من قرأ آخر سورة الحشر، فمات من ليلته مات شهيداً » هكذا رواه أبو الشيخ.

(وقال القاسم بن عبد الرحمن) أبو عبد الرحمن مولى بني أمية أرسل عن علي، وسلمان، والكبار. وروى عن معاوية، وعمرو بن قتيبة، وقيل: لم يسمع من صحابي سوى أبي أمامة وعنه ثابت بن عجلان، ويونس بن يزيد، ومعاوية بن صالح، مات سنة ثلاث عشرة ومائة: **(قلت لبعض النساك)** أي العباد **(ما هنا أحد يستأنس به فمد يده إلى المصحف ووضعه في حجره وقال: هذا)** أي وأشار إلى المصحف فإنه نعم الأنيس.

(وقال علي بن أبي طالب) رضي الله عنه: **(ثلاث يزدن في الحفظ ويذهبن البلغم، السواك والصوم وقراءة القرآن)** وما يذهب البلغم يزيد في الحفظ لأن البلغم رطوبات لزجة تضعف قوة الحافظة، فالسواك يقطع رطوبة الدماغ، والصوم ينشف العروق، وقراءة القرآن تذيب البدن. وقد تقدم ذلك في كتاب الصلاة في فضيلة السواك.

في ذم تلاوة الغافلين:

قال أنس بن مالك: ربَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه، وقال ميسرة: الغريب هو القرآن في جوف الفاجر، وقال أبو سليمان الداراني: الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن. وقال بعض العلماء: إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له: مالك ولكلامي. وقال ابن الرماح: ندمت على استظهاري القرآن لأنه بلغني أن أصحاب القرآن يسألون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة. وقال ابن مسعود: ينبغي لحامل القرآن

ما قيل في ذم تلاوة الغافلين:

(قال أنس بن مالك) رضي الله عنه: **(رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه)** سيأتي معناه قريباً عند قوله: وقال بعض العلماء.

(وقال ميسرة) الأشجعي: روى عن أبي حازم وابن المسيب وعنه سفيان وزائدة: **(الغريب هو القرآن في جوف الفاجر)** أي لكونه يحمله استظهاراً ولا يعمل بما فيه فهو كالغريب عنده، وقد روى معناه من حديث أبي هريرة رفعه عند الديلمي بلفظ «الغرباء في الدنيا أربعة قرآن في جوف ظالم» فساقه.

(وقال أبو سليمان الداراني) تقدمت ترجمته في كتاب العلم: **(الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله بعد القرآن)**، وهذا قد روي مرفوعاً من حديث أنس عند الطبراني في الكبير، وأبي نعيم في الحلية بلفظ «الزبانية أسرع إلى فسقة حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان فيقال لهم ليس من يعلم كمن لا يعلم» وقد تقدم في كتاب العلم.

(وقال بعض العلماء: إذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد يقرأ ناداه الله عز وجل مالك ولكلامي). ولفظ القوت: يقال للعبد إذا تلا القرآن واستقام نظر الله إليه برحمته، فإذا قرأ القرآن وخلط ناداه الله عز وجل مالك ولكلامي وأنت معرض عني دع عنك كلامي إن لم تتب إلي.

(وقال ابن الرماح) هو عمير بن ميمون قاضي بلخ وقد تقدم ذكره قريباً. **(ندمت على استظهاري القرآن)** أي حفظي له على ظهر الغيب **(لأنه بلغني أن أصحاب القرآن يسألون عما يسأل الأنبياء يوم القيامة)**. أي لأن حامل القرآن في مقام النبوة إلا أنه لا يوحى إليه كما تقدم قريباً.

(وعن ابن مسعود) رضي الله عنه فيما رواه صاحب الحلية فقال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، حدثنا مالك ابن مغول، حدثنا أبو يعفور، عن المسيب بن رافع، عن عبد الله بن مسعود قال: **(ينبغي لحامل**

أن يعرف بليله إذا الناس ينامون وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكيناً ليناً ولا ينبغي له أن يكون جافياً ولا ممارياً ولا صيّاحاً ولا صخاباً ولا حدّيداً. وقال ﷺ: «أكثر منافقي هذه

القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ونهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون) كذا في النسخ وفي الحلية «يخلطون». **(وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون)** باكياً محزوناً حكيماً حليماً **(سكيتاً)** بكسر فتشديد الكاف أي كثير السكوت **(ليناً)** وليس هذه في الحلية، **(ولا ينبغي)** لحامل القرآن **(أن يكون جافياً)** أي غليظ الخلق، **(ولا ممارياً)** أي مخاصماً. وفي الحلية بعد قوله: جافياً ولا غافلاً، **(ولا صيّاحاً)** كثير الصياح، **(ولا صخّاباً)** شديد الصوت في الأسواق، **(ولا حدّيداً)** أي صاحب حدة في الخلق بأن يغضب سريعاً، وقد تقدم شيء من ذلك من حديث ابن عمرو قريباً.

(وقال ﷺ «أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها») قال العراقي: رواه أحمد من حديث عقبة ابن عامر، وعبد الله بن عمرو، وفيهما ابن لهيعة اهـ.

قلت: ورواه الطبراني في الكبير مثل رواية أحمد، ورواه كذلك البيهقي في السنن، وفي الشعب عن ابن عمر، ورواه كذلك ابن عدي في ترجمة الفضل بن مختار، والحاكم في تاريخ نيسابور في ترجمة عبد الله بن خالد التميمي عن عصمة بن مالك، قال الهيثمي: أحد أسانيد أحمد ثقات أثبات، وسند الطبراني فيه الفضل بن المختار وهو ضعيف، ولفظهم كلهم: «أكثر منافقي أمتي».

وهكذا أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف قال: حدثنا زيد بن الحارث قال: حدثني عبد الرحمن ابن شريح، حدثنا شرحبيل بن يزيد بن يزيد العامري قال: سمعت محمد بن صدقة الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول فساقه.

قال الزمخشري: أراد بالنفاق الرياء لأن كليهما إراءة ما في الظاهر خلاف ما في الباطن.

وقال غيره: أراد نفاق العمل لا الاعتقاد لأن المنافق أظهر الإيمان بالله لله، وأضمر عصمة دمه وماله، والمرائي أظهر بعمله الآخرة وأضمر ثناء الناس وعرض الدنيا، والقارئ أظهر أنه يريد الله وحده، وأضمر حظ نفسه وهو الثواب، ويرى نفسه أهلاً له وينظر إلى عمله بعين الإجلال، فأشبه المنافق واستويا في مخالفة الباطن الظاهر.

وقال صاحب القوت: هذا نفاق الوقوف مع سوى الله تعالى، والنظر إلى غيره لا نفاق الشرك والإنكار لقدرة الله عز وجل، فهو لا ينتقل من التوحيد ولكن لا ينتقل إلى مقام المزيد.

الأمة قراؤها ». وقال ﷺ : « اقرأ القرآن ما نهاك فإن لم ينهك فلست تقرأه » وقال ﷺ : « ما أنس بالقرآن من استحل محارمه ». وقال بعض السلف : إن العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها ، وإنّ العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : إذا أحلَّ حلالها وحرَّم حرامها صلت عليه وإلاَّ لعنته . وقال بعض العلماء : إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول : ﴿ألاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود : ١٨] وهو ظالم نفسه ﴿ألاَ لَعنَةُ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران : ٦١] وهو منهم .

(وقال ﷺ « إقرأ القرآن ما نهاك) عن المعصية ، وأمرك بالطاعة أي ما دمت مؤتمراً بأمره منتهياً بنهيه وزجره **(فإن لم ينهك فلست تقرأه »)** وفي رواية : « فلست تباري » أي لإعراضك عن متابعته لم تظفر بفوائده وعوائده فيعود حجة عليك وخصماً ، فقراءته بدون ذلك لقلقة لسان بل جار إلى النيران إذ من لم ينته بنهيه ، فقد جعله وراء ظهره ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النيران ، فلا بدّ لقارئه من الاهتمام بامتثال أوامره ونواهيه .

قال العراقي : رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف اهـ .

قلت : وكذا أبو نعيم ، ومن طريقهما أخرجه الديلمي وفيه اسماعيل بن عياش . قال الذهبي في الضعفاء : ليس بقوي ، وقال ابن عدي : لا يحتج به .

ومما يؤيد معنى ما ذكرته في تفسير الحديث المذكور ما رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس رفعه « من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار يحل حلاله ويحرم حرامه حرم الله لحمه ودمه على النار وجعله رفيق السفرة الكرام حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له » ورواه نحو ذلك البيهقي من حديث أبي هريرة .

(وقال ﷺ « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ») قال الطيبي : من استحل ما حرم الله فقد كفر مطلقاً وإنما خص القرآن لعظمه وجلالته .

قال العراقي : رواه الترمذي من حديث صهيب ، وقال : ليس إسناده بالقوي اهـ .

قلت : ورواه الطبراني في الكبير والبغوي والبيهقي ، وقال البغوي : حديث ضعيف ، ورواه عبد ابن حميد عن أبي سعيد .

(وقال بعض السلف : إن العبد ليفتتح سورة) من القرآن **(فتصلي عليه حتى يفرغ منها)** أي من قراءتها ، **(وأن العبد ليفتتح سورة)** من القرآن **(فتلعنه حتى يفرغ منها)** قراءة **(فقيل له : كيف ذلك؟ قال : إذا أحل حلالها وحرم حرامها)** أي إذا ائتمر بأمرها وانتهى عن زجرها **(صلّت عليه وإلا لعنته)** نقله صاحب القوت هكذا .

(وقال بعض العلماء إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم) بذلك **(يقرأ ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ [هود : ١٨] وهو ظالم نفسه)** أو غيره **(﴿ألا لعنة الله على**

وقال الحسن: إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جَمَلاً فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار. وقال ابن مسعود: أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به. وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما: لقد عشنا دهراً طويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يقف عنده منها. ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل. وقد ورد في التوراة: يا

الكاذبين﴾ [آل عمران: ٦١] وهو منهم) أي من المتصفين بالكذب. نقله صاحب القوت هكذا. وفي هذين القولين تفسير لقول أنس السابق « رب تال للقرآن والقرآن يلعنه ».

(وقال الحسن) البصري رحمه الله مخاطباً للقراء: **(إنكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل، وجعلتم الليل جملاً فأنتم تركبونه وتقطعون به مراحله وإن من كان قبلكم رأوه رسائل)** أتتهم **(من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار)** نقله صاحب القوت هكذا، ومعنى ينفذونها بالنهار أي يمضون العمل بما فيها إذا أصبحوا.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه من قبله: **(انزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً إن أحداً ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به)** نقله صاحب القوت هكذا.

(وفي حديث) عبد الله **(بن عمر)** بن الخطاب، **(وحديث)** أبي ذر **(جندب)** بن جنادة الغفاري رضي الله عنهم قالا: **(لقد عشنا دهراً)** وفي القوت: برهة من دهرنا. **(وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة)** من القرآن **(على محمد ﷺ فيعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يقف عنده منها)** كما تعلمون أنتم القرآن، **(ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه فينثره نثر الدقل)**. هكذا نقله صاحب القوت.

أخرجه النحاس في كتابه فقال: حدثنا محمد بن جعفر الأنباري، حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا عبد الله بن عمرو، عن زيد بن أبي أنيسة، عن القاسم بن عوف النكري قال: سمعت عبد الله بن عمر يقول « لقد عشنا برهة في دهرنا » فساقه. ثم قال: فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلمون الأوقاف كما يتعلمون القرآن، وقوله: لقد عشنا الخ يدل على أن ذلك إجماع من الصحابة اهـ.

عبدي أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرأه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه، وهذا كتابي أنزلته إليك أنظر كم فصلت لك فيه من القول، وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه، ثم أنت معرض عنه. أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك؟ يا عبدي يقعد إليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي إلى حديثه بكل قلبك، فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كفّ، وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض اخوانك؟

قال السيوطي: هذا الأثر أخرجه البيهقي في سننه عن علي في قوله ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ [المزمل: ٤] وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب العلم مفصلاً.

ثم قال صاحب القوت بعد إيراده الكلام السابق ما نصه: وهذا كما قال لأن المراد والمقصود بالقرآن الائتمار لأوامره والانتهاء عن زواجره إذ حفظ حدوده مفترض، ومسؤول عنه العبد ومعاقب عليه، وليس حفظ حروفه فريضة ولا عقاب على العبد إذا لم يحفظ ما وسعه منه.

(**وقد ورد في التوراة: يا عبدي**) ولفظ القوت: وقرأت في سورة الحنين من التوراة (**أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرأه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك شيء منه، وهذا كتابي أنزلته إليك أنظر كم وصلت لك فيه من القول، وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه، ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك**) عزّ ربي وجل (**من بعض إخوانك، يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلم**) إليك (**متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف، وها أنا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني فجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك**) عزّ ربي وجل، أو كما قال، هكذا نقله صاحب القوت بتمامه.

الباب الثاني

في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة:

الأول: في حال القارىء: وهو أن يكون على الوضوء واقفاً على هيئة الأدب والسكون إما قائماً وإما جالساً مستقبل القبلة مطرقاً رأسه غير متربع ولا متكىء ولا جالس على هيئة التكبر. ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي استاذه. وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائماً وأن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال. فإن قرأ على غير وضوء وكان مضطجعاً في الفراش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك. قال

الباب الثاني

في ظاهر آداب التلاوة

(وهي عشرة:

الأول: فـي حال القارئ وهو أن يكون على)أكمل حالات الطهارة فيغتسل لقراءة القرآن إن أمكنه، ويلبس أحسن ثيابه، ويتطيب، ويتبخر بأطيب ما يجد عنده إن أمكنه ذلك، وإلا اقتصر على **(الوضوء)**، والتيمم ينوب عنه، ويسن أن يستاك تعظيماً وتطهيراً، فقد روى ابن ماجه والبزار عن علي مرفوعاً بسند جيد « إن أفواهكم طرق للقرآن فطيبوها بالسواك » ولو قطع القرآن وعاد عن قرب فمقتضى استحباب التعوذ إعادة السواك أيضاً **(واقفاً على)** أحسن **(هيئة الأدب والسكون)** في نفسه وتسكين الأطراف على أي حال كان **(إما قائماً)** على قدميه **(وإما جالساً)** حالة كونه **(مستقبل القبلة)** إذ أشرف المجالس ما استقبل به القبلة **(مطرقاً رأسه)** فإن كان متطيلساً فهو الأحسن إذ هو الخلوة الصغرى **(غير متربع)** على قرفصاه، **(ولا متكئ)** على وسادة أو جدار أو شبهها، **(ولا جالساً على هيئة التكبر)** بأن يجعل إحدى رجليه على الأخرى أو غير ذلك، **(ويكون جلوسه وحده)** لكونه يختلي بربه **(كجلوسه بين يدي أستاذه)** على غاية المهابة، **(وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائماً)** سواء كانت فرضاً أو نفلاً، **(وأن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال)** لشرف المكان، وكره قوم القراءة في الحمام والطريق، قال النووي: ومذهبنا لا تكره فيهما. قال: وكرهها الشعبي في الحش وبيت الرحا وهي تدور، قال: وهو مقتضى مذهبنا.

(فإن قرأ على غير وضوء وكان مضطجعاً في الفراش) وهو في البيت كل ذلك مع عدم

الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ في خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] فأثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعاً. قال علي رضي الله عنه: من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرآه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة، ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات. وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب. قال أبو

قيام المانع، **(فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك)** وذلك لأنه **(قال الله تعالى)** في مدح الذاكرين الله وهو يشمل التالين **(﴿الذين يذكرون الله)** أي في سائر أحوالهم **(قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم)** أي مضطجعين عليها **(ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ [آل عمران: ١٩١] فأثنى على الكل)** في معرض واحد، **(ولكن قدم القيام في الذكر)** فعرف منه أنه أفضل، **(ثم القعود)** فيه، **(ثم الذكر مضطجعاً)** ففضل تلك الحالات على هذا الترتيب.

قال إمام الحرمين: لا تكره القراءة للمحدث لأنه صح أن النبي ﷺ كان يقرأ مع الحدث، وفي شرح المهذب: وإذا كان يقرأ فعرضت له ريح أمسك عن القراءة حتى يستتم خروجها، وأما الْجُنب والحائض فيحرم عليهما القرآن. نعم يجوز لهما النظر في المصحف وايراده على القلب، وأما المتنجس الفم فتكره له القراءة، وقيل: تحرم كمس المصحف باليد النجسة.

(قال علي) بن أبي طالب **(رضي الله عنه: من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأ في غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة، ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات)**. وهذا قد أخرجه الديلمي من حديث أنس مرفوعاً وفيه: «ومن قرأه قاعداً كان له بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأه في غير صلاة كان له بكل حرف عشر حسنات، ومن استمع إلى كتاب الله كان له بكل حرف حسنة».

(وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه افرغ للقلب) من الاشغال، ومما يدل على أن القراءة بالليل أفضل منها بالنهار ما أخرجه مسلم، والأربعة، وابن حبان من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفعه: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل».

وقد جاء ذلك صريحاً لكنه مقيد بآخر الليل فيما أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه رفعه قال: «أيكم خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر ثم ليرقد، ومن وثق بالقيام من الليل فليوتر من آخر الليل، فإن قراءة آخر الليل محضورة وذلك أفضل».

ذر الغفاري رضي الله عنه: إن كثرة السجود بالنهار وإن طـول القيام بالليل أفضل.

الثاني: في مقدار القراءة وللقرّاء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار، **فمنهم** من يختم القرآن في اليوم والليلة مرة، وبعضهم مرتين، وانتهى بعضهم إلى ثلاث ومنهم من

(قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل). هكذا نقله صاحب القوت، وقد ورد في كل من كثرة السجود وطول القيام أخبار حسان تقدم ذكر بعضها في كتاب الصلاة.

(الثاني: في مقدار القراءة وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاقتصار) في تمكنهم من الحفظ وسرعة اللسان وبطئه، **(فمنهم من يختم)** القرآن **(باليوم والليلة مرة)** وكان الشافعي يفعل ذلك في سائر سنته غير شهر رمضان.

وأخرج ابن أبي داود في كتاب الشريعة من طريق مالك أن عمر بن حسين كان يختم القرآن في كل يوم وليلة. وروى ابن أبي شيبة ذلك عن علي الأزدي وعلقمة.

(وبعضهم مرتين) كان الشافعي إذا دخل شهر رمضان ختم في اليوم والليلة مرتين، وكذلك كان يفعله الأسود، وصالح بن كيسان، وأبو شيخ الحنائي. قال ابن عبد البر: كان سعيد بن جبير وجماعة يختمون القرآن مرتين وأكثر في ليلة.

(وانتهى بعضهم إلى ثلاث) ختمات أي في اليوم والليلة.

وروي ذلك عن سليم بن عتر وهو تابعي كبير شهد فتح مصر في عهد عمر، ثم ولاه معاوية القصص، ثم ضم إليه القضاء. مات بدمياط سنة خمس وسبعين أخرجه أبو عبيد، عن سعيد بن عفير، عن بكر بن مضر عنه «أنه كان يختم من الليلة ثلاث ختمات ويجامع ثلاث مرات» فلما مات قالت امرأته: يرحمك الله إن كنت لترضي ربك وترضي أهلك.

وأخرجه ابن أبي داود من رواية ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد عنه بنحوه مختصراً.

قال النووي في الاذكار: وأكثر ما بلغنا في ذلك عن ابن الكاتب أنه كان يقرأ في اليوم والليلة ثماني ختمات.

قال الحافظ في تاريخه: ابن الكاتب هذا حسين بن أحمد يكنى أبا علي ذكره أبو القاسم القشيري في الرسالة، وأرخ وفاته بعد الأربعين وثلاثمائة.

وأخرج أثره هذا أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية عن أبي عثمان المغربي واسمه سعيد قال: كان ابن الكاتب فذكره.

وقال أبو نعيم: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء، حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي، حدثني محمد بن عيينة، حدثني مخلد بن الحسين، سمعت هشام بن حسان يقول:

يختم في الشهر مرة، وأولى ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه» وذلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل. وقد قالت

كنت أصلي إلى جنب منصور بن زاذان، فكان إذا جاء شهر رمضان ختم بنا بين المغرب والعشاء ختمتين، ثم قرأ إلى الطواسين قبل أن تقام الصلاة، وكانوا إذ ذاك يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يذهب ربع الليل، وكان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر ويختمه فيما بين المغرب والعشاء.

وقال أبو نعيم أيضاً: حدثنا أبو حامد بن جبلة، ثنا محمد بن إسحاق الثقفي، ثنا محمد بن زكريا بن إسماعيل، سمعت مخلد بن الحسين يحدث، عن هشام بن حسان: صليت إلى جنب منصور بن زاذان يوم الجمعة في مسجد واسط فختم القرآن مرتين، وقرأ الثالثة إلى الطواسيم. قال مخلد: ولو غير هذا حدثني بهذا لم أصدقه.

وقال أبو نعيم أيضاً: حدثنا مخلد بن جعفر، حدثنا جعفر بن محمد، حدثنا عباس هو الدوري، حدثنا يحي بن أبي بكر، حدثنا شعبة عن هشام بن حسان قال: صليت إلى جنب منصور بن زاذان فقرأ القرآن فيما بين المغرب والعشاء، وبلغ في الثانية إلى النحل.

وأخرجه محمد بن نصر في قيام الليل عن الدورقي عن يحي بن أبي بكر وسنده صحيح.

(ومنهم من يختم في الشهر مرة) وقد ورد الأمر به مصرحاً في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عند الترمذي والنسائي، وأصله في الصحيحين كما سيأتي قريباً، وأكثر العلماء على أنه لا تقدير في ذلك، وإنما هو بحسب النشاط والقوّة، **(وأولى ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقه»)**.

قال العراقي: رواه أصحاب السنن من حديث عبدالله بن عمرو، وصححه الترمذي اهـ.

قلت: رواه الترمذي والنسائي من رواية سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي العلاء يزيد بن عبدالله بن الشخير، عن عبدالله بن عمرو رفعه بلفظ: «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث».

ورواه أحمد عن عفان بن مسلم، ويزيد بن هارون. كلاهما عن همام بن يحي، عن قتادة.

ورواه أبو داود والدارمي عن محمد بن المنهال، عن يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة.

ورواه أبو داود الطيالسي عن همام بن يحي.

وقد جاء في كراهية قراءته في أقل من ثلاث عن جماعة من الصحابة.

منهم: معاذ بن جبل قال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا يزيد هو ابن هارون، حدثنا هشام بن حسان، عن حفصة بنت سيرين، عن أبي العالية، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: «أنه كان يكره أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث».

وأخرجه ابن أبي داود من رواية سفيان الثوري، وخالد بن عبدالله كلاهما عن هشام بن حسان.

عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلاً يهذر القرآن هذراً « إن هذا ما قرأ القرآن ولا

ومنهم: عبدالله بن مسعود، أخرج سعيد بن منصور، وابن أبي داود من طريق أبي الأحوص عنه قال: « لا تقرأوا القرآن في أقل من ثلاث ». وأخرج ابن أبي داود أيضاً من طرق عنه من قوله ومن فعله.

وقال أبو عبيد: حدثنا حجاج هو ابن محمد ويزيد هو ابن هارون، الأوّل عن شعبة، والثاني عن سفيان الثوري كلاهما عن علي بن بذيمة، عن أبي عبيدة وهو ابن عبدالله بن مسعود عن ابن مسعود قال: « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز ».

وأخرجه ابن أبي داود من رواية شعبة، وسفيان من طرق أخرى، عن أبي إسحاق عن عبيدة.

وروى سعيد بن منصور من طرق جماعة من التابعين أنهم كانوا يقرأون في ثلاث منهم: ابراهيم النخعي، وأبو إسحاق السبيعي، والمسيب بن رافع، وطلحة بن مصرف، وحبيب بن أبي ثابت.

وقد جاء ذلك في حديث مرفوع قال الدارمي حدثنا عبدالله بن سعيد، حدثنا عقبة بن خالد، حدثنا عبدالرحمن بن زياد، حدثني عبد الرحمن بن رافع، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: « أمرني رسول الله ﷺ أن لا أقرأ القرآن في أقل من ثلاث » عبد الرحمن بن زياد فيه مقال، ولكن يتقوّى حديثه بشواهد.

(لأن الزيادة على ذلك تمنع الترتيل). وجعل ابن حزم الظاهري قراءته في أقل من ثلاث حراماً فقال: يستحب أن يختم القرآن مرة في الشهر، ويكره أن يختم في أقل من خمسة أيام، فإن فعل ففي ثلاثة أيام لا يجوز أن يختم القرآن في أقل من ذلك، ولا يجوز لأحد أن يقرأ أكثر من ثلث القرآن في يوم وليلة، ثم استدل على ذلك بالحديث المتقدم.

قال الولي العراقي: ولا حجة في ذلك على تحريمه، ولا يقال كل من لم يتفقه في القرآن فقد ارتكب محرماً. ومراد الحديث أنه لا يمكن مع قراءته في أقل من ثلاث: النفقة فيه، والتدبر لمعانيه، ولا يتسع الزمان لذلك.

وقد روي عن جماعة من السلف قراءة القرآن كله في ركعة واحدة منهم: عثمان بن عفان، وتميم الداري، وسعيد بن جبير اهـ.

(فقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلاً يهذر القرآن هذراً: إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت). أخرج ابن أبي داود في كتاب الشريعة عن محمد بن بشار، ويزيد بن محمد بن المغيرة كلاهما عن وهب بن جرير، عن أبيه: سمعت يحي بن أيوب يحدث عن الحارث بن يزيد الحضرمي، عن زياد بن ربيعة بن سفيان الحضرمي عن مسلم بن مخران قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: إن رجلاً يقرأ حزبه القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثاً فقالت: « قرأه ولم يقرأه » الحديث.

سكت » وأمر النبي ﷺ عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن يختم القرآن في كل سبع ، وكذلك كان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم يختمون القرآن في كل جمعة ، كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبيّ بن كعب رضي الله عنهم. ففي الختم أربع درجات:

(وأمر النبي ﷺ عبدالله بن عمرو) بن العاص **(رضي الله عنهما : « أن يختم القرآن في كل سبع »)** قال العراقي : متفق عليه من حديثه اهـ.

قلت : رواه البخاري عن إسحاق بن منصور ، ومسلم عن القاسم بن زكريا كلاهما عن عبيدالله بن موسى ، عن شيبان بن عبد الرحمن ، ثنا يحي بن أبي كثير ، ثنا محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: أعني يحي واحسبني سمعته من أبي سلمة ، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ : « اقرأ القرآن في شهر ؟ قلت: إني أجد قوة. قال: اقرأه في عشر . قلت : إني أجد قوّة، قال: اقرأه في سبع ولا تزد على ذلك » وله شاهد من حديث غريب.

قال الحافظ أبو عبدالله بن منده: أخبرنا أحمد بن محمد بن ابراهيم، حدثنا أبو حاتم الرازي، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا ابن لهيعة، حدثني حبان بن واسع بن حبان، عن أبيه، عن قيس بن أبي صعصعة رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله؛ في كم أقرأ القرآن؟ قال: « في خمس عشرة. قال: إني أجدني أقوى من ذلك. قال: اقرأه في جمعة ».

وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن عن يحي بن بكر عن ابن لهيعة. وأخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب قيام الليل، وأبو بكر بن أبي داود في كتاب الشريعة جميعاً عن محمد بن يحي، عن سعيد بن أبي مريم. وأخرجه أبو علي بن السكن في كتاب الصحابة، عن ابراهيم بن حمدويه، عن أبي حاتم الرازي. قال ابن السكن: وابن أبي داود ليس لقيس غيره زاد الأخير: وهو الضاري شهد بدراً، وزاد ابن السكن لم يروه غير ابن لهيعة.

(وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة) مرة **(كعثمان)** بن عفان، **(وزيد بن ثابت، و)** عبدالله **(بن مسعود، وأبي بن كعب رضي الله عنهم)** هكذا نقله عنهم صاحب القوت، فنقل عن عثمان رضي الله عنه كما سيأتي بيانه في وجه القسمة في الأدب الثالث، ثم قال: وكذلك زيد بن ثابت وأبي بن كعب كانا يختمان القرآن في كل سبع، وروينا عن ابن مسعود أنه سبع القرآن في سبع ليال اهـ.

وروى ابن أبي شيبة في المصنف عن الصحابة الذين كانوا يختمون في سبع ومن بعدهم من التابعين فذكر فيهم تميماً الداري رضي الله عنه قال: وأمر به ابن مسعود، وذكر عبد الرحمن بن يزيد، وابراهيم النخعي، وعروة بن الزبير، وأبا مجلز، واستحسنه مسروق. وذكر أبياً فيمن كان يختمه في ثلاث، وتقدم عن ابن مسعود أيضاً أنه كان يختمه في ثلاث.

وقال أبو عبيد في فضائل القرآن: حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا شعبة عن محمد بن ذكوان من

أهل الكوفة قال: سمعت عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود يقول: كان عبدالله بن مسعود يقرأ القرآن في شهر رمضان من الجمعة إلى الجمعة.

وأخرجه ابن أبي داود في الشريعة من رواية ابن عامر العقدي من رواية يحي بن سعيد القطان، عن شعبة بلفظ: «في كل أسبوع».

وأخرج أيضاً من طريق أبي الأحوص، عن ابن مسعود أنه كان يقول «اقرأوا القرآن في سبع» وسنده صحيح. وهذا هو مراد ابن أبي شيبة حيث قال: وأمر به ابن مسعود.

وقال أبو عبيد أيضاً: حدثنا علي بن عاصم، حدثنا خالد الحذاء، عن أبي قلابة قال: كان أبيّ بن كعب يختم في كل ثمان. وكان تميم الدارمي يختم في كل سبع.

وأخرج ابن أبي الدنيا الختم في السبع بأسانيد صحيحة عن عثمان، وابن مسعود، وتميم الداري.

وأخرج أيضاً عن أبي العالية في أصحابه نحو ذلك. ومن طريق أبي مجلز عن أئمة الحي، وعن عبد الرحمن بن يزيد، وعلقمة بن قيس، ومسروق بن الأجدع. وهؤلاء من كبار التابعين من أصحاب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وأخرج عن جماعة ممن دونهم نحو ذلك. ومن طريق الهيثم بن حميد عن رجل عن مكحول قال: كان أقوياء أصحاب رسول الله ﷺ يقرأون القرآن في سبع، وبعضهم في شهر، وبعضهم في شهرين، وبعضهم في أكثر من ذلك. قال الحافظ وهذا أثر ضعيف من أجل الرجل الذي لم يسم.

قلت: ولكن ذكر الحافظ الذهبي في الكاشف في ترجمة الهيثم بن حميد أنه رواية مكحول كما سيأتي.

تنبيه:

وممن كان يختم في كل عشر الحسن البصري، رواه ابن أبي داود بسند لين، ومنهم أبو رجاء العطاردي واسمه عمران بن ملحان رواه ابن أبي داود أيضاً عن أبي الأشهب العطاردي عنه، لكن قيده بشهر رمضان.

وأما من كان يختم في ثمان فأخرج ابن أبي داود من طريق أبي قلابة عن ابن المهلب عن أبي بن كعب قال: «اقرأوا القرآن في كل ثمان».

وأخرج سعيد بن منصور من وجه آخر عن أبي قلابة: «أن أبي بن كعب كان يختم القرآن في كل ثمان».

وأما في كل ست فقال أبو عبيد: حدثنا جرير، عن منصور، عن ابراهيم قال: كان الأسود بن يزيد يختم القرآن في كل ست.

وأما في كل خمس فرواه أبو عبيد بهذا السند إلى ابراهيم قال: كان علقمة بن قيس يختم في

الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة، والختم في كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءاً ـ وكأنه مبالغة في الاقتصار كما ان الأوّل مبالغة في الاستكثار ـ وبينهما درجتان معتدلتان. إحداهما في الأسبوع مرة، والثانية في الأسبوع مرتين تقريباً من الثلاث. والأحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار، ويجعل ختمة بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما ويجعل ختمة بالليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وأوّل الليل بختمته فإن الملائكة عليهم السلام تصلي عليه إن كانت ختمته ليلاً حتى يصبح وإن كانت نهاراً حتى يمسي فتشمل بركتها جميع الليل والنهار.

خمس. ومن طريق شعبة عن منصور عن ابراهيم قال: كان علقمة يكره أن يختم في أقل من خمس.

وأما في كل أربع فأخرج ابن أبي داود من طريق مغيث بن سمي قال: كان أبو الدرداء يختم القرآن في كل أربع والله أعلم.

(**ففي الختم أربع درجات: في يوم وليلة، وقد كرهه جماعة**) من أهل العلم لما تقدم منهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، (**والختم في شهر كل يوم حزبين ثلاثين يوماً**) بستين حزباً كل حزب نصف الجزء، (**وكأنه مبالغة في الاقتصار كما أن الأوّل مبالغة في الاستكثار**) غير أنه روي عن الإمام أحمد أنه قال: أكثر ما سمعت أن يختم القرآن في أربعين، وكره أصحابه تأخيرها أكثر من ذلك لأنه يفضي إلى التهاون به والنسيان له. قالوا: وهذا إذا لم يكن له عذر، فأما مع العذر فواسع له.

وقال أبو الليث السمرقندي، من أصحابنا في كتابه البستان: ينبغي للقارىء أن يختم القرآن في السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة.

وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال: قراءة القرآن في كل سنة مرتين إعطاء لحقه، لأن النبي ﷺ عرض على جبريل عليه السلام في السنة التي قبض فيها مرتين اهـ.

(**وبينهما درجتان معتدلتان إحداهما: في الأسبوع مرة**) وعليه أكثر السلف كما أورده النووي في الاذكار والتبيان، (**والثاني: في الأسبوع مرتين تقريباً من الثلث، والأحب**) للمريد (**أن يختم**) في كل أسبوع مرتين (**ختمة بالنهار وختمة بالليل**). قال ابن المبارك: إن كان الصيف فيكون بالنهار، وإن كان الشتاء فيكون بالليل. (**ويجعل ختمة النهار يوم الإثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما، ويختم ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما، ليستقبل بختمتيه أوّل النهار وأوّل الليل، فإن الملائكة تصلي عليه إن كان ختمه ليلاً حتى يصبح، و**) تصلي عليه (**ان كان**) ختمه (**نهاراً حتى يمسي**). فهذان الوقتان يستوفيان كلية الليل، والنهار كذا في القوت. (**فتشمل بركتها جميع الليل والنهار**). فروى ابن أبي داود من طريق أبي مكين نوح بن ربيعة عن عمر بن مرة قال: كانوا يحبون أن يختم القرآن في أوّل الليل أو في أوّل النهار.

والتفصيل في مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع. وإن كان من السالكين لأعمال القلب وضروب الفكر أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة وإن كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر بمرة لكثرة حاجته إلى كثرة الترديد والتأمل.

وقال الدارمي في سننه: حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا عبد السلام بن حرب، عن يزيد بن عبد الرحمن، عن طلحة بن مصرف، وعبد الرحمن بن الأسود قالا: من قرأ القرآن ليلاً أو نهاراً صلت عليه الملائكة إلى الليل أو إلى النهار. وقال: أحدهما: غفر له.

وأخرج ابن أبي داود من رواية عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد بلفظ: « إن ختمه نهاراً صلت عليه الملائكة حتى يمسي وإن ختمه ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح ».

وقال الدارمي: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لبابة فذكر معناه.

وقال الدارمي أيضاً: حدثنا محمد بن حميد، ثنا هارون بن المغيرة، عن عنبسة بن سعيد، عن ليث، عن طلحة بن مصرف، عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: « من وافق ختم القرآن أوّل الليل صلت عليه الملائكة حتى يمسي، وإن وافق ختمه آخر الليل صلت عليه حتى يصبح ».

(والتفصيل في مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل) لا شغل له سواه، **(فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع)** على الوجه الذي ذكر، **(وإن كان من السالكين بأعمال القلب)** بأن كان اشتغاله حفظ الأنفاس والذكر القلبي، **(وضروب الفكر)** بأن كان من أهل المراقبة، **(أو)** كان **(من المشتغلين)** بطلب العلم من أهله مطالعة وحفظاً ومدارسة ونسخاً، أو كان من الكاملين الراسخين المهتمين **(بنشر العلم)** تدريساً وإلقاء، أو من أهل الكد على تحصيل القوت لعياله، **(فلا بأس أن يقتصر في الأسبوع على مرة)** واحدة، **(وإن كان نافذ الفكر)** ثاقبه **(في معاني القرآن)** ويغوص في استنباط جواهره ودرره، **(فقد يكتفي في الشهر بمرة)** واحدة **(لكثرة حاجته إلى كثرة الترديد والتأمل)**، وهذا يستدعي عدم فراغ الوقت للتلاوة المجردة.

وقال النووي في الاذكار: المختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بعد كمال فهم ما يقرأ النشاط فله ما يقرأ، ومن كان مشغولاً بنشر العلم والمصالح العامة فليقتصر على قدر لا يحصل به إخلال ما هو مرصد له ولا فوات كماله، وإن لم يكن من أهل هؤلاء فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والمندوب من القراءة.

الثالث: في وجه القسمة: أما من ختم في الأسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة أحزاب فقد حزب الصحابة رضي الله عنهم القرآن أحزاباً، فروي أن عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة، وليلة السبت بالأنعام إلى هود، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم، وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص، وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن، ويختم ليلة الخميس. وابن مسعود كان يقسمه أقساماً لا على هذا الترتيب، وقيل أحزاب القرآن سبعة، فالحزب الأوّل ثلاث سور،

(الثالث: في وجه القسمة أما من ختم في الأسبوع مرة) كما عليه أكثر السلف، **(فيقسم القرآن سبعة أحزاب، فقد حزب الصحابة رضوان الله عليهم القرآن أحزاباً)**. وأصل الحزب الورد يعتاده الإنسان من صلاة وقراءة ونحو ذلك.

قال صاحب القوت: وليقرأ القرآن أحزاباً في كل يوم وليلة حزب، فذلك أشد لمواطأة القلب وأقوم للترتيب وأدنى إلى الفهم، وإن أحب قرأ في كل ركعة ثلث عشر القرآن أو نصف ذلك يكون من أجزاء الثلاثين في كل ركعة أو ركعتين، وإن قرأ في كل ورد حزباً أو حزبين أو دون ذلك فحسن.

(فروي أن عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة، وليلة السبت بالأنعام إلى هود، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم، وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص، وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن، ويختم ليلة الخميس).

قال صاحب القوت: روينا عن يحي بن الحارث الزماري، عن القاسم بن عبد الرحمن قال: كان عثمان بن عفان رضي الله عنه يفتتح، فساقه.

قلت: وأخرجه أيضاً ابن أبي داود في كتاب الشريعة من طريق القاسم هذا بسند لين، وثبت أن عثمان رضي الله عنه كان يختم القرآن في ركعة كما تقدمت إليه الإشارة.

قال أبو عبيد: حدثنا هاشم، حدثنا منصور، عن ابن سيرين قال: قالت امرأة عثمان حين دخلوا عليه ليقتلوه إن تقتلوه أو تدعوه فقد كان يحيي الليل في ركعة يجمع فيها القرآن.

وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن ابن سيرين بنحوه، وهذا يدل على انه كانت له أحوال مختلفة في ختم القرآن.

ثم قال صاحب القوت: **(و)** روينا عن **(ابن مسعود)** أنه **(كان يقسمه سبعة أقسام)** في سبع ليال، ولكنه **(لا على هذا الترتيب)** لأن تأليفه على غير ترتيب مصحفنا هذا، فلم يذكر هنا لأن الاعتبار لا يستبين به، وقد ذكر ترتيب مصحفه القسطلاني في شرح البخاري.

ثم قال صاحب القوت: **(وقيل أحزاب القرآن سبعة، فالحزب الأوّل ثلاث سور،**

والحزب الثاني خمس سور ، والحزب الثالث سبع سور ، والرابع تسع سور ، والخامس إحدى عشرة سورة ، والسادس ثلاث عشرة سورة ، والسابع المفصل من قٓ إلى آخره . فهكذا حزبه الصحابة رضي الله عنهم ، وكانوا يقرأونه كذلك . وفيه خبر عن رسول الله ﷺ . وهذا قبل أن تعمل الأخماس والأعشار والأجزاء فما سوى هذا محدث .

والحزب الثاني خمس سور ، والحزب الثالث سبع سور ، والرابع تسع سور ، والخامس إحدى عشرة ، والسادس ثلاث عشرة سورة ، والسابع المفصل من ق إلى آخره) وهو الذي يعبر عنه بعض القراء [1] يسوق من الفاتحة إلى المائدة ، ومنها إلى يونس ، ثم منها إلى بني إسرائيل ، ثم منها إلى الشعراء ، ثم منها إلى والصافات ، ثم منها إلى ق إلى آخر القرآن .

(فهكذا) كانت أحزاب القرآن ، وكذلك **(حزبه الصحابة رضي الله عنهم وكانوا يقرأونه كذلك ، وفيه خبر)** وارد **(عن النبي ﷺ)** ، وكأنه حزب على عدد الآي إذ عددها ستة آلاف ومائتا آية وست وثلاثون آية . قال صاحب القوت : وقد اعتبرت ذلك في كل حزب فرأيته يتقارب . **(وهذا قبل أن تعمل الأخماس والعواشر والأجزاء فما سوى هذا محدث) .**

وأما الخبر المذكور في التحزيب فقال العراقي : رواه أبو داود وابن ماجه من حديث أوس بن حذيفة في حديث فيه : « أنه طرأ علي حزبين من القرآن » قال أوس : فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل .

وفي رواية للطبراني فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ كيف كان رسول الله ﷺ يجزىء القرآن ؟ فقالوا : كان يجزئه ثلاثاً فذكره مرفوعاً وإسناده حسن اهـ .

قلت : رواه أبو داود ، عن مسدد ، عن قران ، عن عبدالله بن عبد الرحمن الطائفي ، عن عثمان بن عبدالله بن أوس ، عن جده أوس بن حذيفة .

ورواه الطبراني من وجهين الأول عن معاذ بن المثنى عن مسدد ، والثاني عن فضيل بن محمد المطلي ، عن أبي نعيم ، عن الطائفي ولفظ الطبراني قال أوس : « قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف فأبطأ علينا ذات ليلة فقال : إنه طرأ عليَّ حزبين من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أقضيه » الحديث .

تنبيه :

قال الحافظ في تخريج الاذكار : لم يقع في أكثر الروايات في حديث أوس نسبة تحزيب القران للنبي ﷺ صريحاً ، والذي وقع فيها بلفظ : كيف يحزبون القرآن ، ولم يقع أيضاً في أكثرها تعيين أوّل المفصل ، وقد ذكره عبد الرحمن بن مهدي في روايته فقال : من ق إلى أن يختم ومقتضاه أنه

---

(١) بياض في الأصل

الرابع: في الكتابة: يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فإنها تزيين وتبيين وصدّ عن الخطأ واللحن لمن يقرأه، وقد كان الحسن وابن سيرين ينكران الأخماس والعواشر والأجزاء. وروي عن الشعبي

ابتدأ في الغد بالبقرة، وكأنه لم يذكر الفاتحة لأنه يبتدأ بها في أوّل ركعة وغالب تلاوتهم كانت في الصلاة اهـ.

فقول المصنف تبعاً لصاحب القوت، وفيه: خبر عن النبي ﷺ محل تأمل.

(الرابع في الكتبة). بالكسر أي هيئة كتابة المصاحف. **(يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه)**، أما تحسينها فتجويد الحروف على القاعدة العربية المعتبرة مما ذكرها شعبان الآثاري في ألفيته، وأما التبيين فأن يميز الحروف بعضها عن بعض إفراداً وتركيباً، ولا يغور الميم والقاف والفاء والعين والغين وكل ما له جوف، ولا يطل المرسل، ولا يرسل المطوّل. **(ولا بأس بالنقط والعلامات)** كل منها **(بالحمرة وغيرها)** من الألوان، **(فإن ذلك تزيين وتبيين له)** وتمييز **(وصد عن اللحن والخطأ لمن يقرأه)**.

والمراد بالعلامات هي التي توضع على رؤوس الآي، والوقوفات بأنواعها، ووصل الهمزة وقطعها. فأما النقط فقد اتفقوا على إعجام بعض الحروف دون بعض، فالمهملة منها الألف والحاء والدال والراء والسين والصاد والعين والكاف واللام والميم والواو والهاء وما عدا ذلك معجمة، فمنها بواحدة وهي الباء والجيم والخاء والذال والزاي والضاد والغين والفاء والنون، ومنها باثنين وهي التاء والقاف والياء، وعلى هذا رأي المشارقة. وعلى رأي المغاربة الفاء معجمة بنقطة من أسفل والقاف بعكسه وهذا حسن لحصول التمييز والاقتصار على ما لا بدّ، ومنها بثلاث وهي الثاء والشين. ومن القواعد المقررة أن النون والياء والقاف والفاء إذا تطرفت في آخر الكلمة فإنها لا تنقط لحصول التمييز بهيئتها فاكتفي بها، وإن كل ما جاء على فعائل أو فواعل أو مفاعل من الجموع وعينها ياء، فإن كانت الياء أصلية في مجرد الكلمة فتنقط وإلاَّ فبالهمز. وفي تنقيط ياء معايش اختلاف عند القراء وهو مبني على اختلاف أئمة اللغة هل جمع معيشة أو عيش، وهل ميم معيشة أصلية أو زائدة كما هو مقرر في محله، ومن ذلك قولهم: نقط الكبائر من الكبائر وهذا من باب المبالغة، ثم ان النقط أعم من أن يكون على التدوير كهيئة الكرة، وهكذا وجد في خطوط أهل الكوفة القديمة أو على التربيع كما وجد في خطوط أخرى لهم لاصقة، أو بينهما مع الصغر في الجرم كما اصطلح عليه المتأخرون وهو حسن.

(وقد كان الحسن) البصري **(وابن سيرين)** محمد **(ينكران)** هذه **(الأخماس والعواشر والأجزاء)** نقله صاحب القوت والأخماس جمع خمس بضمتين وبضم فسكون، وهو جزء من خمسة أجزاء، والعواشر جمع عشير ككريم لغة في العشر بالضم جزء من عشرة أجزاء وهي الأعشار، والأجزاء جمع جزء بالضم وهو الطائفة من الشيء، وقد جزأه تجزيئاً جعله أجزاء متميزة فتجزأ

وإبراهيم كراهية النقط بالحمرة وأخذ الأجرة على ذلك وكانوا يقولون: جردوا القرآن والظن بهؤلاء انهم كرهوا فتح هذا الباب خوفاً من أن يؤدي إلى إحداث زيادات وحسماً للباب وتشوّقاً إلى حراسة القرآن عما يطرق إليه تغييراً، وإذا لم يؤدّ إلى محظور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به. ولا يمنع ذلك من

تجزئة، وتجزئة القرآن ثلاثون جزءاً يكتب على رأس الآية المبدوءة منها الجزء الأول والجزء الثاني والثالث، وهكذا في آخره.

ومنهم من يكتفي على رأس كل جزء بالعدد الهندي وهو حسن لحصول العلم والتمييز بذلك وقد وقع الاختلاف في رؤوس بعض الأجزاء بحسب اختلافهم في عد الكلمات والحروف والآي، فمن المختلف في الأجزاء الجزء الرابع عشر، فقيل: أوّله من أوّل السورة، وقيل أوّله من قوله: ﴿ربما يودّ﴾ [الحجر: ٢] والجزء التاسع عشر فقيل أوّله: ﴿وقال الذين لا يرجون﴾ [الفرقان: ٢١] وقيل أوّله: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا﴾ [الفرقان: ٢٥] والجزء العشرون فقيل أوّله: ﴿فما كان جواب قومه﴾ [النمل: ٥٦] وقيل أوّله: ﴿أمن خلق السموات والأرض﴾ [النمل: ٦٠] والجزء الواحد والعشرون فقيل أوّله: ﴿أتل ما أوحي إليك﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقيل أوّله: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب﴾ [العنكبوت: ٤٦] والجزء الثالث والعشرون فقيل أوّله: ﴿وما لي لا أعبد﴾ [يس: ٢٢] وقيل: ﴿وما أنزلنا على قومه﴾ [يس: ٢٨] والجزء السادس والعشرون فقيل أوّله: ﴿وبَدا لهم سيئات ما كسبوا﴾ [الجاثية: ٣٣] وقيل من أوّل سورة الأحقاف.

ثم اختلفوا في تقسيم كل جزء من الثلاثين، فمنهم من قسمه على الاعشار فتارة يكتب العين بالأحمر إشارة له بإزاء الآية على الهامش، وتارة يكتب عشر، ومنهم من قسمه على الأخماس فيكتب خاء معجمة أو خمس، ومنهم من قسمه على الاثلاث فيكتب على رأس كل ثلث حزب أو ثلث، ومنهم من قسمه على الأرباع فيكتب على رأس كل ربع ربع ليميز عن العشر ويكتب على تمام الربعين نصف، وللمغاربة ترتيب آخر يرجع إلى مصاحفهم، ومما أحدثوا كتابه أسماء السور بالقلم الأحمر قبل البسملة مع عدد كلماتها وحروفها، وهل هي مكية أو مدنية؟ ومنهم من أحدث ختم الصفحة على الآية وهو حسن إن لم يتكلف في ذلك.

(وروي عن) عامر بن شراحيل **(الشعبي وإبراهيم)** النخعي **(كراهية النقط بالحمرة وأخذ الأجر على ذلك، وكانوا يقولون: جردوا القرآن)** كذا في القوت، ومعنى تجريده أن لا يضاف إليه شيء زائد، **(والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفاً من أن يؤدي إلى إحداث زيادات حسماً للباب)** وسداً للذريعة، **(وشوقاً إلى حراسة القرآن)** وصيانته **(عما يطرق إليه)** أي يدخل عليه **(تغييراً)** واحداثاً، **(وإذا لم يؤد إلى محذور واستقر الأمر)** وفي بعض النسخ: أمر الأمة **(فيه على ما يحصل به مزيد معرفة)** وتمييز، **(فلا بأس**

كونه محدثاً فكم من محدث حسن كما قيل في إقامة الجماعات في التراويح إنها من محدثات عمر رضي الله عنه وانها بدعة حسنة، إنما البدعة المذمومة ما يصادم السنّة القديمة أو يكاد يفضي إلى تغييرها. وبعضهم كان يقول أقرأ من المصحف في المنقوط ولا أنقطه لنفسي. وقال الاوزاعي عن يحي بن أبي كثير كان القرآن مجرداً في المصاحف فأوّل ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به، فإنه نور له، ثم أحدثوا بعده نقطاً كباراً عند منتهى الآي، فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآية، ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح. قال أبو بكر الهذلي: سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالأحمر فقال: وما تنقيطها؟ قلت: يعربون الكلمة بالعربية. قال: أما إعراب القرآن

به ولا يمنع من ذلك كونه محدثاً) لم يكن ذلك في عصر الأولين، **(فكم من محدث حسن كما قيل في)** استعمال السبحة وفي **(إقامة الجماعات في التراويح أنها من محدثات عمر)** رضي الله عنه كما تقدم تحقيقه في كتاب الصلاة، **(وأنها بدعة حسنة، وإنما البدعة المذمومة ما تصادم)** أي تعارض **(السنّة القديمة أو يكاد يفضي إلى تغييرها)**، وقد قالوا إن البدعة المباحة هو ما شهد بحسنه أصل في الشرع أو اقتضته مصلحة تندفع بها مفسدة وفيما نحن فيه حصول مزيد المعرفة والتبيين مصلحة شرعية، فلا يكون النقط والعلامات من البدع المذمومة، **(وبعضهم كان يقول: اقرأ في المصحف المنقوط ولا أنقطه بنفسي.**

وقال الاوزاعي) تقدمت ترجمته في كتاب العلم **(عن يحي بن أبي كثير)** أبي نصر اليمامي مولى طيئ أحد الأعلام العباد، روى عن أبي أمامة وأنس وجابر مرسلاً، وعن أبي سلمة وعنه هشام الدستوائي وهمام مات سنة ١٢٩: **(كان القرآن مجرداً في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء، وقالوا: لا بأس به فإنه نور له ثم أحدثوا بعده نقطاً كباراً عند منتهى الآي فقالوا: لا بأس به يعرف به رأس الآية، ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتيم والفواتح)** هكذا نقله صاحب القوت.

(وقال أبو بكر الهذلي) اسمه سلمان، وقيل: روح روى عن الحسن والشعبي ومعاذ. وعنه أبو نعيم ومسلم بن إبراهيم توفي سنة ١٩٧. **(سألت الحسن)** البصري **(عن تنقيط المصاحف بالأحمر. فقال: وما تنقيطها؟ قلت: يعربون الكلمة بالعربية. قال أما إعراب القرآن فلا بأس به).**

وروى البيهقي في السنن والصابوني في المائتين عن عمر رضي الله عنه رفعه قال «من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف أربعون حسنة، ومن أعرب بعضه ولحن في بعض كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن لم يعرب منه شيئاً كان له بكل حرف عشر حسنات».

فلا بأس به. وقال خالد الحذاء: دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط، وقيل: ان الحجاج هو الذي أحدث ذلك وأحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسوّوا أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام أخر.

الخامس: الترتيل: هو المستحب في هيئة القرآن لأنا سنبين أن المقصود من القراءة

وروى البيهقي عن ابن عمر «من قرأ القرآن فأعرب في قراءته كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأ بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات».

(وقال خالد) بن مهران **(الحذاء)** الحافظ أبو المنازل، روى عن أبي عثمان النهدي، ويزيد ابن الشخير، وعنه شعبة وابن علية ثقة إمام توفي سنة ١٤١: **(دخلت على ابن سيرين)** محمد، **(فرأيته يقرأ في مصحف منقوط، وقد كان يكره النقط. وقيل: إن الحجاج)** بن يوسف الثقفي **(هو الذي أحدث ذلك وأحضر القراء)** من البصرة والكوفة منهم: عاصم الجحدري، ومطر الوراق، وشهاب بن شريفة فأمرهم **(حتى عدوا كلمات القرآن)** وآياته **(وحروفه وسووا أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام أخر)** من أخماس وأعشار.

قال السيوطي في الإتقان، قال أبو عبد الله الموصلي: اختلف في عدد الآي أهل المدينة ومكة والشام والبصرة والكوفة، وعدد أهل مكة يروى عن ابن كثير عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب، وأما عدد أهل الشام فيروى عن مروان بن موسى الأخفش، عن ابن ذكوان، عن أيوب بن تميم، عن يحي بن الحارث الزيادي عن عبد الله بن عامر الأصبحي، عن أبي الدرداء، وأما عدد أهل البصرة فمداره على عاصم الجحدري، وأما عدد أهل الكوفة فهو المضاف إلى حمزة بن حبيب الزيات، وأبي الحسن الكسائي وخلف بن هشام، قال حمزة: أخبرنا بهذا العدد عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب اهـ.

وعدّد قوم كلمات القرآن سبعة وسبعين ألف كلمة وتسعمائة وأربعة وثلاثين كلمة، وقيل غير ذلك.

وأما الحروف فقد عدّها ابن الجزري وكذا الانصاف والأثلاث إلى الأعشار، وأوسع القول في ذلك فراجعه فيه، وقال بعضهم: نصف القرآن باعتبار الحروف النون من نكراً من الكهف، وقيل الفاء من قوله وليتلطف وبالكلمات الدال من قوله والجلود في الحج، وبالآيات غافلون من الشعراء، وبالسور آخر الحديد، والله أعلم.

(الخامس: الترتيل) قال الله تعالى: ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾ [المزمل: ٤] وهو التمهل في القراءة وعدم الإعجال، وذلك **(هو المستحب في هيئة القرآن)** بل الأفضل لجمعه الأمر والندب، **(لأنا سنبين)** فيما بعد **(أن المقصود من القراءة التفكر)** في معاني ما يقرأ، والتدبر

التفكر والترتيل معين عليه، ولذلك نعتت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ، فإذا هي تنعت قراءته مفسرة حرفاً حرفاً. وقال ابن عباس رضي الله عنه: لأن اقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأتدبرهما أحب إليَّ من أن اقرأ القرآن كله هذرمة. وقال أيضاً: لأن اقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحبّ إلي من أن اقرأ البقرة وآل عمران تهذيراً. وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاة فكان قيامها واحداً إلاّ إن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله، فقال: هما في الأجر سواء. واعلم أن

(والترتيل معين) له **(عليه)**، وقد روي عن علي رضي الله عنه قال: لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها.

(وبذلك نعتت أم سلمة) رضي الله عنها **(قراءة رسول الله ﷺ)** لما سئلت عنها، **(فإذا)** للمفاجأة أفاد بها بأنها أجابت بذلك على الفور، وأن ذلك يدل على قوة ضبطها واستحضارها لصفة قراءته ﷺ **(هي تنعت)** أي تصف **(قراءة مفسرة حرفاً حرفاً)** أي مبينة واضحة مفصولة الحروف من التفسير وهو البيان، ووصفها لذلك إما بأن تقول: كانت قراءته كذا أو بالفعل بأن تقرأ كقراءته ﷺ، قيل: وظاهر السياق يدل على الثاني.

قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حسن صحيح اهـ.

قلت: وأخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن خزيمة، والحاكم، والدارقطني وغيرهم عن أم سلمة «أن النبي ﷺ كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخرها قطعها آية آية» الحديث. والمعنى: أن قراءته ﷺ كانت ترتيلاً لا هذاً ولا عجلة، بل مفسرة الحروف مستوفية ما تستحقه من مد وغيره لأنه كان يقطعها آية آية.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنهما **(لأن اقرأ البقرة وآل عمران أرتلها وأتدبرهما أحب إليّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة)** نقله صاحب القوت.

(وقال أيضاً: لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إليّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيراً) نقله أيضاً صاحب القوت.

وفي مصنف ابن أبي شيبة، عن زيد بن ثابت: لأن أقرأ القرآن في شهر أحب إليَّ من أن أقرأه في خمس عشرة، ولأن أقرأه في خمس عشرة أحب إليّ من أن أقرأه في عشر، ولأن أقرأه في عشر أحب إليّ من أن أقرأه في سبع أقف وأدعو.

(وسئل مجاهد) بن جبير التابعي الجليل **(عن رجلين دخلا في صلاة فكان قيامها واحداً إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط، والآخر القرآن كله؟ فقال: هما في الأجر سواء)** لأن قيامها كان واحداً، وأفضل الترتيل والتدبر ما كان في صلاة. ويقال: إن التفكر في الصلاة أفضل منه في غيرها لأنهما عملان. هكذا أورده صاحب القوت، وفي النشر اختلف هل الأفضل الترتيل،

الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر، فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة أيضاً الترتيل والتؤدة، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال.

السادس: البكاء: البكاء مستحب مع القراءة. قال رسول الله ﷺ: «اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» وقال ﷺ: «ليس منّا من لم يتغن بالقرآن». وقال

وقلة القراءة أو السرعة مع كثرتها، أجاب بعض أئمتنا فقال: إن ثواب قراءة الترتيل أجل قدراً، وثواب الكثرة أكثر عدداً لأن بكل حرف عشر حسنات اهـ.

وقال في شرح المهذب: واتفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع وقالوا: قراءة جزء بترتيل أفضل من قراءة جزأين في قدر ذلك الزمان بلا ترتيل.

(واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر، فإن العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة أيضاً الترتيل والتؤدة، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام وأشد تأثيراً في القلب من الهذرمة والاستعجال). وهذا قد أورده النووي في شرح المهذب عن الأئمة قالوا: استحباب الترتيل للتدبر، ولأنه أقرب إلى الإجلال والتوقير وأشد تأثيراً في القلب، ولهذا يستحب للأعجمي الذي لا يفهم معناه.

(السادس: البكاء) فهو **(مستحب مع القراءة)** والتباكي لمن لا يقدر عليه والحزن والخشوع قال الله تعالى ﴿ويخرون للأذقان يبكون﴾ [الإسراء: ١٠٩] وفي الصحيحين حديث قراءة ابن مسعود على النبي ﷺ وفيه «إذا عيناه تذرفان».

(وقال رسول الله ﷺ أتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا ») قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص بإسناد جيد اهـ.

قلت: رواه عن عبد الله بن أحمد عن الوليد بن مسلم، حدثنا إسماعيل بن رافع، حدثني ابن أبي مليكة عن عبد الرحمن بن السائب قال: قدم علينا سعد بن مالك رضي الله عنه بعدما كف بصره، فأتيته مسلماً فانتسبت له فقال: مرحباً يا ابن أخي بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن فليس منا» رواه أبو يعلى الموصلي عن عمرو الناقد عن الوليد بن مسلم، ورواه محمد ابن نصر في قيام الليل عن الهيثم بن خارجة عن الوليد بن مسلم، وإسماعيل بن رافع ضعيف، وقد تابعه عبد الرحمن المليكي وهو مثله في الضعف عن ابن أبي مليكة، ولكن خالف في اسم ابن السائب أخرجه أبو عوانة ومحمد بن نصر وابن أبي داود من طريق المليكي فقال الأوّلان: عن عبد الله بن السائب عن سعد، وقال ابن أبي داود في روايته عن عبد الله بن عبد الله بن السائب ابن نهيك، وبعض رواته قال: عبيد الله بن أبي نهيك والاضطراب فيه في اسم التابعي ونسبه،

صالح المري: قرأت القرآن على رسول الله ﷺ في المنام فقال لي: يا صالح هذه القراءة فأين البكاء؟ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه. وإنما طريق تكلف

واختلف عليه أيضاً في اسم شيخه فالأكثر أنه سعد بن مالك، وهو ابن أبي وقاص، وقيل: عن سعيد بدل سعد، وقيل عن أبي لبابة، وقيل عن عائشة.

والراجح قول من قال عن سعد وله شاهد عند الطبراني قال: حدثنا عبد الرحمن بن معاوية العبسي، حدثنا حبان بن نافع، حدثنا صخر، حدثنا سعيد بن سالم القداح، حدثنا صخر بن الحسن، حدثنا بكر بن خنيس، حدثنا أبو شيبة، عن عبد الملك بن عمير، عن جرير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إني قارئ عليكم من آخر سورة الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة، فقرأ من عند قوله ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ [الزمر: ٦٧] الخ، فمنا من بكى ومنا من لم يبك. فقال الذين لم يبكوا: قد جهدنا يا رسول الله أن نبكي فلم نبك. فقال: إني سأقرأها عليكم فمن لم يبك فليتباك» أبو شيبة اسمه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي، وقد روى بعض هذا المتن هشام عن أبي شيبة وهو أوثق من بكر بن خنيس، فأرسله.

قال أبو عبيد: حدثنا هشام، عن عبد الرحمن بن إسحاق عن عبد الملك بن عمير قال: قال رسول الله ﷺ «إني قارئ عليكم سورة من بكى فله الجنة، فقرأ فلم يبكوا حتى أعاد الثانية فقال ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا».

(وقال ﷺ «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»)، قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وأخرجه أحمد، وأبو داود وابن حبان والحاكم من رواية عمرو بن دينار، والليث بن سعد كلاهما عن ابن أبي مليكة عن عبيد الله بن أبي نهيك، عن سعد بن أبي وقاص.

وأخرجه أبو داود أيضاً عن أبي لبابة بن عبد المنذر، والحاكم أيضاً عن ابن عباس، وعائشة. وقد ذكر الاختلاف فيه قريباً في الحديث الذي قبله إذ هذا الحديث عند بعضهم بعض الحديث المتقدم، وسيأتي تحقيق معناه في الأدب العاشر قريباً.

(وقال صالح المري) من زهاد البصرة تقدمت ترجمته في كتاب العلم: **(قرأت القرآن على رسول الله ﷺ في المنام فقال لي «يا صالح هذه القراءة فأين البكاء»)** ولفظ القوت: وقال ثابت البناني: رأيت في النوم كأني أقرأ على رسول الله ﷺ القرآن، فلما فرغت قال «هذه القراءة فأين البكاء».

(وقال ابن عباس) رضي الله عنهما: **(إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه)** نقله صاحب القوت. وزاد: فبكاء القلب حزنه

البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء . قال ﷺ : « إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا » ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي ، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبكِ على فقد الحزن والبكاء . فإن ذلك أعظم المصائب .

وخشيته أي فإن لم تبكوا بكاء العلماء عن الفهم فلتحزن قلوبكم على فقد البكاء ، وليخش كيف لم يوجد فيكم وصف أهل العلم .

وقد روينا في غرائب التفسير من معنى قوله تعالى : ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار﴾ [البقرة : ٧٤] قال هي العين الكثيرة البكاء ﴿وإنَّ منها لما يشَّقق فيخرج منه الماء﴾ [البقرة : ٧٤] قال : هي العين القليلة البكاء ﴿وإنَّ منها لما يهبط من خشية الله﴾ [البقرة : ٧٤] قال : هو بكاء القلب من غير دموع عين .

(وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء . قال النبي ﷺ « إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا ») قال العراقي : رواه أبو يعلى ، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف اهـ .

قلت : تقدم قريباً أن أبا يعلى رواه من حديث سعيد بن مالك بلفظ « إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا » وتقدم الاختلاف فيه .

وقال أبو بكر الآجري في فوائده : حدثنا جعفر الفريابي ، حدثنا إسماعيل بن سيف بن عطاء الرياحي ، حدثنا عدن بن عمر ، وحدثنا سعيد الجريري ، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه رفعه « اقرأوا القرآن بالحزن فإنه نزل بالحزن » .

وأخرجه أبو يعلى عن إسماعيل بن سيف على الموافقة ، وعند الطبراني في الكبير عن ابن عباس رفعه « أحسن الناس قراءة من إذا قرأ القرآن يتحزن به » .

(ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والزجر والوثائق والعهود ، ثم يتأمل القارئ تقصيره في أوامره وزواجره فيحزن لذلك لا محالة ويبكي ، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية) من الأكدار ، **(فليبك على فقد الحزن والبكاء ، فإن ذلك أعظم المصائب)** وتقدم هذا عن صاحب القوت .

وقال النووي في شرح المهذب مثل ذلك قال وطريقه في تحصيل البكاء أن يتأمل ما يقرأ من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ، ثم يفكر في تقصيره فيها فإن لم يحضره عند ذلك حزن وبكاء فليبك على فقد ذلك فإنه من المصائب .

السابع: أن يراعى حق الآيات: فإذا مرّ بآية سجدة سجد وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد اذا سجد التالي ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة. وفي القرآن أربع عشرة سجدة. وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة. وأقله أن يسجد بوضع جبهته

(السابع: أن يراعي حق الآيات فإذا مر بآية سجود سجد) أي في أثناء قراءته سواء كان في صلاته أم لا، **(وكذلك إذا سمعها من غيره)** وهو يتلوها **(سجد إذا سجد التالي)** لها.

قال الرافعي: يسن السجود للقارئ والمستمع له سواء القارئ في الصلاة أم لا. وفي وجه شاذ لا يسجد المستمع لقراءة من في الصلاة، وليس للمستمع إلى قراءة المحدث والصبي والكافر على الأصح، وسواء سجد القارئ أو لم يسجد يسنّ للمستمع السجود، لكنه إذا سجد كان أوكد. هذا هو الصحيح الذي قطع به الجمهور.

وقال الصيدلاني: لا يسن له السجود إذا لم يسجد القارئ، واختاره إمام الحرمين، أما الذي لا يستمع بل يستمع من غير قصد، فالصحيح المنصوص أنه يستحب له ولا يتأكد في حقه تأكده في حق المستمع، ولو أصغى المنفرد بالصلاة لقراءة قارئ في الصلاة أو غيرها لم يسجد لأنه ممنوع من الإصغاء، فإن سجد بطلت صلاته والمصلي إماماً كالمنفرد في جميع ما ذكرنا.

(ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة) فلا يسجد إذا كان محدثاً ولا الجنب والحائض، **(وفي القرآن أربع عشرة سجدة)** على الجديد الصحيح. وقال في القديم: إحدى عشرة أسقط سجدات المفصل الثلاثة، وهي: في الأعراف والرعد والنحل والإسراء ومريم، و**(في الحج سجدتان)** والفرقان والنمل والّم تنزيل وفصلت والنجم وإذا السماء انشقت، **(وليس في ص سجدة)** أي ليست سجدة ص من عزائم السجود أي متأكداته، وإنما هي مستحبة، وزاد بعضهم آخر الحتم نقله ابن غلام الفرس في أحكامه.

قال الرافعي: ولنا وجه أن السجدات خمس عشرة ضم إليها سجدة ص، وهذا قول ابن سريج، والصحيح المنصوص أنها ليست من عزائم السجود، وإنما هي سجدة شكر، فإن سجد فيها خارج الصلاة فحسن، ولو سجد في ص في الصلاة جاهلاً أو ناسياً لم تبطل صلاته، وإن كان عالماً بطلت على الأصح، ولو سجد إمامه في (ص) لكونه يعتقدها لم يتابعه بل يفارقه أو ينتظره قائماً، فإذا انتظره قائماً فهل يسجد للسهو؟ وجهان. قال النووي: الأصح لا يسجد، وحكى صاحب البحر وجهاً أنه يتابع الإمام في سجود (ص) والله أعلم اهـ.

اعلم أن سجود التلاوة سنّة عند الشافعي ومالك وأحمد، وقال أبو حنيفة وصاحباه: واجب وهو: في الأعراف والرعد والنحل وبني إسرائيل ومريم والحج والفرقان والنمل والم تنزيل وص وحم فصلت والنجم والانشقاق والعلق كذا كتب في مصحف عثمان وهو المعتمد، ولا سجود عند مالك في المفصل أي السبع الأواخر وهو من الحجرات إلى آخره، وعند الشافعي وأحمد في الحج

سجدتان كما ذكره المصنف لما روي أنه ﷺ قال: « فضلت سورة الحج بسجدتين » وحمله أصحابنا على أن الأولى سجدة التلاوة، والثانية سجدة الصلاة بدلالة اقترانها بالركوع، وموضع السجدة في حم فصلت عند قوله ﴿وهم لا يسمعون﴾ وعند الشافعي عند قوله ﴿إن كنتم تعبدون﴾ وهو واجب عندنا على التالي والسامع ولو غير قاصد، ويجب على التراخي، وسواء كان التالي كافراً أو حائضاً أو جنباً أو محدثاً أو صبياً عاقلاً أو سكران لأن النص لم يفصل. ولا يجب على من لا تجب عليه الصلاة كالحائض والنفساء والصبي والمجنون والكافر لا بقراءتهم ولا بسماعهم لأنهم ليسوا من أهل الصلاة لا أداء ولا قضـاء.

وفي التتمة روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة في السكران إذا قرأ آية السجدة لزمته، وكذا في المجنون إذا تلا تلزمه السجدة إذا أفاق.

قال الفقيه أبو جعفر: هذا إذا لم يكن مطبقاً.

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي في شرح مشكل الآثار: قد تواترت الآثار عن رسول الله ﷺ بالسجود في المفصل من طرق كثيرة عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وبها نقول، وهو قول أبي حنيفة، وأبي يوسف ومحمد.

وأما النظر في ذلك، فعلى غير هذا المعنى وذلك أنـا رأينا المتفق عليه منهن عشر سجدات منها: الأعراف وموضع السجود فيها قوله تعالى ﴿إنَّ الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

ومنها: الرعد وموضع السجود منها عند قوله تعالى: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال﴾ [الرعد: ١٥].

ومنها: النحل وموضع السجود منها عند قوله عز وجل ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة﴾ إلى قوله ﴿يؤمرون﴾ [النحل: ٤٩، ٥٠].

ومنها: سورة بني إسرائيل وموضع السجود منها عند قوله تعالى: ﴿ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ [الإسراء ١٠٩].

ومنها: سورة مريم وموضع السجود منها عند قوله عز وجل: ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا﴾ [مريم: ٥٨].

ومنها سورة الحج سجدة في أولها عند قوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات﴾ [الحج: ١٨] إلى آخر الآية.

ومنها سورة الفرقان وموضع السجود منها عند قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن﴾ [الفرقان: ٦٠] إلى آخر الآية.

ومنها سورة النمل فيها سجدة عند قوله تعالى: ﴿فهم لا يهتدون ★ ألاّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبء﴾ [النمل: ٢٤، ٢٥] إلى آخر الآية.

ومنها: الم تنزيل فيها سجدة عند قوله عز وجل: ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها﴾ [السجدة: ١٥] إلى آخر الآية.

ومنها: ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ وموضع السجود منها فيه اختلاف فقال بعضهم موضعه ﴿تعبدون﴾ وقال بعضهم عند قوله ﴿وهم لا يسأمون﴾ [فصلت: ٣٧، ٣٨] وكان أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد يذهبون إلى المذهب الأخير. وقد اختلف المتقدمون في ذلك فروي عن مجاهد عن ابن عباس أنه كان يسجد الآخرة من حم تنزيل وروي مثل ذلك عن أبي وائل وابن سيرين وقتادة، وروي عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كانا يسجدان في الآية الأولى من حم، فهذه السجدة مما اتفق عليها، وإنما اختلفوا في موضعها وما ذكر قبلها من السجود في السور الأخر، فقد اتفقوا عليها وعلى مواضعها المذكورة، وكان موضع كل سجدة منها فهو موضع اخبار وليس بموضع أمر، وقد رأينا السجود في مواضع أمر كقوله عز وجل: ﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي﴾ [آل عمران: ٤٣] وقوله تعالى ﴿وكن من الساجدين﴾ [الحجر: ٩٨] فكل قد اتفق أن لا سجود فيها فالنظر على ذلك أن يكون كل موضع منها اختلف فيه هل فيه سجود أم لا؟ ينظر فيه، فإن كان موضع أمر فإنما هو تعليم فلا سجود فيه، وكل موضع فيه خبر عن السجود فهو موضع سجود التلاوة، فكان الموضع الذي قد اختلف فيه من سورة النجم فقال بعضهم هو سجدة تلاوة، وقال الآخرون: لا. هو قوله عز وجل ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ [النجم: ٦٢] فذلك أمر وليس بخبر فكان النظر على ما ذكرنا أن لا يكون موضع سجود التلاوة.

وكان الموضع الذي اختلف فيه أيضاً من سورة العلق هو قوله تعالى: ﴿كلا لا تطعه واسجد واقترب﴾ [العلق: ١٩] فذلك أمر وليس بخبر فالنظر على ما ذكرنا أن لا يكون موضع سجود تلاوة، وكان الموضع الذي اختلف فيه من إذا السماء انشقت قوله تعالى: ﴿وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾ [الانشقاق: ٢١] فذلك موضع اخبار لا موضع أمر، فالنظر على ما ذكرنا أن يكون موضع سجود التلاوة فيكون كل شيء من السجود يرد إلى ما ذكرنا، وكان يجب على ذلك أن يكون موضع السجود من حم هو الموضع الذي ذهب إليه ابن عباس لأنه عند خبر وهو قوله تعالى: ﴿وهم لا يسأمون﴾ [فصلت: ٣٨] لا كما ذهب إليه من خالف لأن أولئك جعلوا السجدة عند أمر وهو قوله تعالى: ﴿واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾ [فصلت: ٣٧] فكان ذلك موضع أمر.

وقد ذكرنا أن النظر يوجب أن يكون السجود في مواضع الخبر لا في مواضع الأمر وكان يجيء على ذلك أن لا يكون في سورة الحج غير سجدة واحدة، لأن الثانية المختلف فيها أيضاً موضعها

على الأرض. وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى: ﴿خَرُّوا سُجَّداً وسبّحوا بِحَمْدِ رَبِّهم وهُم لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥] فيقول: « اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك ». وإذا قرأ قوله تعالى: ﴿ويَخرُّون للأذقان يَبْكُونَ ويَزيدُهم خُشُوعاً﴾ [الاسراء: ١٠٩]. فيقول: « اللهم

في قول من يجعلها سجدة موضع أمر وهو قوله تعالى: ﴿اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم﴾ [الحج: ٧٧] فلو خلينا والنظر لكان القول في سجود التلاوة أن ننظر فما كان فيه موضع أمر لم نجعل فيه سجوداً، وما كان فيه موضع خبر جعلنا فيه سجوداً، ولكن اتباع قد ثبت عن رسول الله ﷺ أولى.

وقد اختلف في سورة ص فقال قوم فيها سجدة، وقال آخرون ليس فيها سجدة، فكان النظر عندنا في ذلك أن يكون فيها سجدة لأن موضعها خبر لا موضع أمر وهو قوله عز وجل: ﴿فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب﴾ [ص: ٢٤] فذلك خبر فالنظر أن يرد حكمه إلى حكم أشكاله من الأخبار فتكون فيه سجدة، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ من طريق أبي سعيد أنه سجد في ﴿ص﴾ وعن ابن عباس نحوه، فبهذا نأخذ اتباعاً لما قد روي فيها ثم لما قد أوجبه النظر.

ونرى أن السجود في المفصل في النجم وإذا السماء انشقت واقرأ باسم ربك لما قد ثبتت به الرواية في السجود في ذلك عن رسول الله ﷺ، ونرى أن لا سجود في آخر الحج لما قد نفاه ما ذكرنا من النظر ولأنه موضع التعليم لا موضع خبر، ومواضع التعليم لا سجود فيها للتلاوة.

وقد اختلف في ذلك المتقدمون فروي من طريق عبد الله بن ثعلبة قال: صلى بنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصبح فقرأ بالحج وسجد فيها سجدتين، وكذلك روي عن أبي موسى الأشعري وابن عمر وأبي الدرداء مثله، وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال في سجود الحج الأول عزيمة والآخرة تعليم قال: فبقول ابن عباس ناخذ وجميع ما ذهبنا إليه في هذا الباب هو قول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى.

(وأقل السجود أن يسجد فيضع جبهته على الأرض) من غير تكبير ولا دعاء، **(وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل أن يقرأ قوله تعالى: ﴿خروا سجداً وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾ [السجدة: ١٥] فيقول: اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك)** فهذه المعاني هي اللائقة بالآية المذكورة وفيها تضمين لما ذكر فيها. **(وإذا قرأ قوله تعالى: ﴿ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ [الإسراء: ١٠٩] فيقول: اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك و)**يفعل **(كذلك في كل سجدة)**

يستخرج الدعاء من معاني تلك الآيات وما يناسب للسياق والحال، وقال أصحابنا: أقل الدعاء أن يقول سبحان ربي الأعلى ثلاثاً، وأكمله أن يقول: سجدت للرحمن فاغفر لي يا رحمن.

فصل

الكلام في سجدات القرآن وما لكل منها من الأدعية:

قد عقد الحكيم الترمذي في نوادر الأصول فصلاً في سجدات القرآن، وما لكل منها من الأدعية الخاصة، فلا بأس أن نتم بذكر كلامه تكثيراً للفوائد فأقول.

أخبرني بكتاب نوادر الأصول شيخي أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي، إجازة عن أبيه، عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبي مهدي عيسى بن محمد الجعفري سماعاً وقراءة، أخبرنا علي بن محمد الأجهوري سماعاً وإجازة، عن الجمال يوسف بن زكريا، عن أبيه، عن الحافظ أبي الفضل العسقلاني بإجازته مشافهة، عن ابن أبي المجد الخطيب، عن سليمان بن حمزة عن عيسى بن عبد العزيز، عن أبي سعد السمعاني، عن أبي الفضل محمد بن علي بن سعيد المطهر، أخبرنا أبو إسحاق محمد بن إبراهيم بن محمد البرقي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الرحمن، أخبرنا أبو نصر أحمد بن أحيد البيكندي، أخبرنا الحكيم محمد بن علي الترمذي قال: فصل ما يقرأ به في السجود قد روي عن رسول الله ﷺ من حديث ابن مسعود، وعائشة رضي الله عنهما أدعية بروايات مختلفة وألفاظ متنوعة، فما روي عن ابن مسعود رفعه أنه كان إذا سجد يقول «سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي هذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا أنت».

وعن عائشة رفعته انه كان يقول في سجود القرآن بالليل مراراً «سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحـوله وقوّته».

وعنها أيضاً أنه كان يقول في سجوده «أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك جل وجهك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت يا عظيم».

وعنها أيضاً كان يقول في سجوده «اللهم اغفر لي ذنبي كله ودقه وجله أوّله وآخره سره وعلانيته». قال الشيخ: فهذا ما جاءنا عن رسول الله ﷺ ولا نعلم أنه وقت شيئاً في ذلك، فهذه الأشياء التي ذكرتها كلمات نطق بها يريد أن يخرّبها إلى ربه من الأجداث، فكان ينطق بما يتراءى له في وقته وبذلك يناجي ربه ثم لمن بعده من الصحابة والتابعين مقالات في سجداتهم، وأما ما تراءى لنا في كل سجدة من سجود القرآن فهو ما ذكرنا ههنا.

سجدة الأعراف: طابت لهم منازل القربة عندك فتطهروا عن الاستكبار واذعنوا لك خضوعاً بما عاينوا من عظيم كبريائك وعزيز جبروتك من الملكوت، فتلقوا عظمتك واستكانوا بالسجود

لك خشوعاً هؤلاء بديع كلماتك ونحن ولد بديع فطرتك وصنع يدك وأمة حبيبك الممدوحين في التوراة والموصوفين في الإنجيل بما منحتنا من مننك وفضلك، وأهديت إلى المجتبين منّا هداياك وكراماتك رأفة، سجدنا لك بحظنا من رأفتك ورحمتك وألقينا بأيدينا سلماً نرجو مددك وسيبك ومعروفك يا معروفاً بالعطايا الجزيلة ومحموداً على صنائعك الجميلة.

سجدة الرعد: سجدت الأحباب طوعاً والأعداء كرهاً، سجد لك شخص الاحباب وظلال الاعداء، أدركت رحمتك شخص الأحباب فنالت وانزوت عن الأعداء فحرمت، سجدت لك ظلالهم بالغدوّ والآصال تميل مع ميل الأظلة والأفياء طهرت تلك الأجرام والأشباح بطهارة قلوبهم بقوى التوحيد فأهلتهم للسجود لك، ونزهت سجدتك عن تلك الأجرام النجسة التي نجست برجاسة الشرك، وتمكن العدوّ منها، فلك الحمد على ما اصطنعت إليّ وإليك الرغبة يا إلهي من دوامها علي، فكما جعلتني أسجد لك سجود الأحباب طوعاً وسلماً فاجعلني في جميع متقلباتي من محياي لك طوعاً وسلماً.

سجدة النحل: لك سجدت الملائكة وخافوك من فوقهم وفعلوا ما أمرتهم ذلك بإنك عريتهم من الشهوات وطهرتهم من الآفات، ومكنت لهم الزلفات فخافوك من فوقهم وفعلوا ما أمرتهم ولم يسبقوا بقول، وهم من خشيتك مشفقون، فهم عبادك المكرمون ونحن عبيدك المرحومون المحبوبون، بالرأفة ابتدأتنا ومن باب الرحمة أخرجتنا، ومن ضعف خلقتنا، وبالشهوات ابتليتنا، وللحاجات عرضتنا، وبالوعد والوعيد من الوحي أدبتنا، وبجودك ونعمتك هديتنا، وبعظيم حظنا منك وسعت علينا، وأشرعت إليك السبيل لنا، وجعلت منا أولياء وأحباباً، فمنازل القربة لديك فخوفنا لك مع الشهوات وأفعالنا مع الوساوس والخطرات والآفات، فارحمنا فإنك أعلمتنا أنك معنا في العون والنصر والتأييد يا خير من أشفق علينا ورحمنا.

سجدة سبحان: لك خرت العلماء سجداً وحق لهم، فإنهم شاهدوا بقلوبهم عرصة التوحيد، وعاينوا بنور علم القربة ما هيأت لأحبابك هناك في مراتبهم من البر والوداد، فخروا لأذقانهم سجداً مع البكاء والعويل،وسبحوا لربوبيتك وأيقنوا بوعدك عند تلاوة وحيك، وزادهم بكاؤهم لك خشوعاً فخشعت لك جوارحهم، لأن الخشية ميراث بكاء الخشية ذلك بأنك جعلت للباكين من خشيتك من عاجل الثواب أن تملأ جوارحهم في الدنيا، وفي الآخرة ضحكاً فيا حنان تحنن علينا بعطفك، وزدنا علماً بقربنا إليك، واجعلنا من الشاكرين لك، وتقبلها منا كما تقبلتها من الذين أوتوا العلم من قبلنا.

سجدة مريم: يا خير المنعمين أنعمت على النبيين والمقربين والمهديين والمخبتين بالنبوّات والهداية والخباتة فيك، وصاروا إلى محبوبك من الأعمال وخروا لتلاوة آيات الرحمن لك سجداً وبكياً. تلك خشعة الأحباب وأهل الوداد سجدوا مع البكاء شوقاً إليك وقلقاً بطول الحبس عنك في سجون الدنيا يا ودود، فليس من لقيك في السجن عبداً قناً في العبودية، كمن لقيك في دارك

دار السلام حراً ملكاً محبوراً مسروراً يراك جهراً. قد كشفت الغطاء وتجليت لأهل الوداد، عن حجب الكبرياء والجلال، فانبأتنا عن أحوالهم وأخبارهم وحياً وتنزيلاً فحررنا على ذلك من فعلهم هذا سجودهم قد علمته، فليت شعري من أين بكاؤهم. وما الذي أبكاهم وأين أصول ذلك المنبع، وهم أهل صفوتك ونجباء عبيدك، فسهل لنا السبيل إلى ذلك من فعلهم ظهراً وبطناً ووفر حظنا من ذلك برحمتك علينا.

سجدة الحج: سجد لك الخلق والخليقة علواً وسفلاً وبراً وبحراً، والحجر والمدر والدواب والشجر، وكثير من الآدميين، وكثير حق عليه العذاب، ثم قلت: ومن يهن الله فما له من مكرم. فلك الحمد إذ أكرمتنا بالسجود لك، ولا تجعلنا مما أهنته فما له من مكـرم ثم قلت إن الله يفعل ما يشاء فلك الحمد على ما بدا من مشيئتك فينا، وعلى الرحمة التي جرت بمشيئتك فينا، وبـاكرامك إيانا الهي فلا تهنا بعدما أكرمتنا على تفريطنا، وقلة شكرنا ووفائنا وجفوتنا، ولا تسلبنا خير ما أوليتنا يا عظيم يا حسن البلايا كثير النعماء يا جزيل العطاء يا جليل الثناء.

الثانية من الحج: بك آمنا ولك ركعنا ولوجهك الكريم الباقي الدائم سجدنا، وإياك عبدنا وإليك أنبنا ربنا، وفعل الخير قصدنا، والفلاح رجونا، وأملنا والنجاح لك. بـك طلبنا فأعنا ولا تقطع مددك وعنايتك عنا، وخذ إليك بنواصينا واجعل فيما لديك رغبتنا نور قلوبنا، واشرح لنا صدورنا، وحسن اخلاقنا، واختم لنا بأحسن ما ختمت لعبادك الصالحين من أهل ملتنا.

سجدة الفرقان: للرحمن سجدنا وإياه وحدنا، وما عنده أملنا، وبما أمرنا من السجود ائتمرنا، فالرحمن مولانا، والرحمن خالقنا، والرحمن هادينا، وناصرنا، والرحمن من علينا باسمه الرحمن ووفر منه حظنا وبالرحمة العظمى نلنا من الرحمن حظنا فالله ولينا ومولانا والرحمن أحيانا، والرحيم أعاشنا، والقيوم آوانا. فيا أكرم مأمول، ويا خير معبود، ويا أحسن خالق، ويا أكرم مالك تمم علينا معروفك وما ابتدأت من الإحسان، وتولّ منّا ما توليت من أهل رحمتك، وتعطف علينا بجودك وكرمك. تبارك اسمك الرحمن ذو الجلال والإكـرام، علمـت القـرآن، وخلقـت الإنسان، وعلمته البيان، فلك الآلاء والنعماء يا ذا الملك والملكوت يا عزيز الجبروت إليك الرغبات ومنك الرهبات، هديتنا لاسمك الرحمن ووفرت منه حظنا فأحييت به قلوبنا، ونورت به افئدتنا، فالفرح الدائم لمن وصل له اليوم الرحمن قلباً، والسرور والبهجة وقرة العين لمن وصل إليه غداً. غمرتني رحمتك العظمى فزادني اسمك سروراً وزاد أعداءك نفوراً، وإنما نفرهم من إسمك الرحمن حرمان حظهم من الرحمن، فلم تنلهم رحمتك فجهلوا إسمك ونفروا من ذكره، وهو الإسم الذي حييت به القلوب فتمكنوا به في دارك دار السلام.

سجدة النمل: سجدت لمن يخرج الخبء في السموات والأرض. عالم الخفيات محصل ما في الصدور، ومبلي السرائر ولم تخف عليه حركات جوارحنا ومكتوم ضمائرنا وخواطر قلوبنا وهمّ

....

نفوسنا، ونوازع الأهجاس منا سجدت لله الذي لا إله هو رب العرش العظيم، يا ذا الأمثال العلى، والاسماء الحسنى، وأنت رب العرش العظيم، واستويت عليه وأنت عال على العرش. وكيف لا يعظم وهو مقامك للربوبية يا حي يا قيوم، فمن دون إلى تحت الثرى في جوف العرش العظيم علوت العرش العظيم، علوت على العرش العظيم، وأنت عال على العرش. يا شاهد كل نجوى ومن حبل الوريد أقرب وأدنى. هب لنا ما أحصيته علينا مما أسرفنا على أنفسنا، وتفضل علينا بعفوك يا ذا الجود والافضال.

سجدة السجدة: آمنا بآياتك وخررنا لك سجداً فسبحانك اللهم وبحمدك تعاليت، ولك الكبرياء في السموات والأرض وأنت العزيز الحكيم، نبوء لك من أن نتكبّر على عظمتك، ونعوذ بك من أن ننازع أمرك أو ان نسبقك بقول أو نخالفك عن أمر أو نلجأ إلى أحد سواك، أو نركن إلى مخلوق، أو نعلق قلوبنا بمن دونك. لجلالك خضعت رقبتي، ولكبريائك ذلت نفسي، ولوجهك الكريم الباقي الدائم وضعت وجهي، ولجاهك أرغمت نفسي، ولعظمتك خرت ناصيتي ساجدة، ولربوبيتك اسلم شخصي عبودية ورقاً، فاجعل مولاي حركاتي وشغلي وهمي لك خالصاً، وعلى حقوقك عكوفاً، وبالعبودية لك قائماً فانياً، وبقلبي إليك هائماً لا أوثر على حبك أحداً ولا على أمرك أمراً.

سجدة ص: لك خررت راكعاً وساجداً، مفتوناً وغير مفتون، مستغفراً تائباً منيباً، وأنت الذي مننت على عبدك داود في وقت طول الفتنة بأن جعلت له السبيل إلى التوبة والاستغفار حتى خرّ راكعاً وأناب، فغفرت له ذلك، وأعلمت العباد أن له مع المغفرة عندك لزلفى وحسن مآب، وهذا من كرمك وفضلك على أحبابك. يا جواد وأنت به معروف، وما أنهيت إلينا هذا الخبر من صنيعك به إلا أنك رجيت عبيدك وأملتهم ما أوليته من معروفك لئلا يقنط المفتونون، ولا يتحير الخطاؤون، ولا ييأس المذنبون.

سجدة فصلت: سبح لك من عبدك فلم تلحقهم سآمة ولا فتور، ذلك بانك قويت مقامهم، وعريتهم من أشغال النفوس، ونقذتهم من الوسواس والآفات، وخلقتنا بمرضعة رحمة من الشهوات والآفات. تعتورنا أسباب البلاء وأزمة القضاء، فنعوذ بك ان نتكبر عن عبادتك أو نرفع بانفسنا عن السجود لك والإلقاء بين يديك سلماً، فمن رام عزاً فإنما ناله بالتذلل لك وكيف لا يعز من انتصب لك خادماً، وألقى نفسه بين يديك عبودية وتسليماً، إلّهي لوكانت لي نفوس غير واحدة لحق لها أن ألقيها بين يديك وأجود بها كلها، وكيف وأنها واحدة، وكيف لا أجود بها عليك، وإنما نلتها من عندك، وكيف لا أجود بها وإنما سألتنيها لترحمها وتكنفها وتحوطها برأفتك لتصلح لجوارك غداً، والمصير إلى ضيافتك في فردوس الجنان يوم الزيارة، فبك أعوذ من جماحات نفسي وحزنها عن حقوقك يا أكرم داع يا أحق مجاب.

....

سجدة النجم: لك سجدنا وإياك عبدنا وبك ائتمرنا، وحق ان نسجد. إلهنا خلقتنا من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة في ظلمات ثلاث في بطون الأمهات والأرحام والمشيمات، ثم أخرجتنا إلى محل الابتلاء والامتحان ودار السباق والمضمار وعرضتنا للبلايا والرزايا وعظيم الاخطار وفتن دار الغرور وكيد العدوّ وأمور الغيب في مشيئتك، يا ذا القدرة والعلو والرفعة، دعوتنا إلى دار السلام بسجون الأعداء، ومننت علينا منة الأحباب، وابهمت العواقب علينا من أمورنا، فمن ذا يرحمنا إن لم ترحمنا، ومن ذا يغفر لنا إن لم تغفر لنا، ومن ذا يكشف عنا ضرنا إن لم تكشف يا خير مدعوّ وأكرم مسؤول يا راحم المذنبين تفضل علينا بعفوك.

سجدة الانشقاق: الحين والشغل أحاط بهم مولاي، فاستكبروا عن توحيدك وفوت حظ منك نالهم، إلهي فتعظموا على الإيمان بك، وجعلوا معك إلهاً مفترين بقول العدوّ فلا إله إلا أنت سبحانك، وكيف يسجدون إذا قرىء عليهم القرآن وهم المطرودون من بابك ينادون من مكان بعيد إنما يسجد لك أحبابك وأهل رأفتك ورحمتك، والمؤمنون عليه بذلك قربتهم ووفرت حظهم منك، ونورت قلبهم بالسراج المنير، وشرحت صدورهم بعظيم آلائك، وأحييت قلوبهم بك، ووصلت حبلهم بحبلك، فكلما تلوا آياتك فذكروا ذكر الصفاء وأمّوا بانفسهم إليك خرّوا لوجوههم، واستروحوا إلى ذلك، وتنسموا روح القربة، وسكنوا بلطائف مقالتك ضم الشوق إليك منهم، وتلقوا أمرك بالقائهم بين يديك مترجلين لك فاجعلني ممن يترضى لك فترضى يا خير المقصودين.

سجدة القلم: لك سجدنا وبأسباب وسائلك تعلقنا، ونفوسنا بين يديك ألقينا قصداً للاقتراب منك، مولانا فقد أنزلت في وحيك علينا أن اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة، ثم قلت لنبيك: واسجد واقترب، فجعلت له بالسجود إلى القربة سبيلاً. من ذا يستحق القربة منك يا مولاي إلا من رحمته فقربته، فقد اقتربت بفعلي والقاء نفسي بين يديك تأميلاً لفضلك وطمعاً في رحيب عفوك اهـ.

وإنما سقت عبارته بتمامها لما فيها من الغرابة تكثيراً للفوائد.

فصل

في اعتبار سجدات القرآن:

قال الشيخ الأكبر في كتاب الشريعة لما قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي» ولم يذكر في القسمة إلا حال التلاوة، ولم يتعرض للهيئات من الركوع وغيره وذكر التلاوة علمنا أن التلاوة المطلوبة للحق ما فيها من التلاوة، فسمينا التالي مصلياً أي مناجياً لله بما يخص الله من الصفات، وبما يخص العبد منها، وبما يقع فيه الاشتراك فجاء في الذي يتلوه من كلام الله مواضع ينبغي السجود فيها، فعين الشارع ما نسجد فيه مما لا نسجد، فنسجد فيما سجد فيه رسول الله

....

ﷺ ونترك فيما ترك وإن كان اللفظ بالأمر يقتضي السجود، ولكن لا نسجد لكون الشارع ما شرع السجود إلا في مواضع مخصوصة لا تتعدى، والسجود المشروع في غير التلاوة مذكور، كسجود الانسان عند رؤية الآيات، وكسجود الشكر وغير ذلك عدد عزائم سجود القرآن، ونجمع المختلف فيه إلى المجمع عليه، وهي إحدى عشرة إلى خمس عشرة سجدة، فمنها ما ورد بصيغة الخبر، ومنها ما ورد بصيغة الأمر، فمنها في الاعراف في خاتمتها فأما الاعراف فسور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وعليه رجال تساوت حسناتهم وسيئاتهم، ولم تثقل موازينهم ولا خفت، وخاتمة هذه السورة قوله: ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤] وهذه الآية نزلت في القراءة في الصلاة، والسجود ركن من أركان الصلاة وختم هذه السورة بذكر الملائكة فوصفهم فقال ﴿إن الذين عند ربك﴾ وهم المقربون من الملائكة ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ [الأعراف: ٢٠٦] يقول يذلون ويخضعون له ويسبحونه أي ينزهونه عن الصفات التي تقربوا بها إليه من الذلة والخضوع وله يسجدون، فوصفهم بالسجود له سبحانه مع هذه الأحوال المذكورة وقال في آية ذكر النبيين لمحمد ﷺ وعليهم أجمعين ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٩٠] فأي هداية أعظم مما هدى الله به الملائكة فسجد هذا التالي في هذا الموضع اقتداء بالملأ الأعلى وبهديهم، ورأى أصحاب الأعراف أن موطن القيامة قد سجد فيه رسول الله ﷺ عند طلبه من ربه فتح باب الشفاعة، وسمع الله يقول ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود﴾ [القلم: ٤٢] فعلموا أنه موطن سجود فيسجد أهل الاعراف في ذلك الموطن، فيرجح ميزانهم بتلك السجدة لأنها سجدة تكليف مشروعة عن أمر الهي، فيدخلون الجنة فهذه سجدة الأعراف.

والسجدة الثانية: سجدة في سورة الرعد عند قوله: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال﴾ [الرعد: ١٥] وظلال الارواح أجسادها فأخبر الله تعالى أنه يسجد له من في السموات ومن في الأرض فهو خبر، فتعين على العبد أن يصدق الله تعالى في خبره بسجوده عنه فيسجد طائعاً. فإنه يسجد في نفس الأمر على كره وإن لم يشعر بذلك فيوقعها عبادة ليكون أنجى له، وذكر الغدوّ والآصال وهي الأوقات المنهي عنها، فاخرج حكم السجود من حكم النافلة، وجعل حكمه حكم الفرائض في الأداء، فتعين على التالي في هذه الآية السجود فيجازى من باب من صدق ربه في خبره، والأولى سجدة اقتداء، والثانية سجدة تصديق.

والسجدة الثالثة في النحل عند قوله: ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل: ٥] فذكر الملائكة والظلال بالسجود، وسجدوا في الأعراف سجود اختيار لما يقتضيه جلال الله، وهنا أثنى الله عليهم بما وفقهم إليه من امتثال أمره فسجدها العبد رغبة في أن يكون ممن أثنى الله عليه بما اثنى به على ملائكته فهي للعبد سجود ذلة وخضوع، فإنه يقول يتفيأوا ظلاله الضمير في ظلاله يعود على الشيء المخلوق، وقد قلنا: إن الاجسام ظلال الأرواح ولا تتحرك إلا بتحريك الأرواح أياماً، ثم قال: عن اليمين والشمائل سجّداً لله وهم داخرون أي أذلاء فهو سجود ذلة وخضوع.

والسجدة الرابعة في بني إسرائيل عند قوله ﴿ويزيدهم خشوعاً﴾ [الإسراء : ١٠٩] فهذه سجدة الزيادة في الخشوع والخشوع لا يكون إلا عن تجل إلهي ، فزيادة الخشوع دليل على زيادة التجلي ، فهي سجدة التجلي .

والسجدة الخامسة في مريم عند قوله ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا﴾ [مريم : ٥٨] هذا بكاء فرح وسرور وآيات قبول ورضا ، فإن الله قرن هذا السجود بآيات الرحمن ، والرحمة لا تقتضي القهر والعظمة ، وإنما تقتضي اللطف والعطف الإلهي فدمعت عيونهم فرحاً بما بشرهم الله به من هذه الآيات ، فالصورة صورة بكاء لجريان الدموع ، والدموع دموع فرح لا دموع كمد وحزن لأن مقام الإسم الرحمن لا يقتضيه .

والسجدة السادسة : في الحج عند قوله ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾ [الحج : ٧٨] وذكر سجود كل شيء في هذه الآية ، ولم يبعض إلا الناس فإنه قال : وكثير من الناس ، وجعل ذلك من مشيئته فبادر العبد بالسجود في هذه الآية ليكون من الكثير الذي يسجد لله لا من الكثير الذي حق عليه العذاب ، فإذا رأى هذا العبد أن الله تعالى قد وفقه للسجود ولم يحل بينه وبين السجود علم أنه من أهل العناية الذين التحقوا بمن لم يبعض سجودهم ممن في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب .

والسجدة السابعة : في سورة الحج في آخرها عند قوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ [الحج : ٧٧] فهذا سجود الفلاح وهو البقاء والفوز والنجاة ، فكان فعل الخير مبادرته بالسجود عند ما يسمع هذه الآية تتلى سبباً لإيمانه إذ كان الله رؤوفاً بالمؤمنين في هذه الآية ، وأمرهم بالركوع والسجود له فالتحقوا بالملائكة في كونهم يفعلون ما يؤمرون ، فسجد العبد فافلح وهي سجدة خلاف .

والسجدة الثامنة : في الفرقان عند قوله ﴿وزادهم نفوراً﴾ [الفرقان : ٦٠] قيل لهم اسجدوا للرحمن فسجدها المؤمن عندما يتلو ليمتاز بها عن الكافر المنكر لإسمه الرحمن فهذه تسمى سجدة الامتياز ، والله يقول ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ [يس : ٥٩] فيقع الامتياز بين المنكرين الإسم الرحمن ، وبين العارفين به يوم القيامة بالسجود الذي كان منهم عند هذه التلاوة ، وزادهم هذا الاسم نفوراً لجهلهم به ، ولهذا قالوا : وما الرحمن ؟ على طريق الاستفهام ، فهذا سجود انعام لا سجود قهر ، فإن الكفار أخطأوا حيث رأوا أن الرحمن يناقض التكليف ، ورأوا أن الأمر بالسجود تكليف ، فلا ينبغي أن يكون السجود لمن له هذا الاسم الرحمن لما فيه من المبالغة في الرحمة ، فلو ذكره بالاسم الذي يقتضي القهر ربما سارع الكافر إلى السجود خوفاً فما زادهم نفوراً إلا اقتران التكليف بالاسم الرحمن ، فإن الرحمن من عصاه عفا عنه وتجاوز فلا يكلف ابتداء ، ولو علم منه الجاهل ان أمره تعالى بالسجود للرحمن لا يناقض التكليف ، وإنما يناقض المؤاخذة ويزيد في الجزاء بالحسنى لبادر إلى ذلك كما بادر المؤمن .

والسجدة التاسعة: في النمل وموضع السجود منها مختلف فيه فقيل عند قوله ﴿يعلمون﴾ وقيل عند قوله ﴿رب العرش العظيم﴾ [النمل: ٢٤ ، ٢٥] فهذا هو سجود توحيد العظمة ان سجد في العظيم، وإن سجد في قوله ﴿الا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما يخفون وما يعلنون﴾ يقول إن الشمس التي يسجدون لها وإن اعتقدوا أنها تعلم ما يعلنون فالسجود لمن يعلم ما يخفون وما يعلنون أولى، ثم أنهم يسجدون للشمس لكونها تخرج لهم بحرارتها ما خبأت الأرض من النبات فقال الله لهم: ينبغي لكم أن تسجدوا للذي يخرج الخبء في السموات وهو إخراجه ما ظهر من الكواكب بعد أفولها وخبئها، ثم يظهرها طالعة من ذلك الخبء وفي الأرض ما تخرجه من نباتها، فالشمس ليس لها ذلك بل بظهورها يكون خبأ في السموات الكواكب، فالله أولى بأن يسجد له من سجودكم للشمس، فإن حكمها عند الله حكم الكواكب في الأفول والطلوع فطلوعها من الخبء الذي يخرجه الله في السماء مثل سائر الكواكب، فهذا سجود الرجحان، فإن الدليل هنا في خبء الله أرجح منه في الدلالة على ألوهية الشمس حين اتخذتموها إلهاً لِما ذكرناه.

والسجدة العاشرة: في السجدة عند قوله تعالى: ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾ [السجدة: ١٥] هذا سجود الغافلين لانه سجود عن تذكر، فلما ذكروا أيقظتهم الذكرى عن غفلتهم قال تعالى ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات: ٥٥] فيسجدون ويسبحون في سجودهم بحمد ربهم وقوله ﴿وهم لا يستكبرون﴾ يعني عند الذكرى لا يتكبرون عن قبول ما ذكروا به من آيات ربهم.

والسجدة الحادية عشرة في ص: عند قوله ﴿وخر راكعاً وأناب﴾ [ص: ٢٤] فهذا سجود الإنابة وهي سجدة شكر، وفي السجود فيها خلاف، فإن داود سجدها إنابة ونحن نسجدها شكرا لقوله تعالى: ﴿فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ [ص: ٢٥].

والسجدة الثانية عشرة في حم السجدة: وفي موضعها خلاف فقيل عند قوله: ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ [فصلت: ٣٧] فهي عنده سجود عبادة ومن سجد عند قوله ﴿وهم لا يسأمون﴾[فصلت: ٣٨] كانت عنده سجدة نشاط ومحبة.

وأما السجدة الثالثة عشرة سجدة النجم: فإنها أمر بها أهل الغناء واللهو وهم السامدون أي وان كنتم أهل غناء فتغنوا بالقرآن واسجدوا لله فيه واعبدوه وهي لغة حميرية. يقال: اسجد لنا أي عن لنا، وكانت العرب إذا سمعت القرآن غنت حتى لا تسمع القرآن، فانكر عليهم من كونهم يغنون ويضحكون ولا يبكون، فإذا كنتم بهذه المثابة فاسجدوا لله أي من أجل الله واعبدوا فإن الذلة والافتقار تمنع من الضحك فهو أنفع لكم، فإن الله قد مدح قوماً خروا سجداً وبكياً، فان موطن الدنيا موطن حذر واشفاق ما هو موطن أمان، والحكيم العالم هو الذي يعامل كل موطن بما تقتضيه الحكمة. وهذه سجدة خلاف.

اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك » . وكذلك كل سجدة ، **ويشترط في هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث ، ومن لم يكن على طهارة عند السماع ، فإذا تطهر يسجد . وقد قيل في كمالها أنه**

وأما السجدة الرابعة عشرة : فهي سجدة الانشقاق عند قوله ﴿وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون﴾ [الانشقاق : ٢١] فهذا سجود الجمع لأنه سجود عند القرآن ، والجمع يؤذن بالكثرة فإن الأحدية لله تعالى ، فكأنه يقول : وإذا سُمِعَ القرآن الذي هو مجموع صفات جلال الله من التنزيه كيف لا يتذكر السامع جمعيته فيسجد لمن له جميع صفات التنزيه ، فيكون السجود لمقام جمع من حال جمع .

وأما السجدة الخامسة عشرة : فسجدة اقرأ عند قوله ﴿واسجد واقترب﴾ [العلق : ١٩] وهذا يسمى سجود القربة ، وجاءت بعد كلمة ردع وزجر وهو قوله « كلا » لما جاء به من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر يقول واقترب إليَّ منه تعتصم باقترابك مني مما دعاك إليه ، فتأمن من غائلة ذلك والله أعلم .

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى : (**ويشترط في هذا السجود شروط الصلاة**) المذكورة في محلها لأنها جزء من أجزائها (**من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الحدث والخبث من الثوب**) بلا خلاف إلا في المحاذاة وفي القهقهة فإنه يعيدها دون الوضوء عند أصحابنا ، (**ومن لم يكن على طهارة عند السماع للسجدة فإذا تطهر سجد**) ، وبه قال الأئمة الثلاثة .

قال الرافعي : هذا إذا كان الفصل قصيرا وإن طال فاتت وهل يقضى؟ قولان . حكاهما صاحب التقريب أظهرهما ، وبه قطع الصيدلاني لا تقضى اهـ .

وقيل : يسجد وإن لم يكن طاهراً . نقل ذلك من فعل ابن عمر ، واختاره الشيخ الأكبر قدّس سره ، والاعتبار فيه أن طهارة القلب شرط في صحة السجود لله في كونه ساجداً ، وطهارة الجوارح في وقت السجود معقوله بأنها متصرفة في عبادة لم يشترط في فعلها استعمال بماء ولا تراب ، وإن كان على طهارة من ماء أو تراب فهو أولى ، وأما استقبال القبلة فالمتفق عليه بين الأئمة ما ذكر ، ومنهم من قال : يسجد للتلاوة لأي جهة كان وجهه ، والأولى استقبال القبلة والاعتبار في ذلك الله قبلة القلوب بلا خلاف فإذا سجد لله فقد سجد للقبلة ، فإن الله بكل شيء محيط لا تقيده الجهات ولا تحصره الأينيات ، فان جمع الساجد بين القبلتين فهو أكمل حساً وعقلاً فيقيد من يقبل التقييد ويطلق من يقبل الاطلاق فيعطي كل ذي حق حقه .

(**وقد قيل في كمالها**) إذا كانت في غير الصلاة (**أنه**) يقوم وينوي (**ويكبّر رافعاً يديه**) حذو منكبيه (**للإحرام**) أي كما يفعل به في افتتاح الصلاة ، (**ثم يكبّر**) أخرى للهوي من غير رفع اليد ثم يسجد ، ثم يكبر (**للارتفاع**) كما يفعل عند رفع الرأس عن سجود الصلاة ، وفي تكبيرة الافتتاح أوجه . أصحها انها شرط ، والثاني مستحبة ، والثالث لا تشرع أصلاً قاله أبو جعفر

يكبر رافعاً يديه لتحريمه، ثم يكبر للهوي للسجود، ثم يكبر للارتفاع، ثم يسلم. وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد، فإنه ورد الأمر في السجود فليتبع فيه الأمر وتكبيرة الهوي أقرب للبداية، وما عدا ذلك ففيه بُعد ثم المأموم ينبغي أن يسجد عند سجود الإمام ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموماً.

الترمذي وهو شاذ منكر، والمستحب أن يقوم وينوي قائماً ويكبّر ثم يهوي للسجود من قيام قاله الشيخ أبو محمد، والقاضي الحسين، وصاحب المهذب والتتمة، وأنكره إمام الحرمين وغيره، قال الإمام لم أر لهذا ذكراً ولا أصلاً، وهذا الذي قاله الإمام هو الأصوب، فلم يذكر جمهور الأصحاب هذا القيام ولا ثبت فيه شيء مما يحتج به، فالاختيار تركه كذا في الروضة.

(**ثم يسلم**) يميناً وشمالاً، وهل يشترط السلام؟ فيه. قولان أظهرهما نعم، (**وزاد زائدون التشهد ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو**) قياس (**بعيد**) عن المعقول، (**فإنه ورد الأمر بالسجود**) فقط، (**فليتبع فيه الأمر**) ويقتصر عليه. وعدم اشتراط التشهد هو أصح الوجهين في المذهب، ومن الأصحاب من يقول في اشتراط السلام والتشهد ثلاثة أوجه. أصحها: يشترط السلام دون التشهد. وإذا قلنا التشهد ليس بشرط فهل يستحب؟ وجهان حكاهما في النهاية. قال النووي: الأصح لا يستحب.

(**وتكبيرة الهوي أقرب للبداية**) وهي مستحبة وليست بشرط، (**وما عدا ذلك**) أي ما ذكر (**ففيه بعد**) عن قواعد المذهب، وإذا كانت سجدة التلاوة في الصلاة فلا يكبر للافتتاح، لكن يستحب التكبير للهوي إلى السجود من غير رفع اليدين، وكذا يكبر عند رفع الرأس كما يفعل في سجدات الصلاة، وفي وجه شاذ أنه لا يكبر للهوي ولا للرفع قاله ابن أبي هريرة.

وإذا رفع رأسه قام ولا يجلس للاستراحة، ويستحب أن يقرأ شيئاً ثم يركع، ولا بدّ من انتصابه قائماً، ثم يركع فإن الهوي من القيام واجب كذا في الروضة.

قال أصحابنا إذا أراد أن يسجد للتلاوة فإنه يكبّر لها ولا يرفع يديه، ويسجد، ثم يرفع رأسه ويكبر اعتباراً بالصلاة وهو المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه، وليس فيها تشهد ولا سلام لأنه للتحليل ولا تحريم هناك.

وروى الحسن عن أبي حنيفة أنه لا يكبر إذا انحط للسجود، ويكبر إذا رفع رأسه. وفي التنبيه ذكر الصدر الشهيد في الواقعات: يكبر فيها عند الابتداء والانتهاء وهو المختار كما في المكتوبة.

(**ثم المأموم ينبغي أن يسجد عند سجود الإمام**)، فلو لم يفعل بطلت صلاته، وإذا لم يسجد الإمام لا يسجد المأموم ولو فعل بطلت صلاته، ويحسن القضاء إذا فرغ ولا يتأكد، ولو سجد الإمام ولم يعلم المأموم حتى رفع الإمام رأسه من السجود لم يسجد، وإن علم وهو بعد في

السجود سجد ، وإن كان المأموم في الهوي ورفع الإمام رأسه رفع معه ولم يسجد ، وكذا الضعيف الذي هوى مع الإمام لسجود التلاوة، فرفع الإمام رأسه قبل انتهائه إلى الأرض لبطء حركته يرفع معه ولا يسجد.

(ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموماً) بل يكون له قراءة السجدة ولا يسجد لقراءة غير الإمام، بل يكره له الاصغاء إليها ، ولو سجد لقراءة نفسه أو قراءة غير إمامه بطلت صلاته. كذا في الروضة.

مسائل منثورة تتعلق بالباب

منـها : أن المصلي إذا كان منفرداً يسجد لقراءة نفسه ، فلو لم يسجد فركع ، ثم بدا له أن يسجد لم يجز ، فلو كان قبل بلوغه حد الراكعين جاز ، ولو هوى لسجود التلاوة ثم بدا له فرجع جاز ، كما لو قرأ بعض التشهد الأول ولم يتمه ، فإنه يجوز.

ومنـها : إذا قرأ آيات السجدات في مكان واحد سجد لكل واحدة، فلو كرر الآية الواحدة في المجلس الواحد نظر إن لم يسجد للمرة الأولى كفاه سجود واحد وإن سجد للأولى فثلاثة أوجه. الأصح يسجد مرة أخرى لتجدد السبب ، والثاني : تكفيه الأولى ، والثالث : إن طال الفصل سجد أخرى ، وإلا فتكفيه الأولى لو كرر الآية الواحدة في الصلاة فإن كان في ركعة فكالمجلس الواحد ، وإن كان في ركعتين فكالمجلسين، ولو قرأ مرة في الصلاة ومرة خارجها في المجلس الواحد وسجد فقال الرافعي : لم أر فيه نصاً للأصحاب ، وإطلاقهم يقتضي طرد الخلاف فيه.

ومنـها : لو كان يصلي فقرأ قارىء آية السجدة فإذا فرغ من صلاته هل يقضي سجود التلاوة؟ المذهب أنه لا يقضـيه ، وبه قطع الشاشي وغيره، واختاره إمام الحرمين لأن قراءة غير إمامه لا تقتضي سجوده ، وإذا لم يجرما يقتضي السجود أداء فالقـضاء بعيد. وقال صاحب التهذيب : يحسن أن يقضي ولا يتأكد ، كما يجيب المؤذن إذا فرغ من الصلاة.

ومنـها : إذا قرأ السجدة في الصلاة قبل الفاتحة سجد بخلاف ما لو قرأها في الركوع أو السجود ، فإنه لا يسجد ، ولو قرأ سجـدت فهوى ليسجد فشكَّ هل قرأ الفاتحة فإنه يسجد للتلاوة ، ثم يعود إلى القيام فيقرأ الفاتحة ، ولو قرأ خارج الصلاة السجدة بالفارسية لا يسجد ، وإذا سجد المستمع مع القارىء لا يرتبط به ولا ينوي الاقتداء به ، وله الرفع من السجود قبله.

ومنـها : لو قرأ آية سجدة في الصلاة فلم يسجد وسلم يستحب له أن يسجد ما لم يطل الفصل ، وإن طال ففيه الخلاف المتقدم.

ومنـها : لو سجد للتلاوة قبل بلوغ السجدة ولو بحرف لم يصح سجوده ، ولو قرأ بعد السجدة آيات ثم سجد جازماً لم يطل الفصل.

ومنـها: لو قرأ سجدة فسجد فقرأ في سجوده سجدة أخرى لا يسجد ثانياً على الصحيح المعروف، وفيه وجه شاذ حكاه في البحر أنه يسجد.

قال صاحب البحر: إذا قرأ الامام السجدة في صلاة سرية استحب تأخير السجود إلى فراغه من الصلاة قال: وقد استحب أصحابنا للخطيب إذا قرأ سجدة أن يترك السجود لما فيه من كلفة النزول عن المنبر والصعود قال: ولو قرأ السجدة في صلاة الجنازة لم يسجد فيها. وهل يسجد بعد الفراغ؟ وجهان أصحهما لا يسجد.

فصل

في مسائل منثورة لاصحابنا تتعلق بالباب:

إن تلا الإمام السجدة سجد هو والمأموم معه، وإن لم يسمعها لالتزامه متابعته، وإن تلاها المأموم لم يسجداها لا في الصلاة ولا بعد الفراغ عند أبي حنيفة وأبي يوسف. وقال محمد: يسجدونها إذا فرغوا من الصلاة لأن السبب قد تقرر، ولا مانع بعد الفراغ، وإن سمعها من هو من أهل الخطاب ممن ليس هو من أهله لزمه أن يسجد لها، وإن لم تكن واجبة على من تلاها، ولو سمع آية السجدة من النائم أو من الطير فقال بعضهم: يجب عليه، وقال آخرون: لا. وهل يجب على النائم؟ فعلى هذا الاختلاف وإن تلاها بالفارسية فهو كما إذا تلاها بالعربية عند أبي حنيفة حتى يجب على كل من سمعها أن يسجدها سواء فهمها أو لم يفهمها بعد أن أخبر بذلك، وقالا: يجب عليه، وعلى كل من فهم التلاوة، ولا يجب على من لا يفهمها، وإن تلاها بالهجاء لا يجب عليه لأنه لا يقال قرأ القرآن فإن سمعها من ليس في الصلاة سجدها على الصحيح، وإن سمعها المصلي ممن ليس معه في الصلاة سجدها بعد الصلاة لأنها ليست من أفعال الصلاة، وقد تحقق سببها وهو السماع. ولو سجدها في الصلاة أعادها خارج الصلاة لأنها ناقص لمكان النهي فلا يتأدى به الكامل ولا يعيد الصلاة.

وفي النوادر تفسد صلاته لأنه زاد فيها ما ليس منها، وقيل: هو قول محمد ومن تلاها في الصلاة فلم يسجدها فيها سقطت، ولو تلاها في الصلاة إن شاء ركع بها وإن شاء سجدها، ثم قام وقرأ وهو أفضل يروى ذلك عن أبي حنيفة.

وفي الينابيع: تالي آية السجدة في الصلاة لا يخلو من ثلاثة أوجه اما أن تكون السجدة في وسط السورة، أو في آخرها أو في خاتمتها وبعدها آيتان أو ثلاث آيات، ففي الأولى الأفضل أن يسجد ثم يقوم ويختم السورة، ولو لم يسجد وركع ونوى يجزئه قياساً، ولو لم يسجد ولم يركع حتى أتم السورة ثم ركع ونوى السجدة لا يجزئه ولا يسقط عنه بالركوع، وعليه قضاؤها بالسجود ما دام في الصلاة وفي الثاني الأفضل أن يركع بها فلو سجد ولم يركع فلا بدَّ أن يقرأ من سورة أخرى بعد رفع الرأس من السجود، وإن رفع رأسه ولم يقرأ شيئاً وركع وسجد للصلاة جازت صلاته، ولو لم

الثامن : أن يقول في مبتدأ قراءته : أعـوذ بـالله السميـع العليم مـن الشيطـان الرجيم

يركع ولم يسجد وجاوز إلى سورة أخرى فليس له أن يركع بها ، وعليه أن يسجدها ما دام في الصلاة. وفي الثالث : هو بالخيار إن شاء ركع بها وإن شاء سجد ، فإذا أراد أن يركع بها جاز أن يختم السورة وركع بها ، ولو سجدها ثم قام فإنه يختم السورة ويركع للصلاة وسجد لها ، فإن وصل إليها شيئاً آخر من سورة أخرى فهو أفضل ، ولو قرأ آية السجدة في الصلاة وأراد أن يركع بها يحتاج إلى النية عند الركوع ، وإلّا لم يجزه عن السجود ، ولو نوى في ركوعه فقيل يجزىء وقيل لا اهـ ملخصاً.

فصل

في اعتبار من يتوجه عليه حكم السجود :

اعلم انه يجب السجود على القلب وهو سجود لا رفع بعده. اتفق لسهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى في أوّل دخوله إلى هذا الطريق أنه رأى قلبه قد سجد في الساجدين ، فأراد أن يسأل شيوخ الطريق عن واقعته ، فلم يجد أحداً يعرف ما يقول ، فقيل له : إن في عبـادان شيخاً معتبراً فرحل إليه من أجل هذه الواقعة ، فلما دخل عليه قال له يا شيخ : أيسجد القلب ؟ فقال له الشيخ : إلى الأبد فوجد شفاءه ولزم خدمته ، ومدار هذه الطريقة على هذه السجدة إذا حصلت للإنسان فقد كملت معرفته وعصمته ، فلم يكن للشيطان عليه سبيل ، ويسمى هذا في حق الولي حفظاً أدباً مع الأنبياء ليتحققوا باسم العصمة ، فإن لم يسجد القلب فليس بمحفوظ . وهذه مسألة دقيقة عظيمة في الطريق ما تحصل إلا لأفراد يعز وجودهم ، وهم الذين هم على بينة من ربهم ، والبينة تجليه ، ويتلو تلك البينة شاهد من العبد وهو سجود القلب ، فإذا اجتمعت البينة والشاهد عصم القلب وحفظ كما قررناه ، وعلى هذا المقام من طريق القوم أسباب حار فيها القوم مثل قول أبي يزيد وكان أمر الله قدراً مقدوراً حين سئل أيعصي العارف ؟ فأجاب بالأدب ، ولم يقل نعم. ولا لا لمعرفته بما ثم والله أعلم.

(**الثامن : أن يقول في مبتدأ قراءته أعوذ بالله**) من الشيطان الرجيم هذا صفته المختارة قاله النووي. والأصل في سنية التعوّذ قبل القراءة قوله تعالى ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [النحل : ٩٨] أي أردت قراءته. وذهب قوم إلى انه يتعوّذ بعدها لظاهر الآية ، وقوم إلى وجوبها لظاهر الآية.

قال النووي : وكان جماعة من السلف يقولون في التعوّذ أعوذ بالله (**السميع العليم من الشيطان الرجيم**).

ونقل السيوطي في الاتقان عن حمزة : استعيذ ونستعيذ واستعذت ، واختاره صاحب الهداية من الحنفية لمطابقته لفظ القرآن ، وعن حميد بن قيس أعوذ بالله القادر من الشيطان الغادر ، وعن ابن السماك أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي ، وعن قوم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو

﴿ربِّ أعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وأعُوذُ بك ربِّ أنْ يحضرون﴾ [المؤمنون: ٩٨] وليقرأ: قل أعوذ برب الناس، وسورة الحمد لله، وليقل عند فراغه من القراءة صدق الله تعالى، وبلغ رسول الله ﷺ اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم، وفي أثناء القراءة إذا مر بآية تسبيح سبح وكبر، وإذا مرّ بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر، وإن مرّ بمرجو سأل، وإن مر بمخوف استعاذ. يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول: سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا. اللهم ارحمنا. قال حذيفة:

السميع العليم، وفيها ألفاظ أخر. وقال الحلواني في جامعه: ليس للاستعاذة حد ينتهي إليه من شاء زاد ومن شاء نقص. وفي النشر لابن الجزري: المختار عند أئمة القراءة الجهر بالتعوّذ إظهاراً لشعائر القراءة كالجهر بالتلبية وتكبيرات العيد، ومن فوائده أن السامع ينصت للقراءة من أولها لا يفوته منها شيء، وإذا أخفى التعوّذ لم يعلم السامع بها إلا بعد أن فاته شيء من المقروء، وهذا المعنى هو الفارق بين القراءة في الصلاة وخارجها، واختلف المتأخرون في المراد باخفائه، فالجمهور على أن المراد الإسرار فلا بدّ من التلفظ وإسماع نفسه، وقيل: الكتمان بأن يذكره بقلبه بلا تلفظ. قال: وهل الاستعاذة سنة كفاية أو عين حتى لو قرأ جماعة جملة، فهل يكفي استعاذة واحد منهم كالتسمية على الأكل أولا؟ لم أر فيه نصاً، والظاهر الثاني لأن المقصود اعتصام القارىء والنجاة بالله من شر الشيطان فلا يكون تعوّذ واحد كافياً عن آخر اهـ.

ولا بدّ من المحافظة على البسملة بعد الاستعاذة أوّل كل سورة غير براءة، وتتأكد عند قراءة نحو ﴿إليه يرد علم الساعة﴾ و﴿هو الذي أنشأ جنات معروشات﴾ لما في ذكر ذلك بعد الاستعاذة من البشاعة وإيهام رجوع الضمير إلى الشيطان. كذا في الاتقان.

واستحسن بعض السلف أن يقول بعد التعوّذ المذكور: (﴿**ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون﴾ [المؤمنون: ٩٨] وليقرأ: قل أعوذ برب الناس**) إلى آخر السورة فإنها من أحسن ما يتحصن به من وسواس الشياطين، (**وسورة الحمد**) فإنها الجامعة المانعة، (**وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله**) العظيم وبلغ رسوله النبي الكريم، ونحن على ذلك من الشاهدين، أو يقول صدق الله (**وبلغ رسول الله**) ﷺ وليدع بما أحب، والاحسن أن يقول: (**اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه**)، ثم يقول عقيبه: (**والحمد لله رب العالمين واستغفر الله الحي القيوم**). أو استغفر الله العظيم. كل ذلك نقله صاحب القوت.

(و) من الآداب (**في أثناء القراءة إذا مرَّ بآية تسبيح سبَّح وكبّر وإن مر بآية دعاء واستغفار دعا**) بما يليق بمقام الآية واستغفر، (**وإن مرَّ بآية تضرع وسؤال**) تملق و (**تضرع وسأل وإن مرَّ بآية تخويف استعاذ ويفعل ذلك بلسانه أو بقلبه**) أو بهما وهو الأفضل، (**فيقول**) في محل التسبيح: (**سبحان الله**) وفي موضع التكبير: الله أكبر، وفي محل التعوّذ: (**أعوذ بالله**)، وفي محل الدعاء: (**اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا**) اللهم اغفر لنا اللهم استرنا اللهم أجرنا ونحو ذلك.

صليت مع رسول الله ﷺ فابتدأ سورة البقرة، فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل، ولا بآية عذاب إلا استعاذ ولا بآية تنزيه إلا سبّح. فإذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات

(قال حذيفة) بن اليمان العبسي رضي الله عنه: **(صليت مع رسول الله ﷺ)** ذات ليلة **(فابتدأ بسورة البقرة)** فقرأها، ثم النساء فقرأها، ثم آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً، **(فكان لا يمر بآية عذاب إلا استعاذ، ولا بآية رحمة إلا سأل، ولا بآية تنزيه إلا سَبّح)** هكذا رواه مسلم في صحيحه مع اختلاف لفظ ولفظه: « كان إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوّذ تعوّذ ».

وروى أبو داود والترمذي، والنسائي، عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: « قمت مع النبي ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمرّ بآية عذاب إلا وقف وتعوّذ »

وروى أحمد وأبو داود عن ابن عباس « أن النبي ﷺ كان إذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي الأعلى ».

وعند أبي داود والترمذي في حديث « من قرأ ﴿والتين والزيتون﴾ فانتهى إلى آخرها فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ فانتهى إلى آخرها ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ فليقل بلى، ومن قرأ والمرسلات فبلغ ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ فليقل آمنا بالله ».

وروى الترمذي والحاكم عن جابر قال: « خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: لقد قرأتها ليلة الجن على الجن فكانوا أحسن مورداً منكم كنت كلما أتيت على قوله ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ قالوا ولا بشيء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد »

وروى ابن أبي داود في كتاب الشريعة عن إبراهيم النخعي عن علقمة قال: صليت إلى جنب عبد الله فافتتح سورة طه، فلما بلغ ﴿ رب زدني علماً﴾ قال رب زدني علماً رب زدني علماً.

وروى ابن مردويه، والديلمي، وابن أبي الدنيا بسند ضعيف عن جابر « أن النبي ﷺ قرأ ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ الآية [البقرة: ١٨٦] فقال: اللهم أمرت بالدعاء وتكلفت بالإجابة لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك أشهد انك فرد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها، وإنك تبعث من في القبور ».

وروى أبو داود وغيره، عن وائل بن حجر « سمعت أن النبي ﷺ قرأ ولا الضالين فقال آمين يمد بها صوته ». ورواه الطبراني بلفظ: قال « آمين » ثلاث مرات، ورواه البيهقي بلفظ قال « رب اغفر لي آمين ». ويروى عن معاذ بن جبل أنه كان إذا ختم البقرة قال « آمين ». وعن ميسرة أن جبريل لقن رسول الله ﷺ عند خاتمة البقرة « آمين »

الله عليه وسلامه عند ختم القرآن « اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي إماماً ونوراً وهدى ورحمة، اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لي حجة يا رب العالمين ».

(وإذا فرغ) من قراءته **(قال ما كان يقوله ﷺ عند ختم القرآن « اللهم ارحمني بالقرآن العظيم واجعله لي إماماً ونوراً وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وآناء النهار واجعله حجة لي يا رب العالمين »)**.

قال العراقي: رواه أبو منصور المظفر بن الحسين الأرجاني في فضائل القرآن، وأبو بكر بن الضحاك في الشمائل. كلاهما من طريق أبي ذر الهروي من رواية داود بن قيس معضلاً.

تنبيه:

ويستحب الدعاء عند ختم القرآن.

روى الطبراني عن أنس « أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا ». وروى ابن أبي داود عن الحكم بن عتيبة قال: ارسل إلي مجاهد، وعنده ابن أبي لبابة وناس يعرضون المصاحف وقال: إنا أرسلنا إليك لأنا أردنا أن نختم القرآن والدعاء يستجاب عند ختم القرآن. وعن مجاهد قال: كانوا يجتمعون عند ختم القرآن ويقول: عنده تنزل الرحمة. وروى الطبراني في المعجم الكبير عن العرباض بن سارية رفعه « من ختم القرآن فله دعوة مستجابة ». وروى ابن الضريس عن ابن مسعود قال: « من ختم القرآن فله دعوة مستجابة » وكان عبد الله إذا ختم جمع أهله ودعا وأمنوا على دعائه.

وروى الدارمي من طريق صالح المري عن قتادة قال: « كان رجل يقرأ القرآن في مسجد المدينة فكان ابن عباس قد وضع الرصد، فإذا كان يوم ختمه قام فتحول إليه ».

ويستحب التكبير من الضحى إلى آخر القرآن وهي قراءة المكيين.

روى البيهقي في الشعب، وابن خزيمة من طريق ابن أبي بزة سمعت عكرمة بن سليمان قال قرأت على إسماعيل بن عبد الله المكي، فلما بلغت الضحى قال: كبّر حتى تختم، فإني قرأت على عبد الله بن كثير فأمرني بذلك، وقال:قرأت على مجاهد فأمرني بذلك، وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك، وأخبر ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك كذا أخرجه موقوفاً.

ثم أخرجه البيهقي من وجه آخر عن ابن أبي بزة مرفوعاً.

وأخرجه من هذا الوجه أعني المرفوع الحاكم في مستدركه، وصححه. وله طرق كثيرة عن البزي، وقد أخرجت هذا الحديث في جزء سميته التحبير في المسلسل بالتكبير استوفيت فيه تلك الطرق، وفي النشر اختلف القراء وفي ابتدائه هل هو من أول الضحى، أو من آخرها ؟ وفي وصله من أولها أو من آخرها وقطعه، والخلاف فيه مشهور وكذا في لفظه فقيل الله أكبر، وقيل: لا إله إلا الله والله أكبر، وسواء في التكبير الصلاة وخارجها صرح به السخاوي وأبو شامة.

التاسع: في الجهر بالقراءة: ولا شك في أنه لا بد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف، ولا بدّ من صوت فأقله ما يسمع نفسه فإن لم يسمع نفسه لم تصح صلاته، فأما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر. ويدل على استحباب الإسرار ما روي أنه ﷺ قال: «فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية». وفي لفظ آخر:

وقال أبو العلاء الهمداني: وصفته ان يقف بعد كل سورة وقفة ويقول: الله أكبر.

وقال سليم الرازي: يكبر بين كل سورتين تكبيرة، ولا يصل آخر السورة بالتكبير، بل يفصل بينهما بسكتة، ومن لا يكبر من القراء حجتهم أن في ذلك ذريعة إلى الزيادة في القرآن بأن يداوم عليه فيتوهم أنه منه.

ويسن إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقيب الختم لحديث الترمذي وغيره عن ابن عباس «أحب الاعمال إلى الله تعالى الحال المرتحل الذي يضرب من أوّل القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل».

وروى الدارمي بسند حسن عن ابن عباس عن أبي بن كعب رفعه «كان إذا قرأ قل أعوذ برب الناس افتتح من الحمدلله ثم قرأ من البقرة إلى المفلحون ثم دعا بدعاء الختمة ثم قام».

تنبيه:

قال السيوطي في الاتقان: منع الإمام أحمد تكرير سورة الاخلاص عند الختم، لكن عمل الناس على خلافه. قال بعضهم: والحكمة فيه ما ورد أنها تعدل ثلث القرآن فتحصل بذلك ختمة، أما التي قرأها وأما التي حصل ثوابها بتكرير السورة، وحاصل ذلك يرجع إلى جبر ما لعله حصل في القراءة من خلل، وكما قاس الحليمي التكبير عند الختم على التكبير عند إكمال رمضان، فينبغي ان يقاس تكرير سورة الاخلاص على اتباع رمضان بست من شوّال والله أعلم.

(**التاسع: في الجهر بالقراءة**) والاسرار بها وما الحكم فيهما، (**ولا شك في أنه يجهر بها**) في صلاته (**إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف**) ووصل الكلمات بعضها ببعض، (**ولا بدّ من صوت**) هو الهواء المنضغط عن ذلك التقطيع فينتقش بصورة خاصة (**وأقله ما يسمع نفسه فإن لم يسمع نفسه لم تصح صلاته**). وفي تهجيته حروف القراءة في الصلاة عند أصحابنا خلاف، فالذي في الينابيع أنها تفسد الصلاة. ومقتضى سياق الواقعات أنها تفسد لأنه من الحروف التي في القرآن.

(**فاما الجهر حيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه مكروه على وجه آخر، ويدل على استحباب الإسرار ما روي عن رسول الله ﷺ انه قال «فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية»**) كذا في القوت ولم يرد بهذا اللفظ، ولكن

« الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسرّ به كالمسر بالصدقة » . وفي الخبر العام : « يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفاً » وكذلك قوله ﷺ : « خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي » وفي الخبر : « لا يجهر بعضكم على بعض » في القراءة بين

معناه في الحديث الذي يليه وهو قوله : **(وفي لفظ آخر « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسرّ به كالمسر بالصدقة »)** .

قال العراقي : رواه أبو داود والنسائي والترمذي وحسنه من حديث عقبة بن عامر اهـ .

قلت : وفي السند إسماعيل بن عياش ضعفه قوم ووثقه آخرون ، ورواه أيضاً الحاكم عن معاذ بن جبل ، ووجه الشبه أن الإسرار أبعد من الرياء فهو أفضل لخائفه ، وبه يظهر صحة معنى الحديث الأول ، وروى الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود « وفضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية » . ورواه ابن المبارك في الزهد مثله .

(وفي الخبر العام « يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفاً ») هكذا في القوت .

قال العراقي : رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة اهـ .

قلت : وضعفه البيهقي ولفظه في الشعب « يفضل الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة على الذي تسمعه بسبعين ضعفاً » وقد رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء .

(وكذلك) أي في العموم **(قوله ﷺ « خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي »)** كذا في القوت .

قال العراقي : رواه أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبي وقاص اهـ .

قلت : وكذا رواه البيهقي أيضاً ، ونعيم بن حماد في الفتن ، والعسكري في الأمثال ، وعبد بن حميد ، وأبو عوانة كلهم من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة ، عن سعد غير أنه بتقديم الجملة الثانية على الأولى ، ومحمد بن عبد الرحمن هذا وثقه ابن حبان ، وضعفه ابن معين ، وبقية رجاله عند أحمد وابن حبان رجال الصحيح ، وهذا الحديث قد عدّ من الحكم والأمثال .

وأخرج الخطيب عن المحاسبي في تفسير قوله « خير الرزق ما يكفي » انه قوت يوم بيوم ، ولا يهتم لرزق غد ، وبهذا الحديث استدل أصحابنا على ندب الاسرار لتكبير العيد .

(وفي الخبر « لا يجهر بعضكم على بعض ») فإن ذلك يؤذي المصلي رواه الخطيب عن جابر قاله **(في القراءة بين المغرب والعشاء)** ، وهذه عبارة القوت ، وليست الجملة من أصل الحديث ، وظنها العراقي كذلك فقال : رواه أبو داود من حديث البياضي دون قوله « بين المغرب والعشاء » والبيهقي في الشعب من حديث علي « قبل العشاء وبعده » وفيه الحارث الأعور وفيه ضعف .

المغرب والعشاء. وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد رسول الله ﷺ عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه: اذهب إلى هذا المصلي فمره أن يخفض من صوته. فقال الغلام: إن المسجد ليس لنا وللرجال فيه نصيب، فرفع سعيد صوته وقال: يا أيها المصلي إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك، وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً. فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركعته، فلما سلّـم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة، ويدل على استحباب الجهر ما روي أن النبي ﷺ سمع جماعة من أصحابه

قلت: وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال «الا إن كلكم مناج لربه فلا يؤذي بعضكم بعضاً ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة»

(وسمع سعيد بن المسيب) بن حزن القرشي التابعي **(ذات ليلة في مسجد النبي ﷺ عمر بن عبد العزيز)** الأموي الخليفة **(يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت فقال)** سعيد **(لغلامه: إذهب إلى هذا المصلي فمره أن يخفض صوته، فقال الغلام: إن المسجد ليس لنا)** خاصة، **(وللرجل فيه نصيب، فرفع سعيد صوته وقال: أيها المصلي إن كنت تريد الله)** أي وجهه **(بصلاتك فاخفض)** أي فأخف صوتك، **(وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً)**. قال: **(فسكت عمر وخفف ركعته، فلما سلّم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة)**. هكذا أورده صاحب القوت وهو معدود في مناقب عمر بن عبد العزيز، ولعل بالمسجد كان بعض من يصلي فلذا منعه ولم يحاب كونه أميراً يومئذ.

(ويدل على استحباب الجهر ما روي عن رسول الله ﷺ أنه سمع جماعة من الصحابة يجهرون بالقراءة في صلاة الليل فصوّب ذلك) أي رآه صواباً إما بسكوته أو باستحسانه. وهذه العبارة انتزعها المصنف من كتاب القوت ونصه: وعلى ذلك فقد كان رسول الله ﷺ يسمع جماعة من أصحابه يجهرون بالقراءة في صلاة الليل فيصوّب ذلك لهم ويسمع إليهم.

وقال العراقي في الصحيحين من حديث عائشة: ان رجلاً قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله ﷺ «رحم الله فلانا» الحديث.

ومن حديث أبي موسى قال لي رسول الله ﷺ «لو رأيتني وأنا أسمع قراءتك البارحة» الحديث.

وفي حديث أيضاً «إنما أعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن» الحديث.

قلت: وهذه الاخبار قد يذكرها المصنف فيما بعد ويأتي الكلام عليها.

يجهرون في صلاة الليل فصوّب ذلك، وقد قال ﷺ: « إذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بالقراءة فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون قراءته ويصلون بصلاته » ومر ﷺ بثلاثة من أصحابه رضي الله عنهم مختلفي الأحوال فمرّ على أبي بكر رضي الله عنه وهو يخافت، فسأله عن ذلك فقال: إن الذي أناجيه هو يسمعني. ومرّ على عمر رضي الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال: أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان، ومرّ على بلال وهو يقرأ آياً من هذه السورة، وآياً من هذه السورة فسأله عن ذلك، فقال: اخلط الطيب بالطيب، فقال ﷺ: « كلكم قد أحسن وأصاب » فالوجه في الجمع بين

(وقد قال) ولفظ القوت وقد أمر بالجهر فيما روي عنه **(ﷺ « إذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته »)** كذا في القوت.

وقال العراقي: رواه بنحوه بزيادة أبو بكر البزار ونصر المقدسي في المواعظ من حديث معاذ ابن جبل وهو منكر ومنقطع.

(ومرّ رسول الله ﷺ على ثلاثة من أصحابه مختلفي الأحوال) أي منهم من يخافت، ومنهم من يجهر، ومنهم من يخلط الآية بالآية **(فمرّ على أبي بكر رضي الله عنه وهو يخافت)** في قراءته، **(فسأله عن ذلك فقال: إن الذي أناجيه هو يسمعني)** أي قريب مني، **(ومرّ على عمر رضي الله عنه وهو يجهر)** في قراءته، **(فسأله عن ذلك فقال: أوقظ الوسنان)** أي انبه النائم **(وأزجر الشيطان)** أي أطرده، **(ومرّ على بلال)** بن رباح رضي الله عنه **(وهو يقرأ آياً من هذه السورة وآياً من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال: اخلط الطيب بالطيب، فقال ﷺ « كلكم قد أحسن وأصاب »)** هكذا أورده، وقد تقدم في كتاب الصلاة « انه ﷺ سمع بلالاً يقرأ من ههنا ومن ههنا فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال: احسنت ». وقد رواه أبو داود من حديث أبي هريرة باسناد صحيح نحوه، وقد تقدم الكلام عليه، وهذا يدل على جواز قراءة آية آية من كل سورة، وقد نقل القاضي أبو بكر بن العربي الإجماع على عدم جواز ذلك. قال البيهقي: وأحسن ما يحتج به هنا أن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة النبي ﷺ، وأخذه عن جبريل والأولى بالقارىء أن يقرأه على التأليف المنقول، وقد قال ابن سيرين تأليف الله خير من تأليفكم، وعدّ الحليمي خلط السورة بالسورة من ترك الأدب، واحتج بما أخرجه أبو عبيد عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ مرّ ببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة فسأله فقال: اخلط الطيب بالطيب فقال « اقرأ السورة على وجهها » أو قال: على نحوها وهو مرسل صحيح، ووصله أبو داود عن أبي هريرة بدون آخره، وأخرجه أبو عبيد من وجه آخر عن عمر مولى غفرة وهي أخت بلال أن النبي ﷺ قال لبلال « إذا قرأت السورة فانفذها » ثم قال أبو

هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنع، فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوّش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل. لأن العمل فيه أكثر ولأن فائدته أيضاً تتعلق بغيره، فالخير المتعدي أفضل من اللازم ولأنه يوقظ قلب القارىء ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه، ولأنه يطرد النوم في رفع الصوت، ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه، ولأنه قد يراه بطّال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة، فمتى حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل وإن

عبيد الأمر عندنا على كراهة قراءة الآيات المختلفة، كما انكر رسول الله ﷺ على بلال فتأمل ذلك مع سياق المصنف.

(فالوجه في الجمع بين هذه الاحاديث) المختلفة **(أن الاسرار)** بالقراءة **(أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل في حق من يخاف ذلك)** أي الرياء **(على نفسه)** ولفظ القوت المخافتة بالقراءة أفضل إذا لم تكن للعبد نيّة في الجهر، أو كان ذاهباً عن الهمة والمعاملة بذلك لأنه أقرب إلى السلامة وأبعد من دخول الآفة، **(وإن لم يخف)** ذلك **(ولم يكن في الجهر ما يشوّش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتعلق بغيره والخير المتعدي أفضل من اللازم)** ولفظ القوت: وإن الجهر أفضل لمن كانت له نية في الجهر ومعاملة مولاه به لأنه قد قام بسنة قراءة الليل، ولأن المخافتة نفعه لنفسه والجهر نفعه له ولغيره، وخير الناس من نفع الناس، والنفع بكلام الله عز وجل من أفضل المنافع، ولأنه قد أدخل عملاً ثانياً يرجو به قربة ثانية على عمله الأول فكان في ذلك أفضل.**(ولأن الجهر يوقظ قلب القارىء)** أي ينبهه عن سنة الغفلة، **(ويجمع همه إلى الفكر فيه ويصرف إليه سمعه)** ولا يوجد ذلك كله في الاسرار **(ولأنه يطرد النوم برفع الصوت، ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله)** وتثبطه، **(ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب احيائه)** من غفلته **(ولأنه قد يراه بطال)** عن العمل **(غافل)** عن الذكر، **(فينشط)** في نفسه **(بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة)** والعمل. فهذه سبعة وجوه في أفضلية الجهر.

ولفظ القوت: وفي الجهر سبع نيات: منها الترتيل الذي أمر به، ومنها تحسين الصوت بالقرآن الذي ندب إليه، ومنها ان يسمع أذنيه ويوقظ قلبه ليتدبر الكلام ويتفهم المعاني ولا يكون كل ذلك إلا في الجهر. ومنها أن يرد القوم عنه برفع صوته، ومنها ان يرجو بجهره يقظة نائم فيذكر الله تعالى فيكون هو سبب احيائه. ومنها ان يراه بطال غافل فينشط للقيام ويشتاق للخدمة فيكون هو معاوناً له على البر والتقوى، ومنها ان يكثر بجهره تلاوته ويدوم قيامه على حسب عادته للجهر ففي ذلك يكثر عمله.

(فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل، وإن اجتمعت هذه النيات تضاعف

اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الابرار وتتضاعف أجورهم، فإن كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشرة أجور، ولهذا نقول: قراءة القرآن في المصاحف أفضل إذ يزيد في العمل النظر، وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه، وقد قيل: الختمة في المصحف بسبع لأن النظر في المصحف أيضاً عبادة.

الأجر وبكثرة النيات يزكو عمل الأبرار فتضاعف أجورهم، وإن كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور).

ولفظ القوت: فإذا كان العبد معتقداً لهذه النيات طالباً لها ومتقرباً إلى الله سبحانه بها عالماً بنفسه مصححاً لقصده ناظراً إلى مولاه الذي استعمله فيما يرضاه فجهره أفضل لأن له فيه أعمالا، وإنما يفضل العمل بكثرة النيات فيه، وارتفع العلماء وفضلت أعمالهم بحسن معرفتهم بنيات العمل واعتقادهم لها، فقد يكون في العمل الواحد عشر نيات يعلم ذلك العلماء فيعملون بها فيعطون عشر أجورهم، فأفضل الناس في العمل أكثرهم نية وأحسنهم قصداً وأدباً.

قلت: والى هذا الجمع جنح النووي حيث قال:الإخفاء أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام بجهره، والجهر أفضل في غير ذلك، لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته تتأدى إلى السامعين، ولأنه يوقظ قلب القارىء ويجمع همه إلى الفكر ويصرف سمعه إليه ويطرد النوم ويزيد في النشاط. وقال بعضهم: يستحب الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها لأن المسر قد يمل فيأنس بالجهر والجاهر قد يمل فيستريح بالإسرار اهـ.

ثم قال صاحب القوت: وفي بعض التفسير ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ [الضحى: ١١] قال: قراءة القرآن.

(ولهذا نقول قراءة القرآن في المصحف أفضل إذ يزيد عمل البصر، وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسبب ذلك) قال النووي: هكذا قاله أصحابنا والسلف أيضاً، ولم أر فيه خلافاً. قال: ولو قيل انه مختلف باختلاف الأشخاص فتختار القراءة فيه لمن استوى خشوعه وتدبره لو قرأ من المصحف لكان هذا قولاً حسناً اهـ.

قال السيوطي: وحكى الزركشي في البرهان ما بحثه النووي قولاً وحكى معه قولاً ثالثاً ان القراءة من الحفظ أفضل مطلقاً، وإن ابن عبد السلام اختاره لأن فيه من التدبر ما لا يحصل بالقراءة في المصحف اهـ.

(وقد قيل: الختمة في المصحف بسبع لأن النظر في المصحف أيضاً عبادة) مطلوبة.

ومن أدلة القراءة في المصحف ما رواه الطبراني فقال: حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا رحيم، ثنا صفوان بن معاوية، عن أبي سعيد بن عوف المكي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي، عن

وخرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما، فكان كثير من الصحابة يقرأون في المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف. ودخل بعض

جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة وقراءته في المصحف تضاعف ألفي درجة».

ورواه ابن عدي في الكامل عن عبد الله بن محمد بن مسلم، عن رحيم. وأبو سعيد مختلف في توثيقه.

وقال أبو عبيد في فضائل القرآن: حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا بقية، عن معاوية بن يحيى، عن سليمان بن مسلم، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرأه ظاهراً كفضل الفريضة على النافلة» معاوية وسليمان ضعيفان وبقية مدلس وقد عنعن.

وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن المظفر، حدثنا الحسن بن جبير الواسطي، حدثنا إبراهيم بن جابر، حدثنا الحر بن مالك، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف». قال: لم يروه عن شعبة إلا الحر تفرد به إبراهيم بن جابر.

وروى ابن النجار في تاريخه عن أنس رفعه: «من قرأ القرآن نظراً متع ببصره» وقد ورد الأمر بإدامة النظر في المصحف.

قال أبو الحسين بن بشران في فوائده: أخبرنا أبو جعفر الرزاز، حدثنا محمد بن عبيد الله بن يزيد، حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق، عن سفيان هو الثوري، عن عاصم، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اديموا النظر في المصحف». وأخرجه أبو عبيد عن زيد بن الحباب عن إسحاق الأزرق. وقد روينا في النظر في المصحف حديثاً مسلسلاً يقول: «كل راوٍ اشتكت عيني فقال لي انظر في المصحف» هو في مسلسلات إبراهيم بن سليمان.

(وخرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته فيها) نقله صاحب القوت وثبت أنه رضي الله عنه لما قتل كان يقرأ في المصحف حتى سقط الدم على قوله: ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ [البقرة: ١٣٧].

(وكان كثير من الصحابة) رضي الله عنهم **(يقرأون في المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف)** فمنهم عثمان رضي الله عنه وقد تقدم.

ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال أبو عبيد، حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا علي بن يزيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، عن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه.

فقهاء مصر على الشافعي رضي الله عنه في السحر وبين يديه مصحف فقال له الشافعي: شغلكم الفقه عن القرآن إني لأصلي العتمة وأضع المصحف بين يدي فما أطبقه حتى أصبح.

العاشر: تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم،

وقد روي ذلك عمن بعدهم أيضاً قال الدارمي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا همام، حدثنا ثابت هو البناني قال: كان عبد الرحمن بن أبي ليلى إذا صلى الصبح قرأ في المصحف حتى تطلع الشمس، وكان ثابت يفعله وعبد الرحمن تابعيان وهذا الأثر صحيح.

(ودخل بعض فقهاء مصر على) الإمام محمد بن إدريس **(الشافعي رضي الله عنه في السحر وبين يديه المصحف)** وهو يقرأ فيه **(فقال)** له الشافعي: **(شغلكم الفقه عن القرآن إني لأصلي العتمة وأضع المصحف بين يدي فما أطبقه حتى الصبح)** وقد تقدم قريباً أنه رضي الله عنه كان يختم في كل يوم وليلة ختمة، فإذا جاء رمضان ختم في كل يوم وليلة ختمتين.

(العاشر: تحسين القراءة وتزيينها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك هو السنة)

اعلم أن كيفيات القراءة ثلاثة.

أحدها: التحقيق وهو إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهمزة وإتمام الحركات واعتماد الإظهار والتشديدات وبيان الحروف وإخراج بعضها من بعض بالسكت والرسل والتؤدة، وملاحظة الجائز من الوقوف بلا قصر ولا اختلاس ولا إسكان محرك ولا إدغامه من غير أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط بتوليد الحروف من حركات، وتكرير الراآت، وتحريك السواكن، وتطنين النونات بالمبالغة في الغنات، كما قال حمزة لبعض من سمعه يبالغ في ذلك: أما علمت أن ما فوق البياض برص، وما فوق الجعودة قطط، وما فوق القراءة ليس بقراءة.

الثانية: الحدر بفتح الحاء وسكون الدال المهملتين وهو إدراج القراءة وتحقيقها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام الكبير وتخفيف الهمزة، ونحو ذلك مما صحت به الرواية مع مراعاة إقامة الإعراب، وتقديم اللفظ، وتمكين الحروف بدون بتر حروف المد، واختلاس أكثر الحركات، وذهاب الصوت إلى غاية لا تصح بها القراءة ولا توصف بها التلاوة.

الثالثة: التدوير وهو التوسط بين المقامين: التحقيق والحدر، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة ممن مد المنفصل ولم يبلغ فيه الإشباع وهو المنفصل، وهو المختار عند أكثر أهل الأداء، والفرق بين التحقيق والترتيل أن التحقيق يكون للرياضة والتعلم والتمرين، والترتيل يكون للتدبر والتفكر والاستنباط. فكل تحقيق ترتيل، وليس كل ترتيل تحقيقاً. وفي جمال القراء قد ابتدع الناس في قراءة القرآن أصواتاً ويقال: أول ما غني به من القرآن قوله تعالى: ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾ [الكهف: ٧٩] نقلوا ذلك من تغنيهم بقول الشاعر:

فذلك سنّة. قال ﷺ: « زينوا القرآن بأصواتكم ». وقال عليه السلام: « ما أذن الله

أما القطاة فإني سوف أنعتها   نعتاً يوافق عندي بعض ما فيها

وقد قال ﷺ في هؤلاء: « مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم ».

ومما ابتدعوه شيء وسموه الترقيص وهو أن يروم السكت على الساكن، ثم ينفر مع الحركة كأنه في عدو وهرولة، وآخر يسمى التطريب، وهو أن يترنم بالقرآن ويتهيّم به فيمد في غير مواضع المد، ويزيد في المد على ما ينبغي، وآخر يسمى التحزين وهو أن يأتي على وجه حزن يكاد يبكي مع خشوع وخضوع.

(قال ﷺ: « زينوا القرآن بأصواتكم ») ففيه حث على ترتيله ورعاية إعرابه، وتحسين الصوت به، وتنبيه على التحرز من اللحن والتصحيف، فإنه إذا قرىء كذلك كان أوقع في القلوب وأشد تأثيراً وأرق لسامعيه، وسماه تزييناً لأنه تزيين للفظ وللمعنى. وقيل: هو على القلب، والمراد: زينوا أصواتكم بالقرآن أي الهجوا بقراءته واشغلوا أصواتكم به واتخذوه شعاراً وزينة لأصواتكم.

وقد روى الحاكم عن البراء رضي الله عنه هكذا: « زينوا أصواتكم بالقرآن فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً ».

وفي أدائه بحسن الصوت وجودة الأداء بعث للقلوب على استماعه، وتدبره، والإصغاء إليه.

قال التور بشتي: هذا إذا لم يخرجه التغني عن التجويد ولم يصرفه عن مراعاة النظم في الكلمات والحروف، فإن انتهى إلى ذلك عاد الاستحباب كراهة.

وأما الحديث المذكور فقال العراقي: رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب اهـ.

قلت: قال أبو داود الطيالسي في مسنده: حدثنا شعبة، عن طلحة بن مصرف، عن عبد الرحمن ابن عوسجة، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « زينوا القرآن بأصواتكم » وهو حديث حسن صحيح أخرجه أحمد عن محمد بن جعفر، ويحي بن سعيد كلاهما عن شعبة مطولاً.

وأخرجه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي، وأخرجه أبو داود والنسائي من رواية الأعمش، وأحمد أيضاً والنسائي من رواية منصور كلاهما عن طلحة بن مصرف، وأخرجه النسائي أيضاً، وابن ماجه من رواية يحي بن سعيد، وله طريق أخرى عن البراء بلفظ: « حسنوا القرآن بأصواتكم » فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً رواه ابن أبي داود عن إسحاق بن إبراهيم بن زيد عن محمد بن بكير.

وقد روي هذا الحديث أيضاً عن أبي هريرة بلفظ المصنف قال جعفر بن محمد: حدثنا أبو بكر بن أبي عثمان، حدثنا يحي بن بكير، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن سهيل بن أبي صالح،

لشيء إذنه لحسن الصوت بالقرآن ». وقال ﷺ : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن ». فقيل أراد به الاستغناء، وقيل أراد به الترنم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل

عن أبيه عنه. ذكره البخاري في أواخر كتاب التوحيد من صحيحه معلقاً. وقال في كتاب خلق أفعال العباد: روى سهيل بن أبي صالح فذكره، وأخرجه ابن أبي داود عن البخاري عن يحيى بن بكير، وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن عمر بن محمد البحيري عن البخاري، وقد روي هذا الحديث أيضاً عن عبد الرحمن بن عوف، وعن أنس كلاهما عن البزار. وسند كل منهما ضعيف، وعن ابن عباس عند الطبراني وفي سنده انقطاع، وعند الدارقطني في الافراد وسنده حسن.

(وقال ﷺ : « ما أذن الله تعالى) أي ما استمع **(لشيء أذنه)** بالتحريك أي استماعه **(لحسن الصوت بالقرآن »)** قال الأزهري: أخبرنا عبد الملك عن الربيع، عن الشافعي أن معناه تحزين القراءة وترقيقها. وتحقيق ذلك في الحديث الآخر: « زينوا القرآن بأصواتكم » وهكذا فسره أبو عبيد.

قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة: « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن » زاد مسلم « لنبي حسن الصوت بالقرآن » وفي رواية له « كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن » اهـ.

قلت: قال أبو نعيم في مستخرجه على صحيح مسلم: حدثنا عبد الله بن أحمد بن إسحاق، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا سليمان بن داود الرشديني، حدثنا عبدالله بن وهب، حدثني عمر بن مالك وحيوة بن شريح كلاهما عن ابن الهاد، وهو يزيد بن عبد الله، عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن » وهو حديث صحيح رواه مسلم عن أحمد بن عبد الرحمن بن وهب عن عمه عبد الله بن وهب.

وأخرج أيضاً عن بشر بن الحكم، عن عبد العزيز محمد الدراوردي، عن يزيد بن الهاد.

وأخرج البخاري من وجه آخر، عن ابن الهاد، وأخرجه أبو داود عن الرشديني عن عبد الله بن وهب، وأخرج الشيخان أصل هذا الحديث من طريق آخر عن أبي سلمة دون قوله: « حسن الصوت » وفي بعضها يجهر به.

(وقال ﷺ : « ليس منا من لم يَتَغَنَّ بالقرآن ») تقدم تخريج هذا الحديث قريباً **(قيل: أراد به الاستغناء)** قال الأزهري في التهذيب، قال سفيان بن عيينة: معناه ليس منا من لم يستغن بالقرآن ولم يذهب إلى معنى الصوت.

وقال أبو عبيد: وهو فاش في كلام العرب يقولون: تغنيت تغنياً وتغانيت تغانياً بمعنى استغنيت.

(وقيل: أراد به الترنم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة) ولفظ القوت: وهو أحد الوجهين وأوجهها إلى أهل اللغة.

اللغة. وروي أن رسول الله ﷺ كان ليلة ينتظر عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه، فقال ﷺ: «ما حبسك». قالت: يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتاً منه، فقام ﷺ حتى استمع إليه طويلاً ثم رجع فقال ﷺ: «هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله» واستمع ﷺ أيضاً ذات ليلة إلى

قلت: والذي نقله الأزهري عن أبي عبيد يخالف ذلك لكن يقوي هذا الوجه حديث فضالة بن عبيد الذي تقدم ذكره للمصنف مرفوعاً «لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته» رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان وأبو عبيد وأبو مسلم الكجي في السنن والحاكم في المستدرك.

(وروي أن رسول الله ﷺ كان ليلة ينتظر عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه فقال لها رسول الله ﷺ: «ما حبسك»؟ فقالت يا رسول الله: كنت اسمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتاً منه، فقام ﷺ حتى استمع إليه طويلاً ثم رجع فقال: هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله») هكذا أورده صاحب القوت.

قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث عائشة ورجال إسناده ثقات اهـ.

قلت: قال ابن ماجه: حدثنا العباس بن محمد الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني حنظلة ابن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط يحدث عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: «أبطأت على رسول الله ﷺ بعد العشاء تعني في المسجد ثم جئت فقال: أين كنت؟ قلت: كنت اسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد. قالت: فقام وقمت معه حتى استمع له ثم التفت إليها فقال: هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا» هذا حديث حسن أخرجه محمد بن نصر في قيام الليل عن داود بن رشيد عن الوليد بن مسلم ورجاله رجال الصحيحين، لكن عبد الرحمن بن سابط كثير الإرسال.

وقد أخرجه عبد الله بن المبارك في كتاب الجهاد عن حنظلة شيخ الوليد فأرسله. قال ابن سابط: إن عائشة سمعت سالماً، وابن المبارك اتقن من الوليد بن مسلم.

قال الحافظ: وقد صححه الحاكم وخفيت عليه علته، لكن وجدت له طريقاً أخرى أخرجها البزار من رواية الوليد بن صالح بن أبي أسامة عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة فذكر الحديث دون القصة، وقال: تفرد به أبو أسامة.

قال الحافظ: وإذا انضم إلى السند الذي قبله تقوى به وعرف أن له أصلاً ولا يبعد تصحيحه، وسالم المذكور من المهاجرين الأولين، وكان مولى امرأة من الأنصار اعتقته قبل الإسلام فحالف أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة فتبناه، فلما نزلت ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ [الأحزاب: ٥] قيل له مولى أبي حذيفة وهو أحد الأربعة الذين أمر ﷺ بأخذ القرآن عنهم، وهو في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر، واستشهد سالم وأبو حذيفة معاً باليمامة في خلافة الصديق رضي الله عنهم أجمعين.

عبدالله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلاً، ثم قال ﷺ: « من أراد أن يقرأ القرآن غضاً طرياً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد ». وقال ﷺ لابن مسعود: « اقرأ عليَّ فقال: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل فقال ﷺ: إني أحب أن أسمعه من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله ﷺ تفيضان ».

(واستمع) ﷺ **(أيضاً ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود)** رضي الله عنه وهو يقرأ **(ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلاً ثم قال: « من أراد أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد »)** كذا في القوت.

قال العراقي: رواه أحمد والنسائي في الكبرى من حديث عمر، وللترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود أن أبا بكر وعمر بشراه أن رسول الله ﷺ قال: « من أحب أن يقرأ القرآن » الحديث. وقال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: لفظ المصنف ساقه الطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمر وبلفظ: « من أحب » أخرجه أحمد وابن ماجه والطبراني في الكبير والحاكم عن أبي بكر وعمر.

ورواه أبو يعلى والطبراني في الكبير عن ابن مسعود، ورواه أحمد أيضاً وابن منده عن عمرو بن المصطلق ورواه أبو نصر السجزي في الإبانة، والخطيب، وابن عساكر عن ابن عمر. ورواه الطبراني أيضاً في الكبير عن عمار بن ياسر. ورواه أبو يعلى أيضاً والعقيلي عن أبي هريرة.

وروى ابن عساكر من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن جده بلفظ: « من أحب أن يسمع القرآن جديداً غضاً كما أنزل فليسمعه من ابن مسعود ».

(وقال ﷺ**)** ذات يوم **(لابن مسعود: « اقرأ علي فقال يا رسول الله: أقرأ عليك وعليك أنزل، فقال: إني أحب أن أسمعه من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله ﷺ تفيضان »)** أي تسيلان بالدموع. كذا في القوت وذلك عند قوله تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ٤١] سيأتي للمصنف إعادة ذلك قريباً.

قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن مسعود.

قلت: وزاد صاحب القوت هنا ما نصه: وكان ابن مسعود يأمر علقمة بن قيس أن يقرأ ين يديه يقول له: رتل فداك أبي وأمي وكان حسن الصوت بالقرآن اهـ.

قلت: قال أبو نعيم في المستخرج: حدثنا أحمد بن جعفر بن سعيد، حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان، حدثنا أبو ربيعة واسمه زيد بن عوف، حدثنا سعيد بن زربي، حدثنا حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم يعني النخعي، عن علقمة قال: كنت رجلاً حسن الصوت فكان عبد الله بن مسعود يرسل إلي فآتيه فاقرأ فيقول: رتل فداك أبي وأمي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « حسن الصوت زينة القرآن ».

واستمع ﷺ إلى قراءة أبي موسى، فقال: «لقد أوتي هذا من مزامير آل داود» فبلغ ذلك أبا موسى فقال: يا رسول الله؛ لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً، ورأى

وأخرجه ابن أبي داود في كتاب الشريعة، عن أسيد بن عاصم، عن زيد بن عوف وأخرجه أيضاً عن أبيه، وأخرجه البزار عن محمد بن يحي كلاهما عن مسلم بن إبراهيم عن سعيد بن زربي قال البزار: تفرد به سعيد وليس بقوي. قال الحافظ: وأبو ربيعة فيه مقال لكنه توبع.

وقد أخرجه الطبراني، وابن عدي وغيرهما من طرق عن سعيد، ووقع في رواية الطبراني من الزيادة قال علقمة: فكنت إذا فرغت من قراءتي قال: زدنا من هذا فإني سمعت فذكره.

(واستمع ﷺ إلى قراءة أبي موسى) عبدالله بن قيس **(الأشعري)** رضي الله عنه **(فقال: «لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود» فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله: لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي موسى اهـ.

قلت: ورواه النسائي من حديث عروة، عن عائشة أن النبي ﷺ سمع صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال: «لقد أوتي أبو موسى من مزامير آل داود».

وقال أبو نعيم في المستخرج: حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا أحمد ابن إبراهيم الدورقي، حدثنا يحي بن سعيد الأموي، حدثنا طلحة بن يحي، عن خاله أبي بردة، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ ذات يوم: «لو رأيتني وأنا استمع قراءتك البارحة لقد أعطيت مزماراً من مزامير آل داود» قلت يا رسول الله: لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيراً. أخرجه عن داود بن رشيد عن يحي بن سعيد.

وقال أبو نعيم أيضاً: حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا يوسف القاضي، حدثنا عمرو بن مرزوق وقال الدارمي: حدثنا عثمان بن عمر قال: حدثنا مالك بن مغول، عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أوتي الأشعري أو أبو موسى مزماراً من مزامير آل داود» أخرجه مسلم عن محمد بن عبدالله بن نمير بن أبيه عن مالك بن مغول.

وقال أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده: حدثنا شريح بن يونس، حدثنا خالد ابن نافع، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبي بردة، عن أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي ﷺ وعائشة مرّا بأبي موسى وهو يقرأ في بيته فقاما يستمعان لقراءته، فلما أصبح أتى أبو موسى رسول الله ﷺ فذكر له فقال: أما أني يا رسول الله لو علمت لحبرته لك تحبيراً. أخرجه ابن عدي في الكامل في ترجمة خالد بن نافع وهو مختلف فيه.

وقال محمد بن أبي عمر المدني في مسنده: حدثنا بشر بن السري، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه: «أن أبا موسى كان يقرأ ذات ليلة فجعل أزواج النبي ﷺ يستمعن لقراءته فلما أصبح أخبر بذلك فقال: لو علمت لحبرته تحبيراً أو لسوقتكن تسويقاً»

....

أخرجه أحمد بن منيع في مسنده، ومحمد بن سعد في الطبقات جميعاً عن يزيد بن معروف زاد ابن سعد وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة، وزاد فيه: «وكان حلو الصوت».

والمراد بالمزمار في الحديث: الصوت الحسن وأصله الآلة التي يزمر بها شبه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار، وآل داود هنا داود نفسه ولفظ: «الآل» مقحم. وقيل: معناه هنا الشخص، وداود: هذا هو النبي ﷺ، وقد كان إليه المنتهى في حسن الصوت بالقراءة.

وقال أبو نعيم: حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف، حدثنا عبدالله بن محمد البغوي، حدثنا عبيد الله ابن عمر القواريري، وحدثنا صفوان بن عيسى، حدثنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي قال: صلى بنا أبو موسى الأشعري صلاة الصبح، فما سمعت صوت صنج ولا بربط كان أحسن صوتاً منه هذا موقوف صحيح أخرجه أبو عبيد في الفضائل، ومحمد بن سعد في الطبقات كلاهما عن إسماعيل بن إبراهيم.

أخبرنا سليمان التيمي، قال الولي العراقي في شرح التقريب: استدل بهذا الحديث على أنه لا بأس بالقراءة بالألحان، وبه قال أبو حنيفة وجماعة من السلف، وقال بكراهتها مالك وأحمد والجمهور، ونقل المزني والربيع المرادي عن الشافعي أنه لا بأس بها ونقل عنه الربيع الجيزي أنها مكروهة. قال بعض الأصحاب: وليس في هذا اختلاف، ولكن موضع الكراهة، أن يفرط في المد وفي إشباع الحركات حتى يتولد من الفتحة ألف، ومن الضمة واو، ومن الكسرة ياء، أو يدغم في غير موضع الإدغام، فإن لم ينته إلى هذا الحد فلا كراهة، وكذا حمل الحنابلة نص إمامهم على الكراهة على هذه الصورة وهي كراهة تنزيه. وقال النووي في الروضة: الصحيح أنه إذا فرط على الوجه المذكور، فهو حرام صرح به صاحب الحاوي فقال: هو حرام يفسق به القارىء ويأثم المستمع لأنه عدل به عن نهجه القويم، وهذا مراد الشافعي بالكراهة. وذكر الأسنوي في المهمات أن تصحيح النووي في هذه المسألة ضعيف مخالف لكلام الشافعي والأصحاب فلا معول عليه، قال: ثم أن القول بالتفسيق بتقدير التحريم مشكل لا دليل عليه، بل الصواب على هذا التقدير أن يكون صغيرة اهـ.

وقال أبو العباس القرطبي بعد ذكره الخلاف في ذلك: ولا شك أن موضع الخلاف في هذه المسألة إنما هو إذا لم يغير لفظ القرآن بزيادة أو نقصان أو يبهم معناه بترديد الأصوات، فلا يفهم معنى القرآن فإن هذا مما لا أشك في تحريمه فأما إن سلم من ذلك وحذا به حذو أساليب الغناء والتطريب والتحزين فقط، فقال مالك: ينبغي أن تنزه أذكار الله وقراءة القرآن عن التشبه بأحوال المجون والباطل، فإنها حق وجد وصدق، والغناء هزل ولهو ولعب، وهذا الذي قاله مالك وجمهور العلماء هو الصحيح اهـ.

وفي الحديث منقبة لأبي موسى الأشعري، وفيه: جواز مدح الإنسان في وجهه إذا لم يخش من ذلك مفسدة بحصول العجب للممدوح والله أعلم.

هيثم القارىء رسول الله ﷺ في المنام قال: فقال لي: أنت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك؟ قلت: نعم. قال: جزاك الله خيراً. وفي الخبر: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن، وقد كان عمر يقول لأبي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربّنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط، فيقال: يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة، فيقول: أوَلسنا في صلاة، إشارة إلى قوله عز وجل: ﴿وَلِذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقال ﷺ: «من استمع إلى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نوراً يوم القيامة»، وفي الخبر: كتب له عشر حسنات. ومهما عظم أجر الاستماع

(ورأى الهيثم القارىء) هو الهيثم بن حميد الغساني عن يحي بن الحارث الزماري، وزيد بن واقد، وعنه هشام بن عمار، وعلي بن حجر قال وحيم: كان أعلم الناس بقول مكحول، وقال أبو داود ثقة. **(النبي ﷺ في المنام قال، فقال لي: أنت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك؟ قلت: نعم. قال: جزاك الله خيراً)** وهذا يقوي ما ذكرناه في حديث: «زينوا القرآن بأصواتكم» أنه لا قلب فيه.

(وفي الخبر: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن) نقله صاحب القوت، **(وقد كان عمر)** بن الخطاب **(يقول لأبي موسى)** الأشعري رضي الله عنهما **(ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط)** أي يصير وقتاً بين الوقتين، **(فيقال يا أمير المؤمنين: الصلاة الصلاة. فيقول: أو لسنا في صلاة)**. هكذا أورده صاحب القوت **(إشارة إلى قوله تعالى)** ولفظ القوت كأنه يتأول قوله تعالى **(ولذكر الله أكبر)** [العنكبوت: ٤٥] زاد صاحب القوت هنا:

وقال بعض عباد البصـرة لما وضع بعض البغداديين كتاباً في معاني الرياء وخفي آفات النفوس قال: لقد كنت أمشي بالليل أسمع أصوات المتهجدين كأنها أصوات الميازيب، فكان في ذلك أنس وحث على الصلاة والتلاوة، حتى جاءنا البغداديون بدقائق الرياء وخفايا الآفات، فسكت المتهجدون فلم يزل ذلك ينقص حتى ذهب فانقطع وترك إلى اليوم اهـ.

(وقال ﷺ: «من استمع إلى آية) أي اصغى إلى قراءة آية **(من كتاب الله)** وعدى الاستماع: «بإلى» لتضمنه معنى الإصغاء **(كانت له نوراً يوم القيامة» وفي الخبر: «كتب له عشر حسنات»)** هذا لفظ القوت وسياقه.

قال العراقي: رواه أحمد من حديث أبي هريرة: «من استمع إلى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نوراً إلى يوم القيامة» وفيه ضعف وانقطاع اهـ.

قلت: قال الهيثمي: فيه عباد بن ميسرة ضعفه أحمد وغيره، وقد رواه ابن مردويه أيضاً من هذا الطريق إلا أنه قال: «نوراً يوم القيامة».

وكان التالي هو السبب فيه كان شريكاً في الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع .

وروى أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس: « من استمع إلى كتاب الله عز وجل كان له بكل حرف حسنة ».

وعند ابن عدي والبيهقي من حديثه: « من استمع حرفاً من كتاب الله طاهراً كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات » الحديث.

وروى الديلمي عن أنس: « من استمع إلى كتاب الله كان له بكل حرف حسنة ».

(ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكاً في الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والصنع) ولفظ القوت: والتالي شريك المستمع في الأجر لأنه أكسبه ذلك، وقال بعضهم للقارىء أجر وللمستمع أجران، وقال آخر: وللمستمع تسعة أجور، وكلاهما صحيح، لأن كل واحد منهما على قدر انصاته ونيته فإذا كان التالي مكسباً لغيره هذه الأجور، فإن له بكل أجر كسبه أجراً يكسبه لقوله ﷺ: « الدال على الخبر كفاعله » سيما إن كان عالماً بالقرآن فقيهاً فيه فيكون مقرؤه ووقوفه حجة وعلماً لسامعه.

وقال في موضع آخر: فإن لم يكن للتالي نية في شيء مما ذكرنا وكان ساهياً غافلاً عن ذلك، أو كان واقفاً مع شيء من الآفات، أو تشج في قلبه شخص أو ساكن ذكر هوى، فقد اعتل فعليه أن يحتمي الجهر، فإن جهر على ذلك ثقل قلبه وفسد عمله لاستكنان الداء فيه، وكان الى النقصان أقرب، ومن الاخلاص أبعد، فعليه حينئذ بالإخفاء فهو دواؤه يعالج به حاله فهو أصلح لقلبه وأسلم لعمله وأحمد في عاقبته، وقد يكون العبد واجداً لحلاوة الهوى في الصلاة والتلاوة، وهو يظن أن ذلك حلاوة الإخلاص، وهذا من دقيق شأن الشهوة الخفية ولطيف الانتقاص، وقد تلبس ذلك على الضعفاء ولا يفطن له إلا العلماء، وإنما يجد حلاوة الاخلاص الزاهدون في الدنيا وفي مدح الناس لهم نصح المعاملة وصدق الخدمة المحبون لله تعالى العلماء به واعتبار فقد ذلك بأحد شيئين سقوط النفس باستواء المدح، والذم وهذا حال في مقام الزهد، أو خروج الخلق من القلب بشهادة اليقين. وهذا في مقام المعرفة. وفي هذين المقامين يستوي السر والعلانية، والله أعلم.

الباب الثالث

في أعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة:

فهم أصل الكلام، ثم التعظيم ثم حضور القلب، ثم التدبر ثم التفهم، ثم التخلي عن موانع الفهم، ثم التخصيص، ثم التأثر ثم الترقي، ثم التبرىء.

فالأوّل: فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه، فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى افهام خلقه. وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر، إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم

الباب الثالث

في ذكر أعمال الباطن في تلاوة القرآن

وهي التي لا اطلاع عليها لأهل الظاهر، وإنما يدركها المخلصون الزاهدون في الدنيا المبرؤون من رعونات النفوس الأمارة **(وهي عشرة)**.

الأول: (فهم أصل الكلام ثم التعظيم) له، **(ثم حضور القلب)** فيه، **(ثم التدبر)** لمعانيه، **(ثم التفهم)** لها بما قدر له فيه، **(ثم التخلي عن موانع الفهم)** أي الأحوال التي تمنعه عن أصل الفهم، **(ثم التخصيص، ثم التأثر ثم الترقي، ثم التبرىء)** فهذه عشرة أعمال على سبيل الإجمال لا بدّ من مراعاتها لأهل التلاوة من أرباب الأحوال.

(فالأول: فهم عظمة الكلام) الذي يتلوه وجلالة قدره **(وعلوه و)** ملاحظة **(فضل الله سبحانه ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة إفهام خلقه)**. اعلم أن الناس في التلاوة على ثلاث مقامات: أعلاهم من يشهد أوصاف المتكلم في كلامه ويعرف اخلاقه بمعاني خطابه كما سيأتي ذلك للمصنف في عمل الترقي، وهو التاسع من هذه الأعمال، فالخصوص يشاهدون في تلاوتهم معاني ما يتلونه ويتحققون في مشاهدتهم بمدد من سيدهم حتى يستغرقهم الفهم فيغرقون في بحر العلم فإن قصر مشاهدة التالي عن هذا المقام، **(فلينظر كيف لطفه بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه)** وأنه يناجيه به ويتملق بمناجاته، **(و)** يشهد **(كيف تجلت لهم تلك الصفة في طيّ حروف وأصوات هي صفات البشر)** كما تقدم توضيحه في كتاب (قواعد العقائد) وليعلم أن الله تعالى إنما خاطبه

صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه، ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره، ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطاق لسماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكاً. ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة على حدّ فهم الخلق. ولهذا عبّر بعض العارفين عنه فقال: إن كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف، وأن الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتي إسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله بإذن الله عز وجل ورحمته لا بقوّته وطاقته، ولكن الله عز وجل طوّقه ذلك واستعمله به. ولقد تأنق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في إيصال معاني الكلام مع علو درجته إلى فهم الإنسان تثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلاً لم يقصر فيه، وذلك أنه دعا بعض الملوك حكيم إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك

بلسانه، وكلمه بحركته وصوته ليفهم عنه بعلمه الذي جعله له، ويعقل عنه بفهمه الذي قسمه له حكمة منه ورحمة. (**إذ يعجز البشر عن الوصول إلى فهم صفات الله تعالى إلا بوسيلة صفات نفسه، ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى، و**) لو تكلم الجبار جل جلاله بوصفه الذي يدركه سمعه (**لتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه**) وقهر جلاله (**وسبحات نوره**). وتقدم تحقيق سبحات الأنوار في (قواعد العقائد).
(**ولولا تثبيت الله تعالى موسى عليه السلام لما أطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل**) أي الطور (**مبادىء تجليه حيث صار دكاً**) أي مدكوكاً مساوياً للأرض، فحجب ذلك في غيب علمه عن العقول وستره بصنيع قدرته عن القلوب، وأظهر للقلوب علوم عقولها، وأشهد للعقول عرف معقولها بلطفه وحنانته ورحمته وإحسانه، (**ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة**) بينة (**على حدّ فهم الخلق**) باختلاف عقولهم، (**ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال: إن كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف**) وهو المحيط بالدنيا، (**وأن الملائكة**) عليهم السلام (**لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه**) أي يحملوه (**ما أطاقوه**) أي ما قدروا عليه (**حتى يأتي إسرافيل**) عليه السلام، (**وهو ملك اللوح**) المحفوظ والموكل بالصور أيضاً (**فيرفعه فيقله**) أي يطيق على حمله (**بإذن الله تعالى ورحمته لا بقوّته وطاقته، ولكن الله تعالى طوّقه**) إطاقة (**ذلك واستعمله به**). وفي بعض النسخ: طوّقه ذلك لما استعمله به، (**ولقد تأنق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في ايصال معاني الكلام مع علوّ درجته إلى فهم الإنسان وتثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلاً لم يقصر فيه وذلك أنه**) أي ذلك البعض من الحكماء (**دعا بعض الملوك**) ولفظ القوت: وبلغنا في الأخبار السالفة أن ولياً من أولياء الله عز وجل من الصديقين ابتعثه في الفترة إلى ملك من الجبابرة يدعوه إلى

عن أمور، فأجاب بما يحتمله فهمه، فقال الملك: أرأيت ما تأتي به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس، وأنه كلام الله عز وجل؟ فكيف يطيق الناس حمله؟ فقال الحكيم: إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنواع عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها، لكي يطيقوا حملها. وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكمال صفاته. فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس. ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من أن شرف الكلام أي الأصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسداً ومسكناً والحكمة للصوت نفساً

التوحيد، و **(إلى شريعة الأنبياء، فسأله الملك عن أمور)** ولفظ القوت: عن أشياء من معاني التوحيد، **(فأجاب بما يحتمله فهمه)** ولفظ القوت: فجعل الصديق يجيبه عنها بما يقرب من فهمه ويدركه عقله من ضرب الأمثال بما يستعمله الناس بينهم ويتعارفونه عندهم **(فقال الملك: أرأيت)** ولفظ القوت: إلى أن قال له الملك أفرأيت: **(ما يأتي به الأنبياء إذا ادعيت انه ليس بكلام الناس)** ولا رأيهم، **(وأنه كلام الله)** ولفظ القوت: أمن كلام الله هو؟ قال الحكيم: نعم. قال الملك: **(فكيف يطيق الناس حمله، فقال الحكيم: إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا)** أن **(الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه، فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم وأوصلوا)** بذلك **(مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بها)** أي بالبهائم **(من النقر والتصفير والأصوات القريبة من أصواتها، لكن تطيق حملها)** ولفظ القوت: فوضعوا لها من النقر والتصفير والزجر ما عرفوا انها تطيق حمله، **(وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما يتراجعون به بينهم من الأصوات التي يسمعون بها الحكمة)** الإلهية **(كصوت النقر والصفير الذي به سمعت الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوأة)** أي المخفية **(في تلك الصفات من أن شرف الكلام لشرفها وعظم لتعظيمها)** هكذا هو في القوت، ويوجد في بعض نسخ الكتاب من أن يشرف الكلام فشرفت الأصوات لشرفها وعظمت لتعظيمها، **(فكان الصوت للحكمة جسداً ومسكناً)** أي بمنزلة الجسد والمسكن، **(والحكمة للصوت نفساً وروحاً)**، أي بمنزلة النفس والروح، **(فكما أن أجساد البشر تكرم وتعز لمكان**

وروحاً. فكما أن أجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح، **فكذلك أصوات الكلام** تشرف للحكمة التي فيها، والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل، وهو القاضي العدل والشاهد المرتضى يأمر وينهى. ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس، ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما تحيا به أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط. فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه النافذ أمره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدي بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت، ودواء الأسقام الذي من سقي منه لم يسقم. فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة، فينبغي أن يقتصر عليه.

الروح) التي فيها، **(فكذلك أصوات الكلام تشرف)** وتكرم للحكمة التي فيها، **(والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل، وهو القاضي العدل)** الذي لا يجور في حكمه، **(والشاهد المرتضى يأمر وينهى، ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس، ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة)** أي غايتها وباطنها **(كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس، ولكنهم ينالون من عين الشمس)** وفي القوت: من شعاع الشمس **(ما تحيا به أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط، فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه الشاهد أمره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها)** كذا في القوت. وفي بعض النسخ: وعنصرها مكنون **(وكالنجوم الظاهرة)** أي المضيئة **(التي قد يهتدي بها من لا يقف)** وفي القوت: من لا يقع **(على سيرها)** وفي القوت علـى سرها فالكلام أعظم وأشرف من ذلك **(فهو مفتاح)** الخزائن النفيسة وباب المنازل العالية ومراقي الدرجات الشريفة، **(وشراب الحياة الذي من شرب منه)** شربة **(لم يمت، ودواء الأسقام الذي من سقي منه)** جرعة **(لم يسقم)** أي لم يمرض زاد صاحب القوت إذا لبسه من لم يتسلخ به أبدى عورته، وإذا تسلخ به غير أهله لم يخرج إلا منهم، ثم قال: فقلت: هذا نقلاً من كلام الصديق الحكيم الذي خاطب به الملك واستجاب له بإذن الله عز وجل، **(فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة، فينبغي أن يقتصر عليه)** ولفظ القوت: فهذا وصف كلام الله عز وجل الذي جعله الله لنا آية وعبرة ونعمة علينا ورحمة، فانظر إلى الحكيم كيف جعل عقول البشر في فهم كلام الله العظيم بمنزلة فهم البهائم والطير بالنقر والصفير إلى عقول البشر، وجعل النقر والصفير والأفهام من

الثاني: التعظيم للمتكلم فالقارىء عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم، ويعلم أن ما يقرأه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر، فإنه تعالى قال: ﴿لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩] وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهراً فباطن معناه أيضاً بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهراً عن كل رجس ومستنيراً بنور التعظيم والتوقير، وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان، ولا لنيل معانيه كل قلب. ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف غشي عليه ويقول: هو كلام ربي هــو كلام ربي، فتعظيم الكلام

الناس للأنعام مثلاً لما أفهم الله به الأنام من معاني كلامه الجليل بما ألهمهم فيه من الكلام إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم. فهذه قدرة لطيفة من قدره التي لا تتناهى وحكمة محكمة من حكمه التي لا تتضاهى إنه حكيم عليم.

(**الثاني: التعظيم للمتكلم فالقارىء عند البداية**) أي الابتداء (**بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم**) وجلالته وهيبته، (**ويعلم ان ما يقرأه ليس من كلام البشر وأن في تلاوته كلام الله عز وجل غاية الخطر**) وأن له في تلاوته حسبما له من تعظيمه، والفهم له، والمشاهدة منه، والمعاملة به لأنه من أكبر شعائر الله تعالى في خلقه، وأعظم آياته في أرضه الدالة عليه، وللعبد من التعظيم له بقدر تقواه، وله من فهم الخطاب وتعظيم الكلام على نحو ما أعطي من معرفة المتكلم وهيبته وإجلاله، فإذا عظم المتكلم في قلبه وكبر في همه أنعم تدبر كلامه، وأطال الفكرة في خطابه، وأكثر تكراره وتكريره على نفسه، وأسرع تذكره عند النازلة به والحاجة إليه فاتقى وحذر، ولذلك قال تعالى: ﴿واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ [البقرة: ٦٣] ﴿كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾ [البقرة: ١٨٧] لأن كل كلام موقوف على قائله يعظم بتعظيمه ويقع في القلب بعلو مكانه، أو يهون بسهولة شأنه، فالله تعالى ليس كمثله شيء في العظمة والسلطان وليس ككلامه في الاحكام والبيان، (**فإنه تعالى قال: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾**) [الواقعة: ٧٩] وهو اخبار في معنى الإنشاء والتطهير أعم من تطهير الظاهر والباطن، (**وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس**) له، (**إلا إنْ كان متطهراً**) من الحدث والخبث، (**فباطن معناه أيضاً بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب**) أي قلب التـالي، (**إلا إذا كـان متطهـراً عـن كـل رجس**) معنـوي (**مستنيراً بنـور التعظيم والتوقير، وكما لا يصلح لمس المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه**) على سبيل الاستعاذة (**كل قلب، ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل**) المخزومي القرشي أسلم بعد الفتح، وقتل يوم اليرموك وقد روى له الترمذي، ورواية مصعب بن سعد عنه مرسلة: (**إذا نشر المصحف**) بين يديه ليتلو فيه (**غشي عليه**) وبكى (**ويقول: هو**

تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله. فإذا حضر بباله العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار، وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد، وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته، إن أنعم فبفضله وإن عاقب فبعدله، وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي. وهذا غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم، ثم تعظيم الكلام.

الثالث: حضور القلب وترك حديث النفس. قيل في تفسير: ﴿يا يحي خُذِ الكِتَابَ بقوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] أي بجد واجتهاد وأخذه بالجد أن يكون متجرداً له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره، وقيل لبعضهم: إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء فقال: أو شيء أحب إلي من القرآن حتى أحدث به نفسي؟ وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن

كلام ربي هو كلام ربي) مرتين، **(فيعظم الكلام بتعظيم المتكلم)** وهيبته وجلاله، **(ولن تحضره عظمة المتكلم)** في نفسه **(ما لم يتفكر في صفاته)** العلى **(وأفعاله)** الجميلة ومعاملاته مع غيره وحسن بلائه لهم، **(فإذا حضر بباله)** من عظيم خليقته **(العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار)** وغيرها من مصنوعاته البديعة، **(وعلم)** وتحقق بشهادة اليقين **(أن الخالق لجميعها)** بأنواعها وأصنافها **(والقادر عليها)** إيجاداً وإعداماً **(والرازق)** والمفيض عليها بأنواع النعم اللائقة بكل منها **(واحد)** أحد لا شريك له، **(وأن الكل في قبضة قدرته)** وأسرة قهره **(مترددون بين فضله ورحمته)** لمن شاء **(وبين نقمته وسطوته)** لمن شاء **(إن أنعم فبفضله)** سبحانه **(وإن عاقب فبعدله)** لا معقب لحكمه **(وأنه الذي يقول هؤلاء)** يعني أهل اليمين **(في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء)** يعني أهل الشمال **(في النار ولا أبالي)** كذا ورد ذلك في الخبر الصحيح، **(وهذا غاية العظمة و)** نهاية **(التعالي)** دقت دونه الأعناق **(فالفكر في أمثال هذا يحضر)** أي يكون سبباً باعثاً لحضور **(تعظيم المتكلم)** في القلب، **(ثم)** ينشأ منه **(تعظيم الكلام.**

الثالث: حضور القلب) وهو عبارة عن حصول الجمعية بحفظ الأنفاس **(وترك حديث النفس)** أجل باعث عليه. **(قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿يا يحي خُذ الكتاب بقوّة﴾ [مريم: ١٢] أي بجد واجتهاد)** ومثله ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾ قيل بعمل به، **(وأخذه بالجد)** هو **(أن يكون متجرداً له عند قراءته منصرف الهم إليه عن غيره)** فلا يخطر له في تلك الحالة سوى ما يتعلق به، **(و)** من هنا **(قيل لبعضهم)** من العارفين: **(إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء)** أي يخطر في بالك حديث نفس؟ **(فقال: أو شيء أحب إليَّ من القرآن أحدث به نفسي)** نقله صاحب القوت.

قلبه فيها أعادها ثانية. وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم، فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه، ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان ... أهلاً له. فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في منتزه ومتفرج. والذي يتفرج في المنتزهات لا يتفكر في غيرها، فقد قيل: إن في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس ودبابيج ورياضاً وخانات فالميمات ميادين القرآن، والراءات بساتين القرآن، والحاءات مقاصيره، والمسبحات عرائس القرآن، والحاميمات ديابيج القرآن، والمفصل

(**وكان بعض السلف إذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها**) أي لم يحصل له حضور القلب عند تلاوتها (**اعادها ثانية**) ليكون قلبه بوصف كل كلمة يتلو مشاهداً لمعناها نقله صاحب القوت (**وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم**) للمتكلم، (**فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس به ولا يغفل عنه، ففي القرآن ما يستأنس به القلب**) وينشرح له الصدر (**إن كان التالي أهلاً لذلك**) أهلية حقيقية، (**فكيف يطلب الانس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج**) والمتنزه على صيغة اسم المفعول البساتين والمواضع البعيدة عن المساكن، والمتفرج على وزنه أعم من ذلك. (**والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها**) فإنه إليها نهاية الاطماع، (**فقد قيل: إن في القرآن ميادين**) جمع ميدان بالكسر وهو الموضع المتسع، (**وبساتين**) جمع بستان بالضم الجنة. قال الفراء عربي. وقال غيره: رومي معرب، (**ومقاصير**) جمع مقصورة وهي العلية في الدار أو جمع قصر على غير قياس، (**وعرائس**) جمع عروس وصف يستوي فيه الذكر والأنثى ما داما في اعراسهما وجمع الرجل عُرُس بضمتين، وجمع المرأة عرائس، (**ودبابيج**) بباءين موحدتين جمع ديباج بالكسر، والأصل دباج بالتضعيف، فأبدل من أحد المضعفين حرف العلة، فهذا يرد في الجمع إلى أصله، وقيل: الياء أصلية فعلى هذا جمعه بياءين تحتيتين وهو ثوب سداه ولحمته ابريسم ويقال هو معرب، (**ورياضاً**) جمع روضة، (**وخانات**) جمع خان وهي التي ينزلها المسافرون، (**فالميمات ميادين القرآن**) كأنه لمناسبة ميم الميدان أو لأن الميم من الحروف الجوفية، وهو على بادي نظر الناظرين وإن كان يرى ضيقاً فهو أوسع من الميدان، (**والراءات بساتين القرآن**) كأنه لمناسبة راء الراحلة فإن الإنسان يرتاح إلى البساتين، وفي ذكر الراء بعد الميم إشارة إلى الخروج من الضيق إلى الفضاء، (**والحامدات مقاصيره**) والحمد منها السور المبدوءة بالحمد لله أو الآيات التي فيها ذكر الحمد، (**والمسبحات عرائس القرآن**) وهي السور المبدوءة بالتسبيح، وإنما شبهت بالعرائس لما لها من العز بين قومها ومن هنا قالوا: كاد العروس أن يكون ملكاً. (**والحواميم**) وفي نسخة وآل حم وفي أخرى والحاميات (**دبابيج القرآن**) شبهت بها لما في ظاهرها وباطنها من لباب الحكم كما أن الديباج سداه ولحمته ابريسم، (**والمفصل رياضه**) لما فصل فيه من أنواع الأحكام والقصص والأمثال فهي كالرياض فيها أنواع الفواكه والثمار، (**والخانات ما سوى ذلك**) ينزل فيها السالكون في طريق الله بفهم أسرارها

رياضه، والخانات ما سوى ذلك، فإذا دخل القارىء الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديابيج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره.

الرابع: التدبر وهو وراء حضور القلب فإنه قد لا يتفكر في غير القرآن، ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره. والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سنّ فيه الترتيل لأن الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن. قال علي رضي الله عنه: لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها. وإذا لم يتمكن من التدبر

واستنباط معانيها من باب الاعتبار، ولا يقفون عندها طلباً للترقي كما أن الخان ينزله المسافر لكي يستريح ليلته، فإذا أصبح سافر، **(فإذا دخل القارىء)** ولفظ القوت: فإذا جال المريد في **(الميادين)** بأن تحرك بهمته في قطع مفاوزها، **(وقطف من البساتين)** أنواع ثمارها، **(ودخل المقاصير)** والعلالي المشرفة فيها، **(وشهد العرائس)** وجلوتها، **(ولبس الديابيج)** أي حللها على أكتافه، **(وتنزه في الرياض)** وتفرج فيها، **(وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب)** أي لم يغب **(قلبه ولم يتفرق فكره)** ولفظ القوت: اقتطعه ووافقه ما يراه وشغله الشاهد به عما سواه.

(الرابع: التدبر) معناه النظر في دبر الأمور ـ أي عواقبها وهو قريب من التفكر إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل والتدبر تصرفه بالنظر في العواقب **(وهو وراء حضور القلب فإنه قد)** يتفق أنه **(لا يتفكر في غير القرآن، ولكنه يقتصر على سماع من نفسه)** حال تلاوته **(وهو لا يتدبره، والمقصود من القرآن التدبر)** في معانيه، **(ولذلك سن فيه الترتيل)** وهو رعاية مخارج الحروف وحفظ الوقوف أو هو حفظ الصوت والتحزن بالقراءة على ما سبق بيانه، **(لأن الترتيل في الظاهر)** إنما سنّ **(ليتمكن من التدبر في الباطن. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها)** كذا أورده صاحب القوت.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبي، حدثنا أبو جعفر محمد بن ابراهيم بن الحكم، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدثنا شجاع بن الوليد، عن زياد بن خشبة، عن إسحاق، عن عاصم بن حمزة عن علي قال: « لا خير في قراءة لا علم فيها ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في عبادة لا تدبر فيها ».

وقال ابن عبد البر في جامع العلم: حدثنا عبد الرحمن بن يحيى، حدثنا أحمد بن سعيد، حدثنا محمد بن زبان، حدثنا الحرث بن مسكين، حدثنا ابن وهب، أخبرني عقبة بن نافع، عن إسحاق بن أسيد، عن أبي مالك وأبي إسحاق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ألا أنبئكم بالفتية كل الفتية؟ قالوا: بلى » الحديث وفيه: « ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه

إلا بترديد فليردد إلا أن يكون خلف إمام فإنه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الإمام بآية أخرى كان مسيئاً مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه. وكذلك إن كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها إمامه فهذا وسواس. فقد روي عن عامر بن عبد قيس أنه قال: الوسواس يعتريني في الصلاة. فقيل: في أمر الدنيا؟ فقال: لأن تختلف فيّ الأسنّة أحب إليّ من ذلك، ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي عز وجل وأني كيف أنصرف فعدَّ ذلك وسواساً وهو كذلك فإنه يشغله عن فهم ما هو فيه، والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله بمهم ديني، ولكن يمنعه به عن الأفضل. ولما ذكر ذلك للحسن قال: إن كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا. ويروى: «أنه ﷺ قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة» وإنما

ولا علم ليس فيه تفهم ولا قراءة ليس فيها تدبر» وقال ابن عبد البر: لا يأتي هذا الحديث مرفوعاً إلا من هذا الوجه وأكثرهم يوقفونه على علي رضي الله عنه.

(وإذا لم يتمكن من التدبر) في الآية **(إلا بترديد فليردد)** فإنه مطلوب **(إلا أن يكون خلف إمام فإنه)** يمنع من ذلك حينئذ إذ **(لو بقي)** المأموم **(في تدبر آية)** تلاها الإمام، **(وقد اشتغل الإمام بآية أخرى)** انتقل إليها **(كان مسيئاً)** في ترديده فيها، ومثله **(مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه)**. وهذا يدل على قصوره في عمله، **(وكذلك إذا كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها)** إمامه أو هو بنفسه **(فهو وسواس)** يحترز منه لأنه مأمور إذ ذلك بإتيان ما يناسب فيه من الأذكار والتسبيح، **(فقد روي عن عامر بن عبد قيس)** الزاهد. روى عنه أبو مجلز أخرج له النسائي **(أنه قال)** يوماً لأصحابه: **(الوسواس يعتريني في الصلاة. فقيل في أمر الدنيا؟ فقال: لأن تختلف في الأسنّة)** جمع سنان وهو من الرمح معروف **(أحبّ إليّ من ذلك، ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي عز وجل وأني كيف انصرف)** أي من المقبولين من أهل اليمين أو خلاف ذلك **(فعدَّ ذلك وسواساً)** مع أنه تفكر في أمر ديني، **(وهو كذلك)** أي كما قاله، **(فإنه يشغله عن فهم ما هو فيه)** من أمر الصلاة، **(والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله بمهم ديني لكن يمنعه بذلك من الأفضل)** وهي دسيسة خفية من الشيطان يدس بها على أكثر السالكين، **(ولما ذكر ذلك)** أي قول عامر بن عبد قيس **(للحسن)** البصري رحمه الله **(قال: إن كنتم صادقين عنه)** في نقله **(فما اصطنع الله ذلك عندنا. وروي «أن رسول الله ﷺ قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة»)** كذا في القوت.

قال العراقي: رواه أبو ذر الهروي في معجمه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف انتهى.

قلت: كأنه يشير إلى أنه أخرجه من طريق أبي الشيخ الأصبهاني في كتابه أخلاق النبي ﷺ

رددها ﷺ لتدبره في معانيها . وعن أبي ذر قال: قام رسول الله ﷺ بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُم فإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [المائدة: ١١٨] الآية . وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ [الجاثية : ٢١]

من طريق روح بن مسافر، عن محمد بن الملائي، عن أبيه، عن أبي هريرة، أو عن محمد عن أبي هريرة قال: « صحبت النبي ﷺ في سفر في ليلة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فبكى حتى سقط فقرأها عشرين مرة كل ذلك يبكي حتى يسقط ثم قال في آخر ذلك: لقد خاب من لم يرحمه الرحمن الرحيم »

روح أبو بشر كناه البخاري وغيره وكناه لوين أبا المعطل وهو أحد المتروكين. تركه ابن المبارك وأحمد وابن معين. قال ابن حبان: لا تحل الرواية عنه.

(وإنما رددها لتدبره ﷺ في معانيها) فإنها تتضمن جميع أسرار القرآن وفي القوت: فكان له في كل ذلك فهم، ومن كل كلمة علم.

(وعن أبي ذر) الغفاري **(رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ بنا ليلة فقام بآية يرددها وهي ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾)** [المائدة: ١١٨] قال العراقي: رواه النسائي وابن ماجه بسند صحيح اهـ.

قلت: قال الضياء المقدسي صاحب المختارة، أخبرنا أبو زرعة اللفتواني، أخبرنا الحسين بن عبد الملك، أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن، أخبرنا جعفر بن عبدالله، حدثنا محمد بن هارون، حدثنا محمد بن بشار وعمرو بن علي قالا: حدثنا يحي بن سعيد، وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبي حدثنا مروان بن معاوية، ويحي بن سعيد قالا: حدثنا قدامة بن عبدالله، وقال أبو عبيد في فضائل القرآن: حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن قدامة العامري، عن حسبرة بنت دجاجة العامرية قالت: حدثنا أبو ذر رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ ليلة من الليالي يقرأ آية واحدة الليل كله حتى أصبح يقوم بها ثم يركع ويسجد فقال القوم لأبي ذر أية آية؟ فقال: ﴿ان تعذبهم فإنهم عبادك وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ هذا لفظ أبي عبيد وساقه الإمام أحمد مختصراً وأعاده مطوّلاً جداً.

وأخرجه أيضاً عن واسع، عن قدامة نحو رواية أبي عبيد. وأخرجه ابن خزيمة، وابن ماجه جميعاً عن يحي بن حكيم، عن يحي بن سعيد نحو رواية أبي عبيد، وله شاهد أخرجه أحمد أيضاً من حديث أبي سعيد مختصراً، وأخرجه سعيد بن منصور من مرسل أبي المتوكل الناجي ورواته ثقات.

(وقام تميم) بن أوس **(الداري)** رضي الله عنه **(ليلة بهذه الآية: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الآية)** [الجاثية: ٢١] رواه أبو عبيد في الفضائل، وابن أبي داود في الشريعة، ومحمد بن نصر في قيام الليل، والطبراني في الدعاء.

أما أبو عبيد فقال: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا شعبة، عن عمر بن مرة، عن أبي الضحى،

الآية. وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية: ﴿وامْتَازُوا اليَـومَ أيُّهَـا الْمُجْـرِمُـونَ﴾

عن مسروق قال: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري لقد رأيته بات ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يتلو آية، ويركع ويسجد، ويبكي ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ إلى قوله: ﴿وهم لا يظلمون﴾.

ورواه أيضاً عن هشام عن حصين بن عبد الرحمن، عن أبي الضحى فذكر نحوه.

وأما ابن أبي داود فرواه عن سهل بن صالح، عن يزيد بن هارون نحوه، ورواه أيضاً عن إسحاق بن شاهين، عن هشام.

وأما محمد بن نصر فرواه عن بندار، عن غندر، حدثنا شعبة.

وأما الطبراني فقال: حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا غندر فساقه. وهو أثر صحيح لولا الرجل المكي الذي لم يسمّ لكان على شرط الصحيح.

(وقام سعيد بن جبير ليلة بهذه الآية يرددها ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾) [يس: ٥٩] كذا في القوت.

والذي في كتاب الفضائل لأبي عبيد حدثنا أبو الأسود هو النضر بن عبد الجبار، عن ضمام بن إسماعيل، عن المعلى، عن رجل قال: كنت بمكة فلما صليت العشاء فإذا رجل أمامي أحرم بنافلة، فاستفتح ﴿إذا السماء انفطرت﴾ فلم يزل فيها حتى نادى منادي السحر، فسألت عنه، فإذا هو سعيد بن جبير.

قلت: وقد جاء نحو ذلك من ترديد الآيات في الصلاة عن عبدالله بن مسعود، وعن عائشة، وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق رضي الله عنهم.

أما ابن مسعود، فأخرج أبو عبيد، عن معاذ بن معاذ العنبري، عن عبدالله بن عون، حدثني رجل من أهل الكوفة قال: صلى عبدالله بن مسعود ليلة فذكروا ذلك فقال بعضهم: هذا مقام صاحبكم بات هذه الليلة يردد هذه الآية حتى أصبح. قال ابن عون: بلغني أنها ﴿ربِّ زدني علماً﴾ [طه: ١١٤].

وأخرجه ابن أبي داود بسند صحيح، عن ابراهيم عن علقمة قال: صليت إلى جنب عبدالله فافتتح سورة طه، فلما بلغ ﴿رب زدني علماً﴾ قال: رب زدني علماً رب زدني علماً.

وأما أثر أسماء فقال الإمام أحمد: حدثنا ابن نمير، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه قال: دخلت على أسماء بنت أبي بكر وهي تصلي تقرأ هذه الآية: ﴿فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾ [الطور: ٢٧] فقمت فلمّا طال عليَّ ذهبت إلى السوق ثم رجعت وهي مكانها وهي تكرر الصلاة. وهو موقوف رجاله ثقات من رواية الصحيحين، لكن اختلف فيه على هشام. فأخرجه أبو عبيد، ومحمد بن أبي عمر العوفي، وأبو داود جميعاً من طريق أبي معاوية، عن هشام فقال: عن عبد

[يس : ٥٩] ، وقال بعضهم : إني لأفتتح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر . وكان بعضهم يقول : آية لا أتفهمها ولا يكون قلبي فيها لا أعدّ لها ثواباً . وحكي عن أبي سليمان الداراني أنه قال : إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ، ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها . وعن بعض السلف أنه بقي في سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها . وقال بعض العارفين : لي في كل جمعة ختمـة .

الوهاب بن يحيى بن حمزة عن أبيه عن جدته أسماء فذكر نحوه. ويحتمل أن يكون لهشام فيه طريقان.

وأما اثر عائشة فأخرجه ابن أبي داود من طريق شيبة بن نصاح، عن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال: غدوت يوماً على عائشة وهي تصلي الضحى فإذا هي تقرأ هذه الآية ﴿فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾ [الطور : ٢٧] وهي تبكي وترددها ، فقمت حتى مللت فذهبت إلى السوق ، ثم رجعت فإذا هي ترددها وتبكي.

ومما جاء في ذلك عن التابعين قال عبد الله بن أحمد في زيادات المسند : حدثنا زياد بن أيوب ، عن علي بن يزيد الصدائي ، حدثنا عبد الرحمن بن عجلان ، حدثنا نسير بن ذهاو وقال: بات الربيع ابن خيثم ذات ليلة وقام يصلي فمر بهذه الآية ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ الى قوله ﴿ساء ما يحكمون﴾ [الجاثية : ٢١] فجعل يرددها حتى أصبح .

وقال أبو عبيد : حدثنا قدامة أبو محمد ، عن امرأة من آل عامر بن عبد قيس أن عامر بن عبد قيس قرأ ليلة سورة المؤمن ، فلما انتهى إلى هذه الآية ﴿وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾ [غافر : ١٨] فلكم فلم يزل يرددها حتى أصبح.

وأخرج محمد بن نصر في قيام الليل من طريق هارون بن رياب أنه قرأ هذه الآية : ﴿فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا﴾ [الأنعام : ٢٧] فجعل يبكي ويرددها حتى أسحر .

وأخرج ابن أبي داود عن جماعة من التابعين أشياء نحو ذلك .

(**وقال بعضهم: اني لافتتح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الصبح**) وما قضيت منها وهي كذا في القوت ، (**وكان بعضهم يقول كل آية لا أفهمها ولا يكون قلبي فيها لا أعدّ لها ثواباً**) كذا في القوت ، وكان بعضهم إذا قرأ سورة لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية ، وقد ذكره المصنف قريباً .

(**وحكي عن أبي سليمان الداراني**) رحمه الله (**أنه قال: إني لأتلو الآية فاقيم فيها أربع ليال وخمس ليال، ولولا أني اقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها**) نقله صاحب القوت ، (**و**) روينا (**عن بعض السلف انه بقي في سورة هود يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها**) كذا في القوت . (**وقال بعض العارفين: لي في كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة، وفي كل**

وفي كل شهر ختمة. وفي كل سنة ختمة، ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد، وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه وكان هذا أيضاً يقول: أقمت نفسي مقام الأجراء فأنا أعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة.

الخامس: التفهـم: وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر أفعاله وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام، وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا وذكر أوامره وزواجره وذكر الجنة والنار.

أما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهو السَّمِيع البصير﴾ [الشورى: ١١]، وكقوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ العَزِيزُ الْجَبَّارُ

سنة ختمة، ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد) يعني ختمة التفهم والمشاهدة نقله صاحب القوت، **(وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه)** أي بحثه واستنباطه للمعاني، **(وكان هذا)** أي قائل القول الذي سبق **(يقول)** أيضاً **(أقمت نفسي)** في العبودية **(مقام الأجراء)** جمع أجير وهو من يستعمل نفسه بالأجرة **(فأنا أعمل مياومة)** وهي معاملة يوم بيوم، وفي بعض النسخ موايمة وهي لغة العامة **(ومشاهرة)** وهي معاملة الشهر إلى الشهر، **(ومجامعة)** وهي معاملة الجمعة إلى الجمعة ولم يسمع استعماله عن العرب، **(ومسانهة)** وهي معاملة السنة إلى السنة، ويقال فيه أيضاً المسانهة والمعاومة ولم يسمع المحاولة، والسنة محذوفة اللام وفيها لغات: احداها: جعل اللام هاء وتبنى عليها تصاريف الكلمة، والاصل سنهة كسجدة وعامله مسانهة من ذلك.

(الخامس: التفهم وهو) وصول المعنى إلى فهم التالي بواسطة اللفظ، والمراد منه **(ان يستوضح)** ويستكشف **(عن)** معنى **(كل آية)** مما يتلوها **(ما يليق بها)** على حسب قوته في معرفته **(إذالقرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل، وذكر أفعاله، وذكر أحوال الانبياء)** عليهم السلام، **(وذكر أحوال المكذبين لهم)** من المحجوبين، **(وأنهم كيف أهلكوا)** بتكذيبهم للرسل **(و)** على **(ذكر أوامره وزواجره وذكر الجنة والنار، أما صفات الله تعالى فكقوله ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١] وكقوله تعالى ﴿الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾ [الحشر: ٢٣].**

اعلم أن المصنف قدس سره قد ذكر في آخر كتاب (المقصد الأسنى) أن الأسماء الحسنى والصفات العلى المذكورة في القرآن يرجع جميعها إلى سبع صفات التي هي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، ومجموعها يرجع إلى ما يدل على الذات أو على الذات مع سلب، أو على الذات مع إضافة، أو على الذات مع سلب وإضافة، أو على واحد من الصفات السبعة، أو على صفة وسلب وإضافة، أو إلى صفة مع زيادة إضافة، أو على صفة وإضافة وسلب، أو صفة سلب وإضافة، أو على صفة فعل، أو على صفة فعل وإضافة أو سلب، فهذه عشرة أقسام فلا تخرج هذه الأسماء عن مجموع هذه الأقسام.

المتكبِّرُ﴾ [الحشر : ٢٣] ، فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين . وإليه أشار علي رضي الله عنه بقوله : ما أسرّ إلى

فإذا علمت ذلك فالذي ذكره المصنف هنا من الصفات السميع والبصير وهما من القسم الخامس ، وهو ما يرجع إلى صفة . والملك والعزيز من القسم الرابع وهو ما يرجع إلى الذات مع سلب وإضافة ، والقدوس والسلام من القسم الثاني ، وهو ما يدل على الذات مع سلب ، والمؤمن والمهيمن والجبار والمتكبر من القسم السابع ، وهو ما يرجع إلى القدرة مع زيادة اضافة .

(فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لتنكشف له أسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين) أي الذين وفقهم الله تعالى لفهمها ، فكان له حظ وافر من معانيها .

وأما من تلاها لفظاً أو سمعها وفهم في اللغة تفسيرها ووضعها واعتقد بالقلب معناها لله تعالى فهو مبخوس الحظ نازل الدرجة ليس له ان يتبجح بما ناله ، فإن سماع اللفظ لا يستدعي إلا سلامة حاسة السمع التي بها تدرك الأصوات ، وهذه رتبة تشاركه فيها البهائم . وأما فهم وضعه في اللغة فلا يستدعي إلاّ معرفة العربية ، وهذه رتبة يشاركه فيها الأديب اللغوي بل الغبي البدوي ، وأما ثبوت معناه لله تعالى من غير كشف فلا يستدعي إلا فهم معاني هذه الألفاظ والتصديق بها وهذه رتبة يشاركه فيها العامي بل الصبي فإنه بعد فهم الكلام إذا ألقي إليه هذه المعاني تلقاها وتلقنها واعتقدها بقلبه وصمم عليها . وهذه درجات أكثر العلماء فضلاً عن غيرهم ، ولا ينكر فضل هؤلاء بالإضافة إلى من لم يشاركهم في هذه الدرجات الثلاث . ولكنه نقص ظاهر بالاضافة إلى ذروة الكمال ، فإن حسنات الابرار سيئات المقربين ، بل حظوظ المقربين الموفقين من معاني هذه الأسماء والصفات ، ثلاثة :

الحظ الأول : معرفة هذه على سبيل المكاشفة والمشاهدة حتى تتضح لهم حقائقها بالبرهان الذي لا يجوز فيه الخطأ ، وينكشف لهم اتصاف الله تعالى بها انكشافاً يجري في الوضوح والبيان مجرى اليقين الحاصل للإنسان بصفاته الباطنة التي يدركها بمشاهدة باطنه لا باحساس ظاهره .

الحظ الثاني : من حظوظهم استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث من الاستعظام تشوّقهم إلى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ليتقربوا بها من الحق قرباً بالصفة لا بالمكان ، فيأخذوا من الاتصاف بها شبهاً بالملائكة المقربين عند الله تعالى ، ولن يتصور أن يمتلىء القلب باستعظام صفة واستشرافها إلا ويتبعه شوق إلى تلك الصفة ، وعشق لذلك الكمال والجلال ، وحرص على التحلي بذلك الوصف إن كان ذلك ممكناً للمتعظم بكماله ، فإن لم يمكن بكماله فينبعث الشوق إلى القدر الممكن منه لا محالة ولا يخلو عن الشوق أحد إلا لأحد أمرين إما لضعف المعرفة واليقين بكون الوصف المعلوم من أوصاف الجلال والكمال ، وإما لكون القلب ممتلئاً بشوق آخر مستغرقاً به ، والتلميذ إذا شاهد كمال أستاذه في العلم انبعث شوقه إلى التشبه والاقتداء به إلا اذا كان ممنوعاً بالجوع مثلاً ، فإن الاستغراق بشوق القوت ربما يمنع انبعاث شوق العلم ، ولهذا ينبغي أن

رسول الله ﷺ شيئاً كتمه عن الناس إلا أن يؤتي الله عز وجل عبداً فهماً في كتابه، فليكن حريصاً على طلب ذلك الفهم. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأوّلين والآخرين فليثور القرآن. وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلاّ أموراً لائقة بأفهامهم، ولم يعثروا على أغوارها.

وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها. فليفهم التالي منها صفات الله عز وجل وجلاله إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته،

يكون الناظر في صفات الله تعالى خالياً بقلبه عن إرادة ما سوى الله تعالى، فإن المعرفة بذر الشوق ولكن مهما صادف قلباً خالياً عن حسيكة الشهوات فإن لم يكن خالياً لم يكن نيراً منجحاً.

الحظ الثالث: السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلي بمحاسنها، وبه يصير العبد ربانياً رفيقاً للملأ الأعلى من الملائكة فإنهم على بساط القرب، فمن ضرب إلى شبه من صفاتهم نال شيئاً من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم إلى الحق تعالى.

(وإلى ذلك أشار علي) بن أبي طالب **(رضي الله عنه في قوله ما أسّر إلي رسول الله ﷺ شيئاً كتمه عن الناس، إلا أن يؤتي الله تعالى فهماً في كتابه)**.

قال العراقي: رواه النسائي من رواية أبي جحيفة قال: « سألنا علياً رضي الله عنه فقلنا: هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء سوى القرآن؟ فقال: لا. والذي خلق الجنة وبرأ النسمة إلا أن يعطي الله عز وجل فهماً في كتابه » الحديث وهو عند البخاري بلفظ « هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ وقال مرة: « ليس عند الناس » ولأبي داود والنسائي فقلنا: « هل عهد عندك رسول الله ﷺ شيئاً لم يعهده إلى الناس؟ فقال: لا إلا ما في كتابي » الحديث ولم يذكر الفهم في القرآن.

(وقال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن) كذا في القوت، والتثوير التحريف. وفي بعض الروايات فليثر القرآن من الإثارة وهو معناه، وتقدم أن قول ابن مسعود هذا قد رواه الديلمي عن أنس بن مالك مرفوعاً.

(وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً لائقة بافهامهم). فمنهم من اكتفى بسردها وتلاوتها وفهم معناها اللغوي واثبات ذلك لله تعالى، ومنهم من ترقى عن ذلك وكل ذلك حوم حواليها من غير كشف إلهي وهو قصور كما سبقت الإشارة إليه قريباً، **(ولم يعثروا)** أي لم يطلعوا **(على أغوارها)** أي على حقائقها الجلية ودقائقها المخفية.

(وأما أفعاله تعالى فذكره خلق السموات والأرض وغيرها) كالجبال والبحار، **(فليفهم التالي من ذلك صفات الله تعالى وجلاله)** وعظمته وكمال قدرته **(إذ الفعل يدل على الفاعل)** وهو الذي صدر منه الفعل **(فتدل عظمته على عظمته)** وجلاله على جلاله، **(فينبغي أن**

فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل، فمن عرف الحق رآه في كل شيء إذ كل شيء فهو منه وإليه وبه وله. فهو الكل على التحقيق. ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل وأن كل شيء هالك إلا

يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء فهو منه وإليه وبه وله).

اعلم أن معرفة الله سبحانه بطريق الأسماء والصفات والأفعال بالكمال في الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى إلا إذا علمنا ذاتاً عالمة فقد علمنا شيئاً مبهماً لا ندري حقيقته لكن ندري أن له صفة العلم، وإن كانت صفة العلم معلومة لنا حقيقة كان علمنا بأنه عالم أيضاً علماً تاماً بحقيقة هذه الصفة، وإلا فلا. ولا يعرف أحد حقيقة علم الله تعالى إلا من له مثل علمه وليس ذلك إلا له فلا يعرفه سواه تعالى، وإنما يعرفه غيره بالتشبيه بعلم نفسه، وعلم الله تعالى لا يشبه علم الخلق البتة فلا تكون معرفته به معرفة تامة حقيقة أصلاً. بل ايهامية تشبيهية. وكذلك الحاصل عندنا من قدرة الله تعالى وانه وصف ثمرته واثره وجود الاشياء وينطلق عليه اسم القدرة لأنه يناسب قدرتنا مناسبة لذة الجماع لذة السكر، وهذا كله بمعزل عن حقيقة تلك القدرة. نعم كلما ازداد العبد إحاطة بتفاصيل المقدورات وعجائب الصنائع في ملكوت الأرض والسموات كان حقه من معرفة صفة القدرة أوفر، لأن الثمرة تدل على المثمر، فهذا معنى قول المصنف: إذ الفعل يدل على الفاعل، وإلى هذا يرجع تفاوت العارفين في معرفة الله تعالى، فمن قال: لا أعرف إلا الله فقد صدق، ومن قال: لا أعرف الله فقد صدق، فإنه ليس في الوجود إلا الله تعالى وأفعاله، فإذا نظر إلى أفعاله من حيث هي أفعاله وكان مقصور النظر عليها ولم يرها من حيث أنها سماء وأرض وشجر، بل من حيث أنها صنعة فلم تجاوز معرفته حضرة الربوبية، فيمكنه أن يقول ما أعرف إلا الله ولا أدري إلا الله، وهذا معنى قول المصنف: فمن عرف الحق رآه في كل شيء الخ. ولو تصور شخص لا يرى إلا الشمس ونورها المنتشر في الآفاق يصح أن يقول ما أرى إلا الشمس فإن النور الفائض منها هو من جملتها ليس خارجاً عنها، وكل ما في الوجود نور من أنوار القدرة الأزلية، وأثر من آثارها. وكما ان الشمس ينبوع النور الفائض على كل مستنير، فكذلك المعنى الذي قصرت العبارة عنه فعبر عنه بالقدرة الأزلية للضرورة هو ينبوع الوجود الفائض على كل موجود فليس في الوجود إلا الله.

(فهو الكل على التحقيق) ومنه قول بعض العارفين: كل شيء [1] فيه كل شيء. **(ومن لا يراه في كل ما يراه فكانه ما عرفه)**، فصاحب هذا المقام هو الذي يقول لا أعرف الله وهو صادق، كما أن قائل القول الأول صادق أيضاً ولكن هذا بوجه وذلك بوجه فلا تناقض، **(ومن عرفه عرف أن كل شيء ما خلا الله باطل، وأن كل شيء هالك إلا بوجهه)** اعلم أنه لا ظلمة أشد من ظلمة العدم، لأنه مظلم وسمي مظلماً لأنه ليس يظهر للأبصار إذ ليس كل موجود يصير موجوداً

---

(١) لعل هنا سقطاً اهـ. من هامش الأصل.

وجهه. لا أنه سيبطل في ثاني الحال بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يعتبر وجوده من حيث أنه موجود بالله عز وجل وبقدرته، فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض. وهذا مبتدأ من مبادىء علم المكاشفة. ولهذا

للبصر، مع أنه موجود في نفسه، فالذي ليس موجوداً لا بنفسه ولا بغيره كيف لا يستحق أن يكون هو الغاية في الظلمة وفي مقابلته الوجود فهو النور، فإن الشيء ما لم يظهر في ذاته لا يظهر لغيره والوجود بنفسه أيضاً ينقسم إلى ما الوجود له من ذاته، وإلى ما الوجود له من غيره وماله الوجود من غيره موجود مستعار لا قوام له بنفسه، بل إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض، وإنما هو وجوده من حيث نسبته إلى غيره، وذلك ليس بوجود حقيقي، ومن هنا ترقى العارفون من حضيض المجاز إلى قلاع التحقيق، واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية أن ليس في الوجود إلا الله، وان كل شيء ما خلا الله باطل، وان كل شيء هالك إلا وجهه **(لا أنه سيبطل)** ويهلك **(في حال ثان)** أي في وقت من الأوقات **(بل هو الآن باطل)** وهالك أزلاً وأبداً لا يتصوّر إلا كذلك. فإن كل شيء **(إن اعتبر ذاته من حيث هو)** أي من حيث ذاته فهو عدم محض، **(إلا أن يعتبر وجوده من حيث أنه موجود بالله عز وجل وقدرته)** أي من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأول، **(فيكون له بطريق التبعية ثبات)** أي يرى موجوداً لا في ذاته. لكن من الوجه الذي يلي موجده فيكون الموجود اصالة وجه الله فقط، **(وبطريق الاستقلال)** والاصالة **(بطلان محض)** ولكل شيء وجهان. وجه إلى نفسه، ووجه إلى ربه، فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله موجود، فإذاً لا موجود إلا الله ووجههفإذا كل شيء هالك إلا وجهه أزلاً وأبداً. ولم يفتقر هؤلاء إلى قيام القيامة ليسمعوا نداء الباري: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ [غافر: ١٦]، بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبداً.

(وهذا) الذي ذكر **(مبدأ من مبادىء علوم المكاشفة)** ووراء ذلك أسرار يطول الخوض فيها، فوجه في كل ذي وجه إليه فأينما تولوا فثم وجه الله فإذا لا اله إلا هو فلا هو إلا هو لأن هو، لأن هو عبارة عما إليه إشارة، وكيفما كان فلا إشارة إلا إليه، بل كلما أشرت اليه فهو بالحقيقة إشارة إليه وإن كنت لا تعرفه أنت بغفلتك، فكل ما في الوجود فنسبته إليه في ظاهر المثال، كنسبة النور إلى الشمس، فإذا لا إله إلا الله توحيد العوام، ولا هو إلا هو توحيد الخواص، لأن هذا أدخل لصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة، ومنتهى معراج الخلائق مملكة الفردانية، فليس وراء ذلك مرقى إذ المرقى لا يتصور إلا بكثرة فإنه نوع إضافة يستدعي ما منه الارتقاء وما إليه الارتقاء. وإذا ارتفعت الكثرة حقت الوحدة وبطلت الاضافة وطاحت الاشارة، فلم يبق علو ولا سفل ولا نازل ولا مرتفع، فاستحال الترقي واستحال العروج، فليس وراء الأعلى علو ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفاء الكثرة عروج، فإن كان من تغير حال فبالنزول إلى السماء الدنيا. أعني بالاشراف من علو إلى أسفل لأن الأعلى له أسفل وليس له أعلى، فهذا غاية الغايات ومنتهى

ينبغي إذا قرأ التالي قوله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتُم ما تَحْرُثُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣] ﴿أَفَرَأَيْتُم ما تَمنُون﴾ [الواقعة: ٥٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ الماء الذي تَشْرَبُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨] ﴿أَفَرَأَيْتُم النَّار التي تُورون﴾ [الواقعة: ٧١] فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمني بل يتأمل في المني وهي نطفة متشابهة الأجزاء ثم ينظر في كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإنْسَانُ أَنَّا خَلَقناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإذَا هُوَ خَصيمٌ مُبينٌ﴾ [يس: ٧٧] فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها إلى أعجب العجائب وهو الصفة التي منها صدرت هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع.

الطلبات يعلمه من يعلمه وينكره من يجهله، وهو من العلم الذي هو كهيئة المكنون، وأرى الآن قبض عنان البيان فما أراك تطيق من هذا الفن أكثر من هذا المقدار.

(**ولهذا ينبغي إذا قرأ التالي قول الله تعالى ﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾ [الواقعة:٦٣] ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ [الواقعة: ٥٨] ﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون﴾ [الواقعة: ٦٨] ﴿أفرأيتم النار التي تورون﴾ [الواقعة: ٧١] فلا يقصر نظره على الماء والحرث والنار والمني بل يتأمل في**) كل من هؤلاء ما يوصله إليه فهمه من عجائب صنع الله فيه مثل أن يتأمل في (**المني وهو نطفة متشابهة**) وفي نسخة متناسبة (**الاجزاء ثم**) ينتقل و (**ينظر**) نظر تأمل (**في كيفية انقسامها إلى**) كل من (**اللحم والعظم والعروق والعصب و**) يتأمل في (**كيفية تشكل الاعضاء بها بالاشكال المختلفة**) الأنواع (**من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها**) وهذا على طريق الاجمال، (**ثم**) يتأمل وينظر (**إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها**) كالنطق والمعرفة والادراك والحياة والسخاء والحلم وغير ذلك، (**ثم**) ينظر (**إلى ما ظهر منها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر**) والعجب (**والجهل والتكذيب والمجادلة**) وغيرها (**كما قال تعالى ﴿أو لم يرَ الإنسان إنَّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾**) [يس: ٧٧] إلى آخر السورة.

روى ابن أبي حاتم عن السدي أن هذه الآيات نزلت في أبي بن خلف، وكذا رواه عبد بن حميد عن عكرمة، وابن المنذر عن مجاهد، وابن جرير عن قتادة، وسعيد بن منصور عن أبي مالك، وابن مردويه عن أبن عباس، وقيل: في العاص بن وائل. رواه الحاكم والإسماعيلي والبيهقي في الشعب عن ابن عباس، وقيل: في أبي جهل رواه ابن مردويه عن أبن عباس.

(**فليتأمل هذه العجائب ليرقى منها إلى أعجب العجائب وهو الصنعة**) المحكمة (**التي صدرت منها هذه الأعاجيب، فلا يزال ينظر إلى الصنعة ويرى الصانع**) جل وعز فلا يرى

وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام، فإذا سمع منها أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم، وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه شيئاً وإذا سمع نصرتهم في آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق.

وأما أحوال المكذبين؛ كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته، وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب اغتر بما أمهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية، وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها، لأن ذلك لا نهاية

في الوجود إلا الواحد الحق، ثم منهم من تكون له هذه الرؤية عرفاناً علمياً، ومنهم من يصير له ذوقاً وحالاً وحينئذ يحصل لهم الاستغراق بالفردانية المحضة، وتنتفي عنهم الكثرة بالكلية، ولا يبقى فيهم متسع لذكر غير الصانع ولا لذكر أنفسهم أيضاً فاعرف ذلك.

(**وأما أحوال الانبياء عليهم السلام فإذا سمع منها انهم كيف كذبوا**) فيما بلغوه من رسالات ربهم إليهم (**و**) كيف (**ضربوا**) وأوذوا، (**وقتل بعضهم**) كيحيي بن زكريا عليه السلام وغيره فليفهم منه (**صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليه**) إذ الغني هو الذي لا تعلق له بغيره لا في ذاته ولا في صفاته، بل يكون منزهاً عن العلاقة مع الاغيار فمن تعلق ذاته أو صفات ذاته بأمر خارج من ذاته يتوقف عليه وجوده وكماله فليس بغني. وقد ثبت غناه عن كل شيء فلا افتقار له إلى الرسل ولا إلى المرسل إليه أولئك الرسل (**وأنه لو اهلك جميعهم لم يؤثر ذلك في ملكه**) خللاً لكمال غنى ذاته وغنى صفاته، (**وإذا سمع نصرتهم في آخر الأمر**) وعصمتهم من أعدائهم، (**فليفهم قدرة الله تعالى**) الباهرة (**وارادته لنصرة الحق**) حيث كان وإنه إنما نصرهم الله تعالى لكونهم قائمين باداء الحق ونصرته، فليفهم السالك من هذا انه إذا ثبت على الحق فلن يعدم من ناصر له عليه.

(**وأما أحوال المكذبين**) لرسل الله عليهم السلام (**كعاد وثمود**) وفرعون واضرابهم (**وما جرى عليهم**) من ضروب نقم الله تعالى بانواع الهلاك، (**فليكن فهمه من ذلك استشعار الخوف من سطوة الله تعالى**) وقهره (**ونقمته**) من جنس ما أهلكوا به، (**وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه**) خاصة، (**وأنه ان غفل**) عن طاعة الله تعالى (**وأساء الأدب**) لمخالفته لاوامر الله تعالى، (**واغتر بما أمهل**) في دنياه ممتعاً بحواسه وحشمه وخدمه مفاضاً عليه الخيور، (**فربما تدركه**) صاعقة (**النقمة**) القهرية (**وتنفذ فيه القضية وتحق فيه كلمة الله فلا يجد عن ذلك محيداً ولا لأحواله شفيعاً، وكذلك** إذا سمع وصف **الجنة والنار**) وما أعد الله فيهما من أنواع الثواب وأجناس العقاب، (**و**) كذلك (**سائر ما في القرآن**) من وعد ووعيد رجاء

له، وإنما لكل عبد منه بقـدر رزقه ﴿فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [الأنعام: ٥٩]. ﴿قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مداداً لكلماتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قبل أن تَنْفدَ كلماتُ ربِّي ولو جئنا بمثله مدداً﴾ [الكهف: ١٠٩] ولذلك قال علي رضي الله عنه: لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب.

وخوف وتضرع وتبرىء وابعاد وتقريب وتوبيخ وعتاب وتأمين وإمهال، فليكن حظ التالي من كل ذلك ما يهديه إليه فهمه من المعاني المناسبة للمقام، **(فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لأنه لا نهاية له)** وحسنه لا تنقضي عجائبه، **(وإنما لكل عبد منه بقدر ما رزق)** فيه من الفهم الصحيح **(﴿فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾)** [الأنعام: ٥٩]، وفيه علم الأولين والآخرين.

قال الشيخ الاكبر قدّس سره في كتاب الشريعة: البرودة أصل فاعلي والحرارة أصل فاعلي والرطوبة واليبوسة فرعان منفعلان، فتبعت الرطوبة البرودة لكونها منفعلة عنها، فلهذا تكوّنت الفضة على النصف من زمان تكوين الذهب لأن المدة لحصول كمال الورق ثماني عشرة ألف سنة وهو نصف زمان كمال الذهب، وهو ستة وثلاثون ألف سنة، ولما كان المنفعل يدل على الفاعل ويطلبه بذاته، لهذا استغنى بذكر المنفعل عن ذكر ما انفعل عنه لتضمنه اياه فقال ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [الأنعام: ٥٩] ولم يذكر ولا حار ولا بارد وهذا من فصاحة القرآن واعجازه، وحيث علم ان الذي أتى به وهو محمد ﷺ لم يكن ممن اشتغل بالعلوم الطبيعية، فيعرف هذا القدر فعلم قطعاً أن ذلك ليس من جهته ﴿وانه تنزيل من حكيم حميد﴾ وأن القائل بهذا عالم وهو الله تعالى فعلم النبي ﷺ كل شيء بتعليم الله واعلامه لا بفكره ونظره وبحثه فلا يعرف مقدار النبوّة إلا من أطلعه الله على مثل هذه الأمور.

(قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) [الكهف: ١٠٩] روى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كلمات ربي يقول علم ربي، وروى ابن أبي حاتم عن قتادة قال قبل أن تنفد كلمات ربي يقول: ينفد ماء البحر قبل أن ينفد كلامه وحكمه.

(ولذلك قال علي رضي الله عنه: لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب) نقله صاحب القوت، وابن أبي جمرة في شرحه على المختصر. قال: وبيان ذلك أنه إذا قال الحمدلله رب العالمين يحتاج إلى تبيين معنى الحمد وما يتعلق بالإسم الجليل الذي هو الله، وما يليق به الإسم الجليل من التنزيه ثم يحتاج إلى بيان العالم وكيفيته على جميع أنواعه وأعداده وهي ألف عالم. أربعمائة في البر وستمائة في البحر، فيحتاج إلى بيان ذلك كله، فإذا قال ﴿الرحمن الرحيم﴾ يحتـاج إلى بيان الاسمين الجليلين، وما يليق بهما من الجلال وما في معناهما، ثم يحتاج إلى بيان جميع الأسماء والصفات، ثم يحتاج إلى بيان الحكمة في اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين دون غيرهما، فإذا قال ﴿مالك يوم الدين﴾ يحتاج إلى بيان ذلك اليوم وما فيه من المواطن والأهوال، وكيفية مستقره، فإذا قال ﴿أياك نعبـد واياك نستعين﴾ يحتاج إلى بيان المعبود من جلالته والعبادة

فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه، فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم ما في القرآن ولو في أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى: ﴿ومِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا من عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مَاذَا قَال آنِفاً أولَئِكَ الَّذِين طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم﴾ [محمد ﷺ : ١٦] والطابع هي الموانع التي سنذكرها في موانع الفهم، وقد قيل: لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد.

السادس: التخلي عن موانع الفهم، فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن. قال ﷺ: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت» ومعاني

وكيفيتها وصفتها وآدابها، فإذا قال ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إلى آخر السورة يحتاج إلى بيان الهداية ما هي والصراط المستقيم، واضداده وتبيين المغضوب عليهم والضالين وصفاتهم، وتبيين المرضي عنهم وصفاتهم وطريقتهم، فعلى هذه الوجوه يكون ما قاله علي من هذا القبيل اهـ.

(**فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم ليفتح بابه**) للسالكين، (**فأما الاستقصاء**) والاشراف على الاغوار (**فلا مطمع فيه**) لأحد (**ومن لم يكن له فهم ما في القرآن**) من المعاني والاسرار، (**ولو في أدنى الدرجات دخل في**) حكم قوله تعالى (﴿**ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً**) ومثله مثل من سمع وقلبه مشغول عن المسموع بما يضره عما ينفعه، حتى إذا خرج عن الكلام سأل من حضر بقلبه ماذا فهم من الخطاب الذي كان هو عنه بغفلته قد غاب وقد كان حاضراً بجسمه (**أولئك الذين طبع الله على قلوبهم**﴾)[محمد ﷺ :١٦] أي عن فقه الخطاب فلم تسمعه القلوب ولم تعه واتبعوا أهواءهم يعني أباطيلهم وظنونهم الكاذبة. (**والطابع هي الموانع التي سنذكرها في موانع الفهم**) بعد هذا، (**وقد قيل لا يكون المريد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد**) نقله صاحب القوت عن بعض العارفين.

(**السادس: التخلي عن موانع الفهم**) أي الاعراض عن الأمور التي هي أسباب للمنع عن الفهم في القرآن (**فإن أكثر الناس**) إنما (**منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب**) عرضت (**وحجب**) طبعت وأغطية (**أسدلها الشيطان على قلوبهم**) فصارت حائلة بينها وبين الفهم، (**فعميت عليهم عجائب اسرار القرآن**) فلم يدركوها.

(**قال ﷺ «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت»**)

القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم أربعة.

أوّلها: أن يكون الهمّ منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه، فهذا يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأنى تنكشف له المعاني وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس.

تقدم تخريجه في كتاب الصوم، وقد ثبت بالحديث «حومات الشياطين على قلوب الآدميين» والحجب كناية عن ذلك.

(ومعاني القرآن من جملة الملكوت وكل ما غاب عن الحواس) الظاهرة **(ولم يدرك الا بنور البصيرة)** الباطنة، **(فهو من الملكوت)** فهو عالم الغيب المختص ـ وسيأتي تحقيق ذلك في العمل العاشر ـ.

(وحجب الفهم أربعة) أمور.

(أولها: أن يكون الهم منصرفاً إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها) بان يرد كل حرف إلى أصله مع معرفة كيفية الوقف والامالة والادغام وأحكام الهمز والترقيق والتفخيم، **(وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن)** فهم **(معاني كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحروف)**، وممارستها ورياضة الالسن بها **(ويخيل إليهم ان الحروف لم تخرج من مخارجها)** بعد ويوهم عليهم أنهم كما تعبدوا بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه المتلقاة من أئمة القراءة ويزيد عليهم شيئاً آخر أجلى مما سبق بان يخطر على بالهم بان القراءة بغير تجويد لحن، ولولا أنكم تجوّدون الالفاظ لا تصلون إلى فهم المعاني منها. ولعمري هذا الذي يخيل إليهم به حق وصدق لكنه يريد بالقاء مثل ذلك إليهم تثبيطهم عن المهم، **(فهذا)** الذي شغله ترديد الحروف **(يكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف)** فقط، **(فمتى)** وفي نسخة فأنى **(تنكشف له المعاني)** فمثله مثل من اشتغل بالوسائل وأعرض عن المقاصد ونرى هذه الحالة في قراء الزمن بل وقبل هذا الزمن كثيرة، **(وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً لمثل هذا التلبيس)**، فالواقف مع قراءته والمهتم بتجويد حروفه واختياره محجوب بعقله مردود إلى ما تقرر في علمه موقوف مع ما تقرر في قلبه مزيده على مقدار علمه وغريزة عقله، فهو مشرك بعقله داخل في الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء، وقد ورد أكثر منافقي أمتي قراؤها فهذا نفاق الوقوف مع سوى

ثانيها: أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة. فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفاً على مسموعه، فإن لمع برق على بُعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال: كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك؟ فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله. ولمثل هذا قالت الصوفية: إن العلم حجاب وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم.

الله تعالى والنظر إلى غيره لا نفاق الشك والإنكار لقدرة الله عز وجل، فهو لا ينقل عن التوحيد، ولكنه لا ينقل إلى المزيد، فإذا كان العبد ملقي السمع بين يدي سميه مصغياً إلى سبر كلامه شهيد القلب لمعاني صفات شهيده ناظراً إلى قدرته تاركاً لمعقوله ومعهود علمه متبرياً من حوله وقوته معظماً للمتكلم واقفاً في حضوره مفتقراً إلى التفهم بحال مستقيم وقلب سليم وصفاء يقين وقوة علم وتمكين سمع فصل الخطاب وشهد عيب الجواب.

(**ثانيها: أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه**) من غير تحريك باعث على تحقيق ما يقلده، وفي بعض النسخ لمذهب سمعه وحمل عليه بالتقليد، (**ويثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة**) نيرة (**ومشاهدة**) ساطعة، (**فهذا شخص قيده معتقده**) أي ما يعتقده تقليداً لا عن تحقيق (**عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفاً على مسموعه**). وهذا كذلك محجوب بعقله مردود إلى ما ركز في ذهنه، (**فإن**) اتفق أنه (**لمع برق**) من شرف (**على بعد و**) ثنى بودق بأن (**بدا له معنى من المعاني**) الشريفة العزيزة (**التي تباين مسموعه**) ومتلقاه عن أفواه مشايخه (**حمل عليه شيطان التقليد حملة**) منكرة وجلب عليه خيله ورجله، (**وقال: كيف هذا يخطر ببالك**) أو تعير له أذنك، (**وهو خلاف معتقد آبائك**) أي شيوخك الذين درجوا؟ (**فيرى أن ذلك**) أي الذي فتح له فهم في ذلك المعنى الذي بدا له (**غرور الشيطان**) ويعده من تلبيساته، (**فيتباعد عنه**) مرة (**ويحترز عن**) الوقوع في (**مثله ولمثل هذا قالت الصوفية**) قدس الله أسرارهم: (**إن العلم حجاب**) أي بين العبد والوصول إلى الله، وأصل الحجاب جسم حائل بين جسدين، ثم استعمل في المعاني فقيل: العجز حجاب بين الرجل ومراده والمعصية حجاب بين العبد وربه، وعلى هذا يحمل قولهم العلم حجاب لأنه ساتر يمنع من الوصول إلى الله وربما يزيدون فيقولون حجاب الله الأكبر، (**وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب، وألقوها إليهم، فأما العلم**

فأما العلم الحقيقي: الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجاباً

الحقيقي الذي هو) عبارة عن **(الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجاباً وهو منتهى المطلب)** وغاية المرغب.

ونقل الشيخ الأكبر في كتاب الشريعة ـ في باب الصوم ـ إن الحق سبحانه لما كان من أسمائه الدهر كما ورد في الصحيح: « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » فأمر بتنزيه الزمان من حيثما سمي دهراً لكون الدهر اسماً من أسماء الله تعالى كما تنزه الحروف أعني حروف الهجاء من حيث انها كتب بها كلام الله تعالى وعظمناها فقال فأجره حتى يسمع كلام الله وما سمع إلا أصواتاً وحروفاً فلما جعلها كلامه أوجب علينا تعظيمها وتقديسها وتنزيهها، ثم ساق عبارة طويلة ثم قال ما نصه: ولا يحجبنك عن هذا العلم الغريب الذي بيناه لك الرؤيا الشيطانية التي رؤيت في حق أبي حامد الغزالي فحكاها أصحاب علوم الرسوم وذهلوا عن أمر الله سبحانه لنبيه في قوله: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ لم يقل عملاً وحالاً ولا شيئاً سوى العلم أتراه أمره بأن يطلب الحجاب عن الله والبعد منه والصفة الناقصة عن درجة الكمال، فحكى أصحاب الرسوم عن شخص سموه أنه رأى أبا حامد الغزالي في النوم فقال لـه أو سأله عن حاله فقال له: لولا هذا العلم الغريب لكنا على خير كثير، فتأوّلها علماء الرسوم على ما كان عليه أبو حامد من علم هذا الطريق وقصد إبليس بهذا التأويل الذي زين لهم أن يعرضوا عن هذا العلم فيحرموا هذه الدرجات هذا إذا لم يكن لإبليس مدخل في الرؤيا وكانت الرؤيا ملكية، فإذا كانت الرؤيا من الله فالرائي في غيـر موطـن الحس والمرئي ميت، فهو عند الحق لا في موطن الحس والعلم الذي كان يحرض عليه أبو حامد وأمثاله في أسرار العبادات وغيرها ما هو غريب عن ذلك الموطن الذي الإنسان فيه بعد الموت بل تلك حضرته، وذلك محله. فلم يبق الغريب عن ذلك الموطن إلا العلم الذي كان يشتغل به في الدنيا من علم الطلاق والنكاح والبيع والشراء والمزارعة وعلوم الأحكام التي تتعلق بالدنيا ليس لها إلى الآخرة تعلق البتة لأنه بالموت يفارقها فهذه علوم غريبة عن موطن الآخرة كالهندسة، وأمثال هذه العلوم التي لا منفعة لها إلا في الدنيا وإن كان له الأجر فيها من حيث قصده ونيته لا عين العلم، فإن العلم يتبع معلومه، ومعلومه هذا كان حكمه في الدنيا لا في الآخرة، فكأنه يقول له في رؤياه: لو اشتغلنا زمان شغلنا بهذا العلم الغريب عن هذا الموطن بالعلم الذي يليق ويطلب هذا الموضع لكنا على خير كثير ففاتنا من خير هذا الموطن على قدر اشتغالنا بالعلم الذي كان تعلقه بالدار الدنيا، فهذا تأويل رؤيا الرائي لا ما ذكروه ولو عقلوا لتفطنوا في قوله: العلم الغريب. فلو كان علمه بأسرار العبادة وما يتعلق بالجناب الأخروي لم يكن غريباً لأن ذلك موطنه، والغربة إنما هو بفراق الوطن، فثبت ما ذكرناه فإياك أن تحجب عن طلب هذه العلوم الإلهية والأخروية وخذ من علوم الشريعة على قدر ما تمس الحاجة إليه ما يتفرض عليك طلبه وقل رب زدني علماً على الدوام دنيا وآخرة اهـ.

وقد تحصل من هذا التقرير أن العلم الذي يكون حجاباً بين العبد وربه هو علم المعاملات

وهو منتهى المطلب؟ وهذا التقليد قد يكون باطلاً فيكون مانعاً كمن يعتقد في الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فإن خطر له مثلاً في القدوس أنه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه، ولو استقر في نفسه لانجرّ إلى كشف ثان وثالث ولتواصل. ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره

الدنيوية نظراً إلى معلوماتها، وهذا هو الذي كنت أسمع من مشايخنا. وما ذكره المصنف هو أيضاً صحيح فإن العقائد الزائغة المؤسسة على مجادلات ومناقضات أقربها أن تكون حجاباً مانعاً عن الوصول إلى فهم أسرار القرآن.

وقال الشيخ شمس الدين بن سوركين في الأسئلة التي تلقى جوابها من لسان الشيخ الأكبر قدس سره ما نصه: وسمعته رضي الله عنه يقول: الأشياء لا تحجب عن الله تعالى بل كلها طرق موصلة إليه سبحانه دالة عليه إنما يحجب للوقوف مع الأشياء، كمن يقول العلم حجاب والعلم ليس بحجاب وهو يرد على هذا القائل قوله، ويقول له إنما تعلقت في حقك بمعلوم ما فوقفت أنت مع ذلك المعلوم، فكان وقوفك معه حجابك فلا تقف مع شيء سوى الحق تأمن الحجاب، وكذلك العلم بنفسه هو أشرف الأشياء بعد الحق سبحانه ان وقفت معه حجبك عن العلم، لكن استعمله في كل موطن بما يليق ولا تستند إليه دون الحق سبحانه الذي علمك العلم وجعله من بعض نعمه عليك، فإذا استعملت العلم على ما تقتضيه حقيقة العلم فقد أتيت كل ذي حق حقه والسلام.

(**وهذا التقليد**) في ذلك المعتقد (**قد يكون باطلاً**) في نفسه (**فيكون مانعاً**) عن وصول الفهم، (**كمن يعتقد في الاستواء على العرش التمكن والاستقرار**) الذي هو من شأن الحوادث، (**فإن خطر له مثلاً**) في اسمه (**القدوس أنه**) هو (**المقدس**) أي المنزه (**عن كل ما يجوز على خلقه**) من أوصاف الكمال الذي يظنه الخلق كمالاً في حقهم، وإنما قلنا ذلك لأن الخلق أولا نظروا إلى أنفسهم وعرفوا صفاتهم وأدركوا انقسامها إلى ما هو كمال، ولكن في حقهم مثل علمهم وقدرتهم وسمعهم وبصرهم وكلامهم وإرادتهم واختيارهم ووضعوا هذه الألفاظ بإزاء هذه المعاني، وقالوا: إن هذه هي أسماء الكمال، ونظروا أيضاً إلى ما هو نقص في حقهم مثل جهلهم وعجزهم وعماهم وصممهم وخرسهم، فوضعوا بإزاء هذه المعاني هذه الألفاظ. ثم كان غايتهم في الثناء على الله تعالى وصفه بما هو أوصاف كمالهم وهو منزه عن أوصاف كمالهم، كما أنه منزه عن أوصاف نقصهم بكل صفة تتصوّر للخلق فهو منزه مقدس عنها وعما يشبهها ويماثلها، ولولا ورود الرخصة والاذن بإطلاقها لم يجز اطلاق أكثرها.

فإذا خطر هذا الذي ذكرناه للمقلد عقيدة القائلين بالاستواء بمعناه الحقيقي (**لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه**) على ما ينبغي، (**ولو استقر في نفسه لانجر إلى كشف ثان وثالث**) ورابع وخامس، (**ولتواصل به إلى الحق**) الصريح، (**ولكن يتسارع إلى دفع ذلك**

لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقاً ويكون أيضاً مانعاً من الفهم والكشف لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن، وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن في كتاب قواعد العقائد.

ثالثها: أن يكون مصراً على ذنب أو متصفاً بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع، فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدأه وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون وكلما كانت الشهوات أشدّ تراكماً كانت معاني الكلام أشد احتجاباً، وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه. فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصدأ ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء

عن خاطره **لمناقضته تقليده الباطل)** فلا ينجع فيه إقامة البراهين **(وقد يكون)** ما اعتقده **(حقاً)** في ذاته، **(ويكون أيضاً مانعاً من الفهم)** في معاني القرآن **(والكشف)** الحقيقي فيها **(لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات له مبدأ ظاهر)** هو بمنزلة القشر **(وغور باطن)** هو بمنزلة اللب، **(وجمود الطبع على الظاهر)** الذي يبدو له **(يمنع من الوصول إلى الغور الباطن)**، فهذا هو الحجاب كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن **(في كتاب قواعد العقائد)** فراجعه هنالك تظفر بالمراد والله أعلم.

(ثالثها: أن يكون مصراً على ذنب) أو أدنى بدعة **(أو متصفاً بكبر)** وعجب **(أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع)** يطاع فيما تميل إليه نفسه وتهواه، **(فإن ذلك سبب ظلمة القلب وصدأه وهو كالخبث)** الذي يعرض **(على المرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون)** وهم على أقسام، فمنهم من كان سبب ظلمة قلبه الاصرار على الذنب وعدم مساعدة التوفيق الإلهي للتنصل عنه، ومنهم من كان بسبب ارتكابه البدعة ولو أدناها، ومنهم من كان بسبب الكبر الذي قام به والعجب في شأنه، ومنهم من كان بسبب إطاعة نفسه لهواها قد استكن في قلبه، ومنهم من يجتمع فيه الأمران والثلاثة، وكلها ظلمات بعضها فوق بعض تحجب عن معرفة معاني نور شمس القرآن فإن من خواص الظلمات الحجب.

(وكلما كانت الشهوات أشد تراكماً) وأكثر توارداً **(كانت معاني الكلام أشد احتجاباً)** وأكثر استتاراً، **(وكلما خفت عن القلب أثقال الدنيا)** وكشطت عنه أشغالها **(قرب تجلي المعنى فيه)** لما فيه من القابلية لتلقيه، **(فالقلب مثل المرآة)** المجلوة **(والشهوات)** عليه **(مثل الصدأ)** على المرآة، **(ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة)** فما دام صدأ الشهوات عليها لا تتجلى الصور على حقيقتها، **(والرياضة للقلب بإماطة**

للمرآة، ولذلك قال ﷺ : « إذا عظمت أمتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي ». قال الفضيل: يعني حرموا فهم القرآن. وقد شرط الله عز وجل الإنابة في الفهم والتذكير، فقال

الشهوات) وإماتتها وإزالتها **(مثل تصقيل الجلاء للمرآة)**، والجلاء هو الذي يجلو المرآة ويصقلها.

واعلم أن معاني القرآن كما سبق من عالم الملكوت واللوح المحفوظ الذي نزل منه القرآن من ذلك العالم، وقلب التالي مثل المرآة واللوح المحفوظ أيضاً مثل المرآة لأن صورة كل موجود فيه، فإذا قابلت المرآة المرآة الأخرى ظهرت صور ما في إحداهما في الأخرى، وكذلك تظهر صور معاني القرآن في القلب عند مقابلة مرآته بمرآة اللوح المحفوظ إذا كان فارغاً عن شهوات الدنيا فإن كان مشغولاً بها كان عالم الملكوت محجوباً عنه والله أعلم.

(ولذلك قال ﷺ : « إذا عظمت أمتي الدينار والدرهم) بالتهافت على تحصيلها وادخارها ومنع الانفاق منها في وجوه القرب **(نُزع)** بالبناء للمفعول أي نزع الله **(منها هيبة الإسلام)** لأن من شرط الإسلام تسليم النفس لله عبودية، فمن عظم الدينار والدرهم أخذتا بقلبه فسبته فصار عبداً لهما، فلم يقدر على بذل النفس لله لأنه عبد الدينار والدرهم، فلا يملك نفسه فيبذلها في سبيل الخير، وإذا فسد الباطن ذهبت الهيبة والبهاء لأن الهيبة إنما هي لمن هاب الله ولا يجتمع تعظيمهما مع تعظيم الحق في قلب أبداً، **(وإذا تركوا الأمر بالمعروف)** والنهي عن المنكر **(حرموا بركة الوحي »)** وسيأتي تفسيره من كلام الفضيل.

قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف معضلاً من حديث الفضيل بن عياض قال: ذكر عن نبي الله ﷺ اهـ.

قلت: ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن أبي هريرة بلفظ: « إذا عظمت أمتي الدنيا نزع منها هيبة الإسلام وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وإذا تسابت أمتي سقطت من عين الله ».

(قال الفضيل) بن عياض رحمه الله في تفسير قوله: « حرموا بركة الوحي » **(يعني حرموا فهم القرآن)** وبيانه أن في ترك الأمر بالمعروف مع القدرة عليه وغلبة ظنه سلامة العاقبة خذلاناً للحق وجفوة للدين، وفي خذلان الحق ذهاب البصيرة وفي جفاء الدين فقد النور فينحجب القلب فيحرم بركته وحرمان بركته أن يقرأه فلا يفهم أسراره ولا يذوق حلاوته، وهو من أعلم الناس بعلوم العربية وأبصرهم بتفسيره وقد عمي عن زواجره وقوارع وعيده وأمثاله، وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ [الأعراف: ١٤٦] قال سفيان بن عيينة يقول: انزع منهم فهم القرآن أخرجه ابن أبي حاتم.

(وقد شرط الله الإنابة في الفهم والتذكير) ولفظ القوت: وقد اشترط الله تعالى الإنابة

تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنيب﴾ [ق: ٨]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إلاَّ مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[الزمر: ٩]، فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب، ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب.

رابعها: أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي، وإن من فسر القرآن برأيه فقد تبوّأ مقعده من النار، فهذا أيضاً من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأي في الباب الرابع. وأن ذلك يناقض قول علي رضي الله عنه إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن، وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلفت الناس فيه.

السابع: التخصيص وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن، فإن سمع

للتبصرة وحضور القلب للتذكرة فقال تعالى: (**﴿تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾ [ق:٨] وقال تعالى: ﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾ [غافر: ١٣] وقال تعالى: ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب**) الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾ [الرعد: ١٩، ٢٠] فالاستقامة على التوبة من الوفاء بالعهد وتعدي الحدود من نقض الميثاق وقلة الصدق والإنابة هي التوبة بالاقبال على الله عز وجل والألباب هي العقول الزاكية والقلوب الطاهرة، (**والذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب**)، بل على قلبه من ظلمات حب الدنيا سحاب، (**فلذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب**) ولا يفتح له في فهمها باب.

(**رابعها**): الوقوف عند النظر إلى قول مفسر ساكن إلى علمه الظاهر وهو: (**أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً فاعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما**) من أئمة التابعين، وإنما خصهما بالذكر لشهرتهما في هذا العلم، (**وان ما وراء ذلك**) لا مجال فيه للعبد لأنه (**تفسير بالرأي**) وبيان بالحدس، (**وإن من فسر القرآن برأيه فقد تبوّأ مقعده من النار**) سيأتي الكلام عليه قريباً، فلا طريق للإقدام عليه إلا بما نقل عن هؤلاء الأئمة، (**فهذا أيضاً من الحجب**) العظيمة المانعة عن فهم القلب للمعاني، (**وسنبين معنى التفسير بالرأي في الباب الرابع، وأن ذلك يناقض قول علي رضي الله عنه**) الذي تقدم ذكره من حديث أبي جحيفة لما قال له: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن. وفيه: (**إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن، وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول**) عن أئمة التفسير، (**لما اختلف الناس فيه**

السابع التخصيص وهو أن يقدر) التالي في نفسه، ويشهد (**أنه**) هو (**المقصود بكل خطاب**) جاء (**في القرآن**) من فاتحته إلى خاتمته وهو المراد المعني به، (**فإن**

أمراً أو نهياً قدر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود، وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه فما من قصة في القرآن إلا وسياقها لفائدة في حق النبي ﷺ وأمته. ولذلك قال تعالى: ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه فيه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الإيذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله تعالى. وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما أنزل على رسول الله ﷺ لرسول الله خاصة، بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين، ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى: ﴿واذْكُروا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ

سمع أمراً ونهياً قدر أنه المنهي والمأمور) وأن الخطاب بكل منها متوجه إليه (**وإن سمع وعداً**) بالثواب (**أو وعيداً**) بالعقاب، (**فكمثل ذلك**) في التقدير والشهود، (**وإن سمع قصص الأولين**) من السالفين (**والأنبياء**) عليهم السلام (**علم**) وتحقق (**ان السمر**) بحكاياتهم فقط (**غير مقصود**) لذاته، (**وإنما المقصود**) الأعظم من ذلك (**ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه**) من الأحوال التي يعتبر بها (**ما يحتاج إليه**) في اتخاذه عبرة وتذكرة، (**فما من قصة**) سيقت (**في القرآن إلا وسياقها لفائدة**) متجددة (**في حق النبي ﷺ، و**) في حق (**أمته**) ولو تكررت القصة، ولذا جاء سياقها على انحاء مختلفة ففي التكرار تثبيت لليقين في القلوب (**ولذلك قال تعالى**) مخاطباً لحبيبه ﷺ ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل (**ما نثبت به فؤادك**﴾) [هود: ١٢] وثبات الفؤاد إنما يكون بمزيد اليقين فيه، (**فليقدر العبد**) التالي (**أن الله تعالى ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء**) عليهم السلام، (**وصبرهم على الأذى**) من المحجوبين عن نور اليقين، (**وثباتهم في**) نصرة الحق واعلاء كلمة (**الدين لانتظار نصر الله تعالى**) إياهم بموجب وعده جل وعز إنّا لننصر رسلنا، (**وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما أنزل على رسول الله ﷺ لرسول الله ﷺ**) وحده (**خاصة بل هو شفاء**) لجهل أمراض القلوب، (**وهدى**) يهتدي به السارون، (**ورحمة**) عامة أفيضت على المقتبسين من أنواره (**ونور**) ظاهر (**للعالمين**).

قال المصنف في مشكاة الأنوار: اعلم أن أعظم الحكم كلام الله تعالى، ومن جملة كلامه القرآن خاصة فتكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة، إذ به يتم الابصار، فبالحري ان يسمى القراءة نوراً كما يسمى نور الشمس نوراً، فمثال القرآن نور الشمس، ومثال العقل نور العين، وبهذا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ [التغابن: ٨] وقوله تعالى: ﴿قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ [النساء: ١٧٤] اهـ.

(**ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب**) وأردفه بالحكمة لما كانت المبصرات

الكِتَابِ والحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقال عز وجل: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتاباً فِيهِ ذِكْرُكُم أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠] ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ [محمد ﷺ: ٣] ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥] ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠] ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٨] وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد. فهذا القارىء الواحد مقصود فما له ولسائر الناس، فليقدر أنه المقصود قال الله تعالى: ﴿وأُوحِيَ إليَّ هَذَا القُرْآنَ لأنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، قال محمد بن كعب القرظي: من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله، وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن

منها ما لا يغادر العقل في كل حال إذا عرض عليه بل كان محتاجاً إلى أن يحضر اعطافه ويستوري زناده وينبه عليه بالتنبيه، وإنما ينبهه كلام الحكمة، فعند إشراق نور الحكمة يصير العقل مبصراً بالفعل بعد أن كان مبصراً بالقوّة **(فقال تعالى: ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة﴾)** [البقرة: ٢٣١] فهذا معنى اردافه الحكمة.

(وقال تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم) أفلا تعقلون﴾ [الأنبياء: ١٠] **(وقال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ ﴿النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿واتّبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ [الزمر: ٥٥] وقال تعالى: ﴿وهذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون﴾ [الجاثية: ٢٠] وقال تعالى: ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾)** [آل عمران: ١٣٨]، وقال تعالى: ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ [محمد ﷺ: ٣] يعني صفاتهم، وقال تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم آيات مبيّنات﴾ [النور: ٣٤] كما قال تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات﴾ [البقرة: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿واتبع ما يوحى إليك واصبر﴾ [يونس: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ [الأعراف: ٣] وقال تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ فهذه الآيات كلها فيها جميع ما ذكره وأوصافه.

(وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد) لأن الله سبحانه وتعالى لما تكلم بهذا الكلام وخاطب به المؤمنين كان هو أحدهم، وكان حاضراً معهم، وقد سوّى الله تعالى بين المؤمنين في تنزيل القرآن عليهم، وبين النبي ﷺ بمعنى من المعاني، **(فهذا الواحد القارىء المقصود فما له ولسائر الناس)** غير انه سبحانه وتعالى عم الجملة بالبصائر والبيان، وخص بالهدى والرحمة أولي التقوى والايمان، **(فليقدر انه المقصود قال الله تعالى: ﴿وأوحي إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾)** [الأنعام: ١٩] فالموقنون هم المتقون والمهديون هم الموحدون.

(قال محمد بن كعب القرظي) التابعي تقدمت ترجمته: **(من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله عز وجل)** أي فينبغي للتالي أن يشهد في تلاوته أن مولاه يخاطبه بكلامه، **(وإذا قدر ذلك لم**

عمله بل يقرأه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه. ولذلك قال بعض العلماء: هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات. وكان مالك بن دينار يقول: ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض. وقال قتادة: لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان. قال الله تعالى: ﴿هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إلا خَسَاراً﴾ [الإسراء: ٨٢].

الثامن: التأثر، وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات، فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره. ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه، فإن التضييق غالب على آيات

يتخذ دراسة القرآن عمله بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله. ويعمل بمقتضاه) لا أن يشتغل عنه إلى غيره، **(ولذا قال بعض العلماء: هذا القرآن رسائل أتتنا من)** قبل **(ربنا عز وجل بعهوده)** ومواثيقه **(نتدبرها في الصلاة ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات)**، وقد تقدم عن الحسن البصري ما نصه: وان من كان قبلكم رأوه رسائل أتتهم من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار.

(وكان مالك بن دينار) رحمه الله **(يقول: ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن إن القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الأرض)**.

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت مالكاً يقول: يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم، فإن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض، وقد ينزل الغيث من السماء إلى الأرض فينبت الحشيش فتكون فيه الحبة فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضر وتحسن، فيا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم، أين أصحاب سورة أين أصحاب سورتين ماذا عملتم فيهما؟.

(وقال) أبو الخطاب **(قتادة)** بن دعامة السدوسي الحافظ: **(لم يجالس أحد هذا القرآن إلا قام بزيادة أو نقصان قال الله تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾)** [الإسراء: ٨٢] أي فإن كان من الموصوفين بالايمان فيكون شفاء لامراضهم. وأما المقعدون عن الحدود فلا يزيدهم القرآن إلا نقصاً في أعمالهم.

(الثامن: التأثر وهو ان يتأثر قلبه) عند تلاوته **(بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن)** والبكاء **(والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته)** في معاني ما يتلو **(كانت الخشية أغلب الأحوال على**

القرآن، فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقروناً بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل: ﴿وإنِّي لَغَفَّارٌ﴾ [طه: ٨٢] ثم أتبع ذلك بأربعة شروط ﴿لِمَنْ تَابَ وآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢] وقوله تعالى: ﴿وَالعَصْرِ ★ إنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ★ إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ﴾ [العصر] ذكر أربعة شروط. وحيث اقتصر ذكر شرطاً جامعاً فقال تعالى: ﴿إنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، فالإحسان يجمع الكل. وهكذا من يتصفح القرآن من أوّله إلى آخره. ومن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن. ولذلك قال الحسن: والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به إلاَّ كثر حزنه وقلّ فرحه وكثر بكاؤه وقلّ ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطـالتـه. وقال وهيب بن الورد: نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أرق

قلبه) والرهبة ألزم الأوصاف به، **(فإن التضييق غالب على آيات القرآن فلا ترى ذكر الرحمة والمغفرة)** في آية **(إلا مقروناً بشروط يقصر القارىء عن نيلها)** وأنى له ذلك مع عدم تلك الشروط، **(كقوله عز وجل ﴿وإني لغفار﴾)** [طه: ٨٢] أتاه بصيغة الكثرة اشعاراً بعمـوم مغفـرتـه وهـو يـدعـو إلى فتـح بـاب الرجـاء، **(ثم اتبـع ذلـك بـأربعـة شروط)** فقال: **(﴿لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾)**[طه: ٨٢] فعلق تمام المغفرة بالتوبة والايمان والعمل الصالح والاهتداء الى سبيل الحق ولما كان الاهتداء كذلك متوقفاً على ما قبله ذكره بكلمة، ثم إشارة إلى بعد منزلته ورفعة رتبته.

(وقوله تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر ★ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصَوْا بالحق وتواصوابالصبر﴾)[العصر] فهذه السورة **(ذكر)** فيها **(أربعة شروط)** لنفي الخسارة عن الإنسان فإذا لم توجد فيه، فهو خاسر في تجارته الإيمان، والعمل الصالح، والمواصاة بالحق، والمواصاة بالصبر، **(وحيث اقتصر)** على شرط واحد **(ذكر شرطاً جامعاً)** لغالب الشروط المذكورة **(فقال تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾)** [الأعراف: ٥٦] ولم يقل من المؤمنين ولا من العاملين ولا غير ذلك، **(فالإحسان يجمع الكل)** من الشروط بل هو إشارة إلى كمال كل شرط مذكور، **(وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره)** آية آية يجد ما ذكر، **(ومن فهم ذلك)** في تلاوته **(فجدير)** أي حقيق **(بأن يكون حاله الخشية)** والرهبة **(والحزن)** والوجد والبكاء وتغير اللون والصعق وغير ذلك، **(ولذلك قال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(والله ما أصبح اليوم عبد يتلو)** هذا **(القرآن يؤمن به إلاَّ كَثُر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقلّ ضحكه وكثر نصبه)** أي تعبه **(وشغله وقلت راحته وبطالته)** كذا نقله صاحب القوت.

(وقال وهيب بن الورد) المكي رحمه الله تعالى: **(نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم**

للقلوب ولا أشد استجلاباً للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت. وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح. وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله واستشعاراً لعظمته. وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولداً وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقاً إليها. وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفاً منها، ولما قال رسول الله ﷺ لابن مسعود: «اقرأ عليَّ قال: فافتتحت سورة النساء فلما بلغت ﴿فَكَيْفَ إذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بشهيدٍ وجئْنَا بِكَ عَلَى هؤلاءِ شهيداً﴾ [النساء: ٤١] رأيت عينيه تذرفان بالدمع. فقال لي: حسبك الآن».

نجد شيئاً أرق للقلوب ولا أشد استجلاباً للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره).

قال أبو نعيم في الحلية: أخبرنا علي بن يعقوب بن أبي العقب في كتابه، وحدثني عنه عثمان بن محمد قال: حدثنا جعفر بن أحمد بن عاصم، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا أبو علي صاحب القاضي، عن عبدالله بن المبارك، عن وهيب بن الورد قال: نظرنا في هذا الحديث فلم نجد شيئاً أرق لهذه القلوب، ولا أشد استجلاباً للحق من قراءة القرآن لمن تدبره.

(**فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند**) ذكر (**الوعيد**) والزجر والتهديد، (**وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل**) أي يحتقر ويتصاغر (**من خيفة كأنه يكاد يموت**)، ويغلب عليه الحزن والكآبة، (**وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر**) ويفرح (**كأنه يطير من الفرح**) والاستبشار بما اعد الله له من النعيم، (**وعند ذكر الله تعالى وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعاً**) وتذللاً (**لجلاله**) وهيبته (**واستشعاراً لعظمته**) وكبريائه، (**وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولداً وصاحبة يغض صوته**) قليلاً عن عادته المستمرة، (**وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم**) ونسبتهم إليه عز وجل ما لا يليق بذاته المقدسة كل ذلك تأدباً في المقام وإجلالاً للملك العلام، (**وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقاً لها**) وإلى ما أعد الله فيها لأهلها من النعيم المقيم، (**وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفاً منها**) وهيبة مما فيها من العذاب المقيم لأهلها.

(**ولما قال رسول الله ﷺ لابن مسعود**) رضي الله عنه (**«اقرأ علي»**) قال اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري» قال: (**فافتتحت سورة النساء فلما بلغت**) قوله تعالى: (**﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ٤١] رأيت عينيه تذرفان**) أي تفيضان (**بالدمع فقال لي: «حسبك الآن»**) أي

وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية، ولقد كان في الخائفين من خرّ مغشياً عليه عند آيات الوعيد، ومنهم من مات في سماع الآيات، فمثل هذه الأحوال يخرجه عن أن يكون حاكياً في كلامه. وإذا قال: ﴿إنِّي أخافُ إنْ عَصيتُ ربِّي عَذَابَ يومٍ عظيمٍ﴾ [يونس: ١٥]، ولم يكن خائفاً كان حاكياً، وإذا قال: ﴿عَلَيْكَ تَوكَّلْنَا وَإلَيْكَ

أمسك عن القراءة. تقدم تخريج الحديث في الباب الذي قبله، **(وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة)** الحاصلة في الموقف بين يدي الله عز وجل قد **(استغرقت قلبه بالكلية)** فصارت كأنها حاضرة عنده.

(ولقد كان في الخائفين من خرّ مغشياً عليه عند آيات الوعيد) منهم: الربيع بن خيثم، وقد تقدمت قصته في كتاب الصلاة.

قال عبدالله بن أحمد في زوائد المسند: حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقي، حدثنا أبو بكر بن عياش، حدثنا عيسى بن سليم، عن أبي وائل قال: خرجنا مع عبدالله ـ يعني ابن مسعود رضي الله عنه ـ ومعنا الربيع بن خيثم، فمررنا على حدّاد فقام عبدالله ينظر إلى حديدة في النار، فنظر إليها الربيع فتمايل للتيقظ فمضى عبدالله حتى أتينا على أتون بشاطىء الفرات، فلما رآه عبدالله والنار تلتهب فيه قرأ: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ إلى قوله: ﴿ثبوراً﴾ [الفرقان: ١٢] فصعق الربيع فاحتملناه إلى أهله، فرابطه عبدالله إلى الظهر فلم يفق، ثم رابطه إلى العصر فلم يفق، ثم رابطه إلى المغرب فلم يفق، ثم أفاق فتوجه عبدالله إلى أهله.

ومنهم أبو أسيد كان يصعق إذا سمع آية شديدة، وكان مستجاب الدعوة وكان يقال انه من الأبدال وهو تابعي صغير أخرج قصته ابن أبي داود في كتاب الشريعة، وقد جاء في حديث مرفوع بسند معضل: قال أبو عبيد حدثنا وكيع، حدثنا حمزة الزيات، عن حمدان بن أعين قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً ★ وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً﴾ [المزمل: ١٢، ١٣] فصعق.

(ومنهم من مات عند سماع بعض الآيات) تقدم ذكر جماعة منهم في كتاب الصلاة وأورد أبو إسحاق الثعلبي المفسر في كتابه قتلى القرآن منهم عدداً كثيراً. ومن المشهورين بذلك: زرارة ابن أوفى من ثقات التابعين وكان قاضي البصرة أخرج الترمذي في أواخر كتاب الصلاة من جامعه من طريق بهز بن حكيم قال: صلى بنا زرارة ابن أوفى صلاة الفجر فلما بلغ ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ [المدثر: ٨] شهق شهقة فمات وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصلاة بأبسط مما هنا.

(فمثل هذه الأحوال تخرجه عن أن يكون حاكياً في كلامه) غير متحقق بمضمونه، **(فإذا قال: ﴿إنِّي أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ [يونس: ١٥] ولم يكن خائفاً)** من عذاب الله **(كان حاكياً)** للعبارة **(وإذا قال: ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا**

أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ المصير﴾ [الممتحنة: ٤]، ولم يكن حاله التوكل والإنابة كان حاكياً، وإذا قال: ﴿ولنصبرنَّ عَلَى ما آذَيْتُمُونَا﴾ [إبراهيم: ١٢]، فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة، فإن لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى: ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ على الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] وفي قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣] وفي قوله عز وجل: ﴿وَهُمْ في غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، وفي قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تولّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يردْ إلاَّ الحيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَم يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]

وإليك المصير﴾ [**الممتحنة: ٤] ولم يكن حاله التوكل والإنابة**) والتفويض إلى الله في سائر أموره (**كان حاكياً**) لفظ التلاوة. (**وإذا قال: ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾ [إبراهيم: ١٢] فليكن حاله حالة الصبر**) على أذى المخالفين، (**أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة**) فيما يتلوه، (**فإن لم يكن بهذه الصفات**) متصفاً (**ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات**) من الخوف والتوكل والانابة (**كان حظه من التلاوة حركةاللسان**) فقط وهو غير مجد منها (**مع صريح اللعن على نفسه في قوله: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾**) [هود: ١٨] وهو ظالم لنفسه أو على غيره (**وفي قوله تعالى: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**) [الصف: ٣] وهو يقول ما لا يفعل فيمقت بذلك عند الله والمقت أشد الغضب. (**وفي قوله تعالى: ﴿وهم في غفلة معرضون﴾**) [الأنبياء: ١] وهذه الغفلة عن ذكر الله والإعراض عنه بما سواه. (**وفي قوله تعالى: ﴿فأعرض عَن مَّن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾**) [النجم: ٢٩] وعنده التولي عن ذكر الله وحب المال والجاه. (**وفي قوله تعالى: ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾**) [الحجرات، ١١] وهو لا يتوب وليست له عزيمة عليه (**إلى غير ذلك من الآيات**) الواردة في ذلك فلولا أنه يكون هو الخائف لليوم العظيم وهو المتوكل المنيب وهو الصابر على الأذى والمتوكل على المولى، وإلا كان مخبراً عن قائل قاله فلا يجد حلاوة ذلك ولا ميراثه، فإذا كان كذلك وجد حلاوة التلاوة وتحقق بحسن الولاية وإذا تلا الآي المذموم أهلها الممقوت فاعلها من التولي والظلم وحب الدنيا فما أقبح أن يعيب ذلك وهو من أهله، وما أعظم أن يذم أهل ذلك وهو بوصفه، فهذا من حجج القرآن عليه فلا يجد مع ذلك حلاوة المناجاة، ولا يسمع خطاب المتناجى لأن وصفه المذموم قد حجبه وهو المردي، وعن حقيقة الفهم قد حرمه ولأن قسوة قلبه عن الفهم صرفه وكذبه في حاله عن البيان أحرمه، فإذا كان هو المتيقظ المقبل وهو التائب الصادق سمع فصل الخطاب، ونظر إلى الداعي وله استجاب.

والتالي إذا خالف هذا الوصف الذي شرحناه أو كان على ضد ذلك من السهو والغفلة والعماء والحيرة محادثاً لنفسه مصغياً إلى هواه ووسوسة عدوه ومتوهماً للظنون عاكفاً على الأماني.

إلى غير ذلك من الآيات وكان داخلاً في معنى قوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُم أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إلاّ أماني﴾ [البقرة: ٧٨] يعني التلاوة المجردة وقوله عز وجل: ﴿وكَأَيِّنْ مِنْ آيةٍ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ يمرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥] لأن القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات والأرض ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضاً عنها، ولذلك قيل: إن لم يكن متصفاً بأخلاق القرآن فإذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى ما لك ولكلامي وأنت معرض عني دع عنك كلامي إن لم تتب إليَّ، ومثال العاصي إذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه، فلعله لو ترك الدراسة عند

(كان داخلاً في معنى قوله عز وجل: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾ [البقرة: ٧٨] يعني التلاوة المجردة) لا غير ﴿وإن هم إلا يظنون﴾ فوصفهم بالظن وهو ضد اليقين كما أخبر عن الظانين في قولهم ﴿إن نظن إلآ ظناً وما نحن بمستيقنين﴾، **(وفي معنى قوله تعالى: ﴿وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ [يوسف: ١٠٥] لأن القرآن)** من أجل آيات الله و**(هو المبين لتلك الآيات في السموات والأرض)** الدال على فاطرهما ومنزله، **(ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضاً عنها)** وأيضاً كان داخلاً بوصف من تهدده بعلمه فيه عند استماعه لكلامه العزيز متهاوناً به مناجياً لغيره إذ يقول تعالى: ﴿نحن أعلم بمايستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى﴾ [الإسراء: ٤٧] وبوصف من أخبر عنه إذ يقول تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا﴾ الآية [الأعراف: ١٦٩] هذا وصفهم الظن الكاذب والرجاء المخلف اللذان لم يقترنا إلى خوف واشفاق وخالفوه عاجلاً وتمنوا عليه المغفرة جهلاً منهم بحكمته تعالى وأعرضوا عن أحكامه، قال الله تعالى: ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق﴾ [الأعراف: ١٦٩] ثم أخبر عن علمهم بذلك علم قول وخبر لا علم يقين ومعاينة فقال تعالى: ﴿ودرسوا ما فيه﴾ [الأعراف: ١٦٩] أي قرأوا ما فيه وعلموه ولم يعملوا به فلم ينتفعوا بشيء منه فكان هذا توبيخاً لهم وتقريعاً كقوله تعالى: ﴿قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾ [البقرة: ٩٣] **(ولذلك قيل إن لم يكن متصفاً بأخلاق القرآن)** منصبغاً بمعانيه، **(فإذا قرأ القرآن ناداه الله عز وجل مالك ولكلامي وأنت معرض عني دع عنك كلامي إن لم تتب إليّ)** وهذا المعنى قد تقدم للمصنف بلفظ: إن العبد إذا تلا القرآن واستقام نظر الله إليه برحمته، فإذا قرأ القرآن وخلط ناداه الله تعالى مالك ولكلامي وأنت معرض عني دع عنك كلامي إن لم تتب إلي.

(ومثال العاصي إذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب إليه في عمارة مملكته) بالعدل والإصلاح، **(وهو مشغول بتخريبها)** بالظلم والإفساد **(ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة)** المتحققة لأوامره

المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت، ولذلك قال يوسف بن اسباط: **إني لأهمّ بقراءة القرآن فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى التسبيح والاستغفار.** والمعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل: ﴿فَنَبَذُوه وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ واشتروْا بِهِ ثَمَناً قَليلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «اقـرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فلستم تقرأونه ـ وفي بعضها ـ فإذا اختلفتم فقوموا عنه». قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ

ونواهيه (**لكان أبعد عن الاستهزاء**) لكلام الملك (**واستحقاق المقت**) منه، (**ولذلك قال يوسف بن اسباط**) الشيباني: (**إني لأهم بقراءة القرآن**) أي أعزم عليها، (**فإذا ذكرت ما فيه**) أي في القرآن (**خشيت المقت**) من الله على نفسي، (**فاعدل إلى التسبيح والاستغفار**) كذا في القوت.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن إسحاق سمعت المؤمل بن الشماخ المصيصي يقول: سمعت يوسف بن اسباط يقول: إني لأهم بقراءة السورة فإذا كان ليس يعمل بما فيها لم تزل السورة تلعنه من أولها إلى آخرها، وما أحب أن يلعنني القرآن.

حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن يحي بن منده، حدثنا أبو عمران الطرسوسي، سمعت أبا يوسف الغسولي يقول: كتب حذيفة المرعشي إلى يوسف بن اسباط، أو يوسف إلى حذيفة أما بعد: فإنه من قرأ القرآن ثم آثر الدنيا فهو ممن اتخذ آيات الله هزواً، ومن كان طلب الفضائل أهم إليه من ترك الذنوب فهو مخدوع، وقد خشيت أن يكون خير أعمالنا أضر علينا من ذنوبنا.

(**والمعرض عن العمل به**) أي بالقرآن (**أزيد إثماً لقوله تعالى: ﴿فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾**) [آل عمران: ١٨٧] وفي قوله تعالى السابق ذكره ﴿ودرسوا ما فيه﴾ وجه غريب ذكره صاحب القوت وهو أن معناه محوه بترك العمل به والفهم له من قولك: درست الريح الآثار إذا محتها، وخط دارس وربع دارس إذا أمحى وعفا أثره، وهذا المعنى مواطىء لقوله تعالى: ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾ الآية وهي التي ذكرها المصنف ومواطىء لقوله تعالى: ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون وأتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ [البقرة: ١٠١] أي ما تتبع وتهوى وكل آية في التهديد والوعيد فللخائفين منها وعظ وتخويف وللغافلين منها وصف وتعريف علمه من علمه.

(**ولذلك قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن ما آئتلفت**) أي اجتمعت (**عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فلستم تقرأونه وفي بعضها**) أي الروايات (**فإذا اختلفتم فيه فقوموا عنه»**) هكذا أورده في القوت بالروايتين.

قال العراقي: متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلي باللفظ الثاني دون قوله: «ولانت جلودكم» اهـ.

قُلُوبُهُم وإذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِم آيَاتُهُ زَادَتْهُم إيماناً وعلى ربِّهم يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال : ٢] ، وقال ﷺ : « إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعـالى » .

قلت : وكذلك رواه أحمد ، والنسائي ، ورواه مسلم أيضاً والطبراني عن أبي بكر ، ورواه النسائي أيضاً عن معاذ بن جبل .

ومعنى الحديث : دوموا على قراءته ما دامت قلوبكم تألف القراءة بنشاط وخواطركم مجموعة ، فإذا صارت قلوبكم في فكرة شيء سوى قراءتكم وحصلت القراءة بالسنتكم مع غيبة قلوبكم فلا تفهمون ما تقرأون فاتركوه إلى وقت تعودون في محبة قراءته إلى الحالة الأولى ، فإنـه أعظـم مـن قراءته بغير حضور قلب فان الاختلاف في القرآن يؤدي إلى الجدال والجدال إلى الجحد وتلبيس الحق بالباطل .

وقوله : « ولانت جلودكم » ليس عند الجماعة وهو مواطىء لقوله تعالى : ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذلك الله﴾ [الزمر : ٢٣] وهو كناية عن الخشية والإذعان لقبول ما يرد عليه من آثار الفهم ، فإذا صفا القلب بنور اليقين وأيد العقل التوفيق والتمكين وتجرد الهم من تعلق بخلق وتألـف السر بالعكوف على الخالق وخلت النفس من الهوى سرت الروح فجالت في الملكوت الأعلى كشف للقلب بنور اليقين الثابت ملكوت العرش عن معاني صفات موصوف ، وأحكام خلاق ومألوف ، وباطن أسماء معروف وغرائب علم رحيم رؤوف ، فشهد عن الكشف أوصاف ما عرف ، فقام حينئذ بشهادة ما عرف ، فكان ممن (**قال الله تعالى**) : ﴿يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾ [البقرة : ١٢١] وممن قال الله تعالى : (﴿**إذا ذكر الله وجلت قلـوبهم وإذا تليـت عليهـم آيـاتـه زادتهم إيماناً**) أولـئك هم المؤمنون حقاً﴾ [الأنفال :٢-٤] لأنه إذا أعطاه حقيقة من الإيمان أعطاه من معناه حقيقة من مشاهدة ، وكانت تلاوته عن شهادة ، وكان مزيده من معنى تلاوته . وكان ذلك على معيار حقيقة من إيمانه ، فيكون العبد يوصف من نعت بالحضور والإنذار ، وخص بالمزيد والاستبشار في قولـه : ﴿فلما حضروه قـالـوا انصتـوا فلما قضى ولـوا إلى قـومهـم منـذريـن﴾ [الأحقاف : ٢٩] ومن قوله تعالى : ﴿فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون﴾ [التوبة : ١٢٤] ويكون بنعت من مدحه بالعلم وأثنى عليه بالرجاء ووصفه بالخوف في قوله تعالى : ﴿يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر : ٩] .

ثم ان أعلم الخلق بمعاني الكلام أعرفهم بمعـاني الصفـات ، وأعـرف العبـاد بمعـاني الأوصـاف والأخلاق وغامضات الأحكام أعرفهم بسرائر الخطاب ووجه الحروف ومعاني باطن الكلام ، وأحقهم بذلك أخشاهم له وأخشاهم له أقربهم منه وأقربهم منه من خصه باثرته وشمله بعنايته .

(**و**) قد (**قال ﷺ : « إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله تعالى »**) ولا يخشاه حتى يعرفه ولا يعرفه حتى يعامله ولا يعامله حتى يقربه ولا يقربه حتى يعنى فيه وينظر إليه ، فعندها عرف سر الخطاب واطلع على باطن الكتاب .

قال العراقي: رواه ابن ماجه بسند ضعيف من حديث جابر اهـ.

قلت: ورواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة، والبيهقي في السنن، والخطيب في التاريخ عن ابن عباس.

ورواه السجزي في الإبانة، والخطيب أيضاً عن ابن عمر، ورواه الديلمي عن عائشة كلهم بلفظ: «أحسن الناس قراءة الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله».

أما حديث جابر الذي أشار إليه العراقي، فرواه ابن ماجه عن بشر بن معاذ، حدثنا عبد الله ابن جعفر، حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعت قراءته حسبت أنه يخشى الله».

ورواه الآجرى في فوائده، عن عمر بن أيوب السقطي، حدثنا القواريري، حدثنا عبد الله بن جعفر فذكر مثله.

وأخرجه ابن أبي داود من وجه آخر عن عبد الله بن جعفر وهو المديني والد علي وفيه في شيخه إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع ضعف، وهذا معنى قول العراقي بسند ضعيف.

وأما حديث ابن عمر، فروي من طرق منها مرسل رواه سفيان الثوري، عن ابن جريج، عن ابن طاوس عن أبيه، وعن الحسن بن مسلم عن طاوس قال: سئل رسول الله ﷺ: من أحسن الناس صوتاً بالقرآن؟ قال: «الذي إذا سمعته رأيت أنه يخشى الله».

وقال الدارمي حدثنا جعفر حدثنا مسعر، عن عبد الكريم عن طاوس بنحوه.

وهكذا أخرجه محمد بن نصر من رواية وكيع عن مسعر وهو مرسل حسن السنة.

وجاء من وجه آخر عن طاوس موصولاً قال عبد بن حميد: حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا مرزوق أبو بكر عن سليمان الأحول عن طاوس، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ سئل أي الناس أحسن قراءة؟ قال: «الذي إذا سمعت قراءته رأيت أنه يخشى الله عز وجل» أخرجه محمد بن نصر عن محمد بن يحيى عن عمر بن أبي عمر عن مرزوق.

وأخرجه ابن أبي داود في كتاب الشريعة، عن عبد الله بن محمد، عن أبي نعيم، عن مرزوق مولى طلحة الباهلي. وثقه أبو زرعة الرازي.

ومنها قال الطبراني: حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا محمد بن معمر، حدثنا حميد بن حماد، عن مسعر، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: قيل للنبي ﷺ: «من أحسن الناس صوتاً بالقرآن» فذكر مثله.

وأخرجه البزار عن محمد بن معمر، وأخرجه ابن أبي داود من وجه آخر عن حميد بن حماد قال البزار: لم يتابع حميد عليه، وإنما رواه مسعر عن عبد الكريم يعني كما تقدم مرسلاً.

وقال ﷺ : « لا يسمع القرآن من أحد أشهى منه ممن يخشى الله عز وجل » فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به ، وإلاّ فالمؤونة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ، ولذلك قال بعض القراء : قرأت القرآن على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانيا فانتهرني وقال : جعلت القرآن عليَّ عملاً اذهب فاقرأ على الله عز وجل فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك . وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الأحوال والأعمال . فمات رسول الله ﷺ عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا

ولحديث طاوس شاهد من مرسل الزهري قال عبد الله بن المبارك : حدثني يونس بن يزيد عن الزهري : بلغنا عن النبي ﷺ قال : « أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعته رأيت أنه يخشى الله » .

(وقال ﷺ : « لا يسمع القرآن من أحد أشهى منه ممن يخشى الله عز وجل ») .

قال العراقي : رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكر أبو القاسم الغافقي في كتاب فضائل القرآن اهـ .

قلت : ولم يذكر صحابيه وقد رواه ابن المبارك عن طاوس مرسلاً ، ورواه السجزي في الإبانة عن طاوس عن أبي هريرة .

(فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب وللعمل به) والاهتداء بانواره ، **(وإلا فالمؤونة في تحريك اللسان بالحروف خفيفة ، ولذلك قال بعض القراء قرأت القرآن)** ولفظ القوت : وحدثني شيخ فاضل قرأت عليه القرآن قال : قرأت القرآن **(على شيخ لي ثم)** لما ختمته عليه **(رجعت)** إليه **(لاقرأ ثانياً فانتهرني وقال : جعلت القراءة عليَّ عملاً اذهب فاقرأ على الله تعالى ، فانظر ماذا يأمرك وينهاك وماذا يفهمك ، ولقد كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الأحوال والأعمال)** لا في الأقوال ، **(فمات ﷺ عن عشرين ألفاً من الصحابة)** .

قال العراقي : لعله أراد بالمدينة وإلا فقد روينا عن أبي زرعة الرازي أنه قال قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفاً من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه اهـ .

قلت : تقدم قول أبي زرعة وهكذا ذكره غيره وقد أسلفناه مفصلاً في كتاب العلم فراجعه .

(ولم يحفظ القرآن) كله **(منهم إلا ستة)** أنفس **(اختلف منهم في إثنين)** ففي الصحيحين من حديث أنس قال : جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد ، وأبو زيد .

قلت : من أبو زيد ؟ قال : أحد عمومتي .

وزاد ابن أبي شيبة في المصنف من رواية الشعبي مرسلاً وأبو الدرداء ، وسعيد بن عبيد .

ستة اختلف في اثنين منهم. وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين. وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم، ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى إلى قوله عز وجل: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧ ، ٨] قال: يكفي هذا وانصرف. فقال ﷺ: « انصرف الرجل وهو فقيه ». وإنما العزيز مثل تلك الحالة التي

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو: « استقرئوا القرآن من أربعة من عبدالله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب ».

وقال صاحب القوت عن بعضهم: ولم يكن جمعه من الخلفاء الأربعة أحد، وختم ابن عباس على أبي، وقرأ عبد الرحمن بن عوف على ابن عباس، وقرأ عثمان بن عفان على زيد بن ثابت، وقرأ أهل الصفة على أبي هريرة.

(وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين) رواه ابن الأنباري في المصاحف بسنده إلى عمر رضي الله عنه قال: « كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة من يحفظ من القرآن السورة أو نحوها » الحديث وسنده ضعيف.

(وكان الذي يحفظ) الحزب منه وهو السبع أو **(البقرة والأنعام)** يعد **(من علمائهم)**.

روي الترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة قال: « بعث رسول الله ﷺ بعثاً وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل ما معه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سناً فقال: ما معك يا فلان؟ قال: معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال: أمعك سورة البقرة؟ قال: نعم. قال: إذهب فأنت أميرهم » الحديث.

وروى أحمد في مسنده من حديث أنس قال: « كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جل في أعيننا وأقام ابن عمر على حفظ البقرة ثماني سنين » رواه مالك في الموطأ.

ولما جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يتعلم العلم فلما كان عند باب المسجد سمع النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ★ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ [الزلزلة: ٧ ، ٨] فقال يكفيني هذا فانصرف، فقال النبي ﷺ: « انصرف الرجل وهو فقيه ».

قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي في الكبرى، وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو قال: « أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: اقرئني يا رسول الله » الحديث وفيه: « فاقرأه رسول الله ﷺ إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها فقال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبداً ثم أدبر الرجل، فقال رسول الله ﷺ: « أفلح الرويجل أفلح الرويجل ».

ولأحمد والنسائي في الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق أنه صاحب القصة وقال: حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها.

(وإنما العزيز مثل تلك الحالة التي يمن الله بها على قلب العبد عقيب فهم الآية فأما مجرد

من الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية، فأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيامةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]، وبقوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَها وَكَذَلِكَ اليومَ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٦] أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها، فإن المقصر في الأمر يقال: إنه نسي الأمر. وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار، فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ.

التاسع: الترقي. وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث: أدناها أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل واقفاً

حركة اللسان) وشقشقته (**فقليل الجدوى**) ناقص الفائدة، (**بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله عز وجل** (﴿**ومن أعرض عن ذكري**) أي عن الهدى الذاكر لي والداعي إلى عبادتي (**فإنّ له معيشة ضنكاً**) أي ضيقاً مصدر وصف به وذلك لأن مجامع همه ومطامح نظره تكون إلى أعراض الدنيا متهالكاً على ازديادها خائفاً على انتقاصها (**ونحشره يوم القيامة أعمى**) أعمى البصر أو القلب، ويؤيد الأول: قوله (**قل رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال: كذلك أتتك آياتنا**) الواضحة (**فنسيتها**) أي عميت عنها (**وكذلك اليوم تنسى**﴾) [طه: ١٢٤ - ١٢٦] أي تترك في العمى والعذاب قيل معنى فنسيتها (**أي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها**) أي لم تحتفل بشأنها (**فإن المقصر في الأمر يقال انه نسي الأمر**) أي تركه وقصر فيه وهذا شائع عند أهل اللغة، ثم قال: ﴿وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾ [طه: ١٢٧] وكذلك قوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾ [الاسراء: ٧٢] وفي بعض الأخبار: « من نسي الصلاة علي أخطأ طريق الجنة » وإنما أراد بالنسيان الترك، (**و**) المراد من (**تلاوة القرآن**) في قوله تعالى: ﴿يتلونه (**حق تلاوته**﴾ **أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف**) وتجويدها (**بالترتيل**) المسنون، (**وحظ العقل تفسير المعاني**) المتحصلة من تلك الألفاظ، (**وحظ القلب الاتعاظ والتأثر والانزجار**) عن النواهي، (**والائتمار**) بالأوامر. (**فاللسان واعظ**) ناصح (**والعقل ترجمان**) يترجم ما يفهمه من ذلك الوعظ، (**والقلب متعظ**) يقبله أو يرده.

(**التاسع: الترقي وهو**) يكون من حضيض إلى أوج، والمراد منه (**أن يترقى**) في تلاوته (**إلى أن يسمع الكلام**) الذي يتلوه (**من الله عزوجل لا من نفسه فدرجات القراءة ثلاث:**

بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال.

الثانية: أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم.

الثالثة: أن يرى في الكلام المتكلم، وفي الكلمات الصفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الانعام به من حيث أنه منعم عليه، بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره. وهذه درجة المقربين وما قبله درجة أصحاب اليمين، وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين. وعن الدرجة العليا أخبرنا جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال: والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون. وقال أيضاً، وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة

أدناها أن يقدر العبد) في نفسه **(كأنه يقرأ على الله عز وجل)** ويناجيه بكلامه **(واقفاً بين يديه)** بالإجلال والتعظيم **(وهو ناظر إليه)** بعين رحمته والطافه، **(ومستمع منه)** ما يتلوه، **(فيكون حاله عند هذا التقدير)** ومقامه **(السؤال والتملق والتضرع والابتهال)** والطلب والتعلق، فالسؤال والتملق مقامه والطلب والتعلق حاله.

(الثانية: أن يشهد بقلبه كأنّ الله عز وجل يراه ويخاطبه بالطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه فمقامه الحياء والتعظيم و) حاله **(الإصغاء والفهم)** لما يتلوه.

(الثالث: أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات) أي يشهد أوصاف المتكلم في كلامه ويعرف أخلاقه بمعاني خطابه، **(فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الأنعام به من حيث أنه منعم عليه)** بإحسانه، **(بل يكون مقصور الفهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره)**، بل لا يخطر السوى بباله **(وهذه درجة)** العارفين **(المقربين)** ومقامهم وهي أعلاها، **(وما قبله درجة)** الأبرار من **(أصحاب اليمين)** كما أن ما قبله درجة المتعرفين والمريدين، **(وما خرج عن هذا فهي درجات الغافلين)** فإذا كان التالي من أصحاب اليمين فينبغي له أن يشهد في التلاوة أن مولاه يخاطبه بالكلام لأنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام نفسه وليس للعبد في كلامه كلام، وإنما جعل له حركة اللسان بوصفه وتيسير الذكر بلسانه لحكمة ربه تعالى حدّاً للعبد ومكاناً له كما كانت الشجرة وجهة لموسى عليه السلام كلمه ربه منها.

(وعن الدرجة العليا) من الدرجات الثلاث **(أخبر)** الإمام أبو محمد **(جعفر بن محمد)** ابن علي بن الحسين **(الصادق رضي الله عنه فقال: والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون)** نقلهُ صاحب القوت أي لا يدركونه بحجب بصيرتهم عن ذلك، **(وقال أيضاً وقد**

حتى خرّ مغشياً عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال: ما زلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته، ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة، ولذة المناجاة. ولذلك قال بعض الحكماء: كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول الله ﷺ يتلوه على أصحابه، ثم رفعت إلى مقام فوقه فكنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله ﷺ، ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيماً لا أصبر عنه. وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما: لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن، وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى إلى مشاهدة المتكلم في الكلام. ولذلك قال ثابت البناني: كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة. وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد ممتثلاً لقوله عز وجل: ﴿فَفِرُّوا إلى اللهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]. ولقوله

سألوه عن حالة لحقته) ولفظ القوت عن شيء لحقه **(في الصلاة حتى خر مغشياً عليه، فلما سرى عنه)** أي كشف عنه وأفاق **(فقيل له في ذلك فقال: ما زلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته)** تعالى، فكذلك الخصوص يرددون الآية في قلوبهم ويتحققون في مشاهدتهم بمدد من سيدهم حتى يستغرقهم الفهم فيغرقون في بحر العلم، **(ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة)** في التلاوة **(و)** تكثر **(لذة المناجاة)** وينتج الاستغراق، **(ولذلك قال بعض الحكماء)** وفي القوت وقال بعض العلماء **(كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول ﷺ يتلوه على أصحابه)** أي قدرت في نفسي ذلك، **(ثم رفعت إلى مقام فوقه فكنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه إلى رسول الله ﷺ، ثم جاء الله تعالى بمنزلة أخرى فأنا الآن اسمعه من المتكلم به عز وجل فعندها وجدت لذة ونعيماً لا أصبر عنه)** هكذا ساقه في القوت.

(وقال عثمان) بن عفان **(وحذيفة)** بن اليمان رضي الله عنهما: **(لو طهرت القلوب)** أي عن دنس الأغطية **(لم تشبع من قراءة القرآن)** كذا نقله صاحب القوت، **(وإنما قالا ذلك لأنها بالطهارة)** القلبية **(ترقى إلى مشاهدة المتكلم في الكلام)** ومعاينة أخلاقه في صفاته، **(ولذلك قال ثابت البناني: كابدت القرآن عشرين سنة)** أي جاهدت نفسي في تحصيله على أعلى الدرجات، **(وتنعمت به عشرين سنة)** نقله صاحب القوت.

وفي الحلية لأبي نعيم حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم ابن كثير، حدثني محمد بن مالك، حدثنا عمرو بن محمد بن أبي رزين قال: قال ثابت كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة.

(وبمشاهدة المتكلم) في كلامه **(دون ما سواه يكون العبد ممتثلاً لقوله عز وجل ﴿ ففروا**

تعالى: ﴿وَلاَ تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ﴾ [الذاريات: ٥١]، فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره، وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئاً من الشرك الخفي، بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا الله عز وجل.

العاشر: التبرىء، وأعني به أن يتبرأ من حوله وقوّته والالتفات إلى نفسه بعين

إلى الله﴾) [الذاريات: ٥٠] أي من الخلق أعلم أن التالي إذا كان من أهل العلم بالله والفهم عنه والسمع من الله تعالى والمشاهدة فيشهد ما غاب عن غيره وأبصر ما عمى عنه سواه، وقد قال تعالى: ﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون﴾ [الحاقة: ٣٨] وقال تعالى: ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ [الحشر: ٢] معناه في الفهم اعبروا إلي فقد ابصرتم فلما أعطاهم الأيدي والأبصار هبروا بقواهم إلى ما أبصروا، ففروا إلى الله عز وجل من الخلق حين ذكروه مما خلق فخرجوا على معيار حسن الابتلاء ولم ينقصهم البلاء شيئاً، فكانوا كما أخبروا كالذي أمر في قوله: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون★ ففروا إلى الله﴾ [الذاريات: ٤٩، ٥٠] (**ولقوله تعالى: ﴿ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر﴾**) [الذاريات: ٥١] فكانوا هم الموحدون المخلصون له وكان هو المنفرد المستخلص لهم، ثم جاوزوا التذكرة بالأشياء إليه فذكروه عنده به، فحينئذ هربوا إليه منه حين هللوا به فلم يتألهوا إلى سواه كما لم يعبدوا إلا إياه.

قال صاحب القوت: وكذلك رأيتها في مصحف عبد الله ﴿ففروا إلى الله منه إني لكم نذير مبين﴾.

(**فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره وكل ما التفت إليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيئاً من الشرك الخفي**) الذي هو أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء، (**بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا الله عز وجل**) وهذا هو المعبر عنه بحقيقة الحقائق، وأصحاب هذا المقام بعد اتفاقهم على ذلك منهم من كان له هذا الحال عرفانياً علمياً، ومنهم من صار له ذلك ذوقاً حالاً وانتفت عنهم الكثرة واستغرقوا بالفردانية المحضة واستوفيت فيها عقولهم، فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضاً، فلم يكن عندهم إلا الله فسكروا سكرا وقع دون سلطان عقولهم فشطوا وكلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكى، فلما خف عنهم سكرهم وردوا إلى سلطان العقل الذي هو ميزان الله في الأرض عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد، بل يشبه الاتحاد وهذه الحالة إذا غلبت سميت بالاضافة إلى صاحب الحالة فناء، بل فناء الفناء لأنه فني عن نفسه وفني عن فنائه فإنه ليس يشعر بنفسه في تلك الحال ولا يعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم شعوره بنفسه كان قد شعر بنفسه، وتسمى هذه الحال بالإضافة إلى المستغرق به بلسان المجاز اتحاداً وبلسان الحقيقة توحيداً، والله أعلم.

(**العاشر: التبرىء واعني**) به (**ان يتبرأ**) أي يظهر البراءة (**من حوله وقوته والالتفات إليه بعين الرضا والتزكية**) ولا يتحقق التولي لمولاه إلا بهذا التبرىء فإنه ما دام يثبت لنفسه حولاً

الرضا والتزكية. فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوّف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم، وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفاً وإشفاقاً. ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: اللهم إني أستغفرك لظلمي وكفري، فقيل له: هذا الظلم فما بال الكفر؟ فتلا قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقيل ليوسف بن اسباط: إذا قرأت القرآن بماذا تدعو؟ فقال: بماذا أدعو استغفر الله عز وجل من تقصيري سبعين مرة، فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه، فإن من شهد البعد في القرب لطف به في الخوف حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى في القرب وراءها، ومن شهد القرب في البعد مكر بـه بالأمن الذي يفضيه إلى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه. ومهما كان مشاهداً

أو يضيف إليها قوّة أو ينظر إليها بعين استحسان فهو قاصر الدرجة عن مقـام محبة الحق ولا يجتمع الحبان في قلب، (**وإذا**) كان التالي خائفاً ناصحاً لنفسه وللخلق سليم القلب و(**تلا آيات الوعد والمدح**) ومحاسن الوصف (**للصالحين**) ومقامات المقربين، (**فلا يشهد نفسه**) هناك ولا يراها مكاناً لذلك (**عند ذلك، بل يشهد الموقنين والصديقين فيها**) وينظر إليهم منها سلامة للقلب ونصحا للخلق، (**ويتشوف أن يلحقه الله تعالى بهم**) ويرقيه إلى مقاماتهم، (**وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين**) أي الآي الممقوت أهلها المتهدد عليها المذموم وصفها من مقامات الغافلين وأحوال الخاطئين (**شهد نفسه هناك وقدر انه**) هو (**المخاطب**) المقصود بذلك (**خوفاً**) منه (**واشفاقاً**) فبهذه المشاهدة يرجو للخلق ويخاف على نفسه، ومن هذه الملاحظة يسلم قلبه للعباد ويمقت نفسه، (**ولذلك كان عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه يقول**) في دعائه: (**اللهم إني استغفرك لظلمي وكفري فقيل له**) يا أمير المؤمنين: (**هذا الظلم فما بال الكفر؟ فتلا قوله عز وجل ﴿إن الإنسان لظلوم كفار﴾** [إبـراهيم: ٣٤] نقـلـه صـاحـب القـوت.

(**وقيل ليوسف بن اسباط: إذا قرأت القرآن بماذا تدعو؟ فقال: بماذا أدعو أستغفر الله عز وجل من تقصيري سبعين مرة**) نقله صاحب القوت، ولم أره في الحلية في ترجمته وتعيين العدد بالسبعين مـرة اتباعاً لما ورد في الخبر أنه ليغان على قلبي وإني استغفر الله كل يوم سبعين مرة، (**فإذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه**) ومشاهدته على قدر مقامه في رؤيته، (**فان من اشهد البعد في القرب لطف به في الخوف**) وفي نسخة لطف له بالخوف (**حتى يسوقه إلى درجة أخرى في القرب وراءه ومن اشهد القرب في البعد مكر به بالأمر الذي يقضي به إلى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوباً بنفسه**) أي أن قلب هذان المعنيان على عبد حتى يشهد نفسه في المدح

نفسه بعين الرضا صار محجوباً بنفسه، فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في قراءته كشف له سر الملكوت. قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه: وعد ابن ثوبان أخاً له أن يفطر عنده فابطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال له: وعدتني أنك تفطر عندي فأخلفت، فقال: لولا ميعادي معك ما أخبرتك بالذي حبسني عنك! إني لما صليت العتمة قلت: أوتر قبل أن أجيئك لأني لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت إلى روضة خضراء فيها أنواع الزهر من

والوصف ويشهد غيره في الذم، والمقت انقلب قلبه عن وجهة الصادقين وتنكب بقصده عن صراط الخائفين فهلك وأهلك، فهذا هو المحجوب بنفسه وهلاكه متحقق وإهلاكه لغيره لأنه يرى أنه وصل وما شم رائحة الوصول، (**فإذا جاوز حد الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في قراءته كشف له سر الملكوت**) وفي نسخة انكشف له الملكوت.

قال المصنف في مشكاة الانوار: «العين عينان ظاهرة وباطنة الظاهرة من عالم الحس والمشاهدة والباطنة من عالم الملكوت، ولكل عين من العينين شمس ونور عنده تصير كاملة الابصار احداهما ظاهرة والأخرى باطنة، والظاهرة من عالم الشهادة وهي الشمس المحسوسة، والباطنة من عالم الملكوت وهو القرآن، وكتب الله المنزلة، ومهما انكشف لك هذا انكشافاً تاماً، فقد انفتح لك أوّل باب من أبواب الملكوت، وفي هذا العالم عجائب تستحقر إليها بالإضافة إلى عالم الشهادة، ومن لم يسافر إلى هذا العالم وقعد به القصور في حضيض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد محروم عن خاصية الإنسانية، بل أضل من البهيمة إذ لم تستعد البهيمة اجنحة الطيـران إلى هذا العالم، ثم قال: فأما العبد فلا تفتح له أبواب الملكوت ولا يصير ملكوتيا إلا وتبدل في حقه الأرض غير الأرض والسموات ويصير كل ما هو داخل تحت الحس والخيال أرضه، ومن جملتهاالسموات وكل ما ارتفع من الحس سماؤه، وهذا هو المعراج الأوّل لكل سالك ابتداء سفره إلى قرب الحضرة الربوبية والانبياء إذا بلغ معراجهم إلى عالم الملكوت، فقد بلغوا المبلغ الأقصى واشرفوا على جملة من علوم الغيب ومن اطلع على كنه حقيقته انكشفت له حقائق أمثلة القرآن على يسر والله أعلم.

(**وقال سليمان بن أبي سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى: (**وعد ابن ثوبان**) بالثاء المثلثة والموحدة هكذا هو في نسخ الكتاب، ولعله ابن بويان بضم الموحدة والياء التحتية وهو أبو الحسن محمد بن أحمد بن عثمان بن بويان القارىء رواية خلف بن هشام البزي أحد القراء المشهورين (**أخاً له أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال له: وعدتني أنك تفطر عندي**) أمس (**فاخلفت**) الموعد، (**فقال: لولا ميعادي معك**) وفي نسخة: لولا ميعادك (**ما أخبرتك بالذي حبسني عنك إني لما صليت العتمة**) أي العشاء الأخيرة (**قلت: أوتـر قبل أن أجيئك لأني ما آمن**) على نفسي (**ما يحدث من الموت، فلما كنت في الدعاء من الـوتر رفعت لي روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة، فما زلت أنظر إليها حتى أصبحت**) هكذا نقله صاحب القوت.

الجنة، فما زلت أنظر إليها حتى أصبحت. وهذه المكاشفات لا تكون إلا بعد التبرىء عن النفس وعدم الالتفات إليها وإلى هواها، ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عياناً وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها، وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف، وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش، فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات، وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها إذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحداً والمسموع مختلفاً إذ فيه كلام راضٍ وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبـر لا يبالي وكلام حنّان متعطف لا يهمل.

(**وهذه المكاشفات لا تكون**) ولا تتحقق (**إلا بعد التبرىء عن**) مذمات (**النفس وعدم الالتفات إليها وإلى ثوابها**) وفي نسخة: وإلى هواها، (**ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف**) على صيغة اسم المفعول، (**فحيث يتلو آيات الرجاء**) كقوله تعالى: ﴿إن الله غفور رحيم﴾ وقوله تعالى ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾ [الزمر: ٥٣] وما أشبه ذلك (**ويغلب على حاله الاستبشار**) والفرح (**تنكشف له صورة الجنة**) وتمثل بين يديه، (**فيشاهدها كأنه يراها عياناً**) أي معاينة في عالم الشهادة، (**وان غلب عليه الخوف**) عند تلاوته آيات العذاب (**كوشف بالنار**) فتمثل بين يديه (**حتى يرى أنواع عذابها**) من شعل النار واللهيب والأفاعي، (**وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف**) الظاهر المعنى، (**والشديد العسوف**) بما فيه من سوق القهر والتهديد، (**والمرجوّ والمخوف وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش**) وبمعاني كلامه تعرف معاني صفاته وأفعاله وأحكامه ومعاني كلامه من معاني أوصافه واخلاقه، (**فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات**) ما بين رجاء وخوف، (**وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بامر يناسب تلك الحالة ويقاربها**) ومن وجد عنده الاستعداد ولم يطرِ إلى مشاهدة عالم الملكوت فهو أخس حالا من البهيمة كما تقدم. (**إذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحداً والمسموع مختلفاً إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي**) أحداً، (**وكلام حنان متعطف**) يمهل و(**لا يهمل**).

وبالجملة؛ فمن لم يصلح أن يعرفه كعلمه بنفسه لم يصلح ان يعرف كنه كلامه، فاعلم الخلق بمعاني الكلام أعرفهم بمعاني الصفات، واعرف العباد بمعاني الأوصاف والاخلاق أعرفهم بسرائر الخطاب.

الباب الرابع

في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل

لعلك تقول: عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه، فكيف يستحب ذلك وقد قال ﷺ: « من فسر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار ». وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل

الباب الرابع

في فهم القرآن وتفسيره بالرأي

أي من عند نفسه (**من غير نقل**) مأثور

(**لعلك تقول: عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن**) وعجائبه، (**وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية**) المطهرة عن دنس الأوهام (**من معانيه**) الغريبة، (**فكيف يستحب ذلك**) أي كيف يختار على الاستحباب، (**وقد قال ﷺ « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار »**)رواه الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه، وهو عند أبي داود في رواية ابن العبد، وعند النسائي في الكبرى وقد تقدم ذلك في الباب الثالث من كتاب العلم.

وروى النقاشي في مقدمة تفسيره عند أبي عصمة عن زيد العمي، عند سعيد بن جبير، عن ابن عمر رفعه « من فسر القرآن برأيه فأصاب تكتب عليه خطيئةإلـو قسمت بين العباد لوسعتهم فإن أخطأ فليتبوّأ مقعده من النار ».

وروى عن الحسن عن أبي هريرة « من فسر القرآن على رأيه فإن أصاب لم يؤجر وإن أخطأ محي النور من قلبه ».

ومن حديث جندب بن عبد الله رفعه « من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » وليس في الكتب الستة إلا حديث ابن عباس وهو الذي ذكرناه قبل، وحديث جندب بمعنى ما هنا. وحديث جندب رواه الترمذي وقال غريب. ورواه النسائي وابن جرير والبغوي وابن الانباري في المصاحف والطبراني وابن حبان.

ويروى عن ابن عباس أيضاً مرفوعاً « من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار » رواه الترمذي وصححه وابن الانباري والطبراني والبيهقي، وروى الديلمي من حديث أبي هريرة « من فسر القرآن برأيه وهو على وضوئه فليعد وضوءه ».

التصوف من المفسرين المنسوبين إلى التصوف في تأويل كلمات في القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين، وذهبوا إلى أنه كفر فإن صح ما قاله أهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره، وإن لم يصح ذلك فما معنى قوله ﷺ: « من فسر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النـار » فاعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطىء في الحكم بردّ الخلق كافة إلى درجته التي هي حده ومحطه، بل الاخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعاً لأرباب الفهم. قال علي رضي الله عنه: إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم؟ وقال ﷺ: « إن للقرآن ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً ». ويروى أيضاً عن ابن مسعود موقوفاً عليه وهو من علماء التفسير. فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع؟ وقال علي كرّم الله

(ومن هذا شنع أهل العلم بظـاهـر التفسير) الواقفين على حـدود الظـاهـر **(على أهـل التصوف)** في معاني الألفاظ **(من المفسرين المنسوبين الى التصوّف)** كأبي عبد الرحمن العلمي في حقائق التفسير والقاشاني وغيرهما **(في تأويل كلمات في القرآن على خلاف ما نقل عن)** ترجمان القرآن **(ابن عباس وسائر المفسرين)** ممن بعده، **(وذهبوا إلى أنه)** أي التأويل **(كفر)** إذ هو ازالة الالفاظ عن معانيها الأصلية ومخالفة النقل الصريح، **(فإن صـحَّ ما قاله أهل التفسير)** الظاهر، **(فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره)** الذي أوردوه، **(وإن لم يصح ذلك فما معنى قوله ﷺ** « من فسر **القرآن برأيه » الحديث)** ولا بدّ من رفع النقاب عن وجه البيان في هذه المسألة، **(فاعلم أن من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه)** وبينه **(ظاهر التفسير فهو مخبر عن نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه)** إذ هو لم يدرك إلا هذا القدر ولم يتطلع إلى ورائه، **(ولكنه مخطىء في الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التي هي حده ومحطه)** ومبلغ علمه وفي نسخة ومتخطاه بدل ومحطه، **(بل الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعاً لأرباب الفهم)** والرياضات منها ما **(قال علي رضي الله عنه: الا أن يؤتي الله عبداً فهما في القرآن)** وقد تقدم في الباب الذي قبله، **(فإن لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم)** الذي يؤتاه العبد وما معناه.

(و) منها ما **(قال ﷺ: « إن للقرآن ظهراً وبطناً وحداًومطلعاً »)** رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود مرفوعاً وتقدم ذلك في قواعد العقائد بلفظ ظاهراً وباطناً **(ويروى أيضاً)** ذلك **(عن ابن مسعود موقوفاً عليه)** أي من قوله ولم يرفعه ذكره صاحب القوت، **(وهو)** أي ابن مسعود **(من علماء التفسير)** وقد شاهد التنزيل فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع.

وجهه: لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب. فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاقتصار؟ وقال أبو الدرداء: لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن

وقال الفريابي: حدثنا سفيان عن يونس بن عبيد، عن الحسن قال رسول الله ﷺ: « ظهر وبطن لكل آية ولكل حرف حد ولكل حد مطلع ».

وعند الديلمي من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً « القرآن تحت العرش له بطن وظهر يحاج العباد ».

وعند الطبراني وأبي يعلى والبزار عن ابن مسعود مرفوعاً بلفظ « إن هذا القرآن ليس منه حرف إلا له حد ولكل حد مطلع ».

واختلفوا في معاني هذه الألفاظ على أوجه فقيل: ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها، وقيل: ظاهرها الاخبار بهلاك الأولين وباطنها وعظ الآخرين، ورجحه أبو عبيد وقيل: ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر وبطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق ذكره ابن النقيب.

وقيل: الظاهر التلاوة والباطن الفهم والحد احكام الحلال والحرام والمطلع الاشراف على الوعد والوعيد، وقيل: الحد منتهى ما أراد الله من معناه، وقيل: المقدار من الثواب والعقاب، وقوله « مطلع » أي يتوصل به إلى معرفته ويوقف على المراد منه. وقيل: كل ما يستحقه من الثواب والعقاب يطلع عليه في الآخرة عند المجازاة.

(وقال علي رضي الله عنه: لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب) كما تقدم قريباً، **(فما معنى ذلك وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار)** يأتي في أوراق معدودة.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً)**.

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا إسماعيل بن علية، حدثنا أيوب السختياني عن أبي قلابة قال: قال أبو الدرداء: إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً وإنك لا تفقه كل الفقه حتى تمقت الناس في جنب الله ثم ترجع الى نفسك، فتكون لها أشد مقتا للناس.

قلت: وروى ابن لال من حديث جابر رفعه « لا يفقه العبد كل الفقه حتى يبغض الناس في ذات الله ثم يرجع إلى نفسه فتكون أمقت عنده من الناس أجمعين » وروى نحوه الخطيب في المتفق والمفترق، وابن عبد البر من حديث شداد بن أوس.

قال ابن عبد البر في جامع العلم: حدثنا خلف بن قاسم، حدثنا سعيد بن أحمد الفهري، حدثنا عبد الله بن أبي مريم، حدثنا عمرو بن أبي سلمة التنيسي، حدثنا صدقة بن عبد الله، عن إبراهيم بن أبي بكر، عن أبان بن أبي عياش، عن أبي قلابة، عن شداد بن أوس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ

وجوهاً. وقد قال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر. وقال آخرون: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم، إذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع. وترديد

قال «لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله ولا يفقه العبد كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة» قال ابن عبد البر: صدقة ضعيف مجمع على ضعفه، وهذا حديث لا يصح مرفوعاً، وإنما الصحيح فيه أنه من قول أبي الدرداء.

ثم ساق من طريق معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء من قوله مثل سياق الحلية.

وقال أبو داود: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء قال: لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة.

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن عبيد عن حماد بن زيد. قلت لايوب: أرأيت قوله حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة فسكت يتفكر. قلت أهو أن يرى له وجوها الاقدام عليه، فقال هذا هو هذا هو أخرجه ابن عساكر كذلك.

وأخرج أبو سعد من طريق عكرمة قال ابن عباس عن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج، فقال: اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة فجاءهم بالسنن فلم يبق بايديهم حجة، واختلفوا في معرفة الوجوه فقيل المراد به أن ترى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد، وقيل: المراد به استعمال الإشارات الباطنة وعدم الاقتصار على التفسير الظاهر، وسيأتي الكلام في الفرق بين الوجوه والنظائر في آخر الباب.

(وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر) نقله صاحب القوت. وقال: قال بعض علمائنا يعني به أبا محمد سهل بن عبد الله التستري رحمه الله وأورده أيضاً ابن سبع في شفاء الصدور.

(وقال بعضهم: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم إذ لكل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعاً لكل واحد ظاهر وباطن وحد ومطلع).

ولفظ الطوت: وأقل ما قيل في علوم القرآن التي تحويه من ظواهر المعاني المجموعة فيه أربعة وعشرون ألفاً وثمانمائة علماً إذ لكل آية علوم أربعة، وقد قيل: إنه يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتين من علوم لأن كل كلمة علم، وكل علم عن وصف، فكل كلمة مقتضى صفة وكل صفة موجبة أفعالاً حسنة وغيرها على معانيها اهـ.

وقال أبو بكر بن العربي في قانون التأويل: علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم على عدد كلم القرآن المضروبة في أربعة إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع، وهذا مطلق

رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة» لا يكون إلا لتدبره باطن معانيها وإلاّ فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله إلى تكرير. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن، وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر.

وبالجملة: فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته. وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن إشارة إلى مجامعها والمقامات

دون اعتبار تركيب وما بينها من روابط، وهذا مما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله تعالى.

(وترديد رسول الله ﷺ لبسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون إلا لتدبر باطن معانيها وإلا فترجمتها وتفسيرها ظاهر) في بادىء الرأي، **(ولا يحتاج مثله ﷺ إلى تكرير)** وتقدم تخريجه قريباً.

(وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن) وهذا أيضاً قد تقدم قريباً. **(وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر)**. وأعظم دليل على كثرة علوم القرآن المستنبطة منه قوله تعالى ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله تعالى: ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ [الأنعام: ٥٩] وقوله تعالى: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ [النحل: ٨٩].

وروى سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال: من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين والأخرين. قال البيهقي: يعني أصول العلم.

وأخرج البيهقي عن الحسن قال: أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها أربعة منها التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن، وقال أيضاً جميع ما حكم به النبي ﷺ فهو مما فهمه من القرآن.

وقال سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ على وجه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله أخرجه ابن أبي حاتم.

وقال ابن مسعود إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله عز وجل أخرجه ابن أبي حاتم أيضاً، وقال الشافعي أيضاً: ليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها.

(وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله تعالى وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن اشارات الى مجامعها) قال ابن أبي

في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن، ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل فيه على النظّار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها، فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره

الفضل المرسي جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علماً حقيقة إلا المتكلم بها، ثم رسول الله ﷺ خلا ما استأثر به سبحانه، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة واعلامهم مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس حتى قال: لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه فنوعوا علومه، وقامت كل طائفة بفن من فنونه منهم القراء والمعربون والمفسرون والأصوليون والكلاميون والفقهاء والفرضيون والصوفية والوعاظ والخطباء والمؤرخون والمعبرون والبيانيون والمؤقتون وغير هؤلاء على تباينهم، وغير ذلك من الفنون التي أحدثها الإسلامية منه، وقداحتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك، وفيه أصول للصنائع وأسماء الآلات التي تدعو الضرورة إليها كالخياطة والحدادة والنجارة والغزل والحراثة والغوص والصياغة والزجاجة والتجارة والملاحة والكتابة والخبازة والقصارة والجزارة والبيع والشراء والصباغة والنحت والكيالة والرمي، وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات ما تحقق معنى قوله ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ اهـ كلام المرسي ملخصاً.

وقال أبو بكر بن العربي في قانون التأويل: وأم العلوم القرآنية ثلاثة توحيد وتذكير وأحكام فالتوحيد يذكر فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق باسمائه وصفاته وأفعاله، والتذكير منه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن والأحكام منها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضار والامر والنهي والندب، ولذلك كانت الفاتحة أم القرآن لأن فيها الأقسام الثلاثة، وسورة الاخلاص ثلثه لاشتمالها على أحد الأقسام الثلاثة وهو التوحيد.

وقال ابن جرير القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء التوحيد والاخبار والديانات، ولهذا كانت سورة الاخلاص ثلثه لأنها تشمل التوحيد كله. قال شيدلة: وعلى ان تلك الثلاثة تشمل سائر الأشياء التي تذكر فيــه بل اضعافها فإن القرآن لا يستدرك ولا تحصى عجائبه.

(والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى ذلك بل كل ما أشكل على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات، ففي القرآن إليه رموز) جلية وخفية **(ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركه، فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره)**، ومن أعظم علوم النظر الجدل فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج، والقول بالموجب والمعارضة، وغير ذلك شيئاً كثيراً.

وتفسيره؟ ولذلك قال ﷺ: «اقرأوا القرآن والتمسوا غرائبه» وقال ﷺ في حديث علي كرّم الله وجهه: «والذي بعثني بالحق نبياً لتفترقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار، فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فإن فيه نبأ من كان قبلكم ونبأ ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم. من خالفه من الجبابرة قصمه الله عز وجل، ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله عز وجل، وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوّج فيقوّم ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة الترديد»

ومناظرة إبراهيم عليه السلام نمروذ ومحاجته قومه أصل في ذلك عظيم، **(ولذلك قال رسول الله ﷺ «اقرأوا القرآن والتمسوا غرائبه»)** هكذا هو في القوت، والمعنى دوموا على قراءته والتمسوا معانيه الغريبة بالاستنباط والفهم.

قال العراقي: رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وأبو يعلى الموصلي، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بلفظ «اعربوا» وسنده ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الحاكم كذلك، وقال: صحيح عند جماعة، وقد ردّ عليه الذهبي في التلخيص فقال: مجمع على ضعفه، وقال الهيثمي فيه متروك، وقال الصدر المناوي فيه ضعيفان.

وأورده السيوطي في الاتقان وقال: ليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة وهو ما يقابل اللحن، لأن القراءة مع فقده ليست قراءة ولا ثواب فيها وعلى الخائض في ذلك التثبت والرجوع إلى كتب أهل الفن وعدم الخوض بالظن، وقد أفرد بالتصنيف في غريبه جماعة كأبي عبيدة، وأبي عمر الزاهد، وابن دريد، ومن أشهرها كتاب العزيز فقد أقام في تأليفه خمس عشرة سنة يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري ومن أحسنها المفردات للراغب.

(وقال ﷺ في حديث علي رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده») ولفظ القوت والذي بعثني بالحق نبياً **(لتفترقن أمتي عن أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون إلى النار فإذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله تعالى فإن فيه نبأ ما كان قبلكم وبيان)** وفي القوت نبأ **(ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله تعالى ومن ابتغى)** أي طلب **(العلم في غيره أضله الله تعالى هو حبل الله المتين)** أي القوي **(ونوره المبين)** أي الظاهر **(وشفاؤه النافع)** عن سائر الامراض **(وعصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج)** أي لا يقبل العوج **(فيقام)** أي فيحتاج إلى اقامته **(ولا يزيغ)** أي لا يميل **(فيستقيم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة الترديد»)** إلى آخر **(الحديث)** أورده صاحب القوت بتمامه فقال هو الذي سمعته الجن فما تناهى أن ولّوا إلى قومهم منذرين ﴿فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد﴾ [الجن: ١، ٢] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هدي إلى صراط مستقيم، إلى هنا آخر الحديث.

الحديث. وفي حديث حذيفة لما أخبره رسول الله ﷺ بالاختلاف والفرقة بعده قال: فقلت يا رسول الله، فماذا تأمرني إن أدركت ذلك؟ فقال: « تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك » قال: فاعدت عليه ذلك ثلاثاً فقال ﷺ ثلاثاً: « تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه ففيه النجاة ». وقال علي كرّم الله وجهه: من فهم القرآن فسر به جمل العلم، أشار به إلى أن القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] يعني الفهم

وقد بنى المصنف على هذا خطبته من أولها إلى آخرها تضميناً له إياها كما أشرنا إليه هناك ووعدنا بذكر هذا الحديث.

قال العراقي: هو عند الترمذي دون ذكر افتراق الأمة بلفظ « ألا ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم » فذكره مع اختلاف وقال: غريب وإسناده مجهول اهـ.

قلت: هو من حديث الحارث الأعور قال الذهبي: حديثه في فضائل القرآن منكر. وأورده السيوطي في النوع الخامس والستين من الاتقان بلفظ « ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم » وقال: أخرجه الترمذي وغيره.

قال صاحب القوت: (**و**) قد روينا معناه (**في حديث حذيفة**) بن اليمان رضي الله عنه (**لما أخبره رسول الله ﷺ بالاختلاف والفرقة بعده قال: قلت يا رسول الله: فما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال « تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك » قال فأعدت عليه ثلاثاً. فقال ﷺ « تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ففيه النجاة » ثلاثاً**) قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي في الكبرى وفيه « تعلم كتاب الله واتبع ما فيه » ثلاثاً.

(**وقال علي رضي الله عنه: من فهم القرآن فسر به جمل العلم**) نقله صاحب القوت (**أشار به**) علي رضى الله عنه (**إلى أن القرآن يشير إلى مجامع العلوم كلها، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في**) تفسير (**قوله تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] يعني الفهم في القرآن**) كذا في القوت.

وروي عن ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله.

وروى ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً « يؤت الحكمة » قال: القرآن قال ابن عباس يعني تفسيره فإنه قد قرأه البر والفاجر.

وروى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء « يؤت الحكمة » قال قراءة القرآن والفكرة فيه وروى ابن جرير مثله عن قتادة ومجاهد وأبي العالية.

في القرآن. وقال عز وجل: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً﴾ [الأنبياء: ٧٩] سمى ما آتاهما علماً وحكماً وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدماً على الحكم والعلم. فهذه الأمور تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه، فأما قوله ﷺ: «من فسر القرآن برأيه» ونهيه عنه ﷺ، وقول أبي بكر رضي الله عنه: أي أرض تقلني وأيّ سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي؟ إلى غير ذلك مما ورد في الاخبار والآثار في النهي عن تفسير القرآن بالرأي. فلا يخلو إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم، أو المراد به أمراً آخر. وباطل قطعاً أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه لوجوه.

(**وقال تعالى ﴿ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً﴾ [الانبياء ٧٩] فسمى ما آتاهما حكماً وعلماً وخصص ما انفرد به سليمان**) عليه السلام (**بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدماً على الحكمة والعلم**) ولفظ القوت: فرفع الفهم على الحكم والعلم واضافه إليه للتخصيص وجعله مقاماً عاماً فيهما.

(**فهذه الأمور**) واشباهها (**تدل على ان في فهم معاني القرآن**) لأربابه (**مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً وإن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه**) بل الأمر وراء ذلك لمن أعطي المزيد فيه وكان له الحظ الوافر في الفهم، (**فأما قوله ﷺ: «من فسر القرآن برأيه»**) الحديث (**ونهيه ﷺ عنه**) أي عن التفسير بالرأي، (**وقول أبي بكر رضي الله عنه**) حين سئل عن قوله تعالى: ﴿وفاكهة وأبا﴾ فقال: (**أي أرض تقلني**) أي تحملني، (**وأي سماء تظلني إذا قلت في القرآن برأيي**) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن من طريق إبراهيم التيمي عنه بلفظ: ان انا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

وروى أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر ﴿وفاكهة وأبا﴾ [عبس: ٣١] فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب. ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر، فهؤلاء الصحابة وهم العرب العرباء وأصحاب اللغة الفصحى، ومن نزل القرآن عليهم وبلغتهم توقفوا في ألفاظ لم يعرفوا معناها فلم يقولوا فيها شيئاً (**إلى غير ذلك مما ورد في الاخبار والآثار**) الواردة (**في النهي عن التفسير بالرأي**) مما سقنا بعضها قريباً، (**فلا يخلو**) من أحد أمرين (**إما أن يكون المراد الاقتصار على النقل والمسموع**) بأن لايتعداهما، (**وترك الاستنباط**) للمعاني والاحكام، (**و**) ترك (**الاستقلال بالفهم أو**) يكون (**المراد به أمراً آخر**) غير ما ذكر. (**وباطل قطعاً أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه**) ويتلقاه (**لوجوه**).

أحدها: أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعاً من رسول الله ﷺ ومسنداً إليه، وذلك مما لا يصادف إلا في بعض القرآن، فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم، فينبغي أن لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأي لأنهم لم يسمعوه من رسول الله ﷺ. وكذا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

والثاني: أن الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله ﷺ محال، ولو كان الواحد مسموعاً لرد الباقي. فتبين على القطع أن كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه

أحدها: انه يشترط أن يكون ذلك مسموعاً من) ثم (**رسول الله ﷺ ومسنداً إليه**) من طرق معروفة، (**وذلك مما لا يصادف إلا في بعض القرآن**) وهو قليل والأصل المرفوع منه في غاية القلة كتفسير الظلم بالشرك في آية الأنعام، والحساب اليسير بالعرض والقوّة بالرمي في قوله ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة﴾ [الأنفال: ٦٠] وقد سرد السيوطي في آخر الاتقان جملة ما ورد فيه على ترتيب السور وسألحقها في آخر الباب.

(**فأما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود**) وغيرهما من أصحاب التفسير من طبقتهما (**من أنفسهم**) وفي بعض النسخ من نفسيهما، (**فينبغي أن لا يقبل**) منهم ذلك، (**ويقال هو تفسير بالرأي لأنهم لم يسمعوه من رسول الله ﷺ**)، وإنما فسروه بحسب ما ظهر لهم في الآية. (**وكذا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم**). إذا قالوا في تفسير لفظ من ألفاظ القرآن ولم يسندوه إلى النبي ﷺ، فيكون ذلك تفسيراً بالرأي، وقال الحاكم في مستدركه: تفسير الصحابي بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ، وقال أبو الخطاب، من الحنابلة: يحتمل أن لا يرجع إليه إذا قلنا ان قوله ليس بحجة، قال ابن تيمية: والصواب ما قاله الحاكم لأنه من باب الرواية لا الرأي.

قال السيوطي في الإتقان: ما قاله الحاكم نازعه فيه الصلاح وغيره من المتأخرين بأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه مما لا مدخل للرأي فيه، ثم رأيت الحاكم نفسه صرح به في علوم الحديث فقال: الموقوفات تفسير الصحابة، وأما من يقول ان تفسير الصحابة منه، فإنما يقوله فيما فيه سبب النزول فقد خصص هنا وعمم في المستدرك فاعتمدوا الأول انتهى.

(**والثاني: أن الصحابة**) رضي الله عنهم (**والمفسرين**) من بعدهم قد (**اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها**) إلا بتكلفات (**وسماع جميعها**) مع اختلافها، (**عن رسول الله ﷺ محال**) لكونه ﷺ لا يختلف كلامه (**ولو كان**) القول (**الواحد منها مسموعاً**) منه ﷺ (**لترك الباقي**) منها ورد، (**فتبين على القطع أن كل مفسر قال في المعنى**) للفظ القرآن (**بما ظهر له باستنباطه**) وبحثه واجتهاده فيه

حتى قالوا في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها.

(حتى قالوا في الحروف التي في أوائل السور سبعة أقاويل) والحروف التي افتتحت بها أوائل السور يجمعها قولك: نص حكيم له سر قاطع، وكذا قولك: صراط على حكمه قسط. وهي أربعة عشر حرفاً وهي من الأحرف التسعة والعشرين.

روى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: ليس فيها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه، وليس منها حرف إلا هو مدة أقوام وآجالهم، ثم إن أوائل السور من المتشابه والمختار فيها أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى.

روى ابن المنذر وغيره عن الشعبي أنه سئل عن فواتح السور، فقال: إن لكل كتاب سراً وإن سر هذا القرآن فواتح السور وخاض في معناه قوم آخرون فذكروا فيه أكثر من عشرين قولاً.

الأول: أنها حروف مقطعة كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى والاكتفاء ببعض الكلمة معهود في العربية قال الشاعر:

قلت لها قفي فقالت قاف

أي وقفت وهذا القول اختاره الزجاج.

الثاني: أنها الاسم الأعظم نقله ابن عطية وقد رواه ابن جرير بسند صحيح عن ابن مسعود وروى ابن أبي حاتم عن السدي قال: بلغني عن ابن عباس قال «الم» اسم من أسماء الله الأعظم.

الثالث: أنها أقسام أقسم الله بها وهذا القول قد رواه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، ويصلح أن يكون هذا القول من الأول لأن القسم لا يكون إلا بأسماء الله فهي برمتها أسماء الله تعالى وعليه مشى ابن عطية أو من القول الثاني.

الرابع: أنها أسماء للقرآن كالفرقان والذكر، وهذا قد رواه عبد الرزاق عن قتادة، ورواه ابن أبي حاتم بلفظ كل هجاء في القرآن فهو اسم من أسماء القرآن.

الخامس: أنها أسماء للسور نقله الماوردي عن زيد بن أسلم، وعزاه صاحب الكشاف إلى الأكثر.

السادس: أنها فواتح السور افتتح الله بها القرآن. رواه ابن جرير من طريق الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، ورواه أبو الشيخ من طريق ابن جريج عنه.

السابع: أنها حساب أبا جاد لتدل على مدة هذه الامة. قال الحوبي: وقد استخرج بعض الأئمة من قوله تعالى ﴿الم★ غلبت الروم﴾ [الروم: ٢٢١] إن البيت المقدس يفتحه المسلمون في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ووقع كما قال. وقال السهيلي: لعل عدد الحروف التي في أوائل السور مع حذف المكرر للإشارة إلى مدة بقاء هذه الأمة. قال الحافظ ابن حجر وهذا باطل لا يعتمد عليه، فقد ثبت عن ابن عباس الزجر عن أبا جاد، والإشارة إلى أن ذلك من جملة السحر، وليس ذلك

فقيل: إن « الر » هي حروف من الرحمن. وقيل: إن الألف الله، واللام لطيف، والراء رحيم. وقيل غير ذلك، والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعاً؟

ببعيد، فإنه لا أصل له في الشريعة فهذه سبعة أقاويل، وقد زيد على ذلك فقال بعضهم: هي تنبيهات كما في النداء عده ابن عطية مغايراً للقول بأنها فواتح.

قال السيوطي: والظاهر أنه بمعناه. وقال الحوبي: القول بأنها تنبيهات جيد لأن القرآن كلام عزيز وفوائده عزيزة، فينبغي أن يرد على سمع متنبه فكان من الجائز أن يكون قد علم في بعض الأوقات كون النبي ﷺ في عالم البشر مشغولاً فأمر جبريل بأن يقول عند نزوله « الم » و « حم » ليسمع النبي ﷺ صوت جبريل فيقبل عليه ويصغي إليه. قال: وأنها لم تستعمل الكلمات المشهورة في التنبيه كألا، وأما لأنها من الألفاظ التي تعارفها الناس في كلامهم، والقرآن كلام لا يشبه الكلام فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تعهد ليكون أبلغ في قرع سمعه اهـ.

وقيل إن العرب إذا سمعوا القرآن لغوا فيه، فأنزل الله تعالى هذا النظم البديع ليعجبوا منه ويكون تعجبهم منه سبباً لاستماعهم له واستماعهم له سبباً لاستماع ما بعده فترق القلوب وتلين الأفئدة، وقد عد جماعة هذا قولاً مستقلاً، والظاهر خلافه، وإنما هذا مناسبته لبعض الأقوال لا قولاً في معناها إذ ليس فيه بيان معنى، وقيل: إن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التي هي ا ب ت ث فجاء بعضها مقطوعاً وجاء تمامها مؤلفاً ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التي يعرفونها فيكون ذلك تعريفاً ودلالة على عجزهم ان يأتوا بمثله بعد أن علموا أنه منزل بالحروف التي يعرفونها ويبنون كلامهم منها، وقيل: إن المقصود بها الاعلام بالحروف التي يتركب منها الكلام فذكر منها أربعة عشر حرفاً وهي نصف جميع الحروف، وذكر من كل جنس نصفه، فمن حروف الحلق الحاء والعين والهاء ومن التي فوقها القاف والكاف ومن الحرفين الشفهيين الميم ومن المهموسة السين والحاء والكاف والصاد والهاء، ومن الشديدة الهمزة والطاء والقاف والكاف، ومن المطبقة الطاء والصاد، ومن المجهورة الهمزة واللام والميم والعين والراء والطاء والقاف والياء والنون، ومن المنفتحة الهمزة والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون، ومن المستعلية القاف والصاد والطاء، ومن المنخفضة الهمزة واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون، ومن القلقلة القاف والطاء، ثم أنه تعالى ذكر حروفاً مفردة وحرفين حرفين وثلاثة ثلاثة وأربعة وخمسة لأن تراكيب الكلام على هذا النمط ولا زيادة على الخمسة، وقيل: أمارة جعلها الله تعالى لأهل الكتاب أنه منزل على محمد ﷺ كتاباً في أول سور منه حروف مقطعة هذا ما وقفت عليه من الأقوال في أوائل السور من حيث الجملة، وفي بعضها أقوال:

(**فقيل: « الر »**) من الرحمن رواه أبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي، وروى ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: « الر و حم و ن » (**هي حروف من الرحمن**) مفرقة (**وقيل: إن الألف الله واللام لطيف والراء رحيم**) فكأنه يقول انا الله اللطيف الرحيم، (**وقيل**

والثالث: أنه ﷺ دعا لابن عباس رضي الله عنه وقال: « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ». فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل ومحفوظاً مثله فما معنى تخصيصه بذلك ؟

والرابع: أنه قال عز وجل: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَه مِنْهُمْ﴾ [النساء : ٨٣] فاثبت لأهل العلم استنباطاً. ومعلوم أنه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم

غير ذلك) منها ما رواه ابن أبي حاتم من طريق أبي الضحى عن ابن عباس قال قوله « الر » معناه أنا الله أرى وهذه الأقوال كلها راجعة إلى قول واحد تقدم ذكره هو إن فواتح السور حروف مقطعة كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى، **(والجمع بين الكل)** من هذه الأقوال **(غير ممكن، فكيف يكون الكل مسموعاً) .**

والثالث: (أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس وقال: « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ») رواه الطبراني عن ابن عباس ولفظه أنه كان في بيت خالته ميمونة رضي الله عنها، فوضع للنبي ﷺ طهوراً فقال النبي ﷺ : « من وضعه ؟ قيل ابن عباس قال: فضرب على منكبي وقال »فذكره ،وقد تقدم في الباب الثاني من كتاب العلم وقال له أيضاً « اللهم آته الحكمة » وفي رواية « اللهم علمه الحكمة ».

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر قال دعا رسول الله ﷺ لابن عباس فقال « اللهم بارك فيه وانشر منه ».

(فإن كان التأويل كالتنزيل ومحفوظاً مثله فما معنى تخصيصه بذلك) والتأويل هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوح، فإن حمل لدليل فصحيح أو لما يظن دليلاً ففاسد أو لا لشيء فلعب لا تأويل، كذا في جمع الجوامع وفيه أقوال أخر تذكر مع التفسير قد تقدمت الإشارة إليها في كتاب العلم وفي قواعد العقائد.

(والرابع: أن الله عز وجل قال) في كتابه العزيز ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم **(لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾)** [النساء : ٨٣] قال البيضاوي : أي يستخرجون تدابيره بتجاربهم وأنظارهم وقيل : المعنى لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول وأولي الأمر أي يستخرجون علمه من جهتهم، وأصل الاستنباط إخراج النبط وهو الماء يجتمع في البئر أول ما يحفر اهـ.

(فأثبت لأهل العلم استنباطاً) وأنهم يستخرجون من القضايا أموراً **(ومعلوم أن الاستنباط)** أمر **(وراء السماع)** وإنما هو راجع إلى علمه وفهمه، **(وجملة ما نقلناه من الآثار في فهم القرآن يناقض هذا الخيال)** الذي توهموه في عقولهم وسمى صورة ما تصوروه خيالاً

القرآن يناقض هذا الخيال، **فبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله. وأما النهي فإنه ينزل على أحد وجهين.**

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأوّل القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى. وهذا تارة يكون مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك، ولكن يلبس به على

مجازاً، (**فبطل أن يشترط السماع في التأويل وجاز لكل واحد**) ممن مكنه الله تعالى في علوم القرآن (**أن يستنبط من القرآن**) معاني وأحكاماً (**بقدر فهمه**) الذي رزقه (**وحد عقله**) الذي استكمله بنور البصيرة والإتقان. وقال أبو الحسن الماوردي: وقد حمل بعض المتورعة حديث النهي عن تفسير القرآن بالرأي على ظاهره، وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده ولو صحبتها الشواهد ولم يعارض شواهدها نص صريح، وهذا عدول عما تعبد على معرفته من التفكر في القرآن واستنباط الأحكام منه كما قال تعالى ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ ولو صح ما ذهب إليه لم يعلم شيء بالاستنباط ولما فهم الأكثر من كتاب الله شيئاً.

(**وأما النهي**) عن التفسير (**فإنه**) مع الغرابة في الحديث الوارد فيه (**ينزل على أحد وجهين:**

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي) وفي نسخة غرض، (**وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج**) به (**على تصحيح غرضه**) الذي مال إليه هواه، (**ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم**) بقواعد الشرع أصلاً وفرعاً (**كالذي يحتج بآيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس ذلك هو المراد بالآية ولكنه يلبس بذلك على خصمه**) وهذا صنيع الزمخشري في الكشاف، فإن له فيه دسائس اعتزاليه نبه عليها علماء السنة كابن المنير والتقي السبكي وأبي حيان والعلم العراقي وغيرهم، فمن ذلك قوله في تفسير قول الله تعالى ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ [آل عمران: ١٨٥] فقال وأي فوز أعظم من هذا أراد به تصحيح بدعته من إنكاره الرؤية، وكقوله في تفسير قول الله تعالى في قصة موسى عليه السلام ﴿لن تراني﴾ إنّ « لن » للجحد المؤكد وإنما أراد به نفي الرؤية وحمل « ناظرة » في قوله تعالى ﴿إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٣] فقال أي منتظرة وغير ذلك من فضائحه التي أدرجها في تضاعيف تفسيره، ولذا منع العلماء من تعاطي كتابه وحذروا من مطالعته حتى صنف التقي السبكي في ذلك (الانكفاف عن مطالعة الكشاف).

وقد جمع السيوطي رحمه الله تعالى مواضع من تفسيره نحو أربعة وعشرين موضعاً في كتاب سماه

خصمه وتارة يكون مع الجهل. ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسّر برأيه أي رأيه هو الذي حمله على ذلك التفسير، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه. وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة». ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الأكل. وكالذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله عز وجل: ﴿اذْهَبْ إلى فِرْعَون إنّه طَغى﴾ [طه: ٢٤] ويشير إلى قلبه ويومىء إلى أنه المراد بفرعون، وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام وترغيباً للمستمع وهو

(الإتحاف) ونقل كل قول من أقواله ورد عليه، وجاء في عصرنا رجل من فضلاء الروم فأجاب عن هذا التأليف، وساعد الزمخشري بعض مساعدة وقرظ عليه بعض علماء العصر ومنهم من كتب عليه في مواضع منه كالمساعد له، ولما سيق إليّ بواسطة حاكم مصر إذ ذاك وأمرني أن أكتب عليه لم يسعني السكوت والمواهنة في دين الله، فكتبت عليه رداً على طريق المحاكمة في كراسين أو ثلاثة وسميته (الانصاف في المحاكمة بين السيوطي وصاحب الكشاف).

(وتارة يكون مع الجهل) بأصول الشريعة والعقائد المختلفة، **(ولكن إذا كانت الآية محتملة)** وجهين أو أكثر فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه، فيكون (**حينئذ**) ممن قد **(فسر القرآن برأيه وهواه أي رأيه هو الذي حمله على ذلك التفسير ولولا رأيه)** وهواه، **(لما كان يترجح عنده ذلك الوجه)** الذي وافق غرضه دون الوجوه الأخر، **(وتارة قد يكون له غرض صحيح)** يحسن الإقدام عليه لترتيب فائدة، **(فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم)** ويتحقق **(أنه ما أريد به)** ذلك. **(كمن يدعو)** الناس **(إلى الاستغفار بالأسحار)** ويعظم أمره، **(فيستدل بقول النبي ﷺ «تسحروا فإن في السحور بركة»)** رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي من حديث أنس، ورواه النسائي أيضاً عن أبي هريرة وابن مسعود وقد تقدم في الباب الثالث من كتاب العلم.

(ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر) أي الذي يذكر الله بالأسحار وينزل عليه قوله تعالى: ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ [آل عمران: ١٧] **(وهو يعلم ان المراد به الأكل)** في السحر مع ما ورد من تسميته غداء في حديث آخر من رواية أبي الدرداء عند الطبراني، وما ورد من حديث أنس عند أبي يعلى: «تسحروا ولو بجرعة من ماء».

(وكالذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي) بالرياضات والمخالفات **(فيقول قال الله تعالى ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ [طه: ٢٤] ويشير إلى قلبه)** لأنه تعرض عليه الخطرات والوساوس والمراد به النفس الأمارة **(ويومى إلى أنه)** هو **(المراد بفرعون)** بجامع

ممنوع، وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة

الطغيان، **(وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ)** والقصاص **(في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام)** وتزييناً له **(وترغيباً للمستمع)** على صيغة اسم المفعول، وهو لا ينكر موسى عليه السلام ولا فرعون، ولا أن هذا الخطاب إلى موسى عليه السلام، وقد أمر بذهابه إلى إرشاد فرعون، وقد بالغ بعضهم فقال: حيث ذكر فرعون في القرآن، فالمراد به النفس الأمارة، وقد نسب هذا القول إلى الشيخ الأكبر قدس سره، وأسلفنا تحقيق ذلك في كتاب العلم وفي قواعد العقائد فراجعه، وكقول بعضهم في ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ ما على العباد أضر من ربهم. ونسبه الذهبي في الميزان إلى صاحب القوت في ترجمته والظن به جميل إن صح عنه **(وهو ممنوع)** ومن هذا الجنس قول بعضهم في قوله تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ [البقرة: ٢٥٥] فقال: أي من ذل ذي يشفع أي من أذل نفسه نيل مقام الشفاعة، ومنهم من زاد فقال: يشفع جعله مركباً من جملتين، وقد سئل عن ذلك السراج البلقيني فأفتى بأن قائله ملحد وقد قال الله تعالى ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا﴾ [فصلت: ٤٠] قال ابن عباس هو أن يوضع الكلام في غير موضعه، رواه ابن أبي حاتم ولعله يدخل في هذا الجنس ما تقدم للمصنف في تفسير قوله ﷺ « اللهم أصلح الراعي والرعية » أي القلب والأعضاء وهذا المعنى وإن كان صحيحاً في نفسه لكنه لم يرد بذلك تصريح من الشارع فليجتنب.

(وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس) أي إيقاعهم في الغرور، **(ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم)** الفاسد، **(ومذهبهم)** الباطل **(على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة به)**.

قال ابن الصلاح في فتاويه: وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال: صنف أبو عبد الرحمن السلمي حقائق التفسير، فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر ثم قال: وأنا أقول ان الظن بمن يوثق به منهم إذا قال شيئاً من ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ولا ذهب مذهب الشرح للكلمة، فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنما ذلك منهم تنظير ما ورد به القرآن، فإن ذلك النظير يذكر بالنظير ومع ذلك فيا ليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الإبهام والإلباس.

وقال النسفي في عقائده: النصوص على ظواهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد.

قال السعد في شرحه: سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظواهرها بل لها معان باطنة لا يعرفها إلا المعلم، وقصدهم بذلك نفي الشريعة بالكلية. قال: وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها إشارات خفية إلى دقائق تكشف على

به. فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي. ويكون المراد بالرأي الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح. والرأي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأي.

والوجه الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع. والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير. فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كَثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأي، فالنقل والسماع لا بدّ منه في ظاهر التفسير أوّلاً ليتقي به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة. ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أوّلاً ولا

أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة، فهو من كمال الإيمان ومحض العرفان اهـ. وسيأتي لذلك تحقيق في آخر الباب.

(فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي، ويكون المراد بالرأي الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأي)، وأصل الرأي اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة ظن، فإن كان عن اجتهاد صحيح مطابق لأصول السنة فصحيح وإلا ففاسد فالمذموم المعيب المهجور المنهي عنه في تفسير القرآن. هو هذا القسم دون الصحيح المطابق، وقد أشار إلى ذلك ابن عبد البر في آخر كتاب جامع العلم.

(والوجه الثاني) من وجهي النهي: **(أن يسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية)** بالنظر إلى قواعدها **(من غير استظهار بالسماع والنقل)** المرفوعين **(فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيها من الألفاظ المبهمة)** والمجملة **(والمبدلة وما فيها من)** الإيجاز و**(الاختصار)** والاطناب **(والحذف والإضمار والتقديم والتأخير)** وغير ذلك مما يأتي بيانها، **(فمن لم يحكم ظاهر التفسير)** المعبر عنه بترجمة الألفاظ على قواعد لغة العرب، **(وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية)** أي قواعدها **(كثر غلطه)** وبان سقطه، **(ودخل في زمرة من يفسر بالرأي)** وهوى النفس، **(فالنقل والسماع)** المرفوعان **(لا بد منه في ظاهر التفسير أولاً ليتقي به مواضع الغلط)** ويأمن به غوائل المخالفة **(ثم بعد ذلك يتسع الفهم)** بقوة نور الإيمان وضعفه **(و)** يهتدي بذلك إلى **(الاستنباط)** في المعاني والأحكام **(والغرائب)** القرآنية **(التي لا تفهم إلا بالسماع)** من حضرة النبوة **(فنون)** أي أنواع **(كثيرة، ونحن نرمز)** أي نشير **(إلى جمل منها يستدل بها على أمثالها)** ونظائرها فيحمل النظير منها على النظير، **(ويعلم أنه لا يجوز**

مطمع في الوصول إلى الباطن قبل احكام الظاهر. ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب، أو يدعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك، فإن ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لا بدّ منها للفهم. وما لا بدّ فيه من السماع فنون كثيرة.

التهاون بحفظ التفسير الظاهر) منها **(أولاً و)**من القطع أنه **(لا مطمع في الوصول إلى)** العلم **(الباطن قبل إحكام)** العلم **(الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن)** ومعانيه وجواهره ودرره **(ولم يحكم التفسير الظاهر)** منه، **(فهو كمن يدعي البلوغ إلى صدر البيت)** وهو الموضع المرتفع منه **(قبل مجاوزة الباب، أو)** مثل من **(يدعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم مقاصد لغة الترك)** وأصولها التي بنيت عليها، **(فإن ظاهر التفسير يجري مجرى تعلم اللغة التي لا بد منها للفهم)**.

ولنسق هنا من كلام الأئمة في هذا المبحث باباً جامعاً يحتوي على كلامهم ويقع إيضاحاً لما ساقه المصنف، وتفصيلاً لما أفهمه مع ذكر مناسبات، ونظائر لما أورده، فمن ذلك الكلام على تفسيره وتأويله والحاجة إليه وشرفه ومعرفة شروط المفسر وآدابه وبيان العلوم التي يحتاج إليها المفسر في تفسيره، وذكر غرائب التفسير كل ذلك بتلخيص واختصار.

أما التفسير فهو من الفسر وهو البيان والكشف، ويقال: هو مقلوب السفر أو هو من التفسرة اسم لما يعرف به الطبيب المرض هكذا قالوا. والأشبه أن يكون الأمر بعكس ذلك فيكون التفسرة مأخوذة من الفسر.

وأما التأويل فمن الأول وهو الرجوع فكأنه صرف الآية الى ما تحتمله من المعاني، وقيل: من الايالة وهي السياسة كأن المؤول للكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه، واختلف في التفسير والتأويل فقال أبو عبيدة وطائفة: هما بمعنى، وقد أنكر ذلك قوم حتى بالغ ابن حبيب النيسابوري فقال: قد نبغ في زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه. وقال الراغب: التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها، وقال غيره: التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً والتوجيه بيان لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة. وقال أبو منصور الماتريدي: التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والشهادة على الله أنه عنى بهذا اللفظ هذا، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي وهو المنهي عنه، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله.

وقال الثعلبي: التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً كتفسير الصراط بالطريق، والصبب بالمطر. والتأويل تفسير باطن اللفظ فهو إخبار عن حقيقة المراد. والتفسير إخبار عن دليل المراد مثاله قوله ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ تفسيره أنه من الرصد وهو التقرب، والمرصاد مفعال منه

وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله تعالى والغفلة عن نواهيه والاستعداد للعرض عليه، وقواطع الأدلة تقتضي بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ في اللغة.

وقال الأصبهاني: التفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ نحو البحيرة والسائبة والوصيلة أو في وجيز يتبين بشرح نحو ﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾، وإما في كلام متضمن للقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها كقوله ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ [التوبة: ٣٧] والتأويل يستعمل مرة عاماً ومرة خاصاً نحو الكفر المستعمل تارة في الجحود المطلق، وتارة في جحود الباري خاصة، والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة وفي تصديق الحق أخرى، واما في لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجد المستعمل في الجدة والوجد والوجود، وقال غيره التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية.

وقال أبو نصر القشيري: التفسير مقصور على الاتباع والسماع والاستنباط مما يتعلق بالتأويل، وقال غيره: ما وقع بينا في كتاب الله ومعيناً في صحيح السنة سمي تفسيراً لأن معناه قد ظهر ووضح وليس لأحد أن يتعرض إليه باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذي ورد لا يتعداه، والتأويل ما استنبطه العلماء العالمون بمعاني الخطاب الماهرون في آلات العلوم.

وقال أبو حيان: التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك قال: فقولنا علم جنس، وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هو علم القراءة، وقولنا: ومدلولاتها أي مدلولات تلك الألفاظ وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم. وقولنا: وأحكامها الإفرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف والبيان والبديع، وقولنا: ومعانيها التي يحمل عليها حالة التركيب يشمل ما دلالته بالحقيقة وما دلالته بالمجاز فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل عليه صاد، فيحمل على غيره وهو المجاز، وقولنا وتتمات لذلك هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول، وقصة توضح بعض ما أبهم في القرآن ونحو ذلك.

وقال الزركشي: التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

فصل

وأما وجه الحاجة إليه، فاعلم أن القرآن إنما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب وكانوا يعملون بظواهره وأحكامه، وأما دقائق باطنه، فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي ﷺ، ونحن محتاجون إلى ما كانوا محتاجين إليه وزيادة على ذلك في أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم فنحن أشد الناس احتياجاً إليه، ومعلوم أن تفسيره بعضه يكون

....

من قبل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، وبعضه من قبل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض.

وقال الحوبي: علم التفسير عسر يسر، أما عسره فظاهر من وجوه أظهرها أنه كلام متكلم لم يصل الناس إلى مراده بالسماع منه ولا إمكان للوصول إليه بخلاف الأمثال والأشعار ونحوها، فإن الإنسان يمكن علمه منه إذا تكلم بأن يسمع منه أو ممن سمع منه، وأما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلا بأنه يسمع من الرسول ﷺ، وذلك متعذر إلا في آيات قلائل، فالعلم بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن تتفكر عباده في كتابه فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد في جميع آياته.

فصل

وأما شرفه، فقد تقدم بعض الكلام عليه عند قول المصنف في تفسير قوله ﴿ومن يؤت الحكمة﴾ [البقرة: ٢٦٩] عن ابن عباس وغيره أنه الفهم في القرآن، وقيل: قراءة القرآن وتدبره، وقيل: تفسيره، وقيل المعرفة به.

وروى ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة قال: ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها، إلاّ أحزنتني لأني سمعت الله يقول ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت: ٤٣]

وأخرج أبو ذر الهروي في فضائل القرآن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره كالأعرابي يهذ الشعر هذاً، وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفاية وأجل العلوم الثلاثة الشرعية، فإن شرف كل علم إما بشرف موضوعه أو بشرف غرضه او لشدة الحاجة إليه، فموضوعه كلام الله تعالى، فأي شرف أشرف منه، وأما من جهة الغرض فإن الغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، وأما شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي متوقف على العلم بكتاب الله تعالى.

فصل

في معرفة شروط المفسر:

قالوا: من أراد تفسير القرآن طلبه أوّلاً منه، فما أجمل منه في مكان، فقد فسر في موضع آخر. وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر، فإن أعياه ذلك طلبه من السنّة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، فإن لم يجده رجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح.

وقال الطبري في أوائل تفسيره: من شرط المفسر صحة الاعتقاد أولاً ولزوم السنة فإن كان معترضاً عليه في دينه فلا يؤتمن على اخباره عن أسرار الله تعالى لأنه لا يؤمن إن كان متهماً بالالحاد أن يبغي الفتنة ويضر الناس بخداعه كدأب الباطنية وغلاة الرافضة، وإن كان متهماً بهوى لم يؤمن أن يحمله الهوى على ما يوافق بدعته كدأب القدرية، فإن أحدهم يصنف الكتاب في التفسير ومقصوده منه الايضاح فلال المساكن ليصدهم عن اتباع السلف ولزوم طريق الهوى، ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي ﷺ، وعن أصحابه ومن عاصرهم، وإن تعارضت أقوالهم وأمكن الجمع بينها فعل نحو أن يتكلم مع الصراط المستقيم، وأقوالهم فيه ترجع إلى شيء واحد فيدخل منها ما يدخل فيه الجميع، فلا تنافي بين القرآن وطريق الأنبياء وطريق السنة وطريق النبي ﷺ وطريق أبي بكر وعمر، فأي هذه الأقوال أفرده كان محسناً، وإن تعارضت الأدلة في المراد علم أنه قد اشتبه عليه فيؤمن بمراد الله منها، ولا يتهجم على تعيينه، ثم أنه ينزله منزلة المجمل قبل تفصيله والمتشابه قبل تبيينه، وتمام هذه الشرائط أن يكون ممتلئاً من عدة الاعراب لا يلبس عليه اختلاف وجوه الكلام، فإنه إذا خرج بالبيان عن وضع اللسان إما حقيقة أو مجازاً فتأويله تعطيله.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب ألفه في هذا النوع: يجب أن تعلم أن النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه فقوله تعالى: ﴿لتبين للناس ما نزّل إليهم﴾ [النحل: ٤٤] يتناول هذا وهذا، وكانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل. روي ذلك عن عثمان وابن مسعود رضي الله عنهما قالوا فيعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً ولهذا يبقون مدة في حفظ السورة وذلك لأن الله تعالى قال: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾ [ص: ٢٩] وقال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ [النساء: ٨٢] وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً. وفي التابعين كذلك بالنسبة إلى من بعده، ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، وربما تكلموا في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوّع لا اختلاف تضاد وذلك صنفان.

أحدهما: أن يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى كتفسير الصراط المستقيم باتباع القرآن أو بدين الإسلام، فالقولان يتفقان لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن، ولكن كل منهما انما نبه على وصف غير الوصف الآخر، وكذلك قول من قال هي السنّة والجماعة، وقول من قال هي طريق العبودية، وقول من قال هي طاعة الله ورسوله، وأمثال ذلك فهؤلاء كلهم أشاروا إلى ذات واحدة لكن وصفها كل بصفة من صفاتها.

الثاني: أن يذكر كل منهم من الإسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على

....

النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود من عمومه وخصوصه ومثاله ما يقال في قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ [فاطر: ٣٢] الآية. فمعلوم ان الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات والمقتصد يتناول فاعل الواجبات، وتارك المحرمات والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات، فالمقتصدون أصحاب اليمين والسابقون السابقون أولئك المقربون، ثم إن كلاً منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات كقول القائل السابق الذي يصلي في أول الوقت، والمقتصد الذي يصلي في أثنائه، والظالم لنفسه هو الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار، أو يقول السابق المحسن بالصدقة، مع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة فقط والظالم مانع الزكاة، وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما في تنوّع التفسير تارة لتنوّع الأسماء والصفات، وتارة لذكر بعض أنواع المسمى هذا هو الغالب في تفسير سلف الأمة الذي يظن أنه مختلف، ومن التنازع الموجود عنهم ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين إما لكونه مشتركاً في اللغة كلفظ القسورة الذي يراد به الرامي ويراد به الأسد ولفظ عسعس الذي يراد به اقبال الليل وادباره وإما لكونه متواطئاً في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين كالضمائر في قوله: ﴿ثم دنا فتدلّى﴾ [النجم: ٨] الآية. ولفظ الفجر والشفع والوتر وليال عشر، وأشباه ذلك فمثل هذا قد يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف، وقد لا يجوز ذلك.

فالأول: إما لكون الآية نزلت مرتين فأريد بها هذا تارة وهذا تارة، وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنياه، وأما لكون اللفظ متواطئاً فيكون عاماً، إذا لم يكن لمخصصه موجب، فهذا النوع إذا صح فيه القولان كان في الصنف الثاني. ومن الأقوال الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافاً أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة كما إذا فسر بعضهم بستل بنجس وبعضهم بقرهن لأن كلاً منهما قريب من الآخر ثم قال: والاختلاف في التفسير على نوعين منه ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يعلم بغير ذلك. والمنقول إما عن المعصوم أو غيره، ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره، ومنه ما لا يمكن ذلك وهذا القسم الذي لا يمكن معرفة صحيحه من سقيمه عامته منها لا فائدة فيه ولا حاجة بنا إلى معرفته وذلك كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف وفي اسمه. وفي البعض الذي ضرب به القتيل في البقرة، وفي قدر سفينة نوح وخشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ونحو ذلك. فهذه الأمور طريق العلم بها النقل فما كان منه منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي ﷺ قبل، وما لا بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب وقف عن تصديقه وتكذيبه، وكذا ما نقل عن بعض التابعين وإن لم يذكر أنه أخذه عن أهل الكتاب، فمتى اختلف التابعون لم يكن بعض أقوالهم حجة على بعض، وما نقل في ذلك عن الصحابة نقلاً صحيحاً فالنفس إليه أسكن مما نقل عن التابعين، لأن احتمال أن يكون سمعه من النبي ﷺ أو من بعض من سمعه منه أقوى، ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين ومع جزم الصحابي بما يقوله كيف يقال انه أخذه عن أهل الكتاب، وقد نهوا عن تصديقهم.

وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه، فهذا موجود كثيراً ولله الحمد، وأما ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل، فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، فإن التفاسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفاً لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين مثل تفسير عبد الرزاق والفريابي ووكيع وعبد بن حميد وإسحاق بن راهويه وأمثالهم. أحدها: قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها، والثاني: فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ ان يريده من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به، فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان، والآخرون راعوا مجرد اللفظ لذلك المعنى في اللغة غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام. ثم هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما أن الأولين كثيراً ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن، كما يغلط في ذلك الآخرون وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق. والأولون صنفان: تارة يسلبون لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به وتارة يحملونه على ما يدل عليه ولم يرد به وفي كلا الأمرين قد يكون ما تعبدوا به نفيه أو اثباته من المعنى باطلاً، فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول، وقد يكون حقاً فيكون خطؤهم فيه في الدليل لا في المدلول، فالذين أخطأوا فيهما مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذاهب باطلة. وعمدوا إلى القرآن فتأوّلوه على رأيهم وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم، وقد صنفوا تفاسير على أصول مذاهبهم مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الأصم، والجبائي، وعبد الجبار، والزمخشري وأمثالهم. ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة يدس البدع في كلامه، وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف ونحوه حتى أنه يرفع على خلق كثير من أهل السنة كثيراً من تفاسيرهم الباطلة، وتفسير ابن عطية وأمثاله اتبع للسنّة وأسلم من البدعة. ولو ذكر كلام السلف المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير ابن جرير الطبري وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدراً، ثم أنه يدع ما ينقله ابن جرير عن السلف ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكتاب الذين قرروا أصولهم بطريق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم، وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه، فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في الآية تفسير، وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين صار مشتركاً للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا. وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك بل مبتدعاً لأنهم كانوا اعلم به وبتفسيره وبمعانيه، كما أنهم اعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ، وأما الذين أخطأوا في الدليل لا في المدلول كمثل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء يفسرون القرآن بمعان صحيحة في نفسها، لكن القرآن لا يدل عليها مثل كثير مما ذكره السلمي في الحقائق، فإن كان فيما ذكروه معان باطلة دخل في القسم الأول والله أعلم اهـ، كلام ابن تيمية ملخصاً وهو

نفيس جداً.

فصل

وقال الزركشي في البرهان للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة.

الأول: النقل عن النبي ﷺ، وهذا هو الطراز المعلم، لكن يجب الحذر من الضعيف منه، والموضوع فإنه كثير، ولهذا قال أحمد: ثلاثة لا أصل لها المغازي والملاحم والتفسير. قال المحققون من أصحابه: مراده أن الغالب أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة وإلا فقد صح من ذلك بعضه وهو قليل.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي، فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع كما قاله الحاكم في مستدركه، وفي الرجوع إلى قول التابعي روايتان عن أحمد، واختار ابن عقيل من أصحابه المنع، وحكوه عن شعبة، لكن عمل المفسرين على خلافه فقد حكوا في كتبهم أقوالهم، لأن غالبها تلقوها عن الصحابة، وربما تحكى عنهم عبارات مختلفة الألفاظ فيظن من لا فهم عنده أن ذلك اختلاف تحقيق فيحكيه أقوالاً، وليس كذلك بل يكون كل واحد ذكر معنى من الآية، لكونه أظهر عنده أو أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته والكل يؤول إلى معنى واحد غالباً، وإن لم يكن الجمع فالمتأخر من القولين عن الشخص يقدم ان استويا في الصحة عنه وإلاّ فالصحيح المقدم.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة فإن القرآن نزل بلسان عربي، وهذا قد ذكره جماعة، ونص عليه أحمد في مواضع لكن نقل الفضل بن زياد عنه أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر فقال: ما يعجبني فقيل ظاهره المنع، ولهذا قال بعضهم في جواز تفسيره القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد، وقيل الكراهة تحمل على من صرف الآية على ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ولا يوجد غالباً إلا في الشعر ونحوه، ويكون المتبادر خلافها. وروى البيهقي في الشعب عن مالك قال: لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كلام الله إلا جعلته نكالاً.

الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام وهذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» والذي عناه علي بقوله: إلا فهما يؤتاه الرجل في القرآن، ومن هنا اختلف الصحابة في معنى الآية، فأخذ كل برأيه على مقتضى نظره، ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل قال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ [الاسراء: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ [البقرة: ١٦٩] وقال ﷺ: «من تكلم

في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » رواه أبو داود والترمذي والنسائي ، قال البيهقي : هذا الحديث إن صح والله أعلم المراد به الرأي الذي يقلد من غير دليل قام عليه ، وأما الذي يشده برهان فالقول بـه جائز . وقال في المدخل في هذا الحديث نظر وإن صح ، وإنما أراد به والله أعلم فقد أخطأ الطريق فسبيله أن يرجع في تفسير ألفاظه إلى أهل اللغة . وفي معرفة ناسخه ومنسوخه وسبب نزوله وما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيله ، وأدوا إلينا من السنن ما يكون بياناً لكتاب الله فما ورد بيانه من صاحب الشرع ففيه كفاية عن فكرة من بعده وما لم يرد عنه بيانه ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده ليستدلوا بما ورد بيانه على ما لم يرد ، وقال قد يكون المراد به من قال فيه برأيه من غير معرفته منه بأصول العلم وفروعه فتكون موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة اهـ ، كلام الزركشي .

وقال الماوردي : الحديث ان صح فتأويله ان من تكلم في القرآن بمجرد رأيه ولم يعرج على سوى لفظه وأصاب الحق فقد أخطأ الطريق وأصابته اتفاق إذ الفرض أنه مجرد رأي لا شاهد له ، وفي الحديث : « القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه » أخرجه أبو نعيم وغيره من حديث ابن عباس فقوله : « ذلول » يحتمل وجهين . أحدهما : أنه مطيع لحامليه تنطق به ألسنتهم ، والثاني : انه يوضح لمعانيه حتى لا تقصر عنه افهام المجتهدين ، وقوله : « ذو وجوه » يحتمل معنيين . أحدهما أن من الناظر ما يحتمل وجوهاً من التأويل ، والثاني أنه قد جمع وجوهاً من الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب والتحليل والتحريم ، وقوله : « فاحملوه على أحسن وجوهه » يحتمل معنيين أحدهما : الحمل على أحسن معانيه ، والثاني أحسن ما فيه من العزائم دون الرخص والعفو دون الانتقام ، وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله اهـ .

وقال أبو الليث : النهي إنما انصرف إلى المتشابه منه لا إلى جميعه كما قال تعالى : ﴿وأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه﴾ [آل عمران : ٧] لأن القرآن إنما نزل حجة على الخلق فلو لم يجز التفسير لم تكن الحجة بالغة ، فإذا كان كذلك جاز لمن عرف لغات العرب وأسباب النزول أن يفسره ، وأما من لم يعرف وجوه اللغة فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع ويكون ذلك على وجه الحكاية لا على وجه التفسير ، ولو أنه يعلم التفسير فأراد أن يستخرج من الآية حكماً أو دليلاً للحكم فلا بأس به ، ولو قال المراد كذا من غير أن يسمع فيه شيئاً فلا يحل وهو الذي نهى عنه .

وقال ابن الأنباري في الحديث الأول : حمله بعض أهل العلم على أن الرأي يعني به الهوى فمن قال في القرآن قولاً يوافق هواه فلم يأخذ عن أئمة الدين وأصاب فقد أخطأ لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله ، ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه ، وقال في الحديث الثاني وهو الذي أورده المصنف : له معنيان . أحدهما : من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذاهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله ، والثاني : وهو الصحيح « من قال في القرآن قولاً يعلم ان الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار » .

وقال البغوي والكواشي وغيرهما: التأويل صرف الآية إلى معنى يوافق ما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنّة من طريق الاستنباط غير محظور على العلماء بالتفسير كقوله تعالى: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾ [التوبة: ٤١] قيل شباباً وشيوخاً. وقيل: أغنياء وفقراء، وقيل: عزاباً ومتأهلين، وقيل نشاطاً وغير نشاط، وقيل أصحاء ومرضى. وكل ذلك سائغ والآية محتملة. وأما التأويل المخالف للآية والشرع فمحظور لأنه تأويل الجاهلين مثل تأويل الروافض: ﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ [الرحمن: ١٩] إنهما علي وفاطمة ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ [الرحمن: ٢٢] يعني الحسن والحسين.

فصل

في بيان العلوم التي يحتاج المفسر إلى تفسيره:

وهي خمسة عشر علماً:

أحدها: اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ بحسب الوضع. قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب، ولا يكفي في حقه معرفة اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين، والمراد الآخر.

الثاني: النحو لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الاعراب، فلا بدّ من اعتباره. روى أبو عبيد عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقوّم بها قراءته فقال: حسن فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيبغي توجيهها فيهلك فيها.

الثالث: التصريف لأن به تعرف الأبنية والصيغ. قال ابن فارس: ومن فاته علمه فاته المعظم، وقال الزمخشري: من بدع التفاسير قول من قال إن الإمام في قوله تعالى: ﴿يوم تدعو كل أناس بإمامهم﴾ [الاسراء: ٧١] جمع «أم» وإن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم. قال: وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف فإن أما لا يجمع على إمام.

الرابع: الاشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما، كالمسيح هل هو من المساحة أو من المسح.

الخامس والسادس والسابع: المعاني والبيان والبديع لأنه يعرف بالأول تراكيب الكلام من جهة افادتها المعنى، وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام: وهذه العلوم الثلاثة من علوم البلاغة وهي من أعظم أركان المفسر لأنه لا بدّ له من مراعاة ما يقتضيه الاعجاز وإنما يدرك بهذه العلوم.

الثامن: علم القراءات لأنه به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

التاسع: أصول الدين لما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله، فالأصولي يؤوّل ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز.

العاشر: أصول الفقه إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

الحادي عشر: علم أسباب النزول والقصص إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه.

الثاني عشر: الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره.

الثالث عشر: الفقه.

الرابع عشر: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم.

الخامس عشر: علم الموهبة وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم وإليه الإشارة في حديث: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»

قال ابن أبي الدنيا: علوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له قال: فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسراً، إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسراً، بالرأي المنهي عنه، وأما الصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب، وأنهم استفادوا العلوم الأخر من النبي ﷺ.

قال السيوطي: ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان تحصيله، وليس كما ظننت من الاشكال والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد.

فصل

قال ابن النقيب جملة ما تحصل في معنى حديث التفسير بالرأي خمسة أقوال:

أحدها: التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير.

الثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

الثالث: التفسير للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً له فيرد إليه بأي طريق أمكن، وإن كان ضعيفاً.

الرابع: التفسير أن مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى.

وقال الزركشي: القرآن قسمان: قسم ورد تفسيره بالنقل وقسم لم يرد، والأول إما أن يرد عن النبي ﷺ أو الصحابة أو رؤوس التابعين، فالأول يبحث فيه عن صحة السند، والثاني ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل ذلك اللسان، فلا شك في اعتماده إذ ربما

ومنها: الايجاز بالحذف والإضمار كقوله تعالى: ﴿وآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا

شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه، فحينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة، فإن أمكن الجمع فذلك، وإن تعذر قدم ابن عباس لأن النبي ﷺ دعا له فيه، وأما ما ورد عن التابعين فكذلك وإلاّ وجب الاجتهاد، وأما ما لم يرد فيه نقل فقليل وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى المفردات من تلك الألفاظ ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق.

فصل

في غرائب التفسير التي لا يحل الاعتماد عليها ولا تذكر إلا للتحذير منها:

من ذلك قول من قال في حم عسق إن الحاء حرب علي معاوية، والميم ولاية المروانية، والعين ولاية العباسية، والسين ولاية السفيانية، والقاف قدوة مهدي. وحكاه أبو مسلم. ومن ذلك قول من قال: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ [البقرة: ١٧٩] إنه قصص القرآن، واستدل بقراءة أبي الجوزاء بضم القاف وهو بعيد، ومن ذلك ما ذكره ابن فورك في قوله: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ [البقرة: ٢٦٠] ان ابراهيم عليه السلام كان له صديق وصفه بأنه قلبه أي ليسكن هذا الصديق إلى هذه المشاهدة إذا رآها عياناً، وهذا بعيد أيضاً، ومن ذلك قول من قال في قوله: ﴿ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به﴾ [البقرة: ٢٨٦] إنه الحب والعشق، وقد حكاه الكواشي في تفسيره، ومن ذلك قول من قال: ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ [الفلق: ٣] إنه الذكر إذا قام، وقد ذكره صاحب القاموس. ومن ذلك قول أبي معاذ النحوي في قوله: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر﴾ يعني إبراهيم ﴿ناراً﴾ أي نوراً وهو محمد ﷺ ﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾ [يس: ٨٠] أي تقتبسون ومن ذلك ما سبق من قول الرافضة في قوله: ﴿مرج البحرين﴾ انهما علي وفاطمة ﴿واللؤلؤ والمرجان﴾ هما الحسن والحسين. وما أشبه ذلك من التفاسير المنكرة التي لا يحل الاعتماد عليها.

ولنرجع إلى شرح كلام المصنف رحمه الله تعالى، **(ولا بدّ فيه من استتباع فنون كثيرة.**

منها: الايجاز) وهو من أعظم أنواع البلاغة حتى نقل صاحب سر الفصاحة عن بعضهم انه قال: البلاغة هي الإيجاز والاطناب، ثم أن الإيجاز والاختصار بمعنى واحد كما يؤخذ من المفتاح، وصرح به الطيبي، وقال بعضهم: الاختصار خاص بالجمل فقط بخلاف الايجاز ورده صاحب عروس الأفراح، والايجاز قسمان ايجاز قصر وإيجاز حذف، وإلى الثاني أشار المصنف بقوله: **(بالحذف والإضمار)** والأوّل هو الوجيز بلفظه الطويل بمعناه، وقال بعضهم: هو أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة وسبب حسنه أنه يدل على التمكن من الفصاحة، ولهذا قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم» وقال الطيبي في التبيان: الايجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام.

أحدها: ايجاز القصر وهو أن يقصر اللفظ في معناه مثاله قوله تعالى: ﴿إنه من سليمان﴾ إلى قوله: ﴿وآتوني مسلمين﴾ [النمل: ٣١] جمع في أحرف العنوان والكتابة والحاجة.

الثاني: ايجاز التقدير وهو أن يقدر معنى زائداً على المنطوق. وسماه ابن مالك في المصباح بالتضييق، لأنه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه، ومثاله قوله: ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة: ٢] أي للضالين الصائرين بعد الضلالة إلى التقوى.

الثالث: الايجاز الجامع وهو أن يحتوي اللفظ على معان متعددة، ومثاله قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل: ٩٠] الآية، وقد تقدم ذكرها في الباب الأوّل من هذا الكتاب ومن بديع الايجاز سورة الإخلاص فإنها قد تضمنت الرد على نحو أربعين فرقة، وقد أفردت بالتأليف، وقوله تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ [هود: ٤٤] الآية، أمر فيها ونهى وأخبر ونادى ونعت وسمى وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى. وقص من الأنباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والايجاز والبيان لجفت الأقلام، وقد أفردت أيضاً بالتأليف، وقوله تعالى: ﴿يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ [النمل: ١٨] الآية جمع في هذه الآية أحد عشر جنساً من الكلام فادت وكنت ونبهت وسمت وأمرت وقصت وحذرت وخصت وعمت، وأشارت وعذرت فادت خمس حقوق حق الله وحق سليمان وحقها وحق رعيتها وحق جنود سليمان وقوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ [البقرة: ١٧٩] فإن معناه كثير واللفظ يسير لأن معناه إن الإنسان إذا علم أنه متى قتل كان ذلك داعياً إلى أن لا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم بعضاً. وكان ارتفاع القتل حياة لهم، وقد فضلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى وهو قولهم: القتل أنفى للقتل بعشرين وجهاً أو أكثر، وأنكر ابن الأثير هذا التفضيل وقال: لا تشبيه بين كلام الخالق وكلام المخلوق، وأمثال ذلك من الآيات الجامعة في القرآن كثيرة وفيما ذكرناه كفاية.

تنبيهات:

الأول: ذكر قدامة من أنواع البديع الإشارة وفسرها بالإتيان بكلام قليل وفي معان جمة، وهذا هو إيجاز القصر بعينه، لكن فرق بينهما ابن أبي الأصبع بأن الايجاز دلالته مطابقة، ودلالة الإشارة اما تضمن أو التزام.

الثاني: من الإيجاز نوع يسمى التضمين، وهو حصول معنى في لفظ من غير ذكر له باعم هو عبارة عنه، وهو نوعان: أحدهما ما يفهم من البنية كقوله معلوم فإنه يوجب انه لا بد من عالم، والثاني: في معنى العبارة كالبسملة، فإنها تضمنت معنى الاستفتاح في الامور باسمه على جهة التعظيم لله والتبرك باسمه.

الثالث: مما يصلح أن يعد من أنواع الإيجاز الاتساع من أنواع البديع وهو أن يؤتى بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما تحتمله الفاظه من المعاني، كفواتح السور ذكره ابن أبي الأصبع.

بهَا﴾ [الإسراء : ٥٩] معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها ، فالناظر إلى ظاهر

الرابع: ذكر غير واحد ان من أنواع إيجاز القصر باب الحصر سواء كان بألا أو إنما أو غيرهما من أدواته لأن الجملة فيها نابت مناب جملتين ، وباب العطف لأن حرفه وضع للاغناء عن إعادة العامل وباب النائب عن الفاعل لأنه أدل على الفاعل باعطائه حكمه وعلى المفعول بوضعه ، وباب الضمير لأنه وضع للاستغناء عن الظاهر اختصاراً ، ولذا لا يعدل إلى المنفصل مع إمكان المتصل ، وباب علمت انك قائم لأنه محتمل لاسم واحد سد مسد المفعولين من غير حذف ، ومنها طرح المفعول اقتصاراً على جعل المتعدي كاللازم ومنها الألفاظ الملازمة للعموم كأحد ، ومنها لفظ التثنية والجمع فإنه يغني عن تكرر المفرد وأقيم الحرف فيهما مقامه اختصاراً .

القسم الثاني: من قسم الإيجاز إيجاز الحذف وهو على أنواع **أحدها :** ما يسمى بالاقتطاع ، وهو حذف بعض حروف الكلمة ، وانكر ابن الأثير ورود هذا النوع في القرآن وردّ بأن بعضهم جعل منه فواتح السور على القول بأن كل حرف منها اسم من أسماء الله تعالى كما تقدم ، وادعى بعضهم أن الباء في ﴿وامسحوا برؤوسكم﴾ أوّل كلمة بعض ، ثم حذف الباقي ومنه قراءة بعضهم : **(ونادوا يا مال)** بالترخيم لشدة ما هم فيه عجزوا عن اتمام الكلمة .

الثاني: ما يسمى بالاكتفاء وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفي بأحدها عن الآخر لنكتة ويختص غالباً بالارتباط العطفي كقوله ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ [النحل : ٨١] أي والبرد وخصص الحر بالذكر لان الخطاب للعرب وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم ، وقوله تعالى ﴿بيدك الخير﴾ أي والشر ، وإنما خص الخير بالذكر لأنه مطلوب ومرغوبهم ، أو لأنه أكثر وجوداً في العالم ، أو لأن اضافة الشر إليه تعالى ليس من الأدب كما في الخير والشر ليس إليك وقوله تعالى : ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة : ٢] أي وللكافرين قال ابن الانباري : ويؤيده قوله ﴿هدى للناس﴾ وقوله تعالى : ﴿إن امرؤ هلك ليس له ولد﴾ [النساء : ١٧٦] أي ولا والد بدليل أنه أوجب للاخت النصف ، وإنما يكون ذلك مع فقد الأب لأنه يسقطها .

الثالث: ما يسمى بالاحتباك وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه مثاله قوله تعالى : ﴿فلا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فاتوهن﴾ [البقرة : ٢٢٢] أي حتى يطهرن من الدم ويتطهرن بالماء ، فإذا تطهرن وطهرن فاتوهن .

الرابع: الاختزال وهو ليس واحدا مما سبق وله اقسام لأن المحذوف إما كلمة اسم أو فعل أو حرف أو أكثر ، ولكل منها أمثلة سيأتي ذكر بعضها في السياق .

وقد مثل المصنف للموجز بالحذف والاضمار فقال : **(كقوله تعالى : ﴿وآتينا ثمود الناقة مُبصرةً فظلموا بها﴾)** [الإسراء : ٥٩] ففي هذا مضمر ومحذوفان ، فالمضمر قوله ﴿مبصرة﴾ والمعنى آية مبصرة فاضمر ومحذوفان قوله ﴿فظلموا بها﴾ أي نفوسهم بالتكذيب بها فاختصرت كلمتان من كلمتين للإيجاز ، وهذا معنى قول المصنف : **(معناه آية مبصرة فظلموا**

العربية يظن أن المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولم يدر أنهم بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم. وقوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣] أي حب العجل فحذف الحب. وقوله عز وجل: ﴿إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ

أنفسهم بقتلها) فذكر ما هو لازم التكذيب وهو القتل، **(فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء، ولا يدري أنهم بماذا ظلموا غيرهم أو أنفسهم)** والإيتاء يتعدى إلى ثلاثة مفاعيل، فحذف منها المفعول الثالث، ومثال ما حذف منه المفعول الثاني قوله ﴿إن الذين اتخذوا العجل﴾ [الأعراف: ١٥٢] أي الها ومثال ما اذا تعدى إلى واحد، وحذف قوله فظلموا بها أي أنفسهم ومن ذلك أيضاً قوله: ﴿كلا سوف تعلمون﴾ [التكاثر: ٣] أي عاقبة أمركم، وكل هؤلاء من القسم الأول من أقسام الاختزال الذي تقدم ذكره، وهو ما كان المحذوف فيه كلمة اسم، وذكر أهل البيان ان مفعول المشيئة والإرادة لا يذكر إلا إذا كان غريباً أو عظيماً دون سائر الأفعال، لأنه يلزم من وجود المشيئة وجود المشاء، فالمشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن يكون إلا مشيئة الجواب، ولذلك كانت الإرادة مثلها في اطراد حذف مفعولها ذكره الزملكاني والتنوخي في الأقصى القريب، وقد علم من سياقها ان حذف المفعول في المشيئة والإرادة كثيرة، ويرد في غيرها قليلاً وقوله فظلموا بها إن قدرنا فيه أي بالتكذيب بها ففيه حذف حرف الجر ومجرورها. وقد ذكر ابن جني أن حذف الحرف من أصله ليس بقياس لأنه إجحاف، وإذا قررنا فيه كما قاله المصنف أي بقتلها فيكون المحذوف هنا المضاف وحذف المضاف في القرآن كثير، وتتبعه ابن جني فاوصله إلى زهاء ألف موضع، وقد سردها الشيخ عز الدين في كتابه المجاز، ويجوز أن يكون قوله مبصرة من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مكانه ومثل ذلك قوله ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ [ص: ٥٢] أي حور قاصرات، وقوله ﴿أن اعمل سابغات﴾ [سبأ: ١١] أي دروعاً سابغات.

تنبيه:

في حذف المفعول اختصاراً أو اقتصاراً قال ابن هشام: جرت عادة النحويين أن يقولوا يحذف المفعول اختصاراً لدليل، ويريدون بالاقتصار الحذف بغير دليل ويمثلونه بنحو ﴿كلوا واشربوا﴾ أي أوقعوا هذين الفعلين والتحقيق ان يقال تارة يتعلق الغرض بالاعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين من أوقعه، ومن أوقع عليه فيجاء بمصدره مسنداً إلى فعل كون عام، فيقال حصل حريق أو نهب، وتارة يتعلق بالاعلام بمجرد ايقاع الفاعل للفعل، فيقتصر عليها ولا يذكر المفعول، ولا ينوى إذ المنوي كالثابت ولا يسمى محذوفاً لأن الفعل ينزل لهذا القصد منزلة ما لا مفعول له. ومنه ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ إذ المعنى أوقعوا الأكل والشرب وذروا الاسراف.

(و) من المختصر المحذوف المبدل **(قوله تعالى: ﴿واشربوا في قلوبهم العجل﴾ [البقرة: ٩٣] أي حب العجل فحذف)** المضاف وأبدل المضاف إليه مكانه، **(و)** من أمثلة حذف المضاف أيضاً والمبدل والمضمر **(قوله تعالى: ﴿إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف**

الحياةِ وضِعْفَ المَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٥] أي ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى. فحذف العذاب وأبدل الاحياء والموتى بذكر الحياة والموت، وكل ذلك جائز في فصيح اللغة. وقوله تعالى: ﴿واسْئَلِ القَرْيَـةَ التي كُنَّـا فِيهَـا والعِيرَ التي أقبلنـا فيهـا﴾ [يوسف: ٨٢]. فالأهل محذوف مضمر. وقوله عز وجل: ﴿ثَقُلَتْ في السَّمواتِ والأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] معناه خفيت على أهل السموات والأرض والشيء إذا خفي ثقل فأبدل اللفظ به وأقيم (في) مقام (على) وأضمر الأهل وحذف. وقوله تعالى:

الممات﴾ [الاسراء: ٧٥] أي ضعف عذاب الاحيـاء وضعـف عـذاب الموتـى، فحـذف العذاب) أي أضمر ذكره، **(وأبـدل الاحياء والموتى بذكر الحياة والموت)**. فأقام الوصف مقام الاسم ويصلح أيضاً أن يترك الوصف على لفظه، ويضمر « أهل » فيكون المعنى ضعف عذاب أهل الحياة وضعف عذاب أهل الممات، **(وكل ذلـك جائز في فصيح اللغة، و)** من المحذوف المضمر أيضاً **(قوله تعالى: ﴿واسأل القرية التي كنّا فيها والعير التي أقبلنا فيها﴾ [يوسف: ٨٢] أي)** اسأل **(أهل القرية وأهل العير فالأهل فيها محذوف مضمر)**، واختلف في الحذف هل هو من االمجاز ؟ فقيل: نعم. وهذا هو المشهور وانكره قوم وقالوا: لأن المجاز استعمال اللفظ في غير موضوعه والحذف ليس كذلك. وقال ابن عطية: حذف المضاف هو عين المجاز ومعظمه وليس كل حذف مجازا، وذكر القرافي للحذف أربعة أقسام الأول: منـها ما يتوقف عليه صحة اللفظ ومعناه من حيث الاسناد نحو واسأل القـرية أي أهلها إذ لا يصـح اسناد السؤال إليها، وذكر بقية الأقسام ثم قال: وليس في هذه الاقسام مجاز إلا الأول. وقال القزويني في الايضاح: متى تغير إعراب الكلمة بحذف أو زيادة فهي مجاز نحو أسأل القرية ليس كمثله شيء فإن كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغير الاعراب نحو ﴿أو كصيب﴾ ﴿فبما رحمة﴾ فلا توصف الكلمة بالمجاز اهـ.

ومن أمثلة المختصر المحذوف قوله تعالى: ﴿وهي خاوية على عروشها﴾ [البقرة: ٢٥٩] المعنى خاوية من ثمرها أو أهلها واقعة على عروشها ومن أمثلة حذف المضاف قوله تعالى: ﴿الحج أشهر معلومات﴾ [البقرة: ١٩٧] أي حج أشهر أو أشهر الحج وكذا قوله: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ [النساء: ٢٣] أي نكاح أمهاتكم وقوله ﴿وفي الرقـاب﴾ [البقـرة: ١٧٧] أي تحريـر الرقاب وكذا قوله ﴿ولكن البر من آمن بالله﴾ [البقرة: ١٧٧] فحذف الفعل وأقيم الاسم مقامه فالمعنى ولكن البر بر من آمن بالله، وقد يكون من البدل فيكون المحذوف هو الاسم أبدل الفعل مكانه فلما كان البر وصفه أقيم مكانه، **(و)** من المبدل المضمر **(قوله تعالى: ﴿ثقلت في السموات والأرض)** لا تـأتيكم إلا بغتـة﴾ [الأعـراف: ١٨٧] **(معنـاه خفيـت على أهـل السموات و)** أهل **(الأرض)** فمبدله ثقلت أي خفيت، **(فالشيء)** الفاء تعليلية أي لان الشيء **(إذا خفي)** علمه **(ثقل، فأبدل اللفظ به)** بدلالة المعنى المذكور عليه، **(و)** كذلك قوله في السموات والأرض معناه على هـذا هـو المضمـر **(أقيمـت) في (مقـام على وأضمـر الأهـل وحذف)** أي أهل السموات وأهل الأرض، **(و)** من أمثلة المحذوف المضمر **(قوله تعالى**

﴿وَتَجْعَلُون رِزْقَكُم أَنَّكُم تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] أي شكر رزقكم وقوله عز وجل: ﴿آتِنَا ما وَعَدْتَنا عَلَى رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] أي على ألسنة رسلك

﴿وتجعلون رزقكم انكم تكذبون﴾ [الواقعة: ٨٢] أي شكر رزقكم) فحذف المضاف وكذلك قوله تعالى ﴿بدلوا نعمة الله كفراً﴾ [إبراهيم: ٢٨] أي شكر نعمة الله كفرا بها، والصحيح ان في الآية الأولى حذف ثلاثة مضافات والمعنى بدل «شكركم» «رزقكم» وهو من القسم الثالث من أقسام الاختزال الذي حذف فيها أكثر من كلمة ونحو ذلك قوله ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ [النجم: ٩] المعنى فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب فحذف ثلاثة من اسم كان وواحد من خبرها، **(و)** من المحذوف المضمر **(قوله تعالى ﴿وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ [آل عمران: ١٩٤] أي على ألسنة رسلك فحذف الالسنة)** وقوله ﴿على ملك سليمان﴾ أي على عهد ملك سليمان فأضمر قوله «عهد» وهذه الآيات التي أوردها المصنف من الأول إلى هنا كلها أمثلة لايجاز الحذف بأقسامه على طريق الإجمال ولا بأس أن نذكر فوائد تتعلق بهذا المبحث.

فمن ذلك ذكر أسباب الحذف منها مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره، ومنها التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الاتيان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم، وهذه هي فائدة التحذير والاغراء، ومنها التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام، ومنها التخفيف لكثرة دورانه في الكلام كما في حذف حرف النداء نحو ﴿يوسف أعرض﴾ ونون لم يك. وياء والليل إذا يسر. ومنها شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء قال الزمخشري وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها انطق من لسان المقال، ومنها صيانته عن ذكره تشريفاً كقوله ﴿قال: فرعون وما رب العالمين★ قال رب السموات والأرض﴾ [الشعراء: ٢٣] الآيات حذف فيها المبتدأ في ثلاثة مواضع ومنها صيانة اللسان عنه تحقيراً عنه نحو ﴿صم بكم﴾ أي هم، ومنها قصد العموم نحو ﴿وإياك نستعين﴾ أي على العبادة، وعلى الأمور كلها. ومنها رعاية الفاصلة نحو ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾.

وله أسباب أخر غير ما ذكرنا تستفاد من محالها، ومن ذلك ذكر شروط الحذف وهي سبعة: أحدها وجود دليل إما حالي نحو ﴿قالوا سلاماً﴾ أي سلمنا سلاماً أو مقالي نحو ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾ أي أنزل خيراً، ومن الأدلة العقل حيث يستحيل صحة الكلام عقلا إلا بتقدير محذوف، ثم تارة يدل على أصل الحذف من غير دلالة على تعيينه، بل يستفاد التعيين من دليل آخر نحو ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ [المائدة: ٣] فإن العقل يدل على أنها ليست المحرمة لأن التحريم لا يضاف إلى الإحرام، وانما هو والحل يضافان إلى الافعال، فعلم بالعقل حذف شيء، وأما تعيينه وهو التناول فمستفاد من الشرع، وهو قوله ﷺ «إنما حرم أكلها» لان العقل لا يدرك محل الحل والحرمة، وأما قول صاحب التلخيص انه من باب دلالة العقل أيضاً فتابع فيه السكاكي من غير تأمل أنه مبني على أصول المعتزلة، وتارة يدل العقل أيضاً على التعيين نحو ﴿وجاء ربك﴾ [الفجر:

....

٢٢] أي أمره بمعنى عذابه إذ العقل دال على استحالة مجيء الباري لأنه من سمات الحادث، وعلى ان الجائي أمره، وتارة يدل على التعيين العادة نحو ﴿فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ [يوسف: ٣٢] دل العقل على الحذف لأن يوسف لا يصح ظرفاً للوم، ثم يحتمل أن يقدر لمتنني في حبه لقوله ﴿قد شغفها حبا﴾ [يوسف: ٣٠] وفي مراودته لقوله ﴿تراود فتاها﴾ [يوسف: ٣٠] والعادة دلت على الثاني لأن الحب المفرط لا يلام صاحبه عليه، وتارة يدل عليه التصريح في مواضع أخر وهو أقواها نحو ﴿وجنة عرضها السموات والأرض﴾ [آل عمران: ١٣٣] أي كعرض بدليل التصريح به في اية الحديد، ومن الادلة على أصل الحذف العادة بأن يكون العقل غير مانع من إجراء اللفظ على ظاهره من غير حذف نحو ﴿لو نعلم قتالا لاتبعناكم﴾ [آل عمران: ١٦٧] أي مكان قتال والمراد مكاناً صالحاً للقتال، وإنما كان كذلك لإنهم كانوا أخبر الناس بالقتال ويعيرون بأن يتنوّهوا بانهم لا يعرفون فالعادة تمنع أن يريدوا لو نعلم حقيقة القتال، فلذلك قدره مجاهد مكان قتال.

ومنها الشروع في الفعل نحو «بسم الله» فيقدر ما جعلت التسمية مبدأ له فإن كانت عند الشروع في القراءة قدّرت اقرأ أو الأكل قدرت آكل، وعلى هذا أهل البيان قاطبة خلافاً لقول النحاة انه يقدر ابتدأت أو ابتدائي كائن باسم الله، ويدل على صحة الأول التصريح به في قوله ﴿وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها﴾ [هود: ٤١] وفي حديث «باسمك ربي وضعت جنبي».

ومنها الصناعة النحوية فقد توجب التقدير، وإن كان المعنى غير متوقف عليه كقولهم في لا إله الا الله إن الخبر محذوف أي موجود، وقد أنكره الفخر الرازي وقال: هذا كلام لا يحتاج إلى تقدير، وتقدير النحاة فاسد لأن نفي الحقيقة مطلقة أعم من نفيها مقيدة فإنها إذا انتفت مطلقة كان ذلك دليلاً على سلب الماهية مع القيد، وإذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيها مع قيد آخر ورد بان تقدير موجود يستلزم نفي كل اله غير الله قطعاً فان العدم لا كلام فيه فهو في الحقيقة نفي للحقيقة مطلقة لا مقيدة، ثم لا بد من تقدير خبر لاستحالة مبتدأ بلا خبر ظاهر ومقدر، وإنما يقدر النحوي لأجل أن يعطي القواعد حقها، وان كان المعنى مفهوماً.

والشرط الثاني: أن لا يكون المحذوف كالجزء ومن ثم لم يحذف الفاعل ولا نائبه ولا اسم كان واخواتها.

الثالث: أن لا يكون مؤكداً لأن الحذف مناف للتأكيد إذ الحذف مبني على الاختصار والتأكيد مبني على الطول.

الرابع: أن لا يؤدي حذفه إلى اختصار المختصر، ومن ثم لم يحذف اسم الفعل لأنه اختصار للفعل.

فحذف الألسنة. وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] أراد القرآن وما سبق له ذكر. وقال عز وجل: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] أراد الشمس وما سبق لها ذكر وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ

الخامس: ان لا يكون عاملاً ضعيفاً، فلا يحذف الجار والناصب للفعل والجارة إلا في مواضع قويت فيها الدلالة وكثر فيها استعمال تلك العوامل.

السادس: أن لا يكون عوضاً عن شيء ولذا لم يحذفوا التاء من إقامة واستقامة، وأما واقام الصلاة فلا يقاس عليه ولا خبر كان لأنه عوض أو كالعوض عن مصدرها.

السابع: أن لا يؤدي حذفه إلى تهيئة العامل القوي، ومن ثم لم يقس على قراءة ﴿وكلا وعد الله الحسنى﴾ [النساء: ٩٥].

فائدة:

اعتبر الاخفش في الحذف التدريج حيث أمكن ولهذا قال في قوله: ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً﴾ [التوبة: ٤٨] أن الأصل لا تجزي فيه بحذف حرف الجر، فصار تجزيه، ثم حذف الضمير فصار تجزي وهذه ملاطفة في الصناعة، ومذهب سيبويه أنهما حذفا معاً. قال ابن جني: وقول الاخفش أوفق في النفس وآنس من أن يحذف الحرفان معاً في وقت واحد.

مهمة:

قال الشيخ عز الدين: ولا يقدر من الحروف إلا أشدها موافقة للغرض وأفصحها، لأن العرب لا يقدرون إلا ما لو لفظوا به لكان أحسن وأنسب، لذلك الكلام كما يفعلون ذلك في الملفوظ به نحو: جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس قدَّر أبو علي جعل الله نصب الكعبة، وقدر غيره حرمة الكعبة وهو أولى لأن تقدير الحرمة في الهدي والقلائد والشهر الحرام لا شك في فصاحته وتقدير النصب فيها بعيد من الفصاحة. قال: ومهما تردد المحذوف بين الحسن والأحسن وجب تقدير الأحسن لأن الله تعالى وصف كتابه بأنه أحسن الحديث، فليكن محذوفه أحسن المحذوفات كما أن ملفوظه أحسن الملفوظات.

ثم نرجع إلى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى: (**وقوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾**) [القدر: ١] هو من المكني المضمر (**أراد القرآن**) فكنى عنه (**وما سبق له ذكر و**) كذلك (**قوله تعالى ﴿حتى توارت بالحجاب﴾** [ص: ٣٢] أراد) توارت (**الشمس**) بحجاب الليل فكنى عنها، (**وما سبق لها ذكر**). واختلف في حذف الفاعل هل يجوز أم لا؟ فمنهم من قال لا يجوز إلا في فاعل المصدر نحو: لا يسأم الإنسان من دعاء الخير أي دعائه الخير، وجوزه السبكي مطلقاً لدليل. وخرج عليه ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ أي الشمس وقوله ﴿إذا بلغت التراقي﴾ [القيامة: ٢٦] أي الروح (**و**) من أمثلة المضمر المختصر (**قوله تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم﴾**) [الزمر: ٣] مضمرة (**أي يقولون ما نعبدهم**) ومثله

إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر : ٣] أي يقولون ما نعبدهم وقوله عز وجل: ﴿فَمَالِ هَؤُلاَءِ ٱلْقَوْمِ لاَ يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَديثاً ★ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمَنَ اللهِ وما أصَابَكَ مِنَ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء : ٧٨ ، ٧٩] معناه لا يفقهون حديثاً يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله، فإن لم يرد هذا كان مناقضاً لقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية.

ومنها: المنقول المنقلب كقوله تعالى: ﴿وطُورِ سنين﴾ [التين: ٢] أي طور سيناء ﴿سَلاَمٌ عَلَى آل ياسينَ﴾ [الصافات: ١٣] أي على الياس وقيل إدريس، لأن في حرف ابن مسعود سلام على إدراسين.

قوله ﴿فظللتم تفكهون إنا لمغرمون﴾ [الواقعة: ٦٥] أي يقولون انا لمغرمون والآيتان من أمثلة حذف القول ومثلها ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا﴾ [البقرة: ١٢٧] أي يقولان ربنا قال أبو علي: حذف القول من حدث عن البحر ولا حرج أي قل ولا حرج، (و) على هذا وجه (**قوله تعالى: ﴿فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [النساء: ٧٨] معناه لا يفقهون حديثاً يقولون ما أصابك**) الآية على معنى الاخبار عنهم والذم لهم، (**فان لم يرد هذا كان مناقضاً لقوله عز وجل**) في أول الآية وهو (**﴿قل كل من عند الله﴾**) وبه أحكم الباري جل وعز ابتداء شرعه وبيانه، (**ويسبق إلى الفهم منه**) ان لم نقدر القول (**مذهب القدرية**) أي المعتزلة وقد هلكوا لجهلهم بعلم العربية وظنهم انه ابتداء شرع وبيان من الله سبحانه.

قال صاحب القوت: وقرأت في مصحف ابن مسعود ﴿فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً قالوا ما أصابك﴾ [البقرة: ١٢٧] وقد كان ابن عباس يقول: إذا أشكل عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في كلام العرب فإن الرجل يتلو الآية فيعنى لوجهها فيكفر، وقد رأيت في مصحف ابن مسعود ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء قالوا ما نعبدهم﴾.

(**ومنها المنقول المنقلب كقوله تعالى**) ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ [الحج: ١٣] اللام في من منقولة، والمعنى يدعو من لضره أقرب من نفعه، ومثله (**﴿وطور سينين﴾**) [التين: ٢] وهو ما قلب اسمه لأزدواج الكلم (**أي طور سيناء وقوله تعالى: ﴿سلام على آل ياسين﴾**) [الصافات: ١٣] وهو أيضاً مما قلب اسمه (**أي على الياس**) عليه السلام، (**وقيل: المراد**) به (**إدريس**) عليه السلام (**لأن في حرف ابن مسعود**) أي مصحفه (**سلام على إدراسين**) أي على إدريس نقله صاحب القوت، ومن أمثلة المنقول المنقلب قوله: ﴿لتنوء بالعصبة﴾ معناه لتنوء العصبة بها أي لتثقل بحملها لثقلها عليها وقوله تعالى: ﴿جعلوا القرآن عضين﴾ [الحجر: ٩١] أي أعضاء كأنهم عضوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض.

ومنها: المكرر القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله عز وجل: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ﴾ [يونس: ٦٦] معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن. وقوله عز وجل: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥] معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل: ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩] معناه: لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاماً ولولاه لكان نصباً كاللزام. وقوله تعالى:

(ومنها) الموصل **(المكرر)** للبيان والتوكيد **(القاطع لوصل الكلام في الظاهر كقوله تعالى: ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن﴾)** [يونس: ٦٦] قوله: إن يتبعون مردود للتوكيد والإفهام كأنه لما طال الكلام أعيد ليقرب من الفهم **(معناه: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن)** اتباعهم الشركاء ظن منهم غير يقين، **(و)** نحوه من المكرر المؤكد **(قوله تعالى: ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾ [الأعراف: ٧٥] معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا)** هذا اختصاره، فلما قدم الذين استضعفوا وكان المراد بعضهم كرر المراد بإعادة ذكر من آمن منهم للبيان، ومثله: ﴿إلا آل لوط إنّا لمنجوهم أجمعين﴾ [الحجر: ٥٩] إلا امرأته فادخل الاستثناء على الاستثناء وهو يطول في كلامهم لأنه أراد بالنجاة بعض الآل، فلما أجملهم أخرج مستثنى من مستثنى، وفي هذا دليل أن الأزواج من الآل لأنه استثنى امرأته من آله، ومن المكرر للتوكيد قوله تعالى: ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي﴾ هو مختصره [القصص: ١٩] فلما أراد أن يبطش، وقد قيل ان هذا من المختصر المضمر مما أضمر فيه الإسم وحذف منه الفعل وهو غريب فيكون تقديره فلما أن أراد الاسرائيلي أن يبطش موسى بالذي هو عدو لهما فلم يفعل قال يا موسى: أتريد؟ فهذا حينئذ من أخصر الكلام وأوجزه ومن المكرر المؤكد قوله تعالى: ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة﴾ [الروم: ٩] مفهومه وجائزه فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد قوة فوصله «بمن» ووكد «بكان» وعمد بهم.

قال صاحب القوت وقرأتها في مصحف ابن مسعود. **(عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد قوة)** ليس فيها كانوا ولا قوله «هم» وبمعناه وإن قصر قوله تعالى: ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً﴾ [الزخرف: ٣٣] هذ مما يطول للبيان والمعنى لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن فلما قدم من وهي أسماء من يكفر أعيد ذكر البيوت مؤخراً.

(ومنها: المقدم والمؤخر) لحسن تأليف الكلم ومزيد البيان **(وهو مظنة الغلط)** لأن معناه يشكل بحسب الظاهر أنه من باب التقديم والتأخير أفصح، وهذا النوع قسم من أقسام المقدم والمؤخر، وهو جدير أن يفرد بالتصنيف وقد تعرض لذلك السلف في آيات منها ما أشار إليه المصنف فقال: **(كقوله تعالى: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى﴾)**

﴿يسألُونَكَ كأنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧] أي يسألونك عنها كأنك حفي بها. وقوله عز وجل: ﴿لَهُم مَغْفِرَةٌ ورِزْق كَرِيم★ كما أَخْرَجكَ رَبّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالْحَقِّ﴾ [الأنفال: ٤، ٥] فهذا الكلام غير متصل، وإنما هو عائد إلى قوله السابق: ﴿قل الأنْفَالُ للهِ والرَّسُول﴾ [الأنفال: ١ - ٥] ﴿كمَا أَخْرجكَ ربُّك مِنْ بَيْتِكَ بالحقِّ﴾ أي فصارت أنفال الغنائم لك إذ أنت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض

[التوبة: ٥٥] أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال هذا من تقاديم الكلام (**معناه: ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاماً**) وبه ارتفاع الأجل، (**ولولاه لكان نصباً كاللزام**) فأخر لتحسين اللفظ.

وأخرج ابن أبي حاتم أيضاً عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾ التوبة: ٥٥] قال هذا من تقاديم الكلام تقول: لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الآخرة.

وأخرج عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿إني متوفيك ورافعك إليَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] قال هذا من المقدم والمؤخر إني رافعك إلي ومتوفيك.

وأخرج عن عكرمة في قوله: ﴿لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ [ص: ٢٦] قال وهذا من التقديم والتأخير يقول لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا.

وأخرج جرير عن أبي زيد في قوله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾ [النساء: ٨٣] قال هذه الآية مقدمة ومؤخرة إنما هي أذاعوا به إلا قليلاً منهم، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينج قليل ولا كثير.

وقال صاحب القوت قوله: ﴿إلا قليلاً﴾ هو متصل بقوله: ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً﴾ وآخر الكلام لاتبعتم الشيطان قال: وهذا الوجه أحب إلي من الأول فإن في استثنائه من الأول بعداً. قال: وعلى هذا المعنى قرأ ابن عباس لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم جعله متصلاً بقوله: ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم إلا من ظلم، وصار آخر الكلام لا يحب الله الجهر بالسوء من القول أصلاً.

وأخرج عن ابن عباس في قوله: ﴿أرنا الله جهرة﴾ [النساء: ١٥٣] قال: انهم إذا رأوا الله جهرة فقد رأوه إنما قالوا جهرة أرنا الله قال هو مقدم ومؤخر قال ابن جرير ان سؤالهم كان جهره فهذه الآيات مما تكلم فيها السلف.

(و) مما ذكر صاحب القوت من أمثلة هذا الباب: (**قوله تعالى: ﴿لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم★ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ [الأنفال: ٤، ٥] فهذا الكلام غير متصل**) أي ليس هذا من صلة الكلام، (**وإنما هو**) مقدم (**عائد على قوله السابق ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ [الأنفال: ٤ - ٥] أي فصارت أنفال الغنائم لك إذا خرجت وأنت راض بخروجك**) ولفظ القوت: إذ أنت راض

بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره، ومن هذا النوع قوله عز وجل: ﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وحْدَهُ إلاَّ قَوْلَ إبراهيمَ لأبيه﴾ [الممتحنة: ٤] الآية.

بإخراجك (**وهم كارهون فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره**) كالإعلام والوصف بحقيقة الإيمان والصلاح فاشكل فهمه، (**و**) على هذا (**قوله تعالى: ﴿حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه﴾**) [الممتحنة: ٤] ﴿لأستغفرنّ لك﴾ موصول بقوله: ﴿لقد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه﴾ ﴿إلا قول إبراهيم﴾ [الممتحنة: ٤] الآية لأنها نزلت في قولهم فقد استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك عند قوله: سأستغفر لك ربي قالوا: فهلا تستغفر لآبائنا المشركين فنزلت هذه الآية ليستثني القدوة بإبراهيم في هذا ثم نزلت الآية الأخرى معذرة له لوعده إياه إلى أن علم موته على الكفر فقال تعالى: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ الآية. (**و**) مثل هذا وإن كان دونه في القرب (**قوله تعالى: ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ [الأعراف: ١٨٧] أي يسألونك عنها كأنك حفي**) ومثله ﴿أو ننسها نأت بخير منها﴾ أي نأت منها بخير ومما ذكر صاحب القوت في أمثلة المقدم والمؤخر قوله تعالى: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ [النحل: ١٠٦] ولكن من شرح بالكفر صدراً اختصاره وموجزه من كفر بالله من بعد إيمانه وشرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، ولكن وكد بقوله: ولكن من شرح بالكفر صدراً لما استثنى المكره وقلبه مطمئن بإيمانه، ولم يجعل المكره آخر الكلام لئلا يليه قوله تعالى: ﴿فعليهم غضب من الله﴾ [النحل: ١٠٦] فيتوهم أنه خبره وجعل آخر الكلام فعليهم غضب من الله وهو في المعنى مقدم خبر للأول من قوله ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه﴾ فاخر ليليه قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ [النحل: ١٠٧] لأنه من وصفهم فيكون هذا أحسن في تأليف الكلام، وسياق المعنى وكذلك قوله تعالى: ﴿وقيل يا رب إن هؤلاء قوم﴾ [الزخرف: ٨٨] هذا من المعطوف المضمر ومن المقدم والمؤخر فعاطفه قوله: ﴿وعنده علم الساعة﴾ [الزخرف: ٨٥] وضميره قوله وعلم قيله، والمعنى وعنده علم الساعة وعلم (قيله يا رب) على حرف من كسر اللام، فأما من نصبها فإنه مقدم أيضاً، ومحمول على أن المعنى (وعنده علم الساعة) (ويعلم قيله يا رب) وأما من رفع اللام فتكون مستأنفة على الخبر وجوابها الفاء في قوله: ﴿فاصفح عنهم﴾ [الزخرف: ٨٩] أي قولك ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح، وقد تكون الواو في قوله: (وقيله) للجمع مضمومة إلى علم الساعة والمعنى وعنده علم الساعة وعنده (قيله يا رب) جمع بينهما بعند فهذا مجاز هذه المقاري الثلاث في العربية ومثله مما حمل على المعنى قوله تعالى: ﴿فالق الأصباح وجاعل الليل سكناً﴾ متبعة لجعل ظاهراً وبمعنى قوله تعالى: ﴿وامسحوا برؤسكم وأرجلكم﴾ في مقرأ من نصب اللام محمولاً على معنى الغسل من قوله: ﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم﴾ أيضاً ومن قرأ (وأرجلكم) خفضاً على اتباع الإعراب من قوله (برؤسكم) فاتبع الأعراب الاعراب (قبله) لأن مذهبه الغسل لا المسح ومن المؤخر بعد توسط

....

الكلام قوله تعالى: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ [الانشقاق: ١٩] في قراءة من وحد الفعل وهو متصل بقوله: ﴿يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه لتركبن طبقا عن طبق﴾ وكذلك هو في قراءة من جمع فقال لتركبن، ويكون الإنسان في معنى الناس ويكون الجمع عطفاً على المعنى وإنما وحد للجنس فكأنه قال: يا أيها الناس فأخر هذا الخبر لما توسطه من الكلام المتصل بالقصة ومعناه التقديم وكذلك قوله تعالى: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض﴾ [الأنفال: ٧٣] إنما هو من صلة قوله: ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا تفعلوه تكن فتنة﴾ [الأنفال: ٧٢] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة﴾ [المائدة: ٣] هذا متصل بقوله: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم﴾ [المائدة: ٣] إلى آخر المحرمات، ثم قال: ﴿فمن اضطر في مخمصة﴾ يعني مجاعة إلى هنا نص ما في القوت.

وذكر السيوطي في الإتقان من أمثلة القسم الأول: وهو ما أشكل معناه بحسب الظاهر أنه من باب التقديم والتأخير قوله تعالى ﴿وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها﴾ [البقرة: ٧٢] قال البغوي هذا أول القصة وإن كان مؤخراً في التلاوة ومنه قوله تعالى ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الجاثية: ٢٣] والأصل هواه إلهه لأن من اتخذ إلهه هواه فغير مذموم وقوله تعالى ﴿أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى﴾ [الأعلى: ٤، ٥] والمعنى أخرجه أحوى أي أخضر فجعله غثاء، وأخر رعاية للفاصلة، وقوله تعالى ﴿وغرابيب سود﴾ [فاطر: ٢٧] الأصل سود غرابيب لأن الغربيب الشديد السواد وقوله تعالى ﴿فضحكت فبشرناها﴾ [هود: ٧١] أي فبشرناها فضحكت وقوله تعالى ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ [يوسف: ٢٤] قيل: المعنى على التقديم والتأخير أي لولا أن رأى برهان ربه لهم بها وعلى هذا فالهم ينفى عنه.

وأما القسم الثاني من أقسام التقديم والتأخير، فقد ذكر الشيخ شمس الدين ابن الصائغ في كتابه المقدمة في سر الألفاظ المقدمة تفاصيل لأسباب التقديم وأسراره وقال ظهر لي منها في الكتاب العزيز عشرة أنواع.

الأول: التبرك، الثاني: التعظيم، الثالث: التشريف، الرابع: المناسبة لسياق الآية. الخامس: الحث عليه حذراً من التهاون به. السادس: السبق وهو ما في الزمان باعتبار الإيجاد أو باعتبار الإنزال أو باعتبار الوجوب والتكليف، السابع: السببية. الثامن: الكثرة. التاسع: الترقي من الأدنى إلى الأعلى. العاشر: التدلي من الأعلى إلى الأدنى. ثم ذكر لها أمثلة وأطال في كل نوع منها الكلام وزاد غيره أسباباً أخر منها كونه أدل على القدرة وأعجب، ومنها رعاية الفواصل، ومنها إفادة الحصر للاختصاص. وقد يقدم لفظ في موضع ويؤخر في آخر، ونكتة ذلك إما لكون السابق في كل موضع يقتضي ما وقع فيه واما لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأنه، وأما القصد التفنن في الفصاحة وإخراج الكلام على عدة أساليب والله أعلم.

ومنها: المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو حرف. أما الكلمة فكالشيء والقرين والأمة والروح. ونظائرها قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عبداً مَمْلوكاً لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيء﴾ [النحل: ٧٥] أراد به النفقة مما رزق. وقوله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شيء﴾ [النحل: ٧٦] أي الأمر بالعدل والاستقامة. وقوله عز وجل: ﴿فـإن اتَّبَعْتني فَلاَ تَسْـأَلْني عَـنْ شَـيء﴾ [الكهف: ٧٠] أراد به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى

(ومنها) المكنى **(المبهم)** المشتبه **(وهو)** أي المبهم **(اللفظ المشترك بين معان)** مختلفة **(من كلمة أو حرف)**، اعلم ان معرفة الوجوه والنظائر في الكتاب العزيز أمر مهم، وقد صنف فيه غير واحد من المتقدمين والمتأخرين، فالوجوه في اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة والنظائر كالألفاظ المتواطئة، وقيل: النظائر في اللفظ والوجوه في المعاني وضعف لأنه لو أريد هذا لكان الجميع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام، والنظائر نوعاً آخر وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر، وقد تقدم من قول أبي الدرداء رضي الله عنه لا يكون الرجل فقيهاً حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة، وقد يروى مرفوعاً، وتقدم ما المراد منه وقد فسره بعضهم بأن المراد أن ترى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد وإليه أشار المصنف بقوله:

(أما الكلمة فكالشيء والقرين والأمة والروح ونظائرها) منها الهدى والصلاة والسوء والرحمة والفتنة والقضاء والذكر والدعاء والإحصان. **(قال الله تعالى﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء﴾** [النحل: ٧٥] **أراد به)** أي بالشيء هنا **(النفقة مما رزق)** ولفظ القوت الإنفاق مما رزق الله. **(وقال تعالى)** بعده **﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء)** وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأتِ بخير﴾ [النحل: ٧٦] **(أي الأمر بالعدل والاستقامة)** على الهدى، فالمراد بالشيء هنا غير الذي اراده في الاول **(وقال تعالى)** اخبارا عن قول الخضر لموسى عليهما السلام: (**﴿فإن اتّبعتني فلا تسألني عن شيء﴾** [الكهف: ٧٠] هذا الموضع وصف مخصوص **(أراد به من صفات الربوبية)** من العلم الذي علمه الخضر من لدنه: **(وهي العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى يبتدئ بها للعارف في أوان الاستحقاق)**، فلذلك كنى عنه.

قال صاحب القوت: وكذلك العلم على ضربين ضرب لا يصلح أن يبتدئ به حتى يسأل عنه وهو مما لا يضيق علمه فلذلك وسع جهله وحسن كتمه، وعلم لا ينبغي أن يسأل عن معاني صفات التوحيد ونعوت الوحدانية لا يوكل الى العقول بل يخص به المراد المحمول بعلم الخضر الذي شرط

يبتدىء بها العارف في أوان الاستحقاق، وقوله عز وجل: ﴿أَمْ خُلِقُوا من غَيْرِ شيء أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] أي من غير خالق، فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لا يخلق شيء إلا من شيء.

وأما القرين فكقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ قَرِينُه هَذَا مَا لَدَيَّ عتيدٌ ★ أَلْقِيَا في جَهَنَّم كُلَّ كَفَّارٍ﴾ [ق: ٢٣، ٢٤] أراد به الملك الموكل به. وقوله تعالى: ﴿قالَ قَرِينُه رَبَّنا ما أَطْغَيْته وَلَكِنْ كَانَ﴾ [ق: ٢٧] أراد به الشيطان، وأما الأمة فتطلق على ثمانية أوجه: الأمة الجماعة كقوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣] وأتباع الأنبياء كقولك نحن من أمة محمد ﷺ ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى: ﴿إنَّ إبراهيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لله﴾ [النحل: ١٢٠] والأمة: الدين كقوله عز وجل: ﴿إنّا وَجَدْنَا آباءَنا عَلَى أُمّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] والأمة: الحين والزمان كقوله عز وجل: ﴿إلَى أُمَّةٍ مَعْدُودةٍ﴾ [هود: ٨] وقوله عز وجل: ﴿وادّكر بَعْدَ أُمّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] والأمة:

على موسى أن لا يسأل عنه حتى يبادئه به من هذا النوع والله غالب على أمره، (و)مثله (**قوله تعالى** ﴿**أم خلقوا من غير شيء**) أم هم الخالقون﴾ [الطور: ٣٥] يعني الله تعالى (**أي**) كيف يكون خلق (**من غير خالق**) ففي وجودهم دليل على إثبات الخالق سبحانه وتعالى، (**فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لا يخلق شيء إلا من شيء**). قال صاحب القوت: روينا ذلك عن ابن عباس وزيد بن علي قالا في هذه الآية من غير شيء أي من غير رب كيف يكون خلق من غير خالق.

(**وأما القرين كقوله تعالى** ﴿**قال قرينه ربنا ما أطغيته**﴾ **[ق: ٢٧] أراد به الشيطان**) المقرون به. (**وقوله تعالى** ﴿**وقال قرينه هذا ما لدي عتيد**﴾ **[ق: ٢٣] أراد به الملك الموكل به**) أي بعمله وإطلاق القرين على كل منهما صحيح جائز ومثل ذلك قوله ﴿والله فضل بعضكم على بعض﴾ فالبعض الأول المفضل هم الأحرار والبعض الآخر المفضول هم المماليك.

(**وأما الأمة فتنطلق على ثمانية أوجه. الأمة الجماعة**) من الناس (**كقوله تعالى** ﴿**وجد** عليه **أمة من الناس يسقون**﴾) [القصص: ٢٣] أي جماعة منهم. (**والأمة اتباع الأنبياء**) عليهم السلام (**كقولك: نحن من أمة محمد** ﷺ) أي من اتباعه والجمع أمم كغرفة وغرف، وقد ورد في أسمائه ﷺ نبي الأمة، (**والأمة: الرجل الجامع للخير**) كله (**المقتدى به**) في أحواله، (**كقوله عز وجل** ﴿**إن إبراهيم كان أمة قانتاً**﴾) [النحل: ١٢٠] سمي بذلك لكونه يؤتم به، (**والأمة: الدين كقوله عز وجل:** ﴿**إنا وجدنا آباءنا على أمة**﴾) [الزخرف: ٢٢] أي على دين (**والأمة الحين والزمان كقوله تعالى** ﴿**إلى أمة معدودة**﴾) [هود: ٨] أي مدة معلومة من الزمان، (**ومنه**) أيضاً (**قوله تعالى:** ﴿**وادّكر بعد أمّةٍ**﴾) [يوسف: ٤٥] أي بعد حين وقرىء بعد أمة بالتحريك والهاء أي بعد نسيان. (**والأمة: القامة يقال: فلان حسن**

القامة. يقال: فـلان حسن الأمة أي القامة، وأمة: رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد. قال ﷺ: «يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده» والأمة الأم يقال هذه أمة زيد أي أم زيد. والروح أيضاً ورد في القرآن على معان كثيرة فلا نطوّل بايرادها. وكذلك قد

الأمة أي) حسن **(القامة، وأمة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد)** يقال: رجل أمة إذا كان عالم عصره منفردا بعلمه.

(قال ﷺ «يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده»).

قال العراقي: رواه النسائي في الكبرى من حديث زيد بن حارثة وأسماء بنت أبي بكر باسنادين جيدين اهـ.

قلت: ورواه أحمد والطبراني في الكبير من حديث سعيد بن زيد وأبو يعلى، والبغوي، وابن عدي وتمامه من حديث جابر بلفظ: سئل النبي ﷺ عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال «يبعث يوم القيامة أمة وحده بيني وبين عيسى».

(والأمة) لغة في **(الأم يقال هذه أمة زيد أي أم زيد)** نقله أبو علي في البارع **(والروح أيضاً ورد في القرآن لمعان كثيرة، فلا نطول بإيرادها)** فمن ذلك الأمر كقوله تعالى ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ [النحل: ٢] والقرآن كقوله ﴿أوحينا إليك روحاً من أمرنا وأيدهم بروح منه﴾ [الشورى: ٥٢] والحياة كقوله ﴿فروح وريحان﴾ [يوسف: ٤٥] وجبريل عليه السلام كقوله ﴿نزل به الروح الأمين﴾ [الشعراء: ١٩٣] وملك عظيم كقوله ﴿يوم يقوم الروح﴾ [النبأ: ٣٨] وجنس من الملائكة كقوله ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ وروح القـدس كقـولـه ﴿ويسألونك عن الروح﴾ [الإسراء، ٨٥] وأما النظائر التي ذكرناها فالهدى يأتي على سبعة عشر وجهاً بمعنى الثبات والدين والبيان والإيمان والدعاء وبمعنى الرسل والكتب والمعرفة والنبي ﷺ والقرآن والاسترجاع والحجة والتوحيد والإصلاح والإلهام والتوبة والإرشاد.

ومن ذلك الصلاة تأتي على أوجه الصلوات الخمس، وصلاة العصر، وصلاة الجمعة، والجنازة، والدعاء والقراءة، والرحمة، والاستغفار، ومواضع الصلاة.

ومن ذلك السوء يأتي على أوجه الشدة والعقد والزنا والبرص والعذاب والشرك والشتم والضر والقتل والهزيمة.

ومن ذلك الرحمة وردت على أوجه الإسلام والإيمان والجنة والمطر والنعمة والنبوة والقرآن والرزق والنصر والعافية والسعة والمغفرة والعصمة.

ومن ذلك الفتنة وردت على أوجه: الشرك والإضلال والقتل والصد والضلالة والمعذرة والقضاء والإثم والمرض والعبرة والعقوبة والاختبار والعذاب والإحراق والجنون.

ومن ذلك القضاء ورد على أوجه الفراغ والأمر والأجل والفصل والمضي والهلاك والوجوب والإبرام والاعلام والوصية والموت والنزول والخلق والفعل والعهد.

ومن ذلك الذكر ورد على أوجه: ذكر اللسان وذكر القلب والحفظ والطاعة والجزاء والصلوات

يقع الإبهام في الحروف مثل قوله عز وجل: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً ★ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾ [العاديات: ٤، ٥] فالهاء الأولى كناية عن الحوافر، وهي الموريات أي أثرن بالحوافر نقعاً، والثانية كناية عن الإغارة وهي المغيرات صبحاً فوسطن به جمعاً. جمع المشركون فأغاروا بجمعهم. وقوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنا به الماءَ﴾ [الأعراف: ٥٧] يعني السحاب. ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف: ٥٧] يعني الماء، وأمثال هذا في القرآن لا ينحصر.

ومنها: التدريج في البيان كقوله عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ

الخمس والعظمة والبيان والحديث والقرآن والتوراة والشرف والعيب واللوح المحفوظ والثناء والوحي والرسول والصلاة وصلاة الجمعة وصلاة العصر.

ومن ذلك الدعاء ورد على أوجه العبادة والاستعانة والسؤال والقول والنداء والتسمية.

ومن ذلك الإحصان ورد على أوجه: العنت والتزوج والحرية، ولكل ما ذكرنا شواهد من القرآن لا نطول بذكرها.

(وقد يقع الإبهام في الحروف مثل قوله تعالى ﴿فأثرن به نقعاً فوسطن به جمعاً﴾ [العاديات: ٤،٥] فالهاء الأولى كناية عن الحوافر وهي الموريات) قدحاً يعني الخيل تقدم بحوافرها فتوري النار أي **(أثرن بالحوافر نقعاً)** والنقع التراب، **(و)** الهاء **(الثانية كناية عن الإغارة وهي المغيرات)** صبحاً **(وسطن به)** بالإغارة **(جمعاً)** أي جمع المشركين، **(فأغاروا)** عليهم **(بجمعهم)** والمشركون غارون كذا في القوت. ومن غرائب التفسير أن المراد بالجمع هنا مزدلفة نقله الطبري في مناسكه، **(و)** بهذا المعنى **(قوله عز وجل ﴿فأنزلنا به الماء)﴾** [الأعراف: ٥٧] فأخرجنا به من كل الثمرات الهاء الأولى عائدة على السحاب **(يعني)** أنزلنا **(بالسحاب)** الماء وفي قوله **(فاخرجنا به من كل الثمرات)** [الأعراف: ٥٧] مبدل ومكني، فالمكني هو ما ذكرناه من أسماء السحاب **(يعني بالماء)**، والمبدل أريد به معنى منه كقوله ﴿يشرب بها عباد الله﴾ وقال في الصريح المفسر ﴿من المعصرات ماء ثجاجا﴾ [النبأ: ١٤] يعني السحاب فجمع بين اسم السحاب والماء بالهاء فاشكل.

(وأمثال هذا في القرآن لا تنحصر) ومن ذلك قوله ﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ [النحل: ١٠٠] الهاء الأولى المتصلة بيتولون كناية عن إبليس والهاء المتصلة بالباء هي اسم الله تعالى، وقد قيل: انها عائدة على إبليس أيضاً، فيكون المعنى هم به قد أشركوا في التوحيد أي أشركوه بعبادة الله عز وجل، ومن ذلك قوله ﴿واخوانهم يمدونهم في الغي﴾ [الأعراف: ٢٠٢] فضمير اخوانهم المراد به أسماء الشياطين وضمير يمدونهم أسماء المشركين أي الشياطين اخوان المشركين يمدون المشركين في الغي ولا يقصرون عنهم في الإمداد.

(ومنها التدريج في البيان) بالثاني والثالث للخطاب المجمل **(كقوله تعالى ﴿شهر رمضان**

الْقُرْآنُ﴾ [البقرة : ١٨٥] إذ لم يظهر أنه ليل أو نهار ، وبان بقوله عز وجل : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدخان : ٣] ولم يظهر به أي ليلة فظهر بقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر : ١] وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات . فهذا وأمثاله مما لا يغني فيه إلا النقل والسماع ، فالقرآن من أوّله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنه أنزل بلغة العرب ، فكان مشتملاً على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحماً لهم ومعجزاً في حقهم ، فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر إلى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الأمور فهو داخل فيمن فسّر القرآن برأيه . مثل أن يفهم من الأمة المعنى الأشهر منه فيميل طبعه ورأيه إليه ،

الذي أنزل فيه القرآن﴾ [البقرة: ١٨٥] إذ لم يظهر منه) إلا أن القرآن أنزل في شهر رمضان، وهذا هو البيان الأول ولم يفهم **(أنه ليل أو نهار)** أي نهاراً أنزل فيه أو ليلاً **(فبان بقوله ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾)** [الدخان : ٣] أنه أنزل ليلاً وهذا هو البيان الثاني **(ولم يظهر)** منه إلا أنه أنزل في ليلة مباركة، ولم يدر **(أي ليلة هي، فظهر بقوله ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾)** [القدر : ١] وهذا هو البيان الثالث وهو غاية البيان، **(وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات)** وليس كذلك وبمعناه قوله عز وجل ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه﴾ [القصص : ١٤] فهذا البيان الأول زيادة على الأشد فغير مفسر، ثم قال في البيان الثاني حتى إذا بلغ أشده، وبلغ أربعين سنة، ففسر الأشد بالأربعين إذا كانت للمدح والوصف في أحد الوجهين.

(فهذا وأمثاله) في القرآن كثير، وإنما وقع التنبيه بالقليل على الكثير ليستدل بما ذكر على نحوه، ويتطرق به إلى غيره و**(لا يغني فيه إلا النقل والسماع)** والتلقي من أفواه من له أهلية تامة فيه، **(والقرآن من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس لأنه أنزل بلغة العرب)** الذين هم أفضل الخليفة الإنسانية ولغتهم أشرف اللغات، **(فكان مشتملاً على أصناف كلامهم)** ومعاني استعمالهم ووجوه استحسانهم **(من إيجاز)** لفظ **(وتطويل)** البيان **(وإضمار)** لنكتة **(وحذف)** لفائدة، **(وإبدال)** لرعاية **(وتقديم)** لشرف، **(وتأخير)** لتحسين، وكله فصيح بليغ لأن وصف البلاغة عندهم رد الكثير المنشور إلى القليل المجمل وبسط القليل المجمل إلى المثبوت المفسر، **(ليكون ذلك مفحماً)** أي مسكتاً **(لهم)** عند التحدي، **(ومعجزاً في حقهم)** وحجة عليهم من حيث يعقلون لأنه أمرهم فيه بما يعلمون وما يستحسنون حكمة منه ولطفاً، **(فكل من اكتفى)** فيه **(بفهم ظاهر العربية)** من معرفة التجويد والإعراب ولم يترشح بالأدوات والآلات التي تقدم ذكرها **(وبادر الى تفسير القرآن ولم يستظهر)** مع ذلك **(بالسماع)** من أهله، **(والنقل)** الصحيح من الطرق المقبولة **(في هذه الأمور)** التي ذكرت، **(فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه)**، ومثل هذا ولو أصاب فقد أخطأ **(مثل أن يفهم من لفظ الأمة**

فإذا سمعه في موضع آخر مال بوأيه إلى ما سمعه من مشهور معناه، وترك تتبع النقل في كثير معانيه. فهذا ما يمكن أن يكون منهياً عنه دون التفهم لأسرار المعاني ـ كما سبق ـ فإذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ، ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال: وهو أن الله عز وجل قال: ﴿ومَا رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] فظاهر تفسيره واضح وحقيقة معناه غامض، فإنه إثبات للرمي ونفي له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرمِ من وجه ومن الوجه الذي لم يرمِ رمى الله عز وجل. وكذلك قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُم يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بأيديكُم﴾ [التوبة: ١٤] فإذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب وإن كان الله تعالى هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال؟ فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات

المعنى الأشهر منه) وهو اتباع الأنبياء عليهم السلام، **(فيميل طبعه ورأيه إليه)** فيفسره به، **(فإذا سمعه في موضع آخر مال رأيه إلى ما سمعه من مشهور معناه)** الذي جبل عليه ذهنه، **(وترك تتبع النقل في كثير معانيه)** بحسب مواقع الاستعمال، **(فهذا يمكن أن يكون منهياً عنه)** مراداً به في حديث النهي **(دون الفهم لأسرار المعاني كما سبق)** بيانه، **(فإذا حصل السماع بأمثال هذه الأمور علم ظاهر التفسير وهو)** كناية عن **(ترجمة الألفاظ)** وتأدية المعنى الصحيح الحاصل من قوالب الألفاظ مع مراعاة القواعد، **(ولا يكفي ذلك في فهم حقائق المعاني)** بل الفهم فيها للخصوص يشهدون فيها بقدر ما قسم لهم من العقل عنها فهم متفاوتون في الأشهاد والفهوم حسب تفاوتهم في الأنصبة من العقول والعلوم. إذ القرآن عموم وخصوص ومحكم ومتشابه وظاهر وباطن، فعمومه لعموم الخلق وخصوصه لخصوصهم، وظاهره لأهل الظاهر وباطنه لأهل الباطن والله واسع عليم ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾، **(ويدرك الفرق بين حقائق المعاني وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله عز وجل قال)** في كتابه العزيز **﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾** [الأنفال: ١٧] خاطب به نبيه ﷺ، **(فظاهر تفسيره واضح)** حيث نفى الرمي عنه، وأثبت الرمي له جل جلاله إذ كل شيء فتحت حيطة قدرته وأمره، **(وحقيقة معناه غامض)** إذا تأمله المتأمل، **(فإنه إثبات للرمي)** بقوله: ﴿إذ رميت﴾ **(ونفي له)** بقوله ﴿وما رميت﴾ **(وهما)** أي الإثبات والنفي **(متضادان)** أي لا يجتمعان معا **(في الظاهر ما لم يفهم أنه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذي لم يرم رمى الله تعالى)**، فينتفي التضاد حينئذ، **(وكذلك قول الله تعالى ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ [التوبة: ١٤] فإذا كانوا)** أي المؤمنون **(هم المقاتلين)** أي المأمورين بقتالهم **(كيف يكون الله تعالى هو المعذب وإن كان الله تعالى هو المعذب)** كما ثبت في ظاهر الآية، ومعنى بأيديهم أي **(بتحريك أيديهم، فما معنى أمرهم بالقتال)؟** فعند التأمل فيه

لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة. ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف بعد إيضاح أمور كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ ولعل العمر لو أنفق

التناقض، (**فحقيقة هذا يستمد من**) التوغل في (**بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغني عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال**) كلها أولاً (**بالقدرة الحادثة**) التي اتصف بها العبد، (**ويفهم**) ثانياً (**وجه ارتباط**) هذه (**القدرة الحادثة بقدرة الله عز وجل**) على ما سبق تفصيله في شرح كتاب (قواعد العقائد) (**حتى ينكشف بعد إيضاح علوم كثيرة غامضة**) عن افهام أكثر الخلق وهي من علوم المكاشفة (**صدق قوله عز وجل ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾**) وقد ألم المصنف بهذا المبحث في كتابه المقصد الأسنى، وأطال في تصوير المسألة، ونحن نختصر ذلك ونقتصر منه على القدر الذي يناسب سياق الكتاب.

قال: فإن قلت: فما السبيل إلى معرفة الله تعالى؟ فأقول: لو قال لنا صبي أو عنين ما السبيل إلى معرفة لذة الجماع، وإدراك حقيقته؟ قلنا: ههنا سبيلان، أحدهما: نصفه لك حتى تعرفه، والثاني تصبر حتى تظهر فيك غريزة الشهوة، ثم تباشر الجماع حتى تظهر فيك لذته فتعرفه، وهذا السبيل الثاني هو المحقق المفضي إلى حقيقة المعرفة، فأما الأول فلا يفضي إلا إلى توهم الشيء بما لا يشبهه إذ غـايتنا أن نمثل له لذة الجماع عنده بشيء من اللذات التي يدركها العنين كلذة الطعام الحلو مثلاً، أفترى أن هذا يفهم حقيقة لذة الجماع كما هي حتى ينزل من معرفتها منزلة من ذاق تلك اللذة وأدركها هيهات هيهات! إنما غاية هذا الوصف إيهام وتشبيه ومشاركة في الاسم، لكن يقطع التشبيه بأن يقال ﴿ليس كمثله شيء﴾ فهو حي لا كالأحياء قادر لا كالقادرين، كما يقال: الجماع لذيذ كالسكر، ولكن تلك اللذة لا تشبه هذه البتة، ولكن تشاركها في الاسم، وكأنا إذا عرفنا أن الله تعالى حي قادر عالم فلم نعرف أولاً إلا بأنفسنا فإذا قال القائل: كيف يكون الله تعالى عالماً بالأشياء؟ فنقول: كما تعلم أنت أشياء. فإذا قال: كيف يكون قادراً؟ فنقول: كما تقدر أنت فلا يمكنه أن يفهم شيئاً إلا إذا كان فيه ما يناسبه، فيعلم أولاً ما هو متصف به، ثم يعلم غيره بالمناسبة إليه. فهذه معرفة قاصرة يغلب عليها الإيهام والتشبيه، فينبغي أن يقترن بها المعرفة بنفي المشابهة أصلاً، وبنفي أصل المناسبة مع المشاركة في الاسم، ثم أطال في تصوير ذلك.

ثم قال في تفاوت درجات العارفين في المعرفة، إعلم أن للمعرفة سبيلين.

أحدهما: السبيل الحقيقي، وذلك مسدود إلا في حق الله تعالى، فلا يهتز أحد من الخلق لنيله وإدراكه إلا ردته سبحات جلاله إلى الحيرة.

وأما السبيل الثاني: وهو معرفة الصفات والاسماء، فـذلـك مفتـوح للخلـق وفيـه تتفـاوت مراتبهم،ثم أطال في تصوير ذلك إلى أن قال: وهذه المعرفة أعني بطريق الصفات والأسماء لا تكون بالكمال في الحقيقة إلا لله عز وجل، فالحاصل عندنا من قدرة الله تعالى أنه وصف ثمرته وأثره

في استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقضى العمر قبل استيفاء جميع لواحقه. وما من كلمة من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك، وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب، ويكون لكل واحد حد في الترقي إلى درجة

وجود الاشياء، وينطلق عليه اسم القدرة لأنه يناسب قدرتنا مناسبة لذة الجماع بالسكر، وهو بمعزل عن حقيقة تلك القدرة. نعم كلما ازداد العبد احاطة بتفاصيل المقدورات وعجائب الصنائع في ملكوت الأرض والسموات كان حظه من صفة القدرة أوفر، لأن الثمرة تدل على المثمر، وإلى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين، وبه تعرف أن من قال: لا أعرف إلا الله فقد صدق، ومن قال: لا أعرف الله فقد صدق فإنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله، فإذا نظر إلى أفعاله من حيث هي أفعاله، وكان مقصور النظر عليه ولم يرها من حيث أنها سماء وأرض وشجر، بل من حيث انها صنعته فلم تجاوز معرفته حضرة الربوبية فيمكنه أن يقول: ما أعرف إلا الله، ولو تصور شخص لا يرى إلا الشمس ونورها المنتشر في الآفاق يصح أن يقول: ما أرى إلا الشمس فإن النور الفائض منها هو من جملتها ليس خارجاً منها، وكل ما في الوجود نور من أنوار القدرة الأزلية، وأثرمن آثارها، وكما ان الشمس ينبوع النور الفائض على كل مستنير، فكذلك المعنى الذي قصرت العبارة عنه فعبر عنه بالقدرة الازلية للضرورة هو ينبوع الوجود الفائض على كل موجود، فليس في الوجود إلا الله تعالى، فيجوز أن يقول العارف: ما أعرف إلا الله تعالى. ومن العجائب أن يقول: لا أعرف إلا الله تعالى ويكون صادقاً، ويقول: لا أعرف الله ويكون أيضاً صادقاً، ولكن ذلك بوجه وهذا بوجه، ولو كذبت المتناقضات، إذا اختلف وجود الاعتبارات لما صدق قوله تعالى ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ ولكنه صادق لأن للرمي اعتبارين وهو منسوب إلى العبد بأحدهما ومنسوب إلى الرب بالثاني، ولا تناقض فيه. ولنقبض عنان الكلام فقد خضنا لجة بحر لا ساحل له، وأمثال هذه الأسرار لا ينبغي أن تبذل بايداع الكتب، والله اعلم.

(ولعل العمر لو أنفق) أي صرفت مدته **(في استكشاف أسرار هذا المعنى)** الذي ذكر، **(وما يرتبط بمقدماته ولواحقه)** التي منها معرفة درجات الكمال، ثم معرفة الرغبة في طلبه كيف يكون معرفة تماثل الضدين، ومعرفة ان واجب الوجود هل يرجع معناه إلى سلب السبب عنه أو إلى إضافة الافعال إليه، وما نهاية معرفة العارفين، وكيف تفاوت درجاتهم، وهل معرفته بالصفات معرفة تامة حقيقية أم لا وغير ذلك من العلوم التي تتعلق به، **(لانقطع قبل استيفاء جميع لواحقه)** لكثرتها وصعوبتها، **(وما من كلمة من)** كلمات **(القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك)** لما سبق ان لكل كلمة من كلماته أربعة علوم، **(وإنما ينكشف للراغبين في العلم)** الإلهي النافع المعرضين عن علوم الدنيا **(من أسراره)** وحقائقه ومعانيه **(بقدر غزارة علومهم)** أي كثرتها **(وصفاء قلوبهم)** بانوار اليقين، **(وتوفر دواعيهم على التدبر)** في معانيه **(وتجردهم للطلب)** أي للسلوك، وكذا تجرد الهم من تعلق بخلق وخلو النفس من الهوى

أعلى منه، فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مداداً والأشجار أقلاماً فأسرار كلمات الله لا نهاية لها، فتنفد الأبحر قبل أن تنفد كلمات الله عز وجل، فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه، ومثاله: فهم بعض أرباب القلوب من قوله ﷺ في سجوده: «أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء

فأولئك يشهدهم تلك المعاني من علو مقامهم في مكان ما أظهر لهم من العلم به ونصيب ما قسم لهم من العقل منه، (**ويكون لكل واحد حد في الترقي إلى درجة منه**) فهم متفاوتون في الاشهاد والفهوم حسب تفاوتهم في الأنصبة من العقول والعلوم.

(**فأما الاستيفاء فلا مطمع فيه**) لأحد (**ولو كان البحر مداداً**) لكتابته (**والأشجار أقلاماً**) تبرى كما تبرى الاقلام يستمد بها على الكتابة، (**فأسرار كلمات الله لا نهاية لها**) ومنها معلوماته ومقدوراته لا نهاية لها (**فتنفد**) أي تفنى (**الأبحر**) الممدة للكتابة (**قبل أن تنفد كلمات الله عز وجل**)، وهذا الكلام مضمن قوله تعالى ﴿قل لو كان البحر مداداً﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية وقد سبق ذلك، (**فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم**) على قدر تفاوتهم في المعرفة (**بعد الاشتراك في ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه**) أي لا بدّ من تحصيله أوّلاً وإلا كان عاجزاً.

(**ومثاله: فهم بعض أرباب القلوب من قوله ﷺ في سجوده**) فيما رواه الستة إلا البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو بالمسجد وهما منصوبتان وهو يقول «اللهم إني (**أعوذ برضاك من سخطك**) أي بما يرضيك عما يسخطك، (**وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك**) استعاذ بمعافاته بعد استعاذته برضاه لأنه يحتمل أن يرضى عنه من جهة حقوقه ويعاقبه على حقوق غيره، (**وأعوذ بك منك**) أي برحمتك من عقوبتك. فإن ما يستعاذ منه عن مشيئته وخلقه بإذنه وقضائه، فهو الذي سبب الأسباب التي يستعاذ منها خلقاً وكوناً، وهو الذي يعيذ منها ويدفع شرها خلقاً وكوناً فمنه السبب والمسبب وهو الذي حرك الانفس والأبدان وأعطاها قوى التأثير، وهو الذي أوجدها وأمرها وهو الذي يمسكها إذا شاء ويحول بينها وبين قواها وتأثيرها، فتأمل ما تحت قوله: هذا من محض التوحيد وقطع الالتفات إلى غيره وتكميل التوكل عليه وافراده بالاستعاذة وغيرها. (**لا أحصي**) أي لا أطيق (**ثناء عليك**) في مقابلة نعمة واحدة من نعمك. والغرض منه الاعتراف بتقصيره عن اداء ما وجب عليه من حق الثناء عليه تعالى (**أنت كما أثنيت على نفسك** ») وهذا اعتراف بالعجز عن التفصيل فوكله إلى الله سبحانه، وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه. هذا الذي ذكرناه هو تفسير أهل الظاهر ذكره القاضي أبو بكر بن العربي وغيره من العلماء.

عليك أنت كما أثنيت على نفسك » أنه قيل له: اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض، فإن الرضا والسخط وصفان، ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقي إلى الذات فقال: « أعوذ بك منك » ثم زاد قربه بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله: « لا أحصي ثناء عليك » . ثم علم أن ذلك قصور فقال: « أنت كما أثنيت على نفسك » . فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب ثم لها أغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب. واختصاصه

وأما فهم بعض أرباب القلوب من هذا الدعاء (**انه قيل له**) ﷺ في خطاب الله عز وجل إليه: ﴿ كلا لا تطعه و(**اسجد واقترب**﴾) فعلم منه أن السجود محل القربة من الله تعالى لأنه تنزيه بما يستحقه الله تعالى من العلوّ والرفعة عن صفات المحدثين وتحقيق بما عليه العبد من الذل والاستكانة، (**فوجد القرب في السجود**) ولذا قال لمن سأله القرب منه أعني بكثرة السجود، (**فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض، فإن الرضا والسخط وصفان**) منبثان عن مشاهدة الأفعال ومصادرها منه تعالى فقط، فكانه لم ير إلا الله فقط وأفعاله، (**ثم**) لما رأى ذلك نقصاً في التوحيد (**زاد قربه**) فاندرج القرب الأول فيه (**فرقي**) من مقام مشاهدة الصفات (**إلى**) مقام مشاهدة (**الذات فقال: « اعوذ بك منك »**) وهذا فرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة بل رأى نفسه فاراً منه إليه ففني عن مشاهدة نفسه، (**ثم زاد قربه**) فاندرج القرب الثاني فيه (**بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فاثنى بقوله « لا أحصي ثناء عليك »**) فاخبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدة غيره، (**ثم علم أن ذلك قصور فقال « أنت كما أثنيت على نفسك »**) فأخبر أنه المثني والمثنى عليه، وان الكل منه بدأ واليه يعود وكل شيء هالك إلا وجهه، فكان أول مقامه نهاية مقام الموحدين وهو أن لا يرى إلا الله وأفعاله هذا ما فهم البعض المذكور، وفسرنا كلامه من جنس كلامه الموافق لذوقه الذي ذاقه، وصرح به المصنف في مواضع من مصنفاته بعبارات مختلفة تؤول إلى هذا الذي ذكرته هنا.

ومن ذلك قال المصنف في المقصد الاسنى: نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة أنهم لا يعرفونه، وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالى، فإذا انكشف لهم ذلك انكشافاً برهانياً فقد عرفوه أي بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته وهو الذي عناه رسول الله ﷺ حيث قال « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » ولم يرد به، أنه عرف منه ما لا يطاوعه لسانه في العبارة عنه، بل معناه إني لا أحيط بمحامدك وصفات إلهيتك، وإنما أنت المحيط بها وحدك، فإذاً لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته إلا بالحيرة والدهشة.

وأما اتساع المعرفة فإنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته، (**فهذا خاطر يفتح لارباب القلوب**) المنورة والبصائر المقدسة، (**ثم لها أغوار وراء هذا**) الذي ذكر، (**وهو فهم معنى**

بالسجود. ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به، وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضاً لظاهر التفسير، بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره. فهذا ما نورده لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم.

القرب) الأول واندراجه في الثاني واندراج القرب الثاني في الثالث، **(واختصاصه بالسجود)** دون غيره، **(ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة، و)** كذا معنى الاستعاذة **(منه به)** ومعنى الفرار منه إليه، **(وأسرار ذلك كثيرة. ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه)**.

وقد أشار إلى شيء من ذلك الشيخ الاكبر قدس سره في كتاب الشريعة إن العارف إذا تعوذ ينظر الحال الذي أوجب له التعوذ، وينظر إلى حقيقة ما يتعوذ به، وينظر إلى ما ينبغي أن يعاذ به فيتعوّذ بحسب ذلك، فمن غلب عليه في حاله أن كل شيء يستعاذ منه بيد سيده، وأنه في نفسه عبد محل التصريف والتقليب استعاذ من سيده بسيده، وهو قوله ﷺ « وأعوذ بك منك »وهذه استعاذة التوحيد يستعيذ به من الاتحاد قال تعالى ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان: ٤٩] وقال ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ [غافر: ٣٥] وقال « الكبرياء ردائي والعظمة ازاري من نازعني فيهما قصمته » ومن نزل عن هذه الدرجة في الاستعاذة استعاذ مما لا يلائم بما يلائم فعلاً كان أو صفة هذه قضية كلية، والحال يعين القضايا والحكم يكون بحسبها.

ورد في الخبر « اعوذ برضاك من سخطك » فقد خرج العبد هنا عن حظ نفسه بإقامة حرمة محبوبة، فهذا لله ثم الذي لنفسه من هذا الباب قوله« وبمعافاتك من عقوبتك »فهذا في حظ نفسه وأي المرتبتين أعلى في ذلك نظر، فمن نظر إلى مايقتضيه جلال الله من أنه لا يبلغه ممكن أي ليس في حقيقة الممكن قبول ما ينبغي لجلال الله من التعظيم، وان ذلك محال في نفس الأمر لم ير إلا أن يكون في حظ نفسه، فإن ذلك عائد عليه، ومن نظر في قوله ﴿ إلا ليعبدون﴾ قال ما يلزمني من حق ربي إلا ما تبلغه قوتي، فأنا لا أعمل إلا في حق ربي لا في حق نفسي، فشرع الشارع الاستعاذتين لهذين الشخصين، ومن رأى ان وجوده هو وجود ربه إذ لم يكن له من حيث هو وجود قال: « أعوذ بك منك » وهي المرتبة الثالثة، وثبت في هذه المرتبة عين العبد. والله اعلم.

(وليس هو مناقضاً لظاهر التفسير، بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه) وخالصه **(عن ظاهره، فهذا ما نريده بفهم المعاني)** الباطنة **(لا ما يناقض الظاهر والله أعلم)**.

وذكر الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له، ودلت عليه في عرف اللسان، وثم افهام باطنة تفهم عند الآية. والحديث لمن فتح الله قلبه، وقد جاء في الحديث « لكل آية ظهر وبطن » فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول ذو جدل ومعارضة: هذا احالة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ، فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا: لا معنى للآية إلا هذا وهم لم يقولوا ذلك بل يقولون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها ويفهمون عن الله ما أفهم اهـ.

خاتمة:

في بيان طبقات المفسرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم رضي الله عنهم قصدت التبرك بذكر أسمائهم.

اعلم انه اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة. الخلفاء الاربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي ابن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير فأما الخلفاء فأكثرهم رواية رابعهم والرواية عن الثلاثة نزرة جداً، وكان السبب في ذلك تقدم وفاتهم، كما أن ذلك هو السبب في قلة رواية أبي بكر رضي الله عنه للحديث.

وأما ابن عباس فقد سماه ﷺ «ترجمان القرآن» رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الدلائل، وقد روى عنه في التفسير جماعة من طرق مختلفة أجودها طريق علي بن أبي طلحة عنه، وله صحيفة كانت عند أبي صالح كاتب الليث رواها عن معاوية بن صالح عنه، وهي عند البخاري عن أبي صالح، وقد اعتمد عليها في صحيحه كثيراً فيما يعلقه عن ابن عباس، وأخرج منها ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر كثير بوسائط بينهم، وبين أبي صالح.

ومن جيد الطرق عن ابن عباس طريق قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه وهي صحيحة على شرط الشيخين، وكثيراً ما يخرج منها الفريابي والحاكم في المستدرك، ومن ذلك طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة أو هو وسعيد بن جبير عنه هكذا بالترديد وهي جيدة واسنادها حسن، وقد أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم كثيراً، وفي معجم الطبراني الكبير منها أشياء.

وأوهى طرقه طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان الصغير فهي سلسلة الكذب، وكثيراً ما يخرج منها الشعبي والواحدي وبعده مقاتل بن سليمان، وقد تكلم فيه. وطريق الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس منقطعة، فإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبي روق عنه، فهي ضعيفة لضعف بشر، وقد أخرج من هذه كثيراً ابن جرير وابن أبي حاتم، وان كان من رواية جويبر عن الضحاك فأشد ضعفاً لأن جويبراً متروك، وقد أخرج منها ابن مردويه، وأبو الشيخ من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ضعيفة لضعف العوفي، لكن ربما حسن له الترمذي.

ومن المبرزين في التفسير مجاهد. عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة، واعتمد عليه الشافعي والبخاري وغيرهما، ومنهم سعيد بن جبير وكان أعلمهم بالتفسير، ومنهم عكرمة وكان أعلمهم بكتاب الله، ومنهم الحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني، ومحمد بن كعب القرظي، وقتادة، وزيد بن أسلم، ومرة، وأبو مالك، والربيع بن أنس، فهؤلاء قدماء المفسرين.

وبعد هذه الطبقة ألفت تفاسير جمعت أقوال الصحابة والتابعين، كتفسير سفيان بن عيينة،

ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هرون، وعبد الرزاق، وآدم بن أبي إياس، وإسحاق بن راهويه، وروح بن عبادة، وعبد بن حميد، وأبي بكر بن أبي شيبة وآخرين. وبعدهم تفسير ابن جرير الطبري، وهو أجل التفاسير وأعظمها، ثم ابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، ثم ابن أبي الشيخ، وابن المنذر في آخرين وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين واتباعهم، وليس فيها غير ذلك إلا ابن جرير فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوقها بذلك.

ثم ألف التفسير جماعة فاختصروا الاسانيد ونقلوا الأقوال بتراء فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من يسنح له قول يورده ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظاناً ان له أصلاً غير ملتفت إلى تحرير ما روي فيه عن السلف الصالح، حتى أن بعضهم حكى في تفسير قوله تعالى ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ نحو عشرة أقوال. وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم، حتى قال ابن أبي حاتم لا أعلم في ذلك اختلافاً بين المفسرين، ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم، فمنهم المقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه كالزجاج والواحدي في البسيط وأبي حيان في البحر والنهر والسمين، وغيرهم اقتصروا في تفاسيرهم على الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه ونقلوا فيها قواعد النحو ومسائله وخلافياته، وكالثعلبي ليس له في تفسيره إلا القصص والاخبار عمن سلف، سواء كانت صحيحة أو باطلة، وكالقرطبي سرد في تفسيره الفقه من الطهارة إلى أمهات الاولاد، وربما استطرد فيه إلى اقامة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية أصلاً والجواب عن حجج المخالفين. وكالفخر الرازي ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وتتبعها حتى خرج من شيء إلى شيء يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية ولذلك قال بعض العلماء: فيه كل شيء إلا التفسير.

وأما المبتدع فليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها إلى مذهبه الباطل بحيث أنه متى لاح له شاردة من بعيد اقتنصها أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال سارع إليه. ومنهم صاحب الكشاف فقد حشا في تضاعيف تفسيره مذاهب الاعتزال وحسنها وتحامل على أهل السنة، وجعل الأحاديث المرفوعة مرفوعة تنكيتاً على أهل الحديث، فلا تسأل عن الحاده وافترائه على الله ما لم يقله.

وأما بعد هؤلاء فارتفع القيد أصلاً ومالت الناس إلى الاختصار وأبطلوا الاسناد، وفسروا بوجوه المعقولات، ولم يبالوا صحت أو فسدت فأحسن التفاسير على الإطلاق تفسير ابن جرير وهو البحر الذي لا غاية بعده لطالب علم إذ لم يؤلف في قبيله مثله.

وقد انتهى بنا القول فيما أردناه من شرح كتاب أسرار تلاوة القرآن، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والشكر له على توفيقه لما فيه رضاه على أحسن الحالات، وأسأله سبحانه ان يمن عليّ

تم كتاب آداب التلاوة والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين ـ وعلى آل محمد وصحبه وسلم. يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأذكار والدعوات والله المستعان لا رب سواه.

وعلى سائر المسلمين بكشف كربي وتفريج همـي وان يشفـي مـريضي ويحسـن عـواقـب الجميـع بحرمة حبيبه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته والتابعين لهم باحسان. وسلم.

وقد فرغ من تحريره وتهذيبه مع تشتيت البال واختلال الاحوال صبيحة يوم
الجمعة المباركة لأربع بقين من شهر ربيع الثاني من شهور
سنة ١١٩٨بمنزله بسويقة لا لا مؤلفه العبد المضطر
أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني أصلح
الله خلله وتقبل عمله وبلغه أمله
آمين حامداً لله ومصلياً
ومسلماً ومستغفراً
وحسبنا الله ونعم
الوكيل.

كتاب الأذكار والدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر الحمد لله مستحق الحمد حتى لا انقطاع، ومستوجب الشكر بأقصى ما يستطاع، الذي لا يستفتح بأفضل إسمه كلام، ولا يستنجح بأحسن من صنعه مرام، الوهـاب المنـان، الرحيم الرحمن، المدعـو بكـل لسـان، المرجـو للعفـو والإحسان، الذي لا خير إلا منه، ولا فضل إلا من لدنه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الجميل العوائد، الجزيل الفوائد، أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، عالم الغيوب مفرج الكروب، مجيب دعوة المضطر المكروب، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، الوافي عهده، الصادق وعده، ذو الأخلاق الطاهرة، المؤيد بالمعجزات الظاهرة، والبراهين الباهرة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وتابعيه وأحزابه، صلاة تشرق إشراق البدور وتتردّد تردد أنفاس الصدور ،وسلم وكرم، وشرف وعظم.

أما بعد؛ فهذا شرح **(كتاب الأذكار والدعوات)** وهو التاسع من الربع الأول من الإحياء للإمام الهمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي تغمده الله بالرحمة الشاملة، والمغفرة الكاملة سلكت شعابه، ورضت صعابه، فكم من مشكل قد اعربت عنه، وبينت ما أبهم منه، وهذبت فوائده أحسن تهذيب، وأوضحت مروياته على أجمل ترتيب، بتحرير ما ينبغي تحريره، وتقرير ما يقتضي تقريره إحكاماً للقواعد، وإجراء على جميل العوائد، حتى وضح سبيله للواردين، وراق زلاله للشاربين، هذا مع ما أنا فيه من اختلاف الأحوال، وتشتيت البال، وتـواتـر الأنكـاد والأهـوال، وكدورات تفرق الأوصال، وأشغال تحجب الخواطر عن الأعمال، متوسلاً بيمين جاه مؤلفه إلى المولى اللطيف، أن يمن علينا بالعفو والعافية والنجدة من كل مخيف.

عسى الكـرب الذي أمسيـت فيـه ... يكـون وراءه فـرج قـريـب

إنه على فرجه قدير، وبما أملته جدير.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(بسم الله الرحمن الرحيم)** إمام كتابه ومقدمة خطابه مضمراً فيه فعلاً من الحمد يقول: لا يثنى على الله إلا بأسمائه الحسنى وهي هنا ثلاثة: الإسم الله وهو الجامع ودلالته على الذات المجردة على الإطلاق لا من حيث هي بنفسها من غير نسبة،ولكون الإسم الله غير مشتق لا يتوهم في البسملة إشتقاق، ولهذا سميت بها وهو الإسم مع الله، والرحمن الرحيم لا من

الحمد لله الشاملة رأفته العامة رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره، فقال تعالى: ﴿فاذْكُروني أذكرْكم﴾ [البقرة: ١٥٢] ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره فقال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر: ٦٠] فاطمع المطيع والعاصي والداني

حيث المرحومين ولا من حيث تعلق الرحمة، بل من حيث ما هي صفة له جل جلاله، فإنه ليس لغير الله ذكر في البسملة، ومهما ورد إسم الإله لا يتقدمه كون ولا يتأخره كون فإن ذلك الإسم ينظر فيه العارف من حيث دلالته على الذات لا من حيث الصفة المعقولة منه ولا من حيث ما يطلبه الكون.

(**الحمد لله**) أي عواقب الثناء ترجع إليه سبحانه أي بكل ثناء يثنى به على كون من الأكوان دون الله تعالى فعاقبته إليه بطريقين.

إحداهما: إن الثناء على الكون إنما يكون بما هو عليه ذلك الكون من الصفات المحمودة، أو بما يكون منه وعلى أي وجه كان، فإن ذلك راجع إلى الله تعالى إذ كان الله هو الموجد لتلك الصفة، ولذلك الفعل لا للكون فعاقبة الثناء عادت إلى الله تعالى.

والثانية: أن ينظر العارف فيرى أن وجود الممكنات المستفاد إنما هو عن ظهور الحق فيها فهو متعلق الثناء لا الأكوان، ثم أنه ينظر في موضع اللام من قوله: «لله» فيرى أن الحامد عين المحمود لا غيره فهو الحامد المحمود، وينفي الحمد عن الكون من كونه حامداً وبقي كون الكون محموداً، فالكون من وجه محمود لا حامد، ومن وجه لا حامد ولا محمود. أما كونه غير حامد فقد بيناه أن الفعل لله، وأما كونه غير محمود فإنما يحمد المحمود بما هو له لا بما هو لغيره والكون لا شيء له فما هو محمود أصلاً، كما ورد في الخبر المتشبع بما لا يملك كلابس ثوبي زور، (**الشاملة رأفته العامة رحمته**) الشمول والعموم بمعنى واحد وهو الإكثار وإيصال الشيء إلى جماعة قاله أبو البقاء. وقال غيره: هو إحاطة الأفراد دفعة والرأفة عطف العاطف على من يجد عنده منه وصلة، فهي رحمة وفي الصلة بالرحم والرحمة تعم من لا صلة له بالرحم، والمرؤف به تقيمه الرأفة حتى تحفظ بمسراه في سره ظهور ما يستدعي العلو، وتارة يكون هذا الحفظ بالقوة بنصب الأدلة، وتارة يضم إلى ذلك الفعل بخلق الهداية في القلب وهذا خاص بمن له بالنعم نوع وصلة والرحمة نحلة ما يوافي المرحوم في ظاهره وباطنه. أدناه كشف الضر وكشف الأذى، وأعلاه الإختصاص برفع الحجاب.

وقال المصنف في المقصد الأسنى: عموم الرحمة من حيث تشمل المستحق وغير المستحق وعم الدنيا والآخرة وتناول الضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنها (**الذي جازى عباده**) أي عاملهم بالجزاء (**عن ذكرهم**) له بالقلب أو باللسان (**بذكره، فقال تعالى: ﴿اذكروني أذكركم﴾** . وفي الخبر: إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه فذكره لنا منوط بذكرنا له، (**ورغبهم في السؤال والدعاء**) والطلب والتضرع (**بأمره، فقال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾**) وجاءت الأحاديث الصحيحة بالحث عليه سيأتي

والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأماني بقوله: ﴿فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني﴾ [البقرة: ١٨٦] والصلاة على محمد سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى. فلا بدّ من شرح فضيلة الذكر

ذكرها في فضيلة الدعاء، (**فأطمع المطيع والعاصي والقاصي**) هو البعيد (**والداني**) هو القريب (**في الإنبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأماني**) جمع أمنية وهي كل ما يتمناه الإنسان، (**بقوله**) جل وعز ﴿وإذا سألك عبادي عني (**فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني**)﴾[البقرة: ١٨٦]وفي الآية إشعار بالإستجابة، وفيها لطائف سيأتي ذكرها في فضيلة الدعاء، (**والصلاة**)التامة الكاملة (**على محمد سيد أنبيائه**) أي رئيسهم إن خلقا وإن خلقا (**وعلى آله وصحبه خيرة أصفيائه**) يقال: رجل خير ككيس ذو خير، وقوم أخيار وخيرة والأصفياء جمع صفي وهو المختار، والمعنى أن آله وأصحابه هم المختارون لصحبته وهم ذوو الخير والفضل والمجد، أو خيار المختارين الذين اصطفاهم الله تعالى لمحبته وعشرته (**وسلم**) تسليماً (**كثيراً**).

(**أما بعد؛ فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل**) ودراسته (**عبادة**) تعبدنا الله بها (**تؤدى باللسان**) وبالجنان أيضاً (**أفضل من ذكر الله تعالى و**) لا أعظم من (**رفع الحاجات إليه بالأدعية الخالصة**) وهي التي تكون بإخلاص قلب وإمحاض نية (**إلى الله تعالى**) خاصة لما فيها من إظهار عز الربوبية من ذل العبودية، وبها تحصل السعادة الأبدية والحياة السرمدية وهي الوصلة إلى الجنان والوسيلة إلى النظر والرضوان، ويحصل للداعي ما لا يحصل بغيره من العبادات لأن انتفاعه بفعله العبادات، ونفع الدعاء يقع في الحياة والمات فيكون الوالد لولده حياً وميتاً، وكذا الولد لوالده والحبيب لحبيبه والقريب للبعيد والبعيد للقريب وهو مظنة بالإجابة بدليل تأمين الملك.

وقوله: ولك مثله مع سهولة الدعاء وعدم تقيده بمكان ولا زمان، والدعاء واصل للمدعو له بإجماع، وكذا الصدقة عن الميت بخلاف غيره من العبادات ففي وصولها إليه خلاف، وفي قوله ﷺ: «الدعاء مخ العبادة» ولم يرد ذلك في غيره من العبادات لطيفة، وهو أنه لما كان المخ من أعضاء الحيوان هو المغذي لها والمقوم لاستدامة بقائها شبه الدعاء به، لأنه يعمل هذا العمل ووجه تخصيصه بذلك من دون سائر العبادات اشتماله على حضور قلبي لا يوجد في غيره، فإن من تعبد بالصلاة أو الصوم أو الحج وغيرها يغلب عليه فيها الغفلة، فإذا دعا استدعى ذلك منه مزيد حضور في قلبه ذلك الحضور هو رفع العبادة، فلذا جاء التخصيص ويؤخذ منه تفضيل الداعي على العابد، وذلك لما فيه مع الحضور من التذلل وإظهار الفاقة وذل العبودية وعز الربوبية، فكل داع

على الجملة ثم على التفصيل في أعيان الأذكار. وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها. ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة.

الباب الأوّل: في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلاً.

الباب الثاني: في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله ﷺ.

الباب الثالث: في أدعية مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها.

الباب الرابع: في أدعية منتخبة محذوفة الاسناد من الادعية المأثورة.

الباب الخامس: في الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث.

عابد ولا ينعكس، والدعاء دأب الأنبياء عليهم السلام ومفزعهم في الشدائد على ما أخبر تعالى في سورة الأنبياء وغيرها بقوله: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً﴾ [الأنبياء: ٩٠] فنبه على علة الإجابة لدعائهم وأنها ثواب لهم بطاعتهم وتعجيلها جزاء لمسارعتهم إلى ما كلفوا به، وفي ذلك حث على الطاعة، (**فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة**) أي إجمالاً، (**ثم على التفصيل في أعيان الأذكار. وشرح فضيلة الدعاء**) ومطلوبيته وأفضليته (**وشروطه وآدابه ونقل المأثور**) أي المروي (**من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا**) من جوامع الكلم الشريفة (**والدعوات الخالصة لسؤال المغفرة والإستعاذة وغيرها، ويتحرر المقصود من ذلك**) كله (**بذكر أبواب خمسة**).

(**الباب الأول: في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلاً**).

(**الباب الثاني: في فضيلة الدعاء وآدابه**) وشروطه (**وفضيلة الإستغفار و**) فضيلة (**الصلاة على رسول الله ﷺ**).

(**الباب الثالث: في أدعية مأثورة**) أي منقولة عن السلف (**ومعزية**) أي منسوبة (**إلى أصحابها وأسبابها**).

(**الباب الرابع: في**) ذكر (**أدعية منتخبة**) مختارة (**محذوفة الإسناد**) وفي نسخة الأسانيد (**من الأدعية المأثورة**) عن النبي ﷺ.

(**الباب الخامس: في**) ذكر (**الأدعية المأثورة**) المروية المرفوعة (**عند حدوث الحوادث**) من نوائب الدهر.

الباب الأوّل

في فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والاخبار والآثار

ويدل على فضيلة الذكر في الجملة (من الآيات) قوله سبحانه وتعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] قال ثابت البناني رحمه الله: إني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل ففزعوا منه وقالوا: كيف تعلم ذلك؟ فقال: إذا ذكرته ذكرني. وقال تعالى: ﴿اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ [الأحزاب: ٤١]، وقال تعالى: ﴿فإذا أفضتُم مِنْ عرفاتَ فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقال عز وجل: ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد

الباب الأول

في فضيلة الذكر على الجملة

(**والتفصيل من الآيات**) القرآنية (**والأخبار**) النبوية (**والآثار**) السلفية، (**ويدل على فضيلة الذكر على الجملة**) أي إجمالاً (**من الآيات قوله تعالى: ﴿اذكروني أذكركم﴾**) أي استحضروا جلالي وعظمتي في قلوبكم أذكركم بالألطاف والإحسان. (**وقال ثابت**) أبو محمد (**البناني**) بضم الموحدة وتخفيف النون التابعي الجليل: (**إني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل ففزعوا منه وقالوا: كيف تعلم ذلك؟ فقال: إذا ذكرته ذكرني**) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا بكر بن محمد، حدثنا جعفر، حدثنا ثابت البناني عن رجل من العباد قال يوماً لأخوانه: إني لأعلم حين يذكرني ربي تعالى قال: ففزعوا من ذلك وقالوا: تعلم حين يذكرك ربك عز وجل؟ قال: نعم. قالوا: ومتى؟ قال: إذا ذكرته ذكرني. قال: وإني أعلم حين يستجيب ربي تعالى قال: فعجبوا من قوله. قالوا: تعلم حين يستجيب لك ربك تعالى؟ قال: نعم. قالوا: فكيف تعلم ذلك؟ قال: إذا وجل قلبي واقشعر جلدي وفاضت عيني وفتح لي في الدعاء فثم أعلم أن قد استجيب لي فسكتوا.

(**وقال تعالى: ﴿اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ وقال تعالى: ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عندالمشعر الحرام واذكروه كما هداكم﴾ الآية. وقال عز وجل: ﴿فإذاقضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً﴾**) ولم يقل أبناءكم لأن ذكر الإنسان

ذكراً﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقال تعالى: ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ [النساء: ١٠٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية. وقال تعالى في ذم المنافقين: ﴿ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال عز وجل: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: له وجهان. أحدهما: أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه، والآخر إن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه. إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الأخبار: فقد قال رسول الله ﷺ: «ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء

آباءه إنما يكون بالتعظيم، وذكر ابنه بالشفقة واللائق بحضرة الله التعظيم وفيه إشارة إلى استحضار الوحدانية لأن الابن لو انتسب إلى غير أبيه لاستنكف. **(وقال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾) (وقال عز وجل: ﴿فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾)** أي: فدوموا على الذكر في جميع الأحوال.

(قال ابن عباس رضي الله عنه) في تفسير هذه الآية **(أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية)** وهو تفسير للمداومة على الذكر في الأحوال كلها، وقيل: المعنى إذا أردتم أداء الصلاة واشتد الخوف فصلوها كيفما أمكنكم قياماً مقارعين وقعوداً مرامين وعلى جنوبكم منحنين.

(وقال تعالى في ذم المنافقين: ﴿ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ وقال عز وجل: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ وقال تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه) في تفسير هذه الآية: **(له وجهان. أحدهما: أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه)** فيكون التقدير ولذكر الله إياكم أكبر وأعظم، **(والآخر: إن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه)** فيكون التقدير: ولذكر العبد الله تعالى أكبر من سائر العبادات **(إلى غير ذلك من الآيات)** الدالات على فضيلة الذكر.

(وأما الأخبار) الواردة فيها؛ **(فقد قال رسول الله ﷺ: «ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم»)** قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقالا: في وسط الشجرة الحديث اهـ.

في وسط الهشيم ». وقال ﷺ : « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين ». وقال ﷺ : « يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه بي »، وقال ﷺ : « ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل، قالوا : يا رسول

قلت: المذكور هنا قطعة من الحديث، ولفظه: « ذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن الفارين، وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم، وذاكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي تحات من الصرير، وذاكر الله في الغافلين يغفر له بعدد كل فصيح وعجم، وذاكر الله في الغافلين يعرفه الله عز وجل مقعده من الجنة ».

وقول العراقي: بسند ضعيف أي لأن فيه عمران بن مسلم القصير قال في الميزان، قال البخاري: منكر الحديث، ثم أورد له هذا الحديث، ولكن ذكر السيوطي في الجامع الكبير أنه رواه ابن صصري في أماليه، وابن شاهين في الترغيب في الذكر وقال: حديث صحيح الإسناد حسن المتن غريب الألفاظ اهـ.

والهشيم: اليابس المنكسر من النبات. قال الطيبي: شبه الذاكر كشجرة خضراء لها منظر بين الأشجار سقياها من فيض العطوف الغفار فهي رطبة بذكره لينة بفضـله وأهل الغفلة بأشجار جفت فسقط ورقها ويبست أغصانها لأن حريق الشهوة أصابهم، فذهب ثمار القلوب وهي طاعة الأركان، وذهبت طلاوة الوجوه وسمتها وسكون النفس وهديها، فلم يبق ثمر ولا ورق وما بقي من الثمر فمر أو حنولا طعم له كدر اللون عاقبته التخمة فهي أشجار هذه الصفة.

(وقال ﷺ : « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين ») هكذا في سائر نسخ الكتاب، ولم يتعرض له العراقي، وكأنه لم يكن عنده. وفي نسخة أخرى: « كالحي بين الأموات » وهو قطعة من حديث ابن عمر عند الجماعة، وهو الذي تقدم قبله بلفظ: « مثل الذي يقاتل عن الفارين ». وعند الطبراني في المعجم الكبير من حديث ابن مسعود: « ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين ». وعند البيهقي في السنن من حديث ابن عمر في إحدى رواياته: « كالمقاتل عن الفارين » الحديث.

(وقال ﷺ : « يقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه ») قال العراقي: رواه ابن ماجة، وابن حبان من حديث أبي هريرة، والحاكم من حديث أبي الدرداء وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: وعلقه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة بصيغة الجزم، ورواه ابن حبان أيضاً من حديث أبي الدرداء، وابن عساكر عن أبي هريرة وعند مسلم: « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني » الحديث بطوله.

(وقال ﷺ : « ما عمل ابن آدم) وفي رواية: « آدمي » **(من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله »)** رواه أحمد عن معاذ بن جبل. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح إلا أن زياد بن أبي زياد راويه لم يدرك معاذاً أي: فهو منقطع.

الله: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع». وقال ﷺ: «من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل» وسئل رسول الله ﷺ: أيّ الأعمال أفضل؟ فقال: «أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل». وقال ﷺ: «أصبح

قلت: زياد بن أبي زياد إنما رواه عن أبي بحرية عن معاذ، فعلى هذا لا انقطاع إلا أنه رواه موقوفا ورواه مالك عن الموطأ عن زياد عن معاذ موقوفاً، ولم يذكر أبا بحرية، واسمه عبدالله بن قس شامي ثقة تابعي. وأما المرفوع: فرواه عثمان بن أبي شيبة من طريق أبي الزبير، عن طاوس، عن معاذ وهو منقطع أيضاً لأن طاوساً لم يلق معاذاً.

وقد روينا في هذا الحديث زيادة وهي قوله: (**«قالوا يا رسول الله: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع»**) وهكذا رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، والطبراني من حديث معاذ بإسناد حسن. قال الهيثمي: وقد رواه الطبراني أيضاً عن جابر مثله بسند رجاله رجال الصحيح، ورواه الفريابي كذلك في كتاب الذكر عن أبي خالد الأحمر، عن يحيى بن سعيد، عن ابن الزبير، عن جابر مرفوعاً مثل سياق حديث طاوس عن معاذ. ومعنى كون الذكر أنجى من العذاب لأن حظ أهل الغفلة يوم القيامة من أعمارهم الأوقات والساعات حين عمروها بذكره وسائر ما عداه هدر، وكيف ونهارهم شهوة ونومهم استغراق وغفلة فيقدمون على ربهم فلا يجدون عندهم ما ينجيهم إلا ذكر الله تعالى.

(**وقال ﷺ: «من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل»**) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، والطبراني في الكبير من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبراني في الدعاء من حديث أنس، وهو عند الترمذي بلفظ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا». وقد تقدم في الباب الثالث من كتاب العلم، والمراد برياض الجنة حلق الذكر.

(**وسئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ فقال: «أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل»**) قال العراقي: رواه ابن حبان، والطبراني في الدعاء، والبيهقي في الشعب من حديث معاذ اهـ.

قلت: قال الطبراني: حدثنا إدريس بن عبد الكريم الحداد، حدثنا عاصم بن علي، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت، عن أبيه، عن مكحول، عن جبير بن نفير، عن مالك بن يخامر، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال: «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل».

ورواه الفريابي في الذكر عن عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي الحافظ، عن الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن ثابت مثله، وله شاهد موقوف على أبي الدرداء أخرجه الفريابي من طريق معاوية

وأمـس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة ». وقال ﷺ: « لذكر الله عز وجل بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطاء المال سحـا ». وقال ﷺ: « يقول الله تبارك وتعالى إذا ذكـرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه، وإذا تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً وإذا مشى إلي هرولت إليه » يعني بالهرولة

بن صلح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عنه قال: « إن الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله يدخلون الجنة وهم يضحكون ».

وأخرج الترمذي والنسائي والفريابي أيضاً من طريق معاوية بن صلح، عن عمرو بن قيس، عن عبد الله بـن بشر المازني رضي الله عنه أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: إن شرائع كثرت علي فأنبئني بأمر أتشبث به. فقال: « لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله » ورواه الطبراني كذلك في الدعاء.

(وقال ﷺ: « أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله عز وجل تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة »). قال العراقي: رواه أبو القاسم الأصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث أنس: « من أصبح وأمسى ولسانه رطب من ذكر الله يمسي ويصبح وليس عليه خطيئة » وفيه من لا يعرف.

(وقال ﷺ: « لذكر الله) عز وجل **(بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً)** وحطم السيوف كسرها من كثرة القتال، وسحاً: أي فيضاً. قال العراقي: رويناه من حديث أنس بسند ضعيف في الأصل وهو معروف من قول ابن عمر كما رواه ابن عبد البر في التمهيد اهـ.

قلت: رواه الديلمي عن أنس مرفوعاً إلى قوله: « في سبيل الله » إلا أنه قال: « خير » بدل « أفضل » وبتمامه رواه ابن شاهين في الترغيب في الذكر عن ابن عمر مرفوعاً. ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عنه موقوفاً.

(وقال ﷺ) فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: **(« قال الله عز وجل إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه، وإذا تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً، وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا مشى إلي هرولت إليه »)**.

قال المصنف: **(يعني بالهرولة سرعة الإجابة)** رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجة وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ: « يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة ».

سرعة الإجابة. وقال ﷺ: « سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله ـ من جملتهم ـ رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله ». وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ: « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الورق والذهب، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل دائماً ».

وفي رواية لمسلم « يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يـذكـرني والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أقبل إلي يمشي أقبلت إليه أهرول ».

وروى الطيالسي، وأحمد، والبخاري من حديث قتادة عن أنس رفعه: « يقول الله عز وجل إذا تقرب مني عبدي شبراً تقربت منه ذراعاً، وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني مشياً أتيته هرولة ». ورواه البخاري أيضاً عن التيمي، عن أنس، عن أبي هريرة.

وروى ابن شاهين في الترغيب في الذكر من حديث ابن عباس: « يقول الله عز وجل ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ أفضل منهم وأكرم، وإن دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً وإن دنوت مني ذراعاً دنـوت منك باعاً، وإن مشيت إلي هرولت إليك » في إسناده معمر بن زائدة. قال العقيلي: لا يتابع على حديثه.

وروى الحاكم والبزار من حديث أبي ذر رفعه: « يقول الله عز وجل ابن آدم قم إلي أمش إليك أمش إلي أهرول إليك ابن آدم إن دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً، وإن دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً الحديث.

(**وقال ﷺ: « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله**) فساق الحديث (**وذكر من جلتهم رجلاً ذكر الله خالياً**) أي حالة كونه في خلوة (**ففاضت عيناه**) أي سالتا بالدموع (**من خشية الله »**) متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم تخريجه وتفصيله في كتاب الزكاة.

(**وقال أبو الدرداء**) رضي الله عـنه، (**قال رسول الله ﷺ: « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم**) أي مالككم عز وجـل (**وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل دائماً »**) قال العراقي: رواه الترمذي، وابن ماجة، والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي الدرداء اهـ.

قلت: رواه جعفر الفريابي في كتاب الذكر فقال: حدثنا أحمد بن خالد الخلال، ويعقوب بن حميد. قال الأول: حدثنا مكي بن إبراهيم. وقال الثاني: حدثنا المغيرة بن عبد الرحمن قالا: حدثنا عبدالله بن سعيد بن أبي هند، عن زياد بن أبي زياد المخزومي، عن أبي بحرية عن أبي الدرداء

وقال ﷺ: « قال الله عز وجل من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ».

وأما الآثار: فقد قال الفضيل: بلغنا أن الله عز وجل قال: عبدي اذكرني بعد

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فساقه. إلا أنه قال: « من إنفاق الذهب والورق ومن أن تلقوا » ولم يقل في آخره « دائماً » وهو حديث مختلف في رفعه ووقفه وفي إرساله ووصله. أخرجه أحمد عن مكي بن إبراهيم، وأخرجه ابن ماجة عن يعقوب بن حميد، وأخرجه الحاكم من وجه آخر عن مكي بن إبراهيم، وأخرجه أحمد أيضاً عن يحي بن سعيد القطان والترمذي من رواية الفضل بن موسى كلاهما عن عبد الله بن سعيد. قال الترمذي: رواه بعضهم عن عبد الله بن سعيد فأرسله. قال الحافظ: ورواه مالك في الموطأ عن زياد بن أبي زياد: قال أبو الدرداء. فذكره موقوفاً ولم يذكر أبا بحرية في سنده، وقد وقع هذا الحديث أيضاً من وجه آخر عن أبي الدرداء موقوفاً. أخرجه الفريابي من طريق صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرة قال: سمعت أبا الدرداء يقول فذكره نحوه بتمامه ورجاله ثقات.

(وقال ﷺ: « قال الله عز وجل من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ») قال العراقي: رواه البخاري في التاريخ، والبزار في المسند، والبيهقي في الشعب من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وصفوان ابن أبي الصهباء ذكره ابن حبان في الضعفاء وفي الثقات أيضاً اهـ.

قلت: ورواه البخاري أيضاً في خلق أفعال العباد، ورواه البيهقي أيضاً في السنن عن عمرو عن جابر أيضاً رضي الله عنهما. ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف عن عمرو بن مرة مرسلاً بلفظ: « فوق » بدل « أفضل » وتقدم للمصنف في الكتاب الذي قبله بلفظ: « أعطيته أفضل ثواب الشاكرين » وهكذا رواه ابن الأنباري في الوقف وابن شاهين في الترغيب في الذكر، وأبو نعيم في المعرفة، وأبو عمرو والداني في طبقات القراء عن أبي سعيد الخدري ولفظه: « يقول الله تبارك وتعالى من شغله القرآن عن دعائي ومسألتي » الخ. ولفظ الدارمي، والترمذي، والحكيم، والبيهقي من حديث أبي سعيد « يقول الرب تبارك وتعالى: من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي » والباقي كسياق المصنف وقول العراقي: وصفوان بن أبي الصهباء الخ.

قلت: اقتصر المزي في ترجمة صفوان على توثيق ابن حبان له. وزاد الذهبي تضعيفه له أيضاً فجمع العراقي بين القولين واستدركه مغلطاي، وزاد أن ابن شاهين ذكره في الثقات وان ابن خلفون قال في الثقات أرجو أن يكون صدوقاً وأن ابن معين وثقه في رواية أبي سعيد ابن الأعرابي عن عباس الدوري عنه، وقد تقدم تحقيق هذا الحديث في آخر كتاب الحج فراجعه.

(وأما الآثار فقد قال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: **(بلغنا أن الله عز وجل قال: ابن آدم أذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما)**

الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما. وقال بعض العلماء: إن الله عز وجل يقول: أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه. وقال الحسن: الذكر ذكران. ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل. ويروى: «أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل». وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها، والله تعالى أعلم.

فضيلة مجالس الذكر:

قال رسول الله ﷺ: «ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده». وقال ﷺ: «ما من قوم

قلت: قد روي ذلك مرفوعاً من حديث أبي هريرة رفعه: «قال الله ابن آدم اذكرني بعد الفجر وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما» رواه أبو نعيم في الحلية. وقال صاحب القوت: وروينا عن الحسن أن رسول الله ﷺ كان فيما يذكر من رحمة ربه قال: «يا ابن آدم» فساقه.

(وقال بعض العلماء: إن الله عز وجل يقول: أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه. وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل)** وهو المعبر عنه بذكر القلب وذكر الروح **(ما أحسنه وأعظم أجره)** إذ لا يطلع عليه سواه، **(وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل. ويروى: «أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله سبحانه)** فإنه يخرج من الدنيا مرتوياً لأن لسانه في الدنيا كان رطباً بذكر الله». **(وقال معاذ بن جبل)** رضي الله عنه: **(ليس يتحسر أهل الدنيا على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله تعالى فيها)** وهو بمعناه في حديث أبي هريرة عند الترمذي كما سيأتي قريباً.

فضيلة مجالس الذكر:

(قال رسول الله ﷺ: «ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده») قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: رواه عن محمد بن بشار، عن محمد بن جعفر، عن شعبة، عن أبي إسحاق هو السبيعي قال: سمعت الأغر يقول: أشهد على أبي هريرة، وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال:

اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم منادٍ من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات »، وقال أيضاً ﷺ : « ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم

« لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » وأخرجه أبو داود الطيالسي عن شعبة، وأخرجه أبو عوانة في صحيحه عن يونس بن حبيب عن الطيالسي، وأخرجه أبو نعيم في المستخرج عن حبيب بن الحسن: حدثنا يوسف القاضي، حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة. وأخرجه مسلم أيضاً، والترمذي من رواية الثوري والنسائي من رواية عثمان بن زريق وابن حبان من رواية أبي الأحوص كلهم عن أبي إسحاق.

وللحديث طريق أخرى عن أبي هريرة أخرجها مسلم في أثناء حديث من طريق الأعمش، عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه: « من نفس عن مؤمن كربة » فذكر الحديث وفيه: « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ». وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، وابن حبان أيضاً، وابن شاهين في الترغيب وقال: حسن صحيح عن ابن مسعود وأبي هريرة معاً بمثل سياق مسلم، وأوله موافق لما أورده المصنف.

(وقال ﷺ : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم وقد بدلت لكم سيئاتكم حسنات ») قال العراقي: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني بسند ضعيف من حديث أنس اهـ.

قلت: هو مركب من حديثين.

الأول: عن أنس عند أحمد وأبي يعلى والطبراني في الأوسط والضياء في المختارة بلفظ: « ما جلس قوم يذكرون الله إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم ».

والثاني: عن سهل بن الحنظلية عند الطبراني في الكبير، والبيهقي في السنن، والضياء في المختارة بلفظ: « ما جلس قوم يذكرون الله عز وجل فيقومون حتى يقال لهم قوموا قد غفر الله لكم ذنوبكم وبدلت سيئاتكم حسنات ».

(وقال ﷺ : « ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا علي إلا كان حسرة عليهم يوم القيامة ») قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: رواه عن أبي هريرة، وأبي سعيد معاً بلفظ: « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم حسرة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم ».

القيامة » وقال داود ﷺ: « إلهي إذا رأيتني أجاوز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم، فإنها نعمة تنعم بها علي ». وقال ﷺ: « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء » وقال أبو هريرة رضي الله عنه: « إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم ». وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا. فيقول الشيطان للدنيا: ألا ترين ما يصنعون؟ فتقول الدنيا: دعهم. فإنهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق وقال: أراكم ههنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد؟ فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً، فقالوا: يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يقسم في المسجد. قال: فماذا رأيتم؟ قالوا: رأينا قوماً يذكرون الله عز وجل ويقرأون القرآن، قال: فذلك ميراث

وعند ابن ماجة، وابن شاهين من حديث أبي هريرة: « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا فيه ربهم ولم يصلوا على نبيهم إلا كان ترة عليهم يوم القيامة إن شاء آخذهم الله وإن شاء عفا عنهم ».

(وقال داود عليه السلام) في بعض مخاطباته لربه عز وجل: **(إلهي إذا رأيتني أجاوز مجالس الذكر إلى مجالس الغافلين)** عن الذكر **(فاكسر رجلي دونهم فإنها نعمة تنعم بها علي)** وهذا هو معنى التوفيق.

(وقال النبي ﷺ: « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء ») قال العراقي: ذكره صاحب الفردوس من حديث أسد بن وداعة وهو مرسل ولم يخرجه ولده وكذلك لم أجد له إسناداً اهـ.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(« إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم »)** لأهل الأرض.

(وقال) أبو محمد **(سفيان بن عيينة)** الهلالي المكي الكوفي الأعور أحد الأعلام. روى عن الزهري، وعمرو بن دينار، وعنه الشافعي، وأحمد والأعمش، وابن جريج ثقة ثبت توفي في رجب سنة ١٩٨. **(إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا: ألا ترين)** أي ألا تنظرين **(ما يصنعون)** أي من الذكر والتحلق؟ **(فتقول: دعهم فإنهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك)** أجارنا الله من شرهما.

(وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق) أي سوق المدينة **(فقال)** لأهل السوق: **(أراكم ههنا وميراث محمد ﷺ يقسم في المسجد؟ فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً)** يقسم فرجعوا، **(فقالوا: يا أبا هريرة ما رأينا في المسجد ميراثاً يقسم. قال: فما رأيتم؟ قالوا: رأينا قوماً يذكرون الله عز وجل ويقرؤن القرآن، قال: فذلك**

رسول الله ﷺ . وروى الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه ﷺ أنه قال: « إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلاً عن كتاب الناس، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء فيقول الله تبارك وتعالى: أي شيء تركتم عبادي يصنعونه؟ فيقولون: تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك. فيقول الله تبارك وتعالى: وهل رأوني؟ فيقولون: لا. فيقول جل جلاله: كيف لو رأوني. فيقولون: لو رأوك لكانوا أشد تسبيحاً وتحميداً وتمجيداً. فيقول لهم من أي شيء يتعوّذون؟ فيقولون: من النار. فيقول تعالى: وهل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول الله عز وجل: فكيف لو رأوها، [فيقولون لو رأوها] لكانوا أشد هرباً منها وأشد نفوراً. فيقول الله عز وجل: وأي شيء يطلبون؟ فيقولون: الجنة. فيقول تعالى: وهل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول تعالى: فكيف لو رأوها. فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً. فيقول جل جلاله: إني أشهدكم أني قد غفرت لهم. فيقولون: كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة، فيقول الله عز وجل: هم القوم لا يشقى جليسهم ».

ميراث محمد ﷺ). قال العراقي: رواه الطبراني في المعجم الصغير بإسناد فيه جهالة وانقطاع.

(**وروى الأعمش**) هو سليمان بن مهران الكوفي الفقيه أحد الأعلام، (**عن أبي صالح**) المدني ويعرف بالسمان وبالزيات، (**عن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما**) هكذا على الترديد، (**عن النبي ﷺ أنه قال: « إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض**) من السياحة هي السير في الأرض للإعتبار (**فضلاً عن كتاب الناس**) أي هم غير الملائكة الموكلة بني آدم، (**فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا**) أي بعضهم بعضاً (**هلموا**) أي تعالوا (**إلى بغيتكم**) أي مطلوبكم (**فيجيؤن أي فيحفون بهم إلى السماء**) الدنيا (**فيقول الله تبارك وتعالى**) وهو أعلم بهم (**على أي شيء تركتم عبادي يصنعونه؟ فيقولون: تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك. فيقول الله تعالى: وهل رأوني؟ فيقولون: لا. فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك لكانوا أشد تسبيحاً وتمجيداً وتحميداً. فيقول لهم: من أي شيء يتعوذون؟ فيقولون: من النار فيقول تعالى: هل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول عز وجل: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد هرباً منها وأشد نفوراً. فيقول عز وجل: وأي شيء يطلبون؟ فيقولون: الجنة. فيقول تعالى: وهل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول تعالى: وكيف لو رأوها. فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً. فيقول جل جلاله: وإني أشهدكم أني قد غفرت لهم. فيقولون: كان فيهم فلان لم يردهم وإنما جاء لحاجة، فيقول عزوجل: هم القوم لا يشقى جليسهم »**) قال العراقي: رواه

فضيلة التهليل:

قال ﷺ: « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ».

وقال ﷺ: « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة

الترمذي من هذا الوجه، والحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة وحده، وقد تقدم في الباب الثالث من كتاب العلم اهـ.

قلت: يشير إلى أن البخاري أخرجه من رواية الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة بتمام السياق، وأشار إلى طريق سهيل تعليقاً.

وأخرجه مسلم عن محمد بن حاتم، عن بهز بن أسد، عن وهب بن خالد، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « إن لله ملائكة سيارة يلتمسون مجالس الذكر فإذا أتوا عليهم حفوا بأجنحتهم ما بينهم وسماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك يسبحونك ويحمدونك ويكبرونك ويهللونك ويسألونك جنتك ويستعيذونك من نارك. قال: وهل رأوا جنتي وناري؟ قالوا: لا. فقال: فكيف لو رأوهما، أشهدكم إني قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا. فيقال: إن فيهم رجلاً ليس منهم إنما جاء لحاجة فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » ورواه الفريابي عن أمية بن بسطام، عن يزيد بن زريع، عن روح بن القاسم، عن سهيل. وأخرجه أبو عوانة في الصحيح عن عباس الدوري عن أمية بن بسطام. وأخرجه أبو داود الطيالسي عن وهيب عن سهيل.

وروى البزار عن أحمد بن مالك القشيري، وأبو نعيم في الحلية من طريق الحسن بن سفيان، عن محمد بن أبي بكر كلاهما عن زائدة بن أبي الرقاد عن زناد النميري عن أنس مرفوعاً: « إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم وبعثوا رائدهم إلى السماء إلى رب العزة سبحانه فيقولون وهو أعلم أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك ويسألون لآخرتهم ودنياهم فيقول: غشوهم رحمتي هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ».

فضيلة التهليل:

(وقال ﷺ: « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ») تقدم الكلام عليه مفصلاً في الباب الثاني من كتاب الحج.

(وقال ﷺ: « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت

ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأتِ أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك». وقال ﷺ: «ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء». وقال ﷺ: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم كأني أنظر إليهم عند الصيحة ينفضون رؤوسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور». وقال ﷺ أيضاً لأبي هريرة: «يا أبا هريرة إن كل حسنة تعملها

عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه) ذلك **(حتى يمسي ولم يأت بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»)** رواه مالك في الموطأ عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فيه: «ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا من عمل أكثر من ذلك» أخرجه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحي بن يحي كلاهما عن مالك، وأخرجه الترمذي عن إسحاق بن موسى، عن معن بن عيسى، وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن زيد بن الحباب كلاهما عن مالك.

(وقال ﷺ: «ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء») رواه أبو داود من حديث عقبة بن عامر، وقد تقدم مفصلاً في كتاب الطهارة.

(وقال ﷺ: «ليس على أهل لا إله إلا الله) يعني من نطق بها عن صدق وإخلاص، فمن قدم على ربه وهو مصر على الذنوب فليس من أهل هذه الكلمة بل من أهل قولها، ولذلك قال تعالى: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين★ عما كانوا يعملون﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] أي عن صدق لا إله إلا الله ولم يقل عما كانوا يقولون: **(وحشة في قبورهم ولا في النشور)** أي يوم النشور والحشر **(كأني أنظر إليهم عند الصيحة)** أي نفخة إسرافيل الثانية للقيام من القبور للحشر **(ينفضون رؤسهم من التراب ويقولون: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾»)** [فاطر: ٣٤] قال العراقي: رواه أبو يعلى والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف اهـ.

قلت: هو في المعجم الكبير للطبراني، وكذا في الأوسط بلفظ: «في الموت ولا في القبور ولا في النشور» قال الهيثمي: رواه الطبراني من طريقين في أحداهما وهي المذكورة هنا يحي الحماني، وفي الأخرى مجاشع بن عمرو، وكلاهما ضعيف اهـ. وأورده ابن الجوزي في الواهبات وأعله.

(وقال ﷺ لأبي هريرة: «يا أبا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا

توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فإنها لا توضع في ميزان، لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك». وقال ﷺ: «لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقاً بقراب الأرض ذنوباً لغفر الله له ذلك». وقال ﷺ: «يا أبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدماً قلت: يا رسول الله؛ هذا للموتى فكيف للأحياء؟ قال ﷺ: هي أهدم وأهدم». وقال ﷺ: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة».

شهادة أن لا إله إلا الله فإنها لا توضع في ميزان، لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقاً ووضعت السموات والأرضون السبع وما فيهن كانت لا إله إلا الله أرجح من ذلك»).

قال العراقي: هذه الوصية لأبي هريرة موضوعة، وآخر الحديث رواه المستغفري في كتاب الدعوات «ولو جعلت لا إله إلا الله» وهو معروف من حديث أبي سعيد: «لو أن السموات السبع وعامرهن والأرضين السبع في كفة مالت بهن لا إله إلا الله» رواه النسائي في اليوم والليلة وابن حبان والحاكم وصححه اهـ.

قلت: وروى الديلمي عن أبي هريرة: «ولو جعلت لا إله إلا الله في كفة وجعلت السموات والأرض في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله» وروى الطبراني عن ابن عباس في أثناء حديث: «والذي نفسي بيده لو جيء بالسموات والأرضين ومن فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعت في كفة الميزان ووضعت شهادة أن لا إله إلا الله في الكفة الأخرى لرجحت بهن».

(وقال ﷺ: «لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقاً بقراب الأرض ذنوباً لغفر له ذلك») قال العراقي: غريب بهذا اللفظ، وللترمذي من حديث لأنس: «يقول الله يا بن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة».

وقال حسن، ولأبي الشيخ في كتاب الثواب من حديث أنس: «يا رب ما جزاء من هلل مخلصاً من قلبه؟ قال: جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب»؛ وفيه انقطاع.

(وقال ﷺ: «يا أبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدماً. قلت يا رسول الله: هذا للموتى فكيف للأحياء، فقال: هي أهدم وأهدم») قال العراقي: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق ابن المقري من حديث أبي هريرة وفيه موسى بن وردان مختلف فيه. ورواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف، ورواه أبي الدنيا في المختصرين من حديث الحسن مرسلاً اهـ.

قلت: ولفظ الديلمي في الفردوس: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنها تهدم الخطايا كما يهدم السيل البنيان. قالوا: فكيف هي للأحياء؟ قال: أهدم وأهدم».

وقال ﷺ : « لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله. فقيل: يا رسول الله؛ من الذي يأبى ويشرد عن الله؟ قال: من لم يقل لا إله إلا الله » فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد، وهي كلمة الإخلاص، وهي كلمة التقوى، وهي الكلمة الطيبة، وهي دعوة الحق، وهي

وروي الطبراني في الكبير عن ابن عباس رفعه: « لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة. قالوا يا رسول الله: فمن قالها في صحته؟ قال: تلك أوجب وأوجب ».

(وقال النبي ﷺ : « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة ») قال العراقي: رواه الطبراني من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو نعيم في الحلية، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول زادوا في روايتهم: « قيل وما اخلاصها؟ قال: أن تحجزه عن محارم الله » ورواه ابن النجار في تاريخه من حديث أنس بزيادة: « قيل أفلا أبشر الناس؟ قال: لا. إني أخاف أن يتكلوا » ورواه بلفظ المصنف البزار والطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري، والبغوي. والطبراني في الكبير عن أبي شيبة الخدري.

(وقال ﷺ : « لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد شرود البعير على أهله فقيل يا رسول الله: من يأبى؟ قال: من لم يقل لا إله إلا الله ») رواه البخاري بلفظ: « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ». زاد الحاكم وصححه: « وشرد شرود البعير على أهله » قال البخاري: « قالوا يا رسول الله: ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ».

(فأكثروا) روى ابن عدي وأبو يعلى والطبراني في الدعاء والخطيب من حديث أبي هريرة رفعه: « أكثروا **(من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها)** ولقنوها موتاكم في طريق ابن عدي موسى بن وردان مختلف فيه، وأما طريق أبي يعلى فقد قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح غير ضمام بن إسماعيل وهو ثقة **(فإنها كلمة التوحيد »)** رواه أبو الشيخ في الثواب من حديث الحكم بن عمير مرسلاً: « إذا قلت لا إله إلا الله فهي كلمة التوحيد » الحديث. والحكم ضعيف **(وهي كلمة الإخلاص)** رواه الطبراني في الدعاء من حديث عبد الله بن عمر: « وكلمة الإخلاص لا إله إلا الله » الحديث ولأبي بكر بن الضحاك في الشمائل من حديث ابن مسعود في إجابة المؤذن: « اللهم رب هذه الدعوة المجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة الإخلاص » **(وهي كلمة التقوى)** رواه الترمذي من حديث البراء بن عازب والزمهم كلمة التقوى قال: « لا إله إلا الله » ورواه الطبراني من حديث سلمة بن الأكوع، **(وهي الكلمة الطيبة)** رواه الطبراني في الدعاء عن ابن عباس: « كلمة طيبة قال شهادة أن لا إله إلا الله ». **(وهي دعوة الحق)** رواه أبو بكر بن الضحاك في الشمائل من حديث ابن مسعود كما تقدم قريباً، ورواه الطبراني في الدعاء عن ابن

العروة الوثقى، وهي ثمن الجنة. وقال الله عز وجل: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ [الرحمن: ٦٠] فقيل الإحسان في الدنيا قول لا إله إلا الله، وفي الآخرة الجنة. وكذا قوله تعالى: ﴿للذين أحسنُوا الْحُسْنى وزيادة﴾ [يونس: ٢٦]، وروى البراء بن عازب أنه ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كانت له عدل رقبة ـ أو قال ـ نسمة». وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

عباس قوله: «دعوة الحق قال شهادة أن لا إله إلا الله». **(وهي العروة الوثقى)** رواه الطبراني في الدعاء عن ابن عباس قال: «العروة الوثقى هي شهادة أن لا إله إلا الله». **(وهي ثمن الجنة)** رواه ابن عدي والمستغفري من حديث أنس. قال العراقي: ولا يصح شيء منها.

(وقال الله عز وجل: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾) فقيل الإحسان في الدنيا قول لا إله إلا الله، والإحسان في الآخرة الجنة سمى كلاً منهما إحساناً. **(وكذلك قوله عز وجل ﴿للذين أحسنوا الحسنى)** احسنوا أي قالوا لا إله إلا الله لهم الحسنى أي الجنة **(وزيادة﴾)** هو النظر إلى وجه الله الكريم، ويروى عن أبي بكر الحسنى الحسنة. والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى رواه أبو بكر بن أبي شيبة، والدارقطني، وابن جرير وابن المنذر.

(وروى البراء بن عازب) الأوسي الأنصاري شهد أُحُداً وتوفي بعد السبعين رضي الله عنه **(أن النبي ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كانت له عدل رقبة أو)** قال: **(نسمة»)** قال العراقي: رواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما وهو عند أحمد دون قوله: «عشر مرات» اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو داود الطيالسي، وابن أبي شيبة والنسائي، وأبو يعلى، والروياني، وابن حبان، والطبراني في الصلاة والضياء في المختارة بلفظ: «كعدل نسمة».

(وروى عمرو بن شعيب) بن محمد بن عبد الله السهمي أقام بالطائف. قال يحي القطان: إذا روى عنه ثقة فهو حجة، وقال أحمد: وربما احتججنا به. وقال البخاري: رأيت أحمد وابن المديني وإسحاق وأبا عبيد، وعامة أصحابنا يحتجون به. مات بالطائف سنة ١١٨، **(عن أبيه)** هو سفيان بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصي السهمي. روى عنه ابناه عمرو وعمر وثابت البناني، **(عن جده)** الضمير عائد إلى قوله: «أبيه» لا إلى «عمرو» وجده المذكور هو عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وسماع عمرو[1] عن جد أبيه متيقن ثابت عند الأئمة، وقد روى شعيب أيضاً عن أبيه محمد بن عبد الله إن كان محفوظاً، ومن العلماء من لا يحتج بهذا الإسناد لما فيه من إشتباه عود الضمير إلى عمرو وهو الظاهر، أو إلى شعيب وهو المختلف فيه فتركوه لذلك، فإن جاء في رواية عن جده عبد الله مصرحاً به فهو مقبول قطعاً **(أنه ﷺ قال: «من**

---

(١) هكذا في الأصل.

أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من قال في يوم مائتي مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله». وقال ﷺ: « من قال في سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتب له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيت في الجنة». ويروى: « إن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها» وفي الصحيح عن أبي أيوب، عن النبي ﷺ أنه

قال في يوم مائتي مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله») قال العراقي: رواه أحمد بلفظ: « مائة مرة» وكذا رواه الحاكم في المستدرك وإسناده جيد، وكذا هو في بعض نسخ الإحياء اهـ.

قلت: هكذا هو في رواية أحمد والحاكم، ورواه الطبراني في الكبير نحوه، والذي رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة، والخطيب عن عمرو بن شعيب بلفظ: « مائة مرة إذا أصبح ومائة إذا أمسى لم يجيء أحد بأفضل من عمله إلا من عمل أفضل من ذلك» ورواه ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي الدرداء موقوفاً عليه مثله، ورواه إسماعيل عن عبد الغافر في الأربعين له عن عمرو بن شعيب بلفظ: « ألف مرة جاء يوم القيامة فوق كل عمل إلا عمل نبي أو رجل» زاد في التهليل.

(وقال عمر)[1] بن الخطاب **(رضي الله عنه: « من قال)** حين يدخل **(في سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب له ألف ألف حسنة ومحيت عنه ألف ألف سيئة وبني له بيت في الجنة»)** رواه ابن ماجة والحكيم الترمذي وابن السني من حديث سالم بن عبد الله ابن عمر عن أبيه عن جده لكنه مرفوعاً وضعف زاد الحكيم في روايته: « ورفعت له ألف ألف درجة وهو في الأربعين لإسماعيل بن عبد الغافر الفارسي من حديث ابن عمر بدون هذه الزيادة، ورواه ابن السني عن ابن عباس رفعه بلفظ: « كتب الله له ألفي ألف حسنة».

(ويروى: « أن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت على صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محيت حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جانبها») قال العراقي: رواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف.

(وفي الصحيح عن أبي أيوب) الأنصاري رضي الله عنه، **(عن النبي ﷺ أنه قال: « من**

---

(١) في الأحياء: « وقال ﷺ» بدلاً من « وقال عمر رضي الله عنه».

قال: « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل ﷺ » وفي الصحيح أيضاً عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ أنه قال: « من تعارّ من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، ثم قال: اللهم اغفر لي غفر له أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته ».

فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الأذكار:

قال ﷺ: « من سبّح دُبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد ثلاثاً وثلاثين وكبّر ثلاثاً وثلاثين وختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل

قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل عليه السلام ») رواه البخاري ومسلم هكذا. وعند الترمذي وللطبراني في الكبير والبيهقي في السنن بلفظ: « كانت له عدل أربع رقاب من ولد إسماعيل » ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، وعبد بن حميد بلفظ: « كن له كعدل عشر رقاب ». وعند ابن حبان كان له: « عدل نسمة » ورواه ابن أبي شيبة عن ابن مسعود موقوفاً. وفي رواية لأحمد والطبراني والضياء: « كتب الله له عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات ورفعه بها عشر درجات وكن له كعتق عشر رقاب وكن له مسلحة من أول النهار إلى آخره ولم يعمل يومئذ عملاً يقهقرهن ».

(**وفي الصحيح أيضاً عن عبادة بن الصامت**) أبو الوليد الخزرجي من بني عمرو بن عوف (**رضي الله عنه**) بدري نقيب أحد من جمع القرآن وكان طويلاً جسيماً مات عن اثنتي وسبعين سنة بالرملة سنة ٣٤، (**عن النبي ﷺ أنه قال: « من تعار**) أي استيقظ (**من الليل فقال**) حين يستيقظ: (**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد »**) وفي رواية هنا زيادة « يحيي ويميت بيده الخير (**وهو على كل شيء قدير وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته »**) رواه أحمد والدارمي والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان والطبراني في الكبير.

فضيلة التحميد والتسبيح وبقية الأذكار:

(**قال النبي ﷺ: « من سبح دبر كل صلاة**) أي عقب الفراغ منها (**ثلاثاً وثلاثين**) مرة (**وحمد**) الله (**ثلاثاً وثلاثين**) مرة (**وكبر**) الله (**ثلاثاً وثلاثين**) مرة فتلك تسع وتسعون (**وختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**

شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ». وقال ﷺ: « من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » وروي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: تولت عني الدنيا وقلّت ذات يدي فقال رسول الله ﷺ: « فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون؟ قال فقلت: وماذا يا رسول الله؟ قال: قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة، ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكاً يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه ». وقال ﷺ: « إذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والأرض، فإذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة إلى الأرض السفلى، فإذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل: سل تعط ». وقال

غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر »). رواه أحمد ومسلم وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ: « خطاياه » بدل « ذنوبه ». وعند النسائي من حديثه: « من سبح في دبر صلاة الغداة مائة تسبيحة وهلل مائة تهليلة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ».

(**وقال ﷺ: « من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر »**) رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، وأحمد، والبخاري، ومسلم والترمذي، وابن ماجة، وابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(**وروي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي**) يعني بذلك أنه افتقر وقل ما بيده من المال، (**فقال له ﷺ: « فأين أنت من صلاة الملائكة**) أي دعائهم، (**وتسبيح الخلائق وبها يرزقون؟ قال: قلت وما هي يا رسول الله؟ فقال: قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة**) أي منقادة ذليلة، (**ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكاً يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة لك ثوابه »**) قال العراقي: رواه المستغفري في الدعوات من حديث ابن عمر وقال: غريب من حديث مالك، ولا أعرف له أصلاً في حديث مالك. ولأحمد من حديث عبد الله بن عمر أن نوحاً قال لابنه: « آمرك بلا إله إلا الله » الحديث. ثم قال: « سبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق ». وإسناده صحيح اهـ.

قلت: وروى ابن السني والديلمي من حديث ابن عباس: « من قال بعد صلاة الجمعة قبل أن يقوم من مجلسه سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده أستغفر الله مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب ». وقد تقدم ذلك في كتاب الجمعة.

(**وقال ﷺ: « إذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والأرض، وإذا قال الحمد لله**) المرة (**الثانية ملأت ما بين السماء السابعة إلى الأرض، وإذا قال الحمد لله**) المرة (**الثالثة قال الله عز وجل: سل تعطه »**) قال العراقي: غريب بهذا اللفظ لم أجده.

رفاعة الزرقي: « كنا يوماً نصلي وراء رسول الله ﷺ فلما رفع رأسه من الركوع وقال: سمع الله لمن حمده قال رجل وراء رسول الله ﷺ: ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف رسول الله ﷺ عن صلاته، قال: من المتكلم آنفاً؟ قال: أنا يا رسول الله، فقال ﷺ: لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أوّلاً؟» وقال رسول الله ﷺ: « الباقيات الصالحات هن لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلا بالله ». وقال ﷺ: « ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت

(وقال رفاعة) ابن رافع بن مالك **(الزرقي)** بدري وأبوه نقيب روى له البخاري والأربعة بقي إلى امرة معاوية: (**« كنا يوماً نصلي وراء رسول الله ﷺ فلما رفع رأسه من الركوع وقال: سمع الله لمن حمده. قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاته قال: من المتكلم آنفاً؟ قال له**) رجل: (**أنا يا رسول الله، قال: لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أولاً**) هذا حديث صحيح رواه مالك في الموطأ، عن نعيم المجمر، عن علي بن يحي، عن أبيه هو ابن خلاد بن رافع عن رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنهما قال: « جاء يوماً فصلى وراء رسول الله ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة وقال: سمع الله لمن حمده. قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد فساق الحديث كما هو عند المصنف. وقد أخرجه البخاري، وأبو داود عن القعنبي، وأخرجه أحمد، عن عبد الرحمن بن مهدي، والنسائي من رواية عبد الله بن القاسم، وابن خزيمة من رواية ابن وهب أربعتهم عن مالك، وأخرجه ابن حبان عن عمر بن سعيد بن سنان عن أبي مصعب عن مالك، والسر في العدد بالخصوص أن الكلمات التي نطق بها بضعة وثلاثون حرفاً. وعند ابن ماجة والطبراني عن وائل بن حجر لقد فتحت لها أبواب السماء فما نهنهها شيء دون العرش. يعني قوله: « الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ». وعند النسائي عن وائل بن حجر أنه سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول في الصلاة الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه فقال: لقد ابتدرها إثنا عشر ملكاً فما نهنهها شيء دون العرش.

(وقال ﷺ: « الباقيات الصالحات هن، لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ») قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد والنسائي والحاكم من حديث أبي هريرة دون قوله: « ولا حول ولا قوة إلا بالله » اهـ.

(وقال ﷺ: « ما على الأرض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله إلا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ») رواه ابن

مثل زبد البحر ». رواه ابن عمر. وروى النعمان بن بشير عنه ﷺ أنه قال: « الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتكبيره وتحميده ينعطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن أو لا يحب أحدكم أن لا يزال عند الله ما يذكر به ». وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال: « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس ». وفي رواية أخرى زاد: « لا حول ولا قوّة إلا بالله وقال هي خير من الدنيا وما فيها ». وقال ﷺ: « أحبُّ الكلام إلى الله تعالى أربع:

عمر) هكذا في سائر النسخ، والصواب ابن عمرو وقال العراقي: رواه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال: صحيح على شرط مسلم، وهو عند الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة مختصراً دون قوله سبحان الله والحمد لله اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والطبراني في الكبير، وابن شاهين في الترغيب في الذكر مثل سياق المصنف، وكلهم رووه عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

وروى ابن السني، وأبو نعيم، وابن حبان، وابن جرير، وابن عساكر عن أبي هريرة رفعه: « من قال حين يأوي إلى فراشه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ».

(وروى النعمان بن بشير) بن سعد الخزرجي أبو عبد الله الأمير ولي حمص ليزيد وقتل في أواخر سنة ٧٤ رضي الله عنه، **(عن رسول الله ﷺ أنه قال: « الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتهليله وتمجيده، ينعطف حول العرش له دوي كدوي النحل يذكر بصاحبه أو لا يحب أحدكم أن لا يزال عند الله عز وجل ما يذكر به »)** قال العراقي: رواه ابن ماجة والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(وروى أبو هريرة) رضي الله عنه **(أن النبي ﷺ قال: « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب الي مما طلعت عليه الشمس » وفي رواية وزاد: « ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقال: خير من الدنيا وما فيها »)** قال العراقي: رواه مسلم باللفظ الأول، والمستغفري في الدعوات من رواية مالك بن دينار أن أبا أمامة قال للنبي ﷺ قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير من الدنيا وما فيها. قال: « أنت أغنم القوم » وهو مرسل جيد الإسناد اهـ.

قلت: وباللفظ الأول أيضاً رواه أبو بكر بن أبي شيبة، والترمذي، وابن حبان، ومسلم رواه عن أبي بكر بن أبي شيبة، وأبي كريب قالا: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، ورواه النسائي في الكبرى عن أحمد بن حرب عن أبي معاوية.

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت » رواه سمرة بن جندب.

وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ كان يقول: « الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر يملآن ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو مشتر نفسه فمعتقها ». وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان

(وقال ﷺ « أحبّ الكلام إلى الله عز وجل أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت » رواه سمرة بن جندب الفزاري) نزيل البصرة وليها، توفي سنة ٥١، وهذه الرواية أخرجها ابن حبان، عن مكحول، عن أحمد بن عبد الرحمن الكزبراني، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن أبيه، عن الربيع بن عميلة، عن سمرة بن جندب. ورواه أحمد عن حسن بن موسى ويحيى بن آدم. ومسلم عن أحمد بن عبد الله بن يونس، وأبو داود عن أبي جعفر النفيلي أربعتهم عن زهير بن معاوية، عن منصور، عن هلال بن يسار، عن الربيع بن عميلة عن سمرة بلفظ « لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بأيهن بدأت ». وأخرجه مسلم أيضاً من رواية روح بن القاسم وجرير بن عبد الحميد كلاهما عن منصور بن المعتمر، وقد صحح ابن حبان الروايتين.

(وروى أبو مالك الأشعري) رضي الله عنه صحابي اختلف في اسمه على أقوال. روى عنه عبد الرحمن بن غنم وأبو سلام الأسود **(أن رسول الله ﷺ كان يقول « الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والله أكبر تملآن ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها »)** هذا حديث صحيح آخرجه أحمد عن يحيى بن إسحاق وعفان كلاهما عن أبان بن يزيد، عن يحيى بن أبي كثير، عن زيد بن سلام عن جده أبي سلام عن أبي مالك. وأخرجه مسلم والترمذي جميعاً عن إسحاق بن منصور عن حبان بن هلال. وأخرجه النسائي عن عمرو بن علي عن عبد الرحمن بن مهدي كلاهما عن أبان بن يزيد وقد تقدم ذلك الحديث في كتاب الطهارة. وقال أبو هريرة رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ») هذا حديث صحيح ختم به البخاري الصحيح، وذكره أيضاً في الدعوات، وفي الإيمان والنذور، أخرجه هو ومسلم جميعاً عن أبي خيثمة زهير بن حرب، وأخرجه البخاري أيضاً عن قتيبة وأحمد بن إشكاب، ومسلم أيضاً عن محمد بن عبد الله بن نمير وأبي كريب ومحمد بن صريف، والترمذي عن يوسف بن عيسى، والنسائي عن محمد بن آدم ومحمد بن حرب وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة وعلي بن محمد عشرتهم عن

الله العظيم » . وقال أبو ذر رضي الله عنه ، قلت لرسول الله ﷺ : أيّ الكلام أحب إلى الله عز وجل ؟ قال ﷺ : « ما اصطفى الله سبحانه لملائكته : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » . وقال أبو هريرة . قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » فإذا قال العبد : « سبحان الله » كتبت له عشرون حسنة وتحط عنه عشرون سيئة ، وإذا قال : « الله أكبر » فمثل ذلك وذكر إلى

محمد بن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة . ورواه أحمد عن محمد بن فضيل بسنده .

(وقال أبو ذر) جندب بن جنادة الغفاري **(رضي الله عنه قلت لرسول الله ﷺ : أي الكلام أحب إلى الله عز وجل ؟ قال : « ما اصطفى الله عز وجل لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »)** هذا حديث صحيح رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف قال : حدثنا يحي بن أبي بكير ، حدثنا شعبة ، عن الجريري ، عن أبي عبد الله الجسرق ، عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله : أخبرني أي الكلام أحب إلى الله بأبي أنت وأمي . قال « ما اصطفى الله لملائكته سبحان ربي وبحمده سبحان ربي العظيم » .

ورواه أبو نعيم في المستخرج عن أبي بكر الطلحي عن عبيد بن غنام عن أبي بكر بن أبي شيبة بسنده نحوه ولفظه « ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله تعالى . قلت : بلى . قال : إن أحب الكلام الى الله تعالى سبحان الله وبحمده » . وأخرجه الترمذي عن أحمد بن إبراهيم الدورقي عن إسماعيل بن إبراهيم عن الجريري ، وأخرجه الحاكم من رواية يحي بن محمد بن يحي عن عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي عن إسماعيل بن إبراهيم ووهم في استدراكه ، فإن مسلماً أخرجه ، ولعله قصد الزيادة التي فيه ، وأخرجه النسائي من طرق في اليوم والليلة فيه اختلاف على الجريري وغيره ، وأخرجه الطبراني في الدعاء عن أبي مسلم الكشي عن الحجبي ، وأخرجه أبو نعيم في المستخرج عن فاروق الخطابي عن أبي مسلم الكشي .

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ « إن الله عز وجل اصطفى من الكلام)** أربعاً وهي قول **(سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ») فهي** مختار الله من جميع كلام الآدميين . وفي رواية « إن الله اصطفى لملائكته من الكلام أربعاً » الخ ، **(فإذا قال العبد)** وفي رواية : فمن قال : **(« سبحان الله » كتبت له عشرون حسنة وحطت عنه عشرون سيئة)** وفي رواية : خطيئة ، **(وإذا قال)** وفي رواية : ومن قال **(« الله أكبر » فمثل ذلك وذكر إلى آخر الكلمات)** أي إذا قال : لا إله إلا الله مثل ذلك ، وإذا قال « الحمد لله رب العالمين » من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون خطيئة . قال العراقي : رواه النسائي في اليوم والليلة والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد إلا أنهما قالا في ثواب الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة اهـ .

آخر الكلمات. وقال جابر: قال رسول الله ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة». وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قال الفقراء لرسول الله ﷺ: ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم فقال: «أوَليس قد جعل الله تعالى لكم ما تصدقون به؟ إن لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة [صدقة] وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ويضع أحدكم اللقمة في في أهله فهي له صدقة. وفي بضع أحدكم صدقة. قالوا: يا

قلت: وكذا رواه أحمد والضياء في المختارة. قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح، وأقرّ الذهبي في التلخيص قول الحاكم أنه على شرط مسلم.

تنبيه:

قال بعضهم: إن الحمد أفضل من التسبيح لأن في التحميد إثبات سائر صفات الكمال والتسبيح تنزيه عن سمات النقص والإثبات أكمل من السلب وادعى بعضهم أن الحمد أكثر ثواباً من التهليل ورد بأن في خبر البطاقة المشهور ما يفيد أن لا إله الا الله لا يعـدلها شيء.

(وقال جابر) بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة»)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن. والنسائي في اليوم والليلة، وابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم اهـ.

قلت: رواه الترمذي عن أحمد بن منيع، عن روح بن عبادة، عن حجاج بن أبي عثمان، عن أبي الزبير، عن جابر وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير. وأخرجه هو والنسائي من وجه آخر عن حجاج، ورجاله ثقات إلا أن فيه عنعنة أبي الزبير، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف، وابن منيع وأبو يعلى والطبراني في الكبير، وأبو نعيم والضياء في المختارة كلهم عن جابر بلفظ «سبحان الله العظيم وبحمده» ورواه ابن أبي شيبة أيضاً عن أبي عمر موقوفاً. وروى الحاكم في تاريخ نيسابور، والديلمي من حديث أنس «من قال سبحان الله وبحمده غرس الله له بها ألف شجرة في الجنة أصلها من ذهب وفرعها در وطلعها كثدي الأبكار ألين من الزبد وأحلى من الشهد كلما أخذ منه شيء عاد كما كان». وروى أحمد والطبراني في الكبير من حديث معاذ بن أنس «من قال سبحان الله العظيم نبت له غرس في الجنة» الحديث.

(وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قال الفقراء لرسول الله ﷺ: ذهب أهل الدثور) أي أهل الأموال **(بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم)** أي بما فضل من أموالهم من الحوائج الأصلية، **(فقال)** ﷺ: **(«أوليس قد جعل الله تعالى لكم ما تصدقون به؟ إن لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة صدقة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة، ويضع أحدكم اللقمة في في)** أي فم **(أهله)** أي زوجته **(فهي له صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة. قالوا يا رسول الله: يأتي**

رسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال ﷺ : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ قالوا : نعم . قال : كذلك إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر » . وقال أبو ذر رضي الله عنه : قلت لرسول الله ﷺ : « سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق ، فقال رسول الله ﷺ : أفلا أدلك على عمل إذا أنت عملته أدركت من قبلك وفقت من بعدك إلا من قال مثل قولك تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وتحمد ثلاثاً وثلاثين وتكبّر أربعاً وثلاثين » وروت يسيرة عن النبي ﷺ أنه قال : « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن وأعقدن بالأنامل فإنها

أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ فقال) ﷺ : **(أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ قالوا : نعم . قال : كذلك إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر »)** رواه مسلم في صحيحه بهذا اللفظ ، وله وأبي داود والنسائي وابن خزيمة وأبي عوانة وابن حبان من طريق أبي الأسود الدؤلي عن أبي ذر مرفوعاً « يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » .

(وقال أبو ذر) رضي الله عنه ، **(قلت لرسول الله ﷺ : « سبق أهل الأموال بالأجر يقولون كما نقول وينفقون)** من فضول أموالهم **(ولا ننفق ، فقال ﷺ : « أفلا أدلك على عمل إذا أنت فعلته أدركت من قبلك وفقت من بعدك إلا من قال مثل قولك تسبح بعد كل صلاة)** أي من المكتوبات **(ثلاثاً وثلاثين)** مرة **(وتحمد ثلاثاً وثلاثين)** مرة **(وتكبر أربعاً وثلاثين »)** مرة . قال العراقي : رواه ابن ماجه إلا أنه قال : قال سفيان : لا أدري أيتهن أربع . ولأحمد في هذا الحديث « وتحمد أربعاً وثلاثين » وإسنادهما جيد ، ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء « وتكبر أربعاً وثلاثين » كما ذكره المصنف اهـ .

قلت : حديث أبي الدرداء هذا أخرجه النسائي في اليوم والليلة بلفظ المصنف ، وعنده مثله عن كعب بن عجرة .

(وروت يسيرة) بضم الياء التحتية وفتح السين المهملة مصغرة ، ويقال : أنها بالهمز بدل الياء ذكروها في الصحابة وكنوها أم ياسر ، وقال بعضهم : يسيرة بنت ياسر والأكثر لم يذكروا اسم أبيها ، وذكر بعضهم أنها أنصارية ، والصحيح أنها من المهاجرات ، **(عن النبي ﷺ أنه قال : « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن)** بضم الفاء وسكون اللام وهي لغة القرآن ، **(واعقدن بالأنامل فإنها مستنطقات »)** رواه عبد بن حميد ، عن محمد بن بشر ، عن هانئ بن عثمان ، عن حميضة بنت ياسر ، عن يسيرة وكانتا من المهاجرات قالت : قال رسول الله ﷺ « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن فتنسين الرحمة واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات

مستنطقات » يعني بالشهادة في القيامة. وقال ابن عمر: رأيته ﷺ يعقد التسبيح، وقد قال ﷺ فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري: « إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله عز وجل: صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال العبد لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال الله تعالى: صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي لا شريك

مستنطقات ». وأخرجه أحمد وابن سعد في الطبقات عن محمد بن بشر، وأخرجه الترمذي عن عبد بن حميد بهذا الإسناد. وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هانئ بن عثمان، وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى عن أبي بكر بن أبي شيبة عن محمد بن بشر، وذكر حميضة في ثقات التابعين ولا نعرف عنها راوياً إلا ابنها هانئ بن عثمان وهو كوفي روى عنه جماعة.

وأخرج أبو داود عن مسود، عن عبد الله بن داود الحربي، حدثنا هانئ بن عثمان الجهني، عن أمه حميضة بنت ياسر عن جدتها يسيرة رضي الله عنها أنها حدثتها « أن النبي ﷺ أمرهن أن يراعين التسبيح والتهليل والتقديس وأن يعقدن الأنامل فإنهن مسئولات ومستنطقات ». وأخرجه أبو عبد الله بن منده، عن خيثمة بن سليمان، عن إسحاق بن سيار عن الحزيبي، ورواه الحاكم من وجه آخر عن الحزيبي.

قال المصنف في تفسير قوله: مستنطقات (**يعني بالشهادة في القيامة**) يعني يستنطقن ويستشهدن في يوم القيامة.

(**وقال ابن عمر**) هكذا في سائر نسخ الكتاب ويعني به عبد الله بن عمر بن الخطاب (**رأيته ﷺ يعقد التسبيح**) قال العراقي: إنما هو عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه أبو داود والنسائي والترمذي وحسنه والحاكم اهـ.

قلت: رواه أبو داود عن عبيد الله بن عمر القواريري، ومحمد بن قدامة في آخرين قالوا: حدثنا هشام بن علي، حدثنا الأعمش، عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: « رأيت رسول الله ﷺ يعقد التسبيح » وقال في آخره زاد محمد بن قدامة « بيمينه ». وأخرجه الترمذي والنسائي في الكبرى جميعاً عن محمد بن عبد الأعلى زاد النسائي والحسين بن محمد الدارع كلاهما عن عثام بن علي. وأخرجه الحاكم من طريق عثام ومن طريق شعبة عن الأعمش عن عطاء بن السائب. وأخرجه الطبراني في الدعاء عن عمرو بن أبي الطاهر عن يوسف بن عدي عن عثام بن علي بسنده. قال الحافظ: ومعنى العقد المذكور في الحديث إحصاء العدد وهو اصطلاح للعرب بوضع بعض الأنامل على بعض عقد أنملة أخرى، فالآحاد والعشرات باليمين والمئون والآلاف باليسار.

(**وقد قال ﷺ فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري**) رضي الله عنهما (**أنه ﷺ قال: « إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله عز وجل صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال العبد لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال الله تعالى صدق عبدي**

لي، وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله يقول الله سبحانه: صدق عبدي لا حول ولا قوّة إلا بي، ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار». وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ أنه قال: «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة، فقيل: كيف ذلك يا رسول الله. فقال ﷺ: يسبح الله تعالى مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة

لا إله إلاأنا لا شريك لي، وإذا قال لا إله إلا الله لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله سبحانه: صدق عبدي لا حول ولا قوة إلا بي، ومن قالهن عند الموت لا تمسه النار») قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن، والنسائي في اليوم والليلة، وابن ماجه والحاكم وصححه انتهى.

قلت: لفظ الترمذي «من قال لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه وقال لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال: لا إله إلا الله وحده يقول الله لا إله إلا أنا وأنا وحدي، وإذا قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال الله لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد، وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال الله لا إله إلا أنا لا حول ولا قوة إلا بي، وكان يقول: من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار».

(وروى مصعب بن سعد) أبو زرارة المدني نزل الكوفة. توفي سنة ١٠٢، **(عن أبيه)** سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب أحد العشرة فارس الإسلام أسلم سابع سبعة وله مناقب جمة. روى عنه بنوه إبراهيم وعمر ومحمد وعامر ومصعب وعائشة توفي سنة ٥٥، **(عن النبي ﷺ أنه قال «أيعجز أحدكم ان يكسب كل يوم ألف حسنة؟ فقيل له: كيف ذلك؟ فقال ﷺ: «يسبح الله تعالى مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة وتحط عنه ألف سيئة»)** قال العراقي: رواه مسلم إلا أنه قال «أو تحط» وقال الترمذي «وتحط» كما قال المصنف وقال حسن صحيح اهـ.

قلت: رواه عبد بن حميد، عن جعفر بن عون، عن موسى الجهني، عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة. قالوا: وكيف يكسب أحدنا ألف حسنة» قال يسبح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة وتحط عنه ألف خطيئة» وهكذا أخرجه أحمد عن عبد الله بن نمير، ويعلى بن عبيد ويحيى القطان. وأخرجه مسلم من رواية مروان بن معاوية، ومن رواية علي بن مسهر وابن نمير، وأخرجه الترمذي والنسائي من رواية يحيى القطان خمستهم عن موسى الجهني، وأخرجه أبو عوانة عن محمد بن إسحاق الصغاني، وأبو نعيم من رواية محمد بن أحمد بن أبي المثنى كلاهما عن جعفر بن عون، عن موسى الجهني، وقد حكى النووي قول الحميدي أنه في مسلم من جميع الروايات بلفظ «أو تحط» وأن البرقاني ذكر أن شعبة وغيره رووه عن موسى الجهني بلفظ «وتحط». قال الحافظ: ورواية شعبة عند أحمد والنسائي بالواو كما

ويحط عنه ألف سيئة ». وقال ﷺ: « يا عبدالله بن قيس ـ أو يا أبا موسى ـ أوَلا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ قال: بلى، قال: قل لا حول ولا قوّة إلا بالله ». وفي رواية أخرى: « ألا أعلمك كلمة من كنز تحت العرش: لا حول ولا قوّة إلا بالله ». وقال أبو

قال، وهو عند أحمد عن الثلاثة المذكورين في موضعين. أحدهما بلفظ « وتمحى عنه الف سيئة » والثاني باللفظ الذي ذكره مسلم والله أعلم.

(**وقال رسول الله ﷺ « يا عبد الله بن قيس)** وهو اسم أبي موسى الأشعري **(أو)** قال **(يا أبا موسى)** أي ناداه بكنيته لأنه كان مشهوراً بها وهو شك من الراوي: **(أو لا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قال: بلى. قال [قل] لا حول ولا قوة إلا بالله »)** هذا حديث صحيح متفق عليه أخرجه الأئمة الستة من طرق متعددة إلى أبي عثمان النهدي، واسمه عبد الرحمن بن مل منها للبخاري عن موسى بن إسماعيل عن عبد الواحد بن زياد عن عاصم الأحول، ومنها لمسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي معاوية ومحمد بن فضيل كلاهما عن عاصم.

الأول: عن أبي عثمان، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: « أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم ». قال: فسمعني وأنا أقول لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال « يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قال: قلت بلى يا رسول الله، قال: قل لا حول ولا قوة إلا بالله » ورواه المحاملي عن يعقوب بن إبراهيم عن أبي معاوية. وقال أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا عاصم الأحول فذكره، وقال أبو بكر الشافعي: حدثنا مسدد، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فرقينا عقبة أو ثنية وكان الرجل إذا علاها قال لا إله إلا الله والله أكبر فذكر الحديث بنحوه. أخرجه البخاري عن محمد بن مقاتل عن عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي، وخالد الحذاء فرقهما. كلاهما عن أبي عثمان النهدي، وأخرجه مسلم عن أبي كامل الجحدري عن يزيد بن زريع، وأخرجه أبو داود عن مسدد، وأبو عوانة عن إسحاق بن يسار عن محمد بن عبد الله الأنصاري عن سليمان التيمي.

وقال المحاملي في الدعاء: حدثنا محمد بن الوليد، حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، حدثنا خالد الحذاء عن أبي عثمان، عن أبي موسى الأشعري قال: قال لي رسول الله ﷺ « يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنز الجنة؟ قلت: بلى. قال: لا حول ولا قوة إلا بالله » أخرجه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم، والنسائي في الكبرى عن عمرو بن علي، كلاهما عن الثقفي. وقال المحاملي أيضاً: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا مرحوم بن عبد العزيز العطار، حدثنا أبو نعامة السعدي عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال: « يا عبد الله بن قيس » فذكر مثله. أخرجه الترمذي والنسائي في الكبرى جميعاً عن محمد بن

هريرة: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش قول لا حول ولا قوّة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدي واستسلم». وقال ﷺ: «من قال حين يصبح رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة». وفي رواية: «من قال ذلك رضي الله عنه». وقال مجاهد: إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله. قال الملك: هديت. فإذا قال:

بشار عن مرحوم، ومن طرقه ما أخرجه أحمد، وأبو داود من رواية حماد بن سلمة عن ثابت البناني وعلي بن زيد والجريري، وما أخرجه الشيخان من رواية حماد بن زيد عن أيوب السختياني، وما أخرجه مسلم والنسائي من رواية عثمان بن غياث، خمستهم عن أبي عثمان منهم من طوّله ومنهم من اختصره، والله أعلم.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ [«ألا أدلك على] عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدي واستسلم»)** قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة، وللحاكم «من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عبدي واستسلم» وإسناده صحيح اهـ.

(وقال ﷺ «من قال حين يصبح رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً (وبالقرآن إماماً) وبمحمد ﷺ نبياً كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة») قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة والحاكم وقال: صحيح الإسناد من حديث خادم النبي ﷺ. ورواه الترمذي من حديث ثوبان وقال: حسن وفيه نظر ففيه سعيد بن المرزبان ضعيف جداً اهـ.

قلت: رواه عبد الرزاق، وأحمد، وابن ماجه، وابن سعد، والروياني، والبغوي، وأبو نعيم عن أبي سلام عن رجل خدم النبي ﷺ. ورواه ابن قانع عن أبي سلام، عن سابق خادم النبي ﷺ. ورواه الطبراني في الكبير، وابن أبي شيبة في المصنف عن أبي سلام عن خادم النبي ﷺ كلهم بلفظ «من قال حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة» وأما حديث ثوبان عند الترمذي فكما ساقه المصنف إلا أنه قال «من قال حين يمسي» بدل «حين يصبح» وروى ابن النحام عن ثوبان بمثل سياق المصنف إلا أنه زاد بعد قوله «نبياً وبالقرآن إماماً» والباقي سواء، **(وفي رواية «من قال ذلك رضي الله عنه»)**. وروى الطبراني عن المقدومي «من قال إذا أصبح رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً فأنا الزعيم ولآخذن بيده حتى أدخله الجنة» وروى ابن أبي شيبة في المصنف، عن عطاء بن يسار مرسلاً «من قال حين يمسي رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً فقد أصاب حقيقة الإيمان».

(وقال مجاهد) بن جبير التابعي مرسلاً: **(إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله. قال**

توكلت على الله، قال الملك: كفيت. وإذا قال: لا حول ولا قوّة إلا بالله، قال الملك: وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون: ما تريدون من رجل قد هدي وكفي ووقي؟ لا سبيل لكم إليه.

فإن قلت: فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها؟ فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة. والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام

الملك: هديت. فإذا قال: توكلت على الله. قال الملك: كفيت. وإذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله. قال الملك: وقيت فتفرق عنه الشياطين فيقولون: ما تريدون من رجل قد هدي وكفي ووقي؟).

قلت: المشهور أن هذا من مرسل عون بن عبد الله بن عتبة أن النبي ﷺ قال «إذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله حسبي الله توكلت على الله. قال الملك: كفيت وهديت ووقيت» إسناده قوي على أنه قد روي ذلك مرفوعاً من حديث أنس.

قال الطبراني في الدعاء: حدثنا الحسين بن إسحاق والتستري، حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأقوى قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا ابن جريج، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من قال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله فإنه يقال له حينئذ هديت ووقيت وكفيت وتنحى عنه الشيطان» ورواه أيضاً من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج نحوه، لكن زاد في أوله «إذا خرج من بيته» وقال في آخره «ويلقى الشيطان شيطان آخر فيقول كيف لك برجل هدي ووقي وكفي» وهو حديث حسن أخرجه الترمذي عن سعيد بن يحيى. وأخرجه ابن السني عن المسيب بن واضح، عن الحجاج بن محمد. وأخرجه أبو داود عن إبراهيم بن الحسن الخثعمي، والنسائي عن عبد الله بن محمد بن تميم. كلاهما عن حجاج بن محمد. وأخرجه ابن حبان عن محمد بن المنذري بن سعيد عن سعيد بن يحيى. وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قال الحافظ: رجاله رجال الصحيح، ولذلك صححه ابن حبان لكن خفيت عليه علته، قال البخاري: لا أعرف لابن جريج عن إسحاق إلا هذا ولا أعرف له منه سماعاً. وقال الدارقطني: رواه عبد المجيد بن عبد العزيز، عن ابن جريج قال: حدث عن إسحاق. قال: وعبد المجيد أثبت الناس في ابن جريج، والله أعلم.

(فإن قلت: فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات) البدنية والمالية **(مع كثرة المشقات فيها)** كما هو ظاهر؟ **(فاعلم أن تحقيق هذا)** البحث **(لا يليق إلا بعلم المكاشفة)** لخفاء أمره على عقول أهل المعاملة، **(والقدر الذي)** يليق و**(يسمح بذكره منه في علم المعاملة)** هو أن تعلم **(أن المؤثر النافع)**

مع حضور القلب، فأما الذكر باللسان والقلب لاهٍ فهو قليل الجدوى. وفي الأخبار ما يدل عليه أيضاً، وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضاً قليل الجدوى. بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات، وهو غاية ثمرة العبادات العملية. وللذكر أول وآخر فأوله يوجب الإنس والحب وآخره يوجب الإنس والحب ويصدر عنه، والمطلوب ذلك الانس والحب. فإن المريد في بداية أمره قد يكون متكلفاً بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل، فإن وفق للمداومة أنس به وانغرس في قلبه حب المذكور. ولا ينبغي أن يتعجب من هذا فإن من المشاهد في

للذاكر (**هو الذكر على الدوام**) بحفظ ما يقتنيه من المعرفة استحضاراً وإحرازاً (**مع حضور القلب**) الصنوبري، (**فأما الذكر باللسان فقط والقلب لاهٍ**) غير حاضر (**فهو قليل الجدوى**) غير مؤثر في الذاكر.

(**وفي الأخبار**) المروية (**ما يدل على ذلك أيضاً**) فمن ذلك في حديث أبي هريرة « واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاهٍ » رواه الترمذي وقال: حسن، والحاكم وقال: حديث مستقيم الإسناد، والمراد بالدعاء هنا الذكر، (**وحضور القلب في لحظة مع الذكر**) وفي نسخة: بالذكر، (**والذهول عن الله**) عز وجل (**مع الاشتغال بالدنيا**) أي بأعراضها المتعلقة بها (**أيضاً قليل الجدوى، بل حضور القلب مع الله عز وجل على الدوام**) في سائر أوقاته (**أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات**) كلها، وحينئذ يكون حضوره مع الحق ومع الخلق بالنسبة إليه سواء، (**بل به تشرف سائر العبادات**) لكونه نتيجتها وروحها، وإليه أشار بقوله: (**وذلك هو غاية ثمرة العبادات العملية**) بدنية كانت أو مالية أو مركبة منهما. (**وللذكر أول وآخر فأوله يوجب الإنس**) بالمذكور (**والحب**) فيه ولو تكلفاً (**وآخره يوجبه الإنس والحب**) تخلقاً وانصباغاً (**ويصدر عنه**) أي عن مجموع الإنس والحب وفي نسخة عنهما، (**والمطلوب**) الأعظم عند السالكين من الذكر (**هو ذلك الحب والإنس**) لا غير، وهذا الحب والإنس يكونان وسيلتين إلى ذكر الروح وهو غلبة حضور الحق على الحضور مع الخلق، بل إلى ذكر السر وهو أن لا يكون له حضور مع غير الحق ولا يكون له خبر عن الكون، (**فإن المريد في بداية الأمر**) وأول وضع قدمه في السلوك (**قد يكون متكلفاً بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس**) النفسي والخاطر الشيطاني (**إلى ذكر الله عز وجل، فإن وفق للمداومة**) على هذا التكلف (**أنس به وانغرس في قلبه حب المذكور**) وذهب ذلك التكلف عنه بالكلية، ولكن هذا المقام لا يحصل إلا بالمداومة على ما أشار له مربيه بأن لا يتركه في سائر شؤونه، ومما يعرض له في أثناء ذلك كيفية متخيلة فليفرضها كالخط المستقيم، فإن تخيل هذا المعنى وشغل الخيال بأمر واحد ممد للجمعية. وقال بعض الأكابر: إذا تغيرت شعرة من بدنك بواسطة الحال وتأثرت ينبغي

العادات أن تذكر غائباً غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه. وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أولاً صار مضطراً إلى كثرة الذكر آخراً بحيث لا يصبر عنه. فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره. ومن أكثر ذكر شيء وإن كان تكلفاً أحبه، فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يثمر الانس بالمذكور والحب له، ثم يمتنع الصبر عنه آخراً فيصير الموجب موجباً والثمر مثمراً. وهذا معنى قول بعضهم: كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة، ولا يصدر

لك أن تتبع تلك الشعرة حتى يحصل المعطل، كما قال بعضهم: الشغل هو عدم الشغل وعدم الشغل هو الشغل، وسأل الشيخ عبد الكريم اليمني حضرة الولي سعد الدين الكاشفري: ما الذكر؟ قال: قلت لا إله إلا الله، فقال: ما هذا ذكر هذا عبادة. قال: فقلت له أفد أنت. فقال: الذكر أن تعلم أنك لا تقدر على وجدانه، ولذا قال الجنيد رحمه الله تعالى: الصدق هو أن تجلس ساعة متعطلاً عن ملاحظة كل شيء، ثم أن مقصود هذه الطائفة مشاهدة الحق في الذكر كأنه يراك وملكة الحضور يسمونها مشاهدة وتكون بالقلب.

(**ولا ينبغي أن يتعجب من هذا فإن من المشاهد**) المحسوس (**في العادات**) الظاهرة (**أن يذكر غائب**) عن العين (**غير مشاهد**) بالبصر (**بين يدي شخص ويكرر ذكر خصاله**) الحميدة التي تبعث الذاكر على محبته (**عنده فيحبه**) أي يميل قلبه بالحب إليه، (**وقد يعشق**) الشيء ويحب (**بالوصف**) المتكرر (**وكثرة الذكر**) ومن هنا قالوا:

أذني لبعض صفات الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا

(**ثم إذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أولاً**) وهواه ومال إليه (**صار مضطراً الى كثرة الذكر آخراً**) من غير اختياره (**بحيث لا يصبر عنه**) لحظة لارتسامه في لوح القلب، (**فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره**) رواه بهذا اللفظ أبو نعيم، ثم الديلمي من حديث مقاتل بن حبان عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة مرفوعاً وقد تقدم ذلك، (**ومن أكثر ذكر شيء**) وإن كان تكلفاً في الأول وتصنعاً (**أحبه**) لا محالة ولا دور فيه كما يظن، فإن الحب الأول تكلفي، والثاني حقيقي فتفارقا، (**فكذلك أول الذكر**) للذاكر (**تكلف**) فيما يجده من نفسه، فإذا داوم انتقل إلى مقام وسط يغلبه التكلف تارة ويغيب عنه أخرى (**إلى أن**) يترقى بهمة مربيه (**إلى**) مقام الفناء الأول و(**يثمر**) له (**الأنس**) والألفة (**بالمذكور والحب له**) وفيه، (**ثم يمتنع الصبر عنه آخراً فيصير الموجب**) بكسر الجيم (**موجباً**) بفتحها (**ويصير الثمر مثمراً**) للغايات. (**وهذا معنى قول بعضهم**) من العارفين: (**كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة**) تقدم ذلك للمصنف، ونقله صاحب القوت عن ثابت البناني، وعن عتبة الغلام، ورأيته في الحلية في ترجمة ثابت: كابدت الليل بدل القرآن، (**ولا يصدر التنعم**)

التنعم إلا من الانس والحب. ولا يصدر الإنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعاً، فكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الإنسان تناول

بشيء (**إلا من الإنس والحب**) الحاصلين منه، (**ولا يصدر الإنس**) والحب (**إلا من المداومة على المكابدة**) والمجاهدة ورياضة النفس وتدريبها (**والتكلف**) من ذلك (**مدة طويلة**) بحسب همة السالك وقوته ومعرفته، (**حتى يصير التكلف طبعاً**) مناسباً له لا ينفك عنه ويصير حكمه حكم المزاج الذي لا محيد له عنه والسالكون في قطع هذه المفازة على مراتب: فمنهم من يقطع ذلك في ستين، ومنهم في أربعين، وهذا هو الحد الكامل عند السادة الخلوتية، ومنهم في عشرين كما وقع لعتبة الغلام وثابت البناني، ومنهم في عشر، ومنهم في أقل من ذلك. وقد قلنا أن الصحيح أن ذلك مربوط بهمة السالك وقوة مربيه، فقد تقع المصلحة في لمحة وتحصل الملاحظة في لحظة، وإليه الإشارة بقولهم: ما سلم حتى ودع أي ما دخل في أول قدمه حتى ترك ما سوى الله، وغالب البطر للسالكين إنما يحصل من امرين:

أحدهما: الوقوف مع الموطن الذي أقيم فيه فيكون حاجباً له عن الوصول إلى الترقيات. أولا ترى أن العلم أشرف شيء بعد الله تعالى، فمن وقف معه حجبه عن الله ورجع إلى كونه نعمة أنعم الله بها عليه، ولا صعود في حقه ما لم ينزع نفسه عن الوقوف في ذلك الموطن.

والثاني: الإيغال في تحرير أدلة التوحيد على طريقة المتكلمين، فكلما قام بباطنه أمر ما نفاه، ووقف مع قوله ﴿ليس كمثله شيء﴾ ولو علم أن الطريق الى معرفة الله أسهل الأشياء وأوضحها لاستراح من أول قدم وفرغ المحل ليكون قابلاً للمواهب والمعارف وأما أصحاب الفكر؛ فهم الذين شغلوا المحل وصرفوه عن القبول الإلهي بالفكر فيما لا يصح اقتناصه بالفكر فتأمل ذلك.

ومما يؤيد ما ذكرت من بطء السالك تارة في سيره ما ذكره الشيخ الأكبر قدس سره في بعض مخاطباته ما معناه: كان الشيخ أبو مدين رحمه الله تعالى يقصد قرب الطريق على المريدين فينقلهم من هذه الطرق إلى الفتح من غير أن يمروا على الملكوت لما فيه من الخطر وتعشق الأنفس به، فإذا حصل للعبد الفتح تدلى إلى العالم فكشفه بالحق تعالى ثم سأله السائل وقال له: يا سيدي فهل للشيخ أثر في ذلك؟ قال: نعم هو بمنزلة الدليل الذي يقول لك اسلك هذه الجهة فإنها أقرب من هذه السلوك عندنا بمنزلة الدائرة وهي درج يعتضد السالك إلى أن يرقى جميعها، فإذا خالف الأمر على الترتيب فيتعب أو يطول سلوكه، فإذا وقع له العارف اختصر له الطريق. أما سمعت إشارة أبي يزيد رحمه الله بقوله وقفت مع المجاهدين فلم أر لي معهم قدماً، ووقفت مع الصائمين والمصلين إلى أن عد مقامات كثيرة في ذلك كله يقول: فلم أر لي معهم قدماً فقلت: يا رب كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعال فاختصر له الطريق وهي ألطف كلمة وأخصر ما في الباب، فلما ترك نفسه قام الحق معه، وهذه أقرب الطرق.

ثم قال المصنف رحمه الله: (**وكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الإنسان تناول طعام**

طعام يستبشعه أولاً ويكابد أكله ويواظب عليه فيصير موافقاً لطبعه حتى لا يصبر عنه، فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف:

هي النفس ما عودتها تتعوّد

أي ما كلفتها أولاً يصير لها طبعاً آخراً. ثم إذا حصل الانس بذكر الله سبحانه

يستبشعه) أي يجده بشعاً كريهاً **(أولاً)** أي في أول الأمر **(ويكابد أكله ويواظب عليه)** أي يداوم **(فيصير موافقاً لطبعه)** ممازجاً لمزاجه **(حتى لا يصبر عنه، فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف)** أي لما تحمل تكلفاً **(وقد قيل)** فيما مضى:

(هي النفس ما حملتها تتحمل)

وفي بعض النسخ: « ما عودتها تتعود » وهو قول المتنبي، ومثله قوله:

لكل امرئ من دهره ما تعودا

(أي ما كلفتها أولاً يصير لها طبعاً آخراً) وربما يفهم من سياق المصنف في قوله: حتى يكابد ويجاهد أن المراد به الرياضة المعروفة للسادة الصوفية من الصوم والخلوة وإمالة النفس عن الشهوات المألوفة كما هو الشأن عند الأكثرين في مبدأ السلوك العام وهو صحيح في نفسه، ولكن ينبغي أن تعرف أن الرياضة بالوجه المذكور إنما اشترطها الحكماء لتخلو أفكارهم للتلقي عن الروحانيات، فإن الروحانيات لا تعطيهم آثارها إلا بفراغ المحل واستعداده وتوجهه إلى أفقهم. وأما العارفون بالله تعالى فإنهم علموا أن الأشياء كلها نسبتها إلى الحق نسبة واحدة فهم يشهدونه سبحانه في كل شيء ولا يحجبهم عنه شيء، ولهذا جاءت الشرائع بالأمر العام فأثبت كل أحد على أصله إذ لكل نوع منهم أصل إلى الحق فافهم ذلك.

وإلى ذلك أشار الشيخ شهاب الدين السهروردي في أجوبة أسئلة وردت له من مشايخ خراسان هو أن الخلوة معينة على دفع آفات النفس ومعرفة الزيادة والنقص، وقد يترقى المريد بنفس الشيخ وصحبته من غير أن ينحبس في بيت مظلم بل يسري إليه من باطن الشيخ ما يستغني به عن الخلوة، لكن الخلوة تصلح لبعض المريدين غير أني لا أحب للمريد أن يترك الصلاة في جماعة، بل يحضر الفرض ويرجع إلى خلوته حتى لا تكون خلوته رهبانية، وأما من ترك الجماعة وزعم أنه في الخلوة وإن خرج يتشوّش عليه خاطره وتتفرق جمعيته، فهذا ضال مخطئ نعوذ بالله منه، ومن يحسن له ذلك فهو عين الضلال واتباع المحال بل ببركة المتابعة وابتغاء فضل الجماعة يعود عليه من الفتح والنور أجل مما فاته في خلوته اهـ.

(ثم إذا حصل الأنس بذكر الله عز وجل) وألفه ألفة تامة **(انقطع عن غير الله تعالى)** وعن نفسه، فإنها غير الله تعالى وهو المعبر عنه عندهم بالفناء وكل مشهد يعتمد الحق فيه بينك وبينه ذكر الأغيار أو ذكر نفسك، وتزعم أن ذلك قرب فليس ذلك بقرب لكنك مجاور غير

انقطع عن غير ذكر الله وما سوى الله عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت، فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل، فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق، فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعاً فيه عما به أنسه. ولذلك قال ﷺ: « إن روح القدس نفث في روعي أحبب ما أحببت فإنك مفارقه » أراد به كل ما

كائن في المقام، فإن القرب الإلهي يذهب الأكوان والأعيان إذا كنت فيه كائناً، وتحقيق هذا المقام أن البعد بعدان: بعد الحقائق وبعد المسافات، فبعد المسافات يتصور بعد القرب، وأما بعد الحقائق فلا يتبدل أبداً فإذا أقامك الحق في مشهد وأشهدك نفسك فأنت في عين البعد لأنك كون وأين الكون من الحق، فبينهما البعد البعيد. لكن لك حقيقة المجاورة المعنوية وهي أنه ليس بينك وبينه تعالى أمر زائد كما ليس بين الجوهرين المتجاورين حيز ثالث. ولله المثل الأعلى، ولا يكون في هذا المقام إلا المحققون. وأما أرباب الأحوال من الصوفية فلهم الفناء عن أنفسهم، فالمحقق أثبت الرب والبعد وهو المتحقق، فإذا انتفى البعد في حق العارف فذلك بالوقت هو صاحب حال لا صاحب تحقيق، فتأمل.

(وما سوى الله تعالى هو الذي يفارقه عند الموت، فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية) على شيء **(ولا يبقى معه إلا ذكر الله سبحانه)** وما والاه، وما ورد في الخبر « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ». الحديث. فإن المراد عمله الدنيوي وهو من عالم الملك، وأما ذكر الله فهو من عالم الملكوت فهو كالمستثنى في الأعمال، **(فإن كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل، ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه يخلي بينه وبين محبوبه)** الذي ألفه، **(فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعاً فيه عما به انسه)**.

قال الشيخ الأكبر قدس سره: من عرف شيئاً تعلقت همته بطلبه كان له إما عاجلاً وإما آجلاً، فإن ظفر به كان ذلك اختصاصاً واعتناء، وإن لم يظفر به في حياته معجلاً كان مدخراً له بعد المفارقة قد يناله بعد المفارقة ثم ضرورة لازمة، ومن لم يتحقق منها في هذا الموطن لم يظفر، ثم وإنما سمي يوم القيامة يوم التغابن لهذا إذ ينقطع الترقي وإنما يكون الترقي تم في نفس المقام الذي حصله المكلف ههنا. وقال أيضاً قدس سره: ينبغي للعبد أن يستعمل همته في الحضور في مناماته بحيث يكون حاكماً على خياله يصرفه بعقله نوماً كما كان يحكم عليه يقظة، فإذا تحقق للعبد هذا الحضور وصار خلقاً له وجد ثمرة ذلك في البرزخ وانتفع به جداً فليهتم العبد بتحصيل هذا القدر فإنه عظيم الفائدة.

(ولذلك قال ﷺ « إن روح القدس نفث في روعي أحبب ما أحببت فإنك مفارقه »)

١

يتعلق بالدنيا فإن ذلك يفنى في حقه بالموت فـ﴿ـكل من عليها فان* ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] وإنما تفنى الدنيا بالموت في حقه إلى أن تفنى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله. وهذا الإنس يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء. وذلك بعد أن يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور. ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل ومعه بعد الموت فيقول: إنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل؟ فإنه لم يعدم عدماً يمنع الذكر بل عدماً من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت. وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ:

تقدم ذلك في الباب السابع من كتاب العلم بلفظ «أحبب من أحببت» وتقدم أنه رواه الطبراني في الأوسط والأصغر من حديث علي بسند ضعيف. **(أراد به كل ما يتعلق بالدنيا)** من الأكوان والألوان، **(فإن ذلك يفنى في حقه بالموت)** ولا يبقى **(ف﴿كل من عليها فان)** أي هالك ومضمحل بالكلية **(ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾)** فمن تعلقت همته بكون من الأكوان كائناً ما كان فهي مع غير الله تعالى فلا بد من دفع ذلك عنها وتعليقها به تعالى وحده الذي من صفته البقاء المطلق، وأنه ذو الجلال والإكرام، **(وإنما تفنى الدنيا بالموت في حقه إلى أن تفنى)** هي **(في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله)** المحتوم. **(وهذا الانس)** بالمذكور **(يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر إلى اللقاء)** وإنما عبر عنه بالترقي لأن الذكر حجاب عن المذكور بمنزلة الدليل، والدليل متى أعطاك المدلول سقط عند تحققك بالمدلول، وكذلك الذكر فمتى كنت مع المذكور فلا ذكر وهذا هو اللقاء. **(وذلك بعد أن يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور)** من النيات والهمم، فالعبد مع نيته وهمته فهي تجذبه وترفعه إلى محلها منه. **(ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول إنه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فإنه لم يعدم عدماً يمنع الذكر بل عدماً من عالم الدنيا وعالم الملك و)** عالم **(الشهادة لا من عالم الملكوت)** الذي هو الغيب المختص.

وسئل الشيخ الأكبر قدس سره عن قول المصنف رحمه الله تعالى: إذا صار السالك في سماء الدنيا أمن خاطر الشيطان وعصم منه؟ فأجاب: ههنا تحقيق ينبغي أن يتفطن له، وذلك أن القول إنما يثبت إذا صار الجسد فوق سماء الدنيا إذا مات الإنسان وانتقلت نفسه، وأما إذا كان في عالم الكشف، وكذا كشف السموات فإنه فيها بروحانيته فقط وخياله متصل، وللشيطان موازين يعلم بها أين مقام العبد في ذلك المشهد فيظهر من مناسبات المقام ما يدخل عليه الوهم والشبهة، فإن كان عند السالك ضعف أخذ عنه وتحقق بالجهل ونال الشيطان منه غرضه في ذلك الوقت، وإن كان عارفاً أو على يد شيخ محقق، فإن تم سلوكاً يثبت به ما جاء به الشيطان ويستوفيه ثم يأخذ منه فيصير ذلك المشهد الشيطاني مشهداً ملكياً ثابتاً لا يقدر الشيطان أن يدفعه فيذهب خاسراً خاسئاً، ومنهم من أخذ من العدو ما أتى به ويقلب عين ذلك الشبه فيردّه خالصاً أبريزاً اهـ.

« القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ». وبقوله ﷺ : « أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر » وبقوله ﷺ لقتلى بدر من المشركين: « يا فلان يا فلان وقد سماهم النبي ﷺ هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً ، فسمع عمر رضي الله عنه قوله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا ؟ فقال ﷺ :والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا ». والحديث في الصحيح. هذا قوله عليه السلام في المشركين فأما المؤمنون والشهداء فقد قال ﷺ : « أرواحهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ». وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل. وقال

(وإلى ما ذكرناه الإشارة بقوله ﷺ « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد بتقديم وتأخير، وقال: غريب.

قال العراقي: قلت: فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه الطبراني من حديثه بتقديم وتأخير بسند ضعيف، ورواه أيضاً في معجمه الأوسط في ترجمة مسعود بن محمد الرملي من حديث أبي هريرة وسنده ضعيف أيضاً.

(وبقوله ﷺ « أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ») وفي نسخة « طيور خضر تعلق من ثمر الجنة ». رواه الترمذي عن كعب بن مالك رضي الله عنه، رواه مسلم من قول أبي مسعود وسيأتي قريباً.

(وبقوله ﷺ لقتلى بدر من المشركين) وقد سحبوا في قليب بدر: **(« يا فلان يا فلان وقد سماهم النبي ﷺ بأسمائهم)** وأسماء آبائهم **(هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً)** من القتل والخزي؟ **(فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً)** من النصر والغلبة، **(فسمع عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه قوله ﷺ فقال يا رسول الله: كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا)** أي صاروا جيفة وانتنوا؟ **(فقال ﷺ : والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا » والحديث في الصحيح)** أي رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس **(هذا قوله عليه السلام في المشركين، وأما المؤمنون والشهداء فقد قال ﷺ « إن أرواحهم في حواصل طير خضر معلقة تحت العرش »)** أما المؤمنون، فرواه ابن ماجه من حديث كعب بن مالك « أن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة ». ورواه النسائي بلفظ « إنما نسمة المؤمن طائرة » ورواه الترمذي بلفظ « أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق بثمر الجنة » وقال: حسن صحيح وقد تقدم للمصنف قريباً. وأما الشهداء: فرواه مسلم من حديث أبي مسعود ولم يرفعه وسيذكر قريباً.

(وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافي ذكر الله عز وجل. وقال الله عز

تعالى : ﴿ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون★ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ [آل عمران : ١٦٩ - ١٧٠] الآية . ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لأن المطلوب الخاتمة ، ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره ، فإن قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقاً بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال ، فإنه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فإنه يريدها لحياته وقد هوّن على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ، ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل ما لا يحصى . فمن ذلك أنه لما استشهد عبدالله بن عمرو الأنصاري يوم أُحُد قال رسول الله ﷺ لجابر : « ألا أبشرك يا جابر ! قال : بلى بشرك الله بالخير . قال : إن الله عز وجل

وجل **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون★ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم﴾ الآية)** . روى مسلم عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية فقال : أما أنا قد سألنا عن ذلك فقال : « أرواحهم في جوف طير خضر » فلم يسم فيه النبي ﷺ ، وفي رواية الترمذي « أما أنا قد سألنا عن ذلك فأخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس أن ابن منيع صرح برفعه في مسنده ، **(ولأجل شرفهم)** أي الشهداء **(بذكر الله تعالى عظمت رتبة الشهادة)** على غيرها ، ففي الصحيح : فوددت « أني أحيي فأقتل ثم أحيي فأقتل » **(لأن المطلوب)** الأعظم **(الخاتمة)** فإن حسنت قبلت الأعمال كلها ، **(ونعني بالخاتمة)** هنا **(وداع الدنيا)** وتركها وما يتعلق بها وراء ظهره **(والقدوم على الله عز وجل)** بكمال همته **(والقلب مستغرق بالله تعالى منقطع العلائق عن غيره)** ، وذلك بمراعاة الأنفاس الصاعدة مع الله تعالى . وهذه أعلى المراتب ودون ذلك من يراعي ساعاته ، وأقل العارفين رتبة من يراعي يومه وذلك أقل الدرجات ، فهذا معنى الاستغراق بالله .

(فإن قدر عبد على أن يجعل همه) كله بعد ضمه عن التشتت **(مستغرقاً بالله تعالى)** تاركاً ما سواه ، وهذا الاستغراق يحصل بتهيئة المحل لما يجب عليه للربوبية وقطع العلائق الحسية والمعنوية ، ومتى حصل له ذلك **(فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة إلا في صف القتال)** مع أعداء الحق ، **(فإنه قد قطع عند ذلك الطمع عن مهجته)** أي نفسه **(وأهله وماله وولده ، بل من الدنيا كلها فإنه يريد إماتته في الشرع وقد هون على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته ولا تجرد لله أعظم من ذلك في الشرع ، ولذلك عظم أمر الشهادة)** ونوه بشأنها **(وورد فيها من الفضائل ما لا يحصى ، فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله)** السلمي **(الأنصاري)** والد جابر رضي الله عنهما **(يوم أحد قال رسول الله ﷺ لجابر ابنه « ألا أبشرك يا جابر ! قال : بلى بشرك الله بالخير . قال : إن الله عز وجل أحيا أباك وأقعده**

أحيا أباك فاقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى: تمنّ عليّ يا عبدي ما شئت أعطيكه؟ فقال: يا رب أن تردني إلى الدنيا حتى أُقتل فيك وفي نبيك مرة أخرى. فقال عز وجل: سبق القضاء مني بأنهم إليها لا يرجعون». ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فإنه لو لم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا إليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل، ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة، فإن القلب وإن ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فإذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت إليه ذلك ويتمنى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر

بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال الله تعالى: تمن علي يا عبدي ما شئت أعطيكه. فقال يا رب: تردني إلى الدنيا حتى أقتل فيك وفي نبيك) ﷺ **(مرة أخرى. فقال الله عز وجل: سبق القضاء مني أنهم إليها لا يرجعون»)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن، وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث جابر اهـ.

ثم **(إن القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة)** المرضية، **(فإنه لو لم يقتل وبقي مدة)** من الزمان **(ربما عادت شهوات الدنيا)** إليه **(وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله تعالى)** فبعد أن كان مؤهلاً للرتبة العلية والحضور مال عنها وتشاغل بالحظوظ فذلك دليل الخذلان نعوذ بالله من ذلك، **(ولهذا عظم خوف أهل المعرفة)** بالله تعالى **(من سوء الخاتمة، فإن القلب وإن ألزم ذكر الله تعالى فهو متقلب)** وإليه الإشارة بقول القائل:

وما سمي الإنسان إلا لأنسه ... وما القلب إلا أنه يتقلب

فهو إذاً **(لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا)** ولذاتها، **(ولا ينفك عن فترة تعتريه)** فلكل عمل فترة، كما ورد في الخبر: فالفترة تكون من الأعمال وأما الوقفة فإنها تكون في الأحوال. وسبب الوقفة إهمال حكم الحال والإخلال بشيء من شروط الحال، وموجب الإخلال والإهمال لنقصان علم الحال ونقصان علم الحال لنقصان علم القيام، وهذا النقصان هو الفتور عن المراقبة. **(فإذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا على هذه الحالة، فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحيا بعد الموت على ذلك ويتمنى الرجوع إلى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة إذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه)**. وقد روى ابن ماجه والضياء في المختارة عن جابر رفعه «يحشر الناس على نياتهم». وقال الشيخ الأكبر قدس سره: والناس إنما يحشرون يوم القيامة على قدر معرفتهم بالله الحاصلة في نفوسهم لا على قدر معرفتهم بطريق المعرفة والعلم.

على ما مات عليه، فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك. كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل واعلاء كلمته، فهذه الحالة هي التي عبّر عنها بـ ﴿ إنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفسَهُم وأموالهم بأنّ لهم الجنة ﴾ [التوبة: ١١١] ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة. وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا إله إلاّ الله فإنه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود وكل معبود إله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله: « لا إله إلا الله » إذ لا مقصود له سواه. ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره في مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن في حقه الخطر. ولذلك فضل رسول الله ﷺ قول لا إله إلا الله على سائر الأذكار، وذكر ذلك

(**وأسلم الأحوال من هذا الخطر**) العظيم (**خاتمة الشهادة**) في سبيل الله (**إذا لم يكن قصد الشهيد نيل مال**) من الغنيمة (**أو أن يقال شجاع أو غير ذلك**) والحمية والعصبية (**كما ورد به الخبر بل**) محض (**حب الله تعالى وإعلاء كلمته**).

روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل يرى مكانه في سبيل الله قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » قاله العراقي، قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي.

(**فهذه الحالة هي التي عبر عنها بـ ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾**) الآية (**ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة**) وفي الآية إشارة إلى أن الزكاة في النفوس آكد منها في الأموال، ولهذا قدمها الله في الشراء. فالعبد ينفق في سبيل الله نفسه وماله، (**وحالة الشهيد توافق معنى قولك: لا إله إلا الله فإنه لا مقصود له**) أي للشهيد (**سوى الله عز وجل**) أي حبه وإعلاء كلمته (**ولا معبود له سواه وكل مقصود**) إليه في الحقيقة (**معبود**) أي مستحق لهذا الوصف (**وكل معبود إله**)حق، وقال مشايخنا النقشبندية: معنى « لا إله » نفي الإلهية الطبيعية « وإلا الله » إثبات المعبود بالحق، وقال بعضهم: بل يتصور في النفي لا معبود، والمتوسط يلاحظ لا مقصود، والمنتهى لا موجود وما لم ينته السير إلى الله بوضع القدم في السير في الله تكون ملاحظته لا موجود إلا الله كفراً، (**فهذا الشهيد قائل بلسان حاله « لا إله إلا الله » إذ لا مقصود له سواه، ومن يقول ذلك بلسانه**) أي ينفي المقصودية من غيره ويثبتها له تعالى (**ولم يساعده حاله**) لعارض الوقفة (**فأمره في مشيئة الله عز وجل إن شاء آخذه وإن شاء عفا**) عنه (**و**)لكن (**لا يؤمن في حقه الخطر**) لمخالفة حاله موطنه، (**ولذلك فضل رسول الله ﷺ قول « لا إله إلا الله » على سائر الأذكار**). قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة من حديث جابر رفعه « أفضل الذكر لا إله إلا الله » اهـ.

مطلقاً في مواضع الترغيب، ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة: « من قال لا إله إلا الله مخلصاً » ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال. فنسأل الله تعالى

قلت: وتمام الحديث « وأفضل الدعاء الحمد لله » أخرجه الترمذي والنسائي: في الكبرى جميعاً عن يحيى بن حبيب قال: حدثنا موسى بن إبراهيم المدني، عن طلحة بن خراش، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. وأخرجه ابن حبان عن محمد بن علي الأنصاري عن يحيى بن حبيب. وأخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن إبراهيم والحاكم من رواية إبراهيم بن المنذر كلاهما عن موسى بن إبراهيم. قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى، وقد روى علي بن المديني وغيره هذا الحديث عن موسى، قال الحافظ: ولم أقف في موسى على تجريح ولا تعديل إلا أن ابن حبان ذكره في الثقات وقال: يخطئ وهذا عجب منه لأن موسى مقل فإذا كان يخطئ مع قلة روايته فكيف يوثق ويصحح حديثه، فلعل من صححه أو حسنه تسمح لكون الحديث من فضائل الأعمال، والله أعلم.

(**وذكر ذلك مطلقاً**) أي من غير قيد (**في مواضع الترغيب**) وهي كثيرة.

فمن ذلك ما رواه الحاكم عن إسحاق بن أبي طلحة عن أبيه عن جده من قال « لا إله إلا الله وجبت له الجنة ».

ومنه ما رواه أحمد والبزار والطبراني من حديث أبي الدرداء « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة. قال أبو الدرداء: وإن زنى وإن سرق. قال: وإن زنى وإن سرق وفي الثالثة على رغم أنف أبي الدرداء ». ورواه الطبراني في الأوسط عن سلمة بن نعيم الأشجعي.

ومنه ما رواه الخطيب عن أنس « من قال لا إله إلا الله طلبت ما في صحيفته من الحسنات ».

ومنه ما رواه ابن شاهين عن أبي هريرة « من قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة » الحديث.

(**ثم ذكر ذلك في بعض المواضع**) مقيداً (**مع الصدق والإخلاص فقال مرة « من قال لا إله إلا الله مخلصاً**) دخل الجنة » تقدم ذكره قريباً في فضيلة التهليل، (**ومعنى الإخلاص مساعدة الحال للمقال**) أي بأن يكون حاله مساعداً لقاله، وقاله موافقاً لحاله. وقد جاء في إحدى روايات هذا الحديث زيادة وهي: قيل وما إخلاصها؟ قال « أن تحجزه عن محارم الله تعالى » وفي رواية أخرى « أطاع بها قلبه وذل بها لسانه ». أخرجها الطبراني في الأوسط عن سعد بن عبادة، وفي أخرى « لا يريد بها إلا وجهه أدخله الله بها جنات النعيم ». أخرجها الطبراني عن ابن عمر وهو في معنى الإخلاص.

وروى ابن النجار عن عقبة بن عامر، عن أبي بكر رضي الله عنهما « من قال لا إله إلا الله يصدق لسانه قلبه دخل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء ».

أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالاً ومقالاً وظاهراً وباطناً حتى نودع الدنيا غير ملتفتين إليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله، فإن من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. فهذه مرامز إلى معاني الذكر التي لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة.

(**فنسأل الله تعالى أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالاً**) وذوقاً ومشهداً (**ومقالاً وظاهراً وباطناً حتى نودع الدنيا**) ونتركها (**غير ملتفتين إليها**) أي إلى زخاريفها (**بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله عز وجل، فإن من أحب لقاء الله سبحانه أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله عز وجل كره الله لقاءه**) وهذا قد رواه الطيالسي وأحمد والدارمي والشيخان والترمذي والنسائي وابن حبان عن أنس عن عبادة بن الصامت. ورواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي عن عائشة، ورواه الشيخان عن أبي موسى، ورواه مسلم والنسائي عن أبي هريرة، ورواه النسائي والطبراني عن معاوية، زاد أحمد والنسائي في حديث أنس قالوا: يا رسول الله كلنا نكره الموت. قال «ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله بما هو صائر إليه فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله فأحب الله لقاءه وان الفاجر إذا حضر جاءه ما هو صائر إليه من الشر فكره لقاء الله تعالى فكره الله لقاءه» وقد جاءت هذه الزيادة بنحوها في حديث عائشة عن عبد بن حميد، عن أنس، عن عبادة بن الصامت. وعند ابن ماجه عن عائشة، وعند أحمد عن رجل من الصحابة.

(**فهذه مرامز**) ولوامح (**إلى معاني الذكر**) مما يمنحها (**لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة**). وهذه مسانحات من معاني الذكر نختم بها هذا الباب.

الأولى: السالك إذا تعجل طلب الشهود في هذا الموطن وعلل همته واستجلب الفناء، فإنه قد تحصل له منازلات لكنه في الحقيقة سوء أدب ويفوته أكثر مما ناله. وتحقيق هذا المقام أن الله تبارك وتعالى أوجد العبد وجعل له هذه الدار دار تكليف أمره فيها بأوامر ونهاه عن نواه، فوظيفته إن كان عبداً امتثل ما أمر به واجتنب ما نهى عنه ويستعين العبد بربه في طلب التوفيق في الامتثال، وعلى العبد أن يهيئ محله بأن لا يجعل في قلبه ربانية لغير ربه، فهو يجتهد في قطع العلائق التي تؤثر في عبوديته نقصاً مّا هذا أهم ما عليه وقطعه لهذه العلائق هو تهيؤ المحل للقيام بحق الربوبية عنده تكملة وصفة العبودية هذا شأن العبد، وأما نتائج ائتماره وعبوديته فلا يليق به طلبها وذلك راجع إلى ربه تعالى إن شاء عجله وإن شاء أجله، فإذا قصد تعجيل النتائج في دار التكليف فقد أساء الأدب وعامل الموطن بما لا تقتضيه حقيقته، فإذا استقام العبد في مقام العبودية وعجل له الحق نتيجة ما أو كرامة قبلها وكانت مطهرة من شوائب حظه، وإن أجل الله تعالى له النتائج رضي عنه سبحانه، واعلم أن الخيرة فيما اختاره الله تعالى. والله أعلم.

الثانية: إعلم أن الدنيا موطن العمل وتهيئ المحل والآخرة موطن النتيجة والثواب، فكما أن الآخرة ليست دار عمل، فكذلك هذه الدار ليست دار نتائج فلا يجب على المريد تهيؤ المحل،

وأما النتائج فإنها أمامه في الدار الآخرة ولا يلزم من كون الإنسان لم يكشف له في هذا الموطن لأنه ناقص الاستعداد، وليس له نصيب في هذا الأمر بل يقال أنه عند موته تهيأ محله وكمل استعداده، ولا فرق بين من كوشف ذلك الوقت في ذلك الموطن وبين من كوشف طول عمره إنما هو تقديم وتأخير، والله أعلم.

الثالثة: قال بعض العارفين لا تذكرني بذكرك فتحجب عني بك، واذكرني بذكري، وتحقيق هذا أن ذكرك بك هو أن تذكره للتنزيه أو لمعنى من معاني الذكر وذكرك به هو أن تذكره لكونه أمرك بالذكر، ولهذا اختار العارفون الذكر المفرد لكونه يعطيك معنى تتفرق بسببه ليكون الذكر تعبداً محضاً، فمتى سبحته للتنزيه أو هللته لنفي الشريك وقصدت هذه المعاني المعقولة من ذلك فقد ذكرته به فتتحقق، والله أعلم.

الرابعة: هذه الأذكار والأوراد التي رتبها المشايخ لمريديهم وعاهدوهم بها فيما يأخذون به أنفسهم، فاختلف فيه: فمنهم من كره ذلك لأن المريد فيها يبقى بحكم العادة يمر عليها بالطبع والغفلة وقلبه في محل آخر، وإذا لم يتقيد بها وذكر الله تعالى متى وجد لذلك سبيلاً في أي وقت كان بحيث يعقل ذلك بحضور وإقبال، فإنه يجد أثره بحضور همته ووجود عزيمته خلاف الأول. وأما المعاهدات فلا يأمن متعاطيها وقوع الخيانة والأحسن به أن يأتي ما يأتي بغير معاهدة ويفعل الله ما يشاء والله أعلم.

الخامسة: اعلم أن الفناء في الوصول أعلى لأن معه يصح التوحيد المجرد ومتى صحبه علمه بأنه موحده والبقاء في السلوك أعلى لأنه يفنى عما سوى المسلوك إليه، وهو في كل قدم يسلكها أعلى مما بعدها فتحققه بالفناء من غير قدمه التي هو سالكها، فإذا وكل إلى الحق سبحانه فني فيه لا عنه، والله أعلم.

السادسة: ينبغي للسالك أن لا يحكم على الله بشيء ولو بلغ أعلى المراتب وأكملها، وقال له رضيت عنك رضاي الأكبر، فبعد هذا كله لا يأمنه، بل ينبغي أن يعطي الألوهية حقها ولينظر إلى الخبر الذي ورد عن جبريل واسرافيل عليهما السلام أنهما كانا يبكيان فقال لهما الحق وهو أعلم: ما الذي يبكيكما؟ فقالا: خوفاً من مكرك. فقال لهما الحق سبحانه: كذلك فكونا، والله أعلم.

السابعة: هل الذاكر يصح له الاقبال على الحاضرين ومكالمتهم ويكون مع ذلك حاضراً في علم الباطن كحضوره في خلوته؟ فالجواب: لا يصح ذلك لمبتدىء ولا لمنته. ألا ترى رسول الله ﷺ وهو سيد المرسلين كان إذا أتاه الوحي اشتد عليه إلى أن ينقضي ذلك، ثم يسري عنه هذا مع كونه كان في خطاب ملكي، فكيف يكون الاستغراق في خطاب الحق، لكن المتمكن سريع الآخذ، فمن اشتغلت عنه وتركت اقباله عليك فلا تعلم أين يكون في وقته ذلك، فحينئذ يأتيه وارده والله أعلم.

....

الثامنة: ينبغي للذاكر أن لا يشتغل بمعاني الذكر بل بالذكر ويجعله معتمده ولا يعقل معناه، ويقول هذه عبادة أمرت بها فأنا ممتثل الأمر فإذا اعتقد الذاكر ذلك كان الذكر يعمل بخاصيته وما تقتضيه حقيقته، والله أعلم.

التاسعة: الشوق أول منازل السعادة ولا يحصل إلا بطريق المواهب، ومتى حصل الشرق جذب إلى الفناء عن الاكوان، والله أعلم.

العاشرة: إذا علم المريد من الأحكام ما لا بدّ له منه، فالأولى به الانقطاع إلى الله ودوام التبتل إلا أن يكون غير متأبد على الحق الصرف ونفسه لا تجيبه على الدأب على العمل والذكر وتنازعه بالفتور ومطالبة البطالة، فعند ذلك يجعل سهم البطالة الاشتغال بشيء من العلم من قبل فروض الكفايات ليكون تبتله عزيمة واشتغاله رخصة، والله أعلم.

الباب الثاني

في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله ﷺ :

فضيلة الدعاء :

الباب الثاني

في آداب الدعاء وفضل بعض الأدعية المأثورة وفضيلة الاستغفار وفضيلة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضيلة الدعاء :

ولنذكر قبل الشروع في هذا الفصل بيان حقيقة الدعاء لغة وشرعاً، وقد تقدم لنا في الباب الذي قبله أن الدعاء من الألفاظ المشتركة فذكرت هناك إجمالاً من غير ذكر الشواهد، والآن أذكره مع الشواهد أما لغة فأصل هذه الكلمة مصدر من دعوت الشيء ادعوه دعاء أقاموا المصدر مقام الإسم. تقول: سمعت دعاء كما تقول سمعت صوتا ويطلق ويراد به التوحيد، كما في قوله الله تعالى ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه﴾ [الجن: ١٩] وقوله: ﴿ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم﴾ [الأعراف: ١٩٤] ويطلق ويراد به الاستغاثة، ومنه ﴿وادعوا شهداءكم من دون الله﴾ [البقرة: ٢٣] أي استغيثوا ويطلق ويراد به النداء، ومنه قوله ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده﴾ [الإسراء: ٥٢] وقوله ﴿قالت إن أبي يدعوك ليجزيك﴾ [القصص: ٢٥] ومنع القرافي كونه هنا بمعنى الطلب لاستحالته. قال الزركشي: وليس كما قال لصحة يطلبك ليجزيك ويطلق، ويراد به السؤال والطلب وهو المراد هنا، ومنه قوله ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر: ٦٠] وهو في الأصل مصدر، وأما حقيقته اصطلاحاً فمعنى قائم بالنفس وهو نوع من أنواع الكلام النفسي، وله صيغ تخصه في الإيجاب أفعل، وفي النفي لا تفعل، وقد اجتمعا في قوله ﴿ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا﴾ [البقرة: ٢٨٦] الآية. وقال الخطابي: حقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه العناية واستمداده إياه المعونة، وحقيقته اظهار الافتقار إليه والبراءة من الحول والقوّة التي له وهو بسمة العبودية وإظهار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله تعالى، وإضافة الجود والكرم إليه، وإذا عرفت ذلك فاعلم أن في فضل الدعاء وردت آيات وآثار دالة على أنه مطلوب شرعاً والرد على من قال لا فائدة فيه مع سبق القدر.

قال الله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيبُ دعوةَ الدَّاع إذا دعان فليستجيبُوا لـي﴾ [البقرة: ١٨٦] وقال تعالى: ﴿ادعُوا ربّكُم تضرّعاً وخُفيَةً إنه لا يحبّ

أما الآيات: (**قال الله عز وجل ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾**) أي: فقل لهم إني قريب ففيه اضمار وهو تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من كان قريباً مكانه منهم، روي أن اعرابياً قال لرسول الله ﷺ: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزلت هذه الآية: (**أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾**) تقرير للقرب ووعد الداعي بالإجابة قرأ أهل المدينة غير قالون وأبو عمر وباثبات الياء فيهما في الوصل، والباقون بحذفها وصلاً ووقفاً (**فليستجيبوا لي**) إذا دعوتهم للإيمان والطاعة، كما أجيبهم إذا دعوني لمهماتهم ﴿وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال أبو عبد الله الزركشي في كتاب الأزهية: وفي الآية لطائف: منها أنه جرت عادة القرآن حيث ورد لفظ السؤال جاء عقبه « قل » كقوله تعالى ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى﴾ [البقرة:٢٢٢] ﴿يسألونك عن الانفال قل الأنفال﴾ [الأنفال: ١] وترك في هذا الموضع لفظ « قل » للإشارة إلى رفع الواسطة بين العبد والرب في مقام الدعاء وفيه إشعار بالأستجابة الشريفة.

ثانيها: إضافة العبد « بياء » التشريف يدل على أن العبد له. وقوله « قريب » يدل على أن الرب للعبد.

ثالثها: لم يقل العبد قريب مني بل أنا منه قريب، لأن العبد ممكن الوجود فهو من حيث هو لا بد وأن يكون مركز العدم وحضيض الفناء، فكيف يكون قريباً من القريب وهو الحق؟ فالعبد لايمكنه القرب من الحق والحق بفضله وكرمه يقرب إحسانه منه، فلهذا قال ﴿فإني قريب﴾ ومعنى القرب أنه إذا أخلص في الدعاء واستغرق في معرفة الله امتنع أن يبقى بينه وبين الحق واسطة وذلك هو القرب اهـ.

قلت: وقال الشيخ الأكبر قدس سره، الطريق من الحق تعالى إلى الخلق هي على حكم واحد. قال تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد: ٤] وقال تعالى ﴿وهو على كل شيء شهيد﴾ [سبأ: ٤٧] لكن إنما الشأن أن يكون لطريقك أنت به تتصل لأنك أنت محل الحجاب، فإذا زالت الحجب عنك وذهبت الغفلة حينئذ تتصف بالقرب من هذه المرتبة والمقام الذي هو مقام الصالحين والمقربين، فالقرب إنما هو قرب مخصوص من مراتب مخصوصة وكذلك البعد، والذي يتقرب إليه إنما هو مقام السعادة الخاصة التي جاءت بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام انتهى. وقد تقدم قريباً في بيان معاني الذكر الكلام على القرب والبعد له شديد تعلق بهذا المقام فانظره.

(**وقال تعالى ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفيةً إنه لا يحب المعتدين﴾**) والمعنى: ادعوا ربكم ذوي تضرع واخفاء، فإن الإخفاء أقرب الى الاخلاص والمعتدون هم المتجاوزن في الدعاء بالإجهار فيه أو بالاسباب أو بطلب ما لا يقتضيه حاله وسيأتي الكلام عليه قريباً.

المعتدين﴾ [الأعراف : ٥٥] ، وقال تعالى : ﴿وقال ربّكم ادعوني أستجب لَكُم إنَّ الذين يَسْتكبرونَ عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين﴾ [غافر : ٦٠] ، وقال عز وجل : ﴿قلْ ادعـوا الله أو ادعُـوا الرّحمن أيّاً ما تـدعوا فلَـهُ الأسماءُ الْحُسنـى﴾ [الإسراء : ١١٠]

وقال عز وجل : ﴿قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ [الإسراء : ١١٠] نزلت حين سمع المشركون رسول الله ﷺ يقول : « يا الله يا رحمن » فقالوا : إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر . والمراد التسوية بين اللفظين ، فإنها يطلقان على ذات واحدة وإن اختلف اعتبار اطلاقها ، والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود « والواو » للتخيير والتنوين في أيًّا عوض عن المضاف « وما » صلة لتأكيد ما في « أي » من الابهام . كان أصل الكلام وايّاً ما تدعوا فهو أحسن ، فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه ، وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والإكرام .

وقال تعالى : ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾) قيل : معناه اعبدوني إثب لكم لقوله : ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ الآية و(**داخرين**) صاغرين وإن فسر الدعاء بالسؤال لأن الإستكبار الصادر عنه منزل منزلته للمبالغة والمراد بالعبادة الدعاء .

فإن قيل : ما وجه قوله تعالى أجيب دعوة الداعي إذا دعاني وقوله تعالى : ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ وقد يدعى كثيراً فلا يجيب ؟ قلنا : اختلفوا في معنى الآية الأولى قيل : معنى الدعاء الطاعة ومعنى الإجابة الثواب ، وقيل : معنى الآيتين خاص وإن كان لفظها عاماً . تقديرها : أجيب دعوة الداعي إذا شئت ، كما قال تعالى : ﴿فيكشف ما تدعون إليه إن شاء﴾ [الأنعام : ٤١] وأجيب دعوة الداعي إن وافق القضاء وأجيبه إن كانت الإجابة خيراً له ، وأجيبه إن لم يسأل محالاً .

وروى ابن زنجويه في فوائده عن عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن ربيعة بن يزيد ، عن أبي إدريس ، عن أبي هريرة رفعه قال : « يستجيب لأحدكم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل . قالوا : ما الإستعجال يا رسول الله ؟ قال : يقول قد دعوتك يا رب فلا أراك تستجيب لي فيتحسّر عند ذلك فيدع الدعاء » وقيل : هو عام ، ومعنى قوله : « أجيب » أي أسمع . ويقال : ليس في الآية أكثر من إجابة الدعوة ، فأما إعطاء الأمنية فليس بمذكور فيها ، قد يجيب دعاء السيد عبده والوالد ولده ثم لا يعطي سؤاله فالإجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوى ، وقيل : معنى الآية أنه يجيب دعاءك فإن كان قدر له ما سأل أعطاه ، وإن لم يقدر له أدخر له الثواب في الآخرة أو كف عنه سوءاً .

والدليل عليه ما رواه ابن زنجويه في فوائده من طريق مكحول عن جبير بن نفير عن عبادة بن الصامت رفعه قال : « ما على الأرض رجل مسلم يدعوه إلا آتاه الله إياها أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » وقيل : إن الله يجيب دعوة المؤمن في الوقت ويؤخر اعطاء

وروى النعمان بن بشير، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ الآية». وقال ﷺ: «الدعاء مخ العبادة». وروى أبو هريرة أنه ﷺ قال: «ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء». وقال ﷺ: «إن العبد

مراده ليدعوه فيسمع صوته ويعجل إعطاءه من لا يحبه لأنه يبغض صوته، وقيل: إن للدعاء آداباً وشرائط كما سيأتي ذكرها، وهي أسباب الإجابة فمن استكملها كان من أهل الإجابة، ومن أخل بها فهو من أهل الاعتداء فلا يستحق الإجابة.

(و) أما الأخبار؛ فقد (**روى النعمان بن بشير**) بن سعد الخزرجي أبو عبد الله الأمير رضي الله عنه تقدم ذكره، (**عن النبي ﷺ أنه قال: «الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ الآية**). قال العراقي: رواه أصحاب السنن والحاكم وقال: صحيح الإسناد. وقال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: وأخرجه كذلك أحمد، وأبو بكر بن أبي شيبة، والبخاري في الأدب المفرد، وابن حبان في صحيحه وقال البزاز: لا يروى إلا عن النعمان بن بشير مرفوعاً. وقال النووي: أسانيده كلها صحاح ويروى: هي العبادة.

قال الخطابي: أنثه على معنى الدعوة أو المسألة، والمعنى أنه معظم العبادة أو أفضلها، ومنه: الحج عرفة والنوم توبة. ورواه أبو يعلى في مسنده عن البراء رضي الله عنه، وقال القاضي: لما حكم بأن الدعاء هو العبادة الحقيقية التي تستحق أن تسمى عبادة من حيث أنه يدل على أن فاعله مقبل بوجهه إلى الله تعالى معرض عما سواه لا يرجو ولا يخاف إلا منه استدل عليه بالآية، فإنها تدل على أنه مأمور به إذا أتى به المكلف قبل منه لا محالة، وترتب عليه المقصود ترتب الجزاء على الشرط والمسبب على السبب، وما كان كذلك كان أتم العبادة وأكملها. ويمكن حمل العبادة على المعنى اللغوي أي الدعاء ليس إلا إظهار غاية التذلل والإفتقار والإستكانة.

(**وقال ﷺ: «الدعاء مخ العبادة»**) أي خالصها، وإنما كان مخاً لها لأن الداعي إنما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه، وذلك حقيقة التوحيد والإخلاص ولا عبادة فوقها، أو لما فيه من إظهار الإفتقار والتبريء من الحول والقوة وهو سمة العبودية واستشعار ذلة البشرية. وقال الزركشي إنما كان مخاً لتضمنه التوحيد إذ الداعي لا يدعو الله إلا وهو يوحده ويعتقد أن لا معطي غيره.

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أنس وقال: غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

(**وروي أبو هريرة أنه ﷺ قال: «ليس شيء أكرم**) بالنصب خبر ليس (**على الله عز وجل من الدعاء»**) لدلالته على قدرة الله وعجز الداعي. قال العراقي: رواه الترمذي وقال: غريب، وابن ماجة، وابن حبان، والحاكم وقال: صحيح الإسناد اهـ.

لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث: إما ذنب يغفر له، وإما خير يعجل له، وإما خير يدخر له». وقال أبو ذر رضي الله عنه: يكفي من الدعاء مع البرّ ما يكفي الطعام من الملح. وقال ﷺ: «سلوا الله تعالى من فضله فإنه تعالى يحب أن يُسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج».

قلت: وكذلك رواه أحمد، والبخاري في الأدب، والبيهقي في السنن، وأقر الذهبي الحاكم على تصحيحه، وقال ابن القطان: رواته كلهم ثقات وما موضع في إسناده ينظر فيه إلا عمـران وفيه خلاف.

قلت: هو عمران القطان ضعفه النسائي وأبو داود ومشاه أحمد.

(وقال ﷺ: «إن العبد لا يخطئه من الدنيا إحدى ثلاث: اما ذنب يغفر له، وإما خير يعجل له، وإما خير يدخر له») وفي نسخة: «وإما شر يعزل عنه» بدل الجملة الثالثة. قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس، وفيه روح بن مسافر عن أبان بن أبي عياش، وكلاهما ضعيف. ولأحمد والبخاري في الأدب المفرد والحاكم وصحـح إسناده من حديث أبي سعيد: «إما أن تعجل له دعوته، وإما أن تدخر له في الآخرة، وإما أن تدفع عنه من السوء مثلها» اهـ.

قلت: وروى الترمذي وقال: حسن صحيح غريب، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند، والبيهقي في السنن، والطبراني في الكبير، والضياء في المختارة عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه رفعه: «ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بأثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل» الحديث.

وروى ابن زنجويه في فوائده، عن محمد بن يوسف، عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول عن جبير بن نفير، عن عبادة بن الصامت حدثهم أن النبي ﷺ قال: «ما على الأرض رجل مسلم يدعوه إلا آتاه الله عز وجل إياها أو كف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم» ورواه أحمد والترمذي أيضاً عن جابر بلفظ: «ما من أحد يدعو بدعاء» والباقي كسياق ابن زنجويه.

(وقال أبو ذر) رضي الله عنه: **(يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي مع الطعام من الملح)** وفي نسخة: ما يكفي الطعام من الملح، وهذا الأثر أخرجه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا عبد الرحمن بن فضالة عن بكر بن عبد الله، عن أبي ذر.

(وقال ﷺ: «سلوا الله من فضله) أي من زيادة أفضاله عليكم أي إعطاء الله تعالى ليس بسبب إستحقاق العبد بل إفضال من غير سابقة ولا يمنعه شيء من السؤال، **(فإنه)** تعالى **(يحب**

....

أن يُسأل ») أي من فضله لأن خزائنه ملأى. ومنه الخبر الآخر: « **من لم يسأل الله يغضب عليه** » ولما حث على السؤال هذا الحث البليغ، وعلم أن بعضهم يمتنع من الدعاء لاستبطاء الإجابة قال: (« **وأفضل العبادة الإنتظار بالفرج** ») وفي رواية انتظار الفرج، والمعنى أفضل الدعاء انتظار الداعي الفرج بالإجابة فيزيد في خضوعه وتذلله وعبادته التي يحبها الله تعالى.

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث ابن مسعود، وقال حماد بن واقد: ليس بالحافظ. قال العراقي: وضعفه ابن معين وغيره اهـ.

قلت: رواه في الدعوات، ورمز السيوطي إلى صحته، وحسنه الحافظ ابن حجر، وكذلك رواه ابن عدي في الكامل، والبيهقي في السنن، وروي ابن جرير، عن حكيم بن جبير، عن رجل لم يسمه بلفظ: « وإن من أفضل العبادة انتظار الفرج » وقد روي آخر الحديث وهو قوله: « أفضل العبادة انتظار الفرج » البيهقي في السنن، والقضاعي عن أنس.

ومما ورد في فضل الدعاء قال الإمام أحمد: حدثنا مروان الفزاري، حدثنا صبيح أبو المليح، سمعت أبا صالح يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من لم يدع الله غضب الله عليه ».

ورواه الترمذي والحاكم بلفظ: « من لم يسأل الله يغضب عليه ».

وعند العسكري في الوعظ قال الله تعالى: « من لا يدعوني أغضب عليه » قال بعض الأئمة وهو يدل على أن السؤال لله واجب.

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: « الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض » رواه الحاكم وصححه.

ورواه أبو يعلى في مسنده عن علي رضي الله عنه، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: « الدعاء مفتاح الرحمة والوضوء مفتاح الصلاة والصلاة مفتاح الجنة » رواه الديلمي.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « الدعاء يرد البلاء » رواه أبو الشيخ في الثواب.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « الدعاء يرد القضاء وإن البر يزيد في الرزق وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » رواه الحاكم.

وعنه ﷺ قال: « الدعاء جند من أجناد الله مجند يرد القضاء بعد أن يبرم » رواه ابن عساكر عن بشير بن أوس مرسلاً.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « من فتح له باب من الدعاء منكم فتحت له أبواب الإجابة ». رواه ابن أبي شيبة في المصنف.

ورواه الترمذي وقال: غريب بلفظ: « من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة ،

آداب الدعاء وهي عشرة:

الأول: أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السحر من ساعات الليل. قال تعالى: ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ [الذاريات: ١٨]، وقال ﷺ: «ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل: من يدعوني فاستجيب له، من يسألني

وما سئل الله شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن نزلت به فاقة فانزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل» رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححاه. ومعنى يوشك يسرع ويقرب. والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وسيأتي ذكر بعضها في سياق المصنف.

آداب الدعاء:

وقد ذكر فيها ما يصلح أن يكون شرطاً له، ولم يميز المصنف بين الأدب والشرط هنا، كما فعل الحليمي في المنهاج وغيره، ونحن نشير إلى ذلك **(وهي عشرة)** تسعة منها ظاهرة والعاشر أدب باطني.

(الأول: أن يترصد لدعائه الاوقات الشريفة) أي ينظرها له ليكون أقرب إلى الإجابة ببركة تلك الأوقات، **(كيوم عرفة)** وهو التاسع من ذي الحجة **(من السنة)** سواء كان في الموقف أو غيره، **(ورمضان من الشهور)** أيامه ولياليه، **(ويوم الجمعة من الأسبوع)** من لدن طلوع الفجر إلى غروب الشمس وبعض ساعاته آكد من بعض في الإجابة كما تقدمت الإشارة إليه في كتاب الصلاة، **(ووقت السحر من ساعات الليل)** وهو قبيل طلوع الصبح والجمع أسحار. **(قال اللهوتعالى)** في مدح العابدين **(وبالأسحارهم يستغفرون)** فعلم من ذلك أنه وقت شريف، **(ولقوله ﷺ: «ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له»)** رواه مالك، والشيخان، وأبو داود، والترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه رفعه: «ينزل الله في كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه حتى يطلع الفجر». رواه أحمد والدارمي وابن خزيمة وابن السني والطبراني والضياء، ورواه الحاكم عن نافع بن جبير عن أبي هريرة قال حمزة الكناني الحافظ لم يقل فيه أحد عن نافع عن أبيه غير حماد بن سلمة. ورواه ابن عيينة فقال: عن نافع عن رجل من الصحابة وهو أشبه بالصواب.

فأعطيه، من يستغفرني فاغفر له». وقيل: إن يعقوب ﷺ إنما قال: ﴿سوف استغفرْ

وروى مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ: «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حتى يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر».

وعند مسلم أيضاً: «ينزل الله تبارك وتعالى في السماء الدنيا لثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له أو يسألني فاعطيه، ثم يبسط يديه فيقول: من يقرض غير عديم ولا ظلوم».

وروى الطبراني في الكبير، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه رفعه: «ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول: ألا عبد من عبادي يدعوني فأستجيب له، ألا ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له ألا مقتر رزقه، ألا مظلوم يدعوني فأنصره، ألا عانٍ يدعوني فأفك عانته فيكون كذلك حتى يصبح الصبح ثم يعلو عز وجل على كرسيه».

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، عن أبي أمامة رضي الله عنه رفعه: «ينزل الله في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون، وفيها ما لم يره أحد ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول: ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له، ألا سائل يسألني فأعطيه، ألا داع يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر، وذلك قول الله: ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ [الإسراء: ٧٨] فيشهده الله وملائكة الليل والنهار».

وعند ابن النجار من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «ينزل الله في كل ليلة إلى السماء حين يبقى نصف الليل الآخر أو ثلث الليل الآخر، فيقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له حتى ينصدع الفجر وينصرف القارىء من صلاة الفجر».

(**وقيل: إن يعقوب عليه السلام**) وهو الملقب بإسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام (**إنما قال لبنيه**): وهم اثنا عشر سبعة منهم: أمهم ابنة خالته كان تزوجها يعقوب عليه السلام أولاً وهم: يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وروبالون ويشحر ودينه، فلما توفيت تزوج أختها راحيا فولدت له بنيامين ويوسف، وثلاثة آخرين يقتالي وجاد واشد من سريتين إسمهما زلفة وبلهة: (**سوف أستغفر لكم ربي**)، وذلك لأنهم لما قالوا: ﴿يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنا خاطئين﴾ [يوسف: ٩٧] فمن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسأله المغفرة قال: ﴿سوف أستغفر لكم ربي﴾ أي (**ليدعو**) لهم (**في وقت السحر**) فأخره إلى ذلك الوقت، أو إلى صلاة الليل، أو إلى ليلة الجمعة تحرياً لوقت الإجابة أو إلى أن يستحل لهم من يوسف أو يعلم أنه عفا عنهم، فإن عفو المظلوم شرط المغفرة كما سيأتي.

لَكم ربِّي﴾ [يوسف: ٩٨] ليدعو في وقت السحر . فقيل: إنه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يـؤمنـون خلفـه فـأوحـى الله عـز وجـل أني قـد غفـرت لهم وجعلتهـم أنبيـــاء .

(**فقيل: إنه قام وقت السحر**) مستقبل القبلة وهو (**يدعو و**) قام (**أولاده يؤمنون خلفه**) وقيل: قام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين، (**فأوحى الله إليه أني قد**) أجبت دعوتك في ولدك، و(**غفرت لهم وجعلتهم أنبياء**) بعده.

قال البيضاوي: وهذا إن صح فدليل على نبوتهم وإن صدر عنهم كان قبل استنبائهم.

قلت هنا أقوال. قيل أخرهم لوقت السحر، وقيل: إلى صلاة الليل، وقيل: إلى ليلة الجمعة. وكل هذه الأقوال مأثورة.

أما الأول: فمروي عن ابن عباس مرفوعاً وموقوفاً، وعن ابن مسعود. أخرج أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس: « أن النبي ﷺ سأل لم أخر يعقوب بنيه في الإستغفار؟ قال: أخرجهم إلى السحر لأن دعاء السحر مستجاب ». وأخرج ابن المنذر وابن مردويه عنه قال: « أخرهم إلى السحر وكان يصلي بالسحر ». وأخرج أبو عبيد سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني عن ابن مسعود قال: « إن يعقوب أخر بنيه إلى السحر ».

والقول الثاني: روي عن ابن عباس أيضاً أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ عنه قال: قال النبي ﷺ في قصة قول أخي يعقوب عليه السلام لبنيه « (**سوف أستغفر لكم ربي**) يقول حتى تأتي ليلة الجمعة ». وأخرج الترمذي وحسنه، والحاكم، وابن مردويه عن ابن عباس قال: جاء علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ فقال: « بأبي أنت وأمي يا رسول الله تفلت هذا القرآن من صدري، وفيه: إذا كان ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر فإنها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب، وقد قال أخي يعقوب لبنيه (**سوف أستغفر لكم ربي**) يقول حتى تأتي ليلة الجمعة » الحديث.

والقول الثالث: رواه ابن جرير، وأبو الشيخ عن عمرو بن قيس في تفسير هذه الآية قال: « في صلاة الليل ».

وأما ما ذكره المصنف فقيل أنه قام الخ رواه ابن جرير عن أنس بن مالك قال: لما جمع الله يعقوب شمله ببنيه خلا ولده نجياً فقال بعضهم لبعض: ألستم قد علمتم ما صنعتم؟ قالوا: بلى. قالوا: فكيف لكم بربكم؟ فاستقام أمرهم أن يأتوا الشيخ فأتوا فجلسوا بين يديه ويوسف إلى جنب أبيه قاعد فقال: ما لكم يا بني؟ قالوا: نريد أن تدعـو الله فإذا جاءك من الله بأنه قد عفا عنا اطمأنت قلوبنا، فقام الشيخ فاستقبل القبلة وقام يوسف خلف أبيه وقاموا خلفهما أذلة خاشعين فدعا وأمن يوسف، فلم يجب فيهم عشرين سنة حتى إذا كان رأس العشرين نزل جبريل على يعقوب عليهما السلام فقال: إن الله بعثني إليك أبشرك بأنه قد أجاب الله دعوتك في ولدك، وأنه قد عفا عما صنعوا وأنه قد اعتقد مواثيقهم من بعدك على النبوة.

الثاني: أن يغتنم الأحوال الشريفة. قال أبو هريرة رضي الله عنه: إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها. وقال مجاهد: إن الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات. وقال ﷺ: «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد». وقال ﷺ

وأخرج أبو الشيخ عن الحسن قال: «كان الله تبارك وتعالى عود يعقوب إذا سأله حاجة أن يعطيها إياه في أول يوم أو في الثاني أو في الثالث لا محالة، فلما سأل بنو يعقوب أباهم الدعاء قال لهم: إذا كان السحر فلتصبوا عليكم من الماء ثم البسوا ثيابكم التي تصونونها ثم هلموا إلي ففعلوا فجاؤا فقام يعقوب أمامهم ويوسف خلفه وهم خلف يوسف إلى أن طلعت الشمس لم تنزل عليهم التوبة، ثم اليوم الثاني، ثم اليوم الثالث، فلما كانت الليلة الرابعة باتوا فجاءهم يعقوب فقال: يا بني نمتم والله عليكم ساخط فقوموا فقام وقاموا عشرين سنة يطلبون إلى الله الحاجة، فأوحى الله إلى يعقوب أني قد تبت عليهم وقبلت توبتهم قال: يا رب النبوة. قال: قد أخذت ميثاقهم في النبيين».

هذا، ومن الأوقات الشريفة من السنة أيضاً أيام التشريق، ومن الشهور العاشر من المحرم وأول يوم منه وآخر يوم من ذي الحجة، ومن الأيام يوم الإثنين وعند زوال الشمس، ومن الليالي بين العشاء وجوف الليل فقد وردت في كل ذلك آثار عن السلف.

(الثاني: أن يغتنم الأحوال الشريفة. قال أبو هريرة رضي الله عنه: إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف) أي حمل صفوف المسلمين على صفوف الكفار **(في سبيل الله تعالى، وعند الغيث)** أي المطر، **(وعند إقامة الصلاة المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها)** وهذا قد روي مرفوعاً من حديث عائشة. رواه أبو نعيم في الحلية بلفظ: «ثلاث ساعات للمرء المسلم ما دعا فيهن إلا إستجيب له ما لم يسأل قطيعة رحم أو مأثماً: حين يؤذن المؤذن بالصلاة حتى يسكت. وحين يلتقي الصفان حتى يحكم الله بينهما، وحين ينزل المطر حتى يسكن».

وروى أيضاً من حديث سهل بن سعد مرفوعاً «ثنتان لا تردان: الدعاء عند النداء، وعند الصف في سبيل الله حين يلحم بعضهم بعضاً» وزاد راويه عن سهل وهو أبو حازم فقال «وتحت المطر» وهكذا اخرجه أبو داود والدرامي وابن خزيمة وابن الجارود. ورواه مالك في الموطأ موقوفاً على أبي حازم، وأخرجه الدارقطني وابن حبان بلفظ «ساعتان تفتح فيهما أبواب السماء وقلما ترد على داع دعوته عند النداء وعند الصف في سبيل الله». وعند الطبراني من حديث ابن عمر: «تفتح أبواب السماء لقراءة القرآن، وللقاء الزحف، ولنزول القطر، ولدعوة المظلوم والاذان» واسناده ضعيف.

(وقال مجاهد: إن الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات) يعني بذلك المكتوبات.

(وقال ﷺ: «الدعاء بين الأذان والاقامة لا يرد») قال العراقي: رواه أبو داود

أيضاً: «الصائم لا ترد دعوته». وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً. إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل، فهذا

والنسائي في اليوم والليلة، والترمذي وحسنه من حديث أنس، وضعفه ابن عدي وابن القطان. ورواه النسائي في اليوم والليلة باسناد آخر جيد، وابن حبان، والحاكم وصححه اهـ.

قلت: قال الطبراني في الدعاء: حدثنا إسحاق بن ابراهيم أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا الثوري، عن زيد العمي، عن ابن اياس هو معاوية بن قرة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «لا يرد الدعاء بين الاذان والاقامة» أخرجه أبو داود عن محمد بن كثير عن الثوري. وأخرجه الترمذي، والنسائي في الكبرى جميعاً عن محمود بن غيلان، عن وكيع، وابن أحمد الزبيري، وأبي نعيم. زاد الترمذي: وعبد الرزاق أربعتهم عن الثوري، وسكت عليه أبو داود إما لحسن رأيه في زيد العمي، وإما لشهرته في الضعف، وإما لكونه من فضائل الأعمال. وضعفه النسائي، وأما الترمذي فقال: هذا حديث حسن، وقد رواه أبو إسحاق يعني السبيعي عن يزيد بن أبي مريم عن أنس. قال أبن القطان: وإنما لم يصححه لضعف زيد العمي، وأما بريد فهو موثق وينبغي أن يصحح من طريقه. وقال المنذري: طريق بريد أجود من طريق معاوية، وقد رواه قتادة عن أنس موقوفاً، ورواه سليمان التيمي عن أنس مرفوعاً اهـ.

قال الحافظ وقد نقل النووي أن الترمذي صححه، ولم أر ذلك في شيء من النسخ التي وقفت عليها. وكلام ابن القطان والمنذري يعطي ذلك، ويبعد أن الترمذي يصححه مع تفرد زيد العمي به وقد ضعفوه. نعم طريق بريد صححها ابن خزيمة وابن حبان ولفظه «الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد فادعوا هكذا». أخرجه ابن خزيمة بهذه الزيادة عن أحمد بن المقدام العجلي: حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا اسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق عن يزيد بن أبي مريم عن أنس. وأخرجه من طرق أخرى عن أبي اسحاق. وعن يونس بن أبي إسحاق بدون تلك الزيادة وأخرجه النسائي عن إسماعيل بن مسعود عن يزيد بن زريع بمثله. وأخرجه ابن حبان عن أبي يعلى الموصلي، عن محمد بن المنهال، عن يزيد بن زريع، ووقع في رواية «مستجاب» بدل «لا يرد» والله أعلم.

(**وقال ﷺ «الصائم لا ترد دعوته»**) قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن، وابن ماجه من حديث أبي هريرة بزيادة فيه.

(**وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً إذ وقت السحر وقت**) الفراغ والاختلاء (**يحصل به تمام صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات**) أي المكدرات الظاهرة والباطنة، (**ويوم عرفة ويوم الجمعة**) كلاهما (**وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب**) وتساعدها (**على استدرار رحمة الله تعالى**) واستجلاب رضاه، (**فهذه**) أي التي

أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها، وحالة السجود أيضاً أجدر بالإجابة. قال أبو هريرة رضي الله عنها، قال النبي ﷺ: « أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء ». وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: « إني نهيت أن اقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب تعالى، وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فإنه قمن ان يستجاب لكم ».

الثالث: أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يرى بياض إبطيه. روى جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ: « أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس ». وقال سلمان: قال رسول الله ﷺ: « إن ربكم حي كريم يستحي من عبيده إذا رفعوا أيديهم إليه أن يردها صفراً ». وروى أنس أنه ﷺ: « كان يرفع يديه حتى

ذكرت في الأوقات الثلاثة **(أحد أسباب شرف الأوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها)** أي على حقيقتها إذ غالبها من عالم الملكوت، **(وحالة السجود أيضاً جديرة بالإجابة. قال أبو هريرة)** رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء »)** رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

(وروى ابن عباس) رضي الله عنهما، **(عن النبي ﷺ انه قال « إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فاما الركوع فعظموا فيه ربكم، وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فإنه قمن أن يستجاب لكم »)** رواه مسلم أيضاً.

(الثالث: أن يدعوه مستقبل القبلة)، فقد ورد: أكرم المجالس ما استقبل به القبلة. وقد تقدم ذلك في كتاب الصلاة. **(ويرفع يديه)**. وقد اختلف في كيفيته فقال الحليمي: يرفعها حتى يحاذي بها المنكبين وغاية رفعها حذو المنكبين. واختار المصنف أن يكون رفعها **(بحيث يرى بياض إبطيه)** وهكذا أورده الطرطوشي في كتاب الدعاء، وقد استدل المصنف على الاستقبال ورفع اليدين بأحاديث وآثار، فقال: **(روي عن جابر عبد الله)** الأنصاري رضي الله عنهما **(أن رسول الله ﷺ « أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس »)** فاستدل به على سنية الاستقبال. والحديث رواه مسلم في صحيحه دون قوله « يدعو » وقال مكانه « واقفاً ». وللنسائي من حديث أسامة بن زيد: « كنت ردفه بعرفات فرفع يده يدعو » ورجاله ثقات، وهذا يصلح أن يكون دليلاً للرفع مطلقاً من غير تقييد، وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب الحج.

(وقال سلمان) الفارسي رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ « إن ربكم حي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً »)** أي خالية.

يرى بياض إبطيه في الدعاء ولا يشير باصبعيه». وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ مر على إنسان يدعو ويشير باصبعيه السبابتين، فقال ﷺ: أحد أحد أي اقتصر

قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وقال: اسناده صحيح على شرطهما اهـ.

قلت: هذا لفظ أبي داود إلا أنه قال «إذا رفع يديه إلى السماء» ولفظ الترمذي «أن يردهما خائبتين».

(وروى أنس) بن مالك رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ «كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعيه»)** قال العراقي: رواه مسلم دون قوله «ولا يشير بأصبعيه» والحديث متفق عليه لكن مقيد بالاستسقاء اهـ.

قلت: لفظ مسلم «كان لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء حتى يرى بياض ابطيه» قال القاضي عياض: وهذا يدل على رفعهما فوق الصدر وحذو الأذنين لأن رفعهما مع الصدر لا يكشف بياض الإبط.

(وروى أبو هريرة)رضي الله عنه **(أنه ﷺ مرّ على انسان يدعو وهو يشير بأصبعيه السبابتين، فقال ﷺ: أحد أحد»)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن، وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح الاسناد اهـ.

وقال المصنف: معنى أحد **(أي اقتصر على الواحدة)** أي أشر بأصبع واحدة فإن الذي تدعوه واحد.

قال الزمخشري: أراد «وحد» فقلبت الواو همزة كما قيل: أحد واحدى وأحاد، فقد تقلب بهذا القلب مضمومة ومكسورة ومفتوحة اهـ.

وحديث أبي هريرة هذا لفظه «أن رجلاً كان يدعو بأصبعيه فقال رسول الله ﷺ أحد أحد» وقال الترمذي: حسن غريب وصححه الحاكم وأقرّه الذهبي، وقال الهيثمي: رجاله ثقات.

ويروى هذا الحديث أيضاً عن أنس وفيه التصريح بذكر الرجل المبهم رواه أحمد ولفظه: «مر النبي ﷺ على سعد وهو يدعو بأصبعين فقال له ﷺ أحد يا سعد» قال الهيثمي: لم يسم تابعيه وبقية رجاله رجال الصحيح.

ورواه الحاكم في المستدرك عن سعد بن أبي وقاص قال: «مرَّ النبي ﷺ وأنا أدعو باصبعين فقال أحد أحد» وأشار بالسبابة، ثم أن عدم الاشارة في الدعاء بأصبعين عدّه الحليمي والطرطوشي والزركشي من شروط الدعاء لا من آدابه وقالوا: من شرطه أن لا يشير إلا بالسبابة من يده اليمنى فقط.

على الواحدة. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: ارفعوا هذه الأيدي قبل أن تغل

وأخرج أبو داود عن ابن عباس مرفوعاً «المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك أو نحوها والاستغفار أن تشير باصبع واحدة والابتهال أن تمد يديك جميعاً».

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(ارفعوا هذه الأيدي بالدعاء قبل أن تغل بالاغلال)**. رواه الفريابي في الذكر. والأغلال: جمع غل بالضم وهو طوق من حديد يجعل في العنق، ومما يتعلق برفع الأيدي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً قال «رفع الايدي من الاستكانة التي قال الله عز وجل ﴿فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ [المؤمنون: ٧٦] رواه الحاكم في المستدرك، وقد ذم الله قوماً لا يبسطون أيديهم فقال ﴿ويقبضون أيديهم﴾ [التوبة: ٦٧] جاء في التفسير لا يرفعونها الينا في الدعاء.

قال الزركشي في كتاب الأزهية: وأما ما ذكره السهيلي في الروض عن ابن عمر أنه رأى قوماً يرفعون أيديهم في الدعاء فقال: أو قد رفعوها قطعها الله والله لو كانوا بأعلى شاهق ماازدادوا بذلك من الله قرباً، فقال الحافظ شمس الدين الذهبي: الصحيح عن ابن عمر خلاف هذا. قال يحي بن سعيد الأنصاري عن القاسم قال: رأيت ابن عمر رافعاً يديه إلى منكبيه يدعو عند القاص واسناده كالشمس اهـ.

فإن قيل: إذا كان الحق سبحانه ليس في جهة فما معنى رفع الأيدي بالدعاء نحو السماء. فالجواب من وجهين ذكرهما الطرطوشي. أحدهما: انه محل تعبد كاستقبال الكعبة في الصلاة والصاق الجبهة بالأرض في السجود مع تنزهه سبحانه عن محل البيت ومحل السجود فكان السماء قبلة الدعاء. وثانيهما: أنها لما كانت مهبط الرزق والوحي وموضع الرحمة والبركة على معنى أن المطر ينزل منها إلى الأرض فيخرج نباتاً وهي مسكن الملأ الأعلى، فإذا قضى الله أمراً ألقاه إليهم فيلقونه إلى أهل الأرض. وكذلك الأعمال ترفع وفيها غير واحد من الأنبياء، وفيها الجنة التي هي غاية الأماني. فلما كانت معدناً لهذه الأمور العظام ومعرفة القضاء والقدر تصرفت الهمم إليها وتوفرت الدواعي عليها. قال: ولقد أجاب القاضي ابن فريعة لما صلى ذات ليلة في دار الوزير المهلبي، وأبو إسحاق الصابي يرمقه فأحس به القاضي، فلما سلّم قال له: مالك ترمقني يا أخا الصابئة أحببت إلى الشريعة الصافية؟ قال: بل أخذت عليك شيئاً. قال: ما هو؟ قال: رأيتك ترفع يديك نحو السماء وتخفض بجبهتك على الأرض فمطلوبك أين هو؟ فقال: إننا نرفع أيدينا إلى مطالع أرزاقنا ونخفض جباهنا على مصارع أجسادنا نستدعي بالأول أرزاقنا ونستدفع بالثاني شر مصارعنا. ألم تسمع قوله تعالى ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات: ٢٢] وقال ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ [طه: ٥٥] فقال المهلبي: ما أظن أن الله خلق في عصرك مثلك اهـ.

بالأغلال، ثم ينبغي أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء. قال عمر رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا مدّ يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه». وقال ابن عباس: «كان ﷺ إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه»، فهذه هيئات اليد

تنبيه:

هل يجوز رفع اليد النجسة في الدعاء خارج الصلاة؟ قال الروياني في البحر في باب إمامة المرأة: يحتمل أن يقال يكره من غير حائل، ولا يكره مع الحائل كتحريم مس المصحف بيده النجسة وهو على طهارة فيزول لكونها بحائل، وإذا جاز هذا فيما طريقه التحريم جاز أيضاً فيما طريقه الكراهة في الموضعين، لأن المقصود رفع اليد دون الحائل، والتعبد بهذا ورد ويخالف مس المصحف لأن اليد فيه في حرمة التعبد كالحائل ولا يجيء القول فيه بالتحريم اهـ.

تنبيه آخر:

لا يستثنى من مسألة رفع اليدين في الدعاء إلا مسألة واحدة وهي الدعاء في الخطبة على المنبر فإنه يكره للخطيب رفع اليدين فيه. ذكره البيهقي في باب صلاة الجمعة، واحتج بحديث في صحيح مسلم صريح في ذلك.

(**ثم ينبغي أن يمسح بهما وجهه في آخر الدعاء**) أي بعد فراغه من الدعاء. (**قال عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا مدّ يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه»**) قال العراقي: رواه الترمذي وقال: غريب. والحاكم في المستدرك وسكت عليه وقال: ضعيف اهـ.

قلت: ولفظ المستدرك عن ابن عباس في أثناء حديث «وامسحوا بها وجوهكم» ولعل هذا غير ما ذكره العراقي.

ومن آداب الدعاء أن يجعل بطون الكف إلى الوجه وظهورها إلى الأرض (**قال ابن عباس**) رضي الله عنهما: (**«كان رسول الله ﷺ إذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه»**) قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الحاكم عن ابن عباس مرفوعاً «إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها وامسحوا بها وجوهكم» ويستثنى من ذلك ما يشتد فيه الأمر. ففي صحيح مسلم «أنه ﷺ لما استسقى اشار بظهر كفيه إلى السماء» وهو المراد بالرهب في قوله تعالى: ﴿يدعوننا رغباً ورهباً﴾ [الانبياء: ٩٠] قالوا: الرهب: بسط الأيدي وظهورها إلى الأرض، والرغب: بسطها وظهورها إلى السماء. واستحب الخطابي كشفها غير ساتر لها بثوب أو غطاء.

(**فهذه هيئات الأيدي**) وكيفية رفعها (**ولا يرفع بصره إلى السماء**) أي في حال الدعاء:

ولا يرفع بصره إلى السماء. قال ﷺ: «لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم».

الرابع: خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي أن أبا موسى الأشعري قال: قدمنا مع رسول الله ﷺ، فلما دنونا من المدينة كبّر وكبّر الناس ورفعوا أصواتهم،

واستدل على ذلك بقوله: **(قال رسول الله ﷺ «لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم»)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقال: عند الدعاء في الصلاة اهـ.

قلت: وكذلك رواه النسائي، والطبراني في الكبير. وفي رواية «ليخطفن الله أبصارهم».

وروى أحمد، ومسلم، وأبو داود من حديث جابر بن سمرة «لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم أبصارهم» وقد ظهر بتلك الزيادة أن النهي خاص في الصلاة فلا يتم به استدلال المصنف كما لا يخفى على أنه ورد في صحيح مسلم من حديث ابن عباس ما يدل على جواز رفع البصر إلى السماء في حال الدعاء، وهو ما رواه عبد بن حميد، عن أبي نعيم عن إسماعيل بن مسلم، عن أبي المتوكل عنه أنه بات في بيت النبي ﷺ فقام من الليل ثم خرج فنظر في السماء ثم تلا» إلى آخر الحديث. وأخرجه البخاري كذلك. قال النووي في الاذكار في باب ما يقول إذا استيقظ من الليل وخرج من بيته: ويستحب له أن ينظر إلى السماء ويقرأ الآيات الخواتم من سورة آل عمران. ثبت في الصحيحين «أنه ﷺ كان يفعله» إلا النظر إلى السماء فهو في صحيح البخاري دون مسلم.

قال الحافظ: بل ثبت ذلك في مسلم أيضاً وسبب خفاء ذلك على الشيخ أن مسلماً جمع طرق الحديث كعادته فساقها في كتاب الصلاة، وأفرد طريقاً منها في كتاب الطهارة وهي التي وقع عنده التصريح فيها بالنظر إلى السماء، ووقع ذلك أيضاً في طريقين آخرين مما ساقه في كتاب الطهارة وهي التي وقع عنده التصريح فيها بالنظر إلى السماء، ووقع ذلك أيضاً في طريقين آخرين مما ساقه في كتاب الصلاة، لكنه اقتصر في كل منهما على بعض المتن فلم يقع عنده فيهما التصريح بهذه اللفظة وهي في نفس الأمر عنده فيهما، وأما البخاري فلم يقع عنده التقييد بكون ذلك عند الخروج من البيت وليس في شيء من الطرق الثلاثة التي أشرت إليها التصريح بالقراءة إلى آخر السورة، وإنما وقع ذلك من طرق أخرى ليس فيها النظر إلى السماء، لكن الحديث في نفس الأمر واحد فذكر بعض الرواة ما لم يذكر بعض والله أعلم.

قلت: وروى الطبراني من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي صباحاً إلا رفع بصره إلى السماء وقال، الحديث وقد تقدم.

(الرابع: خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روي أن أبا موسى) عبد الله بن قيس **(الأشعري)** رضي الله عنه **(قال: قدمنا مع رسول الله ﷺ، فلما دنونا من المدينة كبّر**

فقال النبي ﷺ : « يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم » . وقالت عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل : ﴿ ولا تجهرْ بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ [الإسراء : ١١٠] أي بدعائك . وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكريا

وكبّر الناس ورفعوا أصواتهم ، فقال ﷺ : « يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس بأصم ولا غائب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم ») قال العراقي : متفق عليه مع اختلاف لفظه ، واللفظ الذي ذكره المصنف لأبي داود اهـ .

قلت : أخرجه الأئمة الستة من طرق متعددة إلى أبي عثمان النهدي ، عن أبي موسى ، وقد تقدم ذكرها قريباً في فضيلة الحوقلة ، ومن ألفاظه : « كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير ، فقال النبي ﷺ « أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم » . ومنها : كنا مع النبي ﷺ في سفر فرقينا عقبة أو ثنية فكان الرجل إذا علاها قال لا إله إلا الله والله أكبر » . الحديث .

(وقالت عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ أي بدعائك) . أخرجه البخاري ومسلم .

قال البخاري في كتاب التفسير : حدثنا طلق بن غنام ، حدثنا زائدة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ الآية قالت : نزلت في الدعاء . وقال البخاري أيضاً في كتاب التوحيد : حدثنا عبيد بن اسماعيل ، حدثنا أبو أسامة . وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف : حدثنا وكيع كلاهما عن هشام بن عروة بنحوه .

وأما مسلم ، فأخرجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع وأبي اسامة وأخرجه من طرق اخرى عن هشام وهو من افراده ، وقد جاء عن ابن عباس في نزولها سبب آخر قال : « كان النبي ﷺ وهو بمكة إذا صلى رفع صوته فإذا سمع المشركون القرآن سبّوه ومن أنزله ومن جاء به فنزلت ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ فيسمع المشركون ﴿ ولا تخافت بها ﴾ فلا تسمع أصحابك وابتغ بين الجهر والمخافتة » . أخرجه البخاري عن يعقوب بن ابراهيم ، وعن مسدد ، وحجاج بن منهال ، وعمرو بن زرارة . وأخرجه عن محمد بن الصباح وعمر والناقد ، وأخرجه الترمذي وابن خزيمة عن أحمد بن منيع ، وأخرجه النسائي وابن خزيمة أيضاً عن يعقوب بن ابراهيم . سبعتهم عن هشام عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وأخرجه الترمذي أيضاً من رواية أبي داود الطيالسي عن هشام وشعبة فرقهما كلاهما عن أبي بشر ، لكن لم يذكر شعبة ابن عباس في السند بل أرسله . وقد أخرجه النسائي من رواية الأعمش عن أبي بشر موصولاً أيضاً ، وأخرجه ابن مردويه في التفسير من رواية يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس وزاد فيه : فنزلت ﴿ واذكر ربك في نفسك ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] فكان لا يسمع أصحابه ، فشق عليهم فنزلت **(ولا تجهر بصلاتك)** وقد رجح بعضهم السبب الثاني ويمكن الجمع بأن تكون الآية في الامرين معاً ، والله أعلم .

(وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكريا عليه السلام حيث قال : ﴿ إذ نادى ربه نداء

عليه السلام حيث قال: ﴿إذ نادى ربه نداء خفياً﴾ [مريم: ٣]، وقال عز وجل: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾ [الاعراف: ٥٥].

الخامس: أن لا يتكلف السجع في الدعاء، فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه. قال ﷺ: « سيكون قوم يعتدون في الدعاء »، وقد قال عز وجل: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾ [الاعراف: ٥٥] قيل: معناه التكلف للأسجاع. والأولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة فإنه قد يعتدي في دعائه فيسأل ما لا

خفياً﴾) قال البيضاوي: لأن الإخفاء والجهر سيان عند الله تعالى، والاخفاء أشد إخفاتاً وأكثر إخلاصاً أولئلا يلام على طلب الولد في أبان الكبر، أو لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم، أو لأن ضعف الهرم أخفى صوته، واختلف في سنه حينئذ فقيل ستون، وقيل خمس وستون، وقيل سبعون، وقيل خمس وسبعون، وقيل ثمانون.

(**وقال عز وجل ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾**) أي ذوي تضرع وخفية، فإن الإخفاء دليل الاخلاص.

(**الخامس: أن لا يتكلف السجع في الدعاء**) أصل السجع الهدير، وقد سجعت الحمامة. وهو في الكلام مشبه بذلك لتقارب فواصله، وسجع الرجل كلامه كما يقال نظمه إذا جعل لكلامه فواصل كقوافي الشعر ولم يكن موزوناً. (**فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع**) متخشع (**والتكلف لا يناسبه**) لأنه يفضي إلى فوات تلك الحالة. (**قال النبي ﷺ: « سيكون قوم يعتدون في الدعاء »**) قال العراقي: وفي رواية « والطهور » رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن مغفل اهـ.

قلت: وذكر صاحب القوت في كتاب العلم: قال عبد الله بن مغفل لابنه وقد سمعه يقرأ خلف الإمام وسمعه يسجع في كلامه: هذا الذي يبغضك إليَّ لاقضيت لك حاجة أبداً، وكان قد جاءه يسأله حاجة، فقال عن رسول الله ﷺ: « ما أوتي امرؤ شراً من طلاقة لسان » وقد قاله رسول الله ﷺ لعبد الله بن رواحة حين سجع فوالى بين ثلاث كلمات وقال « إياك والسجع يا بن رواحة » فكان السجع ما زاد على كلمتين، وكذلك قال رسول الله ﷺ للرجل الذي أمره بدية الجنين لما قال: كيف أودي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهلّ ومثل هذا يطل، فقال رسول الله ﷺ « أسجع كسجع الاعراب » وهذا الكلام قد تقدم بتفصيله في كتاب العلم فراجعه.

(**وقد قال عز وجل ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾**) أي المتجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره. (**قيل: معناه التكلف للاسجاع**). وقيل هو الصياح في الدعاء والإسهاب فيه، وقيل هو طلب ما لا يليق بالداعي كرتبة الانبياء والصعود إلى السماء. (**والأولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة**) من السنّة والسلف الصالح. (**فإنه إذا جاوزها ربما**

تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء، ولذلك روي عن معاذ رضي الله عنه: أن العلماء يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة تمنّوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء. وقد قال ﷺ: « إياكم والسجع في الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ». وفي الخبر: سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور. ومر بعض السلف بقاصّ يدعو بسجع فقال له: أعلى الله تبالغ؟ أشهد لقد رأيت حبيباً العجمي يدعو وما يزيد على قوله: اللهم اجعلنا خيرين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة. اللهم وفقنا للخير،

اعتدى في دعائه) وتجاوز عن حدوده **(فيسأل مالا تقتضيه مصلحته. ولذلك روي عن معاذ)** بن جبل **(رضي الله عنه: أن العلماء يحتاج إليهم في الجنة إذ يقال لأهل الجنة تمنّوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء)**. قال الشهاب القليوبي في البدور المنيرة: هو حديث موضوع.

قلت: رواه ابن عساكر في التاريخ من حديث جابر: إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء في الجنة وذلك أنهم يزورون الله تعالى في كل جمعة فيقول لهم: تمنوا عليَّ ما شئتم فيلتفتون إلى العلماء فيقولون: ماذا نتمنى؟ فيقولون: تمنوا عليه كذا وكذا فهم يحتاجون إليهم في الجنة كما يحتاجون إليهم في الدنيا هكذا أورده في ترجمة صفوان الثقفي عن جابر. ورواه الديلمي كذلك وفيه مجاشع راوي كتاب الأهوال والقيامة في جزأين. قال الذهبي في الميزان: كله موضوع. وقال البخاري: منكر مجهول وقال ابن معين هو أحد الكذابين.

(وقد قال ﷺ: « إياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل ») قال العراقي: غريب بهذا السياق، وللبخاري عن ابن عباس: وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك، ولابن ماجه والحاكم واللفظ له وقال: صحيح الإسناد من حديث عائشة: « عليك بالكوامل » وفيه « وأسألك الجنة » الخ اهـ.

قلت: وسيأتي هذا الدعاء للمصنف في الباب الثالث أطول من هذا.

(وفي الخبر: سيأتي قوم يعتدون في الدعاء والطهور) رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه، وتقدم قريباً، وتقدم أيضاً في كتاب الطهارة. **(ومرّ بعض السلف بقاصّ)** يقص على الناس وهو **(يدعو بسجع، فقال له: أعلى الله تبالغ؟ أشهد لقد رأيت حبيباً العجمي)** أبا محمد **(يدعو ما يزيد على قوله: اللهم اجعلنا خيرين)** أي من زمرة أهل الخير، **(اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير)** وهي ثلاث جمل جامعة

والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه. وقال بعضهم: ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق. ويقال: إن العلماء والأبدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر سورة البقرة، فإن الله تعالى لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك. واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام، فإن ذلك لا يلائم الضراعة والذلة وإلاّ ففي الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة، كقوله ﷺ: «أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وانك تفعل ما

لمعاني الدعاء، **(والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه)**، وهو من المشهورين ترجمه أبو نعيم في الحلية وأخذ عن الحسن البصري وهو أحد وسائط الخرقة الصوفية. **(وقال بعضهم: ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق)** أي: فإن الاشتغال بالفصاحة في الدعاء مما يذهب الخشوع فيه. **(ويقال: إن العلماء)** بالله تعالى **(والأبدال)** الطائفة المشهورة من الأولياء **(لا يزيد أحدهم في الدعاء على سبع كلمات فما دونها)** ويرون الاسهاب فيه من جلة الاعتداء، **(ويشهد لذلك آخر سورة البقرة)** وهو قوله ﴿ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ [البقرة: ٢٨٦] إلى آخر السورة. **(فإن الله عز وجل لم يخبر في موضع من أدعية عباده بأكثر من ذلك)**، ولا سيا وقد جمعت في أوّلها صيغتي الايجاب والنفي، واستوعبت جميع ما يحتاج إليه العبد في دنياه وآخرته.

(واعلم ان المراد بالسجع) المنهي في الدعاء **(هو المتكلف من الكلام)** لا ما أورده الداعي سهلاً عفواً من غير قصد، **(لأن ذلك)** أي التكلف **(لا يلائم الضراعة)** والافتقار **(والذلة)** والمسكنة، **(وإلا ففي)** بعض **(الأدعية المأثورة)** عن رسول الله ﷺ **(كلمات متوازنة)** الفواصل **(لكنها غير متكلفة كقوله ﷺ «أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد»)** ففي كل من الخلود والشهود والسجود والعهود والودود تقارب.

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثاً طويلاً من جملته هذا، وقال: حديث غريب. قال العراقي: وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى سيء الحفظ اه.

قلت: وكذا رواه محمد بن نصر في الصلاة، والطبراني في الكبير، والبيهقي في الدعوات، وأوّل الدعاء «اللهم يا ذا الحبل الشديد والامر الرشيد أسألك الامن يوم الوعيد» الخ وفيه «انك تفعل ما تريد» وهو دعاء طويل.

(وأمثال ذلك) كقوله «اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع ومن نفس

تريد » وأمثال ذلك. فليقتصر على المأثور من الدعوات أو ليلتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل.

السادس: التضرع والخشوع والرغبة والرهبة. قال الله تعالى: ﴿إنهم كانوا يُسارعون في الخيراتِ ويدعوننا رَغَباً ورهَباً﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال عز وجل: ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال ﷺ: « إذا أحب الله عبداً ابتلاه حتى يسمع تضرعـه ».

لا تشبع ومن علم لا ينفع أعوذ بك من هؤلاء الأربع » كقوله « اللهم إني أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ». وكقوله « اللهم اجعلني شكوراً واجعلني صبوراً واجعلني في عيني صغيراً وفي أعين الناس كبيراً » ومن تصفح أدعيته المأثورة وجد من ذلك شيئاً كثيراً.

(**فليقتصر**) الداعي (**على المأثور من الدعوات**) ففيه النجاة (**أو يلتمس**) وفي نسخة: وليتملق (**بلسان التضرع والخشوع والرهبة**) ما ألهم الله له من الكلمات (**من غير سجع**) في فواصلها، (**و**) لا (**تكلف**) يخرجه عن حد الخشوع، (**فالتضرع**) في السؤال (**هو المحبوب عند الله تعالى**).

(**السادس: التضرع والخشوع**) أي التـذلـل والاستكـانـة والمبـالغـة في السـؤال (**والرغبـة والرهبة**). أما التضرع والخشوع فقد عرفت ما فيها، وأما الرغبة والرهبة فقد (**قال الله تعالى**) في وصف أنبيائه عليهم السلام: (**إنهم كانوا يسارعون في الخيرات**) أي يتسابقون في تحصيلها (**ويدعوننا رغباً**) أي رغبة إلينا (**ورهباً**) أي رهبة منا وكانوا لنا خاشعين. وتقدم تفسير الرغب والرهب بمعنى آخر قريباً، وقال في آية أخرى ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ [الأنبياء: ٧٣] أي موحدين مخلصين في العبادة. (**وقال عز وجل ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾**) أي ذوي تضرع واخفاء استدل بهذه الآية على ان التضرع من جملة آداب الدعاء، وقد تقدم الكلام على هذه الآية.

(**وقال ﷺ « إذا أحب الله عبداً**) أراد به الخير ووفقه (**ابتلاه**) أي اختبره وامتحنه بنحو مرض أوهَم أو ضيق (**حتى يسمع تضرعه »**) قال العراقي: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس إذا أحب الله عبداً صب الله عليه البلاء صباً الحديث وفيه « دعه فإني أحب صوته ». وللطبراني من حديث أبي أمامة « إن الله تعالى يقول للملائكة انطلقوا إلى عبدي صبوا عليه البلاء » وفيه « فإني أحب ان أسمع صوته » وسندهما ضعيف اه.

قلت: ورواه البيهقي والديلمي أيضاً من حديث أبي هريرة بلفظ « ليسمع تضرعه » وفي بعض ألفاظه: فإذا دعا قالت الملائكة صوت معروف، وقال جبريل رب اقض حاجته. فيقول: دعوا عبدي فإني أحب أن أسمع صوته.

السابع: أن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه. قال ﷺ: «لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له». وقال ﷺ: «إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شيء». وقال ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل» وقال سفيان بن عيينة: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه، فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله إذ قال: ﴿ربِّ فانظرني إلى يوم يبعثون★ قال فإنَّك مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾. [الحجر: ٣٦ و ٣٧].

(**السابع: أن يجزم بالدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاءه فيه**) أي يحسن ظنه بالله تعالى عند الدعاء، وكون الاجابة أغلب على قلبه من الرد إذ الباعث على الدعاء صدق الرجاء، وإذا لم يغلب الإجابة على قلبه لم يصدق رجاؤه. (**قال النبي ﷺ «لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت .اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له»**). رواه ابن أبي شيبة عن أبي هريرة بلفظ «لا يقل أحدكم اغفر لي إن شئت وليعزم في المسألة فإنه لا مكره له.» ورواه مالك وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجه بلفظ «لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت اللهم ارزقني إن شئت وليعزم المسألة فإنه يفعل ما يشاء لا مكره له».

(**وقال ﷺ «إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء»**) قال العراقي: رواه ابن حبان من حديث أبي هريرة.

(**وقال ﷺ «ادعوا الله**) أي اسألوه من فضله (**وأنتم موقنون**) أي جازمون (**بالاجابة**) قال الطيبي: فيه الأمر بالدعاء باليقين، والمراد النهي عن التعرض لما هو مناف للايقان من الغفلة واللهو والامر بضدهما من احضار القلب والجد في الطلب، فإذا حصل حصل اليقين ونبه على ذلك بقوله: (**واعلموا ان الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل**») لاه أي لا يعبأ بسؤال سائل غافل عن خدمة مولاه مشغول القلب بما أهمه من دنياه.

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال: غريب. ورواه الحاكم وقال: مستقيم الاسناد تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد البصرة.

قال العراقي: لكنه ضعيف في الحديث انتهى، وسبقه شيخه الحافظ الذهبي فتعقب على الحاكم بقوله صالح متروك تركه النسائي وغيره، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال أحمد: هو صاحب قصص لا يعرف الحديث، وتلاهما الحافظ ابن حجر فقال: صالح وإن كان صالح ضعيفاً في الحديث ومن ثم تركه جمع، ومن قال بحسنه فضلاً عن صحته فقد وهم اهـ.

(**وقال سفيان بن عيينة**) الهلالي رحمه الله تعالى: (**لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه**) أي من القصور وعدم الإخلاص، (**فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس إذ (قال ربِّ فانظرني**) أي أمهلني (**إلى يوم يبعثون★ قال إنك من المنظرين**) أي المؤخرين

الثامن: أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثاً. قال ابن مسعود: كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً. وينبغي أن لا يستبطىء الإجابة لقوله ﷺ: « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فإذا دعوت فاسأل الله كثيراً فإنك تدعو كريماً ». وقال بعضهم: إني أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني

إلى يوم الوقت المعلوم. قال الزركشي: وإنما سأل اللعين النظرة إلى يوم البعث طمعاً في الإقامة لئلا يذوق الموت.

(الثامن: ان يلح في الدعاء ويكرره ثلاثاً) قال العراقي: رواه مسلم وأصله متفق عليه أهـ.

والإلحاح في الدعاء مما يفتح باب الإجابة ويدل على إقبال القلب ويحصل بتكراره مرتين وثلاثاً وأكثر. لكن الاقتصار على الثلاث مرات أعدل اتباعاً للحديث، **(وينبغي ان لا يستبطيء الاجابة)** أي لا يستعجل ولا يضجر من تأخير الإجابة كمن له حق على غيره إذ ليس لأحد على الله حق، وأيضاً فقد تكون المصلحة في التأخير، وأيضاً فالدعاء عبادة واستكانة والضجر والاستعجال ينافيها، ثم ان المصنف قد أدرج هذا الأدب في خلال الأدب الثامن وهو يصلح أن يعد مستقلاً كما فعله الحليمي والطرطوشي والزركشي.

ثم استدل المصنف على ما ذكره بقوله: **(لقوله ﷺ « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي »)** وقوله: فيقول هو منصوب على جواب النفي أجريت لم حيث كان معناها النفي مجراها في قولهم ما أنت بصاحبي، ما أنصرك قاله الزركشي. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه. وفي روايه لمسلم قيل يا رسول الله وما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت وقد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء. وذكر مكي أن المدة بين دعاء زكريا عليه السلام بطلب الولد والبشارة أربعون سنة، وتقدم أن دعاء يعقوب عليه السلام في استغفاره لبنيه أجيب به بعد أربعين سنة. قال الزركشي: ومثل ذلك نقل ابن عطية عن ابن جريج ومحمد بن علي والضحاك ان دعوة موسى عليه السلام على فرعون لم تظهر إجابتها إلا بعد أربعين سنة.

وقال ابن هبيرة من حديث أنس: قنت النبي ﷺ شهراً يدعو على رعل وذكوان فيه من الفقه انه لا يجوز للإنسان أن يستبطيء الاجابة ويقول: دعوت فما أجبت، بل يدوم على الدعاء.

وفي الصحيحين « أن الله يقول: أنا عند ظن عبدي وأنا معه إذا دعاني ». وفي مسند بقي بن مخلد من حديث أبي هريرة مرفوعاً « اطلبوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات الله فإن لله نفحات يصيب بها من يشاء من عباده ».

(فإذا دعوت فاسأل الله كثيراً فإنك تدعو كريماً) جواداً عظيماً لا يخيب سائليه ولا يحرم مستعطيه. **(وقال بعضهم: إني أسأل الله منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني وأنا أرجو**

وأنا أرجو الإجابة. سألت الله تعالى أن يوفقني لترك ما لا يعنيني. وقال ﷺ: « إذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الإجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ومن أبطأ عنه شيء من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال ».

التاسع: أن يفتتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال. قال سلمة بن

الإجابة) طمعاً في فضله. **(سألت الله ان يوفقني لترك ما لا يعنيني »)** وهذه هي الحاجة التي سألها ربه عز وجل. رواه ابن مسدي في مسلسلاته في آخر الجزء الخامس منها قال: أخبرنا أبو القاسم بن بقي قال: كتب إلي أبو الحسن بن شريح، أنبأنا أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الحافظ، أخبرنا أبو عمر أحمد بن محمد الحبسودي، أخبرنا قاسم بن أصبغ، حدثنا محمد بن اسماعيل السلمي، حدثنا نعيم بن حماد عبد الله بن المبارك، حدثنا سفيان وغيره عن مورق العجلي قال: سألت ربي عز وجل مسألة عشر سنين. فما أعطانيها وما يئست منها وما تركت الدعاء بها، فسئل عن ذلك فقال: « سألته ترك مالا يعنيني » اهـ.

وقال بعض السلف: لأنا أشد خشية أن احرم الدعاء من أن أحرم الإجابة، وذلك لأن الله تعالى يقول: **(أدعوني أستجب لكم)** فقد أمر بالدعاء ووعد بالاجابة وهو لا يخلف الميعاد، وكان بعض السلف يقول: لا تستبطئن الإجابة وقد سددت طرقها بالمعاصي، فكم من مستغفر ممقوت ومن ساكت مرحوم.

(وقال ﷺ « إذا سأل أحدكم ربه مسألة) مصدر ميمي أي طلب منه شيئاً **(فتعرف الإجابة)** أي تطلبها متى عرف حصولها بأن ظهرت أماراتها **(فليقل الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات)** أي تكمل النعم الحسان، **(ومن أبطأ عليه في ذلك شيء فليقل الحمد الله على كل حال »)** فإن أحوال المؤمن كلها خير وقضاء الله له بالسراء والضراء رحمة ونعمة، ولو انكشف له الغطاء لفرح بالضراء أكثر من السراء وهو أعلم بمصالح عباده.

قال العراقي: رواه البيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة، وللحاكم نحوه من حديث عائشة مختصراً باسناد ضعيف اهـ.

قلت: وروى البيهقي في الأسماء والصفات من حديث حبيب ابن أبي ثابت قال: حدثنا شيخ لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا جاءه شيء يكرهه قال « الحمد لله على كل » وإذا جاءه شيء يعجبه قال « الحمد لله المنعم المتفضل الذي بنعمته تتم الصالحات ».

(التاسع: أن يفتتح الدعاء بذكر الله عز وجل ولا يبدأ بالسؤال)، والمراد يبدأ أوّلاً بما فيه الثناء على الله تعالى، ثم يسأل الحاجة كما قال تعالى حاكياً عن يونس عليه السلام ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧] وعن ابراهيم عليه السلام: ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ الى ﴿يوم يقوم الحساب﴾ [ابراهيم: ٣٨، ٤١] وعنه ﴿الذي خلقني فهو

الأكوع: ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا استفتحه بقول: « سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب ». وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ ثم يسأل حاجته، ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ، فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما، وروي في الخبر عن رسول الله

يهدين﴾ [الشعراء: ٧٨] الآيات وعن شعيب عليه السلام: ﴿وسع ربنا كل شيء علماً﴾ إلى ﴿وأنت خير الفاتحين﴾ [الأعراف: ٨٩] وعن موسى عليه السلام ﴿رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾ [الاعراف: ١٥١] وعن يوسف عليه السلام ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني﴾ الآية [يوسف:١٠١]. وعن الملائكة عليهم السلام: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا﴾ [غافر: ٧] وقال ﴿أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا﴾ [الأعراف: ١٥٥] وفي السنن عن أبي هريرة « كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم »..

(وقال سلمة بن الاكوع) رضي الله عنه: **(ما سمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء إلا استفتحه فقال « سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب »)** قال العراقي: رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح الاسناد. قال العراقي: فيه عمر بن راشد اليماني ضعفه الجمهور اهـ.

قلت: أورده صاحب القوت في الفصل الخامس من الباب الأوّل بلفظ: « كان إذا افتتح دعاءه افتتحه بقوله » فذكره.

(وقال أبو سليمان) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية **(الداراني)** رحمه الله تعالى: **(من أراد أن يسأل الله عز وجل حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ، ثم يسأله حاجته، ثم يختم بالصلاة عليه، فإن الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من ان يدع)** وفي رواية يرد **(ما بينهما)**. أورده الجزولي في أوّل دلائله بلفظ « فليكثر » بدل « فليبدأ ».

وقال الشارح: الفاء زائدة أو متعلقة بمحذوف أي: فليكثر اللهج بالصلاة ونحو ذلك، أو ضمن يكثر معنى يلهج ونحوه، وقال أيضاً من في قوله من أن يدع متعلقة بأفضل لما تضمنه من معنى النزاهة وليست الجارة للمفضول بل هو متروك أبدامع أفعل هذا لقصد التعميم اهـ.

والمعنى أن الكريم لا يناسبه أن يقبل الطرفين ويرد الوسط. قال الزركشي: واستشكل بعض مشايخنا قول الداراني بأن قولنا: اللهم صلّ على محمد دعاء والدعاء متوقف على القبول وفيه نظر اهـ.

قلت: ويروى عن الداراني أيضاً بلفظ: إذا أردت ان تسأل الله حاجة فصلّ على محمد ثم سل حاجتك، ثم صل على النبي ﷺ فإن الصلاة على النبي ﷺ مقبولة والله عز وجل أكرم من أن يرد ما بينهما أخرجه النميري بالوجهين كذا في القول البديع للحافظ السخاوي.

ﷺ أنه قال: « إذا سألتم الله عز وجل حاجة فابتدأوا بالصلاة عليّ فإن الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويرد الأخرى » رواه أبو طالب المكي.

العاشر: وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الإجابة: التوبة ورد المظالم والاقبال على الله عز وجل بكنه الهمة، فذلك هو السبب القريب في الإجابة. فيروى عن كعب

(وروى في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال « إذا سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلاة عليّ فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين فيقضي إحداهما ويرد الأخرى» رواه أبو طالب المكي) في القوت.

وقال العراقي: لم أجده مرفوعاً وإنما هو موقوف على أبي الدرداء رضي الله عنه.

قلت: وهو وإن كان موقوفاً فهو شاهد لقول الداراني.

ومما يؤيده أيضاً ما أخرجه أبو داود عن فضالة قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبي ﷺ فقال: « عجلّ هذا ثم دعاه فقال: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بما شاء ». ورواه النسائي وزاد: « فسمع النبي ﷺ رجلاً يصلي فمجد الله وحمده وصلى على النبي ﷺ فقال: ادع تجب وسل تعط ».

ومما يدل على إجابة الدعاء بعد التحميد ما روي عن أنس قال: جاءت أم سليم فقالت: يا رسول الله علمني كلمات ادعو بهن فقال: « تسبحين عشراً وتحمدين عشراً وتكبرين عشراً ثم تسألين حاجتك فإنه يقول قد فعلت ». رواه صاحب التبصرة. وأخرجه الترمذي عن معاذ سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: يا ذا الجلال والاكرام فقال: « قد استجيب لك فسل » وفي المستدرك عن أبي أمامة رفعه « إن لله ملكاً موكلاً بمن يقول يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثاً قال له الموكل إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل » والمعنى فيه: إن ذكر الله بالثناء والتعظيم كالإكسير العظيم للنفس في تصفيتها وإشراقها حتى يكون الماهوب أقرب إليها فلهذا قدم الثناء على الدعاء.

(العاشر: وهو الأدب الباطن وهو الأصل) الأصيل **(في الاجابة)** وهو **(التوبة)** الناصحة **(وردّ المظالم)** إلى أهلها **(والإقبال على الله عز وجل بكنه الهمة)** وخالصها، **(فذلك هو السبب القريب في الاجابة)**.

وقال الزركشي في الأزهية في آداب الدعاء: أحدها تقديم التوبة أمامه، وقد يكون اجابة الله المصر على ذنبه تعويضاً عاجلاً من مقامه، ودعاء التائب عبادة وحسنة وأقل جزائها عشرة أمثالها، فإذا عجلت له الاجابة كان ما وراءها مدخراً له، ولذا جعله الحليمي والغزالي من الآداب. ثم نقل عن الغزالي عباراته هذه. ثم قال: وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً « في الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك! ». وقال ﷺ لسعد: « يا سعد أطب مطعمك تستجب دعوتك »

....

وقيل: الدعاء مفتاح الحاجة وأكل الحلال أسنانه، وقد يؤخذ من هذا الحديث أن هذا شرط لا أدب. وقال الطرطوشي من آدابه أكل الحلال ولعله من شروطه اهـ.

ولنذكر هنا بعض آداب للدعاء وشروط لم يذكرها المصنف، فمن الآداب أن يدعو وهو طاهر لأنه عبادة فكان كقراءة القرآن والأذان ذكره الحليمي. وفي الصحيحين عن أبي موسى قال لي أبو عامر قل لرسول الله ﷺ يستغفر لي فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ ورفع يديه الحديث. وعن سعد بن أبي وقاص توضأ حين دعا لأهل المدينة ورواه الواحدي في كتاب الدعوات، وتقدم حكم رفع اليد النجسة في الدعاء خارج الصلاة.

ومن الآداب أن يقدم عليه صلاة. ذكره الحليمي، واستدل بأنه ﷺ فعل ذلك حين دعا لأمته بقباء، وبقوله تعالى ﴿فإذا فرغت فانصب ★ وإلى ربك فارغب﴾ [الشرح: ٧، ٨] أي إذا فرغت من صلاة نفسك فاجهد نفسك بالدعاء. قال الزركشي: ولهذا شرع في دعاء الاستسقاء تقديم الصلاة والصيام والصدقة.

ومن الآداب أن يقدم أمامه صدقة. ذكره الحليمي أيضاً. وروي عن عبد الله بن عمر أنه كان يعجبه إذا أراد الرجل ان يدعو ربه أن يقدم صدقة وذكر خبراً رواه الفريابي.

ومن الآداب أن يقدم أمامه الصلاة على النبي ﷺ، وقد ذكره المصنف في ضمن الأدب التاسع إدراجاً وهو أدب مستقل، وقد أخرجه الترمذي من حديث النضر بن شميل عن أبي قرة الأسدي، عن سعيد بن المسيب، عن عمر رضي الله عنه قال: إن الدعاء موقوف بين السماء والارض فما يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك ﷺ. وأخرجه الحسن بن عرفة في جزئه مرفوعاً فقال: حدثنا الوليد بن بكير عن سلام الخراز، عن أبي إسحاق السبيعي، عن الحسن، عن علي، عن النبي ﷺ قال «ما من دعاء إلا وبينه وبين السماء والارض حجاب حتى يصلي على محمد ﷺ فإذا صلى على النبي ﷺ انخرق الحجاب واستجيب الدعاء وإذا لم يصل على النبي ﷺ لم يستجب الدعاء».

ومن الآداب الصلاة على النبي ﷺ في وسط الدعاء وآخره لأنه الذي علمنا الدعاء باركانه وآدابه فنقضي بعض حقه عند الدعاء اعتداداً بالنعمة قاله الحليمي.

أما الصلاة عليه آخر الدعاء، فقد ذكره المصنف ضمناً في الأدب التاسع من قول الداراني حيث قال: ثم ليختم بالصلاة عليه ﷺ، والدليل عليه ما أخرجه الطبراني في معجمه، والبزار عن محمد بن ابراهيم التيمي، عن أبيه، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «لا تجعلوني كقدح الراكب ان الراكب يملؤ قدحه فإذا فرغ وعلق تعاليقه فإن كان فيه ماء شرب حاجته أو الوضوء توضأ وإلا اهراق القدح فاجعلوني في وسط الدعاء وفي أوّله وفي آخره». قال أصحاب الغريب: معنى قوله «لا تجعلوني كقدح الراكب» أي لا تؤخروني في الذكر لأن الراكب يعلق قدحه في آخرة رحله ويجعله خلفه. وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه يهجو أبا سفيان:

....

ولست كعباس ولا كابن أمه ولكن هجين ليس يورى له زند
وكنت دعياً نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

ولعل المراد به الاقتصار في ذكره في الآخر. واعلم أن للصلاة عند الدعاء مراتب ثلاثة: أحدها: أن يصلي عليه قبل الدعاء وبعد حمد الله ويشهد له حديث فضالة السابق، والثانية: أن يصلي عليه في أوّل الدعاء وأوسطه واخره ويشهد له حديث جابر المذكور آنفاً، والثالثة أن يصلي عليه في أوّله وآخره ويجعل حاجته متوسطة بينهما كما عليه عمل الناس وهو يناسب ما نقله الغزالي عن الداراني.

ومن الآداب أن يفتح دعاء باسم من أسمائه تعالى المناسبة لمطلوبه أو يختم به وتأمل دعاء الانبياء، كذلك قال سليمان عليه السلام في دعائه ﴿ربِّ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوّهاب﴾ [ص: ٣٥] وقال الخليل وابنه عليهما السلام ﴿وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾ [البقرة: ١٢٨] و﴿تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ [البقرة: ١٢٧] وقال أيوب عليه السلام: ﴿رب أني مسَّني الضرّ وأنت أرحم الراحمين﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وعلم النبي ﷺ عائشة دعاء ليلة القدر «اللهم إنك عفوّ كريم تحب العفو فاعف عني». وعلم الصديق دعاء الصلاة: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

وأما قول عيسى عليه السلام: ﴿وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ [المائدة: ١١٨] ولم يقل الغفور الرحيم كما قال الخليل: ﴿ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ [ابراهيم: ٣٦] لأنه في مقام أن مغفرتك لهم عن عز وحكمة فأخرجه مخرج التسليم، ولأن في ذكر الغفور تعريض السؤال بالمغفرة فعدل عنه أو كأنه قال: فالمغفرة لا تنقص من عزك ولا تخرج عن حكمك.

واعلم ان للدعاء مراتب.

احداها: أن تدعو الله بأسمائه وصفاته والمناسب ذكر الصفة التي تقتضي المدعوّ كما سبق.

الثانية: أن تدعوه لحاجتك وفقرك ونحو ذلك فتقول: أنا العبد الذليل الفقير البائس المستجير ونحوه.

الثالثة: أن تسأل حاجتك ولا تترك واحدة منها، فالأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث، فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة كان أكمل وهو عامة أدعية النبي ﷺ، وقد جمع للثلاثة تعليمه للصديق رضي الله عنه قال: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وهذا حال السائل ثم قال: وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، وهذا حال المسؤول، ثم قال: فاغفر لي فذكر حاجته، وختم الدعاء باسم من أسمائه الحسنى بما يناسب المطلوب ويقتضيه.

ومن الآداب أن يستعمل في كل مقام الدعاء المأثور فيه، فهو أفضل من غيره لتنصيص الشارع

....

عليه وتعليم الشرع خير من اختيار العبد، ولهذا قال أكثر أصحاب الشافعي: إن الدعاء المأثور في الطواف أفضل من الاشتغال بالقراءة فيستعمل بعد التشهد دعاءه المأثور فيه وبعد الصلاة كذلك وفي الاستخارة كذلك، ويستعمل الأدعية الواردة عن الأنبياء الصادرة منهم إذا كان مطلوبه ذلك. قال جعفر الصادق: عجبت لمن بلي بالضر كيف يذهل عنه أن يقول: ﴿مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ والله تعالى يقول ﴿فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرّ﴾ [الأنبياء: ٨٤] وعجبت لمن بلي بالغمّ كيف يذهل عنه أن يقول ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧] والله تعالى يقول ﴿فاستجبنا له ونجّيناه من الغمّ وكذلك ننجي المؤمنين﴾ [الأنبياء: ٨٨] وعجبت لمن خاف شيئاً كيف يذهل عنه أن يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، والله تعالى يقول: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾ [آل عمران: ١٧٤] وعجبت لمن كوبد في أمر كيف يذهل عنه أن يقول ﴿وأفوّض أمري إلى الله ان الله بصير بالعباد﴾ [غافر: ٤٤] والله تعالى يقول: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ [غافر: ٤٥] وعجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهل عنه أن يقول: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوّة إلا بالله﴾ [الكهف: ٣٩] وهكذا سنة الحق سبحانه مع من صدق في التجائه إليه ان يمهد مقيله في ظل كفايته، فلا البلاء يمسه ولا العناء يصيبه. وكذلك المواظبة على أدعية وقعت للأولياء في حالات استجيب لهم لا بأس بالمواظبة عليها لمن اتفقت له تلك الحالة تفاؤلاً بأن يناله ما نالهم.

فصل

في ادعية الانبياء المحكية في القرآن:

وقد رأيت ان أسرد أدعية الأنبياء المحكية في القرآن المقرونة بالإجابة قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿وقل ربِّ زدني علماً﴾ [طه: ١١٤] ﴿ربِّ أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ [الإسراء: ٨٠] ﴿ربِّ اما تريني مايوعدون ربّ فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ [المؤمنون: ٩٣، ٩٤] ﴿وقل ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين★ وأعوذ بك ربِّ أن يحضرون﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨] وقال عن آدم عليه السلام ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [الأعراف: ٢٣] وقال عن نوح عليه السلام ﴿ربِّ اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [نوح: ٢٨] وقال عن ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ﴿ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم★ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨] ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع﴾ [ابراهيم: ٣٧] الآيات. وقال عن ابراهيم عليه السلام ﴿ربِّ هب لي حكماً وألحقني بالصالحين★ واجعل لي لسان صدق في الآخرين★ واجعلني من ورثة جنّة النعيم﴾ [الشعراء: ٨٣ - ٨٥] وقال عن موسى عليه السلام ﴿ربِّ اشرح لي صدري★ ويسّر لي أمري★ واحلل عُقدة من لساني★ يفقهوا قولي﴾ [طه: ٢٥، ٢٨] ﴿ربِّ بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾

[القصص: ١٧] ﴿رِبِّ إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير﴾ [القصص: ٢٤] وقال عن سليمان عليه السلام [ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي﴾ [النمل: ١٩] الآية وقال عن زكريا عليه السلام ﴿ربِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين﴾ [الأنبياء: ٨٩] ﴿ربِّ هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾ [آل عمران: ٣٨] وقال عن يوسف عليه السلام ﴿ربِّ قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليّي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ [يوسف: ١٠١] وعلى هذا النمط وجميع ما أجراه الله تعالى على ملك مقرب أو نبي مرسل أو صديق كقوله تعالى ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ [البقرة: ٢٠١] ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ [البقرة: ٢٥٠] ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب﴾ [آل عمران: ٨] ﴿ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا﴾ الآية [آل عمران: ١٦] ﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ [آل عمران: ٥٣] ﴿ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا﴾ الآية [آل عمران: ١٤٧] ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ربنا اصرف عنا عذاب جهنم الآيات. ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذي سبقونا بالإيمان ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا الآية. فهذه جملة من الدعوات التي اختارها الله تعالى لخاصة عباده وصفوة أوليائه والمصطفين من أنبيائه ورسله وفيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

فصل

فهذا الذي قد تقدم من ذكر الآداب قد يستدرك به على المصنف.

وذكر ابن الجوزي في الحصن آداباً أخره: منها: الجثوّ على الركب والتوسل بانبيائه والصالحين، وأن يبدأ بنفسه أولاً وأن لا يخص نفسه إن كان إماماً وأن لا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم ولا بأمر قد فرغ منه ولا بمستحيل ولا يتحجر واسعاً.

قلت: وبعض ذلك يعد شرطاً كما ستأتي الإشارة إليه. وأما شروط الدعاء فقد عدها الحليمي أحد عشر.

الأول: أن يكون المسؤول بالدعاء ممتنعاً عقلاً ولا عادة كاحياء الموتى، ورؤية الله تعالى في الدنيا، وانزال مائدة من السماء، أو ملك يخبر بأخبارها وغير ذلك من الخوارق التي كانت للأنبياء إلا أن يكون السائل نبياً لأن بعض العادات إنما تكون من الله تعالى لتأييد من يدعو إلى دينه، ولك أن تبني ذلك على أن ما كان معجزة لنبي هل يجوز أن يكون كرامة لولي. قال: ويجوز أن

....

يسأل العبد سؤالاً مطلقاً أن يكشف عنه ضرورة وقعت له فينقض الله له عادة، كما إذا حدث له في بادية جوع أو عطش أو برد شديد وهو مأذون له في دخولها من جهة الشرع فدعا الله بكشف ما أصابه لا يضر مطلقاً، وكان ذلك جائزاً وان كان في اجابته اياه نقض العادة وقد يفعل ذلك به من غير مسألته خيراً له لتوكله وقوّة إيمانه.

الثاني: أن لا يكون على السائل حرج فيما سأل كسؤاله الخمر يشربها أو امرأة يـزني بها لما تضمـن سؤاله من اباحة الحرام، ولقوله ﷺ «يستجاب لأحدكم ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم» رواه مسلم. فيدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم.

قال الحليمي: ويدخل في هذا أن يدعو بالشر على من لا يستحقه أو على بهيمة، وقد جاء أن رجلاً لعن بعيره في سفر، فقال رسول الله ﷺ «لا يصحبنا ملعون» فكأنه عاقبه عن لعنه، وقد جاء: لا تدعوا على أنفسكم ولا على أولادكم ولا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة عطاء فيستجاب لكم أي عقوبة لكم لا كرامة.

الثالث: أن لا يكون فيما سأل غرض فاسد كسؤال المال والجاه والولد والعافية وطول العمر للتفاخر والتكاثر والاستعانة بها على قضاء الشهوات.

الرابع: أن لا يكون الدعاء على وجه الاختبار لربه تعالى، بل يكون سؤالاً محضاً إذ العبد ليس له أن يختبر ربه.

الخامس: أن لا يشغله الدعاء عن فريضة حاضرة فيفوتها فيكون عاصياً.

السادس: أن حاجته إذا عظمت لم يسألها الله تعالى سؤال مستعظم لها في ذات الله بل يسأله الصغيرة والكبيرة سؤالاً واحداً، وهذا قد سبق للمصنف في ذكر الآداب، وروى الترمذي عن أنس مرفوعاً «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأل شسع نعله إذا انقطعت». وينبغي أن يرى منة الله عليه في إجابته إلى صغير الحوائج وكبيرها.

السابع: حسن الظن بالله عند الدعاء وغلبة الاجابة على قلبه، وهذا أيضاً قد ذكره المصنف في الآداب.

الثامن: أن لا يستعجل ولا يضجر من تأخير الإجابة، وهذا أيضاً قد ذكره المصنف في الآداب.

التاسع: أن لا يقتصر على دعاء لغيره مع الجهل بمعناه أو انصراف الهمة إلى لفظه. إذ الدعاء سؤال وهذا غير سائل بل حاك لكلام غيره.

قال الحليمي: نعم إذا كان دعاء حسناً أو كان صاحب الدعاء ممن يتبرك بكلامه فاختاره لذلك وأحضره قلبه ووفاه اخلاص الطلب حقه كان ذلك، وانشاء الدعاء من عنده سواء حينئذ.

....

قال الزركشي: وذكر بعضهم كراهة الدعاء بأمر لم يظهر له معناه، كما ذكر في الجامع الصغير أن أبا حنيفة كان يكره أن يدعو الرجل فيقول: اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك وإن جاء به الحديث لأنه ليس ينكشف معناه لكل أحد. قال الزركشي: وهذا جاء في حديث أخرجه البيهقي في الدعوات الكبيرة عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ في الدعاء في السجود «اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك واسمك الاعظم وكلماتك التامة ثم سل حاجتك» لكنه ذكره ابن الجوزي في الموضوعات.

وقال ابن الاثير في النهاية: أي بالخصال التي استحق بها العرش العز أو بمواضع انعقادها منه وحقيقة معناه بعز عرشك. قال: وأصحاب أبي حنيفة يكرهون هذا اللفظ من الدعاء اهـ.

وذكر الحكيم الترمذي في مناسكه أن النبي ﷺ نهى العامة عند زيارة البيت يقوله «حيّنا ربّنا بالسلام» قال: ويحتمل هذا النهي لمن لم ينكشف له معناه، فأما من كشف له فهو غير داخل في هذا النهي كما كانت الصحابة يدعون به.

العاشر: أن يصلح لسانه إذا دعا ويحترز عما يعد إساءة في المخاطبات لوجوب تعظيم الله تعالى على عبده في كل حال وهو في حال السؤال أوجب، فإذا أراد غشيان النسيان فلا يصرح بل يقول: اللهم متعني بأعضائي وجوارحي، أو طاعة امرأته فليقل: اللهم أصلح لي زوجتي وظاهر كلام الحليمي أن تجنب اللحن من الشروط فلا يدعو بالجزم مثلاً فيما الصواب فيه الرفع لانقلاب المعنى وهو ظاهر كلام الخطابي، فإنه قال فيما يجب أن يراعى في الأدعية: الإعراب الذي من عماد الكلام، وبه يستقيم المعنى، وربما انقلب المعنى باللحن، وقد قال المازني لبعض تلامذته: عليك بالنحو فإن بني إسرائيل كفرت بحرف ثقيل خففوه قال تعالى لعيسى بن مريم: إني ولدتك فقالوا بالتخفيف فكفروا، وأنشد بعضهم:

ينادي ربه باللحن ليث   لذاك إذا دعاه لا يجيبُ

وعن صاحب التبصرة: من الآداب أن يكون الدعاء صحيح اللفظ لأنه يتضمن مواجهة الحق بالخطاب قال: وقد جاء في الحديث «لا يقبل الله دعاء ملحوناً» وقال ابن الصلاح في فتاويه: الدعاء الملحون ممن لا يستطيع غيره لا يقدح في الدعاء ويعذر فيه.

الحادي عشر: أن يدعو الله بأسمائه الحسنى ولا يدعو بما لا يخلص ثناء وان كان حقاً قال الله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [الأعراف: ١٨٠] وفي الحديث «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام» ولا ينبغي أن يقال: يا خالق الحيات والعقارب لأنها جبارة مؤذية. فالدعاء بها كالدعاء بقوله: يا ضار، وجعل الخطابي من شروطه إخلاص النية وإظهار الفقر والمسكنة والتواضع والخشوع، وأن يكون على طهارة مستقبل القبلة، وأن يقدم الثناء على الله والصلاة على النبي ﷺ أمام دعائه، وذكر غير هذه من الآداب، ولكن جعل غيره من الشروط بأن يكون عالماً بأن لا قادر على حاجته إلا الله عز وجل وأن الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره والله أعلم.

الأحبار أنه قال: أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله ﷺ ، فخرج موسى ببني إسرائيل يستسقي بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: إني لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمّـام، فقال موسى: يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا؟ فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى: أنهاكم عن النميمة وأكون نمّاماً؟ فقال موسى لبني إسرائيل: توبوا إلى ربكم بأجمعكم عن النميمة فتابوا فأرسل الله تعالى عليهم الغيث. وقال سعيد بن جبير: قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا، فقال الملك لبني اسرائيل: ليرسلن الله تعالى علينا السماء أو لنؤذينّه. قيل له: وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء؟ فقال: اقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له، فأرسل الله تعالى عليهم السماء. وقال سفيان الثوري: بلغني أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الأطفال

وإذ قد فرغنا من ذكر الآداب والشروط، فلنعد إلى شرح كلام المصنف مما استدل به من آثار وحكايات تتعلق بالأدب العاشر فقال: **(ويروى)** وفي نسخة: فيروى **(عن كعب الأحبار)** وهو كعب بن ماتع الحميري تقدمت ترجمته في كتاب العلم **(أنه قال: أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام، فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل يستسقي بهم فلم يسقوا حتى خرج بهم ثلاث مرات ولم يسقوا، فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام: إني لا أستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمّام)** وهو من يتحدث مع القوم فينم عليهم فيكشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو إليه أو الثالث وهبه بإشارة أو عبارة أو غيرهما وفعله النم، وتلك الوشاية النميمة وهي من الكبائر كما سيأتي. **(فقال موسى عليه السلام: يا رب ومن هو حتى نخرجه من بيننا؟ فأوحى الله عز وجل إليه يا موسى: أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً؟ فقال موسى)** عليه السلام **(لبني إسرائيل)** بعدما جمعهم: **(توبو إلى ربكم بأجمعكم من النميمة فتابوا فأرسل الله عليهم الغيث)** دل ذلك على أن التوبة من الكبائر مما يوجب الإجابة.

(وقال سعيد بن جبير) رحمه الله: **(قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني إسرائيل فاستسقوا)** أي خرجوا للاستسقاء، **(فقال الملك لبني إسرائيل: ليرسلن الله علينا السماء)** أي المطر **(أو لنؤذينه. قيل له: وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء؟ فقال: اقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له، فأرسل الله تعالى عليهم السماء)** دل ذلك على أن الإقبال على الله بكنه الهمة مما يوجب الإجابة، فإن هؤلاء الخاصة لما سمعوا ذلك أقبلوا على الله بكليتهم فاستجيب لهم.

(وقال سفيان) بن سعيد **(الثوري)** رحمه الله تعالى: **(بلغني أن بني إسرائيل قحطوا سبع**

وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يبكون ويتضرعون، فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام لو مشيتم إليَّ باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكلّ ألسنتكم عن الدعاء فإني لا أجيب لكم داعياً ولا أرحم لكم باكياً حتى تردوا المظالم إلى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم. وقال مالك بن دينار: أصاب الناس في بني إسرائيل قحط فخرجوا مراراً فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إليَّ بأبدان نجسة وترفعون إلي أكفاً قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام. الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني إلا بُعداً، وقال أبو الصديق الناجي: خرج سليمان عليه السلام يستسقي فمرّ بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللهم أنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا، فقال سليمان عليه السلام: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم. وقال الأوزاعي: خرج الناس يستسقون

سنين حتى **أكلوا الميتة من المزابل)** جمع مزبلة وهي الموضع الذي يرمى فيه ما يكنس من البيوت **(وأكلوا الأطفال وكانوا كذلك)** أي على هذه الحال **(يخرجون الى الجبال)** والمواضع العالية **(يبكون ويتضرعون، فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم لو مشيتم إلي بأقدامكم حتى تحفى ركبكم)** أي يبلغ الحفا إلى الركب وهو غاية في الشدة، **(وتبلغ أيديكم عنان السماء)** أي أطرافه بصعودكم على الجبال. **(وتكلَّ)** أي تعجز **(ألسنتكم عن الدعاء)** أي لكثرة الجؤار به، **(فإني لا أجيب لكم داعياً ولا أرحم منكم باكياً حتى تردوا المظالم إلى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم)** دل ذلك على أن رد المظالم إلى أهلها مما يوجب الإجابة.

(وقال مالك بن دينار) رحمه الله تعالى: **(أصاب الناس في بني إسرائيل قحط فخرجوا مراراً)** يستسقون فلم يسقوا، **(فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم أنكم تخرجون إليّ بأبدان نجسة)** أي نجاسة معنوية **(وترفعون إلي أكفاً قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من)** أكل **(الحرام، الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني إلا بعداً)** دل ذلك على أن الطهارة الحسية ثم المعنوية واتقاء الدماء والاجتناب عن أكل الحرام، وفي معناه الشرب واللبس مما يوجب الإجابة، وأورده أبو نعيم في الحلية في ترجمة مالك بن دينار بلفظ: فقل لهم يا بني إسرائيل تدعون بألسنتكم وقلوبكم بعيدة عني باطل ما تذهبون. رواه من طريق سيار عن جعفر عن مالك بن دينار قال: بلغنا أن بني إسرائيل فذكره.

(وقال أبو الصديق الناجي) تابعي، روى عن أبي سعيد الخدري وابن عمر. وعنه قتادة وزيد العمي وجماعة: **(خرج سليمان عليه السلام يستسقي فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللهم أنا خلق من خلقك ولا غنى لنا عن)** سقياك و**(رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا، فقال سليمان عليه السلام: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم)**.

فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر من حضر ألستم مقرين بالاساءة؟ فقالوا: اللهم نعم. فقال: اللهم إنا قد سمعناك تقول: ﴿ما عَلَى الْمُحسنين من سبيل﴾ [التوبة: ٩١] وقد أقررنا بالإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا، اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا، فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا. وقيل لمالك بن دينار: ادع لنا ربك، فقال: إنكم تستبطئون المطر وأنا أستبطىء الحجارة. ويروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستسقي فلما أصحروا قال لهم عيسى عليه السلام: من أصاب منكم ذنباً فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه في المفازة إلا واحداً، فقال له عيسى عليه السلام: أما لك من ذنب؟ فقال: والله ما علمت من شيء غير أني كنت ذات يوم أصلي فمرت بي امرأة

نقله صاحب القوت، وقد رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا خلاد بن يحيى، عن مسعر، حدثنا زيد العمي عن أبي الصديق الناجي قال: خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقي فساقه. إلا أنه قال: فأما أن تسقينا وإما أن ترزقنا وإما أن تهلكنا. والباقي سواء. وقد تقدم في كتاب الصلاة.

(**وقال**) عبد الرحمن بن عمرو (**الاوزاعي: خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد**) القاص وكان عابداً عالماً واعظاً قارئاً. روى عن أبيه ومعاوية وجابر، وعنه الاوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وعدة. توفي في حدود سنة ١٣٠، (**فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر من حضر ألستم مقرين بالإساءة؟ فقالوا: اللهم نعم، فقال: اللهم إنا قد سمعناك تقول**) أي في كتابك العزيز: (﴿**ما على المحسنين من سبيل**﴾ **وقد قررنا**) على أنفسنا (**بالإساءة، فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا، اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا، فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا**)، دل ذلك على أن الإقرار بالذنوب وصدق الالتجاء إلى علام الغيوب مما يوجب الإجابة.

(**وقيل لمالك بن دينار: ادع لنا ربك. فقال: إنكم تستبطؤن المطر وأنا أستبطئ الحجارة**). قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو عمر وعثمان بن محمد العثماني، حدثنا إسماعيل بن علي حدثنا هارون بن حميد، حدثنا سيار، حدثنا جعفر قال: قلنا لمالك بن دينار ألا ندعو لك قارئاً يقرأ؟ قال: إن الثكلى لا تحتاج إلى نائحة. فقلنا له: ألا تستسقي؟ فقال: أنتم تستبطؤن المطر لكن استبطئ الحجارة.

(**ويروى أن عيسى عليه السلام خرج**) ذات يوم (**يستسقي فلما أصحروا**) أي دخلوا الصحراء (**قال لهم عيسى عليه السلام: من أصاب منكم ذنباً فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه في المفازة إلا رجل واحد، فقال له عيسى عليه السلام: أما لك من ذنب؟ فقال: والله ما أعلم من شيء غير أني كنت ذات يوم أصلي فمرت بي امرأة**) أي جيلة (**فنظرت إليها**

فنظرت إليها بعيني هذه، فلما جاوزتني أدخلت أصبعي في عيني فانتزعتها واتبعت المرأة بها فقال له عيسى عليه السلام: فادع الله حتى أؤمن على دعائك، قال: فدعا فتجللت السماء سحاباً ثم صبت فسقوا. وقال يحي الغساني: أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم، فقال أحدهم: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعفو عمن ظلمنا، اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا. وقال الثاني: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعتق أرقاءنا اللهم إنا أرقاؤك فاعتقنا. وقال الثالث: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن لا نرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا مساكينك وقفنا ببابك فلا تـردّ دعاءنا فسقوا. وقال عطاء السلمي: منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر إليَّ فقال: يا عطاء أهذا يوم النشور أو بعثر ما في القبور؟ فقلت: لا. ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي، فقال: يا

بعيني هذه) وأشار إلى عينه التي نظر بها، **(فلما جاوزتني أدخلت إصبعي في عيني فانتزعتها وأتبعت المرأة بها، فقال له عيسى)** عليه السلام: فادع الله تعالى **(حتى أؤمن على دعائك فدعا)** وأمنَّ عيسى عليه السلام على دعائه **(فتجللت السماء)** أي امتلأت **(سحاباً ثم صبت فسقوا)**. دل ذلك على أن التنصل من الذنوب والبراءة عنها مما يوجب الإجابة.

(وقال يحي) بن هاشم **(الغساني)** السمسار: **(أصاب الناس قحط في عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا)** إلى الصحراء **(حتى يستسقوا بهم، فقال أحدهم: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعفو عمن ظلمنا. اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا. وقال الثاني: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعتق أرقاءنا)** جمع رقيق. **(اللهم إنا أرقاؤك فاعتقنا. وقال الثالث: اللهم إنك أنزلت في التوراة أن لا نرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا. اللهم إنا مساكينك وقفنا ببابك فلا تردنا فسقوا)** ودل ذلك على أن الإقرار بخالص العبودية والوقوف على باب المولى بالاضطرار مما يوجب الإجابة، وأن الزبور إنما نزل بعد التوراة.

(وقال عطاء السلمي) كذا في نسخ الكتاب، والصواب السليمي وهو من رجال الحلية. روى عن أنس بن مالك ولم يسند عنه شيئاً، ولقي الحسن وعبد الله بن غالب الحراني وجعفر بن زيد العبدي، وسمع منهم. وحكى عنهم. وممن روى عنه بشر بن منصور وحماد بن زيد وصالح المري وغيرهم، وكان يسكن البصرة: **(منعنا الغيث)** مرة **(فخرجنا إلى الصحراء نستسقي فإذا نحن بسعدون المجنون في المقابر فنظر إليَّ وقال: يا عطاء هذا يوم النشور أو بعثر ما في القبور)؟** كأنه لما رأى كثرة الناس وازدحامهم قال ذلك، **(فقلت: لا. ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي، فقال: يا عطاء)** خرجتم **(بقلوب أرضية)** أي مشتغلة بالحظوظ الدنيوية

عطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية؟ فقلت: بل بقلوب سماوية. فقال: هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فإن الناقد بصير، ثم رمق السماء بطرفه وقال: إلهي وسيدي ومولاي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك وما وارت الحجب من آلائك ألا ما سقيتنا ماء غدقاً فراتاً تحيي به العباد وتروي به البلاد. يا من هو على كل شيء قدير، قال عطاء: فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب فولّى وهو يقول:

أفلح الزاهدون والعابدونا إذ لمولاهم اجاعوا البطونا
اسهروا الأعين العليلة حبا فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى حسب الناس أن فيهم جنونا

متلطخة بالآثام الدنية، **(أم بقلوب سماوية)** أي علوية؟ **(فقلت: بل بقلوب سماوية)** يشير إلى التوبة والإخلاص وصدق التوجه مع الاضطرار، **(فقال: هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فإن الناقد بصير)** لا يقبل إلا طيباً، **(ثم رمق)** أي نظر إلى **(السماء بطرفه وقال: إلهي وسيدي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك، ولكن)** أسألك **(بالمكنون من أسمائك)** أي المستور منها عن أبصار الغافلين **(وما وارت الحجب من آلائك)** أي نعمك **(ألا ما سقيتنا ماء غدقاً)** أي كثيراً **(تحيا به العباد وتروي به البلاد. يا من هو على كل شيء قدير)** فجمع في دعائه بين المراتب الثلاثة المذكورة آنفاً. **(قال عطاء: فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاء بمطر كأفواه القرب)** كناية عن الغزارة والكثرة **(فولى وهو يقول)**:

(نعم الزاهدون والعابدونا إذ لمولاهم أجاعوا البطونا)
(أسهروا الأعين القريرة فيه) وفي نسخة الأعين العليلة وفي أخرى الخلية حباً
(فانقضى ليلهم وهم ساهرونا) وفي نسخة: وهم ساجدونا
(شغلتهم عبادة الله حتى قيل في الناس أن فيهم جنونا)

يشير بذلك إلى نفسه حيث كان يعرف بالمجنون، وإنما هو الصاحي والجنون في حب الله هو عين الصحو، ومن هنا قول الشيخ سيدي أحمد الرفاعي قدس سره وينسب لغيره في أبيات يقول فيها:

مجانين إلا أن سرّ جنونهم عزيز لدى أبوابه يسجد العقل

ووجدت هذه القصة في موضع آخر من بعض المجامع وفيه زيادة، وقال: من عامل الله بتقواه وكان في الخلوة يخشاه سقاه كأساً من لذيذ الصفاء أغنته عن لذة دنياه.

وقال ابن المبارك: قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزّر باحداهما وألقى الأخرى على عاتقه، فجلس إلى جنبي فسمعته يقول: إلهي أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوىء الأعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فاسألك يا حليماً ذا أناة يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة، فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب، قال ابن المبارك: فجئت إلى الفضيل، فقال: ما لي أراك كئيباً؟ فقلت: أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة، فصاح الفضيل وخرَّ مغشياً عليه. ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه، فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس: اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ولم يكشف إلا بتوبة وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك ﷺ، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعه فقد ضرع الصغير ورقّ الكبير وارتفعت

(وقال) عبد الله **(بن المبارك)** رحمه الله تعالى: **(قدمت المدينة في عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون وخرجت معهم إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش)** وهي ثياب من أردأ الكتان **(قد ائتزر بإحداهما وألقى الأخرى على عاتقه، فجلس الى جنبي فسمعته يقول)** في دعائه: **(إلهي أخلقت الوجوه عندك)** أي أبلتها **(كثرة الذنوب ومساوئ الأعمال وقد احتبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك، فأسألك يا حليماً ذا أناة يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة)** أي هذه الساعة، **(فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل مكان. قال ابن المبارك، فجئت إلى الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى **(فقال: ما لي أراك كئيباً)** أي محزوناً؟ **(فقلت: أمر سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة، فصاح الفضيل وخرّ مغشياً عليه)**.

(ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس) بن عبد المطلب **(عم النبي ﷺ، فلما فرغ عمر من دعائه)** بأن قال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ﷺ فاسقنا. **(قال العباس رضي الله عنه: اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب، ولن يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم إليك بي لمكاني من نبيك ﷺ)** يعني به قرب النسب، **(وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير)** أي المكسور الظهر **(بدار مضيعة)** أي ضياع **(فقد ضرع الصغير)** أي حقر **(ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى. اللهم فأغثهم**

الأصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى. اللهم فاغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. قال: فما تمّ كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال.

فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ . وفضله ﷺ :

قال الله تعالى: ﴿إنَّ الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليماً﴾ [الأحزاب: ٥٦] وروي أنه ﷺ: « جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال ﷺ إنه جاءني جبرائيل عليه السلام فقال: أما ترضى يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت

بغيثك) أي المطر **(قبل أن يقنطوا فيهلكوا فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. قال)** الرواي: **(فما تم كلامه حتى أرخت السماء مثل الجبال)** . قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

سأل الخليفة إذ تتابع جدبه ... فسقوا الغمام بدعوة العباس
عمّ النبي وصنو والده الذي ... ورث الثناء بذاك دون الناس
أحيا المليك به البلاد فأصبحت ... مخضرة الأجناب بعد الياس

وأصل القصة في البخاري عن أنس من غير ذكر دعاء العباس رضي الله عنه، وقد انفرد البخاري بإخراجها.

فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ وبيان فضله:

الذي حباه الله عز وجل.

(قال الله عز وجل: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) . معنى الصلاة العطف وهو بالنسبة إلى الله تعالى إما ثناؤه على العبد عند الملائكة، وهذا هو الأليق في تفسير صلاة الله على أنبيائه، وإما كمال الرحمة وبالنسبة إلى غيره تعالى الدعاء بخير وبكون الصلاة بمعنى العطف اتضح كل الاتضاح تعديتها « بعلى » وإنما أكد السلام دون الصلاة لاستغنائها عن التأكيد بوقوعها من الله وملائكته لدلالة ذلك على أنها من الشرف بمكان.

(وروي أنه ﷺ « جاء ذات يوم) منصوب على الظرفية لإضافته إلى يوم وهو أي ذات صلة **(والبشر يرى)** وفي بعض النسخ والبشرى ترى **(في وجهه)** وفي نسخة على وجهه **(فقال: إنه جاءني جبريل عليه السلام فقال)** لي: **(أما ترضى يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشراً)** . قال العراقي: رواه النسائي وابن حبان من حديث أبي طلحة بإسناد جيد.

عليه عشراً ». وقال ﷺ: « من صلّى عليَّ صلت عليه الملائكة ما صلّى عليَّ فليقلل عند ذلك أو ليكثر ». وقال ﷺ: « إن أولى الناس بي أكثرهم علي صلاة ». وقال ﷺ: « بحسب المؤمن من البخل أن أذكر عنده فلا يصلي عليَّ » وقال ﷺ: « أكثروا من

(وقال ﷺ : من صلى عليّ صلت عليه الملائكة ما صلى عليّ) وفي بعض نسخ الدلائل: ما دام يصلي علي **(فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر »)** هكذا في سائر نسخ الكتاب، ووقع في سائر نسخ الدلائل « عند ذلك أو ليكثر » وهو تصحيف. واحتاج الشراح إلى تأويله فقالوا: المعنى عند صلاته وأن تذكير الضمير باعتبار كونها عملاً فتأمل.

قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث عامر بن ربيعة بإسناد ضعيف، والطبراني في الأوسط بإسناد حسن اهـ.

قلت: ورواه البيهقي من حديث عامر بن ربيعة بلفظ « من صلى عليَّ صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى عليَّ فليقلل عند ذلك أو ليكثر » وفي رواية له « من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً فليكثر عليَّ عبد من الصلاة أو ليقلّ » وعن أبي طلحة بلفظ « من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً فليكثر عبد من ذلك أو ليقل » وروى الطبراني في الكبير عن عامر بن ربيعة « من صلى علي صلاة صلى الله عليه فأكثروا أو أقلوا » وهكذا رواه الحاكم في الكنى. وروى أحمد عن عبد الله بن عمرو « من صلى علي صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر » وروى أبو داود الطيالسي، وأحمد، وعبد بن حميد، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية، والضياء من حديثه بلفظ « ما من عبد يصلي علي إلا صلت عليه الملائكة ما دام يصلي فليقل العبد من ذلك أو ليكثر ».

(وقال ﷺ « إن أولى الناس بي أكثرهم علي صلاة »). هكذا في سائر نسخ الكتاب، وتبعه صاحب الدلائل والرواية إن أولى الناس يوم القيامة، والمعنى أقربهم مني في القيامة وأحقهم بشفاعتي أكثرهم علي صلاة في الدنيا لأن كثرة الصلاة عليه تدل على صدق المحبة وكمال الوصلة، فتكون منازلهم في الآخرة منه بحسب تفاوتهم في ذلك.

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال: حسن غريب، وابن حبان اهـ.

قلت: وكذا رواه البخاري في التاريخ، وقال ابن حبان: صحيح. وقال: إن لم يكن المراد بهم اتباع الأثر وعملة السنة فلا أدري من هم أي لكثرة اشتغالهم بذكره ﷺ عليه.

(وقال ﷺ « بحسب المؤمن من البخل) الباء زائدة أي يكفيه أو كافيه وهو خبر مقدم، وقوله: **(أن أذكر عنده)** مبتدأ مؤخر **(فلا يصلي عليّ »)** وفي نسخ الدلائل « ولا يصلي » وفي بعض نسخها « ثم لا يصلي » وفي بعضها « فلم يصل » وفي بعضها « ولم يصل » وإنما كان ما ذكر بخلاً لأن البخل منع الفضل والإمساك عن بذل ما ينبغي بذله شرعاً أو مروءة، والشرع يقتضي ذلك والمروءة.

الصلاة عليَّ يوم الجمعة ». وقال ﷺ: « من صلّى علي من أمتي كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ». وقال ﷺ: « من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب

قال العراقي: رواه قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن علي هكذا، والنسائي، وابن حبان من حديث أخيه الحسين بن علي « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي » ورواه الترمذي من حديث الحسين بن علي عن أبيه وقال: حسن صحيح اهـ.

قلت: وحديث الحسين بن علي أخرجه أيضاً أحمد والحاكم في الدعاء وقال: صحيح من رواية عبد الله بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده، وقد أطنب إسماعيل القاضي في تخريج هذا الحديث في تأليف له ولا ينقص عن درجة الحسن، وفي بعض روايات هذا الحديث « البخيل الذي من ذكرت عنده » قال الطيبي: الموصول الثاني مزيد مقحم بين الموصول وصلته.

(وقال ﷺ « أكثروا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة »).

قال العراقي: رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري من حديث أوس بن أوس، وذكره ابن أبي حاتم وحكى عن أبيه أنه حديث منكر اهـ.

قلت: ورواه ابن ماجه من حديث أبي الدرداء بزيادة « فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة ». ورواه البيهقي من حديث أنس بزيادة « وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة ».

(وقال ﷺ « من صلى علي من أمتي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات »).

قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث عمير بن نيار وزاد فيه « مخلصاً من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات » وله في السنين، ولابن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله « مخلصاً من قلبه » ودون ذكر محو السيئات، ولم يذكر ابن حبان أيضاً رفع الدرجات اهـ.

قلت: حديث أنس رواه أحمد والبخاري في الأدب، وأبو يعلى والحاكم والبيهقي والضياء بلفظ « من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات » وروى أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ « من صلى علي مرة واحدة كتب الله له بها عشر حسنات » وروى أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان عنه أيضاً بلفظ من صلى علي واحدة صلّى الله عليه بها عشراً » وهكذا رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر، وعن عبد الله بن عمرو، وعن أبي موسى، وعن أنس عن أبي طلحة.

(وقال ﷺ « من قال حين يسمع الأذان والإقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة

هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صلّ على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي». وقال رسول الله ﷺ: «من صلّى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام إسمي في ذلك

القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي»).

قال العراقي: رواه البخاري من حديث جابر دون ذكر الإقامة والشفاعة والصلاة على النبي ﷺ، وقال: النداء، وللمستغفري في الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة، وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف، وزاد الحسن بن علي المعمري في اليوم والليلة في حديث أبي الدرداء ذكر الصلاة فيه، وللمستغفري في الدعوات بسند ضعيف من حديث أبي رافع كان رسول الله ﷺ إذا سمع فذكر حديثاً فيه «فإذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة» الحديث وزاد «وتقبل شفاعته في أمته» ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر «وإذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليَّ ثم سلوا الله لي الوسيلة» وفيه «فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي» اهـ.

قلت حديث جابر الذي رواه البخاري لفظه «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة» وهكذا رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة وابن خزيمة وابن حبان.

ورواه الدارقطني في الأفراد من حديثه بلفظ «من قال إذا سمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة آت محمداً الوسيلة وابعثه المقعد المقرب الذي وعدته وجبت له الجنة».

ورواه أحمد وابن السني والطبراني في الأوسط من حديثه بلفظ «من قال حين ينادي المنادي بالصلاة اللهم رب هذه الدعوة القائمة والصلاة النافعة صل على محمد وارض عني رضاً لا تسخط بعده أبداً استجاب الله له دعوته».

(وقال ﷺ «من صلى عليَّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ما دام إسمي في ذلك الكتاب») قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، وأبو الشيخ في الثواب، والمستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أبو القاسم التميمي في الترغيب، والخطيب في شرف أصحاب الحديث، وابن بشكوال بسند ضعيف. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقال ابن كثير: إنه لا يصح. وفي لفظ لبعضهم: «لم تزل الملائكة تستغفر له» وفي آخر «من كتب في كتابه ﷺ لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام في كتابه».

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من كتب عني علماً فكتب معه صلاة

الكتاب » وقال ﷺ : « إن في الأرض ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام » . وقال ﷺ : « ليس أحد يسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام » . وقيل له : يا رسول الله، كيف نصلي عليك ؟ فقال : « قولوا اللهم صلّ على محمد عبدك وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل ابراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد » . روي أن عمر بن الخطاب رضي

عليَّ لم يزل في أجر ما قرئ ذلك الكتاب » . وأخرجه الدارقطني وابن بشكوال من طريقه وابن عدي ، وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من صلى عليّ في كتاب لم تزل الصلاة جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب » أخرجه أبو القاسم التيمي في ترغيبه ، ومحمد بن الحسن الهاشمي . وقال ابن كثير : لا يصح . وقال الذهبي : أحسبه موضوعاً . وقال الحافظ السخاوي : روي مرفوعاً من كلام جعفر الصادق . قال ابن القيم : وهو الأشبه يرويه محمد بن حميد عنه قال : « من صلى على رسول الله ﷺ في كتاب صلت عليه الملائكة غدوة ورواحاً ما دام اسم رسول الله ﷺ في الكتاب » . نقله السخاوي في القول البديع . والكتاب أعم من أن يكون كتاب علم يدرس فيه أو صحيفة يرسلها الى أخيه ، والصلاة عليه فيه أعم من أن تكون بالكتابة أو بالنطق او بالجمع بينهما وهو الأفضل . وقد ذكر صاحب الدلائل عن بعض الصالحين قال : كان لي جار نساخ فمات فرأيته في المنام فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقلت : فبم ؟ فقال : كنت إذا كتبت إسم محمد ﷺ في كتاب صليت عليه ، فأعطاني ربي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . قلت : وسيأتي لذلك مزيد بيان قريباً .

(وقال ﷺ « إن في الأرض ملائكة سياحين يبلغونني من أمتي السلام ») تقدم الكلام عليه في آخر كتاب الحج .

(وقال ﷺ « ليس أحد يسلم علي إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام ») قال العراقي : رواه أبو داود من حديث أبي هريرة بسند جيد اهـ .

(وقيل يا رسول الله كيف نصلي عليك ؟ فقال ﷺ « قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد ») قال العراقي متفق عليه من حديث أبي حميد الساعدي اهـ .

قلت : لفظ الشيخين « اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد » وهكذا رواه مالك ، وأحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه . وقد روي مثل ذلك عن كعب بن عجرة رواه المذكورون خلا مالكاً بلفظ « قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد » ورواه كذلك عبد الرزاق عن محمد بن عبد الله بن زيد بلفظ « قولوا

....

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما علمتم ». وقد روي في الباب عن ابي سعيد وغيره.

فصل

في بيان أن الصلاة على النبي ﷺ تتضمن ثواباً عظيماً:

اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ تتضمن ثواباً عظيماً منها: أنها توجب الشفاعة. أخرج الطبراني في الكبير عن رويفع بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من قال اللهم صلّ على محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي » وأخرج أيضاً من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من صلّى عليّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي ». وقد تقدم شيء من ذلك قريباً.

منها: أنها توجب الجنة. روى ابن القاري من حديث الحكم ابن عطية، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من صلّى عليّ في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة » قال الضياء المقدسي في كتاب الصلاة على النبي ﷺ: لا أعرفه إلا من حديث الحكم. وقال الدارقطني: أحاديث الحكم لا يتابع عليها. وقال أحمد: لا بأس به. وروي عن يحي بن معين أنه قال: هو ثقة.

ومنها: أنها تلقي الهم وتغفر الذنب. أخرج الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال: « يا أيها الناس اذكروا الله فإن الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت قال أبي يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ما شئت. قلت: الربع؟ قال: ما شئت فإن زدت فهو خير. قلت: الثلثين؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير. قال: قلت أجعل لك صلاتي كلها. قال إذاً تكفي همك ويغفر لك ذنبك». وقال: حديث حسن صحيح. وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال: صحيح الإسناد، والطبراني في معجمه، وفسرّ الصلاة فيه بالدعاء، وكذلك أوّله النميري في كتاب الاعلام، وأورده بلفظ « اجعل ثلث دعائي لك » وكان لأبي بن كعب رضي الله عنه دعاء يدعو به لنفسه، فسأل النبي ﷺ هل يجعل له ربعه صلاة عليه ﷺ فقال: « إن زدت فهو خير لك » إلى أن قال « اجعل لك صلاتي كلها أي دعائي كله صلاة عليك لأن من صلى عليه صلى الله تعالى عليه، ومن صلى الله تعالى عليه كفى همه وغفر ذنبه ». وأخرج ابن أبي حاتم في كتاب الصلاة عن أبي منصور عن أبي معاذ عن أبي كاهل قال: قال لي رسول الله ﷺ: « يا أبا كاهل من صلّى عليّ كل يوم ثلاث مرات حباً أو تقرباً إليَّ كان حقاً على الله أن يغفر له ذنوبه تلك الليلة وذلك اليوم ».

....

ومنـها : انها تنفي الفقر . روى أبو نعيم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : « كثرة الذكر والصلاة على النبي ﷺ تنفي الفقر » .

ومنـها : انها تقضي الحوائج . روى أبو موسى أحمد بن موسى الحافظ من حديث أبي سهل بن مالك ، عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من صلّى عليَّ مائة صلاة حين يصلي الصبح قبل أن يتكلم قضى الله له مائة حاجة عجل منها ثلاثين حاجة ، وأخَّر له سبعين ، وفي المغرب مثل ذلك » . ورواه ابن منده من طريق أبي بكر الهذلي عن محمد بن المنكدر عن جابر نحوه وهو حديث حسن .

فصل

سئل المصنف رحمه الله تعالى : ما معنى قوله ﷺ « من صلّى علي واحدة صلّى الله عليه عشراً ، وما معنى صلاة الله على من صلّى عليه ، وما معنى صلواتنا عليه ، وما معنى استدعائه من أمته الصلاة عليه أيرتاح لذلك أم هو شفقة على الأمة ؟

فأجاب أما صلاة الله على نبيه وعلى المصلين عليه فمعناه إفاضة أنواع الكرامات ولطائف النعم ، وأما صلاتنا عليه وصلاة الملائكة فهو سؤال وابتهال في طلب تلك الكرامة ورغبة في افاضتها عليه كقول القائل : غفر الله له ورحمه ، فإن ذلك يختص بالرحمة وطلب العفو بالستر ، ولذلك تختص الصلاة به ، ودونه قولك رضي الله عنه فتختص الصلاة بالانبياء وطلب الترضي بالصحابة والأولياء والعلماء وطلب الرحمة والمغفرة للعوام .

وأما استدعاؤه الصلاة من أمته فلثلاثة أمور . **أحدها** : أن الأدعية مؤثرة في استـدرار فضل الله ونعمته ورحمته لا سيما في الجمع الكثير كالجمعة وعرفات والجماعات ، فإن الهمم إذا اجتمعت وانصرفت إلى طلب ما في الامكان وجوده على قرب كالمطر ورفع الوباء وغيره فاض ما في الامكان من الفيض الحق بوسائط إلى روحانيات المترشحين لتدبير العالم الأسفل المقتضى لتقهرهم ، وإنما أثرت الهمم لما بين الأرواح البشرية والروحانيات العالية من المناسبة الذاتية ، فإن هذه الأرواح مجانسة لتلك الجواهر ، وإنما يقطع مجانستها التدنس بكدورات الشهوات ، ولذلك تكون همة القلوب الزكية الطاهرة أسرع تأثيراً وتكون في حالة التضرع والابتهال أنجح ، لأن حرقة التضرع تذيب كدورات الشهوات عن القلب في الحال وتصفيه وتكشفه من الظلمة ، ولذلك ما يخطيء دعاء الجمع ولا يخلو الجمع من قلوب طاهرة يزيدون التعاون تأثيراً ، وإنما كان يوم الجمعة وقتاً يستجاب فيه الدعاء منهم ، لأن الحال الذي يجتمع فيه على قلوب صافية واحد لا يدري متى هو . لكن الغالب أن اليوم لا يخلو عنه وهو وقت النفحات التي يتعرض لها ، وربما كان اجتماع الهمم يوم الجمعة عند الاسباب الجامعة كابتداء الخطبة وابتداء الصلاة وكان الصلاة أولى ، لكن الأولى أن لا يجزم القول بتعيين وقته بل يبهم ، وكذلك يتوقع تلك النفحات في الأسحار لصفاء القلوب ، فإذا

....

كانت الأدعية مؤثرة في استجلاب موائد الفضل وكان ما وعد رسول الله ﷺ من الحوض ومرتبة الشفاعة وغير ذلك من المقامات المحمودة غير محدود على وجه لا تتصور الزيادة فيها ، فاستمداده من الأدعية استزادة لتلك الكرامات.

الأمر الثاني: ارتياحه به كما قال ﷺ « إني أباهي بكم الأمم » وكما لا يبعد أن يطلع النائم منا على الغيب من أحوال الموتى مع كوننا في هذا العالم المظلم، فلا يبعد أن تحصل للارواح معرفة بمجاري أحوالنا مع أنهم في عالم القدس والصفاء ودار الحيوان، ووجه اطلاع النائم على أحوال الموتى واطلاع الموتى على أحوال الناس يطول ذكره.

الثالث: الشفقة على الأمة فحريضهم على ما هو حسنة في حقهم وقربة لهم، وإنما تضاعف الصلاة لأن الصلاة ليست حسنة واحدة بل حسنات إذ فيها تجديد الايمان بالله أولاً ، ثم بالرسول ثانياً ، ثم بتعظيمه ثالثاً ، ثم بالعناية بطلب الكرامة له رابعاً ، ثم تجديد الإيمان باليوم الآخر وأنواع كرامات خامساً ، ثم يذكر الله سادساً ، وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ثم بتعظيم الله بنسبتهم إليه سابعاً ، ثم باظهار المودة لهم ثامناً ، ولم يسأل ﷺ من أمته إلا المودة في القربى ، ثم الابتهال والتضرع في الدعاء تاسعاً ، والدعاء مخ العبادة ، ثم بالاعتراف عاشراً بأن الأمر كله لله وأن النبي وإن جل قدره فهو محتاج إلى رحمة الله عز وجل. فهذه عشر حسنات سوى ما ورد الشرع به من أن الحسنة الواحدة بعشر أمثالها وإن السيئة بمثلها فقط، وسرّه أن الجوهر الإنساني حنان إلى ذلك العالم العلوي وهبوطه إلى العالم الجسماني غريب في طبعه، والسيئة تبطئه عن الترقي إلى ذلك العالم على خلاف طبعه، والحسنة ترقيه إلى موافقة الطبع والقوة التي تحرك الحجر إلى فوق هي نفسها إن استعملت في تحريكه إلى أسفل تحرك عشرة أذرع أو زيادة، فلهذا كانت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف اهـ.

ولما فرغ المصنف من ذكر فضيلة الصلاة عليه ﷺ شرع في ذكر فضله ﷺ ، ولنقدم قبل ذلك كلاماً مختصراً يكون كالتتمة لما يذكره المصنف فأقول: من فضائله ﷺ أن الله تعالى أقسم بحياته ولم يقسم بحياة نبي قبله فقال عز وجل ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [الحجر: ٧٢] وأيده بالملائكة وقرن اسمه مع اسمه، ورفع ذكره في التأذين مع ذكره عز وجل قال الله عز وجل ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ [الشرح: ٤] وأعطاه اسمين من أسمائه فقال ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس﴾ الآية [النساء: ١٠٥] فجعل الأمر إليه لطهارته عند الله وأمانته على عباده ووضع به الاغلال والآصار التي كانت عليهم فقال ﴿ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم﴾ [الأعراف: ١٥٧] وجعله رحمة للعالمين والامان من المسخ والقوارع والعذاب، وخاطب الانبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة، فقال: يا أيها النبي، يا أيها الرسول

وقال أنس رضي الله عنه: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي لشيء صنعته لم

الله عنه سمع بعد موت رسول الله ﷺ يبكي ويقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه، فلما كثر الناس اتخذت منبراً لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن، فأمتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل: ﴿ومَنْ يُطِعِ الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠] بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب فقال تعالى: ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُم﴾ [التوبة: ٤٣] بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك

صنعته، ولا قال لي لشيء تركته لم تركته، وكان أحسن الناس خلقاً، وما مسست شيئاً قط ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت ريحاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ.

ويروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال: «كان رسول الله ﷺ يعقل البعير ويعلف الناضح ويقم المبيت ويخصف النعل ويرقع الثوب ويحلب الشاة ويأكل مع الخادم ويضحي معها إذا أعيت وكان لا يحمله الحياء أن لا يحمل بضاعته من السوق إلى أهله، وكان يصافح الغني والفقير ويسلم مبتدئاً، وكان لا يستحي إذا دعي ولا يحتقر ما دعي إليه ولو إلى حشف التمر، وكان هين المؤنة لين الخلق جميل المعاشرة طلق الوجه بسّاماً من غير ضحك متواضعاً من غير مذلة جواداً من غير سرف، رقيق القلب دائم الاطراق رحيماً بكل مسلم لم يبشم قط من شبع ولا مدّ يده إلى طمع ﷺ».

(ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد موت رسول الله ﷺ يبكي ويقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع) بالكسر ساق النخلة **(تخطب الناس عليه)** كان ﷺ يضع يده الكريمة عليه عند خطبته، **(فلما كثر الناس اتخذت منبراً)** من خشب الغابة بثلاث درج **(لتسمعهم)** الخطبة **(فحنّ الجذع لفراقك)** حنيناً بيّناً سمعه من حضر. والحنين صوت المتألم المشتاق. واللام تعليلية ويصح جعلها وقتية بمعنى عند **(حتى جعلت يدك عليه)** تسكيناً له **(فسكن)** فهذا الجذع وهو خشب وقد حنّ، **(فأمتك أولى بالحنين إليك لما فارقتهم)**.

قال العراقي: هو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخر، فحديث الجذع متفق عليه من حديث جابر وابن عمر **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان جعلت طاعتك طاعته فقال عز وجل ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾)** ووعد من خالفه بالعذاب، **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أخبرك بالعفو عنك قبل أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن أخبرك بالذنب، فقال عز وجل ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾)** وهذا فيه تأنيس لخاطره إذ لولا تقدم العفو لانشقت مرارته، فإن الحبيب لا يتحمل عتاب الحبيب لولا أن يكون ممزوجاً بما يؤانسه. **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ**

آخر الأنبياء وذكرك في أولهم، فقال عز وجل: ﴿وإذْ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوحٍ وابراهيمَ﴾ [الأحزاب: ٧] الآية. بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجراً تتفجر منه الأنهار فما ذلك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء. صلى الله عليك، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوّها شهر ورواحها شهر فما ذلك بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة، ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح. صلى الله عليك، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى ابن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فما ذلك بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية فقالت لك الذراع: لا تأكلني فإني مسمومة، بأبي أنت وأمي يا

من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الانبياء) وجوداً **(وذكرك في أوّلهم، فقال عز وجل ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾ الآية)**. فذكره معهم في أخذ المواثيق. **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها)** ودركاتها **(يعذبون)** بأنواع العذاب **(يقولون: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا)** إذ كانت نجاتهم من هذا العذاب في طاعته واتباعه، **(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران)** عليه السلام **(أعطاه الله)** أن ضرب بعصاه **(حجراً)** فصار **(تتفجر منه الأنهار)** وتنبجس منه العيون الغزار **(فما ذلك بأعجب من أصابعك)** الكريمة **(حين نبع منها الماء)**. متفق عليه من حديث أنس وغيره.

(صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان سليمان) عليه السلام **(أعطاه الله الريح)** أي سخرها له **(غدوّها شهر ورواحها شهر)** أي مسيرة شهر **(فما ذلك بأعجب من البراق)** وهي دابة نحو البغل تركبه الرسل عند العروج إلى السماء **(حين سرت عليه)** راكباً إلى السماء الدنيا ثم **(إلى السماء السابعة)**، ثم منها إلى الرفرف الأعلى حيث يسمع صريف الأقلام، **(ثم صليت الصبح من ليلتك)** مع أهلك **(بالأبطح)** وهو الموضع المعروف بالمحصب.

قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالأبطح.

(صلى الله عليك بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى بن مريم عليه السلام أعطاه الله احياء الموتى) معجزة له **(فما ذلك بأعجب من الشاة المسمومة)** التي سمّمتها يهودية **(حين كلمتك)** الشاة **(وهي مشوية وقالت: لا تأكلني فإني مسمومة)** رواه أبو داود من حديث جابر وفيه انقطاع.

(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح) عليه السلام **(على قومه فقال ﴿ربِّ لا**

رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال: ﴿ربِّ لا تذر عَلى الأَرْض مِنَ الكَافِرينَ ديّاراً﴾[نوح:٢٦]ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا ، فلقد وطيء ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيراً فقلت: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحاً في كثرة سنه وطول عمره ، ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفؤاً لك ما جالستنا ولو لم تنكح إلا كفؤاً لك ما نكحت إلينا ، ولو لم تؤاكل إلا كفؤاً لك ما واكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت إلينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على الأرض ولعقت أصابعك تواضعاً منك صلى الله عليك وسلم.

تذر) أي لا تترك **(على الارض من الكافرين ديّاراً﴾)** أي ساكن دار ، **(ولو دعوت علينا)** دعوة **(مثلها لهلكنا كلنا ، فلقد وطيء ظهرك)** حين كان يصلي تحت الميزاب ، فأتاه عقبة بن أبي معيط الشقي بسلي جزور ووضعه على ظهره ورقبته ، **(وأدمي وجهك)** بسهم أصابه **(وكسرت رباعيتك)** وهو على وزان الثمانية التي بين الثنية والناب ، والجمع رباعيات بالتخفيف أيضاً ، والادماء بالكسر . متفق عليه من حديث سهل بن سعد في غزوة أحد . **(فأبيت أن تقول إلاّ خيراً فقلت: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)** رواه البيهقي في دلائل النبوّة ، والحديث في الصحيح عن ابن مسعود أنه ﷺ حكاه عن نبي عن الأنبياء ضرّبه قومه .

(بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قلة سنيك) يشير إلى المدة فإنها نحو عشر سنوات كمل فيها الدين وتم نظامه المتين ، **(وقصر عمرك)** وهو ثلاث وستون سنة **(ما لم يتبع نوحاً في كثرة سنيه وطول عمره)** وهو ألف سنة إلاّ خمسين عاماً ، **(ولقد آمن بك)** الكثير في هذه المدة القليلة نحو مائة ألف وأربعة عشر ألفاً ، وهذا القدر هو الذي مات عنهم ﷺ كما قاله أبو زرعة وغيره ، وكان المراد به من حضر ، وأما من غاب فلا يحصيهم إلا الذي خلقهم ، **(وما آمن معه)** أي مع نوح عليه السلام **(إلا قليل . بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفؤاً لك)** أي نظيراً أو مشابهاً **(ما جالستنا ، ولو لم تنكح إلا كفؤاً لك ما نكحت إلينا ولو لم تؤاكل إلا كفؤاً لك ما واكلتنا ، فلقد والله واكلتنا وجالستنا ونكحت إلينا)** أي كل ذلك تفضلاً منه ﷺ وكرماً وحلماً . أما المجالسة: فهو ﷺ كان يجالس أصحابه ويؤانسهم في أغلب الاوقات . وأما المؤاكلة؛ فكان يؤاكلهم ويلاطف معهم في الأكل . وأما المناكحة ، فقد تزوّج عائشة بنت الصديق وحفصة ابنة عمر رضي الله عنهم ، وكل ذلك مشهور في الكتب .

(ولبست الصوف) رواه أبو داود من حديث سهل بن سعد وابن عساكر من حديث أبي أيوب ، **(وركبت الحمار وأردفت خلفك)** متفق عليه من حديث أسامة بن زيد . **(ووضعت طعامك بالارض)** رواه أحمد في الزهد من حديث الحسن مرسلاً .

وقال بعضهم: كنت أكتب الحديث وأصلي على النبي ﷺ فيه ولا أسلم فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي: أما تتم الصلاة عليَّ في كتابك؟ فما كتبت بعد ذلك إلا صليت

وللبخاري من حديث أنس «ما أكل رسول الله ﷺ على خوان قط» قاله العراقي.

قلت: وروى ابن سعد في الطبقات، عن محمد بن مقاتل، عن ابن المبارك، عن سفيان أن الحسن قال: لما بعث الله محمداً ﷺ قال: هذا نبيّي هذا خياري ائتسوا به، ثم ذكر الحديث وفيه «يجلس بالأرض ويأكل طعامه بالأرض ويلبس الغليظ ويركب الحمار ويردف بعبده ويلعق أصابعه» وكان يقول: «من رغب عن سنتي فليس مني».

وروي أيضاً من حديث أنس قال: «كان ﷺ يقعد على الأرض ويأكل على الأرض ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خطامه من ليف». وروي عنه من وجه آخر «أنه ﷺ كان يركب الحمار يردف بعبده». وروى عن حمزة بن عبد الله بن عتبة «كان ﷺ يركب الحمار عرياً ليس عليه شيء».

(ولعقت أصابعك تواضعاً منك صلى الله عليك) رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك رضي الله عنهما قاله العراقي.

قلت: ورواه ابن سعدمن مرسل الحسن كما تقدم تقريباً.

ولما فرغ المصنف رحمه الله تعالى من ذكر فضله ﷺ رجع إلى بيان فضل من صلّى عليه في كتاب له فقال: **(قال بعضهم: كنت أكتب الحديث وأصلّي على النبي ﷺ ولا أسلم)** أي كان يكتب صلى الله عليه فقط، **(فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال)** لي: **(أما تتم الصلاة عليّ في كتابك)** أي فعاقبني على ترك السلام في الصلاة عليه. **(فما كتبت بعد ذلك)** إسمه الشريف أو وصفه أو خلقاً من أخلاقه **(إلا صليت وسلمت)** أي جمعت بينهما في الكتابة. فليحذر الكاتب من ذلك. ومنهم من يشير إلى هذه الجملة «بالصاد» المقطوعة وليس بمحمود، ومنهم من يكتب هكذا «صلعم» يشير به إلى الصلاة والسلام وهو أشد منعاً. وقد رأيت ذلك كثيراً في كتب العجم، والأفضل فيه ما ذكرت، أو يقول عليه الصلاة والسلام، أو يقتصر على قوله عليه السلام.

ثم رأيت في القول البديع للحافظ السخاوي قال: وأما الصلاة عليه عند كتابة إسمه ﷺ وما فيه من الثواب وذم من أغفله فاعلم أنه كما تصلي عليه بلسانك فكذلك خط الصلاة عليه ببنانك مهما كتبت اسمه الشريف في كتاب فإن لك به أعظم الثواب. وهذه فضيلة يفوز بها تباع الآثار ورواة الأخبار وحملة السّنة فيا لها من منة، وقد استحب العلماء أن يكرر الكاتب الصلاة على النبي ﷺ كلما كتبه.

قال ابن الصلاح ينبغي أن يحافظ على كتابة الصلاة والتسلم على رسول الله ﷺ عند ذكره ولا يسأم من تكرير ذلك عند تكراره، فإن ذلك من أكبر الفوائد التي يتعجلها طلبة الحديث وكتبته،

....

ومن أغفل ذلك حرم حظاً عظيماً، وقد رأينا لأهل ذلك منامات صالحة. وما يكتبه من ذلك فهو دعاء ينشئه لا كلام يرويه، فلذلك لا يتقيد فيه بالرواية ولا يقتصر فيه على ما في الأصل. وكذا الأمر في الثناء على الله سبحانه عند ذكر إسمه نحو: عز وجل، وتبارك وتعالى، وما ضاهى ذلك. قال: ثم ليجتنب في إثباتها نقصين من أن يكتبها منقوصة صورة رامزاً إليها بحرفين أو نحو ذلك يعني كما يفعله الكسالى والجهلة وعوام الطلبة، فيكتبون صورة «صلعم» بدلاً عن ﷺ، والثاني أن يكتبها منقوصة معنى بأن لا يكتب فيها وسلم، وإن وجد ذلك في خط بعض المتقدمين.

ثم قال الحافظ السخاوي: وروى عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا كان يوم القيامة يجيء أصحاب الحديث ومعهم المحابر فيقول الله لهم: أنتم أصحاب الحديث طالما كنتم تكتبون الصلاة على نبي ﷺ انطلقوا إلى الجنة». أخرجه الطبراني، عن الدبري، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري عن أنس. وأخرجه ابن بشكوال من طريقه، ونقل عن طاهر بن أحمد النيسابوري قال: ما أعلم حدّث به غير الطبراني. وقال السخاوي: وقد أخرجه الخطيب من طريق محمد بن يوسف بن يعقوب الرقي عن الطبراني بسنده. وقال الخطيب: إنه موضوع والحمل فيه على الرقي اهـ.

وقد رواه أبو المحاسن الروياني في فوائده من طريقه أيضاً عن الطبراني، لكن قال: عن معمر، عن قتادة، عن أنس ولم ينفرد به الطبراني بل هو في مسند الفردوس من غير طريقه ولفظه «إذا كان يوم القيامة جاء أصحاب الحديث بأيديهم المحابر فيأمر الله جبريل عليه السلام أن يأتيهم فيسألهم من هم؟ فيقولون: نحن أصحاب الحديث. فيقول الله لهم: أدخلوا الجنة فقد طالما كنتم تصلون على نبيّي ﷺ». وأخرجه النميري باللفظ الأول. وعن سفيان الثوري قال: لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة إلا الصلاة على النبي ﷺ فإنه يصلي عليه ما دام في ذلك الكتاب ﷺ. أخرجه الخطيب وابن بشكوال.

وعند الخطيب أيضاً ومن طريقه ابن بشكوال عن سفيان بن عيينة قال: حدثنا خلف صاحب الخلقان قال: كان لي صديق يطلب الحديث فمات فرأيته في المنام وعليه ثياب خضر جدد يجول فيها فقلت له: ألست كنت تطلب معي الحديث فما هذا الذي أرى؟ فقال: كنت أكتب معكم الحديث فلا يمر بي حديث فيه ذكر النبي ﷺ إلا كتبت في أسفله ﷺ فكافأني بهذا الذي ترى علي ﷺ».

وروى النميري عن سفيان بن عيينة أيضاً قال: كان لي أخ مؤاخ لي فمات فرأيته في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قلت: بماذا؟ قال: كنت أكتب الحديث فإذا جاء ذكر النبي ﷺ كتبت صلى الله عليه وسلم أبتغي بذلك الثواب فغفر لي بذلك.

وعن أبي الحسن الميموني قال: رأيت الشيخ أبا علي الحسن بن عيينة في المنام بعد موته وكان على أصابع يديه شيء مكتوب بلون الذهب أو بلون الزعفران، فسألته عن ذلك فقلت: يا أستاذ أرى على

وسلمت عليه. وروي عن أبي الحسن الشافعي قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله؛ بمَ جوزي الشافعي عنك حيث يقول في كتابه الرسالة: «وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون؟» فقال ﷺ: «جُزي عني أنه لا يوقف للحساب».

أصبعك شيئاً مليحاً مكتوباً ما هو؟ قال: يا بني هذا لكتبي ﷺ في حديث رسول الله ﷺ. رواه أبو القاسم التيمي في ترغيبه.

قلت: وروى الحافظ السلفي بسنده في فوائده بسنده إلى أبي عبد الله أحمد بن عطاء الروذباري يقول: سمعت أبا صالح عبد الله بن صالح الصوفي يقول: رؤي بعض أصحاب الحديث في المنام فقيل: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي فقيل له: بأي شيء؟ فقال: بصلاتي في كتبي على رسول الله ﷺ.

(**وروي عن أبي الحسين الشافعي**) رحمه الله تعالى، وفي نسخة أبي الحسن (**قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله: بما جزي**) محمد بن إدريس(**الشافعي عنك حين يقول في كتابه الرسالة**) وهي التي أرسلها إلى عبد الرحمن بن مهدي (**«وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون»؟ فقال ﷺ: جُزي عني أنه لا يوقف للحساب**). قال ابن مسدي الحافظ في آخر الجزء الثاني من مسلسلاته: سمعت أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن أبي زيد التلمساني، وأبا علي الحسن بن الناصر الهروي يقول كل منهما: سمعت أبا عبد الله أحمد بن الحسن بن أحمد الهمداني يقول: سمعت أبا بكر هبة الله بن الفرج الشروطي يقول: سمعت أبا القاسم بن أبي سعد الحافظ يقول: سمعت أبا مسلم غالب بن علي الرازي يقول: سمعت أبا الحسين يحي بن الحسين المطلبي بمدينة النبي ﷺ يقول: سمعت ابن بنان الأصبهاني يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله. محمد بن ادريس الشافعي ابن عمك هل خصصته بشيء؟ قال: نعم. سألت الله عز وجل أن لا يحاسبه، فقلت: بم يا رسول الله؟ قال: لأنه كان يصلي عليَّ صلاة لم يصلَّ علي أحد قبله مثله. قلت: وما هذه الصلاة يا رسول الله؟ قال: كان يقول: اللهم صلّ على محمد كلما ذكره الذاكرون وصلّ على محمد كلما غفل عنه الغافلون.

قال: وقد روى معنى هذه الحكاية عن المزني صاحب الشافعي، كما سمعت يوسف بن محمد الصوفي يقول: سمعت أبا الطاهر السلفي الحافظ يقول: وساق سنده إلى المزني قال: رأيت الشافعي في المنام بعد موته فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بصلاة صليتها على النبي ﷺ في كتاب الرسالة وهي: اللهم صلّ على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

قال ويروى هذه القصة بهذه الرؤيا لعبد الله بن عبد الحكم، كما أخبرنا أبو الخطاب بن واجب، أخبرنا أبو بكر بن أبي ليلى، أخبرنا أبو علي الصدفي، أخبرنا أبو عبد الله بن أبي نصر الحميدي، أخبرنا أبو قاسم الصيرفي، حدثنا علي بن محمد، حدثنا أبو جعفر الطحاوي قال: قال

فضيلة الاستغفار:

قال الله عز وجل: ﴿والذين إذا فَعَلُوا فاحشةً أو ظَلَموا أنفسَهُم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾ [آل‌عمران: ١٣٥]، وقال علقمة والأسود، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنهم: في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنباً فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾ الآية. وقوله عز وجل: ﴿ومَنْ يعملْ سوءاً أوْ يَظْلِمْ نفسَه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ [النساء: ١١٠]، وقال عز وجل: ﴿فسبِّح بحمد ربّك واستغفره إنه كان تواباً﴾ [النصر: ٣]، وقال تعالى: ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ [آل عمران: ١٧] وكان ﷺ يكثر أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك

عبد الله بن الحكم: رأيت الشافعي في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: رحمني وغفر لي وزففت إلى الجنة كما تزف العروس، ونثر عليَّ كما ينثر على العروس. فقلت: بم بلغت هذه الحال؟ فقال لي قائل بقولك في كتاب الرسالة وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عنه الغافلون. قال: فلما أصبحت نظرت الرسالة فرأيت الأمر كما رأيته.

فضيلة الاستغفار:

لما فرغ من بيان فضيلة التحميد والتهليل والتسبيح والتكبير والحوقلة والصلاة على النبي ﷺ شرع في فضيلة الاستغفار فقال: (**قال الله عز وجل ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم**)ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ (**قال علقمة**) بن قيس أبو شبل الفقيه (**والاسود**) بن يزيد النخعي رحمهما الله تعالى، (**قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: في كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنباً فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله له**). الأولى قوله عز وجل: (**والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾ الآية. و**)الثانية (**قوله عز وجل ﴿ومن يعمل سوأً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ وقال عز وجل: ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ وقال عز وجل ﴿فسبّح بحمد ربّك﴾**) أي فاثن على الله بصفات الجلال حامداً له على صفات الإكرام (**واستغفره**) هضماً لنفسك واستقصاراً لعملك واستداركاً لما فرط منك، وقيل: استغفره لأمتك بدأ بالتسبيح ثم بالتحميد ثم الاستغفار على طريقة التدلي من الخالق إلى الخلق، كما قيل: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله (**إنه كان توّاباً**) لمن استغفره.

(**وكان رسول الله ﷺ يكثر ان يقول: «سبحانك وبحمدك اللهم أغفر لي انك التوّاب الرحيم»**) قال العراقي: رواه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال: صحيح الإسناد إن كان أبو عبيدة سمع من أبيه، والحديث متفق عليه من حديث عائشة أنه كان يكثر أن يقول ذلك في ركوعه وسجوده دون قوله« إنك أنت التوّاب الرحيم».

أنت التوّاب الرحيم ». وقال ﷺ : « **من أكثر من الإستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب** ». وقال ﷺ : « **إني** لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة ». وهذا مع أنه ﷺ **غفر له ما تقدم** من ذنبه وما تأخر. وقال ﷺ : « **إنه ليغان على قلبي حتى أني لأستغفر الله تعالى في كل** يوم مائة مرة ». وقال ﷺ : « **من قال حين يأوي إلى فراشه أستغفر الله العظيم الذي لا** إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل عالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا » وقال ﷺ في

(**وقال ﷺ : « من أكثر من الإستغفار جعل الله عز وجل له من كل همّ فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب »**) قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة، وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح الاسناد من حديث ابن عباس، وضعفه ابن حبان اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد، وابن السني في اليوم والليلة، والبيهقي في السنن.

(**وقال ﷺ : « إني لأستغفر الله سبحانه وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة »**) قال العراقي رواه البخاري من حديث أبي هريرة إلا أنه قال « أكثر من سبعين مرة » وهو في الدعاء للطبراني كما ذكره المصنف اهـ.

(**وهذا مع أنه ﷺ**) كان قد (**غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**)، فهو من باب الترقي أو الإعتراف بما عسى حصل له من التقصير في رؤية الأعمال والإلتفات.

(**وقال ﷺ : « إنه ليغان على قلبي**) الغين: شيء رقيق من الصدأ يغشى القلب فيغطيه بعض التغطية، وهو كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يحجب الشمس لكنه يمنع ضوءها ذكره الإمام الرازي، (**حتى أني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة »**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث الأغر اهـ.

قلت: وهو المزني له صحبة روى عنه معاوية بن قرة وأبو بردة، وقد أورده هكذا أحمد والنسائي وابن ماجة بلفظ: « وإني لأستغفر الله في اليوم ».

(**وقال ﷺ : « من قال حين يأوي إلى فراشه**) أي عند النوم (**أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر الله له عز وجل ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر**) وهو ما يعلو عليه عند التموج. (**أو عدد رمل عالج**) وهو موضع في بلاد بني تميم كثير الرمال (**أو كعدد ورق الشجر أو كعدد أيام الدنيا »**) رواه الترمذي من حديث أبي سعد وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافي.

قال العراقي: الوصافي وإن كان ضعيفاً فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة. رواه البخاري في التاريخ دون قوله: « حين يأوي إلى فراشه وقوله ثلاث مرات » اهـ.

حديث آخر: «من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف». وقال حذيفة: كنت ذرب اللسان على أهلي فقلت: يا رسول الله لقد خشيت أن يدخلني لساني النار، فقال النبي ﷺ: «فأين أنت من الاستغفار؟ فإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة».

قلت: ورواه أحمد وأبو يعلى، ولفظ الترمذي: «من قال حين يأوي إلى فراشه أستغفر الله الذي لا إله إلا هو» فساقه كسياق المصنف إلا أنه قال بعد قوله: «زبد البحر وإن كانت عدد رمل عالج وإن كانت عدد أيام الدنيا». ورواه ابن عساكر من حديثه بلفظ: «من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثا غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج وغثاء البحر وعدد نجوم السماء». ورواه ابن السني والطبراني في الأوسط وابن عساكر وابن النجار من حديث أنس بنحوه إلا أنه قال: من قال صبيحة الجمعة قبل الغداة وفيه «ولو كانت أكثر من زبد البحر» وفي الإسناد حنيف بن عبد الرحمن الجزري مختلف فيه.

(وقال ﷺ في حديث آخر: «من قال ذلك غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف») رواه أبو داود والترمذي من حديث زيد مولى النبي ﷺ وقال غريب.

قال العراقي: قلت ورجاله موثقون. ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال: صحيح على شرطهما اهـ.

قلت لفظ الحاكم: «من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً» والباقي سواء. ولفظ الترمذي بعد قوله: «وأتوب إليه غفر له وإن كان فر من الزحف ولم يذكر ثلاثاً» وبلفظ الترمذي رواه ابن سعد في الطبقات والبغوي وابن منده والبارودي والطبراني في الكبير والضياء وابن عساكر كلهم عن بلال بن زيد عن أبيه عن جده. قال البغوي: ولا أعلم له غيره، ورواه ابن عساكر عن أنس، ورواه أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن مسعود ومعاذ موقوفاً عليهما.

(وقال) أبو عبد الله **(حذيفة)** بن اليمان رضي الله عنه: **(كنت ذرب اللسان)** أي حديده وسليطه أو فاحشه **(على أهلي، فقلت يا رسول الله: لقد خشيت أن يدخلني لساني النار. فقال النبي ﷺ: «فأين أنت من الإستغفار فإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»)** قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة، وابن ماجة والحاكم وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين اهـ.

قلت: ورواه أبو داود والطيالسي وهناد وأحمد، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في السنن، وأبو يعلى والروياني والضياء.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن محمد بن مهران، حدثنا محمد بن العباس بن أيوب، حدثنا الحسن بن يونس، حدثنا محمد بن كثير، حدثنا عمرو بن قيس الملائي، عن أبي إسحاق عن عبيد بن المغيرة عن حذيفة قال: أتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله: إن لي لساناً ذرباً على أهلي

وقالت عائشة رضي الله عنها: قال لي رسول الله ﷺ: «إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن التوبة من الذنب الندم والاستغفار» وكان ﷺ يقول في الاستغفار: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على

قد خشيت أن يدخلني النار. قال: «فأين أنت من الإستغفار إني أستغفر الله في كل يوم مائة مرة».

وحدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان البصري، حدثنا عبد الله بن أحمد الدورقي، حدثنا مسدد، حدثنا أبو الأحوص، حدثنا أبو إسحاق عن أبي المغيرة، عن حذيفة قال: شكوت إلى رسول الله ﷺ ذرب لساني فقال: «أين أنت من الإستغفار إني لاستغفر الله كل يوم مائة مرة».

(وقالت عائشة رضي الله عنها قال) لي **(رسول الله ﷺ: «إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن التوبة من الذنب الندم والإستغفار»)** قال العراقي: متفق عليه دون قوله: «فإن التوبة» الخ وزاد «وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه» وللطبراني في الدعاء «فإن العبد إذا أذنب ثم استغفر الله غفر له» اهـ.

قلت: يشير إلى قصة أهل الإفك قال لها ما قال حين قال أهل الإفك ما قالوا: إن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت الممت بذنب فاستغفري الله ثم توبي، فإن العبد الحديث بطوله وقد رواه الجماعة إلا الترمذي.

(وكان ﷺ يقول في الاستغفار: «اللهم اغفر لي خطيئتي) أي ذنبي **(وجهلي)** أي ما لم أعلمه **(وأسرافي في أمري)** أي مجاوزتي الحد في كل شيء **(وما أنت أعلم به مني)** مما علمته وما لم أعلمه. **(اللهم اغفر لي جدي وهزلي)** وهما متضادان **(وخطئي وعمدي)** وهما متقابلان **(وكل ذلك عندي)** ممكن أو موجود أو أنا متصف بهذه الأمور فاغفرهالي قاله تواضعاً، أو أراد ما وقع سهواً، أو ما قبل النبوة، أو مجرد تعليم للأمة. **(اللهم اغفر لي ما قدمت)** قبل هذا الوقت **(وما أخرت)** عنه **(وما أسررت)** أي أخفيت **(وما أعلنت)** أي أظهرت أي ما حدثت به نفسي وما يتحرك به لساني قاله تواضعاً وإجلالاً لله تعالى أو تعليماً لأمته وتعقب في الفتح الأخير فإنه لو كان للتعليم فقط كفى فيه أمرهم بأن يقولوا فالأولى أنه للمجموع. **(وما أنت أعلم به مني أنت المقدم)** أي بعض العباد إليك بتوفيق الطاعات **(وأنت المؤخر)** بخذلان بعضهم من التوفيق فتؤخره عنك أو أنت الرافع والخافض أو المعز والمذل **(وأنت على كل شيء قدير»)** أي أنت الفعال لكل ما تشاء، ولذا لم يوصف به غير الباري، ومعنى قدرته على الممكن الموجود حال وجوده أنه إن شاء أبقاه وإن شاء أعدمه، ومعنى قدرته على

كل شيء قدير »، وقال علي رضي الله عنه: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله عز وجل بما شاء أن ينفعني منه، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته فإذا حلف صدقته، قال: وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له، ثم تلا قوله عز وجل: ﴿ والّذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ﴾ [آل عمران: ١٣٥] الآية ». وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها، فإن زاد زادت حتى تغلف قلبه » فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه:

المعدوم حين عدمه أنه إن شاء إيجاده أوجده وإلا فلا. وفيه: أن مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لأنه شيء

قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي موسى واللفظ لمسلم اهـ.

قلت: رواه في كتاب الدعوات من الصحيح ورواه كذلك البيهقي وغيره.

(**وقال علي رضي الله عنه: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله عز وجل منه بما شاء أن ينفعني وإذا حدثني أحد**) وفي رواية: رجل (**من أصحابه استحلفته فإذا حلف**) لي (**صدقته، وحدثني أبو بكر**) رضي الله عنه (**وصدق أبو بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهر ثم يقوم فيصلي**). وفي رواية ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي، وفي أخرى يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقوم فيصلي، (**ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر الله له**) وفي رواية: ثم يستغفر الله لذلك الذنب، (**ثم تلا قوله عز وجل: ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم**) ذكروا الله ﴾ إلى آخر (**الآية**) قال العراقي: رواه أصحاب السنن وحسنه الترمذي اهـ.

قلت: قال الترمذي حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث عثمان بن المغيرة، ورواه أبو داود الطيالسي، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأحمد، والبزار، وأبو يعلى، وابن حبان وصححه، والدارقطني في الافراد، وابن السني في عمل يوم وليلة، والبيهقي في السنن، والضياء، والحميدي، والعوفي، وعبد بن حميد، وابن منيع كلهم عن علي عن أبي بكر رضي الله عنهما. وفي الحديث: إن من شرط الدعاء تقديم عمل صالح أمام الدعاء.

(**وروى أبو هريرة**) رضي الله عنه، (**عن النبي ﷺ أنه قال: « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر**) الله عز وجل منه (**صقل قلبه منها**) أي من تلك النكتة (**فإذا زاد**) الذنب (**زادت**) النكتة فلم تزل (**حتى تغلف قلبه**) أي تلبسه كله (**فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه**) وهو قوله عز وجل: ﴿ **كلا بل**

﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ [المطففين : ١٤] ، وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول : يـا رب أنّـى لي هـذه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك » وروت عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال : « اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا » . وقال ﷺ :

ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ») قال العراقي : رواه الترمذي وصححه النسائي في اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان والحاكم اهـ .

قلت : ورواه كذلك أحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب بلفظ : « إن المؤمن إذا أذنب ذنباً نكتت في قلبه نكتة سوداء » ، الخ وفيه « فـإن عـاد زادت » والباقي سواء وأخرج ابن المنذر ، عن إبراهيم التيمي نحو ذلك ، وأخرج هو وابن حاتم وابن جرير عن ابن عباس في قوله : « ران » أي طبع ، وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد قال : الرين الطبع . وأخرج ابن جرير عنه قال : الرين أيسر من الطبع ، والطبع أيسر من الإقفال ، والإقفال أشد ذلك كله .

(وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد في الجنة) أي المنزلة **(فيقول)** العبد **(يا رب أنّى لي هذه)** أي كيف لي هذه الدرجة ولم نلتها ؟ **(فيقول الله عز وجل : باستغفار ولدك لك »)** قال العراقي : رواه أحمد بإسناد حسن .

قلت : ويؤيده ما روى أبو نعيم في الحلية من طريق قتادة عن أنس رفعه : « سبع يجري أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علماً أو طوى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجـداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر الله له بعد موته » .

(وروت عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ قال : « اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا) اي إذا اتوا بعمل حسن قرنوه بالإخلاص فيترتب عليه الجزاء فيستحقون الجنة فيستبشرون بها ، **(وإذا أساؤا استغفروا »)** أي طلبوا من الله مغفرة ما فرط منهم ، وهذا تعليم للأمة أرشدهم إلى أن يأتي الواحد منهم بهذا الدعاء الذي هو عبادة من أن لا يبتليه بالإستدراج ويرى عمله حسناً فيهلك وقوله : « من الذين » الخ أبلغ من أن يقول : اجعلني استبشر إذا أحسنت واستغفر إذا أسأت ، كما تقول فلان من العلماء فيقال أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد له بكونه معدوداً في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ذكره الزمخشري .

قال العراقي : رواه ابن ماجة ، وفيه علي بن زيد بن جذعان مختلف فيه اهـ .

قلت : وكذلك رواه البيهقي في السنن بهذا الإسناد .

« إذا أذنب العبد ذنباً فقال اللهم اغفر لي فيقول الله عز وجل أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يأخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي اعمل ما شئت فقد غفرت لك ». وقال ﷺ: « ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة ». وقال ﷺ: « إن رجلاً لم يعمل خيراً قط نظر إلى السماء فقال إن لي رباً، يا رب فاغفر لي فقال الله عز وجل قد غفرت

(وقال ﷺ: « إذا أذنب العبد ذنباً فقال: اللهم اغفر لي يقول الله عز وجل أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يأخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي أعمل ما شئت فقد غفرت لك ») قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وكذلك أخرجه النسائي ولفظهم جميعاً عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « أي عبد أصاب ذنباً وربما قال أذنب ذنباً فقال: رب أذنبت ذنباً، وربما قال أصبت ذنباً فاغفره لي فقال ربه: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً فقال رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره، فقال: « أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله، وربما قال ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً فقال: رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره لي فيقول أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء ».

(وقال ﷺ: « ما أصر) أي ما أقام على الذنب **(من استغفر)** أي من تاب توبة صحيحة لأن التوبة بشروط ترفع الذنوب كلها، **(وإن عاد في اليوم سبعين مرة »)** فإن رحمة الله لا نهاية لها ولا غاية.

قال العراقي: رواه داود والترمذي من حديث أبي بكر وقال: غريب وليس إسناده بالقوي اهـ.

قلت: قال الزيلعي: إنما لم يكن قوياً لجهالة مولى أبي بكر الراوي عنه، لكن جهالته لا تضر إذ تكفيه نسبته إلى الصديق اهـ.

قال المناوي: وفيه أيضاً عثمان بن واقد ضعفه أبو داود نفسه.

قلت: عثمان بن واقد لم أر له ذكراً في كتاب الضعفاء للذهبي ولا في ذيله، ولعله عثمان بن فائد فلينظر ذلك.

(وقال ﷺ إن رجلا لم يعمل خيراً نظر إلى السماء) إذ هي قبلة الدعاء **(فقال إن لي رباً)** فأقر بربوبيته وشهد بوجدانيته، ثم قال: **(يا رب اغفر لي فقال الله عز وجل قد غفرت لك »)** قال العراقي: لم أقف له على أصل اهـ.

قلت: وجدت بخط ابن الحريري قال: وجدت بخط الشيخ المحدث زين الدين الدمشقي الواعظ ما نصه: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بسند ضعيف من حديث أبي هريرة.

لك ». وقال ﷺ: « من أذنب ذنباً فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر ». وقال ﷺ: « يقول الله تعالى يا عبادي كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفروني أغفر لكم، ومن علم أني ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالي ». وقال ﷺ: « من قال

(وقال ﷺ: « من أذنب ذنباً فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفر ») ليس المراد منه كما قال المناوي الحث على فعل الذنب أو الترخيص فيه كما توهمه بعض أهل الغرة، فإن الرسل إنما بعثوا للردع عن غشيان الذنوب، بل ورد مورد البيان لعفو الله عن المذنبين وحسن التجاوز عنهم ليعظموا الرغبة فيما عنده من الخير، والمراد أنه سبحانه كما يحب أن يحسن يحب أن يتجاوز عن المسيء والقصد بإيراده بهذا اللفظ الرد على منكر صدور الذنب من المؤمنين وأنه قادح في إيمانهم اهـ.

قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه في الصغير أيضاً وفي الإسناد إبراهيم بن هراسة وهو متروك قاله الهيثمي، فهذا معنى قول العراقي بسند ضعيف، وروى الحاكم، وأبو نعيم في الحلية، والطبراني من حديث قبيصة، عن جابر بن مرزوق، عن عبد الله العمري، عن أبي طوالة، عن أنس مرفوعاً « من أذنب ذنباً فعلم أنه له رباً إن شاء الله أن يغفر له غفر له وإن شاء أن يعذبه عذبه كان حقاً على الله أن يغفر له » وفي جابر بن مرزوق نكرة.

(وقال ﷺ: « يقول الله عز وجل يا عبادي) كلكم ضال إلا من هديته فسلوني الهدى أهدكم، وكلكم فقير إلا من أغنيته فسلوني أرزقكم، و**(كلكم مذنب إلا من عافيته فاستغفروني أغفر لكم، ومن علم)** منكم **(أني ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالي)**. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضه » الحديث بطوله.

قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أبي ذر، وقال الترمذي حسن وأصله عند مسلم بلفظ آخر اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو هناد، وأبو داود، وروى أحمد بعضه وقد وقع لنا مسلسلاً بالشاميين بلفظ مسلم وأوله: « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي » الحديث بطوله، وروى الطبراني والحاكم عن ابن عباس رفعه: « قال الله عز وجل من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي ما لم يشرك بي شيئاً ».

وقال ﷺ: « من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه، وإن كانت كمدب النمل » قال العراقي: رواه البيهقي في الدعوات من حديث علي أن رسول الله ﷺ قال: « ألا أعلمك كلمات تقولهن لو كان عليك كعدد النمل أو كعدد الذر ذنوباً غفر الله لك » فذكره بزيادة: « لا إله إلا أنت » في أوله وفيه ابن لهيعة اهـ.

سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت غفرت له ذنوبه ولو كانت كمدب النمل». وروي: «أن أفضل الاستغفار اللهم أنت ربي وأنا عبدك خلقتني وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء على نفسي بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت فإنه لا يغفر الذنوب جميعها إلا أنت».

قلت: وروى ابن النجار من حديث ابن عباس: «من قال لا إله إلا أنت سبحانك عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم غفرت ذنوبه ولو كان فاراً من الزحف» ورواه الديلمي من حديثه مثله بلفظ: «فاغفر لي إنك أنت خير الغافرين غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر».

(ويروى: «أن أفضل الإستغفار) هو هذا **(اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء على نفسي بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت إنه لا يغفر الذنوب جميعاً إلا أنت»)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث شداد بن أوس دون قوله: «وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي» ودون قوله: «ذنوبي ما قدمتها منها وما أخرت» ودون قوله: «جميعاً» اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أحمد، وأبو بكر بن أبي شيبة، والترمذي، والنسائي، وابن حبان، والطبراني. وقال صاحب سلاح المؤمن، وليس لشداد بن أوس في الصحيحين سوى حديثين: أحدهما هذا، والآخر في مسلم أن الله كتب الإحسان على كل شيء، ولفظ الجماعة: عن النبي ﷺ قال: «سيد الإستغفار أن يقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت إذا قال حين يمسي فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة، وإذا قال حين يصبح فمات من يومه بمثله». وفي رواية للجماعة: «من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة».

تنبيه:

شرح هذا الحديث سيد الإستغفار أي أفضل أنواع الأذكار التي تطلب بها المغفرة هذا الذكر الجامع لمعاني التوبة كلها، ولذلك لقب بسيد الإستغفار لأن السيد في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج ويرجع إليه في المهمات، وقوله: أن يقول أي العبد وثبت في رواية أحمد والنسائي أن سيد الإستغفار أن يقول العبد، وفي رواية للنسائي: تعلموا سيد الإستغفار أن يقول العبد، وقوله:

الآثار : قال خالد بن معدان : يقول الله عز وجل إن أحب عبادي إليَّ المتحابون بجي والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم . وقال قتادة رحمه الله : القرآن يدلكم على

اللهم أنت ربي قال الحافظ ابن حجر : في نسخة معتمدة من البخاري تكرير أنت وسقطت الثانية من معظم الروايات ، وأنا عبدك يجوز أن تكون مؤكدة وأن تكون مقررة أي وأنا عابد لك كقوله : ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً ﴾ [الصافات : ١١٢] قاله الطيبي ، والمراد بالعهد والوعد ما عاهده وواعده من الإيمان به وإخلاص الطاعة له . وقيل : العهد ما أخذ عليهم في عالم الذر يوم ألست بربكم ، والوعد ما جاء على لسان النبي ﷺ : « إن من مات لا يشرك به شيئاً دخل الجنة » . ما استطعت أي مدة دوام استطاعتي ، ومعناه الإعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى . أبوء : أي اعترف والتزم .

قال الطيبي : اعترف أولاً بأنه تعالى أنعم عليه ولم يقيده ليشمل كل الأنعام ، ثم اعترف بالتقصير وأنه لم يقم باداء شكرها وعده ذنباً مبالغة في التقصير وهضم النفس وفائدة الإقرار بالذنب أن الإعتراف يمحو الإقتراف .

قال الشيخ سيدي عبد الله بن أبي جمرة قدس سره في شرحه على مختصره من البخاري : قد جمع في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أن يسمى سيد الإستغفار ، ففيه الإقرار لله وحده بالألوهية والمعبودية والإعتراف بأنه الخالق ، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه والرجاء بما وعده به والإستعاذة من شر ما جنى على نفسه وإضافة النعم إلى موجدها وإضافة الذنب إلى نفسه ، إذ حظه في المغفرة واعترافه بأنه لا يقدر على ذلك إلا هو ، وكل ذلك إشارة إلى الجمع بين الحقيقة والشريعة ، فإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان عون من الله تعالى ، ويظهر أن اللفظ المذكور لا يكون سيد الإستغفار إلا إذا جمع صحة النية والتوجه والأدب ذكر .

(الآثار) : الواردة في فضل الاستغفار . **(قال خالد بن معدان)** الكلاعي تابعي جليل وفقيه كبير ثبت مهيب مخلص ، يقال : كان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة . روي عن معاوية وابن عمر وابن عمرو وثوبان ، وعنه ثور وصفوان بن عمرو ويحي . توفي سنة ١٤٥ **(قال الله عز وجل : إن أحب عبادي إلى المتحابون بجبّي)** أي لأجلي **(والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم وتركتهم وصرفت العقوبة عنهم)** .

قلت : وهذا قد روي مرفوعاً من حديث أنس رواه البيهقي في السنن ولفظه : « يقول الله عز وجل : إني لأهم بأهل الأرض عذاباً فإذا نظرت إلى عمار بيوتي المتحابين فيَّ وإلى المستغفرين بالأسحار صرفت عنهم » .

(وقال) أبو الخطاب **(قتادة)** بن دعامة السدوسي رحمه الله تعالى : **(القرآن يدلكم على**

دائكم ودوائكم أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار. وقال علي كرّم الله وجهه: العجب ممن يهلك ومعه النجاة. قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار. وكان يقول: ما ألهم الله سبحانه عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه. وقال الفضيل: قول العبد: «أستغفر الله» تفسيرها أقلني. وقال بعض العلماء: العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحها إلا الحمد والاستغفار. وقال الربيع بن خيثم رحمه الله: لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون ذنباً وكذباً إن لم يفعل؟ ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب عليّ. وقال الفضيل رحمه

دائكم ودوائكم. أما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالإستغفار) من ذلك قوله تعالى: ﴿استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ [محمد ﷺ: ١٩] ﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ [الأنفال: ٣٣] في جملة من الآيات.

(وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: العجب ممن يهلك ومعه النجاة. قيل: وما هي؟ قال: الإستغفار). فالمراد من الهلاك هنا أي من داء الذنوب فإن نجاته منها الإستغفار مع عدم الإصرار، **(وكان يقال: ما ألهم الله سبحانه عبداً الإستغفار وهو يريد أن يعذبه)** أي لو أراد بعذابه ما ألهمه ذلك، ويروى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه رفعه: «عوّدوا ألسنتكم الإستغفار فإن الله تعالى لم يعلمكم الإستغفار إلا وهو يريد أن يغفر».

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: **(قول العبد «أستغفر الله» تفسيرها أقلني)** أي من عثرات ذنوبي. **(وقال بعض العلماء: العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحها إلا الحمد)** لله على نعمته، **(والإستغفار)** من الذنب الذي اقترفه.

(وقال الربيع بن خيثم) تقدمت ترجمته: **(لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب إليه فيكون)** قوله ذلك **(ذنباً وكذبة إن لم يفعل، ولكن ليقل: اللهم اغفر لي وتب علي)**. ونقل هذا القول الإمام أبو جعفر الطحاوي عن شيخه الإمام أبي جعفر بن أبي عمران ولفظه: يكره أن يقول الرجل أستغفر الله وأتوب إليه، ولكن يقول: أستغفر الله وأسأله التوبة، وقال: رأيت أصحابنا يكرهون ذلك ويقولون في التوبة من الذنوب هي تركه وترك العود عليه وذلك غير موهوم من أحد، فإذا قال: أتوب إليه فقد وعد الله أن لا يعود إلى ذلك الذنب، فإذا عاد إليه بعد ذلك كان كمن وعد الله ثم أخلفه، ولكن أحسن ذلك أن يقول: أسأل الله التوبة أي أسأل الله أن ينزعني عن هذا الذنب ولا يعيدني إليه أبداً، وكان من الحجة لهم في ذلك عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «التوبة من الذنوب أن يتوب الرجل من الذنب ثم لا يعود إليه» فهذه صفة التوبة، وهذا غير مأمون على أحد غير رسول الله ﷺ فإنه معصوم فلا ينبغي لغيره ﷺ أن يقول ذلك لأنه غير معصوم من العود فيما تاب عنه. قال: وخالفهم في ذلك آخرون فلم يروا به بأساً أن يقول الرجل: أتوب إلى الله عز وجل، وحجتهم ما روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «من جلس مجلساً كثر فيه لغطه، ثم قال قبل أن يقوم سبحانك ربنا لا إله إلا

الله: الاستغفار بلا اقلاع توبة الكذابين. وقالت رابعة العدوية رحمها الله: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير. وقال بعض الحكماء: من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئاً بالله عز وجل وهو لا يعلم. وسمع اعرابي وهو متعلق باستار الكعبة يقول: اللهم إن استغفاري مع إصراري للؤم وإن تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز، فكم تتحبب إليّ بالنعم مع غناك عني وكم أتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك! يا من إذا وعد وفى وإذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين. وقال أبو

أنت أستغفرك ثم أتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك». وعن أنس رفعه قاله: «كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك، فهذا رسول الله ﷺ قد روي عنه أيضاً ما ذكرنا، وهو أولى القولين عندنا لأن الله عز وجل قد أمرنا بذلك في كتابه فقال: ﴿توبوا إلى بارئكم﴾ [البقرة: ٥٤] وقال ﴿توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾ [التحريم: ٨] وأمر رسول الله ﷺ في الآثار التي ذكرنا، فلهذا أبحنا ذلك وخالفنا أبا جعفر بن أبي عمران فيماذهب إليه فيما ذكرناه أولاً اهـ. كلام أبي جعفر الطحاوي بالاختصار.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: **(الإستغفار بلا إقلاع)** عن المعصية **(توبة الكذابين)** أي: فإن الذي يستغفر وهو معتقد أن يعود إلى ما تاب فهو بذلك القول فاسق معاقب عليه لأنه كذب على الله فيما قال.

(وقالت رابعة العدوية) البصرية رحمها الله تعالى: **(استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير)** وهو يشير إلى ما ذكرناه من أن التلفظ باللسان من غير اعتقاد القلب على ترك العود إلى ما استغفر منه ذنب، وهذا يلزم منه الدور والتسلسل ولا يقطع ذلك إلا صدق القلب على ترك ما استغفر منه والندم بالجزم على أن لا يعود إليه أبداً.

(وقال بعض الحكماء: من قدم الإستغفار على الندم كان مستهزئاً على الله تعالى وهو لا يعلم) أي: من استغفر ولم يندم على ما أصاب من ذلك الذنب فكأنه استهزأ على ربه عز وجل وهو لا يدري، فإن الندم توبة. كما ورد ذلك من حديث عبد الله بن مغفل، فإذا لم يوجد الندم كان استغفاره كالعبث.

(وسمع أعرابي وهو متعلق بأستار الكعبة يقول: اللهم إن استغفاري إياك) من ذنب **(مع إصراري)** عليه وعدم إقلاعي **(للؤم وإن ترك استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجر)** أي منكر، **(فكم)** يا مولاي **(تتحبب إلي بالنعم)** الكثيرة **(مع غناك عني)** مطلقاً، **(وأتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك)** بالذات. **(يا من إذا وعد وفى وإذا تواعد عفا)**، وهكذا شأن الكريم **(أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك يا أرحم الراحمين)** وهو من الأدعية الجامعة لشروطها من البداية بالإسم الأعظم الذي هو: اللهم، ثم الإقرار بالذنب ثم إثبات سعة العفو والوفاء بالوعد، ثم السؤال مع التضرع، ثم الختم باسمه الأعظم الذي هو أرحم الراحمين.

عبدالله الوراق: لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوباً لمحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصاً إن شاء الله تعالى: اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه، واستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ولم أوفِ لك به، واستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك، واستغفرك من كل نعمة أنعمت بها عليَّ فاستعنت بها على معصيتك، واستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملأ أو خلاء وسر وعلانية يا حليم. ويقال: إنه استغفار آدم عليه السلام. وقيل الخضر عليه الصلاة والسلام.

(وقال أبو عبد الله الوراق: لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوباً لمحيت عنك إذا دعوت بهذا الدعاء مخلصاً إن شاء الله تعالى) أي بشرط الإخلاص فيما يدعو به وهو هذا: **(اللهم إني أستغفرك من كل ذنب)** صدر مني، و **(تبت إليك منه)** معتقداً بقلبي عدم العود إليه **(ثم عدت فيه)** بشؤم نفسي وجهلي، **(وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي)** من بر وخير ولفظ القوت: من كل عقد عقدته لك، **(ثم لم أوف لك به)** لكمال تقصيري وإتباعي النفس الأمارة، **(وأستغفرك من كل عمل)** من أعمال الخير **(أردت به وجهك)** خالصاً من غير مخالطة السوى **(فخالطه غيرك)** في ذلك العمل، ولفظ القوت: ما ليس لك. **(وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي)** لأستعين بها على طاعتك **(فاستعنت بها على معصيتك، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة)** أي بالنسبة إلينا وإلا فالعوالم كلها شهادة لديه جل وعز **(من كل ذنب أتيته في ضياء النهار وسواد الليل في ملأ أو خلاء وسر وعلانية يا حليم)**. ختم بهذا الإسم الكريم لينبه على أنه جل وعز لا يؤاخذ عبده بما جنته يداه.

(ويقال: إنه استغفار آدم عليه السلام. وقيل الخضر عليه الصلاة والسلام) نقله صاحب القوت، وقيل: هو استغفار آدم عليه السلام كما وجد في بعض نسخ الكتاب، وقد رتبه بعض العلماء ترتيباً حسناً وجعله على الأيام السبعة، وزاد فيه زيادات حسنة وعزاه إلى الحسن البصري وقد وقع إلينا مسنداً.

الباب الثالث

في أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحاً ومساء وبعقب كل صلاة

فمنها: دعاء رسول الله ﷺ بعد ركعتي الفجر.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: بعثني العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته ممسياً وهو في بيت خالتي ميمونة، فقام يصلي من الليل، فلما صلى ركعتي الفجر قبل صلاة الصبح قال: «اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها شملي، وتلم بها شعثي، وترد بها الفتن عني، وتصلح بها ديني، وتحفظ بها غائبي، وترفع بها شاهدي،

الباب الثالث

(**في**) ذكر (**أدعية مأثورة**) أي منقولة من الأخبار الصحيحة (**معزاة**) أي منسوبة (**إلى أسبابها وأربابها مما يستحبّ أن يدعو بها المريد**) السالك في طريق الحق سبحانه (**صباحاً ومساءً وبعقب كل صلاة**) مما سيأتي بيانها.

فمنها دعاء رسول الله ﷺ بعد ركعتي الفجر أي سنته:

(**قال ابن عباس**) رضي الله عنهما: (**بعثني العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته ممسياً**) أي بعدما أمسى الوقت (**وهو في بيت خالتي ميمونة**) بنت الحرث الهلالية رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ. أي في نوبتها فنام عندها لأن أباه إنما أرسله ليرى صلاته ﷺ بالليل ليستن بها، (**فقام**) ﷺ (**فصلى من الليل**) ما شاء الله له أن يصلي، وصلى معه ابن عباس، (**فلما صلّى الركعتين**) اللتين (**قبل صلاة الفجر**) وهما سنتا الفجر (**قال في دعائه: «اللهم إني أسألك»**) أي أطلب منك (**رحمة من عندك**) أي ابتداء من غير سبب. وقال القاضي: نكر الرحمة تعظيماً لها دلالة على أن المطلوب رحمة عظيمة لا يكتنه كنهها ووصفها بقوله من عندك مريداً لذلك التعظيم، لأن ما يكون من عنده لا يحيط به وصف كقوله: وآتيناه من لدنا علماً (**تهدي**)أي ترشد (**بها قلبي**) إليك وتقوّيه لديك وخصه لانه محل الفعل ومناط التجلي، (**وتجمع بها شملي**) أي تضمه بحيث لا أحتاج إلى أحد غيرك. وفي رواية: «أمري» بدل «شملي». (**وتلم بها شعثي**) أي ما تفرق من أمري فيصير ملتئماً غير مفترق، (**وترد بها**

وتزكي بها عملي، وتبيض بها وجهي، وتُلهمني بها رشدي، وتعصمني بها من كل سوء. اللهم اعطني ايماناً صادقاً ويقيناً ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة. اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء. اللهم إني أنزل بك حاجتي وإن ضعف رأيي وقلت حيلتي وقصر عملي وافتقرت إلى رحمتك فاسألك يا كافي الأمور ويا شافي الصدور كما تجير بين

ألفتي) [1] بضم الهمزة وكسرها مصدر بمعنى اسم المفعول أي ألفي أو مألوفي أي ما كنت آلفه، وفي بعض النسخ: ترد بها الفتن عني وهو تحريف، **(وتصلح بها ديني)** ولفظ الوقت: وتقضي بها ديني، **(وتحفظ بها غائبي)** وفي بعض الروايات: وتصلح بها غائبي. والمراد بالغائب ما غاب أي باطني واصلاح الدين وحفظ الغائب بالإيمان والاخلاق المرضية والملكات الرضية، **(وترفع بها شاهدي)** أي ظاهري بالأعمال الصالحة والهيئات المطبوعة والخلال الجميلة وفيه حسن مقابلة بين الغائب والشاهد، **(وتزكي بها عملي)** أي تزيده وتنميه وتطهره من أدناس الرياء والسمعة، **(وتبيّض بها وجهي)** هكذا هو في القوت وقد سقطت هذه الجملة من بعض الروايات، **(وتلهمني بها رشدي)** أي تهدينا بها إلى ما يرضيك ويقربني إليك زلفى، وفي بعض النسخ «وتلقني» بدل «تلهمني» وهكذا هو في القوت، **(وتعصمني)** أي تحفظني وتمنعني **(بها من كل سوء)** أي تصرفني عنه وتصرفه عني، **(اللهم اعطني إيماناً صادقاً)** هكذا هو في القوت وقد سقطت هذه الجملة من بعض الروايات، **(و)** إنما فيها اللهم اعطني **(يقيناً ليس بعده كفر)** أي جحد لدينك، فإن القلب إذا تمكن منه نور اليقين إنزاحت عنه ظلمات الشكوك واضمحلت منه غيوم الريب، **(ورحمة)** أي عظيمة جداً **(أنال بها شرف كرامتك)** أي إكرامك **(في الدنيا والآخرة)** هكذا هو في القوت، وفي بعض الروايات شرف الدنيا والآخرة أي علو القدر فيهما. **(اللهم إني أسألك الفوز عند القضاء)** وفي رواية: الصبر عند القضاء، وفي رواية العفو، وفي أخرى الفوز في القضاء أي الفوز باللطف فيه **(ومنازل الشهداء)** وفي رواية: نزل الشهداء **(وعيش السعداء)** وهم الفائزون بالسعادة الأخروية **(والنصر على الاعداء)** الدينية أي الظفر بهم **(ومرافقة الأنبياء)** وسقطت هذه الجملة من بعض الروايات. **(اللهم إني أنزل)** بالضم **(بك حاجتي)** أي أسألك قضاء ما أحتاج إليه من أمور الدنيا والآخرة **(وإن ضعف أيي)** أي عن إدراك ما هو الأنجح **(وقصر عملي)** أي عن بلوغ مراتب الكمال وقصر بالتشديد بمعنى عجز، وفي رواية وإن قصر رأيي وضعف عملي **(وافتقرت إلى رحمتك)** هكذا في النسخ باثبات واو العطف، ومثله في القوت والرواية باسقاطها. والمعنى احتجت في بلوغ ذلك إلى شمولي برحمتك التي وسعت كل شيء **(فأسألك)** أي فبسبب ضعفي وافتقاري أطلب منك **(يا قاضي الأمور)** أي حاكمها ومحكمها، وفي بعض النسخ يا كافي الأمور **(وشافي الصدور)** يعني القلوب التي في الصدور من أمراضها التي إن توالت عليها أهلكتها هلاك الأبد **(كما تجير)** أي

---

(١) هكذا بالأصل المشروح وفي المتن «وترد بها الفتن عني».

البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور. اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي من خير وعدته أحداً من عبادك أو خير أنت معطيه أحداً من خلقك فإني أرغب إليك فيه وأسألكه يا رب العالمين. اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حرباً لأعدائك وسلماً لأوليائك نحب بحبك من أطاعك من خلقك ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك. اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا

كما تفصل وتحجز **(بين البحور)** من اختلاط أحدهما بالآخر مع الاتصال وتكفه من البغي عليه مع الالتصاق **(أن تجيرني من عذاب السعير)** بأن تحجزه عني **(ومن دعوة الثبور)** أي النداء بالهلاك **(ومن فتنة القبور)** بان ترزقني الثبات عند سؤال منكر ونكير قال ذلك اظهاراً لكمال العبودية واخباتاً له وتواضعاً لما ثبت من الخارج عصمة الأنبياء من كل ما ذكره، **(اللهم ما قصر عنه رأيي)** أي اجتهادي في تدبيري **(وضعف عنه عملي)** هكذا في القوت وسقطت من بعض الروايات **(ولم تبلغه نيتي)** أي تصحيحها في ذلك الشيء المطلوب **(وأمنيتي)** هكذا في النسخ ومثله في القوت، وفي رواية ولم تبلغه مسألتي **(من)** كل **(خير وعدته أحداً من عبادك)** هكذا في رواية البيهقي ومثله في القوت، وفي بعض الروايات «من خلقك» بدل «من عبادك» والإضافة للتشريف **(أو خير)** معطوف على ما قبله، وفي رواية أو خيراً بالنصب **(أنت معطيه أحداً من خلقك)** أي من غير سابقة وعدله بخصوصه فلا يعد بما قبله تكراراً كما قد يتوهم، وفي رواية «من عبادك» بدل «من خلقك» **(فإني أرغب)** أي أطلب منك بجد واجتهاد **(إليك فيه)** أي في حصوله منك لي **(وأسألك)** كذا باثبات الضمير في القوت وسائر نسخ الكتاب، وفي رواية من غير الضمير أي وأسألك زيادة على ذلك، وفي رواية بعد هذا من رحمتك **(يا رب العالمين)** ذكره تتميماً لكمال الاستعطاف والابتهال، وفي بعض الروايات بحذف حرف النداء. **(اللهم اجعلنا هادين)** أي دالين للخلق على ما يوصلهم للحق **(مهتدين)** إلى إصابة الصواب في القول والعمل، وفي نسخة مهديين وإنما قدم الأولى على الثانية مع أن من لا يكون مهدياً في نفسه كيف يكون هادياً لغيره إشارة إلى أن الهادي نفعه متعد إلى الغير فبهذا النظر استحق التقديم **(غير ضالين)** عن الحق **(ولا مضلين)** لأحد من خلقك **(حرباً لأعدائك)** أي أعداء الدين أي ذا حرب لهم، وفي رواية عدواً بدل حرباً **(وسلماً)** بكسر السين وسكون اللام أي صلحاً **(لأوليائك)** الذين هم حزبك المفلحون **(نحب بحبك)** أي بسبب حبنا لك **(من أطاعك من الناس)** وفي بعض النسخ نحب بحبك الناس وهكذا هو في القوت، وعند البيهقي **(ونعادي بعداوتك)** أي بسبب عداوتك **(من خالفك)** أي خالف أمرك **(من خلقك. اللهم هذا الدعاء)** أي هذا ما أمكننا من الدعاء قد أتينا به ولم نأل جهداً **(وعليك الإجابة)** فضلاً منك لا وجوباً، وقد قلت في كتابك العزيز ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر: ٦٠] فها نحن قد دعوناك فاستجب لنا **(وهذا الجهد)** بضم الجيم وفتحها أي الوسع والطاقة **(وعليك التكلان)**

قوّة إلا بالله العلي العظيم. ذي الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ما تريد. سبحان الذي لبس العز وقال به، سبحان الذي تعطف بالمجد

بالضم أي الاعتماد والتوكل في سائر الأحوال، **(وإنّا لله وإنّا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم)**، ومن قوله: اللهم اجعلنا هادين إلى هنا سقط في بعض الروايات وفي بعضها تقديم وتأخير **(ذي الحبل الشديد)** هكذا في نسخ الكتاب على أنه بدل من اسم الله عز وجل، وفي القوت ذا الحبل على تقدير يا ذا الحبل، والرواية المشهورة بعد قوله رب العالمين: اللهم ياذا الحبل الشديد، واختلفوا في ضبط هذا اللفظ فقال ابن الأثير: يرويه المحدثون بموحدة، والمراد القرآن أو الدين أو السبب، ومنه اعتصموا بحبل الله وصفه بالشدة لأنها من صفات الحبال والشدة في الدين الثبات والاستقامة. وصوّب الأزهري كونه بالياء التحتية وهو القوة، واقتصر عليه الزمخشري جازماً حيث قال: الحيل هو الحول أبدل واوه ياء، وروى الكسائي لا حيل ولا قوة إلا بالله، والمعنى ذا الكيد والمكر الشديد، وقيل: ذا القوّة لأن أصل الحول الحركة والاستطاعة **(والأمر الرشيد)** أي السديد الموافق لغاية الصواب. **(أسألك الأمن)** من الفزع والأهوال **(يوم الوعيد)** أي يوم القيامة **(والجنة)** أي وأسألك الفوز بها **(يوم الخلود)** أي يوم إدخالك عبادك دار الخلود أي خلود أهل الجنة في الجنة وخلود أهل النار في النار، وذلك بعد فصل القضاء وانتهاء الأمر **(مع المقربين)** أي إلى الحضرات القدسية **(الشهود)** أي المقربين إلى ربهم المشاهدين لكمال جلاله **(الركع السجود)** أي المكثرين للركوع والسجود **(الموفين بالعهود)** وفي القوت بزيادة واو العطف أي بما عاهدوا عليه الحق والخلق **(إنك رحيم)** أي موصوف بكمال الإحسان بدقائق النعم **(ودود)** أي شديد الحب لمن والاك **(وأنت تفعل ما تريد)** هكذا هو في القوت، وعند البيهقي وعند غيرهما: وإنك تفعل ما تريد أي فتعطي من تشاء مسؤله وإن عظم لا مانع لما أعطيت **(سبحان الذي تعطف بالعز)** وفي رواية للسهيلي في الروض: لبس العز، ومعنى تعطف أي تردى. قال الزمخشري: العطاف والمعطف كالرداء والمرد أو اعتطفه وتعطفه كارتداه وترداه وسمي الرداء عطافاً لوقوعه على عطفي الرجل وهما ناحيتا عنقه أي اتصف بأنه يغلب كل شيء ولا يغالبه شيء لأن العزة هي الغلبة على كلية الظاهر والباطن، وهذا من المجاز الحكمي نحو نهاره صائم، والمراد وصف الرجل بالصوم ووصف الله بالعز ومثله قوله:

يجر رباط الحمد في دار قومه

أي هو محمود في قومه. **(وقال به)** أي غلب به على كل عزيز وملك عليه أمره من القيل وهو الملك الذي ينفذ قوله فيما يريد اهـ.

وفي الروض للسهيلي: قد صرفوا من القيل فعلاً فقالوا قال علينا فلان أي ملك، والقيالة الإمارة، ومنه قوله: سبحان الذي لبس العز وقال به. أي ملك به وقهر. هكذا فسره الهروي في الغريبين اهـ.

وتكرم به، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلاَّ له. سبحان ذي الفضل والنعم. سبحان ذي العزة والكرم. سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه، اللهم اجعل لي نوراً في قلبي ونوراً في قبري ونوراً في سمعي ونوراً في بصري ونوراً في شعري ونوراً في بشري ونوراً في لحمي ونوراً في دمي ونوراً في عظامي ونوراً من بين يدي ونوراً من خلفي ونوراً عن يميني ونوراً عن شمالي ونوراً من فوقي ونوراً من تحتي. اللهم زدني نوراً وأعطني نوراً واجعل لي نوراً».

وبه يعرف أن من فسره كصاحب النهاية وغيره بمعنى أحبه واختص به غير جيد. (**سبحان الذي لبس المجد**) أي ارتدى بالعظمة والكبرياء والشرف والكمال، وأصل المجد كرم الفعال ولذلك حسن تعقيبه بقوله: (**وتكرم به**) أي أفضل وأنعم به على عباده، (**سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلاَّ له**) أي لا ينبغي التنزيه المطلق إلا لجلاله. (**سبحان ذي الفضل والنعم. سبحان ذي القدرة والكرم**) هكذا هو في القوت، وفي رواية ذي المجد والكرم، وفي أخرى ذي العز والكرم. وزاد البيهقي بعد هذا: (**سبحان الذي أحصى كل شيء بعلمه**) كذا في القوت، ولفظ البيهقي علمه، وزاد البيهقي بعده سبحان ذي المن سبحان ذي الطول سبحان ذي الجلال والاكرام. (**اللهم اجعل لي نوراً**) التنوين للتعظيم أي نوراً عظيماً (**في قلبي**) وقدم القلب لأنه مقر للتفكر في آلاء الله ومصنوعاته والنور يتبين به الشيء. (**ونوراً في قبري**) استضيء به ظلمة اللحد، (**ونوراً في سمعي**) لأنه محل السماع لآياتك، (**ونوراً في بصري**) لانه محل النظر إلى مصنوعاتك فبزيادته فيهما تزداد المعارف، (**ونوراً في شعري ونوراً في بشري**) أي ظاهر جلدي، (**ونوراً في لحمي**) الظاهر والباطن، (**ونوراً في دمي ونوراً في عظامي ونوراً بين يدي**) أي يسعى أمامي (**ونوراً من خلفي**) أي من ورائي ليتبعني أتباعي وتقتدي به أشياعي، (**ونوراً عن يميني ونوراً عن شمالي ونوراً من فوقي ونوراً من تحتي**) أي اجعل النور يحفني من الجهات الست، ونص على هؤلاء لأن اللعين يأتي الناس في هذه الأعضاء من تلك الجهات فيوسوسهم وسوسة مشوبة بظلمة فدعا باثبات النور فيها. (**اللهم زدني نوراً وأعطني نوراً واجعل لي نوراً**)» هكذا هو في القوت، وفي رواية: اللهم عظم لي نوراً واعطني نوراً واجعل لي نوراً، وفي رواية أخرى بدل الجملة الأخيرة واجعلني نوراً. وفي قوله: اعطني نوراً عطف عام على خاص أي اجعل لي نوراً شاملاً للأنوار السابقة وغيرها. وهذا دعاء بدوام ذلك لأنه حاصل له وهو تعليم لأمته.

قال القاضي: معنى طلب النور للأعضاء أن تتحلى بأنوار المعرفة والطاعة وتعرى عن ظلم الجهالة والمعاصي، وطلب الهداية للنهج القويم والصراط المستقيم، وأن يكون جميع ما تعرض له سبباً لمزيد

....

علمه وظهور أمره، وأن يحيط به يوم القيامة فيسعى خلال النور كما قال تعالى في حق المؤمنين: ﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم﴾ [التحريم: ٨] ثم لما دعا أن يجعل لكل عضو من أعضائه نوراً يهتدي به إلى كماله وأن يحيط به من جميع الجوانب فلا يخفى عليه شيء ولا ينسد عليه طريق. دعا أن يجعل له نوراً يستضيء به الناس ويهتدون إلى سبيل معاشهم ومعادهم في الدنيا والآخرة اهـ.

وقال الشيخ الأكبر قدس سره: دعا أن يجعل النور في كل عضو وكل عضو فله دعوى بما خلقه الله عليه من القوّة التي ركبها فيه وفطره عليها، ولما علم ﷺ ذلك دعا أن يجعل الله فيه علماً وهدى منفر الظلمة دعوى كل مدع من عالمه هذا ربط هذا الدعاء وآخر ما قال اجعلني نوراً يقول اجعلني نوراً يهتدي به كل من رآني من ظلمات بر وبحر فأعطاه القرآن وأعطانا الفهم فيه، وهذه منحة من أعلى المنح في رتبة هي أسنى المراتب اهـ.

وقال في كتاب الشريعة: دعا بالنور في كل عضو، ثم قال: اجعلني نوراً يقول اجعلني هدى يهتدي به كل من رآني فإنه من أسنى المراتب، ومعناه غيبني عني وكن أنت بوجودي فأرى كل شيء ببصرك وأسمع كل شيء بسمعك، وهكذا جميع ما فصله ولكن بنور يقع به التمييز بين الأنوار حتى يعرف نور اليمين من نور الشمال، وهكذا سائر الأنوار. ثم أقمني في عين الجمع فتتحد الأنوار بوحدانية العين، فإن لم أكن هنالك فبجعلك إياي نوراً كلياً وإن كنت هناك فبجعلك لي نوراً نهتدي به في ظلمات كوني.

تنبيه:

قال العراقي: الحديث بطوله رواه الترمذي وقال غريب، ولم يذكر في أوّله بعث العباس لابنه عبدالله ولا نومه في بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة في الدعاء للطبراني اهـ.

قلت: وأورده بطوله صاحب القوت فقال: رواه ابن ليلى عن داود بن علي عن أبيه عن ابن عباس اهـ.

وبسياق المصنف رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة، والبيهقي في كتاب الدعوات، كلهم من طريق داود بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده، وداود هذا عم المنصور ولي المدينة والكوفة للسفاح حدث عنه الكبار كالثوري والاوزاعي،ووثّقه ابن حبان وغيره.وقال ابن معين: أرجو أنه لا يكذب إنما يحدث بحديث واحد. كذا روى عثمان بن سعيد عنه، وأورده ابن عدي في الكامل وساق له بضعة عشر حديثاً، ثم قال: عندي لا بأس برواياته عن أبيه عن جده، واحتج به مسلم وخرج له الأربعة.

دعاء عائشة رضي الله عنها:

قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «عليك بالجوامع الكوامل. قولي: اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وأسألك من الخير ما سألك عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشداً برحمتك يا أرحم الراحمين».

دعاء عائشة رضي الله عنها:

وانما نسب إليها لكون النبي ﷺ علمها إياه.

(قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «عليك بالجوامع الكوامل) أي بالدعاء الجامع لسائر معاني الأدعية. **(قولي: اللهم إني)** أسألك الصلاة على محمد وعلى آل محمد، و**(أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، وأسألك من الخير ما سألك)** وفي رواية من خير ما سألك **(عبدك ورسولك محمد ﷺ)** وفي رواية عبدك ونبيك، **(واستعيذك مما استعاذك منه)** وفي رواية: وأعوذ بك من شرّ ما عاذ به **(عبدك ورسولك محمد ﷺ)** وفي رواية عبدك ونبيك، **(وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشداً برحمتك يا أرحم الراحمين»)** وفي رواية: وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيراً تبع المصنف في سياقه صاحب القوت إلا في الصلاة في أوّله، فقد ذكره صاحب القوت كما ذكرناه.

قال الحليمي في المنهاج: هذا من جوامع الدعاء التي استحب الشارع الدعاء بها لأنه إذا دعا بها فقد سأل الله من كل شيء وتعوّذ به من كل شر، ولو اقتصر الداعي على طلب حسنة بعينها أو دفع سيئة بعينها كان قد قصر في النظر لنفسه اهـ.

وقال الراغب: فيه تنبيه على أن حق العاقل أن يرغب إلى الله تعالى أن يعطيه من الخيور ما فيه مصلحة، وأن يبذل جهده مستعيناً بالله في اكتساب ماله كسبه في كل حال وفي كل زمان ومكان. قال: والخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لأجله وهو الذي يتشوّقه كل عاقل اهـ.

وقال العراقي: رواه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديثها اهـ.

قلت: وكذلك رواه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد في المسند، وابن عساكر في التاريخ.

دعاء فاطمة رضي الله عنها:

قال رسول الله ﷺ: «يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟ أن تقولي: يا حي يا قيوم برحمتك استغيث لا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله».

دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

علّم رسول الله ﷺ أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه أن يقول: «اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين، وبكل وحي أوحيته أو قضاء قضيته أو سائل أعطيته أو غني أفقرته أو فقير أغنيته أو ضال هديته، وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى ﷺ، وأسألك باسمك الذي بثث به أرزاق العباد، وأسألك باسمك الذي وضعته على الأرض فاستقرت، وأسألك باسمك الذي وضعته

دعاء فاطمة رضي الله عنها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (**قال رسول الله ﷺ: «يا فاطمة ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث لا تكلني إلى نفسي طرفة عين واصلح لي شأني كله**) هكذا ساقه في القوت.

قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة والحاكم من حديث أنس وقال: صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن عدي في الكامل، والبيهقي في السنن، وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الدعاء: حدثني الحسن بن الصباح: حدثنا زيد بن الحباب، أخبرني عثمان بن موهب قال: سمعت أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها فساقه مثله.

دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

علّم رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه (**أن يقول «اللهم إني أسألك بمحمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك**) وفي بعض النسخ روحك وكلمتك، (**وبتوراة موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد ﷺ، وبكل وحي أوحيته**) إلى رسلك وأنبيائك (**أو قضاء قضيته**) في خلقك (**أو سائل أعطيته**) ما سأل (**أو غني أقنيته**) أي جعلته صاحب قنية (**أو فقير أغنيته**) من فقره (**أو ضال هديته**) إلى الصراط المستقيم، (**وأسألك باسمك الذي أنزلته على موسى عليه السلام، وأسألك باسمك الذي ثبت**) ولفظ القوت قسمت (**به أرزاق العباد، وأسألك باسمك الذي وضعته على الأرض فاستقرت**) عن الاضطراب، (**وأسألك باسمك الذي وضعته على السموات**

على السموات فاستقلت، وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فرست، وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك، وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور المبين، وأسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك الكريم ان ترزقني القرآن والعلم به، وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري، وتستعمل به جسدي بحولك وقوّتك، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين».

فاستقلت) أي حلت، **(وأسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فأرست)** وفي نسخة: فرست، **(وأسألك باسمك الذي استقل به عرشك)** أي حل، **(وأسألك باسمك الطهر الطاهر)** الأوّل وصف على المبالغة **(الأحد الصمد الوتر المبارك المنزل في كتابك من لدنك)** أي من عندك **(من النور المبين)** أي الظاهر، **(وأسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار)** أي أضاء **(وعلى الليل فأظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك الكريم أن)** تصلي على محمد وآله وأن **(ترزقني القرآن)** أي جمعه في صدري **(والعلم به)** أي الفهم بمعانيه، **(وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري، وتستعمل به جسدي بحولك وقوّتك فإنه لا حول ولا قوّة إلا بك يا أرحم الراحمين»)** هكذا ساقه صاحب القوت بطوله.

وقال العراقي رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من رواية عبد الملك بن هارون بن عنترة أن أبا بكر أتى النبي ﷺ فقال: إني أتعلم القرآن وينفلت مني فذكره، وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبي بكر اهـ.

قلت: وقد روي في دعاء أبي بكر رضي الله عنه غير ما أورده المصنف.

فمن ذلك ما رواه الترمذي وقال: حسن غريب من حديث عبد الله بن عمر وقال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «يا أبا بكر قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة لا إله إلا أنت رب كل شيء ومليكه، أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وان اقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم».

وروى ابن أبي شيبة وأحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وأبو عوانة وابن حبان والدارقطني في الافراد عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله ﷺ: علمني دعاء أدعو به في صلاتي قال: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم».

وروى أحمد وابن منيع والشاشي وأبو يعلى وابن السني في اليوم والليلة والضياء عن أبي بكر رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت واذا أخذت مضجعي من الليل «اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت رب كل شيء ومليكه

دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه:

روي أنه قال له رسول الله ﷺ: «يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيراً علمهن إياه ثم لم ينسهن إياه أبداً؟ قال: فقلت، بلى يا رسول الله. قال: قل اللهم إني ضعيف فقوِّ في رضاك ضعفي وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منتهى رضاي. اللهم إني ضعيف فقوني وإني ذليل فاعزني وإني فقير فأغنني يا أرحم الراحمين».

دعاء قبيصة بن المخارق:

إذ قال لرسول الله ﷺ: علمني كلمات ينفعني الله عز وجل بها فقد كبر سني

أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وان اقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم».

(**دعاء بريدة**) **بن الحصيب** (**الاسلمي**) رضي الله عنه شهد خيبر ونزل مرو، وبها أولاده.

(**روي أنه قال له رسول الله ﷺ: «يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله عز وجل به خيراً أعلمهن إياه**) بأن ألهمه إياها أو سخر له من يعلمه ذلك (**ثم لم ينسه إياهن**) ولفظ القوت: ثم لم ينسهن إياه (**أبداً؟ قال: قلت بلى يا رسول الله**) صلى الله عليك. (**قال: قل اللهم إني ضعيف**) أي عاجز يقال ضعف عن الشيء عجز عن احتماله (**فقوِّ في رضاك ضعفي**) وفي رواية برضاك، والمعنى اجبره به والضعف بالفتح والضم (**وخذ إلى الخير بناصيتي**) أي جرني إليه (**واجعل الإسلام منتهى رضائي**) أي غايته وأقصاه، ووجد هنا في بضع النسخ زيادة وبلغني برحمتك الذي أرجو من رحمتك، واجعل لي وداً في صدور الذين آمنوا وعهداً عندك. (**اللهم إني ضعيف فقوني وإني ذليل**) أي مستهان عند الناس (**فأعزني وإني فقير فأغنني»**) وفي رواية فارزقني، وقد اقتصر صاحب القوت على هذه الجملة الأخيرة وقال في آخره «برحمتك يا أرحم الراحمين» وقال العراقي: رواه الحاكم من حديث بريدة وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو يعلى، ورواه الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن عمرو، وفي الإسناد أبو داود الأعمى وهو متروك ولفظهم: «ألا أعلمك كلمات من يرد الله به خيراً يعلمهن إياه ثم لا ينسيه أبداً قل: اللهم إني ضعيف فقوِّ برضاك ضعفي وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منتهى رضائي. اللهم إني ضعيف فقوني وإني ذليل فأعزني وإني فقير فارزقني».

(**دعاء قبيصة بن المخارق**) **الهلالي رضي الله عنه**: له صحبة. روى عنه أبو قلابة وأبو عثمان النهدي وعدة.

(**إذ قال لرسول الله ﷺ: علمني كلمات ينفعني الله عز وجل بها**) وأؤجر (**فقد كبرت**

وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها . فقال عليه السلام : « أما لدنياك فإذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم ، فإنك إذا قلتهن أمنت من الغم والجذام والبرص والفالج . وأما لآخرتك فقل : اللهم اهدني من عندك وافض عليّ من فضلك وانشر علي من رحمتك وأنزل عليّ من بركاتك ، ثم قال ﷺ : أما أنه إذا وفى بهن عبد يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء » .

سني وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها . فقال له رسول الله ﷺ : « أما لدنياك فإذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله [العلي العظيم] فإنك إذا قلتهن أمنت) باذن الله **(من الغم)** كذا في النسخ ، وفي رواية من العمى **(والجذام والبرص والفالج . وأما لأخرتك فقل : اللهم)** صلّ على محمد وعلى آله و**(اهدني من عندك وأفض علي من فضلك وانشر علي من رحمتك وانزل علي من بركاتك)** . وفي رواية : وألبسني أثواب عافيتك ، **(ثم قال ﷺ : أما إنه إذا وافى بهن عبد يوم القيامة ولم يدعهن)** أي لم يتركهن **(فتح له أربعة أبواب من الجنة »)** . إذ هي أربع كلمات يفتح له بكل كلمة باب من الجنة وفي بعض النسخ زيادة **(يدخل بها من أيها شاء)** .

قال العراقي رواه ابن السني في اليوم والليلة من حديث ابن عباس ، وهو عند أحمد مختصراً من حديث قبيصة وفيه رجل لم يسم اهـ .

قلت : وكذلك رواه الطبراني في الكبير ، وفي كتاب الدعوات مختصراً من حديث ابن عباس والطبراني أيضاً ، وابن شاهين من حديث قبيصة ولفظهم : « يا قبيصة قل ثلاث مرات إذا صليت الغداة » وفيه « فإنك إذا قلت ذلك أمنت بإذن الله من العمى والجذام والبرص ، وقل اللهم اهدني من عندك » إلى قوله « من بركاتك » .

وفي كتاب الدعاء لابن أبي الدنيا : حدثنا أحمد بن حاتم ، عن زافر بن سليمان ، عن بكر بن خنيس ، عن نافع ، عن عطاء ، عن ابن عباس أن رجلاً من بني هلال يدعى قبيصة أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله كبرت سني ودق عظمي وضعفت عن عمل كنت أعمله من حج أو جهاد أو صوم فجئتك لتعلمني كلمات ينفعني الله بهن في الدنيا والآخرة فقال : « ما قلت يا قبيصة ؟ فأعاد . قال : والذي بعثني بالحق ما حولك من شجر ولا مدر إلا وقد بكى لمقالتك هات حاجتك . قال : جئتك لتعلمني كلمات ينفعني الله بهن في الدنيا والآخرة قال : أما الدنيا فقل سبحان الله العظيم ولا حول ولا قوة إلا بالله يصرف عنك ثلاث بلايا عظام من الجنون والجذام والبرص ، وأما لآخرتك فقل إذا أصبحت اللهم اهدنا من عندك وأفض علينا من فضلك وانشر علينا رحمتك وأنزل علينا بركاتك » قال : فقبض على أصابعه هكذا . فقال أبو بكر : يا رسول الله قد قبض على أصابعه . قال « لئن وافى بهن يوم القيامة لتفتحن عليه أبواب الجنة يدخل من أيها شاء » .

دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه:

قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه: قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في محلته، فقال: ما كان الله ليفعل ذلك، فقيل له ذلك ثلاثاً وهو يقول: ما كان الله ليفعل ذلك، ثم أتاه آت فقال: يا أبا الدرداء إن النار حين دنت من دارك طفئت، قال: قد علمت ذلك. فقيل له: ما ندري أي قوليك أعجب؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ قال: من يقول هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتهن وهي: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. أعلم أن الله على كل شيء قدير وإن الله قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً. اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم».

دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه:

(قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه: أدرك دارك وكانت النار وقعت في محلته، فقال: ما كان الله ليفعل ذلك، ثم اتاه آت فقال له ذلك ثلاثاً كل ذلك يقول ما كان الله ليفعل ذلك، ثم أتاه آت فقال له: إن النار لما دنت من دارك طفئت. قال: قد علمت. فقيل له: ما ندري أي قوليك أعجب؟ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من قال هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتهن) اليوم فأنا على يقين من عدم اصابة الضرر لي، **(وهي هذه: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. ما شاء الله)** عز وجل ربي **(كان وما لم يشأ لم يكن. اعلم أن الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علماً. اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم»)** هكذا أورده صاحب القوت فقال: روي عن عمر بن عبد العزيز، عن محمد بن عبيد الله قال: أتى أبو الدرداء فقيل له: احترقت دارك. فقال: ما كان الله عز وجل ليفعل فساقه.

وقال العراقي: رواه الطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه ابن السني في عمل يوم وليلة من حديثه «من قال حين يصبح ربي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أشهد أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، أعوذ بالذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم لم يصبه في نفسه ولا أهله ولا ماله شيء يكرهه».

دعاء الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام:

كان يقول اذا أصبح: اللهم إن هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي، وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي إنك غفور رحيم ودود كريم. قال: ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه.

دعاء عيسى ﷺ:

كان يقول: اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيري وأصبحت مرتهناً بعملي فلا فقير أفقر مني. اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسوء بي صديقي، ولا تجعل مصيبتي في ديني، ولا تجعل الدنيا أكبر همي، ولا تسلط علي من لا يرحمني يا حي يا قيوم.

دعاء سيدنا إبراهيم الخليل ﷺ:

يروى أنه (**كان يقول إذا أصبح: اللهم هذا خلق جديد فافتحه علي بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها**) أي أنمها (**وضعفها لي، وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي إنك غفور رحيم ودود كريم. قيل: من دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدّى شكر يومه**)، وكذلك إذا أمسى ودعا فقد أدى شكر ليلته. نقله صاحب القوت، وقال: وروينا في الأخبار أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان يقول: الخ.

(**دعاء**) سيدنا (**عيسى عليه السلام**):

يروى عن معمر عن جعفر بن برقان أن عيسى عليه السلام (**كان يقول**) في دعائه، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء، عن الفضل، عن زياد، عن عباد بن عمران، عن جرير بن حازم قال: كان عيسى عليه السلام يقول: (**اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره**) أي لنفسي (**ولا أملك نفع ما أرجو**) نفعه لنفسي (**وأصبح الأمر بيد غيري وأصبحت مرتهناً بعملي**) أي كهيئة المرتهن (**فلا فقير**) في الدنيا (**أفقر مني. اللهم لا تشمت بي عدوي**) أي لا تفرحه في (**ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني**) أي لا تصبني بما ينقص ديني من فترة في عبادة وغيرها، (**ولا تجعل الدنيا أكبر همي**) فإن ذلك سبب للهلاك، (**ولا تسلط عليَّ من لا يرحمني**) أي لا تجعل الظالم علي حاكماً أو المراد من لا يرحمني من ملائكة العذاب والقصد بذلك التشريع للأمة. هكذا أورده صاحب القوت، وقد جاء عند الترمذي والحاكم من حديث ابن

دعاء الخضر عليه السلام:

يقال: إن الخضر وإلياس عليهما السلام إذا التقيا في كل موسم لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات: « بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله. ما شاء الله كل نعمة من الله. ما شاء الله الخير كله بيد الله. ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله » فمن قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق إن شاء الله تعالى.

عمر في آخره: وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا. قال ابن عمر: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهذه الدعوات.

دعاء الخضر عليه السلام):)

(يقال) : وفي القوت: روينا عن عطاء عن ابن عباس **(أن الخضر والياس عليهما السلام إذا التقيا في كل موسم)** أي من مواسم الحج **(لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات: « بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله. ما شاء الله كل نعمة فمن الله، ما شاء الله الخير كله بيد الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله »)** هكذا ساقه في القوت وهو في فوائد أبي إسحاق المزكّى تخريج الدارقطني قال: حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة، حدثنا محمد بن أحمد بن ربوة، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا الحسن بن رزين، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس لا أعلمه إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: يلتقي فساقه. قال الدارقطني في الإفراد، لم يحدث به عن ابن جريج غير الحسن ابن رزين، وقال العقيلي: لم يتابع عليه وهو مجهول وحديثه غير محفوظ، وقال أبو الحسين المناوي: وهو واهٍ بالحسن المذكور. قال الحافظ: وقد جاء من غير طريقه لكن من وجه واه جداً أخرجه ابن الجوزي من طريق أحمد بن عمار، حدثنا محمد بن مهدي بن هلال، حدثني ابن جريج فذكره بلفظ يجمع البري والبحري إلياس والخضر عليهما السلام كل عام بمكة. قال ابن عباس: بلغنا إنه يحلق كل منهما رأس صاحبه ويقول أحدهما للآخر: قل بسم الله الخ. وأخرجه أبو ذر الهروي في مناسكه عن ابن عباس بلفظ: يلتقي الخضر والياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، **(فمن قالها ثلاثاً إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق)** هكذا هو لفظ القوت، ولفظ أبي ذر: فمن قالها حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات عوفي من السرق والحرق والغرق. قال: وأحسبه من السلطان والشيطان والحية والعقرب.

وأخرجه ابن الجوزي في مثير العزم الساكن عن ابن عباس وقال لا أعلمه إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال « يلتقي الخضر والياس » فساقه كسياق أبي ذر، وفيه قال ابن عباس: من قالهن حين

دعاء معروف الكرخي رضي الله عنه:

قال محمد بن حسان: قال لي معروف الكرخي رحمه الله: ألا أعلمك عشر كلمات

يصبح ويمسي ثلاث مرات آمنه الله من الحرق والغرق والشرق. قال عطاء، وأحسبه ومن السلطان والشيطان والحية والعقرب.

وأخرجه أيضاً عن علي رضي الله عنه قال: « يجتمع في كل يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر عليهم السلام فيقول جبريل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فيرد عليه ميكائيل فيقول: ما شاء الله كل نعمة من الله، فيرد عليهما إسرافيل فيقول: ما شاء الله الخير كله بيد الله فيرد عليهم الخضر فيقول: ما شاء الله لا يرفع السوء إلا الله » ثم يفترقون فلا يجتمعون إلى قابل في مثل ذلك اليوم.

وأخرج أيضاً عن داود بن يحيى مولى عوف الطفاوي عن رجل كان مرابطاً في بيت المقدس بعسقلان قال: بينا أنا أسير في وادي الأردن إذا أنا برجل من ناحية الوادي قائم يصلي، فإذا سحابة تظله من الشمس فوقع في قلبي أنه إلياس النبي عليه السلام، فأتيت فسلمت عليه فانفتل من صلاته فرد علي السلام، فقلت له: من أنت يرحمك الله، فلم يرد علي شيئاً فأعدت القول مرتين فقال: أنا إلياس النبي فأخذتني رعدة شديدة خشيت على عقلي أن يذهب قلت له: إن رأيت رحمك الله أن تدعو لي أن يذهب عني ما أجد حتى أفهم حديثك فدعا لي بثمان دعوات قال: يا بر يا رحيم يا حي يا قيوم يا حنان يا منان يا اهيا شر اهيا فذهب عني ما كنت أجد، فقلت له: إلى من بعثت؟ فقال: الى أهل بعلبك. قلت: فهل يوحى إليك اليوم؟ قال: منذ بعث محمد ﷺ خاتم النبيين فلا قلت: فكم من الأنبياء في الحياة؟ قال: أربعة أنا والخضر في الأرض وإدريس وعيسى في السماء. قلت: فهل تلتقي أنت والخضر؟ قال: نعم في كل عام بعرفات يأخذ من شعري وآخذ من شعره.

تنبيه:

قول المصنف من الحرق بسكون الراء أن يحرق هو أو متاعه في بر أو بحر، والغرق محركة أن يغرق هو أو ماله في بر أو بحر، والسرق: محركة اسم بمعنى السرقة أن يسرق متاعه في بر أو بحر، وفي نسخة الشرق: بالشين المعجمة بمعنى الحزن والغصة، والأول هو المشهور.

(دعاء معروف)

بن فيروز **(الكرخي)**: أبي محفوظ من رجال الحلية والرسالة **(رحمه الله تعالى)**. قال صاحب القوت: وحدثونا عن يعقوب بن عبد الرحمن الدعاء.

(قال) سمعت **(محمد بن حسان)** بن فيروز البغدادي الأزرق من رجال ابن ماجه. روى عن

خمس للدنيا وخمس للآخرة؟ من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عندهن؟ قلت: اكتبها لي. قال: لا، ولكن أرددها عليك كما رددها علي بكر بن خنيس رحمه الله. حسبي الله لديني، حسبي الله لدنياي، حسبي الله الكريم لما أهمني، حسبي الله الحليم القوي لمن بغى عليَّ، حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء، حسبي الله الرحيم عند الموت، حسبي الله الرؤوف عند المسألة في القبر، حسبي الله الكريم عند الحساب، حسبي الله اللطيف عند الميزان، حسبي الله القدير عند الصراط، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم. وقد روي عن أبي الدرداء أنه قال: «من قال في كل يوم سبع مرات: ﴿فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ [التوبة: ١٢٩] كفاه الله عز وجل ما أهمه من أمر آخرته صادقاً كان أو كاذباً».

ابن عيينة وجماعة. وعنه ابن ماجه والمحاملي وخلق وثقوه. مات سنة ٢٥٧. **(قال لي معروف الكرخي رحمه الله تعالى: ألا أعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة، من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عندهن؟ قلت: أكتبها. قال: لا، ولكن أرددها عليك كما رددها علي بكر بن خنيس)** الكوفي العابد من رجال الترمذي وابن ماجه. روى عن ثابت ويزيد الرقاشي وجماعة. وعنه آدم وطالوت وعدة. وخنيس بضم الخاء المعجمة وفتح النون وسكون التحتية وآخره سين مهملة ووقع في بعض النسخ هنا حسين وهو غلط **(حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي، حسبي الله الكريم لما أهمني، حسبي الله الحليم القوي لمن بغى عليَّ، حسبي الله الرشيد لمن كادني بسوء، حسبي الله الرحيم عند الموت، حسبي الله الرؤوف عند المسألة في القبر، حسبي الله الكريم عند الحساب، حسبي الله اللطيف عند الميزان، حسبي الله القوي عند الصراط، حسبي الله الذي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم)**، هكذا في نسخ الكتاب وفي بعضها موافقاً لما في القوت بعد قوله: لمن كادني بسوء، حسبي الله الكريم عند الحساب، حسبي الله اللطيف عند الميزان، حسبي الله القدير عند الصراط، حسبي الله الذي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

قلت: وهذا الدعاء قد رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديث بريدة بن الحصين رضي الله عنه مرفوعاً «من قال عشر كلمات عند دبر كل صلاة غداة وجد الله عندهن مكفياً مجزياً خمس للدنيا وخمس للآخرة، حسبي الله لديني، حسبي الله لما أهمني، حسبي الله لمن بغى عليَّ، حسبي الله لمن حسدني، حسبي الله لمن كادني بسوء، حسبي الله عند الموت، حسبي الله عند المسألة في القبر، حسبي الله عند الميزان، حسبي الله عند الصراط، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب».

دعاء عتبة الغلام:

وقد رؤي في المنام بعد موته فقال: دخلت الجنة بهذه الكلمات: اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الاخيار المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين.

دعاء آدم عليه الصلاة والسلام:

قالت عائشة رضي الله عنها: لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم ﷺ طاف

(دعاء عتبة الغلام رحمه الله تعالى): هو أبو عبد الله عتبة بن أبان بن صمعة وإنما لقب بالغلام لأنه كان غلام رهان ترجمه أبو نعيم في الحلية.

(وقد رؤي في المنام بعد موته فقال: دخلت الجنة بهذه الكلمات) هكذا في القوت، وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا الحسين بن محمد، حدثنا أبو زرعة، حدثنا هرون، حدثنا سيار قال: حدثني قدامة بن أيوب العتكي، وكان من أصحاب عتبة الغلام قال: رأيت عتبة في المنام فقلت له: يا أبا عبد الله ما صنع الله بك؟ قال: يا قدامة دخلت الجنة بتلك المكتوبة في بيتك. قال: فلما أصبحت جئت إلى بيتي فإذا خط عتبة في حائط البيت مكتوب: **(اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين إرحم عبدك ذا الخطر العظيم)** هكذا هو نص القوت، ونص الحلية، ذا الخطر اليسير والذنب العظيم **(والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا مع الأخيار المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين)** هكذا ساقه صاحب القوت وصاحب الحلية، وقوله: يا هادي المضلين هو بالضاد المعجمة على المشهور فيه.

وذكر شيخ مشايخنا مصطفى بن فتح الله الحموي في تاريخه الذي ذكر فيه علماء القرن الحادي عشر في ترجمة صدقة بن سليمان بن صدقة الشافعي المنيباري: إن من اختياراته أن الصواب في قول الناس في الدعاء: يا هادي المضلين أن يقال بالصاد المهملة أو يقال بالمعجمة إلا أنه على البناء للمفعول وألف في ذلك رسالة اهـ.

قلت: أضل يتعدى ولا يتعدى. يقال: أضل الرجل إذا صار حائراً لا يهتدي ولا يناسب ضبطه على البناء للمفعول إلا إذا أريد به المتعدي وهذا ظاهر لا يخفى.

(دعاء آدم عليه السلام): صفي الدين أبي البشر.

(قالت عائشة) رضي الله عنها فيما رواه أبو طالب المكي من طريق هشام بن عروة عن أبيه عنها قالت: **(لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعاً)** أي سبعة أشواط، **(وهو)** أي البيت **(يومئذ ليس بمبنى بل ربوة حمراء)** أي أكمة مرتفعة، **(ثم**

بالبيت سبعاً وهو يومئذ ليس بمبنى بل ربوة حمراء، ثم قام فصلى ركعتين ثم قال: « اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي، وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي. اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبته عليَّ والرضا بما قسمته لي يا ذا الجلال والإكرام » فأوحى الله عز وجل إليه أني قد غفرت لك ولم يأتني أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به إلا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه، واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدها.

قام فصلى ركعتين) أي بعدما فرغ من الطواف، **(ثم قال: « اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي)** أي ما أخفيه وما أعلنه **(فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنبي، اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي)** أي يلابسه، فإن الإيمان إذا تعلق بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعاً، وإذا بطن الإيمان سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر إليها **(ويقيناً صادقاً حتى أعلم)** أي أجزم **(أنه لن يصيبني إلا ما كتبت عليَّ)** أي قدرته عليَّ في العلم القديم الأزلي أو في اللوح المحفوظ، وفي القوت: إلا ما كتبت لي **(ورضني بما قسمت لي »)** من الأزل فلا أتسخطه ولا أستقله، فإن من رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط. زاد صاحب القوت هنا « يا ذا الجلال والإكرام »، **(فأوحى الله عز وجل إليه أني قد غفرت لك ولم يأت)** وفي القوت: ولن يأتيني **(أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به إلا غفرت له ذنوبه وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه، واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة)** أي صاغرة **(وإن كان لا يريدها)**.

وأخرج ابن الجوزي في مثير العزم الساكن عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: قال النبي ﷺ « لما أهبط الله عز وجل آدم طاف بالبيت سبعاً وصلى خلف المقام ركعتين ثم قال: اللهم إنك » فساقه إلى آخر الدعاء، ثم قال « فأوحى الله عز وجل يا آدم قد دعوتني دعاء استجبت لك فيه ولن يدعوني به أحد من ذريتك من بعدي إلا استجبت له وغفرت له ذنوبه وفرجت همومه واتجرت له من وراء كل تاجر، فأتته الدنيا وهي راغمة وإن كان لا يريدها ».

وأخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب اليقين بسنده عن عوف بن خالد قال: وجدت في بعض الكتب أن آدم عليه السلام ركع إلى جانب الركن اليماني ركعتين ثم قال « اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي » إلى آخر الدعاء. قال: « فأوحى الله عز وجل يا آدم أنه حق علي أن لا يلزم أحد من ذريتك هذا الدعاء إلا أعطيته ما يحب ونجيته مما يكره ونزعت أمل الدنيا والفقر من بين عينيه وملأت جوفه حكمة ».

دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

رواه عن النبي ﷺ أنه قال: « إن الله تعالى يمجد نفسه كل يوم ويقول: إني أنا الله رب العالمين. إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم. إني أنا الله لا إله إلا أنا العلي العظيم. إني أنا الله لا إله إلا أنا لم ألد ولم أولد. إني أنا الله لا إله إلا أنا العفو الغفور. إني أنا الله لا إله إلا أنا مبدىء كل شيء وإلي يعود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبّر الخالق البارىء المصورّ الكبير المتعال المقتدر القهار الحليم الكريم. أهل الثناء والمجد أعلم السر وأخفى القادر الرزاق فوق الخلق والخليقة». وذكر قبل كل كلمة: « إني أنا الله لا إله إلا أنا » كما أوردناه في الأول. فمن دعا بهذه الأسماء فليقل:

وروى البزار بسند فيه أبو مهدي سعيد بن سنان وهو ضعيف من حديث ابن عمر رفعه « أنه ﷺ كان يقول هذه الكلمات: اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي » الخ وليس فيه « ويقيناً صادقاً ».

(دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه):

قد **(رواه عن النبي ﷺ أنه قال له « إن الله عز وجل يمجد نفسه) في (كل يوم ويقول: إنني أنا الله رب العالمين، إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم، إني أنا الله لا إله إلا أنا العلي العظيم، إني أنا الله لا إله إلا أنا لم ألد ولم أولد، إني أنا الله لا إله إلا أنا العفوّ الغفور، إني أنا الله لا إله إلا أنا بيدي كل شيء وإليّ يعود، إني أنا الله لا إله إلا أنا العزيز الحكيم، إني أنا الله لا إله إلا أنا الرحمن الرحيم، إني أنا الله لا إله إلا أنا مالك يوم الدين، إني أنا الله لا إله إلا أنا خالق الخير والشر، إني أنا الله لا إله إلا أنا خالق الجنة والنار، إني أنا الله لا إله إلا أنا الواحد الأحد، إني أنا الله لا إله إلا أنا الفرد الصمد، إني أنا الله لا إله إلا أنا الذي لم أتخذ صاحبة ولا ولداً، إني أنا الله لا إله إلا أنا الفرد الوتر، إني أنا الله لا إله إلا أنا عالم الغيب والشهادة، إني أنا الله لا إله إلا أنا الملك القدوس، إني أنا الله لا إله إلا أنا السلام المؤمن المهيمن، إني أنا الله لا إله إلا أنا العزيز الجبار المتكبر، إني أنا الله لا إله إلا أنا الخالق البارىء المصور، إني أنا الله لا إله إلا أنا الكبير المتعال، إني أنا الله لا إله إلا أنا المقتدر القهار، إني أنا الله لا إله إلا أنا الحكيم الكريم، إني أنا الله لا إله إلا أنا أهل الثناء والمجد، إني أنا الله لا إله إلا أنا أعلم السر وأخفى، إني أنا الله لا إله إلا أنا القادر الرزاق، إني أنا الله لا إله إلا أنا فوق الخلق والخليقة »)** هكذا ساقه صاحب القوت بطوله. قال: **(فمن دعا بهذه الأسماء فليقل « إنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت كذا وكذا » فمن دعا**

« إنك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا » فمن دعا بهن كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمداً وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين صلوات الله عليهم في دار الجلال. وله ثواب العابدين في السموات والأرضين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى.

دعاء ابن المعتمر وهو سليمان التيمي وتسبيحاته رضي الله عنه:

بها) أي بتلك الأسماء **(كتب من الشاكرين المخبتين الذين يجاورون محمداً)**ﷺ وإبراهيم وموسى **(وعيسى والنبيين)** عليهم السلام **(في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والأرضين)**. قال العراقي: هذا الدعاء بطوله لم أجد له أصلاً اهـ.

قلت: لكن وجدت في الحلية في ترجمة وهب بن منبه ما يقرب ذلك: حدثنا أحمد بن جعفر بن معبد، حدثنا أحمد بن عمر والبزاز، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا أسد بن موسى عن يوسف بن زياد عن أبي الياس بن بنت وهب قال: وذكر وهب أن الله تعالى لما فرغ من جميع خلقه يوم الجمعة أقبل يوم السبت فمدح نفسه بما هو أهله، وذكر عظمته وجبروته وكبرياءه وسلطانه وقدرته وملكه وربوبيته فانصت كل شيء وأطرق له كل شيء خلقه فقال: أنا الملك لا إله إلا أنا ذو الرحمة الواسعة والأسماء الحسنى، وأنا الله لا إله إلا أنا ذو العرش المجيد والأمثال العلى، أنا الله لا إله إلا أنا ذو المن والطول والآلاء والكبرياء، أنا الله لا إله إلا أنا بديع السموات والأرض ومن فيهن ملأت كل شيء عظمتي وقهر كل شيء ملكي وأحاطت بكل شيء قدرتي وأحصى كل شيء علمي، ووسعت كل شيء رحمتي، وبلغ في كل شيء لطفي فساقه بطوله.

(دعاء أبي المعتمر وهو سليمان) بن طرخان **(التيمي)** البصري **(وتسبيحاته رحمه الله تعالى)**: ولم يكن أبو المعتمر من بني تيم وإنما نزل فيهم، وعن ابنه المعتمر أنه قال قال لي أبي: إذا كتبت فلا تكتب التيمي ولا تكتب المري، فإن أبي كان مكاتباً لبجير بن عمران، وأن أمي كانت مولاة لبني سليم، فإن كان أدى الكتابة فالولاء لبني مرة وهو مرة بن عباد بن ضبيعة بن قيس فاكتب القيسي، وإن لم يكن أدى الكتابة فالولاء لبني سليم وهم من قيس عيلان فاكتب القيسي، قال ابن سعد: كان سليمان ثقة كثير الحديث ومن العباد المجتهدين، وكان يصلي الليل كله بوضوء العشاء، وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد فيصليان في هذا المسجد تارة وفي هذا المسجد مرة حتى يصبحا، وقال شعبة: ما رأيت أصوف منه كان إذا حدث عن النبي ﷺ تغير لونه، وقال محمد بن عبد الأعلى: قال لي المعتمر بن سليمان: لولا أنك من أهلي ما حدثتك بذا عن أبي، مكث أبي أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً ويصلي صلاة الفجر بوضوء العشاء، وقال معاذ بن معاذ: كانوا يرون أنه أخذ عبادته عن أبي عثمان النهدي توفي بالبصرة سنة ١٤٣ عن سبع وتسعين، روى له الجماعة.

روي أن يونس بن عبيد رأى رجلاً في المنام ممن قتل شهيداً ببلاد الروم فقال: ما أفضل ما رأيت ثم من الأعمال؟ قال: رأيت تسبيحات ابن المعتمر من الله عز وجل بمكان وهي هذه: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق، وملء ما خلق وملء ما هو خالق، وملء سمواته وملء أرضه، ومثل ذلك وأضعاف ذلك، وعدد خلقه وزنة عرشه، ومنتهى رحمته ومداد كلماته، ومبلغ رضاه حتى يرضى وإذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشم ونفس من الأنفاس وأبد من الآباد من أبد إلى أبد، أبد الدنيا وأبد الآخرة، وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره».

وقد (**روي**) في فضل تسبيحاته (**أن يونس بن عبيد**) بن دينار العبدي البصري أبا عبد الله مولى عبد القيس رأى إبراهيم النخعي وأنس بن مالك وسعيد بن جبير، قال أبو حاتم: ثقة وهو أكبر من سليمان التيمي ولا يبلغ التيمي منزلته، وقال هشام بن حسان: ما رأيت أحداً يطلب العلم لوجه الله عز وجل إلا يونس توفي سنة ١٣٩، وحمل سريره سليمان وعبد الله ابنا علي بن عبد الله بن عباس، وجعفر ومحمد بن سليمان بن علي على أعناقهم، فقال عبد الله بن علي: هذا والله الشرف. (**رأى رجلاً في المنام ممن قتل شهيداً ببلاد الروم فقال له: ما أفضل ما رأيت، ثم**) أي هناك (**من الأعمال**) الصالحة الباقية؟ (**قال: رأيت تسبيحات أبي المعتمر من الله**) عز وجل (**بمكان**) هكذا أورده صاحب القوت، وزاد فقال: وقال المعتمر بن سليمان: رأيت عبد الملك بن خالد بعد موته فقلت: ما صنعت؟ قال: خيراً. فقلت: يرجو للخاطئ شيئاً؟ قال: يلتمس تسبيحات أبي المعتمر فإنها نعم الشيء (**وهي هذه: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق، وملء ما خلق وملء ما هو خالق، وملء سمواته وملء أرضيه**) بالتحريك، وحذف نون الجمع للإضافة، ويوجد في بعض النسخ بالإفراد، (**ومثل ذلك وأضعاف ذلك، وعدد خلقه وزنة عرشه، ورضا نفسه، ومنتهى رحمته ومداد كلماته، ومبلغ رضاه حتى يرضى وإذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشم ونفس من الأنفاس من أبد الآباد»**) وفي نسخة: من أبد إلى الأبد (**أبد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أولاه ولا ينفد أخراه»**) هذا آخر التسبيحات.

قلت: وإن زاد المريد بعدها: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد مثل ذلك وأضعاف أضعاف ذلك كان حسناً.

دعاء ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه:

روى ابراهيم بن بشار خادمه أنه كان يقول هذا الدعاء في كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا أمسى: « مرحباً بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب والشهيد. يومنا هذا يوم عيد. اكتب لنا فيه ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد. أصبحت بالله مؤمناً وبلقائه مصدقاً وبحجته معترفاً ومن ذنبي مستغفراً ولربوبية الله خاضعاً ولسوى الله من الآلهة جاحداً وإلى الله فقيراً وعلى الله متكلاً وإلى الله منيباً. أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بأنه هو الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليماً، وأن الجنة حق وأن النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكراً ونكيراً حق ووعدك حق

(**دعاء إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته في كتاب العلم.

(**روى إبراهيم بن بشار**) الرمادي (**خادمه**) قال ابن عدي: هو من أهل الصدق، وقال ابن معين: ليس بشيء (**إنه كان يقول هذا الدعاء في يوم الجمعة إذا أصبح وإذا أمسى**)، وإنما كان يخص يوم الجمعة به لما له من الفضل والبركة على غيره من الأيام، وقال أبو نعيم في الحلية: أخبرني جعفر بن محمد بن نصير في كتابه، وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، حدثنا إبراهيم بن نصر، حدثنا إبراهيم بن بشار قال: كان إبراهيم بن أدهم يقول هذا الكلام في كل جمعة إذا أصبح عشر مرات، وإذا أمسى يقول مثل ذلك: (« **مرحباً بيوم المزيد**) وإنما سمي يوم الجمعة بيوم المزيد لما تزاد فيه من البركات والفضائل، وقد تقدم في كتاب الصلاة (**والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد**) أي لأن الجمعة عيد المسلمين. (**اكتب لنا ما نقول**) فيه (**بسم الله الحميد**) أي المحمود ذاتاً وصفات (**المجيد**) أي العظيم قدراً (**الرفيع**) جلالاً (**الودود**) إلى أوليائه (**الفعال في خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمناً وبلقائه مصدقاً وبحجته معترفاً ومن ذنبي مستغفراً ولربوبية الله عز وجل خاضعاً**) فإنه لا رب سواه ومن أخلص له الربوبية خلصت له العبودية (**ولما سوى الله عز وجل من الآلهة جاحداً**) ولفظ الحلية ولما سوى الله عز وجل جاحداً (**وإلى الله سبحانه فقيراً**) أي محتاجاً إليه في كل الشؤون (**وعلى الله متوكلاً وإلى الله منيباً**) أي راجعاً (**أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه**) وذكرهم بعد ذكر الملائكة تخصيص ينبئ عن تشريف (**ومن خلق ومن هو خالق**)، وفي نسخة: ومن خلقه، وفي أخرى وما هو خالقه، وفي أخرى وجميع خلقه (**بأنه هو الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ »**) ومن قوله أشهد الله، إلى هنا أخرجه ابن عساكر عن أنس، وأن من قالها أربعاً غدوة وأربعاً عشية ثم مات دخل الجنة. (« **وأن الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكراً ونكيراً حق ووعدك حق ولقاءك حق والساعة**

ووعيدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله. اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذي شر. اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت. لبيك وسعديك والخير كله بيديك أنا لك وإليك استغفرك وأتوب إليك. آمنت اللهم بما أرسلت من رسول، وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً خاتم كلامي ومفتاحه، وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين رب العالمين. اللهم أوردنا حوض محمد واسقنا بكأسه مشرباً روياً سائغاً هنيئاً لا نظمأ بعده أبداً، واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكثين للعهد ولا

آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور على ذلك أحي وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله) عز وجل، **(اللهم أنت ربي لا رب لي إلا أنت)** ولفظ الصحيحين من حديث شداد بن أوس لا إله إلا أنت **(خلقتني وأنا عبدك)** أي مقر لك بالعبودية المحضة على نفسي كما أقررت لك بالربوبية المطلقة، **(وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت)** أي على قدر الجهد والطاقة، **(أعوذ بك اللهم من شر كل ذي شر)** ولفظ الصحيحين: أعوذ بك من شر ما صنعت. **(اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)**. ولفظ الصحيحين: «أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» وقد تقدم أنه من قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة. **(واهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت)** وهذه الجملة بتمامها سقطت من الحلية، وقد رواها الطبراني في الكبير عن أبي أمامة في أثناء حديث: **(لبيك وسعديك والخير كله بيديك إنا لك وإليك)** وفي بعض النسخ أنابك وإليك، **(أستغفرك وأتوب إليك آمنت اللهم بما أرسلت من رسول)** إلى خلقك، **(وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب)** على رسلك **(وصلى الله على محمد النبي وعلى آله وسلم كثيراً)** ولفظ الحلية: وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم **(خاتم كلامه ومفتاحه)** وفي الحلية زيادة هذا قبل خاتم، **(وعلى أنبيائه ورسله أجمعين والحمد لله رب العالمين)** وفي الحلية زيادة «آمين» قبل رب العالمين، وهكذا في بعض نسخ الكتاب أيضاً. **(اللهم أوردنا حوضه)** أي اجعلنا من الواردين عليه **(واسقنا بكأسه)** الذي يسقيه وارديه **(مشرباً)** يطلق على الماء المشروب وهو المراد هنا، **(روياً)** فعيل بمعنى مفعل مفعل كأليم بمعنى مؤلم، **(سائغاً)** أي سهل المساغ في الحلق، **(هنيئاً)** لشاربه **(لا نظمأ بعده أبداً)**. وفي الحلية بعدها بتأنيث الضمير كأنه عائد إلى الشربة المفهومة من المشرب،

مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين. اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى واصلح لي شأني كله وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ولا تضلني وإن كنت ظالماً سبحانك سبحانك يا علي يا عظيم يا بارىء يا رحيم يا عزيز يا جبار، سبحان من سبحت له السموات باكنافها، وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها، وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها، وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها، وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بأبراجها، وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وثمارها، وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن، سبحان من سبح له كل شيء من مخلوقاته تباركت وتعاليت، سبحانك سبحانك يا حي قيوم يا عليم يا حليم، سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وأنت حي لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير.

(واحشرنا في زمرته) أي جماعته **(غير خزايا)** جمع خزيان وهو حال لازم إذ لا يحشر في زمرته ويسقى من كأسه إلا من كان على تلك الحال **(ولا ناكبين)** أي معرضين، وفي بعض بالثاء المثلثة بدل الموحدة أي ولا ناكثين عهده والنكث النقض، **(ولا مرتابين)** أي شاكين، **(ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين)** عن الصراط المستقيم. **(اللهم اعصمني)** أي احفظني **(من فتن الدنيا ووفقني)** أي استعملني **(لما تحب وترضى)** من الأعمال الصالحة والأحوال الشريفة، **(واصلح لي شأني كله وثبتني بالقول الثابت)** وهو قول لا إله إلا الله **(في الحياة الدنيا وفي الآخرة)** أي عند الموت، **(ولا تضلني)** بعد إذ هديتني **(وإن كنت ظالماً)** لنفسي. **(سبحانك سبحانك)** مرتين هكذا في الحلية **(يا علي يا عظيم يا رب يا بر يا رحيم يا عزيز يا جبار)** وفي بعض النسخ بعد قوله: وفي الآخرة ولا تفضحني يا علي يا عظيم يا بارئ يا رحيم يا عزيز يا جبار، ولفظ الحلية بعد يا عظيم: يا بار يا حكيم يا عزيز يا جبار. **(سبحان من سبحت له السموات بأكنافها)** أي أطرافها، **(وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها)** وفي بعض النسخ بأعرافها، **(وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها، وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها، وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بأبراقها)** وفي بعض النسخ: بإشراقها، وفي بعضها بأبراجها. **(وسبحان من سبحت له الشجر بأصولها)** هكذا في الحلية، وفي بعض نسخ الكتاب زيادة. **(ونضارتها)** وفي بعضها باصولها وثمارها **(وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن)** وفي بعض النسخ هنا زيادة: وسبحان من سبح له كل شيء من مخلوقاته تباركت وتعاليت، وفي الحلية بعد قوله ومن عليهن. **(سبحانك سبحانك يا حي يا حليم سبحانك لا إله إلا أنت وحدك »)** إلى هنا انتهى الدعاء في الحلية وزاد المصنف بعده **(« لا شريك لك تحيي وتميت وأنت حي لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير »)** ووجد في بعض النسخ زيادة « وصل اللهم على محمد وعلى آله وسلم كثيراً ».

الباب الرابع

في أدعية مأثورة عن النبي ﷺ وعن أصحابه رضي الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب المكي وابن خزيمة وابن المنذر رحمهم الله:

يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحب أوراده الدعاء كما سيأتي ذكره في كتاب الأوراد فإن كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله ﷺ فيما دعا به فقل في مفتتح دعواتك أعقاب صلواتك: سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وقل: رضيت بالله رباً

الباب الرابع

في ذكر أدعية مأثورة عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه رضي الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه

الإمام (**أبو طالب المكي**) في كتاب القوت (**وابن خزيمة**) وهو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكير السلمي النيسابوري، (**وابن المنذر**) الإمام الحافظ صاحب الإشراق في خلاف الأئمة (**رحمهم الله تعالى**).

قال صاحب القوت: (**يستحب للمريد**) وهو السالك بإرادته في طريق الآخرة (**إذا أصبح أن يكون أحد أوراده الدعاء كما سيأتي في كتاب الأوراد، فإن كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله ﷺ فيما دعا به فقل في مفتتح دعواتك اعقاب صلواتك**) بما كان يفتتح به رسول الله ﷺ وهو قوله: (**سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب**) كما رواه الحاكم في مستدركه وتقدم قريباً. ثم قل: (**لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**) فمن قالها عشر مرات كن له كعدل عشر رقاب، كما رواه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والطبراني عن أبي أيوب، وكتب الله له بكل كلمة عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات ورفعه بها عشر درجات وكن له مسلحة من أول النهار إلى آخره، كما رواه أحمد والضياء عنه. وكن له حرزاً من الشيطان كما رواه بن صصري في أماليه عن أبي هريرة وحرزا من المكروه ولم يلحقه في يومه ذلك ذنب إلا الشرك بالله كما رواه ابن السني عن معاذ، ولم يسبقها عمل ولم يبق منها سيئة كما رواه ابن عساكر عن أبي أمامة، وكان قائلها من أفضل الناس عملاً إلا رجلاً يفضله

وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ـ ثلاث مرات ـ وقل: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه، وقل اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي. اللهم استر عوراتي. وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك ان اغتال من تحتي. اللهم لا تؤمني مكرك

يقول أفضل مما قال كما رواه أحمد عن عبد الرحمن بن غنم، أو كتب له بها مائة حسنة ومحى عنه بها مائة سيئة وكانت كعدل رقبة كما رواه ابن السني عن أبي هريرة، أو كن له عدل أربع رقاب من ولد إسماعيل كما رواه الطبراني عن أبي أيوب، وأدخله الله بها جنات النعيم كما رواه الطبراني عن ابن عمر. **(وقل: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ثلاث مرات)** فمن قالهن حين يصبح ويمسي كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة كما رواه عبد الرزاق وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة وابن سعد والروياني والبغوي والحاكم وأبو نعيم في الحلية عن أبي سلام عن رجل خدم النبي ﷺ، وقد تقدم ذكره والإختلاف في راويه في الباب الأول من الأذكار. **(وقل: اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه)**.

قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: «قل اللهم» فذكره الخ.

قلت وأخرجه الترمذي أيضاً وقال: حسن غريب من حديث عبد الله بن عمر وقال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر قل» فساقه. وفي آخره: «وأن اقترف على نفسي أو أجره إلى مسلم».

وروى أحمد وابن منيع والشاشي وأبو يعلى وابن السني في عمل يوم وليلة والضياء عن أبي بكر قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعي من الليل: «اللهم فاطر السموات والأرض» الخ وفيه الزيادة المذكورة، وقد تقدم في الباب قبله عند ذكر دعاء أبي بكر رضي الله عنه، ورواه الطيالسي وأحمد وابن أبي شيبة وابن السني من حديث ابن مرة بدون تلك الزيادة.

(وقل: اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي) ويندرج تحته الوقاية من كل مكروه، **(وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي)**، والمراد بالعورات العيوب والخلل والتقصير والروعات الفزعات، وفيه من أنواع البديع جناس القلب، **(وأقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي)** أو أهلك من حيث لا أحس به ولا أشعر استوعب الجهات الست لأن ما يلحق الإنسان من سوء إنما يصله من أحدها وتخصيص جهة السفل بقوله: وأعوذ بعظمتك ادماج لمعنى قوله تعالى:

ولا تولني غيرك ولا تنزع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين. وقل: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ـ ثلاث مرات ـ وقل: اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في

﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ [الأعراف: ١٧٦] الآية. وما أحسن قوله بعظمتك في هذا المقام.

قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن عمر قال: لم يكن النبي ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح دون قوله: « وأقل عثراتي » اهـ.

قلت: ورواه البزار في مسنده عن ابن عباس ولفظه: « اللهم إني أسألك العفة في دنياي وديني وأهلي ومالي. اللهم استر عورتي وآمن روعتي واحفظني ». الخ وفيه « وأعوذ بك أن أغتال من تحتي » وفيه يونس بن خباب وهو ضعيف.

(اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك) أي لا تجعل غيرك يتولى أمري، **(ولا تنزع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين)**.

قال العراقي: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله: « ولا تولني غيرك » بإسناد ضعيف.

قلت ورواه ابن النجار كذلك ولفظها: « من قال عند منامه اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك ولا تهتك عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين. اللهم ابعثنا في أحب الأوقات إليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا إلا بعث الله إليه ملكاً في أحب الساعات فيوقظه ». الحديث.

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير، حدثنا الحرث بن موسى الطائي، حدثنا حبيب أبو محمد قال: إذا آوى العبد إلى فراشه قال: « اللهم لا تنسني ذكرك » فساق الحديث بطوله كسياق الجماعة.

(وقل) سيد الإستغفار: **(اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)**. تقدم أنه رواه البخاري من حديث شداد بن أوس، ورواه كذلك ابن سعد في الطبقات، ورواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والضياء عن عبد الله بن بريدة عن أبيه: « من قال حين يصبح أو حين يمسي فمات من يومه أو ليلته دخل الجنة ». ورواه ابن السني وأبو يعلى عن سليمان بن بريدة عن أبيه: « من قال ذلك في نهاره فمات من يومه ذلك مات شهيداً ومن قالها ليلاً فمات من ليلته تلك مات شهيداً.

(وقل: اللهم عافني في بدني) من الأسقام والآلام **(وعافني في سمعي)** أي القوة المودعة

بصري لا إله إلا أنت ـ ثلاث مرات ـ وقل: اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم وشوقاً إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وأعوذ بك ان أظلم أو أظلم أو اعتدي أو يعتدى عليّ أو أكسب خطيئة أو ذنباً لا تغفره. اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك

في الجارحة وارادة الإستماع بعيدة **(وعافني في بصري)** خصهما بالذكر بعد ذكر البدن، لأن العين هي التي تجتلي آيات الله المنبثة في الآفاق والسمع. يعني الآيات المنزلة فهما جامعان لدرك الأمانة العقلية والنقلية **(لا إله إلا أنت ثلاث مرات)**.

قال العراقي رواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة من حديث أبي بكرة، وقال النسائي: جعفر بن ميمون ليس بالقوي اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الحاكم وعندهم في الدعاء بعد قوله: في بصري زيادة: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر».

(وقل اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء) وفي رواية بالقضاء أي بما قدرته لي في الأزل لا تلقاه بإنشراح صدر، **(وبرد العيش بعد الموت)** أي الفوز بالتجلي الذاتي الأبدي الذي لا حجاب بعده ولا مستقر للكمال دونه وهو الكمال الحقيقي، وبرفع الروح إلى منازل السعداء ومقامات المقربين والعيش في هذه الدار لا يبرد لأحد، بل هو محشو بالغصص والنكد والكدر ممحوق بالآلام الباطنة والاسقام الظاهرة، **(ولذة النظر إلى وجهك الكريم)** في دار النعيم، **(و)** أسألك **(الشوق إلى لقائك)** قال ابن القيم: جمع في هذا الدعاء بين أطيب ما في الدنيا وهو الشوق إلى لقائه، وأطيب ما في الآخرة وهو النظر إليه، ولما كان كلامه موقوفاً على عدم ما يضر في الدنيا ويفتن في الدين قال: **(من غير ضراء مضرة)** قال الطيبي: معنى ضراء مضرة الضر الذي لا يصبر عليه، وقال القونوي: الضراء المضرة بحصول الحجاب بعد التجلي والتجلي بصفة تستلزم سدل الحجب، **(ولا فتنة مضلة)** أي موقعة في الحيرة مفضية إلى الهلاك، وقال القونوي: الفتنة المضلة كل فتنة توجب الخلل أو النقص في العلم أو الشهود، **(وأعوذ بك أن أظلم)** أحداً **(أو أظلم)** أي يظلمني أحد **(أو أعتدي)** على أحد **(أو يعتدى علي أو أكتسب خطيئة أو ذنباً لا تغفره)**.

قال العراقي: رواه أحمد والحاكم من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: ورواه وكذا ابن ماجة من حديث عمار بن ياسر والحديث طويل ولفظه: اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق. وسيأتي للمصنف قريباً.

(اللهم إني أسألك الثبات في الأمر) أي الدوام على الدين بدليل قوله

وحسن عبادتك، وأسألك قلباً خاشعاً سليماً وخلقاً مستقيماً ولساناً صادقاً وعملاً متقبلاً، وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فإنك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب. اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني فإنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وعلى كل

ﷺ: «ثبت قلبي على دينك»؟ أو المراد الثابت عند الاحتضار أو عند السؤال في القبر ولا مانع من إرادة الكل **(والعزيمة عل الرشد)** وفي رواية: وأسألك عزيمة الرشد وهو حسن التصرف في الأمر والإقامة عليه بحسب ما يثبت ويدوم، وقيل: العزيمة استجماع قوى الإرادة على الفعل والمكلف قد يعرف الرشد ولا عزم له عليه، فلذلك سأله، وإنما قدم الثبات على العزيمة إشارة إلى أنه المقصود بالذات لأن الغايات مقدمة الرتبة وإن كانت مؤخرة في الوجود، **(وأسألك شكر نعمتك)** أي التوفيق لشكر إنعامك **(وحسن عبادتك)** أي التوفيق لايقاع العبادة على الوجه الحسن المرضي شرعاً، **(وأسألك قلباً سليماً)** أي خالياً عن حب السوى ومن العقائد الفاسدة، وفي رواية سليماً أو غير قلوق عند هيجان نار الغضب **(وخلقاً مستقيماً)** أي سوياً **(ولساناً صادقاً)** أي محفوظاً من الكذب، وإسناد الصدق إلى اللسان مجازي لأن الصدق من صفة صاحبه فأسند إلى الآلة مجازاً، **(وعملاً متقبلاً)** أي زاكياً مقبولاً، **(وأسألك من خير ما تعلم)** أي تعلمه أنت ولا أعلمه **(وأعوذ بك من شر ما تعلم)** وهذا سؤال جامع للإستعاذة من كل شر وطلب كل خير، ثم ختم الدعاء بالإستغفار الذي عليه المعوّل والمدار فقال: **(وأستغفرك لما تعلم)** وفي رواية: مما تعلم أي مما علمته مني من تقصيري وإن لم أحط به علماً، **(فإنك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب)** أي الأشياء الخفية التي لا ينفذ فيها ابتداء إلا علمه اللطيف الخبير.

قال العراقي: رواه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه من حديث شداد بن أوس. قال: قلت بل هو منقطع وضعيف اهـ.

قلت: وكذا رواه ابن حبان في صحيحه، وقوله: وخلقا مستقيماً رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

(«اللهم اغفر لي ما قدمت) من الذنوب **(وما أخرت)** منها **(وما أسررت)** بها **(وما أعلنت)** أي أظهرت، **(فإنك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد»)**

قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي موسى دون قوله: «وعلى كل غيب شهيد» وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب.

قلت: وأوله عندهما: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني. اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي اغفر لي ما قدمت وما أخرت» الحديث.

غيب شهيد. اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد. اللهم إني أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين. اسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلى حبك وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون. اللهم

وروى الحاكم عن ابن عمر قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يقول: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني» وقال: صحيح على شرط البخاري.

(**اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد**) أي لا يقبل صفة الإرتداد والنقص (**ونعيماً لا ينفد**) أي لا ينقضي وذلك ليس إلا نعيم الآخرة، (**وقرة عين الأبد**) بدوام ذكره وكمال محبته والأنس به. قال بعضهم: من قرت عينه بالله تعالى قرت به كل عين، (**ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد**).

قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة، والحاكم من حديث ابن مسعود دون قوله: «وقرة عين الأبد» وقال: صحيح الإسناد، وللنسائي من حديث عمار بن ياسر بإسناد جيد: «واسألك نعيماً لا ينفد وقرة عين لا تنقطع» اهـ.

قلت: هو في أثناء حديث طويل يأتي ذكر بعضه ومضى ذكر بعضه رواه أحمد والحاكم عن عمار بن ياسر قال: كان رسول الله ﷺ يدعو به، وأما حديث ابن مسعود فرواه أيضاً ابن حبان في صحيحه واللفظ للنسائي عن أبي عبيدة، واسمه عامر عن أبيه عبد الله بن مسعود أنه سئل: ما الدعاء الذي دعوت به ليلة قال لك رسول الله ﷺ سل تعطه؟ قال: قلت اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد ومرافقة نبينا محمد ﷺ في أعلى درجة الجنة درجة الخلد.

(**« اللهم إني أسألك الطيبات**) من الأفعال والأقوال (**وفعل الخيرات وترك المنكرات**) من الأخلاق والأعمال والأهواء (**وحب المساكين. أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب إلى حبك، وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون »**).

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث معاذ: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات» الحديث وقال: حسن صحيح ولم يذكر الطيبات، وهي في الدعاء للطبراني من حديث عبد الرحمن بن عائش. قال أبو حاتم: ليست له صحبة اهـ.

قلت: لفظ الترمذي عن معاذ قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس فخرج سريعاً فثوب بالصلاة فصلى رسول الله ﷺ وتجوز في صلاته، فلما سلم دعا بصوته قال لنا على مصافكم كما أنتم ثم انفتل إلينا ثم قال أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة إني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى

بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي، أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة العدل في الرضا والغضب والقصد

استثقلت فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة فقال: يا محمد: فقلت: لبيك ربي قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري قالها ثلاثاً قال: فرأيته وضع كفيه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء عرفت، فقال: يا محمد. قلت: لبيك. قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات رب. قال: ما هي؟ قلت: مشي الأقدام إلى الجمعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء حين الكراهات قال: ثم فيم؟ قال: قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام. قال: سل. قال: «اللهم أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني غير مفتون وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب إلى حبك» فقال رسول الله ﷺ: «إنها حق فادرسوها ثم تعلموها» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وروي الحاكم عنه في المستدرك فعل الدعاء من حديث ثوبان وقال: صحيح على شرط البخاري.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان من دعاء داود عليه السلام يقول اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد» قال: وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود عليه السلام يحدث عنه قال: «كان أعبد البشر». رواه الترمذي واللفظ له وقال: حسن غريب، ورواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد.

وعن عبد الله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك. اللهم ما رزقتني حبه فاجعله قوة لي فيما تحب وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً فيما تحب». رواه الترمذي وقال: حسن غريب.

(اللهم بعلمك الغيب) الباء للإستعطاف أي أنشدك بحق علمك مما خفي على خلقك ما استأثرت به، **(وقدرتك على الخلق)** أي جميع المخلوقات من جن وإنس وملك. **(أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني ما كانت)** كذا في النسخ والرواية إذا علمت **(الوفاة خيراً لي)** ولذا قال المناوي: عبر بما في الحياة لاتصافه بالحياة حالاً وبإذا الشرطية في الوفاة لانعدامها حال التمني لاتصافه بالحياة حالاً. **(أسألك)** كذا في النسخ، والرواية وأسألك. وفي بعضها: اللهم وأسألك **(الخشية)** وهو عطف على محذوف، واللهم على الرواية الأخيرة معترضة **(في الغيب والشهادة)** أي في السر والعلانية أو المشهد والمغيب، فإن خشية الله رأس كل خير والشأن في الخشية في الغيب لمدحه تعالى من يخافه بالغيب، **(و)** أسألك **(كلمة العدل)** كذا في النسخ والرواية كلمة الإخلاص، والمراد منها المنطق بالحق **(في الرضا والغضب)** أي في حالتي رضا الخلق عني وغضبهم علي فيما أقوله، فلا أداهن ولا أنافق أو في حالتي رضاي، وغضبي بحيث لا يلجئني شدة الغضب إلى النطق بخلاف الحق ككثير من الناس إذا اشتد غضبه أخرجه من الحق إلى الباطل،

في الغنى والفقر ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة: اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين. اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به

(و) أسألك (**القصد**) أي التوسط (**في الغني والفقر**) وهو الذي ليس معه إسراف ولا تقتير، فإن الغنى يبسط اليد ويطغى النفس والفقر يكاد أن يكون كفراً، فالتوسط هو المحبوب المطلوب، وبعد هذا عند مخرجي الحديث ما نصه: « وأسألك نعماً لا ينفد وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، (و) أسألك (**لذة النظر إلى وجهك**) قيد النظر باللذة لأن النظر إلى الله إما نظر هيبة وجلال في عرصات القيامة أو نظر لطف وجمال في الجنة إيذاناً بأن المسؤول هذا، (**والشوق إلى لقائك**) تقدم الكلام عليه قريباً (**وأعوذ بك من ضراء وفتنة مضلة**) تقدم تفسيرهما قريباً، (**اللهم زينا بزينة الإيمان**) وهي زينة الباطن ولا معول إلا عليها لأن الزينة زينتان زينة البدن وزينة القلب، وهي أعظمها قدراً وإذا حصلت حصلت زينة البدن على أكمل وجه في العقبى ولما كان كمال العبد في كونه عالماً بالحق متبعاً معلماً لغيره قال: (**اجعلنا مهتدين**) وفي روايه مهديين وصف الهداة بالمهتدين لأنه الهادي إذا لم يكن مهتدياً في نفسه لم يصلح كونه هادياً لغيره لأنه يوقع الخلق في الضلال من حيث لا يشعر. وهذا الحديث قد افرد بالشرح. قال العراقي: رواه النسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد من حديث عمار بن ياسر قال: كان رسول الله ﷺ يدعو به اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد وابن حبان في صحيحه وهذا السياق للنسائي، ورواه الحاكم في المستدرك من حديث عطاء بن السائب عن أبيه وقال: صحيح الإسناد.

(**اللهم اقسم لنا من خشيتك**) أي اجعل لنا منها نصيباً وقسماً والخشية خوف مقترن بتعظيم (**ما يحول**) أي يحجب ويمنع (**بيننا وبين معصيتك**) وفي رواية معاصيك لأن القلب إذا امتلأ من الخوف أحجمت الأعضاء جميعها عن ارتكاب المعاصي وبقدر قلة الخوف يكون الهجوم على المعاصي، فإذا قل الخوف واستولت الغفلة كان ذلك من علامة الشقاء، ومن ثم قالوا: المعاصي بريد الكفر كما أن القبلة بريد الجماع، والغنى بريد الزنا، والنظر بريد العشق، والمرض بريد الموت، وللمعاصي من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالعقل والبدن والدنيا والآخرة ما لا يحصيه إلا الله عز وجل، (**ومن طاعتك ما تبلغني به جنتك**) وفي نسخة رحمتك أي مع شمولنا برحمتك، وليست الطاعة وحدها مفيدة كما ورد في الخبر: لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته. (**ومن اليقين**) بك وبأنه لاراد لقضائك وقدرك (**ما تهون به**) أي تسهل (**علينا مصائب الدنيا**) بأن نعلم أن ما قدرته لا يخلو عن حكمة ومصلحة واستجلاب مثوبة، وأنه لا يفعل بالعبد شيئاً إلا وفيه صلاحه.

قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن، والنسائي في اليوم والليلة، والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ كان يختم مجلسه بذلك اهـ.

علينا مصائب الدنيا والآخرة. اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرقاً وأسكن في نفوسنا من عظمتك ما تذلل به جوارحنا لخدمتك واجعلك اللهم أحب إلينا ممن سواك واجعلنا اخشى لك ممن سواك. اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحاً وأوسطه فلاحاً وآخره نجاحاً. اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة ومغفرة.

قلت: رواه الترمذي في الدعوات عن علي بن حجر، عن ابن المبارك، عن يحي بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن خالد بن أبي عمران، عن ابن عمر وقال: حسن. وأقره النووي. وفيه: قال ابن عمر: قلما كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مجلس حتى يدعو بهذه الدعوات، ورواه عنه أيضاً النسائي عن سويد بن نصر، عن ابن المبارك وعبيد الله بن زحر ضعفوه. قال صاحب المنار: فالحديث لأجله حسن لا صحيح، ورواه ابن أبي الدنيا في الدعاء عن داود بن عمر، والضبي عن ابن المبارك، ولكن عند الجماعة زيادة بعد قوله مصائب الدنيا ومتعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا. وقد تقدم شيء من ذلك في آخر دعاء سيدنا عيسى عليه السلام.

(اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك خوفاً) وفي نسخة فرقاً، **(واسكن في نفوسنا من عظمتك)** أي جلالك وهيبتك **(ما تذلل بـه جـوارحنـا لخدمتـك)** وطـاعتـك **(واجعل حبك أحب إلينا مما سواك واجعلنا أخشى لك مما سواك)**. قال العراقي: هذا الدعاء لم أقف له على أصل اهـ.

قلت: ولكن يشهد له ما رواه أبو نعيم في الحلية، عن الهيثم بن مالك الطائي رضي الله عنه: اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي، واقطع عنا حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم فاقرر عيني من عبادتك، وما رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة: «اللهم اجعلني أخشاك حتى كأني أراك» الحديث.

(اللهم اجعل أول يومنا هذا صـلاحاً) أي لأحوالنا **(وأوسطه فلاحاً)** أي ظفراً بالمطلوب دنيا وأخرى **(وآخره نجاحاً)** أي فوزاً للسعادة الكاملة. **(اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة)**. قال العراقي: رواه عبد بن حميد في المنتخب، والطبراني من حديث ابن أبي أوفى بالشطر الأول فقط إلى قوله: «نجاحاً» وإسناده ضعيف.

قلت: والشطر الأول رواه أيضاً أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الدعاء عن ابن أخي ابن وهب، عن عمه، عن الليث بن سعد، وعقبة بـن نافع عن إسحاق بن أسيد عن أنس بن مالك قال: كلمات لا يدري أحد ما فيهن من الخير: «من قال حين يصبح أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله ﷺ. اللهم اجعل أول يومي هذا نجاحاً وأوسطه رباحاً وآخره فلاحاً».

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته وأظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وذريته وبارك على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته. كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. اللهم صلّ على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي رسولك الأمين وأعطه المقام المحمود الذي وعدته يوم الدين. اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منك

(الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته وخضع كل شيء لملكه واستسلم كل شيء لقدرته، والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته وأظهر كل شيء بحكمته وتصاغر كل شيء لكبريائه) قال العراقي: رواه الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله: « والحمد لله الذي سكن كل شيء لهيبته » الخ. وكذلك رواه في الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضاً اهـ.

قلت حديث أم سلمة في المعجم الكبير للطبراني بلفظ: « من قال حين يصبح الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته كتبت له عشر حسنات » وحديث ابن عمر هو أيضاً في المعجم الكبير.

ورواه ابن عساكر في التاريخ بلفظ: « من قال الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته، والحمد لله الذي ذل كل شيء لعزته، والحمد لله الذي خضع كل شيء لملكه، والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته فقالها يطلب بها ما عنده كتب الله له بها ألف حسنة ورفع له بها ألف درجة ووكل به سبعون ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة » وفيه أيوب بن نهيك منكر الحديث وقال الذهبي في الديوان: روي عن مجاهد تركوه.

(اللهم صلّ على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد) هكذا أورده القاضي عياض في الشفاء وهي أول صيغة ساقها في الدلائل بدون قوله: « وعلى آله » وتقدم في الباب الثاني.

(اللهم صلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي رسولك الأمين واعطه المقام المحمود يوم الدين) قال العراقي: لم أجده مجموعاً وللبخاري من حديث أبي سعيد: « اللهم صل على محمد عبدك ورسولك » ولابن حبان والدارقطني والحاكم والبيهقي من حديث أبي مسعود: « اللهم صلى على محمد النبي الأمي » قال الدارقطني: إسناده حسن، وقال الحاكم: صحيح، وقال البيهقي في المعرفة: إسناده صحيح، وللنسائي من حديث جابر: « وابعثه المقام المحمود الذي وعدته » وهو عند البخاري « وابعثه مقاماً محموداً » بهذا اللفظ.

(اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا بما

وصرفنا بحسن اختيارك لنا. نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه. اللهم بقدرتك عليّ تب علي إنك أنت التوّاب الرحيم وبحلمك عني اعف عني إنك أنت الغفار الحليم وبعلمك بي ارفق بي إنك أنت أرحم الراحمين وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي إنك أنت الملك الجبار. سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إنك أنت ربي ولا يغفر الذنوب إلا أنت. اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي. اللهم ارزقني حلالاً لا تعاقبني عليه وقنعني بما

يرضيك عنا ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا) قال العراقي: لم أقف له على أصل.

قلـت: وروى الحكيم الترمذي عن أبي هريرة، وأبو نعيم في الحلية عن الإوزاعي مرسلاً: « اللهم إني أسألك التوفيق لمحابك من الأعمال » الحديث.

(نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه) قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: « اللهم إني أسألك فواتح الخير وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة » فيه عاصم بن عبيد لا أعلمه روى عنه إلا موسى بن عقبة اهـ.

قلت: وروى الحاكم في المستدرك عن أم سلمة، عن النبي ﷺ هذا ما سأل محمد ربه: « اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه » فساقه وفي آخره « آمين » وقال: صحيح الإسناد.

(اللهم بقدرتك علي تب علي أنك أنت التواب الرحيم، وبحلمك عني اعف عني إنك أنت الغفار، وبعلمك بي ارفق بي إنك أنت الرحمن، وبملكك لي فلكني نفسي ولا تسلطها علي انك أنت الملك الجبار) قال العراقي: لم أقف له على أصل.

(سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سؤاً وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي أنك أنت ربي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت). قال العراقي: رواه البيهقي في الدعوات من حديث علي دون قوله: « ذنبي أنك أنت ربي » وقد تقدم في الباب الثاني اهـ.

قلت: وروى جعفر الفريابي في الذكر عن أبي سعيد الخدري: « من قال في مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ختمت بخاتم فلم يكسر إلى يوم القيامة ».

وروى النسائي والطبراني وأبو نعيم والحاكم والضياء عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه: « من قال سبحان الله وبحمده سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله أنت أستغفرك وأتوب إليك فإن قالها في مجلس ذكره كانت له كالطابع يطبع عليه ومن قالها في مجلس لغو كانت كفارة له ».

(اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عمـران بن

رزقتني واستعملني به صالحاً تقبله مني. أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة. يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك. ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني

حصين أن النبي ﷺ علمه لحصين وقال حسن غريب، ورواه النسائي في اليوم والليلة، والحاكم من حديث حصين وأبو عمران وقال صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: وفي الإصابة للحافظ ابن حجر في ترجمة والد عمران هو حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، روى النسائي عن ربعي عن عمران بن حصين عن أبيه أنه أتى النبي ﷺ قبل أن يسلم فقال يا رسول الله: فما أقول الآن وأنا مسلم؟ قال «قل اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت وما أخطأت وما عمدت وما علمت وما جهلت» وسنده صحيح.

(«اللهم ارزقني حلالاً لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحاً تقبله مني). قال العراقي: رواه الحاكم من حديث ابن عباس كان النبي ﷺ يدعو: «اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه واخلف لي على كل غائبة بخير» وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه اهـ.

قلت: رواه الحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعاً كما ذكر وله وابن أبي شيبة في المصنف وسعيد بن منصور في السنن، والأزرقي في تاريخ مكة عن ابن جبير قال كان من دعاء ابن عباس الذي لا يدع بين الركن والمقام أن يقول: «رب قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه واخلف على كل غائبة لي بخير» ولفظ سعيد والأزرقي: «واحفظني في كل غائبة بخير إنك على كل شيء قدير».

(أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة) قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة، وابن ماجه باسناد حسن من حديث أبي بكر الصديق بلفظ «سلوا الله المعافاة فإنه لم يؤت أحد بعد اليقين خيراً من المعافاة» وفي رواية للبيهقي في الدعوات «سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فإنه ما أوتي العبد بعد اليقين خيراً من العافية» وفي رواية لاحمد «أسألك الله العفو والعافية» اهـ.

قلت: وروى أحمد والحميدي والعوفي والترمذي وقال: حسن غريب، والضياء عن أبي بكر «سلوا الله العفو والعافية فإن أحدكم لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية» وما رواه البيهقي في الدعوات، فقد أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، وأحمد، والحاكم. وعند البيهقي أيضاً من حديث أبي بكر «سلوا الله اليقين والعافية».

(يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي ما لا يضرك واعطني ما لا ينقصك). قال العراقي: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف اهـ.

مسلماً وألحقني بالصالحين. أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين. واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير. ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين. ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا. ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربّنا إنك رؤوف رحيم. ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار. ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان ـ إلى قوله عز وجل ـ إنك لا تخلف الميعاد. ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ـ إلى آخر السورة ـ رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء عن عيسى بن أبي حرب، والمغيرة بن محمد عن عبد الأعلى بن حماد، عن الحسن بن الفضيل بن الربيع، عن عبد الله بن الفضل بن الربيع، عن الفضل بن الربيع، عن جعفر بن محمد الصادق في حديث طويل ذكر فيه هذه الجملة. ورواه عن عبد الله عن جده وقد وقع لي مسلسلاً بقول كل راو كتبته دعاء هو في جيبي ذكرناه في المسلسلات.

ثم شرع المصنف في أدعية القرآن فقال: (**ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين**) رب قد آتيني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والأرض. (**أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين، واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا، ربنا إنك أنت العزيز الحكيم، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين**) إلى هنا ذكر أدعية القرآن على ما أورده صاحب القوت، وتبعه الشهاب السهروردي في العوارف وهي من أحسن ما يدعو به الداعي في حال توجهاته، وتقدم ذكر بعضها مما حكى الله تعالى على لسان أنبيائه الكرام عليهم السلام في فصل مستقل في آخر فصل الدعاء: (**رب اغفر لي**

صغيراً واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والأموات. رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وأنت خير الغافرين وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم

ولوالديّ وارحمها كما ربياني صغيراً، واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات).

قال العراقي: رواه أبو داود، وابن ماجه باسناد حسن من حديث أبي أسيد الساعدي قال رجل من بني سلمة: هل بقي علي من بر أبوي شيء؟ قال: «نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما» الحديث. ولابي الشيخ في الثواب، والمستغفري في الدعوات من حديث أنس «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات رد الله عليه من كل مؤمن مضى من أول الدهر أو هو كائن إلى يوم القيامة» وسنده ضعيف. وفي حديث ابن حبان في حديث أبي سعيد «أيما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليقل في دعائه: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فانها زكاة» اهـ.

قلت: وروى الطبراني في الكبير عن عبادة بن الصامت مرفوعاً «من استغفر للمؤمنين والمؤمنين كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة».

وروي أيضاً عن أبي الدرداء مرفوعاً «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعاً وعشرين مرة أو خمساً وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به أهل الدين».

(«رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الاكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين»). قال العراقي: رواه أحمد من حديث أم سلمة أن رسول الله ﷺ كان يقول «رب اغفر وارحم واهدني السبيل الأقوم» وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه، وللطبراني في الدعاء من حديث ابن مسعود أنه ﷺ كان يقول إذا سعى في بطن المسيل «اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الاكرم» وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه، ورواه موقوفاً عليه بسند صحيح اهـ.

قلت: وروى أبو حفص الملاّ في سيرته عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في سعيه «رب اغفر واهدني السبيل الأقوم». وروى أيضاً عن امرأة من بني نوفل أن النبي ﷺ كان يقول بين الصفا والمروة «رب اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم» وأخرج سعيد بن منصور في السنن عن مسروق بن الأجدع، عن ابن مسعود انه اعتمر، فلما خرج إلى الصفا فذكر الحديث وفيه: فسعى وسعيت معه حتى جاوز الوادي وهو يقول «رب اغفر وارحم إنك أنت الاعز الأكرم» وأخرج أيضاً عن شقيق قال: كان عبد الله إذا سعى في بطن الوادي قال «رب اغفر وارحم إنك أنت الاعز الأكرم» وقد تقدم ذلك في كتاب الحج.

(وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم

الوكيل وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبي ﷺ:

اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر. اللهم إني أعوذ بك من طمع

الوكيل) هكذا ختم بهذه الجمل صاحب القوت الأدعية المتقدمة بعد أن أدخل خلالها جملاً من الصلاة والسلام على النبي ﷺ وعلى سائر الأنبياء والملائكة، ثم قال: هذا جامع ما جاء من فضائله. يقال من الدعاء عن الرسول المصطفى ﷺ وعن الصحابة وعن أئمة الهدى، وقدمنا ذكر فضائل ذلك وما جاء فيه من الروايات ايجازاً والله أعلم.

أنواع الاستعاذة المأثورة عن رسول الله ﷺ:

منها: (اللهم إني أعوذ بك) استعاذ مما عصم منه ليلتزم خوف الله واعظامه والافتقار إليه وليقتدي به وليبين صفة الدعاء، والباء للالصاق المعنوي والتخصيص، كأنه خص الرب تعالى بالاستعاذة، وقد جاء في الكتاب والسنّة: أعوذ بالله ولم يسمع بالله أعوذ لأن تقديم المعمول تفنن وانبساط، والاستعاذة حال خوف وقبض بخلاف الحمد لله ولله الحمد لانه حال شكر وتذكر إحسان ونعم. **(من البخل)** بضم فسكون اسم وبالتحريك المصدر وهو لغة امساك المقتنيات عما لا يحل حبسها عنه، وهو على قسمين: بخل بقنيات نفسه وبخل بقنيات غيره، وهو أكثرهما ذماً وشرعاً منع الواجب، **(وأعوذ بك من الجبن)** بضم فسكون هيئة حاصلة للقوّة الغضبية بها يحجم عن مباشرة ما ينبغي، **(وأعوذ بك من أن أرّد إلى أرذل العمر)** والأرذل: من كل شيء الرديء منه، والمراد بـأرذل العمر حال الهرم والخرف والعجز والضعف وذهاب العقل، قال الطيبي: المطلوب عند المحققين من العمر التفكر في آلاء الله ونعمائه من خلق الموجودات فيقوموا بواجب الشكر بالقلب والجوارح والخرف الفاقد لهما، فهو كالشيء الرديء الذي لا ينتفع به، فينبغي أن يستعاذ منه، **(وأعوذ بك من فتنة الدنيا)** من الابتلاء مع عدم الصبر والرضا والوقوع في الآفات والإصرار على الفساد وترك متابعة طريقة الهدى، **(وأعوذ بك من عذاب القبر)** أي عقوبته ومصدره التعذيب فهو مضاف للفاعل مجازاً، أو هو من إضافة المظروف لظرفه أي: ومن عذاب في القبر أضيف للقبر لأنه الغالب وهو نوعان: دائم ومنقطع.

قال العراقي: رواه البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص اهـ.

قلت: قال البخاري في صحيحه: حدثني إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا الحسن عن زائدة، عن عبد الملك، عن مصعب عن أبيه قال: تعوّذوا بكلمات كان النبي ﷺ يتعوّذ بهن: «اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من أن أردّ إلى أرذل العمر، واعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر».

يهدي إلى طبع ومن طمع في غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع. اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع وأعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ومن الخيانة فإنها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن أن

(اللهم إني أعوذ بك من طمع) وهو بالتحريك نزوع النفس إلى الشيء شهوة له **(يهدي إلى طبع)** محركة وهو الدنس، ولما كان أكثر الطمع من جهة الطبع قيل الطمع طبع والطمع يدنس الإهاب وأكثر ما يستعمل الطمع فيما يقرب حصوله، **(و)** أعوذ بك **(من طمع في غير مطمع، و)** أعوذ بك **(من طمع حيث لا مطمع)** إنما قيل ذلك لأن الطمع قد يستعمل بمعنى الأمل، ومنه قولهم: طمع في غير مطمع إذا أمل ما يبعد حصوله، لأنه قد يقع كل واحد موقع الآخر لتقارب المعنى ذكره الراغب.

وقال الحراني: الطمع تعلق البال بالشيء من غير تقدم سبب له وقال: العضد الطمع ذل ينشأ من الحرص والبطالة والجهل لحكمة الباري تقدس.

قال العراقي: رواه أحمد والحاكم من حديث معاذ وقال: مستقيم الإسناد.

(اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع) صاحبه وهو ما لم يؤذن في تعليمه أو ما لا يصحبه عمل أو ما لا يهذب الاخلاق الباطنة فيشرق منها إلى الاخلاق الظاهرة ويفوز بها إلى الثواب الآجل، وأنشدوا في هذا:

يا من تقاعد عن مكارم خلقه   ليس التفاخر بالعلوم الزاخرة
من لم يهذب علمه أخلاقه   لم ينتفع بعلومه في الآخرة

(و) من **(قلب لا يخشع)** أي لا يسكن لطاعة الله ولا يذل لهيبة جلال الله، **(و)** من **(دعاء لا يسمع)** أي لا يقبله الله ولا يعتدّ به فكأنه غير مسموع، **(ونفس لا تشبع)** لغلبة حرصها في جمع المال اشراً أو بطراً ولا تشبع من كثرة الأكل الجالبة لكثرة الأبخرة الموجبة للنوم، وكثرة الوساوس والخطرات النفسانية المؤدية إلى مضار الدنيا والآخرة، **(ومن الجوع)** الألم الذي ينال الحيوان من خلو المعدة، **(فإنه بئس الضجيع)** أي المضاجع لأنه يمنع استراحة البدن ويحلل المواد المحمودة بلا بدل ويشوش الدماغ ويثير الافكار الفاسدة والخيالات الباطلة ويضعف البدن عن القيام بالطاعة والمراد الجوع الصادق، وعلامته أن يكتفي بالخبز بلا آدام. **(ومن الخيانة)** هي مخالفة الحق بنقض العهد في السر، **(فإنها بئست البطانة)** أي بئس الشيء الذي يستبطنه من أمره ويجعله بطانة وهي من بطانة الثوب فاستعيرت لما يستبطن الرجل من أمره فيجعله بطانة حاله.

وقال الطيبي: خص الضجيع بالجوع لينبه على أن المراد الجوع الذي يلازمه ليلاً ونهاراً، ومن ثم حرم الوصال ومثله يضعف الإنسان عن القيام بوظائف العبادات والبطانة بالخيانة لأنها ليست

أردّ إلى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات. اللهم إنا نسألك قلوباً أوّاهة مخبتة منيبة في سبيلك. اللهم إني أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار. اللهم

كالجوع الذي يتضرر به صاحبه فحسب، بل هي سارية إلى الغير فهي وإن كانت بطانة لحاله لكن يجري سريانها إلى الغير مجرى الظهارة.

(ومن الكسل) بالتحريك التغافل عما لا ينبغي التشاغل عنه، **(والبخل والجبن)** تقدم ذكرهما، **(ومن الهرم)** محركة وهو علو السن والكبر بضعف البدن، **(ومن أن أردّ إلى أرذل العمر)** تقدم معناه، **(ومن فتنة الدجال)** أي من محنته. وأصل الفتنة الامتحان والاختبار استعيرت لكشف ما يكره، والدجال: فعال بالتشديد من الدجل التغطية سمي به لأنه يغطي الحق بباطله، **(وعذاب القبر)** تقدم الكلام عليه قريباً، **(ومن فتنة المحيا)** ما يعرض للمرء مدة حياته من الافتتان بالدنيا وشهواتها والجهالات أو هي الابتلاء مع زوال الصبر، **(والممات)** أي ما يفتن به عند الموت أضيفت له لقربها منه، والمراد فتنة القبر أي سؤال الملكين، والمراد من شر ذلك والجمع بين فتنة الدجال وعذاب القبر وبين فتنة المحيا والممات من باب ذكر العام بعد الخاص. **(اللهم إنا نسألك قلوباً أوّاهة)** أي متضرعة أو كثيرة الدعاء أو كثيرة البكاء **(مخبتة)** أي خاشعة مطيعة متواضعة **(منيبة)** راجعة إليك بالتوبة مقبلة عليك **(في سبيلك)** أي الطريق إليك **(اللهم إنا نسألك عزائم مغفرتك)** حتى يستوي المذنب التائب والذي لم يذنب قط في منازل الرحمة **(وموجبات رحمتك)** وفي رواية بدله منجيات أمرك، **(والسلامة من كل إثم)** أي معصية، **(والغنيمة من كل بر)** بالكسر أي خير وطاعة، **(والفوز بالجنة)** أي بنعيمها، **(والنجاة من النار)** أي من عذابها. وسبق أن هذا مسوق للتشريع وفيه دليل على ندب الاستعاذة من الفتن، ولو علم المرء انه يتمسك فيها بالحق لأنها قد تفضي إلى وقوع ما لا يرى بوقوعه وفيه رد لما اشتهر على الألسنة لا تكرهوا الفتن فإن فيها حصاد المنافقين. قال الحافظ ابن حجر: وقد سئل عنها قديماً ابن وهب فقال: إنه باطل اهـ.

والحديث المذكور قال العراقي رواه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال: صحيح الاسناد وليس كما قال إلا انه ورد مفرقاً في أحاديث جيدة الإسناد، ففي صحيح مسلم «التعوّذ من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعوة لا يستجاب لها» من حديث زيد بن أرقم وسيأتي اهـ.

قلت: وفي صحيح البخاري «التعوّذ من الكسل والهرم ومن عذاب النار وفتنة القبر وعذاب القبر وشر فتنة المسيح الدجال» من حديث عائشة. وروى الترمذي والنسائي عن ابن عمرو وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة والنسائي عن ابن عمرو وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة والنسائي عن أنس «التعوّذ من قلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس

إني أعوذ بك من التردي وأعوذ بك من الغم والغرق والهدم وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مُدبراً ، وأعوذ بك من أن أموت في تطلب الدنيا . اللهم إني أعوذ بك من شر ما

لا تشبع وعلم لا ينفع » وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة « اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فانها بئست البطانة » .

(اللهم إني أعوذ بك من التردي) أي السقوط من عال كالوقوع من شاهق جبل أو في بئر وهو تفعل من الردى وهو الهلاك ، **(وأعوذ بك من الغم)** وأصله الستر وإنما سمي الحزن غماً لأنه يغطي السرور ، **(والهدم)** بفتح فسكون وهو وقوع البناء وسقوطه ، ويروى بالتحريك وهو اسم ما انهدم منه ، **(والغرق)** بالتحريك الموت غرقاً في الماء ، **(وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبراً)** عن الحق أو مولياً عن قتال الكفار حيث حرم القرار وهذا تعليم للأمة ، **(وأعوذ بك من أن أموت طالب دنيا)** .

قال العراقي : رواه أبو داود ، والنسائي والحاكم وصحح اسناده من حديث أبي اليسر ، واسمه كعب بن عمرو بزيادة فيه دون قوله « وأعوذ بك من أن أموت طالب دنيا » وتقدم عن البخاري « الاستعاذة من فتنة الدنيا » اهـ .

قلت : ولفظ سوى أبي داود « اللهم إني أعوذ بك من التردي والهرم والغرق والحرق ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً ، وأعوذ بك أن أموت لديغاً » وراويه أبو اليسر بياء تحتية وسين مهملة محركة من مسلمة الفتح وقتل يوم اليمامة ، ولفظ أبي داود كان رسول الله ﷺ يدعو « اللهم إني أعوذ بك من الهدم ، وأعوذ بك من التردي ، وأعوذ بك من الغرق والحرق والهرم » والباقي سواء . وفي رواية للحاكم ولأبي داود « والغم » كما في سياق المصنف : **(اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم)** هكذا في نسخ الكتاب ، وكذلك في القوت ، وتبعه صاحب العوارف . وقال العراقي : هكذا هو في غير نسخة علمت واعلم ، وإنما هو عملت واعمل كذا رواه مسلم من حديث عائشة ، ولأبي بكر بن الضحاك في الشمائل من حديث مرسل في الاستعاذة وفيه « وشر ما أعلم وشر ما لم أعلم » اهـ .

وكذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه ولفظهم أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه « اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت وشر ما لم أعمل » وما ذكره المصنف من تقديم اللام على الميم هو هكذا في رواية للنسائي « من شر ما علمت ولم أعلم » كذا ذكره ابن الإمام في سلاح المؤمن ، فلا حاجة إلى الاستدلال بخبر مرسل مع وجود هذه الرواية في إحدى الستة .

وروى أبو داود والطيالسي من حديث جابر بن سمرة « اللهم إني أسألك من الخير كله ما

علمت ومن شر ما لم أعلم. اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأدواء والأهواء. اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء. اللهم إني

علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم» وهذا أيضاً شاهد جيد لرواية النسائي، فنسبة الشيخ المناوي المصنف إلى المخالفة فيه نظر لا يخفى.

(اللهم جنبني منكرات الاخلاق) كحقد وبخل وحسد وجبن ونحوها، **(والاعمال)** من نحو زنا وقتل وشرب خمر وسرقة ونحوها **(والأدواء)** جمع داء من نحو جذام وبرص وسل واستسقاء وذات جنب ونحوها، **(والأهواء)** جمع هوى مقصور هوى النفس والإضافة إلى القرينتين الأولين إضافة الصفة الى الموصوف قاله الطيبي. وعطف الاعمال على الاخلاق وعطف ما بعد الأعمال عليها من باب الترقي في الدعاء إلى ما يعم نفسه، وهذه المنكرات منها لا ينفك عنه غير المعصوم في منقلبه، ومنها ما يعظم الخطب فيه حتى يصير منكراً يشار إليه بالأصابع، وذكر هذا مع عصمة الانبياء تعليم للأمة.

قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه، واللفظ له من حديث قطبة بن مالك اهـ.

قلت: وكذا رواه الطبراني في الكبير، وابن حبان في الصحيح ولفظهم جميعاً عن زياد بن علاقة عن عمه قطبة بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء» ورواه الحاكم وزاد في آخره «والادواء» وقال: صحيح على شرط مسلم، وليس لقطبة في الكتب الستة سوى حديثين أحدهما: هذا.

(«اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء) أي شدة الابتلاء مع عدم الصبر والجهد بالضم وبالفتح وهي الحالة التي يمتحن بها الإنسان أو بحيث يتمنى الموت ويختاره عليها أو قلة المال وكثرة العيال أو غير ذلك، وقد تقدم لهذا بحث في كتاب الزكاة. **(ودرك الشقاء)** بفتح الراء وسكونها اسم من الإدراك لما يلحق الإنسان من تبعة والشقاء هو الهلاك، ويطلق على السبب المؤدي إلى الهلاك. وقيل: هو واحد دركات جهنم، والمعنى من موضع أهل الشقاوة وهي جهنم أو من يحصل لنا فيه شقاوة أو هو مصدر إما مضاف إلى المفعول أو إلى الفاعل أي من درك الشقاء إيانا أو من دركنا الشقاء، **(وسوء القضاء)** أي المقضي لأن قضاء الله كله حسن لا سوء فيه وهذا عام في أمر الدارين، **(وشماتة الاعداء)** أي فرحهم ببلية تنزل بعد وهم وسرورهم مما حل بهم من الرازيا والبلايا، وهذه الخصلة الأخيرة تدخل في عموم كل واحدة من الثلاثة قبلها وكل واحد من الثلاثة مستقلة فإن كل أمر يكون يلاحظ فيه جهة المبدأ وهو سوء القضاء وجهة المعاد وهو درك الشقاء وجهة المعاد وهو جهد البلاء وشماتة الأعداء يقع بكل منها.

أعوذ بك من الكفر والدّين والفقر، وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال. اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وشر لساني وقلبي وشر منيّي. اللهم

قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وكذلك رواه النسائي فالبخاري رواه في كتاب القدر وغيره ومسلم في الدعوات كلهم بلفظ: « تعوّذوا بالله » بدل « اللهم إني أعوذ بك ».

(اللهم إني أعوذ بك من الكفر) بسائر أنواعه جحداً وعناداً **(والدَّين)** حيث لا وفاء سيما مع الطلب، **(والفقر)** هو فقر المال أو فقر النفس، **(وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال)**.

قال العراقي: رواه النسائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد من حديث أبي سعيد الخدري: عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول « أعوذ بالله من الكفر والدّين » وفي رواية للنسائي من الكفر والفقر، ولمسلم من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ « انه كان يتعوّذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال » وللشيخين من حديث عائشة قال فيه « ومن شر فتنة المسيح الدجال » اهـ.

قلت: والتعوّذ من الفقر والفاقة والذلة جاء في حديث أبي هريرة عند أبي داود والنسائي، وابن ماجه، والحاكم. وعند الطبراني في السنة من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر « اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم واسمك العظيم من الكفر والفقر » وعند الحاكم من حديث أبي بكرة في حديث « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت » وللجماعة من حديث عائشة « وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال » وعند الحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه من حديثها « وأعوذ بك من الفقر والكفر » وعند البخاري والترمذي والنسائي من حديث مصعب بن سعد عن أبيه « وأعوذ بك من فتنة الدنيا ـ يعني فتنة الدجال ـ وأعوذ بك من عذاب القبر » وحديث أبي سعيد الذي عند النسائي فيما أشار إليه العراقي لفظه، سمعت رسول الله ﷺ يقول « أعوذ بالله من الكفر والدّين » قال رجل يا رسول الله: أيعدل الدين بالكفر؟ فقال رسول الله ﷺ: « نعم ». هذا لفظ النسائي، ورواه الحاكم وابن حبان في صحيحيهما وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري ومن شر لساني) أي نطقي، فإن أكثر الخطايا منه وهو الذي يورد المرء المهالك، وخص هذه الجوارح لأنها مناط الشهوة ومثار اللذة، **(و)** من شر **(قلبي)** يعني نفسي والنفس مجمع الشهوات والمفاسد بحب الدنيا والرهبة من الخلق وخوف فوت الرزق والامراض القلبية من نحو حسد وحقد وطلب رفعة، وغير ذلك، **(و)** من **(شر منيّي)** يعني من شر شدة الغلمة وسطوة الشهوة إلى الجماع الذي إذا أفرط ربما أوقع في الزنا أو مقدماته لا محالة، فهو حقيق بالاستعاذة من شره، وخص هذه الاشياء بالاستعاذة لأنها أصل كل شر وقاعدته ومنبعه.

إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول. اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمعة والرياء، وأعوذ بك من الصمم

قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي والحاكم وصحح اسناده من حديث شكل بن حميد العيسى اهـ.

قلت: لفظ الترمذي قال: شكل بن حميد قلت يا رسول الله علمني تعوذاً أتعوّذ به قال: فأخذ بكفي فقال « قل اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيّي » يعني فرجه. وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث سعد بن أوس عن بلال بن يحي اهـ. كلام الترمذي وشكل بالتحريك له صحبة ولم يرو عنه إلا ابنه شتير.

قال صاحب سلاح المؤمن وليس لشكل في الكتب الستة إلا هذا الحديث.

(**اللهم إني أعوذ بك من جار السوء**) أي من شره (**في دار المقامة**) فإنه هو الشر الدائم والأذى الملازم، (**فإن جار البادية يتحوّل**) لقصر مدته فلا يعظم الضرر فيها. وفي رواية للطبراني جار السوء في دار الإقامة قاصمة الظهر.

قال العراقي: رواه النسائي والحاكم من حديث أبي هريرة وقال: صحيح على شرط مسلم اهـ.

قلت: واللفظ للحاكم وفيه: أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه فساقه ورواه ابن ماجه أيضاً في صحيحه.

(**اللهم إني أعوذ بك من القسوة**) أي غلظ القلب وصلابته (**والغفلة**) أي ذهول القلب عن ذكر الله تعالى إهمالاً وإعراضاً، (**والعيلة**) أي الاحتياج وقلة ذات اليد (**والذلة**) بالكسر الهوان على الناس ونظرهم إلى الإنسان بعين الاحتقار والاستخفاف به، (**والمسكنة**) قلة المال وسوء الحال، (**وأعوذ بك من الفقر**) فقر النفس لا ما هو المتبادر من معناه من اطلاقه على الحاجة الضرورية، فإن ذلك يعم كل موجود: يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله، (**والكفر**) عناداً أو جحداً أو تديناً وأورده عقب الفقر لأنه يفضي إليه، (**والفسوق**) الخروج عن الاستقامة والجور، (**والشقاق**) مخالفة الحق بأن يصير كل من المنازعين في شق أي ناحية كأن كل قرين يحرص على ما يشق على الآخر (**والنفاق**) الحقيقي أو المجازي، (**والسمعة**) بالضم التنويه بالعمل ليسمعه الناس، (**والرياء**) بالكسر اظهار العبادة ليراها الناس فيحمدوه، فالسمعة أن يعمل لله خفية ثم يتحدث به تنويهاً، والرياء أن يعمل لغير الله، وذكر هذه الخصال لكونها أقبح خصال الناس فاستعاذته منها إبانة عن قبحها وزجر للناس عنها بألطف وجه وأمر بتجنبها بالالتجاء إلى الله، (**وأعوذ بك من الصمم**) بطلان السمع أو ضعفه، (**والبكم**) أي الخرس أو هو ان يولد لا ينطق ولا يسمع والخرس أن يخلق بلا نطق، (**والجنون**) زوال العقل، (**والجذام**) علة تسقط الشعر وتفتت اللحم وتجري الصديد منه، (**والبرص**) محركة علة

والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص وسيىء الأسقام. اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحوّل عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك. اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر

تحدث في الاعضاء بياضاً رديئاً، **(وسيء الأسقام)** أي الامراض الرديئة كالاستسقاء والسل والمرض المزمن أي الاسقام السيئة فهو من اضافة الصفة للموصوف.

قال التوربشتي: ولم يستعذ من سائر الأسقام لأن منها ما اذا تحامل الانسان فيه على نفسه بالتصبر خفف مؤنته كحمى وصداع ورمد، فلذلك استعاذ من السقم المزمن الذي ينتهي صاحبه إلى حال يفر منه الحميم ويقل دونه المؤانس والمداوي مع ما يورث من الشين.

قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي مقتصرين على الأربعة الأخيرة والحاكم بتمامه من حديث أنـس وقال: صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: أصل الحديث عند البخاري، ومسلم، وأبي داود، والنسائي بلفظ: كان نبي الله ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات». وزاد الحاكم وابن حبان فيه «والقسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والسمعة والرياء، وأعوذ بك من الصم والبكم والجنون والجذام وسيء الاسقام» هذا لفظ الحاكم، وبمثله رواه البيهقي في كتاب الدعوات. وروى أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة «اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق». وروى أحمد وأبو داود والنسائي من حديث أنس «اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام ومن سيء الاسقام».

(اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك) أي ذهابها مفرد في معنى الجمع يعم النعم الظاهرة والباطنة والنعمة كل ملائم تحمد عاقبته، ومن ثم قالوا: لا نعمة لله على كافر بل ملاذه استدراج والاستعاذة من زوال النعم يتضمن الحفظ عن الوقوع في المعاصي لأنها تزيلها، **(ومن تحول عافيتك)** أي تبدلها ويفارق الزوال التحول بأن الزوال يقال في كل شيء ثبت لشيء ثم فارقه، والتحويل تغيير الشيء وانفصاله من غيره فكأنه سأل دوام العافية وهي السلامة من الآلام والأسقام، **(ومن فجاءة)** بالضم والمدّ بغتة **(نقمتك)** بكسر فسكون غضبك وعقوبتك، **(ومن جميع سخطك)** أي سائر الأسباب الموجبة لذلك، فإذا انتفت أسبابها حصلت اضدادها ولا مانع من ارادة السبب والمسبب معاً لأن المسبب قد يحصل فيعفى عنه ﴿إن الله لا يغفرُ أن يشركَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨] وهذا مقول على منهج التعليم لغيره.

قال العراقي: رواه مسلم من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو داود والنسائي ولفظهم سواء إلا عند أبي داود «وتحويل عافيتك».

(اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار) أي احراقها بعد فتنتها، **(وفتنة النار)** سؤال

فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من المغرم والمأثم. اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب، وأعوذ بك من شر الغم ومن ضيق

خزنتها وتوبيخهم، **(وعذاب القبر)** استعاذ منه لأنه أوّل منزل من منازل الآخرة، فسأل الله تعالى أن لا يتلقاه في أوّل قدم يضعه في الآخرة في قبره عذاب ربه، **(وفتنة القبر)** التحير في جواب الملكين وهو من عطف العام على الخاص فعذابه قد ينشأ عن فتنته بأن يتحير فيعذب لذلك، وقد يكون لغيرها كأن يجيب بالحق ولا يتحير ثم يعذب على تفريطه في بعض المأمورات أو المنهيات. وقال الطيبي: قوله وفتنة النار أي فتنة تؤدي إلى عذاب النار وإلى عذاب القبر لئلا يتكرر إذا فسرنا بالعذاب، **(وشر فتنة الغنى)** أي البطر والطغيان وصرف المال في المعاصي، **(وشر فتنة الفقر)** حسد الأغنياء والطمع فيما لهم والتذلل لهم بما يدنس العرض ويثلم الدين ويوجب عدم الرضا بما قسم، **(وشر فتنة المسيح الدجال)** سمي الدجال مسيحاً لكون إحدى عينيه ممسوحة أو لمسح الخير منه فعيل بمعنى مفعول أو لمسحه الأرض أي قطعها في أمد قليل فهو بمعنى فاعل، وفي ذكر الدجال احتراز عن عيسى عليه السلام إنما استعاذ منه مع كونه لا يدركه نشراً لخبره بين أمته جيلاً بعد جيل لئلا يلتبس كفره على مدركه، **(وأعوذ بك من المغرم)** أي مغرم الذنوب والمعاصي أو هو الدين فيما لا يحل أو فيما يحل، لكن يعجز عن وفائه امادين احتاجه وهو يقدر على أدائه فلا استعاذة منه، أو المراد الاستعاذة عن الاحتياج إليه، **(والمأثم)** أي مما يأثم به الإنسان أو مما فيه إثم أو مما يوجب الإثم نفسه وضعاً للمصدر موضع الاسم.

قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة اهـ.

قلت: وكذلك رواه الترمذي بتقديم وتأخير والنسائي وابن ماجه مختصراً والحاكم بزيادة ولفظ الجماعة أن النبي ﷺ كان يقول. « اللهم إني أعوذ بـك من الكسل والهرم والمغرم والمأثم اللهم إني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة القبر وعذاب القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر ومن شر فتنة المسيح الدجال » الحديث. وفي الصحيح قال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله؟ قال « إن الرجل إذا غرم حدّث فكذب ووعد فأخلف ».

(اللهم إن أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع) تقدم الكلام عليها قريباً **(وصلاة لا تنفع)** أي صاحبها بقلة الخشوع فيها فتلف كما يلف الثوب ويرمى بها على وجه صاحبها، أو المراد بالصلاة الدعاء ومعنى لا تنفع لا تسمع، **(ودعوة لا تستجاب)** أي لا يستجاب لها، **(وأعوذ بك من شر الغمر)** بكسر الغين المعجمة الحقد كذا ضبط أو هو بضم العين المهملة كما سيأتي وفي بعضها « من شر الغم ». **(ومن ضيق الصدر)** هو عدم انفساحه لقبول الإيمان قاله العراقي. رواه مسلم من حديث زيد بن أرقم في أثناء حديث « اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لا تشبع وعمل لا يرفع ودعوة لا يستجاب لها » ولأبي داود من حديث أنس « اللهم إني أعوذ بك من صلاة لا تنفع » وشك أبو المعتمر في سماعه من أنس، وله وللنسائي باسناد جيد من حديث عمر في أثناء حديث « وأعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر » اهـ.

الصدر . اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدّين وغلبة العدوّ وشماتة الأعداء . وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين آمين .

قلت : وحديث زيد بن أرقم المشار إليه رواه أيضاً الترمذي والنسائي ولفظه « لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول : اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر . اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها . اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها » . ورواه كذلك أحمد وعبد بن حميد وتقدم مثل هذه الجمل الأخيرة من حديث ابن مسعود قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ يقول « اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع » وفيه زيادة تقدم ذكرها .

وروى الترمذي والبيهقي من حديث علي : كان أكثر ما دعا به رسول الله ﷺ عشية عرفة « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر » قال الترمذي : وليس إسناده بالقوي ، وحديث عمر بن الخطاب الذي أشار إليه العراقي قد رواه أيضاً ابن ماجه وابن حبان في الصحيح ، ولفظ أبي داود : « كان النبي ﷺ يتعوّذ من خمس من الجبن والبخل وسوء العمر وفتنة الصدر وعذاب القبر » .

(**اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدّين**) ثقله وشدته وذلك حيث لا وفاء سيما مع الطلب ، وفي بعض الآثار ما دخل هم الدين قلباً إلا أذهب من العقل ما لا يعود ، (**وغلبة العدوّ**) أي تسلطه والعدوّ من يفرح بمصيبته ويحزن بمسرته وقد يكون من الجانبين أو أحدهما ، (**وشماتة الأعداء**) أي فرحهم بمصيبته وختم بهذه الكلمة البديعة لكونها جامعة متضمنة لسؤال الحفظ من جميع المعاصي .

قال بعض العارفين : إنما حسن الدعاء بدفع شماتة الأعداء لأن من له صيت عند الناس وتأمل وجد نفسه بينهم كبهلوان يمشي على حبل عال بقبقاب ، وجميع الاقران والحساد واقفون ينتظرون متى يزلف ثم من أشق ما على الزالف أن يغلب عليه رعاية مقامه عند الخلق فإنه يذوب قهراً بخلاف من يراعي الحق فإن الأذى يخف عليه ولو أظهر كلهم الشماتة ، فلذلك خف على العارف أثر شماتة الاعداء وثقل على المحجوب ، وإنما قال ﷺ ذلك خوفاً على اتباعه من التفرقة وقلة انتفاع المؤلفة إذا قل تعظيمه لا لكونه يتأثر مراعاة لحظ نفسه لعصمته من ذلك والله أعلم .

قال العراقي : رواه النسائي والحاكم من حديث عبد الله بن عمر وقال : صحيح على شرط مسلم اهـ .

قلت : ولفظه أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات « اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدوّ وشماتة الاعداء » وكذا رواه أحمد والطبراني ، ورواه ابن حبان في صحيحه ولفظه غلبة العباد .

الباب الخامس

في الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث:

إذا أصبحت وسمعت الأذان فيستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا أدعية دخول الخلاء والخروج منه وأدعية الوضوء في كتاب الطهارة. فإذا خرجت إلى المسجد فقل: « اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي لساني نوراً واجعل في سمعي نوراً واجعل في بصري نوراً واجعل خلفي نوراً وأمامي نوراً واجعل من فوقي نوراً. اللهم أعطني نوراً »، وقل أيضاً:

الباب الخامس

في الأدعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث

(**واذا أصبحت وسمعت الأذان يستحب لك جواب المؤذن**) فتقول مثل ما يقول، (**وقد ذكرناه وذكرنا أدعية دخول**) بيت (**الخلاء و**) أدعية (**الخروج منه و**) كذا (**أدعية الوضوء**) كل ذلك (**في كتاب**) أسرار (**الطهارة**) على وجه التفصيل، لأن المقام اقتضى ذكرها هنالك، والذي يناسب ذكره هنا أدعية الخروج من المنزل إلى المسجد لقصد الصلاة فأشار إليه بقوله: (**فإذا خرجت**) من منزلك (**إلى المسجد فقل « اللهم اجعل في قلبي نوراً**) أي عظيماً كما يفيده التنكير، (**وفي لساني نوراً**) يعني في نطقي استعاره للعلم والهداية **فهو** على وزن: ﴿فهو على نور من ربه﴾ [الزمر: ٢٢] ﴿وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾ [الأنعام: ١٢٢] (**وفي سمعي نوراً**) ليصير مظهر الله مسموع ومدركاً لكل كمال لا مقطوع ولا ممنوع، (**واجعل في بصري نوراً**) ليتحلى بانوار المعارف وتتجلى له صنوف الحقائق، **فهو** راجع إلى البيان والهداية ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾ [النور: ٣٥] وخص هؤلاء الثلاثة « بفي » الظرفية لأن القلب مقر الفكر في آلاء الله ونعمائه ومكانها منه ومعدنها. والاسماع مراسي أنوار وحي الله تعالى ومحط آياته المنزلة على عباده، والبصر مسارح آيات الله المنصوبة المبثوثة في الآفاق والانفس ومحلها (**و**) اجعل من (**أمامي نوراً و**) من (**خلفي نوراً و**) اجعل من (**فوقي نوراً**) لأكون محفوفاً بالنور من سائر الجهات، فكأنه سأل أن يزج به في النور زجاً تتلاشى عنده الظلمات وتنكشف له المعلومات ويشاهد بكل جارحة منه سائر المبصرات. (**اللهم اعطني نوراً »**) عظيماً لا يكتنه كنهه لأكون دائم السير والترقي في درجات المعارف، فالقصد طلب مزيد النور ليدوم له الترقي في السير، وأراد بالنور العظيم الجامع للأنوار كلها وغيرها كانوار الأسماء الإلهية وأنوار الارواح.

« اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا إليك ، فإني لم أخرج أشراً ولا

وقال الطيبي : معنى طلب النور للأعضاء عضواً عضواً أن تتحلى بأنوار المعرفة والطاعة وتتعرى عن ظلمة الجهالة والمعصية لأن الإنسان ذو شهوة وطغيان رأى أنه قد أحاطت به ظلمات الجبلة معتورة عليه من فوقه إلى قدمه ، والأدخنة الثائرة من نيران الشهوات من جوانبه ورأى الشيطان يأتيه من جميع جهاته بوساوسه وشبهاته ظلمات بعضها فوق بعض لم ير للتخلص منها مساغاً إلاَّ بأنوار سادة لتلك الجهات ، فسأل الله أن يسدده بها ليستأصل شافة تلك الظلمات ارشاداً للأمة وتعليماً لهم ، وهذه الأنوار كلها راجعة إلى هداية وبيان ، وإلى مطالع هذه الانوار يشير قوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض﴾ إلى قوله ﴿نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾ [النور : ٣٥] وإلى أودية تلك الظلمات يلمح قوله تعالى ﴿أو كظلمات في بحر لجيّ﴾ إلى قوله ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾ [النور : ٤٠] وقوله ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ [النور : ٤٠] وقال الاكمل النور الذي فوقه تنزل روحي إلهي بعلم غريب لم يسبقه خبر ولا يعطيه نظر ، والذي خلفه الذي يسعى بين يديه اتباعه.

قال العراقي : الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس اهـ.

قلت : قال أبو نعيم في المستخرج : حدثنا أبو محمد بن حبان ، حدثنا محمد ابن يحي يعني ابن منده ، حدثنا أبو كريب ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن حصين هو ابن عبد الرحمن ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : رقدت عند النبي ﷺ . فذكر الحديث في صلاة النبي ﷺ بالليل ، وقراءته الآيات من آخر سورة آل عمران وفيه : « ثم أتاه المؤذن فخرج وهو يقول اللهم اجعل في قلبي نوراً . وفي بصري نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وفي لساني نوراً ، وعن يميني نوراً ، وعن يساري نوراً ، ومن أمامي نوراً ، ومن خلفي نوراً وأعظم لي نوراً » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن واصل بن عبد الأعلى وأبو داود عن عثمان بن أبي شيبة وابن خزيمة عن هارون بن إسحاق ثلاثتهم عن محمد بن فضيل ، ووقع في رواية مسلم « من فوقي ومن تحتي » بدل « عن يميني وعن يساري » كما هو عند المصنف ، ووقع عنده أيضاً « واعطني » بدل « واعظم لي » كما هو عند المصنف . وكذا رواه أبو داود من رواية هشام عن حصين لكن قال « واعظم لي نوراً » واختلف الرواة على علي بن عبدالله وعلى سعيد بن جبير وغيرهما عن ابن عباس في محل هذا الدعاء : هل هو عند الخروج إلى الصلاة أو قبل الدخول فيها أو في أثنائها أو عقب الفراغ منها ويجمع باعادته ، وقد أوضحه الحافظ في فتح الباري.

(وقل : « **اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك**) وهم المتضرعون إلى الله تعالى بخالص طوياتهم ، (**وبحق ممشاي هذا إليك**) الممشى مصدر ميمي بمعنى المشي وهو الانتقال من مكان إلى مكان بارادة ، والمراد بالحق في الموضعين الجاه والحرمة كما تقدمت الإشارة إليه في آخر كتاب العقائد . إذ لاحق لمخلوق على الخالق وقوله : « إليك » أي إلى بيتك . (**لم أخرج**) من منزلي (**أشراً**) محركة كفر النعمة (**ولا بطراً**) محركة بمعناه ، وقيل : الأشر شدة البطر فهو أبلغ منه ،

بطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت». فإن خرجت من المنزل لحاجة فقل: «بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي. بسم الله

والبطر أبلغ من الفرح إذ الفرح وإن كان مذموماً غالباً فقد يحمد على قدر ما يجب، وفي الموضع الذي يجب فبذلك فليفرحوا وذلك لأن الفرح قد يكون من سرور بحسب قضية العقل. والأشر لا يكون إلا فرحاً بحسب قضية الهوى، **(ولا رياء ولا سمعة)** قد تقدم تفسيرهما قريباً **(خرجت اتقاء)** أي حذر **(سخطك)** وهو الغضب الشديد المقتضي للعقوبة، والمراد هنا انزال العذاب **(وابتغاء)** أي طلب **(مرضاتك)** أي رضاك، **(فاسألك أن تنقذني)** أي تخلصني **(من النار)** أي من عذابها **(وأن تغفر ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»)** قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري باسناد حسن اهـ.

قلت: رواه ابن ماجه، عن محمد بن يزيد بن ابراهيم، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية هو العوفي، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «إذا خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشراً» وساقه كسياق المصنف، ثم قال «وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له وأقبل الله عليه بوجهه حتى يقضي صلاته». وأخرجه أحمد عن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق، وهو في كتاب الدعاء للطبراني عن بشر بن موسى عن عبد الله بن صالح العجلي عن فضيل بن مرزوق. وروواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد من رواية محمد بن فضيل بن غزوان، ومن رواية أبي خالد الأحمر. وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني من رواية أبي نعيم الكوفي كلهم عن فضيل بن مرزوق، وعطية العوفي صدوق في نفسه حسن له الترمذي عدة أحاديث بعضها من أفراده، وإنما ضعف من قبل التشيع ومن قبل التدليس.

وقد روي نحو هذا عن بلال رضي الله عنه قال أبو بكر بن السني: حدثنا محمد بن عبدالله البغـوي، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا علي بن ثابت الجزري، عن الوازع بن نافع، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، عن بلال رضي الله عنه مؤذن النبي ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا خرج إلى الصلاة قال «بسم الله آمنت بالله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا فإني لم أخرجه أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك. أسألك أن تعيذني من النار وتدخلني الجنة». وأخرجه الدارقطني في الإفراد من هذا الوجه وقال: تفرد به الوازع، وقد قال أبو حاتم وغيره أنه متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها غير محفوظة.

(وإن خرجت من المنزل لحاجة فقل «بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم) أحداً من الناس **(أو أظلم)** أي يظلمني احد **(أو أجهل)** أي أمور الدين **(أو يُجهل عليّ)** بضم الياء التحتية أي ما يفعل الناس من إيصال الضرر بي.

الرحمن الرحيم لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم بسم الله التكلان على الله» **فإذا** انتهيت إلى المسجد تريد دخوله فقل: «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وسلم. اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك» وقدم رجلك اليمنى في الدخول، **فإذا**

قال الطيبي: من خرج من منزله لا بدّ أن يعاشر الناس ويزاول الأمور فيخاف العدل عن الصراط المستقيم، ففي أمور الدنيا بسبب التعامل معهم بأن يظلم أو يظلم، وأما لحق بسبب الخلطة والصحبة فأما أن يجهل أو يجهل عليه فاستعاذ من ذلك كله بلفظ وجيز ومتن رشيق مراعياً للمقابلة المعنوية والمشاكلة اللفظية اهـ.

وقيل: معنى أجهل أويُجهل علي أفعل بالناس فعل الجهال من الايذاء والاضلال أو المراد الحال التي كانت العرب عليها قبل الاسلام من الجهل بالشرائع والتفاخر في الانساب والتعاظم بالاحساب والكبر والبغي ونحوها.

قال العراقي: رواه أصحاب السنن من حديث أم سلمة. قال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد والحاكم وصححه وابن عساكر في التاريخ إلا أنه زاد «أو أبغي أو يُبغي علي» وفي بعض رواياتهم زيادة «أن أزل أو أضل» قبل قوله «أن أظلم». وفي رواية للنسائي كان إذا خرج من بيته قال «بسم الله اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل أو نظلم أو نظلم أو نجهل أو يجهل علينا». (**بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوّة إلا بالله**) أي لا حيلة ولا قوّة إلا بتيسيره ومشيئته (**التكلان**) بالضم أي الاعتماد (**على الله»**).

قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ كان إذا اخرج من منزله قال «بسم الله». فذكره إلا أنه لم يقل «الرحمن الرحيم» وفيه ضعف اهـ.

قلت: وكذلك أخرجه الحاكم وابن السني. وروى الطبراني في الكبير من حديث بريدة الاسلمي رضي الله عنه رفعه كان إذا خرج من بيته قال «بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوّة إلا بالله. اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أُضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يُجهل علي أو أبغي أو يُبغى علي» وقد تقدم ذكر أدعية الخروج في كتاب الحج وبسطت عليه الكلام هنـاك.

(**فإذا انتهيت إلى المسجد تريد دخوله فقل «اللهم صلّ على محمد وسلم. اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك»**) قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه من حديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ. قال الترمذي حسن وليس إسناده بمتصل، ولمسلم من حديث أبي حميد أو أبي أسيد إذا دخل أحدكم المسجد فليقل «اللهم افتح لي أبواب رحمتك» وزاد أبو داود في أوله «فليسلم على النبي ﷺ» اهـ.

قلت: أما حديث فاطمة رضي الله عنها، فقال الطبراني في الدعاء: أخبرنا إسحاق بن ابراهيم، عن عبد الرزاق، عن قيس بن الربيع، عن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسن، عن

....

فاطمة الكبرى رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال «اللهم صلّ على محمد وسلم واغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك» وإذا خرج قال مثلها لكنه يقول «أبواب فضلك».

وقد روي من وجه آخر فيه الحمد والتسمية والصلاة والتسليم. قال أبو بشر الدولاني: حدثنا محمد بن عوف، حدثنا موسى بن داود، حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال «بسم الله والحمد لله وصلى الله على النبي وسلم. اللهم أغفر لي» فذكر مثل الذي قبله، لكن قال سهل بدل افتح في الموضعين. ورواة هذا الاسناد ثقات إلا أن فيه الإنقطاع الذي يأتي ذكره، وقد شذّ صالح بن موسى الطلحي، فرواه عن عبد الله بن الحسن عن أمه عن أبيها الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب أخرجه أبو يعلى من طريقه، وصالح ضعيف.

وقد روي هذا الحديث من وجه آخر، قال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا ابراهيم بن يوسف الصيرفي، أنبأنا سعيد بن الحسن، عن عبد الله بن الحسن، عن أمه، عن جدتها فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد حمد الله وسمى وقال: «اللهم اغفر وافتح لي أبواب رحمتك» وإذا خرج قال مثل ذلك. وقال أبواب فضلك. وأخرجه ابن السني عن موسى بن الحسن الكوفي عن ابراهيم بن يوسف ووقع في روايته عن جدته، وفيه تجوز لأنها جدته العليا، وهو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ففاطمة رضي الله عنها جدة أبيه وجدة أمه أيضاً لأن أمه هي فاطمة بنت الحسين بن علي، ورجال هذا السند أيضاً ثقات، لكن فيه انقطاع يأتي بيانه.

وروي من وجه آخر بزيادة الصلاة فيه. قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن ابراهيم هو ابن علية، حدثنا ليث هو ابن أبي سليم، عن عبدالله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم ثم قال «اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك» وإذا خرج صلى على محمد وسلم ثم قال «اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك» قال إسماعيل: فلقيت عبد الله بن الحسن فسألته عن هذا الحديث فقال: كان إذا دخل قال «رب افتح لي أبواب رحمتك» وإذا خرج قال «افتح لي أبواب فضلك» وهكذا أخرجه الترمذي عن علي بن حجر عن إسماعيل بن علية. وأخرجه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن إسماعيل وأبي معاوية كلاهما عن ليث ولم يذكر قول إسماعيل فلقيت عبد الله بن الحسن، وقول الترمذي: ليس إسناده بمتصل بينه بقوله فاطمة بنت الحسين لم تدرك جدتها فاطمة الكبرى لأنها عاشت بعد النبي ﷺ أشهراً. قال الحافظ: وكان عمر الحسين عند موت أمه رضي الله عنها دون ثمان سنين والله أعلم.

وأما حديث أبي حميد وأبي أسيد، فرواه مسلم عن حامد بن عمر، عن بشر بن المفضل، عن

عمارة بن غزية، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن عبد الملك بن سعيد الأنصاري، عن أبي حميد أو أبي أسيد. ورواه مسلم أيضاً عن يحي بن يحي النيسابوري، عن سليمان بن بلال، عن ربيعة. وأخرجه أبو داود عن محمد بن عثمان الدمشقي عن عبد العزيز الدراوردي عن ربيعة. وأخرجه الدارمي عن الغضبي عن سليمان بن بلال. وأخرجه أيضاً عن يحي بن حسان عن الدراودي. وأخرجه المخلص في فوائده عن يحي بن محمد بن صاعد، عن سوار بن عبد الله العنبري، عن بشر ابن المفضل. وأخرجه أبو نعيم في المستخرج عن فاروق بن عبد الكبير، عن أبي مسلم، عن مسدد عن بشر بن المفضل. وأخرجه أيضاً عن جعفر بن محمد بن عمر، وعن أبي حصين الوارعي عن يحي بن عبد الحميد الحماني عن سليمان بن بلال. قال مسلم: سمعت يحي بن يحي يقول: كتبته من كتاب سليمان بن بلال قال: وبلغني ان يحي الحماني يقول: يعني عن سليمان بسنده المذكور عن أبي حميد وأبي أسيد اهـ.

يعني أن الحماني رواه بواو العطف، وأن يحي بن يحي رواه «بأو» التي للتردد ولم ينفرد الحماني بذلك، فقد اخرجه أحمد عن أبي عامر العقدي عن سليمان بواو العطف أيضاً، وكذا أخرجه النسائي وأبو يعلى وابن حبان من رواية سليمان، ولم ينفرد به عن سليمان أيضاً بل جاء من رواية عمارة بن غزية أيضاً كما عند الطبراني في الدعاء وأبي عوانة في الصحيح. وأخرجه ابن ماجة من رواية إسماعيل بن عياش عن عمارة بن غزية، لكن قال عن أبي حميد ولم يذكر أبا أسيد، وهكذا أخرجه أبو عوانة أيضاً من رواية عبد العزيز الأوسي عن الدراوردي، والله أعلم.

تنبيه:

وفي الباب عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وأنس بن مالك رضي الله عنهم.

أما حديث أبي هريرة، فأخرجه النسائي في اليوم والليلة، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان، والطبراني جميعاً من طريق بغداد هو محمد بن بشار قال: حدثنا أبو بكر الحنفي، حدثنا الضحاك بن عثمان، حدثنا سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج من المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم» وأخرجه ابن السني عن النسائي، وأخرجه أيضاً من رواية عمرو بن علي الفلاس عن أبي بكر الحنفي. وأخرجه يوسف القاضي في كتاب الدعاء من رواية حميد بن الأسود عن الضحاك. وأخرجه الحاكم من طريق أبي بكر الحنفي وقال: صحيح على شرط الشيخين ووقع في رواية النسائي «باعدني» وفي نسخة «اعذني» وهي رواية ابن ماجه وابن السني. وفي رواية ابن خزيمة وابن حبان «أجرني» ورجال هذا الحديث من رجال الصحيح، لكن أعله النسائي فأخرجه من طريق محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن كعب الاحبار أنه قال له: أوصيك باثنتين فذكر هذا الحديث بنحوه. ومن طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن كعب، كذلك

رأيت في المسجد من يبيع أو يبتاع فقل: « لا أربح الله تجارتك » وإذا رأيت من ينشد ضالة في المسجد فقل: « لا ردها الله عليك » أمر به رسول الله ﷺ. فإذا صليت ركعتي

قال النسائي: ابن أبي ذئب اثبت عندنا من الضحاك بن عثمان، وعن محمد بن عجلان وحديثه أولى بالصواب. قال الحافظ ورواية ابن عجلان أخرجها عبد الرازق وابن أبي شيبة في مصنفيهما كذلك. وأخرجه عبد الرزاق عن أبي معشر عن سعيد المقبري أن كعباً قال لأبي هريرة، فذكره، فهؤلاء ثلاثة خالفوا الضحاك في رفعه. وزاد ابن أبي ذئب في السند راوياً وخفيت عليه العلة على من صحح الحديث من طريق الضحاك، وفي الجملة هو حسن لشواهده والله أعلم.

وأما حديث عبد الله بن عمر فقال أبو داود في السنن: حدثنا إسماعيل بن بشر بن منصور، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن عبد الله بنِ المبارك، عن حيوة بن شريح قال: لقيت عقبة بن مسلم فقلت له: بلغني انك حدثت عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ انه كان يقول إذا دخل المسجد « أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القويم من الشيطان الرجيم قال: أقط قال: نعم. قال: فإذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم » ومعنى قوله « أقط » ما بلغك إلا هذا خاصة والهمزة للاستفهام، والمشهور في طاء قط التخفيف.

وأما حديث أنس، فأخرجه ابن السني عن الحسن بن موسى الريفي: حدثنا ابراهيم بن الهيثم البلدي، حدثنا ابراهيم بن محمد بن البختري شيخ صالح بغدادي، حدثنا عيسى بن يوسف، عن معمر. عن الزهري، عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال « بسم الله اللهم صلّ على محمد » وإذا خرج قال « بسم الله اللهم صلِّ على محمد ».

(فإذا رأيت في المسجد من يبيع فيه أو يبتاع) أي يشتري **(فقل: « لا أربح الله تجارتك » وإذا رأيت من ينشد)** أي يطلب **(ضالة في المسجد فقل « لا رد الله عليك » أمر بذلك رسول الله ﷺ)**.

قال العراقي: حديث « لا أربح الله » رواه الترمذي وقال: حسن غريب، والنسائي في اليوم والليلة من حديث أبي هريرة، وحديث « لا رد الله عليك » رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: حديث الضالة رواه مسلم عن زهير بن حرب، ورواه أبو داود عن عبيد الله القواريري كلاهما عن عبد الله بن يزيد المقرى عن حيدة بن شريح قال: سمعت أبا الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل يقول: أخبرني أبو عبد الله مولى شداد بن الهاد أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول « من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل لا ردّها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا » وأخرجه الفاكهي في تاريخ مكة عن ابن أبي ميسرة عن المقري، وأخرجه مسلم أيضاً، وابن حبان من رواية عبد الله بن وهب عن حيوة. وفي الباب عن بريدة الاسلمي، وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعصمة، وابن مسعود رضي الله عنهم.

....

أما حديث بريدة فأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن أبي هناد، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة، عن أبيه أن رجلاً قام في المسجد فقال: من دعا إلى الجمل الأحمر فقال النبي ﷺ: « لا وجدت فإنما بنيت المساجد لما بنيت » والمعنى من يعرف الجمل فدعا صاحبه. وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة، وقد رواه سفيان الثوري عن علقمة بن مرثد بلفظ « من يعرف الجمل الأحمر ». أخرجه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن عبد الرزاق عن الثوري.

وأما حديث أنس، فأخرجه النسائي عن إسحاق بن إبراهيم هو ابن راهويه قال: قلت لأبي قرة: أذكر موسى بن عقبة عن عمرو بن أبي عمرو عن أنس أن رجلاً دخل المسجد ينشد ضالة فقال النبي ﷺ « لا وجدت » فأقرّ به أبو قرة وقال: نعم. وهو في مسند إسحاق بن راهوية هكذا. وأخرجه البزار من وجه آخر عن عمرو بن أبي عمرو.

وأما حديث جابر، فأخرجه النسائي عن محمد بن وهب بن أبي كريمة، عن محمد بن سلمة، عن أبي عبد الرحيم، عن زيد بن أبي أنيسة، عن أبي الزبير عن جابر قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً ينشد ضالة في المسجد فقال « لا وجدت ».

وأما حديث سعد، فأخرجه البزار وهو بنحو حديث أنس.

وأما حديث عصمة، فأخرجه الطبراني ولفظه « قولوا لا ردها الله عليك ».

وأما حديث ابن مسعود، فأخرجه أبو العباس السراج، عن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن فضيل، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان قال: سمع ابن مسعود رجلاً ينشد ضالة في المسجد فغضب وسبّه، فقال له الرجل: ما كنت فاحشاً. فقال « بهذا أمرنا ». وأخرجه ابن خزيمة في الصحيح من طريق محمد بن فضيل بهذا السند، وأخرجه البزار من وجه آخر عن عاصم الأحول وقال في آخره « بهذا أمرنا إذا وجدنا من ينشد ضالة في المسجد أن نقول له لا وجدت » وفي الباب أيضاً عن عبد الله بن عمرو، وثوبان جد محمد بن عبد الرحمن وسيذكره قريباً.

وأما حديث « لا أربح الله » فقال الدارمي: حدثنا الحسن بن أبي يزيد، حدثنا عبد العزيز بن محمد، حدثنا يزيد بن حقيقة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن ثوبان، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا أداها الله لك » أخرجه الترمذي عن الحسن بن علي الخلال عن عارم. وأخرجه النسائي عن إبراهيم بن يعقوب عن علي بن المديني وأخرجه ابن خزيمة عن أبي خليفة عن عبد الله بن عبد الوهاب الحجيمي. أربعتهم عن عبد العزيز بن محمد وهو الدراوردي. وأخرجه ابن حبان عن ابن خزيمة والحاكم من رواية عارم وقال: صحيح على شرط مسلم.

ورواه ابن السني والطبراني فقال: عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان، عن أبيه، عن جده أن

الصبح فقل: « بسم الله اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي » الدعاء إلى آخره. كما أوردناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، فإذا ركعت فقل في ركوعك: « اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت. أنت ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين » وإن أخببت فقل: « سبحان ربي العظيم ـ ثلاث مرات ـ أو سبوح قدوس رب

رسول الله ﷺ قال « من رأيتموه ينشد شعراً في المسجد فقولوا فض الله فاك ـ ثلاث مرات ـ ومن رأيتموه يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك » ثلاث مرات. هذا الحديث غريب تفرد بوصله محمد بن حميد عن عباد بن كثير عن يزيد بن حقيقة، وقد رواه أبو خيثمة الجمعي عن عباد بن كثير، لكن لم يقل عن جده. والآفة فيه من عباد وهو ضعيف جداً. وقد خالف فيه الدراوردي وهو ثقة وسنده هو المعروف، وأخرج ابن خزيمة في الصحيح عن بندار ويعقوب بن إبراهيم، وأخرجه أبو عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه قالوا: حدثنا يحي بن سعيد، حدثنا محمد بن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن حسيلة قال: « نهى رسول الله ﷺ عن البيع والشراء في المسجد وأن تنشد فيه الأشعار وأن تنشد فيه الضالة ». وأخرجه أصحاب السنن من طرق عن محمد بن عجلان، وثوبان المذكور أولاً ليس هو المشهور بل هو آخر لا يعرف إلا في هذا الإسناد، ولا روى عن عبد الرحمن بن ثوبان إلا ابنه محمد فهو في عداد المجهولين، والله أعلم.

(فإذا صليت ركعتي الصبح فقل « اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي » الدعاء إلى آخره. كما أوردناه عن ابن عباس) رضي الله عنهما **(عن رسول الله ﷺ)** رواه الترمذي وقد تقدم قريباً. **(فإذا ركعت)** في صلاتك **(فقل)** هذا الدعاء **(« اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت. أنت ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به)** أي حملت **(قدمي لله رب العالمين)** » قال العراقي: رواه مسلم من حديث علي.

قلت: هذا السياق للطبراني في الدعاء رواه من طريق جنادة بن مسلم، عن عبد الله بن الفضل، عن الأعرج، عن عبد الله بن أبي رافع، عن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا ركع إلا أنه لم يقل « ولك خشعت » وقال « عظامي » بدل « عظمي ».

ورواه الطبراني أيضاً من طريق عبد العزيز الماجشون، عن عمه، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن علي قال: كان رسول الله ﷺ إذا ركع قال « اللهم لك ركعت ولك أسلمت وبك آمنت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي » ورواه أحمد عن حجيدة بن المثنى عن عبد العزيز الماجشون. وأخرجه مسلم من وجه آخر عن عبد العزيز الحديث الطويل الذي فيه دعاء الافتتاح « وجهت وجهي ».

(وأن أخببت فقل « سبحان ربي العظيم » ثلاث مرات) قال العراقي: رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع اهـ.

قلت: رواه الطيالسي عن ابن أبي ذئب، عن إسحاق بن يزيد الهذلي، عن عوف بن عبد الله ابن أبي عتبة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من قال في ركوعه سبحان ربي العظيم ثلاث مرات فقد تم ركوعه وذلك أدناه ». أخرجه أبو داود عن عبد الملك بن مروان الأهوازي عن الطيالسي، وأخرجه الترمذي من طريق عيسى بن يونس، وابن ماجه من طريق وكيع. كلاهما عن ابن أبي ذئب، قال الترمذي: ليس إسناده بمتصل، عوف لم يلق عبد الله بن مسعود، وكذا قال البيهقي. لكن عبّر بقوله لم يدرك وساق له شاهداً من حديث أبي جعفر محمد بن علي، عن النبي ﷺ قال « سبحوا ثلاث تكبيرات ركوعاً وثلاث تسبيحات سجوداً » وهذا مرسل أو معضل لأن أبا جعفر من صغار التابعين، وجلّ روايته عن التابعين وقال الطبراني: والزيادة التي في حديث ابن مسعود وهي قوله « وذلك أدناه » لا تروى إلا في هذا الحديث تفرد بها ابن أبي ذئب. قال الحافظ: ووقع في رواية الشافعي في المرسل الذي ساقه البيهقي شاهد الحديث ابن مسعود ما يشعر بهذه الزيادة قال: أخبرنا ابن أبي يحيى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: جاءت الحطابة إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إنا لا نزال سفراً فكيف نصنع بالصلاة؟ فقال « سبحوا ثلاث تسبيحات ركوعاً وثلاث تسبيحات سجوداً ». وقد ورد التثليث فيه في عدة أخبار بدون تلك الزيادة.

أخرج الطبراني في الدعاء: حدثنا معاذ بن المثنى، وبكر بن سهل، ومحمد بن الفضل السقطي وعبيد بن غنام. قال الأول: حدثنا مسدد، والثاني: حدثنا نعيم بن حماد، والثالث: حدثنا سعيد بن سليمان، والرابع: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قالوا: حدثنا حفص بن غياث عن ابن أبي ليلى هو محمد بن عبد الرحمن عن الشعبي، عن صلة بن زفر، عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه « سبحان ربي العظيم ثلاثاً وفي سجوده سبحان ربي الأعلى ثلاثاً » وهو حديث حسن. وأخرجه ابن خزيمة عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي ومسلم بن جنادة، وأخرجه المعمري في اليوم والليلة عن عثمان بن أبي شيبة. وأخرجه الدارقطني عن البغوي عن عبد الله بن عمر بن أبان. كلهم عن حفص بن غياث. وزاد الدارقطني في روايته: « وبحمده » في الموضعين. وابن أبي ليلى ضعيف من قبل حفظه، وقد خالفه السري بن إسماعيل وهو مثله أو دونه، فرواه الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود قال: « من السنة » فذكر مثله لكن لم يقل ثلاثاً. وأخرج البزار من حديث أبي بكرة كاللفظ الأول ذكر فيه ثلاثاً ولم يقل « وبحمده ». وأخرج الدارقطني مثله من حديث جبير بن مطعم ومن حديث عبد الله بن أفرم وفي سند كل منهما ضعف ».

الملائكة والروح ». فإذا رفعت رأسك من الركوع فقل: « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق

(**أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح »**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث عائشة اهـ.

قلت: قال أحمد: حدثنا عمرو بن الهيثم، حدثنا هشام هو الدستوائي، عن قتادة، عن مطرف بن عبد الله، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده « سبوح قدوس رب الملائكة والروح » أخرجه مسلم وأبو داود من رواية هشام، ورواه شعبة عن قتادة مقتصراً على الركوع. وأشار إلى رواية هشام بزيادة السجود. ورواه معمر عن قتادة بالشك، وقد تابع هشاما على الجمع بينهما سعيد بن أبي عروبة.

(**فإذا رفعت رأسك من الركوع فقل « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد »**) رواه البخاري عن يحي بن بكير عن الليث بن سعد عن عقيل عن الزهري قال: حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يكبر حين يقوم ثم يكبر حين يركع ثم يقول « سمع الله لمن حمده » حين يرفع صلبه من الركوع. ثم يقول وهو قائم « ربنا لك الحمد » وأخرجه مسلم من رواية عبد الرزاق عن ابن جريج عن الزهري، ومن رواية هجين بن المثنى عن الليث عن عقيل عن الزهري إلا أنه قال « ربنا ولك » بإثبات الواو. وهذه الرواية علقها البخاري لعبد الله بن صالح عن الليث عقب رواية يحي بن بكير، ووصلها من طريق شعيب بن أبي حمزة عن الزهري. وأخرجها النسائي من رواية يونس بن يزيد عن الزهري وهي عند أحمد من رواية معمر عن الزهري، ووقع بالواو أيضاً في حديث رفاعة بن رافع عند البخاري كما سبق للمصنف في الباب الأول من هذا الكتاب، لكنه ليس من لفظ النبي ﷺ. ووقع من غير « واو » في حديث أبي سعيد وعلي وابن أبي أوفى وابن عباس، وكلها في مسلم. واختلف في تخريج « الواو » فقيل هي عاطفة على شيء محذوف، وعلى ذلك اقتصر ابن دقيق العيد وقيل: هي حالية، وبذلك جزم ابن الأثير في النهاية وقيل: هي زائدة. وقد تقدم الكلام على ذلك مفصلاً في كتاب الصلاة فراجعه إن شئت.

وقال عبد بن حميد: حدثنا محمد بن عبيد: حدثنا الأعمش، عن عبيد بن الحسن، عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: « سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد (**ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد »**) رواه مسلم، وأبو داود من طريق أبي معاوية ووكيع كلاهما عن الاعمش، ورواه أحمد عن وكيع، ورواه أبو داود أيضاً عن محمد بن عيسى عن محمد بن عبيد. وقال أبو داود بعد تخريجه: رواه شعبة وسفيان الثوري عن عبيد بن الحسن لم يذكر فيه بعد الركوع اهـ.

قال الحافظ: والأعمش حافظ فزيادته معتمدة، وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، حدثنا عمي عن الأعرج عن عبيد الله بن أبي رافع عن علي بن أبي طالب رضي الله

ما قال العبد وكلنا لك عبد. لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد »، وإذا سجدت فقل: « اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت. سجد

عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: فساقه بمثل الحديث السابق إلا أن فيه زيادة بعد قوله: وملء الأرض وملء ما بينهما » رواه مسلم والنسائي من طريق عبد الرحمن بن مهدي، ومسلم أيضاً من طريق أبي النضر، وأبو داود من طريق معاذ بن معاذ، والترمذي من طريق سليمان بن داود. أربعتهم عن عبد العزيز. وأخرجه الترمذي أيضاً عن محمود بن غيلان، عن أبي داود الطيالسي. وأخرجه الدارمي عن يحيى بن حسان عن عبد العزيز.

وقال الدارمي أيضاً: أخبرنا مروان بن محمد، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، حدثنا عطية بن قيس، عن قزعة بن يحيى، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع فذكر مثل حديث ابن أبي أوفى وزاد بعد قوله « من شيء بعد **(أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد »)** وهو حديث صحيح أخرجه مسلم عن الدارمي، وأخرجه أحمد عن الحكم بن نافع، وأبو داود، وابن خزيمة من رواية أبي مسهر، وعبد الله بن يوسف، وأبو داود أيضاً من رواية بشر بن بكر، والنسائي من رواية مخلد بن يزيد. خمستهم عن سعيد بن عبد العزيز، ووقع في رواية بعضهم « اللهم ربنا ». وذكر أبو داود أن في رواية عبد الله بن يوسف « ربنا ولك الحمد » بزيادة « واو ».

وقال الطبراني في الدعاء: حدثنا بكر بن سهل، حدثنا عبد الله بن يوسف التنيسي، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن عطية بن قزعة، عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا رفع رأسه من الركوع « سمع الله لمن حمده اللهم ربنا ولك الحمد » فذكر الحديث مثله، لكنه قال: « لا نازع لما أعطيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ». أخرجه أبو داود عن محمد بن محمد بن مصعب، وابن خزيمة عن زكريا بن يحيى بن أبان، والطحاوي عن مالك بن عبد الله بن سيف، والبيهقي من طريق المقدام بن داود أربعتهم عن عبد الله بن يوسف.

وقد جاء هذا الدعاء مختصراً من حديث ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال « اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » أخرجه أحمد ومسلم والنسائي والحسن بن سفيان وأبو نعيم كلهم من طريق هشام بن حسان عن قيس بن سعد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس.

(وإذا سجدت فقل،) قال مسلم في صحيحه: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا يوسف بن يعقوب بن الماجشون، حدثنا أبي، عن الأعرج، عن عبد الله بن أبي رافع، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سجد قال: **(« اللهم لك سجدت وبك آمنت**

وجهي للذي خلقه وصوّره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين. اللهم سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» أو تقول: «سبحان ربي الأعلى ـ ثلاث

ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه) وصوّره فأحسن صوره **(وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين»)** لفظ مسلم: تبارك الله من غير «فاء» وبالفاء رواية الحاكم من حديث عائشة على ما سيأتي ذكره. ورواه أبو نعيم في المستخرج عن حبيب بن الحصين، حدثنا يوسف القاضي، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدسي. ورواه الطبراني في الدعاء عن علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل وحجاج بن المنهال قالا: حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، حدثنا الماجشون.

وقال العدني في مسنده: حدثنا عبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء عن أبي العالية عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في سجود القرآن بالليل «سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته». ورواه أحمد عن هشام عن خالد الحذاء نحوه. وأخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة كلهم عن بندار عن عبد الوهاب الثقفي. وأخرجه ابن خزيمة والحاكم من رواية وهب بن خالد وخالد بن عبد الله الواسطي كلاهما عن خالد الحذاء. قال ابن خزيمة: وخالد الحذاء لم يسمع من أبي العالية بل بينهما. قال الحافظ: كأنه يشير إلى ما رواه إسماعيل ابن علية فقال عن خالد الحذاء عن رجل عن أبي العالية عن عائشة، وخفيت علته على الترمذي فصححه. واغتر ابن حبان بظاهره فأخرجه في صحيحه عن ابن خزيمة، وتبعه الحاكم في تصحيحه وكأنهما لم يستحضرا كلام إمامهما فيه. وذكر الدارقطني الاختلاف فيه وقال: الصواب رواية إسماعيل. وأخرجه من طريق محمد بن المثنى عن عبد الوهاب الثقفي فذكر الحديث بتمامه سنداً ومتناً وقال بعد قوله: فتبارك الله أحسن الخالقين.

وأخرجه من طريق أخرى عن محمد بن المثنى بدون هذه الزيادة **(«اللهم سجد لك سوادي)** أي شخصي **(وخيالي)** وفي رواية تقديم خيالي على سوادي **(وبك آمن فؤادي)** وفي رواية. وآمن بك فؤادي **(أبوء بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي)** وفي رواية الاقتصار على قوله أبوء بنعمتك علي **(هذا ما جنيت على نفسي)** وفي رواية هذه يدي وما جنيت على نفسي **(فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»)** قال العراقي: رواه الحاكم من حديث ابن مسعود وقال: صحيح الإسناد وليس كما قال بل هو ضعيف اهـ.

قلت: لفظ الحاكم في المستدرك كما ساقه المصنف إلا أنه لم يذكر «وأبوء بذنبي» وبعده عنده «وهذا ما جنيت على نفسي يا عظيم يا عظيم اغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب العظيمة إلا الرب العظيم». وأخرجه البزار من حديثه أن النبي ﷺ قال في سجوده فذكره.

وله شاهد من حديث عائشة أخرجه أبو يعلى من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عنها قالت:

....

فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول « اللهم أعوذ برضاك من سخطك » فساقه. وزاد في آخره « سجد لك سوادي وآمن بك فؤادي » وسنده ضعيف. وعطاء هو الخراساني لم يدرك عائشة.

(أو تقول « سبحان ربي الأعلى » ثلاث مرات) . قال العراقي : رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود وهو منقطع اهـ.

قلت : سبق في أذكار الركوع أن الترمذي بعدما أورده قال : ليس إسناده بمتصل. عون لم يلق ابن مسعود ، وكذا قال البيهقي إلا أنه عبر بقوله لم يدرك ، وتقدم أيضاً حديث الشعبي عن صلة ابن زفر عن حذيفة قال : كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه « سبحان ربي العظيم » ثلاثاً وفي سجوده « سبحان ربي الأعلى » ثلاثاً . وعند أبي داود من حديث عقبة بن عامر كان ﷺ إذا سجد قال « سبحان ربي الأعلى وبحمده » ثلاثاً . وعنده أيضاً من طريق سعيد الجريري عن أسعد عن أبيه أو عمه قال : رمقت صلاة رسول الله ﷺ فكان يمكث في ركوعه وسجوده بقدر ما يقول « سبحان الله وبحمده » ثلاثاً .

تنبيه :

في ذكر بعض أدعية الركوع والسجود مما لم يذكره المصنف .

فمنها : حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » يتأوّل القرآن . وفي رواية : كان يكثر أن يقول ، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي ، وفي رواية عنها : ما صلى رسول الله ﷺ صلاة منذ أنزل عليه ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ إلا دعا فيها سبحانك « ربي وبحمدك اللهم اغفر لي » رواه هكذا مسلم . وفي رواية عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يكثر قبل موته من قول « سبحان ربي وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه » رواه مسلم أيضاً . وفيه دلالة على عدم التخصيص بحال الصلاة . وفي حديثها أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده « سبوح قدوس رب الملائكة والروح » رواه مسلم وأبو داود عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه « سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » ويقول في سجوده مثل ذلك ، رواه أبو داود والنسائي في سننهما ، والترمذي في الشمائل ، والطبراني في الدعاء . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : افتقدت النبي ﷺ فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه فتحسست ثم رجعت ، فإذا هو ساجد يقول « سبحانك وبحمدك لا إله الا أنت » فقلت بأبي وأمي إنك لفي شأن وإني لفي آخر . رواه مسلم .

وعن أبي هريرة عن عائشة رضي الله عنها قالت : فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول « اللهم إني أعوذ

مرات ـ » . فإذا فـرغت من الصلاة فقل : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا

برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » رواه مسلم أيضاً ، وقد تقدم هذا الحديث للمصنف في آخر كتاب تلاوة القرآن ، وسيأتي له كذلك في هذا الباب .

ورواه صالح بن سعيد عن عائشة رضي الله عنها أنها فقدت رسول الله ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول « آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها » . رواه أحمد .

ورواه هلال بن يسار عنها قالت : فقدت النبي ﷺ من مضجعـه فجعلت ألتمسه وظننت أنه أتى بعض جواريه فوقعت يدي عليه وهو ساجد يقول « اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت » رواه النسائي .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول في سجوده « اللهم اغفر لي ذنبي دقه وجله أوله وآخره سره وعلانيته » رواه مسلم وأبو داود والنسائي والطبراني .

وعن علي رضي الله عنه قال : « من أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد في سجوده رب ظلمت نفسي فاغفر لي » رواه الطبراني في الدعاء وهو في حكم المرفوع وإن لم يصرح برفعه .

فصل

ولم يذكر المصنف ما يدعى به بين السجدتين هنا ، وأورده في كتاب الصلاة وذكر هناك عشر كلمات مجموعة من روايات مختلفة ، وقد قال الحافظ ابن حجر في تخريج الأذكار : أن النووي ذكر في شرح المهذب تبعاً للرافعي وغيره بلفظ « رب اغفر لي واجبرني وعافني وارزقني واهدني » ثم قال : والأحب أن يضم إليها « وارحمني وارفعني » فقد ورد ذلك وذكره في الروضة بلفظ « اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني » وهو موافق لرواية الترمذي ورواية أبي داود مثلها ، لكن قال « عافني » بدل « اجبرني » . ورواية ابن ماجة مثل الترمذي ، لكن قال « وارفعني » بدل « اجبرني » فينتظم من رواية الثلاثة ما ذكره في شرح المهذب ، وجمعها ابن عدي إلا « ارفعني » . ومثله ابن حبان لكن عنده « انصرني » بـدل « اهـدني » واتفقـت روايـات الجميـع على إثبـات « اغفـر لي وارحمني » .

(فإذا فرغت من الصلاة فقل « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ») قال العراقي : رواه مسلم من حديث ثوبان اهـ .

قلت : ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ولفظهم جميعاً : كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من صلاته استغفر ثلاثاً وقال « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام » قال الوليد : فقلت للإوزاعي : كيف الاستغفار ؟ وقال : تقول أستغفر الله أستغفر الله

الجلال والإكرام »، وتدعو بسائر الأدعية التي ذكرناها. فإذا قمت من المجلس وأردت

أستغفر الله، **(وتدعو بسائر الأدعية التي ذكرناها)** وبسائر الأذكار المذكورة من التهليل والتسبيح والتكبير والاستغفار والتعوذ مما ورد التصريح به أنه في دبر الصلوات.

فمن الأذكار « التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثاً وثلاثين فتلك تسع وتسعون وكمال المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير »، فمن قال ذلك غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أنه كان يقول في دبر كل صلاة حين يسلم « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » وقال: كان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة. رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: « أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوّذات دبر كل صلاة » رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم في صحيحيهما. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، واللفظ لأبي داود والنسائي. ولفظ الترمذي: « أن أقرأ بالمعوّذتين في دبر كل صلاة ».

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت » رواه النسائي عن الحسين بن بشر عن محمد بن حميد عن محمد بن زياد الالهاني عن أبي أمامة رضي الله عنه.

وأما الأدعية فمنها ما تقدم للمصنف ما وقع التصريح فيه بأنه يقال في دبر الصلوات كقوله « أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من البخل وأعوذ بك من أن أردّ إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر » رواه البخاري والترمذي والنسائي عن عمرو بن ميمون الأودي أن سعد بن أبي وقاص كان يعلم بنيه هؤلاء الكلمات، كما يعلم المعلم الغلمان.

وعن علي رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سلم من الصلاة قال « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إلـه إلا أنت » رواه أبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه، واللفظ لأبي داود. وقال الترمذي: حسن صحيح وأخرجه مسلم مختصراً.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيده يوماً ثم قال « يا معاذ والله إني لأحبك. فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا والله أحبك. قال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » وأوصى بذلك معاذ الصنابحي، وأوصى به الصنابحي أبا عبد الرحمن، وأوصى به أبو عبد الرحمن عقبة بن

دعاء يكفر لغو المجلس فقل: « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا

مسلم. رواه أبو داود والنسائي واللفظ له والحاكم وابن حبان في صحيحيهما. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يدعو في دبر الصلاة « اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد إنك الرب وحدك لا شريك لك. اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن محمداً ﷺ عبدك ورسولك. اللهم ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن العباد كلهم أخوة. اللهم ربنا ورب كل شيء اجعلني مخلصاً لك في كل ساعة في الدنيا والآخرة ذا الجلال والإكرام اسمع واستجب. الله الأكبر الأكبر نور السموات والأرض الله الأكبر الأكبر حسبي الله ونعم الوكيل. الله الأكبر الاكبر » رواه أبو داود والنسائي وهذا لفظه.

وعن مسلم بن أبي بكرة قال: كان أبي يقول في دبر الصلاة « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر » فكنت أقولهن، فقال أبي: عمن أخذت هذا؟ فقلت: عنك. فقال: إن رسول الله ﷺ كان يقولهن في دبر كل صلاة، ورواه النسائي واللفظ له والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وعن عطاء بن أبي مروان، عن أبيه أن كعباً حلف بالله الذي فلق البحر لموسى إنا نجد في التوراة أن داود نبي الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاته قال « اللهم اصلح لي ديني الذي جعلته لي عصمة واصلح لي دنياي التي جعلت فيها معاشي، اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من نقمتك، وأعوذ بك منك لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » وحدثني كعب أن صهيباً حدثه أن محمداً ﷺ كان يقولهن عند انصرافه من صلاته. رواه النسائي واللفظ له وابن حبان في صحيحه بمعناه، وأبو مروان الأسلمي مختلف في صحبته.

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: ما صليت وراء نبيكم ﷺ إلا سمعته حين ينصرف من صلاته يقول « اللهم اغفر لي خطاياي وذنوبي كلها. اللهم انعشني وارزقني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق إنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها الا أنت ». رواه الحاكم في المستدرك.

وعن الربيع بن مهيلة الفزاري قال: كان عمر رضي الله عنه إذا انصرف من صلاته قال « اللهم استغفرك لذنبي وأستهديك لمراشد أمري وأتوب إليك فتب علي. اللهم أنت ربي فاجعل رغبتي إليك واجعل غناي في صدري وبارك لي فيما رزقتني وتقبل مني إنك أنت ربي » رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف.

(فإذا قمت من مجلس وأردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه

أنت »، فإذا دخلت السوق فقل: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير. بسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها. اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها. اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يميناً فاجرة أو صفقة خاسرة »، فإن كان عليك دين

لا يغفر الذنوب إلا أنت ») قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث رافع بن خديج بإسناد حسن اهـ.

قلت: ورواه كذلك الحاكم في المستدرك، ولفظ النسائي: « كان رسول الله ﷺ بآخرة إذا اجتمع إليه أصحابه فأراد أن ينهض قال » فذكره. قال: قلنا يا رسول الله: إن هذه كلمات احدثتهن؟ قال: « أجل أتاني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد هي كفارات المجلس ». وقوله: بآخرة أي في آخر الأمر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم ـ إلى قوله ـ وأتوب إليك إلاّ غفر له ما كان في مجلسه ذلك » رواه أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان، وقال الترمذي: واللفظ له حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(وإذا دخلت السوق فقل « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عمر وقال: غريب. والحاكم من حديثه ومن حديث ابن عمر وقال: صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: لفظ الترمذي « من قال حين يدخل السوق لا إله إلا الله ـ إلى قوله ـ قد ير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة » وهكذا رواه ابن ماجه، وزاد في رواية أخرى « وبنى له بيتاً في الجنة » ورواه كذلك الحكيم الترمذي كلهم من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده، وزاد الحكيم « ورفعت له ألف ألف درجة » ورواه اسماعيل بن عبد الغافر الفارسي في لأربعين له عن ابن عمر بدون هذه الزيادة.

ورواه الحاكم في مستدركه من عدة طرق وفي بعضها أن محمد بن واسع أحد رواته قال: فأتيت قتيبة بن مسلم فقلت له: أتيتك بهدية فحدثته بالحديث، فكان قتيبة بن مسلم يركب في مركبه حتى يأتي السوق فيقولها ثم ينصرف، **(« بسم الله اللهم إني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها. اللهم إني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها. اللهم إني أعوذ بك من أن أصيب فيها يميناً فاجرة)** أي كاذبة **(أو صفقة خاسرة »)** قال العراقي: رواه الحاكم من حديث بريدة وقال: أقربها لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة.

فقل: « اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك »، فإذا لبست ثوباً

قال العراقي: فيه أبو عمر وجار لشعيب بن حرب، ولعله حفص بن سليمان الأسدي مختلف فيه اهـ.

قلت: لفظ الحاكم: كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوق قال: فساقه ووجدت بخط الحافظ السخاوي ما نصه: قد رواه الطبراني في الدعاء من حديث محمد بن أبان الجعفي متابعاً له عن علقمة بن مرثد، وابن أبان ضعيف.

(فإن كان عليك دين) عجزت عن أدائه **(فقل** « اللهم اكفني **بحلالك عن حرامك واغنني)** بقطع الهمزة **(بفضلك عمن سواك »)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن غريب، والحاكم وقال: صحيح الإسناد من حديث علي بن أبي طالب اهـ.

قلت: أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، عن يحيى بن حسان، عن أبي معاوية، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن يسار بن الحكم، عن شقيق أبي وائل قال: اتى علياً رضي الله عنه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنا عجزت عن مكاتبتي فأعني فقال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان مثل جبل صبير ديناً لأدّاه الله عنك. قال: « قل اللهم اكفني » فساقه. وأخرجه الحاكم من رواية يحيى بن يحيى النيسابوري عن أبي معاوية، وأخرجه الطبراني في الدعاء فقال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان، حدثنا أبو معاوية.

وقوله « صبير » كأمير جبل هكذا هو في نسخ الترمذي، وفي العباب للصاغاني « صير » بكسر الصاد وسكون التحتية جبل بالساحل بين سيراف وعمان.

قلت: وصبر ككتف جبل عظيم باليمن يطل على تغر.

ولنسق هنا أدعية تناسب الباب عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليَّ أبو بكر رضي الله عنه فقال: سمعت من رسول الله ﷺ دعاء علمنيه. قلت: ما هو؟ قال: كان عيسى بن مريم يعلمه أصحابه قال: لو كان على أحدكم جبل ذهب دَيْناً فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه « اللهم فارج الهم وكاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا ورحيمها أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك » قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: وكانت عليَّ بقية من الدين وكنت للدّين كارهاً فكنت أدعو بذلك فأتاني الله بفائدة فقضى الله عني. قالت عائشة وكان لأسماء بنت عميس عليَّ دينار وثلاثة دراهم فكانت تدخل عليَّ فاستحيي أن أنظر في وجهها لأني لا أجد ما أقضيها، فكنت أدعو بذلك فما لبث إلاَّ يسيراً حتى رزقني الله رزقاً ما هو بصدقة تصدق بها عليَّ ولا ميراث ورثته فقضاه الله عني، وقسمت في أهلي قسماً حسناً وحليت ابنة عبد الرحمن بثلاثة أواق من ورق وفضل لنا فضل حسن رواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح.

وأخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في الدعاء فقال: حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى البصري،

....

حدثنا الحجاج بن المنهال، حدثنا عبد الله بن عمر النميري، عن يونس بن يزيد الايلي، حدثني الحكم بن عبد الله، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها فساقه سواء إلا أنه قال «رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها» قال: وحدثنا عبد المتعال بن طالب، حدثنا عبد الله بن وهب، عن سعيد بن زيد، عن عاصم بـن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب أن عيسى عليه السلام فقدرجلاً من الحواريين فقال: ما لي لم أرك؟ فقال: للهمّ والدَّين يا روح الله. قال: إذا قلت كلمات لو كان عليك طِمام البحر لأذهبه الله. قال: ما هي؟ قال: «تقول اللهم يا فارج الهم وكاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة، فقال: «يا أبا أمامة مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت صلاة؟ قال: هموم لزمتني وديون يا رسول الله. قال: أفلا أعلمك كلاماً إذا قلتـه أذهب الله همك وقضى دينك؟ قال: قلت بلى يا رسول الله. قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجـال» قال: فقلت ذلك فأذهب الله همي وقضى عني ديني رواه أبو داود.

وقال ابن أبي الدنيا في الدعاء: حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا أبو أسامة، حدثنا الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى النبي ﷺ تسأله خادماً. فقال: «ألا أدلك على ما هو خير من خادم تسبحين ثلاثاً وثلاثين تسبيحة وتكبرين أربعاً وثلاثين تكبيرة وتحمدين ثلاثاً وثلاثين تحميدة، وتقولين: اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء منزل التوراة والإنجيل والقرآن. أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته. اللهم أنت الأوّل فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدَّين واغنني من الفقر».

قال: وحدثني إبراهيم بن سعيد، حدثنا أبو معاوية، عن عبد الرحمن بـن إسحاق، عن القاسم ابن عبد الرحمن قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما دعا عبد قط بهذه الدعوات إلا أوسع الله عليه فـي معيشـته. من قال «يا ذا المن ولا يمن عليك، يا ذا الجلال والاكرام، يا ذا الطول لا إله إلا أنت ظهر اللاّجين وجار المستجيرين ومـأمن الخـائفين إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقياً فامح عني اسم الشقاء واثبتني عندك سعيداً، وإن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب محروماً مقتراً على رزقي فامح حرماني ويسر رزقي واثبتني عندك سعيداً موفقاً للخير، فإنك تقول في كتابك الذي أنزلت ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ [الرعد: ٣٩]».

جديداً فقل: « اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له » وإذا رأيت شيئاً من الطيرة تكرهه فقل: « اللهم لا

قلت: وهذا الدعاء يستعمله الناس في ليلة النصف من شعبان.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا داود بن رشيد عن لهيعة بن الوليد، عن هاشم بن مسلمة، عن يزيد، عن مكحول، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « من كان عليه دين فقال اللهم منزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم، ورب جبريل وميكائيل وإسرافيل، ورب الظلمات والنور، ورب الظل والحرور. أسألك أن تفتح لي باب الرحمة وأن تحل عقدتي من ديني وتؤدي عني أمانتي إلي وإلى خلقك إلا قضى الله عنه دينه ».

قال: وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن إدريس، عن يزيد بن زريع الرملي، عن عطاء الخراساني قال: قال معاذ بن جبل رضي الله عنه شكوت إلى النبي ﷺ ديناً كان علي فقال « يا معاذ تحب أن يُقضى دينك؟ قال: قلت نعم. قال: قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما تعطي منهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء اقضِ عني ديني فلو كان عليك ملء الأرض ذهباً أدى عنك ».

قال: وحدثني سويد بن سعيد عن خالد عبد الله الرومي قال: استودع محمد بن المنكدر وديعة فاحتاج إليها فأنفقها، ثم جاء صاحبها يطلبها فقام يصلي ويدعو، فكان من دعائه يا سادّ السماء بالهواء ويا كاسي الأرض على الماء، ويا واحداً قبل كل أحد كان، ويا واحداً بعد كل أحد يكون أسألك ان تؤدي عني أمانتي، فإذا هاتف يقول: خذ هذه فأدها عن أمانتك واقصر الخطبة فإنك لن تراني.

(فإذا لبست ثوباً جديداً فقل « اللهم كسوتني هذا الثوب) ويشير إليه **(فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له)** وهو استعماله في الطاعة، **(وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له »)** وهو استعماله في المعصية. وظاهر سياق المصنف ندب الذكر المذكور لكل من لبس ثوباً جديداً، والظاهر ولو لبس غير جديد بدليل رواية ابن السني في اليوم والليلة، إذا لبست ثوباً فتأمل.

قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن والنسائي في اليوم والليلة من حديث أبي سعيد الخدري، ورواه ابن السني بلفظ المصنف اهـ.

قلت: لفظ أبي سعيد عند الجماعة: كان رسول الله ﷺ إذا استجّد ثواباً سمّاه باسمه عمامة أو قميصاً أو رداء ثم يقول « اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه اسألك خيره وخير ما صنع له » وقد رواه كذلك الحاكم وابن النووي. زاد أبو داود وقال أبو نضرة: وكان أصحاب النبي ﷺ إذا لبس أحدهم ثوباً جديداً. قيل تبلى ويخلف الله. ورواه كذلك أحمد وابن السني في اليوم والليلة.

يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوّة إلا بالله » وإذا رأيت الهلال فقل : « اللهم أهلّه علينا بالأمن والإيمان والبر والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ عمن تسخط ، ربي وربك الله » . ويقول : « هلال رشد وخير

وفي الباب عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : لبس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثوباً جديداً فقال : « الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي ثم عمد إلى الثوب الذي أخلق فتصدق به كان في كنف الله وفي حفظ الله وفي ستر الله حياً وميتاً » رواه الترمذي واللفظ له ، وابن ماجه والحاكم في المستدرك .

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أكل طعاماً » الحديث وفيه « من لبس ثوباً فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوّة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » رواه أبو داود واللفظ له والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط البخاري . وقال الترمذي : حسن غريب .

(وإذا رأيت شيئاً من الطيرة) بكسر ففتح **(تكرهه)** وهو اسم من التطير وأصله التفاؤل بالطير من أعمال الجاهلية **(فقل « لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوّة إلا بالله »)** قال العراقي : رواه ابن أبي شيبة ، وأبو نعيم في اليوم والليلة ، والبيهقي في الدعوات من حديث عروة بن عامر مرسلاً ورجاله ثقات ، وفي اليوم والليلة لابن السني عقبة بن عامر فجعله مسنداً اهـ .

وأما ما اشتهر على الألسنة عند نعيق الغراب خير خير فلا أصل له في السنّة . وورد « اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك » وذكر الحافظ السخاوي في المقاصد عن عكرمة قال : كنا عند ابن عمر وعنده ابن عباس فمرّ غراب يصيح فقال رجل من القوم : خير خير ، فقال ابن عباس : لا خير ولا شر . وروى ابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة مرفوعاً كان يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة .

(وإذا رأيت الهلال) وهو القمر في حالة مخصوصة ، قال الأزهري : ويسمى القمر للثلاثة من أوّل الشهر هلالاً ، وفي ليلة ست وعشرين وسبع وعشرين أيضاً هلالاً ، وما بين ذلك يسمى قمراً . وقال الفارابي وتبعه الجوهري : الهلال لثلاث ليال من أوّل الشهر ثم هو قمر بعد ذلك ، وقيل : الهلال هو الشهر بعينه والجمع أهلة . **(فقل « اللهم أهّله علينا)** يروى بالادغام وبالفك ، وأصل الإهلال رفع الصوت ، ثم نقل إلى رؤية الهلال ، ثم نقل إلى طلوعه وهو المراد هنا ، والمعنى اطلعه علينا وأرنا إياه مقترناً **(بالأمن والايمان والسلامة والاسلام)** بين كل من القرينتين حسن الاشتقاق ، والمراد الأمن من سائر المخاوف ، والإيمان الطمأنينة بالله كأنه سأله دوامها والسلامة

آمنت بخالقك: « اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم

والإسلام أن يدوم له الإسلام ويسلم له شهره، فإن لله في كل شهر حكماً وقضاء. **(ربي وربك الله »)** هذا تنزيه للخالق أن يشاركه في تدبير ما خلق شيء، وفيه ردّ للأقاويل الداحضة في الآثار العلوية بألطف إشارة، وفي قوله: « ربي وربك الله » التفات اقتداء بسيدنا الخليل عليه السلام حيث قال ﴿لا أحب الآفلين﴾ بعد قوله ﴿هذا ربي﴾ قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله اهـ.

قلت: لفظه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: « اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله » وقال: حسن غريب رواه من طريق سليمان بن سفيان عن بلال بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده، ورواه بن حبان في صحيحه وزاد بعد قوله والإسلام: « والتوفيق لما تحب وترضى » وبمثل رواية ابن حبان رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر إلا أن في سنده عثمان بن إبراهيم الحاطبي وهو ضعيف، ورواه الدارمي في مسنده عن ابن عمر إلا انه زاد في أوّله « الله أكبر » وروى ابن السني في اليوم والليلة عن جزء بن أنس السلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال « اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والسكينة والعافية والرزق الحسن » إلا ان الذهبي قال: إن جزءاً لا صحبة له.

(وتقول « هلال رشد وهلال خير آمنت بخالقك ») قال العراقي: رواه أبو داود مرسلاً من حديث قتادة أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: « هلال خير ورشد ثلاثاً آمنت بالذي خلقك ثلاثاً » وأسنده الدارقطني في الافراد والطبراني في الأوسط من حديث أنس، وقال أبو داود: وليس في هذا عن النبي ﷺ حديث مسند صحيح اهـ.

قلت: ولفظ أبي داود عن قتادة قال: بلغنا عن النبي ﷺ أنه كان يقول إذا رأى الهلال« هذا هلال خير ورشد آمنت بالذي خلقك ثلاثاً ثم يقول الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا ». ورواه أيضاً ابن السني عن أبي سعيد الخدري. قال ابن القيم: اسناده لين، وروى الطبراني في الكبير عن رافع بن خديج باسناد حسن أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال « هلال خير ورشد اللهم إني أسألك من خير هذا » ثلاثاً.

(اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر) محركة **(وأعوذ بك من يوم الحشر)** بفتح فسكون بمعنى المحشور رأي المجموع فيه الناس، وفي بعض النسخ يوم المحشر أي موضع الحشر. قال العراقي: رواه ابن أبي شيبة وأحمد في مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم. قال الراوي عنه: حدثني من لا اتهم اهـ.

قلت: وقال الحافظ ابن حجر: غريب ورجاله موثقون إلا من لم يسم، ورواه أيضاً عبد الله بن أحمد في زيادات المسند، والطبراني في الكبير بلفظ كان ﷺ إذا رأى الهلال قال « الله أكبر الله أكبر الحمد لله لا حول ولا قوّة إلا بالله اللهم إني أسألك » فساقاه. وروى الطبراني أيضاً في الكبير

الحشر » وتكبر قبله أولاً ثلاثاً وإذا هبت الريح فقل: « اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ومن شر ما أرسلت

عن رافع بن خديج بلفظ « اللهم إني أسألك من خير هذا الشهر وخير القدر . وأعوذ بك من شره » ثلاث مرات.

ومن أحاديث الباب ما رواه ابن السني عن عبدالله بن مطرف رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال « هلال خير الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا. أسألك من خير هذا الشهر ونوره وبركته وهداه وظهوره ومعافاته ».

وعن علي رضي الله عنه انه كان يقول إذا رأى الهلال « اللهم ارزقنا نظره وخيره وبركته وفتحه ونوره ونعوذ بك من شره وشر ما بعده » رواه ابن أبي شيبة في المصنف.

وعن الحسين بن علي قال: سألت هشام بن حسان أي شيء كان الحسن يقول إذا رأى الهلال؟ قال: كان يقول « اللهم اجعله شهر بركة ونور وأجر ومعافاة. اللهم إنك قاسم فيه بين عبادك خيراً فاقسم لي فيه من خير ما تقسم بين عبادك الصالحين » رواه أيضاً ابن أبي شيبة في المصنف.

(وتكبّر قبل الدعاء أوّلاً ثلاثاً) أي تقول: « الله أكبر » قبل الدعاء ثلاث مرات رواه البيهقي في الدعوات من حديث قتادة مرسلاً « كان النبي ﷺ إذا رأى الهلال كبَّر ثلاثاً » رواه الدارمي من حديث ابن عمر إلا أنه أطلق التكبير ولم يقل ثلاثاً، وتقدم قريباً من حديث عبادة بن الصامت عند عبد الله بن أحمد والطبراني: « الله أكبر الله أكبر الحمد لله لا حول ولا قوّة إلا بالله ».

(وإذا هبت الريح) أي هبوباً شديداً **(فقل « اللهم إني أسألـك خير هذا الريح وخير ما أرسلت به)**. قال الطيبي: يحتمل الفتح على الخطاب، ويحتمل بناؤه للمفعول، وفي رواية بدل « أرسلت » جبلت عليه ذكره ابن الأثير. **(ونعوذ بالله من شرّها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به »)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، والنسائي في اليوم والليلة من حديث أبيّ بن كعب اهـ.

قلت: لفظ الترمذي: « لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أمرت به ». وروه أيضاً ابن السني في اليوم والليلة، ورواه عبد الله بن أحمد والروياني والدارقطني في الإفراد والحاكم، وأبو الشيخ في العظمة، وابن أبي شيبة، عن أبيّ بن كعب رفعه بلفظ « لا تسبوا الريح فإنها من روح الله تعالى وسلوا الله خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بالله من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به ». ورواه ابن أبي شيبة أيضاً والبيهقي في السنن عنه موقوفاً. لا تسبها فإنها مأمورة ولكن قل اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أمرت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أمرت به ».

به ». وإذا بلغك وفاة أحد فقل: « إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون. اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين. اللهم لا تحرمنا

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان ﷺ إذا عصفت الريح قال « اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به » مختصر رواه أحمد ومسلم والترمذي والنسائي، وأخرجه الطبراني في الدعاء من حديث ابن عباس وزاد في آخره « اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً ».

وروى ابن أبي شيبة وأحمد وابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه قال: « لا تسبوا الريح فإنها من روح الله تأتي بالرحمة والعذاب ولكن سلوا الله خيرها وتعوذوا بالله من شرها ». ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم نحوه. وروى الشافعي والبيهقي في المعرفة عن صفوان بن سليم مرسلاً « لا تسبوا الريح وعوذوا بالله من شرها ».

وفي الباب عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: بينا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة والابواء إذا غشيتنا ريح وظلمة شديدة فجعل رسول الله ﷺ يتعوّذ بأعوذ برب الفلق وأعوذ برب الناس ويقول « يا عقبة تعوذ بهما فما تعوّذ متعوّذ بمثلهما ». رواه أبو داود، وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ قال: « كان إذا اشتد الريح يقول اللهم لحالاً عقيماً » رواه ابن حبان في صحيحه.

(وإذا بلغك وفاة أحد) من المسلمين **(فقل « إنّا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم اكتبه من المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلف على عقبه في الغابرين)** أي الباقين. **(اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده)** وفي بعض النسخ زيادة **(واغفر لنا وله »)**.

قال العراقي: رواه ابن السني في اليوم والليلة من حديث ابن عباس دون قوله « واغفر لنا وله » ولأبي داود والنسائي في اليوم والليلة، وابن حبان من حديث أم سلمة « إذا أصابت أحدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون ». ولمسلم من حديثها « اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح في قبره ونور له فيه » اهـ.

قلت: ولفظ حديث أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال « إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضجّ ناس من أهله فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة » الحديث. ورواه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

وعنها رضي الله عنها قالت: لما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات. قال: « قولي اللهم اغفر لي وله واعقبني منه عقبى حسنة. قالت: فقلت فأعقبني الله من هو خير لي منه محمداً ﷺ » ورواه الجماعة إلا البخاري.

أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله » وتقول عند التصدق: ﴿ربّنا تقبّل منّا إنّك أنْتَ السميعُ العليمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] وتقول عند الخسران: ﴿عسَى ربُّنا أنْ يُبْدِلَنَا خيراً منها إنّا إلى ربِّنا رَاغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢] وتقول عند ابتداء الأمور: ﴿ربَّنا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رحمةً وهي لَنَا مِنْ أمرِنا رَشَداً﴾ [الكهف: ١٠] ﴿رب اشرح لي صدري★ويسِّر لي أمري﴾ [طه: ٢٥، ٢٦]، وتقول عند النظر إلى السماء ﴿ربَّنا ما خلقْتَ هذا باطلاً سُبْحانك فقِنَا عذَابَ النَّار﴾ [آل عمران: ١٩١] ﴿تَبَارك الّذي جَعَل في السماء بروجاً وجعل فيها سِراجاً وقمراً منيراً﴾ [الفرقان: ٦١] وإذا سمعت صوت الرعد فقل: ﴿سبْحَانَ مَنْ يسبِّحُ الرعدَ بحمدِهِ والملائكة من خِيفته﴾ فإن رأيت الصواعق فقل: « اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك » قاله كعب، فإذ أمطرت السماء فقل:

وعنها رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون. اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا أجره الله في مصيبته واخلف له خيراً منها. قالت: فلما توفي أبو سلمة قلت ما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله ﷺ » انفرد به مسلم.

(**وإذا تصدقت بصدقة فقل « ربَّنا تقبَّل منَّا إنَّك أنتَ السميعُ العليمُ**) نقله صاحب القوت، (**وتقول عند الخسران**) في البيع والشراء: (**عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربِّنا راغبون**) نقله صاحب القوت، (**وتقول عند ابتداء الأمور**) أي عند الشروع في أوّل الأمر (**ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً**) وتقول بعد ذلك: (**رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري**) وإن كان ممن يستمع إلى قوله فلا بأس أن يزيد ﴿واحلل عقدة من لساني★ يفقهوا قولي﴾ [طه: ٢٧، ٢٨] (**وتقول عند النظر إلى السماء**) بقصد الاعتبار: (**ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار**) وتقول بعده (**تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً**) المراد بالبروج منازل الشمس الاثنا عشر، وسراجاً أي شمساً. (**وإذا سمعت صوت الرعد فقل: سبحان من يسبّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته »**) قال العراقي: رواه مالك في الموطأ عن عبد الله بن الزبير موقوفاً ولم أجده مرفوعاً اهـ.

قلت: ولفظه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال « سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته » ووجدت بخط من نقل عن خط الشيخ زين الدين الدمشقي الواعظ ما نصه: هو مرفوع في تفسير ابن جرير من حديث أبي هريرة بالشطر الأوّل، لكن الراوي له عن أبي هريرة مبهم لم يسم فإنه قال: عن رجل عنه.

(**فإذا رأيت الصواعق**) جمع صاعقة وهي قصفة رعد تنقض معها قطعة من نار (**فقل « اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك »**) خص القتل بالغضب

« اللهم سقياً هنيئاً وصيباً نافعاً اللهم اجعله صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب » فإذا

والإهلاك بالعذاب لأن نسبة الغضب إلى الله تعالى استعارة والمشبه به الحالة التي تعرض للملك عند انفعاله وغليان دم القلب ثم الانتقام من المغضوب عليه، وأكثر ما ينتقم به القتل فرشح الاستعارة به عرفاً والإهلاك والعذاب جاريان على الحقيقة في حق الحق، ولما لم يكن تحصيل المطلوب إلا معافاة الله قال « وعافنا قبل ذلك ».

قال العراقي: رواه الترمذي وقال غريب والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابن عمرو وابن السني بإسناد حسن اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وسنده جيد والحاكم في المستدرك وقال: صحيح. وأقرَّه الذهبي ولفظهم واحد كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال فذكروه. قال الصدر المناوي: وقد عزاه النووي في خلاصته لرواية البيهقي وقال: فيه الحجاج بن ارطأة وهو قصور فإن الحديث في الترمذي من غير طريق الحجاج اهـ.

وذكر في الأذكار بعد عزوه للترمذي إسناده ضعيف وكأنه نظر إلى ما ذكرناه. قال الحافظ: هو حديث غريب أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، والحجاج صدوق لكنه مدلس، وقد صرح بالتحديث فكيف يطلق الضعف على هذا وهو متماسك والله أعلم.

(فإذا مطرت السماء فقل « اللهم سقياً هنيئاً وصيباً نافعاً) قال العراقي: رواه البخاري من حديث عائشة كان إذا رأى المطر قال: « اللهم اجعله صيّباً نافعاً » ولابن ماجه « سيباً » بالسين، وله وللنسائي في اليوم والليلة « اللهم اجعله صيباً هنياً » واسنادهما صحيح اهـ.

قلت: قوله نافعاً تتميم في غاية الحسن لأن لفظة « صيّباً » مظنة للضرر والفساد. قال الزمخشري: الصيب المطر الذي يصوب أي ينزل ويقع، وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتكثير دل على أنه نوع من المطر شديد هائل فتممه بقوله « نافعاً » صيانة عن الإضرار والفساد ونحوه قوله:

فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمة تهمي

لكن « نافعاً » في الحديث أوقع وأحسن من مفسدها اهـ.

قال ابن سيدة في المحكم صاب المطر صوباً وانصاب كلاهما انصب، ومطر صوب وصيب وصيوب وقوله تعالى: ﴿أو كصيب من السماء﴾ [البقرة: ١٩] الصيب هنا المطر اهـ. والسيب بفتح السين المهملة وسكون الياء التحتية هو العطاء.

وروي عن عائشة أيضاً أن رسول الله ﷺ كان إذا رأى سحاباً مقبلاً من أفق من الآفاق ترك ما هو فيه، وإن كان في صلاة حتى يستقبله فيقول « إنا نعوذ بك من شر ما أرسل به فإن أمطر قال اللهم سيباً نافعاً اللهم سيباً نافعاً وإن كشفه الله ولم يمطر حمد الله على ذلك ». رواه أبو

غضبت فقل: «اللهم اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم». فإذا خلفت قوماً فقل: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم» فإذا غزوت فقل: «اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أقاتل» وإذا طنّت أذنك فصلّ على محمد ﷺ

داود والنسائي وابن ماجه واللفظ للترمذي. (**اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب** ») قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسلاً اهـ.

(**فإذا غضبت**) على أحد (**فقل « اللهم اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم** ») قال العراقي: رواه ابن السني في اليوم والليلة من حديث عائشة بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: ولفظ ابن السني كان إذا غضبت عائشة عرك بأنفها وقال «يا عويش قولي اللهم رب محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن». ورأيت بخط الحافظ السخاوي ما نصه: هو في مسند أحمد من حديث سلمة في حديث طويل وسنده حسن.

(**فإذا خفت قوماً**) أي شرهم (**فقل: « اللهم إنا نجعلك في نحورهم**) أي في إزاء صدورهم تقول جعلت فلاناً نحر العدو إذا جعلته قبالته وترساً يقاتل عنك ويحول بينك وبينه، (**ونعوذ بك من شرورهم** ») خص النحر لأنه أسرع وأقوى في الدفع والتمكن من المدفوع، والعدو إنما يستقبل نحره عند المناهضة في القتال أو للتفاؤل بنحرهم أي قتلهم.

قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة من حديث أبي موسى بسند صحيح اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحاكم وابن حبان في صحيحها، ولفظ الأربعة سواء أن النبي ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: «اللهم» فذكروه. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي وفي لفظ لابن حبان كان إذا أصاب قوماً، ورواه أيضاً أحمد والبيهقي قال النووي في الأذكار والرياض: أسانيده صحيحه.

(**وإذا غزوت**) الكفار (**فقل: « اللهم أنت عضدي**) أي معتمد قال الطيبي: هو كناية عما يعتمد عليه ويثق المرء به في الخيرات وغيرها من القوة (**و**) أنك (**نصيري**) أي ناصري ومعيني (**وبك أقاتل**) أي عدوك وعدوي. قال العراقي رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث أنس. قال الترمذي: حسن غريب اهـ.

قلت: لفظ أبي داود كان إذا غزا قال: «اللهم أنت عضدي ونصيري وبك أحول وبك أصول وبك أقاتل» ورواه أحمد وابن ماجة والحاكم وابن حبان والضياء في المختارة، وفي رواية للنسائي من حديث صهيب: «رب بك أقاتل وبك أحاول ولا حول ولا قوة إلا بك» فأما أبو داود والترمذي وكذا أبو يعلى فرووه عن نصر بن علي الجهضمي عن أبيه عن المثنى بن سعيد عن قتادة عن أنس. ورواه أبو يعلى أيضاً عن موسى بن محمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن المثنى بن سعيد، ورواه ابن

وقل: « ذكر الله من ذكرني بخير » فإذا رأيت استجابة دعائك فقل: « الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات » وإذا أبطأت فقل: « الحمد لله على كل حال » وإذا سمعت أذان المغرب فقل: « اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي » وإذا أصابك هم فقل: « اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضائك أسألك بكل اسم هو لك

حبان عن الحسن بن سفيان والطبراني في الدعاء عن عبد الله بن أحمد كلاهما عن نصر بن علي، وأخرجه النسائي من طريق أزهر بن القاسم، وأبو عوانة في صحيحه من طريق مسلم بن قتيبة. كلاهما عن المثنى، والزيادة المذكورة في رواية أبي داود لـم تقع عند غيره، وقد أخرجه أبو عوانة عن أبي داود بالزيادة وهو في مسند الحارث من طريق أبي مجلز عن أنس بدون تلك الزيادة.

(وإذا طنت أذنك فصل على محمد ﷺ وقل ذكر الله بخير من ذكرني ») قال العراقي: رواه الطبراني وابن عدي وابن السني في اليوم والليلة من حديث أبي رافع بسند ضعيف اهـ.

قلت: رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة، وكذا العقيلي، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وآخرون كلهم بلفظ: « إذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله بخير من ذكرني بخير » والسند ضعيف، بل قال العقيلي: أنه ليس له أصل. كذا في المقاصد للسخاوي، لكن قال الهيثمي: إسناد الطبراني في الكبير حسن، وهذا يبطل من زعم ضعفه فضلاً عن وضعه كابن الجوزي والعقيلي، ونقل المناوي في شرحه على الجامع أنه رواه ابن خزيمة في صحيحه باللفظ المذكور عن أبي رافع وهو ممن التزم تخريج الصحيح فاعرف ذلك.

(وإذا رأيت) أمارات **(استجابة دعائك فقل: « الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات وإذا أبطأت فقل الحمد لله »)** رواه الحاكم في المستدرك من حديث عائشة بلفظ كان رسول الله ﷺ يقول: « ما يمنع أحدكم إذا عرف الإجابة من نفسه فشفي من مرض أو قدم من سفر يقول: الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات ». وروي ابن ماجة واللفظ له والحاكم وقال: صحيح الإسناد بلفظ: كان رسول الله ﷺ إذا رأى ما يحب قال: « الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وإذا رأى ما يكره قال الحمد لله على كل حال » وقد تقدم هذا الحديث في الدعاء.

(وإذا سمعت أذان المغرب فقل: « اللهم هذا استقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك) جمع داع وهم المؤذنون **(وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي »)** قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وقال: غريب، والحاكم من حديث أم سلمة دون قوله: « وحضور صلواتك » فإنها عند الخرائطي في مكارم الأخلاق والحسن بن علي المعمري في اليوم والليلة.

(فإذا أصابك هم فقل: « اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك نافذ فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، وأنزلته في كتابك أو

سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي» قال ﷺ: «ما أصاب أحداً حزن فقال ذلك إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحاً فقيل له: يا رسول الله: أفلا نتعلّمها؟ فقال ﷺ: بلى ينبغي لمن سمعها أن

أعطيته أحداً من خلقك، أو استأثرت في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي» . قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحداً حزن فقال هذا إلا أذهب الله عز وجل همه وأبدل مكانه فرحاً، فقيل يا رسول الله: أفلا نتعلمها؟ فقال ﷺ: ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها») قال العراقي: رواه أحمد وابن ماجة وابن حبان والحاكم من حديث ابن مسعود وقال: صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه اهـ.

قلت: رواه أحمد عن يزيد بن هارون أخبرنا فضيل بن مرزوق، أخبرنا أبو سلمة الجهني، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، عن جده عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب مسلماً قط هم أو حزن فقال اللهم إني عبدك وابن عبدك» فساقه إلا أنه قال «عدل» بدل «نافذ» وأو أنزلته «بأو» بدل «الواو» وأو علمته بدل اعطيته وجلاء حزني وذهاب همي وقال في آخره: «وأبدل مكان حزنه فرحاً» وقال: أفلا نتعلمهن؟ قال: بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن». وأخرجه الحاكم في المستدرك وابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء عن سعيد بن سليمان، أخبرنا فضيل بن مرزوق. ووقع في رواية سعيد عند الحاكم فقط القرآن العظيم، وقول الحاكم إن سلم من إرسال عبد الرحمن الخ. تعقبه الذهبي في مختصره فقال في السند أبو سلمة الجهني ما روى عنه إلا فضيل بن مرزوق، ولا يعرف اسمه ولا حاله. قال الحافظ ابن حجر: ولكنه لم ينفرد به، وذكره مع ذلك ابن حبان في الثقات.

ثم ساق الحافظ سنده إلى علي بن المنذر قال: حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ: «إذا أصاب أحدكم هم أو حزن فليقل» فذكره مثل حديث أبي سلمة وزاد بعد قوله: «وابن أمتك وفي قبضتك» وقال في آخره: «فما قالها عبد قط إلا أذهب الله همه» وقال فيه «ينبغي لكل مسلم» والباقي سواء أخرجه أبو يعلى عن محمد بن منهال عن عبد الواحد بن زياد عن عبد الرحمن بن إسحاق وأخرجه ابن السني عن أبي يعلى، وعبد الرحمن بن إسحاق واسطي صدوق، وحديث أبي سلمة الجهني رواه أيضاً الطبراني في الدعاء عن عمر بن حفص السدوسي، عن عاصم بن علي، عن فضيل بن مرزوق. وأخرجه ابن شاذان في الفوائد عن أبي بكر العباداني، عن محمد بن عبد الملك الدقيقي، عن يزيد بن هارون وأخرجه أبو يعلى عن أبي خيثمة، وأخرجه ابن أبي عاصم عن رزق

يتعلمها » فإذا وجدت وجعاً في جسدك أو جسد غيرك فارقه برقية رسول الله ﷺ: « كان إذا اشتكى الإنسان قرحة أو جرحاً وضع سبابته على الأرض ثم رفعها وقال: بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا ». وإذا وجدت وجعاً في جسدك فضع يدك على الذي يتألم من جسدك وقل: « بسم الله - ثلاثاً - وقل سبع مرات: أعوذ

الله بن موسى كلاهما عن يزيد بن هارون، وقد روي هذا الحديث أيضاً عن أبي موسى رضي الله عنه.

قال الطبراني في الدعاء: حدثنا أحمد بن علي الجارودي، حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا علي بن ثابت الجزري، عن منصور بن برقان، عن عياض الكوفي، عن عبيد الله بن زيد، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: « من أصابه هم أو حزن فليدع بهؤلاء الكلمات يقول اللهم أنا عبدك وابن عبدك » فذكر مثل حديث ابن مسعود وفي آخره بعد قوله: « وذهاب همي » قال قائل: يا رسول الله إن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات قال: « أجل فقولوهن وعلموهن فإنه من قالهن وعلمهن أذهب الله حزنه وأطال فرحه ». وأخرجه ابن السني في اليوم والليلة من رواية مخلد ابن يزيد الحراني عن جعفر بن برقان.

(فإذا وجدت قرحة في جسدك أو جسد غيرك فارق برقية رسول الله ﷺ: « كان ﷺ إذا اشتكى إنسان قرحة أو جرحاً وضع سبابته على الأرض ثم رفعها) وبلها بريقه (وقال: بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفي سقيمنا بإذن ربنا ») رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة، وكذلك رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه بلفظ: « كان يقول للمريض بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفي سقيدنا ». ولفظ مسلم: « كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت به قرحة أو جرح قال النبي ﷺ بأصبعه هكذا، ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفي سقيمنا بإذن ربنا » قال ابن أبي شيبة يشفى، وقال زهير ليشفي اهـ.

والأكمل اكمال البسملة. وقال الشرجي في كتاب الفوائد: من أصابه جراح في جسده فليقل: « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ثم يأخذ تراباً طاهراً ويطرح منه على الجرح قليلاً قليلاً وهو يقول أصاب النبي ﷺ في بعض غزواته جراح فما ضرب ولا أقاح، وكذلك تكون أيها الجراح بسم الله ربنا تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفي سقيمنا بإذن ربنا » يقول ذلك ثلاث مرات كل مرة يتفل وينفخ في الجرح يبرأ بإذن الله تعالى.

(وإذا وجدت وجعاً في جسدك فضع يدك) واليمين أولى. قال القرطبي: وهذا الأمر على جهة التعليم والإرشاد إلى ما ينبغي من وضع يد الراقي على المريض ومسحه بها، ولا ينبغي له العدول عنه إلى المسح بنحو حديد وملح وغير ذلك فإنه لا أصل له في السنة (على الذي يألم من جسدك وقل « بسم الله ثلاثاً ») والأكمل إكمال البسملة (وقل سبع مرات أعوذ بالله) وفي

بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » فإذا أصابك كرب فقل: « لا إله إلا الله العلي الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب

رواية: بعزة الله **(وقدرته من شر ما أجد وأحاذر »)** وهذا العلاج من الطب الإلهي لما فيه من ذكر الله والتفويض إليه والإستعاذة بعزته وتكراره يكون أنجع وأبلغ، كتكرار الدواء الطبيعي لاستقصاء إخراج المادة، وفي السبع خاصية لا توجد في غيرها.

قال العراقي: رواه مسلم من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي اهـ.

قلت :وكذلك رواه أحمد والنسائي في اليوم والليلة، وابن ماجة وابن حبان، وكلهم في الطب إلا النسائي ولفظهم: شكوت إلى رسول الله ﷺ وجعاً أجده في جسدي منذ أسلمت فقال: « ضع يدك » الحديث. وفي رواية « ضع يمينك على المكان الذي تشتكي فامسح بها سبع مرات وقل أعوذ بعزة الله وقوته من شر ما أجد في كل مسحة ». وهكذا رواه ابن حبان والطبراني والحاكم في الجنائز وابن السني في اليوم والليلة.

(وإذا أصابك كرب فقل « لا إله إلا الله العلي الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم ») قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عباس اهـ.

قلت: رواه مسلم والترمذي وأبو بكر بن خزيمة عن محمد بن بشار: حدثنا معاذ بن هشام هو الإستواني، حدثنا أبي عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس أن نبي الله ﷺ كان يدعو عند الكرب: « لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم » ورواه البخاري عن مسلم بن إبراهيم: حدثنا هشام لكن لم يسقه بتمامه، وأخرجه تاماً عن مسدد عن يحيي القطان عن هشام، ورواه مسلم عن عبد بن حميد، حدثنا محمد بن بشر، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة أن أبا العالية الرياحي حدثهم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهن أو كان يقولهن عند الكرب فذكر مثله، لكن قال: « رب السموات السبع ».

وأخرجه البخاري من رواية يزيد بن زريع، عن سعيد، وروى عبد بن حميد أيضاً عن يزيد بن هارون، أخبرنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي العالية، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: « كلمات الفرج لا إله إلا الله الحليم العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله هو رب السموات السبع ورب العرش الكريم ». وأخرجه ابن خزيمة عن الحسن عن محمد الزعفراني عن يزيد ابن هارون، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الدعاء عن أبي خيثمة عن يزيد بن هارون إلا أنه قدم الجملة الثانية على الأولى، وأخرجه الطبراني في الدعاء عن بشر بن موسى عن الحسن بن موسى، وأخرجه مسلم عن محمد بن حاتم، عن بهز بن أسد كلاهما عن حماد بن سلمة، عن يوسف بن عبد الله بن الحرث، عن أبي العالية، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر قال: « لا إله إلا

العرش الكريم ». « وإن أردت النوم فتوضأ أولاً ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم

الله الحليم العظيم » فذكر الحديث وزاد في آخره « ثم يدعو ». وأخرجه أبو عوانة والنسائي جميعاً عن محمد بن إسحاق الصغاني عن الحسن بن موسى، وقد روي هذا الحديث بزيادة أخرى.

قال البخاري في كتاب الأدب المفرد: حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا عبد الملك بن الخطاب، حدثني راشد أبو محمد بن عبد الله بن الحرث، سمعت ابن عباس يقول: كان النبي ﷺ يقول عند الكرب فذكر مثل رواية هشام التي تقدم ذكرها أولاً وزاد في آخره: « اللهم اصرف عني شره ». وقد روي هذا الحديث أيضاً من غير طريق ابن عباس.

قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الدعاء: حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثني سعيد بن منصور، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن محمد بن عجلان، عن محمد بن كعب عن عبد الله بن الهاد عن عبد الله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لقنني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات إن نزل بي شدة أو كرب أن أقولهن: « لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحانه وتعالى تبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين » فكان عبد الله بن جعفر يلقنها الميت، وينفث بها على المذعور، ويعلمها المعتزبة من بناته.

قال: وحدثنا محمد بن موسى الفلكي، حدثنا روح بن عبادة، عن أسامة بن زيد، عن محمد بن كعب القرظي، عن عبد الله بن شاد، عن عبد الله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: علمني رسول الله ﷺ إذا نزل بي كرب أن أقول: « لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين ».

قال: وحدثني الحسين بن علي العجلي، ثنا محمد بن فضيل، عن مسعود، عن أبي بكر بن حفص، عن حسين بن حسن قال: زوج عبد الله بن جعفر ابنته فخلا بها. قال الحسن: فلقيتها فقلت ما قال لك؟ قالت: قال لي يا بنية إذا نزل بك الموت أو أمر تفظعين به فقولي: « لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين » قال الحسن: فأتيت الحجاج فقلتهن، فقال: لقد جئتني وأنا أريد أن أضرب عنقك فما من أحد أحب إلي منك فسلني ما شئت.

(**« وإن أردت النوم فتوضأ أولاً**) وإن كان متوضئاً كفاه ذلك، (**ثم توسد على يمينك**) أي ضع رأسك على الوسادة على جهة يمينك فهو السنة لأن القلب جهة اليسار، فإذا نام على اليمين تعلق قلبه فهو أسرع لانتباهه من نومه، وهذه الهيئة نومة الأنبياء، وعند مسلم من حديث أبي هريرة: « فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع على شقه الأيمن ». وعند السنة من حديث البراء: « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ». وفي رواية للبخاري: « كان إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن » وفي رواية لأبي داود قال لي رسول الله ﷺ: « إذا أويت إلى فراشك وأنت طاهر فتوسد يمينك » (**مستقبل القبلة**) ان استطاع ذلك فإن أكرم المجالس ما

كبّر الله تعالى أربعاً وثلاثين وسبحه ثلاثاً وثلاثين واحمده ثلاثاً وثلاثين ». ثم قل: « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك. اللهم إني لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك ». « اللهم

استقبل به القبلة **(ثم كبر الله أربعاً وثلاثين)** تكبيرة **(وسبحه ثلاثاً وثلاثين)** تسبيحة **(وأحمده ثلاثاً وثلاثين)** تحميدة فتلك المائة ».

قال العراقي: متفق عليه من حديث علي اهـ.

قلت: لفظ هذا الحديث عن علي أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي ﷺ تسأله خادماً فقال: « ألا أخبرك ما هو خير لك منه تسبحين الله عند منامك ثلاثاً وثلاثين، وتحمدين الله ثلاثاً وثلاثين، وتكبرين الله أربعاً وثلاثين » ثم قال سفيان: إحداهن أربعاً وثلاثين فما تركته بعد قيل: ولا ليلة صفين؟ قال: لا ولا ليلة صفين. رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

وفي رواية للبخاري: « أن فاطمة رضي الله عنها شكت ما تلقى في يدها من الرحى، فأتت النبي ﷺ تسأله خادماً فلم تجده فذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها، فلما جاء ﷺ أخبرته. قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت أقوم فقال: مكانك، فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري فقال: ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم إذا أويتما إلى فراشكما أو أخذتما مضاجعكما فكبرا ثلاثاً وثلاثين وسبحا ثلاثاً وثلاثين وأحمدا ثلاثاً وثلاثين فهذا خير لكما من خادم » وعن شعبة عن خالد عن ابن سيرين قال: التسبيح أربعاً وثلاثين، وفي بعض طرق النسائي التحميد أربعاً وثلاثين، وهو الموافق لما أورده المصنف هنا زاد أبو داود في بعض طرقه قالت: رضيت عن الله عز وجل وعن رسول الله ﷺ.

(ثم قل: « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك. اللهم لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك ») قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث علي وفيه انقطاع اهـ.

قلت: تقدم هذا الدعاء في آخر تلاوة القرآن،وذكرت هناك ما يتعلق بمعناه وهو من أذكار السجود مروي عن عائشة رضي الله عنها. رواه مسلم من طريق الأعرج عن أبي هريرة عنها وفيه بعد قوله منك: لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وله طريق أخرى منها عند ابن خزيمة من رواية النضر عن عروة عنها نحو حديث أبي هريرة عنها، لكن قال في آخره: « أثني عليك ولا أبلغ كل ما فيك ». وسنده صحيح.

ومنها في الخلفيات من طريق علي بن الحصين عنها وقال في آخره لا أحصي أسماءك ولا ثناءً عليك ». وسنده ضعيف.

(« اللهم باسمك أحيا وأموت ») قال العراقي: رواه البخاري من حديث حذيفة ومسلم من حديث البراء اهـ.

باسمك أحيا وأموت » . « اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن. أعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء . اقض عني الدين واغنني من الفقر » . « اللهم إنك خلقت نفسي وأنت تتوفاها . لك مماتها ومحياها . اللهم إن أمتها فاغفر لها وإن أحييتها فاحفظها. اللهم إني أسألك العافية في الدنيا

قلت : ورواه أيضاً أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن حذيفة قال : كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال : « باسمك أموت وأحيا وإذا نام قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » . ورواه أحمد والترمذي عن البراء ، ورواه أيضاً أحمد والشيخان عن أبي ذر كان إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول : « باسمك أحيا وباسمك أموت » والباقي كسياق حذيفة .

(« اللهم رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين واغنني من الفقر ») قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ .

قلت : ولفظه عن سهيل قال كان ابن صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول : « اللهم رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته . اللهم أنت الأول » . فساقه الخ . إلا أنه قال في آخره : « اقض عنا الدين وأغننا من الفقر » رواه الجماعة إلا البخاري .

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء : حدثنا أبو هشام الرفاعي ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى النبي ﷺ تسأله خادماً فقال : « ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم » فساق الحديث ، وفيه ذكر هذا الدعاء بمثل سياق الجماعة ، وقد قدمت ذكره قريباً عند دعاء الدين .

(**« اللهم إنك خلقت نفسي وأنت تتوفاها**) هكذا بتاءين ، وفي بعض الروايات بحذف إحداهما تخفيفاً (**لك مماتها ومحياها**) أي أنت المالك لإحيائها ولإماتتها أي وقت شئت لا مالك لها غيرك . (**اللهم إن أمتها فاغفر لها**) أي ذنوبها (**وإن أحييتها فاحفظها**) من التورط فيما لا يرضيك . (**اللهم إني أسألك**) أي أطلب منك (**العافية**) أي السلامة في الدين من الافتتان وكيد الشيطان والدنيا من الآلام والأسقام .

والآخرة. باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي. اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك. اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوّضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك. آمنت بكتابك الذي أنزلت

قال العراقي: رواه مسلم من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: وكذلك رواه النسائي من طريق خالد سمعت عبد الله بن الحرث يحدث عن عبد الله بن عمر أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول: « اللهم خلقت نفسي وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها إن أحييتها فاحفظها وإن أمتها فاغفر لها. اللهم أسألك العافية ». فقال له رجل: سمعت هذا من عمر. قال: من خير من عمر من رسول الله ﷺ **(باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي »)**.

قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن، وللشيخين من حديث أبي هريرة: « باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فاغفر لها » وقال البخاري: « فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » اهـ.

قلت ولفظ حديث أبي هريرة إذا جاء أحدكم إلى فراشه فلينفضه ببضعة ثوبه ثلاث مرات وليقل: « باسمك ربي » الحديث. ورواه الجماعة، ولفظ مسلم فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه وليسم الله فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه، فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع على شقه الأيمن وليقل: « سبحانك ربي لك وضعت جنبي » وباقيه مثله. وفي رواية للبخاري: « فارحمها » بدل « فاغفر لها » كما ذكره الشيخ.

وروى أبو داود من حديث أبي الأزهر الإنماري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: « بسم الله وضعت جنبي اللهم اغفر لي ذنبي وأخسيء شيطاني وفك رهاني واجعلني في الندى الأعلى ». ورواه الحاكم في المستدرك وقال فيه: « وثقل ميزاني واجعلني في الملأ الأعلى ».

(« اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك ») أي يوم النشور.

قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل من حديث ابن مسعود، وهو عند أبي داود من حديث حفصة بلفظ: « تبعث » وكذا رواه الترمذي من حديث حذيفة وصححه، ومن حديث البراء وحسنه اهـ.

قلت: ولفظ حديث حفصة رضي الله عنها قالت: كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول: « اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك » ثلاث مرات هذا لفظ أبي داود، وكذا رواه النسائي. ورواه الترمذي من حديث البراء بمعناه وقال: ليس غريب من هذا الوجه. ورواه ابن أبي الدنيا في الدعاء من طريق قتادة عن أنس بمثل حديث حفصة.

(اللهم أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة

وبنبيك الذي أرسلت » ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله ﷺ بذلك . وليقل قبل ذلك : « اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك ، واستعملني بأحب الأعمال إليك تقربني إليك زلفى وتبعدني من سخطك بعداً أسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي » فإذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل : « الحمد لله الذي

إليك) أي خوفاً منك ورغبة إليك **(لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت » ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله ﷺ بذلك)** قال العراقي : متفق عليه من حديث البراء اهـ .

قلت : لفظ حديث البراء قال : قال النبي ﷺ : « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم إضطجع على شقك الأيمن ثم قل : اللهم أسلمت وجهي إليك » فساقه إلى قوله : « أرسلت » ثم قال بعده « فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به . قال : فرددتها على النبي ﷺ فلما بلغت آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت ورسولك قال : لا ونبيك الذي أرسلت » رواه الجماعة وفي رواية للبخاري أيضاً : « فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبت خيراً » وفي رواية للبخاري أيضاً كان رسول الله ﷺ إذا أوى على فراشه نام على شقه الأيمن ثم قال : « اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك » فذكر مثله غير أنه قال : « وبنبيك » كما هو في سياق المصنف ، وفي رواية لأبي داود قال لي رسول الله ﷺ : « إذا أويت إلى فراشك وأنت طاهر فتوسد يمينك » . ثم ذكر نحوه . وفي رواية للنسائي : « كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه توسد يمينه ثم قال بسم الله فذكره بمعناه .

(وليقل قبل ذلك) أي قبل قراءته لهذا الدعاء : **(« اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني بأحب الأعمال لديك تقربني إليك زلفى وتبعدني من سخطك بعداً . أسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي ») .**

قال العراقي : رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس : « اللهم ابعثنا في أحب الساعات إليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا » وإسناده ضعيف وهو معروف من قول حبيب الطائي كما رواه ابن أبي الدنيا اهـ .

قلت : هكذا هو لفظ العراقي ، والصواب من قول حبيب أبي محمد أي المعروف بالعجمي .

قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الدعاء : حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير ، حدثنا الحرث بن موسى الطائي ، حدثنا حبيب أبو محمد قال : إذا أوى العبد إلى فراشه قال : « اللهم لا تنسني ذكرك ولا تؤمني مكرك ولا تجعلني من الغافلين ونبهني لأحب الساعات إليك أذكرك فتذكرني وأدعوك فتستجيب لي وأسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي بعث الله إليه ملكاً فنبهه فإن هو قام فتوضأ فسأل ذلك وإلا صعد ذلك الملك فصلى ثم يبعث إليه ملك آخر فيفعل مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه ملكاً آخر فيفعل مثل ذلك ، وكان صلاة الأملاك له حتى يصبح » . قال أحمد بن إبراهيم :

أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور، أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله. أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا

وحدثني أخي أن معتمر بن سليمان حدثهم بهذا الحديث عن أبي عبد الحرث بن موسى. قال: وأثنى عليه خير اهـ.

وروى ابن النجار عن ابن عباس بنحو سياق الديلمي ولفظه: «من قال عند منامه اللهم لا تؤمنا مكرك». فساقه إلى قوله: «الغافلين» ثم قال: «اللهم ابعثنا في أحب الساعات إليك وفيه إلا بعث الله إليه ملكاً في أحب الساعات إليه فيوقظه فإن قام وإلا صعد الملك فيعبد الله في السماء ثم يعرج إليه ملك آخر فيوقظه فإن قام وإلا صعد الملك فقام مع صاحبه ويعرج إليه ملك آخر فيوقظه فإن قام وإلا صعد الملك فقام مع صاحبيه فإن قام بعد ذلك ودعا استجيب له فإن لم يقم كتب الله له ثواب أولئك الملائكة». وقد تقدم الكلام على أول هذا الحديث مختصراً في أول هذا الكتاب.

(فإذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور») هو من بقية الحديث الذي رواه البخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي عن حذيفة، ومسلم عن البراء وقد تقدم قريباً.

(«أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والقوة والقدرة لله») قال العراقي رواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة: «أصبحنا وأصبح الملك لله والحمد والحول والقوة والقدرة والسلطان في السموات والأرض وكل شيء لله رب العالمين» وله في الدعاء من حديث ابن أبي أوفى: «أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما سكن فيهما لله» وإسنادهما ضعيف. ولمسلم من حديث ابن مسعود: «أصبحنا وأصبح الملك لله» اهـ.

وقلت: حديث ابن مسعود هذا رواه أيضاً أبو داود والترمذي والنسائي كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال «أمسينا وأمسى الملك لله وإذا أصبح قال أصبحنا وأصبح الملك لله».

(أصبحنا على فطرة الإسلام) أي دينه الحق **(وكلمة الإخلاص)** وهي كلمة الشهادة **(ودين نبينا محمد ﷺ)** وهو تعليم للأمة وإرشاد لهم، **(وملة أبينا ابراهيم عليه السلام حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين»)** قال العراقي رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن إبزي بسند صحيح، ورواه أحمد من حديث ابن إبزي عن أبي بن كعب مرفوعاً اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الطبراني في الكبير، ولفظ النسائي كان النبي ﷺ إذا أصبح قال «أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا ابراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين» رواه من طرق، ورجال إسناده رجال الصحيح. والحنيف الصحيح هو

وبك نموت وإليك المصير. اللهم إني أسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوءاً أو نجره إلى مسلم فإنك قلت: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلمُ ما جرحتُم بالنّهار ثم يبعثُكُم فيه ليُقْضَى أجل مسمّى﴾ [الأنعام: ٦٠] اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل

المائل إلى الاسلام الثابت عليه قاله الهروي، وفي المحكم لابن سيده: الحنيف المسلم هو الذي يتحنف عن الأديان أي يميل إلى الحق، وقيل: هو المخلص وكلمة الاخلاص هو قول «لا إله إلا الله».

(«**اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور**») قال العراقي: رواه أصحاب السنن الأربعة وإبن حبان وحسنه الترمذي إلا أنهم قالوا «وإليك النشور» ولابن السني «واليك المسير» اهـ.

قلت: لم يذكر صحابيه وقد أخرجه الأربعة من حديث أبي هريرة، وكذا ابن حبان في صحيحه، وأبو عوانة في مسنده الصحيح وهذا لفظه إن النبي ﷺ كان إذا أصبح يقول «اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور، وإذا أمسى قال: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير».

(«**اللهم إنا نسألك أن تبعثنا في هذا اليوم إلى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه**») أي نكتسب (**سؤاً أو نجره إلى مسلم فإنك قلت وقولك الحق ﴿وهو الذي يتوفّاكم بالليل ويعلم ما جرحتُم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمّى﴾**»).

قال العراقي: لم أجد أوّله، وللترمذي من حديث أبي بكر في حديث له «وأعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وإن نقترف على أنفسنا سؤاً أو نجره إلى مسلم» رواه أبو داود عن أبي مالك الأشعري باسناد جيد اهـ.

قلت: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنهما قال يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت فساقه. وقد انفرد الترمذي بهذه الزيادة، وقد رواه أبو داود والنسائي والحاكم وابن حبان بدون هذه الزيادة، وقد تقدم ذكره في دعاء أبي بكر رضي الله عنه.

وأما قول العراقي: رواه أبو داود عن أبي مالك قال الأشعري: فإن لفظه عند أبي داود أن رسول الله ﷺ قال «إذا أصبح أحدكم فليقل أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين. اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده، فإذا أمسى فليقل مثل ذلك.

وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: («**اللهم فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً**») اقض عني الدين واغنني من الفقر وقوّني على الجهاد في سبيلك» وسنده ضعيف قاله العراقي.

سكناً والشمس والقمر حسباناً أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه. بسم الله ما شاء الله لا قوّة إلا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله. ما شاء الله الخير كله بيد الله. ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله. رضيـت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير - وإذا أمسي قال ذلك

قلت: ووجدت بخط الشمس الداودي ما نصه أخرجه ابن أبي شيبة من حديث مسلم بن سيار مرسلاً، ومالك في الموطأ عن يحي بن سعيد مرسلاً أيضاً «اللهم إنا (**نسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه، ونعوذ بك من شره وشر ما فيه**»).

وللدارقطني في الافراد من حديث البراء «أسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده أعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده» وفي حديث أبي مالك الأشعري الذي تقدم قريباً «اللهم إني أسألك خير هذا اليوم» وفي آخره «وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده» وفي اليوم والليلة للحسن بن علي المعمري «اللهم إني أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده، وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده» والحديث عند مسلم في المساء «خير ما في هذه الليلة» الحديث ثم قال وإذا أصبح قال ذلك أيضاً.

(**بسم الله ما شاء الله لا قوّة إلا بالله، ما شاء الله كل نعمة فمن الله، ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله**») قال العراقي: رواه ابن عدي في الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلمه الا مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: يلتقي الخضر والياس عليهما السلام كل عام بالموسم بمنى فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات فذكره، ولم يقل «الخير كله بيد الله» قال ابن عباس: «من قالهن حين يصبح وحين يمسي آمنه الله من الغرق والحرق» وأحسبه قال «ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب» أورده في ترجمة الحسن بن رزين وقال: ليس بالمعروف وهو بهذا الاسناد منكر اهـ.

قلت: وقد تقدم الكلام على هذا مفصلاً عند ذكر دعاء الخضر عليه السلام.

ومن قال حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات (**«رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً**) كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة» رواه أبو داود والنسائي والحاكم من حديث أبي سلام ممطور الحبشي، ورواه الترمذي من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ثوبان وقال: حسن غريب، وقد وقع في إسناد هذا الحديث إختلاف كثير تقدم بعضه في الباب الأوّل. وروى ابن أبي شيبة عن عطاء بن يسار مرسلاً «من قال حين يمسي رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولاً فقد أصاب حقيقة الايمان».

(**ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير**) ختم مجموع الأدعية بهذه الآية تبركاً.

(**وإذا أمسى قال ذلك**) أي ما ذكر من الأدعية المجموعة ولا بأس أن قدم دعاء على دعاء

إلا أنه يقول: « أمسينا » ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على

أو زاد أو أختصر **(إلا أنه يقول أمسينا)** بدل أصبحنا أو أمسيت بدل أصبحت، **(ويقول مع ذلك)** في أدعية الصباح والمساء: **(أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذي شر ومن شر كل دابة ربي آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم)** قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف « من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذرأ اعتصم من شر الثقلين » الحديث وفيه « وإن قالهن حين يمسي كن له كذلك حتى يصبح » وفيه ابن لهيعة، ولأحمد من حديث عبد الرحمن بن حبيش في حديث « أن جبريل قال يا محمد قل أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وذرأ وبرأ من شر ما نزل من السماء » الحديث واسناده جيد. ولمسلم من حديث أبي هريرة في الدعاء عند النوم « أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها » وللطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء « اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة » إلى آخر الحديث، وقد تقدم في الباب الثالث اهـ.

قلت: وبقية حديث عبد الرحمن بن عوف عند أبي الشيخ بعد قوله الثقلين الجن والانس وإن لدغ لم يضره شيء حتى يمسي، وروى ابن عدي في الكامل والسجزي في الابانة من حديث أبي هريرة « من قال أعوذ بكلمات الله التامات، من شر ما خلق ثلاث مرات لم تضره عقرب حتى يمسي ومن قالها حين يمسي لم تضره حتى يصبح » ورواه الجماعة إلاالبخاري من حديثه بلفظ « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة. قال أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك شيء » وفي رواية للترمذي « من قالها ثلاث مرات حين يمسي لم تضره همة تلك الليلة » قال سهل: فكان أهلنا تعلموها فكانوا يقولونها في كل ليلة فلدغت جارية منهم فلم تجد لها وجعاً. وهذا حديث حسن، والكلمات قال الهروي وغيره هي القرآن. وقال أبو داود في سننه باب في القرآن وذكر فيه حديث تعويذ النبي ﷺ الحسن والحسين بكلمات الله التامة، والتامات قيل هي الكاملات، ومعنى كمالها أنه لا يدخلها نقص ولا عيب كما يدخل في كلام الناس، وقيل هي النافعات الكافيات الشافيات من كل ما يتعوّذ منه.

وأخرج ابن أبي الدنيا في الدعاء عن أبي هريرة: حدثنا كعب قال: إنا نجد مكتوباً في التوراة غير المبدلة أن الشيطان لا يطيف بعبد من لدن يمسي حتى يصبح يقول هذه الكلمات « اللهم إني أعوذ باسمك وكلماتك التامة من شر الشامة والهامة، وأعوذ باسمك وكلماتك التامة من عذابك وشر عبادك. اللهم إني أعوذ باسمك وكلماتك التامة من الشيطان الرجيم. اللهم إني أسألك باسمك وكلماتك التامة من خير ما نسأل وخير ما تعطي وخير ما تبدي وخير ما تخفي. اللهم إني أعوذ باسمك وكلماتك التامة من شر ما تجلي به النهار وإن كان الليل » قال: « من شر ما دجى به الليل ».

صراط مستقيم. وإذا نظر في المرآة قال: «الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين. وإذا اشتريت خادماً أو غلاماً أو دابة فخذ بناصيته وقل: اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه، وأعوذ بك من شره وشر ما

وأخرج أيضاً من طريق ابراهيم بن أبي بكر قال: سمعت كعباً يقول: لولا كلمات أقولهن حين أصبح وأمسى لجعلتني اليهود من الحمر الناهقة والكلاب النابحة والذئاب العادية «أعوذ بوجه الله الجليل وبكلماته التامة الذي لا يخفر جاره الذي يمسك السموات والأرض ومن فيهن أن تقع على الأرض إلا باذنه من شر ما خلق وذرأ وبرأ».

وأخرج أيضاً من طريق عمرو بن مرة قال: قلت لسعيد بن المسيب أخبرني بشيء أقوله إذا أصبحت قال «قل أعوذ بوجه الله الكريم واسمه العظيم وكلماته التامة من شر السامة والهامة ومن شر ما خلقت أي رب ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها وشر هذا اليوم إن كان نهاراً أو شر هذه الليلة إن كان مساء وشر ما بعدها وشر الدنيا وشواغلها».

(وإذا نظرت وجهك في المرآة) بكسر الميم والمد معروفة **(فقل)** ندباً **(«الحمد لله الذي سوّى خلقي)** بفتح فسكون **(فعدّله)** بالتشديد والتعديل أخص من التسوية **(وكرم صورة وجهي وحسنها)** من التكريم والتحسين **(وجعلني من المسلمين»)** وإنما ندب النظر إليها ليقوم بواجب الحمد على حسن الخلق لأنهما نعمتان يجب الشكر عليهما.

قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، وابن السني في اليوم والليلة من حديث أنس بسند ضعيف. اهـ.

قلت: وكذلك رواه البيهقي في الشعب وسنده أيضاً ضعيف ولفظه «كان إذا نظر وجهه في المرآة قال الحمد لله» الخ.

وروى أبو يعلى والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس «كان إذا نظر في المرآة قال الحمد الله الذي حسن خلقي وخُلقي وزان مني ما شان من غيري» الحديث.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول «اللهم أنت حسنت خلقي» رواه ابن حبان في صحيحه، ورواه البيهقي في كتاب الدعوات من حديث عائشة رضي الله عنها «كان رسول الله ﷺ إذا نظر إلى وجهه في المرآة قال» فذكره، وأخرجه أبو بكر بن مردويه في كتاب الأدعية من حديث أبي هريرة وعائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا نظر في المرآة قال «اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن خلقي وحرم وجهي على النار».

(وإذا اشتريت خادماً) هو من يخدم في مهنة البيت أعم من أن يكون ذكراً أو أنثى والآن في العرف صار لفظ الخادم خاصاً بالجارية **(أو غلاماً)** وهو الطار الشاب ويطلق على الرجل مجازاً باسم ما كان عليه كما يقال للصغير شيخ مجازاً باسم ما يؤل إليه، **(أو دابة فخذ بناصيتها وقل «اللهم إني أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه»)** قال

جبل عليه، وإذا هنأت بالنكاح فقل: بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير. وإذا قضيت الدين فقل للمقضى له: بارك الله لك في أهلك ومالك إذ قال ﷺ: « إنما جزاء السلف الحمد والاداء ».

العراقي: رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد اهـ.

قلت: ولفظه « إذا اشترى أحدكم الجارية أو الغلام أو الدابة فليأخذ بناصيته وليقل اللهم إني أسألك خيره » الحديث. وفي آخره « وإذا اشترى بعيراً فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك ». رواه كذلك النسائي وهذا لفظه، والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على ما ذكرناه من رواية الأئمة الثقات عن عمرو بن شعيب، وفي روايته ورواية لأبي داود: وليدع بالبركة.

(وإذا هنأت) أحداً **(بالنكاح فقل « بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما في خير »)** قال العراقي: رواه داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة. قال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: وكذلك أخرجه الطبراني في الدعاء، وأخرج الترمذي عن عقيل بن أبي طالب أنه تزوّج امرأة فقيل له بالرفاء والبنين، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا تزوّج أحدكم فقولوا له بارك الله فيك وبارك عليك » كذا أورده الحافظ بن حجر في جزء التهنئة.

(وإذا قضيت الدين فقل للمقضى له « بارك الله لك في أهلك ومالك إذ قال رسول الله ﷺ إنما جزاء السلف) أي القرض **(الحمد)** أي حمد المقترض للمقرض والثناء عليه **(والاداء »)** أي أداء حقه له وما اقتضاه وضع إنما من ثبوت الحكم للمذكور ونفيه عما عداه من أن الزيادة على الدين غير جائزة غير مراد، وإنما هو على سبيل الوجوب لأن شكر المنعم وأداء حقه واجبان والزيادة أفضل ذكره الطيبي.

قال العراقي: رواه النسائي من حديث عبد الله بن أبي ربيعة قال: استقرض مني النبي ﷺ أربعين ألفاً فجاءه مال فدفعه إليّ فقال فذكره واسناده حسن اهـ.

قلت: وقد رواه أيضاً أحمد وابن ماجه كلهم من رواية ابراهيم بن إسماعيل بن عبد الله أو إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي ربيعة هذا مخزومي، وأبو ربيعة اسمه عمرو بن المغيرة ولاّه النبي ﷺ الجند فبقى عليها إلى أواخر أيام سيدنا عثمان رضي الله عنهما، ومات بقرب مكة.

وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان لرجل على النبي ﷺ سن من الإبل فجاءه يتقاضاه فقال أعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا إلاَّ سناً فوقها فقال اعطوه فقال أوفيتني أوفى الله بك. قال النبي ﷺ « إن خياركم أحسنكم قضاء ». رواه الجماعة إلا أبا داود. وفي رواية للبخاري أيضاً « أوفيتني وفى الله بك » وفي أخرى له « أوفاك الله ».

فهذه أدعية لا يستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها في كتاب الحج والصلاة والطهارة.

(فهذه أدعية لا يستغني المريد عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناه كله في كتاب الحج والصلاة والطهارة). وقد بقي على المصنف بعض ما يبتلى به المريد من الضروريات.

فمن ذلك: إذا أصابته الحمى فليقل « بسم الله الكبير نعوذ بالله العظيم من شر عرق نعار ومن شر حر النار ». رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس.

وإن أصابه رمد فليقل « اللهم متعني ببصري واجعله الوارث وارني في العدوّ ثأري وانصرني على من ظلمني » رواه الحاكم عن أنس.

وإذا عاد مريضاً فليقل ماسحاً بيده اليمنى « اللهم رب الناس أذهب البأس وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً » رواه البخاري ومسلم والنسائي عن عائشة. ولهم في رواية أخرى « امسح الباس رب الناس بيدك الشفاء لا كاشف له إلا أنت ». أو يقول « بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك ». رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس. أو يقول: « شفى الله سقمك وغفر ذنبك وعافاك في دينك وجسمك إلى مدة أجلك » رواه الحاكم في المستدرك عن سلمان.

وإذا عزّى أحداً في مصيبة فليقل « إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضاً من كل فائت وخلفاً من كل هالك فإلى الله أنيبوا وإليه فارغبوا فإنما المصاب من لم يجبر » رواه الحاكم عن أنس.

وإذا أهمه أمر فليقل « حسبي الله ونعم الوكيل ». رواه البخاري عن ابن عباس.

وعند الكرب يقول « الله الله ربي لا أشرك به شيئاً » ثلاث مرات. رواه الطبراني في الدعاء عن أسماء بنت عميس. أو « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ». رواه الترمذي والنسائي والحاكم عن سعد بن أبي وقاص. أو « توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً ». رواه الحاكم عن أبي هريرة أو « اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت ». رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي بكر رضي الله عنه.

وإن أصابه حزن « فليكثر من الاستغفار » رواه النسائي عن ابن عباس. أو « يا حي قيوم برحمتك أستغيث » رواه الحاكم عن ابن مسعود.

وإذا خاف سلطاناً أو نحوه فليقل « الله أكبر الله أعز من خلقه جميعاً الله أعز مما أخاف وأحذر أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو الممسك للسموات السبع أن تقع على الأرض إلا باذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والأنس. اللهم كن لي جاراً من شرهم جل ثناؤك وعز

جارك وتبارك اسمك ولا إله غيرك » ثلاث مرات. رواه ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن عباس. أو « اللهم إله جبريل وميكائيل واسرافيل وإله إبراهيم واسماعيل وإسحاق عافني ولا تسلط علي أحداً من خلقك بشيء لا طاقة لي به » رواه ابن أبي شيبة عن الشعبي عن علقمة بن مرثد.

وإذا خاف شيطاناً أو غيره فليقل « أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها وشر ما ذرأ في الأرض وشر ما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار إلاَّ طارقاً يطرق بخير يا رحمن » رواه الطبراني في الدعاء عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ابن مسعود.

وإذا استصعب عليه أمر قال « اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن سهلاً إذا شئت » رواه ابن حبان عن أنس.

وإذا نظر إلى القمر « فليستعذ بالله من شره فإنه الغاسق إذا وقب » رواه الترمذي عن [1].

وإذا عطس فليقل « الحمد لله على كل حال، وليقل الذي يرد عليه يرحمك الله، وليقل هو يهدكم الله ويصلح بالكم » رواه الترمذي والنسائي والحاكم عن أبي أيوب. أو « يغفر الله لنا ولكم » رواه النسائي عن ابن مسعود.

وإذا رأى من نفسه أو ماله أو أخيه شيئاً يعجبه « فليدع بالبركة فإن العين حق ». رواه النسائي عن عامر بن ربيعة.

وإذا رأى أخاه يضحك يقول له « أضحك الله سنك ». متفق عليه عن سعد بن أبي وقاص.

وإذا أعلمه إنسان انه يحبه فليقل: « أحبك الله الذي أحببتني له » رواه أبو داود والنسائي عن أنس.

ومن صنع إليه معروفاً فليقل له « جزاك الله خيراً ». رواه الترمذي والنسائي عن أنس.

وإذا رأى باكورة من الثمر فليقل « اللهم بارك لنا في ثمرنا » رواه مسلم عن أبي هريرة.

وإذا رأى مبتلى فليقل « الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً » رواه الترمذي عن أبي هريرة.

وإذا أضلّ شيئاً فليقل بعد أن يصلي ركعتين « بسم الله يا هادي الضال وراد الضالة اردد عليَّ ضالتي بعزتك وسلطانك فإنها من عطاياك وفضلك ». رواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر.

وإذا عرضته وسوسة في صدره فليقل: « هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » رواه أبو داود عن ابن عباس. فهذه الأدعية وأمثالها لا يستغني عنها المريد أيضاً.

---

(١) بياض بالنسخ.

فإن قلت: فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له؟ فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء. فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء

(فإن قلت: فما فائدة الدعاء والقضاء لا مردّ له). تقرير هذا السؤال أوّلاً أن المدعو به إما أن يكون قد قضى الله بوقوعه أم لا، فإن كان الأوّل فهو حاصل وإن لم يدع، وإن كان الثاني فالدعاء لا يرد القضاء إذ القضاء لا مردّ له، وهذا هو الذي أشار إليه المصنف. وثانياً فهو سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فأي حاجة للدعاء؟ وثالثاً فالمطلوب بالدعاء أن كان من مصالح الداعي فالحق لا يتركه وإن لم يكن لم يجز قطعاً. ورابعاً ففي الحديث: جف القلم بما أنت لاق. وقال: أربع فرغ منها العمر والرزق والخلق والخلق، وحينئذ فأي فائدة للدعاء؟ وخامساً: فأجل مقامات الصدّيقين الرضا بقضاء الله والدعاء ينافي ذلك؟ فهذه خمسة أسئلة أوردها المنكرون اقتصر المصنف على واحد منها، وقد أجاب العلماء عنها بأجوبة أشار المصنف إلى بعضها. وقال:

(فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء) بمعنى أن الله تعالى قدر على من يوقع البلاء به عدم الدعاء، وقدر على من لم يوقع عليه البلاء وجود الدعاء، ويشهد لذلك ما أخرجه الترمذي عن ابن أبي خزامة عن أبيه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت رقى نسترقي بها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها. هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: هي من قدر الله» قال الحافظ عبد الغني في درر الأثر: حديث حسن ولا يعرف لابن أبي خزامة سواه. وقال الدارقطني في العلل: رواه الزهري عن أبي خزامة بن يعمر عن أبيه عن النبي ﷺ وهو الصواب. وقال البدر الزركشي في كتاب الأزهية في الأدعية.

وأخرجه الحاكم في المستدرك من جهة معمر، عن الزهري، عن عروة، عن حكيم بن حزام قال: قلت يا رسول الله رقى نسترقي بها وأدوية كنا نتداوى بها هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: « هي من قدر الله » ثم قال: هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال مسلم في تصنيفه فيما أخطأ معمر بالبصرة أن معمراً حدث به مرتين فقال مرة: عن الزهري عن ابن أبي خزامة عن أبيه. قال الحاكم: وعندي أن هذا لا يعلله، فقد تابع صالح بن أبي الأخضر معمر بن راشد في حديثه عن الزهري عن عروة، وصالح وإن كان في الطبقة الثالثة من أصحاب الزهري فقد استشهد بمثله ثم ساقه. ونحو من هذا الجواب ما ورد من أن صلة الرحم زيادة في العمر من أن الزيادة مشروطة في الأزل بالصلة وعدمها بعدمها.

وأشار المصنف إلى الجواب الثاني بقوله: **(والدعاء لرد البلاء واستجلاب الرحمة)** يعني إنا لا نسلم أن الدعاء لا يرد البلاء بل هو سبب في رده **(كما ان الترس)** بالضم معروف من آلة حرب والجمع ترسة وتروس وتراس كفلوس وسهام، وربما قيل أتراس، فإن كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب سمي حجفة ودرقة. **(سبب لرد السهم)** عن حامله، **(و)** كما أن الماء **(سبب لخروج النبات)** من الأرض، **(وكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان،**

والبلاء يتعالجان. وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح، وقد قال تعالى: ﴿خذوا حِذْرَكم﴾ [النساء: ٧١] وان لا يسقي الأرض بعد بث البذر فيقال: إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر وإن لم يسبق لم ينبت. بل ربط الاسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذي هو كلمح البصر أو هو أقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج، والتقدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب و ـذي قدر

فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان). روى الحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيتعالجان إلى يوم القيامة».

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر» رواه الترمذي وقال: حسن غريب. وأخرجه ابن ماجه والحاكم وابن حبان من حديث ثوبان أيضاً، وصحح الحاكم إسناده، ولما أخرجه أبو موسى المديني في الترغيب قال: قال أستاذنا أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل فيما قرأته عليه إن الله تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق النسمة قال: فإن كان منها الدعاء ردّ عنها كذا وكذا، وإن لم يكن منها الدعاء نزل بها كذا وكذا، وكذلك أجلها إن برت والديها ويكون ذلك فيما يكتب في الصحيفة.

وقال الزركشي بعد أن أورد حديث عائشة الذي أخرجه الحاكم ما نصه: وهذا لا ينافي الحديث السابق في الجواب الأوّل لأن معنى الذي قبله أن الرقى والدواء لا تستقل بردّ القضاء، لكن الله تعالى إذا أراد ردّ قضائه بحسب سابق علمه قدر التسبب إلى استعمال الرقّى والأودية، فكان هو في الحقيقة القاضي الراد، وقد صحت السنة بمشروعية التداوي والاسترقاء.

ومعنى الثاني نفي استقلال الدواء كما سبق، وكذلك الدعاء والبر في الحقيقة لا يستقلان بشيء بل هما من قدر الله. وقد روى الفريابي في كتاب الذكر عن علي رضي الله عنه قال: الدعاء يدفع الأمر المبرم، وعن ابن عباس: الدعاء يدفع القدر وقال: إن الأمر ليقضي فيرده الدعاء بعد ما قضي ثم قرأ ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها﴾ [يونس: ٩٨] الآية. وهو مؤوّل على ماسبق.

(وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى) وقدره **(أن)** يطرح النظر إلى الأسباب بأن **(لا يحمل السلاح)** والجنن الواقية، **(وقد قال عز وجل ﴿خذوا حذركم﴾)** وهو بكسر فسكون اسم من حذر حذراً إذا تأهب واستعد، **(وأن لا تسقى الأرض)** بالمياه **(بعد بث البذر)** فيها **(فيقال: إن سبق القضاء بالنبات نبت بل)** لا بدّ من ملاحظة الأسباب إذ **(ربط الاسباب بالمسببات هو القضاء الأوّل الذي هو كلمح البصر)** في كمال السرعة. **(وترتب تفصيل المسببات على تفاصيل الاسباب)** هو **(على التدريج، والتدير هو القدر والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر قدر لرفعه سبباً)** وهكذا جرت عادة الله سبحانه في خلقه

الشر قدر لدفعه سبباً، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته. ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر فإنه يستدعي حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات، ولذلك قال ﷺ: «الدعاء مخ العبادة». والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق ملمة فإن الإنسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض، فالحاجة تحوج إلى الدعاء والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات، ولذلك صار البلاء موكلاً بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل ويمنع من نسيانه، وأما الغنى فسبب للبطر في غالب الأمور

بربط الأسباب بمسبباتها، **(فلا تناقض بين هذه الأمور)** وفي نسخة بين هذين الأمرين **(عند من انفتحت بصيرته)** واكتحل بصره بنور التوفيق وساعده الفهم السليم.

وأشار إلى الجواب الثالث بقوله: **(ثم في الدعاء من الفائدة ما ذكرناه في الذكر)** في الباب الأوّل، ثم أشار إلى بعض ما لم يسبق ذكره بقوله. **(فإنه)** أي الدعاء **(يستدعي حضور القلب)** أي قلب الداعي **(مع الله عز وجل)** وجذبه إليه حضوراً كلياً لا يكون معه للسوي سبيل بالتضرع والاستكانة وإظهار العبودية والإقرار بالفقر والحاجة والاعتراف بالربوبية، **(وذلك هو منتهى العبادات)** ونتيجتها وخلاصتها، **(ولذلك قال ﷺ «الدعاء مخ العبادة»)** ومخ كل شيء خالصه. وقد تقدم الكلام عليه في الباب الأوّل، ثم هو قد يكون شرطاً لوجود الصحة. ومن فوائد الدعاء إن الله تعالى يثيب على الدعاء وإن لم تقع الإجابة لأنه عبادة لقوله «الدعاء مخ العبادة». **(والغالب على الخلق انه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله)** واللجأ إليه بالدعاء **(إلا عند المام حاجة)** مهمة **(وإرهاق)** نائبة **(ملمة، والإنسان إذا مسه الضر فذو دعاء عريض)** كما جاء ذلك في الكتاب العزيز، **(فالحاجة)** المهمة **(تحوج إلى)** التفرغ إلى **(الدعاء والدعاء يرد القلب)** ويجذبه **(إلى الله تعالى بالتضرع والاستكانة)** واظهار العبودية والاقرار بالفقر والحاجة والاعتراف بالربوبية، **(فيحصل به الذكر الذي هو أشرف العبادات)** وأجلها، **(ولذلك صار البلاء موكلاً بالأنبياء عليهم السلام ثم الأولياء)** رحمهم الله تعالى **(ثم الامثل فالامثل)** كما جاء ذلك في بعض الاخبار، لكن بمعناه روى الترمذي والنسائي في الكبرى وابن ماجه والدارمي وابن منيع وأبو يعلى وابن أبي عمر في مسانيدهم من طريق عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» الحديث. وللطبراني من حديث فاطمة مرفوعاً «أشد الناس الأنبياء ثم الصالحون» الحديث. **(لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع)** والعبودية المحضة **(إلى الله تعالى ويمنع نسيانه، وأما الغنى)** بكثرة الاموال والاملاك **(فسبب للبطر)** والترفع على الأقران **(في غالب الأمور)** والشؤون

فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ، **فهـذا مـا أردنـا أن نـورده مـن جملـة الأذكـار والدعوات والله الموفق للخير ، وأما بقية الدعوات في الأكل والسفر وعيادة المريض وغيرها فستأتي في مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان. تم كتاب الأذكار والدعوات بكماله. يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأوراد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.**

(**فإن الإنسان ليطغى**) أي يتجاوز عن حده بطغيانه (**إن رآه استغنى**) أي صار غنياً.

ومن فوائد الدعاء أنه اشتغال بذكر الحق وذلك يوجب مقام الهيبة في القلوب والإنابة في الطاعة والانقلاع عن المعاصي، ولزوم الباب يستدعي الإذن في الدخول ولهذا قيل: من أدمن قرع الباب ولج ولج، وكان يقال: الإذن في الدعاء خير من العطاء، وقيل لبعضهم: ادع الله لي. فقال: كفاك الله من الأجنبية أن يجعل بينك وبينه واسطة، وأصل شقاوة أهل النار في النار حيث قالوا فيما حكاه الله عنهم: ﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾ [غافر: ٤٩] فالحجاب ملازم لهم، ثم لما لم يغنهم ذلك قالوا ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ [المؤمنون: ١٠٦] ومنها أن ملازمة الدعاء دافعة للبلاء والشقاء كما قال تعالى حاكياً عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وادعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً﴾ [مريم: ٤٨] وعن زكريا عليه السلام ﴿ولم أك بدعائك رب شقياً﴾ [مريم: ٤].

(**فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات**) وما يتعلق بها من الفضائل، (**والله الموفق للخير**) لا خير إلا خيره ولا رب غيره، (**وأما بقية الدعوات**) التي تذكر (**في الأكل والسفر وعيادة المرضى وغيرها فستأتي في موضعها إن شاء الله تعالى**)، ولنختم هذا الكتاب بفائدتين.

الأولى: قال الزركشي: اختار الخطابي في كتاب الدعاء أن الدعاء لا يستجاب منه إلا ما وافق القدر، وقال: إنه المذهب الصحيح، وهو قول أهل السنة والجماعة. ونقله عنه كذلك الطرطوشي في كتاب الأدعية وفائدته حينئذ كون المعاملة فيه على معنى الترجي والتعلق بالطبع الباعثين على الطلب دون اليقين الذي تقع به الطمأنينة، فيفضي بصاحبه إلى ترك العمل والإخلاد إلى دعة العطلة، وقد قالت الصحابة: أرأيت أعمالنا هذه شيء قد فرغ منه أم أمر نستأنفه؟ فقال ﷺ: بل هو أمر قد فرغ منه، فقالوا: ففيم العمل إذا قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له؟ فعلمهم ﷺ الأمرين ثم ألزمهم العمل الذي هو تدرجة التعبد لتكون تلك الأفعال يسراً فيريد أنه ييسر في أيام حياته للعمل الذي سبق له القدر به قبل وجوده. قال: وهكذا القول في الرزق مع التسبب إليه بالتكسب، وفي العمر والأجل والتسبب إليه بالطب والعلاج، وفي هذا لطف عظيم بالعباد فإنه سبحانه تملك طباعهم البشرية فوضع هذه الأسباب ليأتسوا بها فيخفف عنهم ثقل الامتحان الذي يفسدهم، وليتصرفوا بذلك بين الخوف والرجاء ليستخرج منهم وظيفتي الشكر والصبر.

....

الثانية: اختلفوا هل الأفضل الدعاء أو السكوت والرضا؟ فقالت طائفة: السكوت أفضل والجمود تحت جريان الحكم أتم. وسئل الواسطي أن يدعو فقال: أخشى إن دعوت أن يقال لي إن سألتنا ما لك عندنا فقد اتهمتنا وإن سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت إلينا، وإن رضيت أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك في الدهور، وحكى الطرطوشي عن عبد الله بن المبارك أنه قال: ما دعوت الله منذ خمسين سنة ولا أريد أن يدعو لي أحد، واحتج القائلون بهذا المذهب بأن امرأة بها لمم سألت رسول الله ﷺ أن يدعو لها الله عز وجل فقال: «أو تصبرين ولا حساب عليك». وسأله الأنصار أن يدعو الله سبحانه أن يكشف الحمى عنهم. فقال: «أو تصبرون فتكون لكم طهراً». وقال حكاية عن الله تعالى: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين». وقالت طائفة: يكون صاحب دعاء بلسانه ورضا بقلبه ليأتي بالأمرين جميعاً، وقيل: لا يدعو إلا بطاعة ينالها أو خوف سخط، فإن دعا بسوى ذلك فقد خرج عن حد الرضا. وقال القشيري: الأولى أن يقال إذا وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء أولى له، وإذا وجد في قلبه إشارة إلى السكوت فالسكوت أتم. قال: ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أو لله تعالى فيه حق فالدعاء أولى، وإن كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم. والصواب أن الدعاء أولى مطلقاً وعليه الجمهور، فإنه نفسه عبادة، والإتيان بالعبادة أولى من تركها، وقد دعا ﷺ بكشف البلايا والشدائد وإن كان فيها فضل كبير. وقال ﷺ لعائشة رضي الله عنها «إن وافقت ليلة القدر فسلي الله العفو والعافية» وعلمها لعمه العباس رضي الله عنه. ولما كانت ليلة الإسراء وانتهى إلى مقام قاب قوسين عظم سؤاله في ليلته، فلولا أن السؤال من أجل العبادات ما تلبس به ولما أمر أمته به. فكيف يسوغ لأحد أن يقول: اللهم اغنني بك عن السؤال منك. نعم يمكن أن يريد أن يغنيه الله باختياره عن اختياره لنفسه، فإن اختيار الله للعبد كامل واختيار العبد لنفسه معلول بوجود علة الأدناس، فما خرج عن السؤال. وأما قوله ﷺ للأنصار «أو تصبرون» فهو سؤال كشف وتعليم. فأوحى الله إليه أنه لا يكشف عنهم في ذلك الوقت وأخر الدعاء، ويحتمل أنه رأى بهم جزعاً وقلة صبر فأمرهم به.

خاتمة الفائدتين: إعلم أن الذكر إما أن يكون باللسان أو بالقلب أو بالجوارح، فالذكر باللسان هو الألفاظ الدالة على التحميد والتمجيد والتسبيح، والذكر بالقلب التفكر في دلائل الذات والصفات ودلائل التكاليف وأسرار مخلوقات الله تعالى، والذكر بالجوارح أن تصير الجوارح مستغرقة في الطاعات. قال تعالى ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] وحسبك بهذا الجزاء.

وبهذا تم شرح كتاب الأذكار والدعوات حامداً لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات، مصلياً على نبيه أكمل البريات صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام الهداة، وأنا متوسل بمؤلفه رضي الله عنه إلى الله ورسوله أن يشفي مريضي ويحسن عواقبي ويختم لي ولأخواني المسلمين بخير وعافية. جرى ذلك في ضحوة سبت النور تاسع عشر جمادى الأولى سنة ١١٩٥ بمنزلي بسويقة لالا. قاله وكتبه أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني، غفر له بمنّه وكرمه وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء الليل

وهو الكتاب العاشر من إحياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات نفع الله به المسلمين:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم الله ناصر كل صابر

الحمد لله الذي قرب إلى حضرة قدسه من شاءه وأراده، وأدنى إلى حظيرة أنسه من سبقت له من الأزل العناية المحضة بالإرادة، وردف له من صافي محبته شراباً مزاجه من تسنيم أتحف به وراده، فيسر له القيام بوظائف الأعمال وأوراد العبادة، وأتم له بها الوصول وأكمل السول وحباه مناه وأولاه مراده، أحمده حمداً استدر به كنهور الزيادة، وأشكره شكراً أستجلب به فيضه وإمداده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يرقى بها قائلها مصاعد السعادة، وأشهد أن مولانا وسيدنا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله سيد الخلق أجمعين. المبعوث رحمة للعالمين. من تمت له في سائر الرتب والأدوار السيادة. عين اليقين الأول، وقطب دائرة التمكين الذي عليه المعوّل، لأهل السلوك والإرادة، وعلى آله الأعيان، وأصحابه ذوي الأخلاق الحسان والتابعين لهم بإحسان. أولئك الذين لهم الحسنى وزيادة وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.

أما بعد، نفحنا الله وإياك بنسائم قربه، وسقانا وإياك من كاسات حبه. فهذا شرح: **(كتاب ترتيب الأوراد في الأوقات)** وتوظيف الأعمال على الأنفاس واللحظات، وهو العاشر من الربع الأول من الإحياء للإمام العالم الهمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي أسكنه الله بحبوحة دار السلام ونظمنا في سلك أحبابه في يوم الجمع والزحام، يحل ألفاظه ويكشف عن معانيه، ويرفع النقاب عن مخدرات أسراره لمعانيه فهو روض أزهر بالمعارف، ومجموع جمع الفوائد واللطائف، سرت فيه سيراً وسطاً، وتجنبت تفريطاً وسططاً لا تقصير مخل ولا تطويل ممل، هذا مع ما أنا عليه من شغل البال، بتغير الأحوال، وتواتر الصروف والأهوال، فصرت إذا أصابتني نبال، تكسرت النصال على النصال ولله در من قال:

ويمنعني الشكوى إلى الناس أنني عليلٌ ومن أشكو إليه عليلُ
ويمنعني الشكوى إلى الله أنه عليمٌ بما ألقاه قبل أقولُ

وأنا متوسل بالمصنف رحمه الله تعالى إلى الله عز وجل في حل عقدتي وتفريج كربتي، فقد حكى غير واحد من العارفين ما يدخل في ضمن مناقبه أن من كراماته على الله تعالى أن من توسل به إلى الله أجاب نداءه وقبل دعاءه، فها أنا به إلى المولى جل وعز قد توسلت وبجاه نبيه محمد ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على آلائه حمداً كثيراً، ونذكره ذكراً لا يغادر في القلب استكباراً ولا

تشفعت فهو أوجه الشفعاء وأكرم الكرماء وربي عز وجل هو الغفور الجواد القدير على فرج العباد لا إله غيره ولا خير إلا خيره، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يقال لمجموعها البسملة والتسمية. والأول أكثر، والمراد بالكتاب ما أريد كتبه. والمعنى أن حقها أن تكون مفتتح كل كتاب، قيل: لما نزلت هرب الغيم إلى المشرق وسكنت الرياح وهاج البحر وأصغت البهائم بآذانها ورجمت الشياطين وحلف الله بعزته وجلاله أن لا يسمى اسمه على شيء إلا بارك فيه، واختصت بهذه الأسماء الثلاثة ليعلم العارف أن المستحق لأن يلجأ إليه ويستعان في جميع الأمور ويعول عليه هو الواجب الوجود المعبود بالحق الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها، فيتوجه بكليته إليه ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستغناء به عن غيره ويعتمد في جميع أموره عليه.

ثم قال: **(نحمد الله تعالى على آلائه)** أي نعمه **(حمداً كثيراً)** أي موصوفاً بالكثرة وآثر الجملة الفعلية نظراً لمقام الحمد على نعم الله تعالى ليفيد تجدد صدور الحمد من تعلقه بالله تعالى على استغراق الأزمنة بمعونة المقام، على أن فيه أتعاباً دون الثبوت، ولا شك أن أفضل الأعمال أحمزها أي أشدها وأشقها مع ما في ذلك من الشرف بإظهار النعمة عليه، وأنه ممن أهل لذلك لتلبسه بالعبادة العظمى التي هي حمده على نعمه السرمدية، وأيضاً فالمحمود عليه هنا ليس من الصفات الثابتة للذات كالربوبية فناسب الفعلية، **(ونذكره ذكراً لا يغادر)** أي لا يترك **(في القلب)** أي باطنه **(استكباراً)** أي تكبراً **(ولا نفوراً)** أي انقباضاً، وعدم الرضا به وهو مقتبس من قوله تعالى ﴿فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً ★ استكباراً في الأرض﴾ [فاطر: ٤٢، ٤٣] الآية. ولفظ الذكر يشمل الحمد وغيره كالتهليل والتكبير والحوقلة والحسبلة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ، فإن الآتي بكل منها يسمى ذاكراً، وإليه يشير قوله تعالى ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] ولكل ذكر ثمرة وخاصة، فإيراده بعد الحمد من قبيل ذكر العام بعد الخاص وهو شائع في فصيح الكلام، ولما كان المقام يقتضي مزيد الاهتمام بالحمد لأن هذا الكتاب الذي شرع فيه من جلائل النعم قدم جملة الحمد على جملة الذكر، وأيضاً فإن الحمد لله أفضل من باقي الأذكار صرح به المصنف وغيره وبينوه بما حاصله: بأن الحمد لله فيه تنزيه الله تعالى وتوحيده وزيادة شكره. وقال بعضهم: ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله، فإن النعم كلها من الله تعالى وهو المنعم والوسائط مسخرون من جهته، وهذه المعرفة وراء التقديس والتوحيد

نفوراً، ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيراً ونذيراً وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله غدوة وعشياً وبكرة وأصيلاً حتى أصبح كل واحد منهم نجماً في الدين هادياً وسراجاً منيراً.

أما بعد؛ فإن الله تعالى جعل الأرض ذلولاً لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل

لدخولها فيه، وينطوي فيها معها كمال القدرة والانفراد بالفعل، ولذلك ضوعف الحمد لله ما لم يضاعف غيره من الأذكار مطلقاً. **(ونشكره إذ جعل الليل والنهار خلفة)** يخلف أحدهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه **(لمن أراد أن يذكر)** بالتشديد أي يتذكر، وقراءة حمزة أن يذكر بالتخفيف من ذكر بمعنى تذكر أي يتذكر آلاء الله تعالى ويتفكر في صنعه، فيعلم أن لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد. **(أو أراد شكوراً)** بالضم أي شكراً أي أراد أن يشكر الله على ما فيه من النعم، وفي إيراد هذه الآية هنا براعة الاستهلال. **(ونصلي على محمد نبيه الذي بعثه بالحق)** الواضح وهو حق، **(بشيراً)** بالجنة ودرجاتها لمن آمن به **(ونذيراً)** بالنار ودركاتها لمن خالفه وتمرد على الله تعالى وهو مقتبس من قوله تعالى ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً﴾ [فاطر: ٢٤] **(وعلى آله وصحبه الأكرمين)** جمع أكرم وهو أفعل من كرم كرامة وكرامتهم شرف نسبتهم إليه ﷺ وتعلقهم به قرابة وصحبة. **(الذين اجتهدوا في عبادة الله)** العملية والقولية **(غدوة وعشياً وأصيلاً وبكوراً)** أي مساء وصباحاً **(حتى أصبح كل واحد منهم)** أي من الآل والأصحاب **(نجماً في الدين)** يهتدي به في أموره، **(هادياً)** لغيره بأنواره **(وسراجاً منيراً)** أي مضيئاً، وإنما وصفهم بالسراج لما فيه من تعدد النفع وتعديه إلى غيره.

واعلم أن كل ما يبصر نفسه وغيره إن كان من جملة ما يبصر به غيره أيضاً، مع أنه يبصر نفسه وغيره، فهو أولى باسم النور من الذي لا يؤثر في غيره أصلاً، بل بالحريّ أن يسمى سراجاً منيراً لفيضان أنواره على غيره، وهذه الخاصية توجد للروح القدسي النبوي إذ يقتضي بواسطة أنوار المعارف على الخلائق والأنبياء كلهم سرج، وكذلك الآل والأصحاب، ولكن بينهم تفاوت لا يحصى.

(أما بعد، فإن الله عز وجل جعل الأرض ذلولاً) أي لينة يسهل السلوك فيها **(لعباده)** ولكن **(لا ليستقروا في مناكبها)** أي جوانبها أو جبالها. قال الله تعالى ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها﴾ [الملك: ١٥] قال البيضاوي: هو مثل لفرط التذلل، فإن منكب البعير ينبو أن يطأه الراكب ولا يتذلل له، فإذا جعل الأرض بحيث يمشي في مناكبها لم يبق

ليتخذوها منزلاً فيتزوّدوا منها زاداً يحملهم في سفرهم إلى أوطانهم ويكتنزون منها تحفاً لنفوسهم عملاً وفضلاً محترزين من مصائدها ومعاطبها ويتحققون أن العمر يسير بهم سير السفينة براكبها، فالناس في هذا العالم سفر، وأوّل منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار. والعمر مسافة السفر، فسنوه مراحله، وشهوره فراسخه، وأيامه أمياله، وأنفاسه خطواته، وطاعته بضاعته، وأوقاته رؤوس أمواله، وشهواته،

شيء لم يتذلل، (**بل ليتخذوها منزلاً**) قلعة (**فيتزودوا منها**) أي يأخذوا منها الزاد الذي يوصلهم إلى معادهم فمن لم يتزود منها كما أمره الله تعالى بقوله ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ [البقرة: ١٩٧] خابت رحلته فيسترجع منه ما أعير من جسده وذات يده (**محترزين من مصائدها**) جمع مصيدة كمعيشة (**ومعاطبها**) أي مهالكها (**ويتحققون**) في أنفسهم (**أن العمر**) وهو بالضم إسم لمدة عمارة البدن بالحياة (**يسير بهم سير السفينة براكبها**) حسب الرياح المعتورة كما قال القائل:

رأيت أخا الدنيا وإن كان حاضراً ... أخا سفر يسري به وهو لا يدري

(**فالناس في هذا العالم**) أي عالم الملك (**سفر**) بفتح فسكون أي مسافرون (**وأول منازلهم المهد**) وهو ما يهيأ للصبي (**وآخرها اللحد**) وهي الحفرة المائلة عن الوسط والمراد به مقر الميت (**والوطن**) الأصلي الذي يسكنه (**هو الجنة**) إن كان من أهلها (**أو النار**) إن كان من أهلها (**والعمر**) بينهما (**مسافة السفر**) والمسافة المضرب البعيد، يقال: كم مسافة هذه الأرض وبيننا مسافة عشرين يوماً، وأصلها موضع سوق الأدلاء أي شمهم يتعرفون حالها من قرب وبعد وجور وقصد. قال امرؤ القيس:

على لاحب لا يهتدي لمناره ... إذا ساقه العوذ الديافي جرجرا

ويقال: بينهما مساوف ومراحل، (**فسنوه**) بكسر السين أصله سنون حذفت النون لأجل الإضافة جمع سنة بفتح وتخفيف اسم لأمد تمام دورة الشمس وتمام اثنتي عشرة دورة للقمر (**مراحله**) جمع مرحلة وهي المنزل الذي ينزل فيه المسافر ثم يرتحل عنه، (**وشهوره**) جمع شهر إسم للزمان الذي بين الهلالين (**فراسخه**) جمع فرسخ وهي المسافة المعلومة في الأرض، (**وأيامه**) جمع يوم (**أمياله**) جمع ميل بالكسر اسم لمسافة معلومة في الأرض (**وأنفاسه**) جمع نفس بالتحريك هو الريح الداخل والخارج في البدن من الفم والمنخر وهو كالغذاء للنفس وبانقطاعه بطلانها (**خطواته**) جمع خطوة إسم للمسافة التي بين القدمين عند المشي، (**وطاعته**) وهي كل ما فيه رضا وتقرب إلى الله تعالى، (**بضاعته**) وهي في الأصل قطعة وافرة من المال تقتني للتجارة، (**وأوقاته رؤوس أمواله**) فمتى ضيعت ضاع رأس ماله والوقت عبارة عن المحدود من الزمن من غير تعيين إلى ماض ومستقبل، وعند الصوفية عبارة عن حالك وهو ما يقتضيه

واغراضه قطاع طريقه، وربحه الفوز بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم، وخسرانه البعد من الله تعالى مع الانكال والاغلال والعذاب الأليم في دركات الجحيم. فالغافل في نفس من أنفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه إلى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى. ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد ودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا

استعدادك، **(وشهواته)** محركة جمع شهوة كتمرة وتمرات وهي نزوع النفس إلى ما يلائم الطبع، **(وأغراضه)** جمع غرض محركة وهي الفائدة المرتبة على الشيء من حيث هي مطلوبة بالإقدام عليه **(قطاع طريقه)** وهم الذين يخيفون المارة بالإضرار والإتلاف، **(وربحه)** هو بالكسر كل ما يعود من ثمرة عمل **(الفوز بلقاء الله عز وجل)** ومشاهدته **(في دار السلامة)** أي جنة الوصال وإليه الإشارة بقوله تعالى﴿لهم دار السلام عند ربهم) [الأنعام: ١٢٧] وقوله (والله يدعو إلى دار السلام﴾ [يونس: ٢٥] **(مع الملك الكبير)** بضم الميم أي الملك العظيم **(والنعيم المقيم)** أي الأبدي الذي لا يحول ولا يزول، وإليه يرشد قوله تعالى ﴿ونعيماً وملكاً كبيراً﴾ [الإنسان: ٢٠] **(وخسرانه)** هو بالضم انتقاص رأس المال **(البعد من الله تعالى مع الأنكال)** أي العقوبات **(والأغلال)**) وهي القيود التي يغلّ بها العنق **(والعذاب الأليم)** أي المؤلم الموجع **(في دركات الجحيم)** أي طبقاتها، وإليه يشير قوله تعالى ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً٭ وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً﴾ [المزمل: ١٢، ١٣] **(فالغافل عن نفس من أنفاسه حتى ينقضي)** ذلك النفس وهو في حالة الغفلة **(في غير طاعة تقربه إلى الله زلفى)** أي منزلة رفيعة **(متعرض في يوم التغابن)** هو اليوم الذي تجمع فيه الملائكة والثقلان للحساب والجزاء ويغبن فيه بعضهم بعضاً لنزول السعداء منازل الأشقياء وكانوا سعداء، وبالعكس مستعار من تغابن التجار قاله البيضاوي **(لغبينة)** أي خسارة **(وحسرة)** شديدة **(ما لها منتهى)** حتى يبقى القلب حسيراً لبلوغ النهاية في التلهف لا موضع فيه كالبصير الحسير لا قوة للنظر فيه، ثم إن هذا السياق الذي أورده المصنف من قوله أما بعد إلى هنا هو مثل ضربه للإنسان في هذه الدار، وما رشح له مستفاد من قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كما عزاه له الراغب في أول كتاب الذريعة. قال علي رضي الله عنه: الناس سفر، والدنيا دار ممر لا دار مقر، وبطن أمه مبدأ سفره، والآخرة مقصده وزمان حياته مقدار مسافته، وسنوه منازله، وشهوره فراسخه، وأيامه أمياله،وأنفاسه خطاه يسار بـه سير السفينة براكبها، وقد دعي إلى دار السلام فمن لم يتزود من دنياه خابت رحلته ويتحسر حين لا يغنيه تحسره ويقول: يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا، فحينئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل. **(ولهذا الخطر العظيم)** أصل الخطر الإشراف على الهلاك وخوف التلف. يقال: هو على خطر عظيم ثم سمي كل أمر عظيم خطراً لذلك **(والخطب الهائل)** أي المفزع يقال: خطب يسير وخطب جليل وهو يقاسي خطوب الدهر **(شمر الموفقون)** أذيالهم **(عن ساق الجد)** أي استعدوا لإقامة مراسم الطاعات **(وودعوا)** وهو بالتخفيف ومنه قراءة من قرأ **(ما**

بحسب تكرر الأوقات وظائف الأوراد حرصاً على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي إلى دار القرار، فصار من مهات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الأوقات، ويتضح هذا المهم بذكر بابين.

الباب الأول: في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار.

الباب الثاني: في كيفية احياء الليل وفضيلته وما يتعلق به.

ودعك ربك وما قلى﴾ [الضحى: ٣] وفي بعض النسخ بالتشديد (**بالكلية**) أي مرة واحدة (**ملاذ النفس**) أي مشتهياتها، (**واغتنموا بقايا العمر**) أي ما بقي من عمارة البدن بالحياة، (**ورتبوا**) على أنفسهم (**بحسب تكرار الأوقات وظائف الأوراد**). الوظيفة: ما يرتب كل يوم من رزق أو عمل يقال له وظيفة رزق، وعليه كل يوم وظيفة من عمل. والأوراد جمع ورد بالكسر وهو ما يرتبه الإنسان على نفسه كل يوم أو ليلة من عمل ومنه قولهم: من لا ورد له لا وارد له. (**حرصاً على إحياء الليل والنهار**) بالأعمال الصالحة (**في طلب القرب من الملك الجبار**) فما تقرب إليه متقرب كتقربه بالنوافل من الطاعات، (**والسعي إلى دار القرار**) وهي دار الآخرة لاستقرارهم فيها، (**فصار من مهات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الأوراد**) الموظفة (**وتوزيع**) أي تقسيم أنواع (**العبادات التي قد سبق شرحها**) في الكتب المتقدمة (**على مقادير الأوقات المختلفة**) من الليل والنهار، (**ويتضح هذا المهم**) ويكشف سره (**بذكر بابين**).

الباب الأول: في فضيلة الأوراد وترتيبها في الليل والنهار.

الباب الثاني: في كيفية إحياء الليل وفضيلته وما يتعلق به.

الباب الأول

في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها

فضيلة الأوراد وبيان أن المواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى:

اعلم ان الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى، وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محباً لله تعالى وعارفاً بالله سبحانه، وأن المحبة والانس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه، وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولم يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل

الباب الأول

(**في فضيلة الأوراد وترتيبها وأحكامها**) وما يتعلق بها (**وبيان المواظبة عليها وهو الطريق**) الموصل (**إلى الله عز وجل**) وفي نسخة: هي الطريق إلى الله تعالى.

(**إعلم أن الناظرين بنور البصيرة**) وهي قوة للقلب المنور بنور القدس ترى حقيقة الأشياء وظاهرها (**علموا أنه لا نجاة**) للعبد (**إلا في لقاء الله عز وجل**) إذ هو المطلوب الأهم، (**وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد**) حالة كونه (**محباً لله تعالى**) وعلامة محبته لله تعالى محبته لرسوله ﷺ، وعلامة محبته ﷺ محبة سنته واتباع آثاره، فمن أنس باتباع السنن المحمدية رجي له فتح باب محبة مشرعها ومنه يفوز إلى حب الله تعالى، (**وعارفاً بالله تعالى**) معرفة أكسبته تلك المحبة وقارها ونبهته على ما خفي من أسرارها، (**وأن المحبة والأنس**) بالله تعالى (**لا يحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة على ذلك**) بربط القلب عليه بحيث لا ينتقل عنه ولا يحيد، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره، (**وأن المعرفة لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه**) أي في المحبوب (**وفي صفاته وأفعاله**) بحثاً فيها طلباً للوصول إلى حقائقها. (**وليس في الوجود سوى الله عز وجل وأفعاله**) فلا يشاركه أحد في أفعاله كما لا يشابهه شيء في ذاته وصفاتها، (**ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها**) لأنهما ينشآن عن التفرغ، وما دام العبد مشتبكاً بلذات الدنيا فلا يمكنه أن يفرغ قلبه لذكر ولا لفكر، (**والاجتزاء**) أي الاكتفاء (**منها بقدر البلغة والضرورة**) أي بقدر ما يتبلغ به ويضطر إليه وسائر أمور الدنيا دائرة على الأكل والشرب والنكاح واللباس والمسكن والخادم والدابة، ولكل من

ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الاذكار والأفكار، والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر، بل إذا ردت إلى نمط واحد أظهرت الملال والاستثقال وإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها. فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة. فالذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثرها، فإن النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا فإن صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلاً والشطر الآخر إلى العبادات رجح جانب

ذلك حدود معلومة، فيكفيك من الغذاء ما تهرم بتركه القوى، ومن الحلائل الولود الودود، ومن الملبس ما لا يسفهك به العاقل ولا يزدريك به الغافل، ومن المسكن ما واراك عمن لا تريد أن يراك، ومن الخدم الأمين المطيع، ومن المركب ما حمل رحلك وأزاح رجلك ولا يزدرى بركوبه مثلك، فالتجرد عن العلائق شرط في الوصول إلى معرفة الحق أنظر إلى المرآة تجردت عن جميع الصور فأشهدت كل ذي صورة ما يراه من صورته وما لا يرى. هكذا الرجل المجرد من علائق جميع العوالم وجهه الناطق مرآة الحقائق ما قابلها ذو صورة إلا رأى وجه حقيقته، **(وكل ذلك)** أي مما ذكر **(لا يتم)** حصوله **(إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار)** بحيث يكون كل وقت من تلك الأوقات معموراً إما بذكر أو بفكر، **(و)** لكن **(النفس لما)** أي لأجل ما **(جبلت عليه من السآمة والملل)** في الأفعال والأحوال **(لا تصبر على فن)** أي نوع **(واحد من الأسباب المعينة على)** كل من **(الذكر والفكر، بل إذا دامت على)** وفي نسخة: إذا ردت إلى **(نمط واحد)** أي نوع واحد، وفي ذكر الفن والنمط تفنن في العبارة **(ظهر الملل)** والسآمة والكسل **(والاستثقال)** وأدى ذلك إلى الهجران والإبطال، **(وأن الله عز وجل لا يمل حتى تملوا)** رواه البخاري في الصحيح في أثناء حديث « مه عليكم من العمل ما تطيقون. فإن الله لا يمل حتى تملوا » وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم. **(فمن ضرورة اللطف بها أن تروح)** أي تنشط **(بالتنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع)** وذلك النوع الآخر الذي انتقلت إليه غير الذي انتقلت منه **(بحسب كل وقت)** وما يناسبه ويليق به **(لتغزر)** أي تكثر **(بالانتقال)** المذكور **(لذتها)** الحاصلة من إقبال القلب على ذلك العمل، **(وتعظم باللذة)** المذكورة **(رغبتها وتدوم بدوام الرغبة الحاصلة من تلك اللذة مواظبتها)** عليه ومداومتها له. **(فلذلك تقسم الأوراد قسمة مختلفة)** وقد مر في آخر كتاب أسرار الصلاة شيء من ذلك. **(والذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات)** من الليل والنهار **(أو أكثرها)** ولا أقل من ذلك، **(فإن النفس بطبعها)** الذي **(جبلت عليه مائلة إلى ملاذ الدنيا)** وشهواتها **(فإن صرف العبد شطر أوقاته)** أي جزءاً منها **(إلى تدبيرات الدنيا)** أي

الميل إلى الدنيا لموافقتها الطبع إذ يكون الوقت متساوياً ، فأنّى يتقاومان والطبع لاحدهما مرجح إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد ، وأما الرد إلى العبادات فمتكلف ولا يسلم إخلاص القلب فيه وحضوره إلا في بعض الأوقات ، فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ومن أراد أن تترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته ، فإن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فأمره مخطر ، ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر ، فعسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة ، فإن لم تكن من أهله ، فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله واقتبسه بنور الإيمان فقد قال الله تعالى لأقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه : ﴿ إنَّ لك في النهار سبحاً طويلاً ★ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً ﴾ [المزمل : ٧] ، وقال تعالى : ﴿ واذكر اسم ربك بكـرة

الأمور المهمة منها ، (**وشهواتها المباحة مثلاً**) وهي التي أباح له الشارع التصرف فيها (**و**)صرف (**الشطر الآخر إلى العبادات أرجح جانب الميل إلى الدنيا**) ولذاتها أي صار راجحاً (**بموافقتها الطبع**) الذي جبلت هي عليه . (**إذ يكون الوقت متساوياً**) هما شطران (**فأنّى يتقاومان**) وكيف يتعادلان (**والطبع لأحدهما مرجح**) ولا يثبت التقاوم إلا عند عدم المرجح (**إذ الظاهر والباطن**) كل منهما (**يساعد على**) تحصيل (**أمور الدنيا**) كيفما اتفق وأمكن (**ويصفو في طلبها القلب**) بميله وتقلبه (**ويتجرد**) وفي بعض النسخ : ويصفو في ذلك طلب القلب ويتجرد أي يهتم اهتماماً كلياً . (**وأما الرد إلى العبادات**) العملية والقولية (**فمتكلف**) أي يحصل فيه تكلف ومشقة ، (**ولا يسلم إخلاص القلب فيها**) وإمحاضه (**وحضوره**) بكليته (**إلا في بعض الأوقات**) على سبيل الندرة والقلة ، (**فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته**) كلها (**في الطاعة**) التي تقربه إلى الله زلفى ، (**ومن أراد أن تترجح كفة حسناته**) على كفة سيئاته . وللميزان كفتان توزن فيهما الأعمال (**وتثقل موازين خيراته ، فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته**) استيعاباً وافياً ، (**فإن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً**) بحيث كانا متعادلين (**فأمره مخطر**) أي ذو خطر ، (**ولكن الرجاء**) من الله (**غير منقطع والعفو من كرم الله**) وعفوه (**منتظر ، فعسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه**) ومنه وفضله كما هو شأن الكريم المتفضل الجواد ، (**فهذا**) الذي ذكر هو (**ما ينكشف للناظرين**) إلى الأشياء (**بنور البصيرة**) المنورة بنور القدس ، (**وإن لم تكن من أهله**) أي من أهل نور البصيرة . (**فانظر إلى خطاب الله عز وجل لرسوله ﷺ واقتبسه بنور الإيمان**) ثم اعتبر به ، (**فقد قال تعالى لأقـرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه**) بأنواع التخصيص والمواهب والتقريب (**إن لك في النهار سبحاً طويلاً**) أي تقلباً في مهامك واشتغالاً بها فعليك بالتهجد ، فإن مناجاة الحق يستدعي فراغاً وقرئ ﴿ سبخاً ﴾ بالخاء المعجمة أي تفرق قلب بالشواغل مستعار

وأصيلاً ★ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً ﴾ [الإنسان : ٢٥ ، ٢٦] ، وقال تعالى : ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ★ ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾ [ق : ٣٩ ، ٤٠] قال سبحانه : ﴿ وسبِّح بحمد ربك حين تقوم ★ ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم ﴾ [الطور : ٤٨ ، ٤٩] وقال تعالى : ﴿ إنَّ ناشئةَ اللَّيْل هي أشدّ وطأ وأقوم قِيلا ﴾ [المزمل : ٦] وقال تعالى : ﴿ ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ [طه : ١٣٠] ، وقال عز وجل : ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ [هود : ١١٤] ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم ، فقال تعالى : ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل

من سبخ الصوف وهو نفشه وتفشي أجزائه كذا قاله البيضاوي . **(وقال تعالى : وسبح بحمد ربك)** أي وصل أنت حامداً لربك معترفاً بأنه مولى النعم كلها **(قبل طلوع الشمس)** يعني الفجر **(وقبل الغروب)** يعني الظهر والعصر لأنهما في آخر النهار أو العصر وحده **(ومن الليل فسبحه)** فإن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء ، ولذلك أفرده بالذكر وقدمه على الفعل **(وأدبار السجود)** أي أعقابه . **(وقال تعالى : وسبح بحمد ربك حين تقوم ★)** من أي مكان قمت أو من مكانك أو إلى الصلاة **(ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم)** أي إذا أدبرت النجوم من آخر الليل ، وقرئ بالفتح أي في أعقابها ، **(وقال تعالى : إن ناشئة الليل)** أي ساعات الليل لأنها تحدث واحدة بعد أخرى أو ساعاتها الأول من نشأت إذا ابتدأت ، أو المراد النفس التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة أو قيام الليل على أن الناشئة له أو العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث **(هي أشد وطأً)** بفتح فسكون أي كلفة أو ثبات قدم ، وقرئ وطاء ككتاب أي مواطأة القلب اللسان لها أو فيها موافقة لما يراد من الخضوع والإخلاص **(وأقوم قيلاً)** أي أشد مقالاً أو أثبت قراءة لحضور القلب وهدو الأصوات . **(وقال تعالى)** : ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها **(ومن آناء الليل)** أي من ساعاته جمع إنى بالكسر والقصر **(فسبح)** يعني المغرب والعشاء ، وإنما قدم الزمان فيه لاختصاصه بمزيد الفضل ، فإن القلب فيه أجمع والنفس أميل إلى الاستراحة فكانت العبادة فيه أحمز **(وأطراف النهار)** تكرير صلاتي الصبح والمغرب إرادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لا من الإلباس ، أو أمر بصلاة الظهر فإنها نهاية النصف الأول من النهار وبداية النصف الأخير وجمعه باعتبار النصفين ، أو لأن النهار جنس أو بالتطوع في آخر الليل **(لعلك ترضى)** متعلق بسبح أي سبح في هذه الأوقات طمعاً أن تنال عند الله ما به ترضى نفسك ، وقرئ بالبناء للمفعول أي يرضيك ، **(وقال تعالى : ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار)** يعني صلاة الصبح وصلاة المغرب **﴿ وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ ثم انظر كيف وصف الفائزين)** بما عنده من الثواب **(من عباده وبماذا وصفهم فقال عز وجل ﴿ أمن هو قانت ﴾)** أي قائم في الصلاة ، ومنه خبر أفضل الصلاة طول القنوت أو ثابت على قيامه فيها تحققاً بتمكنه فيه أو ملازم الطاعة مع الخضوع **(آناء الليل)** أي ساعاته **(ساجداً وقائماً يحذر**

يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر : ٩] وقال تعالى : ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾ [السجدة : ١٦] . وقال عز وجل : ﴿والَّذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ [الفرقان : ٦٤] ، وقال عز وجل : ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون★ وبالأسحار هم يستغفرون﴾ [الذاريات : ١٧ ، ١٨] ، وقال عز وجل : ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ [الروم : ١٧] وقال تعالى : ﴿ولا تطْرُد الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بالغَدَاةِ والعشيِّ يُرِيدُون وجْهَهُ﴾ [الأنعام : ٥٢] فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى الله تعالى مراقبة الأوقات وعمارتها بالأوراد على سبيل الدوام . ولذلك قال ﷺ :

الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) تقدم الكلام عليه في أول كتاب العلم (**إنما يتذكر أولوا الألباب**) أي العقول الراجحة (**وقال تعالى : والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً**) جمعاً ساجد وقائم أي ساجدين وقائمين . (**وقال تعالى : ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾ وقال تعالى : ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون★ وبالأسحار هم يستغفرون﴾ وقال عز وجل ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون★ وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾ أي : فسبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون)** . أي هو إخبار في معنى الأمر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته ، أو دلالة على أن ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السموات والأرض ، وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لأن آثار القدرة والعظمة فيها أظهر ، وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار والظهيرة التي هي وسطه لأن تجدد النعم فيها أكثر ، ويجوز أن يكون عشياً معطوفاً على حين تمسون . وقوله ﴿وله الحمد في السموات والأرض﴾ [الروم : ١٨] اعتراضاً .

ويروى عن ابن عباس أنه قال : إن الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشياً صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ، ولذلك زعم الحسن أنها مدنية لأنه كان يقول : كان الواجب بمكة ركعتين في أي وقت اتفقتا ، وإنما فرضت الخمس بالمدينة والأكثر أنها فرضت بمكة .

(وقال عز وجل : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾) نزلت في أهل الصفة (**فهذا كله يبين لك أن الطريق إلى الله عز وجل**) عبارة عن (**مراقبة الأوقات**) أي محافظتها (**وعمارتها بالأوراد**) الشريفة (**على سبيل الدوام**) والملازمة (**ولذلك قال رسول الله ﷺ : « أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة)** أي يترصدون دخول الأوقات بها (**لذكر الله تعالى »**) أي لإقامة ذكره تعالى في الأوقات المعلومة . ولفظ القوت : وفي حديث أبي الدرداء وكعب الأحبار في صفة هذه الأمة يراعون الظلال لإقامة الصلاة وأحب عباد الله إلى الله الخ .

« أحب عباد الله إلى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله تعالى » . وقد قال تعالى : ﴿ الشمسُ والقمرُ بحسبان ﴾ [الرحمن : ٥] وقال تعالى : ﴿ ألم ترَ إلى ربك كيف مدّ الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ★ ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً ﴾ [الفرقان : ٤٥ ، ٤٦] وقال تعالى : ﴿ والقمر قدّرناه منازل ﴾ [يس : ٣٩] وقال تعالى :

قال العراقي : رواه الطبراني والحاكم وقال : صحيح الإسناد من حديث ابن أبي أوفى بلفظ : « خيار عباد الله » الخ .

قلت : ورواه بلفظ : إن خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والأظلة لذكر الله » . وقال الهيثمي رجال الطبراني موثقون . وقال المنذري : رواه ابن شاهين وقال : انفرد به ابن عيينة عن مسعر وهو حديث غريب صحيح ، وأقر الذهبي الحاكم على تصحيحه .

وقال البرهان في المراعاة : أمور ظاهرة وأمور باطنة . أما الظاهرة فالرؤية بحاسة البصر في الطلوع والتوسط والغروب والحركة ، فإذا تأمله المتأمل ذكر الله وسبحه ومجده بتحقيق سيما إذا أطلعه الله على أسرار نتائجها وأفعالها مما يدل على أحكام القدرة الأزلية في المصنوعات المترتبة على الإنسان اهـ .

(**وقد قال تعالى : ﴿ الشمس والقمر بحسبان ﴾**) أي يجريان بحسبان معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما ، وتشتق بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات وتعلم السنون والحساب ، (**وقال عزوجل : ألم تر إلى ربك**) أي ألم تنظر إلى صنعه (**كيف مد الظل**) أي بسطه أو لم تنظر إلى الظل كيف مده ربك فغير النظم إشعاراً بأن المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوث تصرفه على الوجه النافع بأسباب متمكنة على أن ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئي ، فكيف بالمحسوس منه أو ألم ينته علمك إلى ربك كيف مد الظل فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الأحوال ، فإن الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر . (**ولو شاء لجعله ساكناً**) أي ثابتاً من السكنى أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد (**ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً**) فإنه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الأجرام أو لا يوجد ولا يتفاوت إلا بسبب حركتها ، (**ثم قبضناه إلينا**) أي أزلناه بإيقاع الشعاع موقعه (**قبضاً يسيراً**) قليلاً قليلاً حسبما ترتفع الشمس لتنتظم بذلك مصالح الكون ، ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق ، وثم في الموضعين لتفاضل الأمور أو لتفاضل مبادىء أوقات ظهورها ، وقيل : مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الأرض تحتها فألقت عليها ظلها ، ولو شاء لجعله ثابتاً على تلك الحال ، ثم خلق الشمس دليلاً عليه مسلطاً مستتبعاً إياه كما يستتبع الدليل المدلول أو دليلاً لطريق من يهديه فإنه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ، ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي غاية نقصانه أو قبضاً سهلاً عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الأجرام المظلة والمظلل عليها (**وقال عز وجل : ﴿ والقمر قدرناه منازل ﴾**) وهي ثمانية وعشرون منزلة يحل كل ليلة منزلة منها على ما تقدم بيانها في كتاب العلم . (**وقال**

﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ [الانعام: ٩٧] فلا تظنن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا، بل لتعرف بها مقادير الأوقات فيشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة. يدلك عليه قوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾ [الفرقان: ٦٢] أي يخلف أحدهما الآخر ليتدارك في أحدهما ما فات في الآخر وبين أن ذلك للذكر والشكر لا غير. وقال تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ [الاسراء: ١٢] وإنما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة. ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه.

بيان أعداد الأوراد وترتيبها:

اعلم أن أوراد النهار سبعة، فما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد، وما

تعالى: ﴿**وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها**) أي بسيرها وأفولها وطلوعها ﴿في ظلمات البر والبحر﴾ (**فلا تظنن**) أيها المتأمل المتبصر في آيات الله تعالى (**أن المقصود من سير الشمس والقمر**) وحركاتها (**بحساب منظوم مرتب**) ترتيباً غريباً يحير الفهوم. (**ومن خلق الظل والنور والنجوم**) هو (**أن يستعان بها على**) حصول أمر من (**أمور الدنيا**) كما عليه عامة من يشتغل بهذه الفنون، (**بل**) خلقت (**لتعرف بها مقادير الأوقات**) في الليل والنهار (**بالطاعات**) أي في تلك الأوقات بالطاعات الإلهية بأنواعها (**و**) تحصيل (**التجارة للدار الآخرة**) فإن الدنيا فانية. (**يدلك على ذلك قول الله تعالى: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا﴾ أي**) ذا خلفة (**يخلف أحدهما الآخر**) بأن يقوم مقامه (**ليتدارك في أحدهما ما فات في الآخر**) من ورد، أو بأن يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار والخلفة للحالة كالركبة والجلسة، (**وبين أن ذلك للذكر والشكر لا غير**) والمعنى ليكونا وقتين للذاكرين والشاكرين. (**وقال تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ وإنما الفضل المبتغى**) أي المطلوب المشار إليه في الآية (**هو الثواب**) من الله عز وجل (**والمغفرة**) للذنوب لا تحصيل أمور الدنيا والإتجار فيها. نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه.

بيان أعداد الأوراد في الليل والنهار وترتيبها:

(**اعلم أن أوراد النهار سبعة**) كما نقله صاحب القوت وقسمه هذا التقسيم، (**فما بين طلوع الصبح إلى طلوع قرص الشمس ورد**) ومسافته ثماني عشرة ساعة، (**وما بين طلوع الشمس**

بين طلوع الشمس إلى الزوال وردان، وما بين الزوال إلى وقت العصر وردان، وما بين العصر إلى المغرب وردان، والليل ينقسم إلى أربعة أوراد: وردان من المغرب إلى وقت نوم الناس، ووردان من النصف الأخير من الليل إلى طلوع الفجر. فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به.

فالورد الأوّل: ما بين طلوع الصبح إلى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله إقسام الله تعالى به إذا قال: ﴿والصبح إذا تنفس﴾ [التكوير: ١٨] وتمدحه به إذ قال: ﴿فالق الأصباح﴾ [الانعام: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ [الفلق: ١] وإظهاره القدرة بقبض الظل فيه إذ قال تعالى: ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾ [الفرقان: ٤٦] وهو وقت قبض ظل الليل يبسط نور الشمس وإرشاده الناس إلى التسبيح فيه بقوله تعالى: ﴿فسُبحان الله حين تُمسون وحين

إلى الزوال) من كبد السماء **(وردان)** الأول منها من الطلوع إلى الضحى الأعلى، والثاني منه إلى الزوال، وكل منها ثلاث ساعات تقريباً. **(وما بين الزوال إلى وقت العصر وردان)** كل منها ساعة ونصف ساعة تقريباً. **(وما بين العصر إلى المغرب وردان)** بقدر اللذين قبلها. **(والليل يقسم بأربعة أوراد: وردان من المغرب إلى وقت نوم الناس)** وهو على التقريب لاختلاف أحوال الناس في النوم، **(ووردان في النصف الأخير من الليل إلى طلوع الفجر)**، وهو كذلك على التقريب لاختلاف أحوال الناس في الإنتباه أيضاً، وثم ورد خامس وهو ورد النوم مختص بالأذكار والأدعية، فصارت أوراد الليل خمسة وهكذا ذكره صاحب القوت، **(فلنذكر وظيفة كل ورد وفضيلته وما يتعلق به)** تفصيلاً.

(الورد الأول): من أوراد النهار حصته **(ما بين طلوع الصبح)** أي الفجر الثاني **(إلى طلوع الشمس وهو وقت شريف)** شرفه الله تعالى ورفع مقداره، ويدل على شرفه وفضله **(إقسام الله عز وجل به)** في كتابه العزيز **(إذ قال: ﴿والصبح إذا تنفس﴾)** فتنفسه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وهو الظل الذي مده الله عز وجل لعباده، **(وتمدحه عز وجل به إذ قال: ﴿فالق الأصباح﴾ وقال عز وجل: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾)** من شر ما فلق يعني فلق الصبح، فقد تمدح الله بخلقه وأمر بالتنزيه له عنده والاستعاذة من شر ما خلق فيه، **(وإظهار القدرة بقبض الظل فيه إذ قال تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ [الفرقان: ٤٥]** يقول: كشفناه بها ففيه أن الدليل هو الذي يكشف المشكل ويرفع المشتبه، **(﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾)** أي خفياً لا يفطن له ولا يرى، فاندرج الظل في الشمس بحكمة اندراج الظلمة في النور إذ دخل عليها بقدرته، **(وهو وقت قبض الظل ببسط نور الشمس وإرشاده عز وجل الناس إلى التسبيح فيه بقوله تعالى: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾)** أي فسبحوه بالصلاة عندها **(وقوله تعالى:**

تُصبحون﴾ [الروم: ١٧] وبقوله تعالى: ﴿وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾ [طه: ١٣٠]، وقوله عز وجل: ﴿ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾ [طه: ١٣٠] وقوله تعالى: ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً﴾ [الإنسان: ٢٥].

فأما ترتيبه: فليأخذ من وقت انتباهه من النوم، فإذا انتبه فينبغي أن يبتدىء بذكر الله تعالى فيقول: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور إلى آخر الادعية، والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات، وليلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالاً لأمر الله تعالى واستعانة به على عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه إلى بيت الماء إن كان به حاجة إلى بيت الماء ويدخل أوّلاً رجله اليسرى ويدعو بالأدعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج، ثم يستاك على السنّة ـ كما سبق ـ ويتوضأ مراعياً لجميع السنن والأدعية التي ذكرناها في الطهارة فإنا إنما قدمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط. فإذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الفجر أعني السنة في منزله، كذلك كان يفعل

﴿**فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس**) والمراد به هوهذا الوقت، (**و**) كذا (**قوله تعالى:** ﴿**ومن آناء لليل**﴾) أي ساعاته (**فسبح وأطراف النهار**) المراد به الصبح والمغرب. (**و**) كذا (**قوله تعالى: واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً**) أي صباحاً ومساءً.

(**وأما ترتيبه: فليأخذ من وقت انتباهه من النوم، فإذا انتبه فينبغي أن يبدأ بذكر الله عز وجل فيقول: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا**) أي بعثنا من النوم بعد أن أنامنا (**وإليه النشور إلى آخر الآيات والأدعية التي ذكرناها في دعاء الإستيقاظ في كتاب الدعوات**) وتقدم الكلام على ذلك مفصلاً، (**ويلبس ثوبه**) الذي قلعه قبل نومه (**وهو في**) حال (**الدعاء**) المذكور، (**وينوي به**) في قلبه (**ستر العورة امتثالاً لأمر الله تعالى**) حيث أمرنا بذلك (**واستعانة**) به (**على عبادته من غير قصد رياء ورعونة**) وهي الوقوف مع النفس بنفي طباعها، (**ثم يتوجه إلى بيت الماء**) أي محل قضاء الحاجة الإنسانية وهو من الكنايات الحسنة (**إن كان به حاجة**) إلى دخوله وإلا فلا، (**ويدخل أولاً رجله اليسرى**) كما هو السنة (**ويدعو بالأدعية التي ذكرناها في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج، ثم يستاك على السنة**) كما سبق أيضاً (**ويتوضأ مراعياً لجميع السنن والأدعية التي ذكرناها في كتاب الطهارة فإنا إنما قدمنا آحاد العبادات**) ومفرداتها (**كي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط، وإذا فرغ من الوضوء صلى ركعتي الصبح أعني السنة في منزله. كذلك كان يفعلهُ رسول الله ﷺ**)، كما أخرجه البخاري ومسلم من حديث حفصة رضي الله

رسول الله ﷺ ويقرأ بعد الركعتين سواء أداهما في البيت أو المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما ويقول: « اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي » إلى آخر الدعاء. ثم يخرج من البيت متوجهاً إلى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد ولا يسعى إلى الصلاة سعياً بل يمشي وعليه السكينة والوقار كما ورد به الخبر ،ولا يشبك بين أصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد ثم يطلب من المسجد الصف الأوّل إن وجد متسعاً ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم ـ كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ـ ثم يصلي ركعتي الفجر إن لم يكن صلاهما في البيت ويشتغل بالدعاء المذكور بعدهما ، وإن كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظراً للجماعة. والأحب التغليس بالجماعة فقد كان ﷺ يغلس

عنها وتقدم في كتاب الصلاة ، وتقدم أيضاً ما يقرأ فيهما . **(ويقرأ بعد الركعتين إذا صلاهما في البيت أو في المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما فيقول: « اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي » إلى آخر الدعاء كما تقدم)** بطوله في كتاب الدعوات. **(ثم يخرج من البيت متوجهاً إلى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج إلى المسجد)** كما تقدم في كتاب الدعوات **(فلا يسعى سعياً بل يمشي وعليه السكينة والوقار كما ورد** به الخبر **)** رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، **(ولا يشبك بين أصابعه)** فقد نهي عن ذلك ، وقد تقدم في كتاب الصلاة **(ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو بالدعاء المأثور لدخول المسجد)** تقدم في الباب الخامس من الأذكار ، **(ثم يطلب من المسجد الصف الأول)** مما يلي الإمام عن ميمنته **(إن وجد متسعاً)** في الموضع ، وإلا فالميسرة وإلا فالصف الذي يلي الأول، **(ولا يتخطى الرقاب)** ولا يفصل بين إثنين ، **(ولا يزاحم)** أحداً **(كما سبق ذكره في كتاب الجمعة)** مفصلاً ، **(ثم يصلي ركعتي الفجر إن لم يصلها في المنزل ويشتغل بالدعاء المذكور)** قريباً **(بعدهما)** أي بعد الركعتين ، **(وإن كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظراً للجماعة)** أي للصلاة معهم.

ولفظ القوت: ومن دخل المسجد لصلاة الصبح ولم يكن صلى ركعتي الفجر في منزله صلاهما واجزأتا عنه من تحية المسجد ، ومن كان قد صلاهما في بيته نظر فإن كان دخوله في المسجد بغلس عند طلوع الفجر وإشتباك النجوم صلى ركعتين تحية المسجد وإن كان دخوله عند إمحاق النجوم ومسفراً عند الإقامة قعد ولم يصل الركعتين لئلا يكون جامعاً بين صلاة الصبح وبين صلاة قبلها ، ولا يصلي بعد طلوع الفجر الثاني شيئاً إلا ركعتي الفجر فقط ، ومن دخل المسجد ولم يكن صلى ركعتي الفجر فإن كان قبل الإقامة صلاهما ، وإن دخل وقت الإقامة أو قد افتتح الإمام الصلاة فلا يصليهما وليدخل في صلاة المكتوبة فإنه أفضل، وللنهي فيه روينا عن النبي ﷺ : « إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة وليقل من قعد في المسجد من غير صلاة ركعتين

بالصبح، ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال في صلاة الصبح: « من توضأ ثم توجه إلى المسجد ليصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها، فإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة، فإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة ».

تحيته سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » هذه الأربع كلمات يقولها أربع مرات فإنها عدل ركعتين في الفضل، وكذلك من دخله وهو على غير وضوء اهـ. وهو تفصيل حسن، وفي صلاة ركعتي التحية كلام مضى تفصيله في كتاب الصلاة فراجعه.

(**والأحب التغليس بالجماعة، فقد كان النبي ﷺ يغلس بالصبح**) كما ورد ذلك في الأخبار الصحيحة وفيه اختلاف تقدم مفصلاً في كتاب الصلاة، (**ولا ينبغي أن يدع**) أي يترك (**الجماعة في الصلاة عامة**) لما فيه من الفضل الكثير والثواب الجزيل، (**وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل**) فقد روى البيهقي من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً « من صلى الغداة والعشاء الآخرة في جماعة لا تفوته ركعة كتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق ». وروى ابن حبان في صحيحه من حديث عثمان رضي الله عنه مرفوعاً: « من صلى العشاء والغداة في جماعة فكأنما قام الليل ». وعند أحمد ومسلم والبيهقي: « من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف ليلة ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله ». هذا فضل من صلاهما في جماعة (**فقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال في صلاة الصبح: « من توضأ ثم توجه إلى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها فإذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة، وإن جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة، ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة »**).

قال العراقي: لم أجد له أصلاً بهذا السياق، وفي شعب الإيمان للبيهقي من حديث أنس بسند ضعيف: « ومن صلى المغرب في جماعة كان كحجة مبرورة وعمرة متقبلة » اهـ.

قلت: بل له أصل أخرجه ابن عساكر في التاريخ، عن محمد بن شعيب بن شابور، عن سعيد ابن خالد بن أبي طويل، عن أنس بمثل سياق المصنف سواء إلا أنه قال بعد قوله مبرورة: « وليس كل حج مبرور فإن جلس حتى يركع ولم يقل الضحى كتب له بكل حسنة ألفا ألف حسنة ومن صلى صلاة الفجر » الحديث، وفيه بعد قوله مبرورة وليس كل معتمر مبروراً ولكن سعيد راويه عن أنس قال أبو حاتم منكر الحديث لا يشبه حديثه حديث أهل الصدق وأحاديثه عن أنس لا تعرف. وقال أبو زرعة: حدث عن أنس بمناكير وقال: روى عن أنس ما لا يتابع عليه، ومحمد بن

وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر. قال رجل من التابعين: دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت أبا هريرة قد سبقني فقال لي: يا ابن أخي لأي شيء خرجت من منزلك في هذه الساعة؟ فقلت لصلاة الغداة. فقال: أبشر فإنا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله تعالى - أو قال مع رسول الله ﷺ - . وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال: ألا تصليان؟ قال علي: فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله تعالى فإذا شاء أن يبعثها بعثها فانصرف ﷺ فسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ [الكهف: ٥٤] ثم ينبغي أن يشتغل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح إلى أن تقام الصلاة فيقول: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي

شعيب لا شيء كذا في الجامع الكبير للجلال السيوطي. وأما الذي أورده في شعب الإيمان فقد أخرجه أيضاً الديلمي عن أنس بزيادة: « وكأنما قام ليلة القدر » وروى الترمذي من حديثه بلفظ: « من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » وقال: حسن غريب.

(**وكان من عادة السلف**) رحمهم الله تعالى (**دخول المسجد قبل طلوع الفجر**) الثاني. (**قال رجل من التابعين: دخلت المسجد**) أي مسجد المدينة (**قبل طلوع الفجر فألفيت**) أي وجدت (**أبا هريرة رضي الله عنه قد سبقني فقال: يا ابن أخي لأي شيء خرجت من منزلك هذه الساعة؟ فقلت: لصلاة الغداة**) أي الفجر. (**فقال: ابشر فإن كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله أو قال مع رسول الله ﷺ**) هكذا أورده صاحب القوت، وقال العراقي: لم أقف له على أصل.

(**وعن علي**) بن أبي طالب (**كرم الله وجهه أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة رضي الله عنها**) أي في ليلة من الليالي (**وهما نائمان**) أي في فراش واحد، (**فقال: ألا تصليان؟ فقال علي رضي الله عنه: قلت يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله عز وجل**) أي قبضة قدرته، (**فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله ﷺ وسمعته**) حالة كونه (**مولياً**) أي بظهره الشريف (**يضرب فخذه**) تعجباً (**ويقول: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾**) رواه البخاري ومسلم من حديثه. (**ثم ينبغي أن يستقبل بعد ركعتي الفجر**) أي السنة (**والدعاء**) المروي عن ابن عباس (**بالإستغفار والتسبيح**) أي صيغة اتفقت (**إلى أن تقام الصلاة**) أي فريضة الصبح، والأولى الإقتصار على الصيغ الواردة (**فيقول**) في الإستغفار: (« **استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه**) فمن قال ذلك غفر له وإن كان فر من الزحف » رواه الترمذي وقال: غريب، وابن سعد والبغوي وابن منده والباوردي والطبراني والضياء وابن عساكر

القيوم وأتوب إليه سبعين مرة، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة، ثم يصلي الفريضة مراعياً جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلاة والقدوة، فإذا فرغ منها قعد في المسجد إلى طلوع الشمس في ذكر الله تعالى كما سنرتبه، فقد قال ﷺ: «لأن اقعد في مجلسي أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة إلى طلوع

عن بلال بن زيد مولى النبي ﷺ عن أبيه عن جده. قال البغوي: ولا أعلم له غيره، ورواه ابن عساكر عن أنس، ورواه ابن أبي شيبة عن ابن مسعود وأبي الدرداء موقوفاً عليهما.

وقوله: (**سبعين مرة**) لم يرد به التصريح وإنما ورد ثلاثاً كما رواه أبو داود والترمذي من حديث زيد مولى النبي ﷺ، ورواه الحاكم عن ابن مسعود ولفظه: «غفرت ذنوبه وإن كان فاراً من الزحف» ورواه ابن عساكر من حديث أبي سعيد بلفظ: «غفر له ذنوبه ولو كانت مثل رمل عالج وغثاء البحر وعدد نجوم السماء» وفي رواية من حديثه التقييد حين يأوي إلى فراشه وفيه: «غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر وإن كانت عدد ورق الشجر وإن كانت عدد رمل عالج وإن كانت عدد أيام الدنيا» هكذا رواه أحمد والترمذي وأبو يعلى، وجاء أيضاً التقييد بصبيحة الجمعة قبل صلاة الغداة وأنه ثلاث مرات وفيه ثلاث مرات وفيه: «غفر الله ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر» وهكذا رواه ابن السني، والطبراني في الأوسط، وابن عساكر، وابن النجار من حديث أنس وفيه حظيف الجرزني مختلف فيه. وروي عن معاذ تقييده ثلاثاً بعد الفجر وبعد العصر. وهكذا رواه ابن السني، وابن النجار. وقد تقدم شيء من ذلك في فضيلة الإستغفار، وإنما أعدناه هنا ليبين أن الوارد في الأخبار إما من غير تقييد بعدد وإما مقيد بثلاث مرات، ولكن من زاد زاد الله عليه، ولعدد السبعين سر عظيم عند أهل الكشف والمشاهدة، (**و**) يقول في التسبيح (**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة**) وهن الباقيات الصالحات وهي أربع كلمات، وقد ورد في فضلها ما تقدم ذكره، وما رأيت هذا التقييد بالمائة مرة فيما ورد من رواياته. نعم روى الديلمي عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة قبل طلوع الشمس ومائة قبل غروبها كان أفضل من مائة بدنة» وهذا السبعون والمائة في الاستغفار والتسبيح إن وجد وقتاً يسع ذلك وكان سريع القراءة وإلا فليكتف بما قدر عليه.

(**ثم يشتغل بالفريضة فيصلي ركعتي الفرض**) مع الإمام (**مراعياً جميع ما ذكرناه من الآداب الظاهرة والباطنة في الصلاة والقدوة**) أي الإقتداء، ومر ذلك في كتاب الصلاة مفصلاً، (**فإذا فرغ منها**) أي من الفريضة وما يتبعها من الأذكار الملازمة لها عادة (**قعد في المسجد**) الذي صلى فيه (**إلى طلوع الشمس**) وهو (**في ذكر الله**) عز وجل (**كما بينته**) آنفاً، (**فقد قال ﷺ: «لأن أقعد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب»**) رواه أبو داود من حديث أنس رضي الله عنه، وتقدم في الباب الثالث من العلم.

الشمس أحب إليَّ من أن أعتق أربع رقاب ». وروي أنه ﷺ كان إذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس، وفي بعضها : ويصلي ركعتين » أي بعد الطلوع. وقد ورد في فضل ذلك ما لا يحصى. وروى الحسن: « أن رسول الله ﷺ كان فيما يذكره من

(وروي: « أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى الغداة قعد في مصلاّه حتى تطلع الشمس ») رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه. (وفي بعض الأخبار: « ويصلي ركعتين » أي بعد الطلوع) فقد روى الترمذي من حديث أنس وحسنه: « من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » وقد تقدم قريباً. (وقد روي في فضل ذلك ما لا يحصى). ولفظ القوت: وجاء من فضائل الجلوس بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، وفي صلاة ركعتين بعد ذلك ما يجل وصفه اختصرنا ذكره اهـ.

فمن ذلك ما رواه أبو داود والطبراني من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه مرفوعاً: « من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الضحى لا يقول إلا خيراً غفر له خطاياه وإن كانت أكثر من زبد البحر ».

وعن علي رضي الله عنه: « من صلى الفجر ثم جلس في مصلاه يذكر الله صلت عليه الملائكة اللهم اغفر له اللهم ارحمه » رواه أحمد وابن جرير وصححه والبيهقي.

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما: « من صلى الصبح ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس جعل الله بينه وبين النار ستراً ». رواه البيهقي. وفي رواية له بعد قوله الشمس، ثم قال: « يصلي ركعتين حرمه الله على النار أن تلفحه ».

وعن أبي أمامة وعقبة بن عامر رضي الله عنهما: « من صلى الصبح في مسجد جماعة ثم مكث حتى سبح سبحة الضحى كان له كأجر حاج ومعتمر تام له حجه وعمرته » رواه الطبراني في الكبير عنهما معاً.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه وحده: « من صلى صلاة الغداة في جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم قام ركع ركعتين انقلب بأجر حجة وعمرة » رواه الطبراني في الكبير.

وعن سهل بن معاذ عن أبيه: « من صلى صلاة الفجر ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس وجبت له الجنة ». ورواه ابن السني وابن النجار.

وعن عائشة رضي الله عنها: « من صلى الفجر فقعد في مقعده فلم يلغ بشيء من أمر الدنيا يذكر الله عز وجل حتى يصلي أربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » رواه ابن السني.

(وروى الحسن) البصري مرسلاً: (« أن النبي ﷺ كان فيما يذكر من رحمة الله يقول:

رحمة ربه يقول انه قال يا ابن آدم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما » وإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم إلى طلوع الشمس، بل ينبغي أن تكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع: أدعية وأذكار ويكررها في سبحة وقراءة قرآن وتفكر.

إنه يقول يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة اكفك ما بينهما ») أورده صاحب القوت فقال: وروينا عن الحسن: « أن رسول الله ﷺ كان فيما يذكر من رحمة ربه أنه قال: فذكره.

وقال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد مرسلاً هكذا اهـ.

قلت: وقد روي ذلك مرفوعاً عن ابن عباس تقدمت الإشارة إليه في الكتاب الذي قبله.

(**فإذا ظهر فضل ذلك فليقعد**) في موضعه. قال صاحب القوت هذا إن أمن الفتنة بالكلام فيما لا يعنيه والإستماع إلى شبهه من القول، وأمن النظر إلى ما يكره أو يشغله عن الذكر، وأمن دخول الآفة عليه من التصنع والتزين للناس وردف الشغل بمولاه والإخلاص له بالإعراض عمن سواه، وإن لم يأمن الفتنة أو خشي عليه دخول الآفة من لقاء من يكره أو من يلجئه إلى تقية أو مداراة أو خاف الكلام فيما لا يعنيه أو الإستماع إلى ما لا يندب إليه انصرف إذا صلى الغداة إلى منزله، وإلى موضع خلوة ويتم ورده هناك وهو في ذلك مستقبل قبلته، وهذا حينئذ أفضل له وأجمع لقلبه اهـ.

وقال صاحب العوارف في أول الباب الخمسون في ذكر العمل في جميع النهار وتوزيع الأوقات ما نصه: فمن ذلك أن لا يلازم موضعه الذي صلى فيه مستقبل القبلة إلا أن يرى الإنتقال إلى زاويته أسلم لدينه لئلا يحتاج إلى حديث أو التفات إلى شيء فإن السكوت في هذا الوقت له أثر ظاهر يجده أرباب القلوب وأهل المعاملة اهـ.

(**ولا يتكلم إلى طلوع الشمس**) فقد ندب رسول الله ﷺ إلى ذلك كما تقدم في الأخبار التي ذكرناها قبل ولترك الكلام أثر بين عند أهل الله، (**بل ينبغي أن يكون وظيفته إلى الطلوع أربعة أنواع: أدعية وأذكار يكررها في سبحة وقراءة القرآن وتفكر**) كما سيأتي تفصيلها.

قال صاحب القوت: ولا يقدم على التسبيح لله والذكر له بعد صلاة الغداة وقبل طلوع الشمس إلا أحد معنيين: معاونة على بر وتقوى فرض عليه أو ندب إليه فيما يختص به لنفسه أو يعود نفعه لغيره، ويكون ذلك أيضاً مما يخاف فوته بفوت وقته، والمعنى الآخر يكون إلى تعلم علم أو استماعه مما يقرّبه إلى الله تعالى في دينه وآخرته ويزهده في الدنيا والهوى من العلماء بالله الموثوق بعلمهم، وهم علماء الآخرة أولو اليقين والهدى، الزاهدون في فضول الدنيا، ويكون في طريقه ذاكراً الله تعالى أو متفكراً في أفكار العقلاء عن الله سبحانه، فإن اتفق له هذان فالغدو إليهما أفضل من

أما الأدعية: فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ وليقل: «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وسلم. اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام» ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله ﷺ وهو قوله: «سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب. لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير. لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا

جلوسه في مصلّاه لأنها ذكر لله وعمل له وطريق إليه على وصف مخصوص مندوب إليه، فإن لم يتفق له أحد هذين المعنيين فقعوده في مصلاّ، في مسجد جاعة أو في بيته وخلوته ذاكراً لله تعالى بأنواع الأذكار، أو متفكراً فيما فتح له بمشاهدة الأفكار في مثل هذه الساعة أفضل له مما سواهما اهـ.

وقال صاحب العوارف: ولا يزال كذلك ذاكراً لله تعالى من غير فتور وقصور ونعاس فإن النوم في هذا الوقت مكروه جداً، فإن غلبه النوم فليقم في مصلاّه قائماً مستقبل القبلة فإن لم يذهب النوم بالقيام يخطو خطوات نحو القبلة ويتأخر بالخطوات كذلك ولا يستدبر القبلة، وفي ترك الكلام والنوم ودوام الذكر أثر كبير وجدناه بحمد الله تعالى ونوصي به الطالبين، وأثر ذلك في حق من يجمع في الأذكار بين القلب واللسان أكثر وأظهر، وهذا الوقت أوّل النهار مطية الأوقات فإذا حكم أوّله بهذه الرعاية فقد أحكم بنيانه، وتبتنى أوقات النهار جميعها على هذا البناء اهـ.

ثم شرع المصنف في ذكر الأنواع الأربعة فقال: (**أما الأدعية: فكلما يفرغ من صلاته**) أي بعد السلام منها، (**فليبدأ وليقل «اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد. اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام»**) هكذا أورده صاحب القوت والعوارف، وإن اقتصر على قوله: «اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام تباركت ربنا وتعاليت يا ذا الجلال والأكرام» جاز. وإن زاد بعد قوله «اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وسلم صلاة تكون لك رضا وله جزاء ولحقه اداء واجزه عنا ما هو أهله» كان حسناً.

(**ثم تفتتح الدعاء بما كان يفتتح به النبي ﷺ يقول «سبحان ربي الأعلى الوهاب»**) وقد تقدم في الكتاب الذي قبله، ثم يقول: (**«لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير»**) عشر مرات وهو ثانٍ رجليه في مصلاه قبل أن يقوم كما في القوت والعوارف، ثم يقول: (**«لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن»**) وزاد صاحب العوارف بعد قوله قدير «لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده». ثم يقول «لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل

إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون». ثم يبدأ بالأدعية التي أوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ من جملتها ما يراه أوفق بحاله وأرق لقلبه وأخف على لسانه.

وأما الأذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطوّل بايرادها، وأقل ما ينبغي أن يكرر كل واحدة منها ثلاثاً أو سبعاً، وأكثره مائة أو سبعون، وأوسطه عشر. فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته. وفضل الأكثر أكثر. والأوسط الأقصد أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه، وخير الأمور أدومها وإن قلّ. وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشد تأثيراً في القلب من كثيرها مع الفترة، ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالي فتحدث فيها حفيرة. ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر، وهذه الكلمات عشرة.

والثناء الحسن (**لا إله إلا الله لا نعبد إلاّ أياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون» ثم**) يصلي على النبي ﷺ بأي صيغة اتفقت له.

(**ثم يبتديء بالأدعية التي أوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعوه بجميعها إن قدر عليه أو يحفظ جملتها ما يراه أوفق لحاله**) وأليق بوقته (**وأرق لقلبه وأخف على لسانه**)، ومن جملة ذلك يقول: هو الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم التسعة والتسعين إسماً إلى آخرها.

(**وأما الأذكار المكروه فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل**) في أخبار (**لم نطول بايرادها وأقل ما ينبغي أن يكون كل واحد منها ثلاثاً أوسبعاً**) وكل منها وتر، (**واكثرها مائة أو سبعون وأوسط ذلك عشر**) وفي كل من الأقل والأكثر مرتبتان، (**فليكرر ذلك بقدر فراغه**) من العمل (**وسعة وقته**) ومناسبة حاله، (**وفضل الأكثر**) مع الفراغ والسعة (**أكثر**) لأن الجزاء على قدر العمل، (**والأوسط والاقتصاد أن يكررها عشر مرات فذلك أجدر**) أي أحق (**بأن يدوم وخير الأمور أدومها وإن قلّ**) كما أن خير الأمور أوسطها. (**وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع** المداومة**أفضل وأشد تأثيراً في القلب من كثيرها مع الفترة**) وفي نسخة: من غير مداومة ثم ضرب لذلك مثلاً فقال: (**ومثال القليل الدائم**) من غير انقطاع (**مثال قطرات من الماء تتقاطر على الأرض**) قطرة على قطرة (**على التوالي**) والتكرار (**فهي تحدث فيها حفرة لا محالة**) كما هو مشاهد، (**ولو وقعت على الحجر**) فإنها لا بدّ وأن تؤثر فيه مع مرور الزمان، (**ومثال الكثير المتفرق**) من غير دوام (**مثال ما يصب دفعة واحدة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يتبين لها اثر ظاهر**) ولو كانت الأرض رخوة وهذا أيضاً مشاهد. (**وهذه الكلمات عشر:**

الأولى: قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

الأولى: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير») قال العراقي: تقدم من حديث أبي أيوب تكرارها عشراً دون قوله: يحي ويميت وهو حي لا يموت، وهي كلها عند البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند الصباح والمساء، وتقدم تكرارها مائة ومائتين. وللطبراني في الدعاء من حديث عبد الله بن عمر وتكرارها ألف مرة وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: تكرارها عشراً بدون تلك الزيادة قد جاء أيضاً من حديث أبي هريرة عند البخاري ومسلم والنسائي بلفظ «كان كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل». وحديث أبي أيوب المذكور رواه أيضاً الترمذي والطبراني والبيهقي، ورواه ابن شيبة عن ابن مسعود موقوفاً، ورواه أحمد والطبراني والضياء بزيادة في آخره، ورواه عبد بن حميد من غير قيد عشرة.

وروى ابن صصري في أماليه من حديث أبي أمامة «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت بيده الخير وهو كل شيء قدير عشر مرات في دبر صلاة الغداة كتب الله له بكل واحدة منها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكانت له خيراً من عشر محررين يوم القيامة ومن قالها في دبر صلاة العصر كان له مثل ذلك»

وروى ابن السني والطبراني في الكبير من حديث معاذ رضي الله عنه «من قال حين ينصرف من صلاة الغداة قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير عشر مرات أعطي بهن سبعاً» الحديث.

وروى ابن النجار من حديث عثمان رضي الله عنه «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير حين يصلي الصبح وقبل أن يثني قدمه عشر مرات كتب له عشر حسنات» الحديث.

وروى الترمذي عن عمارة بن شبيب السبائي «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات» الحديث. وقال: حسن غريب.

وقد روي بقيد العشرة عن عدة من أصحاب رسول الله ﷺ كأبي الدرداء عند الطبراني، وابن عساكر وعبد الرحمن بن غنم عند أحمد، وقيل: وهو مرسل. وابن عياش عند ابن السني وغير هؤلاء. وأما تكرارها مائة ففي حديث أبي هريرة عند أحمد والشيخين والترمذي وابن ماجه وأبي حيان وحديث عبد الله بن عمرو عند ابن السني والخطيب، وعن أبي الدرداء عند ابن أبي شيبة موقوفاً، وعن أبي أمامة عند الطبراني والضياء. وأما تكرارها ألفاً ففي حديث عبد الله بن عمرو عند إسماعيل بن عبد الغافر في الأربعين.

الثانية: قوله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

الثالثة: قوله سبوح قدوس رب الملائكة والروح.

الرابعة: قوله سبحان الله العظيم وبحمده.

(الثانية: قوله « سبحان الله العظيم والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ») قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة، وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد الخدري « استكثروا من الباقيات الصالحات » فذكرها اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد، ولكن ليس عندهم القيد بعشر مرات، ولفظهم بعد قوله الصالحات التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ولا حول ولا قوة إلا بالله. ورواه كذلك الحاكم أيضاً عن أبي هريرة، وروى ابن السني والحسن بن شبيب المعمري في اليوم والليلة، وأبو الشيخ وابن النجار عن أنس « من قال حين ينصرف من صلاته سبحان الله العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله ثلاث مرات قام مغفوراً له ».

(الثالثة: قوله « سبوح قدوس رب الملائكة والروح ») قال العراقي: لم أجدها مكررة، ولكن عند مسلم من حديث عائشة أنه ﷺ كان يقولها في ركوعه وسجوده، وقد تقدم. ولأبي الشيخ في الثواب من حديث البراء « أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح ».

(الرابعة: قوله « سبحان الله العظيم وبحمده ») قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة « من قال ذلك في كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وأحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان ولفظهم جميعاً « سبحان الله وبحمده ». ورواه بلفظ المصنف أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان « من قال ذلك حين يصبح ويمسي مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بافضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ذلك أو زاد عليه ».

وروى العقيلي من حديث ابن عمر « من قال سبحان الله وبحمده كتب له عشر حسنات، ومن قالها عشراً كتب الله له مائة حسنة، ومن قالها مائة كتب الله له ألف حسنة ومن زاد زاده الله » الحديث.

وروى الديلمي من حديث عبد الله بن عمرو « من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة قبل طلوع الشمس ومائة قبل غروبها كان أفضل من مائة بدنة ».

وروى الترمذي وأبو يعلى وابن حبان عن جابر « من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة ».

الخامسة: قوله استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة.

السادسة: قوله اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

السابعة: قوله لا إله إلا الله الملك الحق المبين.

الثامنة: قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

(الخامسة: قوله « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة ») قال العراقي: رواه المستغفري في الدعوات من حديث معاذ « إن من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر » ولفظه « وأتوب إليه » وفيه ضعف. وهكـذا رواه الترمذي من حديث أبي سعيد في قولها ثلاثاً، وللبخاري من حديث أبي هريرة « إني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة ». وتقدمت هذه الاحاديث في الباب الثاني من الأذكار.

قلت: وأوسعت الكلام هناك فراجعه.

(السادسة: قوله « اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ») قال العراقي لم أجد تكرارها في حديث، وإنما وردت مطلقة عقب الصلوات والرفع من الركوع.

(السابعة: قوله « لا إله إلا الله الملك الحق المبين ») قال العراقي: رواه المستغفري في الدعوات، والخطيب في الرواة عن مالك من حديث علي « من قالها في يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به الغنى واستقرع به باب الجنة » وفيه الفضل بن غانم ضعيف، ولأبي نعيم في الحلية « من قال ذلك في كل يوم وليلة مائتي مرة لم يسأل الله فيها حاجة إلا قضاها » وفيه مسلم الخواص وهو ضعيف وقال فيه أظنه عن علي اهـ.

قلت: ورواه الشيرازي في الألقاب من طريق ذي النون المصري عن مسلم الخواص عن مالك بلفظ « كان له أماناً من الفقر وأنساً من وحشة القبر ». والباقي سواء. ورواه الرافعي في تاريخ قزوين من طريق الفضل بن غانم عن مالك بن أنس عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه عن علي قال الفضل بن غانم: لو رحل الإنسان في هذا الحديث إلى خراسان كان قليلاً. ورواه أبو نعيم في الحلية عن أبي محمد عبد الله بن محمد: حدثنا محمد بن أحمد بن سعيد الواسطي، حدثنا إسحاق بن زريق، حدثنا مسلم الخوّاص، عن مالك بن أنس فساقه سياق الخطيب عن مسلم الخوّاص عن مالك به.

(الثامنة: قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم »).قال العراقي: رواه أصحاب السنن، وابن حبان، والحاكم وصححه من حديث عثمان

التاسعة: قوله اللهم صلّ على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

العاشرة: قوله: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون. فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة

« من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسي لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح، ومن قال ذلك حين يصبح لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي » قال الترمذي: حسن صحيح غريب اهـ.

قلت: وكذلك رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن السني وأبو نعيم في الحلية والضياء. ورواه ابن أبي شيبة في المصنف بلفظ « من قال إذا أصبح وإذا أمسى ثلاث مرات لم يصبه في يومه ولا في ليلته شيء ».

(التاسعة: قوله « اللهم صلّ على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد ») ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي في فضائل القرآن من حديث ابن أبي أوفى: من أراد أن يموت في السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره وهو منكر.

قال العراقي وقد ورد تكرار الصلاة عند الصباح والمساء من غير تعيين لهذه الصيغة. رواه الطبراني من حديث أبي الدرداء بلفظ« من صلى عليَّ حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة » وفيه انقطاع اهـ.

(العاشرة: قوله « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. اللهم إني أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون »).

قال العراقي رواه الترمذي من حديث معقل بن يسار « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك » الحديث. « ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة ». وقال حسن غريب ولابن أبي الدنيا من حديث أنس مثل حديث مقطوع قبله « من قالها حين يصبح عشر مرات أجير من الشيطان إلى الصبح » الحديث. ولأبي الشيخ في الثواب من حديث عائشة « ألا أعلمك يا خالد كلمات تقولها ثلاث مرات قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » والحديث عند أبي داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه فيما يقال عند الفراغ دون تكرارها من حديث عبد الله بن عمرو اهـ.

قلت: وبمثل سياق ابن أبي الدنيا رواه ابن السني أيضاً. وأما حديث معقل بن يسار فإن تمامه بعد قوله « سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً » وقد رواه أيضاً أحمد والبيهقي.

(فهذه العشر كلمات إذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة) من ضرب

عشر مرات حصل له مائة مرة، فهو أفضل من أن يكرر ذكراً واحداً مائة مرة لأن لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلاً على حياله وللقلب بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل، فأما القراءة فيستحب له قراءة جملة من الآيات وردت الاخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد، وآية الكرسي،

عشرة في عشرة، (**فهو أفضل من أن يكرر ذكراً واحداً مائة مرة لأن لكل واحدة من هذه الكلمات فضلاً على حيالها**) كما تقدمت الاشارة إليه، (**وللقلب بكل واحدة نوع تنبيه**) وإيقاظ (**وتلذذ**) روحاني، (**وللنفس في الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل**) والسآمة.

(**وأما القراءة، فيستحب له قراءة جملة من الآيات**) القرآنية (**وردت الأخبار**) الصحيحة(**بفضلها، وذلك أن يقرأ سورة الحمد**) وهو أشهر أسمائه ويليه سورة الفاتحة والشافعية والمنجية والواقية والكافية وأم الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني وسورة الصلاة وغيرها مما هو مذكور في محله.

أما فضل هذه السورة فروى أحمد والبخاري والدارمي وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد بن المعلى قال: « كنت أصلي فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه. فقال: ألم يقل الله: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ [الأنفال: ٢٤] ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، فأخذ بيده. فلما أردنا أن نخرج قلت يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن. قال: الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ».

وأخرج الدارمي وحسنه والنسائي وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند، وابن الضريس في فضائل القرآن، وابن جرير وابن خزيمة والحاكم وصححه من طريق العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي ابن كعب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ « ما أنزل الله في التوارة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثل أم القرآن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيت ».

وأخرج مسلم والنسائي والطبراني والحاكم عن ابن عباس قال: « بينما رسول الله ﷺ جالس وعنده جبريل إذ سمع نقيضاً من السماء من فوق فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل في الأرض قط. قال: فأتى النبي ﷺ فقال: ابشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته »

(**وآية الكرسي**) روى مسلم من حديث أبي بن كعب « أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم » الحديث. وللبخاري من حديث أبي مريرة في توكيله بحفظ تمر الصدقة ومجيء الشيطان إليه قوله « إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنه

وخاتمة البقرة من قوله: ﴿آمَن الرسولُ﴾ وشهد الله، وقل اللهم مالك الملك الآيتين.

لن يزال عليك من الله حافظ» الحديث. وفيه، فقال رسول الله ﷺ «أما إنه صدقك وهو كذوب».

وعن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً «من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» رواه النسائي والروياني وابن حبان والدارقطني في الافراد والطبراني والضياء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه «من قرأ آية الكرسي لم يتول قبض نفسه إلا الله تعالى» ورواه الحكيم الترمذي عن زيد المروزي معضلاً بمعناه، وأخرج الديلمي في مسند الفردوس، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما مرفوعاً «فاتحة الكتاب وآية الكرسي لا يقرأ هما عبد في دار فتصيبهم في ذلك اليوم عين انس ولا جن». وأخرج أبو الشيخ في الثواب وابن مردويه والديلمي عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ «أربع أنزلن من تحت العرش من كنز لم ينزل منه شيء غيرهن أم الكتاب وآية الكرسي وخواتيم البقرة والكوثر».

(**وخواتيم البقرة من قوله ﴿آمن الرسول﴾**) روى البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» ورواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، والنسائي وابن ماجه وابن حبان.

وأخرج الدارمي وابن الضرير عن ابن مسعود قال «من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة وآية الكرسي وآيتين بعدها وثلاثاً من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه من أهله ولا ماله ولا يقرآن على مجنون إلا أفاق».

وأخرج الدارمي وابن المنذر والطبراني عن ابن مسعود قال« من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلته لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح أربع من أوّلها وآية الكرسي وآيتان بعدها وثلاث خواتيمها أولها لله ما في السموات».

(**وشهد الله**) روى أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «من قرأ ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ إلى قوله ﴿الإسلام﴾ ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لنا عند الله وديعة جيء به يوم القيامة فقيل له عبدي هذا عهد إليّ عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة» قال ابن عدي: فيه عمر بن المختار وهو يروي الأباطيل. ووجدت بخط الحافظ ابن حجر أنه في المسند من طريق ابن عتبة بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عم أبيه عبد الله بن مسعود نحوه بزيادة، وفيه انقطاع.

(**وقل اللهم مالك الملك الآيتين**) روى المستغفري في الدعوات من حديث علي« أن فاتحة الكتاب وآية الكرسي، والآيتين من آل عمران شهد الله إلى قوله الاسلام، وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب» الحديث. وفيه قال «لا يقرأكنّ أحد من عبادي دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه» الحديث. وفيه الحرث بن عمير. وفي ترجمته

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جاءكم رسول من أنفسكم﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخرها. وقوله تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ [الفتح: ٢٧] إلى آخرها، وقوله: ﴿الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾ [الإسراء: ١١١] الآية وخمس آيات من أوّل الحديد. وثلاثاً من آخر سورة الحشر، وإن قرأ المسبعات العشر

ذكره ابن حبان في الضعفاء وقال: موضوع لا أصل له، والحرث يروي عن الاثبات الموضوعات.

قال العراقي: ووثقه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي وروى له البخاري تعليقاً.

(**وقوله تعالى ﴿لقد جاءكم رسول﴾ إلى آخرها**) روى الطبراني في الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف علمني رسول الله ﷺ ما احترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر حديثاً وفي آخره « فقل حسبي الله » إلى آخر السورة. وفي فضائل القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكار أن رسول الله ﷺ قال: « من لزم قراءة لقد جاءكم إلى آخر السورة لم يمت هدماً ولا غرقاً ولا ضرباً بحديد » وهو ضعيف.

(**وقوله تعالى ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ إلى آخرها**) قال العراقي: لم أجد في فضل هذه الآية حديثاً يخصها، لكن في فضل سورة الفتح روى حديث عن أبي بن كعب « من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبي ﷺ ». رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وهو حديث موضوع.

(**وقوله تعالى ﴿الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً﴾ الآية**) روى أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس آية العز الحمد الله الذي لم يتخذ ولداً الآية كلها واسناده ضعيف.

(**وخمس آيات من أول الحديد، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر**) ذكر أبو القاسم الغافقي في فضائل القرآن من حديث علي « إذا أردت أن تسأل الله حاجة فاقرأ خمس آيات من أول سورة الحديد إلى قوله ﴿عليم بذات الصدور﴾ [الحديد: ١ - ٦] ومن آخر سورة الحشر من قوله ﴿لو أنزلنا هذا القرآن﴾ [الحشر: ٢١ - ٢٤] إلى آخر السورة، ثم تقول يا من هو كذا افعل بي كذا ثم تدعو بما تريد ».

وأخرج ابن النجار في تاريخه من طريق محمد بن علي الملطي، عن خطاب بن سنان، عن قيس بن الربيع، عن ثابت بن ميمون، عن محمد بن سيرين قال: نزلنا نهر يترى فأتانا أهل ذلك المنزل فقالوا: ارحلوا فإنه لم ينزل هذا المنزل أحد إلا أخذ متاعه فرحل أصحابي، وتخلف للحديث الذي حدثني ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ في ليلة ثلاثاً وثلاثين آية لم يضره تلك الليلة سبع ضاري ولا لص طاريء وعوفي في نفسه وأهله حتى يصبح » فلما أمسينا لم أنم حتى رأيتهم قد جاؤا أكثر من ثلاثين مرة مخترطين بسيوفهم فما يصلون إلي فلما أصبحت رحلت، فلقيني شيخ منهم فقال: يا هذا إنسي أم جني؟ قلت: بل إنسي. قال: فما بالك لقد أتيناك أكثر من سبعين مرة كل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من الحديد؟ فذكرت له هذا الحديث وهن: أربع آيات من أوّل

التي أهداها الخضر عليه السلام إلى ابراهيم التيمي رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة. فقد روي عن كرز بن وبرة رحمه الله وكان من الأبدال قال: أتاني أخ لي من أهل الشام فأهدى لي هدية وقال: يا كرز اقبل مني هذه الهدية فإنها نعمت الهدية. فقلت: يا أخي ومن أهدى لك هذه الهدية؟ قال: أعطانيها ابراهيم التيمي، قلت: أفلم تسأل ابراهيم من أعطاه إياها؟ قال: بلى. قال: كنت جالساً في فناء الكعبة وأنا في التهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد

البقرة إلى المفلحون، وآية الكرسي، وآيتان بعدها، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، وثلاث آيات من سورة الأعراف ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض﴾ الى قوله ﴿المحسنين﴾ [الأعراف: ٥٤ - ٥٦] وآخر بني اسرائيل ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ [الإسراء: ١١٠، ١١١] إلى آخرها. وعشر آيات من أول الصافات إلى ﴿لازب﴾ وآيتان من الرحمن ﴿يا معشر الجن والانس﴾ إلى ﴿تنتصران﴾ [الرحمن: ٣٣ - ٣٥] ومن آخر الحشر ﴿لو أنزلنا هذا القرآن﴾ إلى آخرها. وآيتان من ﴿قل أوحي﴾ ﴿وإنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة﴾ إلى ﴿شططاً﴾ [الجن: ١ - ٤] فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب فقال لي كنا نسميها آيات الحرز. ويقال: إن فيها شفاء من مائة داء الجنون والجذام والبرص وغير ذلك. قال محمد بن علي: فقرأتها على شيخ لنا قد فلج حتى أذهب الله عنه ذلك.

(**وإن قرأ المسبعات العشر التي أهداها الخضر عليه السلام إلى**) أبي إسحاق إبراهيم بن يزيد بن شريك (**التيمي**) تيم الرباب الكوفي العابد مكث ثلاثين يوماً لم يأكل. روى عنه الأعمش وغيره مات ولم يبلغ أربعين سنة توفي سنة ٩٣ روى له الجماعة، (**ووصاه أن يقولها غدوة وعشية**) وقال له الخضر: أعطانيها محمد ﷺ، وذكر من فضلها وعظيم شأنها ما يجل عن الوصف وأنه لا يداوم على ذلك إلا عبد سعيد قد سبقت له من الله الحسنى، (**فقد استكمل الفضل و**) من داوم عليه (**جمع له فضيلة جملة الأدعية المذكورة**) المتفرقة، (**فقد روي عن**) سعد بن سعيد عن أبي طيبة الجرجاني واسمه عيسى بن سليمان عن (**كرز بن وبرة**) الحارثي قال: (**وكان من الأبدال**) ترجمه أبو نعيم في الحلية فقال: كان يسكن جرجان كوفي الأصل له الصيت البليغ والمكان الرفيع في النسك والتعبد كان يغلب عليه المؤانسة والمساعدة روى عن طاوس وعطاء والربيع بن خيثم ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم. وعنه محمد بن الفضل بن عطية، وأبو طيبة الجرجاني، ومحمد بن سوقة، وابن المبارك، وفضيل بن غزوان، وأبو سليمان المكتب، وأبو شبرمة وغيرهم. (**قال: أتاني أخ من أهل الشام فأهدى لي هدية وقال**) يا كرز: (**اقبل مني هذه الهدية فإنها نعم الهدية. فقلت: يا أخي من أهدى إليك هذه الهدية؟ قال: أعطانيها ابراهيم التيمي. قلت: أفلم تسأل ابراهيم التيمي من أعطاه إياها. قال: بلى. قال: كنت جالساً في فناء الكعبة وأنا في التسبيح والتهليل فجاءني رجل فسلم عليّ وجلس عن يميني فلم أر أحسن**

فجاءني رجل فسلّم عليَّ وجلس عن يميني فلم أرَ في زماني أحسن منه وجهاً ولا أحسن منه ثياباً ولا أشد بياضاً ولا أطيب ريحاً منه، فقلت: يا عبدالله؛ من أنت ومن أين جئت؟ فقال: أنا الخضر. فقلت في أيّ شيء جئتني؟ فقال: جئتك للسلام عليك وحباً لك في الله وعندي هدية أريد أن أهديها لك، فقلت: ما هي؟ قال: أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغـروب: سورة الحمد، وقل أعوذ برب الناس، وقل أعوذ برب الفلق، وقل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون، وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعاً وتصلي على النبي ﷺ سبعاً، وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبعاً وتقول: اللهم افعل بي وبهم عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رؤوف رحيم سبع مرات، وانظر أن لا تدع ذلك غدوة وعشية. فقلت: أحب أن تخبرني من أعطاك هذه العطية العظيمة؟ فقال: اعطانيها محمد ﷺ. فقلت: اخبرني بثواب ذلك. فقال: إذا لقيت محمداً ﷺ فاسأله عن ثوابه فإنه يخبرك بذلك، فذكر ابراهيم التيمي أنه رأى ذات يوم في منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أموراً عظيمة مما رآه في الجنة. قال: فسألت الملائكة فقلت لمن هذا؟ فقالوا: للذي يعمل مثل

منه وجهاً ولا احسن منه ثياباً ولا أشد بياضاً ولا أطيب ريحاً منه، فقلت يا عبد الله: من أنت ومن أين جئت؟ فقال: أنا الخضر. فقلت: في أي شيء جئتني؟ قال: جئتك للسلام عليك وحباً لك في الله عز وجل، وعندي هدية أريد أن أهديها إليك. قلت: ما هي؟ فقال: هي أن تقرأ قبل طلوع الشمس وانبساطها على الأرض، وقبل الغروب الفاتحة، وقل اعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق، وقل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون، وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبع مرات، وتصلي على النبي ﷺ سبعاً، وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات) الأحياء منهم والأموات **(سبعاً، وتستغفر لنفسك ولوالديك)** وما توالد لك ولأهلك **(سبعاً، وتقول: اللهم افعل بي وبهم عاجلاً وآجلاً في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل، ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم سبع مرات، وأحذر أن لا تدعه غدوة وعشية. فقلت: أحب أن تخبرني من أعطاك هذه العطية؟ فقال: أعطانيها محمد ﷺ، فقلت: أخبرني بثواب ذلك. فقال: إذا لقيت محمداً ﷺ فاسأله عن ثوابه؟ فإنه سيخبرك بذلك، فذكر ابراهيم التيمي أنه رأى ذات ليلة في منامه كأن الملائكة جاءت فاحتملته حتى** أدخلته الجنة فرأى ما فيها ووصف أموراً عظيمة مما رآه في الجنة. قال فسألت الملائكة فقلت:

عملك. وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال: فأتاني النبي ﷺ ومعه سبعون نبياً وسبعون صفاً من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلّم علي وأخذ بيدي فقلت: يا رسول الله الخضر أخبرني انه سمع منك هذا الحديث. فقال: صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الأبدال وهو من جنود الله تعالى في الأرض. فقلت: يا رسول الله؛ فمن فعل هذا أو عمله ولم يرَ مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى شيئاً مما أعطيته؟ فقال: والذي بعثني بالحق نبياً إنه ليعطى العامل بهذا وإن لم يرني ولم يرَ الجنة إنه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه خطيئة من السيئات إلى سنة، والذي بعثني بالحق نبياً ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيداً ولا يتركه إلا من خلقه الله شقياً، وكان ابراهيم التيمي يمكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان

لمن هذا كله؟ فقال: للذي يعمل مثل عملك، وذكر أنه أكل من ثمارها وسقوه من شرابها. قال: فأتاني النبي ﷺ ومعه سبعون نبياً وسبعون صفاً من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق إلى المغرب، فسلّم عليّ وأخذ بيدي فقلت يا رسول الله: إن الخضر أخبرني أنه سمع منك هذا الحديث. فقال: صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق، وهو عالم أهل الارض، وهو رئيس الأبدال، وهو من جنود الله عز وجل. فقلت يا رسول الله: فمن فعل هذا وعمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى شيئاً مما أعطيته؟ فقال: والذي بعثني بالحق نبياً إنه ليعطى العامل بهذا وإن لم يرني ولم ير الجنة إنه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله سبحانه عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه شيئاً من السيئات إلى سنة، والذي بعثني بالحق نبياً ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله عز وجل سعيداً ولا يتركه إلا من خلقه الله عز وجل شقياً. وكان ابراهيم مكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا). ذكره الأعمش عنه هذا بعينه سياق صاحب القوت من أوّله إلى آخره. ونقله عنه أيضاً صاحب العوارف مختصراً والذي روى عن الاعمش قال: سمعت ابراهيم التيمي يقول: إني لأمكث ثلاثين يوماً لا آكل، ورواه ابن عساكر في التاريخ من طريق عمر بن فروخ عن عبد الرحمن بن حبيب عن سعد عن كرز بن وبرة بطوله.

وقال العراقي: حديث كرز بن وبرة عن رجل من أهل الشام عن إبراهيم أن الخضر علمه المسبعات العشر وقال في آخرها: أعطانيها محمد ﷺ ليس له أصل، ولم يصح في حديث قط إجتماع الخضر بالنبي ﷺ ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولاموته اهـ.

قلت: وهي مسألة شهيرة الإختلاف بين المحدثين والسادة الصوفية والكلام عليها طويل الذيل. وقد أورد الحافظ ابن حجر طرفاً منه في الإصابة في ترجمة الخضر عليه السلام، وهذا أيضاً على

بعد هذه الرؤيا. فهذه وظيفة القراء، فإن أضاف إليها شيئاً مما انتهى إليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فهو حسن، فإن القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه في باب التلاوة.

وأما الافتكار: فليكن ذلك إحدى وظائفه ـ وسيأتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات ـ ولكن مجامعه ترجع إلى فنين:

أحدهما: أن يتفكر فيما ينفعه من المعاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائفه في يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق إليه الخلل من أعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة من أعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين.

قواعد المحدثين لا يستقيم، فإنها رؤيا منامية. وسعد بن سعيد الجرجاني قال البخاري لا يصح حديثه، وأبو طيبة ضعفه يحي بن معين، وكرز بن وبرة عن رجل من الشام مجهول لا يدرى من هو، ولكن مثل هذا يغتفر في فضائل الأعمال لاسيما وقد تلقته الأمة بالقبول، والله أعلم.

(فهذه وظيفة القراءة فإن أضاف إليه شيئاً مما انتهى إليه ورده من القرآن واقتصر عليه فحسن) قال صاحب العوارف: حفظاً أو من المصحف، **(فالقرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر)** وحسن فهم، **(كما ذكرنا فضل ذلك وآدابه في كتاب آداب التلاوة)**.

(وأما الإفتكار، فليكن ذلك أحد وظائفه وسيأتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات) إن شاء الله تعالى **(ولكن مجامعه ترجع إلى فنين)**.

(أحدهما: أن يتفكر فيما ينفعه من المعاملة بأن يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره) عن الشكر في ظواهر النعم وبواطنها، وعجزه عن القيام بما أمر به من حسن الطاعة ودوام الشكر على النعمة، **(ويرتب وظائف يومه والذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف)** أي الموانع والشواغل **(والعوائق الشاغلة له عن الخير، ويتذكر تقصيره وما يتطرق إليه الخلل)** والنقص **(من أعماله)** وأحواله **(ويحضر في قلبه النيات الصالحة في أعماله في نفسه وفي معاملة المسلمين)** أي يعتقد طريقه على حسن المعاملة فيما بينه وبين ربه وفيما بينه وبين الخلق، ويدخل في ذلك التفكر فيما عليه من الأوامر والنوادب وفي كشف ستر الله تعالى ولطيف صنعه به، ويستغفر الله تعالى ويجدد التوبة لما مضى من عمره ولما يأتنف من مستقبله، ويخلص الدعاء بتمسكن وتضرع ووجل واخبات أن يعصمه من جميع النهي، وأن يوفقه لصالح الأعمال، ويتفضل عليه برغائب الأفضال، وهو في ذلك فارغ القلب مجرد الهم موقن بالإجابة راض بالقسم، ويتكلم بمعروف وخير ويدعو به إلى الله عز وجل وينفع به أخاه المسلم ويعلم من دونه في العلم.

الفن الثاني: فيما ينفعه في علم المكاشفة، وذلك بأن يتفكر مرة في نعم الله تعالى وتواتر الآيات الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها أو في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الإله واستغنائه ويزيد خوفه منها، ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون البعض، وإنما نستقصي ذلك في كتاب التفكر. ومهما تيسر الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين، أحدهما: زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف، والثاني: زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله، فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة، والذكر أيضاً يورث الانس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة

(والفن الثاني: فيما ينفعه في علم المكاشفة وذلك بأن يتفكر) في حكم الله عز وجل في الملك وقدرته في الملكوت **(مرة في نعم الله عز وجل وتواتر الآيات الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها، أو)** يتفكر **(في عقوباته ونقماته)** وبلاءاته الظاهرة والباطنة **(لتزيد معرفته بقدرة الله عز وجل واستغناؤه ويزيد خوفه منه)** ومن ذلك قوله عز وجل ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ [إبراهيم: ٥] قيل: بنعمه، وقيل بعقوباته. وقال تعالى ﴿فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾ [الأعراف: ٦٩] أي نعمه **(ولكل واحد من هذه الأمور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون البعض، وإنما يستقصى ذلك)** على سبيل التفصيل **(في كتاب التفكر)** إن شاء الله تعالى، **(ومهما تيسر التفكر)** للذاكر **(فهو أشرف العبادات)** ولذا جاء في الخبر: تفكر ساعة خير من عبادة سنة، والمراد به هو الذي ينقل من المكاره إلى المحاب، ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة. وقيل: هو التفكر الذي يظهر مشاهدة وتقوى ويحدث ذكراً وهدى كقوله تعالى: ﴿لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً﴾ [طه: ١١٣] وقد وصف أعداءه بضد ذلك فقال: ﴿كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ [الكهف: ١٠١] وإنما كان التفكر أشرف العبادات. **(إذ فيه معنى الذكر لله عز وجل وزيادة أمرين: أحدهما: زيادة المعرفة)** بالمذكور **(إذ التفكر مفتاح المعرفة والكشف)** لأنه إدارة فكر وتصرف قلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب، فالفكر يد النفس التي تنال بها المعلومات كما تنال ابيد الجسم المحسوسات، وبهذه التصرف القلبي يتدرج إلى فتوح باب المعرفة والكشف الإلهي، **(الثاني: زيادة المحبة)** للمذكور **(إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه)** في نفسه، **(ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله)** وهيبته **(إلا بمعرفة صفاته)** العلا **(ومعرفة قدرته)** الباهرة **(وعجائب أفعاله)** في خلقه، **(فيحصل من الفكر المعرفة)** كما قدمنا **(و)** يحصل **(من المعرفة التعظيم، و)** يحصل **(من التعظيم المحبة)** فالمحبة متوقفة على التعظيم، كما أن التعظيم متوقف على المعرفة، وحصول المعرفة متوقف على التفكر، فالتفكر أصل

التي سببها المعرفة أقوى وأثبت وأعظم، ونسبة محبة العارف إلى أنس الذاكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة إلى أنس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق، والخلق مطلقاً من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة، فالعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالإيمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور جُملية اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر لأن أحداً لم

هذه العبادات وما ينشأ عنها. **(والذكر أيضاً يورث الأنس)** بالمذكور **(وهو نوع من المحبة)** بل سبب من أسبابها، **(ولكن المحبة التي سببها المعرفة)** بما يحبه **(أقوى وأثبت وأعظم)** فإن الإنس قد يزول ويقصر بخلاف المعرفة. **(ونسبة محبة العارف)** بأوصاف المحبوب **(إلى أنس الذاكر من غير تمام الإستبصار)** بنور العرفان **(نسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين)** أي بعين نفسه والعشق الإفراط في المحبة، **(وأطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة)** إطلاعاً حقيقياً **(بالتجربة)** والملازمة **(إلى أنس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق)** الظاهر **(والخلق)** الباطن **(مطلقاً من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما)** أي في الخلق والخلق، **(فليس محبته كمحبة المشاهدة)** بالعين وهذا ظاهر، **(وليس الخبر كالمعاينة)** وقد روي ذلك مرفوعاً عن ابن عباس رواه العسكري في الأمثال والخطيب. وعن أبي هريرة رواه الخطيب، وعن أنس رواه الطبراني في الأوسط، والخطيب والديلمي. ورواه أحمد والضياء بزيادة في آخره، ويروى: « ليس المعاين كالمخبر » كذلك رواه ابن خزيمة والطبراني والضياء عن ثمامة بن عبد الله بن أنس عن جده.

(والعباد المواظبون على ذكر الله عز وجل بالقلب واللسان الذين صدقوا بما جاءت به الرسل) عليهم السلام **(بالإيمان التقليدي)** صرفاً **(ليس معهم من محاسن صفات الله عز وجل إلا أمور جلية)** بضم الجيم وسكون الميم أي إجمالية **(اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم)** ولم يجاوزوا ذلك، **(والعارفون المختصون بمعرفة الله ومعرفة)** ملكوته وحسن معاملته **(هم الذين شاهدوا ذلك الجلال)** أي احتجاب الحق عنا بعزته **(والجمال)** أي تجليه لنا برحمته **(بعين البصيرة الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر)**.

أعلم أن البصيرة كما تقدم قوة للقلب المنور بنور اليقين ترى حقائق الأشياء وظاهرها، وإنما كانت أقوى لأن نور البصر موسوم بأنواع من النقصان فإنه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد منه ولا ما قرب ولا يبصر ما هو وراء حجاب، ويبصر من الأشياء ظاهرها دون باطنها،

يحط بكنه جلاله وجماله، فإن ذلك غير مقدور لأحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وإنما عدد حجبها التي استحقت أن تسمى نوراً وكاد يظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إلى الأصل سبعون حجاباً. قال ﷺ: «إن لله سبعين حجاباً من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره». وتلك الحجب أيضاً مترتبة. وتلك الأنوار متفاوتة في

ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها ويبصر أشياء متناهية، ولا يبصر ما لا نهاية له ويغلط كثيراً في أبصاره، فيرى الكبير صغيراً ويرى البعيد والساكن متحركاً والمتحرك ساكناً. فهذه سبع نقائص لا تفارق العين الظاهرة، ولكل من هذه تفاصيل أوردها المصنف في مشكاة الأنوار، وأنواع غلط البصر كثيرة والبصيرة منزهة عنها.

فإن قلت: نرى أصحاب البصائر يغلطون كثيراً في نظرهم. فاعلم أن فيهم خيالات وأوهاماً واعتقادات يظنون أن أحكامها أحكام العقل، فالغلط منسوب إليها.

فأما العقل إذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور أن يغلط بل يرى الأشياء على ما هي عليه **(لا لأن أحداً أحاط بكنه جلاله وجماله فإن ذلك غير مقدور لأحد من الخلق)** إذ نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة، ومعرفتهم بالحقيقة هي أنهم لا يعرفونه، وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقة المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالى، وهو المشار إليه في الخبر: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» أي لا أحيط بمحامدك وصفات إلهيتك، وإنما أنت المحيط بها وحدك فلا يتجرأ أحد من الخلق لنيل ذلك وإدراكه إلا ردته سبحات الجلال إلى الحيرة، ولا يشرئب أحد لملاحظته إلا غطى الدهش طرفه.

وأما اتساع المعرفة إنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته وإليه أشار المصنف بقوله: **(ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها، وإنما عدد حجبها التي استحقت أن تسمى نوراً وكاد يظن الواصل إليها أنه قد تم وصوله إلى الأصل سبعون)** حجاباً. **(قال النبي ﷺ: «إن لله سبعين حجاباً من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدرك بصره»)** وتقدم للمصنف في قواعد العقائد بلفظ: «ما أدركه بصره». وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة: «بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجاباً من نور» وسنده ضعيف، وفيه أيضاً من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «هل ترى ربك؟ قال إن بيني وبينه لسبعين حجاباً من نور» وفي المعجم الكبير للطبراني من حديث سهل بن سعد: «دون الله تعالى سبعون ألف حجاب من نور وظلمة». ولحديث أبي موسى: «حجابه لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» ولابن ماجه: «كل شيء أدركه بصره» قاله العراقي. وتقدم ذلك.

قلت: وحديث سهل بن سعد الذي أورده في المعجم الكبير قد رواه أيضاً أبو يعلى والعقيلي كلهم من ابن عمر وسهل بن سعد معاً، وللحديث بقية بعد قوله وظلمة: «فما من نفس تسمع شيئاً من حسن تلك الحجب إلا زهقت».

وقال المصنف في الفصل الثالث من مشكاة الأنوار: اعلم أن الله عز وجل متجل في ذاته بذاته لذاته ويكون الحجاب في الإضافة إلى محجوب لا محالة وأن المحجوبين من الخلق ثلاث أقسام: منهم من يحجب بمجرد الظلمة، ومنهم من يحجب بالنور المحض، ومنهم من يحجب بنور مقرون بظلمة وأصناف هذه الأقسام كثيرة لا تحصى وذكر العدد في الحديث المذكور للتكثير لا للتحديد، وقد تجري العادة بذكر أعداد لا يراد بها الحصر والله أعلم بذلك.

ثم ذكر القسمين وما فيها من الأقسام والأصناف والفرق والطوائف، والقسم الثالث هم المحجوبون بمحض الأنوار أصناف لا يحصون، لكن أشير إلى ثلاثة أصناف منهم.

الأول: طائفة عرفت معاني الصفات تحقيقاً، وأدركوا أن إطلاق إسم الكلام والإرادة والقدرة والعلم وغيرها ليس كإطلاقها على البشر فتحاشوا عن تعريفه بهذه الصفات، وعرفوه بالإضافة إلى المخلوقات.

الثاني: صنف ترقوا من هؤلاء من حيث ظهر لهم أن في السموات أكثره وأن محرك كل سماء خاصة موجود آخر يسمى فلكاً وفيهم كثرة، وإنما نسبتهم الأنوار الإلهية نسبة الكواكب في الأنوار المحسوسة، ثم لاح لهم أن هذه السموات في ضمن فلك آخر يتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة، والرب هو المحرك للجرم الأقصى المنطوي على الأفلاك كلها. إذ الكثرة منفية عنه.

الثالث: صنف ترقوا من هؤلاء وقالوا: إن تحريك الأجسام بطريق المباشرة ينبغي أن يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له وطاعة من عبد من عباده يسمى ملكاً نسبته إلى الأنوار الإلهية المحضة نسبة القمر في الأنوار المحسوسة، فزعموا أن الرب هو المطاع من جهة هذا المحرك، ويكون الرب تعالى محركاً بطريق الأمر لا بطريق المباشرة فهؤلاء أصناف كلهم محجوبون بالأنوار المحضة.

وإنما الواصلون: صنف رابع تجلى لهم أيضاً أن هذا المطاع موصوف بصفة لا تنافي الوحدانية المحضة والكمال البالغ، وأن نسبة هذا المطاع إلى الموجودات الحسية نسبة الشمس في الأنوار المحسوسة منه، فتوجهوا من الذي يحرك السموات، ومن الذي أمر بتحريكها إلى الذي فطر السموات وفطر الآمر بتحريكها، فوصلوا إلى موجود منزه عن كل ما أدركه بصر الناظرين وبصيرتهم. إذ وجوده من قبله فأحرقت سبحات وجه الأول الأعلى جميع ما أدركه الناظرون وبصيرتهم إذ وجوده مقدساً منزهاً عن جميع ما وصفناه مما قبل، ثم هؤلاء انقسموا فمنهم من

الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب. ويبدو في الأوّل أصغرها ثم ما يليه وعليه أول

أحرق منه جميع ما أدركه بصره وانمحق وتلاشى لكن بقي هو ملاحظاً للجمال والقدس وملاحظاً ذاته في جماله الذي ناله بالوصول إلى الحضرة الإلهية وانمحقت منه المبصرات دون المبصر، وجاوز هؤلاء طائفة منهم خواص الخواص فأحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال وتلاشوا في ذاته، ولم يبق لهم لحاظ في أنفسهم بفنائهم عن أنفسهم، ولم يبق إلا الواحد الحق. فهذه نهاية الواصلين. ومنهم من لم يندرج في الترقي والعروج على التفصيل الذي ذكرناه ولم يطل عليه العروج فسبقوا من أول وهلة إلى معرفة القدس وتنزيه الربوبية عن كل ما يجب تنزيهه عنهم، فغلب عليهم أولاً ما غلب على الآخرين آخراً، وهجم عليهم التجلي دفعة فأحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن أن يدركه بصرحي أو بصيرة عقلية، والله أعلم.

(وتلك الحجب أيضاً مترتبة، وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب).

أعلم أن الأشياء بالإضافة إلى الحس البصري ثلاثة أقسام: منها ما لا يبصر بنفسه كالأجسام المظلمة، ومنها ما يبصر بنفسه ولا يبصر به غيره كالأجسام المضيئة مثل الكوكب وجهة النار إذا لم تكن مشعلة ومنها ما يبصر بنفسه ويبصر به أيضاً غيره كالشمس والقمر والنيران المشعلة كالسراج والنور إسم لهذا القسم الثالث. ثم تارة ينطلق على ما يفيض من هذه الأجسام المنيرة على ظواهر الأجسام الكثيفة، وتارة يطلق على نفس هذه الأجسام المشرقة أيضاً لأنها في أنفسها مستنيرة وعلى الجملة، فالنور عبارة عما يبصر في نفسه ويبصر به غيره كالشمس هذا حده وحقيقته بالوضع الأول ثم أن العقول وإن كانت مبصرة فليست المبصرات كلها عندها على مرتبة واحدة، بل بعضها يكون عندها كأنها حاضرة كالعلوم الضرورية. ومنها ما لا يقارن العقل في كل حال إذا عرض عليه بل يحتاج لأن ينبه عليه بالتنبيه والأنوار السماوية التي منها تقتبس الأنوار الأرضية إن كان لها أن تترتب بحيث يقتبس بعضها من بعض، فالأقرب من المنبع الأول أولى باسم النور لأنه أعلى رتبة. ومثال ترتيبه في عالم الشهادة لا يدركه الإنسان إلا بأن يفرض ضوء القمر داخلاً في كوة بيت واقعاً على مرآة منصوبة على حائط ومنعكس منها إلى حائط آخر في مقابلتها ثم منعطفاً منها إلى الأرض، فحيث تستنير منه الأرض فأنت تعلم أن ما على الأرض من النور تابع لما على الحائط، وما على الحائط تابع لما على المرآة، وما على المرآة تابع للقمر، وما في القمر تابع لما في الشمس. إذ منها يشرق النور على القمر. وهذه الأنوار الأربعة مرتبة بعضها أعلى من بعض وأكمل من بعض، ولكل واحد درجة خاصة لا يتعداه. وكذلك الأنوار الملكوتية على هذا الترتيب وأن المقرب هو الأقرب إلى النور، وإذا عرفت أن الأنوار لها ترتيب فاعلم أنها لا تتسلسل إلى غير نهاية، بل ترتقي إلى منبع أول هو النور لذاته وبذاته ليس يأتيه نور من غيره منه تشرق الأنوار كلها على ترتيبها فهذا معنى قول المصنف: وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكوكب.

بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لابراهيم الخليل ﷺ في ترقيه، وقال: ﴿فلمّا جنّ عَلَيْه الليلُ﴾ أي أظلم عليه الأمر ﴿رأى كوكباً﴾ [الانعام: ٧٦] أي وصل إلى حجاب من حجب النور فعبّر عنه بالكوكب. وما أريد هذه الأجسام المضيئة فإن آحاد العوام لا يخفى عليهم أن الربوبية لا تليق بالأجسام، بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل عليه السلام، والحجب المسماة أنواراً ما أريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره

(**ويبدو في الأول أصغرها. ثم ما يليه وعلى ذلك أول بعض**) العارفين من (**الصوفية درجات ما كان يظهر لإبراهيم عليه السلام في ترقيه**) في أحوال وصوله (**وقال: ﴿فلما جن عليه الليل﴾ أي أظلم عليه الأمر**) أي اشتبه (**رأى كوكباً أي وصل إلى حجاب من حجب النور**) التي تقدم ذكرها آنفاً (**فعبر عنه بالكوكب**) لأنه أصغر الثلاثة فهو الذي بدا له أولاً، وهذا هو مقامه الذي أشرنا إليه في الصنف الرابع من القسم الثالث. (**وما أريد به هذه الأجسام المضيئة، فإن آحاد العوام لا يخفي عليهم أن الربوبية لا تليق بالأجسام، بل يدركون ذلك بأول نظرهم**) فأول منازل الأنبياء الترقي إلى العالم المقدس عن كدورة الحس والخيال (**فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل عليه السلام، والحجب المسماة أنواراً**) في الحديث المتقدم (**ما أريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ الآية**).

أعلم أن العالم الملكوتي عالم غيب، والعالم الحسي عالم الشهادة وهو مرقاة للملكوتي، وبينهما اتصال ومناسبة. ولولا ذلك لانسد طريق الترقي إلى حضرة الربوبية فلن يقرب من الله أحد ما لم يطأ بحبوحة حظيرة القدس والعالم المرتفع من إدراك الحس والخيال هو الذي يراد به عالم القدس، ولما كان عالم الشهادة مرقى إلى عالم الملكوت، وكان سلوك الطريق المستقيم عبارة عن هذا الترقي، فلو لم يكن بينهما إتصال لما تصور الترقي من أحدهما إلى الآخر فجعلت الرحمة الإلهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت، فما من شيء من هذا العالم إلا وهو مثال شيء من ذلك العالم، وربما كان الشيء الواحد مثالاً لأشياء من الملكوت، وربما كان للشيء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة وله أمثلة لا تحصى، فإن كان في عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة تفيض الأنوار على الأرواح البشرية ولأجلها تسمى أرباباً. ويكون لها مراتب في نورانيتها متفاوتة فبالحري أن يكون مثالها من عالم الشهادة الشمس والقمر والكوكب، وسالك الطريق ينتهي أولاً إلى ما درجته درجة الكوكب فيتضح له إشراق نوره ويتضح له من جماله وعلو درجته ما يبادر، فيقول: ﴿هذا ربي﴾ ثم إذا اتضح له ما فوقه مما رتبته رتبة القمر رأى أفول الأول في مغرب الهوى بالإضافة إلى ما فوقه فقال: ﴿لا أحب الآفلين﴾ وكذلك يترقى حتى ينتهي إلى ما مثله الشمس فيراه أكبر وأعلى فيراه قابلاً للمثال بنوع مناسبة له معه والمناسبة مع ذي النقص نقص

كمشكاة فيها مصباح﴾ [النور : ٣٥] الآية . ولنتجاوز هذه المعاني فإنها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل إلى حقائقها إلا الكشف التابع للفكر الصافي وكل من ينفتح له بابه . والمتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يفيد في علم المعاملة وذلك أيضاً مما تغزر فائدته ويعظم نفعه .

فهذه الوظائف الأربعة أعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي أن تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح ، بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ، ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنته والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن سبيل الرشاد ، وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح إلى طلوع الشمس . كان رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالاذكار ، وهو الأولى إلا أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به .

وأفول أيضاً فمنه يقول: ﴿وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾ .

(**ولنجاوز هذه المعاني**) الدقيقة (**فإنها خارجة عن علم المعاملة ولا توصل إلى حقائقها إلا بالكشف**) الصريح (**التابع للفكر الصافي**) عن ظلمة الخيال والوهم ، (**وقل من يفتح له بابه**) لصعوبته (**والمتيسر على جماهير الخلق الفكر فيما يفيد في علوم المعاملة وذلك أيضاً مما تغزر**) أي تكثر (**فائدته ويعظم نفعه** .

فهذه الوظائف الأربعة أعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي أن يكون وظيفة) السالك (**المريد**) في طريق الآخرة (**بعد طلوع الفجر**) الثاني ، (**بل في كل ورد وبعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربعة**) فليشدد يديه عليها (**ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنته**) بكسر الميم أي ترسه وهما مما يقاتل به العدو ويتحصن من شره ، (**والصوم هو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان المعادي**) في العروق (**الصارف له عن سبيل الرشاد**) والهداية ، (**وليس بعد طلوع الصبح**) الثاني (**صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح**) فقط ، أو ركعتي التحية إذا دخل المسجد وكان الوقت متسعاً وكان قد صلى ركعتي السنة في منزله وذلك (**إلى الطلوع**) أي طلوع الشمس . (**كان رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالأذكار**) قال العراقي : تقدم حديث جابر بن سمرة عند مسلم في جلوسه ﷺ إذا صلى الفجر في مجلسه حتى تطلع الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر وإنما هو في قوله كما تقدم من حديث أنس اهـ .

(**فهو الأولى إلا أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة**) مثلاً ، (**فلو صلى**

الورد الثاني: ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار. وأعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال، وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الربع. وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان.

إحداهما: صلاة الضحى ـ وقد ذكرناها في كتاب الصلاة ـ وإن الأولى أن يصلي ركعتين عند الإشراق وذلك إذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ويصلي

لذلك فلا بأس به) وتقدم عن صاحب العوارف أنه إن لم يندفع النوم فليقم قبالة القبلة ويرجع خطوات ولا يستدبر القبلة ولم يقل أنه يصلي والله أعلم.

(الورد الثاني: ما بين طلوع الشمس إلى ضحوة النهار، وأعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس والزوال) وذلك هو الضحى الأعلى، **(وذلك بمضي ثلاث ساعات)** زمانية **(من النهار)** وهو في عرف الناس من طلوع الشمس إلى غروبها. وعند أهل اللغة من طلوع الفجر إلى الغروب وهو مرادف لليوم **(إذا فرض النهار إثنتي عشرة ساعة وهو الربع)** من ضرب ثلاثة في أربعة، وإذا أطلق النهار في الفروع انصرف إلى اليوم نحو صم نهار الأحد مثلاً، وهل يحمل على الحقيقة اللغوية أو على العرف لأن الشيء لا يضاف إلى مرادفه؟ وجهان مطردان في كل صورة يضاف فيها النهار إلى اليوم كأن حلف لا يسافر أو يأكل يوم كذا. **(وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان)**.

(احداهما: صلاة الضحى وقد ذكرنا في كتاب الصلاة أن الأولى أن يصلي ركعتين عند الإشراق) أي إشراق الشمس، **(وذلك إذا انبسطت الشمس)** على الأرض **(وارتفعت)** عن الأفق **(قيد)** بالكسر أي قدر **(نصف رمح)** من رماح العرب وهي المتوسطة بين الطويلة والقصيرة وفي العوارف قيد رمح وتسمى هذه الصلاة صلاة الإشراق.

قال صاحب العوارف: وبهاتين الركعتين تبين رعاية هذا الوقت فإذا صلى الركعتين بجمع هم وحضور فهم وحسن تدبر لما يقرأ يجد في باطنه أثراً ونوراً وروحاً وأنساً إذا كان صادقاً، والذي يجده من البركة ثواب معجل له على عمله هذا. قال: وأحب أن يقرأ في هاتين الركعتين في الأولى آية الكرسي، وفي الأخرى ﴿آمن الرسول﴾ و﴿الله نور السموات والأرض﴾ الآية وتكون نيته فيهما الشكر لله تعالى في يوم وليلته اهـ.

وقال مشايخنا النقشبندية: يصليها بنية الإشراق يقرأ في كل ركعة منها بعد الفاتحة الإخلاص ثلاثاً اهـ.

(ويصلي أربعاً) بتسلميتين **(أو ستاً)** بثلاث تسليمات **(أو ثمانياً)** بأربع تسليمات، واقتصر صاحب القوت على ثمان، وأقلها ركعتان، وأكثرها إثنتا عشرة ركعة وقد تقدم اختلاف العلماء في ذلك في كتاب الصلاة **(إذا رمضت الفصال)** وهو أن ينام الفصيل في ظل أمه عند حر الشمس،

أربعاً أو ستاً أو ثمانياً إذا رمضت الفصال وضحيت الأقدام بحرّ الشمس. فوقت الركعتين هو الذي أراد الله تعالى بقوله: ﴿يسبّحن بالعشيّ والإشراق﴾ [ص: ١٨] فإنه وقت اشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة البخارات والغبارات التي على وجه الأرض فإنها تمنع إشراقها التام، ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذي أقسم الله تعالى به فقال: ﴿والضحى★ والليل إذا سجى﴾ [الضحى: ١، ٢] وخرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته: «ألا إن صلاة الأوّابين إذا رمضت الفصال». فلذلك نقول إذا كان يقتصر على مرة واحدة في الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى، وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقت الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب إلى ما قبل الزوال في ساعة

وهذا هو وقت الضحى، (و) قيل إذا (**ضحيت الأقدام بحر الشمس فوقت الركعتين هو الذي أراد الله بقوله سبحانه ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ فإنه وقت إشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازاة**) أي مقابلة (**البخارات**) الصاعدة من الأرض، (**والقتارات**) القتار بالضم الغبار المرتفع (**التي على وجه الأرض**) سواء بتحريك الرياح أو غيره، (**فإنها تمتنع إشراقها التام**) فلا يظهر لها إلا نور مكدر، (**ووقت الركعات الأربع هو الضحى الأعلى الذي أقسم الله به فقال: ﴿والضحى★ والليل إذا سجى﴾**) قال البيضاوي: والمراد بالضحى ارتفاع الشمس وتخصيصه لأن النهار يقوى فيه، أو لأن فيه كلم موسى ربه وألقى السحرة سجداً، أو المراد به النهار ويؤيده قوله: ﴿أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾ [الأعراف: ٩٨] في مقابلة بياتا اهـ.

(**وخرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يصلون عند الإشراق فنادى بأعلى صوته: «ألا إن صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال»**) هكذا هو في القوت وقال العراقي: رواه الطبراني من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنادى بأعلى صوته، وهوعند مسلم دون ذكر الإشراق اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والطيالسي، والدارمي، وابن خزيمة، وابن حبان. ورواه عبد بن حميد أيضاً وسمويه في فوائده عن عبد الله بن أبي أوفى بلفظ: «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال». وروى الديلمي عن أبي هريرة مرفوعاً «صلاة الأوابين صلاة الضحى».

(**ولذلك نقول: إذا كان يقتصر على مرة واحدة في صلاة الضحى فهذا الوقت أفضل**) إذ هو حقيقة وقتها، (**وإن كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفي وقت الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب**) والتحديد (**إلى ما قبل الزوال في ساعة**

الاستواء. واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتي الإشراق تقع في مبتدأ وقت الإذن في الصلاة وانقضاء الكراهة إذ قال ﷺ: « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقها » فأقل ارتفاعها أن ترتفع عن بخارات الأرض وغبارها وهذا يراعي بالتقريب.

الإستواء) في كبد السماء **(واسم الضحى ينطلق على الكل)** ولكن يميز بين ساعاته بالأصغر والأوسط والأكبر. **(وكأن ركعتي الإشراق تقع في مبدأ وقت الأداء للصلاة وانقضاء الكراهة إذ قال ﷺ: « إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فإذا ارتفعت فارقها »)** الحديث بتمامه تقدم في كتاب الصلاة وتقدم ما المراد بالقرن وهل هو حقيقة أو مجاز فراجعه **(فأقل ارتفاعها أن ترتفع عن بخارات الأرض وغبارها)** الصاعد منها، **(وهذا يراعى بالتقريب)**.

وذكر صاحب العوارف بعد ركعتي الاشراق اللذين عند انصرافه من مصلاّه ركعتين أخريين يقرأ المعوّذتين فيهما في كل ركعة سورة. قال: وتكون صلاته هذه ليستعيذ بالله من شر يومه وليلته، ويذكر بعدهما كلمات الاستعاذة التي تقدم ذكرها قال: ثم يصلي ركعتين أخريين بنية الاستخارة لكل عمل يعمله في يومه وليلته، وهذه الاستخارة تكون بمعنى الدعاء على الأطلاق، وإلا فالاستخارة التي وردت بها الأخبار هي التي يصليها أمام كل أمر يريده، ويقرأ في هاتين الركعتين: قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، ويقرأ دعاء الاستخارة كما سبق ذكره ويقول فيه « كل قول وعمل أريده في هذا اليوم اجعل فيه الخيرة » قال: ثم يصلي ركعتين أخريين يقرأ في الأولى سورة الواقعة، وفي الأخرى سورة الأعلى ويقول بعدهما: « اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد واجعل حبك أحب الأشياء إليّ وخشيتك أخوف الأشياء عندي، واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فاقرر عيني بعبادتك واجعل طاعتك في كل شيء مني يا أرحم الراحمين » ثم يصلي بعد ذلك ركعتين يقرأ فيهما شيئاً من حزبه من القرآن، ثم بعد ذلك إن كان متفرغاً ليس له شغل في الدنيا ينتقل في أنواع العمل من الصلاة والتلاوة والذكر إلى وقت الضحى، وإن كان ممن له في الدنيا شغل إما لنفسه و عياله فليمض لحاجته ومهماته بعد أن يصلي ركعتين في خروجه من المنزل. وهكذا ينبغي أن يفعل ذلك أبداً لا يخرج من البيت إلى جهة إلا بعد أن يصلي ركعتين ليقيه الله مخرج السوء، ولا يدخل البيت إلا ويصلي ركعتين ليقيه الله المدخل السوء بعد أن يسلم على من في المنزل، وإن كان متفرغاً فأحسن أشغاله في هذا الوقت إلى صلاة الضحى الصلاة، وإن كان عليه قضاء يصلي صلاة يوم أو يومين أو أكثر، وإلاّ صلى أربع ركعات يطولها ويقرأ فيها القرآن، فقد كان من الصالحين من يختم القراءة في الصلاة بين اليوم والليلة وإلاّ يصلي أعداداً من الركعات خفيفة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وبالآيات التي في القرآن فيها الدعاء مثل قوله تعالى ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ [الممتحنة:

الوظيفة الثاني: في هذا الوقت: الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض، وتشييع جنازة، ومعاونة على بر وتقوى، وحضور مجلس علم، وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها. فإن لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربع ـ التي قدمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات ـ المتطوّع بها إن شاء فإنها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن. فتصير الصلاة قسماً خامساً من جملة وظائف هذا الوقت لمن أراده. أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة

٤] وأمثال هذه الآية يقرأ في كل ركعة منها إما مرة أو يكررها مهما شاء. ويقدر الطالب أن يصلي بين الصلاة التي ذكرناها بعد طلوع الشمس وبين صلاة الضحى مائة ركعة خفيفة. وكان من الصالحين من ورده بين اليوم والليلة مائة ركعة إلى مائتين إلى خمسمائة إلى ألف ركعة، ومن ليس له في الدنيا شغل وقد ترك الدنيا على أهلها فما باله يبطل ولا يتنعم بخدمة الله تعالى. قال سهل بن عبد الله التستري: لا يكمل شغل قلب عبد بالله الكريم وله في الدنيا حاجة اهـ.

(الوظيفة الثانية: في هذا الوقت الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادة بكرة) أي في أوّل النهار **(من عيادة مريض)** إن علم **(وتشييع جنازة)** إن حضرت **(ومعونة على بر وتقوى)** يسعى فيها إن كانت مما فرض عليه أو ندب إليه مما يختص به لنفسه، أو يعود نفعه على غيره ويكون أيضاً مما يخاف فوته بفوت وقته، **(وحضور مجلس علم)** مما يقربه إلى الله زلفى فيتعلمه أو يستمعه من أفواه العلماء بالله الموثوق بعلمهم، فقد قال الله تعالى ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ [الأنعام: ٥٢] وقال ﷺ: « من غدا من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع ». وفي حديث أبي ذر « حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة، وأفضل من شهود ألف جنازة ومن عيادة ألف مريض قيل: ومن قراءة القرآن؟ فقال: وهل تنفع قراءة القرآن إلا بعلم » وقد تقدم هذا وأمثاله في كتاب فضل العلم، **(وما يجري مجراه من قضاء حاجة لمسلم ونحو ذلك)** مما فرض عليه أو ندب إليه **(فإن لم يكن شيء من ذلك عاد إلى الوظائف الأربعة التي قدمناها من الأدعية والذكر والقراءة والفكر)** من غير فتور أما ظاهراً أو باطناً أو قلباً أو قالباً وإلاّ فباطناً. وترتيب ذلك أنه يصلي ما دام منشرحاً ونفسه محيبة، فإن سئم ينزل من الصلاة إلى التلاوة، فإن مجرد التلاوة أخف على النفس من الصلاة، فإن سئم التلاوة تنزل أيضاً بذكر الله تعالى بالقلب واللسان فهو أخف من القراءة، فإن سئم الذكر أيضاً يدع ذكر اللسان ويلازم المراقبة، والمراقبة علم القلب بنظر الله تعالى إليه، فما دام هذا العلم ملازماً للقلب فهو مراقب والمراقبة عين الذكر وأفضله.

(والصلاة المتطوّع بها فإنها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن) وهي أعداد الركعات التي قدمنا تفصيلها عن صاحب العوارف، **(فتصير الصلاة قسماً خامساً من جملة وظائف الوقت لمن أراد)** وهو أفضل الوظائف لمن كان فارغاً عن متعلقات الدنيا. **(وأما**

لا سبب لها ، وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالأذكار والقراءة والدعاء والفكر.

الورد الثالث: من ضحوة النهار إلى الزوال ونعني بالضحوة المنتصف وما قبله بقليل، وإن كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فإذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل مضيها صلاة الضحى. فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر، فإذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالعصر، فإذا مضت ثلاث أخرى فالمغرب، ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب، إلا أن الضحى لم تفرض لأنه وقت انكباب الناس على أشغالهم فخفف عنهم.

بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها) إلى أن تطلع الشمس نصف قيد رمح، **(وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتي الفجر)** أي السّنة **(وتحية المسجد)** إن كان في الوقت متسع كما تقدم، **(ولا يشتغل بالصلاة)** إلا أن علم أنه لا يندفع النوم إلا بها كما تقدم قريباً، **(بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر والذكر)** على الترتيب الذي شرحناه قريباً. وهذه المسائل بفروعها تقدمت في كتاب الصلاة فلا يحتاج إلى التطويل باعادتها ثانياً والله اعلم.

(الورد الثالث: من ضحوة النهار إلى الزوال) أي زوال الشمس، **(ونعني بالضحوة)** وفي بعض النسخ والضحوة نعني بها **(المنتصف وما قبله بقليل)** فإنه ينطلق عليه اسم الضحوة، **(وإن كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة)** لتعمير الأوقات بالعبادة، **(فإذا انقضت ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها)** وفي نسخة: فبعدها **(وقبل مضيها صلاة الضحى، فإذا مضت ثلاث)** ساعات **(أخرى فالظهر)** حينئذ، **(فإذا مضت ثلاث)** ساعات **(أخرى فالعصر)** حينئذ، **(فإذا مضت ثلاث)** ساعات **(أخرى فالمغرب)** حينئذ وبه كملت اثنتا عشرة ساعة من النهار العرفي، **(ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والمغرب)**.

وقال صاحب العوارف: فإذا ارتفعت الشمس وتنصف الوقت من صلاة الصبح إلى الظهر كما يتنصف العصر بين الظهر والمغرب يصلي الضحى، فهذا الوقت أفضل الأوقات لصلاة الضحى اهـ.

(إلا أن الضحى لم يفترض) على الأمة كما افترضت العصر **(لأنه وقت إكباب الناس)** وفي نسخة: انكباب الناس أي اجتماعهم **(على أشغالهم)** الدنيوية من بيع وشراء ومعاملات، وقضاء حاجات **(فخفف عنهم)** رحمة بهم، وفي قول إنما كانت فرضاً على النبي ﷺ وحده وقد تقدم تفصيله في كتاب الصلاة.

الوظيفة الرابعة[1] في هذا الوقت الأقسام الأربعة وزيد أمران:

أحدهما: الاشتغال بالكسب وتدبير المعيشة وحضور السوق، فإن كان تاجراً فينبغي أن يتجر بصدق وأمانة، وإن كان صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا ينسى ذكر الله تعالى في جميع أشغاله، ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتسب في كل يوم لقوته، فإذا حصل كفاية يومه فليرجع إلى بيت ربه وليتزوّد لآخرته، فإن الحاجة إلى زاد الآخرة أشد والتمتع به أدوم فالاشتغال بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت. فقد قيل: لا يوجد المؤمن إلا في ثلاثة مواطن: مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لا بد له منها، وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه، بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه بدّ أنه لا بد لهم منه، وذلك لأن الشيطان يعدهم الفقر

(**فالوظيفة في هذا الوقت الأقسام الأربعة**) المذكورة من صلاة وتلاوة وذكر وفكر، (**ويزيد أمران**) آخران.

(**أحدهما الإشتغال بالكسب**) إن كان من أهله (**وتدبير المعاش**) واصلاحه ومرمته فيما يتعيش به في دنياه، (**وحضور السوق**) للبيع والشراء كل ذلك فيما ندب إليه أو أبيح له، (**فإن كان تاجراً فينبغي أن يتجر بصدق وأمانة**) فإن أضر ما على التاجر الكذب والخيانة، (**وإن كان صاحب صناعة فبنصح**) فيها (**وشفقة**) على خلق الله تعالى، فإن النصح والشفقة مراعاتها مما يورث البركة في الصناعة والتجارة. (**ولا ينسى ذكر الله عز وجل في جميع أشغاله**) ليكون جامعاً بين العبادتين، ويكون ممن قال الله في حقهم ﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [النور: ٣٧] (**و**) يستحب له أن (**يقتصر من الكسب**) وهو ما يتحراه الانسان مما فيه جلب نفع ودفع مضرة (**على قدر حاجته**) لنفسه إن كان منفرداً أو له ولعياله إن كان متأهلاً صاحب دائرة (**ليومه**) أي لكفاية قوت يومه (**مهما قدر على أن يكتسب في كل يوم لقوته**) وقوت عياله، وإن أمكن أن يكتسب قوت يومين أو ثلاثة أو أكثر فيجعل بقية أيامه للذكر والعبادة فلا بأس، (**فإذا حصلت كفاية يومه**) أو أيامه (**فليرجع إلى بيت ربه عز وجل**) أي المسجد أو خلوته في منزله وليكتف بما حصله، (**وليتزوّد لآخرته فإن الحاجة إلى زاد الآخرة أشد والتمتع به أدوم**) وأمور الدنيا هينة يكتفي فيها بأقل شيء ويمضي الوقت، وإنما العاقل الذي يهتم لأمر المعاد الذي هو غائب عن عينه (**و**) يرى ويتحقق (**أن الاشتغال بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت، فقد**) كان الصالحون كذلك يفعلون، ولهذا (**قيل: لا ينبغي أن يوجد المؤمن إلا في ثلاثة مواطن: مسجد يعمره**) أي بالصلاة والذكر والمراقبة، (**أو بيت يستره**) ممن لا يحب أن يراه، (**أو حاجة لا بدّ منها**) هكذا نقله صاحب القوت وهو في الحلية أيضاً. (**وقل من يعرف القدر فيما لا بدَّ له منه**) مما يكفيه، (**بل أكثر الناس يقدرون**) في

---

(١) هكذا في الأصل والنسخ التي راجعناها، بينما الشارح لم يذكر كلمة «الرابعة».

ويأمرهم بالفحشاء فيصغون إليه ويجمعون ما لا يأكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلاً فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه.

الأمر الثاني: القيلولة وهي سنّة يستعان بها على قيام الليل كما أن التسحر سنّة يستعان به على صيام النهار، فإن كان لا يقوم بالليل لكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما

انفسهم (**فيما عنه بدّ أنه لا بدّ لهم منه**) وهذه ورطة كبيرة يصعب التخلص منها، (**وذلك لأن الشيطان يعدهم الفقر**) ويمنيهم به ويسول لهم في طرقه ويوهمهم أنه مما لا بدّ منه، (**ويأمرهم بالفحشاء**) من القول والفعل والاعتقاد (**فيصغون إليه**) أي يميلون (**ويجمعون ما لا يأكلون**) مما يفضل عن الحاجة (**خيفة الفقر**) وهو من جملة أشراط الساعة، ولذا يوجد في أواخر الزمان أكثر من أوّله، (**والله يعدهم مغفرة وفضلاً فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه**)، بل يصدقونه باللسان ويخالفونه عند الاختبار والعمل.

(**الأمر الثاني: القيلولة**) وهي النوم في الظهيرة قاله الجوهري. وقال الأزهري: القيلولة والمقيل عند العرب الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن معه نوم بدليل قوله تعالى ﴿وأحسن مقيلاً﴾ [الفرقان: ٢٤] والجنة لا نوم فيها. وعمل السلف والخلف على أن القيلولة مطلوبة (**وهي سنّة يستعان بها على قيام الليل**)، فإن كان قبل انتصاف النهار فيستعان بها على ما مضى من القيام ثم يستأنف، وأن كان بعده فعلى ما سيأتي، (**كما ان التسحر سنّة يستعان به على صيام النهار**). وعلم من سياق المصنف أن القيلولة من غير قيام الليل كالسحور من غير صيام النهار، وقد روي في فضل القيلولة عن أنس مرفوعاً « قيلوا فإن الشياطين لا تقيل ». رواه الطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الطب والديلمي والبزار وفي الاسناد كثير بن مروان وهو متروك رواه عن يزيد بن أبي خالد الدالاني عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس. عن ابن عباس مرفوعاً « استعينوا بطعام السحر على صيام النهار والقيلولة على قيام الليل » رواه ابن ماجه في السنن وابن أبي عاصم والحاكم في الصحيح من حديث أبي عامر القصوى: حدثنا زمعة عن سلمة بن دهرام، عن عكرمة عن ابن عباس. وكذا رواه محمد بن نصر في قيام الليل له، والطبراني في الكبير من حديث اسماعيل بن عياش عن زمعة « استعينوا بقائلة النهار على قيام الليل وبأكلة السحر على صيام النهار » وهو عند البزار في مسنده من هذا الوجه. وأورده الضياء في المختارة فهوعنده حجة. وأخرج البزار عن قتادة سمعت أنساً يقول « ثلاث من أطاقهن فقد أطاق الصوم من أكل قبل أن يشرب وتسحر وقال » أي نام القيلولة. ولمحمد بن نصر في قيام الليل له من حديث مجاهد قال: بلغ عمر أن عاملاً له لا يقيل فكتب إليه أما بعد، فقل فإن الشياطين لا تقيل. وفي حديث اسماعيل بن عياش عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة انه قال « القائلة من عمل أهل الخير وهي مجمة للفؤاد مقواة على قيام الليل ».

(**فإن كان لا يقوم بالليل**) أي ليس من عادته ذلك (**ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما**

خالط أهل الغفلة وتحدث معهم، فالنوم أحب له إذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع إلى الأذكار والوظائف المذكورة إذ في النوم الصمت والسلامة، وقد قال بعضهم: يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم. وكم من عابد أحسن أحواله النوم، وذلك إذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها. فكيف بالغافل الفاسق؟ قال سفيان الثوري رحمه الله: كان يعجبهم إذا تفرغوا أن يناموا طلباً للسلامة، فإذا كان نومه على قصد طلب

خالط أهل الغفلة) والكسل **(وتحدث معهم)** فيما لا يعينه، **(فالنوم أحب له إذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع إلى الأذكار والوظائف المذكورة)**.

وقال صاحب العوارف، فإن سئم من الصلاة تنزل إلى التلاوة، ثم منها إلى الذكر، ثم منه إلى الفكر والمراقبة، فإن عجز عن المراقبة وتملكته الوساوس وتزاحم في باطنه حديث النفس فلينم ففي النوم السلامة، وإلاّ فكثرة حديث النفس تقسي القلب ككثرة الكلام لأنه كلام من غير لسان فيحترز من ذلك.

قال سهل بن عبد الله: أسوأ المعاصي حديث النفس والطالب يريد أن يعتبر باطنه كما يعتبر ظاهره فإنه بحديث النفس وما يتخايل له من ذكر ما مضى ورأى وسمع، كشخص آخر في باطنه فيقيد الباطن بالرعاية والمراقبة كما يقيد الظاهر بالعمل وأنواع الذكر، ويمكن الطالب المجد أن يصلي من صلاة الضحى إلى الاستواء مائة ركعة أخرى وأقل ذلك عشرون ركعة يصليها خفيفة أو يقرأ في كل ركعتين جزءاً من القرآن أو أقل أو أكثر، والنوم بعد الفراغ من صلاة الضحى وبعد الفراغ أعداد أخر من الركعات حسن اهـ.

(إذ في النوم الصمت والسلامة، وقد قال بعضهم: يأتي على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم)، ولفظ القوت: وأدنى أحواله الصمت والنوم ففيهما سلامة من آثام ومخالطة اللئام. وقد جاء في العلم: يأتي على الناس زمان يكون أفضل علمهم فيه الصمت وأفضل أعمالهم النوم هذا لدخول المشكلات في الكلام وخروج الإخلاص من الأعمال، **(فكم من عابد أحسن أحواله النوم، وذلك إذا كان يرائي بعبادته ولا يخلص فيها، فكيف بالغافل الفاسق)**. ومبيت العبد يكون في اليقظة كالنوم إذ في نومه سلامته والسلامة متعذرة في يقظته، وإنما الفضائل للأفاضل الذين زادوا على السلامة والعدل بالاحسان والفضل.

(قال سفيان الثوري: كانوا يستحبون) ولفظ القوت والعوارف: كان يعجبهم **(إذا تفرغوا أن يناموا طلباً للسلامة)** والسلامة أعم مما يتضرر بغيره أو يتضرر به غيره، **(فإذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان قربه)** قال صاحب العوارف: وهذا النوم فيه فوائد: منها أن يعين على قيام الليل، ومنها أن النفس تستريح ويصفو القلب لبقية النهار والعمل فيه، والنفس إذا استراحت عادت جديدة فبعد الانتباه من نوم النهار يستجد الباطن

السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة. ولكن ينبغي أن يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة، فإن ذلك من فضائل الأعمال، وإن لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت غفلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهموم الدنيا، فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند إعراض العبيد عن بابه جدير بأن يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته. وفضل ذلك كفضل إحياء الليل فإن الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا وأحد معنيي قوله تعالى: ﴿وهو الذي جعلَ اللَّيْلَ والنَّهارَ خِلْفَةً لمن أرادَ أنْ يَذَّكَّرَ﴾ [الفرقان: ٦٢] أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل، والثاني: أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في أحدهما.

نشاطاً آخر وشغفاً كما كان في أوّل النهار، فيكون للصادق في النهار نهزات يغتنمها بخدمة الله عز وجل والدؤب في العمل.

(**ولكن ينبغي**) إذا نام (**أن ينتبه**) من نومه ذلك (**قبيل الزوال**) بساعة وذلك (**بقدر الاستعداد**) والتمكن (**للصلاة**) أي الظهر (**بالوضوء**) والاستنجاء (**وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة**) بحيث يكون وقت الاستواء مستقبلاً القبلة ذاكراً ومسبحاً أو تالياً أو مراقباً، (**فإن ذلك من فضائل الأعمال**) قال الله تعالى ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً في الليل﴾ [هود: ١١٤] وقال ﴿فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ [ق: ٣٩] أي صلاة الصبح وصلاة العصر ﴿ومن آناء الليل فسبح﴾ [طه: ١٣] أراد العشاء الاخيرة ﴿وأطراف النهار﴾ أراد الظهر والمغرب، لأن الظهر صلاة في آخر الطرف الأوّل من النهار، وآخر الطرف الآخر غروب الشمس. وفيها صلاة المغرب، فصار الظهر أوّل الطرف الآخر فيستقبل الطرف الآخر باليقظة والذكر كما استقبل الطرف الاوّل وقد عاد بنوم النهار جديداً كما كان بنوم الليل، (**وإن لم ينم ولم يشتغل بالكسب**) وكان عنده نشاط (**واشتغل بالصلاة والذكر**) والتلاوة والمراقبة (**فهو أفضل أعمال النهار لأنه وقت غفلة الناس عن الله تعالى و**) وقت (**اشتغالهم بهموم الدنيا**) لمرمة المعاش، (**فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عز وجل عند اعراض العبيد عن بابه**) بالأسواق وغيرها (**جدير**) أي حقيق (**بأن يزكيه الله عز وجل**) ويطهره (**ويصطفيه لقربه ومعرفته**) بأن يحل فيه سر من اسراره فيعمره بالأنوار، (**وفضل ذلك كفضل إحياء الليل**) بالقيام، (**فإن الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى**) وملاذ النفس، (**والاشتغال بهموم الدنيا وأحد معنيي قول الله عز وجل: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة﴾ أي يخلف أحدهما الآخر في الفضل**) وهذا القول روي عن مجاهد وقتادة، (**والثاني: أنه يخلفه فيتدارك فيه ما فات في أحدهما**) رواه ابن جرير، وابن

الورد الرابع: ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته، وهذا أقصر أوراد النهار وأفضلها، فإذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن الأذان فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه، ثم ليقم إلى احياء ما بين الأذان والإقامة فهو وقت الإظهار الذي أراده الله تعالى بقوله: ﴿وحين تُظِهرُونَ﴾ [الروم: ١٨] وليصلّ في هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة واحدة، وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار نقل بعض العلماء أنه يصليها بتسليمة واحدة، ولكن طعن في تلك

حاتم، وابن المنذر، عن ابن عباس. وررواه عبد بن حميد، عن سعيد بن جبير وتقدم تفسير هذه الآية بالمعنيين قريباً.

(**الورد الرابع: ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته**) أي سنته (**وهو أقصر أوراد النهار**) لقصر وقتها (**وأفضلها**) لفضيلة العمل فيها، (**فإذا كان قد توضأ**) وتهيأ (**قبل الزوال وحضر المسجد**) فليفطن لأوّل الوقت، (**فمهما زالت الشمس**) وذهب وقت الكراهة بالاستواء شرع في صلاة الزوال (**و**) إن (**ابتـدأ المؤذن بالأذان**) بأن سبقه في معرفة الوقت (**فليصبر إلى الفراغ من جواب أذانه ثم ليقم إلى**) صلاة الزوال قبل الظهر فيحتاج إلى مراعاتها في أوّل الأوقات، وليتق الصلاة عند استواء الشمس في كبد السماء وهو قبل زوالها عند تقلص الظل وقيام كل ظل تحته، فإذا زال الظل فقد زالت الشمس وقد يخفى استواؤها في الشتاء لقصر الوقت ولعدول الشمس في سيرها عن وسط الفلك فيقطع عرضاً فيكون أقرب لغروبها فليقدر ذلك تقريباً، ومقدار استوائها قبل الزوال نحو أربع ركعات أو مقدار جزء من القرآن وهو آخر الورد الثالث، وإنما فيه ورد القراءة والتسبيح والتفكير، وهذا أحد الأوقات الخمسة التي نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة فيها، وتقدم تفصيل ذلك في كتاب الصلاة وكذا معرفة الأزولة الخمسة. قال صاحب القوت: وأحب له (**احياء ما بين الأذان والإقامة**) بالركوع فإنها ساعة يستجاب فيها الدعاء وتفتح فيها أبواب السماء وتزكو فيها الأعمال وأفضل أوقات النهار أوقات الفرائض، (**فهو وقت الإظهار الذي أراد الله تعالى بقوله:**) وعشياً (**وحين تظهرون**) ولفظ القوت: وهذا الورد هو الاظهار الذي ذكر الله الحمد فيه فقال تعالى ﴿وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾ [الروم: ١٨] (**فليصل في هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة**) وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه، وبذلك وردت الآثار وقد جعلها المصنف مستثناة من صلوات النهار فقال: (**هذه الصلاة وحدها من بين سائر صــلوات النهار ونقل أنها تصلى بتسليمة واحدة هكذا نقله بعض العلماء**) وكأنه يريد به صاحب القوت فإنه نقله هكذا.

وقال صاحب العوارف: ويصلي في أول الزوال قبل السنة والفرض أربع ركعات بتسليمة واحدة كان يصليها رسول الله ﷺ اهـ. وإليه الإشارة بما رواه مسلم عن عائشة كان يصلي في بيته قبل

الرواية. ومذهب الشافعي رضي الله عنه انه يصلي مثنى مثنى كسائر النوافل ويفصل بتسليمة وهو الذي صحت به الأخبار، وليطوّل هذه الركعات إذ فيها تفتح أبواب السماء كما أوردنا الخبر فيه في باب صلاة التطوّع، وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة من

الظهر أربعاً، بل روى الشيخان كان لا يدع أربعاً قبل الظهر وهذا نص في تأكد الأربعة، فقيل: إن المراد بذلك هي صلاة الزوال، **(ولكن طعن في تلك الرواية)** التي يقول فيها أنها أربع ركعات موصولة. **(ومذهب الشافعي رضي الله عنه أنه يفصل بتسليم)** وفي نسخة أنه يصلي مثنى كسائر النوافل، **(وهو الذي صحت به الأخبار)** من ذلك ما رواه البخاري والترمذي من حديث ابن عمر « كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد العشاء ركعتين ». الحديث والأفضل في صلاة النهار عند الشافعي أن يسلم منها من كل ركعتين، وأجابوا عن صلاة الليل مثنى مثنى بأنه محمول على أن الليل أولى بذلك وأفضل لا أنه خاص به.

تنبيه:

الحديث الذي أشار إليه المصنف بأن في رواته من طعن فيه وهو حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه رفعه « أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليم تفتح لهن أبواب السماء » رواه أبو داود، والترمذي في الشمائل، وابن ماجه، وابن خزيمة في الصلاة عنه، وفيه عبيدة بن مصعب الكوفي ضعفه أبو داود. وقال المنذري: لا يحتج بحديثه، وقال يحي القطان وغيره: الحديث ضعيف. وقال في موضع آخر في اسناد أبي داود احتمال للتحسين.

قلت: والحافظ السيوطي رمز لصحته ولكن في الميزان ضعفه أبو حاتم والنسائي، وفي مسند الترمذي قرثع الضبي ذكره ابن حبان في الضعفاء، وروى البزار نحوه من حديث ثوبان أنه ﷺ كان يستحب أن يصلي بعد نصف النهار، فقالت عائشة رضي الله عنها أراك تستحب الصلاة هذه الساعة فقال « تفتح فيها أبواب السماء وينظر إلى خلقه بالرحمة » وهي صلاة كان يحافظ عليها آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى صلى الله عليهم وسلم. وروى الترمذي من حديث عبد الله بن السائب أربع قبل الظهر، وبعد الزوال تحتسب بمثلهن في السحر وما من شيء إلا وهو يسبح الله تعالى تلك الساعة، ثم قرأ ﴿تتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجّداً لله وهم داخرون﴾ [النحل: ٤٨] أي صاغرون. قال ابن حجر في شرح الشمائل: وهذه الأربع ورد مستقل سببه انتصاف النهار وزوال الشمس، لأن انتصافه مقابل لانتصاف الليل وبعد زوالها تفتح أبواب السماء وهو نظير النزول الإلهي المنزه عن الحركة والانتقال، وسائر سمات الحدوث إذ كل منهما وقت قربة ورحمة، **(وليطول هذه الركعات إذ فيها)** أي في تلك الساعة **(ففتح أبواب السماء)** للمصلين والذاكرين، **(كما أوردنا الخبر فيه في باب صلاة التطوّع)** وتقدم الكلام عليه قريباً وفي كتاب الصلاة مفصلاً. **(وليقرأ فيها سورة البقرة)** أو مقدارها **(أو سورتين من المئين أو أربعاً من**

المئين أو أربعاً من المثاني، فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء. وأحب رسول الله ﷺ أن يرفع له فيها عمل ثم يصلي الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة ـ كما سبق ـ أو قصيرة

المثاني) يطيلهن، (**فهذه ساعة يستجاب فيها الدعاء، وأحب رسول الله ﷺ أن يرفع له فيها عمل**) صالح. رواه أبو دواد وابن ماجه من حديث أبي أيوب، وقد تقدم في الصلاة في الباب السادس. وقال صاحب العوارف: فيقرأ في صلاة الزوال بمقدار سورة البقرة في النهار الطويل وفي القصير ما تيسر من ذلك اهـ.

(**ثم يصلي الظهر بجماعة**) يعني الفرض (**بعد أربع ركعات**) يعني السنّة (**طويلة**) بمقدار البقرة ونحوها (**كما سبق**) في صلاة الزوال إن كان النهار طويلاً (**أو قصيرة**) إن كان النهار قصيراً أو خاف فوت الجماعة، (**ولا ينبغي أن يدعها**) فقد روي عن أنس رضي الله عنه قال «من صلى قبل الظهر أربعاً غفر له ذنوبه يومه ذلك». رواه الخطيب وابن عساكر.

وعن عمر الأنصاري عن أبيه رفعه «من صلى قبل الظهر أربعاً كن له كعتق رقبة من بني إسماعيل» رواه ابن أبي شيبة والطبراني.

وعن صفوان رضي الله عنه «من صلى أربعاً قبل الظهر كان له أجره كأجر عتق رقبة أو قال أربع رقاب من ولد اسماعيل» رواه الطبراني أيضاً.

وقال صاحب العوارف بعد ذكره لصلاة الزوال: ثم يستعّد لصلاة الظهر فإن وجد في باطنه كدراً من مخالطة أو مجالسة اتفقت يستغفر الله ويتضرع إليه، ولا يشرع في صلاة الظهر إلا بعد أن يجد الباطن عائداً إلى حاله من الصفاء والذائقون حلاوة المناجاة وصفـو الانس في الصلاة يتكدرون بيسير من الإسترسال في المباح، ويصير على بواطنهم من ذلك عقد وكدر، وقد يكون ذلك بمجرد المخالطة والمجالسة مع الأهل والولد مع كون ذلك عبادة، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين، فلا يدخل في الصلاة إلا بعد حل العقد وإذهاب الكدورة وحل العقد بصدق الانابة والاستغفار والتضرع إلى الله ودواء ما يحدث من الكدر بمجالسة الأهل والولد أن يكون في مجالسته لهم غير راكن إليهم كل الركون، بل يسترق القلب في ذلك نظرات إلى الله تعالى فتكـون في تلك النظرات كفارة تلك المجالسة، إلا أن يكون قوي القلب في الحال لا يحجبه الخلق عن الحق فلا تنعقد على باطنه عقدة فهو كما يدخل في الصلاة يجدها ويجد باطنه وقلبه لأنه حيث استروحت نفس هذا إلى المجالسة كان استرواح نفسه منغمراً بروح قلبه لأنه يجالس ويخالط بعين ظاهره فعين ظاهره ناظرة إلى الخلق وعين قلبه مطالعة إلى الحضرة الإلهية، فلا تنعقد على باطنه عقدة وصلاة الزوال هي التي تحل العقد وتهيء الباطن لصلاة الظهر، فإن انتظر بعد السّنة حضور الجماعة للفرض، وقرأ الدعاء الذي بين الفريضة والسّنة عن صلاة الفجر فحسن، ثم إذا فرغ من صلاة الظهر يقرأ الفاتحة وآية الكرسي ويسبح ويحمد ويكبر ثلاثاً وثلاثين، ولو قدر على الآيات كلها التي ذكرناها بعد صـلاة الصبح، وعلى الأدعية أيضاً كان ذلك خيراً كثيراً وفضلاً عظيماً ومن له همة ناهضة وعزيمة صادقة لا يستكثر شيئاً لله تعالى.

لا ينبغي أن يدعها ثم ليصلّ بعد الظهر ركعتين ثم أربعاً، فقد كره ابن مسعود أن تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل، ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر سورة البقرة والآيات التي أوردناها في الورد الأول، ليكون ذلك جامعاً له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت.

الورد الخامس: ما بعد ذلك إلى العصر ويستحب فيه العكوف في المسجد مشتغلاً بالذكر والصلاة أو فنون الخير ويكون في انتظار الصلاة معتكفاً فمن فضائل الأعمال

(**ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعاً، وكره ابن مسعود**) رضي الله عنه (**أن يتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل**) نقله صاحب القوت قال: قال مجاهد، قال عبد الله بن عمر « من صلّى أربعاً بعد العشاء كن كعدلهن من ليلة القدر » قال حصين: فذكرت ذلك لإبراهيم فقال: كان ابن مسعود يكره أن يتبع كل صلاة بمثلها وكانوا يصلون العشاء ثم يصلون ركعتين ثم أربعاً، فمن بدا له أن يوتر أوتر ،ومن أراد أن ينام نام، وقد تقدم الكلام عليه في باب التطوّع من كتاب الصلاة.

وأما الاربع التي بعد الظهر، فقد روى ابن جرير عن أم حبيبة رضي الله عنها رفعته « من صلّى أربعاً قبل الظهر وأربعاً بعدها لم تمسه النار » ورواه أحمد وابن أبي شيبة وابن زنجويه والترمذي وقال: حسن غريب، والنسائي وابن ماجه بلفظ « حرمه الله على النار » (**ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة**) أي الأربعة والاثنين (**آية الكرسي وآخر سورة البقرة والآيات التي أوردناها في الورد الأول ليكون ذلك جامعاً له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت**) أخذه من القوت ولفظه: فإن لم يقرأ بين الأذانين من درسه فاستحب له أن يقرأ في تنفله الآي التي فيها الدعاء مثل آخر سورة البقرة، وآخر سورة آل عمران، ومن تضاعيف السور الآيتين والثلاث مثل قوله: ﴿أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا﴾ [الأعراف: ١٥٥] ومثل قوله ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ [آل عمران: ٨] وقوله ﴿ربنا عليك توكلنا﴾ الآية [الممتحنة: ٤] فإن قرأ فيها الآي التي فيها التعظيم والتسبيح والأسماء فحسن مثل: أوّل سورة الحديد، وآخر سورة الحشر، ومثل آية الكرسي، وقل هو الله أحد ليكون بذلك جامعاً بين التلاوة والدعاء وبين الصلاة والتعظيم والمدح بالأسماء، ثم ليصل الظهر بجماعة ولا يدع أن يصلي قبلها أربعاً وبعدها أربعاً بعد ركعتين، وهذا هو آخر الورد الرابع من النهار اهـ. فتأمل سياقه مع سياق المصنف.

(**الورد الخامس: ما بعد ذلك إلى العصر، ويستحب فيه العكوف**) أي الأقامة (**في المسجد مشتغلاً بالذكر والصلاة وفنون الخير**) أي أنواعه (**فيكون في انتظار الصلاة معتكفاً**) أي يكون جامعاً بين الاعتكاف والانتظار للصلاة، (**فمن فضائل الأعمال انتظار**

انتظار الصلاة بعد الصلاة، وكان ذلك سنة السلف وكان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دوياً كدوي النحل من التلاوة فإن كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهمه فالبيت أفضل في حقه فإحياء هذا الورد وهو أيضاً وقت غفلة الناس كإحياء

الصلاة) وقد ورد ذلك في خبر صحيح رواه الترمذي، **(وكان ذلك سنّة السلف)** رحمهم الله تعالى **(كان الداخل يدخل المسجد)** ولفظ القوت: المساجد **(بين الظهر والعصر فيسمع دوياً كدوي النحل من التلاوة)** كذا نقله صاحب القوت، **(فإن كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهمه)** وقلبه، **(فالبيت أفضل في حقه)** ولفظ القوت: فالسلامة هي الافضل، **(واحياء هذا الورد وهو أيضاً وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث في الفضل)**.

قال صاحب العوارف: وإن أراد أن يقرأ بين الصلاتين في صلاته في عشرين ركعة في كل ركعة آية أو بعض آية يقرأ في الركعة الأولى ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ [البقرة: ٢٠١] الآية وفي الثانية ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا﴾ الآية [البقرة: ٢٥٠] ثم ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ [البقرة: ٢٨٦] إلى آخر السورة ثم ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد﴾ الآية [آل عمران: ٨] ثم ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي﴾ الآية [آل عمران: ١٩٣] ثم ﴿ربنا آمنا بما أنزلت﴾ الآية [آل عمران: ٥٣] ثم ﴿أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا﴾ الآية [الأعراف: ١٥٥] ثم ﴿فاطر السموات والأرض أنت ولي﴾ الآية [يوسف: ١٠١] ثم ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ الآية [إبراهيم: ٣٨] ثم ﴿قل رب زدني علماً﴾ [طه: ١١٤] ثم ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧] ثم ﴿رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين﴾ [الأنبياء: ٨٩] ثم ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ [المؤمنون: ١١٨] ثم ﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ الآية [الفرقان: ٧٤] ثم ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي﴾ الآية [النمل: ١٩] ثم ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ [غافر: ١٩] ثم ﴿ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ الآية [الحشر: ١٠] ثم ﴿ربنا عليك توكلنا﴾ الآية [الممتحنة: ٤] ثم ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ الآية .وبالمحافظة على هذه الآيات في الصلاة موطناً للقلب واللسان يوشك أن يرقى إلى مقام الإحسان، ولو ردد آية واحدة من هذه في ركعتين بين صلاة الظهر والعصر كان في جميع الوقت مناجياً لمولاه وداعياً وتالياً ومصلياً والدؤب في العمل واستيعاب الأجزاء النهارية بلذاذة وحلاوة من غير سآمة لا يصح إلا لعبد تزكت نفسه بكمال التقوى واستقصاء في الزهد في الدنيا وانتزعت منه متابعة الهوى، ومتى بقي على الشخص من التقوى والزهد بقية لا يدوم روحه في العمل بل تنشط وقتاً وتسأم وقتاً ويتناول النشاط والكسل فيه لبقاء متابعة شيء من الهوى بنقصان تقوى أو محبة دنيا، فإذا صح في الزهد والتقوى إنما ترك العمل بالجوارح لا يفتر عن العمل بالقلب، فمن رام دوام الروح وإستحلاء الدؤب في العمل لئلا يفتر عن العمل فعليه بحسم مادة الهوى والهوى روح النفس لا يزول، ولكن تزول متابعته ودقائق متابعة الهوى تتبين على قدر صفاء القلب وعلو الحال فقد يكون متبعاً للهوى

الورد الثالث في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء: ثلاث يمقت الله عليها: الضحك بغير عجب والأكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل. والحد في النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالإعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والنهار جميعاً، فإن نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وإن نقص منه مقدار استوفاه بالنهار. فحسب ابن آدم إن عاش

باستحلاء مجالسة الخلق ومكالمتهم والنظر إليهم، وقد يتبع الهوى بتجاوز الإعتدال في النوم والأكل إلى غير ذلك من أقسام الهوى المتبع وهذا شغل من ليس له شغل في الدنيا والله أعلم.

(وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال إذ تكره نومتان بالنهار) ولفظ القوت: فإن كان قد رقد قبل الزوال فلا يرقد في هذا الورد، فإنه تكره له نومتان في يوم كما يكره له نوم النهار من غير سهر الليل. **(قال بعض العلماء)** ولفظ القوت: وروينا عن بعض العلماء: **(ثلاث يمقت الله عز وجل عليها: الضحك من غير عجب، والأكل من غير جوع، ونوم النهار من غير سهر الليل)**.

قلت: وقد روي معنى ذلك في المرفوع من حديث عبد الله بن عمرو عند الديلمي، وقال في أثناء حديث: «وإن أبغض الخلق إلى الله ثلاثة الرجل يكثر النوم بالنهار ولم يصل من الليل شيئاً، والرجل يكثر الأكل ولا يسمي الله على طعام ولا يحمده، والرجل يكثر الضحك من غير عجب فإن كثرة الضحك تميت القلب وتورث الفقر».

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبد القدوس بن بكر، عن محمد بن نصر الحارثي رفعه إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت: الضحك من غير عجب، والنوم من غير سهر، والأكل من غير جوع».

ثم قال صاحب القوت: وإن لم يكن رقد وأحب أن ينام بين الظهر والعصر يتقوى بذلك على قيام الليل فلينم فإن نوماً بعد الظهر لليلة المستقبلة ونوماً قبل الظهر لليلة الماضية، فإن دام سهره بالليل واتصلت أوراده بالنهار حسن أن ينام قبل الظهر لما سلف من ليلته.

(والحد في النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، فالاعتدال في نومه ثمان ساعات في الليل والنهار جميعاً فإن نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وإن نقص منه مقداراً استوفاه بالنهار) هكذا هو في القوت ولا يشترط في هذا المقدار أن يكون متوالياً بل أعم من ذلك، فلو نام ساعتين من النهار وستاً من الليل كفاه ذلك، والذي كنا نسمعه من أفواه الشيوخ إن حق العين عين وهي في العدد سبعون أي سبعون درجة وهي خمس ساعات زمانية إلا خمس درج، وكان هذا أحد أقسام حد الإعتدال والثمان ساعات مائة وعشرون درجة، فالفرق بين الحدين خمس وأربعون درجة.

ستين سنة إن ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الأبدان وكما أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضي إلى اضطراب البدن إلاّ مَن يتعود السهر تدريجاً فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الأوراد وأمتعها للعباد وهو أحد الآصال التي ذكرها الله تعالى إذ

(فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشـرون سنة) فيبقى الثلثان وينقص الثلث، وبحساب ما ذكرنا ينقص في كل شهر يوم ونصف تقريباً وفي كل سنة ثمانية عشر يوماً، **(ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث)** من أربع وعشرين **(فقد نقص من عمره)** النفيس **(ثلث، ولكن لما كان النوم غذاء للروح)** وراحته **(كما أن الطعام غذاء الأبدان)** وقوتها. قال الله تعالى: ﴿وجعلنا نومكم سباتا﴾ [النبأ: ٩] أي راحة للبدن فإذا ارتاح البدن خف الروح ونشط، **(وكما أن العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه)** لكمال حاجته إليه، **(وقدر الإعتدال هذا)** الذي ذكرناه **(والنقصان منه ربما يفضي إلى اضطراب البدن)** ولفظ القوت ومن الناس من قال إنه إن نقص شيئاً من نوم هذا المقدار في اليوم والليلة اضطرب بدنه **(إلا من يتعود السهر)** أي يتخذه عادة له **(تدريجاً فقد تتمرن نفسه عليه من غير اضطراب)**، فإن العادة قد تعمل عمل الطبع وتنقل عن العرف ولا يقاس عليها.

وقال صاحب العوارف: والنعاس قسم صالح من الأقسام العاجلة للمريدين، وهو أمنة لقلوبهم من منازعات النفس لأن النفس بالنوم تستريح ولا تشكو الكلال إذ في شكايتها تكدير واستراحتها بالنوم شرط العلم، والإعتدال راحة القلب لما بين القلب والنفس من المواطأة عند طمأنينتها للمريدين السالكين، فقد قيل: ينبغي أن يكون ثلث النهار والليل نوماً حتى لا يضطرب الجسد، فيكون ثمان ساعات للنوم ساعتان من ذلك يجعلها بالنهار وست ساعات بالليل، ويزيد في أحدهما وينقص من الآخر على قدر طول الليل وقصره في الشتاء والصيف، وقد يكون بحسن الإرادة. وصدق الطلب ينقص النوم عن قدر الثلث ولا يضر ذلك إذا كان بالتدريج، وقد يحمل ثقل السهر وقلة النوم وجود الراحة والأنس، فإن النوم طبعه بارد رطب ينفع الجسد والدماغ ويسكن من الحرارة واليبس الحادث في المزاج، فإن نقص من الثلث يضر بالدماغ ويخشى منه اضطراب الجسم، فإذا نام عن النوم روح القلب وآنسه لا يضر نقصانه، لأن طبيعة الروح والأنس بارد رطب كطبيعة النوم، وقد يقصر مدة طول الليل وجود الروح تقصير بالروح لأوقات الليل الطويلة كالقصيرة كما يقال سنة الوصل سنة وسنة الهجر سنة فيقصر لأصل الروح، والله أعلم.

(وهذا الورد من أطول الأوراد) لطول مدته **(وأمتعها)** أي أكثرها متاعاً **(للعباد)** أي العابدين الذاكرين، وهو يضاهي الورد الثالث في الطول، **(وهو)** أصيل النهار، و**(أحد الآصال التي ذكرها الله تعالى)** فيه سجود كل شيء وقربه بالغدو. **(إذ قال: ﴿ولله يسجد من في**

قال: ﴿ولله يَسْجُدُ مَنْ في السَّموات والأرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وظلاَلُهُم بالغدوّ والآصال﴾ [الرعد: ١٥] وإذا سجد لله عز وجل الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات.

الورد السادس: إذا دخل وقت العصر دخل وقت الوردالسادس، وهو الذي أقسم الله تعالى به فقال تعالى: ﴿والعصر﴾ [سورة العصر] هذا أحد معني الآية وهو المراد بالآصال في أحد التفسيرين وهو العشي المذكور في قوله: ﴿وعشياً﴾ [مريم: ١١]، وفي قوله: ﴿بالعشيِّ والاشراق﴾ [ص: ١٨] وليس في هذا الورد صلاة إلا أربع ركعات بين الأذان والإقامة - كما سبق في الظهر - ثم يصلي الفرض ويشتغل بالأقسام الأربعة المذكورة في الورد الأوّل إلى أن ترتفع الشمس

السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والآصال﴾ فإذا سجد لله عز وجل الجمادات) التي لا روح لها. (**فكيف يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات**). ولفظ القوت: فما أقبح أن تكون الأشياء الموات لربها ساجدات ذاكرات، والمؤمن الحي عن ربه معرض ذو غفلات.

(**الورد السادس: إذا دخل وقت العصر دخل الورد السادس وهو الذي أقسم الله تعالى به فقال تعالى: ﴿والعصر** ★) إن الإنسان لفي خسر﴾ (**هذا أحد معني الآية**) أقسم بصلاة العصر لفضلها، والمعنى الثاني أقسم بعصر النبوة أو بالدهر لاشتماله على الأعاجيب وهذا المعنى الأخير رواه ابن المنذر عن ابن عباس، وروى ابن جرير عنه قال: «ساعة من ساعات النهار». وروي عنه أيضاً ما قبل مغيب الشمس من العشي». (**وهو المراد بالآصال في أحد التفسيرين المذكورين في قوله**)، ولفظ القوت: وهو أحد الوجهين من الوقت في الآصال الذي ذكره الله عز وجل وهو العشي الذي ذكر الله التسبيح فيه والتنزيه والحمد فقال عز وجل: (**﴿وعشياً**) وحين تظهرون﴾ (**وفي قوله: ﴿بالعشي والإشراق﴾**) فالمراد بالعشي فيهما وقت العصر، وكذا قوله تعالى: ﴿وقبل الغروب﴾ فإن المراد به صلاة العصر. (**وليس في هذا الورد صلاة إلا أربع ركعات بين الأذان والإقامة كما سبق في الظهر**) فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى قبل العصر أربعاً حرمه الله على النار» رواه الطبراني في الكبير. ورواه في الأوسط بلفظ: «لم تمسه النار» وإسناده ضعيف وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «من صلى قبل العصر أربع ركعات غفر الله له مغفرة عزما». رواه أبو نعيم. وعن أم سلمة رضي الله عنها «من صلى أربع ركعات قبل العصر حرم الله بدنه على النار». وعن علي رضي الله عنه: «من صلى أربع ركعات قبل العصر حرم الله لحمه على النار» رواه ابن النجار. وقال صاحب العوارف: يقرأ فيها إذا زلزلت والعاديات والقارعة والهاكم.

(**ثم يصلي الفرض**) بالجماعة ويجعل من قراءته في بعض الأيام: والسماء ذات البروج قال

إلى رؤوس الحيطان وتصفرّ والأفضل فيه إذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم إذ يجمع ذلك بين الذكر والدعاء والفكر، فيندرج في هذا القسم أكثر مقاصد الأقسام الثلاثة.

الورد السابع: إذا اصفرت الشمس بأن تقرب من الأرض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الأرض ويرى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد، وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه قبل الغروب كما أن ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ فسبحان الله حين تُمسون وحين تصبحون ﴾ [الروم: ١٧] وهذا هو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى: ﴿ فسبّح وأطراف النهار ﴾ قال الحسن: كانوا أشد تعظيماً للعشي منهم لأول النهار. وقال بعض السلف: كانوا يجعلون

صاحب العوارف: سمعت أن قراءة سورة البروج في صلاة العصر أمان من الدماميل (**ويشتغل**) بالأقسام الأربعة المذكورة (**في الورد الأول**) من الأذكار والأفكار من أعمال القلوب والجوارح (**إلى أن ترتفع الشمس إلى رؤوس الحيطان**) والجدر (**وتصفر**) ويموت حرها وكانت مثلها حين تطلع، (**والأفضل فيه إذا منع من الصلاة تلاوة القرآن بتدبر**) وترتيل (**وتفهم**) وحسن تأويل (**إذ يجمع ذلك معنى الذكر والدعاء والفكر، فيندرج في هذا القسم أكثر مقاصد الأقسام الثلاثة**) المذكورة. وقال صاحب العوارف: وأفضل من ذلك مجالسة من يزهده في الدنيا، ويشد كلامه عرا التقوى من العلماء الزاهدين من المتكلمين بما يقوي العزائم من المريدين، فإذا صحت نية القائل والمستمع فهذه المجالسة أفضل من الإنفراد والمداومة على الأذكار.

(**الورد السابع**): وهو آخر أوراد النهار (**إذا اصفرت الشمس بأن تقرب من الأرض بحيث يغطي نورها القتارات**) أي الغبارات (**والبخارات التي على وجه الأرض، وترى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد، وهو مثل الورد الأول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس لأنه قبل الغروب كما أن ذلك قبل الطلوع وهو**) الإمساء (**المراد** بقوله تعالى: **﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾**) تقدم تفسير هذه الآية قريباً. (**وهو الطرف الثاني**) من النهار (**المراد بقوله تعالى: ﴿ وأطراف النهار ﴾**) والطرف الآخر وهو الظهر كما تقدم لأنها صلاة في آخر الطرف الأول من النهار وآخر الطرف الأخير غروب الشمس.

(**قال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**كانوا أشد تعظيماً للعشي منهم لأول النهار**) نقله صاحب القوت. (**وقال بعض السلف: كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة**) نقله صاحب القوت إلا أن صاحب العوارف نقل أن خروج المريد لحوائجه وأمر معاشه في هذا الوقت أفضل وأولى من خروجه في أول النهار.

أوّل النهار للدنيا وآخره للآخرة، فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الأوّل مثل أن يقول: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة، وسبحان الله العظيم وبحمده مأخوذ من قوله تعالى: ﴿واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار﴾ [غافر: ٥٥] والاستغفار على الأسماء التي في القرآن أحب كقوله: ﴿أستغفر الله إنه كان غفاراً﴾ [نوح: ١٠] ﴿واستغفره إنه كان تواباً﴾ [النصر: ٣] ﴿رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ [المؤمنون: ١١٨] ﴿فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ [الاعراف: ١٥٥] ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس ﴿والشمس وضحاها﴾ والليل إذا يغشى، والمعوّذتين، ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فإذا سمع الأذان قال: اللهم هذا اقبال ليلك

قلت: وهو يختلف باختلاف الحوائج وباختلاف الأحوال والأوضاع وباختلاف البلدان كما لا يخفى.

(**فيستحب في هذا الوقت التسبيح والإستغفار خاصة**) وإن مازجها التذكير والتلاوة (**وسائر ما ذكرناه في الورد الأول**) فهو حسن، والإستغفار والتسبيح (**مثل أن يقول: أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأسأله التوبة**) ولفظ القوت: أستغفر الله الحي القيوم وأسأله التوبة. وتقدم آنفاً أنه روي وأتوب إليه بدل وأسأله التوبة. (**وسبحان الله العظيم وبحمده**) وفي بعض النسخ هنا زيادة أستغفر الله وإن قال أستغفر الله العظيم لذنبي وسبحان الله وبحمد ربي فقد جاء بلفظ الأمر (**من قوله عز وجل: ﴿واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾**) هكذا هو في سياق صاحب القوت. (**والإستغفار بالأسماء التي في القرآن أحب**) ولفظ القوت: وأستحب الإستغفار على الأسماء التي في القرآن (**كقوله: ﴿أستغفر الله إنه كان غفاراً﴾ ﴿أستغفر الله أن الله كان تواباً رحيماً﴾ ﴿رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ ﴿فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾**) ولفظ القوت مثل أن يقول: أستغفر الله إنه كان تواباً أستغفر الله إنه كان غفاراً. أستغفر الله التواب الرحيم. رب اغفر وارحم إلى آخره. (**ويستحب أن يقرأ قبل الغروب**) السورتين: (**والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى، والمعوذتين**) لما في كل منها من ذكر الشمس والليل والغروب والفلق والغاسق وغير ذلك مما يناسب الوقت، (**ولتغرب الشمس عليه وهو في الإستغفار**) فذلك مما أمر به في هذا الوقت من الأذكار.

وروى الديلمي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال « من استغفر الله إذا وجبت الشمس سبعين مرة غفر الله له سبعمائة ذنب » ولا يذنب مؤمن إن شاء الله في يومه وليله سبعمائة ذنب وكل ما يستحب من التسبيح والتحميد والدعاء والذكر في أول النهار قبل طلوع الشمس، فإنه يستحب في هذا الورد قبل الغروب لأن الله تعالى قد قرنهما بالذكر في عدة آيات.

وادبار نهارك وأصوات دعاتك - كما سبق - ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلاة المغرب وبالغروب قد انتهت أوراد النهار، فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه، فقد انقضى من طريقه مرحلة فإن ساوى يومه أمسه فيكون مغبوناً وإن كان شراً منه فيكون ملعوناً، فقد قال ﷺ: « لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيراً » فإن رأى نفسه متوفراً على الخير جميع نهاره مترفهاً عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسديده إياه لطريقه، وإن تكن الأخرى فالليل خلفة النهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فإن الحسنات يذهبن السيئات، وليشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه أن نهار العمر له آخر

(**فإذا سمع الأذان**) أي أذان المغرب (**قال: اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك**) وأصوات دعاتك وحضور صلواتك وشهود ملائكتك صل يا رب على محمد وعلى آله واعطه الفضيلة والوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته (**كما سبق**) في كتاب الصلاة. (**ثم يجيب المؤذن**) بما تقدم ذكره في كتاب الصلاة وليقل: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ثلاثاً. وكذلك يقول عند أذان الغداة إلا أنه يقول: إدبار ليلك وإقبال نهارك، والنص بهذا في صلاة المغرب فلذلك اقتصر عليه المصنف. (**ويشتغل بصلاة المغرب**) مع الجماعة (**وبالغروب**) أي إذا توارت بالحجاب (**قد انتهت أوراد النهار**) السبعة، (**فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه**) ويدقق عليها ماذا انقضى له معها، وماذا انقضى منه عندها، وماذا قضى عليه فيها (**فقد انقضى من طريقه مرحلة**) ونقص من أيامه يوم، فماذا قطع في سفره بقطع رحلته، وماذا ازداد في غده ما نقص من يومه (**فهل ساوى يومه أمسه فيكون مغبوناً أو كان شراً منه فيكون ملعوناً**) والناس على وفاق شار نفسه فمعتقها أو راهنها فموبقها. وقال تعالى: ﴿إن سعيكم لشتى﴾ وقال تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ وأشار المصنف بسياقه إلى قوله ﷺ: « من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان آخر يوميه شراً فهو ملعون ومن لم يكن على الزيادة فهو في النقصان فالموت خير له، ومن اشتاق إلى الجنة سارع في الخيرات ». رواه الديلمي من حديث محمد بن سوقة عن الحارث عن علي رضي الله عنه وسنده ضعيف. (**وقد قال ﷺ: « لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيراً »**) تقدم في الباب الأول من كتاب العلم، إلا أنه قال: « علماً » بدل « خيراً »، (**فإن رأى نفسه متوفراً على الخير**) مقبلاً عليه (**جميع نهاره مترفهاً عن التجشم**) أي المشقة (**كانت بشارة فليشكر الله على توفيقه**) له (**وتسديده إياه لطريقه**) حيث أعانه على فعل الخير، (**وإن تكن الاخرى فالليل خلفة النهار**) وفي بعض النسخ خلفة سيار، (**فليعزم على تلافي ما سبق**)أي تداركه (**من تفريطه فإن الحسنات يذهبن السيئات**) كما في الكتاب العزيز، وفي السنة الصحيحة « وأتبع السيئة الحسنة تمحها ». (**فليشكر الله على صحة جسمه**) وسلامة بدنه (**وبقاء بقية عمره إلى أول ليله**) وفي نسخة: طول الليل. (**ثم يشتغل**

تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعدها طلوع، وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر إلا أياماً معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء آحادها.

بيان أوراد الليل وهي خمسة:

الأول: إذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشاءين فآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق أعني الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العتمة، وقد أقسم الله تعالى به فقال: ﴿ فلا أقسم بالشفق ﴾ [الانشقاق: ١٦] والصلاة فيه هي ناشئة الليل لأنه أول نشوء ساعاته

بتدارك تقصيره) في أعمال الجوارح والقلب، (**وليحضر قلبه إن نهار العمر ولو طال**) وامتد (**له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون له بعدها طلوع**) أبداً. (**وعند ذلك يغلق باب التدارك و**) يسد وجه (**الإعتذار**) فلا يمكنه التلافي ولا تقبل المعذرة (**فليس العمر**) إذا حققت (**إلا أياماً معدودة**) وساعات معلومة (**تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء آحادها**) فإن استربت ذلك فانظر من سلفك كيف كانوا وإلى أين صاروا. اللهم اختم لنا منك بخير يا أرحم الراحمين. وقد دخلت أوراد الليل الخمس فتدارك الآن فيما يستقبل من الليل ما فات فيما مضى من النهار، وقد روى أبو هريرة، عن النبي ﷺ: « إن الله عز وجل يبغض كل جعظري جواظ صخاب بالأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة ».

بيان أوراد الليل وهي خمسة:

(**الأول: إذا غربت الشمس صلى المغرب**) كما سبق (**واشتغل بإحياء ما بين العشاءين**) إذ هو من أهم الأمور عندهم، (**وآخر هذا الورد غيبوبة الشفق**) محركة (**أعني الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العشاء الآخرة**). وفي هذه المسألة اختلاف بين أئمة اللغة وبين الفقهاء، ففي المفردات للراغب الشفق: اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس، وفي المصباح الشفق: الحمرة من الغروب إلى وقت العشاء الأخيرة فإذا ذهب قيل غاب حكاه الخليل. وقال الفراء: سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب كالشفق وكان أحمر. وقال ابن قتيبة: الشفق الأحمر من الغروب إلى وقت العشاء الآخرة ثم يغيب ويبقى الأبيض إلى نصف الليل، وقال الزجاج: الشفق الحمرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وهذا هو المشهور في كتب اللغة، وهو قول الشافعي وجماعة من الأئمة. وقيل الشفق البياض وهو قول أبي هريرة وجماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبي حنيفة وصاحبيه وجماعة من أئمة اللغة، ويروى عن أبي حنيفة قول آخر انه الحمرة وتفصيل ذلك بالاحتجاج لكل من الفريقين في كتب الفروع.

(**وقد أقسم الله تعالى به**) في كتابه العزيز (**فقال: ﴿ فلا أقسم بالشفق ﴾**) والشفق ما بين العشاءين (**والصلاة في ذلك الوقت هي ناشئة الليل**) المذكورة في القرآن: ﴿ إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا ﴾ أي ساعته لأنه أول نشء ساعاته. وقيل: المراد به قيام الليل. وفي لسان

وهو إني من الآناء المذكورة في قوله تعالى: ﴿ومن آناء الليل فسبّح﴾ [طه: ١٣٠] وهي صلاة الاوّابين وهي المراد بقوله تعالى: ﴿تتجافَى جنوبُهم عن المضاجع﴾ [السجدة: ١٦] روي ذلك عن الحسن وأسنده ابن أبي زياد إلى رسول الله ﷺ أنه سئل عن هذه الآية فقال ﷺ: « الصلاة بين العشاءين ». ثم قال ﷺ: « عليكم بالصلاة بين العشاءين فإنها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره » والملاغات جمع ملغاة من اللغو. وسئل أنس رحمه الله عمن ينام بين العشاءين فقال: لا تفعل فإنها الساعة المعنية بقوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن

الحبشة بقولون: نشأ إذا قام، **(وهو إني)** بكسر الهمزة وسكون النون بمعنى الوقت **(من الآناء)** أي الأوقات المذكورة **(في قوله عز وجل: ﴿ومن آناء الليل فسبح﴾)** والمراد بآناء الليل هنا العشاء الأخيرة **(وهي)** أي الصلاة في هذا الوقت هي **(صلاة الأوابين)** ويقال: صلاة الغفلة، **(وقيل: هي المراد بقوله: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ روي ذلك عن الحسن)** أي البصري في القوت. قال يونس بن عبيد، عن الحسن في قوله تعالى: ﴿تتجافى﴾ الآية قال: الصلاة ما بين العشاءين، **(وأسنده ابن أبي زياد)** هكذا في النسخ المعتمدة من الكتاب، وهكذا هو في نسخ القوت، ووجد في بعض نسخ الكتاب ابن أبي زيادة، وفي بعضها ابن أبي الزناد وهي النسخة التي اطلع عليها الحافظ العراقي فاعترض عليه وفي بعض نسخ القوت ابن أبي الدنيا وهو غلط **(إلى النبي ﷺ أنه سئل عن هذه الآية)** ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ **(فقال ﷺ: « الصلاة بين العشاءين » ثم قال « عليكم بالصلاة بين العشاءين فإنها مذهبة لملاغاة النهار ومهذبة آخره »)**. وفي بعض النسخ: « فإنها تذهب بملاغاة النهار وتهذب آخره ». وهكذا هو في القوت قال: **(والملاغاة جمع ملغاة من اللغو)** أي تسقط اللغو وتصفي آخره هذا لفظ القوت، ولا يخفى أن الملاغاة مفاعلة من اللغو. وأما الملغاة فجمعه الملاغي كمسعاة ومساع فتأمل ذلك.

قال العراقي: نسبة المصنف هذا إلى ابن أبي الزناد معترض إنما هو إسماعيل بن أبي زياد بالياء المثناة من تحت. رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية إسماعيل بن أبي زياد الشامي عن الأعمش، حدثنا أبو العلاء العنبري، عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: « عليكم بالصلاة فيما بين العشاءين فإنها تذهب بملاغاة النهار ومهذبة آخره ». وإسماعيل هذا متروك يضع الحديث قاله الدارقطني، واسم أبي زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش اهـ.

قلت: هو في كتاب الديلمي ومهذرة آخره، وقد ذكر الذهبي إسماعيل هذا في ديوان الضعفاء وأنه روى عن أبي عون وأنه كان ممن يضع الحديث، ونقله عن الدارقطني وذكر إسماعيل بن أبي زياد آخر يعرف بالشفري قال ابن معين وهو كذاب ولكن المراد هو الأول المعروف الشامي.

(وسئل أنس) بن مالك رضي الله عنه **(عمن ينام بين العشاءين)** أي بين المغرب والعشاء **(فقال: لا يفعل ذلك فإنها الساعة المعنية)** أي المرادة **(بقوله عز وجل (تتجافى جنوبهم**

المضاجع﴾ وسيأتي فضل احياء ما بين العشاءين في الباب الثاني. وترتيب هذا الورد أن يصلي بعد المغرب ركعتين أولاً يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلي أربعاً يطيلها ثم يصلي إلى غيبوبة الشفق ما تيسر له. وإن كان المسجد قريباً من المنزل فلا بأس أن يصليها في بيته

عن المضاجع﴾) ولفظ القوت فإنها هي الساعة التي وصف الله المؤمنين بالقيام فيها فقال: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ يعني الصلاة بين المغرب والعشاء.

قلت: رواه ابن مردويه من حديث أنس أنها نزلت في الصلاة بين المغرب والعشاء، ورواه الترمذي وحسنه بلفظ: « نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة » وسيأتي في فضل إحياء ما بين العشاءين أن السائل هي امرأة أنس. رواه فضيل بن عياض عن أبان بن أبي عياش. (**وسيأتي فضل إحياء ما بين العشاءين في الباب الثاني**) من هذا الكتاب.

(**وترتيب هذا الورد أن تصلي**) إذا فرغ المؤذن من أذان المغرب ركعتين خفيفتين بين الأذان والإقامة. قال صاحب العوارف: وكان العلماء يصلون هاتين الركعتين في البيت يعجلون بهما قبل الخروج إلى الجماعة كيلا يظن الناس أنها سنة مرتبة فيقتدى بهم ظناً منهم أنها سنة اهـ.

وفي هاتين الركعتين خلاف بين العلماء تقدم ذكره في كتاب الصلاة، وتقدم الكلام أيضاً على حديث بريدة: « بين كل أذانين صلاة ». ثم تصلي (**بعد**) الفراغ من صلاة (**المغرب ركعتين أولاً**) وهما ركعتا سنة المغرب (**تقرأ فيهما: قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد، وتصليهما عقيب**) فرض (**المغرب**) يعجل بهما (**من غير تخلل كلام وشغل**) بشيء يقال: إنهما ترفعان مع صلاة المغرب، ثم تسلم على ملائكة الليل والكرام الكاتبين فتقول: مرحباً بملائكة الليل مرحباً بالملكين الكاتبين اكتبا في صحيفتي أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأشهد أن الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق والصراط حق والميزان حق إن الساعة آتية لا ريب فيها وإن الله يبعث من في القبور. اللهم إني أودعك هذه الشهادة ليوم حاجتي. اللهم احطط بها وزري واغفر بها ذنبي وثقل بها ميزاني وأوجب لي بها أماني وتجاوز بها عني يا أرحم الراحمين. قال صاحب القوت: فإن كان منزله قريباً من مسجده فلا بأس أن يركعهما في بيته، وكان أحمد يصليهما في بيته ويقول: هي سنته لأن رسول الله ﷺ كان يصليهما في بيته.

قلت: قد تقدم الكلام على ذلك في كتاب الصلاة.

(**ثم تصلي أربعاً تطيلهن**) فالجميع ست ركعات إلا أن في الأوليين يستحب الإسراع والتخفيف، وفي الأربع الإطالة والتأني، (**ثم يصلي إلى غيبوبة الشفق**) الثاني وهو البياض الذي يكون بعد ذهاب الحمرة وبعد غسق الليل وظلمته لأنه آخر ما يبقى من شعاع الشمس في القطر الغربي إذا قطعت الأرض العليا ودارت من وراء جبل قاف مصعدة تطلب المشرق (**ما تيسر له**) من الصلوات. ذكره صاحب العوارف منها ركعتين بسورة البروج والطارق، ثم ركعتين يقرأ في

إن لم يكن عزمه العكوف في المسجد، وإن عزم على العكوف في انتظار العتمة فهو الأفضل إذا كان آمنا من التصنع والرياء.

الورد الثاني: يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة إلى حد نومة الناس وهو أوّل استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به إذ قال: ﴿والليل وما وسق﴾ [الانشقاق: ١٧] أي وما جمع من ظلمته. وقال: ﴿ إلى غسق الليل﴾ [الاسراء: ٧٨] فهناك يغسق الليل وتستوثق ظلمته. وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور.

الأوّل: أن يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات أربعاً قبل الفرض إحياء لما بين

الأولى عشر آيات من أول البقرة والآيتين وإلهكم إله واحد، وخمس عشرة مرة قل هـو الله أحد، ويقرأ في الأخرى سورة الزمر والواقعة ويصلي بعد ذلك ماشاء، وإن أراد أن يقرأ شيئاً من حزبه في هذا الوقت في الصلاة أو غيرها فعل، وإن شاء صلى عشرين ركعة خفيفة بسورة الإخلاص والفاتحة، ولو واصل العشاءين بركعتين طويلتين يطيل فيهما القيام فحسن، وإن كرر فيهما قوله تعالى: ﴿ربنا عيك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾ [الممتحنة: ٤] وآية أخرى في معناها كان جامعاً بين التلاوة والصلاة والدعاء ففي ذلك المهم وظفر بالفضل.

(فإن كان المسجد قريباً من المنزل فلا بأس أن يصليهن في بيته إن لم يكن عزمه) أي نيته (العكوف في المسجد، وإن عزم على العكـوف في انتظـار العتمـة فهـو الأفضـل) لما روي في فضل ذلك من الآثار (**إذا كان آمناً من**) دخول آفة (**التصنع والرياء**) وإلا فالبيت أسلم له نقله صاحب القوت بنحوه.

وقال صاحب العوارف: فإن واصل بين العشاءين في مسجد جماعة يكون جامعاً بين الإعتكاف ومواصلة العشاءين، وإن رأى انصرافه إلى منزلة والمواصلة بين العشاءين في بيته أسلم لدينه وأقرب إلى الإخلاص وأجمع للهم فليفعل اهـ.

(**الورد الثاني: بدخول وقت العشاء**) وهو غيبوبة الشفق أما الأحمر أو الأبيض على اختلاف المذاهب (**إلى حد نوم الناس وهو أول استحكام الظلام**) واشتداده، (**وقد أقسم الله عز وجل به**) في كتابه العزيز إذ قال: (**﴿والليل وما وسق﴾ أي وما جمع الله من ظلمته**) يقال: وسقه وسقا أي جمعه (**وقال تعالى: ﴿إلى غسق الليل﴾**) وهو شدة ظلمته، (**فهناك يغسق الليل وتستوثق ظلمته**) كذا في القوت وفيه يستحب النوم.

(**وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور. الأول: أن يصلي سوى فرض العشاء عشر ركعات. أربعاً قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين**) أي الأذان والإقامة يقرأ فيهـن الفـاتحة والإخلاص ثلاثاً. (**وستاً بعد الفرض ركعتين وأربعاً**) لما روي عن ابن مسعود أنه كان يكره أن يصلي بعد كل صلاة مثلها وقد تقدم ذلك للمصنف. ويقال: إن الأربع بعد صلاة العشاء في

الأذانين وستاً بعد الفرض ركعتين، ثم أربعاً ويقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي وأوّل الحديد وآخر الحشر وغيرها.

والثاني: أن يصلي ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فإنه أكثر ما روي أن النبي ﷺ صلى بها من الليل. والأكياس يأخذون أوقاتهم من أوّل الليل والأقوياء من آخره والحزم

بيته يعدلن مثلهن في ليلة القدر، وكان رسول الله ﷺ يصليهن في بيته أول ما يدخل قبل أن يجلس كذا في القوت.

وقال صاحب العوارف: ويصلي بعد العشاء ركعتين ثم ينصرف إلى منزله أو موضع خلوته فيصلي أربعاً أخرى، وقد كان رسول الله ﷺ يصلي في بيته أول ما يدخل قبل ما يجلس اهـ.

(ويقرأ فيها من الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسي وأول الحديد وغيرها) ولفظ القوت: وإن قرأ في الأولى من الأربع آية الكرسي والآيتين بعدها، وفي الثانية آمن الرسول والآية قبلها، وفي الثالثة أول الحديد إلى قوله: ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾ وفي الرابعة: آخر الحشر من قوله تعالى: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم﴾ فقد أخر وأصاب.

ولفظ العوارف: ويقرأ في هذه الأربع سورة السجدة ولقمان ويس وحم الدخان وتبارك، وإن أراد أن يخفف فيقرأ فيها آية الكرسي وآمن الرسول وأول الحديد وآخر الحشر اهـ.

ويروى عن ابن عباس رفعه« من صلى أربع ركعات خلف العشاء الآخرة قرأ في الركعتين الأولين قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد، وقرأ في الركعتين الأخيرتين« تبارك الذي بيده الملك، والم تنزيل كتبن له كأربع ركعات من ليلة القدر ». ورواه الطبراني وابن صصري وأبو الشيخ.

(الثاني: أن يصلي ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فإنه) أي أن هذا القدر **(أكثر ما روي عن رسول الله ﷺ صلى به من الليل)** إلا في خبر مقطوع وهو سبع عشرة ركعة، والمشهور أنه كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة وثلاث عشرة، وربما حسبوا فيها ركعتي الفجر هذا لفظ القوت. وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الصلاة.

وقال العراقي: روى أبو داود من حديث عائشة « لم يكن يوتر بما نقص من سبع إلا بأكثر من ثلاث عشرة » وللبخاري من حديث ابن عباس « كانت صلاته ثلاث عشرة ركعة » يعني بالليل. ولمسلم « كان يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة » وفي رواية للشيخين « منها ركعتا الفجر » ولهما أيضاً « ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة ».

قلت: وقد أوسعت الكلام عليه في كتاب الصلاة.

(والأكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل، والأقوياء) يأخذون أورادهم **(من آخره)**

التقديم فإنه ربما لا يستيقظ أو يثقل عليه القيام إلا إذا صار ذلك عادة له فآخر الليل أفضل ثم ليقرأ في هذه الصلاة قدر ثلاثمائة آية من السور المخصوصة التي كان النبي ﷺ يكثر قراءتها مثل يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة، فإن

كذا في القوت قال: ورواه المبارك بن عوف الأحمس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (**والحزم التقديم فإنه ربما لا يستيقظ أو يثقل عليه القيام**) لعارض طرأ عليه (**إلا إذا صار ذلك عادة له فآخر الليل**) في حقه (**أفضل**) . ويروى أنه ﷺ قال لأبي بكر: « متى توتر ؟ » فقال: في أول الليل. وقال لعمر: « متى توتر ؟ » قال: في آخر الليل. فقال لأبي بكر: « حذر هذا » وقال لعمر « قوي هذا ». ويروى أنه قال لأبي بكر « مثلك كالذي قال أحرزت[1] وابتغى النواهدا وقال لعمر إنك لقوي إنك ».

(**ثم ليقرأ في هذه الصلاة قدر ثلاثمائة آية من السور المخصوصة التي كان النبي ﷺ يكثر من قراءتها مثل: يس، وسورة لقمان، وسورة الدخان، وتبارك الملك، والزمر، والواقعة**) . ولفظ القوت: واستحب له أن يقرأ في ركوعه هذا ثلاثمائة آية فصاعداً، فإذا فعل ذلك لم يكتب من الغافلين، ودخل في أحوال العابدين، فإن قرأ في ركوعه هذا سورة الفرقان، وسورة الشعراء ففيها ثلاثمائة آية فإن لم يحسن قراءتها قرأ خمساً من المفصل فهي ثلاثمائة آية. سورة الواقعة، وسورة ن، وسورة الحاقة، وسورة المدثر، وسورة الواقع فإن لم يحسن فإن من سورة الطارق إلى خاتمة القرآن ثلاثمائة آية، ولا أستحب للعبد أن ينام حتى يقرأ هذا المقدار من الآي في هذا العدد من الركوع بعد عشاء الآخرة، فإن قرأ في هذا الورد الثاني بعد عشاء الآخرة وقبل أن ينام ألف آية فقد استكمل الفضل وكتب له قنطار من الاجر وكتب من القانتين. وأفضل الآي أطولها لكثرة الحروف، وإن اقتصر على قصار الآي عند فتوره أدرك الفضل لحصول العدد، ومن سورة الملك إلى خاتمة القرآن ألف آية فإن لم يحسن ذلك قرأ قل هو الله أحد مائتين وخمسين مرة في ثلاث عشرة ركعة، فإن فيها ألف آية فهذا فضل عظيم. وفي الخبر « من قرأها عشر مرات بنى الله عز وجل له قصراً في الجنة » ولا يدع أن يقرأ هذه الأربع سور في كل ليلة: سورة يس، وسجدة لقمان، وسورة الدخان، وتبارك الملك. فإن ضم إليهن الزمر والواقعة فقد أكثر وأحسن اهـ.

قلت: سورة الفرقان سبع وسبعون آية وسورة الشعراء مائتان وسبع وعشرون آية جميع ذلك ثلاثمائة آية وأربع آيات، والمعروف أن سورة الشعراء مائتان آية وسبع آيات فيكون الجميع مائتين وأربعاً وثمانين آية. وأما سورة الواقعة فعند أهل المدينة تسع وتسعون آية وعند أهل البصرة سبع وتسعون آية، وعند أهل الكوفة ست وتسعون آية. وسورة ن إثنتان وخمسون آية، وسورة الحاقة مثلها، وسورة المدثر خمس وخمسون آية. وقوله: وسورة الواقع هكذا ذكره الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره في كتابه الغنية، والمراد بها سأل سائل: قال بعض العلماء: وأظنها سورة المرسلات

---

(١) هنا بياض بالأصل.

لأن فيها قوله ﴿إنما توعدون لواقع﴾ والمعارج ثلاث وأربعون آية. وقيل: أربع وأربعون. والمرسلات خمسون آية، وقيل: ثلاث وخمسون. وقد نقل صاحب العوارف كلام صاحب القوت واختصره وقال: فإن لم يحفظ القرآن يقرأ في كل ركعة خمس مرات قل هو الله أحد إلى عشر مرات إلى أكثر، وأما ما ذكره صاحب القوت في فضل من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات فقد رواه أحمد والطبراني وابن السني عن معاذ بن انس بزيادة. فقال عمر: إذا نستكثر. فقال ﷺ: «الله أكثر وأطيب» وقد ظهر من سياق صاحب القوت استحباب قراءة هذه السور للمريد، ولم ينسب ذلك إلى النبي ﷺ ولا أنه كان يكثر من ذلك، ولذا قال العراقي: إنه غريب لم أقف على ذكر الإكثار فيه.

وأما فضائل هذه السور الست فعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً «من قرأ يس في ليلة أصبح مغفوراً له» رواه أبو نعيم في الحلية.

وعن الحسن عن جندب البجلي رفعه «من قرأ يس ابتغاء وجه الله تعالى غفر الله له» رواه ابن حبان والضياء، ورواه الدارمي والعقيلي وابن السني وابن مردويه والبيهقي والضياء من حديث أبي هريرة وصوّب.

وعن معقل بن يسار رفعه بلفظ: «غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه البيهقي.

وعن حسان بن عطية رفعه «من قرأ يس فكأنما قرأ القرآن عشر مرات» رواه البيهقي أيضاً.

وعن أبي هريرة مرفوعاً «من قرأ يس كل ليلة غفر له» رواه البيهقي أيضاً وفي رواية له «غفر الله له تلك الليلة».

وعن أبي سعيد مرفوعاً «من قرأ يس مرة فكأنما قرأ القرآن مرتين» رواه البيهقي أيضاً.

وعن ابن عباس مرفوعاً «من قرأ يس في كل ليلة أضعف على غيرها من القرآن عشراً ومن قرأها في صدر النهار وقدمها بين يدي حاجته قضيت» رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب.

ولأبي منصور المظفر بن الحسن القونوي في فضائل القرآن من حديث علي «يا علي أكثر من قراءة يس» الحديث. قال العراقي: وهو منكر.

وأما فضائل سورة السجدة فسيأتي قريباً.

وأما فضل سورة الدخان، فعن أبي رافع رضي الله عنه «من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له وزوج من الحور العين» رواه الدارمي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً «من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك» رواه الترمذي والبيهقي وضعفاه. وعنه أيضاً «من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر

لم يصلّ فلا يدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم، فقد روي في ثلاثة أحاديث ما كان يقرأه رسول الله ﷺ في كل ليلة أشهرها السجدة وتبارك الملك والزمر والواقعة. وفي رواية الزمر وبني إسرائيل. وفي أخرى انه كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول

له» رواه الترمذي وضعفه، وابن السني، والبيهقي. وعنه أيضاً «من قرأ حم الدخان ويس أصبح مغفوراً له» رواه ابن الضريس، والبيهقي بسند ضعيف.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه رفعه «من قرأ الدخان في ليلة جمعة ويوم جمعة بنى الله له بيتاً في الجنة» رواه الطبراني، وابن مردويه.

وعن الحسن مرسلاً «من قرأ سورة الدخان في ليلة غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه ابن الضريس.

وأما فضل السورتين بعدها فسيأتي قريباً.

وأما فضل سورة الواقعة، فعن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» رواه الحرث بن أبي أسامة، والبيهقي، وابن عساكر.

وعن ابن عباس مرفوعاً «من قرأ كل ليلة إذا وقعت الواقعة لم يصبه فقـر أبداً» رواه ابن عساكر.

(فإن لم يصلّ فلا يدع قراءة هذه السور) كلها **(أو بعضها قبل النوم، فقد روي في ثلاثة أحاديث ما كان يقرأه النبي ﷺ في كل ليلة. أشهرها)**: أنه لم يكن ينام حتى يقرأ سورة **(السجدة وتبارك الملك)** كذا في القوت.

قال العراقي: روى الترمذي من حديث جابر «كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك» اهـ.

قلت: وعن أبي فروة الأشجعي رضي الله عنه «من قرأ الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام» رواه الديلمي.

وعن البراء رضي الله عنه رفعه «من قرأ الم تنزيل السجدة وتبارك قبل أن ينام نجا من عذاب القبر ومن الفتانين» رواه أبو الشيخ والديلمي، وفيه سوار بن مصعب متروك.

وعن عائشة رضي الله عنها «من قرأ في ليلة الم تنزيل ويس وتبارك واقتربت كن له نوراً» ورواه أبو الشيخ في الثواب، وقول المصنف أشهرها أي أشهر الأحاديث الثلاثة، والمراد بالشهرة الشهرة اللغوية.

(وفي رواية) ولفظ القوت والذي بعده أي في الشهرة أنه كان يقرأ في كل ليلة سورة **(الزمر وبني إسرائيل)** رواه الترمذي من حديث عائشة «كان لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر» وقال: حسن غريب، **(وفي أخرى)**: ولفظ القوت والقريب منها **(أنه كان ﷺ يقرأ**

فيها آية أفضل من ألف آية، وكان العلماء يجعلونها ستاً فيزيدون سبح اسم ربك الأعلى إذ في الخبر: «انه ﷺ كان يحب سبح اسم ربك الأعلى، وكان يقرأ في ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور: سبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، والإخلاص. فإذا فرغ قال: سبحان الملك القدوس ثلاث مرات».

الثالث: الوتر. وليوتر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام. قال أبو هريرة رضي الله عنه: أوصاني رسول الله ﷺ أن لا أنام إلا على وتر، وإن كان معتاداً صلاة الليل فالتأخير أفضل. قال ﷺ: «صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة».

المسبحات) وهي خمس سور الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن **(في كل ليلة ويقول فيها)** وفي نسخة فيهن **(آية أفضل من ألف آية)** رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن، والنسائي في الكبير من حديث عرباض بن سارية قاله العراقي.

قال صاحب القوت: **(وكان العلماء يجعلونها ستاً ويزيدون)** في المسبحات الخمس سورة **(سبح اسم ربك الأعلى إذ في الخبر «أن النبي ﷺ كان يحب سبح اسم ربك الأعلى»)** فهذا يدل على أنه كان يكثر قراءتها كذا في القوت.

وقال العراقي: رواه أحمد والبزار من حديث علي بسند ضعيف اهـ.

قلت: ولفظها «كان يحب هذه السورة سبح اسم ربك الأعلى» وفي السند ثور بن ابي فاختة وهو متروك.

(وكان النبي ﷺ يقرأ في ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور: سبح اسم ربك الأعلى، وقل يا أيها الكافرون، وسورة الإخلاص) قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبيّ بن كعب بإسناد صحيح، وتقدم في الصلاة من حديث أنس.

(فإذا فرغ) من وتره **(قال: «سبحان الملك القدوس)** رب الملائكة والروح» **(ثلاث مرات)** هكذا نقله صاحب القوت.

(الثالث: الوتر) قد تقدم الكلام عليه في كتاب الصلاة، **(وليوتر قبل النوم إن لم يكن عادته القيام)** من الليل بنية الخبر المروي فيه، **(قال أبو هريرة رضي الله عنه: أوصاني خليلي رسول الله ﷺ أن لا أنام إلا على وتر»)** متفق عليه بلفظ «أن أوتر قبل أن أنام». **(وإن كان معتاداً صلاة الليل)** او كان واثقاً بنفسه على قيامه **(فالتأخير)** إلى آخر صلاته من تهجده أو إلى السحر **(أفضل. قال رسول الله ﷺ «صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة»)** الكلام على هذا الحديث من وجوه.

الأول: أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، والنسائي من طريق مالك، عن سالم، عن ابن

عمر. ورواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من طريق الليث، عن نافع، عن ابن عمر أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن صلاة الليل، فقال «صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى» وأخرج مسلم، والنسائي، وابن ماجه من طريق سفيان بن عيينة، والبخاري والنسائي من طريق شعيب بن أبي حمزة، ومسلم والنسائي من طريق عمرو بن الحرث، والنسائي من طريق محمد بن الوليد الزبيدي، أربعتهم عن الزهري عن سالم عن ابن عمر.

الثاني: قوله «مثنى مثنى» أي اثنين اثنين وهو ممنوع من الصرف للعدل والوصف. وفي صحيح مسلم عن عقبة بن حريث فقيل لابن عمر ما مثنى مثنى؟ فقال: يسلم من كل ركعتين، وفائدة تكرير ذلك مجرد التأكيد.

الثالث: فيه أن الأفضل في نافلة الليل أن يسلم من كل ركعتين وهو قول مالك والشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد والجمهور. ورواه ابن أبي شيبة عن أبي هريرة والحسن البصري وسعيد بن جبير وعكرمة وسالم بن عبد الله بن عمر ومحمد بن سيرين وإبراهيم النخعي وغيرهم. وحكاه ابن المنذر عن الليث بن سعد، وحكاه ابن عبد البر عن ابن أبي ليلى وأبي ثور وداود، وقال الترمذي في جامعه: والعمل على هذا عند أهل العلم أن صلاة الليل مثنى، وهو قول الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق اهـ.

وقال أبو حنيفة: الأفضل أن يصلي أربعاً أربعاً وإن شاء ركعتين وإن شاء ستاً وإن شاء ثمانياً وتكره الزيادة على ذلك.

الرابع: استدل بمفهومه على أن نوافل النهار لا يسلم فيها من كل ركعتين، بل الأفضل أن يصليها أربعاً. وبهذا قال أبو حنيفة وصاحباه ورجح ذلك بفعل راويه، فقد صح عنه أنه كان يصلي بالنهار أربعاً أربعاً. ورواه ابن أبي شيبة عنه، وعن نافع مولاه والنخعي ويحيى بن سعيد الأنصاري. وحكاه ابن المنذر عن إسحاق بن راهويه. وحكاه ابن عبد البر عن الاوزاعي، وذهب مالك والشافعي وأحمد إلى أن الأفضل في نوافل النهار أيضاً التسليم من كل ركعتين. ورواه ابن أبي شيبة عن أبي هريرة، والحسن، وابن سيرين، وسعيد بن جبير، وحماد بن أبي سلمان. وحكاه ابن المنذر عن الليث. وحكاه ابن عبد البر عن ابن أبي ليلى وأبي يوسف ومحمد وأبي ثور وداود، والمعروف عن أبي يوسف ومحمد في نوافل النهار ترجيح أربع على ركعتين وقد تقدم.

الخامس: قوله «فإذا خفت» دليل على خروج وقت الوتر بطلوع الصبح وهو مذهب الشافعية والحنفية والجمهور، إلا أن المالكية قالوا: إنما يخرج بطلوع الفجر وقته الاختياري ويبقى وقته الضروري إلى صلاة الصبح هذا هو المشهور عندهم. وحكى ابن المنذر عن جماعة من السلف أن وقته يمتد إلى صلاة الصبح.

السادس: قوله «فأوتر بركعة» فيه دليل مذهب مالك والشافعي وأحمد في جواز الوتر بركعة

وقالت عائشةرضي الله عنها: «أوتر رسول الله ﷺ أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر». وقال علي رضي الله عنه: الوتر على ثلاثة أنحاء إن شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني انه يصير وتراً بما مضى وإن شئت أوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت إليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل، وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك. هذا ما روي عنه. والطريق الأوّل والثالث لا بأس به، وأما نقض الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي أن ينقض. وروي مطلقاً أنه ﷺ قال: «لا وتران في

مفردة. ورواه البيهقي في سننه عن جماعة من الصحابة. وقال أبو حنيفة: يوتر بثلاث. وروي ذلك عن عمر وعلي وابن مسعود وأبيّ وأبي أمامة وأنس وابن عباس وعمر بن عبد العزيز.

السابع: دل هذا الحديث على أن صلاة الليل لا حصر لها في العدد، وإنما يصلي بحسب ما تيسر له من العدد إلى أن يخشى الصبح فيأتي بالوتر في آخر صلاته.

(**وقالت عائشة رضي الله عنها «أوتر رسول الله ﷺ أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره إلى السحر»**) رواه البخاري ومسلم.

(**وقال علي رضي الله عنه: الوتر على ثلاثة أنحاء**) أي أنواع: (**إن شئت أوترت من أول الليل ثم صليت ركعتين يعني أنه يصير وتراً بما مضى، وإن شئت أوترت بركعة فإذا استيقظت شفعت إليها أخرى فأوترت من آخر الليل، وإن شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك، هذا ما روي عنه. والطريق الأول**) هو أن يوتر أول الليل ثم ينام ثم يقوم فيصلي مثنى مثنى، (**والثالث**) هو أن يؤخر وتره مرة واحدة فيأتي به في آخر صلاته (**لا بأس به، وأما نقض الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي أن ينقض**) قال العراقي: إنما صح من قول عائذ بن عمرو وله صحبة كما رواه البخاري، وقول ابن عباس كما رواه البيهقي ولم يصرح المصنف بأنه مرفوع، فالظاهر أنه إنما أراد ما ذكرناه عن الصحابة.

(**وروي مطلقاً أنه ﷺ قال: «لا وتران في ليلة»**) أي إن نام على وتر ورزق القيام لم يوتر بعده وكفاه الأول. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث طلق بن علي اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد. وقال عبد الحق: صحيح. وقوله «لا وتران» هذا على لغة من ينصب المثنى بالألف كقراءة من قرأ ﴿إن هذان لساحران﴾ واستشكل بأن المغرب وتر وهذا وتر فيلزم وقوع وترين في ليلة، ورد بأن المغرب وتر النهار وهذا وتر الليل، وبأن المغرب الوتر المفروض وهذا وتر النفل.

وقال الولي العراقي في شرح التقريب: لو أوتر ثم أراد التنفل لم يشفع وتره على الصحيح المشهور

ليلة » ولمن يتردّد في استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء وهو أن يصلي بعد الوتر ركعتين جالساً على فراشه عند النوم كان رسول الله ﷺ يزحف إلى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما إذا زلزلت، وألهاكم لما فيهما من التحذير والوعيد. وفي رواية: قل يا أيها الكافرون لما فيها من التبرئة. وإفراد العبادة لله تعالى، فقيل: ان استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر بواحدة في آخر صلاة الليل وكأنه صار ما مضى شفعاً بهما. وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب المكي. وقال فيه: ثلاثة أعمال قصر الأمل، وتحصيل الوتر، والوتر آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر أنها لو شفعتا ما

عند أصحابنا وغيرهم، وقيل: يشفعه بركعة ثم يصلي، وإذا لم يشفعه فهل يعيد الوتر آخراً؟ فيه خلاف عند المالكية. وقال الشافعي: لا يعيد لحديث « لا وتران في ليلة » اهـ.

(وإن تردد في استيقاظه فليفعل ما استحسنه بعض العلماء وهو أن يصلي بعد الوتر ركعتين جالساً على فراشه عند النوم. كان النبي ﷺ يزحف إلى فراشه ويصليهما) تقدم في كتاب الصلاة أنه رواه مسلم من حديث « كان يصلي بعد الوتر جالساً ركعتين » ورواه أحمد من حديث أبي أمامة والبيهقي من حديث أنس بنحوه، وليس فيه يزحف إلى فراشه. **(ويقرأ فيهما)** جالساً: **(إذا زلزلت الأرض، وألهاكم التكاثر)** فقد جاء ذلك في حديثين: أن النبي ﷺ يقرأ فيهما بذلك **(لما فيهما)** أي في التكاثر والزلزلة **(من التحذير والوعيد)** والتخويف والوعظ. **(وفي رواية: قل يا أيها الكافرون)** بدل التكاثر **(لما فيها من التبرئة)** من عبادة سوى المعبود **(وإفراد العبادة لله عز وجل)** بالتوحيد. زاد صاحب القوت: وكان رسول الله ﷺ يقرأ بها عند النوم وأوصى رجلاً بقراءتها عند النوم.

(فقيل: إن) كان قد صلى ركعتين من جلوس بعد وتره الأول ثم **(استيقظ)** للصلاة **(قامتا مقام ركعة واحدة)** تشفع له ركعة الوتر التي صلاها قبلها **(وكان له أن)** يستأنف الصلاة بالليل ما بدا له، ثم **(يوتر في آخر صلاته)** بركعة، **(فكأنه صار ما مضى شفعاً بهما وحسن استئناف الوتر. واستحسن هذا)** الإمام **(أبو طالب المكي)** في القوت بعد أن نقل عن بعض العلماء أنه يصلي ركعة واحدة يشفع بها وتره من أول الليل ثم يصلي صلاته من الليل ويوتر آخر صلاته، وقد روي في هذا أثر عن عثمان وعلي رضي الله عنهما **(وقال فيه: ثلاثة أعمال قصر الأمل، وتحصيل الوتر، والوتر من آخر الليل)** هكذا لفظه في القوت.

وتبعه صاحب العوارف فقال: وقد كان بعض العلماء إذا أوتر قبل النوم ثم قام يتهجد يصلي ركعة يشفع بها وتره ثم يتنفل ما يشاء ويوتر في آخر ذلك، وإذا كان في الوتر في أول الليل يصلي بعد الوتر ركعتين جالساً يقرأ فيهما بإذا زلزلت وألهاكم، وقيل: الركعتان قاعداً بمنزلة الركعة فإنما تشفع له الوتر حتى إذا أراد التهجد يأتي به ويوتر في آخر تهجده ونية هاتين الركعتين نية النفل لا غير ذلك، وكثيراً رأيت الناس يتفاوضون في كيفية نيتها اهـ.

مضى لكان كذلك وإن لم يستيقظ وأبطل وتره الأوّل فكونه مشفعاً ان استيقظ غير مشفع ان نام فيه نظر إلا أن يصح من رسول الله ﷺ إيتاره قبلها واعادته الوتر، فيفهم منه أن الركعتين شفع بصورتها وتر بمعناها فيحسب وتراً إن لم يستيقظ وشفعاً إن استيقظ، ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول: سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت. روي أنه ﷺ ما مات حتى كان أكثر صلاته جالساً إلا المكتوبة، وقد قال: «للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد» وذلك يدل على صحة النافلة نائماً.

الورد الثالث: النوم. ولا بأس أن يعد ذلك في الأوراد فإنه إذ روعيت آدابه

وقد نظر المصنف في كلام صاحب القوت، **(وهو كما ذكره لكن ربما يخطر أنهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك، وإن لم يستيقظ ويبطل وتره الأول فكونه مشفعاً إن استيقظ غير مشفع إن نام فيه نظر)** ظاهر، **(إلا أن يصح عن رسول الله ﷺ إيتاره قبلها وإعادته الوتر، فيفهم منه أن الركعتين شفع بصورتها وتر بمعناها فيحسب وتراً إن لم يستيقظ وشفعاً إن استيقظ)**.

قلت: قد ثبت أن النبي ﷺ أوتر من أول الليل وأوسطه وآخره، وثبت أنه كان يصلي ركعتين جالساً على فراشه عند النوم، فإذا فرض إيتاره ﷺ في أول الليل، ثم صلاة ركعتين عند النوم مع ثبوت قيامه ﷺ كل ليلة، وايتاره بتسع وإحدى عشرة وبثلاث عشرة، فإذا جمعت هذه الروايات ثبت ضمناً صحة إيتاره قبلها، وأنه كان يعيد الوتر في تلك الصورة الخاصة. أعني إذا أوتر من اول ليلة.

(ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول: سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت) ثلاث مرات. نقله صاحب القوت، وتقدم للمصنف قريباً الاقتصار على الجملة الأولى وصرح فيه بالعدد.

(وروي «أنه ﷺ ما مات حتى كان أكثر صلاته جالساً إلا المكتوبة») قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة لما بدن ﷺ وثقل كان أكثر صلاته جالساً، **(وقد قال ﷺ «للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد»)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث عمران بن حصين انتهى. **(وذلك يدل على صحة النافلة نائماً)** أي مضطجعاً على الفراش كهيئة النائم.

(الورد الثالث: النوم، ولا بأس أن يعد ذلك في) جملة **(الأوراد)** الليلية **(فإنه إذا**

احتسب عبادة، فقد قيل: ان العبد إذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصلياً حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فإن تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله. وفي الخبر: «إذا نام على طهارة رفع روحه إلى العرش» هذا في العوام فكيف بالخواص، والعلماء وأرباب القلوب الصافية فإنهم يكاشفون بالأسرار في النوم، ولذلك قال ﷺ: «نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح». وقال معاذ لأبي موسى: كيف تصنع في

روعيت آدابه) الآتي ذكرها **(احتسب عبادة)** شرعية، **(فقد نقل)** وفي نسخة: فقد قيل **(أنه إذا نام العبد على طهارة ذاكراً لله عز وجل)** وفي نسخة: وذكر الله تعالى **(يكتب مصلياً حتى يستيقظ)** من نومه ذلك **(ويدخل في شعاره)** أي لباسه المتصل على بدنه **(ملك فإن تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له) .** قال العراقي: رواه ابن حبان من حديث ابن عمر «من بات طاهراً بات في شعاره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهراً».

قلت: وكذلك رواه ابن عساكر والضياء، ورواه الدارقطني في الإفراد من حديث أبي هريرة.

(وفي الخبر: «أنه إذا نام العبد على طهارة رفعت روحه إلى العرش») قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد موقوفاً على أبي الدرداء، ورواه البيهقي في الشعب موقوفاً على عبد الله بن عمرو بن العاص.

(هذا في العوام فكيف في) الخواص من **(العلماء وأرباب القلوب الصافية)** عن الأكدار الطبعية، **(فإنهم يكاشفون بالأسرار في النوم) .**

قال صاحب العوارف: وإذا طهرت النفس عن الرذائل انجلت مرآة القلب وقابل اللوح المحفوظ في النوم وانتقش فيه عجائب الغيب وغرائب الأنباء، ففي الصديقين من يكون له في منامه مكالمة ومحادثة ويأمره الله تعالى وينهاه ويفهمه في المنام ويعرفه ويكون موضع ما يفتح له في نومه من الأمر والنهي كالأمر والنهي الظاهر يعصي الله تعالى بها إن أخل بها، بل تكون هذه الأوامر آكد وأعظم وقعاً لأن المخالفات الظاهرة تمحوها التوبة، وعنده أوامر خاصة تتعلق بحاله فيما بينه وبين الله تعالى، فإذا أخلّ بها يخشى ان تنقطع عليه طريق الإرادة ويكون في ذلك الرجوع عن الله تعالى، واستيجاب مقام المقت نعوذ بالله من ذلك.

(ولذلك قال ﷺ «نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح») قال العراقي: المعروف فيه الصائم بدل العالم وقد تقدم في الصوم.

قلت: تقدم أنه من رواية البيهقي عن عبد الله بن أبي أوفى ولفظه «نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله مضاعف ودعاؤه مستجاب وذنبه مغفور».

قيام الليل؟ فقال: أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيئاً وأتفوق القرآن فيه تفوقاً. قال معاذ: لكن أنا أنام ثم أقوم واحتسب في نومتي ما أحتسب في قومتي، فذكرا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: معاذ أفقه منك. وآداب النوم عشرة.

الأول: الطهارة والسواك. قال ﷺ: « إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق». وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعاً وطهارة

ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق كرز بن عميرة عن الربيع بن خيثم عن أبي مسعود مرفوعاً « نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح ودعاؤه مستجاب» وقد يشهد للجملة الأولى ما رواه أبو نعيم في الحلية من حديث سلمان رضي الله عنه « نوم على علم خير من صلاة على جهل».

(وقال معاذ) بن جبل **(لأبي موسى)** الأشعري **(رضي الله عنهما: كيف تصنع في قيام الليل؟ فقال: أقوم الليل أجمع)** أي كله **(فلا أنام منه شيئاً وأتفوّق القرآن فيه تفوّقاً)** يقال: تفوّق الفصيل إذا شرب اللبن فواقاً والفواق بالضم والفتح ما بين الحلبتين من الوقت. وقال ابن فارس: فواق الناقة رجوع اللبن في ضرعها بعد الحلب. **(فقال معاذ: لكني أنام ثم أقوم وأحتسب في نومتي ما أحتسبه في قومتي فذكرا ذلك لرسول الله ﷺ فقال « معاذ أفقه منك »)** قال العراقي. متفق عليه بنحوه من حديث أبي موسى، وليس فيه أنهما ذكرا ذلك للنبي ﷺ، ولا قوله معاذ أفقه منك. وإنما زاد فيه الطبراني فكان معاذ أفضل منه.

(وآداب النوم عشرة. الأول: الطهارة والسواك) اي لا ينام إلا وهو متطهر وقد استعمل السواك. قال صاحب العوارف: والمريد المتأهل إذا نام على الفراش مع الزوجة ينتقض وضوءه باللمس ولا تفوته بذلك فائدة النوم على الطهارة ما لم يسترسل في التذاذ النفس باللمس ولا بعدم يقظة القلب، فأما إذا استرسل في الالتذاذ فتحجب الروح لمكان صلابته.

(قال النبي ﷺ « إذا نام العبد على طهارة عرج بروحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق »).

قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث علي « ما من عبد ولا أمة ينام فيستثقل نوماً إلا عرج بروحه إلى العرش فالذي لا يستيقظ إلا عند العرش فتلك الرؤيا التي تكذب » وسنده ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الحاكم وصححه وتعقب ولفظه « فيمتلئ نوماً فيستثقل ».

(وهذا أريد به طهارة الظاهر) عن الأحداث، **(و)** من الطهارة التي تثمر صدق الرؤيا طهارة **(الباطن)** من خدوش الهوى وكدورة محبة الدنيا والنقاوة من الأدناس الطبيعية **(جميعاً

الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب.

الثاني: أن يعد عند رأسه سواكه وطهوره وينوي القيام للعبادة عند التيقظ، وكلما يتنبه يستاك كذلك كان يفعله بعض السلف. وروي عن رسول الله ﷺ أنه كان يستاك في كل ليلة مراراً عند كل نومة وعند التنبه منها، وإن لم تتيسر له الطهارة يستحب له مسح الأعضاء بالماء فإن لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر في آلاء الله تعالى وقدرته، فذلك يقوم مقام قيام الليل. وقال ﷺ: «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى».

الثالث: أن لا يبيت من له وصية إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فإنه لا يأمن القبض

وطهارة الباطن هي المؤثرة في انكشاف حجب الغيب) وغرائب الأنباء وبها يحصل مقام المكالمة والمحادثة.

(**الثاني: أن يعد عند رأسه**) أي قريباً منه (**سواكه وطهوره وينوي**) في قلبه (**القيام للعبادة عند التيقظ**) من المنام، (**وكلما انتبه**) من نومه (**استاك**) فكان ادعى لنشاطه (**كذلك كان يفعل بعض السلف. وروي عنه ﷺ أنه كان يستاك في كل ليلة مراراً عند كل نومة وعند التنبه منها**). رواه مسلم عن ابن عباس «أنه كان ﷺ يستاك من الليل مراراً» وتقدم ذلك في كتاب الطهارة، (**وإن لم تتيسر لهم الطهارة**) بسبب الكسل وفتور العزيمة (**كانوا**) يجتهدون أن يستاكوا و(**يستحبون مسح الأعضاء بالماء**) في تقلباتهم وانتباهاتهم ففي ذلك فضل كبير لمن ثقل نومه وقل قيامه، (**فإن لم يجد**) الماء فليتيمم وإلا (**فليقعد على قراءته وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر في آلاء الله تعالى وقدرته**) خصوصاً في نومه وبعثه منه، (**فذلك يخرجه**) عن زمرة الغافلين حيث تقاعد عن فعل المستيقظين، (**ويقوم**) هذا القدر (**مقام قيام الليل. وقال ﷺ «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى»**) قال العراقي: رواه النسائي وابن ماجه من حديث أبي الدرداء بسند صحيح اهـ.

قلت: وكذلك رواه الطبراني في الكبير، والحاكم، والبيهقي ورواه ابن حبان والحاكم والطبراني أيضاً من حديث أبي ذر وأبي الدرداء معاً. روى أبو نعيم في الحلية من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه «من نام عن حزبه وقد كان يريد أن يقوم به فإن نومه صدقة تصدق الله بها عليه وله أجر حزبه».

الثالث: أن لا يبيت من له وصية) يوصي بها أي الذي عليه حقوق الناس أو له مطالبات على الناس أو لديه أمانات (**إلا ووصيته مكتوبة عنده**) سواء في جيبه أو تحت رأسه، (**فإنه لا يأمن**

في النوم، فإن من مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام بالبرزخ إلى يوم القيامة يتزاوره الأموات ويتحدثون وهو لا يتكلم، فيقول بعضهم لبعض: هذا المسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوف موت الفجأة، وموت الفجأة تخفيف إلا لمن ليس مستعداً للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم.

الرابع: أن ينام تائباً من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم

القبض في النوم) أي لا يأمن أن تقبض روحه في نومه ذلك. **(يقال: إن من مات عن غير وصية لم يؤذن له في الكلام)** مع الموتى **(بالبرزخ إلى يوم القيامة)** عقوبة له على ترك ما أمر به **(يتزاوره الأموات ويتحدثون)** عنده **(وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض: هذا المسكين مات عن غير وصية)** فيكون ذلك حسرة عليه فيا بينهم كذا في القوت.

قلت: روي ذلك مرفوعاً من حديث قيس بن قبيصة بلفظ: «من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى. قيل يا رسول الله: ويتكلمون؟ قال: نعم ويتزاورون». رواه أبو الشيخ في كتاب الوصايا.

وأخرج ابن أبي الدنيا أن حفاراً حفر قبراً ونام عنده فأتته امرأتان فقالت إحداهما: أنشدك بالله ألا صرفت هذه المرأة عنا فاستيقظ فإذا بامرأة جيء بها فدفنتها في قبر آخر، فرأى تلك الليلة المرأتين تقول إحداهما جزاك الله خيراً فقال: ما لصاحبتك لم تتكلم؟ قالت: ماتت بغير وصية ومن لم يوص لم يتكلم إلى يوم القيامة.

وروى ابن ماجه من حديث جابر «من مات على وصية مات على سبيل وسنّة و مات على تقى وشهادة ومات مغفوراً له».

(وذلك) أي الوصية **(مستحب خوفاً من موت الفجأة)** بالضم ممدوداً وبالفتح مقصوراً مصدر فجأه الأمر أي بغته وهو موت الفجأة، ويسمى أيضاً الموت الأبيض لخلوه من التوبة والاستغفار وقضاء الحق وغير ذلك، **(وموت الفجأة تخفيف)** للمتأهب المراقب ومستحب المؤمن الفقير التواب الذي لا مال له ولا دَيْن عليه فهو غير مكروه في حقه، **(إلا من ليس مستعداً للموت لكونه مثقل الظهر بالذنوب والمظالم)** أي حقوق الناس، وقد روى أحمد وأبو داود عن عبيد بن خالد السلمي رضي الله عنه رفعه «موت الفجأة أخذة أسف» وروى أحمد والبيهقي من حديث عائشة «موت الفجأة راحة للمؤمن وأخذة أسف للفاجر».

(والرابع: أن ينام تائباً من كل ذنب) صدر منه بأن يتفكر فيه ثم يتنصل عنه **(سليم القلب)** نقي الباطن عن أدناس الغل والحقد والحسد لجميع المسلمين لا يحدث نفسه **(بظلم أحد**

أحد ولا يعزم على معصية إن استيقظ. قال ﷺ: «من أوى إلى فراشه لا ينوي ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم».

الخامس: أن لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه. كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم ويرى ذلك تكلفاً، وكان أهل الصفة لا يجعلون بينهم

ولا يعزم) بالجزم **(على معصية إن استيقظ)** من منامه. **(قال النبي ﷺ: «من آوى إلى فراشه لا ينوي ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم»)** أي اكتسب من الجرم.

قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب السنة من حديث أنس «من أصبح ولم يهتم بظلم أحد غفر له ما أجرم» وسنده ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن عساكر في التاريخ من طريق عيينة بن عبد الرحمن، عن إسحاق بن مرة، عن أنس. وإسحاق قال في الميزان عن الأزدي متروك الحديث وساق له في اللسان هذا الحديث، ثم قال: عيينة ضعيف جداً وأعاده في اللسان في ترجمة عمار بن عبد الملك وقال: أتى عنه بقية بعجائب منها: هذا الخبر. ورواه الخطيب في التاريخ بلفظ «من أصبح وهو لا ينوي ظلم أحد أصبح وقد غفر له ما جنى» وفي رواية «وإن لم يستغفر». وقد رواه أيضاً الديلمي والمخلص والبغوي وابن عساكر أيضاً وابن أبي الدنيا، والمخلص في فوائده، والبغوي من طريق أبي بسطام عن أنس.

ومعنى الحديث من اصبح عازماً على ترك ظلم الخلق مع قدرته على الظلم لكنه عقد عزمه على ذلك امتثالاً لأمر الشارع وابتغاء مرضاته، أما من أصبح لا ينوي ظلم أحد لشهرة أو غفلة أو عجز أو شغل عنهم فلا ثواب له، لأنه لم ينو طاعة. ومن عزم فثواب عزمه غفران ما يطرأ من جناية لعدم العصمة فيغفر له بسالف نيته، ويحتمل أنه على ظاهره فإنه ﷺ ذكر بهذا عبداً طهر الله قلبه وصفى باطنه بمعرفة الله وخوفه ومراقبته عن وسخ الأخلاق الدنية من نحو حقد وغل، فإن حدث منه زلة لعدم العصمة غفر له وإن لم يستغفر لأنه مختاره ومحبوبه والغفران نعته، والله أعلم.

(الخامس: أن لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة) المحشوّة بنحو قطن أو صوف أو ريش، **(بل يترك ذلك)** رأساً إن كان قصده طلب الآخرة **(أو يقتصد فيه)** فيكتفي بما يحول بين التراب وبين جسده بنحو حصير وبساط ونحو ذلك، والفرش يطلق على الوطاء والوساد. فالوساد ما يتوسد عليه برأسه، والوطاء ما يرقد عليه، والاقتصاد في كل منها مطلوب، وقد كان بعضهم يقول: لأن أرى في بيتي شيطاناً أحب إليَّ من أن أرى وسادة نابها تدعوني إلى النوم.

(وكان بعض السلف يكرهون التمهيد ويرون ذلك تكلفاً للنوم) أي كأنه يتكلف بذلك جلب النوم وهو مكروه، **(وكان أهل الصفة)** رضي الله عنهم وغيرهم من زهاد التابعين **(لا يتركون بينهم وبين التراب حاجزاً)** أي مانعاً، فكان أحدهم يباشر التراب بجلده ويطرح

وبين التراب حاجزاً ويقولون: منها خلقنا وإليها نرد، وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم واجدر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمح نفسه بذلك فليقتصد.

السادس: أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل، فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة، ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وإن غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول. وكان ابن عباس رضي الله عنه يكره النوم قاعداً. وفي الخبر: «لا تكابدوا الليل» وقيل لرسول الله ﷺ إن فلانة

الثوب فوقه (**ويقولون: منها**) أي الأرض (**خلقنا وإليها نردّ**) ثانياً، (**وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر لتواضع نفوسهم**)، وهذا حال من يؤثر الآخرة على الدنيا ولم يمل لزهرتها، بل المعهود من سيرة الصحابة ومن بعدهم أنهم كانوا ينامون على الأرض من غير حائل (**ويأكلون على الأرض**) ويصلّون على التراب، (**فمن لا تسمح نفسه بذلك**) لعادة تمرّن عليها، فإذا تركها تأذى جسده (**فليقتصد**) وليكن ذلك بالتدريج والتمهيل لامرة واحدة.

(**السادس: أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام في آخر الليل**)، فلا بأس حينئذ أن يستجلبه ويتكلف له ويتحيل على تحصيله بكل وجه، (**فقد كان**) الصالحون (**نومهم غلبة**) أي لا ينامون إلا على غلبة ويكرهون التعمل للنوم.

قال صاحب القوت: وقد كان منهم من يمهد لنفسه بالنوم ليتقوى بذلك على صلاة أوسط الليل وآخره للفضل في ذلك.

وسئل فروة الشامي عن وصف الأبدال وكانوا يظهرون له فقال: نومهم غلبة، (**وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة**)، وصمتهم حكمة، وعلمهم قدرة أي لا يأكلون إلا عن فاقة تصيبهم فيقصدون بذلك التقوي على عبادة الله تعالى، ولا يتكلمون إلا إذا اضطروا إليه ورأوا أنهم قد ندبوا إليه. وقيل لآخر: صف لنا الخائفين فقال: أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى. (**ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون**) أي ينامون أي وصفهم بقلة النوم وهو لا يكون إلا عن القيام بطاعة الله، (**وأن غلبه النوم**) حتى يشغله (**عن الصلاة والذكر وصار لا يدري ما يقول**) في صلاته وذكره، (**فلينم حتى يعقل ما يقول**) وينشط في خدمته. هكذا السنّة. وفي الحديث ما يدل على ذلك كما سيأتي للمصنف قريباً. وقد (**كان ابن عباس يكره النوم قاعداً**) نقله صاحب القوت، ولعله إذا قصد بذلك لا إذا غلبه فإنه معذور. (**وفي الخبر «لا تكابدوا الليل»**) هكذا هو في القوت.

وقال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف، وفي جامع سفيان الثوري موقوفاً على ابن مسعود «لا تغالبوا هذا الليل» اهـ.

تصلّي بالليل فإذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال: « ليصلّ أحدكم من الليل ما تيسر له فإذا غلبه النوم فليرقد ». وقال ﷺ: « تكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لن يمل حتى تملوا » وقال ﷺ: « خير هذا الدين أيسره » وقيل له ﷺ إن فلاناً يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر. فقال: « لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتي فمن

قلت: رواه الديلمي من حديث أبان عن أنس بلفظ « لا تكابدوا هذا الليل فإنكم لا تطيقونه وإذا تعسر أحدكم فلينم على فراشه فإنه أسلم » وأبان ضعيف.

(وقيل للنبي ﷺ: إن فلانة تصلي بالليل فإذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال « ليصل أحدكم من الليل ما تيسّر له فإذا غلبه النوم فليرقد ») هكذا هو في القوت. وقال العراقي: متفق عليه من حديث أنس اهـ.

قـلت: لفظ الصحيحين عن أنس: « دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال: ما هذا؟ فقالوا: لزينب تصلي فإذا كسلت أو فترت مسكت به. فقال: حلّوه ليصلّ أحدكم نشاطه فإذا كسل أحدكم أو فتر فليقعد ». وهكذا رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان. ومعنى قوله « فليقعد » أي يتم صلاته قاعداً، وإذا فتر بعد فراغ بعض تسليماته فليأت بما بقي من نفله قاعداً، أو فليقعد حتى يحدث له نشاط.

(وقال ﷺ « تكلفوا) كـذا في نسخ الكتاب والرواية اكلفوا، وهكذا في القوت. وفي الصحيحين: من كلف يكلف كفرح أي أولعوا وأحبوا. **(من العمل ما تطيقون)** الدوام عليه **(فإن الله عز وجل لن يمل حتى تملوا »)** يعني لا يقطع ثوابه عمن قطع العمل ملالاً عبّر عنه باسم الملل من تسمية الشيء باسم سببه، أو المراد لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فتزهدوا في الرغبة إليه، وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قلّ هكذا رواه الشيخان وأحمد وأبو داود والنسائي من حديث عائشة.

(وقال ﷺ « خير هذا الدين أيسره ») هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه أحمد من حديث محجن بن الأدرع وتقدم في الصلاة.

قلت: ورواه البخاري في الأدب، والطبراني ولفظهم « خير دينكم أيسره ». ورواه الطبراني أيضاً عن عمران بن حصين في الأوسط، وابن عدي، والضياء عن أنس. وروى ابن عبد البر في كتاب العلم عن أنس « خير دينكم أيسره وخير الصلاة الفقه » وقد تقدم الكلام عليه في الصلاة.

(وقيل: إن فلاناً يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر، فقال ﷺ « لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني ») كذا في القوت بلفظ « فلان يصلي الليل لا ينام ويصوم النهار لا يفطر » والباقي سواء.

رغب عنها فليس مني ». وقال ﷺ : « لا تشادوا هذا الدين فإنه متين فمن يشاده يغلبه فلا تبغض إلى نفسك عبادة الله ».

السابع: أن ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين. أحدهما : استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة. والثاني : استقبال اللحد وهو أن ينام على جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن.

وقال العراقي: رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله « هذه سنتي » الخ. وهذه الزيادة لابن خزيمة: « من رغب عن سنتي فليس مني » وهي متفق عليها من حديث أنس اهـ.

(وقال ﷺ : « لا تشادوا هذا الدين فإنه متين من يشاده يغلبه ولا تبغض إليك عبادة الله عز وجل ») هكذا هو في القوت إلا أنه قال: ولا تبغض إلى نفسك والباقي سواء، وهما حديثان. فروى البخاري من حديث أبي هريرة « لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسدّدوا وقاربوا ».

وروى البيهقي من حديث جابر « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ».

قال العراقي: لا يصح اسناده.

قلت: رواه البيهقي من طرق وفيه اضطراب. روى موصولاً ومرسلاً ومرفوعاً وموقوفاً واضطرب في الصحابي أهو جابر أو عائشة أو عمر؟ ورجح البخاري في التاريخ إرساله. وروى البزار في مسنده من حديث جابر بلفظ « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق فإن المنبث لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » وفي سنده متروك. وروى أحمد من حديث أنس « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » والإيغال: الدخول في الشيء والمعنى: لا تحملوا أنفسكم ما لا تطيقون فتعجزوا وتتركوا العمل.

(السابع: أن ينام مستقبل القبلة) فإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة كما ورد. **(والاستقبال على ضربين. أحدهما: استقبال المحتضر)** وهو الذي قد حضره الموت فيستقبلونه إلى القبلة **(وهو المستلقي على قفاه، واستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة، والثاني: استقبال اللحد)** وهو الشق المائل في القبر، **(وذلك بأن ينام على جنب ويكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على الشق الأيمن)**، فالحاصل أنه إما على جنبه الأيمن كالملحود، وإما على ظهره كالميت المسجى. وفي كل منها يعد مستقبلاً. وأما من جعل رجليه إلى القبلة فلا يعد مستقبلاً بل هو مستدبر، إلا إن استلقى وكان وجهه وما أقبل من جسده إليها، فليذكر بنومه على هذين الحالين ذلك الحالين عند موته وعند اضطجاعه في قبره فسيصير إليه عن قريب.

الثامن: الدعاء عند النوم فيقول: باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في كتاب الدعوات. ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرها وقوله تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو﴾ إلى قوله: ﴿لقوم يعقلون﴾ [البقرة: ٦٣، ٦٤] يقال: إن من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه، ويقرأ من سورة الأعراف هذه الآية: ﴿إن ربّكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ إلى قوله: ﴿قريب من المحسنين﴾ [الأعراف: ٥٤ - ٥٦] وآخر بني إسرائيل ﴿قل ادعوا الله﴾ [الإسراء: ١١٠] الآيتين، فإنه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له، ويقرأ

(الثامن: الدعاء عند النوم فتقول: باسمك اللهم ربي وضعت جنبي، وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في كتاب الدعوات) وهي: اللهم إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما حفظت به عبادك الصالحين، اللهم إني وجهت وجهي إليك وفوّضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رهبة ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت. اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك. الحمد لله الذي علا فقهر، الحمد لله الذي بطن فجبر، الحمد لله الذي ملك فقدر، الحمد لله الذي هو يحي الموتى وهو على كل شيء قدير. اللهم إني أعوذ بك من غضبك وسوء عقابك وشر عبادك وشر الشيطان وشركه.

(ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل الأربع الأول من البقرة، وآية الكرسي، وآخر البقرة من (آمن الرسول) إلى آخر السورة **(وغيرها)** من الآيات، **(ويقرأ قوله تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ إلى قوله ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾. يقال: من قرأها عند النوم حفظ القرآن فلم ينسه)** كما ورد ذلك في خبر، **(ويقرأ من سورة الأعراف هذه الآيات ﴿إنَّ ربَّكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾)** إلى قوله **﴿المحسنين﴾ (وآخر بني إسرائيل ﴿قل ادعو الله﴾ الآيتين. فإنه يدخل في شعاره ملك موكل بحفظه يستغفر له)** كما ورد ذلك في خبر.

وروى الديلمي من حديث أبي موسى من قرأ في مصبح أو ممسى **(قل ادعو الله)** إلى آخر السورة لم يمت قلبه ذلك ولا في تلك الليلة». ولكل من الآيات المذكورة فضائل خاصة تقدم ذكر بعضها، ومن حيث المجموع فإنها نحو عشرين آية، فقد روى محمد بن نصر في الصلاة من حديث تميم الداري «من قرأعشر آيات في ليلة كتب من المصلين ولم يكتب من الغافلين». وروي مثله عن أبي أمامة وعبادة بن الصامت وغيرهم من الصحابة.

المعوّذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده. كذلك روي من فعل رسول الله ﷺ، وليقرأ عشراً من أوّل الكهف وعشراً من آخرها. وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل، وكان علي كرّم الله وجهه يقول: ما أرى أن رجلاً مستكملاً عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة، وليقل خمساً وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة.

التاسع: أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث، قال الله تعالى:

(ويقرأ المعوّذتين وينفث بهما في يديه) من غير ريق، **(ويمسح بهما وجهه وسائر جسده)** ما أقبل وما أدبر، **(وذلك مروي من فعل** رسول الله ﷺ)، رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها. **(وليقرأ عشراً من أوّل الكهف، وعشراً من آخرها)**. فقد روى ابن مردويه من حديث عائشة « من قرأ من سورة الكهف عشر آيات عند منامه عصم من فتنة الدجال، ومن قرأ خاتمتها عند رقاده كان له نوراً من لدن قرنه إلى قدمه يوم القيامة ». وروى أحمد والطبراني وابن السني من حديث معاذ بن أنس « من قرأ أوّل سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه، ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين الأرض إلى السماء ». وروى أحمد ومسلم والنسائي وابن حبان من حديث أبي الدرداء « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال ».

(وهذه الآي) المذكورة **(للاستيقاظ لقيام الليل)**، وإن أضاف إليهن أوّل الحديد، وآخر الحشر، وإذا زلزلت وقل يا أيها الكافرون، والإخلاص ثلاثاً فهو حسن. **(وكان علي رضي الله عنه يقول: ما أرى رجلاً مستكملاً عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة)**، فقد روى أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان من حديث ابن مسعود « من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه ». وعند الديلمي بلفظ « من قرأ خاتمة سورة البقرة حتى يختمها في ليلة أجزأت عنه قيام تلك الليلة » وبهذا يتضح قول سيدنا علي رضي الله عنه ما أرى رجلاً الخ.

(وليقل:) اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني بأحب الأعمال إليك التي تقربني إليك زلفى وتبعدني من سخطك بعد أسألك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وادعوك فتستجيب لي، اللهم لا تؤمني مكرك ولا توليني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين. ورد أن من قال هذه الكلمات بعث الله إليه ثلاثة أملاك يوقظونه للصلاة كما تقدم ذلك. ويقول: **(خمساً وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة)**. أو يأتي بكل من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ثلاثاً وثلاثين مرة ويتم المائة بقول لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(التاسع: أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة، والتيقظ نوع بعث. قال الله تعالى:

﴿الله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ [الزمر : ٤٢]، وقال: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ [الانعام: ٦٠] فسماه توفياً، وكما أن المستيقظ تنكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه، ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة. وقال لقمان لابنه: يا بني إن كنت تشك في الموت، فلا تنم فكما إنك تنام كذلك تموت، وإن كنت تشك في البعث فلا تنتبه فكما أنك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك. وقال كعب الأحبار: إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فإنها وفاة، وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو

﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾) أي يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلقها وتصرفها فيها ظاهراً وباطناً، وذلك في الموت، أو ظاهراً لا باطناً وهو في النوم. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن في ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز، والروح التي بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم.

(**وقال تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل**) ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه﴾ (**سماه**) أي النوم (**توفياً**) والوفاة الموت وقد توفاه أي أماته، وتوفي الميت مبنياً للمعلوم والمجهول إذا مات. (**وكما أن المستيقظ**) من نومه (**تنكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله في النوم، فكذلك المبعوث**) من قبره (**يرى ما لم يخطر بباله**) من الأحوال (**ولا شاهده جسمه، ومثل النوم بين الحياة والموت**) عند أهل الاعتبار (**مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة**)، فعالم النوم شبيه بعالم البرزخ، فإذا كشف حجاب النوم ظهرت الدنيا بالحكمة، كذلك إذا كشف الغطاء ظهرت الآخرة بالقدرة فصارت الدنيا كالأحلام في النوم.

(و) من هنا (**قال لقمان لابنه: إن كنت تشك في الموت فلا تنم**) فإن النوم أخو الموت، (**فكما أنك تنام كذلك تموت**) فالنوم غشيته ثقيلة تهجم على القلب فتغطيه عن المعرفة، والموت حال خفاء وغيب يضاف إلى ظاهر عالم يتأخر عنه أو يتقدمه تفقد فيه خواص ذلك الظهور الظاهرة، وقد يطلق الموت على النوم. ولذا قيل: النوم موت ضعيف. والموت نوم ثقيل وعليه سماه الله توفياً، (**وإن كنت تشك في بعثك**)من القبور (**فلا تنتبه، فكما أنك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك**) أي تكون في بعثك بعد الموت كانتباهك بعد النوم.

(**وقال كعب الأحبار: إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فإنها وفاة**) نقله صاحب القوت، وهو أحد وجهي الاستقبال عند النوم وقد ذكر قريباً.

. (**وقالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده**

يرى أنه ميت في ليلته تلك: «اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه» الدعاء إلى آخره كما ذكرناه في كتاب الدعوات، فحق على العبد أن يفتش عن ثلاثة عند نومه إنه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أو حب الدنيا وليتحقق أنه يتوفي على ما هو الغالب عليه ويحشر على ما يتوفي عليه، فإن المرء مع من أحب ومع ما أحب.

العاشر: الدعاء عند التنبه فليقل في تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله ﷺ: «لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار». وليجتهد أن يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب. ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين إلا ما هو الغالب عليه، فليجرب قلبه به فهو علامة الحب، فإنها علامة تكشف

على يده اليمنى وهو يرى أنه ميت في ليلته تلك) هذه الكلمات (**«اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه» الدعاء إلى آخره كما ذكرناه في الدعوات)** ذكره المصنف هناك دون وضع الخد على اليد، وهو من حديث حفصة رضي الله عنها. وتقدم الكلام عليه هناك. وقال صاحب القوت: وروينا عن مطرف عن الشعبي عن عائشة قالت «كان رسول الله ﷺ آخر ما يقول حين ينام» فذكره إلى آخره.

(**فحق على العبد أن يفتش على قلبه عند نومه إنه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أو حب الدنيا)** وزخارفها، ولا يدع فكره يجول في شيء سوى ذكر الله والفكر في آلائه كلفاً بحبّه، (**وليتحقق أن يتوفى على ما هو الغالب عليه)** من نياته ومقاصده، فقد روى ابن ماجه والضياء عن جابر «يحشر الناس على نياتهم» وروى أحمد عن أبي هريرة بلفظ «يبعث» وعند الدارقطني في الافراد من حديث ابن عمر «يبعث كل عبد على ما مات عليه» وقال صاحب القوت: وفي الخبر «من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها يوم القيامة». (**«فإن المرء مع من أحب»)** كما ورد في الصحيح من حديث أنس، (**ومع ما أحب)** من الأعمال والأحوال، ولفظ القوت «وله ما احتسب».

(**العاشر: الدعاء عند التنبه)** من منامه (**فليقل عند تيقظاته وتقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله ﷺ: «لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار»)**. قال العراقي: رواه ابن السني، وأبو نعيم في كتابيهما عمل اليوم والليلة من حديث عائشة. (**وليجهد أن يكون آخر ما يجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى، وأوّل ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى، فتلك علامة الحب. ولا يلازم القلب في هاتين الحالتين إلا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه بذلك فإنها علامة تكشف عن باطن القلب، وإنما استحب هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله عز وجل)**.

عن باطن القلب وإنما استحبت هذه الأذكار لتستجر القلب إلى ذكر الله تعالى ، فإذا استيقظ ليقوم قال : الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور . إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ .

الورد الرابع: يدخل بمضي النصف الأوّل من الليل إلى أن يبقى من الليل سدسه ، وعند ذلك يقوم العبد للتهجد ، فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم

قال صاحب القوت : ثم ليلعم العبد ان الله تعالى يكون له بعد بعثه من قبره كما كان له بعد بعثه من نومه ، فلينظر إلى أي حال يبعث ، فإن كان العبد ينظر مولاه تعالى مكرماً ولحرماته معظماً وإلى مرضاته مسارعاً كان الله له في آخرته لوجهه مكرماً ولشأنه معظماً وإلى محبوبه ومسرته من النعيم مسرعاً ، وإن كان يحق مولاه متهاوناً وأمره مستخفاً ولشعائره مستصغراً كان الله له مهيناً وبشأنه متهاوناً . قال الله تعالى : ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين★ مالكم كيف تحكمون﴾ [القلم : ٣٥ ، ٣٦] وقال تعالى : ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ [الجاثية : ٢١] وروينا عن رسول الله ﷺ : « من أحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فإن الله عز وجل ينزل العبد عنده بحيث أنزله العبد من نفسه » . فإذا نام العبد على طهارة وذكر من قبل هذه المشاهدة والذكر فإن مضجعه يكون مسجداً وأنه يكتب مصلياً .

وقال صاحب العوارف : من أحسن الأدب عند الانتباه أن يذهب بباطنه إلى الله تعالى ويصرف فكره إلى أمر الله تعالى قبل أن يجول الفكر في شيء سوى الله تعالى ويشغل اللسان بالذكر ، والصادق كالطفل الكلف بالشيء إذا نام ينام على محبته ذلك الشيء ، وإذا انتبه يطلب ذلك الشيء الذي كان كلفاً به . وعلى حسب هذا الكلف والشغل يكون الموت والقيام إلى الحشر فلينظر وليعتبر عند انتباهه ما همه فإنه يكون هكذا عند القيام من القبر إن كان همه الله وإلاّ فهمه غير الله ، والعبد إذا انتبه من النوم فباطنه عائد إلى طهارة الفطرة فلا يدع الباطن يتغير بغير ذكر الله تعالى حتى لا يذهب عنه نور الفطرة الذي انتبه عليه ويكون فاراً بباطنه إلى ربه من الأغيار ومهما . وفي الباطن بهذا العيار فقد لقي طريق النفحات الإلهيـة فجدير أن تنصب إليه أقسام الليل انصبابا ويصير جناب القرب له موئلاً ومآباً .

(**فإذا استيقظ ليقوم قال**) بلسانه مطابقاً لما في جنانه : (**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا**) أي أنـامنـا ، ولما كان النوم أخا الموت أقام اماتنا مقامه (**وإليه النشور**) إشارة إلى حالة البعث . (**إلى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ**) في كتاب الدعوات ، وإن قرأ العشر الأواخر من سورة آل عمران فحسن .

(**الورد الرابع : يدخل بمضي النصف الأول من الليل**) ويتجاوز النصف قليلاً (**إلى أن يبقى من الليل سدسه ، وعند ذلك يقوم العبد للتهجد**) أي لصلاته ، (**فاسم التهجد يختص**

وهذا وسط الليل ويشبه الورد الذي بعد الزوال وهو وسط النهار ، وبه أقسم الله تعالى فقال : ﴿والليل إذا سجى﴾ [الضحى : ٢] أي إذا سكن وسكونه هدوّه في هذا الوقت فلا تبقى عين إلاَّ نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم . وقيل : إذا سجى إذا امتد وطال ، وقيل : إذا أظلم . وسئل رسول الله ﷺ : أيّ الليل أسمع ؟ فقال : « جوف الليل » . وقال داود ﷺ : « إلهي إني أحب أن أتعبد لك فأيّ وقت أفضل ؟ فأوحى الله تعالى إليه يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره ، فإن من قام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ، ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي وأخلو بك ، وارفع إليّ حوائجك » .

بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم) . قال الله تعالى ﴿فتهجَّد به نافلة لك﴾ [الإسراء : ٧٩] ولا يكون التهجد إلا بعد النوم ، وتلك النومة هي الهجوع التي قللها الله تعالى من القائمين آناء الليل فقال تعالى : ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ [الذاريات : ١٧] والهجوع النوم ، والتهجد القيام . والمعنى إزالة الهجود ، وقيل : التهجد من الأضداد يطلق على النوم بالليل وعلى الصلاة فيه بعد نوم وكذلك هجد هجوداً نام بالليل وأيضاً صلى بالليل ، **(وهذا أوسط الليل)** . ولفظ القوت : وهذا يكون نصف الليل . **(ويشبه)** هذا الورد **(الورد)** الأوسط **(الذي بعد الزوال وهو وسط النهار)** وهو أفضل الأوراد وأمتعها لأهلها ، **(وبه أقسم الله تعالى)** في كتابه العزيز فقال : ﴿**والليل إذا سجى**﴾ قيل : **(أي إذا سكن)** بالناس رواه ابن جرير وابن المنذر عن قتادة ، وسكونه **(هدوّه في هذا الوقت فلا تبقى عين إلاَّ نائمة سوى الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم)** ولفظ القوت : وسكونه هدوه وسنة كل عين فيه وغفلتها إلاَّ عين الله سبحانه فإنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم . **(وقيل : إذا سجى إذا امتدّ وطال ، وقيل : إذا أظلم)** نقلها صاحب القوت ، وقيل : إذا سجى إذا أقبل . رواه ابن جرير عن ابن عباس . زاد سعيد بن جبير فغطى كل شيء رواه عبد بن حميد ، وقيل : إذا لبس الناس . رواه عبد الرزاق عن الحسن ، وقيل : إذا استوى . رواه الفريابي عن مجا[illegible] ، وقيل : إذا ذهب رواه ابن أبي المنذر عن ابن عباس .

(وسئل النبي ﷺ أي الليل اسمع ؟ فقال « جوف الليل ») رواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث عمرو بن عنبسة .

قلت : ورواه محمد بن نصر بلفظ « صلاة الليل مثنى مثنى وجوف الليل أجد به دعوة » ورواه أحمد أيضاً ، وفيه أبو بكر بن أبي مريم ضعيف .

(وقال داود عليه السلام : « إلهي إني أحب أن أتعبد لك فأي وقت أفضل ؟ فأوحى الله عز وجل إليه يا داود لا تقم أوّل الليل ولا آخره فإنه من قام أوّله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوّله ، ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي . وأخلو بك وارفع إليّ حوائجك ») نقله صاحب القوت . قال : وروينا في أخبار داود عليه السلام فساقه .

وسئل رسول الله ﷺ: أيّ الليل أفضل؟ فقال: « نصف الليل الغابر » يعني الباقي وفي آخر الليل وردت الأخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار تعالى إلى سماء الدنيا وغير ذلك من الأخبار. وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية التي للاستيقاظ يتوضأ وضوءاً ـ كما سبق ـ بسننه وآدابه وأدعيته ثم يتوجه إلى

(وسئل رسول الله ﷺ: أي الليل أفضل؟ فقال « نصف الليل الغابر ») رواه أحمد وابن حبان من حديث أبي ذر دون قوله « الغابر » وهي في بعض حديث عمرو بن عنبسة، وقوله: **(يعني الباقي)** تفسير لقوله « الغابر » فإن الغابر من الأضداد يطلق على الماضي وعلى الباقي، **(وفي آخر لليل)** وهو الثلث الأخير. **(وردت الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار إلى سماء الدنيا)** هكذا هو لفظ القوت **(وغير ذلك من الأخبار)**.

قال العراقي: أما حديث الترمذي فقد تقدم، وأما الباقي فهي آثار رواها محمد بن نصر في قيام الليل من رواية سعيد الجريري قال: قال داود: يا جبريل أي الليل أفضل؟ قال: « ما أدري غير أن العرش يهتز في السحر ». وفي رواية عن الجريري عن سعيد بن أبي الحسن قال « إذا كان من السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجر ». وله من حديث أبي الدرداء مرفوعاً « إن الله تعالى ينزل في ثلاث ساعات يبقين من الليل يفتح الذكر في الساعة الأولى » وفيه « ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن » الحديث وهو منكر اهـ.

قلت: وهذا الحديث الذي أورده عن أبي الدرداء رواه أيضاً الطبراني في كتاب السنّة من طريق الليث بن سعد قال: حدثني زياد بن محمد الأنصاري، عن محمد بن كعب القرظي، عن فضالة ابن عبيد، عن أبي الدرداء، وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، والطبراني في الكبير، وابن مردويه في التفسير من حديث أبي أمامة رضي الله عنه بلفظ « ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن فيه لا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون وفيها ما لم يره أحد ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول: ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له، ألا سائل يسألني فأعطيه، ألا داع يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر وذلك قول الله عز وجل: ﴿وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ [الإسراء: ٧٨] فليشهد الله وملائكته الليل والنهار ».

(وترتيب هذا الورد أنه بعد الفراغ من الأدعية) المذكورة **(التي للاستيقاظ)** فيسرع إلى التطهر فيغتسل إن أمكنه وإلاّ **(يتوضأ وضوءاً)** كاملاً **(كما سبق بسننه وآدابه وأدعيته)**. قال الله تعالى: ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾ [الأنفال: ١١] وقال عز وجل ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾ [الرعد: ١٧] قال ابن عباس: الماء القرآن

مصلاه ويكون مستقبلاً القبلة ويقول: « الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً » ثم يسبح عشراً وليحمد الله عشراً ويهلل عشراً وليقل: « الله أكبر ذو

والأودية القلوب فسالت بقدرها واحتملت ما وسعت، والماء مطهر والقرآن مطهر والقرآن بالتطهير أجدر، فالماء يقوم غيره مقامه، والقرآن والعلم لا يقوم غيره مقامه ولا يسد مسدّه، فالماء الطهور يطهر الظاهر، والعلم والقرآن يطهران الباطن ويذهبان برجز الشيطان، فالنوم غفلة وهو من آثار الطبع، وجدير أن يكون من رجز الشيطان لما فيه من الغفلة عن الله تعالى، وذلك ان الله تعالى أمر بقبض القبضة من التراب من وجه الأرض فكانت القبضة جلدة الأرض والجلدة ظاهرها بشرة، والبشرة عبارة عن ظاهره وصورته، والأدمة عبارة عن باطنه وآدميته، والادمية بالمد مجمع الأخلاق الحميدة، وكان التراب موطىء أقدام إبليس، من ذلك اكتسب ظلمة وصارت تلك الظلمة معجونة بطينة الآدمي، ومنها الصفات المذمومة والأخلاق الرديئة. ومنها السهو والغفلة، فإذا استعمل الماء وقرأ القرآن أتى بالمطهرين جميعاً ويذهب عنه رجز الشيطان وأثر وطأته، ويحكم له بالعلم والخروج من حيز الجهل، واستعمال الطهور أمر شرعي له تأثير في تنوير القلب، فإذاً النوم الذي هو الحكم الطبيعي الذي له تأثير في تكدر القلب فيذهب نور هذا بظلمة ذلك، ولهذا رأى بعض العلماء الوضوء مما مست النار، وحكم أبو حنيفة بالوضوء من القهقهة في الصلاة حيث رآه حكماً طبيعياً جالباً للإثم، والإثم رجز الشيطان، والماء يذهب رجز الشيطان حتى كان بعضهم يتوضأ من الغيبة والكذب وعند الغضب لظهور النفس ويصرف الشيطان في هذا المواطن، ولو أن المتحفظ المراعي المراقب المحاسب كلما انطلقت النفس في المباح من كلام أو مساكنة إلى مخالطة الناس أو غير ذلك مما هو بعرضته تحليل عقد العزيمة كالخوض فيما لا يعنيه قولاً وفعلاً عقب ذلك بتجديد الوضوء ثبت القلب على طهارته ونزاهته، ولكان الوضوء لصفاء البصيرة بمثابة الخفي الذي لا يزال بخفة حركته يجلو البصر ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ فتفكر فيما نبهتك عليه تجد بركته وأثره.

قال صاحب العوارف: ولو اغتسل عند هذه المتجددات والعوارض والأشباه من النوم كان أزيد في تنوير قلبه، ولكان الأجدر أن يغتسل العبد لكل فريضة باذلاً مجهوده في الاستعداد لمناجاة الله تعالى ويجدد غسل الباطن بصدق الإنابة، وقد قال الله تعالى: ﴿منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة﴾ قدم الإنابة على الدخول في الصلاة، ولكن رحمة الله تعالى وحكم الحنيفية السهلة السمحة رفع الحرج وعوض بالوضوء عن الغسل وجوّز أداء مفترضات بوضوء واحد دفعاً للحرج عن عامة الأمة، وللخواص وأهل العزيمة مطالبة عن بواطنهم تحكم عليهم بالأولى وتلجئهم إلى سلوك الأعلى.

(ثم يتوجه إلى مصلاه ويقوم مستقبلاً للقبلة بظاهره وباطنه ويستفتح التهجد ويقول « الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً مرة واحدة» ، ثم ليسبح **عشراً وليحمد عشراً وليهلل عشراً وليقل)** بعد ذلك: **(« الله أكبر ذي الملك والملكوت**

الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة ». وليقل هذه الكلمات فإنها مأثورة عن رسول الله ﷺ في قيامه للتهجد « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهنّ ومن عليهنّ أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنشور حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق. اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت. اللهم آت نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها. اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء

والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة » وليقل هذه الكلمات فإنها مأثورة عن النبي ﷺ في قيامه للتهجد: « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض، ولك الحمد أنت زين السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيام السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق) وفي نسخة زيادة « والبعث حق » وفي آخره « والنشور حق » **(والنبيون حق ومحمد ﷺ حق. اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت »)**.

قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت زين السموات والأرض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق.

قلت: وروى ابن ماجه من حديث أبي موسى كان ﷺ يقول « اللهم اغفر لي ما قدمت ». فساقه. إلا أنه قال بدل لا إله إلا أنت وأنت على كل شيء قدير بزيادة في اوله.

(« اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ») روى أحمد بإسناد جيد من حديث عائشة أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول « رب أعط نفسي تقواها » الحديث وقد تقدم في كتاب الدعوات. ورواه أحمد أيضاً، وعبد بن حميد، ومسلم، والنسائي من حديث زيد بن أرقم بزيادة في أوله وآخره.

(« اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف) عني **(سيئها إلا أنت »)** رواه مسلم من حديث علي أنه ﷺ كان إذا قام إلى الصلاة قال: فذكره بلفظ: « لأحسن الأخلاق » وفيه زيادة في أوله.

المفتقر الذليل ولا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤوفاً رحيماً يا خير المسؤولين وأكرم المعطين». وقالت عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته قال: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما فيه اختلف من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم». ثم يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلّى الوتر، ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة. وقد صحّ في صلاة رسول الله ﷺ بالليل أنه صلى أولاً ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة،

قلت ورواه الطبراني من حديث أبي أمامة بلفظ «واهدني لصالح الأعمال والأخلاق فإنه لا يهدي لصالحها إلا أنت» وفي أوله زيادة «اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها. اللهم انعشني واجبرني».

(أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المفتقر) وفي نسخة: المضطر **(الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقياً وكن بي رؤوفاً رحيماً يا خير المسؤلين وأكرم المعطين»)** رواه الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس أنه كان من دعاء رسول الله ﷺ عشية عرفة وقد تقدم في الحج.

(و)روى مسلم في صحيحه **(قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته قال «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» ثم يفتتح الصلاة ويصلي ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر إن لم يكن قد صلى الوتر)**. وهاتان ركعتان هما تحية الطهارة يقرأ في الأولى بعد الفاتحة ﴿ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول﴾ [النساء: ٦٤] الآية. وفي الثانية ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾ [النساء: ١١٠].

(ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة) وإن زاد بعد التسبيح الاستغفار مرات فحسن، ثم يفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين إن أراد أقصر من الأولين يقرأ فيهما بآية الكرسي وآمن الرسول، وإن أراد غير ذلك ثم يصلي ركعتين طويلتين. **(وقد صح في صلاة النبي ﷺ «أنه صلى أولاً ركعتين خفيفتين، ثم ركع ركعتين طويلتين، ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة»)**. قال العراقي: رواه مسلم من حديث زيد بن خالد الجهني.

وسئلت عائشة رضي الله عنها: أكان رسول الله ﷺ يجهر في قيام الليل أم يسر؟ فقالت: ربما جهر وربما أسرّ. وقال ﷺ: « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة ». وقال: « صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل ». وأكثر ما صح عن رسول الله ﷺ في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة. ويقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد إلى قريب من السدس الأخير من الليل.

الورد الخامس: السدس الأخير من الليل وهو وقت السحر، فإن الله تعالى قال: ﴿وبالأسحارهم يستغفرون﴾ [الذاريات: ١٨] قيل: يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب

قلت: لفظ مسلم « فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون التي قبلها ثم أوتر ».

(وسئلت عائشة رضي الله عنها: أكان يجهر النبي ﷺ في قيام الليل أم يسّر؟ فقالت: ربما أسرّ وربما جهر) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه بإسناد صحيح. **(وقال النبي ﷺ « صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بركعة »)** متفق عليه وقد تقدم قريباً بلفظ « فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى » ولفظ المصنف أورده الطبراني في الكبير، ومحمد بن نصر في الصلاة بزيادة: « فإن الله وتر يحب الوتر ».

(وقال) ﷺ (« صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل »). قال العراقي: رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند صحيح اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي شيبة في المصنف بلفظ « صلاة المغرب وتر صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل » ورواه أيضاً عن محمد بن سيرين مرسلاً أي: فكما جعلت آخر صلاتكم بالنهار وتراً فاجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً، وأضيفت إلى النهار لوقوعها عقبه. قال ابن المنير: إنما شرع لها التسمية بالمغرب لأنه اسم يشعر بمسماها وبابتداء وقتها.

(وأكثر ما صح عن النبي ﷺ في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة) تقدم قريباً، وتقدم مفصلاً في كتاب الصلاة، **(ويقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة ما خف عليه)** في التلاوة، **(وهو في حكم هذا الورد إلى قريب من السدس الأخير من الليل)** وهو السحر الأول.

(الورد الخامس: السدس الأخير من آخر الليل وهو وقت السحر) الأول **(قال الله تعالى ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ قيل)** في تفسيره: أي **(يصلون)** وإنما سميت الصلاة استغفاراً **(لما فيها من الاستغفار)** وكذلك قوله تعالى ﴿وقرآن الفجر﴾ [الإسراء: ٧٨] يعني

للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار، وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدرداء رضي الله عنهما ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره: « فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان: نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له: نم فنام، فلما كان عند الصبح قال له سلمان: قم الآن، فقاما فصليا. فقال: إن لنفسك عليك حقاً وإن لضيفك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً فاعط كل ذي حق حقه، وذلك أن امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان انه لا ينام الليل. قال: فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك له.

به الصلاة وكنى بذكر القرآن والاستغفار عن الصلاة لأنهما وصفان منها، كما قيل الصلاة استغفار لانه يطلب بها المغفرة وتكون هذه الصلاة في السحر بدلاً عن السجود إلى طلوع الفجر الثاني، **(وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل)**. ويتوسط هذا الورد بين الليل والنهار، ذهب أهل الحجاز إلى أن الصلاة الوسطىٰ التي نص الله على إفراد المحافظة عليها هي صلاة الفجر. قال الله تعالى ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ قيل تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار تعظيماً لهذا الوقت وتشريفاً له لتوسطه في آخر الليل وأول النهار. فهذا الورد هو أقصر الأوراد، ومن أفضلها وهو من السحر الأول إلى طلوع الفجر الثاني إلا ما كان من صلاة نصف الليل، فذاك أفضل شيء من الليل وهو أوسط الأوراد لأنه هو الورد الثالث. **(وقد أمر بهذا الورد سلمان)** الفارسي **(أخاه أبا الدرداء رضي الله عنهما)** وكان النبي ﷺ قد آخى بينهما في الإسلام **(ليلة زاره في حديث طويل قال في آخره: « فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان: نم فنام، فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا، فقال: إن لنفسك عليك حقاً وإن لضيفك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً فاعط كل ذي حق حقه، وذلك أن امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان بأن أبا الدرداء لا ينام الليل، فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك له فقال ﷺ: صدق سلمان »)** هكذا هو في القوت.

وقال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي حجيفة.

قلت: وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الله بن محمد بن عطاء، حدثنا أحمد بن عمرو البزار، حدثنا السري بن محمد الكوفي، حدثنا قبيصة بن عقبة، حدثنا عمار بن زريق، عن أبي صالح، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء « أن سلمان دخل عليه فرأى امرأته رثة الهيئة فقال: ما لك؟ فقالت: إن أخاك لا يريد النساء إنما يصوم النهار ويقوم الليل، فأقبل على أبي الدرداء فقال: إن لأهلك عليك حقاً فصلّ ونم وصم وأفطر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: « لقد أوتي سلمان من العلم ».

حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حمزة، حدثنا أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا زهير بن حرب، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو العميس، عن عون بن أبي حجيفة، عن أبيه قال: « جاء سلمان يزور أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة. فقال: ما شأنك؟ فقالت: إن أخاك ليست له حاجة في شيء من الدنيا يقوم الليل ويصوم النهار، فلما جاء أبو الدرداء رحب به سلمان وقرب إليه الطعام فقال له سلمان اطعم فقال: إني صائم. فقال سلمان: أقسمت عليك إلا ما طعمت. قال: ما

فقال: صدق سلمان. وهذا هو الورد الخامس. وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع الفجر، والوظيفة في هذين الوردين الصلاة، فإذا طلع الفجر انقضت أوراد الليل ودخلت أوراد النهار فيقوم ويصلي ركعتي الفجر وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ومن الليل

أنا بآكل حتى تأكل قال: فأكل معه وبات عنده فلما كان من الليل قام أبو الدرداء فحبسه سلمان. ثم قال: يا أبا الدرداء إن لربك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً أعط كل ذي حق حقه صم وافطر وقم ونم وآت أهلك فلما كان عند وجه الصبح قال: قم الآن فقاما فتوضآ وصليا ثم خرجا إلى الصلاة فلما صلى النبي ﷺ قام إليه أبو الدرداء فأخبره بما قال سلمان، فقال رسول الله ﷺ: إن لجسدك عليك حقاً مثل ما قال سلمان».

(وهذا هو الورد الخامس، وفيه يستحب السحور) فمن يتسحر في أوله بغته الفجر، **(وذلك عند خوف طلوع الفجر)** وهو قبل طلوعه بمقدار قراءة جزء من القرآن، وهذا الورد الخامس يشبه الورد السابع من النهار قبل الغروب في فضل وقتها، وهذا قبل الفجر الثاني والفجر الثاني هو انشقاق شفق الشمس وهو بدوّ بياضها التي تحته الحمرة وهو الشفق الثاني على ضد غروبها لأن شفقها الأول من العشاء هو الحمرة بعد الغروب وبعد الحمرة البياض، وهو الشفق الثاني من أول الليل وهو آخر سلطان الشمس وبعد البياض سواد وغسق، ثم ينقلب ذلك إلى ضده فيكون بدو طلوعها الشفق الأول وهو البياض، وبعده الحمرة وهو شفقها الثاني وهو أول سلطانها من آخر الليل، وبعده طلوع قرص الشمس، والفجر انفجار شعاع الشمس عن الفلك الأسفل إذا ظهرت على وجه الأرض الدنيا تستر عينها الجبال والبحار والأقاليم المشرفة العالية، ويظهر شعاعها منتشراً إلى وسط السماء عرضاً مستطيراً، فهذا آخر الورد الخامس وعنده يكون الوتر.

(والوظيفة في هذين الوردين الصلاة) لمن استيقظ في ساعته أو لمن تمم به صلاته، فالصلاة فيه لها فضل وشرف وهو بمنزلة الصلاة في أول الليل بين العشاءين.

وقال صاحب العوارف: لا يليق بالطالب أن يطلع الفجر وهو نائم إلا أن يكون قد سبق له في الليل قيام طويل فيعذر في ذلك على أنه لو استيقظ قبل الفجر بساعة مع قيام قليل سبق في الليل يكون أفضل من قيام طويل، ثم النوم إلى بعد طلوع الفجر، فإذا استيقظ قبل الفجر يكثر الاستغفار والتسبيح ويغتنم تلك الساعة ويجلس قليلاً بالليل يصلي بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ويصلي على رسول الله ﷺ، فإنه يجد بذلك ترويحاً وقوة على القيام اهـ.

(وإذا طلع الفجر انقضت أوراد الليل) الخمسة **(ودخلت أوقات النهار)**. فانظر هل دخلت في دخوله عليك في جملة العابدين أم خرج منك وأنت فيه من الغافلين وتفكر أي لبسة ألبسك. فإن الليل جعل لباساً هل لبست فيه حلة النور بتيقظك فتربح تجارة لن تبور، أم ألبسك الليل بثوب ظلمته فتكون ممن مات قلبه بموت جسده بغفلة. نعوذ بالله من سخطه وبعده، **(فيقوم ويصلي ركعتي الفجر)** السنّة **(وهو المراد بقوله تعالى ﴿ومن الليل فسبحه وأدبار**

فسبّحه وأدبار النجوم﴾ [الطور : ٤٩] ثم يقرأ : ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة﴾ [آل عمران : ١٨] إلى آخرها . ثم يقول : وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته وأولو العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله تعالى وديعة وأسأله حفظها حتى يتوفاني عليها . اللهم احطط عني بها وزراً واجعلها لي عندك ذخراً واحفظها عليّ وتوفني عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلاً . فهذا ترتيب الأوراد للعباد وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين أربعة أمور صوم وصدقة وإن قلت وعيادة مريض وشهود جنازة . ففي الخبر : « من جمع بين هذه الأربع في يوم غفر له » وفي رواية : « دخل

النجوم﴾ ثم يقرأ) العبد (**﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ إلى آخرها ، ثم يقول : وأنا أشهد بما شهد الله لنفسه وشهدت به ملائكته وأولو العلم من خلقه ، واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة أسأله حفظها حتى يتوفاني عليها**) . وتقدم أن أحمد وأبا الشيخ رويا من حديث ابن مسعود « من قرأ ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ إلى قوله ﴿الإسلام﴾ ثم قال : وأنا أشهد إلى قوله وديعة جيء به يوم القيامة فقيل له هذا عبدي عهد إليّ عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة » .

(**اللهم احطط**) أي بتلك الشهادة (**عني وزراً واجعل لي بها عندك ذخراً واحفظها عليّ وتوفني عليها حتى ألقاك غير مبدل تبديلاً**) . هكذا نقله صاحب القوت . (**فهذا ترتيب الأوراد للعباد**) في ليلهم ونهارهم ، وأفضل ما عمله عبد في ورد من أوراد الليل والنهار بعد القيام بفرض يلزمه أو قضاء حاجة لأخيه المؤمن يعينه عليها الصلاة بتدبر الخطاب وشهادة المخاطب ، فإن ذلك يجمع العبادة كلها . ثم من بعد ذلك التلاوة بتيقظ وفراغ هم ثم أي عمل فتح له فيه من فكر أو ذكر برقة قلب وخشوع جوارح ومشاهدة غيب ، فذلك أفضل أعماله في وقته . ومن فاته من الأوراد ينبغي له أن يفعل مثله في وقته أو قبله متى ذكره لا على سبيل القضاء ، ولكن على وجه التدارك ورياضة النفس بذلك ليأخذها بالعزائم كيلا يعتاد التراخي والرخص ، ولأجل الخبر المأثور « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ » وفي حديث عائشة رضي الله عنها رفعته « من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله عز وجل » .

(**وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين أربعة أمور : صوم وصدقة وإن قلت وعيادة مريض**) إن تيسر ، (**وشهادة جنازة**) إن حضرت . (**وفي الخبر « من جمع بين هذه الأربعة غفر الله له »**) روى البيهقي من حديث ابن عمر « من صام يوم الأربعاء والخميس والجمعة وتصدق بما قلّ أو كثر غفر الله له ذنوبه وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . (**وفي رواية « دخل الجنة »**) قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي هريرة « ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة » .

الجنة »، فإن اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته، وكانوا يكرهون أن ينقضي اليوم ولم يتصدقوا فيه بصدقة ولو بتمرة أو بصلة أو كسرة خبز لقوله ﷺ: « الرجل في ظل صدقته حتى يقضي بين الناس » ولقوله ﷺ: « اتقوا النار ولو بشق تمرة ». ودفعت عائشة رضي الله عنها إلى سائل عنبة واحدة فأخذها فنظر من كان عندها بعضهم إلى بعض فقالت: ما لكم إن فيها لمثاقيل ذر كثير؟ وكانوا لا يستحبون رد السائل إذ كان من أخلاق رسول الله ﷺ ذلك ما سأله أحد شيئاً فقال: لا، ولكنه إن لم يقدر عليه سكت. وفي الخبر: « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامي من جسده صدقة يعني المفصل وفي جسده ثلاثمائة وستون مفصلاً فأمرك بالمعروف صدقة، ونهيك عن المنكر صدقة، وحملك عن الضعيف صدقة، وهدايتك إلى الطريق صدقة،

قلت: وروى الطبراني في الكبير، وأبو سعد السمان في مشيخته من حديث أبي أمامة رضي الله عنه « من صلى يوم الجمعة وصام يومه وعاد مريضاً وشهد جنازة وشهد نكاحاً وجبت له الجنة ».

(**وإن اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته**) وذلك إن كان في عزيمته بين الأربعة المذكورة، (**وكانوا يكرهون أن ينقضي اليوم ولم يتصدقوا ولو بتمرة**) ولو بنصفها (**أو بصلة أو كسرة خبز**) أو ما يجري مجرى ذلك، (**لقول رسول الله ﷺ: « الرجل في ظل صدقته حتى يقضي بين الناس »**) تقدم في الزكاة، (**ولقوله ﷺ « اتقوا النار ولو بشق تمرة »**) تقدم أيضاً في الزكاة، (**ودفعت عائشة رضي الله عنها إلى سائل عنبة واحدة فأخذها**) السائل (**ونظر بعض الحاضرين إلى بعض**) أي كالمستقل بتلك الصدقة (**فقالت: ما لكم**) ينظر بعضكم بعضاً (**إن فيها لمثاقيل ذر كثيرة**) نقله صاحب القوت والعوارف، وتقدم في الزكاة من حديث أبي هريرة « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب فإن الله عز وجل يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل ». (**وكانوا يكرهون رد السائل**) بلا إعطاء شيء (**إذ كان من أخلاق النبي ﷺ أنه ما سأله أحد شيئاً فقال: لا.**) وقد أشار بعض محي حضرته الشريفة الى ذلك بقوله:

ما قال لا قط إلا في تشهده　　لولا التشهد كانت لاؤه نعم

(**لكنه ﷺ إن لم يقدر على شيء**) يعطيه إياه (**سكت**) ولم يرده. قال العراقي: رواه مسلم من حديث جابر، وللبزار من حديث أنس: أو سكت. (**وفي الخبر: « يصبح ابن آدم وعلى كل سلامي من جسده صدقة - يعني كل مفصل - وفي جسده ثلاثمائة وستون مفصلاً، فأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة، وحملك عن الضعيف صدقة، وهدايتك إلى الطريق صدقة، وإماطتك الأذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال: « وركعتا**

وإماطتك الأذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال: «وركعتا الضحى تأتي على ذلك كله أو تجمعن لك ذلك كله».

الضحى تأتي على ذلك كله ويجمعن لك ذلك كله») رواه مسلم من حديث أبي ذر ولفظه: «يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعها في الضحى». وهكذا رواه الحاكم وأبو عوانة وابن خزيمة.

وروى مسلم أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً «أنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله، وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً من طريق الناس، وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامي فإنه يمسي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار». ورواه هكذا أبو الشيخ في العظمة.

وروى أبو داود وابن حبان من حديث بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل فعليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة. قالوا: فمن الذي يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال: في النخامة في المسجد يدفنها أو الشيء ينحيه عن الطريق فإن لم يقدر فركعتا الضحى تجزئ عنك». وقد أخرج أبو داود حديث أبي ذر بألفاظ مختلفة، والكلام على هذا من وجوه.

الأول: السلامي كحباري أصلها عظام الأصابع وسائر الكف خاصة، ثم استعملت في جميع عظام البدن ومفاصله، وهو المراد في الحديث. وقيل: السلامي كل عظم مجوّف من صغار العظام، والمفصل كمجلس كل ملتقى عظمين من الجسد، وأما كمنبر فهو اللسان وليس مراداً هنا بل المراد السلامي، وهذا معنى قول المصنف يعني كل مفصل.

الثاني: قوله على كل سلامي صدقة أي على سبيل الاستحباب المتأكد لا على سبيل الوجوب، وهذه العبارة تستعمل في المستحب كما تستعمل في الوجوب.

الثالث: إن قلت قد عدّ في الحديث من الحسنات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما فرضا كفاية، فكيف أجزأ عنهما ركعتا الضحى وهما تطوع، وكيف أسقط هذا التطوع ذلك الفرض؟ قلت: المراد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث قام الفرض بغيره وحصل المقصود وكان كلامه زيادة تأكيد، أو المراد تعليم المعروف لينقل والمنكر ليجتنب فإذا فعلها كان من جملة الحسنات المعدودة من الثلاثمائة والستين، وإذا تركه لم يكن عليه فيه حرج ويقوم عنه وعن غيره من الحسنات ركعتا الضحى، أما إذا ترك الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر عند فعله ولم يقم به غيره فقد أثم ولا يرفع الإثم عنه ركعتا الضحى ولا غيرهما من التطوعات ولا من الواجبات.

الرابع: فيه فضل عظيم لصلاة الضحى لما دل عليه من أنها تقاوم ثلاثمائة وستين سنة، وهذا

بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال:

اعلم ان المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فإنه: إما عابد، وإما عالم، وإما متعلم، وإما والٍ، وإما محترف، وإما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره.

الأول: العابد وهو المتجرد للعبادة الذي لا شغل له غيرها أصلاً ولو ترك العبادة لجلس بطالاً، فترتيب أوراده ما ذكرناه، نعم لا يبعد أن تختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر أوقاته إما في الصلاة أو في القراءة أو في التسبيحات، فقد كان في الصحابة رضي

أبلغ شيء في فضل صلاة الضحى، ذكره ابن عبد البر، وذكر أصحاب الشافعي أنها أفضل التطوع بعد الرواتب، لكن النووي في شرح المهذب قدم عليها صلاة التراويح كما تقدم في كتاب الصلاة، وهل يختص ذلك بصلاة الضحى لخصوصية فيها وسر لا يعلمه إلا الله، أو يقوم مقامها ركعتان في أي وقت كان. فإن الصلاة عمل بجميع الجسد فإذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته التي عليه فيه احتمال، والظاهر الأول وإلا لم يكن للتنبيه معنى، والله اعلم.

الخامس: فيه أن أقل الضحى ركعتان وهو كذلك بالإجماع وإن اختلفوا في أكثرها. **فحكى** النووي في شرح المهذب عن أكثر الأصحاب أن أكثرها ثمان وهو مذهب الحنابلة كما ذكره في المغني، وجزم الرافعي في الشرح الصغير والمحرر، والنووي في الروضة والمنهاج تبعاً للروياني بأن أكثرها اثنتا عشرة ركعة، وقال النووي في شرح مسلم: أكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات أو ست ركعات، وقد تقدم الكلام في ذلك مفصلاً في كتاب الصلاة.

بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال:

(**إعلم أن المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها**). المريد والسالك واحد إلا أن المريد يختص بمن في ذمته عقد الإرادة لشيخ من المشايخ، والسالك أعم من ذلك، وسيأتي بيان معنى السلوك قريباً (**لا يخلو عن ستة أحوال، فإنه إما عابد**) لا شغل له إلا العبادة، (**وإما عالم**) ينفع الناس بتعليمه إياهم ما يقربهم إلى الله تعالى. أو مشغول بتأليف كتاب ندب إليه، (**وإما متعلم**) يشتغل بالعلم بحضوره على علماء وقته، (**وإما وال**) يلي منصباً من المناصب من طرف السلطان، (**وإما محترف**) أي مكتسب بحرفة، (**وإما موحد مستغرق بالواحد الصمد**) جل جلاله (**عن غيره**) في أحواله.

الأول: العابد: وهو المتجرد لعبادة الله عز وجل) تجرد عن كل ما يشغله عن العبادة (**لا شغل له أصلاً**) إلا العبادة، (**ولو ترك العبادة لجلس بطالاً**) إذ لا شغل له أو لا يحسن شغلاً، (**فترتيب أوراد ما ذكرناه**) سابقاً في عمارة الأوقات بالوجه المذكور، (**نعم**) وفي نسخة أجل (**لا يبعد أن تختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر أوقاته إما في الصلاة أو القراءة**

الله عنهم من ورده في اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة، وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفاً، وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة إلى ستمائة وإلى ألف ركعة، وأقل ما نقل في أورادهم من الصلاة مائة ركعة في اليوم والليلة. وكان بعضهم أكثر ورده القرآن، وكان يختم الواحد منهم في اليوم مرة، وروي مرتين عن بعضهم، وكان بعضهم يقضي اليوم والليلة في التفكر في آية واحدة يرددها. وكان كرز بن وبرة مقيماً بمكة فكان يطوف في كل يوم سبعين أسبوعاً وفي كل ليلة سبعين أسبوعاً وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ، ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ.

أو في التسبيحات) بحسب ما تيسر له، **(فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم إثنا عشر ألف تسبيحة)** قال صاحب العوارف ورأيت بعض الفقراء من المغرب بمكة وله سبحة فيها ألف حبة في كيس له ذكر أنه يديرها كل يوم اثنتي عشرة مرة بأنواع الذكر، ونقل عن بعض الصحابة أن ذلك كان ورده بين اليوم والليلة، **(وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفاً)**. ولفظ العوارف، والقوت: ونقل عن بعض التابعين أنه كان له ورد من التسبيح ثلاثون ألفاً بين اليوم والليلة، **(وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة إلى ستمائة)** ركعة **(وإلى ألف ركعة)** أي في اليوم والليلة، **(وأقل ما نقل من أورادهم في الصلاة مائة ركعة)** على التوزيع **(في اليوم والليلة)**. وهذه الضمائر كلها راجعة إلى التابعين كما هو في القوت ولفظه: كان من التابعين من ورده في كل يوم ثلاثمائة ركعة، وكان منهم من ورده ستمائة ركعة، وأقل من نقل عنه من الأوراد مائة ركعة في اليوم. **(وكان بعضهم أكثر ورده القرآن، وكان يختم أحدهم في اليوم مرة. وروي عن بعضهم مرتين، وكان بعضهم يقضي اليوم والليلة في التفكر في آية واحدة يرددها)**. تقدم تفصيل ذلك في كتاب تلاوة القرآن.

(وكان كرز بن وبرة) الحارثي نزيل جرجان أحد الأبدال **(مقيماً بمكة فكان يطوف)** في **(كل يوم سبعين أسبوعاً، وفي كل ليلة سبعين أسبوعاً، وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم والليلة مرتين، فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون له مع كل أسبوع ركعتان، فذلك مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ)** هكذا في القوت.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا علي بن المنذر، حدثنا محمد بن فضل قال: سمعت ابن شبرمة يقول:

لو شئت كنت ككرز في تعبده ... أو كابن طارق حول البيت في الحرم
قد حال دون لذيذ العيش خوفهما ... وسارعا في طلاب الفوز والكرم

فإن قلت: فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد؟ فاعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائماً مع التدبر يجمع الجميع، ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص، ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وايناسه به، فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيراً فيه فليواظب عليه، فإذا أحس بملالة منه فلينتقل إلى غيره، ولذلك نرى الأصوب لأكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات ـ كما سبق ـ والانتقال فيها من نوع إلى نوع لأن الملال هو الغالب على الطبع، وأحوال الشخص الواحد في ذلك أيضاً تختلف.

وكان محمد بن طارق يطوف في كل يوم وليلة سبعين أسبوعاً. قال: وكان كرز يختم القرآن في كل يوم وليلة ثلاث ختمات.

أخبرنا محمد بن أحمد بن إبراهيم في كتابه قال: حدثنا عبد الرحمن بن الحسن، حدثنا أبو حفص النيسابوري، حدثنا الصلت بن مسعود، حدثنا ابن عيينة قال: سمعت ابن شبرمة يقول لابن هبيرة: لو شئت كنت ككرز في تعبده الى آخر البيتين، فقال ابن هبيرة: من كرز ومن ابن طارق؟ قال: قلت أما كرز فكان إذا كان في سفر واتخذ الناس منزلاً اتخذ هو منزلاً للصلاة، وأما ابن طارق فلو اكتفى أحد بالتراب كفاه كف من تراب.

قال أبو حفص: ذكروا أن ابن طارق كان يقدر طوافه في اليوم عشرة فراسخ. حدثنا أبو بكر ابن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني شريح بن يونس، حدثنا محمد بن بطين قال: رأيت ابن طارق في الطواف قد انفرج له أهل الطواف عليه نعلان مطرقتان. قال: فحرروا طوافه في ذلك الزمان فإذا هو يطوف في اليوم والليلة عشرة فراسخ اهـ لفظ الحلية. وهذا الأخير قد رواه أيضاً أبو الفرج ابن الجوزي في مثير العزم من هذا الطريق، ونقله المحب الطبري في المناسك.

(فإن قلت: فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد؟ فاعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائماً مع التدبر) والتفهم لمعاني ما يقرأ **(يجمع الجميع)** مما ذكر، **(ولكن ربما تعسر المواظبة على ذلك)** لمانع، **(فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره)** من الأدناس الباطنة **(وتحليته)** اي تزيينه **(بذكر الله تعالى وإيناسه به)** بكمال الرغبة فيه، **(فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيراً فيه فليواظب عليه)** فهو الأفضل في حقه، **(فإذا أحس بملالة منه)** وسئمت النفس **(فلينتقل إلى غيره)** من تلك الأوراد، **(ولذلك نرى الأصوب بأكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الأوقات ـ كما سبق)** تقريره ـ **(والانتقال من نوع منها إلى نوع)** ثان **(لأن الملل هو الغالب على الطبع)** في الأكثر، **(وأحوال الشخص الواحد أيضاً في ذلك تختلف)** باختلاف

ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبع المعنى فإن سمع تسبيحة مثلاً وأحس لها بوقع في قلبه فليواظب على تكرارها ما دام يجدلها وقعاً. وقد روي عن ابراهيم بن أدهم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلي على شاطىء البحر فسمع صوتاً عالياً بالتسبيح ولم يرَ أحداً فقال: من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك؟ فقال: أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت. قلت: فما اسمك؟ قال: مهلهيائيل. قلت: فما ثواب من قاله. قال: من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يُرى له. والتسبيح هو قوله: «سبحان الله العلي الديّان. سبحان الله الشديد الأركان. سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار. سبحان من لا يشغله شأن عن شأن.

الطبائع والأوقات والهمم، **(ولكن إذا فهم فقه الأوراد وسرها فليتبع المعنى)** المراد منها **(فإن سمع)** وفي نسخة: فإن سبح **(تسبيحة مثلاً وأحس لها بوقع في قلبه، فليواظب على تكرارها ما دام يجد لها وقعاً)** في القلب وإقبالاً عليها به.

(وقد روي عن ابراهيم بن أدهم) قدس سره فيما حكاه **(عن بعض الابدال أنه قام ذات ليلة يصلي على شاطيء البحر فسمع صوتاً عالياً بالتسبيح ولم ير أحداً فقال: من أنت اسمع صوتك ولا أرى شخصك؟ فقال: أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله عز وجل بهذا التسبيح منذ خلقت. قلت: فما اسمك؟ فقال: مهلهيائيل)** وفي نسخة مهليهايل وهو من الاسماء السريانية. **(قلت: فما ثواب من قاله؟ قال: من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له. وهو هذا)** التسبيح: **(«سبحان الله العلي الدَّيان)** أي المجازي لعباده، **(سبحان شديد الأركان)** أي أركان عزه وعظمته وعرشه، **(سبحان الله الحنّان المنّان، سبحان الله المسبح في كل مكان، سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار، سبحان من لا يشغله شأن عن شأن»)** هكذا أورده صاحب القوت. وقال: وحدثونا عن ابراهيم بن أدهم عن بعض الأبدال فساقه. ولكن بتقديم وتأخير فيه، فأورد بعد قوله شديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار إلى آخره، ثم أتى بقوله سبحان المسبح في كل مكان. وهكذا نقله صاحب العوارف أيضاً.

وروى ابن شاهين في الترغيب والترهيب وابن عساكر في التاريخ من حديث أبان عن أنس رفعه «من قال كل يوم مرة سبحان القائم الدائم، سبحان الحي القيوم، سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الله العظيم وبحمده. سبوح قدوس رب الملائكة والروح، سبحان العلي الأعلى سبحانه وتعالى لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة أو يرى له» قال: فليقل مائة مرة بين اليوم الليلة هذا التسبيح ثم ساقه.

وقال صاحب القوت، وقال هشام بن عروة: كان أبي يواظب على ورده في التسبيح كما يواظب على حزبه من القرآن، وروي عنه أيضاً أنه كان يواظب على حزبه من الدعاء كما يواظب على حزبه

سبحان الله الحنان المنان. سبحان الله المسبَّح في كل مكان فهذا وأمثاله إذا سمعه المريد ووجد له في قلبه وقعاً فيلازمه وأيًّا ما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه.

الثاني: العالم الذي ينفع الناس بعلمه في فتوى أو تدريس أو تصنيف، فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد، فإنه يحتاج إلى المطالعة للكتب وإلى التصنيف والإفادة، ويحتاج إلى مدة لها لا محالة فإن أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد

من القرآن. قال: ولا يدع العبد أن يسبح أدبار الصلوات الخمس مائة تسبيحة عند كل صلاة مكتوبة، وكذلك عند النوم مائة، وليواظب على أن يقول إذا أصبح وأمسى ما جاء في تفسير قوله عز وجل ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ [الزمر: ٦٣] فإن لذلك ثواباً عظيماً.

روينا عن عثمان رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن تفسير هذه الآية فقال له: « سألتني عن سيء ما سألني عنه أحد قبلك هو الله الذي لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوّة إلا بالله عز وجل وأستغفر الله الأوّل والآخر والظاهر والباطن له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير. من قالها عشراً حين يصبح وحين يمسي أعطي بها ست خصال: **فأوّل** خصلة يحرس من ابليس وجنوده، **والثانية** يعطى قنطاراً من الأجر، **والثالثة:** ترفع له درجة في الجنة، **والرابعة:** يزوجه الله عز وجل من الحورالعين، **والخامسة:** يحضرها إثنا عشر ملكاً، **والسادسة:** يكون له من الاجر كمن حج واعتمر ». وليواظب على قراءة الآيات الست عند كل صلاة يصليها ففي ذلك ثواب عظيم ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون★ وسلام على المرسلين★ والحمد لله ربّ العالمين﴾ الصافات: ١٨٠ - ١٨٢] وقوله عز وجل ﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ إلى قوله ﴿تخرجون﴾ [الروم: ١٧ - ١٩] ويستغفر للمؤمنين والمؤمنات في كل يوم خمسين مرة. خمساً وعشرين إذا أصبح، وخمساً وعشرين إذا أمسى، فإنه يكتب من الأبدال لأثر في ذلك. وليقل كل يوم عشر مرات: اللهم اصلح أمة محمد، اللهم ارحم امة محمد، اللهم فرج عن أمة محمد ﷺ. يقال إن من قاله كل يوم كتب له ثواب بدل من الأبدال، وليقل إذا أصبح وإذا أمسى ثلاثاً: اللهم أنت خلقتني وأنت هديتني وأنت تطعمني وأنت تسقيني وأنت تميتني وأنت تحييني أنت ربي لا ربّ لي سواك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك. فإن في ذلك شكر نعمة يومه.

(**فهذا وأمثاله إذا سمعه المريد ووجد له في قلبه وقعاً**) وتأثيراً (**فيلازمه وما وجد قلبه عنده وفتح له**) باب (**خير**) وبركة (**فليواظب عليه**) فمن حضر له في شيء فليلازمه كما ورد في بعض الأخبار.

(**الثاني: العالم الذي ينتفع الناس بعلمه في فتوى أو تدريس أو تصنيف**) بأن يكون متصدياً لأحد هذه الأوصاف بأنفراد كل منها أو ببعضها أو بجميعها، (**فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد**) الذي ذكر قبل هذا (**فإنه**) أي العالم (**يحتاج إلى المطالعة للكتب**) ومراجعتها (**وإلى التصنيف**) والتأليف والإفادة، (**ويحتاج إلى مدة لها**) وفي بعض النسخ لذلك (**لا**

المكتوبات ورواتبها. ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه في فضيلة التعليم والتعلم في كتاب العلم. وكيف لا يكون كذلك وفي العلم المواظبة على ذكر الله تعالى؟ وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم إلى طريق الآخرة. ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعاً، وإنما نعني بالعلم المقدم على العبادة العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويزهدهم في الدنيا، أو العلم الذي يعينهم على سلوك طريق الآخرة إذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك. دون العلوم التي تزيد بها الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق، والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضاً فإن استغراق الأوقات في ترتيب العلم لا يحتمله الطبع، فينبغي أن يخصص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه في الورد الأوّل. وبعد الطلوع

محالة). فالمفتي يحتاج في إفتائه إلى مطالعة فروع المذهب في كتاب أو كتابين أو أكثر، وربما تكون المسألة ذات وجوه فيستدعي التأني في مراجعته مع التفرغ التام وإحضار الذهن، والمدّرس كذلك يحتاج إلى مطالعة ما يلقيه في درسه مع مراجعة شروح وحواش باستحضار الذهن وسعة النظر، والمصنف يحتاج إلى مراجعة موادّ متألفة بالفن الذي يصنف فيه فيفصل ما أجملوه ويختصر ما طوّلوه ويقرب إلى الاذهان ما استكملوه ويبين ما أبهموه، وكل ما ذكرنا يحتاج إلى مدة، ولكن هذه المدة تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات والأحوال، فالذكي المتوقد الذهن من هؤلاء الثلاثة قد لا يستغرق مدة طويلة، والبليد الذهن قد يتعب فيستدعي إلى صرف الوقت إلى مدة طويلة، (**فإن أمكنه استغراق الأوقات في ذلك فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها**) لتعدي نفعه ولفضله، (**ويدل على ذلك ما ذكرناه في فضيلة التعليم والتعلم في كتاب العلم، وكيف لا**) يكون ذلك، (**وفي العلم المواظبة على ذكر الله عز وجل، وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله** ﷺ **وفيه منفعة الخلق**) أي يتعلمونه فينتفعون به في دينهم (**وهدايتهم إلى طريق الآخرة**) مما يحصل به النجاة من عذابها. (**ورب مسألة واحدة يتعلمها المتعلم**) في دينه (**فيصلح عبادة**) طول (**عمره**) بارشاده لهم إليها ولو لم يتعلمها لكان سعيها ضائعاً. (**وإنما نعني بالعلم**) المشار إليه (**المقدم على العبادة هو العلم الذي يرغب الناس في الآخرة ويزهدهم في الدنيا**) وهي العلوم الشرعية: الفقه والحديث والتصوّف، (**والعلم الذي يعينهم على سلوك الآخرة إذا تعلموه على قصد الإستعانة به على**) ذلك (**السلوك دون العلوم التي تزيد بها**) أي بتحصيلها (**الرغبة في المال والجاه وقبول الخلق**) أي إقبالهم عليه كالاشتغال بالمنطق والفلسفة وعلم الفلك والهيئة وكالتوغل في غوامض علم النحو والطب والبيطرة، (**والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضاً**) كما ذكر في العابد، (**فإن استغراق الأوقات في ترتيبه العلم**) افتاء وتدريساً وتصنيفاً (**لا يحتمله الطبع**) البشري، (**فينبغي ان يخصص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس بالأذكار**) الواردة (**والأوراد**) الراتبة (**لما ذكرناه في الورد**

إلى ضحوة النهار في الإفادة والتعليم إن كان عنده من يستفيد علماً لأجل الآخرة، وإن لم يكن فيصرفه إلى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين، فإن صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات، ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها إلا في وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة إن طال النهار. ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع، ومن الاصفرار إلى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح، فيكون ورده الأوّل قبل طلوع الشمس في عمل اللسان، ووروده الثاني في عمل القلب بالفكر إلى الضحوة، ووروده الثالث إلى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة، ووروده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروح فيه العين واليد، فإن المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرّ بالعين. وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان فلا يخلو

الأوّل) آنفاً **(وبعد الطلوع إلى الضحوة)** الكبرى **(في الإفادة والتعليم)** والقاء الدروس **(إن كان عنده من يستفيد علماً)** منه **(لأجل)** زاد **(الآخرة وإن لم يكن)** بالوصف المذكور **(فيصرفه)** أي الوقت **(إلى الفكر)** والتأمل ومراجعة ما يحتاج إليه **(فيما يشكل عليه من علوم الدين فإن صفاء القلب)** وفراغ الذهن **(بعد الفراغ من الذكر)** والمراقبة **(وقبل الاشتغال بهموم الدنيا)** وتدبير المعاش إن كان معيلاً **(يعين على التفطن للمشكلات والعويصات ومن ضحوة النهار إلى العصر للتصنيف والمطالعة)** والمراجعة **(لا يتركها)** وفي نسخة لا يتركها **(إلا في وقت أكل)** إن لم يكن صائماً **(وطهارة و)** أداء **(مكتوبة وقيلولة خفيفة)** بمقدار ساعة زمانية أو أقل **(إن طال النهار)** وذلك في الصيف. **(ومن العصر إلى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير)** مأثور **(أو حديث)** منقول من كتب صحيحة **(أو علم نافع)** وهو التصوّف ومعاملات القلوب، **(ومن الإصفرار إلى الغروب يشتغل بالاستغفار والتسبيح والذكر)** بأنواعها مما تيسر على اللسان، **(فيكون ورده الأوّل قبل طلوع الشمس في عمل اللسان)** وهو الذكر، **(ووروده الثاني في عمل القلب بالفكر)** والتأمل **(إلى الضحوة، ووروده الثالث إلى العصر في عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة)** فيه لف ونشر مرتب، **(ووروده الرابع بعد العصر في عمل السمع ليروّح فيه العين)** عن المطالعة **(واليد)** عن الكتابة، **(فالمطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضر ذلك بالبصر)** وينسب إلى علي رضي الله عنه: من أحب كريمتيه فلا يكتبن بعد العصر. وهذا قد يختلف باختلاف الأشخاص والأماكن فرب شخص قوي البصر قد لا يمنع في ذلك، وربَّ مكان مشرف مشرق لا يضر البصر بعد العصر لانتشار ضوئه. **(وعند الاصفرار يعود إلى ذكر اللسان)** كما كان في الورد الأوّل ليكون آخره كأوله **(فلا يخلو جزء من)** أجزاء **(النهار عن**

جزء من النهار من عمل له بالجوارح مع حضور القلب في الجميع. وأما الليل، فأحسن قسمة فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء: ثلثاً للمطالعة وترتيب العلم وهو الأوّل، وثلثاً للصلاة وهو الوسط، وثلثاً للنوم وهو الأخير. وهذا يتيسر في ليالي الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار. فهذا ما نستحبه من ترتيب أوراد العالم.

الثالث: المتعلم. والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل، فحكمه حكم العالم في ترتيب الأوراد، ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب أوقاته ـ كما ذكرنا ـ وكل ما ذكرناه في فضيلة التعلم والعلم من كتابي العلم يدل على أن ذلك أفضل. بل إن لم يكن

عمل بالجوارح مع حضور القلب في الجميع)، وهذا هو طريق الاختيار في حق العالم، وقد لا يستقيم بعد هذا الترتيب لعوارض تعرض له فيعمل كل شيء بما يقتضيه الوقت والحال وهذا ترتيب النهار.

(وأما الليل فأحسن قسمة فيه قسمة الشافعي رضي الله عنه إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء: ثلث للمطالعة) والمراجعة **(وترتيبه العلم وهو الأول، وثلث للصلاة وهو الأوسط، وثلث للنوم وهو الأخير)** وهكذا ذكره البيهقي وغيره في مناقبه. ونقله ابن السبكي وابن كثير في الطبقات في ترجمته وحصة كل ثلث نحو أربع ساعات **(وهذا يتيسر في ليالي الشتاء)** لطولها. **(والصيف ربما لا يحتمل ذلك)**لقصر لياليه **(إلا إذا أكثر النوم بالنهار)** فتندرج حصة الثلث الثالث في الثلثين، وإن جعل الثاني للنوم والثالث للصلاة فهو قريب من القسمة الأولى، **(فهذا ما نستحبه من ترتيب أوراد العالم)**. ومن اختار هذا الترتيب في النهار والليل من العلماء بورك في علمه وتصنيفه، وذكر بعض العلماء في ترجمة المصنف قدس سره أنه صنف هذاالكتاب في مائة يوم، ومع ذلك كان يختم القرآن في اليوم والليلة مرة. فهذا وأمثاله مما وقع لغيره من المصنفين من بركة الوقت وحسن إخلاصهم رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم آمين.

(الثالث: المتعلم والاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل) بل الأشتغال بالعلم اشتغال بالذكر إذ العلم الذي يشتغل به يذكر فيه الله ورسوله فهو في ذكر، **(فحكمه حكم العالم في ترتيب الأوراد)** كما ذكرنا، **(ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالإفادة، و)** يشتغل **(بالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف)** والجمع، والمراد بالتعليق هنا ضبط ما سمعه من الشيخ في طرة الكتاب حفظاً له والنسخ كتابة ما يحتاج إليه في دراسته، **(وترتيب أوقاته ـ كما ذكرناه ـ وكل ما ذكرناه في فضيلة التعليم والعلم من كتاب العلم يدل على أن ذلك أفضل، بل إن لم يكن متعلماً على معنى أنه يعلق ويحصل ليصير)** بذلك

متعلماً على معنى أنه يعلق ويحصل ليصير عالماً. بل كان من العوام فحضور مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الأوقات. ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه: « إن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض ». وقال ﷺ: « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها. فقيل: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر ». وقال كعب الأحبار رضي الله عنه: لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي إمارة امارته وكل ذي سوق سوقه. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء فإن الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم من مجالس العلماء، وقال رجل للحسن رحمه الله: أشكو إليك قساوة قلبي. فقال: أدنه من مجالس الذكر. ورأى

(**عالماً بل كان من العوام**) وإنما حضوره في مجالس العلماء للاستماع فقط، (**فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التي ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفي سائر الاوقات، ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه « إن حضور مجلس ذكر**) وفي رواية: مجلس علم (**أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض »**) تقدم للمصنف في كتاب العلم بلفظ « حضور مجلس عالم » وتقدم ان ابن الجوزي ذكره في الموضوعات من حديث عمر. وقال العراقي: لم أجده من طريق أبي ذر.

(**وقال النبي ﷺ « إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها. قيل يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر »**) رواه الترمذي وصححه من حديث أنس بلفظ « إذا مررتم » وتقدم للمصنف كذلك في كتاب العلم.

(**وقال كعب الأحبار: لو أن ثواب المجالس**) أي مجالس العلم والذكر (**بدا**) أي ظهر (**للناس لاقتتلوا عليه**) بالسيوف (**حتى يترك كل ذي إمارة إمارته وكل ذي سوق سوقه**) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبل تهامة فإذا سمع العالم**) وفي نسخة العلم (**خاف واسترجع عن ذنوبه انصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء**) وفي نسخة العلم (**فإن الله عز وجل لم يخلق على وجه الأرض تربة أكرم عليه من مجالس العلماء. وقال رجل للحسن**) رحمه الله تعالى: يا أبا سعيد (**أشكو إليك قساوة قلبي. قال: أدنه**) بفتح الهمزة وكسر النون أمر من أدناه إذا قربه (**من مجالس الذكر**) أي أجعله قريباً منها بحضورك لها. (**ورأى عمار الزاهد**)

عمار الزاهدي مسكينة الطفاوية في المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال: مرحباً يا مسكينة. فقالت: هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى! فقال: هيه. فقالت: ما تسأل عمن أبيح لها الجنة بحذافيرها؟ قال: وبمَ ذلك؟ قالت: بمجالسة أهل الذكر. وعلى الجملة فما ينحل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكي السيرة أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا.

الرابع: المحترف الذي يحتاج إلى الكسب لعياله فليس له أن يضيع العيال ويستغرق الأوقات في العبادات، بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب، ولكن ينبغي أن لا ينسى ذكر الله تعالى في صناعته بل يواظب على التسبيحات والاذكار وقراءة القرآن، فإن ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل، وإنما لا يتيسر مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناطوراً فإنه لا يعجز عن إقامة أوراد الصلاة معه، ثم مهما فرغ من كفايته

هو والد منصور القاص (**مسكينة**) امرأة من الصالحات العابدات ذكرها ابن الجوزي في الطبقات (**الطفاوية**) منسوبة إلى بني طفاوة بطن من العرب (**في المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر**) ومجالس العلم (**فقال**) لها: (**مرحباً يا مسكينة. فقالت: هيهات هيهات ذهبت المسكنة**) أي الفقر ومنه اشتقاق المسكين (**وجاء الغنى! فقال: هيه**) كلمة استزادة، (**فقالت: لا تسأل عمن أبيح لها الجنة بحذافيرها**) أي بأجمعها. (**قال: ولم ذلك**) أي بأي شيء نلت ذلك؟ (**قالت: بمجالسة أهل الذكر**): وهم أهل العلم والصلاح بدليل قوله تعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [النحل: ٤٣].

(**وعلى الجملة؛ فما ينحل عن القلب عقدة من عقد حب الدنيا بقول واعظ**) أي ناصح (**حسن الكلام**) أي في سوقه (**زكي السيرة**) أي طهرها (**أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع اشتمال القلب على حب الدنيا**)، وإنما القصد من الأوراد تزكية النفس وتطهيرها، فإذا لم ينزع الورد حب الدنيا من قلب صاحبه لم ينتفع به صاحبه.

(**الرابع: المحترف**) أي صاحب الحرفة (**الذي يحتاج إلى الكسب لعياله، فليس له أن يضيع العيال**) فلا يمونهم ويشتغل عنهم (**ويستغرق الأوقات**) كلها (**في العبادات**) بأنواعها، (**بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق**) للبيع والشراء (**والاشتغال بالكسب**) الذي حضر له فيه، (**ولكن ينبغي أن لاينسى الله عز وجل في صناعته**) التي هو مشتغل بها (**فيواظب على التسبيحات والأذكار وقراءة القرآن**) حسبما تيسر له من كل ذلك، (**فإن ذلك يمكن أن يجمع إلى العمل**) الذي هو فيه لأنه من جملة أعمال اللسان، (**وإنما الذي لا يتيسر مع العمل الصلاة**) فإنها تستدعي فراغ حال ووقت فالاشتغال بها يفوت مقصود الكسب في معظم الوقت (**إلا أن يكون ناطوراً**) أي حافظ بستان (**فإنه لا يعجز عن إقامة أوراد**

ينبغي أن يعود إلى ترتيب الأوراد، وإن داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد التي ذكرناها لأن العبادات المتعدية فائدتها أنفع من اللازمة، والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له في نفسه تقربه إلى الله تعالى، ثم يحصل به فائدة للغير وتنجذب إليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر.

الخامس: الوالي: مثل الإمام والقاضي والمتولي لينظر في أمور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين واغراضهم على وفق الشرع وقصد الإخلاص أفضل من الأوراد المذكورة، فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهاراً ويقتصر على المكتوبة ويقيم الأوراد المذكورة بالليل، كما كان عمر رضي الله عنه يفعله إذ قال: ما لي وللنوم فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسي. وقد فهمت بما ذكرناه أن يقدم

الصلاة مع ذلك) العمل، **(ثم مهما فرغ من كفايته)** لقوت نفسه وعياله **(ينبغي أن يعود إلى ترتيب الأوراد)** فيما بقي له من الوقت ليجمع بين الفضيلتين، **(فإن داوم على الكسب)** طول نهاره وحصل زيادة عن القوت **(وتصدق بما فضل من حاجته)** وحاجة عياله، **(فذلك أفضل من سائر الأوراد)** التي ذكرناها، **(لأن العبادة المتعدية فائدتها)** إلى الغير **(أنفع من اللازمة)** التي لا تتعدى، **(والصدقة والكسب على هذه النية)** كل منهما **(عبادة له في نفسه تقربه إلى الله تعالى)** زلفى هذا بالنظر إلى أصل النية. **(ثم تحصل بها فائدة للغير)** لا سيما مع حاجته إليها **(وتنجر إليه بركات دعوات المسلمين)** فإنها مستجابة **(فيضاعف له)** بذلك **(الأجر)** التام من الله تعالى.

(الخامس: الوالي) هو في الأصل من يلي أمور المسلمين **(مثل الإمام)** الأعظم **(والقاضي)** الذي من تحت يده يقضي في الأحكام الشرعية ودخل فيه المفتي وقد يجمع بينهما إذ هو **(المتولي أمراً من أمور المسلمين)** في المناصب الدينية، كالاحتساب والنظر على الأوقاف والايتام وغير ذلك، أو الدنيوية كتولية البلاد والقرى والأراضي والجبايات والعشور وغير ذلك، **(فقيامه بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الأوراد المذكورة)**، ولكن بهذين الشرطين فإن عدم أحدهما ووجد الثاني فلا تثبت به الأفضلية، **(فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهاراً)** لا يحتجب عنهم ولا يمتنع عن حاجاتهم، **(ويقتصر على المكتوبة والرواتب)** فقط وما بينهما من أذكار خفيفة فهي ملحقة بالرواتب، **(ويقيم الأوراد المذكورة)** بترتيبها **(بالليل)** اذ الليل خلفة النهار **(كما كان عمر رضي الله عنه يفعله. إذ قال: ما لي وللنوم لو نمت بالنهار لضيعت أمر المسلمين)** لأنه يشتغل عنهم فيضيع أمرهم **(ولو نمت بالليل لضيعت نفسي)**، وكان رضي الله عنه كثير الصلاة في وسط الليل كما هو عند ابن أبي شيبة وغيره، **(فقد فهمت مما ذكرناه أنه يتقدم على العبادات البدنية أمران**

على العبادات البدنية أمران. أحدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين، لأن كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات بتعدي فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه.

السادس: الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذي أصبح وهمومه همّ واحـ . فلا يحب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر في شيء إلا ويرى الله

أحدهما: العلم) أي الاشتغال به، (والآخر: الرفق بالمسلمين) والنظر في مصالحهم، (**لأن كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل في نفسه وعبادة وتفضل سائر العبادات بتعدي فائدتها**) إلى الغير (**وانتشار جدواها**) أي نفعها (**فكانا مقدمين على سائر العبادات**) لذلك.

(**السادس: الموّحد المستغرق بالواحد الصمد**) جل جلاله (**الذي أصبح وهمه هم واحد**) قد انسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها، فلم يبق فيه متسع لغيره ولم يكن همه سوى الله تعالى، وهو المشار إليه في الخبر الذي رواه الحاكم عن ابن عمر «من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة ومن تشاعبت به الهموم لم يبال الله به في أي أودية الدنيا هلك». (**فلا يحب إلا الله عز وجل**) وآيته أن يكثر من ذكره، ففي حديث عائشة «من أحب شيئاً أكثر من ذكره». رواه أبو نعيم، (**ولا يخاف إلاّ منه**) إذ ليس في نظره سواه، ومن كان كذلك لا يخاف إلا منه. روى أبو الشيخ عن واثلة «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء» وروى الترمذي عن أنس «من خاف أولج ومن أولج بلغ المنزل». وقال حسن غريب. وروى الديلمي عن أنس «من خاف شيئاً حذره ومن رجا شيئاً عمل له ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية» (**ولا يتوقع الرزق من غيره**) إذ لا كافي في الحقيقة إلا هو والأرزاق بيد الخلاق، فالعارف في تحصيل رزقه لا يتعدى نظره إلى غيره سبحانه، (**ولا ينظر في شيء إلا ويرى الله عز وجل فيه**) ومعه، وهذه درجة العلماء الراسخين فإليها الإشارة بقوله ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ [فصلت: ٥٣] وصاحب هذه الدرجة صاحب استدلال بالآيات، وأعلى من هذا من يرى شيئاً فيرى الله قبله وإليه الاشارة بقوله ﴿أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ [فصلت: ٥٣] وصاحب هذا المقام صاحب مشاهدة وهي درجة الصديقين وليس بعدهما إلا درجة الغافلين المحجوبين فمنهم من يرى الأشياء به، ومنهم من يرى الأشياء فيراه بالاشياء. وتحقيق ذلك أن كل ما سواه فوجوده مستعار وقوامه ليس بنفسه، ونسبة المستعار إلى المستعير مجاز محض، فترى أن من استعار ثياباً وفرساً وركباً وسرجاً وركبه في الوقت الذي أركبه المعير وعلى الحد الذي رسمه له غني بالمجاز أو بالحقيقة أو ان المعير هو الغني أو المستعير؟ كلا بل المستعير فقير في نفسه كما كان، وإنما الغني هو المعير الذي منه الاعارة والاعطاء وإليه الاسترداد والانتزاع.

تعالى فيه ، فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يفتقر إلى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحداً وهو حضور القلب مع الله تعالى في كل حال فلا يخطر بقلوبهم أمر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لأبصارهم لائح إلا كان لهم فيه عبرة وفكر ومزيد ، فلا محرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى. فهؤلاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سبباً لازديادهم فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿لعلكم تذكرون٭ ففروا إلى الله﴾ [الذاريات: ٤٩ ، ٥٠] وتحقق فيهم قوله تعالى: ﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ [الكهف: ١٦] وإليه الإشارة بقوله: ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ [الصافات: ٩٩] وهذه منتهى درجات الصديقين

(**فمن ارتفعت رتبته**) من حضيض المجاز (**إلى**) ارتفاع حقيقة (**هذه الدرجة**) واستكمل معراجه فرأى بالمشاهدة العيانية ان ليس في الوجود إلاّ الله وأن ﴿كل شيء هالك إلاّ وجهه﴾ [القصص: ٨٨] كما هو مقتضى كلام الموحد المستغرق (**لم يفتقر إلى تنويع الأوراد**) وترتيبها (**واختلافها ، بل كان ورده بعد المكتوبات ورداً واحداً وهو حضور القلب مع الله عز وجل في كل حال**) وذلك بالتوجه والمراقبة ، وبه يحصل دوام الجمعية ودوام قبول القلب وهو المعنى الذي يسمى جمعاً وقبولاً ، ولما كان الحضور متوقفاً على المراقبة وهي مفاعلة فلا بد من التراقب من الجانبين، فعلى هذا لا بدّ للمراقب أن يكون مراقباً لاطلاعه على إطلاع الحق سبحانه على أحواله أو مراقباً لاطلاعه على موجده فلا فتور ، أو يكون مراقباً لقلبه (**ولا يخطر بقلبه أمر**) يشتت خاطره (**ولا يقرع سمعه قارع ولا يلوح لبصره لائح**) ، فحينئذ يتيسر له الربط بقلبه الحقيقي من غير ملاحظة معنى المفاعلة ، وإذا فرض خطور أمر بقلبه لكن لا بطريق الحلول فيه أو قرع قارع أو تلوح لائح، لكن لا يكون (**إلا كان له عبرة وفكرة**) **في كل من ذلك** (**ومزيد**) حال وأنوار كما هو شأن الكمل ، (**فلا**) بأس بذلك إذ من مقامه عرفان أن لا (**محرك له إلا الله ولا مسكن إلا الله**) وهذا أقرب إلى الخدمة الإلهية ، وبه يتوصل إلى الوزارة العظمى والإشراق على الخواطر وتنوير الغير والنظر إليه بعين الموهبة . (**فهذا جميع أحواله تصلح أن يكون سبباً لا زدياده**) بتقوية البصيرة واذهاب الصورة وظهور المعنى المقصود ، (**فلا يتميز عنده عبادة عن عبادة**) ولا حال عن حال (**وهو الذي فرّ**) عن نفسه (**إلى الله تعالى كما قال عز وجل ﴿لعلكم تذكرون٭ ففرّوا إلى الله**)إني لكم منه نذير مبين﴾ (**وتحقق فيه قوله تعالى ﴿وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلاّ الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته﴾**) والاشارة في قوله (**إلا الله**) فهؤلاء نفوا عن قلوبهم عبادة غيره تعالى فلم يحل فيها خاطر للسوى قط ، (**وإليه الاشارة بقوله ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾**) فالذهاب إلى الله هو الغنى في الله بحيث لا يبقى له خبر عما سوى الله . (**وهذه**)، الرتبة (**منتهى درجات**

ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد والمواظبة عليها دهراً طويلاً ، فلا ينبغي أن يغتر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عبادته ، فذلك علامته أن لا يهجس في قلبه وسواس ولا يخطر في قلبه معصية ولا تزعجه هواجم الأهوال ولا تستفزه عظائم الأشغال ، وأنى ترزق هذه الرتبة لكل أحد فيتعين على الكافة ترتيب الأوراد كما ذكرناه . وجميع ما ذكرناه طرق إلى الله تعالى . قال تعالى : ﴿ قل كُلٌّ يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً ﴾ [الاسراء : ٨٤] فكلهم مهتدون وبعضهم اهدى من بعض . وفي الخبر : « الإيمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله تعالى بالشهادة على

الصديقين) أهل المشاهدة العيانية **(ولا وصول إليها إلا بعد ترتيب الأوراد والمواظبة عليها دهراً طويلاً)** فيظهر بذلك أثر من آثار الجذبات الإلهية والأثر متفاوت بتفاوت الاستعـدادات ، فبعضهم أوّل ما يحصل له الغيبة عما سوى الله تعالى ، وبعضهم أول ما يحصل له الشكر والغيبة ، وبعد ذلك يتحقق له مقام الفناء كما قال بعض العارفين في تفسير قوله تعالى ﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾ أي إذا نسيت غيره ، ثم نسيت نفسك ، ثم نسيت ذكره في ذكرك ، ثم نسيت في ذكر الحق إياك كل ذكرك ، **(فلا ينبغي أن يغتر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عبادته)** ، وإن لاح له في ذلك ما يؤيد دعواه فليعلم انه اغترار ، **(فذلك علامته أن لا يهجس في قلبه وسواس)** لكونه محفوظاً منه **(ولا يخطر في قلبه معصية)** إذ خطورها من وساوس الشيطان ، **(ولا تزعجه هواجم الأهوال)** هي الشدائد التي تهجم مرة واحدة لا يستطيع الإنسان حملها ولا تستفزه أي لا تحركه **(عظائم الاشغال)** أي الاشغال العظيمة المهمة التي من شأنها الإنزعاج لها ، **(وأنّى يرزق هذه الرتبة أي أحد)** هيهات هيهات ! !

كيـف الوصـول إلى سعـــاد ودونها ... قلـــل الجبـــال ودونهن حتـــوفُ

(فيتعين على الكافة ترتيب الأوراد) وعمارة الأوقات بالاذكار ، **(ـ كما ذكرناه ـ وجميع ما ذكرناه طرق)** للوصول **(إلى الله تعالى)** والقرب والبعد بحسب همة السالك فيها **(قال الله تعالى ﴿ قل كل يعمل على شاكلته فربّكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً ﴾)** أي أكثر هداية في السلوك ، **(فكلهم مهتدون)** بهداية الله تعالى ، **(وبعضهم أهدى)** من بعض . **(وفي الخبر « الايمان ثلاث وثلاثون وثلاثمائة طريقة من لقي الله عز وجل بالشهادة على طريق منها دخل الجنة »)** .

قال العراقي : رواه ابن شاهين ، واللالكائي في السّنة ، والطبراني ، والبيهقي في الشعب من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده « الايمان ثلاثمائة وثلاث وثلاثون شريعة فمن وافى شريعة منها دخل الجنة » وقال الطبراني : ثلاثمائة وثلاثون وفي اسناده جهالة اهـ .

قلت : وهذا نص اللالكائي في كتاب السّنة أخبرنا أحمد بن عبيد ، أخبرنا علي بن عبد الله بن

طريق منها دخل الجنة ». وقال بعض العلماء: الإيمان ثلاثمائة وثلاثة عشر خلقاً بعدد الرسل فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق إلى الله تعالى، فإذاً الناس وإن اختلفت طرقهم

بشير، حدثنا عمرو بن علي، حدثنا المنهال بن بحر أبو سلمة، حدثنا حماد بن سلمة، عن أبي سنان، عن المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد قال: حدثني أبي عن جدي عبيد وكانت له صحبة أن رسول الله ﷺ قال « الايمان ثلاثمائة وثلاث وثلاثون شريعة من وافى الله بشريعة دخل الجنة » اهـ.

قلت: وقد رواه أيضاً ابن السكن، وأبو نعيم من هذا الطريق وعبيد له صحبة وحديثه عند ولده قاله ابن السكن. وقال ابن حبان في ترجمة حفيده المغيرة بن عبد الرحمن في الثقات، روى عن أبيه عن جده وكانت له صحبة فيما يزعمون وعداده في أهل الشام. وقال ابن عبد البر: روى عن النبي ﷺ في الايمان حديثه عند حماد بن سلمة يشير إلى هذا الحديث.

(وقال بعض العلماء: الإيمان ثلاثمائة وثلاثة عشر خلقاً بعدد الرسل كل مؤمن هو على خلق منها فهو سالك للطريق إلى الله تعالى).

قلت: وقد روي هذا مرفوعاً بمعناه. وجدت بخط ابن الحريري عن خط الشيخ زين الدين القرشي الواعظ ما نصه: قال أبو داود الطيالسي: حدثنا عبد الواحد بن زيد، حدثنا عبدالله بن راشد مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن لله عز وجل مائة خلق وسبعة عشر خلقاً من أتى الله بخلق واحد منها دخل الجنة ».

قلت: رواه من هذا الطريق بهذا الإسناد الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وأبو يعلى والبيهقي. وفي رواية لهم « ستة عشر خلقا » وفي أخرى « بضعة عشر خلقا » وفي أخرى « شريعة » بدل « خلقا ». ثم قال البيهقي: هكذا رواه عبد الواحد بن زيد البصري الزاهد وليس بقوي في الحديث، وقد خولف في إسناده ومتنه. وقال في اللسان، قال ابن عبد البر عبد الواحد بن زيد: أجمعوا على تركه، وقال ابن حبان: يقلب الأخبار من سوء حفظه وكثرة وهمه، فاستحق الترك وعبد الله بن راشد ضعفوه وبه أعل الهيثمي الخبر، قال المناوي: لكنه عصب الجناية برأسه وحده فلم يصب. وقال الحكيم الترمذي بعد أن ساقه بسنده: كأنه يريد أن من أتاه بخلق واحد منها وهب له جميع سيئاته وغفر له سائر ذنوبه وفي خبر: إن الأخلاق في الخزائن فإذا أراد الله بعبد خيراً منحه خلقا منها اهـ.

وروى الطبراني في الأوسط عن أنس مرفوعاً: « إن لله عز وجل لوحاً من زبرجدة خضراء تحت العرش كتب فيه أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين خلقت بضعة عشر وثلاثمائة خلق من جاء بخلق منها مع شهادة ان لا إله إلا الله دخل الجنة » وإسناده حسن.

وقال المصنف في خاتمة المقصد الأسنى ما نصه: وأعلم أنه إنما حملني على ذكر هذه التنبيهات ردف هذه الأسامي والصفات قوله ﷺ: « تخلقوا بأخلاق الله عز وجل ». وقوله ﷺ: « إن لله تسعة وتسعين خلقاً من تخلق بواحد منها دخل الجنة » وما تداولته ألسنة الصوفية من كلمات تشير

في العبادة فكلهم على الصواب: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ [الاسراء : ٥٧] وإنما يتفاوتون في درجات القرب لا في أصله. وأقربهم إلى الله تعالى أعرفهم به وأعرفهم به لا بد وأن يكون أعبدهم له، فمن عرفه لم يعبد غيره. والأصل

إلى ما ذكرناه، ولكن على وجه توهم عند غير المحصل شيئاً في معنى الحلول والإتحاد وذلك غير مظنون بعاقل، فضلاً عن المتميز بخصائص المكاشفات، ولقد سمعت الشيخ أبا علي الفارمدي يحكي عن شيخه أبي القاسم الكرماني قدس الله روحهما أنه قال: إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافاً للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل، وهذا الذي ذكرناه إن أراد به شيئاً يناسب ما أوردناه في التنبيهات فهو صحيح ولا يظن به إلا ذلك، ويكون في اللفظ نوع توسع واستعارة وإلا فمعاني الاسماء هي صفات الله تعالى وصفاته لا تصير صفة لغيره، ولكن من يحصل ما يناسب تلك الأوصاف كما يقال: فلان حصل علم الأستاذ وعلم الأستاذ لا يحصل للتلميذ، بل يحصل له مثل علمه وإن ظن ظان أن المراد به ليس ما ذكرناه فهو باطل قطعاً فإني أقول قول القائل: أن أسماء الله تعالى صارت أوصافاً له لا يخلو ما إن عني به عين تلك الصفات أو مثلها، فإن عني به مثلها من حيث الإسم والمشاركة في عموم الصفات دون خواص المعاني، فهذان قسمان وإن عني به عينها فلا يخلو إما أن يكون بطريق الإنتقال لصفات الرب إلى العبد أولاً بالإنتقال، فإن لم يكن بالإنتقال فلا يخلو إما أن يكون بإتحاد ذات العبد بذات الرب حتى يكون هو هو فتكون صفاته صفاته، وإما أن يكون بطريق الحلول. وهذه أقسام ثلاثة: وهو الإنتقال والإتحاد والحلول، وقسمان متقدمان فهذه خمسة أقسام الصحيح منها قسم واحد، وهو أن يثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجملة وتشاركها في الإسم، ولكن لا تماثلها مماثلة تامة، ثم أطال الكلام في القسم الثاني والثالث والرابع والخامس بما ليس هو من غرض هذا المقام ثم قال:

فإن قلت: فما معنى قوله إن العبد مع الإتصاف بجميع ذلك سالك لا واصل فما معنى السلوك وما معنى الوصول على رأيه؟

فأعلم أن السلوك هو تهذيب الأخلاق والأعمال والمعارف، وذلك اشتغال بعمارة الظاهر والباطن والعبد في جميع ذلك مشتغل بنفسه عن ربه لأنه مشتغل بتصفية باطنه ليستعد للوصول، وإنما الوصول أن تنكشف له جلية الحق ويصير مستغرقاً به فإن نظر إلى معرفته فلا يعرف إلا الله، وإن نظر إلى همته فلا همة له سواه فيكون كله مشغولاً بكله مشاهدة وهما لا يلتفت في ذلك إلى نفسه لغير ظاهره بالعبادة وباطنه بتهذيب الأخلاق، وكل ذلك طهارة وهي البداية وإنما النهاية أن ينسلخ من نفسه بالكلية ويتجرد له فيكون كأنه هو وذلك هو الوصول عنده، والله أعلم.

(**فإذاً الناس وإن اختلفت طرقهم في العبادة فكلهم على الصراط**) السوي قال الله تعالى: (**﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾**) أي أكثر قرباً (**وإنما يتفاوتون في درجات القرب لا في أصله وأقربهم إلى الله عز وجل أعرفهم به**) فدرجات القرب مختلفة بقدر المعرفة (**وأعرفهم به لا بد وأن يكون أعبدهم له**) أي أكثرهم عبادة له

في الأوراد في حق كل صنف من الناس المداومة ، فإن المراد منه تغيير الصفات الباطنة ، وآحاد الأعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها ، وإنما يترتب الأثر على المجموع ، فإذا لم يعقب العمل الواحد أثراً محسوساً ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الأثر الأول وكان كالفقيه يريد أن يكون فقيه النفس فإنه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير ، فلو بالغ ليلة في التكرار وترك شهراً أو أسبوعاً ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ، ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لأثر فيه ، ولهذا السر قال رسول الله ﷺ : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ » . وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله ﷺ فقالت : كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملاً أثبته . ولذلك قال ﷺ : « من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله » . وهذا كان السبب في صلاته بعد العصر تداركاً لما فاته

بأنواعها ، **(فمن عرفه لم يعبد غيره)** وإليه الإشارة في آية الكهف المتقدمة ﴿وما يعبدون إلا الله﴾ [الكهف : ١٦] وفي قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد ﴾ ومن ظن أنه قد استغنى عن الطاعة فهو زنديق قال الله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران : ٣١] **(والأصل في الأوراد في حق كل صنف من الناس المداومة)** فإن من ليس له ورد فما له من الموارد أمداد . **(فإن المراد منها تغيير صفات الباطن)** المذمومة بالمحمودة وتهذيب الظاهر بأنوار الشريعة ، **(وآحاد الأعمال يقل آثاره بل لا يحس له بأثر)** وفي نسخة : تقل آثارها لا يحس بآثارها ، **(وإنما ترتيب الآثار على المجموع)** وفي نسخة : وإنما يترتب على المجموع ، **(فإذا لم يعقب العمل الواحد اثراً محسوساً ولم يردف بثان ولا ثالث على القرب انمحى أثر الأول)** سريعاً **(وكان كالفقيه الذي يريد أن يكون فقيه النفس فإنه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير)** ومزاولة شديدة ، **(فلو بالغ ليلة في التكرار)** بأعمال الهمة والشوق **(وترك شهراً أو أسبوعاً ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه)** تأثيراً نافعاً ، **(ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة)** بعضها ببعض **(لأثر فيه ، ولهذا السر قال النبي ﷺ : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل »)** العمل المداوم عليه لأن النفس تألفه فيدوم بسببها الإقبال على الحق ، ولأن تارك العمل بعد الشروع كالمعرض بعد الوصل ، والحديث متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها . **(وسئلت عائشة رضي الله عنها عن عمل النبي ﷺ فقالت : « كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملاً أثبته »)** أي أحكم عمله بأن يعمل في كل شيء بحيث يدوم دوام أمثاله . رواه مسلم وأبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها ، **(ولذلك قال ﷺ : « من عوده الله عز وجل عبادة فتركها ملالة مقتة الله تعالى »)** تقدم في الصلاة وهو موقوف على عائشة قاله العراقي .

قلت : وتقدم أيضاً أنه رواه ابن السني في رياضة المتعبدين .

(وهذا هو السبب في صلاته ﷺ بعد العصر تداركاً لما فاته من ركعتين شغله عنهما

من ركعتين شغله عنهما الوفد، ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كي لا يقتدى به. روته عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما.

فإن قلت: فهل لغيره أن يقتدي به في ذلك مع أن الوقت وقت كراهية؟ فاعلم أن المعاني الثلاثة التي ذكرناها في الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن العبادة حذراً من الملال لا يتحقق في حقه فلا يقاس عليه في ذلك غيره، ويشهد لذلك فعله في المنزل حتى لا يقتدى به ﷺ.

الوفد، ثم لم يزل بعد ذلك يصليها بعد العصر ولكن في منزله لا في المسجد كي لا يقتدى به، وروت ذلك عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما).

قال العراقي: متفق عليه من حديث أم سلمة: «أنه صلى بعد العصر ركعتين وقال: شغلني ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر» ولهما من حديث عائشة ما تركهما حتى لقي الله عز وجل، وكان النبي ﷺ يصليهما ولا يصليهما في المسجد مخافة أن يثقل على أمته اهـ.

قلت: ولفظ حديث أم سلمة: «أن النبي ﷺ صلى ركعتين بعد العصر فلما انصرف قال لي سألت عن الركعتين بعد العصر أنه أتاني ناس من عبد القيس بالإسلام من قومهم فشغلوني عن اللتين بعد الظهر فهما هاتان بعد العصر» هكذا هو سياق الشيخين وهذا مختصر، وأما لفظ حديث عائشة عندهما: «ما ترك النبي ﷺ السجدتين بعد العصر عندي قط». وعند مسلم: «كان يصلي ركعتين قبل العصر ثم أنه شغل عنهما أو نسيهما فصلاهما بعد ثم أثبتهما» وكان إذا صلى صلاة أثبتها. وذكر ابن حزم أن حديث هاتين الركعتين نقل نقل تواتر فوجب العلم.

(**فإن قلت: فهل لغيره أن يقتدي به في ذلك مع أن الوقت وقت كراهة**) أما كون الوقت وقت كراهة فقد تقدم في كتاب الصلاة مبسوطاً؟ (**فاعلم أن المعاني الثلاثة التي ذكرناها في الكراهة**) في كتاب الصلاة (**في الإحتراز من التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن العبادة حذراً من الملال**) والسآمة (**لا يتصور ذلك في حقه ولا يقاس عليه ﷺ في ذلك غيره، ويشهد لذلك فعله لها في غير المسجد حتى لا يقتدى به**) واختلف العلماء في النهي عن الصلاة في الأوقات المكروهة هل للتحريم أو للتنزيه. ولأصحاب الشافعي في ذلك وجهان، فالذي صححه النووي في الروضة وشرح المهذب وغيرهما أنه للتحريم، وقد نص الشافعي على هذا في الرسالة، وصحح النووي في التحقيق أنها كراهة تنزيه. وهل تنعقد الصلاة لو فعلها أو هي باطلة؟ صحح النووي في الروضة تبعاً للرافعي بطلانها، وظاهره أنها باطلة. ولو قلنا بأنها مكروهة كراهة تنزيه وقد صرح بذلك النووي في شرح الوسيط تبعاً لابن الصلاح واستشكله الأسنوي في المهات بأنه كيف يباح الإقدام على ما لا ينعقد وهو تلاعب. قال تلميذه الولي العراقي: ولا إشكال لأن نهى التنزيه إذا رجع إلى نفس الصلاة يضاد الصحة كنهي التحريم كما هو مقرر في الأصول. وحاصله أن المكروه لا يدخل تحت مطلق الأمر وإلا يلزم أن يكون الشيء مطلوباً منهياً ولا يصح إلا ما كان مطلوباً والله أعلم.

الباب الثاني

في الأسباب الميسرة لقيام الليل وفي الليالي التي يستحب احياؤها وفي فضيلة احياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل

فضيلة احياء ما بين العشاءين:

قال رسول الله ﷺ فيما روت عائشة رضي الله عنها: « إن أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار، فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة. قال الراوي: لا أدري من ذهب أو فضة، ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين سنة

الباب الثاني

(**في**) ذكر (**الأسباب الميسرة**) أي المعينة المسهلة (**لقيام الليل، وفي**) ذكر (**الليالي التي يستحب إحياؤها، وفي فضيلة إحياء الليل و**) في فضيلة إحياء (**ما بين العشاءين**) المغرب والعشاء على التغليب، (**وكيفية قسمة الليل**) في الاحياء، ولما كان إحياء ما بين العشاءين مقدماً وهو في الحقيقة من جملة الأسباب المذكورة قدمه في الذكر فقال:

فضيلة إحياء ما بين العشاءين:

وما يختص به ذلك الوقت في كل ليلة (**قال رسول الله ﷺ فيما روت عائشة رضي الله عنها: « إن أفضل الصلوات عند الله عز وجل صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم**) المغرب في الأصل مفعل من الغروب، وتسمى هذه الصلاة كذلك لأنها تقع عقب غروب الشمس، وتسمى أيضاً صلاة الشاهد لطلوع نجم حينئذ يسمى كذلك فنسبت إليه، وما قيل: إنه لاستواء الشاهد والغائب والمسافر في عددها أي أنها لا تقصر فضعيف إذ الصبح لا تقصر ولا تسمى كذلك، (**فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله عز وجل له قصرين في الجنة. قال الراوي: لا أدري. قال: من ذهب أو قال من فضة، ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له عز وجل ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة »**) أورده صاحب القوت عن هشام بن عروة عن أبيه عنها.

أو قال أربعين سنة ». وروت أم سلمة وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة أو كأنه صلى ليلة القدر ». وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: « من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقاً على الله أن يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراساً لو طافه أهل الدنيا لوسعهم ». وقال ﷺ: « من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى

قال العراقي: رواه أبو الوليد يونس بن عبد الله الصفار في كتاب الصلاة، ورواه الطبراني في الأوسط مختصراً وإسناده ضعيف اهـ.

(وروت أم سلمة) كذا في النسخ، والصواب وروى أبو سلمة عن أبي هريرة كما هو نص القوت **(عن أبي هريرة رضي الله عنهما)** صوابه عنه، **(عن النبي ﷺ أنه قال: « من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة وكأنه صلى ليلة القدر »)**. ولفظ القوت: « أو كأنه ».

قال العراقي: رواه الترمذي، وابن ماجه بلفظ: « ثنتي عشرة سنة » وضعفه الترمذي. وأما قوله: كأنه صلى ليلة القدر فهو من قول كعب الأحبار، كما رواه أبو الوليد الصفار، والديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس: « من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحداً رفعت له في عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر بالمسجد الأقصى » وسنده ضعيف اهـ.

قلت: لفظ الحديث الذي رواه الترمذي وضعفه: « من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة إثنتي عشرة سنة » وسبب ضعفه أن فيه عمر بن أبي ختعم. قال البخاري: منكر الحديث وضعفه جداً، وقال ابن حبان: لا يحل ذكره إلا على سبيل القدح يضع الحديث على الثقات. وأما حديث ابن عباس الذي رواه الديلمي ففيه زيادة بعد قوله: الأقصى وهي: « خير من قيام نصف ليلة ».

(وروى سعيد بن جبير عن ثوبان) بن بجدد مولى رسول الله ﷺ **(قال: قال رسول الله ﷺ: « من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قراءة كان حقاً على الله أن يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراساً لو طافه أهل الدنيا لوسعهم »)** هكذا أورده صاحب القوت.

قال العراقي: لم أجد له أصلاً من هذا الوجه وقد تقدم في الصلاة من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: وبخط الحافظ ابن حجر أسنده الديلمي من حديث ثوبان.

(وقال ﷺ: « من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى الله له قصراً في الجنة،

الله له قصراً في الجنة. فقال عمر رضي الله عنه: إذاً تكثر قصورنا يا رسول الله. فقال: الله أكثر وأفضل ـ أو قال ـ أطيب». وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا، ويقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وعشر آيات من أول سورة البقرة وآيتين من وسطها وإلهكم إله واحد لا إله إلا هـو الرحمن الرحيم إن في خلق السموات والأرض إلى آخر الآية. وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد، فإذا قام في الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله: ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ [يونس: ٢٧] وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله: ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ [البقرة: ٢٨٤] إلى آخرها،

فقال عمر رضي الله عنه: إذاً تكثر قصورنا يا رسول الله فقال ﷺ: الله أكثر وأفضل أو قال أطيب») قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد من رواية عبد الكريم بن الحرث مرسلاً اهـ.

قلت: ورواه محمد بن نصر في الصلاة له من روايته مرسلاً مختصراً، ولم يذكر قول عمر والحديث بتمامه أورده صاحب القوت من طريق محمد بن أبي الحجاج سمع عبد الكريم بن الحرث يحدث أن رسول الله ﷺ فساقه. وعبد الكريم بن الحرث الحضرمي المصري العابد من رجال مسلم والنسائي روى عن المستورد بن شداد وجماعة، وعنه الليث وبكر بن مضر توفي سنة ١٣٦ قاله الذهبي في الكاشف.

(وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم فيما بين ذلك بشيء من أمر الدنيا يقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب، وعشر آيات من أول البقرة، وآيتين من وسطها ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ ﴿إن في خلق السماء والأرض﴾ إلى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد ويقرأ في الثانية فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله: ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ وثلاث آيات من آخر البقرة من قوله عز وجل ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ إلى آخر، وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة» ووصف من ثوابها في الحديث ما يخرج عن الحصر) أورده صاحب القوت من حديث أبي عائشة السعدي، وأبي حفص العوفي كلاهما عن أنس.

وقول المصنف: في ثوابها في الحديث ما يخرج عن الحصر يشير إلى ما أورده صاحب القوت بني له في جنات عدن ألف مدينة من الدر والياقوت، وفي كل مدينة ألف قصر، في كل قصر ألف دار، في كل دار ألف حجرة، في كل حجرة ألف صفة، في كل صفة منها ألف خيمة، في كل خيمة ألف سرير من أصناف الجواهر، على كل سرير ألف فراش بطائنها من استبرق وظواهرها

وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة » وصف من ثوابه في الحديث ما يخرج عن الحصر . وقال كرز بن وبرة وهو من الأبدال: قلت للخضر عليه السلام: علمني شيئاً أعمله في كل ليلة. فقال: إذا صليت المغرب فقم إلى وقت صلاة العشاء مصلياً من غير أن تكلم أحداً وأقبل على صلاتك التي أنت فيها وسلم من كل ركعتين، واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثاً ، فإذا فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تكلم أحداً وصلّ ركعتين، واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبع مرات، ثم ارفع رأسك من السجود واستو

من نور ، فوق تلك الفرش زوجة من الحور العين لا توصف بشيء إلا زادت عليه جمالاً وكمالاً لا يراها ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا افتتن لحسنها . إلى آخر ما ذكره قدر الصفحة من الكتاب تركته لطوله ولأن لوائح الوضع ظاهرة عليه .

وقال العراقي: رواه أبو الشيخ في الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف اهـ .

قلت: زياد بن ميمون البصري صاحب الفاكهة. روى عن أنس، ويقال: عن زياد بن أبي عمار ، وزياد بن أبي حسان اعترف بالكذب وتاب. وقال: عدوا أني كنت يهودياً ثم عاد ، وقال محمود بن غيلان. قلت لأبي داود فزياد بن ميمون قال لقيته أنا وعبد الرحمن بن مهدي فسألناه فقال: عدوا أن الناس لا يعلمون أني لم ألق أنساً لا تعلما أنتما. ثم بلغنا أنه يروي عنه فأتيناه فقال: عدوا أن رجلاً أذنب ذنباً فيتوب ألا يتوب الله عليه؟ قلنا : نعم. قال: فإني أتوب ما سمعت من أنس شيئاً ، وكان بعد يبلغنا أنه يروي عنه فتركناه.

(**وقال**) صاحب القوت روينا عن عبد الرحمن بن منصور عن سعد بن سعيد عن (**كرز بن وبرة**) الحارثي نزيل جرجان (**وهو من الأبدال قلت للخضر عليه السلام: علمني شيئاً أعمله في ليلتي . فقال: إذا صليت المغرب فقم إلى**) وقت (**صلاة العشاء مصلياً**) أي مديماً للصلاة في هذا الوقت (**من غير أن تكلم أحداً**) أي مطلقاً أو الكلام الدنيوي ، (**وأقبل على صلاتك التي أنت فيها وسلم في كل ركعتين واقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وقل هو الله أحد ثلاث مرات، فإذا فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تكلم أحداً وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد سبع مرات في كل ركعة، ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبع مرات، ثم ارفع رأسك من السجود واستو**)

جالساً وارفع يديك وقل: يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا إله الأوّلين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها. يا رب يا رب يا رب يا الله يا الله يا الله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء، ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصلّ على النبي ﷺ وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم، فقلت له: أحب أن تعلمني ممن سمعت هذا. فقال: إني حضرت محمداً ﷺ حيث علم هذا الدعاءوأوحي إليه به، فكنت عنده وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه إياه. ويقال: إن هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليها بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله ﷺ في منامه قبل أن يخرج من الدنيا، وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنه ادخل الجنة ورأى فيها الأنبياء ورأى فيها رسول الله ﷺ وكلمه وعلمه. وعلى الجملة ما ورد في فضل إحياء ما بين العشاءين كثير حتى قيل لعبيدالله مولى رسول الله ﷺ: هل كان رسول الله ﷺ يأمر بصلاة غير المكتوبة؟ قال: ما بين المغرب والعشاء.

جالساً وارفع يديك وقل: ياحي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا إله الأولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها. يا رب يا رب يا ألله يا ألله يا ألله، ثم قم وأنت رافع يديك فادع بهذا الدعاء، ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي ﷺ وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم، فقلت له: أحب أن تعلمني ممن سمعت هذا. فقال: إني حضرت محمداً ﷺ حيث علم هذا الدعاء وأوحي **إليه فكنت عنده، وكان ذلك بمحضر مني فتعلمته ممن علمه إياه)** هكذا أورده صاحب القوت بتمامه.

وتقدم أن سعد بن سعيد الجرجاني قال فيه البخاري أنه لا يصح حديثه ولم يثبت عند المحدثين في لقاء النبي ﷺ شيء نفياً ولا إثباتاً ولذا قال العراقي في تخريجه هذا الحديث باطل لا أصل له.

ثم قال صاحب القوت. (**ويقال إن هذا الدعاء وهذه الصلاة من داوم عليها بحسن يقين وصدق منه رأى النبي ﷺ في منامه قبل أن يخرج من الدنيا، وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنه أدخل الجنة ورأى فيها الأنبياء، ورأى رسول الله ﷺ وكلمه وعلمه**) ولهذا فضائل كثيرة اختصرناها للإيجاز، وكل هذا سياق صاحب القوت.

(**وعلى الجملة، فما ورد في فضل ما بين العشاءين كثير حتى قيل لعبيد**) بالتصغير (**مولى رسول الله ﷺ**) قال ابن حبان له صحبة، وقال البلاذري: كان للنبي ﷺ مولى يقال له عبيد روى عنه حديثين، وذكره ابن السكن في الصحابة وقال: لم يثبت حديثه. (**هل كان النبي ﷺ يأمر بصلاة غير المكتوبة؟ قال: «ما بين العشاء والمغرب»**) قال العراقي: رواه أحمد وفيه رجل لم يسم اهـ.

قلت: قال أحمد: حدثنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن رجل عن عبيد مولى النبي ﷺ أنه

وقال ﷺ: « ما بين المغرب والعشاء تلك صلاة الأوابين ». وقال الأسود: ما أتيت ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الوقت إلا ورأيته يصلي فسألته فقال: نعم هي ساعة الغفلة. وكان أنس رضي الله عنه يواظب عليها ويقول: هي ناشئة الليل، ويقول فيها نزل قوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ [السجدة: ١٦] وقال أحمد بن أبي

سئل: « أكان رسول الله ﷺ يأمر بالصلاة بعد المكتوبة أو سوى المكتوبة؟ قال: نعم بين المغرب والعشاء ». ومن طريق شعبة عن سليمان قرأ علينا رجل في مجلس أبي عثمان النهدي، فحدثنا عن عبيد مولى النبي ﷺ. أخرجه ابن منده من هذا الوجه إلى سليمان فقال: عن شيخ عن عبيد، وأخرج أيضاً هو وابن السكن من طريق يزيد بن هارون عن سليمان التيمي سمعت رجلاً يحدث في مجلس أبي عثمان عن عبيد لم يذكر بينهما أحداً. قال ابن عبد البر: لم يسمع سليمان عن عبيد بينهما رجل والله أعلم.

(وقال النبي ﷺ: « من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك) وفي رواية فإنها **(صلاة الأوابين »)**. وفي رواية: « من صلاة الأوابين » وهم التوابون الرجاعون عن المعاصي ولم يبين عددها تنبيهاً على الإكثار منها بينهما بقدر الإستطاعة، والمراد صلاة بينهما زائدة على سنة المغرب والعشاء. ونقل المناوي عن بعض موالي الروم، والظاهر أن خبر من في الحديث محذوف تقديره: من صلى ما بين المغرب والعشاء يكون من زمرة الأوابين المقبولين عند الله لمشاركتهم إياهم في تلك الصلاة. فقوله: « فإنها » أو « فذلك » إشارة إلى علة الحكم المحذوف وقائم مقامه. وروى هذا الحديث محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة، وابن المبارك في الرقائق كلاهما عن محمد بن المنكدر مرسلاً. ولفظ القوت أبو صخر سمع محمد بن المنكدر يحدث عن النبي ﷺ وقد تقدم في كتاب الصلاة.

(وقال الأسود) بن زيد النخعي: **(ما أتيت)** عبد الله **(ابن مسعود)** رضي الله عنه **(في هذا الوقت إلا ورأيته يصلي فسألته، فقال: نعم هي ساعة الغفلة)** نقله صاحب القوت عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه، ولهذا تسمى هذه الصلاة صلاة الغفلة لاشتغال الناس عن هذه الساعة.

(وكان أنس) رضي الله عنه **(يواظب عليها ويقول: هي ناشئة الليل)** أورده صاحب القوت عن ثابت البناني قال: كان أنس فساقه. كان يتأول به قول الله تعالى: ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا﴾ [المزمل: ٦] رواه ابن أبي شيبة في المصنف، ومحمد بن نصر في الصلاة، والبيهقي في السنن عن أنس في قوله: « إن ناشئة الليل قال ما بين المغرب والعشاء ». ورواه ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير مثله، ورواه محمد بن نصر، والبيهقي عن علي بن الحسين قال: « ناشئة الليل قيام ما بين المغرب والعشاء ». وروى ابن المنذر عن علي بن الحسين أنه رؤي يصلي فيما بين المغرب والعشاء فقيل له في ذلك فقال: « من الناشئة » وهذا الأخير نقله أيضاً صاحب الكشاف بنحوه، **(ويقول فيها نزل قوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾)** وهو أحد الأقوال في

الحواري: قلت لأبي سليمان الداراني أصوم النهار وأتعشى بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر بالنهار وأحي ما بينهما فقال: اجمع بينهما. فقلت: إن لم يتيسر قال: أفطر وصلّ ما بينهما.

تفسير هذه الآية. ولفظ القوت: حدثنا عن فضيل بن عياض، عن أبان بن أبي عياش قال: سألت امرأة أنس بن مالك فقالت: إني أرقد قبل العشاء فنهاها وقال: نزلت هذه الآية فيما بينهما ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾.

(وقال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان الداراني أصوم النهار وأتعشى ما بين المغرب والعشاء أحب إليك أو أفطر النهار وأحيي ما بينهما ؟فقال: اجمع بينهما. فقلت: إن لم يتيسر) الجمع بينهما؟ **(فقال: افطر وصل ما بينهما)** نقله صاحب القوت، ودل ذلك على فضل الإحياء بين العشاءين، وقد ورد في عظم فضل الصلاة بينهما أخبار كثيرة غير ما ذكره المصنف.

فمن ذلك ما روي عن مكحول مرسلاً أو بلاغاً « من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم كتبتا في عليين » رواه أبو بكر بن أبي شيبة، وعبد الرزاق في مصنفيهما، ومحمد بن نصر في الصلاة.

وعن أنس رضي الله عنه: « من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن ينطق مع أحد يقرأ في الأولى بالحمد وقل يا أيها الكافرون، وفي الثانية بالحمد وقل هو الله أحد خرج من ذنوبه كما تخرج الحية من سلخها ». رواه ابن النجار في تاريخه، ورواه الخطيب بلفظ: « من صلى أربعين يوماً في جماعة ثم انتقل عن صلاة المغرب فأتى بركعتين ». والباقي سواء. وهو ضعيف.

وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: « من صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين قبل أن يتكلم أسكنه الله في حظيرة القدس فإن صلى أربعاً كان كمن حج حجة بعد حجة فإن صلى ستاً غفر له ذنوب خمسين عاماً ». رواه ابن شاهين.

وعن ابن عباس: « من صلى ليلة الجمعة بعد المغرب ركعتين يقرأ في كل منهما بفاتحة الكتاب مرة، وإذا زلزلت خمس عشرة مرة هون الله عليه سكرات الموت، وأعاذه من عذاب القبر، ويسر له الجواز على الصراط ». قال الحافظ ابن حجر في أماليه: سنده ضعيف.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: « من صلى أربع ركعات بعد المغرب كان كمن عقب غزوة بعد غزوة في سبيل الله عز وجل » رواه أبو الفتح في الثواب.

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه: « من صلى ست ركعات بعد المغرب قبل أن يتكلم غفر له ذنوب خمسين سنة ». رواه محمد بن نصر المروزي في الصلاة، وابن صصري في أماليه، وابن عساكر في التاريخ، وفيه محمد بن غزوان الدمشقي قال أبو زرعة: منكر الحديث.

وعن أنس رضي الله عنه: « من صلى بعد المغرب اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة قل هو

فضيلة قيام الليل:

أما من الآيات فقوله تعالى: ﴿إنّ ربّك يعلَمُ أنَّك تَقُومُ أدْنَى من ثلثي الليل﴾ [المزمل: ٢٠] الآية. وقوله تعالى: ﴿إنَّ ناشئة اللَّيْل هي أشدُّ وطأً وأقومُ قيلاً﴾ [المزمل: ٦] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿تتجافى جُنُوبهم عن المضاجعِ﴾ [السجدة:

الله أحد أربعين مرة صافحته الملائكة يوم القيامة، ومن صافحته الملائكة يوم القيامة أمن الصراط والحساب والميزان». رواه أبو محمد السمرقندي من طريق أبان عنه.

وعن جرير رضي الله عنه: «من صلى ما بين المغرب والعشاء عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة الحمد وقل هو الله أحد بنى الله له في الجنة قصرين لا نصل فيهما ولا وصم». رواه أبو محمد السمرقندي في فضائل سورة الإخلاص، وفيه أحمد بن عبيد صدوق له مناكير ورواه ابن ماجة من حديث عائشة بلفظ: «بنى الله له بيتاً في الجنة».

وعن أنس رضي الله عنه: «من صلى عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد حفظه الله في نفسه وأهله وماله ودنياه وآخرته». ورواه نظام الملك في السداسيات من طريق أبي هدبة عنه وهو ضعيف.

فضيلة قيام الليل:

(أما من الآيات فقوله عز وجل: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل﴾ الآية) فقد قرن الله سبحانه وتعالى قوام الليل برسوله ﷺ وجمعهم معهم في شكر المعاملة وحسن الجزاء، فقال: ﴿وطائفة من الذين معك﴾ [المزمل: ٢٠] **(وقوله تعالى: ﴿إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلاً﴾)** قال مجاهد: معناه أشد مواطأة لك في القول، وأقوم قيلاً أفرغ لقلبك رواه ابن جرير ومحمد بن نصر، وروي عنه أيضاً أن يوطأ سمعك وبصرك وقلبك بعضه بعضاً. وأقوم قيلاً قال: أثبت للقراءة رواه عبد الرزاق، وعبد بن حميد عنه. وعن قتادة أيضاً أشد وطأة قال: أثبت في الخير، وأقوم قيلاً قال: احفظ في الحفظ. رواه عبد بن حميد. وأما ناشئة الليل فالمراد به قيام الليل بلسان الحبشة. روي ذلك عن ابن عباس أخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، ومحمد بن نصر، وابن المنذر، والبيهقي في السنن. ورواه الفريابي، وابن أبي حاتم مثله عنه وعن ابن الزبير معاً. ورواه ابن أبي شيبة والحاكم وصححه عن ابن مسعود، ورواه عبد بن حميد بن أبي مالك وأبي ميسرة، وأخرج محمد بن نصر عن أبي مجلز قال: ما كان بعد العشاء الآخرة إلى الصبح فهو ناشئة.

(وقوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع) يدعون ربهم خوفاً طمعاً﴾ أي تنبو عن الفراش فلا تطمئن لما فيها من خوف الوعيد ورجاء الموعود، ثم قال: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة: ١٧] قيل عملهم كان قيام الليل، وقيل: كانوا

١٦]، وقوله تعالى: ﴿أمّن هو قانتٌ آناء اللَّيل﴾ [الزمر: ٩] الآية. وقوله عز وجل: ﴿والذّين يبيتونَ لربِّهم سُجَّداً وقياماً﴾ [الفرقان: ٦٤] وقوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصَّبْر والصَّلاة﴾ [البقرة: ٤٥] قيل: هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس.

ومن الأخبار: قوله ﷺ: « يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عُقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلاّ أصبح خبيث النفس كسلان». وفي الخبر: «أنه ذكر عنده رجل ينام كل الليل،

أهل خوف ورجاء، وهذان من أعمال القلوب عن مشاهدة الغيوب فلما أخفوا له لإخلاص أعمال السرائر أخفى من الجزاء نفيس الذخائر.

(وقوله عز من قائل ﴿أمن هو قانت آناء الليل﴾ الآية.) فقد سمى الله تعالى أهل الليل علماء وجعلهم أهل الخوف والرجاء، وأخفى لهم قرة عين فقال ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ ثم قال تعالى ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر: ٩] وهذا من المحذوف ضده لدلالة الكلام عليه، والمعنى ﴿أمن هو﴾ هكذا عالم قانت مطيع لا يستوي مع من هو غافل نائم ليله أجمع فهو غير عالم فما يحذر ويرجو من ربه عز وجل.

(وقوله تعالى) في وصفهم في الدنيا ووصف ما أعدّ لهم في الأخرى **(والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾و)** قال بعض العلماء في تفسير **(قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ قيل هي)** أي الصلاة **(قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس)**. والمعنى استعينوا بها على مجاهدة النفس ومصابرة العدو، ثم قال سبحانه ﴿وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [البقرة: ٤٥] يعني الخائفين المتواضعين لا تثقل عليهم ولا تجفو بل تخف وتحلو. ومن الآيات الدالة على فضل قيام الليل قوله تعالى ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ [الذاريات: ١٨] قيل: معناه يصلون، والمراد بها صلاة الليل. وقوله تعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ [الذاريات: ١٧].

(وأما الأخبار: فقد قال النبي ﷺ « يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ويضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ وذكر) كذا في النسخ والرواية فذكر **(الله عز وجل انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان »)** رواه مالك وأحمد والستة خلا الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، فرواه البخاري وأبو داود من طريق مالك.

ورواه مسلم والنسائي من طريق سفيان بن عيينه كلاهما عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي

هريرة بلفظ « على قافية رأس أحدكم بالليل حبلاً فيه ثلاث عقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإذا قام فتوضأ انحلت عقدة، فإذا قام إلى الصلاة انحلت عقده كلها فيصبح نشيطاً طيب النفس قد أصاب خيراً وإن لم يفعل أصبح كسلان خبيث النفس لم يصب خيراً ». وفي الحديث فوائد.

الأولى: قال ابن عبد البر: أما عقد الشيطان على قافية رأس ابن آدم إذا رقد فلا يوصل إلى كيفيته وأظنه مجازاً كناية عن حبس الشيطان وتثبيط الإنسان عن قيام الليل وعمل البر. وقيل: إنها كعقد السحر من قوله تعالى ﴿النفاثات في العقد﴾ [الفلق: ٤] وقال ابن بطال، قال المهلب: قد فسّر النبي ﷺ معنى العقد وهو قوله: عليك ليل طويل فارقد فكأنه يقولها إذا أراد النائم الاستيقاظ إلى حزبه فيعتقد في نفسه أنه بقيت من الليل بقية طويلة حتى يروم بذلك إتلاف ساعات ليله وتفويت حزبه، فإذا ذكر الله انحلت عقدة أي علم أنه قد مر من الليل طويل، وأنه لم يبق منه طويل، فإذا قام وتوضأ استبان له ذلك أيضاً وانحل ما عقد في نفسه من الغرور والاستدراج، فإذا صلى واستقبل القبلة انحلت العقدة الثالثة لأنه لم يصغ إلى قوله وييأس الشيطان عنده، والفافية هي مؤخر الرأس وفيه العقل والفهم فعقده فيه إثباته في فهمه أنه بقي عليه ليل طويل.

وقال النووي: اختلف العلماء في هذه العقد فقيل: هو عقد حقيقي بمعنى عقد السحر للإنسان ومنعه من القيام، فعلى هذا هو قول يقوله يؤثر في تثبيط النائم كتأثير السحر، وقيل يحتمل أن يكون فعلاً يفعله كفعل النفاثات في العقد، وقيل هو من عقد القلب وتصميمه فكأنه يوسوس في نفسه ويحدثه بأن عليك ليلاً طويلاً فتأخر عن القيام، وقيل هو مجاز كنى به عن تثبيط الشيطان عن قيام الليل اهـ.

وقال القرطبي: وإنما خص العقد بثلاث لأن أغلب ما يكون انتباه النائم في السحر. فإن اتفق له أن يستيقظ ويرجع للنوم ثلاث مرات لم تنقض النومة الثالثة في الغالب إلا والفجر قد طلع اهـ.

الثانية: قوله: « ويضرب مكان كل عقدة » يحتمل وجهين: أحدهما: أن معناه أنه يضرب بيده على مكان العقد تأكيداً لها واحكاماً، أو ان ذلك من تمام سحره وفي جعله ذلك خصوصية وله تأثير يعلمه هو. ثانيهما: أن الضرب كناية عن حجاب يضعه في الموضع يمنع وصول الحس إلى ذلك النائم حتى لا يستيقظ.

الثالثة: قوله: « عليك ليل طويل » بالرفع أي بقي عليك ليل طويل، ورجح القرطبي هذه الرواية فقال: روايتنا الصحيحة هكذا على الابتداء والخبر ووقع في بعض الروايات عليك ليلاً طويلاً على الإغراء، والأول أولى من جهة المعنى لأنه الأمكن في الغرور من حيث أنه يخبره عن طول الليل، ثم يأمره بالرقاد بقوله: فارقد. وإذا نصب على الإغراء لم يكن فيه إلا الأمر بملازمة طول الرقاد وحينئذ يكون قوله فارقد ضائعاً اهـ.

....

وقال الولي العراقي: وهو في موطأ أبي مصعب بالنصب على الإغراء، وقال النووي: كذا هو في معظم نسخ بلادنا لصحيح مسلم، وكذا نقله عياض عن رواية الأكثرين. قال الولي: وعلى كل تقدير، فهذه الجملة معمول لقول محذوف أي بقول الشيطان للنائم هذا الكلام، ويحتمل أن يكون قوله ليلاً طويلاً منصوباً على الظرف أي يضرب مكان كل عقدة في ليل طويل. وقوله «عليك» يحتمل حينئذ أن يكون متعلقاً بقوله يضرب ويحتمل أن يكون صفة لكل عقدة، ويدل لهذا قوله في رواية النسائي «يضرب على كل عقدة ليلاً طويلاً» أي ارقد.

الثالثة: فيه الحث على ذكر الله تعالى عند الاستيقاظ وجاءت فيه أذكار مخصوصة تقدم ذكرها في كتاب الأذكار والدعوات.

الرابعة: فيه الحث والتحريض على الوضوء في هذه الحالة، وهو قربة تنحل به إحدى عقد الشيطان وإن لم تنضم إليه في تلك الحالة صلاة.

الخامسة: الظاهر أن التيمم بشرطه يقوم مقام الوضوء في ذلك.

السادسة: الظاهر أنه لو كان عليه غسل لم تنحل عقدة الشيطان بمجرد الوضوء، وإنما اقتصر على ذكر الوضوء في الحديث لأن الأصل عدم الجنابة.

السابعة: قوله «فإن صلى انحلت عقده» يروى بفتح القاف على الجمع وبإسكانها على الإفراد كاللتين قبلها، والأول هو المشهور، ويدل قوله في رواية مسلم «العقد» وقوله في رواية النسائي «العقد كلها» ونقل ابن عبد البر عن رواية يحي بن يحي الثاني، وعلى الأول فالمراد أنه انحل بالصلاة تمام عقده فإنه قد انحل بالذكر والوضوء اثنتان منها وما بقي إلا واحدة، فإذا صلى انحلت تلك الواحدة وحصل حينئذ تمام انحلال المجموع، وهو نظير قوله ﷺ «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله» ونظائره كثيرة.

الثامنة: فيه فضيلة الصلاة بالليل، وإن قلت: لكن هل يحصل انحلال عقدة الشيطان الأخيرة بمجرد الشروع في الصلاة أو بتمامها الظاهر الثاني، فإنه لو أفسدها قبل تمامها لم يحصل بذلك غرض، ويدل لذلك ما أفتى به الزين العراقي حين سئل عن الحكمة في افتتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين فقال: الحكمة فيه استعجال حل عقد الشيطان ولا يخدش في هذا المعنى أن النبي ﷺ منزه عن عقد الشيطان على قافيته لأنا نقول: أنه ﷺ فعل ذلك تشريعاً لأمته ليقتدوا به فيه، فيحصل لهم هذا المقصود. والله أعلم.

التاسعة: قوله فإن صلى اختلف في المراد بهذه الصلاة فقيل قيام الليل هو الأكثر، وقيل: صلاة العشاء بناء على أنهم كانوا ينامون قبل العشاء ثم يصلونها في وقتها أو مع الجماعة. وذكر ابن أبي شيبة إباحة النوم قبل العشاء عن جماعة من الصحابة والتابعين، وقيل: صلاة الصبح. ويؤيده أن في رواية أحمد في مسنده «فإن أصبح ولم يصلّ الصبح أصبح خبيث النفس» الحديث.

حتى يصبح فقال: ذاك رجل بال الشيطان في أذنه ». وفي الخبر: « إن للشيطان سعوطاً ولعوقاً وذروراً، فإذا أسعط العبد ساء خلقه، وإذا ألعقه ذرب لسانه بالشر، وإذا ذره

العاشرة: اختلف في صلاة الليل فقال بوجوبها جماعة من التابعين تعللاً بهذا الحديث. ومنهم من خص بالوجوب أهل القرآن فقط، والذي عليه جماعة العلماء أنه مندوب إليه، روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها: أن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة يعني المزمل، فقام نبي الله ﷺ حولاً وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً حتى أنزل الله تعالى في آخر السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد الفريضة.

الحادية عشر: كونه يصبح خبيث النفس كسلان هل يترتب على ترك كل واحدة من هذه الخصال التي هي الذكر والوضوء والصلاة فلا ينتفي عنه ذلك إلا بفعل الجميع أو يترتب على ترك المجموع حتى لو أتى ببعضه لانتفى عنه خبث النفس والكسل.

قال النووي في شرح مسلم: ظاهر الحديث أن من لم يجمع بين الأمور الثلاثة فهو داخل فيمن يصبح خبيث النفس كسلان اهـ.

وقد يقال: إذا جمع بين الأمور الثلاثة انتفى عنه خبث النفس والكسل انتفاء كاملاً، وإذا أتى ببعضها انتفى عنه بعض خبث النفس والكسل بقدر ما أتى به منها، فليس عند من استيقظ فذكر الله من خبث النفس والكسل ما عند من لم يذكر الله أصلاً.

الثانية عشر: قوله: « كسلان » غير منصرف للألف والنون المزيدتين وهو مذكر كسلى، ووقع لبعض رواة الموطأ كسلاناً مصروفاً وليس بشيء. قاله الولي العراقي.

(وفي خبر آخر « أنه ذكر عنده ﷺ رجل نام الليل) كله **(حتى أصبح فقال: ذاك)** رجل **(بال الشيطان في أذنه »)** رواه أحمد والشيخان والنسائي وابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه، وظاهر هذا الحديث في حق من لم يقم لصلاة الليل، كما يدل عليه سياق المصنف. وحمله الطحاوي على من نام عن صلاة العشاء حتى انقضى الليل كله، وهذا يؤيد قول من ذهب إلى أن المراد بالصلاة في الحديث الذي قبله صلاة العشاء، قال ابن عبد البر: ويدل على ذلك أن السلف كانوا ينامون قبل العشاء ويصلونها في وقتها، كما تقدمت الإشارة إليه قريباً.

(وفي الخبر: « إن للشيطان سعوطاً) بالفتح وهو ما يسعطه الإنسان في أنفه **(ولعوقاً)** بالفتح وهو ما يلعق بالملعقة **(وذروراً)** بالفتح وهو ما يذر على العين، **(فإذا أسعط العبد ساء خلقه وإذا ألعقه ذرب)** كفرج أي فحش **(لسانه بالشر)** حتى لا يبالي بما قال، **(وإذا ذرّه نام الليل كله)** ففاته القيام بالليل **(حتى يصبح »)**.

قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أنس « إن للشيطان لعوقاً وكحلاً فإذا لعق الإنسان من لعوقه ذرب لسانه بالشر، وإذا كحله من كحله نامت عيناه عن الذكر ». ورواه البزار من حديث سمرة بن جندب وسندهما ضعيف اهـ.

نام الليل حتى يصبح». وقال ﷺ: «ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم». وفي الصحيح عن جابر أن النبي ﷺ قال: «إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه إياه» وفي رواية: «يسأل الله تعالى خيراً من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة». وقال لمغيرة بن شعبة: قام رسول الله ﷺ حتى تفطرت قدماه فقيل له: أما قد غفر الله لك ما

قلت: حديث أنس رواه البيهقي أيضاً ولفظه «إن للشيطان كحلاً ولعوقاً ونشوقاً. أما لعوقه فالكذب، وأما نشوقه فالغضب، وأما كحله فالنوم» وفيه عاصم بن علي شيخ البخاري. قال يحيى: لا شيء. وضعفه ابن معين. قال الذهبي: وذكر له ابن عدي أحاديث مناكير، والربيع بن صبيح ضعفه النسائي وقواه أبو زرعة، ويزيد الرقاشي قال النسائي: وغيره متروك.

وأما حديث سمرة فأخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في مكائد الشيطان، والبيهقي أيضاً «أن للشيطان كحلاً ولعوقاً فإذا كحل الإنسان من كحله نامت عيناه عن الذكر، وإذا لعقه من لعوقه ذرب لسانه بالشر» وفيه الحكم بن عبد الملك القرشي ضعيف، وفيه أيضاً أبو أمية الطرسوسي متهم أي بالوضع، وفيه أيضاً الحسن بن بشر الكوفي أورده الذهبي في الضعفاء. وقال ابن خراش: منكر الحديث. إشعار بأن لزوم الذكر يطرد الشيطان ويجلو مرآة القلب وينوّر البصيرة، ولا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله عز وجل.

(**وقال ﷺ: «ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الأخير**) وهو ثلثه (**خير له من الدنيا وما فيها**) من النعيم لو فرض أنه حصل له وحده وتنعم به وحده، (**ولولا أني أشق على أمتي لفرضتها**) أي أوجبتها (**عليهم»**) وهذا صريح في عدم وجوب التهجد على الأمة.

قال العراقي: رواه آدم بن أبي إياس في الثواب، ومحمد بن نصر المروزي في كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلاً، ووصله الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولا يصح اهـ.

قلت: حسان بن عطية أبو بكر المحاربي عن أبي أمامة، وسعيد بن المسيب. وعنه الإوزاعي وأبو غسان ثقة عابد نبيل لكنه قد رمي. روى له الجماعة قاله الذهبي في الكاشف.

(**وفي الصحيح عن جابر**) بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه (**أن النبي ﷺ قال «إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه»**) وفي رواية «يسأل الله تعالى خيراً من الدنيا والآخرة (**وذلك كل ليلة»**) رواه مسلم.

(**وقال المغيرة بن شعبة**) رضي الله عنه: (**قام النبي ﷺ**) أي يصلي بالليل (**حتى تفطرت**) أي تشققت (**قدماه**) وفي رواية «تورمت» وفي رواية «انتفخت» أي اجتهد في

تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: « أفلا أكون عبداً شكوراً ». ويظهر من معناه ان ذلك كناية عن زيادة الرتبة، فإن الشكر سبب المزيد. قال تعالى: ﴿لئنْ شكرتُم لأزيدنَّكُم﴾

الصلاة حتى حصل له ذلك (**فقيل له يا رسول الله**) ؛ أتتكلف هذا و(**قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ») أتوا به على طبق ما في الآية. (**قال أفلا**) الفاء للسببية عن محذوف أي اترك تلك المشقة نظراً لتلك المغفرة فلا (**أكون عبداً شكوراً**) لا بل ألزمها وإن غفر لي لأكون عبداً شكوراً، فالمعنى: إن المغفرة سبب ذلك التكلف شكراً، فكيف أتركه بل أفعله لأكون مبالغاً في الشكر بحسب الإمكان البشري ولحظ تلك النعمة العظيمة، ومن ثم أتى بلفظ العبودية لأنها أخص أوصافه ﷺ، ولذا ذكرها الله تعالى في أعلى المقامات وأفضل الأحوال إذ هي مقتضى صحة النسبة المستلزمة لا على الخدمة وهو الشكر، إذ العبد إذا لاحظ كونه عبداً وأن مالكه مع ذلك أنعم عليه بما لم يكن في حسابه علم تأكد وجوب الشكر والمبالغة فيه عليه ولحيازة سائر أنواع الشرف، وما ذكر من التقرير في معنى « أفلا » واضح جلي، وإن زعم بعضهم أنه متكلف، وأن التقدير الأولى إذا أنعم علي بالإنعام الواسع أفلا أكون عبداً شكوراً؟ أي أيصير هذا الإنعام سبباً لخروجي عن دائرة المبالغين في الشكر والاستفهام لإنكار سببية مثل هذا الإنعام لعدم كونه عبداً شكوراً اهـ.

وأنت خبير بأن هذا هو الذي فيه التكلف، ويصح أن يكون التقدير أيضاً غفر لي ما تقدم وما تأخر لعلمه بأني سأكون مبالغاً في عبادته، فأكون عبداً شكوراً. أفلا أكون كذلك؟ وهذا قريب من الأول، وقد ظن من سأله ﷺ في سبب تحمله المشقة في العبادة أن سببها إما خوف الذنب أو رجاء المغفرة فأفادهم أن لها سبباً آخر أتم وأكمل هو الشكر على التأهل مع المغفرة وإجزال النعمة، وهو أعني الشكر الاعتراف بالنعمة والقيام في الخدمة ببذل المجهود فمن أدام ذلك كان شكوراً.

(**ويظهر من معناه أن ذلك كناية عن طلب زيادة الرتبة، فإن الشكر سبب المزيد قال الله تعالى ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾**) ولم يفز أحد بكمال هذه الرتبة غير نبينا ﷺ ثم سائر الأنبياء عليهم السلام. والحديث متفق عليه.

ورواه أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ « قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر » قال« أفلا أكون عبداً شكوراً » قالت: فلما بدن وكثر لحمه صلى جالساً. وفي الحديث أنه ينبغي التشمير في العبادة وإن أدى إلى كلفة لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له، فكيف بمن لم يعلم ذلك فضلاً عمن لا يأمن النار. نعم محل ذلك إن لم يفض إلى ملال وإلا فالأخذ بما لا يفضي إليه أولى لما في الصحيح « عليكم من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا » ولا ينبغي التأسي حينئذ لأنه ﷺ منزه عن الملل وحاله أكمل الأحوال، سيما وقد جعلت قرة عينه في الصلاة كما أخرجه النسائي وغيره والله أعلم.

[ابراهيم: ٧] وقال ﷺ: « يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حياً وميتاً ومقبوراً ومبعوثاً قم من الليل فصلّ وأنت تريد رضاء ربك. يا أبا هريرة صلّ في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا ». وقال ﷺ: « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم فإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الإثم ». وقال ﷺ: « ما من امرىء تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه

(وقال ﷺ « يا أبا هريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حياً ومقبوراً ومبعوثاً) أي في هذه الأحوال الثلاثة **(قم من الليل فصلّ وأنت تريد رضاء ربك. يا أبا هريرة صلّ في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجوم عند أهل الدنيا »)** قال العراقي: هذا باطل لا أصل له.

قلت: هذا الحديث من جملة الأحاديث التي يقول فيها يا أبا هريرة افعل كذا وكذا. يا أبا هريرة لا تفعل كذا وكذا. والنسخة بتمامها حكموا بوضعها، وقد مر من هذه النسخة حديث في فضل التهليل نبهنا هناك على وضعه.

(وقال ﷺ « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى ومكفرة للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الإثم ») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث بلال وقال: غريب ولا يصح، ورواه الطبراني والبيهقي من حديث أبي أمامة بسند حسن، وقال الترمذي: إنه أصح اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن السني وأبو نعيم في الطب عن أبي إدريس الخولاني عن أبي إمامة. قال الترمذي: وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال. ورواه ابن عساكر عن أبي إدريس عن أبي الدرداء، ورواه ابن السني عن جابر وليس عندهم « قبلكم ».

ورواه الطبراني في الكبير، وابن السني وأبو نعيم والبيهقي وابن عساكر عن سلمان بلفظ « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ومقربة إلى الله ومرضاة للرب ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسد ». ورواه الطبراني في الأوسط عن أبي أمامة بلفظ « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة إلى ربكم ومكفرة للسيئات ». وروى الديلمي عن عبد الله بن عمرو بلفظ « عليكم بصلاة الليل ولو ركعة فإن صلاة الليل منهاة عن الإثم، وتطفيء غضب الرب تبارك وتعالى، وتدفع عن أهلها حر النار يوم القيامة ».

(وقال ﷺ « ما من امرئ تكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه »).

قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي من حديث عائشة وفيه رجل لم يسم، وسماه النسائي في

صدقة عليه ». وقال ﷺ لأبي ذر: « لو أردت سفراً أعددت له عدة؟ قال: نعم. قال: فكيف سفر طريق القيامة. ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم؟ قال: بلى بأبي أنت وأمي، قال: صم يوماً شديد الحر ليوم النشور، وصلّ ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور، وحج حجة لعظائم الأمور، وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها ». وروي: أنه كان على عهد النبي ﷺ رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول: يا رب النار أجرني منها، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: « إذا كان ذلك فآذنوني فأتاه فاستمع فلما أصبح قال: يا فلان هلا سألت الله الجنة؟ قال: يا رسول الله إني لست هناك ولا يبلغ عملي ذاك فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال: أخبر فلاناً إن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة ». ويروى: « أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي ﷺ نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره النبي ﷺ بذلك، فكان يداوم بعده على قيام الليل ».

رواية الأسود بن يزيد، لكن في طريقه أبو جعفر الرازي. قال النسائي: وليس بالقوي، ورواه النسائي وابن ماجه من حديث أبي الدرداء نحوه بسند صحيح وتقدم في الباب قبل اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن ماجه ولفظه « فيغلب عليها نوم إلا كتب الله له » والباقي سواء.

(وقال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه « لو أردت سفراً أعددت) أي هيأت **(له عدة)** وهذا في أسفار الدنيا. **(قال: نعم. قال فكيف سفر طريق القيامة)**. أي فإنه طويل وصعب. **(ألا أنبئك يا أبا ذر ما ينفعك ذلك اليوم؟ قال: بلى بأبي أنت وأمي. قال: صم يوماً شديد الحر ليوم النشور، وصل ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور، وحج حجة لعظائم الأمور، وتصدق صدقة على مسكين او كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد من رواية السري بن مخلد مرسلاً والسري ضعفه الأزدي اهـ.

(وروي: أنه كان على عهد النبي ﷺ رجل إذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون) أي سكنت ونامت **(قام يصلي ويقرأ القرآن ويقول: يا رب النار أجرني منها، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « إذا كان ذلك فآذنوني)** أي اعلموني **(فأتاه)** فآذنوه فأتاه. **(فاستمع فلما أصبح قال: يا فلان هلا سألت الله الجنة؟ قال يا رسول الله: إني لست هناك ولا يبلغ عملي ذلك فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزل جبريل عليه السلام فقال: أخبر فلاناً أن الله عز وجل أجاره من النار وأدخله الجنة »)** قال العراقي: لم أقف له على أصل.

(ويروى « أن جبريل قال للنبي ﷺ: نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلي بالليل فأخبره

قال نافع: كان يصلي بالليل ثم يقول: يا نافع أسحرنا؟ فأقول: لا، فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا؟ فأقول: نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر، وقال علي بن أبي الخير شبع يحي بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله تعالى إليه يا يحي أوجدت داراً خيراً لك من داري؟ أم وجدت جواراً خيراً لك من جواري؟ فوعزتي وجلالي يا يحي لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقاً، ولو اطلعت إلى جهنم إطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح، وقيل لرسول الله ﷺ: إن فلاناً يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق. فقال: « سينهاه ما يعمل ». وقال ﷺ: « رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلّت فإن أبت نضح في وجهها الماء ». وقال ﷺ: « رحم الله امرأة قامت من الليل فصلّت ثم أيقظت زوجها فصلّى فإن أبى نضحت

النبي ﷺ بذلك فكان يداوم بعده على قيام الليل ») قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال ذلك وليس فيه ذكر جبريل اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد ولفظهم: « نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل » رواه عن ابن عمر عن حفصة عن النبي ﷺ، فحفصة هي التي أخبرت عبد الله بقوله ﷺ المذكور.

(**قال نافع**) مولى ابن عمر: (**كان**) ابن عمر (**يصلي بالليل ثم يقول: يا نافع أسحرنا**) أي دخلنا في السحر؟ (**فيستغفر حتى يطلع الفجر**) نقله صاحب القوت.

(**وقال علي بن أبي الخير**) رحمه الله تعالى: (**شبع يحي بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير**) مرة (**فنام عن ورده حتى أصبح فأوحى الله إليه يا يحي أوجدت داراً خيراً لك من داري، أم وجدت جواراً خيراً لك من جواري؟ فوعزتي وجلالي يا يحي لو اطلعت على الفردوس**) إحدى الجنان الثمانية (**إطلاعة لذاب جسمك**) وفي نسخة: شحمك (**ولزهقت**) أي خرجت (**نفسك اشتياقاً**) له، (**ولو اطلعت إلى جهنم إطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد**) الماء الأصفر (**بعد الدموع، ولبست الحديد بعد المسوح**) جمع مسح بالكسر هو الصوف الأسود.

(**وقيل لرسول الله ﷺ: إن فلاناً يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق، فقال النبي ﷺ « سينهاه ما يعمل »**) قال العراقي: رواه ابن حبان من حديث أبي هريرة اهـ. وفيه الإشارة إلى قوله تعالى ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(**وقال ﷺ « رحم الله رجلاً قام من الليل يصلي ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح**) أي رش (**في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى**

في وجهه الماء ». وقال ﷺ : « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ». وقال ﷺ : « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل ». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قال ﷺ : « من نام عن حزبه أو عن شيء منه بالليل فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل ».

الآثار : روي أن عمر رضي الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياماً كثيرة كما يعاد المريض. وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح. ويقال : إن سفيان الثوري رحمه الله شبع ليلة فقال : إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله، فقام تلك الليلة حتى أصبح. وكان

فإن أبى نضحت في وجهه الماء ») قال العراقي : رواه أبو داود وابن حبان من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت : وكذلك رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن جرير والحاكم.

(وقال ﷺ « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ») . قال العراقي : رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح اهـ.

قلت : وكذلك رواه الحاكم والبيهقي بلفظ « فصليا ركعتين جميعاً كتبا ليلتئذ » والباقي سواء.

(وقال عمر رضي الله عنه، قال النبي ﷺ « من نام عن حزبه أو عن شيء منه بالليل فقرأه ما بين صلاة الفجر والظهر كتب له كما لو قرأه من الليل ») قال العراقي : رواه مسلم.

قلت : وكذلك رواه أحمد والدارمي وابن خزيمة وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان عن ابن عمر، ولفظ حديث عمر عند أبي نعيم في الحلية : من نام عن حزبه وقد كان يريد أن يقوم به فإن نومه صدقة تصدق الله به عليه وله أجر.

(ومن الآثار) الدالة على فضيلة قيام الليل **(أن عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه كان يمر بالآية)** الواحدة **(من ورده من الليل)** أي في صلاته **(فيسقط)** دهشاً **(حتى يعاد منها أياماً كثيرة)** مما اعتراه من الخوف **(كما يعاد المريض)** وفي القوت : قد كان عمر يغشى عليه حتى يقع من ذي قيام ويضطرب كالبعير. **(وكان)** عبد الله **(ابن مسعود)** رضي الله عنه **(إذا هدأت العيون)** أي نامت **(قام)** إلى ورده من الليل **(فيسمع له دوي)** أي هيمنة وحركة **(كدوي النحل حتى يصبح، ويقال : إن سفيان)** بن سعيد **(الثوري)** رحمه الله تعالى **(شبع ليلة فقال : إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة)** يصلي **(حتى أصبح)**.

وفي القوت في باب رياضة المريدين : كان سفيان الثوري إذا شبع في ليلة أحياها، وإذا شبع في

طاووس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة على المقلاة ثم يثب ويصلي إلى الصباح ثم يقول: طيَّر ذكر جهنم نوم العابدين. وقال الحسن رحمه الله: ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال، فقيل له: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره. وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده، فحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبداً. وكان عبد العزيز بن أبي رواد إذا جنَّ عليه الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول: إنك للين ووالله إن في الجنة لألين منك ولا يزال يصلي الليل كله. وقال الفضيل: إني لأستقبل الليل من أوّله فيهولني طوله فافتتح القرآن فأصبح وما قضيت

يوم واصله بالصلاة والذكر، وكان يتمثل ويقول: أشبع الزنجي وكده، ومرة يقول: أشبع الحمار وكده، وإذا جاع كأنه يتراخى في ذلك.

(وكان طاوس) بن كيسان اليماني، وأبو عبد الرحمن روى عن أبي هريرة وابن عباس وعائشة، وعنه التميمي وابنه عبد الله. قيل: اسمه ذكوان ولقب به لأنه كان طاوس القراء، وما رؤي مثله روى له الجماعة **(إذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة في المقلاة)** أي اضطرب عليه ولم يرتح، **(ثم يثب)** قائماً ويدرج الفراش **(ويصلي إلى الصباح ثم يقول: طيَّر ذكر جهنم نوم العابدين)** وكلما هم يذوق الكرى قال له القرآن قم لا تنم نقله ابن الجوزي. هكذا قال ابن حبان: كان طاوس من عباد أهل اليمن ومن سادات التابعين توفي سنة ست ومائة بمنى وقد حج أربعين حجة. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(ما نعلم عملاً أشد من مكابدة الليل)** أي بالصلاة فيه **(ونفقة هذا المال)** أي صرفه إلى وجوه الخير، **(فقيل له: ما بال المتهجدين)** في العبادة **(أحسن الناس وجوهاً؟ قال: إنهم خلوا بالرحمن تعالى فألبسهم نوراً من نوره)**، ويشهد له ما اشتهر على الألسنة: من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار، وسيأتي الكلام عليه في آخر الباب.

(وقدم بعض الصالحين من سفر فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده) من الليل، **(فحلف أن لا ينام بعده على فراش أبداً)** عاقب نفسه بذلك تأديباً لها. **(وكان عبد العزيز)** بن عثمان بن جبلة **(بن أبي رواد)** الأزدي أبو الفضل المروزي لقبه شاذان وهو أخو عبدان. ذكره ابن حبان في الثقات. روى له البخاري والنسائي **(إذا جن عليه الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول: إنك للين ووالله إن في الجنة لألين منك)** ثم لا ينام عليه، **(فلا يزال يصلي الليل كله)** حتى يصبح. **(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(إني لأستقبل الليل من أوله فيهولني طوله فافتتح القرآن)** أي في الصلاة **(فأصبح)** أي أدخل في الصبح **(وما قضيت نهمتي)** أي حاجتي منه نقله صاحب القوت. **(وقال الحسن)** البصري رحمه

نهمتي. وقال الحسن: إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل. وقال الفضيل: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم، وقد كثرت خطيئتك. وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلي الليل كله فإذا كان في السحر قال: إلهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن أجرني برحمتك من النار. وقال رجل لبعض الحكماء: إني لأضعف عن قيام

الله تعالى: **(إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل، و)** في هذا المعنى **(قال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم)** من الخير لا نصيب لك فيه، **(وقد كثرت خطيئتك)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن علي، حدثنا الفضل بن محمد الجندي، حدثني إسحاق بن إبراهيم الطبري قال: سمعت الفضيل يقول: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل كبلتك خطيئتك.

(وكان) أبو الصهباء **(صلة بن أشيم)** العدوي تابعي جليل. روى عن عدة من الصحابة منهم ابن عباس **(يصلي الليل كله، فإذا كان في السحر يقول. إلهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن أجرني برحمتك من النار)** قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو محمد بن حيان قال: حدثت عن عبد الله بن جنيق أخبرني نجدة بن المبارك، حدثني مالك بن مغول كان بالبصرة ثلاثة متعبدون صلة بن أشيم، وكلثوم بن الأسود، ورجل آخر، فكان صلة إذا كان الليل خرج إلى أجة يعبد الله فيها ففطن له رجل فقام له في الأجة لينظر إلى عبادته، فإذا سبع فبصر به صلة. فأتاه فقال: قم أيها السبع فابتغ الرزق فتمطى السبع في وجهه وذهب ثم قام لعبادته، فلما كان في السحر قال: اللهم إن صلة ليس أهلاً أن يسألك الجنة ولكن ستراً من النار.

قال: وحدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا الحسين بن الحسن، حدثنا عبد الملك بن المبارك، حدثنا المسلم بن سعيد الواسطي، حدثنا حماد بن جعفر بن زيد أن أباه أخبره قال: خرجنا في غزاة إلى كابل، وفي الجيش صلة بن أشيم قال: فنزل الناس عند العتمة فقلت لأرمقن عمله فانظر ما يذكر الناس من عبادته، فصلى أراه العتمة ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس حتى إذا قلّت هدأت العيون وثب فدخل غيضة قريباً منا، فدخلت في أثره فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح الصلاة. قال: وجاء أسد حتى دنا منه قال: فصعدت في شجرة. قال: افتراه التفت إليه أو عذبه حتى سجد، فقلت: الآن يفترسه فلا شيء فيسلم ثم سلم، فقال: أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر فولّى فإن له زئير أقول تصدع منه الجبال فما زال كذلك يصلي حتى لما كان عند الصبح جلس فحمدالله تعالى بمحامد لم أسمع مثلها إلا ما شاء الله، ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار أو مثلي يجتريء أن يسألك الجنة، ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا وقد أصبحت وبي من الفتور شيء الله به عليم.

(وقال رجل لبعض الحكماء: إني لأضعف عن قيام الليل) يعني فما السبب في ذلك وما دواؤه؟

الليل فقال له: يا أخي لا تعص الله تعالى بالنهار ولا تقم بالليل. وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم، فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت: يا أهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا: أصبحنا أطلع الفجر؟ فقالت: وما تصلون إلا المكتوبة؟ قالوا: نعم. فرجعت إلى الحسن فقالت: يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون إلا المكتوبة ردني فردّها. وقال الربيع: بت في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيراً. وقال أبو الجويرية: لقد صحبت أبا حنيفة رضي الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض، وكان أبو حنيفة يحي نصف الليل فمرَّ بقوم فقالوا: إن هذا يحي الليل كله، فقال: إني أستحي أن أوصف بما لا أفعل. فكان بعد ذلك يحي الليل كله. ويروى أنه ما كان له فراش بالليل. ويقال: إن مالك بن دينار رضي الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح: ﴿أم حَسِبَ الذين اجترحوا السيّئات أن نجعلهم

فقال له: يا أخي لا تعص الله بالنهار ولا تقم بالليل). يعني: شؤم ذنوبك هو الذي يمنعك من قيام الليل، **(وكان للحسن بن صالح)** بن مسلم بن حي الهمداني الثوري أبي عبد الله الكوفي العابد أخو علي بن صالح ثقة. قال أبو زرعة: أجتمع فيه إتقان وفقه وعبادة وزهد، وكان كثير البكاء إذا ذكر عنده الموت. ولد سنة مائة ومات سنة تسع وستين ومائة. ذكره البخاري في كتاب الشهادات، وروى له الباقون. **(جارية فباعها من قوم، فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت: يا أهل الدار الصلاة الصلاة)** أي قوموا للصلاة. **(فقالوا: أصبحنا طلع الفجر)** بحذف همزة الاستفهام فيها؟ **(فقالت: وما تصلون إلا المكتوبة؟ فقالوا: لا)** أي لا نصلي إلا المكتوبة **(فرجعت)** الجارية **(إلى الحسن، فقالت: يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون بالليل ردني فردّها)** منهم إليه. **(وقال الربيع)** بن سليمان المرادي تقدمت ترجمته في كتاب العلم: **(بت في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيراً)** أي قليلاً وقد تقدم قسمته الليل، وهذا القول قد تقدم في مناقبه في كتاب العلم. **(وقال أبو الجويرية)** عبد الحميد بن عمران الكوفي نزيل المدينة. روى عن حماد بن أبي سليمان، وعنه حماد بن خالد الحناط ومعن بن عيسى القزاز: **(لقد صحبت أبا حنيفة رضي الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه)** على الأرض لينام وقد تقدم ذلك في مناقبه. **(وكان أبو حنيفة)** رضي الله عنه من ورده **(يحي نصف الليل فمرَّ بقوم فسمعهم وهم يقولون: إن هذا يحي الليل كله، فقال: إني أوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحي الليل كله)**. وصح عنه أنه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة. **(ويروى أنه ما كان له فراش بالليل)** أي فراش خاص يمهد له لنومه، وكل ذلك تقدم في مناقبه في كتاب العلم. **(ويقال: إن)** أبا يحي **(مالك بن دينار)** رحمه الله تعالى **(بات يردد هذه الآية ليله)** كله حتى أصبح **(﴿أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات)** سواء محياهم ومماتهم ساء ما

كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [الجاثية : ٢١] الآية ، وقال المغيرة بن حبيب : رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول : اللهم حرّم شيبة مالك على النار . إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ، فأي الرجلين مالك ؟ وأي الدارين دار مالك ؟ فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر . وقال مالك بن دينار : سهوت ليلة عن وردي ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي : أتحسن تقرأ ؟ فقلت : نعم ، فدفعت إلي الرقعة فإذا فيها :

يحكمون﴾ وتقدم في كتاب آداب التلاوة أن تميماً الداري قام ليلة بهذه الآية يرددها حتى أصبح رواه أبو عبيد في الفضائل ، وابن أبي داود في الشريعة ، ومحمد بن نصر في قيام الليل ، والطبراني في الدعاء . وتقدم أيضاً عن عبد الله بن أحمد في زيادات المسند أن الربيع بن خيثم بات ذات ليلة فقام يصلي فمر بهذه الآية فجعل يرددها حتى أصبح .

(**وقال المغيرة بن حبيب: رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول: اللهم حرّم شيبة مالك على النار . إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأي الرجلين مالك؟ وأي الدارين دار مالك؟ فلم يزل ذلك دأبه**) وفي نسخة: قوله (**حتى طلع الفجر**) رواه أبو نعيم في الحلية باسنادين قال: حدثنا أبو حامد بن جبلة ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا هارون بن عبد الله ، حدثنا يسار ، حدثنا جعفر قال: سمعت المغيرة بن حبيب أبا صالح ختن مالك بن دينار يقول: يموت مالك بن دينار وأنا معه في الدار لا أدري ما عمله. قال: فصليت معه العشاء الاخيرة ثم جئت فلبست قطيفة في أطول ما يكون الليل قال: وجاء مالك فقرب رغيفه فأكل ثم قام إلى الصلاة فاستفتح ثم أخذ بلحيته فجعل يقول: إذا جمعت الأولين والآخرين فحرّم شيبة مالك بن دينار على النار. قال: فوالله ما زال كذلك حتى غلبتني عيني ثم انتبهت فإذا هو على تلك الحال يقدم رجلاً ويؤخر أخرى وهو يقول: يا رب إذا جمعت الأوّلين والآخرين فحرّم شيبة بن مالك بن دينار على النار ، فما زال كذلك حتى طلع الفجر . فقلت في نفسي: والله لئن خرج مالك بن دينار فرآني لا تبل لي بالة عنده أبداً . قال: فجئت إلى المنزل وتركته ، وقال أيضاً حدثنا أبو محمد ، حدثنا محمد بن عبد الله بن ربيعة ، حدثنا الشاذكوني، حدثنا جعفر بن سليمان قال: كان مالك بن دينار إذا قام في محرابه قال: يا رب قد عرفت ساكن الجنة وساكن النار ففي أي الدارين مالك ثم يبكي؟.

(**وقال مالك بن دينار**) رحمه الله تعالى: (**سهوت ليلة عن وردي ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون**) أي حسناً وجمالاً وبهجة (**وفي يدها رقعة**) أي ورقة مكتوبة (**فقالت لي: أتحسن تقرأ؟ فقلت: نعم، فدفعت إليّ الرقعة فإذا فيها**) هذه الأبيات:

أألهتك اللذائذ والأماني ... عن البيض الأوانس في الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها ... وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيراً ... من النوم التهجد بالقرآن

وقيل: حج مسروق فما بات ليلة إلا ساجداً. ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال: رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها: من أنت؟

(أألهتك اللذائذ والأماني) أي أشغلتك المستلذات الدنيوية والاماني الكاذبة **(عن البيض الأوانس)** جمع بيضاء. والأوانس: جمع آنسة **(في الجنان)** أي المستقرات فيها.

(تعيش مخلداً) أي أبداً **(لا موت فيها)** فإنه يؤتى به في صورة كبش فيذبح وينادي: يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت، **(وتلهو في الجنان مع الحسان)** أي تشتغل بهن فيها.

(تنبّه من منامك) أي من غفلتك **(إن خيراً من النوم التهجد بالقرآن)** أي صلاة الليل بتلاوة القرآن.

(وقيل: حج مسروق) ابن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مرّ بن سلامان بن معمر الوادعي الهمداني أبو عائشة الكوفي. يقال: إنه سرق وهو صغير ثم وجد فسمي مسروقاً، وأسلم أبوه. ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة. وقال الشعبي عن مسروق لقيت عمر بن الخطاب فقال: ما اسمك؟ فقلت: مسروق بن الأجدع. قال: سمعت النبي ﷺ يقول: الأجدع اسم شيطان. أنت مسروق بن عبد الرحمن. قال الشعبي: فرأيت في الديوان مسروق بن عبد الرحمن، وكان ثقة. وله أحاديث صالحة صلّى خلف أبي بكر ولقي عمر وعلياً وزيد بن ثابت وابن مسعود وعائشة وأم سلمة والمغيرة وخباب بن الأرت. مات سنة ثلاث وستين وله ثلاث وستون سنة. روى له الجماعة. **(فما بات ليلة إلاّ ساجداً)** وهذا القول رواه المزي في التهذيب عن أبي إسحاق يعني الفزاري قال: حج مسروق فلم ينم إلا ساجداً على وجهه حتى رجع، وقال أنس بن سيرين، عن امرأة مسروق وهي قمير بنت عمر وكان مسروق يصلي حتى تورم قدماه فربما جلست خلفه أبكي مما أراه يصنع بنفسه. وقال الشعبي: غشي على مسروق في يوم صائف وهو صائم وكانت له ابنة تسمى عائشة وبها يكنى وكان لا يعصيها، فنزلت إليه فقالت: يا أبتاه افطر واشرب. قال: ما أردت بي يا بنية إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

(ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القائمين) العباد **(أنه قال: رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها: من أنت؟ فقالت: حوراء)** واحدة لحور بالضم وقد حورت العين حورا كفرح اشتد بياض بياضها وسواد سوادها. ويقال: الحوراسودادالمقلة كلها كعيون الظباء. قالوا وليس في الإنسان حور، وإنما قيل ذلك في النساء على التشبيه، وفي مختصر العين ولا

قالت: حوراء. فقلت: زوجيني نفسك. فقالت: اخطبني إلى سيدي وأمهرني فقلت: وما مهرك؟ قالت: طول التهجد. وقال يوسف بن مهران بلغني ان تحت العرش ملكاً في صورة ديك براثنه من لؤلؤة وصئصئته من زبرجد أخضر، فإذا مضى ثلث الليل الأوّل ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم القائمون فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم المتهجدون، فإذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم المصلون، فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم. وقيل: إن

يقال للمرأة حوراء إلا للبيضاء مع حورها، (**فقلت: زوجيني نفسك. فقالت: اخطبني إلى سيدي وامهرني فقلت: وما مهرك؟ قالت: طول التهجد**) أي طول القيام بالليل.

(**وقال يوسف بن مهران**) تابعي جليل روى عن ابن عباس وجابر، وعنه علي بن جدعان، وثقه أبو زرعة. روى له الترمذي قال: (**بلغني أن تحت العرش ملكاً في صورة ديك براثنه من لؤلؤة**) أي مخالبه (**وصئصئته**) بكسر الصادين المهملتين مهموز هي أعلى القفا (**من زبرجد أخضر، فإذا مضى ثلث الليل الأوّل ضرب بجناحيه وزقا**) أي صاح (**وقال: ليقم القائمون**) أي للعبادة، (**فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وقال: ليقم المتهجدون، فإذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم المصلون، فإذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال: ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم**). نقله هكذا صاحب القوت وقال: وحدثنا عن عبد الله بن عمر قال: حدثنا يوسف بن مهران قال: بلغني فساقه.

وقد وقع لي حديث الديك في جملة المسلسلات وهو المسلسل بقول ما زلت بالاشواق إلى حديث حدثني به فلان قال الإمام أبو بكر محمد بن عمر بن عثمان بن العزيز الحنفي عرف بكاك، حدثنا أبو الرضا محمد بن علي بن يحي النسفي ببغداد، حدثني به أبو منصور عبد المحسن بن محمد، حدثني به أحمد بن عاصم الحافظ، حدثنا به محمد بن الحسين الخفاف، حدثنا به عبدالله بن إبراهيم الدقاق، حدثنا أبو عبدالله بن إدريس بن عبدالله بن أخي عيسى الدلآل المصري، حدثنا أبو طاهر خير بن عرفة بن عبدالله الأنصاري، حدثنا عبد المنعم بن بشير، حدثنا ابن وهب، حدثنا عبدالله بن سعيد، حدثني أبي، حدثنا أبو الدرداء رضي الله عنه قال: ما زلت بالأشواق إلى الديك الأبيض منذ رأيت ديك الله تعالى تحت عرشه ليلة اسرى بي ديكاً أبيض زغبه أخضر كالزبرجد وعرفه ياقوتة حمراء شرفها من جوهر وعيناه من ياقوتتين حمراوتين ورجلاه من ذهب أحمر في تخوم الأرض السفلى مطولاً من تحت الأرض وتحت السموات وتحت العرش، عنقه كالابريق الناشر في السماء أحسن شيء رأيته. ومنقاره من ذهب يتلألأ نوراً، فإذا كان في الثلث الأوّل نشر جناحيه وخفق بهما وقال: سبحان ذي الملك والملكوت يقول ذلك ثلاث مرات، فإذا خفق خفقت الديوك في الأرض وصرخت كصراخه، فإذا كان في ثلث الليل الأوسط فعل مثل ذلك وقال: سبحان من لا يسأم ولا ينام يقول ذلك ثلاثاً فتجيبه الديوك في الأرض، فإذا كان في ثلث الليل الآخر فعل

وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة، وكان يقول: لأن أرى في بيتي شيطاناً أحب إلي من أن أرى في بيتي وسادة لأنها تدعو إلى النوم، وكانت له مسورة من أدم إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع إلى الصلاة. وقال بعضهم: رأيت رب العزة في النوم فسمعته يقول: وعزتي وجلالي لاكرمنّ مثوى سليمان التيمي، فإنه صلى لي الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة. ويقال: كان مذهبه أن

ذلك وقال: سبحان من هو دائم قائم، سبحان من نامت العيون وعين سيدي لا تنام، سبحان الدائم القائم سبحان من فلق الأصباح بإذنه وسرى إلى خزائنه لا إله إلا هو سبحانه. رواه الحافظ السخاوي مسلسلاً في الجواهر المكللة عن أبي إسحاق ابراهيم بن علي الزمزمي عن المجد الشيرازي صاحب القاموس، عن أبي عبد الله الفارقي، عن أبي الحسن القرامي، عن جعفر الهمداني، عن أبي محمد الديباجي، عن أبي بكرلاك بسنده وقال: هو باطل منشأ وتسلسلاً.

ورواه الحافظ بن مهد، عن أبي اليمن محمد بن عمر بن محمد بن مخلوف المحلي، عن القاضي العلامة ناصر الدين محمد بن أحمد بن محمد بن فوز العثماني، عن التقي أبي عبد الله بن عرام الشاذلي، عن القلب محمد بن محمد بن علي بن حجر، عن أبي عبد الله الشاطبي، عن جعفر الهمداني. قال الحافظ السخاوي: ولم أره في أخبار الديك للحافظ أبي نعيم مع كثرة ما فيه من المناكير، والله أعلم.

(**وقيل: إن وهب بن منبه**) بن كامل بن يسبح (**اليماني**) الصنعاني الذماري. أبو عبد الله الانباري أخو همام ومعقل وغيلان بني منبه. ولد سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان، ومات سنة ستة عشر ومائة بصنعاء. قال العجلي: تابعي ثقة، وكان على قضاء صنعاء، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. روى له البخاري حديثاً واحداً والباقون إلا ابن ماجه. (**ما وضع جنبه إلى الأرض ثلاثين سنة**) وذكر المزي في ترجمته أنه لبث وهب أربعين سنة لا يرقد على فراش، (**وكان يقول: لأن أرى في بيتي شيطاناً أحب إليَّ من أن أرى وسادة يعني لأنها تدعو إلى النوم**) نقله صاحب القوت، (**وكانت له وسادة من أدم**) حشوها ليف كما في بعض النسخ (**إذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم ينزع إلى القيام**) نقله صاحب القوت. وذكر ابن سعد في الطبقات بسنده إلى المثنى بن صباح قال: لبث وهب أربعين سنة لم يسب شيئاً فيه الروح، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً.

(**وقال بعضهم**) هو رقبة بن مصقلة كما صرح به صاحب القوت، وهو أبو عبد الله الكوفي شيخ ثقة، وكان صديقاً لسليمان التيمي. روى عنه سليمان حديثاً واحداً. روى له الجماعة إلا ابن ماجه: (**رأيت رب العزة جل جلاله في المنام فسمعته يقول: وعزتي وجلالي لأكرمنّ مثوى سليمان التيمي، فإنه صلى لي الغداة بوضوء العشاء الآخرة أربعين سنة**). نقله صاحب القوت والمزي. وقال محمد بن عبد الأعلى، قال لي المعتمر بن سليمان: لولا أنت من أهلي ما حدثتك بذا عن أبي مكث أبي أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً ويصلي صلاة الفجر بوضوء عشاء

النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء. وروي في بعض الكتب القديمة عن الله تعالى أنه قال: إن عبدي الذي هو عبدي حقاً الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديكة.

بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل:

اعلم ان قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهراً وباطناً.

فأما الظاهرة فأربعة أمور:

الأخيرة، وعن معاذ بن معاذ قال: كانوا يرون أنه أخذ عبادته عن أبي عثمان النهدي، وقال حماد بن سلمة: ما أتينا التيمي في ساعة يطاع الله عز وجل فيها إلا وجدناه مطيعاً وكنا نرى أنه لا يحسن يعصي الله(**ويقال: كان مذهبه أن النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء**) نقله صاحب القوت إلا أنه قال: وجب الوضوء (**ويروى**) في بعض الكتب القديمة (**أن الله عز وجل يقول: إن عبدي الذي هو عبدي حقاً الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديك**) نقله صاحب القوت.

بيان الاسباب التي بها يتيسر أي يتسهل على السالك قيام الليل:

وهي ظاهرة وباطنة وقد أشار إليها المصنف فقال: (**اعلم أن قيام الليل عسر**) صعب (**على الخلق إلاّ على من وفق لقيامه بشروطه الميسرة له ظاهراً وباطناً**).

قال صاحب العوارف: من حرم قيام الليل كسلاً وفتوراً في العزيمة أو تهاوناً به لقلة الاعتداد بذلك واغتراراً بحاله، فليبك عليه فقد قطع عليه طريق من الخير كبير، وقد يكون من أرباب الأحوال من يكون له إيواء إلى القرب ويجد من دعة القرب ما يفتر عليه داعية الشوق ويرى أن القيام ينبغي أن يعلم أن استمرار هذه الحالة متعذر بالانسان معرض للقصور والتخلف والشبهة ولا حالة أجل من حالة رسول الله ﷺ وما استغنى عن قيام الليل وقام حتى تورمت قدماه، وقد يقول بعض من يحتج بذلك أن رسول الله ﷺ فعل ذلك تشريعاً. فنقول ما بالنا لا نتبع تشريعه وهذه دقيقة، فليعلم أن رؤية الفضل في ترك القيام وادعاء الإيواء إلى جناب القرب واستواء النوم واليقظة امتلاء وابتلاء حالي وتقييد بالحال وتحكيم للحال وتحكم من الحال في العبد، والأقوياء لا يتحكم فيهم الحال ويصرفون الحال في صور الأعمال فهم متصرفون في الحال لا الحال متصرف فيهم، فليعلم ذلك فإن رأينا من الأصحاب من كان في ذلك، ثم انكشف له بتأييد الله تعالى أن ذلك وقوف وقصور والله اعلم.

(**فأما**) الأسباب (**الظاهرة فاربعة أمور**.

الأوّل: أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام. كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول: معاشر المريدين لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتتحسروا عند الموت كثيراً، وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام.

الثاني: أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضاً مجلبة للنوم.

الثالث: أن لا يترك القيلولة بالنهار فإنها سنّة للاستعانة على قيام الليل.

الرابع: أن لا يجتنب الأوزار بالنهار فإن ذلك مما يقسي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة. قال رجل للحسن: يا أبا سعيد إني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد

الأوّل: أن لا يكثر الأكل) فتكثر الأبخرة الحارة **(فيشرب)** فترتخي عروقه **(فيغلبه النوم)** لا محالة **(ويثقل عليه القيام)** حينئذ. **(كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول: يا معشر المريدين)** وفي نسخة: معاشر المريدين **(لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتتحسروا عند الموت كثيراً)** لأنه برقادهم كثيراً يفوتهم قيام الليل فيتحسرون بفواته إذا دنا رحيلهم، ويندمون حيث لا ينفع الندم والحسرة وفي نسخة «فتحسروا» **(وهذا هو الأصل الكبير)** في هذا الشأن، **(وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام)**، ويتبع هذا السبب الظاهر سبب آخر باطن وهو أن يتناول ما يأكل من الطعام إذا اقترن بذكر الله ويقظة الباطن فإنه يعين على قيام الليل لأن بالذكر يذهب داؤه، فإن وجد للطعام ثقلاً على المعدة فينبغي أن يعلم أن ثقله على القلب أكثر فلا ينام حتى يذيب الطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار.

(الثاني: أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال) والاشغال **(التي تعيا)** أي تعجز **(بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب)** والقوى، **(فإن ذلك أيضاً مجلبة للنوم)** أي سبب حامل له كما هو مشاهد في أهل الكد في الأعمال الدنيوية، فإنهم إذا أمسى عليهم الليل غلب عليهم التثاقل وغلب عليهم النوم.

(الثالث: أن لا يترك القيلولة بالنهار) وهي النوم في وسط النهار، **(فإنها سبب الاستعانة على قيام الليل)** وفي نسخة سنّة الاستعانة. رواه ابن ماجه من حديث ابن عباس وقد تقدم.

(الرابع: أن يجتنب الأوزار) والمعاصي **(بالنهار فإن ذلك)** أي تحمل الأوزار ربما **(يقتي القلب)** ويسوده **(ويحول بينه وبين أسباب الرحمة)** فإن القلوب القاسية بعيدة عن الرحمات الإلهية **(قال رجل للحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(يا أبا سعيد إني أبيت معافى)** أي في بدني **(وأحب قيام الليل وأعد طهوري)** أي أهيئه **(فما بالي)** أتكاسل و **(لا أقوم)**

طهوري فما بالي لا أقوم؟ فقال: ذنوبك قيدتك. وكان الحسن رحمه الله إذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول: أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فإنهم لا يقيلون. وقال الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته. قيل: وما ذاك الذنب؟ قال: رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي: هذا مراء. وقال بعضهم: دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت: أتاك نعي بعض أهلك؟ فقال: أشد، فقلت: وجع يؤلمك؟ قال: أشد، قلت: فما ذاك؟ قال: بابي مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته. وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير. ولذلك قال أبو سليمان الداراني: لا تفوت أحداً صلاة

هل لذلك من سبب؟ **(فقال: ذنوبك قيدتك)** أي هي التي منعتك عن القيام. نقل صاحب القوت والعوارف. قال صاحب القوت: وكان الحسن يقول: إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وصيام النهار. **(وكان الحسن)** رحمه الله تعالى **(إذا دخل السوق فيسمع لغطهم)** أي صياحهم **(ولغوهم)** وفي نسخة: لهوهم **(يقول: أظن ليل هؤلاء ليل سوء فإنهم لا يقيلون)** وفي القوت: أما يقيلون أي في النهار، ولا يسكنون. ولغوهم هو الذي حملهم على عدم قيامهم بالليل، وهذا القول نقله صاحب القوت. قال وقال بعض السلف: كيف ينجو التاجر من سوء الحساب وهو يلغو بالنهار وينام بالليل. **(وقال)** سفيان بن سعيد **(الثوري)** رحمه الله تعالى: **(حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته. قيل)** له: **(وما ذلك الذنب)** الذي حرمت به قيام الليل؟ **(قال: رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي هذا مراء)** في بكائه لأجل الرياء نقله صاحب القوت. **(وقال بعضهم: دخلت على كرز بن وبرة)** الحارثي نزيل جرجان **(فقلت: أتاك نعي بعض أهلك فقال: أشد. فقلت: وجع)** ولفظ القوت: قلت: فوجع **(يؤلمك. فقال: أشد. قلت: فما ذاك)** ولفظ القوت: فماذا؟ **(فقال: بابي مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته)** نقله صاحب القوت وهو في الحلية لأبي نعيم قال: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن روح، حدثنا محمد بن أشكيب، حدثنا أبو داود الحفري قال: دخل على كرز ابن بنته فإذا هو يبكي قيل له: ما يبكيك؟ قال: إن بابي لمغلق وإن ستري لمسبل ومنعت حزبي أن أقرأه البارحة وما هو إلا من ذنب أحدثته.

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرحمن بن الحسن، حدثنا أبو غسان أحمد بن محمد بن إسحاق، حدثنا الحرث بن مسلم، عن ابن المبارك عن كرز بن وبرة قال: عجزت عن حزبي وما أراه إلا بذنب وما أدري ما هو اهـ.

(وهذا لأن الخير يدعو إلى الخير والشر يدعو إلى الشر والقليل من كل واحد منهما) أي من الخير والشر **(يجر إلى الكثير)**، ومنه قولهم قالوا للقليل إلى أين ذاهب؟ قال: إلى الكثير، **(ولذلك قال أبو سليمان الداراني)** رحمه الله تعالى: **(لا تفوت أحداً صلاة الجماعة إلا**

الجماعة إلا بذنب. وكان يقول: الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة بُعد. وقال بعض العلماء: إذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى أي شيء تفطر، فإن العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حالته الأولى، فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام، وتؤثر اللقمة الحلال في تصفيه القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له، ولذلك قال بعضهم: كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة، وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة. وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات،

بذنب) أحدثه. نقله صاحب القوت إلاّ انه قال: صلاة في جماعة، **(وكان يقول)** يعني أبا سليمان الداراني: **(الاحتلام بالليل عقوبة** والجنابة **بعد)** فكأنه بعد عن الصلاة والتلاوة إذ في ذلك قرب، ومن هذا قوله تعالى ﴿فبصرت به عن جنب﴾ [القصص: ١١] كذا في القوت، ونقله صاحب العوارف وقال: هذا صحيح لأن المراعي المتحفظ بحسن تحفظه وعلمه بحاله يقدر ويتمكن من سد باب الاحتلام، ومن كمل تحفظه ورعايته وقيامه بأدب حاله قد يكون من ذنبه الموجب للاحتلام وضع الرأس على الوسادة، فإذا كان ذا عزيمة في ترك الوسادة فقد يتمهد للنوم، ووضع الرأس على الوسادة بحسن النية من لا يكون ذلك ذنبه وله فيه نية العون على القيام، وقد يكون ذلك ذنباً بالنسبة إلى بعض الناس، فإذا كان هذا القدر يصلح أن يكون ذنباً جالباً للاحتلام فقس على هذا ذنوب الأحوال، فإنها تختص بأربابها ويعرفها أصحابها وقد يترفق بأنواع الرفق من الفراش الوطيء والوسادة، ولا يعاقب بالاحتلام وغيره على فعله إذا كان عالماً ذا نية يعرف مداخل الأمور ومخارجها، وكم من نائم سبق القائم لوفور علمه وحسن نيته والله أعلم.

(وقال بعض العلماء: إذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى أي شيء تفطر، فإن العبد ليأكل الأكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حاله الأوّل) نقله صاحب القوت. **(فالذنوب كلها تورث قساوة القلب)** وتظلمه **(وتمنع من قيام الليل)** بثقلها **(وأخصها)** أي الذنوب **(بالتأثير)** بالقلب **(تناول الحرام)** وما فيه شبهة الحرام **(وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير ما لا يؤثر غيرها، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب)** والجراسة بأنفاسهم عليها **(بالتجربة)** الصحيحة **(بعد شهادة الشرع لذلك)** في الكتاب والسنة. **(ولهذا قال بعضهم: كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت)** وفي القوت حرمت **(قراءة سورة، وأن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة)** فبحسن التفقد يعرف المريد من النقصان، وبقلة الذنوب يوقف على التفقد نقله صاحب القوت. **(وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة**

وقال بعض السجـانين: كنت سجاناً نيفاً وثلاثين سنة أسأل عن كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء في جماعة، فكانوا يقولون: لا. وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطي الفحشاء والمنكر.

وسائر الخيرات.) وتقدم أن الفحشاء ما ينفر عنه الطبع السليم وينقصه العقل المستقيم من رذائل الأعمال الظاهرة، والمنكر ما أنكره العقل واستخبثه الشرع.

(وقال بعض السجانين بدينور) بكسر الدال المهملة وسكون الياء التحتية وفتح النون والواو آخره راء مدينة مشهورة بفارس: **(بقيت سجاناً نيفاً وثلاثين سنة أسأل عن كل مأخوذ بالليل انه هل صلى العشاء في جماعة؟فكانوا يقولون: لا. فهذا تنبيه)** لأهل الاعتبار **(أن بركة الجماعة تمنع من تعاطي الفحشاء والمنكر)** يعني أنهم لو صلوا في جماعة لما أخذوا ليلتهم لأن بركة الجماعة كانت تمنعهم من تعاطي ما يؤخذون بسببه، وبقيت أسباب معينة للقيام لم يشر إليها المصنف.

فمن ذلك استقبال الليل عند الغروب بتجديد الوضوء والقعود مستقبل القبلة منتظراً مجيء الليل وصلاة المغرب، مقيماً في ذلك على أنواع الأذكار.

ومن ذلك مواصلة ما بين العشاءين بأنواع العبادات فإنها تغسل من باطنه آثار الكدورة الحادثة في أوقات النهار من رؤية الخلق ومخالطتهم وسماع كلامهم، فإن ذلك كله له أثر وخدش في القلوب حتى النظر إليهم يعقب كدراً في القلب يدركه من يرزق صفاء القلب فيكون أثر النظر إلى الخلق في عين البصيرة كالقذى في العين وبالمواصلة بين العشاءين يرجى ذهاب ذلك الأثر.

ومن ذلك ترك الحديث بعد العشاء الأخيرة فإن الحديث في ذلك الوقت يذهب طراوة النور الحادث في القلب من مواصلة العشاءين، ويعين على قيام الليل سيما إذا كثر وكان عرياً عن يقظة القلب ثم تجديد الوضوء بعد العشاء الآخرة أيضاً معين على قيام الليل. قال صاحب العوارف: حكى بعض الفقراء عن شيخ له بخراسان أنه كان يغتسل في الليل ثلاث مرات. مرة بعد العشاء الآخرة، ومرة في أثناء الليل بعد الانتباه من النوم، ومرة قبل الصبح. فللوضوء والغسل بعد العشاء الآخرة أثر ظاهر في تيسير قيام الليل.

ومن ذلك القعود على الذكر أو القيام بالصلاة حتى يغلب النوم يعين على سرعة الانتباه إلا أن يكون واثقاً من نفسه وعادته فيتعمد للنوم ويستجلبه ليقوم في وقته المعهود، وإلاَّ فالنوم عن الغلبة هو الذي يصلح للمريدين كما تقدم. فمن نام عن غلبة بهم مجتمع متعلق بقيام الليل يوفق لقيام الليل، وإنما النفس إذا طمعت ووطئت على النوم استرسلت فيه، وإذا أزعجت بصدق العزيمة لا تسترسل في الاستقرار، وقد قيل للنفس نظران: نظر إلى تحت لاستيفاء الأقسام البدنية، ونظر إلى فوق لاستيفاء الأقسام الروحانية، فأرباب العزيمة تجافت جنوبهم عن المضاجع لنظرهم إلى فوق إلى الأقسام العلوية الروحانية، فأعطوا لنفس حقها من النوم ومنعوها حظها، فالنفس بما فيها

وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور:

الأوّل: سلامة القلب عن الحقد على المسلمين، وعن البدع، وعن فضول هموم الدنيا، فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام، وإن قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ولا يجول إلا في وساوسه، وفي مثل ذلك يقال:

يخبرني البوّاب أنك نائم ... وأنت إذا استيقظت أيضاً فنائم

الثاني: خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل، فإنه إذا تفكر في أهوال الآخرة

مركوز من الترابية والجمادية ترسب وتستلذ النوم، وللآدمي بكل أصل من أصول خلقته طبيعة لازمة له، والرسوب صفة التراب، والكسل والتقاعد والتناوم بسبب ذلك طبيعة في الإنسان، فأرباب الهمة قاموا بالليل فهم لموضع علمهم أزعجوا النفوس عن مقار طبيعتها ورقوها بالنظر إلى اللذات الروحانية إلى ذرى تحقيقها فتجافت جنوبهم عن المضاجع وخرجوا عن صفة الغافل الهاجع.

ومن ذلك تغيير العادة إن كان ذا وسادة يترك الوسادة، وإن كان ذا وطاء يترك الوطاء، ولتغيير العادة فيهما تأثير في ذلك، ومن ترك شيئاً من ذلك، والله أعلم بنية وعزيمة يثاب على ذلك بتيسير ما رام، والله أعلم.

(**وأما الميسرات الباطنة فأربع**) خصال.

(**الأولى سلامة القلب عن الحقد**) وهو الانطواء على العداوة والبغضاء (**على أحد من المسلمين**) بل ولا أحد من الكافرين إلا فيما كان متعلقاً بالدين فإنه مطلوب شرعاً، (**و**) كذا سلامة القلب (**من البدع**) المنكرة والحوادث المتجددة عملاً واعتقاداً، (**و**) كذا سلامة القلب (**من فضول هموم الدنيا، فالمستغرق الهم بتدبير**) أمور (**الدنيا لا يتيسر له القيام**) لحجاب قلبه عن أشعة الأنوار، (**وان**) تيسر له القيام و (**قام**) فإنه (**لا يتفكر في صلاته**) بل جميع حالاته (**إلا في مهماته**) التي بات عليها (**ولا يجول**) أي يتحرك خاطره (**إلا في وساوسه**) وهذيانه (**وفي مثله يقال:**

يخبرني البوّاب أنك نائم ... وأنت إذا استيقظت أيضاً فنائم

فنوم هذا وقيام هذا بمنزلة واحدة كل منهما غفلة عن الله تعالى فمن المهم طهارة الباطن عن خدوش هذه الاهوية وكدورة أفكار الدنيا، والنقاوة عن أدناس الغل والحقد والحسد لتنجلي مرآة قلبه، وتقابل اللوح المحفوظ وتنتقش فيه عجائب الغيب.

(**الثانية خوف غالب يلزم القلب**) عن إمارات معلومة (**مع قصر الأمل**) فيما يتوقع حصوله في القلب، (**فإنه إذا تفكر في أهوال الآخرة**) أي شدائدها (**ودركات جهنم**) وما فيها من أنواع العذاب مما سمعه من أفواه العلماء، ومما أدركه في مطالعاته من كتب العلم (**طار**

ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره. كما قال طاوس: إن ذكر جهنم طيَّر نوم العابدين، وكما حكي أن غلاماً بالبصرة إسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته: إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار، فقال: إن صهيباً إذا ذكر النار لا يأتيه النوم. وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال: إذا ذكرت النار اشتد خوفي وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فلا أقدر أن أنام. وقال ذو النون المصري رحمه الله:

منع القـران بـوعـده ووعيـده مقل العيـون بليلهـا أن تهجعـا
فَهِمُوا عن الملك الجليل كلامـه فرِقَـابُهـم ذلّـت إليـه تخضّعـا

وأنشدوا أيضاً:

يـا طـويـلَ الرقــادِ والغَفَلاَتِ كثرة النـوم تــورث الحسراتِ
إنَّ في القبر إن نقلــت إليـــه لـرقــاداً يطــول بعــد المماتِ
ومهــاداً ممهــداً لــك فيـــه بـذنـوب عملـت أو حسنـاتِ

نومه) وذهب كسله **(وعظم حذره)** أي خوفه، **(كما قال طاوس)** بن كيسان اليماني: **(إن ذكر جهنم طيَّر نوم العابدين)** كما تقدم قريباً، **(وكما حكي ان غلاماً بالبصرة اسمه صهيب)** من العباد الزاهدين ذكر له في طبقات ابن الجوزي **(كان يقوم الليل كله)** بالصلاة **(فقالت له سيدته)** أي مالكته: **(إن قيامك بالليل)** كله **(يضر بعملك بالنهار)** أي تفتر عنه. **(فقال)** لها: **(إن صهيباً إذا ذكر النار لا يأتيه النوم)** ولا يهنأ به. **(وقيل لآخر وكان يقوم كل الليل مثل ذلك)** الكلام. **(فقال: إذا ذكرت النار اشتد خوفي، وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فما أقدر أن أنام)** فهو بين الخوف والرجاء. **(ولذي النون)** أي الفيض إبراهيم بن ثوبان النوبي **(المصري)** رحمه الله تعالى وقدس سره ترجمه القشيري في الرسالة وأبو نعيم في الحلية:

(منع القـرآن بـوعـده ووعيـده مقل العيـون بليلهـا أن تهجعـا)

أي قيام العبد بالقرآن وتفهم معناه فيما وعده به لأحبابه من الجنان وأعده لاعدائه من النيران منع العيون أن تنام في ليلها.

(فهموا عن الملك الجليل كلامـه فـرقـابهم ذلـت إليـه تخضعـاً)

(وأنشدوا) في معنى ذلك:

(يـا طـويـل الرقــاد والغفلات كثرة النـوم تــورث الحسراتِ)
(إنَّ في القبر ان نقلــت إليـــه لـرقــاداً يطــول بعــد المماتِ)
(ومهــاداً ممهـداً لــك فيـــه بـذنـوب عملـت أو حسنـاتِ)

أأمنت البيات من ملك المو   ت وكم نال آمناً بياتِ

وقال ابن المبارك:

إذا ما الليل أظلم كابدوه   فيسفر عنهم وهو ركوعُ
أطار الخوف نومهم فقاموا   وأهل الأمن في الدنيا هجوعُ

الثالث: أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه إلى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان، كما حكي أن بعض الصالحين رجع من غزوته فمهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى أصبح، فقالت له زوجته: كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح. قال: والله إني كنت أتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتي شوقاً إليها.

(أأمنت البيات من ملك المو   ت وكم نال آمناً ببياتِ)

البيات: بالفتح الاغارة ليلاً وهو اسم من بيته تبيتاً، ووجدنا في بعض النسخ زيادة وهي قال ابن المبارك:

إذا ما الليل أظلم كابدوه   فيسفر عنهم وهم ركوعُ
أطار الخوف نومهم وقاموا   وأهل الأمن في الدنيا هجوعُ

(الثالثة: أن يعرف فضل قيام الليل بسماع هذه الآيات) الدالة **(والاخبار)** الصريحة **(والآثار)** المتبعة **(التي أوردناها)** آنفاً **(حتى يستحكم بذلك رجاؤه)** في الله تعالى **(وشوقه إلى ثوابه)** الذي أعده له **(فيهيجه الشوق لطلب المزيد)** من المقامات **(والرغبة في درجات الجنان)** والولدان والحور العين، **(كما حكي أن بعض الصالحين رجع عن غزاته)** التي كان توجه إليها، **(فلما كان الليل مهدت امرأته فراشها)** أي هيأته وزينت نفسها **(وجلست تنتظره)** على جاري العادة في قدوم الرجال إلى المنازل، **(فدخل المسجد)** أي مسجد بيته أو محلته **(فلم يزل يصلي حتى أصبح)** ولم يلتفت إلى راحة النوم على الفراش، فلما أصبح **(قالت له زوجته: لم يكن لنا فيك حظ)** كما تحتظ النساء بالرجال. **(قال: والله ما ذكرتك)** أي ما خطرت على بالي، **(ولقد كنت أتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليلة فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول الليلة شوقاً إليها)** إذ طول القيام بالليل من مهور الحور العين، فهذا مقام الرجاء. كما أن الخصلة التي قبلها مقام الخوف. وهذا قد رجع من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، وللعارفين في أحوالهم مقامات.

الرابع: وهو أشرف البواعث الحب لله وقوّة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه، فإذا أحب الله تعالى أحب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام. ولا ينبغي أن تستبعد هذه اللذة إذ يشهد لها العقل والنقل.

فأما العقل، فليعتبر حال المحب الشخص بسبب جماله أو الملك بسبب إنعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به في الخلوة ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليله.

فإن قلت: إن الجميل يتلذذ بالنظر إليه وأن الله تعالى لا يرى؟ فاعلم أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر أو كان في بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمحاورته المجردة دون النظر ودون الطمع في أمر آخر سواه، وكان يتنعم بإظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه، وإن كان ذلك أيضاً معلوماً عنده.

(الرابعة: وهي أشرف البواعث الحب لله عز وجل وقوّة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناج به ربه عز وجل وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه) من الإشارات الإلهية العارية عن الوساوس **(وأن تلك الخطرات)** التي تمر بقلبه يشاهدها بعين قلبه وانها **(خطاب من الله تعالى معه)** وهذا من مقامات الاحياء، **(فإذا أحب الله عز وجل)** وقوي إيمانه وزاد نشاطه بمعرفته **(أحب لا محالة الخلوة به)** عن خطور خطرات السوى **(وتلذذ بالمناجاة بالحبيب)** في قيامه **(فتحمله لذة المناجاة للحبيب على طول القيام)** واستمرار المناجاة. **(ولا ينبغي أن تستبعد هذه اللذة إذا شهد له العقل والنقل)** وفي نسخة إذ يشهد العقل والنقل.

(أما العقل: فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله) وحسن صورته وكمال خلقه **(أو لملك بسبب انعامه)** عليه **(ونواله)** له واحسانه به **(كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليلته)** ولا يبالي بسهره وما يلقاه من النصب فيه بل ما يسمر بخاطره طول الليل.

(فإن قلت: إن الجميل) الذي ضربت به المثل للاعتبار إنما **(يتلذذ بالنظر إليه)** فترى العين منه منظراً حسناً فيحول بينها وبين النوم حجاب، **(وأن الله سبحانه لا يرى)** في الدنيا فكيف التلذذ بمناجاته؟ **(فاعلم أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر وكان في بيت مظلم)** مثلاً **(لكان المحب)** له **(يتلذذ بمحاورته)** أي محادثته **(المجردة)** عن الرؤية **(دون النظر)** إليه **(ودون الطمع في أمر آخر سوى ذلك)** وفي نسخة سواه، **(وكان يتنعم باظهار حبه إليه وذكره بلسانه بمسمع منه)** وإن لم يكن بمرأى، **(وإن كان ذلك أيضاً معلوماً عنده)**.

فإن قلت: إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى؟ فاعلم أنه إن كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له أيضاً لذة في عرض أحواله عليه ورفع سريرته إليه. كيف والموقن يسمع من الله تعالى كل ما يرد على خاطره في أثناء مناجاته فيتلذذ به؟ وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به في رجاء انعامه والرجاء في حق الله تعالى أصدق وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما عند غيره، فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات؟

وأما النقل؛ فيشهد له أحوال قوّام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم: كيف أنت والليل؟ قال: ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته بعد. وقال آخر: أنا والليل فرسا رهان مرة يسبقني إلى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر. وقيل لبعضهم: كيف الليل عليك؟ فقال:

(**فإن قلت: إنه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله عز وجل؟ فاعلم أنه وإن كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه فاللذة باقية له في عرض أحواله**) أي أثنائها (**و**) في (**رفع سريرته**) الباطنة (**إليه. كيف والموقن يسمع من الله عز وجل كل ما يرد على خاطره**) من الإشارات (**في أثناء مناجاته**) ومحاورته (**فيتلذذ به، وكذا الذي يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته في جنح الليل يتلذذ به في رجاء إنعامه**) وإحسانه (**والرجاء في حق الله تعالى صدق**) لا خلف فيه بخلاف الرجاء في الملك (**وما عند الله سبحانه أبقى وأنفع مما عند غيره**) لوجوه كثيرة. (**فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه في الخلوات**)؟ فهذه شهادة العقل.

(**وأما النقل؛ فتشهد له أحوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له**) السين هنا للوجدان. يقال: استقصره إذا وجده قصيراً أو عدّه كذلك (**كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب**) أي يجدها قصيرة ويتمنى لو طالت، ومن هنا قول بعضهم سنة الوصل سنة كما أن سنة الهجر سنة، وهم ثلاثة أصناف: قوم قطعهم الليل فكان هؤلاء المريدون والأوراد والأجزاء كابدوا الليل فغلبهم، وقوم قطعوا الليل فكان هؤلاء العاملون الذين صبروا وصابروا الليل فغلبوه، وقوم قطع بهم الليل فكان هؤلاء المحبون والعلماء أهل الفكر والمحادثة، وأهل الانس والمجالسة، وأهل الذكر والمناجاة، وأهل التخلق والملاقاة نقص الليل عليهم حالهم وقصر النعيم عليهم ليلهم ورفع الحبيب عنهم نومهم وخفف الفهم عليهم قيامهم واذهب مزيد الوصل عنهم مللهم وأوصل العتاب بهم سهرهم، (**حتى قيل لبعضهم: كيف أنت والليل: فقال: ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته**) نقله صاحب القوت. (**وقال آخر**) منهم: (**أنا والليل فرسا رهان مرة يسبقني إلى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر**) نقله صاحب القوت. والرهان:

ساعة أنا فيها بين حالتين افرح بظلمته إذا جاء واغتم بفجره إذا طلع، ما تم فرحي به قط. وقال علي بن بكار: منذ أربعين سنة ما أحزنني شيء سوى طلوع الفجر. وقال الفضيل بن عياض: إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي، وإذا طلعت حزنت لدخول الناس عليّ. وقال أبو سليمان: أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا، وقال أيضاً: لو عوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم. وقال بعض العلماء: ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة. وقال بعضهم: لذة المناجاة ليست من الدنيا إنما هي من الجنة أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سواهم. وقال ابن المنكدر: ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام

بالكسر مصدر راهنه بكذا، وتراهنوا أخرج كل واحد منهما رهناً ليفوز السابق بالجميع إذا غلب. **(وقيل لبعضهم: كيف الليل عليك؟ قال: ساعة أنا فيها بين حالين أفرح بظلمته إذا جاء واغتم بفجره إذا طلع ما تم فرحي به قط)** ولا استشفيت فيه قط كذا في القوت. وقيل لآخر منهم: كيف الليل عليك؟ فقال: والله ما أدري كيف انا فيه إلا أني بين نظرة ووقفة يقبل بظلامه فأرتدعه ثم يسفر قبل أن أتلبسه وأنشد:

لم أستتم عناقه لقدومه ... حتى بدا تسليمه لوداعِ

وتذاكر قوم قصر الليل عليهم فقال بعضهم: أما أنا فإن الليل يزورني قائماً ثم ينصرف قبل أن أجلس.

(وقال علي بن بكار) البصري الزاهد نزيل المصيصة ستأتي ترجمته قريباً: **(منذ أربعين سنة ما أحزنني شيء سوى طلوع الفجر)** نقله صاحب القوت. **(وقال الفضيل بن عياض)** رحمه الله تعالى: **(إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي)** عز وجل، **(وإذا طلعت الشمس حزنت لدخول الناس عليّ)** كذا في القوت. **(وقال أبو سليمان)** الداراني رحمه الله تعالى: **(أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا)** كذا في القوت. **(وقال أيضاً لو عوّض الله سبحانه أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه)** في قلوبهم **(من اللذة لكان ذلك أكثر من أعمالهم)** كذا في القوت. **(وقال بعض العلماء: ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة)** كذا في القوت. **(وقال بعضهم)**: قيام الليل والتملق للحبيب و**(لذة المناجاة)** للقريب في الدنيا **(ليست من الدنيا إنما هي من الجنة أظهرها الله لأوليائه)** في الدنيا لا يعرفها إلاّ هم **(ولا يجدها سواهم)** روحاً لقلوبهم. نقله صاحب القوت بتغيير يسير.

(وقال ابن المنكدر) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيمي أبو عبد الله، ويقال

الليل ولقاء الأخوان والصلاة في الجماعة. وقال بعض العارفين: إن الله تعالى ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنواراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي إلى قلوب الغافلين. وقال بعض العلماء من القدماء: إن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لي عباداً من عبادي أحبهم ويحبونني ويشتاقون إلي وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكرهم، وينظرون إليّ وأنظر إليهم، فإن حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك. قال: يا رب وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي

أبو بكر المدني ذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من أهل المدينة. كان من معادن الصدق إمام أمثاله من سادات الفقراء كان لا يتمالك إذا قرأ الحديث. روى عن أبيه وعائشة وأبي هريرة وأبي قتادة وأبي أيوب وجابر، وعنه شعبة ومالك والسفيانان مات سنة ١٣٠: **(ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الاخوان، والصلاة في جماعة)** نقله صاحب القوت. وبكى عامر بن عبد الله بن الزبير حين حضرته الوفاة فقيل له في ذلك وقال: والله ما أبكي حباً للبقاء، ولكن ذكرت ظمأ الهواجر في الصيف وقيام الليل في الشتاء. وقال عتبة الغلام: كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة. وقال يوسف بن إسباط: قيام ليلة أسهل عليّ من عمل قفة، وكان يعمل كل يوم عشر قفاف. وقال غيره: ما رأيت أعجب من الليل إن اضطربت تحته غلبك وإن ثبت له لم يقف.

(وقال بعض العارفين: إن الله عز وجل ينظر بالأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنواراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافي إلى قلوب الغافلين) هكذا هو في القوت.

وقال بعض العلماء: إن الله عز وجل ينظر إلى الجنان عند السحر نظرة، فتشرق وتضيء وتهتز وتدنو وتزداد جمالاً وحسناً وطيباً ألف ألف ضعف في جميع معانيها، ثم تقول ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ فيقول الله سبحانه: هنيئاً لك منازل الملوك. وعزتي وجلالي وعلوي في ارتفاع مكاني لا يسكنك جبار ولا بخيل ولا متكبر ولا فخور، وينظر سبحانه إلى العرش نظرة فيتسع ألف ألف سعة يزاد بكل توسعة ألف ألف علم بالله تعالى كل علم منها لا يعلم وسعه إلا الله عز وجل، ثم يهتز فيثقل على الحملة حتى يموج بعضهم في بعض ويحطم بعضهم بعضا وهم بعدد ما خلق الله عز وجل أضعاف جميع ما خلق فيقول العرش ما هو إلا هو.

(وقال بعض العلماء) من المتقدمين: **(إن الله عز وجل أوحى إلى بعض الصديقين إن لي عباداً من عبادي يحبونني وأحبهم، ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم، ويذكرونني وأذكرهم، وينظرون إليّ وأنظر إليهم فإن حذوت)** أي سلكت **(طريقتهم أحببتك، وإن عدلت عنهم مقتك)** والمقت أشد الغضب. **(قال: يا رب وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال)** جمع ظل ما

الراعي غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها، فإذا جنّهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لي أقدامهم وافترشوا لي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا إليَّ بانعامي، فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك بعيني ما يتحملون من أجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي. أول ما أعطيهم أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم. والثانية: لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم، والثالثة: اقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه؟ وقال مالك بن دينار رحمه الله: إذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار عز وجل وكانوا يرون ما يجدون من الرقة والحلاوة في قلوبهم

نسخته وهو من الطلوع إلى الزوال **(بالنهار)** أي يراعونها لإقامة الأوراد فيه **(كما يراعي الراعي)** الشفيق **(غنمه ويحنون)** أي يميلون باشتياق **(إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها)** عند الغروب، **(فإذا جنهم الليل)** أي سترهم **(واختلط الظلام)** وفرشت الفرش ونصبت الأسرّة **(وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لي أقدامهم)** أي للقيام في الصلاة **(وافترشوا لي وجوههم)** أي بالسجود **(وناجوني بكلامي وتملقوا لي بانعامي فمن بين صارخ وباك وبين متاوّه وشاك)** أي باختلاف أحوالهم بين الصريخ عند غلبة الحال، وبين البكاء والتضرع والتأوّه والشكاية. وقال أبو سليمان الداراني: أهل الليل على ثلاث طبقات منهم من إذا قرأ فتفكر بكى، ومنهم إذا تفكر صاح وراحته في صياحه، ومنهم إذا قرأ فتفكر بهت فلم يبك ولم يصح. قال الراوي قلت له: من أي شيء بهت هذا، ومن أي شيء صاح هذا؟ فقال لا أقوى على التفسير. **(بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشكون من حبي. أول ما أعطيهم أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم. والثانية: لو كانت السموات السبع والأرض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم. والثالثة: اقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه)**؟ هكذا ساقه صاحب القوت بطوله. ونقله أيضاً صاحب العوارف وزاد: فالصادق المريد إذا خلا في ليلة بمناجاة ربه انتشرت أنوار ليله على جميع أجزاء نهاره، ويصير نهاره في حماية ليله وذلك لامتلاء قلبه بالأنوار فتكون حركاته وتصاريفه بالنهار تصدر من منبع الأنوار المجتمعة من الليل، ويصير قالبه في فئة من فئات الحق مسددة حركاته موفرة سكناته.

(وقال مالك بن دينار) أبو يحيى البصري رحمه الله تعالى: **(إذا قام العبد يتهجد من الليل)** ورتَّل القرآن كما أمر **(قرب منه الجبار عز وجل)** كذا في القوت إلا أنه قال: قرب الجبار منه. **(قال)** مالك، **(وكانوا يرون)** أن **(ما يجدون في قلوبهم من الرقة والحلاوة)**

والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب. وهذا له سر وتحقيق سيأتي الإشارة إليه في كتاب المحبة.

وفي الأخبار عن الله عز وجل: «أيّ عبدي أنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري» وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طـول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال أستاذه: يا بني إن لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطىء القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال: يا سيدي؛ تركتني لا أنام بالليل ولا بالنهار واعلم ان هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل. وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبدالله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً إلا أعطاه إياه»، وفي رواية أخرى: «يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة» ومطلوب

والفتوح (**والأنوار من قرب الرب عز وجل من القلب**) كذا في القوت (**وهذا له سر وتحقيق ستأتي الإشارة إليه في كتاب المحبة**) إن شاء الله تعالى.

(**وفي الاخبار يقول الله تعالى: «أي عبدي أنا الله الذي اقتربت لقلبك وبالغيب رأيت نوري»**) هكذا هو في القوت.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا هارون بن عبدالله وعلي بن مسلم قالا: حدثنا سيار، حدثنا جعفر قال: سمعت مالكاً يعني ابن دينار يقول «قرأت في التوراة ابن آدم لا تعجب أن تقوم بين يدي باكياً فإني أنا الله الذي اقتربت بقلبك وبالغيب رأيت نوري» قال مالك يعني تلك الرقة وتلك الفتوح التي يفتح الله لك منهم.

(**وشكا بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل**) وأن السهر قد أضرَّ به (**وطلب حيلة يجتلب بها النوم فقال استاذه: يا بني إن لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطىء القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات**) ففيها الخيرة. (**فقال: يا أستاذ تركتني لا أنام بالليل ولا بالنهار**) نقله صاحب القوت، (**واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب وانفراده واندفاع الشواغل**) وترك الخلطة.

(**وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله**) الأنصاري رضي الله عنهما، (**عن النبي ﷺ إنه قال: «إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل خيراً إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة»**) رواه مسلم وقد تقدم هذا الحديث قريباً. (**ومطلوب القائمين**) بالليل (**تلك**

القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في شهر رمضان، وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة والله أعلم.

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل:

اعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب.

الأولى: إحياء كل الليل وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم، فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام إلى النهار في وقت اشتغال الناس، وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء. حكى أبو طالب المكي أن ذلك حكي على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين، وكان فيهم من واظب عليه أربعين سنة، قال: منهم سعيد بن

الساعة وهي مبهمة) غير معينة **(في جميع الليل كليلة القدر في رمضان)** كله، **(وكساعة يوم الجمعة)** وقد تقدم الكلام في كل منها في مواضعها من هذا الكتاب، **(وهي ساعة النفحات المذكورة)**.

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق زيد بن أسلم قال قال أبو الدرداء رضي الله عنه «التمسوا الخير دهركم كله وتعرضوا لنفحات رحمة الله تعالى فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده».

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل:

(أعلم أن إحياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب).

(المرتبة الأولى: إحياء كل الليل) بالصلاة والتلاوة والأذكار وغيرها من أنواع العبادات، **(وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى)** فلا شغل لهم سواها **(وتلذذوا بمناجاته)** في تلاوتهم **(وصار ذلك غذاء لهم)** أي بمنزلة الغذاء الذي لا يستغنى عنه **(وحياة لقلوبهم)** وتنويراً لها، **(فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام إلى النهار في وقت اشتغال الناس)** بالكسب في أسواقهم، وفي نسخة بأمور الدنيا. **(وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف)** الصالحين **(كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء)** الآخرة.

(حكى) الإمام **(أبو طالب المكي)** في كتابه قوت القلوب: **(أن ذلك حكي على سبيل الاشتهار عن أربعين من التابعين، وكان منهم من واظب على ذلك أربعين سنة)**. ولفظ القوت: وممن اشتهر بإحياء الليل كله وصلاة الغداة بوضوء العشاء الأخيرة أربعين سنة، حتى نقل ذلك عنه أربعون من التابعين **(قال: منهم سعيد بن المسيب، وصفوان بن سليم المدنيان)** أما سعيد بن المسيب، فهو الإمام أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ

المسيب، وصفوان بن سليم ـ المدنيان ـ وفضيل بن عياض، ووهيب بن الورد ـ المكيان ـ وطاوس، ووهب بن منبه ـ اليمانيان ـ والربيع بن خيثم، والحكم ـ الكوفيان ـ وأبو سليمان

بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي سيد التابعين، ولد لسنتين مضتا لخلافة عمر، وكان أعلم أهل المدينة بالحلال والحرام فقيهاً متأهلاً ثقة من أهل الخير، صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة. مات سنة أربع وتسعين وهو ابن خمس وسبعين سنة. روى له الجماعة.

وأما صفوان بن سليم، فهو أبو عبد الله، وقيل: أبو الحرث القرشي الزهري الفقيه، وأبوه سليم مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف. قال ابن سعد: ثقة كثير الحديث عابد. وقال يحيى بن سعيد: هو رجل يستسقي بحديثه وينزل المطر من السماء بذكره، وعنه أيضاً ثقة من خيار عباد الله الصالحين. وقال مالك بن أنس: كان يصلي في الشتاء وفي الصيف في بطن البيت ينتفض بالحر والبرد حتى يصبح ثم يقول: هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم، وأنه لزم رجلاه حتى يعود كالسقط من قيام الليل وتظهر فيه عروق خضر. وقال عبد العزيز بن أبي حازم عادلني صفوان إلى مكة فما وضع جنبه بالأرض حتى يلقى الله عز وجل، فكنت على ذلك أكثر من ثلاثين عاماً، ومن طريق غيره أربعين سنة، فلما حضرته الوفاة واشتد به النزع وهو جالس فقالت ابنته: يا أبت لو وضعت جنبك على الأرض. فقال: يا بنية إذا ما وفيت لله عز وجل بالنذر والحلف فمات وانه لجالس سنة إثنين وثلاثين ومائة، روى له الجماعة.

(وفضيل بن عياض، ووهيب بن الورد المكيان) أما فضيل؛ فهو أبو علي فضيل بن عياض ابن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي، ولد بسمرقند ونشأ بابيورد وكتب الحديث بالكوفة وتحوّل إلى مكة فسكنها ومات بها. قال أبو حاتم: صدوق. وقال النسائي: ثقة صالح مأمون. وعن ابن المبارك: ما بقي في الحجاز أحد من الأبدال إلا فضيل بن عياض وعلي ابنه وعلي مقدم على أبيه في الخوف. وقال بشر بن الحرث: عشرة ممن كانوا يأكلون الحلال فذكر فيهم فضيل بن عياض وابنه علياً، وكان ممن صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة. توفي بمكة سنة سبع وثمانين ومائة، روى له الجماعة إلا ابن ماجه.

وأما وهيب بن الورد، فهو أبو عثمان المكي مولى بني مخزوم تقدمت ترجمته في آخر كتاب الصلاة، وكان ممن صلّى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة. مات سنة ثلاث وخمسين ومائة. روى له مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

(والربيع بن خيثم، والحكم الكوفيان). أما الربيع؛ فهو أبو زيد الربيع بن خيثم بن عائذ بن عبد الله بن موهبة الثوري الكوفي من كبار التابعين تقدمت ترجمته في كتاب تلاوة القرآن وكان من المخبتين. قال ابن سعد: توفي في ولاية عبيد الله ابن زياد. روى له الجماعة إلا أبا داود.

وأما الحكم، فهو أبو عبد الله الحكم بن عتيبة الكندي الكوفي مولى امرأة من كندة، كان

الداراني، وعلي بن بكار ـ الشاميان ـ وأبو عبدالله الخواص، وأبو عاصم ـ العباديان ـ وحبيب أبو محمد، وأبو جابر السلهاني ـ الفارسيان ـ ومالك بن دينار، وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي، وحبيب بن أبي ثابت، ويحي البكاء ـ البصريون ـ وكهمس بن المنهال

من أثبت أصحاب إبراهيم النخعي ثقة عابد زاهد ثبت في الحديث. ولد سنة خمسين ومات سنة ثلاث عشرة ومائة. روى له الجماعة.

(وأبو سليمان الداراني، وعلي بن بكار الشاميان). أما أبو سليمان، فهو أحمد بن عبد الرحمن بن عطية من أهل داريا ترجمه صاحب الحلية والرسالة والذهبي في التاريخ، وكان من الورع والعبادة بمكان.

وأما علي بن بكار: فهو البصري الزاهد نزيل المصيصة من ثغور الشام. روى عن ابن عوف وحسين المعلم والطبقة، وكان صاحب كرامات وتأله. مات سنة سبع وعشرين. روى له النسائي.

(وأبو عبدالله الخواص وأبو عاصم العباديان). أما أبو عبد الله الخواص.

وأما أبو عاصم، فهو عبيد الله وقيل عبد الله بن عبد الله. روى عن أبان وابن جدعان، وعنه ابن المديني وإسحاق. قال ابن معين وغيره: صالح الحديث روى له ابن ماجه. وعبادان جزيرة في بحر فارس تقدم ذكرها في آخر كتاب الحج.

(وحبيب أبو محمد، وأبو جابر السلهاني الفارسيان) أما حبيب، فهو أبو محمد العجمي من ساكني البصرة. صاحب الكرامات مجاب الدعوات ترجمه أبو نعيم في الحلية. وأخرج من طريق السري بن يحي قال: كان أبو محمد يرى بالبصرة يوم التروية، ويرى بعرفة عشية عرفة. قيل: إنه أسند عن الحسن وابن سيرين وهو وهم من قائله، فإن حبيباً الذي أسند عنهما هو حبيب المعلم، وأما أبو جابر السلهاني.

(ومالك بن دينار، وسليمان التيمي، ويزيد الرقاشي، وحبيب بن أبي ثابت، ويحي البكاء البصريون). أما مالك بن دينار: فهو أبو يحي الناجي السامي البصري الزاهد، مولى امرأة من بني ناجية بن سامة بن لؤي، وكان أبوه من سبي سجستان. وقيل: من كابل. قال النسائي: ثقة. وذكره ابن حبان في كتاب المصاحف، وكان يكتب المصاحف بالأجرة ويتقوّت بأجرته، وكان يجانب الإباحات جهده، ولا يأكل شيئاً من الطيبات، وكان من المتعبدة الصبر والمتقشفة الخشن: له ترجمة طويلة في الحليـة. مات سنة ثلاث وعشرين ومائة.

وأما سليمان التيمي؛ فهو أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي تقدمت ترجمته في كتاب الدعوات.

وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقرأه مرة أخرى، وأيضاً من أهل المدينة أبو حازم، ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم.

المرتبة الثانية: أن يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من

وأما يزيد الرقاشي؛ فهو يزيد بن أبان القاص العابد. روى عن أنس والحسن، وعنه صالح المري، وحماد بن سلمة. روى له الترمذي، وابن ماجه.

وأما حبيب بن أبي ثابت، فهكذا هو في القوت، وتبعه المصنف. والذي يظهر أنه وهم من النساخ، فإن حبيب بن أبي ثابت كوفي وهو قد ساقه في عداد البصريين. قال العجلي: تابعي ثقة كان يفتي بالكوفة قبل حماد بن أبي سليمان، وأما حبيب ابن أبي حبيب فإنه بصري ثقة. روى له مسلم والنسائي وابن ماجه، ومن أهل البصرة من يسمى بهذا الاسم حبيب بن الشهيد الأزدي أبو محمد تابعي أدرك أبا الطفيل، وحبيب المعلم أبو محمد البصري مولى معقل بن يسار. روى له الجماعة.

وأما يحيى البكّاء فهو يحيى بن مسلمة، ويقال ابن أبي خليد تابعي بصري. روى عن ابن عمر وأبي العالية. وعن عبد الوارث وعلي بن عاصم. روى له الترمذي وابن ماجه.

(**وكهمس بن المنهال**) السدوسي أبو عثمان البصري اللؤلؤي محله الصدق، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. قال صاحب القوت: (**وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقرأه مرة أخرى**) روى له البخاري حديثاً واحداً مقروناً بغيره.

(**وأيضاً من أهل المدينة أبو حازم**) سلمة بن دينار الأعرج الأفرز القاص الزاهد الحكيم مولى بني شجيع من بني ليث بن بكر. روى عن سهل بن سعد الساعدي وهو راويه. قال أحمد: ثقة لم يكن في زمانه مثله، وله ترجمة في الحلية مطوّلة. مات سنة أربع وأربعين ومائة.

(**ومحمد بن المنكدر**) بن الهدير أبو بكر المدني تقدمت ترجمته قريباً (**في جماعة يكثر عددهم**). هؤلاء المشهورون منهم. كذا قاله صاحب القوت، وتبعه المصنف، ونقل صاحب العوارف مثل ذلك مختصراً وأحاله على القوت، وممن كان يحيي الليل كله الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه وقد تقدم ذلك للمصنف قريباً، وكان ينبغي عداده في الكوفيين فهو أفضلهم وأورعهم، ومنهم أبو عبد الله الحرث بن يعقوب بن ثعلبة المصري مولى قيس بن سعد بن عبادة. قال ابن معين: ثقة. وقال النسائي: ليس به بأس. وقال موسى بن ربيعة: كان الحرث من العباد قانتاً لله وكان إذا انصرف من صلاة عشاء الآخرة يدخل بيته فيصلي ركعتين ويجاء بعشائه فيوضع عنده فهو ينظر إليه فيقول: أصلي أيضاً ركعتين، فإذا فرغ من الركعتين يقول: أصلي أيضاً ركعتين فلا يزال يصلي ركعتين حتى يصبح فيكون عشاؤه وسحوره واحداً. روى له مسلم والترمذي والنسائي.

(**المرتبة الثانية: أن يقوم نصف الليل، وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف**

السلف، وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأوّل من الليل والسُدس الأخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الأفضل.

المرتبة الثالثة: أن يقوم ثلث الليل فينبغي أن ينام النصف الأول والسُدس الأخير، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لأنه يذهب النعاس بالغداة، وكانوا يكرهون ذلك. ويقلل صفرة الوجه والشهرة به، فلو قام أكثر الليل ونام سحراً قلّت صفرة وجهه وقلّ نعاسه. وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه

وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأوّل من الليل) أي بعد العشاء الآخرة إلى أن يكمل أربع ساعات منه **(و)** ينام **(السُدس الأخير منه)** وهو قبل الفجر بنحو ساعة ونصف **(حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه)** نحو أربع ساعات **(فهو الأفضل)** وهذا الاعتبار في ليالي الشتاء، وأما في الليالي القصيرة فيقع قيامه في وسط الليل نحو ساعتين فقط، وقد أشار إلى هذا المرتبة صاحب القوت فقال: فإن أحب المريد نام ثلث الليل الأوّل وقام نصفه ونام سُدسه الآخر.

(المرتبة الثالثة: أن يقوم ثلث الليل فينبغي أن ينام النصف الأوّل والسدس الآخر) وأشار إليه صاحب القوت بقوله وان أراد نام نصف الليل وقام ثلثه ونام سدسه، **(وبالجملة نوم آخر الليل محبوب)** وفي نسخة: مستحب **(لأنه يذهب النعاس)** وهو النوم القليل وهي ريح لطيفة تأتي من قبل الدماغ تغطي على العين ولا يصل إلى القلب، فإذا وصل إليه كان نوماً **(بالغداة)** أي الصبح قبل طلوع الشمس وبعده، **(وكانوا يكرهون)** ذلك أي النعاس بالغداة. **(ويقلل صفرة الوجه)** فإنه إذا لم يأخذ الراحة قبل الفجر فترت الأعضاء وغلب الكسل فإن غالبه ولم يمكنه من نفسه أورث صفرة اللون في الوجه وفي سائر البدن **(والشهرة به، فلو قام أكثر الليل ونام سحراً)** أي في وقت السحر وهو السدس الأخير من الليل **(قلّت صفرة وجهه وقلّ نعاسه)** ونشطت الأعضاء وتنبهت القوّة.

ولفظ القوت: ونوم آخر الليل مستحب لمعنيين. أحدهما: أنه يذهب بالنعاس بالغدوات وقد كانوا يكرهون النعاس بالغداة ويأمرون الناعس بعد صلاة الصبح بالنوم والمعنى الثاني: أنه يقل صفرة الوجه فلو قام العبد أكثر الليل ونام سحراً أذهب نعاسه بالغداة وقلت صفرة وجهه، ولو نام أكثر الليل وسهر من السحر جلب عليه النعاس بالغداة وصفرة الوجه، فليتق العبد ذلك فإنه باب غامض من الشهرة والشهوة الخفية به، وليقل شرب الماء بالليل فقد يكون منه الصفرة سيما آخر الليل وبعد الانتباه من النوم اهـ.

(قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا أوتر من آخر الليل فإن كانت له حاجة إلى أهله دنا منهن) يعني الجماع **(وإلا اضطجع في مصلاه)** أي موضعه الذي ينام فيه **(ويصلي حتى يأتيه بلال)** المؤذن رضي الله عنه **(فيؤذنه)** أي يعلمه **(بالصلاة»)**.

للصلاة » وقالت أيضاً رضي الله عنها : « ما ألفيته بعد السحر إلاَّ نائماً » حتى قال بعض السلف : هذه الضجعة قبل الصبح سنّة ، منهم أبو هريرة رضي الله عنه . وكان نوم هذا الوقت سبباً للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب ، وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الأول من اوراد النهار ، وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ، ونوم السدس الأخير قيام داود ﷺ .

قال العراقي : رواه مسلم من حديث عائشة : « كان ينام أول الليل ويحيي آخره ثم إن كانت له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام » . وقال النسائي : « فإذا كان من السحر أوتر ثم أتى فراشه فإذا كانت له حاجة ألم بأهله » . ولأبي داود « كان إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فإن كنت مستيقظة حدثني وإن كنت نائمة أيقظني وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصلي ركعتين خفيفتين ثم يخرج إلى الصلاة » وهو متفق عليه بلفظ : « كان إذا صلى فإن كنت مستيقظة حدثني وإلا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة » . وقال مسلم : « إذا صلى ركعتي الفجر » .

(**وقالت عائشة رضي الله عنها : « ما ألفيته بعد السحر الأعلى إلا نائماً »**) تعني رسول الله ﷺ كذا في القوت .

قال العراقي : متفق عليه بلفظ : « ما ألفي رسول الله ﷺ السحر الأعلى في بيتي إلا نائماً » لم يقل البخاري « الأعلى » وقال ابن ماجه : « ما كنت ألفي أو ألقى النبي ﷺ من آخر الليل إلا وهو نائم عندي » اهـ .

وفي القوت : وفي الخبر الآخر : « كان رسول الله ﷺ إذا أوتر من آخر الليل اضطجع على شقه الأيمن ضجعة حتى يأتيه بلال فيخرج معه إلى الصلاة » فقد كانوا يستحبون هذه بعد الوتر قبل صلاة الصبح ، (**حتى قال بعض السلف : هذه الضجعة قبل الصبح**) وبعد الوتر (**سنة منهم أبو هريرة**) رضي الله عنه كذا في القوت .

(**وكان نوم هذا الوقت**) من آخر الليل وفي الثلث الأخير مزيد لأهل الحضور و(**سبباً للمكاشفة**) لهم عن الملكوت (**والمشاهدة**) واستماع العلوم من الجبروت (**من وراء حجب الغيب وذلك لأرباب القلوب**) الصافية الواعية (**وفيه**) سكن و(**استراحة تعين**) العمال وأهل المجاهدة (**على الورد الأول من أوراد النهار**) ، ولذلك حظرت بعد طلوع الفجر وبعد صلاة العصر ليستريح عمال الله سبحانه وأهل أوراد الليل والنهار فيها ، والنوم من آخر الليل هو نقصان لأهل السهو والغفلة من حيث كان فريداً لأهل الشهود واليقظة لأنه آخر خدمة أولئك ففيه راحتهم وهو تطاول النوم والغفلة بهؤلاء فهو نقصهم . (**وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ، ونوم السدس الأخير قيام داود عليه السلام**) . قال صاحب القوت : وقد روي أنه من أفضل القيام جاء ذلك في روايتين .

المرتبة الرابعة: أن يقوم سدس الليل أو خُمسه وأفضله أن يكون في النصف الأخير وقبل السُدس الأخير منه.

المرتبة الخامسة: أن لا يراعي التقدير، فإن ذلك إنما يتيسر لنبي يوحى إليه أو لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه، ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم، ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يغلبه النوم، فإذا انتبه قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل، وأشد الأعمال وأفضلها. وقد كان هذا من أخلاق رسول الله ﷺ وهو طريقة ابن عمر وأولي العزم من الصحابة

(**المرتبة الرابعة: أن يقوم سدس الليل أو خمسه وأفضل ذلك أن يكون في النصف الأخير**) منه (**وقبل السدس الأخير منه**) أشار إليه صاحب القوت بقوله: ولا يدع العبد أن يقوم مقدار خمس الليل أو سدسه، وهو ورد من أوراد الليل، أو وردان على اختلافهما في الطول والقصر متفرقاً كان قيامه أو متصلاً. وأي ورد أحياه من الليل بأي نوع من الأذكار فقد دخل في أهل البلد وله معهم نصيب.

(**المرتبة الخامسة: أن لا يراعي التقدير**)فلا يكون قيامه ونومه موزوناً عدلاً (**فإن ذلك إنما يتيسر لنبي**)بقلب دائم اليقظة و(**يوحى إليه**)من الله سبحانه، ولا يسلك هذا الطريق إلا بأسباب هي زادك لأن كل طريق يقطع بزاد مثله، فمن أراد أخذ من زاده هكذا ذكره صاحب القوت، وأتبعه بذكر الأسباب الثمانية التي ذكرها المصنف آنفاً. ثم قال: فهذه رياضة المريد إلى أن يألف القيام فيتجافى جنبه حينئذ لما في قلبه من الخوف والرجاء الذي قد استكن فيه، وقد اقتصر صاحب القوت على أن مراعاة التقدير يتيسر لنبي بوحي، وزاد المصنف فقال: (**أو لمن يعرف منازل القمر**)الثمانية والعشرين وكيفية حلول القمر فيها، ومتى يحل وكم يمكث ومتى يرتحل معرفة جيدة بكثرة الملازمة والتجربة، (**ويوكل به**)مع ذلك (**من يراقبه ويوقظه، ثم**)هذا فيه ما فيه من التعب المفضي إلى اختلال أمور كثيرة فإنه (**ربما يضطرب ذلك في ليالي الغيم**)فيحول بينه وبين رؤيته للمنازل، (**ولكنه يقوم من أول الليل إلى أن يغلبه النوم فينام، فإذا انتبه قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم**) ثم يقوم آخر الليل (**فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل وهو من أشد الأعمال وأفضلها**) وهذه طريقة أهل الحضور واليقظة وأهل الأفكار والتذكرة. (**وقد كان هذا من أخلاق رسول الله ﷺ**)، ففي الخبر: ما كنت تريد أن ترى رسول الله ﷺ قائماً إلا رأيته، ولا كنت تريد أن تراه نائماً إلا رأيته.

قال العراقي: روى أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث أم سلمة: «كان يصلي وينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح». وللبخاري من حديث ابن عباس: «صلى العشاء ثم جاء فصلى أربع ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصلى خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيطه» الحديث اهـ.

وجماعة من التابعين رضي الله عنهم. وكان بعض السلف يقول: هي أول نومة فإذا انتبهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله لي عيناً، فأما قيام رسول الله ﷺ من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثيه أو سدسه يختلف ذلك في الليالي، ودل عليه قوله تعالى في الموضعين من سورة المزمل ﴿إنَّ ربَّك يعلم أنَّك تقومُ أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه﴾ [المزمل: ٢٠] فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه فإن كسر قوله: ﴿ونصفه وثلثه﴾ كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وإن نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضي الله عنها: كان ﷺ يقوم إذا سمع الصارخ - يعني الديك - وهذا يكون السُدس فما دونه. وروى غير

قلت: وللنسائي: «كان يصلي العتمة ثم يسبح ثم يصلي بعدها ما شاء الله من الليل ثم ينصرف فيرقد مثل ما صلى، ثم إنه يستيقظ من نومه ذلك فيصلي مثل ما نام وصلاته تلك الأخيرة تكون إلى الصبح».

(وهي طريقة ابن عمر) ولفظ القوت: وكان هذا مذهب ابن عمر **(رضي الله عنهما وأولي العزم من الصحابة)** في قيام الليل، **(و)** فعله **(جاعة من التابعين)** رحمهم الله تعالى. **(وكان بعض السلف يقول: هي أول نومة فإن انتبهت ثم عدت إلى النوم فلا أنام الله عيني)** نقله صاحب القوت بلفظ: «ثم عدت إلى نومة أخرى، ونقل صاحب العوارف مثله وزاد قال: وحكى لي بعض الفقراء عن شيخ له أنه كان يأمر الأصحاب بنومة واحدة بالليل وأكلة واحدة بالنهار لليوم والليلة، **(فأما قيام رسول الله ﷺ من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد، بل ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو سدسه)** وفي بعض النسخ: أو ثلثيه بعد قوله أو ثلثه **(يختلف ذلك في الليالي)**.

قال العراقي: رواه الشيخان من حديث ابن عباس: فقام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ» الحديث. وفي رواية للبخاري: «فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء» الحديث. ولأبي داود، «حتى إذا ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ» الحديث. ولمسلم من حديث عائشة: «فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل».

(يدل على ذلك قول الله عز وجل في الموضعين من سورة المزمل ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه). ولفظ القوت: وقد كان رسول الله ﷺ يقوم ليلة نصف الليل وليلة ثلثه وليلة ثلثيه وذلك مذكور في أول الآيتين من قيام الليل في سورة المزمل. وقد كان ﷺ يقوم ليلة نصف الليل ونصف سدسه معه، ويقوم ليلة ربعه، ويقوم ليلة سدس الليل حسب، وذلك مذكور في أخرى الآيتين من قيام الليل اهـ.

(فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه فإن كسر قوله: ﴿ونصفه وثلثه﴾ كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع، وإن نصب كان نصف الليل وثلثه).

واحد أنه قال: « راعيت صلاة رسول الله ﷺ في السفر ليلاً فنام بعد العشاء زماناً ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ حتى بلغ ﴿إنك لا تخلف الميعاد﴾ [آل عمران: ١٩١ - ١٩٤] ثم استل من فراشه سواكاً فاستاك به وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل الذي نام، ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى، ثم استيقظ فقال ما قال أوّل مرة وفعل ما فعل أوّل مرة ».

ولفظ القوت: وهذا على قراءة من كسر ونصفه وثلثه فأما من نصب فقال ونصفه وثلثه فإنه يعني يقوم النصف من نصف السدس والنصف وحده والثلث وحده، وهو الذي ذكرناه من الآية الأولى. وقد جاء في التفسير نحو هذا، وهو ﷺ مفترض عليه صلاة الليل فالآية الأولى أمره بقيام الليل فيها، والأخرى عنه بقيامه كيف هو فالأجود أن يكون ما أخبر عنه مواطئاً لما أمر به فالذي أمره به أن قال: ﴿قم الليل﴾ ثم استثنى القليل منه وقال: ﴿إلا قليلا﴾ ثم فسر أمره وقال: ﴿نصفه أو أنقص﴾ من النصف قليلاً يعني، والله سبحانه وتعالى أعلم أنقص نصف السدس أو ثلث النصف هـذان أقل أسماء النقصان عند العرب، ثم قال: ﴿أو زد عليه﴾ نصف سدس الليل لأنه أخبر عنه في الآية الأخرى بأقل من الثلثين، فقال عز وجل: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل﴾ يكون هذا نصف ونصف سدس وهو أقل التسمية عندهم، ثم قال: ونصفه أي ويعلم أنك تقوم أيضاً نصفه وثلثه. أي: وتقوم ثلثه. فهذه الأخبار أشبه لوطء الأمر من قراءة من كسر فقال ونصفه وثلثه يريد ويقوم أدنى من نصفه وهو الربع أو الثلث، وأدنى من ثلثه وهو السدس أو نصف السدس.

(**وقد قالت عائشة رضي الله عنها: « كان رسول الله ﷺ يقوم**) من الليل (**إذا سمع الصارخ »**) قال العراقي: متفق عليه.

قلت: ورواه كذلك أحمد وأبو داود والنسائي. (**أي الديك**) وإنما سمي به لكونه كثير الصياح ليلاً. قال الطيبي: إذا في الحديث لمجرد الظرف، (**وهذا يكون السدس فما دونه**). ولفظ القوت: هذا يكون من السحر فكان هذا يكون سدس الليل أو نصف سدسه اهـ.

وقال ابن ناصر: أول ما يصيح الديك نصف الليل غالباً وقال ابن بطال: ثلثه، ثم قال صاحب القوت: وهذا أيضاً فيه رخصة وسعة لقوام الليل، قلنا ذلك تقريباً لا تحديداً والله سبحانه وتعالى العالم الحكيم. والنصب اختيارنا في القراءة على معنى كثرة القيام ولمواطأة الخبر عنه للأمر.

(**وروي عن بعض الصحابة**) كذا في النسخ. وفي نسخة العراقي: وروى غير واحد من الصحابة، ووقع في بعض النسخ وروى واقد وأخاله تصحيفاً (**أنه قال: « راعيت صلاة رسول الله ﷺ ليلاً فنام بعد العشاء زماناً، ثم استيقظ فنظر في الأفق فقال: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ حتى بلغ (إنك لا تخلف الميعاد﴾ ثم استل من فراشه سواكاً فاستاك به وتوضأ وصلى حتى قلت قد صلى مثل الذي نام، ثم اضطجع حتى قلت قد نام مثل ما صلى، ثم**

المرتبة السادسة: وهي الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين أو تتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلاً بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله، وقد جاء في الأثر: صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة، فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما يراه أيسر عليه، وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي أن يهمل إحياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء. ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائماً ويقوم بطرفي الليل وهذه هي المرتبة السابعة.

استيقظ فقال ما قال أول مرة وفعل ما فعل أول مرة»). قال العراقي: رواه النسائي من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف إن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ قال: قلت وأنا في سفر مع رسول الله ﷺ والله لأرقبن رسول الله ﷺ، فذكر نحوه. وروى أبو الوليد بن مغيث في كتاب الصلاة من رواية إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أن رجلاً قال: «لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ الليلة». فذكر الحديث وفيه: «أنه أخذ سواكه من مؤخرة الرحل» وهذا يدل على أنه أيضاً كان في سفر.

(**المرتبة السادسة: وهي الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين**) وبه فسر الأثر الآتي للمصنف قريباً (**أو يتعذر عليه الطهارة**) لمانع من مرض ثقيل أو برد شديد أو عدم وجدان الماء في ذلك الوقت، (**فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلاً بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله**)، ففضله واسع كما أن رحمته وسعت كل شيء.

(**وقد جاء في الأثر: صل من الليل ولو قدر حلب شاة**). قال العراقي: رواه أبو يعلى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوعاً: نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة، ولأبي الوليد بن مغيث من رواية إياس بن معاوية مرسلاً لا بد من صلاة الليل ولو حلبة ناقة أو حلبة شاة اهـ.

قلت: أورد هذا الأثر صاحب القوت وقال هذا يكون مقدار أربع ركعات ويكون مقدار ركعتين اهـ.

وروى ابن أبي شيبة، والبيهقي، ومحمد بن نصر في الصلاة، عن الحسن مرسلاً: صلوا من الليل ولو أربعاً صلوا من الليل ولو ركعتين ما من أهل بيت تعرف لهم صلاة من الليل إلا ناداهم منادياً أهل البيت قوموا لصلاتكم وإياس بن معاوية المذكور هو المزي، ومرسله رواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم بلفظ: «لا بد من صلاة بليل ولو حلب ناقة ولو حلب شاة وما كان بعد صلاة العشاء الأخيرة فهو من الليل. (**فهذه طرق القسمة**) في صلاة الليل (**فليتخير المريد**) السالك في طريق الحق (**لنفسه ما رآه أيسر عليه**) وأسهل، (**وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي أن يهمل**) أي يترك (**إحياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء**) مما ذكر آنفاً، (**ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائماً ويقوم بطرفي الليل وهذه**

ومهما كان النظر إلى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره.

وأما في الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيها إلى القدر. فليس يجري أمرها في التقدم والتأخر على الترتيب المذكور، إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة، ولا الخامسة دون الرابعة.

هي المرتبة السابعة) ولفظ القوت: وإن أراد المريد إحياء الوردين اللذين من أول الليل أحدهما: بين العشاءين، والثاني: قبل نومة الناس فإن إحياء هذين الوردين عند بعض العلماء أفضل من صيام يوم، ثم ليقم الورد الرابع وهو ما بين الفجرين وهو أول ثلث الليل الآخر أو، الورد الخامس وهو السحر الآخر قبل طلوع الفجر الثاني وهو يصلح للقراءة والإستغفار إن كان لم يعتد القيام في جوف الليل، وأي ورد أحياه من الليل بأي نوع من الأذكار فقد دخل في أهل الليل وله معهم نصيب اهـ.

قلت: وروى الديلمي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: من صلى أربع ركعات بعد العشاء ثم أوتر فنام على وتره فهو في صلاة حتى يصبح. **(ومهما كان النظر إلى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره)** في الشتاء والصيف.

(وأما في المرتبة الخامسة والسابعة فلم ينظر فيها إلى المقدار وليس يجري أمرها في التقدم والتأخر على الترتيب المذكور إذ السابعة ليست دون ما ذكرناه في السادسة ولا الخامسة دون الرابعة).

تنبيه:

اشتهر على الألسنة حديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» واختلف فيه قال الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة: لا أصل له، وإن روي من طرق عند ابن ماجه، وأورد الكثير منها القضاعي وغيره، ولكن قد رأيت بخط شيخنا في بعض أجوبته أنه ضعيف بل قواه بعضهم والمعتمد الاول، وقد أطنب ابن عدي في رده ومثلوا في الموضوع غير المقصد لكثرة طرقه. قال أبو طاهر: ظن القضاعي أن الحديث صحيح وهو معذور لأنه لم يكن حافظاً اهـ.

واتفق أئمة الحديث ابن عدي، والدارقطني، والعقيلي، وابن حبان، والحاكم على أنه من قول شريك قاله لثابت حين دخل عليه. وقال ابن عدي: سرقه جماعة عن ثابت كعبد الله بن شبرمة الشريكي، وعبد الحميد بن بحر وغيرهما اهـ كلام السخاوي.

قلت: رواه ابن ماجه عن إسماعيل بن محمد الطلحي، عن ثابت بن موسى الضرير العابد، عن شريك عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقال الذهبي: فيه ثابت بن موسى الضرير الكوفي العابد. قال يحيى: كذاب، وقال ابن نمير: خبر باطل، وقال الحاكم: هذا لم يثبت، وسببه أن ثابت بن إبراهيم الزاهد كان يقوم الليل، فأصبح يوماً فأتى

مجلس شريك وهو على الحديث فقال: حدثنا شقيق بن سلمة عن أبي مسعود فوقع نظره على هذا الزاهد فقال شريك: من كثرت صلاته الخ. فسمعه الزاهد فظن أنه متن الإسناد فرواه مسنداً فصار حديثاً عند من لا يعرف الحديث اهـ.

وذكر الحافظ هذا السبب من وجه آخر بعد أن قال لا أصل له، ولم يقصد ثابت وضعه، وإنما دخل على شريك وهو بمجلس إملائه عند قوله: حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان عن جابر قال رسول الله ﷺ ولم يذكر المتن، فقال شريك: متصلاً بالسند أو المتن حين نظر إلى ثابت ممازحاً به من كثرة صلاته الخ معرضاً بزهده وعبادته، فظن ثابت أن هذا متن السند فحدث به. وقال الحافظ السيوطي في أعذب المناهل: حكم الحفاظ على هذا الحديث بالوضع وأطبقوا على أنه موضوع هذا لفظه، ثم أنه قد أورده في جامعه الكبير والصغير. قال في الكبير رواه ابن ماجه والعقيلي والبيهقي عن جابر وابن عساكر عن أنس، واقتصر في الصغير على إشارة ابن ماجه، ولذا وجد شارحه المناوي سبيلاً في الطعن عليه حيث قال: إذا كان الحديث موضوعاً باتفاق المحدثين فكيف يورده في كتاب ادعى أنه صانه عما تفرد به وضاع والله أعلم.

وعلى تقدير ثبوت الحديث فاختلف في المراد بالنهار، فالمشهور أنه نهار الدنيا ومعناه استنار وجهه وعلاه بهاء وضياء، وقيل: المراد به نهار القيامة، وهذا قد ذكره الثعلبي وأورده السهروردي في آخر الباب الخامس والأربعين في ذكر فضل قيام الليل من كتاب العوارف ما لفظه: وقد ورد من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار، ويجوز أن يكون لمعنيين:

أحدهما: أن المشكاة تستنير بالمصباح فإذا صار سراج اليقين في القلب يزهر بكثرة زيت العمل بالليل فيزداد المصباح إشراقاً فتكسب مشكاة القلب نوراً وضياء. كان سهل بن عبد الله يقول: اليقين نار، والإقرار فتيله، والعمل زيت. وقد قال الله تعالى: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ [الفتح: ٢٩] وقال تعالى: ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ [النور: ٣٥] فنور اليقين من نور الله تعالى من زجاجة القلب يزداد ضياء بكثرة زيت العمل، فتبقى زجاجة القلب كالكوكب الدري، وتنعكس أنوار الزجاجة على مشكاة القلب، وأيضاً يلين القلب بنار النور ويسرى لينه إلى القالب فيلين القالب بلين القلب فيتشابهان لوجود اللين الذي عمهم. قال الله تعالى: ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ [الزمر: ٢٣] وصف الجلود باللين كما وصف القلوب باللين، فإذا امتلأ القلب بالنور ولأن القلب بما يسري فيه من الأنين والسرور يندرج المكان والزمان في نور القلب، وتندرج فيه الكلم والآيات والسور وتشرق الأرض أرض القالب بنور ربها إذ يصير القلب سماوياً والقالب أرضياً ولذة تلاوة كلام الله تعالى في عمل المناجاة تستركون الكائنات، والكلام المجيد بكونه ينوب عن سائر الوجود في مزاحمة صفو الشهود، فلا يبقى حينئذ للنفس حديث ولا يسمع للهاجس حثيث وفي مثل هذه الحالة يتصور تلاوة القرآن من فاتحة إلى خاتمة من غير وسوسة وحديث نفس وذلك هو الفضل العظيم.

بيان الليالي والأيام الفاضلة:

اعلم أن الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكد فيها استحباب الاحياء في السنّة خمس عشرة ليلة لا ينبغي أن يغفل المريد عنها فإنها مواسم الخيرات ومظان التجارات، ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح، ومتى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح، فستة من هذه الليالي في شهر رمضان. خمس في أوتار العشر الأخير إذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان، فهي ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر. وقال ابن الزبير رحمه الله: هي ليلة القدر، وأما التسع الأُخر فأوّل ليلة

والوجه الثاني للحديث المذكور معناه أن وجوه أموره التي يتوجه إليها تحسن وتتداركه المعونة من الله تعالى في تصاريفه، ويكون معاناً في مصدره ومورده فتحسن وجوه مقاصده وأفعاله، وينتظم في سلك السداد مسددة أقواله لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب، والله أعلم.

بيان الليالي الفاضلة المرجو فيها الفضل المستحب احياؤها(و) ذكر مواصلة الأوراد في الأيام الفاضلة:

(اعلم أن الليالي المخصوصة بمزيد الفضل التي يتأكد فيها استحباب الاحياء في السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغي أن يغفل المريد عنها فإنها مواسم الخيرات) أي معالمها **(ومظان التجارات، ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح)** فهو أشد محافظة لها فإن البضائع لا تروج إلا في المواسم، **(ومتى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح)** في أعماله، **(فستة من هذه الليالي في شهر رمضان)** خاصة **(خمسة هي أوتار العشر الأخير)** الحادية والعشرين، والثالثة، والخامسة والعشرين، والسابعة والعشرين، والتاسعة والعشرين. **(إذ فيها تطلب ليلة القدر)** فإنها عند الشافعي وآخرين منحصرة في العشر الأواخر، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: اعتكفنا مع رسول الله ﷺ العشر الأوسط من رمضان فخرجنا صبيحة عشرين فخطبنا رسول الله ﷺ صبيحة عشرين فقال: « إني رأيت ليلة القدر وإني نسيتها فالتمسوها في العشر الأواخر في وتر فإني أريت أني أسجد في ماء وطين » الحديث. وفي بعض روايات مسلم: « إني اعتكفت العشر الأول ألتمس هذه الليلة، ثم أعتكف العشر الأوسط، ثم أتيت فقيل لي إنها في العشر الأواخر فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف ». الحديث. والصحيح من مذهب الشافعي أنها تختص بالعشر الأخير، وإنها في الأوتار أرجى منها في الأشفاع.

(وليلة سبع عشرة من رمضان فهي ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر. وقال ابن الزبير) عبد الله رضي الله عنه: **(هي ليلة القدر)** هكذا وقع في النسخ عزو هذا القول إلى ابن الزبير، والمشهور حكاية هذا القول عن زيد بن أرقم، وابن مسعود، والحسن البصري، ففي معجم الطبراني عن زيد بن أرقم قال: ما أشك وما أرتاب أنها ليلة سبع

من المحرم وليلة عاشوراء وأوّل ليلة من رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة، فقد قال ﷺ : « للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة » فمن صلى في هذه الليلة اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد في كل ركعتين ويسلّم في آخرهن ثم يقول: « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائماً فإن الله يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو في معصية ». وليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما

عشرة. ليلة أنزل القرآن ويوم التقى الجمعان. وعن زيد بن ثابت أنه كان يحيي ليلة سبع عشرة فقيل له تحيي ليلة سبع عشرة. قال: إن فيها أنزل القرآن وفي صبيحتها فرق بين الحق والباطل وكان يصبح فيها بهيج الوجه.

(**وأما التسعة الأخر**) هكذا في النسخ وبه يكمل العدد إذ ذكر أنهن خمسة عشرة ليلة في السنة، وفي بعض النسخ، وأما الثمان الأخر وهو خطأ، (**فأول ليلة من المحرم أو العاشرة أو الحادية عشر**) على اختلاف بين العلماء في تعيين عاشوراء، (**وأول ليلة من**) شهر (**رجب وليلة النصف منه**) أي من رجب (**وليلة سبع وعشرين منه**) أي من رجب، (**وهي ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة. قال النبي ﷺ : « للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة » فمن صلى فيها إثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن يتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول: « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائماً فإن الله سبحانه يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو في معصية »**) قال العراقي ذكر أبو موسى المديني في كتاب فضائل الأيام والليالي أن أبا محمد الخبازي رواه من طريق الحاكم أبي عبد الله من رواية محمد بن الفضل، عن أبان، عن أنس. ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان اهـ.

قلت: وروى الديلمي من طريق خالد بن الهياج بن بسطام، عن أبيه، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان رضي الله عنه رفعه: « في رجب يوم وليلة من صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة كان له من الأجر كمن صام مائة سنة وقام مائة سنة وهي لثلاث بقين من رجب في ذلك اليوم بعث الله محمداً نبياً ». قال السيوطي في ذيل الموضوعات: هياج تركوا حديثه.

(**وليلة النصف من شعبان**) قال صاحب القوت: وقد كانوا يصلون (**فيها مائة ركعة في كل ركعة سورة الإخلاص عشر مرات**) يكون الجميع ألف مرة. (**كانوا**) يسمونها صلاة

أوردناه في صلاة التطوّع، وليلة عرفة وليلتا العيدين قال ﷺ: « من أحيا ليلتي العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب ».

الخير (**ولا يتركونها**) ويتعرفون بركتها ويجتمعون فيها، وربما صلوها جماعة، (**كما أوردناه في صلاة التطوع**). وتقدم هناك عن الحسن قال: حدثني ثلاثون من أصحاب النبي ﷺ أن من صلى هذه الصلاة من هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة قضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة هكذا ذكره صاحب القوت.

ورواه محمد بن ناصر الحافظ بسنده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً « يا علي من صلى مائة ركعة من ليلة النصف من شعبان يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد عشر مرات قضى الله له كل حاجة طلبها تلك الليلة » الحديث بطوله ذكره السيوطي في اللآلىء المصنوعة.

وروي الجوزقاني بسنده إلى ابن عمر مرفوعاً « من قرأ ليلة النصف من شعبان ألف مرة قل هو الله أحد في مائة ركعة لم يخرج من الدنيا حتى يبعث الله إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من النار وثلاثون يعصمونه من أن يخطىء وعشر يكيدون من عاداه ».

وروي الديلمي في مسند الفردوس بسنده إلى محمد بن مروان الذهلي، عن أبي يحي حدثني أربعة وثلاثون من أصحاب النبي ﷺ قالوا: قال رسول الله ﷺ: فذكر مثله سواء. وفي الطريقين مجاهيل وضعفاء بمرة.

(**وليلة عرفة وليلة العيدين**) الفطر والأضحى. (**قال ﷺ: « من أحيا ليلة العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب »**) قال العراقي: رواه ابن ماجة بإسناد ضعيف من حديث أبي أمامة اهـ.

قلت: رواه من طريق بقية عن أبي أمامة بلفظ: « من قام ليلتي العيد لله محتسباً لم يمت قلبه حين تموت القلوب » وبقية صدوق لكنه كثير التدليس، وقد رواه بالعنعنة. ورواه ابن شاهين بسند فيه ضعيف ومجهول، ورواه الطبراني في الكبير من حديث عبادة بن الصامت بلفظ: « من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » فسياق المصنف أشبه بهذا السياق من سياق ابن ماجه، وفي السند عمر بن هارون البلخي ضعيف. وقال الحافظ: حديث مضطرب الإسناد، وقد خولف في صحابيه وفي رفعه. ورواه الحسن بن سفيان عن عبادة أيضاً وفيه بشر بن رافع متهم بالوضع، وقال النووي في الأذكار: يستحب إحياء ليلتي العيد بالذكر والصلاة وغيرهما من الطاعات لهذا الحديث فإنه وإن كان ضعيفاً. لكن أحاديث الفضائل يسامح فيها. قال: والأظهر أنه يحصل الإحياء بمعظم الليل اهـ.

وروى ابن عساكر في التاريخ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه: « من أحيا الليالي الأربع وجبت له الجنة. ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر ». قال الحافظ: حديث غريب،

وأما الأيام الفاضلة فتسعة عشر يستحب مواصلة الأوراد فيها يوم عرفة، ويوم

وعبد الرحيم بن زيد العمي راويه متروك، وسبقه ابن الجوزي فقال: حديث لا يصح. وعبد الرحيم قال يحي: كذاب، وقال النسائي: متروك. وقال الشافعي: بلغنا أن الدعاء يستجاب في خمس ليال أول ليلة من رجب، وليلة نصف شعبان، وليلتي العيد وليلة الجمعة.

تنبيه:

قال صاحب القوت: وقد قيل ان هذه يعني ليلة النصف من شعبان هي التي قال الله تعالى فيها: ﴿يفرق كل أمر حكيم﴾ [الدخان: ٤] وأنه ينسخ فيها أمر السنة وتدبير الأحكام إلى مثلها من قابل والله أعلم.

والصحيح من ذلك عندي أنه في ليلة القدر وبذلك سميت لأن التنزيل يشهد له إذ في أول الآية ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ [الدخان: ٣] ثم وصفها فقال: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ فالقرآن إنما أنزل في ليلة القدر فكانت هذه الآية بهذا الوصف في هذه الليلة مواطئاً لقوله عز وجل: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر: ١] اهـ.

(وأما الأيام الفاضلة؛ فهي تسعة عشر يوماً يستحب مواصلة الأوراد فيها) والدؤب في العبادة.

(يوم عرفة) روى سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً: « من صلى يوم عرفة بين الظهر والعصر أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد خمسين مرة كتب الله تعالى له ألف ألف حسنة ورفع له بكل حرف درجة في الجنة بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام » الحديث. وفيه ضعاف ومجاهيل، وراويه النهاس بن فهم عن قتادة وسعيد لا يساوي شيئاً.

وروى الحسن ومعاوية بن قرة وأبو وائل عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما مرفوعاً « من صلى يوم عرفة ركعتين يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب ثلاث مرات في كل مرة يبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم ويختم آخرها بآمين، ثم يقرأ بقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات، وقل هو الله أحد مائة مرة يبدأ في كل مرة ببسم الله الرحمن الرحيم إلا قال الله عز وجل لملائكته أشهدكم أني قد غفرت له ». قال السيوطي: لا يصح راويه عبد الرحمن بن أنعم ضعفوه. قال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات ويدلس.

(ويوم عاشوراء) وفضل هذا اليوم وما ورد فيه مشهور لا نطيل بذكره، فقد أفرد بالتآليف. وفي الخبر « صوم يوم عرفة يكفّر سنة ماضية وسنة مستقبلة، وصوم يوم عاشوراء كفارة سنة » رواه ابن ماجه عن أبي سعيد. وروى الديلمي من حديث ابن عمرو « من صام يوم الزينة أدرك ما فاته من صيام السنة » يعني يوم عاشوراء.

عاشوراء، ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم. روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهراً» وهو اليوم الذي أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد ﷺ بالرسالة. ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر، ويوم النصف من شعبان، ويوم الجمعة، ويوما العيدين، والأيام المعلومات وهي عشر من ذي الحجة، والأيام المعدودات وهي أيام التشريق. وقد روى أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام، وإذا

(ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم روى أبو هريرة) رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ قال «من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله عز وجل له صيام ستين شهراً» وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد ﷺ بالرسالة)**. قال العراقي: رواه أبو موسى المديني في كتاب فضائل الليالي والأيام من رواية شهر بن حوشب عنه اهـ.

قلت: وقد سبق في حديث سلمان في ذلك اليوم بعث الله محمداً ﷺ نبياً **(وهو يوم وقعة بدر)**. رواه الطبراني عن زيد بن أرقم وقد تقدم قريباً.

(ويوم النصف من شعبان) صبيحة ليلة البراءة.

(ويوم الجمعة) وقد ورد في فضله أخبار تقدم ذكرها في كتاب الصلاة.

(ويوما العيد) يوم عيد الفطر ويوم عيد الأضحى.

(والأيام المعلومات وهي عشر من ذي الحجة والأيام المعدودات وهي أيام التشريق) وقد تقدم الكلام عليها في كتاب الحج، **(وقد روي عن أنس)** بن مالك رضي الله عنه **(عن رسول الله ﷺ أنه قال «إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة»)** هكذا أورده صاحب القوت، وقد تقدم في الباب الخامس من الصلاة. أورده هناك مقتصراً على الجملة الأولى، ورواه بجملته ابن حبان في الضعفاء، وأبو نعيم في الحلية، والدارقطني في الأفراد، وابن عدي في الكامل، والبيهقي في الشعب من حديث عائشة.

قال العراقي: هناك ولم أجده من حديث أنس. قال الدارقطني في الأفراد: حدثنا أبو محمد بن صاعد، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، عن عبد العزيز بن أبان، عن الثوري، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة. وأما أبو نعيم فقال في الحلية بعد أن أخرجه تفرد به إبراهيم بن سعيد الجوهري عن أبي خالد القرشي. وأما البيهقي فأورده من طريقين وقال: لا يصح، وإنما يعرف من حديث عبد العزيز بن أبان عن سفيان وهو ضعيف بمرة، وهو عن الثوري باطل ليس له أصل. وأعله ابن الجوزي بعبد العزيز فأورده في الموضوعات وقال: تفرد به وهو كذاب. وقال الذهبي في الميزان: هو أحد المتروكين. قال يحيى: كذاب خبيث حدث بأحاديث موضوعة. وقال أبو حاتم: لا يكتب حديثه. وقال البخاري: تركوا حديثه وساق له هذا الخبر، ونازع السيوطي ابن الجوزي في دعوى تفرد عبد العزيز به وأورد له طريقاً أخرى في اللآلئ المصنوعة.

سلم شهر رمضان سلمت السنة». وقال بعض العلماء: من أخذ مهنأه في الأيام الخمسة في الدنيا لم ينل مهنأه في الآخرة، وأراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء.

ومن فواضل الأيام في الأسبوع يوم الخميس والاثنين ترفع فيهما الأعمال إلى الله تعالى، وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة إلى الإعادة، والله أعلم. وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين.

ومعنى الحديث إذا سلم يوم الجمعة من وقوع الآثام فيه سلمت أيام الأسبوع من المؤاخذة، وإذا سلم رمضان من ارتكاب المحرمات فيه سلمت السنة كلها من المؤاخذات، وذلك لأنه سبحانه جعل لأهل كل ملة يوماً يتفرغون فيه لعبادته ويتخلون عن الشغل الدنيوي، فيوم الجمعة يوم عبادة هذه الأمة وهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور وساعة الإجابة فيه كليلة القدر في رمضان، فلهذا من صح وسلم له يوم جمعته سلمت له أيام أسبوعه كلها، ومن صح وسلم له رمضان صح له سائر سنته. فيوم الجمعة ميزان الأسبوع، ورمضان ميزان العام ومن لم يسلم له يوم الجمعة أو رمضان فقد باء بعظيم.

(**وقال بعض العلماء**) ولفظ القوت: وقال بعض علمائنا وكأنه يشير بذلك إلى سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى: (**من أخذ مهنأه في الأيام الخمسة**) ولفظ القوت في هذه الأيام الخمسة (**في الدنيا لم ينـل مهنأه في الآخرة**). وقال أيضاً: أيام يرجى فيها الفضل من الله تعالى، فإذا اشتغلت فيها بهواك وعاجل الدنيا فمتى ترجو الفضل والمزيد، (**وأراد به**) أي بقوله هذه الأيام الخمسة: (**العيدين والجمعة وعرفة ويوم عاشـوراء ومـن فـواضـل الأيـام في الأسبوع**) بعد هذا (**الخميس والإثنين**) يومان (**يرفع فيهما الأعمال إلى الله عز وجل**)، ومن فواضل الشهور الأربعة الحرم، وهم: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب خصهن الله عز وجل بالنهي عن الظلم فيهن لعظيم حرماتها، فكذلك الأعمال لها فيهن فضل على غيرها وأفضلها: ذو الحجة لوقوع الحج فيه ولما خص به من الأيام المعلومات والأيام المعدودات، ثم ذو القعدة لجمعه الوصفين معاً وهو من أشهر الحرم ومن أشهر الحج، فأما المحرم ورجب فليسا من أشهر الحج، وأما شوال فليس من أشهر الحرم، ولكنه من أشهر الحج وأفضل الأيام في أشهر العشر أن العشر الأواخر من شهر رمضان والعشر الأول من ذي الحجة وبعدهما عشر المحرم من أوله، فالأعمال في هذه الأيام لها فضل ومزيد على سائر الشهور، وقد ذكرنا فضائل الأشهر والأيام للصيام في كتاب الصوم فلا حاجة بنا إلى الإعادة والله أعلم.

وإذا أحب الله عبداً استعمله في الأوقات الفاضلة بأفضل الأعمال ليثيبه أفضل الثواب وإذا مقت عبداً استعمله بأسوأ الأعمال في فضائل الأوقات ليضاعف له السيئات بانتقاص من حرمات الشعائر وانتهاك الحرم في الحرمات، ويقال: من علامات التوفيق ثلاث دخول أعمال البر عليك من

....

غير قصد لها، وصرف المعاصي عنك مع الطلب لها، وفتح باب اللجا والافتقار إلى الله عز وجل في الشدة والرخاء، ومن علامة الخذلان تعسير الخيرات عليك مع الطلب لها، وتيسير المعاصي لك مع الهرب منها، وغلق باب اللجا والافتقار إلى الله عز وجل في كل حال. فنسأل الله عز وجل بفضله حسن التوفيق والاختيار، ونعوذ به من سوء القضاء والأقدار، وقد تم شرح كتاب ترتيب الأوراد، وبه تم ربع العبادات ويتلوه ربع العادات والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. اللهم إني أتوسل إليك بمصنف هذا الكتاب أن تجبر كسري وتلطف بي في عواقبي وتشفي لي مريضي وتكشف ما بي، فقد ضقت ذرعاً وذبت همًّا وأمسيت لا أستطيع نفعاً.

قال الشيخ المؤلف حفظه الله: وكان الفراغ من تحرير هذا في وقت صلاة العشاء الآخرة ليلة السبت لعشر مضين من جمادى الثانية من شهور سنة ١١٩٨ اختتمها الله بخير وإلى خير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب الأكل وهو الأوّل من ربع العادات من كتاب إحياء العلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ناصر كل صابر وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي جعل الأمور العادية مقصودة لمواضع الحاجات، وأجرى سنته في حفظ قوام البدن بتناول ما يستعان به على الطاعات، وخلق الشمس والقمر والنجوم بأمره مسخرات. أحمده على أن ركب الآدمي بلطيف حكمته من أخص جواهر الجسمانيات والروحانيات، وجعله مستودع خلاصة الأرض والسموات، وجعل عالم الشهادة وما فيها من الحيوان والنبات عمارة وإصلاحاً للبدن وكون فيه الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة آمن بها من فساد الطويات واعوجاج الهيئات وأسلم بها من رداءة الطبائع وتخريب البنيان، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد نبيه النبيه، المعصوم من التمويه، القانت المصلح الحكيم المرسل بالآيات الواضحات، والدلائل القاطعات، الآمر أمته بإصلاح النيات، وعلى آله الهداة وأصحابه الثقات، والتابعين لهم بإحسان إلى ما بعد الممات، ما أجريت العادات، لإحياء مراسم العبادات.

أما بعد، فهذا شرح (**كتاب آداب الأكل**) وهو الأول من ربع العادات من الإحياء لإمام العلوم حجة الإسلام قطب دائرة الفهوم أبي حامد الغزالي المخصوص بالتقديم على كل إمام ومأموم، سقى الله ضريحه صوب الغفران، وأحيا بمعارفه ميت القلوب في كل زمان يحل من رشق ألفاظه ما خفي ودق تيسيراً للطالبين، ويحقق من رموز معانيه الأقوم الأحق إرشاداً للراغبين فمن أمّ متنه بهذا الشرح حاز حسن السلوك وأذن له بالدخول في مقاصير الملوك فهو نعم الخضير في المسالك والدليل لكل سالك، والصديق الصادق، والرفيق الموافق. شرعت فيه وجوارحي هدف سهام الآلام، وخواطري أحاطت بها شغل الشواغل من وراء ومن أمام، فإلى الله أشكو بثي وحزني وهو المعين لا إله سواه ولا شافي إلا إياه، إليه فوضت أمري وعليه اعتمدت في تيسير عسيري، سبحانه سبحانه جل شأنه ما أعظم امتنانه وهو حسبي ونعم الوكيل وعليه قصد السبيل.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**بسم الله الرحمن الرحيم**) اقتداء بكتاب الله العظيم واقتفاء لآثار

الحمد لله الذي أحسن تدبير الكائنات، فخلق الأرض والسموات، وأنزل الماء الفرات من المعصرات، فأخرج به الحب والنبات، وقدّر الأرزاق والأقوات، وحفظ

نبيه الكريم، إذ باسمه الشريف يتبرك في مبادئ الأمور وبسره تنال الأماني وتنشرح الصدور، ثم أردفه بقوله: (**الحمد لله**) إذ ما من خير من خيور الدنيا والآخرة إلا وهو موليه، فالحمد في الحقيقة كله له وهو رأس الشكر لكونه أدل على مكان النعم لخفاء الاعتقاد، فمن لم يحمده لم يشكره وما بكم من نعمة فمن الله (**الذي أحسن تدبير الكائنات**) أي المخلوقات الكونية، وأصل الكون حصول الصورة في المادة بعد أن لم تكن وهو مرادف للوجود المطلق العام وتدبيرها النظر في عواقبها بما يصلحها مما يفسدها، والمراد بإحسانه هذا إعطاؤها ما يليق لها وبها، وإليه يشير قوله تعالى في مقام المنة ﴿أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [طه: ٥٠] (**فخلق الأرض**) متوسطة بين الصلابة والرخاوة حتى صارت متهيأة كالفراش المبسوط (**والسموات**) كالقبة المضروبة عليها، والأرض هو الجرم المقابل للسماء الجامع لنبات كل نابت ظاهراً وباطناً، فالظاهر كالمواليد وكل ما الماء أصله والباطن كالأعمال والأخلاق وجمعها أرضون ولم تجمع في القرآن، ولذلك آثر صيغة الإفراد، (**وأنزل الماء الفرات**) أي العذب يقال: فرت الماء فروتة كسهل سهولة إذا عذب ولا يجمع إلا نادراً على فرتان كغراب وغربان (**من المعصرات**) أي من السحائب من أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض، أو من الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب، أو هي الرياح ذوات الأعاصير، وإنما جعلت مبدأ للإنزال لأنها تنشئ السحاب وتدر أخلافه. في الجملة إشارة إلى آيتين.

إحداهما: قوله تعالى: ﴿أسقيناكم ماء فراتاً﴾ [المرسلات: ٢٧] وأراد به ماء السماء فإنه عذب سهل.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً﴾ [النبأ: ١٤] أي منصباً بكثرة والفرات بالمعنى المذكور يرسم هكذا بالتاء المطولة، وأما بمعنى النهر المشهور فيرسم بالوجهين، وفي الآية الأولى دليل على أن سقى وأسقى يستعملان في الخير خلافاً لمن ادعى أن سقى للخير وأسقى في الشر، (**فأنشأ الحب والنبات**) الحب اسم لتمام النبات المنتهي إلى صلاحية كونه طعاماً للآدمي الذي هو أتم خلقه، والنبات هو ما يخرج من الأرض من الناميات سواء كان له ساق كالشجر أم لا كالنجم، لكن خص عرفاً بما لا ساق له بل خص عند العامة بما يأكله الحيوان ومن يعتبر الحقائق فإنه يستعمله في كل نام نباتاً وحيواناً. (**وقدر الأرزاق والأقوات**) هو من باب عطف الخاص على العام. إذ الأرزاق جمع رزق بالكسر وهو ما يسوقه الله إلى الحيوان للتغذي أي ما به قوام الجسم ونماؤه، والأقوات جمع قوت بالضم هو ما يمسك الرمق. والرزق على قسمين ظاهر وهي الأقوات والأطعمة وذلك للظواهر وهي الأبدان، وباطن وهي المعارف والمكاشفات وذلك للقلوب والأسرار، والله تعالى هو المتولي بتقدير الرزقين فالأرزاق تتناول الأقوات وغيرها وتقدير كل منها بقدرة الله ومشيئته. ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سبباً في إخراجها كالنطفة للحيوان

بالمأكولات قوى الحيوانات، وأعان على الطاعات والأعمال الصالحات بأكل الطيبات، والصلاة على محمد ذي المعجزات الباهرات، وعلى آله وأصحابه صلاة تتوالى على مر الأوقات، وتتضاعف بتعاقب الساعات، وسلم تسليماً كثيراً.

بأن أجرى عادته بإفاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منها، أو أبدع في الماء قوة فاعلية وفي الأرض قوة قابلية فتولد من اجتماعهما أنواع الرزق والأقوات، وهو قادر على أن يوجد الأشياء كلها بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الأسباب والمواد، ولكن له في إنشائها مدرجاً من حال إلى حال صنائع وحكم يجدد فيها لأولي الأبصار عبراً وسكوناً إلى عظيم قدرته ما ليس ذلك في إيجادها دفعة واحدة، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم﴾ [البقرة: ٢٢] وفي الجملة إشارة إلى قوله تعالى ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ [فصلت: ١٠] **(وحفظ بالمأكولات قوى الحيوانات)** وهي من الأمور الطبيعية، إعلم أنه لما وجدت أفعال تصدر من البدن بعضها إرادي كالقيام والقعود وبعضها غير إرادي كحركة القلب للترويح وتوليد الكبد للدم فلا محالة أن في كل عضو معنى هو الذي يقوم بذلك الفعل وهو المعنى بالقوة، فالقوة هيئة في الجسم الحيواني بها قوى على أن يفعل أفعاله بالذات، وهي ثلاثة أجناس: إحداها القوى الطبيعية، والثانية القوى النفسانية، والثالثة القوى الحيوانية. وهذا القسم الأخير هي القوة التي إذا حصلت في الأعضاء هيأتها لقبول الحس والحركة، وبالجملة تفيد الحياة والأفعال المنسوبة إلى الحي فهي مبدأ لحركة القلب والشرايين، ولحركة الجوهر الروحي اللطيف إلى الأعضاء والقوى النفسانية لا تحدث في الروح والأعضاء إلا بعد حدوث هذه القوة بخلاف القوى الطبيعية، فإنها توجد في النبات، وإن تعطل عضو من القوى النفسانية ولم يتعطل من هذه القوى فهو حي ألا يرى أن العضو الخدر والمفلوج فاقدان لقوة الحس والحركة وهو مع ذلك حي، وإلا لفسد وعفن فإذاً فيه قوة تحفظ حياته وليس هذه القوة قوة التغذية وغيرها، وإلا لكان النبات مستعداً لقبول الحس والحركة. **(وأعان على الطاعات)** جمع طاعة وهي كل ما فيه رضا وتقرب إلى الله تعالى، وهي عندنا موافقة الأمر، وعند المعتزلة موافقة الإرادة **(والأعمال الصالحات)** والعمل الصالح هو المراعى من العلم، وأصله الإخلاص في النية وبلوغ الوسع في المحاولة بحسب علم العامل وأحكامه **(بأكل الطيبات)** وهي الحلال من المأكولات فهو مما يعين على حسن الطاعة وسلوك سبيل العمل الصالح. وفي الخبر «أطب طعمتك تستجب دعوتك». **(والصلاة على)** سيدنا **(محمد ذي المعجزات الباهرات)** أي الظاهرات ظهور القمر على سائر الكواكب، ولذا قيل للقمر الباهر، وقيل معناه الغالبات أو الفاضلات، وهذه المعاني متقاربة والمعجزة أمر خارق للعادة يدعو إلى الخير والسعادة مقرون بالتحدي قصد به إظهار صدق مدعي الرسالة، وقد تقدم ما يتعلق بها في آخر كتاب العقائد، **(وعلى آله)** هو من يؤول إليه بالقرابة القريبة، **(وأصحابه)** من تشرف بمشاهدته وصحبته ولو لحظة. **(صلاة تتوالى)** أي تتكرر **(على مر الأوقات)** على مرورها وقتاً بعد وقت، **(وتتضاعف)** أي تزيد ضعفاً

أما بعد؛ فإن مقصد ذوي الألباب لقاء الله تعالى في دار الثواب، ولا طريق إلى الوصول للقاء الله إلا بالعلم والعمل، ولا يمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن، ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات. والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الأوقات فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين: إن الأكل من الدين وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو أصدق القائلين: ﴿ كُلُوا من الطَّيِّبَاتِ واعملوا صالحاً ﴾ [المؤمنون: ٥١] فمن يقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملاً يسترسل في الأكل استرسال البهائم في المرعى، فإن ما هو ذريعة إلى الدين ووسيلة إليه ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه، وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمامها ويلجم المتقي بلجامها حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام في إقدامها

(**بتعاقب الساعات**) وهي أجزاء الزمان وتعاقبها بأن يأتي بعضها عقب بعض، (**وسلم تسليماً كثيراً**) كثيراً.

(**أما بعد؛ فإن مقصد أولي الألباب**) أي مطمح نظرهم من قصدهم، وأولو الألباب أصحاب العقول الزكية الراجحة (**لقاء الله سبحانه**) والنظر إليه (**في دار الثواب**) أي الجنة، (**ولا طريق للوصول إلى اللقاء**) المذكور (**إلا بالعلم**) بالله (**والعمل**) لله تعالى وهو المدبر بالعلم المذكور، (**ولا يمكن المواظبة**) أي المداومة (**عليهما**) على وجه الكمال (**إلا بسلامة البدن**) الذي هو مسكن الروح الإنساني من العلل والعوارض، (**ولا يصفو سلامة البدن**) بحفظه ومراعاته (**إلا بالأطعمة والأقوات**) المغذية له، (**والتناول منها قدر الحاجة**) أي قدر ما يحتاج إليه البدن مع محبته له (**على تكرر الأوقات**) فمع تكررها يتكرر التناول (**فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين**): يعني به الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى كما صرح به صاحب القوت، (**أن الأكل من الدين**) قدمه الله على العمل (**وعليه نبه رب العالمين**) جل شأنه (**وهو أصدق القائلين ﴿ كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ﴾**) . وكان سهل يقول: من لم يحسن أدب الأكل لم يحسن أدب العمل، (**فمن يقدم على الأكل**) بنية صالحة وهي (**يستعين به على العلم والعمل**) أي على تحصيلهما (**ويقوى به على التقوى**) وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة (**فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملاً سدى**) وهو بالضم مقصوراً يقال: تركته سدى أي مهماً فذكره بعد المهمل تأكيد (**يسترسل في الأكل استرسال البهائم في المرعى**) فيأكل من غير قانون ينتهي إليه كما تأكل الدواب، (**فإنما هو**) أي الأكل (**ذريعة الى الدين ووسيلة إليه**) أي إلى إقامته (**ينبغي أن تظهر**) أشعة (**أنوار الدين عليه، وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمامها**) . وأصل الزمام بالكسر الخيط الذي يشد في البرة أو في الخشاش ثم يشد إليه المقود ثم سمي به المقود نفسه وقد زمه زماً شد عليه زمامه، (**ويلجم المتقي بلجامها**) وهو ما يشد به فم الفرس عربي، وقيل: معرّب (**حتى يتزن بميزان**

وإحجامها فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للأجر وإن كان فيها أوفى حظ النفس. قال ﷺ: « إن الرجل ليؤجر حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه وإلى في امرأته ». وإنما ذلك إذا رفعها بالدين وللدين مراعياً فيه آدابه ووظائفه.

وها نحن نرشد إلى وظائف الدين في الأكل فرائضها وسننها وآدابها ومروءاتها وهيئاتها في أربعة أبواب وفصل في آخرها.

الباب الأوّل: فيما لا بدّ للآكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل.

الباب الثاني: فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل.

الباب الثالث: فيما يخص تقديم الطعام إلى الاخوان الزائرين.

الباب الرابع: فيما يخص الدعوة والضيافة وأشباهها.

الشرع شهوة الطعام في إقدامها وإحجامها) أي التأخر عنها، (**فيصير بسببها مدفعة للوزر)** أي محلاً لدفعه (**ومجلبة للأجر)** أي محلاً لجلبه، (**وإن كان فيها أوفى حظ النفس. قال ﷺ « إن الرجل ليؤجر)** أي يثاب (**حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه)** أي إلى فمه (**وإلى في امرأته »)** أي فمها. كذا أورده صاحب القوت.

وقال العراقي: رواه البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص « وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك ».

(**وإنما ذلك إذا رفعها بالدين وللدين)** أي[1] (**مراعياً فيه آدابه ووظائفه. وها نحن نرشد إلى وظائف الدين في الأكل فرائضها وسننها وآدابها ومروءاتها وهيئاتها في أربعة أبواب و)** زيادة (**فصل في آخرها)** لبيان متممات (**الأبواب)**.

الباب الأول: فيما لا بد للآكل من مراعاته وإن انفرد بالأكل) وحده.

(**الباب الثاني: فيما يزيد من الآداب بسبب الاجتماع على الأكل)**. أي مع جماعة.

(**الباب الثالث: فيما يخص تقديم الطعام إلى الأخوان الزائرين)** الداخلين إليه بقصد الزيارة من غير طلب.

(**الباب الرابع: فيما يخص الدعوة والضيافة وأسبابها)**. فهذه أربعة أبواب تجمع جميع الآداب والسنن المعروفة.

---

(١) هنا بياض بالأصل.

الباب الأوّل

فيما لا بد للمنفرد منه:

وهو ثلاثة أقسام: قسم قبل الأكل، وقسم مع الأكل، وقسم بعد الفراغ منه.

الباب الأول

فيما لا بد للمنفرد منه

(وهي ثلاثة أقسام: قسم قبل الأكل، وقسم مع الأكل، وقسم بعد الفراغ منه). ولنقدم قبل الخوض في المقصود بمقدمة في ذكر الطعام وما فيه من المصلحة والمفسدة. فاعلم أن المريد السالك بحسن نيته وصحة مقصده ونور علمه وإتيانه بآدابه تصير عاداته عبادة، فإنما هو وقته لله تعالى ويريد حياته لله تعالى فتدخل عليه أمور العادة لموضع حاجته وضرورة بشريته، وتحف بعاداته أنوار يقظته وحسن نيته فتنور العادات وتشكل بالعبادات، ولهذا ورد «نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح وصمته حكمة» هذا مع كون النوم عين الغفلة، ولكن كل ما يستعان به على العبادة يكون عبادة، فتناول الطعام أصل كبير يحتاج إلى علوم كثيرة لاشتماله على المصالح الدينية والدنيوية وتعلق أثره بالقلب والقالب، وبه قوام البدن بإحياء سنة الله تعالى بذلك، والقالب مركب القلب وبهما عمارة الدنيا والآخرة. وقد ورد «أرض الجنة قيعان نباتها التسبيح والتقديس» والقالب بمفرده على طبيعة الحيوانات يستعان به على عمارة الدنيا، والروح والقلب من طبيعة الملائكة يستعان بهما على عمارة الآخرة وباجتماعهما صلحاً لعمارة الدارين، والله تعالى ركب الآدمي بلطيف حكمته من أخص جواهر الجسمانيات والروحانيات وجعله مستودع خلاصة الأرضين والسموات، وجعل عالم الشهادة وما فيها من النبات والحيوان لقوام بدن الآدمي، فكون الطبائع وهي الحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة وكون بواسطتها النبات وجعل النبات قواماً للحيوانات وجعل الحيوانات مسخرات للآدمي يستعين بها على أمر معاشه لقوام بدنه، فالطعام يصل إلى المعدة وفي المعدة طبائع أربع، وفي الطعام طبائع أربع. فإذا أراد الله تعالى اعتدال مزاج البدن أخذ كل طبع من طباع المعدة ضده من طبائع الطعام فتأخذ الحرارة البرودة والرطوبة اليبوسة فيعتدل المزاج ويأمن الاعوجاج، وإذا أراد الله إفناء قالب وتخريب بنية أخذت كل طبيعة جنسها من المأكول فتميل الطبائع ويضطرب المزاج ويسقم البدن ذلك تقدير العزيز العليم.

روي عن وهب بن منبه قال: وجدت في التوراة صفة آدم عليه السلام إني خلقت آدم ركبت جسده من أربعة أشياء: من رطب ويابس وبارد وسخن، وذلك لأني خلقته من التراب وهو يابس

القسم الأوّل: في الآداب التي تتقدم على الأكل وهي سبعة:

الأوّل: أن يكون الطعام بعد كونه حلالاً في نفسه طيباً في جهة مكسبه موافقاً للسنّة والورع لم يكتسب بسبب مكروه في الشرع ولا بحكم هوى ومداهنة في دين ـ على ما سيأتي في معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام ـ وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم النهي عن الأكل بالباطل على القتل تفخيماً لأمر الحرام وتعظيماً لبركة

ورطوبته من الماء وحرارته من قبيل النفس وبرودته من قبيل الروح، وخلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق هي ملاك الجسم بإذني وبهن قوامه فلا يقوم الجسم إلا بهن ولا تقوم منهن واحدة إلا بالأخرى منهن: المرة السوداء، والمرة الصفراء، والبلغم، والدم. ثم أسكنت بعض هذا الخلق في بعض فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء، ومسكن الرطوبة في المرة الصفراء، ومسكن الحرارة في الدم، ومسكن البرودة في البلغم، فأيما جسد اعتدلت طبيعته اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع التي جعلتها ملاكه وقوامه، فكانت كل واحدة منهن ربعاً لا تزيد ولا تنقص كملت صحته واعتدلت بنيته، فإن زادت منهن واحدة عليهن هزمتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيتها بقدر غلبتها حتى تضعف عن طاقتهن وتعجز عن مقدارهن. رواه صاحب الحلية من طريق عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب.

وكما أن للمعدة طبائع تتدبر بموافقة طباع الطعام، فللقلب أيضاً مزاج وطباع لأرباب التفقد والرعاية واليقظة يعرف انحراف القلب من اللقمة المتناولة. تارة يحدث في القلب من اللقمة حرارة الطيش بالنهوض إلى الفضول، وتارة تحدث في القلب برودة الكسل بالتقاعد عن وظيفة الوقت، وتارة تحدث رطوبة السهو والغفلة، وتارة يبوسة الهم والحزن بسبب الحظوظ العاجلة. فهذه كلها عوارض يتفطن لها المتيقظ ويرى بعين البصيرة تغير القلب بهذه العوارض تغير مزاج القلب عن الاعتدال والاعتدال هو مهم طلبه للقالب، فللقلب أهم وأولى وتصرف الانحراف إلى القلب أسرع منه إلى القلب، ومن الانحراف ما يسقم به القلب فيموت كموت القالب واسم الله تعالى دواء نافع مجرب يقي الأسواء ويذهب الداء ويجلب الشفاء، والله أعلم.

القسم الأول: في الآداب التي تتقدم على الأكل وهي سبعة:

(**الأول: أن يكون الطعام**) الذي يأكله (**بعد كونه حلالاً في نفسه طيباً في جهة مكسبه موافقاً للسنة والورع**) بأن تكون عينه معروفة لم تختلط بعين أخرى من ظلم وخيانة وأشار إلى موافقته لحكم السنة بقوله: (**لم يكتسب بسبب مكروه**) في الشرع (**و**)أن يكون سببه مباحاً (**لا**) بسبب محظور في الشرع (**بحكم هوى ومداهنة في دين**) ودنيا (**على ما سيأتي**) بيان ذلك (**في معنى الطيب المطلق في كتاب الحلال والحرام**) إن شاء الله تعالى، (**وقد أمر الله تعالى بأكل الطيب وهو الحلال وقدم**) الأمر بالأكل على الأمر بالشكر فقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله﴾ [البقرة: ١٧٢] وقدم (**النهي عن الأكل**

الحلال، فقال تعالى: ﴿يا أيُّها الّذين آمنوا لا تأكُلُوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ إلى قوله: ﴿ولا تَقْتُلُوا أنفسكم﴾ [النساء: ٢٩] الآية. فالأصل في الطعام كونه طيباً وهو من الفرائض وأصول الدين.

الثاني: غسل اليد، قال ﷺ: « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم ». وفي رواية: « ينفي الفقر قبل الطعام وبعده ». ولأن اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي

بالباطل) أي بالحرام (**على القتل**) للأنفس (**تفخيماً لأمر الحرام**) الذي هو الأكل بالباطل (**وتعظيماً لبركة الحلال فقال تعالى ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾**) ففيه تفضيل لأكل الحلال وتعظيم للأكل بالإبطال، (**فالأصل في الطعام كونه طيباً وهو من الفرائض وأصول الدين**). وسيأتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام، وإن ما ذكره المصنف من طيبه في نفسه من جهة الكسب وموافقة السنة وانتفاء حكم الهوى والمداهنة هي علامات الحلال الثلاث.

(**الثاني: غسل اليد**) واليد عند أهل اللغة من المنكب إلى أطراف الأصابع، لكن المراد هنا غسلها إلى الرسغ، ثم إن المراد من اليد هنا اليمنى واليسرى معاً فمن اقتصر على إحداهما لم يصب السنة كما هو عادة بعض المترفهين، وكذا من عادتهم غسل أطراف الأصابع فقط وهو أيضاً بعيد عن السنة. (**قال ﷺ « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم »**) أي الجنون. قال العراقي: رواه القضاعي في مسند الشهاب من رواية موسى الرضى عن آبائه متصلاً.

(**وفي رواية**) من حديث ابن عباس « الوضوء (**ينفي الفقر قبل الطعام وبعده** ») لأن في ذلك شكراً للنعمة ووفاء بحرمة الطعام والشكر يوجب المزيد. رواه الطبراني في الأوسط من طريق نهشل عن الضحاك عن ابن عباس بلفظ « الوضوء قبل الطعام وبعده ينفي الفقر » وهو من سنن المرسلين. قال الهيثمي: نهشل بن سعيد متروك. وقال العراقي: ضعيف جداً والضحاك لم يسمع ابن عباس، وقال ولده الولي العراقي: سنده ضعيف ولكن له شواهد وهي وإن كانت ضعيفة أيضاً لكنها تكسبه فضل قوة. منها: ما تقدم من رواية موسى الرضى، ومنها ما رواه أبو داود والترمذي عن سلمان « بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده ».

قلت: وهذا الحديث الأخير رواه كذلك أحمد والحاكم كلهم في الأطعمة عن سلمان قال: قرأت في التوراة بركة الطعام الوضوء قبله فذكرته للنبي ﷺ فذكره. والحديث ضعفه أبو داود، وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديث قيس بن الربيع وهو مضعف، وقال الحاكم: تفرّد به قيس، وقال الذهبي: هو مع ضعف قيس فيه إرسال، لكن قال الحافظ المنذري قيس وإن كان فيه كلام لسوء حفظه لا يخرج الإسناد عن حد الحسن.

وروى الحاكم في تاريخه من رواية الحكم بن عبد الله الإيلي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عائشة مرفوعاً « الوضوء قبل الطعام حسنة وبعد الطعام حسنتان ». قال السيوطي في الخصائص: إنما كان غسل اليدين بعد الطعام بحسنتين لأنه شرعه وقبله بحسنة لأنه شرع التوراة.

الأعمال فغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة، ولأن الأكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة فهو جدير بأن يقدم عليه ما يجري منه مجرى الطهارة من الصلاة.

الثالث: أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض فهو أقرب إلى فعل رسول الله ﷺ من رفعه على المائدة. كان رسول الله ﷺ إذا أتي بطعام وضعه على

قلت: ويؤيده ما مرَّ من قصة سلمان قريباً ثم أن المراد بالوضوء في هذه الأحاديث الوضوء اللغوي وهو غسل اليدين إلى الرسغين وهذا لا يناقضه ما رواه الترمذي أنه ﷺ قرب إليه طعام فقالوا: ألا نأتيك بوضوء؟ قال «إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة» لأن المراد بذلك الوضوء الشرعي، وهنا الوضوء اللغوي وفيه رد على من زعم كراهة غسل اليد قبل الطعام وبعده وما تمسك به أنه من فعل الأعاجم لا يصلح حجة ولا يدل على اعتباره دليل، (**ولأن اليد لا تخلو عن لوث في تعاطي الأعمال فغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة**) وذلك قبل الطعام متوهم وبعده متحقق، (**ولأن الأكل**) أي للطعام الذي يأكله إنما هو (**لقصد الاستعانة على الدين**) والتقوي على الطاعات وهو (**عبادة**) لأن ما يستعان به على العبادات عبادة كما تقدم، (**فهو جدير**) بهذا الاعتبار (**بأن يقدم عليه ما يجري مجرى الطهارة من الصلاة**).

وقال صاحب العوارف: وإنما كان الوضوء قبل الطعام موجباً لنفي الفقر لأن غسل اليد قبل الطعام استقبال للنعمة بالأدب، وذلك من شكر النعمة والشكر يستوجب المزيد، فصار غسل اليد مستجلباً للنعمة مذهباً للفقر، فقد روى أنس عن النبي ﷺ «من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه وإذا رفع».

قلت: هذا الحديث رواه ابن ماجه من طريق جنادة بن المفلس عن كثير بن سليم عن أنس وجنادة وكثير ضعيفان. قال المنذري في الترغيب: المراد بالوضوء هنا غسل اليدين.

(**الثالث: أن يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الأرض فهو أقرب إلى فعل رسول الله ﷺ من رفعه على المائدة**). اعلم أن السفرة في الأصل اسم لطعام يصنع للمسافر والجمع سفر كغرفة وغرف، وسميت الجلدة التي يُوعى فيها الطعام سفرة مجازاً. كذا في المصباح. والمائدة من ماده ميداً أعطاه فهي فاعلة بمعنى مفعولة لأن المالك مادها للناس أي أعطاهم إياها، وقيل: مشتقة من ماد يميد إذا تحرك فهي إسم فاعل على الباب. كذا في المصباح.

(**كان رسول الله ﷺ إذا أتي بطعام وضعه على الأرض**). قال العراقي: رواه أحمد في كتاب الزهد من رواية الحسن مرسلاً، ورواه البزار من حديث أبي هريرة نحوه وفيه جماعة وثقه أحمد وضعفه الدارقطني اهـ.

قلت: وروى الطبراني من حديث ابن عباس كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض، وقد تقدم الكلام عليه في الباب الثاني من كتاب الدعوات (**فهو أقرب إلى التواضع**) أي وضع

الأرض فهذا أقرب إلى التواضع ، فإن لم يكن فعلى السفرة فإنها تذكر السفر ويتذكر من السفر سفر الآخرة وحاجته إلى زاد التقوى. وقال أنس بن مالك رحمه الله: ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا في سكرجة. قيل: فعلى ماذا كنتم تأكلون؟ قال: على السفرة. وقيل: أربع أحدثت بعد رسول الله ﷺ: الموائد والمناخل والاشنان والشبع. واعلم أنا وإن قلنا الأكل على السفرة أولى فلسنا نقول الأكل على المائدة منهي عنه نهي

الطعام على الأرض، **(فإن لم يكن فعلى السفرة لأنها تذكر السفر)** أي الخروج للارتحال أو قطع المسافة **(ويتذكر من السفر سفر الآخرة)** بانتقال الفكر إليه **(و)** يتذكر مع ذلك **(حاجته إلى زاد التقوى)** فإن لكل سفر زاداً يصلح له وأن سفر زاد الآخرة التقوى والعمل الصالح.

(وقال أنس) بن مالك رضي الله عنه: **(ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا في سكرجة . قيل: فعلى ماذا كنتم تأكلون؟ قال: على السُفَر)** الخوان بالكسر ويضم هو المائدة ما لم يكن عليها طعام معرب يعتاد بعض المترفهين الأكل عليه احترازاً عن خفض رؤسهم، فالأكل عليه بدعة لكنها جائزة قاله ابن حجر المكي في شرح الشمائل. وسكرجة بضم أحرفه الثلاث مع تشديد الراء، وقيل: الصواب فتح رائه لأنه معرب عن مفتوحها وهي إناء صغير يجعل فيه ما يشهي ويهضم من الموائد حول الأطعمة. والحديث قال العراقي رواه البخاري.

قلت: وكذا رواه الترمذي في الشمائل وابن ماجه. قال ابن ماجه: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي عن يونس بن الفرات، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا سكرجة. قال: فعلى ماذا كانوا يأكلون؟ قال: على السُفَر. ولفظ الترمذي: فعلى ما كانوا يأكلون؟ قيل: جعلت الواو هنا للتعظيم كما في ﴿رب ارجعون﴾ أوله ﷺ ولاهل بيته فظاهر أو للصحابة فإنما عدل عن القياس لأنه يتأسون بأحواله ﷺ، فكان السؤال عن أحوالهم كالسؤال عن حاله.

(وقيل: أربع أحدثت بعد رسول الله ﷺ: الموائد والمناخل والأشنان والشبع) كذا في القوت، ونقله أيضاً ابن الحاج في المدخل، وأوّل الأربعة حدوث الشبع، وقد نقل ذلك عن عائشة رضي الله عنها، فالموائد جمع مائدة تقدم ذكرها، والمناخل جمع منخل بضم أوّله، وثالثه اسم لما ينخل به وهو من النوادر التي وردت بضم الميم والقياس الكسر لأنه آلة. كذا في المصباح. والأشنان بالضم والكسر لغة معرب، والشبع بكسر الشين المعجمة وفتح الموحدة الامتلاء من الطعام. قيل: هو اسم، وقيل: مصدر وقد تسكن الباء لأجل التخفيف.

(واعلم أنا وإن قلنا أن الأكل على السفرة أولى) لموافقته بالسنّة **(فلسنا نقول الأكل على المائدة منهي عنه نهي كراهة أو تحريم)** والمراد بالكراهة هنا كراهة التنزيه بدليل قوله: أو تحريم، وهي إذا أطلقت تنصرف إلى

كراهة أو تحريم إذ لم يثبت فيه نهي. وما يقال أنه أبدع بعد رسول الله ﷺ فليس كل ما أبدع منهياً، بل المنهي بدعة تضاد سنّة ثابتة وترفع أمراً من الشرع مع بقاء علته، بل الابداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب وليس في المائدة إلا رفع الطعام عن الأرض لتيسير الأكل وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه والأربع التي جمعت في أنها مبدعة ليست متساوية بل الأشنان حسن لما فيه من النظافة، فإن الغسل مستحب للنظافة والأشنان أتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لأنه ربما كان لا يعتاد عندهم أو لا يتيسر، أو كانوا مشغولين بأمور أهم من المبالغة في النظافة، فقد كانوا لا يغسلون اليد أيضاً، وكان مناديلهم أخمص أقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحباً، وأما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينتهِ إلى التنعم المفرط. وأما المائدة فتيسير للأكل وهو أيضاً مباح ما لم ينتهِ إلى الكبر والتعاظم. وأما الشبع فهو أشد هذه الأربعة فإنه يدعو إلى تهييج الشهوات وتحريك الأدواء في البدن فلتدرك التفرقة بين هذه المبدعات.

التحريم كما حققه ابن القيم في اعلام الموقعين، واستدل بأقوال الأئمة من المذاهب الأربعة(**إذ لم يثبت فيه نهي**) صريح، (**وما يقال أنه أبدع**) أي أحدث (**بعد رسول الله ﷺ فليس كل ما أبدع منهياً**) مطلقاً، (**بل المنهي بدعة تضاد سنَّة ثابتة وتدفع امراً من الشرع مع بقاء علته**) وأما ما شهد لجنسه أصل في الشرع إن اقتضته مصلحة تندفع به مفسدة فإنه يسمى بدعة إلا انها مباحة (**بل الابداع قد يجب في بعض الأحوال**) لاقتضاء مصلحة (**إذا تغيرت الأسباب**) والعلل (**و**) لا يخفى أنه (**ليس في**) استعمال (**المائدة إلا رفع الطعام على الأرض لتيسير الأكل**) وتسهيله عند تناوله، (**وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه، والأربع التي جمعت في أنها بدعة ليست متساوية**) في الحكم، (**بل الاشنان أتم في التنظيف**) وإزالة الدسومات، (**وكانوا**) فيما سلف (**لا يستعملونه**) في غسل أيديهم (**لأنه ربما كان لا يعتاد عندهم**) أي لم تكن عادة لهم بذلك (**أو لا يتيسر**) تحصيله (**وكانوا مشغولين بأمور**) دينية هي (**أهم من المبالغة في النظافة**) والتشدد فيها، (**فقد كانوا لا يغسلون اليد أيضاً**) كما عرف من سيرتهم، (**وكان منادلهم أخمص في النظافة**) أو يتمسحون بالحصى كما ذكر عن أصحاب الصفة وتقدم جميع ذلك في كتاب سر الطهارة (**وذلك لا يمنع كون الغسل**) بالماء (**مستحباً**) وهذا ظاهر (**وأما المنخل فالمقصود منه**) نخل الدقيق واخذ الخلاصة منه وفيه (**تطييب الطعام وذلك مباح**) شرعاً (**ما لم ينته إلى الكبر والتعاظم**) فحينئذ ينهى عنه، (**وأما الشبع فهو أشد هذه الأربع**) في الانتهاء عنه، (**فإنه يدعو إلى تهييج الشهوات**) الباطنة (**وتحريك الأدواء في البدن**) من سوء طبيعة وفساد مزاج وثقل وهيضة ودوّار وغير ذلك. (**فليدرك**)

الرابع: أن يحسن الجلسة على السفرة في أوّل جلوسه ويستديمها. كذلك كان رسول الله ﷺ ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه، وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول: «لا آكل متكئاً إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد». والشرب متكئاً مكروه للمعدة أيضاً ويكره الأكل نائماً

المتأمل (**التفرقة بين هذه المبدعات**) الأربعة، (**فإنها ليست على وتيرة واحدة**) وإنما تختلف أحكامها باختلاف الأسباب والعلل.

(**الرابع: أن يحسن الجلسة**) بكسر الجيم اسم لهيئة الجلوس (**على السفرة في أوّل جلوسه**) عليها (**ويستديمها**) إلى أن يفرغ، (**كذلك كان رسول الله ﷺ ربما جثا للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه، وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى وكان يقول: «لا آكل متكئاً إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد»**).

قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عبد الله بن بسر في أثناء حديث أتوا بتلك القصعة فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله الحديث. وله وللنسائي من حديث أنس رأيته يأكل وهو مقع من الجوع.

وروى أبو الحسن بن المقري في الشمائل من حديثه كان إذا جلس على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وافعل كما يفعل العبد» واسناده ضعيف اهـ.

قلت: ورد بسند حسن «أهديت للنبي ﷺ شاة فجثا على ركبته يأكل، فقال له اعرابي: ما هذه الجلسة؟ فقال: إن الله جعلني كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً وإنما فعل ﷺ ذلك تواضعاً لله تعالى، ومن ثم قال: إنما أنا عبد اجلس كما يجلس العبد وآكل كما يأكل العبد».

وفي خبر مرسل أو معضل عن الزهري «أتى النبي ﷺ ملك لم يأته قبلها فقال: إن ربك يخيرك بين أن تكون عبداً نبياً أو نبياً ملكاً فنظر إلى جبريل كالمستشير له فأومأ إليه ان تواضع فقال: لا بل عبداً نبياً. قال: فما أكل متكئاً قط». لكنه أخرج ابن أبي شيبة عن مجاهد أنه أكل متكئاً مرة، فإن صح فهو زيادة مقبولة. ويؤيدها ما أخرجه ابن شاهين عن عطاء بن يسار أن جبريل رأى النبي ﷺ يأكل متكئاً فنهاه. وفسر الأكثرون الاتكاء بالميل على أحد الجانبين لأنه يضر بالآكل فإنه يمنع مجرى الطعام الطبيعي عن هيئته ويعوقه عن سرعة نفوذه إلى المعدة وتضغط المعدة فلا يستحكم فتحها للغذاء. ونقل في الشفاء عن المحققين أنهم فسروه بالتمكن للأكل والقعود في الجلوس كالمتربع المعتمد على وطاء تحته، لأنّ هذه الهيئة تستدعي كثرة الأكل والكبر، وورد بسند ضعيف زجر النبي ﷺ أن يعتمد الرجل على يده اليسرى عند الأكل. قال مالك رحمه الله: هو نوع من الإتكاء. قال بعض المتأخرين: هنا في هذا إشارة من مالك إلى كراهة كل ما يعد الأكل فيه متكئاً ولا يختص بصفة بعينها، واختلفوا في حكم الاتكاء في الأكل فقال ابن القاص:

ومتكئاً إلا ما يتنقل به من الحبوب. روي عن علي كرم الله وجهه أنه أكل كعكاً على ترس وهو مضطجع، ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفعله.

كراهته من خصائصه ﷺ، وقال غيره: يكره أيضاً لغيره إلا لضرورة، وعليه يحمل ما ورد عن جمع من السلف وتعقب الحمل المذكور بان ابن أبي شيبة أخرج عن جمع منهم الجواز مطلقاً، لكن يؤيد الأوّل ما أخرجه ابن أبي شيبة أيضاً عن النخعي: كانوا يكرهون أن يأكلوا تكاة مخافة أن تعظم بطونهم، وإن ثبت كون الاتكاء مكروهاً أو خلاف الأولى فالسنّة ان يجلس جاثياً على ركبتيه وظهور قدميه أو ينصب رجله اليمنى ويجلس على اليسرى.

قال ابن القيم: ويذكر عنه ﷺ أنه كان يجلس للأكل متوركاً على ركبتيه ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر اليمنى تواضعاً لله عز وجل وأدباً بين يديه. قال: وهذه الهيئة أنفع الهيئات للأكل وأفضلها لأن الاعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله تعالى عليه.

وأما حديث أنس: «رأيته يأكل وهو مقع من الجوع» فقد أخرجه الترمذي أيضاً في الشمائل، ومعناه أي جالس على أليتيه ناصب ساقيه. هذا هو الاقعاء المكروه في الصلاة، وإنما لم يكره هنا لأنه ثم تشبه بالكلاب وهنا تشبه بالأرقاء ففيه غاية التواضع، ولهم اقعاء ثان لكنه مسنون في الجلوس بين السجدتين لأنه صح عنه ﷺ أنه فعله فيه، وهو أن ينصب ساقيه ويجلس على عقبيه. قيل: وهذا هو المراد هنا والأصح الأوّل لأن هيئته تدل على أنه ﷺ غير متكلف ولا يعتني بشأن الأكل. وفي القاموس اقعى في جلوسه تساند إلى ما وراءه، وهذا يشعر بمزيد الرغبة عن الأكل المناسب لحاله ﷺ، وحينئذ فمعنى وهو مقع من الجوع أي مستند إلى ما وراءه من الضعف الحاصل له بسبب الجوع وبما قررته يعلم أن الاستناد ليس من مندوبات الأكل لأنه ﷺ لم يفعله إلا لذلك الضعف الحاصل له ﷺ، وقوله: كان يقول «لا آكل متكئاً» رواه البخاري والترمذي في الشمائل من حديث أبي جحيفة، وقوله «إنما أنا عبد» الخ تقدم قبله من حديث أنس بلفظ «وافعل» بدل «اجلس». ورواه البزار من حديث ابن عمر دون قوله «واجلس». ورواه أحمد في الزهد من حديث عطاء بن أبي رباح، ومن حديث الحسن بجملته مرسلاً.

(والشرب متكئاً مكروه للمعدة أيضاً) لأنه من فعل المتكبرين وأيضاً يضعف الكبد، **(ويكره الأكل متكئاً ونائماً إلا ما يتنقل به من الحبوب)**. ولفظ القوت: والأكل متكئاً أو نائماً ليس من السنّة إلا ما يتناول أو يتنقل من الحبوب وما في معناها، فقوله «متكئاً» قد تقدم تفصيله قريباً. وقوله «ونائماً» عام سواء كان على ظهره أو بطنه أو على أحد جنبيه. والتنقل: تناول النقل بضم النون وفتحها مع سكون القاف اسم للحبوب وما في معناها تتناول.

(روي عن علي رضي الله عنه أنه أكل كعكاً على ترس وهو مضطجع، ويقال: منبطح على بطنه) ولفظ القوت: قد رؤي عليّ كرم الله وجهه وهو يأكل على ترس مضطجعاً كعكاً، ويقال منبطحاً على بطنه، **(والعرب تفعله)**. ولكن فيما يتنقل به خاصة، فقد روى ابن ماجه «أنه ﷺ نهى أن يأكل الرجل وهو منبطح على وجهه».

الخامس: أن ينوي بأكله أن يتقوى به على طاعة الله تعالى ليكون مطيعاً بالأكل ولا يقصد التلذذ والتنعم بالأكل. قال ابراهيم بن شيبان: منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئاً لشهوتي ويعزم مع ذلك على تقليل الأكل. فإنه إذا أكل لأجل قوّة العبادة لم تصدق نيته إلا بأكل ما دون الشبع فإن الشبع يمنع من العبادة ولا يقوى عليها فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإيثاره القناعة على الاتساع. قال ﷺ: « ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه. حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلّبه فإن لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس »

(**الخامس: أن ينوي بأكله أن يتقوى به**) على البر والتقوى و(**على طاعة الله تعالى**) والاستعانة بخدمته ليكون مطيعاً بالأكل، (**ولا يقصد التلذذ والتنعم بالأكل**) كما يقصده المترفهون. (**قال إبراهيم بن شيبان: منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئاً لشهوتي**) وفي نسخة بشهوتي، (**ويعزم مع ذلك على تقليل الأكل فإنه إذا أكل لأجل قوة العبادة**) أي لأجل أن يتقوى على العبادة (**لم تصدق نيته إلا بأكل ما دون الشبع**) بحيث تبقى هناك الشهوة الداعية للأكل، (**فإن الشبع**) المفرط (**يمنع من العبادة**) أي من القيام بحقوقها (**ولا يقوى عليها**) لارتخاء العروق عند امتلاء المعدة. (**فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإيثار القناعة**) على الحرص والتقلل (**على الاتساع**) والأدب فيه على الشره.

(**قال ﷺ « ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه**) لما فاته من خيور كثيرة جعل البطن كالأوعية التي تتخذ ظروفاً توهيناً لشأنه، ثم جعله شر الأوعية لأنها تستعمل في غير ما هي له، والبطن خلق لأنه يتقوم به الصلب بالطعام وامتلاؤه يفضي إلى فساد الدين والدنيا فيكون شراً منها، ووجه تحقق ثبوت الوصف في المفضل عليه أن ملء الأوعية لا يخلو عن طمع أو حرص في الدنيا، وكلاهما شر على الفاعل. والشبع يوقع في مداحض فيزيغ عن الحق ويغلب عليه الكسل فيمنعه من التعبد وتكثر فيه مواد الفضول فيكثر غضبه وشهوته ويزيد حرصه فيوقعه في طلب ما زاد على الحاجة. (**حسب ابن آدم**) أي يكفيه وفي رواية: بحسب ابن آدم (**لقيمات**) جمع لقيمة تصغير لقمة، وهذه الصيغة لجمع القلة لما دون العشرة. وفي رواية « أكلات » محركة جمع أكلة بالضم وهي بمعناها أي يكفيه هذا القدر في سدّ الرمق وامساك القوة، ولذا قال: (**يقمن صلبه**) أي ظهره تسمية للكل باسم جزئه (**فإن لم يفعل**) وفي رواية: فإن كان لا محالة أي من التجاوز عما ذكر فلتكن أثلاثاً (**فثلث طعام**) أي مأكول، وفي رواية: لطعامه (**وثلث شراب**) أي مشروب، وفي رواية لشرابه، (**وثلث**) يدعه (**للنفس »**) بالتحريك يعني يبقى من ملئه قدر الثلث ليتمكن من النفس، وهذا غاية ما اختير للأكل وهو أنفع ما للبدن والقلب، وإنما خص الثلاثة بالذكر لأنها أسباب حياة الحيوان، وأيضاً لما كان في الإنسان ثلاثة أجزاء أرضي ومائي وهوائي قسم طعامه وشرابه ونفسه إلى الاجزاء الثلاثة، وترك الناري لقول جمع من الاطباء ليس في البدن جزء ناري ذكره ابن القيم.

ومن ضرورة هذه النية أن لا يمد اليد إلى الطعام إلا وهو جائع فيكون الجوع أحد ما لا بدّ من تقديمه على الأكل. ثم ينبغي أن يرفع اليد قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب، وسيأتي فائدة قلة الأكل وكيفية التدريج في التقليل منه في كتاب كسر شهوة الطعام من ربع المهلكات.

السادس: أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام ولا يجتهد في التنعم وطلب الزيادة وانتظار الأدم بل من كرامة الخبز أن لا ينتظر به الأدم، وقد ورد الأمر باكرام الخبز، فكل ما يديم الرمق ويقوي على العبادة فهو خير كثير لا ينبغي أن

قال العراقي: هذا الحديث رواه الترمذي، وقال: حسن، والنسائي، وابن ماجه من حديث المقدام بن معد يكرب.

قلت: وكذا رواه ابن المبارك في الزهد، وأحمد، وابن سعد، وابن جرير، والطبراني، والحاكم، وابن حبان، والبيهقي. وقال الحاكم: هو صحيح وسيأتي الكلام على هذا الحديث في كتاب كسر الشهوتين عند ذكر فوائد الجوع.

(ومن ضرورة هذه النية أن لا يمد يده إلى الطعام إلا وهو جائع) يشتهي الطعام، **(فيكون الجوع أحد ما لا بدّ من تقديمه على الأكل، ثم ينبغي أن يرفع اليد)** من الطعام **(قبل الشبع ومن فعل ذلك استغنى عن الطبيب)** لعدم حاجته إليه، **(وسيأتي فائدة قلة الأكل وكيفية التدريج في التقليل منه في كتاب كسر شره الطعام من ربع المهلكات)** إن شاء الله تعالى.

(السادس: أن يرضى بالموجود من الرزق والحاضر من الطعام) وأن يقنع بالمأكول من القسم، **(ولا يجتهد في التنعم وطلب الزيادة)** فوق ما حضر **(و)** يقطع نظره عن **(انتظار الأدم)** أي ما يؤتدم به، **(بل من كرامة الخبز أن لا ينتظر به الأدم)** وهو قول غالب القطان، فإن الخبز وحده نعمة مستقلة وفيه كفاية لرد حاجة المحتاج لاسيما إذا كان مسخناً. **(وقد ورد الأمر باكرام الخبز)** وهو قوله ﷺ «أكرموا الخبز» أي بسائر أنواعه، ومن إكرامه أن لا ينتظر به الأدم، **(فكل ما يديم الرمق)** أي يمسك قوته ويحفظها **(ويقوى على العبادة)** أي على الاتيان بها **(فهو خير كثير لا ينبغي أن يستحقر)** ومن استحقاره أن لا يكتفي به وينتظر به الأدم، والحديث المذكور رواه البيهقي والحاكم من حديث عائشة من طريق غالب القطان عن كريمة بنت همام عنها. قال الحاكم: صحيح، وأقره الذهبي وفيه قصة. ورواه البغوي في معجمه، وابن قتيبة في غريبه عن ابن عباس، وسيأتي باقي الكلام على هذا الحديث قريباً في القسم الثاني، واختلفوا في معنى اكرام الخبز فقيل: هو هذا الذي ذكره المصنف، وهو قول غالب القطان، وأورده عليه بعضهم بانه غير جيد لما قالوا أن أكل الخبز مأدوماً من أسباب

يستحقر بل لا ينتظر بالخبز الصلاة إن حضر وقتها إذا كان في الوقت متسع. **قال ﷺ**: « إذا حضر العَشاء والعِشاء فابدأوا بالعَشاء ». وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما سمع قراءة الإمام ولا يقوم من عشائه. ومهما كانت النفس لا تتوق إلى الطعام ولم يكن في تأخير الطعام ضرورة فالأولى تقديم الصلاة، فأما إذا حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان في التأخير ما يبرد الطعام أو يشوش أمره فتقديمه أحب عند اتساع الوقت تاقت النفس أو لم تتق لعموم الخبر، ولأن القلب لا يخلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع وإن لم يكن الجوع غالباً.

السابع: أن يجتهد في تكثير الأيدي على الطعام ولو من أهله وولده. قال ﷺ:

حفظ الصحة. وعندي هذا غير وارد فإن المقام مقام الزهد والتقلل، فالذي يسد الرمق شيء وما يتسبب منه حفظ الصحة شيء آخر فتأمل.

وبقية معاني هذا الحديث تأتي قريباً (**بل لا ينتظر بالخبز الصلاة وإن حضر وقتها إذا كان في الوقت متسع**) يمكنه تحصيل كل منهما. (**قال ﷺ: « إذا حضر العشاء**) بفتح العين اسم للطعام الذي يؤكل في العشية (**والعشاء**) بكسر العين هي العشاء الأخيرة (**فابدأوا بالعشاء**) بفتح العين تقدم الحديث في الصلاة. رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر وعائشة، والمعروف من روايته « إذا وضع الطعام وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء » قال راويه: (**وكان ابن عمر رضي الله عنهما ربما سمع**) الإقامة و(**قراءة الإمام وهو لا يقوم من عشائه**) عملاً بالحديث نقله صاحب القوت.

(**ومهما كانت النفس لا تتوق إلى الطعام ولم يكن في تأخير الطعام ضرر فالأولى تقديم الصلاة**) على الطعام، (**فأما إن حضر الطعام وأقيمت الصلاة وكان في التأخير ما يبرد الطعام أو يشوّش أمره فتقديمه على الصلاة أحب**) لكن (**عند اتساع الوقت**) ولا ينظر حينئذ إلى غيره (**تاقت النفس أو لم تتق لعموم الخبر**) الوارد فيه، (**لأن القلب لا يخلو عن الالتفات إلى الطعام الموضوع**) على السفرة (**وإن لم يكن الجوع غالباً**) فقطع هذا الالتفات أولى ليحضر في الصلاة بقلبه على أكمل حالات الباطن.

(**السابع: أن يجتهد في تكثير الأيدي على الطعام**) فأحب الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الأيدي رواه جابر مرفوعاً. أخرجه أبو يعلى، وابن حبان، والبيهقي، وأبو الشيخ في الثواب، والطبراني، والضياء في المختارة كلهم من رواية عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن ابن جريج واسناده حسن، (**ولو من أهله وولده**) وخادمه فيجمعهم كلهم ويأكل معهم، والسر في ذلك أن اجتماع الانفاس وعظم الجمع أسباب نصبها الله سبحانه مقتضية لفيض الرحمة وتنزلات غيث النعمة، وهذا كالمحسوس عند أهل الطريق ولكن العبد لجهله يغلب عليه الشاهد على الغائب والحس على العقل.

« اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه ». وقال أنس رضي الله عنه: « كان رسول الله ﷺ لا يأكل وحده ». وقال ﷺ: « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي ».

القسم الثاني في آداب حالة الأكل:

وهو أن يبدأ « ببسم الله » في أوّله و « بالحمد لله » في آخره ولو قال مع كل لقمة: « بسم الله » فهو حسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله تعالى، ويقول مع اللقمة الأولى: « بسم الله » ومع الثانية « بسم الله الرحمن » ومع الثالثة « بسم الله الرحمن الرحيم » ويجهر به

(قال ﷺ: « اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه ») قال العراقي: رواه أبو داود وابن ماجه من حديث وحشي بن حرب باسناد حسن اهـ.

قلت: روياه في الأطعمة، ورواه أيضاً أحمد، وابن حبان، والحاكم في الجهاد بزيادة « واذكروا اسم الله » والامر للندب. وفي الحديث قصة وهي: قال رجل يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع فقال « لعلكم تفترقون على طعامكم اجتمعوا ». الحديث. وقال ابن عبد البر: إسناده ضعيف.

وعن عمر رضي الله عنه مرفوعاً « كلوا جميعاً ولا تفرقوا فإن البركة مع الجماعة » رواه ابن ماجه، ورواه العسكري في المواعظ بلفظ « وإن البركة في الجماعة ».

(وقال أنس رضي الله عنه « كان رسول الله ﷺ لا يأكل وحده ») قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف.

القسم الثاني: في آداب حالة الأكل:

(وهو أن يبدأ باسم الله تعالى في أوّله وبالحمد في آخره) بأن يقول « بسم الله » وفي آخره « الحمد لله ». وعن أنس مرفوعاً « من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غداؤه ثم يسم الله تعالى، فقوله تعالى ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ [الأنعام: ١٢١] تفسيره تسمية الله تعالى عند ذبح الحيوان. واختلف الشافعي، وأبو حنيفة في وجوب ذلك وفهم الصوفي منه تقييد القيام بظاهر التفسير أن لا يأكل الطعام إلا مقترناً بالذكر وذلك فريضة وقته وأدبه، ويرى أن تناول الطعام والماء داء ينتج من آفة النفس ومتابعة هواها ويرى ذكر الله دواءه وترياقه، ويروى عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يأكل الطعام في ستة نفر من أصحابه، فجاء اعرابي فأكله بلقمتين، فقال ﷺ « اما أنه لو كان يسمي الله لكفاكم فإذا أكل أحدكم طعاماً فليقل بسم الله فإن نسي أن يقول بسم الله فليقل بسم الله أوّله وآخره ». **(ولو قال مع كل لقمة)** يرفعها إلى فمه **(« بسم الله » فهو أحسن حتى لا يشغله الشره عن ذكر الله تعالى، ويقول مع اللقمة الأولى « بسم الله » ومع الثانية « بسم الله الرحمن » ومع الثالثة « بسم الله الرحمن الرحيم »)**

ليذكر غيره ويأكل باليمنى ويبدأ بالملح ويختم به ويصغّر اللقمة ويجود مضغها وما لم

هكذا ذكره صاحب القوت وإن أتم مع أول لقمة كان حسناً، **(ويجهر به ليذكر غيره)** إن كان ناسياً أو غافلاً.

قال صاحب العوارف: واعلم أن ذكر اسم الله تعالى في أوّل الطعام هو الدواء النافع لدفع عوارض القلب الحادثة من اللقمة المتناولة. قال: وحكي أن الإمام أبا حامد الغزالي قدس سره لما رجع إلى طوس وصف له في بعض القرى عبد صالح فقصده زائراً فصادفه وهو في صحراء له يبذر الحنطة في الأرض، فلما رآه أقبل إليه وحادثه، فجاءه رجل من أصحابه وطلب منه البذر لينوب عن الشيخ في ذلك وقت اشتغاله بالغزالي، فامتنع ولم يعطه البذر فسأله الغزالي عن سبب امتناعه فقال: لأني أبذر هذا البذر بقلب حاضر ذاكر أرجو البركة فيه لكل من يتناول منه شيئاً، فلا أحب أن أسلمه إلى هذا فيبذره بلسان غير ذاكر وقلب غير حاضر. قال: وكان بعض الفقراء عند الأكل يشرع في قراءة سورة من القرآن يخص الوقت بذلك حتى تنغمر أجزاء الطعام بأنوار الذكر ولا يعقب الطعام مكروهاً يغير مزاج القلب. قال: وقد كان شيخنا أبو النجيب السهروردي يقول: أنا آكل وأنا أصلي يشير إلى حضور القلب في الطعام، وربما كان يوقف من يمنع عنه الشواغل وقت أكله لئلا يتفرق همه وقت الأكل، ويرى للذكر وحضور القلب في الأكل أثراً كبيراً لا يسعه الإهمال له. قال: ومن الذكر عند الأكل الفكر فيما هيأ الله تعالى له من الأسنان المعينة له على الأكل، فمنها الكاسرة، ومنها القاطعة، ومنها الطاحنة. وما جعل الله من الماء الحلو في الفم حتى لا يتغير الذوق كما جعل ماء العين مالحاً لما كان شحماً حتى لا يتغير، وكيف جعل النداوة تنبع من أرجاء اللسان والفم ليعين ذلك في المضغ والسوغ، وكيف جعل القوة الهاضمة متسلطة على الطعام تفصله وتجذبه متعلقاً مددها بالكبد والكبد بمثابة النار والمعدة بمثابة القدر، وعلى قدر فساد الكبد تقل الهاضمة ويفسد الطعام ولا ينفصل ولا يتصل إلى كل عضو نصيبه، وهكذا تأثير الأعضاء كلها من الكبد والطحال والكليتين، ويطول شرح ذلك. فمن أراد الاعتبار يطالع تشريح الأعضاء ليرى العجب من قدرة الله تعالى في تعاضد الأعضاء وتعاونها وتعلق بعضها بالبعض في اصلاح الغذاء واستجلاب القوة منه للأعضاء وانقسامه إلى الدم والتفل واللبن لتغذية المولود من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، فتبارك الله أحسن الخالقين، فالفكر في ذلك وقت الطعام وتعرف لطيف الحكم والتدبير فيه من الذكر. قال: ومما يذهب داء الطعام المغير لمزاج القلب أن يدعو في أوّل الطعام ويسأل الله تعالى أن يجعله عوناً على الطاعة، ويكون من دعائه: اللهم صلّ على محمد وآل محمد وما رزقتنا مما نحب اجعله عوناً لنا إلى ما تحب، وما زويت عنا مما نحب اجعله فراغاً لنا فيما تحب اهـ. سياق صاحب العوارف.

(ويأكل باليمين) أي تأدباً على الأصح، وقيل: وجوباً ويدل له ما في مسلم أنه ﷺ رأى من يأكل بشماله فنهاه فقال: لا أستطيع فشلّت يمينه فلم يرفعها إلى فيه حتى مات. وعند ابن ماجه من حديث أبي هريرة رفعه «ليأكل أحدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فإن

يبتلعها لم يمد اليد إلى الأخرى فإن ذلك عجلة في الأكل وأن لا يذم مأكولاً . « كان ﷺ لا يعيب مأكولاً كان إذا أعجبه أكله وإلاَّ تركه » وأن يأكل مما يليه إلاَّ الفاكهة فإن له أن يجيل يده فيها . قال ﷺ : « كُلْ مما يليك » ثم كان ﷺ يدور على الفاكهة

الشيطان يـأكل بشمـاله ويشرب بشماله ويعطي بشماله ويأخذ بشماله. وروى أحمد والشيخان والأربعة من حديث عائشة « كان يحب التيامن ما استطاع في طهوره وتنعله وترجله وفي شأنه كله » . روى أحمد من حديث حفصة رضي الله عنها قالت : « كان يجعل يمينه لأكله وثيابه وشربه ووضوئه وأخذه وعطائه وشماله لما سوى ذلك » .

(**ويبدأ بالملح ويختم به**) هكذا نقله صاحب القوت ، وصاحب العوارف قال الأخير : روي عن رسول الله ﷺ انه قال « يا علي ابدأ طعامك بالملح واختم بالملح فإن الملح شفاء من سبعين داء منهـا الجنـون والجذام والبرص ووجـع البطـن ووجـع الأضراس » . وذكــره ابــن الجوزي في الموضوعات ، وسيأتي الكلام عليه في الفصل الأخير . وروت عائشة رضي الله عنها قالت : لدغت رسول الله ﷺ عقرب في ابهامه من رجله اليسرى لدغة فقال : عليَّ بذلك الأبيض الذي يكون في العجين فجئنا بملح فوضعه في كفه ثم لعق منه ثلاث لعقات ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت عنه » .

(**ويصغر اللقمة**) قدر ما يسعه الفم تصغيراً وسطاً ، (**ويجوّد مضغهـا**) ذكـره صـاحـب القوت ، (**وما لم يبتلعها لم يمد اليد إلى الاخرى فإن ذلك عجلة في الأكل**) ، وكل ذلك من الآداب . وفي تصغير اللقمة سدّ باب الشره والإعانة على المضغ وفي جودة المضغ فائدة طبية وهي سرعة انهضامه في المعدة فما لم يجوّد مضعه بطؤ هضمه ، (**و**) من الأدب (**أن لا يذم مأكولاً**) ولا يعيبه إن أعجبه أكله وإن لم يعجبه تركه . (**« كان ﷺ لا يعيب مأكولاً كان إذا أعجبه أكله وإلاَّ تركه »**) قال العراقي : متفق عليه من حديث أبي هريرة.

(**ويأكل مما يليه**) فإنه سّنة وإن كان وحده وفي خبر ضعيف التفصيل بينهما إذا كان الطعام لوناً واحداً فلا يتعدى الآكل ما يليه ، وأما إذا كان أكثر فيتعداه (**إلا الفاكهة**) ونحوها مما لا يقذر في الأكل من غير ما يلي الآكل ، (**فإن له أن يجيل**) أي يدير (**يده**) بلا كراهة فيه لأنه لا ضرر في ذلك ولا تقذر . (**قال ﷺ « كل مما يليك »**) قال العراقي : متفق عليه من حديث عمر بن أبي سلمة اهـ.

قلت : ورواه الترمذي في الشمائل بلفظ « يا بني ادن فسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » وعمر بن أبي سلمة هذا ربيبه ﷺ أمه أم سلمة دخل عليها ﷺ وهو رضيع ، وقوله « كل مما يليك » أي ندباً على الأصح ، وقيل : وجوباً لما فيه من إلحاق الضرر بالغير ومزيد الشره والنهمة ، وانتصر له السبكي ونص عليه الشافعي في الرسالة ومواضع من الأم ، ويؤخذ من الحديث أنه يندب

فقيل له في ذلك فقال: « ليس هو نوعاً واحداً » وأن لا يأكل من ذروة القصعة ولا من وسط الطعام، بل يأكل من استدارة الرغيف إلا إذا قلّ الخبز فيكسر الخبز ولا يقطع بالسكين ولا يقطع اللحم أيضاً فقد نهي عنه وقال: « إنهشوه نهشاً » ولا يوضع على الخبز

لمن على الطعام تعليم من ظهر منه اخلال بشيء من مندوباته. **(ثم كان)** ﷺ **(يدور على الفاكهة فقيل له في ذلك فقال « ليس هو نوعاً واحداً »)** أي فلا ضرر في إجالة اليد فيها ولا تقذر، رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عكراش بن ذؤيب، وفيه: فجالت يد رسول الله ﷺ في الطبق فقال: يا عكراش « كل من حيث شئت فإنه غير لون واحد » قال الترمذي: غريب، ورواه ابن حبان في الضعفاء. وروى الخطيب في ترجمة عبيد بن القاسم عن عائشة مرفوعاً « كان إذا أتي بطعام أكل مما يليه وإذا أتي بالتمر جالت يده فيه ».

(وان لا يأكل من ذروة القصعة) أي أعلاها تنزيهاً على الأصح، وإن قال البويطي في المختصر ويحرم الأكل من رأس الثريد والتعريس على الطريق والقران في التمر، فقد ذكروا أن هذه الثلاثة مكروهة لا محرمة، وكذا قوله: **(ولا من وسط الطعام)** كل ذلك إن لم يعلم رضا من يأكل معه، وإلاّ فلا حرمة ولا كراهة لما ورد « انه ﷺ كان يتتبع الدباء من حوالي القصعة لأنه علم أن أحداً لا يكره ذلك ولا يستقذره » وروى ابن ماجه من حديث ابن عباس « إذا وضع الطعام فخذوا من حافته وذروا وسطه فإن البركة تنزل في وسطه ». ورواه البيهقي من حديثه بلفظ « كلوا في القصعة من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها فإن البركة تنزل في وسطها ». وعن عبد الله ابن بسر مرفوعاً « كلوا من حواليها وذروا ذروتها يبارك فيها » رواه أبو داود وابن ماجه. وعن واثلة بن الأسقع رفعه « كلوا بسم الله من حواليها واعفوا عن رأسها فإن البركة تأتيها من فوقها » رواه ابن ماجه. **(بل يأكل من استدارة الرغيف)** كذا في القوت أي فلا يأكل من وسط الرغيف من لبابه ويترك حواليه كما هو عادة المترفهين **(إلا إذا قلّ الخبز)** وكثر الآكلون، **(فيكسر الخبز)** قطعاً فيستعان بتكسير الخبز على التفرقة، **(ولا يقطع)** الخبز **(بالسكين)** فإنه مناف لإكرامه، وأيضاً يورث الفقر فيما قالوا. والحديث رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة، وفيه نوح بن أبي مريم وهو كذاب، ورواه البيهقي في الشعب من حديث أم سلمة بسند ضعيف.

(ولا يقطع اللحم أيضاً) بالسكين كما هو عادة الأجلاف من الاتراك فقد نهى عنه، **(وقال:)** ولكن **(انهشوه نهشاً)** بالسين والشين معاً نقله ابن فارس عن الأصمعي وهو أخذ اللحم بمقدم الأسنان للأكل، وقيل بالسين المهملة فقط واقتصر عليه ابن السكيت. ونقل الأزهري عن الليث قال: هو بالشين المعجمة تناول البعير كنهش الحية وبالمهملة القبض على اللحم ونثره وعكسه ثعلب فقال: بالمهملة يكون باطراف الاسنان، وبالمعجمة يكون بالأسنان والأضراس، ومال ابن القوطية إلى قول الليث. وتحقيق هذا المقام في شرحي على القاموس، والحديث رواه الترمذي وابن ماجه من حديث صفوان بن أمية بسند ضعيف.

قصعة ولا غيرها إلا ما يؤكل به. قال ﷺ: «أكرموا الخبز فإن الله تعالى أنزله من

(**ولا يوضع على الخبز قصعة ولا**) غيرها فإنه إهانة للخبز (**إلا ما يؤكل به**) من الأدم فإنه لا بأس بذلك. (**قال ﷺ أكرموا الخبز فإن الله أنزله من بركات السماء**) يعني المطر، وأخرجه من بركات الأرض يعني من نباتها، وذلك لأن الخبز غذاء البدن، والغذاء قوام الروح، وقد شرفه الله وجعله من أشرف الأرزاق نعمة منه، فمن تهاون به فوضع عليه غير ادامة فقد سخط النعمة وكفرها، فإذا جفاها نفرت وإذا نفرت لم تكد ترجع رواه هكذا الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن الحجاج بن علاط بن خالد بن نويرة السلمي البهزي، وهو والد نصر الذي نفاه عمر من المدينة لحسنه. ورواه ابن منده في تاريخ الصحابة والمخلص والبغوي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه، وكذا رواه أبو نعيم في المعرفة والحلية، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات وتبعه السيوطي، والحق أن طرق هذا الحديث كلها ضعيفة مضطربة وبعضها أشد في الضعف من بعض، ولكن له شواهد فالحكم عليه بالوضع غير جيد.

فمن تلك الشواهد ما رواه الطبراني في الكبير عن أبي سكينة نزيل حمص «أكرموا الخبز فإن الله أكرمه فمن أكرم الخبز أكرمه الله تعالى». وفي بعض نسخ الطبراني «فمن أكرم الخبز فقد أكرم الله تعالى» وفيه خلف بن يحي وهو ضعيف.

ومنها ما رواه الطبراني أيضاً، وعنه أبو نعيم في الحلية من طريق ابراهيم بن أبي علية قال: سمعت عبد الله بن أبي حرام يقول: قال رسول الله ﷺ «أكرموا الخبز فإن الله سخر له بركات السموات والارض» وفيه غياث بن ابراهيم وضّاع، وفي بعض رواياته فإنه من بركات السماء والأرض. ورواه البزار نحو ذلك بزيادة فيه.

ومنها ما رواه ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب من طريق ميمون بن مهران عن ابن عباس قال: لا أعلم إلا أنه رفعه قال «أكرموا الخبز فإن الله سخر له السموات والارض».

ومنها ما يروى عن ابن عباس أيضاً مما رفع «ما استخف قوم بحق الخبز إلاّ ابتلاهم الله بالجوع».

ومنها ما رواه المخلص وتمام وغيرهما من حديث نمير بن الوليد بن نمير بن أوس الدمشقي عن أبيه عن جده عن أبي موسى الأشعري رفعه «أكرموا الخبز فإن الله سخر له بركات السموات والأرض والحديد والبقر وابن آدم».

وأعظم الشواهد حديث عائشة «أكرموا الخبز» قد تقدم ذكره، وأنه رواه الحاكم في المستدرك، والبيهقي في السنن. قال الحاكم: صحيح الاسناد عن عائشة. قال الحافظ ابن حجر: فهذا شاهد صالح، وقد علم مما تقدم أن المراد بإكرام الخبز عدم وضع شيء عليه كالقصعة ونحوها. وأخرج الترمذي عن الثوري انه كان يكره وضع القصعة على الخبز. وقيل: معناه أن لا يطرح على

بركات السماء » . ولا يمسح يده بالخبز . وقال ﷺ : « **إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه البركة** » . ولا ينفخ في الطعام الحار فهو منهى عنه ، بل يصبر

الأرض تهاوناً به ، ومنه قول بعضهم « الخبز يباس ولا يداس » . وقال آخر : الحنطة إذا ديست اشتكت إلى ربها ، ومنه يكون القحط .

ونقل القطب الشعراني قدس سره عن بعض مشايخ الزوايا بالقرافة أنه كان تدخل له من معلوم الزاوية كل سنة الحنطة فكان يأمر الصوفية ذلك اليوم أن يلقطوها من الأرض مما يتناثر من التراسين حتى لا تداس ، ويقول : هو اكرام لها وأن فعلهم هذا بهذه النية هو عين الذكر . هكذا أو بمعناه . وفي قول المصنف : إلا مايؤكل به فيه ردّ على من زعم أنه لا يجوز وضع اللحم والأدام فوق الخبز نظراً لظاهر الحديث ، فقد ورد أن النبي ﷺ وضع تمرة على كسرة وقال « هذه ادام هذه » لكن قد يقال إن التمر لا يلوث ولا يغير ، وأما اللحم والسمك يلوثان الخبز ويغيرانه فليحذر من ذلك .

(ولا يمسح يده بالخبز) لأنه يلوثه وفيه إهانة له ، **(وقال ﷺ « إذا وقعت)** وفي رواية « سقطت » **(لقمة أحدكم)** من يده عند إرادة أكلها أو من فمه بعد وضعها فيه ، وذلك أوكد لما فيه من استحضار الحاضرين . قال الولي العراقي : ويتأكد بعد المضغ لأنها بعد رميها على هذه الحالة لا ينتفع بها لعيافة النفوس لها . قال ابن العربي : وذلك إما من منازعة الشيطان له فيها حين لم يسم الله عليها وإلا بسبب آخر ، ويرجح الاوّل قوله الآتي ولا يدعها للشيطان إذ هو انما يستحل إذا لم يذكر اسم الله عليه **(فليأخذها)** بيده من الأرض **(وليمط)** أي يزل **(ما كان بها من أذى)** وفي رواية : من الاذى أي من تراب ونحوه مما تعاف وإن تنجست طهرها إن أمكن وليأكلها أو يطعمها غيره أو يطعمها حيواناً **(ولا يدعها)** أي لا يتركها **(للشيطان)** إبليس لما فيه من إضاعة نعمة الله واستحقارها ، والمانع من تناول تلك اللقمة الكبر غالباً وذلك مما يحب للشيطان ويرضاه ويدعوه إليه **(ولا يمسح يده بالمنديل)** . قيل : المراد به هنا منديل الفم لا منديل المسح بعد غسل اليد **(حتى يلعقها)** أي يلحسها **(أو يلعقها)** بضم حرف المضارعة أي غيره إنساناً أو حيواناً علل ذلك بقوله **(فإنه لا يدري في أي طعامه)** تكون **(البركة »)** أي التغذية والقوة على الطاعة .

قال العراقي : رواه مسلم من حديث أنس وجابر اهـ .

قلت : ولفظ حديث جابر « إذا أكل أحدكم طعاماً فلا يمسح يده بالمنديل حتى يلعقها أو يلعقها فإنه لا يدري في أي طعامه البركة » كذلك رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه ، وعند أحمد والشيخين وأبي داود وابن ماجه من حديث ابن عباس بالجملة الأولى فقط .

إلى أن يسهل أكله ويأكل من التمر وتراً سبعاً أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين وما اتفق ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا يجمع في كفه بل يضع النواة من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها، وكذا كل ما له عجم وثفل. وأن لا يترك ما استرذله من الطعام ويطرحه في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلبس على غيره فيأكله، وأن لا يكثر

ورواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ «إذا أكل أحدكم طعاماً فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة» وكذلك ورواه الطبراني في الكبير عن زيد بن ثابت، وفي الأوسط عن أنس.

(ولا ينفخ في الطعام الحار) ليبرد **(فهو منهي عنه)** ففي حديث عائشة مرفوعاً «النفخ في الطعام يذهب بالبركة» قال العراقي: حديث النهي عن النفخ في الطعام والشراب رواه أحمد في مسنده من حديث ابن عباس، وهو عند أبي داود والترمذي وصححه وابن ماجه إلا انهم قالوا في الاناء، وللترمذي وصححه من حديث أبي سعيد نهى عن النفخ في الشراب اهـ.

قلت: حديث ابن عباس عند الطبراني بزيادة والتمرة وألحق بها الفاكهاني الكتاب تنزيهاً، وفي سنده محمد بن جابر وهو ضعيف والتنفس في معنى النفخ.

(بل يصبر إلى أن يتسهل أكله) وفي النهي عن النفخ في الطعام وجهان: أحدهما أن فعله يدل على شرهه واعجاله، والثاني ربما يسقط مع النفخ بعض فتات الريق فيستقذره من يأكل معه، **(و)** يستحب أن **(يأكل من التمر وتراً)** أي يقتصر على الوتر من العدد **(سبعاً أو إحدى عشرة أو إحدى وعشرين)** كذا في القوت، **(أو ما اتفق)** بحسب الحال والوقت لكن مع الاقتصار على الوتر فإنه عدد محبوب **(ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق)** لأنه ربما تعافه النفوس. روى الشرازي في الألقاب من حديث علي رضي الله عنه رفعه «نهى أن يلقي النوى على الطبق الذي يؤكل منه الرطب أو التمر» أي لئلا يختلط بالتمر والنوى مبتل من ريق الفم عند الأكل، ولا يعارضه ما رواه الحاكم عن أنس رفعه «كان يأكل الرطب ويلقي النوى على الطبق» وقال: صحيح على شرطها، وأقره الذهبي فإن المراد هنا بالطبق الموضوع تحت إناء الرطب لا الذي فيه الرطب أو التمر. **(ولا يجمع)** النوى **(في كفه بل يضع من فيه على ظهر كفه ثم يلقيها)** هكذا ذكره صاحب القوت. وقال غيره: يلقي النوى على ظهر أصبعه حتى يجتمع فيلقيه خارج الطبق. وأخرج أبو بكر الشافعي في فوائده عن أنس بسند ضعيف «أنه أكل الرطب يوماً في بيته وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى ويأكل هو بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة». **(وكذا ما)** كان في معناه **(مما له عجم أو ثفل)** كذا في القوت، **(وأن لا يترك ما استرذله من الطعام في القصعة بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره فيأكله)**. ولفظ القوت: وما رذله من المأكول مع الجماعة فلا يرده في القصعة فيأكله غيره إن وقع بيده أكله وإلا تركه مع الثفل، **(وأن لا يكثر الشرب في أثناء الطعام)** فقد نهى عنه

الشرب في أثناء الطعام إلا إذا غصَّ بلقمة أو صدق عطشه فقد قيل: إن ذلك مستحب في الطب وأنه دباغ المعدة.

وأما الشرب: فأدبه أن يأخذ الكوز بيمينه ويقول: « بسم الله » ويشربه مصاً لا عباً. قال ﷺ: « مصوا الماء مصاً ولا تعبوه عباً فإن الكباد من العب ». ولا يشرب قائماً ولا

طباً لأنه يمنع الطعام عن تهيئه للهضم (**إلا إذا غص بلقمة أو صدق عطشه**) وفي حالة الغص يشرب وجوباً لإساغة اللقمة، وأما في حالة صدق العطش فهو مخير إن شاء شرب وإن شاء دفعه عن نفسه، (**فقد قيل: إن ذلك**) أي الشرب عند صدق العطش (**مستحب في الطب و**) ذلك لأنهم ذكروا (**أنه دباغ المعدة**). وقال بعضهم: شرب الماء البارد على الطعام خير من زيادة ألوان نقله صاحب القوت. وقال أيضاً: الشرب في تضاعيف الأكل مستحب من جهة الطب.

(**وأما الشرب: فأدبه أن يأخذ الكوز**) أو القدح (**بيمينه**) أي بيده اليمنى اشرفها (**ويقول « بسم الله » ويشربه مصاً**) أي على مهلة شرباً رفيقاً (**لاعباً**) أي تتابعاً من غير تنفس. (**قال ﷺ « مصوا الماء مصاً**) أي أشربوا شرباً رفيقاً (**ولا تعبوه عباً »**) أي لا تشربوه بكثرة من غير تنفس. هكذا رواه البيهقي من حديث أنس بسند بيّن.

وقال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بالشطر الأوّل، ولأبي داود في المراسيل من رواية عطاء بن أبي رياح « إذا شربتم فاشربوا مصاً » اهـ.

قلت: وفي بعض روايات حديث أنس وعلي زيادة (**« فإن الكباد من العب »**) الكباد كغراب وجع الكبد. قال ابن القيم: وقد علم بالتجربة أن هجوم الماء جملة واحدة على الكبد يؤلمها ويضعف حرارتها بخلاف وروده على التدريج. ألا ترى أن صب الماء البارد على القدر وهي تفور يضر، وبالتدريج لا ومن آفات النهل دفعة ان في أوّل الشرب يتصاعد البخار الدخاني الذي يغشي الكبد والقلب لورود البارد عليه، فإذا شرب دفعة اتفق عند نزول الماء صعود البخار فيتصادمان ويتدافعان فتحدث من ذلك أمراض رديئة. ولفظ مسند الفردوس من حديث علي « إذا شربتم الماء فاشربوه مصاً ولا تشربوه عباً » فإن العب يورث الكباد. وروى سعيد بن منصور في السنن وابن السني وأبو نعيم كلاهما في الطب النبوي، والبيهقي من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن الحرث النوفلي مرسلاً « إذا شرب أحدكم فليمص مصاً ولا يعب عباً فإن الكباد من العب ».

وهذه الشواهد يعضد بعضها بعضاً، ومن ثم حكم بعضهم على حديث علي بالحسن، فقول ابن العربي في العارضة حديث الكباد من العب باطل فيه نظر، وأما حديث أبي داود في المراسيل الذي ذكره العراقي ففيه زيادة وهي « وإذا استكتم فاستاكوا عرضاً » قال ابن القطان: وفيه محمد بن خالد القرشي لا يعرف، وقد رد عليه الحافظ ابن حجر بأن محمداً هذا وثقه ابن معين وابن حبان، والحديث ورد من طرق عند البغوي والعقيلي وابن منده وابن عدي والطبراني وغيرهم بأسانيد وإن

مضطجعاً فإنه ﷺ نهى عن الشرب قائماً. وروي أنه ﷺ شرب قائماً ولعله كان لعذر.

كانت مضطربة به كما قاله ابن عبد البر، لكن اجتماعها أحدث قوة صيرته حسناً. وروى الطبراني من حديث أم سلمة «كان يبدأ بالشراب إذا كان صائماً وكان لا يعب» يشرب مرتين أو ثلاثاً. وعند الديلمي في حديث أنس بعد قوله مصاً زيادة وهي فانه أهنأ وأمرأ.

(**ولا يشرب قائماً ولا مضطجعاً فإنه ﷺ «نهى عن الشرب قائماً»**)قال العراقي: رواه مسلم من حديث أنس وأبي سعيد وأبي هريرة.

(**وروى «انه ﷺ شرب قائماً»**) قال العراقي: رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس وذلك من زمزم اهـ.

قلت: رواية الشيخين أتيت النبي ﷺ بدلو من ماء زمزم فشرب وهو قائم. وروى البخاري عن علي انه شرب قائماً ثم قال: إن اناساً يكرهون الشرب قائماً وأن النبي ﷺ صنع مثل ما صنعت. وروى عاصم عن الشعبي ان ابن عباس حدثهم قال: سقيت رسول الله ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم. قال عاصم: فحلف عكرمة ما كان يومئذ إلا على بعير أخرجه البخاري. ورواه ابن حزم عنه. قال المحب الطبري في مناسكه: ويجوز أن يكون الأمر على ما حلف عليه عكرمة وهو أنه شرب وهو على الراحلة ويطلق عليه قائم، ويكون ذلك مراد ابن عباس من قوله «قائماً» فلا يكون بينه وبين النهي عن الشرب قائماً تصادر وهذا هو الذي عناه المصنف بقوله (**ولعله كان لعذر**) وهو الركوب.

قال الطبري: ويجوز أن يحمل على ظاهره ويكون دليلاً على إباحة الشرب قائماً.

وعن ابن عباس أيضاً أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقاه فقال العباس: يا فضل اذهب إلى أمك فأت رسول الله ﷺ بشراب من عندها، فقال: اسقني، فقال: يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه، فقال: «اسقني فشرب ثم أتى زمزم وهم يسقون عليها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح» ثم قال: «لولا أن تغلبوا لنزعت حتى أضع الحبل على هذه» وأشار إلى عاتقه أخرجاه.

قال الطبري: وفي هذا دليل على ترجيح الاحتمال الأوّل في الحديث قبله لأن قوله «لنزعت» يدل على أنه كان راكباً إلا أنه ﷺ مكث بمكة قبل الوقوف أربعة أيام بلياليها من صبيحة يوم الأحد إلى صبيحة يوم الخميس، فلعل ابن عباس سقاه من زمزم وهو قائم في بعض تلك الأيام اهـ.

وقال ابن حجر المكي في شرح الشمائل قوله «فشرب وهو قائم» إنما فعله مع أن عادته الشرب قاعداً ونهيه عن الشرب قائماً، وقوله فيما رواه مسلم «لا يشربن أحدكم قائماً» فمن نسي فليقيء للبيان أن نهيه ﷺ عن الشرب قائماً ليس للتحريم بل للتنزيه. وأن الامر بالاستقاء ليس للإيجاب

ويراعي أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر في الكوز قبل الشرب ولا يتجشأ ولا يتنفس في الكوز بل ينحيه عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية. وقد قال ﷺ بعد الشرب: « الحمد لله الذي جعله عـذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا ». والكوز وكل

بل للندب، وقول من قال ليس الشرب من ماء زمزم قائماً اتباعاً له ﷺ إنما يسلم له لو لم يصح النهي عن الشرب قائماً، وأما بعد صحته قائماً فيكون الفعل مبيناً للجواز لا يقال النهي مطلقاً، وشربه من ماء زمزم مقيد فلم يتواردا على محل واحد لأنا نقول ليس النهي مطلقاً بل هو عام، فـالشرب من زمزم قائماً من افراده فدخل تحت النهي فوجب حمله على أنه لبيان الجواز. ولو سلمنا أنه مطلق لكان محمولاً على المقيد فلم يفد المقيد غير الجواز أيضاً. لا يقال النبي ﷺ نزه عن فعل المكروه كالمحرم، فكيف يشرب قائماً لأنا نقول شربه قائماً لبيان الجواز وهذا واجب عليه فلم يفعل مكروهاً بل واجباً. وهكذا يقال في كل فعل فعله ﷺ لبيان الجواز مع نهيه عنه أو عما يشمله، واعلم أن كلاً من حديث نهيه وفعله ﷺ المذكورين صحيح وأن الجمع بينهما ما قررناه، وحيث أمكن الجمع بين حديثين وجب المصير إليه، ودعوى النسخ ليست في محلها. وتضعيف خبر النهي غير مسموع مع إخراج مسلم له والاستدلال لعدم الكراهة بفعل الخلفاء الأربعة غير جار على قواعد الأصوليين، مع أنه لا يقاوم ما صح عنه ﷺ سيما في الشرب قائماً ضرر، ومن ثم ندب الاستقاء منه حتى للناسي لأنه محرك خلطاً يكون القيء دواءه.

قال ابن القيم: وللشرب قائماً آفات. منها أنه لا يحصل به الري التام ولا يستمر في المعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء وينزل بسرعة إلى المعدة، فيخشى منه أن يبرد حرارتها ويسرع النفوذ إلى أسافل البدن بغير تدريج، وكل هذا يضر بالشارب قائماً. وعند أحمد عن أبي هريرة أنه رأى رجلاً يشرب قائماً فقال: قه. فقال: لم؟ فقال: أيسرك أن يشرب معك الهر؟ قال: لا. قال: شرب معك من هذا أشد منه الشيطان. وروى الترمذي في الشمائل من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه ﷺ شرب قائماً وقاعداً. قال الشارح: أي مرة قائماً لبيان الجواز، ومراراً كثيرة بل هي الأكثر المعروف المستقر من أحواله ﷺ قاعداً اهـ.

(**ويراعي أسفل الكوز حتى لا يقطر عليه**) أي على ثيابه أو شيء بين يديه فيفسده فإن شرب من قدح فلا يراعي ذلك، (**وينظر في الكوز قبل الشرب**) لئلا يكون به شيء مما يؤذي من قذى وغيره (**ولا يتجشأ في الكوز**) أي لا يخرج الجشاء عند شربه في الكوز وهو صوت مع ريح يخرج من الفم عند حصول الشبع، فقد ورد النهي عن ذلك لأنه يغير الماء ويقذره فتعافه النفوس، (**بل ينحيه**) أي يبعده (**عن فمه بالحمد ويرده بالتسمية**) أي يشرب ثم يزيله عن فمه ثم يشرب ثم يفعل كذلك، (**وقد قال ﷺ بعد الشرب**) أي بعد انفصاله عنه مرة واحدة (« **الحمد لله الذي جعله**) أي الماء وفي رواية « جعل الماء » (**عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا** ») رواه الطبراني في الدعاء مرسلاً من رواية أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين،

ما يدار على القوم يدار يمنة، وقد شرب رسول الله ﷺ لبناً وأبو بكر رضي الله عنه عن شماله واعرابي عن يمينه وعمر ناحية، فقال عمر رضي الله عنه: أعط أبا بكر فناول الاعرابي وقال: الأيمن فالأيمن، ويشرب في ثلاثة أنفاس بحمد الله في أواخرها ويسمى بالله في أوائلها ويقول في آخر النفس الأوّل «الحمد لله» وفي الثاني يزيد «رب العالمين»

ولفظه «الحمد لله الذي سقانا» الخ. ورواه كذلك أبو نعيم في الحلية كلاهما من طريق الفضيل عن جابر الجعفي عن أبي جعفر. قال ابن القيم: غريب، وقال الحافظ في تخريج الأذكار: هو مع إرساله ضعيف من أجل الجعفي.

(والكوز): أو القدح **(كلما يدار على القوم يدار يمنة)** أي على جهة اليمين، فقد ورد أنه **(شرب رسول الله ﷺ لبناً وأبو بكر رضي الله عنه)** قاعد **(عن شماله واعرابي عن يمينه وعمر)** رضي الله عنه قاعد **(ناحية، فقال عمر رضي الله عنه: أعط أبا بكر فناول الأعرابي)** ولم يناول أبا بكر **(وقال: الأيمن فالأيمن)** أي ابتدؤا بالأيمن، أو قدموا الأيمن. يعني من على اليمين في نحو الشرب فهو منصوب، وروي رفعه وخبره محذوف أي الأيمن أحق، ورجحه العيني بقوله في بعض طرق الحديث الأيمنون فالأيمنون، وكرر لفظ الأيمن ثلاثاً للتأكيد إشارة إلى ندب الابتداء بالأيمن ولو مفضولاً، وحكي عليه الاتفاق بل قال ابن حزم: لا يجوز مناولة غير الأيمن إلا بإذنه. قال ابن العربي: وتقديم من على اليمين ليس لمعنى فيه بل لمعنى في جهة اليمين رواه مالك وأحمد والشيخان والاربعة من حديث أنس بلفظ «أتي النبي ﷺ بلبن شيب بماء وعن يمينه اعرابي وعن شماله أبو بكر فشرب ثم أعطى الأعرابي» ثم ذكره. وفي بعض ألفاظ البخاري ألا فيمنوا.

(ويشرب في ثلاثة أنفاس)، فقد روى أحمد والستة من حديث أنس: كان إذا شرب تنفس ثلاثاً ويقول «هو أهنأ وأمرأ وأبرأ» **(يحمد الله في أواخرها ويسمي الله في أوائلها)** وهذا هو المراد بما رواه الترمذي في الشمائل وابن السني والطبراني من حديث ابن مسعود رفعه «كان يتنفس في الإناء ثلاثاً أي بأن يشرب ثم يزيله عن فمه ويتنفس ثم يشرب ثم يفعل كذلك، فإذا أخرّه حمد الله يفعل ذلك ثلاث مرات.

وفي الغيلانيات من حديث ابن مسعود رفعه «كان إذا شرب تنفس في الإناء ثلاثاً يحمد على كل نفس ويشكر عند آخرهن»

وأما ما ورد من النهي عن التنفس في الأناء فالمراد به في جوف الإناء وذلك لأنه يغير الماء إما لتغير الفم بمأكول أو ترك سواك أو لأن النفس يصعد بخار المعدة وفي الشرب من غير تنفس ضرر كبير من جهة الطب، **(و)** يندب أن **(يقول في آخر النفس الأوّل «الحمدلله» وفي الثاني يزيد «رب العالمين» وفي الثالث يزيد «الرحمن الرحيم»)** هكذا نقله صاحب القوت

وفي الثالث يزيد « الرحمن الرحيم » فهذا قريب من عشرين أدباً في حالة الأكل والشرب دلت عليها الأخبار والآثار.

القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام:

وهو أن يمسك قبل الشبع ويلعق أصابعه ثم يمسح بالمنديل ثم يغسلها ويلتقط فتات الطعام. قال ﷺ: « من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده ».

وصاحب العوارف، (**فهذا**) الذي ذكرناه (**قريب من عشرين أدباً في حالة الأكل والشرب دل عليه الآثار والاخبار**)، ولذا قال سهل: من لم يحسن أدب الأكل لم يحسن أدب العمل. وكان بعض السلف يقول: إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء حتى في الأكل والنوم، وكانوا يكون لأحدهم في الأكل نية صالحة كما يكون له في الجوع نية صالحة.

القسم الثالث مايستحب بعد الطعام:

(**وهو أن يمسك**) عن الأكل (**قبل**) حصول (**الشبع**) بأن يرفع يده قبل الامتلاء بمقدار ثلث بطنه أو نصفه كذلك سنّة السلف وهو أصح للجسم. وقال حكيم من أهل الطب: إن الدواء الذي لا داء فيه أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وترفع يدك منه وأنت تشتهيه (**ويلعق أصابعه**)، فقد روى جابر عن رسول الله ﷺ قال « إذا أكل أحدكم طعاماً فليمص أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة ». وروى أحمد ومسلم والثلاثة من حديث أنس رفعه « كان إذا أكل لعق أصابعه الثلاث » ورواه الحاكم وزاد « التي أكل بها » وهذا أدب حسن وسنّة جميلة لإشعاره بعدم الشره في الطعام، وبالاقتصار على ما يحتاجه، وذلك أن الثلاث يستقل بها الظريف الخبير، وهذا فيما يمكن فيه ذلك من الأطعمة وإلاّ فيستعين بما يحتاج من أصابعه.

(**ثم يمسح بالمنديل**) وهي خرقة الغمر، (**ثم يغسلها**) أي تلك الاصابع ثم يمسح بالمنديل ما على الأصابع من البلل. فقد روى أبو يعلى من حديث ابن عمر رفعه « من أكل من هذه اللحوم فليغسل يده من ريح وجده لا يؤذي من حذاه ». وعن أبي هريرة رفعه « من بات وفي يده غمر ولم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه ».

(**ويلتقط فتات الطعام**) وهو ما يتفتت منه ويتكسر ويسقط حوالي المائدة ويأكله. (**قال ﷺ « من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده »**) هكذا هو في القوت.

قال العراقي: رواه أبو الشيخ في الثواب من حديث جابر بلفظ « أمن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق » وله من حديث الحجاج بن علاط السلمي « أعطي سعة في الرزق ووقي الحمق في ولده وولد ولده » وكلاهما منكر جداً اهـ.

قلت: وقد روي في الباب من طرق مختلفة. منها: ما رواه الخطيب في المؤتلف عن هدبة بن

ويتخلل ولا يبتلع كل ما يخرج من بين أسنانه بالخلال إلا ما يجمع من أصول أسنانه بلسانه، أما المخرج بالخلال فيرميه وليتمضمض بعد الخلال ففيه أثر

خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رفعه «من أكل ماتحت المائدة أمن من الفقر» قال الحافظ بن حجر في أطراف المختارة سنده في هدبة على شرط مسلم، والمتن منكر فينظر فيمن دون هدبة.

ومنها: عن ابن عباس مرفوعاً «من أكل ما يسقط من الخوان نفي عنه الفقر ونفي عن ولده الحمق» رواه أبو الحسن ابن معروف في فضائل بني هاشم والخطيب وابن النجار في تاريخيهما.

ومنها: عن الحجاج بن علاط السلمي رفعه «من أكل ما يسقط من المائدة لم يزل في سعة من الرزق ووقي الحمق في ولده وولد ولده» رواه الباوردي.

ومنها: عن عبد الله بن أم حرام الأنصاري رفعه «من أكل ما يسقط من السفرة غفر له» رواه الطبراني والبزار وفيه غياث بن ابراهيم ضعيف.

ومنها: عن أبي هريرة رفعه «من أكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي من الحمق من ولده وولد ولده» رواه ابن عساكر وفيه إسحاق بن نجيح كذاب.

ومنها: عن ابن عباس أيضاً «من أكل ما يسقط من الخوان فرزق أولاداً كانوا صباحاً» رواه الشيرازي في الألقاب، والخطيب، وابن عساكر.

(ويتخلل) بعد الطعام أي يستعمل الخلال في أسنانه لإخراج ما بقي من بقايا الطعام فيه خصوصاً عقب أكل اللحم، فإنه يتعلق منه في أصول الاسنان شيء لا يخرج إلا بالخلال، **(ولا يبتلع كل ما يخرج من بين أسنانه بالخلال إلا ما يجمع من أصول أسنانه بلسانه، وأما المخرج بالخلال فيرميه)** ولفظ القوت: ولا يزدرد ما أخرج الخلال من بين أسنانه، فإنه داء ومكروه، وما لاكه بلسانه فلا بأس أن يزدرده.

قلت: والسر في ذلك أن ما يخرجه الخلال ملوث بالدم غالباً فيتنجس، وأما ما لاكه بلسانه فهو يخرج بسهوله من غير تلويث بدم فلا بأس بازدراده، وقد روي هذا المعنى من حديث أبي هريرة عند البيهقي: «من أكل طعاماً فما تخلل فليلفظ ومالاك بلسانه فليبلع من فعل فقد أحسن ومن لا فلا جرم». وأما التخلل فيروى عن ابن مسعود مرفوعاً تخللوا فإنه نظافة والنظافة تدعو إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة» وفي رواية: «تخللوا فإنه مصحة للناب والنواجذ» هكذا رواه الطبراني في الأوسط، وفي إبراهيم بن حبان. قال ابن عدي: أحاديثه موضوعة. وقال المنذري: رواه في الأوسط هكذا مرفوعاً، ووقفه في الكبير على ابن مسعود بإسناد حسن وهو الأشبه والتخلل في اللغة إخراج الخلة بالكسر، وهو ما يبقى بين الأسنان من الطعام والخلال اسم للعود الذي يخرج به والمخرج يسمى خلالة بالضم.

(ويتمضمض بعد الخلال) أي لما يعقب الخلال بعض الدم فيتنجس به الفم فيزيله

عن أهل البيت عليهم السلام، وأن يلعق القصعة ويشرب ماءها. ويقال: من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له عتق رقبة. وإن التقاط الفتات مهور الحور العين. وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه. قال الله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما رَزَقْنَاكُم واشْكُرُوا لله﴾ [البقرة: ١٧٢] ومهما أكل حلالاً قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات. اللهم اطعمنا طيباً واستعملنا صالحاً. وإن أكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال. اللهم لا تجعله قوّة لنا على معصيتك، ويقرأ

بالمضمضة، (**ففيه أثر عن أهل البيت**) هكذا في القوت إلا أنه قال عن بعض أهل البيت، (**وأن يلعق القصعة**) وما في معناه كالصفحة والصحن، (**يقال: من لعق القصعة وشرب ماءها كان له عتق رقبة**) أي بمنزلة عتق رقبة هكذا نقله صاحب القوت، وقد روي مرفوعاً بمعناه من حديث نبيشة الخير الهذلي رفعه: «من أكل في قصعة ولحسها استغفرت له القصعة» رواه الترمذي من حديث المعلى بن راشد حدثتني جدتي أم عاصم قالت: دخل علينا نبيشة الخير، ونحن نأكل في قصعة فحدثنا أن رسول الله ﷺ قال: فذكره وهكذا أخرجه ابن ماجه وآخرون منهم أحمد والبغوي والدارمي وابن أبي خيثمة وابن السكن وابن شاهين. وقال الترمذي: غريب، وكذا قال الدارقطني، وأورده بعضهم بلفظ: «تستغفر الصحفة للاحسين». وقال صاحب العوارف: وروى أنس قال: أمر رسول الله ﷺ بإسلات القصعة وهو مسحها من الطعام. وروى الطبراني في الكبير من حديث العرباض بن سارية: «من لعق الصحفة ولعق أصابعه أشبعه الله في الدنيا والآخرة» وروى الحكيم الترمذي من حديث أنس بمثل سياق حديث نبيشة عند الترمذي إلا أنه زاد «وصلت عليه» وثبت في صحيح مسلم عن جابر «الأمر بلعق الأصابع والصفحة فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة» وفي لفظ لابن حبان «ولا ترفع الصحفة حتى تلعقها فإن في آخر الطعام البركة». (**و**) يقال (**أن التقاط الفتات من حوالي المائدة**) وأكلها (**مهور الحور العين**) نقله صاحب القوت، ولفظه: وليأكل ما سقط من فتات الطعام. يقال: أنه مهور الحور العين، (**وأن يشكر الله تعالى بقلبه على ما أطعمه فيرى الطعام نعمة منه**) ورؤيته نعمة هو عين الشكر والشكر يستوجب المزيد ومن أدب الصوفية رؤية المنعم على النعمة وأنها منه وحده لا شريك له فيها ويعتقد الشكر له عليها.

(**قال الله تعالى: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله﴾ [البقرة: ١٧٢] ومهما أكل حلالاً قال «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم اطعمنا طيباً واستعملنا صالحاً»**) كذا في القوت إلا أنه قال: «اللهم اطعمتنا طيباً فاستعملنا صالحا» وزاد «وليكثر شكر الله على ذلك». (**وإن أكل شبهة**) أي طعاماً فيه شبهة حرام (**فليقل: الحمد لله على كل حال. اللهم لا تجعله قوة لنا على معصيتك**) كذا في القوت (**ويقرأ بعد**) فراغه (**من الطعام: قل هو الله أحد ولإيلاف قريش**) كذا في القوت، ونقله كذلك صاحب

بعـــد الطعـــام قـــل هـــو الله أحـــد ، ولإيلاف قـــريش ، ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولاً فـإن أكـل طعـام الغير فليـدع لـه وليقـل : اللهـم أكثر خيره وبارك له فيما رزقته ويسر له أن يفعل فيه خيراً وقنعه بما أعطيته واجعلنا وإياه من الشاكرين. وإن أفطر عند قوم فليقل: أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة. وليكثر الاستغفار والحزن على ما أكل من شبهة ليطفىء بدموعه وحزنه حرَّ النار التي تعرض لها لقوله ﷺ: « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » وليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويلهو، وليقل إذا أكل لبناً اللهم بارك لنا فيما

العوارف. أما قل هو الله أحد فلأجل حصول البركة فإنها تعدل ثلث القرآن وتنفي عن قارئها الفقر، ولأنها تعرف بسورة الإخلاص فيلاحظ معنى الإخلاص فيما أكله، وأيضاً فإنها تعرف بالصمدية لاشتمالها على إسم الصمد وهو ما لا جوف له ولا يحتاج إلى طعام وشراب فيلاحظ هذه المعاني عند قراءتها بعد الطعام، وأما لإيلاف قريش فلمناسبة الإلفة والاجتماع والأمان من الخوف والجوع.

(**ولا يقوم عن المائدة حتى ترفع أولاً**) روي ذلك من حديث ابن عمر بلفظ: « إذا وضعت المائدة فلا يقومن حتى ترفع المائدة ». (**فإن أكل طعام الغير فليدع له وليقل**) في دعائه: (**اللهم بارك له فيما رزقته ويسر له أن يفعل منه خيراً وقنعه بما أعطيته واجعلنا وإياه من الشاكرين**) كذا في القوت، (**وإن فطر عند قوم فليقل**) أي إذا نزل ضيفاً عند قوم وهو صائم فأفطر فليقل في دعائه: (**أفطر عندكم الصائمون**) خبر بمعنى الدعاء بالخير والبركة لأن أفعال الصائمين تدل على اتساع الحال وكثرة الخير إذ من عجز عن نفسه فهو عن غيره أعجز، (**وأكل طعامكم الأبرار**) دعـاء واخبار، (**وصلت عليكم الملائكة**) أي استغفرت لكم. رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن الزبير بسند حسن، ورواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي من حديث أنس، وفي إحدى روايتي النسائي بلفظ: « تنزلت » بدل « وصلت ».

قال العراقي: إسناده صحيح، ونازعه تلميذه الحافظ وقال فيه معمر، وهو وإن احتج به الشيخان فإن روايته عن ثابت بخصوصه مقدوح فيها، (**وليكثر الإستغفار والحزن على ما أكل من شبهة**) فليس من يأكل وهو يبكي مثل من يأكل وهو يضحك، (**ليطفىء بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها بقوله ﷺ « كل لحم**) وفي رواية: كل جسد (**نبت من حرام**) وفي رواية: من سحت (**فالنار أولى به »**) هذا وعيد شديد يفيد أن أكل أموال الناس بالباطل من الكبائر، (**وليس من يأكل ويبكي كمن يأكل ويلهو**) كذا في القوت.

قال العراقي: والحديث رواه البيهقي في الشعب بلفظ « لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به » اهـ.

قلت: وسيأتي هذا الحديث في كتاب الحلال والحرام. ووجد بخط الحافظ أنه رواه أبو نعيم في

رزقتنا وزدنا منه، فإن أكل غيره قال: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيراً منه، فذلك الدعاء مما خص به رسول الله ﷺ اللبن لعموم نفعه. ويستحب عقيب الطعام أن يقول: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شيء

الحلية من حديث أبي بكر وعائشة وجابر بلفظ: «كل جسد نبت من سحت» ونحوه من حديث ابن عباس في الصغير للطبراني اهـ.

قلت: رواه البيهقي وأبو نعيم من حديث زيد بن أرقم عن أبي بكر رضي الله عنهما قال زيد: كان لابي بكر مملوك يغلي عليه فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة ثم قال: من أين جئت به؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فاعطوني قال: أف لك كدت أن تهلكني فادخل يده في حلقه فجعل يتقيأ وجعلت لا تخرج، قيل له: لا تخرج إلا بالماء، فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها فقيل له: كل هذا من أكل لقمة. قال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها. سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره. وفي الإسناد عبد الواحد بن واصل أورده الذهبي في الضعفاء وقال: ضعفه الأزدي وعبد الواحد بن زيد. قال البخاري والنسائي متروك، وروى ابن جرير من حديث ابن عمر «كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به» قيل: وما السحت؟ قال: الرشوة في الحكم.

(**وليقل إذا أكل لبناً أو شربه: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وزدنا منه**) وإن أكل غيره قال: اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيراً منه، (**فذلك الدعاء مما خص به رسول الله ﷺ اللبن لعموم نفعه**) ووجه ذلك أنه يجزىء مكان الطعام والشراب كما ورد ذلك في حديث ابن عباس، فلا خير من اللبن وبهذا يندفع قول بعضهم: هل يلحق ما عدا اللبن من الأشربة به أو بالطعام، ووجه اندفاعه أن الحديث صريح في تخصيص ذلك باللبن.

قال ابن عباس: دخلت أنا ورسول الله ﷺ وخالد بن الوليد على ميمونة، فجاءتنا بإناء من لبن، فشرب رسول الله ﷺ وأنا عن يمينه وخالد عن شماله فقال لي: الشربة لك فإن شئت آثرت بها خالداً. فقلت: ما كنت أؤثر على سؤرك أحداً، ثم قال رسول الله ﷺ: من أطعمه الله طعاماً فليقل: «اللهم بارك لنا فيه واطعمنا خيراً منه، ومن سقاه الله لبناً فليقل اللهم باركنا لنا فيه وزدنا منه». وقال ﷺ: «ليس شيء يجزىء مكان الطعام والشراب غير اللبن». رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه. وقال الترمذي واللفظ له: هذا حديث حسن. وروى النسائي الفصل الأول منه قاله صاحب سلاح المؤمن، ورواه كذلك أحمد، وابن سعد، وابن السني في عمل يوم وليلة. وفي بعض ألفاظهم: «إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وأبدلنا خيراً منه».

(**ويستحب عقب الطعام أن يقول**) هذا الدعاء (**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا**) الظاهر أن يأتي بهذا، وإن كان وحده رعاية للفظ الوارد كما سيأتي في دعاء الافتتاح بنجو حنيفاً مسلماً على إرادة الشخص رعاية للوارد ما أمكن وقد تقدم الكلام على

ولا يكفي منه شيء أطعمت من جوع وآمنت من خوف فلك الحمد. أويت من يتم وهديت من ضلالة وأغنيت من عيلة فلك الحمد حمداً كثيراً دائماً طيباً نافعاً مباركاً فيه كما أنت أهله ومستحقه. اللهم أطعمتنا طيباً فاستعملنا صالحاً واجعله عوناً لنا على طاعتك، ونعوذ بك أن نستعين به على معصيتك، وأما غسل اليدين بالأشنان فكيفيته أن

ذلك في كتاب الصلاة وفي تقديم سيدنا على مولانا خلاف فمنعه الصلاح الصفدي في شرح العقيدة الزيدونية، والمشهور في الإستعمال جوازه (**يا كافي من كل شيء ولا يكفي منه شيء أطعمت من جوع وآمنت من خوف، فلك الحمد أويت من يتم وهديت من ضلالة واغنيت من عيلة**) والظاهر أن هذا الدعاء عقيب قراءة سورة قريش وألم نشرح ففي آخر قريش ﴿أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ [قريش: ٤] وفي الإنشراح ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى ★ ووجدك ضالاً فهدى ★ ووجدك عائلاً فأغنى﴾ [الضحى: ٦ ـ ٨] فاشتق الدعاء من السورتين، (**فلك الحمد حمداً كثيراً دائماً طيباً نافعاً مباركاً فيه كما أنت** أهله ومستحقه. **اللهم أطعمتنا طيباً فاستعملنا صالحاً واجعله عوناً لنا على طاعتك، ونعوذ بك أن نستعين به على معصيتك**) هذا إذا كان الطعام لا شبهة فيه كما تقدم قريباً وهذا الذي أورده المصنف من الدعاء لم أره مجموعاً في الحديث، والمأثور منه أنه ﷺ كان إذا رفع مائدته يقول: «الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا». رواه الجماعة إلا مسلماً. وفي رواية للبخاري أيضاً كان إذا رفع من طعامه قال: «الحمد لله الذي كفانا وأروانا غير مكفي ولا مكفور» وقال مرة: «لك الحمد ربنا غير مكفي ولا مودع ولا مستغني ربنا». وفي رواية الترمذي وابن ماجه وإحدى روايات النسائي: «الحمد لله حمدا» وفي لفظ للنسائي: «اللهم لك الحمد حمداً» وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين» رواه الأربعة واللفظ لأبي داود وابن ماجه ولفظ الترمذي كان النبي ﷺ إذا أكل أو شرب قال، فذكره.

وعن معاذ بن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «من أكل طعاماً فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه» الحديث رواه أبو داود واللفظ له والترمذي وابن ماجه والحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط البخاري، وقال الترمذي: حسن غريب.

وعن أبي أيوب الأنصاري قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل أو شرب قال: «الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجاً» رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في الصحيح.

وعن أبي هريرة قال: دعا رجل من الأنصار من أهل قباء يعني النبي ﷺ فانطلقنا معه، فلما طعم وغسل يده أو يديه قال: «الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم من علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا وكل بلاء حسن أبلانا الحمد لله غير مودع ولا مكافي ولا مكفور ولا مستغنى عنه، الحمد لله الذي

يجعل الأشنان في كفه اليسرى ويغسل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولاً، ويضرب أصابعه على الأشنان اليابس فيمسح به شفتيه ثم ينعم غسل الفم باصبعه ويدلك ظاهر أسنانه وباطنها والحنك واللسان، ثم يغسل أصابعه من ذلك بالماء ثم يدلك ببقية الأشنان اليابس أصابعه ظهراً وبطناً ويستغني بذلك عن إعادة الأشنان إلى الفم وإعادة غسله.

أطعم من الطعام وأسقى من الشراب وكسا من العري وهدى من الضلالة وبصر من العمى وفضل على كثير ممن خلق تفضيلاً الحمد لله رب العالمين». رواه النسائي واللفظ له والحاكم وابن حبان في صحيحيهما. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

وروى ابن أبي شيبة من مرسل سعيد بن جبير أنه ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: «اللهم أشبعت وأرويت فهنيئاً ورزقتنا فاكثرت وأطبت فزدنا» والله أعلم.

(وأما غسل اليدين بالأشنان فكيفيته أن يجعل الأشنان على كفه اليسرى ويغسل الأصابع الثلاث من اليد اليمنى أولاً) قال صاحب القوت: ليس كل أحد يحسن أدب الغسل كما ليس كل إنسان يعرف سنة الأكل، فمن غسل يده باشنان ابتدأ بغسل أصابعه الثلاث أولاً ثم جعل الأشنان في راحته اليسرى، **(ويضرب يده على الأشنان اليابس فيمسح به شفنيه)** بأن يمره عليه، **(ثم ينعم غسل الفم بإصبعه ويدلك ظاهر أسنانه وباطنها والحنك واللسان، ثم يغسل أصابعه)** من ذلك الماء، ثم يدلك ببقية الأشنان اليابس أصابعه **(ظهراً وبطناً ويستغني بذلك عن إعادة الأشنان إلى الفم)** لتلاقي الغمر إليه من يديه، **(و)** هذا يكفيه من **(إعادة غسله)** فهذا أدب الغسل بالأشنان، وهكذا أورده صاحب القوت ونقله عنه صاحب العوارف وغيره.

الباب الثاني

فيما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الأكل وهي سبعة

الأول: أن لا يبتدىء بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن أو زيادة فضل إلا أن يكون هو المتبوع والمقتدى به، فحينئذ ينبغي أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اشرأبوا للأكل واجتمعوا له.

الثاني: أن لا يسكتوا على الطعام فإن ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها.

الباب الثاني

فيما يزيد بسبب الإجتماع والمشاركة في الأكل

(وهي سبعة):

(الأولى: أن لا يبتدىء بالطعام ومعه من يستحق التقديم بكبر سن أو زيادة فضل) بأن يكون عالماً **(إلا أن يكون هو المتبوع والمقتدى به، فحينئذ ينبغي أن لا يطول عليهم الإنتظار إذا اشرأبوا)** أي تهيئوا ورفعوا أبصارهم **(للأكل واجتمعوا له)** فإن انتظار المائدة الحاضرة من جملة جهد البلاء.

ولفظ القوت: ولا يكون أول من يبتدىء بالأكل حتى يسبق صاحب المنزل والأكبر إلا أن يكون إماماً يقتدى به، أو يكون القوم منقبضين فيبسطهم بالابتداء اهـ.

وروى الشيخان، وأبو داود من حديث سهل بن أبي حثمة رفعه: « الكبر الكبر » أي كبروا الكبر فهو منصوب على الإغراء.

(الثاني: أن لا يسكتوا على الطعام) إذا شرعوا في الأكل **(فإن ذلك من سيرة العجم)** فإنهم يعدون الكلام في حالة الأكل من سوء الأدب وليس كذلك، **(ولكن يتكلمون بالمعروف)** وبما يناسب الوقت والحال، **(ويتحدثون بحكايات الصالحين في الأطعمة وغيرها)** ليعتبروا بذلك، ولكن لا يتكلم وهو يمضغ اللقمة فربما يبدو منها شيء فيقذر الطعام.

الثالث: أن يرفق برفيقه في القصعة فلا يقصد أن يأكل زيادة على ما يأكله، فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقاً لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركاً، بل ينبغي أن يقصد الإيثار ولا يأكل تمرتين في دفعة إلا إذا فعلوا ذلك أو استأذنهم، فإن قلّل رفيقه نشطه ورغبه في الأكل وقال له: «كلْ» ولا يزيد في قوله: «كُل» على ثلاث مرات فإن ذلك إلحاح وافراط. كان رسول الله ﷺ إذا خوطب في شيء ثلاثاً لم يراجع بعد ثلاث؛

(**الثالث: يرفق برفيقه في القصعة فلا يقصد أن يأكل زيادة على ما يأكله، فإن ذلك حرام إن لم يكن موافقاً لرضا رفيقه مهما كان الطعام مشتركاً**) فإن لكل منهما حقاً لا يتعداه. (**بل ينبغي أن يقصد الإيثار**) أي يؤثر رفيقه على نفسه، (**ولا يأكل تمرتين في دفعة**) واحدة وهو القران المنهي عنه، لأن فيه إجحافاً برفيقه مع ما فيه من الشره المزري، (**إلا إذا فعلوا ذلك**) فيوافقهم وحينئذ فلا إجحاف، (**أو استأذنهم**) فأذنوا له فيجوز وتقوم مقام صريح الإذن قرينة تغلب على الظن رضاهم، ولا يكفي إذن واحد من الشركاء، بل يشترط إذن الكل. قال الحافظ ابن حجر: وهذا يقوي مذهب من يصحح هبة المجهول روى أحمد والستة من حديث ابن عمر: «نهى عن الإقران إلا أن يستأذن الرجل أخاه» هكذا هو لفظ الحديث. قال عياض: والصواب القران بلا ألف. وقال الحافظ: وهي اللغة الفصحى، وهكذا جاء عند الطيالسي وأحمد، والنهي للتنزيه إن كان الآكل مالكاً مطلق التصرف، وإلا فللتحريم. وقال ابن بطال: هو للندب مطلقاً عند الجمهور لأن الذي يوضع للأكل سبيله سبيل المكارمة لا التشاح لاختلاف الناس في الأكل. والأرجح الأول، ومثل التمرتين اللقمتان كما صرح به ابن العربي (**وإن قلل رفيقه**) من الأكل إنقباضاً وحياء (**بسطه ورغبه في الأكل وقال له: «كل»**) هكذا هو بضم الكاف أمر من أكل يأكل أصله أأكل، وسمعت بعض الأعراب بمصر يقول لرفيقه: إذا تأخر عن الأكل «كل» بكسر الكاف، ويظنه كل من سمعه لحناً، وعندي أنه مختصر من واكل من المواكلة والله أعلم.

(**ولا يزيد في قوله «كل» على ثلاث مرات**) لا متوالياً بل يجعل بين كل كلمة وكلمة مسافة بحسب الوقت والحال، (**فإن ذلك**) أي الزيادة على الثلاث (**إلحاح وإفراط**) وقد نهي عن كل منهما. ولفظ القوت: وإذا عرضت على أخيك الطعام مرة أو مرتين فلا تلحن عليه، وكذلك إذا دعوته فكره فقد قالوا: لا تلزم أخاك ما يشق عليه ولا تزيدن على ثلاث مرات فإن الإلحاح ما زاد على ثلاث وليس ذلك من السنة والأدب إلا فيما لا بد منه مما للجمع فيه أدب. قالوا: (**كان ﷺ إذا خوطب في شيء ثلاثاً لم يراجع بعد ثلاث**) قال العراقي: رواه أحمد من حديث جابر في حديث طويل له، ومن حديث ابن أبي حدرد أيضاً وإسنادهما حسن، (**وكان ﷺ يكرر الكلام ثلاثاً**) ويعيد القول ثلاثاً كذا في القوت. قال العراقي: رواه البخاري من حديث أنس: «كان يعيد الكلمة ثلاثاً» اهـ.

وكان ﷺ يكرر الكلام ثلاثاً. فليس من الأدب الزيادة عليه، فأما الحلف عليه بالأكل فممنوع. قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: الطعام أهون من أن يحلف عليه.

الرابع: أن لا يحوج رفيقه إلى أن يقول له: «كُل». قال بعض الأدباء: أحسن الآكلين أكلاً من لا يحوج صاحبه إلى أن يتفقده في الأكل وحمل عن أخيه مؤونة القول، ولا ينبغي أن يدع شيئاً مما يشتهيه لأجل نظر الغير إليه، فإن ذلك تصنع بل يجري على المعتاد ولا ينقص من عادته شيئاً في الوحدة، ولكن يعودّ نفسه حسن الأدب في الوحدة حتى لا يحتاج إلى التصنع عند الاجتماع. نعم لو قلل من أكله إيثاراً لإخوانه ونظراً لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن وإن زاد في الأكل على نية المساعدة وتحريك نشاط القوم في الأكل فلا بأس به بل هو حسن. وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب إلى إخوانه

قلت ورواه الترمذي والحاكم بزيادة: «لتعقل عنه» أي الكلمة التي يتكلم بها كان يعيدها ثلاث مرات ليتدبرها السامعون ويرسخ معناها في القوة العاقلة.

(**فليس من الأدب الزيادة عليه**) أي على الثلاث، (**فأما الحلف عليه بالأكل**) كما هو عليه عامة الناس اليوم (**فممنوع قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: الطعام أهون من أن يحلف عليه**)، وقال مرة: أيسر من أن يدعى إلى ذلك يعظم حق المؤمن، وقد كان سعيد بن أبي عروبة بهذه المنزلة لم يكن يعرض على إخوانه الطعام، ولكنه كان يظهره ويعرضه فكان اللحم مسلوخاً معلقاً والخبز موجوداً ظاهراً، وكان ذلك مشاعاً في منزله لمن أراد تناوله. وكان الثوري يقول: إذا زارك أخوك فلا تقل له أقدم إليك ولكن قدم إليه ما عندك فإن أكل وإلا فارفعه.

(**الرابع: أن لا يحوج رفيقه إلى أن يقول له «كل»**) فإن ذلك يحشمه فربما يقطعه. (**قال بعض الأدباء أحسن الآكلين أكلاً من لم يحوج صاحبه إلى أن يتفقده في الأكل وحمل عن أخيه مؤنة القول**) كذا في القوت، (**ولا ينبغي أن يدع**) أي يترك (**شيئاً مما يشتهيه**) من المأكول (**لأجل نظر الغير إليه فإن ذلك تصنع**) وهو منهى عنه، فإنه يفضي إلى التصنع في العمل، (**بل يجري على المعتاد**) من أحواله، (**ولا ينقص من عادته**) في أكله المعتاد (**في الوحدة**) أي حالة أكله وحده منفرداً عن إخوانه، (**ولكن يعود نفسه حسن الأدب في الوحدة حتى**) يتمرن عليه، وعند ذلك (**لا يحتاج إلى التصنع عند الإجتماع**) وهذا أدب الصوفية. (**نعم. لو قلل من أكله إيثاراً**) على نفسه (**لإخوانه و**) قدمه إليهم (**نظراً لهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن**) عندهم، (**وإن زاد في الأكل على نية المساعدة**) للجماعة (**وتحريك نشاط القوم في الأكل**) أو بنية فضل الأكل مع الإخوان (**فلا بأس به بل هو حسن**) نقله صاحب القوت بمعناه. (**وكان**) عبد الله (**بن المبارك**) رحمه الله (**يقدم فاخر**

ويقول: من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهماً وكان يَعدُّ النوى ويعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لدفع الحياء وزيادة النشاط في الانبساط، وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما: أحب اخواني إليَّ أكثرهم أكلاً وأعظمهم لقمة وأثقلهم علي من يحوجني إلى تعهده في الأكل. وكل هذا إشارة إلى الجري على المعتاد وترك التصنع. وقال جعفر رحمه الله أيضاً: تتبين جودة محبة الرجل لأخيه بجودة أكله في منزله.

الخامس: أن غسل اليد في الطست لا بأس به وله أن يتنخم فيه إن أكل وحده وإن أكل مع غيره فلا ينبغي أن يفعل ذلك فإذا قدّم الطست إليه غيره إكراماً له فليقبله.

الرطب إلى إخوانه ويقول: من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهماً وكان يعدّ النوى) أي الموجود في يدهم اليسرى، **(ويعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم)** نقله صاحب القوت، **(وذلك لدفع الحياء)** والإنقباض عنهم **(وزيادة النشاط في الإنبساط)** مع الإخوان **(قال جعفر بن محمد)** بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى: **(أحب إخواني إليّ أكثرهم أكلاً)** أي لطعامي، **(وأعظمهم لقمة وأثقلهم علي من يحوجني إلى تعهده في الأكل)** نقله صاحب القوت، **(وكل هذا إشارة إلى الجري على المعتاد وترك التصنع)** في الأكل، **(وقال جعفر أيضاً: تبين محبة الرجل لأخيه بجودة أكله في منزله)** نقله صاحب القوت أيضاً، وهذا لأنه يدخل عليه السرور بذلك الأكل فيكون دليلاً على محبته، فإن قلل الأكل لقلة الطعام فحسن. روي أن سفيان الثوري دعا إبراهيم بن أدهم وأصحابه إلى طعام فقصروا في الأكل فلما رفع الطعام قال له الثوري: إنك قصرت في الأكل، فقال إبراهيم: لأنك قصرت في الطعام فقصرنا في الأكل.

(الخامس: غسل اليد) بعد الفراغ من الطعام **(في الطست)** في المصباح. قال ابن قتيبة: أصلها طس فأبدل من أحد الضعفين تاء لثقل اجتماع المثلين لأنه يقال في الجمع طساس كسهم وسهام، وفي التصغير طسيسة وجمعت أيضاً على طسوس باعتبار الأصل، وعلى طسوت باعتبار اللفظ. قال ابن الأنباري، قال الفراء: كلام العرب طسه، وقد يقال: طس بغير هاء فهي مؤنثة وطيء تقول طست كما قالوا في لص لصق. ونقل عن بعضهم التذكير والتأنيث. وقال الزجاج: التأنيث أكثر كلام العرب، وقال السجستاني: هي أعجمية معربة، وقال الأزهري: هي دخيلة في كلام العرب لأن التاء والطاء لا يجتمعان في كلمة عربية. **(لا بأس به)** وإن كان في قصعة أو إناء من خزف فهو أقرب إلى السنة، **(وله أن يتنخم فيه)** عند غسل يده وفمه، والنخامة ما كان من الحلق **(إن أكل وحده وإن أكل مع غيره، فلا ينبغي أن يفعل ذلك)** فربما يستقذره أخوه وهو مخالف للأدب، وإن بزق فيه بعد أن يفرغ الجماعة ورفع الطست لا بأس به، **(فإذا قدم الطست إليه غيره إكراماً فليقبله)** ولا يرده، فقد روي أنه **(اجتمع أنس بن مالك)** رضي

اجتمع أنس بن مالك وثابت البناني رضي الله عنهما على طعام، فقدَّم أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال أنس: إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها، فإنما يكرم الله عز وجل. وروي أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير فصبّ الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال: يا أبا معاوية تدري من صب على يدك؟ فقال: لا. قال: صبه أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم وأجللته فأجلّك الله وأكرمك كما أجللت العلم وأهله. ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة فهو أقرب إلى التواضع وأبعد عن طول الانتظار. فإن لم يفعلوا فلا ينبغي أن يصب ماء كل

الله عنه **(وثابت)** أبو محمد **(البناني)** التابعي رحمه الله تعالى **(على طعام فقدم أنس الطست إليه فامتنع ثابت)** من تقدمه في غسل اليد وكأنه استحيا حضور شيخه أنس، **(فقال أنس: إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا تردها فإنما تكرم الله عز وجل)** نقله صاحب القوت ولفظ: فإنه إنما يكرم الله عز وجل.

قلت: ومعنى ذلك رواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر: « من أكرم أمرأ مسلماً فإنما يكرم الله تعالى » وسنده ضعيف، وفي بعض ألفاظه: « قد أكرم أخاه المؤمن ».

(وروي أن هارون الرشيد) العباسي **(دعا أبا معاوية الضرير)** هو محمد بن حازم التميمي السعدي مولاهم. يقال: عمي وهو ابن أربع سنين. قال العجلي: كوفي ثقة، وقال يعقوب ابن شيبة: كان من الثقات وربما دلس، وقال النسائي ثقة، وقال ابن خراش: صدوق. وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان حافظاً متقناً ولكنه كان مرجئاً. ولد سنة ثلاث عشرة ومائة ومات سنة أربع وتسعين ومائة روى له الجماعة. **(فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال)** ولفظ القوت: قيل له **(يا أبا معاوية تدري من صب على يدك؟ فقال: لا. قال: صبه أمير المؤمنين، فقال)** يا أمير المؤمنين: **(إنما أكرمت العلم وأجللته)** أي عظمته، **(فأجلك الله وأكرمك كما أجللت وأكرمت العلم وأهله)** هكذا نقله صاحب القوت ونقله كذلك صاحب العوارف إلا أنه قال: دعا أبا معاوية وأمر أن يقدم له طعام، فلما أكل صب الرشيد الماء على يده في الطست والباقي سواء. ولم تزل سنة الملوك الماضين في إجلالهم. وحكى لي من أثق به من المغاربة أن مولاي إسماعيل بن مولاي الشريف جد ملوك المغرب الآن دعا علماء عصره وفيهم أبو الوفاء اليوسي وقدم إليهم الطعام، فلما فرغوا صب على أيديهم الماء فامتنع أبو الوفاء فغضب في امتناعه لذلك.

(ولا بأس أن يجتمعوا على غسل اليد في الطست في حالة واحدة، فهو أقرب إلى التواضع وأبعد عن طول الإنتظار) هذا إذا كان الطست واسعاً والأباريق متعددة، وإلا فليقدم الكبير وذو السن والفضل والشرف، **(فإن لم يفعلوا فلا ينبغي أن يصب ماء كل**

واحد بل يجمع الماء في الطست. قال ﷺ: «اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم». قيل: إن المراد به هذا. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار: لا يرفع الطست من بين يدي قوم إلا مملوءة ولا تشبهوا بالعجم. وقال ابن مسعود: اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا بسنّة الاعاجم. والخادم الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائماً وأحب أن يكون جالساً لأنه أقرب إلى التواضع، وكره بعضهم جلوسه فروي أنه صب على يد واحد خادم جالساً فقام المصبوب عليه فقيل له: لم قمت؟ فقال: أحدنا لا بدّ وأن يكون قائماً وهذا أولى لأنه أيسر للصب والغسل وأقرب إلى

واحد) على حدة **(بل يجمع الماء)** المستعمل **(في الطست)** ويرمي به مرة واحدة، وهذا أيضاً إذا كان الطست واسعاً يجمع ماء الكل فإن كان صغيراً وامتلأ بغسل بعض الجماعة فينبغي أن يصب ثم يؤتى لمن لم يغسل.

(قال ﷺ: «إجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم») والوضوء بالفتح اسم الماء الذي يتوضأ به.

قال العراقي: رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة بإسناد لا بأس به، وجعل ابن طاهر مكان أبي هريرة إبراهيم، وقال: إنه معضل اهـ. وقال العراقي في موضع آخر: وفيه نظر.

(قيل إن المراد به هذا) الذي ذكر هو ما يجمع من المياه بعد غسل الأيدي فإنه يسمى وضوءاً. **(وكتب عمر بن عبد العزيز)** الأموي رحمه الله تعالى **(إلى الأمصار أن لا ترفع الطست من بين يدي القوم إلا مملوءة ولا تشبهوا بالعجم)** نقله هكذا صاحب القوت، ورواه البيهقي في الشعب بلفظ: «إن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامله بواسط يحض أن الرجل يتوضأ في طست ثم يأمر بها فتهراق وهذا من زي الأعاجم فتوضؤا فيها فإذا امتلأت فاهريقوها.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(اجتمعوا على غسل اليد في طست واحدة ولا تستنوا بسنة الأعاجم)** نقله صاحب القوت أيضاً، وفي هذا المعنى حديث مرفوع عن ابن عمر: «اترعوا الطسوس وخالفوا المجوس». رواه البيهقي والخطيب والديلمي وضعفه البيهقي وقال: في إسناده من يجهل، وقال ابن الجوزي: حديث لا يصح، وأكثر رواته ضعفاء ومجاهيل.

(والخادم الذي يصب الماء على اليد كره بعضهم أن يكون قائماً) على رجليه، **(وأحب أن يكون جالساً لأنه أقرب إلى التواضع)** والمراد بالبعض هنا صاحب القوت فإنه هو الذي قال: وأكره قيام الخادم وأحب إلي أن يصب على يده جالساً اهـ.

(وكره بعضهم جلوسه فروي أنه صب على يد واحد خادم جالساً فقام المصبوب عليه فقيل له: لم قمت؟ فقال: أحدنا لا بد وأن يكون قائماً) قال الشيخ: **(وهذا أولى لأنه أيسر**

تواضع الذي يصب، وإذا كان له نية فيه فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فإن العادة جارية بذلك، ففي الطست إذاً سبعة آداب: أن لا يبزق فيه، وأن يقدم به المتبوع، وأن يقبل الإكرام بالتقديم، وان يدار يمنة، وأن يجتمع فيه جماعة، وأن يجمع الماء فيه، وأن يكون الخادم قائماً، وأن يمج الماء من فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفرش وعلى أصحابه وليصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه. هكذا فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما في أوّل نزوله عليه وقال: لا يروعك ما رأيت مني فخدمة الضيف فرض.

السادس: أن لا ينظر إلى أصحابه ولا يراقب أكلهم فيستحيون بل يغض بصره عنهم ويشتغل بنفسه ولا يمسك قبل إخوانه إذا كانوا يحتشمون الأكل بعده بل يمد اليد

للصب والغسل وأقرب إلى تواضع الذي يصب) وهذا إذا كان الطست صغيراً وأمكن الخادم حمله بيده اليسرى والإبريق في اليمنى، فإذا كان كبيراً لا يمكنه ذلك، **(وإذا كان له)** أي للخادم **(نية فيه)** صالحة وهو التبرك بخدمة الإخوان وأهل الفضل **(فتمكينه من الخدمة ليس فيه تكبر فإن العادة جارية بذلك)** من غير نكير، **(ففي الطست إذاً سبعة آداب)** تقدمت الإشارة لبعض ذلك. الأول: **(أن لا يبزق فيه)** لئلا يستقذره رفيقه. هذا إذا كان مع جماعة فإن كان منفرداً أو بزق فيه بعد أن يرفع فلا بأس كما تقدم، **(و)** الثاني: **(أن يقدم به المتبوع)** أي الرئيس أولاً **(و)** الثالث: **(أن يقبل الإكرام بالتقديم)** ولو كان مفضولاً ولا يرده كما تقدم، **(و)** الرابع: **(أن يدار يمنة)** تشريفاً لجهة اليمين، **(و)** الخامس: **(أن تجتمع فيه جماعة)** يغسلون معاً. **(و)** السادس: **(أن يجمع الماء فيه)** ثم يهراق، **(و)** السابع: **(أن يكون الخادم قائماً)** في وقت الصب وفيه اختلاف، فهذه آداب سبعة. **(و)** من الأدب **(أن يمج الماء من فيه)** بعد أن يمضمضه **(ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى أصحابه)** ثم يمر الماء على يده هذا إذا كان الطست مكشوفاً فإنه ربما أدى إلى تناثر شيء منه، وأما إذا كان مغطياً فيرسل الماء من فيه إلى الطست ولا يحتاج إلى إرساله من اليد، **(و)** من الأدب **(أن يصب صاحب المنزل بنفسه الماء على يد ضيفه)** تبركاً به وإكراماً له، وهذان الأدبان حقيق بأن يلحقا بالآداب السبعة، فتكون تسعة ولكن المصنف أفردهما في الذكر عن السبعة. **(هكذا فعل مالك بالشافعي رحمهما الله تعالى في أول نزوله عليه)** بالمدينة، وكان الشافعي عمره إذ ذاك دون العشرين، وذلك أنه قدم إليه الطعام فلما فرغ صب مالك الماء على يده **(وقال: لا يروعك ما رأيت مني فخدمة الضيف فرض)**، ويقال: ثلاثة لا يستحيا من خدمتهم الضيف والوالد والدابة.

(السادس: أن لا ينظر إلى أصحابه) أي إلى وجوههم قصداً، والمراد تكرار النظر، **(ولا يراقب أكلهم فيستحيون)** من ذلك، **(بل يغض بصره ويشتغل بنفسه)** فهذا أعون لهم على

ويقبضها ويتناول قليلاً قليلاً إلى أن يستوفوا فإن كان قليل الأكل توقف في الابتداء وقلّل الأكل حتى إذا توسعوا في الطعام أكل معهم أخيراً فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنهم، فإن امتنع لسبب فليعتذر إليهم دفعاً للخجلة عنهم.

السابع: أن لا يفعل ما يستقذره غيره فلا ينفض يده في القصعة ولا يقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة في فيه، وإذا أخرج شيئاً من فيه صرف وجهه عن الطعام وأخذه بيساره، ولا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة فقد يكرهه غيره، واللقمة التي قطعها بسنه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات.

الأكل، فإن المراقبة تورث الانقباض، **(ولا يمسك)** يده عن الطعام **(قبل إخوانه إذا كانوا يتحشمون الأكل بعده)** أو يحتاجون إلى بسط **(بل يمد اليد)** إلى الطعام **(ويقبضها)** ويريهم أنه يأكل، **(ويتناول قليلاً)** منه **(إلى أن يستوفوا)** غرضهم منه، **(فإن كان قليل الأكل)** أي من عادته ذلك **(توقف في الابتداء وقلّل الأكل)** وتربص **(حتى إذا توسعوا في الطعام)** بأن أكلوا صدراً منه **(أكل معهم آخراً)** ليستوي أكله مع أكلهم، فإن كانوا علماء لم يكرهوا ذلك منه، **(فقد فعل ذلك كثير من الصحابة رضي الله عنهم)** كذا في القوت قال: وقد كان بعض الرؤساء من الأجواد إذا دعا الناس إلى طعامه يدعو الخباز فيقول: أعلم الناس بما عندك من الألوان. قال: فسألت بعض جلسائه لم يفعل هذا؟ فقال: لينتقي الرجل منهم نفسه لما يشتهي من الألوان. قال: ثم يدعهم يأكلون حتى إذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده إلى الطعام فأكل وقال لهم: بسم الله ساعدوني بارك الله فيكم فكان السلف يستحسنون ذلك منه، **(فإن امتنع)** عن الأكل **(لسبب)** بأن كان سبق له الأكل فلم يحب إدخال طعام على طعام أو غير ذلك، **(فليعتذر إليهم)** ويخبرهم عن السبب والعلة **(دفعاً للخجلة عنهم)** ليبسطوا في الأكل.

وروى صاحب العوارف عن ابن عمر رفعه: « إذا وضعت المائدة فلا يقومن رجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وإن شبع حتى يرفع القوم وليقلل فإن الرجل يخجل جليسه فيقبض يده، وعسى أن يكون له في الطعام حاجة ».

(السابع: أن لا يفعل ما يستقذر غيره) وقد بينه بقوله: **(فلا ينفض يده في القصعة ولا يقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة في فيه)** فربما يتساقط من فيه شيء فيها، **(وإذا أخرج شيئاً من فيه)** نحو لقمة أو عظمة **(صرف وجهه عن الطعام وأخذ بيساره)** ورماه بعيداً أو تحت الخوان، فكل ما ذكر مما يستقذره صاحبه، **(و)** من ذلك أيضاً أن **(لا يغمس اللقمة الدسمة في الخل ولا الخل في الدسومة)** وهذا وإن لم يكن مستقذراً في الحقيقة **(فقد يكرهه غيره)** فليجتنب من ذلك. **(واللقمة التي قطعها بسنه لا يغمس بقيتها في المرقة والخل)** فإنه كذلك مما يكرهه غيره، **(ولا يتكلم بما يذكر المستقذرات)** الشرعية والعرفية والطبيعية لئلا يورث التنافر للسامعين.

الباب الثالث

في آداب تقديم الطعام إلى الاخوان الزائرين

تقديم الطعام إلى الاخوان فيه فضل كثير. قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما: إذا قعدتم مع الإخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم. وقال الحسن رحمه الله: كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها البتة إلا نفقة الرجل على إخوانه في الطعام، فإن الله يستحي أن يسأله عن ذلك. هذا مع ما ورد من الاخبار في الإطعام. قال ﷺ: «لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع». وروي عن بعض علماء خراسان أنه كان

الباب الثالث

في آداب تقديم الطعام إلى الأخوان الزائرين

(**إعلم أن تقديم الطعام إلى الإخوان**) الواردين عليه سواء بدعوة أم لا (**فيه فضل كثير**) وثواب جزيل. (**قال جعفر بن محمد**) بن علي بن الحسين بن علي (**رضي الله عنهما: إذا قعدتم مع الإخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس فإنها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم**) نقله صاحب القوت. (**وقال الحسن**) البصري (**رحمه الله تعالى: كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها العبد إلا نفقة الرجل على إخوانه في الطعام، فإن الله يستحي أن يسأله عن ذلك**) نقله صاحب القوت. (**هذا مع ما ورد من الأخبار في**) فضل (**الإطعام. قال ﷺ «لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم**) أي تستغفر له (**ما دامت مائدته موضوعة**) أي مدة دوام وضعها للأضياف (**بين يديه حتى ترفع»**) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بلفظ «إن الملائكة تصلي» وجزم المنذري بضعفه، وأخرجه أيضاً البيهقي في الشعب وقال: تفرد به بندار بن علي. قال الحكيم الترمذي: سؤال الملائكة ربهم أن يغفر لعبده من الأسباب الموجبة للمغفرة له فهو سبحانه نصب الأسباب التي يفعل بها ما يشاء بأوليائه وأعدائه وجعلها أسباباً لإرادته كما جعلها أسباباً لوقوع مراده، فمنه السبب والمسبب، وإن أشكل عليك ذلك فانظر إلى الأسباب الموجبة لمحبته وغضبه فهو يحب ويرضى ويغضب والكل منه وإليه وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد.

يقدم إلى إخوانه طعاماً كثيراً لا يقدرون على أكل جميعه وكان يقول: بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك » فأنا أحب أن أستكثر مما أقدمه إليكم لنأكل فضل ذلك. وفي الخبر: « لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه ». وكان بعضهم يكثر الأكل مع الجماعة لذلك ويقلل إذا أكل وحده. وفي الخبر: « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه وما أكل مع الاخوان ». وقال علي رضي الله عنه: لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إليَّ من أن أعتق رقبة. وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: من كرم المرء طيب زاده

(وروي عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاماً كثيراً لا يقدرون على أكله جميعه وكان يقول) ولفظ القوت: أنه كان إذا دعا إخوانه قدم إليهم نحو القفيز من صنوف الأطعمة والحبوب والفواكه اليابسة، فسئل عن ذلك فقال: **(بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الإخوان إذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك » فأنا أحب أن أستكثر مما أقدمه إليكم لنأكل فضل ذلك)** أي ولا نحاسب عليه. كذا في القوت، وقال في موضع آخر: وفي تقديم المأكول الكثير ليرجع أكثره نية حسنة لما جاء فيه: إن من أكل ما فضل من الإخوان لم يحاسب عليه. قال العراقي: لم أقف له على أصل.

(وفي الخبر « لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه ») ولفظ القوت وفي خبر عن بعض السلف، وقال العراقي هو في الحديث الذي بعده بمعناه. **(وكان بعضهم يكثر)** من **(الأكل)** مع الجماعة **(لذلك ويقلل)** منه **(إذا أكل وحده)** نقله صاحب القوت.

(وفي الخبر « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد أكلة السحر وما أفطر عليه والأكل مع الإخوان ») هكذا هو في القوت. وقال العراقي: رواه الأزدي في الضعفاء من حديث جابر « ثلاثة لا يُسألون عن النعيم الصائم والمفطر والرجل يأكل مع ضيفه ». أورده في ترجمة سليمان بن داود الجزري وقال فيه منكر الحديث، وللديلمي في مسند الفردوس نحوه من حديث أبي هريرة اهـ.

(وقال علي رضي الله عنه: لأن أجمع إخواني على صاع من طعام أحب إليّ من أن أعتق رقبة) أورده صاحب القوت، وسيأتي له في آداب الصحبة بلفظ: « لأن أصنع صاعاً من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إليّ من أن أعتق رقبة » ورواه محمد بن عبد الكريم السمرقندي في روح المجالس بلفظ « لأن أجمع نفراً من إخواني على صاع أو صاعين من طعام أحب إليَّ من أن أدخل السوق فاشتري عبداً فأعتقه ».

(وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: من كرم المرء طيب زاده في سفره وبذله لأصحابه) نقله صاحب القوت، وتقدم ذكره في كتاب الحج مع اختلاف عبارة. **(وكان**

في سفره وبذله لأصحابه. وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون: الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق، وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن ولا يتفرقون إلا عن ذواق. وقيل: اجتماع الإخوان على الكفاية مع الإنس والإلفة ليس هو من الدنيا. وفي الخبر يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة: «يا ابن آدم جعت فلم تطعمني فيقول: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول: جاع أخوك المسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت أطعمتني». وقال ﷺ: «إذا جاءكم الزائر فأكرموه». وقال ﷺ: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى

الصحابة رضي الله عنهم يقولون: الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق) أي من الخصال الدالة عليها كذا في القوت. **(وكانوا رضي الله عنهم يجتمعون على قراءة القرآن)** وعلى الذكر، **(ولا يتفرقون إلا عن ذواق)** أي عن شيء من الطعام يذوقونه أي يطعمونه نقله صاحب القوت «وعن» هنا بمعنى بعد نظير قوله تعالى ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ [الإنشقاق: ١٩] وروى الترمذي في الشمائل في صفته ﷺ أن أصحابه لم يكونوا يتفرقون عنه إلا عن ذواق. قال الشارح: إلا عن مطعوم حسي غالباً أو معنوي دائماً وهو العلم، وقال بعض أهل الاعتبار: ما أجبت الدعوة إلا لما أتذكر بها نعيم الجنة طعام ينقل من غير كلفة ولا مؤنة، ولذلك **(قيل: اجتماع الإخوان على الكفاية مع الإلفة ليس هو من الدنيا)** كذا في القوت.

(وفي الخبر يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة «يا ابن آدم جعت فلم تطعمني، فيقول: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول: جاع أخوك المسلم فلم تطعمه، ولو أطعمته كنت أطعمتني») هكذا أورده في القوت. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «استطعمتك فلم تطعمني».

(وقال ﷺ «إذا جاءكم الزائر فأكرموه») ندباً مؤكداً ببشر وطلاقة وجه ولين جانب وقضاء حاجة وضيافة بما يليق بحال الزائر والمزور. قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس وهو حديث منكر قاله ابن أبي حاتم في العلل اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن لال من طريقه، وفيه يحيى بن مسلم. قال الذهبي: ضعفه الجماعة.

(وقال ﷺ «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها) لكونها شفافة لا تحجب ما وراءها **(هي لمن)** وفي رواية: «أعدها الله لمن» **(ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام»)** وفي رواية «لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام» وفي أخرى «واصل» بدل «تابع» وفي أخرى زيادة «أفشى السلام». قال العراقي: رواه الترمذي من حديث علي وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقد تكلم فيه من قبل حفظه اهـ.

بالليل والناس نيام ». وقال ﷺ : « خيركم من أطعم الطعام » وقال ﷺ : « من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار بسبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام ».

وأما آدابه : فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام . أما الدخول فليس من السنّة أن يقصد قوماً متربصاً لوقت طعامهم فيدخل عليهم وقت الأكل، فإن ذلك من المفاجأة وقد نهي عنه. قال الله تعالى : ﴿لا تدخلُوا بيوتَ النّبي إلا أن يؤذنَ لكم إلى

قلت : ورواه كذلك أحمد، وابن حبان، والبيهقي من حديث أبي مالك الأشعري. قال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن معانق، ووثقه ابن حبان ووقعت في رواية البيهقي زيادة قال : يا رسول الله وما إطعام الطعام؟ قال « من قات عياله » قيل : وما وصال الصيام؟ قال « من صام رمضان ثم أدرك رمضان فصامه ». قيل وما إفشاء السلام؟ قال « مصافحة أخيك » قيل : وما الصلاة والناس نيام؟ قال « صلاة العشاء الآخرة » اهـ. وهو وإن ضعفه ابن عدي لكن أقام له ابن القيم شواهد يعتضد بها ومع ملاحظته لا يمكن التفسير بغيره، والله أعلم.

(وقال ﷺ « خيركم من أطعم الطعام ») قال العراقي : رواه أحمد والحاكم من حديث صهيب وقال : صحيح الإسناد اهـ.

قلت : ولكن بزيادة « ورد السلام » وهكذا رواه أبو الشيخ في الثواب[1] في جزئه، وأبو يعلى، وابن عساكر كلهم من طريق حمزة بن صهيب عن أبيه.

(وقال ﷺ « من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام ») قال العراقي : رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو، وقال ابن حبان : ليس من حديث رسول الله ﷺ، وقال الذهبي : غريب منكر اهـ.

قلت : هذا لفظ الحاكم، ورواه أيضاً النسائي والبيهقي والخرائطي في مكارم الأخلاق كلهم بلفظ « من أطعم أخاه من الخبز حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه وفيه كل خندق مسيرة سبعمائة عام ».

(وأما آدابه، فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام. أما) آداب **(الدخول، فليس من السنة أن يقصد)** الرجل **(قوماً متربصاً)** أي متحيناً **(لوقت طعامهم)** أي حضور طعامهم ليصادفه، **(فيدخل عليهم وقت الأكل فإن ذلك من المفاجأة وقد نهي عنه. قال الله تعالى ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه﴾ يعني**

---

(١) هنا بياض بالأصل.

طعام غير ناظرين إناهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] يعني منتظرين حينه ونضجه. وفي الخبر: « من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقاً وأكل حراماً ». ولكن حق الداخل إذا لم يتربص واتفق أن صادفهم على طعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له، فإذا قيل له: « كُل » نظر فإن علم أنهم يقولونه على محبة لمساعدته فليساعد، وإن كانوا يقولونه حياء منه فلا ينبغي أن يأكل بل ينبغي أن يتعلل، أما إذا كان جائعاً فقصد بعض إخوانه ليطعمه ولم يتربص به وقت أكله فلا بأس به. قصد رسول الله وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعاً. والدخول على مثل هذه الحالة

منتظرين حينه ونضجه)، فالناظر هنا بمعنى المنتظر، ومن هنا حملت المعتزلة قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة★ إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] بمعنى منتظرة وهو مردود بوجوه مذكورة في محالها من كتاب قواعد العقائد.

(وفي الخبر « من مشى إلى طعام لم يدع إليه مشى فاسقاً وأكل حراماً) قال العراقي: رواه البيهقي من حديث عائشة نحوه، وضعفه، ولأبي داود من حديث ابن عمر « من دخل على غير دعوة دخل سارقاً وخرج مغيراً » وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: ولفظ البيهقي « من دخل على قوم لطعام لم يدع إليه فأكل دخل فاسقاً وأكل ما لا يحل له » وهكذا رواه ابن النجار أيضاً. وأما لفظ أبي داود فأوله: « من دعي فلم يجب فقد عصى الله ورسوله ومن دخل على غير دعوة » الخ وقد رواه البيهقي أيضاً.

(ولكن حق الداخل إذا لم يتربص) أي لم يتحين الوقت **(واتفق)** في دخوله من غير قصد **(إن صادفهم على طعام أن لا يأكل ما لم يؤذن له فإذا قيل له)** اقبل إلينا أو تفضل أو **(كل)** أو نحو ذلك من الألفاظ الدالة على صريح الأكل **(نظر، فإن علم أنهم يقولون على محبة لمساعدته فليساعد ويجلس)** ويأكل **(معهم، وإن كانوا يقولونه)** من وراء القلب وإنما يقولونه تعذيراً و**(حياء منه)** والباطن مخالف للظاهر، **(فلا ينبغي أن يأكل بل ينبغي أن يتعلل)** لهم بعدم الأكل مهما أمكن ويظهر في نفسه إن سبق له الأكل، ولا يقدر على مناولة شيء من الطعام، **(أما إذا كان جائعاً فقصد بعض إخوانه ليطعمه)** مما عنده **(ولم يتربص به وقت أكله فلا بأس به)** فإنه غير مخالف للسنَّة.

(قصد رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان) بفتح التاء الفوقية وتشديد الياء التحتية المكسورة **(وأبي أيوب)** خالد بن زيد **(الأنصاري)** كذا في النسخ بالإفراد والصواب الأنصاريين رضي الله عنهم **(لأجل طعام يأكلونه وكانوا جياعاً)**. قال العراقي: أما قصة أبي الهيثم فرواها الترمذي من حديث أبي هريرة وقال: حسن غريب صحيح، والقصة عند مسلم، لكن ليس فيها ذكر لأبي الهيثم، وإنما قال رجل من الأنصار، وأما قصة أبي أيوب فرواها الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف اهـ.

إعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الإطعام وهي عادة السلف، وكان عون بن عبدالله المسعودي له ثلاثمائة وستون صديقاً يدور عليهم في السنة، ولآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر، ولآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة. فكان اخوانهم معلومهم بدلاً عن كسبهم، وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادة لهم، فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقاً بصداقته عالماً بفرحه إذا أكل من طعامه فله أن يأكل بغير إذنه، إذ المراد من الإذن الرضا لا سيا في الأطعمة وأمرها على السعة. فرب رجل يصرح بالإذن ويحلف

(والدخول على مثل هذه الحالة إعانة لذلك المسلم على حيازة ثواب الإطعام وهي عادة السلف)، ولفظ القوت: ومن طرقته فاقة من الفقراء فقصد بعض إخوانه يتصدى للأكل عنده، فجائز له ذلك بشرطين لا يكون عنده موجود من طعام ونيته أن يؤجر أخوه ويكون هو الجالب لأجره لأنه عرضه للمثوبة، فهذا داخل في التعاون على البر والتقوى وداخل في التحاض على طعام المسكين ونفسه كغيره من الفقراء، ولأن أخاه لا يعلم بصورة حاله ولو علمه لسره ذلك ففيه إدخال السرور عليه من حيث يعلم. وقد فعل هذا جماعة من السلف وقد روي بمعناه أثر من ثلاثة طرق للسلف الصالح.

(كان عون بن عبد الله المسعودي) هو أبو عبد الله عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي الزاهد قال أحمد وابن معين والعجلي ثقة، وذكر الترمذي والدارقطني أن روايته عن عبد الله بن مسعود مرسلة. وعن أبي أسامة قال: وصل إلى عون أكثر من عشرين ألف درهم فقال له أصحابه: لو اعتقدت عقدة لولدك فقال اعتقدها لنفسي واعتقد الله عز وجل لولدي: قال أبو أسامة: فلم يكن في المسعوديين أحسن حالاً من ولد عون روى له الجماعة إلا البخاري، **(له ثلاثمائة وستون صديقاً يدور عليهم في السنة)** بأن كان يكون عند كل واحد يوماً، **(و)** كان **(لآخر ثلاثون)** صديقاً **(يدور عليهم في الشهر)** مرة، **(و)** كان **(لآخر سبعة)** أصدقاء وكانوا يقدمون هذه الأخلاق مع إخوانهم ويؤثرونها على المكاسب، **(فكان إخوانهم يعطونهم بدلاً عن كسبهم)** والهمزة في الإعلال للإزالة، ولم يكن هؤلاء يتكسبون ولا يدخرون. **(وكان قيام أولئك بهم على قصد التبرك عبادة لهم)**، وكانوا يسألونهم ذلك بنية صالحة ويقسمون عليهم فيه ويرونه من أفضل الأعمال، وكان هؤلاء للإنصاف يكرمون إخوانهم بإجابتهم وكونهم عندهم. قال صاحب القوت: ومنهم من كان منقطعاً في منزل أخيه قد أفرده بمكان يقوم بكفايته ولا يبرح من منزله على الدوام يحكم فيه ويتحكم كما يكون في منزل نفسه.

(فإن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقاً بصداقته عالماً بفرحه إذ أكل من طعامه، فله أن يأكل بغير إذنه، إذ المراد من الإذن الرضا لا سيا في الأطعمة وأمرها على السعة) ولفظ القوت: ومن علم من أخيه أنه يحب أن يأكل من طعامه، فلا بأس أن يأكل بغير

وهو غير راضٍ فأكل طعامه مكروه، ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب. وقد قال تعالى ﴿أو صديقكم﴾ [النور : ٦١] ودخل رسول الله ﷺ دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة، وكان الطعام من الصدقة فقال: « بلغت الصدقة محلها ». وذلك لعلمه بسرورها بذلك، ولذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بعلمه بالإذن، فإن لم يعلم فلا بدّ من الاستئذان أوّلاً ثم الدخول. وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن، وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر به ويقول: هكذا كنا. وروي عن الحسن رضي الله عنه أنه كان قائماً يأكل من متاع بقال في السوق يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه قسبة، فقال له هشام: ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه؟ فقال: يا لكع اتل عليّ آية الأكل فتلا إلى قوله تعالى:

إذن لأن علمه بحقيقة حاله ينوب عن إذنه في الأكل لقوله ﷺ في هذا المعنى « رسول الرجل إلى الرجل إذنه » إذ قد علم بإذنه له بالدخول عليه فأغناه عن الاستئذان.

(**فربّ رجل يصرح بالإذن ويحلف**) عليه (**وهو غير راض**) بالقلب (**فأكل طعامه مكروه**) أي فإن علمت من كراهته لأكلك لطعامه فلا تأكل ولو أذن لك بقوله (**ورب غائب لم يأذن وأكل طعامه محبوب، وقد قال تعالى ﴿أو صديقكم﴾)ودخل رسول الله ﷺ دار بريرة**)مولاة لعائشة رضي الله عنها اشترتها وأعتقتها (**وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال**) ﷺ (**« بلغت الصدقة محلها »**) هو عليها صدقة ولنا هدية، (**وذلك لعلمه بسرورها بذلك**) هكذا أورده صاحب القوت وهما قصتان.

قال العراقي: رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة « أهدي لبريرة لحم فقال النبي ﷺ هو لها صدقة ولنا هدية ». وأما قوله « بلغت محلها » فقاله في الشاة التي أعطيتها نسيبة من الصدقة وهو متفق عليه أيضاً من حديث أم عطية.

(**ولذلك يجوز أن يدخل الدار بغير استئذان اكتفاء بعلمه بالإذن**) استدل بفعله ﷺ حيث دخل دار بريرة وهي لم تكن حاضرة لعلمه أنها تسر بذلك، (**فإن لم يعلم**) بسروره له ، **فلا بد من الاستئذان أولاً ثم الدخول**) بعده، (**وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن**) البصري (**فيأكلون ما يجدون بغير إذن، وكان الحسن**) ربما (**يدخل ويرى ذلك**) أي فعلهم (**فيسّر به ويقول هكذا كنا**) يشير إلى بدايته، وكانت بدايته في زمن الصحابة. (**وروي عن الحسن**) نفسه (**أنه كان قائماً يأكل من متاع بقال**) الذي يبيع الحبوب والفواكه اليابسة (**يأخذ من هذه الجونة**) وهي السفطة (**تينة ومن هذه**) الثانية (**قسبة فقال له هشام**) الأوقص: (**ما بدا لك يا أبا سعيد**) وهي كنية الحسن (**في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه؟ فقال: يا لكع**) بضم ففتح وهو اللئيم (**اتل عليّ آية الأكل فتلا**) ﴿ولا على

﴿أو صديقكم﴾ فقال: فمن الصديق يا أبا سعيد؟ قال: من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب. ومشى قوم إلى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يأكلون، فدخل الثوري وجعل يقول: ذكرتموني أخلاق السلف. هكذا كانوا. وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه إليهم فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر إلى قدر قد طبخها وإلى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله فقدمه إلى أصحابه وقال: كلوا فجاء رب المنزل فلم يرَ شيئاً فقيل له قد أخذه فلان، فقال: قد أحسن فلما لقيه قال: يا أخي إن عادوا فَعُدْ. فهذه آداب الدخول.

أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم﴾ (إلى قوله ﴿أو صديقكم﴾ [النور: ٦١] **فقال:**) ولفظ القوت قلت: (**فمن الصديق يا أبا سعيد؟ قال: من استروحت إليه النفس**) أي ارتاحت ومالت، (**واطمأن إليه القلب**) أي سكن فإذا كان كذلك فلا إذن له في ماله. هكذا أورده صاحب القوت.

(**وجاء قوم إلى منزل سفيان**) بن سعيد (**الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة**) وكانوا يعلقونها على وتد، (**وجعلوا يأكلون**) ما فيها من الخبز والطعام، (**فدخل الثوري وجعل يقول: ذكرتموني أخلاق السلف**) الماضين، (**هكذا كانوا**) يفعلون أورده صاحب القوت.

(**وزار قوم بعض التابعين**) أي ممن له أخذ من الصحابة (**ولم يكن عنده**) إذ ذاك (**ما يقدم إليهم**) من الطعام، (**فذهب إلى منزل بعض إخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر إلى قدر**) قد طبخها (**وإلى خبز قد خبزه وغير ذلك، فحمله كله فقدمه إلى أصحابه فقال: كلوا فجاء رب المنزل فلم ير شيئاً**) من الطعام الذي هيأه فسأل عنه، (**فقيل له: قد أخذه فلان**) لأضيافه، (**فقال: قد أحسن فلما لقيه قال يا أخي إن عادوا فعد**) نقله صاحب القوت. فهذه آداب الدخول، ولكن ليس لكل أحد ينظر إلى ظواهر هذه القصص فيدخل البيوت بغير استئذان ويمد يده إلى ما يحل له النظر إليه فضلاً عن الأخذ، ولكن بشروط هي الآن أعز من الكبريت الأحمر، فأين الذي يطمئن إليه القلب أو تستروح النفوس إليه، ولذا قال القائل:

صاد الصديق وكاف الكيمياء معاً   لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا

وقد رأيت جماعة من المنسوبين إلى الطائفة العلية قد استولى عليهم الشيطان بوساوسه، وأراهم أن جميع ما في يد الأحباب مشترك الانتفاع لا ملك لهم حقيقة، فإذا دخلوا بيت واحد منهم فما وقع عليه بصرهم أخذوه مأكولاً كان أو ملبوساً أو نقداً أو متاعاً سواء رضي به صاحب الشيء أو

وأما آداب التقـديم : فترك التكلف أولاً وتقديم ما حضر ، فإن لم يحضره شيء ولم يملك فلا يستقرض لأجل ذلك فيشوش على نفسه ، وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته ولم تسمح نفسه بالتقديم فلا ينبغي أن يقدم . دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال : لولا أني أخذته بدين لأطعمتك منه . وقال بعض السلف في تفسير التكلف : أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة . وكان الفضيل يقول : إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه . وقال بعضهم : ما أبالي بمن أتاني من اخواني فإني لا أتكلف له إنما أقرب ما عندي ولـو تكلفـت له لكرهت مجيئه وملته . وقال بعضهم : كنت أدخل على أخ لي فيتكلف لي فقلت له :

لم يرض ، وهذه الطريقة أقرب إلى طريقة الإباحية . أعاذنا الله من ذلك فليحذر المريد من معاشرة أولئك ، والله أعلم .

(فأما آداب التقديم فترك التكلف أولاً) وهو ما يفعله الإنسان بمشقة أو بتصنع أو بتبشع **(وتقديم ما حضر)** وتيسر ويسهل في الحال من كل ما يؤكل عادة فإنه أدوم للرجوع وأذهب لكراهة رب المنزل ، **(فإن لم يحضره شيء ولم يملك فلا يستقرض لأجل ذلك)** أي لا يأخذ من الدين **(فيشوّش على نفسه)** بالهم في أدائه مع عدم القدرة عليه ، **(وإن حضره ما هو محتاج إليه لقوته)** أو لقوت من يمونه **(ولم تسمح نفسه بالتقديم)** إلى الضيف ، **(فلا ينبغي أن يقدم)** . وقد كان من المتقدمين من إذا دخل عليه وهو يأكل لم يعرض على إخوانه الأكل إذا لم يحب أن يأكل معه خشية التزين بالقول أو لئلا يعرضهم لما يكرهون .

(دخل بعضهم على زاهد وهو يأكل فقال : لولا أني أخذته بدين لأطعمتك منه) ولفظ القوت : دخل قوم على أبي عاصم ، وكان ذا زهد وهو يأكل فذكره وفيه : لأطعمتكم منه ، وكان بعض العلماء يقول : التكلف في الطعام أن يأخذه بدين او يطعمه من خيانة .

(وقال بعض السلف في تفسير التكلف : أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت) أي لا يكون من مأكلك **(بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة)** فتشق على نفسك بذلك ، **(و)** قد **(كان الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى **(يقول : إنما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع إليه)** أورده صاحب القوت ، وأبو بكر بن أبي الدنيا في إقراء الضيف .

(وقال بعضهم : ما أبالي من أتاني من أخواني فإني لا أتكلف له إنما أقرب ما عندي ، ولو) أني **(تكلفت له لكَرهت)** دوام **(مجيئه وملته)** فهذا لعمري ثمرة التكلف للكثرة والجودة الملل وكراهة العود . كذا في القوت .

(وقال بعضهم : كنت أدخل على بعض إخواني فيتكلف لي) ولفظ القوت : وقال لي

إنك لا تأكل وحدك هذا ولا أنا فما بالنا إذا اجتمعنا أكلناه، فأما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المجيء فقطع التكلف ودام اجتماعنا بسببه. ومن التكلف أن يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم. روي أن رجلاً دعا علياً رضي الله عنه فقال علي: أجيبك على ثلاث شرائط، لا تدخل من السوق شيئاً، ولا تدخر ما في البيت، ولا تجحف بعيالك. وكان بعضهم يقدم من كل ما في البيت فلا يترك نوعاً إلا ويحضر شيئاً منه. وقال بعضهم: دخلنا على جابر بن عبدالله فقدم إلينا خبزاً وخلاً وقال: لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم. وقال بعضهم: إذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر وإن

بعض الشيوخ كنت آنس ببعض إخواني فكنت أكثر زيارته فكان يتكلف الأشياء الطيبة الثمينة، (**فقلت له**) يوماً: حدثني عن شيء أسألك عنه (**إنك لا تأكل**) إذا كنت (**وحدك**) مثل (**هذا**) الذي تقدمه إلي؟ قال: لا. قلت: (**ولا أنا**) في منزلي إذا كنت وحدي لا آكل مثل هذا، (**فما بالنا إذا اجتمعنا أكلنا**) ونحن لا نأكل مثله على الانفراد هذا من التكلف، (**فإما أن تقطع هذا التكلف**) بأن نرجع إلى ما نأكله من الانفراد (**أو أقطع المجيء**) قال: (**فقطع التكلف**) وكان يقدم ما عنده وما يأكل جميعاً مثله، (**ودام اجتماعنا**) ومعاشرتنا بسببه. هكذا أورده صاحب القوت.

(**ومن التكلف أن يقدم**) للضيف (**جميع ما عنده**) من الطعام (**فيجحف بعياله**) يذرهم جياعاً (**ويؤذي قلوبهم**) إلا أن يكون العيال قلوبهم في صدق التوكل على الله كقلب رب المنزل، وفي القوت: ولا يتكلف لإخوانه من المأكول ما يثقل عليه ثمنه أو يأخذه بدين أو يكتسبه بمشقة أو من شبهة ولا يدخر عنهم ما بحضرته ولا يستأثر بشيء دونه ولا يضر عياله.

(**روي أن رجلاً دعا عليًّا رضي الله عنه**) إلى منزله (**فقال: أجيبك على ثلاث شرائط: لا تدخل من السوق شيئاً**) أي لا تتكلف بشراء شيء من السوق، (**ولا تدخر ما في البيت**) بل تحضر جميعه، (**ولا تجحف بعيالك**) نقله صاحب القوت بلفظ: ولا تجحف بالعيال أي لا تضر بهم بأخذ قوتهم فيشتغل قلبهم، (**وكان بعضهم**) إذا دعا أخاه (**يقدم**) إليه (**من كل ما في البيت**) من أنواع الطعام (**فلا يترك نوعاً إلا ويحضر شيئاً منه**) وهذا من جملة إكرام الضيف. (**وفي الخبر دخلنا على جابر بن عبد الله**) الأنصاري رضي الله عنهما (**فقدم إلينا خبزاً وخلاً وقال «لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم»**) قال العراقي: رواه أحمد دون قوله «لولا أنا نهينا» وهي من حديث سلمان الفارسي، وسيأتي بعده. وكلاهما ضعيف، وللبخاري عن عمر بن الخطاب «نهينا عن التكلف» اهـ.

قلت: الحديث بتمامه في مسند الإمام أبي حنيفة للحارثي قال: أخبرنا محمد بن سعيد، أخبرنا المنذر بن محمد، حدثني أبي، حدثنا سليمان بن أبي كريمة، حدثني أبو حنيفة ومسعر بن كدام، عن

استزرت فلا تبق ولا تذر. وقال سلمان: أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا، وأن نقدم إليه ما حضرنا. وفي حديث يونس النبي ﷺ أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسراً وجزّ لهم بقلاً كان يزرعه ثم قال لهم: كلوا لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة أنهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون: لا ندري أيهما أعظم وزراً الذي يحتقر ما يقدم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه.

جابر رضي الله عنه أنه دخل عليه يوماً وقرب إليه خبزاً وخلاً، ثم قال «إن رسول الله ﷺ نهانا عن التكلف ولولا ذلك لتكلفت لكم» وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «نعم الادام الخل» وأخرج أبو محمد التميمي في جزء له من طريق عبيد الله بن الوليد الرصافي عن محارب بن دثار قال: جاء إلى جابر رجال من أصحاب النبي ﷺ فقرب إليهم خبزاً وخلاً فقال: كلوا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «نعم الادام الخل» وزاد في رواية «وهلاك بالمرء أن يحتقر ما في بيته يقدمه لأصحابه وهلاك بالقوم أن يحتقروا ما قدم لهم».

(**وقال بعضهم: إذ قصدت للزيارة فقدم ما حضر**) في الطعام من غير تكلف (**وإن استزرت**) أي طلبت للزيارة (**فلا تبق**) من همتك (**شيئاً ولا تذر**) أي ولا تترك نقله صاحب القوت.

(**وقال سلمان**) الفارسي رضي الله عنه: (**أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم ما حضرنا**) قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، ولأحمد: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أو لولا أنا نهينا أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك، وللطبراني: نهانا رسول الله ﷺ أن نتكلف للضيف ما ليس عندنا اهـ.

قلت: حديث سلمان عند الحاكم في الأطعمة بلفظ «نهي عن التكلف للضيف» قال الذهبي: سنده لين.

(**وفي حديث يونس النبي عليه السلام**) هو يونس بن متى نسب إلى أمه، وقيل: هو اسم أبيه ﷺ (**أنه زاره إخوانه فقدم إليهم كسراً**) من شعير (**وجزّ لهم بقلاً كان يزرعه، ثم قال**): كلوا (**لولا أن الله لعن المتكلفين لتكلفت لكم**) كذا أورده صاحب القوت.

(**و**)روي (**عن أنس بن مالك وغيره من الصحابة**) رضي الله عنهم (**أنهم كانوا يقدمون**) لإخوانهم (**ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر**) والدقل (**ويقولون لا ندري أيهما أعظم وزراً الذي يحتقر ما قدم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه**) كذا في القوت والعوارف. زاد صاحب القوت: وقد روينا في معناه خبراً مسنداً، وقد كان أنس وغيره يقدمون ما عندهم إلى إخوانهم ويقولون إن الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق.

الأدب الثاني: وهو للزائر أن لا يقترح ولا يتحكم بشيء بعينه فربما يشق على المزور إحضاره، فإن خيّره أخوه بين طعامين فليتخير أيسرهما عليه كذلك السنّة ففي الخبر أنه ما خير رسول الله ﷺ بين شيئين إلا اختار أيسرهما. وروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال: مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدّم إلينا خبز شعير وملحاً جريشاً، فقال صاحبي: لو كان في هذا الملح صعتر كان أطيب، فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعتراً فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا، فقال سلمان: لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة. هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه وأو كراهته له، فإن علم أنه يسر باقتراحه ويتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح، فعل الشافعي رضي الله عنه ذلك مع الزعفراني إذ كان نازلاً عنده ببغداد، وكان الزعفراني يكتب

(**الأدب الثاني: وهو للزائر**) فإذا زار أخاه (**أن لا يقترح**) على رب المنزل والاقتراح الاستدعاء والطلب، ومنه قول الشاعر:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

(**ولا يتحكم**) عليه (**بشيء**) من أنواع الطعام (**بعينه**) ويسميه فيقول: أريد كذا فليس ذلك من القناعة، (**فربما يشق على المزور إحضاره**) ويوقعه فيما لا يستطيعه، (**فإن خيره أخوه**) المزور (**بين طعامين**) أي بين نوعين من الطعام (**فليختر**) أقربهما إليه و(**أيسرهما**) أي أسهلهما (**عليه كذلك السنّة ففي الخبر «أنه ما خير رسول الله ﷺ بين شيئين إلا اختار أيسرهما»**) قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة، وزاد «ما لم يكن إثماً» ولم يذكرها مسلم في بعض طرقه اهـ.

(**وروى الأعمش**) سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي الفقيه (**عن أبي وائل**) شقيق بن سلمة الأسدي من العلماء العاملين له إدراك وسمع عمر ومعاذاً، وعنه منصور والأعمش توفي سنة ٨٣ (**قال: مضيت مع صاحب لي نزور سلمان**) رضي الله عنه (**فقدم إلينا شعير وملحاً جريشاً فقال صاحبي: لو كان في هذا الملح صعتر**) يقال بالصاد وبالسين وبالزاي وهو نبت بري حار (**كان أطيب فخرج سلمان**) رضي الله عنه (**فرهن**) عند البقال (**مطهرته**) بالكسر أي الأداوة التي كان يتوضأ بها (**وأخذ**) منه (**صعتراً، فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا، فقال سلمان: لو قنعت بما رزقت فلم تكن مطهرتي مرهونة**) عند البقال كذا أورده صاحب القوت. (**هذا إذا توهم تعذر ذلك على أخيه أو كراهته له، فإن علم أنه**) ممن يأنس به وإنه مما (**يسر باقتراحه**) عليه (**و**) أنه (**يتيسر عليه ذلك**) أي تحصيله (**فلا يكره له الاقتراح**). قد (**فعل الشافعي**) محمد بن ادريس رضي الله عنه (**ذلك مع**) تلميذه الحسن بن محمد بن الصباح (**الزعفراني**) أبو علي البغدادي روى عن سفيان بن عيينة وشبابة

كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية، فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألحق بها لوناً آخر بخطه، فلما رأى الزعفراني ذلك اللون أنكر وقال: ما أمرت بهذا؟ فعرضت عليه الرقعة ملحقاً فيها خط الشافعي، فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه. وقال أبو بكر الكتاني: دخلت على السري فجاء بفتيت وأخذ يجعل نصفه في القدح فقلت له: أي شيء تعمل وأنا أشربه كله في مرة واحدة؟ فضحك وقال: هذا أفضل لك من حجة. وقال بعضهم: الأكل

وعفان، وهو من رواة مذهب الشافعي القديم، وعنه جماعة منهم البخاري في صحيحه، وأبو حاتم الدارقي وقال: صدوق. وقال النسائي وابن أبي حاتم ثقة، وقال ابن حبان في الثقات كان راوياً للشافعي، وكان يحضـر أحمد وأبو ثور عند الشافعي وهو الذي يتولى القراءة عليه. قال الزعفراني: لما قرأت كتاب الرسالة على الشافعي قال لي: من أي العرب أنت؟ قلت: ما أنا بعربي وما أنا إلا من قرية يقال لها الزعفرانية. قال: فأنت سيد هذه القرية توفي سنة ٢٢٦. (**إذ كان نازلاً عنده ببغداد**) بالجانب الغربي منها، ولفظ القوت: نازلاً عليه ببغداد. (**وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية**)، ولفظ القوت: فكانا يخرجان يوم الجمعة إلى الصلاة فكان الزعفراني يكتب في رقعة للجارية ما تصلح من الألوان، (**فأخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألحق بها لوناً آخر بخطه، فلما رأى الزعفراني ذلك اللون أنكر وقال: ما أمرت بهذا فعرضت عليه الرقعة ملحقاً فيها خط الشافعي، فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك وأعتق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه**). ولفظ القوت: فدعا الشافعي ذات يوم الجارية بالرقعة فنظر فيها ثم زاد لوناً أشتهاه، فلما جاء الزعفراني وقدمت الجارية ذلك اللون أنكره إذ لم يأمرها به فسألها عنه فأخبرته أن الشافعي رضي الله عنه زاد ذلك في الرقعة، فقال: أريني الرقعة فلما نظر إلى خط الشافعي ملحقاً في الرقعة بذلك اللون فرح بذلك وأعجبه، فقال: أنت حرة لوجه الله تعالى فأعتقها سروراً منه بفعل الشافعي ذلك، وإليه نسب درب الزعفراني بباب الشعير اهـ.

(**وقال أبو بكر الكتاني**) وهو من مشايخ الرسالة إسمه محمد بن علي بغدادي الأصل صحب الجنيد والخراز والنوري وجاور بمكة إلى أن مات بهاسنة ٣٢٢: (**دخلت على السري**) بن المفلس السقطي خال الجنيد وشيخه (**فجاء بفتيت**) أي خبز مفتوت، (**وأخذ يجعل نصفه في القدح فقلت: أي شيء هو ذا تعمل أنا أشربه كله في مرة واحدة فضحك**) السري (**وقال: هذا أفضل لك من حجة**) كذا في القوت أي عمل قليل وثوابه كثير لما فيه من النية الحسنة بادخال السرور على أخيه.

(**وقال بعضهم: الأكل على ثلاثة أنواع**) أكل (**مع الفقراء**) الصادقين (**بالايثار**) أي

على ثلاثة أنواع. مع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ومع أبناء الدنيا بالأدب.

الأدب الثالث: أن يشهي المزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح، فذلك حسن وفيه أجر وفضل جزيل. قال رسول الله ﷺ: «من صادف من أخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله تعالى». وقال ﷺ فيما رواه جابر: «من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف

يؤثر بعضهم على بعض فيود أن يأكل أخوه أكثر منه، (و) أكل (**مع الإخوان**) على طريق السلوك (**بالانبساط**) وترك الحشمة، (و) أكل (**مع أبناء الدنيا**) من أرباب الأموال (**بالأدب**) وحفظ الحرمة والسكون.

(**الأدب الثالث: أن يشهي المزور أخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة**) منشرحة (**بفعل ما يقترح، فذلك حسن وفيه أجر**) كبير (**وفضل جزيل**). قال داود ابن علي الظاهري: حدثنا أبو ثور قال: كان الشافعي رضي الله عنه يشتري الجارية الصناع التي تطبخ وتعمل الحلوى ويشترط عليها هو أن لا يقربها لأنه كان عليلاً بالباسور، ويقول لنا: تشهوا ما أحببتم فقد اشتريت جارية تحسن أن تعمل ما تريدون. قال: فيقول لها بعض أصحابنا اعملي لنا اليوم كذا وكذا، فكنا نحن الذين نأمرها بما نريد وهو مسرور بذلك. وفي القوت: فإن شهّاه أخوه وسأله فلا بأس أن يذكر له شهوته ليصنعها فيعينه على فضيلتها، فقد روينا في فضل ذلك غير حديث، منها الحديث المشهور:

(**قال ﷺ «من صادف من أخيه شهوة غفر له»**) قال العراقي: رواه البزار والطبراني من حديث أبي الدرداء «من وافق من أخيه شهوة غفر له» قال ابن الجوزي: حديث موضوع اهـ.

قلت: رواه الطبراني في الكبير من طريق نصر بن نجيح الباهلي، عن عمرو بن حفص النهدي، عن زياد النميري، عن أنس عن أبي الدرداء. قال الذهبي في الضعفاء: هذا اسناد مجهول. وقال الهيثمي: زياد النميري وثقه ابن حبان وقال: يخطيء وضعفه غيره، وفيه من لم أعرفه هكذا قال، فالذي يظهر من سياقهم أن هذا الحديث ضعيف شديد الضعف، وقول ابن الجوزي أنه موضوع فيه نظر.

(**«ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله تعالى»**) قال العراقي: رواه ابن حبان والعقيلي في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق «من سر مؤمناً فإنما يسر الله تعالى» الحديث قال العقيلي: لا أصل له اهـ.

قلت: وروي نحوه من حديث ابن مسعود رفعه «من سر مسلماً بعدي فقد سرني في قبري ومن سرني في قبري فقد سره الله يوم القيامة» هكذا رواه أبو الحسن بن شمعون في أماليه وابن النجار.

(**وقال ﷺ فيما رواه**) أبو الزبير عن (**جابر**) رضي الله عنه (**«من لذذ أخاه بما يشتهي**

سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله من ثلاث جنات جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد ».

الأدب الرابع: أن لا يقول له هل أقدم لك طعاماً؟ بل ينبغي أن يقدم إن كان. قال الثوري: إذا زارك أخوك فلا تقل له أتأكل أو أقدم إليك؟ ولكن قدّم فإن أكل وإلاَّ فارفع، وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاماً فلا ينبغي أن يظهرهم عليه أو يصفه لهم. قال الثوري: إذا أردت أن لا تطعم عيالك مما تأكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك. وقال بعض الصوفية: إذا دخل عليكم الفقراء فقدموا إليهم طعاماً، وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة فإذا دخل القراء فدلوهم على المحراب.

كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله من ثلاث جنان جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد ») هكذا هو في القوت، وقال العراقي: ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من رواية محمد بن نعمي، عن أبي الزبير عن جابر، وقال أحمد بن حنبل: هذا باطل كذب اهـ.

قلت: ويروى عن أبي هريرة مرفوعاً « من أطعم أخاه المسلم شهوته حرمه الله على النار » رواه البيهقي. وعن معاذ « من أطعم مؤمناً حتى يشبعه من سغب أدخله الله باباً من أبواب الجنة لا يدخله إلا من كان مثله » رواه الطبراني. وعن أبي سعيد « من أطعم مسلماً جائعاً أطعمه الله من ثمار الجنة » رواه أبو نعيم في الحلية. وعن عبد الله بن جراد « من أطعم كبداً جائعاً أطعمه الله من أطيب طعام الجنة » رواه الديلمي.

(**الأدب الرابع: أن لا يقول**) المزور (**له**) أي للزائر (**هل أقدم لك طعاماً**) أو هل تأكل، (**بل ينبغي أن يقدم**) له من غير أن يقول (**قال سفيان الثوري**) رحمه الله تعالى: (**إذا زارك أخوك فلا تقل**) له (**هل تأكل أقدم إليك**) الطعام، **ولكن قدّم**) له (**فإن أكل**) فهو المراد (**وإلا فارفع**) من بين يديه. كذا في القوت، (**وإن كان لا يريد أن يطعمهم طعاماً فلا ينبغي أن يظهره عليهم أو يصفه لهم**) سواء إن هو قد أكله أو لم يأكله. (**قال**) سفيان (**الثوري**) رحمه الله تعالى: (**إذا أردت أن لا تطعم عيالك مما تأكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك**) نقله صاحب القوت، وذلك لئلا يتعلق قلبهم بذلك الطعام فيشوّش خاطرهم.

(**وقال بعض الصوفية: إذا دخل عليكم الفقراء فقدموا إليهم طعاماً**) فإن ديدنهم الأكل فإنهم لا يملكون شيئاً فيأكلون به فالأولى مؤاساتهم بالأكل لأجل حضور قلبهم في العبادة، (**وإذا دخل الفقهاء فسلوهم عن مسألة**) فإنهم يحبون مذاكرة العلم، (**وإذا دخل القراء**) أي أهل التلاوة (**فدلوهم على المحراب**) فإن ديدنهم الصلاة والعبادة، وقد تجتمع هذه الأوصاف بأن كان قارئاً وفقيهاً وفقيراً فيقدم له ما هو الأهم وهو الإطعام.

الباب الرابع
في آداب الضيافة

ومظان الآداب فيها ستة: الدعوة أولاً، ثم الإجابة، ثم الحضور، ثم تقديم الطعام، ثم الأكل، ثم الانصراف. ولنقدم على شرحها إن شاء الله تعالى.

فضيلة الضيافة: قال ﷺ: «لا تكلفوا للضيف فتبغضوه فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله». وقال ﷺ: «لا خير فيمن لا يضيف»

الباب الرابع

في آداب الضيافة

من ضافه ضيفاً إذا نزل عنده فهو ضيف، ويطلق على الواحد والجمع، وأضفته قريته، وأصل الضيف الميل. يقال: ضافت الشمس للغروب مالت، والضيف من مال بك نزولاً وصارت الضيافة متعارفة في القرى (**ومظان الآداب فيها ستة: الدعوة أولاً، ثم الإجابة، ثم الحضور، ثم تقديم الطعام، ثم الأكل، ثم الانصراف. ولنقدم على شرحها إن شاء الله تعالى.**

فضيلة الضيافة: قال ﷺ «لا تتكلفوا) وفي رواية بحذف احدى التاءين (**للضيف فتبغضوه**) أي تملوا الضيافة وترغبوا عنها فيكون سبباً لبغض الضيف (**فإنه من أبغض الضيف فقد أبغض الله ومن أبغض الله أبغضه الله»**) قال العراقي: رواه أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق من حديث سلمان «لا يتكلفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه» وفيه محمد بن الفرج الازرق تكلم فيه اهـ.

قلت: ورواه البيهقي كذلك، وعند ابن عساكر في التاريخ «لا تكلفوا للضيف» وعن أبي قرصافة مرفوعاً «يا عائشة لا تتكلفي للضيف فتمليه ولكن اطعميه مما تأكلين» رواه أبو عبد الله محمد بن باكويه الشيرازي والرافعي من طريق عياض بن أبي قرصافة عن أبيه.

(**وقال ﷺ «لا خير فيمن لا يضيف»**) أي لا يطعم الضيف الذي ينزل به أي إذا كان قادراً على ضيافته ولم يعارضه ما هو أهم من ذلك كنفقة من تلزمه مؤنته. **قال العراقي**: رواه أحمد من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة اهـ.

ومرَّ رسول الله ﷺ برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه ومرّ بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال ﷺ: «انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خُلقاً حسناً فعل». وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: «أنه نزل به ﷺ ضيف فقال: قل لفلان اليهودي نزل بي ضيف فأسلفني شيئاً من الدقيق إلى رجب، فقال اليهودي: والله ما أسلفه إلا برهن فأخبرته فقال: والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض ولو أسلفني لأديته فاذهب بدرعي وارهنه عنده». وكان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغذى معه، وكان يكني أبا

قلت: وكذلك رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي. قال المنذري: رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة.

(ومرَّ رسول الله ﷺ برجل له إبل وبقر كثيرة فلم يضيفه، ومرَّ بامرأة لها شويهات) جمع قلة شويهة وهي مصغر شاة فأضافته **(فذبحت له)** من تلك الشويهات، **(فقال ﷺ «انظروا إليهما إنما هذه الأخلاق بيد الله فمن شاء أن يمنحه خلقاً حسناً فعل»)** قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية ابن المنهال مرسلاً.

(وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ) وكان قبطياً قيل اسمه إبراهيم وقيل أسلم، وكان للعباس أوّلاً. روى عنه أولاده وأبو سعيد المقبري مات بعد عثمان **(«أنه نزل به ﷺ ضيف فقال قل لفلان اليهودي)** وسماه **(نزل بي ضيف فاسلفني شيئاً من الدقيق إلى رجب، فقال اليهودي: لا والله لا أسلفه إلا برهن فأخبرته، فقال: والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض لو أسلفني لأدّيته فاذهب بدرعي)** وكان من حديد **(وارهنه عنده»)** قال العراقي: رواه إسحاق بن راهوية في مسنده، والخرائطي في مكارم الأخلاق وابن مردويه في التفسير بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الترمذي في الشمائل. وقال الشراح: اسم هذا اليهودي أبو الشحم من الأوس رهنها عنده في ثلاثين صاعاً من شعير رواه الشيخان. وروى الترمذي بعشرين صاعاً من طعام أخذه لأهله وأنه لم يفكها حتى مات ﷺ.

(وكان ابراهيم الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغذى معه) ذكره محمد بن عبد الكريم السمر قندي في كتاب روح المجالس أنه عليه السلام كان إذا أراد أن يتغدى ولم يحضره ضيف خرج مسيرة ميل أو ميلين يطلب من يتغذى معه اهـ.

وقال ابن أبي الدنيا في قرى الضيف: حدثنا أحمد بن جميل، أخبرنا عبد الله عن طلحة، عن

الضيفان، ولصدق نيته فيه دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة إلى عشرة إلى مائة. وقال قوّام الموضع أنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف. وسئل رسول الله ﷺ ما الإيمان؟ فقال: «إطعام الطعام وبذل السلام». وقال ﷺ: «في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام». وسئل عن الحج المبرور فقال: «إطعام الطعام وطيب الكلام». وقال أنس رضي

عطاء قال: كان ابراهيم عليه السلام إذا أراد أن يتغذى خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغذى معه، وهو أول من سّن الضيافة وعظم امرها.

قال أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم في كتاب الاوائل: حدثنا وهبان بن بقية، حدثنا خالد عن محمد بن عمرو، عن ابي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً: أول من ضيف الضيف إبراهيم عليه السلام، ورواه ابن أبي الدنيا في قرى الضيف عن محمد بن عبد الله بن المبارك، حدثنا أبو أسامة، حدثنا محمد بن عمرو فذكره مثله. قال: وحدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا جرير، عن يحي بن سعبد، عن سعيد بن المسيب قال: كان ابراهيم أوّل من أضاف الضيف.

(و) لذلك (كان يكنى أبا الضيفان) رواه ابن أبي الدنيا في قرى الضيف من طريق سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة قال: كان ابراهيم عليه السلام يكنى أبا الضيفان، وكان لقصره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد، (ولصدق نيته فيه) أي في أمر الضيافة (دامت ضيافته في مشهده) في غار حبرون (إلى يومنا هذا، فلا يتقضي ليلة إلا ويأكل عنده جماعة من بين ثلاثة الى عشرة إلى مائة وقال قوام الموضع) أي خدمته القائمون بشعار الكنس والايقاد الملازمون هنالك (أنه لم يخل إلى الآن ليلة عن ضيف)، وقد اتفق لي أني لما وردت لزيارته كان معي جماعة نحو الخمسة، فلما فرغت من الزيارة إذا أنا بسماط ممدود وفيه من أنواع الأطعمة فتعجبت لكوني ما أعرف هناك أحداً فمن أين هذا؟ فقال لي واحد: لا تتعجب هذه ضيافة الخليل عليه السلام وهي لكل قادم إلى زيارته، ثم أني كنت في ضيافته ثلاثة أيام في أرغد عيش صلى الله عليه وعلى ولده وسلم.

(وسئل رسول الله ﷺ: ما الايمان؟ فقال «إطعام الطعام وبذل السلام») رواه البخاري ومسلم من حديث عبدالله بن عمرو بلفظ «أي الإسلام خير» قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف».

(وقال ﷺ «في الكفارات والدرجات إطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام») رواه الترمذي وصححه، والحاكم من حديث معاذ رضي الله عنه، وقد تقدم بعضه في الباب الرابع من الأذكار وهو حديث «اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات».

(وسئل) ﷺ (عن الحج المبرور فقال «إطعام الطعام وطيب الكلام») تقدم في الحج.

(وقال أنس) بن مالك (رضي الله عنه: كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة) أي

الله عنه: كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة. والاخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام لا تحصى فلنذكر آدابها.

أما الدعوة فينبغي للداعي أن يعمد بدعوته الأتقياء دون الفساق. قال ﷺ: «أكل طعامك الابرار» في دعائه لبعض من دعا له. وقال ﷺ: «لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي» ويقصد الفقراء دون الأغنياء على الخصوص. قال ﷺ: «شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء دون الفقراء». وينبغي أن لا يهمل أقاربه في ضيافته فإن اهمالهم إيحاش وقطع رحم، وكذلك يراعي الترتيب في أصدقائه ومعارفه فإن في تخصيص البعض إيحاشاً لقلوب الباقين، وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر

ملائكة الرحمة. **(والأخبار الواردة في فضل الضيافة والإطعام)** كثيرة **(لا تحصى)** تقدم بعضها في آخر الباب الثاني **(فلنذكر آدابها)**.

(أما الدعوة)، بالفتح اسم من دعوت الناس إذا طلبتهم ليأكلوا عندك يقال: نحن في دعوة فلان ومدعاته ودعاه بمعنى وبالكسر في النسب. قال أبو عبيدة: هذا كلام أكثر العرب إلاّ عدي الرباب. فإنهم يعكسون ويجعلون الفتح في النسب والكسر في الطعام، **(فينبغي للداعي أن يقصد بدعوته العباد)** أي الصالحين من عباد الله تعالى الاتقياء دون الفساق. قال ﷺ لمن دعا له «أكل طعامك الابرار» في دعائه لبعض من دعا. قال أنس جاء النبي ﷺ إلى سعد بن عبادة فجاء بخبز وزيت ثم أكل، ثم قال النبي ﷺ «أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة». رواه أبو داود والنسائي واللفظ لأبي داود وقد تقدم قريباً.

(وقال ﷺ «لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي») ذاك لأن التقي قد كفاك الاجتهاد في المأكول للتقوى فأغناك عن السؤال عنه ولأن التقي إذا استطعمته استعان بالطعمة على البر والتقوى فتصير معاوناً له عليها فتشركه في بره، وتقدم تخريج الحديث في كتاب الزكاة، ولذا قال: **(ويقصد الفقراء)** بدعوته **(دون الأغنياء على الخصوص قال ﷺ «شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الاغنياء دون الفقراء)** ومن ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله». متفق عليه من حديث أبي هريرة، وعند مسلم «يمنعها من يأتيها ويدعى إليها من يأباها» ورواه البخاري مرفوعاً بلفظ «ويترك الفقراء» وهو عند الطبراني والديلمي من حديث ابن عباس بلفظ «يدعى إليه الشبعان ويحبس عنه الجائع» والمراد بالوليمة وليمة العرس لأنها المعهودة عندهم سماه شراً على الغالب فإنهم يخصون بها الأغنياء.

(وينبغي أن لا يهمل أقاربه) في النسب **(في ضيافته فإن إهمالهم إيحاش)** أي يورث الوحشة والتنافر في القلوب، **(وقطع رحم)** ووبال قطع الرحم أكثر من الإيحاش، **(وكذلك يراعي الترتيب في أصدقائه ومعارفه)** الأقرب فالاقرب، **(فإن في تخصيص البعض)** دون

بل استمالة قلوب الإخوان والتسنن بسنة رسول الله ﷺ في إطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين، وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة، وإذا حضر تأذى بالحاضرين بسبب من الأسباب، وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب إجابته. قال سفيان: من دعا أحداً إلى طعام وهو يكره الإجابة فعليه خطيئة فإن أجاب المدعو فعليه خطيئتان لأنه حمله على الأكل مع كراهة، ولو علم ذلك لما كان يأكله، وإطعام التقي إعانة على الطاعة وإطعام الفاسق يقويه على الفسق. قال رجل خياط لابن المبارك: أنا أخيط ثياب السلاطين فهل تخاف أن أكون من أعوان الظلمة؟ قال: لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الخيط والإبرة أما أنت فمن الظلمة أنفسهم. وأما الإجابة فهي سنّة

البعض (**إيحاشاً لقلوب الباقين**)، وهكذا الحال في جيرانه فإنه إذا دعا جماعة وترك الجيران أورث الوحشة في قلوبهم، فينبغي المراعاة في كل ذلك مهما استطاع، فيجعل لكل واحد من هذه الأصناف حداً معلوماً فيقدم الأقرب في النسب ثم الصديق فإن له حقاً لازماً، وهل يقدم الجار على الصديق أو الصديق على الجار فالذي يظهر أن الجار مقدم لوجوه عديدة. (**وينبغي أن لا يقصد بدعوته المباهاة والتفاخر**) بين الأقران (**بل**) ينوي بدعوته (**استمالة قلوب الإخوان والتسنن بسنّة رسول الله ﷺ في إطعام الطعام وإدخال السرور على قلوب المؤمنين**). فهذه ثلاث نيات لا بدّ من احضارها في القلب ليكون الداعي مأجوراً في دعوته مثاباً في حركته. (**وينبغي أن لا يدعو من يعلم أنه يشق عليه الإجابة، وإذا حضر تأذى بالحاضرين**) أو تأذى به بعض من حضر في المجلس (**بسبب من الأسباب**) العوارض وهذا يقع كثيراً، (**وينبغي أن لا يدعو إلا من يحب أجابته**) ولا يكرهها.

(**قال سفيان**) الثوري رحمه الله تعالى: (**من دعا أحداً إلى طعام وهو يكره الإجابة فله خطيئة**) أي كتبت عليه خطيئة، (**فإن أجاب المدعوّ**) فأكل (**فله خطيئتان**) أي كتب عليه خطيئتان، فالمعنى في الخطيئة الأولى لأنه أظهر بلسانه خلاف ما في قلبه فتصنع بالكلام، وهذا من السمعة وداخل في محبة أن يحمد بما لم يفعل، والمعنى في الخطيئتين ان إجابه أخوه فالخطيئة الثانية لأنه (**حمله على الأكل مع كراهته**) ولم يعلم حقيقته منه فلم ينصحه فيما أظهر له من نفسه فعرضه لما يكره، (**ولو علم**) أخوه (**ذلك**) أي أنه غير محب لإجابته (**لما كان يأكله**) أي الطعام، ولأنه قد أدخله في السمعة، ولذلك كانت عليه خطيئة ثانية، (**و**) إنما قلنا يخص بالدعوة الصالحين والفقراء دون الفسقة لأن (**إطعام الفقراء**) والصالحين (**إعانة**) لهم (**على الطاعة**) وعلى البر والتقوى فيشاركهم في الثلاثة، (**وإطعام الفاسق يقويه على الفسق**) الذي هو مركوز في جبلته كما (**قال رجل خياط لابن المبارك**) عبد الله رحمه الله تعالى: (**أنا أخيط ثياب السلاطين**)ولفظ القوت إني أخيط لبس وكلاء هؤلاء يعني الأمراء، (**فهل تخاف ان أكون من أعوان الظلمة**) أي داخلاً في وعيدهم؟ (**قال: لا إنما أعوان الظلمة من يبيع منك**). أي لك

مؤكدة، وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع. قال ﷺ: «لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إلي ذراع لقبلت».

وللإجابة خمسة آداب:

الأول: أن لا يميز الغني بالاجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهي عنه، ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الإجابة وقال: انتظار المرقة ذل، وقال آخر: إذا وضعت

(**الخيط والإبرة. أما أنت فمن الظلمة أنفسهم**) ولفظ القوت فقال: لست من أعوان الظلمة بل أنت من الظلمة إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الإبر والخيوط اهـ.

وهذا من باب المبالغة تنزيلاً للمعين لهم منزلة أنفسهم، وبالغ آخرون فقالوا: إنما اعوان الظلمة الحداد الذي صنع تلك الابرة، والغزال الذي غزل ذلك الخيط وكل هذا تحذير من التقرب لهم ومجاورتهم ودعوتهم فتستلزم اكرامهم ومداراتهم والسكوت عما هم عليه من المظالم، وغير ذلك من المخازي. وكل ذلك من أسباب المقت نعوذ بالله من ذلك، وقد عمل ذو النون المصري أغمض من ذلك كما سيأتي في الفصل الذي في آخر الأبواب.

(**وأما الاجابة فهي سنّة مؤكدة**) على المشهور من مذهب الشافعي رضي الله عنه سواء كانت الدعوة عرساً أو غيره كختان وعقيقة، (**وقد قيل بوجوبها في بعض المواضع**) كوليمة عرس عند توفر الشروط المبينة في الفروع قالوا: لا تجب إجابة لغير وليمة عرس مطلقاً، ومنه وليمة التسري، وقيل تجب. واختاره السبكي، وبعض أصحاب الشافعي أوجب الاجابة إلى الدعوة مطلقاً عرساً كان أو غيره بشرطه نظر الظاهر حديث ابن عمر «من دعي إلى عرس أو نحوه فليجب» رواه مسلم، ولما رواه أبو هريرة «ومن لا يجيب الدعوة فقد عصى الله ورسوله» رواه مسلم ايضاً. ونقله ابن عبد البرعن العنبري، وزعم ابن حزم انه قول جمهور الصحابة والتابعين، وهو الذي فهمه ابن عمر من الخبر. روى عبد الرزاق في مصنفه باسناد صحيح عنه أنه دعى إلى طعام فقال رجل اعفني فقال ابن عمر: إنه لا عافية لك من هذا فقم، وجزم باختصاص الوجوب بوليمة النكاح المالكية والحنفية والحنابلة وجمهور الشافعية وبالغ السرخسي منهم فنقل فيه الاجماع.

(**قال ﷺ «لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إليّ ذراع لقبلت»**) رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والكراع من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساعد، والجمع أكرع وجمع الجمع أكارع. وقال الأزهري أكارع الدابة قوائمها وقال ابن فارس الكراع من الدابة ما دون الكعب.

(**وللإجابة خمسة آداب:**

الأول: ان لا يميز الغني بالإجابة عن الفقير فذلك هو التكبر المنهي عنه، ولذلك امتنع بعضهم عن أصل الإجابة). اعلم ان الدعوة المختصة بالأغنياء اختلف في إجابتها فظاهر حديث

يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي. ومن المتكبرين من يجيب الأغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنّة. كان ﷺ يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين. ومرَّ الحسن بن علي رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذي يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نشروا كسراً على الأرض في الرمل وهم يأكلون وهو على بغلته فسلّـم عليهم فقالوا له: هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله ﷺ، فقال: نعم إن الله لا يحب المستكبرين، فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ثم سلّـم عليهم وركب وقال: قد أجبتكم فأجيبوني. قالوا:

« شر الطعام طعام الوليمة » وفيه « ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله » صريح في وجوبها. واقتضاه كلام شراح مسلم وصرح به الطيبي فقال: والحاصل أن الاجابة واجبة فيجيب الدعوة ويأكل شر الطعام اهـ.

لكن الذي أطلقه الشافعية عدم الوجوب إذا خص الاغنياء، وإليه يشير كلام المصنف كما ترى، وقد ينزل الوجوب على ما إذا خصهم لالغناهم بل لجوار أو اجتماع حرفة أو غير ذلك والله أعلم.

(**وقال**) بعض المتكبرين: أنا لا أجيب دعوة. قيل له: ولم؟ قال: (**انتظار المرقةذل، وقال آخر**) منهم: (**إذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي**) نقل القولين صاحب القوت. (**ومن التكبر من يجيب**) دعوة (**الأغنياء**) لعظمهم في عينه (**دون الفقراء**) لكبره في نفسه، ومنهم من لا يجيب إلا نظراءه وأشكاله من مثل طبقته ومرتبته في الرئاسة في الدنيا (**وهو خلاف السنّة**)، فقد ورد في الإجابة فعلاً وقولاً. أما فعلاً فما روي أنه (**كان ﷺ يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين**) هكذا هو في القوت. قال العـراقي :رواه الترمذي، وابن ماجه من حديث أنس دون ذكر المسكين، وضعفه الترمذي وصححه الحاكم اهـ.

قلت: ورواه ابن سعد في الطبقات، وعند الحاكم « كان يردف خلفه ويضع طعامه على الأرض ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ». وأما قولاً فما تقدم آنفاً. ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله بعد قوله: شر الطعام طعام الوليمة.

(**ومر الحسن بن علي**) كذا في النسخ، مثله في العوارف، وفي بعض نسخ الكتاب الحسين بن علي (**رضي الله عنهما**) ومثله في القوت (**بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق**) أي ممر الناس حيث يقرعون بنعالهم (**وقد نشروا كسراً**) من الخبز (**على الأرض في الرمل وهم يأكلون و**) كان (**هو على بغلته فسلّم عليهم**) لما مرَّ عليهم فردوا عليه (**فقالوا: هلم إلى الغداء يا ابن بنت رسول الله. فقال: نعم. إن الله لا يحب المستكبرين**) ثم ثنى وركـه (**فنزل**) عن دابته (**وقعد معهم على الأرض وأكل ثم سلّم عليهم وركب**) وفي خبر آخر زيادة (**وقال: وقد أجبتكم فاجيبوني. قالوا: نعم** فواعدهم) المجيء (**وقتاً**) من النهار

نعم، فوعدهم وقتاً معلوماً فحضروا فقدم إليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم. وأما قول القائل: إن من وضعت يدي في قصعته فقد ذلت له رقبتي فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة وليس كذلك، فإنه ذل إذا كان الداعي لا يفرح بالإجابة ولا يتقلد بها منة وكان يرى ذلك يداً له على المدعو، ورسول الله ﷺ كان يحضر لعلمه أن الداعي له يتقلد منة ويرى ذلك شرفاً وذخراً لنفسه في الدنيا والآخرة، فهذا يختلف باختلاف الحال فمن ظن به أنه يستثقل الإطعام وإنما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفاً فليس من السنّة اجابته، بل الأولى التعلل، ولذلك قال بعض الصوفية: لا تجب إلا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك وأنه سلم إليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك

(**معلوماً فحضروا**) فرحَّب بهم ورفع مجلسهم (**فقدم إليهم**) ولفظ القوت ثم قال: يا وذات هاتي ما كنت تدخرين فأخرجت الجارية (**فاخر**) ما عندها من (**الطعام وجلس يأكل معهم**) رضي الله عنه وأرضاه عنا.

(**وأما قول القائل: إن من وضعت يدي في قصعته فقد ذلت له رقبتي فقد قال بعضهم: هذا خلاف السنّة**) وهو صاحب القوت كما تقدم النقل عنه آنفاً، (**وليس كذلك**) أي ليس هذا القول على عمومه مخالفاً للسنّة (**فإنه دل إذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد به منّة وكان ذلك يداً له على المدعو**)، ففي هذه الصور الثلاث يتحقق الذل ويسلم لقائله ما أراده، (**ورسول الله ﷺ كان يحضر**) الدعوة (**لعلمه أن الداعي له يتقلد منّة ويرى ذلك شرفاً**) يتشرف به، (**وذخراً لنفسه في الدنيا والآخرة**) فهو يفرح به ويرى أن الفضل له على كل حال، (**فهذا**) إذاً (**يختلف باختلاف الحال، فمن ظن أنه يستثقل الإطعام وإنما يفعل ذلك مباهاة**) ومفاخرة بين الأقران (**أو تكلفاً**) بمشقة (**فليس من السنّة اجابته**). رواه أبو داود من حديث ابن عباس « أن النبي ﷺ نهى عن طعام المتباريين » قال أبو داود: أكثر من رواه عن جرير لا يذكر فيه ابن عباس، وروى العقيلي في الضعفاء « نهى النبي ﷺ عن طعام المتباهيين » والمتباريان المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء قاله أبو موسى المديني. قاله العراقي.

قلت: ورواه الحاكم أيضاً بزيادة « أن يؤكل » وقال: صحيح. وأقره الذهبي في التلخيص، لكن في الميزان صوابه مرسل وهو معنى قول أبي داود السابق، أو معنى التباري أن يفعل كل منهما فوق فعل صاحبه ليكون طعامه أكثر وآنق، فيدخل فيه معنى المصنف أو تكلفاً إذا قصد أحدهما تعجيز الآخر ففيه مشقة كما أنه رياء، (**بل الأولى**) في هذه الصورة (**التعلل**) عن الإجابة، (**ولذلك قال بعض الصوفية**) رحمه الله تعالى (**لا تجب إلا دعوة من يرى**) لك انك (**أكلت رزقك وأنه سلم**) إياه (**إليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبول تلك الوديعة منه**) نقله صاحب القوت وقال: فهذه شهادة العارف من الداعين، كذلك شهادة المدعوّين من

الوديعة منه. وقال سري السقطي رحمه الله: آه على لقمة ليس على الله فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة، فإذا علم المدعو أنه لا منة في ذلك فلا ينبغي أن يرد. وقال أبو تراب النخشبي رحمة الله عليه: عرض عليَّ طعام فامتنعت فابتليت بالجوع أربعة عشر يوماً فعلمت أنه عقوبته. وقيل لمعروف الكرخي رضي الله عنه: كل من دعاك تمر إليه فقال: أنا ضيف أنزل حيث أنزلوني.

الثاني: أنه لا ينبغي أن يمتنع عن الإجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع لفقر الداعي وعدم جاهه بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي أن يمتنع لأجل ذلك. يقال في التوراة أو في بعض الكتب: سِرْميلاً عد مريضاً سرميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال

الموحدين أن يشهدوا الداعي الأوّل والمجيب الآخر والمعطي الباطن والرازق الظاهر، كما امتحن أصحابه بذلك بعض الصوفيين بلغني أن رجلاً دعا إماماً من الصوفية في أصحابه إلى طعام فلما أخذ القوم مجلسهم ينتظرون نقل الطعام إليهم خرج إليهم شيخهم فقال: إن هذا الرجل يزعم أنه دعاكم وإنكم تأكلون طعامه فحرام على من يشهده في فعله أن يأكل. قال: فقاموا كلهم فخرجوا ولم يستحل الأكل إذ كانوا لا يرونه في الفعل إلا غلاماً حدثاً فإنه قعد إذ لم تثبت شهادته ولم ينفذ نظره العبارة لنا، والمعنى لقائله مثله أو نحوه.

(وقال سري) بن المفلس **(السقطي)** رحمه الله تعالى: **(آه على لقمة ليس لله فيها تبعة)** أي لا شبهة فيها **(ولا لمخلوق فيها منّة)** يقلدها على الآكل، **(فإن علم المدعو أنه لا منّة فيها فلا ينبغي أن يرد)** الداعي إليه.

(قال أبو تراب النخشبي رحمه الله تعالى) واسمه عسكر بن حصين ترجمه القشيري في الرسالة. صحب حاتماً الأصم. مات سنة ٢٤٥ بالبادية. **(عرض عليَّ طعام فامتنعت)** عن تناوله **(فابتليت بالجوع أربعة عشر يوماً فعلمت أنه عقوبته)**. وحكى القشيري نظير هذا القول في رسالته في ترجمته بسنده أنه قال: تمنّت عليّ نفسي مرة خبزاً وبيضاً وأنا في سفر فعدلت عن الطريق إلى قرية، فوثب رجل وتعلق بي وقال: كان هذا مع اللصوص فضربوني سبعين خشبة فوقف علينا رجل فصرخ وقال: هذا أبو تراب النخشبي فخلوني واعتذروا لي وادخلني الرجل منزله وقدم إليَّ خبزاً وبيضاً فقلت: كلي بعد سبعين جلدة.

(وقيل لمعروف) بن فيروز **(الكرخي رحمه الله تعالى: كل من دعاك إلى)** طعامه **(تمر إليه. فقال: أنا ضيف أنزل حيث أنزلوني)** فهذا مقام من شاهد الداعي الأوّل.

(الثاني: أنه لا يمتنع عن الإجابة لبعد المسافة كما لا يمتنع) عنها **(لفقر الداعي وعدم جاهه، بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة فلا ينبغي أن يمتنع لأجل ذلك)** بل يأتيها **(يقال)**: إن **(في التوراة أو في بعض الكتب)** السماوية **(سرميلاً عد مريضاً. سرميلين شيع**

أجب دعوة. سر أربعة أميال زر أخاً في الله، وإنما قدم إجابة الدعوة والزيارة لأن فيه قضاء حق الحي فهو أولى من الميت. وقال ﷺ: «لو دعيت إلى كراع الغميم لأجبت» وهو موضع على أميال من المدينة أفطر فيه رسول الله ﷺ في رمضان لما بلغه وقصر عنده في سفره.

الثالث: ان لا يمتنع لكونه صائماً بل يحضر، فإن كان يسر أخاه افطاره فليفطر وليحتسب في افطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه ما يحتسب في الصوم، وأفضل

جنازة. سر ثلاثة أميال أجب دعوة. سر أربعة أميال زر أخاً في الله تعالى، وإنما قدم إجابة الدعوة والزيارة) وفضلها على العيادة وشهود الجنازة، **(لأن فيه قضاء حق الحي فهو أولى من الميت)** كذا نقله صاحب القوت. **(وقال ﷺ: «لو دعيت إلى كراع الغميم لأجبت»)** هكذا هو في القوت. قال العراقي: ذكر الغميم فيه لا يعرف، والمعروف لو دعيت إلى كراع كما تقدم قبله بثلاثة أحاديث، ويرد هذه الزيادة ما رواه الترمذي من حديث أنس: «لو أهدي إلى كراع لقبلت» اهـ. **(وهو)** أي كراع الغميم **(موضع على أميال من المدينة)** كذا في القوت، وسيأتي الكلام عليه قريباً **(أفطر فيه رسول الله ﷺ)** في رمضان **(لما بلغه)** كذا في القوت. قال العراقي: رواه مسلم من حديث جابر في عام الفتح، **(وقصر عنده في سفره)** كذا في القوت. قال العراقي: لم أقف له على أصل، وللطبراني في الصغير من حديث ابن عمر «كان يقصر الصلاة بالعقيق» يريد إذا بلغه، وهذا يرد الاول لأن بين العقيق وبين المدينه ثلاثة أميال، وقيل: أكثر. وكراع الغميم بين مكة وعسفان والله أعلم اهـ.

قلت: وعبارة القاموس: وكراع الغميم موضع على ثلاثة أميال من عسفان، وزاد في العباب للصغاني. والغميم وادٍ أضيف إليه الكراع ووقع في التكملة للصغاني المذكور على ثمانية أميال، وذكر شيخنا المرحوم أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي سقى الله جدثه صوب الغفران في حاشيته على القاموس صوابه على ثلاثة أميال من مكة انتهى.

والغميم: موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة قاله نصر، وقد تبع المصنف صاحب القوت في هذا السياق على عادته في هذا الكتاب وبني على هذه الزيادة الأصل الثاني من آداب الإجابة وهو الإجابة إلى الموضع البعيد وهذه لو ثبت لفظ الغميم وقد عرفت ما فيه فليتأمل.

(الثالث: أن لا يمتنع) عن الإجابة **(لكونه صائماً بل)** يجيب الدعوة و**(يحضر فإن كان)** يعلم أنه **(يسر أخاه إفطاره)** وأكله **(فليفطر)** لأجله **(وليحتسب في إفطاره بنية إدخال السرور على قلب أخيه)** وإرادة إكرامه بذلك **(ما يحتسب في الصوم)** من الأجر **(وأفضل)** لأنها نية صالحة، وقد كان بعضهم إذا كان يوم فطره أكل مع إخوانه ويحتسب في أكله ما يحتسب

ذلك في صوم التطوّع، وإن لم يتحقق سرور قلبه فليصدقه بالظاهر وليفطر، وإن تحقق انه متكلف فليتعلل، وقد قال ﷺ لمن امتنع بعذر الصوم: « تكلف لك أخوك وتقول إني صائم ». وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار فالافطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق ثواب الصوم. ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث الطيب وقد قيل: الكحل والدهن أحد القراءين.

الرابع: أن يمتنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة أو الموضع أو البساط

في صومه، **(وذلك في صوم التطوع)** إذ هو في ذلك أمير نفسه **(وإن لم يتحقق سرور قلبه به)** وإنما قال له أنا أسر بأكلك **(فليصدقه بالظاهر)** وليحسن الظن به **(وليفطر وإن تحقق أنه تكلف)** ومع ذلك لم يلفظ به لسانه **(فليتعلل)** عن الأكل ويكره له حينئذ الخروج من عقد الصوم لغير نية هي أبلغ منه أو مثله، فصومه حينئذ أفضل، وكان على هذه القدم شيخنا المرحوم العارف بالله تعالى محمد بن شاهين الدمياطي نفع به، والشيخ الصالح أحمد بن محمد الراشدي رحمه الله تعالى، وصاحبنا الشيخ الصالح عبد المنعم بن عبد الرحمن الأنصاري بارك الله فيه. **(وقد قال ﷺ لمن امتنع بعذر الصوم: « تكلف لك أخوك وتقول إني صائم »)** قال العراقي: رواه البيهقي من حديث أبي سعيد الخدري صنعت لرسول الله ﷺ طعاماً فأتاني هو وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم إني صائم، فقال رسول الله ﷺ: « دعاكم أخوكم وتكلف لكم » الحديث. وللدارقطني نحوه من حديث جابر ولا يصحان اهـ.

(وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: من أفضل الحسنات إكرام الجلساء) كذا في القوت ومن جملة إكرامهم مؤاساتهم وتأنيسهم بالمؤاكلة **(فالإفطار عبادة)** فاضلة **(بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق ثواب الصوم)** وهذا معنى قوله آنفاً أفضل، **(ومهما لم يفطر فضيافته الطيب)** أي نوع كان وهو أيضاً مختلف باختلاف البلدان، ففي الحجاز واليمن الأعطار المستخرجة من الصندل والورد الليمون وغيرها ثم إتباعها بماء الورد والكادي وبمصر والشام والروم الاقتصار على ماء الورد فقط، **(والمجمرة)** بكسر الميم هي ما يتجمر فيها من العود والعنبر، **(والحديث الطيب)** الذي تتأنس به النفوس وفي المجمرة خلاف لأبي حنيفة وأصحابه، **(وقد قيل: الكحل والدهن أحد القراءين)** وفي بعض النسخ أحد القريين، وفي القوت دعا عبد الله ابن الزبير الحسن بن علي رضي الله عنهم فحضر هو وأصحابه فأكلوا ولم يأكل هو، فقيل: ألا تأكل؟ قال: إني صائم ولكن تحفة الصائم. قالوا: وما هي؟ قال: الدهن والمجمرة. وكذلك يقال: الكحل والدهن أحد القريين، واللبن أحد اللحمين، والفكاهة والحديث للضيف إحدى الضيافتين، فيستحب لمن كان صائماً فحضر ولم يأكل أن يطيب وإن يحيا فذاك زاده.

(الرابع: أن يمتنع من الإجابة إن كان الطعام طعام شبهة) أي فيه شبهة حرام، **(أو)** كان **(الموضع)** مغصوباً **(أو البساط المفروش غير حلال، أو كان يقام في الموضع منكر)**

المفروش من غير حلال، أو كان يقام في الموضع منكر من فرش ديباج أو إناء فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط أو سماع شيء من المزامير والملاهي، أو التشاغل بنوع من اللهو والعزف والهزل واللعب واستماع الغيبة والنميمة والزور والبهتان والكذب وشبه ذلك. فكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها ويوجب تحريمها أو كراهيتها، وكذلك إذا كان الداعي ظالماً أو مبتدعاً أو فاسقاً أو شريراً أو متكلفاً طلباً للمباهاة والفخر.

الخامس: أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملاً في أبواب الدنيا بل يحسن نيته ليصير بالاجابة عاملاً للآخرة، وذلك بأن تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله

شرعي من تناول مسكر بعد الطعام، ولو لم ير في ذلك الوقت و(**من فرش ديباج**) وهو الحرير (**أو إناء فضة**) مما يستعمله كإبريق أو طست أو طبق أو غطاء كوز أو نحو ذلك، (**أو تصوير حيوان**) ذي روح (**على سقف أو حائط**) بخلاف ما إذا كان تصوير شجر أو جبل أو بحر أو مدينة أو غير ذلك مما لا روح فيه، (**أو سماع شيء من المزامير**) جمع مزمار آلة الزمر (**والملاهي**) وهي أعم من المزامير، (**أو التشاغل بنوع من اللهو**) المحرم (**والهزء**) والسخرية (**واللعب**) الممنوع، (**فكل ذلك مما يمنع الإجابة واستحبابها**) من أصلها (**ويوجب تحريمه**) تارة (**أو كراهيته**) أخرى، وفي البساط المفروش من حرير وكذا الوسائد أو ما فيه تصوير حيوان إذا كان يداس عليه خلاف لأبي حنيفة وأصحابه سيأتي ذكره قريباً. (**وكذلك**) الحال (**إذا كان الداعي ظالماً**) مشهوراً في الظلم، (**أو مبتدعاً**) مستمراً على بدعته، (**أو فاسقاً**) مشهوراً فسقه غير مستور، (**أو شريراً**) أي صاحب شر، (**أو متكلفاً**) في دعوته (**طالباً للمباهاة**) والمباراة (**والفخر**) على أقرانه. فكل ذلك مما يمنع الإجابة من أصلها. قال صاحب القوت: خمسة لا تجاب دعوتهم وإن دعي ولم يعلم ثم علم فلا حرج عليه أن يخرج من بيت المبتدع وأعوان الظلمة وآكل الربا والفاسق المعلن بفسقه، ومن كان الأغلب على ماله الحرام ولم يكن يدع من الآثام في معاملة الأنام.

(**الخامس: أن لا يقصد بالإجابة قضاء شهـوة البطن فيكون عاملاً في**) باب من (**أبواب الدنيا**) وساعياً في حظ نفسه وملء جوفه، (**بل يحسن نيته ليصير بالإجابة عاملاً للآخرة**) إذ الأعمال بالنيات والإجابة من الأعمال فمن نواها دنيا كانت له دنيا لعاجل حظه ومن أراد بهاالآخرة فهي له آخرة يحسن نيته وان لم تحضر نيته أو أعتل بفسادها توقف حتى يهيء الله تعالى نية صالحة تكون الإجابة عليها أو ترك الإجابة إذا كانت بغير نية لأنها من أفاضل الأعمال، فيحتاج إلى أحسن النيات لوجود العلم فيها فتكثر بها الحسنات ويفقد الهوى منها فيسلم فيها من السيئات وإلا كانت إجابته هزواً، (**وذلك بأن تكون نيته الإقتداء بسنة رسول الله ﷺ من قوله: « لو دعيت إلى كراع لأجبت »**) فهذا ظاهر في الإجابة على القليل، وقد تقدم الكلام عليه قريباً وهي الأولى.

ﷺ في قوله: « لو دعيت إلى كراع لأجبت » وينوي الحذر من معصية الله لقوله ﷺ: « من لم يجب الداعي فقد عصى الله ورسوله ». وينوي إكرام أخيه المؤمن اتباعاً لقوله ﷺ: « من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله ». وينوي إدخال السرور على قلبه امتثالاً

(و) الثانية: **(ينوي الحذر من معصية الله)** ومعصية رسوله **(لقوله ﷺ: « من لم يجب الداعي فقد عصى الله »)** لفظ مسلم من حديث أبي هريرة في أثناء حديث « ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله » ورواه البخاري موقوفاً وقد تقدم ذكره قريباً عند ذكر الوليمة.

(و) الثالثة: **(ينوي إكرام أخيه المؤمن إتباعاً لقوله ﷺ: « من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله »)** وفي نسخة: « فإنما يكرم الله تعالى » قال العراقي: رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث جابر، والعقيلي في الضعفاء من حديث أبي بكر وإسنادهما ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر بلفظ: « من أكرم امرأ مسلماً فإنما يكرم الله تعالى » وروى ابن النجار في تاريخه من حديث ابن عمر بلفظ: « من أكرم أخاه فإنما يكرم الله تعالى ». ولا سيما إذا كان الداعي مع كونه أخاه في الإيمان يكون ذا سن في الإسلام، فعن أنس مرفوعاً: « من أكرم ذا سن في الإسلام كأنه قد أكرم نوحاً في قومه، ومن أكرم نوحاً في قومه فقد أكرم الله تعالى » رواه أبو نعيم والديلمي والخطيب وابن عساكر، وفيه يعقوب بن تحية الواسطي لا شيء، وبكر بن أحمد بن محمد الواسطي مجهول، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وتعقب.

(و) الرابعة: **(ينوي إدخال السرور عليه)** بإجابته **(لقوله ﷺ: « من سر مؤمناً فقد سر الله »)** تقدم في الباب الذي قبله. وعن أبي هريرة رفعه: « أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المؤمن سروراً أو تقضي عنه ديناً أو تطعمه خبزاً رواه ابن ابي الدنيا في قضاء الحوائج، والبيهقي في السنن ورواه ابن عدي من حديث ابن عمر، وروى الطبراني في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة: « أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس ». وعن ابن عباس مرفوعاً: « من أدخل على مؤمن سروراً فقد سرني ومن سرني فقد اتخذ عند الله عهداً ومن اتخذ عند الله عهداً فلن تمسه النار أبداً » رواه الدارقطني في الافراد، وأبو الشيخ في الثواب. قال الدارقطني: تفرد به زيد بن سعيد الواسطي. قال الذهبي في معجمه: هذا خبر منكر، ورواته ثقات أعلام. فالآفة زيد هذا ولم أر أحداً ذكره بجرح ولا تعديل، وعنه أيضاً: « من أدخل على أخيه المسلم فرحاً أو سروراً في دار الدنيا خلق الله عز وجل من ذلك خلقاً تدفع به عنه الآفات في دار الدنيا وإذا كان يوم القيامة كان قريباً منه فإذا مر به هول يفزعه قال له لا تخف فيقول له فمن أنت؟ فيقول: أنا الفرح أو السرور الذي أدخلته على أخيك في دار الدنيا » رواه الخطيب وابن النجار.

لقوله ﷺ : « من سرَّ مؤمناً فقد سرَّ الله ». وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله إذ شرط رسول الله ﷺ فيه التزاور والتباذل لله. وقد حصل البذل من أحد الجانبين فتحصل الزيارة من جانبه أيضاً ، وينوي صيانة نفسه عن أن يساء به الظن في امتناعه ويطلق اللسان فيه بأن يحمل على تكبر أو سوء خلق أو استحقار أخ مسلم أو ما يجري مجراه. فهذه ست نيات تلحق اجابته بالقربات آحادها فكيف مجموعها ؟ وكان بعض السلف يقول: أنا أحب أن يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب ، وفي مثل هذا قال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو

(و) الخامسة : (**ينوي مع ذلك زيارته**) فيصير ذلك نافلة له تماماً على الذي أحسن و(**ليكون من المتحابين في الله**) وقد جاء في فضل الزيارة في الله تعالى وإن بها يستحق ولاية الله تعالى وأنها علامة ولاية المتحابين في الله. (**إذ شرط رسول الله ﷺ**) فيه شيئين (**التزاور**) في الله (**والتباذل لله**) يشير بذلك إلى حديث أبي هريرة: « وجبت محبتي للمتزاورين فيّ المتباذلين فيّ » رواه مسلم. وعند أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث معاذ قال الله تعالى : « وجبت محبتي للمتحابين والمتجالسين فيّ والمتباذلين فيّ والمتزاورين فيّ » وعندهم أيضاً ما عدا البيهقي من حديث عبادة بن الصامت قال الله تعالى : « حقت محبتي للمتحابين في وحقت محبتي للمتواصلين في وحقت محبتي للمتباذلين في » الحديث. (**وقد حصل البذل من أحد الجانبين**) وبقيت الزيارة (**فتحصل الزيارة من جانبه أيضاً**) على الخبر السائر : إن الإجابة من التواضع كما تقدم من أن المتكبرين لا يجيبون الداعي.

(و) السادسة : (**ينوي صيانة نفسه عن أن يساء به الظن في امتناعه**) عن الإجابة (**ويطلق اللسان فيه**) بالرجم بالغيب (**بأن يحمل على تكبر أو استحقار أخ مسلم أو ما يجري مجراه**) فبإجابته يسقط عنه مؤنة سوء الظن ويزيل الشك فيه باليقين به. (**فهذه ست نيات تلحق إجابته بالقربات آحادها فكيف بمجموعها**) لمن وفق لعلمها والعمل بها.

(**وكان بعض السلف يقول: أنا أحب أن يكون لي في كل عمل نية حتى في الطعام والشراب**) ولفظ القوت وكان بعض السلف يقول: إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء حتى في الأكل والنوم ، وقد كان السلف الصالح يكون لأحدهم في الأكل نية صالحة ، كما يكون له في الجوع نية صالحة والذي يأكل بغير نية الآخرة للعادة والشهوة والمتعة قد يجوع لغير الآخرة للعادة والشهوة أيضاً والتزين للخلق ، وهذا من دقيق آفات النفوس فحسن من أكل بنية الآخرة ولأجل الله تعالى كحسن من جاع لأجل الله تعالى وبنية الآخرة ، وإلا كان من أبواب الدنيا. (**وفي مثل هذا قال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله**

امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه». والنية إنما تؤثر في المباحات والطاعات. أما

ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»)أخبرناه القطب نجم الدين أبو المكارم محمد بن سالم بن أحمد الشافعي الأزهري، والشيخ الفقيه أبو المعالي الحسن بن علي أحمد المنطاوي رحمها الله تعالى لقراءته على كل واحد منها وهما يسمعان في مجلسين مفترقين.

قال الأول: أخبرنا عبد العزيز بن إبراهيم الزيادي قراءة عليه وهو يسمع، وقال الثاني: أخبرنا عبد الجواد بن القاسم الميداني قرأت عليه قالا: أخبرنا الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء البابلي، أخبرنا علي بن يحيى الزيادي، أخبرنا المسند يوسف بن عبد الله الأرميوني، أخبرنا الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، أخبرنا الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، أخبرنا الحافظ زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي قال: أخبرنا المسند أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدومي، أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم، أخبرنا عبد الوهاب بن علي وعبد الرحمن بن أحمد الحموي والمبارك بن المعطرش قالوا: أخبرنا هبة الله بن محمد، أخبرنا محمد بن محمد بن إبراهيم البزار، أخبرنا محمد بن عبد الله الشافعي قال: حدثنا عبد الله ابن روح المدائني ومحمد بن رمح البزار قالا: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى» الحديث هذا حديث فرد صحيح أخرجه الأئمة الستة. فأخرجه مسلم عن محمد بن عبد الله بن نمير، وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن يزيد بن هارون فوقع بدلاً لها عالياً، واتفق عليه الشيخان من رواية مالك وحماد بن زيد وابن عيينة وعبد الوهاب الثقفي. وأخرجه البخاري وأبو داود من رواية الثوري، ومسلم من طريق الليث، وابن المبارك وأبي خالد الأحمر وحفص بن غياث والترمذي من رواية عبد الوهاب الثقفي، والنسائي من طريق مالك، وحماد بن زيد وابن المبارك وأبي خالد الأحمر وابن ماجه أيضاً من رواية الليث عشرتهم عن يحيى ابن سعيد الأنصاري أورده البخاري في سبع مواضع من كتابه الصحيح في بدء الوحي والإيمان والنكاح والهجرة وترك الحيل والعتق والنذور، ومسلم في الجهاد، وأبو داود في الطلاق، والترمذي في الجهاد والنسائي في الإيمان، وابن ماجه في الزهد، وهذا الحديث من أفراد الصحيح لم يصح عن النبي ﷺ إلا من حديث عمر، ولا عن عمر إلا من رواية علقمة، ولا عن علقمة إلا من رواية محمد بن إبراهيم التيمي، ولا عن التيمي إلا من رواية يحيى بن يحيى بن سعيد الأنصاري. قال أبو بكر البزار في مسنده: لا نعلم روي هذا الكلام إلا عن عمر بن الخطاب، عن النبي ﷺ بهذا الإسناد. وقال الخطابي: لا أعلم خلافاً بين أهل الحديث في أنه لم يصح مسنداً عن النبي ﷺ إلا من رواية عمر. وقال الترمذي بعد تخريجه: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن سعيد اهـ.

المنهيات فلا. فإنه لو نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز أن يقال الأعمال بالنيات، بل لو قصد بالغزو الذي هو طاعة المباهاة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة وكذلك المباح المردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنية فتؤثر النية في هذين القسمين لا في القسم الثالث.

وقد روي هذا الحديث أيضاً من غير طريق عمر بن الخطاب، فرواه أبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم. فحديث أبي سعيد رواه الدارقطني في غرائب مالك من رواية عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن أبي يسار عنه قال: وتفرد به ابن أبي رواد. وحديث أبي هريرة رواه الرشيدي العطار في بعض تخاريجه وهو وهم أيضاً. وحديث أنس رواه ابن عساكر من رواية يحي بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم، عن أنس بن مالك وقال: هذا حديث غريب جداً والمحفوظ حديث عمر. وحديث علي رواه محمد بن ياسر الجياني بإسناد ضعيف. وأما من تابع علقمة عليه فذكر أبو أحمد الحاكم أن موسى بن عقبة رواه عن نافع وعلقمة، وأما من تابع يحي بن سعيد عليه فقد رواه الحاكم في تاريخ نيسابور من رواية عبد ربه بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم التيمي وقال هو غلط. وذكر الدارقطني أنه رواه حجاج بن أرطاة عن محمد بن إبراهيم، وأنه رواه سهل بن حقير عن الدراوردي، وابن عيينة وأنس بن عياض عن محمد بن عمرو بن علقمة عن محمد بن إبراهيم ووهم سهل على هؤلاء الثلاثة، وإنما رووه عن يحي بن سعيد. وقال الحافظ أبو موسى المديني: أنه رواه عن يحي بن سعيد سبعمائة رجل، وهذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام حتى قيل فيه أنه ثلث العلم، وقيل: ربعه: وقيل خمسه والكلام على فوائده وما يستنبط منه من الأحكام طويل الذيل قد أفرد بتأليف لا نطيل به هنا، فمن أراد الوقوف على ذلك فلينظر منتهى الآمال للحافظ السيوطي فإنه قد جمع وأوعى.

(والنية إنما تؤثر في المباحات والطاعات أما المنهيات فلا. فإنه لو نوى أن يسر إخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر) مثلاً **(أو حرام آخر لم تنفع النية ولم يجز أن يقال: الأعمال بالنيات بل لو قصد بالغزو الذي في طاعة)** شرعية **(المباهاة)** بين أقرانه **(وطلب المال)** وغيره **(انصرف عن جهة الطاعة وكذلك المباح المردد بين وجوه الخيرات وغيرها يلتحق بوجوه الخيرات بالنيات فتؤثر النية في هذين القسمين)** المباحات والطاعات **(لا في القسم الثالث)** أي المنهيات.

قال الولي العراقي في شرح التقريب: كما اشترطوا النية في العبادة اشترطوا في تعاطي ما هو مباح في نفس الأمر أن لا يكون معه نية تقتضي تحريمه كمن جامع امرأته ظاناً أنها اجنبية أو شرب شراباً مباحاً وهو ظان أنه خمر أو أقدم على استعمال ملكه ظاناً أنه لأجنبي ونحو ذلك. فإنه يحرم عليه تعاطي ذلك اعتباراً بنيته، وإن كان مباحاً له في نفس الأمر غير أن ذلك لا يوجب حداً

وأما الحضور فأدبه أن يدخل الدار ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد، ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة بل ان أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يخالفه ألبتة فإنه قد يكون رتب في نفسه موضع كل واحد فمخالفته تشوّش عليه، وإن أشار إليه بعض الضيفان بالارتفاع إكراماً فليتواضع. قال ﷺ: «إن من التواضع لله الرضا بالدون من

ولا ضماناً لعدم التعدي في نفس الأمر، بل زاد بعضهم على هذا بأنه لو تعاطى شرب الماء وهو يعلم أنه ماء ولكن على صورة استعمال الحرام كشربه في آنية الخمر في صورة مجلس الشراب صار حراماً لتشبهه بالشربة،وإن كانت النية لا يتصور وقوعها على الحرام مع العلم بحله ونحـوه لو جامع أهله وهو في ذهنه مجامعة من يحرم عليه وصور في ذهنه أنه يجامع تلك الصورة المحرمة فإنه يحرم عليه ذلك وكل ذلك لتشبهه بصورة الحرام، والله أعلم.

(**وأما الحضور فآدابه أن يدخل الدار**) التي دعي إليها (**ولا يتصدر**) أي لا يقصد صدر المجلس (**فيأخذ أحسن الأماكن**) وأعلاها، (**بل يتواضع**) في جلوسه يجلس حيث انتهى به المجلس (**ولا يطول الإنتظار عليهم**) بحيث يبطىء في المجيء فينتظرونه (**ولا يعجل**) في المجيء (**بحيث يفاجئهم قبل**) الوقت وقبل (**تمام الإستعداد**) للطعام ولوازمه إلا أن علم من حال الداعي أنه يفرح بمجيئه قبل تمام الإستعداد ليستأنس به فلا بأس، أو كان بالمدعو عذر لو تأخر كان سبباً لعدم حضوره، وكان على هذا القدم شيخنا العارف بالله محمد بن علي الجزائي الشاذلي رحمه الله تعالى كان إذا دعاه أحد إخوانه بكر إليه من أول النهار ويعتذر له في تبكيره بما يزيل به الوحشة عن الداعي وأتباعه، (**و**) إذا حضر (**لا يضيق المكان على الحاضرين**) في المجلس الذين سبقوه في الحضور (**بالزحمة**) بأن يزاحمهم على مكانهم طلباً للعلو والرئاسة، (**بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع**) خصه به (**لم يخالفه البتة فإنه**) أي صاحب المكان (**يكون قد رتب في نفسه موضع كل واحد**) ما يليق به (**فمخالفته تشوش عليه**) وتغير مزاجه، (**وإن أشار إليه بعض الضيفان بالإرتفاع**) في المجلس بأن وسعوا له (**إكراماً**) له (**فليتواضع**) ولا يغتر بما رفعوا من شأنه فالفضيلة إنما هي بالكمالات العلمية والعملية لا برفعة المواضع، فلو جلس صاحباً عند النعال صار موضعه صدراً فليحذر من هذا التنافس فإنه سم قاتل.

(**قال ﷺ: «إن من التواضع لله الرضا بالدون في المجلس»**) قال العراقي رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث طلحة بن عبيد الله بسند جيد اهـ.

المجلس ». ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب الحجرة الذي للنساء وسترهم ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام فإنه دليل على الشره. ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه إذا جلس. وإذا دخل ضيف للمبيت فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبلة وبيت الماء وموضع الوضوء، كذلك فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما. وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم وقال: الغسل قبل الطعام لرب البيت أوّلاً لأنه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يتقدم بالغسل وفي آخر الطعام يتأخر بالغسل لينتظر أن يدخل من يأكل فيأكل معه، وإذا دخل فرأى منكراً غيّره إن قدر وإلاَّ انكر بلسانه

قلت ورواه أيضاً الطبراني في الأوسط والبيهقي في السنن بلفظ: « بالدون من شرف المجالس » وفيه أيوب بن سليمان بن عبد الله. قال الهيثمي: لم أعرفه ولا والده وبقية رجاله ثقات اهـ.

وقال المناوي: فيه أيضاً سليمان بن أيوب الطلحي. قال في اللسان: صاحب مناكير وقد وثق. وقال ابن عدي: عامة أحاديثه لا يتابع عليها ثم أورد له أخباراً هذا منها.

(**ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب الحجرة الذي للنساء**) أي الذي يخرجن منه ويدخلن فيه لقضاء الحاجات (**وسترهم**) كذا في النسخ، (**ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام**) وهو باب المطبخ (**فإنه دليل الشره**) والحرص، (**ويخص بالتحية**) أي السلام (**والسؤال**) عن الحال (**من يقرب منه**) في المجلس (**إذا جلس**) ليدخل بذلك على المخاطب سروراً فإنه ربما كان حصل له نوع انقباض عند دخوله عليه وعليهم، ولا يلوي صدره وعضده عمن هو بجنبه بالتفاته إلى واحد فإنه ربما يورث الإيحاش للمعطوف عنه، وإنما يتكلم بلسانه ويلتفت بوجهه فقط إكراماً للحاضرين ولا يسألهم عما لا يليق ذكره في المجلس، وإنما يكون المحاورة في حكايات الصالحين وأهل الخير ليقتدوا بهم، ولأجل أن تنزل البركات عند ذكرهم ولا يستقصي في السؤال فربما يخجل صاحبه بذلك. (**وإذا دخل ضيف**) واتفق أنه دعاه رب المنزل (**للمبيت**) بأن كان بيته بعيداً أو محبة (**فليعرفه صاحب المنزل عند الدخول القبلة وبيت الماء**) أي محل قضاء الحاجة وهي كناية حسنة أي بيت إراقة الماء (**وموضع الوضوء**) هذا إذا كان مستغرباً لم يدخل الموضع قط، وإلا فلا يحتاج إلى تعريفه لاشتهار كل من الثلاثة في المواضع المورودة غالباً، وإنما قدم القبلة في الذكر لشرفها ولأن أكثر أحوال المدعوين أن يكونوا متوضئين، فإذا أراهم القبلة فإنه ربما يكون سبباً لصلاتهم فتحصل البركة لصاحب الدار. (**كذلك فعل مالك بالشافعي رضي الله عنهما**) لما نزل عنده بالمدينة (**وغسل مالك يده قبل**) حضور (**الطعام**) و(**قبل القوم وقال: الغسل قبل الطعام لرب البيت**) أي صاحب المنزل (**أولاً**) قبل الجماعة ليتعلموا منه ما ينفع في دينهم، و(**لأنه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يتقدم بالغسل**) قبل الناس، (**وفي آخر الطعام يتأخر بالغسل**) بعد الجماعة وهو أقرب إلى التواضع و(**لينتظر أن يدخل من يأكل**) من طعامه (**فيأكل معه**) لحوز الثواب، ومن هنا

وانصرف. والمنكر فرش الديباج واستعمال أواني الفضة والذهب والتصوير على الحيطان

تؤخر الأجواد أطعمتهم إلى قرب العشاء لأجل هذا الإنتظار. ورأيت على هذا القدم عامة من عرفته ببلاد مصر من الأعراب بل ومشايخ الزوايا على هذا القدم، وكنت أسمع مشايخي يقولون: إنما يتأخر رب المنزل بعد الجماعة في الغسل لئلا ينتظر من بالمجلس من ذوي الأنساب والهيئات الطست والإبريق فتسيء أخلاقهم بخلاف الأول. **(وإذا دخل)** الدار **(فرأى) فيها (منكراً)** من المناكير الشرعية **(غيره)** بيده **(إن قدر)** وكان ممن يتأهل لإزالته من غير إصابة مكروه له في دينه أو عرضه أو ماله، **(وإلا أنكر بلسانه)** أي بالتكلم جهراً في كونه منكراً شرعاً **(وانصرف)** وسقط عنه حق الإجابة. **(والمنكر)** أنواع.

منها: (فرش الديباج) وهو ما سداه ولحمته إبريسم معرب ديبا ثم كثر استعماله ثم اشتقت العرب فقالوا: دبج الغيث الأرض دبجاً من باب ضرب إذا سقاها فأنبتت أزهارها مختلفة لأنه عندهم اسم للمنقش، ونقل الأزهري أن كسر الدال أصوب من الفتح، واختلف في الباء فقيل زائدة ووزنه فيعال، ولهذا يجمع بالياء. وقيل: هي أصل فيقال دبابيج، وقد تقدم هذه العبارة في كتاب تلاوة القرآن. وفي الصحيحين من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: « أهدي إلى رسول الله ﷺ فروج حرير فلبسه ثم صلى فيه ثم نزعه نزعاً عنيفاً شديداً كالكاره له ثم قال: لا ينبغي هذا للمتقين » فالإشارة بقوله: « هذا » هل هي إلى اللبس الذي وقع منه أو إلى الحرير فيقدر ما هو أعم من اللبس وهو الإستعمال لأن الذوات لا توصف بتحريم ولا تحليل، ويترتب عليه أن الحديث هل يدل على تحريم الإفتراش أم لا. إن قلنا بالثاني دل على ذلك، وإن قلنا بالأول فقد يقال: إن الإفتراش ليس لبساً، وقد يقال هو لبس للمقاعد ونحوها ولبس كل شيء بحسبه. وقد قال أنس رضي الله عنه: فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبس وإنما يلبس الحصير بالإفتراش، والجمهور على تحريم الإفتراش، وخالف في ذلك أبو حنيفة فجوزه، وبه قال عبد الملك بن حبيب من المالكية، وقد قطع النزاع في ذلك حديث حذيفة: « نهانا النبي ﷺ عن لبس الحرير والديباج وان نجلس عليه » رواه البخاري في صحيحه. قال الولي العراقي: ومن العجب أن الرافعي من أصحابنا صحح أنه يحرم على النساء افتراش الحرير وإن كان يجوز لهن لبسه قطعاً، لكن الصحيح جوازه لهن أيضاً وبه قطع العراقيون والمتولي وصححه النووي.

(و) من المنكر **(استعمال أواني الذهب والفضة)** عامة، فدخل فيها أغطية الكيزان والدوارق وظروف الطاسات التي تشرب بها القهوة ونحوها. فإن كلاً من ذلك يعد استعمالاً واستعمال كل شيء بحسبه، وعليه إجماع الأئمة وهو المعروف من نصوص أصحابنا الفقهاء الحنفية من المتقدمين، ولا يلتفت إلى ما أفتى به بعض المتأخرين في جواز شيء من ذلك، وقد ورد في استعمال هذه الأواني وعيد شديد. ففي حديث أم سلمة: « من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه ناراً من جهنم » رواه مسلم. وفي حديث ابن عمر: « من شرب في إناء ذهب أو فضة أو إناء فيه شيء من ذلك إنما يجرجر في بطنه نار جهنم » رواه البيهقي في المعرفة، والخطيب

وسماع الملاهي والمزامير وحضور النسوة المتكشفات الوجوه وغير ذلك من المحرمات حتى قال أحمد رحمه الله: إذا رأى مكحلة رأسها مفضض ينبغي أن يخرج ولم يأذن في الجلوس إلا في ضبة وقال: إذا رأى كلة فينبغي أن يخرج فإن ذلك تكلف لا فائدة فيه ولا تدفع حراً ولا برداً ولا تستر شيئاً، وكذلك قال: يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة. وقال: إذا اكترى بيتاً فيه صورة أو دخل الحمام ورأى صورة فينبغي أن يحكها فإن لم يقدر خرج. وكل ما ذكره صحيح وإنما النظر في الكلة وتزيين

وابن عساكر. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « نهي عن الأكل والشرب في إناء الذهب والفضة » رواه النسائي.

(و) من المنكر (**التصوير**) أي تصوير ذي روح من الحيوانات (**على الحيطان**) والسقوف، وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم.

(و) من المنكر (**سماع الملاهي والمزامير**) وهي آلة الملاهي بأجمعها، وسيأتي الكلام على ذلك في كتاب السماع والوجد.

(و) من المنكر (**حضور النسوة المتكشفات الوجوه**) ويفهم منه أنهن إن حضرن مستترات لغرض من الاغراض الشرعية فلا بأس بذلك إذا أمنوا على أنفسهم من الإفتتان. (**وغير ذلك من المحرمات**) الشرعية فإنها تسمى منكرات إذ المنكر ما أنكره الشارع ولم يقبله.

وفي القوت: ومن دعي إلى طعام وكان في بيت الداعي إحدى خصال خمس: فلا تجب دعوته ولا حرج في ترك إجابته إن كانت مائدته يشرب بعدها مسكر، وإن لم يعاينه في الحال أو كان في الأثاث فراش حرير أو ديباج، أو كان في الآنية ذهب أو فضة، أو كان الحائط مستراً بالثياب كما تستر الكعبة، أو كانت صورة ذات روح في ستر منصوب، أو في حائط، ومن أجاب الدعوة فرأى إحدى هذه الخمس فعليه أن يخرج أو يخرج ذلك. فإن قعد فقد شركهم في فعلهم. (**حتى قال**) الإمام (**أحمد**) بن حنبل (**رحمه الله تعالى: إذا رأى مكحلة**) وهي القارورة الصغيرة يوضع فيها الكحل (**رأسها مفضض**) أي معمول بالفضة (**ينبغي أن يخرج، ولم يأذن في الجلوس إلا في ضبة**) من فضة أو ذهب أو صفر أو نحاس يشعب بها الإناء والجمع ضبات كجنة وجنات وضبه بالتثقيل عمله ضبة. (**وقال: إذا رأى كلة**) بالكسر أي ستراً رقيقاً يخاط شبه الثلث والجمع كلل كسدرة وسدر، (**فينبغي أن يخرج فإن ذلك تكلف لا فائدة فيه ولا تدفع حراً ولا ترد برداً ولا تستر شيئاً، وكذلك قال: يخرج إذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة، وقال: إذا اكترى بيتاً فيه صورة، أو دخل الحمام ورأى صورة فينبغي أن يحكها فإن لم يقدر خرج**). وهذه الأقوال المحكية عن الإمام أحمد قد حكاها صاحب القوت.

الحيطان بالديباج فإن ذلك لا ينتهي إلى التحريم إذ الحرير يحرم على الرجال. قال رسول

ونحن نورد ذلك بتمامه قال: دعي الإمام أحمد بن حنبل إلى طعام فأجاب في جماعة من أصحابه، فلما استقر في المنزل رأى إناء من فضة في البيت فخرج وخرج أصحابه معه لم يطعموا. ويقال: إنه خرج من أسفط مزانة رآها كأن رأسها المغطاة به من فضة لم يصبر فخرج بذلك. حدثت عن أحمد بن عبد الخالق قال: حدثنا أبو بكر المروزي قال: سألت أبا عبد الله عن الرجل يدعى إلى الوليمة من أي شيء يخرج قال: خرج أبو أيوب حين دعي فرأى البيت قد ستر، ودعي حذيفة فرأى شيئاً من زي الأعاجم فخرج. وقال: من تزيا بزي قوم فهو منهم. قلت لأبي عبد الله: فإن رأى شيئاً من فضة؟ فقال: ما كان يستعمل يعجبني أن يخرج. قلت: فإن كان اشنانية رأسها من فضة ترى أن يخرج؟ قال: نعم أرى أن يخرج قال: وسمعته يقول: دعانا رجل من أصحابنا قبل المحنة وكنا نختلف إلى عفان فإذا إناء من فضة فخرجت فاتبعني جماعة فنزل بصاحب البيت أمر عظيم، فقلت لأبي عبد الله: الرجل يدعى فيرى المكحلة رأسها مفضضة قال نعم هذا يستعمل كلما استعمل فأخرج منه إنما رخص في الضبة أو نحوها فهو أسهل، وسألته عن الكلة فكرهها. قلت: فالقيه أو احله فلم ير بها بأساً. قلت لأبي عبد الله: إن رجلاً دعا قوماً فجيء بطست فضة أو إبريق فكسره هل يجوز كسره؟ قال: نعم، وسألته عن الرجل يدعى فيرى فرش ديباج ترى أن يقعد عليه أو يقعد في بيت آخر؟ قال: فقد خرج أبو أيوب وحذيفة، وقد روي عن ابن مسعود الخروج. قلت: ترى أن يأمرهم؟ قال: نعم يقول هذا لا يجوز. قلت لأبي عبد الله: الرجل يكون في بيته قبة ديباج يدعى إليه للشيء؟ قال: لا تدخل عليه ولا تجلس معه قال الرجل يدعى فيرى الكلة فكرهها. وقال: هو رياء لا تحرس من حر ولا ترد من برد. قلت: الرجل يدعى فيرى ستراً فيه تصاوير. قال: لا تنظر إليه. قلت: فقد أنظر إليه؟ قال: إن أمكنك خلعه خلعته وسألته عن الستر يكتب فيه القرآن فكره ذلك، وقال: لا يكتب القرآن على شيء منصوب لا ستر ولا غيره. قلت: الرجل يكتري البيت فيه التصاوير ترى أن يحكه؟ قال: نعم. قلت لأبي عبد الله: دخلت حماماً فرأيت فيه صورة ترى أن أحك الرأس؟ قال: نعم. هذا آخر ما استفتاه أبو بكر المروزي.

قال المصنف: **(وكل ما ذكره صحيح)** أي لا مطعن فيه **(وإنما النظر في الكلة وتزيين الحيطان بالديباج فإن ذلك لا ينتهي إلى)** حد **(التحريم إذ الحرير)** أي استعماله **(محرم على الرجال)** وهو الثوب الذي كله حرير، فلو كان بعضه حريراً وبعضه كتاناً أو صوفاً فالصحيح الذي جزم به أكثر الشافعية أنه إن كان الحرير أكثر وزناً حرم، وإن كان غيره أكثر وزناً لم يحرم على الأصح. وكذا لو استويا لا تحريم على الأصح، ولم يعتبر القفال الوزن وإنما اعتبر الظهور فقال: إن ظهر الحرير حرم وإن قل وزنه وإن استتر لم يحرم، وإن كثر وزنه، وقد يستثنى من الحرير مواضع معروفة. منها ما إذا احتاج إليه لحر أو برد. ومنها: ما إذا

الله ﷺ: « هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثها ». وما على الحائط ليس منسوباً إلى الذكور ولو حرم هذا لحـرم تزيين الكعبة بل الأولى إباحته لموجب قوله تعالى: ﴿قُلْ من حرَّم زينة الله﴾ [الأعراف: ٣٢] لا سيما في وقت الزينة إذا لم يتخذ عادة للتفاخر، وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه ولا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى

دعت إليه حاجة كجرب أو قمل، ومنها: ما إذا فاجأته الحرب ولم يجد غيره، ولذا يجوز أن يلبس منه ما هو وقاية للقتال كالديباج الصفيق الذي لا يقوم غيره مقامه، وقال بعض أصحاب الشافعي: يجوز لبسه في الحرب مطلقاً لما فيه من حسن الهيئة وزينة الإسلام كتحلية السيف، والصحيح تخصيصه بحالة الضرورة ولكل من هذه الصور دليل يخصه معروف في موضعه.

(**قال رسول الله ﷺ « هذان حرام على ذكور أمتي »**) قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي، وفيه أبو أفلح الهمداني جهله ابن القطان، وللنسائي والترمذي وصححه من حديث أبي موسى نحوه. قال العراقي: الظاهر انقطاعه بين سعيد بن أبي هند، وأبي موسى فأدخل أحمد بينهما رجلاً لم يسم اهـ.

قلت: وروى الطبراني في الأوسط من حديث عمر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده صورتان إحداهما من ذهب والأخرى من حرير فقال: « هذان حرام على الذكور من أمتي حلال للإناث » ولفظ الحديث صريح في تحريم لبسه للرجال دون الإناث فإنه مباح لهن، وأخذ بذلك جمهور العلماء من السلف والخلف، وحكي الإجماع عليه، ولكن حكى القاضي عياض وغيره عن قوم إباحته للرجال والنساء. وعن عبد الله بن الزبير تحريمه على الفريقين. قال النووي: ثم انعقد الإجماع على إباحته للنساء وتحريمه على الرجال.

(**وما على الحيطان ليس منسوباً إلى الذكور**) فلا يكون داخلاً في التحريم (**ولو حرم هذا لحرم تزيين الكعبة فالأولى إباحته بموجب قوله تعالى ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده﴾ ولا سيا في وقت الزينة إذا لم يتخذه عادة للتفاخر**)، وقد يقال من قبل الإمام أحمد: أن الذي يلبس الحيطان تحريمه لا لأجل كونه حريراً فقط، بل يراعى فيه تضييع المال وكسر خواطر الفقراء ووضع الأشياء في غير محالها، وفيه مخالفة لأحوال السلف الصالحين ولا يقاس على تزيين الكعبة، فإن لكل مقام مقالاً. وهذا وجه دقيق في الورع وسد على من يتوسع في الحلال فضلاً عن الحرام، وكأنه أراد بوقت الزينة الأعياد والولائم ونحو ذلك، وقيد الإباحة بما لم يتخذ عادة للتفاخر وأنت خبير أن مثل هذه الإلباسات في مثل هذه الأوقات لا تجعل إلا للتباهي والتفاخر بين الأقران والتطاول عليهم بمثل هذه ليقال فلان فعل كذا وكذا ولم يبق هناك بعد هذا من النيات نية صالحة يعتد بها في تزيين الحيطان واتخاذ الكلل، ومع تسليم ما ذكره المصنف من الاستدلال على الإباحة بظاهر الآية المذكورة يقال: أليس ذلك مخالفاً لسنته ﷺ وسنة أصحابه من بعده؟ فتأمل في ملحظ الإمام أحمد نفعنا الله بهم أجمعين.

الديباج مهما لبسه الجواري والنساء. والحيطان في معنى النساء إذ لسن موصوفات بالذكورة.

وأما احضار الطعام فله آداب خمسة:

الأول: تعجيل الطعام فذلك من إكرام الضيف، وقد قال ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه». ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين في التعجيل أولى من حق أولئك في التأخير إلا أن يكون المتأخر فقيراً أو ينكسر قلبه بذلك فلا بأس في التأخير، وأحد المعنيين في

ثم قال: **(وإن تخيل أن الرجال ينتفعون بالنظر إليه فلا يحرم على الرجال الانتفاع بالنظر إلى الديباج مهما لبسه الجواري والنساء، فالحيطان في معنى النساء إذ ليس موصوفاً بالذكورية)**، وقد يقال: إذا لم تكن الحيطان موصوفة بالذكورية فليست كذلك موصوفة بالأنوثية وكونها في معنى النساء لأجل الاستمتاع بالنظر بعيد. ألا ترى إلى حديث البراء في الصحيحين «نهانا عن سبع» الحديث وفيه «وعن المياثر» وفسره القاضي عياض في المشارق بأنها سروج تتخذ من الديباج، أو هي أغشية السروج من الحرير، ولا يخفى أن السروج ليست موصوفة بالذكورية فلم حرمت أغشيتها من الحرير وليس ذلك إلا لما فيه من الترفه والتفاخر والتشبه بزي الأعاجم، وقد يتعدد في بعض الأوقات فيشق تركها على من اعتادها. فالحاصل أن تحلية الكعبة والمصحف وأمثال ذلك قالوا بإباحته لأجل التعظيم، وأما تحلية الحيطان وتزيينها بالحرير وغير ذلك فمن الإسراف الحرام والله أعلم.

(وأما إحضار الطعام فله آداب خمسة).

(الأول: تعجيله) في وقته **(فذلك)** معدود **(من إكرام الضيف، وقد قال ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي شريح اهـ.

قلت: هو قطعة من الحديث أوله «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره» وآخره «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت» وهكذا رواه أيضاً أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي شريح وأبي هريرة. وروى هذه الجملة فقط مع زيادة أخرى أحمد من حديث أبي سعيد الخدري، وتلك الزيادة يأتي ذكرها في آخر هذا الباب. وعند الطبراني في أثناء حديث ابن عمر بلفظ «ومن كان يؤمن بالله ورسوله» وروى أحمد في أثناء حديث رجال من الصحابة بلفظ «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليتق الله وليكرم ضيفه».

(ومهما حضر الأكثرون وغاب واحد أو اثنان وتأخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين في التعجيل أولى من حق أولئك في التأخير إلا أن يكون المتأخر فقيراً فينكسر

قوله تعالى: ﴿هَلْ أتَاكَ حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ [الذاريات: ٢٤] أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم دل عليه قوله تعالى: ﴿فما لَبِثَ أن جاء بعجل حنيذ﴾ [هود: ٦٩] وقوله: ﴿فَرَاغَ إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾ [الذاريات: ٢٦] والروغان الذهاب بسرعة. وقيل في خفية. وقيل جاء بفخذ من لحم، وإنما سمي عجلاً لأنه عجّله ولم يلبث. قال حاتم الأصم: العجلة من الشيطان إلا في خمسة. فإنها من سنّة رسول الله

قلبه بذلك فلا بأس بالتأخير). ولفظ القوت: ومن السنَّة والأدب أن لا ينتظر بالطعام غائب إذا حضر جماعة، ولكن يأكل من حضر فإن حرمة الحاضر مع حضور الطعام أوجب من انتظار الغائب إلا أن يكون الغائب فقيراً فلا بأس أن ينتظر ليرفع من شأنه ولئلا ينكسر قلبه، وإن كان الغائب غنياً لم ينتظر مع حضور الفقراء، فإن انتظار الغني معصية، ولما كان طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء ويترك الفقراء سمي شر الطعام لأجل الأغنياء والطعام لا تعبد عليه وإنما الشر إسم لأهل الطعام الداعين عليه الأغنياء التاركين للفقراء اهـ.

قلت: وكذلك إذا كان الغائب من ذوي الشرف والفضل والكمال وممن يتبرك به فلا بأس في التأخير لانتظار مجيئه إكراماً لحاله وجبراً لخاطره **(وأحد المعنيين في)** تأويل **(قوله تعالى ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾)** قيل: المكرمين **(أنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم)**، والمعنى الثاني خدمته إياهم بنفسه، **(ودل عليه)** أي على معنى التعجيل **(قوله تعالى ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾)** أي فما احتبس ولا أقام. والحنيذ: النضيج، **(وقوله تعالى ﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾ والروغان)** مصدر راغ يروغ وهو **(الذهاب)** يمنة ويسرة **(بسرعة)** من غير أن يستقر في جهة، و**(قيل)** هو الذهاب **(في خفية)** مأخوذ من روغان الثعلب، **(وقيل)** في تأويله أنه **(جاء بفخذ من لحم وإنما سمي عجلاً لأنه عجله ولم يلبث به)** ثم وصفه بأنه سمين نضيج، وهو من غرائب التفسير، كل ذلك نقله صاحب القوت، وتبعه المصنف في سياقه.

(وقال حاتم الأصم) تقدمت ترجمته في كتاب العلم: **(العجلة من الشيطان إلا في خمسة فإنها من سنّة رسول الله ﷺ. إطعام الطعام، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب)**. رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال: سمعت نصر بن أبي نصر يقول: سمعت أحمد بن سليمان الكفرساني يقول: وجدت في كتابي عن حاتم الأصم قال: كان يقال العجلة من الشيطان إلا في خمس: إطعام الطعام إذا حضر الضيف، وتجهيز الميت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب، والتوبة من الذنب إذا أذنب اهـ.

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث سهل بن سعد: «**الأناة من الله والعجلة من الشيطان**». وسنده ضعيف، وأما الاستثناء فروى أبو داود من حديث سعد بن أبي وقاص «**التؤدة في كل**

ﷺ : إطعام الضيف، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب.

شيء خير إلا في عمل الآخرة » وقال الأعمش: لا أعلم إلا أنه رفعه. وروى المزي في التهذيب في ترجمة محمد بن موسى بن نفيع عن مشيخة من قومه أن النبي ﷺ قال « الأناة في كل شيء إلا في ثلاث إذا صيح في خيل الله، وإذا نودي بالصلاة، وإذا كانت الجنازة » الحديث. وهذا مرسل، وللترمذي من حديث علي « ثلاثة لا تؤخرها الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت كفؤاً » وسنده حسن اهـ.

قلت: حديث سهل بن سعد رواه أيضاً العسكري وغيره من طريق عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد، عن أبيه عن جده، وقد تكلم بعضهم في عبد المهيمن وضعفه من قبل حفظه، فهذا معنى قول العراقي: وسنده ضعيف. وأما حديث سعد بن أبي وقاص فرواه أبو داود في الأدب، والحاكم في الإيمان، والبيهقي في السنن وقال الحاكم: صحيح على شرطها. وقال المنذري: لم يذكر الأعمش فيه من حدثه ولم يجزم برفعه، وقوله « إلا في عمل الآخرة » أي فإن المستحسن الجهد فيه لتكثير القربات ورفع الدرجات وأمور الآخرة محمودة العواقب، فلا ينبغي التؤدة فيها. قيل: كان البوشنجي في الخلاء فدعا خادمه فقال: انزع قميصي واعطه فلاناً فقال: هلا صبرت حتى تخرج؟ قال: خطر لي بذله ولا آمن من نفسي التغير.

ومن شواهد الباب حديث أنس « التأني من الله والعجلة من الشيطان » رواه أبو بكر بن أبي شيبة، ومن طريقه أبو يعلى، وابن منيع، والحرث بن أبي أسامة في مسانيدهم من رواية سنان بن سعد، ورواه البيهقي فسماه سعد بن سنان وسعد ضعيف، وقيل: لم يسمع من أنس، وحديث ابن عباس مرفوعاً « إذا تأنيت أصبت أو كدت تصيب وإذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطئْ ». رواه البيهقي من طريق محمد بن سواد عن سعيد بن سماك بن حرب عن أبيه عن عكرمة عنه وسعيد. قال فيه ابن أبي حاتم متروك. وحديث عقبة بن عامر مرفوعاً « من تأنى أصاب أو كاد ومن عجل أخطأ أو كاد » رواه الطبراني والعسكري والقضاعي من طريق ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان عنه. وروى العسكري من حديث سهل بن أسلم عن الحسن رفعه مرسلاً « التأني من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا » أي تثبتوا في الأمور وقال ابن القيم: إنما كانت العجلة من الشيطان لأنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم وتوجب وضع الشيء بغير محله وتجلب الشرور وتمنع الخيور وهي متولدة بين خلقين مذمومين التفريط والاستعجال قبل الوقت اهـ.

وأما حديث علي عند الترمذي فلفظه « ثلاث لا تؤخرهن الصلاة إذا أتت » هكذا بفوقيتين بخط العراقي. وقال التوربشتي: هو تصحيف، والمحفوظ « آنت » بالمد والنون على زنة حانت « والجنازة إذا حضرت والأيم إذا وجدت كفؤاً » هكذا أخرجه في الصلاة، ورواه الحاكم في النكاح وصححه. وقال الترمذي: غريب وليس سنده بمتصل، وهو من رواية وهب عن سعد بن عبد الله الجهني عن محمد بن عمر بن علي عن أبيه عن علي. قال الذهبي: وسعيد مجهول وقد ذكره ابن حبان في الضعفاء اهـ.

ويستحب التعجيل في الوليمة. قيل: الوليمة في أوّل يوم سنة وفي الثاني معروف وفي الثالث رياء.

الثاني: ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة أوّلاً إن كانت فذلك أوفق في الطب فإنها أسرع استحالة فينبغي أن تقع في أسفل المعدة. وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة في

وجزم الحافظ ابن حجر في تخريج الهداية بضعف سنده. وقال في تخريج الرافعي: رواه الحاكم من هذا الوجه فجعل محله سعيد بن عبد الرحمن الجمحي وهو من أغاليطه الفاحشة اهـ.

ولما رواه البيهقي في سننه عن سعيد عن عبد الله هذا قال: وفي الباب أحاديث كلها واهية أمثلها هذا، وبه عرف ما في جزم الحافظ العراقي بحسنه والله أعلم.

وفي هذا الحديث قصة وهي ما أخرجه ابن دريد والعسكري أن معاوية رضي الله عنه قال يوماً وعنده الأحنف بن قيس: ما يعدل الأناة شيء. فقال الأحنف: إلا في ثلاث تبادر بالعمل الصالح أجلك وتعجل إخراج ميتك وتنكح كفؤاً يملك، فقال رجل: إنا لا نفتقر في ذلك إلى الأحنف. قال: فلم؟ قال: لأنه عندنا عن رسول الله ﷺ حدثنا علي فذكره.

(**ويستحب التعجيل في الوليمة**) وهو طعام العرس، وأما طعام الأملاك فهو قصيعة والجمع الولائم، (**فأول اليوم سنّة**) قال ﷺ لعبد الرحمن بن عوف وقد جمع إليه أهله «أولم ولو بشاة» اصنع وليمة، (**و**)في اليوم (**الثاني معروف، و**)في اليوم (**الثالث رياء**) فإن لم يمكنه جمع الكل في يوم أو يومين فدعا جماعة في أول يوم، وآخرين في ثاني يوم، وآخرين في ثالث يوم فلا يكون رياء، بل أصاب فيما صنع، ثم رأيت في شرح الشمائل لابن حجر قال: الوليمة طعام يصنع عند عقد النكاح أو بعده، ويحتمل أنها إذا فعلت بعده يشترط قربها منه بحيث ينسب إليه عرفاً، ويحتمل استمرار طلبها وإن طال الزمن قياساً على ما قالوه في العقيقة من بقائها إلى البلوغ مطالباً بها الأب، ثم ينتقل الطلب إلى الولد نفسه، والأفضل فعلها بعد الدخول اقتداء بفعله ﷺ.

(**الثاني: ترتيب الأطعمة بتقديم الفاكهة إن كانت**) حاضرة، (**فذلك أوفق في الطب فإنها أسرع استحالة**) أي تغيراً (**فينبغي أن تقع في أسفل المعدة**) فتعين لما سيرد عليه من الطعام، فإذا قدم ما يستحيل بطيئاً ثم أتبعه بما يستحيل سريعاً فسدت المعدة وحصل فيها اختلاف، فمما يسرع استحالته من الفواكه الخوخ والتوت والخربز الأصفر والعنب والمشمش والرمان والسفرجل والتوت الحلو، وما عدا ذلك يؤخر بعد الطعام، والبطيخ الأخضر لثقله على المعدة يؤخر بعد الطعام ولكنه يهضم ما جاوره يقدم فلذا يجمع بينهما وجملة القول في الفواكه والثمار أنها قليلة الغذاء بالنسبة إلى الحبوب ولحوم الحيوانات وأجزائها والاستكثار منها يولد الحميات العفنة لأنها تملأ الدم مائيته يغلي في البدن فيعفن، وينبغي أن يتجنب قشورها لعدم انهضامها والتصاقها بالمعدة والأمعاء، ويتجنب الذي لم يدرك ولم ينضج والتي عفنت أو قاربت العفونة والثمار الرطبة اللينة سريعة الانحدار سريعة النفوذ في البدن سريعة الاستفراغ بالبول والتحلل من

الجلد ولذلك صارت قليلة الغذاء، وأما الغليظة منها فحالها على خلاف ذلك، وكل ما كان منها أسرع انحداره وألان البطء أحمد مما بطؤ انحداره، وما كان منها ألين فهو أجود مما كان أصلب، وما يمكن أن يدخر من جميع الثمار ويبقى فهو أحمد وما كان يسرع إليه الفساد خارجاً فهو في البدن أيضاً كذلك وينبغي أن تترك الفواكه كلها حتى تجف قليلاً ثم تؤكل، والتين النضيج أكثر تغذية وينحدر عن المعدة سريعاً وينهضم سريعاً، والجميز أسرع نزولاً من التين وألطف نفخاً إلا أنه أردأ للمعدة وأسرع إلى القيء قليل الغذاء يسهل البطن، والعنب أفضل من الرطب إلا أنه أقل غذاء من التين، والأجود أن يمتص ليسرع هضمه وانحداره، فإن عجمه وقشره باردان يابسان، والزبيب أغذى من العنب وأوفق للمعدة من التين، والأولى أن يؤكل بعد نزع عجمه وهو صديق للمعدة والكبد مقوٍ لها والرطب يولد دماً رديئاً سريع التعفن أقل حرارة من التمر، والتمر أصناف كثيرة أردؤها أغلظها جرماً وجميع أصنافه عسر الإنهضام وما ينفذ منها في البدن من الغذاء غليظ، ومن أصلح ما يؤكل معه والرطب اللوز والخشخاش، والتوت الحلو رديء الغذاء قليله مفسد للدم يسرع الإنحدار عن المعدة إذا كانت خالية من الطعام نقية من الخلط وإلا فسد فيها فساداً عجيباً فلا يستكثر منه، والمشمش سريع الفساد في المعدة والدم المتولد منه سريع العفونة فلا ينبغي أن يؤكل بعد الطعام فإنه يفسد ويطفو في فم المعدة، والخوخ ينبغي أن يؤكل قبل الطعام ليصادف من المعدة حرارة تعين على هضمه ولا تؤكل عليه الأغذية الحامضة وهو يشهي الطعام إلا أنه بطيء النزول عسر الإستحالة إلى الدم. والرمان بأصنافه جيد الكيموس قليل الغذاء، والسفرجل من أصلح الأشياء لتقوية المعدة ويعين على هضم الطعام، ولا يكاد يفسد في المعدة والإكثار منه قبل الطعام يولد المغص ويعقل البطن، وأما بعده فإنه يدفع الطعام عن رأس المعدة ويمنع البخار عن الدماغ. والتفاح بأنواعه بطيء الانحدار يولد خلطاً غليظاً لكنه مقو للقلب خاصة. وأما الليمون المركب وهو المسمى بالبرتكال فهو أقرب إلى الاعتدال من لحم الأترج وأسرع هضماً وأخف على المعدة فيقدم على الطعام، والكمثري كثير الغذاء أحمد خلطاً من التفاح وأسرع هضماً منه إذا أكل بعد الطعام ينحدر سريعاً ثم يعقل، والجوز قليل الغذاء بطيء الإنهضام رديء للمعدة الحارة، وأما الباردة فتهضمه وتغتذي به، والبندق أغذى من الجوز سريع الانحدار عن المعدة والأمعاء، واللوز شبيه بالجوز إلا أنه أبطأ انهضاماً ويصلحه الزبيب والفستق ينبغي أن يؤكل بعد الطعام لما فيه من القبض. والنبق بارد رطب مولد للبلغم مسكن للصفراء مقو للمعدة، والموز محمود الغذاء بطيء الانحدار عن المعدة مغث لها ثقيل عليها ولا يتناول بعده طعام حتى ينحدر. والبطيخ بأنواعه يستحيل صفراء إذا أكل مما يلي مبزره. ولم يدخل فيه إلى ناحية القشر خصوصاً إذا أكل على جوع شديد ولم يتبع بطعام. وقيل: يستحيل إلى أي خلط وافق في المعدة وهو سريع الانحدار عن المعدة والأمعاء، والإكثار منه يولد الهيضة فإذا أحس بها فليتقايأه فإنه سم وأكله على الخواء مضر، وينبغي أن يؤكل بين طعامين عند صيرورة الأول كيلوساً. والقثاء والخيار بطيئا الانحدار يتولد منهما في العروق خلط غليظ. وأما قصب السكر فإنه يمص بعد الطعام فيعين على الهضم ويولد دماً

قوله تعالى: ﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾ [الواقعة: ٢٠] ثم قال: ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ [الواقعة: ٢١] ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد فقد قال عليه السلام:

معتدلاً ويدر البول. وهذا القدر في معرفة ما يؤكل قبل الطعام أو بعده من الفواكه والثمار كافٍ في درك المقصود، والله أعلم.

(وفي القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة) على الطعام **(في قوله تعالى)** في صفة أهل الجنة ﴿وفاكهة مما يتخيرون* ولحم طير مما يشتهون﴾ ففي ذكر الفاكهة قبل اللحم دليل على تقديمها عليه، **(ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم)** المشوي **(والثريد)** وهو فعيل بمعنى مفعول. يقال: ثرد الخبز ثرداً من باب قتل، وهو أن تفته ثم تبله بمرق وقد يكون معه اللحم والاسم الثردة. **(فقد قال ﷺ « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »)** هكذا رواه ابن أبي شيبة والترمذي في الشمائل من حديث أنس، والترمذي أيضاً في الشمائل من حديث أبي موسى، والخطيب في المتفق والمفترق من حديث عائشة. ورواه أبو نعيم في فضائل الصحابة من حديثها بزيادة في أوله « فضل عائشة على النساء كفضل تهامة على ما سواها ». ورواه ابن ماجه والديلمي من حديث أنس بلفظ فضل الثريد على الطعام كفضل عائشة على النساء » قال المناوي: ضرب المثل بالثريد لأنه أفضل طعامهم، ولأنه ركب من خبز ولحم ومرقة ولا نظير له في الأطعمة، ثم إنه جامع بين الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤنة في المضغ وسرعة المرور في الحلقوم، فخص المثل به إيذاناً بأنها جمعت مع حسن الخلق حسن الخلق وحسن الحديث وحلاوة المنطق. وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأي ورصانة العقل والتحبب للبعل، ومن ثم عقلت عنه ما لم يعقل غيرها من نسائه. وروت عنه ما لم يرو مثلها من الرجال إلا قليلاً.

قال ابن القيم: الثريد وإن كان مركباً فإنه مركب من خبز ولحم، فالخبز أفضل الأقوات، واللحم سيد الأدام، فإذا اجتمعا لم يكن بعدهما غاية، وفي أفضلهما خلاف، والصواب أن الحاجة للخبز أعم واللحم أفضل وهو أشبه بجوهر البدن من كل ما عداه اهـ.

وقال ابن حجر المكي في شرح الشمائل قوله « على النساء » أي حتى آسية وأم موسى فيما يظهر، وإن استثنى بعضهم آسية وضم إليها مريم، وما قاله فيها محتمل لحديث « فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم ابنة عمران » وفي رواية لابن أبي شيبة زيادة « وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد » فإذا فضلت فاطمة فعائشة أولى. وذهب بعضهم إلى تأويل النساء بنسائه ﷺ لتخرج مريم وأم موسى وحواء وآسية. نعم تستثنى خديجة فإنها أفضل من عائشة على الأصح لتصريحه ﷺ لعائشة بأنه لم يرزق منها خيراً من خديجة، وفاطمة أفضل منها إذ لا يعدل بضعته ﷺ أحد، وبه يعلم أن بقية أولاده ﷺ كفاطمة، وإن نسب الأفضلية ما فيهن من البضعة الشريفة. وقوله « على سائر الطعام » أي من جنسه بلا ثريد لما في الثريد من النفع وسهولة مساغه وتيسر تناوله وأخذ الكفاية منه بسرعة، ومن أمثالهم الثريد أحد اللحمين، وروى أبو داود « أحب الطعام إلى رسول

« فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ». فإن جمع إليه حلاوة بعده فقد جمع الطيبات، ودل على حصول الإكرام باللحم قوله تعالى في ضيف ابراهيم إذ أحضر العجل الحنيذ ـ أي المحنوذ وهو الذي أجيد نضجه وهو أحد معني الاكرام أعني تقديم اللحم. وقال تعالى في وصف الطيبات: ﴿وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ [البقرة: ٥٧] المن العسل والسلوى اللحم، سمي سلوى لأنه يتسلى به عن جميع الأدام

الله ﷺ الثريد من الخبز والثريد من الحيس » وفي الحديث « سيد الأدام اللحم » وقضيته بل صريحه أن سيد الأطعمة اللحم والخبز ومرق اللحم في الثريد قائم مقامه، بل ربما يكون أولى منه كما ذكره الأطباء في ماء اللحم بالكيفية التي يذكرونها فيه. قالوا: هو يعيد الشيخ إلى صباه اهـ.

(**فإن جمع إليه حلاوة بعد فقد جمع الطيبات**) لأن كلاً من اللحم والثريد والحلاوة طيب في نفسه مفضل على غيره كما سيأتي، (**ودل على حصول الإكرام باللحم قوله تعالى في ضيف إبراهيم**) المكرمين (**إذ أحضر العجل الحنيذ أي المحنوذ**) إشارة إلى أنه فعيل بمعنى مفعول، (**وهو الذي أجيد**) أي أنعم (**نضجه**) وما لم يجد نضجه فهو مضر على المعدة، (**وهو أحد معني الإكرام، أعني تقديم اللحم**) على سائر الأطعمة. والمعنى الثاني قد تقدم ذكره وهو التعجيل في الإحضار، ومعنى ثالث قد ذكرناه أيضاً وهو خدمة الضيف بنفسه.

(**وقال تعالى في وصف الطيبات ﴿وأنزلنا عليكم المن والسلوى﴾ المن**) شيء شبه (**العسل**) يسقط من السماء فيجني وهو الترنجبين قاله السدي وحلاوة القدرة سمي مناً لأنه مما من الله به على بني إسرائيل. ومعنى الترنجبين العسل الذي يسقط كالعرق وهي فارسية معربة أصلها ترانكبين قيل: كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر إلى طلوع الشمس. وروى ابن جرير عن الربيع قال: المن شراب كان ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء ثم يشربونه. (**والسلوى**) فعلى من السلو: (**اللحم سمي سلوى لأنه يتسلى به عن جميع الأدام**) إذ فيه غنية عن جميعه (**ولا يقوم غيره مقامه**) هكذا ذكره صاحب القوت، والمشهور في التفاسير أن المراد بالسلوى هنا طائر نحو الحمامة أطول ساقاً وعنقاً منها شبيه بلون السماء سريع الحركة بعثه الله على بني إسرائيل لما ملوا من أكل الخبز والمن وهم في التيه. روي ذلك عن ابن عباس، (**ولذلك قال ﷺ « سيد الأدام اللحم »**) رواه أبو القاسم تمام الرازي في فوائده قال:

حدثنا أبي هو محمد بن عبد الله، حدثنا أبو القاسم جعفر بن محمد بن الحسن المهرقاني بالري، حدثنا أحمد بن خليل البغدادي، حدثنا عبد الملك بن قريب الأصمعي، حدثنا أبو هلال محمد بن سليم الراسبي، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: فذكره بزيادة. وسيد الشراب الماء وسيد الرياحين الفاغية، وقد وقع لنا هذا الحديث مسلسلاً بالنحو.

ورواه الحافظ أبو بكر بن مسدي في مسلسلاته عن الأستاذ أبي جعفر الورغي، عن أبي

ولا يقوم غيره مقامه، ولذلك قال ﷺ: «سيد الأدام اللحم». ثم قال بعد ذكر المن والسلوى: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [البقرة: ١٧٢] فاللحم والحلاوة من الطيبات. قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه: أكل الطيبات يورث الرضا عن الله وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل. قال المأمون: شرب الماء بثلج يخلص الشكر. وقال بعض الأدباء: إذا دعوت إخوانك

عبد الله الكاتب، عن أبي القاسم الإفليلي، عن قاسم بن أصبغ، عن ابن قتيبة صاحب الغريب، عن أحمد بن خليل البغدادي، عن الأصمعي بسنده بلفظ «سيد آدام الدنيا والآخرة اللحم، وسيد ريحان أهل الجنة الفاغية» ورواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الطب النبوي نحوه.

وروى أبو نعيم في الطب أيضاً من طريق عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن علي بن موسى الرضى عن آبائه عن علي رضي الله عنه بلفظ «سيد طعام الدنيا والآخرة اللحم» والطائي متروك.

وعند ابن ماجه من حديث أبي الدرداء «سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم» وسنده ضعيف.

(ثم قال تعالى بعد ذكر المن والسلوى: ﴿كلوا من طيّبات ما رزقناكم﴾) على إرادة القول أي وقلنا لهم ذلك، **(فاللحم والحلاوة من الطيبات)** أي من طيبات الرزق. **(قال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: أكل الطيبات يورث الرضا عن الله تعالى)** نقله صاحب القوت، وهذا لمن يملك نفسه قبل أن تملكه فلا يخشى انقلاب الطيبات شهوات فمثله إذا أكل منها أعطاها مقامها من الشكر والرضا، **(وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد)** في أثناء الطعام، **(وصب الماء الفاتر على اليد)** بعد الفراغ من الطعام **(عند الغسل)** أي غسل اليد فإنه من جملة النعيم ولا سيما في أوقات البرد.

(قال المأمون) عبد الله بن هارون العباسي الخليفة وكان من حكماء الخلفاء: **(شرب الماء بثلج)** أي ممزوجاً به **(يخلص الشكر لله)** عز وجل نقله صاحب القوت، وقد ورد في الخبر «كان أحب الشراب اليه ﷺ الحلو البارد» وهذا لا ينافي كمال زهده ﷺ، لأن ذلك فيه مزيد الشهود لعظائم نعم الحق واخلاص الشكر له عز وجل من غير أن يكون فيه اشعار بتكلف ولا خيلاء البتة بخلاف المأكل، وإلى هذا اشار المأمون بقوله السابق، فلذلك كان النبي ﷺ يشرب نفيس الشراب غالباً ولا يأكل نفيس الطعام غالباً. وروى أبو داود «أنه ﷺ كان يستعذب له من بيوت السقيا». قال ابن بطال: واستعذاب الماء لا ينافي الزهد ولا يدخل في الترفه المذموم، وقد شرب الصالحون الماء الحلو وطلبوه، وكان ﷺ يشرب العسل الممزوج بماء بارد. قال ابن القيم: وفيه من حفظ الصحة ما لا يهتدي لمعرفته إلا أفاضل الأطباء، فالماء البارد رطب يقمع الحرارة ويحفظ البدن، والعسل على الريق يزيل البلغم ويدفع عن المعدة الفضلات ويفتح سددها. وكان

فأطعمتهم حصرمية وبورانية وسقيتهم ماءاً بارداً فقد أكملت الضيافة. وأنفق بعضهم دراهم في ضيافة فقال بعض الحكماء: لم تكن تحتاج إلى هذا اذا كان خبزك جيداً وماؤك بارداً وخلك حامضاً فهو كفاية. وقال بعضهم: الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين. ويقال: إن الملائكة تحضر المائدة إذا

ﷺ يشرب اللبن خالصاً تارة وبالماء البارد أخرى يكسر حره بالماء البارد. وروى الطبراني أنه ﷺ دخل على أنصاري في حائطه يحول الماء فقال له: إن كان عندك ماء بات في شنه، فقال: عندي ماء بات في شنه، فانطلق للعريش فسكب في قدح ماء ثم حلب عليه من داجن فشرب ﷺ، فالذي تلخص هنا من معاني الطيبات تقديم الفاكهة أوّلاً ثم اللحم وخيره السمين وخير اللحم السمين ما كان نضيجاً قد أجيد طبخه بتوابل، ثم الماء البارد وحده أو مخلوط بعسل أو سكر أو نقع فيه الزبيب، ثم الحلاوة ثم غسل اليد بالماء الفاتر فكل ذلك داخل في حد الطيبات.

(**وقال بعض الادباء: إذا دعوت إخوانك فأطعمتهم حصرمية**) نوع من الطعام يعمل بالحصرم بارد نافع للصفراء والدم ممسك للبطن إلا انه يولد رياحاً في الأمعاء والمعدة لأنه من ثمرة فجة لم تنضج، (**وبورانية**) نوع من الطعام عمل لبوران بنت سهل وزير المأمون فنسب إليها، (**وسقيتهم ماءاً بارداً فقد أكملت الضيافة**) نقله صاحب القوت.

(**وأنفق بعضهم دراهم**) كثيرة (**في ضيافة**) ولفظ القوت: ودعا بعض الرؤساء اخوانه وأنفق عليهم مائتي درهم (**فقال**) له (**بعض الحكماء: لم يكن يحتاج إلى هذا**) كله (**إذا كان خبزك جيداً**) بأن كان نظيفاً قد ملك عجينه وأجيد نضجه في تنور ظاهراً وباطناً (**وخلك حامضاً**) أي صادق الحموضة غير متغير الطعم، (**وماؤك بارداً**) عذباً (**فهو كفاية**) نقله صاحب القوت. والخبز وحده فاكهة إذا كان جيداً ولا ينتظر به الأدام إلا ما كان المتيسر من خل أو بقل أو ملح.

(**وقال بعضهم: الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الألوان**) والمراد بالحلاوة ما يعمل من السكر الأبيض واللوز وهو المعروف بهريسة اللوز، ويليه الحلاوة المصرية المعروفة بالطحينية وللفقراء الزبيب والتمر، (**والتمكن على المائدة خير من زيادة لونين**) نقله صاحب القوت بلفظ: خير من الزيادة على لونين، وأما معنى التمكن فسيأتي للمصنف قريباً. وقال آخر: شرب الماء البارد على الطعام خير من زيادة ألوان، (**ويقال: إن الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل**) نقله صاحب القوت، والبقل كل نبات اخضرت به الأرض، والبقول التي تحضر على المائدة هي الخس الهندبا الطرخشقوق الحماض البقلة الحمقاء البادروج النعناع الصعتر الفوتنج الرشاد الكرفس الكزبرة البصل الثوم الكراث الفجل الشبت الجزر السنداب وجملة القول فيها أن البقول كلها لا ينال البدن منها إلا أقل ما يكون من الغذاء، والذي لا ينال منها مائي رقيق رديء يقل الانتفاع به لا يكاد ينهضم ما يتناول منها غير مطبوخ، وذلك انها قد عدمت في طباعها النضج

كان عليها بقل فذلك أيضاً مستحب ولما فيه من التزين بالخضرة. وفي الخبر: إن المائدة التي أنزلت على بني إسرائيل كان عليها من كل البقول إلا الكراث. وكان عليها سمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان، فهذا إذا اجتمع حسن للموافقة.

والبلوغ، بل توجد فجة من أوّل نبتها إلى أن تجف فلأنها تكون في أول نبتها ألطف وأطرى ثم تصير بآخرة أصلب وأعصى، وكذلك أصول النباتات كلها رديئة الغذاء، وجميع النباتات الحريفة التي تؤكل فإنها ما دامت طرية في النشؤ تكون ناقصة القوى لكثرة ما فيها من الرطوبة، فلذلك قد تصير غذاء وإذا يبست اشتدت كيفياتها وانقلبت عن أن تكون غذاء وصارت دواء لا يصلح إلا لتطييب الطعام. ومن البقول ما أصله أقوى من قضبانه كالفجل والبصل والثلجم وما أشبهها، ومنها ما قضبانه وورقه أقوى من أصله لاستلابها الغذاء الذي اجتلبته من الأرض إلى نفسها كالخس والكرنب وما يؤكل منه أصله فبزره وقضبانه لا يكاد يؤكل وكل نبات يؤكل ثمره أو بزره لا يكاد يؤكل أصله وجميع أصناف البقول ما كان منها برياً فهو أشد يبساً، ولذلك يكون أردأ غذاء وأشبه بالدواء، وما كان منها بستانياً فهو أكثر رطوبة وما ينبت في المشرقة والمواضع العطشة أقوى في بابه، ولما كانت البقول أقرب إلى الرداءة من الفواكه والثمار كثيراً فينبغي أن يتناول منها ما تدعو إليه الشهوة شيء قليل، ويتحرى أن يكون مما يحمد منها ويناسب المزاج والحال والوقت الحاضر، والله أعلم.

(**ولما فيه من التزين بالخضرة**) وهو محبوب. (**وفي الخبر: « إن المائدة التي أنزلت على بني اسرائيل كان عليها من كل البقول إلا الكراث**) وهو أنواع، والمراد به هنا هو النبطي، ويعرف بكراث المائدة وهو نبت دقيق جداً يخرج من تحت الأرض ورقاً ثلاثاً وما تحت الأرض من أصوله أبيض مستطيل غير مستدير، (**وكان عليها سمكة وعند رأسها خل وعند ذنبها ملح، و**) كان عليها (**سبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان**) هكذا ساقه صاحب القوت، (**فهدا إذا جمع فحسن الموافقة**) ولفظ القوت: فهذا من أحسن الطعام إذا اتفق اهـ.

وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في العظمة، وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات من حديث سلمان الفارسي قال: « لما سأل الحواريون عيسى بن مريم المائدة كره ذلك جداً ومنعهم عن سؤالهم إياها ووعظهم فأبوا، فلما رأى منهم ذلك قام فلبس الشعر الأسود ثم اغتسل ودخل مصلاه فصلى ما شاء الله. ثم قام مستقبل القبلة وصف قدميه حتى استويتا فألصق الكعب بالكعب وحاذى الأصابع بالأصابع، ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره وغض بصره وطأطأ رأسه خشوعاً، ثم أرسل عينيه بالبكاء فما زالت دموعه تسيل على خديه وتقطر من أطراف لحيته حتى ابتلت الأرض حيال وجهه من خشوعه، فلما رأى ذلك دعا الله فأنزل عليهم سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها في الهواء منقضة من

الثالث: أن يقدم من الألوان ألطفها حتى يستوفي منها من يريد ولا يكثر الأكل بعده وعادة المترفين تقديم الغليظ ليستأنف حركة الشهوة بمصادفة اللطيف بعده. وهو خلاف السنّة فإنه حيلة في استكثار الأكل. وكان من سنة المتقدمين أن يقدموا جملة

فلك السماء تهوي إليهم، وعيسى يبكي ويدعو ويتضرع، فما زال كذلك حتى استقرت السفرة بين يدي عيسى والحواريون وأصحابه حوله يجدون رائحة طيبة لم يجدوا فيما مضى رائحة مثلها قط. وخرَّ عيسى والحواريون سجداً شكراً له ثم أقبلوا عليها، فإذا عليها منديل مغطى فسمَّى الله تعالى وكشف عنها المنديل، فإذا عليها سمكة ضخمة مشوية ليس عليها بواسير وليس في جوفها شوك يسيل السمن منها سيلاً حولها بقول من كل صنف غير الكراث، وعند رأسها خل وعند ذنبها ملح، وحول البقول خمسة أرغفة على واحد منها زيتونة، وعلى الآخر تمرات، وعلى الآخر خمس رمانات» الحديث.

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في خبر المائدة قال: «فأقبلت الملائكة تطير بمائدة من السماء عليها سبعة أحوات وسبعة أرغفة حتى وضعتها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس كما أكل منها أوّلهم».

وروى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه عن عمار بن ياسر قال «نزلت المائدة عليها من ثمر الجنة». وروى ابن الانباري في كتاب الاضداد، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: مائدة من السماء أي خبزاً وسمكاً. وروى أيضاً في الكتاب المذكور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن عكرمة أن الخبز الذي أنزله الله مع المائدة من أرز، وروى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: انزلت المائدة خوان عليه خبز وسمك، وروى ابن جرير عن إسحاق بن عبدالله: أن المائدة نزلت وعليها سبعة أرغفةوسبعة أحوات يأكلون منها ما شاؤا. وروى عبد بن حميد وابن الأنباري وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: أنزل على المائدة كل شيء إلا اللحم. والمائدة: الخوان.

(والثالث: أن يقدم الألوان ألطفها حتى يستوفي منه) أي من ذلك اللون **(من يريد)** من الحاضرين **(فلا يكثر الأكل بعده)** لما أنه حصل له الاستيفاء، **(وعادة المترفهين تقديم الغليظ من الطعام)** على اللطيف منه **(ليستأنف)** أي يبتديء **(حركة الشهوة بمصادفة)** اللون **(اللطيف بعده وهو خلاف السنّة، فإنه حيلة في الاستكثار للأكل)**. ولفظ القوت: وينبغي إذا حضرت الألوان أن يبتديء بتقدمة الألطف، فالألطف والأطيب فالأطيب أوّلاً. مثل أن يبتديء بالشواء قبل الثريد، ويقدم الطباهج قبل السكباج فكذلك سنّة العرب ليصادف جوعهم أطيب الطعام فيستوفوا من ذلك أوفر النصيب فيكون أثوب لصاحبه وأقل لأكلهم، فإن احتاجوا إلى ما بعده من غليظ الطعام تناولوا منه قليلاً، وإنما قدم أهل الدنيا الألوان الغليظة على اللطيفة ليتسع أكلهم وتنفتق شهواتهم فيكون للون اللطيف موضع آخر وليكونوا قد أكلوا من اللون الآخر اللطيف الأقل، وهذا غير مستحب عند أبناء الآخرة. وقال في موضع آخر: فإن اتفق للعبد

الألوان دفعة واحدة ويصففون القصاع من الطعام على المائدة ليأكل كل واحد مما يشتهي. وإن لم يكن عنده إلا لون واحد ذكره ليستوفوا منه ولا ينتظروا أطيب منه. ويحكى عن بعض أصحاب المروءات انه كان يكتب نسخة بما يستحضر من الألوان ويعرض على الضيفان. وقال بعض الشيوخ: قدم إليَّ بعض المشايخ لوناً بالشام، فقلت عندنا بالعراق إنما يقدم هذا آخراً، فقال: وكذا عندنا بالشام ولم يكن له لون غيره فخجلت منه. وقال آخر: كنا جماعة في ضيافة فقدم إلينا ألوان من الرؤوس المشوية طبيخاً وقديداً فكنا لا نأكل ننتظر بعدها لوناً أو حملاً، فجاءنا بالطست ولم يقدم

لونان. أحدهما ألطف من الآخر ابتدأ بالألطف منهما، فلعل الكفاية تتم به فيستريح من الآخر، وإنما قدم أهل الدنيا غليظ الألوان على رقيقه ليتسعوا في الأكل وتنفتق شهواتهم، فيكون لكل لون لطيف مكان آخر، وشبه بعضهم المعدة بمنزلة جراب ملآنة جوزاً حتى لم يبق فيه فضل للجوز فجئت بسمسم فصببته عليه فأخذ لنفسه موضعاً في خلال الجوز فوسع الجراب السمسم للطفه مع الجوز، فكذلك المعدة إذا ألقيت فيها طعاماً رقيقاً لطيفاً بعد طعام غليظ أخذته للشهوات في أماكنها فتمكن فيها بعد الشبع مما قبله، والعرب تعيب ذلك ولا تفعله إذ من سنتهم أن يبتدأ باللحم قبل الثريد. قال رجل منهم لبعض الأنباط: أنت من الذين يبتدؤن بالثريد قبل الشواء فذم أهل العراق بذلك.

(و) قد (**كان من سنة المتقدمين أن يقدموا جميع الألوان دفعة**) واحدة (**ويصففون الطعام على المائدة ليأكل كل واحد مما يشتهي**) وهذا أحسن كذا في القوت، (**وإن لم يكن عنده إلاّ لون واحد**) من الطعام (**ذكره**) لهم (**ليستوفوا منه**) غرضهم (**ولا ينتظروا أطيب منه**). ولفظ القوت: وليكن ما يقدم لهم معلوماً لهم، ولو قال لهم: إن لم يكن عنده إلا لون واحد ليس يحضر إلا هذا ليستوفوا منه ولا يتطلعوا إلى غيره كان صواباً.

(**ويحكي عن بعض أرباب المرؤات أنه كان يكتب نسخة**) أي رقعة (**بما يستحضر من الألوان ويعرض على الضيفان**)، وبعضهم كان يدعو خبازه فيقول: أعلم الناس بما عندك من الألوان فسئل عن ذلك فقال: ليستبقي الرجل منهم نفسه لما يشتهي من الألوان، (**وقال بعض الشيوخ: قدَّم إليَّ بعض المشايخ لوناً بالشام**) ولفظ القوت: حدثني بعض شيوخنا عن شيخ له قال: قدّم إليَّ بعض أهل الشام لوناً من طبيخ (**فقلت**) له: (**عندنا بالعراق إنما يقدم هذا**) اللـون (**آخراً**) أي آخر الألوان، (**فقال: وكذلك**) هو عندنا (**بالشام و**) إذا به (**لم يكن**) عنده (**له لون غيره**) قال: (**فخجلت منه**) كذا في القوت بتغيير يسير، ثم قال صاحب القوت بالسند السابق. (**وقال**) لي (**آخر: كنا**) في (**جماعة**) عند رجل في ضيافة (**فقدَّم إلينا**) ولفظ القوت: فجعل يقدم إلينا (**ألواناً من الرؤوس المشوية**) منها (**طبيخاً و**) منها (**قديداً فكنا نأكل**) ولفظ القوت: فجعلنا نقصر في الأكل (**ننتظر بعدها لوناً أو حملاً**) ولفظ

غيرها، فنظر بعضنا إلى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزّاحاً: إن الله تعالى يقدر أن يخلق رؤوساً بلا أبدان. قال: وبتنا تلك الليلة جياعاً نطلب فتيتاً للسحور. فلهذا يستحب أن يقدم الجميع أو يخبر بما عنده.

الرابع: أن لا يبادر إلى رفع الألوان قبل تمكنهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الأيدي عنها فلعل منهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما استحضروه أو بقيت فيه حاجة إلى الأكل فيتنغص عليه بالمبادرة وهي من التمكن على المائدة التي يقال انها خير من لونين، فيحتمل أن يكون المراد به قطع الاستعجال، ويحتمل أن يكون أراد به سعة المكان. حكي عن الستوري وكان صوفياً مزاحاً حضر عند واحد من أبناء الدنيا على

القوت: نتوقع بعدها الألوان أو حملاً أو جدياً قال: (**فجاء بالطست**) أي لغسل الأيادي (**ولم يقدم غيرها، فنظر بعضنا إلى بعض فقال بعض الجماعة**) ولفظ القوت: فقال لي بعض الشيوخ، (**وكان مزاحاً**) أي ممن يحب المزاح والفكاهة في الحديث: (**إن الله تعالى يقدر أن يخلق رؤساً بلا أبدان. قال: وبتنا تلك الليلة جياعاً نطلب فتيتاً للسحور**) . ولفظ القوت: فبتنا تلك الليلة جياعاً وطلب بعضنا في آخر الليل خبزاً وفتيتاً للسحور، (**فلهذا يستحب أن يحضر الجميع**) من الألوان جلة واحدة (**أو يخبر**) هم (**بما عنده**) من الألوان.

(**الرابع: أن لايبادر إلى رفع الألوان**) كما يفعله المترفهون يأخذون من كل لون لقمة أو لقمتين ويرفعونه بسرعة، (**بل يمكن الحاضرين من الاستيفاء حتى يرفعوا الأيدي عنها**) أي عن الألوان، (**فلعل فيهم من يكون بقية ذلك اللون أشهى عنده مما سيحضره أو بقي فيه حاجة للأكل فينغص عليه بالمبادرة**) . ولفظ القوت: وينبغي أن يمكنهم من تبقية الألوان ولا يرفعها حتى يرفعوا أيديهم، فإنه من الأدب والمعروف، ولعل فيهم ما يكون عنده مما قدم أشهى إليه مما يقدم بعد، وقد يكون فيهم من به حاجة إلى فضل أكل فينغص عليه برفعه قبل أن يستوفي ما في نفسه اهـ.

زاد المصنف: (**وهو من التمكن على المائدة الذي يقال إنه خير من**) زيادة (**لونين**) وقد تقدم نقل هذا القول قريباً. قال: (**ويحتمل أن يكون المراد به قطع الاستعجال، ويحتمل أن يراد به سعة المكان**) فهذه ثلاثة أوجه في معنى التمكن، والوجه الأوّل هو الأقرب، والوجه الأخير يحتمل أن يكون على حقيقته أي فيجلسهم في موضع واحد، أو المراد به عدم التزاحم على المائدة بكثرة الأيدي فيشوش خاطرهم.

(**حكي عن**) أبي عبد الله (**الستوري**) بضم السين المهملة جمع ستر، وهذه النسبة لمن يحفظ الأستار بأبواب الملوك ولمن يحمل أستار الكعبة،(**وكان صوفياً مزّاحاً**) ترجمه صاحب الحلية، وفي المحدثين ممن عرف بهذه النسبة رجلان: أبو الحسن علي بن الفضل بن إدريس بن الحسن بن

مائدة فقدَّم إليهم حملاً ـ وكان في صاحب المائدة بخل ـ فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره وقال: يا غلام ارفع إلى الصبيان، فرفع الحمل إلى داخل الدار فقام الستوري يعدو خلف الحمل فقيل له: إلى أين؟ فقال: آكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وأمر برد الحمل. ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم فإنهم يستحيون بل ينبغي أن يكون آخرهم أكلاً. كان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الألوان ويتركهم يستوفون فإذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده إلى الطعام وأكل وقال: بسم الله ساعدوني بارك الله فيكم وعليكم. وكان السلف يستحسنون ذلك منه.

الخامس: أن يقدم من الطعام قدر الكفاية فإن التقليل عن الكفاية نقص في المروءة،

محمد السامري، وعبد العزيز بن محمد بن نصر الستوريان. الأوّل حدث عن الحسن بن عرفة، والثاني عن إسماعيل الصفَّار، والمذكور هنا رجل آخر غيرهما. ولفظ القوت: حدثني بعض أصحابنا عن الستوري وكان صوفياً أنه (**حضر عند بعض أبناء الدنيا على مائدة**) قد (**قدم عليها حملاً**) وهو بالتحريك ولد الضأن في السنة الأولى، والجمع حملان بالضم، (**وكان في صاحب المائدة بخل**) فجعلوا يأكلونه، (**فلما رأى القوم مزقوا الحمل كل ممزق ضاق صدره**) من بخله (**وقال: يا غلام ارفع إلى الصبيان فرفع الغلام الحمل إلى داخل الدار فقام الستوري**) رحمه الله تعالى (**يعدو خلف الحمل فقيل له: إلى أين**)؟ ولفظ القوت: فقال صاحب الدار إلى أين أبا عبد الله؟ (**فقال**): أمرٌ (**آكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وردَّ الحمل**) أمر برده حتى استوفوا منه، (**ومن هذا الفن أن لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم**) حتى يرفعوا أيديهم، وقد ورد في ذلك خبر تقدم ذكره (**لأنهم يستحيون**) فلا يستوفون أكلهم، (**بل ينبغي أن يكون**) صاحب المائدة (**آخرهم**) رفعاً و (**أكلاً. كان بعض الكرام**) من الأجواد يأمر خبازه أن (**يخبر القوم بجميع الألوان**) الذي عنده من الطعام. قال الراوي: فسألت بعض جلسائه لم يفعل هذا فقال ليستبقي الرجل منهم نفسه لما يشتهي من الألوان. قال: (**ويتركهم**) يأكلون حتى (**يستوفوا فإذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومدَّ يده إلى الطعام وأكل، وقال**) لهم: (**بسم الله ساعدوني بارك الله عليكم**) حكاه صاحب القوت قال: (**وكان السلف يستحسنون ذلك منه**) لما فيه من أخبار الألوان وتمكينهم من المائدة وهما وصفان حسنان، وكأن صاحب القوت عنى ببعض الكرام من الأجواد عبد الله بن عامر بن كريز فقد قرأت في روح المجالس لمحمد بن عبد الكريم السمرقندي قال فيه، وكان إذا أراد عبد الله ان يتغذى أمر بوضع المائدة وقال: كلوا وتشاغل هو حتى يقرب فراغ أصحابه، ثم يتقدم إلى المائدة فيقول: استقبلوا الأكل فلا يقوم أحد إلاَّ كظيظاً. وقال ابن عائشة: كان يحتاج لمائدة عبد الله في كل يوم عشرة أجربة طعام بما يتبعها من اللحم والحلوى وغير ذلك.

(**الخامس: أن يقدم من الطعام**) إليهم (**قدر**) الحاجة إليه و(**الكفاية فإن التقليل عن**

والزيادة عليه تصنع ومراءاة. لا سيما إذا كانت نفسه لا تسمح بأن يأكلوا الكل إلا أن يقدم الكثير وهو طيب النفس لو أخذوا الجميع، ونوى أن يتبرك بفضلة طعامهم إذ في الحديث أنه لا يحاسب عليه. أحضر ابراهيم بن أدهم رحمه الله طعاماً كثيراً على مائدته فقال له سفيان: يا أبا إسحاق أما تخاف أن يكون هذا سرفاً؟ فقال ابراهيم: ليس في الطعام سرف. فإن لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف. قال ابن مسعود رضي الله عنه: نهينا أن نجيب دعوة من يباهي بطعامه، وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة. ومن

الكفاية نقص في المروءة والزيادة عليه تصنع ومراءاة) ولفظ القوت: ولا ينبغي أن يقدم إلا ما يجب أن يأكلوه من كل شيء ومقدار الحاجة والكفاية من المأكول فيجمع بين السّنة والفضيلة. وقال في موضع آخر: وأكره ان يقدم من الطعام إلا ما يريد أن يأكل ولا يترك منه شيء ولا يستثني هو ولا أهل البيت في أنفسهم رجوع شيء منه، وإلاّ كان ما يقدمه مما ينوي رجوع بعضه أو لا يحب أكل كله تصنعاً ومباهاة اهـ.

(لا سيما إذا كان لا تسمح نفسه بأن يأكلوا الكل) مما أحضره **(إلا أن يقدم الكثير)** بنية حسنة **(وهو طيب النفس)** لا يستثني رجوع شيء منه. **(لو أخذوا الجميع)** منه **(ونوى أن يتبرك بفضيلة طعامهم إذ في الحديث أنه لا يحاسب عليه)** كما تقدم قريباً.

يحكى أنه **(أحضر)** أبو إسحاق **(ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى طعاماً كثيراً على مائدته)** وكان قد دعا سفيان الثوري والإوزاعي في جماعة من الأصحاب **(فقال له سفيان: يا أبا إسحاق أما تخاف أن يكون هذا إسرافاً؟ فقال ابراهيم: ليس في الطعام إسراف)** نقله صاحب القوت بلفظ: وروينا أن سفيان الثوري دعا إبراهيم بن أدهم وأصحابه إلى طعام فقصروا في الأكل، فلما رفع الطعام قال له الثوري: إنك قصرت في الأكل، فقال ابراهيم: لأنك قصرت في الطعام فقصرنا في الأكل. قال: ودعا إبراهيم الثوري أصحابه على طعام فاكثر منه فقال له سفيان يا أبا إسحاق أما تخاف أن يكون هذا إسرافاً؟ فقال ابراهيم: ليس في الطعام سرف. وفي رواية أخرى زيادة: إنما الإسراف في الأثاث واللباس. قال: وهذا روي عن سيرة السلف، **(فإن لم تكن هذه النية فالتكثير تكلف)** ومباهاة، وقد نهي عن كل منهما، أما التكلف فقد تقدم ما ورد فيه.

وأما المباهاة فقد **(قال ابن مسعود رضي الله عنه: نهينا ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه)** رواه صاحب القوت أي يفاخر بطعامه أقرانه ليكون أكثرهم إطعاماً ويرى منه ذلك، **(و)** قد كره جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم **(أكل طعام المباهاة)** والمباراة، فإن علم بذلك من قدم إليه ذلك الطعام لا يستحب له في الورع أن يأكل منه لأن المأكول إذا قدم ليؤكل بعضه ويرجع أكثره فهو تصنع وتزيين فلا يأكل المتقون من هذا لأنه لا يدري كم مقدار ما يحبون أن يأكلوا منه، وطعام المباهاة مكروه لمن يقدمه بهذه النية إلى إخوانه لأنه قد عرضهم لتناول ما

ذلك كان لا يرفع من بين يدي رسول الله ﷺ فضلة طعام قط لأنهم كانوا لا يقدمون إلا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع. وينبغي أن يعزل أولاً نصيب أهل البيت حتى لا تكون أعينهم طامحة إلى رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وتنطلق في الضيفان ألسنتهم ويكون قد أطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم. وما بقي من الأطعمة فليس للضيفان أخذه وهو الذي تسميه الصوفية الزلة إلا إذا صرح صاحب الطعام بالإذن فيه عن قلب راض أو علم ذلك بقرينة حاله وأنه يفرح به فإن كان يظن كراهيته فلا ينبغي أن يؤخذ، وإذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة مع

يكرهون، وقد دلّس عليهم ما لا يعلمون، وأيضاً فإنه شيء قد قدمه لأجل الله تعالى، فلا يصح أن يستثنى ارتجاع شيء منه بمنزلة من يخرج الرغيف أو الشيء للسائل فيجده قد انصرف فيكره أن يرجع فيه فيأكله، وقالوا: يعزله حتى يأتي سائل آخر فيدفعه إليه، (**ولهذا كان لا يرفع من بين يدي رسول الله ﷺ فضلة طعام قط**). ولفظ القوت: ما رفع من بين يدي رسول الله ﷺ الخ قال: وذلك (**لأنهم كانوا**) مخلصين في كل شيء (**لا يقدمون إلا**) كفايتهم و (**قدر الحاجة ولا يأكلون**) إلا بعد رجوعهم، وإذا أكلوا لم يأكلوا (**تمام الشبع**) ولا يتركون الأكل وفي نفوسهم منه شيء. (**وينبغي أن يعزل أولاً نصيب أهل البيت**) من الطعام قبل تقديمه إلى أخوانه (**حتى لا تكون أعينهم طامحة إلى رجوع شيء منه**) ولا تحدث به نفوسهم فإنه مكروه لهم، (**فلعله**) أن (**لا يرجع**) منه شيء فيكون ذلك إخراجاً من الآكلين ومنقصة لهم، (**فتضيق صدورهم وتنطلق في الضيفان ألسنتهم، ويكون قد أطعم الضيفان ما يتبعه كراهية قوم وذلك خيانة في حقهم**) وهذا عليهم أشد من إكرامهم بالطعام وما كان مضراً بالأهل يكون مضيعاً للأصل، (**وما بقي من الأطعمة**) بعد الفراغ من الأكل (**فليس للضيفان أخذه وهو الذي تسميه الصوفية الزلة**) بفتح الزاي وتضم. قال الليث: هي في الأصل الصنيعة إلى الناس. يقال: أتخذ فلان زلة وهي أيضاً لما تحمل من مائدة صديقك أو قريبك عراقية اشتق ذلك من الصنيع إلى الناس اهـ.

وعن ابن شميل: كنا في زلة فلان أي في عرسه، وقال أبو عمرو: وأزللت له زلة ولا يقال زللت، وجوز صاحب القاموس أنها مولدة تكلمت بها عامة العراقيين، وقد بينت ذلك في شرحي على القاموس، وذكرها الخفاجي في بعض مؤلفاته واعتمد على أنها مولدة، وأهل الحجاز يسمون ما يؤخذ من رؤوس الأموال لامرائهم زالة وهو من ذلك (**إلا إذا صرح صاحب الطعام بالإذن فيه**) لهم أن يأخذوه (**عن قلب راض**) وصدر منشرح، (**أو علم ذلك بقرينة حاله**) ولو لم يأذن فيه باللسان (**و**) علم (**أنه يفرح به**) فلا بأس بأخذه، (**فإن كان يظن كراهته**

الرفقاء، فلا ينبغي أن يأخذ الواحد إلا ما يخصه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع لا عن حياء.

(فأما) الإنصراف فله ثلاثة آداب.

الأول: أن يخرج مع الضيف إلى باب الدار وهو سنّة وذلك من إكرام الضيف وقد أمر بإكرامه قال عليه الصلاة والسلام: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه »، وقال عليه السلام: « إن من سنة الضيف أن يشيع إلى باب الدار » قال أبو قتادة: قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله. فقال: « كلا إنهم كانوا لأصحابي مكرمين وأنا أحب أن

فلا ينبغي أن يؤخذ وإذا علم رضاه) بأخذه **(فينبغي)** للآخذ **(مراعاة)** وصف **(العدل والنصفة)** محركة بمعنى الانصاف **(مع الرفقاء)** الحاضرين، **(فلا ينبغي أن يأخذ الواحد)** منه **(إلا ما يخصه أو ما يرضى به رفيقه عن طوع)** نفس **(لا عن حياء)** وانقباض. وكان بعض أهل الحديث إذا أكل مع إخوانه ترك من الرغيف فوق رغيف يعزله معه. وكان سيار بن حاتم إذا حضر على مائدة أكل لقيمات ثم يقول: اعزلوا نصيبي، وأكل ذات يوم على مائدة في جماعة فلما جاءت الحلوى نزع قلنسوته ثم قال: اجعلوا سهمي في هذه. نقله صاحب القوت، وهذا وأمثاله إذا فعله أحد في زماننا لعد منقصة في الدين والمروءة.

(فأما الإنصراف) بعد الفراغ **(فله آداب ثلاثة:**

الأول: أن يخرج) صاحب الدعوة **(مع الضيف إلى باب الدار)** إن أمكنه وإلاّ فإلى باب مجلسه، **(وذلك)** معدود **(من إكرام الضيف، وقد أمر)** الداعي **(باكرامه. قال ﷺ « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه »)** تقدم الكلام عليه قريباً، فكل ما يعد إكراماً له فهو داخل في عموم هذا الخبر. **(وقال ﷺ: « إن من سنّة الضيف أن يشيّع إلى باب الدار »)** يعني المحل الذي أتاه فيه داراً كان أو خلوة أو معبداً إيناساً وإكراماً له لينصرف طيب النفس، ويشبه أن يكون المراد بالضيف ما يشمل الزائر ونحوه وإن لم يقدم له ضيافة. رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ « إن من السنة أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار » واسناده ضعيف على ما قال البيهقي لأن فيه علي بن عروة وهو متروك.

(قال أبو قتادة) الحرث بن ربعي الأنصاري رضي الله عنه فارس رسول الله ﷺ **(قدم وفد النجاشي)** ملك الحبشة وإسمه أصحمة **(على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم بنفسه)** من غير استعانة بأحد **(فقال له الصحابة: نحن نكفيك يا رسول الله فيهم)** أي في القيام بمؤونة خدمتهم، **(فقال: « إنهم كانوا لأصحابي مكرمين)** إذ كانوا عندهم في الهجرة **(وأنا أحب أن أكافئهم »)** وتقدم أن تولي خدمة الضيف بنفسه أحد معاني قوله تعالى ﴿ضيف ابراهيم

أكافئهم» وتمام الإكرام طلاقة الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة. قيل للاوزاعي رضي الله عنه: ما كرامة الضيف؟ قال: طلاقة الوجه وطيب الحديث. وقال يزيد بن أبي زياد: ما دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى الا حدثنا حديثاً حسناً وأطعمنا طعاماً حسناً.

الثاني: أن ينصرف الضيف طيب النفس وإن جرى في حقه تقصير، **فذلك** من حسن الخلق والتواضع. قال ﷺ: «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم

المكرمين﴾ **(وتمام الإكرام طلاقة الوجه)** وحسن الإقبال عليه **(وطيب الحديث)** ولينه **(عند الدخول)** بالتلقي **(و)** عند **(الخروج وعلى المائدة)** فهذه المواضع الثلاثة فيها يتم اكرام الضيف بما ذكره.

(قيل للاوزاعي) عبد الرحمن بن عمر الدمشقي الفقيه، والأوزاع قبائل متفرقة من حمير **(ما كرامة الضيف؟ قال: طلاقة الوجه وطيب الكلام)** أي فهما ينبئان عن المرؤة وصدق الإخلاص.

(قال يزيد بن أبي زياد) الكوفي مولى بني هاشم، روى عن مولاه عبد الله بن الحرث بن نوفل وأبي حجيفة وابن أبي ليلى، وعنه زائدة وابن ادريس. عالم صدوق. مات سنة ١٣٧: **(ما دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى)** الانصاري المدني. روى عن أبيه وعمر ومعاذ، وعنه ابنه عيسى، وبه كني وحفيده عبد الله وثابت وكان اصحابه يعظمونه كأنه أمير **(إلا حدثنا حديثاً حسناً وأطعمنا طعاماً حسناً)**.

وروى المزي في ترجمته من التهذيب عن يزيد بن أبي زياد قال، قال لي مولاي عبد الله بن الحرث بن نوفل: اجمع بيني وبين عبد الرحمن بن أبي ليلى فجمعت بينهما فقال عبد الله: ما ظننت أن النساء ولدت مثل هذا. روى له الجماعة، ومات في وقعة الجماجم سنة ٨٣. وقد علم من سياقه أن الإحسان في الطعام مطلوب أيضاً كالإحسان في الكلام وكلاهما معدود في إكرام الضيف، ومن هنا قال القائل

صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى

وقال:

بشاشة وجه المرء خير من القرى فكيف بمن يعطي القرى وهو يضحك

(الثاني: أن ينصرف الضيف) وهو **(طيب النفس)** منشرح الصدر **(وإن جرى في حقه تقصير)** عن واجب إكرامه، **(فذلك من حسن الخلق والتواضع)** وهو معنى ما **(قال ﷺ «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»)** نقله صاحب القوت، وقال عن بعضهم: هو الرجل يسأل أخوانه أن يفطر معهم نهاراً ويسهر معهم ليلاً، ويكون من عادته الصيام والقيام فيساعدهم تخلقاً معهم فيدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم اهـ.

القائم». ودعي بعض السلف برسول فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكانوا قد تفرقوا وفرغوا وخرجوا فخرج إليه صاحب المنزل وقال: قد خرج القوم، فقال: هل بقي بقية؟ قال: لا، قال: فكسرة إن بقيت؟ قال: لم تبق، قال: فالقدر أمسحها؟ قال: قد غسلتها، فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له في ذلك فقال: قد أحسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية، فهذا هو معنى التواضع وحسن الْخُلق. وحكي أن أستاذ أبي القاسم الجنيد دعاه صبي إلى دعوة أبيه أربع مرات فردّه الأب في المرات الأربع وهو يرجع في كل مرة تطييباً لقلب الصبي بالحضور ولقلب الأب بالانصراف، فهذه نفوس قد ذللت بالتواضع لله تعالى واطمأنت بالتوحيد، وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينها وبين ربها، فلا تنكسر بما يجري من العباد من الإذلال كما لا تستبشر بما يجري منهم من

والحديث رواه الطبراني في الكبير عن أبي امامة، وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف بلفظ «درجة القائم بالليل الظامىء بالهواجر» ورواه أيضاً الحاكم من حديث أبي هريرة وقال: صحيح على شرطها، وأقره الذهبي في التلخيص.

(**ودعي بعض السلف برسول**) ولفظ القوت: وعمل بعض السلف صنيعاً فدعا رجلاً (**فلم يصادفه الرسول فلما سمع حضر وكان قد تفرقوا وخرجوا**) ولفظ القوت بعد الرسول: ثم أعلم وقد انصرف الناس عنده فقصد منزله فدق عليه الباب، (**فخرج إليه صاحب المنزل وقال**): هل من حاجة؟ قال: إنك دعوتني فلم يتفق ذلك، فقد جئت الآن لما أعلمت، فقال: (**خرج القوم**) أي انصرف الناس، (**فقال: هل بقي بقية**) ولفظ القوت: فهل بقيت منهم بقية؟ (**قال: لا. قال: فكسرة إن بقيت قال: لم يبق**) شيء (**قال: القدور أمسحها. قال: قد غسلناها فانصرف بحمد الله تعالى، فقيل له في**) مسألته عن (**ذلك. فقال: قد أحسن الرجل دعانا بنية وردنا بنية، فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق و**) نفس هذا في الضعة والذلة وسقوطها من مراتب الأنفة تشبه بما (**حكي أن**) ابن الكرنبي (**استاذ أبي القاسم الجنيد**) بن محمد البغدادي رحمه الله تعالى (**دعاه صبي**) صغير السن (**إلى دعوة**) أبيه (**أربع مرات فرده الأب في المرات الأربع**) في دعوة واحدة، (**وهو يرجع في كل مرة تطييباً لقلب الصبي في الحضور ولقلب الأب في الإنصراف، فهذه نفوس**) مشاهدة للبلوى من المولى (**قد ذللت بالتواضع لله عز وجل فاطمأنت بالتوحيد**) موضوعة على الصفة (**وصارت تشاهد في كل رد وقبول عبرة فيما بينها وبين ربها فلا تنكسر بما يجري من العباد من إذلال**) ورد (**كما لا تستبشر بما يجري منهم من إكرام**) وقبول، (**بل يرون الكل من الواحد القهار**) وصاحب هذه النفس مقامه المشاهدة في التوحيد وهي طريق مفرد لإفراد وحال

الاكرام بل يرون الكل من الواحد القهار . ولذلك قال بعضهم: أنا لا أجيب الدعوة إلا لأني أتذكر بها طعام الجنة أي هو طعام طيب يحمل عنا كده ومؤونته وحسابه.

الثالث: أن لا يخرج إلا برضا صاحب المنزل وإذنه ويراعي قلبه في قدر الاقامة، وإذا نزل ضيفاً فلا يزيد على ثلاثة أيام فربما يتبرم به ويحتاج إلى اخراجه. قال ﷺ: « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة ». نعم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلب فله

مجدد لآحاد **(ولذلك قال بعضهم)** أي من أهل البصيرة: **(إنا لا نجيب الدعوة إلا لأني أتذكر بها طعام الجنة)** وفي القوت نعيم الجنة ينقل بلا كلفة ولا مؤنة. **(أي هو طعام يحمل عنا كده ومؤنته وحسابه)** أما الكد فلأنه ينقل بلا مشقة، وأما المؤنة فهي على الداعي، وأما الحساب فقد تقدم أن ما أكل مع الإخوان على المائدة لا يحاسب عليه، ونظر هذا القائل نظر الإعتبار وطريق أولي الأبصار.

(الثالث: أن لا يخرج) الضيف **(إلا برضا صاحب المنزل وإذنه)** قالوا: إن الضيف في حكم المضيف **(ويراعي قلبه في قدر الإقامة)** فإن وجده طيب النفس سمحاً بالزاد واسع المكان قليل الملل أطال في الإقامة ولا بأس، **(وإذا نزل ضيفاً فلا يزيد على ثلاثة أيام)** بلياليها، **(فربما يتبرم به)** أي يتضجر **(ويحتاج إلى إحراجه)** أي إيقاعه في الحرج، وفي بعض النسخ إلى اخراجه بالخاء المعجمة، ولفظ القوت: وليس من السنة أن يقيم للضيافة فوق ثلاثة أيام حتى يحرجه ويتبرم به بأثر في ذلك اهـ.

(قال رسول الله ﷺ: « الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فصدقة ») يعني إذا نزل به ضيف فحقه أن يضيفه ثلاثة أيام بلياليها يتحفه في الأول ويقدم له في الآخرين ما حضر وجرت به عادته من غير كلفة ولا إضرار بمؤنة شرط أن يفضل عنهم وفيه عموم يشمل الغني والفقير والمسلم والكافر والبر والفاجر، والجمع بينه وبين الخبر الذي تقدم: « لا يأكل طعامك إلا تقي » فالمراد غير الضيافة مما هو أعلى في الإكرام من مؤاكلتك معه واتحافك إياه بالظرف واللطف، وإذا كان الكافر يرعى حق جواره فالمسلم الفاسق أولى، وإذا لم يجد فاضلاً عن مؤنة من يمونه فلا ضيافة عليه بل ليس له ذلك، وأما خبر الأنصاري المشهور الذي أثنى الله ورسوله عليه وعلى امرأته بإيثارهما الضيف على أنفسهما وصبيانهما حيث نومتهم أمهم بأمر حتى أكل الضيف فأجيب عما اقتضاه ظاهره من تقديمها على ما يحتاجه الصبيان بأن الضيافة مقدمة لتأكدها، والإختلاف في وجوبها، وبأن الصبية لم تشتد حاجتهم للأكل، وإنما خافا إن الطعام لو قدم للضيف وهم مستيقظون لم يصبروا على عدم الأكل منه، وإن لم يكونوا جياعاً.

والحديث رواه البخاري عن أبي شريح الكعبي، وأحمد وأبو داود عن أبي هريرة بلفظ: « فما كان وراء ذلك فهو صدقة » ولا يقال قضية جعله ما زاد على الثلاث صدقة إن ما قبلها واجب لأنا نقول إنما سماه صدقة للتنفير عنه. إذ كثير من الناس سيما الأغنياء يأنفون من أكل الصدقة.

المقام إذ ذاك ويستحب أن يكون عنده فراش للضيف النازل. قال رسول الله ﷺ: « فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان ».

ورواه بلفظ المصنف أحمد وأبو يعلى عن أبي سعيد، والبزار عن ابن عمر، والطبراني في الأوسط عن ابن عباس، وفيه رشدين بن كريب وهو ضعيف وقول العراقي أنه متفق عليه من حديث أبي شريح كأنه يريد معناه لا لفظه. ورواه البزار أيضاً من حديث ابن مسعود بزيادة وكل معروف صدقة ورجال إسناده ثقات.

وروى الباوردي وابن قانع والطبراني في الكبير والضياء في المختارة من حديث الثلب بن ربيعة رضي الله عنه بلفظ: « الضيافة ثلاث ليال حق لازم فما في سوى ذلك فهو صدقة » قال المنذري: إسناده فيه نظر، وقال الهيثمي: فيه من لم أعرفه، وقد أخذ بظاهره أحمد فأوجبها، وحمله الجمهور على أنه كان ذلك في صدر الإسلام ثم نسخ أو أن الكلام في أهل الذمة المشروط عليهم ضيافة المار، أو في المضطرين أو مخصوص بالعمال المبعوثين لقبض الزكاة من جهة الإمام.

ورواه أبو بكر بن أبي الدنيا في قرى الضيف عن أبي هريرة بلفظ المصنف بزيادة: « وعلى الضيف أن يتحول بعد ثلاثة أيام » وعند الطبراني في الكبير من حديث طارق بن أشيم بلفظ: « فما كان فوق ذلك فهو معروف ».

(**نعم لو ألح رب البيت عليه عن خلوص قلب**) وانشراح صدر وطيب نفس بقرائن دلت على ذلك (**فله المقام**) أي الإقامة (**إذ ذاك**) بلا خطر فيه، (**ويستحب أن يكون عنده**) أي المضيف (**فراش للضيف النازل**) عليه بما اعتاده أهل بلده من وطاء ووسادة وغطاء، فهذه الثلاثة لا بد من ذلك. لا سيما في أيام الشتاء، وأن يكون الموضع كناً يأوي إليه من البرد ولا يبيت الضيف يريه نجوم السماء، ولذا قال الشعراوي قدس سره في المواثيق والعهود: عهد إلينا مشايخنا أن لا نضيف أحداً في ليالي الشتاء، وذلك لما يحصل لرب المنزل من تبييته عنده في ليالي الشتاء من الحرج والمشقة من قبل الفرش والغطاء، فربما لا يكون عنده فراش زائد عن أهله وعياله، وربما يؤثر بفراش عياله للضيف فيبردون وهذا حرج، وإنما قلنا بما اعتاده أهل بلده وبحسب الوقت، فإن الفراش له لوازم تختلف باختلاف البلدان، فإذا كان الوقت بارداً أو كان البيت مشرفاً على المواضع الندية أو قريباً من الأشجار فلا يخلو عن البعوض والبرغوث، فلا بد من كلة وهي المعروفة بالناموسية فوق الفرش تقيه من تلك المؤذيات، وهذا في الثغور كدمياط ورشيد مشاهد لا يستطيع أحد أن ينام بلا كلة ففيها حماية عن أذى الناموس وما في معناه من الهوام المؤذية وهكذا عامة بلاد مصر، ولكن في أوقات مخصوصة تكثر فيها تلك الهوام. وفي البلاد الحجازية لا يحتاج الضيف إلى كبير مؤنة في الفراش لأن الغالب على تلك البلاد الحر، وكذلك سائر تهامة اليمن ما عدا نجودها فإنهم فيها يحتاجون إلى الكلة لدفع أذى البرغوث واستغنوا عنها بفلقتين من الملاءة يخيطان، فإذا أراد أحدهم أن ينام قلع ما عليه من ثيابه ودخل فيها ثم يربط على فمها بخيط

فصل

يجمع آداباً ومناهي طبية وشرعية متفرقة

الأول: حكي عن ابراهيم النخعي أنه قال: الأكل في السوق دناءة، وأسند إلى رسول

يشده فيأمن من الأذى، وهذا أقرب إلى سيرة السلف من استعمال الكلة فإنها تذكّره الكفن ومبيته في قبره فلا يغلب عليه سلطان النوم.

(قال ﷺ: «فراش للرجل وفراش للمرأة) كذا في النسخ والرواية لامرأته **(وفراش للضيف)** قال الطيبي: فراش مبتدأ مخصصه محذوف يدل عليه قوله **(والرابع للشيطان»)** أي فراش واحد كاف للرجل، وفراش واحد كاف للمرأة، وفراش واحد كاف للضيف، والرابع زائد على الحاجة وسرف واتخاذه مماثل لعرض الدنيا وزخارفها فهو للمباهاة والإختيال والكبر، وذلك مذموم مضاف إلى الشيطان لأنه يرتضيه ويحث عليه، فكأنه له أو هو على ظاهره وأن الشيطان يبيت عليه ويقيل، وفيه جواز اتخاذ الإنسان من الفرش والآلات ما يحتاجه ويترفه به.

قال القرطبي: وهذا الحديث إنما جاء مبيناً ما يجوز للإنسان أن يتوسع فيه ويترفه به من الفرش لا أن الأفضل أن يكون له فراش يختص به، ولإمرأته فراش فقد كان ﷺ ليس له إلا فراش واحد في بيت عائشة وكانا ينامان عليه ويجلسان عليه نهاراً، وأما فراش الضيف فيتعين للمضيف إعداده لأنه من إكرامه والقيام بحقه لأنه لا يتأتى له شرعاً الاضطجاع ولا النوم معه، وأهله على فراش واحد. ومقصود الحديث أن الرجل إذا اراد أن يتوسع في الفرش فغايته ثلاث، والرابع لا يحتاجه فهو سرف وفقه الحديث ترك الإكثار من الآلات والأشياء المباحة والترفه بها، وأن يقتصر على حاجته، ونسبة الرابع للشيطان ذم له ولا يدل على تحريم إتخاذه، وإنما هو من قبيل خبر أن الشيطان يستحل الطعام الذي لا يذكر اسم الله عليه ولا يدل ذلك على تحريمه فكذا الفراش اهـ.

قيل: وفي الحديث أنه لا يلزمه المبيت مع زوجته بفراش ورد بأن النوم معها وإن لم يجب لكن علم من أدلة أخرى أنه أولى حيث لا عذر لمواظبة النبي ﷺ عليه، والحديث أخرجه أحمد ومسلم في اللباس، وأبو داود والنسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

فصل

يجمع آداباً ومناهي طبية وشرعية:

من أخبار وآثار جاءت **(متفرقة)** منثورة في الأطعمة والأكل من بين نقص وفضل هي طرائق السلف الصالح وصنائع العرب لم تكن ذكرت في تضاعيف الكلام السابق وقد نقلت من كلام القدماء.

(الأول: حكي عن إبراهيم) بن يزيد **(النخعي)** رحمه الله تعالى وهو من كبار التابعين

الله ﷺ وإسناده غريب. وقد نقل ضده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: كنا

(أنه قال: الأكل في السوق دناءة) أي لؤم وخبث قاله السرقسطي، **(وأسند هذا إلى رسول الله ﷺ، وإسناده غريب)** تبع المصنف في سياقه صاحب القوت ولفظه: وفي خبر سعيد بن لقمان عن عبد الرحمن الأنصاري عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الأكل في السوق دناءة » ثم قال: هذا غريب مسنده، وليس بذلك الصحيح إنه من قول التابعين إبراهيم النخعي ومن دونه اهـ.

قلت: روي من حديث أبي هريرة، ومن حديث أبي أمامة، والذي أشار إليه صاحب القوت، فقد أخرجه ابن عدي في الكامل فقال: حدثنا القاسم بن زكريا، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا محمد ابن الفرات، حدثني سعيد بن لقمان فساقه. قال ابن الجوزي بعد إيراده إياه من طريق ابن عدي: لا يصح محمد بن الفرات كذاب، وله طريق أخرى عند الخطيب في التاريخ قال: أنبأنا محمد بن علي ابن يعقوب، حدثنا أبو زرعة أحمد بن الحسين، حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن خربان الصفار، حدثنا أبو بشر الهيثم بن سهل، حدثنا مالك بن سعيد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً مثله. قال ابن الجوزي: الهيثم ضعيف.

وأما حديث أبي أمامة فروي من طريقين. إحداهما: قال ابن عدي في الكامل سمعت عمران السجستاني يقول: حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا بقية، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة رفعه « الأكل في السوق دناءة » قال ابن الجوزي: القاسم وجعفر مجروحان.

والثانية قال العقيلي في الضعفاء: حدثنا أحمد بن داود، حدثنا محمد بن سليمان الوني، حدثنا بقية، عن عمر بن موسى الوجيهي، عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً مثله. قال ابن الجوزي: الوجيهي كذاب. قال العقيلي: لا يثبت في هذا الباب شيء.

قلت: بل ثبت فيه حديث أبي هريرة وهو الذي أوردناه من طريق الخطيب وهو أمثلها، وغاية ما يقال فيه أنه ضعيف لضعف الهيثم، فقد قال الدارقطني: الهيثم بن سهل التستري ضعيف اهـ.

وما رأيت أحداً وصفه بالكذب ففي ايراد ابن الجوزي إياه في الموضوعات مناقش فيه، وكذا قول المصنف تبعاً لصاحب القوت أنه من قول إبراهيم النخعي ليس بصحيح، وإن كان سمع منه، فمن باب الرواية لا أنه من أقواله، وقول صاحب القوت: وليس بذاك يشير إلى أن الراوي عن سعيد بن لقمان وهو محمد بن الفرات كذاب كما تقدم، وهو قول أحمد وأبي بكر بن أبي شيبة. وقال الدارقطني: ليس بالقوي، وقد يقال أنه روي عن أبي داود صاحب السنن أنه سئل عنه فقال: روي عن محارب بن دثار أحاديث موضوعة، وهذا الحديث ليس من روايته عن محارب فلا يدخل في خبر الموضوع، فقد يكون الراوي قد تكلم في روايته عن أشخاص خاصة مع أنه له أحاديث عن غيره تكون صالحة، وهذا دقيق جداً وتمييزه صعب، ولما ذكرناه اقتصر الحافظ العراقي في تخريج

نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام. ورؤي بعض المشايخ من المتصوّفة المعروفين يأكل في السوق فقيل له في ذلك فقال: ويحك أجوع في السوق وآكل في البيت، فقيل: تدخل المسجد؟ قال: أستحيي أن أدخل بيته للأكل فيه. ووجه الجمع أن الأكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة من بعضهم فهو مكروه وهو مختلف بعادات البلاد وأحوال الأشخاص، فمن لا يليق ذلك

هذا الكتاب على تضعيف هذا الحديث ولم يحكم بوضعه فقال: رواه الطبراني من حديث أبي أمامة وهو ضعيف، ورواه ابن عدي في الكامل من حديثه وحديث أبي هريرة اهـ.

(وقد نقل ضده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام) هكذا رواه صاحب القوت، قال العراقي: رواه الترمذي وصححه وابن ماجه وابن حبان اهـ.

أي فدل ذلك على جواز الأكل في السوق، وهذا عندي فيه نظر إذ غايته أنه أخبر أنهم كانوا يأكلون وهم يمشون ويشربون وهم قيام ولا ينكر عليهم في فعلهم ذاك منكر. أي: فليس الأكل ماشياً والشرب قائماً منكراً، بل هو معروف إذ لو كان منكراً لما سكت عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وليس في هذا ما يدل على جواز الأكل في السوق إلا من طريق العموم، وإلا فليس كل مشي مشياً إلى السوق إذ يحتمل أنه يأكل وهو يمشي في بيته إلى المسجد أو غير ذلك، ويصدق على ما إذا كان يمشي وهو في بيته خطوات من غير أن يخرج من بابه على أنه ليس كل طريق سوقاً إنما السوق موضع البيع والشراء، والأخذ والعطاء والتجارات والأرباح، فلا يكون ضداً لحديث أبي هريرة السابق فتأمل ذلك. وفي قوله: «ونشرب ونحن قيام» إشارة إلى جواز الشرب قياماً وسبق النهي عنه: «وإن الكباد منه» وسبق كذلك الجمع بينهما فراجعه.

(ورؤي بعض المشايخ المتصوفة المعروفين يأكل في السوق) ولفظ القوت: ورؤي بعض الصوفية يمشي في السوق وهو يأكل وكان ممن يشار إليه **(فقيل له في ذلك. فقال: ويحك أجوع في السوق فآكل في البيت)** ولفظ القوت فقلت له: يرحمك الله تأكل في السوق، فقال: عافاك الله فإذا جعت في السوق فآكل في البيت، **(فقيل: تدخل المسجد. فقال: أستحي منه أن أدخل بيته للأكل)** ولفظ القوت: قلت فلو دخلت بعض المساجد قال أستحيي الخ، ثم قال صاحب القوت: هذا لأنه رأى الأكل من أبواب الدنيا فدخل في طريقها، كما قيل: الأسواق موائد الآباق أبقوا من الخدمة فجلسوا في الأسواق.

وقال المصنف: **(ووجه الجمع)** بين الحديثين **(أن الأكل في السوق تواضع وترك تكلف من بعض الناس وهو حسن)** عنده محبوب لديه، ففي الخبر: «أنا وأمتي برآء من التكلف» فإذا كان بهذه النية فليس بدناءة والأعمال إنما تتميز بنياتها **(و)** هو بعينه **(خرق)** حجاب **(مروءة من بعض)** الناس **(فهو مكروه)** عنده **(ويختلف ذلك بعادات البلاد)** ففي مدينة الروم العظمى

بسابق أعماله حمل ذلك على قلة المروءة وفرط الشره ويقدح ذلك في الشهادة، ومن يليق ذلك بجميع أحواله وأعماله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعاً.

الثاني: قال علي رضي الله عنه: من ابتدأ غداءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من

وصنعاء اليمن يفعلون ذلك من غير كراهة، وفي عامة البلاد يكرهونه، **(و)** يختلف أيضاً باختلاف **(أحوال الأشخاص)** فمنهم من لا ينظر إليه في ذلك إذا فعل ومن هذا القسم الملازمون للأسواق طول النهار برسم البيع والشراء، فربما يكون بين بيته والسوق مسافة بعيدة فيقتصر على الأكل في السوق ولا يأتي منزله إلا آخر النهار، فمثل هؤلاء يباح لهم ذلك ضرورة. وأما من لم تكن له عادة في الخروج إلى السوق ولا في الجلوس بالحوانيت فلا أرى لمثله أن يختار لنفسه الأكل والشرب في السوق، ولو جاع أو عطش بل يصبر حتى يأتي منزله ولا ضرورة يضطر إليها. وإلى هذا التفصيل أشار المصنف بقوله: **(فمن لا يليق ذلك بسابق أعماله)** أي لم يكن ممن سبق له العمل بذلك **(حمل ذلك على قلة المروءة)** وسقوطها ودناءة الهمة **(وفرط الشره)** والحرص **(ويقدح ذلك في الشهادة)** والتزكية والعدالة، **(ومن يليق ذلك بجميع أفعاله في ترك التكلف كان ذلك منه تواضعاً)** وهضماً للنفس ولا يسقط مقامه بذلك لصدقه في نيته وحسن إخلاصه، ثم إن هذا الذي ذكره المصنف من الأكل في السوق جوازاً ومنعاً هو أدب شرعي لا مدخل للأطباء فيه، وقد يكون له مدخل في النهي عن الأكل ماشياً وعن الشرب قائماً أما الشرب قائماً فقد تقدم أنه منهي شرعاً وطباً وأما الأكل ماشياً فيقولون: إن المعدة لا تتهيأ لتلقي الطعام في حالة المشي فينهون عنه في تلك الحالة. نعم يأمرون بالحركة بعد استقرار الطعام في الجوف كما سيأتي.

(الثاني: قال) أمير المؤمنين **(علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من ابتدأ طعامه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء)**. ولفظ القوت: وعن جويبر، عن الضحاك، عن النزال ابن سبرة، عن علي رضي الله عنه: من ابتدأ غداءه بالملح الخ.

قلت: أخرجه البيهقي في الشعب بلفظ القوت قال: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا الحسن بن علي بن عفان، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عيسى بن الأشعث، عن جويبر، عن الضحاك، عن النزال بن سبرة، عن علي قال: من ابتدأ غداءه بالملح فذكره. وروى ابن الجوزي في الموضوعات من طريق عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي، عن أبيه، عن علي بن موسى الرضا، عن آبائه، عن علي رضي الله عنه مرفوعاً «يا علي عليك بالملح فإنه شفاء من سبعين داء الجذام والبرص والجنون» ثم قال: لا يصح والمتهم عبد الله بن أحمد الطائي وأبوه، فإنهما يرويان نسخة من أهل البيت كلها باطلة.

قال الحافظ السيوطي في اللآلىء المصنوعة، قال أبو عبد الله بن منده في كتاب أخبار أصبهان، أخبرنا عبد الله بن إبراهيم المقبري، حدثنا عمرو بن مسلم بن الزبير، حدثنا إبراهيم بن حبان بن

البلاء، ومن أكل في يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه، ومن أكل كل يوم إحدى وعشرين زبيبة حمراء لم يرَ في جسده شيئاً يكرهه واللحم ينبت اللحم، والثريد

حنظلة بن عامر بن سويد، عن علقمة بن سعد بن معاذ، حدثني أبي عن أبيه عن جده مرفوعاً «استغنموا طعامكم بالملح فوالذي نفسي بيده إنه ليرد ثلاثاً وسبعين نوعاً من البلاء» أو قال «من الداء» اهـ.

(و) بالسند السابق في القوت إلى أمير المؤمنين قال: **(من أكل كل يوم سبع تمرات عجوة)**[1] منصوب على أنه صفة أو عطف بيان لتمرات **(قتلت كل دابة في بطنه)** ولفظ القوت: ومن أكل يوماً والباقي سواء. قال الزمخشري في الفائق: العجوة تمر بالمدينة من غرس رسول الله ﷺ، وظاهر قول أمير المؤمنين خصوصية عجوة المدينة، وقيل: أراد العموم. وقال السيد السمهودي في تاريخ المدنية لم يزل الناس على التبرك بالعجوة وهو النوع المعروف الذي يؤثره الخلف عن السلف بالمدينة ولا يرتابون في تسميته بالعجوة اهـ.

وقد روي عن بريدة مرفوعاً «العجوة من فاكهة الجنة» ويروى عن أبي هريرة وأبي سعيد وجابر وابن عباس رفعوه« العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم». وروى أحمد والشيخان وأبو داود من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رفعه «من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر». وقوله: «قتلت كل دابة في بطنه» أي لخاصية فيها كما أن من خواصها دفع السم والسحر، وهذه فائدة شرعية لا طبية فإن الحكماء لم يذكروا في خواص التمور قتل الديدان من البطن ولا دفع السم والسحر، وقد وجدت لقول علي شاهداً من حديث ابن عباس في المرفوع، ولكن لا ينهض للعدد فيه.

قال ابن عدي: حدثنا الحسين بن محمد بن عفير، أنبأنا شعيب بن سلمة، حدثنا عصمة بن محمد بن موسى بن عقبة عن كريب، عن ابن عباس رفعه «كلوا التمر على الريق فإنه يقتل الدود».

قال ابن الجوزي: لا يصح عصمة كذاب، وتخصيص العدد أيضاً لخاصية فيه ليست في غيره من الأعداد لكون السبعة جمعت معاني العدد كله وخواصه إذ العدد شفع ووتر والوتر أول وثان والشفع كذلك، فهذه أربع مراتب أول وثان ووتر أول وثان، ولا تجتمع هذه المراتب من أقل من سبعة وهي عدد كل جامع لمراتب العدد الأربعة الشفع والوتر والأوائل والثواني، والمراد بالوتر الأول الثلاثة وبالثاني الخمسة وبالشفع الأول الإثنين والثاني الأربعة وللأطباء اعتناء عظيم بالسبعة سيا في البحارين، وقال بقراط: كل شيء في هذا العلم مقدر على سبعة أجزاء وشرط الإنتفاع بهذا وما أشبهه حسن الإعتقاد وتلقيه بالقبول. والله أعلم.

(و) بالسند المتقدم إلى أمير المؤمنين في القوت قال: و**(من أكل كل يوم إحدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئاً يكرهه)** أي من الآلام والأمراض، والزبيب نسبة إلى العنب

(١) هكذا هو في الأصل ولعل الصواب مجرور أو منصوب على التمييز تأمل اهـ. ـ مصححه.

نسبة التين اليابس إلى الطري وهو أغذى من العنب، وقيدها بالحمراء لكونها أجود أنواعها. لا سيما إذا كانت لحيمة مكثرة صادقة الحلاوة رقيقة القشر، والأولى أن يؤكل بعد نزع عجمه وهو مقو للمعدة والكبد خصوصاً إذا أكل ومضغ جيداً بعجمه جيد لوجع الأمعاء ويخصب البدن ويسمن وله قوة ينفخ ويحلل تحليلاً معتدلاً.

وروى أبو نعيم في الطب النبوي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً: «عليكم بالزبيب فإنه يكشف المرة ويذهب بالبلغم ويشد العصب ويذهب بالعياء ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب بالهم» وتخصيصه بهذا العدد لأنه من ضرب سبعة في ثلاثة، ولما كان أضعف غذاء من التمر روعي فيها تضعيف العدد ثلاثاً.

(و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين قال: **(واللحم ينبت اللحم)** أي أكله ينبت لحم الجسد ويسمن، والمراد به مطلق اللحم من الضأن الحولي والفحولي والأجدية والدجاج والقبج والطبهوج والـدراج والأوز وفراخ الحمام النواهض، ثم إن اللحوم أقوى أنواع الأغذية قريب الإستحالة إلى الدم، ولذلك صارت الحيوانات التي تغتذي منها أقوى وأشد صولة وقهراً لما يغالبه، وكذلك الأمم التي جرت عادتهم من الإستكثار غير أن هضمها يصعب إلا على من كانت القوة الهاضمة منه قوية وهي من أغذية الأصحاء الأقوياء أصحاب الكد والتعب، ولا يحتمل إدمانها غيرهم لأنها يتولد منها دم منتن صحيح كثير، وذلك لأن اللحم متولد من الدم وهو دم، وإذا قدرت القوة الهاضمة على استمرائه عاد أكثره دماً وقلت الفضلة اليابسة التي تخرج منه لأن عامة ما في اللحم يصير غذاء بخلاف الحبوب، ولذلك قيل: إن اللحم ينبت اللحم وإن اللحم أقل الطعام نجواً. وقد روي هذا مرفوعاً.

قال الديلمي في مسند الفردوس: أخبرنا أبي أخبرنا أبو إسحاق الرازي، حدثنا محمد بن أحمد الحافظ ببخارى، حدثنا خلف الخيام، حدثنا أبو بكر محمد بن سعيد بن عامر، حدثنا رجاء بن مقاتل، حدثنا سليمان بن عمرو النخعي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن علي رفعه «اللحم ينبت اللحم ومن ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه» سليمان النخعي كذاب.

(و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين قال: **(الثريد طعام العرب)** الثريد: فعيل بمعنى مفعول وقد تقدم أنه عبارة عن خبز يفت في مرقة، وقد يكون معه لحم وهو أسهل الأطعمة وأخفها وألذها وأسرعها تناولاً وألطفها كيموساً. وقد كانت العرب قاطبة من قديم الزمان إلى وقتناهذا لا يأكلون غالباً إلا منه هو الأصل في الأطعمة وما عداه تابع له، ولهذه الأوصاف الجليلة كان النبي ﷺ يحبه كثيراً، فقد روى أبو داود والحاكم من حديث ابن عباس: «كان أحب الطعام إليه الثريد من الخبز والثريد من الحيس» وأمر به ﷺ تنويهاً لشأنه فقال: «أثـردوا ولو بالماء» رواه الطبراني في الأوسط عن أنس.

طعام العرب، والبسقارجات تعظم البطن وترخي الإليتين، ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء، والشحم يخرج مثله من الداء، ولن تستشفي النفساء بشيء أفضل من

(و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين قال: **(البسقارجات)** بكسر الموحدة وسكون السين المهملة لفظه فارسية معناها مرقة اللحم والدجاج، والمراد منها ما يطبخ في أمراقها من اللحم بأن يقطع اللحم أقطاعاً متوسطة أو الدجاج على مفاصله ويقلى ويترك بعد غليانه زماناً لينشف ثم يسلق بالبصل والجزر والكراث، ثم يخرج من مائه وقد زالت عنه اللزوجة فيغسل بالماء البارد ثم يغلى بالأبازير والبقول غلياناً جيداً، ثم يطرح اللحم أو الدجاج والتوابل ويكون وقودها على سكون ويحلى بالسكر ويصبغ بالزعفران **(تعظم البطن)** أي تورث فيه ضخامة إذا أدمن على أكلها، **(وترخي الإلتين)** مثنى الالية بفتح الهمزة أي تكثر لحمها لخاصية فيها.

(و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين قال: **(لحم البقرداء ولبنها شفاء وسمنها دواء)** وهذا قد روي مرفوعاً من حديث مليكة بنت عمرو الجعفية: « ألبان البقر شفاء وسمنها دواء ولحومها داء » رواه الطبراني في الكبير، والبيهقي. وفي سند البيهقي ضعف.

وعن ابن مسعود مرفوعاً « عليكم بألبان البقر فإنها ترم من أكل الشجر وهو شفاء من كل داء » رواه الحاكم، وعنه أيضاً « عليكم بألبان البقر فإنها دواء وأسمانها فإنها شفاء وإياكم ولحومها فإن لحومها داء » رواه السني وأبو نعيم كلاهما في الطب النبوي، وفيهما أيضاً من حديث صهيب مرفوعاً: « عليكم بألبان البقر فإنها شفاء وسمنها دواء ولحمها داء » وإنما قال لحم البقر داء لأنه من أغذية أصحاب الكد عسر الإنهضام يولد دماً عكراً سودانياً ويولد أمراضاً سودانية كالبهق والسرطان والقوبا والجرب والجذام وداء النيل والدوال والوسواس وحمى الربع وغلظ الطحال، وأما لبنه فإنه شفاء الأمراض السودانية والغم والوسواس ويحفظ الصحة ويرطب البدن ويطلق البطن بإعتدال وشربه بالعسل ينقي القروح الباطنة وينفع من نحو سم ولدغ حية وعقرب، وأما سمنه فإنها ترياق السموم المشروبة وهو أقوى من غيره من السمون.

و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين قال: **(الشحم يخرج مثله من الداء)** أعلم أن الشحم من الحيوان معروف والجمع الشحومة وهو جسم أبيض لين في الغاية مثل الإلية في ذوات الأربع حار رطب في الأول ينفع من خشونة الحلق ويرخي وغذاؤه يسير والدم المتولد منه رديء، وإنما يصلح منه قدر يسير بقدر ما يلذذ الطعام ويطيب ولا يصلح أن يغتذي به لرداءة غذائه، وكذلك الحكم في السمن والإلية.

(و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين قال: **(لن تستشفي النفساء بشيء أفضل من الرطب)**. أما النفساء بضم ففتح ممدود هي المرأة التي نفست بالولد مبنياً للمفعول والجمع نفاس بالكسر ومثله ناقة عشراء وعشار. وأما الرطب بضم ففتح هو الجنى من ثمار النخل وأوله بلح ثم بسر ثم رطب، وبين ذلك مراتب ذكرها صاحب القاموس وهو حار في الثانية رطب في الأولى

الرطب، والسمك يذيب الجسد، وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم، ومن أراد البقاء

نافع للمعدة الباردة ويزيد في المني ويلين الطبع. وروي عن علي مرفوعاً: «اطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمر فليس من الشجر ثمرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران». أخرجه أبو يعلى وابن أبي حاتم وابن السني وأبو نعيم معا في الطب النبوي، والعقيلي وابن عدي وابن مردويه وابن عساكر.

وقال الخطيب في التاريخ: أخبرنا الحسين بن الحسن المخزومي، حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق، حدثنا أبو عبدالله محمد بن خلف المروزي، حدثنا داود بن سليمان الجرجاني، حدثنا سليمان بن عمرو، عن سعيد بن طارق الأشجعي، عن سلمة بن قيس رفعه «اطعموا نساءكم في نفاسهن التمر فإنه من كان طعامها في نفاسها التمر خرج ولدها ذلك حلياً فإنه كان طعام مريم حين ولدت عيسى ولو علم الله طعاماً كان خيراً لها من التمر لأطعمها إياه». أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقال سليمان النخعي وداود كذابان. قال الحافظ السيوطي: قد توبع داود. وأخرجه أبو عبد الله بن منده في كتاب أخبار أصبهان، أخبرنا أبو أحمد، حدثنا أبو صالح عبد الرحمن بن أحمد الأعرج حدثنا حامد بن المسود، حدثنا الحسن بن قتيبة، حدثنا سليمان بن عمرو النخعي به. وأخرجه أبو نعيم في الطب من طريق حامد بن المسور اهـ.

وفي الدر المنثور له أخرج عبد بن حميد عن شقيق قال: «لو علم الله أن شيئاً للنساء خير من الرطب لآثر مريم به». وأخرج أيضاً عن عمرو بن ميمون قال: «ليس للنساء خير من الرطب والتمر». وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، عن الربيع بن خيثم قال «ليس للنفساء عندي دواء مثل الرطب ولا للمريض مثل العسل».

(و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين **(قال: السمك يذيب الجسد)**، اعلم أن السمك أنواعه كثيرة وطبائعه مختلفة بحسب اختلاف أجساده في العظم والصغر والتوسط والغذاء الذي يغتذي به، والمواضع التي يتولد فيها من الصخري واللجي والبحري وبحسب صفتها من القلي والشيّ والطبخ والتمقير والتمليح، وهو بأنواعه بارد رطب لا خير في تناوله يولد أمراضاً خبيثة عسر الهضم بطيء الوقوف في المعدة يرخي الأعصاب يورث السدد سريع الاستحالة إلى الفساد، فهذا معنى قول أمير المؤمنين أنه يذيب الجسد. وقد روي هذا القول مرفوعاً من حديث أبي أمامة.

قال الحاكم في تاريخ نيسابور: حدثنا أبو شافع معبد بن جمعة وابن خاقان، حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن يونس، حدثنا العلاء بن مسلمة الرواس، حدثنا عبد الرحمن بن عفراء، عن برد بن سنان، عن القاسم، عن أبي أمامة مرفوعاً «أكل السمك يذهب الجسد» قال أبو شافع: قلت لأبي يعقوب ما معنى هذا الحديث؟ قال إذا أكله يجوب حتى لا يذكر الجنبد. أورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال: هذا حديث ليس بشيء لا في إسناده ولا في معناه، ولعله يذيب

ولا بقاء فليباكر بالغداء وليكرر العشاء وليلبس الحذاء، ولن يتداوى الناس بشيء مثل السمن وليقل غشيان النساء وليخف الرداء وهو الدين.

الجسد. فاختلط على الراوي وفسره على الغلط، والقاسم مجروح، وعبد الرحمن ليس بشيء، والعلاء يروي الموضوعات عن الثقات.

قلت: العلاء روى عنه الترمذي، وابن صاعد وهو بغدادي روى عن ضمرة وعلي بن عاصم والطبقة. قال الذهبي في الكاشف: اتهم وزاد في الديوان بالوضع.

(و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين قال: **(قراءة القرآن والسواك يذهب البلغم)** أي كل منهما. والقراءة أعم من أن تكون نظراً في المصحف أو على ظهر القلب سراً أو جهراً، والسواك التسوّك وفي كل منهما خاصية لإذهاب البلغم، وقد روي في السواك من حديث أنس مرفوعاً ما هو مصرح بأنه يذهب البلغم قال «عليكم بالسواك فنعم الشيء السواك يذهب الحفر وينزع البلغم ويجلو البصر ويشد اللثة ويذهب بالبخر ويصلح المعدة ويزيد في درجات الجنة ويحمده الملائكة ويرضي الرب ويسخط الشيطان» رواه عبد الجبار الخولاني في تاريخ داريا. وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب تلاوة القرآن وفي كتاب الطهارة.

(و) بالسند المتقدم في القوت إلى أمير المؤمنين قال: **(من أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقل غشيان النساء وليخف الرداء وهو الدين)** هكذا هو في القوت وهو آخر كلام أمير المؤمنين، والغداء ما يؤكل من الطعام في أوائل النهار، والمراد بالمباكرة الإسراع إليه في قُبُل النهار فإنه أوفق الأوقات لتناول الطعام وأحسنها، والمراد بغشيان النساء مجامعتهن أو ليقلل في الجماع مهما أمكن، فإن الافراط فيه يسقط الشهوة ويضر العصب والبصر جداً، ويوقع في الرعشة والتشنج وضعف القلب ويحدث الخفقان وظلمة الحواس وينقص من جوهر الروح الحيواني ويهيء الدق ويوجب السهر والجفاف ويسرع الشيب وينقص من شعر الحاجبين والرأس وأشفار العين ويكثر اللحية وشعر سائر البدن، وإن كان ولا بد فينبغي أن يكون بعد استقرار الغذاء في قعر المعدة حتى يكون ضرره أقل مما إذا كان طافياً، وعند اعتدال البدن في طبيعته، وينبغي أن لا يقوم عليه إلا إذا قويت الشهوت وحصل الانتشار التام عن اجتماع المني في أوعيته وكثرته وشدة الشبق من غير ذكره ولا في فكره في مستحسن ولا نظر إليه، ولا يكون عن حكة كما يكون عند الجرب ولا عن كثرة رياح بلا شهوة، وعلى هذا فلا حدّ له معين، ويستثنى من النساء العجوز والصغيرة جداً والحائض والنفساء، فليحذر الانسان عن مجامعتهن فإنه مضر. قيل: وطء الحائض والنفساء يولد الجذام في الولد، وكذا عن جماع التي لم تجامع مدة، والمريضة والقبيحة المنظر والبكر والعاقر ولا التي لا تشتهيها النفس، وكل هذه تضعف بالخاصية.

وأما قوله: وليخف الرداء وهو الدين، فقد جاء هكذا مفسراً في كتاب النهاية لابن الأثير، والتهذيب للازهري وقال ابن سيده في المحكم: وفي حديث علي رضي الله عنه: من سرّه النساء ولا

الثالث: قال الحجاج لبعض الأطباء صف لي صفة آخذ بها ولا أعدوها. قال: لا تنكح من النساء إلا فتاة ولا تأكل من اللحم إلا فتياً ولا تأكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء إلا من علة ولا تأكل من الفاكهة إلا تضيجها ولا تأكلن طعاماً إلا أجدت مضغه، وكل ما أحببت من الطعام ولا تشربن عليه فإذا شربت فلا تأكلن عليه

نساء فليباكر الغذاء وليـكر العشاء وليخفف الرداء وليحد الخراء وليقل غشيان النساء. قال: الرداء هنا الدين قال ثعلب: أراد لو زاد شيء في العافية لزاد هذا ولا يكون. وفي التهذيب بعد ذكر الحديث قالوا: وما تخفيف الرداء في البقاء؟ قال: قلة الدين. قال الأزهري: سماه رداء لأن الرداء يقع على المنكبين ومجتمع العنق والدين أمانة، والعرب تقول: هذا لك في عنقي ولازم رقبتي. زاد ابن الأثير وهي أي الرقبة موضع الرداء، وذكر هذا القول غير واحد ونسبوه إلى فقيه العرب. ويقال: أكرى العشاء وغيره إذا أخَّره، ومنه قوله: وليكر العشاء وهو مخالف لما اشتهر من أمثالهم خير الغذاء بواكره وخير العشاء سوابره، وما تقدم من تفسير الرداء بالدين هو الذي جاء في قوله كما ذكرناه، وإلاَّ فلو حمل على الحقيقة كان له وجه فإن تخفيف ما يرتدى به والتعوّد عليه مما أوصاه الحكماء كما ذكروه في تدبير الملبوس والله أعلم.

وجاء: «خير الغذاء بواكره» في حديث أنس. رواه الديلمي من طريق عنبسة بن عبد الرحمن عن أبي زكريا اليماني عنه رفعه «خير الغذاء بواكره وأطيبه أوله وأنفعه» قال ابن الجوزي: عنبسة يضع الحديث.

(الثالث): في أخبار الامراء. **(قال الحجاج)** بن يوسف الثقفي **(لبعض الأطباء)** وهو يتاذوف الفيلسوف كما هو في القوت، وله ترجمة واسعة في وفيات الأعيان للصلاح الصفدي: **(صف لي صفة آخذ بها)** أي أعمل بها **(ولا أعدوها)** أي لا أتجاوزها. **(قال)** له: **(لا تنكح)** أي لا تجامع **(من النساء إلا فتاة)** أي شابة، فإن جماع العجوز الهرمة والصغيرة جداً مضر بالخاصية كما تقدم، **(ولا تأكل من اللحم إلا فتياً)** أي الحولي من الضأن والفحول، فلحوم الهرمى من الحيوانات صلبة بطيئة الانهضام قليلة الغذاء مسيخة الطعم تخالطها زهومة لعدم الدسومة والرطوبة التي تطيبها ولحوم الصغار جداً كثيرة الفضول قليلة الغذاء بلغمية إلا انها تنحدر سريعاً إلى المعدة، **(ولا تأكل المطبوخ)** من اللحم وغيره **(حتى ينعم نضجه)** ويتم استواؤه، **(ولا تشر بن دواء إلا من علة)** أي لا تستعملن دواء أكلاً كان أو شرباً إلا من احتياج له في إزالة علة حادثة، **(ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها)** وهو ما استوى على الشجرة وتم استواؤه فإن الفجة لا خير فيها، **(ولا تأكل طعاماً إلا أجدت مضغه)** بالأسنان، فإن الذي لم يمضغ جداً لا ينهضم سريعاً، **(وكُلْ ما أحببت من الطعام)** واشتهت نفسك، ومالت إليه مما تستلذه **(ولا تشرب عليه)** فإنه يفسده ويبطئه من الإنهضام، **(فإذا)** طلبت نفسك و **(شربت عليه فلا تأكل عليه بعده شيئاً)** لئلا يتخلل الماء بين طعامين فإنه مضر للمعدة، **(ولا تحبس البول**

شيئاً، ولا تحبس الغائط والبول، وإذا أكلت بالنهار فنم وإذا أكلت بالليل فامشِ قبل أن تنام ولو مائة خطوة. وفي معناه قول العرب: تغد تمد تعش تمش يعني تمدد كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ذهبَ إلى أهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ [القيامة: ٣٣] أي يتمطط. ويقال: إن حبس البول يفسد الجسد كما يفسد النهر ما حوله إذا سد مجراه.

الرابع: في الخبر: قطع العروق مسقمة وترك العشاء مهرمة، والعرب تقول: ترك

والغائط) أي فإن ضررهما شديد يورث أمراضاً عسرة البرء، **(وإذا أكلت بالنهار فنم)** ليأخذ كل عضو نصيبه منه والنوم يعين على الهضم، **(وإذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة)** فإن المشي من أعظم أسباب الهضم، وإنما حسن النوم بالنهار عقب الطعام من غير مشي لأن النهار مظنة الحركات فما يقع فيها منها كافية في الهضم، والليل مظنة السكون والدعة والراحة، فلا بد فيه من حركة. واستحسن بعض المتأخرين الاقتصار على أربعين خطوة. وتكون الحركة فيها متساوية إقبالاً وإدباراً والقول المذكور هكذا نقله صاحب القوت، وقال وفيما قاله الفيلسوف حكمة قد ورد ببعضها آثار قد يروى في خبر مقطوع ذكره أبو الخطاب عن عبد الله بن بكر يرفعه « من استقلَّ برأيه فلا يتداوى فرب دواء يورث داء ». وكانت الحكماء تقول: دافع بالدواء قوتك بالداء، وقال بعضهم: مثل شرب الدواء مثل الصابون للثوب ينقيه ولكن يخلقه. وقال بقراط الفيلسوف: الدواء من فوق والداء من تحت، فمن كان داؤه في بطنه فوق سرته سقي الدواء، ومن كان داؤه تحت سرته حقن، ومن لم يكن به داء من فوق ولا من تحت لم يسق الدواء فإن سقي عمل في الصحة داء إذ لم يجد داء يعمل فيه. وقال بعضهم: نهاني الأطباء عن الشرب في تضاعيف الطعام.

(وفي معناه) أي قول الفيلسوف الذي ذكره **(قول العرب: تغد)** و**(تمد تعش)** و**(تمش يعني تمدد)** أبدلوا الألف من الدال الثانية كراهية التكرار، ثم حذفوها للتخفيف والازدواج وابقوا الفتحة لتدل عليها، **(كما قال تعالى) (ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾أي يتمطط)** فابدل من الطاء الثانية ألفاً يعني يمد مطاه يرفع ظهره، وأما في حبس الغائط فقد قال بعض الفلاسفة: الطعام إذا خرج نجوه قبل ست ساعات فهو مكروه من المعدة، وإذا بقي فيها أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو ضرر على المعدة. **(ويقال: إن حبس البول)** في مثانته **(يفسد من الجسد كما يفسد النهر ما حوله إذا سدّ مجراه)** ففاض من جوانبه.

(الرابع: في الخبر قطع العروق مسقمة) أي يحمل على السقم، فإن العروق أنهار البدن فإذا قطعت بالكي أو غيره انقطعت المادة فيسقم البدن لذلك، **(وترك العشاء)** وهو ما يؤكل آخر النهار من الطعام **(مهرمة)** أي يحمل على الهرم والضعف. قال العراقي: رواه ابن عدي في الكامل من حديث عبد الله بن جراد بالشطر الأوّل، والترمذي من حديث أنس بالشطر الثاني وكلاهما ضعيف. وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث جابر اهـ.

الغذاء يذهب بشحم الكاذة ـ يعني الإلية ـ وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حلمك أي تتغذى إذ به يبقى الحلم ويزول الطيش وهو أيضاً أقل لشهوته لما يرى في السوق. وقال حكيم لسمين: أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك فممّ هي؟ قال: من أكل لباب البر وصغار المعز وأدّهن بجام بنفسج وألبس الكتان.

قلت: الشطر الأوّل رواه الديلمي بزيادة لفظ «قطع العرق مسقمة والحجامة خير منه» والشطر الثاني عند الترمذي «تعشوا ولو بكف من حشف فإن ترك العشاء مهرمة» رواه من طريق محمد بن يعلى الكوفي عن عنبسة بن عبد الرحمن القرشي، عن عبد الملك بن علان، عن أنس. ثم قال: هذا حديث منكر لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعنبسة ضعيف وعبد الملك بن علان مجهول اهـ.

قال العراقي في شرحه على السنن: مداره على عنبسة وهو متفق على ضعفه، وقال النسائي: هو متروك، وقال أبو حاتم: وضّاع، ومن ثم حكم ابن الجوزي والصغاني بوضعه.

قال الحافظ السيوطي في اللآلىء المصنوعة: لحديث أنس طريق آخر رواه ابن النجار في تاريخه قال: قرأت على أبي بكر محمد بن حامد الضرير المقري باصبهان عن أبي نصر أحمد بن عمر الغازي، حدثنا أبو القاسم أحمد بن علي النيسابوري، حدثنا أبو أحمد عبدالله بن أحمد الفرضي، حدثنا عبد الصمد بن علي الطستي، حدثنا يعقوب بن مجاهد أبو محمد الطائي، حدثني أبو عبد الله جعفر بن محمد بن الوليد الانماطي، حدثني أبو شعيب صالح بن دينار السوسي، حدثنا يحي بن سعيد القطان، حدثنا أبو الهيثم القرشي، عن موسى، عن عقبة عن أنس رفعه «ترك العشاء مهرمة تعشوا ولو بكف من حشف» قال: وقد روي أيضاً من حديث جابر.

قال ابن ماجه: حدثنا محمد بن عبد الله الرقي، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام ابن عبد الله بن باباه المخزومي، حدثنا عبد الله بن ميمون، عن محمد بن المنكدر عن جابر رفعه «لا تدعوا العشاء ولو بكف من تمر فان تركه يهرم» اهـ.

(والعرب تقول: ترك الغذاء يذهب بشحم الكاذة أي الإلية) نقله صاحب القوت. **(و)** ذكر الأصمعي **(أنه قال بعض الحكماء لابنه)** فيما أوصاه: **(يا بني لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حلمك أي تتغذى)** نقله صاحب القوت **(إذ به يبقى الحلم ويزول الطيش)** أي الخفة فسماه حلماً لذلك مبالغة، **(وهو أيضاً أقل لشهوة ما يرى في السوق)**. ولفظ القوت، وكذلك يقال في تناول الشيء قبل الخروج إلى السوق وقبل لقاء الناس أنه أقل للشهوة في الأسواق واقطع للطمع بلقاء الناس، وأنشد هلال بن خيثم:

وإن قــراب البطــن يكفيــك ملــؤه ويكفيـك سـؤلان الأمــور اجتنــابها

(وقال حكيم لسمين) رآه: **(أرى عليك قطيفة)** أي كساء **(من نسيج أضراسك فما هي؟ قال: أكل لباب البر)** أي خالصه يعني الخبز المتخذ منه، **(وصغار المعز)** يعني لحوم الحولي منه، **(وادّهن بجام بنفسج)** أي قارورة من دهنه، **(وألبس الكتان)** أي الصفيق منه

الخامس: الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمريض، هكذا قيل. وقال بعضهم: من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافي وهذا حسن في حال الصحة. ورأى رسول الله ﷺ صهيباً يأكل تمراً وإحدى عينيه رمداء، فقال: أتأكل التمر وأنت رمد؟ فقال: يا رسول الله إنما آكل بالشق الآخر يعني جانب السليمة فضحك رسول الله ﷺ.

وكلاهما ينعمان البدن نقله صاحب القوت. قال: وقيل لرجل رؤي سميناً ما أسمنك؟ قال: أكل الحار وشرب القار والاتكاء على شمالي والأكل من غير مالي، وقيل لآخر حسن الجسم: ما أحسن جسمك. فقال: قلة الفكر وطول الدعة والنوم على الكظة.

(**الخامسة: الحمية**) بكسر الحاء أي الاحتماء مما يؤذي البدن (**تضر بالصحيح**) المزاج (**كما يضر تركها بالمريض هكذا قيل**) ولفظ القوت وقال بعض أهل الطب: الحمية احدى العلتين، ويقال: الحمية للصحيح ضارة كما أنها للعليل نافعة الدواء إذا لم يجد ما يعمل فيه وجد الصحة فعمل فيها، وأنشد بعض العرب:

ألا رب حــزم كــان للسقــم علــة وعلــة بــدء الداء حفــظ التقلــل

(**وقال بعضهم**) هو لقمان كما هو في القوت: (**من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى**) أي في (**شك**) مما يأمل (**من العوافي**) جمع العافية كذا في القوت، (**وهذا حسن في حال الصحة**) زاد صاحب القوت وكان يقال: ليس الطبيب من حمى الملوك ومنعهم من الشهوات إنما الطبيب من خلاهم وما يريدون ثم دبر سياستهم على ذلك حتى تستقيم أجسادهم. وقال مدني عندنا بالحجاز لبعض الاعراب: أخبرني ما تأكلون وما تدعون. فقال: نأكل ما دبّ ودرج إلا أم حبين، فقال المدني: ليهن أم حبين منكم العافية. (**و**) في الخبر: (**رأى رسول الله ﷺ صهيباً**) هو ابن سنان المعروف بالرومي رضي الله عنه من نجباء الصحابة (**واحدى عينيه رمدة وهو يأكل التمر فقال: تأكل التمر وأنت رمد؟ فقال يا رسول الله: إنما أمضغ بالشق الآخر يعني جانب**) العين (**السليمة فضحك رسول الله ﷺ منه**) كذا هو في القوت.

قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث صهيب باسناد جيد انتهى.

قال ابن حجر المكي في شرح الشمائل، قال بعض الأطباء: أنفع ما يكون الحمية للناقه من المرض لأن التخلط يوجب انتكاسه وهو أصعب من ابتداء المرض، والحمية للصحيح مضرة كالتخليط للمريض والناقه، وقد تشتد الشهوة والميل إلى ضار فيتناول منه يسيراً فتقوى الطبيعة على هضمه فلا يضر بل ربما ينفع بل قد يكون أنفع من دواء يكرهه المريض، ولذا أقر ﷺ صهيباً وهو أرمد على تناول التمرات اليسيرة، وخبره في ابن ماجه: قدمت على النبي ﷺ وبين يديه خبز وتمر فقال: أدن وكل فأخذت تمراً فأكلت، فقال: أتأكل تمراً وبك رمد؟ فقلت: يا رسول

السادس: أنه يستحب أن يحمل طعام إلى أهل الميت، ولما جاء نعي جعفر بن أبي طالب قال عليه السلام: «إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنع طعامهم فاحملوا إليهم ما يأكلون» فذلك سنّة، وإذا قدم ذلك إلى الجمع حل الأكل منه إلا ما يهيأ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء والجزع فلا ينبغي أن يؤكل معهم.

السابع: لا ينبغي أن يحضر طعام ظالم فإن أكره فليقلل الأكل ولا يقصد الطعام الأطيب. ردّ بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال: كنت مكرهاً، فقال: رأيتك تقصد الأطيب وتكبِّر اللقمة وما كنت مكرهاً عليه؟ وأجبر السلطان هذا المزكي

الله أمضغ من الناحية الأخرى، فتبسم ﷺ. ففيه إشارة إلى الحمية وعدم التخليط، وأن الرمد يضره التمر ما لم تصدق الشهوة اهـ.

(**السادس:**) في حكم طعام المآتم (**يستحب أن يحمل طعام**) مصنوع (**إلى أهل الميت**) لشغلهم عن أنفسهم وإصلاح طعامهم بميتهم، (**و**) في الخبر: (**لما جاء نعي**) أي خبر موت (**جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه**) وذلك حين استشهد بغزوة مؤتة، وأخبر جبريل النبي ﷺ بذلك، وأن الله أبدل له جناحين من الجنة بدل اليدين فلقب لذلك بذي الجناحين وبالطيار. (**قال رسول الله ﷺ «إن آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنع طعامه فاحملوا إليهم ما يأكلون»**) قال العراقي: رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر نحوه بسند حسن، ولابن ماجه نحوه من حديث أسماء بنت عميس، (**فذلك سنّة**) في حمل الطعام إلى أهل (**الميت واذ قدم ذلك إلى الجمع حلّ الأكل منه إلا ما يهيأ للنوائح والمعينات عليه بالبكاء والجزع فلا ينبغي أن يؤكل معهم**) وحاصل هذا أن الطعام الذي يصنع للمآتم على قسمين: قسم منه يصنعه أهل الميت للنوائح والبواكي ومن يعينهم على الجزع فأكل هذا منهي عنه، وقسم يحمل إليهم لشغلهم عن أنفسهم وإصلاح طعامهم بميتهم فهذا لا بأس بحمله إليهم، ويجوز الأكل منه إن أطعموه غيرهم لأنه من البر والمعروف إذا لم يرد به النوائح ولا المجالسة على القبور للجزع والأسى كذا في القوت.

(**السابع: لا ينبغي أن يحضر طعام ظالم**) وفاجر فإنه إن أكل طعامها صار من أعوانها مشاركاً لها في الطعمة، (**فإن أكره**) أي أكرهه سلطان على طعام أو قدم إليه شبهة أجبره على أكلها، (**فليقلل الأكل**) أي ليقلل بعلالة منه ولينقر تنقيراً ولا يكبر اللقم ولا يستكثر في الطعمة وليأكل ما يسد رمقه وما يخاف التلف لنفسه إن هو فارقه، (**ولا يقصد الطعام إلا طيب. رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان**) ولفظ القوت: حدثني بعض الشهود أن مزكياً من أهل العلم بخراسان رد شهادة شاهد أكل من طعام سلطان أجبره، (**فقال: كنت مكرهاً**) ولفظ القوت: أنه كان أجبرني على الأكل. (**قال**): قد علمت ذلك ولم أرد شهادتك لأنك أكلت، ولكني (**رأيتك تقصد الأطيب وتكبّر اللقمة وما كنت مكرهاً عليه**) ولفظ القوت:

على الأكل فقال: أما أن آكل وأخلي التزكية أو أزكي ولا آكل، فلم يجدوا بداً من تزكيته فتركوه. وحكي أن ذا النون المصري حبس ولم يأكل أياماً في السجن فكانت له أخت في الله فبعثت إليه طعاماً من مغزلها على يد السجان فامتنع فلم يأكل، فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال: كان حلالاً ولكن جاءني على طبق ظالم وأشار به إلى يد السجَّان وهذا غاية الورع.

فهل كان أجبرك على هذا فلأجل هذا جرحتك عند الحاكم، قال لنا الشيخ: (**وأجبر السلطان هذا المزكى على الأكل**) من ماله (**فقال**) اختاروا إحدى الخصلتين (**إما أن آكل**) كما أمرتم (**وأخلي التزكية**) أي لا أزكي أحداً بعد ذلك ولا أجرح ولا أعدل شاهداً (**أو أزكي ولا آكل**) من طعامكم، فنظر السلطان وذووه (**فلم يجدوا بداً من تزكيته**) لحسن نظره وقيامه بشأن الحكام وهم محتاجون إليه لأنه كان قليل النظير (**فتركوه**) وحده فلم يأكل من طعامهم شيئاً وأجبـروا من كان معه. قال صاحب القوت: وكانوا قد حملوا من نيسابور إلى بخارى في قصة طويلة حذفت سببها، والمعنى هذا باختلاف الألفاظ التي سمعتها ولكن توخيت ما سمعت على المعنى، قال: وقد كان بشر بن الحرث يقول في الآكل من الشبهات يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة، وكان إذا نفر وتكلم في الحلال قيل له فأنت يا أبا نصر من أين تأكل؟ فكان يقول: من حيث تأكلون، ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك. وقد كان سري السقطي رحمه الله تعالى يقول: لا يصبر على ترك الشبهات إلا من ترك الشهوات ففي تدبره أن من أحب الشهوات لم يترك الشبهات كما كان الزهري إذا عوتب في صحبة بني مروان يقول: أصدقكم الحق اتسعنا في الشهوات فضاق علينا ما في أيدينا فانبسطنا إليهم.

(**و**) من هذا الباب ما (**حكي أن ذا النون المصري**) المكنى أبا الفيض من أهل الخبرة ترجمه أبو نعيم في الحلية والقشيري في الرسالة. قال القشيري اسمه ثوبان بن إبراهيم، وقيل الفيض ابن إبراهيم، وأبوه كان نوبياً فائق هذا الشأن وواحد وقته علماً وحالاً وورعاً وأدباً، وكان رجلاً نحيفاً تعلوه حمرة ليس بأبيض اللحية توفي سنة ٢٤٥. (**رحمه الله تعالى حبس**) في كلام أنكره عليه العامة من العلم الغامض، وكان الحابس له على ذلك متولي مصر إذ ذاك من طرف الخلفاء، وهذه القصة غير التي حصلت له ببغداد فإنهم سعوا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل وردَّه مكرماً، وكان المتوكل إذا ذكر بين يديه أهل الورع يبكي ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحيهلا بذي النون كما في الرسالة، (**فلم يأكل أياماً في السجن**) مدة مقامه فيه وكانت المائدة تختلف إليه من قبل السلطان فلم يكن يطعم منها شيئاً، (**وكانت له أخت**) قد آخته (**في الله فبعثت إليه من غزلها**) أي من أجرته (**طعاماً**) ودفعته إليه (**على يد السجَّان**) فحمله إليه وعرفه أنه من قبل تلك العجوز الصالحة (**فامتنع ولم يأكل**) منه أيضاً فعلت ذلك معه مدة مقامه في السجن وهو يرده ولا يأكل، (**فعاتبته المرأة بعد ذلك**) لما لقيته على ردّ الطعام وقالت: قد علمت أنه كان من مغزلي. (**فقال**): نعم (**كان حلالاً ولكن جاءني على طبق**

الثامن: حكي عن فتح الموصلي رحمه الله أنه دخل على بشر الحافي زائراً فأخرج بشر درهماً فدفعه لأحد الجلاء خادمه وقال: اشترِ به طعاماً جيداً وأدماً طيباً. قال: فاشتريت خبزاً نظيفاً وقلت: لم يقل النبي ﷺ لشيء اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن فاشتريت اللبن واشريت تمراً جيداً فقدمت إليه فأكل وأخذ الباقي فقال بشر: أتدرون لم قلت اشترِ طعاماً طيباً؟ لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر، أتدرون لِمَ لم يقل لي كُلْ؟ لأنه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كُلْ. أتدرون لم حمل ما بقي؟ لأنه إذا صح التوكل لم يضر الحمل. وحكى أبو علي الروذباري رحمه الله عز وجل أنه اتخذ

ظالم) فرددته لأجل الظرف، **(أشار به إلى يد السجّان)** شبهه بالطبق. **(وهذا غاية الورع)** وفي القوت: هذا أغمض في الورع وما سمعت أدق منه.

(الثامن: حكي عن فتح الموصلي رحمه الله تعالى) تقدمت ترجمته في كتاب العلم **(أنه دخل على بشر)** بن الحرث **(الحافي)** رحمه الله تعالى **(زائراً فأخرج بشر درهماً فدفعه لأحد الجلاّء خادمه)** ترجمه أبو نعيم في الحلية وهو من كبار الصوفية **(وقال: اشتر به طعاماً جيداً وأداماً طيباً فاشتريت)** ببعض ذلك الدرهم **(خبزاً نظيفاً)** أي من لباب البر، **(وقلت)** في نفسي: **(لم يقل النبي ﷺ لشيء اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن)** كما تقدم تخريجه قريباً **(فاشتريت اللبن)** إداماً للخبز ببعض الدرهم، **(واشتريت بباقيه تمراً جيداً فقدمت إليه)** أي إلى فتح الموصلي، **(فأكل وأخذ الباقي)** أي ما فضل من أكله وقام، **(فقال: تدرون لم قلت اشتر طعاماً طيباً؟ لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر)** لله تعالى، وقد تقدم من كلام أبي سليمان الداراني ما يقرب من ذلك، وكذا من كلام المأمون العباسي في شرب الماء بالثلج. **(تدرون لم لم يقل لي)** فتح **(كُلْ لأنه)** ضيف وارد، و**(ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كُل)** بل صاحب الدار هو الذي يقول له ذلك. **(تدرون لم حمل ما بقي)** من الطعام، **(لأنه إذا صح التوكل)** على الله **(لم يضر الحمل)** ولو أن ظاهره مناقض لمقام التوكل، ولكن عند الكمل في هذا المقام يتساوى الأمران.

وذكر صاحب القوت في باب رياضة المريدين في الأكل ما نصه: كان بشر رحمه الله تعالى قد أصبح ذات يوم صائماً فزاره فتح الموصلي: قال حسين المغازلي: فدفع إليَّ كفاً من دراهم فقال: اشتر لنا أطيب ما تجد من الحلاوة وأطيب ما تجد من الطيب. قال: وما قال لي مثل ذلك قط فوضعت الطعام بين أيديهم فجعل يأكل معه وما رأيته أكل مع غيره. قال: ودفع إبراهيم بن أدهم إلى بعض إخوانه دراهم، فقال: خذ لنا بهذه خبزاً وعسلاً وخبز حواري، فقلت يا أبا إسحاق بهذا كله. فقال: ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال.

(وحكى أبو علي) محمد بن القاسم بن منصور بن شهيريار **(الروذباري)** الإمام الجليل شيخ

ضيافة فأوقد فيها ألف سراج فقال له رجل: قد أسرفت، فقال له: ادخل فَكُلْ ما أوقدته لغير الله فأطفئه، فدخل الرجل فلم يقدر على اطفاء واحد منها فانقطع، واشترى أبو علي الروذباري أحمالاً من السكر وأمر الحلاويين حتى بنوا جداراً من السكر عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من سكر، ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها.

التاسع: قال الشافعي رضي الله عنه: الأكل على أربعة أنحاء. الأكل باصبع من المقت، وبأصبعين من الكبر، وبثلاث أصابع من السنة، وبأربع وخمس من الشره. وأربعة

الصوفية في وقته اختلف في اسمه فقيل كما ذكرناه وهو الذي قدمه ابن الصلاح، وقال أبو عبد الرحمن السلمي أنه الأصح، وذكره كذلك القشيري في الرسالة وقيل: هو محمد بن أحمد بن القاسم، وهو الذي ذكره ابن السمعاني في الأنساب، وكذلك الخطيب ذكره في المحمدين من تاريخه، وقيل الحسين بن همام حكاه ابن السمعاني أيضاً. سكن بغداد ونشأ بها على طريقة حسنة، وصحب أبا القاسم الجنيد، وأبا الحسين النوري؛ وأبا حمزة وطبقتهم، وصحب بالشام أبا عبد الله ابن الجلاء وغيره، وتفقه بابن سريج، وسمع الحديث من مسعود الرملي وغيره، وانتقل إلى مصر واستوطنها وصار شيخ الصوفية بها، وأخذ عنه جماعة منهم ابن أخته أحمد بن عطاء الروذباري، ومحمد بن عبد الله بن شاذان الرازي، وأحمد بن علي الوجيهي، ومعروف الزنجاني وآخرون. قال القشيري: هو أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة مات سنة ٣٢٢. (**عن رجل أنه اتخذ ضيافة فأوقد فيها ألف سراج، فقال له رجل: أسرفت. فقال: ادخل فكل ما أوقدته لغير الله فاطفئه، فدخل الرجل فلم يقدر على إطفاء واحد منها فانقطع**). وله من هذا النحو حكايات وطرف ونوادر أورد غالبها أبو نعيم في الحلية (**واشترى أبو علي الروذباري**) رحمه الله تعالى هذا الذي ذكرنا ترجمته (**أحمالاً من السكر وأمر الحلاويين**) الذي يطبخون السكر ويعالجون الحلوى (**حتى بنوا جداراً من السكر عليه شرف ومحاريب على أعمدة منقوشة كلها من السكر، ثم دعا الصوفية حتى هدموها وانتهبوها**) وهذا من الإنفاق في سبيل الله مما كان يحبه ويحبونه ولهم أحوال مختلفة ونيات صالحة.

(**قال الشافعي رضي الله عنه: الأكل على أربعة انحاء**) أي أنواع. (**الأكل باصبع**) واحدة (**من المقت، و**) الأكل (**بأصبعين من الكبر، و**) الأكل (**بثلاثة أصابع من السنّة، و**) الأكل (**بأربع وخمس من الشره**).

قلت بعض ذلك قد ورد مرفوعاً. قال العراقي: رواه مسلم من حديث كعب بن مالك «كان النبي ﷺ يأكل بثلاث أصابع» وروى ابن الجوزي في العلل من حديث ابن عباس موقوفاً «كل بثلاث أصابع فإنه من السنة». اهـ.

أشياء تقوي البدن: أكـل اللحـم، وشم الطيـب، وكثرة الغسـل مـن غير جماع، ولبس الكتان. وأربعة توهن البدن: كثرة الجماع، وكثرة الهم، وكثرة شرب الماء على الريق،

قلـت: ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس مرفوعاً «يا ابن عباس لا تأكل بأصبعين فإنها أكلة الشيطان وكل بثلاث أصابع». ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديثه مرفوعاً «لا تأكلوا بهاتين وأشار بالابهام والمشيرة كلوا بثلاث فإنها سنّة ولا تأكلوا بخمس فإنها أكلة الأعراب».

وروى أبو أحمد الفطري في جزئه، وابن النجار من حديث أبي هريرة رفعه «الأكل باصبع واحدة أكل الشيطان وبالاثنين أكل الجبابرة وبالثلاث أكل الأنبياء». وروى الترمذي في الشمائل كان يأكل باصابعه الثلاث. قال الشارح: الإبهام والسبابة والوسطى يبدأ بالوسطى لكونها أكثر تلويثاً إذ هي أطول فيقبض فيها من الطعام أكثر من غيرها، ولأنها لطولها أول ما ينزل في الطعام ثم بالسبابة ثم بالابهام لخبر الطبراني في الأوسط: رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث بالابهام والتي تليها والوسطى، ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى ثم التي تليها ثم الإبهام. وفي الأحاديث ندب الأكل بالثلاث، ومحله أن كفت وإلاَّ فكما في المائع زاد بحسب الحاجة وإنما اقتصر ﷺ على الثلاثة لأنه الأنفع إذ الأكل باصبع أكل المتكبرين لا يستلذ به الآكل ولا يستمـريه لضعف ما يناله منه كل مرة فهو كمن أخذ حقه حبة حبة، وبالخمس يوجب إزدحام الطعام على مجراه والمعدة فربما انسد مجراه فأوجب الموت فوراً، وما جاء في حديث مرسل أنه ﷺ كان إذا أكل أكل بخمس هو محمول على المائع، والله أعلم.

(و) قالت الحكماء (**أربع**) خصال (**تقوي البدن: أكل اللحم**) أي الحولي من الضأن والعجول كما تقدم وتقوي البصر أيضاً بخاصية، (**وشم الطيب**) أي الروائح الطيبة من أي نوع كان، (**وكثرة الغسل من غير جماع**) أي المداومة عليه فإنه يعيد القوة إلى البدن، (**ولبس الكتان**) الصفيق فإنه ينعم البدن ويقويه.

(**وأربع توهن البدن**) أي تضعفه (**كثرة الجماع**) مع وجود الداعية إليه بل هو مهلك، وقد أشار إليه القائل:

ثلاث مهلكـــــات للأنــــــام ... وداعيـة الصحيــح إلى السقـــام
دوام مـــدامـــــة ودوام وطء ... وإدخـال الطعـــام على الطعـــام

وتقدم أن الجماع ليست له مدة مقدرة، وإنما هو عند شدة الشبق وانتشار الذكر من غير سابق فكر أو نظر إلى صورة جميلة، وقد يعرض ذلك عند مطالعة كتب الباه والأخبار المحكية في المناكحين فهو شهوة عارضة لا اعتبار لها، (**وكثرة الهم**) لأنه يريده ولا يستطيعه فإنه يضني البدن ويسهر العين ويورث القلق بخاصية فيه، والهم يختلف باختلاف الأشخاص والأمر المهم فيه فقد يكون الشيء الصعب في نفسه عند شخص سهلاً يسيراً عند آخر، وقد يكون الأمر المهتم به مما

وكثرة أكل الحموضة. وأربعة تقوي البصر: الجلوس تجاه القبلة، والكحل عند النوم، والنظر إلى الخضرة، وتنظيف الملبس. وأربعة توهن البصر: النظر إلى القذر، والنظر إلى المصلوب، والنظر إلى فرج المرأة، والقعود في استدبار القبلة. وأربعة تزيد في الجماع:

يستطيعه من غير مشقة فلا يكترث له فهو أقل من الأوّل، ومن جملة الهموم ثقل الدين حتى قيل لاهم إلا همّ الدين، ولا وجع إلا وجع العين فتحمله أحد أسباب تضعف البدن، **(وكثرة شرب الماء على الريق)** أي عند قيامه من النوم قبل أن يتناول شيئاً من المأكول. ومفهومه أن القليل منه في بعض الأحيان لا يضر. قالوا: إذا احتاج الإنسان إلى شرب ماء وقد دعته نفسه إليه لإطفاء لهيب الكبد، فليشرب من كوز ضيق الرأس وليمصه مصاً نحو ثلاث مرات، فإنه لا يضره. ويضاده ما رواه ابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة رفعه «شرب الماء على الريق يعقد الشحم» قال: وفيه عاصم بن سليمان العبدي كان يضع ويمكن الجمع بينهما فتأمل، **(وكثرة أكل الحموضة)** وهي نوع من الطعم معروف واستثنى بعضهم منه الليمون، وقالوا: كل حامض داء إلا الليمون وسبب ذلك أن الحوامض بأنواعها تفسد الدم وقوّة البدن إنما هي من الدم.

(وأربع تقوي البصر) أي نور العين **(الجلوس على حيال القبلة)** أي تجاهها وليداوم على ذلك، فقد ورد «أكرم المجالس ما استقبل به القبلة». **(و)** استعمال **(الكحل عند)** إرادة **(النوم)** أي بالليل، ويشترط أن يكون المكتحل به هو الاثمد، ففي الخبر أن النبي ﷺ كان يكتحل به وهو أشرف الأكحال، وقد ذكر الصاغاني في تركيب غبق في تكملته على الصحاح أن زرقاء اليمامة كانت تغتبق كل ليلة بالاثمد وذكر لها قصة، وإنما قيده عند النوم فإنه أنفع للعين لهدوّها وسكونها عن الحركات، **(والنظر إلى الخضرة)** من أي نوع كان، فقد قيل: أربع يذهبن عن القلب الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن وفي النظر إلى الخضرة أخبار وردت غالبها لا يخلو من موضوع أو ضعف منكر، وقد ألف فيه الحافظ السيوطي رسالة جمع فيها الأخبار الواردة فيه. **(وتنظيف الملبس)** فإنه يقل الهم ويقوي البصر ويفرح النفس، والمراد من تنظيفه غسله من الأوساخ والنجاسات وما يتولد من الأعراق من إدمان اللبس، وهذا يختلف باختلاف البلدان والأشخاص، ففي البلاد الحارة لا يصبر الإنسان على ملبس سبعة أيام متوالية لكثرة الأعراق، وفي البلاد الباردة يصبر سبعة وعشرة فصاعداً. وبالنظر إلى الاشخاص فأصحاب الكد والأشغال الشاقة والساعون في المعاش تتقذر ملابسهم أكثر من أصحاب الدعة وملازمي البيوت.

(وأربع توهن البصر) أي تضعفه **(النظر إلى القذر)** أي الشيء المستقذر تنبو عنه، فإذا كرر النظر إليه فقد كلفها ما لا تستطيع فيضعف نورها لأنها بطبعها لا تميل إلا إلى مستحسن **(والنظر إلى المصلوب)** على الخشبة والمراد تكرير النظر إليه، فأما إذا وقع فجأة عليه وعلى الذي قبله فليس داخلاً فيه، **(والنظر إلى فرج المرأة)** أو إلى داخله عند الجماع بالقصد والاختيار، فأما إذا وقع بصره عليه عند الجماع من غير قصد أو نظر في ظاهره فليس داخلاً فيه، بل قيل إنه يورث العمى أعاذنا الله من ذلك، وقد جرب ذلك حتى قيل: إن سيدنا عبد الله بن

أكل العصافير، وأكل الاطريفل الأكبر، وأكل الفستق، وأكل الجرجير. والنوم على

عباس إنما أصيب في بصره من أجل ذلك، وكان إذا جامع لولا يكشف عليه ويراه ما تم حظه في الجماع، وعلى هذا القدم جماعة. لكن ينبغي الحذر من ذلك وعدم التقصد، وفي الخبر: إن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت منه ولا رأى مني تعني به النبي ﷺ، فهذا هو السنّة والأدب. (**والقعود في استدبار القبلة**) أي يوليها بظهره.

(**وأربع تزيد في النكاح**) أي قوّة الجماع (**أكل العصافير**) جمع عصفور وهو طائر معروف وأجوده الشتوي السمين حار يابس في الثانية يزيد في الباه ويهيج الأنعاظ وخاصة خصيته ودماغه، وخصوصاً إذا كان في وقت هيجانه، وخصوصاً إذا اتخذ منه عجة بصفرة البيض، وينبغي أن يعمل بدهن اللوز. (**وأكل الاطر يفل الأكبر**) هي بالكسر لفظة عجمية عربت يقع على الهليلج الكافلي والبليلج والأملج، وثالثتها مقوية للأعضاء العصبية دابغة لآلات الغذاء من الفضلات جمعت وركبت لمساواتها في المنفعة ومعونة بعضها بعضاً وجعلت متساوية الوزن لتشابه قواها ومنافعها، وقد يضاف إليها الهليلج الأصفر والأسود والمندى بمثل أوزانها لقربها منها في المزاج والمنفعة والتقوية والتنقية فيصير أكمل وأقوى فعلاً، وتلت بعد سحقها بالسمن أو دهن اللوز لكسر شدة يبوستها لأن اليبوسة ضارة للقوّة الهاضمة إذا جاوزت بعد التقوية مكان الغذاء، ولذلك إدمان الاطر يفل يورث الهزال والسمن أولى لأنه أقوى الأدهان الموافقة لمزاج الإنسان إن استعمل في الوقت، فأما إذا تأخر استعماله فدهن اللوز أولى لأن السمن تتغير رائحته سريعاً، وقد ينقع الأملج في اللبن ليزول تجفيفه ويسمى سمن أملج وذلك في غير الاطر يفلات أولى، وينبغي أن يجعل العسل ضعف الأدوية في الأطر يفلات حيث يراد تمام فعلها وكماله، وقد يجعل ثلاثة أمثاله ليصير ألطف وأقل بشاعة وتدق الأجزاء دقاً جريشاً ناعماً ويودع في ظرف صيني أو زجاج أو فضلة أو ذهب أو قلعي لا ظرف رصاص أسود، ولا يملأ الظرف منه بل يترك له منافس تخرج منها الأبخرة، ثم يخزن في الشعير ليرجع إلى الحالة الأولى، ووقت استعماله أن يكون بالليل عند النوم إلا إذا كانت مسهلة فإنها تستعمل في النهار وقيده بالأكبر لأنه أكبر وأصغر، فالاصغر منسوب لرفع رياح البواسير ويقوي الحواس ويصفي الذهن ويمنع سرعة الشيب، وأما الأكبر فيزيد عليه بأنه يعين على الباه إعانة قوية ويسمن البدن، وتركيبه غير الثلاثة المذكورة من خمسة عشر جزءاً ذكرها الأطباء في كتبهم وهو مشهور لا نطيل به هنا.

وجاء خبر في الأطر يفل روى الديلمي من طريق أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، حدثني أبي، عن جده سليمان، عن أبيه، عن جده ابن عباس قال: كنا عند النبي ﷺ وأكل مراً فسألنا عن الدواء فقال: هذا الاطريفل. قلنا: وما الاطريفل؟ قال هليلج أسود وبليلج وأملج يغلى بسمن البقر ويعمل بعسل.

(**وأكل الفستق**) هو بالضم من تركيب اللوز على حبة الخضراء يقوي فم المعدة ويمنع الغثيان

أربعة أنحاء: فنوم على القفا. وهو نوم الأنبياء عليهم السلام يتفكرون في خلق السموات والأرض، ونوم على اليمين، وهو نوم العلماء والعباد، ونوم على الشمال وهو نوم الملوك ليهضم طعامهم، ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين. وأربعة تزيد في العقل: ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء. وأربعة هن من العباد لا يخطو

ووجع الكبد ويقوي القلب ويفرحه ويزكي ويزيد في الباه وينفع من السعال البلغمي. **(وأكل الجرجير)** هو بالكسر نبت منه بري وبستاني حار في الثانية رطب في الأولى مهيج للباه، ولا ينبغي أن يؤكل وحده لأنه يصدع لشدة إسخانه ويظلم العين فيخلط بالخس والهندبا ليعتدل وفيه هضم الطعام وإدرار البول.

(والنوم على أربعة انحاء فنوم على القفا) أي على الظهر، **(وهو نوم الأنبياء عليهم السلام)** فإنهم **(يتفكرون في خلق السموات والأرض)** وما فيها من العجائب الدالة على عظيم قدرته وباهر سلطانه، وهو أيضاً نوم المجاذيب وهو من عادة الضعفاء من المرضى لما يعرض لعضلاتهم من الضعف ولأعصابهم فلا يحمل جنباً جنباً بل يسرع إلى الاستلقاء على الظهر إذ الظهر أقوى من الجنب، وهذه الهيئة من النوم مذمومة عند الأطباء. قالوا: النوم مستلقياً على الظهر يهيء الأمراض الردية مثل السكتة والسل والسعال وأوجاع العصب والظهر والنزلة والزكام والفالج، وذلك لأنه يميل بالفضول إلى خلف فيحبس من مجاريها التي هي قدام مثل المنخرين والحنك لكنه يقوي الباه. **(ونوع على اليمين وهو نوم العلماء والعباد)** القائمين بالليل وهو أسرع إلى الانتباه لأن القلب يبقى معلقاً. **(ونوم على الشمال وهو نوم الملوك)** أصحاب الدعة والراحة ونوم الحكماء كذلك **(ليهضم طعامهم)**، وقد ذكروا في تدبير النوم أن من استعان به على الهضم فليبتدىء أولاً بالنوم على اليمين قليلاً لينحدر الغذاء إلى قعر المعدة لميلها إلى اليمين لسهولة جذب الكبد له فهناك الهضم ثم عاد إلى اليسار طويلاً ليشتمل الكبد على المعدة فيسخنها فإذا تم الهضم عاد إلى اليمين ليعين على الانحدار إلى جهة الكبد، **(ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين)** والمنافقين والكفار. قالوا: إن النوم على البطن يعين على الهضم معونة جيدة كما يخفف من الحار الغريزي ويحصره فيكثر.

(وأربع تزيد في العقل) وتقويه **(ترك الفضول من الكلام)** وهو ما لا يعنيه منه، وقد وردت فيه أخبار استوفاها أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الصمت، وكان يقال بترك الفضول تكمل العقول، وباحتمال المؤنات يجب السؤدد، ولا يتجرأ على الكلام إلا فائق أو مائق. **(والسواك)** وقد ورد فيه من حديث ابن عباس وأبي هريرة أنه يذهب بالبلغم ويزيد في العقل، **(ومجالسة الصالحين، و)** مخالطة **(العلماء)** أرباب الدين. روى الطبراني في الكبير، والخرائطي في مكارم الأخلاق والعسكري في الأمثال من حديث أبي حجيفة «جالسوا العلماء وسائلوا الكبراء

خطوة إلا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة قراءة القرآن. وقال أيضاً: عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت؟ وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الأكل كيف لا يموت؟ وقال: لم أرَ شيئاً أنفع في الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب، والله أعلم بالصواب.

وخالطوا الحكماء» وروى الديلمي من حديث أنس «جالس العلماء تعرف في السماء ووقر كبير المسلمين تجاورني في الجنة».

(وأربع هي من العبادة لا تخطو خطوة إلا على الوضوء) فقد ورد أنه سلاح المؤمن وتقدم في كتاب الطهارة، **(وكثرة السجود)** فقد ورد «أعني على نفسك بكثرة السجود» وتقدم في كتاب الصلاة، **(ولزوم المساجد)** أي معاهدتها في أوقات الصلوات والجلوس فيها انتظاراً لها والدخول فيها أوائل الناس قبل الوقت والخروج منها في أواخرهم، **(وكثرة قراءة القرآن)** غيباً أو نظراً في المصحف، وقد ورد في كل ذلك ما تقدم ذكره.

(وقال أيضاً عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الأكل بعد أن يخرج كيف لا يموت) لأن الحمام يحلل فضول البدن ويفتح المسام، فإذا دخله خالي الجوف أورثه الهزال فإذا خرج وأكل طعاماً حصل السدد في العروق فيكون سبباً لهلاكه، كما أن دخوله على البطنة يولد القولنج، والمستحب أن يتناول شيئاً قبل دخوله فإنه يسمن ولكن يخاف منه السدد فليحترز عنها بالسكنجبين الساذج أو البزوري ثم يتغذى بعده فيسمن باعتدال مع الأمن من السدد، **(وعجبت لمن احتجم ثم يبادر الأكل كيف لا يموت)** قالوا غذاء المحتجم يجب أن يكون بعد مضي ساعة، وكذلك لا يبادر بالجماع بعدها وقبلها، وكذا الغضب الشديد والحركة الكثيرة المتعبة، ومن أكل البيض بعد الحجامة أصابته اللقوة.

(وقال الشافعي رضي الله عنه: لم أر شيئاً أنفع في الوباء من البنفسج يدهن به ويشرب) هكذا أورده الايدي والبيهقي كلاهما في ترجمته، ونقله ابن السبكي وابن كثير كلاهما في الطبقات، والحافظ ابن حجر في بذل الماعون. والبنفسج نبت معروف فإذا أطلق أريد به زهره فقط أجوده الأزرق اللازوردي المضاعف بارد رطب في الأوّل يولد دماً معتدلاً ويسكن الصداع الدموي والصفراوي شماً وضماداً وشمه يجلب النوم، والادهان بدهنه ينفع من السهر ويرطب البدن ويعدل الأخلاط وهو طلاء جيد للجرب، وينبغي أن يكون المستعمل من زهره المقطوع العروق ليكون مضرته للمعدة أقل، وطريق تجفيف البنفسج أن يقطف زهره ويبسط في الظل حتى ينشف وإذا نشف يخلى ساعة في الشمس ويرفع. وهكذا تجفيف الورد وسائر الأزهار اللطيفة لئلا تزول ألوانها فتضعف أفعالها وقد يخلط مع السكر المدقوق ويرفع ويسمى هذا خميرة، وأما شرابه المتخذ من جلاب السكر معتدل في البرد مرطب ينفع من ذات الجنب والرئة وآلات الصدر ووجع الكلى والمثانة ويدر البول والصفراء ويلين الطبع برفق، وصفته أن يؤخذ لكل عشرة أرطال سكر محلول

من البنفسج العراقي الأزرق السالم من العفونة سبع أواق ينقع في ماء شديد الحرارة ويترك حتى يبرد ويوضع على النار في قدر برام ويغطى بغطاء خشب ويترك حتى ينقص منه الربع، وينزل عن النار حتى يبرد ويمرس مرساً خفيفاً ويصفى ويلقى على ذلك السكر المحلول ويؤخذ له قوام، وأما دهنه فبارد رطب ينفع الجرب طلاء ويلين صلابة المفاصل والعصب وينفع من الصداع الحار اليابس وينوّم أصحاب السهر ولاستخراجه طرق كثيرة ليس هذا محل ذكرها.

تنبيه:

الوباء فساد يعرض لجوهر الهواء وهو مضر بالحيوان والنبات يحدث للجدري والحصبة والطواعين والجمرة والأكلة وسائر القروح الخبيثة والحميات، وسبب ذلك إما أرضي أو سماوي كالماء الآسن والجيف الكثيرة كما في الملاحم إذا لم تدفن القتلى ولم تحرق والتربة الكثيرة النداء الكثيرة العفن، وقد يكون عن بخار رديء من ثمار أو بقول عفنة، أو من بحر، أو من خنادق، أو آجام. وإذا كثرت الشهب والنجوم في آخر الصيف وفي الخريف انذر بالوباء، وكذلك الجنوب والصبا في الكانونين، وإذا كثرت علامات المطر ولم يمطر وتكرر ذلك فمزاج الشتاء فاسد، وإذا رأيت الحشرات والضفادع كثرت وصرفت الحيوانات الزكية الحس كاللقلق وغابت قبل أوان غيبتها عادة، وهربت الفأرة من حجرها سدرة ملقاة، فالوباء قريب والتدبير فيه تعديل المزاج بالأشربة الباردة، وهجر الجماع والحلاوات والفواكه المحلوّة والسريعة الفساد كالخوخ والمشمش والبطيخ الأصفر والقراصيا الحلوة والتوت الحلو والرطب، واجتناب الاغذية الردية وترك الحركة العنيفة والامتلاء، ولا يصابر على جوع ولا عطش ويشرب الماء المبرد بثلج وجمد، وشرب الماء عبا خير من شربه قليلاً قليلاً فإنه ربما أضر لتثويره الحرارة وإن لم تكن شهوة الغذاء يتكلف الأكل قليلاً لتتعلق الحرارة بمادة الحياة، ويقتصر على المجففات والحوامض كلها جيدة، ويطرح في الماء المشروب الطين الأرمني أو يسير خل ويقلل من الحمّام والأعراق، ومن أنفع الأدوية في أيامه هذا صبر سقوطري جزآن زعفران جزء مر صافي جزء يؤخذ منه نصف مثقال بماء ورد.

(خاتمة):

تشتمل على مهمات: منها ما فيه إيضاح لما أبهمه المصنف، ومنها ما فيه تفصيل لما أجمله، ومنها ماله تعلق بكماله بحسب المناسبة.

الأولى: تدبير الأسباب الضرورية كالمأكول، فينبغي أن يؤخذ من الغذاء الملائم قدر ما يمسك القوّة ويشد الشهوة ولا يمدد المعدة ولا يثقل عليها ولا يسرع معه عطش ولا يتبعه جشاء فاسد ولا يحدث منه نفخ، بل تعقبه خفة وراحة ويدفع فضلاته في الوقت المعتاد، ويقتصر على الخبز النقي من الشوائب المؤذية كالشلم وعلى لحوم الحولي من الضأن والعجول والأجدية، ولا يؤكل بلا شهوة صادقة لأنه لا تشتمل عليه المعدة ولا تقبله القوّة الهاضمة فيفسد ويفسد، ولا بدافع الشهوة

....

الهائجة لأن المعدة الخالية الطالبة للغذاء إذا لم يرد عليها شيء من الأغذية ينصب إليها مر أو صديدي يبطل الشهوة الصادقة ويمرر الفم ويوجب التهوّع، وإدخال طعام على طعام لم ينهضم رديء، وتكثير الألوان محير للطبيعة والغذاء اللذيذ أحمد ولا يكثر منه ولا يتحرك على الطعام إلا يسيراً قدر ما يجدده.

الثانية: في ترتيب الأطعمة. يقدم الألطف على الاغلظ فيقدم البقول المسلوقة على البيض وهو على لحم الطير وهو على لحم ذوات الأربع، ويقدم الفواكه الملينة على الطعام كالعنب والتين، وتؤخر القابضة بعد استقراره في المعدة كالتفاح والكمثري والسفرجل إلا لمن به زلق في المعدة، وأما البطيخ فلا يؤخذ مع غذاء آخر فيفسده، وتقدم الفواكه على البقول، والبقول على الثرائد، والثرائد على اللحمان، والحلوى يجب أن يكون آخر الأشياء لثقله وإبطاء هضمه وملازمة التفه فيسقط الشهوة، والحامض يجفف ويسرع الهرم ويضر العصب، والحلو يرخي الشهوة ويحمي الأبدان ويوافق الأعصاب، والمالح يجفف ويهزل، والمر يضاد المزاج والشهوة والطبيعة إذ هو أبعد الأشياء عن جوهر الغذاء، فليدفع مضرة الحلو بالحامض والحامض بالحلو والدسم بالمالح أو الحريف وبالعكس، يعني إذا أكل حافظ الصحة في يوم أو يومين غذاء حلواً مثلاً، فينبغي أن يأكل في يوم آخر غذاء حامضاً حتى يتدارك ماحصل من ذلك، ويجوز أن يكون عقيب الحلو حامضاً قليلاً، والثاني على هذا القياس، وملازمة الحمية تفكك القوة وتهزل البدن بل هي في الصحة كالتخليط في المرض، وليس المراد بهذا أن يجمع بين ألوان وأصناف كثيرة من الأغذية والأشربة في أكلة واحدة، بل المراد إما ما قلنا من تدارك الحلو بالحامض والتفه بالحريض والمالح وهما به أو أن يجمع بين غذاءين مختلفين ولا يتجاوز ثلاثة لأن الأكثر منها محير للطبيعة وليترك الغذاء وفي النفس له بقية شهوة، فإن البقية من تقاضي الجوع فيبطل بعد ساعة ويبقى هو خفيف النفس نشيطاً محمود الهضم آمناً من قوله الفضولي: وإن أكل شهوته ثقل عليه بعد ذلك، وإن أفرط يوماً جاع في اليوم الثاني، وأطال النوم في مكان معتدل لتبعث الحرارة وتدفع الفضلات الحاصلة في أوعية الغذاء ومراعاة العادات في الواجبات وغيرها واجبة، وأجود النوب للأكل أن يؤكل في يومين ثلاث مرات. أعني في يوم مرتين طرفي النهار، وفي يوم مرة وسط النهار، وصاحب المعدة الحارة لا يأكل مرة واحدة ما يكفيه بل يتدرج قليلاً قليلاً والأغذية تختلف باختلاف الطبيعة.

الثالثة: في ذكر ما ينهى عن الجمع بين الأغذية. فاعلم أنه قد نهى المجربون عن الجمع بين الأغذية في نوبة واحدة، بل في يوم واحد يعسر أذيات كثير منها بالقياس. قالوا: لا يجمع بين السمك واللبن فيولدان أمراضاً مزمنة كالجذام والفالج، ولا لبن مع حامض حتى نهوا عن الجمع بين المضيرة والاجاجية، ولا السويق على الأرز باللبن، ولا العنب على الرؤوس، ولا الرمان على الهريسة، والمنهي في هذه الثلاثة هذا الترتيب والتعقيب لا مطلق الجمع، فإنه يجوز أن يؤكل أولاً

....

العنب، ثم الرؤوس والرمان، ثم الهريسة والسويق، ثم الارز ولا الخل مع الارز، ولا الماست مع الفجل ولا مع لحوم الطير، ولا بين فراخ الحمام والثوم والبصل والخردل، ولا يطبخ اللحم القديد بالخل والثوم، ولا يجمع بين الثوم والسمك الطري والتين، فإنه يخاف أن يورث البهق والبرص، ولا يجمع بين بيض الدجاج والجبن الطري، ولا بين الباقلا والصقراط، ولا بين الثوم والبصل، ولا بين البيض والسمك فإنهما إذا اجتمعا في المعدة يولدان القولنج وريح البواسير ووجع الأضراس، ولا يؤكل العسل على البطيخ ولا بالعكس، ولا ينبغي أن يجعل الخل في الإناء المتخذ من النحاس والقلعي.

الرابعة: في تدبير المشروب، فاعلم انه إنما يستعمل من الماء المحمود ما كان خالص البرد عند العطش الصادق قدر الري بغير زيادة عليه بعد سروع الغذاء للهضم لا عقيب الطعام، فإنه يفحج بل يتربص المحرور بعده نصف ساعة وغيره لا أقل من ساعتين، فإن الصبر على العطش يوهن العطش ويكسره، ثم أنه قد يذهب به وخصوصاً في المرطوبين، كما يذهب الصبر على السعلة بالسعلة، وعن الحكة بالحك واستعماله في خلال الطعام أردأ لانه يفرق بين الغذاء ويطفئه في المعدة فلا ينهضم جيداً وتحصل منه مفاسد على أن من الناس من ينتفع بذلك وهو حار المعدة، ولا سيما عند تناول غذاء يابس بالفعل. وينبغي أن يحذر من شرب الماء الصادق البرد دفعة مقداراً كثيراً قبل الطعام وبعده، لأنه يطفيء حرارة المعدة، وفي خلال الأكل وبعد أن يترك الأكل ساعة لا ينبغي أن يستوفي الري بل يتجرع جرعاً لأن الماء إذا كثر في هذا الوقت منع المعدة عن الاحتواء على الطعام وولد النفخ والقراقر وأساء الهضم، وربما أورث انطلاق البطن، وقلة الشرب على المائدة والامتناع عنه محمود إلا أن الحار المعدة إذا احتمل العطش عند ذلك بسط الطعام في معدته وفسد وهاج الجشاء الدخاني، ولذلك يكون الأصلح له أن يتحمل العطش تحملاً شديداً ولا يعطي نفسه ريحاً، لكن يسكن بأثره العطش بالتجرع قليلاً قليلاً ما دام يأكل. ومن الناس من تكون شهوته للغذاء ضعيفة، فإذا شرب الماء قويت وذلك لتعديله حرارة المعدة، والشرب على الريق أو عقب الحركة وخصوصاً الجماع، وعلى الفاكهة وخصوصاً البطيخ وفي الحمام أو عقيبه رديء جداً ماء كان المشروب أو شراباً، فإن لم يكن فقليل من كوز ضيق الرأس امتصاصاً إن كان كالاحتياج إلى الماء بسبب حرارة المريء والرئة ويبوستها، وإن كان اشتعال في المعدة أو الكبد فيرخص الري دفعة لئلا يؤدي إلى احتراق، فلا يجوز الشرب على الريق إلا للمحموم والمحرور والمخمور فقط، وكثيراً ما يكون عطش عن بلغم مالح أو لزج، وكلما روعي بالشرب ازداد فإن صبر عليه أنضجت الطبيعة المادة المعطشة، وإذابتها فسكن من ذاته ومن مثل هذا كثيراً ما يسكن بالأشياء الحارة كالعسل وبذر الرازيانج وعصيره، وما دام الطعام في المعدة فلا يشرب غير الماء.

الخامسة: تقدم للمصنف أن الحلوى بعد الطعام من الطيبات من الرزق فاحتاج الأمر إلى التكلم على أنواعها وكيفياتها، ليكون الآكل منها على بصيرة. فاعلم أن جميع الحلاوات زائد في الدم والمني

....

مسمن للبدن ويغذي غذاء كثيراً جداً. والشيء الحلو إذ كان من الأشياء الأصلية كالتمر والعسل كان أشد تثخيناً واحراقاً للدم، وأما الحلوى الدسم كالفالوذجات والأخبصة وما أشبهها فإنها أقل غائلة من تثوير الحرارة إلا أنها أثقل على المعدة لمكان الدسومة، وكل طعام حلو ودسم فهو يشبع سريعاً من قبل أنه ينبسط وينتفخ فيصير من اليسير منه مقدار كثير فيملأ البطن لذلك، وكل غذاء غليظ لزج إذا خلط حلاوة فهو سريع الإحداث للسدد في الكبد والطحال، وقد تتولد منه الحجارة في الكلى والمثانة خصوصاً ما اتخذ بالدقيق والنشا وتعقل البطن أيضاً، وما اتخذ بالعسل فهو أقل ضرراً لمن كانت احشاؤه سليمة من السدد، وما عمل بالسكر الطبرزد واللوز والمقشر فهو أقل إسخاناً. فمن أنواع الحلاويات التي يؤتي بها بعد الطعام عادة الفالوذج أجوده السكري وهو كثير الغذاء بطيء النزول والهضم يضر أصحاب السدد في الطحال والكبد، والمتخذ بالسكر ودهن اللوز معتدل يصلح لمن نهك بدنه وإدمانه يورث السدد. وأما المشايخ والمبرودون فالعسلي أوفق لهم.

ومنها: القطائف وهو الكنافة بمصر والفداوش بالمغرب غليظ وخم كثير الغذاء يصلح لمن أدمن الرياضة وهو بطيء الهضم، والإدمان عليه يحدث الحصى في المثانة.

ومنها: الزلابية وهي أخف من القطائف وأنفع انهضاماً ينفع من السعال الرطب، والعسلية منها قوية الاسخان، والسكرية أسكن حرارة.

ومنها: المهلبية وهي المتخذة من دقيق الأرز والسكر واللبن كثيرة الغذاء مقوية للبدن جداً زائدة في الدم والمني ملينة للصدر وتضر بالصفراويين، وينبغي أن يطال النوم بعدها ولا يؤكل على أطعمة غليظة حامضة.

ومنها: التعاطف ويدخل تحته أنواع كاللوزينج والجوزية والخشخاشية والفستقية والسمسمية المعروفة بالطحينية، وصنعته أن يعقد السكر المحلول أو العسل على نار هادئة ويصير بحيث إذا أخذ منه وبرد تكسر وتقصف، ثم يعجن منه بعد رفعه ما يراد عجنه فيه كاللوز وهي اللوزينج وهي صالحة للصدر والرئة وخشونة المثانة، أو الجوز فهي الجوزية وهي قريبة الفعل من اللوزية، والخشخاش وهي الخشخاشية جالبة للنوم جيدة للسعال وحرقة البول زائدة في الباءة أو الفستق فهي الفستقية توافق من كان في صدره أو رئته خلط بلغمي ولمن به سدد في هذه المواضع، أو السمسم فهي الطحينية وهي أكثر غذاء وفيه وخامة وثقل نافع من السعال والرئة ويرخي لمعدة أوحب الصنوبر فهي الصنوبرية وهي كالتي قبلها في كثرة الغذاء ويولد دماً محموداً. وكل هذه الانواع أسرع نزولاً وأقل غذاء من سائر أنواع الحلاويات التي فيها دهن وخبز ودقيق، ويصلح لمن لا يحتاج إلى غذاء كثير.

ومن أنواع الحلاويات الحيس وهي حلواء تتخذ من السمن والكعك، والتمر كثير الغذاء بطيء النزول لا ينبغي أن يؤكل على طعام غليظ ويعتنى بسرعة هضمه واخراجه من البطن بالنوم الطويل والمتخذ بالزبد أليق وأعدل.

منها: الخبيص وصنعته أن يؤخذ نصف رطل دهن لوز ويوضع على النار في طنجير وينثر عليه لب خبز وسميد مفتوت أو مفروك ويحرك على نار هادئة، ثم يطرح عليه رطل سكر نقي مدقوق

منخول ويحرك وينزل رطباً ويفرق فيجعل فوقه السكر الطبرزد، ومنهم من يجعل بدل دهن اللوز ربع رطل شيرج طـري. ومنهم من يجعل عوضها لبناً حليباً. وبالجملة صنعته تختلف بحسب العادات فطبيعته أيضاً تختلف بحسبها وبحسب ما يختلط به من الأغذية والأبازير والفواكه، وبالجملة فهو أقل لزوجة من الفالوذج وأصلح للدماغ، لكنه يفسد سريعاً في المعدة ولا ينحدر.

ومنـها: العصيدة أما المتخذة بالتمر ودقيق الأرز فكثيرة الغذاء بطيئة النزول مولدة للحصى وأوجاع المفاصل إن أدمن، ولا ينبغي أن تؤكل على الأطعمة القابضة الحامضة كالحصرمية ونحوها، ولا على الكثيرة الغذاء البطيئة النزول كالرؤس والشوى. وأما المتخذة من دقيق الحنطة والسكر فدون ذلك في الغلظ واللزوجة وأبعد من الرداءة.

(تذييل): فيه تكميلان:

الأول: قال الحرث بن كلدة طبيب العرب: دافع بالدواء ما وجدت له مدفعاً لا تشربه إلا عن ضرورة فإنه لا يصلح شيئاً إلا أفسد مثله، ولا ينبغي أن تأكل إلا على نقاء تام أو جوع صادق وطعام موافق وتكف من الطعام وأنت تشتهيه، ولا تبادر إلى شرب الماء حتى تستوفي في غذاءك وتصبر بعده ساعة، ولا تأكلن في ظلمة، ولا تطعم ما لا تعرفه، ولا من طعام محترق ولا حار جداً ولا دسم جداً، وليكن طعامك خبز البر واللحم الرخص، ولا تجاوز في الطعام حد الشبع بل يكون دون الشبع. وقال أفلاطون: الإستقلال مما يضر خير من الاستكثار مما ينفع، وقال: خفف طعامك تأمن سقامك. وقال بختيشوع بن جبريل: أصل الأسقام إدخال الطعام على الطعام. ومن كلامه: كل قليلاً تعش طويلاً. وقال ثابت بن قرة: الأكل على الشبع داء والشرب على الجوع رداء. وقال معمر: أنهاكم عن الطعام الذي يفسد الذهن، وكان لا يتعرض للباذنجان والبصل والباقلا والعدس والكراث والكسفرة وكان يقول: الباذنجان يفسد في شهر ما يصلحه البلاذر في عام. وقال الحكيم السوادي: الدواء الذي لا داء معه أنه تجلس على الطعام وأنت تشتهيه وتقوم عنـه وأنت تشتهيه، فقال له المأمون: أصبت.

الثاني: قال محمد بن عبد الكريم السمرقندي في روح المجالس وروح المجالس في الباب العاشر منه في العنصرة نقلاً عن سليمان بن طراروييس البلالية من أهل الفتوة ما نصه: الفتى لا يكون نضاحاً ولا مساحاً ولا مخضراً ولا ملتقطاً ولامقصراً ولا دلاكاً ولا لحاظاً ولا نسافاً ولا مكوكباً ولا نفاضاً ولا محلقماً ولا محولاً ولا مصاصاً ولا مرسالاً ولا نشالاً ولا لكاماً ولا لطاعاً ولا قطاعاً ولا بلاعاً ولا جراراً ولا جرافاً ولا نفاخاً ولا حاسياً ولا مبادراً ولا مغربلاً ولا مطفلاً ولا مدفاناً ولا زقاقاً ولا مكرماً ولا موصلاً ولا مكارياً ولا فارشاً ولا جبساً ولا رجساً ولا مجولقاً ولا مكروشاً ولا نهاشاً ولا مقشراً ولا مداداً ولا مسوغاً ولا دفاعاً ولا مثلثاً ولا منعلاً ولا شمسياً ولا واغلاً ولا محرماً ولا مغالطاً ولا منكراً ولا متكئاً ولا محتبياً ولا مكاساً ولا يتكلم وصاحبه يتحدث.

تفسير هذه الكلمات **النضاح**: الذي إذا غسل يديه في الطست وفرغ من غسلها نفض يديه ونضح على أصحابه.

والمساح: الذي إذا مسح يده بالمنديل دلكها دلكاً شديداً يريد بذلك إزالة الوسخ من يديه.

المخضر: الذي لا يدلك شفتيه من الغمر إلا بعد أن يجيد الدلك بالأشنان، فإذا فعل ذلك فقد خضرهما.

والمقصر: الذي يمس المنديل مساً ويكتفي بذلك دون المسح، فكأنما أمره بمنزلة بين المنزلتين.

والملتقط: الذي يلتقط فتات الخبز وغيره إذا رفعت المائدة.

والدلاك: الذي لا ينقي يديه بالأشنان والماء ويجيد دلكها بالمنديل يريد إزالة الغمر حتى يوسخ المنديل.

واللحاظ: الذي لا يلاحظ القدر هل أدركت ويلاحظ لقم أصحابه.

والنساف: الذي يتناول حرف رغيف فيتحرى به مواضع الدسم والودك من الصحفة والقدر.

والمكوكب: الذي يكتل اللقمة الكبيرة من الأرز أو من الثريد ثم يدفعها إلى حلقه ويبلعها.

والنفاض: الذي ينفض يده في القصعة بعد أن يضع اللقمة في فيه.

والمحلقم: الذي يتكلم واللقمة قد بلغت حلقومه ولا يصبر إلى وقت الإمكان.

والمحول: الذي إذا رأى كثرة النوى بين يديه يحتال حتى يخلطه بنوى أصحابه.

والمصاص: الذي يمص جوف قصبة العظم.

والمرسال: الذي يرسل اللقمة في حلقه إرسالاً فتسمع لها همهمة وتقول إليك يا فؤادي.

والنشال: الذي إذا طبخ القدر أو شوي اللحم تناول قطعة فأكلها قبل إدراكها واستأثر بها دون أصحابه.

واللكام: الذي يدخل اللقمة في فيه قبل أن يزدرد الأخرى فهو يلكمها.

والقطاع: الذي يعض اللقمة فيبقى منها قطعة في يده فيعيدها إلى القطاع.

واللطاع: الذي يلطع أصابعه وما تبقى في آخر القدر والقصعة.

والبلاع: الذي يبتلع من النهم اللقمة قبل أن يجيد مضغها.

والجرار الذي يجر الطعام من بين يدي صاحبه إلى قدامه.

والجراف: الذي يجعل أصابعه كالمجرفة فيحمل عليها شيئاً كثيراً.

والنفاخ: الذي ينفخ في الطعام الحار، ويكره ذلك لخصال: أولها: أنه لا يفعل ذلك إلا للنهم،

....

والآخر ربما أن النفخ أخرج من الفم بخاراً كريهاً أو بزاقاً، وأخرى أنه من السخف. وأهل الظرف يكرهونه.

والحاسي: الذي يجعل قصعة المرق تحت لحيته فيتحساه.

والمبادر: الذي يوالي بين اللقم بالعجلة.

والمغربل: الذي يأخذ سكرجة الملح فيحركها تحريكاً يجمع الأبزار في رأسها ليأكله.

والمطفل: الذي يأتي القوم إلى طعام لم يدع إليه ولا هو ممن إذا أتاهم سروا بطلعته وآنسوا بحديثه.

المرسال: الذي يمشي مع أصحابه في شجر ملتف أو نخل فيصرف عن وجهه الأغصان ثم يرسلها على وجه من يمشي خلفه.

والمدفان: الذي يدفن اللحم في القصعة تحت الثريد ويجعله قدامه ويأكله.

والزقاق: الذي في فيه لقمة لم يسغها فيشرب عليها الماء وهي في فيه فيخرج من فيه الفتات في كوز القوم فيتنغص على مؤاكليه.

والمكرم: الذي يصيح بالغناء بارك الله عليك وأحسنت والله وذلك يشغل اسماع القوم عما يحبوه من السماع.

والموصل:الذي إذا تحدث وصل حديثاً بحديث وأدخل شيئاً في شيء وقرمط وسلسل وطول وأبرم.

والمكاري: الغلام الأمرد الجميل الذي لا صاحب له فيحفظه فهو مطلق مخلي يطوف على الفتيان ويقتحم منازلهم.

والرفاش: الذي يرفش لحيته حتى ترى عارضيه من قفاه كأن لرأسه جناحين وكان لحيته رفش أو مشط حائك وهـو زي كل صفعان ناقص.

والجبس: الثقيل البغيض الكز الأخلاق.

والرجس: المنتن القذر ولا يكون على هذه الصفة إلا دباغ أو سماك أو رواس أو محناتي أو بيطار أو ماسبذي.

والمجولق: الذي يأكل الكثير ولا يكاد يشبع كأن بطنه جوالق.

والمكروش: الذي يضع العظام والمشاش فإذا مصه ثم استخرج الفتات من فيه فرمى به فقذر، وقع عليه.

والنهاشُ: الذي ينهش العظم نهشاً كما ينهش السبع.

والمقشر: الذي إذا صادف أرزاً أو جوذاباً أو لبنا عليه سكر قشر ما عليه من السكر فاستأثر به دون أصحابه.

والمداد: الذي يعض على العصب الذي لم ينضج والقطعة من اللحم لم تنضج ويمدها بفيه ويوترها بيده فربما قطعها بشدة يكون لها انتضاح على ثوب المؤاكل.

والمسوغ: الذي يعض على اللقمة فلا يزال يتلمظ بها ولا يسيغها إلا بالماء.

والدفاع: الذي يكون في القصعة عظم في الجانب الذي يليه فينحيه بلقمة من الثريد ويصير مكانه قطعة من لحم وهو يري أنه يسوي الثريد.

والمثلث: الذي يثلث وسادة النوم ويتكىء عليها فربما خرقها.

والمنعل: الذي يأخذ القطعة من الخبز فيلويها ويجعلها مثل الملعقة ليحمل اللبن والدبس وما أشبه ذلك.

والشمسي: العيار المقامر الذي لا تراه الدهر إلا عرياناً في قطعة عباء أو تبان قد أحرقت الشمس جلده وصيرته كميتاً فهيماً.

والواغل: في الشراب مثل المطفل في الطعام والمحدث أن يكون ساقي القوم فيشتغل بالحديث ولا يكون ساقياً من يريد الماء.

والمغالط:الذي يطلب منه الماء فيدفع الكوز إلى غير من يطلبه أو يشربه هو بنفسه.

والمكامن: الذي إذا ناولته الشيء ليأكله يمدّ يده لأخذه وهو يقول لا أريده وماذا أعمل به وأنا شبعان.

وقال يوسف بن الزنجي كان سليمان بن طرار قاضي الفتيان حسن السيرة مقبول الصورة عند القوم، وكان مكباباً صاحب أطراف وكان يقول: إياكم وفضول النظر فإنه يدعو إلى فضول القول والعمل، وكان ترك التزويج مخافة أن يجد لذة فيدعوه ذلك إلى الزنا. قال يوسف: وما كان أشد القوم ولا أسنهم، ولكن كان أشد القوم تمسكاً بما كان عليه الأوائل. قال: وما زلت أرى في الفتيان نقصاناً مذمات سليمان والله أعلم.

وهذا آخر ما أردت من شرح كتاب آداب الأكل من الإحياء، والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات مصلياً مسلماً على حبيبه محمد وآله وصحبه ماتكررت الأوقات وتداورت الساعات. كتبته وقد بلغت الروح التراقي والى الله أشكو ما ألاقي وهو مفرج الشدائد ومهون العظائم لا إله غيره ولا خير إلا خيره، وذلك عند أذان عصر يوم السبت لخمس بقين من جمادي الثانية سنة ١١٩٨. قاله بفمه وكتبه بقلمه العبد أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني فرج الله كروبه وستر عيوبه بمنه وكرمه، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين.

انتهى الجزء الخامس ويليه الجزء السادس وأوله:
كتاب آداب النكاح.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب آداب النكاح وهو الكتاب الثاني من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الله ناصر كل صابر وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله ذي الجلال الأكبر والبهاء الأنور، عز من علا فغلب وقهر، أحصى قطر المطر وأوراق الشجر، وما في الأرحام من أنثى وذكر. خالق الخلق على حسن الصور، ورازقهم على قدر، ومميتهم على صغر وشباب وكبر، أحمده حمداً يوافي إنعامه ويكافىء مزيد كرمه الأوفر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أناب وأبصر، وراقب ربه واستغفر، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله الظاهر المطهر، المختار من فهر ومضر، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وذويه ما أقبل ليل وأدبر، وأضاء صبح وأسفر، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد فهذا شرح **(كتاب آداب النكاح)** وهو الثاني من الربع الثاني من كتب الإحياء للإمام الهمام حجة الإسلام أبي حامد الذي غدت فرائد فضائله شنفاً وأقراطاً في آذان الخاص والعام، وملأ ذكر كمالاته الخافقين في مسامع الاعلام، وقام صيت كتابه مقام الشمس في رابعة النهار، وعنت وجوه الأفاضل إليه من سائر الإقطار، سقى الله جدثه شآبيب الغفران وأمتع بفوائد كتابه أذهان أهل العرفان أقدمت على الكشف عن مضاربه والفحص والبحث عن مطالبه، فسروت عن وجهها نقاب الخفا وحليت جيد معارفها شنف التحقيق الموفى، مراعياً حسن السياق والسباق، محافظاً مواضع عزوه لدى الإختلاف والإتفاق متجنباً عن الإسهاب والتطويل مرتقياً ذروة التوسط في إيراد ما عليه التعويل عند أرباب التحصيل، فهو بحمد الله تعالى شرح يشرح صدور الأحباب، ويفتح لمجيء جنابه من تلك المطالب الأبواب، تشرق بأنوار أفئدة المتقين كما تشرق ببواتر سهامه بواطن الحسدة الملاعين، وإلى الله الكريم التضرع متوسلاً بمصنفه في كشف ما بي، وتفريج كروبي وأوصابي وحل عقدة أوصالي وأشكالي ومما رجوته من أماني وآمالي. إنه هو اللطيف الخبير العلي الكبير الولي النصير الهادي الخبير العليم القدير، لا إله سواه ولا نعبد إلا إياه، وشح المصنف صدر كتابه بالبسملة، فأردفها بالحمدلة فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تصادف سهام الأوهام في عجائب صنعه مجرى، ولا ترجع العقول عن أوائل بدائعها إلا والهة حيرى، ولا تزال لطائف نعمه على العالمين تترى، فهي تتوالى عليهم اختياراً وقهراً، ومن بدائع ألطافه أن خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً،

(**بسم الله الرحمن الرحيم**) عملاً بالحديثين وإكتفاء بطريقة السلف في اختيار أكمل الأمرين، وللمصنفين في مبادىء كتبهم طرائق سبعة قد تقدم ذكرها في أول كتاب العلم، وذكر شيء من مباحثها مفرقاً في صدور الكتب التي تقدمت فأغنى عن إيراده ثانياً.

ثم قال: (**الحمد لله**) الحمد نقيض الذم هو أعم من الشكر، وقد يوضع أحدهما مقام الثاني لما في الخبر «الحمد رأس الشكر» فمصدر الحمد خاص ومتعلقه عام، والشكر بخلافه وهذا معرف باللام فيفيد أصل الماهية وذلك يمنع ثبوته لغيره تعالى، فجميع أقسام الحمد والثناء والتعظيم ليس إلا له تعالى فهو المحمود في الحقيقة وهو المشكور، وما حصل من الإحسان من العبد يتوقف على حصول داعيته في قلبه وهو من الله تعالى لا غير، وإلا لافتقر إلى داعية أخرى فيتسلسل وهو باطل فهو المحسن في الحقيقة والمستحق له، والله علم دال على الإله الحق دلالة جامعة لجميع معاني الأسماء الحسنى الإلهية أحدية لجمعه جميع الحقائق الوجودية، (**الذي لا تصادف**) أي لا تجد ولا تأتي ولا توافق، (**سهام الأوهام**) جمع وهم بالسكون وهو سبق القلب إلى الشيء مع إرادة غيره (**في عجائب صنعته**) وهي عمل الصانع والمراد مصنوعاته العجيبة (**مجرى**) أي منفذاً (**ولا ترجع العقول**) المستعدة لإدراك المعقولات (**من أوائل**) جمع أول وأصله أوأل أفعل من آل يؤل إذا سبق، وقيل: أوول فوعل وفيه كلام أودعته في شرح القاموس. (**بدائعها**) جمع بديعة وهي المنفردة من بين النظائر والضمير يعود إلى عجائب الصنعة (**إلا والهة**) ذاهبة الإدراك مع كمال ملكة استحضارها (**حيرى**) أي متحيرة وهي فعلى من الحيرة، وهي حالة الحيران الذي لا يهتدي إلى الصواب لإشكال الأمر عليه، (**ولا تزال لطائف نعمه**) المعقولة على جهة الإحسان (**على العالمين**) بأسرهم (**تترى**) أي متتابعة وتراً بعد وتر، (**فهي تتوالى**) أي تتكرر (**عليهم**) اختياراً (**وقهراً**) شاؤا أم أبوا، (**ومن رائع ألطافه**) أي من ألطافه البديعة الغريبة واللطف بالضم الرفق (**إن خلق من الماء**) أي ماء بني آدم وهي النطفة (**بشراً**) عبر عن الإنسان به اعتباراً بظهور بشرته أي جلده من الشعر بخلاف الحيوان الذي عليه نحو صوف وشعر (**فجعله نسباً وصهراً**) النسب إدراك من جهة أحد الأبوين والصهر القرابة، وفي هذه اللفظة اختلاف عند أهل اللغة فقال الخليل: الصهر أهل بيت المرأة. قال: ومن العرب من يجعل الأحماء والاختان جميعاً أصهاراً. وقال ابن السكيت: كل من كان من قبل الزوج من أبيه أو أخته أو عمه فهم الأحماء، ومن كان من قبل المرأة فهم الأختان ويجمع الصنفين الأصهار. وقال بعض أئمة الغريب:

وسلط على الخلق شهوة اضطرهم بها إلى الحراثة جبراً، واستبقى بها نسلهم اقهاراً وقسراً. ثم عظم أمر الأنساب وجعل لها قدراً فحرم بسببها السفاح وبالغ في تقبيحه ردعاً وزجراً، وجعل اقتحامه جريمة فاحشة وأمراً إمراً، وندب إلى النكاح وحث عليه

النسب ما يرجع إلى ولادة قريبة من جهة الآباء والصهر ما كان من خلطة تشبه القرابة يحدثها التزويج.

وقال العراقي: تفسيره للآية أما النسب فهو النسب يحل نكاحه كبنات العم والخال وأشباههن من القرابة التي يحل تزويجها. وقال الزجاج: الأصهار من النسب لا يجوز لهم التزويج والنسب الذي ليس بصهر من قوله: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ إلى قوله: ﴿وان تجمعوا بين الأختين﴾ [النساء: ٢٣] قال الأزهري في التهذيب: وقد روينا عن ابن عباس في تفسير النسب والصهر خلاف ما قال الفراء جملة وخلاف بعض ما قال الزجاج. قال ابن عباس: حرم الله من النسب سبعاً، ومن الصهر سبعاً ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت﴾ من النسب والصهر ﴿وأمهاتكم اللاتي ارضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾ ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ﴿وأن تجمعوا بين الأختين﴾ قال: ونحو هذا قال الشافعي رضي الله عنه: حرم الله سبعاً نسباً وسبعاً سبباً فجعل السبب القربة الحادثة بسبب المصاهرة والبضاع قال: وهذا هو الصحيح بلا ارتياب.

(**وسلط على الخلق شهوة**) وهي نزوع النفس إلى محبوب لا يتمالك عنه (**اضطره بها إلى الحراثة**) بالكسر القاء البذر في الأرض وتنبيته للزرع، وكنى بـه هنا عن النكاح (**جبراً**) أي قهراً (**واستبقى بها**) أي بتلك الحراثة (**نسلهم**) أي ذريتهم (**اقتهاراً وقسراً**) أي قهراً وغلبة فهو عطف مرادف، (**ثم عظم**) أمر (**الأنساب**) بينهم (**وجعل لها قدراً**) أي منزلة. فروي أحمد والترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة رفعه «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل مثراة في المال منساة في الأثر»، (**فحرم بسببها السفاح**) وهو اسم من سافح الرجل المرأة إذا زاناها سمي الزنا لأن الماء يسفح أي يصب ضائعاً، ومنه في النكاح غنية عن السفاح، (**وبالغ في تقبيحه**) أي ذمه وتعييبه (**ردعاً وزجراً**) أي منعاً بتهديـد، (**وجعل اقتحامه**) أي ارتكابه والدخول فيه (**جريمة**) وهي اكتساب الإثم (**فاحشة**) توجب الحد في الدنيا والعذاب في العقبى، (**وأمر إمراً**) الأول بفتح الهمزة والثاني بكسرها أي أمراً عظيماً وفيه الجناس، وأشار بهذه الجملة إلى ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة﴾ ومقتاً ﴿وساء سبيلاً﴾ [الإسراء: ٣٢] (**وندب إلى النكاح**) أي دعا إليه (**وحث عليه استحباباً وأمراً**) والندب عند الأصوليين الخطاب المقتضي للفعل اقتضاء غير جازم، والحث التحريض على الشيء والحمل على فعله بتأكيد، والأمر اقتضاء فعل غير كف مدلول عليه بغير لفظ كف ولا يعتبر فيه علو ولا إستعلاء على الأصح وفيه حسن المقابلة بين إليه وعليه. وفي ذكر الندب والإستحباب

استحباباً وأمراً. فسبحان من كتب الموت على عباده فأذلهم به هدماً وكسراً، ثم بث بذور النطف في أراضي الأرحام وأنشأ منها خلقاً وجعله لكسر الموت جبراً. تنبيهاً على أن بحار المقادير فياضة على العالمين نفعاً وضراً، وخيراً وشراً، وعسراً ويسراً، وطياً ونشراً. والصلاة والسلام على محمد المبعوث بالإنذار والبشرى وعلى آله وأصحابه صلاة لا يستطيع لها الحساب عدا ولا حصراً، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فإن النكاح معين على الدين ومهين للشياطين وحصن دون عدو الله حصين

والأمر براعة استهلال إذ من النكاح ما هو مندوب إليه، ومنه ما هو مستحب، ومنه ما هو مأمور به كما سيأتي وبين أمراً وإمراً جناس.

(فسبحان من كتب الموت) أي قدره **(على عباده وأذلهم به هدماً)** لعزهم **(وكسراً)** لشكيمتهم، وفي الخبر: «اذكروا هاذم اللذات» يروى بالدال المهملة وإعجامها، والأول ظاهر، والثاني من الهذم وهو القطع، وبين الجبر والكسر حسن المقابلة، **(ثم بث)** أي نشر **(بذور)** جمع بذر اسم الحب الذي يبذر أي يزرع **(النطف)** جمع نطفة أراد بها المني وتسمى النطفة بذراً لأنها حب النسل **(في أراضي الأرحام)** جمع الرحم ككتف هو موضع تكون الولد، **(وأنشأ منها خلقاً)** آخر من نطفة إلى علقة إلى مضغة مخلقة وغير مخلقة خلقاً من بعد خلق فتبارك الله أحسن الخالقين. **(وجعله لكسر الموت جبراً)** أي إصلاحاً **(تنبيهاً)** لأهل الإعتبار **(على أن بحار المقادير)** الإلهية **(فائضة)** أي جارية عامة **(على العالمين نفعاً وضراً، وخيراً وشراً، وطياً ونشراً، ويسراً وعسراً)**. وبين هذه الألفاظ حسن المقابلة، وكل منها ضد الآخر، وبين يسراً ونشراً جناس. وقد أشار بهذه الجملة إلى معتقد أهل السنة والجماعة بأن النفع والضر، والخير والشر، والطي والنشر، والعسر واليسر كله بتقدير الله عز وجل لا فاعل في الحقيقة إلا الله عز وجل، **(والصلاة)** الكاملة **(على سيدنا)** ومولانا **(محمد المبعوث)** من ربه إلى العالمين **(بالإنذار)** وهو الإعلام بما يجوز من العذاب **(والبشرى)** هي إظهار غيب المسرة بالقول، ومن أسمائه ﷺ الميسر والمنذر والبشير والنذير، **(وعلى آله وأصحابه)** من ذوي القرابة النسبية والسببية والقربة الحسية والمعنوية **(صلاة لا يستطيع لها)** أي لا يقدر عليها **(الحساب عداً ولا حصراً)** إذ لا نهاية لها، **(وسلم)** تسليماً **(كثيراً)**.

(أما بعد فإن النكاح) هو بالكسر في كلام العرب الوطء، وقيل: العقد له وهو التزويج لأنه سبب للوطء المباح وفي الصحاح: النكاح الوطء، وقد يكون العقد، وفي المحكم النكاح البضع، وذلك في نوع الإنسان خاصة واستعمله ثعلب في الذباب.

وقال شيخنا في حاشية القاموس: واستعماله في الوطء والعقد مما وقع فيه الإختلاف هل هو حقيقة في الكل أو مجاز في الكل أو حقيقة في أحدهما مجاز في الآخر؟ قالوا: لم يرد النكاح في

وسبب للتكثير الذي به مباهاة سيد المرسلين لسائر النبيين، فما أحراه بأن تتحرى أسبابه

القرآن إلا بمعنى العقد لأنه في الوطء صريح، وفي العقد كناية عنه. قالوا :وهو أوفق بالبلاغة والأدب كما ذكره الزمخشري والراغب وغيرهما. وقال ابن فارس: يطلق على الوطء وعلى العقد دون الوطء. وقال ابن القوطية: نكحتها إذا وطئتها وتزوجتها، وأقره ابن القطاع ووافقهما السرقسطي. وفي المصباح: هو من نكحه الدواء إذا خامره وغلبه، أو من تناكحت الأشجار إذا انضم بعضها إلى بعض، أو من نكح المطر الأرض إذا اختلط بثراها، وعلى هذا يكون النكاح مجازاً في العقد والوطء جميعاً لأنه مأخوذ من غيره فلا يستقيم القول بأنه حقيقة فيهما ولا في أحدهما. ويؤيده أنه لا يفهم العقد إلا بقرينة نحو: نكح في بني فلان، ولا يفهم الوطء إلا بقرينة نحو: نكح زوجته، وذلك من علامات المجاز، وإن قيل غير مأخوذ من شيء فيتعين التواطؤ والإشتراك، واستعماله لغة في العقد أغلب اهـ.

وفي نسخة من الصحاح فيترجح الإشتراك لأنه لا يفهم من قسميه إلا بقرينة قال شيخنا: وهذا من المجاز أقرب، وقول صاحب المصباح واستعماله لغة في العقد أغلب هو ظاهر كلام جماعة، وظاهر سياق القاموس كالجوهري عكسه لأنه قدم الوطء، ثم ظاهر الصحاح أن استعماله في العقد قليل أو مجاز، وكلام صاحب القاموس يدل على تساويهما، وفي موضح المختار لبعض أصحابنا: النكاح يذكر لثلاثة أشياء للعقد، وللوطء الحلال، وللمعنى الذي تترتب عليه أحكام هذا العقد كتملك متعة البضع. وفي القيد الأخير إحتراز عن البيع ونحوه لأن المعقود فيه تملك الرقبة وملك المتعة داخل فيه ضمناً. وقال فخر الإسلام البزدوي: النكاح اسم للعقد الشرعي الذي تترتب عليه أحكام ومقاصد وقد يذكر ويراد به الوطء، وقيل: إنه حقيقة لهما لأنه عبارة عن الضم والإجتماع، ومعنى الضم موجود في العقد والوطء فكان حقيقة لهما، والأصح أنه حقيقة للوطء خاصة لأنه لما كان للضم لغة فجعله حقيقة لما فيه معنى الضم أبلغ وهو الوطء أولى، ولا يجوز أن يكون حقيقة لهما لأنه يؤدي إلى الإشتراك اهـ.

وفي شرح البخاري للقسطلاني: اختلف أصحابنا في حقيقة النكاح على ثلاثة أوجه حكاها القاضي حسين في تعليقه. أصحها أنه حقيقة في العقد مجاز في الوطء، وهو الذي صححه القاضي أبو الطيب وقطع به المتولي وغيره واحتج له بكثرة وروده في الكتاب والسنة للعقد، والثاني: أنه حقيقة في الوطء مجاز في العقد وهو مذهب الحنفية، والثالث: أنه حقيقة فيهما بالإشتراك ويتعين المقصود بالقرينة اهـ.

(معين على الدين) أي على حفظه وضبطه من أن يشوبه ما يخالف أموره، **(ومهين)** أي مذل **(للشياطين)** وهم جنود إبليس، **(وحصن دون عدوّ الله حصين)** أي مانع من شره وشركه، **(وسبب للتكثير)** للنسل **(الذي به مباهاة)** أي مفاخرة **(سيد الأولين)** والآخرين ﷺ **(لسائر النبيين)** عليهم السلام أشار به إلى الخبر الآتي ذكره: « تزوجوا تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم ». **(فما أحراه)** أي أليقه **(بأن تتحرى)** أي تضبط **(أسبابه)** الموصلة المعينة على

وتحفظ سننه وآدابه وتشرح مقاصده وآرابه وتفصل **فصوله** وأبوابه، **والقدر المهم من** أحكامه ينكشف في ثلاثة أبواب.

الباب الأوّل: في الترغيب فيه وعنه.

الباب الثاني: في الآداب المرعية في العقد والعاقدين.

الباب الثالث: في آداب المعاشرة بعد العقد إلى الفراق.

حصوله، وأصل التحري طلب أولى الأمرين، **(و)** أن **(تحفظ)** وتراعى **(سننه وآدابه، و)** أن **(تشرح مقاصده وآرابه، و)** أن **(تفصّل فصوله وأبوابه والقدر المهم)** الذي لا بد من معرفته **(من أحكامه ينكشف)** بيانه **(في ثلاثة أبواب)** .

(الباب الأول في) بيان **(الترغيب فيه و)** الترغيب **(عنه)** باختلاف الأحوال والأشخاص.

(الباب الثاني: في الآداب المرعية في العقد والعاقدين) الخاطب والمخطوبة.

(الباب الثالث: في آداب المعاشرة) بينهما **(من بعد العقد إلى الفراق)** .

الباب الأوّل
في الترغيب في النكاح والترغيب عنه

اعلم أن العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلي لعبادة الله، واعترف آخرون بفضله. ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله مهما لم تتق النفس إلى النكاح توقاناً يشوّش الحال ويدعو إلى الوقاع. وقال آخرون: الأفضل تركه في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل إذ لم تكن الاكساب مخطورة وأخلاق

الباب الأول
في الترغيب في النكاح والترغيب عنه

(**أعلم أن العلماء قد اختلفوا في فضل النكاح**) وحكمه (**فبالغ بعضهم فيه حتى زعم أنه أفضل من التخلي**) والإنجاع (**لعبادة الله تعالى**) مطلقاً، (**واعترف آخرون بفضله**) وسلموا. (**ولكن**) فصلوا و(**قدموا عليه التخلي لعبادة الله عز وجل مهما لم تتق**) أي لم تتشوق (**النفس إلى النكاح توقاناً**) بالتحريك مصدر تاق يتوق (**يشوش الحال**) الذي هو عليه (**ويدعو إلى الوقاع**) أي الجماع (**وقال آخرون: الأفضل تركه**) في (**زماننا هذا**) المشار إليه هو الزمان الذي مضى قبل زمان المصنف قالوا: (**وقد كان له فضيلة من قبل إذ لم تكن الأكساب**) جمع كسب (**مخطورة**) أي ذات خطر، (**و**) لم تكن (**أخلاق النساء مذمومة**) لأنهن كن على نهج الرعيل الأول ثم تغير حالهن من بعد فتغير الحكم بتغيره، ومحصل هذه الأقوال الثلاثة أفضليته مطلقاً، والتفصيل إن غلبت شهوته إليه كان الأفضل في حقه، وإلا فلا. وهكذا صرح به أصحابنا أنه حال الإعتدال سنة مؤكدة مرغوبة، وحال التوقان واجب، وحالة خوف الجور مكروه وسيأتي الكلام على ذلك في أثناء سياق المصنف فيما بعد. ومجمل القول هنا أنه اختلف في النكاح هل هو من العبادات أو المباحات؟ فقال أصحابنا الحنفية: هو سنة مؤكدة على الأصح، وقال الشافعية: من المباحات. قال القولين في شرح الوسيط المسمى بالبحر.

فرع:

نص الإمام على أن النكاح من الشهوات لا من القربات، وإليه أشار الشافعي في الأم حيث قال قال الله تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء﴾ [آل عمران: ١٤] وفي الخبر « حبب إلي

من دنياكم النساء والطيب وإبقاء النسل به أمر مظنون ثم لا يدري أصالح أم طالح اهـ.

وقال العراقي في شرح التقريب: غير التائق للنكاح تدخل تحته حالتان. إحداهما: أن يكون عاجزاً وهذه الحالة تدخل تحتها صورتان. إحداهما: أن يكون فاقداً لمؤن النكاح فيكره له أيضاً الصورة الثانية: أن يقدر على المؤن فلا يكره النكاح في هذه الصورة، لكن التخلي للعبادة أفضل هذا هو المشهور من مذهب الشافعي وغيره. وذهب أبو حنيفة وبعض الشافعية والمالكية إلى أن النكاح أفضل مطلقاً، وأطلق الحنابلة إن غير التائق اما خلقة أو لكبر أو غيره يكون النكاح في حقه مباحاً وعن أحمد رواية أنه مستحب، وقد اشتهر عن الشافعية أن النكاح ليس عبادة وعن الحنفية انه عبادة، واستثنى التقي السبكي من الخلاف نكاح النبي ﷺ قال: إنه عبادة قطعاً. انتهى سياق العراقي.

قال النووي: إن قصد به طاعة كإتباع السنة أو تحصيل ولد صالح أو عفة فرجه أو عينه، فهو من أعمال الآخرة يثاب عليه وهو للتائق له ولو خصيا القادر على مؤنه أفضل من التخلي للعبادة تحصيناً للدين، ولما فيه من بقاء النسل والعاجز عن مؤنه يصوم والقادر غير التائق إن تخلى للعبادة فهو أفضل من النكاح، وإلا فالنكاح أفضل له من تركه لئلا تفضي به البطالة إلى الفواحش اهـ.

وقد تعقب الكمال بن الهمام من أصحابنا قولهم التخلي للعبادة أفضل فقال: حقيقة أفضل تنفي كونه مباحاً إذ لا فضل في المباح، والحق أنه إن اقترن بنية كان ذا فضل، والتجرد عند الشافعي أفضل لقوله تعالى: ﴿وسيداً وحصوراً﴾ [آل عمران: ٣٩] مدح يحيى عليه السلام بعدم إتيان النساء مع القدرة عليه، لأن هذا معنى الحصور، وحينئذ فإذا استدل عليه بمثل حديث الترمذي: «أربع من سنن المرسلين فذكر النكاح» له أن يقول في الجواب لا أنكر الفضيلة مع حسن النية وإنما أقول التخلي للعبادة أفضل، فالأولى في جوابه التمسك بحاله عليه السلام في نفسه ورده على من أراد من أمته التخلي للعبادة فإنه صريح في عين المنازع فيه أعني حديث: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»، فإنه عليه السلام رد هذا الحال رداً مؤكداً ممن تبرأ منه.

وبالجملة؛ فالأفضلية في الإتباع لا فيما تخيل النفس أنه أفضل نظراً إلى ظاهر عبادة أو توجه، ولم يكن الله عز وجل يرضى لأشرف أنبيائه إلا بأشرف الأحوال وكان حاله إلى الوفاة النكاح، فيستحيل أن يقره على ترك الأفضل مدة حياته، وكان حال يحيى عليه السلام أفضل في شريعته، وقد نسخت الرهبانية في ملتنا ولو تعارضا قدم التمسك بحال نبينا ﷺ، ومن تأمل ما يشتمل عليه النكاح من تهذيب الأخلاق وغيره من الفوائد لم يكد يقف عن الجزم بأنه أفضل من التخلي بخلاف ما إذا عارضه خوف جور إذ الكلام ليس فيه، بل في الإعتدال مع أداء الفرائض والسنن وذكرنا أنه إذا لم تقترن به نية كان مباحاً لأن المقصود منه حينئذ مجرد قضاء الشهوة ومبنى العبادة على خلافه، ثم قال: وأقول بل فيه فضل من جهة أنه كان متمكناً من قضائها بغير الطريق المشروع والعدول إليه مع ما يعطيه من أنه قد يستلزم أثقالاً فيه قصد ترك المعصية وعليه يثاب اهـ.

النساء مذمومة. ولا ينكشف الحق فيه إلاّ بأن نقدم أوّلاً ما ورد من الأخبار والآثار في الترغيب فيه والترغيب عنه، ثم نشرح فوائد النكاح وغوائله حتى يتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق كل من سلم من غوائله أو لم يسلم منها.

الترغيب في النكاح:

أما من الآيات: قال الله تعالى: ﴿وأنكِحوا الأيامى منكم﴾ [النور: ٣٢] وهذا أمر. وقال تعالى: ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾ [البقرة: ٢٣٢] وهذا منع

(ولا ينكشف الحق فيه إلا بأن نقدم أولاً ما ورد فيه من الأخبار) المقبولة **(والآثار)** المنقولة في **(الترغيب فيه والترغيب عنه، ثم نشرح القول في فوائد النكاح وغوائله)** أي مضاره **(حتى تتضح منها فضيلة النكاح وتركه في حق من سلم من غوائله أو لم يسلم)**، ولا يظهر الحق الصريح إلا بعد التفصيل، وبه يجمع بين الأقوال المختلفة ويظهر سبب الاختلاف.

الترغيب في النكاح:

(أما من الآيات) القرآنية **(قال تعالى ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ وهذا أمر)** بالإنكاح وهو أعلم بالخير والصلاح، والأيامى: جمع أيم وهي التي لا بعل لها، وقد يسمى به الرجل الذي لا زوجة له، ثم قال ﴿والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ فلولا أن النكاح فاضل لما خص به الصالحين وضمهم إلى فضله وهم أهل ولايته لقوله ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ الأعراف: ١٩٦] ثم قال ﴿ إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ [النور: ٣٢] والله أعلم بالإغناء كيف هو فقد يغنيهم بالأشياء، وقد يغنيهم عن الأشياء، وقد يغني نفوسهم عن الأعراض، وقد يغنيهم باليقين، وقد استدل بهذه الآية على أن النكـاح عزيمة تبعاً لصاحب القوت، ونقله كذلك غير واحد، وأبى القرطبي ذلك وقال: لا حجة في هذا القول لهم على ما ذهبوا إليه، فإنه أمر للأولياء بالإنكاح لا للأزواج بالنكاح اهـ.

وقال الشافعي في الأم قال الله تعالى ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ إلى قوله ﴿يغنهم الله من فضله﴾ الأمر في الكتاب والسنة يحتمل معاني. أحدها: أن يكون الله حرم شيئاً ثم أباحه وكان أمره إحلال ما حرم كقوله تعالى ﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾ [المائدة: ٢] وكقوله ﴿إذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾ [الجمعة: ١٠] وذلك أنه حرم الصيد على المحرم ونهى عن البيع عند النداء، ثم أباحها في وقت غير الذي حرمها فيه كقوله تعالى ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ [النساء: ٤] وقوله ﴿فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعترّ﴾ [الحج: ٣٦] قال: وأشباه ذلك كثير في الكتاب والسنة ليس حتماً عليهم أن يصطادوا إذا حلوا ولا ينتشروا للتجارة إذا صلوا ولا يأكل من بدنته إذا نحرها. قال: ويحتمل أن يكون دلهم على ما فيه رشدهم بالنكاح كقوله ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ يدل على ما فيه سبب الغنى وهو النكاح كقوله «سافروا تصحوا» اهـ.

من العضل ونهي عنه، وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذريّـة﴾ [الرعد: ٣٨] فذكر ذلك في معرض الامتنان وإظهار الفضل، ومدح أولياءه بسؤال ذلك في الدعاء فقال: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ [الفرقان: ٧٤] الآية. ويقال: إن الله تعالى لم يذكر في كتابه من الأنبياء إلاّ المتأهلين فقالوا: إن يحي ﷺ قد تزوج ولم يجامع قيل: إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنّة، وقيل: لغض البصر. وأما عيسى عليه السلام فإنه سينكح إذا نزل الأرض ويولد له.

وأما الأخبار: فقوله ﷺ: « النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فقد رغب عني »

(وقال تعالى ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾ وهذا منع من العضل﴾ وهو منع الرجل موليته من التزوج وهو من بابي قتل وضرب، وقرأ السبعة ﴿فلا تعضلوهن﴾ بالضم. **(وقال تعالى في وصف الرسل ومدحهم ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾)** والمراد بالأزواج النساء وبالذرية الأولاد، **(فذكر ذلك في معرض الإمتنان)** عليهم، **(وإظهار الفضل)** لهم **(ومدح أولياءه)** وخاصته المقربين **(بسؤال ذلك في الدعاء فقال ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين﴾ الآية)** أي ما تقر به عيوننا. **(ويقال: إن الله تعالى لم يذكر في كتابه)** العزيز **(من الأنبياء إلا المتأهلين)** أي المتزوجين، يقال: أهل الرجل يأهل أهولاً، وتأهل إذا تزوج، ويطلق الأهل على الزوجة.

(وقالوا: إن يحي عليه السلام) هو ابن زكريا عليه السلام من ذرية سليمان بن داود عليهما السلام، وهو أول من سمي بيحي بنص القرآن وهو اسم أعجمي، وقيل: عربي. قال الواحدي: وعلى القولين لا ينصرف. قال الكرماني: وعلى الثاني إنما سمي به لأن الله تعال أحياه بالإيمان، وقيل: لأنه استشهده والشهداء أحياء، وقيل: معناه يموت كالمفازة للمهلكة والسليم للديغ قتل ظلماً وسلط الله تعالى على قاتليه بختنصر وجيوشه وكان حصوراً وهو الذي لا يشتهي النساء، وقيل: **(قد تزوج ولم يجامع، وقيل: إنما فعل ذلك لنيل الفضل وإقامة السنة، وقيل)** بل فعل ذلك **(لغض البصر)** نقله صاحب القوت. ولفظه: وروينا في أخبار الأنبياء عليهم السلام أن يحي بن زكريا عليهما السلام تزوج امرأة ولم يكن يقربها. قيل: لغض البصر، ويقال: للفضل في ذلك كأنه أراد أن يجمع الفضائل كلها، وقيل لأجل السنّة.

(وأما عيسى عليه السلام) وهو ابن مريم بنت عمران خلقه الله بلا أب، **(فإنه)** جاء في الأخبار أنه **(سينكح)** أي يتزوج **(إذا نزل إلى الأرض ويولد له)** ويقتل الدجال ويحج ويمكث في الأرض مدة سنين، ويدفن عند النبي ﷺ.

(وأما الأخبار) الواردة فيه **(فقوله ﷺ « النكاح سنتي فمن أحب فطرتي فليستن**

وقال ﷺ: « النكاح سنتي فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي » وقال أيضاً ﷺ: « تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط ». وقال أيضاً عليه السلام: « من رغب عن سنتي فليس مني وإنَّ من سنتي النكاح فمن أحبني فليستن بسنتي ». وقال ﷺ: « من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا » وهذا ذم لعلة الامتناع

بسنتي ») وقال العراقي: رواه أبو يعلى في مسنده مع تقديم وتأخير من حديث ابن عباس بسند حسن.

قلت: ولفظه « من أحب فطرتي فليستن بسنتي » ورواه بتمامه البيهقي وابن عساكر من حديث أبي هريرة، ورواه كذلك البيهقي أيضاً، والضياء من حديث عبيد بن سعيد. وقال البيهقي: هو مرسل، قال الهيتمي: ورجاله ثقات.

(**وقال ﷺ « تناكحوا**) لكي (**تكثروا فإني أباهي بكم**) أي أفاخر بسبب كثرتكم (**الأمم**) السالفة (**يوم القيامة »**) قال العراقي: رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك عبد الرزاق في مصنفه من حديث سعيد بن أبي هلال مرسلاً بسند ضعيف. وروى أحمد وابن حبان من حديث أنس « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء » وللطبراني من حديث معقل بن يسار نحوه، ولأحمد عن الصنابحي « أنا فرطكم وأنا مكاثر بكم » وللطبراني والحاكم عن عياض بن غنم « لا تزوجن عجوزاً ولا عاقراً فإني مكاثر بكم الأمم ».

وأما قوله: (**« حتى بالسقط »**) فقد رواه بهذه الزيادة البيهقي في المعرفة من طريق الشافعي بلاغاً قاله العراقي.

قلت: وهذه اللفظة قد جاءت أيضاً في حديث معاوية بن حيدة عند الطبراني وغيره، كما سيأتي في آفات النكاح، لكن أوله « خير نسائكم الودود الولود » الخ. وقد وقع في القوت « حتى بالسقط والرضيع » وهو غريب. والسقط: بالكسر الولد ذكراً كان أو أنثى يسقط قبل تمامه وهو مستبين الخلق.

(**وقال ﷺ « من رغب عن سنتي فليس مني وإن من سنتي النكاح فمن أحبني فليستن بسنتي »**). هكذا هو في القوت. قال العراقي: متفق على أوله من حديث أنس « من رغب عن سنتي فليس مني » وباقيه تقدم قبله بحديث.

(**وقال ﷺ « من ترك التزويج مخافة العيلة**) أي الفقر (**فليس منا**) أي ليس على طريقتنا. (**وهذا ذم لعلة الامتناع**) عن التزويج (**لا لأصل الترك**). قال صاحب القوت: رواه الحسن عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ. وقال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف، والدارمي في مسنده، والبغوي في معجمه، وأبو داود في المراسيل من

لا لأصل الترك. وقال ﷺ: « من كان ذا طول فليتزوّج » وقال: « من استطاع منكم الباءة فليتزوّج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء ».

حديث أبي نجيح السلمي صحابيان أحدهما عمرو بن عبسة والآخر العرباض بن سارية، وأبو نجيح المكي والد عبد الله بن يسار فلينظر أيهم الذي ذكره العراقي. وعند الطبراني من حديث أبي نجيح « من كان موسراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس مني » ورواه البيهقي عن أبي المفلس مرسلاً بلفظ « فلم ينكح فليس منا ». ورواه أيضاً عن أبي نجيح، ورواه البغوي عن أبي المفلس عن أبي نجيح بلفظ: « من كان موسراً فلينكح ومن لم ينكح فليس منا ».

(وقال ﷺ « من كان ذا طول فليتزوج ») قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث عائشة بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه أحمد من حديث عثمان بلفظ « من كان منكم » وفي آخره « فإنه أغض للطرف وأحصن للفرج ومن لا فإن الصوم له وجاء ». وسيأتي الكلام عليه في الذي يليه.

(وقال ﷺ « من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء ») أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه من طريق علقمة. قال: كنت أمشي مع عبد الله بن مسعود بمنى فلقيه عثمان فقام معه يحدثه فقال له عثمان: يا أبا عبد الرحمن ألا نزوجك جارية شابة لعلها أن تذكرك ما مضى من زمانك؟ فقال عبد الله: أما إن قلت ذاك، فقد قال لنا رسول الله ﷺ « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ». وفي رواية النسائي ذكر الأسود معه أيضاً وقال: إنه غير محفوظ. وأخرجه الشيخان والترمذي والنسائي من رواية الأعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي عن أبي مسعود فكان للأعمش فيه إسنادان وليس هذا اختلافاً عليه، ورواه النسائي من طريق أبي معشر عن إبراهيم عن علقمة قال: كنت مع ابن مسعود وهو عند عثمان فقال عثمان: خرج رسول الله ﷺ يعني على فتية فقال « من كان منكم ذا طول فليتزوج » الحديث جعله من مسند عثمان. والمعروف أنه من مسند ابن مسعود.

وأما معنى لفظ الحديث استطاع استفعل من الطاعة أصله استطوع استثقلت الحركة على الواو فنقلت إلى الساكن قبله، ثم قلبت الواو ألفاً أي أطاق. والمراد بالباءة هنا المعنى اللغوي وهو الجماع مأخوذ من المباآة وهي المنزل، لأن من تزوج امرأة بوأها منزلاً وإنما تتحقق قدرته بالقدرة على مؤنه ففيه حذف مضاف أي من استطاع منكم أسباب النكاح ومؤنه، وقيل: المراد هنا نفس مؤن النكاح سميت باسم ما يلازمها، ولا بد من أحد التأويلين، وقوله: أغض للبصر لأنه بعد حصول التزويج يضعف فيكون أغض وأحصن بما لم يكن لأن وقوع الفعل مع ضعف الداعي أندر من وقوعه مع وجود الداعي، والمراد بالبصر هنا الطرف المشتمل عليه لأنه الذي يضاف إليه الغض

وهذا يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والفرج، والوجاء هو عبارة عن رض الخصيتين للفحل حتى تزول فحولته فهو مستعار للضعف عن الوقاع في الصوم. وقال ﷺ: « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوّجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض

حقيقة، وللنسائي فإنه أغض للطرف فصرح به، واللام في للبصر وللفرج للتعدية كما قرروه في أفعل التعجب نحو: ما أضرب زيداً لعمرو ولا فرق بين البابين.

قال المصنف: **(وهذا)** الحديث **(يدل على أن سبب الترغيب فيه خوف الفساد في العين والبصر)** حيث جعل قوله: فإنه الخ علة لقوله فليتزوج. **(والوجاء)** بالكسر والمد **(هو عبارة عن رضّ الخصيتين)** أي دقهما **(للفحل)** بحجر ونحوه وأصله الغمز والطي. يقال: وجأه في عنقه ووجأ بطنه بالخنجر **(حتى تزول فحولته مستعار للضعف عن الوقاع بالصوم)** أي ليس المراد هنا حقيقة الوجاء، بل سمي الصوم وجاء لأنه يقطع الشهوة ويدفع شر الجماع كما يفعل الوجاء فهو من مجاز المشابهة المعنوية لأن الوجاء قطع الفعل وقطع الشهوة اعلام له ايضاً. وقال بعضهم: الوجاء أن ترض العروق والخصيتان باقيتان بحالهما، والخصاء شق الخصيتين واستئصالهما، والجب أن تحمي الشفرة ثم تستأصل بها الخصيتان، وحكى أبو العباس القرطبي عن بعضهم: وجا بالفتح والقصر. قال: وليس بشيء لأن ذلك هو الحفاء في ذوات الخف.

قلت: إلا أن يراد فيه معنى الفتور لأنه من وجيء إذا فتر عن المشي فشبه الصوم في باب النكاح بالتعب في باب المشي أي قاطع لشهوته فتأمل.

(وقال ﷺ « إذا أتاكم) أيها الأولياء **(من)** أي رجل يخطب موليتكم **(ترضون دينه)** وفي رواية خلقه ودينه وفي أخرى خلقه **(وأمانته)** ليكون مساوياً للمخطوبة في الدين أو المراد أنه عدل فليس الفاسق كفؤاً للعفيفة **(فزوجوه)** إياها ندباً مؤكداً وفي رواية « فانكحوه » **(إلا تفعلوه)** وفي رواية بحذف الضمير أي ما أمرتم به، قال الطيبي: الفعل كناية عن المجموع أي إن لم تزوجوا الخاطب الذي ترضون خلقه ودينه **(تكن)** أي تحدث **(فتنة في الأرض وفساد)** وخروج عن حالة الاستقامة **(كبير »)** وفي رواية البيهقي « فساد عريض » والمعنى متقارب. ولفظ القوت « فساد كبير » أي عريض. وفي رواية كرره ثلاثاً، والمعنى: إن لم ترغبوا في ذي الدين المرضي والأمانة الموجبين للصلاح والاستقامة، ورغبتم في مجرد المال الجالب للطغيان الجار للبغي والفساد الخ، أو المراد: إن لم تزوجوا من ترضون ذلك منه ونظرتم إلى ذي مال أو جاه يبقى أكثر النساء بلا زوج والرجال بلا زوجة فيكثر الزنا ويلحق العار فتهيج الفتن وتثور المحن وتمسك به مالك على عدم رعاية الكفاءة إلا في الدين فحسب.

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة، ونقل عن البخاري أنه لم يعده محفوظاً، قال ابو داود: إنه أخطأ، ورواه الترمذي أيضاً من حديث أبي حاتم المزني وحسنه، ورواه أبو داود في المراسيل، وأعله ابن القطان بإرساله وضعف رواته اهـ.

وفساد كبير ». وهذا أيضاً تعليل الترغيب لخوف الفساد. وقال ﷺ: « من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله ». وقال ﷺ: « من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني » وهذا أيضاً إشارة إلى أن فضيلته لأجل التحرز من المخالفة تحصناً من الفساد فكان المفسد لدين المرء في الأغلب فرجه وبطنه وقد كفى بالتزويج أحدهما.

قلت: أبو حاتم المزني صحابي له هذا الحديث الواحد. قال البخاري: ولا أعلم له غيره اهـ.

قيل: اسمه عقيل بن ميمون، وقيل: لا صحبة له. وقال الصيدلاني: لا يعرف إلا بكنيته اختلف في صحبته، وقد أخرجه البيهقي من طريقه، ورواه ابن عدي في الكامل من طريق صالح المسبحي عن الحكم بن خلف عن عمار بن مطر عن مالك عن نافع عن ابن عمر. قال الذهبي في الميزان: عمار هالك، وقال أبو حاتم: كان يكذب، وقال ابن عدي: أحاديثه بواطيل. وقال الدارقطني: ضعيف.

(وهذا أيضاً تعليل للترغيب بخوف الفساد) والفتنة، وأصل الفساد خروج الشيء عن حد استقامته وضده الصلاح.

(وقال ﷺ « من نكح وأنكح لله استحق ولاية الله ») أورده صاحب القوت وقال: وهذا أدنى حال تنال به الولاية لأنها مقامات لكل مقام عمل من الصالحات.

قال العراقي: رواه أحمد بسند ضعيف من حديث معاذ بن أنس بلفظ « من أعطى لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل إيمانه » اهـ.

قلت: والطبراني والحاكم والبيهقي بلفظ « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله وأنكح لله فقد استكمل إيمانه ». ورواه أبو داود والطبراني والبيهقي أيضاً من حديث أبي أمامة وليس فيه « وأنكح لله ».

(وقال ﷺ « من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني ») قال العراقي: رواه ابن الجوزي في العلل من حديث أنس بسند ضعيف، وهو عند الطبراني في الأوسط بلفظ « فقد استكمل نصف الإيمان » وفي المستدرك وصحح إسناده بلفظ « من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه » الحديث اهـ.

قلت: ورواه البيهقي أيضاً ولفظها في الشطر الباقي، وفي الكامل لابن عدي في ترجمة عبد الواحد بن زيد العمي عن أبيه عن أنس رضي الله عنه بلفظ « من تزوج فقد أعطي نصف العبادة » وعبد الواحد ضعيف. **(وهذا أيضاً إشارة إلى فضيلته)** أي النكاح **(لأجل التحرز من المخالفة تحصناً عن الفساد)** الذي هو الخروج عن حد الاستقامة، **(وكان المفسد لدين المرء في الأغلب فرجه وبطنه)** وهما القبقبان **(وقد كفى بالتزويج أحدهما)** وهو الفرج.

وقال ﷺ: « عمل كل ابن آدم ينقطع إلا ثلاث ولد صالح يدعو له » الحديث. لا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح.

وأما الآثار؛ فقال عمر رضي الله عنه: لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور فبيَّن أن الدين غير مانع منه وحصر المانع في أمرين مذمومين. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يتم نسك الناسك حتى يتزوّج. ويحتمل أنه جعله من النسك وتتمة له. ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة إلا بالتزويج، ولا يتم النسك إلا بفراغ القلب. ولذلك كان يجمع غلمانه لما أدركوا عكرمة وكريباً وغيرهما ويقول: إن أردتم النكاح أنكحتكم فإن العبد إذا زنى نزع الإيمان من قلبه. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: يقول لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوّج لكي لا ألقى الله

(وقال ﷺ « كل عمل ابن آدم ينقطع إلا ثلاث ولد صالح يدعو له » الحديث) بتمامه تقدم في كتاب العلم، وقد رواه مسلم والثلاثة بنحوه من حديث أبي هريرة بلفظ « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ». وقد رواه أيضاً البخاري في الأدب المفرد. **(ولا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح)** فإنه سبب لمجيء الولد.

(وأما الآثار) الواردة فيه. **(قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يمنع النكاح الا عجز أو فجور)** نقله صاحب القوت بلفظ: قال عمر لأبي الزوائد: ما يمنعك عن النكاح الخ. زاد المصنف: **(فبيّن)** عمر **(أن الدين غير مانع منه وحصر المانع منه في أمرين مذمومين)** وهما العجز أو الفجور، فالعاجز عن مؤن النكاح ممنوع منه، وكذا العاجز لميله إلى الحرام يمتنع منه.

(وقال ابن عباس رضي الله عنه: لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج) نقله صاحب القوت، **(ويحتمل أنه جعله)** أي التزوج **(من)** جملة **(النسك وتتمة له، ولكن الظاهر أنه أراد به أنه لا يسلم قلبه)** من الوساوس والخطرات **(لغلبة الشهوة إلا بالتزويج، ولا يتم النسك إلا بفراغ القلب، ولذلك كان يجمع غلمانه لما أدركوا)** الحلم **(عكرمة)** أبا عبد الله المفسر المتوفي سنة ١٥٨ تقدمت ترجمته، **(وكريباً)** أبا رشدين. روى عن مولاه وعائشة وجماعة، وعنه إبناه محمد ورشدين، وموسى بن عقبة، وطلق وثقوه توفي سنة ٩٨. **(وغيرهما)** من بقية مواليه، **(ويقول: إن أردتم النكاح أنكحتكم فإن العبد إذا زنى نزع الإيمان من قلبه)** كذا في القوت، ومعناه في حديث أبي هريرة رفعه « إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظلمة فإذا أقلع رجع إليه » رواه أبو داود والحاكم.

(وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: لو لم يبق من عمري إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج ولا ألقى الله عزباً) كذا في القوت، والعزب محركة من لا زوجة له.

عزباً. وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في الطاعون وكان هو أيضاً مطعوناً فقال: زوّجوني فإني أكره أن ألقى الله عزباً وهذا منهما يدل على أنهما رأيا في النكاح فضلاً لا من حيث التحرز عن غائلة الشهوة. وكان عمر رضي الله عنه يكثر النكاح ويقول: ما أتزوج إلا لأجل الولد. وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله ﷺ يخدمه ويبيت عنده لحاجة إن طرقته فقال له رسول الله ﷺ: ألا تتزوج؟ فقال: يا رسول الله إني فقير لا شيء لي وانقطع عن خدمتك فسكت. ثم عاد ثانياً فأعاد الجواب ثم تفكر الصحابي وقال: والله لرسول الله ﷺ أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقربني إلى الله مني، ولئن قال لي الثالثة لأفعلن فقال له الثالثة: ألا تتزوّج؟ قال: فقلت يا رسول الله زوّجني. قال: اذهب إلى بني فلان فقل: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوّجوني فتاتكم. قال: فقلت: يا رسول الله لا شيء لي. فقال لأصحابه: اجمعوا لأخيكم

(وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في) أيام **(الطاعون، وكان هو أيضاً مطعوناً فقال: زوجوني فأنا أكره أن ألقى الله عزباً)** كذا في القوت، وفي الحلية من طريق الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد أن معاذ بن جبل كانت له امرأتان، فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ من بيت الأخرى، ثم توفيتا في السقم الذي أصابهم في الشام والناس في شغل، فوقعتا في حفرة فأسهم بينهما أيتهما تقدم في القبر. ومن طريق الحرث بن عميرة قال: طعن معاذ وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد، فقال معاذ: « إنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وقبض الصالحين قبلكم. اللهم آت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن فأمسكه ليلة ثم دفنه من الغد فطعن معاذ » الحديث. **(وهذا منهما)** أي من ابن مسعود ومعاذ **(ما يدل على أنهما رأيا في النكاح فضلاً لا من حيث التحرز من غلبة الشهوة)** النفسانية، **(و)**قد **(كان عمر رضي الله عنه يكثر من النكاح ويقول: ما أتزوج إلا لأجل الولد)** نقله صاحب القوت. قال: وقد كانت هذه نية جماعة من السلف يتزوجون لأجل أن يولد لهم فيعيش فيوحد الله ويذكره أو يموت فيكون فرطاً صالحاً يثقل به ميزانه.

(وكان بعض الصحابة قد انقطع إلى رسول الله ﷺ يخدمه ويبيت عنده لحاجة إن طرقته) أي عرضته، **(فقال له رسول الله ﷺ: ألا تتزوج؟ فقال: يا رسول الله: أنا فقير لا شيء لي وانقطع عن خدمتك فسكت)** عنه، **(ثم عاد)** له الكلام **(ثانياً)** ألا تتزوج **(فاعاد الجواب)** مثل الأول **(ثم تفكر الصحابي)** في نفسه **(وقال: والله لرسول الله أعلم بما يصلحني في دنياي وآخرتي وما يقربني إلى الله مني لأن قال لي الثالثة لأفعلن فقال له)** رسول الله ﷺ مرة **(ثالثة ألا تتزوج؟ فقلت: يا رسول الله زوجني. فقال: إذهب إلى بني فلان فقل)** لهم: **(إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تزوجوني فتاتكم. قال: فقلت يا رسول الله لا شيء لي، فقال لأصحابه: اجمعوا لأخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا)** له **(فذهب به إلى القوم**

وزن نواة من ذهب فجمعوا له فذهبوا به إلى القوم فأنكحوه، فقال له: أوْلم وجمعوا له من الأصحاب شاة للوليمة. وهذا التكرير يدل على فضل في نفس النكاح ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح.

وحكي أن بعض العباد في الأمم السالفة فاق أهل زمانه في العبادة فذكر لنبي زمانه حسن عبادته فقال: نعم الرجل هو لولا أنه تارك لشيء من السنّة فاغتم العابد لما سمع ذلك فسأل النبي عن ذلك فقال: أنت تارك للتزويج. فقال: لست أحرمه ولكني فقير وأنا عيّال على الناس، قال: أنا أزوّجك ابنتي فزوجه النبي عليه السلام ابنته. وقال بشر بن الحرث: فضل عليَّ أحمد بن حنبل بثلاث: بطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه

فانكحوه، فقال: أولم) فقال يا رسول الله: لا شيء عندي، فقال ﷺ: اجمعوا لأخيكم ثمن شاة **(فجمع له الأصحاب شاة للوليمة)** فأصلح طعاماً دعا عليه رسول الله ﷺ وأصحابه هكذا هو في القوت.

قال العراقي: رواه أحمد من حديث ربيعة الأسلمي في حديث طويل وهو صاحب القصة بإسناد حسن اهـ.

قلت: رواه في المسند من طريق محمد بن عمرو بن عطاء، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن ربيعة بن كعب، وهو ربيعة بن كعب بن يعمر أبو فراس الأسلمي حجازي. قال الواقدي: وكان من أهل الصفة ولم يزل مع رسول الله ﷺ إلى أن قبض فخرج من المدينة فنزل في بلاد أسلم على بريد من المدينة، وبقي إلى أن مات بالحرة سنة ٦٣ في ذي الحجة كذا في الإصابة. **(وهذا التكرير)** بقوله: «ألا تتزوج»؟ ثلاث مرات **(يدل على فضل في نفس النكاح، ويحتمل أنه توسم فيه الحاجة إلى النكاح)** فأمره بذلك.

(وحكي أن بعض العباد في الأمم السالفة فاق أهل زمانه في العبادة) ولفظ القوت: وقد روينا في أخبار الأنبياء أن عابداً تبتل وبلغ من العبادة ما فاق به أهل زمانه حتى وصف بذلك. قال: **(فذكر لنبي زمانه حسن عبادته فقال: نعم الرجل هو لولا أنه تارك لشيء من السنّة)** قال: **(فاغتم العابد لما سمع ذلك)** فأهمه وقال: ما ينفعني عبادتي الليل والنهار وأنا تارك للسنة، **(فسأل النبي عن ذلك)** إذ جاء إليه **(فقال: نعم إنك تارك للتزويج. قال: لست أحرمه)** أي ما تركته لأني حرمته، **(ولكني فقير)** لا شيء لي، **(وأنا عيّال على الناس)** يطعمني هذا مرة وهذا مرة، فكرهت أن أتزوج امرأة أن أعطلها وأرهقها جهداً. **(قال)**: ما يمنعك إلا هذا؟ قال: نعم. قال: **(فأنا أزوجك ابنتي فزوجه النبي عليه السلام ابنته)** في قصة طويلة هكذا هو في القوت.

(وقال بشر بن الحرث) أبو نصر الحافي رحمه الله تعالى، وكان يعتقد فضل أحمد بن حنبل

لنفسي فقط، ولاتساعـه في النكاح وضيقي عنه، ولأنه نصب إماماً للعامة. ويقال: ان أحمد رحمه الله تزوّج في اليوم الثاني من وفاة أم ولده عبدالله وقال: أكره أن أبيت عزباً، وأما بشر فإنه لما قيل له إن الناس يتكلمون فيك لتركك النكاح ويقولون هو تارك للسنة فقال: قولوا لهم هو مشغول بالفرض عن السنّة، وعوتب مرة أخرى فقال: ما يمنعني من التزويج إلا قوله تعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ [البقرة: ٢٢٨] فذكر ذلك لأحمد فقال: وأين مثل بشر انه قعد على مثل حدّ السنان. ومع ذلك فقد روي أنه رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: رفعت منازلي في الجنة وأشرف بي على مقامات الأنبياء ولم أبلغ منازل المتأهلين. وفي رواية قال لي: ما كنت أحب أن يلقاني عزباً. قال: فقلنا له ما فعل أبو نصر التمار؟ فقال: رفع فوقي بسبعين درجة. قلنا بماذا؟ فقد كنا نراك فوقه؟ قال: بصبره على بنياته والعيال. وقال سفيان بن عيينة: كثرة

عليه (**فضل عليّ أحمد بن حنبل رضي الله عنه بثلاث**) خصال: (**بطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه لنفسي فقط، ولاتساعه في النكاح وضيقي عنه، ولأنه نصب إماماً للعامة**) وأنا ما يعرفني إلا الخاصة. وتقدم في كتاب العلم ان مثل بشر مثل بئر مطوية لا يرد عليها إلا الآحاد من الناس، ومثل أحمد مثل دجلة يرد عليها القاصي والداني.

(**ويقال: إن أحمد رحمه الله تعالى تزوج في اليوم الثاني من وفاة أم ولده عبد الله وقال: اكره أن أبيت عزباً**) نقله صاحب القوت، (**وأما بشر فإنه**) كان يحتج لنفسه بحجة (**لما قيل له أن الناس يتكلمون فيك**) قال: وما عسى أن يقولوا؟ قال: يتكلمون (**بترك النكاح ويقولون: هو تارك للسنّة. قال: قل لهم هو مشغول بالفرض عن السنّة**) نقله صاحب القوت. (**وعوتب**) بشر (**مرة أخرى**) في ترك التزويج (**فقال: ما يمنعني من التزويج إلا**) حرف في كتاب الله عز وجل (**قوله تعالى ﴿ولهن مثل الذي عليهن﴾**) ولعلي لا أقوم بذلك. قال: (**فذكر ذلك لأحمد، فقال: وأنى مثل بشر**) ولفظ القوت وأينا مثل بشر (**إنه قعد على**) مثل (**حدّ السنان**). وكان بشر يقول: لو كنت أعول دجاجة خفت أن أكون جلاداً على الجسر. قال صاحب القوت: هذا يقوله في سنة عشرين ومائتين والحلال أوجد والنساء يومئذ أحمد عاقبة فكيف بوقتنا هذا؟ (**ومع ذلك فقد روي أنه**) أي بشراً (**رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: رفعت منازل في الجنة وأشرف بي على مقامات الأنبياء ولم أبلغ منازل المتأهلين**) أي المتزوجين. قال صاحب القوت: (**و**)عندنا (**في رواية**) أخرى (**قال**) وعاتبني ربي وقال (**لي**): يا بشر (**وما كنت أحب أن تلقاني عزباً. قال: فقلنا له ما فعل أبو نصر التمار**) وهو الهلالي الراوي عن رجاء بن حيوة وكان من العباد؟ (**فقال: رفع فوقي سبعين درجة. قلنا: بماذا فقد كنا نراك فوقه؟ قال: بصبره على بنياته والعيال**) وبنيات تصغير بنات، وذكر العيال بعدهن من باب ذكر العام بعد الخاص.

النساء ليست من الدنيا لأن علياً رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله ﷺ وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية ، فالنكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء . وقال رجل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله : طوبى لك فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة ! فقال : لروعة منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أنا فيه . قال : فما الذي يمنعك من النكاح ؟ فقال : ما لي حاجة في امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسي . وقد قيل : فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد . وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب .

(وقال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى : كثرة النساء ليست من الدنيا لأن علياً رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله ﷺ ، وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية ، فالنكاح سنّة ماضية وخلق من أخلاق الأنبياء) نقله صاحب القوت . تزوج علي رضي الله عنه بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها أسماء بنت عميس الخثعمية بوصية منها ، وخولة بنت جعفر بن قيس من بني حنيفة ، وأخرى من بني ثعلب ، وأخرى من بني كلاب ، وليلى بنت سعد من بني دارم ، وأم سعيد بنت عروة بن مسعود من بني ثقيف ، والباقيات سراري . وقال صاحب القوت : تزوج علي رضي الله عنه بعشرة نسوة ، وتوفي عن أربع ، وكان قد تزوج أمامة بنت زينب ابنة رسول الله ﷺ أوصته فاطمة رضي الله عنها عند موتها بذلك ، ويقال : إنه نكح بعد وفاة فاطمة بسبع ليال ، وكان بعض أمراء السلف إذا بلغه عنه كثرة نكاحه يقول : لست بنكحة ولا طلقة يعرض له بذلك .

(وقال رجل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى : طوبى لك) يا أبا إسحاق ، **(فقد تفرغت للعبادة بالعزوبة ، فقال : لدعوة منك بسبب العيال)** أي بسبب قيامك عليهم وهمك لهم **(أفضل من جميع ما أنا فيه قال : فما الذي يمنعك من النكاح ؟ قال : ما لي حاجة إلى امرأة وما أريد أن أغر امرأة بنفسي)** كذا في القوت ، والرجل المذكور هو بقية بن الوليد .

قال أبو نعيم في الحلية : حدثنا أبو بكر محمد بن إسحاق بن أيوب ، حدثنا عبد الله بن الصقر ، حدثنا أبو إبراهيم الترجماني ، حدثنا بقية بن الوليد قال : لقيت إبراهيم بن أدهم بالساحل فقلت له : ما شأنك لا تتزوج ؟ قال : ما تقول في رجل غر امرأة وجوعها ؟ قلت : ما ينبغي هذا . قال : فأتزوج امرأة تطلب ما تطلب النساء لا حاجة لي في النساء . قال : فجعلت أثني عليه فقطعني ، فقال : لك عيال ؟ قلت : نعم . قال روعة تروعك عيالك أفضل مما أنا فيه .

وروي أيضاً من طريق اسماعيل بن عبد الله الشافعي قال : سمعت بقية بن الوليد قال : صحبت إبراهيم بن أدهم في بعض كور الشام وهو يمشي ومعه رفيقه فذكر الحديث . وفيه فقال إبراهيم : يا بقية لك عيال ؟ قلت : أي والله يا أبا إسحاق إن لنا عيالاً . قال : فكأنه لم يعبأ به ، فلما رأى ما بوجهي قال : ولعل روعة صاحب العيال أفضل مما نحن فيه اهـ .

(وقد قيل : إن فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد) في سبيل الله **(على القاعد ، و)** أن **(ركعتين من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب)** . كذا نقله صاحب

وأما ما جاء في الترغيب عن النكاح، **فقد قال** ﷺ: «خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد». وقال ﷺ: «يأتي على الناس زمان يكون

القوت. وهذه الأفضلية لأن المتأهل بسبب همه على العيال في جهاد كبير، ولأنه يتفرغ لعبادة الله تعالى بقلب لا تعتريه وساوس الشهوة إذ قد أمن على نفسه منها، فعبادة مثل هذا أفضل من عبادة من همه في شهوة نفسه، على أن القول الثاني قد روي مرفوعاً نحوه من حديث أنس رفعه «ركعتان من المتزوج أفضل من سبعين ركعة من الأعزب» رواه العقيلي، ورواه تمام في فوائده، والضياء في المختارة بلفظ «ركعتان من المتأهل خير من اثنين وثمانين ركعة من العزب».

(وأما ما جاء في الترغيب عن النكاح فقد قال ﷺ **«خير الناس بعد المائتين)** وفي بعض الروايات «في رأس المائتين» ولفظ الذهبي في كتاب الضعفاء «في المائتين» **(الخفيف الحاذ»)** وفي رواية «كل خفيف الحاذ» والحاذ بالحاء المهملة والذال المعجمة مخفف بمعنى الحال، وأصله طريقة المتن أي ما يعلى عليه اللبد من ظهر الفرس، والمراد خفيف الظهر من العيال والمال. ومن رواه بالجيم والدال فقد صحف، وكذا من رواه مشدداً. وأما من رواه بالحاء واللام فكأنه ذهب به إلى المعنى، والرواية الصحيحة ما ذكرناه. زاد في أكثر الروايات قيل يا رسول الله وما خفيف الحاذ؟ قال **(الذي لا أهل له ولا ولد»)** ضربه مثلاً لقلة ماله وعياله، ومن زعم نسخه لم يصب لأن الاخبار لا يدخلها النسخ، ولا منافاة بينه وبين خبر «تناكحوا تناسلوا» لأن الأمر بالنكاح عام لكل أحد بشروط، وهذا الخبر فيمن لم تتوفر فيه الشروط وخاف من النكاح التورط فيما يخاف منه على دينه بسبب طلب المعيشة.

قال العراقي: رواه أبو يعلى من حديث حذيفة، ورواه الخطابي في العزلة من حديثه وحديث أبي أمامة وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: رواه أبو يعلى من حديث رواد بن الجراح، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن ربعي عن حذيفة مرفوعاً به. وعلته رواد، ولذا قال الخليل: ضعفه الحفاظ وخطؤه اهـ.

قال السخاوي في المقاصد: فإن صح فهو محمول على جواز الترهب أيام الفتن اهـ.

ومن هذا الطريق رواه البيهقي في الشعب، والخطيب، والديلمي، وقال الزركشي: غير محفوظ والحمل فيه على رواد. قال الدارقطني: هو متروك، وقال البيهقي: تفرد به رواد عن سفيان. وقال البخاري: اختلط، وقال أحمد: حديثه من المناكير، وقال الذهبي في الضعفاء: وهذا الحديث مما يغلط فيه ونقل فيه قول الدارقطني. قال: ووثقه يحي بن معين وقال له حديث واحد منكر عن سفيان وساق هذا الخبر.

وعند ابن عساكر بلفظ «يأتي على الناس زمان أفضل أهل ذلك الزمان كل خفيف الحاذ. قيل: يا رسول الله ومن خفيف الحاذ؟ قال: قليل العيال».

وأما حديث أبي أمامة الذي أشار إليه العراقي فقد روي بمعناه ولفظه: إن أغبط أوليائي المؤمن

هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك » . وفي الخبر : « قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم

خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر والعلانية وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع ، وكان رزقه كفافاً فصبر على ذلك ثم نفض يده فقال : عجلت منيته . قلت : بواكيه قل تراثه » . رواه الترمذي من طريق علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً وقال علي ضعيف . وقد أخرجه أحمد والبيهقي في الزهد ، والحاكم في الأطعمة من مستدركه وقال : هذا إسناده للشاميين صحيح عندهم ولم يخرجاه .

قال السخاوي : ولم ينفرد به علي بن يزيد . فقد أخرجه ابن ماجه في الزهد من سننه من غير طريقه من حديث صدقة بن عبد الله ، عن إبراهيم بن مرة ، عن أيوب بن سليمان ، عن أبي أمامة ولفظه : « أغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ » وذكر نحوه .

ولحديث الباب شواهد كثيرة كلها واهية منها : ما رواه الحرث بن أبي أسامة من حديث ابن مسعود مرفوعاً « سيأتي على الناس زمان تحل فيه العزبة لا يسلم لذي دين دينه إلا من فر بدينه من شاهق إلى شاهق » الحديث .

ومنها ما رواه الديلمي من حديث زكريا بن يحيى الصوفي ، عن ابن ابن لحذيفة ، عن أبيه ، عن جده حذيفة مرفوعاً « خير نسائكم بعد ستين ومائة العواقر وخير أولادكم بعد أربع وخمسين البنات » .

ومنها ما روى الخطيب من حديث ابن مسعود « إذا أحب الله العبد اقتناه لنفسه ولم يشغله بزوجة ولا ولد » .

(وقال ﷺ « يأتي على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر يكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينه فيهلك ») قال العراقي : رواه الخطابي في العزلة من حديث ابن مسعود نحوه ، وللبيهقي نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف اهـ .

قلت : ورواه أبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في الزهد ، والخليلي والرافعي كلهم عن ابن مسعود بلفظ : « يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فر من شاهق إلى شاهق أو من جحر إلى جحر كالثعلب بأشباله وذلك في آخر الزمان إذا لم تنل المعيشة إلا بمعصية الله فإذا كان كذلك حلت العزبة . يكون في ذلك الزمان هلاك الرجل على يد أبويه إن كان له أبوان فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده ، فإن لم تكن له زوجة ولا ولد فعلى يدي الأقارب والجيران يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق حتى يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها » ورواه الحرث بن أبي أسامة نحوه .

(وفي الخبر « قلة العيال أحد اليسارين وكثرتهم أحد الفقرين ») .

أحد الفقرين». وسئل أبو سليمان الداراني عن النكاح فقال: الصبر عنهن خير من الصبر عليهن، والصبر عليهن خير من الصبر على النار. وقال أيضاً: الوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجد المتأهل. وقال مرة: ما رأيت أحداً من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الأولى. وقال أيضاً: ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا. من طلب معاشاً أو تزوّج امرأة أو كتب الحديث. وقال الحسن رحمه الله: إذا أراد الله بعبد خيراً لم يشغله بأهل ولا مال. وقال ابن أبي الحواري: تناظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكونا له بل أن يكونا له ولا يشغلانه وهو إشارة إلى قول أبي

هكذا أورده صاحب القوت إلا أنه قال وقال بعض الحكماء فساقه.

قلت: وقد جاء الشطر الأول مرفوعاً.

قال العراقي: رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث علي، والديلمي في مسند الفردوس من حديث عبد الله بن عمرو بن هلال المزني كلاهما بالشطر الأول بسندين ضعيفين اهـ.

قلت: رواه الديلمي من طريق بكر بن عبد الله المزني عن أبيه.

(وسئل أبو سليمان الداراني عن النكاح) هكذا في سائر نسخ الكتاب، والذي في القوت: وسئل سهل بن عبد الله عن النساء **(فقال: «الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار. وقال أيضاً: الوحيد)** أي المنفرد **(يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب ما لا يجده المتأهل)** وهذا القول عن أبي سليمان صحيح نقله صاحب القوت، وأما الذي قبله فهو قول سهل كما أشرنا إليه على أنه قد روي أيضاً من قول أبي سليمان لكن بمعناه، والسياق المذكور لسهل. قال صاحب القوت في موضع آخر من كتابه: وقد كان أبو سليمان يقول في التزويج قولاً عدلاً. قال: من صبر على المرأة فالتزويج له أفضل، والوحيد يجد من حلاوة العلم وفراغ القلب ما لا يجد المتزوج. **(وقال مرة: ما رأيت أحداً من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته الأولى)** كذا في القوت. **(وقال أيضاً)** فيما روى عنه صاحب القوت: **(ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا)** وفي رواية: فقد رغب في الدنيا **(من طلب معاشاً أو تزوج امرأة أو كتب الحديث)** وهذا قد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم.

(وقال الحسن) البصري **(رحمه الله تعالى: إذا أراد الله بعبد خيراً لم يشغله بأهل ولا مال)** وقد روي هذا مرفوعاً من حديث ابن مسعود رواه الخطيب وغيره بلفظ «إذا أحب الله العبد اقتناه لنفسه ولم يشغله بزوجة ولا ولد».

(وقال) أحمد **(بن أبي الحواري)** تلميذ أبي سليمان الداراني: **(تناظر جماعة في هذا الحديث فاستقر رأيهم على أنه ليس معناه أن لا يكونا له بل أن يكونا له ولا يشغلانه)** ولفظ القوت: وروينا عن ابن أبي الحواري في تأويل الحديث الذي رواه عن الحسن إذا أراد الله

سليمان الداراني: ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم. وبالجملة لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقاً إلا مقروناً بشرط. وأما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقاً ومقروناً بشرط، فلنكشف الغطاء عنه لحصر آفات النكاح وفوائده.

آفات النكاح وفوائده؛ وفيه فوائد خمسة: الولد، وكسر الشهوة، وتدبير المنزل، وكثرة العشيرة، ومجاهدة النفس بالقيام بهن.

الفائدة الأولى: الولد: وهو الأصل وله وضع النكاح والمقصود ابقاء النسل، وأن لا يخلو العالم عن جنس الانس، وإنما الشهوة خلقت باعثة مستحثة كالموكل بالفحل في إخراج البذر وبالأنثى في التمكين من الحرث تلطفاً بهما في السياقة إلى اقتناص الولد

بعبد خيراً لم يشغله بأهل ولا مال. قال أحمد: فتناظر في هذا الحديث جماعة من العلماء فإذا ليس معناه هنا أن لا يكون له ولكن يكون له ولا يشغلونه، (**وهو إشارة إلى قول أبي سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى: (**ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشئوم**) نقله صاحب القوت والحلية، وكان يقول أيضاً: إنما تركوا التزويج لتفرغ قلوبهم إلى الآخرة، ثم اعلم أن هذه الأخبار التي رواها المصنف في باب الترغيب عن النكاح جلها واهية، وأخبار الترغيب في النكاح غالبها في الصحيحين وبقية الكتب، فقد ترجح فضل النكاح على العزوبة، وقد لوح المصنف إلى ذلك بقوله: (**وبالجملة لم ينقل عن أحد الترغيب عن النكاح مطلقاً إلا مقروناً بشرط. وأما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقاً ومقروناً بشرط**) كما يفهم ذلك مما تقدم من سياق الأخبار، (**فلنكشف الغطاء عنه بحصر آفات النكاح وفوائده**) بتوفيق الله تعالى.

آفات النكاح وفوائده:

(**وفيه خمسة فوائد**): الأولى حصول (**الولد**) ذكراً كان أو أنثى، (**و**) الثانية: (**كسر الشهوة**) أي شهوة الفرج لا مطلق الشهوة الصادقة على البطن، (**و**)الثالثة: (**تدبير المنزل**) فإنه منوط للنساء وليس للرجال فيه مالهن، (**و**)الرابعة: (**كثرة العشيرة**) بالمناسبة والمصاهرة فالمرء بنفسه قليل ووحيد، (**و**)الخامسة: (**مجاهدة النفس**) الأمارة (**بالقيام بهن**) والصبر عليهن، وهذه الفوائد على هذا الترتيب في مراعاتهن.

(**الفائدة الأولى: الولد: وهو الأصل**) الذي عليه ينبني باقي الفوائد (**وله**) أي لأجله (**وضع**) ناموس (**النكاح**) ولذا قدم في الذكر، (**والمقصود**) الأصلي هو (**بقاء النسل**) لأجل عمارة العالم، (**وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنسان، وإنما الشهوة خلقت**) وركبت في النوع الإنساني (**باعثة مستحثة**) محركة (**كالموكل بالفحل**) أي الذكر (**في إخراج البذر**) من صلبه (**وبالأنثى في التمكين من الحرث**) في أرض الرحم (**تلطفاً بهما في السياقة إلى اقتناص الولد**) وتحصيله (**بسبب الوقاع**) أي الجماع الحاصل بينهما (**كالتلطف**) بالطير الذي

بسبب الوقاع كالتلطف بالطير في بث الحب الذي يشتهيه ليساق إلى الشبكة. وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج، ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب مع الاستغناء عنها إظهاراً للقدرة وإتماماً لعجائب الصنعة وتحقيقاً لما سبقت به المشيئة وحقت به الكلمة وجرى به القلم، وفي التوصل إلى الولد قربة من أربعة أوجه هي الأصل في الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزباً.

الأول: موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان.

الثاني: طلب محبة رسول الله ﷺ في تكثير من به مباهاته.

والثالث: طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده.

والرابع: طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله.

يصطاد (**في بث الحب**) أي نثره (**الذي يشتهيه**) ويميل إليه (**ليساق إلى الشبكة**) الموضوعة. (**وكانت القدرة الأزلية**) لكمالها (**غير قاصرة عن اختراع الأشخاص**) وابتداعهم (**ابتداء من غير**) مثال ولا (**حراثة**) بذر (**ولا ازدواج**) ولا تسليط شهوة، (**ولكن الحكمة**) الإلهية (**اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب**) الحادثة (**مع**) كمال (**الاستغناء عنها**) أي عن تلك الأسباب لأنه خالقها (**إظهاراً للقدرة**) التامة (**وإتماماً لعجائب الصنعة**) وغرائبها (**وتحقيقاً لما سبقت به المشيئة**) الأزلية (**وحقت**) أي وجبت (**به الكلمة**) الإلهية (**وجرى به القلم**) الأعلى على اللوح الفرقاني من الأزل، (**وفي التوصل إلى**) حصول (**الولد قربه من أربعة أوجه هي الأصل في الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة**) ومهلكاتها (**حتى لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزباً**) أي بلا زوجة.

(**الأول**): من الوجوه: (**موافقة محبة الله تعالى بالسعي في تحصيل الولد لبقاء جنس الإنسان**)، فإذا علم العبد أن الله عز وجل أحب ذلك فليسع في تحصيل موافقته لهذه المحبة ليكون ملحوظاً بسرّ يحبهم ويحبونه.

(**والثاني**) من الوجوه: (**طلب محبة رسول الله ﷺ في تكثير من به مباهاته**) مع الأنبياء والأمم السالفة، ولا يتم الوجه الأول إلا بتكميل الوجه الثاني فإنه منوط به، وإذا راعى الوجه الثاني ربما تيسر له الوجه الأول ولو لم يلاحظه.

(**والثالث**) من الوجوه: (**طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده**) أي بعد موته كما جاء في الخبر «أو ولد صالح يدعو له» وقد تقدم.

(**والرابع**): من الوجوه: (**طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله**) فإنه يكون فرطاً وذخيرة كما سيأتي.

أما الوجه الأوّل: فهو أدق الوجوه وأبعدها عن إفهام الجماهير وهو أحقها وأقواها عند ذوي البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه، وبيانه أن السيد إذا سلم إلى عبده البذر وآلات الحرث وهيأ له أرضاً مهيأة للحراثة وكان العبد قادراً على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها، فإن تكاسل وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعاً حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيلة كان مستحقاً للمقت والعتاب من سيده، والله تعالى خلق الزوجين وخلق الذكر والانثيين وخلق النطفة في الفقار وهيأ لها في الانثيين عروقاً ومجاري، وخلق الرحم قراراً ومستودعاً للنطفة، وسلط متقاضي الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثى فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذلق في

(**أما الوجه الأول: فهو أدق الوجوه وأبعدها**) غوراً (**عن إفهام الجماهير**) جمع جمهور وهم الأكثرون من أهل العلم والمعرفة (**وهو أحقها وأقواها عند ذوي البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمه**) الخفية ويستدعي ذلك إلى إيضاح وكشف، (**وبيانه أن السيد إذا سلم إلى عبده**) تحت رقه وطاعته (**البذر وآلات الحرث**) مما يحتاج الحرث إليه من حديد وخشب وحبال وبهائم (**وهيأ له أرضاً مهيأة للحراثة**) بأن كانت مسقية (**وكان العبد**) المذكور (**قادراً على الحراثة**) والبذر (**ووكل به من يتقاضاه**) ويطالبه (**عليها**) كالمعين عليه، (**فإن تكاسل**) هذا العبد عن الخدمة (**وعطل آلة الحرث**) عن استعمالها (**وترك البذر ضائعاً حتى فسد**) وتلف (**ودفع الموكل**) الذي هو عين عليه يتقاضاه (**عن نفسه بنوع من الحيلة كان**) ذلك العبد لا محالة (**مستحقاً للمقت**) والتأديب (**والعتاب من سيده**) حسبما يليق بحاله، (**والله تعالى خلق الزوجين**) أي الصنفين من كل جنس (**وخلق الذكر والأنثى**) من كل نوع هكذا في النسخ، وفي بعضها: خلق الزوجين الذكر والأنثى، وهذا موافق لما في القرآن، وفي أخرى: خلق الزوجين وخلق الذكر والانثيين وهذا أشبه بالصواب، (**وخلق النطفة في الفقار**) أي فقرات ظهر الذكر (**وهيأ لها في الأنثيين**) مثنى الأنثى أي الخصيتين (**عروقاً**) تتحلب فيها (**ومجاري**) تسيل منها، (**وخلق الرحم قراراً ومستودعاً للنطفة وسلط متقاضي الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثى**) . وتحقيق هذا المقام يستدعي معرفة تشريح فقرات الظهر والعضلات والعروق التي هي مجاري النطفة وتشريح الرحم ليتضح ما أشار إليه المصنف على طريق الإجمال.

فاعلم أن فقرات الظهر اثنتا عشرة فقرة والفقرة عظم في وسطه ثقب ينفذ فيه النخاع فيتصل كل واحدة بصاحبتها من قدّام برباطات، ومن خلف بزوائد تدخل من كل في الأخرى، وعظم الفخذ له زوائد شوكية وشاخصة إلى الفوق، وأسفل يتصل به عظما الوركين من جانبيه عن يمينه وعن شماله، ولكل أربعة أجزاء يقال للذي في جنبه منها عظم الخاصرة، وللذي من قدامه عظم العانة، وللذي من خلفه عظم الورك، وللجزء الباطن المجوّف حق الفخذ، ومنفعتها حفظ ما وضع

عليها من المثانة والرحم والمقعدة والمعي المستقيم وأوعية المني في الذكور وجملة ما للبدن من الحركات الإرادية سبع عشرة حركة ذكروا منها حركة القضيب.

وأما العضلات البدنية فجملتها خمسمائة وسبع وعشرون عضلة منها أربع للأنثيين في الذكورية واثنتان للأنوثة ومنفعتها جذب الأنثيين إلى فوق لئلا يتدليا أو يسترخيا، ولذلك كانت في الذكورة أربعة لأن بيضتي الذكورة معلقتان وكفى في الأنوثة اثنتان لأنها داخلتان، ومنها أربع تحرك الذكر اثنتان ممدودتان من جانبي المجرى النافذ في العصب فإذا تمددتا حين الجماع مدتا المجرى فيتسع ويقوم مستقيماً فينفذ فيه المني ويخرج كما ينبغي، واثنتان منشؤهما عظم العانة متصلتان بأصل القضيب على الوارب فإذا تحركتا باعتدال امتد القضيب مستقيماً من غير ميل إلى جانب فيبقى مجراه مستقيماً وإن تمددتا خارجاً عن الاعتدال ارتفع القضيب إلى فوق وإن تحركت إحداهما مال القضيب إلى جانبه، وأما الانثيان فإنهما آلتا المني ومعدناه إذ المني ينزل إليهما من جميع الأعضاء من كل عضو جزء وهو فضلة الهضم الرابع وهو دم في غاية النضج، ويوجد فيه من طبيعة جميع الأجزاء فإذا نزل إلى هذا العضو ابيضّ وصار منياً وذلك أنه ينزل من الصفاد مجريان يشبهان البرنجين ثم يتشعبان فيكون منه الطبقة الداخلة من كيس الانثيين وفيهما الانثيان وتجيء إلى ناحية البيضتين من أقسام العروق والشرايين السفلة شعب وأوعية هي الأوردة الملتففة المحشوة الخلل بلحم غددي الموضوعة بقرب الانثيين الآتية من الكلية إليهما، ومن الصلب إليها التي تهيئ الدم إلى أن يصير منياً إذا حصل في الانثيين، ولذلك صار الخصيان يحتلمون ويرمون رطوبة بيضاء فيها بعض المشابهة للمني ويستلذون بها من غير أن تكون منسلة، وللمني من الانثيين مجريان يفضيان إلى القضيب، وفي القضيب ثلاث مجار مجرى للبول ومجرى للمني ومجرى للودي، ويكون الانتشار بامتلاء تجاويفه ريحاً كثيرة ممدودة لعصب الذكر يسوقها روح كثيرة شهوانية ويصحبها دم كثير، ولذلك يجمد ويثقل ويعين على الانتشار كل ما فيه رطوبة فضلية تتولد منها ريح غليظة في العروق، والشهوة سببها كثرة المني أو حدته فتشوق الطبيعة إلى دفعه أو كثرة ريح تنفخ الذكر أو نظر إلى مستحسن أو تخليه، وأما الرحم الذي هو موضع تولد الولد فهو موضوع فيما بين المثانة والمعي المستقيم وشكله كالقضيب المقلوب وهو بمنزلة كيس الانثيين، وهو من المرأة بمنزلة الذكر من الرجل إلا أنه مجوف مقلوب وطول عنقه المعتدل ما بين ستة أصابع إلى إحدى عشرة أصبعاً وهو يقصر ويطول باستعمال الجماع وتركه، وهو مربوط برباطات سلسة متصلة بخرز الظهر وبجانب السرة والمثانة وهو في نفسه عصبي يمتد ويتسع عند الحاجة إلى ذلك كما عند الحمل وينضم ويتقلص عند الاستغناء كما عند الوضع، وله زائدتان يسميان قرني الرحم وخلف هاتين الزائدتين بيضتا المرأة وهما أصغر من بيضتي الرجل وينصب منهما مني المرأة إلى تجويف الرحم، ولكل منهما غشاء على انفراده وهما موضوعان على جانبي الفرج، وأوعية المني كما في الرجال وهو ذو طبقتين الباطنية فيها فوهات عروق كثيرة وتسمى فقر الرحم وبها تتصل أغشية الجنين ومنها يسيل الطمث ومنها يغتذي الجنين، وكل من الطبقتين ينقبض وينبسط، ورقبة عضلية اللحم وهو لحم ممزوج

الاعراب عن مراد خالقها وتنادي أرباب الألباب بتعريف ما أعدت له هذا إن لم يصرح به الخالق تعالى على لسان رسوله ﷺ بالمراد حيث قال: « تناكحوا تناسلوا » فكيف وقد صرح بالأمر وباح بالسر ؟ فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر معطل لما خلق الله من الآلة المعدة وجانٍ على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الأعضاء بخط إلهي ليس برقم حروف وأصوات يقرأه كلّ من لهُ بصيرة ربانية نافذة في ادراك دقائق الحكمة الأزلية، ولذلك عظم الشرع الأمر في القتل للأولاد في الوأد لأنه منع لتمام الوجود، وإليه أشار من قال: العزل أحد الوأدين،

بالغضروف فهو أصلب من سائر اللحوم وفيه مجرى محاذ لفم الرحم الخارج منه يبتلع المني ويقذف الطمث ويلد الجنين ويكون في حال الحمل في غاية الضيق حتى لا يدخله الميل، وعند الولادة يتسع. فسبحان اللطيف الخبير المدبر الحكيم لا إله غيره جل جلاله وعلا شأنه.

(**فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذلق**) بفتح الذال المعجمة وسكون اللام أي فصيح (**في الإعراب**) أي الإفصاح (**عن مراد خالقها**) جل وعز (**وتنادي أرباب الألباب بتعريف ما أعدت له**) أي هيئت (**هذا لو لم يصرح به الخالق**) تعالى، وفي بعض النسخ: هذا إن لم يصرح به الخالق (**على لسان رسوله ﷺ بالمراد حيث قال « تناكحوا تكثروا »**) أي لكي تكثروا إلى آخر الحديث الذي تقدم ذكره قريباً. (**فكيف وقد صرح بالأمر وباح بالسر ؟**) وهو ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، (**فكل ممتنع عن النكاح**) من غير عذر شرعي (**هو معرض عن الحراثة**) الإلهية (**مضيع للبذر**) الموهوب (**معطل لما خلق له من الآلة المعدة**) أي المهيأة لذلك؟ وفي بعض النسخ لما كلف من الآلة المعدة (**وجانٍ على مقصود الفطرة**) الإلهية التي فطر الناس عليها (**و**) جان على مقصود (**الحكمة**) المخفية (**المفهومة من شواهد الخلقة**) المبرزة على غاية الأحكام والإتقان (**المكتوبة على هذه الأعضاء**) الدالة على معاني الأسرار (**بخط إلهي ليس برقم حروف**) أبجدية (**وأصوات**) مقطعة (**يقرؤه**) أي ذلك الخط (**كل من له بصيرة ربانية نافذة في إدراك دقائق الحكمة الأزلية**) ويعمل بمقتضاه، (**ولذلك عظم الشرع الأمر في القتل للأولاد في الوأد**) والمراد بالأولاد الإناث، وقد وأد ابنته وأداً من باب وعد إذا دفنها حية فهي موؤدة، وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك لجهلهم بالحكمة الإلهية (**لأنه منع لتمام الوجود**) ومنه قوله تعالى ﴿وإذا الموؤدة سئلت ★ بأي ذنب قتلت﴾ [التكوير: ٨] (**وإليه أشار من قال: العزل أحد الودأين**) وهو صرف المني عن المرأة خوف الحمل وهو معنى قول ابن عباس هو الموؤدة الصغرى لأنه بوجود العزل يعدم فضل النكاح إذ كان العبد سبب عدمه لأنه لم يفعل ما يتأتى منه الولد فذهب فضله وحسب عليه قتله، وقالوا أيضاً: العزل دقيقة من الشرك لأن أهل الجاهلية كان سبب قتلهم بناتهم

فالناكح ساع في إتمام ما أحب الله تعالى تمامه، والمعرض معطل ومضيع لما كره الله ضياعه، ولأجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس أمر بالاطعام وحث عليه وعبّر عنه بعبارة القرض فقال: ﴿مَن ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ [البقرة: ٢٤٥] فإن قلت: قولك إن بقاء النسل والنفس محبوب يوهم أن فناءها مكروه عند الله وهو فرق بين الموت والحياة بالإضافة إلى إرادة الله تعالى، ومعلوم أن الكل بمشيئة الله وأن الله غني عن العالمين فمن أين يتميز عنده موتهم عن حياتهم أو بقاؤهم عن فنائهم؟ فاعلم أن هذه الكلمة حق أريد بها باطل فإن ما ذكرناه لا ينافي إضافة الكائنات كلها إلى إرادة الله خيرها وشرها ونفعها وضرها، ولكن المحبة والكراهة يتضادان وكلاهما لا يضادان الإرادة، فرب مراد مكروه ورب مراد محبوب، فالمعاصي مكروهة وهي مع الكراهة

معاني. أحدها: خشية العار بهن، ومنها كراهة الإنفاق عليهن، ومنها الشح وخوف الفقر والإملاق وكانوا من مات له البنون وعاش له البنات سموه أبتر وذموه بذلك، وكانوا يقولون: من كن له إحدى الحربات الثلاث لم يسد قومه يعنون بهن الأم والأخت والبنت فقد توجد هذه المعاني كلها أو بعضها. (**فالناكح**) في الحقيقة (**ساع في إتمام ما أحب الله تعالى تمامه**) وربط عليه نظام عالمه، (**والمعرض عن النكاح معطل ومضيع لما كره الله ضياعه**) وفرق بين ساع في إتمام وبين متسبب لتخريب النظام، (**ولأجل محبة الله**) عز وجل (**لبقاء النفوس**) وحفظ ناموسها (**أمر بالإطعام وحث عليه**) فمنه ما هو في كتابه ومنه ما هو على لسان رسوله، (**وعبر عنه بعبارة القرض فقال ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾**).

فإن قلت: قولك إن بقاء النسل) الإنساني (**والنفس**) الحيواني (**محبوب يوهم أن فناءها**) أي النفس (**مكروه عند الله تعالى**) من ضرورة التضاد بين المحبة والكراهة، (**وهو فرق بين الموت والحياة بالإضافة الى إرادة الله﴾ عز وجل**، (**ومعلوم أن الكل**) منها (**بمشيئة الله**) عز وجل، (**و**)معلوم (**أن الله غني عن العالمين**) ومقتضى وصف الغنى تساويهما عنده على حد سواء، (**فمن أين يتميز عنده**) تعالى (**موتهم على حياتهم وبقاؤهم عن فنائهم؟**) وهو إشكال قوي وقد أجاب عنه بقوله: (**فاعلم أن هذه كلمة حق أريد بها باطل**) وأول من تكلم بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مخاطبته لبعض الخوارج كما تقدم في كتاب العلم. (**فإن ما ذكرناه لا ينافي إضافة الكائنات**) أي المخلوقات (**كلها إلى إرادة الله تعالى خيرها وشرها ونفعها وضرها**) يسرها وعسرها، (**ولكن المحبة والكراهة يتضادان**) يستحيل اجتماعهما في موضع واحد لأن كلاً منهما ينافي الآخر في أوصافه الخاصة، (**وكلاهما لا يضادان الإرادة**) لأن كل واحد منهما معها ليس تحت جنس واحد، (**فربّ مراد مكروه ورب مراد محبوب، فالمعاصي مكروهة وهي مع الكراهة مرادة**) إذ الكراهة هي الحكم في الشيء بأنه ينبغي فعله أولاً (**والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية**) عند

مرادة، والطاعات مرادة وهي مع كونها مرادة محبوبة ومرضية. أما الكفر والشر فلا تقول أنه مرضي ومحبوب بل هو مراد. وقد قال الله تعالى: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ [الزمر: ٧] فكيف يكون الفناء بالإضافة إلى محبة الله وكراهته كالبقاء، فإنه تعالى يقول: «ما ترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المسلم هو يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بدّ له من الموت». فقوله: «لا بدّ له من الموت» إشارة إلى سبق الإرادة والتقدير المذكور في قوله تعالى: ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ [الواقعة: ٦٠] وفي قوله تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ [الملك: ٢] ولا مناقضة بين

الله تعالى، **(أما الكفر والشر فلا تقول أنه مرضي ومحبوب بل هو مراد، وقد قال تعالى)** في كتابه العزيز **﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾** وتقدم تفصيل هذا البحث في قواعد العقائد. **(وكيف يكون الفناء بالإضافة إلى محبة الله وكراهته كالبقاء وأنه تعالى يقول: «ما ترددت في شيء كترددي في قبض روح عبدي المسلم هو يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد من الموت»)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة وانفرد به خالد بن مخلد القطواني وهو متكلم فيه اهـ.

قلت: ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق محمد بن عثمان بن كرته، حدثنا خالد بن مخلد، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء عن أبي هريرة رفعه «إن الله تعالى قال من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» ثم ساق الحديث وفي آخره «وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته».

وأخرجه البخاري بطوله في الرقائق من هذا الطريق بهذا الإسناد. قال في الميزان: حديث غريب جداً ولولا هيبة الصحيح لعدوه من منكرات خالد بن مخلد لغرابة لفظه، وانفراد شريك به وليس بالحافظ ولم يرد هذا المعنى إلا بهذا الإسناد ولا خرجه غير البخاري اهـ.

أي من الأئمة الستة وقد ظهر لك من السياق أن قوله «ولا بد من الموت» ليس عند البخاري نبه عليه الحافظ ابن حجر على حاشية المغني، ومثله بدون هذه الزيادة في حديث ابن عباس رواه الطبراني في الكبير. نعم رواه أبو نعيم في الحلية، وابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء، والحكيم، وابن مردويه، والبيهقي في الأسماء، وابن عساكر كلهم من حديث أنس بلفظ «وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض عبدي المؤمن وهو يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه»

(فقوله «ولا بد من الموت» إشارة الى سبق الإرادة) الأزلية **(والتقدير المذكور في قوله تعالى ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾)** أي قدرهما أو أوجد الحياة وإزالتها حسبما قدره، وقدم الموت لقوله ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾ [البقرة: ٢٨] ولأنه ادعى إلى حسن العمل كذا في البيضاوي، وفيه كلام أودعته في الإنصاف في المحاكمة بين البيضاوي والكشاف، **(ولا مناقضة بين قوله)** تعالى **﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾** وبين قوله «وأنا أكره مساءته») فإن المراد

قوله تعالى: ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ وبين قوله: ﴿وأنا أكره مساءته». ولكن إيضاح الحق في هذا يستدعي تحقيق معنى الارادة والمحبة والكراهة وبيان حقائقها، فإن السابق إلى الأفهام منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم. وهيهات فبين صفات الله تعالى وصفات الخلق من البعد ما بين ذاته العزيز وذاتهم، وكما ان ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله مقدس عنه ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض، فكذا صفاته لا تناسب صفات الخلق. وهذه الحقائق داخلة في علم المكاشفة ووراءه سر القدر الذي منع من إفشائه فلنقبض عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من

بكراهته للموت ما يناله منه من الصعوبة والشدة والمرارة لشدة ائتلاف روحه بجسده وتعلقها به ولعدم معرفته بما هو صائر إليه بعده، ومعنى قوله «وأنا أكره مساءته» أي أريده له لأنه يورده موارد الرحمة والغفران والتلذذ بنعيم الجنان، وقد يحدث الله بقلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه ما يشتاق به إلى الموت فضلاً عن كراهته فيأتيه وهو إليه مشتاق، وذلك من مكنون ألطافه فلا تناقض بينه وبين قوله ﴿ونحن قدرنا بينكم الموت﴾ فتأمل.

(ولكن إيضاح الحق في هذا يستدعي تحقيق معنى الإرادة والمحبة والكراهة وبيان حقائقها فإن السابق إلى الأفهام منها أمور تناسب إرادة الخلق ومحبتهم وكراهتهم. وهيهات فبين صفات الله وصفات الخلق من البعد) مثل **(ما بين ذاته وذواتهم، وكما أن ذوات الخلق جوهر وعرض وذات الله مقدسة عنه ولا يناسب ما ليس بجوهر وعرض الجوهر والعرض، فكذا صفاته لا تناسب صفات الخلق.)** وقد ذكر المصنف في المقصد الأسنى في الفصل الرابع منه ما نصه: ومهما عرف معنى المماثلة المنفية عن الله تعالى عرفت أنه لا مثل له، ولا ينبغي أن يظن أن المشاركة في كل وصف توجب المماثلة. أترى أن الضدين يتماثلان وبينهما غاية البعد الذي لا يتصور أن يكون بعد فوقه، وهما متشاركان في أوصاف كثيرة إذ السواد يشارك البياض في كونه عرضاً وفي كونه لوناً مدركاً بالبصر وأموراً أخر سواه، أفترى من قال: إن الله تعالى موجود لا في محل وأنه سميع بصير عالم مريد متكلم حي قادر فاعل، وللإنسان أيضاً كذلك فقد شبه قائل هذا إذاً وأثبت المثل. هيهات ليس الأمر كذلك، ولو كان الأمر كذلك لكان الخلق كلهم مشبهة إذ لا أقل من إثبات المشاركة في الوجود وهو موهم للمشابهة بل المماثلة عبارة عن المشاركة في النوع والماهية والخاصة الإلهية أنه الموجود الواجب الوجود بذاته التي يوجد عنها كل ما في الإمكان وجوده على أحسن وجوه النظام والكمال، وهذه الخاصية لا تتصور فيها مشاركة البتة والمماثلة بها تحصل بل الخاصية الإلهية ليست إلا لله تعالى ولا يعرفها إلا الله ولا يتصور أن يعرفها إلا هو ومن هو مثله. وإذ لم يكن له مثل لا يعرفها غيره اهـ.

(فهذه الحقائق داخلة في علم المكاشفة ووراءه سر القدر الذي يمنع إفشاؤه) إلا للخاصة، **(فلنقبض عن ذكره ولنقتصر على ما نبهنا عليه من الفرق بين الإقدام على**

الفرق بين الإقدام على النكاح والاحجام عنه فإن أحدهما مضيع نسلاً أدام الله وجوده من آدم ﷺ عقباً بعد عقب إلى أن انتهى إليه، فالممتنع عن النكاح قد حسم الوجود المستدام من لدن وجود آدم عليه السلام على نفسه فمات أبتر لا عقب له، ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ في الطاعون زوّجوني لا ألقى الله عزباً.

فإن قلت: فما كان معاذ يتوقع ولداً في ذلك الوقت فما وجه رغبته فيه؟ (**فأقول**): الولد يحصل بالوقاع ويحصل الوقاع بباعث الشهوة وذلك أمر لا يدخل في الاختيار إنما المعلق باختيار العبد إحضار المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال، فمن عقد فقد أدى ما عليه وفعل ما إليه والباقي خارج عن اختياره، ولذلك يستحب النكاح للعنين أيضاً فإن نهضات الشهوة خفية لا يطلع عليها حتى أن الممسوح الذي لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب أيضاً في حقه على الوجه الذي يستحب للأصلع إمرار الموسى على

النكاح والإحجام عنه، فإن أحدهما) وهو المحجم عنه (**مضيع نسلاً أدام الله وجوده من**) عهد (**آدم عليه السلام عقباً بعد عقب**) وطبقة بعد طبقة (**إلى أن انتهى إليه، فالممتنع عن النكاح قد حسم**) أي قطع (**الوجود المستديم من وجود آدم عليه السلام على نفسه فمات أبتر**) مقطوعاً (**لا عقب له**). والأبتر من الحيوان من لا ذنب له شبه به الرجل الذي لا عقب له، وقد كان العاصي بن وائل يقول للنبي ﷺ: إنك أبتر وذلك لما مات أولاده الأربعة وبقيت بناته فرد الله عليه وقال: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ بمعنى الأبتر الذي قد انقطع ذكره بعد موته وثناؤه فلا يذكر بخير بعد موته. أي: فأما أنت فقد رفعنا لك ذكرك تذكر معي إذا ذكرت، (**ولو كان الباعث على النكاح مجرد دفع الشهوة لما قال معاذ**) بن جبل رضي الله عنه (**في الطاعون**) الذي أصابه: (**زوجوني لا ألقى الله عزباً**) بلا زوجة كما تقدم.

(**فإن قلت: فما كان معاذ**) رضي الله عنه (**يتوقع ولداً في ذلك الوقت**) لاشتغاله بنفسه (**فما وجه رغبته فيه؟ فأقول**) في الجواب: (**الولد يحصل بالوقاع**) كما جرت به سنة الله تعالى، (**ويحصل الوقاع بباعث الشهوة**) الغريزية (**وذلك أمر لا يدخل في الإختيار**) البشري (**إنما التعلق باختيار العبد احضار**) السبب (**المحرك للشهوة وذلك متوقع في كل حال فمن عقد**) عقداً (**فقد أدى ما عليه**) بالوجوب أو السنية والإستحباب (**وفعل ما إليه**) وجه (**والباقي خارج، ولذلك يستحب النكاح للعنين أيضاً**) وهو الذي لا يقدر على إتيان النساء أو لا يشتهي النساء، (**فإن نهضات الشهوة خفية لا يطلع عليها**) لأنها تختلف باختلاف الأشخاص (**حتى أن الممسوح الذي لا يتوقع له ولد**) وهو الذي مسحت مذاكيره أي قطعت (**لا ينقطع الإستحباب**) في التزويج (**أيضاً في حقه**) وفي حكمه الخصي والمجبوب (**على الوجه الذي يستحب للأصلع**) الذي انحسر الشعر عن مقدم رأسه (**إمرار الموسى**) أي موسى

رأسه اقتداء بغيره وتشبهاً بالسلف الصالحين، وكما يستحب الرمل والاضطباع في الحج الآن وقد كان المراد منه أوّلاً اظهار الجلد للكفار فصار الاقتداء والتشبه بالذين أظهروا الجلد سنّة في حق من بعدهم، ويضعف هذا الاستحباب بالإضافة إلى الاستحباب في حق القدر على الحرث وربما يزداد ضعفاً بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع إلى قضاء الوطر فإن ذلك لا يخلو عن نوع من الخطر، فهذا المعنى هو الذي ينبه على شدة انكارهم لترك النكاح مع فتور الشهوة.

الوجه الثاني: السعي في محبة رسول الله ﷺ ورضاه بتكثير ما به مباهاته. إذ قد صرح رسول الله ﷺ بذلك، ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ما روي عن عمر رضي الله عنه أنه كان ينكح كثيراً ويقول: إنما أنكح للولد، وما روي من الأخبار في مذمة المرأة العقيم إذ قال عليه السلام: «لحصير في ناحية البيت خير من امرأة

الحديد (**على رأسه إقتداء بغيره**) من الحالقين (**وتشبيهاً بالسلف الصالحين**) وهذا قد روي عن ابن عمر أنه قال في الأصلع يمر الموسى على رأسه. أخرجه الدارقطني. (**وكما يستحب الرمل**) وهو الإسراع في الطواف والسعي (**والإضطباع**) وهو نوع من الارتداء مخصوص بالطواف (**في الحج الآن، وقد كان المراد منه أولاً**) في زمنه ﷺ (**إظهار الجلد**) والقوة (**للكفار**) الذي قالوا: وهنتهم حمى يثرب وصعدوا قعيقعان فيتفرجون عليهم، (**فصار الإقتداء والتشبيه بالذين أظهروا الجلد سنة في حق من بعدهم**) وقد تقدم كل ذلك في كتاب الحج، (**ويضعف هذا الاستحباب**) أي بالنظر إلى الإقتداء والتشبه (**بالإضافة إلى الإستحباب في حق القادر على الحرث**) مع التمكن من الآلة. (**وربما يزداد ضعفاً بما يقابله من كراهة تعطيل المرأة وتضييعها فيما يرجع إلى قضاء الوطر**) منها (**فإن ذلك لا يخلو عن نوع الخطر، فهذا المعنى الذي ينبه على شدة إنكارهم لترك النكاح مع فتور**) داعية (**الشهوة**). فافهم ذلك فإنه دقيق.

(**الوجه الثاني: السعي في محبة رسول الله ﷺ ورضاه بتكثير ما به مباهاته**) أي مفاخرته (**إذ قد صرح رسول الله ﷺ بذلك**) حيث قال: «وتناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة» وقد تقدم ذلك، (**ويدل على مراعاة أمر الولد جملة بالوجوه كلها ما روي عن عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه أنه كان ينكح ويقول: إنما أنكح لأجل الولد**) أي لحصوله كما في القوت وتقدم، وهذا مع كمال زهده في الدنيا واشتغاله بمهات الدين وأمور المسلمين، (**وما روي من الأخبار في مذمة المرأة العقيم**) وهي التي لا تلد (**إذ قال ﷺ: «لحصير في ناحية البيت خير من إمرأة لا تلد»**). قال العراقي: رواه أبو عمر والنوقاني في كتاب معاشرة الأهلين موقوفاً على عمر بن الخطاب، ولم أجده مرفوعاً اهـ.

لا تلد » وقال: « خير نسائكم الولود الودود » وقال: « سوداء ولود خير من حسناء لا تلد ». وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل في اقتضاء فضل النكاح من طلب دفع غائلة الشهوة، لأن الحسناء أصلح للتحصين وغض البصر وقطع الشهوة.

الوجه الثالث: أن يبقى بعده ولداً صالحاً يدعو له كما ورد في الخبر: إن جميع عمل ابن آدم منقطع إلا ثلاث، فذكر الولد الصالح. وفي الخبر: « إن الأدعية تعرض على

قلت: هو في القوت ولفظه: « حصير في البيت خير من امرأة لا تلد ».

(وقال ﷺ: « خير نسائكم الولود الودود ») كذا في القوت. قال العراقي: رواه البيهقي من حديث ابن أبي أدية الصدفي قال البيهقي: روي بإسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلاً اهـ.

قلت: قد روي هذا الحديث بزيادة: « المؤاسية المؤاتية إذا أتقين الله وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم ». رواه البيهقي هكذا من حديث ابن أبي أدية، ورواه البغوي في معجم الصحابة كذلك، وقال: هو من أهل مصر. قال: ولا أدري أله صحبة أم لا. ولذا قال السيوطي في الجامع الصغير بعد أن رمز للبيهقي عن ابن أبي أدية مرسلاً، وكلام الحافظ لا يشعر إلا أنه مرفوع، وقد روي أيضاً عن سليمان بن يسار مرسلاً. والودود: هي المتحببة إلى زوجها والولود هي الكثيرة الولادة.

(وقال ﷺ: « سوداء ولود خير من حسناء لا تلد ») قال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء من رواية بهز بين حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح اهـ.

قلت: ورواه كذلك الطبراني في الكبير، والديلمي وتمام وابن عساكر، وجد بهز هو معاوية بن حيدة له صحبة، وأورده الذهبي في الميزان في ترجمة علي بن الربيع عن بهز اهـ. ولكن هؤلاء كلهم رووا هذا الحديث بزيادة بعد قوله لا تلد وإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط لا يزال محبنطئا على باب الجنة الخ. وسأذكره فيما بعد.

تنبيه:

قال المناوي في شرح الجامع قوله: سوداء بالهمز بعد الدال وهي القبيحة الوجه. يقال: رجل أسود وامرأة سوداء، **(وهذا يدل على أن طلب الولد أدخل في اقتضاء فضل النكاح من دفع غائلة الشهوة لأن الحسناء)** من النساء **(أصلح للتحصين)** أي لتحصين الفرج عن الحرام و **(غض البصر)** عن الغير **(وقطع الشهوة)** فإن جماع الحسناء يستدعي استفراغ ماء الرجل الذي هو داعية الشهوة، ولذا راعى أصحابنا في الائمة وترتيب أفضليتهم أن تكون زوجته حسناء لما ذكرناه.

(الوجه الثالث: أن يبقى بعده ولد صالح يدعو له كما ورد في الخبر) الذي تقدم ذكره ما معناه **(أن جميع عمل ابن آدم منقطع إلا)** من **(ثلاث)** صدقة جارية أو علم ينتفع به أو

الموتى على أطباق من نور » وقول القائل : إن الولد ربما لم يكن صالحاً لا يؤثر فإنه مؤمن والصلاح هو الغالب على أولاد ذوي الدين ، لا سيما إذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح ، وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد براً كان أو فاجراً ، فهو مثاب على دعواته وحسناته فإنه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته ، فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، ولذلك قال تعالى : ﴿ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ [الطور : ٢١] أي ما نقصناهم من أعمالهم وجعلنا أولادهم مزيداً في إحسانهم .

ولد صالح يدعو له ، **(وفي الخبر « ان الأدعية تعرض على الموتى على أطباق من نور »)** قال العراقي : رويناه في الأربعين المشهورة من رواية أبي هدبة عن أنس في الصدقة عن الميت ، وأبو هدبة كذاب اهـ .

وهذا يفهم منه إيصال ثواب الأدعية للموتى مطلقاً ، وأن الميت ينتفع بدعاء الغير سواء كان ولده أو غيره ، وهذا من باب الإستدلال بالأعم وفيه تحريض الولد على الدعاء . **(وقول القائل : إن الولد ربما لا يكون صالحاً)** وقد ورد التقييد به في الخبر ، فهذا القول **(لا يؤثر فإنه مؤمن على كل حال فالصالح هو الغالب على أولاد ذوي الدين لا سيا إذا عزم على تربيته وحمله على الصلاح)** فهو السبب في صلاحه وإرشاده إلى الهدى ، وإذا قلنا إن المراد بالصالح المسلم لم يحتج إلى تأويل **(وبالجملة دعاء المؤمن لأبويه مفيد)** ينتفعان به **(براً كان)** الولد **(أو فاجراً فهو)** أي الأب **(مثاب على دعائه وحسناته فإنه من كسبه)** فإنه تعالى يثيب المكلف بكل فعل يتوقف وجوده توقفاً على كسبه ، سواء فيها المباشرة والسببية وما يتجدد حالاً من منافع الصدقات الجارية ، ويصل إليه من صالحات أعمال الولد تبعاً لوجوده الذي هو سبب عن فعل الوالد كان ذلك ثواباً لاحقاً به غير منقطع ، **(و)** هو **(غير مؤاخذ بسيئاته)** وأوزاره ، **(فإنه)** قال الله تعالى : **(ولا تزر وازرة وزر أخرى)** [فاطر : ١٨] أي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى ، **(ولذلك قال تعالى)** ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان﴾ **(ألحقنا بهم ذريتهم)** في دخول الجنة والدرجة لما في الخبر : إن الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه لتقربهم عينه **(وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ أي ما نقصناهم من أعمالهم)** بهذا الإلحاق ، وقيل : جازيناهم بهم ، **(وجعلنا أولادهم مزيداً في إحسانهم)** لأنهم من أعمالهم وأكسابهم ، كما قال : ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾ [المسد : ٢] أي ولده ففي تدبره أن الولد يغني المؤمن في الآخرة كما يغني المال عنه إذا أنفقه في سبيل الله ويروي ولد الرجل من كسبه فأحل ما أكل من كسب ولده ، ويحتمل أن يكون بالتفضيل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه ، ثم قال : ﴿كل امرىء بما كسب رهين﴾ [الطور : ٢١] أي بعمله مرهون عند الله ، فإن عمل صالحاً فلها وإلا فهلكها ، وفي أول الآية إشعار بأنه يكفي للإلحاق المتابعة في أصل الإيمان .

الوجه الرابع: أن يموت الولد قبله فيكون له شفيعاً ، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة ». وفي بعض الاخبار: « يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك ». وقال أيضاً ﷺ: « إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئاً » أي ممتلئاً غيظاً وغضباً ويقول: « لا أدخل الجنة إلا وأبواي معي ، فيقال: أدخلوا أبويه معه الجنة ». وفي خبر آخر: « إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة: اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب

(**الوجه الرابع: أن يموت الولد قبله فيكون له شفيعاً**) في يوم القيامة (**فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة »**) ولفظ القوت: « يجر أبويه بسرره إلى الجنة ». قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث علي وقال: السقط بدل الطفل، وله من حديث معاذ: « إن الطفل ليجر أمه بسرره إلى الجنة إذا هي احتسبته » وكلاهما ضعيف.

قلت: أما حديث علي فرواه ابن ماجه من طريق عابس بن ربيعة عنه بلفظ: « إن السقط ليراغم ربه إذا دخل أبواه النار فيقال أيها السقط الراغم ربه أدخل أبويك الجنة فيجرهما بسرره حتى يدخلهما الجنة » وفي السند مندل العنزي ضعفه أحمد اهـ.

(**وفي بعض الأخبار: « يأخذ بثوبه كما أنا الآن آخذ بثوبك »**) وهذا عند مسلم من رواية أبي هريرة. (**وقال ﷺ أيضاً: « إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا**) من احبنطى افعنلى من ملحقات المزيد على الثلاثي بثلاثة (**أي ممتلئاً غيظاً وغضباً**) وممتنعاً من دخول الجنة امتناع طلب لا امتناع إباء (**ويقول: « لا أدخل الجنة إلا وأبواي معي فيقال**) للملائكة (**أدخلوا أبويه معه الجنة »**) هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ولا يصح، وللنسائي من حديث أبي هريرة: « يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤنا فيقال ادخلوا أنتم وآباؤكم ». وإسناده جيد اهـ.

قلت: حديث بهز بن حكيم قد رواه الطبراني في الكبير وجماعة فقد ذكرهم ولفظه: « سوداء ولود خير من حسناء لم تلد وإني مكاثر بكم الأمم حتى بالسقط لا يزال محبنطئاً على باب الجنة يقال ادخل الجنة فيقول يا رب وأبواي، فيقال له: ادخل الجنة وأنت وأبواك ». وقد تقدمت الجملة الأولى من هذا الحديث قريباً. ووجدت بخط الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى هذا الحديث قد رواه ابن عدي في الكامل من طريق حسان بن سياه، عن عاصم، عن ذر، عن ابن مسعود مرفوعاً وتفرد به حسان، وخالفه أبو بكر بن عياش، فرواه عن عاصم عن رجل لم يسمه عن عبد الله. قال الدارقطني: وهو صحيح.

(**وفي خبر آخر: « إن الأطفال يجمعون في موقف**) يوم القيامة (**عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة: اذهبوا بهؤلاء إلى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقال لهم مرحباً**

الجنة فيقال لهم مرحباً بذراري المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم، فيقولون: فأين آباؤنا وأمهاتنا؟ فيقول الخزنة: إن آباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون عليها ويطالبون. قال: فيتضاغون ويضجون على أبواب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه وهو أعلم بهم: ما هذه الضجة؟ فيقولون: ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا فيقول الله تعالى: تخللوا الجمع فخذوا بأيدي آبائهم فأدخلوهم الجنة». وقال ﷺ: «من مات له اثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار» وقال ﷺ: «من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم». قيل: يا رسول الله وإثنان؟ قال: «واثنان».

بذراري المؤمنين ادخلوا) الجنة **(لا حساب عليكم، فيقولون: فأين آباؤنا وأمهاتنا؟ فتقول لهم الخزنة: إن آباءكم ليسوا مثلكم إنه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم يحاسبون ويطالبون)** بها **(قال: فيتضاغون)** أي يتصايحون **(ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله سبحانه)** للملائكة: **(وهو أعلم بهم ما هذه الضجة؟ فيقولون:)** يا **(ربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا، فيقول الله تعالى)** للملائكة: **(تخللوا الجمع)** أي ادخلوا في خللهم **(فخذوا بأيدي آبائهم فادخلوهم الجنة)** معهم» هكذا أورده صاحب القوت بطوله وقال في أوله: وروينا في خبر غريب فساقه، وقال العراقي: لم أجد له أصلاً يعتمد عليه.

(وقال ﷺ: «من مات له إثنان من الولد فقد احتظر بحظار من النار») الحظار: بالكسر جمع حظيرة اسم لما حظر به الغنم وغيرها من الشجر ليمنعها ويحفظها، وقد حظرها حظراً من باب قتل واحتظرها عملها. قال العراقي: رواه البزار والطبراني من حديث زهير بن أبي علقمة: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله: إنه مات لي إثنان سوى هذا فقال: «لقد احتظرت من دون النار بحظار شديد». ولمسلم من حديث أبي هريرة. وفي المرأة التي قالت دفنت ثلاثة قال: «لقد احتظرت بحظار شديد من النار». اهـ.

قلت: حديث زهير بن أبي علقمة رواه أيضاً البغوي والباوردي وابن قانع وأبو مسعود الرازي في مسنده والضياء، وحديث أبي هريرة رواه النسائي أيضاً.

(وقال ﷺ: «من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم. قيل يا رسول الله: وإثنان؟ قال: وإثنان») هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه البخاري من حديث أنس دون ذكر الإثنين، وهو عند أحمد بهذه الزيادة من حديث معاذ، وهو متفق عليه من حديث أبي سعيد بلفظ: «أيما امرأة». بنحو منه اهـ.

قلت: وبهذه الزيادة رواه أحمد أيضاً من حديث محمود بن لبيد، عن جابر مرفوعاً بلفظ: «من

وحكي أن بعض الصالحين كان يعرض عليه التزويج فيأبى برهة من دهره. قال: فانتبه من نومه ذات يوم وقال: زوجوني زوجوني فزوجوه فسئل عن ذلك فقال: لعل الله يرزقني ولداً ويقبضه فيكون لي مقدمة في الآخرة، ثم قال: رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأني في جملة الخلائق في الموقف وبي من العطش ما كاد أن يقطع عنقي وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب فنحن كذلك إذ ولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب، وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويتجاوزون أكثر الناس فمددت يدي إلى أحدهم وقلت: اسقني فقد أجهدني العطش، فقال: ليس لك فينا ولد إنما نسقي آباءنا. فقلت: ومن أنتم؟ فقالوا: نحن من مات من أطفال المسلمين. وأحد المعاني المذكورة في قوله تعالى: ﴿فأتوا حرثكم

مات له ثلاثة من الولد فاحتسبهم دخل الجنة. قالوا يا رسول الله: وإثنان؟ قال: وإثنان». ورواه كذلك البخاري في الأدب المفرد وابن حبان والضياء، وقد روي قوله: «أدخله الله الجنة بفضل رحمته» من حديث أبي ثعلبة الأشجعي، وقال غيره: «من مات له ولدان في الإسلام ادخله الله الجنة بفضل رحمته إياهما» رواه ابن سعد، وأحمد، والبغوي، والباوردي، والطبراني. ويروى عن عبد الرحمن بن بشير الأنصاري رفعه: «من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم يرد النار إلاعابر سبيل» يعني الجواز على الصراط. رواه الطبراني في الكبير. وعن أنس مرفوعاً: «من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حجاباً من النار» رواه أبو عوانة في الصحيح. ورواه الدارقطني في الإفراد عن الزبير بن العوام. وأما حديث أبي سعيد الذي أشار إليه العراقي فلفظه: «أيما امرأة مات لها ثلاثة كن لها حجاباً من النار».

(وحكي أن بعض الصالحين) ولفظ القوت: وبلغني أن بعض الصالحين **(كان يعرض عليه التزويج فيأبى)** أي يمتنع عنه **(برهة من دهره)** أي مدة **(قال: فانتبه من نومه ذات يوم وقال: زوجوني فزوجوه فسئل عن ذلك فقال: لعل الله يرزقني ولداً فيقبضه)** إليه **(فيكون لي مقدمة في الآخرة)** أي فرطاً وذخراً، **(ثم)** حدث عن سبب ذلك **(قال: رأيت في المنام)** ولفظ القوت في نومي **(كأن القيامة قد قامت وكنت في جملة الخلائق في الموقف وبي من العطش ما كاد أن يقطع عنقي وكذا الخلائق في شدة العطش)** من الحر **(والكرب فنحن كذلك إذ ولدان)** صغار **(يتخللون الجمع)** أي يشقون في خلالهم **(عليهم مناديل من نور)** أي على رؤوسهم **(وبأيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب)** جمع كوب بالضم، وهو كوز مستدير الرأس لا أذن له. ويقال: قدح لا عروة له، **(وهم يسقون الواحد بعد الواحد يتخللون الجمع ويجاوزون أكثر الناس فمددت يدي إلى أحدهم وقلت: اسقني)** شربة **(فقد أجهدني العطش)** أي أوقعني في الجهد، **(فقال: ليس لك فينا ولد إنما نسقي آباءنا. فقلت: من أنتم؟ فقالوا: نحن من مات من أطفال المسلمين)** أورده صاحب القوت

أنَّى شئتم وقدموا لأنفسكم﴾ [البقرة: ٢٢٣] تقديم الأطفال إلى الآخرة، فقد ظهر بهذه الوجوه الأربعة ان أكثر فضل النكاح لأجل كونه سبباً للولد.

الفائدة الثانية: التحصن عن الشيطان وكسر التوقان ودفع غوائل الشهوة وغض البصر وحفظ الفرج، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: « من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر ». وإليه الإشارة بقوله: « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء ». وأكثر ما نقلناه من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا

بتمامه، **(وأحد المعاني المذكورة في القرآن ﴿فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم﴾)** وقد اختلف في « أنى » هنا فقيل بمعنى كيف، وقيل بمعنى شيء، وقيل بمعنى أين، وسيأتي الكلام على ذلك ثم عطف على الإتيان قوله: ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ وفيه وجوه ثلاثة:

أحدها: النكاح لما فيه من فضل الإغتسال من الجنابة لأنه له بكل قطرة حسنة ولما فيه من فضل مباشرة المرأة. فإن الرجل إذا لاعب امرأته أو داعبها أو قبلها كتب الله له من الحسنات ما شاء الله ولما في ذلك من التحصين لها ووضع النطفة محلها.

الثاني: ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ قيل: **(تقديم الأطفال إلى الآخرة)** لأنهم من أعمالكم.

الثالث: قيل المراد به التسمية عند الجماع أي اذكروا الله عنده، فذلك تقدمه لكم، **(فقد ظهر بهذه الوجوه الأربعة أن أكثر فضل النكاح لأجل كونه سبباً للولد)** أي لحصوله.

(الفائدة الثانية: التحصن من) وساوس **(الشيطان)** المسلط على الإنسان بشركه وشركه **(وكسر التوقان)** محركة منازعة النفس الأمارة **(ودفع غوائل الشهوة)** النفسية وردع مهالكها **(وغض البصر)** عما يليق النظر إليه **(وحفظ الفرج)** عن الحرام، **(وإليه الإشارة بقوله ﷺ: « من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في الشطر الآخر »)** تقدم قريباً بلفظ: « من تزوج فقد أحرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني » وتقدم الكلام عليه، **(وإليه الإشارة)** أيضاً **(بقوله: « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء »)** وهذا أيضاً قد تقدم بلفظ: « من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء ». وتقدم الكلام عليه أيضاً. وهذا اللفظ الذي ذكره المصنف هنا هو سياق حديث أنس رواه الطبراني في الأوسط، والضياء في المختارة.

وفي قوله: « فمن لم يستطع » أي مؤن النكاح أو نفس النكاح لعجزه عن المؤن مع توقانه إليه، فهذا لا يؤمر بالنكاح بل يفهم من الحديث أنه يطلب منه تركه لكونه ﷺ أرشده إلى ما ينافيه ويضعف دواعيه وهو الصوم، وقد صرح أصحاب الشافعي بأن من هذه صفته يستحب له ترك النكاح. وزاد النووي في شرح مسلم فذكر أن النكاح له مكروه، وهو أبلغ في طلب الترك.

المعنى، وهذا المعنى دون الأول، لأن الشهوة موكلة بتقاضي تحصيل الولد، فالنكاح كافٍ لشغله دافع لجعله وصارف لشر سطوته، وليس من يجيب مولاه رغبة في تحصيل

ومقتضى كلام الحنابلة استحباب النكاح للتائق من غير اعتبار القدرة على المؤن. وقال السراج البلقيني: الذي يدل له نص الشافعي رحمه الله تعالى أنه إن كان تائقاً استحب، وإلا فهو مباح ولم يقل بأنه مستحب ولا مكروه وهي طريقه أكثر العراقيين، وسيأتي تمام هذا البحث قريباً.

وقوله: «فعليه بالصوم» قال المازري: اغراء بالغائب، ومن أصول النحويين أن لا يغري بالغائب وقد جاء شاذاً قولهم عليه رجلاً ليسنى على جهة الإغراء.

قال القاضي عياض: هذا الكلام موجود لابن قتيبة والزجاجي وعلى قائله أغاليط ثلاثة.

أولها: قوله لا يجوز الإغراء بالغائب وصوابه إغراء الغائب، وأما الإغراء بالغائب فجائز. وكذا نص أبو عبيدة في هذا الحديث، وكذا كلام سيبويه ومن بعده من أئمة هذا الشأن.

وثانيها: جعله قولهم عليه رجلاً ليسنى من إغراء الغائب، وقد جعله سيبويه والسيرافي منه ورأياه شاذاً، والذي عندي أنه ليس المراد بها حقيقة الإغراء وإن كانت صورته فلم يرد هذا القائل تبليغ هذا القائل ولا أمره بالزام غيره، وإنما أراد الأخبار عن نفسه بقلة مبالاته بالغائب، وأنه غير متأت له منه ما يريد فجاء بهذه الصورة يدل على ذلك. ونحوه قولهم إليك عني أي اجعل شغلك بنفسك عني، وانه لم يرد أن يغريه وإنما مراده دعني وكن كمن شغل عني.

وثالثها: عدهم هذه اللفظ في الحديث من إغراء الغائب، والصواب أنه ليس فيه إغراء الغائب جلة والكلام فيه للحضور الذهني خاطبهم بقوله: «من استطاع منكم الباءة» فالهاء هنا ليست للغائب وإنما هي لمن خص من الحاضرين بعدم الإستطاعة إذ لا يصح خطابه مكان الخطاب لأنه لم يتعين منهم ولإبهامه بلفظ: وإن كان حاضراً وهذا كثير في القرآن كقوله: ﴿يا أيها الذي آمنوا كتب عليكم القصاص﴾ إلى قوله: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ [البقرة: ١٧٨] وكقوله: ﴿كتب عليكم الصيام﴾ إلى قوله: ﴿فمن تطوع خيراً﴾ [البقرة: ١٨٤] وكقوله: ﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها﴾ [الأحزاب: ٣١] فهذه الهاآت كلها ضمائر للحاضرين اهـ كلام القاضي.

قال الولي العراقي في شرح التقريب وعد الحديث: وهذا المثال من إغراء الغائب باعتبار اللفظ وإنكار القاضي ذلك باعتبار المعنى، وأكثر كلام العرب اعتبار اللفظ والله أعلم.

(**وأكثر ما نقلناه من الآثار والأخبار إشارة إلى هذا المعنى**) وهو التحرز عن غوائل النفس وغض البصر والفرج، (**وهذا المعنى دون**) المعنى (**الأول**) الذي هو تحصيل الولد **(لأن الشهوة موكل متقاض لتحصيل الولد، والنكاح كاف لشغله ودافع لجعله وصارف لشر سطوته، وليس من يجيب مولاه رغبة في تحصيل رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن**

رضاه كمن يجيب لطلب الخلاص عن غائلة التوكيل، **فالشهوة والولد مقدران وبينهما ارتباط وليس يجوز أن يقال المقصود اللذة والولد لازم منها كما يلزم مثلاً قضاء الحاجة من الأكل، وليس مقصوداً في ذاته، بل الولد هو المقصود بالفطرة والحكمة والشهوة باعثة عليه. ولعمري في الشهوة حكمة أخرى سوى الإرهاق إلى الإيلاد وهو ما في قضائها من اللذة التي لا توازيها لذة لو دامت فهي منبهة على اللذات الموعودة في الجنان. إذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقاً لا ينفع. فلو رغب العنين في لذة الجماع أو الصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب، وإحدى فوائد لذات الدنيا الرغبة في دوامها في**

غائلة الموكلة) وبينهما بون، **(فالشهوة والولد مقدمان وبينهما ارتباط)** معنوي أحدهما متوقف على الآخر لولا تحصيل الولد ما ركبت الشهوة، وبالشهوة تتحرك دواعي الجماع فيكون ذلك سبباً لحصول الولد، **(وليس يجوز أن يقال المقصود)** بذاته **(اللذة)** الحاصلة من الجماع **(والولد لازم منها)** أي من تلك اللذة **(كما يلزم مثلاً قضاء الحاجة من الأكل وليس مقصوداً في ذاته، بل)** نقول **(الولد هو المقصود بالفطرة)** الأصلية **(والحكمة)** الإلهية **(والشهوة باعثة عليه)** ومحركة له. **(ولعمري في الشهورة حكمة أخرى سوى الإرهاق)** أي المداناة **(إلى الإيلاد)** وهو بمعنى الاستيلاد وغير ثبت وصرح بعضهم بمنعه، ويجوز أولدت المرأة إيلاداً بإسناد الفعل إليها إذا حان ولادها كما يقال حصد الزرع فلا يكون الرباعي إلا لازماً **(وهو ما في قضائها)** أي تلك الشهوة **(من اللذة التي لا توازيها)** أي لا تساويها ولا تقابلها **(لذة لو دامت)** ولكن دوامها غير حاصل، ولذا قالوا: هي لذة ساعة ولا يريدون بها الساعة الزمانية بل اللحظة التي يحصل له فيها الإقبال إلى الجماع، فإذا أولج وأنزل انقضت اللذة. وقالوا: لذة أسبوع دخول الحمام، ولذة سنة مضاجعة البكر، ولذة دهر محادثة الإخوان **(فهي منبهة عن اللذات الموعودة في الجنان)** ودالة عليها. **(إذ الترغيب في لذة لم يجد لها ذواقاً لا ينفع، فلو رغب العنين في لذة الجماع أو الصبي في لذة الملك والسلطنة لم ينفع الترغيب)**، والعنين إذا مثلنا له لذة الجماع فمثلها عنده بشيء من اللذات التي يدركها كلذة الطعام الحلو مثلاً فنقول له: ألا تعرف أن السكر لذيذ فإنك تجد عند تناوله حالة طيبة وتحس في نفسك راحة؟ قال: نعم. قلنا: فالجماع كذلك. أفترى أن هذا يفهم حقيقة لذة الجماع كما هي حتى ينزل في معرفتها منزلة من ذاق تلك اللذة وأدركها هيهات هيهات! إنما غاية هذا الوصف إبهام وتشبيه ومشاركة في الإسم، وحقيقة لذات الجنة لا يمكن أن نفهمها للراغب فيها إلا بالتشبيه بأعظم ما ناله من اللذات منها لذة الجماع، ولذات الجنة أبعد من كل لذة تدرك في الدنيا بل العبارة الصحيحة عنها أنها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فإن مثلناها بالجماع قلنا كالجماع المعهود في الدنيا فكذلك قال المصنف: فهي منبهة على لذات

الجنة ليكون باعثاً على عبادة الله، فانظر إلى الحكمة ثم إلى الرحمة ثم إلى التعبية الالهية كيف عبيت تحت شهوة واحدة حياتين حياة ظاهرة وحياة باطنة، فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله فإنه نوع من دوام الوجود، والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية، فإن هذه اللذة الناقصة بسرعة الانصرام تحرك الرغبة في اللذة الكاملة بلذة الدوام، فيستحب على العبادة الموصلة إليها فيستفيد العبد بشدة الرغبة فيها تيسر المواظبة على ما يوصله إلى نعيم الجنان، وما من ذرة من ذرات بدن الإنسان باطناً وظاهراً بل من ذرات ملكوت السموات والأرض إلا وتحتها من لطائف الحكمة وعجائبها ما يحار العقول فيها، ولكن إنما ينكشف للقلوب الطاهرة بقدر صفائها وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها

الجنان. (**فـإحـدى فـوائـد لـذات الدنيـا الرغبـة في دوامهـا في الجنـة ليكون باعثاً على عبادة الله تعالى**)، وهذه دقيقة يتفطن لها. (**فانظر إلى الحكمة**) اللطيفة أولاً، (**ثم إلى الرحمة**) من الله لخلقه في باطن تلك الحكمة، (**ثم إلى التعبئة**) الإلهية (**حيث عبئت**) أي رتبت وأصله من تعبية الجيش والمتاع (**تحت شهوة واحدة حياتان حياة ظاهرة وحياة باطنة، فالحياة الظاهرة حياة المرء ببقاء نسله فإنه نوع من دوام الوجود**)، ولذا قال حكيم العرب: من لم يلد فكأنه ما ولد فمن لم يكن له نسل فبماذا يسلو. (**والحياة الباطنة هي الحياة الأخروية فإن هذه اللذة الناقصة**) المنصرمة (**بسرعة الإنصرام**) أي الإنقطاع (**تحرك الرغبة**) والشوق (**في**) اللذة (**الكاملة**) الموعود بها (**بلذة الدوام**) من غير انصرام، (**فتستحث على العبادة الموصلة إليها**) إلى تلك اللذة الباقية (**فيستعد العبد بشدة الرغبة فيها ويستلذ بتيسير المواظبة على ما يوصله إلى نعيم الجنان**) ولذاتها الباقية أبد الآباد. (**وما من ذرة من ذرات الإنسان ظاهراً وباطناً بل من ذرات ملكوت السموات والأرضين إلا وتحتها من لطائف الحكمة وعجائبها ما تحار العقول فيها**)، وهذا المعنى الذي أشار إليه الشيخ في الخطبة بقوله: لا تصادف سهام الأوهام في عجائب صنعته مجرى، ولا ترجع العقول عن أوائل بدائعها إلا والهة حيرى، وإليه الإشارة أيضاً بقول القائل:

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

(**ولكن إنما ينكشف**) ذلك (**للقلوب الطاهرة**) من كدرات الظلمة الطبيعية (**بقدر صفائها**) وانجلائها (**وبقدر رغبتها عن زهرة الدنيا وغرورها وإغوائها**)، وأرباب هذه القلوب هم أهل المكاشفة والمشاهدة المتخلقون بأخلاق الله تعالى تتضح لهم حقائق تلك الذرات بالبرهان الذي لا يجوز فيه الخطأ ما يجري في الوضوح مجرى اليقين الذي يدرك بمشاهدة الباطن لا بإحساس الظاهر، وأما من لم يكن له حظ في معانيها إلا معرفة أسمائها الظاهرة وفهم معانيها اللغوية ولم يعد عن ذلك فهو منحوس الحظ نازل الدرجة ليس يحسن به أن يتبجّح بما ناله، ويترقى أرباب هذه المراتب إلى مقام ينبعث من فهم تلك المعاني شوقهم إلى الإتصاف بما يمكن الإتصاف به حسبما يعطيه مقامه وهم أهل الحظوظ من المقربين.

وغوائلها. فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتي عن عجز وعنّة وهم غالب الخلق، فإن الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوّة التقوي جرت إلى اقتحام الفواحش. وإليه أشار بقوله عليه السلام عن الله تعالى: ﴿إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ [الأنفال: ٧٣] وإن كان ملجماً بلجام التقوى فغايته أن يكف الجوارح عن إجابة الشهوة فيغض البصر ويحفظ الفرج، فأما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بأمور الوقاع ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس إليه في أكثر الأوقات، وقد يعرض له ذلك في أثناء الصلاة حتى يجري على خاطره من أمور الوقاع ما لو صرح به بين يدي أخس الخلق لاستحيا منه، والله مطلع على قلبه والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق، ورأس الأمور للمريد في سلوك طريق الآخرة قلبه والمواظبة على الصوم لا تقطع مادة الوسوسة في حق أكثر الخلق إلا أن ينضاف إليه ضعف في البدن وفساد في المزاج، ولذلك قال ابن عباس رضي الله

(**فالنكاح بسبب دفع غائلة الشهوة مهم في الدين لكل من لا يؤتي عن عجز**) عن مؤنة (**وعنة**) هي بالضم اسم من عن من امرأته أي بالبناء للمفعول إذا منع عنها بالسحر كما هو سياق الجوهري، واشتهر ذلك في كتب الفقه، ومنهم من قال: لا يقال به عنة وأنه كلام ساقط وقد أوضحته في شرح القاموس، (**وهم غالب الخالق**) ومن به عجز أو عنة نادر فيهم، (**فإن الشهوة إن غلبت**) في الإنسان (**ولم تقاومها قوة التقوى جرت إلى إقتحام الفواحش**) أي الدخول فيها والتعرض لها. (**وإليه أشار بقوله ﷺ**) في الخبر المتقدم (**عن الله تعالى**) في كتابه العزيز (**﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾**) وقد تقدم الكلام عليه، (**وإن كان ملجماً بلجام التقوى**) وساعده التوفيق الرباني (**فغايته أن يكف الجوارح**) ويردعها (**عن إجابة الشهوة**) وإطاعتها (**بغض البصر وحفظ الفرج**) مهما أمكنه ذلك، (**فأما حفظ القلب عن الوساوس**) المعترضة (**والفكر**) المشوشة (**فلا يدخل تحت اختياره**) ولا يقدر على دفعها، (**بل لا تزال النفس تجاذبه**) وتحاوره (**وتحدثه بأمور الوقاع**) أي الجماع وهيئاته وكيفياته (**ولا يفتر عنه الشيطان الموسوس إليه**) أي لا يسكن ولا يضعف (**في أكثر الأوقات**) هذا دأبه وشانه، بل (**وقد يعرض له ذلك في أثناء الصلاة**) وتضاعيف أنواع العبادات (**حتى يجري على خاطره من أمور الوقاع ما لو صرح به بين يدي أخس الخلق لاستحيا منه**) فكيف بين يدي عالم الخفيات وهو يناجيه ويواجهه ويحادثه، (**والله مطلع على قلبه**) وسريرته (**والقلب في حق الله كاللسان في حق الخلق**) فمحادثته إياه إنما هو بقلبه كما أن محادثة الخلق تكون باللسان، (**ورأس الأمور مادة الوسوسة في حق أكثر الخلق**) فهم لا يخلون عنها (**إلا أن ينضاف إليه ضعف في البدن**) أي في أصل بنيته بطر وعوارض (**وفساد في المزاج**) والمزاج كيفية متشابهة من تفاعل عناصر متفقة الأجزاء المماسة بحيث يكسر سورة كل

عنهما : لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح ، وهذه محنة عامة قلّ من يتخلص منها . قال قتادة في معنى قوله تعالى : ﴿ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ [البقرة : ٢٨٦] هو الغلمة . وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالا في معنى قوله تعالى : ﴿خُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً﴾ [النساء : ٢٨] انه لا يصبر عن النساء . وقال فياض بن نجيح : إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله ، وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه . وفي نوادر التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ [الفلق : ٣] قال : قيام الذكر . وهذه بلية غالبة إذا هاجت لا يقاومها عقل ولا دين ، وهي مع أنها صالحة لأن تكون باعثة على الحياتين كما سبق فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم ، وإليه أشار عليه السلام بقوله : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب منكن »

منها سورة الآخر والفساد الذي يعتريه بحدوث عوارض نفسانية ، (**ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه: لا يتم نسك الناسك إلا بالنكاح**) وقد تقدم قريباً . (**وهذه محنة عامة**) في الناس (**قل من يتخلص منها**) إلا من عصمة الله تعالى .

(**قال قتادة في معنى قوله تعالى: ﴿ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ هو الغلمة**) نقله صاحب القوت ، والغلمة بالضم الشبق وهو عدة الشهوة وقد غلم كفرح إذا اشتدت شهوته واغتلم مثله . وأخرج ابن جرير عن السدي ﴿ما لا طاقة لنا به﴾ قال من التغليظ والاغلال إلى الغلمة . وأخرج ابن أبي حاتم عن مكحول ﴿ما لا طاقة لنا به﴾ قال الغربة والغلمة والإنعاظ . وعن عكرمة ومجاهد أنهما قالا في معنى قوله تعالى : (**﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ أنه لا يصبر عن النساء**) نقله صاحب القوت. وقال الصغاني في العباب: ﴿خلق الإنسان ضعيفاً﴾ أي يستميله هواه. (**وقال فياض بن نجيح: إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله، وبعضهم يقول: ذهب ثلث دينه**) نقله صاحب القوت.

(**وفي نوادر التفسير عن ابن عباس رضي الله عنه**) قوله تعالى (**﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ قال: قيام الذكر**) نقله صاحب القوت ، ونقل أيضاً النقاش في تفسيره ، وفي القاموس في تركيب ﴿غسق﴾ عن ابن عباس وجماعة ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ أي من شر الذكر إذا قام . وقال في تركيب ﴿وقب﴾ أي أير إذا قام ، حكاه الغزالي وغيره عن ابن عباس اهـ . وهو من غرائب التفسير ونوادره والمشهور عن ابن عباس فيه خلاف هذا كما أوضحته في شرح القاموس ، وإنما عزاه إلى الغزالي لأنه ما رآه إلا في كتابه ، وإلاّ فالغزالي ناقل عن القوت .

(**وهذه بليّـة غالبة**) ومحنة عامة (**وإذا هاجت**) وثارت (**لا يقاومها عقل ولا دين**) تتغير سمنته ويحمر وجهه ويختلط لسانه ويتلجلج في كلامه ويضطرب جسمه ويثور عليه الوسواس ولا يعي شيئاً ، فلو رأى وجهه في تلك الحالة في مرآة لرآه عجباً (**وهي مع أنها صالحة لأن تكون باعثة على**) تحصيل (**الخير كما سبق**) بيانه ، (**فهي أقوى آلة الشيطان على بني آدم**) يسوّل على قلبه وعقله بتلك الآلة ، (**وإليه أشار بقوله ﷺ « ما رأيت ناقصات عقل ودين**

وإنما ذلك لهيجان الشهوة. وقال ﷺ في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وشر مني» وقال: «أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي». فما يستعيذ منه رسول الله ﷺ كيف يجوز التساهل فيه لغيره. وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث فانكر عليه بعض الصوفية فقال: هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف بين يديه موقفاً في معاملة فخطر على

أغلب لذوي الألباب منكن») قال العراقي: رواه مسلم من حديث ابن عمر، واتفقا عليه من حديث أبي سعيد ولم يسق مسلم لفظه اهـ.

قلت: وعند أبي داود من حديث ابن عمر «أغلب لذي لب منكن» وأما نقصان العقل فشهادة امرأتين شهادة رجل، وأما نقصان الدين فإن إحداكن تفطر رمضان وتقيم أياماً لا تصلي. وفي الحلية من حديثه «ما رأيت من ناقصات عقول ودين أسبى للب ذوي الألباب منكن». **(وإنما ذلك لهيجان الشهوة)** فيهن فإن الله عز وجل ركب فيهن تسعة أعشار الشهوة.

(وقال ﷺ في دعائه «اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وشر منيّ») قال العراقي: تقدم في الدعوات.

قلت: رواه أبو داود والترمذي والحاكم من حديث شكل بن حميد العبسي مرفوعاً «اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر مني» وتقدم أن المراد منه من شر شدة الغلمة وسطوة الشهوة إلى الجماع الذي إذا أفرط ربما أوقع في الزنا أو مقدماته لا محالة فهو حقيق بالاستعاذة.

(وقال) ﷺ: **(«أسألك أن تطهر قلبي وتحفظ فرجي»)** قال العراقي: رواه البيهقي في الدعوات من حديث أم سلمة باسنادين اهـ. وفي كل من الحديثين ارشاد للأمة كيف يستعيذون وهم يستعيذون، وإلاَّ فهو ﷺ قد عصمه الله من سطوة الشهوة عليه، ويدل على ذلك حديث شكل فإنه عند الترمذي قال يا رسول الله علمني دعاء أستعيذ به فقال «قل» وساقه.

(فما يستعيذ منه رسول الله ﷺ كيف يجوز التساهل فيه لغيره) هذا إذا ثبت أنه من دعائه الذي كان يدعو به، وأما إذا علم غيره به فما يصدق عليه قول المصنف فما يستعيذ منه الخ. فإنه قد يعلم غيره بحسب حاله الأمر هو فيه ما لا يليق لنفسه إلا من باب التجوّز فتأمل.

(وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يخلو) ولفظ القوت: حدثنا بعض علماء خراسان عن شيخ له من الصالحين كان يصحب عبدان صاحب ابن المبارك ووصف من صلاحه وعلمه قال: وكان يكثر التزويج حتى لم يكن يخلو **(من اثنين أو ثلاث فأنكر عليه بعض الصوفية)** ولفظ القوت فعوتب في ذلك **(فقال: هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله جلسة أو وقف)** بين يديه **(في معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة فقالوا: يصيبنا من ذلك**

قلبه خاطر شهوة فقالوا يصيبنا من ذلك كثير، فقال: لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوّجت، لكني ما خطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي إلا نفذته فاستريح وارجع إلى شغلي. ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي معصية. وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين: ما الذي تنكر منهم؟ قال: يأكلون كثيراً. قال: وأنت أيضاً لو جعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون. قال: ينكحون كثيراً. قال: وأنت أيضاً لو حفظت عينيك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون. وكان الجنيد يقول: أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت، فالزوجة على التحقيق قوت

كثير) ولفظ القوت: قد يصيبنا هذا كثيراً. **(فقال: لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوّجت)** ثم قال: **(لكني ما خطر على قلبي خاطر)** قط **(يشغلني إلاَّ نفذته لأستريح)** منه **(وأرجع إلى شغلي، ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي)** خاطر **(معصية)** أورده صاحب القوت بتمامه، وهو الذي أوصى به مشايخنا السادة النقشبندية. قالوا :إذا وقع للسالك في أثناء الذكر أو المراقبة تفرقة من خاطر خطر بقلبه بسبب وقوع بصره على فرس أعجبته أو جارية أو تحركت نفسه للتزويج أو شراء ثوب أو غير ذلك، فليدفع هذا الخاطر بالذكر مهما أمكنه، وإلاَّ فلينفذه سريعاً إن قدر عليه ثم يرجع إلى شغله وبهذا يسلم القلب عن توارد الخواطر المذمومة عليه.

(وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له) أي للمنكر **(بعض ذوي الدين)** ولفظ القوت: وسمع بعض العلماء بعض الجهلة يطعن على الصوفية فقال: يا هذا **(ما الذي تنكر منهم)**، وفي القوت: ما الذي نقصهم عندك؟ **(قال: يأكلون كثيراً. قال: وإنك أيضاً لو جعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون)**، ثم **(قال)**: و**(ينكحون)** أي يتزوّجون **(كثيراً. قال: وإنك لو حفظت عينك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون)** زاد في القوت: وأي شيء أيضاً؟ قال: يسمعون القول. قال: وأنت أيضاً لو نظرت كما ينظرون لسمعت كما يسمعون. وفي القوت أيضاً: وقد سئل بعض العلماء أيضاً عن القراء لِمَ يكثرون الجماع ويحبون الحلاوة؟ فقال: لأنهم يطول جوعهم ويتعذر عليهم الموجود، فإذا وجدوا الطعام تزوّدوا منه، وأما الحلاوة فإنهم تركوا شرب الخمر وكثرة لذات النفوس فاجتمعت شهوتهم في الحلاوة، وأما الجماع فإنهم غضوا أبصارهم في الظاهر وضيّقوا على نفوسهم في الخواطر فاتسعوا في الحلال من النكاح كما ضيّقوا على جوارحهم انتشار الأبصار.

(و) قد **(كان)** أبو القاسم **(الجنيد)** بن محمد البغدادي رحمه الله تعالى **(يقول: احتاج إلى الجماع كما احتاج إلى القوت)** نقله صاحب القوت، لأن الجماع يخرج الأخلاط ويخفف الدماغ ويقوي النشاط ويغذي الروح، كما أن القوت يغذي البدن، **(فالزوجة على التحقيق قوت)**

وسبب لطهارة القلب، ولذلك أمر رسول الله ﷺ كل من وقع نظره على امرأة فتاقت إليها نفسه أن يجامع أهله لأن ذلك يدفع الوسواس عن النفس. وروى جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج، وقال ﷺ: «إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأتِ أهله فإن

للأرواح وغذاء للباطن، **(وسبب لطهارة القلب)** وخلوصه عن الخواطر الردية، **(ولذلك أمر رسول الله ﷺ كل من وقع بصره على امرأة فتاقت إليها نفسه أن يجامع أهله لأن ذلك يرفع الوسواس عن النفس)**. قال العراقي: رواه أحمد من حديث أبي كبشة الأنماري حين مرّت به امرأة فوقع في قلبه شهوة النساء، فدخل فأتى بعض أزواجه وقال: «فكذلك فافعلوا فإنه من أماثل أعمالكم اتيان الحلال» وإسناده جيد اهـ.

(وروى جابر) بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما **(أن النبي ﷺ رأى امرأة فدخل على زينب)** أي زوجته وهي ابنة جحش رضي الله عنها **(فقضى حاجته)** كناية عن الجماع **(وخرج وقال «إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم إمرأة فاعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها»)** قال العراقي: رواه مسلم والترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي كلهم في النكاح بلفظ «إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه». قوله: «في صورة شيطان» أي في صفته شبه المرأة الجميلة به في صفة الوسوسة والإضلال يعني أن رؤيتها تثير الشهوة وتقيم الهمة فنسبتها للشيطان لكون الشهوة من جنده وأسبابه والعقل من جند الملائكة.

قال الطيبي: جعل صورة الشيطان ظرفاً لإقبالها مبالغة على سبيل التجريد، فإن اقبالها داع للإنسان إلى استراق النظر إليها كالشيطان الداعي للشر، وكذا في حالة إدبارها مع كون رؤيتها من جميع جهاتها داعية إلى الفساد، لكن خصهما بالذكر لأن الإخلال فيهما أكثر وقدم الاقبال لكونه أشد فساداً لحصول المواجهة به. هذا على رواية الجماعة، وأما رواية مسلم والترمذي ففيها الاقتصار على الاقبال فقط. وقوله «فاعجبته» أي استحسنها لأن غاية رؤية المتعجب منه استحسانه. وقوله «فليأت أهله» أي ليجامع حليلته. وقوله «يرد ما في نفسه» هكذا روى بمثناة تحتية من ردّ أي يعكسه ويغلبه ويقهره. ورواه صاحب النهاية فإن ذلك برَّد ما في نفسه بالموحدة من البرد أرشدهم إلى أن أحدهم إذا تحركت شهوته واقع حليلته تسكيناً لها وجمعاً لقلبه ودفعاً لوسوسة اللعين وهذا من الطب النبوي.

وقال ابن العربي في شرح الترمذي: هذا حديث غريب المعنى لأن ما جرى له ﷺ كان سراً لم يعلمه إلا الله تعالى فأذاعه عن نفسه تسلية للخلق وتعليماً، وقد كان آدمياً ذا شهوة لكنه كان

معها مثل الذي معها». وقال عليه السلام: «لا تدخلوا على المغيبات ـ وهي التي غاب زوجها عنها ـ فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم». قلنا: ومنك؟ قال: «ومني ولكن الله أعانني عليه فأسلم». قال سفيان بن عيينة: «فأسلم». معناه فأسلم أنا منه هذا معناه، فإن الشيطان لا يسلم، وكذلك يحكى عن ابن عمر رضي الله عنهما وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم أنه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل، وربما جامع قبل

معصوماً عن الذلة وما جرى في خاطره حين رأى المرأة أمر لا يؤخذ به شرعا ولا تنقص منزلته، وذلك الذي وجد من الإعجاب بالمرأة هي جبلة الآدمية ثم غلبها بالعصمة فانطفأت وقضى من الزوجة حق الإعجاب الشهوة الآدمية بالاعتصام والعفة اهـ.

(وقال ﷺ «لا تدخلوا على المغيبات) جمع المغيبة. **(ـ أي التي غاب زوجها ـ)** في جهاد أو تجارة أو غير ذلك ولو كانت غيبتهم في البلد أيضاً من غير سفر ويدل له ما في حديث الإفك وذكروا رجلاً صالحاً ما كان يدخل على أهلي إلا معي يقال أغابت فهي مغيبة، **(فإن الشيطان)** أي كيده **(يجري من أحدكم مجرى الدم»)** وفي رواية «من ابن آدم» ومجرى اما مصدر أي يجري مثل جريان الدم في أنه لا يحس بجريه كالدم في الأعضاء، ووجه الشبه شدة الاتصال فهو كناية عن تمكنه من الوسوسة أو ظرف ليجري. وقوله «من أحدكم» حال منه أي يجري في مجرى الدم كائناً من أحدكم، أو بدل بعض من أحدكم أن يجرى في أحدكم حيث يجري فيه الدم. **(قلنا: ومنك)** يا رسول الله؟ **(قال «ومني ولكن الله أعانني عليه فأسلم»)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث جابر، وقال: غريب ولمسلم من حديث عبدالله بن عمرو لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل واثنان» اهـ.

قلت لفظ الترمذي «لا تلجوا» والباقي سواء. ولفظ مسلم «ألا لا يدخلن» الخ. وروى البزار الحديث بتمامه عن جابر بلفظ «لا تدخلوا على هؤلاء المغيبات» والباقي سواء. وأما قوله «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» روى هذا القدر فقط أحمد والشيخان وأبو داود من حديث أنس، والشيخان وأبو داود وابن ماجه من حديث صفية بنت حي.

(قال سفيان بن عيينة) رحمه الله تعالى قوله **(«فاسلم» يعني فاسلم أنا منه هذا معناه فإن الشيطان لا يسلم)** هكذا نقله صاحب القوت، وحاصله: إن قوله «فاسلم» صيغة اسم المتكلم المفرد من السلامة لا من الإسلام، ولكن هذا يخالف ما سيأتي للمصنف خبر «فقت على آدم بخصلتين كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه حتى أسلم وكن أزواجي عوناً لي وكان شيطان آدم كافراً وكانت زوجته عوناً على خطيئته». وأورد ابن الجوزي هذا الحديث كما في الواهيات، وسيأتي الكلام عليه قريباً.

(ولذلك يحكى أن ابن عمر رضي الله عنهما) مع أنه **(كان من زهاد الصحابة وعلمائهم)** وكان يدمن الصوم **(وكان يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل)** والشرب،

أن يصلي المغرب ثم يغتسل ويصلي وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله وإخراج غدة الشيطان منه. وروي أنه جامع ثلاثاً من جواريه في شهر رمضان قبل العشاء الأخيرة. وقال ابن عباس: خير هذه الأمة أكثرها نساء، ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد ولأجل فراغ القلب أبيح نكاح الأمة عند خوف العنت. مع أن فيه إرقاق الولد وهو نوع إهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة،

(وربما جامع قبل أن يصلي المغرب ثم يغتسل) ويصلي نقله صاحب القوت، **(وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله وإخراج عدة الشيطان منه)** وفي نسخة: غرة الشيطان منه أي ما يوسوس بسببه في القلب فكان يتغذى من الشهوة النفسية التي هي غـرة شيطانية ويملك قلبه بإخراج ما يعرضـه بسببها فيتفرغ بانجماع همته للعبادة. هذا مع ما في وقت المغرب من الضيق وما في تأخير صلاتها من الوعيد حتى انه روى عن أبيه أنه أخَّرها حتى طلع النجم فأعتق اثنين وتقدم ذلك في كتاب الصلاة. **(وروي أنه جامع ثلاثة من جواريه في شهر رمضان قبل)** صلاة **(العشاء الآخرة)** نقله صاحب القوت هذا مع كمال زهده وإدمانه للصوم فلم يكن قصده بذلك إلا تفريغ الخاطر عن سبب الوساوس.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه: **(خير هذه الأمة أكثرها نساء)** كذا في القوت. قال العراقي: يعني النبي ﷺ. رواه البخاري.

قلت: قال البخاري في صحيحه: حدثنا علي بن الحكم، حدثنا أبو عوانة، عن رقبة، عن طلحة اليامي، عن سعيد بن جبير قال لي ابن عباس: هل تزوّجت؟ قلت: لا. قال: فتزوّج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء قال الشارح: لأنه كان له تسع نسوة والتقييد بهذه الأمة ليخرج مثل سليمان عليه السلام لأنه كان أكثر النساء. وقيل: المعنى خير أمة محمد من كان أكثر نساء من غيرنا من يتساوى معه فيما عدا ذلك من الفضائل اهـ.

(ولما كانت الشهوة أغلب على مزاج طائفة العرب) وهم أولاد إسماعيل عليه السلام وغلبتها تدل على قوّة المزاج **(كان استكثار الصالحين منهم للنكاح أشد)**، وهذا خلاف ما بنى عليه صوفية العجم والمغرب قواعد سلوكهم يرون إماتة الهمة حتى تكون المرأة عند الرجل إذا نكح فيها كجدار يضرب فيه، ولكل مقام مقال والرهبانية ليست في هذا الدين. **(ولأجل فراغ القلب)** عن شواغل الشيطان **(أبيح)** للإنسان **(نكاح الأمة عند خوف)** الوقوع في **(العنت)** وهو الزنا، وأصل العنت في اللغة هو الكسر بعد الجبر يقال للدابة إذا كسرت بعدما جبرت قد عنتت، فكأنه كان مجبوراً بالعصمة أو بالتوبة ثم خشي الـزلل والعادة السوء، فنكاح الأمة حينئذ خير له من العنت وهذا معنى قوله تعالى في نكاح الأمة ﴿ذلك لمن خشي العنت منكم﴾ [النساء: ٢٥] وكذا إذا كثرت الخواطر الردية والوساوس الدنية في قلبه بذكر النكاح فشغله ذلك عن فرضه وشتت عليه همه فإن نكاح الأمة أيضاً خير له **(مع أن فيه إرقاقاً للولد)** أي جعله رقاً فإن الولد يتبع الأم في الرقية والحرية. **(وهو نوع إهلاك وهو محرم على كل من قدر على)**

ولكن إرقاق الولد أهون من إهلاك الدين، وليس فيه إلا تنغيص الحياة على الولد مدة، وفي اقتحام الفاحشة تفويت الحياة الأخروية التي تستحقر الأعمار الطويلة، بالإضافة إلى يوم من أيامها. وروي أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يبرح فقال له ابن عباس: هل لك من حاجة؟ قال: نعم. أردت أن أسأل مسألة فاستحييت من الناس وأنا الآن أهابك وأجلك، فقال ابن عباس: إن العالم بمنزلة الوالد فما كنت أفضيت به إلى أبيك فأفض إليَّ به. فقال: إني شاب لا زوجة لي وربما خشيت العنت على نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية؟ فاعرض عنه ابن عباس ثم قال: أف وتف نكاح الأمة خير منه وهو خير من الزنا فهذا تنبيه على أن العزب المغتلم مردّد بين ثلاثة شرور: أدناها نكاح الأمة وفيه ارقاق الولد، وأشد منه الاستمناء

تزويج (**حرة**)، واختلف في القدر الموجود الذي يحرم نكاح الأمة فقيل عشرة دراهم وهو قول علماء العراق، وقيل ثلاثة دراهم وهو قول بعض علماء الحجاز، وقيل درهمان وهو قول ابن المسيب وبعض الصحابة نقله صاحب القوت. قال: وقال بعض السلف: أحمق الناس حر تزوّج بأمة، وأعقل الناس عبد تزوّج بحرّة لأن هذا أعتق بعضه وهذا أرق بعضه يعنون الولد، (**ولكن إرقاق الولد أهون من إهلاك الدين وليس فيه إلا تنغيص الحياة على الولد مدة وفي اقتحام الفاحشة**) أي الزنا ودواعيه (**تفويت الحياة الأخروية التي تستحقر الأعمار الطويلة بالإضافة إلى اليوم من أيامها**)، والمؤمن إذا ابتلي ببليتين فليختر أهونها.

(**وروي أنه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس رضي الله عنه وبقي شاب لم يبرح**) موضعه فأطال القعود (**فقال له ابن عباس: هل**) لك (**من حاجة؟ قال: نعم. أردت أن أسألك مسألة فاستحييت**) من حضرة (**الناس**) فقال: (**سلني**) عما بدا لك. قال: (**وأنا الآن أهابك وأجلك**) أي أرفع قدرك عن هذه المسألة. (**فقال ابن عباس إن العالم بمنزلة الوالد**) لا حشمة على السائل منه، (**فما كنت أفضيت به إلى أبيك فافض به إليّ**) فإنه لا عبث عليك عندي. يقال: أفضى إليه بالسر أعلمه به، (**فقال**) رحمك الله: (**إني شاب لا زوجة لي وربما خشيت العنت على نفسي**) أي الزنا، (**فربما استمنيت**) بذكري (**في يدي**) يقال: استمنى الرجل استدعى منيه بأمر غير الجماع حتى دفق، (**فهل في ذلك معصية؟ فاعرض عنه ابن عباس ثم قال: أُف وتُف**) الأف بالضم كل مستقذر وسخ، والتف بالضم أيضاً وسخ الظفر يقال ذلك لكل مستخف به استقذاراً له، وفي الأف والتف تفصيل أودعته في شرح القاموس. (**نكاح الأمة خير منه وهو خير من الزنا**) كذا أورده صاحب القوت، (**وهذا تنبيه على أن العزب المغتلم**) أي الذي لا زوجة له وقد هاجت به الشهوة (**تردد بين ثلاثة شروط أدناها نكاح الأمة وفيه إرقاق الولد**) كما ذكر قريباً، (**وأشد منه الاستمناء باليد**) ويعرف أيضاً

باليد، وأفحشه الزنا. ولم يطلق ابن عباس الإباحة في شيء منه لأنهما محذوران يفزع إليهما حذراً من الوقوع في محذور أشد منه، كما يفزع إلى تناول الميتة حذراً من هلاك النفس، فليس ترجيح أهون الشرين في معنى الإباحة المطلقة ولا في معنى الخير المطلق، وليس قطع اليد المتأكلة من الخيرات وإن كان يؤذن فيه عند إشراف النفس على

بالخضخضة وجلد عميرة، **(وأفحشه الزنا)** وهذه الثلاثة على هذا الترتيب، **(ولم يطلق ابن عباس في)** قوله المذكور **(الإباحة في شيء منه لأنهما)** أي نكاح الأمة والاستمتاع بمعالجة **(محذوران)** شرعاً **(فيفزع إليهما حذراً من الوقوع في محذور أشد منه كما يفزع إلى تناول الميتة حذراً من هلاك النفس، فليس ترجيح أهون الشرين في معنى الإباحة المطلقة ولا في معنى الحظر المطلق، وليس قطع اليد المتأكلة)** أو الرجل المتأكلة **(من الخيرات وان كان يؤذن فيه)** أي قطعها وكيّها في الزيت السخن شرعاً **(عند إشراف ا لنفس على الهلاك) فهذا** من الأخذ بأهون الأمرين.

وقرأت في كتاب اختلاف الفقهاء لابن جرير الطبري ما نصه: واختلفوا في الاستمناء فقال العلاء بن زياد: لا بأس بذلك فقد كنا نفعله في مغازينا. حدثنا بذلك محمد بن بشار العبدي قال: حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة عنه. وقال الحسن البصري والضحاك ممن عداهم وجماعة معهم مثل ذلك. وقال ابن عباس: هو خير من الزنا ونكاح الأمة خير منه، وقال أنس بن مالك: ملعون من فعل ذلك. وقال الشافعي: لا يحل ذلك حدثنا بذلك عنه الربيع، وعلة من قال بقول العلاء أن تحريم الشيء وتحليله لا يثبت إلا بحجة ثابتة يجب التسليم لها وذلك مختلف فيه مع إجماع الكل وأن مادة أعماله فيه فحرام عليه الجمع بينهما إلا لعلة، وقد أجمعوا أن له أن يباشر ذلك بما يحل له أن يباشره به فكذلك له أن يعمله فيه، وعلة من قال بقول الشافعي الإستدلال بقول الله عز وجل: ﴿والَّذين هُم لِفُروجهم حافظون★ إلاَّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين★ فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧] فأخبر جل ثناؤه أن من لم يحفظ فرجه عن غير زوجته وملك يمينه فهو من العادين، والمستمني عاد بفرجه عنهما اهـ.

وفي شرح الرسالة القيروانية للشيخ سيدي أحمد زروق نفع الله به من قال مباشرة الفرج زنا ولواط وهما محرمان إجماعاًواستمناء ،واختلف فيه فمذهب الجمهور المنع. وقال أحمد: هو كالفصادة، وعن الحسن :إنما هو ماؤك فأرقه ،وعن مجاهد :وكانوا يعلمونه صبيانهم فيستعفوا به عن الزنا. وعن ابن عباس الخضخاض خير من الزنا ودليل المنع قوله تعالى: ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم﴾ وليس هذا بواحد منها ولا يدخل المملوك في المستثنى بدليل القران بالأزواج. وحكى بعض المقيدين جوازه عن الشافعي وهو باطل بل هو عن الشيعة الخارجين عن

الهلاك، فإذاً في النكاح فضل من هذا الوجه ولكن هذا لا يعم الكل بل الأكثر، فرب شخص فترت شهوته لكبر سن أو مرض أو غيره فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى ما سبق من أمر الولد فإن ذلك عام إلا للممسوح وهو نادر. ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنه المرأة الواحدة فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع، فإن يسر الله له مودّة ورحمة واطمأن قلبه بهن وإلاَّ فيستحب له الاستبدال، فقد نكح علي رضي الله عنه بعد وفاة فاطمة عليها السلام بسبع ليال، ويقال: إن الحسن بن علي كان منكاحاً حتى نكح زيادة على مائتي امرأة، وكان ربما عقد على أربع في وقت

الحق، ولما تكلم ابن العربي في أحكام القرآن على هذه الآية ذكر مذهب الإمام أحمد، ثم قال: وهذا من الخلاف الذي لا يجوز العمل به، ولعمري لو كان فيه نص صريح بالجواز أكان ذو همة يرضاه لنفسه وما يذكر فيه من الأحاديث ليس فيها ما يساوي بسماعه، وقد عدّه البلالي في مختصر الاحياء من الصغائر والله أعلم اهـ.

وفي صرة الفتاوي لبعض المتأخرين من أصحابنا ما نصه: ومن الناس من قال الاستمتاع بالكف لا يفسد الصوم وهل يباح له فعل ذلك في غير رمضان؟ قالوا: إن أراد الشهوة لا يباح، وإن أراد تسكين الشهوة فنرجو أن لا يكون مؤاخذاً ولا آثماً، والفرق بين فعل الاباحة وعدمها البزاق فإن لم يكن به فللتسكين. وسئل ابن نجيم عمن استمنى بكفه في رمضان فأجاب يلزمه القضاء والكفارة لفساد صومه، والله أعلم.

(فإذاً في النكاح فضل من هذا الوجه لكن هذا لا يعم الكل بل الأكثر فرب شخص فترت) أي ضعفت **(بكبر سن أو مرض)** فمرضه **(أو غيره)** من الموانع **(فينعدم هذا الباعث في حقه ويبقى ما سبق من أمر الولد)** أي تحصيله، **(فإن ذلك عام إلا للممسوح)** أي الخصي فإنه لا يرجى منه ذلك **(وهو نادر)** لا حكم له، **(ومن الطباع ما تغلب عليه الشهوة)** بكثرتها وحدتها **(بحيث لا تحصنه المرأة الواحدة)** وذلك إذا كانت تمل من الجماع الكثير وتزعل منه، **(فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة إلى الأربع)** لا غير بإجماع علماء السنّة **(فإن يسرت له مودة ورحمة)** بهن ومنهن **(واطمأن قلبه بهن)** وسكن إليهن فهو المطلوب، **(وإلاَّ فيستحب له الاستبدال)** عنهن بغيرهن من غير تجاوز عن حدود الشرع، **(فقد نكح علي رضي الله عنه بعد فاطمة رضي الله عنها بسبع ليال)** مضت من وفاتها بوصية منها أسماء بنت عميس الخثعمية، وبعدها غيرها من النساء كما تقدم شيء من ذلك قريباً، فلو لم يكن أمر النكاح عظيماً عندهم لما اختار علي رضي الله عنه ذلك مع قرب المدة من وفاة أم أولاده رضي الله عنها هذا مع كمال زهده وعصمته وحفظه.

(ويقال ان الحسن بن علي رضي الله عنهما كان نكّاحاً) أي كثير النكاح **(حتى نكح)** أي تزوّج **(زيادة على مائتي امرأة وربما كان عقد على أربع)** نسوة **(في عقد واحد، وربما كان**

واحد، وربما طلّق أربعاً في وقت واحد واستبدل بهن، وقد قال عليه الصلاة والسلام للحسن: «أشبهت خلقي وخلقي» وقال ﷺ: «حسن مني وحسين من علي» فقيل إن كثرة نكاحه أحد ما أشبه به خلق رسول الله ﷺ، وتزوّج المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة.

طلق أربعاً في وقت واحد واستبدل بهن) ووجه يوماً بعض أصحابه بطلاق امرأتين له وقال: قل لهما اعتدا وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل، فلما رجع إليه قال: ماذا قالتا؟ فقال: أما احداهما فنكست رأسها وسكتت، وأما الأخرى فبكت وانتحبت فسمعتها تقول متاع قليل من حبيب مفارق. قال: فأطرق ورحم لها ثم رفع رأسه وقال: لو كنت مراجعاً امرأة بعدما أفارقها لكنت أراجعها.

(وقد قال له ﷺ اشبهت خلقي وخلقي) الأوّل بفتح فسكون والمراد به الخلقة الظاهرة، والثاني بضمتين والمراد به الأوصاف الباطنة هكذا أورده صاحب القوت. قال العراقي: المعروف أنه قال هذا اللفظ لجعفر بن أبي طالب كما هو متفق عليه من حديث البراء، والحسن أيضاً كان يشبه النبي ﷺ كما هو متفق عليه في حديث أبي حجيفة، وللترمذي وصححه وابن حبان من حديث أنس: لم يكن أحد أشبه برسول الله ﷺ من الحسن انتهى. وان الحسن كان يشبه النبي ﷺ من رأسه إلى سرته، والحسين من سرته إلى قدميه.

(وقال ﷺ «حسن مني وحسين من علي») كذا في القوت. قال العراقي: رواه أحمد من حديث المقدام بن معد يكرب بسند جيد اهـ.

قلت: وعن يعلى بن مرة «حسين مني وأنا منه أحب الله من أحب حسيناً» الحديث رواه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي، وابن ماجه، والطبراني، والحاكم، وابن سعد، وأبو نعيم في فضائل الصحابة. ورواه مع زيادة ابن عساكر من حديث أبي رمثة.

(فقيل: إن كثرة نكاحه) للنساء **(أحد ما أشبه به خلق رسول الله ﷺ)** ولفظ القوت: وهذا أحد ما كان الحسن يشبه فيه برسول الله ﷺ وكان يشبهه في الخلق والخُلق.

(وتزوّج المغيرة بن شعبة) بن أبي عامر الثقفي أبو عيسى، أو أبو عبدالله، أو أبو محمد الصحابي رضي الله عنه. أسلم عام الخندق، وأوّل مشاهده الحديبية. قال ابن مسعود: كان المغيرة يقال له مغيرة الرأي، وكان داهية لا يستحر في صدره أمران إلاّ وجد في أحدهما مخرجاً، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، ثم شهد اليمامة، ثم فتوح الشام، ثم اليرموك وأصيبت عينه بها. ويروى عن عائشة رضي الله عنها قالت: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فقام المغيرة فنظر إليها فذهبت عينه، وشهد القادسية، وكان رسول سعد إلى رستم. توفي سنة تسع وأربعين بالكوفة وهو أميرها. **(بثمانين إمرأة)** كذا في القوت. رواه المزي في التهذيب بسنده إلى ليث بن أبي سليم عنه قال: أحصنت ثمانين امرأة. وقال بكر بن عبد الله المزني عنه: تزوّجت سبعين امرأة أو بضعاً وسبعين امرأة. وقال ابن شوذ: أحصن المغيرة أربعاً من بنات أبي سفيان. وقال مالك: كان المغيرة

وكان في الصحابة من له الثلاث والأربع ومن كان له اثنتان لا يحصى ومهما كان الباعث معلوماً فينبغي أن يكون العلاج بقدر العلة ، فالمراد تسكين النفس فلينظر إليه في الكثرة والقلة .

الفائدة الثالثة : ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة ، فإن النفس ملول وهي عن الحق نفور لأنه على خلاف طبعها ، فلو كلفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت وثابت ، وإذا روّجت باللذات في بعض الأوقات قويت ونشطت . وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروّح القلب ، وينبغي أن يكون لنفوس المتقين استراحات بالمباحات ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ليسكن إليها﴾ [الاعراف : ١٨٩] وقال علي رضي الله عنه : روّحوا القلوب ساعة فإنها إذا

نكّاحاً للنساء ، وكان يقول : صاحب الواحدة إذا مرضت مرض معها وإن حاضت حاض معها ، وصاحب المرأتين بين نارين تشتعلان ، وكان ينكح أربعاً جميعاً ويطلقهن جميعاً ، وقال محمد بن وضاح عن سحنون بن سعيد عن نافع بن عبد الله الصائغ : أحصن المغيرة ثلاثمائة إمرأة في الإسلام . قال ابن وضاح غير ابن قانع يقول : ألف امرأة . وقال الشعبي : سمعت المغيرة يقول : ما غلبني أحد إلا غلام من بني الحرث بن كعب فإني خطبت امرأة منهم فأصغى إليّ الغلام وقال : أيها الأمير لا خير لك فيها إني رأيت رجلاً يقبلها فانصرفت عنها ، فبلغني أن الغلام تزوّجها فقلت : أليس زعمت أنك رأيت رجلاً يقبلها . قال : ما كذبت أيها الأمير رأيت أباها يقبلها فإذا ذكرت ما فعل غاظني .

(**وكان في الصحابة رضي الله عنهم من له الثلاث**) من النساء (**والأربع ومن كان له الاثنان لا يحصى**) . ولفظ القوت : وكثير منهم من كانت له اثنتان لا يخلو منها . (**ومهما كان الباعث معلوماً فينبغي أن يكون العلاج بقدر العلة ، فالمراد**) إنما هو (**تسكين النفس**) أي شهوتها ، (**فلينظر إليه في الكثرة والقلة**) ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص . وسيأتي تمام هذا البحث في أواخر العلم الأوّل عند ذكر آداب الجماع .

(**الفائدة الثالثة : ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة**) في وقت فتورها عن الذكر (**إراحة للقلب وتقوية له على العبادة**) وتنشيطاً ،(**فإن النفس ملول**) أي كثيرة الملل والسأم والضجر (**وهي عن الحق نفور**) لا تستطيع دوام الوقوف في مقام المشاهدة (**لأنه على خلاف طبعها**) الذي جبلت عليه ، (**فلو كلفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها**) من حيث الطبع (**جمحت وثابت**) أي رجعت ، (**وإذا روحت باللذات في بعض الأوقات قويت ونشطت**) على العبادة ، وفي الاستئناس بالنساء من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروّح القلب ويقوّي عقد الارادة (**وينبغي أن يكون لنفوس المتقين استراحات إلى المباحات**) الشرعية ، (**ولذلك**

أكرهت عميت. وفي الخبر: «على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه. فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات» ومثله بلفظ آخر: «لا يكون العاقل طامعاً إلا في ثلاث: تزوّد لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة في غير محرم». وقال عليه الصلاة والسلام: «لكل عامل

قال تعالى ﴿**ليسكن إليها**﴾ وهذا سكون النفس إلى الجنس لاجتماع الصفات الملائمة للطبع، (**و**) من هنا (**قال علي رضي الله عنه: روحوا القلوب ساعة فإنها إذا أكرهت عميت**) ويروى: روحوا القلوب تعي الذكر أو روحوها بالاستراحة إلى المباح تعي ذكر الآخرة لأن للذكر أثقالاً وهذا روي في المرفوع من حديث أنس بلفظ «روّحوا القلوب ساعة فساعة» وفي رواية «ساعة وساعة».

قال السخاوي في المقاصد: رواه الديلمي من جهة أبي نعيم، ثم من حديث أبي الطاهر الموقري عن الزهري عن أنس رفعه بهذا قال: ويشهد له ما في صحيح مسلم وغيره من حديث أبي حنظلة «ساعة وساعة».

وقال السيوطي في الجامع: رواه أبو بكر بن المقري في فوائده، والقضاعي في مسند الشهاب عنه عن أنس، ورواه أبو داود في مراسيله عن الزهري مرسلاً.

وقال المناوي نقلاً عن شارح مسند الشهاب: أنه حديث حسن، وأما حديث حنظلة الذي أشار إليه السخاوي، فقد أوردته في شرحي على حديث أم زرع من الشمائل فليراجع.

(**وفي الخبر «على العاقل أن تكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيه ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه فإن في هذه الساعة عوناً على تلك الساعات»**) أورده صاحب القوت. قال العراقي: رواه ابن حبان من حديث أبي ذر في حديث طويل إن ذلك في صحف إبراهيم اهـ.

قلت: هذا الحديث الطويل أخرجه أبو نعيم في الحلية من طرق عن ابراهيم بن هشام الغساني عن أبيه، عن جده، عن أبي ادريس الخولاني عن أبي ذر قال: دخلت المسجد وإذا برسول الله ﷺ جالس وحده فجلست إليه فساق الحديث، وفيه قال: قلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم؟ قال «كانت أمثالاً كلها وفيها على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن تكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر فيها في صنع الله وساعة يخلو فيها بحاجته من المطعم والمشرب».

(**ومثله بلفظ آخر «لا يكون العاقل ظاعناً إلا في ثلاث تزوّد للمعاد**) أي الآخرة (**أو مرمة**) أي إصلاح (**لمعاش**) أي لما يعيش به في دنياه (**أو لذة في غير محرم**)كذا أورده صاحب القوت. قال العراقي: رواه ابن حبان من حديث أبي ذرفي حديث طويل «إن ذلك في صحف ابراهيم» اهـ.

شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ». والشرة الجد والمكابدة بحدة وقوّة وذلك في ابتداء الإرادة، والفترة الوقوف للاستراحة. وكان أبو الدرداء يقول: إني لأستجم نفسي بشيء من اللهو لأتقـوى بذلك فيما بعد على الحق. وفي بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: « شكوت إلى جبريل عليه السلام ضعفي عن الوقاع

قلت: وهو الحديث الذي سقناه من كتاب الحلية وهكذا سياقه سواء، وقال: وقد رواه المختار ابن غسان عن إسماعيل بن مسلم عن أبي أدريس، ورواه علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن أبي ذر. ورواه عبيد بن الخشخاش، عن أبي ذر. ورواه معاوية بن صالح، عن محمد بن أيوب، عن أبي عائذ عن أبي ذر. رواه ابن جريج، عن علاء، عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر بطوله.

(وقال ﷺ « لكل عامر شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ») كذا أورده صاحب القوت. قال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو، وللترمذي نحو من هذا من حديث أبي هريرة وقال: حسن صحيح اهـ.

قلت: لفظ الطبراني « فقد أفلح » بدل « اهتدى ». رواه البيهقي من حديث ابن عمر بلفظ « إن لكل عمل شرة » والباقي سواء كما ساقه المصنف مع زيادة « ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك » قال الهيتمي: رجاله رجال الصحيح. ووجدت بخط الإمام شمس الدين الداودي ما نصه: أصل هذا الحديث في صحيح البخاري، وأخرجه الإسماعيلي في مستخرجه اهـ.

(والشرة) بكسر الشين معجمة وتشديد الراء المفتوحة **(الجد والمكابد بحدة)** إرادة **(وقوّة)** عزم، **(وذلك في ابتداء الارادة)**. ولفظ القوت: هذا يكون في أوّل حال المريد. **(والفترة)** بفتح الفاء وسكون المثناة الفوقية: هـي الفتور **(والوقوف للاستراحة)** وهذا يكون عند ملل النفس ونقصان الإرادة، وهي القوّة عن الجد، ويدخل ذلك على العارفين من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين.

(و) قد **(كان أبو الدرداء)** رضي الله عنه **(يقول: إني لأستجم نفسي بشيء من اللهو لأتقوّى بذلك فيما بعد على الحق)** كذا في القوت والاستجمام: طلب الجام بالفتح أي الراحة.

(وفي بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ انه قال « شكوت إلى جبريل عليه السلام ضعفي عن الوقاع فدلني على الهريسة ») في المصباح الهريسة فعيلة بمعنى مفعولة. قال ابن فارس: الهرس دق الشيء، ولذلك سميت الهريسة، وفي النوادر الهريس الحب المدقوق، فإذا طبخ فهو الهريسة بالهاء. قال العراقي: حديث الهريسة رواه ابن عدي من حديث حذيفة، وابن عباس، والعقيلي من حديث معاذ، وجابر بن سمرة، وابن أبي الدنيا في الضعفاء من حديث [1] والازدي في

---

(١) بياض في الأصل.

الضعفاء من حديث أبي هريرة بطرق كلها ضعيفة. قال ابن عدي موضوع. وقال العقيلي: باطل اهـ.

قلت: قد كثر الكلام في حديث الهريسة، وأما مورد طرقه التي ذكروها فقال العقيلي في الضعفاء: حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا سعيد بن المعلي، حدثنا محمد بن الحجاج، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن معاذ بن جبل قال: قلت: يا رسول الله هل أتيت من الجنة بطعام؟ قال «نعم أتيت الهريسة فأكلتها فزادت في قوّتي قوة أربعين أو في نكاح أربعين» قال: وكان معاذ لا يعمل طعاماً إلا بدأ بالهريسة. قال: هذا حديث وضعه محمد بن الحجاج اللخمي، وكان صاحب هريسة. وغالب طرقه تدور عليه وسرقه منه كذابون.

وقال أبو نعيم في الطب النبوي: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن جعفر الخشاب، حدثنا أحمد بن مهران، حدثنا الفضيل بن جبير، حدثنا محمد بن الحجاج، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل قال: قيل يا رسول الله هل أتيت من طعام الجنة بشيء؟ قال «نعم أتاني جبريل بهريسة فأكلتها فزادت في قوتي قوّة أربعين رجلاً في النكاح».

وقال الخطيب: حدثنا أحمد بن محمد الكاتب، أنبأنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن المقري. وقال العقيلي: حدثنا إدريس بن عبد الكريم قالا: حدثنا يحي بن أيوب العابد، حدثنا محمد بن الحجاج اللخمي، حدثنا عبد الملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة أن النبي ﷺ قال «أطعمني جبريل الهريسة ليشتد بها ظهري لقيام الليل».

قال السيوطي وقد أخرجه الطبراني في الأوسط عن يحي بن أيوب به.

وقال الخطيب أنبأنا علي بن محمد بن علي الأيادي، ومحمد بن أحمد بن أبي طاهر الدقاق قالا: حدثنا محمد بن عبد الله الشافعي، حدثنا أبو محمد جعفر بن محمد بن شاكر الصائغ، حدثنا دواد بن مهران، حدثنا محمد بن حجاج من أهل واسط، عن عبد الملك بن عمير، عن أبن أبي ليلى، وربعي ابن جراش، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل «أطعمني هريسة أشد بها ظهري لقيام الليل» أخرجه ابن السني في الطب من طريق داود به. قال الخطيب: وهكذا رواه الحسن بن علي عن أبي المتوكل عن يحي بن أيوب عن محمد بن الحجاج إلا انه قال عن ابن أبي ليلى، عن النبي ﷺ. وعن ربعي بن حذيفة عن النبي ﷺ.

وقال الخطيب: أخبرني الأزهري، أنبأنا علي بن عمر الحافظ، حدثنا أبو عبيد القاسم بن إسماعيل الضبي، حدثنا أبو الحسن علي بن ابراهيم الواسطي، حدثنا أبو الحسن منصور بن المهاجر البزدري، حدثنا محمد بن الحجاج اللخمي، عن عبد الملك بن عمير اللخمي، عن يعلى بن مرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرني جبريل عليه السلام بأكل الهريسة أشد بها ظهري وأتقوى بها على الصلاة».

....

وقال العقيلي: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا أبو بلال الأشعري، حدثنا بسطام عن محمد بن الحجاج، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، وعبد الرحمن بن أبي ليلى قالا: قال رسول الله ﷺ « أمرني جبريل بالهريسة أشد بها ظهري لقيام الليل ».

وقال ابن عدي: حدثنا الحسن بن أبي معشر، حدثنا أيوب الوراق، حدثنا سلام بن سليمان عن نهشل، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعاً « أتاني جبريل بهريسة من الجنة فأكلتها فأعطيت قوّة أربعين رجلاً في الجماع » نهشل كذاب وسلام متروك. فنرى ان احدهما سرقه من محمد بن الحجاج وركب له إسناداً.

وقال الازدي: حدثنا عبد العزيز بن محمد بن زبالة، حدثنا ابراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي، حدثنا عمرو بن بكر، عن ارطأة عن مكحول، عن أبي هريرة قال: « شكا رسول الله ﷺ إلى جبريل قلة الجماع فتبسم جبريل حتى تلألأ مجلس رسول الله ﷺ من بريق ثنايا جبريل ثم قال: أين أنت من أكل الهريسة فإن فيها قوّة أربعين رجلاً » قال الأزدي: ابرهيم ساقط. فنرى أنه سرقه وركب له إسناداً. قال السيوطي: ابراهيم روى له ابن ماجه، وقال في الميزان قال أبو حاتم وغيره صدوق. وقال الأزدي: وحده ساقط قال: ولا يلتفت إلى قول الازدي فإن في مساءته بالجرح وهناً اهـ.

وحينئذ فهذا الطريق أمثل طرق الحديث. وقد أخرجه من هذا الطريق ابن السني، وأبو نعيم في الطب، وله طرق أخرى عن أبي هريرة.

قال أبو نعيم في الطب: حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف، حدثنا بن ناجية، حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا أبي، حدثنا أسامة بن زيد، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رفعه « أطعمني جبريل الهريسة أشد بها ظهري لقيام الليل ».

وأخرجه الخطيب في رواة مالك من طريق الحسن بن عاصم، حدثنا الصباح بن عبد الله، حدثنا مالك عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة مرفوعاً « أمرني جبريل بأكل الهريسة لأشد بها ظهري وأتقوى على عبادة ربي » قال الخطيب: هذا الحديث باطل. والحسن بن عاصم هو أبو سعيد العدوي وكان كذاباً يضع الحديث.

وأخرجه أيضاً من طريق موسى بن ابراهيم الخراساني عن مالك بالسند السابق بلفظ: « لأشد بها ظهري لقيام الليل ». وقال: موسى بن إبراهيم مجهول والحديث باطل.

وأخرجه أبو نعيم في الطب من طريق يعقوب بن الوليد، عن أبي أمية بن عبد الله بن عمرو، عن أبيه، عن جده مرفوعاً « أطعمني جبريل الهريسة أشد بها ظهري » والله أعلم.

فدلني على الهريسة » . وهذا إن صح لا محل له إلا الاستعداد للاستراحة ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة ، فإنه استثارة للشهوة ومن عدم الشهوة عدم الأكثر من هذا الإنس . وقال عليه الصلاة والسلام : « حبب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة » .

قال المصنف مشيراً إلى ما وقع من الاختلاف في هذا الحديث ، **(فهذا إن صح)** من طريق **(لا محل له إلا الاستعداد للإستراحة)** ليتقوّى بها على العبادة ، **(ولا يمكن تعليله بدفع الشهوة لأنه استثارة للشهوة وفي عدم الشهوة عدم الأكثر من هذا الانس)** ونزوع النفس. وفي بعض النسخ : ومن عدم الشهوة عدم الأكثر من الانس.

(وقال ﷺ **« حبب إليَّ)** بالبناء للمفعول **(من دنياكم)** ولم يقل من هذه الدنيا لأن كل واحد ناظر إليها وإن تفاوتوا فيه واما هو فلم يلتفت إلا إلى ما ترتب عليه مهم ديني **(ثلاث)** سيأتي الكلام على هذه اللفظة **(النساء)** لأجل كثرة المسلمين ومباهاته بهم يوم القيامة ، **(والطيب)** لأنه حظ الروحانيين وهم الملائكة ولاغرض لهم في شيء من الدنيا سواه كأنه يقول: حبي لهاتين الخصلتين إنما هو لأجل غيري . وقال الطيبي جيء بالفعل مجهولاً دلالة على أن ذلك لم يكن من جبلته وطبعه ، وأنه مجبور على هذا الحب رحمة للعباد ورفقاً بهم ، **(وقرة عيني في الصلاة »)** أي جعلت قرة كما في رواية أخرى ، وخص الصلاة لكونها محل المناجاة ومعدن المصافاة ،وقدم النساء للاهتمام بنشر الأحكام وتكثير سواد الإسلام ، وأردفه بالطيب لأنه من أعظم الدواعي لجماعهن الموجب إلى تكثير التناسل في الإسلام مع حسنه بالذات وكونه كالقوت للملائكة ، وأفرد الصلاة بما يميزها عنهما بحسب المعنى حيث قال: « وجعلت » إذ ليس فيها تقاضي شهوة نفسانية كما فيهما ، واضافتها إلى الدنيا من حيث كونها ظرفاً للوقوع ، وقرة عينه فيها بمناجاته ربه ، ومن ثم خصها دون بقية اركان الدين . قال العراقي : وراه النسائي والحاكم من حديث أنس باسناد جيد وضعفه العقيلي اهـ.

قلت : أورده السيوطي في الجامع الصغير وقال حم ن ك هو عن أنس ، وقال في الجامع الكبير : حم ن وابن سعد ع ك هو وسمويه ض عن عن أنس ولفظ الجميع : « حبب إليَّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة » والكلام على هذا الحديث من جهة التخريج على وجوه.

الأوّل: قال السخاوي في المقاصد ما اشتهر على الألسنة من زيادة لفظ ثلاث لم أقف عليه إلا في موضعين من الاحياء ، وفي تفسير آل عمران من الكشاف وما رأيتها في طرق هذا الحديث بعد مزيد التفتيش ، وبذلك صرح الزركشي فقال: إنه لم يرد فيه لفظ ثلاث قال: وزيادته محيلة للمعنى فإن الصلاة ليست من الدنيا اهـ.

ووجدت بخط الكمال الدميري ما نصه : لفظة ثلاث ليست في النسائي ولا أدري ما حالها عند الحاكم وهي زيادة مفسدة للمعنى ، وقد أجاب عنها جماعة فلم يتقنوا ، وقاس الزمخشري عليها فيه آيات بينات وقد أخطأ في القياس اهـ. ما وجدته.

فهذه أيضاً فائدة لا ينكرها من جرب أتعاب نفسه في الأفكار والأذكار وصنوف

وسكت العراقي هنا ولم ينبه على هذه الزيادة رأياً للاختصار واتكالاً على الاشتهار مع أنه ذكر في أماليه أن هذه اللفظة ليست في شيء من كتب الحديث وهي تفسد المعنى. وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: لم تقع في شيء من طرقه وهي تفسد المعنى إذ لم يذكر بعدها إلا الطيب والنساء.

قلت: وهذا يستقيم على رواية « وجعلت » وأما على سياق المصنف فلا. وقال في تخريج الرافعي تبعاً لأصله: وقد اشتهر لفظ ثلاث. وشرحه الإمام ابن فورك في جزء مفرد، وكذلك ذكره الغزالي ولم نجده في شيء من طرقه المسندة. وقال الولي العراقي في أماليه: ليست هذه اللفظة في شيء من كتب الحديث وهي مفسدة للمعنى.

الثاني: روى النسائي هذا الحديث من طريق سيار عن جعفر عن ثابت عن أنس بلفظ « حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة » وكذلك رواه الحاكم في مستدركه بدون لفظ « جعلت » وقال: إنه صحيح على شرط مسلم. ورواه الطبراني في الأوسط والصغير من طريق الإوزاعي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس. ورواه مؤمل بن إهاب في جزأيه قال: حدثنا سفيان، عن جعفر به فساقه كسياق النسائي، وكذلك رواه ابن عدي في الكامل من طريق سلام بن أبي خبزة: حدثنا ثابت البناني وعلي بن زيد كلاهما عن أنس، وهو عند النسائي أيضاً من طريق سلام بن المنذر عن ثابت عن أنس بلفظ « حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة » ومن هذا الوجه أخرجه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما، وأبو عوانة في مستخرجه الصحيح، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في سننه وآخرون.

الثالث: عزا الديلمي إلى النسائي بلفظ « حبب إلي كل شيء وحبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة » قال السخاوي: لم أره كذلك.

الرابع: رمز السيوطي في جامعه حم يقتضي أن أحمد رواه في مسنده وصرح بذلك أيضاً السخاوي كما ذكرناه. قال المناوي: وهو باطل فإنه لم يخرجه فيه وإنما خرّجه في كتاب الزهد فعزوه إلى المسند سبق ذهن أو قلم. قال: وقد نبه عليه السيوطي بنفسه في حاشية البيضاوي.

الخامس: أفاد ابن القيم أن أحمد رواه في الزهد بزيادة لطيفة وهي أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن وقال كذلك الزركشي، وقد تعقبه السيوطي بقوله: إنه مرّ على كتاب الزهد مراراً فلم يجد فيه لكن في زوائده لابنه أحمد عن أنس مرفوعاً « قرة عيني في الصلاة وحبب إليَّ النساء والطيب الجائع يشبع والظمآن يروى وأنا لا أشبع من حب الصلاة والنساء » فلعله أراد هذا الطريق اهـ.

قلت: وهذا قد رواه الديلمي كذلك والله اعلم.

(فهذه أيضاً فائدة لا ينكرها من جرب اتعاب نفسه في الأفكار والأذكار وصنوف

الأعمال وهي خارجة عن الفائدتين السابقتين، حتى انها تطرد في حق الممسوح ومن لا شهوة له إلا أن هذه الفائدة تجعل للنكاح فضيلة بالإضافة إلى هذه النية. وقل من يقصد بالنكاح ذلك. وأما قصد الولد وقصد دفع الشهوة وأمثالها فهو مما يكثر، ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى الماء الجاري والخضرة وأمثالها ولا يحتاج إلى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص فليتنبه له.

الفائدة الرابعة: تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الأواني وتهيئة أسباب المعيشة، فإن الإنسان لو لم يكن شهوة له الوقاع لتعذر عليه العيش في منزله وحده. إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل لضاع أكثر أوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل، فالمرأة الصالحة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريق،

الأعمال) الباطنة، **(وهي)** أي تلك الفائدة **(خارجة عن الفائدتين السابقتين حتى أنها لتطرد في حق الممسوح)** أي الخصي والمجبوب **(ومن لا شهوة له)** كالعنين ونحوه، **(إلا أن هذه الفائدة تجعل النكاح فضيلة زائدة بالاضافة إلى هذه النية وقلّ من يقصد بالنكاح ذلك)** ولا يحوم حوله، **(وأما الولد)** أي حصوله **(وقصد دفع الشهوة مما يكثر)** وقوعه، **(ثم رب شخص يستأنس بالنظر إلى الماء الجاري)** ويستروح بخريره **(والخضرة)** من النباتات والاشجار أو من الألوان ما كانت على هيئاتها **(وأمثالها، ولا يحتاج إلى ترويح النفس بمحادثة النساء وملاعبتهن)**، بل ربما يحصل له الانقباض من ذلك **(فيختلف هذا باختلاف الأحوال والأشخاص)**، فرب أمرأة حسناء خلقاً وخُلقاً محادثتها تروح نفس الشخص، ورب حسناء خَلقاً لا خُلقاً فتشمئز من محادثتها النفس، ورب حسناء خلقاً شوهاء خُلقاً لا تميل لها النفوس، ورب شخص مطبوع على شدة وقساوة لا يميل إلى شيء من ذلك ولو كانت امرأته مكملة صورة ومعنى، فهذا معنى قوله: باختلاف الأحوال والأشخاص، والحاصل أن عادم الاسترواح إليهن فاسد التركيب رديء المزاج يحتاج إلى العلاج ولا يعبأ باسترواحه بالنظر إلى الخضرة والماء الجاري، فإن الاسترواح إلى النساء هو الاصل وما عداه بواعث عليه. **(فليتنبه له)** فإنه دقيق.

(الفائدة الرابعة: تفريغ القلب عن)ما يشغله من الأمور الظاهرة الملازمةالتي لا ينفك عنها الإنسان مثل **(تدبير)** أمور **(المنزل)** الجزئية والكلية، **(والتكلف بشغل الطبخ)** للطعام **(والكنس)** أي كنس المنزل عن التراب والغبار والعنكبوت، فقد وصفت أم زرع جاريته بأنها لا تعثث ميرتنا تعثيثاً ولا تملأ بيتنا تعشيشاً أي لا تترك الكناسة والقمامة فيه كعش الطائر بل تصلحه وتنظفه، **(والفرش)** أي فرش الحصير وغيره **(وتنظيف الأواني)** بغسلها بالماء **(وتهيئة أسباب المعاش)** من كل ما لا يليق بها، **(فإن الإنسان لو لم تكن له شهوة الوقاع لتعذر عليه العيش في منزله وحده إذ لو تكلف بجميع أشغال المنزل)** من كنس وفرش وطبخ وغسل **(لضاعت أكثر أوقاته)** في تدبير أمور المنزل **(ولم يتفرغ للعلم والعمل)** لعدم اجتماع حواسه، **(فالمرأة**

واختلال هذه الأسباب شواغل ومشوّشات للقلب ومنغصات للعيش، ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فإنها تفرغك للآخرة، وإنما تفريغها بتدبير المنزل وبقاء الشهوة جميعاً. وقال محمد بن كعب القرظي في معنى قوله تعالى: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ [البقرة: ٢٠١] قال: المرأة الصالحة. وقال عليه الصلاة والسلام: «ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته». فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر. وفي بعض التفاسير في قوله تعالى: ﴿فلنحيينه حياة طيّبة﴾ [النحل: ٩٧]، قال: الزوجة الصالحة. وكان عمر بن

الصالحة للمنزل عون على الدين) أي على تحصيل أموره **(بهذا الطريق)** والمرء بنفسه عاجز في الجملة، **(واختلاف هذه الأسباب شواغل)** ظاهرية **(ومشوشات)** باطنية **(للقلب ومنغصات للعيش)** في الغالب، **(ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فإنها تفرغك للآخرة)** نقله صاحب القوت أي ليست معدودة من جملة الدنيا بالنسبة لتفريغ قلب زوجها فيشتغل بما يقربه إلى الله تعالى وما يعين على الآخرة فهو من أمور الآخرة. قال صاحب القوت إلا أنه كان يقول المنفرد يجد من حلاوة العبادة ما لا يجد المتزوّج وقد تقدم هذا القول آنفاً، **(وإنما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعاً)** لأن كلاً من المعنيين يحتمله كلام أبي سليمان.

(وقال محمد بن كعب القرظي) التابعي رحمه الله تعالى **(في معنى قوله تعالى ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة﴾ قال: المرأة الصالحة)** نقله صاحب القوت، وروى مثل ذلك عن الحسن البصري وغيره.

(وقال ﷺ «ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته») كذا في القوت وفي رواية «على أمر الآخرة» قاله لما نزل في الذهب والفضة ما نزل فقالوا: فأي مال نتخذه؟ فذكره قال المصنف فيما سيأتي: فأمر باقتناء القلب الشاكر وما معه بدلاً عن المال. **(فانظر كيف جمع بينها وبين الذكر والشكر)**. والحديث قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه واللفظ له من حديث ثوبان وفيه انقطاع اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد وأبو نعيم في الحلية. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد، حدثنا عبد اللهبن محمد بن شيرويه، حدثنا إسحاق بن ابراهيم، حدثنا جرير بن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مسير يسير ونحن معه إذ قال المهاجرون لو نعلم أي المال خير إذا نزل في الذهب والفضة ما أنزل؟ فقال عمر: إن شئتم سألت لكم رسول الله ﷺ عن ذلك. فقالوا: أجل، فانطلق إلى رسول الله ﷺ فاتبعته على قعود لي فقال: يا رسول الله إن المهاجرين لما نزل في الذهب والفضة ما نزل قالوا لو علمنا الآن أي المال خير؟ فقال «ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على إيمانه» رواه أبو الأحوص واسرائيل عن منصور مثله.

الخطاب رضي الله عنه يقول: ما أعطي العبد بعد الإيمان بالله خيراً من امرأة صالحة، وإن منهن غُنماً لا يحذى منه ومنهن غلاً لا يفدَى منه. وقوله: لا يحذى أي لا يعتاض عنه بعطاء. وقال عليه الصلاة والسلام: «فضلت على آدم بخصلتين: كانت زوجته عوناً له على المعصية وأزواجي أعواناً لي على الطاعة، وكان شيطانه كافراً وشيطاني مسلم لا يأمر إلا بخير» فعد معاونتها على الطاعة فضيلة. فهذه أيضاً من الفوائد التي يقصدها

ورواه عمرو بن مرة عن سالم، حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبدالله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا وكيع، حدثنا عبد الله بن عمرو بن مرة، عن أبيه سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان قال: لما نزل في الفضة والذهب ما نزل قالوا: فأي المال نتخذ؟ قال عمر: أنا أعلم لكم فأوضع على بعيره فأدركه وأنا في أثره، فقال: يا رسول الله أي المال نتخذ؟ فقال «ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة تعينه على الآخرة» رواه الأعمش عن سالم نحوه اهـ.

(وفي بعض التفاسير في قوله تعالى ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾) قال: **(الزوجة الصالحة)** نقله صاحب القوت.

(وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: ما أعطي العبد بعد الايمان بالله خيراً من المرأة الصالحة) ولفظ القوت بعد إيمان بالله خيراً من امرأة صالحة **(وإن منهن غُنماً)** بضم الغين المعجمة وسكون النون أي غنيمة **(لا يحذى)** منه بالبناء للمجهول من حذاه بالحاء المهملة والذال المعجمة، **(ومنهن غل لا يفدى منه)** كذا نقله صاحب القوت. **(وقوله: لا يحذى)** منه من الحذيا وهو العطاء **(أي لا يعتاض عنه بعطاء)** ومعنى لا يفدى منه أي لا قيمة له فتفدى به ولا يجوز لا راحة منه كالغل فصاحبها أسير تحتها لا يفتدي أبداً إلا بموتها. وقال أيضاً: منهن غل قمل كانت العرب في معاقبتها للأسير تسلخ جلد شاة ثم تلبس إياه حاراً فيلتزق على جسده وينقبض ثم لا تنزعه حتى يقمل وتنثر منه الهوام فذاك هو الغل القمل مثل المرأة المكرية.

(وقال ﷺ «فضلت على آدم عليه السلام بخصلتين كانت زوجته عوناً له على المعصية وأزواجي عوناً لي على الطاعات وكان شيطانه كافراً وشيطاني مسلم لا يأمر إلا بخير») كذا في القوت. قال العراقي: رواه الخطيب في التاريخ من حديث ابن عمر، وفيه محمد بن الوليد بن أبان القلانسي. قال ابن عدي: كان يضع الحديث، ولمسلم من حديث ابن مسعود «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال «واياي إلا أن الله أعانني عليه فاسلم فلا يأمرني إلا بخير» اهـ.

قلت: وباسناد الخطيب أخرجه الديلمي في مسند الفردوس، والبيهقي في الدلائل بلفظ «فضلت على آدم بخصلتين كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه حتى أسلم وكن أزواجي عوناً لي، وكان شيطان آدم كافراً وكانت زوجته عوناً على خطيئته» ومحمد بن الوليد القلانسي قال أبو عروبة كذاب، ومن أباطيله هذا الخبر. ونظراً إلى قوله وقول ابن عدي السابق أورده ابن الجوزي

الصالحون إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر، ولا تدعو إلى امرأتين بل الجمع ربما ينغص المعيشة ويضطرب به أمور المنزل، ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها وما يحصل من القوة بسبب تداخل العشائر، فإن ذلك مما يحتاج إليه في دفع الشرور وطلب السلامة، ولذلك قيل: ذل من لا ناصر له، ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فإن الذل مشوّش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل.

الفائدة الخامسة: مجاهدة النفس ورياضتها بالرعاية والولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن والسعي في اصلاحهن وإرشادهن إلى طريق الدين، والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن، والقيام بتربيته لأولاده. فكل هذه أعمال عظيمة الفضل فإنها رعاية وولاية والأهل والولد رعية، وفضل الرعاية عظيم، وإنما يحترز

في الواهيات، والصحيح ان الحديث ضعيف لضعف محمد بن الوليد ولا يدخل في حيز الموضوع.

وأما حديث ابن مسعود، فقد رواه مسلم أيضاً من حديث عائشة بلفظ: «ما منكم من أحد إلا ومعه شيطان. قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم». ورواه الطبراني في الكبير عن أسامة بن شريك، ورواه أيضاً ابن حبان، والبغوي من حديث شريك بن طارق نحوه. وقال البغوي: لا أعلم له غيره.

(فعدَّ معاونتها على الطاعة فضيلة، فهذه أيضاً من الفوائد التي يقصدها الصالحون) ويراعون ذلك فيهن **(إلا أنها تخص بعض الأشخاص الذين لا كافل لهم ولا مدبر)**، وأما من كان له من يتكفل بقضاء واجب خدمته فلا يحتاج إلى معاونة المرأة **(ولا تدعو إلى)** أخذ **(امرأتين بل الجمع)** بينهما **(ربما ينغص المعيشة)** ويكدرها **(وتضطرب به أمور المنزل)** لما بينهما من المعاداة والغيرة الباطنية، **(ويدخل في هذه الفائدة قصد الاستكثار بعشيرتها)** في معاونة بعض الأمور **(وما يحصل من القوّة والشدة بسبب تداخل العشائر)** في بعضها بالصهورة، **(فإن ذلك مما يحتاج إليه في)** بعض الأوقات لأجل **(دفع الشرور وطلب السلامة)** من الأعداء، **(ولذلك قيل: ذل من لا ناصر له)** وكذا قولهم المرء بنفسه قليل وبأخوانه كثير، **(ومن وجد من يدفع عنه الشرور)** ويتعصب له في نصرته **(سلم حاله وفرغ قلبه للعبادة فإن الذل مشوش للقلب والعز بالكثرة دافع للذل)** كما هو مشاهد.

(الفائدة الخامسة: **مجاهدة النفس)** وتذليلها **(ورياضتها بالرعاية والولاية، والقيام بحقوق الأهل، والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن، والسعي في إصلاحهن وارشادهن إلى طريق الدين، والاجتهاد في كسب الحلال لأجلهن، والقيام بتربية الأولاد. فكل هذه)** التي ذكرناها **(أعمال عظيمة الفضل فإنها رعاية وولاية والأهل والولد رعية)**

منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها، وإلاَّ فقد قال عليه الصلاة والسلام: « يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة » ثم قال: « ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ». وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره كمن اشتغل باصلاح نفسه فقط، ولا من صبر على الأذى كمن رفه نفسه وأراحها، فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله، ولذلك قال بشر: فضل عليَّ أحمد بن حنبل بثلاث: إحداها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره، وقد قال عليه الصلاة والسلام: « ما أنفقه الرجل على أهله فهو صدقة، وإن الرجل ليؤجر في اللقمة يرفعها إلى في امرأته ». وقال بعضهم لبعض

الرجل، **(وفضل الرعاية عظيم)** الموقع، **(وإنما يحترز منها من يحترز خيفة من القصور عن القيام بحقها)** لا لكونها غير فاضلة في حد ذاتها، **(وإلاَّ فقد قال ﷺ « يوم من وال عادل أفضل من عبادة سبعين سنة »)** وفي نسخة العراقي « يوم من ملك عادل » وفي رواية أخرى « يوم من إمام عادل » قال العراقي: رواه الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس، وقد تقدم بلفظ « ستين سنة » اهـ.

قلت: وكذلك رواه إسحاق بن راهويه في مسنده بلفظ « ستين » وفي آخره زيادة « وحد يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين عاماً ».

(ثم قال « ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ») وهذا متفق عليه من حديث ابن عمر في أثناء حديث طويل. **(وليس من اشتغل باصلاح نفسه و)** صلاح **(غيره كمن اشتغل بإصلاح نفسه فقط)**، بل الأول أعلى مقاماً لتعدي نفعه إلى الغير، **(ولا من صبر على الأذى)** واحتمل الجفاء **(كمن رفه نفسه)** أي جعلها في رفاهية أي سعة من العيش **(وأراحها)** أي أعطاها الدعة والراحة، **(فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد في سبيل الله)** في حصول كمال المشقة في كل منهما من جهة أتعاب المال والبدن، **(ولذلك قال بشر)** بن الحرث الحافي رحمه الله تعالى: **(فضل عليّ أحمد بن حنبل)** رحمه الله تعالى **(بثلاث: احداها انه يطلب الحلال لنفسه ولغيره)** وإنما أطلب الحلال لنفسي وبقية الثلاث قد ذكرت قريباً. **(وقد قال ﷺ « ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في رفعه اللقمة إلى في امرأته »)** كذا في القوت. قال العراقي: رواه البخاري ومسلم من حديث أبي مسعود « إذا أنفق الرجل إلى أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة » ولهما من حديث سعد بن وقاص « ومهما أنفقته فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك » اهـ.

قلت: وحديث أبي مسعود رواه كذلك أحمد والنسائي، واسم أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري.

(وقال بعض العلماء)، ولفظ القوت وقال رجل لبعض العلماء وهو يعدد نعم الله عليه: **(من**

العلماء من كل عمل أعطاني الله نصيباً حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما فقال له: أين أنت من عمل الأبدال؟ قال: وما هو؟ قال: كسب الحلال والنفقة على العيال. وقال ابن المبارك وهو مع إخوانه في الغزو، تعلمون عملاً أفضل مما نحن فيه؟ قالوا: ما نعلم ذلك. قال: أنا أعلم. قالوا: فما هو؟ قال: رجل متعفف ذو عـائلة قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياماً متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله أفضل مما نحن فيه. وقال ﷺ: «من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين».

كل عمل أعطاني الله نصيباً حتى ذكر الحج والجهاد وغيرهما) من صنوف العبادات، (**فقال له**) العالم: (**أين أنت من عمل الأبدال؟ قال: وما هو؟ قال: كسب الحلال والنفقة على العيال**) نقله صاحب القوت.

(**وقال ابن المبارك**) رحمه الله تعالى (**وهو مع إخوانه في الغزو**)، ولفظ القوت لأخوانه وهم معه في الغزو: (**تعلمون عملاً أفضل مما نحن فيه؟ قالوا: ما نعلم ذلك**) جهاد في سبيل الله وقتال لأعداء الله أي شيء أفضل من هذا؟ (**قال: أنا أعلم. قالوا: ما هو؟ قال: رجل متعفف ذو عيلة**) أي عيال صغار (**قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياماً متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه**) الذي عليه (**فعمله**) هذا (**أفضل مما نحن فيه**) نقله صاحب القوت.

(**وقال ﷺ «من حسنت صلاته وكثرت عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين»**) كذا في القوت. قال العراقي: رواه أبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بسند ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه سمويه في فوائده لكن بتقديم «قل ماله» على «كثر عياله».

(**وفي حديث آخر: «إن الله تعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال»**) كذا في القوت. قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث عمران بن حصين بسند ضعيف اهـ.

قلت: رواه في الزهد بلفظ «إن الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال» وإنما كان ضعيفاً لأن في سنده حماد بن عيسى ومرسى بن عبيدة ضعيفان، قال السخاوي: لكن له شواهد، والمراد بالمتعفف المبالغ في العفة عن السؤال مع وجود الحاجة لطموح بصر بصيرته عن الخلق إلى الخالق، وإنما يسأل أن سأل على سبيل التلويح الخفي، وقوله «أبا العيال» يعني بذلك الكافل لهم أباً كان أو جداً أو أماً أو جدة أو نحو أخ أو ابن عم، لكن لما كان القائم على العيال يكون أباً غالباً ذكره في ضمنه إشعار بأنه يندب للفقير ندباً مؤكداً إن يظهر التعفف والتحمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستره والله أعلم.

قال صاحب القوت: ومن السنة في ذلك أن الاهتمام في مصالحهم والغم على نوائبهم زيادة في حسناته لأنه عمل من أعماله.

وفي حديث آخر: « إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال ». وفي الحديث: « إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بهم العيال ليكفرها عنه ». وقال بعض السلف: من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الغم بالعيال، وفيه أثر عن رسول الله ﷺ أنه قال: « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم بطلب المعيشة ». وقال ﷺ: « من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله له الجنة ألبتة ألبتة إلا أن يعمل عملاً لا

(وفي الحديث « إذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بالهمّ ليكفرها ») وفي بعض النسخ « بهَمّ » قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة إلا أنه قال « بالحزن » وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه اهـ.

قلت: ولفظ أحمد « إذا كثرت ذنوب العبد فلم يكن له من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها عنه » قال المنذري: رواته ثقات إلا ليث بن أبي سليم وثقه قوم وضعفه آخرون.

(وقال بعض السلف: من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الغم بالعيال) هكذا نقله صاحب القوت، **(ثم قال: وفيه أثر عن رسول الله ﷺ قال « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهمّ بطلب المعيشة »)** قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية، والخطيب في تلخيص المتشابه من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: رواه من طريق يحي بن بكير، عن مالك، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة، قال الحافظ بن حجر: إسناده إلى يحي واهٍ، وقال شيخنا الهيتمي: فيه محمد بن سلام المصري. قال الذهبي: حدث عن يحي بن بكير بخبر موضوع اهـ.

ورواه كذلك ابن عساكر في تاريخه ولفظهم جميعاً « إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج. قيل: وما يكفرها؟ قال: يكفرها الهموم في طلب المعيشة ». وفي رواية « عرق الجبين » بدل « الهم ».

وروى الديلمي من حديث أبي هريرة « إن في الجنة درجة لا ينالها إلا أصحاب الهموم » يعني في المعيشة.

(وقال ﷺ « من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله له الجنة ألبتة البتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر له ») قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن عباس بسند ضعيف، وهو عند ابن ماجه بلفظ آخر، ولأبي داود واللفظ له، والترمذي من حديث أبي سعيد « من عال ثلاث بنات فأدّبهن وزوّجهن وأحسن إليهن فله الجنة » ورجاله ثقات وفي سنده اختلاف اهـ.

قلت: وروى أحمد، وأبو يعلى، وأبو الشيخ، والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس

يغفر له ». كان ابن عباس إذا حدث بهذا قال: والله هو من غرائب الحديث وغرره.

وروي أن بعض المتعبدين كان يحسن القيام على زوجته إلى أن ماتت فعرض عليه التزويج فامتنع وقال: الوحدة أروح لقلبي وأجمع لهمي، ثم قال: رأيت في المنام بعد جمعة من وفاتها كأن أبواب السماء فتحت وكأن رجالاً ينزلون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضاً، فكلما نزل واحد نظر إليّ وقال لمن وراءه: هذا هو المشؤوم، فيقول الآخر: نعم،

« من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فاتقى الله وقام عليهن كان معي في الجنة » هكذا وأشار بأصابعه الأربع.

وروى الطبراني في الأوسط من حديث جابر « من كان له ثلاث بنات أو مثلهن من الأخوات فكفلهن وعالهن وجبت له الجنة. قال: واثنتين؟ قال: واثنتين » وفي لفظ أيضاً « من كان له ثلاث بنات يكفلهن ويوليهن ويزوجهن وجبت له الجنة. قال: واثنتين؟ قال: واثنتين ». وعند الدارقطني في الافراد من حديثه « من كان له ثلاث بنات يعولهن ويرحمهن فله يمين الجنة » وروى أحمد، وابن ماجه، والطبراني في الكبير من حديث عقبة فيما مر: « من كان له بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجاباً من النار يوم القيامة ». وروى أحمد والترمذي وابن حبان والضياء من حديث أبي سعيد « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة ». وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة « من كان له ثلاث بنات أو أخوات فصبر على لأوائهن وطعامهن وشرابهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن. قيل: واثنتين؟ قال: واثنتين. قيل: وواحدة. قال: وواحدة » وحديث ابن عباس الذي رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق لفظه « من عال ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى ينفيهن عنه أوجب الله له الجنة ألبتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر له. قيل: أو اثنتين؟ قال: أو اثنتين » وهذا السياق أقرب إلى سياق المصنف.

(كان ابن عباس رضي الله عنه إذا حدث بهذا قال: هو والله من غرائب الحديث وغرره) أي لما فيه من سعة فضل الله تعالى. قال صاحب القوت: وله في الصبر عليهن وحسن الاحتمال لأذاهن وفي حسن العشرة لهن مثوبات وأعمال صالحات، وربما كان موت العيال عقوبة للعبد نقصاناً إذا كان الصبر عليهن والإنفاق مقاماً له كان عدم مفارقة لحاله فنقص به.

(وروي عن بعض المتعبدين) ولفظ القوت: حدثني بعض العلماء أن بعض المتعبدين **(أنه كان يحسن القيام على زوجته)** ولفظ القوت: أنه كانت له زوجة وكان يحسن القيام عليها **(إلى أن ماتت فعرض عليه التزويج)** ولفظ القوت: فعرض عليه إخوانه التزويج **(فامتنع وقال)**: إن **(الوحدة أروح لقلبي وأجمع لهمي، ثم قال: فأريت في المنام جمعة منذ وفاتها)** ولفظ القوت: من وفاتها **(كأن أبواب السماء)** قد **(فتحت وكأن رجالاً ينزلون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضاً، فكلما نزل واحد نظر إليّ فقال لمن وراءه: هذا هو المشئوم)** أي صاحب

ويقول الثالث: كذلك، ويقول الرابع: نعم فخفت أن أسألهم هيبة من ذلك إلى أن مرّ بي آخرهم وكان غلاماً فقلت له: يا هذا من هذا المشؤوم الذي تومئون إليه؟ فقال: أنت. فقلت: ولـمَ ذاك؟ قال: كنا نرفع عملك في اعمال المجاهدين في سبيل الله فمنذ جمعة أمرنا أن نضع عملك مع المخالفين، فما ندري ما أحدثت؟ فقال لإخوانه: زوّجوني زوّجوني فلم يكن تفارقه زوجتان أو ثلاث. وفي أخبار الأنبياء عليهم السلام: إن قوماً دخلوا على يونس النبي عليه السلام فأضافهم فكان يدخل ويخرج إلى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت، فتعجبوا من ذلك فقال: لا تعجبوا فإني سألت الله تعالى وقلت: ما أنت معاقب لي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقال: إن عقوبتك بنت فلان تتزوّج بها فتزوّجت بها وأنا صابر على ما ترون منها. وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب وتحسين الخلق فإن المنفرد بنفسه أو المشارك لمن حسن خلقه لا تترشح منه خبائث النفس الباطنة ولا تنكشف بواطن عيوبه، فحق على سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه بالتعرض لأمثال هذه المحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل

الشؤم. (**فيقول الآخر: نعم، ويقول الثالث لمن وراءه: كذلك**) أي هذا هو المشؤوم، (**ويقول الرابع: نعم**) قال: (**فخفت أن أسألهم هيبة من ذلك**) ولفظ القوت: فراعني ذلك وعظم عليّ وهبت أن أسألهم (**إلى أن مرَّ بي آخرهم وكان غلاماً فقلت: يا هذا من المشؤوم الذي إليه تومئون**) أي تشيرون؟ (**فقال: أنت. فقلت: ولم ذلك؟ فقال: كنا نرفع عملك في أعمال المجاهدين في سبيل الله فمنذ جمعة أمرنا أن نضع عملك مع المخالفين**) أي الذين تخلفوا وقعدوا عن الجهاد (**فما ندري ما أحدثت. فقال لإخوانه: زوجوني**) زوجوني، (**فلم تكن تفارقه زوجتان أو ثلاث**) زوجات. هكذا أورده صاحب القوت بتمامه، ثم قال (**و**)قد حدثونا (**في أخبار الأنبياء عليهم السلام أن قوماً دخلوا على يونس النبي عليه السلام**) وهو يونس بن متى ﷺ من أنبياء بني إسرائيل، (**فأضافهم فكان يدخل ويخرج إلى منزله**) ولفظ القوت: فكان يدخل إلى منزله، (**فتؤذيه امرأته فتستطيل عليه**) أي بلسانها (**وهو ساكت فعجبوا من ذلك**) وهابوه أن يسألوه (**فقال: لا تعجبوا**) من هذا (**فاني سألت الله**) عز وجل (**وقلت: ما أنت معاقب لي به في الآخرة فعجله في الدنيا. فقال: إن عقوبتك بنت فلان**) وسمّاها (**فتزوج بها فتزوجت بها وأنا صابر على ما ترون منها**) هكذا أورده صاحب القوت.

(**وفي الصبر على ذلك رياضة النفس**) وتهذيبها ودفع رعونتها (**وكسر**) سورة (**الغضب وتحسين الخلق، فإن المنفرد بنفسه والمشارك لمن حسن خلقه لا تترشح منه خبائث باطنة**) فإنها مخبرة، (**ولا تنكشف بواطن عيوبه**) مع عدم الإثارة والاختيار، (**فحق على سالك طريق الآخرة أن يجرب نفسه بالتعرض لأمثال هذه المحركات**) والمثيرات (**واعتياد الصبر**

أخلاقه وترتاض نفسه ويصفو عن الصفات الذميمة باطنه، والصبر على العيال مع أنه رياضة ومجاهدة تكفل لهم وقيام بهم وعبادة في نفسها، فهذه أيضاً من الفوائد ولكنه لا ينتفع بها إلا أحد رجلين: إما رجل قصد المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق لكونه في بداية الطريق فلا يبعد أن يرى هذا طريقاً في المجاهدة وترتاض به نفسه، وإما رجل من العابدين ليس له سير بالباطن وحركة بالفكر والقلب، وإنما عمله عمل الجوارح بصلاة أو حج أو غيره، فعمله لأهله وأولاده بكسب الحلال لهم والقيام بتربيتهم أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا يتعدى خيرها إلى غيره، فأما الرجل المهذب الأخلاق إما بكفاية في أصل الخلقة أو بمجاهدة سابقة إذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم المكاشفات، فلا ينبغي أن يتزوّج لهذا الغرض فإن الرياضة هو مكفي فيها. وأما العبادة في العمل بالكسب لهم فالعلم أفضل من ذلك لأنه أيضاً عمل وفائدته أكثر من ذلك وأعم وأشمل لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال، فهذه

عليها) بتمرين النفس **(لتعتدل أخلاقه)** بميزان أهل السلوك، **(وترتاض نفسه)** وتتهذب، **(ويصفو عن الصفات الذميمة)** المكتومة **(باطنة)** وهو نافع في السير جداً، **(والصبر على العيال)** واحتمال مؤنهم **(مع أنه رياضة ومجاهدة)** باطنية **(تكفل لهم وقيام بهم)** بالرعاية والولاية **(وعبادة في نفسها، فهذه أيضاً من الفوائد)** المتعلقة بالنكاح، **(ولكنه لا ينتفع بها)** أي بهذه الفائدة **(إلا أحد رجلين: إما رجل قصد)** في نفسه **(المجاهدة والرياضة وتهذيب الأخلاق لكونه في بداية الطريق)** أي في بداية سلوكه، **(فلا يبعد أن يرى هذا طريقاً في المجاهدة)** موصلة إلى حال **(وترتاض به نفسه)** وتزكو، **(وإما رجل من العابدين)** أي من المشتغلين بالعبادة الظاهرة **(ليس له سير بالباطن)** بالترقيات من حال إلى حال **(و)**لا **(حركة بالفكرة والقلب)** وذلك بالمراقبة والمرابطة، **(وإنما عمله عمل الجوارح بصلاة)**أو صوم **(أو حج أو غيره لعمله لأهله وأولاده)** بكسب الحلال لهم من حيث تيسر **(والقيام بتربيتهم)** وإصلاح شأنهم **(أفضل له من العبادات اللازمة لبدنه التي لا يتعدى خيرها)** أي لا يتجاوز **(إلى غيره)**، والأولى عبادة متعدية. **(فأما الرجل المهذب الأخلاق)** الصافي الأسرار **(إما بكفاية)** إلهية **(في أصل الخلق)** الذي جبل عليه **(أو)** حصله **(بالمجاهدة السابقة)** قبل التزوج **(إذا كان له سير في الباطن وحركة بفكر القلب في العلوم)** الباطنة **(المكاشفات)** بإرشاد المرشد الكامل، **(فلا ينبغي له أن يتزوج لهذا الغرض)** وبهذه النية، **(فإن الرياضة هو مكفي فيها)** لا يحتاج إليها **(وأما العبادة بالعمل في الكسب لهم فالعلم أفضل من ذلك)** أي الاشتغال به، **(لأنه أيضاً عمل ففائدته أعم وأشمل)** أي أجمع **(لسائر الخلق من فائدة الكسب على العيال)** وهي عامة أيضاً إلا أن عموم فائدة العلم أكثر وأقوى.

فوائد النكاح في الدين التي بها يحكم له بالفضيلة.

أما آفات النكاح فثلاث:

الأولى: وهي أقواها العجز عن طلب الحلال فإن ذلك لا يتيسر لكل أحد، لا سيما في هذه الأوقات مع اضطراب المعايش فيكون النكاح سبباً في التوسع للطلب والاطعام من الحرام، وفيه هلاكه وهلاك أهله والمتعزب في أمن من ذلك وأما المتزوّج ففي الأكثر يدخل في مداخل السوء فيتبع هوى زوجته ويبيع آخرته بدنياه. وفي الخبر: «إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيُسأل عن رعاية عائلته والقيام بهم وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات كل اعماله فلا تبقى له حسنة فتنادي الملائكة هذا الذي أكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم بأعماله».

(**فهذه فوائد النكاح في الدين التي يحكم له بالفضيلة**) وما عداها مما لم يذكر عائد إليها ودائر عليها.

أما آفات النكاح فثلاث:

الآفة (**الأولى: وهي أقواها العجز عن طلب الحلال**) من مظانه (**فإن ذلك لا يتيسر لكل أحد لا سيما في هذه الأوقات**) يشير بذلك إلى زمانه الذي ألف فيه كتابه هذا، وهو سنة ٤٩٥ . (**مع إضطراب المعاش**) وفساد أحواله (**فيكون سبباً**) قوياً (**للتوسع في الطلب**) من هنا ومن هنا (**و**)يلزم منه (**الإطعام من الحرام**) أو شبهة الحرام (**وفيه هلاكه**) الأبدي (**وهلاك أهله**) أي أهلك نفسه وأهلك غيره (**والمتعزب**) المنفرد (**في أمن من ذلك**) فإنه ليس وراءه من يكلفه لذلك، (**وأما المتزوج ففي الأكثر**) والأغلب (**يدخل في مداخل السوء**) ومواضع الشر (**فيتبع هوى زوجته**) في جميع ما تطالبه من ملبس ومطعم زيادة على الحد (**ويبيع**) لأجل ذلك (**آخرته بدنياه**) بالثمن القليل، فحاله كما قال القائل، وهو ابن المبارك وقد قيل له كيف أنت؟ فقال:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

(**وفي الخبر «إن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال**) في الكثرة (**فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهن، و**) يسأل أيضاً (**عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات كل أعماله فلا تبقى حسنة فتنادي الملائكة**) على رؤوس الخلائق (**هذا الذي أكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم بأعماله»**) نقله صاحب القوت. قال العراقي: لم أقف له على أصل اهـ.

قلت: أما السؤال عن المال من أين اكتسبه وفيما أنفقه ورد في الأخبار.

ويقال: إن أوّل ما يتعلق بالرجل في القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون: يا ربنا خذ لنا بحقنا منه فإنه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه. وقال بعض السلف: إذا أراد الله بعبد شراً سلط عليه في الدنيا أنياباً تنهشه ـ يعني العيال ـ وقال عليه الصلاة والسلام: « لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله » فهذه آفة عامة قل من يتخلص منها إلا من له مال موروث أو مكتسب من حلال يفي به وبأهله، وكان له من القناعة ما يمنعه من الزيادة، فإن ذاك يتخلص من هذه الآفة أو من هو محترف ومقتدر على كسب حلال من المباحات باحتطاب أو اصطياد أو كان في صناعة لا تتعلق بالسلاطين ويقدر على أن يعامل به أهل الخير ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال. وقال ابن سالم رحمه الله ـ وقد سئل عن التزويج ـ

(ويقال: إن أول من يتعلق بالرجل في القيامة أهله وولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون: ربنا خذ لنا بحقنا منه ما علمنا ما نجهل) أي من الأمور الدينية الضرورية، **(وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه)** كذا في القوت. **(وقال بعض السلف: إذا أراد الله بعبد شراً سلط عليه في الدنيا أنياباً)** جمع الناب وهو الذي يلي الرباعيات من الأسنان **(تنهشه)** أي تعضه **(يعني العيال)** كذا في القوت.

(وقال ﷺ : « لا يلقى الله تعالى أحد بذنب أعظم من جهالة أهله ») قال العراقي: ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي سعيد ولم يجده ولده أبو منصور في مسنده.

(فهذه آفة قل من يتخلص منها إلا من له مال موروث) من جهة مورثيه **(أو كسب)** معلوم **(من حلال يفي به وبأهله)** دخلاً وخرجاً، **(وكان له من القناعة ما يمنعه عن الزيادة)** في المصاريف، **(فإن ذاك يتخلص من هذه الآفة أو من هو محترف)** أي صاحب حرفة **(ومقتدر)** أي ذو قدرة **(على كسب حلال من المباحات باصطياد واحتطاب)** واحتشاش ونحو ذلك، **(أو كان في صناعة لا تتعلق بالسلاطين)** ومن في حكمهم **(ويقدر على أن يعامل أهل الخير)** والصلاح، **(ومن ظاهره السلامة وغالب ماله الحلال)**.

قال صاحب القوت، **(وقال)** شيخنا أبو الحسن علي **(بن سالم)** هو البصري صاحب سهل ابن عبد الله التستري رحمهما الله تعالى، **(وقد سئل في التزويج)** في زماننا هذا فذكر ضيق المكاسب وقلة الحلال وكثرة فساد النساء فكرهه لأهل الورع وأمر بالمدافعة فأعيد القول في ذلك، فقال: أخاف أنه يدخل العبد في المعاصي من دخول الآفات عليه في المكاسب المحرمة ومن الأكل بالدين والتصنع للخلق فلا يصلح التزويج ثم أعيد القول في ذلك **(فقال: هو أفضل في زماننا**

فقال: هو أفضل في زماننا هذا لمن أدركه شبق غالب مثل الحمار يـرى الأتان فلا ينتهي عنها بالضرب ولا يملك نفسه فإن ملك نفسه فتركه أولى.

الآفة الثانية: القصور عن القيام بحقهن والصبر على أخلاقهن واحتمال الأذى منهن وهذه دون الأولى في العموم، فإن القدرة على هذا أيسر من القدرة على الأولى وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن أهون من طلب الحلال،وفي هذا أيضاً خطر لأنه راع مسؤول عن رعيته. وقال عليه الصلاة والسلام: « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول ».

هذا) أي لا يصلح إلا **(لمن أدركه شبق)** أي انتشار شهوة **(مثل)** ما يدرك **(الحمار يرى الأتان)** أي أمثاله لم يملك نفسه أن يثب عليها حتى يضرب رأسه فلا ينتهي عنها بالضرب ولا يملك نفسه، **(فإن الإنسان إذا)** كان على مثل هذا الوصف كان التزويج له أفضل، وأما **(من ملك نفسه فتركه أولى)** وأروح.

(الآفة الثانية: القصور عـن القيام بحقوقهن) اللازمة في ذمته **(والصبر على أخلاقهن)** إذا ساءت **(واحتمال الأذى منهن)** بالسكوت والمداراة والمغافلة **(وهذه دون الأولى)** المذكورة **(في العموم)** والشمول، **(فإن القدرة على هذا أيسر)** وأسهل **(من القدرة الأولى وتحسين الخلق مع النساء والقيام بحظوظهن)** وفي نسخة بحقوقهن **(أهون من طلب الحلال)** بكثير، **(وفي هذا أيضاً خطر لأنه راع)** في الجملة **(ومسئول)** بين يدي الله **(عن رعيته)** كيف رعاهم لما تقدم عن الصحيحين « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ». ومقتضى هذا العموم أن الإنسان راع في بيته وأهل بيته رعيته وهو مسئول عنهم في رعايته، ومن هنا **(قال ﷺ « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول »)** هكذا في القوت. والضيعة: التفريط فيما له غناء وثمرة إلى أن لا يكون له غناء ولا ثمرة، وعال اليتيم عولاً إذا كفله وقام به. **قال العراقي:** رواه أبو داود والنسائي بلفظ « من يقوت » وهو عند مسلم بلفظ آخر اهـ.

قلت: ولم يذكر راويه وهو عبد الله بن عمرو بن العاص، وكذلك رواه أحمد والطبراني والحاكم وصححه، وأقره الذهبي وقال في الروض: إسناده صحيح رواه البيهقي، وذكر له سبباً وهو أن ابن عمرو كان ببيت المقدس فأتاه مولى له فقال: أقيم هنا رمضان. قال: هل تركت لأهلك ما يقوتهم؟ قال: لا. قال سمعت النبي ﷺ يقول فذكره.

ورواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر، والدارقطني في الافراد، عن ابن مسعود. ومعنى « من يقوت » أي من يلزمه قوته، وهذا صريح في وجوب نفقة من يقوت لتعليقه الإثم على تركه، لكن إنما يتصور ذلك في موسر لا معسر، فعلى القادر السعي على عياله لئلا يضيعهم فمع الخوف على ضياعهم هو مضطر إلى الطلب لهم لكن لا يطلب لهم إلا قدر الكفاية.

وأما لفظ مسلم الذي أشار له العراقي فهو ما رواه في كتاب الزكاة أن ابن عمرو جاءه قهرمانه

وروي أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب الآبق لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم، ومن يقصر عن القيام بحقهن وإن كان حاضراً فهو بمنزلة هارب، فقد قال تعالى: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ [التحريم: ٦] أمرنا أن نقيهم النار كما نقي أنفسنا، والإنسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه، وإذا تزوّج تضاعف عليه الحق وانضافت إلى نفسه نفس أخرى والنفس أمارة بالسوء إن كثرت كثر الأمر بالسوء غالباً، ولذلك اعتذر بعضهم عن التزويج وقال: أنا مبتلي بنفسي وكيف أضيف إليها نفساً أخرى. كما قيل:

لن يسع الفأرة في جحرها علقت المكنس في دبرها

وكذلك اعتذر ابراهيم بن أدهم رحمه الله وقال: لا أغر امرأة بنفسي ولا حاجة لي

فقال: أعطيت الرقيق قوتهم؟ قال: لا. قال: فانطلق فاعطهم، فإن رسول الله ﷺ قال «كفى إثماً أن تحبس عمن تملك قوته».

(**وروي أن الهارب من عياله بمنزلة العبد الآبق**) من سيده (**لا تقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع إليهم**) كذا نقله صاحب القوت، (**ومن يقصر عن القيام بحقهن**) وفي نسخة: بحقهم (**وإن كان حاضراً**) عندهم (**فهو هارب**) معنى، (**وقد قال**) الله (**تعالى**) ﴿يا أيها الذين آمنوا (**قوا أنفسكم وأهليكم ناراً**﴾) فأضاف الأهل إلى النفس، و(**أمر**) نا (**أن نقيهم النار**) بتعليم الأمر والنهي (**كما نقي أنفسنا**) باجتناب النهي، (**والإنسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه، وإذا تزوج تضاعف عليه الحق**) ضعفين (**وانضافت إلى نفسه نفس أخرى**) فيعجز عن قيامه بحكم حال نفس أخرى ويعالج شيطاناً آخر مع شيطانه، (**والنفس أمّارة بالسوء إن كثرت كثر الأمر بالسوء غالباً**) فالتخلي لمن لا يقدر على معالجة شيطانين أفضل وله في مجاهدة نفسه ومصابرة هواه أكبر الاشتغال، (**ولذلك اعتذر بعضهم عن التزويج**) لما عرض عليه (**وقال: أنا مبتلي بنفسي**) مشغول في مجاهدتها، (**فكيف أضيف إليها نفساً أخرى**) وهذا اعتذار صحيح لمن لم يقدر على القيام بالحقين (**كما قيل**) في الأمثال:

(**لن يسع الفأرة في جحرها علقت المكنس في دبرها**)

الفأرة: حيوان معروف، وجحرها بضم الجيم الشق الذي تسكنه، والمكنس بالكسر ما يكنس به. والدبر بضم فسكون مخفف من الدبر بضمتين كما في: رسل ورسل يضرب مثلاً لمن لا يقدر على تحمل شيء فيزيد عليه ما يثقله بالزيادة كما قالوا في قولهم: إنها لضغث على إبالة.

(**وكذلك اعتذر إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى لما عرض عليه التزويج (**وقال: لا أغر امرأة بنفسي ولا حاجة لي فيهن**) رواه صاحب الحلية من طريق بقية بن الوليد. قال: لقيت ابراهيم بن أدهم بالساحل فقلت له: ما شأنك لا تتزوج؟ قال: ما تقول في رجل غر امرأة وجوّعها. قلت: ما ينبغي هذا.

فيهن أي من القيام بحقهن وتحصينهن وامتاعهن وأنا عاجز عنه، وكذلك اعتذر بشر وقال: يمنعني من النكاح قوله تعالى: ﴿ولَهن مثل الذي عليهن﴾ [البقرة: ٢٢٨] وكان يقول: لو كنت أعول دجاجة لخفت أن أصير جلاداً على الجسر. ورؤي سفيان بن عيينة رحمه الله على باب السلطان فقيل له: ما هذا موقفك؟ فقال: « وهل رأيت ذا عيال أفلح؟ وكان سفيان يقول:

يا حبذا العزبة والمفتاح ومسكن تخرقه الرياح

لا صخب فيه ولا صياح

فهذه آفة عامة أيضاً وإن كانت دون عموم الأولى لا يسلم منها إلا حكيم عاقل حسن

قال: فأتزوج امرأة تطلب ما يطلب النساء لا حاجة لي في النساء، وقد تقدم هذا بسنده في آخر باب الترغيب في النكاح، ومعنى قوله: لا حاجة لي فيهن **(أي في القيام بحقهن)** بادرار الكفاية **(وتحصينهن)** بالجماع ونحوه **(وإمتاعهن)** بالمعروف، **(وأنا عاجز عنه)** أي عن جميع ما ذكر، **(وكذلك اعتذر بشر)** بن الحرث الحافي رحمه الله تعالى لما قيل له: ألا تتزوج؟ فأعرض عنهم **(وقال: يمنعني عن النكاح قوله تعالى ﴿ولهن مثل الذي عليهن﴾)** بالمعروف وهذا أيضاً قد تقدم، ولما بلغ ذلك أحمد بن حنبل قال: ومن مثل بشر إنه قعد على مثل حدّ السنان، **(وكان)** بشر **(يقول: لو كنت أعول)** أي أكفل **(دجاجة خفت أن أصير جلاداً على الجسر)** نقله صاحب القوت والحلية، وهذا أدق من الأول.

(ورؤي سفيان) بن سعيد الثوري رحمه الله تعالى **(على باب السلطان فقيل له: ما هذا موقفك)** أي فأي شيء أوقفك هنا ولست من أهله؟ **(فقال: وهل رأيت ذا عيال أفلح)**، وهذا قد روي مرفوعاً من حديث أبي هريرة « ما أفلح صاحب عيال قط ». رواه الديلمي من طريق أيوب ابن نوح المطوعي عن أبيه، عن محمد بن عجلان، عن سعيد المقبري عنه، وذكره ابن عدي في الكامل في ترجمة أحمد بن مسلمة الكوفي فقال: إن أحمد بن حفص السعدي حدث عنه، عن ابن عيينة، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة مرفوعاً بهذا. قال: وهو عن النبي ﷺ منكر إنما هو كلام ابن عيينة اهـ. وبهذا يظهر أن المراد بسفيان في قول المصنف هو ابن عيينة لا الثوري فتأمل

(وكان) سفيان **(يقول)** يتشوّق إلى الوحدة:

(يا حبذا العزبة والمفتاح ومسكن تخرقه الرياح

لاصخب فيه ولا صياح

العُزبة بالضم اسم من اعتزب الرجل إذا انفرد عن الزوجة، وقوله: والمفتاح أي يكون عنده لا يفتح به غيره. والعازب بلا مفتاح ذليل، وقوله: تخرقه الرياح أي تهب عليه الرياح من كل سمت لا يمنعها مانع، وقوله: لا صخب الخ أشار به إلى قلة العيال والأولاد، فإن من شأنهم يصخبون ويصيحون. **(فهذه آفة عامة أيضاً وإن كانت دون عموم الأولى لا يسلم منها إلا حكيم)** أي

الأخلاق بصير بعادات النساء صبور على لسانهن، وقّاف عن اتباع شهواتهن، حريص على الوفاء بحقهن، يتغافل عن زللهن ويداري بعقله أخلاقهن، والأغلب على الناس السفه والفظاظة والحدة والطيش وسوء الخلق وعدم الانصاف مع طلب تمام الانصاف، ومثل هذا يزداد بالنكاح فساداً من هذا الوجه لا محالة فالوحدة أسلم له.

الآفة الثالثة: وهي دون الأولى والثانية: أن يكون الأهل والولد شاغلاً له عن الله تعالى وجاذباً له إلى طلب الدنيا وحسن تدبير المعيشة للأولاد بكثرة جمع المال وادخاره لهم وطلب التفاخر والتكاثر بهم وكل ما شغل عن الله من أهل ومال وولد فهو شؤم على صاحبه، ولست أعني بهذا أن يدعو إلى محظور فإن ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية، بل أن يدعوه إلى التنعم بالمباح بل إلى الاغراق في ملاعبة النساء ومؤانستهن والإمعان في التمتع بهن ويثور من النكاح أنواع من الشواغل من هذا الجنس تستغرق

و حكمة (**عاقل**) سيوس (**حسن الأخلاق**) مهذب الأوصاف (**بصير بعادات النساء**) عن تجربة أو عن موهبة إلهية، (**صبور على لسانهن**) مما يصدر من الأذى، (**وقاف**) أي كثير الوقوف (**عن اتباع شهوتهن، حريص على الوفاء بحقهن**) مما أوجب الله عليه (**يتغافل عن زللهن**) ويسامح عن قصورهن (**ويداري بعقله أخلاقهن**) فإنهن خلقن من ضلع أعوج فلا سبيل إلى إقامتهن إلا بالمداراة والملاطفة وحسن المعاملة، (**والأغلب على الناس السفه**) وهو نقص في العقل تعرض به قصة تحمله على العمل بالخلاف (**والفظاظة**) أي الشدة (**والحدة والطيش**) خفة العقل (**وسوء الخلق وعدم الإنصاف**) من نفسه، (**مع طلب تمام الانصاف**) من غيره. (**ومثل هذا يزداد بالنكاح فساداً من هذا الوجه لا محالة**)، فمن وجد في نفسه شيئاً من تلك الأوصاف المذكورة (**فالوحدة أسلم له**).

الآفة الثالثة: (**وهي دون الأولى والثانية أن يكون الأهل والولد شاغلاً**) له (**عن الله تعالى وجاذباً إلى طلب الدنيا**) من المال والمتاع والذخيرة ونحوها، (**و**)إلى (**تدبير حسن المعيشة للأولاد بكثرة جمع المال وإدخاره لهم**) لقضاء مآربهم في الحال والمآل، (**و**)إلى (**طلب التفاخر والتكاثر بهم**) في المحافل، (**و**)لا يستريب العاقل ان (**كل ما شغل عن الله**) أي ذكره أو عن طلب معرفته (**من أهل ومال وولد فهو شؤم على صاحبه**) وهو من كلام أبي سليمان الداراني كما تقدم. (**ولست أعني بهذا أن يدعوه إلى محظور**) شرعي (**فإن ذلك مما اندرج تحت الآفة الأولى والثانية، بل**) أعني به (**أن يدعوه الى التنعم بالمباح**) الذي ليس من شأن أهل الآخرة (**بل**) يدعوه (**إلى الإغراق**) أي المبالغة والاستيفاء (**في ملاعبته النساء**) ومداعبتهن (**ومؤانستهن**) ومحادثتهن، (**والإمعان في التمتع بهن**) والإمعان المبالغة

القلب فينقضي الليل والنهار ولا يتفرغ المرء فيهما للتفكر في الآخرة والاستعداد لها. ولذلك قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله: من تعوّد أفخاذ النساء لم يجيء منه شيء، وقال أبو سليمان رحمه الله: من تزوّج فقد ركن إلى الدنيا أي يدعوه ذلك إلى الركون إلى الدنيا، فهذه مجامع الآفات والفوائد، فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبة مطلقاً قصور عن الاحاطة بمجامع هذه الأمور بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبراً ومحكاً ويعرض المريد عليه نفسه، فإن انتفت في حقه الآفات واجتمعت الفوائد بأن كان له مال حلال وخلق حسن وجد في الدين تام لا يشغله النكاح عن الله وهو مع

والاستقصاء في الشيء والتمتع التلذذ (**وتثور من النكاح**) أي تحدث وترتفع (**أنواع من الشواغل الملهية من هذا الجنس**) والنوع (**فيستغرق القلب**) أي يعمه (**فينقضي الليل والنهار**) على هذا الاستغراق في تلك الشواغل وتحدث منه في كل ساعة استغراقات متعددة، (**ولا يتفرغ المرء فيها**) أي في الليل والنهار (**للفكر في**) أمور (**الآخرة**) أصلاً، (**و**)لا في (**الاستعداد لها**) من الأعمال الصالحة والتجارات الرابحة، (**ولذلك قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى: من تعود أفخاذ النساء**) إشارة إلى كثرة المضاجعة (**لم يجيء منه شيء**) نقله صاحب القوت. أي: لم يرج له الترقي إلى مقام كمال أصلاً، ومن هنا قولهم: ذبح العلم بين أفخاذ النساء فإن من انتبه للذة أفخاذهن استولين على قلبه فلا يزال مقهقراً وراءه حتى يهلك، وذكر السخاوي في تاريخه في ترجمة ابن الشحنة ما معناه: من توعد لحن النساء لم يجيء منه شيء.

(**وقال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى: (**من تزوج**) أو سافر أو كتب الحديث (**فقد ركن إلى الدنيا**) تقدم هذا القول قريباً. وفي كتاب العلم أيضاً (**أي يدعو ذلك إلى الركون إلى الدنيا**) أي: ولو لم يركن إليها في الحال، ولكن من شأن تلك الأوصاف المذكورات تجر إلى الدنيا ولو في آخر نفس وهذا مشاهد، فإن الرجل لم يزل في سكون وسلامة حتى إذا تزوج وفتح على نفسه الباب فلا يكاد يفي بخرجه دخله فلا محالة يميل إلى تحصيل الدنيا ويركن إليها من كل وجه. وكذا المسافرة للتجارات وطلب الحديث لغير الله عز وجل فكل هؤلاء أسباب للركون (**فهذه مجامع الآفات والفوائد**) فصلناها لك تفصيلاً. (**فالحكم على شخص واحد بأن الأفضل له النكاح أو العزوبية مطلقاً قصور عن الإحاطة بمجامع هذه الأمور**) وما فيها من القول والرد، (**بل تتخذ هذه الفوائد والآفات معتبراً**) أي محلاً للاعتبار (**ومحكاً**) وهو الحجر الذي يسن عليه الحديد هذا هو الأصل، (**ويعرض المريد عليه نفسه**) ويحكها عليه، (**فإن انتفت في حقه الآفات**) المذكورة (**واجتمعت الفوائد**) المسطورة (**بأن كان له مال حلال**) لم يحوجه إلى كسب حرام وقناعة (**وخلق حسن**) يملك به نفسه (**وجد في الدين تام**) بحيث (**لا يشغله النكاح عن الله تعالى**) أي إتيان مأموراته واجتناب منهياته، (**وهو**) مع ذلك

ذلك شاب محتاج إلى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج إلى تدبير المنزل والتحصن بالعشيرة فلا يماری في أن النكاح أفضل له مع ما فيه من السعي في تحصيل الولد، فإن انتفت الفوائد واجتمعت الآفات فالعزوبة أفضل له، وإن تقابل الأمران وهو الغالب فينبغي أن يوزن بالميزان القسط حظ تلك الفائدة في الزيادة من دينه وحظ تلك الآفات في النقصان منه، فإذا غلب على الظن رجحان أحدهما حكم به وأظهر الفوائد الولد وتسكين الشهوة، وأظهر الآفات الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله، فلنفرض تقابل هذه الأمور فنقول: من لم يكن في أذية من الشهوة وكانت فائدة نكاحه في السعي لتحصيل الولد وكانت الآفة الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله، فالعزوبة له أولى، فلا خير فيما يشغل عن الله ولا خير في كسب الحرام ولا يفي بنقصان هذين الأمرين أمر الولد، فإن النكاح للولد سعي في طلب حياة للولد موهومة، وهذا نقصان في الدين ناجز فحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك أهم من السعي في الولد وذلك ربح

(شاب) مغتلم **(يحتاج إلى تسكين الشهوة)** وإطفاء النائرة، **(ومنفرد يحتاج إلى تدبير المنزل)** من طبخ وغرف وكنس وغسل، **(و)** يحتاج في إقامة ناموسه إلى **(التحصن بالعشيرة)** وكثرة المعارف **(فلا يتمارى)** أي لا يشك **(في أن النكاح أفضل له مع ما فيه)** فوق ذلك **(من السعي في تحصيل الولد)** الذي به تتم له الحياة الدنيوية والأخروية، **(وإن انتفت الفوائد واجتمعت الآفات)** بأن كان فقيراً عادم المال حريصاً شحيحاً سيئ الخلق عسراً غير مغتلم أو طاعناً في السن متكاسلاً في أداء الطاعات غير محتاج إلى تدبير المنزل بأن كانت له واحدة من قرائنه تقوم بأوده غير مفتقر إلى التناصر بالعشيرة أو كانت له عشيرة، **(فالعزوبة أفضل له)** بهذه الوجوه ويبقى الوجه الواحد وهو طلب الولد، **(وإن تقابل الأمران وهو الغالب)** في أكثر الناس، **(فينبغي أن يوزن بالميزان القسط)** أي العدل **(حظ تلك الفائدة في الزيادة من دينه وحظ تلك الآفة في النقصان منه، فإذا غلب على الظن رجحان أحدهما)** على الآخر **(حكم به)** نفياً وإثباتاً. **(وأظهر الفوائد)** المذكورة تحصيل **(الولد وتسكين الشهوة)** النفسانية، **(وأظهر الآفات)** المذكورة **(الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله تعالى، فلنفرض تقابل هذه الأمور)** مع بعضها **(فنقول: من لم يكن في أذية من الشهوات)** بأن كان مالكاً لأربه **(وكانت فائدة نكاحه في السعي لتحصيل الولد)** فقط **(وكانت الآفة الحاجة إلى كسب الحرام والاشتغال عن الله تعالى فالعزوبة لـه أولى، فلا خير فيما يشغل عن الله ولا خير في كسب الحرام ولا يفي بنقصان هذين الأمرين)** المؤذيين **(أمر الولد)** وفهم هذا من دقائق الأسرار، **(لأن النكاح للولد)** أي لأجل حصوله هو **(سعي في طلب حياة الولد)** بأنه سيولد له ويعيش بعده **(وتلك)** حياة **(موهومـة)** متخيلة، **(وهذا نقصان في الدين ناجز)** أي حاضر في الحال **(فحفظه لحياة نفسه وصونها عن الهلاك أهم من السعي في الولد)** الذي

والدين رأس مال. وفي فساد الدين بطلان الحياة الأخروية وذهاب رأس المال ولا تقاوم هذه الفائدة إحدى هاتين الآفتين. وأما إذا انضاف إلى أمر الولد حاجة كسر الشهوة لتوقان النفس إلى النكاح نظر، فإن لم يقو لجام التقوى في رأسه وخاف على نفسه الزنا فالنكاح له أولى لأنه متردد بين أن يقتحم الزنا أو يأكل الحرام والكسب الحرام أهون الشرين، وإن كان يثق بنفسه أنه لا يزني ولكن لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح أولى لأن النظر حرام والكسب من غير وجهه حرام والكسب يقع دائماً وفيه عصيانه وعصيان أهله، والنظر يقع أحياناً وهو يخصه وينصرم على قرب، والنظر زنا العين ولكن إذا لم يصدقه الفرج فهو إلى العفو أقرب من أكل الحرام إلا أن يخاف إفضاء النظر إلى معصية الفرج فيرجع ذلك إلى خوف العنت، وإذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو أن يقوى على غض البصر ولكن لا يقوى على دفع الافكار الشاغلة

حياته موهومة (**وذلك ربح والدين رأس المال**) لأن الدين أصل النجاة كما أن رأس المال أصل لتلك الأموال الحاصلة، (**وفساد الدين بطلان الحياة الأخروية**) ﴿فمن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾ [الإسراء: ٧٢] (**وذهاب رأس المال**) الذي هو الدين (**فلا تقاوم هذه الفائدة**) التي هي ربح الولد (**إحدى هاتين الآفتين**) العظيمتين، (**وأما إذا انضاف إلى أمر الولد حاجة**) أخرى وهي (**كسر الشهوة لتوقان النفس**) ونزوعها (**إلى النكاح نظر**) حينئذ، (**فإن لم يقو لجام التقوى في رأسه**) بان كان اللجام خفيفاً والنفس جموحاً إلى الشهوات (**وخاف على نفسه**) الوقوع ف (**الزنا فالنكاح أولى**) له (**لأنه مردد بين**) أن يقتحم حظيرة (**الزنا**) مرة (**أو**) يقع في (**أكل الحرام والكسب الحرام أهون الشرين**) في الجملة، (**وإن كان يثق بنفسه أنه لا يزني ولكنه لا يقدر مع ذلك على غض البصر عن الحرام فترك النكاح**) له (**أولى لأن النظر حرام**) إذا كان عن قصد (**والكسب من غير وجهه حرام و**)لكن (**الكسب يقع دائماً وفيه عصيانه**) لمباشرته بنفسه(**وعصيان أهله**) لإطعامهم إياه وهم رعيته وهو مسئول عنهم، (**و**)أما (**النظر**) فإنه (**يقع أحياناً**) لا في كل ساعة (**وهو يخصه**) لا يتعدى إلى غيره (**وينصرم عن قرب**) لحظة أو لحظتين، (**والنظر زنا العين**) وهذا قد روي مرفوعاً « زنا العينين النظر » أخرجه ابن سعد والطبراني من حديث علقمة بن الحويرث، وعن أحمد من حديث ابن مسعود مرفوعاً « العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزني » وروى مسلم من حديث أبي هريرة « كتب على ابن آدم نصيب من الزنا أدرك لا محالة فالعين زنيتها النظر ويصرفها الإعراض » ثم ساق الحديث. وفي آخره « والفرج يصدق ويكذب ». (**ولكن إذا لم يصدقه الفرج**) بأن لم يوافقه عجزاً أو اختياراً (**فهو إلى العفو أقرب من أكل الحرام إلا أن يخاف إفضاء النظر إلى معصية الفرج فيرجع ذلك إلى خوف العنت**) وقد تقدم حكمه قريباً (**وإذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو أن يقوى على غض**

للقلب أولى بترك النكاح لأن عمل القلب إلى العفو أقرب، وإنما يراد فراغ القلب للعبادة ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله واطعامه، فهكذا ينبغي أن توزن هذه الآفات بالفوائد ويحكم بحسبها، ومن أحاط بهذا لم يشكل عليه شيء مما نقلنا عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه أخرى، إذ ذلك بحسب الأحوال صحيح.

البصر) عن المحرمات، **(ولكن لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة)** الردية **(للقلب اولى بترك النكاح)**، وقوله: أولى خبر لقوله فالحالة **(لأن عمل القلب إلى العفو أقرب)** إذ لا يطلع عليه إلا مولاه، **(وإنما يراد فراغ القلب)** عن الغير **(للعبادة)** والحضور فيها، **(ولا تتم عبادة مع الكسب الحرام وأكله وإطعامه)** فلو اكتسب الحرام ولم يأكل منه ولم يطعم عياله منه فالوزر أخف، **(فكذا ينبغي أن توزن هذه الآفات بالفوائد)** أي يعتبر بعضها ببعضها وسمي الاعتبار وزناً مجازاً، **(ويحكم بحسبها)** والعارف المتبصر لا يخفى عليه شيء من هذه الاعتبارات. **(ومن أحاط بهذا)** الذي ذكرناه **(لم يشكل عليه شيء مما نقل عن السلف من ترغيب في النكاح مرة ورغبة عنه أخرى)** حتى كادت الأقوال يصادم بعضها بعضاً، ولذا وقع التطرق في الإنكار على كلام الصوفية واختلافهم في ذلك ولا إنكار عليهم **(إذ ذلك)** الاختلاف **(بحسب الأحوال صحيح)** وحيث ذكر المصنف هذا التفصيل الجامع في حكم النكاح فلنذكر ما وعدنا به سابقاً من أقوال الأئمة فيه، وفيها ما يرشد إجمالاً إلى بعض ما فصله المصنف.

قال الولي العراقي في شرح التقريب في شرح حديث ابن مسعود «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج» الحديث ما نصه السادسة فيه الأمر بالنكاح لمن تاقت نفسه واستطاعه بقدرته على مؤنته، وهذا مجمع عليه، لكنه عند جمهور العلماء من السلف والخلف على طريق الاستحباب دون الإيجاب فلا يلزمه التزوّج ولا التسري سواء خاف العنت أم لا. حكاه النووي عن العلماء كافة، ثم قال: ولا نعلم أحداً أوجبه إلا داود ومن وافقه من أهل الظاهر، وروايته عن أحمد فإنهم قالوا يلزمه إذا خاف العنت أن يتزوّج أو يتسرى قالوا: وإنما يلزمه في العمر مرة واحدة ولم يشترط بعضهم خوف العنت. قال أهل الظاهر: إنما يلزمه التزوّج فقط ولا يلزمه الوطء اهـ وفيه نظر.

فهذا الذي ذكر أنه رواية عن أحمد هو المشهور عن مذهبه، وظاهر كلام أصحابه تعين النكاح، وعنه رواية أخرى بوجوبه مطلقاً وإن لم يخف العنت كما حكاه النووي عن بعضهم، وعبارة ابن تيمية في المحرر: النكاح للتائق سنّة مقدمة على نفل العبادة إلا أن يخشى الزنا بتركه فيجب وعنه يجب عليه مطلقاً اهـ.

وللوجوب عند خوف العنت وجه في مذهب الشافعي حكاه الرافعي عن شرح مختصر الجويني، وقال النووي في الروضة: هذا الوجه لا يحتم النكاح بل يخير بينه وبين التسري ومعناه ظاهر اهـ.

....

وجزم به أبو العباس القرطبي ؛ وهو من المالكية بل زاد فحكى الاتفاق عليه فإنه قال : إنا نقول بموجب هذا الحديث في حق الشاب المستطيع الذي يخاف الضرر على نفسه ودينه من العزبة بحيث لا يترفع عنه إلا بالتزويج وهذا لا يختلف في وجوب التزويج عليه اهـ ونقله الاتفاق على ذلك مردود لكن يقلد في نقل مذهبه في ذلك وبه يحصل الرد على النووي في كلامه المتقدم ، ولم يقيد ابن حزم ذلك بخوف العنت وعبارته في المحلى : وفرض على كل قادر على الوطء إن وجد أن يتزوج أو يتسرى أن يفعل أحدهما ، فإن عجز عن ذلك فليكثر من الصوم ، ثم قال : وهو قول جماعة من السلف .

وقال الشيخ تقي الدين في شرح العمدة : قسم بعض الفقهاء النكاح إلى الأحكام الخمسة أعني الوجوب والندب والتحريم والكراهة والإباحة وجعل الوجوب فيما إذا خاف العنت وقدر على النكاح ، إلا أنه لا يتعين واجباً بل إما هو وإما التسري ، وان تعذر التسري تعين النكاح خشية للوجود لا لأصل الشريعة اهـ .

وكان هذا التقسيم لبعض المالكية ، وقد حكاه أبو العباس القرطبي عن بعضهم وقال : إنه واضح ، وقال القاضي أبو سعيد الهروي من الشافعية : ذهب بعض أصحابنا بالعراق إلى أن النكاح فرض كفاية فمتى امتنع منه أهل قطر أجبروا عليه ، ثم قال القرطبي : وصرف الجمهور الأمر هنا عن ظاهره لشيئين .

أحدهما : إن الله تعالى قد خير بين التزوج والتسري بقوله ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾ ثم قال ﴿أو ما ملكت أيمانكم﴾ [النساء : ٣] والتسري ليس بواجب إجماعاً فالنكاح لا يكون واجباً لأن التخيير بين الواجب وغيره يرفع وجوب الواجب وسبقه إلى هذا المازري ، وفيه نظر لما تقدم عن أهل الظاهر وغيرهم من التخيير بينهما فلا يصح ما حكياه من الإجماع .

قال القرطبي : وثانيهما قوله تعالى ﴿والذين هم لفروجهم حافظون * إلاَّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾ [المؤمنون : ٥ ، ٦] ولا يقال في الواجب أن فاعله غير ملوم ، قال : ثم هذا الحديث لا حجة لهم فيه لوجهين .

أحدهما : إنا نقول بموجبه في حق الشاب المستطيع الذي يخاف الضرر من العزبة ولا مختلف في وجوب التزويج عليه ، وقد تقدم حكايته عنه ورد نقله الاتفاق .

ثم قال والثاني : إنهم قالوا إنما يجب العقد لا الوطء ، وظاهر الحديث إنما هو الوطء فإنه لا يحصل شيء من الفوائد التي أرشد إليها في الحديث من تحصين الفرج وغض البصر بالعقد ، وإنما يحصل بالوطء وهو الذي يحصل دفع المشتاق إليه بالصوم ، فما ذهبوا إليه لم يتناوله الحديث ، وما تناوله الحديث لم يذهبوا إليه .

قلت : ومن العجب استدلال الخطابي به على أن النكاح غير واجب لأن ظاهر الأمر الوجوب

فإن قلت: فمن أمن الآفات فما الأفضل له التخلي لعبادة الله أو النكاح؟

فأقول يجمع بينهما لأن النكاح ليس مانعاً من التخلي لعبادة الله من حيث انه عقد، ولكن من حيث الحاجة إلى الكسب فإن قدر على الكسب الحلال فالنكاح أيضاً أفضل لأن الليل وسائر أوقات النهار يمكن التخلي فيه للعبادة، والمواظبة على العبادة من غير استراحة غير ممكن، فإن فرض كونه مستغرقاً للأوقات بالكسب حتى لا يبقى له وقت سوى أوقات المكتوبة والنوم والأكل وقضاء الحاجة، فإن كان الرجل ممن لا يسلك سبيل الآخرة إلا بالصلاة النافلة أو الحج وما يجري مجراه من الأعمال البدنية فالنكاح له أفضل لأن في كسب الحلال والقيام بالأهل والسعي في تحصيل الولد والصبر على أخلاق النساء أنواعاً من العبادات لا يقصر فضلها عن نوافل العبادات، وإن كان عبادته بالعلم

وبتقدير صرفه عن ذلك بما ذكرناه، فلا يكون دليلاً على عدم الوجوب فأقل درجاته أن يكون قاصراً لدلالته على الطرفين اهـ سياق الولي العراقي.

(**فإن قلت: فإن أمن الآفات**) المذكورة وكان قادراً على المؤن (**فالأفضل له التخلي لعبادة الله أو النكاح؟ فأقول**) في الجواب (**يجمع بينهما**) أي بين التخلي والنكاح، وهذا خلاف ما تقدم في أوّل هذا الكتاب عن النووي ان القادر غير التائق إن تخلى للعبادة فهو أفضل، وإلاّ فالنكاح أفضل له من تركه اهـ.

وقد علل المصنف للجمع فقال: (**لأن النكاح ليس مانعاً من التخلي لعبادة الله من حيث أنه عقد، ولكن من حيث الحاجة إلى الكسب**) فإن المشغول بالكسب ربما تستغرق أوقاته في تحصيل ما يؤمله فيمنعه من التخلي لا محالة، (**فإن قدر على الكسب الحلال فالنكاح أيضاً أفضل له لأن الليل**) بتمامه (**وسائر أوقات النهار**) أي باقيها مما سلمت له من الاشغال (**يبقى التخلي فيه للعبادة**) بانواعها من صلاة وقراءة وذكر وتفكر ومراقبة، (**والمواظبة على العبادة من غير استراحة**) النفس (**غير ممكن**) لما جبلت النفوس على الملل، (**فإن فرض كونه مستغرق الأوقات بالكسب**) تمام النهار والليل (**حتى لا يبقى له وقت سوى أوقات المكتوبة**) أي الصلوات الخمس، (**و**) سوى وقت (**النوم**) المعتاد، (**و**) سوى وقت (**الأكل و**)،سوى وقت (**قضاء الحاجة**) من الذهاب إلى الخلاء فلينظر فيه، (**فإن كان الرجل ممن لا يسلك سبُل الآخرة إلا بالصلاة**) المفروضة (**والنافلة وبالحج أو ما يجري مجراه من الأعمال البدنية، فالنكاح له أفضل لأن كسب الحلال والقيام بالأهل**) أي بمؤنهن (**والسعي في تحصيل الولد**) لأجل بقاء النسل، (**والصبر على أخلاق النساء**) وجفوتهن وتحصين فرجه وفرجها وتربية الأولاد وغير ذلك (**أنواع من العبادات لا يقصر فضلها**) من حيث الافراد والجمع (**على نوافل العبادات**) مع أن في غالب الأوصاف المذكورة تعدي نفع بخلاف نوافل

والفكر وسير الباطن والكسب يشوّش عليه ذلك فترك النكاح أفضل.

فإن قلت: فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله؟ وإن كان الأفضل التخلي لعبادة الله فلم استكثر رسولنا ﷺ من الأزواج؟ فاعلم أن الأفضل الجمع بينهما في حق من قدر ومن قويت منته وعلت همته فلا يشغله عن الله شاغل ورسولنا عليه السلام أخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح، ولقد كان مع تسع من النسوة متخلياً لعبادة الله وكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه غير مانع كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعاً لهم عن التدبير حتى يشتغلوا في الظاهر بقضاء الحاجة وقلوبهم

العبادات، (**وإن كان عبادته بالعلم**) أي الاشتغال به حضوراً والقاء وتصنيفاً (**والفكر**) أي المراقبة في ذكر الله تعالى (**وسير الباطن**) بقطع المنازل ومنازلة الأسرار، (**و**) كان (**الكسب**) مما (**يشوّش عليه ذلك**) ويمنعه (**فترك النكاح أفضل**) لأن المقصود بالذات هو عدم الاشتغال عن الله، وهذا قد يسر له سير الباطن ولم يتيسر له السلوك في العبادات البدنية، فالأفضل في حقه ترك ما يشوّش عليه. وقد تقدم كلام ابن الهمام في قولهم: الافضل كذا فراجعه، والله أعلم.

(**فإن قلت: فلم ترك عيسى عليه السلام النكاح مع فضله**) وتخلى لعبادة الله عز وجل، (**وإن كان التخلي لعبادة الله أفضل فلم استكثر رسولنا ﷺ من الأزواج**) وكل من حالها مناقض للآخر؟ (**فاعلم أن الأفضل الجمع بينهما في حق من قدر**) على ذلك، (**ومن غلبت مُنته**) بضم الميم أي قوته (**وعلت همته**) في السير إلى مولاه (**فلا يشغله عن الله شاغل**) ولا يصرفه عنه صارف، (**فرسولنا ﷺ أخذ بالقوة وجمع بين فضل العبادة والنكاح**) وأعطي من كل منهما الحظ الأوفر، (**ولقد كان مع تسع من النسوة**) في عصمته وهن: سودة، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب، وأم حبيبة، وجويرية، وصفية، وميمونة رضي الله عنهن.

قال البخاري في صحيحه: حدثنا مسدد حدثنا ابن زريع، حدثنا سعيد عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ «كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة» هكذا أخرجه في كتاب النكاح، وقال في كتاب الغسل: «وهن احدى عشرة» لكن قال ابن خزيمة: تفرد بذلك معاذ بن هشام عن أبيه، وجمع ابن حبان في صحيحه بين الروايتين بحمل ذلك على حالتين. وقال الحافظ بن حجر: تحمل رواية هشام على أنه ضم مارية وريحانة إليهن وأطلق عليهن لفظ نسائه تغليباً اهـ.

(**متخلياً لعبادة الله**) تعالى (**وكان قضاء الوطر**) أي الحاجة (**بالنكاح في حقه غير مانع**) عن الحضور مع الله تعالى (**كما لا يكون قضاء الحاجة في حق المشغولين بتدبرات الدنيا مانعاً لهم عن التدبر**) المذكور (**حتى يشتغلوا في الظاهر بقضاء الحاجة**) فيما يرى (**وقلوبهم**

مشغوفة بهممهم غير غافلة عن مهماتهم، وكان رسول الله ﷺ لعلو درجته لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الله تعالى، فكان ينزل الوحي وهو في فراش امرأته، ومتى سلم مثل هذا المنصب لغيره فلا يبعد أن يغير السواقي ما لا يغير البحر الخضم فلا ينبغي أن يقاس عليه غيره.

وأما عيسى ﷺ، فإنه أخذ بالحزم لا بالقوّة واحتاط لنفسه ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل أو يتعذر معها طلب الحلال أو لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة، فآثر التخلي للعبادة، وهم أعلم بأسرار أحوالهم وأحكام أعصارهم في طيب المكاسب وأخلاق النساء وما على الناكح من غوائل النكاح وما له فيه،

مستغرقة بهممهم غير غافلة عن مهماتهم). وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول: أنا أجهز جيشي وأنا في الصلاة. ونقل الشهاب السهروردي في العوارف عن عمه أبي النجيب أنه كان يقول: أنا آكل وأنا أصلي يشير به إلى أن أكله لا يمنعه من حضوره مع الله تعالى، فإذا كان هذا في آحاد أمته فكيف به ﷺ؟ (**فكان رسول الله ﷺ لعلو درجته**) ورفعة مقامه وجلالة منصبه (**لا يمنعه أمر هذا العالم**) أي عالم الملك (**من حضور القلب مع الله تعالى**) وشهوده في حضرة المعاينة ومن علو درجته (**كان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته**) قال العراقي: رواه البخاري من حديث أنس «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة فإنه والله ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها». (**ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره**) ﷺ، (**فلا يبعد أن يغير السواقي**) وهي الخلجان الصغار التي تستقي من البحر العظيم (**ما لا يغير البحر العظيم**) ومن أمثالهم.

ومن ورد البحر استقل السواقيا [1]

(**فلا ينبغي أن يقاس عليه غيره**)، ومن هنا لما قال أصحاب الشافعي: إن النكاح شهوة لا عبادة كما دل عليه نص الأم، وقال أصحاب أبي حنيفة: هو عبادة استثنى التقي السبكي من الخلاف نكاحه ﷺ قال: فإنه عبادة قطعاً وقد تقدم.

(**وأما عيسى صلوات الله عليه**) وسلامه، (**فأخذ بالحزم**) لنفسه لا بالقوة (**واحتاط لنفسه**) أي أخذ بالاحتياط (**ولعل حالته**) التي كان متصفاً بها (**كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل أو يتعذر معها طلب الحلال أو لا يتيسر فيها الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة، فآثر التخلي للعبادة وهم**) صلوات الله عليهم (**أعلم بأسرار أحوالهم**) وبواطن معاملاتهم (**وأحكام أعصارهم**) التي كانوا فيها (**في طيب المكاسب وأخلاق النساء وما على**

---

(١) البيت للمتنبي وصدره: قواصد كافور توارك غيره.

ومهما كانت الأحوال منقسمة حتى يكون النكاح في بعضها أفضل وتركه في بعضها أفضل، فحقنا أن ننزل أفعال الأنبياء على الأفضل في كل حال، والله أعلم.

الناكح من غوائل النكاح) وآفاته **(وماله فيه)** من الفوائد والمصالح الدينية، **(ومهما كانت الأحوال منقسمة حتى يكون النكاح في بعضها أفضل و)** يكون **(تركه في بعضها أفضل، فحقنا أن ننزل أفعال الانبياء)** عليهم السلام **(على الأفضل في كل حال)** فنقول: حال عيسى عليه السلام أفضل في شريعته، وقد نسخت الرهبانية في ملتنا. وكل من الحالين له فضيلة وإذا تعارضا قدم التمسك بحال نبينا ﷺ.

الباب الثاني
فيا يراعى حالة العقد من أحوال المرأة وشروط العقد

أما العقد ؛ فأركانه وشروطه لينعقد ويفيد الحل أربعة :

الأوّل: إذن الولي فإن لم يكن فالسلطان.

الباب الثاني
فيا يراعي حالة العقد

بين الرجل والمرأة (**من أحوال المرأة وشروط العقد**) .

(**أما العقد : فأركانه وشروطه لينعقد**) شرعاً (**ويفيد الكل أربعة**) .

(**الأوّل: إذن الولي**) إذ لا عبارة لها في عقد النكاح وكالة وولاية استقلالاً خلافاً لأبي حنيفةومالك من كفؤ وغير كفؤ دنيئة كانت أو شريفة ، وفي الدنيئة خلاف لمالك ، (**فإن لم يكن فالسلطان**) وأسباب الولاية أربعة :

الأوّل: الابوة وفي معناها الجدودة خلافاً لمالـك وأحمد وهو وجه في المذهب ، وتفيد ولاية الإجبار على البكر في أظهر الوجهين ، وإن كانت بالغة خلافاً لأبي حنيفة لا على الثيب ، وإن كانت صغيرة خلافاً لأبي حنيفة سواء ثابت بالزنا خلافاً للثلاثة وهو وجه في المذهب أو بوطء حلال .

الثاني: العصوبة كالاخوة والعمومة .

الثالث: المعتق وهو كالعصبات .

الرابع: السلطان ، وإنما يزوّج في البالغة خلافاً لأبي حنيفة عند عدم الولي أو عضله أو غيبته خلافاً لأبي حنيفة أو أراد الولي أن يتزوّج بها خلافاً لأبي حنيفة كابن عم أو معتق أو قاض ، وليس للسلطان تزويج الصغيرة خلافاً لأبي حنيفة ولا للوصي ولاية ، وإن فوّضت إليه خلافاً لمالـك وأحمد ، وأما ترتيب الأولياء فالأصل القرابة ثم الولاء ، ثم السلطنة وأولي الاقارب الأب ثم الجد ثم الأخ ثم ابنه ثم العم ثم ابنه على ترتيبهم في عصوبة الإرث والأخ من الأب والأم لا يقدم على الأخ من الأب في النكاح في قول ، والأصح وهو الجديد أنه يقدم ، وبه قال أبو حنيفة ومالك ، والابن لا يزوّج أمه بالبنوّة خلافاً لأبي حنيفة ومالك وأحمد .

الثاني: رضا المرأة إن كانت ثيباً بالغاً أو كانت بكراً بالغاً ولكن يزوّجها غير الأب والجد.

الثالث: حضور شاهدين ظاهري العدالة، فإن كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة.

(الثاني: رضا المرأة إن كانت ثيباً بالغة عاقلة) الثيب هي المرأة التي دخل بها الزوج وكأنها ثابت إلى حال كبار النساء غالباً **(أو كانت بكراً)** وهي الباقية على حالتها الأولى، **(ولكن يزوجها غير الأب والجد)** كالأخ والعم، ويشترط حينئذ صريح الرضا في الثيب والسكوت في البكر على رأي خلافاً لأبي حنيفة، وفي شرح المحرر إن رضاها من شروط النكاح لا أنه من نفس أركان النكاح والاشهاد على رضاها سنّة احتياطاً لأمر النكاح وليس بشرط في صحة النكاح وهو كذلك، فإن أركان النكاح العاقد والمحل والشهود والصيغة.

(الثالث: حضور شاهدين ظاهري العدالة) فلا ينعقد النكاح إلا بحضورهما، وعبارة المصنف في الوجيز لا ينعقد إلا بحضور عدلين مسلمين بالغين حرين سميعين بصيرين ذكرين مقبولي الشهادة للزوجين وعليهما ليسا بعدوّين ولا ابنين ولا أبوين لهما، وفي هذا الركن خلاف لمالك في قوله: عدلين وجه في المذهب عدم اشتراط ذلك، وكذا في قوله مسلمين وجه في المذهب، وكذا في قوله بصيرين، وفي قوله ذكرين خلاف لأبي حنيفة ومالك، وقوله: ليسا بعدوّين الأصح في المذهب أنه ينعقد بشهادتهما، وكذا في الابنين والأبوين وجه في المذهب أنه يصح بشهادتهما على الأصح.

وقال الأصفهاني في شرح المحرر: حضور الشاهدين معتبر في النكاح وشرط لصحة النكاح وليس بركن. قال: ويعتبر في شاهدي النكاح صفات سبعة.

الأولى: الإسلام فلا ينعقد بحضور الكافرين أو مسلم وكافر سواء كان العقد بين ذميين أو بين مسلمين أو بين مسلم وذمية. وقال أبو حنيفة: ينعقد نكاح الذمية بشهادة ذميين.

الثانية: التكليف فلا ينعقد بحضور الصبيان والمجانين.

الثالثة: الحرية فلا ينعقد بحضور العبد قناً أو مدبراً أو مكاتباً

الرابعة: العدالة فلا ينعقد بحضور الفاسقين أو عدل وفاسق خلافاً لأبي حنيفة.

الخامسة: الذكورة فلا ينعقد بحضور النساء ولا بحضور رجل وامرأتين. وقال أبو حنيفة وأحمد: ينعقد بشهادة رجل وامرأتين.

السادسة: السمع فلا ينعقد بحضور الأصمّين ولا سميع وأصم والمراد بالأصم من لا يسمع أصلاً.

الرابع: ايجاب وقبول متصل به بلفظ الإنكاح أو التزويج أو مغناهما الخاص بكل

السابعة: البصر فلا ينعقد بحضور الأعميين ولا بصير وأعمى في أصح الوجهين، والوجه الثاني ينعقد لأنه عدل يفهم الخطاب.

(فإن كانا مستورين حكمنا بالانعقاد للحاجة)، ومستور العدالة من يعرف بالعدالة ظاهراً لا باطناً هكذا ذكره شراح الوجيز، وعبارة البغوي في التهذيب: ولا ينعقد النكاح بشهادة من لا تعرف عدالته ظاهراً فالمراد بمستور العدالة هو مستورها باطناً لا مستورها ظاهراً فإنه لا بدّ وأن يكون الشاهد ظاهر العدالة، والمراد بالعدالة الباطنة ما ثبتت عند الحاكم بالتزكية وبالعدالة الظاهرة ما عرفت بالمخالطة.

قال المصنف في الوجيز: فإن بان كونه فاسقاً عند العقد تبين البطلان على قول، وإنما يتبين بحجة أو بذكر لا باعتراف المستور، وإذا عرف أحد الزوجين فسقه عند العقد لم ينعقد فإن أقر الزوج بأنه عرف وأنكرت بانت منه ووجب شطر المهر إن كان قبل المسيس اهـ. أي بينونة طلاق على ما أفصح به في الوسيط. هكذا ذكر أصحاب القفال، وعن الشيخ أبي حامد والعراقيين أنها فرقة فسخ لا ينقص بها عدد الطلاق.

تنبيه:

الأصل المجمع عليه عند أبي حنيفة وأصحابه أن كل من ملك قبول النكاح لنفسه ينعقد النكاح بحضوره فيدخل فيه الفاسق والمحدود في القذف إذا تاب، أما الفاسق فإنه من أهل الولاية القاصرة على نفسه بلا خلاف لأنه له أن يزوّج نفسه وعبده وأمته ويقر بما يتعلق بنفسه من القتل وغيره، فيكون من أهل تحمل الشهادة وإن لم يكن من أهل أدائها لأن كلاً من التحمل والولاية القاصرة لا إلزام فيه، وأما المحدود في القذف فإنه أيضاً من أهل الولاية القاصرة على نفسه لأنه إن لم يتب فهو فاسق كغيره من الفساق، وإن تاب كان القياس أن يكون من أهل الولاية المتعدية إلا أن النص القاطع أخرجه من أهليتها، والله أعلم.

(الرابع: ايجاب وقبول متصل به بلفظ الإنكاح أو التزويج) لا يقوم غيرهما مقامهما خلافاً لأبي حنيفة ومالك، **(أو معناهما الخاص)** وهو ترجمتها **(بكل لسان)** فارسي أو تركي وغيرهما لأنهما لفظان لا يتعلق بهما المجاز فاكتفى بترجمتها سواء كانا قادرين على العربية أم لا، والثاني لا ينعقد إذا أحسناها بالعربية أو لا ينعقد، ثم ان المراد بالايجاب هو الصادر من جهة الولي بأن يقول الولي أو وكيله للزوج زوّجتك وأنكحتك، أو لوكيل الزوج زوّجت موليتي فلانة لموكلك فلان بن فلان وأنكحتها له على صداق كذا.

وظاهر سياق المصنف كغيره من المصنفين في تقديم الإيجاب على القبول أنه شرط وليس كذلك، فلو تقدم لفظ الزوج على لفظ الولي بأن قال الزوج أوّلاً: تزوّجت أو أنكحت نكاح موليتك فلانة فقال الولي: زوّجتك أو أنكحتك جاز وصح العقد، وإنما اعتبر في إيجاب النكاح وقبوله اللفظان

لسان من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج أو الولي أو وكيلهما .

المذكوران وما في معناهما دون غيرهما من ألفاظ العقود كالبيع والهبة والتمليك والإحلال والإباحة لأن النكاح له شائبة نزوع إلى العبادات لورود الندب فيه والاذكار في العبادات تتلقى من الشارع، ولأن القرآن ما ورد إلا بهذين اللفظين دون غيرهما، ولا يشترط اتفاق اللفظ من الطرفين، فلو قال أحدهما زوّجتك، وقال الآخر قبلت نكاحها صح النكاح هذا مذهب الشافعي رضي الله عنه **(من شخصين مكلفين ليس فيهما امرأة سواء كان هو الزوج أو الولي أو وكيلهما)** فلا ينعقد بحضور الصبيان والمجانين، ولا بحضور امرأتين ورجل وامرأة، وقد تقدم ذلك قريباً مع ذكر الخلاف.

وقال أصحابنا الحنفية: ينعقد بلفظ النكاح والتزويج، وما وضع لتمليك العين في الحال واحترز بقوله في الحال عن الوصية لأنها تمليك العين بعد الموت لا في الحال، وهذا إذا طلق. وأما إذا قال: أوصيت لك ببنتي للحال ينعقد لأنه تمليك للحال كما في النوادر، ومن فروع هذا الأصل أنه ينعقد بلفظ البيع والهبة وبلفظ السلم قيل: ينعقد، وقيل لا . وكذا في الصرف روايتان وفي القرض قولان قياس قول الإمام ومحمد الإنعقاد، وقياس قول أبي يوسف عدمه إذ الملك فيه بالقبض يثبت عندهما ولا يثبت عنده، وبالجعل ينعقد باعتباره فيه خلاف الكرخي، وهو يقول: إن المستوى في النكاح منفعة حقيقية، وقد سمى الله تعالى بدله أجرة بقوله تعالى ﴿ فآتُوهنّ أجورهنّ ﴾ [النساء : ٢٤] فتثبت المشاكلة بينهما ولو جعلت المرأة أجرة ينبغي أن يعقد اجماعاً لأنه يفيد ملك الرقبة ولا ينعقد بلفظ الإعارة خلافاً للكرخي، ولا بلفظ الإباحة والإحلال والتمتع والإجارة بالرأي والرضا والإبراء ونحوها لأنها لا تفيد ملك المتعة، وفي نوادر الفقه: كل لفظ موضع لتمليك العين ينعقد به النكاح ان ذكر المهر، وإلاّ فالنية وما ليس بموضوع له لا ينعقد، والله أعلم.

فصل

تقدم انه لا تصح عبارة المرأة في النكاح فلا تزوّج نفسها بإذن الولي ولا دون إذنه ولا تزوّج غيرها وهو مذهب الشافعي، وبه قال مالك، وأحمد، وحجتهم حديث أبي موسى « لا نكاح إلاّ بولي » رواه أصحاب السنن، وحديث عائشة « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل ». ولا فرق في ذلك بين الشريفة والدنيئة خلافاً لمالك ولا بين أن تزوّج نفسها من كفؤ أو غير كفؤ. فأما أبو حنيفة وأصحابه فليس الولي عندهم من أركان النكاح ولا من فرائضه، وإنما هو لئلا يلحقها عارها فإذا تزوّجت كفؤاً جاز النكاح بكراً كانت أو ثيباً، وحجتهم حديث ابن عباس « الأيم أحق بنفسها » الخ رواه الجماعة إلا البخاري، ويقال للحنفية: لم تركتم العمل بحديث لا نكاح إلا بولي؟ والجواب أن هذا الحديث رواه سفيان وشعبة، عن أبي إسحاق منقطعاً وكل واحد منهما حجة على إسرائيل، فكيف يكون إذا اجتمعا جميعاً؟ فإن قالوا: ان أبا عوانة تابع اسرائيل في رفعه فيكون حجة. فالجواب قد روي هكذا، وروى عنه أيضاً عن إسرائيل عن أبي إسحاق فقد رجع حديثه إلى حديث اسرائيل، فانتفى بذلك أن يكون عند أبي

....

عوانة في هذا عن أبي إسحاق شيء. فإن قالوا: قد رواه أيضاً قيس بن الربيع عن أبي إسحاق مرفوعاً كما رواه إسرائيل،فالجواب: صدقتم لكن قيس دون اسرائيل، فإذا انتفى أن يكون اسرائيل مضاداً لسفيان وشعبة كان قيس أحرى أن لا يكون مضاداً لهما. فإن قالوا: فإن بعض أصحاب سفيان قد رواه عن سفيان مرفوعاً، كما رواه اسرائيل وقيس وهو بشر بن منصور، فالجواب: صدقتم ولكنكم ما ترضون من خصمكم بمثل هذا أن تحتجوا عليه بما رواه أصحاب سفيان أو أكثرهم عنه على معنى، ويحتج هو عليكم بما رواه بشر بن منصور عن سفيان بما خالف ذلك المعنى، وتعدون المحتج عليكم بهذا جاهلاً بالحديث، فكيف تسوّغون أنفسكم على مخالفيكم ما لا تسوّغونه عليكم إن هذا لجور بيّن، فإن قالوا: فقد رواه الإمام أبو حنيفة عن أبي إسحاق مرفوعاً كما رواه إسماعيل فما باله لم يعمل به؟ فالجواب: إنما منع الإمام الاحتجاج به التضاد بين الاخبار والتنافي فإن حديث ابن عباس «الأيم أحق بنفسهـا» الخ معارض لحديث «لا نكاح إلا بولي» ومضاد له، والأيم كل امرأة لا زوج لها بكراً كانت أو ثيباً، فالمرأة إذا كانت رشيدة جاز لها أن تلي عقد نكاحها لأنه عقد أكسبها مالاً فجاز أن تتولاه بنفسها كالبيع والاجارات. قالوا: وقد أضاف الله عز وجل النكاح إليها بقوله ﴿حتى تنكح زوجاً غيره﴾ [البقرة: ٢٣٠] بقوله ﴿أن ينكحن أزواجهن﴾ [البقرة: ٢٣٢] وبقوله: ﴿لا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف﴾ [البقرة: ٢٣٤] فكل ذلك يدل على انعقاده بعبارتها.

وأما الجواب عن حديث «أيما امرأة نكحت» الخ فقد رواه ابن جريج عن سليمان بن موسى عن الزهري، وقد ذكر بنفسه أنه سأل عنه الزهري فلم يعرفه. رواه يحيى بن معين عن أبي علية عن ابن جريج كذلك وهم يسقطون الحديث بأقل من هذا، ورواه الحجاج بن ارطأة عن الزهري ولا يثبتون له سماعاً عن الزهري، وحديثه عندهم مرسل وهم لا يحتجون بالمرسل. ورواه ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة عن الزهري، وهم ينكرون على خصمهم الاحتجاج عليهم بحديثه، فكيف يحتجون به عليه في مثل هذا. ثم لو ثبت ما رووا ذلك عن الزهري، فقد روي عن عائشة رضي الله عنها ما يخالف روايتها، وإذا تعارض الفعل والرواية قدم الفعل، وهو ما رواه مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة أنها زوجت حفصة بنت عبد الرحمن بن المنذر بن الزبير، وعبد الرحمن غائب بالشام، فلما قدم عبد الرحمن قال: مثلي يصنع به ويفتات عليه فكلمت عائشة المنذر، قال المنذر: فإن ذلك بيد عبد الرحمن، فقال عبد الرحمن: ما كنت أردّ أمراً قضيته، فلما كانت عائشة قد رأت أن تزويجها بنت عبد الرحمن بغير أمره جائز، ورأت أن ذلـك العقـد مستقيماً حين أجـازت فيه التمليك الذي لا يكون إلا عن صحة النكاح وثبوتها استحال أن تكون ترى ذلك، وقد علمت أن رسول الله ﷺ قال «لا نكاح إلا بولي» فثبت بذلك فساد ما روي عن الزهري في ذلك، وهذا الذي تلخص من السياق من أمر المرأة في تزويج نفسها إليها لا إلى وليها معنى لو زوّجت الحرة العاقلة البالغة نفسها جاز، وكذا لو زوّجت غيرها بالوكالة أو بالولاية وإن لم يعقد عليها ولي بكراً كانت أو ثيباً هو قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى إلا أنه كان يقول: إن زوجت

المرأة نفسها من غير كفؤ فلوليها فسخ ذلك عليها، وكذلك إن تزوّجت بدون مهر مثلها فلوليها أن يخاصم في ذلك حتى يلحق بمهر مثل نسائها، وقد كان أبو يوسف إذ كـان يقول: إن بضع المرأة إليها في عقد النكاح عليها لنفسها دون وليها يقول إنه ليس للولي ان يعترض عليها في نقصان ما تزوجت عليه من مهر مثلها، ثم رجع عن هذا كله إلى قول من قال «لا نكاح إلا بولي» وقوله الثاني هو قول محمد بن الحسن، والله أعلم.

فصل

قال شارح المحرر في ولاية الفاسق: ولأصحاب الشافعي طرق.

أحدها: جريان القولين أحدهما، وهو قول أبي حنيفة ومالك: إن الفاسق له الولاية لأن الفسقة لم يمنعوا من التزويج في عصر الاوّلين، والثاني المنع لأن الفسق نقص يقدح في الشهادة فيمنع الولاية، ولهذا قال أحمد في أصح الروايتين.

والطريق الثاني: القطع بالمنع وهو قضية إيراد أبي علي بن أبي هريرة والطبري، وابن القطان.

والثالث: القطع بأن له أن يلي وهو اختيار القاضي أبي حامد، وبه قال القفال.

والرابع: أن الأب والجد يليان مع الفسق ولا يلي غيرهما والفرق كمال شفقتها وقـوّة ولايتها.

والخامس: قال أبو إسحاق: الأب والجد لا يليان مع الفسق ويلي غيرهما والفرق أنهما يجبران فربما وضعا تحت فاسق مثلهما وغيرهما يزوج بالأذن، فإن لم ينظر لها نظرت هي لنفسها. قال الأمام: وقياس هذه الطريق أن يزوج الفاسق ابنته البكر برضاها وإن لا يجبرها.

والسادس: إن كان فسقه بشرب الخمر لم يلزم لاضطراب نظره وغلبة السكر عليه، وإن كان بشيء آخر يلي.

وذكر الحناطي وجهين في أن من يعلن بفسقه لا يلي، ومن يستتر به يلي، ويخرج من هذا طريق.

وقال بعض المتأخرين: إن كان الفسق مما يؤدي إلى الخسة والدناءة وعدم الغيرة كالقيادة والخنوثة فيمنع، وإلاّ فلا. فهذه طريقة ثانية، ثم الظاهر إن الخلاف في ولاية المال كالخلاف في ولاية النكاح، والصحيح مطـلقا طـالب لولاية المال وإن قرَّ توبة الولي في الحال لا تؤثر، بل لا بد من الاستبراء بالفصول الأربعة كما في باب الشهادة. وقال البغوي: تؤثر في الحال ليصح منه عقد النكاح، ونقل الشيخ ملك زاد القزويني عن القاضي أبي سعيد: إذا لم تثبت الولاية للفاسق لم يكن له أن ينكح لنفسه، والصحيح خلافه لأن غايته إحراز نفسه ما لا يحتمل في غيره بدليل قبول

وأما آدابه؛ فتقديم الخطبة مع الولي لا في حال عدة المرأة بل بعد انقضائها إن كانت معتدة، ولا في حال سبق غيره بالخطبة إذ نهي عن الخطبة على الخطبة.

اقراره على نفسه وعدم قبول شهادته على غيره، ثم إن الحرف الدنيئة هل تقدح في الولاية؟ إذا قلنا بالمذهب أن الفاسق ليس له ولاية وجهان ذكرهما العبادي، والظاهر انه لا يقدح والله أعلم.

(فأما آدابه، فتقديم الخطبة) بكسر الخاء هنا **(مع الولي في حال عدة المرأة، بل بعد انقضائها إن كانت معتدة)** أي يستحب للمحتاج مع وجدان الاهبة ان يقدم إلى الولي خطبة امرأة خلية عن النكاح، وعدة الغير تصريحاً وتعريضاً والحجة في الاستحباب التمسك بفعله ﷺ وأصحابه، وإن لم تكن المرأة خلية من النكاح بل متزوجة يحرم خطبتها تصريحاً وتعريضاً، وإن كانت خلية عن النكاح لكن معتدة فيحرم التصريح بخطبتها دون التعريض لأنها في حكم المنكوحات، وفي المعتدة البائنة قولان وقيل: وجهان أصحهما جواز التعريض بخطبتها، وهو المنصوص في البويطي لانقطاع سلطنة الزوج عنها، والثاني: لا يجوز لأن للمطلق ان ينكحها في الجملة فاشبهت الرجعية والمفسوخة وجهاً بسبب من أسباب الفسخ كالبائنة، ولا يحرم التعريض في عدة الوفاة لأنه يحقق الرغبة فلا يصير مظنة الكذب في انقضاء عدتها بخلاف التصريح، فإنه يحقق الرغبة فيها فيستعجل لغلبة الشهوة وغيرها، وحينئذ لعلة الكذب في انقضاء المدة والمختلعة بطلقة أو طلقتين والمطلقة ثلاثاً والمفارقة باللعان كالبائنة، ومنهم من جعل البينونتين كالمعتدة بالوفاة، ولا فرق في المعتدة بالاقراء والمعتدة بالأشهر، وقيل الخلاف مخصوص بذوات الأشهر، وفي ذوات الاقراء القطع بعدم الجواز لأنها قد تكون في انقضاء العدة لرغبتها في الخاطب، وفي المعتدة من وطء الشبهة طريقان. أحدهما: طرد الخلاف وأصحهما القطع بالجواز، والتصريح بالخطبة أن يقول: أريد أن أنكحك أو أتزوج بك أو إذا انقضت عدتك نكحتك، وإذا حللت فلا تفوتي على نفسك والتعريض ما يدل على الرغبة في نكاحها وغيرها كقوله: رب راغب فيك، ومثلك من يجد، وأنت جميلة، وإذا حللت فاعلميني، ولست بمرغوب عنك ولا تبغين اباء وإن الله لسائق إليك خيراً، وحكم جواب المرأة في الصور كلها تصريحاً وتعريضاً حكم الخطبة، وجميع ما ذكر في الخطبة، وجوابها فيما إذا خطبها أجنبي، وأما إذا خطبها من منه العدة فيجوز تصريحاً وتعريضاً وصريح الاجابة أن يقول الولي أجبتك لذلك، وإذا وجد ما يشعر بالاجابة فكذلك، **(ولا في حال سبق غيره بالخطبة إذ نهي عن الخطبة على الخطبة)** قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عمر «ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب أو يأذن له» اهـ.

قلت: وعن أبي هريرة مرفوعاً «نهى أن يبيع حاضر لباد أو تناجشوا أو يخطب الرجل على خطبته أخيه أو يبيع على بيع أخيه» الحديث رواه الائمة الستة من طريق سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن سعيد عن أبي هريرة، وفي رواية للبخاري وغيره «ولا تناجشوا» وروى مالك والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة «لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه» ورواه النسائي وابن ماجه أيضاً من حديث ابن عمر، ورواه الطبراني في الكبير من حديث سمرة، وروي بزيادة «حتى

....

يأذن » رواه الباوردي من حديث وائل بن عمر وبن حبيب السكسكي عن أبيه عن جده، وهو هكذا في بعض روايات مسلم، ويروى « حتى ينكح أو يترك » وهكذا هو عند البخاري والنسائي من حديث الأعرج عن أبي هريرة، ويروى « إلا أن يأذن له » رواه أحمد وعبد الرزاق وأبو داود والنسائي من حديث ابن عمر وهو في بعض روايات مسلم، وروى مسلم من حديث عقبة بن عامر« المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن ان يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر » رواه البيهقي في السنن وقال: فيه « حتى يذر » في كل من الجملتين، والكلام على هذه الجملة من الحديث المذكور من وجوه.

الأول: هذا النهي للتحريم كما قاله الجمهور، وقال الخطابي: هو نهي تأديب وليس بنهي تحريم يبطل العقد، وهو قول أكثر الفقهاء. قال الولي العراقي: كأن الخطابي فهم من كون العقد لا يبطل عند أكثر الفقهاء إن النهي عندهم ليس للتحريم وليس كذلك، بل هو عندهم للتحريم، وإن لم يبطل العقد، وقد صرح بهذا الفقهاء من أهل المذاهب المتبوعة، وحكى النووي في شرح مسلم الإجماع على التحريم بشروطه.

الثاني: قال الشافعية والحنابلة: محل التحريم ما إذا صرح للخطاب بالإجابة بأن تقول: اجبتك إلى ذلك أو تاذن لوليها في أن يزوجها إياه، وهي معتبرة الإذن، فلو لم يقع التصريح بالإجابة لكن وجد تعريض كقولها لا رغبة عنك ففيه قولان للشافعي وأحمد. قال الشافعي في القديم: تحرم الخطبة، وقال في الجديد: تجوز. وحكى الزين العراقي في شرح الترمذي عن مالك وأبي حنيفة تحريم الخطبة عند التعريض أيضاً. وقال الشافعي: معنى الحديث عندنا إذا خطب الرجل المرأة فرضيت به وركنت إليه فليس لأحد أن يخطب على خطبته، وأما قبل أن يعلم رضاها أو ركونها إليه فلا بأس أن يخطبها هكذا نقله الترمذي، ولو ردته فللغير خطبتها قطعاً، ولو لم يوجد إجابة ولا ردّ فقطع بعض الاصحاب بالجواز، وأجرى بعضهم فيه القولين المتقدمين، ويجوز الهجوم على الخطبة من لم يدر أخطبت أم لا. ومن لم يدر أجيب خاطبها أم رد، لأن الأصل الإباحة والمعتبر ردّ الولي واجابته إن كانت مجبرة وإلاّ فردها واجابتها وفي الأمة رد السيد واجابته، وفي المجنونة رد السلطان وإجابته. وقال الاسنوي في المهات: هذا الإطلاق غير مستقيم، فإنه إذا كان الخاطب غير كفؤ يكون النكاح متوقفاً على رضا الولي والمرأة معاً، وحينئذ فيعتبر في تحريم الخطبة اجابتهما معاً. وفي الجواز ردهما أو رد أحدهما. قال: وأيضاً فينبغي فيما إذا كانت بكراً أن يكون الاعتبار بالولي تخريجاً على الخلاف فيما إذا عينت كفؤاً وعين المجبر كفؤاً آخر هل المجاب تعيينها أم تعيينه، وهذا الذي ذكروه في اعتبار تصريح الاجابة هو في الثيب، أما البكر فسكوتها كصريح إذن الثيب كما نص عليه الشافعي في الأم، وحيث اشترطنا التصريح بالإجابة فلا بدّ معه من الإذن للولي في زواجها له فإن لم تأذن في ذلك لم تحرم الخطبة كما نص عليه الشافعي في الرسالة. وحكاه عنه الخطابي، واستبعده القرطبي في الفهم، وقال: إنه حمل العموم على صورة نادرة، وزاد بعض

....

المالكية على الرضا بالزوج تسميته المهر. قال الولي العراقي: وهذا لا دليل عليه، والعقد صحيح من غير تسمية المهر.

الثالث: ومحل التحريم أيضاً إذا لم يأذن الخاطب لغيره في الخطبة، فإن أذن ارتفع التحريم، لأن المنع كان لحقه كما عند مسلم إلا أن يأذن له، لكن يبقى النظر في أنه إذا أذن لشخص مخصوص في الخطبة هل لغيره الخطبة أيضاً لأن الإذن لشخص يدل على الإعراض عن الخطبة إذ لا يمكن تزويج المرأة لخاطبين وليس لغيره الخطبة إذا لم يؤذن، وزوال المنع إنما كان للأوّل هذا محتمل والأرجح الأوّل.

الرابع: ومحل التحريم أيضاً إذا لم يترك الخاطب الخطبة ويعرض عنها، فإن ترك جاز لغيره الخطبة وإن لم يأذن له فعند البخاري حتى ينكح أو يترك وعند مسلم حتى يذم.

الخامس: ومحل التحريم أيضاً أن تكون الخطبة الأولى جائزة، فإن كانت محرمة كالواقعة في العدة لم تحرم الخطبة عليها كما صرح الروياني في البحر.

السادس: ومحل التحريم إذا لم تأذن المرأة لوليها أن يزوّجها ممن يشاء، فإن أذنت له كذلك صح وحل لكل واحد أن يخطبها على خطبة الغير كما نقله الروياني في البحر عن نص الشافعي في الأم. قال الولي العراقي: ولك أن تقول إن كان الضمير في قوله: ممن يشاء عائداً على الولي فينبغي إذا أجاب الولي الخاطب الأول أن يحرم على غيره الخطبة وإن كان عائداً على الخاطب، فإذا خطبها شخص فقد شاء تزويجها وقد أذنت في تزويجها من يشاء هو تزويجها فيجب على الولي إجابته ويحرم على غيره خطبتها لأنها قد أجابته بالوصف وإن لم تجبه بالتعيين، والله اعلم.

السابع: قال الخطابي، وغيره: ظاهره اختصاص التحريم بما إذا كان الخاطب مسلماً فإن كان كافراً فلا تحريم، وبه قال الاوزاعي وحكاه الرافعي عن أبي عبيد بن حربويه. وقال الجمهور: تحرم الخطبة على خطبة الكافر أيضاً.

قلت: هذا إذا كانت المخطوبة ذمية وبمثله أجاب ابن حربويه في السوم على السوم، واستدلاله بقوله على بيع أخيه وعلى خطبة أخيه ضعيف، فقد صرح النووي بأن التقييد بأخيه خرج مخرج الغالب فلا يكون له مفهوم يعمل به.

الثامن: ظاهر الحديث أنه لا فرق بين أن يكون الخاطب الأول فاسقاً أولا. وهذا هو الصحيح الذي تقتضية الأحاديث وعمومها، وذهب ابن القاسم صاحب مالك إلى تجويز الخطبة على خطبة الفاسق، واختاره ابن العربي المالكي وقال: لا ينبغي أن يختلف في هذا، وفي شرح الترمذي للزين العراقي وهو مردود لعموم الحديث إذ الفسق لا يخرج عن الايمان والاسلام على مذهب أهل السنة، فلا يخرج بذلك عن كونه خطب على خطبة أخيه، والله أعلم.

ومن آدابه؛ الخطبة قبل النكاح. ومزج التحميد بالإيجاب والقبول فيقول المزوج: الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة، ويقول الزوج: الحمد لله والصلاة

(**ومن آدابه**) لمن يخطب امرأة (**الخطبة قبل**) عقد (**النكاح**) أي يقدم بين يدي الخطبة خطبة فالأولى بالكسر والثانية بالضم، (**ومـزج التحميد بالايجاب والقبول فيقول المزوّج**) هو الولي أو وكيله: (**الحمد الله والصلاة على رسول الله**) أوصيكم بتقوى الله (**زوّجتك ابنتي**) فلانة أو أختي أو موليتي أو مولية موصيتي بالمهر المسمى بيننا، (**ويقول الزوج**) أو وكيله: (**الحمد الله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها**) أو لموكلي فلان بن فلان (**على هذا الصداق**) ، فإذا قال كذلك صح النكاح وهو أصح الوجهين، لأن المتخلل بين الايجاب والقبول من مصالح العقد، ومقتضاه لا يقطع الموالاة بين الايجاب والقبول، والوجه الثاني أنه لا يصح النكاح لأنه تخلل بين الايجاب والقبول ما ليس من العقد.

قلنا: لا نسلم بل هو من مصالح العقد ومندوباته فلا يضر، والخلاف فيما إذا لم يطل الذكر بين الايجاب والقبول، فإن طال فيقطع ببطلان العقد، والأصل فيه ما روي عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً « إذا أراد أن يخطب لحاجة من النكاح وغيره فليقل الحمد الله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم قرأ هذه الآيات ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾ [النساء: ١] ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً★ يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] وراه الطيالسي والاربعة والحاكم والبيهقي، وفي رواية بعد قوله « عبده ورسوله أرسله بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً ».

وعن القفال انه كان يقول بعد هذه الخطبة أما بعد؛ فإن الأمور كلها بيد الله يقضي منها ما يشاء ويحكم ما يريد لا مؤخر لما قدم ولا مقدم لما أخر، لا يجتمع إثنان إلا بقضاء الله وقدره وكتاب قد سبق، وإن مما قضى الله وقدره أن خطب فلان بن فلان فلانة بنت فلان سمي صداق كذا، وسيزوّجه وليها أو وكيل وليها على ماسمي من الصداق على ما أمر الله به من إمساك بمعروف أو تسريح باحسان. أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم. وزاد الروياني وغيره بين كلمتي الشهادة وبين الآيات: أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ثم اعلموا أن الله تعالى أحل النكاح وندب إليه وحرم السفاح وأوعد عليه فقال الله تعالى ﴿وأنكحوا الايامى منكم والصالحين﴾ الآية [النور: ٣٢] وقال تعالى ﴿ولا تقربوا الزنا إنّه كان فاحشةً﴾ الآية [الاسراء: ٣٢]. وقال عليه السلام « تناكحوا تكثروا فإني مكاثر بكم الامم ». وقال عليه السلام « النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني ».

على رسول الله قبلت نكاحها على هذا الصداق، وليكن الصداق معلوماً خفيفاً والتحميد قبل الخطبة أيضاً مستحب.

ومن آدابه؛ أن يلقى أمر الزوج إلى سمع الزوجة وإن كانت بكراً فذلك أحرى وأولى بالإلفة، ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح فإنه أحرى أن يؤدم بينهما.

وقال المزجد في التجريد: ثم يتحرى أن يقدم على قوله: المحمود الله المصطفى رسول الله وخير ما افتتح به كتاب الله وانكحوا الأيامي منكم. روي أن علياً رضي الله عنه خطب بذلك حين تزوّج فاطمة رضي الله عنها بعد خطبته ﷺ.

(وليكن الصداق معلوماً) بين الجانبين وهو المراد بقولهم بالمهر المسمى بيننا **(خفيفاً)** أي قليلاً فإنه علامة التيسير والبركة فإن المغالاة فيه تورث الضغائن وقلة الوفاق بين الزوجين، وليس له حد مقرر بل أي مقدار جاز أن يكون ثمناً في البيع أو مثمناً أو اجارة في الاجارة جاز أن يكون صداقاً في النكاح، فإن النهي في القلة إلى ما لا ينطلق عليه اسم المال لا يجوز التسمي به في الصداق، وفيه خلاف لمالك وأبي حنيفة يأتي ذكره.

(والتحميد قبل الخطبة أيضاً مستحب) فيحمد الله ويصلي على النبي ﷺ ويقول: جئتكم خاطباً لكريمتكم، ويقول الولي بعد الحمد والصلاة ولست بمرغوب عنه وما يشبه ذلك.

(ومن آدابه، أن يلقي أمر الزوج إلى سمع الزوجة) ويشرح شأنه لتكون على بصيرة من أمره ويقين من حاله ويدخل على اختيار منها، وينبغي أن يكون ما يلقى إليها من أمره صدقاً. قال النووي في الاذكار: من استشير في أمر خاطب ذكر عيوبه بصدق، ثم إن اندفع بدون تعيين من مساوئه لم يحل التعيين كقوله: لا خير لك فيه ونحوه، وفي الأنوار للاردبيلي الغيبة ذكر الإنسان بما فيه بما يكره سواء كان في بدنه أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خلقته أو ماله أو ولده أو والده أو زوجه أو خادمه أو عمامته أو ثوبه أو مشيئته أو حركته أو عبوسته أو طلاقته، وسواء ذكره لفظا أو كناية أو إشارة بالعين أو الرأس أو اليد اهـ.

(وإن كانت بكراً فذلك أولى بالإلفة) والمحبة والمعاشرة، **(ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح)** وعبارة الوجيز: وأحب المنكوحات المنظور إليها قبل النكاح **(فإنه أحرى أن يؤدم بينهما)** أي يصلح ثم لا ينظر إلا إلى وجهها. قال الشارح: ولا بد من ذكر الكفين أيضاً وفيه خلاف لأبي حنيفة ومالك وهو وجه في المذهب، ثم قال: ولا يحل للرجل النظر إلى شيء من بدن المرأة إلا إذا كان الناظر صبياً أو مجبوباً أو مملوكاً لها، وكانت رقيقة أو صبية أو محرماً فينظر إلى الوجه واليدين فقط. قال الشارح: اعلم أنه يحرم على الرجل أن ينظر إلى ما هو عورة منها، وكذا إلى الوجه والكفين إن كان يخاف من النظر الفتنة، فإن لم يخف فوجهان. قال أكثر الاصحاب منهم المتقدمون لا يحرم نعم يكره، والثاني يحرم هذا ما ذكره في الكتاب، وبه أجاب صاحب المهذب والقاضي الروياني، ويحكى ذلك عن الاصطخري في رواية الدارمي عن أبي علي الطبري، واختاره الشيخ أبو محمد، والامام. وممن اختار أنه لا يحرم الشيخ أبو حامد وغيره. وقال

في الشرح أيضاً: أعلم ان الحكم بأنه لا ينظر في الصورة المستثناة إلا إلى الوجه واليدين خلاف المذهب، اما في المحرم فلأنهم لم يذكروا خلافاً في جواز النظر إلى ما يبدو عند المهنة، وقالوا: الأصح جواز النظر إلى جميع أعضائها إلا ما بين السرة والركبة، وكذا في الرقيقة، وأما في الصبية فمن جوز النظر عممه في أعضائها بعد اجتناب الفرج، وأما في عبد المرأة والممسوح فإذا جوّزنا النظر جعلناه كالنظر إلى المحارم، فإذاً في اللفظ خبط ولا صائر من الأصحاب إلى جوابه والله أعلم.

ثم قال المصنف: والعورة من الرجل ما بين سرته وركبته فقط، ويباح نظر الرجل إلى الرجل، والمرأة إلى المرأة والمرأة إلى الرجل عند الأمن من الفتنة إلا ما بين السرة والركبة والنكاح والملك يبيحان النظر إلى السوأتين من الجانبين مع كراهته، والمس كالنظر فيهما مباحان لحاجة المعالجة، وليكن النظر إلى السوأة لحاجة مؤكدة[1] ويباح النظر إلى وجه المرأة لتحمل الشهادة وإلى الفرج لتحمل شهادة الزنا اهـ.

وفي البحر للروياني: إن الذي ذهب إليه جمهور الفقهاء أنه يستوعب جملة الوجه لأن جميعه ليس بعورة قال الماوردي: ولا يزيد على النظرة الواحدة إلا أن لا يتحقق معرفتها إلا بثانية فيجوز، وفي المعين لأبي الحسن الأصبحي من المتأخرين من فقهاء اليمن: تخصيص الخلاف في نظره فرج امرأته بغير حالة الجماع، والقطع بالجواز حين الجماع وهو غريب، وسأل أبو يوسف أبا حنيفة رحمهما الله تعالى عن مس الرجل فرج امرأته وعكسه فقال: لا بأس به، وأرجو أن يعظم أجرهما. ومنهم من روى هذا القول وعبره بالغمز وهو فوق المس، ولا يحل نظر حلقة دبر الزوجة بحال لأنها ليست محل استمتاعه قاله الدارمي، لكن قال الإمام في باب إتيان النساء في أدبارهن التلذذ بالدبر من غير إيلاج جائز، فإن جملة أجزاء المرأة محل لاستمتاع الرجل إلا ما حرم الله من الايلاج، وقال في أثناء ما جاء من الترغيب في النكاح: فإن كانت المرأة مستباحة له فله النظر إلى جميع مجردها وإلى ما وراء إزارها. قال التاج السبكي في ترشيح التوشيح: وهو كالصريح في رد تقييد الدرامي سواء اطلع الإمام على تقييده أو لم يطلع وكم للإمام مثله من جريان على مقتضى الإطلاق.

تنبيه:

قال الرافعي في المحرز: ويحرم النظر إلى الأمرد بشهوة. قال شارحه: فإذا كان من غير شهوة فلا يحرم إن لم يخف فتنة وإن خاف من الوقوع في الشهوة فوجهان. قال أكثرهم: يحرم تحرزاً عن الفتنة، وقال صاحب التقريب واختاره الإمام إنه لا يحرم أيضاً وإلا لأمروا بالاحتجاب كالنساء.

وروي أن وفداً قدموا على رسول الله ﷺ وفيهم غلام حسن الوجه فأجلسه من ورائه قال: أنا أخشى ما أصاب أخي داود، وكان ذلك بمرأى من الحاضرين فدلّ على أنه لا يحرم، ولاتفاق

(١) بياض في الأصل.

ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة، ومنها أن ينوي بالنكاح إقامة السنّة وغض البصر وطلب الولد وسائر الفوائد التي ذكرناها، ولا يكون قصده مجرد الهوى والتمتع فيصير عمله من أعمال الدنيا ولا يمنع ذلك هذه النيات، فرب حق يوافق الهوى. قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: إذا وافق الحق الهوى فهو الزبد بالنرسيان. ولا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق

المسلمين على انهم ما منعوهم في المساجد والمحافل والأسواق والخلو بينه وبين الأجنبي في المكاتب وتعليم الصنعة وغير ذلك، ولأنهم كالرجال في النظر في الحل والحرام اهـ.

(**ومن الآداب إحضار جمع من أهل الصلاح**) والتقوى (**زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان للصحة**) ولأنه ورد الأمر بالاعلان فيه، وهو اشهار أمره، ولايكون ذلك إلا بجمع من الناس، وإنما خص أهل الصلاح لاجل حصول البركة بحضورهم، (**ومنه أن ينوي بالنكاح إقامة السنّة**) حيث حث عليه النبي ﷺ في أخبار كثيرة تقدمت، (**و**) ينوي معه (**غض البصر**) عن المحارم فإنه أعظم أسبابه، (**و**) ينوي أيضاً حصول (**الولد**) لاستمرار ذكره في الدنيا (**وسائر الفوائد التي ذكرناها**) آنفاً، (**ولا يكون قصده**) منه (**مجرد**) اتباع (**الهوى والتمتع**) بالجماع ودواعيه، (**فيصير**) حينئذ (**من أعمال الدنيا**) لا من أعمال الآخرة، (**ولا يمنع ذلك هذه النيات**) الكثيرة، (**فربّ حق**) شرعي (**يوافق الهوى**) النفساني.

(**قال عمر بن عبد العزيز**) الخليفة الأموي (**رحمه الله تعالى: إذا وافق الحق هوى فهو الزبد بالنرسيان**) نقله صاحب القوت. والزبد: بالضم خلاصة السمن. والنرسيان بكسر النون والسين المهملة بينهما راء ساكنة ثم تحتية مفتوحة وألف ونون واحدته نرسيانة. قال في البارع هي فعليانة بكسر الفاء باتفاق الائمة والعامة تفتح النون وهو خطأ، وبعضهم يجعل النون زائدة ويقول أصله رسيانة فيكون فعلانة، وهو نوع من التمر جيد. وقال أبو حاتم: النرسانة نخلة عظيمة الجذع سوداء رقيقة الخرص كثيرة الشوك بسوقها صفراء عظيمة، وفي المثل: أطيب من الزبد بالنرسيان، وإذا وافق الحق الهوى فهو الزبد مع النرسيان يضرب مثلاً للأمر يستطاب ويستعذب كذا في المصباح، وذكره الزمخشري نحو ذلك، وقد علم أن هذا ليس بقول لعمر بن عبد العزيز وإنما هو مثل قديم، والله اعلم.

(**ولا يستحيل أن يكون كل واحد من حظ النفس وحق الدين باعثاً معاً**) على وجه التشارك فيجمع له بين لذة عاجلة وثواب آجل، (**ويستحب أن يقعد في المسجد**) والمراد به مسجد الحي وهو أقرب المساجد إلى منزله، ولا يشترط أن يكون المسجد الأعظم، وقد ذكر هذا ابن الصلاح واستدل له بحديث عائشة مرفوعاً «أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد» رواه الترمذي وقال: غريب.

قلت: رواه من طريق عيسى بن ميمون عن القاسم عن عائشة بزيادة «واضربوا عليه

الدين باعثاً معاً، ويستحب أن يعقد في المسجد وفي شهر شوّال. قالت عائشة رضي الله عنها: تزوجني رسول الله ﷺ في شوّال وبنى بي في شوّال.

وأما المنكوحة؛ فيعتبر فيها نوعان: أحدهما للحل، والثاني لطيب المعيشة وحصول المقاصد.

بالدفوف». وقد ضعف الترمذي نفسه عيسى هذا، وكذا جزم البيهقي بضعفه. وقال ابن الجوزي ضعيف جداً. وقال الحافظ في الفتح: سنده ضعيف. وقال في تخريج الهداية: ضعيف لكن توبع عند ابن ماجه وسيأتي ذلك قريباً. ومما بقي على المصنف هو انه يستحب أن يكون العقد في أوّل النهار للحديث المشهور «اللهم بارك لأمتي في بكورها» حسنه الترمذي وقد نص على ذلك النووي في رؤوس المسائل.

وأما الضرب بالدف عليه فقال الماوردي: كان مستحباً في العصر الاوّل، وأما بعده فيباح ولا يستحب. ونقل المزجد في التجريد عن بعض فقهاء الشافعية باليمن قال: منهم من قال باستحبابه في جميع البلدان والأزمان، ومنهم من قال يختص بالبلدان التي لا يتناكره أهلها في النكاح كالقرى والبوادي، ويكره في غيرها. قال: وفي مثل زماننا لأنه عدل به إلى السخف والسقاعة اهـ.

(و) يستحب أن يعقد النكاح **(في شهر شوال)** وهو شهر معروف بعد شهر رمضان، وذكر شهر في شوّال منظور فيه، فإنه لا يذكر به إلا المبدوءة بالراء فيقال: شهرا ربيع وشهر رجب وشهر رمضان، وأما غيرها فالأفصح عندهم أن يذكر من غير شهر. ذكره غير واحد من الائمة. وقال التقي السبكي في أجوبته عن الحافظ المزي حين انتقد عليه بعض حفاظ مصر مواضع من تهذيب الكمال فقال في بعض سياقه شهر جمادى، فقال السبكي ذكر شهر منظور فيه.

(قالت عائشة رضي الله عنها تزوّجني رسول الله ﷺ في شوّال وبنى بي في شوّال) قال العراقي: رواه مسلم اهـ.

ونقله ابن الصلاح، وكذلك نقله النووي في شرح مسلم عن الأصحاب، ويروى أنها كانت تأمر النساء بذلك، وكانت تقول: أيكن أحظى مني تشير إلى حظوتها برسول الله ﷺ.

وقد أخرج ابن عبد البر في التمهيد من حديثها قالت «تزوج بي رسول الله ﷺ وأنا ابنة ست أو سبع وبنى بي وأنا ابنة تسع سنين» هكذا رواه هشام بن عروة عن ابيه عنها قال: وفي رواية الأسود عنها ان رسول الله ﷺ تزوّجها وهي ابنة تسع سنين، وقال عبد الله بن محمد بن عقيل: تزوّجها وهي بنت عشر سنين. قال ابن عبد البر: هذا أكثر ما قيل في سنها حين نكاحها. وقال: ويحمل هذا القول عندنا على البناء بها، ورواية هشام بن عروة أصح ما قيل في ذلك من جهة النقل، والله أعلم.

(وأما المنكوحة فيعتبر فيها نوعان) أحدهما: للحل، والثاني لطيب المعيشة وحصول المقاصد.

النوع الأوّل: ما يعتبر فيها للحل وهو أن تكون خلية عن موانع النكاح والموانع تسعة عشر.

الأوّل: أن تكون منكوحة للغير.

الثاني: أن تكون معتدة للغير سواء كانت عدة وفاة أو طلاق أو وطء شبهة أو كانت في استبراء وطء عن ملك يمين.

الثالث: أن تكون مرتدة عن الدين لجريان كلمة على لسانها من كلمات الكفر.

الرابع: أن تكون مجوسية.

الخامس: أن تكون وثنية أو زنديقة لا تنسب إلى نبي وكتاب، ومنهن المعتقدات

(النوع الأوّل: ما يعتبر فيها للحل وهو أن تكون) هي (خلية) أي فارغة (**عن موانع النكاح**) كلها أو بعضها، (**والموانع تسعة عشر**

الأوّل: أن تكون منكوحة للغير) أي متزوجة له فيحرم خطبتها تصريحاً وتعريضاً.

(**الثاني: أنها تكون معتدة عن الغير**) فيحرم التصريح بخطبتها دون التعريض لأنها في حكم المنكوحات (**سواء كانت عدة وفاة أو**) عدة (**طلاق أو**) عدة (**وطء بشبهة أو كانت في استبراء وطء عن ملك يمين**)، وفي المعتدة البائنة قولان، وقيل وجهان أصحها جواز التعريض، وعبارة الوجيز والتصريح بخطبة المعتدة حرام والتعريض جائز في عدة الوفاة وحرام في عدة الرجعية، وفي عدة البائنة وجهان اهـ. وقد سبق قريباً تفصيل ذلك.

(**الثالث: أن تكون مرتدة عن الدين**) أي دين الاسلام (**بجريان كلمة على لسانها هي من كلمات الكفر**) وقد ألف فيها غير واحد من الائمة من المذاهب الأربعة رسائل، وأكثروا في أحكامها فهي يحرم تزويجها حتى تتوب وتعود في الإسلام وإلا تقتل.

(**الرابع: أن تكون مجوسية**) والمجوس أمة من الناس، ولا تحل مناكحتهم وإن كان لهم شبهة كتاب، وتؤخذ منهم الجزية، واختلف فيهم هل لهم شبهة كتاب أم لا ؟ فقال الأكثرون: نعم لهم كتاب فبدلوا فأصبحوا وقد أسرى به، وقيل: إنه لا كتاب لهم لما روي أن النبي ﷺ قال «سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم» رواه عبد الرحمن بن عوف، عن النبي ﷺ هذا مشعر بأنه لا كتاب لهم، وعلى القولين لا تحل مناكحتهم لأنه لا كتاب لهم اليوم، ولا نعلم وجود الكتب قبل يقيناً فنحتاط، وفي المذهب وجه ضعيف منقول عن أبي إسحاق وابن جربويه أنه تحل مناكحتهم.

(**الخامس: أن تكون وثنية**) أي عابدة الوثن وهو محرك الصنم سواء كان من خشب أو

لمذهب الإباحة فلا يحل نكاحهن وكذلك كل معتقدة مذهباً فاسداً يحكم بكفر معتقده.

السادس: أن تكون كتابية قد دانت بدينهم بعد التبديل أو بعد مبعث رسول الله ﷺ، ومع ذلك فليست من نسب بني إسرائيل، فإذا عدمت كلتا الخصلتين لم يحل نكاحها وإن عدمت النسب فقط ففيه خلاف.

حجر أو غيره، ومنهم من فرق بينها وينسب إليه من يتدين بعبادته فيقال: وثني وقوم وثنيون وامرأة وثنية والنساء وثنيات، **(أو زنديقة)** بالكسر. قال بعضهم: فارسي معرب، وقيل: عربي قال في المصباح: المشهور على الألسنة أن الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة ويقول بدوام الدهر، وتعبر العرب عن هذا بقولهم ملحد أي طاعن في الأديان، ولذا قال المصنف: **(لا تنسب إلى نبي وكتاب)** وفي التهذيب زندقة لزنديق أنه لا يؤمن بالآخرة ولا بوحدانية الخالق. **(ومنهن المعتقدات لمذهب الإباحة)** وهن الإباحيات وهن طائفة من نساء الخوارج ببلاد الشام، ولهن فضائح مذكورة في كتاب التواريخ، **(فلا يحل نكاحهن، وكذا كل معتقدة مذهباً فاسداً يحكم بكفر معتقده)** فهؤلاء كلهن حكمهن حكم الزنديقات، فالقول المجمل أن من موانع النكاح الكفر، والكفار ثلاثة أصناف. أحدها: الكفار الذين لا كتاب لهم ولا شبهة كتاب مثل عبدة الأصنام والشمس والنجوم وعبدة الصور التي يستحسنونها أشار إليه المصنف بقوله: وثنية، ودخل في هؤلاء المرتدون والزنادقة والإباحية الذين لا يزول الكفر عن باطنهم، **فهؤلاء** لا تحل مناكحتهم لقوله تعالى ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ [البقرة: ٢٢١] والثاني: الذين لهم شبهة كتاب وأشار إليه المصنف بقوله مجوسية، وأما الصنف الثالث من الكفار فقد أشار إليه المصنف بقوله:

(السادس: أن تكون كتابية قد دانت بدينهم) أي بدين أهل الكتاب ونعني بالكتاب التوراة والإنجيل والزبور **(بعد التبديل)** والتحريف **(أو بعد مبعث رسول الله ﷺ)** فإنه صار منسوخاً على أظهر الوجهين، وقيل قولين لبطلان فضيلة الدين بالتحريف وهو الأظهر، والقول الثاني: أو الوجه أنه يجوز نكاحها بناء على أن الصحابة تزوجوا منهم فلم يمنعوا، ومنهم من قطع بعدم الجواز، وهل يقرر هذه الطائفة بالجزية أم لا ؟ الأكثرون نعم كالمجوس للشبهة، **(ومع ذلك فليست من نساء بني إسرائيل)** أي من أولاد يعقوب عليه السلام، فإن كانت منهن حل نكاحها إن كان دخل في ذلك الدين قبل التحريف أول أصولها المعروفين أو شك في ذلك اعتباراً بشرف النسب واكتفاء به بناء على أن أولاد بني إسرائيل وذرياته كانوا قبل موسى عليه السلام بمدة طويلة لا يعرف مقدارها على التعيين لاختلاف أصحاب التواريخ في ذلك، ولا يعرف أنهم في زمان موسى عليه السلام دخلوا كلهم في شريعته أو بعد قبل التحريف، بل من التواريخ ما يدل على استمرار بعضهم على عبادة الأوثان والأديان الباطلة، فلو فرضنا استمرار ذلك في اليهودية

السابع: أن تكون رقيقة والناكح حراً قادراً على طول الحرة أو غير خائف من العنت.

لا يمكن فرض الاستمرار في النصرانية لأن بني إسرائيل بعد بعثة عيسى عليه السلام افترقوا، فمنهم من آمن به، ومنهم من صدّ عنه. فإذا لم تكن إسرائيلية ففيها قولان أصح القولين إن كانت من قوم علم دخولهم في ذلك الدين قبل التحريف والنسخ، فيجوز نكاحها لتمسكهم بذلك الدين حين كان حقاً اعتباراً لفضيلة الدين، والقول الثاني: لا لانتفاء شرف النسب وفضيلة الدين مشكوك في حقها، وإن كان معلوماً في الأيام السابقة، وإن كانت من قوم يعرف دخولهم في ذلك الدين بعد التحريف والنسخ فلا تنكح لانتفاء الشرفين بالكلية أي شرف النسب والدين، وإلى هذا أشار المصنف بقوله: **(فإذا عدمت كلتا الفضيلتين)** أي النسب والدين **(لم يحل نكاحها، وإن عدمت النسب ففيه خلاف)** كما بيناه.

(السابع): من موانع النكاح **(أن تكون رقيقة)** للغير إن وجد أحد شرطين أشار لأولها بقوله: **(والناكح حر قادر على طول الحرة)** أي يكون حراً قادراً على نكاح الحرة بأن يجد صداقها لقوله تعالى ﴿فمن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات﴾ [النساء: ٢٥] الآية. أي من لم يكن له سعة فضل ينكح بها حرة محصنة فله نكاح الأمة، وهذا الشرط فيه خلاف لأبي حنيفة ومن وجد طولاً ولم يجد حرة ينكحها فهو كمن لم يجد صداقاً، ولو قدر على نكاح حرة غائبة فينظر إن كان بالخروج إليها والوصول إلى نكاحها تلحقه مشقة ظاهرة أم لا. فإن كان لا تلحقه مشقة شديدة وهو آمن على نفسه من الوقوع في الزنا إلى أن يصل الى نكاحها فلا يحل له نكاح الأمة لوجود طول الحرة، وإن كان في الخروج إليها تلحقه مشقة أو يخاف على نفسه العنت فله نكاح الأمة. وفسر الإمام المشقة بما ينسب محتملها في طلب الزوج إلى مجاوزة الحد والإسراف، وإذا وجد حرة ترضى بدون مهر المثل وهو يجد ذلك المقدار، فالأصح من الوجهين أنه لا ينكح الأمة ولأن المهر مما يتسامح فيه ولا يتعلق به كثير منة، ولأنه حينئذ واجد حرة كما لا يجوز له التيمم إذا وجد الماء بثمن بخس وهو قادر على ذلك، وأما إذا لم يجد ذلك المقدار يجوز له نكاح الأمة والتيمم، والوجه الثاني: أنه لا يجوز له نكاح الأمة لما فيه من المنة وليس بشيء، ولأن الفرض حيث يجد ذلك القدر وعند الوجدان لا منة ولا ثقلها، لكن إن وهب منه مال أو جارية لم يلزمه القبول كما لم يلزمه لو وهب منه ثمن الماء، وإذا لم يجد المهر لكن ثم حرة ترضى بمهر مؤجل، فأظهر الوجهين أنه يجوز له نكاح الأمة وإن كان يتوقع القدرة على ذلك المؤجل عند الحلول لأن رجاءه قد لا يصدق عند الحلول وذمته في الحال مشغولة. والوجه الثاني: أنه لا يجوز له نكاح الأمة لأنه واجد للحرة ومتمكن من نكاحها. ويجري الوجهان أيضاً فيما لو بيع منه نسيئة ما يفي بصداقها أو يجد من يستأجره بأجرة معجلة بقدر الصداق أو يقرضه مهر حرة. وقطع صاحب التتمة في صورة القرض بأنه لا يجب القبول لأن القرض لا يلحقه الأجل فربما يطلبه في الحال وهذا حسن، وهل يجوز نكاح الأمة مع ملك المسكن والخادم أم عليه بيعهما وصرف ثمنهما إلى طول

الثامن: أن تكون كلها أو بعضها مملوكاً للناكح ملك يمين.

التاسع: أن تكون قريبة للزوج بأن تكون من أصوله أو فصوله، أو فصول أول أصوله، أو من أوّل فصل من كل أصل بعده أصل، وأعني بالأصول: الأمهات

الحرة؟ قال ابن كج: فيه وجهان. والظاهر جواز نكاح الأمة وعدم وجوب بيع المسكن والخادم، والمال الغائب لا يمنع صحة نكاح الأمة كما لا يمنع ابن السبيل من أخذ الزكاة والمعسر الذي له ابن موسر: إن قلنا بوجوب الإعفاف عليه وهو الأصح هل يجوز له نكاح الأمة؟ فيه وجهان لأنه مستغن بمال الإبن.

وأما الشرط الثاني فقد أشار إليه المصنف بقوله: (**أو غير خائف من العنت**) أي من الوقوع فيه، والعنت محركة الزنا كما تقدم أي مع عدم طول الحرة لغلبة شهوته وقلة تقواه، وأما عند قوة التقوى وغلبة الشهوة فوجهان. أولها: لا ينكح الأمة ويكسر شهوته بصوم أو غيره لئلا يصير ولده رقيقاً إذا لم يؤد كسر الشهوة إلى ضرر وإلا فينكح الأمة، فإن قدر على شراء أمة يتسرى بها لا يجوز له نكاح الأمة في أصح الوجهين لأنه غير خائف من العنت، ويحكى القطع به عن القاضي الحسين. والوجه الثاني: أن له نكاح الأمة لأنه لا يستطيع طول الحرة إذ الشرط في الأمة هو عدم طول الحرة وهو موجود هنا، وأما إذا كان في ملكه أمة لم ينكح الأمة إذا كانت الأمة ممن تحل له، وإن لم تكن حلالاً له فإن وفت قيمتها بمهر حرة أو بجارية يتسرى بها لم ينكح الأمة وإلا فيجوز نكاحها.

(**الثامن: أن يكون كلها أو بعضها مملوكاً للناكح ملك يمين**) وأخصر منه عبارة الوجيز: أو مملوكة للناكح بعضها أو كلها، فلا ينكح الرجل المرأة التي يملكها كلها أو بعضها، فليس للرجل أن يتزوج بجاريته ولا بالتي بعضها ملك له لأن ملك اليمين أقوى، ولو ملك الزوج زوجته بالبيع أو بالهبة أو بالإرث أو ملك بعضها انفسخ النكاح بينهما لأن بالنكاح لا يملك الشخص إلا بعض المنفعة وهي منفعة البضع، وبالملكية يملك جميع منافعها، وكذلك لا تتزوج السيدة بمملوكها كلاً أو بعضاً، فلو ملكت زوجها انفسخ نكاحها لأن ملك اليمين أقوى من ملك النكاح لأنه يملك به الرقبة والمنفعة وبالنكاح لا يملك إلا بعض المنفعة.

(**التاسع: أن تكون**) المنكوحة (**قريبة للزوج**) أي من محارمه (**بأن تكون من فصوله أو أصوله أو فصول أول أصوله أو من أول فصل من كل أصل**) أي من كل أصل بعد الأصل الأول. وعبارة الوجيز من موانع النكاح المحرمية بقرابة أو رضاع أو بمصاهرة. أما القرابة فيحرم منها سبع: الأمهات، والبنات، والأخوات، وبنات الاخوة، والأخوات، والعمات، والخالات. ولا يحرم أولاد الأعمام والأخوال، وأمك كل أنثى ينتهي إليها نسبك بالولادة ولو بوسائط، وبنتك من ينتهي إليك نسبها ولو بوسائط، والضابط أنه يحرم على الرجل أصوله وفصوله، وفصول أول أصوله وأول فصل من كل أصل وإن علا انتهى.

والجدات، وبفصوله: الأولاد والأحفاد، وبفصول أوّل أصوله: الاخوة وأولادهم، وبأوّل فصل من كل أصل بعده أصل: العمات والخالات دون أولادهن.

العاشر: أن تكون محرمة بالرضاع ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الأصول والفصول ـ كما سبق ـ ولكن المحرم خمس رضعات وما دون ذلك لا يحرم.

(وأعني بأصوله الأمهات والجدات، وبفصوله الأولاد والأحفاد، وبفصول أول أصوله الأخوة وأولادهم، وبأول فصل من كل أصل بعده أصل العمات والخالات دون أولادهن). فالمحرم المنصوص من القرابة في كتاب الله سبعة: الأمهات جمع أم وأمهة وهي لغة وتقدم تعريفها أن كل أنثى ولدتك أو ولدت من ولدك وهي الجدة، والبنات جمع بنت وكذا بنت البنت وبنت الابن وبنت ابنه وإن سفل. والبنت كل أنثى ولدتها أو ولدت من ولدها وإن سفل ذكراً كان أو أنثى أي كل أنثى ينتهي إليك نسبها بواسطة أو غير واسطة. والأخوات من الأبوين أو من الأب أو من الأم وبنات الأخوة وبنات الأخوات من أي جهة كانت. وأختك هي كل أنثى ولدها أبواك أو أحدهما. والعمات من الأبوين أو من الأب أو من الأم. والعمة كل أنثى هي أخت للأب. والخالات جمع خالة وهي كل امرأة هي أخت والدتك من الأبوين أو من الأب أو من الأم، فهؤلاء هي السبع المحرمات من النسب.

(العاشر: أن تكون محرمة بالرضاع، ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب من الأصول والفصول كما سبق) أي هؤلاء السبعة التي ذكرت يحرمن من الرضاع أيضاً كالأمهات من الرضاع، والبنات من الرضاع، والأخوة والأخوات من الرضاع، والعمات من الرضاع، والخالات من الرضاع، والأم من الرضاع هي كل امرأة أرضعتك في صغرك أو أرضعت مرضعتك أو أرضعت من ولدك من الأم والأب بغير واسطة أو بواسطة أو ولدت مرضعتك أو أرضعت من ابن مرضعتك منه فهي أمك من الرضاع حتى يحرم عليك نكاحها، وعلى هذا قياس سائر الأصناف. وفي الباب صورتان مستثنيات الأولى أم ولدك من لا يحرم عليك بأن أرضعت أجنبية ابنك أو بنتك تلك الأجنبية لا تكون حراماً عليك وإن كان أم الابن من النسب حراماً. الثانية: أن ترضعك امرأة أجنبية فتصير أماً لك من الرضاع، وأرضعت تلك المرأة الأجنبية بنتاً أجنبية منك فصارت أختك من الرضاع، فيجوز لأخيك من الأبوين أو من الأب أو من الأم نكاح تلك البنت التي هي أختك من الرضاع.

(ولكن المحرم خمس رضعات) في الحولين **(ودون ذلك لا يحرم)** هذا مذهب الشافعي رضي الله عنه لما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخت بخمس معلومات فتوفي رسول الله ﷺ وهي فيما يقرأ من القرآن. قالوا: هذا يدل على قرب النسخ. قال: قالوا إن من لم يبلغه النسخ كأن يقرأها.

وعنها أيضاً أنها قالت قال رسول الله ﷺ «لا تحرم المصة والمصتان» وفي لفظ «لا تحرم

الحادي عشر: المحرم بالمصاهرة وهو أن يكون الناكح قد نكح ابنتها أو جدتها أو ملك بعقد أو شبهة عقد من قبل أو وطئهن بالشبهة في عقد أو وطيء أمها أو إحدى

الإملاجة ولا الإملاجتان» رواه مسلم أيضاً. وفي لفظ «لا تحرم الرضعة والرضعتان والمصة والمصتان» وقال أصحابنا الحنفية يحرم به وإن قلّ في ثلاثين شهراً ما يحرم بالنسب، وإن كان الرضاع قليلاً. وقولهم في ثلاثين شهراً بيان لمدة الرضاع، وهو قول أبي حنيفة، وقال صاحباه مدته سنتان، وقال زفر ثلاث سنين، وقال بعضهم: لا حد له للنصوص المطلقة لقول الله تعالى ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾ [النساء: ٢٣] علقه بفعل الرضاع من غير قيد بالعدد، والتقييد به زيادة وهو نسخ. والأحاديث فيه كثيرة كلها مطلقة في المتفق عليه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، ومنها حديث عائشة عندهما مرفوعاً «إن الله حرم من الرضاع ما حرم من الولادة» وما استدل به الشافعي منسوخ. وروي عن ابن عباس أنه قال قوله: «لا تحرم الرضعة ولا الرضعتان» كان. فأما اليوم فالرضعة الواحدة تحرم فجعله منسوخاً. حكاه عنه أبو بكر الرازي، ومثله عن ابن مسعود ونسخه بالكتاب نص عليه ابن عباس. وقال ابن بطال: أحاديث عائشة مضطربة فوجب تركها والرجوع إلى كتاب الله تعالى لأنه يرويه ابن زيد مرة عن النبي ﷺ، ومرة عن عائشة ومرة عن أبيه، ومثله يسقط ولا حجة له في خمس رضعات أيضاً لأن عائشة أحالتها على أنه قرآن وقالت: ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلما مات رسول الله ﷺ وتشاغلنا بموته دخلت دواجن فأكلتها، وقد ثبت أنه ليس من القرآن لعدم التواتر ولا تحل القراءة به ولا إثباته في المصحف، ولا يجوز التقييد عنده ولا عندنا لأنه إنما يجوز التقييد بالمشهور من القراءة ولم يشتهر، ولأنه لو كان قرآناً لكان يتلى اليوم إذ لا نسخ بعد النبي ﷺ، وقيل: العشر والخمس كان في رضاع الكبير ثم نسخ. وروي أن ابن عمر قيل له إن ابن الزبير يقول لا بأس بالرضعة والرضعتين. فقال: قضاء الله خير من قضاء ابن الزبير، ومذهبنا مذهب علي وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وجمهور التابعين. وقال النووي: هو قول جمهور العلماء. وقال الليث ابن سعد: أجمع المسلمون على أن قليل الرضاع وكثيره يحرم في المهد كما يفطر الصائم. قال ابن عبد البر: على اختلاف في ذلك ولكل من الصاحبين وزفر أدلة يحتجون بها. والجواب عنها الكل مبسوط في كتب الفروع.

(الحادى عشر: المحرم بالصهارة) أي من جهة الصهارة بالصحيح دون الفاسد، **(وهو أن يكون الناكح قد نكح ابنتها او جدتها من قبل أو وطئهن بالشبهة)** بأن وطئهن غالطاً **(في عقد أو وطئ أمها أو إحدى جداتها بعقد أو شبهة عقد)**، ويحرم بسبب المصاهرة على الشخص زوجة ابنه من النسب والرضاع لقوله تعالى: ﴿وحلائل أبنائكم﴾ [النساء: ٢٣] ولفظ الأبناء يشمل الأحفاد وإن سفلوا. وقوله تعالى: ﴿الذين من أصلابكم﴾ [النساء: ٢٣] احتراز من التبني، فإن زوجة المتبنّي يجوز نكاحها لمن تبناه، وكذلك تحرم زوجة الأب من النسب والرضاع لقوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾ [النساء: ٢٢] وفي معنى زوجة الأب

جداتها بعقد أو شبهة عقد فمجرد العقد على المرأة يحرم أمهاتها ولا يحرم فروعها إلا بالوطء، أو يكون قد نكحها أبوه أو ابنه قبل.

الثاني عشر: أن تكون المنكوحة خامسة أي يكون تحت الناكح أربع سواها إما في نفس النكاح أو في عدة الرجعة، فإن كانت في عدة بينونة لم تمنع الخامسة.

الثالث عشر: أن يكون تحت الناكح أختها أو عمتها أو خالتها فيكون بالنكاح

زوجة الجد وإن علا، وهذه الثلاثة تحرم بمجرد النكاح الصحيح من غير شرط الدخول، **(فمجرد العقد الصحيح على المرأة يحرم أمهاتها)** وإنما قيدنا النكاح بالصحيح لأن النكاح الفاسد لا يتعلق به الحل والحرمة، فكما لا يتعلق به حل المنكوحة لا تتعلق حرمة هذه المذكورات، ولا يحرم على الرجل بنت زوج الأم ولا أمه، ولا بنت زوج البنت ولا أمه، ولا أم زوجة الأب ولا بنتها، ولا أم زوجة الابن ولا بنتها، ولا زوجة الربيب ولا زوجة الراب، **(ولا يحرم فروعها)** أي بنات الزوجة من النسب والرضاع وهي الربيبات **(إلا بالوطء)** أي بمجرد النكاح، ولا يلحق سائر المباشرات كالقبلة والمفاخذة دون الفرج والنظر إليها بالشهوة ووضع الفرج على الفرج بالوطء، ولا يثبت حرمة المصاهرة على أصح الوجهين. والثاني وهو مذهب أبي حنيفة أنها تثبت المصاهرة لأنها كالوطء في الاستلذاذ واختاره الروياني وصاحب التهذيب.

(الثاني عشر: أن تكون المنكوحة خامسة أي يكون تحت الناكح أربع سواها أما في نفس النكاح أو في عدة الرجعة) أي إذا طلق الأربع أو بعضاً منهن طلاقاً رجعياً إلى أن تحصل البينونة بانقضاء العدة أو باستيفاء العدد لأن الرجعية كالمنكوحة، **(فإن كانت في عدة بينونة لم تمنع الخامسة)** أي إذا كان تحته أربع وأراد نكاح خامسة فطلق الأربع أو بعضهن بائناً صح له نكاح الخامسة، ولو قبل انقضاء عدة البائنة كما لو وطيء امرأة بالشبهة ونكح أربعاً قبل انقضاء عدتها فإنه جائز خلافاً لأبي حنيفة وأحمد.

(الثالث عشر: أن يكون تحت الناكح أختها أو عمتها أو خالتها فيكون بالنكاح جامعاً بنهما) هذا وما قبله يقتضي التحريم لا بصفة التأبيد أي يحرم الجمع بين الأختين من الرضاع أو من النسب سواء كانا أختين من الأبوين أو من أحد الأبوين لقوله تعالى ﴿وأن تجمعوا بين الأختين﴾ [النساء: ٢٣] وكذا يحرم الجمع في النكاح بين المرأة وعمتها من النسب أو الرضاع، وكذا بين المرأة وبين بنت أختها وبنت أخيها، وكذا بين المرأة وبين خالتها في النسب والرضاع لما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال «لا تنكح المرأة على عمتها ولا العمة على بنت أخيها ولا المرأة على خالتها ولا الخالة على بنت أختها ولا الصغرى على الكبرى» وأراد بالصغرى والكبرى في الزوجية لا في السن، والصغرى بنت الأخ وبنت الأخت، والكبرى العمة والخالة. (و)الضابط أن

جامعاً بينهما وكل شخصين بينهما قرابة لو كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى لم يجز بينهما النكاح. فلا يجوز أن يجمع بينهما.

الرابع عشر: أن يكون هذا الناكح قد طلقها ثلاثاً فهي لا تحل له ما لم يطأها زوج غيره في نكاح صحيح.

(كل شخصين بينهما قرابة لو) فرض بأنه **(كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى لم يجز بينهما النكاح فلا يجوز أن يجمع بينهما)**، وعبارة الوجيز: ولا يجوز الجمع بين امرأتين بينهما قرابة أو رضاع لو كانت إحداهما ذكراً حرم النكاح بينهما اهـ.

وهذا الضابط ذكره أيضاً أصحابنا قالوا: حرم الجمع بين امرأتين أية فرضت ذكراً حرم النكاح أي إذا كانت بحيث لو قدرت إحداهما ذكراً حرم النكاح بينهما أيتهما كانت المقدرة ذكراً، وقال عثمان الليثي: يجوز الجمع بين المحارم غير الأختين وهو مذهب داود الظاهري والخوارج، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ [النساء: ٢٤] ولنا الحديث المتقدم « لا تنكح المرأة على عمتها » الخ. وكذا الحديث « نهى النبي ﷺ عن الجمع بين العمتين أو بين الخالتين » والآية مخصوصة ببنته وعمته من الرضاع وبالمشركة فجاز تخصيصها بخبر الواحد والقياس، وذكر النهي من الجانبين للتأكيد ولإزالة وهم الجواز في العكس، لأنه لو اقتصر على قوله « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها » لتوهم أن العكس يجوز لفضيلة العمة والخالة عليها كما يجوز إدخال الحرة على الأمة دون العكس، فأزال هذا الوهم بقوله « ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها » قالوا: وصورة العمتين في الحديث الثاني أن يتزوج كل واحد من الرجلين أم الآخر فيولد لكل منهما بنت فتكون كل واحد من البنتين عمة الأخرى، وصورة الخالتين فيه أن يتزوج كل واحد منهما بنت الآخر فيولد لكل منهما بنت فتكون كل واحدة منهما خالة الأخرى، وقولهم في الضابط: أية فرضت إشارة الى أن الشرط أن لا يتصور جواز تزوج أحدهما بالآخر على كلا التقادير حتى لو جاز بينهما على تقدير مثل المرأة وبنت زوجها وامرأة ابنها جاز الجمع بينهما، وفيه خلاف زفر من أصحابنا هو يقول: لما ثبت الامتناع من وجه فالأحوط الحرمة وهو مذهب ابن أبي ليلى والحسن البصري وعكرمة، وللجمهور قوله تعالى ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ لأنه لا قرابة بينهما فلم تكن بينهما قطيعة الرحم، وقد صح أن عبد الله بن جعفر جمع بين بنت علي وامرأة علي، وكذا جمع ابن عباس بين امرأة رجل وبنته من غيرها، والله أعلم.

(الرابع عشر: أن يكون هذا الناكح قد طلقها من قبل ثلاثاً فهي لا تحل له ما لم يطأها آخر زوج غيره). وعبارة الوجيز: والمطلقة ثلاثاً لا تحل له حتى يطأها زوج آخر في نكاح صحيح، ولا يكفي نكاح الشبهة ويكفي إيلاج الحشفة ويكفي وطء الصبي والعنين، ولا يشترط انتشار الآلة، ولو زوجها الزوج من عبده الصغير واستدخلت آلته ثم باع منها لينفسخ النكاح جاز في قول جواز إجبار العبد وحصل به رفع الغيرة، وإن نكحت بشرط الطلاق فسد العقد في وجه

الخامس عشر: أن يكون الناكح قد لاعنها فإنها تحرم عليه أبداً بعد اللعان.

ولم يحصل التحليل، وهل يفسد النكاح بشرط عدم الوطء؟ فيه خلاف ويفسد إذا تزوج بشرط أن لا يحل، وليس الشرط السابق على العقد كالمقارن في الإفساد اهـ.

يعني يشترط في حل المرأة على الزوج الأول إصابة الزوج الثاني في نكاح صحيح في أصح القولين لظاهر النص، وفي القول الثاني يحصل الحل بالإصابة في النكاح الفاسد أيضاً لأنه حكم من أحكام الوطء فيتعلق بالوطء في النكاح الفاسد كالمهر والعدة، والأول الأصح وهو مذهب مالك وأبي حنيفة. وحكى أبو الفرج البزاز طريقة قاطعة بهذا، والوطء بالشبهة من غير نكاح لا يحل لظاهر قوله تعالى: ﴿حتى تنكح زوجاً غيره﴾ [البقرة: ٢٣٠] ولم يوجد نكاح صحيح ولا فاسد، والمعتبر في التحليل تغييب الحشفة بتمامها عند وجودها إذ بذلك تناط الأحكام المتعلقة بالوطء كلها أو تغييب مقدارها من مقطوعها. قال في التهذيب: إن كانت بكراً فأقل الإصابة الافتضاض بآلته، والأصح ما ذكرنا. وأصح الوجهين اشتراط انتشار الآلة، والثاني عدم اشتراطه فلو استعان بإصبعه أو إصبعها يكون كافياً. قال الشيخ أبو محمد وغيره: يكتفي به لحصول صورة الوطء وأحكامه، وأصح الوجهين أنه لا يكفي إصابة الطفل الذي لا يتأتى منه الجماع، والثاني أنه يكفي. وحكي ذلك عن اختيار القفال، وحكى الإمام اتفاق الأئمة على الاكتفاء بوطء الصبي، كما أن وطء الصبية المطلقة مكتفى به، ولا فرق في حصول الحل أن يكون الزوج الثاني عاقلاً أو مجنوناً حراً أو عبداً خصياً أو فحلاً مسلماً أو ذمياً إذا كانت المطلقة ذمية، سواء كان المطلق مسلماً أو ذمياً والمراهق والصبي الذي يتأتى منه الوطء كالبالغ في الأصح. قال الأئمة: وأسلم الطريق في الباب وأدفعه للعار والغيرة أن يزوج من عبد مراهق أو طفل للزوج أو لغيره يستدخل حشفته ثم يملكها ببيع أو هبة لينفسخ النكاح، ويحصل التحليل لكن هذا مبني على أصلين، أحدهما: حصول التحليل بوطء الصبي وقد مر ما عرفت، والثاني: إجبار السيد العبد على النكاح، والصحيح ليس له الإجبار، وإنما قالوا: أسلم الطريق لأن وطء البالغ قد يحبلها فيطول الانتظار، ولو نكحها الزوج الثاني بشرط التحليل فسد النكاح لأنه أشبه بنكاح المتعة، وقد ورد «لعن الله المحلل والمحلل له» وفسد بشرط التحليل، وكذا إذا نكحها بشرط الطلاق في أصح الوجهين لأنه شرط يمنع دوام النكاح فأشبه نكاح الموقت ونكاح الموقت باطل، ولا يحصل الحل فيما لو وطىء فيما دون الفرج وسبق الماء الى الفرج ولا باستدخال مائه ولا بإتيانها في غير المأتي، والله أعلم.

(**الخامس عشر: أن يكون الناكح قد لاعنها فإنها تحرم عليه أبداً بعد اللعان**) وذكره المصنف في الوجيز مختصراً فقال: أو ملاعنة، وقول المصنف فإنها تحرم عليه أبداً بعد اللعان هو الذي عليه جمهور العلماء من حصول الفرقة بمجرد اللعان من غير توقف على تفريق الإمام، وبه قال مالك والشافعي وأحمد وزفر، ثم قال الشافعي، وبعض المالكية: تحصل الفرقة بتمام لعانه وإن لم تلتعن هي. وقال أحمد: لا يحصل ذلك إلا بتمام لعانهما معاً وهو المشهور من مذهب مالك، وبه قال أهل الظاهر قالوا: وهي فرقة فسخ وحرمة مؤبدة، وقال أصحابنا الحنفية: لا تقع الفرقة بمجرد

السادس عشر: أن تكون محرمة بحج أو عمرة أو كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح إلا بعد تمام التحلل.

السابع عشر: أن تكون ثيباً صغيرة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ.

الثامن عشر: أن تكون يتيمة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ

اللعان، بل يتوقف ذلك على تفريق الحاكم بينهما وهو رواية عن أحمد، وقال به محمد بن محمد بن أبي صفرة من المالكية، ثم اختلفوا في هذا التفريق فقال أبو حنيفة، ومحمد بن الحسن وعبيد بن الحسن: هو طلقة بائنة، فلو أكذب نفسه بعد ذلك جاز له نكاحها وهو رواية عن أحمد، وقال أبو يوسف: هو حرمة مؤبدة والله أعلم.

(السادس عشر: أن تكون محرمة بحج أو عمرة أو كان الزوج كذلك فلا ينعقد النكاح إلا بعد تمام التحلل) لما روى مسلم وغيره من حديث منبه بن وهب عن أبان عن عثمان عن أبيه رفعه قال « لا ينكح المحرم ولا ينكح » وفي رواية « ولا يخطب » وقال أصحابنا: حل تزوج المحرمة ولو كان المتزوج بها محرماً أو الولي المزوج لها محرماً وهو قول ابن مسعود وابن عباس وأنس وجمهور التابعين، وفي المتفق عليه من حديث جابر بن زيد عن ابن عباس « أنه ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم » وروى عكرمة مرفوعاً « تزوج ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال » وروى أبو عوانة عن مغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت: « تزوج رسول الله ﷺ بعض نسائه وهو محرم » رواته ثقات، وحديث عثمان ضعيف قاله البخاري، ولئن صح فهو محمول على الوطء لأنه الحقيقة والتذكير باعتبار الشخص ولا يعارض بما روي عن يزيد بن الأصم أنه ﷺ تزوج بها وهو حلال، ولهذا قال عمرو بن دينار للزهري: وما يدري ابن الأصم أعرابي بوال على ساقه أتجعله مثل ابن عباس، أو أنه أراد بالتزويج البناء بها مجازاً لأنه سببه فجاز إطلاقه على البناء وهذا أيضاً ضعيف، وقد جاء مرفوعاً من رواية مطر الوراق وليس ممن يحتج به. وقال ابن عبد البر: هو غير متصل ووصله هو وهو غلط وبين وجهه. قال الإمام أبو جعفر الطحاوي: الذين رووا أنه ﷺ تزوج بها وهو محرم أهل فقه، وتثبت من أصحاب ابن عباس مثل سعيد بن جبير وعطاء وطاوس ومجاهد وعكرمة وجابر بن زيد والله أعلم. وقوله: إلا بعد تمام التحلل تقدم بيانه في كتاب الحج.

(السابع عشر: أن تكون ثيباً صغيرة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ) ذكره المصنف في الوجيز.

(الثامن عشر: أن تكون يتيمة فلا يصح نكاحها إلا بعد البلوغ) ذكره المصنف أيضاً في الوجيز.

التاسع عشر: أن تكون من أزواج رسول الله ﷺ ممن توفي عنها أو دخل بها. فإنهن أمهات المؤمنين وذلك لا يوجد في زماننا فهذه هي الموانع المحرمة.

أما الخصال المطيبة للعيش التي لابدّ من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد وتتوفر

(التاسع عشر: أن تكون من أزواج رسول الله ﷺ، فمن توفي عنها أو دخل بها فإنها من أمهات المؤمنين) فاللاتي مات عنهن ﷺ تسع نسوة تقدم ذكرهن، وكانت سودة آخر أمهات المؤمنين موتاً، واختلف في ريحانة هل كانت زوجة أو سرية؟ وجزم ابن إسحاق أنها اختارت البقاء في ملكه، وهل ماتت قبله عليه السلام أو بعده؟ فالأكثر على أنها قبله سنة عشر، وكذا ماتت زينب بنت خزيمة بعد دخوله عليها بقليل. قال ابن عبد البر: مكثت عنده شهرين أو ثلاثة، **(وذلك لا يوجد في زماننا)** ولكن يقدره الفقهاء تقديراً.

(فهذه هي الموانع المحرمة) وقد عدها المصنف في الوجيز سبعة عشر فقال: الثاني من أركان النكاح المحل وهو المرأة الخلية عن الموانع مثل أن تكون منكوحة الغير أو معتدة الغير أو مرتدة أو مجوسية أو زنديقة أو كتابية وأتت بعد التبديل أو بعد المبعث أو رقيقة والناكح حر قادر على حرة أو مملوكة للناكح بعضها أو كلها، أو من المحارم أو بعد الأربع أو تحته من لا يجمع بينها، أو مطلقة ثلاثاً لم يطأها زوج ناهز أو ملاعنة أو محرمة بحج أو عمرة أو ثيباً صغيرة أو يتيمة أو زوجة رسول الله ﷺ اهـ.

وقوله: وأتت بعد التبديل أو بعد المبعث الأولى وعلم دخول أول أجدادها في الدين بعد النسخ أو لم يعلم ذلك وكانت غير إسرائيلية، وإلاّ جاز نكاحها ويثبت كونها إسرائيلية بإثنين أسلما أو بعد التواتر، وفي كتب أصحابنا تفصيل محرمات النكاح بضابط آخر قالوا: المحرمات أنواع: النوع الأول: المحرمات بالنسب وهن أنواع فروعه وأصوله وفروع أبويه وإن نزلوا وفروع أجداده وجداته إذا انفصلوا ببطن واحد، والنوع الثاني: المحرمات بالمصاهرة وهن أنواع أربعة فروع نسائه المدخول بهن، وأصولهن، وحلائل فروعه، وحلائل أصوله. والنوع الثالث: المحرمات بالرضاع وأنواعهن كالنسب. والنوع الرابع: حرمة الجمع بين المحارم ومن الجمع بين الأجنبيات كالجمع بين الخمس أو بين الحرة والأمة والحرة متقدمة. والنوع الخامس: المحرمة بحق الغير كمنكوحة الغير ومعتدته والحامل بثابت النسب. والنوع السادس: المحرمة لعدم دين سماوي كالمجوسية والمشركة، والنوع السابع: المحرمة للتنافي كنكاح السيدة مملوكها ولكل ذلك تفصيل مودع في كتب الفروع.

(وأما الخصال المطيبة للعيش) بين الزوجين **(التي لا بد من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده ثمانية:)** الأولى: **(الدين، و)** الثانية: **(الخلق)** الحسن، **(و)** الثالثة: **(الحسن)** وهو المعبر عنه بالجمال، **(و)** الرابعة: **(خفة المهر)** بأن يكون المسمى بينهما خفيفاً،

مقاصده ثمانية: الدين، والخلق، والْحُسن، وخفة المهر، والولادة، والبكارة، والنسب، وأن لا تكون قرابة قريبة.

الأولى: أن تكون صالحة ذات دين، فهذا هو الأصل وبه ينبغي أن يقع الاعتناء فإنها إن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها أزرت بزوجها وسوّدت بين الناس وجهه وشوّشت بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه، فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة، وإن سلك سبيل التساهل كان متهاوناً بدينه وعرضه ومنسوباً إلى قلة الحمية والأنفة، وإذا كانت مع الفساد جميلة كان بلاؤها أشد إذ يشق على الزوج مفارقتها فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها ويكون كالذي جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إن لي امرأة لا ترد يد لامس. قال: «طلقها» فقال: إني أحبها. قال: «امسكها». وإنما أمره بإمساكها خوفاً عليه بأنه إذا طلقها أتبعها نفسه وفسد هو أيضاً

(و) الخامسة: (**الولادة**) بأن تكون كثيرة الولادة غير عاقر ويعرف ذلك في البكر بأقاربها، (و) السادسة: (**البكارة**) بأن لا تكون ثيباً، (و) السابعة: (**النسب**) أي يكون إنتاؤها إلى أصل شريف، (و) الثامنة: (**أن لا تكون قرابة قريبة**) فإنها تضوي، وقد فضل المصنف هذه الخصال فقال:

(**الأولى: أن تكون صالحة**) أي (**ذات**) صلاح و(**دين**) والصلاح ضد الفساد، ويختصان في أكثر الإستعمال بالأفعال، (**فهذا هو الأصل**) في الخصائل، (**وبه ينبغي أن يقع الإعتناء**) أي الإهتمام بشأنه، (**فإنها إن كانت ضعيفة الدين**) لا تهتم (**في صيانة نفسها**) عن الخسائس (**وفرجها**) عن المحارم أزرت (**بزوجها**) أي فضحته (**وسودت وجهه بين الناس**) بهتك عرضه (**وتشوش بالغيرة قلبه وتنغص بذلك عيشه**) فلا يتهنى في أحواله قط، (**فإن سلك**) معها (**سبيل الحمية**) الدينية والأنفة الايمانية (**والغيرة**) الإنسانية (**لم يزل**) معها (**في بلاء**) لا يبيد (**ومحنة**) تزيد، (**وإن سلك سبيل التساهل**) والتغافل (**كان متهاوناً بدينه وعرضه ومنسوباً إلى قلة الحمية**) وهذه الحالة غير محمودة عند الله وعند الناس، (**وإذا كانت مع**) هذا (**الفساد**) والخبث المنطوي (**جميلة الصورة**) حسنة الخلقة (**كان بلاؤها أشد**) وفتنتها عمياء وداهيتها صماء (**إذ يشق على الزوج مفارقتها**) نظراً إلى جمالها (**فلا يصبر عنها ولا يصبر عليها**) فهو إذاً في نارين مبتلي ببلاءين، (**ويكون كالذي جاء إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله لي امرأة لا ترد يد لامس**) أي لا تمنع منه واللمس أعم من الغمز (**قال: «طلقها»**) أي فارقها بالطلاق. (**قال: أحبها**) أي لجمالها (**قال «أمسكها»**) قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس، قال النسائي: ليس بثابت والمرسل أولى بالصواب وقال: حديث منكر، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، (**وإنما أمره بإمساكها خوفاً عليه بأنه**

معها فرأى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى، وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله أو بوجه آخر لم يزل العيش مشوّشاً معه، فإن سكت ولم ينكره كان شريكاً في المعصية مخالفاً لقوله تعالى: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ [التحريم: ٦] وإن أنكر وخاصم تنغص العمر. ولهذا بالغ رسول الله ﷺ في التحريض على ذات الدين فقال: «تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين تربت يـداك». وفي

إن طلقها اتبعها) لميل قلبه إليها (**وفسد هو أيضاً معها**) فيسرى فسادها إلى فساد حاله فيقع في بلية أشد من الأولى، (**فرأى ما في دوام نكاحه من دفع الفساد عنه مع ضيق قلبه أولى**) وأقل ضرراً، (**وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله**) بأن تضعه في غير مواضعه سواء أذن لها فيه أو لم يأذن (**أو بوجه آخر**) من وجوه الفساد (**لم يزل العيش مشوشاً معه**) ومكدراً، (**فإن سكت**) على ذلك(**ولم ينكر**) عليها في تلك الحركات (**كان شريكاً في المعصيـة**) أي مشاركاً لها فيها (**ومخالفاً لقوله تعالى**) ﴿يا أيها الذين آمنوا (**قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾**) أي اجعلوا نفوسكم وأهليكم في وقاية من النار، (**وإن أنكر**) عليها (**وخاصم**) معها لم ترتدع لما جبلت على فساد دينها (**وتنغص العمر**) وذهب لذيذ العيش، (**ولهذا بالغ رسول الله ﷺ فقال: تنكح المرأة لأربع**) أي لأجل أربع أي إنهم يقصدون عادة نكاحها لذلك (**لمالها**) قدم في الذكر لتشوف أكثر النفوس في النكاح إلى ذلك (**وجمالها**) أي حسنها ويقع على الصور والمعاني (**وحسبها**) محركة أي شرفها بالآباء والأقارب مأخوذ من الحساب لأنهم كانوا إذا تفاخروا واعدوا مناقبهم ومآثر آبائهم وحسبوها فيحكم لمن زاد عدده على غيره، وقيل: أراد بالحسب هنا أفعالها (**ودينها**) ختم به إشارة إلى أنه المقصود بالذات، ولذلك قال: (**فعليك بذات الدين**) أي اخترها وفز بها من بين سائر النساء ولا تنظر إلى غير ذلك (**تربت يداك**») أي افتقرتا أو لصقتا بالتراب من شدة الفقر إن لم تفعل، وهذه الكلمة تأتي لمعان، وإن كان أصلها دعاء كالمعاتبة والإنكار والتعجب وتعظيم الأمر والحث على الشيء وهو المراد هنا. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أبو داود والنسائي وابن ماجه في النكاح، وقد عد جمع هذا الحديث من جوامع الكلم، ثم إن سياقهم جميعاً «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك».

تنبيه:

قال الماوردي إن كان عقد لأجل المال وكان أقوى الدواعي إليه فالمال إذاً هو المنكوح، فإن اقترن بذلك أحد الأسباب الباعثة على الإئتلاف جاز أن يثبت العقد وتدوم الإلفة وإن تجرد عن غيره فاخلق بالعقد أن ينحل وبالإلفة أن تزول، سيما إذا غلب الطمع وقل الوفاء، وإن كان العقد رغبة في الجمال فذلك أدوم ألفة من المال لأن الجمال صفة لازمة والمال صفة زائلة، فإن سلم الجمال

حديث آخر: «من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم جمالها ومالها، ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها». وقال ﷺ: «لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكح المرأة لدينها». وإنما بالغ في الحث على الدين لأن مثل هذه المرأة تكون عوناً على الدين، فأما إذا لم تكن متدينة كانت شاغل عن الدين ومشوّشة له.

الثانية: حسن الخلق وذلك أصل مهم في طلب الفراغة والاستعانة على الدين، فإنها

من الإدلال المفضي للملل دامت الألفة واستحكمت الوصلة، وقد كرهوا الجمال البارع لما يحدث عنه من شدة الإدلال المؤدي إلى قبضة الإذلال، والله أعلم.

(وفي حديث آخر: «من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها، ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها») كذا في القوت، وقال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس «من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسنها لم يزده الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه ويصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه». ورواه ابن حبان في الضعفاء اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن النجار في تاريخه إلا أنه قال: «ويصل رحمه كان ذلك منه وبورك له فيها وبارك الله لها فيه».

(وقال ﷺ: «لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها) أي يوقعها في الردى أي الهلاك **(ولا لمالها فلعل مالها يطغيها)** أي يوقعها في الطغيان وهو التجاوز عن الحدود، **(وانكح المرأة لدينها»)** قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو اهـ.

قلت: لفظ ابن ماجه: «لا تتزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولاتزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن يطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة سوداء خرماء ذات دين أفضل». ورواه الطبراني في الكبير والبيهقي بلفظ: «لا تنكحوا النساء لحسنهن» والباقي سواء.

وعن سعيد بن منصور في السنن بلفظ: «لا تنكحوا المرأة لحسنها فعسى حسنها أن يرديها ولا تنكحوا المرأة لمالها فعسى مالها أن يطغيها وانكحوها لدينها فلأمة سوداء خرماء ذات دين أفضل من امرأة حسناء ولا دين لها».

(وإنما بالغ) في هذه الأخبار **(في الحث على الدين)** والتحريض عليه **(لأن مثل هذه المرأة)** الموصوفة بالدين **(تكون عوناً)** لزوجها **(على)** أداء أمور **(الدين)** وعلى إقامتها، **(فاما إذا لم تكن متدينة كانت شاغلة)** له **(عن)** مهمات **(الدين ومشوشة له)** عنها.

(الثانية: حسن الخلق) بضم الخاء واللام هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال فيصير من غير حاجة إلى فكر وروية، فإذا كانت الهيئة مما يصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلقاً حسناً وهو المراد هنا، **(وذلك أصل مهم في طلب الفراغة)** عن الإشتغال

إذا كانت سليطة بذئة اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم كان الضرر منها أكثر من النفع، والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الأولياء. قال بعض العرب: لا تنكحوا من النساء ستة لا أنانة ولا منانة ولا حنانة ولا تنكحوا حداقة ولا براقة ولا شداقة. أما الأنانة؛ فهي التي تكثر الأنين والتشكي وتعصب رأسها كل ساعة فنكاح الممراضة ونكاح المتمارضة لا خير فيه. والمنانة التي تمن على زوجها فتقول: فعلت لأجلك كذا وكذا. والحنانة التي تحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر، وهذا أيضاً مما يجب اجتنابه. والحداقة التي ترمي إلى كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه، والبراقة تحتمل معنيين: أحدهما أن تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق

(والإستعانة على الدين فإنها إذا كانت سلطة) أي جريئة **(بذئة اللسان)** أي فاحشة **(سيئة الخلق كافرة للنعم)** أي جاحدة لها **(كان الضرر منها أكثر من النفع)** لأن تلك الأوصاف القبيحة غالبة على أوصافها الممدوحة، **(والصبر على لسان النساء)** أي مما يتكلمن به من فحش القول **(مما يمتحن به الأولياء)** فهم الذين يصبرون على ذلك لعلو مقامهم. **(قال بعض)** حكماء **(العرب)** وفي القوت: وأوصى بعض العرب أولاده فقال: **(لا تنكحوا من النساء ستاً: أنانة ولا منانة ولا حنانة)** هؤلاء ثلاث، **(ولا تنكحوا حداقة ولا براقة ولا شداقة)** تفسير ذلك.

(أما الأنانة) بالتشديد **(فإنها التي تكثر الأنين والتشكي وتعصب رأسها كل ساعة)** وتعصيب الرأس علامة وجع الرأس، **(فنكاح الممراضة)** مفعالة من المرض وهي التي تصيبها الأمراض كثيراً **(والمتمارضة)** هي التي تظهر أنها مريضة وليس كذلك **(لا خير فيه)**. أما الممراضة فظاهر، وأما المتمارضة فإنها لا يتهيأ لقبول النكاح فلا تصادف محله.

(والمنانة: التي تمن على زوجها فتقول: فعلت لك) و**(لأجلك كذا وكذا)** وهذا مذموم فإن ذكر مثل ذلك مما يغير الحب وينقص الإلفة.

(والحنانة): تكون على وجهين قد تكون **(تحن)** بقلبها **(إلى زوج آخر)** قبله **(أو)** تكون ذات ولد فتحن إلى **(ولدها من زوج آخر، وهذا أيضاً مما يجب اجتنابه)** فإنه لا خير فيها على كلتا الحالتين.

(والحداقة) هي **(التي ترمي إلى كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه)** بما لا يستطيع.

(والبراقة تحتمل معنيين: أن تكون طول النهار في تصقيل وجهها وتزيينه) في المرآة بلقط شعر ونتفه والتخضيب والادهان بما يحمره **(ليكون لوجهها بريق)** ولمعان **(يحصل**

محصل بالصنع، والثاني أن تغضب على الطعام فلا تأكل إلا وحدها وتستقل نصيبها من كل شيء. وهذه لغة يمانية يقولون: برقت المرأة وبرق الصبي الطعام إذا غضب عنده. والشداقة: المتشدقة الكثيرة الكلام ومنه قوله عليه السلام: « إن الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين ». وحكي أن السائح الأردني لقي الياس عليه السلام في سياحته فأمره بالتزويج ونهاه عن التبتل، ثم قال: لا تنكح أربعاً: المختلعة، والمبارية، والعاهرة، والناشز. فأما المختلعة فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب، والمبارية المباهية بغيرها المفاخرة بأسباب الدنيا، والعاهرة الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن وهي التي قال الله تعالى: ﴿ولا متخذات أخذان﴾ [النساء: ٢٥] والناشز التي تعلو على زوجها بالفعال والمقال.

بالتصنع) والتكلف وهو مذموم، (**والثاني أن**) تبرق أي (**تغضب على الطعام**) لقلته أو لسوء خلقها (**فلا**) تكاد البراقة (**تأكل إلا وحدها و**) تكون أيضاً (**تستقل نصيبها من كل شيء وهذه لغة يمانية**) فاشية فيهم (**يقولون: برقت المرأة وبرق الصبي الطعام إذا**) تقلله و(**غضب عنده**) هكذا نقله صاحب القوت، ويحتمل أن يكون من برقت إذا تهددت وتوعدت، أو من برقت إذا تزينت وتحسنت وتعرضت لذلك وأظهرته على عهده، وهذه المعاني كلها مناسبة.

(**والشداقة**): العظيمة الأشداق (**الكثيرة الكلام**) بشدقيها الذربة اللسان المغوصة في المنطق يقال: تشدق بالكلام إذا كثر منه، (**ومنه قوله ﷺ: « إن الله يبغض الثرثارين المتشدقين »**) قال العراقي: روى الترمذي وحسنه من حديث جابر: « وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون ». ولأبي داود والترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن عمرو: « وإن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها ».

(**ويحكى أن السائح الأردني**) منسوب إلى أردن كافلس جمع فلس وادٍ بالشام (**لقي إلياس**) النبي (**عليه السلام في سياحته فأمره بالتزويج وقال: هو خير لك ونهاه عن التبتل**) هو الإنقطاع عن النكاح، (**ثم قال: لا تنكح**) من النساء (**أربعاً**) وانكح سواهن. (**المختلعة والمبارية والعاهر والناشزة**) نقله هكذا صاحب القوت ثم فسر فقال: (**أما المختلعة: فهي التي تطلب من زوجها الخلع كل ساعة من غير سبب**) يوجبه وهو مع ذلك يحبها. (**والمبارية: المباهية لغيرها المفاخرة بأسباب الدنيا**) في كل شيء (**والعاهرة: الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن**) أي صاحب أجنبي (**وهي التي قال تعالى: ﴿ولامتخذاتِ أخدان﴾**) هو جمع خدن، (**والناشزة: التي تعلو على زوجها بالفعال والمقال**) وهو مأخوذ من (**النشز**) بفتح فسكون (**العالي من الأرض**) أهل اللغة يقولون: نشوزها بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته، والفقهاء يقولون: نشوزها امتناعها مما يجب عليها له، وهذه القصة أوردها صاحب القوت.

والنشز: العالي من الأرض، وكان علي رضي الله عنه يقول: شر خصال الرجال خير خصال النساء: البخل، والزهو، والجبن، فإن المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها فإذا كانت مزهوّة استنكفت أن تكلم كل أحد بكلام لين مريب، وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها. فهذه الحكايات ترشد إلى مجامع الأخلاق المطلوبة في النكاح.

الثالثة: حسن الوجه، فذلك أيضاً مطلوب، إذ به يحصل التحصن والطبع لا يكتفي

ونقل ابن عبد البر عن مالك أن المختلعة هي التي اختلعت عن جميع مالها، والمفتدية هي التي افتدت ببعضه والمبارية من بارت زوجها قبل الدخول قال: وقد يستعمل بعض ذلك موضع بعض اهـ.

وأخرج ابن الجوزي في مثير العزم بسنده إلى داود يحي مولى عوف الطفاوي، عن رجل كان مرابطاً في بيت المقدس بعسقلان قال: بينما أنا أسير في واد الأردن إذا أنا برجل في ناحية الوادي قائم يصلي، فإذا سحابة تظله من الشمس فوقع في قلبي أنه إلياس النبي ﷺ » فأتيت فسلمت عليه فانفتل من صلاته فرد علي السلام فقلت له: من أنت رحمك الله؟ فلم يرد علي شيئاً، فأعدت القول مرتين، فقال: أنا إلياس النبي ﷺ فأخذتني رعدة شديدة خشيت على عقلي أن يذهب قلت له: إن رأيت رحمك الله أن تدعو لي أن يذهب عني ما أجد حتى أفهم حديثك فدعا لي بثمان دعوات. قال يا برّ يا رحيم يا حي يا قيوم يا حنان يا منان يا هيا شراً هيا فذهب عني ما كنت أجد فقلت له: إلى من بعثت؟ فقال: إلى أهل بعلبك قلت: فهل يوحى إليك اليوم؟ قال: منذ بعث محمد ﷺ خاتم النبيين فلا. قلت: فكم من الأنبياء في الحياة؟ قال: أربعة أنا والخضر في الأرض وإدريس وعيسى في السماء قلت: فهل تلتقي أنت والخضر؟ قال: نعم بعرفات يأخذ من شعري وآخذ من شعره. وأورد هذه القصة هكذا الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة الخضر ولم يذكروا فيها ما ذكره صاحب القوت.

(و) قد (**كان علي رضي الله عنه يقول: شر خصال الرجال خير خصال النساء: البخل والزهد والجبن، فإن المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها**) والبخل مذموم في الرجال، (**وإذا كانت مزهوة**) أي معجبة في نفسها (**استنكفت أن تكلم كل أحد**) من الرجال (**بكلام لين**) يريب أي يوقع في الريب والتهمة، وهذا الوصف مذموم في الرجال فقد ورد: المؤمن كل هين لين، (**وإذا كانت جبانة**) والجبن هيئة حاصلة للقوة الغضبية بها تحجم عن مباشرة ما ينبغي (**فرقت**) أي خافت (**من كل شيء**) فلم تخرج من بيتها (**واتقت مواضع التهم خيفة من زوجها**). أورده صاحب القوت دون قوله: « واتقت » إلخ. (**فهذه حكايات ترشد إلى مجامع الأخلاق المطلوبة في النكاح**) والمنكوحة.

(**الثالثة: حسن الوجه**) وإنما خص الوجه دون غيره من البدن لما أنه أول ما يقع البصر عليه،

بالدميمة غالباً، كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يفترقان. وما نقلناه من الحث على الدين وأن المرأة لا تنكح لجمالها ليس زجراً عن رعاية الجمال، بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض مع الفساد في الدين، فإن الجمال وحده في غالب الأمر يرغب في النكاح ويهوّن أمر الدين، ويدل على الالتفات إلى معنى الجمال ان الألفة والمودة تحصل به غالباً وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر فقال: « إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما » أي يؤلف بينهما، من وقوع الأدمة على الأدمة وهي الجلدة الباطنة. والبشرة: الجلدة الظاهرة، وإنما ذكر ذلك للمبالغة في الإئتلاف. وقال عليه الصلاة والسلام: « إن في

ثم أن حسن الوجه بجميع أجزائه بأن تكون أجلى الجبهة، جميلة العينين، مليحة الأنف، براقة الثنايا، حمراء الشفتين، صغيرة الفم، نقية الخدين أسيلتهما، كثيرة شعر الحاجبين غير مقرونين وغير ذلك مما هو معلوم، (**فذلك أيضاً مطلوب إذ به يحصل التحصين**) للفرج والقناعة للنفس، (**والطبع**) البشري (**لا يكتفي بالدميمة غالباً**) والدميمة بالدال المهملة هي القبيحة والحقيرة. (**كيف والغالب أن حسن الخلق والخلق لا يفترقان**) فما حسن الله خلق أحد إلا وحسن خلقه وبالعكس كما يذكره أهل الفراسة. (**وما نقلناه من الحث على**) ذات الدين (**وأن المرأة لا تنكح لجمالها**) ولا لمالها (**ليس زجراً عن رعاية الجمال بل هو زجر عن النكاح لأجل الجمال المحض**) للفرج (**مع الفساد في الدين، فإن الجمال وحده**) إذا كان النظر مقصوراً عليه (**في غالب الأمر يرغب في النكاح ويوهن في أمر الدين**) وأما إذا اجتمع الجمال مع الدين فهو الزبد بالنرسيان، (**ويدل على الإلتفات إلى معنى الجمال أن الألفة والمودة تحصل به غالباً**) وقد تقدم عن الماوردي: أن العقد إذا كان رغبة في الجمال فهو أدوم الفة من المال، لأن الجمال صفة لازمة والمال صفة زائلة، فإن سلم الجمال من الإدلال المفضي إلى المال دامت الألفة واستحكمت الوصلة، (**وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر**) قبل العقد، (**فقال: « إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة**) أي مالت نفسه إلى التزوج بها (**فلينظر إليها**) أي إلى وجهها (**فإنه أحرى أن يؤدم بينهما » أي يؤلف بينهما من وقوع الأدمة على الأدمة وهي**) أي الأدمة (**الجلدة الباطنة والبشرة**) محركة (**الجلدة الظاهر، وإنما ذكر ذلك للمبالغة في الإئتلاف**) ولفظ القوت: معنى يؤدم وقوع الأدمة على الأدمة وهو أبلغ من البشرة لأن البشرة ظاهر الجلد، والأدمة باطنة هذا جاء في المبالغة على ضرب المثل اهـ.

قال العراقي: رواه ابن ماجه بسند ضعيف من حديث محمد من مسلمة دون قوله: فإنه أحرى، وللترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال له النبي ﷺ: « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » اهـ.

وأورد صاحب القوت قبل هذا الحديث ما نصه: وإن نظر إلى وجهها مثل للترويج أو إلى ما

أعين الأنصار شيئاً فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن » قيل: كان في أعينهن عمش. وقيل: صغر، وكان بعض الورعين لا ينكحون كرائمهم إلا بعد النظر إحترازاً من الغرور. وقال الأعمش: كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم. ومعلوم أن النظر لا يعرف الخلق والدين والمال، وإنما يعرف الجمال من القبح. وروي أن رجلاً تزوج على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب فنصل خضابه، فاستعدى عليه أهل المرأة إلى عمر وقالوا: حسبناه شاباً، فأوجعه عمر ضرباً وقال: غررت القوم. وروي أن

يدعوه إليه منها فلا بأس بذلك، فقد روينا جواز ذلك عن العلماء. وعن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ [النور: ٣١] قال: الوجه والكفين، وفي ذلك أخبار مأثورة منها: حديث محمد بن مسلمة قال: رأيته يتطارد بنظرة فتاة من الحي حتى توارت في النخل فقلنا: لم تفعل هذا وأنت من أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقال: رسول الله أمرنا بذلك فقال: « إذا أوقع الله في قلب أحدكم خطبة امرأة فلينظر إليها منها ما يدعوه إليها » اهـ.

(وقال ﷺ: « إن في أعين الأنصار شيئاً فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن ») قال العراقي: رواه من حديث أبي هريرة نحوه اهـ زاد صاحب القوت وفي لفظ آخر: « فليلظ بصره ».

(قيل: كان في أعينهن عمش) محرك وهو سيلان الدمع من العين في أكثر الأوقات مع ضعف البصر. رجل أعمش وامرأة عمشاء ومن المجربات أن العمشاء تكون رابية الفرج وفي جماعها لذة. **(وقيل: صغر)** وكل ذلك تفسير لقوله: « شيئاً » بالهمز، ويوجد في بعض نسخ هذا الكتاب شيناً بالنون بدل الهمز وهو مخالف للرواية، وإن كان في المعنى صحيحاً، **(و)** قد **(كان بعض الورعين)** من أهل العلم **(لا ينكحون)** أي لا يزوجون **(كرائمهم)** جمع كريمة وهي الإبنة، وصار في العرف إطلاقها على الأخت خاصة **(إلا بعد النظر)** إليهن من الخطاب **(احترازاً من الغرور)** أي الوقوع فيه ذكره صاحب القوت ولفظه: « خشية الغرور بهن ».

(وقال) أبو بكر سليمان بن مهران **(الأعمش)** رحمه الله تعالى: **(كل تزويج يقع على غير نظر)** أي إلى المخطوبة **(فآخره هم وغم)** نقله صاحب القوت، **(ومعلوم أن النظر)** المجرد إلى وجه المخطوبة **(لا يعرف الخلق والدين)** منها، **(وإنما يعرف الجمال والفتح)** لأنهما اللذان يقع عليهما البصر.

(وروي أن رجلاً تزوج على عهد عمر) بن الخطاب رضي الله عنه **(وكان قد خضب)** شعره لما جاء خاطباً **(فنصل خضابه)** بعد أن دخل بأيام أي خرج وانفصل، **(فاستعدى عليه أهل المرأة إلى عمر)** والإستعداء طلب التقوية والنصرة **(وقالوا: حسبناه شاباً)** أي فظهر

بلالاً وصهيباً أتيا أهل بيت من العرب فخطبا إليهم فقيل لهما: من أنتما؟ فقال بلال: أنا بلال وهذا أخي صهيب. كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فأعتقنا الله، وكنا عائلين فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فسبحان الله، فقالوا بل تزوجان والحمد لله، فقال صهيب لبلال: لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله ﷺ، فقال: اسكت فقد صدقت فأنكحك الصدق. والغرور يقع في الجمال والخلق جميعاً فيستحب إزالة الغرور في الجمال بالنظر، وفي الخلق بالوصف والاستيصاف فينبغي أن يقدم ذلك على النكاح، ولا يستوصف في أخلاقها وجمالها إلا من هو بصير صادق خبير بالظاهر والباطن ولا يميل إليها فيفرط في الثناء، ولا يحسدها فيقصر، فالطباع مائلة في مبادىء النكاح ووصف المنكوحات إلى الإفراط والتفريط، وقلّ من يصدق فيه ويقتصد، بل الخداع والاغراء أغلب، والاحتياط فيه مهم لمن يخشى على نفسه التشوّف

خلافه فكأنهم ادعوا أنه غرهم بخضاب الشعر، (**فأوجعه عمر ضرباً**) لأجل التأديب (**وقال: غررت القوم**) بخضابك وفرق بينهما.

(**وروي أن بلالاً وصهيباً**) رضي الله عنهما (**أتيا أهل بيت من العرب**) أي قبيلة منهم (**فخطبا إليهم**) كرائمهم (**فقيل لهما: من أنتما؟ فقال بلال: أنا بلال وهذا أخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله**) إلى الحق (**وكنا مملوكين فأعتقنا الله**) وقصة رقهما وعتقهما مشهورة، (**وكنا عائلين**) أي فقيرين (**فأغنانا الله، فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فسبحان الله فقالوا: بل تزوجان**) أي أجبتما إلى مطلوبكما (**والحمد لله. فقال صهيب لبلال: لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله ﷺ**) يعني سبقهم إلى الإسلام وصبرهم على التعذيب في ذات الله وحضورهم في مغازيه بين يديه ﷺ وما أبلوا فيها بلاء حسناً. (**فقال: اسكت فقد صدقت**) فيما قلت (**فانكحك الصدق**) وهكذا ينبغي أن لا يغرهم بأوصاف يكون في ذكرها رفعة الشأن وإن كان صادقاً في نفسه (**والغرور يقع في الجمال والخلق جميعاً فيستحب إزالة الغرور في الجمال بالنظر**) الظاهر، (**وفي الخلق بالوصف**) اللساني (**والإستيصاف**) أي طلب الوصف من أولياء المخطوبة (**فينبغي أن يقدم ذلك على**) عقد (**النكاح**) ليكون على بصيرة تامة، (**ولا يستوصف في أخلاقها**) الباطنة (**وجمالها**) الصوري (**إلا من هو بصير**) أي صاحب بصيرة ينظر بعين الباطن (**صادق**) في أخباره (**خبير**) أي له خبرة (**بالظاهر والباطن**) غير معرض للطرفين (**لا يميل إليها**) ميلاً كلياً (**فيفرط في الثناء**) على حسنها وخلقها إفراطاً، (**ولا يحسدها**) أي يحفظ نفسه من مخالطة الحسد في ذلك الوقت (**فيقصر**) في وصف محاسنها، (**فالطباع مائلة**) على الأغلب (**في مبادىء النكاح ووصف المنكوحات إلى الإفراط والتفريط وقل من يصدق**) في مقاله (**ويقتصد**) في وصفه، (**بل الخداع**) والحيلة (**والإغراء**) والتحريش (**أغلب**) عليهم، (**فالإحتياط فيهم مهم**) أي من أهم الأمور (**لمن**

إلى غير زوجته. فأما من أراد من الزوجة مجرد السنّة والولد وتدبير المنزل، فلو رغب عن الجمال فهو إلى الزهد أقرب لأنه على الجملة باب من الدنيا، وإن كان قد يعين على الدين في حق بعض الأشخاص. قال أبو سليمان الداراني: الزهد في كل شيء حتى في المرأة يتزوج الرجل العجوز إيثاراً للزهد في الدنيا. وقد كان مالك بن دينار رحمه الله يقول: يترك أحدكم أن يتزوّج يتيمة فيؤجر فيها إن أطعمها وكساها تكون خفيفة المؤونة ترضى باليسير، ويتزوج بنت فلان وفلان يعني أبناء الدنيا فتشتهي عليه الشهوات وتقول: اكسني كذا وكذا؟ واختار أحمد بن حنبل عوراء على أختها وكانت أختها جميلة، فسأل من أعقلها؟ فقيل: العوراء، فقال: زوجوني إياها، فهذا دأب من لم يقصد التمتع، فأما من لا يأمن على دينه ما لم يكن له مستمتع فليطلب الجمال، فالتلذذ بالمباح حصن للدين. وقد قيل: إذا كانت المرأة حسناء خيّرة الأخلاق سوداء الحدقة والشعر

يخشى على نفسه التشوف)أي التطلع (**إلى غير زوجته. فأما من أراد من الزوجة مجرد**) إقامة (**السنة**) في نكاحها (**والولد وتدبير المنزل، فلو رغب عن الجمال**) ولم يسأل عنه (**فهو إلى الزهد أقرب لأنه على الجملة باب من الدنيا**) أي الرغبة في الجمال، (**وإن كان يعين على الدين في حق بعض الأشخاص**) فهو لم يخرج عن كونه من أمور الدنيا فترك النظر إليه نوع من الزهد في الدنيا.

(**قال أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى: (**الزهد في كل شيء حتى في المرأة**) ثم بين ذلك فقال: (**يتزوج الرجل العجوز**) أي المرأة المسنة. ونقل ابن الأنباري أيضاً عجوزة بالهاء لتحقيق التأنيث (**إيثاراً للزهد في الدنيا**) ولفظ القوت: والرغبة في المرأة الناقصة الخلق الدنية الصورة الكبيرة السن باب من الزهد. قال أبو سليمان: الزهد في كل شيء حتى في تزويج النساء يتزوج الرجل العجوز أو غير ذات الهيئة إيثاراً للزهد في الدنيا قال: (**وقد كان مالك بن دينار**) البصري رحمه الله تعالى (**يقول: يترك أحدكم أن يتزوج يتيمة فقيرة**) فيؤجر فيها (إن **أطعمها وكساها**) تكون خفيفة ترضى باليسير، (**ويتزوج بنت فلان وفلان يعني أبناء الدنيا فتشتهي عليه الشهوات وتقول**) له (**اكسني ثوب كذا وكذا**) واشتر لي مطرح حرير فيشرط دينه هكذا نقله صاحب القوت.

(**و**) قد (**اختار أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى**) امرأة (**عوراء**) هي التي أصاب إحدى عينيها نقص (**على أختها وكانت أختها جميلة**) الصورة، (**فسأل من أعقلها؟ فقيل: العوراء. فقال: زوجوني إياها**) نقله صاحب القوت، (**فهذا دأب من لم يقصد التمتع في**) نكاحه، (**فأما من لم يأمن على دينه ما لم يكن له متمتع فليطلب الجمال**) قصداً للصيانة، (**فالتلذذ بالمباح حصن للدين**) وارغام للشيطان. (**وقد قيل: إذا كانت المرأة حسناء جيدة الأخلاق**)

كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين، فإن الله تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة في قوله: ﴿خيراتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] أراد بالخيرات حسنات الأخلاق، وفي قوله: ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ [الرحمن: ٥٦] وفي قوله: ﴿عُرُباً أتراباً﴾ [الواقعة: ٣٧] العروب: هي العاشق لزوجها المشتهية للوقاع وبه تتم اللذة. والحور: البياض. والحوراء: شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر، والعيناء الواسعة العين. وقال عليه الصلاة والسلام: « خير نسائكم من إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله ». وإنما يسر بالنظر إليها إذا كانت محبة للزوج.

ولفظ القوت: حسنة الوجه خيرة الأخلاق **(سوداء الحدقة)** أي حدقة العين **(والشعر)** أي سوداء الشعر وسواد الشعر منها من جملة أركان الجمال هذا هو الأصل، ومنهم من يمدح زرقة العين واحمرار الشعر، **(كبيرة العين)** أي واسعتها، **(بيضاء اللون)** مختلطاً بحمرة أو أدمة قليلة ليخرج منه البياض المفرط، فإنه غير محمود. **(محبة لزوجها)** لا تميل إلى غيره **(قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فإن الله تعالى وصف نساء)** أهل **(الجنة بهذه الصفة في قوله: ﴿** فيهن **(خيرات حسان﴾ أراد بالخيرات حسنات الأخلاق)** وفي بعض النسخ: حسن الخلق، ولفظ القوت قيل خيرات الأخلاق حسان الوجوه. **(وفي قوله تعالى: ﴿قاصرات الطرف﴾)** وهذا من تمام وصفهن أي قد قصرت طرفها على زوجها وحده وليست تنظر إلى غيره، **(وفي قوله تعالى: ﴿عرباً أتراباً﴾)** لأصحاب اليمين **(العرباء)** والعربة والعروبة: **(هي العاشقة لزوجها)** وقيل: هي **(المشتهية للوقاع، وبه)** أي باشتهاء الوقاع **(تتم اللذة)** فيه لأن المرأة إذا لم تكن محبة لزوجها ولا مشتهية لإفضائه إليها نقص ذلك من لذته، فلذلك وصف نساء أهل الجنة بالعرابة. يقال: رجل يعشق وامرأة عربة يوصفان بشهوة الجماع. كيف وقد ورد: « خير نسائكم الغلمة على زوجها » وقال بعض الحكماء: ثلاث من اللذات لا يؤبه لهن: المشي في الصيف بلا سراويل، والتبرز على الشط، ومجامعة الزنوج يعني المشتهية للجماع. **(والحور)** محركة **(البياض. والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر، والعيناء واسعة العين)** وجمع الحوراء حور، وجمع العيناء عين وكلاهما من قوله تعالى: ﴿وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ [الواقعة: ٢٢] مع ما فيه من الإشارة إلى بياض اللون في تشبيههن باللؤلؤ المكنون.

(وقال ﷺ: « خير نسائكم التي إذا نظر إليها زوجها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله) كذا في القوت.

قال العراقي: رواه النسائي من حديث أبي هريرة نحوه بسند صحيح وقال: « ولا تخالفه في نفسها ولا مالها ». وعند أحمد: « في نفسها وماله » ولأبي داود نحوه من حديث ابن عباس اهـ.

الرابعة: أن تكون خفيفة المهر. قال رسول الله ﷺ: « خير النساء أحسنهن وجوهاً وأرخصهن مهوراً » وقد نهي عن المغالاة في المهر. تزوج رسول الله ﷺ بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان رحى يد وجرّة ووسادة من أدم حشوها ليف، وأوَلَم على بعض نسائه بمدين من شعير، وعلى أخرى بمدّين من تمر ومدين من سويق، وكان

قلت: لفظ أحمد « خير النساء التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره » وهكذا رواه النسائي والحاكم. وعند الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن سلام: « خير النساء من تسرك إذا أبصرت وتطيعك إذا أمرت وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك ».

(**وإنما يسر بالنظر**) إليها (**إذا كانت محبة للزوج**) قاصرة نظرها عليه.

(**الرابعة: أن تكون خفيفة المهر. قال ﷺ: « خير النساء أحسنهن وجوهاً وأرخصهن مهوراً »**) قال العراقي: رواه ابن حبان من حديث ابن عباس: « خيرهن أيسرهن صداقاً » وله من حديث عائشة « من يُمن المرأة تسهيل أمرها وقلة صداقها ». وروى أبو عمر النوقاني في كتاب معاشرة الأهلين: إن أعظم النساء بركة أصبحهن وجوهاً وأقلهن مهراً اهـ.

قلت: ومما يدل لحديث عائشة حديث عقبة بن عامر عند أبي داود، والديلمي « خير النكاح أيسره » فإنه يحتمل المعنيين المذكورين في حديث عائشة « أقله مهراً وأسهله إجابة » وحديث ابن عباس أخرجه كذلك الطبراني في الكبير، (**وقد نهي عن المغالاة في المهر**) رواه أصحاب السنن الأربعة موقوفاً على عمر وصححه الترمذي.

(**تزوّج رسول الله ﷺ بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث البيت، وكان**) ذلك الأثاث (**رحي يد**) لطحن الطعام، (**وجرّة**) لشرب الماء والوضوء، (**ووسادة**) أي فرشاً (**من أدم**) محركة أي جلد مدبوغ (**حشوها ليف**) أي داخلها محشو بليف النخل كذا هو في القوت.

قال العراقي: رواه أبو داود والطيالسي والبزار من حديث أنس: « تزوّج رسول الله ﷺ أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم » قال البزار: ورأيته في موضع آخر: « تزوّجها على متاع بيت ورحى قيمته أربعون درهماً » ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد وكلاهما ضعيف، ولأحمد من حديث علي لما زوجه فاطمة « بعث معها بخميلة ووسادة من أدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين » ورواه الحاكم وصحح إسناده وابن حبان مختصراً اهـ.

(**وأولم**) ﷺ (**على بعض نسائه بمدّين من شعير**) رواه البخاري من حديث عائشة، (**و**) أوَلَم (**على**) امرأة (**أخرى بمدي تمر ومدي سويق**) كذا في القوت. قال العراقي: روى الأربعة من حديث أنس: « أولم على صفية بسويق وتمر » ولمسلم فجعل الرجل يجيء بفضل التمر وفضل السويق، وفي الصحيحين: التمر والإقط والسمن وليس في شيء من الأصول تقييد التمر والسويق بمدين.

عمر رضي الله عنه ينهي عن المغالاة في الصداق ويقول: ما تزوج رسول الله ﷺ ولا زوَّج بناته بأكثر من أربعمائة درهم، ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق إليها رسول الله ﷺ، وقد تزوج بعض أصحاب رسول الله ﷺ على نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم، وزوج سعيد بن المسيب ابنته من أبي هريرة رضي الله عنه على درهمين، ثم حملها هو إليه ليلاً فأدخلها هو من الباب ثم انصرف، ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلّـم عليها ولو تزوج على عشرة دراهم للخروج عن خلاف العلماء فلا بأس به.

(**وكان عمر بن**) الخطاب (**رضي الله عنه ينهي عن المغالاة**) بمهور النساء (**ويقول: ما تزوّج رسول الله ﷺ**) امرأة من نسائه (**ولا زوّج**) امرأة من (**بناته بأكثر من أربعمائة درهم**) كذا في القوت. قال العراقي: رواه الأربعة من حديث عمر. قال الترمذي: حسن صحيح. (**ولو كانت المغالاة بمهور النساء مكرمة لسبق إليها رسول الله ﷺ**). ولما خطب عمر رضي الله عنه وعرض فيها لذلك وقال: ألا لا يغال أحدكم بالمهر فلا أعرفن أحداً يزيد في صداق امرأة على أربعمائة درهم، فقامت امرأة من قريش وردت عليه بقوله تعالى: ﴿وآتَيْتُمْ إحْدَاهُنَّ قِنْطاراً فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً﴾ [النساء: ٢٠] فقال: اللهم غفراً كل الناس أفقه من عمر. رواه أبو يعلى من طريق مجاهد عن الشعبي عن مسروق، وقد تقدم ذلك في كتاب العلم مطوّلاً.

(**وقد تزوّج بعض أصحاب رسول الله ﷺ على نواة من ذهب يقال قيمتها خمسة دراهم**) ولفظ القوت: وروينا عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت مهور أصحاب رسول الله ﷺ اثنتي عشرة أوقية ونصفاً، وقد كان يزوّج أصحابه على وزن نواة من ذهب. والنواة عندنا صغيرة وهي نواة التمر الصيحانية يقال: قيمتها خمسة دراهم. وفي خبر: زوّج رسول الله ﷺ بعض أصحابه على نواة من ذهب قوّمت ثلاثة دراهم اهـ.

قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس ان عبد الرحمن بن عوف تزوّج على ذلك تقويمها بخمسة دراهم. رواه البيهقي اهـ.

قلت: رواه البخاري في البيوع وفي النكاح ولفظه: « فقال مهيم يا عبد الرحمن؟ فقال: تزوّجت البارحة. قال: فما سقت لها؟ قال: وزن نواة من ذهب. قال: أولم ولو بشاة ».

(**و**) قد (**زوّج سعيد بن المسيب**) وهو من خيار التابعين وفقهاء المسلمين (**ابنته من أبي هريرة**) رضي الله عنه (**على درهمين، ثم حملها**) هو (**إليه فأدخلها هو**) إليه (**من الباب ثم انصرف، ثم جاءها بعد سبعة أيام يسلم عليها**) نقله صاحب القوت، (**ولو تزوّج على عشرة دراهم للخروج من خلاف العلماء فلا بأس به**) ولفظ القوت: ولا أكره التزويج على عشرة دراهم وهو أكثر الاستحباب في القلة ليخرج بذلك من اختلاف العلماء، ولا استحب أن ينقص المهر من ثلاثة دراهم. وهذا هو القول الأوسط من مذاهب فقهاء الحجاز اهـ.

وفي الخبر: « من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها » أي الولادة، « ويسر مهرها ». وقال أيضاً: « أبركهن أقلهن مهراً » وكما تكره المغالاة في المهر من جهة المرأة فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل. ولا ينبغي أن ينكح طمعاً في المال. قال الثوري:

وقوله للخروج من خلاف العلماء يشير إلى أنهم قد اختلفوا في تعيين المهر، فقال مالك: مقدر بربع دينار أو ثلاثة دراهم. وقال ابن شبرمة: أقله خمسة دراهم، وقال ابراهيم النخعي: أقله أربعون درهماً. وعنه عشرون درهماً. وقال سعيد بن جبير: أقله خمسون درهماً. وقال الشافعي وأحمد: ما جاز أن يكون ثمناً جاز أن يكون مهراً. وقال أبو حنيفة: أقله عشرة دراهم سواء كانت مضروبة أو غير مضروبة حتى يجوز وزن عشرة تبراً وإن كانت قيمته أقل بخلاف نصاب السرقة. وقال بعض الظاهرية: ما جاز أن يملك بالهبة أو بالميراث جاز أن يكون صداقاً، وإن لم يصلح ثمناً في البيع كحب حنطة أو شعير، ودليل أبي حنيفة حديث جابر: « لا مهر أقل من عشرة دراهم » رواه الدارقطني، وفيه بشر بن عبيد وحجاج بن أرطأة وهما ضعيفان عند المحدثين، لكن البيهقي رواه من طرق وضعفها والضعيف إذا روي من طرق يصير في عداد ما يحتج به ذكره النووي في شرح المهذب. وحديث علي موقوفاً عليه « أقل ما تستحل به المرأة عشرة دراهم». رواه البيهقي وابن عبد البر، والكلام على صحيح الفريقين نفياً واثباتاً مبسوط في كتب الفروع.

(وفي الخبر « من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها ـ أي الولادة ـ ويسر مهرها ») كذا في القوت، وزاد فقال وقال عروة وأقول: « إن من شؤمها كثرة صداقها ». قال العراقي: رواه أحمد والبيهقي من حديث عائشة « من يُمن المرأة أن تتيسر خطبتها وأن يتيسر صداقها وأن يتيسر رحمها » قال عروة: يعني الولادة. وإسناده جيد اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحاكم وقال: على شرط مسلم، وأقره الذهبي. وفي رواية لهم بلفظ: « إن من يمن المرأة » وعند أبي نعيم في الحلية « من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها » وقال الهيثمي في مسند أحمد: أسامة بن زيد بن أسلم بن زيد بن أسلم وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجاله ثقات.

(وقال) ﷺ **(« أبركهن أقلهن مهراً »)** كذا في القوت. قال العراقي: رواه أبو عمر النوقاني في كتاب معاشرة الأهلين من حديث عائشة: « إن أعظم النساء بركة أصبحهن وجوهاً وأقلهن مهراً » وقد تقدم. ولأحمد والبيهقي « إن أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً » وإسناده جيد اهـ.

قلت: ويروى « أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة». وفي لفظ: « مهوراً » وقد رواه الحاكم كذلك وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.

(وكما تكره المغالاة في المهر من جهة المرأة فيكره السؤال عن مالها من جهة الرجل، فلا ينبغي أن ينكح طمعاً في المال) ولا يصلح له أن يسأل أي شيء للمرأة.

إذا تزوج وقال: أي شيء للمرأة؟ فاعلم أنه لص، وإذا أهدى إليهم فلا ينبغي أن يهدي ليضطرهم إلى المقابلة بأكثر منه، وكذلك إذا أهدوا إليه فنية طلب الزيادة نية فاسدة، فأما التهادي فمستحب وهو سبب المودة. قال عليه السلام: «تهادوا تحابوا». وأما طلب

(**قال**) سفيان (**الثوري**) رحمه الله تعالى: (**إذا تزوّج**) الرجل (**وقال: أي شيء للمرأة؟ فاعلم أنه لص**) نقله صاحب القوت، (**وإذا أهدى الرجل إليها شيئاً فلا ينبغي أن يهدي ليضطرهم**) ويحوجهم (**إلى المقابلة**) فيما أهداه (**بأكثر منه**) وليس عليه أن يزيد فوق قيمته إن كان، (**وكذلك إذا أهدوا إليه**) وله أن لا يقبل هديتهم إذا علم ذلك منهم (**فنية طلب الزيادة**) من الطرفين (**نية فاسدة**) أي: من زوّج أو تزوّج على هذا أو بهذه النية فهذه النية فاسدة وليس نكاحه هذا للدين ولا للآخرة، (**فأما التهادي**) بين الأحباب بدون هذه النية (**فمستحب وهو سبب المودة**) والألفة والوصلة.

(**قال ﷺ: «تهادوا تحابوا»**) قال الحافظ تبعاً للحاكم: إن كان بالتشديد فمن المحبة، وإن كان بالتخفيف فمن المحاباة. ويشهد للأوّل الخبر الآخر «تهادوا تزدادوا حباً». قال العراقي: رواه البخاري في الأدب المفرد، والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند جيد اهـ.

قلت: وقال الحافظ: سنده حسن، وقد رواه كذلك أبو يعلى، والنسائي في الكنى. ويروى بزيادة: «وتصافحوا يذهب عنكم الغل» رواه ابن عساكر. ورواه أحمد والترمذي بلفظ: «تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر». الحديث وفيه أبو بشر ضعيف. ورواه الطبراني من حديث عائشة بزيادة: «وهاجروا تورثوا أبناءكم مجداً» الحديث. وعند ابن عساكر هكذا إلا أنه قال: «تزدادوا حباً» بدل «تحابوا». وعند القضاعي: «فإن الهدية تذهب بالضغائن». ويروى عن أنس بلفظ: «تهادوا فإن الهدية تذهب بالسخيمة» الحديث. وعند الطبراني قبل السخيمة «وتورث المودة في الله» الحديث. وحديث أبي هريرة أخرجه أيضاً الطيالسي وابن عدي، وحديث عائشة أخرجه أيضاً الحربي في الهدايا، والعسكري في الأمثال. وفي الباب عن عبدالله بن عمرو رواه الحاكم في علوم الحديث، وعن أم حكيم بنت وداع رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير والديلمي والبيهقي في الشعب، وعن ابن عمر رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب. وعن عطاء الخراساني رفعه مرسلاً رواه مالك في آخر الموطأ وألفاظ الكل مختلفة وقد أشرنا إلى بعضها والله الموفق.

تنبيه:

أمرنا بدوام المهاداة ندباً لتتزايد المحبة بين المؤمنين، فإن الشيء متى لم يزدد دخله النقصان على مر الزمان، ويحتمل ازدياد الحب عند الله تعالى لمحبتهم بعضهم بعضاً بقرينة خبر «إن المتحابين في الله على منابر من نور» والله أعلم.

الزيادة فداخل في قوله تعالى: ﴿ولا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرِ﴾ [المدثر: ٦] أي تعطي لتطلب أكثر، وتحت قوله تعالى: ﴿وما آتَيْتُم مِن رَباً ليَرْبُو في أموالِ الناسِ﴾ [الروم: ٣٩] فإن الربا هو الزيادة، وهذا طلب زيادة على الجملة، وإن لم يكن في الأموال الربوية فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح يشبه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح.

الخامسة: أن تكون المرأة ولوداً، فإن عرفت بالعقر فليمتنع عن تزوجها. قال عليه الصلاة والسلام: « عليكم بالولود الودود » فإن لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فيراعي صحتها وشبابها، فإنها تكون ولوداً في الغالب مع هذين الوصفين.

(وأما طلب الزيادة فداخل تحت) آيتي النهي والخبر **(قوله تعالى)** في النهي. **(﴿ولا تمنن تستكثر﴾ [المدثر: ٦] أي لا تعط لتطلب أكثر)** مما أعطيت، **(وتحت قوله تعالى)** في الخبر **(﴿وما آتيتم من رباً ليربو في أموال الناس﴾ [الروم: ٣٩] فإن الربا هو الزيادة)** في اللغة، **(وهذا طلب الزيادة على الجملة وإن لم يكن في الأموال الربوية)** كما تقرر في موضعه، **(فكل ذلك مكروه وبدعة في النكاح)** ومحدث **(يشبه التجارة)** في التزويج وداخل في الربا، **(و)** شبه **(القمار ويفسد مقاصد النكاح)** ويجعله من أمور الدنيا لا من أمور الآخرة.

(الخامسة: أن تكون المرأة ولوداً) أي كثيرة الولادة، **(فإن عرفت بالعقر)** وهو أن لا تلد **(فليمتنع عن تزويجها)** ولو كانت موصوفة بالجمال والمال أو حسيبة. **(قال ﷺ: « عليكم بالولود الودود »)** قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار: « تزوّجوا الولود الودود » وإسناده صحيح اهـ.

قلت: روياه في النكاح بلفظ: « جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال إلا أنها لا تلد أفأتزوّجها؟ فنهاه وقال: الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم » ورواه الطبراني من حديث أنس ورجاله ثقات. والودود: هي المتحببة إلى زوجها بنحو تلطف في الخطاب وكثرة الخدمة وأدب وبشاشة، وإنما قيد في الحديث بقيدين لأن الولود إذا لم تكن ودوداً لا يرغب الرجل فيها. والودود غير الولود لا تحصل المقصود.

(وإن لم يكن لها زوج ولم تعرف) هي **(فيراعي صحتها وشبابها)** أي سلامة جسدها من الأسقام الظاهرة والباطنة فإنها في الغالب موانع الحبل، والمراد بالشباب إقبالها في العمر من بعد البلوغ إلى الأربعين فما بين ذلك شبوبية، وإلى ذلك أشار بقوله: **(فإنها تكون ولوداً في الغالب مع هذين الوصفين)**. وقال المناوي: والحق أنه ليس المراد بالولود كثرة الأولاد، بل من هي في مظنة الولادة وهي الشابة دون العجوز التي انقطع نسلها فالصفتان من وادٍ واحد.

السادسة: أن تكون بكراً. قال عليه السلام لجابر: وقد نكح ثيباً: « هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك » وفي البكارة ثلاث فوائد:

احداها: أن تحب الزوج وتألفه فيؤثر في معنى الود. وقال ﷺ: « عليكم بالودود ». والطباع مجبولة على الأنس بأول مألوف. وأما التي اختبرت الرجال ومارست الأحوال فربما لا ترضى بعض الأوصاف التي تخالف ما ألفته فتقلي الزوج.

الثانية: أن ذلك أكمل في مودته لها فإن الطبع ينفر عن التي مسّها غير الزوج نفرة ما، وذلك يثقل على الطبع مهما يذكر وبعض الطباع في هذا أشد نفوراً.

(**السادسة: أن تكون بكراً**) وهي التي لم تفتض اعتباراً بالثيب لتقدمها عليها فيما يراد له النساء كذا قرره الراغب. (**قال ﷺ لجابر وقد نكح ثيباً « هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك »**) قال العراقي: متفق عليه من حديث جابر اهـ.

قلت: أورده البخاري في البيوع والاستقراض والشروط والجهاد والنكاح مطوّلاً ومختصراً قال له: « ما يعجلك؟ قلت: حديث عهد بعرس. قال: بكراً أم ثيباً؟ قلت: ثيب. قال: فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك » الحديث. وعند الطبراني من حديث كعب بن عجرة أنه ﷺ قال لرجل فذكر الحديث نحو حديث جابر وفيه: « وتعضها وتعضك » وكلمة « هلا » للتحضيض. واسم امرأة جابر المذكور سلمة بنت مسعود الأنصارية قاله ابن سعد.

وروى البخاري أيضاً من حديثه قال: « تزوّجت فقال لي رسول الله ﷺ أما لك وللعذارى ولعابها ». هكذا روي بالكسر وهو مصدر من الملاعبة فهي بمعنى الأول، وفي رواية المستملي: « ولعابها » بالضم. والمراد به الريق وفيه إشارة إلى مص لسانها ورشف شفتها، وذلك يقع عند الملاعبة والتقبيل وليس ببعيد كما قاله القرطبي، ويؤيده أنه بمعنى آخر غير المعنى الأوّل.

(**وفي البكارة ثلاث فواد:**

إحداها: أنها تحبه وتألفه) طبعاً (**فتؤثر في معنى الود وقد قال: « عليكم بالودود »**) وقد تقدم قريباً أما الحب فإحساس بوصلة لا يدري كنهها، والود صحة نزوع النفس للشيء المستحق نزوعها له، (**والطباع مجبولة على الأنس بأول مألوف**) كيف كان، (**وأما التي اختبرت الرجال**) وامتحنتهم واختبروها (**ومارست الأحوال**) على اختلافها (**فربما لا ترضى بعض الأوصاف التي تخالف ما ألفته فتقلي الزوج**) أي تبغضه لا محالة.

(**الثانية: إن ذلك أكمل في صونه لها فإن الطبع**) البشري (**ينفر**) ويشرد (**عن التي مسّها**) لا مس (**غير الزوج نفرة مّا، وذلك يثقل على الطبع مهما تذكر**) في نفسه، (**وبعض الطباع في هذا أشد نفوراً**) من بعض.

الثالثة: انها لا تحن إلا إلى الزوج الأول وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالباً.

السابعة: أن تكون نسيبة أعني أن تكون من أهل بيت الدين والصلاح فإنها ستربي بناتها وبنيها، فإذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية، ولذلك قال عليه السلام: «إياكم وخضراء الدمن»، فقيل: ما خضراء الدمن؟ قال: «المرأة الحسناء في المنبت السوء» وقال عليه السلام: «تخيروا لنطفكم فإن العرق نزاع».

(**الثالثة: أنها لا تحن إلا إلى الزوج الأول**) ولذا نهي عن نكاح الحنّانة، (**وآكد الحب ما يقع مع الحبيب الأول**) ومن هنا قول الشاعر:

نقّل فؤادك ما استطعت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأوّلِ

وما أحسن قول أبي محمد الحريري في تفضيل البكر حيث قال: أما البكر فالدرة المخزونة، والبيضة المكنونة، والثمرة الباكورة، والسلافة المدخورة، والروض الانف، والطرف الذي ثمن وشرف لم يدنسها لا مس ولا استغشاها لابس ولا مارسها عابث ولا وكسها طائث لها الوجه الحي والطرف الخفي والغزالة المغازلة والملحة الكاملة والوشاح الطاهر والقشيب والضجيع الذي يشب ولا يشيب اهـ.

وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود: «تزوّجوا الأبكار فإنهن أعذب أفواهاً وأنتق أرحاماً وأرضى باليسير» ومعنى أنتق أرحاماً أي أكثر أولاداً. ويروى بالنون والباء، وأرضى باليسير أي القليل من المعيشة فإن من لم تمارس الرجال لا تقول كنت وصرت وتقنع غالباً. وفي رواية زيادة من العمل أي الجماع، ولولا هذه الرواية لكان الحمل على الاعم أتم.

(**السابعة: أن تكون نسيبة، أعني أن تكون من أهل بيت الدين والصلاح**) وهم أهل العلم والتقوى والفقه، (**فإنها**) أي المرأة إذا كانت كذلك تكون مؤدبة كاملة فهي في مظنة أنها (**ستربي بناتها وبنيها**) وتؤدبهم وتعلمهم، (**وإذا لم تكن مؤدّبة**) في حدّ نفسها (**لم تحسن التأديب والتربية**) وإذا أدبت لم ينجع ذلك ضرورة أن المعلم غيره لا ينفع فيه التعليم حتى يعلم نفسه، ولله در القائل:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم

(**ولذلك قال ﷺ: «إياكم وخضراء الدمن» فقيل: وما خضراء الدمن؟ قال: «المرأة الحسناء في المنبت السوء»**) الدمن: جمع دمنة كسدرة وسدر وهي آثار الناس وما سوّدوه، والخضراء: هي النبات الذي ينبت فيها، وتسمية تلك الحسناء بها من باب التشبيه وضرب المثل. قال العراقي: رواه الدارقطني في الافراد، والرامهرمزي في الأمثال من حديث أبي سعيد الخدري. قال الدارقطني: تفرد به الواقدي وهو ضعيف.

(**وقال ﷺ: «تخيروا»**) أي تكلفوا طلب ما هو خير المناكح وأزكاها وأبعدها عن الخبث

الثامنة: أن لا تكون من القرابة القريبة فإن ذلك يقلل الشهوة. قال رسول الله ﷺ: « لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاوياً » أي نحيفاً، وذلك لتأثيره في

والفجور. ذكره الزمخشري (**لنطفكم**) أي لا تضعوها إلا في أصل طاهر (**فإن العرق نزّاع**) أي ينزع إلى أصل أمه وطباعها قيل: ويدخل فيه تخير المرضعة في أصلها وأهلها وخلقها. قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث عائشة مختصراً دون قوله: « فإن العرق نزّاع ». وروى الديلمي في مسند الفروس من حديث أنس: « تزوّجوا في المجد الصالح فإن العرق دسّاس ». وروى أبو موسى المديني في كتاب تضييع العمر والأيام من حديث ابن عمرو « انظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق جساس » وكلها ضعيفة اهـ.

قلت: وظهر من سياقه أن الحديث مركب من حديثين. الجملة الأولى منه عند ابن ماجه، والثانية بلفظ: « دساس وجساس » عند من ذكر ولم يورد شاهداً لقوله « نزاع » وابن ماجه قد رواه بزيادة: « فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم » وكذلك رواه أيضاً الحاكم والبيهقي. وعند ابن عدي وابن عساكر بزيادة: « فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن » وفي الحلية لأبي نعيم من حديث أنس بزيادة: « واجتنبوا هذا السواد فإنه لون مشره ». وروى البيهقي من حديث ابن عباس: « الناس معادن والعرق دساس وأدب السوء كعرق السوء ».

(**الثامنة: أن لا تكون من القرابة القريبة**) بحيث يكون مربى كل منهما في موضع قريب يقع البصر على البعض، (**فإن ذلك**) مما (**يقلل الشهوة**) وهو من أكبر دواعي التقليل. وقيد القرابة بالقريبة لأن من بعد في القرابة لا يكون كذلك. (**قال رسول الله ﷺ: « لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاوياً »**) أصله ضاووي ووزنه فاعول (**أي نحيفاً**) قليل الجسم، وجارية ضاوية كذلك كذا في الصحاح. قال ابن الصلاح: لم أجد لهذا الحديث أصلاً معتمداً.

قال العراقي: إنما يعرف من قول عمر أنه قال لآل السائب: « قد أضويتم فأنكحوا في النزائع » رواه ابراهيم الحربي في غريب الحديث وقال: معناه تزوجوا الغرائب قال: ويقال: « اغتربوا لا تضووا » وللطبراني من حديث طلحة بن عبدالله « الناكح في قومه كالمعشب في داره » وفي إسناده سليمان بن أيوب الطلحي. قال ابن عدي: عامة أحاديثه لا يتابعه عليها أحد. ورواه يعقوب بن شيبة في مسنده وقال: أحاديثه عندي صحاح ورجحها الضياء المقدسي في المختارة اهـ.

قلت: وفي الصحاح للجوهري في الحديث « اغتربوا لا تضووا » أي تزوّجوا في الأجنبيات ولا تتزوجوا في العمومة، وذلك أن العرب تزعم ان ولد الرجل من قرابته يجيء ضاوياً نحيفاً غير أنه يجيء كريماً على طبع قومه. قال الشاعر:

ذاك عبيد قد أصاب ميّا ... يا ليته ألحقها صبيا
فحملت فولدت ضاويا

اهـ.

تضعيف الشهوة، فإن الشهوة إنما تنبعث بقوّة الإحساس بالنظر واللمس، وإنما يقوى الإحساس بالأمر الغريب الجديد، فاما المعهود الذي دام النظر إليه مدة فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به ولا تنبعث به الشهوة، فهذه هي الخصال المرغبة في النساء، ويجب على الولي أيضاً أن يراعي خصال الزوج ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خلقه أو خلقه، أو ضعف دينه، أو قصر عن القيام بحقها[1] أو كان لا يكافئها في نسبها. قال عليه الصلاة والسلام: «النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته». والاحتياط في حقها أهم لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها، والزوج قادر على الطلاق

وما رواه ابراهيم الحربي رواه أبو نعيم في فضل النفقة على البنات كذا بخط الحافظ بن حجر.

قال المصنف في سبب الضوي: **(وذلك لتأثيره في تضعيف الشهوة)** وتقليلها، **(فإن الشهوة إنما تنبعث بقوّة الإحساس بالنظر واللمس)** والغمز، **(وإنما يقوى الإحساس بالأمر الغريب الجديد)** الذي لم يقع عليه البصر وإنما يسمع به من بعيد، **(فأما المعهود)** المعلوم **(الذي دام النظر إليه)** ورآه مقبلاً ومدبراً وصاحبه وكالمه **(مدة)** من الزمان فقد **(يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثر به)** وقد تزهده النفس وتملّ منه كالذي ملكته يده، **(فلا تنبعث به الشهوة)** وهذا معروف عند العرب بل يعرفه كل أحد، وفي كلام العرب ما يدل على ذلك. **(فهذه الخصال)** المذكورة **(هي المرغبة في النساء)** أي في تزويجهن، **(ويجب على الولي)** أي ولي المخطوبة **(أن يراعي خصال الزوج وينظر إلى كريمته)** وهي المخطوبة **(فلا يزوّجها ممن ساء خُلُقه أو خَلقه)** الأولى بالضم والثانية بالفتح، **(أو ضعف دينه)** أي بأن يكون متهاوناً بأموره، **(أو قصر عن القيام بحقها)** أي المرأة **(أو كان لا يكافئها في نسبها)**. وخصال الكفاءة عند الشافعية تعتبر في خمسة: سلامة من عيب نكاح، وحرية، ونسب، وعفة دين، وصلاح، وحرفة. ولا يعتبر اليسار. وقال الحنابلة: الكفاءة دين ومنصب. والنسب: حرفة وصناعة ويسار بمال بحسب ما يجب لها. وقال الحنفية: الكفاءة تعتبر نسباً وحرية وإسلاماً وديانة ومالاً وحرفة لأن بهذه الأشياء يقع التفاخر فيما بينهم فلا بدّ من اعتبارها، وتعتبر الكفاءة عند ابتداء العقد وزوالها بعد ذلك لا يضر، وكذلك تعتبر الكفاءة في العقل والحسب.

(قال ﷺ: «النكاح رق) أي بمنزلته. وقد ورد في الخبر تعبيرهن بالعواني هن الأسارى **(فلينظر أحدكم أين يضع كريمته»)** قال العراقي: رواه أبو عمر النوقاني في كتاب معاشرة الأهلين موقوفاً على عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصدّيق. قال البيهقي: وروي ذلك مرفوعاً والموقوف أصح اهـ.

(والاحتياط في حقها أهم) من الاحتياط في حق الرجل **(لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها)** عن طاعة الزوج، **(والزوج قادر على الطلاق بكل حال)** فهو قد يستغني عنها بغيرها،

بكل حال، ومهما زوّج ابنته ظالماً أو فاسقاً أو مبتدعاً أو شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار. وقال رجل للحسن: قد خطب ابنتي جماعة فممن أزوجها؟ قال: ممن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها. وقال عليه السلام: «مَنْ زوَّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها».

(**ومهما زوج ابنته**) أو أخته أو قريبته (**ظالماً أو فاسقاً أو مبتدعاً أو شارب خمر فقد جنى على دينه وتعرض لسخط الله تعالى بما يقطع من حق الرحم وسوء الاختيار**) ولفظ القوت: ولا ينكح مبتدع ولا فاسق ولا ظالم ولا شارب خمر، فمن فعل ذلك ثلم دينه وقطع رحمه ولم يحسن الولاية والحيطة لكريمته لترك الاختيار لها، وليس هؤلاء أكفاء للحرة المسلمة العفيفة وعليه للمرأة في نفسها مظلمة ولا عليه في الآخرة مطالبة إذ لم يحسن النظر إليها في نفسها اهـ.

(**وقال رجل للحسن**) البصري (**رحمه الله تعالى: قد خطب ابنتي جماعة فممن أزوّجها؟ قال**): زوجها (**ممن يتقي الله فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها**) نقله صاحب القوت.

(**وقال ﷺ: «من زوّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها»**). قال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس، ورواه في الثقات من قول الشعبي بإسناد صحيح. اهـ.

قلت: وروى الديلمي من حديث ابن عباس: «من زوّج ابنته أو واحدة ممن يشرب الخمر فكأنما قادها إلى النار».

الباب الثالث

في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة

أما الزوج؛ فعليه مراعاة الاعتدال والأدب في اثني عشر أمراً: في الوليمة، والمعاشرة، والدعابة، والسياسة، والغيرة، والنفقة، والتعليم، والقسم، والتأديب في النشوز، والوقاع، والولادة، والمفارقة بالطلاق.

الأدب الأول: الوليمة، وهي مستحبة، قال أنس رضي الله عنه: رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أثر صفرة فقال: «ما هذا؟» فقال: تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب. فقال: «بارك الله لك أولم ولو بشاة». وأولم

الباب الثالث

في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج وفيما على الزوجة

من الآداب والأخلاق:

(أما الزوج؛ فعليه مراعاة الاعتدال في اثني عشر أمراً: في الوليمة، والمعاشرة) أي المصاحبة، **(والدعابة)** بالضم اللعب والمزاح، **(والسياسة، والغيرة، والنفقة، والتعليم، والقسم)** بفتح فسكون، **(والتأديب بالنشوز)** والاعراض، **(والوقاع)** أي الجماع، **(والولادة، والمفارقة بالطلاق)** وسيأتي بيان كل ذلك.

(الأدب الأول: الوليمة) طعام العرس **(وهي مستحبة)** على الصحيح، والقول الثاني واجبة، واختاره ابن خيران، والأول المشهور من مذهب مالك، وقد تقدم الكلام عليها وعلى أحكامها في كتاب آداب الأكل. **(قال أنس)** بن مالك **(رضي الله عنه: رأى رسول الله ﷺ على عبد الرحمن بن عوف)** رضي الله عنه وهو أحد العشرة **(أثر صفرة)** من خلوق **(فقال: ما هذا؟ قال: تزوّجت امرأة)** وهي ابنة أنس بن رافع الأنصارية كما جزم به الزبير بن بكار **(على وزن نواة من ذهب)** أي عدلها دراهم أو هي الموزونة بها، **(فقال: «بارك الله لك أولم**

رسول الله ﷺ على صفية بتمر وسويق. وقال ﷺ: «طعام أوّل يوم حق، وطعام الثاني سنّة، وطعام الثالث سمعة، ومن سمع سمع الله به». ولم يرفعه إلا زياد بن عبد الله وهو غريب. وتستحب تهنئته فيقول من دخل على الزوج: بارك الله لك وبارك عليك،

ولو بشاة») رواه البخاري في النكاح: حدثنا محمد بن كثير، عن سفيان، عن حميد قال: سمعت أنس بن مالك قال: قدم عبد الرحمن بن عوف فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري وعند الأنصاري امرأتان فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله فقال بارك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق فأتى السوق فربح شيئاً من أقط وشيئاً من سمن فرآه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة فقال: «مهيم؟ فقال: تزوجت. قال: فما سقت؟ قال: وزن نواة من ذهب. قال: أولم ولو بشاة». وأخرجه أيضاً في البيوع. ورواه مسلم كذلك، ورواه البخاري في باب: كيف يدعى للمتزوج من حديث أنس بلفظ المصنف. وروي أيضاً في باب الصفرة للمتزوج بلفظ: «وبه أثر صفرة».

(أولم رسول الله ﷺ على صفية) بنت حي بن أخطب (بسويق وتمر) رواه الأربعة من حديث أنس ولمسلم نحوه وقد تقدم.

(وقال) ﷺ: («طعام أول يوم) في الوليمة (حق) فتجب الإجابة له، (وطعام) اليوم (الثاني سنّة) فلا تجب له الإجابة مطلقاً. وقيل: تجب إن لم يدع في الأول أو دعي وامتنع لعذر ودعي في الثانية، ورجحه من الشافعية الأذرعي، (وطعام) اليوم (الثالث سمعة ومن سمع سمع الله به») فتكره الإجابة إليه تنزيهاً. وقيل: تحريماً. قال النووي: إذا أولم ثلاثاً فالإجابة في اليوم الثالث مكروهة، وفي الثاني لا تجب قطعاً ولا يكون ندبها فيه كندبها في اليوم الأول اهـ. وتعدد الأوقات كتعدد الأيام.

وقال العمراني: إنما تكره إذا كان المدعو في الثالث هو المدعو في الأول، وكذا صوره الروياني. ووجهه بأن إطلاق كونه رياء يشعر بأن ذلك صنع للمباهاة والفخر، وإذا كثر الناس فدعا كل يوم فرقة فلا مباهاة، وقد تقدم ذلك في كتاب آداب الأكل.

والحديث خرّجه الترمذي من حديث ابن مسعود وضعفه وقال: (لم يرفعه إلا زياد بن عبدالله وهو غريب) لفظ الترمذي وهو ضعيف كثير المناكير والغرائب اهـ.

وتبعه عليه عبد الحق في الأحكام جازماً به، وأعله ابن القطان بعلة أخرى وهي عطاء بن السائب فإنه مختلط. وقال الحافظ: سماعه من عطاء بعد الاختلاط. وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس: «طعام يوم في العرس سنّة وطعام يومين فضل، وطعام ثلاثة أيام رياء وسمعة» وسنده ضعيف.

(وتستحب التهنية فيقول من دخل على الزوج: «بارك الله لك وبارك عليك وجمع

وجمع بينكما في خير. وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام أمر بذلك، ويستحب إظهار النكاح. قال عليه السلام: « فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت ». وقال رسول الله ﷺ: « أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف ». وعن الربيّع بنت معوذ قالت: « جاء رسول الله ﷺ فدخل عليَّ غداة

بينكما في خير. وروى أبو هريرة رضي الله عنه: أنه ﷺ قال ذلك). رواه أبو داود والترمذي وصححه ابن ماجه، وقد تقدم في كتاب الدعوات، فيستحب الدعاء للزوجين بالبركة بعد العقد فيقال: بارك الله لك كما عند البخاري من حديث أنس، وبارك عليك الله وجمع بينكما في خير كما في الترمذي وقال: حسن صحيح، ويكره أن يقال: بالرفاء والبنين لأنه من ألفاظ الجاهلية.

(ويستحب اظهار النكاح) وإشهار أمره **(قال ﷺ: « فصل ما بين الحرام والحلال الدف والصوت »)** قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه، والنسائي، وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والبغوي والطبراني في الكبير، والحاكم والبيهقي وأبو نعيم في المعرفة ولفظهم جميعاً « ضرب الدف والصوت في النكاح ». ومحمد بن حاطب صحابي جمحي، والدف: بالضم ويفتح. والمراد بالصوت إعلانه باضطراب الأصوات فيه وذكر الله تعالى، وبعض الناس يذهب به إلى السماع.

(وقال ﷺ « أعلنوا هذا النكاح) أي أظهروه إظهاراً للسرور وفرقاً بينه وبين غيره من المآدب، وليس المراد الوطء هنا بدليل تعقيبه بقوله: **(واجعلوه في المساجد)** مبالغة في إظهاره وإشهاره، فإنها أعظم محافل أهل الخير والفضل، **(واضربوا عليه بالدفوف »)** جمع دف هو ما يضرب لحادث سرور أو لعب. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عائشة وحسنه وضعفه البيهقي اهـ.

قلت: رواه الترمذي من طريق عيسى بن ميمون، عن القاسم، عن عائشة. وقال عيسى: هذا ضعيف اهـ. فقول العراقي: وحسنه فيه نظر، وجزم البيهقي بضعفه. وقال ابن الجوزي: ضعيف جداً. وقال الحافظ في الفتح: سنده ضعيف. وقال في تخريج الهداية: ضعيف لكن توبع عند ابن ماجه اهـ.

وقد روي عن عبد الله بن الزبير مرفوعاً « اعلنوا النكاح » وهكذا رواه أحمد وابن حبان والطبراني وأبو نعيم والحاكم والبيهقي. تفرد به عامر عن أبيه.

(وعن الربيّع) بالتصغير مشدداً **(بنت معوّذ)** كمحدّث ابن عفراء الأنصارية الصحابية رضي الله عنها. روى عنها أبو سلمة وعمرو بن شعيب وعدة روى لها الجماعة **(قالت: « جاء**

بُني بي فجلس على فراشي وجويريات لنا يضربن بدفهن ويندبن من قتل من آبائي إلى أن قالت إحداهن:

وفينا نبي يعلم ما في غد

فقال لها: اسكتي عن هذه وقولي الذي كنت تقولين قبلها».

الأدب الثاني: حسن الخلق معهن واحتمال الأذى منهن ترحماً عليهن لقصور عقلهن.

رسول الله ﷺ فدخل علي غداة بني بي) أي في صباح دخل بي زوجي في ليلته **(فجلس على فراشي وجويريات)** جمع جويرية تصغير جارية أي بنات صغار لنا **(يضربن بدفهن)** بالضم وفي نسخة بدفوفهن **(ويندبن من قتل)** من اسلافنا من الجاهلية **(إلى أن قالت احداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد. فقال: اسكتي عن هذه)** الكلمة أي لا تقولي هكذا أرشدها ﷺ تأدباً مع ربه عز وجل إذ لا يشاركه في علمه بما في غد أحد **(وقولي ما كنت تقولين قبلها»)** قال العراقي: رواه البخاري وقال: يوم بدر ووقع في بعض نسخ الإحياء يوم بعاث وهو وهم اهـ.

قلت: رواه البخاري في غزوة بدر، وفي النكاح قال في كتاب النكاح باب ضرب الدف في النكاح والوليمة: حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل، حدثنا خالد بن ذكوان قال: قالت الربيع بنت معوّذ بن عفراء «جاء النبي ﷺ فدخل حين بني عليَّ فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جويريات يضر بن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت احداهن: وفينا نبي يعلم ما في غد. فقال: دعي هذه المقالة وقولي بالذي كنت تقولين» اهـ.

وشرح هذا الحديث قوله «حين بني علي» وفي رواية حماد بن سلمة عند ابن ماجة «صبيحة عرسي» وكانت تزوجت إياس بن البكير الليثي، وجلوسه ﷺ على فراشها قريباً منها من خصائصه ﷺ في جواز النظر للأجنبية والخلوة معها. وقوله «يندبن» أي يذكرن أوصاف أولئك المقتولين يوم بدر بالثناء عليهم وتعديد محاسنهم بالكرم والشجاعة ونحوهما، وكان الذي قتل يوم بدر معوّذاً وعوفاً ومعاذاً أحدهم أبوها والآخران عمّاها، فاطلق الأبوة عليهم تغليباً. وفي هذا الحديث جواز ضرب الدف في النكاح، وقد قال الشافعية بجواز اليراع والدف وإن كان فيه جلاجل في الأملاك والختان وغيرهما، وقيل: يحرم اليراع وهوالمزمار العراقي، ويحرم الغناء على الآلات فيما هو شعار شاربي الخمر كالطنبور وسائر المعازف أي الملاهي من الأوتار والمزامير فيحرم استعماله واستماعه قصداً فإن لم يقصد لم يحرم، ولا يحرم الطبل إلا الكوبة. ولا يحرم ضرب الكف بالكف كما صرح به في الإرشاد وغيره، ولا الرقص إلا أن يكون فيه تكسر وتثن، والله أعلم.

(الأدب الثاني: حسن الخلق معهن) في معاشرتهن **(واحتمال الأذى)** بكلام مؤلم أو غير ذلك **(منهن)** بأن يتغافل عن كثير مما يصدر عنهن **(ترحماً عليهن)** وشفقة بهن **(لقصور**

قال الله تعالى: ﴿وعَاشِرُوهُنَّ بالمعرُوف﴾ [النساء: ١٩]، وقال في تعظيم حقهن: ﴿وأخَذْنَ مِنْكُم مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ [النساء: ٢١]. وقال: ﴿والصَّاحِبِ بالْجَنْبِ﴾ [النساء: ٣٦] قيل: هي المرأة. وآخر ما وصّى به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه، جعل يقول: «الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون. الله الله في النساء فإنهن عوان في أيديكم ـ يعني اسراء ـ

عقلهن) إذ هن ناقصات عقل كما في الصحيح، لأن غلبة الشهوة حجبت عقولهن فقصرن عن بلوغ درجة الكمال، وقد شبه الله تعالى حسن القيام على الزوجة بحسن القيام على الوالدين فقال فيهما ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾ [لقمان: ١٥] **(قال الله تعالى)** في أمر النساء: **﴿وعاشروهن بالمعروف﴾** ثم أجمل للنساء جميع ما فرقه من حق الزوج في كلمة واحدة فقال ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ [البقرة: ٢٢٨] **(وقال في تعظيم حقهن ﴿واخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾)** أي عهداً مؤكداً شديداً، قال مجاهد في تفسير هذا القول قيل: هي كلمة النكاح التي تستحل به الفروج. نقل الطبري في المناسك: وقال تعالى ﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾ [النساء: ٢٤] أي لا تطلبوا طريقاً إلى الفرقة ولا إلى خصومة ومكروه، وهذه حينئذ على صورة النفس المطمئنة. **(وقال تعالى ﴿والصاحب بالجنب﴾ قيل هي المرأة)** كذا في القوت أي لكمال قربها من الرجل ولصوقها بجنبه، **(وآخر ما أوصى به رسول الله ﷺ ثلاث)** كلمات **(كان يتكلم بهن)** ويرددهن **(حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه)** وذلك قرب صعود روحه الشريفة إلى الملأ الأعلى **(جعل يقول «الصلاة الصلاة)** أي الزموها وكرره للتأكيد **(وما ملكت أيمانكم)** من الأرقاء أي أوصيكم بالإحسان إليهم **(لا تكلفوهم ما لا يطيقون)** عليه من الخدمة. **(الله الله)** أي اتقوا الله وكرره للتأكيد **(في النساء)** أي في أمرهن **(فإنهن عوان في أيديكم)** جمع عانية **(يعني أسرى)** أي كالأسري في أيديكم **(أخذتموهن بعهد الله)** وميثاقه **(واستحللتم فروجهن بكلمة الله»)** هكذا أورده صاحب القوت بتمامه.

قال العراقي: رواه النسائي في الكبرى، وابن ماجه من حديث أم سلمة أن النبي ﷺ وهو في الموت جعل يقول «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم» فما زال يقولها وما يقبض بها لسانه. وأما الوصية بالنساء فالمعروف أن ذلك كان في حجة الوداع رواه مسلم في حديث جابر الطويل وفيه «فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله» الحديث اهـ.

قلت: وروى ابن سعد والطبراني في الكبير من حديث كعب بن مالك «الله الله فيما ملكت أيمانكم ألبسوا ظهورهم واشبعوا بطونهم وألينوا لهم القول» وروى البخاري في الأدب المفرد من حديث علي «اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم». وعند الخطيب من حديث أم سلمة «اتقوا الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم» وعند ابن عساكر من حديث ابن عمر «اتقوا الله في الضعيفين المملوك والمرأة». وروى البيهقي في السنن من حديث أنس «اتقوا الله في الصلاة اتقوا الله في

أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله » . وقال عليه السلام : « من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطي أيوب على بلائه ، ومن صبرت على سوء خُلُق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون » .

واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها ، بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها ، اقتداء برسول الله ﷺ ، فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام ، وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل ، وراجعت امرأة عمر رضي الله عنه عمر في الكلام فقال : أتراجعيني يا لكعاء ، قالت : إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه وهو خير منك ، فقال عمر : خابت حفصة وخسرت إن راجعته ، ثم قال لحفصة : لا تغتري بابنة ابن أبي قحافة

الصلاة اتقوا الله في الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم اتقوا الله في الضعيفين المرأة الأرملة والصبي اليتيم » .

وأما الذي في حديث جابر الطويل عند مسلم وغيره « فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستحللتم فروجهن بكلمة الله » قيل : هي قوله : ﴿ فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ [البقرة : ٢٢٩] وقيل : بإباحة الله المنزلة في كتابه التزويج وإذنه فيه ، وقيل : بكلمة التوحيد : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، لا يحل لمن كان مشركاً أن يتزوّج مسلمة .

(وقال ﷺ « من صبر على سوء خُلُق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه ، ومن صبرت على سوء خُلُق زوجها أعطاها الله مثل ما أعطى آسية امرأة فرعون ») قال العراقي : لم أقف له على أصل .

(واعلم أنه ليس حسن الخلق معها) هو **(كف الأذى عنها)** فقط ، **(بل)** مع ذلك **(احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها)** أي خفة عقلها **(وغضبها)** وحدتها **(اقتداء برسول الله ﷺ)** وتأسياً به ، **(فقد كان أزواجه يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل)** كذا في القوت . قال العراقي : متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب في الحديث الطويل في قوله : « وإن تظاهرا عليه » .

(وراجعت امرأة عمر عمر رضي الله عنه في الكلام ، فقال) لها : **(أتراجعيني يا لكعاء)** أي يالئيمة . **(فقالت : إن أزواج رسول الله ﷺ راجعنه وهو خير منك . فقال عمر : خابت حفصة)** يعني ابنته **(وخسرت أي إن راجعته ، ثم)** احتج فأتى و **(قال لحفصة : لا تغتري بابنة أبي قحافة)** يعني عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة ينسبها لجدها ، **(فإنها حبّ**

فإنها حب رسول الله ﷺ وخوّفها من المراجعة. وروي أنه دفعت إحداهن في صدر رسول الله ﷺ فزبرتها أمها، فقال عليه السلام: دعيها فإنهن يصنعن أكثر من ذلك. وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكماً واستشهده، فقال لها رسول الله ﷺ: تكلمين أو أتكلم؟ فقالت: بل تكلم أنت ولا تقل إلاَّ حقاً، فلطمها أبو بكر حتى دمي فوها وقال: يا عدية نفسها أو يقول غير الحق، فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره، فقال له النبي ﷺ: «لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا» وقالت له مرة في كلام غضبت عنده: أنت الذي تزعم انك نبي الله، فتبسم

رسول الله ﷺ) بكسر الحاء أي محبوبته **(وخوّفها من المراجعة)**. قال العراقي: هو الحديث الذي قبله وليس فيه قوله بالكعاء ولا قولها هو خير منك. وروى البخاري عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنهم أنه دخل على حفصة فقال: يا بنية لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها حب رسول الله ﷺ إياها يريد عائشة. قال عمر: فقصصت على رسول الله ﷺ فتبسم.

وقال في باب موعظة الرجل ابنته: وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من آداب نساء الأنصار فصحت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني. قالت: ولم تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه وإن احداهن لتهجره اليوم حتى الليل فأفزعني ذلك فقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن ثم جمعت عليَّ ثيابي فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها: أي حفصة أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل؟ قالت: نعم، فقلت: قد خبت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله فتهلكي لا تستكثري النبي ﷺ ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه وسليني ما بدا لك ولا يغرنك إن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ﷺ. يريد عائشة.

(ودفعت إحداهن) أي من الزوجات **(في صدر رسول الله ﷺ فزبرتها)** أي زجرتها ونهتها **(أمها فقال ﷺ: دعيها)** أي اتركيها **(فإنهن يصنعن أكثر من ذلك)** نقله صاحب القوت، قال العراقي: لم أقف له على أصل.

(وجرى بينه) ﷺ **(وبين عائشة)** رضي الله عنها **(كلام حتى أدخل بينهما أبا بكر رضي الله عنه حكماً)** يحكم في القضية **(واستشهده)** أي طلب منه أن يشهد، **(فقال لها رسول الله ﷺ: تكلمين أنت أو أتكلم؟ فقالت: بل تكلم أنت و)** لكن **(لا تقول إلا حقاً فلطمها أبو بكر رضي الله عنه حتى دمي فمها)** أي خرج الدم من فمها **(وقال: يا عديّة نفسها)** تصغير عدوّة: **(أو يقول غير الحق! فاستجارت)** عائشة **(برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره، فقال له النبي ﷺ: لم ندعك لهذا أو)** قال **(لم نرد منك هذا)** نقله صاحب القوت. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، والخطيب في التاريخ من حديث عائشة بسند ضعيف.

(وقالت) عائشة **(له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم أنك نبي الله، فتبسم**

رسول الله ﷺ واحتمل ذلك حلماً وكرماً. وكان يقول لها: «إني لأعرف غضبك من رضاك». قالت: وكيف تعرفه؟ قال: «إذا رضيت قلت لا وإله محمد، وإذا غضبت قلت لا وإله ابراهيم. قالت: صدقت إنما أهجر اسمك». ويقال: إن أوّل حب وقع في الإسلام حب النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها. وكان يقول لها: كنت لك كأبي زرع

رسول الله ﷺ واحتمل ذلك) منها **(حلماً وكرماً)** نقله صاحب القوت. وقال العراقي: رواه أبو يعلى في مسنده، وأبو الشيخ في كتاب الأمثال من حديث عائشة بسند ضعيف، **(وكان يقول لها «إني لأعرف غضبك عليّ من رضاك. قالت: وكيف تعرفه؟ قال: إذا رضيت قلت لا وإله محمد، وإذا غضبت قلت لا وإله إبراهيم. قالت: صدقت إنما أهجر اسمك»)** هكذا هو في القوت. قال العراقي: متفق عليه من حديثها اهـ.

قلت: أخرجه البخاري في النكاح، ومسلم في الفضائل ولفظ البخاري حدثنا عبيد بن إسماعيل حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله ﷺ «إني لأعلم إذا كنت عليّ راضية وإذا كنت عليّ غضبي. قالت، فقلت من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد وإذا كنت غضبى قلت لا ورب إبراهيم. قالت: قلت أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا إسمك» اهـ.

ومعنى قولها «ما أهجر إلا اسمك» أي بلفظي فقط ولا يترك قلبي التعلق بذاتك الشريفة مودة ومحبة. كذا قرره ابن المنير. وقال الطيبي في شرح المشكاة: هذا الحصر في غاية من اللطف في الجواب لأنها أخبرت أنها إذا كانت في غاية من الغضب الذي يسلب العاقل اختياره لا يغيرها في كمال المحبة المستغرقة ظاهرها وباطنها الممتزجة بروحها، وإنما عبرت عن الترك بالهجران لتدل أنها تتألم من هذا الترك الذي لا اختيار لها فيه كما قال الشاعر:

إني لأمنحك الصدود وانني ... قسماً إليك مع الصدور لأميل اهـ

ويستفاد من هذا الحديث الحكم بالقرائن لأنه عليه السلام حكم برضا عائشة وغضبها بمجرد ذكرها إسمه الشريف وسكوتها، واستدل على كمال فطنتها وقوّة ذكائها بتخصيصها إبراهيم عليه السلام دون غيره لأنه ﷺ أولى الناس به كما في التنزيل، فلما لم يكن لها بدّ من هجر اسمه الشريف أبدلته بمن هو مثيل حتى لا تخرج عن دائرة التعلق في الجملة.

(ويقال: إن أوّل حب وقع في الإسلام حب النبي ﷺ عائشة) رضي الله عنها. أما كونه كان يحبها فقد ثبت ذلك في أخبار. منها في المتفق عليه من حديث عمرو بن العاص انه قال: أي الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال «عائشة» الحديث. وأما كونه «أول» فقد قال العراقي: رواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أنس، ولعله أراد بالمدينة كما في الحديث الآخر أن ابن الزبير أوّل مولود ولد في الإسلام يريد بالمدينة، وإلاّ فمحبة النبي ﷺ لخديجة أمر معروف تشهد له الأحاديث الصحيحة.

لأم زرع، غير أني لا أطلقك، وكان يقول لنسائه: لا تؤذوني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها. وقال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان.

(وكان يقول لها: كنت لك كأبي زرع لأم زرع) وفيه تطييب لنفسها وإيضاح لحسن معاشرته لها، وكان هنا للدوام أي أنا معك كذلك فيما مضى وفيما يأتي أو زائدة، واعترض الأوّل بأنه لا حاجة إليه لأنه ﷺ أخبر عما مضى إلى وقت تكلمه بذلك وأبقى المستقبل إلى علم الله تعالى، فأي حاجة مع ذلك إلى جعلها للدوام إذ هو خروج عن الظاهر من غير دليل ولا ضرورة، والثاني: أن الزائدة غير عاملة ولا يوصل بها الضمير الذي هو المبتدأ في الأصل، **(غير أني لا أطلقك)** استثنى الحالة المكروهة تطييباً لها وطمأنينة لقلبها ودفعاً لإيهام عموم التشبيه بجملة أحوال أبي زرع. إذ لم يكن فيه ما تذمه النساء سوى ذلك. قال العراقي: هو متفق عليه من حديث عائشة دون الاستثناء ،ورواه بهذه الزيادة الزبير بن بكار والخطيب اهـ.

قلت: ورواه بهذه الزيادة أيضاً إسماعيل بن أويس، ولفظ الزبير « إلا أنه طلقها وأنا لا أطلقك » وفي رواية الهيثم بن عدي بعد قوله « أم زرع في الالفة والوفاء لا في الفرقة والجلاء » وفي سنن النسائي ومعجم الطبراني قالت عائشة يا رسول الله بل أنت خير من أبي زرع لأم زرع، وفي رواية الزبير بأبي وأمي لانت خير لي من أبي زرع لأم زرع. وهذا الحديث مشهور بحديث أم زرع، والمرفوع منه هذا الجملة وفيه كلام أودعته في الشرح الذي أمليت عليه.

(وكان ﷺ يقول لنسائه « لا تؤذوني في عائشة فإنه والله ما أنزل عليّ الوحي وأنا في لحاف إمرأة منكن غيرها ») رواه البخاري في حديث عائشة.

قلت: رواه من طريق سليمان بن بلال، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أن نساء رسول الله ﷺ كن حزبين، فحزب منه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ، وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله ﷺ عائشة فإذا كانت عند أحد هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله ﷺ أخّرها حتى إذا كان في يومها بعث الهدية، فكلم حزب أم سلمة فقلن لها: كلمي رسول الله ﷺ يكلم الناس من أراد أن يهدى هدية فليهد إليه حيث كان من بيوت نسائه فكلمته أم سلمة فقال لها « لا تؤذيني في عائشة فان الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة » الحديث بطوله.

(وقال أنس) بن مالك **(رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان)**. قال العراقي: رواه مسلم بلفظ « ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ » زاد علي بن عبد العزيز البغوي « والصبيان » اهـ.

قلت: وروى ابن عساكر في التاريخ من حديث أنس « كان أرحم الناس بالصبيان والعيال ».

الثالث: أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزح والملاعبة، **فهي التي تطيب قلوب** النساء، وقد كان رسول الله ﷺ **يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال** والأخلاق، حتى روي أنه ﷺ كان **يسابق عائشة في العَدْو فسبقته يوماً، وسبقها في** بعض الأيام، فقال عليه السلام: « هذه بتلك » وفي الخبر: أنه كان ﷺ **من أفكه الناس** مع نسائه. وقالت عائشة رضي الله عنها: « **سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم** وهم يلعبون في يوم عاشوراء، فقال لي رسول الله ﷺ: « أتحبين أن تري لعبهم »؟

قال النووي: هذا هو المشهور، وروي « بالعباد » كل منهما **صحيح وواقع. وفي فوائد أبي الدحداح** عن علي « كان أرحم الناس بالناس ».

(الثالث: أن يزيد على احتمال الأذى بالملاعبة والمزح والمداعبة)، وكل هذه الالفاظ قريبة المعنى، والدعابة بالضم اسم لما يستملح من المزح **(وهي التي تطيب قلوب النساء)** ويستملن إليه، **(وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن)** والمزح: هو الانبساط مع الغير من غير إيذاء له وبه فارق الهزل والسخرية، **(وينـزل إلى درجـات عقـولهن في الأعمال والاخلاق)** ولفـظ القوت: ويقاربهن في عقولهن في المعاملة والاخلاق منهن اهـ.

اعلم أن المداعبة لا تنافي الكمال بل هي من توابعه ومتماته إذا كانت جارية على القانون الشرعي بأن يكون على وفق الصدق والحق، ويقصد تألف القلوب وجبرها وحسن المعاشرة وادخال السرور والرفق، والمنهي عنه من المزاح ما يورث حقداً ويسقط المهابة والوقار ويورث كثرة الضحك وقسوة القلب، والإعراض عن ذكر الله تعالى ومزاحه ﷺ سالم من جميع هذه الأمور يقع منه ﷺ على جهة الندرة لمصلحة تامة من مؤانسة بعض نسائه أو أصحابه، **فهو بهذا القصد سنة، وما** قيل الأظهر أنه مباح لا غير فضعيف. إذ الأصل في أفعاله ﷺ وجوب أو ندب للتأسي به فيها إلا لدليل يمنع من ذلك ثم ان المزاح قد يقع بغير الكلام، وإليه أشار المصنف بقوله: **(حتى روي أنه ﷺ كان يسابق عائشة)** رضي الله عنها **(في العدو)** وهو الجري الشديد **(فسبقته يوماً وسبقها في بعض الأيام فقال: « هذه بتلك »)** قال العراقي: رواه أبو داود، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه من حديث عائشة بسند صحيح.

(وفي الخبر أنه ﷺ كان من أفكه الناس) إذا خلا **(مع نسائه)** كذا في القوت. قال العراقي: رواه الحسن بن سفيان في مسنده من حديث أنس دون قوله « مع نسائه ». ورواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط فقالا: « مع صبي » وفي سنده ابن لهيعة اهـ أي وقد تفرد به. وقد رواه ابن عساكر أيضاً دون قوله « مع نسائه » ووجد في بعض نسخ مسند البزار زيادة « مع نسائه » والفكاهة بالضم المزاح ورجل فكه ذكره الزمخشري.

(وقالت عائشة رضي الله عنها: سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم) ممن يتفرج معهم **(وهم يلعبون)** بالحراب والدرق **(في يوم عاشوراء)** وذلك في المسجد النبوي **(فقال لي**

قالت: قلت نعم، فأرسل إليهم فجاؤوا، وقام رسول الله ﷺ بين البابين. فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني على يده وجعلوا يلعبون وأنظر، وجعل رسول الله ﷺ يقول: «حسبك» وأقول اسكت مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: «يا عائشة حسبك» فقلت: نعم، «فأشار إليهم فانصرفوا». وقال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله». وقال عليه السلام: «خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم

رسول الله ﷺ: «أتحبين أن تري لعبهم»؟ قالت: قلت نعم: فأرسل إليهم فجاؤوا وقام رسول الله ﷺ بين البابين فوضع كفه على الباب ومديده ووضع ذقني على يده وجعلوا يلعبون وانظر، وجعل رسول الله ﷺ يقول: «حسبك») أي كفاك (**وأقول: أسكت مرتين أو ثلاثاً، ثم قال «يا عائشة حسبك» فقلت: نعم فأشار إليهم فانصرفوا**) قال العراقي: متفق عليه مع اختلاف دون ذكر يوم عاشوراء، وإنما قالا: كان يوم عيد ودون قولها «اسكت». وفي رواية للنسائي في الكبرى قلت لا تعجل مرتين، وفيه «يا حميراء» وسنده صحيح اهـ.

قلت: قد رواه البخاري في مواضع من الصحيح، وفي بعضها قالت: «رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسأم فأقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو» وفي لفظ له «الحديثة السن تسمع اللهو حريصة على اللهو». ولأحمد في مسنده «الحريصة للهوى». وقول المصنف «ووضع ذقني على يده» قد اختلفت ألفاظ البخاري ففي لفظ «بين اذنه وعاتقه» وفي أخرى «خدي على خده» وفي أخرى «فوضعت رأسي على منكبه» وكلها في الصحيح ولا تنافي بينها فإنها إذا وضعت رأسها على منكبه صارت بين أذنه وعاتقه، فإن تمكنت من ذلك صار خدها على خده وإن لم تتمكن قارب خدها خده، واستدل به على جواز رؤية المرأة للأجنبي دون العكس.

قال النووي: نظر الوجه والكفين عند أمن الفتنة من المرأة إلى الرجل وعكسه جائز، وإن كان مكروهاً وهذا ما في الروضة عن أكثر الأصحاب والذي صححه في المنهاج التحريم وعليه الفتوى، وأما نظر عائشة إلى الحبشة وهم يلعبون فليس فيها أنها نظرت إلى وجوههم وأبدانهم، وإنما نظرت إلى لعبهم وحرابهم ولا يلزم منه تعمد النظر إلى البدن، وإن وقع بلا قصد صرفته في الحال مع أن ذلك مع أمن الفتنة.

(**وقال ﷺ «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله»**). قال العراقي: رواه الترمذي والنسائي واللفظ له والحاكم وقال: رواته ثقات على شرط الشيخين اهـ.

قلت: ورواه أحمد والبخاري، وأبو داود، وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله «وألطفهم بأهله». ورواه البزار من حديث أنس بزيادة فيه، ورواه الطبراني في الأوسط

لنسائي ». وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته: ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي، فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلاً. وقال لقمان رحمه الله: ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي، وإذا كان في القوم وجد رجلاً. وفي تفسير الخبر المروي: « إن الله يبغض الجعظري الجوّاظ ». قيل: هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه، وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ﴾ [القلم: جزء من الآية ١٣] قيل: العتل: هو الفظ اللسان

من حديث أبي سعيد بزيادة أخرى كذلك، وقد ذكره السيوطي وغيره في الأحاديث المتواترة، ولفظ الترمذي وابن حبان والحاكم وصححاه بدون قوله « وألطفهم بأهله وخياركم خياركم لنسائه ». وقال الترمذي: حسن صحيح.

(وقال ﷺ « خياركم خياركم لنسائه وأنا خياركم لنسائي ») قال العراقي: رواه الترمذي وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله « وأنا خيركم لنسائي » وله من حديث عائشة وصححه « خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لأهلي ».

(وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته) وصلابته في دين الله: **(ينبغي للرجل أن يكون في أهله)** أي نسائه وأولادهن **(مثل الصبي)** في المداعبة واللعب، **(فإذا التمسوا ما عنده)** من أمور الدين **(وجد رجلاً)** أي كامل الرجولية نام العقل، **(وقال لقمان)** الحكيم: **(ينبغي للرجل)** وفي نسخة للعاقل **(أن يكون في أهله كالصبي)** ولفظ القوت: يكون العاقل في بيته ومع أهله كالصبي، **(وإذا كان في القوم وجد رجلاً)** أي في محافلهم، **(وفي تفسير الخبر المروي)** عن رسول الله ﷺ **(« إن الله يبغض الجعظري الجوّاظ ») قال العراقي**: رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، وهو في الصحيحين من حديث حارثة بن وهب الخزاعي « ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جوّاظ مستكبر » ولابي داود « لا يدخل الجنة الجوّاظ ولا الجعظري » اهـ.

(قيل: هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه) كذا في القوت، **(وهو أحد ما قيل في معنى قوله تعالى ﴿ عتل ﴾)** بعد قوله ﴿زنيم﴾ **(قيل: العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله)** وما ملكت يمينه كذا في القوت. وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء « ألا أخبرك بأهل النار كل جعظري جوّاظ مستكبر جماع منوع » الحديث. وقد قيل في معنى الجعظري: هو الضخم المختال في مشيه أو الأكول أو الفاجر أو الفظ الغليظ، والجوّاظ قيل هو الذي لا يمرض والذي يتمدح بما ليس فيه أو عنده، أو الذي يجمع ويمنع أو السمين الثقيل من التنعم. وحديث حارثة بن وهب الخزاعي رواه أيضاً أحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. والعتل: قيل هو الشديد الجافي أو الجموع المنوع أو الأكول الشروب، وهذه الأوصاف قد جاءت مسندة مرفوعة من حديث عبد الرحمن بن غنم عند أحمد « لا يدخل الجنة الجوّاظ الجعظري » والعتل الزنيم: هو الشديد الخلق المصحح الأكول الشروب الواجد الطعام والشراب الظلوم للناس الرحيب الجوف.

الغليظ القلب على أهله. وقال عليه السلام لجابر: « هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك». ووصفت أعرابية زوجها وقد مات فقالت: والله لقد كان ضحوكاً إذا ولج، سكيتاً إذا خرج، آكلاً ما وجد. غير مسائل عما فقد.

الرابع: أن لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها، بل يراعي الاعتدال فيه فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكراً، ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات ألبتة، بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمّر وامتعض. قال الحسن: والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوي إلا كبَّه الله في النار. وقال عمر رضي الله عنه: خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة،

(**وقال** ﷺ **لجابر**) رضي الله عنه (**« هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك »**) رواه الشيخان من حديثه وقد تقدم قريباً. (**ووصفت اعرابية زوجها وقد مات**) عنها (**فقالت والله لقد كان ضحوكاً إذا ولج**) أي دخل البيت تعني حسن معاشرته مع الأهل وملاعبته لهن بالضحك والتبسم وعدم عبوس الوجه، وقد ورد: « إن الله يبغض العبوس على أهله إذا دخل عليهن » (**سكوتاً إذا خرج**) تصفه بقلة الكلام في المحافل، وذلك يدل على كمال وقاره ومهابته بين الناس (**آكلاً ما وجد**) تصفه بالقناعة (**غير سائل عما فقد**) تصفه بحسن مروءته واغضائه وكرمه وسخائه، ويشبه كلامها بكلام الخامسة من حديث أم زرع: زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد، وهو يحتمل المدح ويحتمل الذم فعلى المدح معنى فهد أي نام نـوم الفهد وغفل عن معايب البيت وقيل: وثب وثوب الفهد وبادر إليها بالجماع من كثرة حبه لها، وأسد أي فعل فعل الأسد في شجاعته وجرأته. ولا يسأل عما عهد أي لا يسأل عما فقد في البيت من ماله لتمام كرمه، وهذا هو الملائم لقول الأعرابية هنا: غير سائل عما فقد، ولا يحتمل هنا إلا حمل كلامها على المدح. وأما ما في حديث أم زرع، فيحتمل كليهما وإن كان ما عدا الجملة الأولى يحتمل الذم أيضاً لكنه لا يلائم السياق فتأمل.

(**الرابع: أن لا ينبسط في الدعابة**) والفكاهة والمزاح (**وحسن الخلق والموافقة**) معها (**باتباع هواها**) فيما تميل إليها نفسها مرة واحد (**إلى حدّ يفسد خلقها**) بإرخاء الرسن لها، (**وتسقط بالكلية هيبته**) وحشمته (**عندها بل يراعي**) حدّ (**الاعتدال فيه**) ولا يتجاوز (**ولا يدع الهيبة**) والوقار والعز (**والانقباض**) والشمم (**مهما رأى منكراً**) شرعياً أو عرفياً منها، (**ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات ألبتة**) بسكوته عنـها، (**بل مهما رأى ما يخالف الشرع**) الظاهر (**و**) يجانب (**المروءة**) الإيمانية (**تنمَّر**) أي صار شبه النمر في الغضب (**وانتفض**) كما ينتفض الليث الحرد ردعاً لذلك المنكر.

(**قال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبّه الله في النار**). نقله صاحب القوت، والكب: هو الإلقاء. (**وقال عمر رضي الله عنه: خالفوا**

وقد قيل: شاوروهن وخالفوهن. وقد قال عليه السلام: « تعس عبد الزوجة »، وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس فإن الله ملكه المرأة فملكها نفسه فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان لما قال: ﴿ولآمُرَنَّهُم فَلَيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللهِ﴾ [النساء: ١١٩] إذ حق الرجل أن يكون متبوعاً لا تابعاً، وقد سمى الله الرجال قوامين على النساء وسمى الزوج سيداً، فقال تعالى: ﴿وألفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البابِ﴾ [يوسف: ٢٥] فإذا انقلب السيد مسخراً فقد بدل نعمة الله كفراً، ونفس المرأة على مثال نفسك: إن أرسلت عنانها قليلاً جمحت بك طويلاً، وإن أرخيت عذارها فتراً

النساء فإن في خلافهن البركة) رواه العسكري في الأمثال من حديث حفص بن عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر. قال: قال عمر فذكره كذا في المقاصد للسخاوي. **(وقد قيل: شاوروهن وخالفوهن)** هكذا اشتهر على الألسنة وليس بحديث، ويدل له حديث أنس رفعه « لا يفعلن أحدكم أمراً حتى يستشير فإن لم يجد من يستشير فليستشر امرأة ثم ليخالفها فإن في خلافها البركة ». أخرجه ابن لال، ومن طريقه الديلمي من حديث أحمد بن الوليد الفحام، حدثنا كثير ابن هشام، حدثنا عيسى بن ابراهيم الهاشمي، عن عمر بن محمد عنه وعيسى ضعيف جداً مع انقطاعهم فيه، **(وقد قال ﷺ: « تعس عبد الزوجة »)** هكذا هو في القوت. قال العراقي: لم أقف له على أصل، والمعروف « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم » الحديث. رواه البخاري من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: رواه من طريق أبي بكر بن عياش، عن أبي حصين عن أبي صالح عنه. وفي لفظ للعسكري من طريق الحسن عن أبي هريرة « لعن » بدل « تعس ».

(وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس) بكسر العين لغة في تعس بفتحها أي أكبّ على وجهه وعثر، وقيل: هلك، وقيل: لزمه الشر، **(فإن الله تعالى ملكه المرأة)** وجعلها كالأسيرة في يديه وجعله قواماً عليها ومهيمناً **(فملكها نفسه)** بأن يصير مطيعاً لهواها **(فقد عكس الأمر وقلب القضية)** وخالف حكمة الله فانقلب الأمر عليه وكأنه قد **(أطاع الشيطان)** ووافقه **(لما قال ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ إذ حق الرجل أن يكون متبوعاً لا تابعاً فقد سمى الله الرجال قوامين على النساء ﴾** فله الهيمنة عليهن في كل وجه، والمرأة سفيهة فلا ينبغي إطاعتها، وبه فسر قوله تعالى ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ [النساء: ٥] يعني النساء والصبيان، وقد ورد: طاعة النساء ندامة. **(وسمى)** الله **(الزوج سيداً)** فلا يجعل امرأته ربته فيكون عبداً لها لأنه **(قال)** الله **(تعالى)** **في قصة** سيدنا يوسف عليه السلام وامرأة العزيز **﴿وألفيا سيدها لدى الباب﴾** يعني يوسف عليه السلام وزليخا وسيدها زوجها، **(فإذا انقلب السيد)** المالك **(مسخراً)** مملوكاً **(فقد)** جهل و**(بدل نعمة الله كفراً)** أشار به إلى قوله تعالى ﴿الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار﴾ [إبراهيم: ٢٨] **(و)** لا ينبغي أن تعودها عادة فتجترئ عليك وتطلب المعتاد منك إذ **(نفس**

جذبتك ذراعاً، وإن كبحتها وشددت يدك عليها في محل الشدَّة ملكتها. قال الشافعي رضي الله عنه: ثلاثة إن أكرمتهم أهانوك وإن أهنتهم أكرموك: المرأة، والخادم، والنبطي. أراد به إن محضت الإكرام ولم تمزج غلظك بلينك وفظاظتك برفقك. وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الأزواج، وكانت المرأة تقول لابنتها: اختبري زوجك قبل الإقدام والجرأة عليه انزعي زج رمحه، فإن سكت فقطعي اللحم على ترسه، فإن سكت فكسِّري العظام بسيفه، فإن سكت فاجعلي الإكاف على ظهره وامتطيه فإنما هو حمارك. وعلى الجملة فبالعدل قامت السموات والأرض، فكل ما جاوز حدَّه انعكس على ضده، فينبغي أن تسلك سبيل

المرأة على مثال نفسك) في الأخلاق سواء **(إن أرسلت عنانها قليلاً جمحت بك طويلاً، وإن أرخيت عذارها فتراً جذبتك ذراعاً، وإن كبحتها)** أي كففتها **(وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها)** فلعلها أن تطوع لك وحيث أن المرأة على مثال أخلاق النفس سواء فقد قال في معناه الأبوصيري رحمه الله تعالى:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

(قال الشافعي رضي الله عنه) فيما يروى عنه: **(ثلاثة إن أكرمتهم هانوك وإن أهنتهم أكرموك: المرأة، والخادم، والنبطي)** هكذا نقله صاحب القوت. والمراد بالخادم الذي يخدمك بالأجرة، والنبطي محركة السوادي، وهو الذي يخدم الأرض بالزراعة والحراثة، وفي هذا المعنى ما اشتهر على الألسنة: ثلاثة لا ينفع فيهم الإكرام: الصوف والمرأة والفلاح **(أراد به)** الشافعي **(إن محضت الإكرام)** أي أخلصته **(ولم تمزج غضبك بلينك وفظاظتك برفقك)** لم يبالوا بك ولم يهابوك ولم يعتبروك. وقول الشافعي رضي الله عنه صحيح، وما قاله إلا عن تجربة صحيحة وهو مشاهد محسوس لا يستراب في أحد هؤلاء الثلاثة، وقد قيل في الأخير:

سود الوجوه إذا لم يظلموا ظلموا

(وكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار الأزواج) وامتحانهن. **(كانت المرأة تقول لابنتها)**: إذا نكحت يا بنتي **(اختبري)** حليلك أي **(زوجك قبل الإقدام)** أي قبل أن تقدمي عليه، **(و)**قبل **(الجرأة عليه انزعي زج رمحه)**[هو الحديد الذي فيه، **(فإن سكت على ذلك)** ولم ينهك **(فقطعي اللحم على ترسه، فإن سكت على ذلك)** وأقر **(فكسري العظام بسيفه فان صبر)** ولم يغضب عليك **(فاجعلي الأكاف)** أي البرذعة **(على ظهره وامتطيه)** أي اركبيه **(فإنما هو حمارك)** شبهته بالحمار في كمال البلادة وعدم الشعور، ومن هنا قول الشافعي رضي الله عنه: من استغضب فلم يغضب فهو حمار.

(وعلى الجملة، فبالعدل قامت السموات والأرض) وما فيهن، وبه تم نظام العالم ولولا

الاقتصاد في المخالفة والموافقة وتتبع الحق في جميع ذلك لتسلم من شرهن، فإن كيدهن عظيم وشرهن فاش، والغالب عليهن سوء الخلق وركاكة العقل، ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف ممزوج بسياسة. وقال عليه السلام: « مَثَلُ المرأة الصالحة في النساء كمثل الغراب الأعصم بين مائة غراب »، والأعصم: يعني الأبيض البطن. وفي وصية لقمان

العدل لفسدت الأحوال، **(وكلما جاوز)** الشيء **(حده انعكس على ضده)** وهذه قاعدة كلية مشهورة وهو المراد بقولهم: حب التناهي غلط. خير الأمور الوسط، **(فينبغي أن يسلك سبيل الاقتصاد)** والتوسط **(في المخالفة والموافقة)** بأن لا يوافقها في هواها كلية حتى تخرجه عن الدين، ولا يخالفها مرة فيوقعها في الحرج المؤثم، **(ويتبع الحق في جميع ذلك ليسلم من شرهن)** وكيدهن **(فإن كيدهن عظيم)** بنص القرآن **(وشرهن فاش)** أي ظاهر، **(والغالب عليهن سوء الخلق)** وشراسته وجمود الطبع **(وركاكة العقل)** أي ضعفه، **(ولا يعتدل ذلك منهن إلا بنوع لطف)** ولين **(ممزوج بسياسة)** وتدبير.

(قال ﷺ: « مثل المرأة الصالحة) الموصوفة بالصلاح والعفة والدين **(في)** جملة **(النساء كمثل الغراب الأعصم بين مائتي غراب » يعني الأبيض البطن)** هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف، ولأحمد من حديث عمرو بن العاص « كنا مع رسول الله ﷺ بمرّ الظهران فإذا بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار فقال: لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هذه الغربان » وإسناده صحيح وهو في السنن الكبرى للنسائي اهـ.

قلت: أما حديث أبي أمامة الذي عند الطبراني في الكبير فلفظه بعد قوله « كمثل الغراب الأعصم » قيل يا رسول الله: وما الغراب الأعصم؟ قال « هو الذي إحدى رجليه بيضاء » وفي سنده مطرح بن يزيد. قال الهيتمي: وهو مجمع على ضعفه.

وأما حديث عمرو بن العاص، فرواه أيضاً الطبراني في الكبير والحاكم ولفظهم « لا يدخل الجنة من النساء الا كقدر هذا الغراب الأعصم من هذه الغربان ». وروى أحمد أيضاً من حديث عمارة ابن خزيمة « لا يدخل الجنة من النساء إلا من كان منهن مثل هذا الغراب الأعصم من الغربان ». وعند الطبراني أيضاً من حديث عبادة بن الصامت « مثل المرأة المؤمنة كمثل الغراب الأبلق في غربان سود لا ثانية لها ولا شبه لها » الحديث. واختلف في تفسير الأعصم ففي الصحاح: الغراب الأعصم الذي في جناحيه ريشة بيضاء لأن جناح الطائر بمنزلة اليد له اهـ.

قلت: وعن ابن الأعرابي: الأعصم من الخيل الذي في يديه بياض، وعن الأصمعي: العصمة بياض في ذراعي الظبي والوعل، وقيل: بياض في يديه أو إحداهما كالسوار. قال الزمخشري: وتفسير الحديث يطابق هذا القول، لكن وضع الرجل مكان اليد. قالوا: وهذا غير موجود في الغربان فمعناه لا يدخل أحد من المختالات المتبرجات الجنة اهـ.

لابنه: يا بني اتق المرأة السوء فإنها تشيبك قبل الشيب، واتّق شرار النساء فإنهن لا يدعون إلى خير، وكن من خيارهن على حذر. وقال عليه السلام: «استعيذوا من الفواقر الثلاث» وعدَّ منهن المرأة السوء فإنها المشيبة قبل الشيب. وفي لفظ آخر: «إن دخلت عليها لسبتك، وإن غبت عنها خانتك». وقد قال عليه السلام في خيرات النساء: «إنكن صواحبات يوسف» يعني إن صرفكن أبا بكر عن التقدم في الصلاة ميل منكن عن الحق إلى الهوى. قال الله تعالى حين أفشين سر رسول الله ﷺ: ﴿إنْ تَتُوبا إلى الله

(وفي وصية لقمان) الحكيم (لابنه: يا بني اتق المرأة السوء فإنها تشيبك) أي توقعك في الشيب لكثرة مكابدتك من سوء خلقها فتقع في هموم وأكدار فيسرع الشيب (قبل) اوان (الشيب، واتق شرار النساء) وهن الفاجرات السليطات الألسن على أزواجهن، (فإنهن لا يدعون إلى خير) أي لا خير فيهن ولا يطلب عندهن، (وكن من خيارهن على حذر) وخوف.

(و) قد روي معنى قول لقمان في قول نبينا ﷺ (قال ﷺ «استعيذوا) بالله (من الفواقر الثلاث») جمع فاقرة وهي التي تفقر الظهر أي تكسر فقاره، والمراد هنا الدواهي المهلكة وهي القواصم أيضاً. (وعدّ منهن المرأة السوء فإنها المشيبة) لزوجها (قبل الشيب، وفي لفظ آخر:) «هي التي (إن دخلت عليها لسبتك) أي أذتك بالقول والفعل، واللسب: بالسين المهملة والموحدة اللدغ (وإن غبت عنها خانتك») في مالك أو في خروجها من غير إذن ذلك. وفي رواية «وإن غبت عنها لم تأمنها». وبقية الحديث «جار في إقامة إن رأى حسنة دفنها وإن رأى سيئة أذاعها وإمام إن أحسنت لم يرض عنك وإن أسأت قتلك». قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس باللفظ الأول من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، واللفظ الآخر رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد: ثلاث من الفواقر فذكر منها «وامرأة إن حضرتك آذتك وإن غبت عنها خانتك» وسنده حسن اهـ.

قلت: قال الهيتمي فيه محمد بن عصام بن يزيد ذكره ابن أبي حاتم فلم يجرحه ولم يوثقه وبقية رجاله وثقوا ولفظه «إمام-إن أحسنت لم يشكر وإن أسأت لم يغفر، وجار إن رأى خيراً دفنه وإن رأى شراً أشاعه» والباقي مثل سياق المصنف باللفظ الثاني.

(وقال ﷺ في خيرات النساء) أي خيارهن («إنهن صواحبات يوسف») مروا أبا بكر فليصل بالناس». متفق عليه من حديث عائشة وحفصة. قاله العراقي، وفي رواية للترمذي في الشمائل «أو صويحبات» وكل منها جمع صاحبة، لكن الثاني قليل. (يعني ان صرفكن أبا بكر) رضي الله عنه (عن التقدم) لإمامة الصلاة (ميل منكن عن الحق الى الهوى) وتزيين وإغواء، كما أن زليخا حين راودت يوسف عليه السلام كان ذلك غرابة وهوى ففيه اعتذار ليوسف وإيقاع اللوم عليها كذا في القوت.

فقدصَغَتْ قلوبُكُما﴾ [التحريم : ٤] أي مالت. وقال ذلك في خير أزواجه. وقال عليه السلام: « لا يفلح قوم تملكهم امرأة ». وقد زبر عمر رضي الله عنه امرأته لما راجعته وقال: ما أنت إلا لعبة في جانب البيت إن كانت لنا إليك حاجة وإلاَّ جلستِ كما أنت،

وأخرج الحديث مطولاً الترمذي في الشمائل، وروى الشيخان بعضه ومنه هذا القول المذكور هنا وفيه: « أن عائشة أجابته بأن أبا بكر أسيف لا يقدر على أن يقوم مقامك وأنه كرر ذلك فكررت الجواب » فقال ما قال. وفي البخاري « فمـر عمر فليصل بالناس وأنها قالت لحفصة أنها تقول ما قالت عائشة فقال لها إنكن لأنتن صواحب يوسف ». فقالت لها حفصة: ما كنت لأصيب منك خيراً، وإنما جعلهن كذلك في إظهار خلاف ما في الباطن أي في التظاهر والتعاون، ثم هذا الخطاب وإن كان بلفظ الجمع فالمراد به واحدة وهي عائشة، ووجه الشبه أن زليخا استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك وهي أن ينظرن حسن يوسف فيعذرنها في محبته، وعائشة رضي الله عنه أظهرت في أن سبب محبتها صرف الإمامة عن أبيها عدم إسماعه القراءة ومرادها زيادة على ذلك في أن لا يتشاءم الناس، فقد روى البخاري عنها « لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحسب الناس رجلاً قام مقامه أبداً ولا كنت أرى أنه لم يقم أحد مقامه عليه السلام إلا تشاءم الناس به ».

(**وقال**) الله تعالى في نسائه (**حين أفشين**) أي أظهرن (**سر رسول الله ﷺ ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ أي مالت**) إلى الهوى فأمرهما بالتوبة للميل إلى هواهما، (**وقال ذلك في خير أزواجه**) وهما عائشة وحفصة رضي الله عنهما. فما ظنك بمن شاكلته الجهالة ووصفه الهوى والضلالة؟ قال العراقي: متفق عليه من حديث عمر.

(**وقال ﷺ « لا يفلح قوم تملكهم امرأة »**) نقله صاحب القوت وفي نسخة تملكتهم. قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي بكرة نحوه اهـ.

قلت: يشير بذلك إلى أنه رواه بلفظ « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » وهكذا رواه أحمد والترمذي والنسائي، وفي رواية « ملكوا » قاله لما بلغه أن فارساً ملكوا لبوران ابنة كسرى، فلذلك امتنع أبو بكرة عن القتال مع عائشة في وقعة الجمل واحتج بهذا الخبر، وقال الطيبي في شرح المشكاة: هذا اخبار بنفي الفلاح عن أهل فارس على سبيل التأكيد، وفيه إشعار بأن الفلاح للعرب فتكون معجزة.

(**وزجر عمر رضي الله عنه امرأته لما راجعته**) ولفظ القوت: وتكلم عمر مرة في شيء من الأمر فأخذت امرأته تراجعه القول فزبرها (**وقال: ما أنت**) وهذا إنما (**أنت لعبة في جانب البيت إن كانت لنا إليك حاجة وإلا جلست كما أنت**). واللعبة: بالضم كل ما يلعب به كالشطرنج والنرد وغيرهما وسماها لعبة لكونها تلهي أو المراد بمنزلة لعبة، (**فإذا فيهن شر**) وسوء

فإذاً فيهن شر وفيهن ضعف، فالسياسة والخشونة علاج الشر، والمطايبة والرحمة علاج الضعف، فالطبيب الحاذق هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء، فلينظر الرجل أولاً إلى أخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها.

الخامس: الاعتدال في الغيرة، وهو أن لا يتغافل عن مبادىء الأمور التي تخشى غوائلها، ولا يبالغ في إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن، فقد نهى رسول الله ﷺ أن تتبع عورات النساء، وفي لفظ آخر: أن تبغت النساء. ولما قدم رسول الله ﷺ من سفره قال قبل دخول المدينة: «لا تطرقوا النساء ليلاً» فخالفه رجلان فسبقا، فرأى كل واحد في منزله ما يكره. وفي الخبر المشهور: «المرأة كالضلع إن قوّمته كسرته، فدعه

خلق وجفاء، (**وفيهن**) أيضاً (**ضعف**) وعجز وقصور، (**فالسياسة والخشونة علاج الشر، والمطايبة والرحمة علاج الضعف، والطبيب الحاذق**) الماهر في فنه (**هو الذي يقدر العلاج بقدر الداء**) الحادث، (**فلينظر الرجل أولاً إلى أخلاقها بالتجربة**) والاختبار، (**ثم ليعاملها بما يصلحها**) فلا يضع الخشونة على الضعف ولا الرحمة على الشر، وإنما يعطيها (**كما يقتضيه حالها**) وينزلها في مقامها من أخلاقها وأعمالها.

(**الخامس: الاعتدال في الغيرة**) وهي بالفتح مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب كراهة شركة الغير في حقه، وأشد ذلك ما يكون بين الزوجين ولها حد فإذا جاوزها الرجل قصر عن الواجب، فالمراد بالاعتدال هنا الوقوف على ذلك الحد الذي بتجاوزه يقع في التقصير، (**وهو أن لا يتغافل عن بوادر الأمور**) وظواهرها (**التي تخشى غوائلها**) أي مهالكها، (**ولا يبالغ في إساءة الظن والتعنت**) وهو إدخال المشقة والأذى على الغير (**وتخشين البواطن**) أي إيقاع الخشونة فيها. وفي بعض النسخ: وتجسس البواطن، (**فقد نهى رسول الله ﷺ أن تتبع عورات النساء وفي لفظ آخر ان يتعنت النساء**) اي ان يفعل ما يوقعهن في العنت أي المشقة. قال العراقي رواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر أن يتطلب عثرات النساء والحديث عند مسلم بلفظ «نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم أو يطلب عثراتهم» واقتصر البخاري على ذكر النهي عن الطروق ليلاً اهـ.

(**ولما قدم رسول الله ﷺ من سفر**) وهي غزوة تبوك (**قال قبل دخوله المدينة: «لا تطرقوا النساء ليلاً» فجاء رجلان فسبقاه فرأى كل واحد منهما في منزله ما يكره**) قال العراقي: رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند جيد اهـ.

قلت: وأما قوله «لا تطرقوا النساء ليلاً» فقد رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس، وفي الصحيحين من حديث جابر «نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً» وتقدم في الذي قبله. وفي الصحيح حديث جابر المذكور «فلما قدمنا ذهبنا لندخل فقال امهلوا حتى تدخلوا ليلاً أي عشاء لكي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة» وفي لفظ آخر له قال له «إذا دخلت ليلاً فلا تدخل على

تستمتع به على عوج ». وهذا في تهذيب أخلاقها. وقال ﷺ: « إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة » لأن ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه، فإن بعض الظن إثم. وقال علي رضي الله عنه: لا تكثر الغيرة على أهلك

أهلك حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة » والجمع بين هذا وبين قوله « لا تطرقوا النساء ليلاً » إن ما ذكرناه محمول على بلوغ خبرهم بالوصول فاستعدوا أوان الأمر في أول النهار والنهي في أثنائه أو الأمر لمن علم أهله بقدومه والحكمة في الإمهال.

(**وفي الخبر المشهور: « المرأة كالضلع**) بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام وسكونها والفتح أفصح (**فإن قومته كسرته فدعه تستمتع به على عوج »**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: رواه الطبراني في باب المداراة مع النساء قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثني مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج ». ورواه مسلم من رواية سفيان عن أبي الزناد « أن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة » وفي صحيح ابن حبان، عن سمرة بن جندب مرفوعاً « إن المرأة خلقت من ضلع فإن أقمتها كسرتها فدارها تعش بها » وفي غرائب مالك للدارقطني نحو لفظ البخاري إلا أنه قال: على خليقة واحدة، وإنما هي كالضلع. والعوج: كعنب هكذا هو في رواية البخاري، وعند أبي ذر بفتح العين، والأكثر على الكسر. وقيل: بينهما فرق. وقال البخاري أيضاً في باب الوصاة للنساء بعد أن ساق سنده إلى أبي هريرة مرفوعاً وفيه: « واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن دنيت تقيمه كسرته وإن تركته ولم تقمه لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً » ومعنى كالضلع أي خلقت خلقاً فيه اعوجاج فكأنها كالضلع وهو معوج من أصله، وما أحسن قول الشاعر في هذا المعنى:

هي الضلع العوجاء لست تقيمها   إلا أن تقويم الضلوع انكسارُها
أتجمع ضعفاً واقتداراً على الهدى   أليس عجيباً ضعفها واقتدارُها

(**فهذا في تهذيب أخلاقها**) والرفق بها والصبر على عوج أخلاقها واحتمال ضعف عقلها، وإن من رام تقويمها رام مستحيلاً وفاته الانتفاع بها.

(**وقال ﷺ: « إن من الغيرة غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة »**) كذا في القوت. قال العراقي: رواه أبو داود، والنسائي، وابن حبان من حديث جابر بن عتيك اهـ. (**لأن ذلك من سوء الظن الذي نهينا عنه، فإن بعض الظن إثم**) بنص القرآن.

فترمي بالسوء من أجلك. وأما الغيرة في محلها فلا بدّ منها وهي محمودة. وقال رسول الله ﷺ: « إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيرة الله تعالى أن يأتي الرجل ما حرم عليه ». وقال عليه السلام: « أتعجبون من غيرة سعد أنا والله أغير منه والله أغير مني ». ولأجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله،

(وقال علي رضي الله عنه: لا تكثر الغيرة على أهلك فترمي بالسوء من أجلك) نقله صاحب القوت، **(وكذا الغيرة في محلها فلا بدّ منها وهي محمودة)** مثنى عليها.

(قال رسول الله ﷺ: « إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه »). قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري: « والمؤمن يغار » اهـ.

قلت: رواه البخاري في باب الغيرة قال: حدثنا أبو نعيم، حدثنا شيبان، عن يحي، عن أبي سلمة أنه سمع أبا هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: « إن الله يغار وغيرة لله أن يأتي المؤمن ما حرّم اللهَ عليه ». وفي رواية أبي ذر: « أن لا يأتي » بزيادة « لا » وكذا هو في رواية النسفي، وأفرط الصغاني فقال: كذا للجميع، والصواب حذف « لا » كذا قال الحافظ في الفتح، وما أدري ما أراد بالجميع بل أكثر رواة البخاري على حذفها وفاقاً لما رواه غير البخاري كمسلم والترمذي وغيرهما. قال الطيبي: والتقدير على ثبوت لا غيرة الله ثابتة لأجل أن لا يأتي، وقد وجهه الكرماني بمعنى آخر مذكور في شرحه.

(وقال ﷺ: « أتعجبون من غيرة سعد) بهمزة الاستفهام الاستخباري أو الانكاري. أي: لا تعجبوا من غيرة سعد **(والله لأنا أغيَر منه)** بلام التأكيد **(والله أغير مني »)** وغيرته تعالى تحريمه الفواحش والزجر عنها، لأن الغيور هو الذي يزجر على ما يغار عليه. رواه البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة، فأورده البخاري في باب الغيرة معلقاً، وفي كتاب الحدود موصولاً. قال: وزاد عن المغيرة قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فقال النبي ﷺ: « أتعجبون من غيرة سعد أنا أغير منه والله أغير مني » وفي حديث ابن عباس عند أحمد واللفظ له، وأبي داود، والحاكم لما نزلت هذه الآية ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ [النور: ٤] الآية، قال سعد بن عبادة: أهكذا أنزلت فلو وجدت لكاع يفتخذها رجل لم يكن لي أن أحركه ولا أهيجه حتى آتي بأربعة شهداء، فوالله لا آتي بأربعة شهداء حتى يقضي حاجته. فقال رسول الله ﷺ: « يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟ قالوا: يا رسول الله: لا تلمه. فإنه رجل غيور، والله ما تزوّج امرأة قط إلا عذراء ولا طلق امرأة قط فاجترأ رجل منّا أن يتزوّجها من شدة غيرته، فقال سعد: والله إني لأعلم يا رسول الله أنه لحق وانها من عند الله، ولكنني عجبت فقال النبي ﷺ: أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير مني ». **(ولأجل غيرة الله حرم الفواحش)** كل ما اشتد قبحه من المعاصي. وقال ابن العربي: التغير محال على الله

ولذلك بعث المنذرين والمبشرين ، ولا أحد أحب إليه المدح من الله ، ولأجل ذلك وعد الجنة . وقال رسول الله ﷺ : « رأيت ليلة أسري بي في الجنة قصراً وبفنائه جارية ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقيل : لعمر ، فأردت أن أنظر إليها فذكرت غيرتك يا عمر . فبكى عمر وقال : أعليك أغار يا رسول الله » ؟ وكان الحسن يقول : أتدعون نساءكم

تعالى بالدلالة القطعية فيجب تأويله كالوعيد وايقاع العقوبة بالفاعل ، ونحو ذلك (**ما ظهر منها**) أي من الفواحش (**وما بطن**) أي خفي ، (**ولا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى ، ولأجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ، ولا أحد أحب إليه العفو من الله تعالى ولأجل ذلك وعد بالجنة**) . وقال البخاري : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن عبدالله ، عن النبي ﷺ قال : « ما من أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وما أحد أحب إليه المدح من الله » هكذا أخرج في باب الغيرة من كتاب النكاح ، وأخرجه أيضاً في كتاب التوحيد ، وأخرجه مسلم في التوبة ، والنسائي في التفسير .

(**وقال رسول الله ﷺ : « رأيت قصراً في الجنة**) وفي بعض النسخ زيادة : « ليلة أسري بي » (**وفيه جارية فقلت**) لجبريل أو غيره من الملائكة : (**لمن هذا**) القصر ؟ (**فقيل : لعمر ، فأردت أن أنظر إليها**) أي إلى الجارية (**فذكرت غيرتك يا عمر فبكي عمر رضي الله عنه وقال : عليك**) بحذف همزة الاستفهام (**أغار يا رسول الله »**) . قال العراقي : متفق عليه من حديث دون ذكر ليلة أسري بي ولم يذكر الجارية فذكر الجارية في حديث آخر متفق عليه من حديث أبي هريرة : « بينا أنا نائم رأيتني » الحديث اهـ .

قلت : حديث جابر أخرجه البخاري في كتاب المناقب وكتاب النكاح ، وهذا لفظه في باب الغيرة : حدثنا محمد بن أبي بكر المقدسي ، حدثنا معتمر ، عن عبيدالله ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر ، عن النبي ﷺ قال : « دخلت الجنة ـ أو أتيت الجنة ـ فأبصرت قصراً فقلت لمن هذا ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب ، فأردت أن أدخله فلم يمنعني إلا علمي بغيرتك . قال عمر بن الخطاب يا رسول الله : بأبي أنت وأمي يا نبي الله أوعليك أغار » .

وأما حديث أبي هريرة فقال : حدثنا عبدان ، أخبرنا عبدالله ، عن يونس ، عن الزهري ، أخبرني ابن المسيب عن أبي هريرة قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ جلوس ، فقال رسول الله ﷺ : « بينما أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا ؟ قال : هذا لعمر فذكرت غيرته فوليت مدبراً فبكي عمر وهو في المجلس ثم قال : أوعليك يا رسول الله أغار » .

وفي البخاري أيضاً في المناقب من حديث جابر مرفوعاً « دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة

يزاحمن العلوج في الأسواق قبّح الله من لا يغار ، وقال عليه الصلاة والسلام : « إن من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ، ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ، فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة ، والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة ، والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة ، والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل » . وقال عليه الصلاة والسلام : « إني لغيور ، وما من

أبي طلحة وسمعت خشفة فقلت : من هذا ؟ قال : هذا بلال ورأيت قصراً بفنائه جارية فقلت : لمن هذا ؟ فقال : لعمر ، فأردت أن أدخله فانظر إليه فذكرت غيرتك ، فقال عمر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله أعليك أغار » . وهذا أقرب إلى سياق المصنف .

وروى الترمذي عن بريدة رضي الله عنه قال : أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً ثم ساق الحديث ، وفيه : « فأتيت على قصر من ذهب مرتفع مشرف فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لرجل من العرب قلت : أنا عربي لمن هذا القصر ؟ قالوا : لرجل من المسلمين من أمة محمد . قلت : فأنا محمد لمن هذا القصر ؟ قالوا : لعمر بن الخطاب ، فقال رسول الله ﷺ : لولا غيرتك يا عمر لدخلت القصر . فقال : يا رسول الله ما كنت لأغار عليك » الحديث . قال الترمذي : حسن صحيح غريب .

وأخرجه ابن حبان والحاكم وصححاه ، وأخرجه أبو يعلى والطبراني في الأوسط ، والضياء من حديث أنس ، وأخرجه أحمد وأبو يعلى والروياني وأبو بكر في الغيلانيات والشافعي من حديث معاذ ، وأخرجه ابن عساكر من حديث أبي هريرة ، ومشرّف بالتشديد معناه ذو شرافات ، وفي بعض نسخ الترمذي مربع مشرف أي ذا أرباع لا مدوّر ومشرف أي مرتفع .

(وكان الحسن) البصري **(رحمه الله تعالى يقول : أتدعون نساءكم)** أي تتركوهن **(يزاحمن العلوج)** جمع العلج بالكسر وهو الرجل الضخم من كفار العجم وبعضهم يطلقه على مطلق الكافر **(في الأسواق قبّح الله من لا يغار)** نقله صاحب القوت ، **(وقال ﷺ : « إن من الغيرة ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ، ومن الخيلاء ما يحبه الله ومنها ما يبغضه الله ، فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة ، والغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير الريبة ، والاختيال الذي يحبه الله اختيال الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدمة الأولى ، والاختيال الذي يبغضه الله الاختيال في الباطل »)** قال العراقي : رواه أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر بن عتيك ، وهو الذي تقدم قبله بأربعة أحاديث اهـ .

قلت : ويروى نحو ذلك عن عقبة بن عامر مرفوعاً قال : « غيرتان إحداهما يحبها الله والأخرى يبغضها الله الغيرة في الريبة يحبها الله والغيرة في غير الريبة يبغضها الله ، والمخيلة إذا تصدق الرجل يحبها الله ، والمتخيلة يبغضها الله عز وجل » . رواه أحمد والطبراني في الكبير والحاكم في الزكاة وقال : صحيح ، وأقره الذهبي . وقال الهيتمي : رجال الطبراني رجال الصحيح غير عبدالله بن يزيد الأزرق

امرىء لا يغار إلا منكوس القلب ». والطريق المغني عن الغيرة أن لا يدخل عليها الرجال وهي لا تخرج إلى الأسواق. وقال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة عليها السلام: « أي شيء خير للمرأة »؟ قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل، فضمها إليه وقال: « ذرية بعضها من بعض » فاستحسن قولها. وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسدون الكوى والثقب في الحيطان لئلا تطلع النسوان إلى الرجال. ورأى معاذ امرأته تطلع في الكوّة فضربها، ورأى امرأته قد دفعت إلى غلامه تفاحة قد أكلت منها فضربها، وقال عمر

وهو ثقة. قال الحافظ بن حجر: وهذا الحديث ضابط الغيرة التي يلام صاحبها والتي لا ملام فيها قال: وهذا التفصيل يتمحض في حق الرجال لضرورة امتناع زوجين لامرأة بطريق الحل، وأما المرأة فحيث غارت من زوجها في ارتكاب محرم كزنا أو نقص حق وجور عليها لضرة وتحققت ذلك أو ظهرت القرائن فيه، فهي غيرة مشروعة فلو وقع ذلك بمجرد توهم من غير ريبة، فإنها الغيرة في غير ريبة، وأما لو كان الزوج عادلاً ووفى لكل من زوجتيه حقها فالغيرة منها إن كانت لما في الطباع البشرية التي لم يسلم منها أحد من النساء، فتعذر فيها ما لم تتجاوز إلى ما يحرم عليها من قول أو فعل، وعليه حمل ما جاء عن السلف الصالح من النساء في ذلك، والله أعلم اهـ.

(**وقال ﷺ: « إني لغيور وما من امرىء لا يغار إلا منكوس القلب »**) قال العراقي: تقدم أوّله، وأما آخره فرواه أبو عمر النوقاني في كتاب معاشرة الأهلين من رواية عبدالله بن محمد مرسلاً، والظاهر أنه عبدالله بن محمد بن الحنفية اهـ.

قلت: ومنكوس القلب هو الديّوث، وقيل: المخنث.

(**والطريق المغني عن الغيرة أن لا يدخل عليها الرجال**)، ولو كان من قرابتها لما ورد في الصحيح الحمو الموت (**وهي لا تخرج إلى الأسواق**) ولا إلى غيرها من المحافل التي تجتمع فيها النساء من كل جهة، فهذا هو الدواء النافع لقطع الغيرة إذ يسلم حينئذ من وقع الريبة فيها من سائر الوجوه.

(**وقال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة** رضي الله عنها: **« أي شيء خير للمرأة »؟ قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل، فضمها إليه وقال: « ذرية بعضها من بعض » واستحسن كلامها**). قال العراقي: رواه البزار والدارقطني في الافراد من حديث علي بسند ضعيف.

(**وكان أصحاب رسول الله ﷺ يسدون الثقب**) بضم ففتح جمع الثقبة كغرفة وغرف وهو الخرق في الحائط لا منفذ له، (**والكوى**) جمع كوّة كقوّة وقوى وهي بمعنى الثقبة (**في الحيطان**) المشرفة على الأسواق وممر الناس (**لئلا تطلع النسوان على الرجال**) نقله صاحب القوت، (**ورأى معاذ**) بن جبل رضي الله عنه (**امرأته تطلع في الكوّة**) ولفظ القوت: في كوّة في الجدار (**فضربها، ورأى**) أيضاً (**امرأته**) قد (**أدنت إلى غلام لها**) وفي القوت: له

رضي الله عنه: أعروا النساء يلزمن الحجال، وإنما قال ذلك لأنهن لا يرغبن في الخروج في الهيئة الرثة. وقال: عودوا نساءكم «لا» وكان قد أذن رسول الله ﷺ للنساء في حضور المسجد والصواب الآن المنع إلا العجائز، بل استصوب ذلك في زمان الصحابة حتى قالت عائشة رضي الله عنها: لو علم النبي ﷺ ما أحدثت النساء بعده لمنعهن من

(**تفاحة قد أكلت بعضها فضربها**) وكل هذا من الغيرة الإيمانية وضربه إياها لأجل التأديب.

(**وقال عمر رضي الله عنه أعروا النساء**) بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وضم الراء أي جردوهن ثياب الزينة والتفاخر واقتصروا على ما يقيهن الحر والبرد فإنكم إن فعلتم ذلك (**يلزمن الحجال**) جمع حجلة محركة بيت كالقبة يستر بالثياب له أزرار كبار يعني لا تلبسوهن الثياب الفاخرة فيطلبن البروز فيترتب عليه مفاسد شتى مما ينغص عيش الزوج معها. وفي رواية الحجاب بدل الحجال والمعنى متقارب، ثم أن هذا القول عن عمر هكذا روي موقوفاً عليه، ولذلك لم يتعرض له العراقي لأنه ليس على شرطه. وقد روي هذا مرفوعاً أخرجه الطبراني في الكبير عن بكر بن سهل الدمياطي، عن شعيب بن يحيى، عن يحيى بن أيوب بن عمرو بن الحرث، عن مجمع بن كعب، عن مسلمة، عن مخلد رضي الله عنه رفعه فذكره. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقال: شعيب غير معروف، وقال ابراهيم الحربي: لا أصل لهذا الحديث، وتبعه على ذلك السيوطي في اللآلىء المصنوعة غير متعقب له، ولعله لم يطلع على تعقب الحافظ بن حجر على ابن الجوزي بأن ابن عساكر خرّجه من وجه آخر في أماليه وحسنه. قال: وبكر بن سهل وإن ضعفه جمع لكنه لم ينفرد به كما ادعاه ابن الجوزي، فالحديث إلى الحسن أقرب، (**وإنما قال ذلك لأنهن لا يرغبن في الخروج**) عن منازلهن (**في الهيئة الرثة**) وهي ثياب المهنة والبذلة، فإذا لبسن الثياب الفاخرة حركهن إبليس للخروج ليرين غيرهن، وهذه الصفة مركوزة في طباعهن في سائر البلاد، (**وقال**) أيضاً رضي الله عنه (**عوّدوا نساءكم**) كلمة (**«لا»**) كذا في القوت، وعند العسكري في الأمثال من حديث عون بن موسى قال: قال معاوية: عوّدوا نساءكم «لا» فإنها ضعيفة إن أطعتها أهلكتك نقله السخاوي في المقاصد.

(**وكان قد أذن رسول الله ﷺ للنساء في حضور المساجد**) قال العراقي: متفق عيه من حديث ابن عمر: «ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد» اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي.

(**والصواب الآن**) يعني في زمان المصنف (**المنع**) من الخروج ليلاً إلى المساجد (**إلا العجائز**) جمع عجوز وهي المرأة المسنة، فإنه لا بأس بخروجها للأمن من الفتنة، (**بل استصوب ذلك في زمان الصحابة**) رضوان الله عليهم، (**حتى قالت عائشة رضي الله عنها: لو علم النبي ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن من الخروج**) قال العراقي: متفق عليه. قال البخاري: لمنعهن

الخروج، ولما قال ابن عمر قال رسول الله ﷺ: « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » فقال بعض ولده: بلى والله لنمنعهن، فضربه وغضب عليه. وقال: تسمعني أقول قال رسول الله ﷺ: « لا تمنعوا » فتقول: بلى وإنما استجرأ على المخالفة لعلمه بتغير الزمان، وإنما غضب عليه لإطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهراً من غير إظهار العذر، وكذلك كان رسول الله ﷺ قد أذن لهن في الأعياد خاصة أن يخرجن. ولكن لا يخرجن إلا برضا أزواجهن، والخروج الآن مباح للمرأة العفيفة برضا زوجها ولكن القعود أسلم، وينبغي أن لا تخرج إلا لمهم، فإن الخروج للنظارات والأمور التي ليست مهمة تقدح في المروءة وربما تفضي إلى الفساد، فإذا خرجت فينبغي أن تغض بصرها عن الرجال، ولسنا نقول

المساجد، وقال مسلم: المسجد. **(وقال عمر رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » فقال بعض ولده)** أي: ولد عمر **(بل نمنعهن فضربه وغضب عليه وقال: تسمعني أقول قال رسول الله ﷺ: « لا تمنعوا » فتقول: بلى)**. قال العراقي: متفق عليه اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد، وابن حبان، وأخرجه ابن جرير في تهذيبه، عن عمر بن الخطاب. ورواه مسلم عن ابن عمر بلفظ: « لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد إذا استأذنكم » وعند ابن ماجه: « لا تمنعوا إماء الله أن يصلين في المسجد » ورواه أحمد وأبو داود والطبراني والحاكم والبيهقي بلفظ: « لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن » وفي الباب عن أبي هريرة: « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ولكن لا تخرجوهن ثفلات ». رواه أحمد وأبو داود والبيهقي وابن جرير في التهذيب، ورواه أحمد أيضاً وابن منيع وابن حبان والطبراني والضياء من حديث زيد بن خالد.

(وإنما استجرأ) بعض ولد عمر **(على المخالفة)** لما سمعه من أبيه مرفوعاً **(لعلمه بتغير الزمان)** ولعله بلغه قول عائشة السابق فوافق رأيه رأيها، **(وإنما غضب عليه)** عمر **(لإطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهراً من غير إظهار العذر)** وهو بعيد من الأدب، ولذا ما أنكر على قول عائشة، **(وكذلك كان رسول الله ﷺ قد أذن لهن في الأعياد خاصة أن يخرجن)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أم عطية اهـ.

(ولكن لا يخرجن إلا بإذن من أزواجهن) إذا أذن لهن في الخروج، **(والخروج الآن أيضاً للمرأة العفيفة)** الدينة **(برضا زوجها، ولكن القعود)** في قعر بيتها **(أسلم)** لها من الخروج، ولو رضي الزوج بذلك كما في حديث عمر السابق: « وبيوتهن خير لهن » **(وينبغي أن لا تخرج)** من بيتها **(إلا لمهم)** شديد وأمر يوجبه **(لأن الخروج للنظارات)** أي للفرج والنزهات **(والأمور التي ليست مهمة يقدح في المروءة)** ويسقط مقامها، **(وربما يفضي)** ذلك **(إلى الفساد)** العاجل أو الآجل كما هو مشاهد الآن وقبل الآن، **(فإذا خرجت)** لمهم **(فينبغي**

أن وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حقه، بل هو كوجه الصبي الأمرد في حق الرجل، فيحرم النظر عند خوف الفتنة فقط، فإن لم تكن فتنة فلا. إذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفي الوجوه والنساء يخرجن متنقبات، ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لأمروا بالتنقب أو منعن الخروج إلا لضرورة.

السادس: الاعتدال في النفقة، فلا ينبغي أن يقتر عليهن في الإنفاق، ولا ينبغي أن يسرف، بل يقتصد. قال تعالى: ﴿كُلُوا واشربوا ولا تُسْرِفوا﴾ [الاعراف: ٣١] وقال تعالى: ﴿ولا تَجْعَل يدك مغلولة إلى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كل البسط﴾ [الاسراء: ٢٩]

أن) تخرج تفلة غير مظهرة للزينة ولا لابسة ثياب التباهي ولا مختالة في مشيها، وعليها أن **(تغض بصرها عن الرجال)** ولا تزاحمهم في السكك. **(ولسنا نقول: إن وجه الرجل في حقها عورة كوجه المرأة في حقه بل هو كوجه الصبي الأمرد)** وهو الذي لانبات بعارضيه **(في حق الرجل فيحرم النظر)** إليه **(عند خوف الفتنة)** إذا كان بشهوة **(فقط، فإن لم تكن)** هناك شهوة ولا خاف **(فتنة فلا)** يحرم النظر إليه. وهذا اختيار المصنف، وإن خاف من النظر الوقوع في الشهوة فوجهان. قال أكثرهم: يحرم تحرزاً من الفتنة، وقال صاحب التقريب: واختاره الإمام إنه لا يحرم أيضاً **(إذ لم تزل الرجال مكشوفين الوجوه و)** لم تزل **(النساء يخرجن متنقبات)** أي جاعلات النقاب على وجوههن، **(ولو كان وجوه الرجال عورة في حق النساء لأمروا بالتنقب)** والإحتجاب كالنساء **(أو منعهن من الخروج إلا لضرورة)** ويروى أن وفد عبد القيس قدموا على رسول الله ﷺ وفيهم غلام حسن الوجه فأجلسه من ورائه وقال: إنما أخشى ما أصاب أخي داود، وكان ذلك بمرأى من الحاضرين فدل على أنه لا يحرم، ولاتفاق المسلمين على أنهم ما منعوا من المساجد والمحافل والأسواق والخلو بينه وبين الأجنبي في المكاتب وتعليم الصنعة وغير ذلك، وقد تقدم هذا البحث أيضاً في مسألة النظر إلى وجه الزوجة.

(السادس: الإعتدال في النفقة) عليها، فلا ينبغي **(أن يقتر)** أي يضيق **(عليها في الإنفاق)** بأن يحبس عنها القدر الواجب، **(ولا ينبغي أن يسرف)** بأن يتجاوز الحد، **(بل يقتصد)** بين التقصير والإسراف وإليه أشار ابن الوردي في لاميته:

بين تبـــذيـــر وبخل رتبـــة   وكلا هـــذيـــن إن زاد قتـــل

(قال) الله **(تعالى: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾)** هذا في النهي عن الإسراف عن الأكل والشرب، **(وقال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾)** وهذا في الإقتصاد في المعيشة، **(وقد قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله»)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عائشة وصححه بزيادة: «وأنا خيركم لأهلي» وقد تقدم.

قلت: وكذلك رواه ابن حبان وابن جرير والبيهقي بزيادة، ورواه ابن ماجه وابن سعد من

وقد قال ﷺ : « خيركم خيركم لأهله » . وقال ﷺ : « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك : أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك » . وقيل : كان لعلي رضي الله عنه أربع نسوة ، فكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام لحماً بدرهم ، وقال الحسن رضي الله عنه : كانوا في الرجال مخاصيب وفي الأثاث والثياب مجاديب . وقال ابن سيرين : يستحب للرجل أن يعمل لأهله في كل جمعة

حديث ابن عباس ، وزاد ابن أبـي سعد أيضاً من حديث عبد الله بن شداد ، والخطيب عن أبي هريرة ، والطبراني عن معاوية . ورواه بزيادة : « وما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم » ورواه ابن عساكر من حديث علي وفيه إبراهيم الأسلمي وهو ضعيف .

(**وقد قال ﷺ : « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة**) أي في فكها ، (**ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي تنفقه على أهلك »**) قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ .

قلت : ورواه الداقطني في الافراد بلفظ : « دينار أنفقته على نفسك ، دينار أنفقته على والديك ، دينار أنفقته على ابن لك ، ودينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته على أهلك وهو أحسنها أجراً .

(**وقيل : كان لعلي رضي الله عنه أربع نسوة**) بالنكاح ، وأما السراري فسبع عشرة وهؤلاء مات عنهن ، (**فكان يشتري لكل واحدة**) منهن (**في كل أربعة أيام لحماً بدرهم**) نقله صاحب القوت ، ولم يكن يداوم لهن شراء اللحم لأن الإدمان عليه يورث القساوة ففي كل أربعة مرة من باب حسن الإنفاق .

(**وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى : كانوا**) أي السلف (**في الرحال**) أي في أمر المنازل (**مخاصيب**) جمع مخصب ، وقد أخصب الرجل صار ذا خصب أي كانوا يسعون على أهلهم . (**وفي الأثاث والثياب مجاديب**) جمع مجدب وقد أجدب الرجل إذا قل ماله نقله صاحب القوت أي : ما كانوا يعتنون بالتوسعة في أثاث البيت من فرش ووسائد وغيرها ، وفي ثياب اللبس وما يجري مجراها كما يتوسعون في الإنفاق على الأهل .

(**وقال**) محمد (**بن سيرين**) رحمه الله تعالى ، وهو من أقران الحسن : (**استحب للرجل أن يعمل لأهله في كل جمعة فالوذجة**) نقله صاحب القوت ، وهو يعمل بالدقيق أو النشا والسمن والسكر أو العسل أوزان متساوية ثم يطيب بالأفاويه وهو حار ثقيل على المعدة كثير الغذاء بطيء النزول ، وأجوده المتخذ بالسكر وتين اللوز ،وقد قال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه لأبي يوسف يوماً وقد شكا إليه شيئاً من أمور الدنيا : كيف بك إذا أكلت الفالوذج في صحن الفيروزج وقد وقع له ذلك كما أشار إليه في مجلس هارون الرشيد كما هو مذكور في المناقب ، (**وكذا الحلاوة**

فالوذجة وكذا الحلاوة وإن لم تكن من المهمات، ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة، وينبغي أن يأمرها بالتصدق ببقايا الطعام وما يفسد لو ترك! فهذا أقل درجات الخير، وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح إذن من الزوج، ولا ينبغي أن يستأثر عن أهله بمأكول طيب فلا يطعمهم منه، فإن ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف، فإن كان مزمعاً على ذلك فليأكله بخفية بحيث لا يعرف أهله، ولا ينبغي أن يصف عندهم طعاماً ليس يريد إطعامهم إياه، وإذا أكل فيقعد العيال كلهم على مائدته، فقد قال سفيان رضي الله عنه: بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة، وأهم ما يجب عليه مراعاته في الإنفاق أن يطعمها من الحلال ولا يدخل مداخل

وإن لم تكن من المهمات) الضرورية في الإنفاق، **(ولكن تركها بالكلية تقتير في العادة)** وهذا أيضاً يختلف باختلاف البلدان ولا يفهم منه الاقتصار على الفالوذج بل كل حلاوة اتفقت فإنها تقوم مقامه، فإن المقصود التوسع. **(وينبغي أن يأمرها بالتصدق ببقايا الطعام)** إن لم يكن في البيت أطفال صغار، فإن نفوسهم تتطلع كل ساعة إلى ما يتعللون به من الطعام بشرط أن لا يفسد ذلك الطعام إن ترك خصوصاً في ليالي الصيف، وأما **(ما يفسد لو ترك)** فيتعين إخراجه للمساكين والجيران وفقراء الحارة، **(فهذا أقل الخير)** وليس فيه كلفة، **(وللمرأة أن تفعل ذلك بحكم الحال من غير صريح إذن من الزوج)** فإن فعلت ومنعها الزوج فالإثم عليها لا عليه، ففي الخبر: «لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب الذي يخاف فساده فإن أنفقت من إذنه ورضاه كان لها مثل أجره وإن أطعمت من غير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر». **(ولا ينبغي للرجل أن يستأثر عن أهله)** أي يستقل عن أهله **(بمأكول طيب ولا يطعمهم منه، فإن ذلك مما يوغر الصدر)** أي يورث في الصدر حقداً وحزازة، **(ويبعد عن المعاشرة بالمعروف)** ويوجب نوعاً من التنافر والتناكر في القلوب، **(فإن كان فاعلاً ذلك)** ولا بد **(فليأكله في خفية)** وستر **(بحيث لا يعرفه أهله)** ولا يأخذوا خبره فهذا أسلم لحاله ولحالها، **(ولا ينبغي)** له **(أن يصف عندهم طعاماً ليس يريد إطعامهم إياه)** لتعلق نفوسهم به، وكذا الحال في الملبوس والفاكهة وغير ذلك، وقد نقل هذا عن سفيان الثوري كما تقدم في كتاب آداب الأكل. **(وإذا أكل فليقعد العيال)** والمراد بهم أهل بيته صغاراً وكباراً **(على مائدته)** وهذا يعم حتى في الرقيق، ولكن إذا كان أكل الخادم مما يسقط حشمته عندهم فليجمع أولاده وزوجته ومن له من القرابة فيأكل معهم على مائدة واحدة، ثم يرفع الطعام ويجمع عليه من بقي من الخدم وهذا في هذه الأزمنة أحسن، **(فقد قال سفيان)** الثوري رحمه الله تعالى: **(بلغنا أن الله تعالى وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون في جماعة)** نقله صاحب القوت، فإن الإجتماع على الطعام مما يورث البركة، وتلك البركة حاصلة من حضور الملائكة واستغفارهم للآكلين، فقد ورد «يد الله مع الجماعة». **(وأهم ما يجب عليه مراعاته في الإنفاق أن يطعمهم**

السوء لأجلها، فإن ذلك جناية عليها لا مراعاة لها. وقد أوردنا الأخبار الواردة في ذلك عند ذكر آفات النكاح.

السابع: أن يتعلم المتزوّج من علم الحيض وأحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب، ويعلم زوجته أحكام الصلاة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى، فإنه أمر بأن يقيها النار بقوله تعالى: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ [التحريم: ٦] فعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنّة ويزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها ويخوّفها في الله إن تساهلت في أمر الدين، ويعلمها من أحكام الحيض والاستحاضة ما تحتاج إليه، وعلم الاستحاضة يطول، فأما الذي لا بدّ من إرشاد النساء إليه في أمر الحيض بيان الصلوات التي تقضيها فإنها مهما انقطع دمها قبيل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر، وإذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء، وهذا أقل ما يراعيه النساء، فإن كان

من الحلال) إن أمكنه ذلك، **(ولا يدخل مداخل السوء)** والتهم **(لأجلهم، فإن ذلك جناية عليهم لا مراعاة لهم، وقد أوردنا الأخبار في ذلك عند ذكر آفات النكاح)** قريباً.

(السابع: أن يتعلم الزوج من علم الحيض وأحكامه ما يحترز به الإحتراز الواجب) عن الوقوع في المحظور، **(ويعلم زوجته أحكام الصلاة وما يقضي منها في الحيض وما لا يقضي)** من الصلاة، **(فإنه أمر بأن يقيها النار)** كما أمر بأن يقي نفسه **(بقوله تعالى)** ﴿يا أيها الذين آمنوا **(قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾)** فأضاف الأهل إلى النفس وأمرنا أن نقيهم النار بتعليم الأمر والنهي كما نقي نفوسنا النار باجتناب المنهي. وقد جاء في تفسيره علموهن وأدبوهن، وفي الخبر «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والرجل راع على أهله وهو مسؤول عنهم». **(وعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة)** والجماعة ولو إجمالاً من غير تفصيل الأدلة، فإن عقولهن ربما لا تحتمل ذلك **(ويزيل عن قلبها كل بدعة إن سمعت)** بأحسن بيان وأجمل خطاب وإن كانت من قوم قد رسخت البدعة في قلوبهم فليزلها بالتدريج واللطافة ولا يبادر عليها وعلى قومها بالإنكار فإنه ربما يكون سبباً للتنافر لا التناصر، **(ويخوفها بالله)** ومن عذابه **(أن تساهلت في أمر)** من أمور **(الدين، ويعلمها من أحكام الحيض والإستحاضة ما تحتاج إليه، وعلم الإستحاضة يطول)** إيراده ومحله في فروع الفقه، **(فأما الذي لا بد من إرشاد النساء إليه ببيان الصلوات التي تقضي فإنه مهما انقطع دمها قبيل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر، وإذا انقطع قبيل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء، وهذا أقل ما تراعيه النساء)** وعند أصحابنا الحنفية: إذا أدركت أدنى وقت صلاة وهو ما إذا أدركت من الوقت بقدر أن تقدر على الإغتسال والتحريمة، لأن زمان الإغتسال هو زمان الحيض فلا تجب الصلاة في ذمتها ما لم تدرك قدر ذلك من الوقت، ولهذا لو طهرت قبل الصبح بأقل من

ذلك لا يجزئها صوم ذلك اليوم ولا تجب عليها صلاة العشاء فكأنها أصبحت وهي حائض ويجب عليها الإمساك تشبهاً.

تنبيه:

قد يكون الزوج شافعياً والمرأة حنفية وبالعكس وكذا بقية المذاهب، فينبغي أن يعلم الزوج مواقع الإجتماع والإختلاف بين الأئمة الأربعة فيعلمها بذلك لتكون هي على بصيرة من دينها، ونحن نذكر بعض تلك المسائل من الضروريات المهمة، فاعلم أنهم أجمعوا على أن فرض الصلاة ساقط عن الحائض مدة حيضتها، وأنه لا يجب عليها قضاؤه، وأجمعوا على أن فرض الصوم غير ساقط عنها مدة حيضتها.

ثم اختلفوا فيما إذا رأت الطهر ولم تغتسل، فقال أبو حنيفة: إن انقطع لأكثر الحيض كعشرة أيام جاز وطؤها، وإن كان لأقله لم يجز حتى تغتسل أو يمضي عليها آخر وقت صلاة فتجب عليها الصلاة هذا إن كانت مبتدأة أولها عادة معروفة وانقطع لعادتها، فأما إن انقطع لدون عادتها فلا يطؤها الزوج، وإن اغتسلت وصلت حتى تستكمل عادتها احتياطاً. وقال مالك والشافعي وأحمد: لا يحل وطؤها حتى تستكمل.

واختلفوا فيما يحل الإستمتاع به من الحائض، فقال أبو حنيفة ومالك والشافعي: يحل له مباشرة ما فوق الإزار ويحرم عليه ما بين السرة والركبة. وقال أحمد: يجوز له وطؤها فيما دون الفرج، ووافقه على ذلك محمد بن الحسن، وبعض أصحاب الشافعي، وأصبغ بن الفرج من كبار أصحاب مالك، وأما أقل سن تحيض فيه المرأة فقال مالك والشافعي وأحمد أقله تسع سنين. قال الشافعي: وأعجل ما سمعت من نساء تهامة أنهن يحضن لتسع سنين، وقال في بعض كتبه: رأيت جدة لها إحدى وعشرون سنة.

واختلفوا في الحائض ينقطع حيضها فلا تجد ماء. فقال أبو حنيفة في المشهور عنه: لا يحل وطؤها حتى تتيمم وتصلي به، وقال مالك: لا يحل وطؤها حتى تغتسل، وقال الشافعي وأحمد: يحل وطؤها إذا تيممت، وإن لم تصل به.

واختلفوا في أقل الحيض وأكثره، فقال أبو حنيفة: أقله ثلاثة أيام ولياليهن وأكثرة عشرة أيام. وقال مالك: لا حد لأقلـه وإن دفعة كان حيضاً وأكثره خمسة عشر يوماً. وقال الشافعي وأحمد: أقله يوم وليلة، وروي عنهما يوم وأكثره خمسة عشر يوماً.

واختلفوا في المبتدأة إذا جاوز دمها أكثر الحيض، فقال أبو حنيفة: تجلس أكثر الحيض عنده، وعن مالك ثلاث روايات. إحداها: تجلس أكثر الحيض عنده ثم تكون مستحاضة وهي رواية ابن القاسم وغيره، والثانية: تجلس عادة بداءتها وهي رواية علي بن زياد، والثالثة: تستظهر بثلاثة أيام ما لم تجاوز خمسة عشر يوماً وهي رواية ابن وهب وغيره. وقال الشافعي: إن كانت مميزة رجعت

الرجل قائماً بتعليمها فليس لها الخروج لسؤال العلماء، وإن قصّر علم الرجل ولكن ناب

إلى تمييزها، وإن لم تكن مميزة قولان أحدهما ترد إلى أقل الحيض عنده، والآخر: ترد إلى غالب عادة النساء، وعند أحمد أربع روايات إحداها: تجلس ستاً، والثانية: سبعاً وهو الغالب من عادة النساء اختارها الخرقي، والثالثة: تجلس أكثر الحيض عنده والرابعة تجلس عادة نسائها. والفرق بين دم الحيض والإستحاضة باللون والقوام والريح، فدم الحيض أسود ثخين منتن ودم الإستحاضة رقيق أحمر لانتن فيه.

واختلفوا في المستحاضة فقال أبو حنيفة: ترد إلى عادتها إن كان لها عادة، وإن كانت لا عادة لها فلا اعتبار بالتمييز بحال وتجلس أقل الحيض عنده إذا كانت ناسية لعادتها. وقال مالك: لا اعتبار بالعادة والإعتبار بالتمييز فإن كانت مميزة ردت إليه وإن لم يكن لها تمييز صلت أبداً هذا في الشهر الثاني والثالث، فأما في الشهر الأول ففيه روايتان. إحداهما: أنها تجلس أكثر الحيض عنده، والثانية: تجلس أيامها المعروفة وتستظهر بعد ذلك بثلاثة أيام وتغتسل وتصلي. وظاهر مذهب الشافعي أنه إن كان لها تمييز وعادة قدم التمييز على العادة، وإن تقدم التمييز ردت إلى العادة وإن عدما معاً صارت مبتدأة وقد مضى حكمها. وقال أحمد: إذا كان لها عادة وتمييز ردت إلى العادة، وإن عدمت العادة ردت إلى التمييز، فإن عدما معاً ففيه روايتان إحداهما: تجلس أقل الحيض عنده، والأخرى: تجلس غالب عادة النساء.

واختلفوا في أن الحامل هل تحيض؟ فقال أبو حنيفة وأحمد: لا تحيض. وقال مالك: تحيض. وعن الشافعي قولان كالمذهبين.

واختلفوا هل لانقطاع الحيض أمد؟ فقال أبو حنيفة فيما رواه عن الحسن بن زياد: من خمس وخمسين سنة إلى الستين، وقال محمد بن الحسن بن الزيات: خمس وخمسون سنة. وقال في موضع آخر: ستون سنة: وقال مالك والشافعي: ليس له حد وإنما الرجوع فيه إلى العادات في البلدان، فإنه يختلف باختلافها فيسرع في البلاد الحارة ويتأخر في الباردة وعن أحمد ثلاث روايات إحداها: غايته خمسون سنة على العربيات وغيرهن، والثانية ستون، والثالثة إن كن عربيات فالغاية ستون، وإن كن نبطيات وأعجميات فخمسون.

واختلفوا في وطء المستحاضة فقال مالك: هو مباح، وقال الشافعي وأحمد في إحدى روايتيه: يكره ولا يحرم. وقال أحمد في الرواية الأخرى: يحرم إلا أن يخاف العنت واختارها الخرقي، والطهر من الحيض متى أطلق فإنما يعني به ما تراه النساء عند انقطاعه وهو القصة البيضاء، والله أعلم.

(فإن كان الرجل قائماً بتعليمها فليس لها الخروج) من منزلها **(لسؤال العلماء)** لحصول الإكتفاء بتعليم الرجل، **(وإن قصر علم الرجل)** بأن لم يكن عالماً في أكثر المسائل المذكورة **(ولكنه ناب عنها في السؤال)** عن علماء وقته واتقنها بذهنه **(وأخبرها بجواب المفتي فليس لها**

عنها في السؤال فأخبرها بجواب المفتي فليس لها الخروج، فإن لم يكن ذلك فلها الخروج للسؤال بل عليها ذلك ويعصي الرجل بمنعها، ومهما تعلمت ما هو من الفرائض عليها فليس لها أن تخرج إلى مجلس ذكر ولا إلى تعلم فضل إلا برضاه، ومهما أهملت المرأة حكماً من أحكام الحيض والاستحاضة ولم يعلمها الرجل حرج الرجل معها وشاركها في الإثم.

الثامن: إذا كان له نسوة فينبغي أن يعدل بينهن ولا يميل إلى بعضهن، فإن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة أقرع بينهن، كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ، فإن ظلم امرأة بليلتها قضى لها، فإن القضاء واجب عليه، وعند ذلك يحتاج إلى معرفة أحكام القسم وكان يطول ذكره، وقد قال رسول الله ﷺ: « من كان له امرأتان فمال إلى

الخروج) لحصول الإكتفاء بذلك الاخبار، **(فإن لم يكن ذلك)** فإن لم يعلمها أو لم ينب عنها في السؤال **(فلها الخروج)** حينئذ **(للسؤال، بل عليها ذلك ويعصي الرجل بمنعها)** وينظر فيما إذا ترتبت في خروجها مفسدة ظاهرة هل يرجح الخروج أيضاً أم لزوم بيتها؟ والذي يظهر الثاني خصوصاً في هذه الأزمنة. **(ومهما تعلمت ما بقي من الفرائض الدينية عليها فليس لها أن تخرج إلى مجلس ذكر)** ووعظ **(ولا إلى تعليم فضل إلا برضاه)** مع الأمن من المفسدة الظاهرة، **(ومهما أهملت المرأة حكماً من أحكام الحيض والإستحاضة ولم يعلمها الرجل حرج معها وشاركها في الإثم)** والله أعلم.

(الثامن: إن كان له نسوة) متعددة، **(فينبغي أن يعدل بينهن)** بالسوية **(ولا يميل إلى بعضهن)** ويترك البعض، **(وإن خرج إلى سفر وأراد استصحاب واحدة)** منهن **(أقرع بينهن)** أي ضرب القرعة بأن يكتب أسماءهن في رقاع بحضرتهن، ثم يرمي الرقاع مرة واحدة ويخلطها مع البعض ثم يمد يده فيأخذ ورقة فأيهن طلع اسمها أخذها وذلك تطييباً لخاطرهن، **(كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ)** كان يقرع بين أزواجه إذا أراد سفراً. أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة.

قلت: وكذا أبو داود وابن ماجه ولفظهم جميعاً: « كان إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ».

(فإن ظلم إمرأة بليلتها) بأن لم يبت معها بل بات عند غيرها **(قضى لها)** ليلة أخرى، **(فإن القضاء واجب عليه وعند ذلك يحتاج إلى معرفة أحكام القسم وذلك يطول ذكره)**.

قال المصنف في الوجيز: ولا يجب القسم على من له زوجة واحدة أن يبيت عندها، لكن يستحب ذلك لتحصينها، ولا يجب القسم بين المستولدات وبين الإماء ولا بينهن وبين المنكوحات، لكن الأولى العدل وكف الإيذاء، ومن له منكوحات فإن أعرض عنهن جاز وإن بات ليلة واحدة

احداهما دون الأخرى ، وفي لفظ ولم يعدل بينهما ، جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل » وإنما عليه العدل في العطاء والمبيت ، واما في الحب والوقاع فذلك لا يدخل تحت

عند واحدة لزمه مثلها للباقيات ، وتستحق المريضة والرتقاء والحائض والنفساء والمحرمة والتي آلى منها زوجها أو ظاهر وكل من بها عذر شرعي أو طبيعي ، لأن المقصود الأنس والسكن دون الوقاع ، وأما الناشزة فلا تستحق فلو كان يدعوهن إلى منزله فأبت واحدة سقط حقها ، وإن كان يساكن واحدة ويدعو الباقيات ففي جواز ذلك تردد لما فيه من التخصيص ، والمسافرة بغير إذنه ناشز وإن سافرت بإذنه في غرضها فحقها قائم وتستحق القضاء ، وإن كان في غرضها لم تستحق للقضاء في القول الجديد ، ويجب القسم على كل زوج عاقل . قال الشافعي : وعلى الولي أن يطوف بالمجنون على نسائه ويرعى العدل في القسم ، فلو كان يجن ويفيق فلا يخص واحدة بنوبة الإفاقة إن كان مضبوطاً وإن لم يكن وأفاق في نوبة واحدة قضى للأخرى ما جرى في الجنون لنقصان حقها ، وأما مكان القسم فلا يجوز له أن يجمع بين ضرتين في مسكن واحد إلا إذا انفصلت المرافق ، وله أن يستدعيهن إلى بيته على التناوب ، وأما زمانه فعماده الليل والنهار تبع إلا في حق الآتون والحارس فإن سكونهما بالنهار ولا يحل أن يدخل في نوبتها على ضرتها بالليل إلا لمرض مخوف ، وأما بالنهار فيجوز لغرض مهم ، وإن لم يكن مرض وقيل : النهار كالليل ، وقيل : لا حجر في النهار فإن خرج إلى صرتها بالليل ومكث قضى مثل ذلك من نوبة الأخرى ، وإن لم يمكث زماناً محسوباً فالظاهر أنه يعصي ولا يقضي ، وإن دخل ووطىء فقد أفسد تلك الليلة في وجه فلا يعتد بها وفي وجه يقضي الجماع فقط ، وفي وجه يقضي تلك المدة ولا يكلف الوقاع لأنه[1] تحت الإختيار ، وأما مقداره فأقله ليلة ، ولا يجوز تنصيف الليلة لأنه تنغيص العيش وأكثره ثلاث ليال ، وقيل سبع ، وقيل : لا تقدير بل هو اختياره ثم القرعة تحكم فيمن به البداءة ، وقيل : هو إلى خبرته لأنه ما لم يبت عند واحدة لا يلزمه شيء لغيرها والله أعلم .

(وقد قال رسول الله ﷺ : « من كان له امرأتان فمال إلى إحداهن دون الأخرى وفي لفظ لم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل ») قال العراقي : رواه أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة . قال أبو داود : فمال مع إحداهما . وقال الترمذي : فلم يعدل بينهما اهـ .

قلت : وكذلك رواه الطيالسي وأحمد والبيهقي بلفظ : « من كانت » وفي لفظ عندهم : « فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل » وعند ابن جرير « يميل مع إحداهما على الأخرى » وفيه « ساقط » بدل « مائل » .

(وإنما عليه العدل) والتسوية **(في العطاء)** أي النفقة والكسوة **(والمبيت أما في الحب)** وميل القلب **(والوقاع فذلك لا يدخل تحت الإختيار)** البشري **(قال الله تعالى : ﴿ولن**

---

(١) بياض في الأصل .

الاختيار . قال الله تعالى : ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ﴾ [النساء : ١٢٩] أي لا تعدلوا في شهوة القلب وميل النفس ، ويتبع ذلك التفاوت في الوقاع . وكان رسول الله ﷺ يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي ويقول : « اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك » يعني الحب . وقد كانت عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه وسائر نسائه يعرفن ذلك . وكان يطاف به محمولاً في مرضه في كل يوم وكل ليلة ، فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول : « أين أنا غداً ؟ » ففطنت لذلك امرأة منهن فقالت : إنما يسأل عن يوم عائشة ، فقلن : يا رسول الله ، قد أذنا لك أن تكون في بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تحمل في كل ليلة فقال : « وقد رضيتن بذلك » فقلن : نعم . قال : « فحولوني إلى بيت عائشة » . ومهما وهبت واحدة ليلتها لصاحبتها ورضي الزوج

تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ أي لا تعدلون في شهوة القلب وميل النفس) هكذا جاء في تفسيره هذه الآية ، ولفظ القوت : أي لا تقدرون على العدل بينهن في الحب والجماع لأن ذلك جعل الله في القلوب وفي شهوة النفوس اهـ .

(ويتبع ذلك التفاوت في الوقاع وقد كان رسول الله ﷺ يعدل بينهن) أي في زوجاته التسع **(في العطاء والبيتوتة في الليالي ، و)** كان **(يقول : « اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقة لي فيما تملك ولا أملك »)** قال العراقي : رواه أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة نحوه .

قلت : وكذا أحمد ولفظهم جميعاً « كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول : اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك » **(يعني الحب)** ولفظ القوت : يعني في المحبة والجماع .

(وقد كان يحب بعضهن أكثر من بعض ، وقد كانت عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه) كما جاء في الخبر ، عن عمرو بن العاص أنه قال : « أي الناس أحب إليك يا رسول الله ؟ قال أبو بكر . قال : ومن النساء ؟ قال : ابنته » الحديث . رواه البخاري ومسلم وقد تقدم ذلك . **(وسائر نسائه يعرفن ذلك)** أي حب رسول الله لها ، **(فكان يطاف به محمولاً في مرضه في كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة ويقول : « أين أنا غداً ؟ ففطنت امرأة منهن فقالت : إنه يسأل عن يوم عائشة ، فقلن يا رسول الله : قد أذنا لك أن تكون في بيت عائشة فإنه يشق عليك أن تحمل كل ليلة ، فقال : « وقد رضيتنّ بذلك » ؟ فقلن : نعم . قال : « فحولوني إلى بيت عائشة »)** . كذا نقله صاحب القوت قال العراقي : رواه ابن سعد في الطبقات من رواية محمد بن علي بن الحسين أن النبي ﷺ : « كان يحمل في ثوب يطاف به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن » وفي مرسل آخر له لما ثقل قال : « أين أنا غداً » فقالوا : عند فلانة . قال : فأين أنا بعد غد ، قالوا : عند فلانة ، فعرف أزواجه أنه يريد عائشة » الحديث وللبخاري من حديث عائشة « كان يسأل في

بذلك ثبت الحق لها. كان رسول الله ﷺ يقسم بين نسائه، فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة وسألته أن يقرها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسائه، فتركها وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر أزواجه ليلة ليلة، ولكنه ﷺ لحسن عدله وقوته كان إذا تاقت نفسه إلى واحدة من النساء في غير نوبتها فجامعها طاف في يومه أو ليلته على سائر نسائه، فمن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن

مرضه الذي مات فيه أين أنا غداً أين أنا غداً يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء» وفي الصحيحين: «لما ثقل استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له» اهـ.

(ومهما وهبت واحدة) منهن **(ليلتها لصاحبتها ورضي الزوج)** بذلك **(ثبت الحق لها)** أي للتي وهب لها، **(وكذلك كان رسول الله ﷺ)**. كان **(يقسم بين نسائه، فقصد أن يطلق سودة بنت زمعة)** هي إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنها **(لما كبرت)** سنها، **(فوهبت ليلتها لعائشة)** رضي الله عنها **(وسألته أن يقرها على الزوجية حتى تحشر في زمرة نسائه)** يوم القيامة فتركها ولم يطلقها. **(وكان لا يقسم لها ويقسم لعائشة ليلتين ولسائر أزواجه ليلة ليلة)**.

قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عائشة: «قالت سودة حين اسنت وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ يا رسول الله يومي لعائشة» الحديث. وللطبراني: «فأراد أن يفارقها» وهو عند البخاري بلفظ: «لما أن كبرت سودة وهبت يومها لعائشة فكان يقسم لها بيوم سودة» وللبيهقي مرسلاً «طلق سودة فقالت: أريد أن أحشر في أزواجك» الحديث اهـ.

قلت: وروى البخاري في كتاب النكاح من حديث عطاء قال: «حضرنا مع ابن عباس جنازة ميمونة بسرف فقال: هذه زوجة النبي ﷺ فإذا رفعتم نعشها فلا تزعزعوها ولا تزلزلوها وارفقوا فإنه كانت عند النبي ﷺ تسع وكان يقسم لواحدة» وكذلك أخرجه مسلم والنسائي. وقد كانت سودة آخر أمهات المؤمنين موتاً رضي الله عنهن، واختلف العلماء في أنه ﷺ هل كان يلزمه القسم بينهن في الدوام والمساواة في ذلك كما يلزم غيره أم لا يلزمه ذلك، بل يفعل ما يشاء من إيثار وحرمان؟ والأصح عند الشيخ أبي حامد والعراقيين والبغوي وجوب القسم كغيره، وإنما قال بعدم وجوبه الأصطخري، وأجمع المسلمون على أن محبتهن لا تكليف فيها ولا يلزمه التسوية فيها لأنه لا قدرة لأحد عليها إلا الله سبحانه، وإنما يؤمر بالعدل في الأفعال والله أعلم.

(ولكنه ﷺ لحسن عدله وقوته كان إذا تاقت نفسه إلى واحدة من النساء في غير يومها) أو ليلتها فجامعها **(طاف في يومه)** أو ليلته **(على سائر نسائه)** أي باقيهن، **(فمن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه في ليلة**

رسول الله ﷺ طاف على نسائه في ليلة واحدة. وعن أنس أنه عليه السلام طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار.

التاسع: في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم أمرهما. فإن كان من جانبهما جميعاً أو من الرجل فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدر على إصلاحها، فلا بدّ من حكمين أحدهما من أهله والآخر من أهلها لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما: ﴿إن يريدا إصلاحاً يوفّق الله بينهما﴾ [النساء: ٣٥] وقد بعث عمر رضي الله عنه حكماً إلى زوجين فعاد ولم يصلح أمرهما فعلاه بالدرة وقال: إن الله تعالى يقول: ﴿إن يريدا إصلاحاً يوفق الله

واحدة») قال العراقي: متفق عليه بلفظ: «كنت أطيب رسول الله ﷺ فيطوف على نسائه ثم يصبح محرماً ينضخ طيباً».

(وعن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ: «طاف على تسع نسوة ضحوة نهار») ولفظ القوت «في ضحوة» قال العراقي: رواه ابن عدي في الكامل، وللبخاري «كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة» اهـ.

قلت: قال البخاري في كتاب النكاح: حدثنا مسدد، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس «أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة» ورواه في كتاب الغصب وهن إحدى عشرة، لكن قال ابن خزيمة: تفرد بذلك معاذ بن هشام عن أبيه، وجمع ابن حبان في صحيحه بين الروايتين بالحمل على حالتين، وقد تقدم شيء من ذلك قريباً.

(**التاسع: في النشوز**) مصدر نشزت المرأة زوجها من باب قعد وضرب إذا عصته وامتنعت عليه، ونشز الرجل من زوجته بالوجهين تركها وجفاها. وفي التنزيل ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً واعراضاً﴾ [النساء: ١٢٨] وأصله الارتفاع، ويقال: نشز من مكانه نشوزاً بالوجهين إذا ارتفع عنه وفي السبعة وإذا قيل لهم: أنشزوا بالضم والكسر كذا في المصباح. وقال الراغب: نشوز المرأة بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته. وقال الفقهاء: نشوزها امتناعها مما يجب عليها له. (**ومهما وقع بينهما خصام**) ونفر أحدهما عن الآخر (**ولم يلتئم أمرهما، فإن كان**) ذلك (**من جانبيهما جميعاً**) بأن كان كل منهما خاصم الآخر (**أو**) كان ذلك (**من**) جانب (**الرجل**) فقط (**فلا تسلط الزوجة على زوجها ولا يقدم على اصلاحها**) وفي بعض النسخ: ولا يقدر، (**فلا بد**) حينئذ (**من**) نصب (**حكمين**) وأصل الحكم القضاء والفصل بين الفريقين، وقد حكم بينهما إذا فصل فهو حاكم وحكم. (**أحدهما من**) طرف (**أهله**) أي أهل الزوج، (**والآخر من أهلها**) أي أهل المرأة (**لينظرا بينهما ويصلحا أمرهما**) حسب الاستطاعة (**﴿فإن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما﴾**) وذلك بنص القرآن، (**وقد بعث عمر رضي الله عنه حكماً إلى زوجين**) كان قد وقع بينهما خصام (**فعاد ولم يصلح أمرهما فعلاه**) عليه (**بالدرة**) أي السوط (**وقال: إن الله تعالى يقول: ﴿إن يريدا**

بينها﴾ فعاد الرجل وأحسن النية وتلطف بها فأصلح بينهما، وأما إذا كان النشوز من المرأة خاصة فالرجال قوّامون على النساء، فله أن يؤدبها ويحملها على الطاعة قهراً، وكذا إذا كانت تاركة للصلاة فله حملها على الصلاة قهراً، ولكن ينبغي أن يتدرج في تأديبها وهو أن يقدم أوّلاً الوعظ والتحذير والتخويف، فإن لم ينجع ولاّها ظهره في المضجع أو انفرد عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت معها من ليلة إلى ثلاث ليال، فإن لم ينجع

إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾ فعاد الرجل) ثانياً إليها **(وأحسن النية وتلطف بها)** في الكلام **(فاصلح ما بينهما)** وفي التنزيل ﴿وإن خفتم شقاق بينهما﴾ [النساء: ٣٥] قال القاضي: أي خلافاً بين المرء وزوجته ﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها﴾ أي فابعثوا أحد الحكام متى اشتبه عليكم حالها لتبين الأمر وإصلاح ذات البين، رجلاً وسيطاً يصلح للحكومة والإصلاح من أهله، وآخر من أهلها فإن الاقارب أعرف ببواطن الأحوال وأطلب للصلاح، وعلى هذا وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز، وقيل: الخطاب للأزواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم وإلا ظهر أن النصب لإصلاح ذات البين ولتبين الأمر، ولا يليان الجمع والتفرق إلا باذن الزوجين. وقال مالك: لهما أن يتخالعا إن وجدا الإصلاح فيه، ثم قال تعالى ﴿إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾ الضمير الأول للحكمين، والثاني للزوجين أي إن قصدا الإصلاح يوفق الله بينهما فتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما، وقيل: للزوجين أي إن أرادا الإصلاح زال الشقاق وأوقع الله بينهما الألفة والوفاق، وفيه تنبيه على أن من صلح نيته فيما يتحراه أصلح الله مبتغاه إن الله كان عليماً خبيراً بالظواهر والبواطن، فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق، **(وأما إذا كانت)** المشاققة من جانب **(المرأة خاصة، فالرجال قوّامون على النساء)** يقومون عليهن مقام الولاة على الرعية، وقد ذكره الله في التنزيل وعلّله بأمرين موهبي وكسبي فقال ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ [النساء: ٣٤] فالأول تفضيل عليهن بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوّة في الاعمال والطاعات، والثاني إنفاقهم من الاموال في نكاحهن كالمهر والنفقة، **(فله أن يؤدبها ويحملها على الطاعة قهراً)** وليس لها أن تعانده أو تخالفه فيما أمر. وروي أن سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله ﷺ فشكا. فقال عليه الصلاة والسلام لتقتص منه فنزلت هذه الآية فقال: «أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذي أراد الله خير». **(ولكن ينبغي ان يتدرج في تأديبها)** ويتمهل، **(وهو أن يقدم أولاً الوعظ)** فينصحها **(والتخويف)** أي يحذرها ويخوّفها من عصيانها له فيما هو إصلاح لها أو لهما مما أبيح لهما، **(فإن لم ينجع)** أو لم ينفع **(ولاّها ظهره في المضجع)** أي لا يقبل عليها بوجهه هكذا فسره بعض العلماء، **(وانفرد عنها بالفراش وهجرها وهو في البيت)** وهكذا قال بعض العلماء ففي القول الأول الفراش واحد ولكن يوليها ظهره، وفي الثاني الفراش مختلف وكلاهما في المبيت، فالمراد الهجر في موضع النوم، فعلى هذا المراد بالمضجع مبيت النوم وقد نهى عن المبايتة معهن، ويحتمل على الوجه الأول أنه لا يدخلها تحت لحافه

ذلك فيها ضربها ضرباً غير مبرح بحيث يؤلمها ولا يكسر لها عظماً ولا يدمي لها جسماً. ولا يضرب وجهها. فذلك منهي عنه، وقد قيل لرسول الله ﷺ: ما حق المرأة على الرجل؟ قال: « يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب إلا ضرباً غير مبرح ولا يهجرها إلا في المبيت » وله أن يغضب عليها ويهجرها في أمر من

ولو لم يولها ظهره، ويحتمل أن يكون هذا كناية عن الجماع أي لا تجامعوها ولو كانت في فرش واحد أو يجامعها ولكن لا يكلمها، وهذه الوجوه كلها يحتملها قوله عز وجل ﴿واللاَّتي تخافون نشوزهن فعظوهن﴾ [النساء: ٣٤] فقدم الوعظ أولاً ثم قال ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ أي لا تدخلوهن تحت اللحف أو لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع أو لا تبايتوهن، ثم إذا هجرها في المبيت وعزل فرشه عن فرشها نحواً (من ليلة إلى ثلاث ليال) هكذا نقله صاحب القوت عن بعض العلماء، وذلك لما ورد من الوعيد الشديد فيمن يهجر أخاه فوق ثلاث، فقد روى الطبراني في الكبير من حديث فضالة بن عبيد « من هجر أخاه فوق ثلاث فهو في النار إلا أن يتداركه الله بكرامته »، (فإن لم ينجع) ذلك فيها ولم تباله (ضربها ضرباً غير مبرح) ولا شائن، وقد قال الله تعالى في الآية المذكورة ﴿واضربوهن﴾ والأمور الثلاثة يعني الوعظ والهجر والضرب مرتبة ينبغي أن يدرج فيها فلا يقدم الهجر على الوعظ ولا الضرب على كل منها، ثم قال تعالى ﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾ والمعنى فازيلوا عنهن التعرض لهن بالتوبيخ والإيذاء واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. وقال في تفسير الضرب الغير المبرح أنه يضربها (بحيث يؤلمها) أي ضرباً يحدث منه الألم فخرج عنه ما إذاضربها على شيء ثخين على ظهرها فإنه لا يؤلمها (ولا يكسر لها عظماً) أي لا يضرب على عظامها ليكسرها، وإنما يضربها على لحمها (ولا يدمي لها جسماً) فأولى المواضع بالضرب بواطن رجليها، (ولا يضرب وجهها فذلك منهى عنه) فقد روى أبو داود من حديث أبي هريرة « إذا ضرب أحد كم فليتق الوجه ». (وقد قيل لرسول الله ﷺ) ولفظ القوت: وجاء مع حق المرأة للرجل ما سئل عنه رسول الله ﷺ: (ما حق المرأة على الرجل) ولفظ القوت على زوجها؟ (فقال « يطعمها إذا أطعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يقبح لها وجهاً ولا يضربها إلا ضرباً غير مبرح ولا يهجرها الا في بيتها ») ولفظ القوت: « ولا يقبح الوجه ولا يضرب إلا ضرباً غير مبرح ولا يهجر إلا في البيت ». قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي في الكبرى، وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال: « ولا يضرب الوجه ولا يقبح ». وفي رواية لأبي داود « ولا يقبح الوجه ولا يضرب » اهـ.

قلت: وبمثل رواية النسائي رواه الطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي كلهم من رواية بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده، وقال الحاكم: صحيح، وأقره الذهبي، وصححه الدارقطني في العلل، وأورده البخاري معلقاً. قوله « ولا يقبح » أي لا يسمعها المكروه ولا يشتمها ولا يقل قبحك الله. وفي رواية « إذا أطعمت وإذا اكتسيت » وفي رواية للبخاري « غير أن لا

أمور الدين إلى عشر وإلى عشرين وإلى شهر. فعل ذلك رسول الله ﷺ إذ أرسل إلى زينب بهدية فردتها عليه، فقالت له التي هو في بيتها: لقد أقمأتك إذ ردّت عليك هديتك أي أذلتك واستصغرتك. فقال ﷺ: «أنتن أهون على الله أن تقمئنني» ثم غضب عليهن كلهن شهراً إلى أن عاد إليهن».

العاشر: في آداب الجماع. ويستحب أن يبدأ باسم الله تعالى ويقرأ قل هو الله أحد

يهجر إلا في البيت» قال ابن المنذر: والحصر الواقع في خبر معاوية هذا غير معمول به، بل يجوز الهجر في غير البيوت كما وقع له ﷺ من هجره أزواجه في المشربة. قال الحافظ ابن حجر: والحق أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال فربما كان الهجر في البيت أشق منه في غيره وعكسه، والغالب أن الهجر في غير البيت آلم للنساء لضعف نفوسهن، (**وله أن يغضب عليها ويهجرها في أمر من أمور الدين**) إذا خالفته فيه (**إلى عشر وإلى شهر**) وفي القوت: من عشر إلى شهر. (**فعل ذلك رسول الله ﷺ**) غضب على نسائه شهراً في كلام كلمه بعضهن (**إذ أرسل بهدية إلى بيت زينب**) ابنة حجش الأسدية (**فردتها إليه**) ولم تقبلها (**فقالت له التي هو في بيتها**) أي صاحبة النوبة: (**لقد أقمأتك إذ ردّت عليك هديتك أي أذلتك واستصغرتك**) وهذه كلمة من الاتباع. تقول العرب: قد أذللته وأقميته، ويقولون لتفعلن كذا صاغراً قمياً وما زال كذلك حتى ذل وقمأ يعنون بهذه الكلمة السب بالتصغير والتذليل للمبالغة في الصغر، (**فقال ﷺ «أنتن أهون على الله أن تقمئنني» ثم غضب عليهن كلهن شهراً إلى أن عاد إليهن**) هكذا هو في القوت. قال العراقي: ذكره ابن الجوزي في الوفاء بغير إسناد، وفي الصحيحين من حديث عمر «كان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن». وفي رواية «آلى عليهن شهراً». ولمسلم من حديث جابر «ثم اعتزلهن شهراً» اهـ.

(**العاشر: آداب الجماع**) ولنقدم قبل ذلك بيان تدبير الجماع وما ينفع منه وما يضر، وبيان أشكاله وهيئاته ليكون القادم عليه على بصيرة، فاعلم أن أحسن الجماع ما وقع بعد الهضم الأول والثاني، وإن كان ولا بدّ فينبغي أن يكون بعد استقرار الغذاء في قعر المعدة حتى يكون ضرره أقل مما إذا كان ضافياً. وعند اعتدال البدن وحرارته ويبوسته أسهل من خلائه وبرودته ويبوسه لأن الضرر الحاصل منه عند امتلاء البدن الأمراض السدية والامتلائية وعند الخلاء الذوبان والجفاف، فإن كان مع حرارة يحصل منه الدق لأن الجماع يهيج الحرارة القريبة، وإن كان مع برودة يحدث دق الشيخوخة وكذلك عند غلبة البرد واليبس، وإذا وقع عند حرارة البدن فقط دون الخلاء فربما أحدث حمى، وأما عند البرد فيحدث الرعشة والرعدة، وينبغي أن لا يجامع إلا إذا قويت الشهوة وحصل الانتشار التام عند اجتماع المني في أوعيته وكثرته وشدة الشبق من غير ذكره ولا فكره في مستحسن ولا نظر إليه ولا يكون من حكّة كما عند الجرب ولا عن كثرة رياح بلا شهوة، وعلامته أن يحصل عقيبه الخفة والنوم، ومثل هذا الجماع ينعش الحرارة الغريزية

أولاً ويكبِّر ويهلل ويقول: بسم الله العلي العظيم اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن تخرج ذلك من صلبي. وقال عليه الصلاة والسلام: «لو أن أحدكم إذا أتى أهله وقال: اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا. فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان»

ويحدث لذة ونشاطاً ويبسط النفس ويزيل الغم والغضب والوسواس السوداوي والفكر الرديء والعشق، ويهيء البدن للاغتذاء ويخفف الامتلاء وأوجاع الحالبين، وينفع أكثر الأمراض السوداوية والبلغمية والدموية، وربما وقع تارك الجماع في أمراض كالدوار وظلمة البصر وثقل البدن والرأس وورم الخصية والحالب ووجع الركبة، فإذا عاد إليه بريء بسرعة، ومن وجد حالة الجماع برداً في ظهره أو ألماً مع لذة الجماع أو رائحة كريهة من أعضائه فليعلم أن في بدنه اخلاطاً رديئة. والإفراط في الجماع يسقط الشهوة ويضر العصب والبصر جداً ويضعف القلب ويسرع الشيب وينقص من شعر الحاجبين والرأس وأشفار العين ويكثر اللحية وشعر سائر البدن، وكذلك الجماع المتكلف وجماع غير المشتهي يضر أكثر هذه المضار وأوعية المني يفرغ ما فيها بجماعين أو ثلاثة في أكثر الأمزجة، فإن ألح بعد ذلك يخرج الدم عوضاً عن المني وهو الدم الذي أعد لأن يكون غذاء للأعضاء، فإذا خرج ذلك الدم احتيج إلى زمان طويل ليحصل عوضه، وأما أشكاله فأحسنها أن يعلو الرجل المرأة رافعاً فخذيها بعد الملاعبة التامة ودغدغة الثدي والحالب ثم حك الفرج بالذكر، فإذا تغيرت هيئة عينيها وعظم نفسها وطلبت التزام الرجل أولج الذكر وصب المني وذلك هو المحبل، فإذا فرغ من الجماع نام على ظهره ساعة رافعاً رجليه على مثل الحائط لتستقر بقايا المني إلى مستقره، وأردأ أشكاله أن تعلو المرأة الرجل وهو مستلق، ويليه أن يكونا فيه قائمين ويليه وهما على جنبيهما، ويليه أن يكونا قاعدين، والشكل الذي تستلذه المرأة عند المجامعة أن تستلقي على ظهرها ويلقي الرجل نفسه عليها ويكون رأسها منكساً إلى أسفل كثير التصويب ويرفع أوراكها بالمخاد، فإذا أحس بالإنزال فليدخل يده تحت أوراكها ويشيلها شيلاً عنيفاً فإن الرجل والمرأة يجدان عند ذلك لذة عظيمة لا توصف. وقال رونس الحكيم: مدمنو ركوب الخيل أقوى على الباءة من غيرهم والله أعلم.

(و) آداب الجماع الشرعية (**يستحب أن يبدأ**) فيه قبله (**باسم الله تعالى**) بأن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم وهو أحد المعاني في تفسير قوله تعالى: ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ [البقرة: ٢٢٣] أي قدموا لأنفسكم التسمية عند الجماع أي اذكروا اسم الله عنده فذلك تقدمة لكم وقد سبقت الإشارة إليه، (**ويقرأ قل هو الله أحد أوّلاً**) تبركاً بهذه السورة إذ هي تعدل ثلث القرآن كما في الخبر، (**ويكبِّر ويهلّل**) وأيهما قدم جاز. يقول: بسم الله العلي العظيم (**اللهم اجعلها ذرية طيبة إن كنت قدرت أن يخرج من صلبي**) كذا أورده صاحب القوت (**وقال ﷺ «لو أن أحدكم إذا أتى أهله**) أي حليلته، ورواية الجماعة: إذا أراد أن يأتي أهله وهو كناية عن الجماع أي إذا أراد أن يجامع لا حين الشروع فيه، فإنه لا يشرع فيه حينئذ كما نبّه عليه الحافظ ابن حجر (**قال: اللهم جنبني**) ورواية الجماعة: بسم الله اللهم جنبنا (**الشيطان**) أي أبعده عنا (**وجنب**

وإذا قربت من الإنزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله ﴿الذي خَلَقَ من الماء بَشراً﴾ [الفرقان: ٥٤] الآية. وكان بعض أصحاب الحديث يكبر حتى يسمع أهل الدار صوته، ثم ينحرف عن القبلة ولا يستقبل القبلة بالوقاع إكراماً للقبلة وليغط نفسه وأهله بثوب. كان رسول الله ﷺ يغطي رأسه ويغض صوته ويقول للمرأة: «عليك بالسكينة». وفي الخبر: «إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العيرين» أي الحمارين،

الشيطان ما رزقتني) ورواية الجماعة: ما رزقتنا أي من الأولاد أو أعم والحمل عليه أتم لئلا يذهب الوهم إلى أن الآيس منهم لا يسن له الاتيان به إذ العلة ليست حدوث الولد فحسب، بل **هو ابعاد الشيطان حتى لا يشاركه في جماعه فقد ورد**: أنه يلتف على إحليله إذا لم يسم والأهل من رزق ويجوز كون «إذا» ظرفاً لقال، وقال: خبر لأن وكونها شرطية وجزاؤها قال: والجملة خبر إن، **(فإن كان بينهما ولد)** ذكر أو أنثى **(لم يضره الشيطان »)** بإضلاله وإغوائه ببركة التسمية فلا يكون للشيطان عليه سلطان في بدنه ودينه، ولا يلزم عليه عصمة الولد عن الذنب، لأن المراد من نفي الإضرار كونه مصوناً عن إغوائه بالنسبة للولد الحاصل بلا تسمية أو بمشاركة أبيه في جماع أمه، أو المراد لم يضره الشيطان في أصل التوحيد، وفيه بشارة عظمى أن المولود الذي يسمى عند الجماع الذي قضى بسببه يموت على التوحيد، وفيه أن الرزق لا يختص بالغذاء والقوت بل كل فائدة أنعم الله بها على عبد رزق الله تعالى فالولد رزق وكذا العلم والعمل، ورواية الجماعة فإنه إن قضى بينهما ولد من ذلك لم يضره الشيطان أبداً.

قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عباس. اهـ.

قلت: وكذلك رواه الطيالسي وأحمد والأربعة أصحاب السنن وابن حبان باللفظ الذي ذكرته.

(فإذا قربت من الإنزال فقل في نفسك ولا تحرك شفتيك الحمد لله ﴿الذي خلق من الماء بشراً﴾ الآية) إلى آخرها. **(وكان بعض أهل الحديث يكبّر)** قبل الجماع **(حتى يسمع أهل الدار يرفع بالتكبير صوته)** نقله صاحب القوت، ولعل ذلك ادعى لطرد الشيطان إذ يسن التكبير عند الحريق، والشيطان من نار فالتكبير يطفئه، **(ثم لينحرف عن القبلة)** يميناً أو شمالاً **(فلا يستقبلها بالجماع إكراماً للقبلة)** فإن في هذه الحالة كشفاً للعورة وذهاباً لبعض مسكة في العقل، فلا ينبغي أن يستقبلها في هذه الحالة، **(وليغط نفسه وأهله بثوب)** واحد كالملاءة فإن ذلك أستر لها. **(كان رسول الله ﷺ)** إذا أراد الجماع **(يغطي رأسه ويغض صوته)** أي يخفضه **(ويقول للمرأة: « عليك بالسكينة »)** أي الزمي السكينة نقله صاحب القوت. قال العراقي: رواه الخطيب من حديث أم سلمة بسند ضعيف.

(وفي الخبر « إذا جامع أحدكم أهله) أي حليلته **(فلا يتجردا)** أي لا يتعريا **(تجرد العيرين » أي الحمارين)** والعير بالفتح يطلق على الحمار الوحشي والأهلي وجمعه أعيار كبيت

وليقدم التلطف بالكلام والتقبيل. قال ﷺ: « لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة وليكن بينهما رسول ». قيل: وما الرسول يا رسول الله؟ قال: « القبلة والكلام ». وقال ﷺ: « ثلاث من العجز في الرجل أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه، والثاني أن يكرمه أحد فيرد عليه كرامته، والثالث أن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها منه ». ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر: الأول والآخر والنصف، يقال: إن الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي، ويقال إن الشياطين يجامعون فيها، وروي كراهة ذلك عن علي ومعاوية وأبي هريرة رضي الله عنهم، ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة وليلته تحقيقاً لأحد التأويلين من قوله ﷺ: « رحم الله من غسل واغتسل » الحديث. ثم

وأبيات، (ولا ينخر انخار الثيران) جمع ثور وقد نخر نخاراً كغراب إذا مدّ الصوت من الخياشيم. قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف.

(وليقدم) قبل الجماع بمقدماته وهي (التلطف بالكلام والتقبيل) في الخدين والشفة ودغدغة الثدي والحالب والغمز في أطراف البطن والخاصرة. (قال ﷺ « لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة) على البهيمة (ليكن بينهما رسول» فقيل: وما الرسول يا رسول الله؟ قال « القبلة والكلام ») قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وهو منكر اهـ.

(وقال ﷺ: « ثلاث خصال من العجز في الرجل أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف إسمه ونسبه، والثاني أن يكرمه أخوه فيرد عليه كرامته، والثالث أن يقارب الرجل جاريته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها منه ») قال العراقي: (رواه الديلمي من حديث أنس أخصر منه وهو بعض الحديث الذي قبله اهـ.

قلت: ولكل من الجمل الثلاثة شواهد في أخبار الجملة الأولى في مسلسلات مسعود بن سليمان بلفظ: « من الجفاء أن يلقى الرجل أخاه فلا يسأله عن اسمه ونسبه وكنيته »، وشاهد الجملة الثانية « ثلاث لا ترد الدهن والوسادة واللبن » رواه الترمذي عن ابن عمر، وشواهد الجملة الثالثة سيأتي ذكرها قريباً.

(ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر الاول والآخر والنصف. يقال: إن الشياطين تحضر الجماع في هذه الليالي، ويقال: إن الشياطين يجامعون فيها. ويروى كراهية ذلك عن علي ومعاوية وأبي هريرة رضي الله عنهم) كذا نقله صاحب القوت، (ومن العلماء من استحب الجماع يوم الجمعة تحقيقاً لأحد التأويلين من قوله ﷺ « رحم الله من غسل

إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضي هي أيضاً نهمتها فإن إنزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها ثم القعود عنها إيذاء لها، والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً إلى الانزال، والتوافق في وقت الانزال ألذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها، فإنها ربما تستحي. وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة فهو أعدله، إذ عدد النساء أربعة فجاز التأخير إلى هذا الحد. نعم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب

واغتسل» **الحديث**) أي غسل أهله كذا في القوت، وقد تقدم في الباب الخامس من الصلاة بلفظ «رحم الله من بكّر وابتكر وغسل واغتسل» الخ. رواه أصحاب السنن من حديث أوس بن أوس. «من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر» الحديث وتقدم الكلام عليه هناك.

(**ثم إذا قضى وطره**) من الجماع (**فليتمهل على أهله**) ويتوقف (**حتى تقضي أيضاً نهمتها**) أي حاجتها كما قضى هو نهمته (**فإن انزالها ربما يتأخر**) بعد إنزال الرجل (**فتهيج أيضاً شهوتها ثم القعود عنها ايذاء بها**) وسبب لكراهتها للرجل، فإن علم أنها قد سبقت بالشهوة لم يحتج إلى توقف (**والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر**) من المرأة والكراهة (**مهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال**) ولذا كان بعض العلماء لا يتأخر عن المرأة حتى يستأمرها وهذا التنافر الذي ذكره هو الأكثر بين الزوجين وما كل رجل يدري سببه، (**والتوافق**) بينهما (**في وقت الإنزال ألذ عندها**) وأرفق ما يكون إليها وأحبه (**ليشتغل الرجل بنفسه عنها فإنها ربما تستحي**) أي إنزالها إذا كان الرجل قد فرغ من وطره، وهذا يوجد قليلاً لأنه قد يكون المرأة من طبعها بطء الانزال والرجل من طبعه سرعته فلا يتوافقان وهذا هو المضر لها، وأما إذا كان بالعكس فالأمر سهل غاية ما يترتب أن المرأة يحصل لها سؤم بعد إنزالها وتستثقل الزوج ولكن تصبر، والدواء النافع لمن كان سريع الانزال والمرأة بطيئة ما قدمنا أوّلاً أنه لا يقدم على الجماع إلا بعد تبسط مقدماته من كلام وعض في الخدين ودغدغة الثديين وتمريسهما ومص الشفتين واللسان وضمها إلى صدره مراراً وهو في أثناء ذلك يحك فرجها بذكره من غير إنزال ويفاخذها ويتمكن منها تمكناً كلياً ثم يمر ببطنه على بطنها مع الغمز في الفخذين تارة وتارة في الخاصرتين وتارة في الظهر، حتى إذا رأى انه تغير لونها واحمرت عيناها وصارت تلازم الرجل وتهتز من تحته أولج ذكره قليلاً قليلاً مع التدريج حتى ينتهي إلى الآخر فينزل مرة واحدة ثم يتحرك بعد الإنزال غير إخراجه فمع هذه الهيئة لا تبقى امرأة ولو كانت بطيئة إلا أنزلت فيكون سبباً للإحبال واللذة، والأقوياء يملكون أنفسهم عند الإنزال فلا ينزلون إلا عند قصدهم، وهؤلاء لا كلام معهم والله يؤتي ما يشاء لمن يشاء، وقد يكون سبب التنافر بينهما قصر الذكر وطول فم الرحم فلا تشبع المرأة حينئذ من الجماع ولا تلتذ وقد يكون العكس، فإنه بطول ذكره يدفع فم الرحم دفعاً كلياً فيضرها ذلك فيحصل التنافر وتأبى الجماع غالباً. (**وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة فذلك عدل فقد جاز التأخير إلى هذا الحد**) ولفظ القوت: ومن لم تكن له إلا واحدة فإن استحب أن يفضي إليها في كل أربع ليال بمنزلة من له أربع نسوة، وبهذا قضى عمر بن الخطاب

حاجتها في التحصين فإن تحصينها واجب عليه، وإن كان لا يثبت المطالبة بالوطء فذلك لعسر المطالبة والوفاء بها. ولا يأتيها في المحيض، ولا بعد انقضائه وقبل الغسل فهو محرم

رضي الله عنه وكعب بن مسور للرجل أن يأتيها في كل أربع ليال ليلة. (**نعم ينبغي أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين فإن تحصينها واجب عليه**) ولفظ القوت فإن علم حاجتها إلى أكثر من ذلك كان عليه أن يفعل ما هو أحسن لتحصينها وأدوم لعفافها فإن علم منها كراهة ذلك وقلة همها به لم يكن الإفضاء إليها إلا في كل شهر مرة عند طهرها، (**وإن كان لا يثبت المطالبة بالوطء بذلك لعسر المطالبة والوفاء**) فليس عليه إلا المبيت عندها في الليلة وعليها أن لا تمنعه ليلاً أو نهاراً وإن كانت صائمة ولا يحل لها أن تصوم إلا بإذنه.

تنبيه:

قال صاحب القوت: ومن لم تقم كفايته بواحدة ضم إليها أخرى، فإن لم تكن بها غنية وتمام حاله وتحصينه زاد ثالثة إلى الأربع فإن الاربع إلى توقان النفس إلى النكاح وقوة شهوتها في التنقل بالمناكح بمنزلة الواحدة، وأن الواحدة مع وقوع الكفاية ووجود الاستغناء تنوب عن الأربع، كذلك دبّر الله صورة النفس فيما عليه جبلها، وفارق بين الطباع بما عليه جمعها وأن الله بقدرته وحكمته أباح الجمع بين الأربع لأجل الطبائع الأربع لكل طبيعة واحدة على قدر حركتها وتوقان النفس عندنا، ولا نقص على العبد في ذلك إذا قام بما عليه لهن وسمحن بحقوقهن من النفقة والمبيت كل ذلك مزيد له دلالة على قوّته وتمكنه في الحال، وهذا طريق الأقوياء والائمة من القدماء، والله أعلم.

(**ولا يأتيها في الحيض ولا بعد إنقطاعه وقبل الغسل فذلك محرم بنص الكتاب**) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فلا تقربوهن حتى يطهرن﴾ [البقرة: ٢٢٢] أي من الحيض فإذا تطهرن يعني بالماء فقوله(**حتى يتطهرن**) تأكيد للحكم وبيان لغايته وهو أن يغسلن بعد الانقطاع، ويدل عليه صريحاً قراءة حمزة والكسائي وعاصم (**يطهرن**) أي يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله تعالى: ﴿فإذا تطهَّرن فآتوهنّ﴾ فإنه يقتضي تأخير جواز الاتيان عن الغسل. وقال أصحابنا الحنفية: توطأ بلا غسل بتصرم لأكثره بدليل قوله (**حتى يطهرن**) بالتخفيف جعل الطهر غاية للحرمة وما بعد الغاية يخالف ما قبلها، ولأن الحيض لا مزيد به على العشرة فيحكم بطهارتها انقطع الدم أو لم ينقطع ولأقله لا حتى تغتسل أو يمضي عليها أدنى وقت صلاة، لأن الدم يدر تارة وينقطع أخرى فلا يترجح جانب الانقطاع إلا إذا أحدثت شيئاً من أحكام الطاهرات، وذلك بالاغتسال لجواز قراءة القرآن به أو يمضي عليها وقت صلاة كاملة لوجوب الصلاة في ذمتها وهما من أحكامهن، ولا حجة لمن استدل بالتشديد في الآية لأنها قرئت بالتخفيف وهي تقتضي انقطاع الدم لا غير، فيكون التشديد محمولاً على ما إذا انقطع لا لأقل من عشرة أيام، والتخفيف على ما إذا انقطع لعشرة توفيقاً بين القراءتين، والله أعلم.

بنص الكتاب . وقيل : إن ذلك يورث الجذام في الولد ، **وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير المأتى إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى ، والأذى في غير المأتى دائم فهو أشد تحريماً من إتيان الحائض . وقوله تعالى : ﴿ فأتوا حرثكم أنَّـى شئتم ﴾ [البقـرة : ٢٢٣]**

(**وقيل: إن ذلك يورث الجذام في الولد**) ولفظ القوت: ويقال: إن من جامع في آخر الحيض وقبل طهور المرأة وغسلها من الحيض كان بولده الجذام اهـ.

وهو قول الحكماء قالوا : وطء الحائض والنفساء يولد الجذام في الولد . وقال الزيلعي من أصحابنا في شرح الكنز : فإن وطئها في الحيض يستحب له أن يتصدق بدينار ولا يجب ذلك ، وقيل : إن كان في أول الحيض يتصدق بدينار ، وإن كان في آخره فبنصف دينار وليستغفر الله تعالى ولا يعود ، وقيل : إن كان الدم أسود يتصدق بدينار ، وإن كان أصفر فبنصف دينار وكل ذلك ورد في الحديث اهـ.

وقال النووي في الروضة: ومتى جامع في الحيض متعمداً عالماً بالتحريم فقولان المشهور الجديد لا غرم عليه بل يستغفر الله ويتوب ،لكن يستحب أن يتصدق بدينار إن جامع في إقباله أو نصف دينار إن جامع في ادباره ، والقول القديم تلزمه غرامته وفيها قولان. المشهور ما قدمنا استحبابه في الجديد ، والثاني عتق رقبة بكل حال ثم الدينار الواجب أو المستحب مثقال الإسلام من الذهب الخالص يصرف إلى الفقراء والمساكين ويجوز صرفه إلى واحد ، وعلى قول الوجوب يجب على الزوج دون الزوجة وفي المراد باقباله وادباره وجهان. والصحيح المعروف أن إقباله أوّله وشدته وإدباره ضعفه وقربه من الانقطاع. القول الثاني: قول الاستاذ أبي إسحاق إقباله ما لم ينقطع وإدباره إذا انقطع ولم تغتسل، أما إذا وطئها ناسياً أو جاهلاً بالتحريم فلا شيء عليه قطعاً. وقيل: يجيء وجه أنه يجب الغرم.

(**وله أن يستمتع بجميع بدن الحائض ولا يأتيها في غير المأتى**) مفعل من الاتيان أي موضعه وهو القُبُل (**إذ حرم غشيان الحائض لأجل الأذى**) يشير إلى قوله تعالى ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذى﴾ [البقرة: ٢٢٢] أي مستقذر مؤذ فاعتزلوا النساء في المحيض أي اجتنبوا مجامعتهن إذا حضر ثم قال تعالى ﴿فأتوهن من حيث أمركم الله﴾ أي المأتى الذي امركم به وحلله لكم، (**والأذى في غير المأتى**) وهو الدبر (**دائم**) لا ينقطع، (**فهو أشد تحريماً من إتيان الحائض . وقال تعالى**) ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ أي مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيهاً لما يلقى في أرحامهن من البذور (**فأتوا حرثكم**) أي فآتوهن كما تأتون المحارث وهو كالبيان لقوله تعالى ﴿فأتوهن من حيث أمركم الله﴾ (**أنى شئتم﴾**) [البقرة: ٢٢٣] وهو يحتمل ثلاثة معان. معنيان منها هنا تكون « أنىَّ » بمعنى كيف أي كيف شئتم مقبلة أو مدبرة بعد أن يكون في موضع الحرث. روي أن اليهود كانوا يقولون: إن من جامع امرأته من دبرها في قبلها كان ولدها أحول، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت. أخرجه الشيخان من حديث جابر « أنىَّ » بمعنى « متى » أي:

أي: أيّ وقت شئتم. وله أن يستمني بيديها وأن يستمتع بما تحت الإزار بما يشتهي سوى

(أي وقت شئتم) أي أردتم من ليل أو نهار، وهذان صحيحان. والمعنى الثالث: تكون « أنى » بمعنى أين ولا يصلح هذا الوجه هنا لكراهة إتيان المرأة في دبرها.

تبيه:

قرأت في كتاب اختلاف الفقهاء لابن جرير الطبري ما نصه: واختلفوا في إتيان النساء في أدبارهن بعد إجماعهم أن للرجل أن يتلذذ من بدن المرأة بكل موضع منه سوى الدبر، فقال مالك: لا بأس بأن يأتي الرجل امرأته في دبرها كما يأتيها في قبلها. حدثني بذلك يونس عن ابن وهب عنه، وقال الشافعي: الإتيان في الدبر حتى يبلغ منه مبلغ الإتيان في القبل محرم بدلالة الكتاب والسنّة. قال: وأما التلذذ بغير إبلاغ الفرج بين الإليتين في جميع الجسد فلا بأس به. قال: وسواء ذلك من الأمة والحرة، ولا ينبغي لها تركه لإصابة ذلك، فإن ذهبت إلى الأمام نهاه عن ذلك وإن أقرّ بالعودة له أدّبه دون الحد، ولا غرم عليه فيه لها لأنها زوجه، ولو كان زنا حدّ فيه إن فعله حد الزنا وأغرم إن كان عامياً لها مهر مثلها، ومن فعله وجب عليه الغسل وأفسد حجه. حدثنا بذلك عنه الربيع. وقال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد: إتيان النساء في الأدبار حرام. الجوزاني عن محمد، وعلة من قال بقول مالك إجماع الكل أن النكاح قد أحل للمتزوج ما كان حراماً، واذا كان ذلك كذلك لم يكن القُبُل بأولى في التحليل من الدبر، وعلة من قال بقول الشافعي من الخبر: ما حدثني به محمد بن أبي ميسرة المكي قال: حدثنا عثمان بن اليمان عن زمعة بن صالح، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن العماد عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال: « محاش الناس حرام لا تأتوا النساء في أدبارهن » ومن الاستدلال أن الكل مجمعون قبل النكاح أن كل شيء معها حرام، ثم اختلفوا فيما يحل له منها بالنكاح، ولن ينتقل المحرم باجماع إلى تحليل إلا بما يجب التسليم له من كتاب أو سنّة أو إجماع أو قياس على أصل مجمع عليه فما أجمع منها على التحليل فحلال، وما اختلف فيه منها فحرام، والإتيان في الدبر مختلف فيه فهو على التحريم المجمع عليه اهـ.

قلت: وقد وردت في تحريم ذلك أخبار: **فمنها**: حديث خزيمة بن ثابت رواه الشافعي عن محمد بن علي بن شافع، عن عبدالله بن علي بن السائب، عن حصين بن محصن، عن هرمي بن عبدالله، عن خزيمة بن ثابت أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن إتيان النساء في أدبارهن، أو اتيان الرجل المرأة في دبرها قال: « حلال » فلما ولّى الرجل دعاه أو أمر به فدعي فقال: « كيف قلت في أي الخرقتين أو في أيّ الخرزتين أو في أي الخصفتين أمن دبرها في قبلها فنعم أو من دبرها في دبرها فلا. إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن ». ورواه النسائي من طريق ابن وهب عن سعيد بن أبي هلال عن عبدالله بن علي، وأخرجه أحمد والنسائي أيضاً وابن حبان من طريق هرمي، وهرمي لا يعرف حاله، وقد تكلم في هذا الحديث بسبب الاختلاف في اسناده، ولذا قال البزار: لا أعلم في هذا الباب حديثاً صحيحاً لا في الحظر ولا في الطلاق، وكل ما روي فيه عن خزيمة بن ثابت فغير صحيح اهـ.

ومنها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه وله ألفاظ من ذلك «ملعون من أتى امرأة في دبرها» رواه أحمد وأصحاب السنن من طريق شميل بن أبي صالح عن الحرث بن مخلد عنه، ومن ذلك «لا ينظر الله يوم القيامة إلى رجل أتى المرأة في دبرها» وهذا لفظ أبي داود والنسائي وابن ماجه، وأخرجه البزار. وقال الحرث بن مخلد: ليس بمشهور. وقال ابن القطان: لا يعرف حاله. ومن ذلك «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد ﷺ» رواه أحمد والترمذي من طريق حماد بن سلمة عن حكيم الأثرم عن أبي تميمة سماعاً عن أبي هريرة. وقال البزار: هذا حديث منكر. وحكيم لا يحتج به وما انفرد به فليس بشيء اهـ.

ورواه كذلك النسائي من طريق الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال حمزة الكفاني الراوي عن النسائي: هذا حديث منكر، ومن ذلك «من أتى الرجال أو النساء في الأدبار فقد كفر» رواه النسائي من طريق بكر بن حنين، عن ليث، عن مجاهد، عن أبي هريرة. وبكر وليث ضعيفان. ومن ذلك «إتيان الرجال والنساء في أدبارهن كفر» رواه الثوري، عن ليث، عن مجاهد، عن أبي هريرة موقوفاً. وكذا رواه أحمد عن إسماعيل عن ليث، ورواه الهيثم بن خلف في كتاب ذم اللواط من طريق محمد بن فضيل عن ليث. ومن ذلك «ملعون من أتى النساء في أدبارهن» رواه يزيد بن أبي حكيم عنه موقوفاً.

ومنها: حديث علي بن طلق رضي الله عنه: «إن الله لا يستحيي من الحق لا تأتوا النساء في أعجازهن» رواه الترمذي والنسائي وابن حبان.

ومنها عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يأتي المرأة في دبرها فقال: «هي اللوطية الصغرى»، هكذا رواه أحمد، وأخرجه النسائي أيضاً وأعله، والمحفوظ عن عبدالله بن عمرو من قوله كذا أخرجه عبد الرزاق وغيره.

ومنها: حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أورده ابن جرير بسنده المتقدم، وقد أخرجه أيضاً النسائي والبزار وزمعة بن صالح ضعيف، وقد اختلف في وقفه ورفعه.

وفي الباب عن ابن عباس وأنس بن مالك وأبيّ بن كعب وابن مسعود رضي الله عنهم، وفي طريق الكل مقال، والمدنيون يرون فيه الرخصة ويحتجون بحديث ابن عمر وأبي سعيد. أما حديث ابن عمر ففيه طرق رواه عنه نافع، وزيد بن أسلم، وعبدالله بن عبيدالله بن عمرو، وسعيد بن يسار وغيرهم. أما نافع فاشتهر عنه من طرق كثيرة جداً، منها رواية مالك، وأيوب، وعبيد بن عبدالله بن نافع، وأبان، وصالح وإسحاق بن عبدالله بن أبي فروة.

قال الدارقطني في أحاديث مالك التي رواها خارج الموطأ: حدثنا أبو جعفر الأسواني، حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا أبو الحرث أحمد بن سعيد المقبري، حدثنا أبو ثابت محمد بن عبيد، حدثنا الدراوردي، عن عبدالله بن عمر بن حفص، عن نافع قال: قال لي ابن عمر امسك عليّ المصحف يا نافع فقرأ حتى أتى على هذه الآية ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ فقال: يا نافع؛ أتدري فيمَ أنزلت هذه

....

الآية؟ قال: قلت: لا. قال: فقال لي: في رجل من الأنصار أصاب امرأته في دبرها فأعظم الناس ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ قال نافع: فقلت لابن عمر من دُبرها في قُبلها؟ قال: لا إلا في دبرها. قال أبو ثابت: وحدثني به الدراوردي عن مالك، وابن أبي ذئب فرفعها عن نافع مثله.

وفي تفسير البقرة من صحيح البخاري: حدثنا إسحاق، أخبرنا النضر، أخبرنا ابن عوف، عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه. قال: فأخذت عليه يوماً فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان فقال: تدري فيمَ أنزلت؟ فقلت: لا. قال: نزلت في كذا وكذا، ثم مضى.

وعن عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي، حدثني أيوب، عن نافع، عن ابن عمر في قوله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ يأتيها في[1] قال: ورواية محمد بن يحيي بن سعيد عن أبيه عن عبيدالله بن عمر هكذا وقع عنده والرواية الأولى في تفسير إسحاق بن راهويه مثل ما ساق، لكن عين الآية وهي ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ وغير قوله: كذا وكذا، فقال: نزلت في إتيان النساء في أدبارهن، وكذا رواه الطبراني من طريق ابن علية عن ابن عوف، وأما رواية عبد الصمد فهي في تفسير إسحاق أيضاً عنه وقال فيه: يأتيها في الدبر، وأما رواية محمد بن يحي فأخرجها الطبراني في الأوسط عن علي بن سعيد عن أبي بكر الأعمش عن محمد بن يحي بن سعيد بلفظ: «إنما نزلت نساؤكم حرث لكم رخصة في إتيان الدبر». وأخرجه الحاكم من طريق عيسى بن مثرد وعن عبد الرحمن بن القاسم، ومن طريق سهل بن عمار عن عبدالله بن نافع، ورواه الدارقطني في غرائب مالك من طريق زكريا الساجي عن محمد بن الحرث المدني عن أبي مصعب. ورواه الخطيب في الرواية عن مالك من طريق أحمد بن الحكم العبدي. ورواه أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، والدارقطني أيضاً من طريق إسحاق بن محمد الفروي. ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان من طريق محمد بن صدقة الفركي كلهم عن مالك. قال الدارقطني: هذا ثابت عن مالك.

وأما زيد بن أسلم، فروى النسائي والطبري من طريق أبي بكر بن أبي إدريس عن سليمان بن منهال، عن ابن عمر أن رجلا أتى امرأته في دبرها على عهد رسول الله ﷺ فوجد من ذلك وجداً شديداً، فأنزل الله عز وجل: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ الآية.

وأما عبيدالله بن عبدالله بن عمر فروى النسائي من طريق يزيد بن رومان عنه عن ابن عمر كان لا يرى به بأساً موقوف.

وأما سعيد بن يسار فروى النسائي والطحاوي والطبري من طرق عن عبد الرحمن بن القاسم قال: قلت لابن عمر إنا نشتري الجواري فنحمض لهن، والتحميض الاتيان في الدبر. فقال: أف

---

(١) بياض في الأصل.

....

أو يفعل هذا مسلم؟ قال ابن القاسم فقال لي مالك: أشهد على ربيعة يحدثني عن سعيد بن يسار أنه سأل ابن عمر فقال: لا بأس به.

وأما حديث أبي سعيد فروى أبو يعلى وابن مردويه في تفسيره، والطبري والطحاوي من طرق عن عبدالله بن نافع عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً أصاب امرأة في دبرها فأنكر الناس عليه ذلك وقالوا: أثغرها؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ الآية. رواه أسامة بن أحمد التحيبي من طريق يحيى بن أيوب عن هشام بن سعد ولفظه: «كنا نأتي النساء في أدبارهن ونسمي ذلك الاثغار» فأنزل الله الآية. وروي من طريق معن بن عيسى عن هشام ولم يسم أبا سعيد قال: كان رجال من الأنصار فهذا الذي ذكرته من سياق الأخبار في الإباحة والاطلاق.

وقال الرافعي: وحكى ابن عبد الحكم عن الشافعي أنه قال: لم يصح عن رسول الله ﷺ في تحريمه ولا تحليله شيء والقياس أنه حلال. وقال الحاكم: لعل الشافعي كان يقول بذلك في القديم، فأما في الجديد فالمشهور انه حرمه، وحكى الماوردي في الحاوي، وابن الصباغ في الشامل عن الأصم تكذيب الربيع محمد بن عبد الحكم فيما نسبه إلى الشافعي وقال: بل نص الشافعي على تحريمه، قال الحافظ بن حجر: ولا معنى لتكذيبه إياه فإنه لم ينفرد به فقد تابعه عليه أخوه عبد الرحمن بن عبد الحكم عن الشافعي أخرجه أحمد بن أسامة بن أحمد بن أبي السمح المصري عن أبيه قال: سمعت عبد الرحمن فذكر نحوه عن الشافعي. وفي مختصر الجويني أن بعضهم أقام ما رواه ابن عبد الحكم قولاً اهـ.

وإن كان كذلك فهو قول قديم وقد رجع عنه الشافعي كما قال الربيع، وهذا أولى من إطلاق الربيع تكذيب محمد بن عبد الحكم فإنه لا خلاف في ثقته وإمامته، وإنما اغتر محمد بكون الشافعي قص له القصة التي وقعت له بطريق المناظرة بينه وبين محمد بن الحسن، ولا شك أن العالم في المناظرة يتقلد القول وهو لا يختاره فيذكر أدلته إلى أن ينقطع خصمه وذلك غير مستنكر في المناظرة وما نسب من ذلك إلى مالك فهو صحيح لكن رجع متأخرو أصحابه عن ذلك وأفتوا بتحريمه إلا أن مذهبه الجواز. وقال القاضي أبو الطيب في تعليقه: نص في كتاب السر عن مالك على اباحته، ورواه عنه أهل مصر وأهل المغرب. وقال القاضي عياض: كان الإمام القاضي أبو محمد الأصيلي يجيزه ويذهب فيه إلا أنه غير محرم، وضيق في إباحته محمد بن سحنون ومحمد بن شعبان ونقلا ذلك عن جمع كثير من التابعين، وفي كلام ابن العربي والمازري ما يومىء إلى جواز ذلك أيضاً. وحكى ابن بزيزة في تفسيره عن عيسى بن دينار أنه كان يقول: هو أحلى من الماء البارد وأنكره كثير منهم أصلاً. وقال القرطبي في تفسيره، وابن عطية قبله: لا ينبغي لأحد أن يأخذ بذلك، ولو ثبتت الرواية فيه لأنها من الزلات. وذكر الخليلي في الإرشاد عن ابن وهب: أن مالكاً رجع عنه، وفي مختصر ابن الحاجب عن ابن وهب عن مالك إنكاره ذلك، تكذيب من نقله عنه، والله أعلم.

الوقاع، وينبغي أن تتزر المرأة بازار من حقوها إلىٰ فوق الركبة في حال الحيض فهذا من الأدب وله أن يؤاكل الحائض ويخالطها في المضاجعة وغيرها وليس عليه اجتنابها وإن أراد أن يجامع ثانياً بعد أخرى فليغسل فرجه أوّلاً، وإن احتلم فلا يجامع حتى يغسل

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وله أن يستمني بيدها وأن يستمتع بما تحت الإزار سوى الوقاع**) ولفظ القوت. وبعض علماء العراق يجوّز من الحائض المباشرة لما تحت المئزر خلا الفرجين ولا حرج عليه في الاستمناء بيدها اهـ. فصاحب القوت ساقه، ونسبه لبعض علماء العراق.

قلت: وهو قول محمد بن الحسن قال: يجوز له الاستمتاع منها بما دون الفرج، واستدل بقوله تعالى: ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ [البقرة: ٢٢٢] يقول المحيض محل الحيض وهو الفرج ولما ورد «اصنعوا ما شئتم إلا الجماع» رواه مسلم وهذا قد رجَّحه الطحاوي واختاره أصبغ من المالكية، وجعلوا حديث مسلم مخصصاً لغيره من الأحاديث التي فيها ما وراء الازار، وليس ما ذكره مذهب الإمام الشافعي بل مذهبه ما أشار إليه بقوله: (**وينبغي أن تتزر المرأة**) الحائض (**بإزار**) صغير (**من حقويها إلى ما فوق الركبة في حالة الحيض، فهذا من الأدب**) ولفظ القوت: وإذا كانت المرأة حائضاً اتزرت بمئزر صغير من حقويها إلى أنصاف الفخذين وكان له المتعة بجميع جسدها كيف شاء إلا ما تحت المئزر وهذا مذهب فقهاء الحجاز وهو أحب الوجهين إليّ، ثم ذكر صاحب القوت القول الذي نسبه لبعض علماء العراق وسقنا لفظه قبل هذا، ثم قال: واستحب للرجل إذا دخل في لحافها أن يتزر بحقو صغير يكون في وسطه وهو المئزر لئلا يتجرد عرياناً فإن هذا من الأدب اهـ. فتأمل سياق المصنف من سياقه وتقديمه وتأخيره والظاهر أن في عبارة المصنف سقطاً يظهر بالتأمل.

وأما مذهب الشافعي رضي الله عنه في هذه المسألة فقال النووي في الروضة: وأما الاستمتاع بالحائض فضربان أحدهما: الجماع في الفرج فيحرم ويبقى تحريمه إلى أن ينقطع الحيض وتغتسل أو تتيمم عند عجزها عن الغسل. النوع الثاني: ما فوق السرة وتحت الركبة وهو جائز أصابه دم الحيض أو لم يصبه، وفي وجه شاذ يحرم الاستمتاع بالموضع المتلطخ بالدم اهـ.

وقال أصحابنا: ويمنع الحيض قربان زوجها ما تحت إزارها، ويحرم مباشرة ما بين السرة والركبة عند أبي حنيفة وأبي يوسف خلافاً لمحمد، وقد تقدم ذكر قوله: وما احتج به وحجتنا على محمد قوله ﷺ للذي سأله عما يحل له من امرأته وهي حائض «لك ما فوق الازار» وقوله ﷺ لعائشة: «شدي عليك إزارك» إذ لو كان الممنوع موضع الدم لم يكن لشد الإزار معنى.

(**وله أن يؤاكل المرأة الحائض ويخالطها في المضاجعة وغيرها وليس عليه اجتنابها**) ولفظ القوت: ويضاجع الرجل الحائض كيف شاء وتناوله ما شاء ويؤاكلها ولا يجانبها في شيء إلا الجماع كما ذكرنا. (**وإن أراد أن يجامع أهله مرة بعد أخرى**) أي أراد العود للجماع ثانياً (**فيغسل فرجه أوّلاً**) وكذلك المرأة تغسل فرجها أو تمسحه مسحاً إن لم تتناول الماء فهذا هو

فرجه أو يبول، ويكره الجماع في أوّل الليل حتى لا ينام على غير طهارة، فإن أراد النوم أو الأكل فليتوضأ أوّلاً وضوء الصلاة فذلك سنّة. قال ابن عمر: قلت للنبي ﷺ: أينام أحدنا وهو جنب؟ قال: «نعم إذا توضأ» ولكن قد وردت فيه رخصة. قالت عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ ينام جنباً لم يمس ماء» ومهما عاد إلى فراشه فليمسح وجه فراشه أو لينفضه، فإنه لا يدري ما حدث عليه بعده، ولا ينبغي أن يحلق

الأدب، (وإن احتلم) وأراد أن يستوفي ما بقي من المني بالجماع (**فلا يجامع حتى يغسل فرجه أو يبول**) ليخرج ما بقي من القطرات في عروق الذكر. ولفظ القوت: فإن جامع بعد الاحتلام من غير غسل فرجه خيف على ولده إن كان من جماعه أن يصيبه لمم من الشيطان، (**ويكره له الجماع في أوّل الليل حتى لا ينام على غير طهارة**) فإن الأرواح تعرج إلى العرش فما كان طاهراً أذن له بالسجود، وإن كان جنباً لم يأذن له، (**فإن أراد النوم أو الأكل**) بعد الجماع (**فليتوضأ أوّلاً وضوءه للصلاة فذلك سنّة**) نقله صاحب القوت.

(**قال**) عبدالله (**بن عمر رضي الله عنهما قلت للنبي ﷺ: أينام أحدنا وهو جنب؟ قال: «نعم إذا توضأ»**) قال العراقي: متفق عليه من حديثه أن عمر سأل لا أن عبدالله هو السائل اهـ. فالحديث من رواية ابن عمر عن أبيه.

(**ولكن قد ورد فيه رخصة**) أي في النوم بعد الجماع من غير أن يمس ماء (**قالت عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ ينام جنباً لم يمس ماء»**) قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، وقال يزيد بن هارون أنه وهم. ونقل البيهقي عن الحافظ الطعن فيه قال وهو صحيح من جهة الرواية اهـ.

قلت: وأخرجه كذلك أحمد والنسائي ولفظهم: «كان ينام وهو جنب ولا يمس ماء»، وفي رواية يجنب. قال ابن القيم: هذه الرواية غلط عند أئمة الحديث، وقال الحافظ ابن حجر، قال أحمد: ليس بصحيح، وأبو داود وهم ويزيد بن هارون خطأ، وأخرجه مسلم «كان ينام وهو جنب» دون قوله ولم يمس ماء وكأنه حذفها عمداً اهـ. وأنت خبير أن المراد بقوله: لم يمس ماء أي للغسل وهذا لا يمنع كونه ﷺ كان يتوضأ، وحيث أنه صحيح من جهة الرواية فالمعنى كذلك صحيح لأنه فعل ذلك تشريعاً لأمته غير أن هذا التأويل لا يناسب سياق المصنف فتأمل.

(**ومهما عاد إلى فراشه**) لينام (**فليمسح وجه فراشه**) بصنفة إزاره (**فإنه لا يدري ما حدث بعده**)، وهذا قد رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وتقدم في كتاب ترتيب الاوراد عند ذكر آداب النوم ولفظه: «إذا جاء أحدكم إلى فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات» الحديث. رواه الجماعة. ولفظ مسلم: «فليأخذ ازاره فلينفض بها فراشه وليسم الله فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه» الحديث. وصنفة الثوب بكسر النون: طرفه وقيل جانبه.

(**ولا ينبغي أن يحلق**) شعر بدنه (**او يقلم ظفره أو يستحد**) أي يستعمل موسى الحديد وفي

أو يقلم أو يستحد أو يخرج الدم أو يبين من نفسه جزءاً وهو جنب، إذ ترد إليه سائر أجزائه في الآخرة فيعود جنباً. ويقال: إن كل شعرة تطالبه بجنابتها، ومن الآداب أن لا يعزل، بل لا يسرح إلا إلى محل الحرث وهو الرحم، فما من نسمة قدر الله كونها إلا وهي كائنة. هكذا قال رسول الله ﷺ، فإن عزل فقد اختلف العلماء في إباحته وكراهته على أربع مذاهب، فمن مبيح مطلقاً بكل حال، ومن محرم بكل حال، ومن قائل يحل برضاها ولا يحل دون رضاها، وكأن هذا القائل يحرم الإيذاء دون العزل، ومن قائل يباح في المملوكة دون الحرة. والصحيح عندنا أن ذلك مباح، وأما الكراهية

معناه التنوير (**أو يخرج الدم**) بالفصد أو الحجامة، (**ولا أن يبين من نفسه جزءاً**) بقطع أو غير ذلك (**إذ ترد إليه سائر أجزائه**) شعره ودمه وظفره (**في الآخرة فيعود جنباً**) ـ أي فما سقط عنه من ذلك وهو جنب رجع إليه جنباً. (**ويقال: إن كل شعرة تطالب بجنابتها**) نقله صاحب القوت وزاد: وقد روينا معنى هذا في حديث مقطوع موقوف على الاوزاعي قال: كنا نقول لا بأس أن يطلي الجنب حتى سمعنا هذا الحديث، والنص فيه على النهي على أن يطلى الرجل جنباً اهـ.

(**ومن الآداب أن لا يعزل**) في جماعه بأن يصب ماءه خارج الفرج (**بل يسرح الماء إلى محل الحرث**) والزراعة (**وهو الرحم، فما من نسمة كائنة قدر الله كونها إلا وهي كائنة هكذا قال رسول الله ﷺ**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي سعيد.

قلت: ولفظه عندهما. سئل رسول الله ﷺ عن العزل. فقال: «أو إنكم لتفعلون ـ قالها ثلاثاً ـ ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هي كائنة» وعند مسلم أيضاً من حديثه: «لا عليكم أن تفعلوا فإنما هو القدر».

(**وإن عزل فقد اختلف العلماء في ذلك في إباحته وكراهته على أربع مذاهب فمن مبيح مطلق بكل حال**) سواء الحرة والمملوكة، (**ومن محرم بكل حال**) أي مطلقاً وهو مذهب الظاهرية وإحدى الروايتين عن أحمد، (**ومن قائل يحل برضاها**) أي الزوجة (**ولا يحل بدون رضاها**) وهو مذهب الحنفية. (**وكأن هذا القائل يحرم الإيذاء دون العزل، ومن قائل يباح في المملوكة دون الحرة**) إلا برضاها، وهذا مذهب المالكية، ولنسق نصوص المذاهب.

قال أصحاب مالك: لا يعزل عن الحرة إلا بإذنها ولا عن الزوجة الأمة إلا بإذن سيدها بخلاف السراري هذه عبارة ابن الحاجب في مختصره.

وقال ابن عبد البر في التمهيد: لا خلاف بين العلماء أنه لا يعزل عن الزوجة الحرة إلا بإذنها لأن الجماع من حقها ولها المطالبة له. وقال في الأمة المملوكة: لا خلاف بين فقهاء الأمصار أنه يجوز العزل عنها بغير إذنها.

قلت: وفي نفي الخلاف في الأولى والإطلاق في الثانية نظر لما سيأتي في بيان مذهب الشافعي.

فإنها تطلق لنهي التحريم ولنهي التنزيه ولترك الفضيلة ، **فهو مكروه بالمعنى الثالث أي فيه ترك فضيلة ، كما يقال : يكره للقاعد في المسجد أن يقعد فارغاً لا يشتغل بذكر أو صلاة ، ويكره للحاضر في مكة مقيماً بها أن لا يحج كل سنة ، والمراد بهذه الكراهية ترك**

وقال أصحاب أبي حنيفة : يجوز العزل عن مملوكته بغير إذنها ولا يجوز عن زوجته الحرة إلا بإذنها ، فإن كانت الزوجة أمة فقال أبو حنيفة : الإذن في العزل إلى المولى ، وقال أبو يوسف ومحمد : بل إلى الزوجة .

وقال الحنابلة : وهذه عبارة المحرر لابن تيمية له العزل عن سريته ، ولا يباح عن زوجته الحرة إلا بإذنها وإن كانت أمة لم يبح إلا بإذن سيدها نص عليه ، وقيل : بل بإذنها ، وقيل : لا يباح العزل بحال ، وقيل : يباح بكل حال ، وفي المحلى لابن حزم الظاهري : لا يحل العزل عن حرة ولا أمة مطلقاً ، واستدل بحديث جذامة بنت وهب عند مسلم ذلك الوأد الخفي ، ونقل عن أبي أمامة الباهلي أنه سئل عن العزل . فقال : ما كنت أرى مسلماً يفعله ، وعن عمر وعثمان أنهما كانا ينكران العزل قال ، وصح أيضاً عن الأسود بن يزيد وطاوس .

(**والصحيح عندنا أن ذلك مباح**) وتقريره أن النساء أقسام .

أحدها : الزوجة الحرة وفيها طريقان . أظهرهما أنها إن رضيت جاز وإلاّ فوجهان أصحهما عند المصنف والرافعي والنووي الجواز ، والطريق الثاني إن لم تأذن لم يجز وإن أذنت فوجهان .

الثاني : الزوجة الأمة وهي مرتبة على الحرة إن جوّزناه فيها ففي الأمة أولى ، وإلا فوجهان أصحهما الجواز تحرزاً عن رق الولد .

الثالث : الأمة المملوكة يجوز العزل عنها . قال المصنف والرافعي والنووي : بلا خلاف . لكن حكى الروياني في البحر وجهاً أنه يجوز لحق الولد .

الرابع : المستولدة . قال الرافعي رتبها مرتبون على المنكوحة الرقيقة وهي أولى بالمنع لأن الولد حر وآخرون على الحرة ، والمستولدة أولى بالجواز لأنها ليست راسخة في الفراش ولهذا لا تستحق القسم . قال الرافعي : وهذا أظهر هذا التفصيل مذهب الشافعي وحاصله : الفتوى بالجواز مطلقاً ولو بغير إذنها .

(**وأما الكراهة**) وهي الخطاب المقتضي للترك اقتضاء غير جازم بنهي مخصوص (**فإنها**) تطلق بإزاء ثلاثة معان (**لنهي التحريم ولنهي التنزيه ولترك الفضيلة ، فهو**) أي العزل على قول من يقول بكراهته (**مكروه بالمعنى الثالث أي فيه ترك فضيلة**) لا بالمعنى الأول ، والثاني (**كما يقال يكره للقاعد في المسجد أن يقعد فارغاً**) بطالاً (**ولا يشتغل بذكر ولا صلاة**) فإن كلاً منها فضيلة في حد نفسها فتاركها تارك فضيلة (**و**) كما يقال (**يكره للحاضر في مكة مقيماً بها أن لا يحج كل سنة**) فإن تكرار الحج في كل سنة لأهل مكة فضيلة وتاركه من غير عذر تارك فضيلة ، (**والمراد بهذه الكراهة ترك**) ما هو (**الأولى و**) ترك (**الفضيلة فقط ، وهذا**

الأولى والفضيلة فقط، وهذا ثابت لما بيناه من الفضيلة في الولد، ولما روي عن النبي ﷺ: «أن الرجل ليجامع أهله فيكتب له بجماعه أجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله فقتل». وإنما قال ذلك لأنه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له أجر التسبب إليه، مع أن الله تعالى خالقه ومحييه ومقويه على الجهاد، والذي إليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع، وذلك عند الإمناء في الرحم. وإنما قلنا لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه، لأن إثبات النهي إنما يمكن بنص أو قياس على منصوص ولا نص ولا أصل يقاس عليه، بل ههنا أصل يقاس عليه، بل ههنا أصل يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلاً أو ترك الجماع بعد النكاح أو ترك الإنزال بعد الايلاج، فكل ذلك ترك للأفضل وليس بارتكاب نهي ولا

ثابت لما بيّنا من الفضيلة في الولد ولما يروى عن النبي ﷺ «أن الرجل ليجامع أهله) أي حليلته **(فيكتب له من جماعه)** ذلك **(أجر ولد ذكر قاتل في سبيل الله فقتل») قيل كيف** ذلك يا رسول الله؟ فقال: «أنت خلقته أنت رزقته أنت هديته عليك محياه عليك مماته؟ قالوا: بل الله خلقه وهداه وأحياه وأماته. قال: فأقر قراره». هكذا هو في القوت بتمامه، وقال العراقي: لم أجد له أصلاً اهـ.

قلت: بل له أصل من حديث أبي ذر يقول فيه في أثناء حديث قال رسول الله ﷺ: « فضعه في حلاله وجنبه حرامه واقراره فإن شاء الله أحياه وإن شاء أماته ولك أجر». أخرجه ابن حبان في صحيحه مستدلاً به على تحريم العزل.

(وإنما قال ذلك لأنه لو ولد له مثل هذا الولد لكان له أجر التسبب إليه مع أن الله تعالى خالقه ومحييه ومقويه على الجهاد، والذي إليه من التسبب فقد فعله وهو الوقاع وذلك عند الإمناء في الرحم) ولفظ القوت بعد ايراد الحديث المتقدم المعنى في هذا أنه يقول: إذا جامعت فأمنيت في الفرج، وقد قال الله تعالى: ﴿أفرأيتم ما تمنون ★ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ [الواقعة: ٥٨ ، ٥٩] فإذا لم يخلق الله من منيك خلقاً حسب ذلك كأنه قد خلق ذكر على أتم أحواله وأكمل أوصافه بأن يقاتل في سبيل الله فيقتل لأنك قد جئت بالسبب الذي عليك وليس عليك خلقه ولا هدايته، وإنما تعذر ذلك من عدم مشيئة الله وفعله مجرداً وكان لك كأجر ما لو فعل الله إذ قد أتيت بما يمكنك اهـ.

(وإنما قلنا لا كراهة) في العزل **(بمعنى التحريم والتنزيه لأن إثبات النهي)** عن شيء **(إنما يمكن بنص أو قياس على منصوص)** بان يلحق به في حكمه لمساواة الأول للثاني في علة حكمه، **(ولا نص ولا أصل)** في التحريم أو التنزيه **(يقاس عليه بل ما هنا أصل يقاس عليه وهو ترك النكاح أصلاً، أو ترك الجماع بعد النكاح، أو ترك الانزال بعد الإيلاج فكل**

فرق، إذ الولد يتكوّن بوقوع النطفة في الرحم، ولها أربعة أسباب: النكاح، ثم الوقاع، ثم الصبر إلى الانزال بعد الجماع، ثم الوقوف لينصب المني في الرحم، وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض، فالامتناع عن الرابع كالامتناع عن الثالث، وكذا الثالث كالثاني، والثاني كالأوّل، وليس هذا كالاجهاض والوأد، لأن ذلك جناية على موجود حاصل، وله أيضاً مراتب. وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتخلط بماء المرأة وتستعد لقبول الحياة وإفساد ذلك جناية، فإن صارت مضغة وعلقة كانت الجناية أفحش، وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشاً، ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حياً، وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المني في الرحم لا من حيث

ذلك ترك للأفضل) إذ لا يجب عليه النكاح إلا عند وجود شروطه، فإذا تزوّج لا يجب عليه إلا المبيت والنفقة، فإذا جامع لا يجب عليه أن ينزل فترك كل ذلك إنما هو ترك للفضيلة، **(وليس بارتكاب نهي ولا فرق إذ الولد يتكوّن)** أي يتهيأ للتكوين بعد أن لم يكن **(بوقوع النطفة في الرحم)** واستقرارها فيه بالشروط المذكورة في هيئة الجماع، **(ولها أربعة أسباب)** الأوّل: **(النكاح)** أي التزويج، **(ثم الوقاع)** أي الجماع، **(ثم الصبر إلى الانزال)** خرج به مالو لم يصبر بأن أنزل بمجرد التقاء الختانين، **(ثم الوقوف)** أي المكث **(لينصب الماء في الرحم)** وذلك بأن يتلاقى الماءان معاً أو أحدهما متقدم والثاني متأخر، **(وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض والامتناع عن)** السبب **(الرابع)** الذي هو الوقوف **(كالامتناع عن)** السبب **(الثالث)** الذي هو الصبر، **(وكذا الثالث كالثاني والثاني كالأوّل وليس هذا كالاستجهاض والوأد)** أما الوأد فكما تقدم دفن البنت حية، وأما الاستجهاض فهو إلقاء المرأة جنينها قبل أن يستبين خلقه **(لأن ذلك جناية على موجود حاصل، وله)** أي الموجود الحاصل **(أيضاً مراتب، وأقل مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم ولا تختلط بماء المرأة)** لعدم اتفاق الماءين أو لعدم إنزال المرأة بأن قام عنها سريعاً **(فإفساد ذلك جناية)** أي نوع من الجناية، **(فإن صارت)** النطفة **(مضغة وعلقة)** إذا انتقل المني بعد طوره فصار ماء غليظاً متجمداً فهي علقة، فإذا انتقل طوراً آخر فصار لحماً فهو المضغة سميت بذلك لأنها مقدار ما يمضغ. **(كانت الجناية أفحش فإن نفخ فيها الروح)** بعد استكمالها تسعين يوماً إن كان ذكراً أو مائة وعشرين يوماً إن كانت أنثى، **(واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشاً ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حياً)** فإذا تسبب حينئذ لإهلاكها فقد تكاملت عليه الجنايات وتفاحشت، **(وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود من حيث وقوع المني)** من الرجل **(في الرحم)** أي رحم المرأة بأي وجه كان، وإنما قلنا ذلك لأنه قد يتفق أن المرأة تقعد في الحمام على بلاطه المسخن، وقد كان عليه بعض شيء من مني الرجال فيسخن فم الرحم وتستلذ فيجذب فم الرحم ذلك المني المصبوب على البلاط جذب المغناطيس للحديد ثم يطبق عليه فيكون ذلك سبباً لحملها، وقد وقعت هذه الواقعة في بعض

الخروج من الإحليل، لأن الولد لا يخلق من مني الرجل وحده بل من الزوجين جميعاً إما من مائه ومائها أو من مائه ودم الحيض، قال بعض أهل التشريح: إن المضغة تخلق بتقدير الله من دم الحيض، وأن الدم منها كاللبن من الرائب، وأن النطفة من الرجل شرط في خثور دم الحيض وانعقاده كالانفحة للبن، إذ بها ينعقد الرائب، وكيفما كان

الأزمنة لبعض الأبكار، وعندي من جهة القواعد فيه نظر إذ قد تقدم أنه لا بد للتكوّن من نزول مائها مع ماء الرجل أو متقدماً عليه أو متأخراً، وفي الصورة المذكورة ليس كذلك فتأمل. (**لا من حيث الخروج من الإحليل**) أي رأس الذكر (**لأن الولد لا يخرج من مني الرجل وحده**) ولا من منيها وحدها (**بل من**) مني (**الزوجين جميعاً إما من مائه ومائها**) إذا تلاقيا واجتمعا (**وإما من مائه ودم الحيض. قال بعض أهل التشريح**) من الحكماء: (**إن المضغة تتخلق بتقدير الله تعالى من دم الحيض، وأن الدم منها كاللبن من الرائب والنطفة من الرجل شرط في خثورة دم الحيض وانعقاده كالانفحة للبن إذ بها ينعقد الرائب**).

اعلم أن الحكماء ذكروا أن المني إما من الأخلاط عند من يجعله دماً نضيجاً وإما من الرطوبات الثانية عند من يجعله نوعاً آخر، وذكروا أن الأعضاء المفردة كلها تتكوّن من المني إلا اللحم، فإن الأحمر منه يتولد من متين الدم ويعقده الحر واليبس لتحلل رطوبات الدم فينعقد، والسمن والشحم يتولد من مائية الدم ودسمه ويعقدهما البرد، ولذلك يحلهما الحر إلا أنها على قول أرسطو يتكوّن من مني الذكر كما يتكوّن الجبن عن الأنفحة، ويتكوّن عن مني الأنثى كما يتكوّن الجبن عن اللبن، فكما أن مبدأ العقد في الأنفحة كذلك مبدأ عقد الصورة في مني الذكر، وكما أن كل واحد من الأنفحة واللبن جزء من جوهر الجبن الحادث عنهما كذلك كل واحد من المنيين جزء من جوهر الحادث عنهما، ولذلك ترى الأولاد يشبهون الأمهات أكثر من الآباء لأن أساس أعضائهم من مائها، وهذا القول يخالف قول جالينوس فإنه يرى أن كل واحد من المنيين قوّة عاقدة وقابلة للعقد، ومع ذلك لا يمنع أن نقول العاقدة في المني الذكري أقوى، والمنعقدة في المني الانثوي أقوى، وأنه مع اعتقاده أن مني المرأة العاقدة والمنعقدة يمتنع من إمكان التكوّن منه فقط، ويدعي أن القوّة العاقدة في مني الأنثى لا يتم فعلها إلا بمني الذكر، والحق إمكان التولد في مني الأنثى فقط لجواز أن يحصل له وحده المزاج الذي به ينعقد للنفس، ولكن يكون ذلك نادراً جداً لأن مني الأنثى يكون مائلاً عن الاعتدال إلى جهة البرد والرطوبة، ثم أن الدم الذي ينفصل في الحيض عن المرأة يصير أكثره غذاء في وقت الحمل، فمنه ما يستحيل إلى مشابهة جوهر المني والأعضاء الكائنة منه فيكون غذاء منمياً لها، ومنها ما لا يصير غذاء لذلك ولكن يصلح لأن ينعقد في حشوها فيكون لحماً آخراً وسمناً أو شحماً، ويملأ الامكنة بين الأعضاء، ومنه فضل لا يصلح لأحد الأمرين فيبقى إلى وقت النفاس وتدفعه الطبيعة فضلاً.

وهذا السياق الذي ذكرته من قول الحكماء يفهم منه ومن قولهم الذي نقله المصنف من أن

فماء المرأة ركن في الانعقاد فيجري الماءان مجرى الإيجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود، فمن أوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانياً على العقد بالنقض والفسخ، ومهما اجتمع الايجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعاً وفسخاً وقطعاً، وكما أن النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد فكذا بعد الخروج من الإحليل ما لم يمتزج بماء المرأة أو دمها، فهذا هو القياس الجلي.

فإن قلت: فإن لم يكن العزل مكروهاً من حيث أنه دفع لوجود الولد فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه، إذ لا يبعث عليه إلا نيّة فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفي.

فأقول: النيات الباعثة على العزل خمس:

المضغة تتخلق الخ، وأن دم الحائض ليس بحيض لأن الحمل إن تم فإن الرحم مشغول به وما ينفصل عنه من دم إنما هو رشح غذائه أو فضلة أو نحو ذلك فليس بحيض، وإن لم يتم وكانت المضغة غير مخلّقة مجّها الرحم مضغة مائعة حكمها حكم الولد، فكيف يكون حكم الولد حيضاً، وبه قال الكوفيون وأبو حنيفة وأصحابه وأحمد والإوزاعي والثوري، ومال الشافعي في الجديد إلى أن الحامل تحيض، وعن مالك روايتان، وأقوى حجج الحنفية ومن قال بقولهم أن استبراء الأمة اعتبر بالحيض لتحقق براءة الرحم من الحمل، فلو كانت الحامل تحيض لم تتم البراءة من الحيض والله أعلم.

(**فماء المرأة ركن في الانعقاد فيجري الماءان مجرى الإيجاب والقبول في الوجود الحكمي في العقود**) الشرعية، (**فمن أوجب ثم رجع قبل القبول لا يكون جانياً على العقد بالنقض والفسخ**) إذ قد وقع ذلك منه قبل تمام الركن الثاني، (**ومهما اجتمع الإيجاب والقبول**) من غير تخلل رجوع بينهما (**كان الرجوع بعده**) أي الاجتماع (**رفعاً وفسخاً وقطعاً، وكما أن النطفة**) أي ماء الرجل (**في الفقار**) أي فقار ظهره (**لا يتخلق منها الولد**) أي لا يتكوّن، (**فكذا بعد الخروج من الإحليل**) أي رأس الذكر (**ما لم يمتزج بماء المرأة أو دمها**) على القولين المذكورين، (**فهذا هو القياس الحكمي**).

(**فإن قلت: فإن لم يكن العزل مكروهاً**) بل مباحاً (**من حيث أنه دفع لوجود الولد**) كما قرر آنفاً (**فلا يبعد أن يكره لأجل النية الباعثة عليه إذ لا يبعث عليه إلاّ نيّة فاسدة فيها شيء من شوائب الشرك الخفي**) الذي هو أخفى من دبيب النمل على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

(**فأقول**) في الجواب (**النيات الباعثة على العزل خمسة**).

الأولى: في السراري وهو حفظ الملك عن الهلاك باستحقاق العتاق وقصد استبقاء الملك بترك الاعتاق ودفع أسبابه ليس بمنهي عنه.

الثانية: استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفاً من خطر الطلق، وهذا أيضاً ليس منهياً عنه.

الثالثة: الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء وهذا أيضاً غير منهي عنه، فإن قلة الحرج معين على الدين، نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله حيث قال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] ولا جرم فيه سقوط عن ذرة الكمال وترك الأفضل، ولكن النظر إلى العواقب وحفظ المال وادخاره مع كونه مناقضاً للتوكل لا نقول انه منهي عنه.

الرابعة: الخوف من الأولاد الإناث لما يعتقد في تزويجهن من المعرة كما كانت من

(**الأولى: في السراري**) جمع سرية بالكسر والضم خلاف الحرة (**وهو حفظ الملك عن الهلاك بإستحقاق الإعتاق**) لأنه متى أحبلها استحقت العتق فيكون سبباً لهلاك الملك (**وقصد استبقاء الملك بترك الاعتاق ورفع أسبابه ليس بمنهي عنه**) شرعاً.

(**الثانية: استبقاء جمال المرأة**) وبهجتها (**ونشاطها ونضارة لونها وسمنها لدوام التمتع**) بها وكذا استبقاء ثدييها عن السقوط. (**واستبقاء حياتها خوفاً من خطر الطلق**) وهو الوجع الحاصل عند وضعها، (**وهذا أيضاً ليس منهياً عنه**).

(**الثالثة: الخوف من كثرة الحرج**) والصرف (**بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب**) وما يجري مجراه، (**ودخول مداخل السوء**) والتهم بسببه، (**وهذا أيضاً غير منهي عنه، فإن قلة الحرج معين على الدين. نعم الكمال والفضل في التوكل**) على الله تعالى (**والثقة بضمان الله تعالى**) لرزقه ورزق أولاده (**حيث قال**) تعالى (**﴿وما من دابة في الأرض إلاَّ على الله رزقها﴾ فلا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال وترك الأفضل**) كما سيأتي بيانه في موضعه من هذا الباب، (**ولكن النظر للعواقب**) في الأمور والملاحظة فيها (**وحفظ المال وادخاره**) لنفسه أو عياله (**مع كونه مناقضاً للتوكل**) بظاهره (**لا نقول أنه منهي عنه**)، فقد ثبت «أنه ﷺ ادّخر قوت سنة من تمر خيبر» وهذا البحث أيضاً يأتي بيانه في موضعه في هذا الكتاب.

(**الرابعة: الخوف من الأولاد الأناث**) خاصة (**لما في تزويجهن من المعرة**) والعيب (**كما كان من عادة العرب**) في الجاهلية الجهلاء (**في قتلهم الإناث**) وادعائهم جلب المعرة إليهم،

عادة العرب في قتلهم الإناث، فهذه نية فاسدة لو ترك بسببها أصل النكاح، أو أصل الوقاع أثم بها لا بترك النكاح والوطء، فكذا في العزل، والفساد في اعتقاد المعرة في سنّة رسول الله ﷺ أشد، وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافاً من أن يعلوها رجل فكانت تتشبه بالرجال، ولا ترجع الكراهة إلى عين ترك النكاح.

الخامسة: أن تمتنع المرأة لتعززها ومبالغتها في النظافة والتحرز من الطلق والنفاس والرضاع، وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن في استعمال المياه، حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض ولا يدخلن الخلاء إلا عراة، فهذه بدعة تخالف السنّة، فهي نية فاسدة، واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لها، فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة.

فإن قلت: فقد قال النبي ﷺ: « من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا ثلاثاً ».

(فهذه نية فاسدة) من أصلها (لو ترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع أثم بها لا بترك النكاح والوطء، فكذا في العزل والفساد في اعتقاد المعرة في سنّة رسول الله ﷺ أشد) وأقوى من اعتقادها في غيرها والنكاح من سنن المرسلين، (وينزل منزلة امرأة تركت النكاح استنكافاً) وإباءً (من أن يعلوها رجل، فكانت تتشبه بالرجال فلا ترجع الكراهه حينئذ إلى ترك النكاح) وفي بعض النسخ: إلى غير ترك النكاح.

(الخامسة: أن تمتنع المرأة) عن النكاح (لتعززها) وتنطعها وتعمقها في الدين (ومبالغتها في النظافة) باستعمال كثرة الماء في الطهارة (فتحترز) بذلك (من الطلق) أي الوضع (والنفاس) وهو خروج الدم عقب الولادة (والرضاع، وكان ذلك عادة نساء الخوارج لمبالغتهن في استعمال المياه) الكثيرة للطهارة ودخول الحمامات ومجاوزة الحد للتطهر، (حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض) ويصمن في حيضهن ولا يصلين في ثياب المحيض حتى يغسلنها (ولا يدخلن الخلاء) . أي موضع قضاء الحاجة (إلاّ عراة) ظناً بتنجس الثياب، (فهذه بدعة تخالف السنّة فهي فاسدة) وهن أنباط من أهل النهروان، (واستأذنت واحدة منهن على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة) في قدمتها التي خالفت فيها علياً رضي الله عنه (فلم تأذن لها) نقله صاحب القوت، (فيكون القصد هو الفاسد دون منع الولادة).

(فإن قلت: فقد قال ﷺ « من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا ثلاثاً) أي قاله ثلاث مرات. تقدم ذلك من حديث الحسن عن أبي سعيد في أوائل كتاب النكاح دون قوله « ثلاثاً ».

قلت: فالعزل كترك النكاح، وقوله: «ليس منا أي ليس موافقاً لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الأفضل.

فإن قلت: فقد قال ﷺ في العزل: «ذاك الوأد الخفي، وقرأ: ﴿وإذا الموؤدة سُئلت﴾ [التكوير: ٨]. وهذا في الصحيح. قلنا: وفي الصحيح أيضاً أخبار صحيحة في الإباحة، وقوله «الوأد الخفي» كقوله: (الشرك الخفي) وذلك يوجب كراهة لا تحريماً.

(قلنا: فالعزل كترك النكاح، وقوله «فليس منا» أي ليس موافقاً لنا على سنتنا وطريقتنا وسنتنا فعل الأفضل) وهو النكاح فتاركه تارك الأفضل.

(فان قلت: فقد قال ﷺ في العزل) لما سئل عنه («ذلك الوأد الخفي وقرأ ﴿وإذا الموؤدة سئلت﴾» وهو في الصحيح) قال العراقي: رواه مسلم من حديث جذامة بنت وهب اهـ.

قلت: وكذلك أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي. قال العراقي في شرح الترمذي: هي أخت عكاشة وحديثها فرد، وقد اختلف في زيادة العزل فيه فلم يخرجه مالك.

(قلنا وفي الصحيح أيضاً أخبار صريحة في الإباحة) من حديث جابر بطرقه الكثيرة، وسيأتي ذكره في آخر الفصل.

ومنها: حديث أبي سعيد، وحديث أبي هريرة يشير إلى أن حديث جذامة قد عورض بأحاديث، وقد صرح البيهقي بذلك فقال: عورض بحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ سئل عن العزل قال «إن اليهود تزعم العزل هي الموؤدة الصغرى كذبت يهود». قال البيهقي: ويشبه أن يكون حديث جذامة على طريق التنزيه اهـ.

وجزم الطحاوي بأنه منسوخ وتعقب عكسه ابن حزم، وحمل العراقي في شرح الترمذي حديث جذامة على العزل عن الحامل لزوال المعنى الذي كان يحذره من حصول الحمل وفيه تضييع للحمل يغذوه، فقد يؤول إلى موته أو ضعفه وأداً خفيا.

وأشار المصنف إلى وجه الجمع بين حديث جذامة وبين أحاديث الإباحة مع ورود كل من ذلك في الصحيح بوجه آخر فقال: (وقال ﷺ) في العزل «ذلك (الوأد الخفي» كقوله في) الرياء «إنه (الشرك الخفي» وذلك يوجب كراهة) بمعنى ترك الأفضل (لا تحريماً) وقرره العراقي في شرح الترمذي بوجه آخر فقال قول اليهود: «إنها الموؤدة الصغرى» يقتضي أنه وأد ظاهر لكنه صغير بالنسبة إلى دفن الولد بعد وضعه حياً بخلاف قوله عليه السلام «إنه الوأد الخفي» فإنه يدل على أنه ليس في حكم الظاهر أصلاً، فلا يترتب عليه حكمه، وهذا كقوله «إن الرياء هو الشرك

فإن قلت: فقد قال ابن عباس: العزل هو الوأد الأصغر، فإن الممنوع وجوده به هو الموؤدة الصغرى.

قلنا: هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف، ولذلك أنكره عليه علي رضي الله عنه لما سمعه وقال: لا تكون موؤدة إلا بعد سبع، أي بعد سبعة أطوار، وتلا الآية الواردة في أطوار الخلقة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ★ ثم جَعَلْنَاهُ نطفةً في قرار مكين﴾ إلى قوله: ﴿ثمَّ أنشأنَاهُ خَلْقاً آخر﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤] أي نفخنا فيه الروح، ثم تلا قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿وإذا الموؤدة سئلت﴾ وإذا نظرت إلى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار، ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله عنهما في الغوص على المعاني ودرك العلوم، كيف وفي المتفق عليه في الصحيحين عن جابر أنه قال: «كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل». وفي

الخفي» وإنما شبه بالوأد مر وجه لأن فيه طريق قطع الولادة اهـ.

(**فإن قلت: فقد قال ابن عباس رضي الله عنه: العزل هو الوأد الأصغر وأن الممنوع وجوده به هي الموؤدة الصغرى**) أي بوجود العزل يعدم فضل الولد إذ كان سبب عدمه لأنه لم يفعل ما يتأتى منه الولد فذهب فضله وحسب عليه قتله، وهذا القول عن ابن عباس نقله صاحب القوت ورواه البيهقي نحوه في المعرفة عنه.

(**قلنا: هذا قياس منه لدفع الوجود على قطعه وهو قياس ضعيف**) عند الائمة، (**ولذلك أنكره**) عليه (**عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لما سمعه**) يقول بذلك (**وقال: لا تكون موؤدة إلا بعد سبع أي بعد سبعة أطوار وتلا**) عليّ رضي الله عنه (**الآية الواردة في أطوار الخلقة وهي قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ★ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾ إلى قوله ﴿أنشأناه خلقاً آخر﴾ أي نفخنا فيه الروح، ثم تلا قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿وإذا المؤدة سئلت﴾**) فإنها ذكرت بعد سبع من قوله ﴿إذا الشمس كوّرت﴾ قال: فلا تكون موؤدة أي مقتولة إلا بعد تمام هذه الخصال من تمام الخلقة. هكذا ذكره صاحب القوت، ورواه البيهقي نحوه في المعرفة. وذكر ابن عبد البر عن عليّ رضي الله عنه انه قال: لا تكون موؤدة حتى تأتي عليها الحالات السبع، فقال له عمر: صدقت أطال الله بقاءك اهـ.

(**وإذا نظرت إلى ما قدمناه في طريق القياس والاعتبار ظهر لك تفاوت منصب علي وابن عباس رضي الله عنهما في الغوص على المعاني ودرك العلوم**) وحسن الاستنباط، وهذا من دقيق العلوم تفرّد به علي رضي الله عنه لوفور علمه ونفاذ ذهنه وخفي استدلاله. (**كيف ومن المتفق عليه في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه**) قال: («**كنا نعزل**») أي عن نسائنا

لفظ آخر: « كنا نعزل فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا ». وفيه أيضاً عن جابر أنه قال: إن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إن لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل وأنا

(على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل ») أخرجه الائمة الستة خلا أبا داود من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عطاء عن جابر. وأخرجه البخاري أيضاً من طريق ابن جريج، ومسلم من طريق معقل بن عبيد الجزري كلاهما عن عطاء عن جابر ليس فيه « والقرآن ينزل » (وفي لفظ آخر « كنا نعزل) على عهد رسول الله ﷺ (فبلغ ذلك نبي الله ﷺ فلم ينهنا ») وهذا اللفظ أخرجه مسلم وحده من رواية حماد بن هشام عن أبيه عن أبي الزبير عن جابر، وانفرد مسلم أيضاً بزيادة « لو كان شيئاً ينهى عنه لنهانا عنه القرآن » وفي هذا الحديث فوائد.

الأولى: قد استدل جابر على إباحة العزل بكونهم كانوا يفعلونه في زمن النبي ﷺ، وهذا هو الذي عليه جمهور العلماء من المحدثين والأصوليين أن قول الصحابي كنا نفعل كذا مع إضافته إلى عصر الرسول مرفوع حكماً، وخالف في ذلك فريق منهم أبو بكر الاسماعيلي فقالوا: إنه موقوف لاحتمال عدم اطلاعه عليه السلام على ذلك، لكن هذا الاحتمال هنا مرفوع لما قدمناه من رواية مسلم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فلم ينهنا فثبت بذلك اطلاعه وتقريره وهو حجة بالإجماع.

الثانية: قد أوضح قوله « والقرآن ينزل » بقوله في رواية مسلم « لو كان شيئاً ينهى عنه لنهانا عنه القرآن » والظاهر أن معناه أن الله تعالى كان يطلع نبيه ﷺ على فعلنا وينزل في كتابه المنع مع ذلك كما وقع ذلك في قضايا كثيرة، ولهذا قال ابن عمر: كنا نتقي الكلام والانبساط إلى نسائنا على عهد النبي ﷺ هيبة أن ينزل فينا شيء، فلما توفي النبي ﷺ تكلمنا وانبسطنا. رواه البخاري في صحيحه. وقال ابن دقيق العيد في شرح العمدة: استدل جابر بالتقرير من الله تعالى على ذلك وهو استدلال غريب، وكان يحتمل أن يكون الاستدلال بتقرير الرسول ﷺ لكنه مشروط بعلمه بذلك.

الثالثة: قد يشكل على المشهور على مذهب الشافعي من إباحة العزل ما أفتى به العماد ابن يونس، والعز بن عبد السلام أنه يحرم على المرأة استعمال دواء مانع من الحمل. قال ابن يونس: ولو رضي به الزوج، وقد يقال هذا سبب لامتناعه بعد وجود سببه، والعزل فيه ترك السبب فهو كترك الوطء مطلقاً.

الرابعة: هل الخلاف في العزل ما إذا كان بقصد التحرز عن الولد؟ قاله إمام الحرمين. فقال: حيث قلنا بالتحريم فذلك إذا نزع على قصد أن يقع الماء خارجاً تحرزاً عن الولد، وأما إن عنَّ له أن ينزع لا عن هذا القصد فيجب القطع بأنه لا يحرم اهـ. وقد يقال مقتضى التعليل في الحرة بأنه حقها. فلا بدّ من استئذانها فيه أنه لا يختص بحالة التحرز عن الولد، والله أعلم.

(وفيه أيضاً) أي في الصحيح (عن جابر رضي الله عنه انه قال: إن رجلاً أتى رسول الله

أطوف عليها وأكره أن تحمل، فقال عليه الصلاة والسلام: «اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها» فلبث الرجل ما شاء الله ثم أتاه فقال: إن الجارية قد حملت، فقال: «قد قلت سيأتيها ما قدر لها» كل ذلك في الصحيحين.

الحادي عشر: في آداب الولادة وهي خمسة:

ﷺ فقال: إن لي جارية هي خادمتنا وساقيتنا في النخل، وأنا أطوف عليها وأكره أن تحبل فقال ﷺ «اعزل عنها إن شئت فإنها سيأتيها ما قدر لها» فلبث الرجل ما شاء الله ثم أتاه فقال: إن الجارية قد حملت فقال «قد أخبرتكم أنه سيأتيها ما قدر لها») رواه مسلم، وأبو داود من رواية زهير عن أبي الزبير عن جابر بلفظ «إن رجلاً من الأنصار» وفيه «وأنا أكره أن تحمل» وفيه «فسيأتيها ما قدر لها» وفيه «قد أخبرتك» (كل ذلك في الصحيحين) أي ما تقدم من حديث جابر من حيث المجموع، وإلاّ فهذا الحديث الأخير تفردّ به مسلم عن البخاري.

تنبيه:

ومن أحاديث الإباحة قال جابر: قلنا يا رسول الله: إنا كنا نعزل فزعمت اليهود أنها الموؤدة الصغرى، فقال «كذبت اليهود إن الله إذا أراد أن يخلقه لم يمنعه». رواه الترمذي والنسائي من طريق محمد بن عبد الله بن ثوبان عن جابر، ونحوه لأصحاب السنن من حديث أبي سعيد، وقد تقدم. وللنسائي من حديث أبي هريرة وقد تقدم أيضاً. وقال أبو سعيد رضي الله عنه: انهم سألوا رسول الله ﷺ في العزل فقال «لا عليكم أن لا تفعلوا فإنما هو القدر» رواه مسلم. ورواه النسائي من حديث أبي صرمة، وربما احتج بحديث مسلم من منع العزل مطلقاً وفهم من «لا» النهي عما يسأل عنه وحذف قوله «لا» فكأنه قال: «لا تعزلوا وعليكم أن لا تفعلوا» تأكيد لذلك النهي هكذا ذكره القرطبي في شرح مسلم. وقال الأكثرون: ليس هذا نهياً وإنما معناه ليس عليكم جناح أو ضـرر أن لا تفعلوه. قال البيهقي: رواة الاباحة أكثر وأحفظ والله أعلم.

وقال ابن المنذر في الاشراق: اختلف أهل العلم في العزل في الجارية. فرخص فيه جماع من الصحابة ومن بعدهم. منهم: علي، وسعد بن أبي وقاص، وأبو أيوب، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وجابر، والحسن بـن علي، وخباب بن الأرت رضي الله عنهم، وابن المسيب، وطاوس، ودينار بن أبي بكر. وعلى رواية ثانية وابن مسعود وابن عمر أنهم كرهوا ذلك، والله أعلم.

(الحادي عشر: في الولادة) ولنقدم أوّلاً ما يتعلق بها وبتدبير المولود كما يولد إلى أن ينهض.

اعلم أن المولود إذا ولد في سبعة أشهر يكون صحيح البدن قوياً، وإذا ولد في ثمانية اشهر فإما أن يموت سريعاً أو يولد ميتاً، وسبب ذلك أن النطفة تصير جنيناً في مدة قريبة من أربعين يوماً فإن أسرع صار في خمسة وثلاثين يوماً وإن أبطأ ففي خمسة وأربعين يوماً فما يصير جنيناً في خمسة

....

وثلاثين يوماً يتحرك بعد سبعين جنيناً، وما يصير جنيناً في خمسة وأربعين يتحرك بعد تسعين، وكيفما كان فهذه الحركة ضعف مدة صيرورته جنيناً، فإذا صار مدة ثلاثة أمثال هذه الحركة يكون وقت الولادة، فما يتحرك في سبعين يولد بعد مائتين وعشرة أيام وهي سبعة أشهر، وما يتحرك في تسعين ففي تسعة أشهر، فأما ما يولد في ثمانية أشهر فإن كانت حركته في سبعين فكان ينبغي أن يولد في سبعة أشهر فتأخره شهراً آخر إنما يكون لآفة، وإن كان قد تحرك في تسعين فكان ينبغي أن يولد في تسعة أشهر فتعجيله شهراً يكون لآفة، وإذا ولد المولود يجب أن يبدأ أول شيء قطع سره فوق أربع أصابع لئلا تتعفن فيصل ضرره للصبي ويربط بصوفة مفتولة ويضع على موضع الربط خرقة مغموسة في الزيت، ويبادر إلى تمليح بدنه لتصلب بشرته ويقوى جلده، فإن كان ذكراً فيكثر ولا يملح أنفه ولا فمه ثم يغسل بماء فاتر وينقى منخريه بأصابع مقلمة الأظفار، ويقطر في عينيه شيئاً من زيت الأدهان ويدغر في دبره لينفتح للتبرز، وإذا قطع غمرت أعضاؤه بالرفق ويشكل كل عضو على أحسن شكله ويديم مسح عينيه بشيء كالحرير وتغمر مثانته ليسهل إنفصال البول عنها، ثم يعمم أو يقلنس وينوم في بيت معتدل قريب إلى الظل والظلمة ماهد ويغطى المهد بالخرق الاسما نجونية، وينبغي أن يتفقد في نومه ويقظته، فإذا وجد فيه إضطراب من أذى من قمل أو بق أو غير ذلك فيزيله، فإن لم يسكت وصار يبكي فذلك إما لوجع يناله أو حر أو برد أو جوع، فالواجب أن يبادر إلى دفعه. وأما الرضاع فيجب أن يرضع ما أمكن بلبن أمه، فإنه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم أعني طمث أمه، فإنه بعينه هو المستحيل لبناً لاشتراك الرحم والثدي في الوريد الغاذي طعماً، ووجه الحمل بتوجه دم الطمث بالكلية إلى الرحم لغذاء الجنين وبعد انفصاله إلى الثديين لغذائه أيضاً، وهو أقبل لذلك وآلف حتى أنه صح بالتجربة ان في إلقائه حلمة أمه عظيم النفع جداً في دفع ما يؤذيه لأنه يلهيه ويشغله عما يؤذيه، ويجب ان يراعى في تغذيته بلبن أمه بأن يكون بين كل مرة ومرة زمان ما ينهضم الغذاء الأوّل قبل انحدار الثاني، والاجود أن يلعق العسل أوّلاً ثم يرضع لجلاء المعدة.

ومما يجب أن يلزم الطفل شيئين نافعين لتقوية مزاجه. أحدهما: التحريك اللطيف، والآخر التلحيس الذي جرت به العادة لتنويم الأطفال، وفائدة التحريك تحلل الأخلاط وانتعاش الحرارة الغريزية، وفائدة التلحيس تفريح النفس وبسطها وإن منع مانع من ارضاع أمه من ضعفها أو فساد لبنها أو ميلها إلى الترفه، فالمرضعة الشابة الصحيحة البدن المعتدلة بين السمن والهزال الحسنة الأخلاق، وينبغي أن لا تجامع البتة فإن ذلك يحرك منها دم الطمث فيفسد رائحة اللبن، وربما حبلت وكان من ذلك ضرر على الولدين جميعاً. أما المرتضع فلإنصراف اللطيف إلى غذاء الجنين، وأما الجنين فلقلة ما يأتيه من الغذاء لاحتياج الآخر إلى اللبن، وإذا اشتهى الطفل غير اللبن أعطي بتدريج ولم يشدد عليه، ثم إذا فطم نقل إلى ما هو خفيف من الأغذية ويكون الفطام بتدريج ويشغل ببلاليط متخذة من الخبز والسكر، فإن ألح على الثدي فليطل المر عليه والمدة الطبيعية للرضاع سنتان لأنها مدة نبات أكثر أسنانه وتصلب أعضائه، وإذا كملت الأنياب تعاطى مؤاكلة صلب

الأول: أن لا يكثر فرحه بالذكر وحزنه بالأنثى، فإنه لا يدري الخيرة له في أيهما، فكم من صاحب ابن يتمنى أن لا يكون له، أو يتمنى أن يكون بنتاً، بل السلامة منهن أكثر والثواب فيهن أجزل قال ﷺ: «من كان له ابنة فأدبّها فأحسن تأديبها وغذّاها فأحسن غذاءها وأسبغ عليها من النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة». وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة» وقال أنس، قال رسول الله

المضغ، والغرض المقدم في معالجة أمراضهم هو تدبير المرضعة فيستغني عن مداواتهم بمداواتها، فإذا انتقلوا إلى سن الصبا فتراعى أخلاقهم من حدوث غضب أو خوف شديد أو غم فيقرب إليه ما يحبه وينحى عنه ما يكرهه، فإذا انتبه من نومه يخلى بينه وبين اللعب ساعة ثم يطعم ثم يخلي بينه وبين اللعب الأطول ويجنبون عن شرب الماء على الطعام، وإذا أتى عليه ست سنين فيقدم إلى المؤدب والمعلم ولكن بتدريج ولا يحمل على ملازمة المكتب مرة واحدة، فهذا هو النهج في تدريبهم، وبعد هذا فتدبيرهم تدريب الإنماء وحفظ الصحة.

قال المصنف رحمه الله تعالى (**آداب الولادة خمسة**).

(**الأول: أن لا يكثر فرحه بالولد الذكر وحزنه بالأنثى**) كما كان أهل الجاهلية على ذلك وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم* يتوارى من القوم من سوء ما بشر به﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩] (**فإنه لا يدري أن الخيرة له في أيهما**) الذكر أو الأنثى، (**وكم من صاحب ابن يتمنى أن لا يكون له**) ولا يوجد لسوء أخلاقه وحمله على المكاره والاتعاب وتشويه عرضه، (**أو يكون**) المولود (**بنتاً بل السلامة منهن أكثر**) للزومهن الحجاب (**والثواب فيهن أجزل**) وأوفر في مقابلة مكابدته وصبره على تربيتهن. (**قال ﷺ «من كانت له ابنة فأدّبها فأحسن تأديبها وغذاها فأحسن غذاءها وأسبغ عليها النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له مأمنة وميسرة من النار إلى الجنة»**) قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير، والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف اهـ.

قلت: وفي رواية: «فأدّبها وأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها وأوسع عليها من نعم الله التي أسبغ عليه كانت له منعة وستراً من النار».

(**وقال ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يدرك ابنتين فيحسن إليهما ما صحبتاه إلا أدخلتاه الجنة»**) قال العراقي: رواه ابن ماجه والحاكم وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: ولفظ الطبراني في الكبير «ما من أحد ترك له ابنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه وصحبهما إلا أدخلتاه الجنة».

ﷺ: « من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو في الجنة كهاتين ». وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: « من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئاً فحمله إلى بيته فخص به الإناث دون الذكور نظر الله إليه، ومن نظر الله إليه لم يعذبه ». وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالاناث قبل الذكور فإنه من فرَّح أنثى فكأنما بكى من خشية الله، ومن بكى من خشيته حرم الله بدنه على النار ». وقال أبو هريرة: قال ﷺ: « من كانت له ثلاث بنات أو أخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهن، فقال: رجل واثنتان يا رسول الله؟ قال: واثنتان. فقال رجل: أو واحدة؟ فقال: أو واحدة ».

(**وقال أنس**) بن مالك رضي الله عنه، (**قال رسول الله ﷺ « من كانت له ابنتان أو أختان فأحسن إليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو في الجنة كهاتين »**) قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف، ورواه الترمذي بلفظ « من عال جاريتين » وقال: حديث حسن غريب اهـ.

قلت: ولفظ الترمذي « من عال جاريتين حتى يدركا دخلت أنا وهو في الجنة كهاتين ». ورواه كذلك ابن ماجه، وابن عوانة، ورواه ابن حبان عن ثابت عن أنس بلفظ « من عال ابنتين أو أختين أو ثلاثاً حتى يئسن أو يموت عنهن كنت أنا وهو في الجنة كهاتين » وكذلك رواه عبد بن حميد، وعند الإمام أحمد من حديث ابن عباس « من كان له ابنتان فأحسن صحبتها دخل بينهما الجنة ».

(**وقال أنس**) رضي الله عنه، (**قال رسول الله ﷺ « من خرج إلى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئاً**) أي من مأكول أو ملبوس (**فحمله إلى بيته فخصّ به الاناث دون الذكور نظر الله إليه**) أي بعين رحمته (**ومن نظر الله إليه**) كذلك (**لم يعذبه »**) قال العراقي: رواه الخرائطي بسند ضعيف.

(**وقال أنس**) رضي الله عنه، (**قال رسول الله ﷺ « من حمل طرفة من السوق إلى عياله فكأنما حمل إليهم صدقة حتى يضعها فيهم وليبدأ بالاناث دون الذكور فإنه من فرَّح أنثى فكأنما بكى من خشية الله، ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار »**) قال العراقي: رواه الخرائطي بسند ضعيف جداً وابن عدي في الكامل. قال ابن الجوزي: حديث موضوع.

(**وقال أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ « من كان له ثلاث بنات أو أخوات فصبر على لاوائهن وضرائهن**) أي شدتهن ومكابدتهن (**أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهن، فقال رجل: و**) إذا كنَّ (**اثنتين يا رسول الله؟ قال: واثنتين. فقال رجل: أو**

الأدب الثاني: أن يؤذِّن في أذن الولد . روى رافع عن أبيه قال: « رأيت النبي ﷺ قد أذّن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة رضي الله عنها » . وروي عن النبي ﷺ أنه قال: « من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى دفعت عنه أم

واحدة؟ قال: أو واحدة») . قال العراقي: رواه الخرائطي واللفظ له، والحاكم ولم يقل أو أخوات وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت وعند الخرائطي زيادة « وسرائهن بعد ضرائهن » . ويروى بمعناه من حديث أبي سعيد بلفظ « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة » . رواه أحمد والترمذي وابن حبان والضياء . وروى الحاكم في الكنى من حديث أبي عرس بسند فيه مجهول وضعيف بلفظ « من كانت له ثلاث بنات فصبر عليهن وسقاهن وأطعمهن وكساهن كن له حجاباً من النار » وفي حديث أنس: « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات فاتقى الله وقام عليهن كان معي في الجنة هكذا وأشار بأصابعه الأربع » . رواه أحمد وأبو يعلى وأبو الشيخ والخرائطي في مكارم الاخلاق.

(الأدب الثاني: أن يؤذّن في أذن المولود اليمنى) أول ما يوضع على الأرض. **(روى رافع عن أبيه)** أبي رافع مولى رسول الله ﷺ ، وكان أبو رافع مولى للعباس، فوهبه النبي ﷺ ، واختلف في اسمه على أقوال: إبراهيم وأسلم أو ثابت أو يزيد وهو مشهور بكنيته. روى عنه بنوه روى له الجماعة **(قال: « رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسين)** رضي الله عنه **(حين ولدته فاطمة رضي الله عنها »)** قال العراقي: رواه أحمد، واللفظ له، وأبو داود والترمذي وصححه إلا أنهما قالا: الحسن مكبراً وضعفه ابن القطان اهـ.

قلت: هكذا في نسخ الكتاب رافع عن أبيه وهو غلط، ولم أجد لرافع ذكراً في الكتب الستة، وإنما هو من رواية عبدالله بن أبي رافع عن أبيه وعبدالله له صحبة أيضاً، ولفظ أبي دواد والترمذي « أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة » .

(وروي عنه ﷺ انه قال « من ولد له مولود) وفي لفظ: ولد **(« فاذّن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى دفعت عنه أم الصبيان »)** هي التابعة من الجن. قال العراقي: رواه أبو يعلى الموصلي، وابن السني في اليوم، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن عساكر في التاريخ ولفظهم جميعاً « لم تضره أم الصبيان » وفي سنده مرزان بن سلم النضاري وهو متروك، وأورده الذهبي في الميزان في ترجمة يحي بن العلاء النجلي، ونقل أحمد انه كذاب وضاع وأورد له هذا الحديث.

الصبيان». ويستحب أن يلقنوه أول انطلاق لسانه لا إله إلا الله، ليكون ذلك أول حديثه والختان في اليوم السابع ورد به خبر.

الأدب الثالث: أن تسميه إسماً حسناً، فذلك من حق الولد. وقال ﷺ: «إذا سميتم فعبّدوا» وقال عليه الصلاة والسلام: «أحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبد الرحمن».

(**ويستحب أن يلقنوه أول انطلاق**) لسانه كلمة الإخلاص (**لا إله إلا الله**) محمد رسول الله (**ليكون ذلك أول حديثه**) أي فيتعود عليها ويسهل عليه النطق بها ويتمكن حبها في باطنه على حد قول القائل:

أتاني هـواهـا قبـل أن أعـرف الهوى فصـادف قلبـاً خـاليـاً فتمكنـا

(**والختان في اليوم السابع ورد به خبر**) يشير إلى ما رواه الطبراني في الصغير بسند ضعيف «أن رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام» ورواه الحاكم وصحح إسناده والبيهقي من حديث عائشة قاله العراقي.

(**الأدب الثالث: أن يسميه بأحسن الأسماء**) وأخفها على اللسان (**فذلك من حق الولد**) عليه، (**وقد قال ﷺ: «إذا سميتم فعبدوا»**) أي إذا أردتم تسمية نحو ولد أو خادم فسموه بما فيه عبودية لله تعالى، كعبد الله، وعبد الرحمن لأن التعبد الذي بين العبد وربه إنما هو العبودية المحضة والإسم مقيض لمسماه فيكون عبدالله وقد عبده بما في اسم الله من معنى الإلهية التي يستحيل كونها لغيره تعالى. قال العراقي: رواه الطبراني من حديث عبد الملك بن زهير عن أبيه معاذ واسناده ضعيف، واختلف في إسناده فقيل: عبد الملك بن إبراهيم بن زهير عن أبيه عن جده اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الحسن بـن سفيان في مسنده ومسدد، والحاكم في الكنى، وأبو نعيم، وابن منده، ولفظ الطبراني في معجمه الكبير من طريق مسدد حدثنا أبو أمية بن يعلى عن أبيه عن عبد الملك بن أبي زهير الثقفي عن أبيه مرفوعاً بهذا. وكذا أورده أبو أحمد الحاكم في الكني في ترجمة أبي زيد الثقفي والد أبي بكر بإسناد معضل. وقال ابن الأثير: قد ذكروا زهير بن عثمان الثقفي فلا أدري أهو هذا أم غيره. قال الحافظ في الإصابة: بل هو غيره. وفي مسند الحسن بن سفيان من طريق عمرو بن عمران عن شيخ كان بالمدينة عن عبد الملك ابن زهير عن أبيه به. وقال ابن منده: رواه أبو أمية بن يعلى فقال: عن عبد الملك بن زهير، عن أبيه عن جده، وهذا مخالف لرواية الطبراني، فإنه لم يقل عن جده ولكنه قال عبد الملك ابن أبي زهير، وأبو أمية بن يعلى ضعيف وفي مسند الحسن بن سفيان شيخ مجهول وأبو زهير اختلف في اسمه فقيل: معاذ، وقيل: عمار ورواه الديلمي من حديث معاذ بن جبل، والله أعلم.

(**وقال ﷺ: «أحب الأسماء إلى الله تعالى**) أي أحب ما يسمى به العبـد إليـه (**عبـدالله**

وقال: « سموا بإسمي ولا تكنوا بكنيتي » . **قال العلماء: كان ذلك في عصره ﷺ إذ كان**

وعبد الرحمن ») لأنه لم يقع في القرآن إضافة عبد إلى اسم من أسمائه غيرهما ولأنهما أصول الأسماء الحسنى من حيث المعنى، فكان كل منهما يشتمل على الكل، ولأنه لم يسم بهما أحد غيره، وبحث الجلال السيوطي أن اسم عبدالله أشرف من عبد الرحمن، فإنه تعالى ذكر الأول في حق الأنبياء، والثاني في حق المؤمنين، فإن التسمي بعبد الرحمن في حق الأمة الأولى، ونازعه المناوي مستدلاً بكلام صاحب المطامح من المالكية في أفضلية الإسم الأول مطلقاً، وقد جزم به وعلله بأن اسم الله هو قطب الأسماء وهو العلم الذي يرجع إليه جميع الأسماء ولا يرجع هو لشيء فلا اشتراك في التسمية البتة، والرحمة قد يتصف بها الخلق. فعبدالله اخص في النسبة من عبد الرحمن، فالتسمي به أفضل وأحب إلى الله مطلقاً، وزعم بعضهم أن هذه أحبية مخصوصة لأنهم كانوا يسمون عبد الدار وعبد العزى، فكأنه قيل لهم: إن أحب الأسماء المضافة للعبودية هذان لا مطلقاً لأن أحبها إليه محمد وأحمد إذ لا يختار لنبيه إلا الأفضل، وقد رد ذلك بأن المفضول قد يؤثر لحكمة وهي هنا الإيماء إلى حيازته مقام الحمد وموافقة الحميد من أسمائه تعالى على أن من أسمائه أيضاً عبد الله كما في سورة الجن، وإنما سمى ابنه إبراهيم لبيان جواز التسمي بأسماء الأنبياء، وتنبيهاً على شرف سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، ولذلك ذهب بعضهم إلى أن أفضل الأسماء بعد ذين إبراهيم، لكن قال ابن سبع في شفاء الصدور: أفضلها بعدهما محمد وأحمد ثم إبراهيم والله أعلم.

قال العراقي: رواه مسلم من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: رواه من طريق عبيدالله بن عمر بن نافع عن ابن عمر، وكذلك رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه. وفي الباب عن ابن مسعود بلفظ: « أحب الأسماء إلى الله ما تعبد له وأصدق الأسماء همام وحارث » رواه الشيرازي في الألقاب والطبراني في الكبير واسناده ضعيف بسبب محمد بن محصن العكاشي فإنه متروك. وروى أحمد والطبراني من حديث عبد الرحمن بن سبرة الجعفي مرفوعاً: « لا تسمه عزيزاً ولكن سم عبد الرحمن فإن أحب الأسماء إلى الله عبدالله وعبد الرحمن والحرث » وفي رواية للطبراني: « لا تسم عبد العزى وسم عبدالله فإن خير الأسماء عبدالله وعبيدالله والحرث وهمام » قال السخاوي في المقاصد: وأما ما يذكر على الألسنة من خير الأسماء ما حمد وما عبد فما علمته اهـ.

(وقال ﷺ: « سموا بإسمي ولا تكنوا بكنيتي ») قال العراقي: متفق عليه من حديث جابر وفي لفظ: « تسموا » اهـ.

قلت: المتفق عليه من حديث جابر فيه زيادة « فإني إنما بعثت قاسماً أقسم بينكم » والسبب لهذا أنه ﷺ كان في السوق فقال رجل: يا أبا القاسم، فالتفت النبي ﷺ فقال: إنما دعوت هذا فذكره.

ينادى: يا أبا القاسم، والآن فلا بأس، نعم. لا يجمع بين اسمه وكنيته، وقد قال ﷺ: «لا تجمعوا بين إسمي وكنيتي» وقيل: إن هذا أيضاً كان في حياته، وتسمّى رجل أبا عيسى فقال عليه الصلاة والسلام: «إن عيسى لا أب له» فكره ذلك، والسقط ينبغي أن

وأما صدر الحديث المذكور هنا بدون زيادة فقد أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس «وسموا» ضبط بفتح السين وتشديد الميم المضمومة «ولا تكنوا» بفتح فسكون فضم بضبط السيوطي، فهو من كنّى يكني كناية، وفهم من ضبطه بضم ففتح فتشديد نون مضمومة من كنى يكنى تكنية فهو كقوله: «لا تزكوا ولا تصلوا». وهكذا ضبط حديث «لا تصروا الإبل» من التصرية، ومنهم من ضبطه بالفتح مع التشديد وذلك بحذف إحدى التاءين والكنية بالضم ما صدرت بأب أو أم وهي تارة تكون للتعظيم والتوصيف كأبي المعالي: وتارة للنسبة إلى الأولاد كأبي سلمة وأبي شريح، وتارة ما يناسب كأبي هريرة، وتارة للعلمية الصرفة كأبي عمرو وأبي بكر، ولما كان ﷺ يكنى أبا القاسم لأنه يقسم بين الناس من قبل الله تعالى بما يوحي إليه وينزلهم منازلهم التي يستحقونها في الشرف والفضل وقسم الغنائم، ولم يكن أحد منهم يشاركه في هذا المعنى منع أن يكني بها غيره بهذا المعنى، أما لو كني به أحد للنسبة إلى ابن له اسمه القاسم أو للعلمية المجردة جاز، ويدل عليه التعليل المذكور للنهي.

(**وقال**) بعض (**العلماء كان ذلك**) أي النهي عن التكني به مخصوصاً بحالة حياته (**في عصره ﷺ إذ كان ينادى: يا أبا القاسم**) لئلا يلتبس خطابه بخطاب غيره (**والآن فلا بأس**) هكذا ذكره كثيرون، ولكن الأصح عند أصحاب الشافعي تحريمه بعد موته، وذلك بالمعنى المذكور في حديث جابر، ولذا أنكر على علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين سمى ولده محمداً وكناه بأبي القاسم فقال: قد سألت ذلك رسول الله ﷺ بأنه إن ولد لي ولد فاسميه باسمك وأكنيه بكنيتك فأجازني، فلو كان ذلك محرماً بعد موته ﷺ لما أنكر عليه ذلك، وزعم القرطبي جوازه مطلقاً في حياته ﷺ، ويقول: النهي منسوخ بحديث الترمذي: «ما الذي أحل اسمي وحرم كنيتي» وفيه نظر يظهر بالتأمل والله أعلم. وقد ألفت في تحقيق هذه المسألة جزأً ليس عندي الآن.

(**وسمى رجل**) ولده (**أبا عيسى فقال ﷺ**) لما سمعه راداً عليه (**«إن عيسى لا أب له»**) إنما هو كلمته ألقاها إلى مريم (**فكره ذلك**) قال العراقي: رواه أبو عمر النوقاني في كتاب معاشرة الأهلين من حديث ابن عمر بسند ضعيف، ولأبي داود أن عمر ضرب ابناً له تكنى أبا عيسى، وأنكر على المغيرة بن شعبة تكنيته بأبي عيسى، فقال رسول الله ﷺ: «كناني» وإسناده صحيح اهـ.

قلت: وكان المغيرة يكنى أيضاً أبا عبدالله وأبا محمد، ولكنه كان يحب أن ينادى بأبي عيسى لأنه ﷺ كناه بها، والظاهر جواز ذلك فقد تكنى به غير واحد من أحبار الأمة منهم الترمذي صاحب السنن وغيره.

يسمى. قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية: بلغني أن السقط يصرخ يوم القيامة وراء أبيه فيقول: أنت ضيعتني وتركتني لا إسم لي، فقال عمر بن عبد العزيز: كيف وقد لا يدري أنه غلام أو جارية. فقال عبد الرحمن: من الأسماء ما يجمعها كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة، وقال ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم»

(والسقط) بالكسر ولداً كان أو أنثى يسقط من بطن أمه لغير تمامه (ينبغي أن يسمى) أي يعين له اسم وهذا عند ظهور خلقه وإمكان نفخ الروح فيه لا عند كونه علقة أو مضغة. (قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية) بن أبي سفيان تابعي جليل روى عن ثوبان، وعنه أبو طوالة. وكان من العقلاء الصلحاء. روى له النسائي وابن ماجه: (بلغني أن السقط يصرخ يوم القيامة وراء أبيه ويقول: أنت ضيعتني وأنت تركتني لا إسم لي، فقال) له (عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى: (كيف ولا أدري أنه غلام أو جارية. فقال عبد الرحمن: من الأسماء ما يجمعها) أي الذكر والأنثى (كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة) وقد روي هذا مرفوعاً من حديث أنس: «سموا السقط يثقل الله به ميزانكم فإنه يأتي يوم القيامة يقول أي رب أضاعوني فلم يسموني». هكذا رواه ميسرة بن علي في مشيخته عن أبي هدبة عنه، ورواه الديلمي لكن بيض لسنده، وروى ابن عساكر في التاريخ عن أبي هريرة بلفظ: «سموا أسقاطكم فإنهم من افراطكم» رواه عن البختري بن عبيد عن أبيه عن أبي هريرة، والبختري ضعيف ورواه أيضاً بلفظ: «سموا أولادكم فإنهم من أطفالكم». وقال: المحفوظ الأول. قال ابن القيم: وأما ما اشتهر أن عائشة رضي الله عنها أسقطت من النبي ﷺ سقطاً فسماه عبد الله وكناها به فلا يصح.

(وقال ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم») لأن الدعاء بالآباء أشد في التعريف وأبلغ في التمييز، ولا يعارضه خبر الطبراني: «أنهم ينادون بأسماء أمهاتهم» لأنه ضعيف بالاتفاق فلا يعارض بالصحيح، فأحسنوا أسماءكم بان تسموا بنحو عبد الله وعبد الرحمن أو بحرث وهمام لا بنحو مرة وحرب. قال النووي في التهذيب: ويستحب تحسين الإسم لهذا الحديث قال العراقي: رواه أبو داود من حديث أبي الدرداء. قال النووي: بإسناد جيد، وقال البيهقي أنه مرسل اهـ.

رواه كذلك أحمد كلاهما من حديث عبد الله بن أبي زكريا عن أبي الدرداء. قال النووي في كتابيه الأذكار والتهذيب إسناده جيد، وقال المنذري والصدر المناوي: ابن زكريا ثقة عابد لكن لم يسمع من أبي الدرداء، فالحديث منقطع وأبـوه اسمـه إياس، وقال الحافظ في الفتح رجاله ثقات إلا أن في سنده انقطاعاً بين ابن زكرياء وبين أبي الدرداء وأنه لم يدركه. ووجدت بخط الحافظ ابن حجر في هامش المغني عند قول البيهقي أنه مرسل. قلت: صححه ابن حبان.

ومن كان له اسم يكره يستحب تبديله، أبدل رسول الله ﷺ إسم العاص بعبدالله، وكان اسم زينب برة، فقال عليه السلام: «تزكي نفسها» فسماها زينب، وكذلك ورد

(ومن له اسم يكره) من جهة اللفظ أو من جهة المعنى (فيستحب تبديله) بغيره، فقد (بدل رسول الله ﷺ اسم العاص بعبدالله). قال العراقي: رواه البيهقي من حديث عبدالله بن الحرث بن جزء الزبيدي بسند صحيح اهـ.

قلت: قرأت في تاريخ من بالصحابة بمصر لأبي عبدالله الجيزي في ترجمة عبدالله بن الحرث المذكور ما نصه: حدثنا أحمد بن عبد الرحمن قال: حدثنا عمي عبدالله بن وهب، أخبرنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي خبيب، عن عبد الرحمن بن الحرث بن جزء قال: توفي رجل ممن قدم على النبي ﷺ غريب، فقال رسول الله ﷺ وهو على القبر «ما اسمك»: قلت: العاص، وقال لعبد الرحمن بن عمر: «ما اسمك»؟ قال: العاص. وقال لعبدالله بن عمرو بن العاص: «ما اسمك»؟ قال: العاص. قال رسول الله ﷺ: «انزلوا فأنتم عبدالله» قال: فنزلنا فوارينا صاحبنا ثم خرجنا من القبر وقد بدلت أسماؤنا. وقد أخرج هذا الحديث من طرق أربعة كلها تنتهي إلى الليث بن سعد، وذكر في ترجمة سهل بن سعد الساعدي بسنده إليه قال: كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يسمى أسود فسماه رسول الله ﷺ أبيض، وذكر أيضاً في ترجمة عبد العزيز الغافقي الصحابي أنه كان اسمه عبد العزى فسماه رسول الله ﷺ عبد العزيز.

(وقال رسول الله ﷺ: «لا تجمعوا بين إسمي وكنيتي») قال العراقي: رواه أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة، ولأبي داود، والترمذي، وحسنه، وابن حبان من حديث جابر: «من تسمّى بإسمي فلا يتكنى بكنيتي، ومن تكنى بكنيتي فلا يتسمى بإسمي» اهـ.

قلت: أما أحمد فرواه من حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري البخاري ولد في عهده ﷺ ولا رؤية له ولا رواية بل رواه عن عمه رفعه، وقد قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح. وأما حديث جابر الذي حسنه الترمذي فقد حسنه أيضاً الطيالسي وأحمد، وأخرجه أيضاً أحمد وأبو يعلى وابن حبان من حديث أبي هـريرة، وأخرجه ابن سعد في الطبقات من حديث البراء، ورواه ابن سعد أيضاً عن أبي هريرة بلفظ: «لا تسموا بإسمي وتكنوا بكنيتي» نهى أن يجمع بين الإسم والكنية.

(وقيل: هذا) أي النهي عن الجمع بين الإسم والكنية (أيضاً كان في حياته) ﷺ وأما بعده فلا بـــأس بهوهذا أحد الأقوال في المسألة.

(قال أبو هريرة) رضي الله عنه: (كان اسم زينب برة) وهي زينب بنت أبي سلمة أخت عمر بن أبي سلمة وأمها أم سلمة زوجة النبي ﷺ ولدت بأرض الحبشة وكان اسمها برة، (فقال ﷺ: «تـزكي نـفسها») أي من جهة كونها برة من البر وكره ذلك،

النهي في تسمية أفلح ويسار ونافع وبركة لأنه يقال أثم بركة؟ فيقال: لا.

الرابع: العقيقة عن الذكر بشاتين، وعن الأنثى بشاة ولا بأس بالشاة ذكراً كان أو أنثى. وروت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمر في الغلام أن يعق بشاتين مكافئتين، وفي الجارية بشاة. وروي أنه عق عن الحسن بشاة، وهذا رخصة في الاقتصار

(**فسماها زينب**) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، (**وكذلك ورد نهي في**) تسمية الرجل (**أسلم وأفلح ونافع وبركة لأنه قد يقال بركة)ثم فيقال: لا**) وفي بعض النسخ أفلح ويسار ونافع وبركة. قال العراقي: رواه مسلم من حديث سمرة بن جندب إلا أنه جعل مكان بركة رباحاً، وله في حديث جابر: أراد النبي ﷺ أن يسمى بيعلى وبركة الحديث اهـ.

قلت: لفظ مسلم: «لا تسم غلامك رباحاً ولا يساراً ولا أفلح ولا نافعاً» ورواه الطيالسي والترمذي بلفظ: «لا تسم غلامك رباحاً ولا أفلح ولا يساراً ولا نجيحاً» فيقال: أثم هو؟ فيقال: لا. ورواه ابن جرير بلفظ: «لا تسموا رقيقكم رباحاً ولا يساراً ولا أفلح ولا نجيحاً إن شاء الله تعالى». ولفظ أبي داود: «ولا تسمين غلامك يساراً ولا نجيحاً ولا أفلح فإنك تقول أثم هو؟ فيقول: لا.» وفي لفظ: «فلا يكون» وهكذا رواه ابن جرير أيضاً وصححه.

(**الأدب الرابع: العقيقة**) يقال عق عن ولده عقاً إذا ذبح العقيقة وهي الشاة تذبح يوم الأسبوع، وفي الحديث: «قولوا نسيكة ولا تقولوا عقيقة» أمرهم بذلك دفعاً للتطير، ويقال للشعر الذي يولد عليه المولود من آدمي وغيره عقيقة وهي (**عن الذكر بشاتين وعن الأنثى بشاة ولا بأس بالشاة ذكراً كان أو أنثى روت عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ أمر في الغلام أن يعق بشاتين مكافئتين**) أي متساويتين سناً وحسناً (**وعن الأنثى بشاة»**) وهو يبطل قول من كرهها عن الأنثى، وذلك شأن اليهود كانوا يعقون عن الغلام فقط. قال العراقي: رواه الترمذي وصححه اهـ.

قلت: وهو في سنن البيهقي من طريق سفيان بن عيينة، عن عبيد الله بن أبي يزيد، عن أبيه، عن سباع بن ثابت، عن عمرة، عن عائشة. ثم أخرج من طريق حماد بن زيد عن عبيد الله عن سباع، ثم قال: قال أبو داود حديث سفيان وهم ثم قال: ورواه المزني عن الشافعي عن سفيان عن عبيد الله بن سباع بن وهب، ثم قال المزني واهم في موضعين احدهما ان سائر الرواة رووه عن سفيان عن عبيد الله عن أبيه، والآخر أنهم قالوا سباع بن ثابت. ورواه الطحاوي عن المزني في كتاب السنن في أحد الموضعين عن الصواب، كما رواه الناس.

قلت: أخرجه البيهقي في كتاب المعرفة من حديث الطحاوي عن المزني، حدثنا الشافعي، حدثنا سفيان عن عبيد الله بن أبي يزيد عن أبيه عن سباع بن ثابت، وهكذا رويناه في كتاب السنن من طريق الطحاوي عن المزني من نسخة جيدة قديمة، فظهر بهذا أن رواية الطحاوي عن المزني على الصواب في الموضعين معاً لا في أحدهما، والله أعلم.

على واحدة. وقال ﷺ: «مع الغلام عقيقته. فاهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى» ومن السنّة أن يصدق بوزن شعره ذهباً أو فضة، فقد ورد فيه خبر: «انه عليه السلام أمر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع حسين أن تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة». قالت عائشة رضي الله عنها: لا يكسر للعقيقة عظم.

الخامس: أن يحنكه بتمرة أو حلاوة. وروي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «ولدت عبدالله بن الزبير بقباء ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعته في حجره ثم

وروى أحمد عن أسماء بنت يزيد مرفوعاً: «العقيقة حق على الغلام شاتان متكافئتان وعلى الجارية شاة».

(**وروي أنه**) ﷺ (**عق عن الحسن بشاة**) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث علي وقال: ليس إسناده بمتصل ووصله الحاكم وصححه إلا أنه قال حسين، ورواه أبو داود من حديث ابن عباس إلا أنه قال كبشاً اهـ.

قلت: حديث ابن عباس هذا أخرجه البيهقي في السنن من طريق أيوب عن عكرمة: «عق عليه السلام عن الحسن كبشاً وعن الحسين كبشاً» اهـ.

قلت: وقد اضطرب فيه عن عكرمة، عن النبي ﷺ وهو الأصح، والثاني أن النسائي أخرج من حديث قتادة عن عكرمة عن ابن عباس: «أنه ﷺ عق عن الحسن وعن الحسين بكبشين كبشين. (**وهذا رخصة في الإقتصار على واحدة**) إن سلم حديث علي عن الإنقطاع وسلم حديث عكرمة عن الإضطراب.

(**وقال** ﷺ: «**مع الغلام عقيقته فاهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى**») قال العراقي: رواه البخاري من حديث سلمان عن عامر الضبي اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد والدارمي وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة ورواه الحاكم عن أبي هريرة.

(**ومن السنّة أن يتصدق بوزن شعره**) أي المولود بعد أن يزال عنه (**ذهباً أو فضة، فقد ورد فيه خبر**) وذلك أنه قد (**روي: «أنه** ﷺ **أمر فاطمة رضي الله عنها يوم سابع الحسين**) رضي الله عنه (**أن يحلق شعره ويتصدق بوزن شعره فضة»**) قال العراقي: رواه الحاكم وصححه من حديث علي وهو عند الترمذي منقطع بلفظ حسن، وقال: ليس إسناده بمتصل، ورواه أحمد من حديث أبي رافع اهـ.

(**قالت عائشة رضي الله عنها: لا يكسر للعقيقة عظم**) وعلى هذا العمل الآن.

(**الأدب الخامس: أن يحنكه بتمرة**) إن وجدت (**أو حلاوة**) مهما كانت. (**وروي عن أسماء**) بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها (**أنها قالت: «ولدت عبد الله بن الزبير**

دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه » فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ، ثم حنكه بتمرة ثم دعا له وبارك عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام ، ففرحوا به فرحاً شديداً لأنهم قيل لهم : إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم.

الثاني عشر : في الطلاق ، وليعلم أنه مباح ، ولكنه أبغض المباحات إلى الله تعالى ،

بقباء) وهو الموضع المعروف خارج المدينة تقدم ذكرها في آخر كتاب الحج ، (**ثم أتيت به رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها**) في فمه الشريف ، (**ثم تفل**) به (**في فيه » فكان أول شيء دخل في فيه ريق رسول الله ﷺ ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبارك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام**) أي بالمدينة من قريش ولد في السنة الثانية ، (**ففرحوا به**) أي جماعة المسلمين (**فرحاً شديداً لأنه قيل لهم : إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم**) . رواه البخاري ومسلم ، وروي نحو ذلك من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : « ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم وحنكه بتمرة ودعا بالبركة ودفعه إلي وكان أكبر ولد أبي موسى ».

(**الثاني عشر : الطلاق**) وهو في اللغة رفع القيد . يقال : أطلق الفرس والأسير ، وفي الشرع رفع القيد الثابت شرعاً بالنكاح ، فقوله : « شرعاً » يخرج به القيد حساً وهو حبل الوثاق ، وبالنكاح يخرج العتق لأنه رفع قيد ثابت شرعاً لكنه لا يثبت بالنكاح ، واستعمل في النكاح بلفظ التفعيل وفي غيره بالأفعال ، ولهذا لو قال لها : أنت مطلقة بتشديد اللام لم يفتقر إلى نية ولو خففها فلا بد منها ، وفي مشروعية النكاح مصالح العباد الدينية والدنيوية ، وفي الطلاق إكمال لها إذ قد لا يوافقه النكاح فيطلب الخلاص عند تباين الأخلاق وعروض البغضاء الموجبة عدم إقامة حدود الله فمكن من ذلك رحمة منه سبحانه وفي جعله عدداً حكمة لطيفة لأن النفس كذوبة ربما تظهر عدم الحاجة إلى المرأة أو الحاجة إلى تركها وتسر له ، فإذا وقع حصل الندم وضاق الصدر به وعيل الصبر فشرعه سبحانه وتعالى ثلاثاً ليجرب نفسه في المرة الأولى ، فإن كان الواقع صدقها استمر حتى تنقضي العدة وإلا أمكنه التدارك بالرجعة ، ثم إذا عادت النفس لمثل الأول وغلبته حتى عاد إلى طلاقها نظر أيضاً فيما يحدث له فما يوقع الثالثة إلا وقد جرب وفقه في حال نفسه ثم حرمها عليه بعد انتهاء العدد قبل أن تتزوج آخر ليتأدب بما فيه غيظه وهو الزوج الثاني على ما عليه من جبلة النحولية بحكمته ولطفه تعالى بعباده ، (**وليعلم أنه**) أي الطلاق (**مباح**) قد أباحه الشارع لما ذكرنا من الحكمة ، (**ولكنه أبغض المباحات إلى الله تعالى**) يشير إلى حديث : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » . والمراد بالمباح والحلال الشيء الجائز الفعل ، وإنما كان كذلك من حيث أداؤه إلى قطع الوصلة وحل قيد العصمة المؤدي إلى التناسل الذي به تكثير هذه الأمة لا من حقيقته في نفسه ، فإنه ليس بحرام ولا مكروه أصالة ، بل تجري فيه الأحكام الخمسة ، وقد صح أنه

وإنما يكون مباحاً إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل، ومهما طلقها فقد آذاها، ولا يباح إيذاء الغير إلا بجناية من جانبها أو بضرورة من جانبه، قال الله تعالى: ﴿فإن أطعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عليهنَّ سبيلاً﴾ [النساء: ٣٤] أي لا تطلبوا حيلة للفراق وإن كرهها أبوه فليطلقها. قال ابن عمر رضي الله عنهما، كان تحتي امرأة أحبها وكان أبي يكرهها ويأمرني بطلاقها، فراجعت رسول الله ﷺ فقال: «يا ابن عمر طلّق امرأتك» فهذا

ﷺ آلى وطلق وهو لا يفعل محظوراً، والمراد بالبغض هنا غايته لا مبدؤه فإنه من صفات المخلوق والباري سبحانه وتعالى منزه عنها، والقانون في أمثاله أن جميع الأعراض النفسانية كغضب ورحمة وفرح وسرور وحياء وتكبر واستهزاء لها أوائل ونهايات وهي في حقه سبحانه محمولة على الغايات لا المبادىء وقد تقدمت الإشارة إليه في كتاب قواعد العقائد، والحديث المذكور رواه أبو داود، عن كثير بن عبيد، عن محمد بن خالد الوهبي، عن معرف بن واصل، عن محارب بن دثار، عن ابن عمر. وكذا رواه عن كثير، عن أبي داود وابن أبي عاصم والحسين بن إسحاق. كما أخرجه الطبراني عنه، لكن رواه ابن ماجه في سننه عن كثير فجعل بدل معرف عبيدالله بن الوليد الرصافي، وكذا هو عند تمام في فوائده من حديث سليمان بن عبد الرحمن ومحمد بن مسروق كلاهما عن الرصافي وهو ضعيف، ومن جهته أورده ابن الجوزي في العلل المتناهية وقال الدارقطني في العلل: المرسل فيه أشبه، وكذلك صحح البيهقي إرساله. وقال: إن المتصل ليس بمحفوظ، ورجح أبو حاتم الرازي أيضاً المرسل، وقال الخطابي: أنه المشهور والله أعلم.

(**وإنما يكون مباحاً إذا لم يكن فيه إيذاء بالباطل، ومهما طلقها فقد آذاها**) لأنه قطع وصلتها وحل قيد عصمتها. (**ولا يباح إيذاء الغير إلا بجناية من جانبها أو بضرورة**) شديدة (**من جانبه قال الله تعالى: ﴿فإن أطعنكم**) أي بالتوبيخ والإيذاء والهجر في المضاجع والضرب (**فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾**) أي فأزيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وقيل في تفسير الآية المذكورة (**أي لا تطلبوا حيلة للفراق**) ولفظ القوت: أي لا تطلبوا طريقاً إلى الفرقة ولا إلى خصومة ومكروه، وهذا حينئذ على صورة النفس المطمئنة إذا استجابت للإيمان وطاوعتك إلى أخلاق المؤمنين فتولها من الإرفاق وارفق بها في منالها من المباح، (**وإن كرهها أبوه فليطلقها**) رعاية لخاطر الأب فإن حقه مقدم على حق الزوجة.

(**قال**) عبدالله (**بن عمر رضي الله عنهما: كان تحتي امرأة أحبها وكان أبي يكرهها فيأمرني بطلاقها فراجعت رسول الله ﷺ**) في شأنها (**فقال: «يا بن عمر طلق امرأتك»**) فطلقها قال العراقي: رواه أصحاب السنن الأربعة. قال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

يدل على أن حق الوالد مقدّم، ولكن والد يكرهها ـ لا لغرض فاسد ـ مثل عمر، ومهما آذت زوجها وبذت على أهله فهي جانية، وكذلك مهما كانت سيئة الخلق أو فاسدة الدين. قال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَخْرُجْنَ إلاَّ أَنْ يأتينَ بفاحشةٍ مبيِّنَةٍ﴾ [الطلاق: ١] مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهو فاحشة، وهذا أريد به في العدة ولكنه تنبيه على المقصود. وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تفتدي ببذل مال، ويكره للرجل أن يأخذ منها أكثر مما أعطى، فإن ذلك إجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على البضع. قال تعالى: ﴿لاَ جُنَاحَ عليهمَا فيمَا افتدَتْ به﴾ [البقرة: ٢٢٩] فردّ ما أخذته فما دونه لائق بالفداء.

قلت: ورواه كذلك ابن حبان في الصحيح، وفي لفظ لهم: «فقال أطع أباك» وهذا الطلاق هو المستحب ذكره ابن الرفعة، (**فهذا يدل على أن حق الوالد مقدم**) على حق الزوجة (**ولكن والده يكرهها لا لغرض فاسد مثل عمر**) رضي الله عنه وأين مثله، (**ومهما آذت زوجها**) قولاً أو فعلاً (**وبذت على أهله**) أي أهل الزوج، (**فهي جانية**) فلا يكون الطلاق في حقها إيذاء، (**وكذلك مهما كانت سيئة الخلق**) سليطة اللسان فظة القلب، (**أو**) كانت (**فاسدة الدين**) رقيقته فاسدة الإعتقاد، وفي القوت: فإن كانت بذئة اللسان عظيمة الجهل كثيرة الأذى فطلاقها أسلم لدينها وأروح لقلوبهما في عاجل الدنيا وآجل الآخرة، وقد شكا رجل إلى رسول الله ﷺ بذاء إمرأته فقال: «طلقها» قال: فإني أحبها. قال: «فامسكها» إذا خشي عليه تشتت همه بفراقها مع المحبة فتشتت القلب أعظم من أذى الجسم.

(**قال ابن مسعود**) رضي الله عنه (**في**) تفسير (**قوله تعالى**) ﴿ولا تخرجوهن من بيوتهن (**ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشةٍ مبينة**﴾ **مهما بذت على أهله وآذت زوجها فهي فاحشة**) نقله صاحب القوت، (**وهذا أريد به في العدة**) ولفظ القوت: وهذا يعني به في العدة لأن الله تعالى يقول: ﴿اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم﴾ [الطلاق: ٦] فهو متصل بقوله: ﴿واحصوا العدة﴾ و﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾ أي في العدة زاد المصنف:

(**ولكنه تنبيه على المقصود، وإن كان الأذى من الزوج فلها أن تفتدي**) نفسها منه (**ببذل مال**) إذا خافت أن لا يقيم حدود الله وأن يضيع واجب حقه عليها، (**ويكره للرجل أن يأخذ**) منها في الفدية (**أكثر مما أعطى**) إياها (**فإن ذلك إجحاف بها وتحامل عليها ونوع تجارة على البضع**) وكل ذلك منهي عنه، وقد تقدم في أول هذا الكتاب. وقد (**قال**) الله (**تعالى**) ﴿وإن خفتم ألا يقيما حدود الله (**فلا جناح عليهما فيما افتدت به**﴾ **فرد ما أخذته**) منه (**فما دونه لائق بالفداء**) فهذا هو الخلع الجائز عند أكثر العلماء خلافاً لبكر بن عبد الله المزني التابعي، فإنه قال بعدم حل أخذ شيء من الزوجة عوضاً عن فراقها محتجاً بقوله تعالى: ﴿فلا تأخذوا منه شيئاً﴾ [النساء: ٢٠] فأورد عليه (فلا

فإن سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آثمة، قال ﷺ: «أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة» وفي لفظ آخر: «فالجنة عليها حرام» وفي لفظ آخر إنه عليه السلام قال: «المختلعات هن المنافقات» ثم ليراع الزوج في الطلاق أربعة أمور.

جناح عليهما فيما افتدت به) فأجاب بأنها منسوخة بآية النساء. وأجيب بقوله تعالى في سورة النساء الآية ﴿فإن طبن لكن عن شيء منه نفساً فكلوه﴾ [النساء: ٤] وبقوله تعالى: ﴿فلا جناح عليهما أن يصلحا﴾ الآية. وقد انعقد الإجماع بعده على اعتباره وأن آية النساء مخصوصة بآية البقرة وبآيتي النساء الأخريين، وقد تمسك بالشرط من قوله تعالى: (فإن خفتم) من منع الخلع إلا أن حصل الشقاق من الزوجين معاً، والجمهور على الجواز على الصداق وغيره، ولو كان أكثر منه لكن تكره الزيادة عليه كما ذكره المصنف هنا، وعند الدارقطني عن عطاء، عن النبي ﷺ قال: «لا يأخذ الرجل من المختلعة أكثر مما أعطاها»، ويصح الخلع في حالتي الشقاق والوفاق فذكر الخوف في قوله: إلا أن يخافا جرى على الغالب ولا يكره عند الشقاق أو عند كراهتها لسوء خلقه أو دينه أو عند خوف تقصير منها في حقه أو عند حلفه بالطلاق الثلاث من مدخول بها على فعله ما لا بد له من فعله وإن أكرهها بالضرب، ونحوه على الخلع فاختلعت لم يصح للإكراه، ووقع الطلاق رجعيا إن لم يسم المال فإن سماه، أو قال: طلقتك بكذا وضربها لتقبل فقبلت لم يقع الطلاق لأنها لم تقبل مختارة، والله أعلم.

(**فإن سألت الطلاق بغير ما بأس فهي آثمة**) أي لا يحل لها أن تسأل زوجها طلاقاً ولا أن تختلع منه بغير رضا من مولاها. قال رسول الله ﷺ: «أيما امرأة سألت زوجها طلاقها) ولفظ الجماعة: الطلاق (**من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة**». **وفي لفظ: «فالجنة عليها حرام»**) وهذا وعيد شديد لا يقابل طلب المرأة الخروج من النكاح، وقوله: «من غير ما بأس» ما زائدة للتأكيد، والبأس: الشدة أي في غير حال شدة تدعوها وتلجئها إلى المفارقة. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وابن خزيمة والحاكم وصححاه، وأقره الذهبي ولفظهم جميعاً «فحرام عليها رائحة الجنة». وقال الحافظ ابن حجر: الأخبار الواردة في ترهيب المرأة من طلب طلاق زوجها محمولة على ما إذا لم يكن سبب يقتضي ذلك كحديث ثوبان هذا اهـ.

(**وقال ﷺ: «المختلعات**) أي الطالبات لخلع العصمة من أزواجهن (**هن المنافقات»**) نقله صاحب القوت. قال العراقي: رواه النسائي من حديث أبي هريرة. قال العراقي قلت: رواه الطبراني من حديث أبي عقبة بن عامر بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الترمذي من حديث ثوبان، قال في العلل: سألت محمداً يعني البخاري عن هذا

الأوّل: أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه. فإن الطلاق في الحيض أو الطهُر الذي

الحديث فلم يعرفه. وقال الحافظ في الفتح: أخرجه أحمد والنسائي عن أبي هريرة، وفي صحته نظر لأن الحسن عند الأكثر لم يسمع من أبي هريرة اهـ.

وأخرجه الديلمي في الفردوس وقال: المراد بالمختلعات اللاتي يخالعن أزواجهن من غير مضادة منهم، وفي لفظ لأحمد والنسائي بزيادة: «المنتزعات» والمراد به كما قال الطيبي: اللاتي ينزعن أنفسهن من أزواجهن وينشزن عليهم اهـ.

والمراد بالنفاق هنا النفاق العملي. قال ابن العربي: الغالب من النساء قلة الرضا والصبر فهن ينشزن على الرجال ويكفرن العشير، فلذلك سماهن المنافقات، والنفاق: كفران العشير، وفي الحلية لأبي نعيم من حديث ابن مسعود «والمختلعات والمتبرجات هن المنافقات». ورواه أبو يعلى عن أبي هريرة بهذا اللفظ.

فصل

وتعريف الخلع فراق زوج يصح طلاقه لزوجته بعوض يحصل لجهة الزوج بلفظ: طلاق وخلع. والمراد ما يشملها وغيرهما من ألفاظ الطلاق والخلع صريحاً وكناية كالفراق والابانة والمفاداة، وخرج بجهة الزوج تعليق طلاقها بالبراءة من مالها على غيره فيقع الطلاق في ذلك رجعياً، فإن وقع بلفظ الخلع ولم ينوِ به طلاقاً فالأظهر أنه طلاق ينقص العدد، وكذا إن وقع بلفظ الطلاق مقروناً بالنية، وقد نص في الإملاء أنه من صرائح الطلاق، وفي قول أنه فسخ وليس بطلاق لأنه فراق حصل بمعاوضة، فأشبه ما لو اشترى زوجته. ونص عليه في القديم، وصح عن ابن عباس فيما أخرجه عبد الرزاق وهو مشهور مذهب أحمد لحديث الدارقطني عن طاوس عن ابن عباس «الخلع فرقة وليس بطلاق» أما إذا نوى به الطلاق فهو طلاق قطعاً عملا بنيته، فإن لم ينو طلاقاً لا تقع به فرقة أصلاً كما نص عليه في الأم، وقوّاه السبكي. فإن وقع الخلع بمسمى صحيح لزم أو بمسمى فاسد كخمر وجب مهر المثل، والله أعلم.

تنبيه:

أول خلع وقع في الإسلام امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله لا يجتمع رأسي ورأس ثابت أبداً إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة، فإذا هو أشدهم سواداً وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً. فقال: «أتردين عليه حديقته» قالت: نعم. وإن شاء زدته ففرق بينهما. رواه معمر بن سليمان عن فضيل عن جرير عن عكرمة عن ابن عباس، وقد أورده البخاري نحوه في صحيحه من عدة طرق.

(ثم ليراع الزوج في الطلاق أربعة أمور

الأول: أن يطلقها) بعد الدخول بها حالة كونها **(في طهر لم يجامعها فيه)** أي في ذلك

جامع فيه بدعيّ حرام وإن كان واقعاً ، لما فيه من تطويل العدة عليها ، فإن فعل ذلك فليراجعها . طلق ابن عمر زوجته في الحيض فقال ﷺ لعمر : « مره فليراجعها حتى

الطهر ولا في حيض قبله ، (**فإن الطلاق في الحيض أو الطهر الذي جامع فيه بدعي حرام وإن كان واقعاً**) وتحرم عليه المرأة ولا تحل له إلا بعد زوج ، (**لما فيه من تطويل العدة عليها**) فتتضرر بذلك ، وقد ورد في الخبر « لا ضرر ولا ضرار » . وقال تعالى : ﴿ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن﴾ [الطلاق : ٦] (**فإن فعل ذلك فليراجعها**) ، والدليل على ذلك ما ذكره بقوله : (**طلق ابن عمر**) رضي الله عنهما (**امرأته**) وهي آمنة بنت غفار . وفي مسند أحمد : إن اسمها النوار ، قال الحافظ في الفتح ، ويمكن أن يكون اسمها آمنة ولقبها النوار (**في الحيض**) أي وهي حائض ، فسأل عمر رسول الله ﷺ عن حكم طلاق ابنه على الصفة المذكورة . وفي رواية : أن ابن عمر أخبره فتغيظ فيه رسول الله ﷺ ، (**فقال رسول الله ﷺ لعمر : « مره**) أي مر ولدك عبدالله ، وأصله أأمر بهمزتين الأولى للوصل مضمومة تبعاً للعين ، والثانية فاء الكلمة ساكنة تبدل تخفيفاً من جنس حركة سابقها ، فتقول : أومر فإذا وصل الفعل بما قبله زالت همزة الوصل وسكنت الهمزة الأصلية ، كما في قوله تعالى : ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ [طه : ١٣٢] لكن استعملتها العرب بلا همز فقالوا : « مر » لكثرة الدوران ولأنهم حذفوا أولاً الهمزة الثانية تخفيفاً ، ثم خففوا همزة الوصل استغناء عنها لتحرك ما بعدها (**فليراجعها**) ، والأمر للندب عند الشافعية والحنفية والحنابلة . وقال المالكية وصححه صاحب الهداية من الحنفية للوجوب ويجبر على مراجعتها ما بقي من العدة شيء . قال ابن القاسم ، وأشهب ، وابن الموّاز : يجبر عندنا بالضرب والسجن والتهديد اهـ .

ودليل الجماعة قوله تعالى : ﴿فإمساك بمعروف﴾ [البقرة : ٢٢٩] وغيرها من الآيات المقتضية للتخيير بين الإمساك بالرجعة أو الفراق بتركها ، فجمع بين الآيات والحديث بحمل الأمر على الندب ، ولأن المراجعة لإستدراك النكاح وهو غير واجب في الابتداء . قال إمام الحرمين : ومع استحباب الرجعة لا نقول أن تركها مكروه ، لكن قال في الروضة فيه نظر ، وينبغي كراهته لصحة الخبر فيه ولدفع الايذاء ويسقط الاستحباب بدخول الطهر الثاني . وقال الشيخ تقي الدين في شرح العمدة : ويتعلق بالحديث مسألة أصولية وهي الأمر بالأمر بالشيء هل هو أمر بذلك الشيء أم لا ؟ فإن النبي ﷺ قال لعمر : « مره » بأمر . وأطال الحافظ البحث في هذه المسألة .

والحاصل أن الخطاب إذا توجه لمكلف أن يأمر مكلفاً آخر بفعل شيء كان المكلف الأول مبلغاً محضاً ، والثاني : مأمور من الشارع كما هنا ، وإن توجه من الشارع لمكلف أن يأمر غير مكلف كحديث « مروا أولادكم بالصلاة لسبع » لم يكن الأمر بالأمر بالشيء أمراً بالشيء لأن الأولاد غير مكلفين فلا يتجه عليهم الوجوب ، وإذا توجه الخطاب من غير الشارع بأمر من له عليه الأمر أن يأمر من لا أمر للأوّل عليه لم يكن الأمر بالأمر بالشيء أمراً بالشيء أيضاً ، بل هو متعد بأمره

تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها ، فتلك العدّة التي أمر الله أن يطلق لها النساء » . وإنما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط .

للأوّل أن يأمر الثاني ، والله أعلم .

(**حتى تطهر ثم تحيض**) حيضة أخرى (**ثم تطهر إن شاء طلقها وإن شاء أمسكها**) قبل أن يجامعها (**فتلك العدة**) أي فتلك زمن العدة وهي حالة الطهر (**التي أمر الله**) أي أذن (**أن يطلق لها النساء »**) في قوله تعالى : ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ [الطلاق : ١] وفي قراءة ابن عباس وابن عمر بيان ذلك ﴿فطلقوهن لقبل عدتهن﴾ وفيه دليل على أن الاقراء هي الاطهار كما ذهب إليه مالك والشافعي ، واختاره صاحب القوت حيث قال : وكذلك هو عندي وإن تكافأ ذلك في اللغة وتساوى في المعاني بأن يكون الحيض أيضاً ، (**وإنما أمره بالصبر بعد الرجعة طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط**) أشار بهذه الجملة إلى بيان علية الغاية المذكورة في الحديث ، وقد اختلف العلماء فيه فقيل : لئلا تصير الرجعة لمجرد غرض الطلاق لو طلق في أوّل الطهر بخلاف الطهر الثاني ، وكما ينهى عن النكاح بمجرد الطلاق ينهى عن الرجعة له ، ولا يستحب الوطء في الطهر الأوّل اكتفاء بإمكان التمتع ، وقيل : عقوبة وتغليظ ، وعورض بأن ابن عمر لم يكن يعلم تحريمه ، وأجيب بأن تغيظه ﷺ دون أن يعذره يقتضي أن ذلك في الظهور لا يكاد يخفى على أحد ، واختلف في جواز تطليقها في الطهر الذي يلي الحيضة التي وقع فيها الطلاق والرجعة ، فقطع المتولي بالمنع . وذكر الطحاوي أنه يطلقها في الطهر الذي يلي الحيضة . قال الكرخي : وهو قول أبي حنيفة ، وقال أبو يوسف ومحمد : في طهر ثانٍ أي إذا طهرت من تلك الحيضة التي وقع فيها الطلاق . قال العراقي : الحديث متفق عليه .

قلت : رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي . وهذا لفظ البخاري في كتاب الطلاق : حدثنا إسماعيل بن عبدالله ، حدثني مالك ، عن نافع ، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : « مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم إن شاء أمسكها وإن شاء طلقها قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء » . وفي رواية عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر عند مسلم « ثم ليدعها » بدل قوله : « ليمسكها » . وعند مسلم أيضاً من رواية محمد بن عبد الرحمن عن سالم « مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً » . ورواه جماعة غير نافع بلفظ : « حتى تطهر من الحيضة التي طلقها فيها ثم إن شاء أمسكها » وهي رواية يونس بن جبير ، وأنس بن سيرين ، وسالم فلم يقولوا ثم تحيض ثم تطهر . نعم رواية الزهري عن سالم موافقة لرواية نافع كما نبه عليه أبو داود ، والزيادة من الثقة مقبولة خصوصاً إذا كان حافظاً .

الثاني: أن يقتصر على طلقة واحدة فلا يجمع بين الثلاث، لأن الطلقة الواحدة بعد

فصل

الطلاق يكون بدعياً وسنياً وواجباً ومكروهاً.

فأما السني فما تقدم في حديث ابن عمر. قال البخاري في صحيحه: وطلاق السنّة أن يطلقها طاهراً من غير جماع، ويشهد شاهدين أي لقوله تعالى: ﴿واشهدوا ذوي عدل منكم﴾ [الطلاق: ٢] قال ابن عباس فيما أخرجه ابن مردويه: كان نفر من المهاجرين يطلقون لغير عدة ويراجعون بغير شهود فنزلت، وأما تسميته بالسني فقال الشيخ كمال الدين بن الهمام من أصحابنا في فتح القدير: الطلاق السني المسنون وهو كالمندوب في استعقاب الثواب، والمراد به هنا المباح لأن الطلاق ليس عبادة في نفسه ليثبت له ثواب، فالمسنون منه ما ثبت على وجه لا يستوجب عتاباً. نعم لو وقعت له داعية أن يطلقها عقب جماعه أو حائضاً فمنع نفسه إلى الطهر الآخر، فإنه يثاب، لكن لا على الطلاق في الطهر الخالي عن الحيض، بل على كف نفسه عن ذلك الايقاع على ذلك الوجه امتناعاً عن المعصية.

وأما البدعي، فطلاق مدخول بها بلا عوض منها في حيض أو نفاس أو عدة طلاق رجعي، وهي تعتد بالاقراء وذلك لمخالفته لقوله تعالى: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ وزمن الحيض والنفاس لا يحسب من العدة، والمعنى فيه تضررها بطول مدة التربص أو في طهر جامعها فيه أو استدخل ماءه فيه، ولو كان الجماع أو الاستدخال في حيض قبله أو في الدبر إن لم يتبين حملها وكانت ممن تحبل لأدائه إلى الندم عند ظهور الحمل، لأن الإنسان قد يطلق الحائل دون الحامل، وعند الندم قد لا يمكنه التدارك فيتضرر هو والولد، وألحقوا الجماع في الحيض بالجماع في الطهر لاحتمال العلوق فيه، والجماع في الدبر كالجماع في القبل لثبوت النسب ووجوب العدة به، وهذا الطلاق حرام للنهي عنه. وقال النووي: أجمعت الأمة على تحريمه بغير رضا المرأة، فإن طلقها أثم ووقع طلاقه.

وأما الطلاق الواجب ففي الإيلاء على المولى، لأن المدة إذا انقضت وجب عليه الفيئة أو الطلاق، وفي الشقاق على الحكمين إذا أمرت المظلومة ولا بدعة فيه للحاجة إليه مع طلب الزوجة، وأما المستحب فعند خوف تقصيره في حقها لبغض أو غيره أو سيئة الخلق، أو بأن لا تكون عفيفة، وألحق به ابن الرفعة طلاق الولد إذا أمره به والده وقد تقدم ذلك.

وأما المكروه؛ فعند سلامة الحال لحديث «ليس شيء من الحلال أبغض إلى الله من الطلاق» وقد تقدم أيضاً. وأما المباح فطلاق من ألقي عليه عدم اشتهائها بحيث يعجز أو يتضرر بإكراهه نفسه على جماعها، فهذا إذا وقع فإن كان قادراً على طول غيرها مع استبقائها ورضيت بإقامتها في عصمته بلا وطء أو بلا قسم فيكره طلاقها، كما كان بين رسول الله ﷺ وبين سودة، وإن لم يكن قادراً على طولها أو لم ترض هي بترك حقها فهو مباح، والله أعلم.

(**الثاني**): إذا عزم على الطلاق (**أن يقتصر على طلقة واحدة**) في طهر لا جماع فيه، (فلا

العدّة تفيد المقصود ويستفيد بها الرجعة إن ندم في العدة وتجديد النكاح إن أراد بعد العدة، وإذا طلق ثلاثاً ربما ندم فيحتاج إلى أن يتزوّجها محلل وإلى الصبر مدّة، وعقد المحلل منهي عنه، ويكون هو الساعي فيه ثم يكون قلبه معلقاً بزوجة الغير وتطليقه ـ أعني زوجة المحلل بعد أن زوج منه ـ ثم يورث ذلك تنفيراً من الزوجة، وكل ذلك ثمرة

يجمع بين الثلاث) مرة واحدة لأن الطلقة الواحدة (**بعد العدة**) إلى انقضائها بحيض أو أشهر (**تفيد المقصود**) أي تعمل عمل التحريم بالثلاث سواء، (**ويستفيد بها**) أي بالطلقة أربع خصال. **احداها**: موافقة الكتاب والسنّة من قوله تعالى: ﴿**فطلقوهن لعدتهن**﴾ **والثانية**: تيسير العدة عليها وسرعة خروجها منه ليحتسب بالطهر الذي طلقها فيه من غير جماع قرء، فيستعجل الخروج من العدة لأنها من حدود الله. **والثالثة**: (**الرجعة إن ندم**) على طلاقها (**في العدة**) من غير إحداث عقد ثانٍ ولا مهر آخر، (و) **الرابعة**: (**تجديد النكاح إن أراد**) واحب رجعتها (**بعد**) انقضاء (**العدة**) فإن له ذلك من غير زوج ثان، (**وإذا طلق ثلاثاً**) دفعة واحدة (**ربما ندم**) حيث لا ينفعه الندم حيث لم يجعل الله له مخرجاً لأنها لا تحل له إلا بعد زوج، (**فيحتاج إلى أن يتزوّجها محلل**) وهو الزوج الثاني، (و) يخسر العبد خروج المرأة من يده فإن ابتلي بهواها احتاج (**إلى الصبر مدة**) وينتظر فراغ الزوج الثاني، او التجأ أن يعمل في تزويجها لغيره فيكون محللاً لنفسه، ومفسداً لنكاح الثاني بالتحليل فيقع في ثلاث معان من المعاصي، (**وعقد المحلل منهي عنه**) يشير به إلى حديث « لعن الله المحلل والمحلل له » كذا أورده صاحب القوت وهو صحيح رواه أحمد وأبو داود عن علي، والترمذي عن ابن مسعود، والترمذي أيضاً عن جابر. وجاء في تفسيره الذي يتزوّج المطلقة ثلاثاً بشرط أن يطلقها بعد وطئها لتحل للأوّل ذكره ابن الاثير وغيره، وقد أغفله العراقي. وقال بعض العلماء: إن نكاح الأوّل بعده على التحليل لا يجوز أيضاً، (**ويكون هو الساعي فيه**) والجاني على نفسه، (**ثم يكون قلبه معلقاً بزوجة الغير وتطليقه. أعني زوجة المحلل بعد أن زوّج ثم يؤثر بعد ذلك تغيير أمر الزوجة**) وغير ذلك من المحظورات، (**وكل ذلك ثمرة الجمع**) ومخالفة السنة. قال الله تعالى: ﴿**فطلقوهن لعدتهن**﴾ ثم قال: ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ [الطلاق: ١] يعني ندماً من المطلق أوجب رجعة. (**وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محظور**) فإنه إن طلق واحدة أو اثنتين حلت له في العدة بغير عقد آخر، وحلت له بعد انقضائها أيضاً بنكاح جديد من غير زوج ثان، ثم قال تعالى: ﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً﴾ [الطلاق: ٢] أي يتق الله فيطلق لعدة يجعل له مخرجاً في جواز الرجعة كما ذكرنا.

فصل

إذا طلقت الحائض يعتد بذلك الطلاق أجمع على ذلك أئمة الفتوى، وقد أشار إليه المصنف أوّلاً بقوله: بدعي حرام، وإن كان واقعاً خلافاً للظاهرية والخوارج والرافضة حيث قالوا: لا يقع لأنه

....

منهي عنه، فلا يكون مشروعاً لنا حديث ابن عمر المتقدم، فإنه أمره بالمراجعة والمراجعة بدون الطلاق محال، ولا يقال المراد بالرجعة الرجعة اللغوية وهي الرد إلى حالها الأوّل، لا أنه يجب عليه طلقة لأن هذا أغلظ إذ حمل اللفظ على الحقيقة الشرعية مقدم على حمله على الحقيقة اللغوية كما تقرر في الأصول، وبأن ابن عمر صرح في حديثه بأنه حسبها عليه تطليقة كما رواه البخاري من طريق أنس بن سيرين قال: سمعت ابن عمر قال: طلق ابن عمر امرأته وهي حائض، وفيه قال أنس بن سيرين فقلت لابن عمر أتحتسب؟ قال: فمه أي انزجر عنه فإنه لا شك في وقوع الطلاق، وكونه محسوباً في عدد الطلاق وهذا نص في موضع النزاع يرد على القائل بعدم الوقوع فيجب المصير إليه.

وعند الدارقطني في رواية شعبة عن أنس بن سيرين فقال عمر: يا رسول الله؛ أفتحتسب بتلك الطلقة؟ قال: «نعم» وعنده أيضاً من طريق سعيد بن عبد الرحمن اللخمي، عن عبيدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر أن رجلاً قال: إني طلقت امرأتي البتة وهي حائض فقال: «عصيت ربك وفارقت امرأتك» قال فإن رسول الله ﷺ أمر ابن عمر أن يراجع امرأته بطلاق بقي له وأنت لم تبق لك ما ترتجع به امرأتك».

وقد وافق ابن حزم من المتأخرين الشيخ تقي الدين بن تيمية واحتجوا له بما عند مسلم من حديث أبي الزبير عن ابن عمر فقال رسول الله ﷺ: «ليراجعها» فردها. قال: إذا طهرت فليطلق أو ليمسك، وزاد النسائي وأبو داود فيه «ولم يرَها شيئاً» لكن قال أبو داود: روى هذا الحديث عن ابن عمر جماعة وأحاديثهم كلها على خلاف ما قال أبو الزبير. وقال ابن عبد البر: لم يقلها غير أبي الزبير وليس بحجة فيما خالفه فيه مثله، فكيف بمن هو أثبت منه؟ وقال الخطابي: لم يرو أبو الزبير حديثاً أنكر من هذا. وقال الشافعي فيما نقله البيهقي في المعرفة: نافع أثبت من أبي الزبير والأثبت من الحديثين أولى أن يؤخذ به إذا تخالفا، وقد وافق نافعاً غيره من أهل الثبت وحمل قوله: «لم يرها شيئاً» على أنه لم يعدها شيئاً صواباً. وقال الخطابي: لم يرها شيئاً تحرم معه المراجعة، وقد تابع أبا الزبير غيره، فعند سعيد بن منصور من طريق عبدالله بن مالك عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذلك بشيء» وكل ذلك قابل للتأويل هو أولى من تغليط بعض الثقات.

وقال ابن القيم منتصراً لشيخه ابن تيمية: الطلاق ينقسم إلى حلال وحرام فالقياس أن حرامه باطل كالنكاح وسائر العقود، وأيضاً فكما أن النهي يقتضي التحريم فكذلك يقتضي الفساد، وأيضاً فهو طلاق منع منه الشرع، فأفاد منعه عدم إيقاعه، فكذلك يفيد عدم نفوذه وإلاَّ لم يكن للمنع فائدة لأن الزوج لو وكّل رجلاً أن يطلق امرأته على وجه فطلقها على غير الوجه المأذون فيه لم ينفذ، فلذلك لم يأذن الشارع للمكلف في الطلاق إلا إذا كان مباحاً، فإذا طلق طلاقاً محرماً لم يصح، وأيضاً فكل ما حرمه الله من العقود مطلوب الإعدام، فالحكم ببطلان ما حرمه أقرب إلى

....

تحصيل هذا المطلوب من تصحيحه. ومعلوم أن الحلال المأذون فيه ليس كالحرام الممنوع منه، ثم ذكر معارضات أخرى لا تنهض مع التنصيص على صريح الأمر بالرجعة فإنه فرع وقوع الطلاق، وعلى تصحيح صاحب القصة بأنها حسبت عليه تطليقة والقياس في معارضة النص فاسد الاعتبار اهـ، ملخصاً من الفتح.

وأخرج البخاري من طريق يونس بن جبير عن ابن عمر قال: «مره فليراجعها». قلت: تحتسب قال أرأيت إن عجز واستحمق معناه أرأيت إن عجز الزوج عن السنّة أو جهل السنّة فطلق في الحيض أيعذر لحمقه؟ فلا يلزمه طلاق. استبعاد من ابن عمر أن يعذر أحد بالجهل بالشريعة، وهو القول الأشهر أن الجاهل غير معذور، وروي أيضاً من قول سعيد بن جبير أن ابن عمر قال: حسبت عليَّ تطليقة، وفيه رد على الظاهرية ومن نحا نحوهم في قوله: «إنه لم يعتد بها ولم يرها شيئاً» لأنه وإن لم يصرح برفع ذلك إلى النبي ﷺ فإن فيه تسليم أن ابن عمر قال: إنها حسبت عليه بتطليقة، فكيف يجتمع هذا مع قوله: إنه لم يعتد بها ولم يرها شيئاً على المعنى الذي ذهب إليه المخالف؟ لأنه إن جعل الضمير للنبي ﷺ لزم منه أن ابن عمر خالف ما حكم به النبي ﷺ في هذه القصة بخصوصها لأنه قال: إنها حسبت عليه بتطليقة فيكون من حسبهاعليه خالف كونه لم يرها شيئاً، وكيف يظن به ذلك مع اهتمامه واهتمام أبيه بسؤال النبي ﷺ عن ذلك ليفعل ما يأمره به، وإن جعل الضمير في لم يعتد بها أو لم يرها لابن عمر لزم منه التناقض في القصة الواحدة، فيفتقر إلى الترجيح. ولا شك أن الأخذ بما رواه الأكثر والأحفظ أولى من مقابله عند تعذر الجمع عند الجمهور.

وأما قول ابن القيم في الانتصار لشيخه لم يرد التصريح بأن ابن عمر احتسب بتلك التطليقة إلا في رواية سعيد بن جبير عنه عند البخاري وليس فيه التصريح بالرفع قال: وإقرار سعيد بن جبير بذلك كإقرار أبي الزبير بقوله: لم يرها شيئاً. فإما أن يتساقطا وإما أن ترجح رواية أبي الزبير لتصريحها بالرفع، وتحمل رواية سعيد بن جبير على أن أباه هو الذي حسبها عليه بعد موت النبي ﷺ في الوقت الذي الزم الناس فيه بالطلاق الثلاث بعد أن كانوا في زمن النبي ﷺ لا يحتسب عليهم به ثلاثاً إذا كان بلفظ واحد، فأجيب بأنه قد ثبت في مسلم من رواية أنس بن سيرين سألت ابن عمر عن امرأته التي طلقها وهي حائض، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلقها لطهرها» قال: فراجعتها ثم طلقتها لطهرها. قلت: فاعتددت بتلك التطليقة وهي حائض، فقال: ما لي لا أعتد بها وإن كنت عجزت واستحمقت.

وعند مسلم أيضاً من طريق ابن أخي ابن شهاب عن عمه عن سالم بلفظ: «وكان ابن عمر طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها فراجعها كما أمره رسول الله ﷺ» ففيه موافقة أنس بن سيرين لسعيد بن جبير وأنه راجعها في زمنه ﷺ. قاله الحافظ في الفتح.

الجمع، وفي الواحدة كفاية في المقصود من غير محذور، ولست أقول الجمع حرام، ولكنه مكروه بهذه المعاني، وأعني بالكراهة تركه النظر لنفسه.

ثم قال المصنف: (**ولست أقول الجمع حرام، ولكنه مكروه لهذه المعاني**) المذكورة آنفاً، (**وأعني بالكراهة تركه**) الأولى والأفضل (**النظر لنفسه**) . قد عقد البخاري في الصحيح لهذه المسألة باباً فقال: باب من أجاز طلاق الثلاث أي دفعة واحدة أو مفرقاً لقوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان﴾ [البقرة: ٢٢٩] أي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع ﴿فإمساك بمعروف﴾ أي برجعة ﴿أو تسريح بإحسان﴾ وهذا عام يتناول إيقاع الثلاث دفعة واحدة، وقد دلت الآية على ذلك من غير نكير خلافاً لمن لم يجز ذلك بحديث « أبغض الحلال إلى الله الطلاق ».

وعند سعيد بن منصور بسند صحيح أن عمر كان إذا أتي برجل طلق امرأته ثلاثاً أوجع ظهره، وقبال الشيعة وبعض أهل الظاهر: لا يقع عليه إذا أوقعه دفعة واحدة. قالوا لأنه خالف السنّة فيرد إلى السنّة، وفي الاشراف لابن المنذر عن بعض المبتدعة: أنه إنما يلزم بالثلاث إذا كانت مجموعة واحدة وهو قول محمد بن إسحاق صاحب المغازي، وحجاج بن أرطأة، وتمسكوا في ذلك بحديث ابن إسحاق عن ولود بن الحسين عن عكرمة عن ابن عباس قال: « طلق ركانة بن عبد يزيد امرأته ثلاثاً في مجلس واحد فحزن عليها حزناً شديداً فسأله النبي ﷺ كيف طلقتها؟ قال: ثلاثاً في مجلس واحد. فقال النبي ﷺ: « إنما تلك واحدة فارتجعها » . رواه أحمد وأبو يعلى، وصححه بعضهم.

وأجيب بأن ابن إسحاق وشيخه مختلف فيه مع معارضته بفتوى ابن عباس بوقوع الثلاث كما سيأتي، وبأنه مذهب شاذ فلا يعمل به إذ هو منكر، والأصح ما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه: « إن ركانة طلق زوجته البتة فحلفه رسول الله ﷺ انه ما أراد إلا واحدة فردها إليه، فطلقها الثانية في زمن عمر، والثالثة في زمن عثمان ». قال أبو داود: هذا أصح وعورض بأنه نقل عن علي، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير كما نقله ابن مغيث في كتاب الوثائق له، ونقله ابن المنذر عن أصحاب ابن عباس كعطاء وطاوس وعمرو بن دينار، بل في مسلم من طريق عبد الرزاق، عن معمر بن عبدالله بن طاوس، عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر: إن الناس قد استعجلوا في أمر كان لهم فيه إناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم.

وقال الشيخ خليل من أئمة المالكية في توضيحه: وحكى التلمساني عندنا قولاً بأنه إذا وقع الثلاث في كلمة إنما يلزمه واحدة وذكر أنه في النوادر قال. ولم أره اهـ.

والجمهور على وقوع الثلاث، فعند أبي داود بسند صحيح من طريق ابن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال: إنه طلق إمرأته ثلاثاً فسكت حتى ظننت أنه رادها إليه، ثم قال: ينطلق أحدكم فيركب الأحموقة، ثم يقول: يا ابن عباس يا ابن عباس إن الله تعالى قال: ﴿ومن يتق

الثالث: أن يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف واستخفاف، وتطييب قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر لما فجعها به من أذى الفراق. قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهنّ﴾ [البقرة: ٢٣٦] وذلك واجب مهما لم يسم لها مهر في أصل النكاح. كان الحسن بن علي رضي الله عنهما

الله يجعل له مخرجاً﴾ وأنت لم تتق الله فلم أجد لك مخرجاً عصيت ربك وبانت منك امرأتك. وقد روي عن ابن عباس من غير طريق أنه أفتى بلزوم الثلاث لمن أوقعها مجتمعة، وفي الموطأ بلاغاً قال ابن عباس إني طلقت امرأتي مائة طلقة فماذا ترى؟ فقال ابن عباس: طلقت منك ثلاثاً وسبع وتسعون اتخذت بها آيات الله هزواً، وقد أجيب عن قوله: كان طلاق الثلاث واحدة بأن الناس كانوا في زمنه ﷺ يطلقون واحدة، فلما كانوا في زمان عمر كانوا يطلقون ثلاثاً. ومحصله أن المعنى أن الطلاق الموقع في زمن عمر ثلاثاً كان يوقع قبل ذلك واحدة منهم لأنهم كانوا لا يستعملون الثلاث أصلاً، وكانوا يستعملونها نادراً، وأما في زمن عمر فكثر استعمالهم لها، وأما قوله: فأمضاه عليهم فمعناه أنه صنع فيه من الحكم بإيقاع الطلاق ما كان يصنع قبله اهـ.

وقال الكمال بن الهمام: تأويله أن قول الرجل أنت طالق أنت طالق أنت طالق كان واحدة في الزمن الأوّل لقصدهم التأكيد في ذلك الزمان، ثم صاروا يقصدون التجديد فألزمهم عمر ذلك لعلمه بقصدهم. قال: وما قيل في تأويله أن الثلاث التي يوقعونها الآن إنما كانت في الزمن الأوّل واحدة تنبيه على تغير الزمان ومخالفة السنّة فيشكل إذ لا يتجه حينئذ قوله: فأمضاه عمر، واختلفوا مع الاتفاق على الوقوع ثلاثاً هل يكره أو يحرم أو يباح أو يكون بدعياً أو لا؟ فقال الشافعي: يجوز جمعها ولو دفعة. وقال اللخمي من المالكية: ايقاع الاثنين مكروه والثلاث ممنوع لقوله تعالى: ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ [الطلاق: ١] أي من الرغبة والمراجعة والندم على الفراق، ولنا قوله تعالى: ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء﴾ [البقرة: ٢٣٦] و ﴿إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ [الطلاق: ١] وهذا يقتضي الاباحة، وطلق رسول الله ﷺ حفصة، وكان الصحابة يطلقون من غير نكير، حتى روي أن المغيرة بن شعبة كان له أربع نسوة فأقامهن بين يديه صفاً. فقال: أنتن حسنات الأخلاق ناعمات الأرواق طويلات الأعناق اذهبن فأنتن الطلاق، وكل هذا يدل على الإباحة. نعم الأفضل عند الشافعية أن لا يطلق أكثر من واحدة ليخرج من الخلاف، وقال الحنفية: يكون بدعياً إذا أوقعه بكلمة لحديث ابن عمر عند الدارقطني قلت: يا رسول الله أرأيت لو طلقها ثلاثاً؟ قال: «إذاً قد عصيت ربك وبانت منك امرأتك» ولأن الطلاق إنما جعل متعدداً ليمكنه للتدارك عند الندم فلا يحل له تفويته، وفي حديث محمود بن لبيد عند النسائي بسند رجاله ثقات قال: أخبر النبي ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً فقام مغضباً فقال: «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم». والله أعلم.

(الثالث: أن يتلطف في التعلل بتطليقها من غير تعنيف) أي إظهار عنف **(وإستخفاف)** بشأنها **(وتطييب قلبها بهدية على سبيل الامتاع والجبر)** لما كسر من خاطرها **(في فجعها به من أذى الفراق قال الله تعالى ﴿ومتعوهنّ﴾ وذلك واجب مهما لم يسم لها مهراً في أصل**

مطلاقاً ومنكاحاً ، ووجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امـرأتين من نسائه وقال: قل لهما اعتدا ، وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم ، ففعل ، فلما رجع إليه قال: ماذا فعلتا ؟ قال: أما احداهما فنكست رأسها وتنكست ، وأما الأخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول: متاع قليل من حبيب مفارق فأطرق الحسن وترحم لها وقال: لو كنت مراجعاً امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها ، ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضي الله عنها حيث قالت: لو لم أسر مسيري ذلك لكان أحب إليّ من أن

النكاح) وهو قول أبي حنيفة وأصحابه. وقال مالك والليث وابن أبي ليلي: هي مستحبة. قال الزيلعي في شرح الكنز ولها المتعة إن طلقها قبل الوطء فيما إذا لم يسم لها مهراً أو نفاه ، ويشترط أن يكون قبل الخلوة أيضاً لأنها كالدخول ، وهذه المتعة واجبة لقوله تعالى ﴿ومتعوهن﴾ أمر به وهو للوجوب ثم قال: والمتعة درع وخمار وملحفة وهو مروى عن عائشة وابن عباس ويعتبر فيها حالها لقيامها مقام نصف المهر وهو قول الكرخي وقيل حاله. وقال صاحب الهداية: هو الصحيح عملاً بالنص ، وقيل: يعتبر بحالها حكاه صاحب البدائع وهذا القول أشبه.

(**كان الحسن بن علي**) رضي الله عنه (**مطلاقاً**) أي كثير الطلاق (**منكاحاً**) أي كثير التزوّج. يقال: تزوّج زيادة على مائتي امرأة ، وكان ربما عقد على أربع في عقد واحد ، وربما طلق أربعاً في وقت واحد ، واستبدل بهن كما تقدم ذلك للمصنف يقال: (**وجّه ذات يوم بعض أصحابه بطلاق امرأتين**) له (**وقال: قـل لهما اعتدا**) أي عدة الطلاق ، (**وأمره أن يدفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم**) أي متعة لها ، (**ففعل الرسول ما أمره**) به ، (**فلما رجع إليه قال: ما فعلتا**) ولفظ القوت ماذا قالتا ؟ (**فقال: أما احداهما فسكتت ونكست رأسها**) أي خفضته إلى الأرض ، (**وأمـا الاخـرى: فبكـت وانتحبـت**) أي رفعـت صـوتها بـالبكـاء ، (**وسمعتها تقول: متاع قليل من حبيب مفارق**) قال: (**فأطرق الحسن ورحمها**) ولفظ القوت: ورحم لها ثم رفع رأسه (**وقال: لو كنت مرتجعاً امرأة بعد ما أفارقها لراجعتها**) ولفظ القوت: لكنت أراجعها.

(**ودخل الحسن**) رضي الله عنه (**ذات يوم على**) أبي محمد (**عبد الرحمن بن الحرث بـن هشام**) بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم القرشي المخزومي ، (**فقيه المدينة ورئيسها**) التابعي الثقة وهو أحد الرهط الذين أمرهم عثمان بكتابة المصاحف. قال الدارقطني: مدني جليل محتج به. ولما توفي النبي ﷺ كان ابن عشر سنين قاله الواقدي ، وقال أبو سعد: كان من أشرف قريش والمنظور إليه وله دار بالمدينة ربة أي كثيرة الأهل وقال في موضع: كان رجلاً شريفاً مسخياً سرياً ، (**ولم يكن له بالمدينة نظير**) يماثله ، وكان قد شهد الجمل مع عائشة رضي الله عنها ، (**وبه ضربت المثل عائشة رضي الله عنها**) ولفظ القوت: وهو الذي كانت عائشة تضرب به

يكون لي ستة عشر ذكراً من رسول الله ﷺ مثل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام، فدخل عليه الحسن في بيته، فعظمه عبد الرحمن وأجلسه في مجلسه وقال: ألا أرسلت إليّ فكنت أجيئك؟ فقال: الحاجة لنا. قال: وما هي؟ قال جئتك خاطباً ابنتك، فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال: والله ما على وجه الأرض أحد يمشي عليها أعز عليّ منك، ولكنك تعلم ان ابنتي بضعة مني يسوءني ما ساءها ويسرني ما سرها، وأنت مطلاق، فأخاف أن تطلقها، وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك وأكره أن يتغير قلبي عليك، فأنت بضعة من رسول الله ﷺ، فإن شرطت أن لا تطلقها زوّجتك، فسكت الحسن وقام وخرج وقال بعض أهل بيته: سمعته وهو يمشي ويقول: ما أراد عبد الرحمن إلاَّ أن يجعل ابنته طوقاً في عنقي، وكان عليّ رضي الله عنه يضجر من كثرة

المثل في قولها (حيث قالت: لو لم أسر مسيري ذلك لكان أحب إليَّ من أن يكون لي ستة عشر ذكراً من رسول الله ﷺ مثل عبد الرحمن بن الحرث) هكذا هو في القوت. وذكر ابن سعد في الطبقات ما نصه: وكانت عائشة تقول: لأن أكون قعدت في منزلي عن مسيري إلى البصرة أحب إليَّ من أن يكون لي من رسول الله ﷺ من الولد كلهم مثل عبد الرحمن بن الحرث، فقالت: كان سرياً له من صلبه اثنا عشر رجلاً. وقال الزبير بن بكار: كان عبد الرحمن بن الحرث من أشراف قريش وشهد الدار فارتث جريحاً، وكان قد تزوّج مريم ابنة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فولدت له جارية سماها مريم قال: فكان له خمس عشرة بنتاً فلما أتي به صحن وصاح معهن غيرهن. مات سنة ثلاث وأربعين في خلافة معاوية. روى له الجماعة سوى مسلم وروى عنه بنوه، (فدخل عليه الحسن في بيته فعظمه عبد الرحمن) بأن قام له (وأجلسه في مجلسه، فقال) عبد الرحمن: (ألا أرسلت إليَّ) يا ابن رسول الله (فكنت أجيئك؟ فقال) الحسن: إن (الحاجة لنا. فقال) عبد الرحمن: و (ما هي) أي الحاجة؟ (فقال: جئتك خاطباً ابنتك، فأطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه وقال: والله ما على وجه الأرض أحد يمشي عليها أعز عليّ منك، ولكنك تعلم ان ابنتي بضعة مني يسوءني ما أساءها ويسرني ما أسرها)، وأين هذا من قوله ﷺ «فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها» (وأنت مطلاق) أي كثير الطلاق، (فأخاف أن تطلقها، وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك وأكره أن يتغير قلبي عليك) ولفظ القوت أن يغير شيء قلبي عليك، (لأنك بضعة من رسول الله ﷺ فإن شرطت) ولفظ القوت، فإن ضمنت لي (أن لا تطلقها زوّجتك) ولفظ القوت: فقد أنكحتك، (فسكت الحسن رضي الله عنه وقام) من المجلس (فخرج فقال) ولفظ القوت: قام فانصرف فتوكأ على (بعض أهل بيته) قال: (سمعته يقول وهو مولٍّ) بظهره يمشي (يقول: ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقاً في عنقي) هكذا نقله صاحب القوت بتمامه، وهذا الرجل مع جلالة قدره ونبله لم يوفق إلى أن يغلب حبه الاختياري على حبه

تطليقه، فكان يعتذر منه على المنبر ويقول في خطبته: إن حسناً مطلاقاً فلا تنكحوه، حتى قام رجل من همدان فقال: والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء فإن أحب أمسك وإن شاء ترك، فسرّ ذلك علياً وقال:

لو كنت بوّاباً على باب جنةٍ لقلت لهمدان ادخلي بسلام

وهذا تنبيه على أن من طعن في حبيبه من أهل وولد بنوع حياء فلا ينبغي أن يوافق عليه، فهذه الموافقة قبيحة، بل الأدب المخالفة ما أمكن، فإن ذلك أسر لقلبه وأوفق لباطن دائه، والقصد من هذا بيان أن الطلاق مباح، وقد وعد الله الغنى في الفراق والنكاح جميعاً فقال: ﴿وأنكِحُوا الأيامي مِنْكُم والصَّالِحينَ مِنْ عبادكُم وإمائِكُم إنْ يكونُوا فقراء يُغْنِهمُ اللهِ مِنْ فضله﴾ [النور: ٣٢] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وإن يتفرَّقا يُغْنِ الله كلاً من سعتِهِ﴾ [النساء: ١٣٠].

الاضطراري مع كثرة بناته، فصرف ابن رسول الله ﷺ من غير إجابة، وتعلل بما لا يفيده، هلا فعل مثل بني همدان كما سيذكره المصنف ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ [النور: ٤].

(وكان علي رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه) النساء حياء من أهلهن، (فكان يعتذر منه على المنبر إلى أن قال) يوماً (في خطبته: إن) ابني(حسناً مطلاق فلا تنكحوه) أي لا تزوّجوه، (فقام رجل من) بني (همدان) بفتح فسكون وإهمال الدال قبيلة كبيرة من اليمن (فقال: والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء، فإن أحب أمسك وإن أحب ترك) ولفظ القوت: ومن كره فارق (فسرّ ذلك علياً) رضي الله عنه (فقال) منشداً:

فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

هكذا رواه صاحب القوت بتمامه، وذكر السخاوي في المقاصد ما لفظه: وجاء عن الضحاك عن علي أنه قال: يا أهل الكوفة لا تزوّجوا الحسن يعني ابنه، فإنه رجل مطلاق. فقال له رجل: والله لنزوجنه فما رضي أمسك وما كره طلق: (وهذا تنبيه على ان من طعن في حبيبه من أهل وولد لنوع حياء) أو أمر آخر يريد بذلك تأديبه وتوبيخه، (فلا ينبغي أن يوافق على ذلك) فإنه لا يهون عليه ولو فعل ما فعل، (فهذه الموافقة قبيحة بل الأدب المخالفة مهما أمكن، فإن ذلك أسر لقلبه وأوفق لباطن رأيه) هذا هو الحق وقد غلط فيه كثيرون، (والقصد من هذا) الذي ذكره (بيان أن الطلاق مباح) لا محظور فيه خلافاً لمن تأوّله على غير المعنى، والدليل عليه أن النبي ﷺ طلق حفصة وسودة، والصحابة كانوا يطلقون فلا ينكر عليهم، وكان الحسن كثير الطلاق فلو كان محظوراً ما فعلوا ذلك. (وقد وعد الله تعالى الغنى في النكاح والفراق جميعاً فقال) في الفراق (وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته) وأما في النكاح فقوله

الرابع: أن لا يفشي سرها لا في الطلاق ولا عند النكاح، فقد ورد في إفشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم. ويروى عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة، فقيل له: ما الذي يريبك فيها؟ فقال: العاقل لا يهتك ستر امرأته، فلما طلقها قيل له: لم طلقتها؟ فقال: ما لي ولامرأة غيري، فهذا بيان ما على الزوج.

القسم الثاني من هذا الباب النظر في حقوق الزوج عليها:

والقول الشافي فيه أن النكاح نوع رق، فهي رقيقة له، فعليها طاعة الزوج مطلقاً في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه، وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة. قال ﷺ: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة». وكان رجل قد

تعالى ﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ فقد يكون الغنى بالمال، ويكون الغنى في القلب، ويكون الغنى بالدين، ويكون أن يستغني كل واحد منهما عن صاحبه بما يخصه به الله من خفي لطفه.

(**الرابع: أن لا يفشى سرها عند النكاح ولا في الطلاق، فقد ورد في إفشاء سر النكاح في الخبر الصحيح وعيد عظيم**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «إن أعظم[1] الامانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم يفشي سرها» اهـ.

(**وروي عن بعض الصالحين أنه أراد الطلاق فقيل له: ما الذي يريبك**) أي يوقعك في الريبة (**منها فقال: العاقل لا يهتك سر امرأته**) أي لا يفشي سرها للأجانب، (**ولما طلقها قيل له: لم طلقتها؟ فقال: ما لي ولامرأة غيري**) أي لما بانت منه لم يبق له تعلق بها فما له ولها حتى يذكرها. (**فهذا بيان ما على الزوج**) من الحقوق للزوجة.

(**القسم الثاني من هذا الباب في**) ذكر (**حقوق الزوج على الزوجة:**)

فقد قال تعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ [البقرة: ٢٢٨] أي من الحقوق، (**والقول الشافي فيه أن النكاح نوع رق، وهي رقيقة له**). وقد جاء في الخبر: «بأنهن عوان في أيديكم» أي أسراء، وتقدم ذلك وهو على التشبيه، (**فعليها طاعة الزوج مطلقاً في كل حال**) وفي كل وقت وفي كل مكان (**ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه**) ومما تستطيعه. (**وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة**) وآثار شهيرة منها: (**قال ﷺ «ايما امرأة**) ذات زوج (**ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»**) أي مع الفائزين السابقين، وإلاّ فكل من مات على الاسلام لا بدّ من دخوله الجنة ولو بعد دخوله النار. قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن غريب وابن حبان من حديث أم سلمة اهـ.

---

(١) هكذا في الأصل.

خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفل وكان أبوها في الأسفل، فمرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله ﷺ تستأذن في النزول إلى أبيها، فقال ﷺ: «أطيعي زوجك» فمات فاستأمرته فقال: «أطيعي زوجك» فدفن أبوها فأرسل رسول الله ﷺ إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها. وقال ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها». فأضاف طاعة الزوج إلى مباني الإسلام. وذكر رسول الله ﷺ النساء فقال: «حاملات

قلت: روياه في النكاح، ورواه الحاكم كذلك في البر والصلة، وقال: صحيح. واقره الذهبي وابن الجوزي هو من رواية مساور الحميري عن أمه عن أم سلمة وهما مجهولان.

(وكان رجل خرج في سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفل) أي سفل الدار، (وكان أبوها في السفل فمرض فأرسلت المرأة تستأذن في النزول إلى أبيها) أي لتمرضه وتخدمه (فقال لها رسول الله ﷺ «أطيعي زوجك») أي لا تنزلي له (فمات) أبوها (فاستأمرته) في أن تحضر تجهيزه ودفنه (فقال «أطيعي زوجك» فدفن أبوها) ولم تحضره، (فأرسل رسول الله ﷺ يخبرها أن الله تعالى قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها) هكذا ساقه صاحب القوت.

قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف إلا أنه قال «غفر لأبيها».

(وقال ﷺ «إذا صلت المرأة خمسها) أي الفروض الخمس، (وصامت شهرها) رمضان غير أيام الحيض أو النفاس ان كان، (وحفظت) وفي رواية أحصنت (فرجها) من الجماع والسحاق المحرمين، (وأطاعت زوجها) في غير معصية (دخلت جنة ربها») ان تجنبت مع ذلك بقية الكبائر أو تابت توبة صحيحة أو عفي عنها، والمراد مع السابقين الأولين. قال العراقي: رواه ابن حبان من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه البزار عن أنس إلا أنه قال: «دخلت الجنة» قال البيهقي فيه راود بن الجراح وثقه أحمد وجمع وضعفه آخرون. وقال ابن معين: وهم في هذا الحديث وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني في الكبير عن عبد الرحمن ابن حسنة وهو ابن شرحبيل وحسنة أمه، لكنه قال «وأطاعت بعلها» وفيه «فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت» قال الهيتمي: وفي سنده ابن لهيعة وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه أحمد عن عبد الرحمن بن عون لكنه قال «قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» قال الهيتمي: فيه ابن لهيعة وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال المنذري: رواته أحد رواة الصحيح خلاف ابن لهيعة، وحديث حسن في المتابعات.

وقد أورد الحديث باللفظ المذكور صاحب القوت وزاد: (فأضاف طاعة الزوج إلى مباني

والدات مرضعات رحيات بأولادهن لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة » . وقال ﷺ : « اطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء ، فقلن : لم يا رسول الله ؟ قال : يكثرن اللعن ويكفرن العشير » يعني الزوج المعاشر . وفي خبر آخر : « اطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء ، فقلت : أين النساء ؟ قال : شغلهن الأحمران الذهب والزعفران » يعني الحلى ومصبغات الثياب .

الإسلام) التي لا يدخل أحد الجنة إلا بها واشترط طاعته لدخولها ، ثم قال : **(وذكر ﷺ النساء فقال)** : أي في حقهن لما ذكرن عنده : **(« حاملات والدات مرضعات رحيات بأولادهن)** أي فيهن خيرات مباركات **(لولا ما يأتين بأزواجهن)** أي من كفران العشيرة ونحوه **(دخل مصلياتهن الجنة »)** يفهم منه أن غير مصلياتهن لا يدخلها وهو وارد على نهج الزجر والتهويل ، والاّ فكل من مات على الاسلام يدخل الجنة ولا بد .

قال العراقي : رواه ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي إمامة دون قوله « مرضعات » وهي عند الطبراني في الصغير اهـ .

قلت : ورواه بتمامه الطيالسي ، وأحمد ، وابن منيع ، والطبراني في الكبير ، والضياء في المختارة .

(وقال ﷺ « اطلعت) بهمزة وصل وتشديد الطاء أي : تأملت ليلة الاسراء أو في النوم أو بالوحي أو بالكشف بعين الرأس أو بعين القلب لا في صلاة الكسوف كما قيل **(في النار)** أي عليها والمراد نار جهنم **(فرأيت)** كذا في النسخ وفي بعضها : فإذا **(أكثر أهلها النساء ، فقلت : لم يا رسول الله ؟ فقال : يكثرن اللعن ويكفرن العشير »)** أورده صاحب القوت ، وقال : **(يعني الزوج المعاشر)** لهن يكفرن نعمته عليهن .

قال العراقي : متفق عليه من حديث ابن عباس اهـ .

قلت : ورواه أنس بلفظ « أطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء » رواه أحمد ومسلم في الدعوات ، والترمذي في صفة جهنم عنه ، ورواه البخاري في صفة الجنة ، والترمذي والنسائي في عشرة النساء والرقائق عن عمران بن حصين ، ورواه أحمد أيضاً عن ابن عمر ولكنه قال « الاغنياء » بدل « النساء » قال المنذري : وسنده جيد .

(وفي خبر آخر) قال ﷺ **(« أطلعت في الجنة)** أي عليها **(فإذا أقل أهلها النساء ، فقلت)** أي لمن معه من الملائكة جبريل عليه السلام أو غيره : **(أين النساء ؟ فقيل)** وفي نسخة : قال **(شغلهن الأحمران الذهب والزعفران »)** أورده صاحب القوت ، وقال : **(يعنى الحلى)** جمع حلية بالكسر والضم وهي ما تتحلى به المرأة أي تتزين **(ومصبغات الثياب)** أي لبس الثياب المصبوغة بالزعفران أي : كثرة ميلهن إلى التزينات في ملابسهن اشتغلن عن أعمال الآخرة ، والاحمرار فيه التغليب .

وقالت عائشة رضي الله عنها: أتت فتاة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني فتاة أخطب فأكره التزويج، فما حق الزوج على المرأة؟ قال: « لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره » قالت: أفلا أتزوّج؟ قال: « بلى تزوّجي فإنه خير » قال ابن عباس: « أتت امرأة من خثعم إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني امرأة أيم وأريد أن

قال العراقي: رواه أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف، وقال: الحرير بدل الزعفران، ولمسلم من حديث عمران بن حصين « أقل ساكني الجنة النساء » ولأبي نعيم في الصحابة من حديث عزة الأشجعية « ويل للنساء من الأحمرين الذهب والزعفران » وسنده ضعيف اهـ.

قلت: ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة « ويل للنساء من الأحمرين الذهب والمعصفر » وفيه عباد بن عباد متروك قاله الذهبي.

(**وقالت عائشة رضي الله عنها: أتت فتاة**) أي أمرأة شابة (**إلى النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله إني فتاة أخطب**) أي يرغبون إليَّ بالتزويج (**وإني أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة؟ فقال « لو كان من قرنه إلى قدمه صديد فلحسته**) أي بلسانها غير متقذرة لذلك (**ما أدّت شكره »**) أي ما وفت بالشكر في مقابلة نعمه. (**قالت: فلا أتزوج إذاً. قال « بلى تزوّجي فإنه خير »**) نقله صاحب القوت، فقال: رويناه عن أم عبد المغنية عن عائشة قالت: الخ.

وقال العراقي: رواه الحاكم وصحح اسناده من حديث أبي هريرة دون قوله « بل فتزوّجي فانه خير » ولم أره من حديث عائشة اهـ.

قلت: وروى الحاكم في النكاح من حديث ربيعة بن عثمان عن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ بابنته فقال: هذه ابنتي أبت أن تزوّج فقال « أطيعي أباك » فقالت: والذي بعثك بالحق لا أتزوّج حتى تخبرني ما حق الزوج على زوجته. فقال« أن لو كانت به قرحة فلحستها ما أدّت حقه ». قال الحاكم: رواه الذهبي فقال: بل منكر. قال أبو حاتم: ربيعة منكر الحديث فالصحة من أين اهـ.

وقد رواه البزار بأتم من هذا وفيه « لو كانت به قرحة فلحستها أو انتثر منخراه صديداً أو دماً ثم ابتلعته ما أدّت حقه ». قالت: والذي بعثك بالحق لا أتزوّج أبداً. فقال النبي ﷺ « لا تنكحوهن إلا باذنهن » قال المنذري: رواته ثقات، وقد رواه أيضاً ابن حبان في صحيحه.

وحديث أبي هريرة الذي أشار إليه العراقي، فقد رواه الحاكم والبيهقي بلفظ « من حق الزوج على الزوجة لوسال منخراه دماً وقيحاً وصديداً فلحسته بلسانها ما أدّت حقه » الحديث. وروى نحوه أبو داود والحاكم من حديث قيس بن سعد، وأحمد من حديث أنس كما سيأتي ذكره قريباً.

ثم قال صاحب القوت بعد قوله « فإنه خير » فهذا محمل خبر الخثعمية الذي فسر فيما رويناه عن عكرمة قال: (**قال ابن عباس**) رضي الله عنهما: (**أتت إمرأة من خثعم**) وهي قبيلة مشهورة

أتزوّج، فما حق الزوج؟ قال: إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها على نفسها وهي على ظهر بعير لا تمنعه، ومن حقه أن لا تعطي شيئاً من بيته إلا بإذنه، فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها والأجر له، ومن حقه أن لا تصوم تطوّعاً إلا بإذنه، فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها، وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب». وقال ﷺ: «لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت

وهو خثعم بن أنمار (**إلى النبي ﷺ فقالت: إني امرأة أيم**) وهي التي لا زوج لها (**و**) إني (**أريد أن أتزوج، فما حق الرجل على المرأة، فقال «من حق الزوج على الزوجة إذا راودها على نفسها**) أي أراد جماعها (**وهي على ظهر بعير**) ذكره تتميماً ومبالغة (**أن لا تمنعه**) من نفسها لما أراد منها، فإنها إن منعته حاجته فقد عرضته للهلاك الأخروي، فربما صرفها في محرم فعليها حيث لا عذر أن تمكنه (**وفي حقه**) عليها (**أن لا تعطي**) فقيراً ولا غيره (**شيئاً من بيته**) من طعام ولا غيره (**إلا باذنه**) الصريح أي علم رضاه بذلك وبمقدار المعطي (**فإن فعلت ذلك**) بأن أعطته منه تعدياً (**كان الوزر عليها**) أي العقاب لما افتاتت عليه من حقه، (**والأجر له**) أي الثواب عند الله على ما أعطته من ماله، (**ومن حقه**) عليها (**أن لا تصوم**) يوماً واحداً (**تطوّعاً**) أي نافلة (**إلا بإذنه إن كان حاضراً وأمكن**) استئذانه، وخرج بقوله تطوّعاً صوم الفريضة، فإنها لا تحتاج فيه إلى إذنه، وكذا إذا كانت بحال لا يمكنه الاستمتاع بها، فإن لها الصوم بغير إذنه ولو تطوعاً إذ لا يفوت حقه، (**فإن فعلت ذلك**) بان صامت بغير إذنه وهو شاهد (**جاعت وعطشت ولم يقبل منها**) أي أثمت في صومها ولم يتقبل منها فلا تثاب عليه، وهل يقع صومها صحيحاً أم لا؟ والظاهر الأول لاختلاف الجهة، (**ومن حقه**) عليها (**أن لا تخرج من بيتها**) أي المحل الذي أسكنها فيه وأضافه إليها لأدنى ملابسة (**إلا بإذنه**) الصريح، وإن مات أبوها أو أمها (**فإن فعلت**) أي خرجت بغير إذنه بغير ضرورة كانهدام الدار (**لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب»**) والظاهر أن «أو» بمعنى «الواو» والمراد: الرجوع والتوبة، فلو ظلمها حقاً من حقوقها ولم يمكن التوصل إليه إلا بالحاكم فلها الخروج بغير إذنه لها أو كان بجوار البيت نحو سراق أو فساق يريدون الفجور بها فمنعها الخروج منه فلها الخروج، وافهم باقتصاره على ما ذكر في الحقوق أنه لا يجب عليها ما اعتيد من نحو طبخ واصلاح بيت وغسل ثوب ونحوها وهو مذهب الشافعي، وعليه فينزل ما يقتضي وجوب ذلك على الندب.

قال العراقي: رواه البيهقي مقتصراً على شطر الحديث، ورواه بتمامه من حديث ابن عمر وفيه ضعف اهـ.

قلت: لفظ البيهقي من حديث ابن عباس «حق الزوج على الزوجة أن لا تمنع نفسها ولو على قتب فإذا فعلت كان عليها إثم وأن لا تعطي شيئاً من بيته إلا بإذنه» ولفظ حديث ابن عمر «أن لا تمنعه نفسها وإن كانت على ظهر قتب، وأن لا تصوم يوماً واحداً إلا بإذنه فإن فعلت أثمت ولم

المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » . وقال ﷺ : « أقرب ما تكون المرأة من

يتقبل منها وأن لا تعطي شيئاً من بيته إلا باذنه فإن فعلت أثمت ولم يتقبل منها ، وأن لا تخرج من بيته إلا باذنه فإن فعلت لعنها الله وملائكة الغضب حتى تتوب أو ترجع » قيل : « وإن كان ظالماً ؟ قال : وإن كان ظالماً » هكذا رواه أبو داود والطيالسي ، وابن عساكر .

وفي الباب عن تميم الداري رضي الله عنه رفعه قال « حق الزوج على المرأة أن لا تهجر فراشه وأن تبر قسمه وأن تطيع أمره وأن لا تخرج إلا بإذنه وأن لا تدخل إليه من يكره » رواه الطبراني في الكبير ، وأبو الشيخ ، والديلمي ، وابن النجار .

(وقال ﷺ « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ») .

قال ابن العربي : فيه تعليق الشرط بالمحال لأن السجود قسمان : سجود عبادة وليس إلا له وحده ولا يجوز لغيره أبداً ، وسجود تعظيم وذلك جائز ، وأخبر ﷺ أن ذلك لا يكون ، ولو كان لجعل للمرأة في اداء حق الزوج اهـ .

(**« من عظم حقه عليها »**) هكذا هو في القوت من بقية الحديث ، ووجد في نسخة العراقي زيادة « والولد لأبيه من عظم حقهما عليهما » .

قلت : لم أر هذه الزيادة في نسخ الإحياء الموجودة عندي ، ولا في القوت . قال العراقي : رواه الترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة دون قوله « الولد لأبيه » فلم أرها ، وكذلك رواه أبو داود من حديث قيس بن سعد وابن ماجه من حديث عائشة وابن حبان من حديث ابن أبي أوفى اهـ .

قلت : لفظ الترمذي في النكاح « لو كنت آمر أحداً » وفي رواية « آمر أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ولو أمرها أن تنقل من جبل أبيض إلى جبل أسود ومن جبل أسود إلى جبل أبيض لكان ينبغي لها أن تفعله » وقال : غريب ، وفيه محمد بن عمر ضعفه أبو داود وقواه غيره ، وكذلك رواه ابن أبي شيبة وابن ماجه من حديث عائشة . ورواه أحمد عن معاذ والحاكم عن بريدة ، ولفظ الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة في أثناء حديث « لو كان ينبغي لبشر أن يسجد لبشر لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها إذا دخل عليها لما فضله الله عليها » .

وأما حديث قيس بن سعد قال : أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبانهم ، فأتيت فقلت : أنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك . فقال : « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق » رواه أبو داود والحاكم والطبراني والبيهقي . وفي رواية « لو كنت آمراً أن يسجد أحد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » قال الحاكم : صحيح ، وأقره الذهبي .

ورواه أحمد من حديث أنس باسناد جيد ، وفيه قصة الجمل الذي كان لأهل بيت من الانصار

وجه ربها إذا كانت في قعر بيتها، وإن صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في المسجد، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في صحن دارها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها». والمخدع: بيت في بيت، وذلك للتستر، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان» وقال أيضاً: «للمرأة

يسقون عليه، فلما رأى النبي ﷺ سجد له فقالوا: نحن أحق أن نسجد لك. فقال: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها» الحديث. ولفظ حديث ابن أبي أوفى «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها كله حتى لو سألها نفسها وهي علي قتب لم تمنعه». وكذلك رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي.

(وقال ﷺ «**أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها**) هكذا في القوت وفي نسخة العراقي: من ربها (**إذا كانت في قعر بيتها**) أي وسطه (**وإن صلاتها في صحن دارها**) وهو ما برز منها (**أفضل من صلاتها في المسجد، وصلاتها في بيتها**) داخل الصحن (**أفضل من صلاتها في صحن دارها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها**») هكذا ساقه صاحب القوت.

قال العراقي: رواه ابن حبان من حديث ابن مسعود بأوّل الحديث دون آخره، وآخره رواه أبو داود مختصراً من حديثه دون ذكر صحن الدار، ورواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ «ولأن تصلي في الدار خير لها من أن تصلي في المسجد» واسناده حسن ولابن حبان من حديث أم حميد نحوه اهـ.

قلت: ورواه الطبراني من حديث ابن مسعود في حديث لفظه «فإنها أقرب ما تكون من الله وهي في قعر بيتها».

(**والمخدع**) بضم الميم والدال: (**بيت**) صغير (**في بيت**) يخزن فيه الشيء وتثليث الميم لغة مأخوذ من أخدعت الشيء إذا أخفيته (**ذلك للستر**) ولفظ القوت ذلك بأنها عورة، فما كان أستر لها فهو أسلم والأسلم هو الأفضل، (**ولذلك قال ﷺ «المرأة عورة**) والعورة في الأصل سوأة الانسان وكل ما يستحيا من إظهاره من العار وهو المذمة كنى بها عن وجوب الاستتار في حقها، (**فإذا خرجت**) من خدرها (**استشرفها الشيطان**») ليغويها أو يغوي بها فيوقع أحدهما أو كليهما في الفتنة، أو المراد شيطان الانس سماه به على التشبيه بمعنى أن الفسق إذا رأوها بارزة طمعوا بأبصارهم نحوها. والاستشراف فعلهم لكنه أسند إلى الشيطان لما أشرب في قلوبهم من الفجور ففعلوا ما فعلوا باغوائه وتسويله وكونه الباعث عليه ذكره القاضي.

وقال الطيبي: هذا كله خارج عن المقصود، والمعنى المتبادر انها ما دامت في خدرها لم يطمع

عشر عورات، فإذا تزوّجت ستر الزوج عورة واحدة، فإذا ماتت ستر القبر العشر عورات ». فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة، وأهمها أمران، أحدهما: الصيانة والستر. والآخر: ترك المطالبة مما وراء الحاجة، والتعفف عن كسبه إذا كان حراماً، وهكذا كانت عادة النساء في السلف: كان الرجل إذا خرج من منزله تقول له امرأته أو ابنته:

الشيطان فيها وفي اغواء الناس بها، فإذا خرجت طمع وأطمع لأنها حبائله وأعظم فخوخه، وأصل الاستشراف وضع الكف فوق الحاجب ورفع الرأس للنظر.

قال العراقي: رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح وابن حبان من حديث ابن مسعود اهـ.

قلت: رواه في كتاب النكاح وقال: حسن غريب، ورواه كذلك الطبراني بزيادة « وإنها أقرب ما تكون من الله وإنها في قعر بيتها » قال الهيتمي: رجاله موثقون.

(وقال أيضاً « للمرأة عشر عورات فإذا تزوّجت ستر الزوج عورة واحدة فإذا ماتت ستر القبر العشرة ») كذا في القوت بلفظ « المرأة عشر عورات » وفيه « ستر القبر عشر عورات ». قال العراقي: رواه الحافظ أبو بكر محمد بن عمر الجعابي في تاريخ الطائيين من حديث علي بسند ضعيف، وللطبراني في الصغير من حديث ابن عباس بسند ضعيف « للمرأة ستران قيل وما هما؟ قال: الزوج والقبر » اهـ.

قلت: حديث ابن عباس هذا عند الطبراني بلفظ: قيل فأيها أستر؟ وفي رواية: أفضل؟ قال: « القبر ». قد رواه في معاجيمه الثلاثة بهذا اللفظ، وفيه خالد بن يزيد القسري وهو غير قوي، فهذا معنى قول العراقي بسند ضعيف.

وقد رواه ابن عدي في الكامل بلفظ « للمرأة ستران القبر والزوج » رواه من طريق هشام بن عمار بن خالد بن يزيد عن أبي ردف الهمداني عن الضحاك عن ابن عباس، ثم قال: خالد بن يزيد أحاديثه كلها لا يتابع عليها لا متناً ولا إسناداً. وقال ابن الجوزي: هو موضوع، المتهم به خالد بن يزيد هذا وقد تعقب، وقد رواه ابن عساكر كذلك، وفي الطيوريات عن علي بن عبد الله « نعم الأختان القبور ».

(فحقوق الزوج على الزوجة كثيرة) منها ما تقدمت الاشارة إليه، **(وأهمها أمران: أحدهما الصيانة والستر)** أي تصون نفسها مهما أمكن عن نظر الغير إليها وتستتر عن الأجانب وهذا يقتضي أن الغيرة الإنسانية أهم ما يطالب به النساء، **(والآخر: ترك المطالبة لما وراء الحاجة)** بأن لا تكلفه ما لا يطيقه ولا تطالبه بالزائد من حاجة نفسها، **(و)** يندرج في ذلك **(التعفف عن كسبه إذا كان حراماً)** فلا تصرف منه على نفسها بل تحتال على البعد من ذلك في مطعمها ومشربها، فإن في ذلك الهلاك الأبدي، فالجسم الذي نبت به النار أولى به، **(وقد كانت عادة النساء في السلف)** أي قديماً على غير وصفهن اليوم. **(كان الرجل إذا خرج من**

إياك وكسب الحرام فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار. وهمَّ رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره، فقالوا لزوجته: لم ترضين بسفره ولم يدع لك نفقة؟ فقالت: زوجي منذ عرفته عرفته أكَّالاً وما عرفته رزاقاً، ولي رب رزاق يذهب الأكال ويبقى الرزاق.

وخطبت رابعة بنت إسماعيل أحمد بن أبي الحواري، فكره ذلك لما كان فيه من العبادة وقال لها: والله ما لي همة في النساء لشغلي بحالي، فقالت: إني لأشغل بحالي منك ومالي شهوة، ولكن ورثت مالاً جزيلاً من زوجي فأردت أن تنفقه على اخوانك، وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقاً إلى الله عز وجل فقال: حتى أستأذن أستاذي، فرجع إلى أبي سليمان الداراني، قال: وكان ينهاني عن التزويج ويقول: ما تزوّج أحد من أصحابنا إلا تغير، فلما سمع كلامها قال: تزوّج بها فإنها ولية لله، هذا كلام الصديقين،

منزله تقول له امرأته:) يا هذا، (و) تقول له (ابنته): يا أبانا (إياك وكسب الحرام) أي لا تكتسب اليوم شيئاً من غير حله، فيدخلك النار ونكون نحن سببه، (فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار)، ولا نحب أن نكون عقوبة عليك أورده صاحب القوت.

(وهمَّ رجل من السلف) أي أراد (بالسفر) أي يغيب عن أهله في سفره (فكره جيرانه سفره) لانسهم به فجاؤا إلى أهله (فقالوا لزوجته: لم تدعينه) أي لا تتركينه (يسافر ولم يدع لك نفقة) وقصدهم بذلك إذا قالت له هذا الكلام ربما يتأخر عن السفر لعدم وجدان ما يتركه عندها من النفقة (فقالت) لهم: (زوجي منذ عرفته) أي مدة معرفتي إياه (عرفته أكالاً وما عرفته رزاقاً ولي رزاق يذهب الاكال ويبقى الرزاق) كذا نقله صاحب القوت، ففيه دلالة على أن نساء السلف كن في المعرفة واليقين والتوكل على خلاف وصفهن اليوم. وقال أحمد بن عيسى الخراز رحمه الله تعالى لما تزوّج بامرأته: على أي شيء تزوجت بي ورغبت فيَّ؟ قالت: على أن أقوم بحقك وأسقط عنك حقي.

(وخطبت رابعة بنت إسماعيل) من أهل الشام (أحمد بن أبي الحواري) وكلاهما من رجال الحلية (فكره ذلك لما كان فيه من العبادة) والتخلي في الطاعة (فقال لها: والله مالي همة في النساء لشغلي بحالى، فقالت) يا هذا (إني لأشغل بحالي منك) أي من شغلك بحالك (ومالي شهوة) في الرجال، (ولكن ورثت مالاً جزيلاً) أي كثيراً (من زوجي) من حلال (أردت تنفقه) عليك و(على إخوانك) الصوفية، (وأعرف بك الصالحين فيكون لي طريقاً إلى الله) أي يصل بك الأخوان إلى الله تعالى (فقال: حتى استأذن أستاذي فرجع إلى أبي سليمان) الداراني رحمه الله تعالى فذكر له قولها (قال: وكان الاستاذ ينهاني عن التزويج ويقول: ما تزوّج أحد من أصحابنا إلا تغير) من مرتبته التي هو فيها (فلما سمع كلامها

قال: فتزوّجتها فكان في منزلنا كن من جص ففني مـن غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الأكل فضلاً عمن غسل بالأشنان. قال: وتزوّجـت عليهـا ثلاث نسـوة فكـانـت تطعمني الطيبات وتطيبني وتقول: اذهب بنشاطك وقوّتك إلى أزواجك، وكانت رابعة هذه تشبه في أهل الشام برابعة العدوية بالبصرة.

ومن الواجبات عليها: ان لا تفرط في ماله بل تحفظه عليه. قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بإذنه إلا الرطب من الطعام الذي يخاف فساده، فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره، وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها

قال: يا أحمد تزوّج بها فإنها ولية لله تعالى. هذا كلام الصديقين. قال: فتزوّجتها وكان في منزلها) وفي نسخة في منزلنا (**كن من جص**) أي حل منه (**ففني من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد**) الفراغ من (**الأكل فضلاً عمن**) قعد بعد، و(**غسل بالاشنان**) في البيت (**قال: وتزوّجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الأطعمة الطيبة وتطيبني**) بأحسن ما عندها من الطيب (**وتقول: إذهب بنشاطك وقوّتك إلى أهلك**) أي أزواجك، (**وكانت**) رابعة (**هذه**) من أرباب القلوب، وكان الصوفية يسألونها عن الأحوال، وكان أحمد يرجع إليها في بعض المسائل وتـأدبـت أيضاً بأبي سليمان الداراني، وببعض أشياخ ابن أبي الحواري في وقتها معه، و(**تشبه في أهل الشام برابعة العدوية في البصرة**) رحمها الله تعالى هكذا نقله بتمامه صاحب القوت.

ومما يحكى عن رابعة البصرية أنها لما تأيمت من زوجها واعتدت خطبها الحسن البصري، فجاء مع أصحابه على بابها ودقوا الباب عليها فقالت: من بالباب؟ فقالوا لها: افتحي الباب هذا الحسن البصري سيد التابعين جاء خاطباً لك، فقالت لهم من وراء الباب: قولوا له ينظر شهوانية مثله فيتزوّجها فأنا اليوم مشغولة بحالي فانصرف الحسن خجلاً.

(**ومن الواجبات عليها أن لا تفرط في ماله**) أي الزوج مدخراً كان أو مأكولاً أو ملبوساً، (**بل تحفظه عليه**)، فهذه أحسن صفات المرأة. (**قال رسول الله ﷺ «لا يحل لها أن تطعم**) فقيراً أو غيره (**من بيته إلاّ باذنه**) الصريح أو ماله حكم الصريح (**إلا الرطب**) الطري من الأطعمة (**الذي يخاف فساده**) وتغير رائحته خصوصاً في أيام الصيف ببلاد الحجاز (**فإن أطعمته عن رضاه**) صريحاً أو كناية (**كان لها مثل أجره**) أي الثواب من الله تعالى، (**وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوزر»**). أي العقاب ورواه أبو داود والطيالسي، والبيهقي من حديث ابن عمر في حديث فيه «ولا تعطي من بيته شيئاً إلا باذنه فإن فعلت ذلك كان له الأجر وعليها الوزر» وقد تقدم قريباً.

قال العراقي: ولأبي داود من حديث سعد قالت امرأة: يا رسول الله إنا كل على آبائنا وأبنائنا

الوزر ». ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة، وآداب العشرة مع الزوج كما روي أن أسماء بن خارجة الفزاري قال لابنته عند التزوج انك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت إلى فراش لم تعرفيه، وقرين لا تألفيه، فكوني له أرضاً يكن لك سماء وكوني له مهاداً يكن لك عماداً وكوني له أمةً يكن لك عبداً، لا تلحفي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك إن دنا منك فاقربي منه، وإن نأى فابعدي عنه، واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشمن منك إلا طيباً، ولا يسمع إلا حسناً، ولا ينظر إلا جميلاً.

وأزواجنا فما يحل لنا من أموالهم؟ قال « الرطب تأكلينه وتهدينه » وصحح الدارقطني في العلل أن سعداً هذا رجل من الأنصار ليس ابن أبي وقاص، وذكره البزار في مسند ابن أبي وقاص، واختاره ابن القطان، ولمسلم من حديث عائشة « إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب » اهـ.

(**ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعيشة**) في بيت زوجها بالتدبير والتلطف، (**وآداب العشرة مع الزوج كما روي عن أسماء بن خارجة الفزاري**) وكان من حكماء العرب (**قال لابنته عند زفافها إلى**) بيت (**زوجها**) يا بنية: قد كانت والدتك أحق بتأديبك مني إن لو كانت باقية، فأما الآن فأنا أحق بتأديبك من غيري افهمي عني ما أقول: (**إنك خرجت من العش الذي فيه درجت**) يشير إلى منزل والديها الذي تدرجت فيه ومثله المثل ليس بعشك فادرجي، (**وصرت إلى فراش لا تعرفينه وقرين**) أي زوج (**لا تألفينه، فكوني له أرضاً**) أي مطيعة كطاعة الأرض أو ذليلة منقادة أو لينة هينة أو ثابتة العقل أو حافظة لماله، وفي كل ذلك أمثال ضربت قالوا: أطوع من الأرض وأذل من الأرض وألين من الأرض وأثبت من الأرض وأخفض من الأرض. (**يكن لك سماء**) أي يظل عليك برأفته ورفعته كاظلال السماء أو يمطر عليك باحسانه ونعمه أو يستر عليك كما يستر السماء الأرض، (**وكوني له مهاداً**) أي فراشاً (**يكن لك عماداً**) تستندي إليه، (**وكوني له أمة**) أي جارية (**يكن لك عبداً**) أي كالعبد في الانقياد، (**لا تلحفي به**) أي لاتلحيّ عليه في شيء، والالحاف المبالغة في السؤال (**فيقلاك**) أي فيبغضك، (**ولا تباعدي عنه**) كناية عن امتناعها منه في الفراش (**فينساك**) أي يغفل عنك، فإن من بعد عن العين بعد عن القلب، (**إن دنا**) منك باللعب والانبساط (**فأدني**) أي اقربي منه (**وإن نأى عنك**) بقبض وهيبة (**فابعدي عنه**) أي كوني منه على حذر من فلتاته، (**واحفظي أنفه وسمعه وعينه لا يشم منك إلا طيباً**) أشار بذلك إلى كثرة استعمالها الماء بالاغتسال، فإن الماء أطيب الطيب عند العرب، (**ولا يسمع**) منك (**إلا حسناً**) أشار به إلى محافظة اللسان فلا تتكلم إلا فيما يرضى (**ولا ينظر**) منك (**إلا جميلاً**) أي زيناً أشار به إلى حسن الهيئة وتزيين ما يقع عليه البصر وتحسينه. (**وقال رجل لزوجته**) هكذا في سائر نسخ الكتاب وهو غلط، والصواب وأنا الذي أقول لأمك ليلة ابتنائي بها هكذا هو في القوت، وهكذا هو في الشعب للبيهقي:

(وقال رجل لزوجته) :

خذي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضبُ
ولا تنقريني نقرك الدف مرة ... فإنك لا تدرين كيف المغيبُ
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى ... فيأباك قلبي والقلوب تقلبُ
فإني رأيت الحب في القلب والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهبُ

فالقول الجامع في آداب المرأة من غير تطويل : أن تكون قاعدة في قعر بيتها لازمة لمغزلها ، لا يكثر صعودها واطلاعها ، قليلة الكلام لجيرانها ، لا تدخل عليهم إلا في حال يوجب الدخول ، تحفظ بعلها في غيبته وحضرته ، وتطلب مسرته في جميع أمورها ، ولا تخونه في نفسها وماله ، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه ، فإن خرجت بإذنه فمختفية في هيئة

(خدي العفو مني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضبُ)

أي السورة بالفتح هيجان الغضب يقول ها : لا تخاطبيني عند هيجان غضبي ، فإني لا أملك نفسي إذ ذاك فربما أخاطبك بما لا يليق فيكون سبباً للفراق .

(ولا تنقريني نقرك الدف مرة ... فإنك لا تدرين كيف المغيبُ
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى ... فيأباك قلبي والقلوب تقلبُ
فإني رأيت الحب في القلب والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهبُ)

هكذا أورده صاحب القوت بتمامه مع ذكر الأبيات . وقال البيهقي في الشعب : إن أسماء بن خارجة الفزاري لما أراد إهداء ابنته إلى زوجها قال لها : يا بنية كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً ولا تدني منه فيملك ولا تباعدي عنه فتثقلي عليه وكوني كما قلت لأمك :

خذي العفو عني تستديمي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضبُ
فإني رأيت الحب في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهبُ

(**والقول الجامع في آداب المرأة**) مع زوجها (**من غير تطويل**) بالاستدلال على كل مسألة بحديث أو حكاية هو (**أن تكون قاعدة في قعر بيتها**) أي داخله (**لازمة لمغزلها**) بكسر الميم ما يغزل به الصوف والكتان ، فإن الغزل للنساء كالكتابة للرجال (**لا تكثر صعودها**) على الأسطحة والمواضع المرتفعة ، ولا تكثر (**اطلاعها**) على بيوت الجيران والأسواق والسكك من ثقب وكوى وشبابيك ، وممن يكثر ذلك من النساء العلقة كهمزة ، ومنه قول بعضهم : أبغض كنى بني إليّ العلقة الجفاة (**قليلة الكلام لجيرانها**) أي لا تخاطبهم إلا في ضرورة دعت إلى الكلام ، (**لا تدخل عليهم**) أي على الجيران (**إلا في حالة توجب الدخول**) ويكونون على نبأ من دخولها فلا تفجأهم بالدخول ، (**تحفظ بعلها**) أي زوجها (**في**) حال (**غيبته و**) حال (**حضرته**) أي حضوره عندها ، (**وتطلب مسرته**) أي سروره ورضاه (**في**

رثة، تطلب المواضع الخالية دون الشوارع والأسواق، محترزة من أن يسمع غريب صوتها أو يعرفها بشخصها لا تتعرف إلى صديق بعلها في حاجاتها، بل تتنكر على من تظن أنه يعرفها أو تعرفه، همها صلاح شأنها وتدبير بيتها مقبلة على صلاتها وصيامها، وإذا استأذن صديق لبعلها على الباب وليس البعل حاضراً لم تستفهم ولم تعاوده في الكلام غيرة على نفسها وبعلها، وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله، وتقدم حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها، متنظفة في نفسها مستعدة في الأحوال كلها للتمتع بها إن شاء، مشفقة على أولادها، حافظة للستر عليهم، قصيرة اللسان عن سب الأولاد ومراجعة الزوج. وقد قال ﷺ: «أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين في الجنة: امرأة

جميع أموره) وسائر أحواله، **(ولا تخونه في نفسها)** بان تمكن غيره منها، **(و) لا في (ماله)** بأن تعطي أحداً شيئاً من غير إذنه، **(ولا تخرج من بيتها)** إلا بإذنه الصريح، **(وإن خرجت بإذنه)** إلى زيارة والديها أو غير ذلك من أفعال البر **(فمختفية)** أي مستترة **(في هيئة رثة)** حقيرة **(تطلب المواضع الخالية)** من الزحام **(دون الشوارع)** العامة **(والأسواق)** التي يكثر بها الاجتماع عادة، **(محترزة من أن يسمع غريب)** أجنبي **(صوتها)** فإنه عورة، **(أو يعرفها بشخصها)** وحليتها، **(ولا تتعرف)** هي **(إلى صديق بعلها)** وصاحبه **(في حاجاتها)** ولوازمها المعتادة، **(بل تنكر على من يظن أنه يعرفها أو تعرفه همتها صلاح شأنها وتدبير بيتها)** كل ذلك دفعاً لظن بعلها وتحرزاً عن سوء مظنته بها لما جبلت عليه الرجال من الغيرة على الحرم، **(مقبلة على صلاتها)** في أوقاتها الخمسة **(وصيامها)** المفروض إلا لعذر الحيض أو النفاس إن كان، **(وإذا استأذن صديق على الباب ولم يكن البعل حاضراً)** إذ ذاك **(لم تستفهمه)** من هو ولماذا جاء وما حاجته، **(ولم تعاوده في الكلام)** ولم تراوده إن لم يكن عندها من يخاطبه من خادم، وإن لزم الأمر لضرورة الخطاب فلتجعل أصابعها في فمها وتغير صوتها بحيث يظن أنه صوت عجوز لا شابة **(غيرة على نفسها و)** على **(بعلها)**، فإنه إذا اطلع أنها خاطبت في الكلام الأجنبي يتغير حاله معها وتخطر به خواطر رديئة ويجد الشيطان لذلك مداخل سوء، **(وتكون قانعة من زوجها بما رزق الله تعالى)** مما قلّ أو كثر، ولا تستزيده في مأكول أو ملبوس إلاَّ قدر كفايتها، **(ومقدمة حقه على حق نفسها وحق سائر أقاربها متنظفة في نفسها)** بما يزيل عنها رائحة الاعراق والأوساخ بالماء أولاً ثم بالطيب ثانياً بأن تتعاهد المغابن وأطراف القدمين، وما بدا من جسدها بالغسل بالماء والاشنان خصوصاً عقيب الفراغ من خدمة البيت، **(مستعدة في جميع الأحوال كلها)** ومتزينة تعرض نفسها عليه لا صريحاً بل تلويحاً بنحو تبسم وغنج وتكسر كلام **(ليستمتع بها إن شاء)** في أي وقت كان وهو بالليل آكد من النهار لكونه وقت الخلوة عن الاشغال، **(مشفقة على أولادها منه إن كانوا بارة بهم خادمة لهم حافظة للستر عليهم)** في ظاهرها وباطنها، **(قصيرة اللسان عن سب الأولاد)** صابرة في

تأيمت من زوجها وحبست نفسها على بناتها حتى ثابوا أو ماتوا ». وقال ﷺ: « حرم الله على كل آدمي الجنة يدخلها قبلي، غير أني أنظر عن يميني فإذا امرأة تبادرني إلى باب الجنة فأقول: ما لهذه تبادرني؟ فيقال لي: يا محمد، هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها، فصبرت عليهن حتى بلغ أمرهن الذي بلغ فشكر الله لها ذلك ».

ومن آدابها: أن لا تتفاخر على الزوج بجمالها ولا تزدري زوجها لقبحه، فقد روي أن الأصمعي قال: دخلت البادية فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجهاً تحت رجل من أقبح الناس وجهاً، فقلت لها: يا هذه أترضين لنفسك أن تكوني تحت مثله؟ فقالت: يا هذا اسكت فقد أسأت في قولك، لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه، أو لعلي

مكابدة مراعاتهم صحة ومرضا، (**قليلة مراجعة الزوج**) فيما يقوله، (**وقد قال ﷺ: « أنا وامرأة سفعاء الخدين**) السفعة بالضم سواد مشرب بحمرة وسفع كعتب إذا كان لونه كذلك وهو أسفع وهي سفعاء (**كهاتين في الجنة »**) أشار به إلى كمال القرب وهي (**« امرأة تأيمت على زوجها**) أي مات عنها وله منها بنون (**وحبست نفسها على بنيها**) منه بأن اشتغلت بتربيتهم ولم تطالب نفسها إلى النكاح خوفاً على ضياع الأولاد، (**حتى بانوا**) منها على خير (**أو ماتوا »**) قال العراقي: رواه أبو داود من حديث أبي مالك الأشجعي بسند ضعيف.

(**وقال ﷺ «حرَّم الله على كل آدمي الجنة يدخلها قبلي غير أني أنظر عن يميني فإذاامرأةِ تبادرني**) أي تسابقني (**الى باب الجنة**) أي تدخل قبلي (**فأقول ما لهذه تبادرني؟ فيقال: يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة**) الصورة (**وكان عندها يتامى لها**) من ذكور واناث (**فصبرت عليهن**) ولم تتزوّج خوفاً عليهن (**حتى بلغ أمرهن الذي بلغ**) من رشد وبلوغ (**فشكر الله لها ذلك»**) قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث أبي هريرة بسند ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه الديلمي بهذا اللفظ.

(**ومن آدابها: أن لا تتفاخر على الزوج بجمالها**) وشبابها وما مكنها الله من الارتياع والبهجة، فإنه ظل زائل، (**ولا تزدري زوجها لقبحه**) ودمامته كما فعلت امرأة ثابت بن قيس حين رأته قبيح المنظر قصير القامة كرهته وطلبت منه الفراق وخالعته كما تقدم، (**فقد روي أن**)عبد الملك بن قريب (**الأصمعي**) الإمام في العربية (**قال: دخلت البادية وإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجهاً تحت رجل من أقبح الناس وجها فقلت لها: يا هذه أترضين لنفسك أن تكوني تحت مثله؟ فقالت: يا هذا اسكت فقد أسأت في ذلك**) وأخطأت معرفتك (**لعله أحسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه**) أي جزاء إحسانه، (**أو لعلّي أنا أسأت فيما بيني**

أسأت فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي، أفلا أرضى بما رضي الله لي فاسكتتني. وقال الأصمعي: رأيت في البادية امرأة عليها قميص أحمر وهي مختضبة وبيدها سبحة، فقلت: ما أبعد هذا من هذا فقالت:

وللہ مني جانب لا أضيعه   وللهو مني والبطالة جانبُ

فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له.

ومن آداب المرأة، ملازمة الصلاح والانقباض في غيبة زوجها والرجوع إلى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في حضور زوجها، ولا ينبغي أن تؤذي زوجها بحال. روي عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا».

وبين خالقي فجعله عقوبتي أفلا أرضى بما رضي الله لي فأسكتتني) في جوابها. وقد ذكر هذه الحكاية الزمخشري في ربيع الأبرار. (وقال الأصمعي) أيضاً: (رأيت بالبادية امرأة عليها قميص أحمر وهي مختضبة) بالحناء (وبيدها سبحة فقلت: ما أبعد هذا من هذا) أي من اللبس والخضاب بجانب أخذ السبحة في اليد، (فقالت) في الجواب:

(ولله مني جانب لا أضيعه   وللهو مني والبطالة جانبُ)

ويروى ولله عندي بدل مني والخلاعة بدل البطالة. (قال: فعلمت أنها امرأة صالحة لها زوج تتزين له) وقد أشارت بقولها إلى أن عليها حق مولاها وحق بعلها فهي تعطي لكل ذي حق حقه.

(ومن آدابها ملازمة الصلاح) والعفة (والانقباض) والسكون (في غيبة زوجها) عنها، (والرجوع إلى اللعب والانبساط) واللطافة، (وأسباب اللذة في حضوره) عندها بأن تلقاه بتبسم وانشراح صدر واظهار تألم في تطويل غيبته عنها وأنها لم تزل منتظرة حضوره ثم المبادرة إلى ما يليق من خدمته من احضار ماء ليزيل عنه غبار الأسواق، فإذا خلع نعليه قلبتهما، وإذا خلع ثوباً نفضته وطوته، ثم وقفت بين يديه مراعية لما سيبدي لها.

(و) من آدابها أنها (لا ينبغي أن تؤذي زوجها بحال) قولاً أو فعلاً. (وروي عن معاذ بن جبل) رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا) بأي وجه كان (إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله إنما هو عندك دخيل) وهو الذي يدخل على قوم بطريق الضيافة (يوشك) بكسر الشين أي يقرب (أن يفارقك إلينا») قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن غريب وابن ماجه.

ومما يجب عليها من حقوق النكاح إذا مات عنها زوجها أن لا تحد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر ، وتتجنب الطيب والزينة في هذه المدة ، قالت زينب بنت أبي سلمة :

(**ومما يجب عليها من حقوق النكاح إذا مات عنها أن لا تحد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر ليال تجتنب في تلك المدة الطيب والزينة**) ، وهذا معنى الإحداد ، وأصل الحد المنع وفيه لغتان : أحدت المرأة على زوجها إحداداً فهي محد ومحدة وحدت تحد من باب ضرب وقتل ، وحداداً بالكسر فهي حاد بغير هاء إذا تركت الزينة لموته ، وأنكر الأصمعي الثلاثي واقتصر على الرباعي فهي تترك الزينة والطيب والكحل والدهن إلا لعذر ، والحناء ولبس المعصفر والمزعفر إن كانت بالغة مسلمة لقوله ﷺ في المتفق عليه « انها لا تكتحل ولا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب ولا تمس طيباً إلا إذا طهرت نبذة من قسط أو اظفار » وعند أحمد وأبي داود والنسائي « المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصفر من الثياب ولا الممشق ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل » .

واختلف في الزيت البحت والشيرج البحت والسمن وغير ذلك ، والصحيح لا لأنها تلين الشعر فيكون زينة إلا إذا كان ضرر ظاهر ولا تمتشط بالاسنان الضيقة بل بالاسنان الواسعة المتباينة لأن الضيقة لتحسين الشعر والزينة ، والمتباعدة لدفع الأذى ، ولا تلبس الحرير لأن فيه زينة إلا لضرورة مثل أن يكون بها حكة أو قمل ، وكذا الممشق وهو المصبوغ بالمشق وهو المغرة ، ولا بأس بلبسه للضرورة إذ ستر العورة واجب ، والمراد بالثياب المذكورة الجدد منها . أما لو كان خلقاً بحيث لا تقع به الزينة فلا بأس به .

وقول المصنف أكثر من أربعة أشهر وعشر ليال هذه المدة هي عدة موت الزوج سواء كانت الزوجة مسلمة أو كتابية تحت مسلم صغيرة أو كبيرة قبل الدخول أو بعده ، لقوله تعالى ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ [البقرة : ٢٣٤] ولحديث أم حبيبة الآتي قريباً . هذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة ، والاية باطلاقها حجة على مالك في الكتابية حيث أوجب الاستبراء عليها فقط إن كانت مدخولاً بها ، ولم يوجب شيئاً على غير المدخول بها . وقال الاوزاعي : عدة الوفاة أربعة أشهر وتسعة أيام وعشر ليال أخذاً من قوله تعالى ﴿أربعة أشهر وعشراً﴾ من الحديث الآتي . لأن العشر مؤنث لحذف التاء ، فيتناول الليالي ، ويدخل ما في خلالها من الأيام ضرورة . قلنا : إذا تناول الليالي يدخل ما بإزائها من الأيام ، فكذا اللغة والتاريخ بالليالي فلهذا حذفت التاء .

(**قالت زينب بنت أم سلمة**) هي زينب ابنة أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومية ربيبة النبي ﷺ ، ولدت بأرض الحبشة وهي التي كانت اسمها برة فسماها النبي ﷺ زينب ، روت عنه وعن أمها أم سلمة ، وعن زينب بنت جحش ، وعن أم حبيبة وعدة . وعنها عروة وأم سلمة وأبو سلمة . توفيت سنة ثلاث وسبعين . روى لها الجماعة : (**دخلت على أم حبيبة**) رملة بنت أبي سفيان القرشية الأموية (**زوج النبي ﷺ**) وكانت شقيقة حنظلة بنت أبي سفيان . تزوجها رسول

دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب، **فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره، فدهنت به جارية، ثم مست بعارضيها، ثم قالت: والله** ما لي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **لا يحل لامرأة تؤمن** بالله واليوم الآخر أن تحدّ على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج أربعة أشهر

الله ﷺ وهي بأرض الحبشة سنة ست أو سبع، توفيت سنة أربع وأربعين، وقيل: لتسع وخمسين قبل أخيها معاوية **(حين توفي أبوها أبو سفيان صخر بن حرب)** بن أمية القرشي الأموي، ولد قبل الفيل بعشر سنين، وأسلم يوم الفتح. شهد الطائف ففقئت عينه يومئذ وأعميت عينه الأخرى يوم اليرموك، مات سنة تسع مضين من إمارة عثمان، وقيل سنة ٣٢، وهو ابن ثمان وثمانين، وقيل: سنة ٣١، وقيل: سنة ٣٢. وقال ابن منده: سنة ٣٧ وصلى عليه عثمان، **(فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضها ثم قالت: والله مالي بالطيب من حاجة غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخران تحد على ميت أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج)** فإنها تحد عليه **(أربعة أشهر وعشراً)** قال العراقي: متفق عليه.

قلت: رواه عبد الرزاق، وأحمد، والشيخان، وأبو داود، والترمذي، والنسائي عن أم حبيبة، وزينب بنت جحش، ورواه مالك وعبد الرزاق أيضاً، وأحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه وابن حبان عن حفصة عن عائشة. ورواه النسائي أيضاً عن أم سلمة ولفظهم كلهم « فوق ثلاث ليال » بدل قوله « أكثر من ثلاثة أيام ». ورواه أيضاً أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أم عطية بلفظ « فوق ثلاث إلاّ على زوج أربعة أشهر وعشراً فإنها لا تكتحل ولا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب ولا تمس طيباً إلا إذا طهرت من حيضها من قسط واظفار ».

تنبيه:

قال الشافعي: لا إحداد على المطلقة لأنه وجب إظهاراً للتأسف على فوت نعمة زوج، وفي تعهدها إلى الممات، وهذا قد أوحشها بالفراق فلا تتأسف عليه، وقال أبو حنيفة: تحد معتدة البت لظاهر قوله ﷺ « أنهي المعتدة أن تختضب بالحناء » رواه النسائي وهو مطلق فيتناول المطلقة، ولأنه يجب اظهاراً للتأسف على فوت نعمة النكاح الذي هو سبب لصونها وكفاية مؤنتها، والإبانة أقطع لها من الموت حتى كان لها غسله ميتاً قبل الإبانة لا بعدها.

فإن قيل: كيف يجب التأسف عليها وقد قال الله تعالى ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [الحديد: ٢٣] قلنا: المراد به الفرح والأسى بصياح. نقل ذلك عن ابن مسعود، وأما بدون الصياح فلا يمكن التحرز عنه.

فإن قيل: المختلعة وقع الفراق باختيارها، فكيف تتأسف عليه بعد ذلك، وكذا البائنة بغير الخلع قد جفاها فكيف يتصوّران تتأسف عليه، ولو كان كما قلتم من فوات نعمة النكاح لما وجب

وعشراً » ويلزمها لزوم مسكن النكاح إلى آخر العدّة، وليس لها الانتقال إلى أهلها ولا الخروج إلا لضرورة.

عليها إذ هي تختار صده، وكان ينبغي أن يجب على الرجل أيضاً لأنه فاته نعمة النكاح؟ قلنا: يعتبر الأعم الأغلب ولا ينظر إلى الافراد، وكم من النساء من يتمنى موت الزوج وتفرح بموته، ومع هذا يجب الإحداد عليها لما قلنا وهو تبع للعدة، فلو وجب على الرجل لوجب مقصوداً وهو غير مشروع، ولهذا لا يحل لها ذلك على غير الزوج كالولد والأبوين، وان كان أشد من الزوج لفقد العدة.

فصل

قال أصحابنا: لا يجب الإحداد على أم الولد إذا أعتقها سيدها ولا على المعتدة من نكاح فاسد، لأن الإحداد لإظهار التأسف على فوات نعمة النكاح ولم تفتها نعمة النكاح وكذا لا إحداد على كافرة ولا على صغيرة لأنهما غير مخاطبين بحقوق الشرع إذ هي عبادة، ولذلك شرط فيه الإيمان بخلاف العدة، فإنها حق الزوج فتجب على الكل، ولا احداد على المطلقة الرجعية لأن نعمة النكاح لم تفتها إذ النكاح باق فيها حتى يحل وطؤها وتجري فيها أحكام الزوجات، وعلى الأمة الإحداد لأنها مخاطبة بحقوق الله تعالى إذا لم يكن فيها إبطال حق المولى بخلاف الزوج، لأنها لو منعت عنه لبطل حق المولى في الاستخدام وحق المولى مقدم على حق الشرع لحاجته، وعلى حق الزوج، ألا ترى أنه لا يبوئها بيت الزوج حال قيام النكاح وبعد قيام النكاح وبعد زواله أولى حتى لو كانت مبوّأة في بيت الزوج لا يجوز لها الخروج إلا أن يخرجها المولى، وعن محمد: إن لها الخروج لعدم وجوب حق الشرع وأم الولد والمدبرة والمكاتبة ومعتقة البعض عند أبي حنيفة كالقنة لوجود الرق فيهن، والله أعلم.

(**ويلزمها لزوم مسكن النكاح**) الذي كان يضاف بالسكنى ووجبت فيه العدة (**إلى آخر العدة**) إن أمكنها، (**وليس لها الانتقال**) منه (**إلى أهلها ولا الخروج إلا لضرورة**). قال أصحابنا: وتعتد في بيت وجبت فيه العدة إلا أن تخرج أو ينهدم أو تعتد المتوفي عنها زوجها إن أمكنها أن تعتد في البيت الذي وجبت فيه العدة بأن كان نصيبها من دار الميت يكفيها، أو أذنوا لها بالسكنى وهم كبار أو تركوها أن تسكن فيه بأجر وهي تقدر على ذلك، لأنه ﷺ قال لفريعة بنت ملك حين قتل زوجها ولم يدع ما لا ترثه، وطلبت أن تتحوّل إلى أهلها لأجل الرفق عندهم « امكثي في بيتك الذي أتاك فيه نعي زوجك حتى يبلغ الكتاب أجله » رواه الترمذي.

وقولهم: إلا أن تخرج أو ينهدم أي إلا أن يخرجها الورثة يعني فيما إذا كان نصيبها من دار الميت لا يكفيها أو ينهدم البيت الذي كانت تسكنه، فحينئذ يجوز لها أن تنتقل إلى غيره للضرورة، وكذا إذا خافت على نفسها أو مالها أو كانت فيها بأجر ولم تجد ما تؤديه جاز لها الانتقال، ثم لا تخرج من البيت الذي انتقلت إليه إلا بعذر لأنه يأخذ حكم الأوّل وتعيين البيت

ومن آدابها : أن تقوم بكل خدمة في الدار تقدر عليها ، فقد روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها انها قالت : تزوّجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت أعلف فرسه واكفيه مؤونته وأسوسه وأدق النوى

الذي تنتقل إليه إليها لانها مستبدة في أمر السكنى بخلاف المطلقة حيث يكون تعيينه إلى الزوج لعدم الاستبداد بالسكنى ، ومعتدة الموت تخرج يوماً وبعض الليل ، لأن نفقتها عليها فتحتاج إلى الخروج لتكتسب وأمر المعاش بالنهار وبعض الليل ، فيباح لها الخروج فيهما غير انها لا يجوز لها أن تبيت في غير منزلها الليل كله ، ولها أن تبيت أقل من نصف الليل لأن المبيت عبارة عن الكون في مكان أكثر الليل بخلاف المعتدة من طلاق لأن نفقتها دارة عليها ، فلا حاجة لها إلى الخروج حتى لو اختلعت على نفقتها يباح لها الخروج في رواية للضرورة لمعاشها ، وقيل : لا لأنها هي التي اختارت إبطال النفقة ، فلا يصلح ذلك في ابطال حق عليها ، وبه كان يفتي الصدر الشهيد ، فكان كما اختلعت على أن لا سكنى لها فإن مؤنة السكنى تسقط عنه ، ويلزمها أن تكتري بيت الزوج ولا يحل لها أن تخرج منه ، والله أعلم .

(ومن آدابها : أن تقوم بكل خدمة في الدار التي تقدر عليها) على وجه الندب والاستحباب لا على طريق الإيجاب كما هو مذهب الشافعي . ومن الخدمة التي تقوم بها كنس المنزل كل يوم ، واصلاح فرشه ، وأخذ عش العنكبوت إن كان ، وطبخ ما تيسر طبخه ، والعجن ، والخبز ، وسقي الدابة إن كانت ، وإعطاء العلف لها ، وخياطة ما احتيج إليه ، وملء الإناء للوضوء وللشرب ، وآخر في بيت الخلاء وإحضار ماء للغسل بارداً أو مسخناً بحسب اختلاف الأوقات ، فهذه هي اللوازم التي لا تسقط عنها ، فإن اشترى الزوج خادماً أعانها على بعض ما ذكر ، **(فقد روي عن أسماء بنت)** أبي بكر **(الصديق رضي الله عنها)** وهي شقيقة عبد الله بن أبي بكر ، أمها قتيلة بنت عبد العزى العامرية . كان اسلامها قديماً وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله ابن الزبير ، وكانت تسمى ذات النطاقين ، توفيت بمكة سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابنها عبد الله بيسير ، وقد بلغت مائة سنة لم تسقط لها سن ولم ينكر لها عقل . **(قالت : تزوجني الزبير)** بن العوام أبو عبد الله القرشي الأسدي صاحب رسول الله ﷺ وحواريه وابن عمته صفية بنت عبد المطلب وأحد العشرة ، وكان تزوجها بمكة ، وهذا قد أخرجه البخاري ومسلم .

وهذا لفظ البخاري في النكاح : حدثنا محمود ، حدثنا أبو أسامة ، حدثنا هشام ، اخبرني أبي ، عن أسماء ابنة أبي بكر قالت : تزوجني الزبير **(وماله في الأرض من مال)** أي إبل أو أرض للزراعة ولا مملوك عبد ولا أمة **(ولا شيء)** من عطف العام على الخاص **(غير فرسه)** التي كان يركبها **(وناضحه)** أي البعير نستقي عليه ، **(فكنت أعلف فرسه)** زاد مسلم في روايته **(وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه واعلفه)** .

وعنده أيضاً من طريق أخرى كنت أخدم الزبير خدمة البيت ، وكان له فرس وكنت أسوسه

لناضحه وأعلفه واستقي الماء وأخرز غربه وأعجن، وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ حتى أرسل إليّ أبو بكر بجارية فكفتني سياسة الفرس فكأنما اعتقني. ولقيت رسول الله ﷺ يوماً ومعه أصحابه والنوى على رأسي، فقال ﷺ: «أخ أخ» لينيخ ناقته ويحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس، فعرفت رسول الله ﷺ أني قد استحييت، فجئت الزبير فحكيت له ما جرى، فقال: والله لحملك النوى على رأسك أشدّ عليَّ من ركوبك معه.

فلم يكن من خدمته شيء أشد عليّ من سياسة الفرس كنت أحسن له وأقوم عليه (**واستقي الماء**) هكذا بالفوقية قبل القاف، وفي رواية: واسقي بحذف الفوقية أي أسقي الناضح أو الفرس، والرواية الأولى أسهل معنى وأكثر فائدة، (**واخرز**) أي أخيط (**غربه**) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة أي دلوه (**وأعجن**) دقيقه. وزاد البخاري: ولم اكن أحسن أخبز وكان يخبز جارات لي من الأنصار وكن نسوة صدق، (**وكنت أنقل النوى**) من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ أي مما أفاء الله عليه ﷺ من أموال بني النضير (**على رأسي**) وهي (**من**) مكان سكني على (**ثلثي فرسخ**) بتثنية ثلث، والفرسخ ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف خطوة. قالت: ولم أزل أخدم (**حتى أرسل إليّ أبو بكر**) بعد ذلك (**بخادم**) أي أمة سوداء. (**فكفتني**). ولفظ البخاري: يكفيني (**سياسة الفرس فكأنما أعتقني**) لأنها اعانتها فيما كان يشق عليها. (**ولقيت رسول الله ﷺ ومعه أصحابه**) ولفظ البخاري: فجئت يوماً (**والنوى على رأسي**) فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار (**فقال ﷺ**)، ولفظ البخاري فدعاني فقال: (**«إخ إخ»**) بكسر الهمزة وسكون الخاء المعجمة (**يستنيخ ناقته ويحملني**) عليها (**خلفه**) ولفظ البخاري بعد «إخ إخ ليحملني خلفه» (**فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس**) أي بالنسبة إلى عملها أو إلى أبناء جنسه، وعند الاسماعيلي المستخرج من أغير الناس، (**فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت**) فمضى، (**فجئت الزبير فحكيت له ما جرى**) من أني لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك، (**فقال**) لها الزبير: (**والله لحملك النوى على رأسك**) كان (**أشد عليّ من ركوبك معه**) ﷺ. إذ لا عار فيه بخلاف حمل النوى، فإنه ربما يتوهم منه خسة نفسه ودناءة همته، واللام في لحملك للتأكيد، وحملك مصدر مضاف لفاعله، والنوى مفعوله، وفي بعض روايات البخاري: أشد عليك بزيادة الكاف، وفيه: إن على ان المرأة القيام بخدمة ما يحتاج إليه بعلها.

ويؤيده قصة فاطمة رضي الله عنها وشكواها ما تلقى من الرحى والجمهور على أنها متطوعة بذلك أو يختلف باختلاف عوائد البلاد. وهذا الحديث أخرجه البخاري أيضاً في الخمس مقتصراً على قصة النوى، ورواه النسائي في عشرة النساء.

تم كتاب آداب النكاح بحمد الله ومنّه وصلى الله على كل عبد مصطفى.

وبه تم كتاب النكاح، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وباسمه الكريم يحسن الإبتدآت والإختتامات، وصلى الله على سيدنا محمد سيد الكائنات وعلى آله وأصحابه الأئمة الهداة، وقد توسلت بهم وبمصنف هذا الكتاب أن يشفي مرضانا ومرضى المسلمين ويعافينا من البلاء أجمعين، آمين. وكان الفراغ من تأليفه في يوم الجمعة بعد الصلاة لثمان بقين من شهر رجب سنة ١١٩٨.

كتاب آداب الكسب والمعاش

كتاب آداب الكسب والمعاش وهو الكتاب الثالث من ربع العادات من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

الحمد لله الذي جعل الغدو والرواح للتكسب مداراً للمعاش، وأقام السعي فيه عدة ينتهض بها المتعيش كما ينتهض الطائر بالأجنحة والأرياش، ثم فضله على الفراغ والبطالة والانزواء والإنكماش، أحمده سبحانه على ما أنعم ومن جلة النعم أن أرشد إلى طريق الكسب وأصلح به أمور المعاد وأراش، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تؤنس الوحيد في غربته عن الإستيحاش، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله الذي كان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ولم يكن بلعان ولا فحاش، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تامة كاملة تنير سدف الرحبات وتضيء ظلم الأغباش، وسلم تسليماً كثيراً ما حي محب بذكره وعاش أما بعد فهذا شرح:

كتاب آداب الكسب والمعاش

وهو الثالث من الربع الثاني من كتاب الإحياء لرباني هذه الأمة خير الأنام حجة الإسلام، وعلم الأئمة الأعلام، أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي سقى الله جدثه صوب الغفران المتوالي يزيل عن مشكلاته الخفايا، ويحقق لمطالعه قول من قال: كم في الزوايا من خبايا، شمرت ذيل الجهد في تحقيقه مع قصر الباع، ومكانفة عوائق الزمان الموجبة لقلة الإتساع، حتى تكدرت المعايش وضاقت المناكب وكسدت الأسباب، وأحاطت صورة الجسم الكلية أنواع الأمراض وضروب الأوصاب، فاعذر أيها المحب لحالي العاطل الخالي، فقد شاهدت من المكدرات ما لم يكن ببالي، وإلى المولى المجيب بمصنف هذا الكتاب أتوسل وبجاهه عنده إليه أتوصل وبالله أكتفي وعلى فضله وألطافه الخفية أعتمد وأتوكل إنه على فرجي قدير وهو نعم المولى ونعم النصير، فأقول ابتدأ المصنف رحمه الله تعالى كتابه هذا كباقي كتبه بذكر الله تعالى فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله حمد موحد إنمحق في توحيده ما سوى الواحد الحق وتلاشى. ونمجده تمجيد من يصرح بأن كل شيء ما سوى الله باطل ولا يتحاشى، وأن كل من في السموات والأرض لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ولا فراشاً. ونشكره إذ رفع السماء لعباده سقفاً مبنياً، ومهد الأرض بساطاً لهم وفراشاً. وكوّر الليل على النهار فجعل الليل لباساً وجعل النهار معاشاً. لينتشروا في ابتغاء فضله وينتعشوا به عن ضراعة الحاجات

(**بسم الله الرحمن الرحيم**) تيمناً واقتداء وتبركاً واقتفاء ثم أعقبه بالحمد فقال: (**الحمد لله**) وفي بعض النسخ نحمد الله جمعاً بين الذكرين وعملاً بالحديثين (**حمد موحد**) قد وحده عن صميم اعتقاده وربط حاجته على تفريده في حالتي اصداره وإيراد، (**أمحق**) بتشديد الميم أصله انمحق فادغمت النون في الميم والإنمحاق ذهاب الشيء بكليته بقوة وسطوة (**في توحيده**) أي في اعتقاده في تفريده (**ما سوى الواحد الحق**) في الحقيقة وهو كل ما يوصف بالغيرية (**وتلاشى**) أي صار كلا شيء بأن لم تخطر بينه وبين سواه نسبة بوجه لا فرضاً ولا هماً (**ومجده**) أي عظمه (**تمجيد**) أي تعظيم (**من يصرح**) بلسان تجليه في عباراته وإشاراته وحركاته وسكناته، ولا يكنى (**بأن ما سوى الله**) المعبود الحق (**باطل**) أي لا ثبات له عند الفحص عنه (**ولا يتحاشى**) أي لا يبالي بتصريحه لذلك المعتقد إذ هو الحق الذي لا محيد عنه، وقد أشار بذلك إلى قوله لبيد الذي سماه ﷺ أصدق كلمة:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وسبب بطلان ما سوى الله حدوثه وتغيره من حال إلى آخر، وما كان بهذه المثابة فلا ثبات له أصلاً ولا قيام له بنفسه، (**وأن من في السموات والأرض**) من ملك وجن وإنسٍ وغيرهم (**لن يخلقوا**) أي لن يوجدوا (**ذباباً**) مع حقارته (**ولو اجتمعوا له**) وأعان بعضهم بعضاً، (**ولا فراشاً**) وهو كسحاب ما يتطاير من الهوام حوالي ضوء الشمع والسراج، (**وأشكره إذ رفع السماء لعباده**) فجعله (**سقفاً مبنياً**) أي هيئة السقف المنير مثل القبة المحيطة بجوانب الأرض، (**ومهد**) لهم (**الأرض**) تمهيداً لتكون (**بساطاً لهم وفراشاً**) إذ صيّرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت متهيئة لأن يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط وبين تلاشى ويتحاشى لزوم ما لا يلزم، وبين فراشاً وفراشاً جناس، (**وكوّر الليل على النهار**) أي أداره وضم بعضه إلى بعض النهار ككور العمامة (**فجعل الليل لباساً**) غطاء يستتر بظلمته من أراد الإختفاء، (**وجعل النهار معاشاً**) أي وقتاً للمعاش يتقلبون فيه لتحصيل ما يتعيشون به (**لينتشروا**) أي ينبعثوا فيه (**في ابتغاء فضله**) أي ما قسم من الرزق، (**وينتعشوا به في ضراعة**

انتعاشاً. ونصلي على رسوله الذي يصدر المؤمنين عن حوضه رواء بعد ورودهم عليه عطاشاً. وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا في نصرة دينه تشمراً وانكماشاً. وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فإن رب الأرباب ومسبب الأسباب جل جلاله جعل الآخرة دار الثواب والعقاب، والدنيا دار التمحل والاضطراب. والتشمر والاكتساب. وليس التشمر في الدنيا مقصوراً على المعاد دون المعاش، بل المعاش ذريعة إلى المعاد ومعين عليه، فالدنيا مزرعة الآخرة ومدرجة إليها. والناس ثلاثة: رجل شغله معاشه عن معاده فهو من

الحاجات) أي الجائها بذل **(انتعاشاً)** أي ينتهضوا في عشرتها انتهاضاً وقد نعش وانتعش قام، ونعشه الله وأنعشه أقامه، وبين معاشاً وانتعاشاً لزوم ما لا يلزم مع ما في كل من الجمل المذكورة من الاقتباسات الشريفة من الآيات المنيفة وبراعة الإستهلاك وغير ذلك من أنواع البديع، **(ونصلي على رسوله)** سيدنا محمد **(الذي يصدر)** بضم التحتية وكسر الدال وهو فعل يتعدى لإثنين **(المؤمنين)** مفعوله الأول، والإصدار نقيض الإيراد، والمعنى يصرفهم **(عن حوضه)** الأصغر وهو الكوثر الذي وعده الله سبحانه له ﷺ **(رواء)** بالكسر والمد مفعوله الثاني أي مرتوين **(بعد ورودهم عليه)** أي على الحوض **(عطاشاً)** من هول الموقف وحر الشمس والزحام فيردون بعد حسابهم، وقد ذبلت شفاههم وتدلت ألسنتهم ويبست جلودهم فيشربون من ذلك الحوض حتى يجري الري في أظفارهم ثم يؤمر بهم إلى الجنة **(وعلى آله وأصحابه الذين لم يدعوا)** أي لم يتركوا **(في نصرة دينه)** القويم **(تشمراً)** أي أخذاً بالسرعة والمبالغة **(وإنكماشاً)** وهو بمعناه وكلاهما كناية عن الإجتهاد البالغ وبذل الوسع، **(وسلم)** عليه وعليهم **(كثيراً)** كثيراً.

(أما بعد، فإن رب الأرباب) أي سيد السادات **(ومسبب الأسباب)** أي مهيئها والمؤقت لها **(جل جلاله)** أي عظم وفيه جناس الإشتقاق **(جعل)** الدار **(الآخرة)** أي صيرها **(دار الثواب)** لمن أحسن **(و)** دار **(العقاب)** لمن أساء **(و)** جعل **(الدنيا دار التحمل)** للمشقات وضروب المكدرات **(والإضطراب)** في الأرض لتحصيل المعايش **(والإكتساب، وليس التشمر)** عن ذيل الجد **(في الدنيا مقصوراً على المعاد دون المعاش، بل المعاش)** عند النظر الصحيح والتأمل الصريح **(ذريعة)** أي وسيلة **(إلى المعاد ومعين عليه، فالدنيا)** في الحقيقة **(مزرعة للآخرة)** أي صالحة لأن يزرع فيها ليتخذ منه زاد الآخرة **(ومدرجة إليها)** أي يتدرج بها إليها بحسن مسيره في سلوكه عليها، والجملة الأولى أعني قوله: الدنيا مزرعة للآخرة المشهور أنه حديث وليس كذلك، وزعم المناوي في ترجمة المصنف من طبقاته أن هذا الكلام من مبتكرات المصنف وفيه نظر، فقد وجد ذلك في كلام غيره ممن هو قبله، والمعنى صحيح ففي

الهالكين، ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفائزين، والأقرب إلى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين. ولن ينال رتبة الاقتصاد من لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد، ولن ينتهض من طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة وذريعة، ما لم يتأدب في طلبها بآداب الشريعة، وها نحن نورد آداب التجارات والصناعات

المقفى للعقيلي، ومكارم الأخلاق لابن لال، والرامهرمزي في الأمثال من حديث طارق بن الشيم رفعه: « نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته » الحديث، وهو عند الحاكم وصحح، لكن تعقبه الذهبي بأنه منكر. قال: وعبد الجبار أعني راويه لا يعرف. وفي الحلية لأبي نعيم في ترجمة سعيد بن عبد العزيز من قوله مما رواه عقبة بن علقمة عنه « الدنيا غنيمة الآخرة » ومما يشهد للجملة الثانية من سياق المصنف وهو قوله: ومدرجة إليها ما في الفردوس بلا سند عن ابن عمر مرفوعاً: « الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها ».

وقال الراغب في كتاب الذريعة: الإنسان من وجه في دنياه حارث وعمله حرثه ودنياه محرثه ووقت الموت وقت حصاده، والآخرة بيذره فلا يحصد إلا ما زرعه ولا يكيل إلا ما حصده، فمن عمل لآخرته بورك في كيله وجعل منه زاد الأبد، ومن عمل لدنياه خاب سعيه وبطل عمله وإليه أشار المصنف بقوله.

(**والناس ثلاثة: فرجل شغله معاده عن معاشه**) فلم يلتفت إلى الدنيا وكان جل عمله السعي في أمور الآخرة (**فهو من الفائزين**) كما قال تعالى: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾ الآية [الإسراء: ١٩] وهذه رتبة الأنبياء والمرسلين ومن على قدمهم من الصديقين والشهداء والصالحين (**ورجل شغله معاشه عن معاده**) فإن ركن إلى الدنيا وانغمس في شهواتها وأخلد إلى ملاذها ونسي ما خلق لأجله (**فهو من الهالكين**) الخاسرين إلى أبد الآبدين، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها﴾ الآية [هود: ١٥]. وهذه رتبة الكفار ومن شابههم، ومثل أعمال الدنيا مثل شجر الخلاف بل كالدفلى والحنظل في الربيع يرى غض الأوراق حتى إذا جاء حين الحصاد لم ينل طائلاً وإن أحضر مجناه البيدر لم يفد نائلاً، ومثل أعمال الآخرة مثل شجرة الكرم والنخل المستقبح المنظر في الشتاء، وإذا حان وقت القطاف والإجتناء أفادك زاداً وادخرت منه عدة وعتاداً. (**والأقرب إلى الإعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده**) أي لأجل معاده (**فهو من المقتصدين**) أي المتوسطين بين المرتبتين وهي رتبة أهل الصلاح من المؤمنين. وقد أشار إلى هذا الترتيب صاحب القوت. وفي ربيع الأبرار للزمخشري: قوام الدين والدنيا بالعلم والكسب فمن رفضهما وقال ابتغى الزهد لا العلم والتوكل لا الكسب وقع في الجهل والطمع، (**ولن ينال**) العبد (**رتبة الإقتصاد ما لم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد**) أي طريق الصواب في القول والعمل، (**ولن ينتهض طلب الدنيا وسيلة إلى الآخرة**) ومدرجة إليها (**وذريعة**) في التوصل بها (**ما لم يتأدب في طلبها بأدب الشريعة**)

وضروب الاكتسابات وسننها ونشرحها في خمسة أبواب.

الباب الأول: في فضل الكسب والحث عليه.

الباب الثاني: في علم صحيح البيع والشراء والمعاملات.

الباب الثالث: في بيان العدل في المعاملة.

الباب الرابع: في بيان الإحسان فيها.

الباب الخامس: في شفقة التاجر على نفسه ودينه.

والتوفيق للعمل به (**وها نحن نورد أبواب التجارات والصناعات**) المختلفة (**وضروب الإكتساب**) أي أنواعه مما يتحصل به المعاش (**وسننها**) الشرعية مما ذكره علماء الملة المحمدية، (**ونشرح ذلك في خمسة أبواب**):

(**الباب الأول: في فضل الكسب والحث عليه**) وما فيه من الأخبار والآثار.

(**الباب الثاني: في علم صحيح البيع والشراء والمعاملات**) وما يتعلق بها من الربا والسلم والإجارة والشركة والقراض وما لكل ذلك من الشروط.

(**الباب الثالث: في بيان العدل في المعاملة**) واجتناب الظلم فيها.

(**الباب الرابع: في بيان الإحسان فيه**) وفي بعض النسخ فيها أي المعاملة.

(**الباب الخامس في**) بيان (**شفقة التاجر على دينه**) فيما يخصه ويعم آخرته.

الباب الأول
في فضل الكسب والحث عليه

أما من الكتاب، فقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ معاشاً﴾ [النبأ: ١١] فذكره في معرض الامتنان. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فيها معايشَ قليلاً ما تشكرون﴾ [الاعراف: ١٠] فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عليْكُم جُناحٌ أنْ تبتغُوا فضلاً من ربكم﴾ [البقرة: ١٩٨] وقال تعالى: ﴿وآخَرون يَضْرِبُونَ في الأرْض يبتغُونَ من فَضل الله﴾ [المزمل: ٢٠] وقال تعالى: ﴿فانتشِرُوا في الأرض وابتغُوا مِنْ فضلِ اللهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

الباب الأول

في فضل الكسب والحث عليه

في الكتاب والسنة:

(**أما في الكتاب: فقوله تعالى: ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾**) أي وقت معاش كما تقدم قريباً أو سبباً للمعايش والتصرف في المصالح أو حياة يبعثون فيها عن نومهم، (**فذكره في معرض الآيات**) والنعم الجليلات حيث قال: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً ★ والجبال أوتاداً ★ وخلقناكم أزواجاً ★ وجعلنا نومكم سباتاً ★ وجعلنا الليل لباساً ★ وجعلنا النهار معاشاً﴾ [النبأ: ٦ - ١١] إلى آخر الآيات (**وقال تعالى: ﴿وجعلنا لكم فيها**) أي في الأرض (**معايش**) أي معيشة وهي مفعلة من العيش أي ضروباً من المكاسب (**قليلاً ما تشكرون﴾ فجعلها ربك نعمة وطلب الشكر عليها**) ولا يكون الشكر إلا في مقابلة النعمة. (**وقال عز وجل: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾**) أي رزقاً. كما نقل عن ابن عباس، وقيل: المراد به المباح من الدنيا من المآكل والمشارب، وقيل غير ذلك (**وقال عز وجل: ﴿وآخرون يضربون في الأرض**) أي يسافرون فيها (**يبتغون من فضل الله﴾**) إلى ما يحصلون من الأرباح في أسفارهم وتجاراتهم، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ [الجمعة: ١٠] ومن الآيات الدالة على المقصود قوله تعالى: ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾ [الملك: ١٥] وقوله تعالى: ﴿أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ [البقرة: ٢٦٧] وغير ذلك مما هو موجود في القرآن.

وأما الأخبار؛ فقد قال ﷺ: «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهمّ في طلب المعيشة». وقال عليه السلام: «التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء». وقال ﷺ: «من طلب الدنيا حلالاً وتعففاً عن المسألة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر». وكان ﷺ جالساً مع أصحابه

(**وأما الأخبار: فقد قال ﷺ: «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم في طلب المعيشة»**) رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية وقد تقدم الكلام عليه قريباً في كتاب النكاح. (**وقال ﷺ: «التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء»**) قال العراقي: رواه الترمذي والحاكم من حديث أبي سعيد. قال الترمذي: حسن، قال الحاكم: إنه من مراسيل الحسن، ولابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: أورده الترمذي والحاكم في البيوع، وزاد الترمذي بعد قوله حسن غريب، ولكن لفظها مع النبيين والصديقين والشهداء، ولذا قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بعد أن أخرجه: إنما لحق بدرجتهم لأنه احتظى بقلبه من النبوة والصديقية والشهادة، فالنبوة انكشاف الغطاء، والصديقية استواء سريرة القلب بعلانية الأركان، والشهادة احتساب المرء بنفسه على الله فيكون عنده على حد الأمانة في جميع ما وضع عنده.

وقال الطيبي: قوله مع النبيين بعد قوله التاجر الصدوق حكم مرتب على الوصف المناسب من قوله: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم﴾ وذلك أن اسم الإشارة يشعر بأن ما بعده جدير بما قبله لاتصافه بإطاعة الله، وإنما ناسب الوصف الحكم لأن الصدوق بناء مبالغة من الصدق كالصديق، وإنما يستحقه التاجر إذا كثر تعاطيه الصدق لأن الأمناء ليسوا غير أمناء الله على عباده، فلا غرو من اتصف بهذين الوصفين أن ينخرط في زمرتهم وقليل ما هم اهـ.

وقال العراقي: ولابن ماجه والحاكم نحوه من حديث ابن عمر يشير به إلى حديثه عندهما بلفظ: «التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة» أخرجاه في البيوع. قال الحاكم: صحيح واعترضه ابن القطان وهو من رواية كثير بن هشام، وهو وإن خرج له مسلم ضعفه أبو حاتم وغيره اهـ.

قلت: ومن روى له أحد الشيخين فقد جاوز القنطرة ولا يسمع فيه لوم لائم. وروى الأصبهاني في الترغيب، والديلمي في الفردوس من حديث أنس: «التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة». وعند ابن النجار في حديث ابن عباس: «التاجر الصدوق لا يحجب من أبواب الجنة».

(**وقال ﷺ: «من طلب الدنيا حلالاً**) أي حال كون المطلوب حلالاً (**تعففاً عن المسألة**) أي لأجل عفة نفسه عن سؤال مخلوق مثله (**وسعياً على عياله**) من زوجته وأطفاله (**وتعطفاً**) أي ترحماً وتلطفاً (**على جاره**) من الفقراء في تحسين حاله (**لقي الله**) أي يوم

ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوّة وقد بكَّر يسعى، فقالوا: ويح هذا، لو كان شبابه وجلده في سبيل الله، فقال ﷺ: «لا تقولوا هذا، فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله! وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان». وقال ﷺ: «إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني

القيامة في ماله (ووجهه كالقمر ليلة البدر») من حسن جماله وكمال مثاله. قال العراقي: رواه أبو الشيخ في الثواب، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بسند ضعيف اهـ.

قلت: أورده أبو نعيم في ترجمة ابن السماك، عن الثوري، عن الحجاج بن فرافصة، عن مكحول، عن أبي هريرة بلفظ: «من طلب الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة وسعياً على العلم وتلطفاً على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر، ومن طلب حلالاً مكاثراً بها مفاخراً لقي الله وهو عليه غضبان» ثم قال: غريب من حديث مكحول لا أعلم له راوياً عنه إلا الحجاج، وهو عند الخطيب، والديلمي بلفظ: «من طلب مكسبه من مال الحلال يكف بها وجهه عن مسألة الناس وولده وعياله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين هكذا وأشار بأصبعه السبابة والوسطى».

(وكان ﷺ جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر) أي صار في بكرة النهار (يسعى) إلى أي جهة مقصده من سوق أو غيرها (فقالوا: ويح هذا) كلمة ترحم (لو كان شبابه وجلده في سبيل الله تعالى) كالسعي إلى المساجد أو إلى الجهاد أو غير ذلك من سبيل الخيرات. (فقال ﷺ: «لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى لنفسه) أي لإعانة نفسه (ليكفها) أي يمنعها (عن المسألة) أي عن سؤال مخلوق مثله (ويغنيها عن الناس) إذ الحاجة إليهم لا تخلو عن الذل (فهو في سبيل الله) لأن هذا المقصد من جملة أعمال الخير، (وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين) أي لا يستطيعان التكسب، (أو) على (ذرية) صغار (ضعفاء) عادمين القوة (ليغنيهم) عن المسألة (ويكفهم فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى مكاثراً) على أقرانه وأمثاله (ومفاخراً) بتحصيل ماله (فهو في سبيل الشيطان) هكذا أورده صاحب القوت. قال العراقي: رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة بسند ضعيف.

قلت: ولفظه في الكبير: إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان».

(وقال ﷺ: «إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغني بها عن الناس) أي عن سؤالهم

بها عن الناس، ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة ». وفي الخبر: « إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف ». وقال ﷺ: « أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور ». وفي

والاحتياج إليهم، (ويبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة ») أي: لأن العلم من أمور الآخرة فإذا امتهنه ليحصل به دنيا فقد وضع الشيء في غير محله، وقد ورد في ذلك وعيد شديد، ففي المعجم الكبير للطبراني من حديث الجارود بن المعلى مرفوعاً: « من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس وجهه ومحق ذكره وأثبت اسمه في أهل النار » والحديث المذكور هكذا أورده صاحب القوت.

قال العراقي: لم أجده هكذا، وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي « إن الله يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال » وفيه محمد بن سهل العطار. قال الدارقطني: كان يضع الحديث اهـ.

قلت: والتعب في كسب الحلال يتضمن فوائد. منها: استغناؤه عن الناس وعن اظهار الحاجة لكن شرطه اعتقاد الرزق من الرازق لا من الكسب، ومنها إيصال النفع إلى الغير بإجراء الأجرة وبتهيئة أسبابهم، ومنها السلامة من البطالة واللهو، ومنها كسر النفس ليقل طغيانها، ومنها التعفف عن ذل السؤال.

(وفي الخبر: « إن الله يحب المؤمن المحترف ») أي الذي له صناعة يكتسب منها، فإن قعود الرجل فارغاً من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة. قال العراقي: رواه الطبراني، وابن عدي من حديث ابن عمر وضعفه اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحكيم الترمذي والبيهقي وقال تفرد به أبو الربيع عن عاصم وليسا بالقويين. وقال ابن الجوزي: حديث لا يصح. وقال في الميزان: أبو الربيع السمان قال أحمد مضطرب الحديث، والنسائي لا يكتب حديثه، والدارقطني متروك. وقال هيثم: كان يكذب ثم أورد له بما أنكر عليه هذا الحديث. ونقل الزركشي تضعيفه عن ابن عدي وأقره، وقال الحافظ السيوطي: في سنده متروك، وقال الحافظ السخاوي: لكن له شواهد.

قلت: ومنها ما يروى عن أبي هريرة مرفوعاً: « إن الله تعالى يحب المؤمن المتبذل المحترف الذي لا يبالي ما لبس ». رواه البيهقي من طريق ابن نهيقي عن عقيل عن يعقوب بن عيينة عن المغيرة بن الأختر عن أبي هريرة. قال: والصواب عن المغيرة مرسلاً.

(وقال ﷺ: « أحل ما أكل الرجل من كسبه وكل بيع مبرور ») هكذا أورده صاحب القوت. قال العراقي: رواه أحمد من حديث رافع بن خديج قيل: يا رسول الله أي الكسب أطيب؟ قال: « عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » ورواه البزار والحاكم في رواية سعيد بن عمير عن عمه. قال الحاكم: صحيح الإسناد. قال: وذكر يحي بن سعيد أن عم سعيد البراء بن عازب، ورواه البيهقي من رواية سعيد بن عمير مرسلاً وقال: هذا هو المحفوظ وخطأ

خبر آخر: «أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح». **وقال عليه الصلاة والسلام: «عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق». وروي أن عيسى عليه السلام**

قول من قال عن عمه وكلان عن البخاري، ورواه أحمد والحاكم من رواية جميع يزعم عن خاله أبي بردة، وجميع ضعيف والله أعلم اهـ.

قلت: وروى ابن عساكر من حديث ابن عمر سئل رسول الله ﷺ عن أطيب الكسب قال: «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور».

هكذا هو في نسخة الجامع الكبير للسيوطي ابن عمر وأخاله مصحفاً عن ابن عمير، والله أعلم.

(**وفي خبر آخر**) ولفظ القوت وفي لفظ آخر: (**«أحل ما أكل العبد كسب يد الصانع إذا نصح»**) قال العراقي: رواه أحمد من حديث أبي هريرة بلفظ: «خير الكسب كسب العامل إذا نصح» وسنده حسن اهـ.

قلت: وكذلك رواه البيهقي، والديلمي، وابن خزيمة. وقال الهيثمي: رجاله ثقات ولفظهم: «كسب يد العامل» ومعنى قوله: «إذا نصح» أي بأن عمل عمل إتقان وإحسان متجنباً للغش وافياً بحق الصنعة غير ملتفت إلى مقدار الأجر، وبذلك يحصل الخير والبركة وبنقيضه يحصل الشر والوبال.

(**وقال ﷺ: «عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق»**) هكذا في القوت، والأعشار جمع عشير وهو لغة في العشر. قال العراقي: رواه إبراهيم الحربي في غريب الحديث من حديث نعيم بن عبد الرحمن بلفظ: «تسعة أعشار الرزق في التجارة» ورجاله ثقات. ونعيم هذا قال فيه ابن منده ذكر في الصحابة ولا يصح وقال أبو حاتم الرازي وابن حبان: إنه تابعي فالحديث مرسل اهـ.

قلت: وكذلك رواه سعيد بن منصور في سننه من حديثه ومن حديث يحي بن جابر الطائي مرسلاً بزيادة: «والعشر في المواشي» وفي رواية بدل المواشي السائبات. قال الزمخشري: وهي النتاج فمرجعها واحد، ونعيم بن عبد الرحمن ازوير مقبول من الطبقة الثانية ويحي بن جابر الطائي قاضي حمص صدوق كذا في الكاشف وفي التقريب ثقة يرسل كثيراً. قال الماردي: وإنما كانت التجارة تسعة أعشار الرزق لأنها فرع لمادتي النتاج والزرع وهي نوعان: تقلب في الحضر من غير نقلة ولا سفر، والثاني تقب في المال بالأسفار ونقلة إلى الأمصار وكلاهما مما يحتاجه الخاص والعام.

(**وروي أن عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال له: ما تصنع**) أي ما صنعتك؟ (**قال:**

رأى رجلاً فقال: ما تصنع؟ قال: أتعبد. قال: من يعولك؟ قال: أخي. قال: أخوك أعبد منك.

وقال نبينا ﷺ: « إني لا أعلم شيئاً يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلاَّ أمرتكم به، وإني لا أعلم شيئاً يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار إلا نهيتكم عنه، وإن الروح الأمين نفث في روعي: إن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا اللهَ وأجملوا في الطلب » أمر بالاجمال في الطلب ولم يقل اتركوا الطلب، ثم قال في آخره: « ولا يحملنّكم استبطاء شيء من الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله تعالى، فإن الله لا ينال

أتعبد) أي منقطع في عبادة الله تعالى **(قال: ومن يعولك؟ قال: أخي. قال: أخوك أعبد منك)** نقله صاحب القوت: **(وقال نبينا ﷺ: « إني لا أعلم شيئاً يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا أمرتكم به، ولا أعلم شيئاً يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار إلا نهيتكم عنه وإن الروح الأمين)** وهو جبريل عليه السلام إنما سمي روحاً لانه يأتي بما فيه حياة القلب فإنه المتولي لإنزال الكتب السماوية الإلهية التي بها تحيا الأرواح الربانية والقلوب الجسمانية وهو الأمين عليها **(نفث)** بفاء ومثلثة أي: تفل بغير ريق **(في روعي)** بالضم أي ألقى الوحي في خلدي وبالي أو في نفسي أو بالي أو عقلي من غير أن أسمعه ولا أراه، والنفث بما يلقيه الله عز وجل إلى نبيه ﷺ إلهاماً كشفياً بمشاهدة عين اليقين: **(إن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها)** الذي كتبه لها الملك وهي في بطن أمها فلا وجه للوله والنصب والحرص إلا عن شك في الوعد **(وإن أبطأ عنها)** فإنه سبحانه قسم الرزق وقدره لكل أحد بحسب إرادته لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص بحسب علمه القديم الأزلي، ولهذا لما سئل حكيم عن الرزق. قال: إن قسم فلا تعجل وإن لم يقسم فلا تتعب، **(فاتقوا الله)** أي ثقوا بضمانه ولا تتهموه إن أبطأ ولكنه أمرنا تعبداً بطلبه من حله، فلهذا قال: **(وأجملوا في الطلب »)** بأن تطلبوه بالطرق الجميلة المحللة بغير كد ولا حرص ولا تهافت على الحرام والشبهات.

قال المصنف: **(ولم يقل اتركوا الطلب)** بل أمر بالطلب لكن بشرط الإجمال فيه، **(ثم قال في آخر: « ولا يحملنكم)** وفي رواية: ولا يحملن أحدكم» **(استبطاء شيء من الرزق)** أي حصوله **(إن تطلبوه بمعصية الله تعالى)** وفي رواية: أن يطلبه بمعصيته تعالى **(فإن الله تعالى لا ينال ما عنده من الرزق وغيره بمعصيته »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في القناعة، والحاكم من حديث ابن مسعود. ذكره شاهد الحديث أبي حميد وجابر وصححها على شرط الشيخين وهما مختصران، ورواه البيهقي في المدخل وقال: إنه منقطع اهـ.

قلت، ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أمامة بلفظ: « إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصيته فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته ».

ما عنده بمعصيته». وقال ﷺ: «الأسواق موائد الله تعالى، فمن أتاها أصاب منها» وقال عليه الصلاة والسلام: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن

ورواه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة بلفظ: «نفث روح القدس في روعي أن نفساً لن تخرج من الدنيا حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاجلوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعصية الله فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته».

تنبيه:

قال الطيبي: الإستبطاء بمعنى الإبطاء والسين للمبالغة، وفيه أن الرزق مقدر مقسوم لا بد من وصوله إلى العبد لكنه إذا سعى وطلب على وجه مشروع وصف بأنه حلال، وإذا طلب بوجه غير مشروع فهو حرام، فقوله: ما عنده إشارة إلى أن الرزق كله من عند الله الحلال والحرام، وقوله: أن يطلبه بمعصية الله إشارة إلى أن ما عند الله إذا طلب بمعصية سمي حراماً. وقوله: إلا بطاعته إشارة إلى ما عند الله إذا طلب بطاعته مدح وسمي حلالاً وفيه دليل ظاهر لأهل السنة أن الحرام يسمى رزقاً والكل من عند الله خلافاً للمعتزلة اهـ.

(وقال ﷺ: «**الأسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها**») قال العراقي: رويناه في الطيوريات من قول الحسن البصري ولم أجده مرفوعاً اهـ.

قلت: وهكذا هو في القوت قال أبو عمرو بن العلاء، قال الحسن: فساقه.

(وقال ﷺ: «**لأن يأخذ أحدكم حبله**») وفي رواية حبلاً وفي أخرى أحبله بالجمع (**فيحتطب**) بتاء الافتعال وفي مسلم فيحطب بغير تاء أي يجمع الحطب، (**خير له من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فسأله أمراً دنيوياً أعطاه أو منعه**») متفق عليه من حديث أبي هريرة، ولفظ البخاري: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحد حبله ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس» وفي لفظ له: «خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه». وليس عند مسلم «والذي نفسي بيده»، وعنده فيحطب بغير تاء الافتعال، ومثله رواية النسائي إلا أنه قال: فيحتطب كما عند البخاري وليست خير هنا أفعل تفضيل، بل من قبيل أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً. وفي الحديث الحث على التعفف وتفضيل للسبب على البطالة، وجمهور المحققين كابن جرير وأتباعه على أن السبب لا ينافي التوكل حيث كان الاعتماد على الله لا على السبب، فإن احتاج ولم يقدر على الكسب اللائق جاز السؤال بشرط أن لا يذل نفسه ولا يلح ولا يؤذي المسؤول فإن فقد شرط منها حرم اتفاقاً، وقد روى ابن جرير في تهذيبه من حديث أبي هريرة: «لا يفتح أحد على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر. لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتي الجبل فيحتطب على ظهره فيبيع فيأكل خير له من أن يسأل الناس معط أو مانع».

يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه ». وقال: « من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر ».

وأما الآثار؛ فقد قال لقمان الحكيم لابنه: يا بني، استغن بالكسب الحلال عن الفقر، فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الثلاث: استخفاف الناس به، وقال عمر رضي الله عنه: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق يقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة. وكان زيد بن مسلمة يغرس في أرضه فقال له عمر رضي الله عنه: أصبت استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم، كما قال صاحبكم أحيحة:

(وقال ﷺ: « من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر ») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري بلفظ: « ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » أو كلمة نحوها. وقال: حسن صحيح اهـ.

قلت: وفي التهذيب لابن جرير من حديث أبي هريرة من فتح باب مسألة فتح الله له باب فقر في الدنيا والآخرة، ومن فتح باب عطية ابتغاء رحمة الله أعطاه الله خير الدنيا والآخرة. وفي لفظ له أيضاً: « لا يفتح أحد على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » الحديث. وقد ذكر قريباً قبل هذا الحديث.

(وأما الآثار) الواردة فيه؛ **(فقد قال لقمان الحكيم لابنه رضي الله عنهما: يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقة في دينه)** وهو كناية عن قلته فإن الفقر يضطره إلى ارتكاب ما يتسبب لذلك، **(وضعف في عقله)** وذلك لكثرة ما يعتريه من الهموم والأفكار وهي تظلم العقل، **(وذهاب مروءته)** وقد ورد: لا دين لمن لا مروءة له. **(وأعظم من هذه الخصال استخفاف الناس به)** واحتقارهم له وازدراؤهم لحاله، وهذا القول نقله صاحب القوت.

(وقال) عمر بن الخطاب **(رضي الله عنه: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة)** نقله صاحب القوت والإسماعيلي والذهبي كلاهما في مناقب عمر أي: لا بد للعبد من حركة ومباشرة لسبب من أسباب يتحصل به طريق الوصول إلى الرزق، فالسماء تمطر ماء فيجتمع في الأرض فتنبت نباتاً فيدرك فيحصد ويجمع في البيدر فيباع بالذهب والفضة، وهذا كله يحتاج لمباشرة أسباب لتحصيل ذلك، **(وكان يزيد بن سلمة يغرس في أرضه)** هكذا في سائر نسخ الكتاب، والذي في القوت. وحدثونا عن يزيد بن أسلم قال: كان محمد بن مسلمة في أرضه يغرس النخل، فدخل عليه عمر بن الخطاب فقال: ما تصنع يا ابن مسلمة؟ قال: ما ترى. **(فقال له: أصبت استغن عن الناس يكن أصون لدينك)** أي احفظ له **(وأكرم لك عليهم كيف قال صاحبكم أحيحة)** بن الجلاح:

فلن أزال على الزوراء أغمـرهـا إنَّ الكريم على الإخوان ذو المالِ

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته. وسئل إبراهيم عن التاجر الصدوق، أهو أحب إليك أم المتفرغ للعبادة؟ قال: التاجر الصدوق أحب إليّ لأنه في جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده، وخالفه الحسن البصري في هذا. وقال عمر رضي الله عنه: ما من موضع يأتيني الموت فيه أحب إليّ من موطن أتسوّق فيه لأهلي أبيع وأشتري.

(فلن أزال عن الزوراء أغمرهـا إن الكريم على الإخوان ذو المالِ)

هكذا هو في سياق القوت وهو الصواب، وزيد بن أسلم تابعي مشهور وهو من موالي عمر مدني ثقة، وكان يرسل روى عنه بنوه عبدالله وسلمة وأسامة ومحمد بن مسلمة بن سلمة الأنصاري صحابي مشهور، وهو أكبر من اسمه محمد من الصحابة مات بعد الأربعين، وكان من الفضلاء. وأحيحة بالتصغير ابن الجلاح بضم الجيم كغراب الضاري شاعر قبل الإسلام، ولكونه من الأنصار قال: كيف قال صاحبكم. والزوراء: موضع بالمدينة من أعراصها.

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**إني لأكره الرجل فارغاً**) عن الشغل أي بطّالاً (**لا في أمر دينه ولا في أمر دنياه**). ولفظ القوت: إني لأمقت الرجل أراه فارغاً لا في عمل دنياه ولا في عمل آخرته. وفي الحلية لأبي نعيم من طريق أبي عوانة، عن الأعمش عن يحي بن وثاب قال: قال ابن مسعود: إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في عمل دنيا ولا آخرة. ومن طريق أبي معونة عن الأعمش عن المسيب بن رافع قال: قال عبدالله بن مسعود: إني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة.

(**وسئل ابراهيم**) بن يزيد النخعي (**عن التاجر الصدوق أهو أحب إليك أم المتفرغ للعبادة؟ قال: التاجر الصدوق أحب إليّ لأنه في جهاد**) أبداً (**يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الأخذ والعطاء فيجاهده**) أي يخالفه في كل ما يأمر به من البخس والخيانة، (**و**) قد (**خالفه الحسن البصري في هذا**) كذا في القوت أي ففضل المتفرغ للعبادة على من هذا حاله، ويقول: المتفرغ للعبادة أيضاً في جهاد أبداً يأتيه الشيطان بوساوسه في سائر نواحيه فيجاهده، وكان يقول: فلا يسلم الدين في أعمال التجارات. ونقل صاحب القوت أيضاً عن ابراهيم النخعي، أنه كان يقول: كان الصانع بيده أحب إليهم من التاجر، وكان التاجر أحب إليهم من البطال.

(**وقال عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه: ما من موضع**) ولفظ القوت: موطن (**يأتيني الموت فيه أحب إليّ من موطن أتسوّق فيه لأهلي أبيع وأشتري**) في رحلي نقله صاحب القوت، وتسوّق: إذا اشترى شيئاً من السوق.

وقال الهيثم: ربما يبلغني عن الرجل يقع فيّ فأذكر استغنائي عنه فيهون ذلك عليّ. وقال أيوب: كسب فيه شيء أحب إليّ من سؤال الناس. وجاءت ريح عاصفة في البحر، فقال أهل السفينة لإبراهيم بن أدهم رحمه الله وكان معهم فيها: أما ترى هذه الشدة؟ فقال: ما هذه الشدة، إنما الشدة الحاجة إلى الناس. وقال أيوب قال لي أبو قلابة: الزم السوق فإن الغنى من العافية، يعني الغنى عن الناس. وقيل لأحمد: ما تقول فيمن جلس في بيته أو

(**وقال الهيثم**) بن جميل البغدادي، أبو سهل نزيل انطاكية ثقة من أصحاب الحديث: (**ربما يبلغني عن الرجل يقع فيّ**) أي يذكرني بسوء (**فأذكر استغنائي عنه فيهون ذلك عليّ**) نقله صاحب القوت، وفيه أيضاً: وروينا عنه أيضاً قال: اركب البر والبحر واستغن عن الناس قال: وأنشدونا عن ابن أبي الدنيا قال: أنشدني عمر بن عبدالله:

لنقل الصخر من قلل الجبال ... أخف عليّ من منن الرجال
يقول الناس كسب فيه عار ... فقلت العار من ذل السؤال

(و) في القوت: وروينا عن حماد بن زيد قال: (**قال أيوب**) هو ابن تميمة السختياني البصري (**كسب فيه شيء**) ولفظ القوت: فيه بعض الشيء (**أحب إليّ من سؤال الناس**) ولفظ القوت: من الحاجة إلى الناس وهو مصداق قوله ﷺ: « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل الناس اعطوا أو منعوا » وقد تقدم قريباً.

(و) يروى أن ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى ركب البحر مرة للغزو، فبينما هم كذلك إذ (**جاءت ريح عاصفة**) أي شديدة مخالفة (**في البحر، فقال أهل السفينة لابراهيم بن أدهم: أما ترى هذه الشدة**) يشيرون إلى شدة اضطراب البحر من الريح؟ (**فقال: ليس هذه شدة إنما الشدة الحاجة إلى الناس**) أي الاحتياج إليهم في أمر دنيوي اعطوا أو منعوا. رواه صاحب الحلية. ولفظ القوت: حدثونا عن موسى بن طريف قال: ركب ابراهيم بن أدهم البحر فأخذهم ريح عاصف أشرفوا على الهلكة فقالوا: يا أبا إسحاق أما ترى ما نحن فيه من الشدة؟ قال: أو هذه شدة. قالوا: فأي شدة الشدة؟ قال: الحاجة إلى الناس.

(**وقال أيوب**) السختياني المارّ ذكره (**قال لي أبو قلابة**) عبدالله بن زيد بن عمرو الجرمي البصري ثقة فاضل كثير الإرسال، مات بالشام هارباً من القضاء سنة أربع ومائة. (**الزم السوق فإن الغنى من العافية**) أخرجه البيهقي، وابن عساكر من طريق أيوب السختياني. قال: قال أبو قلابة: احفظ عني ثلاث خصال: إياك وأبواب السلطان، وإياك ومجالس أصحاب الأهواء، والزم سوقك فإن الغنى من العافية. وأورده صاحب القوت مقتصراً على الجملة الأخيرة، وتبعه المصنف وزاد في تفسيره: (**يعني الغنى عن الناس**) والله أعلم.

(**وقيل لأحمد**) بن حنبل رحمه الله تعالى القائل له أبو بكر المروزي: (**ما تقول فيمن جلس في بيته أو في مسجده**) الملاصق لبيته معتزلاً عن الناس مختلياً بربه (**وقال: لا أعمل شيئاً**) أي

مسجده وقال لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي؟ فقال أحمد: هذا رجل جهل العلم، أما سمع قول النبي ﷺ: «إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي». وقوله عليه الصلاة والسلام حين ذكر الطير فقال: «تغدو خماصاً وتروح بطاناً» فذكر أنها تغدو في طلب الرزق، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم والقدوة بهم. وقال أبو قلابة لرجل: لأن أراك تطلب معاشك أحب إليّ من أن أراك في زاوية المسجد. وروي أن الاوزاعي لقي ابراهيم بن أدهم رحمهم الله وعلى عنقه حزمة حطب،

من المكاسب (**حتى يأتيني رزقي**) أي من حيث لا أعلم. (**فقال أحمد**) في الجواب: (**هذا رجل جهل العلم**) وضلّ في تصوّره (**أما يسمع قول النبي ﷺ «إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي»**) يشير بذلك إلى الجهاد الذي هو أفضل أنواع الكسب، والمراد بالرزق ما يوسع الله عليه من أسلاب الكفار وأموالهم وما يتيسر له من المغانم والفتوحات، والحديث قال العراقي: رواه أحمد من حديث ابن عمر بلفظ: «جعل رزقي تحت ظل رمحي».

(**وقوله ﷺ حين ذكر الطير فقال: «تغدو**) أي تصبح من أوكارها (**خماصاً**) أي خالية البطن (**وتروح**) اي تعود مساء إلى أوكارها (**بطاناً»**) أي ممتلئة (**فذكر أنها تغدو في طلب الرزق**) ولا تلازم أوكارها، فأثبت لها السبب وهو الغدوّ. قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمر. قال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: ورواه أيضاً ابن المبارك، وأبو داود الطيالسي، وأحمد كلهم في الزهد، والنسائي، وأبو يعلى، والحاكم وصححه، وأقره الذهبي، ورواه أيضاً ابن حبان، والبيهقي، والضياء في المختارة كلهم من حديث عمر رضي الله عنه ولفظهم جميعاً «لو انكم توكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً» ومعنى: حق توكله أن تعلموا يقيناً أن لا فاعل إلا الله وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع من الله، ثم تسعون في الطلب على الوجه الجميل، ومعنى التوكل إظهار العجز والاعتماد على المتوكل عليه.

(**وكان أصحاب النبي ﷺ يتجرون في البر والبحر**) بأنواع التجارات يقصدون بذلك المعاش، (**ويعملون في نخيلهم**) بحفر الأرض وسقيها وغرس النخل بها وإصلاح شأنها وعمارة ما فسد منها. (**قال**) أحمد: (**والقدوة بهم**) أي هم الذين يقتدى بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، فإنهم شاهدوا ما لم يشاهد من بعدهم. (**وقال أبو قلابة**) الجرمي (**لرجل**) من أصحابه: (**لان أراك تطلب معاشك**) بالتكسب والسعي لتحصيله بأسبابه المحصلة له (**أحب إليّ من أن أراك في زاوية المسجد**) معتزلاً عن الناس مختلياً فارغاً عن الشغل.

(**وروي أن**) أبا عمرو (**الاوزاعي**) الإمام المشهور (**لقي ابراهيم بن أدهم**) رحمة الله عليهما (**وعلى عنقه حزمة حطب**) وهو ما يجمع من الحطب طائفة فيجمعه ويشده بحبل وجمع

فقال له: يا أبا إسحاق إلى متى هذا؟ اخوانك يكفونك، فقال: دعني عن هذا يا أبا عمرو، فإنه بلغني أنه من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة. وقال أبو سليمان الداراني ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوّت لك، ولكن ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ينادي مناد يوم القيامة: أين بغضاء الله في أرضه، فيقوم سؤال المساجد، فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الأغيار. ومن ليس له مال موروث فلا ينجيه من ذلك إلا الكسب والتجارة.

فإن قلت: فقد قال ﷺ: « ما أوحي إليَّ ان أجمع المال وكن من التاجرين، ولكن أوحي إليَّ أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين »

الحزمة حزم كغرفة وغرف، (**فقال له: يا أبا إسحاق**) وهي كنية ابراهيم (**إلى متى هذا**) أي اشتغالك بالمعاش وتركك الإقبال على العبادة؟ (**اخوانك**) في الله (**يكفونك**) مؤونة العمل. (**فقال**) ابراهيم: (**دعني عن هذا**) العتاب (**يا أبا عمرو**) وهي كنية الاوزاعي (**فإنه بلغني**) عن بعض الأشياخ (**انه**) قال: (**من وقف موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة**)، وكان ابراهيم قد هاجر إلى الشام لأجل طلب الحلال وله في ذلك أخبار ذكرها صاحب الحلية وغيره.

(**وقال أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى. (**ليس العبادة عندنا**) معاشر الصوفية (**أن تصف قدميك**) في الصلاة فلا تزال مصلياً (**وغيرك يقوتك**) في العمل، (**ولكن ابدأ**) أوّلاً (**برغيفك**) للغداء والعشاء (**فاحرزها**) بعد تحصيلها (**ثم تعبد**) أي اشتغل بالعبادة، وذلك لما فيه من تفرغ القلب للعبادة. وروى أبو نعيم في الحلية في ترجمة سلمان الفارسي رضي الله عنه بسنده إليه قال: إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت وتفرغت للعبادة وأيس منها الوسواس.

(**وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ينادي منادٍ يوم القيامة**) أي على رؤوس الناس: (**أين بغضاء الله في أرضه**) جمع بغيض فعيل بمعنى مفعول أي الذي يبغضه الله تعالى؟ (**فيقوم سؤال الناس في المساجد**) جمع سائل، والمراد هم الذين يتكففون الناس في المساجد. وأخرج صاحب الحلية في ترجمة ابراهيم بن أدهم بسنده إليه قال: المسألة مسألتان: مسألة على أبواب الناس، ومسألة يقول الرجل ألزم المسجد وأصلي وأصوم وأعبد الله، فمن جاءني بشيء قبلته، فهذا شر المسألتين وهذا قد ألحف في المسألة؛ (**فهذه مذمة الشرع للسؤال**) من الناس (**والاتكال على كفاية الأغيار**) بتحمل المؤن والكلف، (**ومن ليس له مال موروث**) قد ورثه عن أحد من قرابته، (**فلا ينجيه من ذلك**) أي من السؤال والاتكال على الغير (**إلا أحد الشيئين الكسب**) في أي عمل كان (**والتجارة**) بأي نوع كانت.

(**فإن قلت: فقد قال** ﷺ: « **ما أوحي إليّ**) أي من ربي (**أن أجمع المال**) أي من هنا ومن هنا (**وكن من التاجرين، ولكن أوحي إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين**)

وقيل لسلمان الفارسي: أوصنا، فقال: من استطاع منكم أن يموت حاجاً أو غازياً أو عامراً لمسجد ربه فليفعل، ولا يموتن تاجراً ولا خـائنـاً.

فالجواب: أن وجه الجمع بين هذه الأخبار تفصيل الأحوال؛ فنقول: لسنا نقول التجارة أفضل مطلقاً من كل شيء، ولكن التجارة إما أن تطلب بها الكفاية أو الثروة أو الزيادة على الكفاية؛ فإن طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال وادخاره لا ليصرف إلى الخيرات والصدقات فهي مذمومة، لأنه اقبال على الدنيا التي حبها رأس كل

أي من المديمين على السجود (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين») أي الموت. قال العراقي: رواه ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين اهـ.

قلـت: ورواه الحاكم في تاريخه عن أبي ذر مرفوعاً بلفظ: «ما أوحي إلي أن أكون تاجراً ولا أن أجمع المال مكاثراً، ولكن أوحي إلي أن سبح» إلخ. وهو في الحلية لأبي نعيم عن أبي مسلم الخولاني مرسلاً بلفظ «ما أوحي إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين» والباقي سواء.

(**وقيل لسلمان الفارسي**) رضي الله عنه: (**أوصنا. فقال: من استطاع منكم أن يموت حاجاً**) أي وهو متوجه إلى بيت ربه أو في نيته ذلك (**أو غازياً**) أي مجاهداً في سبيل الله أو في نيته ذلك (**أو عامراً لمسجد ربه**) بأن يختلف إليه في الأوقات الخمسة، وعمارته بالصلاة فيه والذكر والمراقبة والعكوف، (**فليفعل ولا يموتن تاجراً**) أي مشتغلاً بالتجارة (**ولا جابياً**) أي مشتغلاً بالجباية، وقد كان مقام سلمان يستدعي ذلك فإنه كان مثبتاً على الشدائد مطرحاً للزوائد.

(**فالجواب: إن وجه الجمع بين هذه الأخبار**) والآثار التي تليت وكذا غيرها مما يشاكلها (**تفصيل الأحوال فنقول: لسنا نقول**) أن (**التجارة أفضل مطلقاً من كل وجه، ولكن**) نفصل ونقول: إن (**التاجر**) لا يخلو (**إما أن يطلب بها**) أي بتلك التجارة (**الكفاية**) لمؤنـة نفسه وعياله (**أو الثروة**) أي استكثار المال (**والزيادة على الكفاية**) والحاجة الضرورية، (**فإن طلب منها الزيادة على الكفاية باستكثار المال**) وتنميته (**وادخاره لا ليصرف إلى الخيرات**) المطلوبة (**والصدقات المرغوبة**) والمبرات الشرعية التي ندب إليها الشارع وأكد عليها (**فهي مذمومة**) شرعاً، (**لأنه اقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة**) يشير بذلك إلى ما رواه البيهقي في الشعب باسناد حسن إلى الحسن البصري رفعه مرسلاً «حب الدنيا رأس كل خطيئة». ورواه الديلمي في الفردوس عن علي مرفوعاً، وهو أيضاً عند البيهقي في الزهد، وأبي نعيم في ترجمة الثوري من الحلية من قول عيسى ابن مريم عليهما السلام، وعند ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان له من قول مالك بن دينار، وعند ابن يونس في ترجمة سعد بن مسعود التحيبي من تاريخ مصر له من قول سعد، وجزم ابن تيمية بأنه من قول جندب البجلي رضي الله عنه. وفي معنى هذه الجملة ما رواه الديلمي من حديث أبي هريرة مرفوعاً «أعظم الآفات لشيب أمتي حبهم الدنيا وجمعهم

خطيئة، فإن كان مع ذلك ظالماً خائناً فهو ظلم وفسق، وهذا ما أراده سلمان بقوله: لا تمت تاجراً ولا خائناً، وأراد بالتاجر: طالب الزيادة، فأما إذا طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده، وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال فالتجارة تعففاً عن السؤال أفضل، وإن كان لا يحتاج إلى السؤال وكان يعطى من غير سؤال، فالكسب أفضل لأنه إنما يُعطى لأنه سائل بلسان حاله ومناد بين الناس بفقره، فالتعفف والتستر أولى من البطالة، بل من الاشتغال بالعبادات البدنية وترك الكسب أفضل لأربعة: عابد بالعبادات البدنية، أو رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الأحوال والمكاشفات، أو عالم مشتغل بتربية علم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم كالمفتي والمفسر والمحدث وأمثالهم، أو رجل مشتغل بمصالح المسلمين، وقد تكفل بأمورهم كالسلطان والقاضي والشاهد، فهؤلاء إذا كانوا يكفون من الأموال المرصدة للمصالح أو الأوقاف المسبلة على الفقراء أو العلماء.

الدنانير والدراهم لا خير في كثير ممن جمعها إلا من سلطه الله على هلاكها في الحق» **(فإن كان مع ذلك خائناً)** في معاملاته **(فهو ظلم وفسوق)** وخروج عن الحدود، **(وهذا ما أراد سلمان)** رضي الله عنه **(بقوله: لا يموت تاجراً ولا جابياً)** فإن الجباية تتداخلها الخيانة. **(وأراد بالتاجر: طالب الزيادة)** عن الكفاية، **(وأما إن طلب بها الكفاية لنفسه وأولاده)** ممن يمونهم **(وكان يقدر على كفايتهم بالسؤال)** من أيدي الناس **(فالتجارة)** أي الاشتغال بها **(تعففاً عن السؤال أفضل)** في المقام، **(وإن كان لا يحتاج إلى السؤال وكان يعطى من غير مسألة، فالكسب)** في حقه **(أفضل لأنه إنما يُعطى لأنه سائل بلسانه حاله)** ولو سكت في مقاله **(ومنادٍ بين الناس بفقره)** وهذا هو الذي قدمنا قريباً عن ابراهيم بن أدهم أنه شر المسألتين، **(فالتعفف والستر أولى من البطالة)** عن الكسب، **(بل من الاشتغال بالعبادات البدنية)** كالصلاة والصوم وغيرهما **(وترك الكسب أفضل لأربعة)** أشخاص: **(عابد)** مشغول **(بالعبادات البدنية)** فلو مال إلى الكسب اشتغل عنها وفاتته إذ الكسب يستدعي استغراق طرفي النهار فيه، **(أو رجل له سير بالباطن)** إلى الحق **(وعمل بالقلب)** بمراقبته ونفي الخواطر عنه **(في علوم الأحوال والمكاشفات)** مما ترد عليه وتظهر له، فلو مال إلى الكسب اشتغل عن السير ووقف والوقوف نقصان، **(أو عالم)** محقق **(مشتغل بتربية)** الطالبين في **(علم الظاهر مما ينتفع الناس به في دينهم)** بأن يرجعوا إليه في المشكلات التي تتصدى والنوازل التي تقع **(كالمفتي)** في المذهب، **(والمفسر، والمحدث وأمثالهم)**، فإن هؤلاء متصدون لنشر هذه العلوم لطالبيها وواقفون ازاءها ليلاً ونهاراً، فلو مالوا إلى الكسب لم يتمكنوا من ضبطها وحفظها وجمعها، **(أو رجل)** من ولاة الأمور **(مشتغل بمصالح المسلمين)** العامة **(وقد تكفل بأمورهم)** ضبطاً وحفظاً **(كالسلطان)** ومن في معناه **(والقاضي)** ومن في معناه **(والشاهد، فهؤلاء)** الأربعة **(إذا كانوا يكفون)** المؤونة **(من الأموال المرصدة)** أي المحبوسة **(للمصالح)** الشرعية **(أو**

فإقبالهم على ما هم فيه أفضل من اشتغالهم بالكسب، ولهذا أوحي إلى رسول الله ﷺ أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح إليه أن كن من التاجرين لأنه كان جامعاً لهذه المعاني الأربعة إلى زيادات لا يحيط بها الوصف، ولهذا أشار الصحابة على أبي بكر رضي الله عنهم بترك التجارة لما ولي الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن المصالح، وكان يأخذ كفايته من مال المصالح. ورأى ذلك أولى ثم لما توفي أوصى برده إلى بيت المال، ولكنه رآه في الابتداء أولى، ولهؤلاء الأربعة حالتان أخريان:

احداهما: أن تكون كفايتهم عند ترك المكسب من أيدي الناس وما يتصدق به عليهم من زكاة أو صدقة من غير حاجة إلى سؤال، فترك الكسب والاشتغال بما هم فيه أولى، إذ فيه إعانة الناس على الخيرات وقبول منهم لما هو حق عليهم أو فضل لهم.

الحالة الثانية: الحاجة إلى السؤال، وهذا في محل النظر، والتشديدات التي رويناها في

الأوقاف المسبلة) أي المجعولة في سبيل الله تعالى (**على العلماء**) بأصنافهم (**والفقراء**) أرباب الزوايا. (**فإقبالهم على ما هم فيه**) من الاشتغال بالعلم بالله وبمصالح الخلق (**أفضل من الاشتغال بالكسب، ولهذا أوحي إلى رسول الله ﷺ أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح إليه أن يكون من التاجرين لأنه**) ﷺ (**كان جامعاً لهذه المعاني الأربعة**) فإنه كان مشتغلاً بعبادة ربه، سالكاً بالسير إليه، مربياً للخلق بما ينفعهم في دينهم ودنياهم، قاضياً مصالح العامة (**إلى زيادات لا يحيط بهم الوصف**) ويكل عنها البيان، (**ولهذا**) المعنى (**أشار الصحابة على أبي بكر**) رضي الله عنهم (**بترك التجارة لما ولي الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن المصالح**) المقصودة للعامة والخاصة، (**وكان يأخذ كفايته**) وكفاية عياله (**من مال المصالح**) المرصد لولاة الأمر بعد النبي ﷺ وهو من سهم الخمس، (**ورأى ذلك**) أي أخذه منه (**أولى**) من الاشتغال بالتجارة، (**ثم لما توفي أوصى برده إلى بيت المال ولكنه رآه في الابتداء أولى**) وهكذا فعله عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة، (**ولهؤلاء الأربع حالتان أخريان**.

احداها: **أن تكون كفايتهم**) المؤن (**عند ترك الكسب من أيدي الناس وما يتصدقونه عليهم**) سواء (**من زكاة**) مفروضة (**أو صدقة**) متطوّعة (**من غير حاجة إلى سؤال**) ولا ما يحمله عليه، (**فترك الكسب**) حينئذ (**والاشتغال بما هم فيه أولى** وأرقى مقاماً **إذ هو فيه إعانة للناس على الخيرات**) بأنواعها (**وقبول منهم لما هو حق**) مفروض (**عليهم أو فضل لهم**.

الحالة الثانية: الحاجة إلى السؤال وهذا في محل النظر) والتأمل (**والتشديدات التي**

السؤال وذمه تدل ظاهراً على أن التعفف عن السؤال أولى وإطلاق القول فيه من غير ملاحظة الأحوال والأشخاص عسير ، بل هو موكول إلى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بأن يقابل ما يلقى في السؤال من المذلة وهتك المروءة والحاجة إلى التثقيل والإلحاح بما يحصل من اشتغاله بالعلم والعلم من الفائدة له ولغيره ، فربّ شخص تكثر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم أو العمل ، ويهون عليه بأدنى تعريض في السؤال تحصيل الكفاية ، وربما يكون بالعكس ، وربما يتقابل المطلوب والمحذور ، فينبغي أن يستفتي المريد فيه قلبه وإن أفتاه المفتون ، فإن الفتاوي لا تحيط بتفاصيل الصور ودقائق الأحوال ، ولقد كان في السلف من له ثلاثمائة وستون صديقاً ينزل على كل واحد منهم ليلة ، ومنهم من له ثلاثون ، وكانوا يشتغلون بالعبادة لعلمهم بأن المتكلفين بهم يتقلدون منة من قبولهم لمبراتهم ، فكان قبولهم لمبراتهم خيراً مضافاً لهم إلى عباداتهم ، فينبغي أن يدقق النظر في هذه الأمور ، فإن أجر الآخذ كأجر المعطي مهما كان الآخذ يستعين به على الدين

رويناها) آنفاً (في السؤال وذمه) وكراهيته (تدل ظاهراً) أي بظاهر سياقاتها (على أن التعفف عن السؤال أولى) وإليه مال جماعة (وإطلاق القول فيه) بالأولوية (من غير ملاحظة الأحوال والأشخاص) مع تباينها (عسير) جداً (بل هو موكول إلى اجتهاد العبد ونظره لنفسه بأن يقابل ما يلقى في السؤال من المذمة) والدناءة (وهتك) حجاب (المروءة والحاجة إلى التثقيل والإلحاح) المذمومين (بما يحصل من استفادة بالعلم أو العمل من الفائدة له ولغيره) ، ثم يتأمل في هذه المقابلة ، (فرب شخص يكثر فائدة الخلق وفائدته في اشتغاله بالعلم أو العمل ويهون عليه بأدنى تعريض في السؤال تحصيل الكفاية) من المعاش ، (وربما يكون بالعكس، وربما يتقابل المطلوب والمحذور) فيكونان على حد سواء ، (فينبغي أن يستفتي المريد فيه قلبه) ماذا يفتيه ولا يستفتي غيره ، (وإن أفتاه المفتون) ففي الخبر « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك » وقد تقدم ذلك مفصلاً في كتاب العلم ،(فإن الفتاوي) الظاهرة (لا تحيط بتفاصيل الصور) المتنوّعة (ودقائق الأحوال) الخفية ، (فلقد كان في) من مضى من (السلف من) كان (له ثلاثمائة وستون صديقاً ينزل على كل واحد ليلة) نقله صاحب القوت والعوارف قالا : (و) فيهم (من) كان (له ثلاثون) صديقاً ينزل على كل واحد نحو ثلاث مرات في الشهر فلا يستثقلون من وروده عليهم ، (وكانوا يشتغلون أبداً بالعبادة) ولا يتكسبون (لعلمهم بأن المتكلفين بهم) عند ورودهم عليهم (يتقلدون منة من قبولهم لمبراتهم ، فكان قبولهم لخيراتهم خيراً مضافاً لهم إلى عباداتهم) وهذا ملحظ دقيق ، (فينبغي أن يدقق النظر في هذه الأمور فإن أجر الآخذ) للصدقة (كأجر المعطي) لها (مهما كان الآخذ يستعين به على) أمور (الدين و) كان (المعطي يعطيه عن طيب قلب)

والمعطي يعطيه عن طيب قلب. ومن اطلع على هذه المعاني أمكنه أن يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الأفضل له بالإضافة إلى حاله ووقته، فهذه فضيلة الكسب، وليكن العقد الذي به الاكتساب جامعاً لأربعة أمور: الصحة، والعدل، والإحسان، والشفقة على الدين. ونحن نعقد في كل واحد باباً، ونبتدىء بذكر أسباب الصحة في الباب الثاني.

وشرح صدر، (ومن اطلع على هذه المعاني) الباطنة (أمكنه أن يتعرف حال نفسه ويستوضح من قلبه ما هو الأفضل له بالإضافة إلى حاله ووقته) وهذا هو فتوى القلب، (والله أعلم. فهذا فضل الكسب وليكن العقد الذي به الاكتساب جامعاً لأربعة أمور: الصحة، والعدل، والإحسان، والشفقة على الدين. ونحن نعقد في كل واحد باباً ونبدأ بذكر الصحة في الباب الثاني) فنقول:

الباب الثاني

في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والاجارة والقراض والشركة وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار المكاسب في الشرع

اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجد على كل مسلم مكتسب ، ولأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وإنما هو طلب العلم المحتاج إليه ، والمكتسب يحتاج إلى علم الكسب ، ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فيتقيها ، وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقع على سبب إشكالها فيتوقف فيها إلى أن يسأل ، فإنه إذا لم يعلم أسباب الفساد بعلم جلي فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ، ولو قال : لا أقدم العلم ولكني أصبر إلى أن تقع لي الواقعة فعندها أتعلم واستفتي ، فيقال له : وبِمَ تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم

الباب الثاني

في علم الكسب بطريق البيع والربا والسلم والاجارة والقراض والشركة

فهذه ستة طرق للاكتساب ، (**وبيان شروط الشرع في صحة هذه التصرفات التي هي مدار المكاسب**) أي تدور عليها ولا تخرج عنها .

(**اعلم أن تحصيل علم هذا الباب واجب على كل مكتسب ، لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم**) رواه أنس عن النبي ﷺ ، وقد تقدم الكلام عليه مبسوطاً في كتاب العلم ، (**وإنما هو طلب العلم المحتاج إليه**) وهو أحد التأويلات في شرح الحديث المذكور ، ومرت الإشارة إليه هناك . (**والمكتسب**) على كل حال (**محتاج إلى علم الكسب**) الذي به يعرف ما يكتسبه وكيف يكتسب ، (**ومهما حصل**) لنفسه (**علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة**) على التفصيل (**فيتقيها ، وما شذّ عنه**) وانفرد (**من الفروع المشكلة**) منها التي لم تدخل تحت حيطتها (**فيقع على سبب اشكالها فيتوقف فيها إلى أن يسأل**) ذوي المعرفة عنها ، (**فإنه إذا لم يعلم أسباب الفساد بعلم جلي**) أي اجالي (**لا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال**) وهذا ظاهر ، (**ولو قال: لا أخدم العلم**) في شيء من ذلك (**ولكني أصبر**) زماناً من العمر (**إلى أن تقع لي الواقعة**) واحتجت إلى ذلك ، (**فعندها أتعلم هذا العلم**) واشتغل به (**واستفتي**) علماء الوقت

جهل مفسدات العقود، فإنه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة، فلا بدّ له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور، وموضع الإشكال عن موضع الوضوح، ولذلك روي عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدرّة ويقول: لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه، وإلاّ أكل الربا شاء أم أبى، وعلم العقود كثير، ولكن هذه العقود الستة لا تنفك المكاسب عنها وهي البيع والربا والسلم والاجارة والشركة والقراض، فلنشرح شروطها:

العقد الأوّل: البيع:

فيما أتوقف. وفي نسخة: واستقصي أي أطلب النهاية (**فيقال له: وبِمَ تعلم وقوع الواقعة مهما لم تعلم جمل مفسدات العقود فإنه يستمر في التصرفات**) على ما جرت به العادات، (**ويظنها صحيحة مباحة**) وقد داخلها الفساد المانع عن الصحة وهو لا يدري، (**فلا بدّ له من هذا القدر من علم التجارة ليتميز له المباح عن المحظور**) الشرعيين، (**وموضع الإشكال عن موضع الوضوح، ولذلك روي عن**) أمير المؤمنين (**عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه انه كان يطوف**) أي يدور (**في السوق**) أي سوق المدينة، وفي نسخة: من الأسواق (**ويضرب بعض التجار بالدرة**) بالكسر سوط من جلد (**ويقول: لا يبيع في سوقنا**) هذا، والمراد أسواق المسلمين (**إلا من تفقه**) أي من فقه في معاملاته (**وإلاّ أكل الربا**) الذي حرمه الله تعالى (**شاء أم أبى**) أي يقع فيه بحيث لا يدري، وهذا القول نقله صاحب القوت وأورده الإسماعيلي والذهبي كلاهما في مناقب عمر رضي الله عنه. (**وعلوم العقود كثيرة، ولكن هذه العقود الستة**) المذكورة (**لا ينفك المكاسب عنها**) غالباً، وسواها يقع على الندرة، (**فلنشرح شروطها**) ونكشف عن وجوه الحق مروطها.

العقد الأوّل: البيع:

قال صاحب الإقليد: مصدر مفرد على بابه ويجمع لاختلاف أنواعه واشتقاقه من مدّ الباع يمنعه اختلافهما في المضارع اهـ.

وقال الحراني: البيع رغبة المالك عما في يده إلى ما في يد غيره، والشراء رغبة المستملك فيما في يد غيره معاوضة بما في يده مما رغب عنه، فلذلك كل شارٍ بائع. وقال صاحب المصباح: أصله مبادلة مال بمال يقولون: بيع رابح وبيع خاسر، وذلك حقيقة في وصف الأعيان، لكنه أطلق على العقد مجازاً لأنه سبب التمليك والتملك، وقولهم: صح البيع أو بطل ونحوه أي: صيغة البيع، لكن لما حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وهو مذكر أسند الفعل إليه بلفظ التذكير، والبيع من الأضداد لا الشراء، ويطلق على كل من العاقدين أنه بائع ومشترٍ، لكن إذا أطلق البائع فالمتبادر

وقد أحله الله تعالى وله ثلاثة أركان: العاقد، والمعقود عليه، واللفظ.

الركن الأوّل: العاقد ينبغي للتاجر أن لا يعامل بالبيع أربعة: الصبي، والمجنون، والعبد، والأعمى، لأن الصبي غير مكلف، وكذا المجنون، وبيعهما باطل، فلا يصح بيع الصبي وإن أذن له الولي فيه عند الشافعي، وما أخذه منهما مضمون عليه لهما وما سلمه في

للذهن باذل السلعة، ومن أحسن ما وسم به البيع انه تمليك عن مالية أو منفعة مباحة على التأبيد بعوض مالي اهـ.

وقال أصحابنا: هو شرعاً مبادلة المال بالمال بالتراخي ولغة هو مطلق المبادلة من غير تقييد بالتراخي، وكونه مقيداً به ثبت شرعاً بقوله تعالى ﴿إلاّ أن تكون تجارةعن تراض منكم﴾ [النساء: ٢٩] **(وقد أحل الله البيع وحرم الربا)** وثبت ذلك بالكتاب والسّنة والإجماع. أما الكتاب فقوله تعالى ﴿وأحَلّ الله البيع وحرَّم الرِّبا﴾ [البقرة: ٢٧٥] وأما السنة: فنحو ما روي عن رافع بن خديج أن النبي ﷺ سئل عن أطيب الكسب فقال «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور» وروي «انه ﷺ باع قدحاً وحلساً وكانوا يتبايعون فأقرهم عليه». وأما الاجماع فإن الأمة أجمعت على جوازه وأنه أحد أسباب الملك. **(وله ثلاثة أركان العاقد، والمعقود عليه، واللفظ)** وعبارته في الوجيز: الصيغة، والعاقد، والمعقود عليه. وعبارته في الوسيط هي: العاقد، والمعقود عليه، وصيغة العقد فلا بدَّ منها لوجود صورة العقد هذا لفظه، وسيأتي البحث فيه عند ذكر الركن الثالث.

(الركن الأول: العاقد:) لفظ العاقد ينظم البائع والمشتري ويعتبر فيهما لصحة البيع التكليف، وقد أشار إلى ذلك المصنف بقوله: **(ينبغي للتاجر أن لا يعامل بالبيع أربعة: الصبي)** الصغير، **(والمجنون، والعبد، والأعمى)** الذي لا يرى بعينيه أصلاً **(لأن الصبي غير مكلف)** أي لم يكلف بعد لعمل من الأعمال، **(وكذا المجنون)** الذي لا يعي شيئاً وقد ستر عقله، **(وبيعهما باطل)** أي لاينعقد البيع بعبارتها لا لنفسهما ولا لغيرهما، **(ولا يصح بيع الصبي)** سواء كان مميزاً أو غير مميز **(وإن أذن فيه الولي)** أي سواء باشر بإذن الولي ودون إذنه هذا **(عند الشافعي)** رضي الله عنه ووافقه مالك، ولا فرق بين بيع الاختبار وغيره على ظاهر المذهب، وبيع الاختبار هو الذي يمتحنه الولي ليستبين رشده عند مناهزة الحلم، ولكن يفوّض إليه الاستيام وترتيب العقد، فإذا انتهى الأمر إلى اللفظ أتى به الولي. وعن بعض الأصحاب تصحيح بيع الاختبار قاله الرافعي.

وقال النووي في زيادات الروضة: ويشترط في العاقدين الاختيار فإن أكره على البيع لم يصح إلا إذا أكره بحق بأن يوجه عليه بيع ماله لوفاء دين أو شراء مال أسلم إليه فيه، فأكره الحاكم عليه صح بيعه وشراؤه لأنه إكراه بحق، أما بيع المصادرة فالأصح صحته ويصح بيع السكران وشراؤه على المذهب، وإن كان غير مكلف كما تقرر في كتب الأصول، والله اعلم. اهـ.

المعاملة إليهما فضاع في أيديهما فهو المضيع له. وأما العبد العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه إلا

وقال أبو حنيفة رحمه الله: إن كان الصبي مميزاً وباع واشترى بغير إذن الولي فالعقد موقوف على اجازته، وإن باع باذنه نفذ ويكون وكيلاً عن الولي إذا أذن له في التصرف في ماله ومتصرفاً لنفسه إن أذن له في التصرف في مال نفسه، حتى لو أذن له في بيع ماله بالغبن فباع نفذ، وإن كان لا ينفذ من الولي، ووافقه الإمام أحمد على أنه ينفذ إذا كان بإذن الولي، وأصحاب الشافعي يقولون: هو غير مكلف فلا ينفذ بيعه وشراؤه كالمجنون وغير المميز، **(وما أخذه منهما مضمون عليه لهما وما سلمه إليهما في المعاملة فضاع في أيديهما فهو المضيع له)** أي لو أشترى شيئاً وقبض المبيع فتلف في يده أو اتلفه الصبي لا ضمان عليه في الحال ولا بعد البلوغ، وكذا لو استقرض مالاً لأن المالك هو المضيع بالتسليم إليه، وما داما باقيين فللمالك الاسترداد ولو سلم ثمن ما اشتراه فعلى الولي استرداده والبائع يرده على الولي، فلو رده على الصبي لم يبرأ عن الضمان، وهذا كما لو عرض الصبي ديناراً على صراف لينقده أو متاعاً على مقوّم ليقومه، فإذا أخذه لم يجز له رده على الصبي بل يرده على وليه إن كان للصبي، وعلى مالكه إن كان له مالك، فلو أمره ولي الصبي بدفعه سقط عنه الضمان إن كان الملك للولي وإن كان للصبي فلا. كما لو أمره بالقاء مال الصبي في البحر ففعل يلزمه الضمان، ولو تبايع صبيان وتقابضا فاتلف كل واحد منهما ما قبضه نظر إن جرى ذلك باذن الوليين فالضمان عليهما وإلاّ فلا ضمان عليهما، وعلى الصبيين الضمان لأن تسليمهما لا يعد تسليطاً وتضييعاً وفي هذا الفضل مسألتان.

إحداهما: كما لا ينفذ بيع الصبي وشراؤه لا ينفذ نكاحه وسائر تصرفاته نعم في تدبير المميز ووصيته خلاف يذكر في الوصايا فإذا فتح الباب وأخبر عن إذن أهل الدار في الدخول أو أوصل هدية إلى إنسان فاخبر عن إهداء مهديها، فهل يجوز الاعتماد عليه؟ نظر إن انضمت إليه قرائن أورثت العلم بحقيقة الحال جاز الدخول والقبول وهو في الحقيقة عمل بالعلم لا بقوله، وإن لم ينضم نظر إن كان عازماً غير مأمون القول فلا يعتمد وإلاّ فطريقان: أحدهما: تخريجه على وجهين ذكر في قبول روايته، وأصحهما القطع بالاعتماد تمسكاً بعادة السلف، فإنهم كانوا يعتمدون أمثال ذلك ولا يضيقون فيها.

الثانية: كما لا تصح تصرفاته اللفظية لا يصح قبضه في تلك التصرفات، فإن للقبض من التأثير ما ليس للعقد فلا يفيد قبضه الموهوب للملك له، وإن اتهب له الولي ولا لغيره إذا أمره الموهوب منه بالقبض له، ولو قال مستحق الدين لمن عليه الدين: سلّم حقي إلى هذا الصبي فسلم قدر حقه لم يبرأ عن الدين، وكان ما سلمه باقياً على ملكه حتى لو ضاع ضاع منه فلا ضمان على الصبي لأن المالك ضيعه حيث سلمه إليه، وإنما بقي الدين بحاله لأن الدين مرسل في الذمة لا يتعين إلا بقبض صحيح، فإذا لم يصح القبض لم يزل الحق المطلق عن الذمة كما إذا قال لمن عليه الدين: ألق حقي في البحر فالقى قدر حقه لا يبرأ عن الدين ويخالف ما إذا قال مالك الوديعة للمودع: سلّم حقي الى هذا الصبي فسلم خرج عن العهدة لأنه امتثل امره في حقه المتعين كما لو قال: القها البحر فامتثل،

بإذن سيده فعلى البقال والخباز والقصاب وغيرهم أن لا يعاملوا العبيد ما لم تأذن لهم السادة في معاملتهم، وذلك بأن يسمعه صريحاً أو ينتشر في البلد أنه مأذون له في الشراء لسيده، وفي البيع له فيعوّل على الاستفاضة أو على قول عدل يخبره بذلك، فإن عامله بغير إذن السيد فعقده باطل وما أخذه منه مضمون عليه لسيده، وما تسلمه إن ضاع في يد العبد لا يتعلق برقبته ولا يضمنه سيده، بل ليس له إلا المطالبة إذا عتق. وأما

ولو كانت الوديعة للصبي فسلمها إليه ضمن سواء كان بإذن الولي أو دون إذنه إذ ليس له تضييعها وإن أمره الولي بها.

(**وأما العبد البالغ العاقل فلا يصح بيعه وشراؤه إلا باذن سيده**) الذي يملك رقبته (**فعلى البقال**) بائع البقل وهو كل نبت اخضرت به الأرض قاله ابن فارس، والمراد به الذي يبيع الخضراوات، وفي معناه الزيات والجبان واللبان ويطلق عرفاً البقال على كل هؤلاء. (**والخباز**) الذي يبيع الخبز والذي يخبزه، (**والقصاب**) أي بائع اللحم (**وغيرهم**) من أرباب الصنائع المتعامل بها في الأسواق (**أن لا يعاملوا العبيد**) إذا جاؤا يشترون منهم شيئاً أو يبيعون (**ما لم يأذن لهم في معاملتهم السادة، وذلك**) الإذن (**بأن يسمعه**) من سيده (**صريحاً**) لا كناية وتلميحاً (**أو ينتشر في البلد انه مأذون في الشراء لسيده، والبيع فيعوّل على الاستفاضة أو على قول عدل يخبره بذلك، فإن عامله بغير إذن السيد فعقده باطل وما أخذه منه مضمون عليه لسيده، وما سلمه إن ضاع في يد العبد لا يتعلق برقبته ولا يضمنه سيده، بل ليس له إلا المطالبة به إذا عتق**). اعلم ان العبد المأذون في البيع والشراء لسيده يتوجه الكلام فيه في ثلاثة فصول: أحدها: فيما يجوز، وثانيها: في أن الطلبة في الديوان الواجبة بمعاملات على من تتوجه، وثالثها: في أنها من أين تؤدى.

أما الأول: فاعلم أنه يجوز للسيد أن يأذن لعبده في سائر التصرفات لأنه صحيح العبارة ومنعه من التصرفات لحق السيد، فإذا أمره ارتفع ويستفيد المأذون بالتجارة بهذا الإذن كل ما يندرج تحت اسم التجارة أو كان من لوازمها وتوابعها، وفي ذلك صور مفصلة في شرح الوجيز، ومن عامل المأذون وهو لا يعرف رقه فتصرفه صحيح ولا يشترط علمه بحاله ذكره الإمام في النهاية، وهو أظهر الوجهين لأن الأصل والغالب على الناس الحرية، ولو عرف رقه لم يجز له أن يعامله حتى يعرف إذن السيد، ولا يكفي قول العبد أنا مأذون لأن الأصل عدم الإذن المستحق. وقال أبو حنيفة: يكفي قول العبد كما يكفي قول الوكيل، وإنما يعرف كونه مأذوناً إما بسماع الإذن أو ببينة تقوم عليه ولو شاع في الناس كونه مأذوناً فوجهان: أصحهما أنه يكتفى به أيضاً لأن إقامة البينة لحل معاملته مما يعسر: ولو عرف كونه مأذوناً ثم قال: حجر عليّ السيد لم يعامل، فإن قال السيد: لم أحجر عليه فوجهان: أصحهما أنه لا يعامل أيضاً لأنه العاقد والعقد باطل بزعمه.

الأعمى، فإنه يبيع ويشتري ما لا يرى فلا يصح من ذلك، فلنأمره بأن يوكل وكيلاً بصيراً ليشتري له أو يبيع فيصح توكيله ويصح بيع وكيله، فإن عامله التاجر بنفسه

والثاني: وبه قال أبو حنيفة يجوز معاملته إعتماداً على قـول السيد، ولو عامل المأذون من عرف رقه ولم يعرف إذنه ثم بان كونه مأذوناً ففيه وجهان، ولو عرف كونه مأذوناً فعامله ثم امتنع من التسليم إلى أن يقع الإشهاد على الإذن فله ذلك خوفاً من خطر إنكار السيد.

وأما الفصل الثاني: فاعلم أنه إذا باع المأذون سلعة وقبض الثمن واستحقت السلعة وقد تلف الثمن في يد العبد فللمشتري الرجوع ببدله على العبد لأنه المباشر للعقد، وفي وجه لا رجوع على العبد لأن يده يد السيد وعبارته مستعارة في الوسط، وفي مطالبة السيد ثلاثة أوجه أصحها: أنه يطالب أيضاً لأن العقد له فكأنه البائع والقابض للثمن، والثاني: لا يطالب لأن السيد بالإذن قد أعطاه استقلالاً فشرط من يعامله قصر الطمع على يده وذمته، والثالث: ان كان في يد العبد وفاء فلا يطالب السيد لحصول غرض المشتري وإلاّ فيطالب، وهذه الأوجه الثلاثة هكذا رتبها الإمام في النهاية. وعن ابن سريج أنه إن كان السيد قد دفع إليه غير مال وقال: بعها وخذ ثمنها واتجر فيه، أو قال: أشتر بهذه السلعة وبعها واتجر في ثمنها ففعل، ثم ظهر الاستحقاق وطالبه المشتري بالثمن، فله أن يطالب السيد بقضاء الدين عنه لأنه أوقعه في هذه الغرامة. وإن اشترى باختياره سلعة وباعها ثم ظهر الاستحقاق فلا. وإذا توجهت الطلبة على العبد لم تندفع بعتقه لكن في رجوعه بالمغروم بعد العتق وجهان: أحدهما: يرجع لانقطاع استحقاق السيد بالعتق، وأظهرهما لا يرجع لأن المؤدي بعد العتق كالمستحق بالتصرف السابق على الرق.

وأما الفصل الثالث: فاعلم أن ديون معاملات المأذون مؤداة مما في يده من مال التجارة سواء فيه الأرباح الحاصلة بتجارته أو رأس المال، وهل تؤدّى من اكتسابه بغير طريق التجارة كالاصطياد والاحتطاب فيه وجهان: أحدهما: لا. كسائر أموال السيد، وأصحها نعم، كما يتعلق به المهر ومؤن النكاح، ثم ما فضل من ذلك يكون في ذمته إلى أن يعتق، وهل يتعلق ما يكتسب بما بعد الحجر؟ فيه وجهان، قال في التهذيب: أصحها أنه لا يتعلق ولا تتعلق برقبته ولا بذمة السيد، أما أنها لا تتعلق برقبته فلأنه دين لزمه برضا من له الدين فوجب أن لا يتعلق برقبته خلافاً لأبي حنيفة، وأما أنه لا يتعلق بذمة السيد فلأن ما لزم بمعاوضة مقصودة بإذنه وجب أن يكون متعلقاً بكسب العبد كالنفقة في النكاح، والمسائل الخلافية بين الامامين أبي حنيفة والشافعي ينبني أكثرها على أنه يتصرف لنفسه أو لسيده، فعند أبي حنيفة يتصرف لنفسه، وعند الشافعي لسيده، ولذلك أنه يقول: لا يبيع نسيئة ولا بدون ثمن المثل، ولا يسافر بمال التجارة إلا بإذن السيد، ولا يتمكن من عزل نفسه بخلاف الوكيل والله أعلم.

(وأما الأعمى فإنه يبيع ويشتري ما لا يرى) بعينه **(فلا يصح)** بيعه ولا شراؤه، **(فليأمره بأن يوكل وكيلاً)** عن نفسه **(بصيراً)** بعينه **(ليشتري له أو يبيع فيصح توكيله)** عنه **(ويصحّ بيع وكيله، فإن عامله التاجر بنفسه)** من غير إقامة وكيل **(فالمعاملة فاسدة،**

فالمعاملة فاسدة، وما أخذه منه مضمون عليه بقيمته. وما سلمه إليه أيضاً مضمون له بقيمته. وأما الكافر؛ فتجوز معاملته لكن لا يباع منه المصحف ولا العبد المسلم، ولا يباع

وما أخذه منه مضمون عليه قيمته، وما سلمه إليه أيضاً مضمون له بقيمته). وقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: الأعمى إذا وصف له البيع فهو صحيح، وهو قول الشافعي أيضاً، ولكن أظهر الوجهين ما ذكره المصنف هنا. وقال الرافعي: في بيع الأعمى وشرائه طريقان. أحدهما: على قول شراء الغائب، والثاني: القطع بالمنع. وإذا قلنا لا يصح بيع الأعمى وشراؤه لا تصح منه الإجارة والرهن والهبة أيضاً، وهل له أن يكاتب عبده؟ قال في التهذيب: لا. وقال في التتمة: له ذلك. قال النووي: وهو الأصح، ويجوز له أن يؤاجر نفسه، وللعبد الأعمى أن يشتري نفسه وأن يقبل الكتابة على نفسه لأنه لا يجهل نفسه، ويجوز له أن ينكح وأن يزوّج موليته تفريعاً على أن العمى غير قادح في الولاية والصداق غير مال لم يثبت المسمى، وكذلك لو خالع الأعمى على مال، وأما إذا أسلم في شيء أو باع سلماً فينظر إن عمي بعد ما بلغ سن التمييز فهو صحيح، لأن السلم يعتمد الأوصاف وهو والحالة هذه مميز بين الألوان ويعرف الأوصاف ثم يوكل من يقبض عنه على الوصف المشروط، وهل يصح قبضه بنفسه؟ فيه وجهان. أصحهما: لا، لأنه لا يميز بين المستحق وغيره، وإن كان أكمه أو عمي قبل ما بلغ سن التمييز فوجهان. أحدهما: أنه لا يصح سلمه لأنه لا يعرف الألوان ولا يميز بينها، وبهذا قال المزني: ويحكى عن ابن سريج وابن خيران وابن أبي هريرة، واختاره صاحب التهذيب وأصحها عند العراقيين وغيرهم أنه يصح. ويحكى ذلك عن أبي إسحاق المروزي، وإليه مال المصنف في الوجيز لأنه يعرف الصفات والألوان بسماع ويتخيل فرقا بينها، فعلى أنه يصح إنما يصحّ إذا كان رأس المال موصوفاً بعين في المجلس، أما إذا كان معيناً فهو كبيع العين القائمة. قال النووي: ولو كان الأعمى رأى شيئاً مما لا يتغير صح بيعه وشراؤه إياه إذا صححنا ذلك من البصير وهو المذهب اهـ. وكل ما لا نصححه من الأعمى من التصرفات فسبيله أن يوكل عنه، ويحتمل ذلك للضرورة. والله أعلم.

(**وأما الكافر: فتجوز معاملته**) لأن إسلام العاقد لا يشترط في صحة مطلق البيع والشراء، (**لكن لا يباع منه المصحف**) أي القرآن ولا شيء من أخبار الرسول ﷺ، فلو اشترى ذلك ففيه طريقان وبه أجاب المصنف في الوجيز طرد القولين، وأظهرها: القطع بالبطلان، وإليه مال المصنف هنا. قال العراقيون: والكتب التي فيها آثار السلف كالمصحف في طرد الخلاف، وامتنع الماوردي في الحاوي من إلحاق كتب الحديث والفقه بالمصحف وقال: إن بيعها منه صحيح لا محالة، وهل يؤمر بإزالة الملك عنها؟ فيه وجهان. قال النووي في زيادات الروضة: الخلاف في بيع المصحف والفقه إنما هو في صحة العقد مع أنه حرام بلا خلاف، (**ولا العبد المسلم**). لكن لو اشترى الكافر عبداً مسلماً ففي صحته قولان. اصحهما: وبه قال أحمد وهو نصه في الإملاء: أنه لا

منه السلاح إن كان من أهل الحرب، فإن فعل فهي معاملات مردودة وهو عاص بها ربه. وأما الجندية من الأتراك والتركمانية والعرب والأكراد والسراق والخونة وأكلة الربا والظلمة وكل من أكثر ماله حرام، فلا ينبغي أن يتملك مما في أيديهم شيئاً لأجل

يصح لأن الرق ذل فلا يصح إثباته للكافر على المسلم كما لا ينكح الكافر المسلمة، والثاني: وبه قال أبو حنيفة: أنه يصح لأنه طريق من طرق الملك فملك به الكافر رقبة المسلم كالإرث، والقولان جاريان فيما لو وهب منه عبد مسلم فقبل أو وصى له بعبد مسلم. قال في التتمة: هذا إذا قلنا الملك في الوصية يحصل بالقبول فإن قلنا يحصل بالموت ثبت بلا خلاف كالإرث.

قال الرافعي: إن قلنا: لا يصح شراء الكافر العبد المسلم فلو اشترى قريبه الذي يعتق عليه كأبيه وابنه ففيه وجهان. أحدهما: لا يصح أيضاً لما فيه من ثبوت الملك للكافر على المسلم، وأصحهما الصحة لأن الملك المستعقب للعتق شاء المالك أو أبى ليس بإذلال. ألا ترى أن للمسلم شراء قريبه المسلم ولو كان ذلك إذلالاً لما جاز له إذلال أبيه، والخلاف جار في كل شيء يستعقب العتق، كما إذا قال الكافر لمسلم:اعتق عبدك المسلم عني بعوض أو بغير عوض فأجابه إليه، وكما إذا أقرّ بحرية عبد مسلم في يد غيره ثم اشتراه، ولو اشترى عبداً مسلماً بشرط الإعتاق وصححنا الشراء بهذا الشرط فهو كما لو اشتراه مطلقاً لأن العتق لا يحصل عقيب الشراء، وإنما يزول الملك بإزالته، ومنهم من جعله على وجهي شراء القريب.

(**ولا يباع منه السلاح**) أي آلة الحرب (**إن كان**) الكافر (**من أهل**) دار (**الحرب**) ولم يكن تحت ذمة المسلمين، (**فإن فعل**) شيئاً مما ذكر (**فهي معاملات مردودة**) فاسدة غير صحيحة (**وهو عاص بها ربه**) عز وجل. وقال الرافعي في آخر كتاب البيوع. ومن المنهيات بيع السلاح من أهل الحرب وهو لا يصح لأنه لا يراد إلا للقتال فيكون بيعه منهم تقوية لهم على قتال المسلمين، ويجوز بيع الحديد منهم لأنه لا يتعين للسلاح. وقال النووي في الزيادات، قلت: بيع السلاح لأهل الذمة في دار الإسلام صحيح، وقيل: وجهان حكاهما المتولي والنووي والروياني اهـ.

وقال الرافعي أيضاً: وكذا بيع السلاح من البغاة وقطاع الطريق مكروه لكنه صحيح قاله النووي.

قلت: الأصح التحريم قاله الغزالي في الإحياء، والله أعلم.

(**وأما الجندية من الأتراك والتركمانية**) بالضم جنس خاص من الاتراك (**والعرب**) الجاهلة (**والا كراد**) جيل من الناس مختلف في نسبهم (**والسرّاق**) وهم قطاع الطريق النشالة، (**والخونة**) محركة جمع خائن، (**وأكلة الربا**) هم الذين يتعاملون بالربا في معاملاتهم من التجار، (**والظلمة**) الذين يظلمون الناس فيأخذون أموالهم بغير وجه شرعي، (**وكل من أكثر ماله حرام فلا ينبغي أن يتملك مما في أيديهم شيئاً لأنها حرام إلا إذا عرف**) ما يأخذه منهم

أنها حرام إلا إذا عرف شيئاً بعينه أنه حلال، وسيأتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام.

الركن الثاني: في المعقود عليه: وهو المال المقصود نقله من أحد العاقدين إلى الآخر ثمناً كان أو مثمناً فيعتبر فيه ستة شروط.

الأوّل: أن لا يكون نجساً في عينه، فلا يصح بيع كلب وخنزير، ولا بيع زبل

(**بعينه إنه حلال**) فيجوز له أخذ ذلك. وقال الدارمي في آخر باب التخالف: يكره مبايعة من يرابي أو يطفف أو يأخذ ما ليس له، فإن فعل لم يبطل إذا لم يتقين أن ما أخذه حرام اهـ.

وقال الرافعي: ويكره مبايعة من اشتملت يده على الحلال والحرام سواء كان الحلال أكثر أو بالعكس، ولو بايعه لم يحكم بالفساد. وعن مالك: أن مبايعة من أكثر ماله حرام باطل اهـ.

(**وسيأتي تفصيل ذلك في كتاب الحلال والحرام**) قريباً بعد هذا الكتاب.

(**الركن الثاني: في المعقود عليه: وهو المال المقصود نقله من**) ذمة (**أحد العاقدين إلى**) ذمة (**الآخر ثمناً كان أو مثمناً**) وهو ما قام مقام الثمن، وجملة ما قيل في الثمن والمثمن ثلاث أقوال. أحدها: أن الثمن ما ألصق به الباء، ويحكى هذا عن القفال. والثاني: أن الثمن هو النقد ما يقابل على اختلاف الوجهين، والثالث: وهو الأصح أن الثمن هو النقد والمثمن ما يتابله، فإن لم يكن في العقد نقد أو كان العوضان نقدين فالثمن ما ألصق به الباء والمثمن ما يقابله، ولو باع أحد النقدين بالآخر فعلى الوجه الثاني لا ثمن فيه، ولو باع عرضاً بعرض فعلى الثاني لا ثمن فيه، وإنما صحت مقايضة. (**فيعتبر فيه ستة شروط**) واقتصر في الوجيز على خمسة.

(**الأوّل: أن لا يكون نجساً في عينه فلا يصح بيع كلب وخنزير**) وما تولد منهما أو من أحدهما. روي: « أن النبي ﷺ نهى عن ثمن الكلب » وفي حديث جابر مرفوعاً « إن الله عز وجل حرّم بيع الخمر والميتة والأصنام والخنزير ولا فرق بين أن يكون الكلب معلماً أو غير معلم » وبهذا قال أحمد، وعن أبي حنيفة رحمه الله تجويز بيع الكلب إلا أن يكون عقوراً ففيه روايتان. وعن أصحاب مالك اختلاف فيه منهم من لم يجوزه ومنهم من جوّز الكلب المأذون في إمساكه، (**ولا**) يصح (**بيع زبل**) بالكسر (**وعذرة**) بفتح فكسر وزان كلمة ولا يخرق[1] تخفيفها الخرء فإنهما نجسا عين. وقال أبو حنيفة: يجوز بيع السرجين الثخين لما تسمد به الأرض فصار مما ينتفع به في حال، ووافق أحمد الشافعي ومالكاً في[2] جواز بيع السرجين والبول.

تنبيه:

قال أصحابنا: لا يجوز بيع شعر الخنزير ويجوز الانتفاع به للخرز لأنه نجس العين، ولا يجوز

---

(١) هنا بياض بالأصل.

(٢) بياض بالأصل.

وعذرة، ولا بيع العاج والأواني المتخذة منه، فإن العظم ينجس بالموت، ولا يطهر الفيل بالذبح، ولا يطهر عظمه بالتذكية، ولا يجوز بيع الخمر ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا تؤكل وإن كان يصلح للاستصباح أو طلاء السفن، ولا بأس ببيع الدهن الطاهر في عينه الذي نجس بوقوع نجاسة أو موت فأرة فيه، فإنه

قنية له لأنه كالخمر وهذا لأن جواز بيعه يشعر باعزازه في غير الآدمي ونجاسته تشعر بجواز المحل. وإنما جاز الانتفاع به للأساكفة لأن خرز النعال والأخفاف لا يتأتى إلا به، فكان فيه ضرورة. وعن أبي يوسف: أنه يكره لأن الخرز يتأتى بغيره، والأوّل هو الظاهر لأن الضرورة تبيح لحمه فالشعر أولى، ثم لا حاجة إلى شرائه لأنه يوجد مباح الأصل. وقال الفقيه أبو الليث: إن كانت الأساكفة لا يجدون شعر الخنزير إلا بالشراء ينبغي أن يجوز لهم الشراء لأن ذلك حالة الضرورة فأما البيع فيكره لأنه لا حاجة إليه للبائع.

(ولا) يصح (بيع العاج والأواني المتخذة منه) وهي أنياب الفيلة ولا يسمى غير الناب عاجاً، (فإن العظم ينجس بالموت ولا يطهر الفيل بالذبح) وهو الحيوان الذي يسمى نابه عاجاً، (ولا يطهر عظمه بالتنقية) لأنه نجس العين وهو قول محمد وهو المشهور من مذهب الشافعي إلا ما نقله الرافعي وجهاً شاذاً عن (١) وقال أبو حنيفة بطهارة العاج واحتج بحديث «كان لفاطمة رضي الله عنها سوار من عاج» وهو قول أبي يوسف أيضاً، وحمله أصحابه الشافعي على ظهر السلحفاة البحرية وهي طاهرة. وقال صاحب الكنز من أصحابنا: وذبح ما لا يؤكل لحمه يطهر لحمه وجلده إلا الآدمي والخنزير، ولكن نقل المتأخرون أن أصح ما يفتى به أنه يطهر جلده دون لحمه والله أعلم.

(ولا يجوز بيع الخمر) لأنه نجس العين وقد تقدم حديث جابر قريباً، (ولا بيع الودك النجس المستخرج من الحيوانات التي لا تؤكل) ممايتحلب من شحمها ولحمها، (وان كان يصلح للاستصباح أو طلاء السفن) وذلك في أظهر الوجهين. وفي شرح الوجيز: ودك الميتة إن نجس بعارض ففي بيعه خلاف مبني على أنه هل يمكن تطهيره؟ ففي ابن سريج وأبي إسحاق يمكن تطهيره وفي صاحب الإفصاح وغيره أنه لا يمكن فعلى هذا لا يجوز بيعه. قال النووي في زيادات الروضة. هذا الترتيب غلط وإن كان قد جزم به المصنف في الوسيط، وكيف يصح بيع ما لا يمكن تطهيره. قال المتولي: وفي بيع الصبغ النجس طريقان. أحدهما: كالزيت، والثاني لا يصح قطعاً لأنه لا يمكن تطهيره، وإنما يصبغ به الثوب ويغسل، والله أعلم.

(ولا بأس ببيع الدهن الطاهر الذي نجس بوقوع نجاسة أو موت فأرة فيه فإنه يجوز

---

(١) هنا بياض بالأصل.

يجوز الانتفاع به في غير الأكل وهو في عينه ليس بنجس، وكذلك لا أرى بأساً ببيع بزر القز، فإنه أصل حيوان ينتفع به وتشبيهه بالبيض وهو أصل حيوان أولى من تشبيهه بالروث، ويجوز بيع فأرة المسك ويقضى بطهارتها إذا انفصلت من الظبية في حالة الحياة.

الانتفاع به في غير الأكل وهو في عينه ليس بنجس). وعبارة الوجيز: والدهن إذا نجس بملاقاة النجاسة صح بيعه وجاز الاستصباح به على أظهر القولين. قال الرافعي: التقييد بكون نجاسته بالملاقاة محتاج إليه ليجري القولان في الاستصباح، وقوله على أظهر القولين غير مساعد عليه في البيع، بل الظاهر عند الأصحاب منعه، وبه قال مالك وأحمد خلافاً لأبي حنيفة. وقال النووي في زيادات الروضة: ينبغي أن يقطع بصحة الاستصباح به، وبنى الإمام في النهاية مسألة الدهن على وجه آخر فقال: إن قلنا يمكن تطهيره جاز بيعه، وإلاَّ ففي بيعه قولان مبنيان على جواز الاستصباح بالدهن النجس، وعلى هذا جرى المصنف في الوجيز فذكر قولين في البيع والله أعلم.

ومما يحتج به على امتناع تطهير الدهن النجس ما روي أنه ﷺ سئل عن الفأرة تموت في السمن فقال «إن كان جامداً فالقوها وما حولها وإن كان ذائباً فأريقوه» ولو كان جائزاً لما أمرنا باراقته. وحكي هذا القول عن ابن أبي هريرة وهو أصحها، وبه قال أبو إسحاق.

(وكذلك لا أرى بأساً ببيع بزر القز) وعبارة الرافعي: ويجوز بيع الفيلج وفي باطنه الدود الميتة لأن ابقاءها فيه من مصالحه كالحيوان يصح بيعه والنجاسة في باطنه. قال النووي في الزيادات: الفليج بالفاء وهو القز، ويجوز بيعه وفيه الدود سواء كان ميتاً أو حياً وسواء كان ميتاً أو حياً وسواء باعه وزناً أو جزافاً صرح به القاضي حسين في فتاويه، والله أعلم اهـ.

(فإنه أصل حيوان ينتفع وتشبيهه بالبيض وهو أصل حيوان أولى من تشبيهه بالروث ويجوز بيع فأرة المسك) روي ذلك عن ابن سريج، وقيل بيع المسك في الفأرة باطل سواء بيع معها أو دونها، ولا فرق بين أن يكون رأس الفأرة مفتوحاً أولا. ولو رأى المسك ثم اشتراه بعد الرد إليها صح، فلو رأى الفأرة دون المسك ثم اشتراه بعد الرد إليها فإن كان رأسها مفتوحاً فرأى أعلاه لا يجوز وإلاَّ فعلى قولي بيع الغائب، **(ويقضي بطهارتها إذا انفصلت من الظبية في حال الحياة)**. وقال الرافعي: وفي بيع بزر القز وفأرة المسك خلاف مبني على الخلاف السابق في طهارتها اهـ.

ووافقه محمد في جواز بيع دود القز وبيضه، وقال أبو حنيفة: لا يجوز بيعها، وأبو يوسف معه في الدود، ومع محمد في بيضه وقيل فيه أيضاً معه، ولأبي حنيفة أن الدود من الهوام وبيضه لا ينتفع به، فأشبه الخنافس والوزغات وبيضها، ولمحمد أن الدود ينتفع به وكذابيضه في المآل فصار كالجحش والمهر، ولأن الناس قد تعاملوه فمست الضرورة إليه والفتوى على قول محمد.

الثاني: أن يكون منتفعاً به فلا يجوز بيع الحشرات ولا الفأرة ولا الحية، ولا التفات إلى انتفاع المشعوذ بالحية، وكذا لا التفات إلى انتفاع أصحاب الحلق بإخراجها من السلة وعرضها على الناس، ويجوز بيع الهرة والنحل وبيع الفهد والأسد وما يصلح لصيد أو

(**الثاني: أن يكون**) المبيع (**منتفعاً به**) وإلاَّ لم يكن مالاً وكان أخذ المال في مقابلته قريباً من أكل المال بالباطل، ولخلو الشيء عن المنفعة سببان: أحدهما: القلة كالحبة من الحنطة والزبيب وغيرهما فإن ذلك القدر لا يعد مالاً ولا يبذل في مقابلته المال ولا ينظر إلى ظهور الانتفاع إذا ضم هذا القدر إلى أمثاله ولا إلى ما يفرض من وضع الحبة الواحدة في الفخ، ولا فرق في ذلك بين زمان الرخص والغلاء، ومع هذا فلا يجوز أخذ الحبة والحبتين من صبرة الغير إذ لو جوّزناه لانجرَّ إلى أخذ الكثير، ولو أخذ الحبة ونحوها آخذ فعليه الردّ فإن تلفت فلا ضمان إذ لا مالية لها. وعن القفال أنه يضمن مثلها. والثاني: الخسة. (**فلا يجوز بيع الحشرات كالفأرة**)وفي نسخة: ولا الفأرة (**والحية**) والخنفس والعقرب والنمل ونحوها، (**ولا التفات إلى انتفاع المشعوذ بالحية، وكذلك لا التفات إلى انتفاع أرباب الحلق في إخراجها من السلة وعرضها على الناس**) ولا إلى منافعها المعدودة في الخواص، فإن تلك المنافع لا تلحقها بما يعد في العادة مالاً. ونقل أبو الحسن العبادي وجهاً أنه يجوز بيع النمل بعسكر مكرم لأنه يعالج به السكر، وبنصيبين لأنه يعالج به العقارب الطيارة. (**ويجوز بيع الهرة**) لأنها ينتفع بها، وقد وصَّى الشارع عليها وعدها من الطوّافات علينا، وأما ما روي من النهي عن ثمن الهرة فقال القفال: أراد الهرة الوحشية أو ليس فيه منفعة استئناس ولا غيره. ثم اعلم أن الحيوانات الطاهرة على ضربين: أحدهما: ما ينتفع به فيجوز بيعه كالغنم والبغال والحمير، ومن الصيود كالضب والغزلان، ومن الطيور كالحمام والعصافير والعقاب، (**و**) بيع (**النحل**) من الكوّارة صحيح إن كان شاهد جميعها وإلاَّ فهو في صورة بيع الغائب، فإن باعها وهي طائرة من الكوّارة فمنهم من صحح البيع كبيع النعم المسيبة في الصحراء وهذا ما أورده في التتمة، ومنهم من منعه إذ لا قدرة على التسليم في الحال والعود غير موثوق به وهذا ما أورده في التهذيب.

قال النووي: قلت الأصح الصحة والله أعلم.

ووافق محمد الشافعي في جواز بيع النحل إذا كان محرزاً لأنه حيوان منتفع به وإن كان لا يؤكل فصار كالحمار، وعند أبي حنيفة وأبي يوسف لا يجوز بيعه لأنه من الهوام كالزنبور وهوام الأرض والإنتفاع بما يخرج منه لا بعينه فلا يكون منتفعاً به، والشيء إنما يصير مالاً لكونه منتفعاً به حتى لو باعه بالكوّارات صح تبعاً لها ذكره القدوري في شرحه، وذكر الكرخي أنه لا يجوز بيعه مع العسل وقال: الشيء إنما يدخل في العقد تبعاً لغيره إذا كان من حقوقه كالشرب والطريق اهـ.

ومن الحيوانات الطاهرة مما ينتفع به الجوارح، وإليه أشار بقوله: (**وبيع الفهد**) وهو حيوان معروف يقبل التعليم، وفي حكمه الصقر والبازي، (**و**) في بيع (**الأسد**) والذئب والنمر خلاف،

ينتفع بجلده، ويجوز بيع الفيل لأجل الحمل، ويجوز بيع الطوطي وهي الببغاء والطاووس والطيور المليحة الصور وإن كانت لا تؤكل، فإن التفرج بأصواتها والنظر إليها غرض مقصود مباح، وإنما الكلب هو الذي لا يجوز أن يقتنى إعجاباً بصورته لنهي رسول الله

فمقتضى سياق المصنف هنا جواز بيعها، ومقتضى سياقه في الوجيز المنع فإنه قال: وبيع السباع التي لا تصيد باطل أي لا تصلح للاصطياد والقتال ولا نظر إلى اقتناء الملوك للهيبة والسياسة فليست هي من المنافع المعتبرة، وعن القاضي حسين حكاية وجه في صحة بيعها لأنها طاهرة والانتفاع بجلودها متوقع في المآل، (**وما يصلح للصيد**) أي للاصطياد (**أو ينتفع بجلده**) أي ولو في المآل، ولا يجوز بيع الحدأة والرخمة والغراب وإن كان في أجنحة بعضها فائدة جاء فيها الوجه الذي حكاه القاضي حسين، وهكذا قال الإمام: لكن بينهما فرق لأن الجلود تدبغ فتطهر ولا سبيل إلى تطهير الأجنحة.

قال النووي في الزيادات، قلت: وجه الجواز الانتفاع بريشه في النبال فإنه وإن قلنا بنجاسته يجوز الانتفاع به في النبال وغيرها، والله أعلم.

(**ويجوز بيع الفيل لأجل الحمل**) عليه فإنه يحمل أضعاف ما تحمله الجمال فالانتفاع به حاصل، (**و**) من الحيوانات ما ينتفع بلونه أو صوته وإليه أشار المصنف بقوله: (**يجوز بيع الطوطي وهو الببغاء**) أي لحسن صوته. أما الببغاء فبموحدتين الثانية مشددة مفتوحة ثم غين معجمة طائر معروف وتعريف الطوطي به غريب. والطوطي لم تعرفه العرب ولا ذكروه في كتبهم، وقد نقل السيوطي في كتابه: (**العنوان في أسماء الحيوان**) مما زاد به على صاحب حياة الحيوان وعزاه إلى الغزالي، ثم قال: وهو الببغاء وهذا الطائر معروف في بلاد العجم ويسمونه هكذا وهو صغير أصغر من العصفور قليلاً مختلف الألوان قابل للتعليم حسن الصوت يربونه في الأقفاص، ومنه ما هو أصغر من الحمامة أخضر اللون طويل الذنب، ومنه ما هو أكدر يجلب من بلاد الحبش ويطلق على الكل إسم الطوطي، فإن كانت الكلمة عربية فيكون من طاطأ عنقه، وهذا الجنس من الطير كذلك كثير الطأطأة يتعلق برجليه في غصن أو خشب ويطأطىء وينطق بأصوات غريبة أو يكون سمي باسم صوته، والله أعلم.

(**والطاوس**) لحسن لونه وإن كان صوته منفراً، (**وكذا**) سائر (**الطيور المليحة الصور**) الحسنة الألوان (**وإن كانت لا تؤكل، فإن التفرج بأصواتها**) ونغماتها (**والنظر إليها غرض مقصود ومباح**)شرعاً، ويلحق بالفهد أو الهرة القرد لأنه يعلم الأشياء فيتعلم.

فإن قلت: ذكرتم أن النظر إلى الألوان الحسنة غرض مقصود ومباح، فإذا وجدنا بعض الكلاب على هذا الوصف فهلا يجوز اقتناؤه؟ فاستدرك المصنف للجواب عنه حيث قال: (**وإنما الكلب هو الذي لا يجوز أن يقتنى إعجاباً بصورته**) ولونه (**لنهي رسول الله ﷺ عنه**) في

ﷺ عنه، ولا يجوز بيع العود والصنج والمزامير والملاهي فإنه لا منفعة لها شرعاً، وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين كالحيوانات التي تباع في الأعياد للعب الصبيان، فإن كسرها واجب شرعاً وصور الأشجار متسامح بها، وأما الثياب والأطباق وعليها صور

قوله: «من اقتنى كلباً إلا كلب ماشية أو ضارياً نقص من عمله كل يوم قيراطان» رواه مالك، وابن أبي شيبة، وأحمد، والشيخان، والترمذي، والنسائي من حديث ابن عمر.

وروى مسلم والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة: «من اقتنى كلباً ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض فإنه ينقص من أجره قيراطان كل يوم». ورواه الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن مغفل.

وروى ابن حبان عنه في صحيحه بلفظ: «من اقتنى كلباً ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا حرث نقص من أجره كل يوم قيراط».

وجاء عن سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه رفعه: «من اقتنى كلباً لا يغني عنه زرعاً ولا ضرعاً نقص من عمله كل يوم قيراط». ورواه مالك وابن أبي شيبة والشيخان والنسائي وابن ماجه.

وروى ابن ماجه أيضاً من حديث أبي هريرة بلفظ: «من اقتنى كلباً فإنه ينقص من عمله كل يوم قيراط إلا كلب حرث أو ماشية».

وقال النووي في الزيادات نقلاً عن الشافعي في المختصر: لا يجوز اقتناء الكلب إلا للصيد أو ماشية أو زرع وما في معناها. هذا نصه: واتفق الأصحاب على جواز اقتنائه لهذه الثلاثة وعلى اقتنائه لتعليم الصيد ونحوه، والأصح جواز اقتنائه لحفظ الدور والدواب وتربية الجرو لذلك، وتحريم اقتنائه قبل شراء الماشية والزرع وكذا كلب الصيد لمن لا يصيد، والله أعلم.

(**ولا يجوز بيع العود**) وهو بالضم من آلات اللهو معروف والجمع عيدان وأعواد، (**والصنج**) بفتح الصاد المهملة وسكون النون آخره جيم. قال المطرزي: هو ما يتخذ مدوّراً يضرب أحدهما بالآخر، ويقال لما يجعل في أطراف الدف من النحاس المدوّر صغاراً صنوج أيضاً، وهذا شيء تعرفه العرب، وأما الصنج ذو الأوتار فمختص به العجم وكلاهما معرب، (**والمزامير والملاهي**) والطنابير وغيرها مما يعد آلة اللهو، (**فإنه لا منفعة بها شرعاً**) إن كانت بحيث لا تعد بعد الرض والحل مالاً فلا يجوز بيعها والمنفعة التي قبلها لما كانت محظورة شرعاً كانت ملحقة بالمنافع المعدومة حساً، وإن كان الرضاض يعد مالاً بعد ففي جواز بيعها قبل الرض وجهان: أحدهما: الجواز لما فيه من المنفعة المتوقعة، وأظهرهما المنع لأنها على هيئتها آلة الفسق ولا يقصد فيها غيره ما دام ذلك التركيب باقياً. (**وكذا بيع الصور المصنوعة من الطين والحيوانات التي تباع في الأعياد للعب الصبيان، فإن كسرها واجب شرعاً**)، وأما الأصنام والصور المتخذة من الذهب والخشب فيجري فيها الوجهان المذكور إن في آلات الملاهي، وتوسط الإمام بين

الحيوانات فيصح بيعها، وكذا الستور، وقد قال رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «اتخذي منها نمارق» ولا يجوز استعمالها منصوبة، ويجوز موضوعة، وإذا جاز الانتفاع من وجه صح البيع لذلك الوجه.

الثالث: أن يكون المتصرف فيه مملوكاً للعاقد أو مأذوناً من جهة المالك، ولا يجوز أن يشتري من غير المالك انتظاراً للإذن من المالك، بل لو رضي بعد ذلك وجب استئناف العقد، ولا ينبغي أن يشتري من الزوجة مال الزوج ولا من الزوج مال الزوجة، ولا من الوالد مال الولد ولا من الولد مال الوالد، اعتماداً على أنه لو عرف لرضى به،

الوجهين فذكر وجهاً ثالثاً وهو أنها إن اتخذت من جواهر نفيسة صح بيعها لأنها مقصودة في نفسها وإن اتخذت من خشب ونحوه فلا، وهذا أظهر عنده وتابعه المصنف في الوسيط، لكن جواب عامة الأصحاب المنع المطلق وهو ظاهر سياق الوجيز، ويدل عليه خبر جابر المتقدم في أول الركن. (**وصور الأشجار**) في الورق (**يتسامح بها**) لكونها لا ظل لها ولا أرواح، ويلحق بها صور القصور والجبال والبحار والمدن. (**وأما الثياب والأطباق التي عليها صور الحيوان**) فإنه (**يصح بيعها، وكذا الستور**) التي ترخى على الأبواب، (**وقد قال رسول الله ﷺ لعائشة**) رضي الله عنها حين اتخذت في بيتها قراماً فيه صور، فكرهه ﷺ فقال: «أميطي عنا قرامك» وقال لها (**«اتخذي منه نمارق»**) جمع نمرقة أي وسائد وهو متفق عليه من حديثها، (**فلا يجوز استعمالها**) حالة كونها (**منصوبة**) على الحائط أو غيره (**ويجوز**) استعمالها (**موضوعة**) على الأرض، (**وإذا جاز الانتفاع بها من وجه صح البيع لذلك الوجه**) والله أعلم.

(**الثالث: أن يكون**) المبيع (**المتصرف فيه ملكاً للعاقد**)، وعبارة الوجيز: أن يكون مملوكاً للعاقد، وقال في موضع آخر: كونه ملكاً لمن يقع العقد له إن كان مباشره لنفسه فينبغي أن يكون له، وإن كان مباشره لغيره بولاية أو وكالة فينبغي أن يكون لذلك الغير، وإليه أشار بقوله: (**أو مأذوناً فيه من جهة المالك**). قال الرافعي: واعتبار هذا الشرط ليس متفقاً عليه ولكنه مفرع على الصحيح كما ستعرفه، وفي الفصل مسائل منها ما أشار إليه المصنف بقوله: (**فلا يجوز أن يشتري من غير إذن المالك انتظاراً لإذن المالك، بل لو رضي بعد ذلك وجب استئناف العقد**) وهذا مبني على الجديد هنا أنه إذا باع مال الغير بغير إذن وولاية يكون لاغياً لما روي أنه ﷺ قال لحكيم بن حزام «لاتبع ما ليس عندك» والقديم أنه ينعقد موقوفاً على إجازة المالك إن أجاز نفذ وإلاّ لغا لما روي أنه ﷺ دفع ديناراً إلى عروة البارقي ليشتري به شاة فاشترى به شاتين وباع إحداهما بدينار، وجاء بشاة ودينار فقال النبي ﷺ: «بارك الله لك في صفقة يمينك» والاستدلال أنه باع الشاة الثانية بغير إذن النبي ﷺ ثم انه أجازه ولأنه عقد له مجيز في الحال فينعقد موقوفاً كالوصية، ومشى المصنف على القول الجديد وقال: (**ولا ينبغي أن يشتري من الزوجة مال الزوج، ولا من الزوج مال الزوجة، ولا من الولد مال الوالد اعتماداً على**

فإنه إذا لم يكن الرضا متقدماً لم يصح البيع ، وأمثال ذلك مما يجري في الأسواق، فواجب على العبد المتدين أن يحترز منه.

الرابع: أن يكون المعقود عليه مقدوراً على تسليمه شرعاً وحساً فما لا يقدر على

أنه لو عرف رضي به، فإنه إذا لم يكن الرضا متقدماً لم يصح البيع) .

وبما يؤيد القول الجديد أن بيع الآبق غير صحيح مع كونه مملوكاً له لعدم القدرة على التسليم فبيع ما لا يملك ولا قدرة على تسليمه أولى أن لا يصح ومما له تعلق بهذه المسألة أن الفضولي لو اشترى لغيره شيئاً نظر إن اشترى بعين ماله ففيه القولان، وإن اشترى في الذمة نظر إن أطلق ونوى كونه للغير فعلى الجديد يقع عن المباشر ، وعلى القديم يتوقف على الاجازة، فإن ردَّ نفذ في حقه ، ومذهب مالك كالقول الجديد . وعند أحمد روايتان كالقولين، ومذهب أبي حنيفة كالقول القديم في البيع ، وأما في الشراء فقد قال في صورة شراء المطلق يقع عن جهة العاقد ولا ينعقد موقوفاً .

ومن مسائل هذا الفصل لو غصب أموالاً وباعها وتصرف في أثمانها مرة بعد أخرى ففيه القولان: أصحهما البطلان، والثاني للمالك أن يجيزها ويأخذ الحاصل منها ، وعلى هذا الخلاف ينبني الخلاف في أن الغاصب إذا ربح في المال المغصوب يكون الربح له أو للمالك مذكور في باب القراض، ففي مسائل هذا الفصل لو باع مال ابنه على ظن أنه حي فهو فضولي فبان أنه كان يومئذ ميتاً وأن المبيع ملك العاقد ففيه قولان: أصحهما أن البيع صحيح لصدوره من المالك. الثاني: أنه باطل لأن هذا العقد وإن كان منجزاً في الصورة فهو في المعنى متعلق وقد ضعف هذا القول (**وأمثال ذلك مما يكثر في الأسواق فواجب على العبد المتدين أن يحترز منه**) استبراء لدينه.

(**الرابع: أن يكون المعقود عليه مقدوراً على تسليمه**) ولا بدّ من القدرة على التسليم ليخرج العقد عن أن يكون بيع غرر ، ويوثق بحصول الغرض، ثم إن القدرة على التسليم قد يكون (**شرعاً**) أي من حيث الشرع، (**و**) قد يكون (**حساً**) أي من حيث الحس (**فما لا يقدر على تسليمه حساً لا يصح بيعه كالآبق**) والضال عرف موضعه أو لم يعرف لأنه غير مقدور على تسليمه في الحال هذا هو المشهور . قال الأئمة: ولا يشترط في الحكم بالبطلان اليأس من التسليم، بل يكفي ظهور التعذر ، وأحسن بعض الأصحاب فقال: إذا عرف مكانه وعرف أنه يتصل إليه إذا رام الوصول فليس له حكم الآبق.

وقال أصحابنا : ولا يجوز بيع الآبق لما روينا ، ولأنه لا يقدر على تسليمه وهو شرط لجوازه بخلاف العبد المرسل في حاجة لثبوت القدرة على التسليم وقت العقد حكماً لأن الظاهر من حاله عوده إلى مولاه ولا كذلك الآبق، ولو باعه ممن زعم أنه عنده جاز لأن النهي ورد في الآبق المطلق وهو أن يكون أبق عند المتعاقدين، وهذا ليس بآبق في حق المشتري إذ هو في يده فلا يتناوله النص المطلق إذ ليس بعاجز عن تسليمه وهو المانع، ثم لا يصير قابضاً بمجرد العقد إذا كان في

....

يده إن كان أشهد عند الأخذ أنه أخذه ليرده على صاحبه لأنه أمانة عنده، وقبض الأمانة لا ينوب عن قبض المبيع لأن قبضه مضمون على المشتري. ألا ترى أن المقبوض على سوم الشراء مضمون بالقيمة، ولكن وجوب الثمن في البيع مانع من وجوب القيمة فقبض الضمان أقوى من قبض الأمانة لتأكد قبض الضمان باللزوم والملك، فإن المشتري لو امتنع من قبض المبيع أجبر عليه والضمان يوجب الملك من الجانبين على ما هو الأصل عندنا بخلاف قبض الأمانة، فإنه لا يجبر عليه ولا يوجب الملك فكان أضعف فلا ينوب عن الأقوى، ولو لم يشهد عند الأخذ يصير قابضاً بمجرد العقد عندهما خلافاً لأبي يوسف فيما إذا لم يأخذه لنفسه بل ليردّه على صاحبه، وهذا بناء على أن الاشهاد ليس بشرط لكونه أمانة عنده وعندهما شرط، ولو باعه ممن قال هو عند فلان لم يجز لأنه أبق عندهما وهو المعتبر إذ لا يقدر على تسليمه، ولو باعه ثم عاد قبل الفسخ لم يعد صحيحاً لوقوعه باطلاً لعدم المحلية كبيع الطير في الهواء قبل التملك بخلاف ما إذا باعه ثم أبق قبل التسليم ثم عاد حيث يجوز لأن احتمال عوده يكفي لبقاء العقد على ما كان دون الابتداء. وعن أبي حنيفة يعود صحيحاً لأن المالية فيه قائمة فكان محلاً للبيع فينعقد، غير أنه عاجز عن تسليمه لينفذ، فإذا آب قبل الفسخ عاد صحيحاً لزوال المانع فيجبران على التسليم والتسلم، فصار كما لو أبق بعد البيع وكبيع المرهون ثم افتك، وبه أخذ الكرخي وجماعة من الأصحاب، وبالأوّل كان يفتي أبو عبدالله الثلجي وجماعة من المشايخ والله أعلم.

ثم قال المصنف: (**والسمك في الماء**) أي: ولا يجوز بيع السمك وهو في الماء، وكذا بيع الطير وهو في الهواء وإن كان مملوكاً له لما فيه من الغرر، ولو باع السمك في بركة لا يمكنه الخروج منها نظر إن كانت صغيرة يمكن أخذها من غير مشقة صح بيعها لحصول القدرة، وإن كانت كبيرة لا يمكنه أخذها إلا باحتمال تعب شديد ففيه وجهان أوردهما ابن سريج في جامعه الصغير، وأظهرهما المنع، وبه قال أبو حنيفة كبيع الآبق فإنه غرر، وقد نهى عنه وهذا كله فيما إذا لم يمنع الماء رؤية السمك، فإن منع الرؤية فهو على قولي بيع الغائب إلا أن لا يعلم قلة السمك وكثرتها وشيئاً من صفاتها فيبطل لا محالة، وبيع الحمام في البرج على التفصيل المذكور في البركة، ولو باعها وهي طائرة اعتماداً على عادة عودها بالليل ففيه وجهان. أصحهما عند الإمام الصحة كبيع العبد المبعوث في شغل، وأظهرهما ما ذكره المصنف في الوجيز المنع، وبه قال الأكثرون إذ لا قدرة في الحال وعودها غير موثق به إذ ليس له عقل باعث والله أعلم.

وقال أصحابنا: لا يجوز بيع السمك قبل الاصطياد لما نهي عن بيع الغرر، ولأنه باع ما لا يملكه فلا يجوز ثم هو على وجهين، فإما أن يبيعه قبل أن يأخذه أو بعده، فإن باعه قبل الأخذ لا يجوز وإن أخذه ثم ألقاه في الحظيرة فإن كانت الحظيرة كبيرة بحيث لا يمكن أخذه إلا بحيلة لا يجوز لأنه باع ما لا يقدر على تسليمه، فلو سلمه بعد ذلك ينبغي أن يكون على الروايتين اللتين في بيع الآبق بناء على أنه باطل أو فاسد، وإن كانت صغيرة بحيث يمكن أخذه بغير حيلة جاز لأنه باع ملكه وهو مقدور التسليم، ويثبت للمشتري خيار الرؤية عند التسليم له ولا يعتد برؤيته وهو في الماء لأن

تسليمه حساً لا يصح بيعه كالآبق والسمك في الماء ، والجنين في البطن ، وعسب الفحل ،

السمك يتفاوت في الماء وخارجه ، وكذا لو دخل السمك الحظيرة باحتيال بأن يسد عليه فوهة النهر أو سد موضع الدخول حتى لا يمكنه الخروج على هذا التفصيل لأنه لما احتبس فيه باحتياله صار آخذاً له وملكه بمنزلة ما لو ألقاه فيه . وقيل : لا يجوز لأن هذا القدر ليس بإحراز له ، فصار كطير دخل البيت فأغلق عليه الباب ، وهذا الخلاف فيما إذا لم يهيء الحظيرة للاصطياد فإن هيأها له ملكه بالاجماع فيكون على ما ذكرنا من التفصيل ، فإن اجتمع السمك في الحظيرة بنفسه من غير صنعة ولم يسد عليه المدخل لا يجوز بيعه سواء أمكنه الأخذ بغير حيلة أم لا . لأنه لم يملكه . وأما كلام أصحابنا في عدم جواز بيع الطير في الهواء فلأنه غير مملوك له قبل الأخذ وبعده غير مقدور التسليم ، وهذا إذا كان يطير ولا يرجع ، وإن كان له وكر عنده يطير منه في الهواء ثم يعود إليه جاز بيعه لأنه يمكن أخذه من غير حيلة ، وإن لم يمكن إلا بحيلة لا يجوز لعدم القدرة على التسليم ، ولو أخذه وسلمه ينبغي أن يكون فيه روايتان كما ذكر في الآبق ، ولو اجتمع في أرضه الصيد فباعه من غير أخذه لا يجوز لأنه لم يملكه ، ولهذا لو باض فيها صيد أو تكنّس أو تكسر يكون لمن أخذه لعدم ملكه إياه بخلاف ما إذا عسل فيها النحل حيث يملكه لأن العسل قائم بأرضه على وجه القرار كالأشجار ، ولهذا وجب في العسل العشر إذا كان في أرض العشر كالثمار ، وهذا إذا لم يهيء أرضه لذلك فإن هيأها له بأن حفر فيها بئراً للاصطياد ونصب شبكة فدخل فيها صيد أو تعقد به ملكه لأن التهيئة أحد أسباب الملك ألا ترى أنه لو حط طستاً ليقع فيه المطر فوقع فيه ملكه ، وكذا لو بسط ذيله عند النثار ليقع الشيء المنثور ملكه بالوقوع فيه . وفي النهاية : لو دخل الصيد داره فأغلق عليه الباب كان الصيد له ولم يحك فيه خلافاً ، وعلى قياس ما ذكر في الكافي لا يكون له ، وقد يجوز أن يكون في المسألة روايتان وإلاّ فلا فرق بينهما ، والله أعلم .

ثم قال المصنف : (**والجنين في البطن**) لما روي « أنه ﷺ نهى عن شراء ما في بطون الأنعام حتى تضع » رواه أحمد والترمذي وابن ماجه ، ولأن فيه غرراً ، وقد نهي عن بيع الغرر والغرر ما يكون مجهول العاقبة لا يدري أيكون أم لا . وعن أبي هريرة « أنه نهى عن بيع الملاقيح والمضامين » رواه البزار باسناد ضعيف ، ورواه مالك في الموطأ عن سعيد بن المسيب مرسلاً . والملاقيح : ما في بطون الأمهات من الأجنّة ، والمضامين : ما في أصلاب الفحول .

(**وعسيب الفحل**) لما روي النهي عنه ، وقد عسب الفحل الناقة عسباً من باب ضرب طرقها ، وعسبت الرجل عسباً أعطيته الكراء على الضراب . وفي الحديث حذف مضاف ، والأصل عن كراء عسب الفحل لأن ثمرته المقصودة غير معلومة ، فإنه قد لا يلقح فهو غرر ، وقيل : المراد الضراب نفسه وهو ضعيف لأن تناسل الحيوان مطلوب لذاته لمصالح العباد فلا يكون النهي لذاته دفعاً للتناقض بل لأمر خارج كذا في المصباح .

وذكر الرافعي في باب الفساد من جهة النهي أن كل فاسد منهي عنه إما نهي خاص أو نهي عام ، ثم ما ورد فيه النهي من البيوع قد يحكم بفساده قضية للنهي وهو الأغلب ، وقد لا يحكم وهو

وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن في الضرع لا يجوز فإنه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع، والمعجوز عن تسليمه شرعاً كالمرهون والموقوف، والمستولدة

بحيث يفارق البيع ما يعرف عود النهي إليه كالمنع من البيع حالة النداء للجمعة وما حكم فيه بالفساد على أنواع، فمنها ما روي «انه نهي عن ثمن عسب الفحل» وهذا رواية الشافعي في المختصر. قال في الصحاح: العسب الكراء الذي يؤخذ على ضراب الفحل وعسب الفحل أيضاً ضرابه، ويقال: ماؤه فهذه ثلاثة معان، والثالث هو الذي أطلقه في الوجيز، والثاني هو المشهور في الفقهيات، ثم ليس المراد في الخبر في الرواية الأولى الضراب، فإن نفس الضراب لا يتعلق به نهي ولا منع من الانزاء أيضاً بل الاعارة للضراب محبوبة، ولكن الثمن المذكور في الرواية الثانية مضمر فيه هكذا قالوه، ويجوز أن يحمل العسب على الكراء على ما هو أحد المعاني فيكون نهياً عن إجارة الفحل للضراب ويستغنى عن الإضمار، فأما على الرواية الثانية فالمفسرون للعسيب بالضراب ذكروا أن المراد من الثمن الكراء وقد يسمى الكراء ثمناً مجازاً، ويجوز أن يفسر العسيب بالماء، ويقال هذا كفى عن بيعه، والحاصل أن بذل المال للضراب ممتنع بطريق البيع لأن ماءه غير متقوّم ولا معلوم ولا مقدور على تسليمه، وأما بطريق الاستئجار ففيه قولان: أصحهما المنع أيضاً، وبه قال أبو حنيفة وأحمد لأن فعل الضراب غير مقدور عليه للمالك بل يتعلق باختيار الفحل، والثاني: وبه قال ابن أبي هريرة، ويحكى عن مالك: أنه يجوز كالاستئجار لتلقيح النخل، ويجوز أن يعطي صاحب الأنثى صاحب الفحل شيئاً على سبيل الهدية خلافاً لأحمد، والله أعلم.

(وكذلك بيع الصوف على ظهر الحيوان واللبن في الضرع لا يجوز فإنه يتعذر تسليمه لاختلاط غير المبيع بالمبيع) لما روي عن ابن عباس «أن النبي ﷺ نهى أن يباع صوف على ظهر أو لبن في ضرع» وهما جملتان منهي عنهما.

أما الصوف على الظهر؛ فيقال أيضاً إن مطلق اللفظ يتناول جميع ما على ظهر الجلد ولا يمكن استيعابه إلا بإيلام الحيوان، وإن شرط الجز فالعادة في المقدار المجزوز تختلف، وبيع المجهول لا يجوز وعن مالك أنه يجوز بشرط الجز. وحكاه ابن كج وجهاً لبعض الأصحاب، ويجوز بيع الصوف على ظهر الحيوان بعد الذكاة إذ ليس في استيفاء جميعه إيلام. وقال أصحابنا في تعليل عدم جواز بيع الصوف على ظهر الغنم أنه قبل الجز ليس بمال متقوّم في نفسه لأنه بمنزلة وصف الحيوان لقيامه كسائر أطرافه، ولأنه يزيد من الأسفل فيختلط المبيع بغيره بخلاف القوائم لأنها تزيد من أعلاها ويعرف ذلك بالخضاب وبخلاف القصيل لأنه يقلع، والصوف يقطع فيتنازعان في موضعه. وعن أبي يوسف يجوز بيعه لأنه مال متقوّم منتفع به مقدور التسليم كسائر الأموال اهـ.

وأما بيع اللبن في الضرع؛ فإنه باطل أيضاً كما مرّ. وعن مالك أنه إذا عرف قدر حلابها في كل دفعة صح وإن باعه أياماً، والحديث حجة عليه، ولأنه مجهول القدر لتفاوت ثخن الضرع، ولأنه يزداد شيئاً فشيئاً سيما إذا أخذ في الحلب وما يحدث ليس من المبيع فلا يتأتى التمييز والتسليم، ولو قال: بعتك من اللبن الذي في ضرع هذه البقرة كذا لم يجز أيضاً على الصحيح؛ لأن

فلا يصح بيعها أيضاً، وكذا بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيراً، وكذا بيع الولد

وجود القدر المذكور في الضرع لا يستيقن، وفيه وجه أنه كما لو باع قدراً من اللبن في الضرع فيجري فيه قولاً بيع الغائب، ولو حلب شيئاً من اللبن فأراه ثم باعه مدًا مما في الضرع، فقد نقلوا فيه وجهين كما في مسألة الأنموذج. قال الإمام: وهذا لا ينقدح إذا كان المبيع قدراً لا ينافي حلبه إلا ويتزايد اللبن فإن المانع قائم، والحالة هذه فلا ينفع ابداء الأنموذج نعم لو كان المبيع يسيراً وابتدر إلى الحلب فلا يفرض، والحالة هذه فلا ينفع ازدياد شيء به مبالاة، فيحتمل التجويز لكن إذا صوّرنا الأمر هكذا فلا حاجة إلى الأنموذج في التخريج على الخلاف، بل صار صائرون إلى الحاقه ببيع الغائب، وآخرون حسموا الباب وألحقوا القليل بالكثير، والمصنف في الوسيط حكى الخلاف في صورة أخرى تناسب هذه، وهو أن يقبض على قدر رمي الضرع ويحكم شده ويبيع ما فيه والله أعلم.

واستدل أصحابنا في هذه المسألة بما روي «أنه ﷺ نهى أن يباع ثمر حتى يطعم وصوف على ظهر ولبن في ضرع أو سمن في لبن» أخرجه الدارقطني ولأنه يدر ساعة فساعة فيختلط المبيع بغير المبيع، ولأنهم يختلفون في كيفية الحلب فيؤدي إلى النزاع ولأنه يحتمل أن يكون انتفاخاً وليس فيه لبن، والله أعلم.

ولما فرغ المصنف من بيان ما لا يقدر على تسليمه من حيث الحس أشار إلى ما لا يقدر عليه من حيث الشرع فقال: **(والمعجوز عن تسليمه شرعاً كالمرهون)** بعد القبض بلا إذن، **(والموقوف)** وإن أشرف على الخراب، **(والمتولدة فلا يصح بيعه أيضاً)** وعبارته في الوجيز: ولا يصح بيع ما عجز عن تسليمه شرعاً وهو المرهون هذا لفظه، وأنت تراه قد حصر العجز الشرعي في المرهون فقط، وهنا زاد عليه الموقوف والمتولدة. أما المرهون: فلا يصح بيعه بعد الإقباض وقبل الانفكاك لأنه عاجز عن تسليمه شرعاً لما فيه من توفية حق المرتهن، وأما المتولدة؛ فقد ذكرت في مسألة العبد الجاني هل يباع أم لا؟ فالجواب فيه ثلاثة طرق: احدها: إن كانت الجناية موجبة للقصاص فهو صحيح وإن كانت موجبة للمال فقولان. والثاني: إن كانت موجبة للمال فهو غير صحيح، وإن كانت موجبة للقصاص فقولان. والثالث: طرد القولين في الحالتين نقله الرافعي، ثم ذكر بعد ذلك مسألة اعتاق السيد الجاني وإنه ينظر إن كان معسراً فأصح القولين أنه لا ينفذ، وإن كان موسراً ففي نفوذه ثلاثة أقوال: أصحها: النفوذ، وثانيها: انه موقوف إن فداه نفذ وإلاّ فلا. ثم قال: واستيلاء الجارية كاعتاقها، ومتى فدا السيد الجاني يفديه بأقل الأمرين من الأرش وقيمة العبد أو بالارش بالغاً ما بلغ.

وقال النووي في الزيادات: ولو ولدت الجارية لم يتعلق الارش بالولد قطعاً ذكره القاضي أبو الطيب والله أعلم.

ثم أشار المصنف إلى القسم الثاني من المناهي ما لا يدل على الفساد إلا أنه من المعجوز عنه شرعاً

دون الأم لأن تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع.

الخامس: أن يكون المبيع معلوم العين والقدر والوصف، أما العلم بالعين فبأن يشير

فقال: (**وكذا بيع الأم دون الولد إذا كان الولد صغيراً وكذا بيع الولد دون الأم، لأن تسليمه تفريق بينهما وهو حرام فلا يصح التفريق بينهما بالبيع**) لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: « لا توله والدة بولدها » أخرجه البيهقي في السير من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

وعن أبي أيوب رضي الله عنه رفعه: « من فرق بين والدة وولدها فرق الله عز وجل بينه وبين أحبته يوم القيامة » رواه أحمد والترمذي والحاكم.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه رفعه: « لا يفرق بين الأم وولدها قيل إلى متى؟ قال: حتى يبلغ الغلام وتحيض الجارية ». فهذه الأخبار ونحوها أخبرتنا تحريم التفريق بين الجارية وولدها الصغير بالبيع والقسمة والهبة وغيرها، ولا يحرم التفريق في العتق ولا في الوصية. فلعل الموت يكون بعد انقضاء زمان التحريم، وفي الردّ بالعيب اختلاف الأصحاب.

وعن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي أنه لو اشترى جارية وولدها الصغير ثم تفاسخا البيع في أحدهما جاز، وحكم التفريق في الرهن مذكور في موضعه، وإذا فرق بينهما بالبيع والهبة ففي الصحة قولان. أحدهما: نعم، وبه قال أبو حنيفة، لأن النهي لما فيه من الإضرار لا لخلل في نفس المبيع، وأصحهما المنع لما روي عن علي رضي الله عنه أنه فرق بين جارية وولدها فنهاه النبي ﷺ عن ذلك وردّ البيع لأن التسليم تفريق محرم، فيكون كالمتعذر لأن العجز قد يكون حساً وقد يكون شرعاً.

وحكى أبو الفرج الزازاني القولين فيما إذا كان التفريق بعد سقي الأم ولدها اللبن فأما قبله فلا صحة جزما لأنه تسبيب إلى هلاك وإلى متى يمتد تحريم التفريق؟ فيه قولان. أحدهما إلى البلوغ، وبه قال أبو حنيفة لخبر عبادة، وأظهرهما وهو الذي نقله المزني إلى سن التمييز وهو سبع أو ثمان على التقريب، لأنه حينئذ يستغني عن التعهد والحضانة، ويقرب من هذا مذهب مالك فإنه قال: يمتد التحريم إلى وقت سقوط الاسنان.

وقوله في الكتاب: (**صغيراً**) يوافق القول الأوّل لفظاً، ويكره التفريق بعد البلوغ، ولكن لو فرق بالبيع والهبة صح خلافاً لأحمد، ولو كانت الأم رقيقة والولد حراً أو بالعكس فلا منع من بيع الرقيق ذكره في التتمة. والتفريق بين البهيمة وولدها بعد استغنائها عن اللبن جائز.

وعن الصيمري حكاية وجه آخر. قال النووي: هذا الوجه الشاذ في منع التفريق بين البهيمة وولدها هو في التفريق بغير الذبح، وأما ذبح أحدهما فجائز بلا خلاف، والله أعلم اهـ.

وهل الجدة والأب وسائر المحارم كالأم في تحريم التفريق؟ فيه كلام مذكور في السير.

(**الخامس: أن يكون المبيع**) معلوماً ليعرف أن ما الذي ملك بإزاء ما بذل فينتفي الغرر،

إليه بعينه، فلو قال: بعتك شاة من هذا القطيع أي شاة أردت، أو ثوباً من هذه الثياب التي بين يديك، أو ذراعاً من هذا الكرباس وخذه من أي جانب شئت، أو عشرة أذرع من هذه الأرض وخذه من أي طرف شئت، فالبيع باطل، وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين إلا أن يبيع شائعاً مثل أن يبيع نصف الشيء أو عُشره، فإن ذلك

ولا شك أنه لا يشترط العلم به من كل وجه، فبيّن المصنف ما يعتبر العلم به وهو ثلاثة أشياء بقوله: (**معلوم العين والقدر والوصف**) أي عين المبيع وقدره وصفته. (**أما العلم بالعين؛ فبأن يشير إليه بعينه فلو قال: بعتك**) عبداً من العبيد أو أحد عبيدي أو عبيدي هؤلاء، (**أو شاة من هذا القطيع أي شاة أردت، أو ثوباً من هذه الثياب التي بين يديك، أو ذراعاً من هذا الكرباس وخذه من أي جانب شئت، أو عشرة أذرع من هذه الأرض وخذه من أي طرف شئت، فالبيع باطل**) في هذه الصور لأن المبيع غير متعين فيها، وكذلك لو قال: بعت عبيدي هؤلاء إلا واحداً ولم يعين المستثنى لأن المبيع غير معلوم، ولا فرق بين أن تتقارب قيم العبيد والشياه أو تتباعد، ولا بين عدد من العبيد وعدد، ولا بين أن يقول: على أن تختار أيهم شئت أو لا يقول. أو لا إذا قال ذلك بين أن يقدر زمان الاختيار أو لا يقدر، وعن أبي حنيفة أنه لو قال: بعتك أحد عبيدي أو عبيدي الثلاثة على أن تختار من شئت في ثلاثة وما دونها يصح العقد، وأغرب المتولي فحكى عن القديم قولا مثله، ووجهه بأن الشرع أثبت الخيار في هذه المدة بين العوضين ليختار هذا الفسخ أو هذا الإمضاء، فجاز أن يثبت له الخيار بين عبدين، وكما تتقدر نهاية ما يتقدر به من الأعيان بثلاثة. قال الرافعي: ولا يخفى ضعف هذا التوجيه، ووجه المذهب القياس على ما إذا زاد العبيد على ثلاثة ولم يجعل له الاختيار أو زاده على الثلث أو فرض ذلك في الثياب والدواب وغير العبيد من الأعيان وعلى النكاح، فإنه لو قال: أنكحتك إحدى ابنتي أو بناتي لا يصح النكاح، فلو لم يكن له إلا عبد واحد فحضر في جماعة من العبيد. وقال السيد: بعتك عبدي من هؤلاء والمشتري يراهم ولا يعرف عين عبده فحكمه حكم بيع الغائب قاله في التتمة. وقال صاحب التهذيب: عندي هذا البيع باطل، لأن المبيع غير متعين وهو الصحيح.

(**وكل ذلك مما يعتاده المتساهلون في الدين إلا أن يبيع**) جزءاً (**شائعاً**) من كل جملة معلومة من أرض ودار وعبد وصبرة وثمرة وغيرها، (**فإنه صحيح مثل أن يبيع نصف الشيء أو عشره فإن ذلك جائز**). نعم لو باع جزءاً مشاعاً من شيء بمثله من ذلك الشيء، كما إذا كان بينهما نصفين فباع هذا نصفه بنصف ذاك فوجهان. أحدهما: لا يصح البيع لأنه لا فائدة فيه، وأصحهما الصحة لاجتماع هذه الشرائط المرعية في العقد، ولو باع نصفه بالثلث من نصف صاحبه، ففي صحته الوجهان أصحهما: الصحة وتصير بينهما أثلاثاً، وبهذا قطع صاحب التقريب واستبعده الإمام. وقد ذكر الرافعي هذه المسألة في كتاب الصلح، ولو باع الجملة واستثنى منها جزءاً شائعاً فهو صحيح أيضاً مثاله أن يقول: بعتك ثمرة هذا الحائط بثلاثة آلاف درهم إلا ما يخص ألفاً

جائز، وأما العلم بالقدر فإنما يحصل بالكيل أو الوزن أو النظر إليه، **فلو قال: بعتك هذا الثوب بما باع به فلان ثوبه وهما لا يدريان ذلك فهو باطل، ولو قال: بعتك بزنة هذه الصنجة فهو باطل إذا لم تكن الصنجة معلومة، ولو قال: بعتك هذه الصبرة من الحنطة**

وأراد ما يخصه إذا وزع الثمرة على المبلغ المذكور صح، وكأنه استثنى الثلث، وإن أراد ما يساوي ألفاً عند التقويم فلا لأنه مجهول.

فصل

لو باع ذراعاً من أرض أو دار أو ثوب ينظر إن كانا يعلمان جملة ذرعانها كما إذا باع ذراعاً والجملة عشرة فالبيع صحيح، وكأنه قال: بعت العشر. قال الإمام: إلا أن يعني معيناً فيفسده كقوله: شاة من قطيع، ولو اختلفا فقال المشتري: أردت الإشاعة فالعقد صحيح. وقال البائع: بل أردت معيناً، فمن يصدق احتمالان. قال النووي: أرجحهما البائع وإن كانا لا يعلمان أو أحدهما ذرعان الدار والثوب لم يصح البيع، لأن أجزاء الثوب والأرض تتفاوت غالباً في المنفعة والإشاعة متعذرة. وعن أبي حنيفة: أنه لا يصح البيع سواء كانت الذرعان مجهولة أو معلومة ذهاباً إلى أن الذراع اسم لبقعة مخصوصة فيكون المبيع مبهماً، ولو وقف على طرق الأرض وقال: بعتك أذرعاً من موقفي هذا في جميع العرض إلى حيث ينتهي في الطول صح البيع في أصح الوجهين.

(وأما العلم بالمقدار فإنما يحصل بالكيل والوزن أو النظر إليه). اعلم أن المبيع قد يكون في الذمة وقد يكون معيناً والأوّل السلم والثاني هو المشهور باسم البيع والثمن فيهما جميعاً قد يكون في الذمة، وإن كان يشترط في السلم التسليم في مجلس العقد، وقد يكون معيناً فما كان في الذمة من العوضين لا بدّ من أن يكون معلوم القدر. **(فلو قال: بعتك هذا الثوب)** أو هذا الفرس **(بما باع به فلان ثوبه)** أو فرسه **(وهما لا يدريان ذلك)** أو أحدهما **(فهو باطل)** لأنه غرر يسهل الاجتناب عنه. وحكي وجه أنه يصح لإمكان الاستكشاف وإزالة الجهالة، فصار كما لو قال: بعتك هذه الصبرة كل صاع منها بدرهم يصح البيع، وإن كانت الجملة مجهولة في الحال نقله في التتمة. وذكر بعضهم أنه إذا حصل العلم قبل التفرق صح البيع. **(ولو قال: بعتك)** ملء هذا البيت حنطة أو **(بزنة هذه الصنجة)** ذهباً **(فهو باطل إذا لم تكن الصنجة معلومة)**، فو قال: بعتك بمائة دينار إلا عشرة دراهم لم يصح إلا أن يعلما قيمة الدينار بالدراهم. قال النووي: ينبغي أن لا يكفي عملها بالقيمة بل يشترط منه قصدهما استثناء القيمة، وذكر صاحب المستظهري فيما إذا لم يعلما حال العقد قيمة الدينار بالدراهم، ثم علما في الحال طريقين أصحهما: لا يصح، والثاني على وجهين اهـ.

ولو قال: بعتك بألف من الدراهم والدنانير لم يصح لأن قدر كل واحد منهما مجهول. وعن أبي حنيفة أنه يصح وإذا باع بدراهم أو دنانير، فلا بدّ من العلم بنوعها فإن كان في البلد نقد واحد أو نقود، ولكن الغالب التعامل بواحد منها انصرف العقد إلى المعهود، وإن كان فلوساً إلا أن يعين

فهو باطل، أو قال: بعتك بهذه الصبرة من الدراهم أو بهذه القطعة من الذهب وهو يـراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافياً في معرفة المقدار. وأما العلم بالوصف

غيره، وإن كان في البلد نقدان أو نقود وليس بعضها أغلب من بعض فالبيع باطل حتى يعين، وكما ينصرف العقد إلى النقد الغالب ينصرف في الصفات إليه أيضاً، ولو قال: بعت بألف صحاح ومكسرة وجهان. أظهرهما: أنه يبطل لأنه لم يبين قدر كل واحد منهما. الثاني: يصح ويحمل عـلى التضعيف.

تنبيه:

ولما قدمنا إن العلم بمقدار العوض لا بدّ منه إذا كان في الذمة احتجنا إلى بيان مسألة وهي كالمستثناة من هذه وهي انه لو قال: بعتك هذه الصبرة كل صاع بدرهم يصح العقد، وإن كانت الصبرة مجهولة الصيعان وقدر الثمن مجهولاً، وبه قال مالك وأحمد، وكذا الحكم لو قال: هذه الأرض أو هذا الثوب كل ذراع بدرهم أو هذه الأغنام كل واحدة بدينار. وقال أبو حنيفة: إذا كان الجملة مجهولة صح البيع في مسألة الصبرة وفي قفيزة واحد دون الباقي، وفي مسألة الأرض والثوب لا يصح في شيء، وهذا ما حكاه ابن كج عن أبي الحسين في الصور كلها وجه الصحة أن الصبرة مشاهدة والمشاهدة كافية للصحة، ولا يضر الجهل بمبلغ الثمن لأن تفصيله(معـلوم والغرر يرتفع به، فإنه يعلم أقصى ما ينتهي إليه الصبرة، وقد رغب فيها على شرط كل صاع بدرهم كم كانت، ولو قال: بعتك عشرة من هؤلاء الأغنام بكذا لم يصح، وإن علم عدد الجملة بخلاف مثله في الصبرة والأرض والثوب لأن قيمة الشاة تختلف فلا يدري كم العشرة من الجملة كذا ذكره في التهذيب، ثم إن هذا الذي ذكره المصنف في أحد القسمين، وهو أن يكون العوض في الذمة، فأما إذا كان معيناً فلا يشترط معرفة قدره بالوزن والكيل.

وقد أشار إلى ذلك بقوله: (**ولو قال: بعتك هذه الصبرة من الحنطة فهو باطل أو بعتك بهذه الصرة من الدراهم أو بهذه القطع من الذهب وهو يراها صح البيع وكان تخمينه بالنظر كافياً في معرفة المقدار**) ربطاً للعقد بالمشاهدة. نعم حكوا قولين في أنه هل يكره بيع الصبرة جزافاً؟ قال النووي: قلت: أظهرهما يكره وقطع به جماعة وكذا البيع بصرة الدراهم اهـ.

ونقل الروياني في البحر عن الشافعي: لو باع صرة من الطعام جزافاً فالبيع جائز ولا بأس به، وقال في حرملة: لا أحب ذلك فإن فعل لا انقض البيع فحصل من هذا أنه يجوز البيع قولاً واحداً وهل يكره؟ قولان. أحدهما: لا يكره، والثاني: يكره لأن به ضرباً من الغرر اهـ.

وعن مالك: إن علم البائع قدر كيلها لم يصح البيع حتى يبينه، وحكى الإمام عنه أنه لا بدّ من معرفة المقدار فلا يصح بيع الصبرة جزافاً ولا بالدراهم جزافاً. وقال صاحب الشامل: لو باع الصبرة والمشتري يظن أنها على استواء الأرض ثم بان تحتها دكة، فقد ذكروا في تبيين بطلان العقد فيه وجهين. أحدهما: نعم، وبه قال الشيخ أبو محمد لأنا تبينّا بالآخر أن العيان لم يفد علماً،

فيحصل بالرؤية في الأعيان ولا يصح بيع الغائب، إلا إذا سبقت رؤيته منذ مدة لا

وأظهرهما لا. ولكن للمشتري الخيار تنزيلاً لما ظهر منزلة العيب والتدليس، فلو قال: بعتك هذه الصبرة إلا صاعاً فإن كانت معلومة الصيعان صح، وإلاَّ فلا، وبه قال أبو حنيفة وقال مالك: يصح، وإن كانت مجهولة الصيعان.

(**وأما العلم بالوصف، فيحصل بالرؤية في الأعيان فلا يصح بيع الغائب**) . اعلم أن في بيع الأعيان الغائبة والحاضرة التي لم تر قولين: قال في القديم وفي الإملاء والصرف في الجديد أنه صحيح، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد لما روي أن النبي ﷺ قال « من اشترى ما لم يره فله الخيار إذا رآه » ومعلوم أن الخيار إنما يثبت في العقود الصحيحة ولأنه عقد معاوضة فلم يكن من شرطه رؤية المعقود عليه كالنكاح. وقال في الأم والبويطي: لا يصح وهو اختيار المزني، ووجه، أنه بيع غرر، وقد نهي عنه ولأنه بيع مجهول الصفة عند العاقد حال العقد فلم يصح بيعه، ويشتهر القول الأوّل بالقديم والثاني بالجديد، واختلفوا في محلها على طريقين. أصحهما: عند أبي الصباغ وصاحب التتمة وغيرهما أن القولين مطردان في المبيع الذي لم يره المتبايعان كلاهما وفيما لا يره أحدهما، والثاني أن القولين فيما إذا شاهده البائع دون المشتري، وأما إذا لم يشاهده البائع فالبيع باطل قولاً واحداً، ومنهم من جعل البيع أولى بالصحة لأن البائع معرض عن الملك والمشتري محصل له فهو أجدر بالاحتياط، وهذا يوجب خروج طريقة ثالثة وهو القطع بالصحة إذا رآه المشتري وتخصيص فيما إذا لم يره.

تنبيه:

إن لم يجز شراء الغائب وبيعه لم يجز بيع الأعمى وشراؤه، فإن جوّزناه فوجهان. أظهرهما: أنه لا يجوز أيضاً، والثاني أنه يجوز ويقام وصف غيره له مقام رؤيته، كما تقوم الإشارة مقام النطق في حق الأخرس، وبهذا قال مالك وأبو حنيفة وأحمد. وقد تقدم ذلك في أوّل هذا الباب مفصلاً.

ومن فروع هذه المسألة: لو اشترى ما رآه قبل العقد نظر إن كان مما لا يتغير غالباً كالأراضي والأواني والحديد والنحاس ونحوها، أو كان لا يتغير في المدة المتخللة الرؤية والشراء صح العقد بحصول العلم الذي هو المقصود، وإليه أشار المصنف بقوله: (**إلا إذا سبقت رؤيته مدة لا يغلب التغير فيها**) . وقال الأنماطي: لا يصح لأن ما كان شرطاً في العقد ينبغي أن يوجد عنده كالقدرة على التسليم في البيع والشهادة في النكاح والمذهب الأول، واحتج الاصطخري على الأنماطي في المسألة فقال: أرأيت لو كان في يده خاتم فأراه غيره حتى نظر إلى جميعه ثم غطاه بكفه ثم باعه منه فهل يصح؟ قال: لا. قال: أرأيت لو دخل داراً ونظر إلى جميع جوانبها وعلاليها ثم خرج منها واشتراها هل يصح؟ قال: لا. قال: أرأيت لو دخل أرضاً ونظر إلى جميعها ثم وقف في ناحية منها واشتراها هل يصح؟ فتوقف فيه. ولو ارتكبه لكان مانعاً بيع الأراضي والضياع التي لا تشاهد دفعة واحدة، وأنه خلاف الإجماع، ثم إذا صححنا الشراء فإن وجده كما رأى أوّلاً فلا

يغلب التغير فيها، والوصف لا يقوم مقام العيان. هذا أحد المذهبين، ولا يجوز بيع

خيار له، وإن جده متغيراً فقد حكى المصنف فيه وجهين في الوسيط. أحدهما: أنه يتبين بطلان العقد لتبين انتفاء المعرفة، وأصحهما وهو الذي أورده الجمهور أنه لا يتبين ذلك لبقاء العقد في الأصل على ظن غالب ولكن له الخيار. قال الإمام في النهاية: وليس المعنى بتغيره تعيبه فإن خيار العيب لا يختص بهذه الصورة، ولكن الرؤية بمثابة الشرط في الصفات الكائنة عند الرؤية فكل ما قامت منها فهو بمثابة ما لو تبين الخلف في الشرط، وإن كان المبيع مما يتغير في مثل تلك المدة غالباً كما إذا رأى ما يتسارع إليه الفساد من الأطعمة ثم اشتراه بعد مدة صالحة فالبيع باطل، وإن مضت مدة تحتمل أن يتغير فيها ويحتمل أن لا يتغير أو كان المبيع حيواناً فيه وجهان. أحدهما: أنه لا يصح البيع لما فيه من الغرر، ويحكى هذا عن المزني وابن أبي هريرة، وأصحهما الصحة لأن الظاهر بقاؤه بحاله فإن وجد متغيراً فله الخيار، وإذا اختلفا فقال البائع: هو بحاله وقال المشتري: بل تغير فوجهان. أحدهما: ان القول قول البائع لأن الأصل عدم التغير واستمرار العقد، وأظهرهما وهو المحكي عن نفسه في العرف أن القول قول المشتري مع يمينه لأن البائع يدعي عليه الاطلاع على المبيع في هذه الصورة والرضا به وهو ينكره، فأشبه ما إذا ادعى الإطلاع على العيب وأنكر المشتري.

ومن فروع المسألة اختلفوا في أن استقصاء الأوصاف على الحد المعتبر في السلم هل يقوم مقام الرؤية إذا شاع وصفه بطريق التواتر؟ وفيه وجهان. أحدهما: نعم لأن ثمرة الرؤية المعرفة وهما يفيدانها فعلى هذا يصح البيع على القولين ولا خيار، وأصحهما لا. لأن الرؤية تطلع على أمور تضيق عنها العبارة، وإليه أشار المصنف بقوله: (**والوصف لا يقوم مقام العيان**) والمشاهدة (**هذا أحد المذهبين**) أي أصح القولين في المذهب، ومن مسائل الفصل: إذا رأى بعض الشيء دون بعض نظر إن كان مما يستدل برؤية بعضه على الباقي صح البيع كما إذا رأى ظاهر الصبرة من الحنطة والشعير لأن الغالب ان أجزاءها لا تختلف ويعرف جلتها برؤية ظاهرها، ثم لا خيار له إذا رأى باطنه إلا إذا اختلف باطنه وظاهره.

وفي التتمة أن أبا سهل الصعلوكي حكى قولاً عن الشافعي أنه لا تكفي رؤية ظاهر الصبرة بل لا بدَّ من تقليبها ليعرف حال باطنها أيضاً، وهكذا حكاه أبو الحسن العبادي عن الصعلوكي نفسه وقال: إنما الجأه إليه ضرورة نظر والمذهب المشهور هو الأوّل، وفي معنى الحنطة والشعير صبرة الجوز واللوز والدقيق لأن الظاهر استواء ظاهرها وباطنها، ولو كان شيء منها في وعاء فرأى أعلاه أو رأى أعلى السمن والخل وسائر المانعات في ظروفها كفى، ولو كانت الحنطة في بيت وهو مملوء منها فرأى بعضها في الكوّة أو الباب كفى إن عرف سعة البيت وعمقه، وإلاّ فلا. وكذا حكم الجمد في المجمدة ولا تكفي رؤية صبرة البطيخ والرمان والسفرجل لأنها تباع في العادة عدداً وتختلف اختلافاً بيّناً فلا بد من رؤية واحد واحد، وكذا لا يكتفي في بيع السلة من العنب والخوخ ونحوهما برؤية الأعلى لكثرة الاختلاف فيها.

الثوب في المنسج اعتماداً على الرقوم، ولا بيع الحنطة في سنبلها، ويجوز بيع الأرز في قشرته التي يدخر فيها، وكذا بيع الجوز واللوز في القشرة السفلى، ولا يجوز في

وعن الصيمري حكاية خلاف في القطن في العود أنه يكفي رؤية اعلاه أم لا بدّ من رؤية جميعه. قال: والأشبه عندي انه كقومرة التمر ومن فروع هذا الفصل الثوب المطوي لا بدّ من نشره. قال: ويحتمل عندي أن يصح بيع الثياب التي لا تنشر بالكلية لما في نشرها من التنقيص. ونقل القفال في شرح التلخيص لو اشترى الثوب المطوي وصححناه ونشره واختار الفسخ وكان لطيه مؤنة ولم يحسن طيه لزم المشتري مؤنة الطيّ اهـ.

ثم إذا نشرت فما كان صفيقاً كالديباج المنقوش فلا بدّ من رؤية كلا وجهيه، وفي معناه البسط والزلالي، وما كان رقيقاً لا يختلف وجهاه كالكرباس تكفي رؤية أحد وجهيه في الصحيح من الوجهين، فمن فروع هذه المسألة ما أشار إليه المصنف فقال: (**ولا يجوز بيع**) الثوب (**التوزي**) منسوب إلى توز كبقم بلدة بفارس يقال: إنها كثيرة النخل شديدة الحر، وإليها تنسب تلك الثياب، وضبطه صاحب المصباح بالضم ووزنه نفعل والفتح نسبه إلى عوام العجم (**في المسوح**) بالضم جميع مسح بالكسر كساء أسود من صوف (**اعتماداً على الرقوم**) التي كتبت عليه. قال الإمام: وعموم عرف الزمان محمول على المحافظة على المالية والإضراب عن رعاية حدود الشرع، (**ولا بيع الحنطة في سنبلها**) لأن المعقود عليه مستور غائب عن البصر ولا يعلم وجوده فلا يجوز بيعه، فصار كبزر البطيخ وحب القطن واللبن في الضرع والزيت في الزيتون قبل الاستخراج، وهذا هو القول القديم. وفي الجديد وبه قال أبو حنيفة أنه يجوز لأنه مال متقوّم منتفع به فيجوز بيعه في قشره كالشعير، واحتج بحديث « نهى عن بيع النخل حتى تزهو وعن بيع السنبل حتى يتبيض » رواه أحمد ومسلم وغيرهما، ووجه الاستدلال أنه يقتضي جواز بيعه بالنص مطلقاً من غير قيد بالترك، ولو كان كما قاله الشافعي قال حتى يفرك والفرق بينه وبين ما ذكر أن الغالب في السنبلة الحنطة. ألا ترى أن يقال: هذه حنطة وهي في سنبلها ولا يقال هذا حب ولا هذا لبن ولا زيت ولا قطن، وعلى هذا الخلاف الفستق والبندق والجوز والحمص الأخضر وسائر الحبوب المغلفة. (**ويجوز بيع الأرز في قشرته التي يدخر فيها**) فإن قشرته صوان له فهو ملحق بالشعير، وبه قال ابن القاص وأبو علي البصري، ومنهم من يلحقه بالحنطة. (**وكذا بيع**) ماله كمامان يزال أحدهما ويبقى الآخر إلى وقت الأكل مثل (**الجوز واللوز**) والرانج (**في القشرة السفلى، ولا يجوز في القشرتين**) لا على رأس الشجرة ولا على وجه الأرض لستر المعقود بما ليس من صلاحه، وفيه قول أنه يجوز ما دام رطباً في القشرة العليا، وبه قال ابن القاص والاصطخري لتعلق الصلاح به من حيث أنه يصون القشرة السفلى ويحفظ رطوبة اللب.

ثم اعلم أن الشيء إذا كان مما لا يستدل برؤية بعضه على الباقي نظر إن كان المرئي صواناً للباقي كقشر الرمان والبيض كفى رؤيته، وإن كان معظم المقصود مستوراً لأن صلاحه ببقائه

القشرتين، **ويجوز بيع الباقلاء الرطب في قشريه للحاجة، ويتسامح ببيع الفقاع لجريان عادة الأولين به، ولكن نجعله إباحة بعوض، فإن اشتراه ليبيعه فالقياس بطلانه لأنه ليس مستتراً ستر خلقة ولا يبعد أن يتسامح به، إذ في إخراجه إفساده كالرمان وما يستتر بستر خلق معه.**

السادس: أن يكون المبيع مقبوضاً إن كان قد استفاد ملكه بمعاوضة، وهذا شرط خاص. وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع ما لم يقبض، ويستوي فيه العقار والمنقول،

فيه، وكذا لو اشترى الجوز واللوز في القشرة السفلى، ولا يصح بيع اللب وحده فيها لأن تسليمه لا يمكن إلا بكسر القشر وفيه تغيير عين المبيع.

(**ويجوز بيع الباقلاء: الرطب في قشره الأعلى للحاجة**) والضرورة على الخلاف المذكور في الجوز واللوز، وادعى الإمام أن الأظهر فيه الصحة لأن الشافعي رضي الله عنه أمر بعض أعوانه أن يشتري له الباقلاء الرطب، (**ويتسامح ببيع الفقاع**) بضم فتشديد شراب الزبيب (**لجريان عادة الأولين**) ببيعه من غير رؤية جميعه، (**ولكن نجعله إباحة**) بعوض. فلو اشتراه لبيعه فالقياس بطلانه لأنه ليس مستتراً خلقة، ولا (**يبعد أن يتسامح به إذ في إخراجه إفساد**) فصار (**كالرمان وما يستتر خلقة**) صرح النووي في فتاويه بجواز بيع الفقاع وقال: ولا كراهة فيه لمشقة رؤيته، ولأن بقاءه في الكوز من مصلحته اهـ.

وقال الرافعي، وذكر ابو الحسن العبادي: ان الفقاع يفتح رأسه وينظر فيه بقدر الإمكان حتى يصح بيعه، وصاحب الكتاب يعني المصنف أطلق المسامحة في الإحياء فيما أظن، قال النووي: قلت: الأصح قول الغزالي والله أعلم.

ثم اعلم أن الرؤية في كل شيء على حسب ما يليق به، ففي شراء الدار لا بدّ من رؤية السقوف والجدران والسطح داخلاً وخارجاً، وفي الحمام من رؤية المستحم والبالوعة، وفي البستان من رؤية الأشجار ومسايل الماء، وفي شراء العبد لا بدّ من رؤية الوجه والأطراف إلا العورة، وفي باقي البدن وجهان أظهرهما: أنه لا بدّ من رؤيته، وفي الجارية وجوه الأصح أنها كالعبد، وفي الدواب لا بدّ من رؤية مقدمها ومؤخرها وقوائمها وتحت السرج والأكاف والجل، وفي شراء الكتب لا بدّ من تقليب الأوراق ورؤية جميعها، وفي البياض لا بدّ من رؤية جميع الطاقات.

(**السادس: أن يكون المبيع مقبوضاً إن كان قد استفاد ملكه بمعاوضة وهو شرط خاص**) لم يذكره المصنف في الوجيز، بل اقتصر على الخمسة، ولكن أورده في آخر البيوع في باب القبض وأحكامه وقال: (**وقد نهى رسول الله ﷺ عن بيع ما لم يقبض**) قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عباس اهـ.

قلت الذي عند البخاري من حديثه «أما الذي نهى عنه رسول الله ﷺ فهو الطعام أن يباع

فكل ما اشتراه أو باعه قبل القبض فبيعه باطل. وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل لا يتم إلا بأن يكتاله، وأما بيع الميراث والوصية

قبل أن يقبض» ولفظ مسلم «أحسب كل شيء بمنزلة الطعام» وعند البيهقي من طريق أبي إسحاق، عن عطاء، عن صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه قال: استعمل رسول الله ﷺ عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال: «إني أمرتك على أهل الله بتقوى الله لا يأكل أحدكم من ربح ما لم يضمن وأن يبيع أحدكم ما ليس عنده» وفي بعض رواياته قال له «أنههم عن بيع ما لم يقبضوا وربح ما لم يضمنوا».

(**ويستوي فيه العقار والمنقول**) أي لا يجوز بيع المبيع قبل القبض عقاراً كان أو منقولاً لا بإذن البائع ولا دونه لا قبل إداء الثمن ولا بعده، (**فلكل ما اشتراه وباعه قبل القبض فبيعه باطل**) خلافاً لأبي حنيفة حيث قال: يجوز بيع العقار قبل القبض، ولمالك حيث جوّز بيع غير الطعام قبل القبض وكذا بيع الطعام إذا كان جزافاً، ولأحمد حيث جـوّز بيع ما ليس بمكيل ولا موزون ولا معدود ولا مذروع قبل القبض، وقد يروى عن مالك وأحمد ما بينه وبين هذه الرواية بعض التفاوت. وذكر الأصحاب من طريق المعنى سببين. أحدهما: أن الملك قبل القبض ضعيف لكون المبيع من ضمان البائع وانفساخ المبيع لو تلف فلا يفيد ولاية التصرف. والثاني: أنه لا يتوالى ضمان عقدين في شيء واحد، ولو نفذنا البيع من المشتري لاضطر إلى تواليه لأن المبيع مضمون على البائع للمشتري، وإذا نفذ منه صار مضموناً عليه للمشتري الثاني، فيكون الشيء الواحد مضموناً وعليه في عهدين، وهل الاعتاق كالبيع؟ فيه وجهان. أصحهما: لا بل يصح الاعتاق ويصير قابضاً به لقوّة العتق وغلبته، ولو وقف المبيع قبل القبض فقيل هو كالبيع، وقيل كالاعتاق والكتابة كالبيع في أصح الوجهين، وفي هبة المبيع قبل القبض وجهان. وقيل: قولان. أصحهما عند عامة الأصحاب المنع لضعف الملك والإقراض والتصرف كالهبة والرهن ففيهما الخلاف، وفي اجارة المبيع قبل القبض وجهان. أصحهما: المنع، وعند المصنف الصحة.

(**وقبض المنقول بالنقل وقبض العقار بالتخلية**) عنه (**وقبض ما ابتاعه بشرط الكيل لا يتم إلا بان يكيله**) هذا شروع من المصنف في بيان أن القبض لم يحصل، والقول الجملي فيه أن الرجوع فيما يكون قبضاً إلى العادة، ويختلف بحسب اختلاف الأوّل وتفصيله: أن المال إما أن يباع من غير اعتبار تقـدير/فيه، أو يباع معتبراً فيه تقدير.

الحالة الأولى: أن لا يعتبر فيه تقدير إما لعدم إمكانه أو مع الإمكان، فينظر إن كان المبيع مما لا ينتقل كالدور والأراضي فقبضه بالتخلية بينه وبين المشترى وتمكينه من اليد والتصرف فتسليم المفتاح إليه ولا يعتبر دخوله والتصرف فيه وشرط كونه فارغاً من أمتعة البائع، وإن كان المبيع من جملة المنقولات فالمذهب المشهور وبه قال أحمد أنه لا يكفي فيه التخلية، بل لا بدّ في النقل من التحويل. وقال مالك وأبو حنيفة: أنه يكفي فيه التخلية كما في العقار، وعن رواية حرملة قول مثله.

والوديعة وما لم يكن الملك حاصلاً فيه بمعاوضة فهو جائز قبل القبض.

الحالة الثانية: أن يباع الشيء مع اعتبار تقدير فيه كما إذا اشترى ثوباً أو أرضاً مذارعة أو متاعاً موازنة أو صبرة حنطة مكايلة أو معدوداً بالعدد، فلا بدّ فيه بعد القبض من الذرع أو الوزن أو الكيل أو العدد، وكذا لو أسلم في آصع أو أمناء من الطعام لا بدّ في قبضه من الكيل والوزن، ولكل من الحالتين مسائل ولها فروع مذكورة في محلها.

(فأما بيع الميراث والوصية والوديعة وما لم يكن الملك حاصلاً فيه بمعاوضة فهو جائز)
اعلم أن المال المستحق للإنسان عند غيره قسمان: عين في يده ودين في ذمته، أما الثاني فمذكور في محله. وأما القسم الأوّل فما له في يد الغير إما أن يكون أمانة أو مضموناً الضرب الأوّل: الأمانات فيجوز للمالك بيعها لتمام الملك عليها وحصول القدرة على التسليم، وهو كالوديعة في يد المودع ومال الشركة والقراض في يد الشريك والعامل والمال في يد الوكيل بالبيع ونحوه، وفي يد المرتهن بعد انفكاك الرهن وفي يد المستأجر بعد انقضاء المدة والمال في يد القيم بعد بلوغ الصبي رشيداً، وما اكتسبه العبد أو قبله بالوصية قبل أن يأخذه السيد، ولو ورث مالاً فله بيعه قبل أخذه إلا إذا كان الموروث لا يملك بيعه أيضاً مثل ما اشتراه ولم يقبضه، ولو اشترى من موروثه شيئاً ومات الموروث قبل التسليم فله بيعه سواء كان على المورث دين أو لم يكن، وحق الغريم يتعلق بالثمن فإن كان له وارث آخر لم ينفذ بيعه في قدر نصيب الآخر حتى يقبضه، ولو أوصى له بمال فقبض الوصية بعد موت الموصي فله بيعه قبل أخذه وإن باعه بعد الموت وقبل القبول جاز إن قلنا ان الوصية تملك بالموت، وإن قلنا تملك بالقبول أو موقوف فلا، وأما المضمونات فهي ضربان: مضمون بالقيمة ومضمون بعوض في عقد معاوضة الأوّل المضمون بالقيمة، وهذا الضمان يسمى ضمان اليد فيصح بيعه قبل القبض أيضاً لتمام الملك فيه، ويدخل فيه ما صار مضموناً بالقيمة بعقد مفسوخ وغيره، ويجوز بيع المال في يد المستعير والمستعار في يد المشتري والمتهب في الشراء والهبة الفاسدين، وكذا بيع المغصوب من الغاصب، وأما المضمون بعوض في عقد معاوضة فلا يصح بيعه قبل القبض لتوهم الانفساخ تبلغه وذلك كالبيع والإجارة والعوض المصالح عليه عن المال، وفي بيع المرأة الصداق قولان مبنيان على أنه مضمون في يد الزوج ضمان اليد أو ضمان العقد، والأصح الثاني، ووراء ما ذكرنا صور:

منها الأرزاق التي يخرجها السلطان للناس يجوز بيعها قبل القبض حكاه صاحب التلخيص عن نص الشافعي وصححه النووي. قال القفال: ومراد الشافعي بالرزق الغنيمة.

ومنها: بيع أحد الغانمين نصيبه على الإشاعة قبل القبض صحيح إذا كان معلوماً.

ومنها: إذا رجع فيما وهب من ولده له بيعه قبل استرداده. وقال ابن كج: ليس له ذلك.

الركن الثالث: لفظ العقد فلا بدّ من جريان إيجاب وقبول متصل به بلفظ دال على

ومنها: الشفيع إذا تملك الشقص له بيعه قبل القبض كذا في التهذيب، وقال صاحب التتمة: ليس له ذلك، قال النووي: هذا أقوى.

ومنها إذا قاسم شريكه فيبيع ما صار إليه قبل القبض من الشريك يبنى على أن القسمة بيع أو إقرار نصيب.

(**الركن الثالث: لفظ العقد فلا بدّ من جريان إيجاب وقبول**) تقدم أن المصنف ذكر في الوسيط هنا زيادة بعد قوله: وصيغة العقد فلا بدّ منها لوجود صورة العقد هذا لفظه، وقد بحث فيه الرافعي فقال: لك أن تقول إن كان المراد أنه لا بدّ من وجودها لتدخل صورة العقد في الوجود والزمان والمكان وكثير من الأمور بهذه المثابة، فوجب أن تعدّ أركاناً وإن كان المراد أنه لا بدّ من حضورها في الذهن ليتصوّر البيع، فلا نسلم أن العاقد والمعقود عليه بهذه المثابة، وهذا لأن البيع فعل من الافعال والفاعل لا يدخل في حقيقة الفعل. ألا ترى أنا إذا عددنا أركان الصلاة والحج لم نعد المصلي والحاج في جملتها، وكذلك مورد الفعل، بل الأشبه أن الصيغة أيضاً ليس جزءاً من حقيقة فعل البيع. ألا ترى أنه ينتظم أن يقال: هل المعاطاة بيع أم لا؟ ويجيب عنه مسؤول بلا وآخر بنعم. والوجه أن يقال: البيع مقابلة مال بمال وما أشبه ذلك فيعتبر في صحته أمور: منها: الصيغة، ومنها كون العاقد بصفة كيت وكيت، ومنها: كون المعقود عليه كذا وكذا، ثم أحد الأركان وهو الثالث على ما ذكره وهو الصيغة وهي الإيجاب من جهة البائع، والقبول من جهة المشتري.

وتتعلق بالصيغة مسائل. احداها: يشترط أن لا يطول الفصل بين الإيجاب والقبول، لا يتخللها كلام أجنبي عن العقد، وإليه أشار المصنف بقوله: (**متصل به**) فإن طال أو تخلل لم ينعقد سواء تفرقا عن المجلس أم لا. ولو مات المشتري بعد الإيجاب وقبل القبول ووارثه حاضر فقبل، فوجهان عن الداركي أنه يصح، والأصح المنع (**بلفظ دال على المقصود مفهم**) كأن يقول البائع: بعت أو شريت أو ملكتك، وفي ملكت وجه منقول عن الحاوي، وأن يقول المشتري: قبلت ويقوم مقامه ابتعت واشتريت وتملكت ويجري في تملكت مثل ذلك الوجه، وإنما جعل قوله ابتعت وما بعده قائماً مقام القبول ولم نجعله قبولاً لما ذكر إمام الحرمين من أن القبول على الحقيقة ما لا يتأتى الابتداء به، فأما إذا أتى بما يتأتى الإبتداء به فقد أتى بأحد شقي العقد، ولا فرق بين أن يتقدم قول البائع: بعت على قول المشتري: اشتريت، وبين أن يتقدم قول المشتري اشتريت، ويصح البيع في الحالتين ولا يشترط اتفاق اللفظين، بل لو قال البائع: بعتك فقال المشتري أو ابتعت أو قال البائع: ملكتك، فقال المشتري: اشتريت صح لأن المعنى واحد، ثم ان المصنف ذكر في الوجيز بعد قوله: وهو الإيجاب والقبول اعتبرا للدلالة على الرضا الباطن.

المقصود مفهم، إما صريح أو كناية، فلو قال أعطيتك هذا بذاك بدل قوله: بعتك. فقال: قبلته جاز مهما قصدا به البيع، لأنه قد يحتمل الإعارة إذا كان في ثوبين أو دابتين، والنية تدفع الاحتمال، والتصريح أقطع للخصومة، ولكن الكناية تفيد الملك

قال الرافعي: يريد به أن المقصود الأصلي هو الرضا لئلا يكون واحد منهما آكلاً مال الآخر بالباطل، بل يكونان ناجزين عن تراض إلا أن الرضا أمر باطني يعسر الوقوف عليه فنيط الحكم باللفظ الظاهر (**إما صريح أو كناية فلو قال: أعطيتك هذا بذاك بدل قوله: بعتك، فقال قبلت جاز مهما قصد به البيع، فإنه قد يحتمل الإعارة إذا كان في ثوبين أو دابتين، والنية ترفع الإحتمال والصريح أقطع للخصومة، ولكن الكناية تفيد الملك والحمل أيضاً فيما يختاره**)، وعبارته في الوجيز: وينعقد البيع بالكناية مع النية كالكتابة والخلع بخلاف النكاح فإنه مقيد بتعبد الشهادة هذا لفظه.

قال الرافعي: كل تصرف يشتغل به الشخص كالطلاق والعتاق والإبراء فينعقد بالكنايات مع النية انعقاده بالصرائح، وما لا يشتغل به الشخص بل يفتقر إلى الإيجاب والقبول فهو على ضربين أحدهما: إما يفتقر إلى الإشهاد كالنكاح وكبيع الوكيل إذا شرط الموكل عليه الإشهاد، فهذا لا ينعقد بالكناية لأن الشهود لا يطلعون على القصود والنيات والإشهاد على العقد لا بد منه. والثاني: ما لا يفتقر فهو أيضاً على ضربين. أحدهما: ما يقبل مقصوده التعليق بالإغراء كالكتابة والخلع فينعقد بالكناية مع النية، والثاني: ما لا يقبل كالبيع والإجارة وغيرهما وفي انعقاد هذه التصرفات بالكناية مع النية وجهان. أحدهما: لا ينعقد لأن المخاطب لا يدري بم خوطب، وأظهرهما أنه ينعقد كما في الكتابة والخلع.

وقال إمام الحرمين: والخلاف في أن البيع ونحوه هل ينعقد بالكناية مع النية مفروض فيما إذا انعدمت قرائن الأحوال فأما إذا توفرت وأفادت التفاهم فيجب القطع بالصحة، وفي البيع المقيد بالاشهاد ذكر المصنف في الوسيط أن الظاهر إنعقاده عند توفر القرائن. قال شارحه محمد بن يحي تلميذ المصنف بعد قوله وعندي أنه يكتفي به وإن لم ينوفيه الإيجاب هذا إنما يصح بينه وبين الله تعالى إما في الظاهر فلا بدّ من لفظ صريح يفزعان إليه عند الخصام.

ومن فروع هذه المسألة لو كتب إلى غائب بالبيع ونحوه، فالشرط أن يقبل المكتوب إليه كما لو اطلع على الكتاب على الأصح ليقترن القبول بالايجاب بحسب الامكان، واختاره المصنف في الفتاوي قال: وإذا قبل المكتوب إليه يثبت خيار المجلس ما دام في مجلس القبول، ويتمادى خيار الكاتب أيضاً إلى أن ينقطع خيار المكتوب إليه، حتى لو علم أنه رجع عن الإيجاب قبل مفارقة المكتوب إليه مجلسه صح رجوعه ولم ينعقد البيع اهـ.

وحكم الكتابة على القرطاس والرق واللوح والأرض والنقش على الحجر والخشب واحد، ولا

والحل أيضاً فيما يختاره، ولا ينبغي أن يقرن بالبيع شرطاً على خلاف مقتضى العقد، فلو شرط أن يزيد شيئاً آخر، وأن يحمل المبيع إلى داره، أو اشترى الحطب بشرط النقل إلى داره، كل ذلك فاسد إلا إذا قرن استئجاره على النقل بأجرة معلومة منفردة عن الشراء للمنقول، ومهما لم يجر بينهما إلا المعاطاة بالفعل دون التلفظ باللسان لم ينعقد البيع عند

عبرة برسم الأحرف على الماء والهواء، ولو قال: بعت داري من فلان وهو غائب فلما بلغه الخبر قال: قبلت ينعقد البيع لأن النطق أقوى من الكتابة. وقال أبو حنيفة: لا ينعقد. نعم لو قال: بعت من فلان وأرسل إليه رسولاً بذلك فأخبره فقبل انعقد كما لو كاتبه.**(ولا ينبغي أن يقرن بالبيع شرط على مقتضى العقد)**.

اعلم أن من البيوع المنهية البيع المشروط. روي « ان النبي ﷺ نهى عن بيع وشرط » **قال المصنف**: فمطلق الخبر يقتضي امتناع كل شرط في البيع، لكن المفهوم في تعليله انه إذا انضم الشرط إلى البيع بقيت علقة بعد العقد يثور بسببها منازعة، وقد يفضي ذلك إلى فوات مقصود العقد، فحيث تفقد هذه العلة يستثنى عن الخبر وكذلك تستثنى منه شروط ورد في تصحيحها نصوص، فإذا علمت ذلك فاعلم أن الشرط في العقد ينقسم إلى فاسد وإلى صحيح، فالفاسد منه يفسد العقد أيضاً على المذهب، فمن الشروط الفاسدة ما لو اشترى زرعاً فاشترط على بائعه أن يحصده ففيه ثلاثة طرق. أصحها: أنهما باطلان. أما شرط العمل فلأنه شرط ينافي قضية العقد لأن قضية العقد كون القطع على المشتري، وأما البائع فلأن الشرط إذا فسد فسد البيع،ونظائر هذه المسألة ما أشار له المصنف بقوله:

(فلو شرط أن يزيده شيئاً آخر بأن يحمل المبيع إلى داره أو يشتري الحطب بشرط النقل إلى بيته) أو اشترى ثوباً وشرط عليه صبغه أو خياطته، أو لبناً وشرط عليه طبخه، أو نعلاً على أن ينعل به دابته، أو عبداً رضيعاً على أن يتم ارضاعاً **(كل ذلك فاسد)** وبه قال زفر وهو القياس خلافاً لأبي حنيفة وصاحبيه، **(إلا إذا افرد استئجاره على النقل بأجرة معلومة منفردة عن الشراء المنقول)**، ولكن لو اشترى حطباً على ظهر بهيمة مطلقاً فيصح العقد ويسلمه إليه في موضعه أو لا يصح حتى يشترط تسليمه إليه في موضعه لأن العادة تقتضي حمله إلى داره. حكى صاحب التتمة فيه وجهين. قال النووي: أصحهما الصحة، **(ومهما لم يجر بينهما)** أي البائع والمشتري **(إلا المعاطاة بالفعل دون اللفظ باللسان فلم ينعقد بيع عند الشافعي)** رضي الله عنه **(أصلاً)** على المشهور من مذهبه لأن الأفعال لا دلالة لها بالوضع وقصود الناس فيها تختلف، **(وانعقد عند أبي حنيفة)** رضي الله عنه.

اعلم أن البيع عند أبي حنيفة قد يكون بالقول وقد يكون بالفعل. أما القول، فهو المسمى بالايجاب والقول عند الفقهاء، وأما المبادلة بالفعل فهي التعاطي ويسمى هذا بيع المعاطاة وبيع

الشافعي أصلاً، وانعقد عند أبي حنيفة إن كان في المحقرات ثم ضبط المحقرات عسير،

المراوضة وهو جائز عند أبي حنيفة وأصحابه، ولا فرق بين أن يكون المبيع خسيساً أو نفيساً، ثم قول المصنف: (**إن كان في المحقرات**) هو مخرج على قول والمذهب الأوّل. قال الزيلعي في شرح الكنز: ويزم البيع بتعاطٍ ولا فرق بين أن يكون المبيع خسيساً أو نفيساً، وزعم الكرخي أنه ينعقد به في شيء خسيس لجريان العادة، ولا ينعقد في النفيس لعدمها، والصحيح الأوّل لأن جواز البيع باعتبار الرضا لا بصورة اللفظ، وقد وجد التراضي من الجانبين فوجب أن يجوز اهـ.

وقال الكاساني في البدائع: وأما المبادلة بالفعل فهي التعاطي ويسمى بيع المراوضة وهذا عندنا. وقال الشافعي: لا يجوز البيع بالتعاطي، وذكر القدوري التعاطي يجوز في الأشياء الخسيسة، ولا يجوز في الأشياء النفيسة، ورواية الجواز في الأصل مطلقة عن هذا التفصيل وهي الصحيحة لأن البيع في اللغة والشرع إسم للمبادلة، وحقيقة المبادلة بالتعاطي وهو الأخذ والاعطاء، وإنما قول البيع والشراء دليل عليها، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ [النساء: ٢٩] والتجارة عبارة عن جعل الشيء للغير ببدل وهو تفسير التعاطي، وقال تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم﴾ [البقرة: ١٦] أطلق اسم التجارة على تبادل ليس فيه قول البيع، وقال تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ [التوبة: ١١١] سمى مبادلة الجنة بالقتال في سبيل الله اشتراء وبيعاً، وقال في آخر الآية ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾ وإن لم يوجد لفظ البيع، وإذا ثبت أن حقيقة المبادلة بالتعاطي وهو الأخذ والاعطاء فهذا يوجد في الأشياء الخسيسة والنفيسة جميعاً، فلأن التعاطي في كل ذلك بيع فكان جائزاً اهـ.

ثم اختلفوا فيما يتم به بيع التعاطي. قيل: يتم بالوضع من الجانبين، وأشار محمد أن يكتفي بتسليم المبيع، وقد ظهر مما أوردناه أن أصل مذهب أبي حنيفة في بيع المعاطاة عدم التفريق بين المحقر والنفيس. وقال ابن هبيرة في الافصاح: واختلفوا في البيع هل ينعقد بالمعاطاة، فقال أبو حنيفة في إحدى روايتيه والشافعي وأحمد في إحدى روايتيه لا ينعقد، وقال مالك: ينعقد، وعن أبي حنيفة وأحمد مثله، وهذا في الأشياء كلها على الاطلاق اهـ.

والمقصود من سياقه كلامه الآخر، لكن قوله فقال أبو حنيفة لا ينعقد مخالف لما في كتب مذهبه وأن عنده كما يتم البيع بالقول يتم بالفعل قولاً واحداً فتأمل.

وأما الرافعي: فقد نسب الفرق بين الخسيس والنفيس في بيع المعاطاة لأبي حنيفة مطلقاً تبعاً للمصنف كما هنا لأنه قال في الوجيز: ولا يكفي المعاطاة أصلاً. قال الرافعي: معلم بالواو والخاء والميم لأن أبا حنيفة يجعلها بيعاً في المحقرات التي جرت العادة فيها بالاكتفاء بالأخذ والاعطاء وفيه ما قد عرفت سابقاً فيكون مخرجاً على وجه في المذهب. خرجه أبو الحسن الكرخي، وأظن الإمام أبا جعفر القدوري تبعه في ذلك.

فإن رد الأمر إلى العادات فقد جاوز الناس المحقرات في المعاطاة، إذ يتقدم الدلال الى البزاز يأخذ منه ثوباً ديباجاً قيمته عشرة دنانير مثلاً ويحمله إلى المشتري ويعود إليه بأنه ارتضاه، فيقول له: خذ عشرة فيأخذ من صاحبه العشرة ويحملها ويسلمها إلى البزاز، فيأخذها ويتصرف فيها، ومشتري الثوب يقطعه ولم يجر بينهما إيجاب وقبول أصلاً، وكذلك يجتمع المجهزون على حانوت البياع فيعرض متاعاً قيمته مائة دينار مثلاً فيمن يزيد فيقول أحدهم: هذا عليّ بتسعين، ويقول الآخر: هذا عليّ بخمسة وتسعين، ويقول الآخر: هذا بمائة، فيقال له: زن فيزن ويسلم ويأخذ المتاع من غير إيجاب وقبول فقد استمرت به العادات، وهذه من المعضلات التي ليست تقبل العلاج إذ الاحتمالات ثلاثة.

تنبيه:

قال الرافعي: مثلوا المحقرات بالتافه من البقل والرطل من الخبز، وهل من ضابط؟ سمعت والدي رحمه الله تعالى أو غيره يحكي ضابطها بما دون نصاب السرقة، والأشبه الرجوع فيه إلى العادة فيما يعتاد فيه الاقتصار على المعاطاة بيعاً ففيه التحريم، ولهذا قال صاحب التتمة معبراً عن التحريم: ما جرت العادة فيه بالمعاطاة فهي بيع فيه وما لا كالدواب والجواري والعقار فلا اهـ.

ولما ذكرنا من اختلافهم في المحقرات أشار المصنف بقوله: (**ثم ضبط المحقرات عسر**) ولم يوجد لها ضابط صحيح يعتمد عليه، (**فإن ردّ الأمر إلى العادات**) أي فيما يعتادون فيها ويعتادونه بيعاً، (**فقد جاوز الناس المحقرات في المعاطاة**) عن الحدود، (**إذ يتقدم الدلال**) وهو الواسطة في التبايع (**إلى**) دكان (**بزاز**) مثلاً و (**يأخذ منه ثوب ديباج قيمته عشرة دنانير مثلاً ويحمله إلى المشتري**) فيريه إياه ويخبره عن ثمنه (**ويعود إليه**) أي إلى البزاز (**بأنه**) أي المشتري (**ارتضاه**) ثوباً وثمناً (**فيقول**) أي البزاز (**له**)، أي للدلال: (**خذ**) منه (**عشرة**) دنانير (**فيأخذ**) الدلال (**من صاحبه**) وهو المشتري (**العشرة**) المسماة (**ويسلمه إلى البزاز**) ثمن ثوبه، (**فيأخذها فيتصرف فيها**) كيف شاء (**ومشتري الثوب يقطعه**) لنسائه وبناته (**ولم يكن بينهما ايجاب وقبول أصلاً، ويجتمع المجهزون**) أي الذين يهيئون أهبة الجهاز للعروس (**على حانوت البياع**) أي دكانه أو موصلته (**فيعرض**) لهم (**متاعاً قيمته مائة دينار مثلاً فيمن يزيد فيقول هذا**) أي الواحد منهم: (**عليّ بتسعين**) ديناراً (**ويقول الآخر**) منهم: عليّ (**بمائة**) دينار (**فيقول: زن**) دنانيرك أو عدها (**فيزن**) الدنانير (**ويسلم**) لصاحب المتاع (**ويأخذ المتاع من غير ايجاب وقبول**) من الطرفين، (**وقد استمرت به العادات**) من لدن الاعصار السابقة، (**وهذه من المعضلات**) أي المشكلات (**التي ليست تقبل العلاج**) ولا ينجع فيها الدواء (**إذ الاحتمالات ثلاثة:**)

إما فتح باب المعاطاة مطلقاً في الحقير والنفيس، وهو محال إذ فيه نقل الملك من غير لفظ دال عليه، وقد أحل الله البيع والبيع اسم للإيجاب والقبول، ولم يجر ولم ينطلق اسم البيع على مجرد فعل بتسليم وتسلم، فبماذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين، لا سيما في الجواري والعبيد والعقارات والدواب النفيسة وما يكثر التنازع فيه، إذ للمسلم أن يرجع ويقول: قد ندمت وما بعته، إذ لم يصدر مني إلا مجرد تسليم، وذلك ليس ببيع.

الاحتمال الثاني: أن نسد الباب بالكلية كما قال الشافعي رحمه الله من بطلان العقد. وفيه إشكال من وجهين، أحدهما: أنه يشبه أن يكون ذلك في المحقرات معتاداً في زمن الصحابة، ولو كانوا يتكلفون الإيجاب والقبول مع البقال والخباز والقصاب لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك نقلاً منتشراً، ولكان يشتهر وقت الإعراض بالكلية عن تلك العادة،

إما فتح باب المعاطاة مطلقاً في الحقير والنفيس) كما هو الصحيح من مذهب أبي حنيفة وإحدى الروايتين عن أحمد، (وهو محال إذ فيه نقل الملك) من ذمة إلى ذمة (من غير لفظ دال عليه، فقد أحل الله البيع) في كتابه العزيز (والبيع اسم للايجاب والقبول، ولم يجر) إيجاب ولا قبول (ولا ينطلق لفظ البيع على مجرد فعل بتسليم وتسلم) والأفعال لا دلالة لها بالوضع ونيات الناس فيها تختلف (فبماذا يحكم بانتقال الملك من الجانبين ولا سيما في) المبيعات الخطيرة ذوات القيم (مثل الجواري والعبيد والعقارات والدواب النفيسة) وهي صفة لكل ما ذكر، (وما يكثر التنازع فيها) والتنافس عليها في شرائها وتناط الرغبات بها (إذ للمسلم أن يرجع) في متاعه على المسلم إليه (ويقول: قد ندمت) على فعلي (وما بعته إذ لم يصدر مني إلا مجرد تسليم وذلك ليس ببيع) شرعاً وما ذكر في هذا الاحتمال من عدم انطلاق لفظ البيع على مجرد فعل هو مذهب الشافعي رضي الله عنه، وأما عند أبي حنيفة وأصحابه فكما يلزم البيع بالقول يلزم بالفعل، وينعقد بكل منها كما قدمناه من سياق صاحب البدائع، وبه يعرف جواز انتقال الملك من الجانبين بالمبادلة بالفعل ثم قال:

(الاحتمال الثاني: أن يسد الباب) أي باب المعاطاة مطلقاً فلا يحكم بانعقاد البيع به (كما قاله الشافعي) رضي الله عنه، وعلى ما ذكر ابن هبيرة في الافصاح إحدى الروايتين عن أبي حنيفة وأحمد والعهدة عليه في نقل ذلك، (وفيه اشكال من وجهين:

أحدهما: أنه يشبه أن يكون ذلك في المحقرات معتاداً في زمان الصحابة) رضوان الله عليهم، (ولو كانوا يتكلفون الايجاب والقبول مع البقال والخباز والقصاب) ومن أشبههم (لثقل عليهم فعله ولنقل ذلك) عنهم إلينا (نقلاً منتشراً) ولم يخف عمن جاء بعدهم، (ولكان يشتهر وقت الاعراض بالكلية عن تلك العادة لأن الأعصار في مثل هذا تتفاوت) والاخبار تنقل.

فإن الاعصار في مثل هذا تتفاوت. والثاني: أن الناس الآن قد انهمكوا فيه فلا يشتري الإنسان شيئاً من الأطعمة وغيرها إلا ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاطاة، فأي فائدة في تلفظه بالعقد إذا كان الأمر كذلك.

الاحتمال الثالث: أن يفصل بين المحقرات وغيرها كما قاله أبو حنيفة رحمه الله، وعند ذلك يتعسر الضبط في المحقرات ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه، وقد ذهب ابن سريج إلى تخريج قول للشافعي رحمه الله على وفقه وهو أقرب الاحتمالات إلى الاعتدال، فلا بأس لو ملنا إليه لمسيس الحاجات، ولعموم ذلك بين الخلق، ولما يغلب على الظن بأن ذلك كان معتاداً في الأعصار الأول. فأما الجواب عن الإشكالين،

(**والثاني: أن الناس الآن قد انهمكوا فيه**) وابتلوا به (**فلا يشتري الإنسان شيئاً من الأطعمة وغيرها إلا ويعلم أن البائع قد ملكه بالمعاطاة**) من غير جريان الصيغة (**فأي فائدة في لفظه**) أي تلفظه (**بالعقد إذا كان الأمر كذلك**) أي ما ذكرناه؟

(**الاحتمال الثالث: أن يفصل بين المحقرات**) من المبيع (**وغيرها كما قاله أبو حنيفة**) رضي الله عنه، وعن رواية الكرخي عنه والمذهب عدم التفصيل كما ذكرنا. (**وعند ذلك يتعسر الضبط في المحقرات ويشكل وجه نقل الملك من غير لفظ يدل عليه، وقد ذهب**) الإمام أبو العباس (**ابن سريج**) أحمد بن عمر شيخ الشافعية بالعراق ومقدمهم له ترجمة واسعة في طبقات ابن السبكي وابن كثير والخيضري (**إلى تخريج قول للشافعي**) رضي الله عنه (**على وفقه**) أنه يكتفي بها في المحقرات. قال: لأن المقصود الرضا وبالقرائن يعرف حصوله. قال الرافعي: وبهذا أفتى القاضي الروياني وغيره، وذكروا لمستند التخريج صوراً.

منها: لو عطب الهدي في الطريق فغمس النعل الذي قلده بها فضرب بها صفحة سنامه هل يجوز للمارين الأكل منه؟ ذكروا فيه قولين، وخلافاً مذكورا في محله.

ومنها: لو قال لزوجته: إن أعطيتني ألفا فأنت طالق فوضعته بين يديه ولم تتلفظ بشيء يملكه ويقع الطلاق، وفي الاستشهاد بهذه الصور نظر.

ومنها: لو قال لغيره: اغسل هذا الثوب فغسله وهو ممن يعتاد الغسل بالأجرة هل يستحق الأجرة فيه خلاف اهـ. (**وهو أقرب الاحتمالات إلى الاعتدال فلا بأس لو ملنا إليه**) وأفتينا به (**لمسيس الحاجات ولعموم ذلك بين الخلق**) فيعسر الخلاص منه، (**ولما يغلب على الظن أن ذلك كان معتاداً في الأعصار الأول**) من السلف الصالحين. وقال الرافعي، وقال مالك: ينعقد البيع بكل ما يعده الناس بيعاً واستحسنه ابن الصباغ. قال النووي في الزيادات: هذا الذي استحسنه ابن الصباغ هو الراجح دليلاً وهو المختار لأنه لم يصح في الشرع اشتراط لفظ فوجب الرجوع إلى العرف كغيره من الألفاظ، وممن اختاره المتولي والبغوي وغيرهما والله أعلم.

فهو أن نقول: أما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير، فإن ذلك غير ممكن بل له طرفان واضحان إذ لا يخفى أن شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من المعدود من المحقرات التي لا يعتاد فيها إلا المعاطاة، وطالب الايجاب والقبول فيه يعد مستقصياً ويستبرد تكليفه لذلك ويستثقل وينسب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقير ولا وجه له، فهذا طرف الحقارة، والطرف الثاني الدواب والعبيد والعقارات والثياب النفيسة، فذلك مما لا يستبعد تكلف الإيجاب والقبول فيها؟ وبينهما أوساط متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة، فحق ذي الدين أن يميل فيها إلى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة، كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة وأوساط مشكلة، وأما الثاني، وهو طلب سبب لنقل الملك، فهو أن يجعل الفعل باليد أخذاً وتسليماً سبباً لعينه إذ اللفظ لم يكن سبباً لعينه بل لدلالته، وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة، وانضم إليه مسيس الحاجة وعادة الأولين واطراد جميع العادات بقبول

(**فأما الجواب عن الاشكالين**) المتقدمين في الاحتمال الثاني، (**فهو أن نقول: اما الضبط في الفصل بين المحقرات وغيرها فليس علينا تكلفه بالتقدير، فإن ذلك**) لعسره (**غير ممكن**) وضبطه غير متيسر، (**بل له طرفان واضحان إذ لا يخفى أن شراء البقل وقليل من الفواكه والخبز واللحم من المعدود في المحقرات التي لا يعتاد فيها إلا المعاطاة**) أي أخذها بالتعاطي (**وطالب الايجاب والقبول فيه يعد مستقصياً**) ومتعنتاً (**ويستبرد تكلفه لذلك ويستثقل**) بين العامة، (**وينسب إلى أنه يقيم الوزن لأمر حقير لا وزن له**) ولا قيمة، (**فهذا طرف الحقارة. والطرف الثاني: الدواب**) الفارهة (**والعبيد**) والجواري (**والعقارات**) الفاخرة (**والثياب النفيسة**) ونحوها مما يتنافس فيه، (**فذلك مما لا يستبعد تكلف الإيجاب والقبول فيها**) ولا يستبرد ولا يعد مستقصياً. (**وبينهما**) أي بين الطرفين (**أواسط**) أي درجات متوسطة (**متشابهة يشك فيها هي في محل الشبهة**) ومثارها، (**فحق ذي الدين**) القابض عليه (**أن يميل فيها إلى الاحتياط وجميع ضوابط الشرع فيما يعلم بالعادة، كذلك ينقسم إلى أطراف واضحة وأواسط مشكلة**) فمن عامل بالأطراف لوضوحها ومن عامل بالأواسط لاعتدالها مع إشكالها ومن محتاط في كل ذلك.

(**وأما الثاني: وهو طلب سبب لنقل الملك**) من ذمة إلى ذمة، (**فهو أن يجعل الفعل باليد أخذاً**) كان (**أو تسليماً سبباً لعينه إذ اللفظ لم يكن سبباً لعينه بل لدلالته**) عليه، (**وهذا الفعل قد دل على مقصود البيع دلالة مستمرة في العادة**) الجارية بين الناس، (**وانضم إليه مسيس الحاجة**) وداعية الضرورة (**وعادة الأوّلين**) من السلف الصالحين (**وإطراد جميع العادات بقبول الهدايا من غير إيجاب و**) لا (**قبول مع التصرف فيها**) كما يتصرف في

الهدايا من غير ايجاب وقبول مع التصرف فيها ، وأي فرق بين أن يكون فيه عوض أو لا يكون ، إذ الملك لا بدّ من نقله في الهبة أيضاً إلا أن العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقير والنفيس ، بل كان يطلب الايجاب والقبول يستقبح فيه كيف كان ، وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات . هذا ما نراه أعدل الاحتمالات ، وحق الورع المتدين أن لا يدع الايجاب والقبول للخروج عن شبهة الخلاف ، فلا ينبغي أن يمتنع من ذلك لأجل أن البائع قد تملكه بغير ايجاب وقبول ، فإن ذلك لا يعرف تحقيقاً ، فربما اشتراه بقبول وإيجاب ، فإن كان حاضراً عند شرائه أو أقر البائع به فليمتنع منه وليشترِ من غيره ، فإن كان الشيء محقراً وهو إليه محتاج فليتلفظ بالإيجاب والقبول ، فإنه يستفيد به قطع الخصومة في المستقبل معه ، إذ الرجوع من اللفظ الصريح غير ممكن ومن الفعل ممكن .

فإن قلت : فإن أمكن هذا فيما يشتريه فكيف يفعل إذا حضر في ضيافة أو على مائدة وهو يعلم أن أصحابها يكتفون بالمعاطاة في البيع والشراء ، أو سمع منهم ذلك أو رآه ؟

المتملكات . (**وأي فرق بين أن يكون فيه عوض أو لا يكون**) وهو جواب عما يستدرك عليه فيقال بالفرق بين البيوع والهدايا بالعوض وغيره ، وحاصله : أنه لا ينظر إلى هذا الفرق فإنه غير مؤثر (**إذ الملك لا بدّ من نقله في الهبة أيضاً إلا ان العادة السالفة لم تفرق في الهدايا بين الحقير والنفيس ، بل كان طلب الايجاب والقبول يستقبح فيه**) ويستبرد من صاحبه ، (**كيف كان وفي البيع لم يستقبح في غير المحقرات**) والخسائس (**هذا ما نراه أعدل الاحتمالات**) الثلاثة ، (**وحق الورع المتدين**) الخائف على دينه (**أن لا يدع الإيجاب والقبول**) أي اجراء الصيغة في البيع والشراء (**للخروج عن شبهة الخلاف**) بين الأئمة في هذه المسألة (**فلا ينبغي أن يمتنع من ذلك**) أي عن اجراء هذه الصيغة متعللاً (**بأن البائع قد يملكه بغير ايجاب وقبول**) على رأي من يرى ذلك ، (**فإن ذلك لا يعرفه تحقيقاً ، فربما اشتراه بايجاب وقبول ، فإن كان حاضراً عند شرائه أو أقرّ البائع به فليمتنع منه وليشتر من غيره فإن كان الشيء محقراً**) خسيساً (**وهو إليه محتاج فليتلفظ**) بالصيغة (**فإنه يستفيد به قطع الخصومة**) والاختلاف (**في المستقبل معه إذ الرجوع عن اللفظ الصريح غير ممكن ، ومن الفعل**) بالتسليم والتسلم من غير لفظ (**ممكن**) قد يفضي ذلك إلى خصومة ونزاع بين الجانبين .

(**فإن قلت : إن أمكن هذا فيما يشتريه فكيف يفعل إذا حضر في ضيافة**) بالكسر إسم من ضيفته وأضفته إذا أنزلته إليك ضيفاً (**أو على مائدة**) من طعام دعي إليها في وليمة أو غيرها (**وهو يعلم**) ويتحقق (**أن أصحابها يقنعون**) في بياعاتهم (**بالمعاطاة**) من غير اجراء لفظ الصيغة (**إذ سمع منهم ذلك**) باقرارهم على أنفسهم (**أو رآه**) منهم بعينه يعاملون كذلك ؟

أيجب عليه الامتناع من الأكل؟ فأقول: يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقداراً نفيساً ولم يكن من المحقرات، وأما الأكل فلا يجب الامتناع منه فإني أقـول إن ترددنا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك فلا ينبغي أن نجعله دلالة على الإباحة، فإن أمر الاباحة أوسع وأمر نقل الملك أضيق، فكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع إذن في الأكل يعلم ذلك بقرينة الحال، كإذن الحمامي في دخول الحمام، والإذن في الإطعام لمن يريده المشتري فينزل منزلة ما لو قال: أبحت لك أن تأكل هذا الطعام أو تطعم من أردت، فإنه يحل له ولو صرح وقال: كل هذا الطعام ثم اغرم لي عوضه لحل الأكل ويلزمه الضمان بعد الأكل، هذا قياس الفقه عندي ولكنه بعد المعاطاة آكل ملكه ومتلف له فعليه الضمان وذلك في ذمته، والثمن الذي سلمه إن كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه، فله أن يتملكه مهما عجز عن مطالبة من عليه، وإن كان قادراً على مطالبته فإنه لا يتملك ما ظفر به من ملكه لأنه ربما لا يرضى بتلك العين أن يصرفها إلى دينه، فعليه المراجعة. وأما ههنا فقد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد أن يجعل الفعل دلالة على الرضا بأن يستوفي دينه مما يسلم إليه فيأخذه بحقه،

(**أيجب عليه الامتناع من الأكل**) أم لا؟ (**فأقول: يجب عليه الامتناع من الشراء إذا كان ذلك الشيء الذي اشتروه مقداراً نفيساً ولم يكن من المحقرات**) عملاً بأعدل الاحتمالات، (**وأما الأكل فلا يجب الامتناع**) منه (**فإني أقول: إن ترددنا في جعل الفعل دلالة على نقل الملك، فلا ينبغي أن لا نجعله دلالة على الإباحة فإن أمر الاباحة أوسع وأمر نقل الملك أضيق**) فما صلح أن يكون دالاً على نقل الملك يصلح أن يكون دالاً على الإباحة، (**وكل مطعوم جرى فيه بيع معاطاة فتسليم البائع**) لمشتريه (**إذن في الأكل وإذن في الاطعام لمن يريده المشتري يعلم ذلك بقرينة الحال**) الدالة عليه، (**كإذن الحمامي في دخول الحمام**) لمن أراد الدخول فيه (**فينزل منزلة ما لو قال: أبحت لك أن تأكل هذا الطعام**) أنت (**أو تطعمه من أردت فإنه يحل له**) ذلك، (**ولو صرح**) له (**وقال: كُلْ هذا الطعام واغرم لي عوضه يحل الأكل ويلزمه الضمان**) لما أكله(**بعدالأكل هذا قياس الفقه عندي**) مما تقتضيه قواعد المذهب، (**ولكنه بعد المعاطاة آكل ملكه ومتلف له فعليه الضمان**) بعد الأكل لإتلافه، (**وذلك**) مرتب (**في ذمتهوالثمن الذي سلمه**)المشتري للبائع (**إن كان مثل قيمته فقد ظفر المستحق بمثل حقه فله أن يتملك مهما عجز عن مطالبة من عليه، وإن كان قادراً على مطالبته فإنا لا نجعل ما ظفر به من ملكه لأنه ربما لا يرضى بتلك العين أن يصرفها إلى دينه فعليه المراجعة، وأما ههنا قد عرف رضاه بقرينة الحال عند التسليم فلا يبعد أن يجعل الفعل دلالة على الرضا بأن يستوفي دينه مما سلم إليه فيأخذه بحقه**).

لكن على كل الأحوال جانب البائع أغمض لأن ما أخذه قد يريد المالك ليتصرف فيه ولا يمكنه التملك إلا إذا أتلف عين طعامه في يد المشتري، ثم ربما يفتقر إلى استئناف قصد التملك، ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استفاده من الفعل دون القول، وأما جانب المشتري للطعام وهو لا يريد إلا الأكل فهين، فإن ذلك يباح بالإباحة المفهومة من قرينة الحال ولكن ربما يلزم من مشاورته أن الضيف يضمن ما أتلفه، وإنما يسقط الضمان عنه إذا تملك البائع ما أخذه من المشتري فيسقط فيكون كالقاضي دينه والمتحمل عنه، فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على غموضها، والعلم عند الله وهذه احتمالات وظنون رددناها، ولا يمكن بناء الفتوى إلا على هذه الظنون، وأما الورع فإنه ينبغي أن يستفتي قلبه ويتقي مواضع الشبه.

وقد ألم الرافعي في شرح الوجيز بهذا البحث بعد أن ذكر عن ابن سريج تخريج قول الشافعي في جواز المعاطاة ما نصه: وإذا قلنا بظاهر المذهب فما حكم الذي جرت العادة فيه من الأخذ والاعطاء؟ فيه وجهان: أحدهما: أنه اباحة وبه أجاب القاضي أبو الطيب حين سأله ابن الصباغ عنه قال فقلت له: لو أخذ بقطعة ذهب شيئاً فأكله ثم عاد فطالبه بالقطعة هل له ذلك؟ قال: لا. قلت: فلو كان اباحة لكان له ذلك. قال: إنما أباح كل واحد منهما بسبب اباحة الآخر له. قلت: فهو إذاً معاوضة وأصحهما أن حكمه حكم المقبوض كسائر العقود الفاسدة، فلكل واحد منهما مطالبة الآخر بما سلمه إليه ما دام باقياً وبضمانه إن كان تالفاً، فلو كان الثمن الذي قبضه البائع مثل القيمة، فقد قال المصنف في الاحياء: هذا مستحق ظفر بمثل حقه والمالك راض فله تملكه لا محالة. وعن الشيخ أبي حامد: إنه لا مطالبة لواحد منهما على الآخر وتبرأ ذمتهما بالتراضي، وهذا يشكل بسائر العقود الفاسدة فإنه لا يراه وإن وجد التراضي اهـ. كلام الرافعي.

ثم قال المصنف: (**لكن على كل الأحوال جانب البائع أغمض**) وأدق (**لأن ما أخذه**) عوض طعامه (**فقد يريد المالك ليتصرف فيه ولا يمكنه التملك إلا إذا أتلف عين طعامه في يد المشتري**) بأكل أو اطعام أو نحو ذلك، (**ثم ربما يفتقر إلى استئناف قصد التملك ثم يكون قد تملك بمجرد رضا استفاده من الفعل دون القول**) فهذا معنى كون جانب البائع أغمض، (**فأما جانب المشتري للطعام وهو لا يريد إلا الأكل فهين**) سهل، (**فإن ذلك مباح بالإباحة المفهومة من قرينة الحال، ولكن ربما يلزم من شأن هذا أن الضيف يضمن ما أتلفه**) بأكله، (**وإنما يسقط الضمان عنه إذا تملك البائع ما أخذه من المشتري فيسقط فيكون كالقاضي دينه والمتحمل عنه، فهذا ما نراه في قاعدة المعاطاة على غموضها**) ودقتها، (**والعلم عند الله تعالى. وهذه احتمالات وظنون**) وقياسات (**رددناها ولا يمكننا الفتوى إلا على هذه الظنون. وأما الورع**) المتدين (**فينبغي**) في هذه وامثالها (**أن يستفتي قلبه**) ويرجع إليه (**ويتقي مواضع الشبه**) ويقطع الشك باليقين.

العقد الثاني: عقد الربا:

وقد حرمه الله تعالى وشدد الأمر فيه ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على

العقد الثاني عقد الربا:

تكلم المصنف في العقد الأوّل على الأركان والشروط أوجب النظر في أسباب الفساد، وفساده تارة يكون لإخلال في الأركان أو بعض شروطها، وإذا عرفت اعتبارها عرفت أن فقدها مفسد، وتارة يكون لغيره من الأسباب كما في هذا العقد الربا، وهو في اللغة الفضل والزيادة وهو مقصور على المشهور، ويثنى ربوان بالواو على الأصل، وقد يقال: ربيان على التخفيف وينسب إليه على لفظه فيقال: ربوي قاله أبو عبيد، وزاد المطرزي فقال: الفتح في النسبة خطأ، وربا الشيء يربو إذا زاد، ومنه الربوة للمكان المرتفع عن الأرض وهو محرم بالكتاب والسنّة واجماع الأمة، وإليه أشار المصنف بقوله:

(**وقد حرمه الله تعالى وشدد فيه**) قال تعالى:﴿وأحلّ الله البيْعَ وحرَّم الربا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَذَرُوا ما بقي من الرّبا إن كنتم مؤمنين﴾ [البقرة: ٢٧٨] وأما السنة، فما روي عن ابن مسعود «أن النبي ﷺ لعن آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: صحيح.

وعند البخاري وأحمد: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل يداً بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطي فيه سواء».

وروى أحمد عن عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة مرفوعاً «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية».

وروى الإمام الشافعي في المختصر فقال: أخبرنا عبد الوهاب، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن مسلم بن يسار، ورجل آخر عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق ولا البر بالبر ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح بالملح إلا سواء بسواء عيناً بعين يداً بيد ولكن بيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير والشعير بالبر والتمر بالملح والملح بالتمر كيف شئتم» قال: ونقص بعضهم التمر أو الملح، وزاد الآخر: «فمن زاد أو استزاد فقد أربى» وأما الاجماع فقد أجمعت الأمة على تحريمه حتى يكفر جاحده.

ثم اعلم أن الربا ثلاثة أنواع: ربا الفضل وهو زيادة أحد العوضين على الآخر في القدر وربا النساء وهو أن يبيع بالأثمان نسيئة سمي به لاختصاص أحد العوضين بزيادة الحلول، وربا اليد وهو أن يقبض أحد العوضين دون الآخر. وفي الخبر: ذكر ستة أشياء وهي النقدان والمطعومات الأربعة والحكم غير مقصور عليها باتفاق جهور العلماء، لكن الربا يثبت فيها لمعنى يلحق فيها ما يشاركها فيه كما يأتي بيانه، وقد أشار المصنف إلى ما ذكرنا فقال.

النقدين وعلى المتعاملين على الأطعمة إذ لا ربا إلا في نقد أو في طعام، وعلى الصيرفي أن يحترز من النسيئة والفضل. أما النسيئة فأن لا يبيع شيئاً من جواهر النقدين بشيء من جواهر النقدين إلا يداً بيد وهو أن يجري التقابض في المجلس، وهذا احتراز من النسيئة، وتسليم الصيارفة الذهب إلى دار الضرب وشراء الدنانير المضروبة حرام من حيث النساء، ومن حيث ان الغالب أن يجري فيه تفاضل إذ لا يرد المضروب بمثل وزنه. وأما الفضل، فيحترز منه في ثلاثة أمور: في بيع المكسر بالصحيح، فلا تجوز المعاملة فيهما إلا مع المماثلة، وفي بيع الجيد بالرديء، فلا ينبغي أن يشتري رديئاً بجيد دونه في

(**ويجب الاحتراز منه على الصيارفة المتعاملين على النقدين**) الذهب والفضة، (**وعلى المتعاملين على الأطعمة**) جمع طعام وهو في العرف اسم لما يؤكل كالشراب اسم لما يشرب (**إذ لا ربا إلا في نقد أو طعام**) كم يشعر بذلك الخبر المتقدم، (**وعلى الصيرفي أن يحترز**) في معاملته (**من النسيئة والفضل. أما النسيئة فإن لا يبيع شيئاً من جواهر النقدين بشيء من جواهر النقدين إلا يداً بيد وهو أن يجري التقابض في المجلس، وهذا احتراز من النسيئة**) وحيث اعتبر التقابض، فلو تفرقا قبل التقابض بطل العقد، ولو تقابضا بعض كل واحد من العوضين ثم تفرقا بطل في غير المقبوض، وفي المقبوض قولاً تفريق الصفقة والتخاير في المجلس قبل التقابض بمثابة التفريق يبطل العقد خلافاً لابن سريج، ولو وكل أحدهما وكيلاً بالقبض وقبض قبل مفارقة الموكل مجلس العقد جاز وإن قبض بعده فلا.

ثم اعلم أن النقدين هل الربا فيهما لعينهما لا لعلة أو لعلة؟ وقد ذهب بعض الأصحاب إلى الأول، والمشهور في المذهب أن العلة فيهما صلاحية الثمنية الغالبة. وإن شئت قلت جوهرية الأثمان غالباً، والعبارتان تشملان التبر والمضروب والحلى والأواني المتخذة منها، وفي تعدي الحكم إلى الفلوس إذا راجت حكاية وجه لحصول معنى الثمنية، والأصح خلافهُ لانتفاء الثمنية الغالبة. وقال أبو حنيفة وأحمد: العلة فيهما الوزن فيتعدى الحكم إلى كل موزون كالحديد والرصاص والقطن. قال أصحاب الشافعي لنا: لو كانت العلة الوزن لتعدى الحكم إلى المعمول من الحديد والنحاس كما يتعدى إلى المعمول من الذهب والفضة، وقد سلموا أنه لا يتعدى، (**وتسليم الصيارفة الذهب إلى دار الضرب وشراء الدنانير المضروبة به حرام من حيث النساء، ومن حيث أنه يجري فيه تفاضل إذ لا يرد المضروب بمثل وزنه البتة**) بل لا بد فيه من التخالف، واعلم أن تحريم النساء وجوب التقابض يتلازمان وينحو كل واحد منهما نحو الآخر، وقد ترى الأئمة لما بينهما من التقارب يستغنون بذكر أحدهما عن الآخر.

(**وأما الفضل، فيحترز منه في ثلاثة**) مواضع: (**في بيع المكسر بالصحيح فلا تجوز المعاملة فيهما إلا مع المماثلة**) لأن بيع مال الربا بجنسه مع زيادة لا يجوز إلا بتوسط عقد آخر، (**وفي بيع الجيد بالرديء فلا ينبغي أن يشتري رديئاً بجيد دونه في الوزن أو يبيع رديئاً**

الوزن، أو يبيع رديئاً بجيد فوقه في الوزن أعني إذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة فإن اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل، والثالث في المركبات، من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة إن كان مقدار الذهب مجهولاً لم تصح المعاملة عليها أصلاً إلا إذا كان ذلك نقداً جارياً في البلد فإنا نرخص في المعاملة عليه إذا لم يقابل بالنقد، وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس إن لم تكن رائجة في البلد لم تصح المعاملة عليها لأن المقصود منها النقرة وهي مجهولة، وإن كان نقداً رائجاً في البلد رخصنا في المعاملة لأجل الحاجة وخروج النقرة عن أن يقصد استخراجها، ولكن لا يقابل بالنقرة أصلاً، وكذلك كل حلي مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة، بل ينبغي أن يشترى بمتاع آخر إن كان قدر الذهب منه معلوماً إلا إذا كان مموّهاً بالذهب تمويهاً لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار، فيجوز بيعها بمثلها من النقرة، وبما أريد من غير النقرة، وكذلك لا يجوز للصيرفي أن

بجيّد فوقه في الوزن. أعني إذا باع الذهب بالذهب والفضة بالفضة) أعني لا يجوز بيعها متفاضلاً لما روي النهي عنه في حديث أبي سعيد وأبي هريرة، ولأن تفاوت الوصف لا يعد تفاوتاً عادة، ولو اعتبر لانسدّ باب البياعات، فلو باع التبر أو المضروب بالحلي من جنسه وجب رعاية المماثلة. وعن مالك أنه يجوز أن يزيد ما يقابل الحلي بقدر قيمة الصنعة (**فإن اختلف الجنسان فلا حرج في الفضل**)، فلو باع ذهباً بفضة أو بالعكس لم يجب رعاية المماثلة، ولكن يجب رعاية الحلول والتقابض، (**والثالث في**) بيع (**المركبات من الذهب والفضة كالدنانير المخلوطة من الذهب والفضة إن كان مقدار الذهب مجهولاً لم يصح المعاملة عليه أصلاً**) لأن ذلك يوجب التفاضل والجهل بالمماثلة، (**إلا إذا كان ذلك نقداً جارياً في البلد فإنه يرخص في المعاملة عليه إذا لم يقابل بالنقد**) بل بعوض، (**وكذا الدراهم المغشوشة بالنحاس إن لم يكن رائجاً في**) معاملة (**البلد لم يصح المعاملة عليه، لأن المقصود منه النقرة**) بالضم القطعة المذابة من الفضة (**وهي مجهولة، وإن كان نقداً رائجاً في البلد رخصنا في المعاملة لأجل**) مسيس (**الحاجة وخروج النقرة عن أن يقصد استخراجها، ولكن لا يتقابل بالنقرة أصلاً**) للجهل بها، (**وكذلك كل حلى مركب من ذهب وفضة فلا يجوز شراؤه لا بالذهب ولا بالفضة، بل ينبغي أن يشترى بمتاع آخر إن كان قدر الذهب منه معلوماً**) إما بالوزن أو بالتخمين من أهل الخبرة، وإنما قلنا ذلك لانه إذا كان القدر مجهولاً إما يوجب التفاضل أو الجهل بالمماثلة (**إلا إذا كان مموّهاً**) أي مطلياً (**بالذهب تمويهاً لا يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار**) فهو مستهلك، (**فيجوز بيعها بمثلها من النقرة**) وكأن ذلك التمويه لم يكن لعدم الاستفادة منه، (و) يجوز بيعها أيضاً (**بما أريد من غير النقرة**) من أي متاع كان، (**وكذلك**

يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب، ولا أن يبيعه بل بالفضة يداً بيد إن لم يكن فيها فضة، ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب، ويجوز بالفضة وغيرها. وأما المتعاملون على الأطعمة فعليهم التقابض في المجلس اختلف جنس الطعام المبيع والمشترى أو لم يختلف، فإن اتحد الجنس فعليهم

لا يجوز للصيرفي أن يشتري قلادة فيها خرز وذهب بذهب ولا أن يبيعه) كذلك **(بل بالفضة يداً بيد إن لم يكن فيها فضة)**، والأصل في ذلك ما روي عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: أتي رسول الله ﷺ وهو بخيبر بقلادة فيها خرز وذهب تباع فأمر النبي ﷺ بالذهب الذي في القلادة فنزع وحده، ثم قال رسول الله ﷺ «الذهب وزناً بوزن» ويروى أنه قال «لا يباع هذا حتى يفصل ويميز» **(ولا يجوز شراء ثوب منسوج بذهب يحصل منه ذهب مقصود عند العرض على النار بذهب)** لما فيه من التفاضل والجهل بالمماثلة **(ويجوز بالفضة وغيرها يداً بيد)** لاختلاف الجنسين.

(وأما المتعاملون على الأطعمة فعليهم التقابض في المجلس، اختلف جنس الطعام المبيع والمشترى أو لم يختلف، فإن اتحد الجنس فعليهم التقابض ومراعاة المماثلة) إعلم أنه إذا بيع مال بمال لم يخل إما أن لا يكونا ربويين أو يكونا ربويين، والحالة الأولى تتضمن ما إذا لم يكن واحد منهما ربوياً وأما إذا كان أحدهما ربوياً فلا تجب رعاية التماثل ولا الحلول ولا التقابض، ولا فرق في ذلك بين أن يتفق الجنس أو يختلف، حتى لو سلم ثوباً في ثوب أو ثوبين أو باع حيواناً بحيوانين من جنسه جاز لما روي عن ابن عمر أنه قال: أمرني النبي ﷺ أن أشتري بعيراً ببعيرين إلى أجل، وعند أبي حنيفة: لا يجوز إسلام الشيء في جنسه، وعن مالك يجوز عند التساوي ولا يجوز عند التفاضل. وأما الحالة الثانية فينظر أهذا ربوي بعلة وهذا ربوي بعلة أو هما ربويان بعلة واحدة؟ فإن اختلفت العلة فكذلك لا تجب رعاية التماثل ولا الحلول ولا التقابض.

ومن صور هذا القسم أن يسلم أحد النقدين في البر أو يبيع الشعير بالذهب نقداً، أو نسيئة، وإن اتفقت العلة فينظر إن اتحد الجنس كما لو باع الذهب بالذهب والبر بالبر فثبت فيه أنواع الربا الثلاثة، فيجب رعاية التماثل والحلول والتقابض في المجلس، وإن اختلف الجنس لم يثبت النوع الأول ويثبت النوعان الباقيان مثاله إذا باع ذهباً بفضة وبراً بشعير لم تجب رعاية المماثلة ولكن تجب رعاية الحلول والتقابض، وإذا كان التقابض معتبراً كان الحلول معتبراً فإنه لو جاز التأجيل لجاز تأخير التسليم الى مضي المدة. وعند أبي حنيفة لا يشترط التقابض إلا في الصرف وهو بيع النقد بالنقد، وبه قال أحمد في رواية وللشافعي قوله ﷺ إلا يداً بيد في آخر حديث عبادة المتقدم ذكره فسوّى في اعتبار التقابض بين الذهب بالذهب والبر بالبر، ولأن قوله إلا يداً بيد لفظ واحد لا يجوز أن يراد به القبض في حق النقدين والتعيين في حق غيرهما لأنه إما حقيقة فيهما أو حقيقة في أحدهما ومجاز في الآخر، وأيهما كان فلا يجوز الجمع بينهما لما عرف أن المشترك لا عموم

....

له، وأن الجمع بين الحقيقة والمجاز لا يجوز، ولأبي حنيفة وأحمد أنه مبيع متعين فلا يشترط فيه القبض كالثوب ونحوه إذا بيع بجنسه أو بخلاف جنسه لحصول مقصوده وهو التمكن من التصرف بخلاف الصرف، فإنه لا يتعين إلا بالقبض فيشترط فيه ليتعين، والمراد بما روي التعيين غير أن ما يتعين به مختلف فالنقدان يتعينان بالقبض وغيرهما بالتعيين فلا يلزم الجمع بين معنى المشترك ولا بين الحقيقة والمجاز، والله أعلم.

تنبيه:

قال الرافعي: وأما المطعومات الأربعة المذكورة في الحديث، فللشافعي قولان في علة الربا فيها الجديد أن العلة هو الطعم لما روي معمر بن عبد الله قال: كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول «الطعام بالطعام مثلاً بمثل» علق الحكم باسم الطعام والحكم المتعلق بالاسم المشتق معلل بما فيه الاشتقاق كالقطع المعلق باسم السارق والجلد المعلق باسم الزاني، والقديم أن العلة فيها الطعم مع الكيل أو الوزن، واحتجوا بما روي أنه ﷺ قال «الذهب بالذهب وزناً بوزن والبر بالبر كيلاً بكيل» فعلى هذا يثبت الربا في كل مطعوم مكيل أو موزون دون ما ليس بمكيل ولا موزون كالسفرجل والرمان والبيض والجوز والاترج والنارنج. وعن الأودني من أصحابنا أنه تابع ابن سيرين في أن العلة الجنسية حتى لا يجوز بيع مال بجنسه متفاضلاً، وقال مالك: العلة الاقتيات وكل ما هو قوت أو يستصلح بالقوت يجري فيه الربا، وقصد بالقيد الثاني إدراج الملح. وقال أبو حنيفة: العلة الكيل حتى يثبت الربا في الجص والنورة وسائر المكيلات، وعن أحمد روايتان: إحداهما كقول أبي حنيفة، والأخرى كقول الشافعي الجديد، ثم قال: واختلفوا في أن الجنسية هل هي وصف من العلة أم لا؟ فذهب الشيخ أبو حامد وطبقته إلى أنها وصف من العلة وقالوا: العلة على القديم مركبة من ثلاثة أوصاف، وعلى الجديد من وصفين واحترز المراوزة من هذا الإطلاق وقالوا الجنسية شرط، ومنهم من قال: هي في محل عمل العلة كالإحصان بالإضافة إلى الزنا، وقال هؤلاء: لو كانت وضعاً لأفادت تحريم النساء بمجردها كما أفاد الوصف الآخر وهو الطعم تحريم النساء بمجرده وليس كذلك، فإن الجنس بانفراده لا يحرم النساء وللأولين أن يمنعوا مطلق ما هو وصف لعلة ربا الفضل تحريم النساء قال: وليس تحت هذا الاختلاق كثير طائل. قلت: والفرق بين الشرط والعلة أن العلة مؤثرة في الحكم دون الشرط فإنه يضاف وجوده إلى العلة عند وجود الشرط لا إلى الشرط.

فصل

وإذا عللنا بالطعم إما مع انضمام التقدير إليه أو دونه تعدى الحكم إلى كل ما يقصد ويعد للطعم غالباً إما تقوّتاً أو تأدّماً أو تفكهاً فيدخل فيه الحبوب والفواكه والبقول والتوابل وغيرها، ولا فرق بين ما يؤكل نادراً أو غالباً ولا بين أن يؤكل[1] أو مع غيره، وفي الزعفران وجهان.

(١) هنا بياض بالأصل.

التقابض ومراعاة المماثلة، والمعتاد في هذا معاملة القصاب بأن يسلم إليه الغنم ويشتري بها اللحم نقداً أو نسيئة فهو حرام، ومعاملة الخباز بأن يسلم إليه الحنطة ويشتري بها الخبز نسيئة أو نقداً فهو حرام، ومعاملة العصار بأن يسلم إليه البزر والسمسم والزيتون ليأخذ منه الأدهان فهو حرام، وكذا اللبان يعطى اللبن ليؤخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر أجزاء اللبن، فهو أيضاً حرام، ولا يباع الطعام بغير جنسه من الطعام إلا نقداً وبجنسه إلا نقداً ومتماثلاً، وكل ما يتخذ من الشيء المطعوم فلا يجوز أن يباع به متماثلاً ولا متفاضلاً فلا يباع بالحنطة دقيق وخبز وسويق، ولا بالعنب والتمر دبس وخل وعصير، ولا باللبن سمن وزبد ومخيض ومصل وجبن والمماثلة لا تفيد إذا لم يكن الطعام في حال

أصحها: أنه يجري فيه الربا ولا فرق بين ما يؤكل للتداوي وغيره على المذهب والطين بأنواعه ليس بربوي، وفي الادهان المطيبة وجهان. أصحهما: نعم، وفي دهن الكتان والسمك لا على الأصح وما سوى عود البخور ربوي ولا ربا في الحيوان لأنه لا يؤكل على هيئته. نعم ما يباح أكله على هيئته كالسمك الصغير على وجه يجري فيه الربا. وحكى الإمام عن شيخه تردداً فيه وقطع بالمنع.

ثم قال المصنف: (**والمعتاد في هذا معاملة القصاب بأن يسلم إليه**) جملة من (**الغنم ويشتري بها**) منه (**اللحم**) تدريجاً (**نقداً أو نسيئة وهو حرام**) لأنه يوجب التفاضل، (**ومعاملة الخباز بأن يسلم إليه**) القدر المعلوم من (**الحنطة ويشتري به الخبز**) تدريجاً (**نسيئة أو نقداً فهو حرام**) أيضاً لما ذكرنا، (**ومعاملة القصار بأن يسلم إليه بالبذر والسمسم والزيتون لتؤخذ منه الإدهان**) مدارجة (وهو حرام) أيضاً لما ذكرنا، (**وكذا**) معاملة (**اللبان يعطى اللبن ليؤخذ منه الجبن والسمن والزبد وسائر**) ما يعمل من (**أجزاء اللبن**) وهو أيضاً حرام لما ذكرنا، (**فلا يباع الطعام بغير جنسه**) من الطعام (**إلا نقداً**) كما لو باع شعيراً ببرّ أو بالعكس فإنه تجب فيه رعاية الحلول والتقابض، (و)لا يباع (**بجنسه إلا نقداً وتماثلاً**) كما لو باع البر بالبر أو الشعير بالشعير، فإنه يجب فيه رعاية التماثل والحلول والتقابض، (**وكل ما يتخذ من الشيء فلا يجوز أن يباع به متماثلاً ولا متفاضلاً فلا يباع بالحنطة دقيق وخبز وسويق**) يعمل من الحنطة ومن الشعير أيضاً، وذلك أن يقلى البر أو الشعير ثم يطحن ثم يضاف إليه شيء من السكر أو التوابل، (**ولا بالعنب دبس**) هو عصارة الرطب (**وخل وعصير**) هو الخمر، (**ولا باللبن سمن وزبد ومخيض**) فعيل بمعنى مفعول وهو اللبن الذي مخض، واستخرج زبده بوضع الماء فيه وتحريكه، (**ومصل**) بفتح فسكون عصارة الإقط وهو ماؤه الذي يعتصر منه حين يطبخ قاله ابن السكيت، (**وجبن**) وهو معروف.

قال الرافعي: لا يجوز بيع الحنطة بشيء مما يتخذ منها من المطعومات كالدقيق والسويق والخبز والنشا، ولا بما فيه شيء مما يتخذ من الحنطة كالمصل، ففيه الدقيق والفالوذج ففيه النشا،

كمال الإدخار، فلا يباع الرطب بالرطب والعنب بالعنب متفاضلاً ومتماثلاً، فهذه جمل

وكذا لا يجوز بيع هذه الأشياء بعضها ببعض لخروجها عن حالة الكمال هذا ما يفتى به من المذهب، ونقل الكرابيسي عن أبي عبد الله تجويز بيع الحنطة بالدقيق، فمنهم من جعله قولاً آخر للشافعي، وبه قال أبو الطيب بن سلمة، ومنهم من لم يثبته قولاً. وقال: أراد بأبي عبد الله مالكاً أو أحمد، وجعل الإمام منقول الكرابيسي شيئاً آخر وهو أن الدقيق مع الحنطة جنسان حتى يجوز بيع أحدهما بالآخر متفاضلاً، ويشبه أن يكون هو منفرداً بهذه الرواية. وحكى البويطي والمزني في المنثور قولاً: أنه يجوز بيع الدقيق بالدقيق وإن امتنع بيعه بالحنطة، كما يجوز بيع الدهن بالدهن وإن امتنع بيعه بالسمسم، وفي بيع الخبز الجاف المدقوق بمثله قول في المذهب. وقال مالك: يجوز بيع الحنطة بالدقيق، وبه قال أحمد في أظهر الروايتين إلا أن مالكاً يعتبر الكيل وأحمد يعتبر الوزن، ويجوز بيع الحنطة وما يتخذ منها من المطعومات بالنخالة لأنها ليست بمال الربا، ولما كانت أموال الربا تنقسم إلى ما يتغير من حال إلى حال، وإلى ما لا يتغير والتي يتغير منها يعتبر المماثلة في بيع الجنس بالجنس منها في أكمل أحوالها، فمن المتغيرات الفواكه فتعتبر المماثلة في المتجانسين منها حالة الجفاف، ولا يغني التماثل في غير تلك الحالة. وقد أشار المصنف إلى ذلك فقال:

(**والمماثلة لا تفيد إذا لم يكن الطعام في حال كمال الإدخار**)، وعبارة الوجيز: والمماثلة ترعى حالة الجفاف وهو حال كمال الشيء ولا خلاص في المماثلة قبله، (**فلا يباع الرطب بالرطب وبالتمر و**)كذا (**العنب**) بالعنب (**متماثلاً ولا متفاضلاً**) وكل فاكهة كما لها في جفافها وهو حالة الإدخار. أما بيع الرطب بالرطب فللجهل بالمماثلة لأنه لا يعرف قدر النقصان منها. وأما بيع الرطب بالتمر فلتيقن التفاوت عند الجفاف لما روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل عن بيع الرطب بالتمر فقال « أينقص الرطب إذا جفت؟ قالوا: نعم. قال: فلا إذاً » ويروى: فنهى عن ذلك فانسدّ البيع، وأشار إلى العلة وهو النقصان، ودل الحديث على أنه يشترط لجواز العقد المماثلة في أعدل الأحوال وهو ما بعد الجفاف لا في الحال، فصار نظير بيع الدقيق بالحنطة فإنه لا يجوز للتفاوت بعد الطحن، وبه قال أبو يوسف ومحمد: وكذا لا يباع العنب بالعنب وبالزبيب، وكذا كل ثمرة لها حالة الجفاف كالتين والمشمش والخوخ والبطيخ والكمثري اللذين يعلقان والإجاص والرمان الحامض لا يباع رطبها برطبها ولا بيابسها، ولا يباع الحديث بالعتيق إلا أن يتقي النداوة في الحديث بحيث يظهر أثر زوالها في المكيال، فأما ما ليس له جفاف كالعنب الذي لا يتزبب، والرطب الذي لا يتتمر، والبطيخ والكمثري اللذين لا يعلقان، والرمان الحلو والباذنجان والقرع والبقول ففي بيع بعضها ببعض قولان في المذهب. وعند أبي حنيفة يجوز بيع الرطب بالتمر وبالرطب متماثلاً والعنب بالزبيب وبالعنب كذلك، وكذا في نظائرهما. واحتج بالحديث المشهور « التمر بالتمر مثلاً بمثل » والرطب تمر فيجوز بيعه بالتمر متماثلاً، والدليل على أنه تمر أنه ﷺ حين أهدي إليه رطب قال: « أو كل تمر خيبر هكذا ». وروي أنه ﷺ نهى عن بيع التمر حتى يزهي فقيل: ما يزهي؟ قال « يحمر » وهو اسم له من أول ما ينعقد إلى أن

مقنعة في تعريف البيع والتنبيه على ما يشعر التاجر بمثارات الفساد حتى يستفتي فيها إذا

يدرك، ولأنه إن كان تمراً جاز بيعه بأول الحديث وهو التمر بالتمر مثلاً بمثل، وإن كان غير تمر فبآخره وهو قوله «إذا اختلف النوعان فبيعوا كيف شئتم» ولأنهما مستويان في الحال، وإنما يتفاوتان في المآل لذهاب جزء منه وهو الرطوبة بخلاف بيع الحنطة بالدقيق لأنهما متفاوتان في الحال، ويظهر ذلك بالطحن إذ الطحن لا يزيد في ذلك شيئاً، وما رووه من حديث سعد لم يصح عنده، لأن مداره على زيد بن عياش وهو ضعيف، وقيل: مجهول. ولئن صح فهو محمول على أن السائل كان وصياً في مال يتيم وولياً لصغير، فلم ير ﷺ بهذا التصرف نظراً له إذ هو مفيد بالنظر. ألا ترى أنه يمنع من بيع الجيد والرديء من مال الربا لما ذكرنا، وبيع العنب بالزبيب على هذا الخلاف، والوجه ما بيناه من الجانبين. وقيل: لا يجوز بالاتفاق، والفرق لأبي حنيفة بينه وبين الرطب بالتمر في هذه الرواية أن النص الوارد بلفظ التمر هناك يتناول الرطب ولم يوجد مثله هنا فبقي محرماً حتى يعتدل.

وأما بيع الرطب بالرطب فلما روينا لأن إسم التمر يتناوله فيجوز بيعه مثلاً بمثل كذلك، ولو باع البسر بالتمر لا يجوز التفاضل فيه لأنه تمر على ما بينا بخلاف الكفري، ولو باع حنطة رطبة أو مبلولة بحنطة رطبة أو يابسة أو تمراً أو زبيباً منتقعين بتمر مثله أو بزبيب مثله أو باليابس منهما جاز في الكل عند أبي حنيفة وأبي يوسف، وقال محمد: لا يجوز في شيء من ذلك لأنه يعتبر المساواة في أعدل الأحوال وهو بعد اليبس، والفرق له بين الرطب بالرطب وبين بيع المبلول ونحوه بمثله حيث أجاز بيع الرطب بالرطب، ومنع غيره جميعه أن التفاوت فيها يظهر مع بقاء البدلين على الاسم الذي عقد عليه، وفي الرطب بالتمر مع بقاء أحدهما على ذلك الاسم فيكون تفاوتاً في عين المعقود عليه، وفي الرطب بالرطب يكون التفاوت بعد زوال ذلك الاسم فلم يكن تفاوتاً في المعقود عليه، وأبو حنيفة يعتبر المساواة في الحال، وكذا أبو يوسف لإطلاق الخبر «الحنطة بالحنطة مثلاً بمثل» الحديث وهو بإطلاقه يتناول الحنطة والشعير والتمر على أي صفة كان، إلا أن أبا يوسف ترك هذا الأصل في بيع الرطب بالتمر من منعه محتجاً بحديث زيد بن عياش الذي تقدم حاله وذكره، والله أعلم.

تنبيه:

قال الرافعي في شرح الوجيز: وأما ما أجراه المصنف من لفظ الإدخار، فإن طائفة من الأصحاب ذكروه وآخرون أعرضوا عنه، ولا شك أنه غير معتبر لحالة التماثل في جميع الربويات، ألا ترى أن اللبن لا يدخر ويباع بعضه ببعض، فمن اعرض عنه فذاك، ومن أطلقه أراد اعتباره في الفواكه والحبوب لا في جميع الربويات فاعرف ذلك.

(**فهذه جمل**) مفيدة (**مقنعة في تعريف البيع**) وما يتعلق به، (**والتنبيه على ما يشعر التاجر بمثارات الفساد**) وطرقه (**حتى يستفتي فيها فيما إذا استشكل**) في شيء من مسائله

تشكك والتبس عليه شيء منها، وإذا لم يعرف هذا لم يتفطن لمواضع السؤال واقتحم الربا والحرام وهو لا يدري.

العقد الثالث: السلم:

وليراع التاجر فيه عشرة شروط:

(**والتبس عليه**) شيء منها، (**فإذا لم يعرف هذا**) القدر (**لم يتفطن لمواضع السؤال**) والبحث (**واقتحم**) أبواب (**الربا الحرام**) فيهلك (**وهو لا يدري**) والله الموفق وهو ولي الإرشاد.

العقد الثالث: السلم:

وهو في البيع مثل السلف وزناً ومعنى، وهو مشروع بالكتاب والسنّة وإجماع الأمة. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾ [البقرة: ٢٨٢]. الآية. وعن ابن عباس قال: أشهد أن الله قال: أجل السلم المؤجل وأنزل فيه أطول آية وتلا قوله تعالى السابق ذكره. وروي أن النبي ﷺ قدم المدينة وهم يسلفون في التمر السنة والسنتين، وربما قال والثلاثة فقال «من أسلف فليسلف في كيل معلوم الى أجل معلوم» رواه الشافعي عن سفيان عن ابن أبي نجيح، عن عبد الله بن كثير، عن أبي المنهال، عن ابن عباس، ويروى أيضاً أنه ﷺ نهى عن بيع ما ليس عنده ورخص في السلم».

قال الرافعي: وذكروا في تفسير السلم عبارات متقاربة. منها: أنه عقد على موصوف في الذمة ببذل يعطى عاجلاً، ومنها: أنه استلاف عوض حاضر في عوض موصوف في الذمة، ومنها: أنه تسليم عاجل في عوض لا يجب تعجيله اهـ.

وقال الزيلعي من أصحابنا: هو أخذ عاجل بآجل، وسمي هذا العقد به لكونه معجلاً على وقته، فإن أوان البيع بعد وجود المعقود عليه في ملك العاقد والسلم يكون عادة بما ليس بموجود في ملكه فيكون العقد معجلاً وينعقد بلفظ السلم ولا ينعقد بلفظ البيع المجرد لأنه ورد بلفظ السلم على خلاف القياس، فلا يجوز بغيره، وفي رواية الحسن ينعقد وهو الأصح لأنه بيع، ثم قال: والقياس يأبى جوازه لأن المسلم فيه مبيع وهو معدوم وبيع موجود غير مملوك أو مملوك غير مقدور على التسليم لا يجوز، فبيع المعدوم أولى أن لا يجوز ولكن تركناه بما ذكرناه قال المصنف:

(**وليراع التاجر فيه عشرة شروط**) وعبارة الوجيز: والمتفق عليه من شرائطه خمسة، قال الرافعي: إنما قال كذلك لأن معظم الأئمة جعلوا شرائط السلم سبعاً وضموا إلى الخمس العلم بقدر رأس المال، وبيان موضع التسليم. وفيهما اختلاف سيأتي، وقد تعد أكثر من السبع وحقيقة الأمر في مثل ذلك لا تختلف.

الأوّل: أن يكون رأس المال معلوماً علم مثله حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه أمكن الرجوع إلى قيمة رأس المال، فإن أسلم كفاً من الدراهم جزافاً في كر حنطة لم يصح في أحد القولين.

الثاني: أن يسلم رأس المال في مجلس العقد قبل التفرق، فلو تفرقا قبل القبض انفسخ السلم.

(**الأول: أن يكون رأس المال معلوماً علم مثله**) وذلك لأن الجهالة في رأس المال تفضي إلى المنازعة فلا بدّ من أن يكون معلوماً، وهذا الشرط هو الرابع في الوجيز ولفظه: أن يكون معلوم القدر بالوزن أو الكيل. قال رسول الله ﷺ « من أسلم فليسلم في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم » قال الرافعي: والاعلام تارة يكون بالكيل والأخرى يكون بالوزن أو العدد أو الذرع اهـ.

وقال أصحابنا: ما أمكن ضبط صفته ومعرفة قدره صح السلم فيه لأنه لا يفضي إلى المنازعة وما لا فلا. (**حتى لو تعذر تسليم المسلم فيه**) بسبب من الأسباب (**أمكن الرجوع إلى قيمة رأس المال**) عند اختلاف، (**فإن أسلم كفاً من الدراهم جزافاً**) من غير عدد (**في كر حنطة لم يصح في أحد القولين**).

قال الاصبهاني في تعليل المحرر: يجوز أن يكون رأس المال جزافاً غير مقدر كالثمن في أصح القولين، وحينئذ معاينته تغني عن العلم بقدره، ولا يشترط تقديره بشيء من الكيل والوزن والذرع كما في البيع، واحتمال الفسخ موجود في البابين، والقول الثاني: أنه لا بد من بيان صفاته ومعرفة قدره بإحدى المقدرات لأنه أحد العوضين في السلم، فلا يجوز أن يكون جزافاً كالمسلم فيه، ولأن السلم عقد منتظر تمامه بتسليم المسلم فيه، وربما ينقطع المسلم فيه في المحل ورأس المال تالفاً فلا يدري المسلم إلى ماذا يرجع وكلامه في المحرر مطلق في جريان القولين من غير فرق بين كون رأس المال مثلياً أو متقوماً. وقال في الكبير: هذا في المثليات، وأما في المتقوم فإن ضبط صفاته في المعاينة ففي معرفة قيمته طريقان. منهم من طرد القولين والأكثرون قطعوا بصحة السلم، ولا فرق على القولين بين سلم الحال والمؤجل، ومنهم من خصص القولين بالمؤجل، وفي الحال قطع بأن المعاينة كافية كما في البيع. ثم إعلم أن موضع القولين ما إذا تفرقا قبل العلم بالقدر في الأول والقيمة في الثاني، وأما إذا علما وتفرقا فلا خلاف في الصحة اهـ.

قلت: وقوله فلا يجوز أن يكون جزافاً إلى قوله إلى ماذا يرجع به قال مالك وأحمد واختاره أبو إسحاق وعزاه صاحب التجريد إلى أبي حنيفة، والقول الأول اختاره المزني وهو أصحهما.

(**الثاني: أن يسلم رأس المال في مجلس العقد قبل التفريق**)، واحتج لاشتراطه بأن المسلم فيه دين في الذمة، فلو أخر تسليم رأس المال عن المجلس لكان ذلك من معنى بيع الكالىء بالكالىء. قال

الثالث: أن يكون المسلم فيه ما يمكن تعريف أوصافه كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والابريسم والألبان واللحوم ومتاع العطارين واشباهها، ولا يجوز في

المصنف في الوجيز جبراً للغرر في الجانب الآخر أراد به أن الغرر في المسلم فيه احتمل للحاجة، فجبر ذلك بتأكيد العوض الثاني بالتعجيل كيلا يعظم الغرر في الطريقين إذا تقرر ذلك، (**فلو تفرقا قبل القبض**) أي قبض رأس المال (**انفسخ السلم**) أي بطل عقده، وبه قال أبو حنيفة وأحمد. وقال مالك: إن تأخر التسليم مدة يسيرة كاليوم واليومين لم يضر، وإن تأخر مدة طويلة بطل العقد، ولو تفرقا قبل تسليم بعضه بطل العقد فيما لم يقبض وسقط بقسطه من المسلم فيه، ولو قبض رأس المال ثم أودعه المسلم إليه قبل التفرق جاز ولو رده عليه بدين كان له عليه. قال الروياني: لا يصح لأنه تصرف فيه قبل انبرام ملكه عليه، فلو تفرقا قضى بعض الأصحاب أنه يصح السلم لحصول القبض وانبراء الملك ويستأنف إقباضه للدين، ولو أحال المسلم إليه برأس المال على المسلم فتفرقا قبل التسليم فالعقد باطل، وإن جعلنا الحوالة قبضاً لأن المعتبر في المسلم القبض الحقيقي، ومتى فسخ السلم بسبب يقتضيه وكان رأس المال معيناً ثم في ابتداء العقد وهو باق رجع المسلم اليه، وإن كان تالفاً رجع إلى بدله وهو المثل أو القيمة، وإن كان رأس المال موصوفاً في الذمة ثم عجل في المجلس وهو باق، فهل له المطالبة بعينه أم للمسلم إليه الإتيان ببدله؟ فيه وجهان.

(**الثالث: أن يكون المسلم فيه مما يمكن تعريف أوصافه**) أي فلا يصح السلم فيما لا يضبط أوصافه أو تضبط وأهمل بعض ما يجب ذكره لأن البيع لا يحتمل جهالة المعقود عليه وهو عين فلأن لا يحتملها السلم وهو دين كان أولى ولتعذر الضبط أسباب. منها الاختلاط، والمختلطات أربعة أنواع لأن الاختلاط إما ان يقع بالاختيار أو خلقة، والأول إما أن يتفق، وجميع أخلاطها مقصود، أو يتفق والمقصود واحد، والأول: إما أن يكون بحيث يتعذر ضبط اخلاطه أو بحيث لا يتعذر، وستأتي الإشارة الى كل ذلك فما يمكن ضبط أوصافه (**كالحبوب والحيوانات والمعادن والقطن والصوف والابريسم والألبان واللحوم ومتاع العطارين وأشباهها**) مما يمكن ضبط وصفه وتعريفه النافي لجهالته، وفي الحيوانات واللحوم خلاف لأبي حنيفة، وممن قال بجواز السلم في الحيوان وفاقاً للشافعي مالك وأحمد، واحتجوا بما روي عن ابن عمر وأنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أشتري بعيراً له ببعيرين إلى أجل، وعن علي رضي الله عنه أنه باع بعيراً له بعشرين بعيراً إلى أجل، وعن ابن عمر أنه اشترى راحلة بأربعة أبعرة يوفيها صاحبها بالربذة، واحتج أبو حنيفة بما روي مرفوعاً «نهى عن السلم في الحيوان» ولأنه تتفاوت آحاده تفاوتاً فاحشاً بحيث لا يمكن ضبطه، وما روي عن ابن عمرو كان قبل نزول آية الربا لأن الجنس بانفراده يحرم النساء أو كان ذلك في دار الحرب إذ لا يجري الربا بين المسلم والحربي في دار الحرب، ويدخل فيه جميع أنواع الحيوانات حتى العصافير، لأن النص لم يفصل والسلم في لحم الحيوان جائز خلافاً لأبي حنيفة، ووافق الشافعي أبو يوسف ومحمد بن الحسن وحجتهم أنه يمكن ضبط صفاته فأشبه الثمار، ولأبي

حنيفة أن اللحم يختلف باختلاف صفته من سمن أو هزال، ويختلف باختلاف فصول السنة فما يعد سميناً في الشتاء يعد مهزولاً في الصيف، ولأنه يتضمن عظاماً غير معلومة، وتجري فيه المماكسة فالمشتري يأمره بالنزع، والبائع يدسه فيه. وهذا النوع من الجهالة والمنازعة لا ترتفع ببيان الموضع، وذكر الوزن فصار كالسلم في الحيوان بخلاف النوى في الثمار أو العظم في الإلية فإنه معلوم، ولهذا لا يجري فيه المماكسة، وفي مخلوع العظم لا يجوز على الوجه الأول وهو الأصح لأن الحكم ان علل بعلتين لا ينبغي الحكم بانتفاء أحدهما، وقيل: لا خلاف بينهم فجواب أبي حنيفة فيما إذا أطلق المسلم في اللحم وهما لا يجوز أنه فيه وجوابهما فيما إذا بين موضعاً منه معلوماً وهو يجوزه فيه، والأصح أن الخلاف فيه ثابت.

فصل

وأما السلم في رؤوس الحيوانات المأكولة ففيه قولان. أحدهما: الجواز وبه قال مالك وأحمد كالسلم في جملة الحيوانات وكالسلم في لحم الفخذ وسائر الأعضاء وأظهرهما المنع، وبه قال أبو حنيفة ووافقه صاحباه، ويروى عنهما مثل قول الجماعة لاشتمالها على أبعاض مختلفة كالمناخر والمشافر وغيرهما وتعذر ضبطها، ويخالف السلم في الحيوان فإن المقصود جملة الحيوان من غير تجريد النظر إلى آحاد الاعضاء ويخالف السلم في لحوم سائر الأعضاء، فإن لحوم سائر الأعضاء أكثر من عظمها والرأس على العكس والأكارع كالرأس. ورأى المصنف الجواز فيها أصح لأنها أقرب إلى الضبط، لكن الجمهور على الأوّل، وعن القاضي الرمز إلى القطع بالمنع فيها.

فإن قلنا بالجواز فيها فذاك بشروط منها أن تكون منقاة عن الصوف والشعر، وأما السلم فيها من غير تنقية فلا يجوز لستر المقصود بما ليس بمقصود، والثاني: أن يوزن وأما بالعدد فلا لاختلافها في الصغر والكبر، والثالث: أن تكون نيئة فأما المطبوخة والمشوية فلا يسلم فيها بحال.

ثم أشار المصنف إلى النوع الأوّل من المختلطات الأربعة وهي المختلطات المقصودة الأركان التي لا تنضبط أقدار اختلاطها وأوصافها فقال: (**ولا يجوز**) السلم (**في المعجونات**) والجوار شنات (**والمركبات**) كالحلاوي وكالغالية المركبة من المسك والعنبر والعود والكافور، وفي معنى ذلك الهرايس والأمراق والترياق المخلوط كالغالية فلا يصح السلم في شيء منها للجهل بما هو متعلق بالاغراض، (**وكذا**) لا يجوز السلم في كل (**ما تختلف أجزاؤه كالقسي المصنوعة**) وهي العجمية لاشتمالها على الخشب والعظم والعصب واحترز بالمصنوعة عن القسي العربية فإنها لا تركيب فيها، (**والنبل**) فقد نقل فيه اختلاف نص، واتفقوا على أنه لا خلاف فيه، واختلاف النص محمول على اختلاف أحواله فلا يجوز السلم فيه بعد التخريط والعمل عليه، فلذا قيده المصنف بقوله:

والنعال المختلفة أجزاؤها وصنعتها وجلود الحيوانات، ويجوز السلم في الخبز وما يتطرق إليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وقلته يعفى عنه ويتسامح فيه.

(**المعمول**) أما إذا كان عليه عصب وريش ونصل فلمعنيين أحدهما: إنه كالمختلطات، والثاني: اختلاف وسطه وطرفيه دقة وغلظا وتعذر ضبطه، وانه من أي موضع يأخذ من الدقة في الغلظ، وبالعكس وكم يأخذوا ما إذا لم يكن فللمعنى الثاني، ويجوز السلم فيه قبل التخريط والعمل عليه لتيسر ضبطه والمغازل كالنبال، (و) كذا (**الخفاف والنعال المختلفة أجزاؤها وصفتها**) لاشتمالها على الظهارة والبطانة والحشو، ولأن العبارة تضيق عن الوفاء بذكر أطرافها وانعطافاتها، وفي البيان أن الصيمري حكى عن ابن سريج جواز السلم فيها، وبه قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى، (و) كذا (**جلود الحيوانات**).

والنوع الثاني من الأنواع الأربعة المختلطات المقصودة الأركان التي تنضبط اقدارها وصفاتها كالثياب العنابية والخزوز المركبة من الابريسم والوبر، وفي السلم فيها وجهان. أحدهما: المنع كالسلم في الغالية والمعجونات، وأصحهما عند المصنف ومعظم العراقيين الجواز لأن قدر كل واحد من أخلاطها مما يسهل ضبطه ويمكن هذا عن نص الشافعي، وبه أجاب ابن كج، ويخرج على الوجهين السلم في الثوب المعمول عليه بالابرة بعد النسج من غير جنس الأصل كالابريسم على القطن والكتان وإن كان تركيبها بحيث لا تنضبط أركانها فهي كالمعجونات.

والنوع الثالث من الأنواع الأربعة المختلطات التي لا يقصد منها إلا الخلط الواحد كالخبز وفيه الملح، لكنه غير مقصود في نفسه، وإنما يراد منه إصلاح الخبز، وفي السلم وجهان. أصحهما عند الإمام انه جائز، وإليه أشار المصنف بقوله: (**ويجوز السلم في الخبز**) وبه قال أحمد، وعليه اقتصر المصنف في الوجيز لأن الملح مستهلك فيه والخبز في حكم الشيء الواحد، وعزاه ابن هبيرة إلى مالك أيضاً. والثاني: وهو الأصح عند الأكثرين المنع، وبه قال أبو حنيفة لوجهين. أحدهما: الاختلاط واختلاف الغرض بحسب كثرة الملح وقلته وتعذر الضبط، والثاني: تأثير النار فيه، وقد اعتذر المصنف عن الوجه الأول فقال: (**وما يتطرق إليه من اختلاف قدر الملح والماء بكثرة الطبخ وبقلته يعفى عنه ويسامح فيه**) لمسيس الحاجة إليه، ورجحه أبو علي الفارقي وغيره، وفي السلم في الجبن مثل هذين الوجهين، لكن الجمهور مطبقون على ترجيح وجه الجواز كأنهم اعتمدوا في الجبن المفر الثاني، ورأوا أن عمل الناس في الخبز يختلف وفي الجبن بخلافه والله أعلم. والوجهان جائزان في السمك الذي عليه شيء من الملح.

والنوع الرابع: المختلطات خلقة كالشهد، وفي السلم فيه وجهان أحدهما: المنع لأن الشمع فيه وقد يقل ويكثر فأشبه سائر المختلطات، وهذا ما رواه ابن كج عن نصه، وأصحهما الجواز لأن اختلاطه خلقي فأشبه النوى بالتمر، وكما يجوز السلم في الشهد يجوز في كل واحد من ركنيه.

الرابع: أن يستقصي وصف هذه الأمور القابلة للوصف حتى لا يبقى وصف تتفاوت به القيمة تفاوتاً لا يتغابن بمثله الناس إلا ذكره، فإن ذلك الوصف هو القائم مقام الرؤية في البيع.

(الرابع: أن يستقصي وصف هذه الأمور المقابلة للوصف حتى لا يبقى وصف تتفاوت به القيمة تفاوتاً لا يتغابن به) أي بمثله (إلا ذكره) أي لا يحتمل الناس إهمال مثل ذلك للاختلاف والنقصان، (فإن ذلك) أي الاستقصاء في الأوصاف (هو القائم مقام الرؤية في البيع). واختلف في ذلك فمن الأصحاب من يقول: يجب التعرض للأوصاف التي يختلف بها الغرض، ومنهم من يعتبر الأوصاف التي تختلف بها القيمة، ومنهم من يجمع بينهما فليس شيء فيها معمولاً لأن كون العبد ضعيفاً في العمل وقوياً وكاتباً وأميناً، وما أشبه ذلك أوصاف يختلف بها الغرض والقيمة ولا يجب التعرض لها.

فصل

من أنواع الحيوان الرقيق، فإذا أسلم فيه وجب التعرض لأمور. أحدها: النوع فيبين أنه تركي أو رومي، والثاني: اللون فيبين أنه أبيض أو أسود أو أسمر، والثالث: الذكورة والأنوثة، والرابع: السن فيقول: محتلم أو ابن ست أو سبع، والرجوع في الاحتلام إلى قول العبد وفي السن يعتمد قوله إن كان بالغاً، وقول سيده إن ولد في الإسلام وإلاَّ فالرجوع إلى النخاسين فتعتبر ظنونهم. الخامس: القد فيبين أنه طويل أو قصير أو ربعة لأن قيمته تتفاوت به تفاوتاً ظاهراً، ولا يشترط وصف كل عضو على حياله بأوصافه المقصودة، وإن تفاوت بها الغرض والقيمة لأن ذلك يورث عزة الوجود في الموصوف، ولكن في التعرض للأوصاف التي يعتني بها أهل النظر ويرغبون فيها في الأرقاء كالكحل والدعج وتكلثم الوجه وسمن الجارية وما أشبهها وجهان. أظهرهما: أنه لا يجب.

ومن أنواع الحيوان الإبل ولا بدّ من التعرض فيها لأمور أحدها: الذكورة والأنوثة، والثاني: السن فيقول: ابن مخاض أو ابن لبون، وثالثها: اللون فيقول أحمر أو أسود أو أزرق، ورابعها: النوع فيقول: من نعم بني فلان ونتاجهم إذا عرفوا بذلك، ولو اختلف نتاج بني فلان بفلان فيها أرحبية ومهرية وعبيدية، فأظهر القولين أنه لا بدّ من التعيين. ومنها: الخيل فيجب التعرض فيها لما يجب التعرض في الإبل ويزاد فيها كالأغر والحجل واللطيم أو أشقر أو أدهم ونحو ذلك، وكذا القول في البغال والحمير والبقر والغنم، ويوصف كل جنس من الحيوان بما يليق به.

ويجب في اللحم بيان أمور: أحدها: الجنس فيقول: لحم إبل أو بقر أو غنم، والثاني: النوع فيقول لحم بقر أهلي أو جواميس ولحم ضأن أو معز، والثالث: الذكورة والأنوثة، والرابع: السن، والخامس: يبين أنه من رعاية أو معلوفة لأن كل واحد من النوعين مطلوب من وجه، والسادس: يبين موضعه أهو من لحم الفخذ أو الجنب أو الكتف لاختلاف الاغراض، وإذا أسلم في اللبن يبين

ما يبين في اللحم سوى الأمر الثالث والسادس، ويبين نوع العلف ولا حاجة إلى ذكر اللون والحلاوة، فإن المطلق ينصرف إلى الحلو، ولو أسلم في اللبن الحامض لم يجز لأن الحموضة عيب فيه، وإذا أسلم في السمن يبين ما بين في اللبن، ويذكر أنه اصفر أو أبيض جديد أو عتيق، ولا يصح السلم في العتيق المتغير فإنه معيب، وفي الزبد يذكر ما يذكر في السمن وأنه زبد يومه أو أمسه، ويجوز السلم في اللبن كيلاً ووزناً، لكن لا يكال حتى تسكن الرغوة ويوزن قبل سكونها، وكذا السمن يكال ويوزن إلا إذا كان جامداً يتجافى في المكيال فيعتبر الوزن وليس في الزبد إلا الوزن، وإذا جوّزنا السلم في الجبن وجب بيان نوعه وبلده وأنه رطب أو يابس، وإذا أسلم في صوف قال صوف بلد كذا لاختلاف الغرض فيه، ويبين لونه وطوله وقصره، وأنه خريفي، وأنه من الذكور أو من الاناث، ويبين في القطن لونه وبلده وكثرة لحمه وقلته والخشونة والنعومة وكونه عتيقاً أو حديثاً، ويبين في الابريسم بلده ولونه ورقته وغلظه، ولا يجوز السلم في القز وفيه الدود حية كانت أم ميتة لأنها تمنع معرفة وزن القز وبعد خروج الدود يجوز، وإذا أسلم في الغزل ذكر ما يذكر في القطن ويزيد الرقة والغلظ، وكذا في غزل الكتان وإذا أسلم في الثياب يبين الجنس أنه ابريسم أو كتان أو قطن والنوع والبلد التي ينسج فيها إن اختلف به الغرض، وقد يغني ذكر النوع عنه وعن الجنس أيضاً ويبين الطول والعرض والغلظة والرقة والصفاقة والنعومة والخشونة والمطلق محمول على الخام، ولا يجوز في المصبوغ بعد النسج على المشهور، وحكى الإمام عن شيخه جوازه، وبه قال صاحب الحاوي وهو القياس، وإذا أسلم في الحطب يذكر نوعه وغلظه ودقته وأنه من نفس الشجر أو أغصانه ووزنه ولا يتعرض للرطوبة والجفاف، والمطلق محمول على الجاف، ويجب قبول المعوج والمستقيم، ومنها ما يطلب للبناء كالجذوع فيبين منها النوع والطول والغلظ والرقة، ولا حاجة إلى ذكر الوزن، ولا يجوز السلم في المخروط لاختلاف أعلاه وأسفله، ومنها ما يطلب ليغرس فيسلم فيها بالعدد ويذكر النوع والطول والغلظ، ومنها ما يطلب لتتخذ منها القسي والسهام فيذكر فيها النوع والدقة والغلظ وكونه سهلياً أو جبلياً، وإذا أسلم في الحديد ذكر نوعه، وأنه ذكر أو أنثى ولونه وخشونته ولينه، وفي الرصاص يذكر نوعه من قلعي وغيره، وفي الصفر من مشبه وغيره وخشونتها ولينها ولونها، ولا بدّ من الوزن في جميع ذلك وكل شيء لا يتأتى وزنه بالقبان لكبره يوزن بالعرض على الماء.

فصل

ويجوز السلم في المنافع كتعليم القرآن وغيره ذكره الروياني، وفي الدراهم والدنانير على أصح الوجهين لأنه مال يسهل ضبطه، والثاني وبه قال أبو حنيفة أنه لا يجوز، وعلى الأول يشترط أن يكون رأس المال غير الدراهم والدنانير، وقال النووي: اتفق أصحابنا على أنه لا يجوز إسلام الدراهم في الدنانير ولا عكسه سلماً مؤجلاً، وفي الحال وجهان الأصح: المنصوص في الأم أنه لا يصح، والثاني يصح بشرط قبضها في المجلس قاله القاضي أبو الطيب والله أعلم. وهذا باب لا ينحصر فاعتبر بالمذكور ما لم يذكر.

الخامس: أن يجعل الأجل معلوماً إن كان مؤجلاً فلا يؤجل إلى الحصاد ولا إلى ادراك الثمار، بل إلى الأشهر والأيام، فإن الادراك قد يتقدم وقد يتأخر.

(**الخامس: أن يجعل**) المسلم (**الأجل معلوماً إن كان مؤجلاً**) أي إذا ذكرا أجلا في السلم وجب أن يكون معلوماً. قال ﷺ: «إلى أجل معلوم» لأنه إذا لم يكن معلوماً يفضي إلى المنازعة، وهل السلم الحال صحيح أو لا؟ قال الشافعي: صحيح. وقال الأئمة الثلاثة: لا يصح، واحتجوا بقوله ﷺ: «إلى أجل معلوم» ودلائل الطرفين مذكورة في الفروع، فلو صرح بالحلول أو التأجيل فذاك، وإن أطلق فوجهان. وقيل قولان: أحدهما: ان العقد يبطل لأن مطلق العقد يحمل على المعتاد والمعتاد في السلم التأجيل، فإذا كان كذلك فيفسد فيكون كما لو ذكر أجلاً مجهولاً، والثاني: يصح ويكون حالاً كالثمن في البيع المطلق، وبالوجه الأوّل أجاب المصنف في الوجيز، ولكن الأصح عند الجمهور هو الثاني، وبه قال في الوسيط: (**فلا يؤجل إلى الحصاد وإلى ادراك الثمار بل إلى الاشهر والأيام، فإن ذلك الإدراك قد يتقدم وقد يتأخر**) فيه صور.

احداها: لا يجوز تأقيته بما يختلف وقته كالحصاد والدراس وقدوم الحاج خلافاً لمالك لنا أن ذلك يتقدم تارة ويتأخر أخرى، فأشبه مجيء المطر، ولو قال إلى العطاء لم يجز إن أراد وصوله، فإن أراد وقت خروجه وقد عين السلطان له وقتاً جاز بخلاف ما إذا قال إلى وقت الحصاد إذ ليس له وقت معين، ولو قال إلى الصيف أو الشتاء لم يجز إلا أن يريد الوقت، وذكر ابن كج أن ابن خزيمة جوّز التأقيت بالميسرة.

الثانية: التأقيت بشهور الفرس والروم جائز كالتأقيت بشهور العرب، لأنها معلومة مضبوطة، وكذا التأقيت بالنيروز والمهرجان لأنهما يومان معلومان كالعيد وعرفة وعاشوراء، وفي النهاية نقل وجه لا يجوز التأقيت بهما، ونص الشافعي على أنه لا يجوز التأقيت بفصح النصارى، وفي معنى الفصح سائر أعياد الملل كفطير اليهود ونحوه.

الثالثة: لو أقتا بنفر الحجيج وقيدا بالأوّل أو الثاني جاز، وإن أطلقا فوجهان. أصحهما: ويحكى عن نصه أنه صحيح ويحمل على النفر الأوّل لتحقق الاسم به، وعلى هذا الخلاف التوقيت بشهور ربيع وجمادى أو بالعيد، ولا يحتاج إلى تعيين السنة إذا حملنا المذكور على الأوّل.

الرابعة: لو أجّلا إلى سنة أو سنتين فمطلقه محمول على السنين الهلالية، ولو قال بالعدد فهو ثلاثمائة وستون يوماً، وكذا مطلق الأشهر محمول على الشهور الهلالية، ثم ينظر إن جرى العقد في أول الشهر اعتبر الجميع بالاهلّة تامة كانت أو ناقصة، وإن جرى بعد مضي بعض الشهر عد الباقي منه بالأيام، واعتبرت الشهور بعد بالاهلّة ثم يتم المنكسر بالعد ثلاثين، وإنما كان كذلك لأن الشهر الشرعي هو ما بين الهلالين إلا أن في الشهر المنكسر لا بدّ من الرجوع إلى العدد كيلا يتأخر ابتداء الأجل عن العقد، وفيه وجه أنه إذا انكسر الشهر انكسر الجميع، فيعتبر الكل عدداً. ويحكى هذا عن أبي حنيفة رحمه الله والمذهب الأوّل.

السادس: أن يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالباً، فلا ينبغي أن يسلم في العنب إلى أجل لا يدرك فيه، وكذا سائر الفواكه، فإن

الخامسة: لو قال إلى الجمعة أو إلى رمضان حل بأول جزء منه لتحقق الاسم به، وربما يقال بانتهاء ليلة الجمعة وبانتهاء شعبان والمقصود واحد، ولو قال محله في الجمعة أو في رمضان فوجهان عن ابن أبي هريرة أنه يجوز ويحمل على الأوّل، وأصحهما المنع لأنه جعل اليوم والشهر ظرفا، فكأنه قال محله وقت من أوقات يوم كذا، ولو قال إلى أوّل شهر كذا أو آخره، فعن عامة الأصحاب بطلانه لأن اسم الأول والآخر يقع على جميع النصف، فلا بدّ من البيان وإلاَّ فهو مجهول. وقال الإمام البغوي: وجب أن يصح ويحمل على الجزء من كل نصف على قياس مسألة النفر.

فصل

قال أصحابنا: أقل الأجل شهر روي ذلك عن محمد، وقيل: ثلاثة أيام رواه الطحاوي عن الأصحاب اعتباراً بشرط الخيار، وقيل: أكثر من نصف يوم لأن المعجل ما كان مقبوضاً في المجلس والمؤجل ما يتأخر قبضه عن المجلس، ولا يبقى المجلس بينهما عادة أكثر من نصف يوم. وعن الكرخي أنه ينظر إلى مقدار المسلم فيه، وإلى عرف الناس في التأجيل في مثله فإن أجل فيه قدر ما يؤجل الناس في مثله جاز، وإلاَّ فلا، والأول أصح وبه يفتي.

(**السادس: أن يكون المسلم فيه مما يقدر على تسليمه وقت المحل ويؤمن فيه وجوده غالباً**) هذا الشرط ليس من خواص السلم، بل يعم كل بيع على ما مرَّ وإنما تعتبر القدرة على التسليم عند وجوب التسليم، وذلك في البيع والسلم الحال في الحال وفي السلم المؤجل عند المحل. (**فلا ينبغي أن يسلم في العنب إلى أجل لا يدرك فيه، وكذا سائر الفواكه**) لو جعل محل الرطب الشتاء، وكذا لو أسلم فيما يتعذر وجوده كلحم الصيد حيث يفر فيه الصيد، وإن كان يغلب على الظن وجوده. ولكن لا يتوصل إلى تحصيله إلا بمشقة عظيمة كالقدر الكثير في وقت الباكورة ففيه وجهان. أقربهما: البطلان لأنه عقد غرر فلا يحتمل فيه معاناة المشاق العظيمة وأقيسهما عند الإمام الصحة لأن التحصيل ممكن وقد التزمه المسلم إليه، ولو أسلم إليه في شيء ببلد لا يوجد فيه مثله ويوجد في غيره. قال في النهاية: إن كان قريباً منه صح وإن كان بعيداً لم يصح، ولو كان المسلم فيه عام الوجود عند المحل فلا بأس بانقطاعه قبله أو بعده، وعند أبي حنيفة عموم الوجود من وقت العقد إلى المحل حتى لو كان منقطعاً بين ذلك لا يجوز، وحدّ الانقطاع عنده أن لا يوجد في الأسواق وإن كان يوجد في البيوت، واحتج الشافعي بالحديث المذكور في أول الباب وهو: أنهم كانوا يسلفون في الثمار السنة والسنتين والثمار لا تبقى هذه المدة بل تنقطع، واحتج أبو حنيفة بما رواه الشيخان من حديث أنس ونصه: « نهي عن بيع الثمرة حتى تزهى. قالوا: وما تزهى؟ قال تحمر » وقال: إذا منع الله الثمرة فبمَ يستحل أحدكم مال أخيه ». وروى الشيخان أيضاً من حديث ابن عمر « نهى عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها نهى البائع والمبتاع » وفي رواية « حتى تبيض وتأمن

كان الغالب وجوده وجاء المحل وعجز عن التسليم بسبب آفة فله أن يمهله إن شاء أو يفسخ ويرجع في رأس المال إن شاء.

السابع: أن يذكر مكان التسليم فيما يختلف الغرض به كي لا يثير ذلك نزاعاً.

العاهة» وهذا النص على أنه لا يجوز في المنقطع في الحال إذ الحديث ورد في السلم، لأن بيع الثمار بشرط القطع جائز لا يمنع أحد بيع مال معين منقطع به في الحال أو في المآل، وقوله: فبم يستحل أحدكم مال أخيه وهو رأس مال السلم يدل عليه لأن احتمال بطلان البيع بهلاك المبيع قبل القبض لا يؤثر في المنع من البيع، ولأن القدرة على التسليم حال وجوبه شرط لجوازه، وفي كل وقت بعد العقد يحتمل وجوبه بموت المسلم إليه لأن الديون تحل بموت من عليه الدين، فيشترط دوام وجوده لتدوم القدرة على التسليم لأن جوازه على خلاف القياس، فيجب الاحتراز فيه عن كل خطر يمكن وقوعه، لأن المحتمل في باب السلم كالواقع، ولان القدرة على التسليم بالتحصيل في المدة، ولا بد من استمرار الوجود فيها ليتمكن من التحصيل. هذا كلام أصحابنا في هذا الشرط.

(**فإن كان الغالب وجوده وقت المحل**) أي لو أسلم في شيء عام الوجود عند المحل (**وعجز عن التسليم بسبب آفة**) عرضت له علم بها انقطاع الجنس لذي المحل، (**فله أن يمهله إن شاء ولا يفسخ**) العقد، (**ويرجع في رأس المال إن شاء**) لتحقق العجز في الحال، وعلى هذا القول يثبت الخيار، وأظهرهما لا. لأنه لم يجيء وقت التسليم، وكذا إذا انقطع عند المحل بجائحة فقولان: أحدهما: ينفسخ العقد كما لو تلف المبيع قبل القبض، وأصحهما وبه قال أبو حنيفة: لا يفسخ لأن المسلم فيه يتعلق بالذمة فأشبه ما إذا فلس المشتري بالثمن لا ينفسخ العقد، ولكن البائع بالخيار لأن العقد ورد على مقدور في الظاهر لعروض الانقطاع كاباق المبيع وذلك لا يقتضي إلا الخيار، وكذا هنا المسلم يتخير بين أن يفسخ العقد أو يصبر إلى وجود المسلم فيه، ولا فرق في جريان القولين بين أن لا يوجد المسلم فيه عند المحل أصلاً، وبين أن يكون موجوداً فلم يستوفِ المسلم إليه حتى ينقطع. وعن بعض الأصحاب أن القولين في الحالة الأولى، أما في الثانية فلا ينفسخ العقد بحال لوجود المسلم فيه وحصول القدرة، فإن أجاز ثم بدا له مكن من الفسخ كزوجة المولى إذا رضيت بالمقام ثم ندمت، وممن قال بفسخ العقد في الصورة الأولى واسترداد ماله للعجز عن تسليمه زفر من أصحابنا ونظره بهلاك المبيع قبل القبض.

(**السابع: أن يذكر مكان التسليم**). اعلم أن السلم إما مؤجل أو حال، أما المؤجل فقد حكي عن نص الشافعي اختلاف في أنه هل يجب تعيين مكان المسلم فيه؟ وانقسم الأصحاب إلى نفاة للخلاف ومثبتين. أما النفاة فعن الشيخ أبي إسحاق المروزي أنه إن جرى العقد في موضع صالح للتسليم فلا حاجة إلى التعيين، وإن جرى في موضع غير صالح فلا بد من التعيين، وحمل النص على الحالين. وعن ابن القاص: أن المسلم فيه إن كان لحمله مؤنة وجب التعيين وإلاَّ فلا، وحمل النص على الحالين، وبهذا قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى وهو اختيار القاضي أبي الطيب فهذان طريقان،

الثامن: أن لا يعلقه بمعين فيقول: من حنطة هذا الزرع أو ثمرة هذا البستان فإن ذلك يبطل كونه ديناً. نعم لو أضاف إلى ثمرة بلد أو قرية كبيرة لم يضر ذلك.

التاسع: أن لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز وجود مثلها،

وأما المثبتون فلهم طرق. أحدها وبه قال صاحب الإفصاح والقاضي أبو حامد: أن المسالة على قولين مطلقاً، والثاني أنه إن لم يكن الموضع صالحاً وجب التعيين لا محالة وإن كان صالحاً فقولان. الثالث: إن لم يكن لحمله مؤنة فلا بدّ من التعيين وإلاّ فقولان، وهذا أصح الطرق عند الإمام. ويروى عن اختيار القفال (**فيما يختلف الغرض به**) من الأمكنة فلا بدّ من التعيين حينئذ (**كيلا يثير ذلك نزاعاً**) كما لو باع بدراهم وفي البلد نقود مختلفة ووجه عدم الاشتراط، وبه قال أحمد القياس على البيع ولا حاجة فيه إلى تعيين مكان التسليم، ووجه الفرق بين الموضع الصالح لاختلاف الأغراض في غيره والفتوى في هذا كله على وجوب التعيين إذا لم يكن الموضع صالحاً أو كان لحمله مؤونة وعدم الاشتراط في غير هاتين الحالتين، ومتى شرطنا التعيين فلو لم يعين فسد العقد، وإن لم نشترطه تعين مكان العقد. وعن أحمد رواية أن هذا الشرط يفسد السلم وإن لم يعين حمل على مكان العقد ولو عين موضعاً للتسليم فخرب وخرج عن صلاحية التسليم فيه ثلاثة أوجه. أقيسها أنه يتعين أقرب موضع صالح قاله النووي، وأما السلم الحال فلا حاجة فيه إلى تعيين مكان التسليم كالبيع ويتعين مكان العقد، لكن لو عين موضعاً آخر جاز بخلاف البيع، لأن السلم يقبل التأجيل فيقبل شرطاً يتضمن تأخير التسليم بالإحضار والأعيان لا تحتمل التأجيل، فلا تحتمل شرطاً يتضمن تأخير التسليم بالاحضار، وحكم الثمن في الذمة حكم المسلم فيه وإن كان معيناً فهو كالبيع. قال في التهذيب: ولا نعني بمكان العقد ذلك الموضع نفسه بل تلك المحلة والله أعلم.

(**الثامن: أن لا يعلقه بعين فيقول من حنطة هذا البيت أو ثمرة هذا البستان فإن ذلك يبطل كونه ديناً**) وبيانه: لو أسلم في حنطة بقعة بعينها أو ثمرة بستان بعينه أو قرية صغيرة لم يجز وعللوه بشيئين. أحدهما: ان تلك البقعة قد تصيبها جائحة فينقطع ثمرته وحنطته فإذا في التعيين خطر لا ضرورة إلى احتماله. والثاني: أن التعيين يضيق مجال التحصيل والمسلم فيه ينبغي أن يكون ديناً مرسلاً في الذمة[1] أداءه (**نعم. لو أضاف إلى ثمرة بلد أو قرية كبيرة لم يضر ذلك**) أي إن أسلم في ثمرة ناحية أو قرية كبيرة نظر إن أفاد تنويعاً كمعقلي البصرة جاز فإنه مع معقلي بغداد صنف واحد، لكن كل واحد منها ممتاز عن الآخر بصفات وخواص فالإضافة إليها تفيد فائدة الأوصاف، وإن لم يفد تنويعاً فوجهان. أحدهما: أنه كتعين المكيال لخلوه عن الفائدة وأصحهما الصحة لأنه لا ينقطع غالباً ولا يتضيق به الحال، والله أعلم.

(**التاسع: أن لا يسلم في شيء نفيس عزيز الوجود مثل درة موصوفة يعز وجود مثلها**) وهذا الشرط أيضاً ذكره الصنف في الوجيز استطراداً، وقد سبق أن السلم فيما يندر وجوده لا يجوز

---

(١) بياض في الأصل.

أو جارية حسناء معها ولدها أو غير ذلك مما لا يقدر عليه غالباً.

العاشر: أن لا يسلم في طعام مهما كان رأس المال طعاماً سواء كان من جنسه أو لم يكن ولا يسلم في نقد إذا كان رأس المال نقداً، وقد ذكرنا هذا في الربا.

لأنه عقد غرر، فلا يحتمل إلا فيما يوثق بتسليمه ثم الشيء قد يكون نادر الوجود من حيث جنسه كلحم الصيد في موضع العزة وقد لا يكون كذلك إلا أنه بحيث إذا ذكرت الأوصاف التي بينا أنه يجب التعرض لها عز وجوده لندرة اجتماعها. وفي هذا القسم صورتان.

احداهما: لا يجوز السلم في اللآلىء واليواقيت والزبرجد والمرجان لأنه لا بدّ فيها من التعرض للحجم والشكل والوزن والصفاء لعظم تفاوت القيمة باختلاف هذه الأوصاف واجتماع المذكور فيها نادر، ويجوز في اللآلىء الصغار إذا عمّ وجودها كيلاً ووزناً، وضابطه أن ما وزنه سدس دينار يجوز السلم فيه قاله أبو محمد الجويني، وهذا الاعتبار تقريب.

والثانية: ما أشار إليه المصنف بقوله: (**أو جارية حسناء معها ولدها أو غير ذلك مما لا يقدر عليه غالباً**) كجارية وأختها أو عمتها أو شاة وسخلتها، فإن السلم فيها لا يجوز لأن اجتماع الجارية الموصوفة بالصفات المشروطة والولد الموصوف بالصفات المشروطة نادر هكذا أطلقه الشافعي وعامة الأصحاب، وفصل الإمام فقال: لا يمتنع ذلك في الزنجية التي لا تكثر صفاتها ويمتنع في السرية التي تكثر صفاتها، ولهذا قيد المصنف الجارية بالحسناء ليخرج الزنجية نظراً إلى تفصيل شيخه وفرعه على أن الصفات التي يجب التعرض لها تختلف باختلاف الجواري، ولم يفصل الأئمة القول فيه لكن في منع السلم اشكال على الإطلاق لأنهم حكوا عن نصه أنه لو شرط كون العبد كاتباً أو الجارية ماشطة جاز، ولمدع أن يدعي ندرة اجتماع صفة الكتابة والمشط مع الصفات التي يجب التعرض لها، بل قضية ما أطلقوه تجويز السلم في عبد وجارية بشرط كون هذا كاتباً وتيك ماشطة، وكما يندركون أحد الرقيقين ولد الآخر مع اجتماع الصفات المشروطة فيهما كذلك يندركون أحدهما كاتباً والآخر ماشطاً مع اجتماع تلك الصفات فليسوّوا بين الصورتين في المنع والتجويز، ولو أسلم في جارية وشرط كونها حاملاً فطريقان. أظهرهما: المنع وعللوا بأن اجتماع الحمل مع الصفات المشروطة نادر، وهذا يؤيد الاشكال الذي ذكرناه، والثاني: وبه قال أبو إسحاق وأبو علي الطبري وابن القطان أنه على قولين بناء على أن الحمل له حكم أم لا. إن قلنا نعم جاز وإلاَّ فلا، لأنه لا يعرف حصوله ولو شرط كون الشاة المسلم فيه لبوناً فقولان منصوصان، وقد ذهب الشيخ أبو حامد إلى ترجيح قول الجواز لكن قضية ترجيح قول الجواز كما في أظهر القولين في صورة الحمل يقتضي ترجيح المنع فيها أيضاً، وبه أجاب صاحب التهذيب والله أعلم.

(**العاشر: أن لا يسلم في طعام مهما كان رأس المال طعاماً سواء كان من جنسه أو لا يكون ولا يسلم في نقد إذا كان**) رأس (**المال نقداً وقد ذكرنا هذا في الربا**) وتقدم الكلام

العقد الرابع: الإجارة:

وله ركنان: الأجرة والمنفعة. فأما العاقد واللفظ فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع

عليه مشروحاً، وهذا الشرط أيضاً ليس من خواص السلم، بل يعم البيوع على ما مرّ ولذا لم يذكروه هنا، وإنما يذكر استطراداً وأما اقتصار المصنف في كتبه على الخمسة فبالنظر إلى هذه الشروط ورأى ما يشترط في البيع وعدّها صاحب المحرر سبعة شروط ستة منها شرط في مطلق السلم وواحدة مخصوصة بالسلم المؤجل زاد عليها المصنف هنا ثلاثة. إحداها الأخيرة وهي من خواص البيوع واثنتان مختلف فيهما على ما مرّ.

العقد الرابع: الاجارة:

وهي بالكسر فعالة مصدر آجر يؤجر إجارة وهي وإن ثبت واشتهر في العقد فهي في اللغة. قالوا: إسم للأجرة وليست بمصدر وهي كراء الأجير، ويقال: الاجارة بالضم أيضاً، ويقال آجرت دار فلان واستأجرتها وهي معاملة صحيحة تورد على منافع مقصودة قابلة للبذل، وجوّز مع كون المنافع معدومة للحاجة الداعية إليه ثم كل عين ظاهرة يمكن الانتفاع بها مع بقاء عينها وإجازة الإباحة في منافعها جاز إجارتها كالدور والأراضي والعبيد والدواب ونحوها. وفي كتب أصحابنا الإجارة هي بيع منفعة معلومة بأجر معلوم، وقيل تمليك المنافع بعوض بخلاف النكاح، فإنه ليس بتمليك، وإنما هو استباحة المنافع بعوض هذا في الشرع وفي اللغة فعالة من آجر فهو آجر ومأجور إسم الأجرة وهي ما أعطي من كراء الأجير، وما يستحق على عمل الخير ولهذا يدعى به يقال آجرك الله وفي الأساس آجرني داره فاستأجرتها وهو مؤجر ولا يقال مؤاجر فإنه خطأ، والأصل في الباب الكتاب والسنة واجماع الأمة. أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿فإن أرضعن لكم فآتوهنّ أجورهنّ﴾ [الطلاق: ٦] وقصة شعيب وموسى عليهما السلام ﴿على أن تأجرني ثماني حجج﴾ [القصص: ٢٧] وشريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم يظهر النسخ، لاسيما إذا نص لنا وجه الانكار، وعند الشافعية فيه قولان احدهما وهو الأصح ان شرع من قبلنا ليس بشرع لنا وإن ورد في شرعنا ما يقرره، وثانيهما: ان شرع من قبلنا شرع لنا إن ورد في شرعنا ما يقرره. وعند المالكية إن شرع من قبلنا شرع لنا إن لم يرد في شرعنا نص عليه بحل أو غيره، وأما السنة فقوله ﷺ: «من استأجر أجيراً فليعلمه أجره». وقوله ﷺ: «أعطوا الأجير أجرته قبل أن يجف عرقه». وأما الاجماع فقد اتفقت الأمة وأجمعت على صحتها من غير إنكار، ولا يضر خلاف ابن كيسان الأصم والقاشاني لأنهما ليسا من أهل عقد وحل، ولأن خلافهما مسبوق باجماع الأمة على صحتها.

(**وله ركنان: الأجرة والمنفعة**) وعبارته في الوجيز وأركان صحتها ثلاثة: الصيغة والأجرة والمنفعة، واقتصر هنا على ذكر الركنين وأشار إلى سبب اقتصاره بقوله: (**فأما العاقد**) يشمل المؤجر والمستأجر (**واللفظ**) أي الصيغة وهي أن يقول: أكريتك الدار أو أجرتك. فيقول: قبلت (**فيعتبر فيه ما ذكرناه في البيع**) أي يعتبر في المؤجر والمستأجر ما يشترط في البائع والمشتري

والأجرة كالثمن، فينبغي أن يكون معلوماً وموصوفاً بكل ما شرطناه في المبيع إن كان عيناً، فإن كان ديناً فينبغي أن يكون معلوم الصفة والقدر، وليحترز فيه عن أمور جرت العادة بها، وذلك مثل كراء الدار بعمارتها فذلك باطل، إذ قدر العمارة مجهول ولو قدر دراهم وشرط على المكتري أن يصرفها إلى العمارة لم يجز لأن عمله في الصرف إلى العمارة مجهول.

ومنها: استئجار السلاخ على أن يأخذ الجلد بعد السلخ، واستئجار حمال الجيف بجلد

لأن المؤجر هو البائع للمنفعة والمستأجر هو المشتري فيشترط فيهما التكليف والرشد ليصح منهما العقد، فلا تصح إجارة الصبي والمجنون والسفيه والمحجور عليه بالفلس، (**والأجرة كالثمن**) خلافاً للأئمة الثلاثة، (**فينبغي أن يكون معلوماً وموصوفاً بكل ما شرطناه في البيع**) لما روي أن النبي ﷺ قال «من استأجر أجيراً فليعلمه أجره» فلو قال: اعمل الأمر الفلاني وأنا أعطيك شيئاً أو أنا أراضيك فسد العقد فالوصف كالثمن، وإذا عمل استحق أجرة المثل هذا (**إن كان عيناً**) حتى يتعجل بمطلق العقد خلافاً لأبي حنيفة ومالك، (**وإن كان ديناً ينبغي أن يكون معلوم الصفة والقدر**). وقال أصحابنا: ما صح ثمناً صح أجرة لأن الأجرة ثمن المنفعة فيعتبر بثمن المبيع، ثم إذا كانت الأجرة عيناً جاز كل عين أن تكون أجرة كما جاز أن يكون بدلاً في البيع، وإن كان موصوفاً في الذمة يجوز أيضاً ما جاز أن يكون ثمناً أو مبيعاً في الذمة كالمعدودات والمذروعات وما لا فلا. ولا فرق بينهما فيه ولا ينافي العكس حتى صح أجرة ما لا يصح ثمناً أيضاً كالمنفعة فإنها لا تصح ثمناً وتصلح أجرة إذا كانت مختلفة الجنس كأشجار سكنى الدار بزراعة الأرض، وإن اتحد جنسها لا يجوز كاستئجار الدار للسكنى بالسكنى، وكاستئجار الأرض للزراعة بزراعة أرض أخرى لأن المنافع معدومة فيكون بيعاً بالنسيئة على ما قالوا فلا يجوز ذلك في الجنس المتحد لأنه يكون كبيع القوهي بالقوهي نسيئة بخلاف مختلفي الجنس على ما قالوا اهـ.

(**ويحذر فيه من أمور جرت العادة**) بين الناس (**بها وهو كراء الدار بعمارتها فذلك باطل**) إذ لو أجر داراً بعمارتها فهو فاسد (**إذ قدر العمارة مجهول ولو قدرت دراهم**) معلومة على أن يعمرها ولا يعرف ما أنفق من الدراهم وكذلك أجرها (**وشرط على المكتري أن يصرفها إلى العمارة لم يجز**) ذلك (**لأن عمله في الصرف إلى العمارة مجهول**) وإن كانت الدراهم معلومة، ثم إذا صرفها رجع بها ولو أطلق العقد ثم أذن له في الصرف إلى العمارة وتبرع به المستأجر جاز، ثم إذا اختلف في قدر ما أنفقه فقولان في أن القول قول من.

(**ومنها استئجار السلاخ**) قبل السلخ (**على أن يأخذ الجلد بعد السلخ**) لأنه لا يعرف حاله في الرقة والثخانة وسائر الصفات، (**و**)منها (**استئجار حمال الجيف بجلد الجيفة**) بعد

الجيفة، واستئجار الطحان بالنخالة أو ببعض الدقيق فهو باطل، وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الأجير فلا يجوز أن يجعل أجرة.

ومنها: أن يقدر في إجارة الدور والحوانيت مبلغ الأجرة، فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر أشهر الاجارة كانت المدة مجهولة ولم تنعقد الإجارة.

الركن الثاني: المنفعة المقصودة بالإجارة وهي العمل وحده إن كل عمل مباح معلوم يلحق العامل فيه كلفة ويتطوع به الغير عن الغير، فيجوز الاستئجار عليه، وجملة

رميها خارج البلد، (و)منها (**استئجار الطحان بالنخالة أو ببعض الدقيق فهو باطل**) لأنه حاصل بعمله بعد تمام العمل، وروي أن النبي ﷺ نهى عن قفيز الطحان، وتفسيره استئجار الطحان على طحن الحنطة بقفيز من دقيقها، وأما النخالة فلأنها مجهولة المقدار، (**وكذلك كل ما يتوقف حصوله وانفصاله على عمل الأجير فلا يجوز أن يجعل أجرة**) كما ذكر في الطحن، ونص الوجيز: ولو استأجر السلاخ بالجلد والطحان بالنخالة أو بصاع من الدقيق فسد للنهي الوارد فيه، ولأنه باع ما هو متصل بملكه فهو كبيع نصف من سهم، ولو شرط للمرتضعة جزءاً من المرتضع الرقيق بعد الفطام، ولقاطف الثمار جزءاً من الثمار المقطوفة فهو أيضاً فاسد، وإن شرط جزءاً من الدقيق في الحال أو من الثمار في الحال، فالقياس صحته وظاهر كلام الأصحاب دال على فساده حتى منعوا استئجار المرضعة على رضيع لها فيه شرط لأن حملها لا يقع على خاص ملك المستأجر.

(**ومنها: أن يقدر في إجارة الدور والحوانيت مبلغ الأجرة، فلو قال لكل شهر دينار ولم يقدر أشهر الإجارة كانت المدة مجهولة، ولم تنعقد الإجارة**). قال أصحابنا: إن أجر داراً كل شهر بدرهم صح في شهر فقط إلا أن يسمي الكل لأن كل إذا دخلت على مجهول وإفراده معلومة انصرف إلى الواحد لكونه معلوماً وفسد في الباقي للجهالة كما إذا باع صبرة من طعام كل قفيز بدرهم، فإنه يجوز في قفيز واحد بكذا كذا هنا، ولا معنى لقول من قال: إن العقد صحيح في الشهر الثاني والثالث لتعامل الناس لأن التعامل مخالف للدليل فلا يعتبر، ثم إذا تم الشهر كان لكل منهما نقض الإجارة لانتهاء العقد الصحيح بشرط أن يكون الآخر حاضراً وإن كان غائباً لا يجوز بالإجماع، وإن استأجر سنة صح وإن لم يسم أجرة كل شهر يعني بعدما سمى الأجرة جملة لأن المنفعة صارت معلومة ببيان المدة والأجرة معلومة فيصح، وإن لم يبين قسط لكل شهر كما إذا استأجر شهراً ولم يبين حصة كل يوم، فإذا صح وجب أن يقسم الأجر على الأشهر على السواء.

(**الركن الثاني: المنفعة المقصودة بالإجارة وهي العمل وحده إن كل عمل مباح يلحق العامل فيه كلفة**) أي مشقة، (**ويتطوع به الغير عن الغير فيجوز الاستئجار عليه**) ولفظ الوجيز: وبالجملة فكل منفعة متقومة معلومة مباحة تلحق العامل فيها كلفة، ويتطوع به الغير عن الغير يصح إيراد العقد عليها أي فهي شرائط خمسة: التقوم وكونها معلومة وكونها مباحة ولحوق

فروع الباب تندرج تحت هذه الرابطة، ولكنا لا نطوّل بشرحها فقد طولنا القول فيها في الفقهيات، وإنما نشير إلى ما تعم به البلوى، فليراع في العمل المستأجر عليه خمسة أمور.

الأوّل: أن يكون متقوماً بأن يكون فيه كلفة وتعب، فلو استأجر طعاماً ليزين به

الكلفة والتطوع عن الغير، وسيأتي تفصيل ذلك قريباً، وشرط أبو حنيفة في الإجارة أن تكون المنفعة معلومة كالأجرة لأن جهالتها تفضي إلى المنازعة وحكم الإجارة وقوع الملك في البدلين ساعة فساعة، لأن المعقود عليه وهي المنفعة معدومة، والقياس أن لا يجوز لما فيها من إضافة العقد إلى ما سيوجد إلا أنها أجيزت للضرورة لشدة الحاجة إليها وهي تنعقد ساعة فساعة على حسب حدوث المنافع والعين المستأجرة أقيمت مقام المنفعة في حق إضافة العقد إليها ليرتبط الإيجاب بالقبول فعمله يظهر في المنفعة ملكاً واستحقاقاً حال وجودها وهذا كالمسلم فيه، فإن الذمة التي هي محل المسلم فيه أقيمت مقام المعقود عليه في حق جواز السلم. وقال الشافعي: تجعل المنافع المعدومة موجودة حكماً ضرورة تصحيح العقد لأن العقد يستدعي محلاً ينعقد فيه إذ الشرع حكم بالانعقاد وهو وصف العقد المنعقد، فحكمنا بوجود المحل لينعقد العقد فيه، وهذا لأن العقد قد لزم واللزوم وصف يثبت بالعقد، فحكمنا بوجود المحل لينعقد العقد فيه فأنزلنا المعدوم موجوداً لذلك. وقال أصحابنا: ارتباط الإيجاب بالقبول صفة الكلامين والمحل يحتاج إليه للحكم، وإنما اشترط وجود المحل عند الارتباط لأن الانعقاد لأجل الحكم فلا بد من تعيين المحل حتى يعمل العقد فيه فجعل الدار خلفاً عن المنفعة في حق إضافة العقد إليها، ثم بعد ذلك عمل هذا اللفظ يتراخى إلى حين وجود المنفعة وحكم العقد وهو الملك يقبل الفصل عن العقد كما في المبيع بشرط الخيار. قالوا: وهذا أولى مما ذهب إليه الشافعي لأنه تغيير أمر حكمي بدليل شرعي وما ذهب إليه قلب الحقائق لأن المنافع معدومة حقيقة والمنفعة لا يتصور وجودها في لحظة فلا يمكن جعلها موجودة حكماً لأن الشرع لا يرد بتقدير المستحيل، ولهذا لو أضاف العقد إلى المنفعة لا يجوز ولو أضافه إلى العين جاز بالإجماع، والله أعلم.

(وجملة فروع هذا الباب تندرج تحت هذه الرابطة لكنا لا نطول بشرحها) هنا، (فقد طولنا القول فيها في الفقهيات) البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة، (وإنما نشير) هنا (إلى ما تعم به البلوى) وتشتد إليه الضرورة، (فلتراع في العمل المستأجر عليه أموراً خمسة) هذا شروع في بيان شرائط المنفعة، وعدّها المصنف في الوجيز خمسة تقدم ذكرها إجمالاً، وهنا تذكر تفصيلاً.

(**الأول: أن يكون متقوماً**) أي ذا قيمة ليحسن بذل المال في مقابلته ولو لم يكن متقوماً لكان بذل المال في مقابلته سفهاً فيمنع منه كما يمنع من شراء ما لا ينتفع به ويكون أيضاً متقوماً (**بأن يكون فيه كلفة وتعب**) أي نوع مشقة، ثم فرع على هذا الشرط فروعاً فقال: (**فلو استأجر طعامه ليزين به الدكان، أو أشجاره ليجفف عليها الثياب**) وكذا الجلوس والوقوف

الدكان أو أشجار ليجفف عليها الثياب، أو دراهم ليزين بها الدكان لم يجز، فإن هذه المنافع تجري مجرى حبة سمسم وحبة برّ من الأعيان وذلك لا يجوز بيعه، وهي كالنظر في مرآة الغير، والشرب من بئره، والاستظلال بجداره، والاقتباس من ناره. ولهذا لو استأجر بياعاً على أن يتكلم بكلمة يروج بها سلعته لم يجز. وما يأخذه البياعون عوضاً عن حشمتهم وجاههم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام، إذ ليس يصدر منهم إلا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها، وإنما يحل لهم ذلك إذا تعبوا بكثرة التردد أو بكثرة الكلام في تأليف أمر المعاملة، ثم لا يستحقون إلا أجرة المثل، فأما ما تواطأ عليه الباعة فهو ظلم وليس مأخوذاً بالحق.

الثاني: أن لا تتضمن الإجارة استيفاء عين مقصودة فلا يجوز إجارة الكرم لارتفاعه

تحتها وفيه وجهان: أصحهما: الجواز عند البعض لكون هذه المنافع مقصودة، (أو) استأجر (دراهم) ودنانير (ليزين بها الدكان) كل ذلك (لم يجز) في أظهر القولين لأنها لا قيمة لها على الأصح، وكذا لا يجوز إعارتها لذلك، ومن ذلك أيضاً ما لو استأجر تفاحة واحدة للشم لأن هذه المنافع (تجري مجرى حبة سمسم أو حبة بر من الأعيان، وذلك لا يجوز بيعها وهي كالنظر في مرآة الغير والشرب من بئره والاستظلال بجداره والاقتباس من ناره)، ثم فرع على قوله فيه كلفة وتعب فقال: (ولهذا لو استأجر بياعاً) أي دلالاً (على أن يتكلم بكلمة) لا تتعب وإن كانت (يروج بها سلعته لم يجز) أي لا تصلح الإجارة عليها إذ لا قيمة للكلمة التي لا تعب فيها (وما يأخذه البياعون عوضاً عن جاههم وحشمتهم وقبول قولهم في ترويج السلع فهو حرام) صرف. (إذ ليس يصدر منهم إلا كلمة لا تعب فيها ولا قيمة لها). وقال محمد بن يحيى تلميذ المصنف في شرح الوسيط: ذلك في البيع المستقر قيمته في البلد كاللحم والخبز وغيرهما، وأما ما يختلف قدر الثمن باختلاف المتعاقدين كالعبيد والثياب، فيجوز الاستئجار عليه لأن مبيعها من البياع والنداء عليها مما يختص بمزيد منفعة وفائدة، وقد يشير إلى هذا سياق المصنف هنا حيث قال:

(وإنما يحل لهم إذا تعبوا إما بكثرة التردّد) ذهاباً ومجيئاً (وإما بكثرة الكلام في تأليف أمر المعاش) مما يروج بها السلع، ولكن بشرط عرض تام على الراغبين لتلك السلعة فلو صاح ونادى وتردد ولم يعلمه الراغب فلا يحل له أخذ الأجرة أيضاً. (ثم لا يستحقون إلا أجرة المثل) لا زيادة، (فأما ما تواطأ عليه الباعة) في الأسواق (فهو ظلم) وتعد، (وليس مأخوذاً بالحق) على الوجه الذي يرضي الحق جل شأنه.

(الثاني: أن لا تتضمن الإجارة استيفاء عين مقصود) وإليه أشار المصنف في الوجيز بقوله: أن تكون المنفعة مقصودة لا بانضمام عين إليها، (فلا يجوز إجارة الكرم لارتفاعه

ولا إجارة المواشي للبنها. ولا إجارة البساتين لثمارها. ويجوز استئجار المرضعة ويكون اللبن تابعاً، لأن إفرازه غير ممكن. وكذا يتسامح بحبر الوراق وخيط الخياط، لأنهما لا يقصدان على حيالهما.

الثالث: أن يكون العمل مقدوراً على تسليمه حساً وشرعاً، فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه، ولا استئجار الأخرس على التعليم ونحوه وما يحرم فعله

والمواشي للبنها) أو نتاجها وصوفها (**وإجارة البساتين لثمارها**) ولفظ الوجيز: أما المتقوم دون العين معناه أن يستأجر عين الكرم والبستان لثمارها والشاة للبنها ونتاجها باطل، فإنه بيع عين قبل الوجود، واستئجار الفحل للضراب فيه خلاف، والأولى المنع لأنه لا يوثق بتسليمه على وجه ينفع. (**ويجوز استئجار المرضعة لإرضاع ولده ويكون اللبن تابعاً لأن إفرازه غير ممكن**) فسومح فيه للحاجة، (**وكذا يسامح بحبر الوراق وخيط الخياط لأنهما لا يقصدان على حيالهما**) ونصه في الوجيز: أما الحبر في حق الوراق والصبغ في حق الصباغ قيل أنه كاللبن في الحضانة أي فيكون فيه خلاف، ويكون الأصح أن الحبر والصبغ يكون على المستأجر لا على الأجير، وقيل: إنه كالخيط أي فنقطع بأنه لا يجب على الوراق الحبر وعلى الصباغ الصبغ، وهذا أشهر الطرق وهذا الفرق هو الذي أشار إليه الإمام وشيخه وتبعه المصنف في كتبه.

(**الثالث: أن يكون العمل مقدوراً على تسليمه حساً وشرعاً**) ويكون المؤجر قادراً على ذلك، وإلا لم يجز بذل المال في مقابلته كما في البيع، وأشار المصنف إلى المعجوز عنه حساً بقوله: (**فلا يصح استئجار الضعيف على عمل لا يقدر عليه ولا استئجار الأخرس على التعليم**) أي تعليم القرآن (**وغيره**) وكذا استئجار من لا يحسن القرآن لقراءة القرآن، فإنه لا يجوز سواء وسع الوقت عليه بحيث يمكنه التعلم قبل التعليم أم لا. لأن المنفعة مستحقة من عينه والعين لا تقبل التأخير، وكذا لا يجوز استئجار الأعمى لحفظ المتاع لعدم قدرته عليه.

ومن فروع هذه المسألة لا تصح إجارة العبد الآبق سواء كان معروفاً مكانه أم لا، واستئجار العبد المغصوب الذي لا يقدر المؤجر ولا المستأجر على انتزاعه من يد الغاصب كما لا يصح بيعها، وأما إذا قدر المستأجر على نزعه من يد الغاصب فصحة الإجارة على الخلاف في صحة بيعه في باب البيع، ولو استأجر قطعة أرض لا ماء لها للزراعة فهو باطل، وإن استأجر للسكون فهو جائز وإن أطلق وكان في محل يتوقع الزراعة كان كالتصريح بالمزارعة، وإن كان الماء متوقعاً ولكن على الندور ففاسد بناء على الحال، وإن كان يعلم وجود الماء فصحيح، وإن كان يغلب وجود الماء بالأمطار فنص أنه فاسد نظراً إلى العجز في الحال، وقيل: إنه صحيح وإن استأجر أرضاً والماء مستو عليها في الحال ولا يعلم انحساره فهو باطل، وإن علم انحساره فهو صحيح إن تقدمت رؤية الأرض أو كان الماء صافياً لا يمنع رؤية الأرض.

فالشرع يمنع من تسليمه كالاستئجار على قلع سن سليمة أو قطع عضو لا يرخص الشرع في قطعه أو استئجار الحائض على كنس المسجد، أو المعلم على تعليم السحر أو الفحش، أو استئجار زوجة الغير على الارضاع دون إذن زوجها، أو استئجار المصوّر على تصوير الحيوانات. أو استئجار الصائغ على صيغة الأواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل.

ومن فروع هذه المسألة إجارة الدار للسنة القابلة فاسدة إذ لا تسلط عليه عقيب العقد مع اعتماد العقد العين خلافاً لمالك وأبي حنيفة، ولو أجره سنة ثم أجر من نفس المستأجر للسنة الثانية فوجهان. ولو قال: استأجرت هذه الدابة لأركبها نصف الطريق واترك النصف إليك قال المزني: هو إجارة إلى الزمان القابل إذ لا يتعين له النصف الأول، وقال غيره: يصح فهو كاستئجار نصف الدابة ونصف الدار، ثم أشار المصنف إلى المعجوز عنه شرعاً بقوله:

(**وما يحرم فعله فالشرع يمنع من تسليمه كالاستئجار على قلع سن سليمة**) أي كما لا يجوز إجارة الأعيان الغائبة التي لم يقدر المؤجر على تسليمها حساً كذلك لا يجوز استئجار جراح لقلع سن صحيحة، (**أو**) على (**قطع عضو**) صحيح (**لا يرخص الشرع في قطعه**) وفي معناه قلع خصية إنسان فإن كل ذلك حرام وممنوع شرعاً، ولو كانت اليد متأكلة والسن وجعة صحت وإن سكن قبل القلع انفسخت الإجارة، (**أو استئجار الحائض**) أو النفساء (**على كنس المسجد**) وخدمته فهو فاسد، لأن تسليمه شرعاً متعذر لتحريم دخولها المسجد إلى أن تطهرا فإن حاضت بعدما استأجرها للكنس انفسخت الإجارة إن وردت على عينها والمدة معينة وإن وردت على الذمة لا تنفسخ لإمكان التفويض إلى الغير أو تكنس بعد أن تطهر، (**أو**) استئجار (**المعلم على تعليم السحر**) والطلسمات وفي معناها الأوفاق والجداول (**والفحش**) وفي معناه الأهاجي والأشعار المشتملة على ذلك لأن الشرع منع عن كل ذلك، (**أو استئجار زوجة الغير على الإرضاع**) أو الحضانة (**دون إذن زوجها**) في أظهر الوجهين لكون أوقاتها مستغرقة بخدمة الزوج وحقوقه فلا تقدر على توفية ما التزمته. والوجه الثاني: يجوز لأن محل الرضاع غير محل النكاح إذ لا حق له في لبنها وخدمتها، وعلى هذا الوجه فللزوج فسخها كيلا يختل حقه، فلو آجرت نفسها للرضاع وغيره وهي غير متزوجة فزوجت في مدة الإجارة فالإجارة بحالها وليس للزوج منعها من توفية ما التزمته، كما لو آجرت نفسها بإذنه ويستمتع بها في أوقات فراغها، وإذا استأجر الولي امرأة للإرضاع فهل له منع زوجها من وطئها أم لا ؟ فوجهان. أحدهما: نعم لأنه ربما تحبل فينقطع اللبن أو ينقص أو يضر الطفل[1] وبه أجاب العراقيون لأن الحبل موهوم فلا يمنع الوطء المستحق بالموهوم، وإذا منع الزوج من الوطء فلا نفقة عليه في تلك المدة. (**أو استئجار المصور على صور الحيوانات**) لأنه ممنوع شرعاً، (**أو استئجار الصائغ على صيغة الأواني من الذهب والفضة فكل ذلك باطل**) أبطله الشرع، فالمعجوز عنه شرعاً معجوز عنه حساً وأشار إلى فروع قوله حاصلاً للمستأجر بقوله.

---

(١) هكذا بالنسخ ولعل هنا سقطا اهـ مصححه.

الرابع: أن لا يكون العمل واجباً على الأجير ولا يكون بحيث لا تجري النيابة فيه عن المستأجر. فلا يجوز أخذ الأجرة على الجهاد ولا على سائر العبادات التي لا نيابة فيها إذ لا يقع ذلك عن المستأجر. ويجوز عن الحج وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز. وفي أخذ الأجرة على إمامة صلاة التراويح وعلى الأذان وعلى التصدي

(الرابع: أن لا يكون العمل واجباً على الأجير ولا يكون بحيث لا تجري النيابة فيها عن المستأجر) أي الشرط في الإجارة أن تكون المنفعة حاصلة للمستأجر، **(فلا يجوز أخذ الأجرة على الجهاد وعلى سائر العبادات التي لا نيابة فيها)** أي لا تجري النيابة فيها **(إذ لا يقع ذلك عن المستأجر)** بل للأجير، اعلم أنه لا يجوز الاستئجار للعبادة التي لا اعتبار بها الا بالنية كالصوم والصلاة إذ لا تدخل فيها النيابة فما لا تدخل فيه النيابة لا تصح الإجارة عليها، لأن الاستئجار إنابة خاصة ثم ما لا يعتد بالنية فيه إما من فروض الكفايات، وإما من الشعائر، اما فروض الكفايات فأنواع: منها الجهاد فمتن المحرر مشعر بأنه قابل للنيابة، ويجوز الاستئجار له، لكن الأصح أنه لا يصح استئجار المسلم له لأنه مكلف بالجهاد والذب عن الملة الحنيفية فيقع عنه، وهذا هو الذي مشى عليه المصنف هنا. وفي الوجيز: وللإمام استئجار أهل الذمة للجهاد في وجه إذ لا يقع لهم.

(ويجوز عن الحج) أي ويستثنى من العبادة التي لا اعتداد بها الا بالنية أمور: منها الحج فإنه يجوز النيابة فيه والاستئجار وقد تقدم في بابه، **(وغسل الميت وحفر القبور ودفن الموتى وحمل الجنائز)** أي: وكذا يجوز الاستئجار لهذه الأمور فإنها تجري فيها النيابة والإجارة لأنها أولاً تتعلق بشخص كالوارث أو بمحل كالتركة، ثم له أن يأمر غيره إن عجز بنفسه، وكذلك مؤنات هذه المذكورات تتعلق بمال الميت، فإن لم يكن له مال أصلاً أو له مال ولا وفاء فيه، فحينئذ يجب على الناس القيام بها إن لم يكن في بيت المال شيء، فحينئذ يجوز الاستئجار عليه لأن الأجير غير مقصود بفعله حتى يقع عنه.

وأما القسم الثاني الذي هو من الشعائر فقد أشار إليه المصنف بقوله: **(وفي أخذ الأجرة على إمامة صلاة التراويح وعلى الأذان وعلى التصدير للتدريس أو إقراء القرآن خلاف)** ونصه في الوجيز: واستئجار الإمام على الأذان جائز، وقيل: إنه ممنوع كالجهاد، وقيل: إنه يجوز لآحاد الناس وهو الأصح ليحصل للمستأجر فائدة معرفة الوقت، ولا يجوز الاستئجار على إمامة الصلاة الفريضة وفي إمامة التراويح خلاف والأصح منعه اهـ.

إعلم أن المذهب جواز الاستئجار على الأذان لكن المؤذن في مقابلة أي شيء يأخذ الأجرة فيه وجوه. أحدها: أنه يأخذها على رعاية المواقيت، والثاني: على رفع الصوت، والثالث: على الحيعلتين فإنهما ليسا من الأذكار، والأصح أنه يأخذها على المجموع ولا بعد على استحقاق الأجر على ذكر الله كما لا يبعد في تعليم القرآن، وأما الإمامة للصلوات المفروضة فإن الاستئجار لها ممنوع إذ

للتدريس وإقراء القرآن خلاف. أما الاستئجار على تعليم مسألة بعينها أو تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح.

لا بد لكل مكلف من إقامة الصلاة، وفي الاستئجار للتراويح وسائر النوافل وجهان. أصحهما: المنع لأن الإمام مصل لنفسه ومهما يصلي يقتدي به من يشاء وإن لم ينو الإمامة، ومن جوزه ألحقه بالأذان ليتأدى الشعار، ومن ذلك أن الاستئجار للقضاء لا يصح لأن المتصدي للقضاء يتعلق بعمله أمر الناس عامة، ولأن عمله غير مضبوط، وأما الاستئجار للتدريس فقد أطلقوا المنع فيه، ولكن الظاهر ان إطلاقهم في التدريس العام لأن عمله غير عام وهو من فروض الكفاية.

(وأما الاستئجار على تعليم مسألة بعينها أو تعليم سورة بعينها لشخص معين فصحيح) . قال الإمام في النهاية: لو عين شخصاً أو جماعة لتعليمهم مسألة أو مسائل مضبوطة فهو جائز. قال: والذي ذكره الأصحاب من منع الاستئجار على التدريس محمول على ما إذا استأجر رجلاً مدرساً حتى يتصدى للتدريس إقامة لعلم الشريعة من غير أن يعين له من يعلمه، فهذا امتنع بسبب أنه تصدى للأمر العام المفروض على الكفاية فكأنه بمثابة الجهاد، ولو فرضنا استئجار مقريء على هذه الصورة لكان ممتنعاً كما يمتنع استئجار المدرّس قال: وفي النفس من الاستئجار على التدريس شيء من جهة أنه يشابه الأذان إذ الغرض من كل منهما راجع إلى الناس عموماً وليس في امتياز معنى الأذان بالفرضية زيادة فقه، وامتناع الاستئجار على الجهاد إنما كان لنزوله على أهل الاستمكان نزولاً عاماً ولا متعلق له إلا الذب عن حريم الإسلام، والتدريس وإن كان يعم من وجه فهو من جهة التعلق بمن يتعلق خاص إذ على كل أحد أن يتعلم في نفسه ما يجب عليه كما يجب على كل أحد أن يعتني بمعرفة أوقات الصلاة، والمؤذن يكفي الناس ذلك فإن صار صائر إلى تجويز الاستئجار على التدريس فلا بد من إعلام على التحقيق، فإن الأذان بين في نفسه هذا كله كلام الإمام.

وأما تعلم القرآن فهو من فروض الكفايات ونفعه راجع إلى المتعلم، فيجوز الاستئجار عليه فإن كل واحد يجب عليه أن يتعلم مقداراً من القرآن تصح به صلاته من الفاتحة، فلو استأجر من يعلمه لصح لأن نفعه راجع إليه، وأما الزائد على قدر الواجب فلا نزاع في جواز الاستئجار عليه لأنه حينئذ من الشعائر التي لا تجب النية فيها، وإذا استأجر لتعليم القرآن فيقدر التعليم بالمدة كأن يقال: استأجرتك شهراً لتعلمني القرآن، أو بتعيين السورة كأن يقال: استأجرتك لتعلمني سورة كذا أو عشر كذا أو آية كذا، وقيل في الصورة الأولى أنه لا يكفي ذكر المدة بل لا بد من تعيين السورة أو الآيات لتفاوتها في التعليم والحفظ سهولة وصعوبة، وفيه وجه أنه لا يكفي ذكر المدة بل لا بد من تعيين السورة، وإذا ذكر عشر آيات كفى، وفي المهذب وجه أنه لا بد من تعيين السورة لكن يكفي إطلاق العشر فحصل في تعيين الآيات ثلاثة أوجه: التعيين وعدمه والثالث الفرق بين تعيين السورة. قال الإمام: كنت أود أن لا يصح الاستئجار للتعليم حتى يختبر حفظ المتعلم كما لا تصح إجارة الدابة للركوب حتى يعرف حال الراكب، لكن ظاهر كلام الأصحاب أنه

الخامس: أن يكون العمل والمنفعة معلوماً، **فالخياط يعرف عمله بالثوب. والمعلم يعرف** عمله بتعيين السورة ومقدارها. **وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول وبمقدار**

لا يشترط، وإنما يصح الاستئجار لتعليم القرآن إذا كان من يعلمه مسلماً أو كافراً يرجى إسلامه، فإن كان لا يرجى لم يعلم له القرآن كما لا يباع المصحف من الكافر.

(**الخامس: أن يكون العمل والمنفعة معلوماً**) أي يشترط في المنفعة المعقود عليها أن تكون معلومة عيناً وقدراً وصفة في الإجارة العينية، وعلم العين إما بالمشاهدة أو بالوصف السلمي، وأما القدر فالشهر أو اليوم أو بمدة عمل فإن منافع المستأجر تارة بالزمان وتارة بالمكان وتارة بمحل العمل، وتفصيله في الآدمي والأراضي والدواب.

أما الآدمي إن استؤجر لصنعة عرف بالزمان أو بمحل العقد أشار إليه المصنف فقال: (**فالخياط يعرف عمله بالثوب**) أي يستأجر الخياط يوماً أو لخياطة ثوب معين، فلو قال: استأجرتك لتخيط هذا القميص في هذا اليوم فسد لأنه ربما يتم العمل قبل اليوم أو بعده، (**والمعلم يعرف علمه بنفس السورة ومقدارها**) أو بالزمان، وهذا قد ذكر تفصيله قريباً وفيه فرعان.

الأول: إذا كان المستأجر على تعليمه يتعلم شيئاً بعد شيء ثم ينساه فهل على الأجير إعادة التعليم فيه أوجه. أحدها: أن تعلم آية ثم نسيها لم يجب تعليمها. ثانياً: وإن تعلم دون آية ونسي وجب. والثاني: أن الاعتبار بالسورة، والثالث: إن نسي في المجلس وجب إعادته وإن نسي بعده فلا، والرابع: أن الرجوع فيه إلى العرف الغالب وهو الأصح.

الثاني: عن القاضي حسين في فتاويه أن الاستئجار لقراءة القرآن على رأس القبر مدة جائز كالاستئجار للأذان وتعليم القرآن. قال الشيخ أبو محمد في الكبير: واعلم أن عود المنفعة إلى المستأجر شرط في الإجارة كما تقدم، فيجب عود المنفعة في هذه الإجارة إلى المستأجر أو ميته، لكن لا ينتفع بأن يقرأ الغير.

فإن قلت: هذا ممنوع فإن المستأجر ينتفع بالسماع من الغير، فإن الشخص يتدبر في معنى قراءة غيره أكثر مما يتدبر في معنى قراءة نفسه، ويلتذ بقراءة غيره كما يلتذ بقراءة نفسه بل أولى، وخصوصاً إذا كان القارئ حسن الصوت حسن الأداء، فإن الالتذاذ بذلك أكثر. قال: فالوجه تنزيل الاستئجار على صورة انتفاع الميت بالقراءة وذكروا له طريقتين. أحدهما: يدعو للميت عقيب القراءة، فإن الدعاء يلحق الميت وينفعه والدعاء بعد القراءة أقرب إلى الإجابة وأكثر بركة، والثاني: ذكر الشيخ عبد الكريم الشالوثي أنه إن نوى القارئ بقراءته أن ثوابها للميت لم يلحقه، لكن لو قرأ ثم جعل ما حصل من الأجر له فهذا مجعول ذلك الأجر للميت فينتفع الميت.

قلت: إن كانت القراءة على القبر فيستحق الأجر وينتفع الميت بالقراءة ويخفف عنه العذاب بذلك إن كان من أهل العذاب، ولا شك أن القارئ بقراءته قصر الميت دون نفسه، فلا بد من

المسافة، وكل ما يثير خصومة في العادة فلا يجوز إهماله. وتفصيل ذلك يطول. وإنما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الأحكام ويتفطن به لمواقع الإشكال، فيسأل فإن الاستقصاء شأن المفتي لا شأن العوام.

حصول الفائدة للميت دون نفسه، وإن كان العمل بدنياً فإن ترتب الثواب وترتبه مبني على خلوص النية، وأما قول الشيخ عبد الكريم فينتفع الميت إن أراد به أن ذلك الثواب يحصل مثل ذلك للميت وينتقل إليه بإهدائه له، فهذا مبني على صحة انتقال المعاني من نفس إلى نفس أخرى، فإن قلنا بصحته فذلك وإلا فإن أراد أنه يجعله له يحصل مثل ذلك للميت مع بقاء ذلك للقارى، فهذا أيضاً ممكن موجه ورحمة الله واسعة.

وأما الدواب، فقد أشار إليه المصنف بقوله: (**وحمل الدواب يعرف بمقدار المحمول والمسافة**) قال في الوجيز: أما الدواب فإن استؤجر للركوب عرف الأجير الراكب برؤية شخصه أو سماع صفته في الضخامة والنحافة ليعرف وزنه تخميناً ويعرف المحمل بالصفة في السعة والضيق بالوزن، فإن ذكر الوزن دون الصفة أو بالعكس ففيه خلاف، ويعرف تفاصيل المعاليق فإن شرط المعاليق مطلقاً فهو فاسد على النص لتفاوت الناس فيه خلافاً لأبي حنيفة ومالك، والمستأجر يعرف الدابة برؤيتها أو بوصفها إن أورد الإجارة على الذمة أهي فرس أم بغل أم ناقة أم حمار. وفي ذكر كيفية السير من كونه مهملجاً أو بحراً خلاف، ويعرف تفصيل السير والسرى ومقدار المنازل ومحل النزول أهو القرى أم الصحراء إذ لم يكن للعرف فيه ضبط، فإن كان فالعرف متبع، وإن استؤجر للحمل فيعرف قدره بالتحقيق إن كان حاضراً وإن كان غائباً فيتحقق الوزن بخلاف الراكب، وإن كان في الذمة فلا يشترط وصف معرفة الدابة إلا إذا كان المنقول زجاجاً أو يختلف الغرض بصفات الدابة، (**وكل ما يظن من خصومة في العادة فلا يجوز إهمالها**).

وأما الأراضي، فلم يذكرها المصنف هنا، ونصه في الوجيز: أما الأراضي فما يطلب للسكون يرى المستأجر مواضع الغرض فينظر في الحمام إلى البيوت وبئر الماء وبسط الثياب والأتون والوقود ويعرف قدر المنفعة بالمدة، وإن آجر سنة فذاك وإن زاد فالأصح أنه جائز ولا ضبط، ولو قال: آجرتك الأرض ولم يعين للبناء والزراعة والغراس لم يجز فإنه مجهول، ولو قال: لتنتفع به ما شئت جاز، ولو قال: آجرتك للزراعة ولم يذكر ما يزرع ففيه خلاف لأن التفاوت فيه قريب، ولو قال: أكريتك ان شئت فازرعها وإن شئت فاغرسها جاز على الأصح ويتخير كما لو قال: انتفع ما شئت، ولو قال: أكريتك فازرعها واغرسها ولم يذكر القدر فهو فاسد، وقيل: إنه ينزل على النصف، ولو اكترى الأرض للبناء وجب تعريف عرض البناء وموضعه وفي تعريف ارتفاعه خلاف، (**وتفصيل ذلك يطول وإنما ذكرنا هذا القدر ليعرف به جليات الأحكام ويتفطن به لمواقع الإشكال فيسأل**) أهل العلم بذلك (**فإن الاستقصاء**) في المسائل (**شأن المفتي**) المتصدي لذلك (**لا شأن العوام**) فإنهم يكتفون بجليات الأحكام بمقتضى استعداداتهم والله أعلم.

العقد الخامس: القراض: وليراع فيه ثلاثة أركان:

العقد الخامس: القراض

هو والمضاربة لفظان يستعملان في عرف الفقهاء في عقد، وهو أن يدفع إنسان مالاً إلى غيره ليتجر فيه على أن يكون الربح بينهما على حسب ما يشترط، والمشهور أن القراض لغة أهل الحجاز مأخوذ من القرض وهو القطع سمي به لأن المالك اقتطع قطعة من ماله ودفعها إلى العامل، أو من المقارضة وهي الموازنة من قارض الشاعر الشاعر إذا وازن كل واحد صاحبه بشعره، فالمالك مقارض والعامل مقارض، والمضاربة لغة أهل العراق وسمي هذا العقد مضاربة إما لأن كل واحد منهما يضرب في الربح بسهم، وإما لما فيه من الضرب بالمال والتقليب، واحتجوا لهذا العقد بإجماع الصحابة رضوان الله عليهم، ولا بدّ للإجماع من سند وسنده أنهم في زمانه ﷺ وبعده رأوا هذه المعاملة شائعة بين المعاملين وتحققوا التقرير عليها شرعاً، وأجمعوا على ذلك فصار مجمعاً عليه، وذكر الشافعي من اختلاف العراقيين أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى روى عن حميد بن عبد الله بن عبيد الأنصاري عن أبيه عن جده أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعطى مال يتيم مضاربة فكانت تعمل به في العراق، وروي أنّ عبد الله وعبيد الله ابني عمر بن الخطاب لقيا أبا موسى بالبصرة في منصرفهما من غزوة نهاوند فتسلفا منه مالاً وابتاعا به متاعاً وقدما المدينة فباعاه وربحا فيه، فأراد عمر رضي الله عنه أخذ رأس المال والربح كله، فقالا: لو تلف كان ضمانه علينا فكيف لا يكون ربحه لنا؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين لو جعلته قراضاً، فقال: قد جعلته وأخذ منهما ربح النصف، فكلام عبد الرحمن مشعر بأن القراض كان مشهوراً بينهم. قال الشيخ: وأظهر ما ذكره الأصحاب في مجمل القصة ما قاله ابن سريج أن ما جرى كان قرضاً صحيحاً، وكان الربح ورأس المال لهما، لكن عمر رضي الله عنه استنزلهما عن بعض الربح واستطاب أنفسهما ولم يخالفاه، كما استطاب رسول الله ﷺ أنفس الغانمين عن سبايا هوازن لما أراد ردّها عليهم بعد قسمتها وجريان ملك الغانمين فيها. وقال العلماء: ما جرى كان قرضاً فاسداً لأن أبا موسى شرط عليهما رد المال بالمدينة، فكان قرضاً جرَّ منفعة، فيمكن أنهما اشتريا الأمتعة بعين رأس المال، ويمكن أنهما اشتريا الامتعة في الذمة، فالملك مع الربح لهما، لكن لما انفقا مال بيت المال في أثمان الأمتعة رأى عمر استطابة أنفسهما عن بعض الربح. وعن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه أن عثمان رضي الله عنه أعطاه مالاً مقارضة، وأيضاً عن علي وابن مسعود وابن عباس وجابر وحكيم بن حزام رضي الله عنهم تجويز المضاربة، وأيضاً فإن السنّة النبوية وردت ظاهرة في المساقاة، وإنما جوّزت المساقاة من حيث الحاجة من حيث أن مالك النخيل قد لا يحسن تعهدها وقد لا يتفرغ ومن لا يحسن العمل قد لا يملك ما يعمل فيه، وهذا المعنى لما كان موجوداً في القراض قاسوه عليها وأجازوها، وهذا المجموع مع شهرة ذلك بينهم يصلح أن يكون سنداً للإجماع وسبباً لإجماعهم وتلقي الأمة بالقبول دليل واضح على الإجماع هذا تقرير كلام أصحاب الشافعي رضي الله عنه.

الركن الأول: رأس المال: وشرطه أن يكون نقداً معلوماً مسلماً إلى العامل فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض، فإن التجارة تضيق فيه. ولا يجوز على

وقال أصحابنا: المضاربة شركة بمال من جانب وعمل من جانب، والمراد بالشركة الشركة في الربح حتى لو شرطا فيها الربح لأحدهما لا تكون مضاربة. وقيل: هي عبارة عن دفع المال إلى غيره ليتصرف فيه ويكون الربح بينهما على ما شرطا، فيكون الربح لرب المال بسبب ماله لأنه نماء ملكه وللمضارب باعتبار أنه تسبب لوجود الربح وهي مفاعلة من الضرب في الأرض وهو السير. قال الله تعالى: ﴿وآخرون يضربون في الأرض﴾ [المزمل: ٢٠] يعني الذي يسافرون للتجارة وسمي هذا العقد بها لأن الضارب يسير في الأرض غالباً لطلب الربح، ولهذا قال الله تعالى: ﴿يبتغون من فضل الله﴾ [المزمل: ٢٠] وهو الربح، وأهل الحجاز يسمون هذا العقد مقارضة وهو من القرض لأن صاحب المال يقطع قدراً من ماله ويسلمه للعامل، وأصحابنا اختاروا لفظ المضاربة موافقة لما تلونا من نظم الآية. وهي مشروعة لشدة الحاجة إليها من الجانبين، فإن من الناس من هو صاحب مال ولا يهتدي إلى التصرف، ومنهم من هو بالعكس فشرعت لتنتظم مصالحهم، فإنه ﷺ بعث والناس يتعاملونه فقررهم عليها وتعاملتها الصحابة. ألا ترى أن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه كان إذا بعث مالاً مضاربة شرط عليه أن لا يسلك به بحراً، وأن لا ينزل وادياً ولا يشتري ذات كبد رطب، فإن فعل ذلك ضمن، فبلغ رسول الله ﷺ فاستحسنه فصارت مشروعة بالسنّة والإجماع اهـ.

(**وفيه ثلاث أركان**) أي أركان صحته ثلاثة ونص الوجيز ستة وزاد على الثلاثة الصيغة والعاقدين وسيأتي الكلام على ذلك.

(**الركن الأوّل: المال: وشرطه أن يكون نقداً معلوماً مسلماً إلى العامل**) ولفظ الوجيز: وشرائطه أربعة وهي أن يكون نقداً معيناً معلوماً مسلماً، وهكذا هو في المحرر، ثم أشار إلى محترزات القيود فقال: (**فلا يجوز القراض على الفلوس ولا على العروض فإن التجارة تضيق فيه**) أي يشترط في المال المدفوع إلى العامل في القراض أن يكون نقداً وهو الدراهم والدنانير المضروبة، وذلك لمعنيين: أحدهما: أن القراض عقد معاملة مشتملة على الغرر لكون العمل فيه غير مضبوط والربح غير موثوق به، وإنما جوّزت للحاجة فيختص بما يسهل التجارة به وهو النقدان، والثاني: ان النقدين ثمنان لا يختلفان بالأزمنة والأمكنة إلا قليلاً ولا يقوّمان بغيرهما وغيرهما يقوّم بهما، والعروض تختلف قيمتها فلو جعل العروض رأس مال يلزم أحد الأمرين إما أخذ المالك جميع الربح، أو أخذ العامل بعض رأس المال فبقيد النقدية احترز عن التبر والحلى وكل ما ليس بمضروب لأنها مختلفة القيمة كالعروض، والعروض لا يجوز القراض بها لما ذكرنا من اختلاف قيمتها، ولأنه لو جعل العروض والحلى والتبر رأس مال لوجب وقت الرد ردّ مثله إن شرط ذلك أو ردّ قيمته، فربما لا يوجد مثل ذلك أو يوجد لكن بقيمة أرفع فيحتاج العامل إلى صرف جميع ما معه في تحصيل رأس المال، فيذهب الربح ورأس المال، وإن شرط رد القيمة فلا يجوز قيمة يوم

....

المفاصلة لأنه لدى العقد غير معلوم، ولأنه قد تكون قيمته حال العقد درهماً ووقت المفاصلة عشرة أو بالعكس، فيؤدي إما إلى ضرر المالك أو ضرر العامل، ولا يجوز على الدراهم والدنانير المغشوشة لأنها نقد وعرض. وحكى الإمام وجهاً أنه يجوز القراض على المغشوش إعتباراً برواجه، وادعى الوفاق على امتناع القراض على الفلوس، لكن صاحب التتمة ذكر فيها الخلاف أيضاً، وعلم في الوجيز على قوله: ولا على الدراهم المغشوشة بالحاء والواو اشارة إلى خلاف أبي حنيفة، والوجه الذي قدمناه عن الإمام، قال شارح المحرر، قال أبو حنيفة: يجوز على المغشوش إذا لم يكن الغش أكثر، وعلى قياس قوله: إن كـان لـدى الصفة قدر الغش في المغشوش معلوماً، وقدر الخالص أيضاً كذلك لا بأس.

قلت: وهذا الذي نسبه إلى أبي حنيفة هو قول لمحمد، وأمّا عند أبي حنيفة إنما يصح المضاربة بما تصح به الشركة وهي الدراهم والدنانير لا غير، ووافقه أبو يوسف.

وقال ابن أبي ليلى: تصح المضاربة في المكيل والموزون لأنها من ذوات الأمثال فيمكن تقدير رأس المال بمثل المقبوض. وقال مالك: تجوز بالعروض لأنها متقوّمة يستربح عليها بالتجارة عادة كالنقدين فيما هو المقصود بالمضاربة، وأمكن تقدير رأس المال بالقيمة إذ هي متقوّمة، ولهذا تبقى المضاربة عليها، فكذا يجوز الابتداء بها، ولنا أنه ﷺ نهى عن ربح ما لم يضمن، والمضاربة بغير النقود تؤدي إليه لأنها أمانة في يد المضارب، وربما زادت قيمتها بعد الشراء فإذا باعها شركه في الربح فحصل ربح ما لم يضمن إذ المضارب يستحق نصيبه من غير أن يدخل شيء في ضمـانهٔ بخلاف النقود: فإنها عند الشراء بها يجب الثمن في ذمته لأنها لا تتعين بالتعيين فما يحصل له بذلك فهو ربح ما ضمن والمكيل والموزون عروض. ألا ترى أنها تتعين بالتعيين كأوّل تصرف يكون فيها بيع، وقد يحصل بهذا البيع ربح بأن يبيعه ثم يرخص سعره بعد ذلك فيظهر ربحه بدون الشراء، فيكون هذا استئجاراً على البيع بأجرة مجهولة فيكون باطلاً كما في العرض، ولو دفع إليه عرضاً وقال: بعه واعمل بثمنه مضاربة جاز. وقال الشافعي: لا يجوز لأن فيه إضافة عقد المضاربة إلى ما بعد البيع وقبض الثمن، ولنا أنه وكله ببيع العروض أولاً وهو كبيعه بنفسه، ثم عقد المضاربة على الثمن المقبوض وهو كالمقبوض في يده فوجب القول بجوازه، كما إذا قال له: بع هذا العبد واشتر بثمنه هذا العبد لأن المضاربة ليس فيها إلا توكيل وإجارة، وكل ذلك قابل للإضافة على الانفراد، فكذا عند الاجتماع وهذا لما عرف أن الإضافة إلى الزمان المستقبل غير التعليق بالشرط. ألا ترى أن الإضافة سبب للحال دون التعليق، ولو دفع إليه العرض على أن قيمته ألف درهم مثلاً ويكون ذلك رأس المال فهو باطل لأن القيمة تختلف باختلاف المقوّمين فلا يمكن ضبطها فلا يصلح رأس المال والله أعلم.

قال المصنف في الوجيز: واحترزنا بالمعين عن القراض على دين في الذمة ولو عين وأبهم وقال:

صرة من الدراهم، لأن قدر الربح لا يتبين فيه، ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز لأن فيه تضييق طريق التجارة.

قارضتك على أحد هذين الالفين والآخر عندك وديعة وهما في كيسين متميزين ففيه جهان، ولو كان النقد وديعة في يده أو غصباً وتقارضا عليه صح، وفي انقطاع ضمان الغصب خلاف اهـ.

وقال صاحب المحرر: الشرط الثالث أن يكون المال المدفوع إليه معيناً، فلو قارض على دراهم غير معينة ثم أحضرها في المجلس وعينها حكى الإمام عن القاضي القطع بالجواز كما في الصرف ورأس مال السلم، وأورد صاحب التهذيب المنع وهو ظاهر مفهوم المحرر، فلا يجوز أن يقارض المال مع العامل بدين له في ذمة الغير لأنـا إذا لم نجوز القراض على العروض لعسر التجارة والتصرف فيها، ففي الدين أولى بالمنع لأنه أعسر من العروض، فلو قبض العامل وتصرف فيه لم يستحق الربح المشروط بل الجميع لمالك وللعامل أجر مثل التصرف، وكذا لا يجوز أن يقارض صاحب الدين المديون لأنه إذا لم يصح والدين على الغير فلان لا يصح والدين عليه كان أولى لأن المأمور لو استوفى ما على غيره يملكه الآمر وصح القبض وما على المأمور لا يصير للمالك بعزله من ماله وقبضه للآمر.

فصل

وقال أصحابنا: ولو قال له اقبض ديني من فلان واعمل مضاربة جاز لأن هذا توكيل بالقبض وإضافة للمضاربة إلى ما بعد قبض الدين، وذلك جائز بخلاف ما إذا قال: اعمل بالدين الذي لي عليك حيث لا تجوز المضاربة لأن المضاربة توكيل بالشراء والتوكيل بالشراء بدين في ذمة الوكيل لا يصح حتى يعين البائع المبيع عند أبي حنيفة قبل التوكيل بالكلية حتى لو اشترى كان للمأمور، فكذا لا يصح التوكيل بقبض ما في ذمة نفسه فلا تتصوّر المضاربة فيه، وعند أبي يوسف ومحمد يصح التوكيل بالشراء بما في ذمة الوكيل من غير تعيين ما ذكرنا حتى يكون مشترياً للآمر، لكن المشتري عروض فلا تصح المضاربة بها على ما بينا والله أعلم.

وأشار إلى المحترز من قيد المعلوم بقوله: (**ولا يجوز على صرة من الدراهم**) أي يشترط في القراض أن يكون رأس المال معلوماً للمالك والعامل لدى العقد، فلـو قارض على صورة مجهولة القدر من الدراهم لم يجز، (**لأن قدر الربح لا يتبين فيها**) فجهل رأس المال يؤدي إلى جهل الربح، وهذا بخلاف رأس مال السلم فإنه يجوز أن يكون مجهولاً على أحد القولين، لأن السلم لا يعقد للفسخ، وأشار إلى المحترز من قيد المسلم بقوله: (**ولو شرط المالك اليد لنفسه لم يجز**) أي يشترط في القراض أن يكون رأس المال مسلماً إلى العامل، ويكون العامل مستقلاً باليد عليه والتصرف فيه فلا يجوز أن يشترط المالك أن يكون رأس مال القراض عنده وهو يوفي الثمن منه إذا اشترى العامل شيئاً، أو شرط أن يراجعه العامل في التصرفات، أو يراجع مشرفاً أشرفه عليه المالك فإن شرط هذه الشروط فسد القراض (**لأنه يضيق طريق التجارة**) لأنه قد لا يجد المالك

والمشرف لدى الحاجة أولا يساعده على رأيه فيضيق الأمر على العامل والقراض شرع لتمهيد طرق التجارة وتوسيعها، ولو شرط أن يعمل معه غلام المالك جاز على أصح الوجهين، وقيل: قولين لأن العبد ماله يدخل تحت اليد ولمالكه اعارته وإجارته، فإذا ضمه إلى العامل فقد جعله معيناً وخادماً له فتصرفه يقع للعامل تبعاً لتصرفه، والثاني :لأن يده يد سيده فكما لو شرط عمل نفسه في موضع الخلاف ما إذا لم يصرح بحجر العامل، فأما إذا شرط أن يعمل معه غلامه ولا يتصرف هو دونه أو يكون بعض المال في يده والبعض في يد الغلام فذلك فاسد لا محالة، وإذا كان ما شرط عمل الغلام ولكن شرط أن يكون الربح أثلاثاً فهو جائز فكأنه شرط أن يكون الثلثان له والثلث للعامل نص عليه في المختصر.

فصل

قال أصحابنا :ويدفع المال إلى المضارب، ولا بد له من ذلك لأن المضاربة فيها معنى الإجارة لأن ما يأخذه مقابل بعمله والمال محل العمل فيجب تسليمه كالإجارة الحقيقيه، ولأن المال أمانة في يده فلا يتم إلا بالتسليم كالوديعة، وهذا بخلاف الشركة حيث لا يشترط فيها تسليم المال إلى الآخر لأن الشركة انعقدت على العمل منهما فشرط[1] يدرب المال فيها يخرج العقد من أن يكون شركة ولا كذلك المضاربة، لأن المال فيها من أحد الجانبين والعمل من الآخر، فلا بدّ من تسليم المال إلى العامل وتخليصه له ليتمكن من العمل والتصرف فيه، وشرط العمل على رب المال ينافي ذلك فلا يجوز سواء كان المال عاقداً أو غير عاقد كالصغير والمعتوه لأن يدهما على مالهما بجهة الملك كالكبير فبقاء يدهما يمنع كونه مسلماً إلى المضارب، وكذا أحد الشريكين إذا دفع المال مضاربة فشرط أن يعمل شريكه مع المضارب لأن للشريك فيه ملكاً فيمنع يده من تسليمه إلى المضارب وإن لم يكن العاقد مالكاً أو شرط أن يتصرف في المال مع المضارب فإن كان العاقد ليس بأهل المضاربة في ذلك المال تفسد، كالمأذون يدفع ماله مضاربة ويشترط عمله مع المضارب لأن التصرف فيه إليه، واليد ثابتة له في هذا المال ويده يد نفسه، فصار كالمالك فيما يرجع إلى التصرف فكان قيام يده مانعاً لصحة المضاربة، وإن كان العاقد ممن يجوز أن يأخذ مال المضاربة لم تفسد المضاربة كالأب والوصي إذا دفعا مال الصغير مضاربة، وشرطا أن يعملا بأنفسهما مع الضارب بجزء من الربح فهو جائز، لأنهما لو أخذ ماله مضاربة ليعملا بأنفسهما بالنصف صح، فكذا إذا شرطا عملهما مع المضارب بجزء من الربح لأن كل مال يجوز أن يكون المرء فيه مضارباً وحده جائز أن يكون فيه مضارباً مع غيره، وهذا لأن تصرف الأب والوصي واقع للصغير حكماً بطريق النيابة، فصار دفعه كدفع الصغير وشرطه كشرطه فتشترط التخلية من قبل الصغير، لأنه هو رب المال وقد تحققت، وإن دفع العبد المأذون ماله مضاربة وشرط عمل مولاه مع المضارب ينظر، فإن لم يكن عليه دين فالمضاربة جائزة عند أبي حنيفة لأنه لا حق للمولى فيه فصار كالاجنبي والمكاتب إذا دفع ماله

---

(١) هنا بياض بالأصل.

الركن الثاني: الربح: وليكن معلوماً بالجزئية بأن يشترط له الثلث أو النصف أو

مضاربة وشرط عمل مولاه معه لا يفسد مطلقاً لأنه لا يملك ما في يده، فصار كالاجنبي سواء كان عليه دين أو لم يكن، والله أعلم.

(**الركن الثاني: الربح**): وشرائطه أربعة، واقتصر المصنف هنا على ذكر الشرطين فقال: (**وليكن معلوماً بالجزئية**) ونصه في الوجيز: وهي أن يكون مخصوصاً بالعاقدين مشتركاً معلوماً بالجزئية لا بالتقدير. قال: وعنينا بالخصوص أنه لو أضيف جزء من الربح إلى ثالث لم يجز، وبالاشتراك أنه لو شرط الكل للعامل أو للمالك فهو فاسد خلافاً لمالك وأبي حنيفة. قال شارح المحرر: ويشترط في الربح أن يكون مختصاً بالمتعاقدين أي المالك والعامل، فلا يجوز أن يشترط شيئاً من الربح الثالث وهما مشتركان في الربح، فإن قال: قارضتك على أن يكون ثلث الربح لك وثلثه لابني أو لأبي لم يصح القراض، لأن الثالث ليس بعامل ولا مالك إلا أن يشترط مع الثالث العمل مع العامل، فحينئذ يكون قراضاً مع الاثنين، ولو شرط الكل للعامل أو للمالك ففيه وجهان. وقيل: إنه فاسد رعاية للفظ والربح كله للمالك وللعامل أجرة المثل، وقيل إنه قراض صحيح رعاية للمعنى وهو مروي عن أبي حنيفة، وعن مالك أنه يصح القراض في الصورتين، ويجعل كأن الآخر وهب نصيبه من المشروط له، ولو قال: خذ هذه الدراهم وتصرف فيها والربح كله لك فهو قرض صحيح عند ابن سريج، والأكثرين بخلاف ما لو قال: قارضتك على أن الربح كله لك، لأن اللفظ يصرح بعقد آخر. وقال الشيخ أبو محمد: لا فرق بين الصورتين، وعن القاضي الحسين: إن الربح والخسران للمالك وللعامل أجرة المثل ولا يكون قرضاً لأنه لم يملكه، ولو قال: تصرف فيها والربح كله لي فهو إبضاع، والربح والخسران للمالك وللعامل أجرة المثل هكذا نقله في الكبير عن التهذيب. والظاهر من قواعد المذهب أن الحق مع القاضي لأن الصيغة ليست بصيغة القراض الصحيح، فإما قراض فاسد أو إبضاع فاسد، فعلى التقديرين يكون الربح كله للمالك والخسر عليه أيضاً وليس للعامل إلا أجرة المثل لأن عمله ما وقع مجاناً.

ثم بين المصنف قوله معلوماً بالجزئية وهما شرطان بقوله: (**بأن يشترط له الثلث أو النصف أو شيئاً**) فلو قال: لك من الربح ما شرطه فلان لفلان فإنه مجهول، ولو قال: على أن الربح بيننا ولم يقل نصفين، فأظهر الوجهين الصحة وتنزيل البينة على المناصفة، كما لو قال: هذه الدار بيني وبين زيد يكون إقراراً بالمناصفة، والوجه الثاني الفساد لأنه لم يبين ما لكل واحد منهما فأشبه ما إذا شرط أن يكون الربح بينهما أثلاثاً ولم يبين من له الثلث ومن له الثلثان، ولو قال: قارضتك على أن نصف الربح لي وسكت عن جانب العامل لم يصح على أصح الوجهين، وبه قال المزني والوجه الثاني: أنه يصح، وبه قال ابن سريج. فإن قال: قارضتك على ان النصف لك وسكت عن نفسه، فوجهان أيضاً أصحهما الصحة، وما أضاف إلى العامل يكون له والنصف الآخر يكون للمالك بحكم الأصل، والوجه الثاني: وجه ضعيف أنه لا يجوز حتى تجري الإضافة إلى الجانبين، فعلى الوجه الأصح لو قال: على أن لك النصف ولي السدس وسكت عن الباقي صح، وكان الربح بينهما

ما شاء، فلو قال: عليّ أن لك من الربح مائة والباقي لي لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع.

الثالث: العمل: الذي على العامل وشرطه أن يكون تجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتأقيت، فلو شرط أن يشتري بالمال ماشية ليطلب نسلها فيتقاسمان النسل أو حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح لم يصح، لأن القراض مأذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء وما يقع من ضرورتها فقط. وهذه حرف ـ أعني الخبز ورعاية المواشي ـ ولو ضيق عليه

بالسوية كما لو سكت عن جميع النصف الآخر، ثم هذا الذي تقدم يتعلق بالشرط الأول وهو كون الربح معلوماً.

وأما الشرط الثاني وهو كونه معلوماً بقيد الجزئية فأشار إليه بقوله: (**فلو قال:**) قارضتك (**على أن لك من الربح مائة**) أو درهم أو لا درهم، (**والباقي لي**) أو لك أو بيننا (**لم يجز إذ ربما لا يكون الربح أكثر من مائة**) فيلزم اختصاص أحدهما بكل الربح وذلك خلاف أصل الباب، (**فلا يجوز تقديره بمقدار معين بل بمقدار شائع**)، وهو موافق لما قاله اصحابنا لا تصح المضاربة إلا إذا كان الربح بينهما مشاعاً لأن الشركة تتحقق له حتى لو شرطا لأحدهما دراهم مسماة تبطل المضاربة لأنه يؤدي إلى قطع الشركة على تقدير أن لا يزيد الربح على المسمى. قالوا: وكل شرط يوجب جهالة الربح يفسدها، وإلاَّ لا. والذي يؤدي إلى جهالة الربح من الشروط أن يشترط رب المال على المضارب أن يدفع إليه أرضه ليزرع سنة أو داره ليسكنها سنة، وذلك مفسد لأنه جعل بعض الربح عوضاً عن عمله والبعض أجرة داره أو أرضه، ولا يعلم حصة العمل حتى تجب حصته ويسقط ما أصاب منفعة الدار، ولو شرط ذلك على رب المال للمضارب صح العقد وبطل الشرط لأنه لا يفضي إلى جهالة حصة العمل ونصيبه من الربح مقابل بعمله لا غير، ولا جهالة فيه لأن الكلام فيما إذا شرط له جزءاً معلوماً من الربح شائعاً، ثم هو شرط لا يقتضيه العقد فيبطل هو دونها لأن المضاربة لا تبطل بالشروط الفاسدة كالوكالة والهبة، لأن صحتها متوقفة على القبض كالهبة وشرط الوضيعة وهو الخسران على رب المال لأنه ما فات جزء من المال بالهلاك يلزم صاحب المال دون غيره والمضارب أمين فيه، فلا يلزمه بالشرط فصار الأصل فيه ان كل شرط يوجب الجهالة في الربح أو قطع الشركة فيه مفسد، ومالا فلا والله أعلم.

(**الثالث: العمل: الذي على العامل**) وهو عوض الربح (**وشرطه أن يكون بتجارة غير مضيقة عليه بتعيين وتأقيت**) فهي شروط ثلاثة، واحترز بالتجارة عن الطبخ والخبز والحرف، (**فلو شرط أن يشتري بالمال ماشية ليطلب نسلها فيتقاسمان النسل، أو حنطة فيخبزها ويتقاسمان الربح لم يصح**) عقد القراض، (**لأن القراض مأذون فيه في التجارة وهو البيع والشراء**) أي الاسترباح بهما (**وما يقع من ضرورتها فقط**) والمراد بقوله: ما يقع الخ لواحق

وشرط أن لا يشتري إلا من فلان أو لا يتجر إلا في الخز الأحمر، أو شرط ما يضيق باب التجارة فسد العقد، ثم مهما انعقد فالعامل وكيل فيتصرف بالغبطة تصرف الوكلاء،

التجارة كالنقل والكيل والوزن، فإن هذه الأعمال وإن كان العامل يأتي بها فليس ذلك كالطحن والخبز ورعاية المواشي، فإنها من توابع التجارة ولواحقها التي أنشىء العقد لها، (**وهذه حرف - أعني الخبز ورعاية المواشي -**) وما يشبهها، وأشار إلى محترز الشرط الثاني بقوله: (**ولو ضيق عليه وشرط أن لا يشتري إلا من فلان**) وعين شخصاً للمعاملة معه، (وكذا) لو قال: (**لا يتجر إلا مع الخز الأحمر**) أو الأدكن والخيل الأبلق، (**أو ما يضيق باب التجارة فسد العقد**) لأنه تضييق، ولو عين جنس الخز أو البرجاز لأنه معتاد، وفي تعيين الشخص للمعاملة وجه في المذهب أنه لا يفسد العقد وهو مذهب أبي حنيفة ومالك، ولم يشر المصنف إلى محترز الشرط الثالث الذي هو التأقيت، وقد ذكره في الوجيز حيث قال: ولو ضيق بالتأقيت إلى سنة مثلاً ومنع من البيع بعدها فهو فاسد، فإنه قد لا يجوز بوناً قبلها، وإن قيد الشراء وقال: لا تشتر بعد السنة ولك البيع فوجهان: أصحهما: الجواز إذ المنع عن الشراء مقدور له في كل وقت فأمكن شرطه، وان قال: قارضتك سنة مطلقاً فعلى أي القسمين ينزل؟ فيه وجهان. أصحهما: عدم الجواز.

تنبيه:

اقتصر المصنف على الأركان الثلاثة لصحة القراض، واكتفى بها عن ذكر الثلاثة الأُخر التي هي الصيغة والعاقدان كما تقدم ذكرها في البيوع، والمراد بالصيغة أن يقول: قارضتك أو ضاربتك أو عاملتك على أن الربح بيننا نصفين، فيقول: قبلته. ولو قال: على أن النصف لي وسكت عن العامل فسد، وبالعكس جاز وقد أشرنا إليه قريباً. وأما العاقدان؛ فلا يشترط فيهما إلا ما يشترط في الوكيل والموكل نعم لو قارض العامل غيره بمقدار مما شرطه له بإذن المالك ففيه وجهان. أصحهما: عدم الجواز لأن وضع القراض أن يدور بين عامل ومالك، ولو كان المالك مريضاً وشرط ما يزيد على أجرة المثل للعامل لم يحسب من الثلث لأن التفويت هو المقيد بالثلث والربح غير حاصل، وفي نظيره في المساقاة خلاف لأن النخيل قد يثمر بنفسه فهو كالحاصل، ولو تعدّد العامل واتحد المالك أو بالعكس فلا حرج، ومهما فسد القراض بفوات شرط نفذ التصرفات وسلم كل الربح للمالك، ففي استحقاقه الأجرة وجهان. لأنه لم يطمع في شيء أصلاً، ثم أشار المصنف إلى حكم القراض الصحيح وله خمسة أحكام أشار إلى الحكم الأوّل بقوله.

(**ثم مهما انعقد فالعامل**) في مال القراض (**وكيل**) أي كالوكيل (**فيتصرف بالغبطة**) والمصلحة (**تصرف الوكلاء**) فلا يتصرف بالغبن ولا بالنسيئة بيعاً وشراء إلا بإذن خلافاً لأبي حنيفة كذا في الوجيز، وبيانه: أن الغبطة والمصلحة قد تقتضي التسوية بين العامل والوكيل، وقد

....

تقتضي الفرق بينهما فلا يبيع العامل ولا يشتري بالغبن كالوكيل بلا فرق ولا يبيع نسيئة بلا إذن ولا يشتري أيضاً لأنه ربما يهلك رأس المال فتبقى العهدة متعلقة بالعامل، فإن أذن بالبيع نسيئة ففعل وجب عليه الاشهاد ويضمن لو تركه، ولا يحتاج إلى الإشهاد في البيع حالاً لإمكانه حبس المبيع إلى استيفاء الثمن، بل عليه ذلك حتى لو سلم قبل استيفاء الثمن ضمن كالوكيل، فإن أذنه المالك في تسليم المبيع قبل قبض الثمن سلمه ولا يلزم الإشهاد ولا ضمان عليه كالوكيل، ثم قال في الوجيز: ويبيع بالعرض فإنه التجارة ولكل واحد منهما الرد بالعيب، فإن تنازعا فيقدم جانب الغبطة ولا يعامل العامل المالك ولا يشتري بمال القراض بأكثر من رأس المال، فإن اشترى لم يقع للقراض وانصرف إليه إن أمكن، ولو اشترى من يعتق على المالك لم يقع عن المالك فإنه نقيض التجارة، ولو اشترى زوجة المالك فوجهان. والوكيل بشراء عبد مطلق إن اشترى من يعتق على الموكل فيه وجهان. والعبد المأذون إن قيل له اشتر عبداً فهو كالوكيل، وإن قيل: اتجر فهو كالعامل وفيه وجه أنه كالوكيل أيضاً، وبه قال أبو حنيفة، وإن اشترى العامل قريب نفسه ولا ربح في المال صح، فإن ارتفعت الأسواق وظهر ربح، وقلنا يملك بالظهور عتق حصته، ولم يسر، وفيه وجه أنه يسري وبه قال الأكثرون، وإن كان في المال ربح وقلنا لا يملك بالظهور صح وما عتق، وإن قلنا يملك ففي الصحة وجهان لأنه مخالف للتجارة، فإن صح عتق حصته وسرى إلى نصيب المالك لأنه في الشراء مختار وغرم له حصته هذا الذي ذكرناه يتعلق بالحكم الأوّل من أحكام القراض الصحيح.

الحكم الثاني: أنه ليس لعامل القراض أن يقارض عاملاً آخر بغير إذن المالك، **وفي صحته** بالإذن خلاف فإن فعل بغير الإذن وكثرت التصرفات والربح فعلى الجديد الربح كله للعامل الأوّل، ولا شيء للمالك، وللعامل الثاني أجر مثله على العامل الأوّل إذ الربح على الجديد للغاصب، والعامل الأوّل هو الغاصب الذي عقد العقد له، وقيل: كله للعامل الثاني فإنه الغاصب، وعلى القديم يتبع موجب الشرط للمصلحة وعسر إبطال التصرفات، فللمالك نصف الربح والنصف الآخر بين العاملين نصفين كما شرط، وهل يرجع العامل الثاني بنصف أجر مثله لأنه كان طمع في كل النصف من الربح ولم يسلم له؟ فيه وجهان. أظهرهما: أنه لا يرجع.

الحكم الثالث من أحكام القراض الصحيح: أنه ليس للعامل أن يسافر بمال القراض إلا بإذن، وهذا قد تأتي الإشارة إليه في سياق المصنف قريباً.

الحكم الرابع: اختلف القول في أنه يملك الربح بمجرد الظهور أم يقف على المقاسمة، وهذا أيضاً قد تأتي الإشارة إليه قريباً في سياق المصنف.

الحكم الخامس: الزيادة العينية كالثمرة والنتاج محسوب من الربح، وهو مال القراض. وكذا بدل منافع الدواب ومهر وطء الجواري حتى لو وطيء السيد كان مسترداً مقدار العقر، وأما النصفان فما يحصل بانخفاض سوق أو طرئان عيب ومرض فهو خسران يجب جبره بالربح، وما

ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك فإذا فسخ في حالة والمال كله فيها نقد لم يخف وجه القسمة، وإن كان عروضاً ولا ربح فيه رد عليه ولم يكن للمالك تكليفه أن يرده إلى النقد لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئاً، وإن قال العامل أبيعه، وأبى المالك، فالمتبوع رأي المالك، إلا إذا وجد العامل زبوناً يظهر بسببه ربح على رأس المال، ومهما كان ربح فعلى العامل بيع مقدار رأس المال بجنس رأس المال لا بنقد آخر حتى يتميز الفاضل ربحاً فيشتركان فيه، وليس عليهم بيع الفاضل على رأس المال، ومهما كان رأس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة، فإذا كان قد ظهر من الربح شيء فالأقيس أن زكاة نصيب العامل على العامل، وأنه يملك الربح بالظهور وليس للعامل أن يسافر

يقع باحتراق وسرقة وفوات عين فوجهان. أصحهما: انه من الخسران كما أن زيادة العين من الربح والله أعلم.

ثم أشار المصنف إلى حكم التفاسخ والتنازع وأنه ينفسخ أحدهما وبالموت والجنون كالوكالة فقال: (**ومهما أراد المالك الفسخ فله ذلك**) أي يجوز له الفسخ، (**فإذا فسخ في حالة والمال كله فيها نقد لم يخف**) أمره ولا (**وجه القسمة، وإن كان عرضاً**) فعلى العامل بيعه إن كان فيه ربح ليظهر نصيبه (و) إن كان (**لا ربح فيه**) فوجهان. أحدهما: ما أشار إليه بقوله: (**ردّ عليه**) أي في عهدته أن يرد كما أخذ، (**ولم يكن للمالك تكليفه أن يرده إلى النقد لأن العقد قد انفسخ وهو لم يلتزم شيئاً**)، وأظهرهما أنه على العامل بيعه، (**فإن**) لم يكن ربح ورضى المالك به و (**قال العامل: أبيعه؟ وأبى المالك**) ذلك (**فالمتبوع رأي المالك**) ولم يكن للعامل بيعه (**إلا إذا وجد العامل زبوناً**) أي مشترياً سمي بذلك لأنه يزبن غيره أي يدحضه عن أخذ المبيع (**يظهر بسببه ربح على رأس المال**) في أظهر الوجهين، (**ومهما كان الربح فعلى العامل بيع مقدار رأس المال بجنس رأس المال لا بنقد آخر حتى يتميز الفاضل ربحاً فيشتركان فيه، وليس عليه بيع الفاضل على رأس المال**) يعني مهما باع العامل قدّر رأس المال وجعله نقداً فالباقي مشترك بينهما وليس عليه بيعه، وإن ردّ إلى نقد لا من جنس رأس المال لزمه الرد إلى جنسه، فلو مات المالك فلوارثه مطالبة العامل بالتنضيض، فإن كان في المال ربح أخذ بقدر حصته من ربحه عند القسمة والباقي يتبع فيه موجب الشرط، وإن كان عرضاً ففي جواز التقدير عليه وجهان. (**ومهما كان رأس السنة فعليهم تعرف قيمة المال لأجل الزكاة**) أي إخراجها، (**فإن كان قد ظهر من الربح شيء فالاقيس**) من القولين (**أن زكاة نصيب العامل على العامل لأنه يملك الربح بالظهور**) وفي المذهب اختلاف في أنه هل يملك الربح بمجرد الظهور أم يقف على المقاسمة، والثاني هو الأصح خلافاً لأبي حنيفة. فإن قلنا: انه يملك بمجرد الظهور فهو ملك غير مستقر، بل هو وقاية لرأس المال عن الخسران. فإن قلنا إنه لا يملك فله حق مؤكد (**وليس للعامل**) أي لا يجوز له (**أن يسافر بمال القراض دون إذن المالك**) لأن في السفر

بمال القراض دون إذن المالك، فإن فعل صحت تصرفاته ولكنه إذا فعل ضمن الأعيان والأثمان جميعاً لأن عدوانه بالنقل يتعدى إلى ثمن المنقول، وإن سافر بالإذن جاز ونفقة النقل وحفظ المال على مال القراض، كما أن نفقة الوزن والكيل والحمل الذي لا يعتاد التاجر مثله على رأس المال، فأما نشر الثوب وطيه والعمل اليسير المعتاد فليس له أن يبذل عليه أجرة وعلى العامل نفقته وسكناه في البلد، وليس عليه أجرة الحانوت. ومهما

خطراً وتعريضاً للهلاك، وفي وجه أنه يجوز له عند أمن الطريق. نقله أبو حامد وبه قال مالك وأبو حنيفة، (**فإن فعل صحت تصرفاته**) واستحق الربح (**لكنه ضامن**) بعدوانه (**للأعيان والأثمان جميعاً لأن عدوانه بالنقل فلا يتعدى إلى ثمن المنقول**)، ثم ينظر إن كان المتاع بالبلدة التي سافر إليها أكثر قيمة أو تساوت القيمتان صح البيع واستحق الربح لتكافؤ الإذن، وإن كان أقل قيمة لم يصح البيع بتلك القيمة إلا أن يكون النقصان بقدر ما يتغابن به، وإذا قلنا بصحة البيع فالمقبوض من الثمن مضمون عليه أيضاً بخلاف ما إذا تعدى الوكيل بالمال الموكل في بيعه، ثم باع وقبض الثمن فإن الثمن لا يكون مضموناً عليه، لأن العدوان ما وجد في الثمن، وفي القراض سبب العدوان السفر ومزايلة المال عن مكانه، (**وإن سافر بالإذن**) أي باذن المالك (**جاز**) أي: فلا عدوان ولا ضمان. قال النووي في زيادات الروضة: وإذا سافر بالإذن لم يجز سفره في البحر الا بنص عليه، (**ونفقة النقل**) أي وما ينفق على نقل أمتعة التجارة من موضع إلى موضع، (**وما**) ينفق (**على حفظ المال**) من اللصوص والسراق (**على مال القراض كما أن نفقة الوزن والكيل والحمل**) الثقيل (**الذي لا يعتاد التاجر مثله على رأس المال**) لا على العامل، (**فأما نشر الثوب وطيه**) وذرعه وإدراجه في السفط وإخراجه منه (**والعمل اليسير المعتاد**) أي ما جرت العادة به (**فليس له أن يبذل عليه أجرة**) ويدخل في ذلك وزن الشيء الخفيف كالذهب والمسك والعود والعنبر وقبض الثمن وحمله وحفظ المتاع على باب الحانوت، وفي السفر بالنوم عليه، والذي ليس على الحامل أن يتولاه بنفسه له أن يستأجر عليه من مال القراض لأنه من تتمة التجارة ومن مصالحها، ولو تولاها بنفسه فهو متبرع فيه ليس له أن يأخذ عليه الأجرة والذي عليه أن يتولاه لو أستأجر عليه لزمه الأجرة من مال نفسه، (**وعلى العامل نفقته وسكناه في البلد وليس عليه أجرة الحانوت**) أي: لا ينفق العامل على نفسه من مال القراض ولا يواسي منه بشيء في الحضر ما عدا أجرة الحانوت فإنها من مال القراض. وعن مالك أن له أن ينفق منه على العادة كالغداء ودفع الكسرة إلى السقاء وأجرة الكيال والوزان والحمال في مال القراض، وكذا أجرة النقل إذا سافر بالإذن وأجرة الحارس والرصدي، ويلتحق به المكوس في الطرق فإنه في معناه، ونص في المختصر أن له النفقة بالمعروف، وقال في البويطي: لا نفقة له، وللأصحاب طريقان. أصحهما: أنها قولان أظهرهما أنه لا نفقة كما في الحضر، وهذا لأنه ربما لا يحصل إلا ذلك القدر فيختل مقصود العقد. والثاني: يجب وبه قال مالك وإليه أشار المصنف بقوله:

تجرد في السفر لمال القراض فنفقته في السفر على مال القراض. فإذا رجع فعليه أن يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما.

العقد السادس: الشركة:

(ومهما تجرد في السفر لمال القراض فنفقته على مال القراض) لأنه في السفر سلم نفسه وجردها لهذا الشغل، فأشبه الزوجة تستحق النفقة إذا سلمت نفسها، ولا تستحق إذا لم تسلم، والثاني القطع بالمنع وحمل ما نقله المزني على أجرة النقل، ومنهم من قطع بالوجوب، وحمل ما في البويطي على المؤن النادرة كأجرة الحجام والطبيب، وإذا أثبتنا القولين فهما في كل ما يحتاج إليه من الطعام والكسوة والأدام تشبيهاً بما إذا سلمت الزوجة نفسها أو فيما يزيد بسبب السفر كالخف والمزادة وما أشبههما لأنه لو كان في الحضر لم يستحق شيئاً. فيه وجهان. أصحهما: الثاني وبه قال مالك فيما رواه ابن الصباغ، وأبو سعيد المتولي، وتفرع على هذا القول بالوجوب فروع:

منها: لو استصحب مال نفسه مع مال القراض وزعت النفقة على قدر المالين. قال الإمام: يجوز أن ينظر إلى مقدار العمل على المالين، ويوزع على أجره مثلهما، وفي أمالي أبي الفرج السرخسي أنها إنما توزع إذا كان ماله قدراً يقصد به السفر له، وإن كان لا يقصد فهو كما لو لم يكن معه غير مال القراض. وهكذا نقله أبو علي في الإفصاح وصاحب البيان.

ومنها: لو رجع العامل وبقي منه فضل زاد وآلات أخذها للسفر هل عليه رده إلى مال القراض؟ فيه وجهان عن الشيخ أبي محمد، وأظهرهما نعم. وإليه أشار المصنف بقوله: **(وإذا رجع فعليه أن يرد بقايا آلات السفر من المطهرة والسفرة وغيرهما)**.

ومنها: يشترط عليه ان لا يسرق بل يأخذ بالمعروف، وما يأخذ يحسب من الربح فإن لم يكن ربح فهو خسران لحق المال.

ومنها: لو أقام في طريقه فوق مدة المسافرين في بلد لم يأخذ لتلك المدة.

ومنها: لو شرط نفقة السفر في ابتداء القراض فهو زيادة تأكيد إذا قلنا بالوجوب، أما إذا لم نقل به فأظهر الوجهين أنه يفسد العقد كما لو شرط نفقة الحضر، والثاني: لا يفسد لأنه من مصالح العقد من حيث أنه لا يدعوه إلى السفر وهو مظنة الربح غالباً، وعلى هذا فهل يشترط تقديره؟ فيه وجهان. وعن رواية المزني في الكبير انه لا بدَّ من شرط النفقة للعقد مقدرة، لكن الأصحاب لم يثبتوها.

العقد السادس: الشركة:

وهي عبارة عن أختلاط النصيبين فصاعداً بحيث لا يعرف أحد النصيبين من الآخر، ثم يطلق إسم الشركة على العقد مجازاً لكونه سبباً له. قال الرافعي: اعلم أن كل حق ثابت من شخصين فصاعداً على الشيوع يقال إنه مشترك بينهم، وذلك ينقسم إلى مالا يتعلق بمال كالقصاص وحد

وهي أربعة أنواع ثلاثة منها باطلة:

الأول: شركة المفاوضة: وهو أن يقولا: تفاوضنا لنشترك في كل ما لنا وعلينا ومالاهما ممتازان فهي باطلة.

الثاني: شركة الأبدان: وهو أن يتشارطا الاشتراك في أجرة العمل فهي باطلة.

القذف وكمنفعة كلب الصيد المتلقي من موروثهم، وإلى ما يتعلق بمال وذلك إما عين مال ومنفعة كما لو غنموا مالاً أو اشتروه أو ورثوه، وإما مجرد المنفعة كما لو استأجروا عبداً أو وصى لهم بمنفعته، وأما مجرد العين كما لو ورثوا عبداً موصًى بمنافعه وإما حق يتوسل به إلى مال كالشفعة الثابتة بجماعة، وكل شركة إما تحدث بلا اختيار كما في الإرث أو باختيار كما في الشراء، وليس مقصود الباب الكلام في كل شركة، بل الشركة التي تحدث باختيار، ولا في كل ما يحدث بالاختيار بل في التي تتعلق بالتجارات، وتحصيل الفوائد والارباح (**وهي أربعة أنواع ثلاثة منها باطلة**.

الأولى: المفاوضة وهو أن يقولا) أي كل من الشريكين (**تفاوضنا لنشترك في كل ما لنا وعلينا وما لا هما ممتازان**) أي يشتركان ليكون بينهما ما يكتسبان ويربحان ويلزمان من غرم وما يحصل من غنم وهي باطلة عند الشافعي خلافاً لأبي حنيفة حيث قال: يصح بشرط أن يستعملا لفظ المفاوضة فيقولا: تفاوضنا أو اشتركنا شركة المفاوضة، وأن يستويا في الدين والحرية، فلو كان أحدهما مسلماً والآخر ذمياً أو أحدهما حراً والآخر مكاتباً لم يصح، وإن يستويا في قدر رأس المال، وإن لا يملك واحد منهما من جنس رأس المال إلا ذلك القدر، ثم حكمها عنده أن ما اشتراه أحدهما يقع مشتركاً إلا ثلاثة أشياء: قوت يومه وثياب بدنه، وجارية يتسرى بها. وإذا ثبت لأحدهما شفعة يشارك صاحبه وما ملكه أحدهما بإرث أو هبة لا يشاركه الآخر فيه، فإن كان فيه شيء من جنس رأس المال فسدت شركة المفاوضة وانفلتت إلى شركة العنان، وما لزم أحدهما بغصب أو بيع فاسد أو اتلاف كان مشتركاً إلا الجناية على الحر، وكذا بذل الخلع والصداق إذا لزم أحدهما لم يؤاخذ بها الآخر. قال الرافعي: ووجه المذهب في المسألة ظاهر قال الشافعي في اختلاف العراقيين: ولا أعرف شيئاً في الدنيا يكون باطلاً إن لم تكن شركة المفاوضة باطلة يعني لما فيها من أنواع الغرر والجهالة الكثيرة.

فرع:

لو استعملا لفظ المفاوضة وأرادا شركة العنان جاز نص عليه، **وهذا يقوي تصحيح العقود** بالكنايات قاله الرافعي.

(**الثانية: شركة الأبدان: وهو أن يتشارطا**) أي كل من الحمالين والدلالين أو غيرهما من المحترفة (**الاشتراك في أجرة العمل**) أي يشتركان على ما يكتسبان ليكون بينهما على تساو أو

الثالث: شركة الوجوه: وهو أن يكون لأحدهما حشمة وقول مقبول فيكون من جهته التنفيل ومن جهة غيره العمل، فهذا أيضاً باطل.

(وإنما الصحيح العقد الرابع المسمى شركة العنان)، وهو أن يختلط مالهما

تفاوت وهي باطلة أيضاً، سواء اتفقا في الصنعة أو اختلفا كالخياط والنجّار لأن كل واحد منهما مميز ببدنه ومنافعه فيختص بفوائده، وعند أبي حنيفة تصح. اتفقت الصنعتان أو اختلفتا. وعن صاحب التقريب أن لبعض الأصحاب وجهاً كمذهبه. قال النووي في الزيادات: هذا الوجه خطاه صاحب الشامل وغيره قولاً واحداً اهـ.

وقال مالك: تصح بشرط اتحاد الصنعة، وسلم أبو حنيفة ومالك أنه لا تجوز الشركة في الاصطياد والاحتطاب، وأحمد جوزهما أيضاً. قال الرافعي: وإذا قلنا بظاهر المذهب وهو البطلان فإذا اكتسبا شيئاً نظر إن انفرد عمل أحدهما عن الآخر فلكل واحد منهما كسبه، وإلاّ فالحاصل مقسوم بينهما على قدر أجرة المثل لا كما شرطا.

(الثالثة: شركة الوجوه:) وقد فسرت بمعان.

أشهرها أن صورتها أن يشترك رجلان وجيهان عند الناس ليبتاعا في الذمة إلى أجل على أن ما يبتاعه كل واحد منهما يكون بينهما فيبيعاه ويؤديا الأثمان فما حصل فهو بينهما.

والثاني: أن يبتاع وجيه في الذمة ويفوّض بيعه إلى خامل، ويشترط أن يكون الربح بينهما، ويقرب منه قول المصنف هنا: **(وهو أن يكون لأحدهما شوكة)** أي قوّة **(وقول مقبول)** عند الناس، **(فيكون من جهته التنفيل ومن جهة غيره العمل)**.

والثالث: أن يشترك وجيه لا مال له وخامل ذو مال ليكون العمل من الوجيه والمال من الخامل، ويكون المال في يده ولا يسلمه إلى الوجيه والربح بينهما، وهذا تفسير القاضي ابن كج والامام، ويقرب منه قول المصنف في الوجيز، وهو أن يبيع الوجيه مال الخامل بزيادة ربح ليكون بعض الربح له وهي على هذه المعاني باطلة عند الشافعي إذ ليس بينهما مال مشترك يرجع إليه عند المفاضلة ثم ما يشتريه أحدهما في الصورة الأولى والثانية فهو له يختص به ربحه وخسرانه ولا يشاركه فيه الآخر، إلا إذا كان قد صرح بالإذن في الشراء بما هو شرط التوكيل في الشراء وقصد المشتري توكله، وعند أبي حنيفة يقع المشتري مشتركاً بمجرد الشركة وإن لم يوجد قصد من المشتري ولا إذن من صاحبه، وأما الصورة الثالثة فهي ليست بشركة في الحقيقة، وإنما هي قراض فاسد لاستبداد المالك باليد، فإن لم يكن المال نقداً زاد الفساد، وأما ما أورده في الوجيز فحاصله: الإذن في البيع بعوض فاسد فيصح البيع من المأذون ويكون له أجرة المثل وجميع الثمن للمالك.

(وإنما الصحيح الشركة الرابعة المسماة بشركة العنان) بكسر العين المهملة اختلفوا في مأخذ هذه اللفظة، فقيل: من عنان الدابة إما لاستواء الشريكين في ولاية الفتح والتصرف

بحيث يتعذر التمييز بينهما إلا بقسمة، ويأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف، ثم

واستحقاق الربح على قدر رأس المال كاستواء طرفي العنان، وإما لأن كل واحد منهما يمنع الآخر من التصرف كما يشتهي كما يمنع بالعنان، وإما لأن الآخذ بعنان الدابة حبس إحدى يديه على العنان والأخرى مطلقة يستعملها كيف يشاء، كذلك الشريك منع بالشركة نفسه من التصرف في المشترك كما يشتهي وهو مطلق اليد والتصرف في سائر أقواله، وقيل: هي من قولهم عن الشيء إذا ظهر إما لأنه ظهر لكل واحد منهم مال صاحبه، وإما لأنه أظهر وجوه الشركة، ولذلك اتفقوا على صحتها، وقيل: من المعانة وهي المعارضة لأن كل واحد منهما يخرج ماله في معارضة إخراج الآخر (**وهي أن يختلط مالهما بحيث يتعذر التمييز إلا بقسمة ويأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف**) اعلم ان للشركة اركاناً ثلاثة.

أحدها: المتعاقدان والمعتبر فيهما أهلية التوكيل والتوكل، فإن كل واحد من الشريكين متصرف في جميع المال في ماله بحق الملك، وفي مال غيره بحق إذنه فهو وكيل عن صاحبه وموكل له بالتصرف.

الثاني: الصيغة لا بدّ من لفظ يدل على الإذن في التصرف والتجارة، فإن أذن كل واحد منهما لصاحبه صريحاً فذاك، ولو قالا: اشتركنا واقتصرا عليه، فهل يكفي ذلك لتسلطهما على التصرف من الجانبين؟ فيه وجهان: أحدهما: ويحكى عن أبي علي الطبري نعم لفهم المقصود عرفاً، وبهذا قال أبو حنيفة، والثاني: لا لقصور اللفظ عن الإذن واحتمال كونه إخباراً عن حصول الشركة في المال، ولا يلزم من حصول الشركة جواز التصرف، والوجه الأوّل أظهر عند المصنف، والثاني أصح عند ابن كج، وصاحب التهذيب والأكثرين، ولو أذن أحدهما للآخر في التصرف في جميع المال ولم يأذن الآخر وتصرف المأذون في جميع المال ولم يتصرف الآخر إلا في نصيبه، وكذا لو أذن لصاحبه في التصرف في الجميع وقال: أنا لا أتصرف إلا في نصيبي، ولو شرط أحدهما على الآخر أن لا يتصرف في نصيبه لم يصح العقد لما فيه من الحجر على المالك في ملكه، ثم ينظر في المأذون فيه ان عين جنساً لم يصح تصرف المأذون في نصيب الإذن من غير ذلك الجنس، وإن قال تصرف واتجر فيما شئت من أجناس الأموال جاز، وفيه وجه أنه لا يجوز الإطلاق بل لا بدّ من التعيين. قال النووي، قلت: ولو أطلق الإذن ولم يتعرض لما يتصرف فيه جاز على الأصح كالقراض، والله أعلم.

الثالث: المال المعقود عليه، وفيه مسائل أوردها المصنف في الوجيز، وقوله: بحيث يتعذر التمييز بينهما إلا بقسمة أي إذا أخرج رجلان كل واحد منهما قدراً من المال الذي يجوز الشركة فيه فأراد الشركة فلا بدّ أن يخلطا المالين خلطاً لا يتأتى معه التميز، وإلاَّ فلو تلف مال قبل التصرف تلف على صاحبه وتعذر اتيان الشركة في الباقي، فلا يجوز الشركة عند اختلاف الجنس ولا عند اختلاف الصفة، وإذا جوّزنا الشركة في المثليات وجب تساويهما جنساً ووصفاً أيضاً، وينبغي أن يقدم الخلط على العقد والإذن، فإن تأخر فالأظهر المنع إذ لا اشتراك عند العقد،

حكمهما توزيع الربح والخسران على قدر المالين، ولا يجوز أن يغير ذلك بالشرط ثم

والثاني يجوز إذا وقع في مجلس العقد لأن المجلس كنفس العقد، فإن تأخر لم يجز على الوجهين، ومال إمام الحرمين إلى تجويزه، (**ثم حكمهما توزيع**) أي تقسيم (**الربح والخسران على قدر المالين**) هذا شروع في بيان أحكام الشركة، فمنها كون الربح بينهما على قدر المالين شرط أو لم يشترط تساويا في العمل أو تفاوتاً، فإن شرطا التساوي في الربح مع التفاوت في المال فهو فاسد، وكذا لو شرطا التفاوت في الربح مع التساوي في المال. نعم لو اختص أحدهما بمزيد عمل وشرط له مزيد ربح ففيه وجهان. أحدهما: صحة الشركة ويكون القدر الذي يناسب ملكه له بحق الملك والزائد يقع في مقابلة العمل، ويتركب العقد من الشركة والقراض، وأصحهما المنع كما لو شرطا التفاوت في الخسران فإنه يلغى ويتوزع الخسران على المال، وهذا معنى قول المصنف: (**فلا يجوز أن يغير ذلك بالشرط**) ولا يمكن جعله مشتركاً وقراضاً، فإن العمل في القراض يقع مخلصاً بمال المالك، وههنا يتعلق بملكه ومالك صاحبه، وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى تعيين نسبة الربح بالشرط ويكون الشرط متبعاً، وللشافعي رحمه الله تعالى القياس على طرف الخسران، فإنه يسلم توزيعه على قدر المالين وإن شرط خلافه، وإذا فسد لم يؤثر ذلك في فساد التصرفات لوجود الإذن، ويكون الربح على نسبة المالين ويرجع كل واحد منهما على صاحبه بأجرة مثل عمله في ماله على ما ذكره المصنف في الوجيز، وتفصيله: أنهما إما أن يكونا متساويين في المالين أو متفاوتين ان تساويا، فأما أن يتساويا في العمل أيضاً فنصف عمل كل واحد منهما يقع في ماله فلا يستحق به أجرة، والنصف الآخر الواقع في مال صاحبه يستحق صاحبه مثل بدله عليه فيقع في التقاص، وإن تفاوتا في العمل فإن كان عمل أحدهما يساوي مائة، وعمل الآخر مائتين فإن كان عمل المشروط له الزيادة أكثر فنصف عمله مائة ونصف عمل صاحبه خمسون، فبقي له خمسون بعد التقاص، وإن كان عمل صاحبه أكثر ففي رجوعه بالخمسين على المشروط له الزيادة وجهان. أحدهما: الرجوع وهو ظاهر ما أجاب به الشيخ أبو حامد كما لو فسد القراض فيستحق العامل أجرة المثل، وأصحهما المنع، ويحكى ذلك عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى لأنه عمل وجد من أحد الشريكين لم يشترط عليه عوض، والعمل في الشركة لا يقابله عوض بدليل ما إذا كانت الشركة صحيحة فزاد عمل أحدهما فإنه لا يستحق على الآخر شيئاً، ويجري الوجهان فيما إذا فسدت الشركة واختص أحدهما بأصل التصرف، والعمل هل يرجع بنصف أجرة عمله على الآخر. وأما إذا تفاوتا في المال بأن كان لاحدهما ألف والآخر ألفان، فإما أن يتفاوتا في العمل أيضاً أو يتساويا فإن تفاوتا بأن كان عمل صاحب الأكثر أكثر بأن كان عمله يساوي مائتين، وعمل الآخر مائة، فثلثا عمله في ماله وثلثه في مال بصاحبه،اوعمل صاحبه على العكس فيكون لصاحب الأكثر ثلث المائتين على صاحب الاقل، ولصاحب الأقل ثلث المائة على صاحب الأكثر، وقدرهما واحد فيقع في التقاص، فإن كان عمل صاحب الأقل أكثر والتفاوت كما حررنا فثلث عمل صاحب الأصل في ماله، وثلثاه في مال شريكه، وثلثا عمل صاحب الأكثر في ماله، وثلثه في مال شريكه، فلصاحب الأقل

بالعزل يمتنع التصرف عن المعزول، وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك، والصحيح أنه يجوز عقد الشركة على العروض المشتراة، ولا يشترط النقد بخلاف القراض.

ثلثا المائتين على صاحب الاكثر وهو مائة وثلاثة وثلاثون درهماً وثلث درهم، ولصاحب الأكثر ثلث المائة على صاحب الأقل وهو ثلاثة وثلاثون وثلث فيبقى بعد التقاص لصاحب الأقل مائة على الآخر، وإن تساويا في العمل فلصاحب الأقل ثلث المائة على صاحب الأكثر، ولصاحب الاكثر ثلث المائة عليه فيكون الثلث بالثلث قصاصاً يبقى لصاحب ثلث المائة ثلاثة وثلاثون وثلث، ثم إن فساد العقد بهذا الشرط هو المشهور في المذهب. ونقل إمام الحرمين اختلافاً للأصحاب في أن الشركة تفسد بهذا الشرط أو يطرح الشرط والشركة بحالها لنفوذ التصرفات، ويوزع الربح على المالين ولم يتعرض غيره لحكاية الخلاف، بل جزموا بنفوذ التصرفات ويوزع الربح على المالين، وبوجوب الأجرة في الجملة، ولعل الخلاف راجع إلى الاصطلاح فبعضهم يطلق لفظ الفساد وبعضهم يمتنع منه لبقاء أكثر الأحكام والله أعلم.

ومن أحكام الشركة ما أشار إليه المصنف بقوله: (**ثم بالعزل يمتنع التصرف على المعزول، وبالقسمة ينفصل الملك عن الملك**) . اعلم أن الشركة بالمعنى المقصود لهذا الباب إذا تمت ووجد الإذن من الطرفين تسلط كل واحد من الشريكين على التصرف، وسبيل تصرف الشريك كسبيل تصرف الوكيل ثم أنه لكل واحد منهما فسخها متى شاء، فلو قال أحدهما للآخر عزلتك عن التصرف أو لا تتصرف في نصيبي انعزل المخاطب ولا ينعزل العازل عن التصرف في نصيب المعزول، ولو قال: فسخت الشركة انفسخ. قال الإمام: وينعزلان عن التصرف لارتفاع العقد. وأشار إلى ذلك المصنف بجزوم به، لكن صاحب التتمة ذكر أن انعزالهما مبني على أنه يجوز التصرف بمجرد عقد الشركة أم لا بدّ من التصريح بالإذن إن قلنا بالأوّل فإذا ارتفع العقد انعزلا، وإن قلنا بالثاني وكانا قد صرحا بالإذن فلكل واحد منهما التصرف إلى أن يعزلا، وكيف كان فالائمة مطبقون على ترجيح القول بانعزالهما، وكما تنفسخ الشركة بالفسخ تنفسخ بموت أحد الشريكين وجنونه واغمائه كالوكالة، ثم في صورة الموت إن لم يكن على الميت دين ولا هناك وصية فللوارث الخيار بين القسمة وتقرير الشركة إن كان بالغاً رشيداً وإن كان مولى عليه لصغر أو جنون، فعلى وليه ما فيه الحظا والمصلحة من الامرين وإنما تقرر الشركة بعقد مستأنف والله أعلم (**والثالث: أنه يجوز عقد الشركة على العروض المشتراة**) أو الموروثة لشيوع الملك فيها، وذلك أبلغ من الخلط، بل الخلط إنما اكتفى به لإفادة الشيوع، فإذا انضم إليه الإذن في التصرف تم العقد، ولهذا قال المزني والأصحاب: الحيلة في الشركة في العروض المتقوّمة أن يبيع كل واحد منهما نصف عرضه بنصف عرض صاحبه تجانس العرضان أو اختلفا ليصير كل واحد منهما مشتركاً بينهما فيتقابضان، ويأذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف. وفي التتمة: إنه يصير العرضان مشتركين ويملكان التصرف بحكم الإذن إلا أنه لا تثبت أحكام الشركة في الثمن حتى يستأنفا عقداً وهو ناض، وقضية إطلاق الجمهور ثبوت الشركة وأحكامها على الإطلاق وهو المذهب، ولو

لم يتبايعا العرضين ولكن باعهما بعرض أو نقد ففي صحة البيع قولاً تفريق الصفقة، فإن صححنا كان الثمن مشتركاً بينهما إما على التساوي أو التفاوت بحسب قيمة العرضين، فيأذن كل واحد منهما للآخر في التصرف.

قال النووي في الزيادات: وإذا باع كل واحد بعض عرض صاحبه هل يشترط علمهما بقيمة العرضين؟ وجهان حكاهما في الحاوي الصحيح: لا يشترط، ومن الحيل في هذا أن يبيع كل واحد بعض عرضه لصاحبه بثمن في ذمته ثم يتقاضى والله أعلم.

قلت: وقريب من ذلك قول أصحابنا قالوا: لو باع كل منهما نصف ماله من العروض بنصف مال الآخر، وعقدا عقد الشركة بعد البيع جازت الشركة وصارت شركة عقد، وهذا لأنه بالبيع صار شركة ملك حتى لا يجوز لكل منهما أن يتصرف في مال الآخر، ثم بالعقد بعد ذلك صار شركة عقد، فيجوز لكل واحد منهما أن يتصرف في نصيب صاحبه، وهذه حيلة لمن أراد الشركة في العروض لأنه بذلك يصير نصف مال كل واحد منهما مضموناً على صاحبه بالثمن، فيكون الربح الحاصل من المالين ربح ما يضمن فيجوز بخلاف إذا لم يبيعا، وحمل بعضهم ما ذكر هنا من بيع نصف ما لكل واحد منهما على ما إذا كانت قيمتهما على السواء، وأما إذا كانت قيمتهما متفاوتة فيبيع صاحب الأقل بقدر ما تثبت به الشركة، وهذا الحمل غير محتاج إليه لأنه يجوز أن يبيع كل واحد منهما نصف ماله بنصف مال الآخر، وإن تفاوتت قيمتهما حتى يصير المال بينهما نصفين، وكذا العكس جائز وهو ما إذا كانت قيمتهما متساوية فباعاه على التفاوت، فحينئذ قولهم باع نصف ماله بنصف مال الآخر وقع إتفاقاً أو قصداً ليكون شاملاً للمفاوضة والعنان، لأن المفاوضة شرطها التساوي بخلاف العنان، وكذا قولهم بنصف عرض الآخر وقع اتفاقاً لأنه لو باعه بالدراهم ثم عقدا الشركة في العرض الذي باعه جاز أيضاً والله أعلم.

(**ولا يشترط النقد**) اعلم أنه لا خلاف في جواز الشركة في النقدين، فأما سائر المتقوّمات لا يجوز الشركة عليها، وفي المثليات قولان. وقيل: وجهان. أحدهما: المنقول عن رواية البويطي، وأبي حنيفة أنه يجوز كما لا يجوز في المتقومات، وكما لا يجوز القراض إلا في النقدين، وأصحهما وبه قال ابن سريج وأبو إسحاق يجوز لأن المثلي إذا اختلط بجنسه ارتفع معه التمييز فأشبه النقدين، وليس المثلي كالمتقوّم لأنه لا يمكن الخلط في المتقوّمات، وربما يتلف مال أحدهما ويبقى مال الآخر، فلا يمكن الاعتداد بتلفه عنهما، وفي المثليات يكون التالف بعد الخلط تالفاً عنهما جميعاً، ولأن قيمتهما ترتفع وتنخفض، وربما تنقص قيمة مال أحدهما دون الآخر وتزيد فيؤدي إلى ذهاب الربح في رأس المال أو دخول بعض رأس المال في الربح (**بخلاف القراض**) لأن حق العامل محصور في الربح، فلا بدَّ من تحصيل رأس المال لتوزيع الربح، وفي الشركة لا حاجة بل كل المال موزع عليهما على قدر ماليهما، ولفظ النقد عند الإطلاق يعني به الدراهم والدنانير المضروبة، وأما غير المضروبة من التبر والحلي والسبائك، فقد أطلقوا منع الشركة فيها، وبمثله أجاب القاضي

فهذا القدر من علم الفقه يجب تعلمه على كل مكتسب، وإلا اقتحم الحرام من حيث لا يدري. وأما معاملة القصّاب والخباز والبقال فلا يستغني عنها المكتسب وغير المكتسب، والخلل فيها من ثلاثة وجوه: من إهمال شروط البيع، أو إهمال شروط السلم، أو الاقتصار على المعاطاة، إذ العادات جارية بكتبه الخطوط على هؤلاء بحاجات كل يوم، ثم المحاسبة في كل مدة. ثم التقويم بحسب ما يقع عليه التراضي وذلك مما نرى

الروياني في الدراهم المغشوشة، وحكى فيها خلاف أبي حنيفة، وذكر أن الفتوى أنه يجوز الشركة فيها إذا استمر في البلد رواجها.

فصل

وقال أصحابنا: لا تصح مفاوضة وعنان بغير النقدين والتبر والفلوس النافقة أي الرائجة، فإنها إذا كانت تروج أخذت حكم النقدين، وقيل: هذا عند محمد لأنها ملحقة بالنقود عنده، وعند أبي حنيفة، وأبي يوسف لا تصح الشركة فيها ولا المضاربة لأن رواجها عارض باصطلاح الناس، فكان على شرف الزوال فيصير عرضاً فلا يصلح رأس المال في الشركة والمضاربة لأنه لا يمكن دفع رأس المال بالعدد بعد الكساد، وبالقيمة لأنه لا يعرف إلا بالحزر فيؤدي إلى النزاع، وقيل: أبو يوسف مع محمد والأقيس. أن يكون مع أبي حنيفة لما عرف من أصلها أن الفلوس تتعين عندهما وإن كانت تروج بين الناس حتى جاز بيع فلس بفلسين باعيانها عندهما خلافاً له، والأصح انها تجوز في الفلوس عندهما خلافاً له لأنها أثمان باصطلاح الكل، فلا تبطل مالم يصطلح على ضده.

وأما التبر فجعله في شركة كتاب الأصل وجامع الصغير بمنزلة العروض، فلم يصح رأس مال الشركة والمضاربة وجعله في صرف الأصل كالأثمان، لأن الذهب والفضة ثمن بأصل الخلقة، والأوّل هو ظاهر المذهب، ووجهه أن الثمنية تختص بضرب مخصوص لأنه بعد الضرب لا يصرف إلى شيء آخر غالباً والمعتبر هو العرف، فكل موضع جرى التعامل به فهو ثمن، وإلاَّ فحكمه كحكم العروض في حكم التعيين وعدم جواز الشركة والمضاربة به والله أعلم.

(**فهذا القدر**) الذي ذكرناه هنا (**من علم الفقه يجب تعلمه**) وتحصيله (**على كل مكتسب**) وجوباً شرعياً (**وإلا اقتحم الحرام**) أي ارتكبه ودخل فيه (**من حيث لا يدري**) ولا يشعر، (**واما معاملة**) نحو (**القصّاب**) أي الجزار (**والبقال**) الذي يبيع البقول الخضرة (**والخبّاز**) الذي يخبز الخبز والذي يبيعه، وغير هؤلاء من المحترفين (**فلا يستغني عنها**) أي عن معاملتهم (**المكتسب وغير المكتسب**)، بل الحاجة إليهم عامة (**والخلل فيها من ثلاثة وجوه: من إهمال شروط البيع**) على ما ذكرت، (**أو اهمال شروط السلم**) على ما ذكرت أيضاً. (**أو الاقتصار على المعاطاة**) من غير جريان الصيغة (**إذ العادات الجارية**) بين الناس (**بكتبه الخطوط على حاجات كل يوم**) بأسمائها، (**ثم المحاسبة**) مع السوقة (**في كل مدة**) كالشهر

القضاء بإباحته للحاجة ويحمل تسليمهم على إباحة التناول مع انتظار العوض فيحل أكله، ولكن يجب الضمان بأكله وتلزم قيمته يوم الإتلاف فتجتمع في الذمة تلك القيم، فإذا وقع التراضي على مقدار مّا فينبغي أن يلتمس منهم الابراء المطلق حتى لا تبقى عليه عهدة أن يطرق إليه تفاوت في التقويم، فهذا ما تجب القناعة به فإن تكليف وزن الثمن لكل حاجة من الحوائج في كل يوم وكل ساعة تكليف شطط، وكذا تكليف الإيجاب والقبول وتقدير ثمن كل قدر يسير منه فيه عسر، وإذا كثر كل نوع سهل تقويمه والله الموفق.

مثلاً، (ثم التقويم) لتلك المشتريات (بحسب ما يقع عليه التراضي) من الجانبين، وهذا كان في زمن المؤلف رحمه الله تعالى مألوفاً في تلك الديار وعلى المنوال الآن في الديار الرومية، (وذلك مما يرى القضاة) والمفتون (إباحته للحاجة) أي لحاجة الناس إليه، فإن فيه مرتفقاً لمن لم يكن عنده ما يصرفه في الحال، (ويحمل تسليمهم على اباحة التناول) والأخذ (مع انتظار العوض) للقدر المتناول، (ويحتمل أكله ولكن يجب الضمان) على الآكل (بأكله وتلزم قيمته يوم الاتلاف) لما تناوله بالأكل (وتجتمع في الذمة تلك القيم) وهذا على أصول مذهب الشافعي رضي الله عنه على ما مرّ تفصيله في كتاب البيع، (فإذا وقع التراضي على مقدار مّا) قليلاً كان أو كثيراً (فينبغي أن يلتمس منهم) أي من أصحاب الحقوق (الابراء المطلق) بأن يقول مثلاً: أبرىء ذمتي فيما تناولته من كذا وكذا (حتى لا تبقى عهدة) قبله ولا مطالبة في الدنيا ولا في الآخرة، (وإن تطرق إليه تفاوت في التقويم) فإنه لا يضر مع الإبراء المطلق، (فهذا) القدر (تجب القناعة به) للمتدين، (فإن تكليف وزن الثمن لكل واحدة من الحاجات) التي يشتريها (في كل يوم وكل ساعة شطط) وحرج، (وكذلك تكليف الايجاب والقبول) في كل حاجة يبيعها أو يشتريها (وتقدير ثمن كل يسير) أي قليل أو حقير (منه فيه عسر) ومشقة، (وإذا كثر كل نوع سهل تقويمه) ولم يقع فيه الخلاف كما هو مشاهد، والله أعلم.

الباب الثالث
في بيان العدل واجتناب الظلم في المعاملة

اعلم أن المعاملة قد تجري على وجه يحكم المفتي بصحتها وانعقادها، ولكنها تشتمل على ظلم يتعرض به المعامل لسخط الله تعالى، إذ ليس كل نهي يقتضي فساد العقد وهذا الظلم يعني به ما استضر به الغير، وهو منقسم إلى ما يعم ضرره وإلى ما يخص المعامـل.

القسم الأوّل: فيما يعم ضرره وهو أنواع:

النوع الأوّل: الاحتكار؛ فبائع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الأسعار وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع. قال رسول الله ﷺ: «من احتكر الطعام أربعين يوماً ثم

الباب الثالث
في بيان العـدل والمسـاواة واجتنـاب الظلم والتجـاوز عـن الحدود في المعاملة

(اعلم أن المعاملة) بين الاثنين (قد تجري) وتتم على وجه (يحكم المفتي) أو القاضي (بصحتها وانعقادها) شرعاً، (ولكنها تشتمل على ظلم) يتعدى فيه الحد (يتعرض به المعامل لسخط الله تعالى) وغضبه، (إذ ليس كل نهي يقتضي فساد العقد) بل قد يكون العمل منهياً عنه مع بقاء العقد على أصله، (وهذا الظلم يعني) أي يراد (به ما يتضرر به الغير) أي يناله الضرر منه، (وهو منقسم إلى ما يعم ضرره) على الناس كلهم (وإلى ما يخص المعامل) دون غيره.

القسم الأول: فيما يعم ضرره وهو أنواع:

(الأوّل: الاحتكار): وهو حبس الطعام إرادة الغلاء، والإسم الْحُكرة بالضم، والحكر محركة، والحكر بالفتح لغة بمعناه، (فبائع الطعام يدخر الطعام) في السرادب والحوانيت (لينظر بـه غلاء الأسعار) أي ارتفاعها (وهو ظلم عام) إذا كان ادخاره بهذه النية (وصاحبه مذموم في الشرع. قال ﷺ: «من احتكر الطعام) أي حبسه، والمراد بالطعام القوت المعتاد به عادة، وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة، وحرم مالك احتكار المطعوم وغيره نظراً لحديث أبي

تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره ». وروى ابن عمر عنه ﷺ أنه قال: « من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برىء من الله وبرىء الله منه ». وقيل: فكأنما قتل الناس

هريرة: « من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطىء » الحديث (أربعين يوماً) قال الطيبي: لم يرد بأربعين يوماً التحديد بل مراده أن يجعل الاحتكار حرفة يقصد بها نفع نفسه وضر غيره بدليل قوله في الحديث الآخر « يريد به الغلاء » وأقل ما يتمرن المرء في هذه الحرفة هذه المدة، (ثم تصدق به) على فقراء المسلمين (لم تكن صدقته) تلك (كفارة لاحتكاره ») قال العراقي: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي، والخطيب في التاريخ من حديث أنس بسندين ضعيفين اهـ.

قلت: رواه ابن عساكر في التاريخ فقال: أخبرنا أبو القاسم السمرقندي، أخبره محمد بن علي الأنماطي، عن محمد الرهان، عن محمد بن الحسن، عن خلاد بن محمد بن عاثر الأسدي، عن أبيه، عن عبد العزيز بن عبد الرحمن البالسي، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من احتكر طعاماً على أمتي أربعين يوماً وتصدق به لم يقبل منه ».

وروى ابن عساكر أيضاً وابن النجار في تاريخيهما من حديث دينار بن مكين عن أنس رفعه بلفظ: « من احتكر طعاماً أو تربص به أربعين يوماً ثم طحنه وخبزه وتصدق به لم يقبله الله منه ». ودينار راويه متهم. قال ابن حبان: روي عن أنس أشياء موضوعة.

(وروى ابن عمر) عبدالله (رضي الله عنهما عنه ﷺ أنه قال: « من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برىء من الله وبرىء الله منه ») والقصد به المبالغة في الزجر فحسب. قال العراقي: رواه أحمد والحاكم بسند جيد. قال ابن عدي: ليس بمحفوظ من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن أبي شيبة في المصنف، والبزار في مسنده، وأبو يعلى، وأبو نعيم في الحلية ولفظهم جميعاً « من احتكر طعاماً » وفي لفظ: « ليلة » بدل « يوماً » وفي آخره زيادة « أيّما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى » ورواه بهذه الزيادة الحاكم أيضاً من حديث أبي هريرة. قال الحافظ: وفي اسناده أجنع بن زيد اختلف فيه، وكثير بن مرة جهله ابن حزم وعرفه غيره، وقد وثقه ابن سعد. وروى عنه جماعة، واحتج به النسائي ووهم ابن الجوزي، فأخرج هذا الحديث في الموضوعات، وأما ابن أبي حاتم فحكى عن أبيه أنه قال: هو حديث منكر.

(وقيل) في بعض ألفاظ هذا الحديث: (فكأنما قتل نفساً) هكذا أورده صاحب القوت. ولم يتعرض له العراقي، والمراد فكأنما تسبب في قتل نفس، وذلك لما حبس عنه القوت.

وقد وردت أحاديث في هذا الباب. فمن ذلك ما رواه مسلم والعقيلي من حديث معمر بن عبدالله « من احتكر فهو خاطىء ».

جميعاً ، وعن علي رضي الله عنه : من احتكر الطعام أربعين يوماً قسا قلبه . وعنه أيضاً : انه أحرق طعام محتكر بالنار . وروي في فضل ترك الاحتكار عنه ﷺ : « من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به » . وفي لفظ آخر : « فكأنما أعتق رقبة » . وقيل في قوله

وروى الحاكم عن ابن عمر رفعه : « المحتكر ملعون » .

وروى أحمد والحاكم والعقيلي من حديث أبي هريرة « من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطىء وقد برئت منه ذمة الله ورسوله » .

وروى أحمد وابن ماجه والحاكم من حديث ابن عمر « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس » . قال البويطي : رجال ابن ماجه ثقات ، ثم ان القصد بهذا كله المبالغة في الزجر والتنفير وظاهرها غير مراد .

وقد وردت عدة أحاديث في الصحاح تشتمل على نفي الإيمان وغير ذلك من الوعيد الشديد في حق من ارتكب أموراً ليس فيها ما يخرج عن الإسلام ، فما كان هو الجواب عنها فهو الجواب هنا حققه الحافظ بن حجر ، وجعل ابن الجوزي أحاديث الاحتكار من قبل الموضوع وهو مدفوع كما بيّنه الحافظان العراقي وابن حجر .

(**وعن علي رضي الله عنه**) قال : (**من احتكر الطعام أربعين يوماً قسا قلبه**) هكذا أورده صاحب القوت ، وذلك لأن المحتكر إنما يريد بادخاره الإضرار لاخوانه فأحرى بأن يكون ثمرة ذلك قساوة قلبه فلا يرى خيراً ولا بركة (و) يروى (**عنه رضي الله عنه**) أيضاً : (**أنه أحرق طعام محتكر بالنار**) كذا رواه صاحب القوت ، وذلك بالكوفة أيام إمارته لينزجر بذلك غيره .

(**وروي في فضل ترك الاحتكار**) عدة أخبار ، فمن ذلك قوله ﷺ (**من جلب طعاماً**) من خارج وأدخله إلى مصر من الامصار (**فباعه بسعر يومه**) **فكأنما تصدق به** » **وفي لفظ آخر** : « فكأنما أعتق رقبة » هكذا هو في القوت .

قال العراقي : رواه ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف » ما من جالب يجلب طعاماً إلى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته منزلة الشهيد » وللحاكم من حديث اليسع بن المغيرة « إن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله » فهو مرسل اهـ .

قلت : وروى الديلمي من حديث ابن مسعود « من جلب طعاماً إلى مصر من أمصار المسلمين كان له أجر شهيد » وفي القوت : وروينا عن علقمة عن ابن مسعود « من جلب إلى مصر من أمصار المسلمين فباعه بسعر يومه كان له عند الله أجر شهيد ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾ [المزمل : ٢٠] .

وأما الحديث المرسل الذي أورده العراقي ، فقد رواه أيضاً الزبير بن بكار في أخبار المدينة ،

تعالى: ﴿من يُردّ فيهِ بالحادٍ بظُلْم نُذِقْهُ من عَذَابٍ أليم﴾ [الحج: ٢٥] ان الاحتكار من الظلم وداخل تحته في الوعيد.

وعن بعض السلف أنه كان بواسط فجهز سفينة حنطة إلى البصرة وكتب إلى وكيله: بع هذا الطعام يوم تدخل البصرة ولا تؤخره إلى غد، فوافق سعة في السعر فقال له

وعنده وعند الحاكم زيادة «والمحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله» واليسع بن المغيرة مخزومي مكي، ولفظ حديثه مرّ رسول الله ﷺ برجل بالسوق يبيع طعاماً بسعر هو أرخص من سعر السوق قال: «تبيع في سوقنا بأرخص. قال: نعم. قال: [1] واحتساباً قال: نعم. قال: أبشر». فذكره، وروى ابن ماجه في البيوع من حديث اسرائيل، عن علي بن سالم، عن علي بن زيد، عن ابن المسيب، عن عمر بن الخطاب رفعه: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون».

(**وقيل في**) تفسير (**قوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ أن الاحتكار من**) جملة (**الظلم وداخل تحته**).

قال البيضاوي: ومن يرد فيه ترك مفعوله ليتناول كل متناول، وقرىء بالفتح من الورود بإلحاد أي عدول عن القصد بظلم بغير حق، وهما حالان مترادفان، أو الثاني بدل من الأوّل بإعادة الجار أو صلة له أي ملحداً بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام اهـ.

وأما القول المذكور في تفسير الآية، فرواه ابن جزء عن حبيب بن أبي ثابت قال: هم المحتكرون الطعام بمكة.

وأخرج البخاري في تاريخه، وعبد بن حميد، وأبو داود، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن يعلى بن أمية رفعه: «احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه».

وأخرج سعيد بن منصور، والبخاري في تاريخه، وابن المنذر عن عمر بن الخطاب قال: «احتكار الطعام بمكة إلحاد بظلم».

وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: «بيع الطعام بمكة إلحاد».

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان والطبراني في الأوسط عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «احتكار الطعام بمكة إلحاد».

(**و**) روي (**عن بعض السلف**) الصالحين (**أنه كان بواسط**) مدينة مشهورة بالعراق بناها الحجاج بن يوسف، وكان موضعها قصب فسميت واسط القصب، (**فجهز سفينة حنطة**) أي هيأ سفينة فملأها حنطة من زرع واسط وأرسلها (**إلى البصرة**) لتباع بها (**وكتب إلى وكيله**) بها أن (**بع هذا الطعام يوم يدخل البصرة**) بالسعر الحاضر (**ولا تؤخره إلى غد**) قال: (**فوافق**) وصول الطعام (**سعة في السعر**) أي رخصاً (**فقال له التجار**) ينصحونه: (**إن**

---

(١) بياض في الأصل.

التجار: لو أخرته جمعة ربحت فيه أضعافه فأخره جمعة فربح فيه أمثاله، وكتب إلى صاحبه بذلك، فكتب إليه صاحب الطعام: يا هذا إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا، وإنك قد خالفت وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شيء من الدين فقد جنيت علينا جناية، فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال كله فتصدق به على فقراء البصرة، وليتني أنجو من إثم الاحتكار كفافاً لا عليّ ولا لي. واعلم أن النهي مطلق ويتعلق النظر به في الوقت والجنس. أما الجنس فيطرد النهي في أجناس الأقوات، أما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت كالأدوية والعقاقير والزعفران وأمثاله، فلا يتعدى النهي إليه وإن كان مطعوماً. وأما ما يعين على القوت كاللحم والفواكه وما يسد مسداً يغني عن القوت في بعض الأحوال، وإن كان لا يمكن المداومة عليه فهذا في محل النظر، فمن العلماء من طرد التحريم في السمن والعسل والشيرج والجبن والزيت وما يجري مجراه، وأما الوقت

أخرته جمعة) أي قدر سبعة أيام (ربحت فيه أضعافه فأخَّره جمعة) كما قالوا (فربح فيه) أي في بيعه (أمثاله) وأضعافه، (وكتب إلى صاحبه) الذي بواسط يخبره، (فكتب إليه صاحب الطعام: يا هذا إنا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا، وإنك) قد (خالفت) أمرنا (وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شيء من الدين، وقد جنيت علينا) بفعلك هذا (جناية) عظيمة، (فإذا أتاك كتابي هذا فخذ المال كله) أي الذي حصلته من سفر ذلك الطعام (فتصدق به على فقراء) أهل (البصرة، وليتني أنجو من إثم الاحتكار كفافاً لا عليّ) وزر (ولا ليّ) أجر. هكذا أورد هذه الحكاية صاحب القوت بنصها.

(واعلم أن النهي) الوارد في احتكار الطعام تصريحاً وتلويحاً (مطلق) عن القيود (ويتعلق النظر فيه في) شيئين (الوقت والجنس) أي في أي وقت يكون منهياً عنه وفي أي جنس من الطعام، وأما ما ليس بقوت ولا هو معين على القوت (كالأدوية) على أنواعها (والعقاقير) أي النبات (والزعفران وأمثاله فلا يتعدى النهي إليه وإن كان مطعوماً) ويدخل في حد الطعام لأنه يتناول منه، (وأما ما يعين على القوت كاللحم) بأنواعه (والفواكه) بأنواعها (وما يسد مسد الغنى) أي يقوم مقامه (عن القوت) ولو (في بعض الأحوال) وبعض الأحيان (وإن كان لا يمكن المداومة عليه) في الغالب، (فهذا في محل النظر، فمن العلماء من طرد التحريم) المستفاد من النهي (في السمن والعسل والشيرج) وهو عصارة السمسم (والجبن وما يجري مجراه) وعبارة القوت: ومن العلماء من جعل الاحتكار في كل مأكول من الحبوب مثل العدس والباقلاء، ومثل السمن والعسل والشيرج والجبن والتمر والزبيب فيكره احتكار جميع ذلك. وروي نحو هذا عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد﴾ [الحج: ٢٥] الآية. اهـ.

فيحتمل أيضاً طرد النهي في جميع الأوقات، وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السعر، ويحتمل أن يخصص بوقت قلة الأطعمة وحاجة الناس إليه حتى يكون في تأخير بيعه ضرر مّا، فأما إذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك ولم ينتظر قحطاً، فليس في هذا إضرار، وإذا كان الزمان زمان قحط كان في ادخار العسل والسمن والشيرج وأمثالها إضرار، فينبغي أن يقضي بتحريمه ويعوّل في نفي التحريم واثباته على الضرار فإنه مفهوم قطعاً من تخصيص الطعام، وإذا لم يكن ضرار فلا يخلو احتكار الأقوات عن كراهية، فإنه ينتظر مبادىء الضرار وهو ارتفاع الاسعار، وانتظار مبادىء الضرار محذور كانتظار عين الضرار، ولكنه دونه، وانتظار عين الضرار أيضاً هو دون الإضرار، فبقدر درجات الإضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم. وبالجملة؛ التجارة في الاقوات مما لا يستحب لأنه طلب ربح، والاقوات أصول خلقت قواماً،

قلت: والذي ذهب إليه مالك، واستدل بإطلاق حديث أبي هريرة السابق «من احتكر حكره يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطىء وقد برئت منه ذمة الله ورسوله» قال الزمخشري في الفائق: من احتكر حكرة أي جملة من القوت من الحكر وهو الجمع والإمساك أي حصل جملة من القوت وجمعها عنده وأمسكها يريد به نفع نفسه وضر غيره.

(**وأما الوقت، فيحتمل أيضاً طرد النهي في جميع الأوقات**) سواء كان السعر عالياً أو خافضاً، وعليه تدل الحكاية التي ذكرناها في الطعام الذي صادف بالبصرة سعة في السعر وقد مرت تقريباً، (**ويحتمل أن يخصص**) ذلك (**بوقت قلة الأطعمة وحاجة**) أي احتياج (**الناس إليه حتى يكون في تأخير بيعه ضرر، فأما إذا اتسعت الأطعمة وكثرت واستغنى الناس عنها ولم يرغبوا فيها إلا بقيمة قليلة فانتظر صاحب الطعام ذلك**) فقط، (**ولم ينتظر قحطاً**) وغلاء، (**فليس في هذا إضرار**) للغير، (**فإذا كان الزمان زمان قحط**) ولم يجد الناس ما يأكلونه (**وكان في إدخار العسل والسمن والشيرج وأمثال ذلك إضرار**) والإضرار حرام، (**فينبغي أن يقضي بتحريمه**) نظراً إلى ذلك، (**ويعوّل في نفي التحريم وإثباته على الضرار فإنه مفهوم قطعاً من تخصيص الطعام**) ومنطوقه، (**وإذا لم يكن ضرار**) بالفرض (**فلا يخلو احتكار الأقوات عن كراهية لأنه**) أي المحتكر (**ينتظر مبادىء الضرار وهو ارتفاع الأسعار**) وغلوها، (**وانتظار مبادىء الضرار محظور**) أي ممنوع عنه (**كانتظار عين الضرار ولكنه دونه**) أي دون انتظار مبادئه، (**وانتظار عين الإضرار أيضاً هو دون الإضرار**) الحاصل في الحال. (**فبقدر درجات الإضرار تتفاوت درجات الكراهية والتحريم**) بالزيادة والنقص والقوّة والضعف. (**وبالجملة؛ التجارة في الأقوات مما لا**

والربح من المزايا فينبغي أن يطلب الربح فيما خلق من جملة المزايا التي لا ضرورة للخلق إليها، ولذلك أوصى بعض التابعين رجلاً وقال: لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين: بيع الطعام وبيع الأكفان، فإنه يتمنى الغلاء وموت الناس. والصنعتان أن يكون جزاراً، فإنها صنعة تقسي القلب، أو صواغاً فإنه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة.

النوع الثاني: ترويج الزيف من الدراهم في أثناء النقد فهو ظلم إذ يستضر به المعامل إن لم يعرف وإن عرف فسيروّجه على غيره، فكذلك الثالث والرابع، ولا يزال يتردد في الأيدي ويعم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعاً إليه فإنه هو الذي

يستحب) ولا ينبغي أن يصار إليها (**لأنه يطلب الربح فيما خلق من جملة المزايا التي ضرورة الخلق إليها**) ومن هنا قال بعضهم: تاجران لا يربحان بائع الدقيق وبائع الرقيق، وفي القوت: وكانوا يكرهون بيع الطعام والرقيق، (**ولذلك أوصى بعض التابعين رجلاً وقال: لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين**)، فالبيعتان (**بيع الطعام**) أي قوت المسلمين، (**وبيع الأكفان فإنه**) أي صاحبها (**يتمنى الغلاء**) ليربح في ثمن الطعام، (**و**) يتمنى (**موت الناس**) ليربح في ثمن الأكفان. (**والصنعتان: أن يكون جزاراً فإنها**) أي الجزارة وهو ذبح الحيوانات (**صنعة تقسي القلب**) أي تورث القساوة والشدة والظلمة في القلب، (**أو صوّاغاً فإنه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة**) هكذا أورده صاحب القوت. قال: وقد كان بعض السلف يقول: تخيروا لأولادكم الصنائع.

(**النوع الثاني: ترويج الزيف من الدراهم في أثناء النقد**) يقال: راجت الدراهم روجاً تعامل الناس بها وروّجتها ترويجاً وزافت تزيف زيفاً صارت رديئة، ثم وصف بالمصدر فقيل: درهم زيف وجمع على معنى الإسمية، فقيل: زيوف مثل فلس وفلوس، وربما قيل زائف على الأصل ودراهم زيف مثل راكع وركع وزيفتها تزييفاً أظهرت زيفها، وسيأتي قريباً في كلام المصنف تعريف الزيف بأبسط منها، ونقد الدراهم اعتبارها ليتميز جيدها من زيفها (**فهو ظلم**) وعدوان. (**إذ يستضر به العامل إن لم يعرف**) ذلك، (**وإن عرف فيروّجه على غيره، وكذلك الثالث**) يروّجه على غيره، (**و**) كذلك (**الرابع**) وهلم جرا. (**فلا يزال**) ذلك الدرهم (**يتردّد في الأيدي ويعم الضرر ويتسع الفساد ويكون وزر الكل وبالاً له وراجعاً إليه، فإنه الذي فتح ذلك الباب**) أوّلاً. وفي القوت إنفاق الدرهم الرديء على من يعرف النقد أشد وأغلظ، وعلى من لا يعرفه أسهل ويكون به أعذر لأن هذا لا يعتمد الغش والأوّل يقصده.

فتح هذا الباب. قال رسول الله ﷺ: «من سنَّ سنّة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئاً». وقال بعضهم: انفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم، لأن السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت، وانفاق الزيف بدعة أظهرها في الدين وسنّة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة أو مائتي سنة إلى أن يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد من أموال الناس بسنته، وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه، والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة ومائتي سنة أو أكثر يعذب بها في قبره ويُسأل عنها إلى آخر انقراضها. قال تعالى: ﴿ونكتب ما قدّموا وآثارهم﴾ [يس: ١٢] أي نكتب أيضاً ما أخروه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدموه، وفي مثله قوله تعالى: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخّر﴾ [القيامة: ١٣] وإنما أخر آثار أعماله من سنة سيئة عمل بها غيره، وليعلم أن في

(**وقال ﷺ: «من سنّ سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئاً»**) هكذا هو في القوت، وقال العراقي: رواه مسلم عن جرير بن عبدالله اهـ.

قلت: وتقدم الكلام عليه في خطبة الكتاب، وقد رواه ابن ماجه، والطبراني في الأوسط من حديث أبي حجيفة بلفظ: «من سنّ سنة حسنة عمل بها بعده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سنّ سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ومثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً» فسياق هذا الحديث هو بعينه ما أورده المصنف بخلاف حديث جرير ففي لفظه نوع مخالفة.

(**وقال بعضهم**) وهو أبو الحسن علي بن سالم البصري شيخ صاحب القوت: (**إنفاق درهم زيف أشد من سرقة مائة درهم لأن السرقة**) ولفظ القوت لأن سرقة مائة درهم (**معصية واحدة وقد تمت وانقطعت، وإنفاق الزيف**) ولفظ القوت: وإنفاق دانق واحد مزيف (**بدعة أظهرها**) وفي القوت أحدثها (**في الدين و**) إظهار (**سنّة سيئة يعمل بها من بعده**) وإفساد لأموال المسلمين، (**فيكون عليه وزرها بعد موته إلى مائة سنة أو مائتي سنة إلى أن يفنى ذلك الدرهم**) ولفظ القوت ما بقي ذلك الدرهم يدور في أيدي الناس، (**ويكون عليه**) إثم (**ما فسد ونقص**) ولفظ القوت: ما نقص وأفسد (**من أموال الناس**) وفي القوت: من أموال المسلمين (**بسببه**) إلى آخر فنائه وانقضائه، (**فطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه، والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة ومائتين سنة**) ولفظ القوت: بعد مائة سنة (**يعذب بها في قبره ويُسأل عنها إلى آخر انقراضها. وقال تعالى**) في كتابه العزيز (**﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ أي**) نكتب ما قدموا من أعمالهم، (**ونكتب أيضاً ما أخروه من آثار أعمالهم كما نكتب ما قدموه**) ولفظ القوت: أي ما سنّوه لمن بعدهم فعمل به. (**وفي مثله قوله تعالى:**

الزيف خمسة أمور:

الأول: أنه إذا رد عليه شيء منه فينبغي أن يطرحه في بئر بحيث لا تمتد إليه اليد وإياه أن يروّجه في بيع آخر، وإن أفسده بحيث لا يمكن التعامل به جاز.

الثاني: أنه يجب على التاجر تعلم النقد لا ليستقصي لنفسه ولكن لئلا يسلم إلى مسلم زيفاً وهو لا يدري فيكون آثماً بتقصيره في تعلم ذلك العلم. فلكل عمل علم به يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد نظراً لدينهم لا لدنياهم.

﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخر﴾ وإنما أخّر آثار أعماله من سنّة سيئة عمل بها غيره) ولفظ القوت: قيل بما قدم من عمل وما أخر من سيئة عمل بها بعده، (**ويعمل في الزيف خمسة أمور**.

الأوّل: إذا رد عليه شيء منه فينبغي) أن يقبله على بصيرة وعن سماحة ويحتسب بذلك الثواب من الله تعالى فله بذلك من الأجر بوزن كل ذرة بيع آخر وكل ذرة منها حسنة، وإذا أمكن (**أن يطرحه في البئر**) أو موضع آخر (**بحيث لا تمتد إليه اليد**) فله في طرحه أعمال كثيرة ونيات حسنة، وذلك أفضل له من أن يتصدق بأمثاله جيداً وخير له من كثير من الصلاة والصوم، (**وإن أفسده**) بأن كسره (**بحيث لا يمكن التعامل به جاز**) له ذلك، وهذا أرقى المقامين لأن في طرحه في البئر أو الموضع المهجور لا يؤمن من إخراجه ثانياً ولو بعد زمان فترتب السيئة بذمته.

(**الثاني: أنه يجب على التاجر**) الذي لا يستغني عن معاملة الناس في الأخذ والعطاء (**تعلم النقد**) وهو الاعتبار فيه ليتميز الرديء من الجيد (**ليستضيء**) بنور علمه (**لنفسه**) فلا يأخذ زيفاً (**ولئلا يسلم إلى مسلم**) في بيع (**زيفاً وهو**) أي المعطي (**لا يدري**) ما أعطاه (**فيكون آثماً**) بسبب ذلك (**لتقصيره في تعلم ذلك العلم**) فإذا كان على بصيرة الانتقاد يسلم في ذلك، (**فلكل عمل**) من الأعمال الظاهرة أو الباطنة (**علم**) خاص يخص به وبه (**يتم نصح المسلمين فيجب تحصيله**)، وقد سمعت من ثقات الصيارفة أن علم النقد له ركنان لا يتم إلا بهما: النظر والوزن، فمن جمع بينهما فقد كمل نقده، وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: من زافت عليه دراهمه فليضعها في كفه ولينادِ في السوق من يبيعنا سخف ثوب بدرهم زائف، (**ولمثل هذا كان السلف يتعلمون علامات النقد**) نظراً ووزناً لدينهم أي للمحافظة عليه (**لا لدنياهم**) أي لا لأجل تحصيلها والطمع في جمعها، وإنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى. ولفظ القوت: فإنما كان المسلمون يتعلمون جودة النقد لأجل إخوانهم المسلمين لئلا يفتنوهم بالرديء وإلاّ فإن تعلم النقد بلاء وإثم على صاحبه.

الثالث: أنه إن سلم وعرف المعامل أنه زيف لم يخرج عن الإثم لأنه ليس يأخذه إلا ليروجه على غيره ولا يخبره ولو لم يعزم على ذلك لكان لا يرغب في أخذه أصلاً، فإنما يتخلص من إثم الضرر الذي يخص معامله فقط.

الرابع: أن يأخذ الزيف ليعمل بقوله ﷺ: «رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء». فهو داخل في بركة هذا الدعاء إن عزم على طرحه في بئر وإن كان عازماً على أن يروّجه في معاملة، فهذا شر روَّجه الشيطان عليه في معرض الخير فلا يدخل تحت من تساهل في الاقتضاء.

الخامس: أن الزيف نعني به ما لا نقرة فيه أصلاً بل هو مموّه. أو ما لا ذهب فيه.

(**الثالث: أنه إن سلم**) الدرهم (**وعلم المعامل أنه زيف لم يخرج عن الإثم**) بسكوته (**لأنه ليس يأخذه**) مع علمه (**إلاَّ ليروّجه**) في بيع آخر (**على غيره ولا يخبره**) بذلك، (**ولوَ لم يعزم على ذلك**) بهذه النية (**ما كان يرغب في أخذه**) أولاً (**أصلاً، وإنما يتخلص من إثم الضرر الذي يخص معامله فقط**).

الرابع: أنه إن سمح) وتجوّز بأن (**أخذ الزيف ليعمل بقوله ﷺ «رحم الله امرأ**) هو دعاء أو خبر (**سهل البيع**) أي غير مضايق في أموره (**سهل القضاء**) أي الوفاء لما عليه بسهولة (**سهل الاقتضاء»**) أي طلب قضاء الحق، وهذا مسوق للحث على المسامحة في المعاملة وترك المشاحة والتضييق في الطلب والتخلق بمكارم الأخلاق.

قال ابن العربي: فإن كان سيء القضاء حسن الطلب فمطلبه بما عليه يحسب له في مقابلة صبره بما له على غيره، قال العراقي: رواه البخاري من حديث جابر اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن ماجه في البيع مطولاً ومقتصراً ولفظها «رحم الله عبداً سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى سمحاً إذا قضى سمحاً إذا اقتضى» (**فهو داخل في بركة هذا الدعاء**) مستحق له وفاضل محسن (**إن عزم على طرح الزيف في بئر**) أو موضع مهجور أو أفسده بالكلية بكسر أو نحوه وله فيه أجر ومثوبة، (**وإن كان أخذه ليروّجه في معاملة فهذا شر**) باطن (**روّجه الشيطان عليه في معرض خير**) ظاهر ولا يؤجر في سماحته وتشديده حينئذ في أخذ الجيد أفضل، (**فلا يدخل تحت من ساهل في الاقتضاء**) أي الطلب، وهذا من دقائق الأعمال.

(**الخامس: أن الزيف يعني به ما لا نُقرة فيه أصلاً**) والنقرة بالضم الفضة (**بل هو مموّه**) أي مطلي بماء الفضة هذا في الدراهم، (**أو ما لا ذهب فيه**) قليلاً ولا كثيراً بل هو مطلي بماء

أعني في الدنانير. أما ما فيه نقرة فإن كان مخلوطاً بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه، وجلّ رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة أو لم يعلم، وإن لم يكن هو نقد البلد لم يجز إلا إذا علم قدر النقرة، فإن كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه أن يخبر به معامله، وأن لا يعامل به إلا من لا يستحل الترويج في جلة النقد بطريق التلبيس، فأما من يستحل ذلك فتسليمه إليه تسليط له على الفساد، فهو كبيع العنب ممن يعلم أنه يتخذه خمراً، وذلك محظور وإعانة على الشر ومشاركة فيه، وسلوك طريق الحق بمثال هذا في التجارة أشد من المواظبة على

الذهب (**أعني في الدنانير**) وفي المصباح قال بعضهم: الدراهم الزيوف هي المطلية بالزيف المعقود بمراوجة الكبريت، وكانت معروفة قبل زماننا وقدرها مثل سنجات الميزان اهـ.

وقال الشهاب ابن الهائم في نزهة النفوس: اعلم أن النقد قد فسره الرافعي والنووي وغيرهم بالدراهم والدنانير المضروبة، وهل المضروبة صفة موضحة أو مخصصة. قال الماوردي: قد يعبر بالدرهم عن غير المضروب، فيحتمل أن يكون ذلك حقيقة فيكون صفة مخصصة، وأن يكون مجازاً وهو الظاهر فيكون صفة موضحة. قال: وأما تقييد النقد بالمضروب فلا حاجة إليه لأن النقد هو المضروب والفلوس الرائجة لا تسمى نقداً اهـ.

(**أما ما فيه نُقرة فإن كان مخلوطاً بالنحاس وهو نقد البلد**) ومتعامل به، (**فقد اختلف العلماء في المعاملة عليه**) فمنهم من أجاز المعاملة بها، ومنهم من لم يجوّز، (**وقد رأينا الرخصة فيه إذا كان ذلك نقد البلد**) ففي الروضة: فإن كان في البلد نقد واحد أو نقود ولكن الغالب التعامل بواحد منها انصرف العقد إلى النقد وإن كان فلوساً اهـ.

(**وسواء علم بمقدار النقرة أو لم يعلم**) وإنما المعتبر رواج البلد (**وإن لم يكن هذا نقد البلد لم يجز**) التعامل به (**إلا إذا علم قدر النقرة**) فيه، (**فإن كان في ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه أن يخبر به معامله**) ولفظ القوت: فإن كان في القطعة تجوز وقد ينصرف مثلها فأراد أن يشتري بها شيئاً، فليعلم البيع الثاني أنها قد وردت عليه، فإن أخذها على بصيرة وعن سماحة فلا بأس فإن لم يعلمه فإنه لم ينصحه وربما كان على غير بصيرة بالانتقاد اهـ.

(**و**) عليه (**أن لا يعامل بها إلا من لا يستحلَ الترويج**) أي لا يراه جائزاً (**في جلة النقد بطريق التلبيس**) أي خلط الباطل بالحق، (**فأما من يستحل ذلك فتسليمها إليه**) سواء أخبر أو لم يخبر (**تسليط له على الفساد**) والإفساد، (**فهو كبائع العنب ممن يعلم**) ويتحقق منه (**أنه يتخذ منه الخمر وذلك محظور**) شرعاً، (**و**) فيه (**إعانة على الشر**) وترخيص لطرقه (**ومشاركة فيه**) فهو شريك للعاصر في الوزن، وكل معين لمبتدع أو عاص فهو شريكه في بدعته ومعصيته، (**وسلوك طريق الحق بأمثال هذا في باب التجارات أشد من المواظبة على نوافل**

نوافل العبادات والتخلي لها، ولذلك قال بعضهم: التاجر الصدوق أفضل عند الله من المتعبد. وقد كان السلف يحتاطون في مثل ذلك حتى روي عن بعض الغزاة في سبيل الله أنه قال: حملت على فرسي لأقتل عِلجاً فقصر بي فرسي فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت ثانية فقصر فرسي فرجعت، ثم حملت الثالثة فنفر مني فرسي وكنت لا أعتاد ذلك منه فرجعت حزيناً وجلست منكس الرأس منكسر القلب لما فاتني من العلج وما ظهر لي من خلق الفرس، فوضعت رأسي على عمود الفسطاط وفرسي قائم فرأيت في النوم كأن الفرس يخاطبني ويقول لي: بالله عليك أردت أن تأخذ على العلج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لي علفاً ودفعت في ثمنه درهماً زائفاً لا يكون هذا أبداً، قال: فانتبهت فزعاً فذهبت إلى العلاّف وأبدلت ذلك الدرهم، فهذا مثال ما يعم ضرره، وليقس عليه أمثاله.

العبادات وأكثر) ثواباً **(من التخلي لها)** لقصور منافعها على النفس، **(فلذلك قال بعضهم)** هو ابراهيم النخعي: **(التاجر الصدوق أفضل من المتعبد)** قال: لأنه في جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان، ومن طريق الأخذ والعطاء فيجاهده، والصدوق بناء مبالغة من الصدق، فالمراد التاجر الذي كثر تعاطيه الصدق مع تحري الأمانة والديانة والنصح للخلق، فهو أفضل من الذي يتعبد الله وينفع نفسه وحده، وقد وردت في حق التاجر الصدوق الأمين أخبار تقدم ذكرها قبل ذلك، **(وقد كان السلف يحتاطون)** أي يعملون بالاحتياط **(في مثل ذلك حتى روي عن بعض الغزاة في سبيل الله)** ولفظ القوت: حدثني بعض العلماء عن بعض الغزاة في سبيل الله عز وجل **(قال: حملت على فرسي لأقتل)** ولفظ القوت: لأتناول **(عِلجاً)** هو بكسر العين الرجل الضخم من كفار العجم، وبعض العرب يطلق العلج على الكافر مطلقاً والجمع علوج واعلاج كذا في المصباح، **(فقصر فرسي)** أي لم أتناوله لتقصير فرسي عن الوصول إليه، **(فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت)** حملة **(ثانية)** لأتناوله **(فقصر فرسي)** كالأولى، **(فرجعت ثم حملت)** المرة **(الثالثة)** وقد دنا مني **(فنفر مني فرسي)** ولفظ القوت: فنفر بي فرسي، **(وكنت لا أعتاد ذلك)** ولفظ القوت: ولم أكن أعتاد ذلك **(منه فرجعت حزيناً)** أي محزوناً، **(وجلست)** إلى جنب فسطاطي **(منكس الرأس)** أي خافضه **(منكسر القلب لما فاتني من العلج)** أي من تناوله وأخذه، **(ومما ظهر لي من خلق الفرس)** أي عدم إطاعته لي **(فوضعت رأسي على عمود الفسطاط)** فنمت **(وفرسي قائم)** بين يدي، **(فرأيت في النوم وكأن الفرس يخاطبني ويقول لي: بالله عليك أردت أن تأخذ عليّ)** أي على ظهري **(العلج ثلاث مرات وأنت بالأمس اشتريت لي علفاً ودفعت في ثمنه درهماً زائفاً)** أي مغشوشاً **(لا يكون هذا أبداً)** لا يتم مطلوبك وفعلك هذا أبداً **(قال: فانتبهت)** من النوم **(فزعاً)** لما رأيت **(فذهبت إلى العلاّف)** الذي اشتريت منه العلف فقلت: اخرج إليّ الدراهم التي اشتريت بها

القسم الثاني: ما يخص ضرره المعامل:

فكل ما يستضر به المعامل فهو ظلم، وإنما العدل أن لا يضر بأخيه المسلم، والضابط الكلي فيه أن لا يحب لأخيه إلا ما يحب لنفسه، فكل ما لو عومل به شق عليه وثقل على قلبه فينبغي أن لا يعامل غيره به بل ينبغي أن يستوي عنده درهمه ودرهم غيره. قال بعضهم: من باع أخاه شيئاً بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه إلا بخمسة دوانق فإنه قد ترك النصح المأمور به في المعاملة ولم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، هذه جملته. فأما تفصيله ففي أربعة أمور: أن لا يثني على السلعة بما ليس فيها وأن لا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاً أصلاً، وأن لا يكتم في وزنها ومقدارها شيئاً، وأن لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه.

منك علفاً بالأمس، **(وأبدلت ذلك الدرهم)** الزائف وانصرفت هكذا أورده صاحب القوت، **(فهذا مثال ما يعم ضرره وليقس عليه أمثاله)** وليلحق به نظائره.

القسم الثاني: ما يخص المعامل:

فقط **(وكل ما يستضر به العامل فهو ظلم)** في حقه، **(وإنما العدل)** في الحقيقة **(أن لا يضر بأخيه المسلم)** أصلاً **(والضابط الكلي الجملي)** أي الإجمالي الجامع لسائر الأفراد **(أن لا يحب له إلا ما يحب لنفسه)** كما هو شأن الإيمان الكامل، **(فكل ما لو عومل به شق عليه وثقل على قلبه)** وعرف ذلك من نفسه، **(فينبغي أن لا يعامل غيره به، بل ينبغي أن يستوي عنده درهمه ودرهم غيره)**، ولذلك **(قال بعضهم)**: من دخل السوق يشتري ويبيع فكان درهمه أحب إليه من درهم أخيه لم ينصح للمسلمين في المعاملة، وقال آخر: **(من باع أخاه شيئاً بدرهم وليس يصلح له لو اشتراه لنفسه إلا بخمسة دوانق)** جمع الدانق وهو سدس درهم وهو عند اليونان حبتا خرنوب، فإن الدرهم عندهم إثنا عشر حبة خرنوب، والدانق الإسلامي حبتان وثلثا حبة، فإن الدرهم الإسلامي ست عشرة حبة، **(فإنه ترك النصح المأمور به في المعاملة ولم يحب لأخيه ما يحب لنفسه)** فينبغي له أن يستوي في قلبه درهمه ودرهم أخيه ورحله ورحل أخيه ليعدل فيما يبيعه أو يشتري منه سواء بسواء. **(هذه جملته)** أي على طريق الإجمال، **(فأما تفصيله ففي أربعة أمور.)** الأول: **(أن لا يثني على السلعة بما ليس فيها، و)**الثاني: **(أن لا يكتم من عيوبها وخفايا صفاتها شيئاً أصلاً، و)**الثالث: **(أن لا يكتم من وزنها ومقدارها شيئاً، و)**الرابع: **(أن لا يكتم من سعرها ما لو عرفه العامل لامتنع منها.**

أما الأوّل: فهو ترك الثناء فإن وصفه للسلعة إن كان بما ليس فيها فهو كذب، فإن قبل المشتري ذلك فهو تلبيس وظلم مع كونه كذباً، وإن لم يقبل فهو كذب واسقاط مروءة إذ الكذب الذي يروج قد لا يقدح في ظاهر المروءة، وإن أثنى على السلعة بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه أنه لم تكلم بها. قال الله تعالى: ﴿ما يلفظُ من قول إلاّ لديه رقيبٌ عتيد﴾ [ق: ١٨] إلا أن يثني على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري ما لم يذكره كما يصفه من خفي أخلاق العبيد والجواري والدواب، فلا بأس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة وإطناب، وليكن قصده منهْ أن يعرفه أخوه المسلم فيرغب فيه وتنقضي بسببه حاجته، ولا ينبغي أن يحلف عليه البتة فإنه إن كان كاذباً فقد جاء باليمين الغموس وهي من الكبائر التي تذر الديار بلاقع، وإن كان صادقاً فقد جعل الله تعالى عرضة لإيمانه، وقد أساء فيه إذ الدنيا أخس من أن

أما الأول: وهو ترك الثناء) على سلعته، (**فإن وصفه لسلعته**) لا يخلو من حالين (**إن كان بما ليس فيها فهو كذب**) وتنفيق بزخرف الكلام. قال أبو ذر رضي الله عنه: وكنا نعد من الفجور أن يمدح السلعة بما ليس فيها، (**فإن قبل المشتري ذلك فهو تلبيس**) أي تخليط (**وظلم مع كونه كذباً**) ففيه ثلاثة مذام شرعية، (**وإن لم يقبل**) ذلك منه (**فهو كذب وإسقاط مروءة ففيه مذمتان إذ الكذب الذي يروّج**) الشيء (**قد يقدح في ظاهر المروءة**)، والمروءة على ما سبق قوة للنفس مبدأ لصدور الأفعال الحسنة المستتبعة للمدح شرعاً وعقلاً وعرفاً (**وإن أثنى على السلعة بما فيها**) من المحاسن (**فهو هذيان**) أي هذر (**وتكلم بما لا يعنيه**) ولا ينبغي. يقال هذى في كلامه إذا خلط وتكلم بما لا يعني، (**وهو محاسب**) بين يدي الله (**على كل كلمة تصدر منه**) في الدنيا (**أنه لم تكلم بها**) وفيم تكلم بها. (**قال الله تعالى ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾**) قال البيضاوي: أي ما يرمي به من فيه إلا لديه رقيب ملك يرقب عليه عتيد معد حاضر يكتب عليه من فيه من ثواب أو عقاب، (**إلا أن يثني على السلعة بما فيها مما لا يعرفه المشتري**) أو كاد أن يخفي عليه إلا أن يذكر له (**كما يصفه من خفي أخلاق العبيد والجواري والدواب**) لما فيها، (**فلا بأس بذكر القدر الموجود منه من غير مبالغة وإطناب**) وإلا ربما كان ذلك وسيلة للخداع فينعكس عليه الأمر، (**ولكن قصده منه أن يعرفه أخوه المسلم فيرغب فيه**) بصدق قصده، (**وتنقضي بسبب ذلك حاجته، ولا ينبغي أن يحلف عليه البتة**) وقد كان السلف يشددون في ذلك (**فإنه إن كان كاذباً فقد جاء باليمين الغموس**) سميت بذلك لأنها تغمس صاحبها في الإثم لأنه حلف كاذباً على علم منه (**وهي من الكبائر التي تذر**) أي تترك (**الديار بـلاقع**) أي خرائب، وقد ورد ذلك في حديث بلفظ « اليمين الفاجرة تدع الديار بـلاقع » قال الشهاب القليوبي: هو حسن، (**وإن كان**

يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة. وفي الخبر: «ويل للتاجر من بلى والله ولا والله، وويل للصانع من غدٍ وبعد غد». وفي الخبر «اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة». وروى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: عتل مستكبر، ومنان بعطيته، ومنفق سلعته بيمينه». فإذا كان الثناء

صادقاً، فقد جعل الله تعالى عرضة لإيمانه وقد أساء فيه) قال الله تعالى ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم﴾ [البقرة: ٢٢٤] (إذ الدنيا) من حيث هي أحسن و(أقل من أن يقصد ترويجها) وتنفيقها (بذكر الله تعالى من غير ضرورة) طارئة. (وفي الخبر: «ويل للتاجر من بلى والله ولا والله، وويل للصانع من غد وبعد غد) هكذا هو في القوت، وقال العراقي: لم أقف له على أصل، وذكر صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بغير إسناد نحوه. (وفي الخبر «اليمين الكاذبة منفقة للسلعة) أي تحمل على إنفاقها ورواجها في عين المشتري (ممحقة للكسب») هكذا في القوت وسائر نسخ الكتاب أمى مظنة لمحقه وإذهابه قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ «الحلف» وهو عند البيهقي بلفظ المصنف اهـ.

قلت: لفظ البخاري «الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة» ولفظ مسلم «اليمين منفقة للسلعة ممحقة للربح» قال الزركشي: وهو أوضح وما رواه المصنف فمثله أيضاً عند أحمد وهي أصرح، ومنفقة وممحقة مفعلة من النفق والمحق هكذا الرواية، وأسند الفعل إلى اليمين أو الحلف إسناداً مجازياً، وحكاهما عياض بضم أولهما بصيغة إسم الفاعل، وفي معناه ما رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه من حديث أبي قتادة مرفوعاً «إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه منفق ثم يمحق».

(وروى أبو هريرة) رضي الله عنه (عن النبي ﷺ أنه قال «ثلاثة لا ينظر الله إليهم) نظر إنعام وإفضال (يوم القيامة) الذي من افتضح فيه لم يفز استهانة بهم وغضباً عليهم بما انتهكوا من حرماته: (عتل) بضم العين المهملة والمثناة الفوقية مع تشديد اللام هكذا في النسخ وهو الأكول المنوع الجافي، ولعله تصحيف صوابه عيل بالياء التحتية كسيد أي فقير وهو المناسب لقوله (مستكبر) لأن كبره مع فقد سببه فيه من نحو مال وجاه يدل على كونه مطبوعاً عليه مستحكماً فيه فيستحق المقت (ومنان بعطيته). قال الطيبي: يؤول على وجهين. أحدهما: من المنة التي هي الاعتداد بالصنيعة، وهي أن وقعت في صدقة أحبطت الثواب، أو في معروف أبطلت الصنيعة، وقيل: من المن وهو النقص يعني النقص من الحق والخيانة فيه، ومنه قوله تعالى ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ [التين: ٦] أي غير منقوص (ومنفق) بتشديد الفاء المكسورة على صيغة اسم الفاعل أي مروج (سلعته) أي بيعها وهي متاعه (بيمينه») الكاذبة هكذا في القوت. قال أبو عمرو الشيباني، عن أبي هريرة فساقه.

وقال العراقي: رواه مسلم من حديثه إلا أنه لم يذكر فيها إلا عائل مستكبر، ولهما «ثلاثة لا

على السلعة مع الصدق مكروهاً من حيث أنه فضول لا يزيد في الرزق فلا يخفى التغليظ في أمر اليمين، وقد روي عن يونس بن عبيد وكان خزازاً أنه طلب منه خز للشراء فأخرج غلامه سقط الخز ونشره ونظر إليه وقال: اللهم ارزقنا الجنة، فقال لغلامه رده إلى موضعه ولم يبعه وخاف أن يكون ذلك تعريضاً بالثناء على السلعة،

يكلمهم الله ولا ينظر إليهم رجل حلف على سلعته لقد أعطى فيها أكثر مما أعطى وهو كاذب» ولمسلم من حديث أبي ذر «المنان والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» اهـ.

قلت: عند أحمد والشيخين والأربعة من حديث أبي هريرة «ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك».

ولفظ مسلم والترمذي من حديثه «لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر» وهذه هي التي أشار إليها العراقي، ولأحمد ومسلم والأربعة من حديث أبي ذر «المسبل إزاره والمنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منه والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» وهذه هي التي أشار إليها العراقي.

وعند الطبراني والبيهقي من حديث سلمان «ورجل جعل بضاعة لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه» وللطبراني أيضاً من حديث عصمة بن مالك «ورجل اتخذ الإيمان بضاعة يحلف في كل حق وباطل».

وعند أحمد من حديث أبي ذر «ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الله فذكر التاجر الحلوف والفقير المختال والبخيل المنان».

(**فإذا كان الثناء على السلعة مع الصدق مكروهاً من حيث أنه فضول**) وهذيان (**لا يزيد في الرزق**) المقسوم (**فلا يخفى التغليظ في أمر اليمين**) والزجر الشديد فيه، (**وقد روي عن**) أبي عبد الله (**يونس بن عبيد**) ابن دينار العبدي مولاهم، رأى إبراهيم النخعي، وانس بن مالك، وسعيد بن جبير. قال أحمد وابن معين والنسائي: ثقة روى له الجماعة، مات سنة تسع وثلاثين ومائة، (**وكان خزازاً**) أي يبيع الخز (**أنه طلب منه**) ثوب (**خز للشراء، فاخرج غلامه سقط خز ونشره ونظر إليه وقال: اللهم ارزقنا الجنة، فقال لغلامه**: رده إلى موضعه **ولم يبعه، وخاف أن يكون ذلك تعريضاً للثناء على السلعة**) ولفظ القوت: فجاءه رجل يطلب ثوب خز فأمر غلامه أن يخرج رزمة الخز فلما فتحها قال الغلام: اسأل الله تبارك وتعالى الجنة، فقال: شد الرزمة ولم يبع منها خشية أن يكون قد مدح اهـ.

وفي الحلية لأبي نعيم، حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا محمد بن أحمد بن عمرو، حدثنا رستة

فمثل هؤلاء هم الذين اتجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجاراتهم، بل علموا أن ربح الآخرة أولى بالطلب من ربح الدنيا.

الثاني: أن يظهر جميع عيوب المبيع خفيها وجليها ولا يكتم منها شيئاً، فذلك واجب فإن أخفاه كان ظالماً غاشاً والغش حرام، وكان تاركاً للنصح في المعاملة والنصح واجب، ومهما أظهر أحسن وجهي الثوب وأخفى الثاني كان غاشاً، وكذلك إذا عرض الثياب في المواضع المظلمة، وكذلك إذا عرض أحسن فردي الخف أو النعل وأمثاله،

قال: سمعت زهيراً يقول: كان يونس بن عبيد خزازاً فجاء رجل يطلب ثوباً فقال لغلامه: انشر الرزمة فنشر الغلام الرزمة فضرب بيده على الرزمة وقال: صلى الله على محمد، فقال: ارفعه وأبى أن يبيعه مخافة أن يكون مدحه.

وحدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا أبو عبد الرحمن المقري قال: نشر يونس بن عبيد يوماً ثوباً على رجل فسبح رجل من جلسائه، ثم قال: ارفع احسبه. ثم قال لجليسه: ما وجدت موضع التسبيح إلا ههنا.

(**فمثل هؤلاء هم الذين اتجروا في الدنيا ولم يضيعوا دينهم في تجارتهم**) بل حافظوا عليه ولم يبالوا بحطام الدنيا، (**بل علموا أن ربح الآخرة أولى من طلب ربح الدنيا**) وأربح.

(**الثاني: أن يظهر جميع عيوب السلعة خفيها وجليها**) دقيقها وجليلها (**ولا يكتم منها شيئاً**) مهما أمكن، (**فذلك**) امر (**واجب عليه**) شرعاً (**فإن أخفاه**) عن المشتري (**كان ظالماً**) في نفسه (**غاشاً له والغش حرام**) على المسلمين بنص الحديث، ومن كثر منه ذلك فهو فاسق، والغش بالكسر اسم من غشه غشاً إذا لم ينصحه وزين له غير المصلحة، ثم أطلق على خلط الجيد بالرديء، ونظر إلى أصل معنى الغش قال: (**وكان تاركاً للنصح في المعاملة والنصح واجب**) بنص الحديث، (**ومهما أظهر**) للمشتري (**أحسن وجهي الثوب**) إذا كان بزازاً (**وأخفى الباقي**) ولم يره إياه (**كان غشاً**) له، (**وكذلك إذا عرض الثياب في المواضع المظلمة**) يقال: عرضت المتاع للبيع أظهرته لذوي الرغبة ليشتروه، وإنما قال في المواضع المظلمة: لأن عرضها في مثل هذه المواضع لا يبين عيوب الثوب فيشتريه المشتري ثم يخرج به في المواضع النيرة فيجده رديئاً، فلا يمكنه بعد ذلك ردّه عليه، وهذا الفعل فاش في التجار ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(**وكذلك إذا عرض أحسن فردي الخف والنعل وأمثاله**) إذا كان خفافاً أو نعالاً ويؤخر الفرد الآخر الذي به عيب من ذهاب لون أو غيره، فإن ذلك داخل في جملة الغش، (**ويدل على**

ويدل على تحريم الغش ما روي: أنه مر عليه الصلاة والسلام برجل يبيع طعاماً فأعجبه، فأدخل يده فيه فرأى بللاً، فقال: «ما هذا؟» قال: أصابته السماء. فقال: «فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس، من غشنا فليس منا». ويدل على وجوب النصح بإظهار العيوب ما روي أن النبي ﷺ لما بايع جريراً على الإسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه

تحريم الغش ما روي أنه ﷺ مرّ برجل) في السوق (يبيع طعاماً فأعجبه) أي ذلك الطعام (فأدخل يده) فيه (فرأى) في داخله (بللاً) وقد ابتلت أصابعه (فقال «ما هذا؟» فقال: أصابته السماء) أي المطرة (فقال: «فهلا جعلته من فوق الطعام) ولفظ القوت: قال أفلا جعلته فوق الطعام (حتى يراه الناس من غشنا فليس منا») هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وعزا السيوطي هذه الجملة إلى الشيخين في الأزهار المتناثرة، وذكر أنه متواتر، وانه رواه اثنا عشر من الصحابة، وعزاه في الجامع الصغير للترمذي بلفظ: «من غش فليس منا» بدون هذه القصة.

وأخرجه الطبراني في الكبير والصغير، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود بلفظ المصنف وزاد «والمكر والخداع في النار» وقوله: «ليس منا» أي ليس من متابعينا. قال الطيبي: لم يرد به نفيه عن الإسلام بل نفي خلقه عن أخلاق المسلمين أي ليس هو على سنتنا وطريقتنا في مناصحة الإخوان اهـ.

وقال صاحب القوت: وفي حديث عبد الله بن أبي ربيعة، أنه ﷺ مر على طعام مصبر فارتاب منه فأدخل يده، فإذا طعام ممطور، فقال «ما هذا؟ قال: هو والله طعام واحد يا رسول الله. قال: فهلا جعلت هذا وحده وهذا وحده حتى يأتيك إخوانك فيشترون منك شيئاً يعرفونه من غشنا فليس منا» اهـ.

قلت: عبد الله بن أبي ربيعة مخزومي له صحبة، وهكذا رواه البيهقي من طريقه، ورواه ابن ماجه والطبراني، وابن عساكر عن ابن الحمراء والحاكم عن عمير بن سعيد، عن عمه، واسمه الحرث بن سويد النخعي. ورواه الدارقطني في الإفراد عن أنس، ورواه الطبراني أيضاً عن أبي موسى والله أعلم.

(ويدل على وجوب النصح بإظهار العيوب ما روي أن النبي ﷺ لما بايع جريراً على الإسلام) وهو جرير بن عبد الله بن جابر السليل البجلي القسري أبو عمرو، وقيل: أبو عبد الله اليماني الصحابي رضي الله عنه يوسف هذه الأمة وسيد قومه في زمانه، نزل الكوفة فابتنى بها داراً

واشترط عليه النصح لكل مسلم، فكان جرير إذا قام إلى السلعة يبيعها بصر عيوبها، ثم خيره وقال: إن شئت فخذ وإن شئت فاترك، فقيل له: إنك إذا فعلت مثل هذا لم ينفذ لك بيع، فقال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم. وكان واثلة بن الأسقع واقفاً فباع رجل ناقة له بثلاثمائة درهم فغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة، فسعى وراءه وجعل يصيح به: يا هذا اشتريتها للحم أو للظهر؟ فقال: بل للظهر، فقال: إن بخفها نقبا قد رأيته، وإنها لا تتابع السير فعاد فردها فنقصها البائع مائة درهم وقال لواثلة: رحمك الله أفسدت عليّ بيعي، فقال: إنّا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم. وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل لأحد يبيع بيعاً إلا أن يبين آفته، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا تبيينه» فقد فهموا من النصح أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه

في بجيلة، وكان إسلامه في رمضان سنة عشر وانتقل من الكوفة إلى [1]وبها مات سنة إحدى وخمسين، روى له الجماعة (**ذهب لينصرف فجذب ثوبه**) أي جره إليه (**واشترط عليه النصح لكل مسلم، فكان جرير**) رضي الله عنه بعد ذلك (**إذا قام إلى السلعة يبيعها نظر عيوبها ثم خير**) المشتري (**وقال: إن شئت فخذ وإن شئت فاترك، فقيل له: إنك إذا فعلت ذلك لم ينفذ لك البيع. قال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم**) هكذا هو في القوت وهو متفق عليه.

(**وكان واثلة بن الأسقع**) بن كعب بن عامر بن ليث الليثي الصحابي رضي الله عنه، أسلم قبل تبوك، وكان من أهل الصفة وهو آخر الصحابة موتاً بالشام، روى له الجماعة (**واقفاً**) بالكناس بالكوفة (**فباع رجل ناقة**) له (**بثلاثمائة درهم وغفل واثلة**) رضي الله عنه، (**وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به: يا هذا اشتريتها للحم أو للظهر**) أي للذبح أو للركوب؟ (**فقال: بل للظهر. فقال: إن بخفها نقباً قد رأيته**) أي رقة أو تخرق. يقال: نقب الخف نقباً من حد تعب إذا رق ونقب أيضاً تخارق فهو ناقب، (**وأنها لا تتابع السير**) عليه (**فعاد فردّها**). قال: (**فنقصه البائع مائة درهم وقال لواثلة: يرحمك الله أفسدت علي بيعي، فقال**) واثلة رضي الله عنه: (**إنا بايعنا رسول الله ﷺ**) هكذا أورده صاحب القوت. (**وقال**) واثلة أيضاً: (**سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا يحل لأحد يبيع بيعاً إلا يبين ما فيه**) أي من العيوب، (**ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا ويبينه»**) هكذا هو في القوت، وفي لفظ: «يبيع شيئاً إلا يبين ما فيه ولا يحل لمن علم ذلك» والباقي سواء. قال العراقي: رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي اهـ.

وهكذا هو في الجامع الكبير للسيوطي، (**فقد فهموا من النصح**) أي من معناه (**أن لا**

---

(١) بياض بالأصل.

لنفسه، ولم يعتقدوا أن ذلك من الفضائل وزيادة المقامات، بل اعتقدوا أنه من شروط الإسلام الداخلة تحت بيعتهم، وهذا أمر يشق على أكثر الخلق، فلذلك يختارون التخلي للعبادة والاعتزال عن الناس، لأن القيام بحقوق الله مع المخالطة والمعاملة مجاهدة لا يقوم بها إلا الصديقون، ولن يتيسر ذلك على العبد إلا بأن يعتقد أمرين.

أحدهما: أن تلبيسه العيوب وترويجه السلع لا يزيد في رزقه بل يمحقه ويذهب ببركته وما يجمعه من مفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة، فقد حكي أن واحداً كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيعه، فجاء سيل فغرق البقرة، فقال بعض أولاده: إن تلك المياه المتفرقة التي صببناها في اللبن اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة. كيف وقد قال ﷺ: «البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما، وإذا كتما وكذبا نزعت

يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه) في كل شيء، (ولم يعتقدوا ذلك من الفضائل) الزائدة (وزيادة المقامات) التي يحصل بها الترقي إلى الدرجات، (بل اعتقدوا أنه) أي النصح بالمعنى المذكور (من شروط الإسلام) وواجبات الدين (الداخلة تحت بيعتهم، وهذا أمر يشق) ويتعذر (على أكثر الخلق) وقد جعله من واجبات الدين في قوله «إنما النصيحة ثلاثاً» ثم سوى بين طبقات الناس فيه فقال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». (فلذلك) أي لتعذره على أكثر الناس (يختارون التخلي) والانزواء (للعبادة) والاشتغال بالله، (و) يختارون (الاعتزال عن الناس) لئلا يشوش عليه الحال (لأن القيام بحقوق الله تعالى مع المخالطة) مع الناس (والمعاملة) معهم (مجاهدة) شديدة (لا يقوم بها إلا الصديقون) فهم الذين يعطون كل ذي حق حقه، (ولن يتيسر ذلك) المقام (على العبد إلا بأن يعتقد أمرين) أي يوطن نفسه عليهما.

(أحدهما: أن تلبيسه العيوب) وتخليطها وإخفاءها (وترويجه السلعة) في عين المشترين (لا يزيد في رزقه) الذي قدر له، (بل يمحقه ويذهب ببركته وما يجمعه من مفرقات التلبيسات) في أزمنة متعددة على سلع مختلفة (يهلكه الله دفعة واحدة) وقد وقع ذلك كثيراً، (فقد حكي أن رجلاً كان له بقرة) تطلق على الذكر والأنثى، والمراد هنا الأنثى بدليل قوله (يحلبها) في الماعون، (و) كان (يخلط بلبنها الماء) بأن كان يجعل الماء في الماعون ثم يحلب عليه اللبن، (ويبيع فجاء سيل) عظيم (فغرق البقرة، فقال بعض أولاده: إن تلك المياه المغرقة التي صببناها في اللبن) فيما مضى (اجتمعت دفعة واحدة وأخذت البقرة) وهذا فيه مبالغة وفي أثنائها زجر شديد لمن يستعمل التلبيس في بياعاته، (وقد قال ﷺ «البيعان) تثنية بيع فيعل من باع بمعنى اشترى كلين من لان، واتفق أهل اللغة على أن باع واشترى من الألفاظ المشتركة وتسمى حروف الأضداد (إذا صدقا) أي صدق كل منهما فيما يتعلق به من ثمن ومثمن وصفة مبيع وغير ذلك، (ونصحا) فيما يحتاج إلى بيانه من نحو عيب واخبار بثمن وغيره (بورك

بركة بيعهما ». وفي الحديث: « يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا، فإذا تخاونا رفع يده عنهما » فإذاً لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة، ومن لا يعرف الزيادة والنقصان إلا بالميزان لم يصدق بهذا الحديث. ومن عرف أن الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سبباً لسعادة الإنسان في الدنيا والدين، والآلاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى تكون سبباً لهلاك مالكها بحيث يتمنى الإفلاس منها ويراه أصلح له في بعض أحواله فيعرف معنى قولنا: إن الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه.

والمعنى الثاني: الذي لا بدّ من اعتقاده ليتم له النصح ويتيسر عليه أن يعلم أن ربح

لهما) أي أعطاهما الله الزيادة والنمو (في بيعتهما) أي في صفقتهما، (وإذا كذبا) في نحو صفات الثمن أو المثمن (وكتما) شيئاً مما يجب الإخبار به شرعاً (نزعت بركة بيعهما ») قيل: هذا يختص بمن وقع منه التدليس، وقيل عام فيعود شؤم أحدهما على الآخر. قال العراقي: متفق عليه من حديث حكيم بن حزام اهـ.

قلت: وكذا رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي كلهم في البيوع ولفظهم: « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما ».

(وفي الحديث « يد الله) أي حفظه ووقايته وكلاءته (على الشريكين) يعني أن كلاً منهما في كنف الله ووقايته فوقهم (ما لم يتخاونا) أي ما لم يخن أحدهما الآخر بغش أو نقص ثمن ونحوه، (فإذا تخاونا رفع يده) أي كلاءته ووقايته (عنهما ») هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة وقال صحيح الإسناد.

(فإذاً لا يزيد مال) في بر أو بحر (من خيانة) وغش (كما لا ينتقص من) زكاة أو (صدقة، ومن يعرف الزيادة والنقصان بالميزان) أو الكيل (لا يصدق بهذا الحديث) أي لا يخطر بباله تصديق معناه بل يفهمه على سبيل التجوز، (ومن عرف أن الدرهم الواحد قد يبارك فيه) فينمو ويزيد، (حتى يكون سبباً لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة) بالعمارة في الدنيا والنجاة في الآخرة (والآلاف المؤلفة) أي الكثيرة (قد ينزع الله البركة منها حتى يكون) وبالاً وخيماً و(سبباً لهلاك ملاكها) وإفساد حاله (بحيث يتمنى الإفلاس منها)، وحقيقة الإفلاس الانتقال من حالة اليسر إلى حالة العسر (ويراه أصلح له في بعض أحواله) لا له ولا عليه (فيعرف معنى قولنا) المتقدم: (إن الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص منه)، وقد وردت في مثل ذلك أخبار صحيحة تدل لما قاله المصنف.

(والمعنى الثاني الذي لا بد من اعتقاده) أي عقد القلب عليه (ليتم له النصح) على حقيقته (ويتيسر عليه) أي يسهل (أن يعلم) ويتحقق (أن ربح الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا

الآخرة وغناها خير من ربح الدنيا، وأن فوائد أموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها وأوزارها. فكيف يستجيز العاقل أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، والخير كله في سلامة الدين. قال رسول الله ﷺ: «لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم». وفي لفظ آخر «ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم، فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى: كـذبتم لستم بها صادقين» وفي حديث آخر: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة. قيل: وما إخلاصه؟ قال: أن يحرزه عما حرم الله» وقال أيضاً: «ما آمن بالقرآن من

وغناها، وأن فوائد أموال الدنيا) أي النتائج الحاصلة بسببها (تنقضي بانقضاء العمر) وتضمحل، (وتبقى مطالبتها وأوزارها) وأثقالها، (فكيف يستجيز العاقل) المتبصر (أن يستبدل الذي هو أدنى) أي أخس (بالذي هو خير) كما قال الله تعالى في كتابه العزيز في معرض التقريع على مثل هؤلاء المستبدلين ﴿الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾ [البقرة: ٦١] (والخير كله سلامة الدين) عن العلل والآفات، (وقد قال ﷺ «لا تزال) كلمة (لا إله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله) أي غضبه ومقته (ما لم يؤثـروا) أي يختـاروا (صفقـة دنياهم على آخرتهم») . هكذا هو في القوت، (وفي لفظ آخر) من هذا الحديث («ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى: كذبتم لستم بها صادقين») ولفظ القوت: لستم بصادقين زاد وفي لفظ آخر «ردت عليهم».

قال العراقي: رواه أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف، وفي رواية للترمذي الحكيم في النوادر «حتى إذا نزلوا بالمنزل الذي لا يبالون ما نقص من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم» الحديث وللطبراني في الأوسط نحوه من حديث عائشة وهو ضعيف أيضاً اهـ.

قلت: وروى ابن النجار من حديث زيد بن أرقم بلفظ «لا تزال لا إله إلا الله تحجب غضب الرب عن الناس ما لم يبالوا ما ذهب من دينهم إذا صلحت لهم دنياهم، فإذا قالوا قيل كذبتم لستم من أهلها».

(وفي لفظ آخر «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة») هكذا في النسخ كلها، ولعل في العبارة سقطا، فإن صاحب القوت بعدما أورد الحديث الذي تقدم ذكر الروايتين ثم قال: وفي لفظ آخر «ردت عليهم» ثم قال: وروينا في جزء آخر كأنه مفسر لحديث مجمل «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة» الحديث، وذلك لأنه حديث مستقل ولا يقال قولهم، وفي لفظ آخر «إلا إذا كانت» رواية أخرى في ذلك الحديث بعينه، ويكون المخرج واحداً وهما ليسا كذلك فتأمل.

(قيل: وما إخلاصها؟ قال «أن تحجزه) أي تمنعه (عما حرم الله») أي عن محارمه، ولفظ القوت «أن يهجر ما حرم الله عليه» قال العراقي: رواه الطبراني في معجميه الكبير والأوسط من حديث زيد بن أرقم بإسناد حسن اهـ.

استحل محارمه، ومن علم أن هذه الأمور قادحة في إيمانه وأن إيمانه رأس ماله في تجارته في الآخرة لم يضيع رأس ماله المعد لعمر لا آخر له بسبب ربح ينتفع به أياماً معدودة. وعن بعض التابعين انه قال: لو دخلت الجامع وهو غاص بأهله وقيل لي: من خير هؤلاء؟ لقلت: من أنصحهم لهم فإذا قالوا هذا، قلت: هو خيرهم. ولو قيل لي: من شرهم؟ قلت: من أغشهم لهم، فإذا قيل: هذا قلت: هو شرهم. والغش حرام في البيوع والصنائع جميعاً، ولا ينبغي أن يتهاون الصانع بعمله على وجه لو عامله به غيره لما ارتضاه لنفسه، بل ينبغي أن يحسن الصنعة ويحكمها ثم يبين عيبها إن كان فيها عيب، فبذلك

قلت: والجملة الأولى من الحديث رواه البزار والطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد والبغوي والطبراني أيضاً في الكبير من حديث أبي سعيد الخدري هكذا اقتصروا على هذه الجملة، وروى الحكيم والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية من حديث زيد بن أرقم الحديث بتمامه بلفظ «أن تحجزه عن محارم الله» ورواه الخطيب في تاريخه من حديث أنس بلفظ: قالوا يا رسول الله: وما إخلاصها؟ قال «أن تحجزكم عن كل ما حرم الله عليكم».

(**وقال ﷺ أيضاً «ما آمن بالقرآن من استحل محارمه»**) هكذا أورده صاحب القوت ولم يذكره العراقي وهو موجود في سائر النسخ، قال الطيبي: «من استحل ما حرم الله فقد كفر مطلقاً» فخص القرآن لعظمته وجلاله اهـ.

والحديث رواه الترمذي، والطبراني في الكبير، والبيهقي في السنن، والبغوي من حديث صهيب. وقال الترمذي: إسناده قوي وكذلك ضعفه البغوي، ورواه عبد بن حميد من حديث أبي سعيد، ووجدت بخط من نقل عن الحافظ ابن حجر في هامش المغني بعد أن استدركه على شيخه العراقي ما نصه: ليس بحسن، ففي إسناده الهيثم بن جماز ضعيف عن أبي داود وهو متهم عن زيد اهـ.

(**ومن علم أن هذه الأمور قادحة في إيمانه**) مضرة له (**وأن إيمانه**) هو (**رأس ماله في تجارة الآخرة**) إن سلم له (**لم يضيع رأس ماله المعد**) أي المهيأ (**لعمر**) نفيس (**لا آخر له بسبب ربح**) بخس (**ينتفع به أياماً معدودة**) أي قليلة.

(**و**) روي (**عن بعض التابعين**) أنه (**قال: لو دخلت**) هذا الجامع (**وهو غاص**) أي مزحوم (**بأهله، وقيل**) لي: من خير (**هؤلاء**) الحاضرين؟ (**لقلت: من**) هو (**أنصحهم لهم**) أي أكثرهم نصيحة للمسلمين، (**فإذا قالوا هذا قلت هو خيرهم، ولو قالوا: من شرهم؟ قلت: من**) هو (**أغشهم لهم**) أي أكثرهم غشاً لهم، (**فإذا قالوا هذا قلت هو شرهم**) هكذا أورده صاحب القوت، (**والغش حرام**) أي محرم على المسلمين من كثر ذلك منه فهو فاسق، وذلك (**في البيوع والصنائع**) **،** فكما يجب استعمال النصح في البيع والشراء، **فكذلك**

يتخلص. وسأل رجل حذّاء ابن سالم فقال: كيف لي أن أسلم في بيع النعال؟ **فقال**: اجعل الوجهين سواء ولا تفضل اليمنى على الأخرى، وجوّد الحشو وليكن شيئاً واحداً تاماً، وقارب بين الخرز، ولا تطبق إحدى النعلين على الأخرى، ومن هذا الفن ما سئل عنه أحمد بن حنبل رحمه الله من الرفو بحيث لا يتبين، **قال**: لا يجوز لمن يبيعه أن يخفيه، وإنما يحل للرفاء إذا علم انه يظهره أو أنه لا يريده للبيع.

فإن قلت: فلا تتم المعاملة مهما وجب على الإنسان أن يذكر عيوب المبيع. **فأقول**: ليس كذلك إذ شرط التاجر أن لا يشتري للبيع إلا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو أمسكه

في الصنعة ويستوي علمهم في المبيع والمشتري وفي المصنوع ويفطن كل واحد منهما صاحبه لعيب إن كان في الصنعة أو السلعة إن لم يفطن المشتري المستعمل ليتكافأ العلمان ويثني كل واحد على صاحبه بإحسان.

(**وسأل رجل حذّاء**) أي نعّال وهو الذي صنعته عمل النعال، وقد حذوت النعل بالنعل قدرتها وقطعتها على مثلها وقدرها (**ابن سالم**) والمراد به أبو الحسن علي بن سالم البصري شيخ صاحب القوت (**فقال: كيف لي أن أسلم في بيع النعال؟ فقال له** « **اجعل**) ولفظ القوت: وحدثني بعض أخواني وكان رجلاً حذاء أنه سأل أبا الحسن بن سالم فقال: كيف لي أن أسلم في بيع النعال؟ فقال: استجد الأسفل ويكونا شيئاً واحداً واجعل (**الوجهين سواء**) أي متساويين، (**ولا تفضل اليمنى على الأخرى**) هو كالتفسير للجملة الأولى، ولذلك سقطت الواو من سياق القوت، (**وجوّد الحشو**) أي اجعل ما تحشو به باطن النعل جيداً، (**وليكن**)الحشو (**شيئاً واحداً تاماً**) هكذا في النسخ، وفي نسخة القوت ثابتاً، (**وقارب بين الخرز**) أي ليكن خرزك مقارباً من بعضه، (**ولا تطبق إحدى النعلين على الأخرى**)، وقد ظهر مما سبق أن ما وقع في نسخ الكتاب لفظة رجل زائدة تفسد المعنى، فإن القائل له بهذا الكلام هو أبو الحسن بن سالم نفسه لا رجل آخر فتأمل.

(**ومن هذا الفن**) أي الضرب (**ما سئل عنه**) أبو عبد الله (**أحمد بن**) محمد (**بن حنبل**) رحمه الله تعالى (**في الرفو**) في الثوب (**بحيث لا يتبين**) أي لا يظهر إلا بعد التأمل. **يقال**: رفوت الثوب أرفوه رفواً أو رفيته أرفيه رفياً إذا أصلحته الثانية لغة بني كلب، ورفأته بالهمز لغة فيها (**فقال: لا يجوز لمن يبيعه ان يخفيه**) بل يظهره لمن يشتريه حتى يكون على بصيرة، (**وإنما يحل للرفاء إذا علم انه يظهره أو أنه لا يريده للبيع**)، وهذا القول نقله صاحب القوت في جملة مسائل سئل عنها الإمام أحمد وأجاب.

(**فإن قلت: لا تتم المعاملة مهما وجب على الإنسان أن يذكر عيوب المبيع**) فإن المشتري حينئذ لا يرغب في ذلك المبيع. (**فأقول: ليس كذلك**) الأمر (**إذ شرط التاجر أن لا يشتري للبيع**) أي لنية البيع (**إلا الجيد الذي يرتضيه لنفسه لو أمسكه**) عنده ولا يبيعه، (**ثم**) إذا

ثم يقنع في بيعه بربح يسير ، فيبارك الله له فيه ولا يحتاج إلى تلبيس وإنما تعذر هذا لأنهم لا يقنعون بالربح اليسير ، وليس يسلم الكثير إلا بتلبيس ، فمن تعوّد هذا لم يشتر المعيب فإن وقع في يده معيب نادراً فليذكره وليقنع بقيمته .

باع ابن سيرين شاة فقال للمشتري : أبرأ إليك من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها ، وباع الحسن بن صالح جارية فقال للمشتري : انها تنخمت مرة عندنا دماً ، فهكذا كانت سيرة أهل الدين فمن لا يقدر عليه فليترك المعاملة أو ليوطن نفسه على عذاب الآخرة .

باعه (**يقنع في بيعه بربح يسير**) أي قليل (**فيبارك الله عز وجل له**) في ذلك الربح ، (**ولا يحتاج إلى تلبيس**) أي تخليط (**وإنما تعذر هذا**) في الغالب (**بأنهم لا يكتفون**) في المبيع (**بالربح اليسير وليس يسلم الكثير إلا بتلبيسه ، فمن تعوّد هذا لم يشتر المعيب**) أبداً ، (**فإن وقع في يده معيب نادراً**) أي مرة من الدهر ، (**فليذكره**) للمشتري (**وليقنع بقيمته**) اليسيرة ففيها البركة . وفي القوت : ينبغي للبائع والصانع أن يظهرا من المبيع والمصنوع أردأ ما فيه وأرذله ، ولينشر شر الطرفين ليقف المشتري والصانع على حقيقته ، ويكونان على بصيرة من باطنه .

(**باع ابن سيرين**) هو محمد تقدمت ترجمته (**شاة**) له (**فقال للمشتري : أبرأ إليك من عيب فيها**) وهو (**أنها تقلب العلف برجلها**) هكذا هو في القوت ، وأورده صاحب القوت في ترجمة يونس بن عبيد بسنده إلى الأصمعي قال : حدثنا سكن صاحب الفتح قال : جاز يونس بن عبيد بشاة فقال : بعها وابرأ من أنها تقلب العلف وتنزع الوتد ولا تبرأ بعد ما تبيع ، ولكن ابرأ وبيّن قبل أن يقع البيع .

(**وباع الحسن بن صالح**) بن مسلم بن حي الهمداني الثوري أبو عبد الله الكوفي العابد ثقة في الحديث والورع ، ولد سنة مائة ، ومات سنة تسع وستين ومائة ذكره البخاري في كتاب الشهادات من الجامع ، وروى له الباقون (**جارية**) له (**فقال للمشتري : إنها تنخمت مرة عندنا دماً**) أي أخرجت دماً في نخامتها عندما تنخمت هكذا هو في القوت ، وأورده أبو نعيم في الحلية ، (**فهكذا كانت سيرة أهل الدين**) وأهل الورع من المتقين ، (**فمن لا يقدر على هذا فليترك المعاملة**) مع الخلق ، (**أو ليوطن نفسه على عذاب الآخرة**) إن عاملهم بالغش . ولفظ القوت بعد حكاية ابن سيرين والحسن بن صالح ما نصه : ودقائق الاعلام والبيان في ذلك مما لا يعلمه المشتري أو المستعمل هو من النصح والصدق ، وذلك يكون عن الورع والتقوى في البياعات والاجارات ، ويكون الكسب عن ذلك أحلى وأطيب فليجتنب المسلم محرم ذلك كله ومكروهه ، فهذه سيرة السلف وطريقة صالح الخلف .

الثالث: أن لا يكتم في المقدار شيئاً وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي الكيل، فينبغي أن يكيل كما يكتال. قال الله تعالى: ﴿ويل للمطففين★ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون★ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ [المطففين: ١ - ٣] ولا يخلص من هذا إلا بأن يرجح إذا أعطى وينقص إذا أخذ، إذ العدل الحقيقي قلما يتصوّر، فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان، فإن من استقصى حقه بكماله يوشك أن يتعداه. وكان بعضهم يقول: لا أشتري الويل من الله بحبة، فكان إذا أخذ نقص نصف حبة، وإذا أعطى زاد حبة، وكان يقول: ويل لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والأرض، وما أخسر من باع طوبى

(**الثالث: أن لا يكتم المعيار وذلك بتعديل الميزان والاحتياط فيه وفي الكيل**). اعلم أن المعيار مفعال من العيار كسحاب، وعيار الشيء ما جعل نظاماً له، ويقال: عايرت الميزان والمكيال معايرة وعياراً امتحنته لمعرفة صحته. وقال ابن السكيت: عايرت بين المكيالين امتحنتها لمعرفة تساويها، (**فينبغي أن يكيل**) لغيره (**كما يكتال**) لنفسه سواء بسواء. (**قال الله تعالى**) في كتابه العزيز (**ويل**) اسم واد في جهنم أعاذنا الله منها (**للمطففين★**) قال البيضاوي: التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف أو حقير (**الّذين إذا اكتالوا على الناس**) أي من الناس حقوقهم (**يستوفون★**) أي يأخذونها وافية، وإنما أبدل من بعلى للدلالة على أن اكتيالهم لمالهم على الناس اكتيال بتحامل (**وإذا كالوهم**) أي للناس (**أو وزنوهم**) أي لهم (**يخسرون**) فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله:

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلاً

بمعنى جنيت لك، أو كالوا مكيلهم بحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، ولا يحسن جعل المنفصل تأكيد المتصل فإنه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله إذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الأخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها أو يستدعي اثبات الألف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره.

(**ولا يخلص من هذا إلا إذا أرجح**) أي زاد (**إذا أعطى**) ولو حبة (**وينقص إذا أخذ**) ولو حبة، (**إذ العدل الحقيقي**) الذي هو جار مجرى البيطار من الدائرة (**قلما يتصوّر**) بين العاملين، (**فليستظهره بظهور الزيادة والنقصان**) والاستظهار الاحتياط، (**فإن من استقصى حقه بكماله يوشك أن يتعداه**) أي يتجاوزه.

(**وكان بعضهم يقول: لا أشتري الويل من الله عز وجل بحبة، فكان إذا أخذ**) لنفسه (**نقص حبة، وإذا أعطى زاد غيره حبة**) يعني لقوله تعالى ﴿ويل للمطففين﴾ يعني الذين رضوا بالتطفيف الحبة والحبتان هكذا هو في القوت، (**وكان يقول: ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها السموات والأرض**) لجهلهم بأمر الله تعالى وقلة يقينهم بالآخرة، (**وما أخس من باع**

بويل، وإنما بالغوا في الاحتراز من هذا وشبهه لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها، إذ لا يعرف أصحاب الحبات حتى يجمعهم ويؤدي حقوقهم، ولذلك لما اشترى رسول الله ﷺ شيئاً قال للوزان لما كان يزن ثمنه: «زن وارجح» ونظر فضيل إلى ابنه وهو يغسل ديناراً يريد أن يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب ذلك فقال: يا بني فعلك هذا أفضل من حجتين وعشرين عمرة. وقال بعض السلف: عجبت للتاجر

طوبى) شجرة في الجنة (بويل) واد في جهنم، ولفظ القوت: اشتروا الويل الطويل بطوبى، (**وإنما بالغوا في الاحتراز من هذا وشبهه لأنها مظالم لا يمكن التوبة منها إذ لا يعرف أصحاب الحبات حتى يجمعوا وتؤدى حقوقهم**) ولفظ القوت: ويقال إن هذه مظالم لا ترد أبداً ولا تصح التوبة منها لتعذر معرفة أصحابها، (**ولذلك لما اشترى رسول الله ﷺ**) شيئاً كذا في القوت ويقال: إنه سراويل (**قال للوزان لما كان يزن ثمنه «زن وأرجح»**) بفتح الهمزة وكسر الجيم أي اعطه راجحاً، والرجحان الثقل والميل اعتبر في الزيادة، وهذا قاله وقد اشترى سراويل، وثم رجل يزن بالأجر أي في السوق والأمر محتمل للاباحة، وفي الأوسط للطبراني، والمسند لأبي يعلى ان الثمن كان أربعة دراهم وفيه صحة هبة المجهول المشاع، لأن الرجحان هبة وهو غير معلوم القدر.

قال العراقي: رواه أصحاب السنن، والحاكم من حديث سويد بن قيس. قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم اهـ.

قلت: وكذلك رواه الطيالسي، وأحمد، والبخاري في تاريخه، والدارمي، والطبراني في الكبير، وابن حبان، والعقيلي عن سويد بن قيس العبدي بن مزاحم صحابي مشهور نزل الكوفة قال: جلبت أنا ومخرمة العبدي بزاً من هجر فأتينا به مكة، فأتانا النبي ﷺ ونحن بمنى فاشترى منا سراويل. وفي رواية فساومنا سراويل فبعناه منه فوزن ثمنه، وثم وزان يزن بالأجر فقال: «يا وزان زن وأرجح» ورواه الطبراني في الكبير أيضاً من حديث مخرمة العبدي. وقال الحافظ في الإصابة: سويد ابن قيس العبدي صحابي روى عنه سماك بن حرب أن النبي ﷺ اشترى من رجل سراويل أخرجه أصحاب السنن، واختلف فيه على سماك ففيه اضطراب. قال: وفي سنده المسيب بن واضح اهـ.

وأورده ابن الجوزي في الموضوعات فلم يصب، وقد رد عليه السيوطي وغيره.

(**ونظر فضيل**) بن عياض رحمة الله عليه تقدمت ترجمته (**إلى ابنه**) عليّ وكان شديد الورع والاحتياط. روى عن ابن أبي رواد وجماعة، وعنه أبوه وجماعة، ومات قبل أبيه روى له النسائي (**يغسل ديناراً يريد يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسبب ذلك**) ولفظ القوت: وهو يغسل كحلاً من دينار أراد أن يصرفه فجعل ينقيه ويغسله من تكحيله، (**فقال: يا بني فعلك هذا أفضل من حجتين وعشرين عمرة**) نقله صاحب القوت، وأورده أبو نعيم في الحلية.

والبائع كيف ينجو ، يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل. وقال سليمان عليه السلام لابنه : يا بني كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين. وصلى بعض الصالحين على مخنّث فقيل له : إنه كان فاسقاً فسكت فأعيد عليه فقال : كأنك قلت لي كان صاحب ميزانين يعطي بأحدهما ويأخذ بالآخر أشار به إلى أن فسقه مظلمة بينه وبين الله تعالى ، وهذا من مظالم العباد والمسامحة والعفو فيه أبعد ، والتشديد في أمر الميزان عظيم والخلاص منه يحصل بحبة ونصف حبة. وفي قراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : ﴿لا تطْغوا في الميزان ★ وأقيموا الوزن باللسان ولا تخسروا الميزان﴾ [الرحمن : ٨ ، ٩] أي لسان الميزان ، فإن النقصان والرجحان يظهر بميله. وبالجملة ؛ كل من ينتصف لنفسه من غيره ولو في كلمة ولا ينصف بمثل ما ينتصف فهو داخل تحت قوله تعالى : ﴿ويل

(وقال بعض السلف : عجباً للتاجر و) عجباً (للبائع كيف ينجو) أي كيف يخلص من الوبال (يزن) أي فلا يعدل في وزنه ، (ويحلف بالنهار) على سلعته ، (وينام الليل) نقله صاحب القوت.

(وقال سليمان) بن داود (عليه) وعلى أبيه (السلام لابنه) رحيعم : (يا بني كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين) أورده صاحب القوت ، (وحديث ان بعض السلف صلى على مخنث) قد كان يجمع بين النساء والرجال اهـ.

وفي المصباح : خنث خنثاً فهو خنيث من باب تعب إذا كان فيه لين وتكسر ، وزاد بعضهم : ولا يشتهي النساء ويعدى بالتضعيف ، فيقال : خنثه غيره إذ جعله كذلك ، واسم الفاعل مخنث بالكسر ، واسم المفعول بالفتح. وقال بعض الأئمة : خنث الرجل كلامه بالتثقيل إذا شبهه بكلام النساء ليناً ورخاوة ، فالرجل مخنث بالكسر (فقيل له : إنه كان فاسقاً فسكت فأعيد عليه ، فقال : كأنك قلت لي كان صاحب ميزانين يعطي بأحدهما ويأخذ بالآخر) ولفظ القوت : فأعاد عليه القائل ، فقال : مه كأنك قلت (أشار به إلى أن فسقه مظلمة بينه وبين الله تعالى) وحقوق الله تعالى مبنية على المسامحة ، (وهذا من مظالم العباد والمسامحة والعفو فيه أبعد) لأنها مبنية على المشاحة ، (والتشديد في أمر الميزان عظيم ، والحاصل منه يحصل بحبة ونصف حبة). ولفظ القوت : هذا على التغليظ والوعظ أراد ان التطفيف مظالم بين الخلق وأن الفسق ظلم العبد لنفسه ، وبين مظالم العباد إلى ظلم العبد لنفسه بون كبير من قبل أن الخلق فقراء جهلاء لئام فيستوفي لهم حقوقهم لحاجتهم إليها ، والله تبارك وتعالى عالم كريم غني فيسمح بحقه.

(وفي قراءة عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه ﴿لا تطغوا في الميزان ★ وأقيموا الوزن باللسان ★ ولا تخسروا الميزان﴾ والقراءة المشهورة ﴿بالقسط﴾ بدل « باللسان » (أي لسان الميزان) وكل ميزان له لسان وكفتان ، (فإن النقصان والرجحان يظهر بميله) ولفظ القوت : ولا ينبغي للمشتري أن يسأل البائع الرجحان لأنه الله تعالى قال : ﴿وأقيموا الوزن

للمطففين★ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾ [المطففين: ١ ، ٢] الآيات. فإن تحريم ذلك في المكيل ليس لكونه مكيلاً ، بل لكونه أمراً مقصوداً ترك العدل والنصفة فيه، فهو جار في جميع الأعمال، فصاحب الميزان في خطر الويل وكل مكلف فهو صاحب موازين في أفعاله وأقواله وخطراته، فالويل له إن عدل عن العدل ومال عن الاستقامة، ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلاَّ واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾ [مريم: ٧١] فلا ينفك عبد ليس معصوماً عن الميل عن الاستقامة إلا أن درجات الميل تتفاوت تفاوتاً عظيماً، فلذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار إلى أوان الخلاص حتى لا يبقى بعضهم إلا بقدر تحلة القسم،

بالقسط﴾ يعني العدل وهو استواء اللسان في البكرة لا مائلاً إلى احدى الكفتين، وفي قراءة عبد الله ﴿وأقيموا الوزن باللسان﴾ فهذا مفسر في هذا الحرف. (**وبالجملة كل من ينتصف لنفسه من غيره**) في كل شيء (**ولو في كلمة ولا ينصف**) لغيره (**بمثل ما ينتصف**) لنفسه، (**فهو داخل تحت قوله تعالى: ﴿ويل للمطففين ★ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾**) وهذا على سبيل التجوّز وعليه يخرج قول الحريري:

وكلت للخل كما كال لي ... على وفاء الكيل أو بخسه

(**فإن تحريم ذلك في المكيال ليس لكونه مكيلاً بل لكونه أمراً مقصوداً**) بذاته (**ترك العدل والنصفة**) فيه وهو بالتحريك اسم من الانتصاف، (**فهو جار**) حكمه (**في جميع الأعمال**) القلبية واللسانية، (**فصاحب الميزان في خطر الويل**) إن لم يعدل فيه (**وكل مكلف**) توجه إليه الخطاب (**فهو صاحب موازين في أفعاله**) وهي أعمال الجوارح (**وأقواله**) وهي أعمال اللسان وحده، (**وخطراته**) وهي أعمال القلب، (**والويل له ان عدل**) أي مال (**عن**) طريق (**العدل ومال عن**) حد (**الاستقامة**) وهو الوفاء بكل العهود برعاية خط الوسط في كل أمر ديني ودنيوي، (**ولولا تعذر هذا واستحالته لما ورد قوله تعالى**) في كتابه العزيز ﴿وإن منكم إلاَّ واردها كان على ربك حتماً مقضيًّا﴾ قال البيضاوي: أي ما منكم إلا واصلها حاضر دونها يمر به المؤمن وهي خامدة وتنهار بغيرهم كان ورودهم واجباً أوجبه الله على نفسه وقضى بأن وعد به وعداً لا يمكن تخلفه، وقيل: أقسم عليه، (**فلا ينفك عبد ليس معصوماً**) أي محفوظاً (**عن الميل من الاستقامة**) أي لزوم الصراط المستقيم، (**إلا أن درجات الميل تتفاوت تفاوتاً عظيماً، فلذلك تتفاوت مدة مقامهم في النار**) وهذا يؤيد قول من قال: إن الورود هنا بمعنى الدخول، (**أو أن الخلاص**) منها (**حتى لا يبقى بعضهم**) فيها (**إلا بقدر تحلة القسم**) في المصباح: حللت اليمين إذا فعلت ما يخرج عن الحنث فانحلت هي وحللتها بالتثقيل، والاسم التحلة بفتح التاء وفعلته تحلة القسم أي بقدر ما ينحل اليمين ولم أبالغ فيه ثم كثر هذا حتى قيل لكل شيء لم يبالغ فيه تحليل، وقيل: تحلة القسم هو جعلها حلالاً إما باستثناء أو

ويبقى بعضهم ألفاً وألوف سنين، فنسأل الله تعالى أن يقربنا من الاستقامة والعدل فإن الاشتداد على متن الصراط المستقيم من غير ميل عنه غير مطموع فيه، فإنه أدق من الشعرة وأحد من السيف، ولولاه لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذي من صفته أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف، وبقدر الاستقامة على هذا الصراط المستقيم يخف العبد يوم القيامة على الصراط، وكل من خلط تراباً أو غيره ثم كاله فهو من المطففين في الكيل، وكل قصاب وزن مع اللحم عظماً لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين في الوزن، وقس على هذا سائر التقديرات حتى في الذرع الذي يتعاطاه البزاز فإنه إذا اشترى أرسل الثوب في وقت الذرع ولم يمدّه مداً، وإذا باعه مدّه في الذرع ليظهر تفاوتاً في القدر فكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل.

كفارة وقال البيضاوي: وفي قوله تعالى: ﴿ثم ننجّي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ [مريم: ٧٢] هو دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها، وأن المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منها ربهم على جثياتهم اهـ.

(**ويبقى بعضهم**) فيها (**ألفاً وألوف سنين**) كما يرشد إليه قوله تعالى ﴿ونذر الظالمين فيها جثياً﴾ (**فنسأل الله**) عز وجل (**أن يقربنا من الاستقامة والعدل**) أي يأخذ بنواصينا إليها، ولولا تعذر هذا المقام لما قال ﷺ «شيبتني هود وأخواتها» أي لما في هود من قوله تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ [هود: ١١٢] (**فإن الاشتداد إلى متن الصراط المستقيم**) رعاية حفظ الوسط (**من غير ميل**) إلى الافراط أو التفريط (**غير مطموع فيه، فإنه**) صعب المرتقى إذ هو (**أدق من الشعر وأحدّ من السيف، ولولا ذلك لكان المستقيم عليه لا يقدر على جواز الصراط الممدود على متن النار الذي من صفته أنه أدق من الشعر وأحدّ من السيف**) كما ورد ذلك في الاخبار الصحيحة تقدم بيانها في آخر شرح كتاب قواعد العقائد، (**وبقدر الاستقامة على هذا الصراط في الدنيا**) وهو المستقيم الذي لا عوج فيه، ومنهم من حمله على وحدة الوجود (**يخف العبد يوم القيامة على الصراط**) الممدود على متن جهنم، (**وكل من خلط بالطعام تراباً أو غيره**) كالزوان والتبن (**ثم كاله**) للناس (**فهو من المطففين في الكيل**)، ولو كان كيله سواء اللهم إلا أن يكون ذلك المخلوط من أصل الأرض الذي رفع منه الطعام، فإنه في مثل هذا يسامح، (**وكل قصاب وزن مع اللحم عظماً لم تجر العادة بمثله فهو من المطففين في الوزن**) اللهم إلا أن يكون مما لا يستغني عنه، (**وقس عليه سائر التقديرات** حتى **في الذرع الذي يتعاطاه البزاز**) يجري فيه العدل والبخس، (**فإنه إذا اشترى أرسل الثوب في وقت الذرع ولم يمدّه مداً**) ليتسع له، (**وإذا باع مدّه في الذرع ليظهر تفاوت في القدر**) فغاية ما يزيد أو ينقص قدر أصبعين أو زيادة، (**وكل ذلك من التطفيف المعرض صاحبه للويل**) الطويل.

الرابع: أن يصدق في سعر الوقت ولا يخفي منه شيئاً، فقد نهى رسول الله ﷺ عن تلقي الركبان، ونهى عن النجش. أما تلقي الركبان فهو أن يستقبل الرفقة ويتلقى المتاع ويكذب في سعر البلد، فقد قال ﷺ: «لا تتلقوا الركبان» ومن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق، وهذا الشراء منعقد ولكنه ان ظهر كذبه ثبت للبائع

(الرابع: أن يصدق في سعر الوقت) أي في السعر الذي هو رائج في وقته، **(ولا يخفي منه شيئاً، فقد «نهى النبي ﷺ عن تلقي الركبان»)** قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة.

قلت: وروى الترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود «نهى عن تلقي البيوع». وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر «نهى عن تلقي الجلب» وروى البيهقي من حديث علي «نهى عن الحكرة بالبلد وعن التلقي» الحديث.

(ونهى) ﷺ **(عن النجش)** قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عمر، وأبي هريرة اهـ.

قلت: وكذلك أخرجه ابن ماجه والنسائي.

(أما تلقي الركبان) المنهي عنه **(فهو أن يستقبل الرفقة)** الواردة من محل آخر، **(ويتلقى المتاع)** قبل وصوله لمن بيعه وهذا هو بعينه معنى تلقي الجلب الوارد في الحديث الآخر، **(ويكذب في سعر البلد)** فيشتري منهم بالرخص، **(فقد قال عليه السلام «لا تلقوا الركبان» ومن فعل ذلك فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق)** وعبارة الرافعي: ففي الخبر «لا تلقوا الركبان للبيع» وفي بعض الروايات فمن تلقاها فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق. قال الحافظ في تخريجه: رواه مسلم من حديث أبي هريرة، لكن حكى ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه أنه أومأ إلى أن هذه الزيادة مدرجة وتحتاج إلى تحرير اهـ.

قلت: وهناك رواية أخرى «لا تلقوا الجلب فمن تلقاه فاشترى منه شيئاً فإذا أتى به السوق فهو بالخيار».

قال المناوي في شرح الجامع. كذا رواه في البيوع المنهية عن أبي هريرة.

قلت: وكذارواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه بلفظ «لا تلقوا الجلب فمن تلقى فاشترى منه شيئاً فصاحبه بالخيار إذا أتى السوق».

وعند البخاري وأبي داود والنسائي «لا تلقوا الركبان للبيع ولا يبع بعضكم على بيع بعض» الحديث.

وعند البخاري ومسلم من حديث ابن عباس «لا تلقوا الركبان ولا يبع حاضر لباد».

الخيار، وإن كان صادقاً ففي الخيار خلاف لتعارض عموم الخبر مع زوال التلبيس، ونهى أيضاً أن يبيع حاضر لباد، وهو أن يقدم البدوي البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع إلى بيعه فيقول له الحضري: أتركه عندي حتى أغالي في ثمنه وانتظر ارتفاع سعره، وهذا

وعند أحمد والطبراني في الكبير «لا تلقوا الأجلاب قبل أن يأتي سوقها».

(وهذا الشراء منعقد) شرعاً، (ولكنه إن ظهر كذبه ثبت للبائع الخيار وإن كان صادقاً ففي الخيار خلاف) قال المناوي في شرح الجامع: تلقي الركبان حرام عند الشافعي ومالك، وجوّزه الحنفية إن لم يضر بالناس وشرط التحريم علم النهي اهـ.

قلت: هو عند أصحابنا مكروه، وصورته: أن واحداً من أهل المصر يتلقى الميرة فيشتري منهم ثم يبيعه بما شاء من الثمن لما تلى من الأحاديث. هذا إذا كان يضر بأهل البلد بأن كانوا في قحط، وإن كان لا يضرهم فلا بأس به إلا إذا لبس السعر على الواردين.

(ونهى) ﷺ (أيضاً أن يبيع حاضر لباد) قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عباس وأبي هريرة وأنس اهـ.

قلت: أما لفظ حديث ابن عباس عند الشيخين «لا تلقوا الركبان ولا يبع حاضر لباد» فقيل لابن عباس ما قوله لا يبع حاضر لباد؟ قال: لا يكون له سمساراً. وهكذا رواه أحمد أيضاً.

وأما لفظ حديث أبي هريرة عندهما «لا يبع حاضر لباد ولا تناجشوا» الحديث، وكذلك رواه عبد الرزاق والترمذي والنسائي وابن ماجه.

وأما لفظ حديث أنس عند أبي داود والنسائي وأبي يعلى «لا يبع حاضر لباد وان كان أخاه أو أباه».

وقد روي ذلك عن جماعة من الصحابة، فعند الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر «لا يبع حاضر لباد ولا يشتري له» رواه الشيخان والنسائي مقتصرين على الجملة الأولى، وعنده أيضاً «لا يبع حاضر لباد ولا تستقبلوا الجلب».

ورواه الشافعي والبيهقي مما حدثه «لا يبع حاضر لباد» وعند الطبراني في الكبير وأحمد من حديث سمرة «لا يبع حاضر لباد» ورواه كذلك الطحاوي من حديث أبي سعيد وفي حديث جابر «لا يبع حاضر لباد دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض» رواه أحمد ومسلم وأبو داود، ويروى لجابر أيضاً «نهينا ان يبيع حاضر لباد وإن كان أخاه لأبيه وأمه» رواه أحمد والبخاري ومسلم.

(وهو أن يقدم البدوي) من البادية (البلد ومعه قوت يريد أن يتسارع) أي يستعجل (إلى بيعه فيقول له الحضري: اتركه عندي حتى أغالي في ثمنه وانتظر الإرتفاع) وهذا هو المفهوم من قول ابن عباس لما سئل عنه فقال: لا يكون له سمساراً، ومثله لأصحابنا ففي شرح

في القوت محرم، وفي سائر السلع خلاف، والأظهر تحريمه لعموم النهي، ولأنه تأخير للتضييق على الناس على الجملة من غير فائدة للفضولي المضيق. ونهى رسول الله ﷺ عن النجش. وهو أن يتقدم إلى البائع بين يدي الراغب المشتري ويطلب السلعة بزيادة وهو لا يريدها، وإنما يريد تحريك رغبة المشتري فيها فهذا إن لم تجر مواطأة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد، وإن جرى مواطأة ففي ثبوت الخيار خلاف، الأولى إثبات الخيار لأنه تغرير بفعل مضاهي التغرير في المصراة وتلقي الركبان، فهذه

المختار هو أن يجلب البادي السلعة فيأخذها الحاضر ليبيعها له بعد وقت بأغلى من السعر الموجود وقت الجلب.

فإن قلت: إن بين هذا الحديث وبين الذي تقدم وهو النهي عن تلقي الركبان نوع معارضة لأن هذا الحديث اقتضى عدم الاستقصاء للجالب، وحديث التلقي يقتضي الاستقصاء له.

قلت: الاحكام مبنية على المصالح، ومنها تقديم مصلحة الجماعة على الواحد، فكما روعي هناك مصلحة الجالب روعي ههنا مصلحة أهل الحضر على مصلحة الواحد وهو الجالب، فالحديثان متماثلان لا متعارضان قاله المناوي.

(**وهذا في القوت محرم وفي سائر السلع خلاف**) في المذهب، (**والأظهر تحريمه لعموم النهي**) الوارد فيه، (**ولأنه تأخير للتضييق على الناس من غير فائدة للفضولى المضيق**). وقال أصحابنا: هذا إذا كان أهل البلدة في قحط وعوز وهو يبيع من أهل البدو طمعاً في الثمن الغالي لما فيه من الاضرار بهم، وأما إذا لم يكن كذلك فلا بأس به لانعدام الضرر.

(**ونهى ﷺ عن النجش**) قال العراقي. متفق عليه من حديث ابن عمر وأبي هريرة اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والنسائي وابن ماجه. وعند أحمد والشيخين من حديث أبي هريرة « نهى أن يبيع حاضر لباد وأن يتناجشوا ».

(**وهو**) أي النجش بفتح فسكون ويقال: بالتحريك أيضاً (**أن يزيد في السلعة بين يدي من يرغب في شرائها وهو لا يريدها، وإنما يريد تحريك رغبة المشتري فيها**) وفي عبارة أصحابنا: هو أن يسام السلعة بأزيد من ثمنها وهو لا يريد شراءها بل ليراه غيره ليقع فيه، (**فهذا إن لم تجر مواطأة مع البائع فهو فعل حرام من صاحبه والبيع منعقد**). قال أصحابنا: وإنما يكره النجش فيما إذا كان الراغب في السلعة يطلبها بمثل ثمنها، وأما إذا طلبها بدون ثمنها فلا بأس بأن يزيد حتى تبلغ قيمتها، (**وإن جرى مواطأة**) مع البائع (**ففي ثبوت الخيار خلاف**) في المذهب، (**والاولى اثبات الخيار لأنه تغرير فعلي يضاهي التغرير بالمصراة وتلقي الركبان**) وتقدم الكلام على حديث المصراة في كتاب البيوع مفصلاً (**فهذه المناهي**) المذكورة وغيرها مما لم

المناهي تدل على أنه لا يجوز أن يلبس على البائع والمشتري في سعر الوقت ويكتم منه أمراً لو علمه لما أقدم على العقد ففعل هذا من الغش الحرام المضاد للنصح الواجب، فقد حكي عن رجل من التابعين أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس يجهز إليه السكر فكتب إليه غلامه أن قصب السكر قد أصابته آفة في هذه السنة، فاشترِ السكر، وقال: فاشترى سكراً كثيراً، فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفاً فانصرف إلى منزله فأنكر ليلته، وقال: ربحت ثلاثين ألفاً وخسرت نصح رجل من المسلمين، فلما أصبح غدا إلى بائع السكر فدفع إليه ثلاثين ألفاً وقال: بارك الله لك فيها، فقال: ومن أين صارت لي؟ فقال: إني كتمتك حقيقة الحال وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت، فقال: رحمك الله قد أعلمتني الآن وقد طيبتها لك. قال: فرجع بها إلى منزله وتفكر وبات ساهراً وقال: ما نصحته فلعله استحيا مني فتركها إليّ فبكر إليه من الغد وقال: عافاك الله خذ مالك إليك فهو أطيب لقلبي، فأخذ منه ثلاثين ألفاً. فهذه الأخبار في المناهي والحكايات تدل على أنه

يذكرها المصنف (**تدل على أنه لا يجوز أن يلبس على البائع والمشتري في سعر الوقت**) الحاضر، (**ويكتم عنه امرأ لو علمه لما قدم على العقد**) من أصله (**ففعل هذا من الغش الحرام**) المنهي عنه (**المضاد للنصح الواجب**) المأمور به في المعاملة، وذلك كله منقصة للدين مخبثة للكسب، فإن أشكل عليه شيء من هذه الأمور لخفائها سأل أهل العلم بالفتيا فيأخذ عنهم على مذهب الورعين، ورأي المتقين وليحتط لدينه ولينظر لنفسه ولا يغمض في أمر آخرته، فذلك خير وأحسن توفيقاً.

(**وقد حكي عن رجل من التابعين**) ولفظ القوت: وحدثونا عن رجل من التابعين. قلت: وهو يونس بن عبيد البصري وهو الذي كان له وكيل بالسوس (**أنه كان بالبصرة وله غلام بالسوس**). أما البصرة، فمدينة مشهورة من مدن العراق، والسوس: مدينة أخرى بخراسان غير التي في المغرب (**يجهز إليه السكر، فكتب إليه غلامه: إن قصب السكر قد أصابته آفة في هذه السنة فاشتر السكر. قال: فاشترى سكراً كثيراً فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفاً**) من المسلمين، (**فانصرف إلى منزله وأفكر ليلته فقال: ربحت ثلاثين وخسرت نصح رجل من المسلمين، فلما أصبح غدا إلى بائع السكر فرفع إليه ثلاثين ألفاً وقال: بارك الله لك فيها، فقال: ومن أين صارت لي؟ فقال: إني كتمتك حقيقة الحال، وكان السكر قد غلا في ذلك الوقت، فقال: رحمك الله قد أعلمتني الآن، وقد طيبتها لك فرجع بها إلى منزله وتفكر وبات ساهراً وقال: ما نصحته فلعله استحيا مني فتركها إليّ فبكر إليه وقال: عافاك الله خذ مالك إليك فهو أطيب لنفسي، فأخذ منه الثلاثين ألفاً**).

ولفظ القوت بعد قوله: ربح فيه ثلاثين ألفاً من المسلمين قال: ومن أين صارت لي؟ قال لما

ليس له أن يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفي من البائع غلاء السعر أو من المشتري تراجع الأسعار، فإن فعل ذلك كان ظالماً تاركاً للعدل والنصح للمسلمين، ومهما باع مرابحة بأن يقول: بعت بما قام عليَّ أو بما اشتريته، فعليه أن يصدق ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان، ولو اشترى إلى أجل وجب ذكره، ولو اشترى مسامحة من صديقه أو ولده يجب ذكره لأن المعامل يعول على عادته في الاستقصاء أنه لا يترك النظر لنفسه، فإذا تركه بسبب من الأسباب فيجب اخباره، إذ الاعتماد فيه على أمانته.

اشتريت منك السكر لم آت الأمر من وجهه إن غلامي كتب إليّ أن قصب السكر أصابته آفة فلم أعلمك ذلك ولعلك لو علمته لم تكن لتبيعني. قال: رحمك الله لقد أعلمتني الآن وقد طيبتها لك قال: فرجع بها إلى منزله فبات تلك الليلة ساهراً وجعل يفكر في ذلك ويقول: لم آت الأمر من جهته ولا نصحت مسلماً في بيعته، ولعله استحيا مني فتركها. قال: فبكر إليه من الغد، فقال: خذ مالك عافاك الله فهو أطيب لقلبي. قال: فدفع إليه ثلاثين ألفاً.

(**فهذه الأخبار من المناهي تدل على انه ليس له ان يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب المتاع ويخفي على البائع غلاء السعر و**) يخفي (**عن المشتري تراجع الأسعار**) أي رجوعها إلى النقص، (**فإن فعل**) ذلك (**كان ظالماً**) غاشاً (**تاركاً للعدل**) الذي هو خير صفات المؤمن، (**و**) تاركاً (**النصح للمسلمين**) المأمور به في المعاملة. (**ومهما باع مرابحة**) وذلك إذا سمّى لكل قدر من الثمن ربحاً (**بأن يقول: بعت بما قام عليَّ أو بما اشتريته، فعليه**) حينئذ (**أن يصدق**) في تسميته، (**ثم يجب عليه أن يخبر بما حدث بعد العقد من عيب أو نقصان**) ليسلم من التغشيش، (**ولو اشترى إلى أجل**) مقدر (**وجب ذكره**) ليكون على بصيرة، (**ولو اشترى بمسامحة من صديقه**) أو أحد من معارفه (**أو ولده وجب ذكره لأن العامل معوّل على عادته**) الجارية (**في الاستقصاء لأنه لا يترك النظر لنفسه، فإذا تركه**) أي النظر لنفسه (**بسبب من الأسباب**) العارضة (**فيجب اخباره إذا الاعتماد فيه على أمانته**) وتدينه.

الباب الرابع

في الإحسان في المعاملة

وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً والعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من التجارة مجرى رأس المال، والإحسان سبب الفوز ونيل السعادة وهو يجري من التجارة مجرى الربح، ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس ماله، فكذا في معاملات الآخرة. ولا ينبغي للمتدين أن يقتصر على العدل واجتناب الظلم ويدع أبواب الإحسان، وقد قال الله: ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك﴾ [القصص: ٧٧] وقال عز وجل: ﴿إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل: ٩]، وقال سبحانه: ﴿إن رحمة الله

الباب الرابع

في الإحسان في المعاملة

(**وقد أمر الله تعالى بالعدل والإحسان جميعاً**) كما سيأتي في الآية، وكل منهما مأمور به في المعاملات، (**فالعدل سبب النجاة فقط وهو يجري من النجاة مجرى سلامة رأس المال والإحسان سبب الفوز**) هو إدراك المأمول، (**ونيل السعادة**) الأبدية، (**وهو يجري من النجاة مجرى الربح**)، وهذا هو العدل المطلق وهو الذي يقتضي العقل حسنه، ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخاً كالإحسان للمحسن إليك وكف الاذى عمن كف أذاه عنك، وإنما قلنا ذلك فإن من العدل ما هو مقيد، وهو الذي يعرف كونه عدلاً بالشرع ويمكن نسخه في بعض الأزمنة كالقصاص وأروش الجنايات وأخذ مال المرتد، (**ولا يعد من العقلاء من قنع في معاملات الدنيا برأس المال**) الذي هو العدل دون الربح، (**فكذا في معاملات الآخرة**) لا يقنع العاقل بالربح مع ضياع رأس المال، (**فلا ينبغي للمتدين**) أي صاحب الدين المحافظ عليه (**أن يقتصر على العدل**) الذي هو الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط (**واجتناب**) أنواع (**الظلم**) والتعدي في الحقوق، (**ويدع**) أي يترك (**أبواب الإحسان**) الذي هو فعل ما ينبغي فعله من المعروف، (**وقد قال**) الله (**تعالى**) وهو أصدق القائلين ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا (**وأحسن كما أحسن الله إليك**) ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ [القصص: ٧٧] (**وقال عز وجل** ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان**) وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون﴾ [النحل: ٩٠] (**وقال تعالى**) ﴿ **إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾ [الأعراف:

قريب من المحسنين﴾ [الاعراف : ٥٦] ونعني بالإحسان : **فعل ما ينتفع به المعامل وهو** غير واجب عليه ، ولكنه تفضل منه ، **فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم وقد** ذكرناه وتنال رتبة الإحسان بواحدة من ستة أمور .

الأوّل: في المغابنة فينبغي أن لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به **في العادة، فأما أصل** المغابنة فمأذون فيه لأن البيع للربح، ولا يمكن **ذلك إلا بغبن مّا ولكن يراعي فيه** التقريب ، فإن بـذل المشتري زيادة على الربح المعتاد إما لشدة **رغبته أو لشدة حاجته في** الحال إليه فينبغي أن يمتنع من قبوله ، فذلك من الإحسان ، ومهما **لم يكن تلبيس لم يكن** أخذ الزيادة ظلماً ، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الغبن بما يزيد **على الثلث يوجب الخيار** ولسنا نرى ذلك ، ولكن من الإحسان أن يحط ذلك الغبن .

٥٦] ففي الآية الأولى إحسان في مقابلة إحسان ، وفي الثانية احسان مطلق ، وفي الثالثة يحتمل الإنعام على الغير ، ولو لم يكن في مقابلة الإحسان ويحتمل الإحسان في الفعل ، وذلك إذا علم علماً محموداً وعمل عملاً حسناً ، (**ونعني بالإحسان فعل ما ينتفع به المعامل**) من المعروف (**وهو غير واجب عليه**) شرعاً ، (**ولكنه تفضل منه ، فإن الواجب يدخل في باب العدل وترك الظلم ، وقد ذكرناه**) فعلم منه ان بين العدل والإحسان عموماً وخصوصاً من وجه فقد يكون إحساناً وهو العدل المطلق كما تقدم قريباً ، (**وتنال رتبة الإحسان بواحد من ستة أمور** .

الأوّل في المغابنة) مفاعلة من الغبن وهو في البيع والشراء مثل الغلبة ، (**فينبغي أن لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به في العادة**) وهو المراد بالغبن الفاحش على أحد الاقوال ، (**فأما أصل المغابنة**) الذي هو مثل الغلبة (**فمأذون فيه لأن البيع**) الذي هو تمليك عين مالية أو منفعة مباحة على التأبيد بعوض مال إنما جعل (**للربح**) أي لأجل حصوله ، (**ولا يمكن ذلك إلا بغبن ما**) أي بنوع منه ، (**ولكن يراعى فيه التقريب فإن بذل المشتري**) في عوض سلعة (**زيادة على الربح المعتاد**) ولا يخلو من حالين: (**إما لشدة رغبته**) في تلك السلعة ، (**أو لشدة حاجته**) اليها (**في الحال**) والوقت ، (**فينبغي أن يمتنع عن قبوله فذلك من**) أنواع (**الاحسان**) في المعاملة ، (**ومهما لم يكن**) هناك (**تلبيس**) وتزوير (**لم يكن أخذ الزيادة ظلماً**) في الشرع . (**وقد ذهب بعض العلماء**) كأنه أراد به الحنابلة (**إلى أن الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار**) وبه عرف الغبن الفاحش ، (**ولست أرى ذلك**) أي إيجاب الخيار ، (**ولكن من الاحسان أن يحط ذلك الغبن**) والبيع منعقد ، ولفظ القوت: **ويسير المغابنة في** التجارة جائز فإن موضوع التجارة على الغبن إذا كان عن تراض **فإذا تفاوتت القيمة وعظم الغبن** فمكروه .

يروى أنه كان عند يونس بن عبيد حلل مختلفة الأثمان ضرب قيمة كل حلة منها أربعمائة، وضرب كل حلة قيمتها مائتان فمرَّ إلى الصلاة وخلف ابن أخيه في الدكان، فجاء اعرابي وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها فمشي بها وهي على يديه، فاستقبله يونس فعرف حلته، فقال للاعرابي: بكم اشتريت؟ فقال: بأربعمائة، فقال: لا تساوي أكثر من مائتين فارجع حتى تردها، فقال: هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا أرتضيها، فقال له يونس: انصرف فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها، ثم رده إلى الدكان وردّ عليه مائتي درهم، وخاصم ابن أخيه في ذلك وقاتله وقال: أما استحييت أما اتقيت الله تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين، فقال: والله ما أخذها إلا وهو راض بها. قال فهل رضيت له بما ترضاه

(يروى: أنه كان عند يونس بن عبيد) بن دينار البصري تقدمت ترجمته قريباً (حلل) جمع حلة وهو بالضم ما يحل على البدن من رداء وازار (مختلفة الألوان و) مختلفة (الأثمان ضرب) منها (قيمة كل حلة منها أربعمائة، وضرب كل حلة منها مائتان) ولفظ القوت: ويقال كانت عنده حلل على ضربين: أثمان ضرب منها أربعمائة كل حلة، وأثمان الآخر مائتان، (فمر إلى الصلاة) ولفظ القوت: فذهب إلى الصلاة (وخلف ابن أخيه في الدكان) ولفظ القوت للبيع، (فجاء اعرابي وطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها واشتراها منه فمشى بها وهي على يده) ينظر إليها خارجاً من السوق، (فلقيه يونس) ولفظ القوت: فاستقبله يونس بن عبيد جائياً من المسجد، (فعرف حلته فقال للأعرابي: بكم اشتريت هذه) الحلة؟ (فقال: بأربعمائة. فقال: ما تساوي أكثر من مائتين، فارجع حتى تردها) ولفظ القوت فقال: لا تسوى إنما قيمتها مائتا درهم، فقال: فقد اشتريتها. قال: ارجع إليه وقل له يرد عليك مائتي درهم، (فقال): يا ذا الرجل إن (هذه تسوي ببلدنا خمسمائة) درهم (وأنا ارتضيتها) أي اخترتها، (فقال له يونس: انصرف فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها، ثم ردّه إلى الدكان وردّ عليه مائتي درهم) ولفظ القوت فقال له يونس: النصح من الإيمان خير من الدنيا كلها ثم أخذه بيده فردّه إلى ابن أخيه، (وخاصم ابن أخيه في ذلك وقاتله وقال: أما استحييت) من الله (أما اتقيت) الله (تربح الثمن وتترك النصح للمسلمين) ولفظ القوت: فجعل يخاصمه أما اتقيت الله عز وجل أما استحييت؟ (فقال) ابن أخيه: (والله ما أخذها إلا رضي بها) ولفظ القوت: إلا عن تراض، (فقال): وإن رضي (فهل رضيت له ما ترضاه لنفسك).

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو محمد بن حبان، حدثنا محمد بن أحمد بن معدان، حدثنا ابن وارة، حدثنا الاصمعي، حدثنا مؤمل بن إسماعيل قال: جاء رجل من أهل الشام إلى سوق الخزازين فقال مطرف بأربعمائة، فقال يونس بن عبيد: عندنا بمائتين فنادى المنادي بالصلاة فانطلق

لنفسك وهذا إن كان فيه اخفاء سعر وتلبيس، فهو من باب الظلم، وقد سبق. وفي الحديث: «غبن المترسل حرام» وكان الزبير بن عدي يقول: أدركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم أحد يحسن يشتري لحماً بدرهم، فغبن مثل هؤلاء المترسلين ظلم، وإن كان من غير تلبيس فهو من ترك الإحسان، وقلما يتم هذا إلا بنوع تلبيس وإخفاء سعر الوقت.

يونس إلى بني قشير ليصلي بهم، فجاء وقد باع ابن أخته المطرف من الشامي باربعمائة، فقال يونس: يا عبد الله هذا المطرف الذي عرضت عليك بمائتي درهم، فإن شئت فخذه وخذ مائتين، وإن شئت فدعه قال: من أنت؟ قال: رجل من المسلمين. قال: بل أسألك بالله من أنت وما اسمك؟ قال: يونس بن عبيد. قال: فوالله إنا لنكون في نحر العدو فإذا اشتد الأمر علينا قلنا: اللهم رب يونس فرج عنا أو شبيه هذا، فقال يونس: سبحان الله اهـ.

(**وهذا إن كان فيه إخفاء سعر وتلبيس فهو من باب الظلم وقد سبق، وفي الحديث «غبن المترسل حرام»**) هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف، والبيهقي من حديث جابر بسند جيد، وقال «ربا» بدل «حرام» اهـ.

قلت: رواه الطبراني، وأبو نعيم في الحلية من طريق موسى بن عمير، عن مكحول، عن أبي أمامة رفعه «أيما مؤمن ترسل إلى مؤمن فغبنه كان غبنه ذلك ربا» هذا لفظ الحرث بن عبد الله عن محمد ابن عبيد عن موسى بن عمير.

ورواه الطبراني عن احمد بن خليد عن أبي توبة عن موسى بن عمير بلفظ «غبن المترسل حرام» وموسى بن عمير القرشي كذبه أبو حاتم وغيره. قال الهيتمي: فيه موسى بن عمير الأعمى وهو ضعيف جداً. قال البخاري: ولكن له شاهد وكأنه يعني به حديث جابر، وقد رواه البيهقي أيضاً عن أنس وعن علي. قال المناوي في شرح حديث أبي امامة، قال الحنابلة: ويثبت الفسخ. وقال أبو حنيفة والشافعي: لا. وقال داود يبطل البيع، ومعنى «غبن المترسل ربا» أي إن ما غبنه به مما زاد على القيمة بمنزلة الربا في عدم حل تناوله.

(**وقال الزبير بن عدي**) الهمداني اليامي أبو عدي الكوفي قاضي الري. قال العجلي: ثقة ثبت من أصحاب ابراهيم، وكان صاحب سنة. مات بالري سنة إحدى وثلاثين ومائة. روى له الجماعة: (**أدركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم أحد يحسن يشتري لحماً بدرهم**) هكذا في القوت. قال أبو داود الطيالسي: لا نعرف للزبير عن أنس إلاّ حديثاً واحداً (**فغبن مثل هؤلاء المترسلين ظلم**) هذا إذا كان من تلبيس، (**وإن كان من غير تلبيس فهو من ترك الإحسان**) المأمور به في المعاملة، (**وقلما يتم هذا إلا بنوع تلبيس وإخفاء لسعر الوقت**).

وإنما الإحسان المحض ما نقل عن السري السقطي أنه اشترى كرّ لوز بستين ديناراً وكتب في روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه، وكأنه رأى أن يربح على العشرة نصف دينار، فصار اللوز بتسعين فأتاه الدلال وطلب اللوز فقال: خذه قال: بكم؟ فقال: بثلاثة وستين فقال الدلال وكان من الصالحين: فقد صار اللوز بتسعين، فقال السري: قد عقدت عقداً لا أحله لست أبيعه إلا بثلاثة وستين، فقال الدلال: وأنا عقدت بيني وبين الله أن لا أغش مسلماً لست آخذ منك إلاّ بتسعين. قال: فلا الدلال أشترى منه ولا السري باعه، فهذا محض الإحسان من الجانبين، فإنه مع العلم بحقيقة الحال.

وروي عن محمد بن المنكدر أنه كان له شقق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة، فباع في

وإنما الاحسان المحض ما نقل عن سري) بن المغلس **(السقطي رضي الله عنه)** وهو خال الجنيد وقد تقدمت ترجمته في كتاب العلم **(أنه اشترى)** ولفظ القوت: وحدث شيخنا عابد الشط مظفر بن سهل قال: سمعت علان الخياط يقول: اشترى سري السقطي **(كرّلوز بستين ديناراً)** الكر بالضم مكيال معروف، والجمع اكرار كقفل وأقفال وهو ستون قفيزاً، والقفيز ثمانية مكاكيك، والمكوك صاع ونصف وهو ثلاث كيلجات. واللوز: ثمر شجر معروف كلمة عربية الواحدة لوزة، **(وكتب في روزمانجه)** بضم الراء وسكون الواو والزاي ثم ميم وألف وفتح نون وجيم عجمية، وهو الدفتر الذي يكتب فيه حساب الداخل والخارج، وفي بعض النسخ بتقديم النون على الميم **(ثلاثة دنانير ربحه، وكأن)** السري **(رأى أن يربح على العشرة نصف دينار فصار اللوز بتسعين)** ديناراً للكر، **(فأتاه الدلاّل)** الذي يدلل في السوق **(وطلب اللوز)**، ولفظ القوت: فقال له إن ذلك اللوز أريده **(فقال: خذه، فقال)** الدلال: **(بكم)** تبيعه؟ **(فقال: بثلاثة وستين)** ديناراً، **(فقال الدلال وكان من الصالحين: وقد صار اللوز)** الكر **(بتسعين)** ديناراً. **(فقال)** له **(السري: قد عقدت)** في قلبي **(عقداً لا أحله لست أبيعه إلا بثلاثة وستين)** ديناراً، **(فقال)** له **(الدلال: وأنا قد عقدت بين الله وبيني أن لا أغش مسلماً ولست آخذه منك إلا بتسعين)** ديناراً. **(قال: فلا الدلال اشترى منه ولا السري باعه)** هكذا هو في القوت. **(فهذا محض الاحسان من الجانبين فإنه مع العلم بحقيقة الحال)** لا غش ولا تلبيس.

(ويروى عن محمد بن المنكدر) بن عبد الله بن الهدير بن محرز بن عبد العزيز بن سامر بن الحرث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة القرشي التيمي. أبو عبد الله المدني من معادن الصدق، حافظ ثقة من سادات القراء مات سنة ثلاثين ومائة عن نيف وسبعين سنة، روى له الجماعة **(أنه كان له شقاق)** بالضم جمع شقة وهي من الثياب معروفة، والمعروف في جمعه شقق كغرفة وغرف **(بعضها بخمسة وبعضها بعشرة)** ولفظ القوت: وكانت عنده شقاق جنابية وبصرية أثمان

غيبته غلامه شقة من الخمسيات بعشرة فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الاعرابي المشتري طول النهار حتى وجده، فقال له: إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة. فقال: يا هذا قد رضيت. فقال: وإن رضيت فإنّا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا فاختر إحدى ثلاث خصال: إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك، وإما أن نرد عليك خمسة، وإما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك. فقال: اعطني خمسة فردّ عليه خمسة وانصرف الاعرابي يسأل ويقول: من هذا الشيخ؟ فقيل له: هذا محمد بن المنكدر. فقال: لا إله إلا الله هذا الذي نستسقي به في البوادي إذا قحطنا، فهذا إحسان في أن لا يربح على العشرة إلا نصفاً أو واحداً على ما جرت به العادة في مثل ذلك المتاع في ذلك المكان، ومن قنع بربح قليل كثرت معاملاته واستفاد من تكررها ربحاً كثيراً، وبه تظهر البركة.

كان علي رضي الله عنه يدور في سوق الكوفة بالدرة ويقول: معاشر التجار، خذوا الحق وأعطوا الحق تسلموا، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره.

بعضها خمسة خمسة، وثمن الآخر عشرة عشرة، (**فباع غلامه في غيبته شقفاً من الخمسيات بعشرة، فلما علم بذلك لم يزل**) ولفظ القوت: فخلف غلامه في الحانوت فغلط فباع أعرابياً شقة من الخمسيات بعشرة، فجاء ابن المنكدر فتفقد الشقاق فعرف غلط الغلام فقال له: ويلك أهلكتنا اذهب فاطلب الاعرابي في السوق، فلم يزل (**يطلب ذلك الاعرابي المشتري طول النهار**) ولفظ القوت يومه أجمع (**حتى وجده وقال له**)، ولفظ القوت: فقال ابن المنكدر: يا هذا (**إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة. فقال: ياهذا قد رضيت. فقال: وإن رضيت**) لنفسك (**فإنا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا فاختر إحدى ثلاث خصال: إما أن تأخذ شقة من العشريات بدراهمك، وإما أن نرد عليك خمسة، وإما ان ترد علينا شقتنا وتأخذ دراهمك. فقال**) الإعرابي: (**أعطني خمسة فردّ عليه**) من دراهمه (**خمسة فانصرف الاعرابي**) فجعل (**يسأل**) عنه (**ويقول: من هذا الشيخ؟ فقيل له: هذا محمد بن المنكدر. فقال: لا إله إلا الله هذا الذي نستقي به في البوادي إذا قحطنا**) هكذا أورده صاحب القوت، (**فهذا إحسان في أن لا يربح على العشرة إلا نصف واحد على ما جرت به العادة في مثل ذلك المكان**) ومثل ذلك الوقت، (**ومن قنع بربح قليل كثرت معاملته**) أي رغب الناس في معاملته (**واستفاد من تكررها**) أي المعاملات (**ربحاً كثيراً وبه تظهر البركة**) والنماء في المال الذي بيده.

(**وكان علي**) رضي الله عنه (**يدور في سوق الكوفة بالدرة**)، ولفظ القوت: وقد كان علي رضي الله عنه يمر في سوق الكوفة ومعه الدرة وهو (**يقول:**) يا (**معاشر التجار خذوا الحق**

قيل لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ما سبب يسارك؟ قال: ثلاث ما رددت ربحاً قط، ولا طلب مني حيوان فأخرت بيعه، ولا بعت بنسيئة. ويقال: إنه باع ألف ناقة فما ربح إلا عقلها. باع كل عقال بدرهم فربح فيها ألفاً وربح من نفقته عليها ليومه ألفاً.

الثاني: في احتمال الغبن والمشتري إن اشترى طعاماً من ضعيف أو شيئاً من فقير فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به محسناً وداخلاً في قوله عليه الصلاة والسلام «رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء» فأما إذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس محموداً، بل هو تضييع مال من غير أجر ولا حمد، فقد ورد في حديث من طريق أهل البيت «المغبون في الشراء لا محمود ولا

وأعطوا الحق تسلموا) أي خذوا ما تستحقون من ثمن سلعتكم وأعطوا للمشتري حقه من غير جور ولا شطط ولا وكس تسلموا من العطب أو من الربا. (لا تردوا قليل الربح فتحرموا) أي تمنعوا (كثيره) ما ضيع مال من حق إلا ذهب أضعافه في باطل هكذا أورده صاحب القوت.

(وقيل لعبد الرحمن بن عوف) ابن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة القرشي الزهري أحد العشرة، أسلم قديماً ومناقبه شهيرة توفي سنة ٤٤. وقيل: غير ذلك (ما) كان (سبب يسارك) أي غناك؟ (قال: ثلاث) خصال (ما رددت ربحاً قط) أي ولو كان قليلاً، (ولا طلب مني حيوان فأخرت بيعه) أي ذا روح من المال الناطق إذ هو يستدعي كل يوم أكلاً وشرباً، (ولا بعت بنسيئة) أي بتأخر إلى أجل، (ويقال: إنه باع ألف ناقة فما ربح إلا عقلها) بضمتين جمع عقال ككتاب وكتب، وهو السير الذي تربط به الناقة أي ما طمع في ربحها غير عقلها، وذلك أنه (باع كل عقال بدرهم فربح ألف درهم وربح من النفقة عليها ليومه ألف درهم) كل ذلك أورده صاحب القوت.

(الثاني في احتمال الغبن فالمشتري إن اشترى من ضعيف أو فقير طعاماً أو شيئاً) خلافه (فلا بأس أن يحتمل الغبن ويتساهل ويكون بذلك محسناً) أي يعد من المحسنين، (وداخلاً في قوله ﷺ «رحم الله امرأ سهل البيع سهل الشراء») تقدم تخريجه قريباً، (فأما إذا اشترى من غني تاجر يطلب الربح زيادة على حاجته فاحتمال الغبن ليس محموداً) ولا مشكوراً، (بل هو تضييع مال من غير أجر) عند الله تعالى (ولا حمد) من الناس، (فقد ورد في حديث من طريق أهل البيت «المغبون لا محمود ولا مأجور») أي لكونه لم يحتسب بما زاد على قيمته فيؤجر ولم يتحمد إلى بائعه فيحمد، لكنه استرسل في وقت المبايعة فاستغبن فغبن، فلم يقع عند البائع موقع المعروف فيحمد، بل رجع لنفسه فقال: خدعته فذهب الحمد ولم يحتسب فذهب الأجر.

مأجور » وكان إياس بن معاوية بن قرة قاضي البصرة، وكان من عقلاء التابعين يقول: لست بخب، والخب لا يغبنني ولا يغبن ابن سيرين، ولكن يغبن الحسن ويغبن أبي - يعني معاوية بن قرة - والكمال في أن لا يغبن ولا يغبن كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال: كان أكرم من أن يخدع، وأعقل من أن يخدع. وكان الحسن والحسين وغيرهما من

قال العراقي: رواه الترمذي الحكيم في النوادر من رواية عبيد الله بن الحسن عن أبيه عن جده، ورواه أبو يعلى من حديث الحسين بن علي يرفعه. قال الذهبي: هو منكر اهـ.

قلت: في مسند أبي يعلى قال أبو هاشم: كنت أحمل متاعاً إلى الحسين فيما كسني فيه فلعلي لا أقوم من عنده حتى يهب عامته فقلت له في ذلك، فقال: حدثني أبي يرفع الحديث إلى النبي ﷺ فذكره. قال الذهبي: وأبو هاشم لا يعرف وقد اضطرب فمرة عن الحسن ومرة عن الحسين اهـ.

وراه الطبراني في الكبير عن الحسن بن علي قال الهيتمي: فيه محمد بن هشام ضعيف، ورواه الخطيب في تاريخه عن علي، وفيه أحمد بن طاهر البغدادي ضعيف، وأورده الديلمي في الفردوس بلفظ « أتاني جبريل فقال: يا محمد ماكسني عن درهمك، فإن المغبون لا محمود ولا مأجور » والحاصل أن طرق هذا الحديث كلها ترجع إلى أهل البيت، ووقع في بعض نسخ الكتاب: المغبون في الشراء، وهذه الزيادة ليست في نسخة العراقي، ولا في القوت، ولا عند المخرجين المذكورين.

(**وكان إياس بن معاوية**) بن قرة بن إياس بن هلال بن ريان المزني أبو واثلة البصري (**قاضي البصرة**) وجده صحابي، قال ابن سعد: ثقة وله أحاديث، (**وكان من عقلاء التابعين**) فقيهاً عفيفاً. وقال عبد الله بن شوذب: كان يقال يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل، وكانوا يرون أن إياساً منهم مات بواسط سنة ١٤٤. ذكره البخاري في الإجارات والأحكام، وروى له مسلم في مقدمة كتابه، (**وكان يقول: لست بخب والخب لا يغتبن ولا يغبن ابن سيرين، ولكن يغبن الحسن ويغبن أبي يعني معاوية بن قرة.**) هكذا هو في القوت، وأورده المزني في تهذيب الكمال بسنده إلى حبيب بن الشهيد قال: سمعت إياساً يقول: لست بخب والخب لا يخدعني ولا يخدع محمد بن سيرين، ولكنه يخدع أبي ويخدع الحسن ويخدع عمر بن عبد العزيز، وأصل الخب بالكسر الخداع، ورجل خب بالفتح تسمية بالمصدر، وابن سيرين هو محمد، والحسن هو البصري، ومعاوية بن قرة هو والد إياس ثقة، وله أحاديث كان يقول: لقيت من الصحابة كثيراً منهم خمسة وعشرون من [1] وروي: أدركت [2] الصحابة لو خرجوا فيكم اليوم ما عرفوا شيئاً مما أنتم فيه، إلا الأذان. قيل: إنه ولد يوم الجمل ومات سنة ثلاث عشرة ومائة عن ست وتسعين سنة. روى له الجماعة، (**والكمال في أن لا يغبن**) غيره (**ولا يغبن**) هو أي لا يخدعه غيره (**كما وصف بعضهم عمر رضي الله عنه فقال: كان أكرم من أن يخدع**) أي غيره (**وأعقل من أن يخدع**) فالخادع ليس بكريم والمخدوع ليس بعاقل.

---

(١) هكذا بياض في الأصل.

(٢) هكذا بياض في الأصل.

خيار السلف يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال، فقيل لبعضهم: تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي. فقال: إن الواهب يعطي فضله، وإن المغبون يغبن عقله. وقال بعضهم: إنما أغبن عقلي وبصري فلا أمكن الغابن منه، وإذا وهبت أعطي لله ولا أستكثر منه شيئاً.

الثالث: في استيفاء الثمن وسائر الديون والإحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض، ومرة بالامهال والتأخير، ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد. وكل ذلك مندوب إليه ومحثوث عليه. قال النبي ﷺ: «رحم الله امرأً سهل البيع سهل الشراء سهل القضاء سهل الاقتضاء». فليغتنم دعاء الرسول ﷺ. وقال ﷺ: «اسمح يسمح لك». وقال ﷺ: «من

(**وكان الحسن والحسين رضي الله عنهما من خيار الصحابة**) ولفظ القوت: وكان الحسن والحسين وغيرهما من خيار السلف (**يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم**): أي من هؤلاء عجباً منك (**تستقصي في شرائك على اليسير**) أي القليل أي تدقق عليه، (**ثم تهب الكثير ولا تبالي. فقال: إن الواهب يعطي فضله وأن المغبون يغبن عقله**) هكذا هو في القوت. أما الحسين، فقد تقدم قريباً عن مسند أبي يعلى الموصلي بسنده إلى أبي هاشم الغناء قال: كنت أحمل متاعاً إلى الحسين فيماكسني فيه فلعلي لا أقوم من عنده حتى يهب عامته.

(**وقال بعضهم**) أي من هؤلاء: (**إنما أغبن عقلي وبصيرتي**) أو قال[1] (**فلا أمكن الغابن منه، وإذا وهبت فأعطي لله**)عز وجل (**ولا نستكثر له شيئاً**) ولفظ القوت فلا أستكثر له شيئاً.

(**الثالث: في استيفاء الثمن**) أي تحصيله تماماً (**وسائر الديو ن**) المتعلقة بذمم الناس (**والإحسان فيه مرة بالمسامحة فقط**) بأن لا يطالبه أبداً، (**ومرة بالإمهال والتأخير**) إلى وقت آخر، (**ومرة بالمساهلة في طلب جودة النقد وكل ذلك**) أي من الامور الثلاثة في الاستيفاء (**مندوب إليه**) ومرغوب فيه (**ومحثوث عليه. قال ﷺ «رحم الله امرأً سهل البيع**) أي إذا باع (**سهل الشراء**) أي إذا اشترى (**سهل القضاء**) أي إذا أدى ما عليه بسهولة (**سهل الاقتضاء»**) أي إذا طلب طلب بسهولة، وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في الباب الذي قبله. (**فليغتنم دعاء رسول الله ﷺ**) وهو قوله: «رحم الله» فإنه بمعنى قوله: اللهم ارحمه» ودعاؤه ﷺ لا شك في قبوله واستجابته.

(**وقال ﷺ «اسمح**) أمر من السماح وهو بذل ما لا يجب تفضلاً (**يسمح لك»**) بالبناء للمفعول والفاعل الله، والمعنى عامل الخلق الذين هم عيال الله وعبيده بالمسامحة والمساهلة يعاملك

---

(١) هكذا بياض في الأصل.

....

سيدهم بمثله، والمراد به الإحسان المأمور به في المعاملات وهو حث على المساهلة في المعاملةوحسن الانقياد، وهو من سخاوة الطبع وحقارة الدنيا في القلب، فمن لم يجده من طبعه فليتخلق به فعسى أن يسمح له الحق في معاملته إذا وقف بين يديه لمحاسبته، وقيل: اسمح في الدنيا بالانعام يسمح لك في العقبى بعدم المناقشة في الحساب، ولا يخفي كمال السماح على ذي لب، فجمع بهذا اللفظ الموجز المضبوط بضابط العقل الذي أقامه الحق حجة على الخلق ما لا يكاد يحصى من المصالح والمطالب العالية.

قال العراقي: رواه الطبراني من حديث ابن عباس رجاله ثقات اهـ.

وقال الحافظ السخاوي في المقاصد: رواه أحمد والطبراني في الصغير والعسكري كلهم من جهة الوليد بن مسلم، عن ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس رفعه بهذا، ورجاله ثقات. ورواه تمام في فوائده من حديث حفص بن غياث، عن ابن جريج في حديث طويل، بل رواه من حديث ابن عياش عن ابن جريج وقال: إنه خطأ من راويه، والصواب الوليد لا ابن عياش، وقد أفرد الحافظ أبو محمد بن الاكفاني طرقه وحسنه العراقي ولم يصب من حكم عليه بالوضع اهـ.

قلت: قال أبو بكر الخطيب: حدثنا عبد العزيز بن علي الازجر، حدثنا أبو المفضل محمد بن عبيد الله قال: سمعت حفص بن عمر الحافظ بأردبيل وذكرت له هذا الحديث فقال: سمعت أبا حاتم الرازي يقول: لم يرو هذا الحديث عن رسول الله ﷺ إلا ابن عباس، ولا عنه إلا عطاء، ولا عنه. إلا ابن جريج، ولا عنه أحد علمته إلا الوليد بن مسلم، وهو من ثقات المسلمين وأفاضلهم.

ورواه الخطيب أيضاً من غير هذا الوجه فقال: وأخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد القزويني، أخبرنا علي بن ابراهيم بن سلمة القطان، حدثنا أبو حاتم الرازي فساقه.

قلت: وقد حمل الناس هذا الحديث عن الوليد بن مسلم وهم كثيرون منهم: هشام بن عمار، ومحمود بن خالد السلمي، والحسن بن عبدالله بن الحكم، وسليمان بن عبدالله ابن بنت شرحبيل، وعمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار، وخيوة بن شريح الحمصي ويسمى أبا طالب الأكاف.

ورواه عن هشام بن عمار خلق كثير منهم: أبو العباس أحمد بن عامر بن المعمر الازدي، وسعد بن محمد البيروتي، وأبو محمد عبد الرحمن بن السامدي، والباغندي، وجعفر بن أحمد بن عاصم بن الروّاس، وأبو اسحاق ابراهيم بن عبد الرحمن عرف بابن دحيم.

وقد رواه الطبراني من طريق عمرو بن عثمان فقال: حدثنا يحي بن علي بن هاشم الكناني، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا الوليد بن مسلم فساقه.

ورواه ابن الاكفاني في جزئه عن أبي طالب الزنجاني، عن علي بن محمد السلمي، عن عبد

أنظر معسراً أو ترك له حاسبه الله حساباً يسيراً » ، **وفي لفظ آخر : « أظله الله تحت ظل**

الوهاب بن الحسن ، عن ابن جوصا ، عن عمرو بن عثمان ، وقد رواه الخطيب من طريق الطبراني وابن جوصا .

وقال تمام في فوائده : حدثنا أبي ، حدثنا أبو محمد السمنائي بالري ، حدثنا يوسف بن موسى ، حدثنا حفص بن غياث ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس فساقه . ورواه أيضاً عن الحسن ابن علي الجلي ، عن محمد بن أحمد الرافقي ، عن محمد بن أبي يعقوب ، عن يوسف بن موسى . ورواه تمام الرازي أيضاً عن أبي الحسن بن حذلم ، عن البيروقي ، عن الوليد بن مسلم . ورواه أيضاً عن أبي زرعة البصري ، عن جعفر بن أحمد ، عن محمود بن خالد ، عن الوليد بن مسلم . ورواه أيضاً عن محمد ابن إبراهيم بن مروان عن أبي أيوب سليمان بن أيوب بن حذيم ، عن ابن بنت شرحبيل ، عن الوليد ابن مسلم .

ورواه ابن عساكر في تاريخه فقال : أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل بن مطكود ، أخبرنا جدي ، أخبرنا أبو علي الأهوازني ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله البزاز ، أخبرنا القاضي أبو الحسن بن حذلم ، أخبرني البيروتي ، عن الوليد بن مسلم فساقه . ورواه الإمام أحمد عن شيخه مهدي بن جعفر الرملي ، وقد وثقه ابن معين ، عن الوليد بن مسلم ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس .

ورواه عبد الرزاق في مصنفه عن عطاء مرسلاً بلفظ « اسمحوا يسمح لكم » قال ابن الاكفاني : أخبرناه أبو طالب الزنجاني ، أخبرنا أبو الفرج الغزال ، أخبرنا أبو يعقوب بانتقاء الدارقطني ، حدثنا جدي الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو خالد يزيد بن صالح ، حدثنا خارجة عن ابن جريج ، عن عطاء أن النبي ﷺ قال « اسمحوا يسمح لكم » وخارجة هذا هو ابن مصعب الخراساني السرخي الضبعي يكنى أبا الحجاج .

وقد روي هذا الحديث مرفوعاً من طريق أبي بكر الصديق رضي الله عنه رواها ابن الاكفاني في جزئه بسنده إلى ابن عياش قال : حدثنا عبيد الله بن عمرو بن دينار السلمي ، عن أبي الطفيل ، عن أبي بكر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اسمح يسمح لك » .

وقد ألفت في تخريج هذا الحديث جزءاً جمعت فيه سائر طرقه مما أوردها ابن الاكفاني مع زيادة عليه حاصلة ما ذكرته هنا ، وهو أول جزء خرجته فيما علمت في شهور سنة ١١٧٢ من طريق شيخنا المرحوم محمد بن سالم الحفني لغرض عرض ، والله تعالى يسامح عنا أجمعين آمين .

(**وقال** ﷺ « **من أنظر معسراً**) أي أمهل مديوناً فقيراً من النظرة وهي التأخير (**أو ترك له**) أي أبرأه مما عليه (**حاسبه الله**) حين وقوفه بين يديه (**حساباً يسيراً** ») أي سهلاً هكذا هو في سياق القوت قال : (**وفي لفظ آخر « أظله الله**) أي وقاه من حر يوم يوم القيامة على سبيل

عرشه يوم لا ظل إلا ظله ». وذكر رسول الله ﷺ رجلاً كان مسرفاً على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له: هل عملت خيراً قط؟ فقال: لا . إلا أني كنت رجلاً أداين الناس فأقول لفتياني: سامحوا الموسر وانظروا المعسر . وفي لفظ آخر: « وتجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى: نحن أحق بذلك منك فتجاوز الله عنه وغفر له ». وقال ﷺ:

الكناية وأظله (في ظل عرشه) حقيقة وأدخله الجنة (يوم لا ظل إلا ظله ») أي ظل الله أو ظل عرشه، والمراد به ظل الجنة وإضافته لله إضافة ملك وجزم جمع بالأوّل فقالوا: المراد الكرامة والحماية من مكاره الموقف، وإنما استحق المنظر ذلك لأنه آثر المديون على نفسه أراحه فأراحه الله تعالى والجزاء من جنس العمل، وقال ابن العزل: هذا إذا أنظره من قبل نفسه لا من حاكم، فإن رفعه إليه حتى أثبت لم يكن له ثواب، ولفظ القوت: « أظله الله يوم لا ظل إلا ظله » وقد ذكر المصنف روايتين في الحديث تبعاً لصاحب القوت.

قال العراقي: رواه مسلم باللفظ الثاني من حديث أبي اليسر كعب بن عمرو اهـ.

قلت: رواه مسلم في حديث طويل، وكذا الإمام أحمد وابن ماجه في الأحكام، وابن حبان في الصحيح، وأبو نعيم في المستخرج بلفظ « من أنظر معسراً أو وضع عنه ». وعند أبي نعيم وابن حبان « أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ». ورواه كذلك ابن منده عن سمرة بن ربيعة العدواني، ورواه الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء، ورواه أحمد عن ابن عباس بلفظ « من أنظر معسراً أو وضع وقاه الله من فيح جهنم ». الحديث.

ورواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح غريب عن أبي هريرة بلفظ « من أنظر معسراً أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ».

ورواه الطبراني في الكبير عن كعب بن عجرة بلفظ « من أنظر معسراً أو وضع له أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ».

ورواه ابن النجار في تاريخه عن أبي اليسر « من أنظر معسراً أو ودع له كان في ظل الله أو في كنف الله يوم القيامة ».

(وذكر ﷺ رجلاً كان مسرفاً على نفسه) فحوسب (فلم توجد له حسنة فقيل له) أي قال له بعض الملائكة الموكلين بحساب أعمال العباد: (**هل عملت خيراً قط؟ فقال: لا إلا أني كنت رجلاً أداين الناس**) أي أعاملهم بالدين أي اجعلهم مديونين (**فأقول لفتياني**) اي غلماني: (**سامحوا الموسر**) أي الغني الواجد أي سهلوا عليه في الطلب، (**وانظروا**) أي امهلوا (**المعسر**) أي الفقير المحتاج، (**وفي لفظ**) من هذا الحديث (« **وتجاوزوا عن المعسر**) أي لا تطالبوه أو تجاوزوا عنه نحو انظار وحسن تقاض وقبول ما فيه نقص (**فقال الله تعالى: نحن أحق بذلك منك فتجاوز عنه وغفر له** ») هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي مسعود الأنصاري وهو متفق عليه بنحوه من حديث أبي حذيفة اهـ.

« من أقرض ديناراً إلى أجل فله بكل يوم صدقة إلى أجله، فإذا حل الأجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة » وقد كان من السلف من لا يحب أن يقضي غريمه الدين لأجل هذا الخبر، حتى يكون كالمتصدق بجميعه في كل يوم، وقال ﷺ :

قلت: ولأحمد والشيخين والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ « كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فلقي الله فتجاوز عنه » وفي لفظ: « كان رجل تاجر » وفي آخر « كان رجل لم يعمل خيراً قط وكان يداين الناس ».

(**وقال ﷺ « من أقرض ديناراً إلى أجل**) أي انظره وأمهله (**فله بكل يوم صدقة إلى**) وقت حلول (**أجله، فإذا وصل الأجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة »**) هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث بريدة « من أنظر معسراً كان له مثله كل يوم صدقة ومن أنظر بعد أجله كان له مثله في كل يوم صدقة » وسنده ضعيف، ورواه أحمد والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: وفي بعض ألفاظه « فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين فإذا حل الدين فانظره فله بكل يوم مثلان صدقة » قال الدميري: انفرد به ابن ماجه بسند ضعيف، وقال الذهبي في المهذب: اسناده صالح، وقال الهيتمي: رجال أحمد رجال الصحيح، وقد رواه كذلك أبو يعلى والطبراني في الكبير والبيهقي والعقيلي كلهم من طريق سليمان بن بريدة عن أبيه.

(**وقد كان في السلف من لا يحب أن يقضي غريمه الدين لأجل هذا الخبر حتى يكون كالمتصدق بجميعه كل يوم**). اعلم أن الله تعالى قد أمر بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء لدينه فقال: ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾ [البقرة: ٢٨٠] فمتى علم رب الدّين عسر المدين المعسر حرم مطالبته، وإن لم يثبت عسره عند القاضي، وابراؤه أفضل من انظاره على الأصح لأن الابراء يحصل مقصود الإنظار وزيادة، ولا مانع من ان المندوب يفضل الواجب أحياناً نظراً للمدارك قاله المناوي.

قلت: وظاهر الحديث الذي أورده المصنف يخالفه فإن مفهومه أن انظاره أفضل من إبرائه فإن أجره وإن كان أوفر، لكنه ينتهي بنهايته وهو ظاهر ملحظ من ذهب إلى ما ذهب إليه بعض السلف. وقال السبكي: وزع أجره على الأيام يكثر بكثرتها ويقل بقلتها وسوء ما يقاسيه المنظر من ألم الصبر مع تشوف القلب لما له، فلذلك كان ينال كل يوم عوضاً جديداً اهـ.

وقد وردت في أفضال الإنظار أخبار غير ما ذكرت فمنها: ما رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس: « من أنظر معسر إلى ميسرته أنظره الله بذنبه إلى توبته » وروى الخطيب من حديث زيد بن أرقم: « من أنظر معسراً بعد حلول أجله كان له بكل يوم صدقة ».

« رأيت على باب الجنة مكتوباً الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمان عشرة ». فقيل في معناه: إن الصدقة تقع في يد المحتاج وغير المحتاج، ولا يتحمل ذل الاستقراض إلا محتاج. ونظر النبي ﷺ إلى رجل يلازم رجلاً بدين فأومأ إلى صاحب الدين بيده أن

(وقال ﷺ: « رأيت) أي ليلة أسري بي (على باب الجنة) الظاهر أن المراد به الباب الاعظم المحيط، ويحتمل على كل باب من أبوابها (مكتوباً) في رواية بذهب (الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر ») وفي رواية: « بثمان عشرة » وهو لفظ القوت (فقيل في معنى ذلك: إن) ولفظ القوت قيل في معناه لأن (الصدقة قد تقع في يد المحتاج وغير المحتاج، ولا يحتمل ذل الإستقراض إلا محتاج) ولفظ القوت. والقرض لا يقع إلا في يد محتاج مضطر إليه.

قلت: وهذا الذي وجهه صاحب القوت بقوله قيل معناه الخ، وتبعه المصنف قد ورد التصريح بمعناه في لفظ الحديث كما سيأتي بيانه قريباً.

قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر: قد تكلم عليه الحكيم الترمذي كلاماً حسناً اهـ.

قلت: رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في السنن كلهم من حديث أنس بلفظ: « رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوباً الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر. فقلت: يا جبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة ».

ورواه أبو داود الطيالسي، والحكيم أيضاً من حديث أبي أمامة بلفظ: « رأيت على باب الجنة مكتوباً القرض بثمانية عشر والصدقة بعشر، فقلت: يا جبريل ما بال القرض أعظم أجراً؟ قال: لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا وهو محتاج وربما وقعت الصدقة في يد غني » قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عقيب إيراده لهذين الحديثين ما نصه: معناه أن المتصدق حسب له الدرهم الواحد بعشرة فدرهم صدقته وتسعة زيادة، والقرض ضوعف له فيه فدرهم قرضه والتسعة مضاعفة فهو ثمانية عشر، والدرهم القرض لم يحسب له لأنه يرجع إليه فبقي التضعيف فقط وهو ثمانية عشر، والصدقة لم يرجع اليه الدرهم فصارت له عشرة بما أعطاه اهـ.

وهذا هو الذي أشار إليه الحافظ بأنه تكلم عليه بكلام حسن، ثم أن قول العراقي سند ضعيف أي في سند ابن ماجه خالد بن يزيد قال فيه أحمد ليس بشيء، وقال النسائي بثقة، ولكن قال الذهبي في الديوان بعد ذكره هذا القول ووثقة غيره، ابن الجوزي: هو حديث لا يصح أي نظراً إلى حال خالد المذكور، وقد عرفت اختلاف القول فيه.

(**ونظر رسول الله ﷺ إلى رجل يلازم رجلاً بدين فأومأ**) أي أشار (**إلى صاحب الدين**

ضع الشطر ففعل، فقال للمدين: «قم فأعطِه» وكل من باع شيئاً وترك ثمنه في الحال ولم يرهق إلى طلبه فهو في معنى المقرض.

وروي أن الحسن البصري باع بغلة له بأربعمائة درهم، فلما استوجب المال قال له المشتري: اسمح يا أبا سعيد. قال: قد أسقطت عنك مائة. قال له: فأحسن يا أبا سعيد، فقال: قد وهبت لك مائة أخرى، فقبض من حقه مائتي درهم. فقيل له: يا أبا سعيد هذا نصف الثمن، فقال: هكذا يكون الإحسان وإلاّ فلا.

وفي الخبر: «خذ حقك في كفاف وعفاف واف أو غير واف يحاسبك الله حساباً يسيراً».

بيده أن ضع الشطر ففعل) كما أشار به (فقال للمدين: «قم فأعطه») كذا في القوت. قال العراقي: متفق عليه من حديث كعب بن مالك.

قلت: هما عبد الله بن حدرد وكان له دين على كعب بن مالك فتقاضيا في المسجد حتى ارتفعت أصواتهما هكذا ذكره شراح البخاري في تفسير قوله: «خرجت أخبركم بليلة القدر فتلاحى رجلان فاختجلت» ورواه عن عبادة بن الصامت.

(وكل من باع شيئاً وترك ثمنه في الحال ولم يرهق) أي لم يعجل (إلى طلبه فهو في معنى المقرض) ولو لم يكن أقرضه حقيقة، (وقد روي أن الحسن) بن سعيد البصري رحمه الله (باع بغلة بأربعمائة درهم فلما استوجب المال) أي تم البيع ولم يبق إلا نقد الدراهم (قال له المشتري: أتسمح يا أبا سعيد) ، ولفظ القوت: اسمح (قال: قد أسقط عنك مائة درهم، فقال) له أحسن يا أبا سعيد قال قد وهبتك مائة أخرى فقبض من حقه مائتي درهم، فقيل له: يا أبا سعيد هذا (نصف الثمن، فقال: هكذا يكون الإحسان) أي في المعاملات (وإلا فلا) نقله صاحب القوت.

(وفي الخبر: «خذ حقك في عفاف) أي عف في أخذه عن الحرام بسوء المطالبة والقول السيء (واف) كان (أو خير واف) أي سواء وفاك حقك أو أعطاك بعضه لا تفحش عليه في القول (يحاسبك الله حساباً يسيراً») هكذا في القوت: قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بإسناد حسن دون قوله: «يحاسبك الله حساباً يسيراً» اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحاكم وصححه، وكذا رواه العسكري في الأمثال، ورواه العسكري أيضاً من حديث الحسن بن أنس، ورواه الطبراني في الكبير من حديث جرير قال: قال رسول الله ﷺ لصاحب الحق: «خذ» الخ قال الهيثمي: وفيه داود بن عبد الجبار وهو متروك، ورواه الطبراني أيضاً وعبد الرزاق في مصنفه عن أبي قلابة مرسلاً، وقال في الفردوس: هذا قاله لرجل مر به وهو يتقاضى رجلاً وقد ألح عليه.

الرابع: في توفية الدين. ومن الإحسان فيه حسن القضاء، وذلك بأن يمشي إلى صاحب الحق ولا يكلفه أن يمشي إليه يتقاضاه، فقد قال ﷺ: «خيركم أحسنكم قضاء». ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر إليه ولو قبل وقته وليسلم أجود مما شرط عليه وأحسن، وإن عجز فلينوِ قضاءه مهما قدر. قال ﷺ: «من ادّان دينا وهو ينوي قضاءه وكل الله به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه». وكان جماعة من السلف

(**الرابع: في توفية الدين**) أي أدائه تماماً، (**ومن الإحسان فيه حسن القضاء**) أي بسماحة ولين كلام، (**وذلك بان يمشي إلى صاحب الحق**) بدينه (**ولا يكلفه أن يمشي إليه يتقاضاه فيشق عليه، فقد قال ﷺ: «خيركم أحسنكم قضاء»**) وفي القوت: خير الناس أحسنهم قضاء» قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح، والنسائي بلفظ: «خياركم أحاسنكم قضاء» ورواه ابن ماجه من حديث العرباض بن سارية، وأبو نعيم من حديث أبي رافع بلفظ: «خير الناس أحسنهم قضاء».

(**ومهما قدر على أداء الدين فليبادر إليه**) ولا يؤخره، (**ولو قبل وقته ويسلم أجود مما شرط عليه وأحسن**) فقد استسلف رسول الله ﷺ من أعرابي جملاً، فلما جاءت إبل الصدقة رد له أحسن منه، (**وإن عجز**) عن دفعه (**فلينو قضاءه مهما قدر**) عليه (**قال ﷺ: «من ادان ديناً**) أصله آدتان أي أخذ ديناً (**وهو ينوي قضاءه وكل الله به ملائكه يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه»**) هكذا هو في القوت قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة: «ما من عبد كانت له نية في أداء دينه إلا كان معه من الله عون وحافظ» وفي رواية له: «لم يزل معه من الله حارس» وفي رواية للطبراني في الأوسط: «إلا معه عون من الله عليه حتى يقضيه عنه» اهـ.

قلت: وروى الطبراني في الكبير من حديث ميمونة« من ادان ديناً ينوي قضاءه أدّاه الله تعالى عنه يوم القيامة» وفي لفظ له «من ادان ديناً وهو يحدث نفسه بقضائه أعانه الله».

وروى الطبراني في الكبير من حديثها: «ما من مسلم يدان ديناً يريد أداءه إلاّ أدّاه الله عنه في الدنيا».

وروى البيهقي من حديثها: «من ادان ديناً ينوي قضاءه كان معه عون من الله على ذلك».

وللنسائي من حديثها: «من أخذ ديناً وهو يريد أن يؤديه أعانه الله عز وجل».

ولأحمد والبخاري وابن ماجه من حديث أبي هريرة: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد اتلافها أتلفه الله».

ووقع عند المناوي في شرحه على الجامع بدل ميمونة في الأحاديث التي ذكرت ميمون، وقال عن أبيه ميمون بن جابان الكردي، ولأبيه صحبة وهذا غلط فليتنبه لذلك.

يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر، ومهما كلمه صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله وليقابله باللطف اقتداء برسول الله ﷺ إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه، فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله ﷺ، فهمَّ به أصحابه فقال: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً» ومهما دار الكلام بين المستقرض والمقرض فالإحسان أن يكون الميل الأكثر للمتوسطين إلى من عليه الدين، فإن المقرض يقرض عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة، وكذلك ينبغي أن تكون الإعانة للمشتري

ورواه الطبراني أيضاً والحاكم والبزار من حديث أبي أمامة: «من أدان ديناً وهو ينوي أن يؤديه أداه الله عنه يوم القيامة، ومن استدان ديناً وهو لا ينوي أن يؤديه فمات قال الله عز وجل يوم القيامة ظننت أن لا آخذ لعبدي بحقه فيؤخذ من حسناته فتجعل من حسنات الآخر فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات الآخر فجعلت عليه». وما ذكره العراقي من رواية أحمد، فقد رواه أيضاً الحاكم وصححه بلفظ: «إلا كان له من الله عون».

(وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر) ولفظ القوت: فقد كان جماعة من السلف يدانون وهم واجدون لأجل هذا، (ومهما كلمه مستحق الحق بكلام خشن) أي أغلظ له في الكلام عند المطالبة (فليحتمله) ولا يرد عليه بمثله (وليقابله باللطف) ولين الجانب (اقتداء برسول الله ﷺ إذ جاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يكن قد اتفق قضاؤه) ولفظ القوت: وكان ﷺ قد ادان ديناً إلى أجل فجاءه صاحب الدين عند حلول الأجل ولم يتفق عند النبي ﷺ قضاؤه، (فجعل الرجل يشدد الكلام على سول الله ﷺ ولفظ القوت: فجعل الرجل يكلم النبي ﷺ ويشدد عليه في الكلام (فهم به أصحابه) أي قصدوه بالسوء (فقال: دعوه) أي اتركوه (فإن لصاحب الحق مقالاً) أي صولة الطلب وقوة الحجة، فلا يلام إذا تكرر طلبه لحقه، وهذا من أحسن خلقه ﷺ وكرمه، وقوة صبره على الجفاة مع القدرة على الإنتقام، وفيه: أنه يحتمل من صاحب الدين الإغلاظ في المطالبة، لكن بما ليس بقدح ولا شتم، ويحتمل أن القائل كان كافراً أي فاراد تألفه. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وكذلك رواه الترمذي قال: إن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ فهمَّ به أصحابه فقال رسول الله ﷺ: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً» ثم قال: «أعطوه سناً مثل سنّه» الخ وقد رواه ابن عساكر من حديث أبي حميد الساعدي، وأحمد من حديث عائشة، وفي الحلية لأبي نعيم من حديث أبي هريرة بلفظ: «دعوه فإن طالب الحق أعذر من النبي».

(ومهما دار الكلام بين المقرض والمستقرض فالإحسان أن يكون الميل الأكثر من المتوسط) بينهما (إلى من عليه الدين، فإن المقرض) قد (يقرض) الغير (عن الغنى، والمستقرض يقترض عن حاجة) أي احتياج، (وكذا ينبغي أن يكون الإعانة للمشتري

أكثر، فإن البائع راغب عن السلعة يبغي ترويجها، والمشتري محتاج إليها. هذا هو الأحسن إلا ان يتعدى من عليه الدين حده، فعند ذلك نصرته في منعه عن تعديه وإعانة صاحبه، إذ قال ﷺ: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقيل: كيف ننصره ظالماً؟ فقال: منعك إياه من الظلم نصرة له».

الخامس: أن يقيل من يستقيله فإنه لا يستقيل إلا متندم مستضر بالبيع، ولا ينبغي

أكثر، فإن البائع راغب عن السلعة) ولولا رغبته عنها لما عرضها للبيع (**يبتغي رجها والمشتري محتاج إليها**) أي إلى أخذها، وقولهم: المشتري معان لا أصل له بهذا اللفظ، وكذا قولهم: أعينوا الشاري، لكن عند الديلمي من حديث أنس في أثناء حديث: «ارحم من تبيعه وارحم من تشتري منه فإنما المسلمون أخوة» (**هذا هو الأحسن**) ولفظ القوت: واستحب أن يكون أكثر معاونة الإنسان بين البيعين مع المشتري منها، وأن يكون عونه أيضاً بين المتداينين مع الذي له الدين (**إلا أن يتعدى من عليه الدين حده**) أي يتجاوز، (**فعند ذلك يمنعه من تعديه ويعين صاحبه**) ولفظ القوت: إلا أن يتعدى من له الدين أو يتعدى المشتري فكن حينئذ على المتعدي، (**إذ قال ﷺ: «انصر أخاك**) أي في الدين (**ظالماً**) بمنعه من الظلم من تسمية الشيء بما يؤول إليه وهو من وجيز البلاغة (**أو مظلوماً**) بإعانته على ظالمه وتخليصه منه، (**فقيل:**) يعني قال راويه: (**كيف ننصره ظالماً**) يا رسول الله؟ (**فقال**) ﷺ: (**منعك إياه من الظلم**) أي نصرك إياه على شيطانه الذي يقويه وعلى نفسه الإمارة بالسوء (**نصرة له»**) لأنه لو ترك على ظلمه جره إلى الإقتصاص منه، فمنعه من وجوب القود نصرة له، وهذا من قبيل الحكم للشيء وتسميته بما يؤول إليه وهو من عجيب الفصاحة ووجيز البلاغة. قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس اهـ.

قلت: رواه البخاري في المظالم، وكذا أحمد والترمذي في الفتن، وروى مسلم معناه عن جابر، وفيه قصة هي بيان سببه، وفي آخر الحديث: «ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر وإن كان مظلوماً فلينصره، رواه من طريق ابن الزبير عن جابر، وللبخاري أيضاً بالإقتصار على الجملة الأولى فقط رواه من طريق هشيم عن حميد وعبيد الله سمعنا أنسابه، وفي لفظ للبخاري، قيل: «كيف أنصره ظالماً؟ قال: تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصرة له» رواه في الإكراه من طريق عبيد الله بن أبي بكر بن أنس عن جده. وفي لفظ له قالوا: «هذا ينصره مظلوماً فكيف ينصره ظالماً؟ فقال: تأخذ فوق يديه» رواه من طريق معتمر بن سليمان عن حميد عن أنس، وعند الدارمي، وابن عساكر من حديث جابر: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً إن يكن ظالماً فاردده عن ظلمه، وإن يكن مظلوماً فانصره».

(**الخامس: أي يقيل من يستقيله**) أي يطلبه منه الإقالة. قال المطرزي الإقالة في الأصل فسخ البيع وألفه واو أو ياء فإن كانت واواً فاشتقاقه من القول، فإن الفسخ لا بد فيه من قيل، وإن كانت ياء فيحتمل نحته من القيلولة، (**فإنه لا يستقيل إلا متندم**) وهو الذي نعل شيئاً ثم كرهه (**مستضر**

أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه. قال ﷺ: « من أقال نادماً صفقته أقال الله عثرته يوم القيامة » أو كما قال.

السادس: أن يقصد في معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة، وهو في الحال عازم على أن لا يطالبهم إن لم تظهر لهم ميسرة، فقد كان في صالحي السلف من له دفتران

بالبيع) قد وجد نفسه مغبوناً فيه، (**ولا ينبغي**) للمؤمن (**أن يرضى لنفسه أن يكون سبب استضرار أخيه**) المؤمن، فقد (**قال ﷺ: « من أقال نادماً صفقته**) أي وافقه على نقضها وأجابه إليه يقال أقاله يقيله إقالة وتقايلاً إذا فسخا البيع وعاد المبيع إلى مالكه والثمن إلى المشتري إذا ندم أحدهما أو كلاهما، وتكون الإقالة في البيعة والعبد أيضاً كما في النهاية (**أقال الله عثرته**) أي رفعه من سقوطه (**يوم القيامة » أو كما قال**) هكذا هو في النسخ، وهذا يقال تأدباً في رواية الحديث، عسى أن يكون زل في حكاية متنه وليس هو من لفظ الحديث. قال العراقي: رواه أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة وقال: صحيح على شرط مسلم اهـ.

قلت: وكذا رواه ابن ماجه، والبيهقي كلهم من طريق يحي بن يحي، عن حفص بن غياث عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. ووجد في بعض نسخ المستدرك للحاكم هو على شرطهما، وكذا قال ابن دقيق العيد، وصححه أيضاً ابن حزم في المجلى، لكن الحافظ في اللسان نقل تضعيفه عن الدارقطني، ثم إن لفظ المذكورين: « من أقال مسلماً أقال الله تعالى عثرته » وعند ابن حبان: « أقاله الله عثرته يوم القيامة » وفي زوائد المسند لعبد الله بن أحمد عن ابن معين بلفظ: « من أقال عثرة أقاله الله يوم القيامة ».

وروى ابن حبان في النوع الثاني من القسم الأول من صحيحه من طريق ابن معين أيضاً بلفظ: « من أقال نادماً بيعة أقال الله عثرته يوم القيامة ».

ورواه البيهقي من طريق داهر بن نوح، عن عبد الله بن جعفر المداني، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة رفعه: « من أقال نادماً أقاله الله يوم القيامة » وعبدالله مجمع على ضعفه، فلعل تضعيف الدارقطني المشار إليه إنما هو لهذا السند.

وعند ابن النجار من حديث أبي هريرة « من قال أخاه المؤمن من عثرته في الدنيا أقال الله عثرته يوم القيامة ».

ورواه عبد الرزاق، عن معمر، عن يحي بن أبي كثير مرسلاً « من أقال مسلماً بيعاً أقاله الله نفسه يوم القيامة » الخ. ورواه البيهقي من طريق معمر فقال: عن محمد بن واسع، عن أبي صالح عن أبي هريرة. ومن هذا الوجه رواه الحاكم في علوم الحديث وقال: لم يسمعه معمر عن محمد، ولا محمد عن أبي صالح.

(**السادس: أن يقصد في معاملته جماعة من الفقراء بالنسيئة وهو في الحال عازم**) أي قاصد بقلبه (**على أن لا يطالبهم**) بالثمن (**إن لم يظهر لهم ميسرة**) أي وجد وغني، (**فقد**

للحساب: أحدهما ترجمته مجهولة فيه أسماء من لا يعرفه من الضعفاء والفقراء وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة فيشتهيه فيقول: أحتاج إلى خمسة أرطال مثلاً من هذا وليس معي ثمنه، فكان يقول: خذه واقض ثمنه عند الميسرة ولم يكن يعد هذا من الخيار بل عد من الخيار من لم يكن يثبت اسمه في الدفتر أصلاً ولا يجعله ديناً لكن يقول: خذ ما تريد فإن يسر لك فاقضِ وإلاّ فأنت في حل منه وسعة. فهذه طرق تجارات السلف وقد اندرست والقائم به محيي لهذه السنّة. وبالجملة؛ التجارة محك الرجال وبها يمتحن دين الرجل وورعه ولذلك قيل:

لا يغـــرنـــك مـــن المر ء قميـــص رقعـــه

كان في السلف الصالح من له) ولفظ القوت: وقد كان من سيرة السوقة فيما سلف أنه كان للبائع (دفتران للحساب) والدفتر وبالفتح جريدة الحساب وكسر الدال لغة حكاها الفراء، وقال: هو عربي، وقال ابن دريد: ولا يعرف له اشتقاق، وبعض العرب يقول تفتر على البدل. (أحدهما: ترجمته مجهولة فيه أسماء من لا يعرف من الضعفاء والفقراء، وذلك أن الفقير كان يرى الطعام أو الفاكهة) ولفظ القوت: وذلك أن المسكين والضعيف كان يرى المأكول (فيشتهيه) أو يحتاج إليه ولا يمكنه أن يشتريه (فيقول له) أي للبائع: (أحتاج إلى خمسة أرطال من هذا مثلاً) أو عشرة (وليس معه شيء) ولفظ القوت: وليس معي ثمنه، (فيقول له: خذ ما تريد واقض الثمن إذا أيسرت) أي وجدت ما توفيه، ولفظ القوت: فيقول خذ إلى مسيرة فإذا رزقت فاقضني ويكتب اسمه في الدفتر المجهول، (ولم يكن يعد) من يفعل (هذا من الخيار) أي من خيار المسلمين، (بل عد من الخيار) ولفظ القوت: بل كان من الباعة (من لم يكتب إسمه في الدفتر أصلاً ولا يجعله ديناً) حتماً عليه ولا مظلمة عنده، (لكن يقول: خذ) حاجتك من (ما تريد فإن يسر لك فاقض وإلا) إن لم تجد (فأنت في حل منه وسعة) لا تضيق قلبك لذلك. (فهذه طرق تجارات السلف، وقد اندرست) الآن معالمها (والقائم بهذا عزيز) لا يكاد يوجد (لأنه يحيي سنة) ويقيمها ويميت بدعة ويمحيها، ولفظ القوت: وهذا طريق مات فمن قام به فقد أحياه، وكان مثل هؤلاء في المتقدمين أكثر من أن يسعهم كتاب، وكان من ينصح دقائق النصح ويشدد على نفسه غاية التشديد ويسمح لإخوانه نهاية الجود أكثر من ذلك، وإنما ذكرنا لتنبيه الغافلين على أعمالهم، ونكشف بعض ما عفا من آثارهم، ولم يكن هؤلاء المذكورون من السوقة من خيار الناس عندهم إنما كان الأخيار المسجدية العباد والنساك المنقطعون إلى الله عز وجل الزهاد.

(وبالجملة؛ التجارة محك الرجال وبها يمتحن دين الرجل وورعه) وزهده في الدنيا وإيثاره الآخرة، (ولذلك قيل) فيما مضى في مناسبة هذا المقام:

(لا يغرنـك) أي لا يوقعك في الغرور (من المـرء) ظاهر أحواله وملابسه من ذلك

أو إزار فـــــــوق كعـــب الســـاق منـــه رفعـــه
أو جبين لاح فيـــــه أثـــر قـــد قلعـــه
ولـــدى الـــدرهـــم فـــانظـــر غيـــه أو ورعـــه

ولذلك قيل: إذا أثنى على الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه.

(**رداء رقعه**) أي لبس المرقعة، وإنما سميت لكونها مجموعة من رقع تلقط من المزابل والأسواق، فتغسل وتنشف ويخيط بعضها ببعض، وقد كان فيما سبق هي من لباس الزهاد والصوفية.

(**أو أزار فوق كعب الساق منه رفعه**) يشير إلى تقصير الثياب وأنه السنة وكان يفعله الصوفية وهو سيماهم به كانوا يمتازون عن غيرهم.

(**أو جبين**) أي جبهة (**لاح فيه**) أي ظهر (**أثر قد قلعه**) يشير إلى أنه صارت جبهته من كثرة السجود كركبة العنز، وهو علامة من يكثر الصلاة وأنه من خيار الصالحين، وقد يكون هذا الأثر من أصل الخلقة، وقد يكون مصطنعاً بمعالجة.

(**أره الدرهم تعـرف غيه أو ورعه**) فإن الدرهم والدينار من محاك الرجال إن مال إليه عرف غيه أو امتنع عنه عرف ورعه.

(**ولذلك قيل**) ولفظ القوت ويقال. (**إذا أثنى على الرجل جيرانه في الحضر**) وهم الصالحون للتزكية ولو اثنان منهم، فلا أثر لقول كافر وفاسق ومبتدع، (**وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق**) ويشترط في الكل صلاحيتهم للتزكية[1]. (**فلا يشك في صلاحه**) ولفظ القوت: فلا تشكوا في صلاحه أي إذا ذكرك صلحاء جيرانك وأصحابك ومعامليك بخير وصلاح وحسن معاملة، فلا شك أنت من أهله فإن إطلاق ألسنة الخلق التي هي القلم الحق بشيء في العاجل عنوان على ما يسير إليه في الآجل، والثناء بالخير دليل على محبة الله تعالى لعبده، وقد روي ذلك بمعناه من حديث ابن مسعود: « وإذا أثنى عليك جيرانك أنك محسن فأنت محسن، وإذا أثنى عليك جيرانك أنك مسيء فأنت مسيء ». أخرجه ابن عساكر في التاريخ قال: قال رجل: يا رسول الله متى أكون محسناً ومتى أكون مسيئاً فذكره.

ورواه أحمد وابن ماجه والطبراني عن ابن مسعود بلفظ: « إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت » ورواه ابن ماجه أيضاً من حديث كلثوم الخزاعي.

وروى الحاكم في المستدرك بنحوه عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل إذا أنا عملت به دخلت الجنة. قال: « كن محسناً. قال: كيف أعلم أني محسن؟ قال: سل

---

(١) بياض في الأصل.

وشهد عند عمر رضي الله عنه شاهد فقال: ائتني بمن يعرفك، فأتاه برجل فأثنى عليه خيراً فقال له عمر: أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه؟ قال: لا. فقال: كنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ فقال: لا. قال: فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل؟ قال: لا. قال: أظنك رأيته قائماً في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه طوراً ويرفعه أخرى.

قال: نعم. فقال: اذهب فلست تعرفه. وقال للرجل: اذهب فائتني بمن يعرفك.

جيرانك فإن قالوا أنك محسن فأنت محسن، وإن قالوا انك مسيء فأنت مسيء» قال الحاكم: على شرطهما.

(وشهد عند عمر) بن الخطاب رضي الله عنه (شاهد) أي رجل بشهادة (فقال: ائتني بمن يعرفك فأتاه برجل، فأثنى عليه خيراً فقال له: أنت جاره الأدنى) أي الملاصق بيتك بيته (الذي تعرف مدخله) إذا دخل (ومخرجه) إذا خرج. (فقال: لا. قال: فكنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ قال: لا. قال: عاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل؟ قال: لا. قال: أظنك رأيته في المسجد) قائماً (يهمهم بالقرآن) أي يتلوه بصوت منخفض (يخفض رأسه طوراً يرفعه) طوراً. (فقال: نعم. قال: اذهب فلست تعرفه، أو قال) مرة أنت القائل بما لا تعلم، ثم قال (للرجل: فائتني بمن يعرفك) هكذا أورده صاحب القوت. وقد أخرجه الإسماعيلي، والذهبي مختصراً في مناقب عمر رضي الله عنه، وتقدم شيء من ذلك في الكتاب الذي قبله.

الباب الخامس

في شفقة التاجر على دينه فيما يخصه ويعم آخرته

ولا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضائعاً وصفقته خاسرة، وما يفوته من الربح في الآخرة لا يفي به ما ينال في الدنيا فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة، بل العاقل ينبغي أن يشفق على نفسه وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله ورأس ماله دينه وتجارته فيه. قال بعض السلف: أولى الأشياء بالعاقل أحوجه إليه في العاجل، وأحوج شيء إليه في العاجل أحمده عاقبة في الآجل. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه في وصيته: إنه لا بد لك من نصيبك في الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فابدأ بنصيبك من الآخرة فخذه فإنك ستمر على نصيبك من الدنيا فتنظمه. قال الله تعالى:

الباب الخامس

في بيان شفقة الرجل على دينه وخوفه عليه فيما يخصه ويعم آخرته

فمن ذلك أنه (**لا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه**) أي ما يعيش به (**عن معاده**) أي أمور آخرته، (**فيكون عمره**) حينئذ ضائعاً (**وصفقته خاسرة**) غير رابحة، وفي القوت: لا ينبغي للصوفي أن يشغله معاش الدنيا عن معاش الآخرة، ولا يمنعه سوق دنياه عن سوق آخرته، ولا أن تقطعه تجارة الدنيا عن تجارة الآخرة، (**وما يفوته من الربح في الآخرة لا يفي به ما لا بقاء له في الدنيا**) بل هو على محز الزوال وسرعة الإنتقال، (**فيكون ممن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة**) أي عوضاً عنها، (**بل العاقل ينبغي**) له (**أن يشفق على نفسه وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله، ورأس ماله دينه وتجارته فيه. قال بعض السلف: أولى الأشياء بالعاقل أحوجه إليه في العاجل، وأحوج شيء إليه في العاجل أحمده عاقبة في الآجل**) كذا هو في القوت: قال: (**و**) كذلك (**قال معاذ بن جبل**) رضي الله عنه تقدمت ترجمته (**في وصيته: إنه لا بد لك من نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أحوج فابدأ بنصيبك من الآخرة فخذه فإنك ستمر على نصيبك من الدنيا**)فينتظمه لك انتظاماً ويزول معك حيثما زلت كذا في القوت.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا سهيل ابن موسى، حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا خالد بن

﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ [القصص: ٧٧] أي لا تنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة، فإنها مزرعة الآخرة وفيها تكتسب الحسنات.

وإنما تم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور.

الأول: حسن النية والعقيدة في ابتداء التجارة فلينوِ بها الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال عنهم، واستعانة بما يكسبه على الدين وقياماً بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين به، ولينوِ النصح للمسلمين، وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه، ولينوِ اتباع طريق العدل والإحسان في معاملته كما ذكرناه، ولينوِ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق، فإذا أضمر هذه العقائد

الحرث، حدثنا ابن عون، عن محمد بن سيرين قال: أتى رجل معاذ بن جبل ومعه أصحابه يسلمون عليه ويودعونه فقال: إني موصيك بأمرين إن حفظتهما حفظت أنه لا غنى لك عن نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر، وآثر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا حتى ينتظمه لك انتظاماً فتنزل به معك أينما نزلت.

(وقال) الله (**تعالى: ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ الآية**) أي إلى آخرها، رقد ذكرت قريباً وهو قوله: ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ (**أي لا تنس نصيبك منها للآخرة فإنها**) أي الدنيا (**مزرعة للآخرة**) وتقدم بيانها في كتاب المعلم، (**وفيها تكتسب الحسنات**) ولفظ القوت: لأنك من ههنا تكسب الحسنات فتكون هناك في مقام المحسنين، ففي الخطاب مضمر لدليل الكلام عليه في قوله عز وجل ﴿وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ [القصص: ٧٧] (**وإنما تم شفقة التاجر على دينه بمراعاة سبعة أمور**).

(**الأول: حسن النية و**) حسن (**العقيدة في ابتداء التجارة**) أي قبل الدخول بها، (**فلينو بها**) أي بتلك التجارة (**الإستعفاف عن السؤال**) أي طلب عفة النفس منه، (**وكف الطمع عن الناس**) أي عما في أيديهم من المال (**استغناء بالحلال**) مما يحصل له منها (**واستعانة بما يكسبه على**) أمور (**الدين وقياماً بكفاية العيال**) مما يحتاجون إليه من المؤن، (**فيكون بذلك من جملة المجاهدين به**) فإن الكد على تحصيل قوت العيال مقامه مقام الجهاد، (**ولينو النصح للمسلمين**) في معاملتهم، (**وأن يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه**) فإنه صريح الإيمان، (**ولينو إتباع طريق العدل**) والتوسط (**والإحسان في معاملته كما ذكرناه**) مفصلاً، (**ولينو**) أيضاً (**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**) مهما أمكنه ذلك (**في كل ما يراه في السوق**) وفي ممره إلى السوق (**مع**) ملازمة سبيل (**الصدق فإذا أضمر**) في باطنه (**هذه العقائد والنيات**)

والنيات كان عاملاً في طريق الآخرة، فإن استفاد مالاً فهو مزيد، وإن خسر في الدنيا ربح في الآخرة.

الثاني: أن يقصد القيام في صنعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات، فإن الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش وهلك أكثر الخلق، فانتظام أمر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمل، ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي وهلكوا، وعلى هذا حمل بعض الناس قوله ﷺ: «اختلاف أمتي رحمة» أي اختلاف هممهم في الصناعات والحرف. ومن الصناعات ما هي مهمة، ومنها ما يستغنى عنها لرجوعها إلى طلب التنعم والتزين في الدنيا، فليشتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها

وعقد قلبه عليها (**كان عاملاً في طريق الآخرة فإذا استفاد**) من تجارته مالاً (**فهو مزيد**) له من الله تعالى، (**وإن خسر في الدنيا**) مع محافظته لما ذكرنا (**ربح في الآخرة**) أي لم يخسر ربح الآخرة الحاصل من المحافظة.

ولفظ القوت: ثم لينو المتصرف في معاشه كف نفسه عن المسألة والإستغناء عن الناس وقطع الطمع منهم والتشوف إليهم، فذلك له إذا نواه أزكى عبادة، ثم ليحسب السعي على نفسه وعياله في سبيل الله عز وجل فذلك له مجاهدة، وما أنفقه على نفسه أو أطعمه عياله فهو له صدقة وعليه الصدق في القول والنصح في معاملة إخوانه المسلمين لأجل الدين، ويعتقد سلامة الناس منه ونصحه لهم ورحمته إياهم ويعمل في ذلك ويكون أبداً مقدماً للدين والتقوي في كل شيء مراعياً لأمر الله تعالى قبل كل شيء، فإن انتظمت دنياه بعد ذلك حمد الله تبارك وتعالى وشكره، وكان ذلك ربحاً ورجحاناً، وإن تكدرت لذلك دنياه وتعذرت لأجل الدين والتقوى أحواله في أمور الدنيا كان قد أحرز دينه وربحه وحفظ رأس ماله من تقواه وسلم له فهو المعول عليه، والحاصل له لأن من ربح من الدنيا مثل المال وخسر عشر الدين فما ربحت تجارته ولا هدى سبيله وهو عند الله من الخاسرين.

(**الثاني: أن يقصد القيام في صنعته أو تجارته بفرض من فروض الكفايات، فإن الصناعات والتجارات لو تركت بطلت المعايش**) على الناس (**وهلك الخلق**) لاحتياجهم إليها، (**فانتظام أمر الكل بتعاون الكل وتكفل كل فريق بعمله**) الذي سخر له، (**ولو أقبل كلهم على صنعة واحدة لتعطلت البواقي**) من الصنائع (**وهلكوا، وعلى هذا**) المعنى (**جعل بعض الناس**) من العلماء (**قوله ﷺ: «اختلاف أمتي رحمة» أي اختلاف هموهم**) وعزائمهم (**في الصناعات**) المختلفة (**والحرف**) المتنوعة، وهذا الوجه مع الكلام على تخريج الحديث مضى في كتاب العلم مفصلاً فراجعه.

(**ومن الصناعات ما هو مهم**) مقصود حصوله من غير نظر بالذات إلى الفاعل. (**ومنها ما يستغنى عنه لرجوعه إلى طلب التنعم والتزين في الدنيا**) وليست مما يهتم لها، (**فليشتغل**)

كافياً عن المسلمين مهماً في الدين وليجتنب صناعة النقش والصياغة وتشييد البنيان بالجص وجميع ما تزخرف به الدنيا، فكل ذلك كرهه ذوو الدين. فأما عمل الملاهي والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم، ومن جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الابريسم للرجال، وصياغة الصائغ مراكب الذهب أو خواتيم الذهب للرجال، فكل ذلك من المعاصي والأجرة المأخوذة عليه حرام، ولذلك أوجبنا الزكاة فيها وإن كنا لا نوجب الزكاة في الحلى لأنها إذا قصدت للرجال فهي محرمة، وكونها مهيأة للنساء لا يلحقها بالحلى المباح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد، وقد ذكرنا أن بيع الطعام وبيع الأكفان مكروه لأنه يوجب انتظار موت الناس وحاجتهم بغلاء السعر، ويكره أن يكون جزاراً لما فيه من قساوة القلب، وأن يكون

الكامل (**بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافياً عن المسلمين مهماً في الدين**) وفي القوت: وليجتنب الصنائع المحدثة من غير المعروف والمعايش المبتدعة في زماننا هذا، فإن ذلك بدعة ومكروه إذ لم يكن فيما مضى من السلف، (**وليجتنب صناعة النقش**) أي لا يكون نقاشاً وهو على عمومه في كل نقش، (**والصياغة**) أي لا يكون صائغاً وهو أيضاً على عمومه في كل صياغة، (**وتشييد البنيان بالجص**) والنورة، (**وجميع ما وضع لتزخرف به الدنيا، فكل ذلك كرهه ذوو الدين**). ولفظ القوت: وليجتنب الصانع عمل الزخرف من الأشياء وما يكون فيه لهو وزينة مشغلة من التصاوير والنقوش والتشييد من الجص وفضول الشهوات، فإن ذلك كله مكروه وأخذ الأجر عليه شبهة، (**فأما عمل الملاهي والآلات التي يحرم استعمالها فاجتناب ذلك من قبيل ترك الظلم، ومن ذلك خياطة القباء**) وما في معناه (**من الإبـريسم للرجال**) والإبـريسم هو الحرير الخام، (**وصياغة الصائغ مراكب الذهب والفضة**) أي السروج المتخذة منها، (و)صياغة (**خواتم الذهب**) كل ذلك (**للرجال**)، وأما النساء: فقد أبيح لهم ما ذكر (**وكل ذلك من المعاصي والأجرة المأخوذة عليه حرام**) ولفظ القوت: وكل ما كان سبباً لمعصية من آلة وأداة فهو معصية فلا يصنعه ولا يبيعه، فإنه من المعاونة على الإثم والعدوان، وكل ما أخذ من المال على عمل بدعة أو منكر فهو بدعة ومنكر، وكل معين لمبتدع أو عاص فهو شريكه في بدعته ومعصيته، وأخذ العوض على جميع ذلك من أكل المال بالباطل، (**ولذلك أوجبنا الزكاة فيها**) أي في خواتم الذهب للرجال، (**وإن كنا لا نوجب الزكاة في الحلى**) وقد تقدم بيان ذلك في كتاب الزكاة (**لأنها إذا قصدت للرجال فهي محرمة وكونها مهيأة للنساء لا تلحقها بالحلى المباح ما لم يقصد ذلك بها فيكتسب حكمها من القصد**) وتقدمت الإشارة إليه في كتاب الزكاة. (**وقد ذكرنا**) قريباً (**أن بيع الطعام وبيع الأكفان مكروه لأنه يحب موت الناس**) أي يتمنى موتهم لينفق بيع الأكفان، (**وحاجتهم لغلاء الأسعار**) ففيه لف ونشر غير مرتب، وذلك قوله: أوصى بعض التابعين رجلاً فقال: لا تسلم ولدك في بيعتين بيع

حجاماً أو كناساً لما فيه من مخامرة النجاسة، وكذا الدباغ وما في معناه، وكره ابن سيرين الدلالة، وكره قتادة أجرة الدلاّل، ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها، ولأن العمل فيه لا يتقدر فقد يقل وقد يكثر، ولا ينظر في مقدار الأجرة إلى عمله بل إلى قدر قيمة الثوب هذا هو العادة وهو ظلم، بل ينبغي أن ينظر إلى قدر التعب وكرهوا شراء الحيوان للتجارة، لأن المشتري يكره قضاء الله فيه وهو الموت الذي بصدده لا محالة وخلق له. وقيل: بع الحيوان واشتر

الطعام وبيع الأكفان، (**ويكره أن يكون جزاراً لما فيه من قساوة القلب**)، وهذا أيضاً قد تقدم في وصية بعض التابعين، ولا تسلمه في صنعتين أن يكون جزاراً فإنها صنعة تقسي القلب، أو صواغاً فإنه يزخرف الدنيا بالفضة والذهب، (**وأن يكون حجاماً**) وهو الذي يأخذ الدم بالمشارط، (**أو كناساً**) وهو الذي يكنس الزبالات بالأجرة (**لما فيه**) أي في كل منها (**من مخامرة النجاسة**). أما للحجام: فظاهر فإنه يمصه بفمه مصاً ويمسحه بيده فلا يخلو من مخامرته. وأما الكناس، فإنه ربما تقع يده في النجاسات وينتشر منها على جسده وهو لا يدري، (**وكذا الدبّاغ**) الذي يدبغ الجلود (**وما في معناه**) فهذه كلها صنائع خسيسة.

(**وكره**) محمد (**بن سيرين**) التابعي المشهور (**الدلالة**) أي صنعتها وهو أن يكون سفيراً بين البيعين، (**وكره**) أبو الخاطب (**قتادة**) بن دعامة بن قتادة البصري ثقة ثبت (**أجرة الدلالة**) والذي في نسخ القوت: وروى عثمان الشحام عن ابن سيرين أنه كره أجرة الدلالة.

قلت: وعثمان الشحام هو أبو سلمة العدوي البصري يقال اسم أبيه ميمون أو عبد الله لا بأس به، روى له مسلم، وأبو داود، والترمذي والنسائي.

(**ولعل السبب في ذلك قلة استغناء الدلال عن الكذب**) في مقالته، ولذا قيل: رأس مال الدلال الكذب. (**والإفراط في الثناء على السلعة لترويجها**) في عين المشتري، (**ولأن العمل فيها لا يتقدر**) أي ليس له مقدار معلوم، (**فقد يقل وقد يكثر، ولا ينظر في مقدار الأجرة ولا إلى عمله بل إلى قدر قيمة الثوب وهذه هي العادة**) بين الناس (**وهو ظلم، بل ينبغي أن ينظر إلى قدر التعب**) وتكون الأجرة على قدره، (**وكرهوا**) أيضاً (**شراء الحيوان للتجارة**) والمراد به هنا ذو الروح، (**لأن المشتري يكره قضاء الله**) المحتوم (**فيه، وهو الموت الذي هو بصدده لا محالة وخلق له**) كما قال الشاعر:

لدوا للموت وابنوا للخراب

واستحبوا شراء الموات ما لا روح فيه لأجل ذلك.

(**وقيل**): ولفظ القوت: وكانت العرب تقول: (**بع الحيوان واشتر الموتان**) كأنهم كرهوا

الموتان، وكرهوا الصرف لأن الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير، ولأنه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد أعيانها وإنما يقصد رواجها وقلما يتم للصيرفي ربح إلا باعتماد جهالة معامله بدقائق النقد، فقلما يسلم الصيرفي وإن احتاط، ويكره للصيرفي وغيره كسر الدرهم الصحيح والدنانير إلا عند الشك في جودته أو عند ضرورة، وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: ورد نهي عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه في الصياغة من الصحاح، وأنا أكره الكسر. وقال: يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدراهم ذهباً ويصوغه،

رد الثمن في الحيوان لما يخاف من تلفه، (**وكرهوا الصرف**) ولفظ القوت: وقد كره الحسن وابن سيرين التجارة في الصرف، (**لأن الاحتراز فيه عن دقائق الربا**) وخفاياه (**عسير**) جداً، (**ولأنه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد أعيانها**) بالذات، (**وإنما يقصد رواجها**) على الناس، (**وقلما يتم للصيرفي ربح إلا باعتماد جهالة معامله بدقائق النقد، فقلما يسلم الصيرفي وإن احتاط**)، ولذا قال الحسن لما سئل عن الصيرفي. فقال: الفاسق لا تستظلن بظله ولا تصلين خلفه. وروى يحي بن أبان، عن بسام الصيرفي، عن عكرمة قال: أشهد ان الصيارفة من أهل النار.

والحاصل مما سبق أن الصنائع المكروهة التي ينبغي اجتنابها على أنواع: فمنها ما يضر الناس كالاحتكار، ومنها ما يلوث الباطن دون الظاهر كالجزارة والصياغة، ومنها ما يلوث الظاهر دون الباطن كالحجامة والدباغة وفي معناها الكناسة، ومنها: ما يعسر فيه الاحتياط كالصيارفة والدلالة، ومنها ما يكره فيه قضاؤه كشراء الحيوان، ومنها ما يكره فيه سلامة الناس كبيع الأكفان، ومنها ما يحرم استعماله كقباء الابريسم وآنية النقدين والمزامير ورفع البناء عن قدر الحاجة والتشييد بالجص والتزيين به.

(**ويكره للصيرفي وغيره**) كالصائغ (**كسر الدرهم الصحيح**) الذي لا بأس به، (**وكذا**) كسر (**الدينار أيضاً إلا عند الشك في جودته أو عند ضرورة**) اشتدت ألجئ إليها.

(**قال**) أبو عبد الله (**أحمد بن حنبل**) رحمه الله تعالى: (**ورد نهي عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه في الصياغة من الصحاح، وأنا أكره الكسر**) وفي القوت: وحدثنا عن أبي بكر المروزي قال: سألت أبا عبد الله عن الرجل يدفع الدراهم الصحاح يصوغها. قال: فيها نهي عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه، وأنا أكره كسر الدراهم والقطعة. (**وقال: يشتري بالدينار دراهم، ثم يشتري بالدراهم ذهباً ويصوغه**) حتى لا يكون ربا.

ولفظ القوت المروزي قلت: فإن أعطيت ديناراً أصوغه كيف أصنع؟ قال: تشتري به دراهم ثم تشتري به ذهباً. قلت: فإن كانت الدراهم من الفيء ويشتهي صاحبها أن تكون بأعيانها. قال: إذا أخذت بحذائها فهو مثلها.

واستحبوا تجارة البز قال سعيد بن المسيب: ما من تجارة أحب إليّ من البز ما لم يكن فيها أيمان، وقد روي: «خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز» وفي حديث آخر: «لو اتجر أهل الجنة لاتجروا في البز، ولو اتجر أهل النار لاتجروا في الصرف». وقد كان غالب أعمال الاخيار من السلف عشر صنائع: الخرز، والتجارة، والحمل، والخياطة، والحذو، والقصارة، وعمل الخفاف، وعمل الحديد، وعمل المغازل، ومعالجة صيد البر

وروى أبو عبد الله حديث علقمة بن عبد الله عن أبيه «أن النبي ﷺ نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس». قال أبو عبد الله: البأس أن يختلف في الدراهم، فيقول الواحد جيد ويقول الآخر رديء فيكسر هو لهذا المعنى اهـ.

قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم في رواية علقمة بن عبد الله عن أبيه، ثم ساق كسياق القوت. قال: وزاد الحاكم «أن يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل ذهباً» وضعفه ابن حبان اهـ.

قلت: وفي الميزان ضعفه ابن معين، وفي المهذب فيه محمد بن مضاد وهو ضعيف، وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه، وعلقمة بصري ثقة روى له الأربعة، ووالده عبد الله بن سنان بن نبيشة بن سلمة المزني صحابي نزل البصرة وكان أحد البكائين.

(**واستحب تجارة البز**) ولفظ القوت وكانوا يستحبون التجارة في البز. (**وقال سعيد بن المسيب**) بن حزن القرشي المدني التابعي: (**ما من تجارة أحب إليّ من البز إن لم تكن فيها إيمان**) نقله صاحب القوت، (**وقد روي «خير تجارتكم البز وخير صنائعكم الخرز»**) نقله صاحب القوت. وقال العراقي: لم أقف له على إسناد، وذكره صاحب الفردوس من حديث علي ابن أبي طالب أي تعليقاً. (**وفي حديث آخر «لو اتجر أهل الجنة لأتجروا في البز، ولو اتجر أهل النار لأتجروا في الصرف»**) هكذا في القوت. وقال العراقي: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف. وروى أبو يعلى والعقيلي في الضعيف الشطر الأول من حديث أبي بكر الصديق اهـ.

قلت: وروى الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر من حديث ابن عمر «لو أذن الله في التجارة لأهل الجنة لأتجروا في البز والعطر». قال الهيتمي: فيه عبد الرحمن بن أيوب السكوني. قال العقيلي: لا يتابع على هذا الحديث. وقال ابن الجوزي وشيخه القطان ابن خالد عن نافع عن ابن عمر: لا يجوز أن يحتج به.

(**وقد كان غالب أعمال الأخيار من السلف عشر صنائع: الخرز**) بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وآخره زاي الأديم، (**والتجارة**) في البضائع، (**والحمل**) أي حمل الأمتعة بالأجرة، (**والخياطة، والحذو**) أي حذو النعال، (**والقصارة**) أي قصارة الثياب ودقها وغسلها

والبحر، والوراقة. قال عبد الوهاب الوراق: قال لي أحمد بن حنبل: ما صنعتك؟ قلت: الوراقة. قال: كسب طيب ولو كنت صانعاً بيدي لصنعت صنعتك، ثم قال لي: لا تكتب إلا مواسطة، واستبق الحواشي وظهور الأجزاء. وأربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأي: الحاكة، والقطانون، والمغازليون، والمعلمون. ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل، كما أن مخالطة العقلاء تزيد في العقل. وعن مجاهد أن مريم عليها السلام مرت في طلبها لعيسى عليه

ومنه الحواريون، (وعمل الخفاف، وعمل الحديد، وعمل المغازل) جمع مغزل وهو ما تغزل عليه النساء، (ومعالجة صيد البر والبحر) بالرمي والشبك، (والوراقة) أي نساخة الكتب بالأجرة لا سيما كتابة المصاحف وكتب الأحاديث، ففيها بقاء الدين وإعانة المؤمنين. فهذه الصنائع العشر كانت أعمال الأخيار وحرفة الأبرار كذا في القوت.

قلت: وبقي عليه من أصول الصنائع المشهورة الحراثة والنجارة بالنون ورعي الغنم والإبل، وقد ورد في كل ذلك ما يدل على فضله، فالحراثة صنعة آدم عليه السلام، وكان زكريا عليه السلام نجاراً، ورعاية الغنم والإبل من صنعة الأنبياء عليهم السلام والأولياء الكرام.

(قال عبد الوهاب الوراق) ولفظ القوت: حدثنا عبد الوهاب الوراق. قلت: هو عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع بن الحسن البغدادي، ويقال له ابن الحكم، ويعرف بالوراق، ثقة. مات سنة خمسين، وقيل: بعدها. روى له أبو داود والترمذي والنسائي. (قال لي أحمد بن حنبل: ما صنعتك؟ قلت: الوراقة. قال: كسب طيب ولو كنت صانعاً بيدي) شيئاً (لصنعت صنعتك. ثم قال لي: لا تكتب إلا مواسطة) هكذا في نسخ الكتاب أي وسط الكتاب، وفي بعض نسخ القوت إلا مواضعة، (واستبق الحواشي) أي لا تكتب فيها، وفي القوت: واستثن الحواشي، (وظهور الأجزاء) وهذا من النصح في الصنعة، فإن الحواشي هي زينة الكتاب، وظهور الأجزاء قابلة للتلف، فالكتابة فيها ضائعة، وهذا يؤكد أن المراد بالوراقة النساخة لا صنعة الورق الذي يتوقف عليه صنعة النساخة، (وأربعة من الصناع موسومون) أي معلومون (عند الناس بضعف الرأي) ورقاعة العقل وقلة العلم: (الحاكة) جمع حائك، (والقطانون، والمغازليون، والمعلمون) أي معلمو الصبيان في المكاتب كذا في القوت زاد: وقد تكلموا في الحمامي والمزين، وقد كان فيهم صالحون، (ولعل ذلك) أي ضعف عقل هؤلاء (لأن أكثر مخالطتهم مع النساء) وهم الثلاثة الأول (والصبيان) وهم المعلمون، (ومخالطة ضعفاء العقول تضعف العقل كما أن مخالطة العقلاء تزيد في العقل) وهذا صحيح، فقد ورد «المرء على دين خليله فلينظر بمن يخالل».

(وعن مجاهد) بن جبر المخزومي مولاهم المكي تابعي جليل روى له الجماعة (أن مريم) بنت عمران عليها السلام، ولفظ القوت: وحدثونا عن بشر، عن الفضيل بن عياض، عن ليث،

السلام بحاكة، فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت: اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقراء وحقرهم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها. وكره السلف أخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات كغسل الموتى ودفنهم، وكذا الأذان وصلاة التراويح، وإن حكم بصحة الاستئجار عليه، وكذا تعليم القرآن وتعليم علم الشرع، فإن هذه أعمال حقها أن يتجر فيها للآخرة وأخذ الأجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة ولا يستحب ذلك.

الثالث: أن لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة، وأسواق الآخرة المساجد قال الله تعالى: ﴿رجالٌ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة﴾ [النور:

عن مجاهد أن مريم عليها السلام (**مرت في طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة**) قعود على ظهر طريق، (**فطلبت الطريق**) ولفظ القوت فقالت: كيف طريق موضع كذا وكذا، (**فأرشدوها**) إلى (**غير الطريق**) التي أرادت فضلّت فدعت الله تعالى عليهم (**فقالت: اللهم انزع البركة من كسبهم، وأمتهم فقراء، وحقّرهم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها**) ولفظ القوت قال بشر: أحسب أن الله عز وجل استجاب دعاءها فيهم.

(**وكره السلف أخذ الأجرة على كل ما هو من قبيل العبادات وفروض الكفايات**)، ولفظ القوت: وكل عمل يتقرب به إلى الله عز وجل ويكون من أعمال الآخرة ومن البر والمعروف، فأخذ الأجر عليه مكروه، (**كغسل الأموات، وكذا الأذان، وصلاة التراويح وإن حكم بصحة الاستئجار على ذلك**) عند المتأخرين على ما تقدم تفصيله في أول هذا الكتاب، (**وكذا تعليم القرآن، وتعليم علم الشرع**) ولفظ القوت: مثل تعليم القرآن، وتعليم العلم، ومجالس الذكر، والصلاة بالناس في شهر رمضان، وغسل الموتى، وما كان من هذا المعنى، (**فإن هذه أعمال حقها أن يتجر فيها للآخرة وإن أخذ الأجرة عليها استبدال بالدنيا عن الآخرة فلا يستحب ذلك**) ولفظ القوت: لأن هذه تجارات الآخرة، وقد خسر من أخذ أجرها اليوم في الدنيا، وقد قال النبي ﷺ لعثمان بن أبي العاص «واتخذ مؤذناً لا يأخذ على الأذان أجراً». وقال في حديث أبيّ أو عبادة، وقد أهدي إليه قوس، وكان قد علم رجلاً سورة من القرآن: أتحب أن يقوّسك الله عز وجل قوساً من نار فردّها.

(**الثالث: أن لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة**) كما لا تمنعه تجارة الدنيا عن تجارة الآخرة، (**وأسواق الآخرة المساجد**) وهي البيوت المعدة للصلاة، وفي حكمها المدارس والمعابد والمشاهد، (**قال الله تعالى**) في وصف الموقنين (**رجال**) أي لهم كمال وبرهم وصلاة (**لا تلهيهم**) أي لا تشغلهم (**تجارة ولا بيع عن ذكر الله**) أي من بيان ذاته وصفاته (**وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**) ولم يقل لا يتجرون ولا يبيعون ولا يشترون، فإن أمكن الجمع بينهما فلا

٣٧] وقال الله تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ [النور : ٣٦] فينبغي أن يجعل أوّل النهار إلى وقت دخول السوق لآخرته فيلازم المسجد ويواظب على الأوراد . كان عمر رضي الله عنه يقول للتجار : اجعلوا أوّل نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم ، وكان صالحو السلف يجعلون أوّل النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة ، ولم يكن يبيع الهريسة والرؤوس بكرة إلا الصبيان وأهل الذمة لأنهم كانوا في المساجد بعد . وفي الخبر : « إن الملائكة إذا صعدت بصحيفة العبد وفيها في أول النهار وفي آخره ذكر الله وخير كفّر الله عنه ما بينهما من سيء الأعمال » . وفي الخبر : « تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر ، فيقول الله تعالى وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي ؟

بأس ، ولكنه كالمعتذر إلا على الذين تجري عليهم الأمور وهم عنها مأخوذون . (**وقال تعالى ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾**) يسبح لـه فيها بالغدوّ والآصال * رجال﴾ (**فينبغي أن يجعل**) العبد (**أول النهار إلى وقت دخول السوق لآخرته فيلازم المسجد ويواظب على الأوراد**) المذكورة في كتاب ترتيب الأوراد ، ولفظ القوت : فليجعل العبد طرفي النهار لخدمة سيده يذكره ويسبحه في بيته بحسن معاملته .

(و) قد (**كان عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه يقول للتجار**) ولفظ القوت يأمر التجار فيقول : (**اجعلوا أول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم**) ولفظ القوت : وما سوى ذلك لدنياكم .

(**وكان صالحو السلف يجعلون أول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة**) ولفظ القوت : وفي الخبر عن سير السلف قال : كانوا يجعلون أول النهار وآخره إلى الليل لأمر الآخرة ووسطه لمعيشة الدنيا ، (**فلم يكن يبيع الهريسة**) في النوادر : الهريس الحب المدقوق بالمهراس قبل أن يطبخ فإذا طبخ فهو الهريسة ،(**والرؤوس**) أي رؤوس الغنم المشوية في الشتاء (**بكرة**) أي في غداة النهار (**الا الصبيان وأهل الذمة لأنهم**) أي الهرائس والروّاسين (**كانوا في المساجد بعد**) ولفظ القوت يكونون في المساجد إلى طلوع الشمس ، (**وفي الخبر « إن الملائكة إذا صعدت**) إلى السماء (**بصحيفة العبد**) التي فيها الأعمال (**وفيها في أول النهار وفي آخره ذكر وخير**) هكذا هو بخط الكمال الدميري ، وفي بعض النسخ ذكر أو خير (**كفر الله عنه ما بينهما**) أي بين الوقتين (**من سيء الأعمال »**) كذا في القوت. قال العراقي : رواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بمعناه .

(**وفي الخبر « تلتقي ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر**) ، ولفظ القوت : « تلتقي ملائكة الليل وملائكة النهار وعند صلاة العصر تنزل ملائكة الليل وتعرج ملائكة النهار » . (**فيقول الله تعالى : كيف تركتم عبادي وهو أعلم**) بهم ؟ (**فيقولون : تركناهم**

فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وجئناهم وهم يصلون، فيقول الله سبحانه وتعالى: أشهدكم أني قد غفرت لهم». ثم مهما سمع الأذان في وسط النهار للأولى والعصر، فينبغي أن لا يعرج على شغل وينزعج عن مكانه، ويدع كل ما كان فيه فما يفوته من فضيلة التكبيرة الأولى مع الإمام في أول الوقت لا توازيها الدنيا بما فيها، ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء، وقد كان السلف يبتدرون عند الأذان ويخلون الأسواق للصبيان وأهل الذمة، وكانوا يستأجرون بالقراريط لحفظ الحوانيت في أوقات الصلوات، وكان ذلك معيشة لهم. وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [النور: ٣٧] إنهم كانوا حدادين وخرازين، فكان أحدهم إذا رفع

يصلون وجئنا وهم يصلون، فيقول الله تعالى: أشهدكم أني قد غفرت لهم») كذا في القوت. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الغداة وصلاة العصر» الحديث.

(**ثم مهما سمع الأذان في وسط النهار للأولى**) وهي صلاة الظهر (**والعصر، فينبغي أن لا يعرج**) أي لا يميل (**على شغل**) يمنعه (**وينزعج من مكانه ويدع**) أي يترك (**كل ما كان فيه**) من شغل، (**فما يفوته من فضيلة تكبيرة الإحرام مع الإمام في أول الوقت لا توازيها الدنيا بما فيها**)، وإنما قيد بأول الوقت فإنه رضوان الله وهو الأفضل، ولفظ القوت: وإدراكه لتكبيرة الإحرام في الجماعة أحب إليه من جميع ما يربح من الدنيا، وفوتها أعز عليه وأشد من جميع ما يخسر من الدنيا. هذا إذا عقل والصبر يبين له ذلك. (**ومهما لم يحضر الجماعة عصى عند بعض العلماء**). ولفظ القوت: وإذا سمع التأذين للصلوات فليأخذ في أمر الصلاة ولا يؤخرها عن الجماعة، وإلا كان عاصياً عند بعض العلماء، إلا أن يكون في الوقت سعة ويكون ناوياً للصلاة في جماعة أخرى.

(**وقد كان السلف يبتدرون عند**) سماع (**الأذان ويخلون الأسواق للصبيان وأهل الذمة، وقد كانوا يستأجرون الصبيان بالقراريط يحفظون الحوانيت وكان ذلك معيشة لهم**) ولفظ القوت: وقد كان السلف من أهل الأسواق إذا سمعوا الأذان ابتدروا المساجد يركعون إلى الإقامة، فكانت الأسواق تخلو من التجار فكان في أوقات الصلاة معايش للصبيان، ولأهل الذمة يستأجرهم التجار بالقراريط يحفظون الحوانيت إلى أوان انصرافهم من المساجد، وهذه سنة قد عفت من عمل بها فقد نعشها. (**وقد جاء في تفسير قوله تعالى**) ﴿رجال (**لا تلهيهم تجارة ولا بيع**) عن ذكر الله وإقام الصلاة﴾ (**إنهم كانوا حدادين وخرازين وغير ذلك، وكان الحدّاد منهم إذا رفع المطرقة**) وهي التي يطرق بها على الحديد بعد إخراجه من النار ليلينه، (**أو غرز الإشفى**) وهي بكسر الهمزة إبرة الخراز، ولفظ القوت: فكان أحدهم

المطرقة أو غرز الإشفى فسمع الأذان لم يخرج الإشفى من المغرز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام إلى الصلاة.

الرابع: أن لا يقتصر على هذا بل يلازم ذكر الله سبحانه في السوق ويشتغل بالتهليل والتسبيح، فذكر الله في السوق بين الغافلين أفضل. قال ﷺ: « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين، وكالحي بين الأموات ». وفي لفظ آخر: « كالشجرة الخضراء بين

إذا رفع المطرقة أو غرز الإشفى (**فسمع الأذان لم يخرج الإشفى من المغرز**) وفي القوت: من الغرزة، (**ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام إلى الصلاة**) ولفظ القوت: وقاموا إلى الصلاة.

(**الرابع: أن لا يقتصر على هذا**) أي على الغدوّ والرواح إلى المساجد، (**بل يلازم ذكر الله تعالى**) وهو (**في السوق ويشتغل بالتهليل والتسبيح**) والتكبير والحوقلة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ، وكل ذلك من الاذكار، (**فذكر الله تعالى في السوق بين الغافلين**) عنه (**له فضل عظيم**) ولفظ القوت: ولذكر الله تعالى في السوق من الفضل ما لا يجده في سواها، فليعتمد ذكر الله تعالى في ساعات الغفلة وتزاحم الناس في البيع والشراء.

(**قال ﷺ « ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين**) شبه الذاكر الذي يذكر الله بين جماعة ولم يذكروا بمجاهد يقاتل الكفار بعد فرار أصحابه منهم، فالذاكر قاهر لجند الشيطان وهازم له والغافل مقهور، (**وكالحي بين الأموات »**) هكذا هو في القوت، ولم يتعرض له العراقي، وقد أخرجه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط من حديث ابن مسعود بلفظ « ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين » قال الهيتمي بعد ما عزاه لها: رجال الأوسط وثقوه، وفي لفظ آخر من حديث ابن عمر « مثل الذي يقاتل عن الفارين » وفي آخر « كالمقاتل عن الفارين ». (**وفي لفظ آخر**): « ذاكر الله بين الغافلين (**كالشجرة الخضراء بين الهشيم »**) أي اليابس شبه الذاكر بالغصن الأخضر الذي يعد للاثمار، والغافل باليابس الذي يهيأ للإحراق. قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول: فكذلك أهل الغفلة أصابهم حريق الشهوات فذهبت ثمار القلوب وهي طاعة الأركان. فالذاكر قلبه رطب بذكر الله فلم يضره قحط ولا برد، وأما أهل الغفلة كأهل الأسواق فالحرص فيهم كامن، فكلما ازداد الواحد منهم طلباً ازداد حرصاً، فأقبل العدو فنصب كرسيه في وسط أسواقهم، وركز رايته ورتب جنوده، فحملهم على الغفلة فأضاعوا الصلاة ومنعوا الحقوق، فأهل الغفلة على خطر عظيم من نزول العذاب، والذاكر بينهم يرد غضب الله فيدفع بالذاكرين عن الغافل وبالمصلي عمن لا يصلي اهـ.

وهذا اللفظ روي بمعناه في حديث طويل في الحلية لأبي نعيم، والشعب للبيهقي من حديث ابن عمر، ورواه ابن صصري في أماليه، وابن شاهين في الترغيب في الذكر وقال: حديث حسن صحيح الإسناد حسن المتن غريب الألفاظ، ولفظهم: « وذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن

الهشيم». وقال ﷺ: «من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة». وكان ابن عمر وسالم بن عبدالله ومحمد بن واسع وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر. وقال الحسن: ذاكر الله في السوق يجيء يوم القيامة له ضوء كضوء القمر، وبرهان كبرهان الشمس، ومن استغفر الله في السوق غفر

الفارين، وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم، وذاكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي قد تحات من الصريد» الحديث.

(وقال ﷺ «من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألفي) كذا في النسخ تبعاً للقوت، والرواية: ألف (**ألف حسنة** ») إلى هنا نص القوت وفيه زيادة وهي «ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وبنى له بيتاً في الجنة» رواه بتمامه الطيالسي، وأحمد، وابن منيع، والدارمي، والترمذي وقال: غريب، وابن ماجه، وأبو يعلى والطبراني، والحاكم، وأبو نعيم، والضياء في المختارة، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه، عن جده، وقد تقدم بيان ذلك في الأذكار.

(وكان) عبد الله بن عمر (**رضي الله عنهما و**)ابنه (**سالم بن عبد الله**) بن عمر أبو عمر المزني أحد الفقهاء السبعة ثبت عابد فاضل، وكان يشبه بأبيه في الهدى والسمت، مات في آخر سنة ست على الصحيح، (**ومحمد بن واسع**) بن جابر بن الأخنس الأزدي أبو بكر البصري ثقة عابد كثير المناقب، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة، (**وغيرهم يدخلون السوق قاصدين لنيل فضيلة هذا الذكر**)، ومن هنا قال الشيخ الأكبر قدس سره: عليك بذكر الله بين الغافلين عن الله من حيث لا يعلمون بك، فتلك خلوة العارف بربه وهو كالمصلي بين النيام اهـ.

ولما كان أهل الغفلة قد تعلقت قلوبهم بالأسباب فاتخذوها دولاً فصارت عليهم فتنة، فإذا ذكر الله بينهم كان فيه رد عليهم عيبتهم وجفاءهم وسوء صنعهم وإعراضهم عن الذكر، فكان ذكر الله يطفىء نار غضب الله عمن أعرض عن ذكره، ومن ثم كانوا يقصدون السوق الذي هو محل الغفلة حيث شرع لهم الذكر المخصوص لينالوا فضله وهو الجزاء العظيم المرتب عليه الذي لم يقع مثله في حديث صحيح إلا قليلاً.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(ذاكر الله في السوق يجيء يوم القيامة له ضوء كضوء القمر، وبرهان كبرهان الشمس، ومن استغفر الله تعالى في السوق غفر الله له بعدد أهلها)** هكذا هو في القوت، وللجملة الأولى شاهد عند البيهقي من حديث ابن عمر «ذاكر الله في السوق له بكل شعرة نور يوم يلقى الله».

الله له بعدد أهلها. وكان عمر رضي الله عنه إذا دخل السوق قال: اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما أحاطت به السوق. اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة. وقال أبو جعفر الفرغاني: كنا يوماً عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد: كم ممن هو في السوق حكمه أن يدخل المسجد ويأخذ بأذن بعض من فيه فيخرجه ويجلس مكانه إني لاعرف رجلاً يدخل السوق ورده كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثون ألف تسبيحة. قال: فسبق إلى وهمي أنه يعني نفسه، فهكذا كانت تجارة من يتجر لطلب الكفاية لا للتنعم في الدنيا، فإن من يطلب الدنيا للاستعانة بها على الآخرة كيف يدع ربح الآخرة، والسوق والمسجد والبيت له حكم واحد، وإنما النجاة بالتقوى قال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت». فوظيفة التقوى لا

(وكان عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه إذا دخل السوق قال: اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما أحاطت السوق، اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة) هكذا نقلة صاحب القوت، وقد ورد ذلك في الأدعية المرفوعة تقدم بيانها في كتاب الأذكار.

(وقال أبو جعفر الفرغاني) ولفظ القوت: وحدثني بعض الأشياخ عن أبي جعفر الفرغاني قال: (كنا يوماً عند) أبي القاسم (الجنيد) قدس الله سره، (فجرى) في مجلسه (ذكر ناس يجلسون في المساجد ويتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس) وهو المراقبة وحفظ القلب، (ويعيبون من يدخل السوق فقال: كم ممن هو في السوق حكمه أن يدخل المسجد فيأخذ بأذن بعض من فيه ويخرجه ويجلس مكانه إني لأعرف رجلاً يدخل السوق ورده كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثون ألف تسبيحة) قال: (فسبق إلى وهمي) أي ظني (أنه يعني به نفسه) كذا أورده صاحب القوت، وأبو جعفر الفرغاني مترجم في الحلية، وهكذا كان الكمل من العارفين ما كانوا ينسبون فضيلة لأنفسهم وإذا لزم الأمر إلى ذكرها ورواها غيرهم ستراً لحالهم، (فهكذا كانت تجارة من يطلب الكفاية) لنفسه وعياله (لا ليتنعم في الدنيا) ويستفضل أكثر مما يكفيه، (فإن من يطلب الدنيا للاستعانة بها على) أمور (الآخرة كيف يدع ربح الآخرة، والسوق والمسجد والبيت له حكم واحد وإنما التجارة بالتقوى) والمدار على حفظ الأنفاس وتعميرها بعمل الوقت.

(قال ﷺ «اتق الله حيثما كنت) واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن». قال العراقي: رواه الترمذي من حديث معاذ وصححه اهـ.

قلت: رواه الترمذي في الزهد وقال: حسن صحيح، وكذلك رواه أحمد والبيهقي. وقال

تنقطع عن المتجردين للدين كيفما تقلبت بهم الأحوال، وبه تكون حياتهم وعيشهم، إذ فيه يرون تجارتهم وربحهم. وقد قيل: من أحب الآخرة عاش، ومن أحب الدنيا طاش، والأحمق يغدو ويروح في لاش، والعاقل عن عيوب نفسه فتاش.

الخامس: أن لا يكون شديد الحرص على السوق والتجارة، وذلك بأن يكون أول داخل وآخر خارج، وبأن يركب البحر في التجارة، فهما مكروهان. يقال: إن من ركب البحر فقد استقصى في طلب الرزق. وفي الخبر: «لا يركب البحر إلا بحج أو عمرة أو

الذهبي في المهذب: إسناده حسن، ورواه أحمد والترمذي أيضاً، والحاكم في الإيمان وقال: على شرطهما، وأقره الذهبي، واعترض البيهقي في الشعب من حديث أبي ذر، ورواه الطبراني وابن عساكر من حديث أنس، وهذا الحديث من جوامع الكلم، والمعنى: اتق الله بامتثال أمره واجتناب نهيه في كل زمان، وفي كل مكان رآك الناس أو لا. فإن الله مطلع عليك والخطاب فيه لكل من يتوجه إليه الأمر فيعم كل مأمور، وإفراد الضمير باعتبار كل فرد وما زائدة بدليل رواية حذفها.

(**فوظيفة التقوى لا تنقطع عن المتجردين للدين كيفما تقلبت بهم الأحوال**) وكيفما اختلفت عليهم الأماكن والأزمنة، (**وبه**) أي بالتقوى (**تكون حياتهم وعيشتهم إذ فيه يرون تجارتهم وربحهم**) فهم لا ينفكون عنه أصلاً، (**وقد قيل: من أحب الله عاش**) أي عيشاً أبدياً لا هلك بعده، (**ومن طلب**) وفي بعض النسخ: أحب (**الدنيا طاش**) أي عقله وفكره، فصار في حيرة ووسواس، (**والأحمق يغدو ويروح في لاش**) أي في لا شيء فغدوّه ورواحه في باطل هكذا أورده صاحب القوت فقال: وقال عالم فوقه من أحب الله فساقه، وكأنه يريد به سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى، ووجد في أكثر نسخ كتاب الإحياء هنا زيادة جملة أخرى وليست موجودة في المعتمد عليها وهي: (**والعاقل عن عيون نفسه فتاش**) أي العاقل هو الذي ينظر إلى عيوب نفسه ويفتشها فيتنصل منها، وفي بعض النسخ في دينه فتاش، ومثله في شرح عين العلم، ولقد زدت على هذا الكلام جملة أخرى مناسبة لسياقه والمؤمن ليس بغشاش.

(**الخامس: أن لا يكون شديد الحرص على السوق و**) على (**التجارة، وذلك بأن يكون أول داخل**) فيها (**وآخر خارج**) منها، (**و**)لا يحرص (**بأن يركب**) ثبج (**البحر**) أي الملح، وقد غلب عليه حتى قل في العذب، لكنه قول مرجوح والراجح عمومه فيهما (**للتجارة، فهما**) أي العملان (**مكروهان. يقال: من ركب البحر للتجارة فقد استقصى في طلب الرزق**) ولفظ القوت: وقد كان الورعون يكرهون ركوب البحر لتجارة الدنيا، ويقال: من ركب البحر الخ. قلت: أي بالغ في طلب الرزق وبذل وسعه فيه، والمعنى أنه يدل على كمال حرصه وعدم القناعة في أمره.

(**وفي الخبر: «لا يركب البحر**) أي على متنه (**إلا لحج أو عمرة أو غزو»**) هكذا في القوت. قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو، وقيل: انه منقطع اهـ.

غزو » وكان عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول: لا تكن أوّل داخل في السوق ولا آخر خارج منها، فإن بها باض الشيطان، وفرخ. روي عن معاذ بن جبل، وعبدالله بن عمر أن إبليس يقول لولده زلنبور: سر بكتائبك فأت أصحاب الأسواق زين لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة، وكن مع أول داخل وآخر خارج

قلت: ورواه الطبراني في الكبير من حديثه بلفظ « لا تركب البحر إلا حاجاً أو معتمراً أو غازياً في سبيل الله فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً ».

وقد وردت في النهي عن ركوب البحر أخبار: من ذلك ما رواه الباوردي من حديث زهير بن أبي جبل « من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له » ويروى من كلام عمر رضي الله عنه « لا يفتح على العاقل شراع » وفي القوت عن زيد بن وهب، عن عمر رضي الله عنه كان يقول « ابتاعوا بأموال اليتامى لا تأكلها الزكاة وثمروها لهم بالأرباح وإياكم والحيوان فربما هدر، وإياكم ولجج البحر أن تتّجروا لهم فيها مالاً » اهـ.

وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن آملة « إن الشياطين تغدو براياتها إلى الاسواق ليدخلوا مع أوّل داخل ويخرجوا مع أوّل خارج ».

(**وكان عمرو بن العاص**) بن وائل السهمي القرشي رضي الله عنه (**يقول: لا تكن أوّل داخل في السوق ولا آخر خارج منها، فإن بها باض الشيطان وفرّخ**) نقله صاحب القوت، ولمسلم في المناقب من صحيحه عن ابن عثمان عن سلمان قال: لا تكونن إن استطعت أوّل من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها، فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته.

(**وروي عن معاذ بن جبل، وعبد الله بن عمر**) بن الخطاب رضي الله عنهما قالا: (**إن إبليس**) بالكسر أعجمي، ولهذا لا ينصرف للعلمية والعجمة، وقيل: عربي مشتق من الإبلاس وهو الياس، وردّ بأنه لو كان عربياً لانصرف كما تنصرف نظائره نحو إحليل وإخريط (**يقول لولده زلنبور**) بفتح الزاي واللام وسكون النون وضم الموحدة وهو اسم أحد أولاد إبليس يا زلنبور: (**سر بكتائبك**) جمع كتيبة أي بجنودك (**فأنت صاحب الأسواق زين لهم الكذب والحلف والخديعة والمكر والخيانة، وكن مع أوّل داخل وآخر خارج منها**) **هكذا** نقله صاحب القوت.

قلت: وكون زلنبور أحد أولاد إبليس الخمسة نقله الأزهري في التهذيب، والصاغاني في التكملة عن مجاهد، وثانيهم داسم وهو الذي يعبث بين الرجل وأهله، وثالثهم تبرء هو صاحب المصائب يأمر بالويل والثبور وشق الجيوب، ورابعهم الأعور وهو صاحب الزنا يأمر به، وخامسهم مسوط هو صاحب الكذب، فهؤلاء خمسة وبهم فسر قوله تعالى: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو﴾ [الكهف: ٥٠] وهذا القول مبني على أن إبليس له أولاد حقيقة كما هو ظاهر الآية، والخلاف في ذلك مشهور، وفيه كلام أوردناه في شرح القاموس فراجعه والله أعلم.

منها . وفي الخبر : « شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولاً وآخرهم خروجاً » وتمام هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته ، فإذا حصل كفاية وقته انصرف واشتغل بتجارة الآخرة . هكذا كان صالحو السلف فقد كان منهم من اذا ربح دانقاً انصرف قناعة به . وكان حماد بن سلمة يبيع الْخُمُر في سفط بين يديه فكان إذا ربح حبتين رفع سفطه

ويروى عن ابن عباس وابن عمر أنهما قالا : « سمعنا النبي ﷺ ينهى أن يدخل السوق في أوائل أهلها وأن يخرج منها آخر أهلها » .

(وفي الخبر « شر البقاع الأسواق وشر أهلها أولهم دخولاً وآخرهم خروجاً) منها » كذا في القوت . قال العراقي : تقدم صدر الحديث في الباب السادس من العلم ، وروى أبو نعيم في كتاب حرمة المساجد من حديث ابن عباس « أبغض البقاع إلى الله الاسواق وأبغض أهلها إلى الله أوّلهم دخولاً وآخرهم خروجاً » اهـ .

قلت : جاء صدر الحديث من رواية ابن عمر « خير البقاع المساجد وشر البقاع الأسواق » رواه الطبراني في الكبير والحاكم وصححه ، وكذا رواه ابن حبان ، ومسلم من طريق عبد الرحمن بن مهران ، عن أبي هريرة رفعه « أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض البلاد إلى الله أسواقها » وفي الباب عن واثلة بلفظ « شر المجالس الأسواق والطرق وخير المجالس المساجد وإن لم تجلس في المسجد فالزم بيتك » .

(وتمام هذا الاحتراز أن يراقب وقت كفايته، فإذا حصلت كفاية وقته انصرف) إلى منزله (واشتغل بتجارة الآخرة) من ذكر وصلاة ومراقبة ، (فهكذا كان صالحو السلف) فيما مضى ، ولفظ القوت : وإذا حصلت كفاية السوق في بعض يومه فليجعل بقيته لآخرته ، (وقد كان) السلف (منهم من إذا ربح دانقاً انصرف) لمنزله (قناعة منه) وزهداً وقلة حرص على الدنيا ، والدانق: معـرّب والإسلامي منه حبتا خرنوب وثلثا حبة خرنوب ، وقد تقدم بيان ذلك قريباً . زاد في القوت : وكان بعضهم إذا حصلت كفايته في يومه وتأتى قوت عياله في أي وقت من نهاره غلق حانوته وانصرف إلى منزله أو مسجده يتعبد بقية يومه .

(وكان حماد بن سلمة) بن دينار أبو سلمة البصري ثقة عابد ، روى له البخاري تعليقاً ومسلم والأربعة (يبيع الْخُمُر) بضمتين جمع خمار ، وهو ما تخمر به المرأة وجهها (في سفط بين يديه) والسفط : محركة ما يخبأ فيه الطيب ونحوه والجمع أسفاط ، (وكان إذا ربح حبتين) أي حبتي خرنوب من درهم (رفع سفطه وانصرف) نقله صاحب القوت وقال : هذا أعجب ما سمعت .

وقال أبو نعيم في الحلية : حدثنا أبو محمد بن حيان ، حدثنا إسحاق بن أحمد ، حدثنا ابن الثلج ، حدثنا سوار بن عبد الله بن سوار قال : كان حماد بن سلمة يبيع الْخُمُر وكان يغدو إلى السوق ، فإذا كسب حبة أو حبتين شدّ سفطه وأغلق حانوته وانصرف ، ثم ساق بسند آخر إلى سوار عن أبيه

وانصرف. وقال ابراهيم بن بشارَ: قلت لإبراهيم بن أدهم رحمه الله: أمر اليوم اعمل في الطين فقال: يا بن بشار، إنك طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب ما قد كفيته أما رأيت حريصاً محروماً وضعيفاً مرزوقاً؟ فقلت: إن لي دانقاً عند البقال، فقال: عز عليّ بك تملك دانقاً وتطلب العمل؟ وقد كان فيهم من ينصرف بعد الظهر، ومنهم بعد العصر، ومنهم من لا يعمل في الأسبوع إلا يوماً أو يومين وكانوا يكتفون به.

السادس: أن لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقي مواقع الشبهات ومظان الريب

قال: كنت آتي حماد بن سلمة في سوقه، فإذا ربح في ثوب حبة أو حبتين شدّ جونته فلم يبع شيئاً، فكنت أظن أن ذلك يقوته فإذا وجد قوته لم يزد عليه شيئاً، ثم ساق بسند آخر إلى حاتم بن عبد الله قال: كان حماد بن سلمة يدخل السوق فيربح دانقين في ثوب واحد فيرجع، فإذا ربح لو عرض له ديناران ما عرض لهما.

(**وقال إبراهيم بن بشار**) الصوفي وهو غير الرمادي وقد تقدمت ترجمته (**قلت لإبراهيم بن أدهم**) تقدمت ترجمته أيضاً: (**أمر اليوم أعمل في الطين**) أي أكون طياناً أحمل الطين للبنائين بالأجرة (**فقال: يا بن بشار إنك طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب من**) كذا في النسخ، والصواب ما (**يفوتك أما رأيت حريصاً**) على الدنيا (**محروماً**) منها (**وضعيفاً**) عاجزاً (**مرزوقاً**) أي مكيناً في الرزق؟ (**فقلت: إن لي دانقاً عند البقال. فقال: عز عليّ بك تملك دانقاً وتطلب العمل**) كذا في القوت.

وأورده أبو نعيم في الحلية فقال: أخبرني جعفر بن محمد بن نصر في كتابه، وحدثني عنه محمد بن إبراهيم، حدثنا إبراهيم بن نصر المنصوري، حدثنا إبراهيم بن بشار قال: قلت لإبراهيم بن أدهم: أمرّ اليوم فساقه، وفيه: وتطلب ما قد كفيته كأنك بما غاب عنك قد كشف لك وكأنك وما أنت فيه فصلت عنه يا بن بشار كأنك لم تر حريصاً محروماً ولا ذأناة مرزوقاً، ثم قال لي: مالك حيلة. قلت: لي عند البقال دانق، فقال عز عليّ تملك دانقاً وتطلب العمل.

(**وقد كان فيهم من ينصرف**) من حانوته (**بعد**) صلاة (**الظهر**) ويجعل نصف يومه لربه عز وجل، (**ومنهم**) من كان ينصرف (**بعد العصر**) فيكون آخر يومه لآخرته كذا في القوت قال: وقد كان كثير من الصناع يعمل نصف يومه وثلثي يومه، ثم يأخذ ما استحقه من كفايته وينصرف إلى مسجده. قال: (**ومنهم من**) كان (**لا يعمل في الأسبوع إلا يوماً أو يومين**) ويتعبد سائر الأسبوع في خدمة سيده سبحانه وتعالى، (**وكانوا يكتفون به**) ولا يطلبون عليه الزيادة، وقد كانوا يجعلون أوّل النهار وآخره لتجارة الآخرة في المعاد والمآب ويجعلون أوسط النهار لتجارة الدنيا.

(**السادس: أن لا يقتصر على اجتناب الحرام، بل**) يتورع و(**يتقي مواقع الشبهات**

ولا ينظر إلى الفتاوى، بل يستفتي قلبه فإذا وجد فيه حزازة اجتنبه، وإذا حمل إليه سلعة رابه أمرها سأل عنها حتى يعرف وإلا أكل الشبهة، وقد حمل إلى رسول الله ﷺ لبن فقال: «من أين لكم هذا؟ فقالوا: من الشاة. فقال: ومن أين لكم هذه الشاة؟ فقيل: من موضع كذا فشرب منه ثم قال: إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل إلا طيباً ولا نعمل إلا صالحاً»، وقال: «إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلُوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [البقرة: ١٧٢] فسأل النبي ﷺ عن أصل الشيء وأصل أصله ولم يزد، لأن ما وراء ذلك يتعذر وسنبين في كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال، فإنه كان عليه الصلاة والسلام لا يسأل عن كل ما يحمل

ومظان الريب) على اختلاف الأحوال والأزمنة، (ولا ينظر إلى الفتاوى) الظاهرة من العلماء، (بل يستفتي قلبه) وقد ورد «استفت قلبك ولو أفتاك المفتون» كما تقدم في كتاب العلم (فما وجد فيه حزازة اجتنبه) وامتنع منه، (وإذا حمل إليه سلعة رابه أمرها) وخفي عليه حالها (سأل عنها حتى يعرفها) ولا يستعجل في شرائها (وإلاَّ أكل الشبهة) لا محالة. وفي القوت: ويكون متورعاً في عين الدرهم المعتاض به أن لا يكون من خيانة أو سرقة أو فساد أو غصب أو حيلة أو غيلة، فهذه وجوه الحرام التي تحرم بها المكاسب المباحة، فإذا كان مجتنباً لهذه المعاني لم يشهد أحدها بعينه، أو لم يعلمه من عدل فكسبه حينئذ شبهة، ولا يكون مع ذلك حلالاً لإمكان دخول أحد هذه الأسباب فيه، ولأنه على غير يقين معاينة منه لصحة أصله، وأصل أصله لقلة المتقين وذهاب الورعين إلا أنه شبهة، (وقد) جاء في الخبر أنه (حمل إلى رسول الله ﷺ لبن فقال: «من أين لكم هذا؟ فقيل: من الشاة) ولفظ القوت: من شاة كذا. (فقال: ومن أين لكم هذه الشاة؟ فقيل: من موضع كذا فشرب منه وقال: إنَّا معاشر الانبياء أمرنا أن لا نأكل إلاَّ طيباً ولا نعمل إلا صالحاً) كذا في القوت قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أم عبد الله أخت شداد بن أوس بسند ضعيف.

(وقال: «إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال) عز من قائل: (﴿يا أيها الذين آمنوا كلُوا من طيبات ما رزقناكم﴾») كذا في القوت. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

ثم قال صاحب القوت: (فسأل ﷺ عن أصل الشيء وأصل أصله ولم يزد لان ما وراء ذلك يتعذر)، ولفظ القوت: ولم يسأل عما سوى ذلك، لأنه قد يتعذر ولا يوقف على حقيقته (وسنبين) إن شاء الله تعالى (في) الكتاب الذي يليه وهو (كتاب الحلال والحرام موضع وجوب هذا السؤال، فإنه عليه السلام كان لا يسأل عن كل ما يحمل إليه) بل يقبل مأكولاً كان أو مشروباً أو غير ذلك.

إليه، وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من يعامله فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله، وكذا الاجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل أصحابهم وأعوانهم لأنه معين بذلك على الظلم.

وحكي عن رجل أنه تولى عمارة سور لثغر من الثغور قال: فوقع في نفسي من ذلك شيء، وإن كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الإسلام، ولكن كان الأمير الذي تولى في محلته من الظلمة قال: فسألت سفيان رضي الله عنه فقال: لا تكن عوناً لهم على قليل ولا كثير، فقلت: هذا سور في سبيل الله للمسلمين؟ فقال: نعم، ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفوك أجرك فتكون قد أحببت بقاء من يعصي الله. وقد جاء في الخبر: «من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه». وفي

قال العراقي: روى أحمد من حديث جابر «أن رسول الله ﷺ(١) مروا بامرأة فذبحت لهم شاة» الحديث وفيه: «فأخذ رسول الله ﷺ لقمة فلم يستطع أن يسيغها، فقال: هذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها» الحديث. وله من حديث أبي هريرة «كان إذا أتي بطعام من غير أهله سأل عنه» الحديث. وفي هذا أنه كان لا يسأل عما أتي به من عند أهله، والله أعلم.

(**وإنما الواجب أن ينظر التاجر إلى من يعامله فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة**) أو غصب (**أو سرقة**) أو فساد (**أو ربا**) أو حيلة أو غيلة (**فلا يعامله**) البتة، (**وكذا الأجناد والظلمة لا يعاملهم البتة ولا يعامل أصحابهم وأعوانهم، لأنه معين بذلك على الظلم**) ولفظ القوت بعد أن أورد حديث السؤال عن اللبن: فلذلك قلنا أولاً: إن أموال التجار والصناع قد اختلطت بأموال الأجناد، وهم يأخذون ذلك بغير استحقاق، فكان من أكل المال بالباطل إذ قد وقفوا نفوسهم، وارتبطوا دوابهم في سبيل الغصب، فصاروا يأخذون العطاء بغير حق فلا يملكون ذلك ثم ينتشر في املاك التجار والصناع وهم لا يميزون بين ذلك ولا يرغبون عنه لقلة التقوى وعدم الورع، فلذلك غلب الحرام لأن الحلال إنما هو فرع التقوى.

(**وحكي عن رجل أنه تولى عمارة سور ثغر من الثغور**) ولفظ القوت وكان بمكة أمير قد أمر رجلا أن يقوم له على الصناع في عمارة ثغر من الثغور (**قال: فوقع في نفسي من ذلك شيء فتركته وإن كان ذلك العمل من الخيرات بل من فرائض الإسلام، ولكن كان الأمير الذي تولى في محلته من الظلمة**) قال: (**فسألت سفيان**) الثوري (**فقال: لا تكن عوناً لهم على قليل ولا كثير، فقلت**) : يا أبا عبد الله (**هذا سور في سبيل الله للمسلمين**) أي فهو من وجوه الخير. (**قال: نعم، ولكن أقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفوك أجرك فتكون قد أحببت بقاء من يعصي الله تعالى**) كذا في القوت.

(**وقد جاء في الخبر «من دعا الله تعالى لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في**

---

(١) هكذا في الأصل.

الحديث: « إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق ». وفي حديث آخر: « من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الإسلام ». ودخل سفيان على المهدي وبيده درج أبيض، فقال: يا سفيان أعطني الدواة حتى أكتب، فقال: أخبرني أي شيء تكتب، فإن كان حقاً أعطيتك.

أرضه ») كذا في القوت، وأورده الزمخشري في تفسير هود، وقد ذكره المصنف في ثلاثة مواضع. أحدها: هنا، والثاني في الباب الخامس من كتاب الحلال والحرام، والثالث: في آفات اللسان.

قال العراقي: لم أجده مرفوعاً، وإنما أورده ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من قول الحسن، وقد ذكره المصنف هكذا على الصواب في آفات اللسان اهـ.

قلت: وكذا هو في السادس والستين من الشعب للبيهقي من قول الحسن كما سيأتي للمصنف في آفات اللسان، وهو في ترجمة الثوري من الحلية لأبي نعيم من قوله.

(وفي الحديث « إن الله تعالى يغضب) كذا في النسخ والرواية ليغضب **(إذا مدح الفاسق »)** كذا في القوت. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت، وابن عدي في الكامل، وأبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف.

(وفي خبر آخر « من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الإسلام ») كذا في القوت. قال العراقي: غريب بهذا اللفظ، والمعروف « من وقر صاحب بدعة » الحديث. رواه ابن عدي من حديث عائشة، والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن بشر بأسانيد ضعيفة. قال ابن الجوزي: كلها موضوعة اهـ.

قلت: رواه أبو نعيم من طريق الطبراني عن الحسن بن هلال الوراق، وعن محمد بن محمد الواسطي، عن أحمد بن معاوية، عن عيسى بن يونس، عن ثور، عن ابن معدان، عن عبد الله بن بسر. ورواه ابن عدي أيضاً، وأبو نصر السجزي في الإبانة من حديث ابن عباس:، ورواه ابن عساكر من حديث ابن عباس. ورواه أبو نصر السجزي أيضاً عن ابن عمر وابن عباس موقوفاً. ورواه البيهقي عن إبراهيم بن ميسرة مرسلاً. وإيراد ابن الجوزي إياه في الموضوعات غير سديد غايته أن طرقه ضعيفه، وأحمد بن معاوية من سند الطبراني حدث بالأباطيل. وقال الذهبي: ليس بثقة. ومعنى الحديث: أن المبتدع أو الفاسق مخالف للسنّة مائل عن الاستقامة، فمن وقره حاول اعوجاج الاستقامة لأن معاونة نقيض الشيء معاونة لدفع ذلك الشيء، وهذا من باب التغليظ والزجر الشديد.

(وقد أدخل سفيان) الثوري **(على المهدي)** لدين الله محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس، **(وبيده)** أي المهدي **(درج أبيض)** وهو بالضم طاقة ورق يكتب عليها والجمع ادراج، **(فقال)** له: **(يا سفيان)** ولفظ القوت، فقال للثوري يا أبا عبد الله **(اعطني الدواة حتى أكتب، فقال)** سفيان: **(أخبرني أي شيء تكتب فإن كان حقاً أعطيتك)** وهذا من

وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوسين عنده أن يناوله طيناً ليختم به الكتاب فقال: ناولني الكتاب أولاً حتى أنظر ما فيه، فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة ومعاملتهم أشد أنواع الإعانة، فينبغي أن يجتنبها ذوو الدين ما وجدوا إليه سبيلاً. وبالجملة؛ فينبغي أن ينقسم الناس عنده إلى من يعامل ومن لا يعامل، وليكن من يعامله أقل ممن لا يعامله في هذا الزمان، قال بعضهم: أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول: من ترون لي أن أعامل من الناس؟ فيقال له: عامل من شئت، ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون عامل من شئت إلا فلاناً وفلاناً، ثم أتى زمان آخر فكان يقال:

الورع، وكان الثوري يقول: يقال يوم القيامة ليقم ولاة السوء وأعوانهم. قال: فمن لاق لهم دواة أو برى لهم قلماً أو حمل إليهم مداداً أو أعانهم على أمر فهو معهم.

(**وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوسين عنده أن يناوله طيناً ليختم به كتاباً**) ولفظ القوت: وكان بعض العلماء قد حبس في ديوان بعض الأمراء فكتب الأمير كتاباً فقال له الأمير: ناولني الطين حتى أختم به الكتاب، (**فقال**) ذلك العالم: (**ناولني الكتاب أوّلاً حتى أنظر فيه**) وليس في القوت أوّلاً قال ولم يناوله، (**فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة**) ويفرون منها. وقد قيل في تفسير قوله تعالى ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ [الصافات: ٢٢] أي اشباههم وأعوانهم، (**ومعاملتهم أشد أنواع الإعانة، فينبغي أن يجتنبه ذوو الدين ما وجدوا إليه سبيلاً**). ومما يلحق بمعاونتهم معاونة من يعاملهم كالخياط والجزار والحداد وغيرهم، فمن باع لهم شيئاً فقد أعانهم، وقد تقدم أن رجلاً جاء إلى ابن المبارك فقال: إني خياط فربما خطت شيئاً لبعض وكلاء السلطان، فماذا ترى أكون من أعوان الظلمة؟ فقال: لست من أعوان الظلمة بل أنت من الظلمة إنما أعوان الظلمة من يبيع منك الإبر والخيوط. وفي القوت: واستحب له أن يتوخى في البيع والشراء ويتحرى أهل التقوى والدين، ويسأل عمن يريد أن يبايعه ويشاريه، وأكره له معاملة من لا يتورع من الحرام أو من الغالب على ماله الشبهات.

وحدثنا عن محد بن شيبة قال: كتب غلام ابن المبارك إليه إنّا نبايع أقواماً يبايعون السلطان، فكتب إليه ابن المبارك: إذا كان الرجل يبايع السلطان وغيره فبايعه، وإذا قضاك شيئاً فاقبض منه إلا أن يقضيك شيئاً تعرفه بعينه حراماً، فلا تأخذه، وإذا كان لا يبايع إلا السلطان فلا تبايعه.

(**وبالجملة: فينبغي أن ينقسم الناس عنده إلى من يعامل، ومن لا يعامل، وليكن من يعامله أقل ممن لا يعامله في هذا الزمان. قال بعضهم**): ولفظ القوت: وحدثنا بعض الشيوخ عن شيخ له من الخلف الصالح قال: (**أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول**) ولفظ القوت: يأتي على مشيخة الأسواق فيقول: (**من ترون لي أن أعامل من الناس؟ فيقال: عامل من شئت، ثم أتى على الناس زمان آخر كان يقال: عامل من شئت**

لا تعامل أحداً إلاّ فلاناً وفلاناً، وأخشى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضاً. وكأنه قد كان الذي كان يحذر أن يكون. إنّا لله وإنا إليه راجعون.

السابع: ينبغي أن يراقب جميع مجاري معاملته مع كل واحد من معامليه، فإنه مراقب ومحاسب فليعد الجواب ليوم الحساب والعقاب في كل فعلة وقوله لم أقدم عليها؟ ولأجل ماذا؟ فإنه يقال: إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئاً وقفة ويحاسب عن كل واحد محاسبة على عدد من عامله. قال بعضهم: رأيت بعض التجار في النوم فقلت: ماذا فعل الله بك؟ فقال: نشر علي خمسين ألف صحيفة، فقلت: هذه كلها ذنوب. فقال: هذه معاملات الناس بعدد كل إنسان عاملته في الدنيا لكل إنسان صحيفة مفردة فيما بيني وبينه من أوّل معاملته إلى آخرها. فهذا ما على المكتسب في عمله من العدل والإحسان والشفقة على الدين، فإن اقتصر على العدل كان من الصالحين، وإن أضاف إليه الإحسان كان من المقربين، وإن راعى مع ذلك وظائف

إلاّ فلاناً وفلاناً، ثم أتى وقت آخر فكان يقال) ولفظ القوت قال: ونحن في زمان إذا قيل لنا من نعامل من الناس فيقال: **(لا تعامل)** أحداً **(إلاّ فلاناً، وأخشى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضاً)** زاد المصنف: **(وكأنه قد كان الذي خاف أن يكون فإنا لله وإنا إليه راجعون)**.

قلت: وهذا في زمن المصنف في آخر القرن الخامس، وقد مضى نحو ستمائة سنة الآن، وأما في زماننا فالمصيبة أعظم مما ذكر ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. اللهم اختم لنا بخير آمين.

(السابع: أن يراقب جميع مجاري معاملته في كل واحد من معامليه فإنه مراقب ومحاسب) ومسؤول عن ذلك كما يسأل من كان على علم من الدين والإيمان، **(فليعد الجواب ليوم الحساب)** أي محاسبة الأعمال، **(والعقاب في كل فعله، وقوله)** وما خطر بباله، **(وإنه لم أقدم عليها ولأجل ماذا)** فعل كذا أو قال كذا، **(فإنه يقال: إنه يوقف التاجر يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيئاً)** في الدنيا **(وقفة ويحاسب عن كل واحد محاسبة عدد من عامله)** ولفظ القوت، ويقال: إن البائع يوقف يوم القيامة مع كل رجل باعه وقفة ويحاسب كل أحد محاسبة على عدد من اشترى منه ومن عامله في الدنيا.

(قال بعضهم: رأيت بعض التجار في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: نشر علي خمسون ألف صحيفة) مفردة **(فيما بيني وبينه، فقلت: أهذه كلها ذنوب؟ فقيل: هذه معاملات الناس عدد ما كنت عاملته في الدنيا لكل إنسان صحيفة مفردة فيما بينك وبينه من أوّل المعاملة إلى آخرها)** هكذا أورده صاحب القوت، **(فهذا)** الذي ذكرناه من **(ما على المكتسب في معاملته من العدل والإحسان والشفقة على الدين، فإن اقتصر على العدل)** الذي هو ترك الظلم **(كان من الصالحين، وإن أضاف إليه الإحسان كان من المقربين، فإن راعى مع ذلك**

الدين كما ذكر في الباب الخامس كان من الصديقين، والله أعلم بالصواب.

تم كتاب آداب الكسب والمعيشة بحمد الله ومنّه.

وظائف الدين كما ذكرناه في الباب الخامس من هذا الكتاب **(كان من الصديقين)**، فالمقامات متفاوتة على هذا الترتيب، **فالأول مقام الصلاح**، وإليه الإشارة بقوله ﴿ان الله يأمر بالعدل﴾ والثاني: مقام المقربين وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿والإحسان وإيتاء ذي القربي﴾ والثالث مقام الصديقية وإليه الإشارة في بقية الآية **(والله اعلم)**. وبه تمّ كتاب الكسب والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبيّ بعده، ويوجد هنا في بعض النسخ بحمد الله وصلى الله على كل عبد مصطفى فرغ من تسويد هذا الكتاب المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى. أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني لطف الله به وأخذ بيده في الشدائد والكروب، وأنجاه من كل ضيق وجلا عنه الخطوب. عند أذان ظهر يوم السبت خامس عشر جمادي الأولى من شهور سنة ١١٩٩ أرانا الله خيرها وكفانا ضيرها

آمين

كتاب الحلال والحرام وهو الكتاب الرابع من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين لازب وصلصال، ثم ركب صورته في أحسن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواهب الغني الفرد المتعال، المنعم الذي منح لأصفيائه كمال الرشد في التمييز بين الحرام والحلال، عز أن يدانيه مثال أو شريك في حسن إبداع هذا العالم على أحسن منوال، خلّص لأحبابه طيبات الرزق الدانية قطوفها وأدر لهم أخلاف خلفات النعم المحفوفة صنوفها بكل جمال، فهي تغدو وتروح عليهم بالغدوّ والآصال، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد زاكي الخلال، المنعوت بأشراف الخصال، المرشد الهادي أمته من أغواء شياطين الإضلال إلى سبيل الاستقامة والاعتدال، وعلى الأصحاب والآل، وذويه وعترته أولي الأفضال، ومتبعي سنته عند تقلبات الأحوال، ما تعاقبت الأيام بالليال، أما بعد؛ فهذا شرح:

كتاب الحلال والحرام

وهو الرابع من الربع الثاني للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قطب العلم والحال والمقام، روّح الله روحه في الملأ الأعلى، وأوردنا من حياض فهومه المشرب الأجلى، تصدت فيه توضيح عباراته، وتكميل سياقاته، وحل رموزه وإشاراته، وفك دقائقه ومهماته، مقراً بالعجز الظاهر البادي في البادي والحاضر، معترفاً بقصور الباع، وعدم الاتساع من إحاطة موجبات السلب المسورة بالامتناع، والله جل شأنه أسأل الإعانة، والتوفيق لمحابه في حسن الحل والإبانة، وعلى فضله أعتمد وأتوكل، وهو حسبي وربي لا إله إلا هو وعليه المعوّل.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(بسم الله الرحمن الرحيم)** اقتداء بالكتاب، واتباعاً لسنة سيد الأحباب، ثم أردفه بالحمد مراعياً أنواع البلاغة التي منها لزوم ما لا يلزم وبراعة الاستهلال والتضمين والاقتباس فقال: **(الحمد لله الذي خلق الإنسان)** مقتبساً من كلام الله الملك الرحمن

تقويم وأتم اعتدال، ثم غذاه في أول نشوئه بلبن استصفاه من بين فرث ودم سائغاً كالماء الزلال، ثم حماه بما آتاه من طيبات الرزق عن دواعي الضعف والانحلال، ثم قيد شهوته المعادية له عن السطوة والصيال، وقهرها بما افترضه عليه من طلب القوت الحلال، وهزم

أي أوجده من العدم بعد أن لم يكن، والإنسان: بالكسر اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والواحد والجمع، واختلف في اشتقاقه على زيادة النون الأخيرة فقال البصريون: من الأنس فالهمزة أصلية ووزنه فعلان، وقال الكوفيون: من النسيان فالهمزة زائدة ووزنه إفعال على النقص وأصله أنسيان على أفعلان، ولهذا يرد إلى أصله في التصغير فيقال: انيسيان أشار إلى الذي خلق منه فقال: **(من الطين)** هو التراب والماء المختلط وقد يسمى بذلك، وإن زالت عنه قوة الماء ذكره الراغب. وقال الحراني: هو متحجر التراب حيث يصير متهيئاً لقبول وقوع الصورة فيه **(اللازب والصلصال)** فاللازب: اللين من وصول الماء إليه يقال: لزب الطين لزوباً أي لصق، ومنه حديث علي: ولاطها بالبلة حتى لزبت أي لصقت ولزمت، والصلصال: اليابس الذي له صلصلة وفيه اقتباس من قوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ [الرحمن: ١٤] أي كالخزف، وقد خلق الله آدم من تراب ثم جعله طيناً ثم حماً مسنوناً ثم صلصالاً فلا يخالف ذلك قوله من تراب ونحوه، **(ثم ركب صورته)** الحسية **(في أحسن تقويم وأتم اعتدال)** وقد اقتبس ذلك من قوله تعالى: ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ [الانفطار: ٨] وقوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين: ٤] يقال: قومه فتقوم أي عدله فتعدل، والاعتدال توسط حال بين حالين في كم أو كيف وكل ما تناسب فقد اعتدل، **(ثم غذاه في أول نشوئه بلبن)** أي جعل غذاءه الذي تقوم به بنيته الظاهرة من لبن **(استصفاه)** أي صفاه وخلصه **(من بين فرث ودم)** والفرث السرجين ما دام في الكرش **(سائغاً)** أي سهلاً **(كالماء الزلال)** أي العذب البارد اقتبسه من قوله تعالى: ﴿من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾ [النحل: ٦٦] **(ثم حماه)** من الحماية وهي المنع والوقاية **(بما آتاه)** أي أعطاه **(من طيبات الرزق)** اقتبسه من قوله تعالى: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [طه: ٨١] **(من دواعي الضعف والانحلال)** متعلق بقوله: ثم حماه أي وقاه بذلك الغذاء الذي هو من طيبات الرزق عن طرو الأسباب الداعية لضعف البدن وانحلال صورة التركيب والضعف وهي القوى حساً ومعنى أو هو خلاف القوة ويكون في النفس والبدن والمال، وقيل: بالضم في البدن وبالفتح في العقل والرأي، **(ثم قيد شهوته)** أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده ولا تتمالك عنه **(المعادية له)** يقال: عاداه معاداة إذا أظهر له العداوة، وإنما كانت الشهوة معادية للإنسان لكونها تجره إلى المناهي الشرعية وتتسرع لإيقاعه في كل مذموم شرعاً، ومن ذلك في الخبر المشهور: « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » **(عن السطوة والصيال)** بكسر الصاد المهملة بمعنى الصولة وهي والسطوة الأخذ بشدة وقهر، وذلك التقييد من كمال فضل الله وإحسانه على الإنسان، ولولا ذلك لم يملك نفسه عن النزوع إلى الشهوات الحسية والمعنوية **(وقهره)** أي غلبه وكسر شوكته **(بما افترضه عليه)** يقال فرضه

بكسرها جند الشيطان المتشمر للإضلال، ولقد كان يجري من ابن آدم مجرى الدم السيال، فضيق عليه عزة الحلال المجرى والمجال، إذا كان لا يبذرقه إلى أعماق العروق إلا الشهوة المائلة إلى الغلبة والاسترسال، فبقي لما زمت بزمام الحلال خائباً خاسراً ما له

وافترضه بمعنى واحد (**من طلب الحلال**) اقتبسه من الخبر الآتي ذكره: « طلب الحلال فريضة ». وسيأتي معناه. (**تسبح له الرمال**) [1] أي تنزهه وتقدسه فما من ذرة من ذراته إلا وهي شاهدة لوحدانيته مقرة بربوبيته، وخص الرمال وإن كان كل شيء كذلك بموجب قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ [الإسراء: ٤٤] لكثرة أجزائها ومجاوزة الحد وإحصائها (**وتسجد**) له (**الظلال**) جمع ظل وهو أعم من الفيء، فإنه يقال: ظل الشيء وظلت الجنة، ولكل موضع لم تصل إليه الشمس يقال له ظل، ولا يقال الفيء إلا لما زال عنه الشمس، (**ويتدكدك**) أي يضمحل ويلصق بالتراب. يقال: دكه دكاً إذا دحاه وبسطه فتدكدك صار مدحواً مبسوطاً لاصقاً بالأرض (**من هيبته**) الحاصلة أثر مشاهدة جلال الله وعظمته، وقد تكون عن الجمال الذي هو جمال الجلال (**صم الجبال**) يقال حجر أصم أي مصمت شديد والجمع الصم كأحمر وحمر، ولو قال: شم بالشين بدل الصم لكان جائزاً وهي المرتفعة إلا أن تدكدك المصمت الشديد أنسب في المقام، (**فهزم بكسرها**) أي كسر تلك الشهوة (**جند الشيطان**) أي أعوانه وعساكره المجرورة تحت راياته (**المتشمر**) أي المتهيّىء (**للإضلال**) أي لإغواء الإنسان عن سبيل الرشد وذلك مصداق قوله تعالى على لسانه: ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ الآية [الأعراف: ١٦]. وقال تعالى على لسانه أيضاً ﴿لأغوينهم أجمعين★ إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] (**فلقد كان**) كيده (**يجري من ابن آدم**) أي فيه (**مجرى الدم السيال**) أي لا يحس بجريه كالدم في الأعضاء، ووجه الشبه شدة الاتصال والمعنى يجري منه أي فيه حيث يجري فيه الدم، وأشار بسياقه هذا إلى الحديث الذي رواه أحمد والشيخان وأبو داود عن أنس، والشيخان وأبو داود وابن ماجه عن صفية رفعاه: « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » وقد تقدم تحقيقه في كتاب الصوم. (**فضيق عليه**) أي شدد عليه (**عزة الحلال**) أي قوته وغلبته (**المجرى**) مفعل من الجري أو مصدر ميمي (**والمجال**) مفعل من الجولان وهو الحركة، (**إذ كان لا يبذرقه**) أي لا يوصله واصل البذرقة الخفارة (**إلى أعماق**) جمع عمق بضمتين هو البعد سفلاً (**العروق**) جمع عرق معروفة، ومنها الأوردة والشرايين (**إلا الشهوات**) النفسية (**المائلة**) بطبعها (**إلى الغلبة**) أي الشدة والتسلط (**والاسترسال**) أي الدعة والهوينا، (**فبقي**) أي الشيطان (**لما زمت**) تلك الشهوات أي قيدت (**بزمام الحلال**) وأصل الزمام الخيط الذي يشد في البرة أو في الخشاش، ثم يشد إليه المقود ثم سمي به المقود نفسه (**خاسئاً**) أي معيباً مطروداً وهو حسير (**خاسراً**) في صفقته التي اعتقدها (**ماله من ناصر**) ينصره (**ولا وال**) يلي إعانته.

---

(١) (تسبح له الرمال) (وتسجد الظلال) (ويتدكدك من هيبته صم الجبال) هذا الكلام لم يرد في كتاب الإحياء.

من ناصر ولا والٍ والصلاة على محمد الهادي من الضلال وعلى آله خير آل، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فقد قال ﷺ: «طلب الحلال فريضة على كل مسلم» رواه ابن مسعود

وفي الكلام المذكور أولاً تمثيل وتصوير أراد أن للشيطان قوة التأثير في السرائر وإن كان منفوراً منكراً في الظاهر فإليه رغبة روحانية في الباطن بتحريكه تنبعث القوى الشهوانية في المواطن، ومن لم ينتبه لحسن هذا التمثيل ضل في رد ذلك المقال وأضل حيث قال: ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ [الأعراف: ١٧] فهو كالدلالة على بطلان ما يقال: إنه يدخل في بدن الآدمي ويخالطه لأنه إذا أمكنه ذلك لكان ما يذكره في باب المبالغة أحق أما أنه ضل فلأنه لم يدرِ أنَّ الكلام المذكور مأخوذ من مشكاة النبوة مصبوب في قالب التمثيل، والغرض منه: أن الشيطان منفور محذور منه في الظاهر مطبوع متبوع في الباطن، والغرض من التمثيل المنقول عنه بيان كمال اهتمامه في أمر الإغواء وتصوير استيلائه على بني آدم من جميع الجهات، وأمَّا أنه أضل فلأن الفخر الرازي نقل عن القاضي نقل قبول حيث قال: هذا القول من إبليس كالدلالة على بطلان ما يقال أنه يدخل في بدن الآدمي فتأمل ذلك.

(والصلاة) الكاملة منه **(على)** حبيبه أبي القاسم **(محمد الهادي)** أمته **(من)** ظلمات **(الضلال)** الذي هو العدول عن الطريق المستقيم **(وعلى آله)** الآيلين إليه وهم قرابته الأدنون **(خير آل)** وخيرتهم مستفادة من قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة﴾ [آل عمران: ١١٠] بطريق الأولية، وإنما اقتصر على ذكرهم دون الأصحاب، لأن فيهم من له شرف صحبة غني عن ذكرهم، وأما حكم إفراد الصلاة عليه عن السلام فقد تقدم البحث فيه أول كتاب العلم.

(أما بعد؛ فقد قال ﷺ: «طلب الحلال فريضة على كل مسلم» رواه ابن مسعود) ولفظ القوت: وروينا عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ فساقه. قال العراقي: تقدم في الزكاة دون قوله: «على كل مسلم». وللطبراني في الأوسط من حديث أنس: «واجب على كل مسلم» وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: ولكن الهيثمي رفيقه قال: وإسناده حسن، ورواه الديلمي أيضاً في مسند الفردوس باللفظ المذكور، وفيه بقية والزبير بن خريق ضعيفان.

واختلف في معنى قوله: «طلب الحلال» على وجهين.

الأول: أن المراد طلب معرفة الحلال من الحرام والتمييز بينهما في الأحكام وهو علم الفقه وبه فسروا حديث: «طلب العلم فريضة» كما سيأتي للمصنف قريباً، ويؤيده ما رواه الحاكم في تاريخه من حديث أنس: «طلب الفقه حتم واجب على كل مسلم».

الثاني: أن المراد طلب الكسب الحلال للقيام بمؤنة من تلزمه مؤنته، وقد وقع التصريح به في

رضي الله عنه، وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض: أعصاها على العقول فهماً، وأثقلها على الجوارح فعلاً، ولذلك اندرس بالكلية علماً وعملاً، وصار غموض علمه سبباً لاندراس عمله، إذ ظن الجهال أن الحلال مفقود، وأن السبيل دون الوصول إليه مسدود، وأنه لم يبق من الطيبات إلا الماء الفرات، والحشيش النابت في أرض الموات، وما عدا ذلك فقد اجتنته الأيدي العـادية، وأفسدته المعاملات الفاسدة، وإذا تعذرت القناعة بالحشيش من النبات لم يبق وجه سوى الإتساع في المحرمات، فرفضوا هذا القطب من الدين أصلاً، ولم يدركوا بين الأموال فرقاً وفضلاً، وهيهات هيهات، فالحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات! ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلبت الحالات. ولما

حديث ابن مسعود المذكور فيما رواه الطبراني في الكبير والبيهقي وضعفه: «طلب الكسب الحلال فريضة بعد الفريضة» وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب الزكاة.

(**وهذه الفريضة من بين سائر الفرائض أعصاها على العقول فهماً**) أي أكثرها عصياناً فالفهم لا يقيدها، (**وأثقلها على الجوارح**) المحسوسة (**فعلاً**) فهي تأبى عن حملها، (**فلذلك اندرس**) أي انمحى (**بالكلية علماً وعملاً**) وفيه لف ونشر مرتب، (**وصار غموض علمها**) ودقة فهمها (**سبباً لاندراس عملها إذ ظن الجهال**) من العلماء (**أن الحلال مفقود**) في الأوان، (**وأن السبيل**) أي الطريق الموصل (**إليه دون الوصول مسدود**) فلا مطمع في الورود على مشارعه، (**وأنه لم يبق من الطيبات**) المأمور بتحصيلها (**إلا الماء الفرات**) العذب، (**والحشيش**) النبات (**في أرض الموات، وما عدا ذلك فقد اجتنته**) أي اقتلعته (**الأيدي العاديات**) أي المجاوزات عن الحدود، (**وأفسدته المعاملات**) بين الناس (**الفاسدة**) ،شرعاً، (**فإذا تعذرت القناعة بالحشيش من النبات**) والحشيش: هو اليابس من الكلأ فعيل بمعنى فاعل. قالوا: ولا يقال للرطب حشيش كما في المصباح، وهو قول أئمة اللغة، ومراد المصنف هنا إنما هو الرطب فإنه هو الذي يتقوت به، وأما اليابس: فلا، وقد أطلقه على الرطب هنا تجوزاً، وهذا نظير قول الفقهاء يحرم على المحرم قطع الحشيش، ونبهوا على أنه ليس على ظاهره، فإن اليابس من الكلأ لا يحرم قطعه، فالوجه أن يقال: يحرم قطع الخلا إلا أن يقال أنه على التجوز فتأمل. (**لم يبق وجـه سـوى الإتسـاع في المحـرمـات**) وهـذا على حسـب ظنهـم الفـاسـد، (**فرفضوا**) أي تركوا (**هذا القطب من الدين**) الذي عليه المدار (**أصلاً**) أي من أصله، (**ولم يدركوا بين الأموال**) المحرمة والمحللة (**فرقاً ولا فضلاً، وهيهات هيهات، فالحلال بيّن**) أي ظاهر (**والحرام بيّن وبينهما أمور(متشابهات**) لا يعلمها كثير من الناس، «فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام» الحديث رواه الشيخان والأربعة من حديث النعمان بن بشير وسيأتي الكلام عليه في الباب الثاني من مراتب الشبهات من هذا الكتاب، والحديث نص في هذه المراتب الثلاث. (**ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات**) لا

كانت هذه بدعة عمّ في الدين ضررها، واستطار في الخلق شررها، وجب كشف الغطاء عن فسادها بالإرشاد إلى مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبهة على وجه التحقيق والبيان، ولا يخرجه التضييق عن حيز الإمكان.

ونحن نوضح ذلك في سبعة أبواب:

الباب الأول: في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام ودرجات الحلال والحرام.

الباب الثاني: في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام.

الباب الثالث: في البحث والسؤال والهجوم والإهمال ومظانها في الحلال والحرام.

تنفك **(كيفما تقلبت الحالات)** على اختلاف الأزمنة المتطاولات. **(ولما كانت هذه بدعة)** قبيحة **(عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها)** وهو بالتحريك مقصور من الشرار كسحاب اسم لما تطاير من النار، **(وجب الكشف للغطاء)** الحاجب **(عن فسادها)** أي تلك البدعة **(بالإرشاد)** والهداية **(إلى مدرك الفرق بين الحرام والحلال والشبهة)**.

قال في المصباح: المدرك بفتح الميم يكون مصدراً واسم زمان ومكان، ومدارك الشرع مواضع طلب الأحكام، ومن حيث يستدل بالنصوص والإجتهاد من مدارك الشرع والفقهاء يقولون في الواحد مدرك بفتح الميم وليس لتخريجه وجه، وقد نص الأئمة على طرد الباب فيقال: مفعل بضم الميم من أفعل واستثنيت كلمات مسموعة خرجت عن القياس، ولم يذكروا المدرك مما خرج عن القياس فالوجه الأخذ بالأصول القياسية حتى يصح سماع، وقد قالوا: الخارج عن القياس لا يقاس عليه لأنه غير مؤصل في بابه، والله أعلم.

(على وجه التحقيق والبيان، ولا يخرجه التضييق من حيز الإمكان). والحيز: كسيد لغة كل مجتمع بعضه مع بعض والإمكان ضد الإمتناع.

(ونحن نوضح ذلك في) ضمن **(سبعة أبواب)** عدد أبواب الجنان.

(الباب الأول: في فضيلة طلب الحلال ومذمة الحرام) وما ورد في كل منها من الآيات والأخبار والآثار **(و)** فيه بيان **(درجات الحلال والحرام)**.

(الباب الثاني: في) بيان **(مراتب الشبهات)** الملتصقة اما بالحلال أو بالحرام **(ومثاراتها)** جمع مثار أي الموضع الذي تثور منه الشبهات **(وتمييزها عن الحلال والحرام)**.

(الباب الثالث: في البحث) والسعي **(والسؤال والهجوم والإهمال ومظانها في)** كل من **(الحلال والحرام)**.

الباب الرابع: في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية.

الباب الخامس: في إدرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم.

الباب السادس: في الدخول على السلاطين ومخالطتهم.

الباب السابع: في مسائل متفرقة.

(**الباب الرابع: في كيفية خروج التائب من المظالم المالية**).

(**الباب الخامس: في إدرارات السلاطين**) والأمراء ومن في معناهم ووظائفهم وجراياتهم (**وصلاتهم وما يحل**) التناول (**منها وما يحرم**).

(**الباب السادس: في**) حكم (**الدخول على السلاطين**) والأمراء (**ومخالطتهم**) وما يتعلق بذلك.

(**الباب السابع: في مسائل متفرقة**) لها مناسبة بتلك الأبواب يكثر مسيس الحاجة إليها وتعم البلوى بها ويجب النظر فيها.

الباب الأوّل

في فضيلة الحلال ومذمة الحرام وبيان أصناف الحلال ودرجاته وأصناف الحرام ودرجات الورع فيه .

فضيلة الحلال ومذمة الحرام:

قال الله تعالى: ﴿ كُلُوا من الطيِّباتِ واعمَلُوا صَالِحاً ﴾ [المؤمنون: ٥١] أمر بالأكل من الطيبات قبل العمل. وقيل: إن المراد به الحلال. وقال تعالى: ﴿ ولاَ تأكُلُوا أمْوَالَكُم بَيْنَكُم بالبَاطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقال تعالى: ﴿ إنَّ الَّذِينَ يَأكُلُونَ أموالَ اليتامى ظُلماً ﴾ [النساء: ١٠] الآية، وقال تعالى: ﴿ يا أيُّها الَّذِين آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وذَرُوا ما بقيَ من الرِّبَا إنْ كُنْتُم مُؤْمِنِين ﴾ [البقرة: ٢٧٨] ثم قال: ﴿ فإن لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذِنُوا

الباب الأول

في تفصيل الحلال والحرام

(**وفيه فضيلة الحلال ومذمة الحرام و**) فيه أيضاً (**بيان أصناف الحلال**) وأنواعه (**ودرجاته**) وبيان (**أصناف الحرام ودرجات الورع فيه**) فأول ما يذكر فيه:

فضيلة الحلال ومذمة الحرام:

فمن الآيات: (**قال الله تعالى**) في كتابه العزيز: (﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً** ﴾ **أمرهم**) الله تعالى (**بالأكل من الطيبات قبل العمل**) فهم ذلك من تقديم الجملة الأولى على الثانية، وفيه كمال التنويه بشأنه حيث قدمه على العمل الصالح. (**قيل: إن المراد به الحلال**) نقله صاحب القوت حيث قال: فأمر بأكل الحلال قبل العمل، وهكذا قال العلماء: زكاة الأعمال بأكل الحلال، فما كانت الطعمة أحل كان العمل أزكى وأرفع، وعلى هذا المنوال قوله سبحانه: ﴿ يا أيها الَّذين آمنوا كلُوا من طيِّبات ما رزقناكم ﴾ [طه: ٨١] قيل: من الحلال. (**وقال تعالى: ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾**) إلى قوله ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ قيل: من أكل حراماً فقد قتل نفسه لأنه سبب إهلاكها وتعذيبها، فعرف من ذلك أن أكل أموال الناس بالباطل حرام وفي ارتكابه اهلاك النفس. (**وقال عز وجل ﴿ إنَّ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ﴾**) أي تعدياً من غير أن يكون لهم فيها حق (**إنّما يأكلون في بطونهم ناراً**) أي مثل النار (**وسيصلَونَ سعيراً**) ووجه الإستدلال بها التعريف بأن أكل أموال اليتامى حرام ووعيده شديد. (**وقال تعالى**): ﴿ يا أيها الذين آمنوا (**اتقوا الله وذروا ما بقي**

بحَربٍ من اللهِ ورسُولِهِ﴾، ثم قال: ﴿وإن تُبتُم فلَكُم رؤوس أموالِكُم﴾ [البقرة: ٢٧٩]، ثم قال: ﴿ومَنْ عَادَ فَأولئِكَ أصْحَابُ النَّارِ هُمْ فيها خَالِدُون﴾ [البقرة: ٢٧٥] جعل آكل الربا في أوّل الأمر مأذوناً بمحاربة الله. وفي آخره متعرضاً للنار، والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصى. وروى ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: « طلب الحلال فريضة على كل مسلم » ولما قال ﷺ: « طلب العلم فريضة على كل مسلم » قال بعض العلماء: أراد به طلب علم الحلال والحرام، وجعل المراد بالحديثين واحداً.

من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ ثم قال) تعالى: (﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ ثم قال) تعالى: (﴿وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم) لا تَظلمون ولا تُظلمون﴾ (ثم قال) تعالى: (﴿ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾) فما توعد الله تعالى ولا تهدد في معصية بمثل ما توعد في أكل الربا، فإنه عز وجل عظم شأنه بوصفين عظيمين إعظاماً له وترهيباً منه، حيث (جعل آكل الربا في أول الأمر مأذوناً) أي معلماً (بمحاربة الله) عز وجل والرسول (وفي آخره متعرضاً للنار) بالخلود فيها، ومن ذلك اشترط للإيمان ترك الربا بقوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ وهي للشرط والجزاء، ثم أوجب التوبة بعد إعلامه بالظلم منهم في قوله: ﴿وإن تبتم﴾ إلى آخرها. ثم نص على تحريمه بقوله تعالى: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾ ثم توعد بالخلود في النار بقوله: ﴿هم فيها خالدون﴾ وهذا من شديد الخطاب وعظيم العذاب، فلذلك يخاف على مدمن الربا المختوم له به غير التائب منه أن يموت على الكفر لعلة ذكر الخلود (والآيات الواردة في الحلال والحرام لا تحصر) وقد اقتصر على سياق ثلاث آيات: الأولى في أكل أموال الناس بالباطل، والثانية في أكل أموال اليتامى، والثالثة في الأكل بالربا. وكل ذلك حرام بالنص القطعي، فينبغي الحذر عن ارتكاب شيء من ذلك. هذا في الحرام، واقتصر في الحلال على آية واحدة وهي ﴿كلوا من الطيبات﴾ وفسره بالحلال وما لم يذكر يقس على ما ذكر.

(و) أما الأخبار، فقد (روى ابن مسعود) عبد الله رضي الله عنه، (عن النبي ﷺ أنه قال: « طلب الحلال فريضة على كل مسلم ») وتقدم الكلام في تأويله على وجهين وعلى تخريجه قريباً، (ولما قال) عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن عدي والبيهقي في الشعب من حديث أنس، والطبراني في الصغير، والخطيب في التاريخ من حديث الحسين بن علي، والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس، وتمام في فوائده من حديث ابن عمر، والطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود، والخطيب في التاريخ أيضاً من حديث علي، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب أيضاً من حديث أبي سعيد (« طلب العلم فريضة على كل مسلم ») وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم مفصلاً. (قال بعض العلماء) في تأويله: (أراد به طلب علم الحلال والحرام كالبيع والشراء) أي إذا أراد العبد أن يدخل فيه افترض علمه عليه، (وجعل المراد من الحديثين

وقال ﷺ : « من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله، ومن طلب الدنيا حلالاً في عفاف كان في درجة الشهداء ». وقال ﷺ : « من أكل الحلال أربعين يوماً نوّر الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ». وفي رواية: « زهده الله في

واحداً) وقال: إن في هذا الخبر دلالة على التسوية بين العلم والحلال في الطلب بالفرض، فمثل فرض طلب علم الحلال للأكل كمثل طلب العلم للجاهل، وهذا أيضاً قد تقدم في كتاب العلم مفصلاً مع أقوال أخرى ذكرت هناك.

(**وقال ﷺ : « من سعي على عياله**) أي اكتسب لهم بالسعي أي بالغدو والرواح إلى السوق (**من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله**) أي منزلته منزلة المجاهد، (**ومن طلب الدنيا حلالاً**) أي من وجه الحل (**في عفاف**) أي مع عفة النفس على الحرص وغيره (**كان في درجة الشهداء »**) هكذا هو في القوت:

قال العراقي: روى الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة: « من سعي على عياله ففي سبيل الله » ولأبي منصور الديلمي في مسند الفردوس: « من طلب مكسبه من باب حلال يكف بها وجهه عن مسألة الناس وولده وعياله جاء يوم القيامة مع النبيين والصديقين » وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: والسياق الأخير رواه أيضاً الخطيب في التاريخ ولفظ: « من مال الحلال » وفيه بعد قوله: « والصديقين » هكذا وأشار باصبعه السبابة والوسطى.

(**وقال ﷺ « من أكل الحلال أربعين يوماً**) وحكمة التقييد بالأربعين أنها مدة يصير المداومة على الشيء فيه خلقاً كالأصلي الغريزي، وأخذ جمع من الصوفية منه أن خلوة المريد تكون أربعين يوماً، واحتجوا بوجوه أخر أظهرها: أنه سبحانه خمر طينة آدم أربعين صباحاً (**نوّر الله قلبه**) أي بالمعارف الإلهية فلم يتشعب بسبب التعلقات الموجبة لتوزيع الهم وتشتيت العزمات، (**وأجرى ينابيع الحكمة**) الإلهية (**من قلبه على لسانه »**) لأن المداومة على أكل الحلال مجاهدة ولزوم المجاهدة يوصل إلى حضرة المشاهدة، ومن ثم قيل: فجاهد تشاهد وهو مصداق قوله عز وجل ﴿والّذين جاهدوا فينا لنهديَّنهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أيوب بلفظ « من أخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » ولابن عدي نحوه من حديث أبي موسى وقال: حديث منكر انتهى. لفظ رواية أبي نعيم « من أخلص العبادة لله ».

وقد رواه عن حبيب بن الحسن، عن عباس بن يوسف الشكلي، عن محمد بن سيار السياري، عن محمد بن اسماعيل، عن يزيد بن يزيد الواسطي، عن حجاج، عن مكحول، عن أبي أيوب. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال: يزيد بن يزيد كثير الخطأ، وحجاج مجرح، ومحمد بن اسماعيل مجهول، ومكحول لم يصح سماعه من أبي أيوب، وتعقبه السيوطي وقال: غاية ما يقال فيه أن إسناده

الدنيا ». وروي أن سعداً سأل رسول الله ﷺ أن يسأل الله تعالى أن يجعله مجاب الدعوة، فقال له: « أطب طعمتك تستجب دعوتك ». ولما ذكر ﷺ الحريص على الدنيا قال: « رب أشعث أغبر مشرد في الأسفار مطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام،

ضعيف، وفي شرح الأحكام لابن عبد الحق: هذا الحديث وإن لم يكن صحيح الإسناد فقد صححه الذوق الذي خص به أهل العطاء والإمداد، وفهم ذلك مستغلق إلا على أهل العلم الفتحي الذي طريقه الفيض الرباني بواسطة الإخلاص المحمدي اهـ.

وفي المقاصد للحافظ السخاوي: هذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية من جهة مكحول عن أبي أيوب به مرفوعاً وسنده ضعيف، وهو عند أحمد في الزهد مرسل بدون أبي أيوب، وله شاهد عن أنس رواه القضاعي من جهة ابن فيل، ثم من طريق سواد بن مصعب، عن ثابت، عن مقسم عن ابن عباس به مرفوعاً اهـ.

قلت: هو في زوائد الزهد لأبي بكر المروزي، وكذلك أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، وأبو الشيخ في الثواب ولفظهم قال مكحول: بلغني أن النبي ﷺ قال فذكره. وقول العراقي: ولابن عدي نحوه من حديث أبي موسى الخ. قلت: لفظه « ما من عبد يخلص لله أربعين يوماً » الحديث. ورواه ابن الجوزي أيضاً من طريقه، وفي رواية « زهده الله في الدنيا » أي جعله من الزاهدين فيها الراغبين في الآخرة، وأوهم سياقه ان هذه رواية للحديث السابق وليس كذلك، بل هو حديث مستقل ويؤيده سياق صاحب القوت حيث قال في موضع آخر من كتابه: وفي بعض الروايات « من أكل الحلال زهده الله في الدنيا » أي فلم يورده في ذيل الحديث السابق، ولذا لم يتعرض له العراقي فتأمل.

(وروي أن سعداً) هو ابن أبي وقاص القرشي الزهري أحد العشرة رضي الله عنه **(سأل رسول الله ﷺ أن يسأل الله تعالى أن يجعله مجاب الدعوة فقال له) ﷺ: (« طيب طعمتك)** بضم الطاء هو ما يطعمه الإنسان أي اجعله طيباً أي حلالاً **(تستجب دعوتك »)** هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا أعرفه اهـ.

قلت: ولفظه تليت هذه الآية عند النبي ﷺ: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً﴾ [البقرة: ١٦٨] فقام سعد بن أبي وقاص فقال يا رسول الله: ادع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة فقال « يا سعد طيب مطعمك تكن مستجاب الدعوة » والذي نفسي بيده إن العبد ليقذف بلقمة الحرام من جوفه فلا يتقبل منه عمل أربعين يوماً، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به » وأعله ابن الجوزي، وقد كان سعد رضي الله عنه مستجاب الدعوة معتزلاً عن الفتنة وهو آخر العشرة موتاً.

(وذكر رسول الله ﷺ الحريص على الدنيا) فذمه **(قال « رب اشعث)** أي المتلبد الشعر

يرفع يديه فيقول: يا رب يا رب، فأنَّى يستجاب لذلك». وفي حديث ابن عباس، عن النبي ﷺ: «إن لله ملكاً على بيت المقدس ينادي كل ليلة: من أكل حراماً لم يقبل منه صرف ولا عدل». فقيل: الصرف النافلة، والعدل الفريضة. وقال ﷺ: «من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته ما دام عليه منه شيء». وقال

لقلة تعهده بالدهن (**أغبر**) أي متغير اللون ويقال: هو أشعث أي من غير استحداد ولا تنظف (**مشرد في الاسفار**) أي مطرود من موضع إلى موضع لا يستقر في دعة (**مطعمه حرام**) أي مأكله (**وملبسه حرام وغذي**) جسده (**بالحرام، يرفع يديه**) ويدعو (**فيقول: يا رب يا رب فأنى يستجاب لذلك»**) أي كيف يستجاب لمثله هكذا هو في سياق القوت. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر» اهـ.

قلت: وأوله «إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [طه: ٨١] وذكر الرجل يخرج من بيته أشعث أغبر يقول لبيك اللهم لبيك ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك» رواه الفقيه سليم في جزئه فقال: أخبرناه أبو عمر محمد بن الحسين بن محمد الهيثم أخبرنا أبو القاسم الطبراني، عن إسحاق بن ابراهيم الدميري، عن عبد الرزاق، عن سفيان، عن فضيل بن مرزوق، عن عدي بن ثابت، عن أبي حازم عن أبي هريرة.

(**وفي حديث ابن عباس**) رضي الله عنهما، (**عن النبي ﷺ قال «إن لله تعالى ملكاً على بيت المقدس ينادي في كل ليلة: من أكل حراماً لم يقبل منه صرف ولا عدل» فقيل**) في تفسيره: (**الصرف النافلة والعدل الفريضة**) هكذا هو في القوت.

قال العراقي: لم أقف له على أصل، وفي مسند الفردوس للديلمي من حديث ابن مسعود «من أكل لقمة من حرام لم يقبل منه صلاة أربعين ليلة» الحديث وهو منكر اهـ.

قلت: وتمامه «ولم تستجب له دعوة أربعين ليلة وكل لحم ينبته الحرام فالنار أولى به وأن اللقمة الواحدة من الحرام لتنبت اللحم».

(**وقال ﷺ: «من اشترى ثوباً بعشرة دراهم في ثمنه درهم حرام لم تقبل صلاته**) أي لم تكتب له صلاة مقبولة مع كونها مجزئة مسقطة للقضاء كالصلاة بمحل مغصوب (**ما دام عليه منه شيء»**) وذلك لقبح ما هو ملتبس به لأنه ليس أهلاً له حينئذ فهو استبعاد للقبول لاتصافه بقبيح المخالفة، وليس إحالة لامكانـه مع ذلك تفضلاً وإنعاماً، وفيه إشارة إلى أن ملامسة الحرام لبساً أو غيره كأكل مانع لإجابة الدعاء لأن مبدأ إرادة الدعاء القلب، ثم يعيد تلك الإرادة على اللسان فينطق به، وملابسة الحرام مفسدة للقلب بدلالة الوجدان فيحرم الرقة والإخلاص وتصير أعماله

ﷺ : « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » . وقال ﷺ : « من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار » . وقال ﷺ : « العبادة عشرة أجزاء : تسعة منها في طلب الحلال » روي هذا مرفوعاً وموقوفاً على بعض الصحابة أيضاً . وقال ﷺ :

أشباحاً بلا أرواح وبفساده يفسد البدن كله فيفسد الدعاء لأنه نتيجة فاسد . قال العراقي : رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند ضعيف اهـ .

قلت : رواه من طريق هاشم عن ابن عمر ولفظه « وفيه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه » وزاد في رواية : منه شيء ثم أدخل أصبعيه في أذنيه وقال : صمتا إن لم أكن سمعته من رسول الله ﷺ يقوله . قال الذهبي : وهاشم لا يدري من هو ، وقال ابن حجر : واسناده ضعيف جداً . وقال أحمد : هذا الحديث ليس بشيء . وقال الهيثمي : هاشم لم أعرفه وبقية رجاله وثقوا على أن بقية مدلس ، وقال ابن عبد الهادي : رواه أحمد في المسند وضعفه في العلل ، وأخرجه أيضاً عبد بن حميد ، والبيهقي في الشعب وضعفه وتمام والخطيب وابن عساكر والديلمي كلهم من حديث ابن عمر . قال جمهور النهاوندي : سألت ابن حمويه عنه فقال : لا يقنع بمثل إسناده في الأحكام ، ولكن لا يؤمن أن يكون ذلك فالحذر فيه أبلغ نقله الديملي .

(وقال عليه) الصلاة و **(السلام « من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار »)** ولفظ القوت وفي الخبر « من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أي أبواب النار أدخله » وقيل : ذلك مكتوب في التوارة . وقال العراقي : رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر . قال ابن العربي في عارضة [1] انه باطل لا يصح اهـ .

قلت : ووقع في نسخ الجامع الكبير للسيوطي بلفظ المصنف ، وقال : فيه الديلمي عن ابن عمرو **(وقال عليه)** الصلاة و **(السلام كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به)** قال العراقي رواه الترمذي من حديث كعب بن عجرة وحسنه وقد تقدم اهـ .

ووجد بخط الحافظ في الحلية من حديث أبي بكر وعائشة وجابر « كل جسد نبت من سحت » ونحوه من حديث ابن عباس في الصغير للطبراني وقد تقدم الكلام عليه مفصلاً .

(وقال عليه) الصلاة و **(السلام « العبادة عشرة أجزاء : فتسعة فيها في طلب الحلال » روي هذا مرفوعاً وموقوفاً على بعض الصحابة)** وقال العراقي : رواه الديلمي من حديث أنس إلا أنه قال : تسعة منها في الغنى والعاشرة كسب اليد من الحلال وهو منكر اهـ .

قلت : وفي رواية للديلمي من حديث أنس « العافية عشرة أجزاء تسعة في طلب المعيشة وجزء من سائر الأشياء » .

---

(١) [illegible]

« من أمسى وانياً من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنه راض » . وقال ﷺ : « من أصاب مالاً من مأثم فوصل به رحماً أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قذفه في النار » وقال عليه الصلاة والسلام : « خير دينكم الورع » . وقال ﷺ : « من لقي الله ورعاً أعطاه الله ثواب الإسلام كله » . ويروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه : وأما الورعون فأنا أستحي أن أحاسبهم . وقال ﷺ : « درهم من ربا أشد عند الله تعالى من ثلاثين زنية في الإسلام » . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه :

(**وقال ﷺ « من أمسى وانيـاً**) أي تعباً (**من طلب الحلال بات مغفوراً له**) ولذا كان نبي الله داود عليه السلام لا يـأكل إلا من عمل يده ، (**وأصبح والله عنه راض »**) قال العراقي : رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس « من أمسى كالآمن عمل يده أمسى مغفوراً له » وفيه ضعف اهـ .

قلت : وقال الهيثمي : فيه جماعة لم أعرفهم ، ورواه أيضاً ابن عساكر من طريق سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده .

(**وقال عليه**) الصلاة و (**السلام « من أصاب مالاً من مأثم**) أي من حيث يلزمه الإثم (**فوصل به رحماً**) كان واجباً أن يصله (**أو تصدق به**) على محتاج (**أو أنفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعاً ثم قذفه في النار »**) قال العراقي : رواه أبو داود في المراسيل من رواية القاسم بن مخيمرة مرسلاً اهـ .

قلت : وفي رواية ثم قذف به في جهنم ، وكذلك رواه ابن المبارك ، وابن عساكر من طريق القاسم بن مخيمرة .

(**وقال ﷺ « خير دينكم الورع »**) رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث سعد ، وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم . (**وقال ﷺ « من لقي الله ورعاً أعطاه الله ثواب الإسلام كله »**) قال العراقي : لم أقف له على أصل .

(**ويروى إن الله تعالى قال : وأما الورعون فأنا أستحي أن أحاسبهم**) أي فإنهم حاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا ، ولم يتعرض له العراقي ، وفي شرح عين العلم ، والحديث لم أعرفه .

قلت : رواه الحكيم الترمذي عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ : « قال الله تعالى يا موسى إنه لن يلقاني عبدي في حاضر القيامة إلا فتشته عما في يديه إلا ما كان من الوارعين فإني أستحييهم وأجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب » .

(**وقال عليه**) الصلاة و (**السلام « درهم من ربا**) أي يكتسبه بالربا (**أشد عند الله تعالى من**) ذنب (**ثلاثين زنية في الاسلام »**) وإنما كان أشد لأن من أكله فقد حاول مخالفة الله ورسوله ومحاربتهـا بفعله الزائغ . قال العراقي : رواه أحمد والدارقطني من حديث عبد الله بن

« المعدة حوض البدن والعروق إليها واردة، فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة، وإذا سقمت صدرت بالسقم». ومثل الطعمة من الدين مثل الأساس من

حنظلة وقال « ستة وثلاثين » ورجاله ثقات، وقيل عن حنظلة الراهب عن كعب موقوفاً، وللطبراني في الصغير من حديث ابن عباس « ثلاثة وثلاثين » وسنده ضعيف اهـ.

قلت: رواه أحمد، عن حسين بن محمد، عن جرير بن حازم، عن أيوب، عن أبن أبي مليكة، عن عبد الله بن حنظلة الغسيل. ورواه الطبراني في الكبير من هذا الوجه، وكذا صاحب المختارة، والدارقطني، والبغوي، وابن عساكر. ولفظ البغوي، وابن عساكر « درهم ربا أشد من ثلاث وثلاثين زنية في الخطيئة » وفي رواية عند أحمد في الحطيم، ولفظ الجماعة غيرهما « درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ست وثلاثين زنية » ولفظ حديث ابن عباس عند البيهقي في الشعب « درهم ربا أشد عند الله من ست وثلاثين زنية ومن نبت لحمه من سحت فالنار أولى به ». وقد أورده ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات وقال: حسين بن محمد هو ابن بهرام المروزي قال أبو حاتم: رأيته ولم أسمع منه، وسئل أبو حاتم عن حديث يرويه حسين فقال: خطأ. فقيل له: ينبغي أن يكون من حسين، وتعقبه الحافظ ابن حجر بأنه احتج به الشيخان ووثقه غيرهما، وبأن له شواهد. ونقل عن الدارقطني انه قال بعد ما أورد الحديث عن عبد الله بن حنظلة ما لفظه: الأصح موقوف، وروى ابن عساكر في التاريخ « من أكل درهماً ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية » رواه عن محمد بن حمير عن ابراهيم بن أبي عبلة عن عكرمة عن ابن عباس.

(**وفي حديث أبي هريرة**) رضي الله عنه رفعه: (**« المعدة**) بفتح الميم وكسر العين من الإنسان مقر الطعام والشراب وتخفف بكسر الميم وسكون العين (**حوض البدن والعروق إليها واردة، فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة، وإذا سقمت صدرت بالسقم »**) هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، والعقيلي في الضعفاء وقال: باطل لا أصل له اهـ.

قلت: ولفظ الطبراني في الاوسط: حدثنا عبد الله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني، حدثنا يحي بن عبد الله البابلتي، حدثنا ابراهيم بن جريج الرهاوي، عن زيد بن أبي أنيسة، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ فذكر وفيه: وإذا فسدت بدل سقمت وقال: لم يروه عن الزهري إلا زيد بن أبي أنيسة تفرد به الرهاوي. قال الحافظ السخاوي: وقد ذكره الدارقطني في العلل من هذا الوجه وقال: ختلف فيه على الزهري، فرواه أبو قرة الرهاوي عنه فقال: عن عائشة وقال: كلاهما لا يصح. قال: ولا يعرف هذا من كلام النبي ﷺ إنما هو من كلام عبد الملك بن سعيد بن الجبر اهـ.

ثم قال صاحب القوت: (**ومثل الطعمة من الدين مثل الأساس من البنيان، فإذا ثبت**

البنيان، فإذا ثبت الأساس وقوي استقام البنيان وارتفع، وإذا ضعف الأساس واعوج انهار البنيان ووقع.

وقال الله عز وجل: ﴿أفمَنْ أسَّس بنيانَهُ على تَقْوى مِنَ الله﴾ [التوبة: ١٠٩] الآية. وفي الحديث: «من اكتسب مالاً من حرام فإن تصدق به لم يقبل منه، وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار». وقد ذكرنا جملة من الأخبار في كتاب آداب الكسب تكشف عن فضيلة الكسب الحلال.

وأما الآثار: فقد ورد أن الصديق رضي الله عنه شرب لبناً من كسب عبده ثم سأل عبده فقال: تكهنت لقوم فأعطوني، فأدخل أصابعه في فيه وجعل يقيء حتى ظننت أن نفسه ستخرج، ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الامعاء. وفي

الأس وقوى استقام البناء وارتفع، وإذا ضعف الأساس واعوج انهار البنيان) أي سقط (**ووقع. وقد قال تعالى ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى﴾ الآية**) إلى آخرها وقوله ﴿من الله ورضوان خير من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم﴾ (**وفي الحديث «من اكتسب مالاً من حرام فإن تصدق به لم يتقبل منه، وإن تركه وراءه كان زاده إلى النار»**) هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه أحمد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف، ولابن حبان من حديث أبي هريرة «من جمع مالاً من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان أجره عليه» اهـ.

قلت: وهكذا أورده الجلال في الجامع الكبير.

(**وقد ذكرنا جملة من الأخبار**) الواردة (**في الباب في كتاب آداب الكسب**) الذي تقدم قبل هذا (**تكشف عن فضيلة كسب الحلال**) فليراجع هناك.

(**وأما الآثار، فقد روى أن**) أبا بكر (**الصديق رضي الله عنه شرب لبناً من كسب عبده ثم سأل عنه**) أي عن اللبن (**العبد من أين اكتسبه فقال: تكهنت لقوم**) أخبرتهم عن بعض الأمور المغيبة (**فأعطوني**) إياه، (**فأدخل**) الصديق (**أصبعه في فيه وجعل يقيء حتى ظننت أن نفسه ستخرج وقال: اللهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء**) هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه البخاري من حديث عائشة كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية فذكره اهـ.

قلت: وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا عمرو بن مضمر البصري، حدثنا عبد الواحد بن زيد، عن أسلم

بعض الأخبار أنه ﷺ أخبر بذلك فقال: أو ما علمتم أن الصديق لا يدخل جوفه إلا طيباً، وكذلك شرب عمر رضي الله عنه من لبن إبل الصدقة غلطاً، فأدخل أصبعه وتقيأ. وقالت عائشة رضي الله عنها: إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة، هو الورع. وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنه: لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز. وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله: ما

الكوفي، عن مسرف الطيب، عن زيد بن أرقم قال: كان لأبي بكر مملوك يغل عليه فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة فقال له المملوك: مالك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة؟ قال: حملني على ذلك الجوع. من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني، فلما كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فاعطوني. قال: أف لك كدت أن تهلكني فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ وجعل لا يخرج، فقيل له: إن هذه لا تخرج إلا بالماء فدعا بعس من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها. فقيل له رحمك الله: كل هذا من أجل هذه اللقمة. فقال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة. ورواه عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة نحوه. والمنكدري محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر نحوه.

ثم قال صاحب القوت: (**وفي بعض الأخبار أنه عليه السلام أخبر بذلك فقال: أو ما علمتهم أن الصديق لا يدخل جوفه إلاَّ طيباً**) وفي بعض النسخ لما أخبر بذلك قال: قال العراقي: لم أجده.

(**وكذلك لما شرب عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه لبناً من إبل الصدقة غلطاً**) فعلم بذلك، (**فأدخل أصبعه**) في فيه (**وتقيأ**) وهذا رواه مالك من طريق زيد بن أسلم قال: شرب عمر لبناً فأعجبه فسأل الذي سقاه من اين لك هذا اللبن؟ فاخبره أنه ورد على ماء قد سماه فإذا نعم من نعم الصدقة وهم يسقون، فحلبوا إليَّ من ألبانها فجعلته في سقائي فهو هذا. فادخل عمر يده فاستقاء وكل هذا من الورع.

(**وقالت عائشة رضي الله عنها: إنكم لتغفلون عن أصل العبادة والورع**) لأن الورع يوجب دوام ما المراقبة للحق، وإدامة الحذر والمراقبة تورث المشاهدة، ودوام الحذر يعقب النجاة والظفر، فلذا كان أصل العبادة. ويروى نحوه: «الورع سيد العمل من لم يكن له ورع يصده عن المعصية إذا خلا بها لم يعبأ بسائر عمله». رواه الحكيم الترمذي.

(**وقال عبد الله بن عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنهما: لو صلّيتم حتى تكونوا كالحنايا**) جمع حنية وهي القوس، (**وصمتم حتى تكونوا كالأوتار**) أي في النحافة والرقة (**ما تقبل منكم ذلك إلا بورع حاجز**) أي مانع من الوقوع في معاصي الله تعالى إذا خلوتم. أورده

أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل جوفه. وقال الفضيل: من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صدّيقاً، فانظر عند من تفطر يا مسكين. وقيل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله: لم لا تشرب من ماء زمزم؟ فقال: لو كان لي دلو شربت منه. وقال سفيان الثوري رضي الله عنه: من أنفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب النجس لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال. وقال يحي بن معاذ: الطاعة خزانة من خزائن الله إلا أن مفتاحها الدعاء، وأسنانه لقم الحلال. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يقبل الله صلاة امرىء في جوفه حرام، وقال سهل التستري:

صاحب القوت. **(وقال ابراهيم بن أدهم)** رحمه الله تعالى: **(لم يدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل جوفه)** ولفظ القوت: وروينا عن ابراهيم بن أدهم، عن الفضيل بن عياض قال: لم ينبل من نبل بالحج ولا بالجهاد ولا بالصوم والصلاة، وإنما نبل عندنا من كان يعقل ما يدخل جوفه. يعني الرغيفين من حله وهو في الحلية لأبي نعيم بسنده إلى عبد الصمد بن يزيد قال: سمعت شقيقاً البلخي يقول: لقيت ابراهيم ابن أدهم في بلاد الشام، فقلت: يا ابراهيم تركت خراسان. فقال: ما نهيت بالعيش إلا في بلاد الشام أفرّ بديني من شاهق إلى شاهق، فمن يراني يقول موسوس، ثم قال: يا شقيق لم ينبل عندنا من نبل بالحج ولا بالجهاد، وإنما نبل عندنا من نبل من كان يعقل ما دخل جوفه يعني الرغيفين من حله. **(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه تعالى: **(من عرف ما يدخل جوفه كتبه الله صديقاً، فانظر عند من تفطر يا مسكين)**. ولفظ القوت، وقال الفضيل بن عياض: من أقام نفسه موقف ذل في طلب الحلال حشره الله مع الصديقين ورفعه مع الشهداء في موقف القيامة. وقال بعض السلف: إذا صمت فانظر عند من تفطر وطعام من تأكل اهـ. والمصنف قد خلط بين القولين وراعى الاختصار.

(وقيل لابراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى: **(لم لا تشرب من ماء زمزم؟ قال: لو كان لي دلو لشربت منه)**. أورده القشيري في الرسالة، وهذا من شدة ورعه رحمه الله تعالى كان يأبى أن يشربه لما كان يرى من الشبهة في الدلاء والحبال. **(وقال سفيان)** بن سعيد **(الثوري)** رحمه الله تعالى: **(من أنفق من الحرام في طاعة الله تعالى)** كان تصدق به أو أعان به غازياً أو غيره **(كان كمن طهر الثوب النجس بالبول والثوب النجس لا يطهر إلا بالماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال. وقال يحي بن معاذ)** الرازي تقدمت ترجمته في كتاب العلم: **(الطاعة)** أي طاعة الله تعالى **(خزانة)** بالفتح ولا تكسر **(من خزائن الله تعالى ومفتاحها)** الذي تفتح به **(الدعاء)** أي حسن التضرع إلى الله تعالى **(وأسنانها)** كذا في النسخ والصواب: وأسنانه أي المفتاح **(لقمة الحلال)** فالمدار عليها كما أن مدار المفتاح على أسنانه. **(وقال ابن عباس)** رضي الله عنهما: **(ولا يقبل الله صلاة امرئ وفي جوفه حرام)**، وقد روي عنه أيضاً من أكل حراماً لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، وتقدم قريباً. **(وقال)** أبو محمد **(سهل)** بن عبد الله

لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال: أداء الفرائض بالسنة، وأكل الحلال بالورع، واجتناب النهي من الظاهر والباطن، والصبر على ذلك إلى الموت. وقال: من أحب أن يكاشف بآيات الصديقين فلا يأكل إلاّ حلالاً ولا يعمل إلا في سنة أو ضرورة، ويقال: من أكل الشبهة أربعين يوماً أظلم قلبه، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، وقال ابن المبارك: ردّ درهم من شبهة أحب إليّ من أن أتصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف ومائة ألف، حتى بلغ إلى ستمائة ألف. وقال بعض السلف: إن العبد يأكل أكلة فينقلب قلبه، فينغل كما ينغل الأديم ولا يعود إلى حاله أبداً. وقال سهل رضي الله عنه: من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى، علم أو لم يعلم. ومن كانت طعمته حلالاً أطاعته جوارحه ووفقت للخيرات، وقال بعض السلف: إن أوّل لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له ما سلف من

(**التستري**) رحمه الله تعالى: (**لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال**)، ولفظ القوت هذه الأربع: (**أداء الفرائض بالسنّة**) أي كما شرعت وسنت، (**وأكل الحلال بالورع**) أي باستعماله فيه، (**واجتناب النهي من الظاهر والباطن والصبر على ذلك إلى المات**) أي فمن استكمل هذه الأربع فقد تشرف بحقيقة الإيمان وبلغ درجتها. (**وقال**) سهل أيضاً (**من أحب أن**) يرى خوف الله في قلبه و (**يكاشف بآيات الصديقين فلا يأكل إلا حلالاً ولا يعمل إلا في سنّة**) أو ضرورة. نقله صاحب القوت. وقال بعض العلماء: الدعاء محجوب عن السماء بفساد الطعمة، ويقال: إن الله عز وجل لا يستجيب دعاء عبد حتى يصلح طعمته ويرضي عمله. (**ويقال: من أكل الشبهة أربعين يوماً أظلم قلبه**) قال صاحب القوت. (**وهو**) في (**تأويل قوله تعالى ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾**) قيل: غلاف القلب من مكاسب الحرام. (**وقال ابن المبارك**) عبد الله رحمه الله تعالى (**ردّ درهم**) من (**شبهة أحب إليّ من أن أتصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف**) درهم (**حتى بلغ**) ولفظ القوت: حتى يبلغ (**ستمائة ألف**)، ومثله قول مالك بن دينار: ترك درهم حرام أحب إلى الله تعالى من أن يتصدق بمائة ألف. (**وقال بعض السلف: إن العبد ليأكل أكلة فينقلب**) بها (**قلبه**) أي يتغير عما كان عليه، (**فينغل**) أي ينسد (**كما ينغل الأديم**) وهو الجلد قبل أن يدبغ (**فلا يعود إلى حاله أبداً**) وهذا أحسن التأويلين في قوله ﷺ «كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش» قيل: هو الذي يصوم ويفطر على حرام.

(**وقال سهل**) التستري رحمه الله تعالى: (**من أكل الحرام عصت**) عليه (**جوارحه**) أي عن الطاعات (**شاء أم أبى، علم أو لم يعلم. ومن أكل طعمته حلالاً أطاعت جوارحه ووفقت**) ولفظ القوت: ووفق (**للخيرات، وقال بعض السلف: إن أوّل لقمة يأكلها العبد**

ذنوبه، ومن أقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كتساقط ورق الشجر.

وروي في آثار السلف أن الواعظ كان إذا جلس للناس قال العلماء: تفقدوا منه ثلاثاً، فإن كان معتقداً لبدعة فلا تجالسوه، فإنه عن لسان الشيطان ينطق، وإن كان سيء الطعمة فعن الهوى ينطق، فإن لم يكن مكين العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه. وفي الأخبار المشهورة عن علي عليه السلام وغيره: إن الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب. وزاد آخرون: وشبهتها عتاب. وروي أن بعض الصالحين دفع طعاماً إلى بعض الأبدال فلم يأكل، فسأله عن ذلك فقال: نحن لا نأكل إلاّ حلالاً، فلذلك تستقيم قلوبنا ويدوم حالنا ونكاشف الملكوت ونشاهد الآخرة، ولو أكلنا مما

من الحلال يغفر الله) له **(بها ما سلف من ذنوبه، ومن أقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر)** في الشتاء إذا يبس نقله صاحب القوت.

(وروي في آثار السلف) ولفظ القوت: وحدثونا من آثار السلف: **(أن الواعظ)** والمذكر **(كان إذا جلس للناس)** ونصب نفسه للناس **(وقال العلماء: تفقدوا منه ثلاثاً)** ولفظ القوت: سئل أوّلاً عن مجالسته، فكانوا يقولون تفقدوا منه ثلاثاً انظروا إلى صحة اعتقاده، وإلى غريزة عقله، وإلى طعمته، **(فإن كان معتقداً البدعة فلا تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق، وإن كان سيء الطعمة فعن الهوى ينطق، وإن لم يكن مكين العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر ما يصلح فلا تجالسوه)**، وهذا التفقد والبحث طريق قد مات، فمن عمل به فقد أحياه.

(وفي الأخبار المشهورة عن علي رضي الله عنه وغيره: إن الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب) وفي بعض النسخ: عقاب كذا في القوت، **(وزاد آخرون: وشبهتها عتاب)** وبيان ذلك في قول يوسف بن اسباط ووكيع بن الجراح قال: الدنيا عندنا على ثلاث مراتب: حلال وحرام وشبهات، فحلالها حساب، وحرامها عقاب، وشبهاتها عتاب، فخذ من الدنيا مالا بد منه فإن كان ذلك حلالاً كنت زاهداً وإن كان شبهة كنت ورعاً وإن كان حراماً كان عقاباً يسيراً. ويؤيده ما رواه البيهقي من حديث ابن عمر «الدنيا خضرة حلوة من اكتسب فيها مالاً من حله وأنفقه في حقه أثابه الله عليه وأورده جنته، ومن اكتسب فيها مالاً من غير حله وأنفقه في غير حقه أحله الله دار الهوان، ورب متخوّض في مال الله ورسوله له النار إلى يوم القيامة».

(وروي أن بعض السائحين رفع طعاماً إلى بعض الأبدال) ولفظ القوت: وحدثت عن بعض الابدال في قصة يطول ذكرها أن بعض العامة من السائحين رفع إليه شيئاً من الطعام **(فلم يأكله، فسأله عنه)** أي عن امتناعه من الأكل **(فقال: نحن لا نأكل إلاّ حلالاً ولذلك تستقيم قلوبنا)** على الزهد **(ويدوم حالنا)** ولفظ القوت وندوم على حال واحد، **(ونكاشف بالملكوت ونشاهد الآخرة)** ثم قال: **(ولو أكلنا مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا إلى شيء)** مما نحن عليه

تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا إلى شيء من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فقال له الرجل: فإني أصوم الدهر وأختم القرآن في كل شهر ثلاثين مرة، فقال له البدل: هذه الشربة التي رأيتني شربتها من الليل أحب إليَّ من ثلاثين ختمة في ثلاثمائة ركعة من أعمالك، وكانت شربته من لبن ظبية وحشية. وقد كان بين أحمد بن حنبل ويحيى بن معين صحبة طويلة، فهجره أحمد إذ سمعه يقول: إني لا أسأل أحداً شيئاً، ولو أعطاني السلطان شيئاً لأكلته، حتى اعتذر يحيى وقال: كنت أمزح، فقال: تمزح بالدين، أما علمت أن الأكل من الدين قدمه الله تعالى على العمل الصالح؟ فقال: ﴿ كلُوا من الطَّيِّباتِ واعمَلُوا صالحاً ﴾ [المؤمنون: ٥١] وفي الخبر: أنه مكتوب في التوراة: « من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أي أبواب النيران أدخله ». وعن علي رضي الله عنه أنه

(**من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا**) في كلام طويل (**فقال له الرجل**) في آخره: (**فإني أصوم الدهر واختم القرآن في كل شهر ثلاثين ختمة، فقال له البدل: هذه الشربة**) من اللبن (**التي رأيتني**) قد (**شربتها من الليل أحب إليَّ من ثلاثين ختمة في ثلاثمائة ركعة**) ولفظ القوت في ثلاثين ركعة (**من أعمالك، وكانت شربة لبن من ظبية وحشية**) ولفظ القوت: وكانت شربة لبن أروى وحشية وهي الأنثى من الوعل. وقال بعض السائحين: قلت لبعض الأبدال وقد حدثته عن أكل الحلال بمثل هذا الحديث: أنتم تقدرون على الحلال فلم لا تطعمونا منه ولأخوانكم من المسلمين؟ فقال: لا يصلح لجملة الخلق ولم نؤمر بذلك لأنهم لو أكلوا كلهم حلالاً لبطلت المملكة وتعطلت الأسواق وخربت الأمصار، ولكنه قليل في قليل وخصوص في خصوص أو معنى هذا الكلام.

(**وقد كان بين**) الإمامين أبي عبد الله (**أحمد بن حنبل ويحيى بن معين**) بن عون أبي زكريا البغدادي ثقة حافظ مشهور إمام الجرح والتعديل روى له الجماعة (**صحبة طويلة، فهجره أحمد إذ سمعه يقول**) ولفظ القوت: وكان يحيى بن معين قد صحب أحمد بن حنبل في السفر سنين ولم يأكل معه لأجل كلمة بلغته، وهو أنه قال: (**إني لا أسأل أحداً شيئاً ولو أعطاني السلطان شيئاً لأكلته**) وفي رواية: لو حمل إليَّ السلطان شيئاً لأخذته، فهجره أحمد (**حتى اعتذر**) إليه (**يحيى وقال**) : أنا (**كنت أمزح قال: تمزح بالدين أما علمت أن الأكل من الدين قدمه الله**) عز وجل (**على العمل الصالح**) ، فقال: (**﴿ كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ﴾**) هكذا هو في القوت وتقدم بعضه في أول كتاب الكسب.

(**وفي الخبر: أنه مكتوب في التوراة « من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله من أي أبواب النار أدخله »**) كذا في القوت، وتقدم قريباً وأشرت هناك أنه هكذا في التوراة. (**و**)روي (**عن علي رضي الله عنه أنه لم يأكل بعد قتل عثمان رضي الله عنه ونهب الدار**

لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاماً إلا مختوماً حذراً من الشبهة، واجتمع الفضيل بن عياض وابن عيينة وابن المبارك عند وهيب بن الورد بمكة، فذكروا الرطب، فقال وهيب: هو من أحب الطعام إليَّ إلا أني لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة وغيرها، فقال له ابن المبارك: إن نظرت في مثل هذا ضاق عليك الخبز. قال: وما سببه؟ قال: إن أصول الضياع قد اختلطت بالصوافي فغشي على وهيب، فقال سفيان: قتلت الرجل، فقال ابن المبارك: ما أردت إلا أن أهون عليه » فلما أفاق قال: لله علي أن لا آكل خبزاً أبداً حتى ألقاه. قال: فكان يشرب اللبن. قال: فأتته أمه بلبن فسألها

طعاماً إلا مختوماً) عليه **(حذراً من الشبهة)** أي خوفاً منها. وروي في خبر العامل الذي أراد عليّ أن يستعمله على الصدقات قال: فدعا ببطة مختومة ظننت فيها جوهراً أو تبراً فنفى ختمها، فإذا بسويق شعير فنشره بين يديه وقال: كل من طعامي، فقلت: أتختم عليه يا أمير المؤمنين؟ فقال: نعم هذا شيء اصطفيته لنفسي، وأخاف أن يخلط فيه ما ليس منه. نقله صاحب القوت. قال: وروى جماعة من الصحابة: ما شبعوا من الطعام من يوم قتل عثمان رضي الله عنه لاختلاط أموال أهل المدينة بنهب الدار. منهم: عبد الله بن عمر، وسعد، وأسامة بن زيد رضي الله عنهم. قلت: وسيأتي خبر هذا العامل بإسناده.

(و) يروى أنه **(اجتمع فضيل بن عياض و)** سفيان **(بن عيينة و)** عبد الله **(ابن المبارك عند وهيب بن الورد)** تقدمت تراجمهم، **(فذكروا الرطب، فقال وهيب: هو أحب الطعام إليّ إلا أني لا آكله لاختلاط رطب مكة ببساتين زبيدة)** هي أم الخلفاء **(وغيرها)**. وكانت زبيدة قد اشترت عدة بساتين بمكة، وأوقفتها في سبيل الله تعالى، ولفظ القوت: بهذه البساتين التي اشتراها هؤلاء يعني زبيدة وأشباهها. **(فقال ابن المبارك: إن نظرت في مثل هذا ضاق عليك الخبز)** أي أكله. **(فقال: وما سببه؟ فقال)** ابن المبارك: **(إن أصول الضياع قد اختلطت بالضواحي)** أي القطائع. ولفظ القوت: نظرت في أصول الضياع بمصر، فإذا قد اختلطت بالصوافي وبإزائه في الحاشية ما نصه الصوافي الموارث التي لا وارث لها غير السلطان، فقال: **(فغشي على وهيب)** لما سمع هذا الكلام، **(فقال سفيان: قتلت الرجل، فقال ابن المبارك: ما أردت إلا أن أهون عليه، فلما أفاق)** وهيب **(قال: لله عليّ عهد أن لا آكل خبزاً أبداً حتى ألقاه)**. وهذا قد أخرجه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر والحسين بن محمد قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، حدثنا محمد بن موسى القاساني، حدثنا زهير بن عباد قال: كان فضيل بن عياض، ووهيب بن الورد، وعبد الله بن المبارك جلوساً فذكروا الرطب، فقال وهيب: قد جاء الرطب. فقال ابن المبارك: يرحمك الله هذا آخره أو لم تأكله قال لا قال ولم قال وهيب بلغني أن عامة أجنة مكة من الضواحي والقطائع فكرهتها، فقال ابن المبارك: يرحمك الله أو ليس قد رخص في الشراء من السوق إذا لم تعرف

فقالت: هو من شاة بني فلان، فسأل عن ثمنها وأنه من أين كان لهم؟ فذكرت، فلما أدناه من فيهِ قال: بقي أنها من أين كانت ترعى؟ فسكتت فلم يشرب لأنها كانت ترعى من موضع فيه حق للمسلمين، فقالت أمه: اشرب فإن الله يغفر لك، فقال: ما أحب أن يغفر لي وقد شربته فأنال مغفرة بمعصية. وكان بشر الحافي رحمه الله من الورعين فقيل

الضواحي والقطائع منه وإلا ضاق على الناس خبزهم، أو ليس عامة ما يأتي من قمح مصر إنما هو من الضواحي والقطائع ولا أحسبك تستغني عن القمح فيسهل عليك؟ قال: فصعق، فقال فضيل لعبد الله: ما صنعت بالرجل؟ فقال ابن المبارك: ما علمت أن كل هذا الخوف قد أعطيه، فلما أفاق وهيب قال: يا ابن المبارك دعني من ترخيصك لا جرم لا آكل من القمح إلا كما يأكل المضطر من الميتة، فزعموا أنه نحل جسمه حتى مات هزلاً.

حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا عبد الرحمن بن ابي حاتم، حدثنا محمد بن عبد الوهاب فيما كتب إلي قال علي بن هشام، قال وهيب لابن المبارك: غلامك يتجر ببغداد قال: لا يبايعهم. قال: أليس هو؟ ثم فقال ابن المبارك: فكيف تصنع بمصر وهم أخوان؟ قال: فوالله لا أذوق من طعام مصر أبداً فلم يذق منه حتى مات، وكان يتعلل بتمر ونحوه حتى مات اهـ.

(**فكان وهيب يشرب اللبن فأتته امرأة**) ولفظ القوت: أمه (**بلبن فسألها**) من أين هو؟ (**فقالت: هو من شاة بني فلان فسأل عنها**) أي تلك الشاة (**وأنه من أين لهم؟ فذكرت**) ولفظ القوت بعد قوله بني فلان قال: ومن أين لهم ثمنها؟ قالت: من كذا وكذا، فرضيه. (**فلما أدناه من فيه قال**): قد (**بقي**) شيء (**إنها من أين كانت ترعى؟ فسكتت**)، فقال: اخبريني. فقالت: هي ترعى مع غنم لابن عبد[1] الهاشمي أمير مكة في الحمى، (**فلم يشربه لأنها كانت ترعى في موضع للمسلمين فيه حق**) لا يحل لي أن أشربه دونهم فهم شركائي فيه، (**فقالت له أمه: اشرب فإن الله يغفر لك، فقال: ما أحب أن يغفر لي وقد شربته فأنال مغفرة بمعصية**) أخرجه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثني أبو عبد الله أحمد بن نصر المروزي قال: سمعت علي بن أبي بكر الاسفرايني قال: اشتهى وهيب لبناً فجاءته خالته به من شاة لآل عيسى بن موسى قال: فسألها عنه فأخبرته فأبى أن يأكله، فقالت له: كل فأبى فعاودته وقالت له: إني أرجو أن أكلته أن يغفر الله لك أي باتباع شهوتي. قال: فقال ما أحب أن أكلته وإن الله غفر لي فقالت: لم؟ قال: إني أكره أن أنال مغفرته بمعصيته.

(**و**) قد (**كان بشر**) بن الحارث أو نصر (**الحافي**) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته (**من**

---

(١) هنا بياض بالأصل.

له: من أين تأكل؟ فقال: من حيث تأكلون، ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك. وقال: يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة، وهكذا كانوا يحترزون من الشبهات.

الورعين) يسأل عن الحلال فيعزه، **(فقيل له: من أين تأكل)** يا أبا نصر؟ **(فقال)**: من **(حيث تأكلون، ولكن ليس من يأكل و)** هو **(يبكي كمن يأكل و)** هو **(يضحك. وقال)** مرة في رواية أخرى عنه: ولكن **(يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة)** نقله صاحب القوت، **(فهكذا كانوا يتحرزون عن الشبهات رضي الله عنهم)** وقد بقي هنا مما يتعلق بالباب بعض ما لم يذكره المصنف وهو مذكور في القوت.

فمن ذلك قال شعيب بن حرب: لا تحقر دانقاً من حلال تكسبه تنفقه على نفسك وعيالك وعلى أخ من إخوانك، فلعله لا يصل إلى جوفك أو جوف غيرك حتى يغفر لك، ويقال: من أكل حلالاً وعمل في سنة فهو من أبدال هذه الأمة. وقال يوسف بن اسباط لشعيب بن حرب: أشعرت أن الصلاة جماعة سنة وإن كسب الحلال فريضة. قال: نعم. وقد كان إبراهيم بن أدهم يعمل هو وإخوانه في الحصاد في شهر رمضان، وكان يقول لهم: انصحوا في عملكم بالنهار حتى تأكلوا حلالاً ولا تصلوا بالليل فإن لكم ثواب الصلاة في جماعة وأجر المصلين بالليل. وقال بعض السلف: أفضل الأشياء ثلاثة: عمل في سنة، ودرهم من حلال، وصلاة في جماعة. وقال سهل: من لم يكن مطعمه من حلال لم يكشف الحجاب عن قلبه ولم ترفع العقوبة عنه وما يبالي بصلاته وصيامه إلا أن يعفو الله عنه. وقال: إنما حرموا مشاهدة الملكوت وحجبوا عن الوصول بشيئين: سوء الطعمة، وبذاء الخلق. وقال مرة بالدعوى، وكان يقول: بعد الثلاثمائة سنة لا تصح التوبة لأحد. قيل: ولم؟ قال: يفسد الخبز وهم لا يصبرون عنه. وقال بعض العلماء: الدعاء محجوب عن السماء بفساد الطعمة. وقال جماعة من السلف: الجهاد عشرة أجزاء: تسعة في طلب الحال. وقال علي بن الفضيل لأبيه: يا أبت إن الحلال قليل وعزيز، فقال: يا بني وإن عز فإن قليله عند الله كثير. وقال ابن المبارك: من صلى وفي بطنه طعام من حرام أو على ظهره سلك من حرام لم تقبل صلاته. وقال يوسف بن اسباط، وسفيان الثوري: لا طاعة للوالدين في الشبهة. وقال أبو سليمان الداراني وغيره، من العلماء: لا يفلح من استحيا من طلب الحلال. وفي لفظ آخر: من أنف من كسب الحلال. وفي وجه التفسير في قوله تعالى: ﴿فإن له معيشة ضنكاً﴾ [طه: ١٢٤] قيل: هو أكل الحرام كما قيل في قوله تعالى: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ [النحل: ٩٧] قيل: أكل الحلال ورزقه. وكان بشر إذا ذكر الإمام أحمد يقول: قد فضل عليّ بثلاث، وذكر أنه يطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلبه لنفسي.

أصناف الحلال ومداخله:

اعلم أن تفصيل الحلال والحرام إنما يتولى بيانه كتب الفقه، ويستغني المريد عن تطويله بأن يكون له طعمة معينة يعرف بالفتوى حلها لا يأكل من غيرها، فأما من يتوسع في الأكل من وجوه متفرقة فيفتقر إلى علم الحلال والحرام كله كما فصلناه في كتب الفقه.

ونحن الآن نشير إلى مجامعه في سياق تقسيم: وهو أن المال إنما يحرم إما لمعنى في عينه أو لخلل في جهة اكتسابه.

القسم الأوّل: الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما

وتفصيله: إن الأعيان المأكولة على وجه الأرض لا تعدو ثلاثة أقسام، فإنها إما أن تكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما أو من النبات، أو من الحيوانات.

أصناف الحلال والحرام:

أي أنواع كل منهما **(ومداخله)** جمع مدخل وهو الباب الذي يتوصل منه إلى معرفة الحلال وتمييزه من الحرام.

(إعلم أن تفصيل الحلال والحرام إنما يتولى بيانه كتب الفقه) فإنها متكفلة بالمباحث المتعلقة به، **(ويستغني المريد)** أي الطالب بإرادته الصحيحة طريق السلوك إلى الحق **(عن تطويله)** وتشعيب مسائله **(بأن تكون له طعمة معينة)** معلومة **(يعرف بالفتوى)** الشرعية **(حلها ولا يأكل من غيرها، وأما من يتوسع في الأكل)** والشرب واللبس **(من وجوه متفرقة فيفتقر إلى علم الحلال والحرام كله)** ليستبرئ به دينه، **(كما فصلناه في كتب الفقه)** البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة.

(ونحن الآن نشير إلى مجامعه في سياق تقسيم) جامع مانع: **(وهو أن المال إنما يحرم)** لشيئين: **(إما لمعنى)** قائم **(في عينه)** أي ذاته **(أو لخلل في جهة اكتسابه)** أي لعارض يطرأ من خارج.

(القسم الأول: الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما): كالكلب وما تولد منها، فكل هؤلاء نجاستهم عينية. قال النووي في الروضة: ولنا وجه شاذ أن الدود المتولد من الميتة نجس العين كولد الكلب قال: وهذا الوجه غلط والصواب الجزم بطهارته.

(وتفصيله أن الأعيان المأكولة على وجه الأرض لا تعدو) أي لا تتجاوز **(ثلاثة أقسام، فإنها إما أن تكون من المعادن)** جمع معدن كمجلس هو المكان الذي تستخرج منه الجواهر من عدن بالمكان إذا أقام به سمي به لأن أهله يقيمون به الصيف والشتاء، أو لأن الجوهر الذي خلقه الله فيه عدن به **(كالملح والطين وغيرهما)**، **(أو من النبات، أو من الحيوان.**

أما المعادن؛ فهي أجزاء الأرض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم أكله إلا من حيث أنه يضر بالأكل، وفي بعضها ما يجري مجرى السم، والخبز لو كان مضراً لحرم أكله، والطين الذي يعتاد أكله لا يحرم إلا من حيث الضرر. وفائدة قولنا أنه لا يحرم مع أنه لا يؤكل، أنه لو وقع شيء منها في مرقة أو طعام مائع لم يصر به محرماً.

(اما المعادن: وهي أجزاء الأرض وجميع ما يخرج منها فلا يحرم أكله إلا من حيث يضر بالآكل) في بدنه أما في الحال أو متوقع في المآل، **(وفي بعضها ما يجري مجرى السم)** فيحرم تناوله، **(والخبز)** الذي هو مدار القوت **(لو كان مضراً)** بالبدن **(لحرم أكله، والطين الذي يعتاد أكله)** تأكله الحبالى غالباً **(لا يحرم إلا من حيث الضرر)** للبدن، وذكر بعض العلماء أن المؤثر في الحواس مؤذ ويحرم استعمال المؤذي، لكن لا خصوصية للحواس بل بقية الجسد، كذلك يحرم استعمال ما يؤذيه وهو طاهر، لكن تحريم المؤذي للجسد مطلقاً يحتاج إلى تحديد الإذاية بقدر معلوم يمتاز بها مما يحل وإن آذى إذاية خفيفة أو متوقعة أو مظنونة في الغالب في المستقبل كما في لحم البقر ومطلق الشبع ونحو ذلك من كثير من المباحات المتفق عليها [1] وإن أخرت وفيها أيضاً ولو بعد حين كما يضعف البصر أو الباه، ومع ذلك فليس كل مؤذ يحرم مع ما قدمناه مع لحوم البقر فتأمله، ثم أن الطين أنواع منها الأرني وهو المجلوب من جبال أرينية، ومنها الأصفر، ومنها ما يجلب من حلب، ومنها ما يستخرج من القمح، وهو الذي يوجد معه في الحصاد، ومنها الطين الخراساني وهو أبيض، وطين النيسابوري، ومنها الرومي والفارسي وطين شاموسي، وهذه الأنواع مضرة. ومنها الطين المختوم الذي يجلب من لمسون إحدى جزائر قبرص، ونوع آخر منه يجلب من جزيرة إفليبا من بلاد الروم، وكلاهما مطبوعان بطابع الراهب فهما لا يضران بل الأخير بانفراده يقوم مقام الترياق والفازوني فينبغي أن يكون هذان لا يحرم أكلهما لانتفاء المضرة وغالب أنواعه ما عدا الأخيرين يسد مجاري العروق شديد البرد واليبس قوى التجفيف يورث نفث الدم وقروحه. وقد استدل بعض المجتهدين في تحريم أكله بقوله تعالى: ﴿ كلوا مما في الأرض ﴾ [البقرة: ١٦٨] وما قال: كلوا الأرض، وقد وردت في النهي عن أكله أخبار إلا أنها لا تصح، فمن ذلك ما رواه ابن عساكر من حديث أبي أمامة من أكل الطين حوسب على ما نقص من لونه ونقص من جسمه، وروى الطبراني في الكبير من حديث سلمان، وابن عدي، والبيهقي من حديث أبي هريرة «من أكل الطين فكأنما أعان على قتل نفسه». قال ابن القيم: أحاديث الطين كلها موضوعة لا أصل لها. وقال العراقي: لا يثبت فيها شيء. وقال الحافظ: جمع ابن منده فيها جزءاً ليس فيه ما يثبت وعقد لها البيهقي باباً وقال: لا يصح منها شيء. **(وفائدة قولنا أنها لا تحرم مع أنها لا تؤكل أنه لو وقع شيء منها في مرقة طعام مائع لم يصر محرماً)** وكذا في شراب.

---

(١) هكذا وجدت هذه العبارات بالأصل وليتأمل في معناها فإنها غامضة المراد اهـ مصححه.

وأما النبات؛ فلا يحرم منه إلا ما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصحة، فمزيل العقل البنج والخمر وسائر المسكرات، ومزيل الحياة السموم، ومزيل الصحة الأدوية في غير وقتها. وكان مجموع هذا يرجع إلى الضرر إلا الخمر والمسكرات، فإن الذي لا يسكر منها أيضاً حرام مع قلته لعينه ولصفته وهي الشدة المطربة، وأما السم فإذا خرج عن كونه مضراً لقلته أو لعجنه بغيره فلا يحرم.

(**وأما النبات**): وهو ما يخرج من الأرض من النابتات سواء كان له ساق كالشجر أم لا كالنجم، لكن خص عرفاً بما لا ساق له، (**فلا يحرم منه إلا ما يزيل العقل**) أي يغطيه أو يفسده (**أو يزيل الحياة**) أي يذهبها (**أو**) يزيل (**الصحة**) وقد نص الطبري وابن جزء في تفسيريهما عند قوله تعالى ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ [البقرة: ٢٩] أي نبات الأرض محمول على الإباحة حتى يرد دليل على التحريم وقيده غيرهما بما لم يكن فيه ضرر على البدن كالدفلي فإنه قتال وأكل الحرمل مدقوقاً فإنه قتال، وقيده المصنف بما يزيل أحد الثلاثة ثم فسره فقال: (**فمزيل العقل البنج**) مثال فلس هو نبات له حب يخلط العقل ويورث الخبال، وربما أسكر إذا شربه الإنسان بعد ذوبه، ويقال: إنه يورث السبات (**والخمر**) وهو اسم لكل ما خامر العقل (**وسائر المسكرات**) وفي الفروق للقرافي من قواعده المسكرات والمرقدات مما تلتبس حقائقها على كثير من الفقهاء، والفرق بينهما أن التناول منها إما أن تغيب منه الحواس أولاً، فإن غابت منه الحواس كالبصر والسمع واللمس والشم والذوق فهو المرقد، وإن لم تغب معه الحواس فلا يخلو من أن يحدث معه نشوة وسرور عند المتناول له أم لا. فإن حدث ذلك فهو المسكر وإلا فهو المفسد، فالمسكر هو المغيب للعقل مع نشوة وسرور كالخمر والمزرة وهو المعمول من القمح والبتع وهو المعمول من العسل، والسكركة وهو المعمول من الذرة والمفسد هو المشوش للعقل مع عدم السرور الغالب كالبنج والسكران اهـ.

وهذا الفرق الذي ذكره هو المعمول به عند المالكية، وقد أقره ابن الشاط السبتي وأصحاب ابن عرفة، وهو لا يخالف قواعد الشافعية في الغالب، وأما الحنفية فلهم كلام يتعلق بالمزرة والبتع والسكركة ففيه تفصيل آخر أوردته في الجواهر المنيفة. (**ومزيل الحياة السموم**) بأنواعها، (**ومزيل الصحة الأدوية**) مفردة أو مركبة أي استعمالها (**في غير وقتها**) كاستعمال الحارة في الصيف والباردة في الشتاء، (**وكل مجموع هذا يرجع إلى**) معنى واحد وهو (**الضرر**) سواء كان حاصلاً في الوقت أو متوقعاً في المآل، (**فإن الذي يسكر منها حرام مع قلته**) لأن حرمته (**لعينه ولصفته وهي الشدة المطربة**) ويعبر عنها بالنشوة. (**وأما السم، فإذا**) فرض أنه (**خرج عن كونه مضراً**) إما (**لقلته**) فإن من السموم ما إذا تنوول قليله لا يؤثر (**أو لعجنه بغيره**) فيضمحل تأثيره بالكلية (**فلا يحرم**) فالعلة دائرة في غير المسكرات مع الضرر،

فحيث انتفت انتفى التحريم وفي أن الخمرة توجب السرور والأفراح أنشد القاضي عبد الوهاب أبياتاً ونقلها القراء في قواعده:

زعم المدامة شاربوها أنها ... تجلي الهموم وتصرف الغمّا
صدقوا سرت بعقولهم فتوهموا ... إن السرور لهم بها تمّا
سلبتهم أديانهم وعقولهم ... أرأيت عادم دينه مغتمّا

ثم قال القرافي: وبالفروق المتقدمة ظهر لك أن الحشيشة مفسدة وليست مسكرة لوجهين: أحدهما: إنا نجد من يأكلها يشتد بكاؤه وصمته، وأما المسكرات كالخمر فلا تكاد تجد أحداً ممن يشربها إلا وهو مسرور. وثانيهما: إنا نجد شراب الخمر تكثر عرابدهم ووثوب بعضهم على بعض بالسلاح ويهجمون على الأمور العظيمة التي لا يهجمون عليها حالة الصحو، ولا نجد أكلة الحشيشة إذا اجتمعوا يجري بينهم شيء من ذلك، بل هم همدة سكوت مسبتون لو أخذت قماشهم أو سيبهم لم تجد فيهم قوة البطش التي تجدها في شربة الخمر، بل هم أشبه شيء بالبهائم، فعلى هذين اعتقدنا أنها من المفسدات لا من المسكرات، فلا يجب فيها الحد ولا تبطل بها الصلاة بل يجب فيها التعزير والزجر عن ملابستها، فتنفرد المسكرات عن المفسدات والمرقدات بثلاثة أحكام: الحد والتنجيس وتحريم اليسير. وأما المرقدات والمفسدات فلا حد فيها ولا نجاسة، فمن صلى بالبنج معه أو الأفيون لم تبطل صلاته إجماعاً، ويجوز تناول اليسير منها فمن تناول حبة من الأفيون أو البنج أو السيكران جازماً لم يكن ذلك قدراً يصل إلى التأثير في العقل والحواس أما دون ذلك فجائز اهـ نص القرافي في القواعد.

وقال غيره: وأما ما يفطر العقل فلا خلاف في تحريم القدر المفطر من كل شيء وما لا يفطر من المسكر كما يفطر لقوله عليه الصلاة والسلام «ما أسكر كثيره فقليله حرام» وإنما نصوا فيما وقفنا عليه على حلية اليسير فقط منها دون ما بلغ بصاحبه غيبوبة فيحرم بلا خلاف وعلى الاطلاق. وفي بعض كتب الشافعية. وأما الحشيشة، وتسمى القنب الهندية القلندرية فلم يتكلم فيها الأئمة الأربعة ولا علماء السلف، فإنها لم تكن في زمانهم، وإنما ظهرت في أواخر المائة السادسة والسابعة واختلف فيها هل هي مسكرة فيجب فيها الحد أو مفسدة للعقل فيجب التعزير؟ والذي أجمع عليه الأطباء أنها مسكرة، وبه جزم الفقهاء، وصرح به الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتاب التذكرة في الخلاف، والنووي في شرح المهذب ولا يعرف فيه خلاف عند الشافعية. قال الزركشي: ولم أر من خالف في هذا إلا القرافي في قواعده، فقال: قال بعض العلماء: بالنبات في كتبهم أنها مسكرة والذي يظهر أنها مفسدة وقد تظافرت الأدلة على حرمتها ففي صحيح مسلم «كل مسكر حرام» وقال تعالى ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ [الأعراف: ١٥٧] وأي خبيث أعظم مما يفسد العقول التي اتفقت الملل والشرائع على إيجاب حفظها. وقال النووي في شرح المهذب: يجوز منها اليسير الذي لا يسكر بخلاف الخمر، والفرق أن الحشيش طاهر والخمر نجس فلا يجوز قليله للنجاسة، ورده

وأما الحيوانات؛ فتنقسم إلى ما يؤكل وإلى ما لا يؤكل. وتفصيله في كتاب الأطعمة، والنظر يطول في تفصيله، لا سيما في الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر، وما يحل أكله منها فإنما يحل إذا ذبح ذبحاً شرعياً روعي فيه شروط الذابح والآلة والمذبح، وذلك مذكور في كتاب الصيد والذبائح، وما لم يذبح ذبحاً شرعياً أو مات فهو حرام ولا يحل إلا ميتتان السمك والجراد، وفي معناهما ما يستحيل من الأطعمة كدود التفاح

الزركشي بأنه صح في الحديث «ما أسكر كثيره فقليله حرام» قال: والمتجه أنه لا يجوز تناول شيء من الحشيش لا قليل ولا كثير، وأما قول النووي: إن الحشيشة طاهرة غير نجسة فقطع به ابن دقيق العيد، وحكى الإجماع اهـ.

تنبيه:

حيث يذكرون الحشيشة فإن المراد بها حشيشة البنج، وهو المراد من قول المصنف: فمزيل العقل البنج وقدمه على الخمر للاهتمام به، حتى ذكر بعضهم فيه مائة وعشرين مضرة دينية وبدنية. ولقد أحسن من قال:

قل لمن يأكل الحشيشة جهلاً ... يا خسيساً قد عشت شرّ معيشة
ديّة العقل بدرة فلماذا ... يا سفيهاً قد بعتها بحشيشة

فإذاً قد علمت ذلك فما وقع في بعض كتب السادة الشافعية وغيرهم من الفرق بينها وبين البنج غير سديد.

(وأما الحيوانات: فتنقسم إلى ما يؤكل وإلى ما لا يؤكل. وتفصيله في كتاب الأطعمة) من اختلاف أقوال الأئمة فيها، **(والنظر يطول في تفصيلها، لا سيما في الطيور الغريبة وحيوانات البر والبحر)** كل ذلك مودوع في كتب الفقه، ولابن العماد الأقفهسي كتاب فيما يحل من الحيوانات وما لا يحل، وأبسط منه كتاب حياة الحيوان للمديري، فقد أجاد في أحكام كل حيوان غريب، واختصره الجلال السيوطي وسماه (ديوان الحيوان) واستدرك عليه فيها أشياء حسنة تليق بالمذاكرة. **(وما يحل أكله فإنما يحل إذا ذبح ذبحاً شرعياً وروعي فيه شروط الذابح والآلة)** التي يذبح بها **(والمذبح)** أي موضع الذبح **(وذلك مذكور في كتاب الصيد والذبائح)** لا يليق بهذا الكتاب التطويل فيه، **(وما لم يذبح ذبحاً شرعياً)** مع مراعاة الشروط المذكورة **(أو مات)** حتف أنفه **(فهو حرام ولا يحل)** تناوله بالاتفاق لقوله تعالى ﴿حرمت عليكم الميتة والدم﴾ [المائدة: ٣] الآية **(إلا ميتتان السمك والجراد)** فإنهما خصا من عموم الآية، كما خص الكبد والطحال من عموم الدم. روى الحاكم والبيهقي من حديث ابن عمر رفعه «أحلت لنا ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال» وقد روي موقوفاً وصححه البيهقي، ثم قال: وهو في معنى المسند، ولذا قال النووي: وهو وإن كان الصحيح

والخل والجبن، فإن الاحتراز منها غير ممكن، فأما إذا أفردت وأكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب. وكل ما ليس له نفس سائلة، لا سبب في تحريمها إلا الاستقذار، ولو لم يكن لكان لا يكره فإن وجد شخص لا يستقذره لم يلتفت إلى

وقفه لكنه في حكم المرفوع إذ لا يقال من قبيل الرأي، ووقع لابن الرفعة في سياق هذا الحديث الحوت بدل السمك، واعترضه الذهبي بعدم وروده، وكأنه أراد عدم ثبوته وإلا فقد رواها ابن مردويه في تفسيره بهذه اللفظة، وفي إسناده نكارة. والمراد بالحوت حيوان البحر الذي يؤكل وإن لم يسم سمكاً وكان على غير صورته بالكلية ولو طفا خلافاً لأبي حنيفة في الطافي مستدلاً بما أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث جابر ما ألقى البحر أو جزر عنه فكلوه، وما مات فيه وطفا فلا تأكلوه أي ما أنكشف عنه الماء فمات بفقدان الماء وطفا أي علا وجه الماء. وقال الطحاوي قوله تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ عام خص منه غير الطافي من السمك بالاتفاق وبالحديث المشهور، والطافي مختلف فيه فبقي داخلاً في عموم الآية. وأما الجراد فحلال هبه مات باصطياد بقطع رأس أم غيره أم حتف أنفه، وقد نقل النووي الإجماع على حل أكله، واستثنى ابن العربي جراد الأندلس وقال: لا يحل أكله لضرره. وقال النووي في الروضة: وأما الميتات فكلها نجسة إلا السمك والجراد فإنها طاهران بالإجماع، وإلا الآدمي فإنه طاهر وإلا الجنين الذي يوجد ميتاً بعد ذكاة أمه، والصيد الذي ذكاته [1] فإنها طاهران بلا خلاف اهـ.

ثم قال المصنف: **(وما في معناها)** أي السمك والجراد **(ما يستحيل من الأطعمة كدود التفاح و)** دود **(الجبن)** أي المتولد فيها فها طاهران أيضاً **(فإن الاحتراز عنها غير ممكن)** لكثرة الوقوع ووفور الضرورة، **(وأما إذا أفردت وأكلت فحكمها حكم الذباب)** هو هذا الطائر المعروف من الحشرات. سئل بعضهم: لم سمي الذباب؟ فقال: لأنه كلما ذب آب، وتولدها من العفونات، والعرب تجعل الذباب والفراش والنحل والزنبور والناموس والبعوض كلها من الذباب. وقال جالينوس: إنه ألوان فللإبل ذباب، وللبقر ذباب، وللخيل ذباب، وأصله دود صغار تخرج من أبدانهم فتصير ذباباً وزنابير، وذباب الناس متولد من الزبل وتكثر إذا هاجت ريح الجنوب ويخلق في تلك الساعة، وإذا هاجت ريح الشمال خف وتلاشى وهو من ذوات الخراطيم، **(والخنفساء)** فنعلاء حشرة معروفة وضم الفاء أكثر من فتحها وهي ممدودة فيها وتقع على الذكر والأنثى، وبعض العرب يقول في الذكر خنفس وزان جندب بالفتح ولا يمتنع الضم وهو القياس، وبنو أسد يقولون خنفسة في الخنفساء كأنهم جعلوا الهاء عوضاً عن الألف والجمع خنافس، **(والعقرب)** معروف ويقال للذكر والأنثى **(وكل ما ليس له نفس سائلة)** أي دم سائل، **(ولا سبب في تحريمها إلا الاستقذار)** أي وجدانها قذرة فلا يميل الطبع إليها، **(ولو لم يكن)** ذلك **(لكان لا يكره وإذا وجد شخص لا يستقذرها لم يلتفت إلى خصوص طبعه)**

---

(١) هنا بياض في الأصل.

خصوص طبعه فإنه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار، فيكره أكله كما لو جمع المخاط وشربه كره ذلك، وليست الكراهة لنجاستها فإن الصحيح أنها لا تنجس بالموت، إذ أمر رسول الله ﷺ بأن يمقل الذباب في الطعام إذا وقع فيه، وربما يكون حاراً ويكون

فإنه نادر لا حكم له، **(فإنها التحقت بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره أكلها)**، والخبائث جمع خبيثة وهو المستكره طعمه أو ريحه، ومنه الخبائث وهي التي كانت العرب تستخبثها مثل الحية والعقرب **(كما لو جمع المخاط)** وهو ما نزل من الأنف **(وشربه كره ذلك)** أي للاستقذار، قال في الروضة: المنفصل من باطن الحيوان إن لم يكن له اجتماع واستحالة في الباطن وإنما يرشح رشحاً كاللعاب والدمع والعرق والمخاط، فله حكم الحيوان المترشح منه إن كـان نجسـاً فنجس وإلا فطاهر. **(وليست الكراهية لنجاستها فإن الصحيح أنها لا تنجس بالموت، إذ أمر رسول الله ﷺ بأن يمقل الذباب في الطعام إذا وقع فيه)**، قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه ابن ماجه أيضاً ولفظها «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء والشراب أعم من ماء أو غيره من المائعات» وفي رواية «فليمقله» زاد الطبراني «كله» وفي رواية للبخاري «فلينتزعه» ويقال: مقله في الماء أو غيره مقلاً إذا غمسه فيه.

(وربما يكون) الطعام **(حاراً ويكون ذلك)** أي غمسه فيه **(سبب موته)** ونازعه بعضهم فقال: إن المقل لا يوجب الموت فهو للمنع من العيافة، وإن سلم فالحاق كل ما لا دم له سائل ينظر فيه. وقال التوربشتي: وفي الحديث أن الماء القليل والمائع لا ينجس بوقوع ما لا نفس له سائلة لأن غمسه يفضي لموته، فلو نجسه لما أمر به ولكن بشرط أن لا يغير اهـ.

وفي الروضة للنووي: وأما الميتة التي لا دم لها سائل كالذباب وغيره، فهل ينجس الماء وغيره من المائعات إذا ماتت فيها؟ فيه قولان: الأظهر لا ينجسه وهذا في حيوان أجنبي من المائع، أما ما نشؤه فيه فلا ينجسه بلا خلاف، فلو أخرج منه وطرح في غيره أو ردّ إليه عاد القولان، فإن قلنا ينجس المائع فهي أيضاً نجسة، وإن قلنا لا ينجسه فهي أيضاً نجسة على قول الجمهور، وهذا هو المذهب. وقال القفال: ليست نجسة ثم لا فرق في الحكم بنجاسة هذا الحيوان بين ما تولد من الطعام كدود الخل والتفاح، وبين ما لا يتولد منه كالذباب والخنفساء، لكن يختلفان في تنجيس ما مات فيه وفي جواز أكله، فإن غير المتولد لا يحل أكله وفي المتولد أوجه: الأصح يحل أكله مع ما تولد منه ولا يحل منفرداً. والثاني: يحل مطلقاً. والثالث: يحرم مطلقاً. والأوجه جارية سواء قلنا بطهارة هذا الحيوان على قول القفال أو بنجاسته على قول الجمهور. قال النووي: ولو كثرت الميتة التي لا نفس لها سائلة فغيرت المائع وقلنا لا ينجسه من غير تغير فوجهان مشهوران. الأصح: ينجسه لأنه

ذلك سبب موته، ولو تهرت نملة أو ذبابة في قدر لم يجب إراقتها إذ المستقذر هو جرمه إذا بقي له جرم، ولم ينجس حتى يحرم بالنجاسة. وهذا يدل على ان تحريمه للاستقذار، ولذلك نقول: لو وقع جزء من آدمي ميت في قدر ولو وزن دانق حرم الكل لا لنجاسته، فإن الصحيح أن الآدمي لا ينجس بالموت ولكن لأن أكله محرم احتراماً لا استقذاراً. وأما الحيوانات المأكولة إذا ذبحت بشرط الشرع فلا تحل جميع أجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضي بنجاسته منها، بل تناول النجاسة مطلقاً محرم،

متغير بالنجاسة، والثاني: لا ينجسه ويكون الماء طاهراً غير طهور كالمتغير بالزعفران. وقال إمام الحرمين: هو كالمتغير بماء الشجر، والله أعلم اهـ.

(**ولو تهرت نملة أو ذبابة في قدر**) طعام (**لم يجب إراقتها إذا المستقذر**) عند الطبائع (**جرمه إذا بقي له جرم لم ينجس حتى يحرم بالنجاسة. وهذا يدل على أن تحريمه للاستقذار**) لا لنجاسته، (**ولذلك نقول: لو وضع جزء**) مبان (**من آدمي ميت في قدر**) طعام (**ولو وزن دانق**) قد تقدم تحريره (**حرم الكل لا لنجاسته، فالصحيح**) في المذهب (**أن الآدمي لا ينجس بالموت**) خلافاً لأبي حنيفة (**ولكن لأن أكله يحرم احتراماً**) له (**لا استقذاراً**) وقد تقدم عن الروضة استثناء الآدمي من الميتات وقال: فإنه طاهر على الأظهر، (**وأما الحيوانات المأكولة إذا ذبحت بشرط الشرع**) على ما بين في الصيد والذبائح من كتب الفروع (**فلا يحل جميع أجزائها بل يحرم منها الدم والفرث وكل ما يقضي بنجاسته منها**)، فقد روى أبو داود في كتاب المراسيل من مرسل مجاهد أنه كره رسول الله ﷺ من الشاة سبعاً: المرارة، والمثانة، والغدة، والحياء، والذكر، والأنثيين. ورواه محمد بن الحسن في الآثار عن أبي حنيفة، عن الاوزاعي، عن واصل بن أبي جميلة، عن مجاهد فساقه. وزاد بعد الانثيين والدم، وكان النبي ﷺ يتقذرها. ورواه ابن خسرو، وفي مسنده من طريق محمد بن الحسن وزاد: وكان يحب من الشاة مقدمها. ورواه البيهقي من طريق سفيان عن الاوزاعي وقال: واصل بن أبي جميلة لم تثبت عدالته. ورواه ابن عدي والبيهقي أيضاً من طريق عمر بن موسى بن وجيه عن مجاهد عن ابن عباس، ثم قال البيهقي: وعمر ضعيف ووصله لا يصح. ورواه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف، وروى ابن السني في الطب النبوي من حديث ابن عباس: كان يكره الكليتين لمكانهما من البول، وسنده ضعيف. فالمرارة من ماء في جوف الحيوان فيها ماء أخضر وهي لكل ذي روح إلا البعير فلا مرارة له، وقال القتبي: أراد المحدث أن يقول: المرارة وهو المصارين فقال: وأنشد:

فلا تهد إلا مـــر ومـــا يليـــه ... ولا تهدن معـــروق العظـــام

كذا في الفائق. قال في النهاية: وليس بشيء، والمثانة مجمع البول والحياء ممدودة الفرج من ذوات الخف والحافر، والانثيان الخصيتان، والغدة بالضم لحم يحدث عن داء بين اللحم والجلد يتحرك

ولكن ليس في الأعيان شيء محرم نجس إلا من الحيوانات. وأما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل ولا يسكر كالبنج، فإن نجاسة المسكر تغليظ للزجر عنه لكونه في مظنة التشوّف، ومهما وقع قطرة من النجاسة أو جزء من نجاسة جامدة في مرقة أو طعام أو دهن حرم أكل جميعه، ولا يحرم الانتفاع به لغير الأكل، فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات وغيرها. فهذه مجامع ما يحرم لصفة في ذاته.

بالتحريك، والمراد بالدم غير المسفوح لأن الطبع السليم يعافه، وليس كل حلال تطيب النفس لأكله. وقال الخطابي: الدم حرام إجماعاً والمذكورات معه مكروهة لا محرمة، وقد يجوز أن يفرق بين القرائن التي يجمعها نظم واحد بدليل يقوم على بعضها فيحكم له بخلاف حكم صواحباته اهـ.

وردّه أبو شامة بأنه لم يرد بالدم هنا ما فهمه الخطابي، فإن الدم المحرم بالإجماع قد انفصل من الشاة وخلت منه عروقها، فكيف يقول الراوي كان يكره من الشاة يعني بعد ذبحها سبعاً، والسبع موجودة فيها، وأيضاً فمنصبه ﷺ يجل أن يوصف بأنه كره شيئاً هو منصوص على تحريمه على الناس كافة، وكان أكثرهم يكرهه قبل تحريمه ولا يقدم على أكله إلا الجفاة في شظف من العيش وجهد من القلة، وإنما وجه هذا الحديث المنقطع الضعيف أنه كره من الشاة ما كان من أجزائها دماً منعقداً مما يحل أكله لكونه دماً غير مسفوح كما في خبر «أحلت لنا ميتتان ودمان» فكأنه أشار بالكراهة إلى الطحال والكبد لما ثبت أنه أكله اهـ.

وإنما كره أكل الكليتين وهما لكل حيوان منبت ذرع الولد لقربهما من مكان البول فتعافهما النفس، ومع ذلك يحل أكلهما، **(بل تناول النجاسة مطلقاً محرم، ولكن ليس من الأعيان شيء نجس إلا من الحيوانات، وأما من النبات فالمسكرات فقط دون ما يزيل العقل)** أو يخدر **(ولا يسكر كالبنج)**، وتقدم عن الزركشي وغيره النقل عن الأصحاب فيه، وتقدم أيضاً كلام القرافي في إنكاره كونه مسكراً بل جعله من المفسدات، **(فإن نجاسة المسكر)** لعينه وصفية **(تغليظ للزجر عنه لكونه من مظنة الفسوق)** أي يحمله عليه، **(ومهما وقعت قطرات من النجاسات أو جزء من نجاسة جامدة في مرقة أو طعام أو دهن حرم أكل جميعه)** لتخلله في سائر أجزائه. وفي الخبر: سئل رسول الله ﷺ عن فأرة وقعت في سمن فماتت فقال «لا تأكلوه». **(ولا يحرم الانتفاع به لغير الأكل فيجوز الاستصباح بالدهن النجس وكذا طلاء السفن والحيوانات)** صرّح به الأصحاب، وروى في الحديث المتقدم أيضاً قال: «إن كان جامداً فالقوها وما حولها وكلوه وإن كان ذائباً فاستصبحوا به» وعن جماعة من علماء الكوفة: لا بأس بشحوم الميتة تدبغ بها الجلود وتطلى بها السفن، وقد روي عنه حديث مسند وهو حجة لمن يرتفق بها فيما لا يطعم ولا يلبس إلا ان يضطر اليها فيتناول مقدار الحاجة، وتقدم البحث في ذلك في

القسم الثاني: ما يحرم لخلل في جهة اثبات اليد عليه:

وفيه يتسع النظر فنقول: أخذ المال إما أن يكون باختيار المالك أو بغير اختياره، فالذي يكون بغير اختياره كالإرث والذي يكون باختياره إما أن لا يكون من مالك كنيل المعادن، أو يكون من مالك فإما أن يؤخذ قهراً أو يؤخذ تراضياً، والمأخوذ قهراً إما أن يكون لسقوط عصمة المالك كالغنائم أو لاستحقاق الآخذ كزكاة الممتنعين والنفقات الواجبة عليهم، والمأخوذ تراضياً إما أن يؤخذ بعوض كالبيع والصداق والأجرة وإما أن يؤخذ بغير عوض كالهبة والوصية فيحصل من هذا السياق ستة أقسام:

الأوّل: ما يؤخذ من غير مالك كنيل المعادن وإحياء الموات والاصطياد

باب البيوع في الكتاب الذي قبله. (**فهذه مجامع ما يحرم لصفة في ذاته**)، ومسائل هذا الباب مستوفاة في الفروع الفقهية ولا يليق التطويل فيها في هذا الموضع.

القسم الثاني: ما يحرم لخلل من جهة اثبات اليد عليه:

(**وفيه يتسع النظر**) ويحتاج إلى التفصيل، (**فنقول أخذ المال إما أن يكون باختيار المملك**) هو الذي ملكه باختياره (**أو بغير اختياره، فالذي بغير** اختياره) كالإرث وهو ما يملكه من قبل مورثه شرعاً (**والذي باختياره إما أن يكون**) عفواً (**من غير مالك**) له (**كنيل المعادن**) التي في باطن الأرض، (**أو يكون من مالك**) فالنظر فيه (**والذي يؤخذ من مالك فإما أن يؤخذ قهراً**) عليه (**أو يؤخذ تراضياً**) منه، (**فالمأخوذ قهراً**) لا يخلو (**إما أن يكون لسقوط عصمة المالك**) وهو عدم دخول ملاكه في الإسلام كما يشير إليه قوله ﷺ في حديث «بني الإسلام على خمس» وفيه: «فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم» (**كالغنائم**) المأخوذة من أيدي الكفار بعد قتالهم (**أو**) يكون ذلك المأخوذ قهراً (**لاستحقاق الآخذ**) له (**كالزكاة**) المفروضة (**من الممتنعين من ادائها**) فإن للإمام أن يأخذها عنهم قهراً ويصرفها لأرباب الاستحقاق، (**و**) كذلك (**النفقات الواجبات عليهم**) أي على الممتنعين من إعطائها، (**والمأخوذ تراضياً إما ان يؤخذ بعوض كالبيع**) فإنه لا يكون إلا عن تراض وعوض السلعة لا بدّ منه (**و**) كذلك (**الصداق**) هو ما يقدمه للمرأة في عوض البضع وهو أيضاً لا يكون إلا عن تراض (**و**) كذلك (**الأجرة**) فإنها بعوض معلوم بالتراضي، (**وإما أن يؤخذ بغير عوض**) أي لا يراعى فيه جانب العوضية (**كالهبة والوصية**) بأن يهب شيئاً لزيد مثلاً أو يوصي له بشيء بعد موته (**فيحصل من هذا**) السياق (**ستة أقسام**).

(**الأوّل: ما لا يؤخذ من [غير] مالك كنيل المعادن**) أي وجدانها (**وإحياء الموات**) أي الأرض التي لا مالك لها (**والاصطياد**) في بر أو بحر (**والاحتطاب**) أي جمع الحطب من

والاحتطاب، والاستقاء من الانهار، والاحتشاش، فهذا حلال بشرط أن لا يكون المأخوذ مختصاً بذي حرمة من الآدميين، فإذا انفك من الاختصاصات ملكها آخذها، وتفصيل ذلك في كتاب إحياء الموات.

الثاني: المأخوذ قهراً ممن لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر أموال الكفار والمحاربين، وذلك حلال للمسلمين إذا أخرجوا منها الْخُمس وقسموها بين المستحقين بالعدل ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان وعهد. وتفصيل هذه الشروط في كتاب السير من كتاب الفيء والغنيمة وكتاب الجزية.

الثالث: ما يؤخذ قهراً باستحقاق عند امتناع من وجب عليه فيؤخذ دون رضاه وذلك حلال إذا تم سبب الاستحقاق وتم وصف المستحق الذي به استحقاقه، واقتصر على القدر المستحق واستوفاه من يملك الاستيفاء من قاض أو سلطان أو مستحق. وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات وكتاب الوقف وكتاب النفقات، إذ فيها النظر

أشجار عادية، (**والاستقاء من الأنهار**) والغدران، (**والاحتشاش**) أي قطع الحشيش، (**فهذا حلال بشرط أن لا يكون المأخوذ مختصاً بذي حرمة من الآدميين، فإن انفكت من الاختصاصات ملكها**) هو (**آخذها ،وتفصيل ذلك في كتاب إحياء الموات**) من كتب الفقه.

(**الثاني: المأخوذ قهراً**) وقوة (**ممن لا حرمة**) ولا عصمة (**له**) في نفسه وماله (**وهو الفيء والغنيمة وسائر أموال الكفار المحاربين**) للإسلام. وفي المصباح: الفيء الخراج والغنيمة سمي فيئاً تسمية بالمصدر لأنه فاء من قوم إلى قوم، (**وذلك حلال للمسلمين إذا أخرجوا منها الخمس**) وهو الجزء من خمسة أجزاء (**وقسموها بين المستحقين بالعدل**) والسوية (**ولم يأخذوها من كافر له حرمة وأمان**) من المسلمين (**وعهد**) وذمة. (**وتفصيل هذه الشروط في كتاب السير من كتاب الفيء والغنيمة و**) بعض ذلك في (**كتاب الجزية**).

(**الثالث: ما يؤخذ قهراً باستحقاق عند امتناع من استحق عليه**) عن الدفع لطمع أو استكثار (**فيؤخذ**) منه (**دون رضاه**) أي على أي حال سواء أرضي ظاهراً أو لم يرض، وأما الرضا الباطني فهو نادر، (**وذلك**) المأخوذ منه على هذا الوجه (**حلال إذا تم سبب الاستحقاق وتم**) أيضاً (**وصف المستحق الذي به استحقاقه، واقتصر على القدر المستحق**) ولم يتجاوز عنه (**واستوفاه من يملك الاستيفاء**) وأصل الاستيفاء أخذ الشيء وافياً تاماً وذلك الذي يملك ذلك (**من قاض**) أي حاكم شرعي مولى من سلطان (**أو سلطان**) بنفسه (**أو مستحق**) تم به وصف الاستحقاق. (**وتفصيل ذلك في كتاب تفريق الصدقات و**) بعض ذلك (**في كتاب الوقف**) اذ فيه مسائل كثيرة تتعلق بهذا الباب (**و**) بعض ذلك في (**كتاب النفقات، إذ**

في صفة المستحقين للزكاة والوقف والنفقة وغيرها من الحقوق، فإذا استوفيت شرائطها كان المأخوذ حلالاً.

الرابع: ما يؤخذ تراضياً بمعاوضة وذلك حلال إذا روعي شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين، أعني الإيجاب والقبول مع ما تعبد الشرع به من اجتناب الشروط المفسدة، وبيان ذلك في كتاب البيع والسلم والإجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقاة والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصداق وسائر المعاوضات.

الخامس: ما يؤخذ عن رضا من غير عوض وهو حلال إذا روعي فيه شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد إلى ضرر بوارث أو غيره، وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا والصدقات.

السادس: ما يحصل بغير اختيار كالميراث وهو حلال إذا كان الموروث قد اكتسب المال من بعض الجهات الخمس على وجه حلال، ثم كان ذلك بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة وإخراج الزكاة والحج والكفارة إن كان واجباً،

فيها) أي في النفقات **(النظر في صفة المستحقين للزكاة والوقف وغيرهما من الحقوق)** الشرعية وأحوالهم، **(فإذا استوفيت شروطها)** بعد الإحاطة بتلك المسائل **(كان المأخوذ حلالاً)** بلا شك.

(الرابع: ما يؤخذ تراضياً بمعاوضة) بأن يرضى كل واحد لصاحبه في الأخذ والإعطاء على عوض معلوم من الجانبين، **(وذلك)** أيضاً **(حلال إذا روعي)** فيه **(شرط العوضين وشرط العاقدين وشرط اللفظين. أعني الايجاب والقبول مع)** مراعاة **(ما تعبد الشرع به في اجتناب الشروط المفسدة)** للعقد. **(وبيان ذلك)** تفصيلاً **(في كتاب البيع والسلم والإجارة والحوالة والضمان والقراض والشركة والمساقاة والشفعة والصلح والخلع والكتابة والصداق وسائر المعاوضات)** الشرعية. وغالب هذه المباحث قد ذكرت في الكتاب الذي سبق قبله

(الخامس: ما يؤخذ بالرضا من غير عوض وهو حلال إذا روعي شرط المعقود عليه وشرط العاقدين وشرط العقد ولم يؤد) ذلك الأخذ **(إلى)** حصول **(ضرر)** حال **(بوارث أو غيره)** أو متوقع في المآل، **(وذلك مذكور في كتاب الهبات والوصايا)**. وذلك **(كالميراث وهو حلال إذا كان الموروث)** أي المال الذي ورثه مثلاً **(قد اكتسب من بعض الجهات الخمس على وجه حلال، ثم)** إن **(ذلك)** لا يتم إلا **(بعد قضاء الدين)** إن كان **(وتنفيذ الوصايا)** على وجهها من الثلث **(وتعديل القسمة بين الورثة)** بأن تكون على السوية

وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرائض. **فهذه مجامع مداخل الحلال والحرام أومأنا إلى جملتها ليعلم المريد أنه إن كانت طعمته متفرقة لا من جهة معينة فلا يستغني عن علم هذه الأمور، فكل ما يأكله من جهة من هذه الجهات ينبغي أن يستفتي فيه أهل العلم ولا يقدم عليه بالجهل فإنه كما يقال للعالم: لم خالفت علمك؟ يقال للجاهل: لم لازمت جهلك ولم تتعلم بعد أن قيل لك طلب العلم فريضة على كل مسلم؟.**

درجات الحلال والحرام:

اعلم أن الحرام كله خبيث، لكن بعضه أخبث من بعض، والحلال كله طيب ولكن بعضه أطيب من بعض وأصفى من بعض، وكما أن الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول: بعضها حار في الدرجة الأولى كالسكر، وبعضها حار في الثانية كالفانيد،

بالفريضة الشرعية لا جور فيها ولا شطط **(وإخراج الزكاة والحج والكفارة)** أي كفارة اليمين **(إن كان واجباً)** عليه وتوجه عليه وجوبه، **(وذلك مذكور في كتاب الوصايا والفرائض)** ثم ان المصنف ذكر أولاً أن الأقسام ستة، وفي التفصيل ذكر خمسة ولم يذكر السادس إلا أن يقال أن السادس مندرج في الخامس.

(فهذه مجامع مداخل الحلال) أي مجامع الأبواب التي يدخل منها الحلال **(أومأنا)** أي أشرنا **(إلى جملتها)** إجمالاً **(ليعلم المريد)** ويتحقق أنه **(إن كانت طعمته)** أي رزقه **(متفرقة)** من جهات كثيرة **(لا من جهة معينة فلا يستغني عن علم هذه الأمور)** أي التي ذكرت، **(فكل ما يأكله من جهة من تلك الجهات ينبغي أن يستفتي فيه أهل العلم)** والفتوى **(ولا يقدم عليه بالجهل)** والسكوت عليه، **(فإنه كما يقال)** يوم القيامة **(للعالم: لم خالفت علمك)** بعد أن علمت؟ **(يقال للجاهل: لم لازمت جهلك)** وأقريت عليه، **(ولم لم تتعلم بعد أن قيل لك)** أي بلغك عن شيوخك **(« طلب العلم فريضة على كل مسلم »)**؟ وهو حديث مشهور رواه أنس، وتقدم الكلام عليه مبسوطاً في كتاب العلم.

درجات الحلال والحرام:

(اعلم أن الحرام) من حيث هو هو **(كله خبيث)** مخبث استخبثه الشرع **(ولكن بعضه أخبث من بعض، والحلال)** من حيث هو هو **(كله طيب)** أي استطابه الشرع **(ولكن بعضه أصفى وأطيب من بعض وكما أن الطبيب يحكم)** في كلامه على طبائع الأشياء **(على كل حلو بالحرارة ولكن يقول: بعضها حار في الدرجة الأولى كالسكر)** وهو المعتصر من قصب السكر وأجوده الطبرزد وهو حار رطب في آخر الأولى، **(وبعضها في)** الدرجة **(الثانية كالفانيد)** وهو نوع من الحلواء يعمل من الفند والنشا وهي كلمة أعجمية لفقد فاعيل في الكلام

وبعضها حار في الثالثة كالدبس، وبعضها حار في الرابعة كالعسل، كذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الأولى، وبعضه في الثانية أو الثالثة أو الرابعة، وكذا الحلال تتفاوت درجات صفاته وطيبه، فلنقتد بأهل الطب في الاصطلاح على أربع درجات تقريباً وإن كان التحقيق لا يوجب هذا الحصر إذ يتطرق إلى كل درجة من الدرجات أيضاً تفاوت لا ينحصر، فإن من السكر ما هو أشد حرارة من سكر آخر وكذا غيره، فلذلك نقول: الورع عن الحرام على أربع درجات.

الأولى: ورع العدول؛ وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط العدالة به ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه، وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء.

الثانية: ورع الصالحين، وهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم، ولكن المفتي

العربي، ولهذا لم يذكرها أهل اللغة كما في المصباح وهو على نوعين: بحري وخزائني وهو المصري، **(وبعضها في)** الدرجة **(الثالثة كالدبس)** بالكسر وهو عصارة الرطب، **(وبعضها في)** الدرجة **(الرابعة كالعسل)** وهو مختلف في مزاجه ولونه وطعمه ورائحته على حسب ما يقع عليه ويجتني منه، وأجود أنواعه الصادق الحلاوة الطيب الرائحة الصافي الأحمر الناصع، وإذا رفع بالأصبع امتد إلى الأرض، **(فكذلك الحرام بعضه خبيث في الدرجة الأولى وبعضه في الثانية أو في الثالثة أو الرابعة، وكذا الحلال تتفاوت درجات صفاته وطيبه)** في الدرجات الأربعة، **(ولنقتد بأهل الطب في الإصطلاح على أربع درجات تقريباً)** وتسهيلاً **(وإن كان التحقيق لا يوجب الحصر)** في هذه الدرجات **(إذ يتطرق إلى كل درجة من الدرجات أيضاً تفاوت لا ينحصر فكم من سكر أشد حرارة)** في تلك الدرجة **(من سكر)** وذلك لاختلاف أنواعه **(وكذا غيره، فكذلك نقول: الورع عن الحرام على أربع درجات)**.

(الأولى: ورع العدول) والمزكين **(وهو الذي يجب الفسق باقتحامه)** والتعرض له **(وتسقط العدالة)** به **(ويثبت إسم العصيان والتعرض للنار)** أي للدخول فيها **(بسببه، وهو الورع عن كل ما تحرمه فتاوى الفقهاء)** في الظاهر وهو أوّل المراتب. وفي هذا وقع النزاع بين الإمامين التقي السبكي وابن عدلان فأثبته السبكي ونفاه ابن عدلان كما هو مصرح في الطبقات الكبرى للتاج السبكي في ترجمة ابن عدلان.

(الثانية: ورع الصالحين، وهو الامتناع عما) عسى **(يتطرق إليه احتمال التحريم، ولكن المفتي)** إذا رفع إليه مثل هذه الحادثة **(يرخص في التناول)** منه **(بناء على الظاهر)** ولا يلتفت إلى ما يتطرق ويقول: نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، ثم يقول: تطرق احتمال التحريم

يرخص في التناول بناء على الظاهر ، فهو من مواقع الشبهة على الجملة ، فلنسم التحرج عن ذلك ورع الصالحين وهو في الدرجة الثانية .

الثالثة: ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله ، ولكن يخاف منه أداؤه إلى محرم وهو ترك ما لا بأس به مخافة مما به بأس وهذا ورع المتقين. قال ﷺ : « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس » .

الرابعة: ما لا بأس به أصلاً ولا يخاف منه أن يؤدي إلى ما به بأس ، ولكنه يتناول لغير الله وعلى غير نية التقوّي به على عبادة الله ، أو تتطرق إلى أسبابه المسهلة كراهية أو معصية ، والامتناع منه ورع الصديقين . فهذه درجات الحلال جملة إلى أن نفصلها بالأمثلة والشواهد .

وأما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الأولى ، وهو الذي يشترط التورع عنه في العدالة

متوقع ولم يقع بعد فلا حكم له عندي ، (**فهو**) إذاً (**من مواقع الشبهة على الجملة ، فلنسم التحرج عن**) مثل (**ذلك ورع الصالحين**) لأنهم هم الذين يتجنبون عن مواقع الشبهة في الحال والمتوقع (**وهو في الدرجة الثانية**) بالنسبة إلى ورع العدول.

(**الثالثة: ما لا تحرمه الفتوى**) الشرعية (**و**) مع ذلك (**لا شبهة في حله**) في الحال ، (**ولكن يخاف منه أداؤه إلى محرم**) شرعي (**وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهذا ورع المتقين . قال ﷺ « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع**) أي يترك (**ما لا بأس به مخافة مما به بأس ،**) أي يترك تناول الحلال مخافة من الوقوع في الحرام . قال العراقي : رواه ابن ماجه وقد تقدم .

قلت : وكذلك رواه الترمذي والحاكم كلهم من حديث عطية بن عروة السعدي . قال الترمذي : حسن غريب ولفظهم جيمعاً « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس » وسيأتي الكلام عليه قريباً .

(**الرابعة : ما لا بأس به أصلاً ولا يؤدي إلى ما به بأس**) كما في الدرجة الثالثة ، (**ولكنه يتناول لغير الله**) عز وجل (**ولا**) يتناول (**على نية التقوّى به على عبادة الله**) وحسن طاعته ، (**أو يتطرق إلى أسبابه المسهلة**) إليه (**كراهية أو معصية ، فالامتناع**) على هذه الصورة من التناول هو (**ورع الصديقين**) وهو أعلى المراتب في الورع ، كما أن الصديقية أعلى المراتب بعد النبوّة (**فهذه درجات الحلال جملة**) أي إجمالاً (**إلى أن نفصلها بالأمثلة والشواهد**) وما يعقلها إلا العالمون .

(**وأما الحرام الذي ذكرناه في الدرجة الأولى وهو الذي يشترط التورع عنه في العدالة**)

واطراح سمة الفسق فهو أيضاً على درجات في الخبث، فالمأخوذ بعقد فاسد كالمعاطاة مثلاً فيما لا يجوز فيه المعاطاة حرام، ولكن ليس في درجة المغصوب على سبيل القهر، بل المغصوب أغلظ إذ فيه: ترك طريق الشرع في الاكتساب وإيذاء الغير، وليس في المعاطاة إيذاء وإنما فيه ترك طريق التعبد فقط، ثم ترك طريق التعبد بالمعاطاة أهون من تركه بالربا، وهذا التفاوت يدرك بتشديد الشرع ووعيده وتأكيده في بعض المناهي، على ما سيأتي في كتاب التوبة عند ذكر الفرق بين الكبيرة والصغيرة بل المأخوذ ظلماً من فقير أو صالح أو من يتيم أخبث وأعظم من المأخوذ من قوي أو غني أو فاسق، لأن درجات الإيذاء تختلف باختلاف درجات المؤذي، فهذه دقائق في تفاصيل الخبائث لا ينبغي أن يذهل عنها، فلولا اختلاف درجات العصاة لما اختلفت درجات النار، وإذا عرفت مثارات التغليظ فلا حاجة إلى حصره في ثلاث درجات أو أربع، فإن ذلك جار مجرى

وهي صفة توجب مراعاتها التحرز عما يخل بالمروءة ظاهراً (**أو اطراح إسم الفسوق**) عنه (**فهو أيضاً على درجات من الخبث**) بعضها أشد من بعض، (**فالمأخوذ بعقد فاسد**) في المعاملة (**كالمعاطاة مثلاً فيما لا يجوز فيه المعاطاة**) من غير جريان لفظ الصيغة من العاقدين (**حرام**) عند الشافعي رضي الله عنه خلافاً لأبي حنيفة رضي الله عنه، وقد تقدم الكلام عليه في الباب الذي قبله. (**ولكن ليس في درجات المغصوب**) أي المأخوذ غصباً (**على سبيل القهر**) والغلبة، (**بل المغصوب أغلظ**) وأشد (**إذ فيه**) شيئان (**ترك طريق الشرع**) لأن الغصب محرم (**في الاكتساب، وإيذاء الغير**) لأن من غصبه حقه الذي بيده فقد آذاه، (**وليس في**) بيع (**المعاطاة إيذاء**) للغير، (**وإنما فيه ترك طريقة التعبد فقط**) بفوات أحد أركان البيع، (**ثم ترك طريقة التعبد بالمعاطاة أهون**) وأخف (**من تركه بالربا**) وإن كان في كل منها ترك طريق التعبد، (**وهذا التفاوت**) إنما يدرك (**بتشديد الشرع**) وتغليظه (**ووعيده**) وزجره (**وتأكيده في بعض المناهي**) الشرعية (**على ما يذكر في كتاب التوبة**) إن شاء الله تعالى (**عند ذكر الفرق بين الصغيرة والكبيرة بل**) أقول: إن (**المأخوذ ظلماً**) وقهراً (**من فقير**) محتاج (**أو صالح**) مسترسل (**أو يتيم أخبث وأغلظ من المأخوذ**) بالطريقة المذكورة (**من قوي**) ذي جاه (**أو غني**) ذي مال (**أو فاسق**) بين الفسق، (**لأن درجات الإيذاء تختلف باختلاف درجات المؤذي**) على صيغة اسم المفعول، (**فهذه دقائق في تفاصيل الخبائث لا ينبغي**) للمريد (**أن يذهل**) أي يغفل (**عنها**) أي عن دركها، (**فلولا اختلاف درجات العصاة**) والمذنبين (**لما اختلفت درجات النار**) أي طبقاتها والمستعمل في النار الدركات واستعمال الدرجات فيها من قبيل المشاكلة. (**وإذا عرفت مثارات التغليظ**) أي المواضع التي فيها إثارة التغليظ (**فلا حاجة إلى حصره في ثلاث درجات أو أربع**) درجات،

التحكم والتشهي وهو طلب حصر فيما لا حاصر له، ويدلك على اختلاف درجات الحرام في الخبث ما سيأتي في تعارض المحذورات وترجيح بعضها على بعض، حتى إذا اضطر إلى أكل ميتة أو أكل طعام الغير أو أكل صيد الحرم فإنا نقدم بعض هذا على بعض.

أمثلة الدرجات الأربع: في الورع وشواهدها:

أما الدرجة الأولى: وهي ورع العدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه مما يدخل في المداخل الستة التي ذكرناها من مداخل الحرام لفقد شرط من الشروط، فهو الحرام المطلق الذي ينسب مقتحمه إلى الفسق والمعصية، وهو الذي نريده بالحرام المطلق ولا يحتاج إلى أمثلة وشواهد.

(فإن ذلك جار مجرى التهكم والتشهي وهو طلب حصر فيما لا حاصر له، ويدلك على اختلاف درجات الحرام في الخبث ما سيأتي في تعارض المحذورات) مع بعضها **(وترجيح بعضها على بعض)** في التناول، **(حتى إذا اضطر إلى أكل الميتة أو أكل طعام الغير)** من غير إذنه **(أو أكل صيد الحرم)** مع ما في كل منها من التشديد والوعيد، **(فإنه يقدم بعض هذا على البعض)** فالضرورات تبيح المحظورات. قال ابن هبيرة في الافصاح: اختلفوا فيما إذا وجد المضطر ميتة غير ميتة الآدمي وطعاماً لقوم ومالك الطعام غائب، فقال مالك؛ وأكثر أصحاب الشافعي، وبعض أصحاب أبي حنيفة: يأكل من مال الغير بشرط الضمان. وقال أحمد وبقية أصحاب أبي حنيفة: يأكل من مال الغير بشرط الضمان. وقال أحمد وبقية أصحاب أبي حنيفة: يأكل من الميتة، واختلفوا فيما إذا اضطر المحرم إلى أكل الميتة والصيد، فقال أبو حنيفة، ومالك والشافعي في أحد قوليه: وأحمد له أن يأكل من الميتة ما يدفع ضرورته ولا يأكل الصيد. وقال الشافعي في أحد قوليه يذبح الصيد بيده ويأكل وعليه جزاؤه وهي رواية ابن عبد الحكم عن مالك.

أمثلة الدرجات الأربع في الورع وشواهدها:

(أما الدرجة الأول وهي ورع العدول فكل ما اقتضى الفتوى تحريمه من كل ما يدخل في المداخل الستة التي ذكرناها في مداخل الحرام **)** إجمالاً **(لفقد شرط من الشروط)** أو فقد ركن من الأركان، **(فهو الحرام المطلق الذي ينسب مقتحمه)** أي مرتكبه **(إلى الفسق والمعصية)** وتسقط به العدالة، **(وهو الذي نريده بالحرام المطلق)** إذا ذكرناه وهو المفهوم عند الاطلاق، **(فلا يحتاج إلى أمثلة وشواهد)** لوضوحه.

وأما الدرجة الثانية: فأمثلتها: كل شبهة لا توجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتي في باب الشبهات إذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فتلحق بالحرام، ومنها ما يكره اجتنابها فالورع عنها ورع الموسوسين، كمن يمتنع من الاصطياد خوفاً من أن يكون الصيد قد أفلت من إنسان أخذه وملكه، وهذا وسواس. ومنها ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهو الذي ينزل عليه قوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». ونحمله على نهي التنزيه. وكذلك قوله ﷺ: «كل ما أصميت ودع ما أنميت» والانماء

(أما الدرجة الثانية: فامثلتها: كل شبهة لا توجب اجتنابها ولكن يستحب اجتنابها) أي على طريق الاستحباب **(كما سيأتي في كتاب الشبهات)** قريباً **(إذ من الشبهات ما يجب اجتنابها فتلحق بالحرام)** إذ هي إليه أقرب، **(ومنها ما يكره اجتنابها والورع عنها ورع الموسوسين)** الذين تحكم الوسواس في دماغهم، **(كمن يمتنع من الاصطياد)** مطلقاً **(خوفاً من أن يكون قد أفلت)** ذلك الصيد **(من إنسان)** كان **(أخذه وملكه، وهذا وسواس)** محض وكمن يمتنع من الانتفاع بطين النيل حذراً من أن يكون في أيام زيادته قد جاز على ملك البعض فاختلط به، **(ومنها ما يستحب اجتنابها ولا يجب وهذا الذي يتأول عليه قول النبي ﷺ)** للحسن بن علي رضي الله عنهما **(«دع ما يريبك)** أي يوقعك في الريب يقال رابه وأرابه **(إلى ما لا يريبك»)** أي إلى ما لا تشك فيه من الحلال البين. وقال الطيبي :أي اترك ما اعترض لك الشك فيه منقلباً عنه إلى ما لا شك فيه. قال العراقي: رواه النسائي والترمذي والحاكم وصححاه في حديث الحسن بن علي اهـ.

قلت: ورواه أحمد من حديث أنس، والخطيب من حديث ابن عمر، والطبراني في الكبير من حديث رابعة بن معبد، وأبو عبد الرحمن السلمي من حديث واثلة. وقد رويت زيادات في هذا الحديث وهي «فإن الخير طمأنينة وان الشر ريبة» كذا رواه الطبراني والحاكم والبيهقي من حديث الحسن. وفي أخرى «فإن الصدق طمأنينة وان الكذب ريبة» وهكذا رواه الطيالسي وأحمد والترمذي والدارمي وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والبيهقي، وفي أخرى: فإن الصدق [1] وهكذا رواه ابن قانع، وفي أخرى «فإنك لن تجد ثقل شيء تركته لله عز وجل» وهذا رواه الخطيب في تاريخه من حديث ابن عمر. وقال الخليل: الصواب وقفه عليه، وفي هذه الأخبار عموم يقتضي أن الريبة، تقع في العبادات والمعاملات وسائر أبواب الأحكام وان ترك الريبة في كل ذلك ورع، **(ونحمله على نهي التنزيه)** فالأمر للندب لما أن توقي الشبهات مندوبة لا واجبة على الأصح، **(وكذلك قوله)** ﷺ **(«كل ما أصميت)** أي أسرعت ازهاق روحه من الصيد والإصماء: أن يقتل الصيد مكانه **(ودع ما أنميت»)** أي مما أصبته بنحوسهم أو كلب فمات ولا يدري حاله فمات وإليه أشار المصنف بقوله: **(والإنماء)** أي لغة **(أن يجرح الصيد)** أي يصيبه بنحوسهم أو

---

(١) هنا بياض في الأصل.

أن يجرح الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتاً، إذ يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر، والذي نختاره كما سيأتي أن هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين. وقوله: « دع ما يريبك » أمر تنزيه، إذ ورد في بعض الروايات: « كُلْ منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثراً غير سهمك ». ولذلك قال ﷺ لعدي بن حاتم في الكلب المعلم: « وإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه » والنهي على سبيل التنزيه لأجل الخوف

كلب، **(فيغيب عنه)** فلا يدري ما حاله **(ثم يدركه ميتاً)** والحديث. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس، ورواه البيهقي موقوفاً عليه، وقال: إن المرفوع ضعيف اهـ.

قال الهيثمي: فيه عثمان بن عبد الرحمن أظنه القرشي وهو متروك. **(إذ يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر فالذي نختاره كما سيأتي أن هذا ليس بحرام ولكن تركه من ورع الصالحين)** قال ابن بطال في شرح البخاري: أجمعوا على أن السهم إذا أصاب الصيد فجرحه جاز أكله ولو لم يعلم مات بالجرح أو من سقوطه في الهواء أو من وقوعه على الأرض وأنه لو وقع على جبل مثلاً فتردى عنه فمات لا يؤكل وأن السهم إذا لم ينفذ مقاتله لا يؤكل إلا إذا أدركت ذكاته اهـ.

(وقوله « دع » أمر تنزيه) أي للندب لا للإيجاب **(إذ ورد في بعض الروايات « كل منه »)** أي من الصيد **(وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثراً غير سهمك)** رواه ابن ماجه والطبراني من حديث أبي ثعلبة الخشني بلفظ « كل ما ردت عليك قوسك وإن توارى عنك بعد أن لا ترى فيه أثر سهم أو نصل » ورواه أيضاً أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبدالله بن عمرو، ورواه أحمد من حديث ابن عمر بلفظ « كل ما أمسكت عليك قوسك ذكي وغير ذكي وإن تغيب عنك ما لم يصل أو تجد فيه غير سهمك ». **(ولذلك قال ﷺ لعدي بن حاتم)** بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي صحابي شهير، وكان ممن ثبت في الردة وحضر فتوح العراق وحروب علي، مات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين سنة **(في الكلب المعلم: « وإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه »)** وهذا الحديث قد أغفله العراقي هنا، وذكره في الباب الذي يليه وهو مما اتفق عليه الستة أخرجوه من حديث همام بن الحرث عن عدي ابن حاتم، واللفظ لأبي داود قال: سألت النبي ﷺ عن المعراض قال « إذا أصاب بحده فكل وإذا أصاب بعرضه فلا تأكل فإنه وقيذ » قلت: أرسل كلبي. قال: « إذا سميت فكل وإلاَّ فلا تأكل وإن أكل منه فلا تأكل فإنما أمسك لنفسه ». فقال: أرسل كلبي فأجد كلباً آخر فقال: « لا تأكل لأنك إنما سميت على كلبك » وليس عند البخاري ومسلم « وإلاَّ فلا تأكل ».

ورواه أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم عن همام بن الحرث عن عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إنا نبعث الكلاب المعلمة أفنأكل مما أمسكن علينا فقال: « إذا ذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك ما لم يشركها كلب من غيرها » قلت وان قتل، قال: « وان

إذ قال لأبي ثعلبة الخشني « كُل منه » فقال: وإن أكل منه؟ فقال: « وإن أكل ». وذلك

قتل »، قلت: يا رسول الله أحدنا يرمي بالمعراض. قال « إذا رميت فسميت فخرق فكل وإن أصاب بعرض فلا تأكل ».

وأخرجه الشيخان، وأبو داود، وابن ماجه من حديث الشعبي عن عدي بن حاتم قال: سألت النبي ﷺ قلت: إنا نصيد بهذه الكلاب. فقال « إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله عليها فكل مما أمسكن عليك وإن قتل إلا أن يأكل الكلب فإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون إنما أمسكه على نفسه ».

(والنهي على سبيل التنزيه لأجل الخوف إذ قال لأبي ثعلبة) اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال: فقيل في اسمه جرثوم أو جرثومة أو جرهم أو الأشق أو الأشر أو لا شومة أو ناشب أو لاش أو غرنوق أو ناشر أو جرثم، واسم أبيه ناشر أو لا شر أو جرثوم أو عمرو أو ناشم أو لاشم أو جرهم أو ناشج أو الأشتر أو عبد الكريم أو حمير أو جلهم **(الخشني)** بضم الخاء المعجمة وفتح الشين المعجمة أيضاً وكسر النون منسوب إلى خشين مصغراً، وهو لقب وائل بن النمر بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، قدم على رسول الله ﷺ وهو يتجهز إلى حنين فأسلم وضرب له بسهمه[1] وبايع بيعة الرضوان وأرسله إلى قومه فأسلموا، مات وهو ساجد سنة خمس وخمسين بالشام رضي الله عنه **(« كل منه » فقال: وإن أكل؟ قال: « كل »)** هكذا في النسخ، وفي نسخة العراقي قال: وإن أكل قال العراقي رواه أبو داود من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ومن حديث أبي ثعلبة أيضاً مختصراً وإسنادهما جيد اهـ.

قلت: سياق حديث ابن عمر، وعند أبي داود والنسائي أن اعرابياً يقال له أبو ثعلبة قال: يا رسول الله إن لي كلاباً مكلبة فافتني في صيدها. فقال النبي ﷺ « إن كان لك كلاب مكلبة فكل مما أمسكن عليك ذكياً وغير ذكي ». قال: وان أكل منه؟ قال: « وإن أكل منه » قال يا رسول الله: افتني في قوسي. قال: « كل ما ردت عليك قوسك » قال: ذكياً وغير ذكي؟ قال: وإن تغيب عني قال: « وإن تغيب عنك ما لم يصل أو تجد فيه أثراً غير سهمك ».

قوله: يصل. يقال: صل اللحم واصل إذا أنتن وهذا قد تقدم قريباً ولفظ حديث أبي ثعلبة المطول فعند الشيخين وأبي داود والنسائي قال: قلت يا رسول الله إني أصيد بكلبي المعلم وبكلبي الذي ليس بمعلم. قال: « ما أصدت بكلبك المعلم فاذكر اسم الله وكل وما اصدت بكلبك الذي ليس بمعلم فادركت ذكاته فكل » وأما لفظه المختصر عند أبي داود وحده: « كل ما ردت عليك قوسك وكلبك المعلم ويدك فكل ذكياً وغير ذكي » **(وذلك أن حالة أبي ثعلبة)** رضي الله عنه

---

(١) قوله: وبايع بيعة الرضوان يتأمل في هذا فإن إسلامه عند حنين متأخر عن بيعة الرضوان فكيف يبايع فيها اهـ مصححه.

لأن حالة أبي ثعلبة وهو فقير مكتسب لا تحتمل هذا الورع، وحال عدي كان يحتمله. يحكى عن ابن سيرين أنه ترك لشريك له أربعة آلاف درهم لأنه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به، فأمثلة هذه الدرجة نذكرها في التعرض لدرجات الشبهة فكل ما هو شبهة لا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة.

أما الدرجة الثالثة: وهي ورع المتقين. فيشهد لها قوله ﷺ: «لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس». وقال عمر رضي الله عنه: كنا ندع تسعة

(**وهو فقير**) ضعيف الحال (**مكتسب**) بالصيد (**لا يحتمل هذا الورع**) فأمره بأكله موافقة لحاله (**وحال عدي**) بن حاتم رضي الله عنه (**كان يحتمله**) لأنه كان جلداً قوياً واصطياده لم يكن على طريق الاكتساب فأمره بالورع موافقة لحاله.

(**يحكى عن**) محمد (**بن سيرين**) التابعي الجليل كان من أورع الناس (**أنه ترك لشريك له أربعة آلاف درهم لأنه حاك في قلبه شيء مع اتفاق العلماء على أنه لا بأس به**) قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أحمد بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، حدثنا أبو شهاب، عن هشام، عن ابن سيرين أنه اشترى بيعاً فأشرف فيه على ثمانين ألفاً فعرض في قلبه منه شيء فتركه. قال هشام: والله ما هو ربا.

وحدثنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا أبو إسحاق الطالقاني، حدثنا حمزة عن السري بن يحي قال: لقد ترك ابن سيرين أربعين ألفاً في شيء دخله. قال السري: سمعت سليمان التيمي يقول: لقد تركته في شيء ما يختلف فيه أحد من العلماء.

(**وأمثلة هذه الدرجة نذكرها**) قريباً (**عند التعرض لدرجات الشبهة وكل ما هو شبهة ولا يجب اجتنابه**) وإنما يندب (**فهو مثال هذه الدرجة**) وهذه الكلية تندرج فيها جزئيات كثيرة.

(**وأما الدرجة الثالثة: وهو ورع المتقين فيشهد لها قوله ﷺ: «لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما فيه بأس»**) تقدم تخريجه قريباً ووعدنا هناك التكلم على معناه.

فأقول، قال الطيبي في شرح المشكاة: إنما جعل المتقي من يدع ذلك لذلك لأن المتقي لغة اسم فاعل من وقاه فاتقى، والوقاية: فرط الصيانة ومنه فرس واق أي بقي لجامه أن يصيبه أدنى شيء من بوله وشرعاً من يقي نفسه تعاطي ما يستوجب العقوبة من فعل أو ترك، وللتقوى مراتب الأولى التوقي من العذاب المخلد بالتبريء عن الشرك، وألزمهم كلمة التقوى الثانية تجنب كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر وهو المتعارف بالتقوى في الشرع، المعنى بقوله: ﴿ولو أن

أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام. وقيل: إن هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال أبو الدرداء: إن من تمام التقوى أن يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً حتى يكون حجاباً بينه وبين النار، ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على إنسان فحملها إليه فأخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء الكل خيفة الزيادة. وكان بعضهم يتحرز فكل ما يستوفيه يأخذه بنقصان حبة وما يعطيه يوفيه بزيادة حبة ليكون ذلك حاجزاً من النار. ومن هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح به الناس فإن ذلك حلال في الفتوى، ولكن يخاف من فتح بابه أن ينجر إلى غيره وتألف

أهل القرى آمنوا واتقوا﴾ [الأعراف: ٩٦] والثالثة التفرغ عما يشغل سره عن ربه وهو التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ [آل عمران: ١٠٢] والمرتبة الثالثة هي المقصودة في الحديث ويجوز تنزيله على الثانية أيضاً والله أعلم.

(وقال عمر) بن الخطاب رضي الله عنه: (كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام) وروي مثل هذا عن أبي بكر رضي الله عنه قال: كنا نترك سبعين باباً من الحلال مخافة باب واحد من الحرام، (وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه فيما روى عنه عباس بن خليد: (إن تمام التقوى أن يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً فيكون حجاباً بينه وبين النار) كذا في النسخ. ولفظ القوت: يكون ذلك حجاباً بينه وبين الحرام، (ولهذا كان لبعضهم مائة درهم على إنسان فحملها إليه فأخذ تسعة وتسعين وتورع عن استيفاء) الكل خيفة الزيادة. وكان بعضهم يتحرز فكل ما يستوفيه يأخذه بنقصان حبة وما يعطيه يزنه بزيادة (حبة ليكون ذلك حاجزاً من النار) ولفظ القوت: وقد كان من سيرة القدماء وأخلاق الورعين أن لا يستوعب أحدهم كل حقه بل يترك منه شيئاً خشية أن يستوفي الحلال كله فيقع في الشبهة، فإنه يقال: من استوعب الحلال حام حول الحرام، وكانوا يستحبون أن يتركوا بينهم وبين الحرام من حقهم حاجزاً بين الحلال والحرام، ومنهم من كان يترك من حقه شيئاً لنية أخرى لقوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ قالوا: فالعدل أن تأخذ حقك وتعطي الحق، والإحسان أن تترك بعض حقك وتبذل فوق ما عليك من الحق وهذه طريق قد جهلت من عمل بها فقد أظهرها. حدثونا عن بعضهم قال: أتيت بعض الورعين بدين له علي وكان خمسين درهماً قال: ففتح يده فعددت فيها إلى تسعة وأربعين فقبض يده فقلت هذا درهم قد بقي لك من حقك فقال: قد تركته إني أكره أن استوعب حقي كله فأقع فيما ليس لي. وقد كان ابن المبارك يقول: من اتقى تسعة وتسعين شيئاً ولم يتق شيئاً واحداً لم يكن من المتقين، ومن تاب من تسعة وتسعين ذنباً ولم يتب من ذنب واحد لم يكن من التوابين، ومن زهد في تسعة وتسعين شيئاً ولم يزهد في شيء واحد لم يكن من الزاهدين.

(وفي هذه الدرجة الاحتراز عما يتسامح به فإن ذلك حلال في الفتوى) الظاهرة،

النفس الاسترسال وتترك الورع، فمن ذلك ما روي عن علي بن معبد أنه قال: كنت ساكناً في بيت بكراء فكتبت كتاباً وأردت أن آخذ من تراب الحائط لأترّبه وأجففه، ثم قلت: الحائط ليس لي، فقالت لي نفسي: وما قدر تراب من حائط، فأخذت من التراب حاجتي، فلما نمت فإذا أنا بشخص واقف يقول: يا علي بن معبد سيعلم غداً الذي يقـول: وما قدر تراب من حائط، ولعل معنى ذلك أنه يرى كيف يحط من منزلته، فإن للتقوى درجة تفوت بفوات ورع المتقين، وليس المراد به أن يستحق عقوبة على فعله.

ومن ذلك ما روي أن عمر رضي الله عنه وصله مسك من البحرين فقال: وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين. فقالت امرأته عاتكة: أنا أجيد الوزن فسكت عنها، ثم أعاد القول فأعادت الجواب، فقال: لا. أحببت أن تضعيه بكفة ثم تقولين فيها أثر الغبار فتمسحين بها عنقك فأصيب بذلك فضلاً على المسلمين. وكان يوزن بين يدي

(**ولكن يخاف من فتح بابه أن يتجر إلى غيره وتألف النفس الاسترسال**) والتشهي (**فتترك الورع، فمن ذلك ما روي عن علي بن معبد**) بن نوح البغدادي نزيل مصر، ثقة، مات سنة تسع وخمسين ومائتين (**أنه قال: كنت ساكناً في بيت بكراء فكتبت**) يوماً (**كتاباً وأردت أن آخذ من تراب الحائط لاتربه وأجفنه، ثم قلت**) في نفسي: (**الحائط ليس لي، فقالت لي نفسي، وما قدر تراب من حائط**) واستحقرته (**فأخذت من التراب حاجتي**) من تتريب الكتب (**فلما نمت، فإذا أنا بشخص واقف يقول: يا علي سيعلم غداً الذين يقولون: وما قدر تراب من حائط**). قال المصنف: (**ولعل معنى ذلك أنه يرى**) غداً (**كيف تحط منزلته فإن للتقوى منزلة تفوت بفوات ورع المتقين، وليس المراد به أن يستحق عقوبة على فعله**) إذا كان ذلك جائزاً في ظاهر الفتوى. وفي القوت عبد الصمد بن مقاتل قال: كانوا يكتبون الكتاب ولا يتربونه من دور السبيل يرسلونه فيأخذون من طين البحر.

(**ومن ذلك ما روي أن عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه وصله مسك**) وهو طيب معروف (**من البحرين**) ناحية بالبصرة (**فقال: وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين**) بالسوية على مراتبهم (**فقالت امرأته عاتكة**) ابنة زيد بن عمرو بن نفيل. وكانت فاطمة بنت الخطاب أخت عمر تحت سعيد بن زيد: (**أنا أجيد الوزن، فقال: لا أحببت أن تضعيه في الكفة**) أي كفة الميزان (**ثم تقولين فيها**) أي في الكفة (**أثر الغبار**) من بقايا المسك (**فتمسحين بها عنقك فأصيب بذلك فضلاً على المسلمين**). ولفظ القوت: عبد العزيز ابن أبي سلمة قال: حدثنا إسماعيل بن محمد قال: قدم على عمر رضي الله عنه مسك من البحرين فقال: والله لوددت أني أجد امرأة حسنة الوزن تزن لي هذا الطيب حتى أفرقه بين المسلمين،

عمر بن عبد العزيز مسك للمسلمين فأخذ بأنفه حتى لا تصيبه الرائحة وقال: وهل ينتفع منه إلاّ بريحه لما استبعد ذلك منه. وأخذ الحسن رضي الله عنه تمرة من تمر الصدقة وكان صغيراً فقال ﷺ: « كخ كخ » أي ألقها.

ومن ذلك ما روى بعضهم أنه كان عند محتضر فمات ليلاً فقال: أطفئوا السراج فقد حدث للورثة حق في الدهن. وروى سليمان التيمي عن نعيمة العطارة قالت: كان عمر

فقالت امرأته عاتكة: أنا جيدة الوزن فهلم أزن لك. قال: لا. قالت: ولم؟ قال: إني أخشى أن تأخذيه هكذا وأدخل أصابعه في صدغيه وتمسحين عنقك فأصيب فضلاً عن المسلمين.

قلت: وهو في كتاب الزهد للإمام أحمد أخرجه حن طريق محمد بن إسماعيل عن سعيد بن أبي وقاص قال: قدم على عمر مسك وعنبر من البحرين والباقي سواء.

(**وكان يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز**) الخليفة (**مسك**) أتى به من بعض النواحي فيه حق (**للمسلمين فأخذ بأنفه**) أي سدها بيده (**حتى لا يصيبه الرائحة**) منه حالة الوزن (**وقال: هل ينتفع الآن إلا بريحه**) قال ذلك (**لما استبعد ذلك منه**) ولفظ القوت: روينا عن أبي عوانة عن عبد الله بن راشد قال: أتيت عمر بن عبد العزيز بالطيب الذي كان في بيت المال فأمسك على أنفه وقال: إنما ينتفع بريحه. (**وأخذ الحسين بن علي**) بن أبي طالب رضي الله عنهما (**تمرة من الصدقة وكان صغيراً فقال**) له (**رسول الله ﷺ: « كخ » أي ألقها**) قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة.

قلت: ولفظه: « أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال له كخ كخ ارم بها أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة » وقد رواه مسلم كذلك فما في نسخ الكتاب الحسين بن علي تحريف من النساخ، وكخ كخ بفتح الكاف وكسرها وسكون المعجمة مثقلاً ومخففاً وبكسرها وغير منونة فهي ست لغات وهي كلمة ردع للطفل عن تناول شيء قال الزمخشري: ويقال عند التقذر من الشيء أيضاً اهـ. وهي من أسماء الأفعال على ما في التسهيل ومن أسماء الأصوات على ما في حواشيه الهامشية عربية أو معربة، والمراد بالصدقة الفرض لأن السياق قد خصها به، فإنه هو الذي يحرم على آله وفيه أن الطفل يجنب عن الحرام لينشأ عليه ويتمرن.

(**ومن ذلك ما روي عن بعضهم أنه كان عند محتضر**) هو الذي قد حضره أجله (**فمات ليلاً فقال: اطفئوا السراج فقد حدث**) بموته (**حق للورثة في الدهن**) وفي القوت: حدثت عن موسى عن عبد الرحمن بن مهدي قال: لما قبض عمي أغمي على أبي، فلما أفاق قال: البساط أدرجوه لغلة الورثة. وعن ابن أبي خالد قال: كنت مع أبي العباس الخطاب وقد جاءه يعزي رجلاً ماتت امرأته، وفي البيت بساط، فقام أبو العباس على باب البيت فقال: أيها الرجل معك وارث غيرك؟ قال: نعم. قال: قعودك على ما لا تملك فتنحى الرجل عن البساط. وحدثت عن أبي

رضي الله عنه يدفع إلى امرأته طيباً من طيب المسلمين لتبيعه ، فباعتني طيباً فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر بأسنانها فتعلق باصبعها شيء منه فقالت به هكذا باصبعها ، ثم مسحت به خمارها ، فدخل عمر رضي الله عنه فقال: ما هذه الرائحة ؟ فأخبرته . فقال: طيب المسلمين تأخذينه ، فانتزع الخمار من رأسها وأخذ جرة من الماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ، ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ويشمه ، حتى لم يبق له ريح . قالت : ثم أتيتها مرة أخرى فلما وزنت علق منه شيء باصبعها فأدخلت أصبعها في فيها ثم مسحت به التراب ، فهذا من عمر رضي الله عنه ورع التقوى لخوف أداء ذلك إلى غيره وإلاَّ فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب إلى المسلمين ، ولكن أتلفه عليها زجراً وردعاً واتقاء من أن يتعدى الأمر إلى غيره .

ومن ذلك ما سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل يكون في المسجد يحمل مجمرة

الضحاك صاحب بشر بن الحرث قال: كان يجيء إلى اخته حين مات زوجها فيبيت عندها فيجيء معه بشيء يقعد عليه ولم يرأن يقعد على ما خلف من غلة الورثة .

(وروى سليان) بن طرفان **(التيمي)** أبو المعتمر البصري ثقة من كبار العباد **(عن نعيم)** ابن عبدالله **(العطار)** ويقال له المجمر المدني من موالي آل عمر بن الخطاب ثقة روى له الجماعة **(قال)** ولفظ القوت: سليان التيمي عن نعيمة العطارة قالت **(كان عمر)** بن الخطاب رضي الله عنه **(يدفع إلى امرأته)** وهي عاتكة بنت زيد **(طيباً من طيب المسلمين قال: فتبيعه امرأته فباعتني طيباً فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسر بأسنانها فتعلق باصبعها شيء منه)** عند مزاولتها إياه **(فقالت هكذا باصبعها ثم مسحت به خمارها، فدخل عمر)** رضي الله عنه **(فقال: ما هذه الريح؟ فاخبرته)** الخبر **(فقال: طيب المسلمين تأخذينه)** كالمنكر عليها **(فانتزع الخمار من رأسها وانتزع جرة من ماء فجعل يصب على الخمار)** من ذلك الماء **(ثم يدلكه على التراب ثم يشمه، ثم يصب الماء ثم يدلكه في التراب ثم يشمه، حتى لم يبق له ريح)** قال، ولفظ القوت قالت العطارة: **(ثم أتيتها مرة أخرى وبين يديها الطيب فلما وزنت علق باصبعها منه شيء فأدخلت أصابعها في فيها ثم مسحت بها التراب)** حتى لا يعلق بها أثر الطيب، **(فهذا من عمر)** رضي الله عنه **(ورع التقوى لخوف أداء ذلك إلى غيره)** سداً للباب **(وإلا فغسل الخمار بالماء)** مع دلكه بالتراب مراراً **(ما كان يعيد الطيب إلى المسلمين)** لأنه لم ينقص من حقهم شيئاً، **(ولكن أتلفه عليها ردعاً وزجراً)** لها **(وإتقاء من أن يتعدى الأمر مرة أخرى)** وتمرينا لها على التقوى حتى تعتاد عليه .

(ومن ذلك ما سئل أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى **(عن رجل في المسجد يحمل مجمرة)** بكسر

لبعض السلاطين ويبخّر المسجد بالعود فقال: ينبغي أن يخرج من المسجد فإنه لا ينتفع من العود إلا برائحته، وهذا قد يقارب الحرام فإن القدر الذي يعبق بثوبه من رائحة الطيب قد يقصد وقد يبخل به فلا يدري أنه يتسامح به أم لا. وسئل أحمد بن حنبل عمن سقطت منه ورقة فيها أحاديث، فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردها؟ فقال: لا. بل يستأذن ثم يكتب. وهذا أيضاً قد يشك في أن صاحبها هل يرضى به أم لا. فما هو في محل الشك والأصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الأولى.

ومن ذلك التورع عن الزينة لأنه يخاف منها أن تدعو إلى غيرها، وإن كانت الزينة مباحة في نفسها. وقد سئل أحمد بن حنبل عن النعال السبتية فقال: أما أنا فلا استعملها ولكن إن كان للطين فأرجو، وأما من أراد الزينة فلا ومن ذلك أن عمر رضي الله عنه

الميم هي المبخرة والمدخنة (**لبعض السلاطين ويبخر المسجد بالعود**) ونحوه (**فقال: ينبغي أن يخرج من المسجد حتى يفرغ**) الرجل (**من بخوره فإنه لا ينتفع من العود إلا برائحته**) وفي القوت: روى ابن عبد الخالق عن المروذي قال، قلت لأبي عبد الله إني أكون في المسجد في شهر رمضان فيجاء بالعود من الموضع الذي يكره فقال: وهل يراد من العود إلا رَيحه إن خفي خروجه فاخرج، (**فهذا قد يقارب الحرام فإنه القدر الذي يعلق بثوبه من رائحة الطيب قد يبخل به وقد يقصد ولا يدري أنه يسامح به أم لا. وسئل أحمد بن حنبل**) رحمه الله تعالى (**عمن سقط منه ورقة من أحاديث، فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردها؟ فقال: لا بل يستأذن ثم يكتب**) ولفظ القوت: قال أبو بكر المروذي، قلت لأبي عبد الله: رجل سقطت منه ورقة فيها أحاديث وفوائد فأخذتها إن أنسخها وأسمعها. قال: لا إلا أن يأذن صاحبها اهـ.

(**وهذا أيضاً قد يشك في صاحبه يرضى به أم لا. فما هو في محل الشك والأصل تحريمه فهو حرام وتركه من الدرجة الأولى**) وهو ورع العدول.

(**ومن ذلك التورع عن الزينة**) من لبسة أو حلية أو هيئة (**لأنه يخاف منها أن تدعو إلى غيرها**) وتجر إليه (**وإن كانت الزينة مباحة في نفسها**) لقوله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ (**وقد سئل أحمد بن حنبل**) رحمه الله تعالى (**عن**) لبس (**النعال السبتية**) وهي التي لا شعر عليها من قولهم سبت رأسه سبتاً إذا حلقه (**فقال: أما أنا لا أستعملها ولكن إن كان للطين**) أي للوقاية عنه (**فأرجو أما من أراد الزينة فلا**) ولفظ القوت: قال المروذي: سألت أبا عبدالله عن الرجل يلبس النعل السبتي، فقال: أما أنا فلا استعملها ولكن إذا كان للمخرج والطين فأرجو وأما من أراد الزينة فلا ورأى نعلاً سندياً على باب المخرج

لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها فطلقها خيفة أن تشير عليه بشفاعة في باطل فيعطيها ويطلب رضاها، وهذا من ترك ما لا بأس به مخافة مما به البأس. أي مخافة من أن يفضي إليه، وأكثر المباحات داعية إلى المحظورات حتى استكثار الأكل واستعمال الطيب للمتعزب فإنه يحرك الشهوة، ثم الشهوة تدعو إلى الفكر والفكر يدعو إلى النظر والنظر يدعو إلى غيره، وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتجملهم مباح في نفسه، ولكن يهيج الحرص ويدعو إلى طلب مثله ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله. وهكذا المباحات كلها إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة في وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة أوّلاً، ثم بالحذر ثانياً، فقلما تخلو عاقبتها عن خطر، وكذا كل ما أخذ بالشهوة فقلما يخلو عن خطر حتى كره أحمد بن حنبل تجصيص الحيطان وقال: أما تجصيص الأرض فيمنع

فسألني لمن هي، فأخبرته. قال: يتشبه بأولاد لوط يعني صاحبها. سألت أبا عبد الله قلت أمروني في المنزل أن أشتري نعلاً سندياً للصبية. قال: لا تشتر، قلت: تكرهه للصبيان والنساء؟ قال: نعم أكرهه زياد بن أيوب قال: كنت عند سعيد بن عياض فأتاه صبي ابن بنته وفي رجله نعل سندي فقال: من ألبسك هذا؟ قال: أبي. قال: اذهب إلى أمك تنزعها اهـ.

(**ومن ذلك أن عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه لما ولي**) الخلافة (**وكانت له زوجة يحبها**) ويميل إليها وهي غير عاتكة بنت زيد (**فطلقها خيفة أن تشير عليه بشفاعة في باطل فيطيعها**) ولا يخالفها لمحبته لها (**ويطلب رضاها**) بتمشية شفاعتها، (**وهذا من ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس أي مخافة أن يفضي إليه، وأكثر المباحات**) الشرعية (**داعية إلى المحظورات حتى استكثار الأكل**) فإنه مباح شرعاً لكنه يفضي إلى أشياء كثيرة هي محظورة شرعاً (**واستعمال الطيب**) أي طيب كان (**للمتعزّب**) وهو الذي ليس له أهل (**فإنه**) مع كونه مباحاً (**يحرك الشهوة**) النفسية (**ثم الشهوة**) إذا تحكمت (**تدعو إلى الفكر والفكر**) يدعو (**إلى النظر**) إلى ما لا يحل (**والنظر**) يدعو (**إلى غيره**) من المفاسد، وفي هذا يقولون: من أدار ناظره أتعب خاطره (**وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتجملهم**) في مفارشهم وملابسهم ومراكيبهم وما فيها من الغلمان وهيئاتهم المتنوعة (**مباح في نفسه**) للداخل إليها، (**ولكن يهيج الحرص**) ويثيره (**ويدعوه إلى مثله**) ولذاكره الدخول عليهم، (**و**) قالوا: إنه (**يلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله**) إذ لا يتم مثله إلا بارتكاب محظورات شرعية فالأولى قطع مبادئه بعدم الدخول ثم بعدم النظر. (**وهكذا المباحات كلها إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة**) الضرورية (**وفي وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها**) والتوقي من مهلكاتها (**بالمعرفة أولاً، ثم بالحذر ثانياً، فقلما تخلو عاقبتها عن خطر**) فإذا لم يعرف أولاً دعاه إلى ما فيه هلاكه وهو لا يدري، ثم إذا عرفه ولم يحذر منه بل استرسل مع نفسه كانت المصيبة أعظم، (**وكذلك ما أخذ بالشره**) وهو بالتحريك شدة الحرص (**فقلما يخلو عن خطر حتى كره أحمد بن حنبل**) رحمه

التراب، وأما تجصيص الحيطان فزينة لا فائدة فيه حتى أنكر تجصيص المساجد وتزيينها، واستدل بما روي عن النبي ﷺ أنه سئل أن يكحل المسجد فقال: «لا عريش كعريش موسى» وإنما هو شيء مثل الكحل يطلى به، فلم يرخص رسول الله ﷺ فيه. وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا: من رق ثوبه رق دينه، وكل ذلك خوفاً من سريان اتباع الشهوات في المباحات إلى غيرها، فإن المحظور والمباح تشتهيها النفس بشهوة واحدة، وإذا

الله تعالى (**تجصيص الحيطان**) أي تطليتها بالجص بكسر الجيم وهو النورة. قال صاحب البارع، قال أبو حاتم: والعامة تقول بفتح الجيم والصواب الكسر وهو كلام العرب. وقال ابن السكيت نحوه وهو معرب كبج لأن الجيم والصاد لا يجتمعان في العربية (**فقال: أما تجصيص الأرض فيمنع التراب، وأما تجصيص الحائط فزينة لا فائدة فيه**) ولفظ القوت المروذي قال: سألت أبا عبد الله عن الرجل يجصص فقال: أما أرض البيوت فتوقيهم من التراب، وكره تجصيص الحيطان حتى أنكر تجصيص المسجد وتزيينه. (**واستدل بما روي أن النبي ﷺ سئل عن أن يكحل**) المسجد (**فقال: «عريش مثل عريش موسى» وإنما هو شيء مثل الكحل يطلي به، فلم يرخص فيه رسول الله ﷺ**) ولفظ القوت، قال المروذي: وذكرت لأبي عبد الله مسجداً قد بني وأنفق عليه مال كثير فأسترجع وأنكر ما قلت وقال: قد سألوا النبي ﷺ أن يكحل المسجد فقال: «لا عريش كعريش موسى» قال أبو عبد الله: إنما هو شيء من الكحل يطلى فلم يرخص النبي ﷺ اهـ.

قال العراقي: رواه الدارقطني في الإفراد من حديث أبي الدرداء وقال غريب اهـ.

قلت: ورواه المخلص في فوائده، والديلمي، وابن النجار من حديث أبي الدرداء بلفظ: «عريشاً كعريش موسى» ثمام وخشبيات والأمر أعجل من ذلك». قال الديلمي في الفردوس: سئل الحسن ما كان عريش موسى؟ قال: كان إذا رفع يده بلغت السقف. وروى الطبراني في الكبير من حديث عبادة بن الصامت ليس في رغبة[1] موسى عريش كعريش موسى وروى البيهقي من حديث سالم بن عطية مرسلاً عريش كعريش موسى.

(**وكره السلف الثوب الرقيق**) أي لبسه سواء كان من كتان أو قطن (**وقالوا: من رق ثوبه رق دينه**) والرقة كالدقة لكن الرقة تقال اعتبار المراعاة جوانب الشيء، والدقة اعتباراً بعمقه فمتى كانت الرقة في جسم يضادها الصفاقة نحو ثوب رقيق وصفيق وكون لبس الثوب الرقيق يرقق الدين أي يضعفه لأن الثوب كلما رق غلا ثمنه، فإذا أراد الدين أن يشتريه احتاج إلى مال كثير وأنى له ذلك مع ضيق المكاسب وندرة الحلال، فإن استرسل نفسه في شرائه وقع في شبهات بل في الحرام، (**وكان ذلك خوفاً من سريان إتباع الشهوات في المباحات إلى غيرها فإن المحظور والمباح يشتهيان بشهوة واحدة**) فلا يدري أهو محظور أم مباح، (**فإذا عودت**

---

(١) هنا بياض في الأصل.

تعوّدت الشهوة المسامحة استرسلت فاقتضى خوف الفتوى الورع عن هذا كله، فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة، وهو كل ما لا يخاف اداؤه إلى معصية البتة.

أما الدرجة الرابعة: وهو ورع الصديقين فالحلال عندهم كل ما لا تتقدم في أسبابه معصية ولا يستعان به على معصية ولا يقصد منه في الحال والمآل قضاء وطر، بل يتناول لله تعالى فقط وللتقوى على عبادته واستبقاء الحياة لأجله. وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراماً امتثالاً لقوله تعالى: ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ [الأنعام: ٩١] وهذه رتبة الموحدين المتجردين عن حظوظ أنفسهم المنفردين لله تعالى بالقصد، ولا شك في أن من يتورع عما يوصل إليه أو يستعان عليه بمعصية ليتورع عما يقترن بسبب اكتسابه معصية أو

الشهوة المسامحة) ولم تقمع **(استرسلت)** وجمحت فلا يمكن إذلالها إلا بصعوبة **(فاقتضى خوف التقوى الورع من هذا)** كله، **(فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة، وهو كل ما لا يخاف أداؤه إلى معصية البتة)** وهو معنى الحديث المتقدم: « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما به بأس لما لا بأس به.

(أما الدرجة الرابعة: وهي ورع الصديقين فالحلال المطلق عندهم كل ما لا يتقدم في) مباشرة **(أسبابه معصية)** لله عز وجل وهي مخالفة أمر من أوامره **(ولا يستعان به على معصية)** لله عز وجل، **(ولا يقصد منه في الحال)** الحاضر **(والمآل)** المتوقع **(قضاء وطر)** نفساني، **(بل)** إنما **(يتناول)** منه **(لله)** عز وجل **(فقط وللتقوى)** والاستعانة **(على عبادته)** ومعرفته **(واستبقاء الحياة)** أي معها **(لأجله)** أي لأجل التقوى، وإليه يشير قوله ﷺ: « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ». وفي القوت قال بعضهم: الحلال ما لم يعص الله تعالى في أخذه، وقال آخرون: ما لم يعص الله تعالى في أوله ولم ينس في آخره، وذكر عند تناوله وشكر بعد فراغه. وكان سهل يقول: الحلال هو العلم ولو فتح العبد فمه إلى السماء وشرب القطر ثم تقوى بذلك على معصية أو لم يطع الله بذلك القوى ولم يكن ذلك حلالاً. وقال بعض الموحدين: لا يكون حلالاً حتى لا تشهد فيه سوى الله عز وجل وحده، ومن أشرك في رزق الله تعالى العباد فذلك شبهة.

(وهؤلاء هم الذين يرون) أي يعتقدون **(كل ما ليس لله حراماً)** على أنفسهم **(امتثالاً لقوله تعالى)** يخاطب حبيبه ﷺ **(قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون)** فيرون أن ما سوى الله باطل ولعب في خوض لا يعني، **(وهذه رتبة الموحدين)** لله بالتوحيد الخالص **(المتجردين عن حظوظ أنفسهم)** المتبرئين عنها بالكلية **(المنفردين لله بالقصد)** القائمين بالله في كل قصد، **(ولا شك في أن من يتورع عما يوصل إليه بمعصية أو يستعان عليه بمعصية فيتورع لا شك**

كراهية، فمن ذلك ما روي عن يحي بن كثير أنه شرب الدواء فقالت له امرأته: لو تمشيت في الدار قليلاً حتى يعمل الدواء: فقال: هذه مشية لا أعرفها وأنا أحاسب نفسي منذ ثلاثين سنة، فكأنه لم تحضره نية في هذه المشية تتعلق بالدين فلم يجز الإقدام عليها. وعن سري رحمه الله أنه قال: انتهيت إلى حشيش في جبل وماء يخرج منه، فتناولت من الحشيش وشربت من الماء وقلت في نفسي: إن كنت قد أكلت يوماً حلالاً طيباً فهو هذا اليوم، فهتف بي هاتف: أن القوة التي أوصلتك إلى هذا الموضع من أين هي؟

عما يقترن بسبب اكتسابه معصية أو كراهية، فمن ذلك ما روي عن يحي بن يحي) بن بكر بن عبد الرحمن بن يحي بن حماد التيمي الحنظلي أبي زكريا النيسابوري قال أحمد: ما أخرجت خراسان بعد ابن المبارك مثله. وقال أبو داود عن أحمد: ما رأيت مثل يحي بن يحي ولا رأى يحي مثل نفسه. وقال محمد بن أسلم الطوسي. رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: عمن أكتب؟ قال: عن يحي ابن يحي. وقال العباس بن مصعب المروزي: يحي بـن يحي أصله مروي وهو من بني تميم من أنفسهم وكان ثقة يرجع إلى زهد وصلاح. وقال ابن حبان: كان من سادات أهل زمانه علماً وديناً وفضلاً ونسكاً واتقاناً، وأوصى بثياب بدنه لأحمد بن حنبل، فكان أحمد يحضر الجماعات في تلك الثياب. وقال غيره عن زكريا بن يحي بن يحي أوصى أبي بثياب جسده لأحمد فأتيته بها فقلت: إن أبي أوصى بمتاعه لك. قال: أئت به فأتيته في منديل، فنظر إليها فقال: ليس هذا من لباسي، ثم أخذ ثوباً واحداً منه ورد الباقي وفي القوت قال المروزي: سمعت أبا عبد الله يقول: كان يحي بن يحي أوصى إلي بجبته فجاءني ابنه فقال لي، فقلت رجل صالح قد أطاع الله تبارك وتعالى فيها أتبرك بها ولد سنة ١٤٢ وتوفي سنة ٢٢٤. **(أنه شرب دواء)** أي مسهلاً **(فقالت له امرأته)** هي أم زكريا ابن يحي: **(لو مشيت في الدار قليلاً حتى يعمل منك الدواء قال: هذه مشية لا أعرفها وأنا أحاسب نفسي منذ ثلاثين سنة)**. ولفظ القوت: حدثت عن بعض العلماء أن يحي بن يحي قالت له امرأته: شربت دواء لو قمت فترددت في الدار، فقال: ما أدري ما هذه المشية أنا أحاسب نفسي منذ أربعين سنة اهـ. **(فكأنه لم تحضره نية في هذه المشية تتعلق بالدين فلم يجز الإقدام عليها)** تورعاً.

(وعن سري) بن المغلس السقطي رحمه الله تعالى **(قال: انتهيت)** ذات يوم في سفري **(إلى حشيش في جبل وماء يخرج منه)** ولفظ القوت إلى نبات من الأرض عنده غدير ماء، **(فتناولت من الحشيش وشربت من الماء)** ولفظ القوت: وكنت جائعاً فأكلت من ذلك الحشيش وشربت من الغدير بكفي، **(وقلت في نفسي: إن كنت قد أكلت يوماً حلالاً طيباً فهو هذا اليوم)** ولفظ القوت: ثم استلقيت على ظهري فخطر بقلبي إن كنت ذات يوم أكلت حلالاً فهذا اليوم، **(فهتف بي هاتف)**: يا سري **(إن القوة)** ولفظ القوت زعمت أنك أكلت حلالاً فالقوة **(التي**

فرجعت وندمت ومن هذا ما روي عن ذي النون المصري أنه كان جائعاً محبوساً، فبعثت إليه امرأة صالحة طعاماً على يد السجّان فلم يأكل ثم اعتذر وقال: جاءني على طبق ظالم يعني أن القوة التي أوصلت الطعام إليَّ لم تكن طيبة، وهذه الغاية القصوى في الورع. ومن ذلك أن بشراً رحمه الله كان لا يشرب الماء من الأنهار التي حفرها الأمراء، فإن النهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه وإن كان الماء مباحاً في نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور بأعمال الاجراء وقد أعطوا الأجرة من الحرام، ولذلك امتنع بعضهم من العنب

أوصلتك إلى هذا الموضع يجب أن تبحث من أين هي، فرجعت وندمت) ولفظ القوت: فاستغفرت الله تعالى مما وقع في قلبي.

(ومن هذا ما روي عن ذي النون المصري) رحمه الله تعالى **(أنه كان جائعاً محبوساً)** أي كان حبسه بعض الأمراء بفتوى بعض العلماء لكلام بلغه عنه. ولفظ القوت أنه لما سجن لم يأكل ولم يشرب أياماً، **(فبعثت له امرأة صالحة طعاماً على يد السجّان فلم يأكل منه ثم اعتذر وقال: جاءني على طبق ظالم يعني يد السجّان)** ولفظ القوت: فوجهت أخته له من المتعبدات بطعام إلى السجن وقالت له: هذا من مغزلي ومن طعامي وهو حلال لم يأكل، فقالت له بعد ذلك، فقال: كان الطعام من حلال إلا أنه جاء في طبق حرام فلم آكله. قالت: وكيف ذلك؟ قال: جاء في يد السجان وهو ظالم فلذلك لم آكله اهـ.

(وروى أن القوة التي أوصلت الطعام إليه لم تكن طيبة، وهذه الغاية القصوى من الورع) ولفظ القوت: وهو حال الورعين والورع أول باب من الزهد فهو عموم الورع أول عموم الزهد وخصوصه أول خصوص الزهد.

(ومن ذلك أن بشراً) الحافي رحمه الله تعالى **(كان لا يشرب الماء من الأنهار التي حفرها الأمراء)** والذي في القوت أنه كان لا يشرب من النهر الذي حفره طاهر بن الحسين صاحب المأمون، وهو الخندق المعترض في الجانب الغربي ولم يكن يمشي على الجسر، وقال في موضع آخر عن عبد الله بن مقاتل قال: كتب إلينا أي [1] وكتب في كتابه أن بشراً كان لا يشرب بعبادان من الحياض التي اتخذها الملوك وكان يشرب من ماء البحر اهـ.

(فإن النهر سبب لجريان الماء ووصوله إليه وإن كان الماء مباحاً في نفسه فيكون كالمنتفع بالنهر المحفور بأعمال الأمراء وقد أعطيت أجورهم من الحرام)، ولهذا كان بعض السلف يمتنع من شرب عيون مكة أيام إقامته في الحج ويقول: هي من حفر زبيدة وكان يؤتى له الماء من آبار في الحل، **(ولذلك امتنع بعضهم من)** أكل **(العنب الحلال)** المتحصل **(من**

---

(١) هنا بياض في الأصل.

الحلال من كرم حلال، وقال لصاحبه: أفسدته إذ سقيته من الماء الذي يجري في النهر الذي حفرته الظلمة، وهذا أبعد عن الظلم من شرب نفس الماء، لأنه احتراز من استمداد العنب من ذلك الماء. وكان بعضهم إذا مرَّ في طريق الحج لم يشرب من المصانع التي عملتها الظلمة، مع أن الماء مباح ولكنه بقي محفوظاً بالمصنع الذي عمل بمال حرام فكأنه انتفاع به. وامتناع ذي النون من تناول الطعام من يد السجّان أعظم من هذا كله، لأن يد السجّـان لا توصف بأنها حرام، بخلاف الطبق المغصوب إذا حمل عليه ولكنه وصل إليه بقوّة اكتسبت بالغذاء الحرام، ولذلك تقيأ الصدّيق رضي الله عنه من اللبن خيفة من أن يحدث الحرام فيه قوّة مع أنه شربه عن جهل، وكان لا يجب إخراجه ولكن تخلية

الكرم الحلال وقال لصاحبه: أفسدته إذ سقيته بماء يجري في النهر الذي حفره الظلمة).

قلت: المراد بالبعض هنا هو بشر الحافي، ففي القوت: وحدثنا أن امرأة أهدت إلى بشر بن الحرث سلة عنب فقالت هذه من ضيعة أبي فردها، فقالت: سبحان الله تشك في كرم أبي وفي صحة ملكه وشهادتك مكتوبة في كتاب الشراء. فقال: صدقت ملك أبيك صحيح، ولكنك أفسدت الكرم: فقالت: بماذا؟ فقال: سقيته من نهر طاهر يعني طاهر بن الحسين أبا عبد الله صاحب المأمون.

(وهذا أبعد عن الظلم من شرب نفس الماء لأنه احتراز من استمداد العنب من ذلك الماء. وكان بعضهم إذا مر في طريق الحج لم يشرب من المصانع التي عملها الظلمة) وهي مجامع الماء نحو البركة والصهريج واحدها مصنع، **(مع إن الماء مباح ولكنه بقي محفوظ بالمصنع والمصنع عمل بمال حرام فكأنه انتفاع به)** ومن ذلك في القوت: وكان خالد القسري لما ولي مكة بعد ابن الزبير أجرى نهراً في طريق اليمن إلى مكة، فكان طاوس ووهب بن منبه اليمانيان إذا مرا عليه لا يتركان دوابها تشرب منه، وقد كان سفيان التيمي ترك أكل الحنطة فقيل له في ذلك فقال: من قبل أنها تطحن على هذه الأرحاء قيل له: وما تكره من طحن الأرحاء؟ فقال: المسلمون شركاء في الماء وهؤلاء يأخذون خروجها دون عامة الناس اهـ.

ومن ذلك روي عن عباس الغبري عن رجل قال: كنت مع عبد الرحمن بن مهدي بعبادان وكنا نغسل أيدينا من ماء السبيل وكان هو لا يغسل يأمر غلامه فيجيء من ماء البحر اهـ.

(وامتناع ذي النون) رحمه الله تعالى **(من تناول الطعام من يد السجـان أعظم من هذا كله)** في الورع **(لأن يد السجـان لا توصف بأنها حرام بخلاف الطبق المغصوب إذا حمل عليه)** الطعام، **(ولكنه وصل إليه بقوة اكتسبت بالغذاء الحرام، فلذلك تقيّأ الصديق رضي الله عنه من اللبن)** الذي شربه من يد غلامه الذي كان يلي له الخراج **(خيفة من أن يحدث الحرام فيه قوة)** وبالغ في إخراجه حتى كادت نفسه تخرج معه **(مع أنه شربه على جهل به)** و لم

البطن عن الخبيث من ورع الصديقين، ومن ذلك التورع من كسب حلال اكتسبه خياط بخيط في المسجد، فإن أحمد رحمه الله كره جلوس الخياط في المسجد. وسئل عن المغازلي يجلس في قبة في المقابر في وقت يخاف من المطر. فقال: إنما هي من أمر الآخرة وكره جلوسه فيها. وأطفأ بعضهم سراجاً أسرجه غلامه من قوم يكره ما لهم وامتنع من تسجير تنور للخبز، وقد بقي فيه جمر من خطب مكروه. وامتنع بعضهم من أن يحكم شسع نعله في مشغل السلطان.

فهذه دقائق الورع عند سالكي طريق الآخرة. والتحقيق فيه أن الورع له أوّل وهو الامتناع عما حرمته الفتوى وهو ورع العدول، وله غاية وهو ورع الصديقين، وذلك هو

يعلم بأصله إلا بعد شربه، (**فكان لا يجب إخراجه ولكن تخلية الباطن عن الخبيث من**) جملة (**ورع الصديقين، ومن ذلك التورع عن كسب حلال اكتسبه خياط في المسجد، فإن أحمد**) ابن حنبل (**كره جلوس الخياط في المسجد**) ولفظ القوت: وحدثنا عن أبي بكر المروزي قال: سألت أبا عبد الله عن الرجل يكسب بالأجر فيجلس في المسجد، فقال: أما الخياط وأشباهه فما يعجبني إنما بني المسجد لذكر الله فيه وكره البيع والشراء فيه. (**وسئل عن المغازلي يجلس في قبة في المقابر في وقت يخاف**) فيه (**من المطر فقال: المقابر إنما هي من أمر الآخرة**) ولفظ القوت، قال المروزي، قلت لأبي عبد الله: الرجل يعمل المغازل ويأتي المقابر فربما أصابه المطر فيدخل بعض تلك القباب فيعمل فيها. قال: المقابر إنما هي من أمر الآخرة وكره ذلك، (**وأطفأ بعضهم سراجاً**) كان (**أسرجه غلامه**) أي أوقده (**من**) نار (**قوم يكره مالهم**) أي في مالهم شبهة، (**وامتنع**) بعضهم (**من تسجير تنور الخبز وقد بقي فيه جمر من حطب مكروه**) أي مشترى بثمن خبيث. (**وامتنع**) بعضهم (**أن يصلح شسع نعله بضوء شمع أوقد من مشعل سلطان**) وفي القوت، قال عبد الوهاب الوراق: أن رجلاً قال لأبي عبد الله: ما تقول في نفاطة لمن تكره ناحيته ينقطع شمعي استضيء به؟ قال: لا. وذكر أبو عبد الله عثمان بن زائدة أن غلامه أخذ له ناراً من قوم يكرههم وأسرج منه السراج فأطفأه، فقال أبو عبد الله: النفاطة اشد، قلت لأبي عبد الله: تنور سجر بحطب أكرهه فخبز فيه فجئت أنا بعد فسجرته بحطب آخر أخبز فيه. قال: لا. أليس أحمى بحطبهم وكرهه، وحكي أن امرأة من المتعبدات من أهل القلوب سألت إبراهيم الخواص عن تغير وجدته في قلبها. فقال: تفقدي. قالت: تفقدت فما عرفت. فقال: ما تذكرين ليلة المشعل؟ قالت: بلى. فقال هذا التغير من ذاك فذكرت أنها كانت تغزل فوق سطح لها فانقطع خيطها فمر مشعل السلطان فغزلت على ضوئه خيطاً ثم أدخلته في غزلها ونسجت منه قميصاً فلبسته. قال: فنزعت القميص وتصدقت بثمنه فرجع قلبها إلى ما كان تعرف.

(**فهذه دقائق الورع عند سالكي طريق الآخرة، والتحقيق فيه أن الورع له أول وهو الامتناع عما حرمته الفتوى وهو ورع العدول**) كما تقدم، (**وله غاية وهو ورع الصديقين**

الامتناع من كل ما ليس لله مما أخذ بشهوة وتوصل إليه بمكروه أو اتصل بسببه مكروه وبينها درجات في الاحتياط فكلما كان العبد أشد تشديداً على نفسه كان أخف ظهراً يوم القيامة وأسرع جوازاً على الصراط ، وأبعد عن أن يترجح كفة سيئاته على كفة حسناته ، وتتفاوت المنازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع ، كما تتفاوت دركات النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الحرام في الخبث ، وإذ علمت حقيقة الأمر فإليك الخيار ، فإن شئت فاستكثر من الاحتياط ، وإن شئت فرخص فلنفسك تحتاط وعلى نفسك ترخص والسلام .

وذلك هو الامتناع من كل ما ليس لله) عز وجل سواء (**مما أخذ بشهوة أو توصل إليه بمكروه أو اتصل بسببه مكروه وبينها**) أي الأول والغاية (**درجات في الاحتياط**) بعضها إلى الدرجة الأولى وبعضها إلى الثالثة (**فكلما كان العبد أشد تشديداً**) وأكثر تهديداً (**على نفسه كان أخف ظهراً يوم القيامة**) من الأثقال (**وأسرع جوازاً**) أي مروراً (**على متن الصراط ، وأبعد عن أن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وتتفاوت المنازل في الآخرة بحسب تفاوت هذه الدرجات في الورع كما تتفاوت درجات**) أي دركات (**النار في حق الظلمة بحسب تفاوت درجات الخبث**) فظلم دون ظلم ، (**فإذا علمت حقيقة الأمر فإليك الخيرة**) أي الاختيار ، (**فإن شئت فاستكثر من الاحتياط وإن شئت فترخص**) أي خذ سبيل الرخص وتتبعها ، (**فلنفسك تحتاط وعلى نفسك فترخص ، والسلام**) على اهل التسليم .

الباب الثاني

في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها عن الحلال والحرام

قال رسول الله ﷺ: « الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات

الباب الثاني

في مراتب الشبهات ومثاراتها وتمييزها من الحرام

(**قال رسول الله** ﷺ **« الحلال بيِّن**) أي ظاهر واضح لا يخفى حله وهو ما نص الله أو رسوله أو أجمع المسلمون على تحليله بعينه أو جنسه، ومنه ما لم يرد فيه منع في أظهر الأقوال (**والحرام بيِّن**) أي واضح لا تخفى حرمته وهو ما نص أو أجمع على تحريمه بعينه أو جنسه أو على أن فيه عقوبة أو وعيداً، ثم التحريم أما لمفسده أو مضرة خفية كالربا ومذكي المجوس أو واضحة كالسم والخمر (**وبينهما**) أي بين الحلال والحرام الواضحين (**أمور**) أي شؤون وأحوال (**مشتبهات**) لها لكونها غير واضحة الحل والحرمة لتجاذب الأدلة وتنازع المعاني والأسباب، فبعضها يعضده دليل التحريم، والبعض بالعكس ولا مرجح لأحدهما الإخفاء والحصر في الثلاثة صحيح لأنه إن صح نص أو إجماع على الفعل فالحلال أو على المنع جازماً فالحرام أو مسكت أو تعارض فيه نصان ولا مرجح فالمشتبه (**لا يعلمها كثير من الناس**) أي من حيث الحل والحرمة لخفاء نص أو عدم صراحته أو تعارض نصين، وإنما يؤخذ من عموم أو مفهوم أو قياس أو استصحاب أو لاحتمال الأمر فيه الوجوب والندب والنهي والكراهة والحرمة أو لغير ذلك، وما هو كذلك لا يعلمه إلا قليل من الناس وهم الراسخون، فإن تردد الراسخ في شيء لم يرد به نص ولا إجماع اجتهد بدليل شرعي فيصير مثله، وقد يكون دليله غير خال عن الاحتمال فيكون الورع تركه كما قال: (**فمن اتقى الشبهات**) أي اجتنبها. وفي لفظ: المشبهات، وإنما وضع الظاهر موضع المضمر تفخيماً لشأن اجتناب الشبهات (**فقد استبرأ**) بالهمز وقد يخفف أي طلب البراءة (**لعرضه**) بصونه عن الوقيعة فيه بترك الورع الذي أمر به (**ودينه**) من الذم الشرعي هكذا في النسخ، والرواية تقديم الدين على العرض (**ومن وقع في الشبهات**) وفي رواية في المشتبهات

واقع الحرام، كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه». فهذا الحديث نص في إثبات الأقسام الثلاثة والمشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة، فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها، فإن ما لا يعرفه الكثير فقد يعرفه القليل فنقول:

(**واقع الحرام**) وفي لفظ: وقع في الحرام أي يوشك أن يقع فيه لأنه حول حريمه، وقال: واقع أو وقع دون يوشك أن يقع كما قال في المشتبه به الآتي لأن من تعاطى الشبهات صادف الحرام وإن لم يتعمده إما لإثمه بسبب تقصيره في التحري أو لاعتياده التساهل وبجريه على شبهة بعد أخرى إلى أن يقع في الحرام أو تحقيقاً لمداناة الوقوع، وسره أن حمى الملوك محسوسة يحترز عنها كل بصير وحمى الله تعالى لا يدركه إلا ذو البصائر، ولما كان فيه نوع خفاء ضرب المثل المحسوس بقوله: (**كالراعي**) وفي لفظ: كراع، والمراد به هنا حافظ الحيوان يرعى (**حول الحمى**) المحمى وهو المحذور على غير مالكه (**يوشك**) بكسر الشين أي يسرع (**أن يقع فيه**») وفي لفظ: أن يواقعه أي تأكل ماشيته منه فيعاقب، وبقية الحديث «الا وأن لكل ملك حمى الا وإن حمى الله في أرضه محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

قال العراقي: متفق عليه من حديث النعمان بن بشير اهـ.

قلت: يرويه الشعبي، واختلف عنه فرواه ابن عون عنه عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهة» فساقه هكذا. رواه المعتمر وشعيب ابن إسحاق عن ابن عون، وخالفهما الليث بن سعد، فرواه عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال، عن عون بن عبد الله، عن الشعبي أنه سمع النعمان بن بشير بن سعد صاحب رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس بحمص وهو يقول «الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات فمن استبرأهن فقد أسلم لدينه وعرضه ومن وقع فيهن فيوشك أن يقع في الحرام كالمرتع إلى جانب الحمى فيوشك أن يقع».

ورواه البيهقي في الشعب بلفظ «حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك فمن ترك ما اشتبه عليه من الإثم كان لما استبان له أترك ومن اجترأ على ما شك فيه أوشك أن يواقع الحرام وأن لكل ملك حمى وحمى الله في الأرض معاصيه».

(**فهذا الحديث نص في إثبات الأقسام الثلاثة والمشكل منها القسم المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة**) لأنه كما تقدم إنما يؤخذ من عموم أو مفهوم أو قياس أو

الحلال المطلق: هو الذي خلا عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه، وانحل عن أسبابه ما تطرق إليه تحريم أو كراهية، ومثاله الماء الذي يأخذه الإنسان من المطر قبل أن يقع على ملك أحد، ويكون هو واقفاً عند جمعه وأخذه من الهواء في ملك نفسه أو في أرض مباحة، والحرام المحض هو ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة المطربة في الخمر، والنجاسة في البول أو حصل بسبب منهي عنه قطعاً كالمحصل بالظلم والربا ونظائره، فهذان طرفان ظاهران، ويلتحق بالطرفين ما تحقق أمره ولكنه احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه، فإن صيد البر والبحر حلال ومن أخذ ظبية فيحتمل أن يكون قد ملكها صياد ثم أفلتت منه، وكذلك السمك يحتمل أن يكون قد تزلق من الصياد بعد وقوعه في يده وخريطته، فمثل هذا الاحتمال لا يتطرق إلى ماء

استصحاب ولذلك خفي الأمر، **(فلا بد من بيانها وكشف الغطاء عنها فإن من لا يعرفه الكثير فقد يعرفه القليل)** وهم الراسخون في العلم.

(فنقول: الحلال المطلق: هو الذي انخلت عن ذاته الصفات الموجبة للتحريم في عينه، وانحل عن أسبابه ما يتطرق إليه تحريم أو كراهية)، وأصل الحل حل العقدة ومنه استعير حل الشيء حلالاً وهو أحد المعنيين في تسمية الزوجة بالحليلة والزوج بالحليل، لأن الآثام قد انحلت بينهما أي لأنها حلال له وهو حل لها. **(ومثاله الماء الذي يأخذه الإنسان من المطر قبل أن يقع على ملك أحد، ويكون هو واقفاً عند أخذه)** له **(وجمعه)** له **(من الهواء في ملك نفسه أو في أرض مباحة)** ليس لأحد فيها ملك أو شبهة ملك، **(والحرام المحض ما فيه صفة محرمة لا يشك فيها كالشدة في الخمر، والنجاسة في البول أو حصل بسبب منهي عنه قطعاً كالمحصل بالظلم والربا ونظائره)** أي الحلال هو ما أحله الكتاب والسنّة وحللته الأحكام من سائر الأسباب والمعاني المباحة التصريف في العلم فهو مشتق من اسمه، وهو ما انحلت المطالبة عنه وانحلت العقوبة فيه بخروج الظلم والخيانة والحرام منه والحرام ما لم يكن كذلك. وروى الترمذي، وابن ماجه، والحاكم من حديث سلمان رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن السمن والجبن والفراء فقال «الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو ما عفى عنه».

(فهذان طرفان ظاهران ويلتحق بالطرفين ما تحقق أمره، ولكن احتمل تغيره ولم يكن لذلك الاحتمال سبب يدل عليه) ظاهر أو خفي، **(فإن صيد البر والبحر حلال)** بنص الكتاب والسنّة **(ومن أخذ ظبية فيحتمل أن يكون قد قبضها صياد ثم أفلتت منه)** أي من يده، **(وكذلك السمك يمكن أن يكون قد تزلق من)** يد **(الصياد بعد وقوعه في يده وفي خريطته)** وهي الكيس الذي يجمع فيه ما صاده، **(ومثل هذا الاحتمال لا يتطرق إلى المطر**

المطر المختطف من الهواء، ولكنه في معنى ماء المطر والاحتراز منه وسواس، ولنسم هذا الفن ورع الموسوسين حتى تلتحق به أمثاله، وذلك لأن هذا وهم مجرد لا دلالة عليه. نعم لو دل عليه دليل فإن كان قاطعاً كما لو وجد حلقة في أذن الظبية أو سنارة في السمكة، أو كان محتملاً كما لو وجد على الظبية جراحة يحتمل أن يكون كيّاً لا يقدر عليه إلا بعد الضبط، ويحتمل أن يكون جرحاً فهذا موضع الورع، وإذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم في نفسه، ومن هذا الجنس من يستعير داراً فيغيب عنه المعير فيخرج ويقول: لعله مات وصار الحق للوارث، فهذا وسواس إذا لم يدل على موته سبب قاطع أو مشكك إذ الشبهة المحذورة ما تنشأ من الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشآ عن سببين، فما لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوي العقد المقابل له فيصير شكاً، ولهذا نقول: من شك أنه صلى ثلاثاً أو أربعاً أخذ

المختطف من الهواء، ولكنه في معنى ماء المطر في الحل) أي حكمهما واحد **(والاحتراز منه وسواس)** محض، **(فلنسم هذا الفن ورع الموسوسين حتى يلحق به أمثاله، وذلك لأن هذا وهم مجرد لا دلالة عليه)** من خارج، **(نعم لو دل عليه دليل فإن كان قاطعاً)** للشك **(كما لو وجد حلقة في أذن الظبية أو سنارة في السمك)** فهما دليلان قاطعان على تفلتهما من يد الصياد **(أو كان)** ذلك الدليل **(محتملاً كما لو وجد على الظبية جراحة)** فهذا **(يحتمل أن يكون كياً)** بالنار **(لا يقدر عليه إلا بعد الصيد، ويحتمل أن يكون جرحاً)** فبرأ **(فهذا موضع الورع، وإذا انتفت الدلالة من كل وجه فالاحتمال المعدوم دلالته كالاحتمال المعدوم في نفسه)** فإنه لم يكن لذلك الاحتمال بقاء إلا بسبب وجود دلالة قائمة عليه، فإذا عدمت الدلالة من أصلها عدم ذلك الاحتمال الذي يتطلب لقيامه تلك الدلالة من أصله. **(ومن هذا الجنس من يستعير)** من رجل **(داراً)** ليسكنها **(فيغيب المعير)** عنه مدة **(فيخرج)** المستعير على الدار **(ويقول: لعله)** أي المعير **(قد مات وصار الحق للورثة)** فلا يحل لي أن أسكنها، **(فهذا وسواس)** محض **(إذا لم يدل على موته سبب قاطع أو مشكك إذ الشبهة المحذورة ما ينشأ عن الشك والشك عبارة عن اعتقادين متقابلين نشآ عن سببين)**، ويقرب منه قول من قال: هو التردد بين نقيضين لا ترجيح لأحدهما عند الشاك أو اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما قد يكون لوجود إمارتين متساويتين عنده في النقيضين، أو لعدم الإمارة أو تلاصق النقيضين فلا مدخل للفهم والرأي لتخلل ما بينهما، **(فما لا سبب له لا يثبت عقده في النفس حتى يساوي العقد المقابل له فيصير شكاً)** وهو من شك العرد فما ينفذ فيه لأنه يقف بذلك الشك بين جهتيه، أو من شككته إذا خرقته، وكأنه بحيث الرائي مستقراً يثبت فيه ويعتمد عليه أو من الشك وهو لصوق العضد بالجنب، **(ولهذا نقول: من شك أنه صلى ثلاثاً)** أي ثلاث ركعات **(أو أربعاً أخذ بالثلاث إذ الأصل عدم)** الركعة **(الرابعة)** فيبني على الناقص، **(ولو سئل**

بالثلاث إذ الأصل عدم الزيادة، ولو سئل إنسان أن صلاة الظهر التي أداها قبل هذا بعشر سنين كانت ثلاثاً أو أربعاً لم يتحقق قطعاً أنها أربعة، وإذا لم يقطع جوّز أن تكون ثلاثة، وهذا التجويز لا يكون شكاً إذ لم يحضره سبب أوجب اعتقاد كونها ثلاثاً، فلتفهم حقيقة الشك حتى لا يشتبه بالوهم والتجويز بغير سبب، فهذا يلتحق بالحلال المطلق ويلتحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه وإن أمكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواه فغاب عنه فقال: يحتمل أنه مات وقد انتقل الملك إليّ فأكله، فإقدامه عليه إقدام على حرام محض لأنه احتمال لا مستند له، فلا ينبغي أن يعد هذا النمط من أقسام الشبهات، وإنما الشبهة نعني بها ما اشتبه علينا أمره بأن تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين، ومثارات الشبهة خمسة:

المثار الأوّل: الشك في السبب المحلل والمحرم:

وذلك لا يخلو إما أن يكون متعادلاً أو غلب أحد الاحتمالين، فإن تعادل الاحتمالان

الإنسان أن صلاة الظهر التي صلاها قبل هذا بعشرة سنين كانت أربعاً أو ثلاثاً ولم يتحقق قط أنها أربع) ركعات، **(فهذا التجويز لا يكون شكاً إذ لم يحضره سبب أوجب اعتقاد كونه ثلاثاً فليفهم حقيقة الشك)** ما هي **(حتى لا يشتبه بالوهم)** الذي هو سبق القلب إلى الشيء مع إرادة غيره **(والتجويز بغير سبب)** أي تجويز الأشياء بغير أن يوجد هناك ما يوجب تجويزه، **(فهذا يلحق بالحلال المطلق ويلحق بالحرام المحض ما تحقق تحريمه)** بالكتاب أو السنّة أو بإجماع الأمة، **(وأمكن طريان محلل ولكن لم يدل عليه سبب)** للتحليل **(كمن في يده طعام لمورثه الذي لا وارث له سواه فغاب عنه)** المورث **(فقال: يحتمل أنه)** قد **(مات وقد انتقل الملك إليّ فإقدامه عليه)** حينئذ بذلك القائم في نفسه **(إقدام على حرام محض لأنه احتمال لا مستند له، فلا ينبغي أن يعد هذا النمط)** وأشباهه **(من أقسام الشبهات، وإنما الشبهة نعني بها ما اشتبه علينا أمره)** في الحلية والحرمة **(بأن تعارض لنا فيه اعتقادان صدرا عن سببين مقتضيين للاعتقادين)** المذكورين، **(ومثارات الشبهة خمسة.**

الأول: الشك في السبب المحلل والمحرم:

(وذلك لا يخلو إما أن يكون متعادلاً) لا ترجيح لأحدهما **(أو غلب أحد الاحتمالين)** بإمارة قائمة، **(فإن تعادل الاحتمالان كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك)** بل

كان الحكم لما عرف قبله فيستصحب ولا يترك بالشك، وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بأن صدر عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب، ولا يتبين هذا إلا بالأمثال والشواهد، فلنقسمه إلى أقسام أربعة.

القسم الأول: أن يكون التحريم معلوماً من قبل ثم يقع الشك في المحلل، فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الإقدام عليها. (**مثاله**): أن يرمي إلى صيد فيجرحه ويقع في الماء فيصادفه ميتاً ولا يدري أنه مات بالغرق أو بالجرح فهذا حرام لأن الأصل التحريم إلا إذا مات بطريق معين وقد وقع الشك في الطريق فلا يترك اليقين بالشك كما في الأحداث والنجاسات وركعات الصلاة وغيرها، وعلى هذا ينزل قوله ﷺ لعدي بن حاتم « لا تأكله فلعله قتله غير كلبك » فلذلك كان ﷺ إذا أتي بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية سأل عنه حتى يعلم أيهما هو. وروي « أنه ﷺ أرق ليلة فقالت له بعض نسائه: أرقت يا رسول الله، فقال: أجل. وجدت تمرة فخشيت أن تكون من الصدقة ».

يبقى على ما كان لفقد المغير أو مع ظن انتفائه عند بذل المجهود في البحث والطلب، (**وإن غلب أحد الاحتمالين عليه بصدوره عن دلالة معتبرة كان الحكم للغالب**) منهما، (**ولا يتبين هذا إلا بالمثال والشواهد، فلنقسمه إلى أقسام أربعة.**

القسم الأول: أن يكون التحريم معلوماً من قبل ثم يقع الشك في المحلل) الطارىء، (**فهذه شبهة يجب اجتنابها ويحرم الإقدام عليها. مثاله: أن يرمي إلى صيد**) بسهمه (**فيجرحه**) بإصابته (**فيقع في الماء فيصادفه ميتاً ولا يدري أنه مات بالغرق**) حين وقع في الماء (**أو بالجرح**) السابق، (**فهذا حرام لأن الأصل التحريم**) فيبقى على أصله (**إلا إذا مات بطريق معين وقد وقع الشك كما**) قالوا (**في الأحداث والنجاسات وركعات الصلوات وغيرها، وعلى هذا ينزل قوله ﷺ لعدي بن حاتم**) الطائي رضي الله عنه (**« لا تأكله فلعله قتله غير كلبك »**) رواه الشيخان من حديثه، (**ولذلك كان ﷺ إذا أتي بشيء اشتبه عليه أنه صدقة أو هدية سأل عنه حتى يعلم أيهما هو**). قال العراقي: رواه البخاري، ومسلم، وابن ماجه من حديثه « كان إذا أتى بطعام سأل عنه أهدية أم صدقة؟ فإن قيل صدقة. قال لأصحابه: كلوا ولم يأكل، وإن قيل هدية ضرب بيده فأكل معهم » ورواه أحمد فزاد « كان إذا أتي بطعام من غير أهله ».

(**وروي « أنه ﷺ أرق ليلة**) أي قلق في نومه (**فقال له بعض نسائه: يا رسول الله أرقت. قال: أجل**) أي نعم (**وجدت تمرة فخشيت أن تكون من الصدقة ». وفي رواية: « فأكلتها فخشيت أن تكون من الصدقة »**) قال العراقي: رواه أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بإسناد حسن.

وفي رواية: « فأكلتها فخشيت أن تكون من الصدقة ». ومن ذلك ما روي عن بعضهم أنه قال: كنا في سفر مع رسول الله ﷺ فأصابنا الجوع فنزلنا منزلاً كثير الضباب، فبينا القدور تغلي بها إذ قال رسول الله ﷺ: « أمة مسخت من بني إسرائيل أخشى أن تكون هذه » فأكفأنا القدور، ثم أعلمه الله بعد ذلك أنه لم يمسخ الله خلقاً فجعل له نسلاً، وكان امتناعه أوّلاً لأن الأصل عدم الحل وشك في كون الذبح محللاً.

(ومن ذلك ما روي عن بعضهم) أي من الصحابة وهو عبد الرحمن بن حسنة رضي الله عنه كما سيأتي **(أنه قال: كنا في سفر مع رسول الله ﷺ فأصابنا الجوع فنزلنا منزلاً كثير الضباب)** جمع ضب وهو حيوان معروف تستطيبه العرب فاصطدنا منها وطبخنا، **(فبينا القدور تغلي بها إذ قال عليه)** الصلاة و**(السلام « أمة مسخت من بني إسرائيل)** أي قوم منهم **(فأخاف أن تكون هذه »)** الضباب أي مما مسخ **(فأكفأنا القدور)** أي قلبناها بما فيها.

قال العراقي: رواه ابن حبان والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن حسنة. وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث ثابت بن يزيد نحوه مع اختلاف. قال البخاري: وحديث ثابت أصح اهـ.

قلت: رواه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو يعلى والبزار والبيهقي وغيرهم كلهم من طريق زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن حسنة قال: كنت مع رسول الله ﷺ في سفر فأصبنا ضباباً فكانت القدور تغلي فقال رسول الله ﷺ « ما هذا؟ » فقلنا: أصبناها. فقال: إن أمة من بني إسرائيل مسخت وأنا أخشى أن تكون هذه فأكفأناها وإنا لجياع ».

ورواه أبو داود من رواية زيد بن وهب عن ثابت بن وديعة قال: كنا مع رسول الله ﷺ فأصبنا ضباباً فشويت منها ضباً فأتيت رسول الله ﷺ فوضعته بين يديه فأخذ عوداً فمد به أصابعه ثم قال « إن أمة من بني إسرائيل مسخت دواب الأرض وإني لا أدري أي الدواب هي فلم يأكل ولم ينسأه » ورواه النسائي، وابن ماجه وقال: ثابت بن يزيد وهما واحد يزيد أبوه ووديعة أمه قاله الترمذي والبيهقي وقال المزني: هو ثابت بن يزيد بن وديعة. قال البخاري: حديث زيد بن وهب عن ثابت بن وديعة أصح ويحتمل عنهما جميعاً اهـ.

(ثم أعلمه الله تعالى بعد ذلك أنه لم يمسخ الله خلقاً فجعل له نسلاً) قال العراقي: رواه مسلم من حديث ابن مسعود.

قلت: لفظ مسلم عن ابن مسعود قال: قال رجل يا رسول الله القردة والخنازير مما مسخ فقال رسول الله ﷺ « إن الله لم يهلك قوماً أو يعذب قوماً فيجعل لهم نسلاً وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك ».

(وكان امتناعه أولاً لأن الأصل في الأشياء عدم الحل) حتى يتبين تحليله من الشرع وهو

القسم الثاني: أن يعرف الحل ويشك في المحرم، فالأصل الحل وله الحكم كما إذا نكح امرأتين رجلان وطار طائر فقال أحدهما: إن كان هذا غراباً فامرأتي طالق، وقال الآخر: إن لم يكن غراباً فامرأتي طالق، والتبس أمر الطائر فلا يقضي بالتحريم في واحدة منهما ولا يلزمهما اجتنابهما، ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى يحلا لسائر الأزواج. وقد أمر مكحول بالاجتناب في هذه المسألة وأفتى الشعبي بالاجتناب في رجلين كانا قد تنازعا فقال أحدهما للآخر: أنت حسود، فقال الآخر: أحسدنا زوجته طالق ثلاثاً. فقال الآخر: نعم. وأشكل الأمر، وهذا إن أراد به اجتناب الورع فصحيح، وإن أراد التحريم المحقق فلا وجه له إذ ثبت في المياه والنجاسات والأحداث والصلوات إن اليقين لا يجب تركه بالشك وهذا في معناه.

فإن قلت: وأي مناسبة بين هذا وبين ذلك؟ فاعلم أنه لا يحتاج إلى المناسبة فإنه لازم من غير ذلك في بعض الصور، فإنه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له أن

قول بعض العلماء. (**وشك في كون الذبح محللاً**) وكان النبي ﷺ يعاف أكل الضب ويقول: « ليس من أرض قومي » وثبت أنه أكل على مائدته ﷺ كما سيأتي في آخر الباب الثاني.

(**القسم الثاني: أن يعرف الحل ويشك في المحرم**): (**فالأصل الحل والحكم له**) ولا اعتداد بالشك (**كما إذا نكح رجلان امرأتين وطار طائر فقال أحدهما: إن كان هذا**) الطائر (**غراباً فامرأتي طالق، وقال الآخر: إن لم يكن غراباً فامرأتي طالق، والتبس أمر الغراب**) هل هو أو غيره (**فلا يقضي بالتحريم في واحد منهما ولم يلزمهما اجتنابهما، ولكن الورع اجتنابهما وتطليقهما حتى يحلا لسائر الأزواج**). وإذا علق الطلاق على كون الطائر غراباً فادعت أنه كان غراباً وأنها طلقت، فعليه أن يحلف على البيت أنه لم يكن غراباً ولا يكفي أن يقول لا أعلم كونه غراباً نقله الرافعي. (**وقد أمر مكحول**) الشامي أبو عبد الله ثقة فقيه مشهور مات سنة بضع عشرة ومائة روى له البخاري في جزء القراءة ومسلم والأربعة (**بالاجتناب في هذه المسألة**) لما ذكرت له، (**وأفتى**) به عامر بن شراحيل (**الشعبي**) التابعي الجليل تقدمت ترجمته (**في رجلين كانا قد تنازعا فقال أحدهما للآخر: أنت حسود، فقال الآخر: أحسدنا**) أي أكثرنا حسداً (**زوجته طالق ثلاثاً، فقال الآخر: نعم وأشكل الأمر**) والتبس في معرفة (**أيهما أحسد وهذا إن أراد به**) الشعبي (**اجتناب الورع فصحيح، وإن أراد به التحريم المحقق فلا وجه له إذ**) قد (**ثبت في المياه والنجاسات والأحداث والصلوات أن اليقين لا يجب تركه بالشك**) ولا يزول به (**وهذا في معناه**) فينبغي أن لا تحرم.

(**فإن قلت: فأي مناسبة بين هذا وبين ذلك فاعلم أنه لا يحتاج إلى المناسبة فإنه لازم من غير ذلك في بعض الصور، فإنه مهما تيقن طهارة الماء ثم شك في نجاسته جاز له أن يتوضأ**

يتوضأ به، فكيف لا يجوز له أن يشربه؟ وإذا جوّز الشرب فقد سلم أن اليقين لا يزال بالشك، إلا أن ههنا دقيقة وهو أن وزان الماء أن يشك في أنه طلق زوجته أم لا؟ فيقال: الأصل أنه ما طلق ووزان مسألة الطائر أن يتحقق نجاسة أحد الإناءين ويشتبه عينه، فلا يجوز أن يستعمل أحدهما بغير اجتهاد، لأنه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة فيبطل الاستصحاب فكذلك ههنا قد وقع الطلاق على إحدى الزوجتين قطعاً والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فنقول: اختلف أصحاب الشافعي في الإناءين على ثلاثة أوجه، فقال قوم: يستصحب بغير اجتهاد، وقال قوم: بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغني الاجتهاد. وقال المقتصدون: يجتهد وهو الصحيح،

به، فكيف لا يجوز له أن يشربه، وإذا جوز الشرب فقد سلم أن اليقين لا يترك بالشك، إلا أن ههنا دقيقة) يتفطن لها (**وهو أن وزان**) مسألة (**الماء**) المذكورة (**أن يشك**) الرجل (**في أنه طلق زوجته أم لا؟ فيقال**): إذا سئل عنه (**الأصل أنه ما طلق**) فلا تأثير للشك هنا، (**ووزان مسألة الطائر**) المذكورة (**أن يتحقق نجاسة أحد الإناءين**) من غير تعين (**ويشتبها عليه**) أي يلتبس أمرهما لكنه متحقق نجاسة أحدهما (**فلا يجوز له أن يستعمل أحدهما بغير اجتهاد**) في المشتبهين منهما بل لا بدّ من الاجتهاد لكل صلاة أرادها بعد الحدث وجوباً إن لم يقدر على طاهر بيقين موسعاً إن لم يضق الوقت ومضيقاً إن ضاق وجوازاً إن قدر على طاهر بيقين كان وكان على شط نهر أو بلغ الماءان قلتين بالخلط فلا تغير لجواز العدول إلى المظنون مع وجود المتيقن، وأصل الاجتهاد بذل الجهد في طلب المقصود وفي معناه التحري، (**لأنه قابل يقين النجاسة بيقين الطهارة فبطل الاستصحاب**) هو إبقاء ما كان على ما كان، (**وكذلك ههنا قد وقع الطلاق على إحدى الزوجين قطعاً والتبس عين المطلقة بغير المطلقة فنقول: اختلف أصحاب الشافعي رحمه الله تعالى**) وهم أصحاب الوجوه والاختيارات (**في**) مسألة (**الإناءين**) المشتبهين (**على ثلاثة أوجه، فقال قوم: يستصحب**) الأصل (**بغير اجتهاد**) فإن الأصل في الماء الطهارة، وكذلك إذا قدر على طهور بيقين فلا يجوز له الاجتهاد كان وكان على شط نهر، (**وقال قوم: بعد حصول يقين النجاسة في مقابلة يقين الطهارة يجب الاجتناب ولا يغني الاجتهاد**) أي لا يفيد، (**وقال المقتصدون**) منهم: بل (**يجتهد وهو الصحيح**) وعليه مشى المصنف في كتبه، وتبعه الرافعي والنووي والمتأخرون، ففي الوجيز: مهما اشتبه إناء تيقن نجاسته بمشاهدة أو سماع من عدل بإناء طاهر لم يجز أخذ أحد الإناءين إلا باجتهاد وطلب علامة تغلب ظن الطهارة، وإن غلب على ظنه نجاسة أحد الإناءين فهو كاستيقان النجاسة على أحد القولين الظاهر منهما استصحاب الأصل، ثم للاجتهاد شرائط. الأول: أن يكون للعلامة مجال في المجتهد فيه، الثاني: أن يتأيد الاجتهاد باستصحاب الحال. الثالث: أن يعجز عن الوصول إلى اليقين. الرابع: أن تلوح علامة النجاسة اهـ.

ولكن وزانه أن تكون له زوجتان فيقول: إن كان غراباً فزينب طالق، وإن لم يكن فعمرة طالق، فلا جرم لا يجوز له غشيانها بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد إذ لا علامة ونحرمها عليه، لأنه لو وطئها كان مقتحماً للحرام قطعاً، وإن وطيء احداهما وقال: أقتصر على هذه كان متحكماً بتعيينها من غير ترجيح، ففي هذا افتراق حكم شخص واحد أو شخصين، لأن التحريم على شخص واحد متحقق بخلاف الشخصين إذ كل واحد شك في التحريم في حق نفسه.

فإن قيل: فلو كان الإناءان لشخصين فينبغي أن يستغني عن الاجتهاد ويتوضأ كل واحد بإنائه لأنه تيقن طهارته، وقد شك الآن فيه فنقول: هذا محتمل في الفقه الأرجح في ظني المنع، وإن تعدد الشخص ههنا كاتحاده لأن صحة الوضوء لا تستدعي ملكاً، بل وضوء الإنسان بماء غيره في رفع الحدث كوضوئه بماء نفسه، فلا يتبين لاختلاف المالك

وقال الشربيني في شرح المنهاج: لو اغترف من إناءين في كل منها ماء قليل أو مائع في إناء واحد فوجد فيه فأرة ميتة لا يدري من أيها هي اجتهد فإن ظنها من الأول واتحدت المغرفة ولم تغسل بين الاغترافين حكم بنجاستها، وإن ظنها من الثاني أو من الأول واختلفت المغرفة أو اتحدت وغسلت بين الاغترافين حكم بنجاسة ما ظنها فيه، ولو اشتبه إناء بول بأواني بلد ماء أو ميتة بمذكياته أخذ منها ما شاء من غير اجتهاد إلا واحداً، كما لو حلف لا يأكل تمرة بعينها فاختلطت بتمر فأكل الجميع إلا تمرة لم يحنث اهـ.

(**ولكن وزانه أن يكون له زوجتان فيقول: إن كان**) هذا الطائر (**غراباً فزينب طالق، وإن لم يكن**) غراباً (**فعمرة طالق، فلا جرم لا يجوز له غشيانها بالاستصحاب ولا يجوز الاجتهاد إذ لا علامة**) هنا تغلب الظن على الجواز (**ونحرمها عليه**) أي الزوجتين على الرجل (**لأنه لو وطئها**) بعد ذلك (**كان مقتحماً**) أي مرتكباً (**للحرام قطعاً، وإن وطيء إحداهما وقال اقتصر على هذه كان متحكماً بتعيينها من غير ترجيح، ففي هذا افتراق حكم شخص واحد أو شخصين، لأن التحريم على شخص واحد متحقق**) في نفسه (**بخلاف الشخصين إذ كل واحد يشك في التحريم في حق نفسه**) فافترقا.

(**فإن قيل: فلو كان الإناءان**) المشتبهان (**لشخصين فينبغي أن يستغني عن الاجتهاد ويتوضأ كل واحد بإنائه لأنه يتيقن طهارته**) من قبل، (**وقد شك الآن فيه**) وقد قلتم: إن الصحيح من الأقوال الثلاثة في الإناءين أن يجتهد (**فنقول: هذا محتمل في الفقه**) والقياس لا يأباه (**والأرجح في الظن المنع، فإن تعدد الشخص ههنا كاتحاده لأن صحة الوضوء لا يستدعي ملكاً**) للمتوضيء. (**بل وضوء الإنسان من ماء غيره في رفع الحدث**) واستباحة الدخول في العبادات (**كوضوء من ماء نفسه**) سواء (**فلا يتبين لاختلاف المالك واتحاده**

واتحاده أثر بخلاف الوطء لزوجة الغير، فإنه لا يحل ولأن للعلامات مدخلاً في النجاسات والاجتهاد فيه ممكن بخلاف الطلاق فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة ليدفع بها قوّة يقين النجاسة المقابلة ليقين الطهارة، وأبواب الاستصحاب والترجيحات من غوامض الفقه ودقائقه، وقد استقصيناه في كتب الفقه ولسنا نقصد الآن إلا التنبيه على قواعدها.

القسم الثالث: أن يكون الأصل التحريم ولكن طرأ ما أوجب تحليله بظن غالب فهو

أثر) يعتبر **(بخلاف الوطء في زوجة الغير، فإنه لا يحل)** قطعاً **(ولأن للعلامات مدخلاً في النجاسات والاجتهاد فيها ممكن)** فعلامة مظنون الطهورية كاضطراب أو رشاش او تغيير أو قرب كلب، وقد يعرف ذلك بذوق أحد الإناءين، ولا يقال يلزم منه ذوق النجاسة لأن الممنوع ذوق النجاسة المتيقنة. نعم يمتنع عليه ذوق الإناءين لأن النجاسة تصير متيقنة كما أفاده شيخ الإسلام، وإن خالفه بعض أهل عصره فلو هجم وأخذ أحد المشتبهين من غير اجتهاد وتطهر به لم تصح طهارته، وإن وافق الطهور بأن انكشف له الحال لتلاعبه **(بخلاف الطلاق)** فلا مدخل للإمارات فيه ولا يفتقر إلى الاجتهاد **(فوجب تقوية الاستصحاب بعلامة)** معتبرة **(يدفع بها قوة يقين النجاسة المقابلة ليقين الطهارة، وأبواب الاستصحاب والترجيحات من غوامض)** مسائل **(الفقه ودقائقه)** لا يدركها إلا الجهابذة الراسخون، **(وقد استقصيناه في كتب الفقه)** البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة، **(ولسنا نقصد الآن)** من هذا الذي ذكرناه **(إلا التنبيه على قواعدها)** وذكر ما لا بدّ منه، فمن أراد الزيادة فليراجع الكتب المذكورة.

اعلم أن الاستصحاب عبارة عن اثبات ما علم وجوده ولم يعلم عدمه وهو حجة عند الشافعي خلافاً للحنفية والمتكلمين. قال أصحاب الشافعي: إنه إذا علم وجود الشيء ولم يعلم عدمه حصل الظن بثبوته والعمل بالظن واجب فالعمل بثبوته واجب وهو المراد من استصحاب الحال، ولو لم يكن الاستصحاب حجة لم يتقرر أصل الدين إنما يتقرر بالنبوّة والنبوّة بالمعجزة والمعجزة فعل خارق للعادات، فلولا تقرر العادة على ما كان عليها لم تكن المعجزة خارقة لها وهي عين الاستصحاب. وأما الترجيح فهو تقوية إحدى الامارتين على الأخرى ليعمل بها ولا ترجيح في القطعيات إذ لا تعارض بينها وإلا ارتفع النقيضان أو أجتمعا، وإذا تعارض نصان وتساويا في القوة والعموم وعلم المتأخر فهو ناسخ، وإن جهل فالتساقط والترجيح، وإن كان أحدهما قطعياً أو أخص مطلقاً عمل به وأن يخصص من وجه طلب به الترجيح وترجيح الأقيسة إما بحسب العلة أو بحسب دليل العلة أو بحسب دليل الحكم أو بحسب كيفية الحكم أو موافقة الأصول في العلة والحكم والاطراد في الفروع، ولكل ذلك أمثلة محلها كتب الأصول.

القسم الثالث

(أن يكون الأصل التحريم ولكن طرأ) عليه **(ما أوجب تحليله بظن غالب فهو**

مشكوك فيه والغالب حله، فهذا ينظر فيه، فإن استند غلبة الظن إلى سبب معتبر شرعاً، فالذي نختار فيه أنه يحل واجتنابه من الورع. **(مثاله)**: أن يرمي إلى صيد فيغيب ثم يدركه ميتاً وليس عليه أثر سوى سهمه، ولكن يحتمل أنه مات بسقطة أو بسبب آخر فإن ظهر عليه أثر صدمة أو جراحة أخرى التحق بالقسم الأوّل، وقد اختلف قول الشافعي رحمه الله في هذا القسم، والمختار أنه حلال لأن الجرح سبب ظاهر وقد تحقق، والأصل انه لم يطرأ غيره عليه فطرئانه مشكوك فيه فلا يدفع اليقين بالشك.

فإن قيل: فقد قال ابن عباس: « كل ما أصميت ودع ما أنميت ». وروت عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً أتي النبي ﷺ بأرنب فقال: رميتي عرفت فيها سهمي، فقال: « أصميت أو أنميت » فقال: بل أنميت. قال: « إن الليل خلق من خلق الله لا يقدر قدره إلا الذي خلقه، فلعله أعان على قتله شيء ». وكذلك قال ﷺ لعدي بن حاتم في كلبه

مشكوك فيه والغالب حله، فهذا ينظر فيه فإن استند) ذلك (**الظن إلى سبب معتبر شرعاً**) وتبين (**فالاختيار فيه أنه يحل وان اجتنابه من الورع. مثاله: أن يرمي**) بسهمه (**إلى صيد**) فيصيبه (**فيغيب**) عنه (**ثم يدركه**) بعد (**ميتاً وليس عليه أثر سوى**) أثر (**سهمه، ولكن يحتمل انه**) أي ذلك الصيد (**مات بسقطة**) في الهواء (**أو بسبب آخر**) كالتردي من الجبل أو غير ذلك، (**فإن ظهر عليه أثر صدمة أو جراحة أخرى التحق بالقسم الأوّل**) وهو أن يكون التحريم معلوماً من قبل، ثم يقع الشك في المحلل. (**وقد اختلف قول الشافعي**) رحمه الله تعالى (**في هذا القسم**) فقيل: حرام، وقيل: حلال. (**والمختار أنه حلال**) وقد تقدم عن ابن بطال حكاية الإجماع على هذا القول، (**لأن الجرح سبب ظاهر**) لموته، (**والأصل انه لم يطرأ غيره عليه فهو مشكوك فيه فلا يدفع اليقين بالشك.**

فإن قيل: فقد قال ابن عباس) رضي الله عنهما فيما رواه البيهقي موقوفاً عليه: (**كُل ما أصميت ودع ما أنميت**) وقد تقدم الكلام عليه قريباً. (**وروت عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً أتى النبي ﷺ بأرنب**) وهو حيوان معروف يذكر ويؤنث، وقال أبو حاتم: يقال للذكر خزز وللأنثى أرنب، (**فقال: رميتي**) الرمية وزان عطية ما يرمي من الحيوان ذكراً كان أو أنثى والجمع رميات ورمايا مثل عطيات وعطايا وأصلها فعيلة بمعنى مفعولة (**عرفت فيها سهمي فقال: « أصميت أو أنميت »**) وتقدم معنى الاصماء والإنماء. (**قال: بل أنميت. قال عليه**) الصلاة و (**السلام « إن الليل خلق من خلق الله**) عظيم (**ولا يقدر قدره إلا الذي خلقه**) إشارة إلى كمال عظمه خلقته (**لعله أعان على قتلها شيء »**) قال العراقي: ليس هذا من حديث عائشة، وإنما رواه موسى بن أبي عائشة عن أبي زين قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ بصيد فقال: إني رميته من الليل فأعياني ووجدت سهمي فيه من الغد وعرفت سهمي فقال « الليل خلق من خلق الله عظيم

المعلم: « وإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه ». والغالب أن الكلب المعلم لا يسيء خلقه ولا يمسك إلا على صاحبه، ومع ذلك نهي عنه. وهذا التحقيق: وهو أن الحل إنما يتحقق إذا تحقق تمام السبب وتمام السبب بأن يفضي إلى الموت سليما من طريان غيره عليه، وقد شك فيه فهو شك في تمام السبب حتى اشتبه أن موته على الحل أو على الحرمة، فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعته، ثم شك فيما يطرأ عليه.

لعله أعانك عليك شيء » رواه أبو داود في المراسيل، والبيهقي وقال: أبو رزين اسمه مسعود والحديث مرسل قاله البخاري اهـ.

قلت: وفي الاصابة أبو رزين غير منسوب لم يرو عنه إلا ابنه عبد الله وهما مجهولان حديثه في الصيد يتوارى قاله أبو عمر اهـ.

وفي التهذيب للمزي: أبو رزين الأسدي اسمه مسعود بن مالك روى عن أبي هريرة وغيره، وعنه الاعمش وغيره روى له البخاري في الأدب والباقون اهـ.

ومن هنا تعلم أن قول السيوطي في جامعه: « الليل خلق من خلق الله عظيم » رواه أبو داود في مراسيله، والبيهقي عن أبي رزين يوهم أن أبا رزين صحابي، وأوهم منه قول شارحه المناوي فيه أنه العقيلي فإن أبا رزين راوي هذا الحديث تابعي قطعاً، وأما العقيلي فهو لقيط بن صبرة اتفاقاً وليس هذا الحديث له.

(وكذلك قال النبي ﷺ لعدي بن حاتم) الطائي رضي الله عنه **(في كلبه المعلم « وإن أكل فلا تأكل فإن أخاف أن يكون إنما أمسكه على نفسه »)** رواه الستة من حديث همام بن الحرث عنه، وقد تقدم سياقه، وكذلك رواه الشيخان، وأبو داود، وابن ماجه من طريق الشعبي عنه وتقدم سياقه أيضاً. **(والغالب أن الكلب المعلم لا ينسى خلقه ولا يمسك إلا على صاحبه)** وذكر أصحابنا أن التعليم في الكلب يكون بترك الأكل ثلاث مرات، وفي البازي بالرجوع إذا دعي، وإنما شرط ترك الأكل ثلاث مرات هو قول أبي يوسف ومحمد، ورواية عن الإمام، والمشهور عنه أنه لا يقدر بشيء لأن المقادير تعرف بالنص ولا نص هنا فيفوض إلى رأي المبتلى به، **(ومع ذلك نهى عنه)** بقوله « فإن أكل فلا تأكل » وكذلك حكم الفهد إن أكل منه فلا يؤكل بخلاف الصقر والشاهين والبازي فإنه يؤكل منه. **(وهذا التحقيق وهو أن الحل إنما يتحقق إذا تحقق تمام السبب وتمام السبب بأن يفضي إلى الموت)** حالة كونه **(سلماً من طريان غيره عليه وقد شك فيه)** أي في طريان غيره، **(فهو شك في تمام السبب حتى اشتبه أن موته على الحل أو على الحرمة فلا يكون هذا في معنى ما تحقق موته على الحل في ساعة، ثم شك فيما طرأ عليه.**

فالجواب: أن نهي ابن عباس ونهي رسول الله ﷺ محمول على الورع والتنزيه بدليل ما روي في بعض الروايات أنه قال: «كُلْ منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثراً غير سهمك». وهذا تنبيه على المعنى الذي ذكرناه، وهو أنه إن وجد أثراً آخر فقد تعارض السببان بتعارض الظن، وإن لم يجد سوى جرحه حصل غلبة للظن فيحكم به على الاستصحاب كما يحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس المظنون والعمومات المظنونة وغيرها. وأما قول القائل: إنه لم يتحقق موته على الحل في ساعة فيكون شكاً في السبب فليس كذلك، بل السبب قد تحقق إذ الجرح سبب الموت فطريان الغير شك فيه، ويدل على صحة هذا الاجماع على ان من جرح وغاب فوجد ميتاً فيجب القصاص على جارحه، بل إن لم يغب يحتمل أن يكون موته بهيجان خلط في باطنه كما يموت الإنسان فجأة فينبغي أن لا يجب القصاص إلا بجز الرقبة والجرح المذفف، لأن العلل القاتلة في

فالجواب) عن ذلك: **(إن نهي ابن عباس)** رضي الله عنهما، **(ونهي رسول الله ﷺ)** في الحديثين السابقين **(محول على الورع، و)** النهي نهي **(التنزيه بدليل ما روي)** عنه ﷺ **(في بعض الروايات انه قال ﷺ «كل منه وإن غاب عنك ما لم تجد فيه أثراً غير سهمك»)** قال العراقي: متفق عليه من حديث عدي اهـ.

قلت: ورواه أيضاً ابن ماجه، والطبراني من حديث أبي ثعلبة الخشني وقد تقدم.

(وهذا تنبيه على المعنى الذي ذكرناه) آنفاً **(وهو أنه وجد أثراً آخر)** غير أثره **(فقد تعارض السببان)** بتعارض الأثرين، **(فتعارض الظن)** بتعارض السببين **(فإن لم يجد سوى جرحه حصلت غلبة الظن فنحكم بها)** أي بغلبة الظن **(على الاستصحاب، كما نحكم على الاستصحاب بخبر الواحد والقياس والمظنون والعمومات المظنونة وغيرها)**. وذكر الاصحاب: أن الاستصحاب أربعة أقسام: استصحاب حال العقل، واستصحاب حال العموم إلى ورود مخصص، واستصحاب حكم الاجماع، واستصحاب أمر دل الشرع على ثبوته في دوامه. **(وأما قول القائل: إنه لم يتحقق موته على الحل في ساعة فيكون شكاً في السبب فليس كذلك، بل السبب قد تحقق إذ الجروح سبب الموت وطريان التغير شك فيه)** فلا يكون مغيراً، **(ويدل على صحة هذا الاجماع)** أي اجماع الفقهاء **(على أن من جرح وغاب فوجد ميتاً يجب القصاص على جارحه)** حتماً، **(بل إن لم يغب يحتمل أن يكون موته بهيجان خلط)** من الأخلاط الأربعة **(في باطنه)** وذلك أنه إذا هاج أحد الأخلاط ولم تقو الطبيعة على مقاومته أدى ذلك إلى موته **(كما يموت الإنسان فجأة)** أي بغتة من غير سابق سبب، **(فينبغي أن لا يجب القصاص إلا بجز الرقبة)** أي قطعها **(والجرح المذفف)** المسرع، **(لأن العلل القاتلة في الباطن لا تؤمن)** ولا يطلع عليها إلاّ حذاق الأطباء **(ولأجلها يموت الصحيح**

الباطن لا تؤمن، ولأجلها يموت الصحيح فجأة، ولا قائل بذلك مع أن القصاص مبناه على الشبهة، وكذلك جنين المذكاة حلال ولعله مات قبل ذبح الأصل لا بسبب ذبحه أو لم ينفخ فيه الروح، وغرة الجنين تجب ولعل الروح لم ينفخ فيه أو كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر، ولكن يبنى على الأسباب الظاهرة فإن الاحتمال الآخر إذا لم يستند إلى دلالة تدل عليه التحق بالوهم والوسواس كما ذكرناه، فكذلك هذا. وأما قوله ﷺ: «أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه» فللشافعي رحمه الله في هذه الصورة قولان. والذي نختاره الحكم بالتحريم لأن السبب قد تعارض، إذ الكلب المعلم كالآلة والوكيل يمسك على صاحبه فيحل، ولو استرسل المعلم بنفسه فأخذ لم يحل لأنه يتصور منه أن يصطاد لنفسه، ومهما انبعث بإشارته ثم أكل دل ابتداء انبعاثه على أنه نازل منزلة آلته وأنه يسعى في وكالته ونيابته، ودل أكله آخراً على أنه أمسك لنفسه لا لصاحبه فقد تعارض السبب الدال فيتعارض الاحتمال، والأصل التحريم فيستصحب ولا يزال بالشك

فجأة) ويبقى المريض أياماً، **(ولا قائل بذلك)** القول **(مع أن القصاص مبناه على الشبهة)** لا على التحقيق، **(وكذلك جنين المذكى حلال)** أكله، **(ولعله مات قبل ذبح الأصل لا بسبب ذبحه إذ لم ينفخ فيه الروح، وغرة الجنين تجب)** إذا أدحضه **(ولعل الروح لم تنفخ فيه أو كان قد مات قبل الجناية بسبب آخر، ولكن يبنى على الأسباب الظاهرة فإن الاحتمال الآخر)** الذي طرأ **(إذا لم يستند إلى دلالة)** معتبرة **(التحق بالوهم والوسواس)** والتجويز من غير دليل **(كما ذكرناه)** قريباً، **(وكذلك هذا. وأما قوله عليه)** الصلاة و **(السلام)** في حديث عدي بن حاتم المتقدم بذكره: **(«أخاف إنما يكون أمسك على نفسه» فللشافعي)** رحمه الله تعالى **(في هذه الصورة قولان)**: الحكم بالحل والحكم بالتحريم، **(والذي نختاره الحكم بالتحريم لأن السبب قد تعارض إذ الكلب المعلم كالآلة والوكيل يمسك على صاحبه فيحل)** بهذا الاعتبار، ولذا شرط في المرسل أن يكون أهلاً للزكاة بأن يكون مسلماً أو كتابياً وهو يعقل التسمية ويضبط، **(ولو استرسل المعلم بنفسه)** من غير إرسال مرسل **(فأخذ)** الصيد **(لم يحل)** أكله **(لأنه يتصوّر منه أن يصطاد لنفسه)** خاصة. **(ومهما انبعث باشارته)** أي المرسل فأخذ الصيد **(فأكل دل ابتداء انبعاثه على أنه نازل منزلة آلته، وأنه يسعى في وكالته ونيابته، ودل أكله آخراً على انه أمسك لنفسه لا لصاحبه فقد تعارض السبب الدال فيتعارض الاحتمال، والأصل التحريم فيستصحب ولا يزول)** أصل التحريم **(بالشك)** وكما لو غاب رجل عن امرأته وهي في منزله غير ناشز مدة ولم يترك لها نفقة وشهدت البينة أنه سافر عنها وهو معدم معسر لا شيء له، فسألت الحاكم الفسخ فهل يصح الفسخ أم لا؟ أجاب ابن الصلاح بانه لا يصح الفسخ على الأصح بناء على مجرد هذا الاستصحاب، ولو شهدت البينة المذكورة باعسار الآن بناء على الاستصحاب جاز له ذلك إن لم يعلم زوال ذلك ولم يتشكك، وصح الحكم بالفسخ ذكره

وهو كما لو وكل رجلاً بأن يشتري له جارية فاشترى جارية ومات قبل أن يتبين أنه اشتراها لنفسه أو لموكله لم يحل للموكل وطؤها لأن للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعاً ، ولا دليل مرجح والأصل التحريم ، فهذا يلتحق بالقسم الأوّل لا بالقسم الثالث .

القسم الرابع: أن يكون الحل معلوماً ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعاً فيرفع الاستصحاب ويقضي بالتحريم . إذ بان لنا أن الاستصحاب ضعيف ولا يبقى له حكم مع غالب الظن . **(ومثاله) : أن يؤدي اجتهاده** إلى نجاسة أحد الإناءين باعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن فتوجب تحريم شربه كما أوجبت منع الوضوء به ، وكذا إذا قال: إن قتل زيد عمراً أو قتل زيد صيداً منفرداً بقتله فامرأتي طالق فجرحه وغاب عنه فوجد ميتاً حرمت زوجته لأن الظاهر أنه منفرد بقتله ـ كما سبق ـ وقد نص الشافعي رحمه الله أن من وجد في الغدران ماء متغيراً احتمل أن يكون تغيره بطول المكث أو بالنجاسة فيستعمله ، ولو رأى ظبية بالت فيه ثم وجده متغيراً واحتمل أن يكون بالبول أو بطول المكث لم يجز استعماله إذ صار البول

ابن الملقن في شرح التنبيه . **(وكما لو وكل رجلاً بأن يشتري له جارية فاشترى جارية ومات قبل أن يتبين أنه اشتراها لنفسه أو لموكله لم يحل للموكل وطؤها لأن للوكيل قدرة على الشراء لنفسه ولموكله جميعاً ، ولا دليل يرجح)** على أحد الطرفين **(والأصل التحريم)** فيبقى على أصله ، **(فهذا يلحق بالقسم الأول)** هو أن يكون التحريم معلوماً من قبل الشك في المحلل **(لا بالقسم الثالث)** وهو أن يكون الأصل التحريم ، ولكن طرأ ما أوجب تحليله بظن غالب .

(القسم الرابع: أن يكون الحل معلوماً) من قبل **(ولكن يغلب على الظن طريان محرم بسبب معتبر في غلبة الظن شرعاً فيرفع الاستصحاب)** حينئذ **(ويقضي بالتحريم إذ بان لنا)** أي ظهر **(أن الاستصحاب ضعيف ولا يبقى له حكم مع غالب الظن . ومثاله: أن يؤديه اجتهاده)** وتحريه **(إلى نجاسة أحد الانائين بالاعتماد على علامة معينة توجب غلبة الظن)** كقرب كلب مثلاً **(فتوجب تحريم شربه كما أوجب منع الوضوء به ، وكذلك إذا قال: إن قتل زيد عمراً ، أو قتل زيد صيداً منفرداً بقتله فامرأتي طالق فجرحه وغاب)** عمرو أو الصيد **(ووجد)** بعد ذلك **(ميتاً حرمت زوجته لأن الظاهر أنه منفرد)** في قتله **(كما سبق ، وقد نص الشافعي)** رحمه الله تعالى **(أن من وجد في الغدران)** جمع غدير وهو ما يغادره السيل من المياه في الحفر **(ماء متغيراً احتمل أن يكون تغيره لطول المكث أو لنجاسة دخلت فيه أنه يستعمله)** استصحاباً بالأصل الطهارة ، **(ولو وجد ظبية بالت فيه ثم وجده متغيراً واحتمل أن يكون تغيره بالبول)** المذكور **(أو بطول المكث لم يجز استعماله إذ**

المشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة، وهو مثال ما ذكرناه وهذا في غلبة ظن استند إلى علامة متعلقة بعين الشيء، فأما غلبة الظن لا من جهة علامة تتعلق بعين الشيء فقد اختلف قول الشافعي رضي الله عنه في أن أصل الحل هل يزال به إذ اختلف قوله في التوضؤ من أواني المشركين، ومدمن الخمر، والصلاة في المقابر المنبوشة، والصلاة مع طين الشوارع أعني المقدار الزائد على ما يتعذر الاحتراز عنه، وعبر الأصحاب عنه بأنه إذا تعارض الأصل والغالب فأيهما يعتبر، وهذا جار في حل الشرب من أواني مدمن الخمر والمشركين، لأن النجس لا يحل شربه، فإذاً مأخذ النجاسة والحل واحد، والتردد في أحدهما يوجب التردد في الآخر، والذي اختاره أن الأصل هو المعتبر، وأن العلامة إذا لم تتعلق بعين المتناول لم توجب رفع الأصل، وسيأتي بيان ذلك وبرهانه في المثار

صار البول **المشاهد دلالة مغلبة لاحتمال النجاسة وهو مثال ما ذكرنا)**، ولذا قيد في استعمال الاجتهاد عند الاشتباه أن تكون نجاسة أحدهما متيقنة بمشاهدة أو سماع من عدل، وفي المشاهدة خلاف لأبي حنيفة، **(وهذا في غلبة ظن استند إلى علامة متعلقة بعين الشيء فأما غلبة الظن لا من جهة علامة تتعلق بعين الشيء فقد اختلف قول الشافعي)** رحمه الله تعالى **(في أن أصل الحل هل يزول بذلك)** أم لا **(إذا اختلف قوله في التوضؤ من أواني المشركين)** أي ظروفهم وهم الكفار المتدينون باستعمال النجاسة، **(و)** أواني **(مدمني الخمر)** أي المداومين على شربها، **(و)** كذا في **(الصلاة في المقابر المنبوشة، والصلاة في طين الشوارع)** المسلوكة. **(أعني المقدار الزائد على ما يتعذر الاحتراز عنه)** ويعسر، وفي الوجيز: وإن غلب على ظنه نجاسة أحد الاناءين بكونه من مياه مدمني الخمر أو الكفار المتدينين باستعمال النجاسة فهو كاستيقان النجاسة على أحد القولين. قال الشارح: الظاهر من القولين استصحاب الأصل، ثم قال: وعليه تمتنع الصلاة في المقابر المنبوشة ومع طين الشوارع وكل ما الغالب نجاسة مثله. وقال الشربيني في شرح المنهاج: ولو غلبت النجاسة في شيء والأصل فيه طاهر كثياب مدمني الخمر ومتدينين بالنجاسة كالمجوس ومجانين وصبيان وجزارين حكم له بالطهارة عملاً بالأصل، وكذا ما عمت به البلوى من ذلك اهـ.

(وعبّر الأصحاب) أي أصحاب الوجوه في المذهب **(عنه بأنه تعارض الأصل والغالب، فأيهما يعتبر)** فقيل: الأصل ولا عبرة بالغالب، وقيل: يعتبر الغالب ولا يعمل بالاصل، **(وهذا جار في حل الشرب من أواني مدمني الخمر والمشركين لأن النجس لا يحل شربه)** فلا يحل التطهر به، **(فإذا مأخذ النجاسة والحل واحد والتردد في أحدهما يوجب التردد في الآخر)** وهكذا قال القونوي: إن الحل من لوازم الطهارة، والحرمة تتبع النجاسة، وكل من الحلال والحرام ينقسم ثلاثة أقسام كانقسام الطهارة والنجاسة إلى آخر ما ذكر. **(والذي اختاره أن الأصل هو المعتبر)** ولا عبرة للغلبة مع مخالفة الأصل، **(وأن العلامة إذا لم تتعلق بعين المتناول لم توجب**

الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط، فقد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه أو ظن، وحكم حرام شك في طريان محلل عليه أو ظن، وبأن الفرق بين ظن يستند إلى علامة في عين الشيء وبين ما لا يستند إليه، وكل ما حكمنا في هذه الأقسام الأربعة بحله فهو حلال في الدرجة الأولى والاحتياط تركه فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين، بل من زمرة العدول الذين لا يقضي في فتوى الشرع بفسقهم وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة، إلا ما ألحقناه برتبة الوسواس فإن الاحتراز عنه ليس من الورع أصلاً.

المثار الثاني للشبهة: شك منشؤه الاختلاط:

وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال ويشتبه الأمر ولا يتميز، والخلط لا يخلو إما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين أو من أحدهما أو بعدد محصور، فإن اختلط بمحصور فلا يخلو إما أن يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالإشارة كاختلاط المائعات، أو يكون اختلاط استبهام مع التمييز للأعيان كاختلاط الأعبد والدور والأفراس، والذي يختلط بالاستبهام فلا يخلو إما أن يكون مما يقصد عينه كالعروض أو لا يقصد

رفع الأصل) وجعله الرافعي أظهر القولين. **(وسيأتي بيان ذلك. وبرهانه في المثار الثاني للشبهة وهي شبهة الخلط فقد اتضح من هذا حكم حلال شك في طريان محرم عليه، أو ظن)** في طريانه **(وبان)** أي ظهر **(فرق بين ظن يستند إلى علامة في عين الشيء وبين ما لا يستند إلى علامة)** في عين الشيء، **(وكل ما حكمنا في هذه الاقسام الاربعة بحله فهو حلال في الدرجة الأولى والاحتياط تركه، فالمقدم عليه لا يكون من زمرة المتقين والصالحين، بل هو)** معدود **(من زمرة العدول الذين لا تقضي فتوى الشرع)** الظاهر **(بفسقهم)** وعدم عدالتهم **(وعصيانهم واستحقاقهم العقوبة)** الاخروية **(إلا ما ألحقناه برتبة الوسواس، لأن الاحتراز عنه ليس من الورع أصلاً)** كما تقدم.

(المثار الثاني للشبهة شك منشؤه الاختلاط.

وذلك بأن يختلط الحلال بالحرام ويشتبه الأمر فلا يتميز) بعضه من بعض، **(والخلط)** المذكور **(لا يخلو إما أن يقع بعدد لا يحصر من الجانبين)** أي الحلال والحرام، **(أو من أحدهما؛ أو بعدد محصور)** مضبوط، **(فإن اختلط بمحصور فلا يخلو إما أن يكون اختلاط امتزاج بحيث لا يتميز بالإشارة)** والعلامة **(كاختلاط المائعات)** كالمياه والأدهان وما في حكمها، **(أو يكون اختلاط اشتباه الأعيان كاختلاط الأعبد)** والإماء، **(والدور والأفراس، والذي يختلط بالاشتباه فلا يخلو إما أن يكون مما تقصد عينه كالعروض)**

كالنقود، فيخرج من هذا التقسيم ثلاثة أقسام.

القسم الأول: أن تستبهم العين بعدد محصور كما لو اختلطت الميتة بذكية أو بعشر مذكاة أو اختلطت رضيعة بعشر نسوة، أو يتزوج إحدى الأختين ثم تلتبس، فهذه شبهة يجب اجتنابها بالإجماع، لأنه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا، وإذا اختلطت بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد، فتقابل فيه يقين التحريم والتحليل، ولا فرق في هذا بين أن يثبت حل فيطرأ اختلاط بمحرم، كما لو أوقع الطلاق على إحدى زوجتين في مسألة الطائر أو يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضيعة بأجنبية فأراد استحلال واحدة، وهذا قد يشكل في طريان التحريم كطلاق إحدى الزوجتين لما سبق من الاستصحاب. وقد نبهنا على وجه الجواب وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب وجانب الخطر أغلب في نظر الشرع، فلذلك ترجح وهذا إذا اختلط حلال محصور بحرام محصور. فإن اختلط حلال محصور بحرام غير محصور فلا يخفى أن وجوب الاجتناب أولى.

القسم الثاني: حرام محصور بحلال غير محصور، كما لو اختلطت رضيعة أو عشر

والأمتعة، (**أولا تقصد**) عينه (**كالنقود**) الرائجة (**فتخرج من هذا التقسيم ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: أن تشتبه العين بعدد محصور كما لو اختلطت ميتة بذكية) أي مذكاة بالذبح (**أو بعشرة مذكيات**) مثلاً (**أو تختلط رضيعة بعشرة نسوة**) مثلاً (**أو يتزوج إحدى الأختين ثم تلتبس**) أيتها زوجته، (**فهذه شبهة يجب اجتنابها بالاجماع**) في كل ما ذكر، (**لأنه لا مجال للاجتهاد والعلامات في هذا**) بخلاف المياه والاحداث، (**وإذا اختلط بعدد محصور صارت الجملة كالشيء الواحد**) أي للكل حكم الواحد، (**وتقابل فيه يقين التحليل والتحريم، ولا فرق في هذا بين أن يثبت حل فيطرأ اختلاط بمحرم كما لو أوقع على إحدى زوجتيه الطلاق في مسألة الطائر**) المتقدمة، (**أو يختلط قبل الاستحلال كما لو اختلطت رضيعة بأجنبية فاراد استحلال واحدة، فهذا قد شك في طريان التحريم كطلاق إحدى الزوجتين كما سبق من الاستصحاب، وقد نبهنا**) هناك (**على وجه الجواب، وهو أن يقين التحريم قابل يقين الحل فضعف الاستصحاب**) فلم يعمل يقين الحل، (**وجانب الخطر أغلب في نظر الشرع فلذلك ترجح**) يقين التحريم، (**وهكذا إذا اختلط حلال محصور**) بعدد (**بحرام محصور**) بعدد (**فلا يخفى أن وجوب الاجتناب**) هو (**الأولى**) والأليق.

(**القسم الثاني: حرام محصور**) بعدد (**بحلال غير محصور**) بعدد (**كما لو اختلطت**

رضائع بنسوة بلد كبير فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح نساء أهل البلد، بل له أن ينكح من شاء منهن، وهذا لا يجوز أن يعلل بكثرة الحلال، إذ يلزم عليه أن يجوز النكاح إذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال ولا قائل به بل العلة الغلبة والحاجة جميعاً، إذ كل من ضاع له رضيع أو قريب أو محرم بمصاهرة أو سبب من الأسباب فلا يمكن أن يسد عليه باب النكاح، وكذلك من علم أن مال الدنيا خالطه حرام قطعاً لا يلزمه ترك الشراء والأكل، فإن ذلك حرج وما في الدين من حرج، ويعلم هذا بأنه لما سرق في زمان رسول الله ﷺ مجن وغل واحدة في الغنيمة عباءة لم يمتنع أحد من شراء المجان والعباء في الدنيا، وكذلك كل ما سرق، وكذلك كان يعرف أن في الناس من يربي في الدراهم والدنانير وما ترك رسول الله ﷺ ولا الناس الدراهم والدنانير بالكلية. وبالجملة إنما تنفك الدنيا عن الحرام إذا عصم الخلق كلهم عن المعاصي وهو محال، وإذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط أيضاً في بلد إلا إذا وقع بين جماعة محصورين، بل اجتناب هذا من

رضيعة أو عشر رضائع بنسوة بلد كبير، **فلا يلزم بهذا اجتناب نكاح أهل البلد)** كلهن، (**بل له أن ينكح من شاء منهن، وهذا لا يجوز ان يعلل بكثرة الحلال، إذ يلزم عليه أن يجوز النكاح إذا اختلطت واحدة حرام بتسع حلال ولا قائل به)** من أحد من العلماء (**بل العلة الغلبة والحاجة جميعاً)** ويقولون: الغلبة لها أحكام فإذا لحقت معها الحاجة كانت علة قوية (**إذ كل من ضاع له قريب أو رضيع أو محرم بمصاهرة أو بسبب من الأسباب)** الخارجة (**لا يمكن أن يسد عليه باب النكاح)** ولا يمنع عنه، (**وكذلك من علم أن مال الدنيا)** أي المال الموجود الآن في الدنيا قد (**خالطه حرام قطعاً)** من إفساد المعاملات وغيرها (**لا يلزمه ترك الشراء)** والبيع (**أو الأكل، فإن ذلك حرج)** مفض إلى الهلاك، (**وما في الدين من حرج)** بنص الكتاب، (**ويعلم هذا بانه لما سرق في زمان رسول الله ﷺ مجن)** بكسر الميم وهو الترس سمي به لأن صاحبه يتستر به والجمع المجان. وروى الشيخان من حديث ابن عمر «أن النبي ﷺ قطع سارقاً في مجن قيمته ثلاثة دراهم» قاله العراقي، (**وغل واحد من)** جلة (**الغنيمة عباءة)** وهي كساء من صوف. أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمر، واسم الغال كركرة قاله العراقي. (**لم يمتنع أحد من شراء المجن والعباءة في الدنيا وكذلك كل ما سرق)** من مأكول أو ملبوس أو مشروب، (**وكذلك أيضاً كان يعرف أن في الناس من يربى في الدراهم والدنانير)** أي يعاملهم بالربا، (**وما ترك رسول الله ﷺ ولا الناس الدراهم بالكلية)** بل عاملوا بها. قال العراقي: هذا معروف، وسيأتي حديث جابر بعد فيه ما يدل على ذلك. (**وبالجملة إنما تنفك الدنيا عن الحرام إذا عصم كلهم عن المعاصي وهو محال، وإذا لم يشترط هذا في الدنيا لم يشترط أيضاً في بلد)** بطريق الأولوية (**إلا إذا وقع بين جماعة**

ورع الموسوسين إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة ولا يتصور الوفاء به في ملة من الملل ولا في عصر من الاعصار.

فإن قلت: فكل عدد محصور في علم الله فما حد المحصور؟ ولو أراد الإنسان أن يحصر أهل بلد لقدر عليه أيضاً إن تمكن منه، فاعلم أن تحديد أمثال هذه الأمور غير ممكن وإنما يضبط بالتقريب فنقول: كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد لعسر على الناظر عددهم بمجرد النظر كالألف والألفين فهو غير محصور، وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين أوساط متشابهة تلحق بأحد الطرفين بالظن، وما وقع الشك فيه استفتي فيه القلب فإن الاثم حزاز القلوب. وفي مثل هذا المقام قال رسول الله ﷺ لوابصة: «استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك». وكذا الأقسام الأربعة التي ذكرناها في المثار الأول يقع فيها أطراف متقابلة واضحة في النفي والاثبات، وأوساط متشابهة فالمفتي يفتي بالظن، وعلى المستفتي أن يستفتي قلبه فإن حاك

محصورين) فيمكن حينئذ، **(بل اجتناب هذا من ورع الموسوسين إذ لم ينقل ذلك عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة)** رضوان الله عليهم كما هو معلوم لمن سبر كتب الأخبار، **(ولا يتصور الوفاء به في ملة من الملل)** المتقدمة والمتأخرة، **(ولا)** في **(عصر من الأعصار)** ولو كان ذلك لنقل إلينا.

(فإن قلت: فكل عدد محصور في علم الله فما حد المحصور؟ ولو أراد أحد أن يحصر أهل بلد لقدر عليه إن تمكن منه) أي مع وجود التمكين ممكن أن يحصر. **(فاعلم أن تحديد أمثال هذه الأمور غير ممكن)** في الظاهر، **(وإنما يضبط بالتقريب فنقول: كل عدد لو اجتمع على صعيد واحد)** وهو الفضاء الواسع **(لعسر على الناظر عددهم بمجرد النظر كالالف والألفين فهو غير محصور، وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين الطرفين أوساط متشابهة تلحق بأحد الطرفين بالظن)** فتارة تلحق بالمحصور وتارة بغير المحصور، **(وما وقع الشك فيه استفتى قلبه)** الذي ردّ إليه رسول الله ﷺ الحكم لما سئل عن البر والإثم فقال «البر ما اطمأن إليه القلب والإثم ما حاك في صدرك»، **(فإن الإثم حزاز القلوب)**. وقد تقدم تحقيقه في كتاب العلم وكذا ضبطه وتخريجه، **(وفي مثل هذا المقام قال رسول الله ﷺ لوابصة)** بن معبد رضي الله عنه وكان من المكائين **(«استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وأفتوك»)** تقدم في كتاب العلم، **(وكذلك الأقسام الاربعة التي ذكرناها في المثار الأول تقع فيها أطراف واضحة في النفي والاثبات وأوساط متشابهة، فالمفتي يفتي بالظن، وعلى المستفتي أن يستفتي قلبه وإن حاك في صدره الإثم فهو الآثم بينه وبين الله تعالى**

في صدره شيء فهو الآثم بينه وبين الله فلا ينجيه في الآخرة فتوى المفتي فإنه يفتي بالظاهر والله يتولى السرائر.

القسم الثالث: أن يختلط حرام لا يحصر بحلال لا يحصر كحكم الأموال في زماننا هذا، فالذي يأخذ الأحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور إلى غير المحصور كنسبة المحصور إلى المحصور، وقد حكمنا ثم بالتحريم، فلنحكم هنا به، والذي نختاره خلاف ذلك وهو أنه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شيء بعينه احتمل أنه حرام وأنه حلال إلا أن يقترن بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام، فإن لم يكن في العين علامة تدل على أنه من الحرام فتركه ورع وأخذه حلال لا يفسق به آكله. ومن العلامات: أن يأخذه من يد سلطان ظالم إلى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها، ويدل عليه الأثر والقياس، فأما الأثر: فما علم في زمن رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين بعده إذ كانت أثمان الخمور ودراهم الربا من أيدي أهل الذمة مختلطة بالأموال، وكذا

فلا ينجيه في الآخرة فتوى المفتي فإنه يفتي بالظاهر، والله يتولى السرائر). وقال صاحب القوت: وهذا كنحو ما روي عنه ﷺ انه قال «إنكم لتختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما أسمع منه وهو يعلم خلافه فمن قضيت له على أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار» فأخبره ﷺ انه يحكم بظاهر الأمر ورد إلى حقيقة علم العبد بما شهد وعرف من غيب نفسه عن الأبصار.

(**القسم الثالث: أن يختلط حلال لا يحصر بحرام لا يحصر كحكم الأموال في زماننا هذا**) وهو سنة أربعمائة وتسعين، (**فالذي يأخذ الاحكام من الصور قد يظن أن نسبة غير المحصور إلى غير المحصور كنسبة المحصور إلى المحصور، وقد حكمنا ثم**) أي هناك (**بالتحريم فلنحكم ههنا به**) كذلك، (**والذي نختاره خلاف ذلك وهو أنه لا يحرم بهذا الاختلاط أن يتناول شيئاً بعينه احتمل أنه حرام وأنه حلال إلا أن يقترن بتلك العين علامة تدل على أنه من الحرام، فإن لم يكن في العين علامة تدل على أنه من الحرام فتركه ورع**) في الدين، (**وأخذه حلال لا يفسق به آكله**) ولا تسقط به عدالته. (**ومن العلامات**) الدالة على أنه من الحرام (**أن يأخذه من يد سلطان ظالم**) غشوم نهاب (**إلى غير ذلك من العلامات التي سيأتي ذكرها**) قريباً، (**ويدل على ما نحونا إليه الأثر والقياس. أما الأثر فما علم في زمان رسول الله ﷺ، و**) زمان (**الخلفاء الراشدين بعده**). وهما العمران والختنان وعمر بن عبد العزيز (**إذ كان إثمان: الخمر ودراهم الربا من أيدي أهل الذمة**) وهم الكفار الذي دخلوا تحت ذمة الإسلام وضربت عليهم الجزية (**مختلطة بالأموال، وكذا غلول**

غلول الأموال، وكذا غلول الغنيمة. ومن الوقت الذي نهى ﷺ عن الربا إذ قال: «أول ربا أضعه ربا العباس» ما ترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمور وسائر المعاصي حتى روي أن بعض أصحاب النبي ﷺ باع الخمر، فقال عمر رضي الله عنه: لعن الله فلاناً هو أول من سنّ بيع الخمر إذ لم يكن قد فهم أن تحريم الخمر تحريم لثمنها. وقال ﷺ: «إن فلاناً يجر في النار عباءة قد غلها» وقتل رجل ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزات من خرز اليهود لا تساوي درهمين قد غلها، وكذلك أدرك أصحاب رسول الله ﷺ الأمـراء الظلمة ولم يمتنع أحد منهم عن الشراء والبيع في السوق بسبب نهب المدينة، وقد نهبها أصحاب يزيد ثلاثة أيام وكان من يمتنع من تلك الأموال مشاراً

الغنيمة) أي الأخذ منها خيانة قبل ان تقع القسمة بين المجاهدين، **(ومن الوقت الذي نهى عليه)** الصلاة و **(السلام عن الربا)** أي معاطاته **(إذ قال عليه)** الصلاة و **(السلام «أول ربا أضعه ربا العباس»)** رواه مسلم من حديث جابر. **(ما ترك الناس الربا بأجمعهم كما لم يتركوا شرب الخمور وسائر المعاصي)** مع ما في كل واحد منها من الوعيد الشديد والتهديد الاكيد، **(حتى روي أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ باع الخمر فقال عمر رضي الله عنه: لعن الله فلاناً)** أي طرده وأبعده عن رحمته **(وهو أول من سنّ بيع الخمر)** وهذا من باب التغليظ من سيدنا عمر، ولم يرد بذلك حقيقة اللعن **(إذ لم يكن قد فهم)** في ذلك الوقت **(أن الخمر تحريم لثمنها)** هذا اعتذار من المصنف عن فعل ذلك الصحابي، وهذا قد أخرجه مسلم من حديث ابن عباس قال: بلغ عمر أن سمرة باع خمراً فقال: قاتل الله سمرة ألم يعلم أن رسول الله ﷺ قال «لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها» وعند البخاري بلغ عمر أن فلاناً باع خمراً فقال: قاتل الله فلاناً لم يقل سمرة.

(وقال عليه) الصلاة و **(السلام «إن فلاناً يجر في النار عباءة قد غلها»)** أي من غنائم المسلمين قبل أن تقسم. أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو، واسم الغال كر كرة وتقدم قريباً.

(وقتل رجل) من المسلمين في بعض المغازي **(ففتشوا متاعه فوجدوا فيه خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين قد غلها)**. رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن خالد الجهني، **(وكذلك أدرك أصحاب رسول الله ﷺ)** كأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وزيد بن ثابت، وأبي أيوب الأنصاري، وجرير ين عبد الله، وجابر، وأنس، والمسور بن مخرمة **(الأئمة الظلمة)** كيزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد، ومروان، ويزيد بن عبد الملك، والحجاج بن يوسف واضرابهم، **(ولم يمنع أحد منهم من البيع والشراء في الأسواق بسبب نهب المدينة)** المشرفة، **(وقد نهبها أصحاب يزيد)** بن معاوية بن أبي سفيان وهم الذين وجههم يزيد

إليه في الورع، والأكثرون لم يمتنعوا مع الاختلاط وكثرة الأموال المنهوبة في أيام الظلمة. ومن أوجب ما لم يوجبه السلف الصالح وزعم أنه تفطن من الشرع ما لم يتفطنوا له فهو موسوس مختل العقل، ولو جاز أن يزاد عليهم في أمثال هذا لجاز مخالفتهم في مسائل لا مستند فيها سوى اتفاقهم كقولهم: إن الجدة كالأم في التحريم وابن الابن كالابن، وشعر الخنزير وشحمه كاللحم المذكور تحريمه في القرآن، والربا جارٍ فيما عدا الأشياء الستة وذلك محال فإنهم أولى بفهم الشرع من غيرهم. وأما القياس فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسدّ باب جميع التصرفات وخرب العالم إذ الفسق يغلب على الناس ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود ويؤدي ذلك لا محالة إلى الاختلاط.

إلى المدينة ورئيسهم مسلم بن عقبة الملقب بالمسرف فحاصرهم حصاراً شديداً، ثم أنهبها **(ثلاثة أيام)** بلياليهن وأمر بالفسق والفجور والقتل وربط الناس دوابهم بالمسجد النبوي وفعلوا في تلك الأيام من المخازي ما يستحي من ذكره، ثم أمنهم على أنهم كلهم عبيد ليزيد عليه من الله ما يستحق، وتوجه من هناك إلى مكة فحاصر ابن الزبير فلما ورد عليه الخبر بموت يزيد أخرج عنها، **(وكـان الذي يمتنع منهم عن تلك الأموال يشار إليه)** بالبنان **(في الورع، والأكثرون لم يمتنعوا)** عن أخذها **(مع الاختلاط وكثرة الأموال المنهوبة في أيام الظلمة)** كما هو معلوم لمن طالع في تراجمهم وما وقع في أيامهم، **(ومن أوجب ما لم يوجبه السلف الصالحون وزعم أنه يفطن)** أي يدرك بفطنته **(من الشرع)** أي من سياقه وفحوى خطابه **(ما لم يتفطنوا له فهو موسوس مختل العقل)** أثرت البرودة في رأسه، **(ولو جاز أن يزاد عليهم في أمثال هذه لجاز مخالفتهم في مسائل)** عديدة **(ولا مستند)** فيها **(لها سوى اتفاقهم)** وإجماعهم عليه **(كقولهم: إن الجدة كالأم في التحريم)** أي تحريم النكاح، **(وابن الابن كالابن)** أي في الأرث، **(وشعر الخنزير وشحمه كلحمه المذكور تحريمه في القرآن)** وهو قوله تعالى ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير﴾ [المائدة: ٣] فالحقوا به الشعر والشحم، **(والربا جار فيما عدا الأشياء الستة)** المذكورة في الحديث وهي: الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والملح. رواه الشيخان، **(وذلك)** أي جواز مخالفتهم **(محال، فإنهم أولى بفهم الشرع)** أي أحكامه ومعانيه **(من غيرهم)** ممن خلفهم.

(وأما القياس: فهو أنه لو فتح هذا الباب لانسدّ باب التصرفات) الشرعية من البيع والشراء والأخذ والعطاء وسائر المعاملات المتعارفة، **(وخرب)** نظام **(العالم إذ الفسق يغلب على الناس)** من أهل الزمان **(ويتساهلون بسببه في شروط الشرع في العقود)** الشرعية **(ويؤدي ذلك لا محالة إلى الاختلاط)** أي اختلاط الأحوال.

فإن قيل: فقد نقلتم أنه ﷺ امتنع من الضب وقال: «أخشى أن يكون مما مسخه الله». وهو في اختلاط غير المحصور؟ قلنا: يحمل ذلك على التنزه والورع أو نقول الضب شكل غريب ربما يدل على أنه من المسخ فهي دلالة في عين المتناول.

فإن قيل: هذا معلوم في زمان رسول الله ﷺ وزمان الصحابة بسبب الربا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغيرها، ولكن كانت هي الأقل بالإضافة إلى الحلال فماذا تقول في زماننا وقد صار الحرام أكثر ما في أيدي الناس لفساد المعاملات وإهمال شروطها وكثرة الربا وأموال السلاطين الظلمة، فمن أخذ مالاً لم يشهد عليه علامة معينة في عينه للتحريم، فهل هو حرام أم لا؟ فأقول: ليس ذلك حراماً وإنما الورع تركه وهذا الورع أهم من الورع إذا كان قليلاً، ولكن الجواب عن هذا أن قول القائل أكثر الأموال حرام في زماننا غلط محض منشؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير والأكثر، فأكثر الناس بل أكثر

(**فإن قيل: فقد نقلتم أنه عليه**) الصلاة و(**السلام قد امتنع من أكل الضب وقال: «أخشى أن يكون مما مسخه الله**) تعالى». رواه ابن حبان، والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن حسنة، وقد ذكر قريباً. (**وهو في اختلاط غير المحصور بالمحصور. قلنا: نحمل ذلك على الورع والتنزه أو نقول الضب شكل غريب**) في الحيوان (**ربما يدل على أنه من المسخ فهي دلالة في غير المتناول**) كذا في النسخ، وفي أخرى في عين المتناول وهو الصواب، والقول بكراهة أكل لحم الضب هو مذهب أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد، واحتج محمد بحديث عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ أهدي إليه ضب، فلم يأكله فقام عليهم سائل فأرادت أن تعطيه، فقال لها النبي ﷺ: «أتعطيه مما لا تأكلين»: قال: فقد دل على ذلك على أنه ﷺ كره ذلك لنفسه ولغيره أكل الضب. قال: وبهذا نأخذ. وكان أبو جعفر الطحاوي يذهب إلى ما ذهب إليه الشافعي من حل أكله استدلالاً بما في المتفق عليه من حديث خالد بن الوليد، وابن عباس، وابن عمر، وتفصيله في الفروع الفقهية.

(**فإن قيل: فهذا معلوم في**) وفي نسخة: من (**زمان رسول الله ﷺ وزمان الصحابة**) رضوان الله عليهم (**بسبب الربا والسرقة والنهب وغلول الغنيمة وغير ذلك، ولكن كان ذلك هو الأقل**) وفي نسخة: لكن كانت هي الأقل (**بالاضافة إلى الحلال**) فماذا نقول في زماننا (**وقد صار الحرام أكثر ما في أيدي الناس لفساد المعاملات وإهمال شروطها**) الشرعية (**وكثرة الربا**) وفشوّها (**وكثرة السلاطين الظلمة**) الجائرين، (**فمن أخذ مالاً يشهد فيه علامة معينة للتحليل أهو حرام أم لا**). وفي نسخة فمن أخذ ما لم يشهد علامة معينة في عينه للتحريم فهو حرام أم لا؟ (**فأقول: ليس ذلك حراماً وإنما الورع تركه وهذا الورع أهم من الورع إذا كان قليلاً**) فإنه مع القلة يمكنه التورع عنه، (**ولكن الجواب عن هذا أن قول القائل أكثر الأموال حرام في زماننا غلط محض منشؤه الغفلة عن الفرق بين الكثير**

الفقهاء يظنون أن ما ليس بنادر فهو الأكثر ويتوهمون أنهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث، وليس كذلك بل الأقسام ثلاثة: قليل وهو النادر، وكثير، وأكثر. **(ومثاله) :** أن الخنثى فيما بين الخلق نادر، وإذا أضيف إليه المريض وجد كثيراً، وكذا السفر حتى يقال المرض والسفر من الاعذار العامة والاستحاضة من الاعذار النادرة، ومعلوم أن المرض ليس بنادر وليس بالأكثر أيضاً، بل هو كثير، والفقيه إذا تساهل وقال: المرض والسفر غالب وهو عذر عام أراد به أنه ليس بنادر، فإن لم يرد هذا فهو غلط، والصحيح والمقيم هو الأكثر والمسافر والمريض كثير، والمستحاضة والخنثى نادر. فإذا فهم هذا فنقول: قول القائل الحرام أكثر باطل لأن مستند هذا القائل إما أن يكون كثرة الظلمة والجندية أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة، أو كثرة الأيدي التي تكررت من أول الإسلام إلى زماننا هذا على أصول الأموال الموجودة اليوم.

وأما المستند الأوّل: فباطل فإن الظالم كثير وليس هو بالأكثر، فإنهم الجندية إذ لا

والأكثر، فأكثر الناس) من العلماء **(بل أكثر الفقهاء)** منهم يظنون **(أن ما ليس بنادر هو الأكثر ويتوهمون أنهما قسمان متقابلان ليس بينهما ثالث وليس كذلك)** الأمر، **(بل الأقسام ثلاثة: فقليل وهو النادر)** ولذا عرفوه بأنه ما قل وجوه ولم يخالف القياس، **(وكثير، وأكثر. ومثاله: أن الخنثى فيما بين الخلق نادر)** وهو الذي له آلة الرجال والنساء، أو ليس له منهما أصلاً، بل له ثقبة لا تشبههما. **(وإذا أضيف إليه المريض وجد كثيراً وكذا السفر حتى يقال)** أي يقوله الفقهاء **(السفر والمرض)** كلاهما **(من الأعذار العامة)** أي يعرض كل منهما كثيراً لكثير من الناس، **(والاستحاضة من الأعذار النادرة)** أي يندر وجودها. **(ومعلوم أن المرض ليس بنادر)** لعدم صدق حده عليه، **(وليس بالأكثر أيضاً)** وهو ما يعم وجوده في كل زمان **(بل هو كثير، والفقيه إذا تساهل)** في تعبيره **(وقال: المرض والسفر غالب)** أي كل منهما **(وهو عذر عام)** ويبني عليه مسائل، فإنه كان **(يريد به أنه ليس بنادر)** فهو صحيح إذ يطلق على الكثير أنه ليس بنادر، **(فإن لم يرد هذا فهو غلط)** وغفلة عن درك المعاني، **(فالصحيح)** البدن **(والمقيم)** في بلد **(هو الأكثر والمريض والمسافر كثير والمستحاضة والخنثى نادر، فإذا فهم هذا)** الذي قدمناه **(فنقول: قول القائل الحرام أكثر باطل لأن مستند هذا القائل إما ان يكون كثرة الظلمة)** أي الحكام الجائرين، **(والجندية)** وهم عساكرهم وأعوانهم، **(أو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة، أو كثرة الأيدي التي تكررت)** جيلاً بعد جيل **(من أوّل الإسلام إلى زماننا هذا)** وهو آخر القرن الخامس **(على أصول الأموال الموجود اليوم)**.

(أما المستند الأول: فباطل فإن الظالم كثير) وفي نسخة: فإن الظلم كثير **(وليس بالأكثر**

يظلم إلا ذو غلبة وشوكة وهم إذا أضيفوا إلى كل العالم لم يبلغوا عُشر عُشرهم فكل سلطان يجتمع عليه من الجنود مائة ألف مثلاً فيملك إقليماً يجمع ألف ألف وزيادة، ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددها على جميع عسكره، ولو كان عدد السّلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك الكل إذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة منهم مثلاً مع تنعمهم في المعيشة، ولا يتصور ذلك بل كفاية الواحد منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة. وكذا القول في السراق فإن البلدة الكبيرة تشتمل منهم على قدر قليل.

وأما المستند الثاني: وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي أيضاً كثيرة وليست بالأكثر إذ أكثر المسلمين يتعاملون بشروط الشرع فعدد هؤلاء أكثر والذي يعامل بالربا أو غيره فلو عددت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسدة إلا أن يطلب الإنسان بوهمه في البلد مخصوصاً بالمجانة والخبث وقلة الدين حتى يتصور أن يقال معاملاته الفاسدة أكثر، ومثل ذلك المخصوص نادر وإن كان كثيراً فليس بالأكثر لو

فإنهم) أي أهل الظلم **(الجندية)** وهم أعوان السلاطين من أرباب المناصب **(إذ لا يظلم)** غالباً **(إلا ذو غلبة)** وقهر **(أو ذو شوكة)** وهو، شدة الباس وقوّة السلاح، **(وهم إذا أضيفوا إلى كل العالم لم يبلغوا عشر عشرهم)** أي جزءاً من عشرة منهم **(فكل)** وفي نسخة وكل **(سلطان يجتمع عليه من الجنود)** أي العساكر **(مائة ألف مثلاً فيملك إقليماً)** وهو ما يختص باسم يتميز به عن غيره، فمصر إقليم، والشام إقليم، واليمن إقليم **(يجمع ألف ألف)** من الجنود **(وزيادة)** على ذلك، **(ولعل بلدة واحدة من بلاد مملكته يزيد عددهم على جميع عسكره، ولو كان عدد السلاطين أكثر من عدد الرعايا لهلك الكل إذ كان يجب على كل واحد من الرعية أن يقوم بعشرة منهم)** أي بكفايتهم **(مع تنعمهم في المعيشة، بل كفاية الواحد منهم تجمع من ألف من الرعية وزيادة)** كما هو مشاهد في كل عصر. **(وكذا القول في السراق)** واللصوص، **(فإن البلدة الكبيرة تشتمل منهم على عدد قليل)** جدّاً وما ينهبونه أقل قليل.

(وأما المستندالثاني: وهو كثرة الربا والمعاملات الفاسدة فهي أيضاً كثير وليس بالأكثر إذ أكثر المسلمين) في أكثر البلاد **(يتعاملون بشروط الشرع، فعدد هؤلاء أكثر والذي يعامل بالربا وغيره فلو عددت معاملاته وحده لكان عدد الصحيح منها يزيد على الفاسد إلا أن يطلب الانسان بوهمه في البلد)** انساناً **(مخصوصاً بالمجانة والخبث وقلة الديانة)** وفي بعض النسخ بالخيانة بدل المجانة **(حتى يتصوّر أن يقال: أن معاملاته الفاسدة أكثر، ومثل ذلك المخصوص نادر)** يعز وجوده **(وإن كان كثيراً فليس بالأكثر لو)** فرض و**(كان كل**

كان كل معاملاته فاسدة كيف ولا يخلو هو أيضاً عن معاملات صحيحة تساوي الفاسدة أو تزيد عليها وهذا مقطوع به لمن تأمله وإنما غلب هذا على النفوس لاستكثار النفوس الفساد واستبعادها إياه واستعظامها له وإن كان نادراً حتى ربما يظن أن الربا وشرب الخمر قد شاع كما شاع الحرام فيتخيل أنهم الأكثرون وهو خطأ فإنهم الأقلون وإن كان فيهم كثرة.

وأما المستند الثالث: وهو أخيلها أن يقال الأموال إنما تحصل من المعادن والنبات والحيوان، والنبات والحيوان حاصلان بالتوالد، فإذا نظرنا إلى شاة مثلاً وهي تلد في كل سنة فيكون عدد أصولها إلى زمان رسول الله ﷺ قريباً من خمسمائة، ولا يخلو هذا أن يتطرق إلى أصل من تلك الأصول غصب أو معاملة فاسدة، فكيف يقدر أن تسلم أصولها عن تصرف باطل إلى زماننا هذا؟ وكذا بذور الحبوب والفواكه تحتاج إلى خمسمائة أصل أو ألف أصل مثلاً إلى أول زمان الشرع ولا يكون هذا حلالاً ما لم يكن أصله وأصل أصله كذلك أوّل زمان النبوة حلالاً، وأما المعادن فهي التي يمكن نيلها على

معاملاته فاسدة كيف ولا يخلو هو أيضاً من معاملات صحيحة تساوي الفاسدة) وتماثلها **(أو تزيد عليها وهذا مقطوع به)** أي قطعي **(لمن تأمله)** بالفكر السليم، **(وإنما غلب هذا على النفوس)** البشرية **(لاستكثار النفوس الفساد)** أي عده كثيراً **(واستبعادها إياه)** أي الفساد **(واستعظامها له وإن كان نادراً)** قليل الوجود **(حتى ربما يظن أن الربا وشرب الخمر قد شاع)** أي ظهر وفشا **(كما شاع الحرام)** المطلق **(فيتخيل)** في النفوس **(أنهم الاكثرون وذلك خطأ فإنهم الأقلون وإن كان فيهم الكثرة)**، والصالحون هم الأكثرون وإن كان فيهم القلة.

(وأما المستند الثالث: وهو أخيلها) أي أكثرها خيالاً في النفوس **(أن يقال)**: إن **(الأموال إنما تحصل من المعادن والنبات والحيوان)**. وهذه هي الأصول **(والنبات والحيوان حاصلان بالتوالد)** والتناسل، **(فإذا نظرنا إلى شاة مثلاً وهي تلد في كل سنة)** مرة في الربيع أو في الصيف **(فيكون عدد أصولها)** من لدن تأليف الكتاب **(إلى زمان رسول الله ﷺ قريباً من خمسمائة شاة)** بإعطاء كل بطن لكل سنة، **(ولا يحيل هذا ان يتطرق إلى واحد من تلك الأصول غصب)** أو نهب **(أو سرقة)** أو خيانة **(أو معاملة فاسدة)** أو بيع أو اشتراء، **(فكيف تقدر أن تسلم أصولها من تصرف باطل إلى زماننا هذا؟ وكذا بذور الحبوب)** التي ترمى للزراعة **(تحتاج إلى خمسمائة أصل أو ألف)** أصل **(إلى أوّل الشرع)** إن زرعت في السنة مرتين، **(ولا يكون هذا حلالاً ما لم يكن أصله وأصل أصله إلى)** أوّل **(زمان النبوّة حلالاً. وأما المعادن)** الأرضية **(فهي التي يمكن نيلها)** أي اصابتها **(على سبيل الابتداء)**

سبيل الابتداء وهي أقل الأموال وأكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير ولا تخرج إلا من دار الضرب وهي في أيدي الظلمة مثل المعادن في أيديهم يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء استخراجها بالأعمال الشاقة، ثم يأخذونها منهم غصباً فإذا نظر إلى هذا علم أن بقاء دينار واحد بحيث لا يتطرق إليه عقد فاسد ولا ظلم وقت النيل ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف، والربا بعيد نادر أو محال فلا يبقى إذن حلال إلا الصيد والحشيش في الصحارى الموات والمفاوز والحطب المباح، ثم من يحصله لا يقدر على أكله فيفتقر إلى أن يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل إلا بالاستنبات والتوالد، فيكون قد بذل حلالاً في مقابلة حرام فهذا هو أشد الطرق تخيلاً.

والجواب أن هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن النمط الذي نحن فيه والتحق بما ذكرناه من قبل وهو تعارض الأصل والغالب. إذ الأصل في هذه الأموال قبولها للتصرفات وجواز التراضي عليها وقد عارضه سبب غالب يخرجه

من غير سبق عمل، **(وهي أقل الأموال)** تحصيلاً **(فأكثر ما يستعمل منها الدراهم والدنانير)** المضروبة، والتبر استعماله قليل بالنسبة إلى الدراهم والدنانير، **(ولا تخرج إلا من دار الضرب)** المعدة لذلك فإنه يحمل ما استخرج من تراب الفضة أو الذهب إليها ويذيبونها في النار حتى يخلص التراب ثم يضربون عليه بالطابع، **(وهي)** أي دار الضرب **(في أيدي الظلمة)** والمتغلبين، **(بل المعادن)** أيضاً **(في أيدي الظلمة يمنعون الناس منها ويلزمون الفقراء إخراجها)** أي إخراج ما فيها **(بالأعمال الشاقة)**، أي المتعبة، **(ثم يأخذونها منهم غصباً)** وعتواً ويقاصصون في الأجر **(فإذا نظر إلى هذا علم أن بقاء دينار واحد)** أو درهم واحد من وقت تحصيله إلى زماننا هذا **(بحيث لم يتطرق إليه عقد فاسد ولا ظلم)** لا **(وقت النيل)** أي اخراجه من المعدن **(ولا وقت الضرب في دار الضرب ولا بعده في معاملات الصرف، والربا بعيد نادر)** عزيز الوجود **(أو محال، فلا يبقى إذاً حلال)** محض **(إلا الصيد)** في البر والبحر **(و)** جز **(الحشيش في الصحاري والمفاوز والحطب المباح)** الذي في الجبال العادية، **(ثم من يحصله لا يقدر على اكله بل يفتقر إلى أن يشتري به الحبوب والحيوانات التي لا تحصل إلا بالاستنبات والتوالد، فيكون قد بذل حلالا فى مقابلة حرام فهو من أشد الطرق تخييلاً)** وآكدها توهماً.

(والجواب: إن هذه الغلبة لم تنشأ من كثرة الحرام المخلوط بالحلال فخرج عن النمط الذي نحن فيه والتحق بما وعدناه من قبل وهو تعارض الأصل والغالب) فقد ذكر في القسم الرابع من تفسير الأصحاب أنه إذا تعارض الأصل والغالب فأيهما يعتبر، وذكر أن برهانه سيأتي في شبهة الخلط وهو هذا الموضع، **(فإن الأصل في هذه الأموال قبولها للتصرفات)** الشرعية

عن الصلاح له فيضاهي هذا محل القولين للشافعي رضي الله عنه في حكم النجاسات، والصحيح عندنا أنه يجوز الصلاة في الشوارع إذا لم يجد فيها نجاسة فإن طين الشوارع طاهر، وأن الوضوء من أواني المشركين جائز، وأن الصلاة في المقابر المنبوشة جائزة، فنثبت هذا أولاً ثم نقيس ما نحن فيه عليه، ويدل على ذلك توضؤ رسول الله ﷺ من مزادة مشركة، وتوضؤ عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير ولا يحترزون عما نجسه شرعنا فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم؟ بل يقول: نعلم قطعاً أنهم كانوا يلبسون الفراء المدبوغة والثياب المصبوغة والمقصورة، ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم أن الغالب عليهم النجاسة، وأن الطهارة في تلك الثياب محال أو نادر، بل نقول نعلم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه مع أنه يداس بالبقر والحيوانات وهي تبول عليه وتروث وقلما يخلص منها

(**وجواز التراضي عليها**) في المعاملات (**وقد عارضه سبب غالب يخرجه عن الصلاح له**) إلى الفساد (**فيضاهي هذا محل القولين للشافعي**) رحمه الله تعالى (**في النجاسات**)، وتقدم عن الرافعي: أن الظاهر منهما استصحاب الأصل، (**والصحيح عندنا أنه تجوز الصلاة في الشوارع**) وهي الطرق العامة المسلوكة (**إذا لم يكن**) بها (**نجاسة وان طين الشوارع**) المتحصل (**من ماء المطر طاهر، والوضوء في أواني المشركين**) وهم الكفار المتدينون باستعمال النجاسة كالمجوس (**جائز، وأن الصلاة في المقابر المنبوشة جائزة**) وعلى القول الثاني الذي[1] إن غلب على ظنه نجاسة شيء من ذلك كان كاستيقان النجاسة تمتنع الصلاة في المقابر المنبوشة ومع طين الشوارع، والتوضؤ من أواني المشركين وكل ما الغالب نجاسة مثله، (**فنثبت هذا أولاً**) ونجعله كالاساس (**ثم نقيس ما نحن فيه عليه، ويدل على ذلك توضؤ عمر**) بن الخطاب رضي الله عنه (**من إناء النصرانية**) وفي نسخة: من جرة من ماء النصرانية وقد تقدم في كتاب أسرار الطهارة، (**مع أن مشربهم الخمر ومطعمهم الخنزير**) في الغالب (**ولا يحترزون عما ينجسه شرعنا**) إلى غير ذلك من المقذرات، (**فكيف تسلم أوانيهم من أيديهم**) أي من إصابتها لها؟ (**بل نقول: نعلم قطعاً أنهم كانوا يلبسون الفراء**) أي جلود الحيوانات (**المدبوغة والثياب المصبوغة**) بالألوان، وقد يدخل في صبغها بعض ما يستقذر وكذا في دبغ الجلود (**والمقصورة**) وقد تقصر من مياه متنجسة. (**ومن تأمل أحوال الدباغين والقصارين والصباغين علم أن الغالب عليهم النجاسة، وأن الطهارة في تلك الثياب محال أو نادر**) جداً، (**بل نقول: نعلم أنهم كانوا يأكلون خبز البر والشعير ولا يغسلونه**) أي كلاً من البر والشعير (**مع أنه يداس بالبقر والحيوانات وهي تبول عليها وتروث**) في أدوارها، (**وقلّ ما يخلص منها**) وإن عمل حيلة،

---

(١) هنا بياض في الأصل.

وكانوا يركبون الدواب وهي تعرق وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة تزيلها الأمطار وقد لا تزيلها وما كان يحترز عنها وكانوا يمشون حفاة في الطرق وبالنعال ويصلون معها ويجلسون على التراب ويمشون في الطين من غير حاجة وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليها ويستنزهون منه ومتى تسلم الشوارع عن النجاسات مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأرواثها ؟ ولا ينبغي أن نظن أن الأعصار أو الأمصار تختلف في مثل هذا حتى يظن أن الشوارع كانت تغسل في عصرهم أو كانت تحرس عن الدواب هيهات، فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعاً فدلّ على أنهم لم يحترزوا إلا من نجاسة مشاهدة أو علامة على النجاسة دالة على العين. فأما الظن الغالب الذي يستثار من رد الوهم إلى مجاري الأحوال فلم يعتبروه، وهذا عند الشافعي رحمه الله وهو يرى أن الماء القليل ينجس من غير تغير واقع إذ لم يزل الصحابة يدخلون الحمامات ويتوضؤون من

(وكانوا يركبون الدواب) عرياً **(وهي تعرق وما كانوا يغسلون ظهورها مع كثرة تمرغها في النجاسات، بل كل دابة تخرج من بطن أمها وعليها رطوبات نجسة)** وقد تنشف عليها، **(وقد تزيلها الأمطار وقد لا تزيلها)** إذا كانت تحت الكف غالباً، **(وما كانوا يحترزون من شيء من ذلك وكانوا يمشون حفاة في الطريق)** تارة **(وبالنعال)** أخرى **(ويصلون بها)** أي بالنعال كما تقدم ذلك في كتاب الطهارة، **(ويجلسون على التراب)** من غير حائل **(ويمشون في الطين من غير ضرورة)** داعية **(و)** لا **(حاجة)** ملجئة **(وكانوا لا يمشون في البول والعذرة ولا يجلسون عليها)** لما فيهما من النجاسة **(ويستنزهون من ذلك)** أي من المشي في البول والعذرة **(ومتى تسلم الشوارع)** العامة **(من النجاسات)** الطارئة **(مع كثرة الكلاب وأبوالها وكثرة الدواب وأرواثها)**. أما الكلاب فلملازمتها الشوارع غالباً، وأما الدواب فلكثرة المارين بها وهم راكبون عليها. **(ولا ينبغي أن يظن أن الأعصار)** والأزمنة **(والأقطار)** أي جوانب الأرض **(تختلف في مثل هذا حتى يظن، أن الشوارع كانت تغسل في عصرهم)** بالمياه **(أو كانت تحرس عن الدواب)** أي عن دخولها **(هيهات، فذلك معلوم استحالته بالعادة قطعاً فدلّ أنهم لم يحترزوا إلا من نجاسة مشاهدة)** بالعين **(أو)** من **(علامة على النجاسة دالة على العين. فأما الظن الغالب الذي يستثار من رد الوهم إلى مجاري الأحوال فلم يعتبروه)** في ظاهر القولين، **(وهذا عند الشافعي)** رحمه الله تعالى **(وهو يرى أن الماء القليل)** في إناء أو غيره **(لا ينجس من غير تغير واقع)** لأحد أوصافه الثلاثة كما تقدم ذلك في كتاب الطهارة **(إذ لم تزل الصحابة)** رضوان الله عليهم **(يدخلون الحمامات)** عند فتوح الشام وبلاد العجم **(ويتوضؤون من الحياض)** المتخذة بها **(وفيها المياه**

الحياض وفيها المياه القليلة والأيدي المختلفة تغمس فيها على الدوام، وهذا قاطع في هذا الغرض - ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرة نصرانية ثبت جواز شربه والتحق حكم الحل بحكم النجاسة.

فإن قيل: لا يجوز قياس الحل على النجاسة إذ كانوا يتوسعون في أمور الطهارات ويحترزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليه؟ قلنا إن أريد به أنهم صلوا مع النجاسة والصلاة معها معصية وهي عماد الدين فبئس الظن، بل يجب أن نعتقد فيهم أنهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها وإنما تسامحوا حيث لم تجب وكان من محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الأصل والغالب، فبان أن الغالب الذي لا يستند إلى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطروح، وأما تورعهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس لأن أمر الأموال مخوف والنفس تميل إليها أن لم تضبط عنها، وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه. وهل حكي عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض، فالافتراق في ذلك لا يقدح في الغرض الذي أجمعنا فيه، على أنا نجري في هذا

القليلة والأيدي المختلفة) من الداخلين **(تغمس فيها على الدوام)** من غير نكير في ذلك ولا مانع يمنعهم، **(وهذا قاطع في الغرض ومهما ثبت جواز التوضؤ من جرة نصرانية)** كما فعله عمر رضي الله عنه **(ثبت جواز شربه والتحق حكم الحل بحكم النجاسة)**.

(فإن قيل: لا يجوز قياس الحل على النجاسة إذ كانوا يتوسعون في أمور الطهارات) بناء على أصل المطهر **(ويحترزون من شبهات الحرام غاية التحرز فكيف يقاس عليه)** مع اختلاف المقيس والمقيس عليه؟ **(قلنا: إن أريد به أنهم صلوا مع النجاسة فالصلاة بالنجاسة معصية وهي)** أي الصلاة **(عماد الدين)** كما جاء في الخبر وتقدم في كتاب الصلاة، **(فبئس الظن)** هذا **(بل يجب ان يعتقد فيهم أنهم احترزوا عن كل نجاسة وجب اجتنابها، وإنما تسامحوا بها حيث لم يجب)** الاجتناب **(وكان من محل تسامحهم هذه الصورة التي تعارض فيها الأصل والغالب، فبان)** أي ظهر **(أن الغالب الذي لا يستند إلى علامة تتعلق بعين ما فيه النظر مطروح)** أي متروك لا يعمل به، **(وأما تورعهم في الحلال فكان بطريق التقوى وهو ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس لأن أمر الأموال مخوف)** وفيها خطر عظيم **(والنفس تميل إليها)** جبلة **(إن لم تضبط عنها)** ويمسك لجامها، **(وأمر الطهارة ليس كذلك فقد امتنع طائفة منهم عن الحلال المحض خيفة أن تشتغل قلوبهم)** عن الله تعالى كما سيأتي بيان ذلك. **(وهل حكي عن واحد منهم أنه احترز عن الوضوء من ماء البحر وهو الطهور المحض)** بالنص **(فالافتراق في ذلك لا يقدح في الغرض الذي جمعنا فيه على أنا نجري في**

المستند على الجواب الذي قدمناه في المستندين السابقين، ولا نسلم ما ذكروه من أن الأكثر هو الحرام لأن المال وأن كثرت أصوله فليس بواجب أن يكون في أصوله حرام بل الأموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم إلى أصول بعضها دون بعض، وكما أن الذي يبتدأ غصبه اليوم هو الأقل بالإضافة إلى ما لا يغصب ولا يسرق، فهكذا كل مال في كل عصر وفي كل أصل فالمغصوب من مال الدنيا والمتناول في كل زمان بالفساد بالإضافة إلى غيره أقل، ولسنا ندري أن هذا الفرع بعينه من أي القسمين؟ فلا نسلم أن الغالب تحريمه فإنه كما يزيد المغصوب بالتوالد يزيد غير المغصوب بالتوالد فيكون فرع الأكثر لا محالة في كل عصر وزمان أكثر، بل الغالب أن الحبوب المغصوبة تغصب للأكل لا للبذر، وكذا الحيوانات المغصوبة أكثرها يؤكل ولا يقتنى للتوالد فكيف يقال: إن فروع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام؟ وليتفهم المسترشد من هذا طريق معرفة الأكثر فإنه مزلة قدم وأكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام؟ هذا في المتولدات من الحيوانات والحبوب، فأما المعادن فإنها مخلاة مسبلة يأخذها في بلاد الترك وغيرها من شاء، ولكن قد يأخذ السلاطين بعضها منهم أو

هذا المستند على الجواب الذي قدمناه في المستندين السابقين) آنفاً **(ولا يسلم ما ذكروه من أن الأكثر هو الحرام لأن المال وإن كثرت أصوله)** في الأزمنة المتطاولة **(فليس بواجب أن يكون في أصوله حرام، بل الأموال الموجودة اليوم مما تطرق الظلم إلى أصول بعضها دون البعض، وكما أن الذي يبتدأ غصبه اليوم هو الأقل بالإضافة إلى ما لا يغصب ولا يسرق، فهكذا)** حال **(كل مال في كل عصر وفي كل أصل)** من أصوله، **(فالمغصوب من أموال الدنيا والمتناول بالفساد)** من أي وجه **(في كل زمان بالإضافة إلى غيره أقل، ولسنا ندري أن هذا الفرع بعينه من أي القسمين)** هل هو من أصل صالح أو أصل فاسد؟ **(فلا نسلم أن الغالب تحريمه فإنه كما تزيد عين المغصوب التوالد يزيد غير المغصوب أيضاً فتكون فروع الأكثر لا محالة أكثر في كل عصر وزمان، بل الغالب أن الحبوب المغصوبة تغصب للأكل)** فيضمحل أثرها **(لا للبذر)** والحرث، **(وكذلك الحيوانات أكثرها يؤكل)** فيضمحل **(ولا يقتنى للتوالد، فكيف يقال أن فروع الحرام أكثر ولم تزل أصول الحلال أكثر من أصول الحرام، فليفهم المسترشد)** أي طالب الرشد **(من هذا)** الذي فصلناه **(طريق معرفة الأكثر)** والكثير **(فإنه مزلة قدم)** أي لصعوبته لا تثبت فيه الأقدام، **(وأكثر العلماء يغلطون فيه فكيف العوام)** من الناس **(هذا في المستولدات من الحبوب والحيوانات، فأما المعادن فإنها مخلاة)** أي مباحة متروكة **(يأخذها من بلال الترك)** والأفرنج **(وغيرها من شاء)** من غير حرج، **(ولكن قد تأخذ السلاطين بعضها منهم**

يأخذون الأقل لا محالة لا الأكثر، ومن حاز من السلاطين معدناً فظلمه يمنع الناس منه فأما ما يأخذه الآخذ منه فيأخذه من السلطان بأجرة، والصحيح أنه يجوز الاستنابة في إثبات اليد على المباحات والاستئجار عليها فالمستأجر على الاستقاء إذا حاز الماء دخل في ملك المستقي له واستحق الأجرة، فكذلك النيل، فإذا فرعنا على هذا لم نحرم عين الذهب إلا أن يقدر ظلمه بنقصان أجرة العمل وذلك قليل بالإضافة ثم لا يوجب تحريم عين الذهب بل يكون ظالماً ببقاء الأجرة في ذمته، وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذي غصبه وظلم به الناس، بل التجار يحملون إليهم الذهب المسبوك أو النقد الرديء ويستأجرونهم على السبك والضرب ويأخذون مثل وزن ما سلموه إليهم إلا شيئاً قليلاً يتركونه أجرة لهم على العمل وذلك جائز، وإن فرض دنانير مضروبة من دنانير السلطان فهو بالإضافة إلى مال التجار أقل لا محالة. نعم السلطان يظلم أجراء دار الضرب بأن يأخذ منهم ضريبته لأنه خصصهم بها من بين سائر

ويأخذون الأقل لا محالة لا الأكثر) وربما أخذوا منهم كلها، (**ومن حاز من السلاطين معدناً**) من المعادن (**فظلمه يمنع الناس عنه**) ولا يحرمون حماه، (**وأما ما يأخذه الآخذ منه فيأخذه للسلطان بأجرة**) معلومة. (**والصحيح أنه يجوز الاستنابة في إثبات اليد على المباحات**) الشرعية (**والاستئجار عليها فالمستأجر على الاستيقاء إذا حاز الماء دخل في ملك المستقي له واستحق الأجرة وكذلك النيل**) أي اصابة المعدن، (**فإذا فرعنا على هذا لم يحرم عين الذهب**) المستخرج من المعدن (**إلا أن نقدر ظلمه بنقصان أجرة العمل وذلك قليل بالإضافة، ثم لا نوجب تحريم عين الذهب، بل يكون ظالماً ببقاء الأجرة في ذمته**) وهذا لا علاقة له بتحريم عين الذهب، (**وأما دار الضرب فليس الذهب الخارج منها من أعيان ذهب السلطان الذي غصبه**) من الناس (**وظلم به الناس بل النجار**) من سائر الأصناف (**يحملون إليها الذهب المسبوك والنقد الرديء**) وكسارات الذهب والحلي المصنوع منه (**ويستأجرونهم على السبك والضرب**) والنقش والجلاء وغير ذلك من الأعمال، حتى أن الدينار الواحد يدور على يد اثني عشر صانعاً وكل منهم بعمل مستقل، (**ويأخذون مثل وزن ما سلموه إلا شيئاً قليلاً يتركونه أجرة لهم**) تحت صنائعهم المختلفة. (**وذلك جائز**) شرعاً إلا ما ورد النهي عن كسر السكة الجائزة بين المسلمين للإلباس به كما تقدم. (**فإن فرضت دنانير مضروبة من ذهب السلطان**) الذي غصبه بعينه (**فهي بالإضافة إلى مال التجار**) الواردين به إلى دار الضرب (**أقل لا محالة، نعم إن السلطان يظلم أجراء دار الضرب بأن يأخذ منهم ضريبة**) أي وظيفة مضروبة عليهم. يقال: ضرب الأمير عليه ضراباً جعله عليه وظيفة والاسم الضريبة (. **ولأنه خصصهم بها من بين سائر الناس**) مع إشرافهم إليها، (**حتى توفر عليهم مال**

الناس حتى توفر عليهم مال بحشمة السلطان، فما يأخذه السلطان عوض من حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالإضافة إلى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم لأهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منه من المائة واحد ،وهو عشر العشير فكيف يكون هو الأكثر؟ فهذه أغاليط سبقت إلى القلوب بالوهم وتشمر لتزيينها جماعة ممن رق دينهم حتى قبحوا الورع وسدوا بابه واستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال، وذلك عين البدعة والضلال.

فإن قيل: فلو قدر غلبة رغبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا تقولون فيه إذا لم يكن في العين المتناولة علامة خاصة، فنقول: الذي نراه أن تركه ورع وأن أخذه ليس بحرام، لأن الأصل الحل ولا يرفع إلا بعلامة معينة كما في طين الشوارع ونظائرها بل أزيد، (وأقول): لو طبق الحرام الدنيا حتى علم يقيناً أنه لم يبق في الدنيا حلال لكنت أقول نستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف ونقول ما جاوز حده انعكس إلى ضده فمهما حرم الكل حل الكل. وبرهانه أنه إذا وقعت هذه الواقعة فالاحتمالات خمسة.

بحشمة السلطان فما يأخذه) السلطان منهم من ذلك **(عوض حشمته وذلك من باب الظلم وهو قليل بالإضافة إلى ما يخرج من دار الضرب فلا يسلم)** أي لا يبقى **(لأهل دار الضرب والسلطان من جملة ما يخرج منها من المائة واحد** وهو عشر العشير، **فكيف يكون هو الأكثر؟ فهذه أغاليط)** جمع أغلوط **(سبقت إلى القلوب بالوهم)** والخطأ **(وتشمر لتأنيقها)** أي لتزيينها يقال: أنق الكلام إذا جعله ذا أنق **(جماعة ممن رقّ دينهم)** أي ضعف **(حتى قبحوا الورع وسدوا بابه واستقبحوا تمييز من يميز بين مال ومال، وذلك عين البدعة والضلال)** وفي سلوك طريقه الوبال.

(فإن قيل: فلو قدر غلبة الحرام وقد اختلط غير محصور بغير محصور فماذا تقولون إذا لم تكن في العين المتناولة علامة خاصة) تميز الحلال منه؟ **(فنقول: الذي نراه أن تركه ورع وإن أخذه ليس بحرام، لأن الاصل الحل)** فتستصحب الأصل **(ولا يرفع إلا بعلامة معينة كما)** قلنا **(في طين الشوارع ونظائره)** عملاً بظاهر القولين **(بل أزيد، وأقول: لو طبق الحرام الدنيا)** وغلب على أموالها **(حتى علم يقيناً)** أي من طريق اليقين **(أنه لم يبق في الدنيا حلال لكنت أقول يستأنف تمهيد الشروط من وقتنا ونعفو عما سلف)** أي مضى **(ونقول ما جاوز انعكس إلى ضده)** وهي قاعدة شريفة، وكذا قولهم: إذا ضاق الأمر اتسع، **(فمهما حرم الكل حل الكل وبرهانه أنه إذا وقعت هذه الواقعة)** أي اتفق وقوعها في زمن **(فالاحتمالات خمسة)**.

أحدها: أن يقال يدع الناس الأكل حتى يموتوا من عند آخرهم.

الثاني: أن يقتصروا منها على قدر الضرورة وسد الرمق يزجون عليها أياماً إلى الموت.

الثالث: أن يقال يتناولون قدر الحاجة كيف شاؤوا سرقة وغصباً وتراضياً من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة.

الرابع: أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده من غير اقتصار على قدر الحاجة.

الخامس: أن يقتصروا مع شروط الشرع على قدر الحاجة.

أما الأول: فلا يخفى بطلانه، وأما **الثاني،** فباطل قطعاً لأنه إذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا أوقاتهم على الضعف فشافيهم الموتان وبطلت الأعمال والصناعات وخربت الدنيا بالكلية ـ وفي خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة ـ وأحكام الخلافة والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها

(**أحدها: أن يقال يدع الناس الأكل**) أي يتركونه (**حتى يموتوا من عند آخرهم**) لفساد البنية.

(**الثاني: أن يقتصروا منها على قدر الضرورة**) الداعية (**وسد الرمق**) أي قدر ما يمسك به قوته ويحفظها، (**ويزجون على ذلك**) أي يساقون أياماً (**إلى**) أن يأتي (**الموت**).

(**الثالث: أن يقال يتناولون**) منها (**قدر الحاجة كيف شاؤوا سرقة**) كان (**أو غصباً أو تراضياً**) من الذي في يده (**من غير تمييز بين مال ومال وجهة وجهة**).

(**الرابع: أن يتبعوا شروط الشرع ويستأنفوا قواعده**) أي العمل بها (**من غير اقتصار على قدر الحاجة**) بل يتوسعوا.

(**الخامس: أن يقتصروا مع**) إتباع (**شروط الشرع على قدر الحاجة**) **فهذه** خمس احتمالات.

(**أما الأول: فلا يخفى بطلانه**) إذ هو القاء بالأيدي إلى التهلكة وهو حرام، (**وأما الثاني فباطل قطعاً لأنه إذا اقتصر الناس على سد الرمق وزجوا أوقاتهم مع الضعف فشافيهم الموتان**) بالضم هو الموت الذريع (**وبطلت الأعمال والصناعات**) التي عليها مدار نظام الدنيا (**وخربت الدنيا بالكلية وفي خراب الدنيا خراب الدين لأنها مزرعة الآخرة**) تقدم الكلام عليها في مقدمة كتاب العلم (**وأحكام الخلافة**) العظمى (**والقضاء والسياسات بل أكثر أحكام الفقه مقصودها حفظ مصالح الدنيا ليتم بها مصالح الدين**) فإنها منوطة بمصالح الدنيا. (**وأما**

مصالح الدين. وأما **الثالث**؛ وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة عليه مع التسوية بين مال ومال بالغصب والسرقة والتراضي، وكيفما اتفق فهو رفع لسد الشرع بين المفسدين وبين أنواع الفساد فتمتد الأيدي بالغصب والسرقة وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم منه إذ يقولون: ليس يتميز صاحب اليد باستحقاق عنا فإنه حرام عليه وعلينا، وذو اليد له قدر الحاجة فقط فإن كان هو محتاجاً فانا أيضاً محتاجون، وإن كان الذي أخذته في حقي زائداً على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجة يومه، وإذا لم يراع حاجة اليوم والسنة فما الذي يراعي وكيف يضبط؟ وهذا يؤدي إلى بطلان سياسة الشرع وإغراء أهل الفساد بالفساد، فلا يبقى إلا الاحتمال **الرابع** وهو أن يقال: كل ذي يد على ما في يده هو أولى به لا يجوز أن يؤخذ منه سرقة أو غصباً، بل يؤخذ برضاه والتراضي هو طريق الشرع، وإذا لم يجز إلا بالتراضي فللتراضي أيضاً منهاج في الشرع تتعلق به المصالح، فإن لم يعتبر فلم يتعين أصل التراضي وتعطل تفصيله. وأما الاحتمال **الخامس** وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدي فهو

الثالث: وهو الاقتصار على قدر الحاجة من غير زيادة) عليه **(مع التسوية)** والتعديل **(بين مال ومال)** سواء **(بالغصب)** من أحد **(والسرقة)** من حرز **(والتراضي)** من الجانبين، **(وكيفما اتفق)** من هذه الوجوه **(فهو رفع لحكم الشرع وفتح لباب سدة الشرع بين المفسدين)** الطاغين **(وبين أنواع الفساد)** على اختلافها **(فتمتد الأيدي)** وتسرق الأعين **(بالغصب والسرقة)** والنهب **(وأنواع الظلم ولا يمكن زجرهم عنه)** بحال **(إذ يقولون: لا يتميز صاحب اليد)** الواضعها عليه **(باستحقاق عنا)** ولا خصوصية **(فإنه حرام عليه وعلينا)** جميعاً، **(وذو اليد له قدر الحاجة فقط)** وليس له التصرف في الزيادة **(فإن كان هو محتاجاً فأنا أيضاً محتاجون، وإن كان الذي أخذته في حقي زائداً على الحاجة فقد سرقته ممن هو زائد على حاجة يومه)** فتساوينا، **(وإذا لم نراع حاجة اليوم أو السنة فما الذي يراعي فكيف يضبط؟ وهذا يؤدي إلى بطلان سياسة الشرع)** بالكلية بل يفضي إلى هدم أركانها **(وإغراء أهل الفساد)** والظلم وتجريهم **(بالفساد)** المهلك، **(فلا يبقى إلا الاحتمال الرابع وهو أن يقال: كل ذي يد على ما في يده)** من المال **(هو أولى به ولا يجوز أن يؤخذ منه سرقة أو غصباً)** أو نهباً، **(بل يؤخذ برضاه)** ومواطأته عليه **(والتراضي هو طريقة الشرع)** وباب من أبوابه، **(وإذا لم يجوز إلا التراضي فللتراضي أيضاً منهاج في الشرع)** معروف **(تتعلق به المصالح)** والأحكام، **(فإنه لم يعتبر فلم يتعين أصل التراضي وتعطل تفصيله وأما الاحتمال الخامس: وهو الاقتصار على قدر الحاجة مع الاكتساب بطريق الشرع من أصحاب الأيدي)** المالكة **(فهو الذي نراه لائقاً بالورع)** والتقوى **(لمن يريد سلوك**

الذي نراه لائقاً بالورع لمن يريد سلوك طريق الآخرة، ولكن لا وجه لإيجابه على الكافة ولا لإدخاله في فتوى العامة لأن أيدي الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة في أيدي الناس، وكذا أيدي السراق، وكل من غلب سلب وكل من وجد فرصة سرق ويقول لا حق له إلا في قدر الحاجة وأنا محتاج، ولا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدي الملاك، ويستوعب بها أهل الحاجة ويدر على الكل الأموال ـ يوماً فيوماً أو سنة فسنة ـ وفيه تكليف شطط وتضييع أموال.

إأمـا تكليف الشطط؛ فهو أن السلطان لا يقدر على القيام بهذا مع كثرة الخلق بل لا يتصوّر ذلك أصلاً، وأما التضييع، فهو أن ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبوب ينبغي أن يلقى في البحر أو يترك حتى يتعفن فإن الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق وترفههم، فكيف على قدر حاجتهم؟ ثم يؤدي ذلك إلى سقوط الحج والزكاة والكفارات المالية وكل عبادة نيطت بالغنى عن الناس إذا أصبح

طريق الآخرة) ويعتمدها، **(ولكن لا وجه لإيجـابه على الكافة)** أي جميع الناس **(و)** لا وجه أيضاً **(لإدخاله في فتوى العامة لان ايدي الظلمة تمتد إلى الزيادة على قدر الحاجة في أيدي الناس، وكذا أيدي السراق)** أي تمتد كذلك، **(فكل من غلب)** بقوته **(سلب)** غيره **(وكل من وجد فرصة)** وغفلة **(سرق ويقول)** في احتجاجه: **(لا حق له إلا في قدر الحاجة وأنا محتاج، فلا يبقى إلا أن يجب على السلطان أن يخرج كل زيادة على قدر الحاجة من أيدي الملاك ويستوعب بها أهل الحاجة)** أي يعم بها إياهم **(ويدر على الكل الأموال يوماً فيوماً)** أو شهراً فشهراً **(أو سنة فسنة وفيه تكليف شطط)** محرج **(وتضييع أموال)**.

(أما تكليف الشطط: فهو أن السلطان لا يقدر على القيام بها مع كثرة الخلق بل لا يتصور ذلك أصلاً) وقد يقال: إن التكليف المذكور متعين ودعوى عدم التصور ممنوع، فإن السلطان يمكنه الإفاضة عرفاً وأمناً على كل قبيلة بل على كل حارة من كل مدينة فيقسطون على الكل ما يخصهم قدر الحاجة بما يرون إما في كل شهر مرة أو مرات، فهذا غير محال على الملوك فتأمل.

(وأما التضييع، فهو أن ما فضل عن الحاجة من الفواكه واللحوم والحبات ينبغي أن يلقى في البحر أو يترك حتى يتعفن) بتغيرها وهذا في اللحوم ظاهر، وكذا في بعض الفواكه التي لا بقاء لها مدة، وأما الحبوب فلا إلا أن يراد بالحبوب غير ما يسبق إلى الأذهان كما يدل عليه سياقه بعد وهو قوله: **(فإن الذي خلقه الله من الفواكه والحبوب زائد على قدر توسع الخلق)** في معايشهم **(وترفههم، فكيف على قدر حاجتهم ثم يؤدي ذلك إلى سقوط الحج والزكاة والكفارات المالية و)** كذا **(كل عبارة نيطت بالغنى عن الناس إذ أصبح الناس لا**

الناس لا يملكون إلا قدر حاجتهم وهو في غاية القبح، بل أقول: لو ورد نبي في مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمر ويمهد تفصيل أسباب الأملاك بالتراضي وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الأموال حلالاً من غير فرق، وأعني بقولي: يجب عليه إذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم إذ لا يتم الصلاح برد الكافة إلى قدر الضرورة والحاجة إليه، فإن لم يبعث للصلاح لم يجب هذا. ونحن نجوّز أن يقدر الله سبباً يهلك به الخلق عن آخرهم فيفوت دنياهم ويضلون في دينهم فإنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء، ولكنا نقدر الأمر جارياً على ما ألف من سنة الله تعالى في بعثة الأنبياء لصلاح الدين والدنيا. وما لي أقدر هذا وقد كان ما أقدره فلقد بعث الله نبينا ﷺ على فترة من الرسل، وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة والناس منقسمون إلى مكذبين له من اليهود وعبدة الأوثان. وإلى مصدقين له قد شاع الفسق فيهم كما شاع في زماننا الآن والكفار مخاطبون

يملكون إلا قدر حاجتهم وهو في غاية القبح) يمجه الطبع السليم، **(بل أقول: لو ورد نبي)** من الأنبياء **(في مثل هذا الزمان لوجب عليه أن يستأنف الأمر)** أي يأخذه آنفاً **(ويمهد تفصيل أسباب الأملاك)** فيما بينهم **(بالتراضي وسائر الطرق ويفعل ما يفعله لو وجد جميع الأموال حراماً من غير فرق)** كذا في غالب النسخ التي بأيدينا، وفي بعضها حلالاً من غير فرق. **(وأعني بقولي)** وفي نسخة: بقوله: **(يجب عليه إذا كان النبي ممن بعث لمصلحة الخلق في دينهم ودنياهم إذ لا تتم المصالح)** المطلوبة **(برد الكافة إلى قدر الضرورة والحاجة البتة)** وفي نسخة: إليه **(فإن لم يبعث للمصالح لم يجب عليه هذا)** وإليه الإشارة بما ورد في الخبر: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» أي أنه بعث لمصالح الدين والدنيا وإتمامها. **(ونحن نجوز)** عقلاً **(أن يقدر الله)** تعالى **(شيئاً يهلك به الخلق عن آخرهم)** أي كلهم **(فيفوت دنياهم ويضلون في دينهم فإنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويميت من يشاء ويحيي من يشاء)** لا يسأل عما يفعل، **(ولكنا نقدر الأمر جارياً على ما ألف)** وعهد **(من سنة الله)** عز وجل الجارية **(من بعثة الأنبياء)** عليهم السلام **(لصلاح الدين والدنيا)** وإتمام مكارم الأخلاق، **(وما لي أقدر هذا وقد كان ما أقدره)** ووجد **(فلقد بعث نبينا ﷺ على)** حين **(فترة من الرسل)** وغلبة الجهل، **(وكان شرع عيسى عليه السلام قد مضى عليه قريب من ستمائة سنة)** وذكر الزبير بن بكار في أنساب قريش فقال: وحدثني إبراهيم بن المنذر، عن إسحاق بن عيسى، حدثني عامر بن يساف اليامي، عن أيوب بن عتبة قال: كان بين عيسى ومحمد ﷺ ستمائة سنة وهي الفترة. **(والناس منقسمون إلى مكذبين له من)** طائفة **(اليهود)** الخاسرين **(وعبدة الأوثان)** من المجوس أتباع زرادشت وغيرهم **(وإلى مصدقين له)** من بني اسرائيل وغيرهم

بفروع الشريعة. والأموال كانت في أيدي المكذبين له والمصدقين، أما المكذبون فكانوا

(وقد شاع الفسق فيهم كما شاع في زماننا الآن) سواء بسواء **(والكفار)** بأجمعهم **(مخاطبون بفروع الشريعة)** وهذه المسألة مختلف فيها بين الأئمة.

قال المجد الأيكي في شرح المنهاج الأصولي: أعلم أن حصول شرائط صحة الفعل ليس مشترطاً في التكليف به خلافاً لأصحـاب أبي حنيفة والمعتزلة، وهذه المسألة مفروضة في أن الكفار مكلفون بفروع الإيمان مثل الصوم والصلاة حالة الكفر أم لا. عند الشافعي وغيره من أصحابه أن الكافر مكلف بالفروع، وعن أبي حنيفة أنه غير مكلف به، وعند قوم مكلف في المنهيات غير مكلف في المأمورات، والمراد من تكليف الكافر بالفروع ليس طلب الفعل منه حال كفره، بل المراد تضاعف العذاب بسبب ترك الفروع على العذاب بترك الإيمان. والدليل على أن الكافر مكلف بالفروع أن الآيات الآمرة مثل: ﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ وغيرها متناولة للكفار أيضاً بدليل صحة الاستثناء والكفر غير مانع لإمـكان إزالته كما في الحديث، والغاية أن الكافر مكلف بالإيمان أولاً وبالصلاة ثانياً، وأيضاً الآيات الموعدة بالعذاب بترك الفروع كثيرة كلها تدل على أن الكافر مكلف بالفروع مثل: ﴿فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة﴾ ومثل قوله: ﴿ما سلككم في سقر ★ قالوا لم نكُ من المصلين﴾ [المدثر: ٤٢] وأيضاً الكافر مكلف بالنواهي إتفاقاً فيجب أن يكون مكلفاً بالأوامر قياساً عليه بجامع كونهما حكمين شرعيين اهـ.

وقال فخر الإسلام من أصحابنا في آخر أصوله في بيان الأهلية: الكافر أهل لأحكام لا يراد بها وجه الله لأنه أهل لأدائها، فكان أهلاً للوجوب له وعليه، ولما لم يكن أهلاً لثواب الآخرة لم يكن أهلاً لوجوب شيء من الشرائع التي هي طاعات الله تعالى، وكان الخطاب موضوعاً عنه عندنا والإيمان بالله لما كان أهلاً لادائه ووجوب حكمه ولم يجعل مخاطباً بالشرائع لشرط تقديم الإيمان لأنه رأس أسباب أهلية أحكام نعيم الآخرة فلم يصح أن يجعل شرطاً مقتضياً اهـ أي للزوم قلب الموضوع والشرع حينئذ.

وذكر السعد في التلويح على التوضيح ما نصه: معناه أنهم يؤاخذون بترك الاعتقاد لأن موجب الأمر اعتقاد اللزوم والأداء، وأما في حق وجوب الأداء في الدنيا فمذهب العراقيين أن الخطاب يتناولهم وأن الأداء واجب عليهم وهو مذهب الشافعي، وعند عامة مشايخ ديار ما وراء النهر لا يخاطبون بإداء ما يحتمل السقوط، وإليه ذهب القاضي أبو زيد، والإمام شمس الأئمة وفخر الإسلام وهو مختار المتأخرين، ولا خلاف في عدم جواز الأداء حال الكفر، ولا في عدم وجوب القضاء بعد الإسلام، وإنما تظهر فائدة الخلاف في أنهم هل يعاقبون في الآخرة بترك العبادات زيادة على عقوبة للكفر كما يعاقبون بترك الاعتقاد. كذا ذكره في الميزان وهو الموافق لما ذكر في أصول الشافعية من أن تكليفهم بالفروع إنما هو لتعذيبهم بتركها كما يعذبون بترك الأصول، فظهر أن محل الخلاف هو الوجوب في حق المؤاخذة على ترك الأعمال بعد الاتفاق على المؤاخذة

يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام، وأما المصدقون فكانوا يتساهلون مع أصل التصديق كما يتساهل الآن المسلمون مع أن العهد بالنبوّة أقرب، فكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراماً. وعفا ﷺ عما سلف ولم يتعرض له وخصص أصحاب الأيدي بالأموال ومهد الشرع وما ثبت تحريمه في شرع لا ينقلب حلالاً لبعثة رسول ولا ينقلب حلالاً بأن يسلم الذي في يده الحرام، فإنا لا نأخذ في الجزية من أهل الذمة ما نعرفه بعينه أنه ثمن خمر أو مال ربا فقد كانت أموالهم في ذلك الزمان كأموالنا الآن، وأمر العرب كان أشد لعموم النهب والغارة فيهم، فبان أن الاحتمال الرابع متعين في

بترك اعتقاد الوجوب، ولما أورد صاحب التوضيح قوله تعالى: ﴿ما سلككم في سقر﴾ الآية دليلاً على أنهم مخاطبون بالعبادات في حق المؤاخذة في الآخرة على ما هو المتفق قال السعد: وقد نبهناك على أن محل الوفاق ليس هو المؤاخذة في الآخرة على ترك الأعمال بل على ترك اعتقاد الوجوب، فالآية متمسك للقائلين بالوجوب في حق المؤاخذة على ترك الأعمال أيضاً، ولهذا أجاب عنه الفريق الثاني بأن المراد لم يكن من المعتقدين فرضية الصلاة فيكون العذاب على ترك الاعتقاد ورد بأنه مجاز فلا يثبت إلا بدليل.

فإن قيل: لا حجة في الآية لجواز أن يكونوا كاذبين في إضافة العذاب إلى ترك الصلاة والزكاة ولا يجب على الله تكذيبهم كما في قوله تعالى: ﴿والله ربنا كنا مشركين﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ [النحل: ٢٨] ونحو ذلك، أو يكون الأخبار عن المرتدين الذين تركوا الصلاة حال ردتهم: قلنا الإجماع على أن المراد تصديقهم فيما قالوا وتحذير غيرهم، ولو كان كذباً لما كان في الآية فائدة وترك التكذيب إنما يحسن إذا كان العقل مستقلاً بكذبه كما في الآيات المذكورة، وههنا ليس كذلك والمجرمون عام لا تخصيص له بالمرتدين اهـ.

(**والأموال كانت في أيدي المكذبين**) لشريعته (**والمصدقين، أما المكذبون فكانوا يتعاملون بغير شرع عيسى عليه السلام**) لأنهم كانوا يخالفونه فيما يقول، (**وأما المصدقون فكانوا يتساهلون**) في معاملاتهم (**مع أصل التصديق بنبوته كما يتساهل الآن المسلمون مع أن العهد بالنبوة أقرب**) ولكن لغلبة الجهل وإفراط العناد، (**فكانت الأموال كلها أو أكثرها أو كثير منها حراماً**) لعدم جريان التصريف فيها بموجب الشريعة. (**وعفا ﷺ عما سلف ولم يتعرض له**) بسؤال ولا بحث، (**وخصص أصحاب الأيدي بالأموال**) التي بأيديهم (**ومهد الشرع**) ووضع أصوله (**وما ثبت تحريمه في شرع**) من الشرائع (**لا ينقلب حلالاً لبعثة رسول**) من الرسل (**ولا ينقلب حلالاً بأن يسلم الذي في يده الحرام**) أي بانتقاله إلى دين آخر، (**فإنا لا نأخذ في الجزية**) وهي بالكسر اسم لما يؤخذ من أموال أهل الذمة (**ما نعرفه بعينه**) أي بذاته (**أنه ثمن خمر**) مثلاً (**أو مال ربا**) أو غير ذلك من طرق الحرام، (**فقد كانت أموالهم في ذلك الزمان كأموالنا الآن**) في الخلطة، (**وأمر العرب**) ما عدا الطوائف المذكورة (**كان**

الفتوى، والاحتمال الخامس هو طريق الورع، بل تمام الورع الاقتصار في المباح على قدر الحاجة وترك التوسع في الدنيا بالكلية وذلك طريق الآخرة. ونحن الآن نتكلم في الفقه المنوط بمصالح الخلق وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح وطريق الدين لا يقدر على سلوكه إلا الآحاد، ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام وخرب العالم، فإن ذلك طلب ملك كبير في الآخرة ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا وتركوا الحرف الدنية والصناعات الخسيسة لبطل النظام ثم يبطل ببطلانه الملك أيضاً، فالمحترفون إنما سخروا لينتظم الملك للملوك وكذلك المقبلون على الدنيا سخروا ليسلم طريق الدين لذوي الدين وهو ملك الآخرة، ولولاه لما سلم لذوي الدين أيضاً دينهم فشرط سلامة الدين لهم أن يعرض الأكثرون عن طريقهم ويشتغلوا بأمور الدنيا وذلك قسمة سبقت بها المشيئة الأزلية وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم

أشد) من أمرهم **(لعموم النهب والغارة فيهم)** فإنه كما ثبت في سير أحوالهم أنهم كانوا ينهبون الإبل وغيرها ويغيرون على بعضهم فيستبيحون النساء والأموال، **(فبان)** أي ظهر **(أن الاحتمال الرابع)** الذي تقدم **(متعين في الفتوى)** الظاهرة **(والاحتمال الخامس طريق الورع)** والاحتياط، **(بل تمام الورع)** هو **(الاقتصار في)** تناول **(المباح على قدر الحاجة)** والاضطرار **(وترك التوسع في)** أمور الدنيا بالكلية و**(ذلك هو طريق الآخرة)** لمن يسلكها **(ونحن الآن نتكلم في الفقه المنوط)** أي المرتبط **(بمصالح الخلق)** الدينية والدنيوية **(وفتوى الظاهر له حكم ومنهاج على حسب مقتضى المصالح)** المذكورة **(وطريق الدين)** صعب المرتقى **(لا يقدر على سلوكه إلا الآحاد)** من المنفردين، **(ولو اشتغل الخلق كلهم به لبطل النظام)** المطلوب **(وخرب العالم فإن ذلك)** أي سلوك طريق الدين **(طلب ملك كبير في الآخرة)** المشار إليه بقوله تعالى: ﴿نعيماً وملكاً كبيراً﴾ [الإنسان: ٢٠] **(ولو اشتغل كل الخلق بطلب ملك الدنيا)** الذي هو الرئاسة على الناس **(وتركوا الحرف الدنيئة)** أي الحقيرة **(والصناعات الخسيسة بطل النظام)** فقد أقام الله كل إنسان فيما يسر له وبورك فيما حضر له، **(ثم يبطل ببطلانه الملك أيضاً)** ولا يستقيم، **(فالمحترفون إنما سخروا)** لحرفهم **(ليسلم الملك للملوك وكذلك المقبلون على الدنيا)** أي على تحصيلها **(سخروا ليسلم طريق الدين لذوي الدين وهو)** أي طريق الدين **(ملك الآخرة ولولاه)** أي ذلك التسخير **(لا يسلم لذوي الدين أيضاً دينهم)** لافتقارهم إلى ما يتعيشون به في الجملة، فلولا أهل الدنيا لهلك أهل الدين، **(فشرط سلامة الدين لهم)** أي لأهله **(أن يعرض الأكثرون عن طريقهم)** إعراضاً ولو قريباً **(وليشتغلوا بأمور الدنيا)** ليكون بذلك إعانة منهم لأهل الدين، **(وكل ذلك قسمة)** إلهية **(سبقت بها المشيئة الأزلية)** من الأزل، **(وإليه الإشارة بقوله تعالى)** ﴿**نحن قسمنا**

في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ﴾ [الزخرف : ٣٢] فإن قيل : لا حاجة إلى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فإن ذلك غير واقع وهو معلوم ، ولا شك في أن البعض حرام وذلك البعض هو الأقل أو الأكثر فيه نظر ، وما ذكرتموه من أنه الأقل بالإضافة إلى الكل جلي ولكن لا بد من دليل محصل على تجويزه ليس من المصالح المرسلة ، وما ذكرتموه من التقسيمات كلها مصالح مرسلة فلا بدّ لها من شاهد معين تقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولاً بالاتفاق فإن بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة ؟

بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

(فإن قيل لا حاجة إلى تقدير عموم التحريم حتى لا يبقى حلال فإن ذلك غير واقع) في المشاهد **(وهو معلوم ولا شك في أن البعض حرام وذلك البعض هو الأقل)** بالإضافة إلى الكثير والأكثر **(أو الأكثر فيه نظر ، وما ذكرتموه من أنه الأقل بالإضافة إلى الكل جلي)** أي ظاهر ، **(ولكن لا بد من دليل محصل على تجويزه)** أي جعله جائزاً **(ليس من المصالح المرسلة ، وما ذكرتموه من التقسيمات كلها مصالح مرسلة فلا بد لها)** من شاهد معين يقاس عليه حتى يكون الدليل مقبولاً **(بالاتفاق فإن بعض العلماء لا يقبل المصالح المرسلة)** .

قلت وقيل هو من جملة الأدلة المقبولة . قال الأسنوي في شرح المنهاج : أعلم أن المناسب قد يعتبره الشارع وقد يلغيه وقد لا يعلم حاله ، وهذا الثالث هو المسمى بالمصالح المرسلة ويعبر عنه بالمناسب المرسل وفيه ثلاث مذاهب . أحدها : أنه غير معتبر مطلقاً . قال ابن حاجب : وهو المختار ، وقال الآمدي : هو الحق الذي عليه الفقهاء . والثاني : أنه حجة مطلقاً وهو مشهور عن مالك واختاره إمام الحرمين . قال ابن الحاجب : وقد نقل أيضاً عن الشافعي وكذلك قال إمام الحرمين إلا أنه شرط فيه أن تكون المصالح مشبهة بالمصالح المعتبرة . والثالث : وهو رأي الغزالي واختاره المصنف أنه إن كانت المصلحة ضرورية قطعية كلية اعتبرت وإلا فلا فالضرورية هي التي تكون من إحدى الضروريات الخمس وهي حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسب ، وأما القطعية فهي التي تجزم بحصول المصلحة فيها ، والكلية هي التي تكون موجبة لفائدة عامة المسلمين . ومثال ذلك ما إذا صال علينا كفار تترسوا بأسارى المسلمين وقطعنا بأنا لو امتنعنا عن الترس لصدمونا واستولوا على ديارنا وقتلوا المسلمين كافة حتى الترس ، ولو رمينا الترس لقتلنا مسلماً من غير ذنب صدر فإن قيل : الترس والحالة هذه مصلحة مرسلة لكونه لم يعهد في الشرع جواز قتل مسلم بلا ذنب ، ولم يقم أيضاً دليل على عدم جواز قتله عند اشتماله على مصلحة عامة للمسلمين لكنها مصلحة ضرورية

---

(١) هنا بياض في الأصل .

فأقول: إن سلم أن الحرام هو الأقل فيكفينا برهاناً عصر رسول الله ﷺ والصحابة مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب، وإن قدر زمان يكون الأكثر هو الحرام فيحل التناول أيضاً فبرهانه ثلاثة أمور.

الأول: التقسيم الذي حصرناه وأبطلنا منه أربعة واثبتنا القسم الخامس فإن ذلك إذا أجرى فيما إذا كان الكل حراماً كان أحرى فيما إذا كان الحرام هو الأكثر أو الأقل، وقول القائل هو مصلحة مرسلة: هوس، فإن ذلك إنما تخيل من تخيله في أمور مظنونة وهذا مقطوع به فإنا لا نشك في أن مصلحة الدين والدنيا مراد الشرع وهو معلوم

كلية، فلذلك يصح اعتبارها أي يؤدي اجتهاد مجتهد إلى أن يقول هذا الأسير مقتول بكل حال فحفظ كل المسلمين أقرب إلى مقصود الشارع من حفظ مسلم واحد، فإن لم تكن المصلحة ضرورية بل كانت من التتمات فلا اعتبار بها كما إذا تترس الكفار في قلعة بمسلم، فإنه لا يحل رميه إذ لا ضرورة فيه، فإن حفظ ديننا غير متوقف على استيلائنا على تلك القلعة وكذلك إذا لم تكن قطعية كما إذا لم يقطع بتسليط الكفار علينا عند عدم رمي الترس أو لم تكن كلية، كما إذا أشرفت السفينة على الغرق وقطعنا بنجاة الذين فيها لو رمينا واحداً منهم في البحر لأن نجاة أهل السفينة ليست مصلحة كلية. وأما مالك فقد اعتبره مطلقاً أي سواء كان معها هذه القيود أو لم يكن قال: لأن الشيء إذا احتمل مصلحة خالصة أو راجحة يجب أن يكون في الشرع معتبراً وإن لم يعتبر بعينه لأن اعتبار الشرع جنس المصلحة يوجب اعتبار ظن هذه المصلحة المندرجة تحته والعمل بالظن واجب. ولأن الصحابة قنعوا في الاستدلال بمجرد المصلحة فلو لم يكن دليلاً لما قنعوا. قال الأسنوي: والمصنف قد تبع الإمام في عدم الجواب عن هذين الدليلين، وقد يجاب عن الأول بأنه لو وجب اعتبار المصالح الملغاة في ذلك فيلزم اعتبارها والغاؤها وهو محال، وعن الثاني أنا لا نسلم إجماع الصحابة عليه بل إنما اعتبروا في المصالح ما طلعوا على الشارع بنوعه أو جنسه القريب ولم يصرح الإمام بمختاره في هذه المسألة والله أعلم.

(**فأقول: إن سلم أن الحرام هو الأقل فيكفينا برهاناً عصر رسول الله ﷺ و**) عصر (**الصحابة**) رضوان الله عليهم (**مع وجود الربا والسرقة والغلول والنهب**) وغيرها من المحرمات، (**وإن قدر زمان يكون الأكثر هو الحرام فيحل التناول أيضاً وبرهانه ثلاثة أمور**).

(**الأول: التقسيم الذي حصرناه**) أولاً (**وأبطلنا منه أربعة وأثبتنا القسم الخامس فإن ذلك إذا جرب فيما إذا كان الكل حراماً كان أحرى فيما إذا كان الحرام هو الأكثر أو الأقل**) بالضرورة، (**وقول القائل هو مصلحة مرسلة: هوس**) وتخبيط، (**فإن ذلك إنما تخيله من تخيله في أمور مظنونة**) محتملة (**وهذا**) الذي ذكرناه (**مقطوع به فإنا لا نشك في أن مصلحة الدين والدنيا**) كل منهما (**مراد للشارع وهو معلوم بالضرورة، وليس بمظنون ولا**

بالضرورة، وليس بمظنون ولا شك في أن رد كافة الناس إلى قدر الضرورة أو الحاجة أو إلى الحشيش والصيد مخرب للدنيا أولاً وللدين بواسطة الدنيا ثانياً فما لا يشك فيه لا يحتاج إلى أصل يشهد له، وإنما يستشهد على الخيالات المظنونة المتعلقة بآحاد الأشخاص.

البرهان الثاني: أن يعلل بقياس محرر مردود إلى أصل يتفق الفقهاء الآنسون بالأقيسة الجزئية عليه وإن كانت الجزئيات مستحقرة عند المحصلين بالإضافة إلى مثل ما ذكرناه من الأمر الكلي الذي هو ضرورة النبي لو بعث في زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره لخرب العالم، والقياس المحرر الجزئي هو أنه قد تعارض أصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة من الأمور التي ليست محصورة فيحكم بالأصل لا بالغالب قياساً على طين الشوارع وجرة النصرانية وأواني المشركين، وذلك قد أثبتناه من قبل بفعل الصحابة، وقولنا: انقطعت العلامات المعينة احترازاً عن الأواني التي يتطرق الاجتهاد إليها وقولنا ليست محصورة، احترازاً عن التباس الميتة والرضيعة بالذكية والأجنبية.

نشك في أن رد كافة الناس إلى قدر الضرورة) الطارئة **(أو إلى)** قدر **(الحاجة)** الداعية **(أو إلى)** قطع **(الحشيش و)** أخذ **(الصيد مخرب للدنيا أولاً و)** مخرب **(للدين بواسطة الدنيا ثانياً فما لا نشك فيه لا يحتاج إلى أصل)** محصل **(يشهد له، وإنما يستشهد)** أي يطلب الدليل والشاهد **(على الخيالات المظنونة المتعلقة بآحاد الأشخاص)**.

(البرهان الثاني: أن يعلل بقياس محرر مردود إلى أصل) محكم مضبوط **(يتفق الفقهاء الآنسون بالأقيسة الجزئية عليه)** والمراد بالفقهاء أئمة الأمصار ما عدا الظاهرية المنكرين، لأصل القياس **(وإن كانت الجزئيات مستحقرة عند المحصلين)** أي الكمل من أهل التحصيل **(بالإضافة إلى)** مثل **(ما ذكرناه من الأمر الكلي الذي هو ضرورة النبي لو بعث في زمان عم التحريم فيه حتى لو حكم بغيره لخرب العالم)** وبطل نظامه، **(فالقياس المحرر الجزئي هو أنه قد تعارض أصل وغالب فيما انقطعت فيه العلامات المعينة)** أي المثبتة العين **(من الأمور التي ليست محصورة)** بعدد، **(فيحكم بالأصل لا بالغالب قياساً على طين الشوارع)** العامة **(و)** على **(جرة النصرانية وأواني المشركين)** أي الكفار المتدينين بالنجاسة، **(وذلك قد أثبتناه من قبل)** هذا **(بفعل الصحابة)** كعمر رضي الله عنه وغيره، **(وقولنا: انقطعت العلامات احترازاً من الأواني التي يتطرق الاجتهاد إليها)** ولا إمارة هناك، **(وقولنا ليست محصورة احترازاً عن التباس الميتة والرضيعة بالمذكية)** أي المذكاة **(والأجنبية)** وفيه لف ونشر مرتب.

فإن قيل: كون الماء طهوراً مستيقن وهو الأصل، ومن يسلم أن الأصل في الأمور الحل بل الأصل فيها التحريم؟

فنقول: الأمور التي لا تحرم لصفة في عينها حرمة الخمر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضي كما خلق الماء مستعداً للوضوء، وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منها فلا فرق بين الأمرين فإنها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة عليه، ولا فرق بين الأمرين. والجواب الثاني: أن اليد دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب، وأقوى منه بدليل أن الشرع ألحقه به إذ من ادعى عليه دين فالقول قوله لأن الأصل براءة ذمته وهذا استصحاب، ومن ادعى عليه ملك في يده فالقول أيضاً قوله إقامة لليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد إنسان فالأصل انه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة.

البرهان الثالث: هو أن كل ما دل على جنس لا يحصر ولا يدل على معين لم يعتبر وإن كان قطعاً فبأن لا يعتبر إذا دل بطريق الظن أولى، وبيانه: أن ما علم أنه ملك زيد

(**فإن قيل: كون الماء طهوراً مستيقن وهو الأصل**) فإن الله سبحانه خلقه كذلك (**ومن يسلم أن الأصل في الأموال هو الحل بل الأصل فيها التحريم؟**

فنقول: الأموال التي لا تحرم لصفة في عينها كتحريم الخمر والخنزير خلقت على صفة تستعد لقبول المعاملات بالتراضي) من الجانبين (**كما خلق الماء مستعداً للوضوء**) والطهارة، (**وقد وقع الشك في بطلان هذا الاستعداد منها فلا فرق بين الأمرين فإنها تخرج عن قبول المعاملة بالتراضي بدخول الظلم عليها كما يخرج الماء عن قبول الوضوء بدخول النجاسة**) عليها (**فلا فرق**) بين الأمرين. (**والجواب الثاني: أن اليد**) أي وضعها (**دلالة ظاهرة دالة على الملك نازلة منزلة الاستصحاب وأقوى منه بدليل أن الشرع ألحقه به**) وفي نسخة: ألحقها به (**إذ من ادعى عليه دين**) وطالبه المدعي فأنكر المدعي عليه (**فالقول قوله**) أي قول من ادعى عليه، (**لأن الأصل براءة ذمته فهو استصحاب**) الحال، (**و**) كذلك (**من ادعى عليه ملك في يده**) أي وذلك الملك في تصرفه (**فالقول أيضاً قوله**) في هذه الصورة (**إقامة لليد مقام الاستصحاب فكل ما وجد في يد إنسان فالأصل أنه ملكه ما لم يدل على خلافه علامة معينة**) دالة على عينه.

(**البرهان الثالث: هو أن ما دل على جنس لا يحصر**) بعدد (**ولم يدل على عين لم يعتبر**) شرعاً (**وإن كان**) ما دل (**قطعياً**) لا بطريق الظن (**فبأن لا يعتبر إذا دل بطريق**

فحقه يمنع من التصرف فيه بغير إذنه، ولو علم أن له مالكاً في العالم ولكن وقع اليأس عن الوقوف عليه وعلى وارثه فهو مال مرصد لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة، ولو دل على أن له مالكاً محصوراً في عشرة مثلاً أو عشرين امتنع التصرف فيه بحكم المصلحة، فالذي يشك في أن له مالكاً سوى صاحب اليد أم لا لا يزيد على الذي يتيقن قطعاً أن له مالكاً، ولكن لا يعرف عينه فليجز التصرف فيه بالمصلحة والمصلحة ما ذكرناه في الأقسام الخمسة، فيكون هذا الأصل شاهداً له وكيف لا وكل مال ضائع فقد مالكه يصرفه السلطان إلى المصالح، ومن المصالح الفقراء وغيرهم فلو صرف إلى فقير ملكه ونفذ فيه تصرفه فلو سرقه منه سارق قطعت يده، فكيف نفذ تصرفه في ملك الغير؟ ليس ذلك إلا لحكمنا بأن المصلحة تقتضي أن ينتقل الملك إليه ويحل له فقضينا بموجب المصلحة.

فإن قيل: ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان؟ فنقول: والسلطان لم يجوّز له التصرف في ملك غيره بغير إذنه لا سبب له إلا المصلحة، وهو أنه لو ترك لضاع فهو

الظن أولى) فإن الدلالة القطعية أقوى من الدلالة الظنية **(وبيانه أن ما علم)** من مال **(أنه ملك زيد)** مثلاً **(فحقه أن يمنع من التصرف فيه)** لأحد **(بغير إذنه)** شرعاً، **(ولو علم أن له مالكاً في العالم)** غير معين **(ولكن وقع اليأس)** وقطع الطمع **(من الوقوف عليه وعلى وارثه)** ولم يطلع **(فهو مال مرصد)** محبس **(لمصالح المسلمين يجوز التصرف فيه بحكم المصلحة)** المقتضية، **(ولو دل على أن له مالكاً محصوراً في عشرة أشخاص مثلاً أو)** في **(عشرين)** شخصاً **(امتنع التصرف فيه)** لأن معرفة هذا القدر مقدور عليه، **(فالذي يشك في أن له مالكاً سوى صاحب اليد أم لا لا يزيد على الذي تيقن قطعاً أن له مالكاً)** في العالم، **(ولكن لا يعرف عينه)** فليجز التصرف فيه **(بالمصلحة والمصلحة)** هي **(ما ذكرناه في)** تضاعيف **(الأقسام الخمسة)** المذكورة آنفاً **(فيكون هذا الأصل شاهداً له)** ودليلاً عليه **(وكيف لا وكل مال فقد مالكه)** ولم يعرف فإنه **(يصرفه السلطان إلى المصالح، ومن)** تلك **(المصالح الفقراء وغيرهم)** من أرباب الاستحقاق **(فلو صرف)** من ذلك **(إلى فقير)** مثلاً **(لملكه ونفذ فيه تصرفه)** لكونه مستحقاً **(ولو سرقه منه سارق)** مثلاً **(قطعت يده)** لأنه أخذه من حرز المثل، **(فكيف نفذ تصرفه في ملك الغير)؟** انظر ذلك **(ليس ذلك إلا لحكمنا بأن المصلحة تقتضي أن ينتقل الملك إليه ويحل له)** تناوله **(فقضينا بموجب المصلحة)** بفتح الجيم أي بما توجبه المصلحة.

(فإن قيل: ذلك يختص بالتصرف فيه السلطان) دون غيره؟ **(فنقول: والسلطان لم يجز له التصرف في ملك الغير بغير إذنه لا سبب له إلا المصلحة وهو أنه لو ترك)** هملاً **(لضاع**

مردد بين تضييعه وصرفه إلى مهم والصرف إلى مهم أصلح من التضييع فرجح عليه والمصلحة فيما يشك فيه ولا يعلم تحريمه أن يحكم فيه بدلالة اليد ويترك على أرباب الأيدي إذ انتزاعها بالشك وتكليفهم الاقتصار على الحاجة يؤدي إلى الضرر الذي ذكرناه وجهات المصلحة تختلف، فإن السلطان تارة يرى أن المصلحة أن يبني بذلك المال قنطرة وتارة أن يصرفه إلى جند الإسلام وتارة إلى الفقراء، ويدور مع المصلحة كيفما دارت وكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على المصلحة، وقد خرج من هذا أن الخلق غير مأخوذين في أعيان الأموال بظنون لا تستند إلى خصوص دلالة في ملك الأعيان كما لم يؤاخذ السلطان والفقراء الآخذون منه بعلمهم أن المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار إليه، ولا فرق بين عين المالك وبين عين الأملاك في هذا المعنى، فهذا بيان شبهة الاختلاط ولم يبق إلا النظر في امتزاج المائعات والدراهم والعروض في يد مالك واحد، وسيأتي بيانه في باب تفصيل طريق الخروج من المظالم.

المثار الثالث للشبهة: أن يتصل بالسبب المحلل معصية:

فهـو مـردد بين **تضييعه وبين صرفه إلى مهم)** شرعي **(والصرف إلى المهم أولى)** وفي نسخة: أصلح **(من التضييع)** أي من تركه حتى يضيع **(فرجح عليه)** لذلك **(والمصلحة فيما يشك فيه ولا يعلم تحريمه أن يحكم فيه بدلالة اليد ويترك على أرباب الأيدي)** وملاكها **(إذ انتزاعها بالشك)** من أيديهم **(وتكليفهم الاقتصار على الحاجة)** الحضورية **(يؤدي إلى الضرر الذي ذكرناه)** آنفاً **(وجهات المصلحة مختلفة)** وفي نسخة تختلف، **(فإن السلطان تارة يرى من المصلحة أن يبني بذلك المال قنطرة له)** على نهر في ممر عام يجوز عليها الناس، **(وتارة)** يرى **(أن يصرفه إلى جند الإسلام)** إذا خاف هجوم عدو، **(وتارة إلى الفقراء)** إذا تغير حالهم آنس منهم ذلك **(ويدور مع المصلحة كيفما دارت، فكذلك الفتوى في مثل هذا تدور على المصلحة)** كيفما دارت، **(فقد خرج من هذا)** الذي بسطناه **(أن الخلق غير مأخوذين في أعيان الأموال بظنون لا تستند إلى خصوص دلالة)** أي دلالة خاصة **(في تلك الأعيان كما لم يؤاخذ السلطان والفقراء الآخذون منه بعلمهم أن المال له مالك حيث لم يتعلق العلم بعين مالك مشار إليه، ولا فرق بين عين المالك وبين أعيان الأملاك في هذا المعنى)** بل هما مستويان في الحكم. **(فهذا بيان شبهة الاختلاط)** الذي وعدنا به **(ولم يبق إلا النظر في امتزاج المائعات والدارهم أو العروض في يد المالك الواحد)** وفي نسخة في يد مالك واحد، **(وسيأتي بيانه)** قريباً **(في باب تفصيل الخروج من المظالم)** المالية.

(المثار الثالث للشبهة: أن يتصل بالسبب المحلل) أي السبب الذي طرأ بسببه الحل **(معصية)** لله تعالى.

إما في قرائنه وإما في لواحقه، وإما في سوابقه أو في عوضه وكانت من المعاصي التي لا توجب فساد العقد وإبطال السبب المحلل.

(مثال المعصية في القرائن) : البيع في وقت النداء يوم الجمعة، والذبح بالسكين المغصوبة، والاحتطاب بالقدوم المغصوب والبيع على بيع الغير والسوم على سومه، فكل نهي ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد، فإن الامتناع من جميع ذلك ورع وإن لم

(إما في قرائنه) المتصلة به **(وإما في لواحقه وإما في سوابقه)** من بعد ومن قبل، **(أو في عوضه)** المدفوع فيه **(وكانت)** تلك المعصية **(من المعاصي التي لا توجب فساد العقد وإبطال السبب المحلل)** . اعلم أن الفساد والبطلان لفظان مترادفان بإزاء الصحة عند أصحاب الشافعي، وقال أبو حنيفة: ما لا يكون مشروعاً لا بحسب أصله ولا بحسب وصفه يسمى باطلاً كبيع الملاقيح والمضامين، فإن أصل المبيع يجب أن يكون موجوداً مرئياً ووصفه يجب أن يكون مقدوراً لتسليم، وما كان مشروعاً بحسب أصله غير مشروع بحسب وصفه كالربا يسمى فاسداً فإن أصله مشروع ووصفه وهو التفاضل غير مشروع في القواعد للتاج السبكي، وفرق أصحابنا بين الباطل والفاسد فرقاً ليس على أصول الحنفية، ومع ذلك قد جوّز الشيخ الوالد في باب القراض من شرح المنهاج أنه لا فرق أصلاً ثم ساق المسائل التي يخيل فيها الفرق فقال: منها الحج يبطل بالردة ويفسد بالجماع إلى آخر ما ذكره.

(مثال المعصية في القرائن: البيع في وقت النداء يوم الجمعة) لقوله تعالى ﴿وذروا البيع﴾ [الجمعة: ٩] ولأن فيه إخلالاً بالواجب على بعض الوجوه وهو السعي بأن قعدا للبيع أو وقفاله، وفي النهاية لأصحابنا أنهما إذ تبايعا وهما يمشيان فلا بأس به، وعزاه إلى أصول الفقه لأبي اليسر وهو مشكل، فإن الله تعالى نهى عن البيع مطلقاً، فمن أطلقه في بعض الوجوه يكون تخصيصاً وهو نسخ لا يجوز بالرأي، والاذان المعتبر في تحريم البيع هو الأول إذا وقع بعد الزوال على المختار، وفي القوت رواه ابن وهب قال: قال مالك في رجل باع بعد النداء يوم الجمعة قال: يفسخ ذلك البيع. قيل: عامل وترك القيام لها وهو حر. قال: بئس ما صنع فليستغفر ربه عز وجل، وقال ربيعة: ظلم وأساء. قال: وقال مالك: يحرم البيع حين يخرج الإمام يوم الجمعة.

(والذبح بالسكين المغصوبة) بأن غصبها من أحد وذبح بها حيواناً مأكولاً، **(والاحتطاب بالقدوم المغصوبة)** كذلك، **(والبيع على بيع الغير)** إلا أن يأذن له لما رواه أحمد والشيخان « لا يبع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه » وروى أحمد من حديث ابن عمر بزيادة « إلا أن يأذن له » وعند النسائي « لا يبع أحدكم على بيع اخيه حتى يبتاع أو يذر » ولأن في ذلك إيحاشاً وإضراراً به، **(والسوم على أخيه)** لما روى النهي في ذلك أيضاً ولفظه « لا يخطب الرجل على خطبة أخيه ولا يسم على سوم غيره » . **(وكل نهي ورد في العقود ولم يدل على فساد العقد**

يكن المستفاد بهذه الأسباب محكوماً بتحريمه وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح، لأن الشبهة في غالب الأمر تطلق لإرادة الاشتباه والجهل ولا اشتباه ههنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير معلوم وحل الذبيحة أيضاً معلوم، ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة، وتناول الحاصل من هذه الأمور مكروه والكراهة تشبه التحريم فإن أريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه، وإلاَّ فينبغي أن يسمى هذا كراهة لا شبهة، وإذا عرف المعنى فلا مشاحة في الأسامي فعادة الفقهاء التسامح في الإطلاقات.

ثم اعلم أن هذه الكراهة لها ثلاث درجات: الأولى: منها تقرب من الحرام والورع عنه مهم، والأخيرة تنتهي إلى نوع من المبالغة تكاد تلتحق بورع الموسوسين وبينهما أوساط

فإن الامتناع عن جميع ذلك ورع وإن لم يكن المستفاد بهذه الأسباب محكوماً بتحريمه) ولذا عد أصحابنا الصور المتقدمة من مكروهات البيع لا من محرماته، وتقدم الكلام على ذلك في كتاب البيوع. **(وتسمية هذا النمط شبهة فيه تسامح لأن الشبهة في غالب الامر تطلق لارادة الاشتباه والجهل)** بأن يجهل حل الشيء من حرمته على الحقيقة ولذا عبر عنها بعضهم بقوله: ما لم يتعين حله ولا حرمته **(ولا اشتباه ههنا بل العصيان بالذبح بسكين الغير)** غصباً **(معلوم وحل الذبيحة أيضاً معلوم)** فلم يبق اشتباه، **(ولكن قد تشتق الشبهة من المشابهة)** وهي المماثلة في عين كان أو معنى **(وتناول هذه الأمور)** التي ذكرت **(مكروه)** لورود النهي فيها على ما سبق **(والكراهة تشبه التحريم)** لأن كلاً منها بخطاب مقتض للترك بنهي مخصوص إلا أن في التحريم اقتضاء جاز ما دون الكراهة، **(فإن أريد بالشبهة هذا فتسمية هذا شبهة له وجه)** مناسب باعتبار الاشتقاق، ولذا عبر عنها بعضهم بقوله هي مشابهة الحق للباطل والباطل للحق من وجه إذا تحقق النظر فيه ذهب، **(وإلاَّ فينبغي أن يسمى هذا كراهة لا شبهة وإذا عرفت المعنى)** المراد **(فلا مشاحة في الأسامي)** كما لا مشاحة في الاصطلاح، **(فعادة الفقهاء التسامح في الاطلاقات)** وإنما عمدتهم على تصحيح المعاني، والمشاحة في الأسامي من عادة أهل الالفاظ والمشاحة مفاعلة من الشح وهو التضيق.

(ثم اعلم أن الكراهة لها ثلاث درجات: الأولى منها تقرب من الحرام والورع عنه مهم) جداً، **(والاخيرة تنتهي إلى نوع من المبالغة)** والتشديد **(تكاد تلتحق بورع الموسوسين)** وليس هذا الورع مطلوباً، **(وبينهما أوساط نازعة إلى الطريقين)**. اعلم أنه ذكر شارح المختار من أصحابنا أن المروي عن محمد نصاً: ان كل مكروه حرام إلا أنه لم يجد فيه نصاً قاطعاً فلم يطلق عليه لفظ الحرام، وعند أبي حنيفة وأبي يوسف هو إلى الحرام قريب لتعارض الأدلة فيه فغلب جانب الحرمة. وأما المكروه كراهة تنزيه فهو إلى الحل أقرب، فنسبة المكروه إلى الحرام كنسبة الواجب إلى الفرض اهـ.

نازعة إلى الطرفين، فالكراهة في صيد كلب مغصوب أشد منها في الذبيحة بسكين مغصوب أو المقتنص بسهم مغصوب إذ الكلب له اختيار وقد اختلف في أن الحاصل به لمالك الكلب أو للصياد، ويليه شبهة البذر المزروع في الأرض المغصوبة، فإن الزرع لمالك البذر ولكن فيه شبهة، ولو أثبتنا حق الحبس لمالك الأرض في الزرع لكان كالثمن الحرام، ولكن الأقيس أن لا يثبت حق حبس كما لو طحن بطاحونة مغصوبة واقتنص بشبكة مغصوبة إذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد ويليه الاحتطاب بالقدوم المغصوب ثم ذبحه ملك نفسه بالسكين المغصوب إذ لم يذهب أحد إلى تحريم الذبيحة، ويليه البيع في وقت النداء فإنه ضعيف التعلق بمقصود العقد وإن ذهب قوم إلى فساد العقد إذ ليس فيه إلا أنه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه، ولو أفسد البيع

(**فالكراهة في صيد كلب مغصوب**) أي الاصطياد به (**أشد منه في الذبيحة بسكين مغصوب أو المقتنص بسهم مغصوب**) وإنما كان أشد (**إذ الكلب له اختيار**) بخلاف السكين والسهم، (**وقد اختلف في أن الحاصل به**) أي بصيده (**لمالك الكلب**) الذي غصب منه (**أو الصياد**) الغاصب، فمنهم من قال لمالك الكلب نظراً إلى الأصل فلا يحل للصياد أخذه، ومنهم من قال: للصياد وعليه وزر الغصب (**ويليه البذر المزروع في أرض مغصوبة، فإن الزرع**) على الصحيح (**لمالك البذر**) لا لصاحب الأرض، (**ولكن فيه شبهة**) فإن نظر إلى مالك البذر فهو حل، وإن نظر إلى أن الأرض ليست له فهو حرام فاشتبه الأمران، وإليه أشار بقوله: (**ولو أثبتنا حق الحبس لمالك الأرض في الزرع لكان كالثمن الحرام، ولكن الاقيس أن لا يثبت حق حبس**) وقد تقدم في مقدمة كتاب أسرار الطهارة أن الأقيس في كلام أصحاب الشافعي يستعمل فيما قوي قياسه أصلاً وجامعاً أو واحداً منها كذلك، وبهذا المعنى قد يستعمل في موضع الأظهر والأصح إذا كان الوجهان والقولان منقاسين وقد يستعمل بمعنى الأقيس بكلام الشافعي وبمسائل الباب، وقد يستعمل أيضاً في موضع الأشبه ومقابله الشبيه لأن الأشبه ما قوي شبهة بكلام الشافعي أو بكلام أكثر أصحابه أو معظمهم، وليس المراد انه قياس شبه أو قياس علة المشابهة، (**كما لو طحن**) الطعام (**بطاحونة مغصوبة أو اقتنص**) الصيد (**بشبكة مغصوبة إذ لا يتعلق حق صاحب الشبكة في منفعتها بالصيد ويليه الاحتطاب بالقدوم المغصوب ثم ذبيحة ملك نفسه بالسكين المغصوب إذ لم يذهب احد**) من العلماء (**إلى تحريم الذبيحة**)، بل اتفقوا على حلها، (**ويليه البيع في وقت النداء**) هو الأذان الذي يكون عند صعود الخطيب على المنبر، (**فإنه ضعيف التعلق بمقصود العقد وإن ذهب قوم إلى فساد العقد**) وهم أصحاب مالك وأحمد فقالوا: إن البيع فيه باطل والعقد فاسد (**إذ ليس فيه إلا انه اشتغل بالبيع عن واجب آخر كان عليه**) وهو السعي إلى الصلاة فقد أخل به، (**ولو أفسد البيع بمثل هذا لأفسد بيع**

بمثله لأفسد بيع كل من عليه درهم زكاة أو صلاة فائتة وجوبها على الفور أو في ذمته مظلمة دانق، فإن الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات فليس للجمعة إلا الوجوب بعد النداء، وينجز ذلك إلى أن لا يصح نكاح أولاد الظلمة وكل من في ذمته درهم لأنه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه، إلا انه من حيث ورد في يوم الجمعة نهي على الخصوص ربما سبق إلى الأفهام خصوصية فيه فتكون الكراهة أشد ولا بأس بالحذر منه، ولكن قد ينجر إلى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات أرباب المظالم وسائر معاملاتهم.

وقد حكي عن بعضهم أنه اشترى شيئاً من رجل فسمع أنه اشتراه يوم الجمعة فرده خيفة أن يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء وهو غاية المبالغة لأنه ردّ بالشك. ومثل هذا الوهم في تقدير المناهي أو المفسدات لا ينقطع عن يوم السبت وسائر الأيام والورع حسن والمبالغة فيه أحسن ولكن إلى حد معلوم، فقد قال ﷺ: «هلك المتنطعون» فليحذر من أمثال هذه المبالغات فإنها وإن كانت لا تضر صاحبها ربما أوهم عند الغير أن مثل

كل من عليه زكاة دراهم أو صلاة فائتة وجوبها على الفور أو في ذمته مظلمة دانق، فإن الاشتغال بالبيع مانع له عن القيام بالواجبات) المذكورة، **(فليس للجمعة إلا الوجوب بعد النداء)** أي وجوب السعي بعد الأذان، **(وينجر ذلك إلى أن لا يصح نكاح أولاد الظلمة)** لأن عليهم مظالم وهم مطالبون بأدائها وجوباً **(وكل من في ذمته درهم)** للغير **(لأنه اشتغل بقوله عن الفعل الواجب عليه الا أنه من حيث ورد في يوم الجمعة نهي على الخصوص ربما سبق إلى الأوهام خصوصية فيه فتكون الكراهية أشد ولا بأس بالحذر منه)** احتياطاً وورعاً وجمعاً بين الأقوال، **(ولكن قد ينجر إلى الوسواس حتى يتحرج عن نكاح بنات أرباب المظالم وسائر معاملاتهم)** وفيه حرج عظيم.

(وقد حكي عن بعضهم) أي الورعين: **(أنه اشترى شيئاً من رجل فسمع أنه اشتراه يوم الجمعة فردّه)** عليه **(خيفة ان يكون ذلك مما اشتراه وقت النداء)** المنهي عنه **(وهذا غاية المبالغة)** في الورع **(لأنه ردّ بالشك)** ولم يكن على يقين من ذلك، **(ومثل هذا الوهم في تقدير المناهي والمفسدات لا ينقطع عن يوم السبت وسائر الأيام)** فلا خصوص ليوم الجمعة **(والورع حسن والمبالغة فيه أحسن)** حتى يحصل له الاستبراء لدينه، **(ولكن إلى حد معلوم)** لا يبلغ إلى رتبة الوسواس، **(فقد قال ﷺ «هلك المتنطعون»)** فيما رواه أحمد ومسلم وأبو داود من حديث ابن مسعود، وقد تقدم في كتاب قواعد العقائد، **(فليحذر من أمثال هذه المبالغات فإنها وإن كانت لا تضر صاحبها)** في الحال والمآل لكنه **(ربما أوهم عند الغير)** ممن يلازمه **(أن مثل ذلك يهم)** شرعاً، **(ثم يعجز عما هو أيسر منه)** فلا يقدر على العمل

ذلك مهم ثم يعجز عما هو أيسر منه فيترك أصل الورع وهو مستند أكثر الناس في زماننا هذا إذا ضيق عليهم الطريق فأيسوا عن القيام به فأطرحوه، فكما أن الموسوس في الطهارة قد يعجز عن الطهارة فيتركها فكذا بعض الموسوسين في الحلال سبق إلى أوهامهم أن مال الدنيا كله حرام فتوسعوا وتركوا التمييز وهو عين الضلال.

(وأما مثال اللواحق) : فهو كل تصرف يفضي في سياقه إلى معصية وأعلاه بيع العنب من الخمار، وبيع الغلام من المعروف بالفجور بالغلمان، وبيع السيف من قطاع الطريق. وقد اختلفت العلماء في صحة ذلك، وفي حل الثمن المأخوذ منه، والأقيس أن ذلك صحيح والمأخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصي بالذبح بالسكين المغصوب والذبيحة حلال، ولكنه يعصي عصيان الإعانة على المعصية إذ لا يتعلق ذلك بعين العقد فالمأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم وليس بحرام، ويليه في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر ولم يكن خماراً وبيع السيف ممن يغزو ويظلم أيضاً لأن

به، **(فنترك أصل الورع)** الذي ندب إليه الشارع **(وهو مستند أكثر الناس في زماننا هذا)**، فإنك تراهم **(إذا ضيق عليهم الطريق وأيسوا من القيام به اطرحوه)** وتركوه، **(كما أن الموسوس في)** أمر **(الطهارة قد يعجز عن الطهارة)** فكلما صب ماء على عضو أوهم في عقله انه لم يطهر بعد **(فيتركها)** من أصلها، **(فكذلك بعض الموسوسين في الحلال)** أو في تحصيله **(قد يسبق إلى أوهامهم أن مال الدنيا كله حرام)** ولا يوجد في الدنيا حلال صرف **(فيتوسعوا)** في التناول من هنا ومن هنا، **(ويتركوا التمييز)** بين الحلال والحرام **(وهو عين الضلال)** والفساد.

(وأما مثال اللواحق: فهو كل تصرف) في مال أو غيره **(يفضي)** أي يؤدي ويوصل **(في سياقه إلى)** حصول **(معصية)** لله تعالى، **(وأعلاه بيع العنب)** الحاصل من كرمه أو من كرم غيره **(من الخمار)** هو الذي صنعته اتخاذ الخمر، **(وبيع الغلام)** أي الأمرد الجميل **(من المعروف بالفجور بالغلمان)** بالتسامع، **(وبيع السيف)** وفي معناه سائر آلات الحرب **(من قطاع الطريق)** وهم طوائف العربان المعروفين بالنهب والغارات وقطع طريق المسلمين، **(وقد اختلف العلماء في صحة ذلك وفي حل الثمن المأخوذ منه، والأقيس)** بمذهب الشافعي **(ان ذلك صحيح والمأخوذ حلال والرجل عاص بعقده كما يعصي بالذبح بالسكين المغصوبة والذبيحة حلال، فإنه يعصي عصيان الإعانة على المعصية)** فمن أعان على معصية فقد عصى **(ولا يتعلق ذلك بعين العقد فالمأخوذ من هذا مكروه كراهية شديدة وتركه من الورع المهم وليس بحرام)** وبه قال أبو حنيفة، وذهب إلى أنه باطل. وقال مالك: يفسخ البيع مالم يفت فإن فات فيتصدق بثمنه، **(ويليه في الرتبة بيع العنب ممن يشرب الخمر)** أي من عادته ذلك

الاحتمال قد تعارض وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خيفة أن يشتريه ظالم فهذا ورع فوق الأول والكراهية فيه أخف، ويليه ما هو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة أنه لا تجوز معاملة الفلاحين بآلات الحرث لأنهم يستعينون بها على الحراثة ويبيعون الطعام من الظلمة ولا يباع منهم البقر والفدان وآلات الحرث ، وهذا ورع الوسوسة إذ ينجر إلى أن لا يباع من الفلاح طعام لأنه يتقوى به على الحراثة ولا يسقي من الماء العام لذلك، وينتهي هذا إلى حد التنطع المنهي عنه. وكل متوجه إلى شيء على قصد خير لا بدّ وأن يسرف إن لم يزمه العلم المحقق، وربما يقدم على ما يكون بدعة في الدين ليستضر الناس بعده بها وهو يظن أنه مشغول بالخير، ولهذا قال ﷺ : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » والمتنطعون هم الذين يخشى عليهم أن يكونوا ممن قيل فيهم: ﴿الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ [الكهف: ١٠٤].

(**ولم يكن خماراً، وبيع السيف ممن يغزو ويظلم أيضاً**) أي كان معروفاً بالجهاد للكفار وبالظلم أيضاً (**لأن الاحتمال**) هنا (**قد تعارض**) ولا ترجيح لأحدهما. (**وقد كره السلف بيع السيف في وقت الفتنة خيفة من أن يشتريه ظالم**) فيقتل به مظلوماً، (**فهذا ورع فوق الأول والكراهية فيه أخف**) بالنسبة إلى ما سبق، (**ويليه ما هو مبالغة ويكاد يلتحق بالوسواس وهو قول جماعة من الناس أنه لا يجوز معاملة الفلاحين**) وهم أهل السواد (**بآلة الحرث**) أي الزراعة قالوا: (**لأنهم يستعينون بذلك على الفلاحة**) أي شق الأرض (**والحرث**) أي وضع الحب فيها (**ويبيعون الطعام**) المتحصل منها (**من الظلمة**) والاجناد والجائرين، (**فلا يباع منهم البقر والفدان**) وهو آلة الحرث ويطلق على الثورين يحرث عليهما في قران، (**وهذا ورع الوسوسة**) أداهم ورعهم إلى هذا الوسواس (**إذ ينجر إلى أن لا يباع من الفلاح طعام لأنه يتقوى به على الحراثة**) وما تحصل من الحراثة يبيعها من الظلمة، (**ولا يسقي من الماء العام لذلك**) فهذا غلو وتجاوز، (**وينتهي هذا إلى حد التنطع المنهي عنه**) بقوله ﷺ « هلك المتنطعون » (**وكل متوجه إلى شيء على قصد خير لا بدّ وأن يسرف**) أي يقع في حد الإسراف (**إن لم يزمه**) أي يمنعه (**العلم المحقق**) عن كشف وبرهان، (**وربما يقدم على ما يكون بدعة**) أحدثت (**في الدين يستضر الناس بعده بها**) ويقلدونه فيما فعله (**وهو يظن**) في نفسه (**أنه مشغول بالخير**) وليس كذلك. (**ولهذا قال ﷺ « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي »**) رواه الحرث بن أبي أسامة نحوه من حديث أبي سعيد، وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم. (**والمتنطعون هم الذين يخشى عليهم أن يكونوا ممن قيل فيهم**) في الكتاب العزيز (**﴿الّذين ضلّ سعيهم في الحياة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾**).

وبالجملة؛ لا ينبغي للإنسان أن يشتغل بدقائق الورع إلا بحضرة عالم متقن فإنه إذا جاوز ما رسم له وتصرف بذهنه من غير سماع كان ما يفسده أكثر مما يصلحه. وقد روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه أحرق كرمه خوفاً من أن يباع العنب ممن يتخذه خمراً وهذا لا أعرف له وجهاً إن لم يعرف هو سبباً خاصاً يوجب الإحراق؟ إذ ما أحرق كرمه ونخله من كان أرفع قدراً منه من الصحابة، ولو جاز هذا لجاز قطع الذكر خيفة من الزنا وقطع اللسان خيفة من الكذب إلى غير ذلك من الاتلافات.

(وأما المقدمات): فلتطرق المعصية إليها ثلاث درجات.

الدرجة العليا: التي تشتد الكراهة فيها ما بقي أثره في المتناول كالأكل من شاة علفت بعلف مغصوب أو رعت في مرعى حرام، فإن ذلك معصية وقد كان سبباً لبقائها وربما يكون الباقي من دمها ولحمها وأجزائها من ذلك العلف، وهذا الورع مهم وإن لم يكن واجباً، ونقل ذلك عن جماعة من السلف. وكان لأبي عبدالله الطوسي التروغندي

(وبالجملة: لا ينبغي أن يشتغل الإنسان بدقائق الورع إلا بحضرة عالم) كامل **(متقن)** في الأصول والفروع متضلع من المعارف الربانية مرشد محقق، **(فإنه إذا جاوز ما رسم له)** في حد من الحدود المتعلقة به **(وتصرف بذهنه)** أي بما تخيله فيه **(من غير سماع)** من مرشد كامل **(كان ما يفسده أكثر مما يصلحه. وقد روي عن سعد بن أبي وقاص)** الزهري أحد العشرة رضي الله عنه وقد تقدمت ترجمته **(أنه أحرق كرمه)** بالنار **(خوفاً من أن يباع العنب ممن يتخذه خمراً وهذا لا أعرف له وجهاً إن لم يعرف هو سبباً خاصاً يوجب الإحراق)** ولعل ذلك السبب الخاص أن الكرم المذكور كان قد تعود الخمار بأخذ عنبه في كل سنة فرأى المصلحة في إحراقه، **(وإذ ما أحرق نخيله وكرمه من كان أرفع قدراً من الصحابة)** رضوان الله عليهم، **(ولو جاز هذا)** على عمومه **(لجاز قطع الذكر خيفة من)** الوقوع في **(الزنا، و)** لجاز **(قطع اللسان خيفة من)** الوقوع في **(الكذب إلى غير ذلك من الآفات)** ومن المعلوم أن ذلك غير جائز، **(وأما المقدمات فلتطرق المعصية إليها أيضاً ثلاث درجات.**

الدرجة العليا: التي تشتد الكراهة فيها) هو **(ما بقي أثره في المتناول كالأكل من)** لحم **(شاة علفت بعلف مغصوب)** أو سقيت بماء مغصوب **(أورعت في مرعى حرام)** أو حلال وكان مغصوباً، **(فإن ذلك معصية وقد كان)** العلف المذكور **(سبباً لبقائها)** في قيام البنية، **(وربما يكون الباقي من لحمها ودمها وأجزائها من ذلك العلف)** أو المرعى، **(وهذا الورع مهم)** في نفس الأمر **(وإن لم يكن واجباً)** في فتوى الظاهر، **(وفعل ذلك جماعة من السلف)** رحمهم الله تعالى. **(وكان لأبي عبد الله الطوسي)** التروغندي وقد وجد في بعض

شاة يحملها على رقبته كل يوم إلى الصحراء ويرعاها وهو يصلي وكان يأكل من لبنها فغفل عنها ساعة فتناولت من ورق كَرْمٍ على طرف بستان فتركها في البستان ولم يستحل أخذها.

فإن قيل: فقد روي عن عبدالله بن عمر وعبيدالله أنهما اشتريا إبلاً فبعثاها إلى الحمى فرعته إبلهما حتى سمنت، فقال عمر رضي الله عنه: رعيتماها في الحمى؟ فقالا: نعم. فشاطرهما. فهذا يدل على أنه رأى اللحم الحاصل من العلف بصاحب العلف فليوجب هذا تحريماً.

قلنا: ليس كذلك فإن العلف يفسد بالأكل واللحم خلق جديد وليس عين العلف فلا شركة لصاحب العلف شرعاً، ولكن عمر غرمهما قيمة الكلأ ورأى ذلك مثل شطر الإبل فأخذ الشطر بالاجتهاد كما شاطر سعد بن أبي وقاص ما له لما أن قدم من الكوفة،

النسخ هكذا وتروغند من قرى طوس، وقيل: هو أبو محمد عبدالله بن هاشم بن جبان الطوسي الراذكاني وراذكان قرب تروغند فتصحف على النساخ وهو ثقة مات سنة ٢٨٨ روى له مسلم. (**شاة يحملها كل يوم على رقبته إلى الصحراء ويرعاها**) في الكلأ المباح (**وهو يصلي، وكان يأكل من لبنها**) أي كان قوته من ذلك (**فغفل عنها ساعة**) في يوم من الأيام (**فتناولت ورق كرم على طريق بستان**) لبعضهم (**فتركها في البستان ولم يستحل أخذها**) ورعاً واحتياطاً.

(**فإن قيل: فقد روي عن عبد الله بن عمر**) بن الخطاب (**و**) أخيه (**عبيد الله**) بن عمر وهو أصغر منه وقتل مع معاوية بصفين وليست له رواية في الكتب الستة (**أنهما اشتريا إبلاً فبعثا بها إلى الحمى**) أي حمى النقيع بالنون والقاف وهي الأرض التي كان حماها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لإبل الصدقة خاصة (**فرعت إبلهما**) من ذلك الحمى (**حتى سمنت، فقال عمر رضي الله عنه**) لهما: قد (**رعيتما**) إبلكما (**في الحمى**). قالا: نعم (**فشاطرهما**) أي أخذ منهما شطراً، (**فهذا يدل على أنه رأى اللحم الحاصل من العلف لصاحب العلف، فليوجب هذا تحريماً.**)

قلنا: ليس كذلك، فإن العلف يفسد بالأكل واللحم خلق جديد وليس عين) ذلك (**العلف فلا شركة لصاحب العلف شرعاً**) فإنه أمر موهوم، ولا يصح الاشتراك إلا في قدر معين معلوم، (**ولكن غرمهما قيمة الكلأ**) أي الزمهما إياها، (**ورأى ذلك مثل شطر الإبل فأخذ الشطر بالاجتهاد، كما شاطر سعد بن أبي وقاص**) رضي الله عنه (**لما أن قدم من الكوفة**) وكان قد أمره عليها ثم عزله سنة إحدى وعشرين ثم أعاده ثانياً بعد عمار بن ياسر ثم

وكذلك شاطر أبا هريرة رضي الله عنه إذا رأى أن كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافياً على حق عملهم وقدره بالشطر اجتهاداً.

الرتبة الوسطى: ما نقل عن بشر بن الحرث من امتناعه عن الماء المساق في نهر احتفره الظلمة لأن النهر موصل إليه وقد عصى الله بحفره، وامتنع آخر عن عنب كرم يسقى بماء يجري في نهر حفر ظلماً وهو أرفع منه وأبلغ في الورع، وامتنع آخر من الشرب من مصانع السلاطين في الطرق، وأعلى من ذلك امتناع ذي النون من طعام حلال أوصل إليه على يد سجان، وقوله: إنه جاءني على يد ظالم، ودرجات هذه الرتب لا تنحصر.

الرتبة الثالثة: وهي قريب من الوسواس والمبالغة أن يمتنع من حلال وصل على يد رجل عصى الله بالزنا أو القذف وليس هو كما لو عصى بأكل الحرام، فإن الموصل قوّته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا والقذف لا يوجب قوّة يستعان بها على الحمل، بل

عزله وولى المغيرة بن شعبة وقد ولآه عثمان أيضاً، (**وكذا شاطر أبا هريرة رضي الله عنه**) لما قدم من البحرين (**إذ رأى أن كل ذلك لا يستحقه العامل ورأى شطر ذلك كافياً على حق عملهم وقدر بالشطر إجتهاداً**).

والرتبة) الثانية وهي (**الوسطى: ما نقل عن**) أبي نصر (**بشر**) ابن الحرث الحافي رحمه الله تعالى (**من امتناعه عن**) شرب (**ماء يساق في نهر احتفره الظلمة**) أهل الجور (**لأن النهر موصل**) ذلك الماء (**إليه وقد عصى الله تعالى بحفره**) إما أنه بالغصب أو بصرف مال حرام عليه (**وامتنع بعضهم من**) تناول (**عنب كرم يسقى بماء جرى في نهر حفر ظلماً**) وقد نقل ذلك عن بشر أيضاً والمراد بذلك النهر نهر طاهر في غربي بغداد كما تقدم (**وهو أدق مما قبله وأبلغ**) في الورع، (**وامتنع آخر من الشرب من**) ماء حبس في (**مصانع السلاطين في الطرق**) أي طريق مكة وهذا أيضاً قد تقدم، (**وأعلى من ذلك امتناع ذي النون المصري**) رحمه الله تعالى (**من**) أكل (**طعام حلال**) من امرأة صالحة بعثت له من كسب يدها لأنه (**أوصل إليه**) ذلك الطعام (**على يد سجّان**) وذلك لأنه كان قد حبس، (**وقوله**) في الاعتذار عن امتناعه لما سئل عنه، (**أنه جاءني على طبق ظالم**) يعني يد السجّان، (**ودرجات هذه الرتبة لا تنحصر**) لكثرتها وليس من قوّة البشر حصرها.

(**المرتبة الثالثة: وهي قريبة من الوسواس والمبالغة**) وهو (**أن يمتنع من حلال وصل على يد رجل ظالم عصى الله**) تعالى (**بالقذف**) لمحصنة أو (**الزنا**) أو غير ذلك، (**وليس هذا كما لو عصى بأكل الحرام فإن الموصل**) لذلك هو (**قوّته الحاصلة من الغذاء الحرام والزنا أو القذف**) كل منها (**لا يوجب قوّة يستعان بها على الحمل**) حتى تؤثر فيه، (**بل الامتناع**

الامتناع من أخذ حلال على يد كافر وسواس بخلاف آكل الحرام إذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام، وينجر هذا إلى أن لا يؤخذ من يد من عصى الله ولو بغيبة أو كذبة وهو غاية التنطع والإسراف. فليضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر بالمعصية في السبب الموصل كالنهر وقوّة اليد المستفادة بالغذاء الحرام. ولو امتنع عن الشرب بالكوز لأن صانع الفخار الذي عمل الكوز كان قد عصى الله يوماً بضرب إنسان أو شتمه لكان هذا وسواساً. ولو امتنع من لحم شاة ساقها آكل حرام فهذا أبعد من يد السجّان لأن الطعام يسوقه قوّة السجان والشاة تمشي بنفسها والسائق يمنعها عن العدول في الطريق فقط، فهذا قريب من الوسواس. فانظر كيف تدرجنا في بيان ما تتداعى إليه هذه الأمور. واعلم أن كل هذا خارج عن فتوى علماء الظاهر فإن فتوى الفقيه تختص بالدرجة الأولى التي يمكن تكليف عامة الخلق بها ولو اجتمعوا عليه لم يخرب العالم دون ما عداه من ورع المتقين والصالحين. والفتوى في هذا ما قاله ﷺ لوابصة إذ قال: « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك » وعرف ذلك إذ قال: « الاثم حزاز القلوب » وكل ما حاك في صدر

من أخذ حلال وصل على يد كافر وسواس) محض **(بخلاف آكل الحرام، إذ الكفر لا يتعلق بحمل الطعام وينجر هذا إلى أن لا يؤخذ)** أيضاً **(من يد من عصى الله تعالى)** مرة من الزمان **(ولو بغيبة أو كذبة)** أو نحو ذلك، **(وهو غاية التنطّع والإسراف)** المنهي عنهما. **(فليضبط ما عرف من ورع ذي النون وبشر)** رحمهما الله تعالى **(بالمعصية في السبب الموصل كالنهر وقوّة اليد المستفادة بالغذاء الحرام)** وما عدا ذلك تجاوز عن الحد، **(ولو امتنع عن الشرب من كوز لأجل أن الفخاري)** هكذا في النسخ باثبات الياء وفي بعضها بحذفها وهو الذي يعمل الأواني من الطين **(الذي عمل الكوز كان قد عصى الله تعالى يوماً بضرب إنسان)** ظلماً **(أو شتمه)** والوقيعة في عرضه استطالة **(لكان هذا وسواساً)** محضاً، **(ولو امتنع من)** أكل **(لحم شاة ساقها آكل حرام لكان هذا أبعد من يد السجّان لأن الطعام تسوقه قوة السجّان)** فإنه لا ينساق بنفسه، **(والشاة تمشي بنفسها والسائق يمنعها عن العدول عن الطريق)** يمنة ويسرة فقط، **(فهذا قريب من الوسواس)** المحذور عنه. **(فانظر كيف تدرجنا)** أي تسهلنا **(في بيان ما تتداعى إليه هذه الأمور)** أي يدعو بعضها بعضاً.

(واعلم أن كل هذا) الذي ذكرناه **(خارج عن فتوى علماء الظاهر)** من أهل اللسان، **(فإن فتوى الفقيه تختص بالدرجة الأولى التي يمكن تكليف كافة الخلق بها)** واجتماعهم عليها **(ولو اجتمعوا على ذلك لم يخرب)** نظام **(العالم دون ما عداه من ورع المتقين والصالحين)** وإليه الاشارة في كلام صاحب القوت: والحلال والحرام ما اجتمعوا عليه، **(والفتوى في مثل هذا ما قاله ﷺ لوابصة)** بن معبد رضي الله عنه **(إذ قال له: « استفت قلبك وإن افتوك**

المريد من هذه الأسباب فلو أقدم عليه مع حزازة القلب استضرّ بـه وأظلم قلبـه بقـدر الحزازة التي يجدها، بل لو أقدم على حرام في علم الله وهو يظن انه حلال لم يؤثر ذلك في قساوة قلبه، ولو أقدم على ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد حزازة في قلبه فذلك يضره، وإنما الذي ذكرناه في النهي عن المبالغة أردنا به أن القلب الصافي المعتدل هو الذي لا يجد حزازة في مثل تلك الأمور، فإن مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة فأقدم مع ما يجد في قلبه فذلك يضره لأنه مأخوذ في حق نفسه بينه وبين الله تعالى بفتوى قلبه، وكذلك يشدد على الموسوس في الطهارة ونية الصلاة فإنه إذا غلب على قلبه أن الماء لم يصل إلى جميع أجزائه بثلاث مرات لغلبة الوسوسة عليه فيجب عليه إذاً أن يستعمل الرابعة وصار ذلك حكماً في حقه، وإن كان مخطئاً في نفسه أولئك قوم شددوا فشدد الله عليهم، ولذلك شدد على قوم موسى عليه السلام لما استقصوا في

وافتوك ») رواه البخاري في التاريخ نحوه، وقد تقدم في كتاب العلم، والمراد بالمفتين هنا هم علماء السنة من غير أهل القلوب. (**وعرف ذلك إذ قال عليه**) الصلاة و (**السلام « الإثم حزاز القلوب »**) تقدم في كتاب العلم أيضاً: الإثم ما حاك في صدرك (**فكل ما حاك في صدر المريد من هذه الأسباب فلو أقدم عليه مع حزازة القلب لاستضربه وأظلم قلبه**) بذهاب النور منه (**بقدر الحزازة التي يجدها**) فيه، (**بل لو اقدم على حرام في علم الله تعالى وهو يظن أنه حلال لم يؤثر ذلك في قساوة قلبه**) إذ لم يجد لذلك حزازة في القلب، (**ولو أقدم على ما هو حلال في فتوى علماء الظاهر ولكنه يجد**) لذلك (**حزازة في قلبه لكان ذلك يضره**) في سلوكه، (**وإنما الذي ذكرناه في النهي عـن المبـالغـة أردنـا بـه أن القلـب الصـافي**) عـن الكدورات (**المعتدل**) بلا تفريط وافراط (**هو الذي لا يجد حزازة في مثل تلك الأمور**) بل يطمئن بما يظهر له من الأمور، (**فإن مال قلب موسوس عن الاعتدال ووجد الحزازة**) فيه (**فاقدم**) على شيء (**مع ما يجده في قلبه فذلك أيضاً يضره لأنه مأخوذ في حق نفسه فيما بينه وبين الله في فتوى قلبه، ولذلك يشتد على الموسوس أمر الطهارة**) في الوضوء والغسل والاستنجاء (**ونية الصلاة**) وغيرها (**فإنه إذا غلب على قلبه أن الماء لم يصل إلى جميع أجزاء بدنه بثلاث مرات**) في الاغتسال (**لغلبة الوسوسة عليه فيجب عليه أن يستعمل**) الإفاضة (**الرابعة وصار ذلك حكماً في حقه**) معتبراً، (**وإن كان مخطئاً في نفسه**) فلا يعوّل على هذا القلب الذي ينفر عن كل شيء كما لا يعوّل على الشره المستأهل الذي يطمئن إلى كل شيء كما سيأتي ذلك قبل الباب الثالث، (**وأولئك قوم شددوا**) على انفسهم (**فشدّد الله عليهم**) فمن شدد عليه ولن يشاد هذا الدين أحد إلاّ غلبه كما ورد ذلك في الصحيح، (**ولذلك شدّد على**) بني اسرائيل من (**أصحاب موسى عليه السلام لما استقصوا في السؤال عن البقرة**) التي

السؤال عن البقرة، ولو أخذوا أوّلاً بعموم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم لأجزأهم ذلك، فلا تغفل عن هذه الدقائق التي ردّدناها نفياً واثباتاً فإن من لا يطلع على كنه الكلام ولا يحيط بمجامعه يوشك أن يزل في درك مقاصده.

وأما المعصية في العوض فلها أيضاً درجات.

الدرجة العليا: التي تشتد الكراهة فيها أن يشتري شيئاً في الذمة ويقضي ثمنه من غصب أو مال حرام فينظر فإن سلم إليه البائع الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلبه فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال وتركه ليس بواجب بالإجماع. أعني قبل قضاء الثمن ولا هو أيضاً من الورع المؤكد، فإن قضى الثمن بعد الأكل من الحرام فكأنه لم يقض الثمن ولو لم يقضه أصلاً لكان متقلداً للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين ولا ينقلب ذلك حراماً، فإن قضى الثمن من الحرام وأبرأه البائع مع العلم بأنه حرام فقد برئت ذمته ولم يبق عليه إلا مظلمة تصرفه في الدراهم الحرام بصرفها إلى البائع، وإن أبرأه على ظن أن الثمن حلال فلا تحصل البراءة لأنه يبرئه مما أخذه إبراء استيفاء ولا يصلح ذلك للايفاء. فهذا

أمروا بذبحها فشدد عليهم أمرها، **(ولو أخذوا أوّلاً بعموم لفظ البقرة وكل ما ينطلق عليه الاسم)** سوداء كانت أو صفراء فتية كانت أو عواناً **(لأجزأهم)**، وقصتها مذكورة في القرآن فلا نطيل بذكرها. **(فلا يغفل عن هذه الدقائق التي أوردناها)** أي ذكرناها مكررة **(نفياً واثباتاً فإن من لا يطلع على كنه الكلام)** أي حقيقته ونهايته **(ولا يحيط بمجامعه يوشك)** أي يقرب **(أن يزل)** بقدمه **(في درك مقاصده)** المطلوبة أي إدراكها.

(وأما المعصية في العوض فلها أيضاً درجات.

الدرجة الأولى: وهي العليا. التي تشتد الكراهة فيها) وهو **(أن يشتري شيئاً في الذمة ويقضي ثمنه)** بعد **(من غصب أو مال حرام فينظر)** في هذه الصورة، **(فإن سلم البائع إليه الطعام قبل قبض الثمن بطيب قلب)** وانشراح صدر **(فأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال)** لعدم طروّ شيء يحرمه عليه، **(وتركه ليس بواجب بالإجماع)** أي إجماع الفقهاء. **(أعني قبل قضاء الثمن ولا هو أيضاً من الورع المؤكد فإن قضى الثمن بعد الأكل من)** مال هو من جملة **(الحرام فكأنه لم يقض الثمن)** أي حكمه حكم من لم يقض الثمن، **(ولو لم يقضه أصلاً)** لا من حلال ولا من حرام **(لكان متقلداً للمظلمة بترك ذمته مرتهنة بالدين)** مشغولة به **(ولا ينقلب ذلك حراماً، فإن قضى الثمن من الحرام وأبرأه البائع مع العلم بأنه)** أي الثمن **(حرام فقد برئت ذمته)** من طرفه **(ولم يبق عليه إلا مظلمة تصرفه في الدراهم الحرام)** أي بصرفها إلى البائع، **(وإن أبرأه على ظن أن الثمن حلال فلا تحصل به البراءة**

حكم المشتري والأكل منه وحكم الذمة وإن لم يسلم إليه بطيب قلب ولكن أخذه فأكله حرام سواء أكله قبل توفية الثمن من الحرام أو بعده ، لأن الذي تومىء الفتوى به ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين ملكه باقباض النقد كما تعين ملك المشتري ، وإنما يبطل حق حبسه إما بالابراء أو الاستيفاء ولم يجر شيء منهما ، ولكنه أكل ملك نفسه وهو عاص به عصيان الراهن للطعام إذا أكله بغير إذن المرتهن وبينه وبين أكل طعام الغير فرق ولكن أصل التحريم شامل هذا كله إذا قبض قبل توفية الثمن إما بطيبة قلب البائع أو من غير طيبة قلبه ، فأما إذا وفى الثمن الحرام أولاً ثم قبض فإن كان البائع عالماً بأن الثمن حرام ومع هذا أقبض المبيع بطل حق حبسه وبقي له الثمن في ذمته إذ ما أخذه ليس بثمن ولا يصير أكل المبيع حراماً بسبب بقاء الثمن فأما إذا لم يعلم أنه حرام وكان بحيث لو علم لما رضي به ولا أقبض المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس فأكله حرام تحريم أكله المرهون إلى أن يبرئه أو يوفي من حلال أو يرضى هو بالحرام ويبرىء فيصح ابراؤه ولا

لأنه يبرئه مما أخذه إبراء استيفاء) بحيث تستوفي الحقوق كلها ، **(ولا يصلح ذلك للاستيفاء)** لأنه قد بقي عليه ما يخالف البراءة . **(فهذا حكم المشتري والآكل منه)** وحكم الذمة **(وإن لم يسلم إليه بطيب قلب)** وانشراح صدر ، **(ولكن أخذه)** بالمحاباة **(فأكله حرام سواء أكله قبل توفية الثمن من)** المال **(الحرام أو بعده)** أي بعد أن يوفي له الثمن ، **(لأن الذي تومىء الفتوى به ثبوت حق الحبس للبائع حتى يتعين ملكه بقبض)** وفي نسخة باقباض **(اليد كما يتعين ملك المشتري ، وإنما يبطل حق الحبس)** للبائع **(إما بالابراء أو بالاستيفاء ولم يجر شيء منهما)** أي من الابراء والاستيفاء ، **(ولكن أكل ملك نفسه وهو عاص به)** أي بفعله مثل **(عصيان الراهن للطعام)** وفي نسخة : بالطعام **(إذا أكله بغير إذن المرتهن)** أي إذا رهن الإنسان طعاماً عند غيره فلا يجوز لذلك الإنسان التصرف فيه بالأكل أو غيره إلا أن أذن له المرتهن **(وبينه وبين أكل طعام الغير فرق)** إذ هو كالوديعة عنده **(ولكن أصل التحريم شامل)** لكونه تصرف بغير إذن **(هذا كله إذا قبض)** المشتري المبيع **(قبل توفية الثمن)** للبائع **(إما بطيب قلب البائع أو من غير طيب قلبه ، فأما إذا وفى الثمن الحرام أولاً ثم قبض)** المبيع **(فإن كان البائع عالماً بأن الثمن)** المدفوع إليه **(حرام ومع هذا)** أي علمه بذلك **(أقبض المبيع)** للمشتري **(بطل حق حبسه وبقي له الثمن في ذمته إذ ما أخذه)** في عوض المبيع **(ليس بثمن)** شرعاً **(ولا يصير أكل المبيع حراماً)** في حق المشتري **(بسبب بقاء الثمن)** في الذمة ، **(فأما إذا لم يعلم أنه حرام وكان بحيث لو علم)** به **(لما رضي به ولا أقبض المبيع فحق حبسه لا يبطل بهذا التلبيس)** الذي عمله المشتري **(فأكله حرام تحريم أكل المرهون)** من غير إذن المرتهن **(إلى أن يبرئه أو يوفي له) (من)** وجه **(حلال أو يرضى**

يصح رضاه بالحرام، فهذا مقتضى الفقه وبيان الحكم في الدرجة الأولى من الحل والحرمة. فأما الامتناع عنه فمن الورع المهم لأن المعصية إذا تمكنت من السبب الموصل إلى الشيء تشتد الكراهة فيه ـ كما سبق ـ وأقوى الأسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضي البائع بتسليمه إليه فرضاه لا يخرجه عن كونه مكروهاً كراهية شديدة، ولكن العدالة لا تنخرم به وتزول به درجة التقوى والورع، ولو اشترى سلطان مثلاً ثوباً أو أرضاً في الذمة وقبضه برضا البائع قبل توفية الثمن وسلمه إلى فقيه أو غيره صلة أو خلعة وهو شاك في أنه سيقضي ثمنه من الحلال والحرام، فهذا أخف إذ وقع الشك في تطرق المعصية إلى الثمن وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام وقلته في مال ذلك السلطان، وما يغلب على الظن فيه وبعضه أشد من بعض والرجوع فيه إلى ما ينقدح في القلب.

الرتبة الوسطى: أن لا يكون العوض غصباً ولا حراماً ولكن يتهيأ لمعصية كما لو سلم عوضاً عن الثمن عنباً والآخذ شارب الخمر أو سيفاً وهو قاطع طريق، فهذا لا

هو) أي البائع (**بالحرام**) لنفسه (**ويبرىء فيصح ابراؤه**) شرعاً، (**ولا يصح رضاه بالحرام. فهذا مقتضى**) قواعد (**الفقه وبيان الحكم في الدرجة الأولى من الحل والحرمة، فأما الامتناع عنه فمن الورع المهم لأن المعصية إذا تمكنت في السبب الموصل إلى الشيء تشتد الكراهة فيه كما سبق**) قريباً (**وأقوى الاسباب الموصلة الثمن ولولا الثمن الحرام لما رضي البائع بتسليم المبيع إليه فرضاه به لا يخرجه عن كونه مكروهاً كراهية شديدة، ولكن العدالة لا تنخرم به**) أي لا يكون به ساقط العدالة (**وتزول به درجة التقوى والورع**) أي لا يعد من المتقين الورعين، (**ولو اشترى سلطان مثلاً ثوباً**) بعينه (**أو أرضاً في الذمة وقبضه برضا البائع قبل توفية الثمن وسلمه إلى فقيه أو غيره صلة**) أي من باب الصلة (**أو خلعه**) عليه (**وهو شاك في أنه سيقضي ثمنه من الحلال أو**) من (**الحرام، فهذا أخف**) مما قبله (**إذ وقع الشك في تطرق المعصية إلى الثمن**) ولم يحصل الترجيح لأحد الطرفين، (**وتفاوت خفته بتفاوت كثرة الحرام، وقلته في مال ذلك السلطان وما يغلب على الظن فيه**) فإن كان ممن يغزو في سبيل الله ولا يظلم أحداً من الرعية فالغالب أن ماله من الغنائم وهو حلال له بعد صرفه على المستحقين، وإن كان ممن يظلم ويستوفي من رعاياه أكثر مما هو له فالغالب على ماله الحرمة (**وبعضه أشد من بعض، فالرجوع فيه إلى ما ينقدح في القلب**) ويطمئن إليه ولا ينفر منه.

(**والرتبة الوسطى: أن لا يكون العوض غصباً وحراماً**) لعينه، (**ولكن**) يكون (**سبباً**) موصلاً (**لمعصية**) ظاهرة (**كما لو سلم عوضاً عن الثمن عنباً والآخذ شارب خمر**) عادة، (**أو سيفاً وهو**) أي الآخذ (**قاطع طريق**) أو غلاماً وسيماً والآخذ ممن ينبذ بالفجور

يوجب تحريماً في مبيع اشتراه في الذمة، ولكن يقتضي فيه كراهية دون الكراهية التي في الغصب، وتتفاوت درجات هذه الرتبة أيضاً بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندوره، ومهما كان العوض حراماً فبذله حرام وإن احتمل تحريمه، ولكن أبيح بظن فبذله مكروه وعليه ينزل عندي النهي عن كسب الحجام وكراهته. إذ نهى عنه عليه الصلاة والسلام مرات ثم أمر بأن يعلف الناضح. وما سبق إلى الزهم من أن سببه مباشرة

بالغلمان، **(فهذا لا يوجب تحريماً في بيع اشتراه في الذمة ولكن يقتضي فيه كراهية دون الكراهة التي في الغصب)** ونحوه، **(وتتفاوت درجات هذه الرتبة أيضاً بتفاوت غلبة المعصية على قابض الثمن وندورها)** أي قلتها، **(ومهما كان العوض عملاً حراماً فبذله حرام فإن احتمل تحريمه)** أي فإن كان تحريمه محتملاً **(ولكن أبيح بظن فبدله مكروه وعليه ينزل عندي النهي)** الوراد **(في كسب الحجام وكراهته)**.

قال العراقي: حديث النهي عن كسب الحجام وكراهته رواه ابن ماجه من حديث ابن مسعود الأنصاري، والنسائي من حديث أبي هريرة باسنادين صحيحين « نهى رسول الله ﷺ عن كسب الحجام » وللبخاري من حديث أبي حنيفة « نهي عن ثمن الدم » ولمسلم من حديث رافع بن خديج « كسب الحجام خبيث » اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أحمد من حديث أبي هريرة كسياق النسائي. قال الهيتمي: رجاله رجال الصحيح، ولفظ البخاري من حديث أبي حجيفة في باب ثمن الكلب « نهي عن ثمن الكلب وثمن الدم وكسب البغي » وانفرد به عن الستة أي لم يخرجه هكذا بجملته غيره، وعزاه بعضهم لمسلم وهو خطأ. ولفظ مسلم من حديث رافع بن خديج « ثمن الكلب خبيث ومهر البغي خبيث وكسب الحجام خبيث » وكذا رواه أيضاً أحمد وأبو داود والترمذي **(إذا)** قد **(نهى عليه)** الصلاة و **(السلام عنه مرات ثم أمر بأن يعلف الناضح)** وهو في الأصل البعير الذي يحمل الماء من النهر أو البئر يستقي به، ثم استعمل في كل بعير وإن لم يحمل الماء.

قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسّنه وابن ماجه من حديث محيصة أنه استأذن النبي ﷺ في إجارة الحجام فنهاه عنها، فلم يزل يسأله ويستأذنه حتى قال « اعلفه ناضحك واطعمه رقيقك » وفي رواية لأحمد لأنه زجر عن كسبه فقال: ألا أطعمه ايتاماً لي؟ قال « لا ». قال: أفلا تصدق؟ قال « لا » فرخص له أن يعلفه ناضحه اهـ.

قلت: ورواه ابن منده في كتاب المعرفة من طريق حرام بن سعد بن محيصة عن أبيه عن جده محيصة بن مسعود أنه كان له غلام يقال له أبو طيبة فكسب كسباً كثيراً، فلما نهى رسول الله ﷺ عن كسب الحجام استشار رسول الله فيه فأبى عليه فلم يزل يكلمه ويذكر له الحاجة حتى قال: « ليكن كسبه في بطن بهيمتك ».

النجاسة والقذر فاسد إذ يجب طرده في الدباغ والكناس ولا قائل به، وإن قيل به فلا يمكن طرده في القصاب إذ كيف يكون كسبه مكروهاً وهو بدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه ومخامرة القصاب والنجاسة أكثر منه للحجام والفصاد، فإن الحجام يأخذ الدم بالمحجمة ويمسحه بالقطنة ولكن السبب أن في الحجامة والفصد تخريب بنية الحيوان واخراجاً لدمه وبه قوام حياته، والأصل فيه التحريم، وإنما يحل بضرورة وتعلم الحاجة والضرورة بحدس واجتهاد وربما يظن نافعاً ويكون ضاراً فيكون حراماً عند الله تعالى ولكن يحكم بحله بالظن والحدس. ولذلك لا يجوز للفصاد فصد صبي وعبد ومعتوه إلا بإذن وليه وقول طبيب ولولا أنه حلال في الظاهر لما أعطى عليه الصلاة والسلام أجرة الحجام ولولا أنه يحتمل التحريم لما نهى عنه فلا يمكن الجمع بين اعطائه ونهيه إلا باستنباط هذا المعنى، وهذا كان ينبغي أن نذكره في القرائن المقرونة بالسبب فإنه أقرب إليه.

(وما يسبق إلى الوهم من ان سببه) أي النهي **(مباشرة النجاسة والقذر)** الذي هو الدم **(فاسد ، و)** لو صح لكان **(يجب طرده في الدباغين)** الذي يدبغون الجلود في المدابغ **(والكنافين)** الذين يشتغلون بتنظيف الكنف وهي بيوت الأخلية، **(ولا قائل بذلك، فإن قيل به)** قياساً **(فلا يمكن طرده في القصاب)** أي الجزار **(إذ كيف يكون كسبه مكروهاً وهو بدل عن اللحم واللحم في نفسه غير مكروه، ومخامرة القصاب للنجاسة أكثر منه للحجام والفصاد فإن الحجام يأخذ الدم)** ويمصه **(بالمحجمة)** وهي آلة الحجامة **(ويمسح)** موضع الدم **(بالقطنة)**، وكذلك الفصاد يضرب الريشة على العرق المطلوب ثم يسد عليه بالقطن ويربط بخلاف القصاب فإنه يباشر الدم واللحم بيديه، **(ولكن السبب أن الحجامة والفصد كل منهما جراحة)** بالحديد **(هي تخريب لبنية الحيوان وإخراج لدمه وبه)** أي بالدم **(قوام حياته)** وعماد بدنه، **(والأصل فيه التحريم وإنما يحل)** إخراجه **(بضرورة)** دعت وهي تبوّغ الدم فقد رخص في إخراجه عنده، **(وتعلم الحاجة والضرورة بحدس)** أي تخمين **(واجتهاد، وربما يظن نافعاً ويكون)** في نفس الأمر **(ضاراً)** به، **(فيكون حراماً عند الله، ولكن حكم بحله بالظن والحدس)** والرأي المجتهد، **(ولذلك لا يجوز للفصاد فصد عبد)** مملوك للغير **(ولا)** فصد **(صبي و)** لا **(معتوه)** به شبه الجنون **(إلا بإذن ولي)** لهم **(وقول طبيب)** حاذق ماهر، **(ولولا أنه حلال في الظاهر لما أعطى ﷺ أجرة الحجام)** قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عباس، **(ولولا أنه محتمل للتحريم لما نهى عنه ﷺ)** كما تقدم في الأخبار الواردة، **(ولا يمكن الجمع بين إعطائه ونهيه إلا باستنباط هذا المعنى)** الدقيق، **(وهذا كان ينبغي أن نذكره في القرائن المقرونة بالسبب فإنه أقرب إليه)** عند التأمل.

الرتبة السفلى: وهي درجة الموسوسين وذلك أن يحلف إنسان على أن لا يلبس من غزل أمه فباع غزلها واشترى به ثوباً فهذا لا كراهية فيه والورع عنه وسوسة. وروي عن المغيرة أنه قال في هذه الواقعة: لا يجوز، واستشهد بأن النبي ﷺ قال: « لعن الله اليهود حرمت عليهم الخمور فباعوها وأكلوا أثمانها » وهذا غلط لأن بيع الخمور باطل إذ لم يبق للخمر منفعة في الشرع، وثمن البيع الباطل حرام وليس هذا من ذلك بل مثال هذا أن

(**الرتبة السفلى: وهي درجة الوسواس وذلك في أن يحلف إنسان على أن لا يلبس**) ثوباً (**من غزل أمه**) مثلاً (**فباع غزلها واشترى به**) أي بثمنه (**ثوباً فهذا لا كراهة فيه والورع عنه وسوسة. وروي عن المغيرة**) بن شعبة بن مسعود بن معتب الثقفي الصحابي المشهور رضي الله عنه، وولي امرة البصرة ثم الكوفة مات سنة خمسين على الصحيح. (**انه قال في هذه الواقعة: لا يجوز واستشهد بأن النبي ﷺ لعن اليهود إذ حرمت عليهم الخمور فباعوها**) هكذا في النسخ التي بأيدينا. قال العراقي: لم أجده هكذا، والمعروف أن ذلك في الشحوم ففي الصحيحين من حديث جابر « قاتل الله اليهود كان الله لما حرم عليهم شحومها أجملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه ». اهـ.

قلت: ووقع في بعض النسخ من الكتاب الشحوم بدل الخمور وكأنه تصليح من النساخ إذ لا يلائم سياق المصنف، وهو قوله: (**وهذا غلط لأن بيع الخمر باطل إذ لم يبق في الخمر منفعة في الشرع وثمن البيع الباطل حرام وليس هذا من ذاك**).

قال الزيلعي من أصحابنا: بيع الميتة والدم والخنزير والخمر باطل لعدم ركن البيع وهو مبادلة المال بالمال، فلو هلكوا عند المشتري لم يضمن لأن العقد في الباطل غير معتبر فينتفي القبض بإذن المالك وهذا قول أبي حنيفة، وقيل: يضمن. وبه قال صاحباه، والأصل فيه أن بيع ما ليس بمال عند أحد كالدم والميتة التي ماتت حتف أنفها باطل، وإن كان مالاً عند البعض كالخمر والخنزير والموقوذة، فإن هذه الأشياء مال عند أهل الذمة، فإن بيعت بدين في الذمة فهو باطل وإن بيعت بعين فهو فاسد في حق ما يقابلها حتى يملك ويضمن بالقبض باطل في حق نفسها حتى لا يضمن ولا يملك بالقبض لأنها غير متقوّمة لما أن الشرع أمر بإهانتها وفي تمليكها بالعقد مقصود إعزازها فكان باطلاً، وذلك بأن يشتريها بدين في الذمة لأن الثمن من الدارهم والدنانير غير مقصود، وإنما هي وسائل والمقصود تحصيلها فكان باطلاً إعانة لها، وإن لم تكن مقصودة بأن كانت ديناً في الذمة كان فاسداً لأن المقصود تحصيل ما يقابلها وفيه اعزاز له لا لها، لأن الثمن تبع كما ذكرنا والأصل المبيع، وكذا إذا كانت معينة وبيعت بعين مقابضة صار فاسداً في حق ما يقابلها باطلاً في حقها اهـ.

وأما حديث جابر الذي في الصحيحين فقد تقدم ذكره قريباً، ولعل ذكر الخمور في سياق المصنف سبق قلم، فإن المغيرة أراد الاستدلال على تحريم بيع الخمور بتحريم بيع الشحوم، فقد روي

يملك الرجل جارية هي أخته من الرضاع فتباع بجارية أجنبية فليس لأحد أن يتورع منه، وتشبيه ذلك ببيع الخمر غاية السرف في هذا الطرف، وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها وإن كان تفاوت هذه الدرجات لا ينحصر في ثلاث أو أربع ولا في عدد، ولكن المقصود من التعديد التقريب والتفهيم.

فإن قيل: فقد قال ﷺ: «من اشترى ثوباً بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم يقبل الله له صلاة ما كان عليه» ثم أدخل ابن عمر أصبعيه أذنيه وقال: صمتا إن لم أكن سمعته منه. قلنا: ذلك محمول على ما لو اشترى بعشرة بعينها لا في الذمة فقد حكمنا بالتحريم في أكثر الصوم فليحمل عليها ثم كم من ملك يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة

ابن خسرو في مسنده من طريق الحسن بن زياد، عن أبي حنيفة، عن محمد بن قيس بن مخرمة الهمداني أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل عن بيع الخمر وأكل ثمنها فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فحرموا أكلها واستحلوا أكل ثمنها إن الله حرم بيع الخمر وشراءها وأكل ثمنها». ورواه مسلم أيضاً من حديث ابن عباس، وأبي هريرة وأبي سعيد وقد تفرد بها مسلم عن البخاري وتقدم ذكر ألفاظهم قريباً، وإنما قال المصنف: وهذا غلط أي في القياس فإنه قاس هذه الصورة على تحريم أثمان الشحوم، وإن كان القياس في تحريمها على تحريم أثمان الخمور صحيحاً لكنه مع الفارق هذا إن ثبت أن المغيرة رضي الله عنه رفعت إليه هذه الحادثة بعينها من طريق صحيحة، وأجاب بما تقدم فإني لم أر رواية المغيرة لهذا الحديث في مظانها، والله أعلم.

(**بل مثال هذا أن يملك الرجل جارية وهي أخته من الرضاعة فباع**) وفي نسخة فتباع (**بجارية**) أخرى (**أجنبية**) عنه، فإنه يجوز له أخذها والتسري بها، (**فليس لأحد أن يتورع عن ذلك ويشبه ذلك ببيع الخمر، فهذا غاية السرف في هذا الطرف. وقد عرفنا جميع الدرجات وكيفية التدريج فيها وإن كان تفاوت هذه الدرجات لا تنحصر في ثلاث وأربع**) وأكثر، بل (**ولا في عدد**) محصور، (**ونحن نبين المقصود من التعديد**) المذكور (**للتقريب**) إلى الأذهان (**والتفهيم**) ولا بأس في ذلك.

(**فإن قيل: فقد قال النبي ﷺ «من اشترى ثوباً بعشرة دراهم فيها درهم حرام لم تقبل له فيه صلاة ما كان عليه» ثم أدخل ابن عمر**) راوي هذا الحديث (**أصبعيه في أذنيه وقال: صمتا إن لم أكن سمعته من رسول الله ﷺ**) تقدم الكلام عليه في الباب الذي قبله. (**قلنا: ذلك محمول على ما لو اشترى ذلك الثوب بعشرة بعينها لا في الذمة فقد حكمنا بالتحري**) كذا في أكثر النسخ وفي بعضها بالحل ولعله الصواب (**في أكثر الصور**) التي ذكرت قبل، (**فليحمل على ذلك ثم كم من ملك**) بكسر الميم (**يتوعد عليه بمنع قبول الصلاة لمعصية**

لمعصية تطرقت إلى سببه، وإن لم يدل ذلك على فساد العقد كالمشتري في وقت النداء وغيره.

المثار الرابع: الاختلاف في الأدلة:

فإن ذلك كالاختلاف في السبب لأن السبب سبب لحكم الحل والحرمة. والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة الغير فلا فائدة لثبوته في نفسه وإن جرى سببه في علم الله، وهو إما أن يكون لتعارض أدلة الشرع أو لتعارض العلامات الدالة أو لتعارض التشابه.

تطرقت إلى سببه) الموصل **(وإن لم يدل ذلك على فساد)** نفس **(العقد)** وهذا **(كالمشتري في وقت النداء وغيره)** وقد ذكر حكم ذلك، وأيضاً التوعد على الشيء لا يقتضي وجوبه. أشار إليه ابن عقيل من الحنابلة ونقله التاج السبكي وضعفه.

المثار الرابع الاختلاف في الأدلة:

اعلم أن سبب اختلاف العلماء الخلاف في مسائل مستقلة أو في فروع مبنية على أصول وتنشأ من كل منها مسائل فيها مثار الشبه أشرنا لبعضها في مقدمة كتاب أسرار الطهارة من كتاب ابن السيد البطليوسي، واستوفاها التاج السبكي في قواعده فلا نطيل بها هنا. **(والدليل سبب لمعرفة الحل والحرمة فهو سبب في حق المعرفة وما لم يثبت في معرفة العبد، فلا فائدة لثبوته في نفسه وإن جرى سببه في علم الله تعالى)**.

إعلم ان السبب والعلة يشتركان في ترتب المسبب والمعلول عليهما ويفترقان من وجهين. أحدهما: أن السبب ما يحصل الشيء عنده والعلة ما يحصل به، وقيل: السبب ما يوصل به إلى المسبب مع جواز المفارقة بينهما. والثاني: ان المعلول يتأثر عن علته بلا واسطة بينهما ولا شرط يتوقف الحكم على وجوده، والسبب إنما يفضي إلى الحكم بواسطة أو بوسائط، ولذلك يتراخى الحكم عنها حتى توجد الشرائط وتنتفي الموانع، وأما العلة فلا يتراخى الحكم عنها إذ لا شرط لها بل متى وجدت أوجبت معلولها بالاتفاق. وحكى الاتفاق إمام الحرمين والآمدي وغيرهما ووجهوه بدلائل كثيرة. وقال التاج السبكي في قواعده: الوسائط بين الاحكام والاسباب تنقسم إلى مستقلة وغير مستقلة، فالمستقلة يضاف الحكم إليها ولا يتخلف عنها وهي العلل، وغير المستقلة منها له مدخل في التأثير ومناسبة إن كان في قياس المناسبات وهو السبب، ومنها ما لا مدخل له ولكنه إذا انعدم ينعدم الحكم وهو الشرط، وهذا يبين لك ترقي رتبة العلة عن رتبة السبب ومن ثم يقولون: المباشرة تقدم على السبب، ووجهه، أن المباشرة علة والعلة أقوى من السبب اهـ.

(وهو) أي الاختلاف في الأدلة **(إما أن يكون لتعارض أدلة الشرع)** بعضها مع بعض **(أو لتعارض العلامات الدالة أو لتعارض المشابهة)** فهي ثلاثة أقسام.

القسم الأوّل: أن تتعارض أدلة الشرع مثل تعارض عمومين من القرآن أو السنّة أو تعارض قياسين أو تعارض قياس وعموم، وكل ذلك يورث الشك ويرجع فيه إلى الاستصحاب أو الأصل المعلوم قبله إن لم يكن ترجيح، فإن ظهر ترجيح في جانب الحظر وجب الأخذ به، وإن ظهر في جانب الحل جاز الأخذ به، ولكن الو ع تركه واتقاء مواضع الخلاف مهم في الورع في حق المفتي والمقلد. وإن كان المقلد يجوز له أن يأخذ بما أفتى له مقلده الذي يظن انه أفضل علماء بلده، ويعرف ذلك بالتسامع كما يعرف أفضل أطباء البلد بالتسامع والقرائن وإن كان لا يحسن الطب وليس للمستفتي أن ينتقد من المذاهب أوسعها عله بل عليه أن يبحث حتى يغلب على ظنه الأفضل ثم يتبعه فلا يخالف أصلاً. نعم إن أفتى له إمامه بشيء ولإمامه فيه مخالف فالفرار من الخلاف إلى الاجماع من الورع المؤكد، وكذا المجتهد إذا تعارضت عنده الأدلة ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن، فالورع له الاجتناب، فلقد كان المفتون يفتون بحل أشياء لا

(**القسم الأوّل: أن تتعارض أدلة الشرع مثل تعارض عمومين من القرآن أو**) من (**السنة أو تعارض قياسين أو تعارض قياس وعموم، وكل ذلك يورث الشك**) ويثير الشبهة إذ لا يترجح حينئذ العمل بكل من العمومين، أو بكل من القياسين، أو بكل من القياس والعموم مع التعارض، (**ويرجع فيه إلى الاستصحاب أو الأصل المعلوم قبله إن لم يكن**) هناك (**ترجيح**) لأحد المتعارضين، (**فإن ظهر ترجيح في جانب الحظر وجب الأخذبه**) نظراً للمرجح، (**وإن ظهر في جانب الحل جاز الأخذ**) به، (**ولكن الورع تركه**) إحتياطاً (**واتقاء مواضع الخلاف**) بين الائمة في المسائل (**مهم في**) باب (**الورع في حق المفتي، و**) كذلك في حق (**المقلد**) بكسر اللام، (**وإن كان المقلد**) بكسر اللام (**يجوز له أن يأخذ بما أفتى به مقلده**) بفتح اللام أي مقتداه (**الذي يظنه أفضل علماء بلده ويعرف ذلك**) أي فضيلته (**بالتسامع**) من أفواه الناس، فإذا كثر مادحوه فهو حري بأن يكون أفضلهم (**كما يعرف أفضل أطباء البلد بالتسامع وبالقرائن**) الدالة على معرفته، (**وإن كان**) في نفس الأمر (**لا يحسن**) من (**الطب**) ولا يتقنه (**فليس للمستفتي أن يعتقد من المذاهب أوسعها عليه**) كما لا يجوز له أن يتتبع الرخص من المذاهب، (**بل عليه أن يبحث حتى يغلب على ظنه الأفضل ثم يتبعه**) ويقلده فيما يقوله (**فلا يخالفه أصلاً**) بل يثبت عليه (**نعم إن أفتى له إمام**) من الائمة (**بشيء**) فيما يتعلق بدينه أو دنياه (**ولإمامه**) الذي يقلده (**فيه مختلف، فالفرار من الخلاف إلى الإجماع من الورع المؤكد، وكذا المجتهد**) المطلق والنسبي (**إذا تعارضت عنده الأدلة**) أو الأقوال في المذهب، (**ورجح جانب الحل بحدس وتخمين وظن، فالورع له الاجتناب**) عنه (**فلقد كان المفتون يفتون بحل أشياء ولا يقدمون**) بأنفسهم (**عليها قط**

يقدمون عليها قط تورعاً منها وحذراً من الشبهة فيها. **فلنقسم هذا أيضاً على ثلاث** مراتب.

الرتبة الأولى: ما يتأكد الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف ويدق وجه ترجيح المذهب الآخر عليه، فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم إذا أكل منها وإن أفتى المفتي بأنه حلال لأن الترجيح فيه غامض، وقد اخترنا أن ذلك حـرام وهو أقيس قولي الشافعي رحمه الله: ومهما وجد للشافعي قولاً جديداً موافقاً لمذهب أبي حنيفة رحمه الله أو غيره من الأئمة كان الورع فيه مهماً، وإن أفتى المفتي بالقول الآخر،

تورعاً منهم وحذراً من الشبهة فيها) من ذلك ما روي أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله تعالى كان يفتي الناس بالعفو عن البول يصيب ثوب المصلي كرؤس الإبـر رفعاً للحرج، فبينما هو يمشي ذات يوم في إحدى أزقة الكوفة وقد أصاب ثوبه مثل ذلك ومعه أبو يوسف، فلم يزل ماسكاً طرف ثوبه حتى أتى منزله فغسله كله، فقال له أبو يوسف: أما أفتيتنا بالعفو عن مثل ذلك؟ قال: نعم تلك فتوى وهذا تقوى. **(ولنقسم هذا أيضاً على ثلاث مراتب.**

المرتبة الأولى: ما يتأكد الاستحباب في التورع عنه وهو ما يقوى فيه دليل المخالف) في مسألة من المسائل الفرعية **(ويدق وجه ترجيح المذهب فيه)** أي يخفي، **(ويظهر وجه الآخر عليه فمن المهمات التورع عن فريسة الكلب المعلم)** أي صيده الذي افترسه بأنيابه **(إذا أكل، وإن افتى المفتي)** وفي نسخة: المفتون **(بأنها حلال)** للأكل **(لأن)** وجه **(الترجيح فيه غامض)** دقيق، **(وقد اخترنا)** معاشر الشافعية **(أن ذلك حرام فهو أقيس قولي الشافعي رحمه الله)** أي أقواهما قياساً، ويستعمله المصنف في مقام الأصح فإن أكله يدل على أنه أمسكه لنفسه لا لصاحبه فهو ترجيح ظاهر. **(ومهما وجد للشافعي)** رحمه الله تعالى **(قول جديد)** في المذهب **(موافق لمذهب أبي حنيفة)** رحمه الله تعالى، **(أو)** مذهب **(غيره من الائمة)** كمالك وأحمد رحمهما الله تعالى **(كان اتباعه في الورع مهماً، وإن أفتى بالقول الآخر).**

اعلم أنه إن كان للشافعي رضي الله عنه في المسألة قول غير متعدد فهو نصه، وقوله: وإن تعدد منه القول في المسألة فلا يخلو من أن يعلم السابق منه أم لا. فإن علم فالسابق هو القديم واللاحق هو الجديد، فيقال له الجديد. والنص أيضاً وإن تعدد منه في القديم أو في الجديد قولان في المسألة، فلا يخلو من أن يرجح أحدهما على الآخر أم لا فإن رجح هو أحد قوليه أو الأقوال، فالراجح أيضاً هو النص والمرجوح هو القول المحكي عنه والقول شامل للكل وما لا يوجد فيه من الأقوال أو القولين ترجيح من صاحب المذهب، فلا يخلو من أن يرجح واحد من أئمة المذهب أحـد قـوليـه أو أقواله أو خرج من قوله أو من قوليه أو أقواله قولاً يسمى ذلك وجهاً، وإن اختلف طريق النقل من صاحب المذهب فذاك يسمى طريقاً للأصحاب فتأمل ذلك.

ومن ذلك الورع عن متروك التسمية وإن لم يختلف فيه قول الشافعي رحمه الله لأن الآية

(ومن ذلك الورع عن) أكل **(متروك التسمية)** من الذبائح **(وإن لم يختلف فيه قول الشافعي)** رحمه الله تعالى، فإنه قال: يجوز أكلها إذا ترك التسمية عليها سهواً أو عمداً. وقال أبو حنيفة: إن ترك الذابح التسمية عمداً فالذبيحة ميتة لا تؤكل وإن تركها ناسياً أكلت، ومذهب مالك في الذبيحة كمذهبه في الصيد على ما يأتي بيانه. وقال أحمد: إن ترك التسمية على الذبيحة عمداً لم تؤكل وإن تركها سهواً فروايتان. احداهما: لا تؤكل كالصيد، والأخرى تؤكل. واختلفوا فيما إذا ترك التسمية على رمي الصيد أو إرسال الكلب فقال أبو حنيفة: إن ترك التسمية في الحالين ناسياً حل الأكل منه، وإن تعمد تركها لم يبح. وقال مالك: إن تعمد تركها لم يبح في الحالين وإن تركها ناسياً في الحالين فهل يباح أم لا ؟ فيه عنه روايتان، وعنه رواية ثالثة أنه يحل أكلها على الإطلاق سواء تركها عمداً أو نسياناً. وقال عبد الوهاب في مذهب أصحاب مالك فيما ظهر عنهم: إن تارك التسمية عامداً أو غير متأوّل لم تؤكل ذبيحته، ومنهم من يقول: أنها سنّة، ومنهم من يقول: أنها شرط مع الذكر. وقال الشافعي: إن تركها عامداً أو ناسياً في الحالتين يحل الأكل منه. وعن أحمد ثلاث روايات: أظهرها: أنه من ترك التسمية على ارسال الكلب أو الرمي لم يحل الأكل منه على الإطلاق سواء كان تركه التسمية عمداً أو سهواً. والرواية الثانية إن تركها ناسياً حل أكله وإن كان عامداً لم يحل أكله كمذهب أبي حنيفة، والثالثة ان تركها على إرسال السهم ناسياً أكل وإن تركها ناسياً على إرسال الكلب والفهد لم يؤكل.

ثم احتج المصنف للورع فقال: **(لأن الآية ظاهرة في إيجابها)** أي التسمية ويعني قوله تعالى ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ [الأنعام: ١٢١] وحاول البيهقي نقض ذلك فعقد باباً ذكر فيه سبب نزولها حيث قال: ذكر فيه عن ابن عباس أن سبب نزولها قول اليهود نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله.

قلت: الصحيح المشهور أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، وأيد ذلك ما ورد في ظاهر الأخبار على ما يأتي بيانها، والأصل تحريم الميتة وما خرج عن ذلك إلا ما كان مسمى عليه فغيره يبقى على أصل التحريم داخلاً تحت النص المحرم للميتة. وفي الموطأ: أن عبد الله بن عياش ابن أبي ربيعة المخزومي أمر غلاماً له أن يذبح ذبيحة، فلما أراد أن يذبح قال له: سم. فقال الغلام: قد سميت. قال له: سم الله ويحك. قال: قد سميت الله. قال ابن عياش: والله لا أطعمها ابداً. قال صاحب الاستذكار: هذا واضح في أن من ترك التسمية عمداً لم تؤكل ذبيحته وهو قول مالك والثوري وأبي حنيفة وأصحاب الحسن بن حي وإسحاق ورواية عن ابن حنبل، ثم ذكر البيهقي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ [الأنعام: ١٢١] قال: يقولون ما ذبح الله فلا تأكلوه وما ذبحتم أنتم فكلوه، فانزل الله تعالى ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾.

ظاهرة في ايجابها والاخبار متواترة فيها فإنه ﷺ قال لكل من سأله عن الصيد : « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكُلْ » . ونقل ذلك على التكرر وقد شهر الذبح بالبسملة . وكل ذلك يقوي دليل الاشتراط ولكن لما صح قوله ﷺ : « المؤمن يذبح على اسم الله تعالى سمى أو لم يسم » . واحتمل أن يكون هذا عاماً موجباً لصرف...

قلت : ذكر الحاكم في المستدرك عن ابن عباس وأن الشياطين ليوحون قال : يقولون ما ذبح فذكر اسم الله عليه فلا تأكلوه وما لم يذكر اسم الله عليه فكلوه فقال الله عز وجل : ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ ثم قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

(والاخبار متواترة فيها) بالأمر بها ، **(فإنه ﷺ قال لكل من سأله عن الصيد « إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت عليه اسم الله فكل »)** قال العراقي : متفق عليه من حديث عدي ابن حاتم ومن حديث أبي ثعلبة الخشني اهـ .

قلت : ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن أبي ثعلبة الخشني وفيه زيادة قال : « وإن قتل ؟ قال : وإن قتل . قال : وإن أكل ؟ قال : وإن أكل » . وأعله البيهقي ، ولفظه المتفق عليه من حديث عدي « إذا أرسلت كلبك وسميت وأمسك وقتل فكل فإن أكل فلا تأكل فإنما أمسك على نفسه » . وقد تقدم ذلك . ورواه أبو داود والبيهقي من طريق مجاهد عن الشعبي عن عدي بن حاتم بلفظ « ما علمت من كلب أو باز ثم أرسلت وذكرت اسم الله تعالى فكل ما أمسك عليك » . قال البيهقي : تفرد مجاهد بذكر الباز فيه وخالف الحفاظ .

(ونقل ذلك على التكرر وقد شهر الذبح بالتسمية) قال العراقي : متفق عليه من حديث رافع بن خديج « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر » اهـ .

قلت : وأوله : قلت يا رسول الله : إنا ملاقو العدو غداً وليس معنا مدى أفنذبح بالقصب ؟ قال : « ما أنهر الدم » الحديث . وفي حديث عدي بن حاتم قلت : يا رسول الله أرأيت أحدنا إذا أصاب صيداً وليس معه سكين أيذبح بالمروة ؟ قال « امرر الدم بما شئت واذكر اسم الله » رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم وابن حبان ، ومداره على سماك بن حرب عن مري بن قطري عنه . ورواه أبو داود وزاد بعد المروة وشقة العصا .

(وكل ذلك يقوّي دليل الاشتراط) أي اشتراط التسمية ، **(ولكن لما صح قوله ﷺ « المؤمن يذبح على اسم الله تعالى سمى أو لم يسم »)** قال العراقي : لا يعرف بهذا اللفظ فضلاً عن صحته ، ولأبي داود في المراسيل من رواية الصلت مرفوعاً « ذبيحة المسلم حلال ذكر اسم الله أو لم يذكر » وللطبراني في الأوسط ، والدارقطني وابن عدي ، والبيهقي من حديث أبي هريرة قال رجل : يا رسول الله الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي . فقال « اسم الله على كل مسلم » قال ابن عدي : منكر ، وللدارقطني والبيهقي من حديث ابن عباس « المسلم يكفيه اسمه فإن نسي أن يسمى حين يذبح فليسم وليذكر اسم الله ثم ليأكل » فيه محمد بن يزيد بن سنان ضعفه الجمهور اهـ .

الآية وسائر الأخبار عن ظواهرها ، ويحتمل أن يخصص هذا بالناسي ويترك الظواهر ولا تأويل وكان حمله على الناسي ممكناً تمهيداً لعذره في ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه وتأويل الآية ممكناً إمكاناً أقرب رجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له ، فالورع عن مثل هذا مهم واقع في الدرجة الأولى .

قلت : وبالغ النووي في إنكاره يعني الذي أورده المصنف وقال : وهو مجمع على ضعفه . قال : وقد خرجه البيهقي من حديث أبي هريرة وقال : منكر لا يحتج به . وذكر الرافعي في الشرح الكبير حديث البراء بن عازب « المسلم يذبح على اسم الله سمى أو لم يسم » .

قال الحافظ في تخريجه : لم أره مس حديث البراء ، وزعم الغزالي في الإحياء أنه حديث صحيح ، وروى أبو داود في المراسيل من جهة ثور بن يزيد عن الصلت رفعه « ذبيحة المسلم حلال ذكر الله أو لم يذكر لأنه إن ذكر لم يذكر إلا اسم الله » وهو مرسل . ورواه البيهقي من حديث ابن عباس موصولاً وفي اسناده صعف ، وأعله ابن الجوزي بمعقل بن عبد الله ، فزعم أنه مجهول وأخطأ بل هو ثقة من رجال مسلم ، لكن قال البيهقي : الأصح وقفه على ابن عباس وقد صححه ابن السكن وقال : روي عن الزهري وهو منكر أخرجه الدارقطني وفيه مروان بن سالم وهو ضعيف اهـ . سياق الحافظ .

وقد روي مثل حديث الصلت أيضاً : « ذبحة المسلم حلال سمى أو لم يسم ما لم يتعمد والصيد كذلك » رواه عبد بن حميد في تفسيره عن راشد بن سعد مرسلاً والصلت هو مولى سويد بن منجوف ، وقال عبد الحق : هو مع إرساله ضعيف . قال ابن القطان : وعلته أن الصلت لا يعرف حاله ، ولكن في الفتح للحافظ الصلت ذكره ابن حبان في الثقات وهو مرسل جيد أما كونه يبلغ درجة الصحة فلا .

(واحتمل أن يكون هذا عاماً موجباً لصرف الآية وسائر الأخبار عن ظواهرها ، ويحتمل أن يخصص هذا بالناسي) لها عند الذبح والرمي والإرسال **(وتترك الظواهر ولا تؤوّل وكان حمله على الناسي ممكناً تمهيداً للمعذرة في ترك التسمية بالنسيان وكان تعميمه في الآية ممكناً إمكاناً أقرب فرجحنا ذلك ولا ننكر رفع الاحتمال المقابل له ، فالورع عن مثل هذا مهم واقع في الدرجة الأولى)** وهنا من المصنف ميل إلى مذهب أحمد ، فإنه الذي فرق بين العامد والناسي كما تقدم قريباً .

تنبيه :

عقد البيهقي باباً فيمن ترك التسمية وهو ممن تحل ذبيحته وكان مراده أنها تحل ولو ترك التسمية ، واستدل عليه بما أخرجه من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالوا : يا رسول الله إن قوماً حديث عهد بالجاهلية يأتونا بلحمان لا ندري أذكروا اسم الله عليها أو لم يذكروا

....

أنأكل منها أم لا ؟ قال رسول الله ﷺ « اذكروا اسم الله وكلوا » . وفي رواية « سموا أنتم وكلوا » ثم ذكر أن جماعة رووه عن هشام كذلك موصولاً . ثم أخرجه من حديث جعفر بن عون عن هشام عن أبيه مرسلاً قال: وكذلك رواه مالك وحماد بن سلمة عن هشام. قلت: وكذلك رواه عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن هشام. وذكر صاحب التمهيد: أن جماعة رووه عن هشام مرسلاً كما رواه مالك. منهم ابن عيينة وابن يحي القطان اهـ. كلامه.

فقد أضطرب سند هذا الحديث كما ترى، ومع اضطرابه لا دليل فيه على مدعي البيهقي إذ ليس فيه ترك التسمية. قال صاحب التمهيد فيه: إن ما ذبحه المسلم ولم يعرف هل سمى الله عليها أم لا أنه لا بأس بأكله وهو محمول على أنه قد سمى، والمؤمن لا يظن به إلا الخير وذبحته وصيده أبداً محمول على السلامة حتى يصح فيه غير ذلك من تعمد ترك التسمية ونحوه. وقال ابن الجوزي في الكشف لمشكل الصحيحين في شرح هذا الحديث: الظاهر من المسلم والكافر أنه يسمي فيحمل أمره على أحسن أحواله ولا يلزمنا سؤاله عن هذا. وقوله « اذكروا اسم الله وكلوا » ليس بمعنى أنه يجزي عما لم يسم عليه ولكن لأن التسمية على الطعام سنّة، والله أعلم.

فصل

قال الشيخ الإمام مجد الدين عبد المجيد بن أبي الفرج الروذراوري رحمه الله تعالى: نقلت هذه الأسطر من نسخة كتبها الإمام العالم شمس الدين الخسروشاهي رحمه الله تعالى حاكياً أستاذه العلامة فخر الدين الرازي قدس الله روحه أنه قال متبجحاً: لقد حضرت بعض المحافل فسألوني أن أتكلم في مسألة متروك التسمية، فقلت: متروك التسمية مباح لقوله تعالى ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق﴾ [الأنعام: ١٢١] وجه الاستدلال أن الواو ههنا توجب أن تكون للعطف أو للحال، والدليل على الحصر أن الأشتراك خلاف الأصل، فكان تعليله أقرب إلى الأصل إذا ثبت هذا، فنقول: لا يمكن أن يقال الواو ههنا للعطف، لأن قوله تعالى ﴿ولا تأكلوا﴾ جملة فعلية، وقوله ﴿وإنه لفسق﴾ جملة إسمية، وعطف الجملة الإسمية على الجملة الفعلية قبيح لايصار إليه إلا للضرورة كما في آية القذف، والأصل عدمها، ولما بطل كون الواو هنا للعطف ثبت أنها للحال كما يقال: رأيت الأمير وإنه لآكل فصار تقدير الآية ﴿ولا تأكلوا مما يذكر اسم الله عليه﴾ حال كونه فسقاً. ثم إن المراد من كونه فسقاً غير مذكور فكان مجملاً إلا أنه حصل بيانه في الآية الأخرى، وهي قوله: ﴿أو فسقاً أهل لغير الله به﴾ [الأنعام: ١٤٥] فصار الفسق مفسراً بأنه الذي أهلّ به لغير الله إذا ثبت هذا. فنقول: وجب الحكم بحل ما لا يكون كذلك لوجوه. فالأول: تخصيص التحريم بالصفة يدل على نفي الحكم عما عداها، ولما دلت الآية على تخصيص التحريم بهذه الصورة وجب أن لا يكون التحريم حاصلاً فيما سواها، وقوله تعالى ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي﴾ [الأنعام: ١٤٥] يقتضي حل الكل سوى الاشياء المذكورة في هذه الآية، وهو الذي أهل به لغير الله، فوجب القطع بأن ما لايكون موصوفاً بهذه الصفة يبقى تحت

....

الحكم بعدم التحريم حينئذ هذا لحم مستطاب منتفع به، فكان داخلاً تحت قوله تعالى ﴿أحل لكم الطيبات﴾ [المائدة: ٤] وتحت قوله تعالى ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ [الاعراف: ٣٢] فوجب الحكم بحل هذا اللحم لهذه العمومات وترك العمل بها فيما أهل به لغير الله لقوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق﴾ فوجب أن يبقى ما عداه على أصل الحل فيثبت بما ذكرنا من دلالة الآية أن متروك التسمية مباح. قال الإمام فخر الدين رحمه الله: لما قررت هذه الدلالة على هذا الوجه لم يقدر أحد على الطعن فيها، فثبت أن الذي ظنوه حجة لهم فهو حجة عليهم والسلام. اعترض عليه الإمام مجد الدين الروذراوري فقال: ادعاء الحصر في مدلولي الواو باطل لأنها قد تكون للاستئناف والابتداء كما في قوله تعالى ﴿ولقد مننا على موسى وهرون﴾ [الصافات: ١١٤] وقوله تعالى ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً﴾ [النمل: ١٥] وكيف يصح ذلك ممن يرى في الآية التي استدل بها الواو في موضعين مقيدة بغير المعنيين وهما قوله تعالى ﴿وان الشياطين ليوحون﴾ [الأنعام: ١٢١] وقوله﴿وإن أطعتموهم﴾ [الأنعام: ١٢١] وأما ادعاء أنها واو الحال فمستغرب أيضاً لأنه لا يلفي في كلام العرب واو تقرن بأن، وفي حيزها اللام وتكون للحال. وقوله: رأيت الأمير جملة وقد تمت، وقوله: وإنه لآكل جملة أخرى مستأنفة فمن ادعى أنها للحال فليس بالدليل، وقوله: فسق مجمل أيضاً بعيد بديع وأي إجمال في لفظ الفسق وكل أحد يفهم أنه الخروج عن طاعته سبحانه وتعالى، ويسمى كل ما يخالف الطاعة فسقاً ومعصية، وإن سلم فيه الإجمال فما الذي يدل على أن بيانه قوله (**أو فسقاً أهل لغير الله به**) لا بدّ لذلك من دليل، ثم نقول: الضمير في قوله (**وانه لفسق**) إما أن يعود إلى المذبوح وذلك غير جائز لأن تسمية الجسم فسقاً مجاز محض وهو مخالف للأصل وإما أن يعود إلى الأكل الذي هو مصدر يدل عليه قوله (**ولا تأكلوا**) وهو الحق فحينئذ يبطل الاستدلال به على كونه مباحاً لأن النهي عنه يدل على تحريمه ظاهراً وغالباً وقد جعله الله فسقاً حيث قال: وإنه لفسق لأنا نتكلم على تقدير عود الهاء إلى الأكل، فحينئذ يكون أكله محرماً وفسقاً فكيف يكون مباحاً. وقوله: فصار تقدير الآية ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ حال كونه مهلاً به لغير الله، فجوابه أن هذا المجموع أخص مما لم يذكر اسم الله عليه لانقسام ذلك إلى ما يهل به لغير الله وإلى ما لا يهل به لغير الله وإلى ما لا يهل به لأحد، وحمل الكلام على أعم المعنيين أولى لأنه أعم فائدة، فحمل الآية على ما لا يذكر عليه اسم الله أولى لعموم فائدته، وأيضاً ندعي أن التحريم المجمع عليه إنما كان للإعراض عن تسمية الخالق الرازق والإخلال بتعظيمه لأنه مناسب، فلئن قيل: هلا كان كتسمية غيره عليه لأنه كالاشتراك أو للمجموع للمناسبة. قلنا: إضافة الحكم إلى المعنى العام المناسب المشترك بين الصور أولى من إضافته إلى المناسب المختص ببعض الصور كما في تعليل وجوب القصاص بالقتل العمد العدوان دون النظر إلى كون المقتول شريفاً عالماً زاهداً مع أن ذلك أدخل في المناسبة ونظائره كثيرة.

فالحاصل، أن الإمام حاول بتطويل هذه المقدمات وتكثيرها حصر الحرمة في ذبيح أهل به لغير

الرتبة الثانية: وهي مزاحمة لدرجة الوسواس أن يتورع الإنسان عن أكل الجنين الذي يصادف في بطن الحيوان المذبوح وعن الضب، وقد صح في الصحاح من

الله معتقداً أن علة حرمة هذا الإهلال حتى يلزم من انتفائه انتفاء الحرمة، وحينئذ يلزم إباحة التارك لأنه لم يسم الله عليه ولا غيره، ولو أثبت عليه هذه الصفة للحرمة المناسبة لكان أصلح وأولى من اثباته بقاعدة يخالف الخصم فيها، وهي أن تخصيص الحكم بالصفة يدل على نفي الحكم عما عداها، والنزاع فيها مع أبي حنيفة رحمه الله تعالى وهذا الفاضل ذكر في المحصول أنه لا يدل على نفيه عنده وعند أكابر أصحابنا كابن سريج والقاضي أبي بكر وإمام الحرمين رحمهم الله تعالى، واعترف بأن الحق معه فكيف يجعله الآن حجة عليه، وأيضاً فإنه إثبات متنازع بمتنازع شروع فيه قبل إتمام الأول وهو مستدرك وقبيح عند أهل العلم، وأما تمسكه في متروك التسمية بهذه الآيات التي سردها على كثرتها، فمن أبين المستدركات لأنها إن لم تدل على حله فلا يصح التمسك بها، وإن دلت عليه ففيها مندوحة عن تلك المقدمات الطويلة لأنه كان يمكنه أن يقول متروك التسمية مباح لقوله تعالى ﴿أحل لكم الطيبات﴾ ولقوله ﴿قل من حرم زينة الله﴾ ولقوله ﴿قل لا أجد﴾ الآية لأن كلاً من هذه الآيات نزل بعمومها على مرامه من غير احتياج إلى المقدمات التي أسلفها، فالاعتصام بواحدة من هذه الآيات يكفي، وحينئذ يضيع جميع ما ذكر وحصره التحريم فيما أهل به لغير الله غير مفيد أيضاً لأن من جملة صور النزاع ما لم يذكر الذابح ولا غيره اسم الله تعالى على الذبيح ولا أسم غيره عمداً، فالنهي في الآية يدل على تحريمه والمستدل لا يقول به فصار ملزماً محجوجاً، وإن سلمنا صحة جميع ما ذكر، ولكن لا يثبت مدعاه الأول لأنه قال متروك التسمية مباح لقوله تعالى ﴿ولا تأكلوا﴾ الآية والتمسك بالنص إنما يصح إذا بيّن أنه بانفراده يدل على الحكم ويثبته كما تقول: الصلاة واجبة لقوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ وكذا الزكاة لقوله: ﴿وآتوا الزكاة﴾ وكذا الحج لقوله ﴿ولله على الناس حجّ البيت﴾ [آل عمران: ٩٧] فأما أن يذكر مقدمات تنتج الحكم فذلك مما لا تعلق له بالنص، فرحم الله من أنعم النظر في هذه المباحثات منصفاً وأصبح بالاجابة إلى الحق مسعفاً.

قال الشيخ مجد الدين: العجب كل العجب من هذا الإمام الذي عمّ البسيطة تصانيفه، وفوائده كيف رضي لنفسه هذا الاستدلال، وكيف يتبجح بمثله مع ضعفه وكيف ذهل تلامذته الفضلاء خصوصاً المذكور الذي حكى وكتب عنه من تهافته، ومع هذا فأحلف بالله العظيم وبجميع المغلظات أن قوله تعالى ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ الخ لا يدل على إباحة متروك التسمية لا وضعاً ولا عقلاً. نسأل الله ربنا أن يبين لنا الحق ويرشدنا إليه ويرزقنا فهمه ويثبتنا عليه، والله أعلم.

(**الرتبة الثانية: وهي مزاحمة لدرجة**) وفي نسخة: وهو متاخم درجة (**الوسواس**) وذلك (**أن يتورع الإنسان عن أكل الجنين الذي يصادفه في بطن الحيوان المذبوح وعن**) أكل (**الضب**) وهو الحيوان المعروف، (**وقد صح في الصحاح من الأخبار**) الورادة (**حديث**

الأخبار حديث الجنين أن ذكاته ذكاة أمه صحة لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى

الجنين بأن ذكاته ذكاة أمه صحة لا يتطرق احتمال إلى متنه ولا ضعف إلى سنده) قال العراقي: أخذه المصنف من كلام شيخه إمام الحرمين فإنه كذا قال في الاساليب: والحديث رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث أبي سعيد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال: صحيح الإسناد وليس كذلك، والطبراني في الصغير من حديث ابن عمر بسند جيد، وقال عبد الحق: لا يحتج بأسانيدها كلها اهـ.

قلت: والحديث المذكور «ذكاة الجنين ذكاة أمه» مرفوعان على الابتداء والخبرية، وروى ذكاة أمه بالنصب على الظرفية كجئت طلوع الشمس أي وقت طلوعها يعني ذكاته حاصلة وقت ذكاة أمه. قال الخطابي وغيره: رواية الرفع هي المحفوظة وأياماً كان فالمراد الجنين الميت بأن خرج ميتاً أو به حركة مذبوح على ما ذهب إليه الشافعي، ويؤيده ما جاء في بعض طرق الحديث من قول السائل يا رسول الله: إنا ننحر الإبل ونذبح البقر والشاة فنجد في بطنها الجنين فنلقيه أو نأكله فقال «كلوا إن شئتم فإن ذكاته ذكاة أمه» فسؤاله إنما هو عن الميت لأنه محل الشك بخلاف الحي الممكن الذبح، فيكون الجواب عن الميت ليطابق السؤال.

وأما تخريجه لحديث أبي سعيد فرواه أيضاً أحمد وأبو يعلى وابن الجارود والدارقطني والبيهقي والضياء، وقد رواه جابر بن عبد الله الدارمي، وأبو داود والبغوي في الجمريات والشايس وأبو نعيم في الحلية والحاكم والبيهقي والضياء، ورواه الطبراني والحاكم أيضاً من حديث أبي أيوب، والطبراني وحده من حديث أبي أمامة، وأبي الدرداء معاً. ومن حديث كعب بن مالك، وفي سند الكل مقال ما عدا حديث ابن عمر عند الطبراني، فحديث أبي سعيد روي من طريق مجاهد عن أبي الوداك عنه وكلاهما ضعيف، وحديث جابر من طريق عبيد الله بن أبي زياد القداح عن أبي الزبير عنه والقداح ضعيف، ولذلك ذهب ابن حزم إلى ما ذهب إليه أبو حنيفة إلا أن الحافظ ابن حجر قال: إن الحجة تقوم بمجموع طرقه، وفي الباب أيضاً علي وابن مسعود والبراء وابن عباس وغيرهم، ونظر إلى ذلك ابن حبان وأقدم على تصحيحه كالحاكم، وتبعه القشيري وغيره، ووجهه أصحابنا بأن المعنى على التشبيه أي مثل ذكاتها أو كذكاتها، فيكون المراد الحي لحرمة الميت عندنا وقالوا: ولو خرج حياً يعيش مثله يجب تذكيته باتفاق العلماء فقد تركوا عمومه، ولأنه إذا كان حياً ثم مات بموت أمه فإنما يموت خنقاً فهو من المنخنقة التي ورد النص بتحريمها، وذهب أبو يوسف ومحمد إلى ما ذهب إليه الشافعي، وقال ابن المنذر: لم أر عن أحد من الصحابة وسائر العلماء أن الجنين لا يؤكل إلا باستئناف ذكاة إلا عن أبي حنيفة، فإن خرج الجنين ولم ينبت شعره ولم يتم خلقه، فقال أبو حنيفة ومالك: لا يجوز أكله وقال الشافعي وأحمد: يجوز أكله.

قلت: وقد روى ابن أبي شيبة في المصنف من حديث أبي سعيد «ذكاة الجنين ذكاة أمه إذا أشعر» فظاهره فيه التأييد لما ذهب إليه أبو حنيفة ومالك، ورواه الدارقطني من حديث ابن عمر

سنده، وكذلك صح أنه أكل الضب على مائدة رسول الله ﷺ وسأله خالد بن الوليد عنه فقال: أحرام هو يا رسول الله؟ قال: «لا ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني اعافه». واكله خالد ورسول الله ﷺ ينظر، وقد نقل ذلك في الصحيحين، وأظن أن أبا حنيفة

«ذكاة الجنين ذكاة أمه أشعر أو لم يشعر» وفيه التأييد لما ذهب إليه الشافعي وأحمد. ومن الغريب ما رواه الحاكم في الأطعمة من حديث ابن عمر «ذكاة الجنين إذا أشعر ذكاة أمه» ولكنه يذبح حتى ينصاب ما فيه من الدم، وهذه التفرقة لم يأخذ بها الشافعية والحنفية معاً فإن الشافعية يقولون: إن ذكاة أمه مغنية عن ذكاته مطلقاً والحنفية لا مطلقاً.

(وكذلك صح أنه أكل الضب على مائدة رسول الله ﷺ وسأله خالد بن الوليد) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي القرشي سيف الله، يكنى أبا سليمان من كبار الصحابة وكان إسلامه بين الحديبية والفتح، وكان أميراً على قتال أهل الردة وغيرها من الفتوح إلى أن مات سنة إحدى وعشرين **(عنه)** أي عن أكل الضب **(فقال: أحرام هو يا رسول الله؟ قال: «لا ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه» وأكله خالد ورسول الله ﷺ ينظر)** إليه، **(وقد نقل ذلك في الصحيحين)** أعني كتاب البخاري ومسلم. قال العراقي: هو كما ذكره من حديث ابن عمر وابن عباس وخالد بن الوليد اهـ.

قلت: حديث ابن عمر لفظه: إن رجلاً نادى رسول الله ﷺ ما ترى في الضب؟ فقال «لست بآكله ولا محرمه». رواه النسائي بهذا اللفظ عن قتيبة عن مالك عن نافع وعبدالله بن دينار عن ابن عمر، ورواه النسائي أيضاً، والترمذي عن قتيبة عن مالك عن عبد الله بن دينار بلفظ: إن النبي ﷺ سئل عن أكل الضب فقال «لا آكله ولا أحرمه». وقال النسائي: وهو على المنبر. وأخرجه البخاري من رواية عبد العزيز بن مسلم، ومسلم من رواية اسماعيل بن جعفر، وابن ماجه من رواية ابن عيينة كلهم عن عبد الله بن دينار لفظ البخاري «الضب لا آكله ولا أحرمه» ولفظ مسلم «لست بآكله ولا محرمه» ولفظ ابن ماجه «لا أحرم» يعني الضب. وأخرجه مسلم أيضاً من رواية الليث بن سعد، وعبيد الله بن عمر، وأيوب السختياني، ومالك بن مغول، وابن جريج، وموسى ابن عقبة، وأسامة بن زيد كلهم عن نافع. وفي رواية عبيد الله سأل رجل رسول الله ﷺ وهو على المنبر عن أكل الضب، وفي رواية أسامة قام رجل في المسجد، ورسول الله ﷺ على المنبر، وفي رواية أيوب أتى رسول الله ﷺ بضب فلم يأكله ولم يحرمه، واتفق عليه الشيخان من رواية الشعبي عن ابن عمران النبي ﷺ كان معه ناس من أصحابه فيهم سعد وأتوا بلحم ضب فنادت امرأة من نساء النبي ﷺ أنه لحم ضب، فقال ﷺ «كلوا فإنه حلال ولكنه ليس من طعامي». لفظ مسلم. وأخرجه البخاري في خبر الواحد ولفظه: فإنه حلال أو قال لا بأس به. شك فيه ففيه إباحة أكل لحم الضب لأنه إذا لم يحرمه فهو حلال، لأن الأصل في الأشياء الإباحة، وعدم أكله لا يدل على تحريمه فقد يكون ذلك لعيافة أو غيرها، وقد ورد التصريح بذلك في الصحيح أنه عليه السلام قال

....

« لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه » وقد رفع قوله عليه السلام « كلوا فإنه حلال ». كل أشكال فإنه نص لا يقبل التأويل، وبهذا قال الشافعي وأحمد وجمهور العلماء من السلف والخلف، وكرهه أبو حنيفة، وحكاه ابن المنذر عن أصحاب الرأي، وحكاه ابن بطال عن الكوفيين، وحكى ابن المنذر عن علي رضي الله عنه، وحكى ابن حزم عن جابر أنه قال: لا تطعموه. وذهبت طائفة إلى تحريمه حكاه المازري والقاضي عياض وغيرهما، وقال النووي في شرح مسلم: أجمع المسلمون على أن الضب حلال ليس بمكروه إلا ما حكـي عن أصحاب أبي حنيفة من كراهته، وإلاَّ ما حكاه عياض عن قوم أنهم قالوا هو حرام، وما أظنه يصح عن أحد فإن صح عن أحد فمحجوج بالنص وإجماع من قبله اهـ.

قلت: الكراهة قول الحنفية بلا شك كما أسلفناه، واختلفوا في المكروه، والمروي عن محمد بن الحسن أن كل مكروه حرام إلا انه لما لم يجد فيه نصاً قاطعاً لم يطلق عليه لفظ الحرام، وعن أبي حنيفة وأبي يوسف أنه إلى الحرام أقرب، وقد قدمنا ذلك قريباً ولكنا أعدناه هنا ليظهر بذلك وجـوه الخلاف في تحريمه أيضاً عند أبي حنيفة، ولهذا نقل العمراني في البيان عن أبي حنيفة تحريمه وهو ظاهر قول ابن حزم، ولم ير أبو حنيفة أكله والخلاف عند المالكية أيضاً، فحكى ابن شاش وابن الحاجب فيه وفي كل ما قيل أنه منسوخ ثلاثة اقوال: التحريم والكراهة والجواز، وذكر مسلم أن حديث ابن عباس في أكل خالد بن الوليد للضب ورسول الله ﷺ ينظر هو الناسخ لخبر أبي حنيفة لأن ابن عباس لم يجتمع مع رسول الله ﷺ إلا بعد الفتح وحنين والطائف ولم يغز بعدها إلا تبوك ولم تصبهم في تبوك مجاعة أصلاً، وصح أن خبر أبي حنيفة الذي تقدم كان قبل هذا وهكذا. قال ابن حزم في حديث عبد الرحمن بن حسنة أنه صحيح إلا أنه منسوخ لأن فيه اكفاء القدور بالضباب خوفاً أن يكون من بقايا مسخ الأمم السابقة، وقال غيره: ليس فيه الجزم بأنها ممسوخة واكفاؤها إنما هو على سبيل الاحتياط والورع.

قال الولي العراقي: وأما العيافة فلا تقتضي التحريم وفي عبارة القاضي أبي بكر بن العربي إشارة إلى التحريم في حق العائف فإنه قال: ولكن يبقى حلالاً لمن اعتاده فإن صح فسببه خشية الضرر بالعائف، وقد استشكل بعضهم قوله عليه الصلاة والسلام « ولم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه » وقال: إن الضب موجود بمكة، وقد انكر ذلك ابن العربي وقال: إن فيه تكذيب الخبر وإن الناقل لوجودها كاذب أو سميت له بغير إسمها أو حدثت بعد ذلك هذا كلامه، والحق أن قوله لم يكن بأرض قومي لم يرد به الحيوان، وإنما أراد أكله أي يمتنع أكله بأرض قومي، وفي المعجم الكبير للطبراني من حديث[1] مرفوعاً « إن أهل تهامة تعافها » قال أبو العباس القرطبي: وقد جاء في غير كتاب مسلم أنه عليه السلام إنما كرهه لرائحته، فقال: إنـي يحضرني من الله حاضرة يريد الملائكة فيكون هذا كنحو ما قال في الثوم إني أناجي من لا تناجي. قال: ولا بعد في تعديل كراهة الضب

(١) هنا بياض في الأصل.

لم تبلغه هذه الأحاديث ولو بلغته لقال بها إن أنصف وإن لم ينصف منصف فيه كان خلافه غلطاً لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد.

الرتبة الثالثة: أن لا يشتهر في المسألة خلاف أصلاً ولكن يكون الحل معلوماً بخبر الواحد فيقول القائل: قد اختلف الناس في خبر الواحد فمنهم من لا يقبله فأنا أتورع،

لمجموعها، **(فالظن بأبي حنيفة)** رحمه الله تعالى **(أنه لم تبلغه هذه الأحاديث ولو بلغته لقال بها إن أنصف)**.

قلت: وهذا بعيد ولم ينفرد به أبو حنيفة، بل هو قول الكوفيين غيره كما حكاه ابن بطال، وحكاه ابن المنذر عن علي، وابن حزم عن جابر، ويستبعد عن هؤلاء أن لا يبلغهم تلك الأحاديث وأمثل ما احتج به القائلون بالكراهة أو التحريم حديث عبد الرحمن بن شبل أن رسول الله ﷺ «نهى عن أكل الضب» رواه أبو داود وابن ماجه، وحديث عائشة قالت: أهدي لنا الضب فقدمته إلى النبي ﷺ فلم يأكل منه فقلت: يا رسول الله الانطعمها السؤال، فقال «إنا لا نطعمهم مما لا نأكل». وقد اعترض المخالفون فقالوا: حديث عبد الرحمن بن شبل ينفرد به إسماعيل بن عياش وليس بحجة هذا قول البيهقي، وقال ابن حزم: فيه ضعفاء ومجهولون. وقال المنذري في اسناده. إسماعيل بن عياش وضمضم بن زرعة وفيهما مقال. وقال الخطابي: ليس إسناده بذلك، والجواب عن هذا أن هذا الحديث من رواية إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي راشد الحراني عن عبد الرحمن بن شبل، وضمضم حمصي، وابن عياش إذا روى عن الشاميين كان حديثه صحيحاً كذا قاله ابن معين والبخاري وغيرهما. وكذا قال البيهقي نفسه في باب ترك الوضوء. من الدم، ولهذا أخرج أبو داود هذا الحديث وسكت عليه فهو حسن عنده على ما عرف، وقد صحح الترمذي لابن عياش عدة أحاديث من روايته لأهل بلده فتأمل ذلك. وتقدم أن القول بالكراهة هو مذهب أبي يوسف ومحمد، وخالفهم أبو جعفر الطحاوي فذهب إلى ما ذهب إليه الشافعي والجماعة، وأما حديث عائشة وهو الذي احتج به محمد واعتمد عليه صاحب الهداية فقد رواه أبو حنيفة عن حماد عن أبي أبراهيم عن الاسود عن عائشة، وكذا رواه أحمد وأبو يعلى والطحاوي من طريق يزيد بن هارون وعفان ومسلم بن ابراهيم كلهم عن حماد بن سلمة.

(ولو لم ينصف فيه كان خلافه غلطاً لا يعتد به ولا يورث شبهة كما لو لم يخالف وعلم الشيء بخبر الواحد) كما سيأتي بيانه.

(المرتبة الثالثة: أن لا يشتهر في المسألة خلاف أصلاً، ولكن يكون الحل معلوماً بخبر الواحد) بأن يرويه واحد عن واحد وهكذا إلى الطبقة الأخيرة، **(فيقول القائل: قد اختلف في خبر الواحد)** أي في العمل به، **(فمنهم من لا يقبله)** وهم الشيعة وبعض المعتزلة كما سيأتي بيانه، **(فأنا أتورع)** واحتاط **(فإن النقلة)** محركة جمع ناقل أي حملة الأخبار وناقلوه **(وإن**

فإن النقلة وإن كانوا عدولاً فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفي جائز عليهم لأن العدل أيضاً قد يكذب والوهم جائز عليهم فإنه قد يسبق إلى سمعهم خلاف ما يقوله القائل، وكذا إلى فهمهم فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة فيما كانوا يسمعون من عدل تسكن نفوسهم إليه. وأما إذا تطرقت شبهة بسبب خاص ودلالة معينة في حق الراوي فللتوقف وجه ظاهر وإن كان عدلاً وخلاف من خالف في أخبار الآحاد غير معتدّ به،

كانوا عدولاً) أي ثبتت عدالتهم، **(فالغلط جائز عليهم والكذب لغرض خفي)** بحيث لا يدركه إلا الأفراد **(جائز عليهم)** جوازاً عقلياً، **(فإن العدل أيضاً قد يكذب والوهم جائز عليهم)** ولا مانع من ذلك، **(فإنه قد يسبق إلى سمعهم خلاف ما يقوله القائل، وكذا إلى فهمهم)** وفي بعض النسخ فإنه قد يسبق إلى فهمهم خلاف ما يقوله القائل، **(فهذا ورع لم ينقل مثله عن الصحابة)** رضوان الله عليهم، **(فيما كانوا يستمعونه من عدل)** كانت **(تسكن نفوسهم إليه)** وتطمئن بما سمعوه وتلقفوه، **(فأما إذا تطرقت تهمة)** أي عرض ما يتهم به **(بسبب خاص ودلالة معينة في حق الراوي)** لذلك الخبر **(فللتوقف)** عن العمل بما رواه **(وجه ظاهر وإن كان عدلاً)** في نفسه **(وخلاف من خالف في أخبار الآحاد غير معتدّ به)**.

اعلم أن الجمهور على أنه لا يشترط في الصحيح عدد فيحكم بصحة خبر الواحد إذا كان عدلاً ضابطاً، وذهب المعتزلة إلى اشتراط العدد كالشهادة وردوا خبر الواحد، ووافقهم من المحدثين إبراهيم بن علية إلا أنه مهجور القول عند الأئمة لميله إلى الاعتزال، وفي كلام الحاكم إشارة إليه، وجزم به ابن الأثير في مقدمة جامع الأصول. وقال أبو علي الجبائي: لا يقبل الخبر إذا رواه العدل الواحد إلا إذا انضم إليه خبر عدل آخر وعضده موافقة ظاهر الكتاب أو ظاهر خبر آخر ويكون منتشراً بين الصحابة أو عمل به بعضهم حكاه أبو الحسن البصري في المعتمد، واحتجوا بقصة ذي اليدين فإنه ﷺ توقف في خبره حتى تابعه عليه غيره حيث قال: « أكما يقول ذو اليدين؟ فقالوا: نعم» رواه الشيخان، وبأن أبا بكر لم يقبل خبر المغيرة أنه ﷺ أعطى الجدة السدس وقال: هل معك غيرك فوافقه محمد بن مسلمة الأنصاري فأنفذه لها أبو بكر، رواه أبو داود، وبأن عمر لم يقبل خبر أبي موسى الأشعري أنه ﷺ قال « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع » وقال: أقم عليه البينة فوافقه أبو سعيد الخدري رواه الشيخان، وأجاب الأولون بأن قصة ذي اليدين إنما حصل التوقف في خبره لأنه أخبر عن فعله ﷺ، وأمر الصلاة لا يرجع المصلي فيه إلى خبر غيره، بل ولو بلغوا حد التواتر فلعله إنما تذكر عند إخبار غيره، وقد بعث رسول الله ﷺ رسله واحداً واحداً إلى الملوك ووفد عليه الآحاد من القبائل فأرسلهم إلى قبائلهم، وكانت الحجة قائمة بأخبارهم عنه مع عدم اشتراط التعدد، وأما توقف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فللإرادة التثبت لا لعدم قبول خبر الواحد، وقد قال عمر في خبر الاستئذان: إنما سمعت شيئاً فأحببت أن

وهو كخلاف النظام في أصل الاجماع. وقوله: إنه ليس بحجة ولو جاز مثل هذا الورع

أتثبت. رواه مسلم، وقد قبل أبو بكر خبر عائشة رضي الله عنها وحدها في قدر كفن النبي ﷺ، وقبل عمر خبر ابن عوف رضي الله عنها وحده في أخذه الجزية من المجوس أخرجه البخاري، وفي الرجوع عن البلد الذي فيه الطاعون أخرجه الشيخان، وخبر الضحاك بن سفيان في توريث امرأة أشيم من دية زوجها أخرجه أبو داود، وخبر حمل بن مالك بن النابغة في الغرة أخرجه البيهقي، وقد قبل عثمان خبر الفريعة أخت أبي سعيد الخدري في سكنى المعتدة عن الوفاة أخرجه البيهقي، وقبل علي خبر أبي بكر رضي الله عنهما في صلاة ركعتين لمن أذنب أخرجه الأربعة وابن حبان، وقد استدل الشافعي وغيره على قبول خبر الواحد بحديث ابن عمر في الصحيحين في استدارتهم إلى الكعبة. قال الشافعي: فقد تركوا قبلة كانوا عليها بخبر واحد ولم ينكر ذلك عليهم ﷺ، وبحديث أنس في الصحيحين أيضاً في إهراق قلال الخمر، وبحديث إرساله علياً إلى الموقف بنزول سورة براءة أخرجه الترمذي وحسنه وغير ذلك من الأخبار، قال السيوطي في شرح الألفية: وقد يستدل له من القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦] فأمر بالتثبيت عند أخبار الفاسق، ومفهومه أنه لا يجب التثبيت عند إخبار العدل وذلك صادق بالواحد لأن سبب نزول الآية إخبار الوليد بن عتبة عن بني المصطلق أنهم ارتدوا ومنعوا الزكاة، واعتماد النبي ﷺ على خبره.

فصل

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كنت إذا حدثني أحد عن النبي ﷺ اسحلفته فإن حلف لي صدقته. أخرجه أحمد والأربعة وابن حبان. قال الحافظ ابن حجر في نكته: وهذا الصنيع في الاستحلاف أنكر البخاري صحته عن علي، وعلى تقدير ثبوته فهو مذهب تفرد به والحامل له على ذلك المبالغة في الاحتياط اهـ.

وقال أبو حبان في التفسير عن علي رضي الله عنه: أنه كان يحلف الراوي والشاهد إذا اتهمها. وقال المصنف في المنخول في الرد على من أنكر قبول خبر الواحد فإن قيل: روي أن علياً كان يحلف الراوي. قلنا: فحلفوا أنتم واقبلوا، ثم كان يحلفه عند التهمة وكان لا يحلف أعيان الصحابة، والله أعلم.

(وهو كخلاف) إبراهيم **(النظام)** وهو من شياطين المعتزلة طالع كتب الفلسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة **(في أصل الإجماع، وقوله: إنه ليس بحجة)** إعلم أن الإجماع يطلق في اللغة على العزم كقوله تعالى ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُم وَشُرَكَاءَكُم﴾ [يونس: ٧١] أي اعزموا، وعلى الاتفاق يقال: اجمعوا على كذا أي اتفقوا عليه. وحكى أبو علي الفارسي في الإيضاح أنه يقال: أجمعوا بمعنى صار، وإذا جمع كما يقال: أبقل المكان وأثمر صار ذا بقل وثمر، وفي الاصطلاح اتفاق

لكان من الورع أن يمتنع الإنسان من أن يأخذ ميراث الجد أبي الأب ويقول: ليس في كتاب الله ذكر إلاَّ للبنين وإلحاق ابن الابن بالابن بإجماع الصحابة وهم غير معصومين والغلط عليهم جائز إذ خالف النظام فيه وهذا هوس ويتداعى إلى أن يترك ما علم بعمومات القرآن إذ من المتكلمين من ذهب إلي أن العمومات لا صيغة لها، وإنما يحتج بما

أهل الحل والعقد من أمة محمد ﷺ على أمر من الأمور، فقوله: اتفاق جنس فالمراد به الاشتراك في الاعتقاد أو القول أو الفعل أو ما في معناها من التقرير والسكوت، وقوله: أهل الحل والعقد أي المجتهدين، فخرج بذلك اعتقاد العوام واتفاق بعض المجتهدين فإنه ليس بإجماع، وقوله: من أمة محمد احترز به عن اتفاق المجتهدين من الأمم السالفة فإنه ليس بإجماع أيضاً كما اقتضاه كلام الإمام، وصرح به الآمدي هنا، ونقله في اللمع عن الأكثرين. وذهب أبو إسحاق الاسفرايني وجماعة إلى أن إجماعهم قبل نسخ ملتهم حجة، وحكى الآمدي هذا الخلاف في آخر الإجماع واختار التوقف، وقوله: على أمر من الأمور شامل للشرعيات كحل البيع واللغويات ككون الفاء للتعقيب وللعقليات كحدوث العالم والدنيويات كالآراء والحروب وتدبير أمور الرعية، فالأولان لا نزاع فيها، وأما الثالث فنازع فيه إمام الحرمين في البرهان فقال: ولا أثر للإجماع في العقليات، فإن المتبع فيها الأدلة القاطعة، فإذا انتصبت لم يعارضها شقاق ولم يعضدها وفاق والمعروف الأول وبه جزم الآمدي والإمام، وأما الرابع: ففيه مذهبان شهيران أصحها: عند الإمام والآمدي واتباعها كابن الحاجب وجوب العمل فيه بالإجماع، ثم أن الجمهور قد ذهبوا إلى أن الإجماع حجة يجب العمل به خلافاً للنظام والشيعة والخوارج، فإنهم وإن نقل عنهم ما يقتضي الموافقة لكنهم عند التحقيق مخالفون. أما النظام فإنه لم يفسر الإجماع باتفاق المجتهدين كما قلنا، بل قال كما نقله عنه الآمدي: أن الإجماع هو كل قول يحتج به، وأما الشيعة فإنهم يقولون: إن الإجماع حجة لا لكونه إجماعاً بل لاشتماله على قول الإمام المعصوم، وأما الخوارج فقالوا كما نقله العراقي عن الملخص: إن إجماع الصحابة حجة قبل حدوث الفرقة أي الافتراق في خلافة علي، فإنهم صاروا حزبين، وأما بعدها فقالوا الحجة في إجماع طائفتهم لا غير لأن العبرة بقول المؤمنين، ولا مؤمن عندهم إلا من كان على مذهبهم، وكلام المصنف هنا تبعاً للإمام يقتضي أن النظام يسلم إمكان الإجماع، وإنما يخالف في حجته، والمذكور في الأوسط لابن هارون ومختصر ابن الحاجب وغيرهما أنه يقول باستحالته.

(ولو جاز مثل هذا الورع لكان من الورع أن يمتنع الإنسان من أن يأخذ ميراث الجد أبي الأب ويقول: ليس في كتاب الله تعالى ذكر إلا للبنين) فقط **(وإلحاق ابن الابن)** بالابن من **(إجماع الصحابة)** رضوان الله عليهم **(وهم غير معصومين والغلط فيهم جائز، وخالف النظام فيه وهذا هوس)** وتخبيط **(ويتداعى إلى أن يترك ما علم)** من الأحكام **(بعمومات القرآن إذ من المتكلمين من ذهب إلى أن العمومات لا صيغة لها، وإنما يحتج بما**

فهمه الصحابة منها بالقرائن والدلالات. وكل ذلك وسواس فإذاً لا طرف من أطراف الشبهات إلا وفيها غلو واسراف، فليفهم ذلك. ومهما أشكل أمر من هذه الأمور فليستفت فيه القلب وليدع الورع ما يريبه إلى ما لا يريبه، وليترك حزاز القلوب وحكاكات الصدور وذلك يختلف بالأشخاص والوقائع، ولكن ينبغي أن يحفظ قلبه عن دواعي الوسواس حتى لا يحكم إلا بالحق ولا ينطوي على حزازة في مظان الوسواس ولا

فهمه الصحابة) رضوان الله عليهم **(منها)** أي من تلك العمومات **(بالقرائن)** المحتفة **(والدلالات)** المعينة.

اعلم أن العموم لغة إحاطة الأفراد دفعة، وعرفاً يقع من الاشتراك في الصفات، والعام لفظ يستغرق جميع ما يصلح له بوضع واحد، والعموم إما لغة بنفسه كلي للكل ومن للعالمين وما لغيرهم، وأين للمكان، ومتى للزمان، أو بقرينة في الإثبات كالجمع المحلي بالألف واللام والمضاف وكذا اسم الجنس، أو بقرينة في المنفي كالنكرة في سياقه، أو عرفاً مثل ﴿حُرِّمت عليكم أمهاتكم﴾ [النساء: ٢٣] فإنه يوجب حرمة جميع الاستمتاعات، أو حكماً كترتب الحكم على الوصف. وأما استدلال الصحابة بعموم هذه الصيغ استدلالاً شائعاً من غير نكير فكان إجماعاً بيانه: أنهم قد استدلوا بعموم اسم الجنس المحلي بأل كقوله تعالى ﴿الزانية والزاني﴾ [النور: ٢] وبعموم الجمع المضاف، فإن فاطمة رضي الله عنها احتجت على أبي بكر رضي الله عنه في توريثها من النبي ﷺ الأرض المعروفة وهي فدك والعوالي بقوله تعالى ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ [النساء: ١١] واستدل أيضاً أبو بكر بعمومه فإنه رد على فاطمة بقوله ﷺ « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة ». واستدل عمر بعموم الجمع المحلي فإنه قال لأبي بكر حين عزم على قتال مانعي الزكاة كيف تقاتلهم وقد قال النبي ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فقال أبو بكر، أليس أنه قال قال « إلا بحقها » وتمسك أيضاً أبو بكر به، فإن الأنصار لما قالوا: منا أمير ومنكم أمير رد عليهم أبو بكر بقوله ﷺ « الأئمة من قريش » رواه النسائي.

(وكل ذلك وسواس فإذاً لا طرف من أطراف الشبهات إلا وفيه غلو) تجاوز عن الحد **(وإسراف، فليفهم ذلك)** وليتنبه له. **(ومهما أشكل)** والتبس **(أمر من هذه الأمور فليستفت فيه القلب)** أي يتوجه إليه ويسأله **(فليأخذ بالورع)** والاحتياط **(فيا يريبه)** أي يوقعه في الريب **(إلى ما لا يريبه)** لقوله ﷺ: « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » **(وليترك حزاز القلوب)** أي ما يحز القلب **(وحكاكات الصدور)** أي ما يحك في الصدور وفي بعض النسخ. وحياكات الصدور وكل منها وارد صحيح **(وذلك يختلف باختلاف الأشخاص والوقائع)** فما كل شخص يحك في صدره ولا كل واقعة يعتبر فيها حزازة القلب، **(ولكن ينبغي أن يحفظ)** السالك **(قلبه من دواعي الوسواس)** وخطور الخطرات النفسية **(حتى لا يحكم إلا**

يخلو عن الحزازة في مظان الكراهة وما أعز مثل هذا القلب، ولذلك لم يرد عليه السلام كل أحد إلى فتوى القلب، وإنما قال ذلك لوابصة لما كان قد عرف من حاله.

القسم الثاني: تعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة فإنه قد ينهب نوع من المتاع في وقت ويبدر وقوع مثله من غير النهب فيرى مثلاً في يد رجل من أهل الصلاح، فيدل صلاحه على أنه حلال ويدل نوع المتاع وندوره من غير المنهوب على أنه حرام فيتعارض الأمران. وكذلك يخبر عدل أنه حرام وآخر أنه حلال أو تتعارض شهادة

بالحق) الصريح المطابق لما في نفس الأمر عند الله تعالى **(فلا ينطوي إلا على حزازة في مظان الوسواس)** وخطرات الخناس، **(ولا يخلو عن الحزازة في مظان الكراهة وما أعد مثل هذا القلب)** في القلوب وهذا القلب أعز من الذهب في سائر المعادن وهو القلب الذي رد إليه ﷺ في الحكم لما سئل عن البر والإثم فقال «البر ما اطمأن إليه القلب والإثم حزاز القلوب» وقال «الإثم ما حاك في صدرك». **(ولذلك لم يرد عليه)** الصلاة و **(السلام كل أحد إلى فتوى القلب، وإنما قال ذلك)** وهو قوله «استفت قلبك» **(لوابصة)** رضي الله عنه **(لما كان قد عرف من حاله)**.

قلت. هو وابصة بن معبد بن مالك الأسدي أبو سالم وفد على النبي ﷺ سنة تسع، روى عنه ﷺ وعن ابن مسعود، وعنه يروي ولداه سالم وعمر وزر بن حبيش وآخرون. نزل بالجزيرة وخبره بالرقة.

قال العراقي: تقدم حديث وابصة. وروى الطبراني من حديث واثلة أنه قال ذلك لواثلة أيضاً، وفيه العلاء بن ثعلبة مجهول اهـ.

قلت: روي ذلك من طريق أيوب بن عبد الله بن مكرز عن ابن وابصة عن أبيه، وفي الباب عن النواس بن سمعان.

(القسم الثاني: أن تتعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة) أي تكون كل من العلامتين معارضة للأخرى فإحداهما تدل على حله والأخرى على حرمته، **(فإنه قد ينهب نوع من المتاع في وقت)** من الأوقات، **(ويندر وقوع مثله من غير النهب)** بأن يكون غريباً ليس من متاع ذلك البلد الذي هو فيه أو رخيصاً في الثمن، **(فيرى مثلاً في يد رجل من أهل الصلاح)** والتقوى **(فيدل صلاحه)** وحاله **(على أنه)** أي المتاع الذي بيده **(حلال، ويدل نوع المتاع وندوره من غير المنهوب على أنه حرام فيتعارض الأمران)** ولا ترجيح، **(وكذلك لو أخبر عدل بأنه حرام وآخر)** مثله **(بأنه حلال)** فيتعارض الخبران ولا مرجح، **(أو تتعارض شهادة فاسقين)** شهد أحدهما على أمر وشهد الثاني بما يعارضه، **(أو)** يتعارض **(قول صبي)** غير مميز **(وبالغ)** ينظر في الكل، **(فإن يظهر ترجيح حكم به)** وقد عقد

فاسقين أو قول صبي وبالغ، فإن ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب، وإن لم يظهر ترجيح وجب التوقف وسيأتي تفصيله في باب التعرف والبحث والسؤال.

القسم الثالث: تعارض الاشباه في الصفات التي تناط بها الاحكام مثاله أن يوصي بمال للفقهاء فيعلم أن الفاضل في الفقه داخل فيه وأن الذي ابتدأ التعلم من يوم أو شهر لا يدخل فيه وبينهما درجات لا تحصى يقع الشك فيها، فالمفتي يفتي بحسب الظن والورع الاجتناب، وهذا أغمض مثارات الشبهة فإن فيها صوراً يتحير المفتي فيها تحيراً لازماً لا حيلة له فيه، إذ يكون المتصف بصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميله إلى أحدهما، وكذلك الصدقات المصروفة إلى المحتاجين، فإن من لا شيء له معلوم أنه محتاج، ومن له مال كثير معلوم أنه غني ويتصدى بينهما مسائل غامضة كمن له دار وأثاث وثياب وكتب فإن قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف إليه والفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة وإنما تدرك بالتقريب، ويتعدى منه النظر في مقدار سعة الدار وأبنيتها ومقدار قيمتها لكونها في وسط البلد ووقوع الاكتفاء بدار دونها، وكذلك في

الأصوليون لمسائل الترجيحات ابواب فلينظر هناك. (**والورع الاجتناب وان لم يظهر ترجيح وجب التوقف**) فيه (**وسيأتي تفصيله في باب التعريف والبحث والسؤال**) قريباً.

(**القسم الثالث: تعارض الأسباب في الصفات التي بها تناط الأحكام**) أي تعلق (**مثال ذلك: أن يوصي بمال**) خاص (**للفقهاء**) خاصة (**فيعلم أن الفاضل في الفقه**) أي الكامل فيه (**داخل فيه**) ومصروف إليه. (**وأن الذي ابتدأ التعلم**) فيه (**من مدة يوم أو شهر**) أو أقل أو أكثر (**لا يدخل**) فيه. (**وبينهما درجات**) متوسطة (**لا تحصى**) لكثرتها (**يقع الشك فيها فالمفتي بحسب الظن**) والاجتهاد (**والورع الاجتناب**) عنه. (**وهذا أغمض مثارات الشبهة، فإن فيها صوراً يتحير المفتي فيها تحيراً لازماً**) البتة (**لا حيلة فيه**) ولا مخرج منه (**إذ يكون المتصف**) له فيه (**بالصفة في درجة متوسطة بين الدرجتين المتقابلتين لا يظهر له ميله إلى أحدهما، وكذلك الصدقات**) والحبوس (**المصروفة إلى المحتاجين فإن من لا شيء له معلوم أنه محتاج، ومن له مال كثير معلوم أنه غني ويتصدى بينهما مسائل غامضة**) دقيقة (**كمن له دار**) يسكنها (**وأثاث**) هو متاع البيت (**وثياب**) اللبس (**وكتب**) العلم الشرعي (**فإن قدر الحاجة منه لا يمنع من الصرف إليه**) بل يعطى على قدر احتياجه ولا يكون وجود ما ذكر مانعاً له من الصرف إليه (**والفاضل**) عن الحاجة (**يمنع والحاجة**) المذكورة (**ليست محدودة**) بحد خاص يقع به الاعتبار. (**وإنما تدرك بالتقريب**) والتمثيل (**ويتعدى منه النظر في مقدار سعة الدار وأبنيتها**) هل هي واسعة أم ضيقة، وهل هي عالية البنيان مشيدته أم لا؟ (**ومقدار قيمتها**) هل هي غالية (**لكونها في وسط البلد**) لتوفر رغبات الناس إلى مثله، أم

نوع أثاث البيت إذا كان من الصفر لا من الخزف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك فيما يحتاج إليه كل يوم وما يحتاج إليه كل سنة من آلات الشتاء وما لا يحتاج إليه إلا في سنين وشيء من ذلك. لا حدّ له. والوجه في هذا ما قاله عليه الصلاة والسلام: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». وكل ذلك في محل الريب وإن توقف المفتي فلا وجه إلا التوقف، وإن أفتى المفتي بظن وتخمين فالورع التوقف وهو أهم مواقع الورع. وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الأقارب وكسوة الزوجات وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال إذ فيه طرفان يعلم أن أحدهما قاصر وأن الآخر زائد وبينهما أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص والحال، والمطلع على الحاجات هو الله تعالى وليس للبشر وقوف على حدودها، فما دون الرطل المكي في اليوم قاصر عن كفاية الرجل الضخم وما فوق ثلاثة أرطال زائد على الكفاية وما بينهما لا يتحقق له حد. فليدع الورع وما يريبه إلى ما لا يريبه وهذا جار في كل حكم نيط بسبب يعرف ذلك السبب

رخيصة لكونها في الأطراف فإنها غالباً لا تخلو من المخاوف؟ (و)ينظر كذلك (**في الاكتفاء بدار دونها**) أي أقل منها في السعة والبنيان وكثرة المنافع، (**وكذلك**) ينظر (**في نوع أثاث البيت**) يريد به الأواني المستعملة بدليل قوله: (**إذا كان من الصفريات**) أي من معادن النحاس الأصفر أو الأحمر (**لا من الخزف وكذلك في عددها وكذلك في قيمتها وكذلك فيما يحتاج كل يوم وما يحتاج إليه كل سنة كآلة الشتاء**) في وقته من الفرش والغطاء (**وما لا يحتاج إليه في سنين وشيء من ذلك لا حد له**) يوقف عليه فيعتبر. (**والوجه في مثل هذا ما قاله ﷺ إذ قال «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»**) تقدم في الباب قبله وفي كتاب العلم، (**وكل ذلك**) أي مما ذكرنا (**في محل الريب**) والشك (**فإن توقف المفتي**) في شيء من ذلك (**فلا وجه إلا التوقف**) فيه (**فإن أفتى المفتي بظن وتخمين**) وحدس (**فالورع التوقف وهو أهم مواضع الورع، وكذلك ما يجب بقدر الكفاية من نفقة الأقارب**) والأهلين (**وكسوة الزوجات**) على مال الإنسان (**وكفاية الفقهاء والعلماء على بيت المال**) يصرف عليهم المتولي على ذلك (**إذ فيه طرفان يعلم أن أحدهما قاصر وأن الآخر زائد، وبينهما أمور متشابهة تختلف باختلاف الشخص و**)باختلاف (**الحال، والمطلع على الحاجات**) كلها (**هو الله تعالى وليس للبشر**) أي في قوته (**وقوف**) أي إطلاع (**على حدودها، فما دون الرطل المكي في اليوم**) الواحد (**قاصر عن كفاية الرجل الضخم**) أي الجسم الأكول، والرطل: بالكسر والفتح معيار يوزن به أو يكال، والفقهاء إذا أطلقوا الرطل في الفروع فإنما يعنون الرطل البغدادي وهو تسعون مثقالاً (**وما فوق ثلاثة أرطال**) بالرطل المذكور (**زائد على الكفاية**) من حاجته (**وما بينهما لا يتحقق له حد**) محدود. (**فليدع**) أي ليترك (**الورع**) أي صاحب الورع (**ما يريبه إلى ما لا يريبه**) عملاً بالخبر، (**وهذا جاز في كل أمر نيط**) أي علق (**بسبب**) خاص

بلفظ العرب، إذ العرب وسائر أهل اللغات لم يقدروا متضمنات اللغات بحدود محدودة تنقطع أطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة فإنه لا يحتمل ما دونها وما فوقها من الأعداد وسائر ألفاظ الحساب والتقديرات، فليست الألفاظ اللغوية، كذلك فلا لفظ في كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ إلا ويتطرق الشك إلى أوساط في مقتضياتها تدور بين أطراف متقابلة فتعظم الحاجة إلى هذا الفن في الوصايا والأوقاف، فالوقف على الصوفية مثلاً مما يصح ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ من الغوامض، فكذلك سائر الألفاظ. وسنشير إلى مقتضى لفظ الصوفية على الخصوص ليعلم به طريق التصرف في الألفاظ، وإلاّ فلا مطمع في استيفائها، فهذه اشتباهات تثور من علامات متعارضة تجذب إلى طرفين متقابلين، وكل ذلك من الشبهات يجب اجتنابها إذا لم يترجح جانب الحل بدلالة تغلب على الظن أو باستصحاب بموجب قوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» وبموجب سائر الأدلة التي سبق ذكرها. فهذه مثارات الشبهات وبعضها أشد من بعض

(**يعرف ذلك السبب بلفظ**) دال عليه، (**إذ العرب**) بل (**وسائر أهل اللغات**) من الفرس والترك والروم وغيرهم (**لم يقدروا متضمنات اللغات بحدود محدودة تنقطع أطرافها عن مقابلاتها كلفظ الستة مثلاً فإنها**) أي الستة (**لا تحتمل ما دونها**) كالخمسة والأربعة والثلاثة (**وما فوقها**) كالسبعة والثمانية والتسعة (**من الأعداد**)، وأصل الستة السدس فأبدل وأدغم لأنك تقول في التصغير سديس وعندي ستة رجال ونسوة إذا كان من كل ثلاثة، (**و**)كذا (**سائر ألفاظ الحساب والتقديرات، فليست الألفاظ اللغوية كذلك فلا لفظ في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ إلا ويتطرق الشك إلى أوساط في مقتضياتها تدور**) تلك الأوساط (**بين أطراف متقابلة**) كما يعرف ذلك من مارس (**وتعظم الحاجة الى هذا الفن في**) مسائل (**الوصايا والأوقاف، فالوقف على الصوفية مثلاً مما يصح**) شرعاً، والصوفية: جماعة الصوفي وهل الصوفي منسوب إلى الصوفة أو الصوفة أو الصفا أو غير ذلك أقوال سيأتي ذكرها في محلها بتفصيلها. (**ومن الداخل تحت موجب هذا اللفظ**) بفتح الجيم (**هذا من الغوامض**) والدقائق، (**وكذلك سائر الألفاظ**) كالفقهاء والعلماء والطلبة وغيرهم، (**وسنشير**) إن شاء الله تعالى (**إلى مقتضى معنى لفظ الصوفية على الخصوص ليعلم به طريق التصرف في الألفاظ وإلاّ فلا مطمع في استيفائها**) على وجه الاستقصاء، (**فهذه اشتباهات تثور من علامات**) مختلفة (**متعارضة تجذب إلى طرفين متقابلين، وكل ذلك من الشبهات التي يجب اجتنابها إذا لم يترجح جانب الحل بدلالة**) معينة (**تغلب على الظن أو باستصحاب**) حال (**بموجب قوله ﷺ «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»**) تقدم في الباب قبله، وفي كتاب العلم. (**وبموجب سائر الأدلة التي سبق ذكرها فهذه مثارات الشبهات**) إجمالاً وتفصيلاً، (**وبعضها أشد من**

ولو تظاهرت شبهات شتى على شيء واحد كان الأمر أغلط، مثل أن يأخذ طعاماً مختلفاً فيه عوضاً عن عنب باعه من خمّـار بعد النداء يوم الجمعة والبائع قد خالط ماله حرام وليس هو أكثر ماله ولكنه صار مشتبهاً به فقد يؤدي ترادف الشبهات إلى أن يشتد الأمر في اقتحامها، فهذه مراتب عرفنا طريق الوقوف عليها وليس في قوة البشر حصرها فما اتضح من هذا الشرح أخذ به وما التبس فليجتنب فإن الإثم حزاز القلب. وحيث قضينا باستفتاء القلب أردنا به حيث أباح المفتي أما حيث حرّمه فيجب الامتناع، ثم لا يعوّل على كل قلب فرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره متساهل يطمئن إلى كل شيء ولا اعتبار بهذين القلبين، وإنما الاعتبار بقلب العالم الموفق المراقب لدقائق الأحوال وهو المحك الذي يمتحن به خفايا الأمور، وما أعز هذا القلب في القلوب فمن

بعض، **ولو تظاهرت شبهات شتى)** من وجوه مختلفة وتواردت **(على شيء واحد لكان الامر أغلط)** وأشد **(مثل أن يأخذ طعاماً مختلفاً فيه)** فهذه شبهة **(عوضاً من عنب باعه من خمّار)** فهذه شبهة ثانية **(بعد النداء)** أي الأذان بعد الزوال **(يوم الجمعة)** فهذه شبهة ثالثة، **(والبائع قد خالط ماله حرام وليس هو)** أي ذلك المال الذي خالطه **(أكثر ماله ولكنه صار مشتبهاً به)** فهذه شبهة رابعة، وإنما قيده بما ذكر فإنه إذا تحقق حرمه ماله فإنه يكون حراماً لا شبهة وكلامنا في الشبهات **(فقد يؤدي ترادف الشبهات إلى ان يشتد الأمر في اقتحامه)** أي الدخول فيه،وفي بعض النسخ في اقتحامها والضمير يعود إلى الشبهات، **(فهذه مراتب عرفنا طرق الوقوف عليها)** وفي نسخة طريق الوقوف عليها، **(وليس في قوّة البشر حصرها)** وضبطها **(فما اتضح من هذا الشرح أخذ به)** وعمل به **(وما التبس)** واختلط. ولم يتبين أمره **(فليجتنب فإن الإثم حزاز القلوب)** يحز في الصدر ويحك فيه، **(وحيث قضينا)** في التقرير الذي أسلفناه **(باستفتاء القلب)** وهو الذي دل عليه حديث «استفت قلبك» **(أردنا به ما أباح المفتي)** بفتواه، **(أما حيث حرم فيجب الامتناع ثم)** إذا علمت ذلك فاعلم أنه **(لا يعوّل على كل قلب فرب موسوس ينفر عن كل شيء ورب شره)** حريص **(متساهل)** مسترسل **(يطمئن إلى كل شيء)** ولفظ القوت: فالحلال ما تبين وظهر وكنت فيه على يقين واطمأن قلب المؤمن به، والحرام ضده أيضاً ما تبين وانكشف وكنت على يقين ونفر قلب المؤمن منه واشمأز، وقد يطمئن بعض القلوب إلى شيء لقلة ورعها وقد ينفر بعض القلوب من شيء لقصور علمها، **(ولا اعتبار بهذين القلبين)** ولفظ القوت: وليس يقع بهذين القلبين اعتبار، **(وإنما الاعتبار بقلب)** المعيار الذي جعل كالمحك تختبر به معادن الملكوت وهو قلب **(الموقن)** العالم **(المراقب لدقائق الأحوال، فهو المحك الذي تمتحن به خفايا)** حقائق **(الأمور)** من عالم الملكوت، **(وما أعز هذا القلب في القلوب)** فهو كالذهب في سائر المعادن وهو الذي ردّ إليه ﷺ

لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته، وجاء في الزبور: «أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام قل لبني إسرائيل إني لا أنظر إلى صلاتكم ولا صيامكم ولكن أنظر إلى من شك في شيء فتركه لأجلي فذاك الذي أنظر إليه وأؤيده بنصري وأباهي به ملائكتي».

الاستفتاء. (**فمن لم يثق بقلب نفسه فليلتمس النور من قلب**) آخر يكون (**بهذه الصفة وليعرض عليه واقعته**)، ومن قصر علمه فليستعن بعلم غيره فما أخطأ حقيقته وراء ذلك فهو معفو الخطأ، (**وقيل في الزبور**) وهو أحد الكتب الأربعة المنزلة وكان نزوله بعد التوارة على سيدنا داود عليه السلام، ولفظ القوت: وروينا عن وهب بن منبه اليماني فيما نقل من الزبور: (**«إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام قل لبني إسرائيل إني لا أنظر إلى صلاتكم ولا إلى صيامكم، ولكن أنظر إلى من شك في شيء فتركه لأجلي ذلك الذي أؤيده بنصري وأباهي به ملائكتي»**) أخرجه أبو نعيم في الحلية بنحوه.

الباب الثالث

في البحث، والسؤال، والهجوم، والإهمال، ومظانها

اعلم أن كل من قدم إليك طعاماً أو هدية أو أردت أن تشتري منه أو تتهب، فليس لك أن تفتش عنه وتسأل وتقول هذا مما لا أتحقق حله فلا آخذه بل افتش عنه، وليس لك أيضاً أن تترك البحث فتأخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب مرة ومكروه مرة، فلا بدّ من تفصيله، والقول الشافي فيه هو أن مظنة السؤال مواقع الريبة. ومنشأ الريبة ومثارها إما أمر يتعلق بالمال أو يتعلق بصاحب المال.

المثار الأوّل: أحوال المالك:

وله بالإضافة إلى معرفتك ثلاثة أحوال: إما أن يكون مجهولاً، أو مشكوكاً فيه، أو معلوماً بنوع ظن يستند إلى دلالة.

الباب الثالث

في البحث والسؤال والهجوم والإهمال ومظانها

أي مظان كل من السؤال والاهمال.

(**اعلم أن كل من قدم إليك طعاماً أو هدية أو أردت أن تشتري منه أو تتهب**) أي تقبل منه الهبة، (**فليس لك ان تفتش عنه وتسأل وتقول هذا مما لا أتحقق حله**) أي لا يثبت عندي ذلك، (**فلا آخذه بل أفتش عنه**) وأبحث، (**وليس لك أيضاً أن تترك البحث**) والسؤال (**فتأخذ كل ما لا تتيقن تحريمه**) أي تعلم تحريمه يقيناً (**بل السؤال واجب مرة وحرام أخرى ومندوب إليه مرة ومكروه أخرى**) على اختلاف الأحوال، (**فلا بدّ من تفصيله**) ورفع الاشكال عنه، (**والقول الشافي فيه هوأن مظنة السؤال مواقع الريبة**) أي المواضع التي تقع فيها الريبة. (**ومنشأ الريبة ومثارها**) لا يخلو (**إما أمر يتعلق بالمال أو يتعلق بصاحب المال**)

المثار الأوّل: أحوال المالك

وله بالإضافة إلى معرفتك ثلاثة أحوال: إما أن يكون مجهولاً، أومشكوكاً فيه، أو) لا يكون مجهولاً بل (**معلوماً**) لكن (**بنوع ظن يستند إلى دلالة**) معينة.

الحالة الأولى: أن يكون مجهولاً . والمجهول هو الذي ليس معه قرينة تدل على فساده وظلمه كزي الأجناد . ولا ما يدل على صلاحه كثياب أهل التصوّف والتجارة والعلم وغيرها من العلامات ، فإذا دخلت قرية لا تعرفها فرأيت رجلاً لا تعرف من حاله شيئاً ولا عليه علامة تنسبه إلى أهل صلاح أو أهل فساد فهو مجهول ، وإذا دخلت بلدة غريباً ودخلت سوقاً ووجدت رجلاً خبازاً أو قصاباً أو غيره ولا علامة تدل على كونه مريباً أو خائناً ولا ما يدل على نفيه فهو مجهول ولا يدري حاله ، ولا نقول أنه مشكوك فيه لأن الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان ، وأكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدري وبين ما يشك فيه وقد عرفت مما سبق أن الورع ترك ما لا يدري . قال يوسف بن أسباط : منذ ثلاثين سنة ما حاك في قلبي شيء إلا تركته ، وتكلم جماعة في أشق الأعمال فقالوا : هو الورع ، فقال لهم حسان بن أبي سنان : ما شيء عندي

(**الحالة الأولى: أن يكون مجهولاً . والمجهول هو الذي ليس معه قرينة**) خاصة (**تدل على فساده وظلمه كزي الأجناد**) من الاتراك والأكراد من تطويل الشوارب والثياب ، (**ولا ما يدل على صلاحه كثياب أهل التصوّف**) من مدرعة وصوف أو مرتفعة وتقصير الملابس ، (**و**) كثياب أهل (**التجارة**) من عمامة مدورة وغيرها ، (**و**) كثياب أهل (**العلم**) من فرجية وطيلسان وعمامة كبيرة (**وغير ذلك من العلامات**) المختصة بكل واحد منهم ، (**فإذا دخلت قرية لا تعرفها**) أي لم يسبق لك الدخول فيها ولا تعرف أهلها في معاملاتهم ، (**فرأيت رجلاً لا تعرف من حاله شيئاً**) أهو من أهل الصلاح أو من أهل الفساد ، (**ولا عليه علامة تنسبه**) بها (**إلى أهل الصلاح أو أهل الفساد فهو**) إذاً (**مجهول، وإذا كنت غريباً فدخلت بلدة فدخلت سوقها فوجدت رجلاً خبازاً**) يبيع في الخبز ، (**أو قصاباً**) يبيع اللحم (**أو غيره**) من أهل البضائع (**ولا علامة**) هناك (**تدل على كونه مريباً**) أي محل الريب (**أو خائناً ، ولا ما يدل على نفيه**) أي نفي الريب والخيانة. (**فهذا مجهول لا يدري حاله، فلا تقول أنه مشكوك فيه لأن الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان متقابلان**) كما تقدم ذلك ، (**وأكثر الفقهاء لا يدركون الفرق بين ما لا يدري**) حاله (**وبين ما يشك فيه**) والصحيح أن بينهما فرقاً كما عرفت ، (**وقد عرفت فيما سبق أن الورع ترك ما لا يدري**) لا ترك ما يجهل .

(**قال يوسف بن اسباط**) الشيباني : وثقه يحي بن معين ، ولفظ القوت : وقد حكي عن يوسف ابن اسباط ، وحذيفة المرعشي وغيرهما من عباد أهل الشام أن قائلهم يقول : (**منذ ثلاثين سنة ما حاك**) وفي نسخة : ما حك (**في قلبي شيء إلا تركته ، وتكلم جماعة في أشد الأعمال فقالوا : هو الورع**) ولفظ القوت : وكان قد اجتمع جماعة من العلماء يتذاكرون أي الأعمال أشد ؟ فقال

أسهل من الورع، وإذا حاك في صدري شيء تركته. فهذا شرط الورع، وإنما نذكر الآن حكم الظاهر فنقول: حكم هذه الحالة أن المجهول إن قدم إليك طعاماً أو حمل إليك هدية أو أردت أن تشتري من دكانه شيئاً فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلماً دلالتان كافيتان في الهجوم على أخذه. وليس يلزمك أن تقول الفساد والظلم غالب على الناس، فهذه وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم بعينه وإن بعض الظن إثم، وهذا المسلم يستحق بإسلامه عليك إن لا تسيء الظن به فإن أسأت الظن به في عينه لأنك رأيت فساداً من غيره فقد جنيت عليه وأثمت به في الحال نقداً من غير شك، ولو أخذت المال لكان كونه حراماً مشكوكاً فيه، ويدل عليه إنا نعلم أن الصحابة رضي الله عنهم في غزواتهم وأسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من

بعضهم: الجهاد، وقال بعضهم: الصيام والصلاة، وقال آخرون: مخالفة الهوى ثم أجمعوا على الورع. **(فقال لهم حسان بن أبي سنان)** البصري أحد العباد الورعين، قال البخاري: كان من عباد أهل البصرة، وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا سلام بن أبي مطيع قال: قال حسان: لولا المساكين ما اتجرت، وقد ترجمه أبو نعيم في الحلية: **(ما شيء عندي أسهل من الورع)**. قيل: وكيف؟ قال: **(إذا حاك في صدرك شيء تركته)** ولفظ القوت: إذا شككت في شيء أوحلّ في صدرك تركته؟ وهذا القول عنه قد أخرجه البخاري في كتاب البيوع معلقاً، ولفظه: وقال حسان ابن أبي سنان: « ما رأيت شيئاً أهون من الورع دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » **(فهذا شرط الورع)** وفي القوت: قد روينا عن عمر رضي الله عنه قال: أفضل الاعمال والذي يفتح به وجوهنا عندالله عز وجل هو الورع، فقال له أصحاب رسول الله ﷺ: صدقت ولعمري أن اليقين إذا وجد والزهد إذا حصل سهل الورع والإخلاص وهو عمدة الأعمال.

(وإنما نذكر الآن حكم الظاهر فنقول: حكم هذه الحالة أن المجهول إن قدم إليك طعاماً، أو حمل إليك هدية أو أو أردت أن تشتري من دكانه شيئاً فلا يلزمك السؤال) عنه، **(بل يده)** المتصرفة فيه **(وكونه مسلماً دلالتان كافيتان في الهجوم على أخذه)** من غير نكير، **(وليس يلزمك أن تقول الفساد والظلم غالب على الناس)** فهذا منهم، **(فهذا وسوسة)** شيطانية **(وسوء ظن بهذا المسلم بعينه، وإن بعض الظن إثم)** وباله على صاحبه، **(وهذا الرجل المسلم يستحق باسلامه عليك أن لا تسيء الظن به)** فإنك قد نهيت عنه، **(فإن أسأت الظن به في عينه لأنك رأيت فساداً من غيره فقد جنيت عليه)** بسوء ظنك **(وأثمت به في الحال نقداً من غير شك، ولو أخذت المال لكان كونه حراماً مشكوكاً فيه)** لأن كلاً من الاعتقاد لها سببان متقابلان، **(ويدل عليه أنا نعلم أن الصحابة رضي الله عنهم في)** أيام **(غزواتهم)** على الكفار **(و)** سائر **(أسفارهم)** وتحركاتهم **(كانوا ينزلون في القرى)** بالضم

الأسواق، وكان الحرام أيضاً موجوداً في زمانهم وما نقل عنهم سؤال إلا عن ريبة إذ كان ﷺ لا يسأل عن كل ما يحمل إليه بل سأل في أوّل قدومه إلى المدينة عما يحمل إليه أصدقة أم هدية؟ لأن قرينة الحال تدل وهو دخول المهاجرين المدينة وهم فقراء فغلب على الظن أن ما يحمل إليهم بطريق الصدقة ثم إسلام المعطي ويده لا يدلان على أنه ليس

جمع قرية، **(ولا يردون القرى)** بالكسر الضيافة **(ويدخلون البلاد ولا يتحرزون من الأسواق)** التي فيها، **(وكان الحرام أيضاً موجوداً في زمانهم)** بالكثرة **(وما نقل عنهم سؤال)** ولا بحث **(إلا عن ريبة)** وتهمة **(إذ كان ﷺ لا يسأل عن كل ما يحمل إليه)** في كل أحيانه **(بل سأل في أول قدومه إلى المدينة)** مهاجراً **(عما يحمل إليه أصدقة أم هدية)** قال العراقي: رواه أحمد، والحاكم وقال: صحيح الإسناد من حديث سلمان «أن النبي ﷺ لما قدم المدينة أتاه سلمان بطعام فسأله عنه أصدقة أم هدية» الحديث. وتقدم في الباب قبله حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: يشير إلى ما رواه البخاري عن أبي هريرة رفعه «كان إذ أتى بشيء اشتبه عليه أصدقة أم هبة سأل عنه».

وأما حديث سلمان فأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الله بن عبد القدوس الرازي، حدثنا عبيد المكتب، حدثني أبو الطفيل عامر بن واثلة قال: حدثني سلمان الفارسي قال: كنت رجلاً من أهل جي فساق الحديث بطوله وفيه: «جمعت شيئاً من تمر فأتيته في الحجر فوضعته بين يديه، فقال: ما هذا؟ قلت: صدقة. قال لأصحابه: كلوا ولم يمد يديه، ثم جمعت شيئاً من تمر فجئته مرة أخرى فوضعته بين يديه فقال: ما هذا؟ قلت: هدية فأكل وأكل القوم» وساق بقية الحديث.

ورواه الثوري عن عبيد المكتب مختصراً، ورواه مسلم بن الصلت العبدي عن أبي الطفيل مطولاً وفيه «أنه قدم عليه المدينة» وساق القصة بتمامها، ورواه محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس، عن سلمان. ورواه بن أبي هند، عن سماك، عن سلامة العجلي، عن سلمان بطوله. ورواه سيار عن موسى بن سعيد الراسبي، عن أبي معاذ، عن أبي سلمة، عن عبد الرحمن عن سلمان بطوله. ورواه اسرائيل عن أبي إسحاق السبيعي عن أبي قرة الكندي عن سلمان.

(لأن قرينة الحال وهو دخول المهاجرين) الأوّلين **(إلى المدينة)** المشرفة **(وهم فقراء)** لكونهم خرجوا بأنفسهم متجردين عن أملاكهم فارين بدينهم **(يغلب على الظن أن ما يحمل إليهم)** من الطعام **(يحمل بطريق الصدقة)** لا غيره، **(ثم إسلام المعطى ويده)** المتصرفة فيه **(لا يدل على أنه ليس بصدقة، وكان)** ﷺ **(يدعي إلى الضيافات فيجيب)** إليها **(ولا**

بصدقة، وكان يدعى إلى الضيافات فيجيب ولا يسأل: أصدقة أم لا؟ إذ العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة، ولذلك دعته أم سليم ودعاه الخياط كما في الحديث الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وقدّم إليه طعاماً فيه قرع، ودعاه الرجل الفارسي فقال عليه الصلاة والسلام: «أنا وعائشة»؟ فقال: لا. فقال: «فلا» ثم أجابه بعد فذهب هو وعائشة يتساوقان فقرب إليهما إهالة ولم ينقل السؤال شيء من ذلك. وسأل أبو بكر رضي الله عنه عبده عن كسبه لما رابه من أمره، وسأل عمر رضي الله عنه الذي سقاه من لبن إبل الصدقة إذ رابه وكان أعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يألفه كل مرة. وهذه أسباب الريبة، وكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصياً بإجابته من غير

يسأل أصدقة أم لا). قال العراقي: هذا معروف مشهور. من ذلك في الصحيحين حديث أبي مسعود الأنصاري في صنيع أبي شعيب طعاماً لرسول الله ﷺ ودعاه خامس خمسة اهـ.

(لأن العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة، وكذلك دعته أم سليم) بالتصغير ابنة ملحان ابن خالد الأنصارية والدة أنس بن مالك. يقال: اسمها سهلة، أو رميلة أو رميثة، وهي العميصاء أو الرميصاء اشتهرت بكنيتها، وكانت من الصحابيات الفاضلات، ماتت في خلافة عثمان، وقصة دعوتها أخرجها البخاري ومسلم من حديث أنس، **(ودعاه الخياط الذي رواه أنس بن مالك)** رضي الله عنه **(وقدم إليه طعاماً فيه قرع)** وهو الدباء، وهو متفق عليه من حديثه: «أن خياطاً دعا رسول الله ﷺ فقدم إليه طعاماً فيه قرع» وأخرجه الترمذي في الشمائل. والخياط المذكور لا يعرف اسمه، لكن في رواية أنه كان من مواليه ﷺ وفيه: أن انساً قال: لقد رأيته يتتبع الدباء من حوالي القصعة وفيه «إن كسب الخياط ليس بدني وأنه يسن محبسة الدباء لمحبته ﷺ». وكذا كل شيء كان يحبه ﷺ ذكره النووي. **(ودعاه الرجل الفارسي فقال)** ﷺ: **(«أنا وعائشة»؟ فقال: لا فقال: «فلا». ثم أجابه بعده فذهب هو وعائشة)** رضي الله عنها **(يتساوقان)** أي يتسابقان في المشي **(فقدم إليهما إهالة)** هي بالكسر الودك المذاب، ورواه مسلم من حديث أنس وفيه: «انه يندب إجابة الدعوة وإن قلّ الطعام أو كان المدعو شريفاً والداعي دونه» وفيه «ما كان عليه ﷺ من عظيم التواضع والتلطف والرفق بأصاغر أصحابه وتعاهدهم بالمجيء إلى منازلهم». **(ولم ينقل السؤال في شيء من ذلك)** أصدقة أم لا؟ **(وسأل أبو بكر)** رضي الله عنه **(عبده)** الذي كان يتولى خراجه **(عن كسبه لما رابه من أمره شيء)** وقد تقدم. **(وسأل عمر)** رضي الله عنه **(الذي سقاه)** اللبن **(من إبل الصدقة إذ رابه فإنه أعجبه طعمه ولم يكن على ما كان يألفه كل ليلة)** وتقدم ذلك أيضاً، وكل منهما تقيأ واستفرغ جوفه مما شرب. **(وهذه أسباب الريبة، فكل من وجد ضيافة عند رجل مجهول لم يكن عاصياً باجابته من غير تفتيش)** وبحث بل يندب ولا يطالب بالبحث عنه، **(بل لو رأى**

تفتيش، بل لو رأى في داره تجملاً ومالاً كثيراً فليس له أن يقول: الحلال عزيز وهذا كثير، فمن أين يجتمع هذا من الحلال؟ بل هذا الشخص بعينه يحتمل أن يكون ورث مالاً أو اكتسبه فهو بعينه يستحق إحسان الظن به، وأزيد على هذا وأقول: ليس له أن يسأله بل إن كان يتورع فلا يدخل جوفه إلا ما يدري من أين هو فهو حسن فليتلطف في الترك، وإن كان لا بد له من أكله فليأكل بغير سؤال إذ السؤال إيذاء وهتك ستر وإيحاش وهو حرام بلا شك.

فإن قلت: لعله لا يتأذى؟ فأقول: لعله يتأذى، فأنت تسأل حذراً من «لعل»، فإن قنعت بلعل فلعل ماله حلال وليس الإثم المحذور في إيذاء مسلم بأقل من الإثم في أكل الشبهة، والحرام والغالب على الناس الاستيحاش بالتفتيش، ولا يجوز له أن يسأل من غيره من حيث يدري هو به لأن الإيذاء في ذلك أكثر، وإن سأل من حيث لا يدري هو ففيه إساءة ظن وهتك ستر وفيه تجسس وفيه تشبث بالغيبة وإن لم يكن ذلك صريحاً، وكل ذلك منهي عنه في آية واحدة. قال الله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظنّ إن بعض الظن إثمٌ ولا تجسّسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ [الحجرات: ١٢] وكم زاهد جاهل يوحش القلوب في

في داره تجملاً) من أثاث وفرش وأمتعة **(ومالاً كثيراً فليس له أن يقول: الحلال عزيز)** قليل، **(وهذا)**الذي أراه **(كثير فمن أين يجتمع هذا من الحلال؟ بل هذا الشخص بعينه إذا احتمل ان يكون ورث مالاً)** من مورثه بطريق الشرع **(أو اكتسبه)** من وجه طيب **(فهو بعينه يستحق إحسان الظن به)** ولا يقول إنه حرام **(وأزيد على هذا وأقول: ليس له أن يسأله بل إن كان يتورع ولا يدخل جوفه إلا ما يدري من أين هو فهو حسن)** لا بأس به **(فليتلطف في الترك، وإن كان لا بدَّ له من أكله فليأكل بغير سؤال)** ولا بحث **(إذ السؤال إيذاء)** له **(وهتك ستر)** عنه **(وإيحاش)** له **(وهو حرام بلا شك)** إذ قد ورد الوعيد فيمن آذى أخاه وفيمن هتك ستره.

(فإن قلت: لعله لا يتأذى) بذلك السؤال؟ **(فأقول: لعله يتأذى وأنت تسأل حذراً من «لعل» فإن قنعت بلعل فلعل ماله حلال وليس الإثم المحذور)** منه **(في إيذاء مسلم)**قولاً أو فعلاً **(بأقل من الإثم في أكل شبهة أو حرام أو الغالب على الناس الاستيحاش)** أي حصول الوحشة **(بالتفتيش)** والبحث الدقيق، **(ولا يجوز له أن يسأل من غيره من حيث يدري هو به لأن الإيذاء في ذلك أكثر، وإن سأل من حيث لا يدري هو ففيه إساءة ظن وهتك ستر وفيه)** أيضاً **(تجسس)** وهو تتبع الأخبار والتفحص عن بواطن الأمور، **(وفيه تشبث بالغيبة)** أي تحسين وتزيين لها **(وإن لم يكن صريحاً، وكل ذلك منهي عنه في آية واحدة قال تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إنَّ بعض الظن إثم ولا تجسّسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾)**

التفتيش ويتكلم بالكلام الخشن المؤذي وإنما يحسن الشيطان ذلك عنده طلباً للشهرة بأكل الحلال ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم أن يتأذى أشد من خوفه على بطنه أن يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدري، إذ لم يكن ثم علامة توجب الاجتناب، فليعلم أن طريق الورع الترك دون التجسس، وإذا لم يكن بدّ من الأكل فالورع الأكل وإحسان الظن، هذا هو المألوف من الصحابة رضي الله عنهم ومن زاد عليهم في الورع فهو ضال مبتدع وليس بمتبع، فلن يبلغ أحد مد أحدهم ولا نصيفه ولو أنفق ما في الأرض جميعاً. كيف وقد أكل رسول الله ﷺ طعام بريرة فقيل: إنه صدقة، فقال: «هو لها صدقة ولنا هدية». ولم يسأل عن المتصدق عليها، فكان المتصدق مجهولاً عنده ولم يمتنع.

الحالة الثانية: أن يكون مشكوكاً فيه بسبب دلالة أورثت ريبة، فلنذكر صورة الريبة ثم حكمها.

فأمر بالاجتناب عن سوء الظن بالمسلم وجعله إثماً مبالغة، ونهى عن التجسس والاغتياب، **(وكم من زاهد جاهل يوحش القلوب)** أي يثير الوحشة والنفرة في القلوب **(في التفتيش)** والتنقير، **(ويتكلم بالكلام الخشن)** المؤذي، **(وإنما يحسن الشيطان ذلك عنده)** ويزينه **(طلباً للشهرة)** بين الناس **(بأكل الحلال، ولو كان باعثه محض الدين لكان خوفه على قلب مسلم أن يتأذى)** ويستوحش **(أشد من خوفه على بطنه أن يدخله ما لا يدري وهو غير مؤاخذ بما لا يدريه إذا لم يكن هناك علامة توجب الاجتناب)**. وأما الايذاء والتجسس والاغتياب؟ فإنه مؤاخذ بكل من ذلك. **(فليعلم أن طريق الورع الترك دون التجسس، وإذا لم يكن بدّ من الأكل فالورع الأكل وإحسان الظن وهذا هو المألوف)** المعروف **(من)** أحوال **(الصحابة)** رضي الله عنهم كما يعرفه من سبر سيرهم، **(ومن زاد عليهم في الورع فهو ضال)** عن الرشد **(مبتدع وليس بمتبع)** سننهم، **(فلن يبلغ أحد مدّ أحدهم ولا نصيفه ولو أنفق ما في الأرض جميعاً)** كما جاء ذلك في الخبر، والمد: بالضم مكيال معروف، والنصيف كأمير لغة في النصف بالكسر. **(وقد أكل رسول الله ﷺ طعام بريرة)** وهي الشاة التي تصدق بها عليها، وبريرة هي مولاة عائشة رضي الله عنها صحابية جليلة عاشت إلى زمن يزيد بن معاوية **(فقيل: إنها)** أي الشاة **(صدقة، فقال: «هي لها صدقة ولنا هدية» ولم يسأل عن المتصدق عليها فكان المتصدق)** بها عليها **(مجهولاً عنده)** ﷺ **(ولم يمتنع)**. والحديث المذكور أخرجه البخاري ومسلم من حديث أنس.

(الحالة الثانية: أن يكون مشكوكاً فيه بسبب دلالة أورثت ريبة فلنذكر صورته) أولاً **(ثم)** نبين **(حكمه)** ثانياً.

أما صورة الريبة؛ فهو أن تدله على تحريم ما في يده دلالة: إما من خلقته، أو من زيه وثيابه، أو من فعله وقوله[1].

أما الخلقة؛ فبأن يكون على خلقة الأتراك والبوادي والمعروفين بالظلم وقطع الطريق، وأن يكون طويل الشارب، وأن يكون الشعر مفرقاً على رأسه على دأب أهل الفساد.

وأما الثياب؛ فالقباء والقلنسوة وزي أهل الظلم والفساد من الأجناد وغيرهم.

وأما الفعل والقول: فهو أن يشاهد منه الإقدام على ما لا يحل، فإن ذلك يدل على أنه يتساهل أيضاً في المال ويأخذ ما لا يحل، فهذه مواضع الريبة، فإذا أراد أن يشتري من مثل هذا شيئاً أو يأخذ منه هدية أو يجيبه إلى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه إلا هذه العلامات فيحتمل أن يقال: اليد تدل على الملك وهذه الدلالات ضعيفة

(اما الصورة؛ فهو أن يدل على تحريم ما في يده دلالة: إما من خلقته وإما من زيه) وهيئته **وثيابه، أو من فعله وقوله.**

أما الخلقة؛ فهو أن يكون على خلقة الأتراك) من الجنود **(و)** على خلقة **(البوادي)** وهم جفاة العرب **(و)** على خلقة **(المعروفين بالظلم)** والغشومية **(وقطع الطريق)** ونهب الأموال، **(وأن يكون طويل الشارب)** وهو الشعر النابت على الشفة العليا وطوله من هيئة من ذكر يقصدون بذلك الإرهاب وهو خلاف السنَّة، وفي ارخاء السبال خلاف. مرّ في كتاب أسرار الطهارة، **(وأن يكون طويل الشعر)** أي شعر الرأس **(مفرقاً على رأسه)** يمنة ويسرة **(على دأب أهل الفساد)** وكان ذلك شائعاً في زمان المصنف.

(وأما الثياب: فكالقباء) مفتوح ممدود عربي والجمع أقبية اسم لنوع من الثياب، **(والقلنسوة)** فعنلوة بفتح العين وسكون النون وضم اللام والجمع القلانس **(وزي أهل الفساد والظلم من الأجناد وغيرهم)**، وهذا الذي ذكره من هيئاتهم وملابسهم فباعتبار ما كان موجوداً في زمنه، وأما بعده فقد تغيرت أحوالهم في الهيئات والملابس على طرق شتى والاعتبار بزي كل زمان.

(وأما الفعل والقول: فهو أن يشاهد منه الإقدام) والجرأة **(على ما لا يحل)** فعله أو قوله، **(فذلك يدل على أنه يتساهل أيضاً في)** تناول **(المال ويأخذ ما لا يحل)** له أخذه منه. **(فهذه مواضع الريبة)** بلا شك، **(فإذا أراد أن يشتري من مثل هذا شيئاً أو يأخذ منه هدية أو يجيبه في ضيافة وهو غريب مجهول عنده ولم تظهر منه إلا هذه العلامات)** الدالة على

---

[1] هذه العبارة من: «أما صورة» حتى «وقوله» لم ترد في كتاب الإحياء.

فالإقدام جائز والترك من الورع. ويحتمل أن يقال: إن اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فأورثت ريبة، فالهجوم غير جائز وهو الذي نختاره ونفتي به لقوله ﷺ: « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » فظاهره أمر وإن كان يحتمل الاستحباب لقوله ﷺ: « الإثم حزاز القلوب » وهذا له وقع في القلب لا ينكر، ولأن النبي ﷺ سأل: أصدقة هو أو هدية؟ وسأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه، وسأل عمر رضي الله عنه. وكل ذلك كان في موضع الريبة وحمله على الورع وإن كان ممكناً، ولكن لا يحمل عليه إلا بقياس حكمي والقياس ليس يشهد بتحليل هذا فإن دلالة اليد والإسلام وقد عارضتها هذه الدلالات أورثت ريبة فإذا تقابلا فالاستحلال لا مستند له، وإنما لا يترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند إلى علامة كما إذا وجدنا الماء متغيراً واحتمل أن يكون بطول المكث، فإن رأينا ظبية بالت فيه ثم احتمل التغيير به تركنا الاستصحاب وهذا قريب منه. ولكن بين هذه الدلالات تفاوت فإن طول الشوارب ولبس القباء

فساد حاله، (**فيحتمل أن يقال: اليد**) الواضعة (**تدل على الملك**) الأصلي (**وهذه الدلالات**) والعلامات (**ضعيفة**) لا قوة لها بالإضافة إلى قوّة الملك (**فالإقدام جائز والترك من الورع. ويحتمل أن يقال: إن اليد دلالة ضعيفة وقد قابلها مثل هذه الدلالة فأورثت**) في الجملة (**ريبة فالهجوم غير جائز**) في هذه الصورة، (**وهو الذي نختاره ونفتي به**) نظراً (**لقوله ﷺ « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك »**) تقدم في الباب قبله. وفي كتاب العلم. (**وظاهره أمر وإن كان يحتمل الاستحباب**) دون الوجوب (**ولقوله ﷺ: « الاثم حزاز القلوب »**) تقدم في الباب قبله وفي كتاب العلم، (**وهذا له وقع في القلب**) وحزازة (**لا ينكر، ولأن النبي ﷺ سأل**) سلمان عن التمر الذي جاء به إليه (**أصدقة**) هو (**أو هدية**) فلم يأكل أوّلاً وأكل ثانياً كما تقدم، (**وسأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه**) الذي كان يتولى خراجه عن الطعام الذي أطعمه، (**وسأل عمر رضي الله عنه ساقيه اللبن**) من أين سقاه. (**وكل ذلك كان في موضع الريبة**) والشك (**وحمله على الورع وإن كان ممكناً ولكن لا يحمل عليه إلا بقياس حكمي والقياس ليس يشهد لتحليل هذا فإن دلالة اليد والإسلام عارضتها هذه الدلالات، فإذا تقابلت**) مع بعضها (**فالاستحلال لا مستند له، وإنما لا نترك حكم اليد والاستصحاب بشك لا يستند إلى علامة**) فأما إذا استند إلى علامة ترك حكم اليد (**كما إذا وجدنا الماء**) في فلاة (**متغيراً واحتمل أن يكون**) تغيره (**بطول المكث**) بتثليث ميمه مع إسكان كافه (**أو بنجاسة**) لاقته، (**فإن رأينا ظبية بالت فيه ثم احتمل التغير به وبغيره تركنا الاستصحاب**) لقوة الاحتمال الثاني لكونه حدث عقيب المشاهدة، (**وهذا الذي نحن فيه قريب منه، ولكن بين هذه الدلالات تفاوت**) ظاهر (**فإن طول الشارب**) ولبس (**القباء**

وهيئة الأجناد يدل على الظلم بالمال، أما القول والفعل المخالفان للشرع إن تعلقا بظلم المال فهو أيضاً دليل ظاهر كما لو سمعه يأمر بالغصب والظلم أو يعقد عقد الربا . فأما إذا رآه قد شتم غيره في غضبه أو اتبع نظره امرأة مرت به ، فهذه الدلالة ضعيفة . فكم من انسان يتحرج في طلب المال ولا يكتسب إلا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب والشهوة ؟ فليتنبه لهذا التفاوت ولا يمكن أن يضبط هذا بحد فليستفت العبد في مثل ذلك قلبه . وأقول: إن هذا إن رآه من مجهول فله حكم وإن رآه ممن عرفه بالورع في الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر إذا تعارضت الدلالتان بالإضافة إلى المال وتساقطتا وعاد الرجل كالمجهول إذ ليست إحدى الدلالتين تناسب المال على الخصوص ، فكم من متحرج في المال لا يتحرج في غيره ، وكم من محسن للصلاة والوضوء والقراءة ويأكل من حيث يجد فالحكم في هذه المواقع ما يميل إليه القلب فإن هذا أمر بين العبد وبين الله فلا يبعد أن يناط بسبب خفي لا يطلع عليه إلا هو ورب الأرباب وهو حكم حزازة القلب . ثم ليتنبه لدقيقة أخرى وهو أن هذه الدلالة ينبغي أن تكون بحيث

وهيئة الأجناد) من الأتراك والأكراد كل ذلك (**يدل على الظلم بالمال . أما القول والفعل المخالفان للشرع إن تعلقا بظلم المال فهو أيضاً دليل ظاهر كما سمعه يأمر**) آخر (**بالغصب**) من آخر (**والظلم أو يعقد عقد الربا**) فكل ذلك حرام . (**فأما إذا رآه شتم غيره في**) حال (**غضبه**) بكلام قبيح (**أو**) رآه قد (**اتبع نظره امرأة مرت به**) وهي أجنبية ، (**فهذه الدلالة ضعيفة . فكم من إنسان يتحرج في طلب المال**) أي يقع في الحرج بسببه (**ولا يكتسب إلا الحلال ومع ذلك فلا يملك نفسه عند هيجان الغضب و**) كذا عند هيجان (**الشهوة**) لثوران الدم في الأوّل والمني في الثاني (**فللنفوس في هذا تفاوت**) لأن بعضها أشد من بعض (**ولا يمكن أن يضبط هذا بحد**) محدود (**فليستفت العبد في مثل ذلك قلبه**) فإن أفتاه بالإقدام أقدم عليه . (**وأقول: إن هذا إذا رآه من مجهول فله حكم وإن رآه ممن عرفه بالورع**) والاحتياط (**في**) أمور (**الطهارة والصلاة وقراءة القرآن فله حكم آخر إذا تعارضت الدلالتان بالإضافة إلى المال تساقطتا**) كما هي القاعدة المقررة (**وعاد الرجل كالمجهول**) حاله (**إذ ليست إحدى الدلالتين تناسب المال على الخصوص ، فكم من متحرج في المال لا يتحرج في غيره ، وكم من محسن للصلاة والوضوء والقراءة**) معتن بها (**ويأكل من حيث يجد**) من غير ورع (**فالحكم في هذه المواقع ما يميل إليه القلب**) ولا ينفر عنه (**فإن هذا أمر**) خفي (**بين العبد وبين الله تعالى**) لا يطلع عليه (**فلا يبعد أن يناط**) أي يعلق (**بسبب خفي لا يطلع عليه إلا هو**) جل شأنه (**وعالم الغيوب رب الغيوب وهو حكم حزازة القلوب . ثم ليتنبه**) أيضاً (**لدقيقة أخرى وهو أن هذه الدلالة ينبغي أن تكون**

تدل على أن أكثر ماله حرام بأن يكون جندياً أو عامل سلطان أو نائحة أو مغنية، فإن دل على أن في ماله حراماً قليلاً لم يكن السؤال واجباً، بل كان السؤال من الورع.

الحالة الثالثة: أن تكون الحالة معلومة بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظناً في حل المال أو تحريمه. مثل أن يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته في الظاهر، ; جوز أن يكون الباطن بخلافه فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما في المجهول، فالأولى الإقدام والإقدام ههنا أبعد عن الشبهة من الإقدام على طعام المجهول، فإن ذلك بعيد عن الورع وإن لم يكن حراماً، وأما أكل طعام أهل الصلاح فدأب الأنبياء والأولياء. قال ﷺ: «لا نأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي». فأما إذا علم بالخبرة أنه جندي أو

بحيث تدل على أن أكثر ماله حرام بأن يكون جندياً) من جنود السلطان **(أو عامل سلطان)** على بلدة **(أو نائحة)** وهي الندابة على الموتى **(أو مغنية)** بآلة اللهو، فإن هؤلاء دلالتهم ظاهرة. **(فإن دل على أن في ماله حراماً قليلاً لم يكن السؤال واجباً بل كان السؤال من الورع)** ومن باب الاستبراء للدين.

(الحالة الثالثة: أن يكون المال معلوماً بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك ظناً في حل المال وتحريمه مثل أن يعرف صلاح الرجل وديانته وعدالته في الظاهر) أي فيما يراه من ظاهر أحواله، **(وجوّز أن يكون الباطن بخلافه)** أي مخالفاً للظاهر **(فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما في في المجهول بل أولى)** من المجهول في عدم السؤال **(والإقدام ههنا أبعد عن الشبهة من الإقدام على طعام المجهول، فإن ذلك بعيد عن الورع وإن لم يكن حراماً. وأما أكل طعام أهل الصلاح)** والتقوى **(فدأب الأنبياء)** عليهم السلام **(و)** دأب **(الأولياء)** وشأنهم. **(قال ﷺ «لا تأكل إلاَّ طعام تقي ولا يأكل طعامك إلاَّ تقي»)**. تقدم تخريجه في كتاب الزكاة.

وفي القوت: وقد روينا في الخبر فساقه ثم قال: لأن التقي قد استبرأ لدينه واجتهد لعلمه واحتاط لنفسه فقد كفاك مؤنه البحث وأسقط عنك الاجتهاد لأنه قد ناب عنك فيه وقام لك به، فلذلك جاءت الأحاديث على هذا المعنى، ثم ساق أربعة أحاديث. ثم قال: فلذلك كان المتقدمون يستحبون أكل طعام الصالحين والعلماء، فأما من لا يحتاط لنفسه ولا يستبريء لدينه ولا يتقي في كسبه حتى لا يبالي من أين يأكل وكيف يكتسب وإن قدر على الدرهم أخذه فهذا غير تقي، فحينئذ يلزمك البحث لنفسك والاجتهاد بعلمك والاحتياط لدينك إذا لم يقم به غيرك ولم يكفك أخوك، فلهذا قيل: لا تأكل إلا طعام تقي والتقي هو المتقي للحرام والمجتنب للآثام في دليل خطابه: لا تأكل طعام غير تقي اهـ.

(فأما إذا علم بالخبرة أنه جندي أو مغن أو مرب) أي يستعمل الربا في معاملاته

مغن أو مرب واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والثياب، فههنا السؤال واجب لا محالة كما في موضع الريبة بل أولى.

المثار الثاني: ما يستند الشك فيه إلى سبب في المال لا في حال المالك:

وذلك بأن يختلط الحلال بالحرام كما إذا طرح في سوق أحمال من طعام غصب واشتراها أهل السوق فليس يجب على من يشتري في تلك البلدة وذلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر إن أكثر ما في أيديهم حرام، فعند ذلك يجب السؤال فإن لم يكن هو الأكثر فالتفتيش من الورع وليس بواجب. والسوق الكبير حكمه حكم بلد.

والدليل على أنه لا يجب السؤال والتفتيش إذا لم يكن الأغلب الحرام أن الصحابة رضي الله عنهم لم يمتنعوا من الشراء من الأسواق وفيها دراهم الربا وغلول الغنيمة وغيرها. وكانوا لا يسألون في كل عقد، وإنما السؤال نقل عن آحادهم نادراً في بعض الأحوال وهي محال الريبة في حق ذلك الشخص المعين، وكذلك كانوا يأخذون الغنائم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين، وربما أخذوا أموالهم واحتمل أن يكون في

(واستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والشكل والثياب، فههنا السؤال واجب لا محالة كما) أنه واجب **(في موضع الريبة بل أولى)** لقوة الدلالة.

المثار الثاني:

ما يستند الشك فيه إلى سبب في المال لا في حال المالك وذلك بأن يختلط الحرام بالحلال) فلم يميز بينهما **(كما إذا طرح في السوق أحمال من طعام غصب)** أو نهب **(واشتراها أهل السوق)** بالخط والمصلحة **(فليس يجب على من يشتري من ذلك وتلك السوق أن يسأل عما يشتريه إلا أن يظهر)** بوجه من الوجوه المعينة **(إن أكثر ما في أيديهم حرام فعند ذلك يجب السؤال)** لأنه من مواقع الريبة **(فإن لم يكن هو الأكثر فالتفتيش)** والبحث والسؤال **(من الورع وليس بواجب. والسوق الكبير حكمها حكم البلد.**

والدليل على انه لا يجب السؤال والتفتيش إذا لم يكن غلب الحرام أن الصحابة رضي الله عنهم لم يمتنعوا عن الشراء في الأسواق و) من المعلوم انها لا تخلوان تكون **(فيها دراهم الربا وغلول الغنيمة وغيرها)** من وجوه الحرام.**(وكانوا لا يسألون في كل عقد، وإنما السؤال ينتقل عن آحادهم نادراً)** أي قليلاً **(في بعض الأحوال)** والأحيان **(وهي محال الريبة)** خاصة **(في حق ذلك الشخص المعين، وكذلك كانوا يأخذون الغنائم من الكفار الذين كانوا قد قاتلوا المسلمين)** قبل ذلك، **(وربما)** غلبوا عليهم **(وأخذوا أموالهم)**

تلك الغنائم شيء مما أخذوه من المسلمين وذلك لا يحل أخذه مجاناً بالاتفاق بل يرد على صاحبه عند الشافعي رحمه الله، وصاحبه أولى به بالثمن عند أبي حنيفة رحمه الله، ولم ينقل قط التفتيش عن هذا. وكتب عمر رضي الله عنه إلى اذربيجان: أنكم في بلاد تذبح فيها الميتة فانظروا ذكية من ميتة، أذن في السؤال وأمر به ولم يأمر السؤال عن الدراهم التي هي أثمانها لأن أكثر دراهمهم لم تكن أثمان الجلود وإن كانت هي أيضاً تباع

وأمتعتهم **(واحتمل أن يكون في تلك الغنائم شيء مما أخذه من المسلمين)** في محارباتهم **(وذلك لا يحل أخذه مجاناً)** أي بغير عوض، وقيل: بلا بدل **(بل يرد على صاحبه)** إن عرف **(عند الشافعي)** رحمه الله، **(وصاحبه أولى بالثمن عند أبي حنيفة)** رحمه الله تعالى، **(ولم ينقل قط التفتيش عن هذا)**.

قال الزيلعي من أصحابنا في شرح الكنز: إن غلب المسلمون على أهل الحرب، فمن وجد منهم ماله الذي أخذه العدوّ وقبل قسمة الغنيمة بين المسلمين أخذه مجاناً وإن وجده بعد القسمة أخذه بالقيمة لما روي عن ابن عباس قال: إن المشركين أحرزوا ناقة رجل من المسلمين بدارهم ثم وقعت في الغنيمة فخاصم فيها المالك القديم، فقال ﷺ: إن وجدتها قبل القسمة فهي لك بغير شيء، وإن وجدتها بعد القسمة فهي لك بالقيمة إن شئت، فعلى هذا يحمل كل ما يروي عنه ﷺ أنه ردّه إلى مالكه، أو يحمل على أنه استخلص منهم قبل أن يحرزوه بدارهم ثم ردوه لأصحابه، ولأن المالك القديم زال ملكه بغير رضاه فكان له حق الاسترداد نظراً له غير أن في الأخذ بعد القسمة ضرراً بالمأخوذ منه بإزالة ملكه الخاص فيأخذ بالقيمة إن شاء ليعتدل النظر من الجانبين والشركة قبل القسمة عامة فيقل الضرر فيأخذه بغير شيء، ولو اشترى ما أخذه العدو منهم تاجر وأخرجه إلى دار الاسلام أخذه المالك القديم بثمنه الذي اشترى به التاجر من العدو، ولأنه لو أخذه بغير شيء لتضرر التاجر فيأخذه بثمنه ليعتدل النظر من الجانبين، وإن اشتراه بعرض أخذه بقيمة العرض ولو كان البيع فاسداً يأخذه بقيمة نفسه، وكذا لو وهب العدو لمسلم يأخذه بقيمته رفعاً للضر عنها إذ ملكه فيه ثابت فلا يزال بغير شيء ولو كان مثلياً فوقع في الغنيمة يأخذه قبل القسمة لما ذكرنا ولا يأخذه بعدها. وكذا إذا كان موهوباً، وكذا لو اشتراه التاجر شراء فاسداً وأخرجه إلى دار الإسلام، أو اشتراه صحيحاً بمثله قدراً ووصفاً لأنه لو أخذه في هذه المواضع لأخذه بمثله وهو لا يفيد حتى لو اشتراه التاجر منهم بأقل منه قدراً أو بأردأ منه له أن يأخذه لأنه مقيد ولا يكون رباً لأنه يستخلص ملكه ويعيده إلى ما كان، فصار فداء لا عوضاً والله أعلم.

(وكتب عمر) رضي الله عنه **(إلى اذر بيجان)** اسم كورة بالعراق: **(أنكم في بلاد تذبح فيها الميتة)** أي جلودها **(فانظروا ذكية)** أي مذكاة بالذبح **(من ميتة)** أي غير مذكاة بل ماتت حتف أنفها **(أذن)** لهم **(في السؤال)** عنه **(وأمر به)** بقوله: فانظروا. **(ولم يأمر بالسؤال عن الدراهم التي هي أثمانها)** أي أثمان جلودها **(لأن أكثر دراهمهم لم تكن ثمن**

وأكثر الجلود كان كذلك. وكذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنكم في بلاد أكثر قصابيها المجوس فانظروا الذكي من الميتة فخص بالأكثر الأمر بالسؤال، ولا يتضح مقصود هذا الباب إلا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها.

مسألة: شخص معين خالط ماله الحرام مثل أن يباع على دكان طعام مغصوب أو مال منهوب، ومثل أن يكون القاضي أو الرئيس أو العامل أو الفقيه الذي له إدرار على سلطان ظالم له أيضاً مال موروث ودهقنة أو تجارة، أو رجل تاجر يعامل بمعاملات صحيحة ويربي أيضاً، فإن كان الأكثر من ماله حراماً لا يجوز الأكل من ضيافته ولا قبول هديته ولا صدقته إلا بعد التفتيش، فإن ظهر أن المأخوذ من وجه حلال فذاك وإلاّ ترك، وإن كان الحرام أقل والمأخوذ مشتبه فهذا في محل النظر لأنه على رتبة بين الرتبتين، إذ قضينا بأنه لو اشتبه ذكية بعشر ميتات مثلاً وجب اجتناب الكل وهذا يشبهه من وجه من حيث أن مال الرجل الواحد كالمحصور لا سيا إذا لم يكن كثير المال

الجلود وإن كانت هي أيضاً تباع وأكثر الجلد كان كذلك) فالسؤال إنما يجب إذا علم أن أكثر ذلك المال الحرام. **(وكذلك قال)** عبد الله **(بن مسعود)** رضي الله عنه مخاطباً لأهل العراق: **(إنكم في بلاد أكثر قصابيها)** أي الجزارين **(المجوس)** جيل من الناس، **(فانظروا الذكية من الميتة فخص بالأكثر الأمر بالسؤال)** أي: لما كان المجوس أكثر القصابين في تلك الناحية تعين الأمر بالسؤال، **(ولا يتضح مقصود هذا الباب إلا بذكر صور وفرض مسائل يكثر وقوعها في العادات فلنفرضها)** تكميلاً لفوائد الباب وتسهيلاً للطالب.

(مسألة: شخص معين خالط ماله الحرام مثل أن يباع على دكان طعام مغصوب أو مال منهوب، ومثل أن يكون القاضي أو الرئيس) في البلد **(أو العامل)** للسلطان **(أو الفقيه الذي له أوراد [1])** أي وظيفة **(على سلطان ظالم)** يردها عليه **(وله أيضاً مال موروث)** قد ورثه من مورثه شرعاً **(ودهقنة)** أي فلاحة **(أو تجارة)** أو صناعة، **(أو رجل تاجر عامل بمعاملات صحيحة)** وعقود شرعية **(ويربي أيضاً)** أي يستعمل الربا أيضاً في بعض الأحيان، **(فإن الأكثر من ماله حرام فلا يجوز الأكل من ضيافته ولا قبول هبته وصدقته إلا بعد التفتيش)** والبحث، **(فإن ظهر المأخوذ من وجه حلال)** لا شبهة فيه **(فذاك وإلاّ ترك، وإن كان الحرام أقل)** والحلال أكثر **(و)** لكن **(المأخوذ مشتبه)** بينهما **(فهذا في محل النظر لأنه على رتبة بين الرتبتين، إذ قضينا)** فيما سبق **(بأنه لو اشتبهت ذكية)** أي مذكاة بالذبح **(بعشر ميتات مثلاً وجب اجتناب الكل)** لأنه اشتباه محصور بمحصور **(وهذا يشبهه من وجه)** واحد **(من حيث أن مال الرجل الواحد كالمحصور لا سيا إذا لم يكن كثير المال**

---

(١) في الإحياء «إدرار» بدل «أوراد».

مثل السلطان، ويخالفه من وجه إذ الميتة يعلم وجودها في الحال يقيناً والحرام الذي خالط ماله يحتمل أن يكون قد خرج من يده وليس موجوداً في الحال، وإن كان المال قليلاً وعلم قطعاً أن الحرام موجود في الحال فهو ومسألة اختلاط الميتة واحد، وإن كثر المال واحتمل أن يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا أخف من ذلك، ويشبه من وجه الاختلاط بغير محصور كما في الأسواق والبلاد، ولكنه أغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد، ولا يشك في أن الهجوم عليه بعيد من الورع جداً، ولكن النظر في كونه فسقاً مناقضاً للعدالة، وهذا من حيث المعنى غامض لتجاذب الأشباه ومن حيث النقل أيضاً غامض لأن ما ينقل فيه عن الصحابة من الامتناع في مثل هذا وكذا عن التابعين يمكن حمله على الورع ولا يصادف فيه نص على التحريم، وما ينقل من إقدام من أقدم على الأكل كأكل أبي هريرة رضي الله عنه طعام معاوية مثلاً إن قدر أن جملة ما في يده حرام، فذلك أيضاً يحتمل أن يكون إقدامه بعد التفتيش واستبانة أن عين ما يأكله من وجه مباح. فالأفعال في هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء المتأخرين مختلفة حتى قال

مثل السلطان) فإن ماله غير محصور، **(ويخالفه من وجه)** آخر **(إذ الميتة يعلم وجودها في الحال يقيناً)** فتجتنب **(والحرام الذي خالط ماله يحتمل أن يكون قد خرج من يده وليس موجوداً في الحال)** كوجود الميتة، **(فإذا كان المال قليلاً وعلم قطعاً أن الحرام موجود في الحال فهو ومسألة اختلاط الميتة واحد، وإن كثر المال واحتمل أن يكون الحرام غير موجود في الحال فهذا أخف من ذلك، ويشتبه)** وفي نسخة: ويشبه **(من وجه الاختلاط بغير محصور كما في الأسواق والبلاد ولكنه أغلظ منه لاختصاصه بشخص واحد، ولا يشك في أن الهجوم عليه بعيد من الورع)** والتقوى **(جداً، ولكن النظر في كونه فسقاً مناقضاً للعدالة)** هل يكون كذلك أم لا: **(وهذا من حيث المعنى غامض لتجاذب الاشتباه)** من الطرفين **(ومن حيث النقل أيضاً غامض لأن ما ينقل عن الصحابة)** رضي الله عنهم **(من الامتناع في مثل هذا وكذا عن السلف)** الصالحين في آثار وحكايات **(يمكن حمله على الورع)** والاحتياط **(ولا يصادف فيه نص على التحريم)** بالخصوص، **(وما ينقل في إقدام من أقدم منهم)** أي من الصحابة **(كأكل أبي هريرة طعام معاوية)** رضي الله عنهما **(مثلاً)** فإنه يحكي عنه كان يحضر مائدة معاوية ويصلّي خلف علي فقيل له في ذلك، فكان يقول: أما طعام معاوية فأوسم **(إن قدر أن جملة ما في يده حرام)** وثبت حضور مائدته **(فذلك أيضاً محتمل أن يكون إقدامه بعد التفتيش واستبانة أن عين ما يأكله من وجه مباح)** بدلالة أن معاوية رضي الله عنه كان يتحرز في مأكله كما هو اللائق بشأنه. **(فالأفعال في مثل هذا ضعيفة الدلالة ومذاهب العلماء المتأخرين)** في ذلك مختلفة **(حتى قال بعضهم: لو أعطاني السلطان شيئاً**

بعضهم: لو أعطاني السلطان شيئاً لأخذته وطرد الإباحة فيما إذا كان الأكثر أيضاً حراماً مهما لم يعرف عين المأخوذ. واحتمل أن يكون حلالاً. واستدل بأخذ بعض السلف جوائز السلاطين ـ كما سيأتي في باب بيان أموال السلاطين ـ فأما إذا كان الحرام هو الأقل واحتمل أن يكون موجوداً في الحال لم يكن الأكل حراماً، وإن تحقق وجوده في الحال ـ كما في مسألة اشتباه الذكية بالميتة ـ فهذا مما لا أدري ما أقول فيه من المتشابهات التي يتحير المفتي فيها لأنها مترددة بين مشابهة المحصور وغير المحصور، والرضيعة إذا اشتبهت بقرية فيها عشر نسوة وجب الاجتناب، وإن كان ببلدة فيها عشرة آلاف لم يجب. وبينهما أعداد، ولو سئلت عنها لكنت لا أدري ما أقول فيها، ولقد توقف العلماء في مسائل هي أوضح من هذه إذ سئل أحمد بن حنبل رحمه الله عن رجل رمي صيداً فوقع في ملك غيره أن يكون الصيد للرامي أو لمالك الأرض؟ فقال: لا أدري فروجع فيه مرات. فقال: لا أدري. وكثير من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم، فليقطع

لأخذته) وهو قول يحي بن معين فيما نقله صاحب القوت وسبق ذكره، وأشرت أن في نسخة القوت: لو أعطاني الشيطان بدل السلطان وكانت هذه القولة من يحي سبباً لمهاجرة أحمد بن حنبل إياه كما سبق **(وطرد الإباحة فيما إذا كان الأكثر أيضاً حراماً مهما لم يعرف عين المأخوذ)** أهو من ذلك الأكثر أم لا؟ **(واحتمل أن يكون حلالاً واستدل بأخذ بعض السلف جوائز السلاطين)** وعطاياهم **(ـ كما سيأتي)** بيانه **(في باب بيان أموال السلاطين ـ وإذا كان الحرام)** وفي نسخة: فإما إذا كان الحرام **(هو الأقل واحتمل أن يكون موجوداً في الحال لم يكن الأكل حراماً وإن تحقق وجوده في الحال كما في)** مسألة **(اشتباه الميتة بالذكية، فهذا ما لا أدري ما أقول فيه)** لغموضها ودقتها **(وهي من المتشابهات التي يتحير المفتي فيها)** فلا يهتدي لوجه الصواب **(لأنها مترددة بين مشابهة للمحصور وغير المحصور، والرضيعة إذا اشتبهت بقرية فيها عشر نسوة وجب الاجتناب، وإن كان ببلدة فيها عشرة آلاف نسوة لم يجب وبينهما أعداد لو سئلت عنها ولم أدر ما أقول فيها)** وفي نسخة: لكنت لا أدري ما أقول فيها. **(ولقد توقف العلماء)** فيما سلف **(في مسائل هي أوضح من هذا)** وأظهر **(إذ سئل أحمد بن حنبل)** رحمه الله تعالى **(عن رجل رمى صيداً فوقع في ملك غيره أن الصيد للرامي أو لمالك الأرض؟ فقال: لا أدري فروجع فيه مرات، فقال: لا أدري)** والذي في القوت ما لفظه: وحدثنا عن أبي بكر المروزي قال، قال أبو عبد الله وذكر مسائل ابن المبارك فقال: كان فيها مسألة دقيقة سئل ابن المبارك عن رجل رمى طيراً فوقع في أرض قوم لمن الصيد؟ قال: لا أدري. قلت لأبي عبد الله: فما تقول أنت فيها؟ قال: هذه دقيقة ما أدري فيها اهـ.

(وكثير من ذلك حكيناه عن السلف في كتاب العلم) ومما لم يذكره في كتاب العلم قال أبو

المفتي طمعه عن درك الحكم في جميع الصور. وقد سأل ابن المبارك صاحبه من البصرة عن معاملته قوماً يعاملون السلاطين فقال: إن لم يعاملوا سوى السلطان فلا تعاملهم، وإن عاملوا السلطان وغيره فعاملهم. وهذا يدل على المسامحة في الأقل، ويحتمل المسامحة في الأكثر أيضاً. وبالجملة؛ فلم ينقل عن الصحابة أنهم كانوا يهجرون بالكلية معاملة القصاب والخباز والتاجر لتعاطيه عقداً واحداً فاسداً أو لمعاملة السلطان مرة. وتقدير ذلك فيه بعد والمسألة مشكلة في نفسها.

بكر المروزي: وسئل أبو عبد الله عن رجل اشترى حطباً واكترى دواب وحمله ثم تبين بعد أنه يكره ناحيتها كيف يصنع بالحطب. ترى أن يرده إلى موضعه، وكيف ترى أن يصنع به؟ فتبسم وقال: لا أدري. وعن رجل له شجرة في أرضه وأغصانها في أرض غيره قال: يقلع أغصانها. قيل له: فإن صالحه على أن تكون الغلة بينهم؟ قال: لا أدري. قال: وسألت أبا عبد الله عن شيء من أمر الورع فأطرق رأسه إلى الأرض وسكت وكان ربما تغير وجهه يقول في بعض ما أسأله: أستغفر الله. قلت: فأي شيء تقول يا أبا عبد الله؟ قال: أحب أن تعفيني. قلت: فإذا أعفيتك فمن أسأل لقد أصبح الأمراء متحيرين. قال: هذا أمر شديد. وقال: قلت لأبي عبدالله: إن حسناً مولى ابن المبارك حكى عن سعيد بن عبد الغفار أنه قال لابن المبارك: ما تقول في رجلين دخلا على ما تكره ناحيته فأجازهما فقبل واحد ولم يقبل الآخر، فخرج الذي قبل فاشترى منه الذي لم يقبل ما تقول؟ فسكت ابن المبارك. فقال له سعيد: ما يسكتك لم لا تجيبني؟ فقال: لو علمت أن الجواب خير لي لأجبتك. قال له سعيد: أليس أصلنا على الكراهة؟ قال ابن المبارك: نعم. فقال أبو عبدالله: ومن يقوى على هذا؟ قال له: فما تقول في رجل أجازه فاشترى داراً ترى أن أنزلها؟ فسكت ابن المبارك. فقال: هذا أضيق أكره أن أجيبك.

(فليقطع المفتي طمعه عن درك الحكم في جميع الصور، وقد سأل) عبد الله **(بن المبارك)** رحمه الله تعالى **(صاحبه من البصرة بمعاملة قوم يعاملون السلاطين فقال: إن لم يعاملوا سوى السلاطين فلا تعاملهم ،وإن عاملوا السلطان وغيرهم فعاملهم)** ولفظ القوت: وحدثنا عن محمد بن شيبة قال: كتب غلام ابن المبارك إليه إنا نبايع أقواماً يبايعون السلطان، فكتب إليه ابن المبارك إذا كان الرجل يبايع السلطان وغيره فبايعه وإذا قضاك شيئاً فاقبض منه إلا أن يقضيك شيئاً تعرفه بعينه حراماً فلا تأخذه، وإذا كان لا يبايع إلا السلطان فلا تبايعه اهـ.

(وهذا يدل على المسامحة في الأقل، ويحتمل المسامحة في الأكثر أيضاً) إذا لم يعرف فيه حرام بعينه. **(وبالجملة فلم ينقل عن الصحابة)** رضي الله عنهم **(أنهم كانوا يهجرون معاملة قصاب)** أي جزار **(وخباز وتاجر لتعاطيه عقداً واحداً فاسداً ولمعاملة سلطان مرة)** وفي نسخة: ولمعاملته السلطان مرة. **(وتقدير ذلك فيه بعد)** وتعسف. **(والمسألة مشكلة في نفسها)**.

فإن قيل: فقد روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه رخص فيه وقال: خذ ما يعطيك السلطان فإن ما يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام. وسئل ابن مسعود رضي الله عنه في ذلك فقال له السائل: إن لي جاراً لا أعلمه إلا خبيثاً يدعونا أو نحتاج فنستسلفه فقال: إذا دعاك فأجبه وإذا احتجت فاستسلفه، فإن لك المهنأ وعليه المأثم. وأفتى سلمان بمثل ذلك. وقد علل علي بالكثرة، وعلل ابن مسعود رضي الله عنه بطريق الإشارة بأن عليه المأثم لأنه يعرفه ولك المهنأ أي أنت لا تعرفه. وروي أنه قال رجل لابن مسعود رضي الله عنه: إن لي جاراً يأكل الربا فيدعونا إلى طعامه أفنأتيه؟ فقال: نعم. وروي في ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه روايات كثيرة مختلفة. وأخذ الشافعي ومالك رضي الله عنهما جوائز الخلفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالط مالهم الحرام؟

قلنا: أما ما روي عن علي رضي الله عنه فقد اشتهر من ورعه ما يدل على خلاف

(**فإن قلت: فقد روي عن علي**) رضي الله عنه (**أنه رخص فيه وقال: خذ ما يعطيك السلطان فإنما يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر من الحرام**) أي: فإن غالب أمواله من الغنائم والجبايات والخراجات وهذا أكثر مما يصل إليه من الظلم والتعدي. (**وسئل**) عبد الله (**ابن مسعود**) رضي الله عنه (**في ذلك فقال السائل: إن لي جاراً لا أعلمه إلا خبيثاً**) وفي نسخة: جندياً (**يدعونا**) إلى طعامه فنجيبه لحق الجيرة (**ونحتاج**) أحياناً (**فنستسلفه**) أي نطلب منه السلف (**فقال: إذا دعاك فاجبه**) إلى دعوته (**وإن احتجت**) إلى شيء (**فاستسلفه**) أي خذ منه (**فإن لك المهنأ**) مصدر ميمي أن من هنأ الشيء إذا تيسر من غير مشقة ولا عناء (**وعليه المأثم**) أي الإثم. (**وأفتى سلمان**) الفارسي رضي الله عنه (**بمثل ذلك**) حين سئل عنه وسيأتي للمصنف ذلك في الباب الخامس عن الزبير بن عدي عنه، (**وقد علل علي**) رضي الله عنه (**بالكثير**) أي أن الحلال كثير، (**وعلل ابن مسعود**) رضي الله عنه (**بطريق الإشارة بأن عليه المأثم لأنه يعرفه ولك المهنأ لأنك لا تعرفه**) فالحلال إذا ما جهل أصله وقد ذهب إليه بعض العلماء. (**وروي**) أيضاً (**أنه قال رجل لابن مسعود**) رضي الله عنهم: (**إن لي جاراً يأكل الربا فيدعونا إلى طعامه أفنأتيه؟ قال: نعم. وروي ذلك عن ابن مسعود بروايات مختلفة**) مع اختلاف الألفاظ (**وأخذ الشافعي ومالك**) رحمهما الله تعالى (**جوائز الخلفاء والسلاطين مع العلم بأنه قد خالط مالهم الحرام**) فأخذ مالك من أبي جعفر المنصور مالاً أعطاه بالمدينة، وأخذ الشافعي من هارون الرشيد ألف دينار كما سيأتي، فهؤلاء الخلفاء. وأما السلاطين فأخذ مالك رضي الله عنه من سلطان المغرب جائزة أرسلها إليه، وأخذ الشافعي رضي الله عنه من عمال اليمن كما هو محرر في تراجمهم.

(**قلنا: أما ما روي عن علي**) رضي الله عنه (**فقد اشتهر من ورعه**) وزهده واحتياطه

ذلك، فإنه كان يمتنع من مال بيت المال حتى يبيع سيفه ولا يكون له إلا قميص واحد في وقت الغسل لا يجد غيره، ولست أنكر أن رخصته صريح في الجواز وفعله محتمل للورع، ولكنه لو صح فمال السلطان له حكم آخر فإنه بحكم كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر ـ وسيأتي بيان ذلك ـ وكذا فعل الشافعي ومالك رضي الله عنهما متعلق بمال السلطان ـ وسيأتي حكمه ـ وإنما كلامنا في آحاد الخلق وأموالهم قريبة من الحصر، وأما قول ابن مسعود رضي الله عنه فقيل: إنه إنما نقله خوّات التيمي وأنه ضعيف الحفظ،

(ما يدل على خلاف ذلك، فإنه كان يمتنع من) أخذ **(مال بيت المال)** فقد روى أبو نعيم في الحلية من طريق علي بن ربيعة الدالي عن علي رضي الله عنه قال: جاءه ابن البناج فقال: يا أمير المؤمنين أمتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء. فقال: الله أكبر، فقام متوكئاً على ابن البناج حتى قام على بيت مال المسلمين، فقال: هذا جنائي وخياره فيه وكل جان يده فيه يا ابن البناج: علي بأسباع الكوفة. قال: فنودي في الناس فاعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول يا صفراء ويا بيضاء غري غيري هاوها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين، **(حتى يبيع سيفه)**. أخرج أبو نعيم في الحلية من طريق علي بن الأقمر عن أبيه قال: رأيت علياً وهو يبيع سيفاً له في السوق ويقول: من يشتري مني هذا السيف فوالذي خلق الجنة لطالما كشفت به الكروب عن وجه رسول الله ﷺ، ولو كان عندي إزار ما بعته. ومن طريق مجمع التيمي عن يزيد بن محجن قال: كنت مع علي رضي الله عنه وهو بالرحبة فدعا بسيف فسله فقال: من يشتري سيفي هذا فوالله لو كان عندي ثمن إزار ما بعته. ومن طريق مجمع أيضاً عن أبي رجاء قال: رأيت علي بن أبي طالب خرج بسيف يبيعه فقال: من يشتري مني هذا لو كان عندي ثم إزار لم أبعه.

(ولا يكون له إلا قميص واحد في وقت الغسل لا يجد غيره) أخرج أبو نعيم في الحلية من طريق هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق وهو يرعد تحت شمل قطيفة، فقلت يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال وأنت تصنع بنفسك. فقال: والله ما أرزؤكم من مالكم شيئاً وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي أو قال من المدينة.

(ولست أنكر أن رخصته صريح في الجواز فعله محتمل للورع، ولكنه إن صح) عنه **(فمال السلطان له حكم آخر فإنه يحكم كثرته يكاد يلتحق بما لا يحصر، وسيأتي بيان ذلك)** قريباً. **(وذلك مستند الشافعي ومالك)** رحمها الله تعالى **(في قبول مال السلطان وسيأتي حكمه)** قريباً، **(وإنما كلامنا في آحاد الخلق وأموالهم)** محصورة أو **(قريبة من الحصر)** هذا الجواب عن قول علي. **(وأما قول ابن مسعود)** رضي الله عنه **(فقيل: إنما نقله جوّاب)** بالجيم والموحدة ابن عبد الله **(التيمي وهو ضعيف الحفظ)** عند النقلة. قال الذهبي في المغني، قال ابن نمير: ضعيف الحديث، ووثقه ابن معين روي عن الحرث بن سويد، وقال الحافظ في

والمشهور عنه ما يدل على توقي الشبهات إذ قال: لا يقولن أحدكم أخاف وأرجو فإن الحلال بيِّن والحرام بيّن وبين ذلك أمور مشتبهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وقال: اجتنبوا الحكاكات ففيها الإثم.

فإن قيل: فلم قلتم إذا كان الأكثر حراماً لم يجز الأخذ مع أن المأخوذ ليس فيه علامة تدل على تحريمه على الخصوص، واليد علامة على الملك حتى أن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده والكثرة توجب ظناً مرسلاً لا يتعلق بالعين فليكن كغالب الظن في طين الشوارع وغالب الظن في الاختلاط بغير محصور إذا كان الأكثر هو الحرام، ولا يجوز أن يستدل على هذا بعموم قوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» لأنه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق وهو أن يريبه بعلامة في عين الملك بدليل اختلاط

تهذيب التهذيب: جوّاب بن عبيد الله التيمي الكوفي صدوق رمي بالأرجاء من السادسة، روى له البخاري في جزء القراءة خلف الإمام، والنسائي في مسند علي، وعرف السادسة بقوله: من ليس له من الحديث إلا القليل ولم يثبت فيه ما يترك حديثه من أجله، وإليه الإشارة بلفظ مقبول حيث يتابع وإلا فلين الحديث، وقد رأيت له ذكراً في كتاب الصمت لأبي بكر بن أبي الدنيا، وساق من طريق قيس بن سليم الغبري عنه قال: جاءت أخت الربيع بن خثيم عائدة إلى بني له فأكبت عليه، فقالت: كيف أنت يا بني الحديث وسيأتي في كتاب آفات اللسان.

(والمشهور عنه ما يدل على توقي الشبهات إذ قال: لا يقولن أحدكم أخاف وأرجو فإن الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك)، وقد تقدم أن كلاً من الجملتين قد رفعتا إلى رسول الله ﷺ. **(قال)** أيضاً **(اجتنبوا الحكاكات ففيها الإثم)**. وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال: قال عبد الله: إياكم وحزائز القلوب وما حز في قلبك من شيء فدعه.

(فإن قيل: فلم قلتم إذا كان الأكثر حراماً لم يجز الأخذ) منه **(مع أن المأخوذ)** من المال **(ليس فيه علامة)** قوية **(على الملك)** أي على أنه ملك له **(حتى أن من سرق مال مثل هذا الرجل قطعت يده)** لكونه أخذ من حرز مثله، **(والكثرة توجب ظناً مرسلاً لا يتعلق بالعين)** أي بعين ذلك المال، **(فليكن)** حكمه **(كغالب الظن في طين الشوارع)** كما تقدم. **(وغالب الظن في الاختلاط)** إذا كان **(بغير محصور إذا كان الأكثر هو الحرام، ولا يجوز أن يستدل على هذا بعموم قوله)** ﷺ **(«دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» لأنه مخصوص ببعض المواضع بالاتفاق)** من العلماء، **(وهو أن ما يريبه لعلامة في عين الملك)** لا

القليل بغير المحصور، فإن ذلك يوجب ريبة ومع ذلك قطعتم بأنه لا يحرم؟

فالجواب: إن اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب، وإنما تؤثر إذا سلمت عن معارض قوي. فإذا تحققنا الاختلاط وتحققنا أن الحرام المخالط موجود في الحال والمال غير خال عنه، وتحققنا أن الأكثر هو الحرام وذلك في حق شخص معين يقرب ماله من الحصر ظهر وجوب الاعراض عن مقتضى اليد، وإن لم يحمل عليه قوله عليه السلام: « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » لا يبقى له محل إذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور إذا كان ذلك موجوداً في زمانه وكان لا يدعه. وعلى أي موضع حمل هذا كان هذا في معناه، وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس، فإن تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحاب. وللكثرة تأثير في تحقيق الظن، وكذا للحصر، وقد اجتمعا حتى قال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا تجتهد في الأواني إلا إذا كان الطاهر هو الأكثر. فاشترط اجتماع الاستصحاب والاجتهاد بالعلامة وقوة الكثرة. ومن قال يأخذ أي آنية أراد بلا اجتهاد بناء على مجرد الاستصحاب فيجوز الشرب أيضاً

في خارجه (**بدليل اختلاط القليل بغير المحصور، فإن ذلك يوجب ريبة ومع ذلك قطعتم**) وجزمتم (**بأنه لا يحرمه** ؟.

والجواب) عن هذا: (**أن اليد دلالة ضعيفة كالاستصحاب وإنما تؤثر**) هذه الدلالة (**إذا سلمت عن معارض قوي**)، فأما إذا عارضه ما هو أقوى منه فلا تؤثر (**فإذا تحققنا الاختلاط**) بغير المحصور (**وتحققنا أن الأكثر هو الحرام في حق شخص معين يعزب**) أي يخفي (**ماله عن الحصر ظهر وجوب الإعراض عن مقتضى اليد، وإن لم يحمل عليه قوله**) ﷺ (**« دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » لا يبقى له محل**) يحمل عليه (**إذ لا يمكن أن يحمل على اختلاط قليل بحلال غير محصور إذا كان ذلك موجوداً في زمانه**) ﷺ (**وكان لا يدعه**) أي لا يتركه، (**وعلى أي موضع حمل هذا إذا كان هذا في معناه**).

فإن قلت: فلم لا يجوز أن يحمل ذلك على التنزيه ولا مانع من ذلك؟ فنقول: قال المصنف: (**وحمله على التنزيه صرف له عن ظاهره بغير قياس**) معتبر (**فإن تحريم هذا غير بعيد عن قياس العلامات والاستصحابات وللكثرة تأثير**) تام (**في تحقيق الظن وكذا للحصر**) تأثير فيه، (**وقد اجتمعا**) أي الكثرة والحصر (**حتى قال أبو حنيفة**) رحمه الله تعالى: (**لا يجتهد في الأواني إلا إذا كان الطاهر هو الأكثر**) فهذا فيه اعتبار الكثرة (**فاشترط اجتماع الاستصحاب و**) أيضاً (**الاجتهاد بالعلامة**) وأيضاً (**قوة الكثرة**) فهي ثلاثة. (**ومن قال: يأخذ أي آنية**) وهو جمع إناء بالكسر وما وقع في عبارات الفقهاء باستعماله في موضع الجمع فهو

فيلزمه التجويز ههنا بمجرد علامة اليد. ولا يجري ذلك في بول اشتبه بماء إذ لا استصحاب فيه ولا نطرده أيضاً في ميتة اشتبهت بذكية إذ لا استصحاب في الميتة، واليد لا تدل على أنه غير ميتة وتدل في الطعام المباح على أنه ملك. فههنا أربع متعلقات استصحاب، وقلة في المخلوط أو كثرة، وانحصار أو اتساع في المخلوط، وعلامة خاصة في عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد، فمن يغفل عن مجموع الأربعة ربما يغلط فيشبه بعض المسائل بما لا يشبهه. فحصل مما ذكرناه أن المختلط في ملك شخص واحد إما أن يكون الحرام أكثره أو أقله وكل واحد إما أن يعلم بيقين أو بظن عن علامة أو توهم. فالسؤال يجب في موضعين: وهو أن يكون الحرام أكثر يقيناً أو ظناً كما لو رأى تركياً مجهولاً يحتمل أن يكون كل ماله من غنيمة وإن كان الأقل معلوماً باليقين فهو محل التوقف، وتكاد تشير سير أكثر السلف وضرورة الأحوال إلى الميل إلى الرخصة. وأما الاقسام الثلاثة الباقية فالسؤال غير واجب فيها أصلاً.

تعسف، وأما الأواني فهو جمع الجمع (**بغير اجتهاد**) فإنه (**بني على مجرد الاستصحاب**) وهو أن الأصل في الماء الطهارة، (**فيجوز الشرب أيضاً فيلزمه التجويز هنا بمجرد علامة اليد**) استصحاباً للحال، (**ولا يجري ذلك في بول اشتبه بماء إذ لا استصحاب فيه**) وإنما خص البول بالذكر لكونه مائعاً فهو أشبه شيء بالماء بخلاف غيره من النجاسات، (**فلا نطرده أيضاً في ميته اشتبهت بذكية**) أي مذكاة بالذبح إذ لا استصحاب (**في الميتة إذ اليد لا تدل على أنها غير ميتة وتدل في الطعام المباح على أنه ملك**) وهذا ظاهر. (**فههنا أربع متعلقات**). الأول: (**استصحاب، و**) الثاني (**قلة في المخلوط أو كثرة،و**) الثالث: (**انحصار أو اتساع في المخلوط، و**)، الرابع: (**علامة خاصة في عين الشيء يتعلق بها الاجتهاد، فمن يغفل عن مجموع**) هذه (**الأربع ربما يغلط فيشبه بعض المسائل بما لا يشبهه**) فينبغي التأمل في ذلك، (**فحصل بما ذكرناه أن المختلط في ملك شخص واحد**) معين (**إما أن يكون الحرام أكثره أو أقله وكل واحد**) منهما، (**إما أن يعلم بيقين أو بظن**) وذلك الظن إما (**عن علامة**) خاصة (**أو**) عن (**توهم، فالسؤال يجب في موضعين وهو أن يكون الحرام أكثر يقيناً أو ظناً كما لو رأى تركياً**) من الجند (**مجهولاً**) لا يعرف حاله (**يحتمل أن يكون كل ماله من غنيمة**) استفادها من جهاد الكفار، (**ولو كان الأقل معلوماً باليقين فهو محل التوقف ويكاد يشير سير أكثر السلف**) كما عرف من أحوالهم، (**وضرورة الأحوال**) مقتضاها (**الميل إلى الرخصة**) في ذلك (**وأما الأقسام الثلاثة الباقية**) مما ذكر (**فالسؤال فيها غير واجب أصلاً**) والله أعلم.

مسألة: إذا حضر طعام إنسان علم أنه دخل في يده حرام من إدرار كان قد أخذه أو وجه آخر ولا يدري أنه بقي إلى الآن أم لا، فله الأكل ولا يلزمه التفتيش. وإنما التفتيش فيه من الورع، ولو علم أنه قد بقي منه شيء ولكن لم يدر أنه الأقل أو الأكثر فله أن يأخذ بأنه الأقل. وقد سبق ان أمر الأقل مشكل وهذا يقرب منه.

مسألة: إذا كان في يد المتولي للخيرات أو الأوقاف أو الوصايا مالان يستحق هو أحدهما ولا يستحق الثاني لأنه غير موصوف بتلك الصفة، فهل له أن يأخذ ما يسلمه إليه صاحب الوقف؟ نظر، فإن كانت تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولي وكان المتولي ظاهر العدالة فله أن يأخذ بغير بحث، لأن الظن بالمتولي أن لا يصرف إليه ما يصرفه إلا من المال الذي يستحقه، وإن كانت الصفة خفية أو كان المتولي ممن عرف حاله أنه يخلط ولا يبالي كيف يفعل فعليه السؤال، إذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يعول عليه، وهو

مسألة أخرى:

(**إذا حضر**) السالك (**طعام إنسان**) قد (**علم أنه**) قد (**دخل في يده حرام**) بعينه (**أو من إدرار كان قد أخذه**) من سلطان أو أمير (**أو من وجه آخر**) فيه شبهة الحرام (**ولا يدري أنه**) قد (**بقي إلى الآن**) أي حين حضوره (**أم لا. فله الأكل**) منه (**ولا يلزمه التفتيش**) والبحث، (**وإنما التفتيش فيه من**) باب (**الورع، ولو علم أنه قد بقي**) منه عنده (**شيء**) منه (**ولكن لم يدر**) ولم يتحقق (**أنه**) أي الباقي هو (**الأكثر**) منه (**أو الأقل فله**) أيضاً (**أن**) يأكل و(**يأخذ بأنه الأقل**) أي يبني عليه، (**قد سبق بأن أمر الأقل مشكل وهذا يقرب منه**).

مسألة أخرى:

(**إذا كان في يد المتولي للخيرات من الأوقاف والوصايا**) وفي بعض النسخ: إذا كان في يد متولي سبل الخيرات والأوقاف والوصايا (**مالان يستحق هو أحدهما**) أي أحد المالين (**ولا يستحق الثاني**) منهما (**لأنه غير موصوف بتلك الصفة**) التي أشار إليها صاحب الخيرات، (**فهل له أن يأخذ ما يسلمه إليه صاحب الوقف**) أم لا؟ (**نظر، فإن كانت تلك الصفة ظاهرة يعرفها المتولي وكان المتولي ظاهره العدالة**) والتوقي (**فله أن يأخذ**) منه (**بغير بحث**) وتفتيش (**لأن الظن بالمتولي أن لا يصرف إليه ما يصرفه**) من المال (**إلا من المال الذي يستحقه**) وهذا هو اللائق بحال المسلم العدل (**وإن كانت تلك الصفة خفية**) غير ظاهرة (**أو كان المتولي ممن عرف من حاله أن يخلط ولا يبالي كيف يفعل**) كما هو مقتضي من سلب وصف العدالة (**فعليه السؤال**) والبحث. (**إذ ليس ههنا يد ولا استصحاب يعول عليه،**

وزان سؤال رسول الله ﷺ عن الصدقة والهدية عند تردده فيها، لأن اليد لا تخصص الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب فلا ينجي منه إلا السؤال، فإن السؤال حيث أسقطناه في المجهول أسقطناه بعلامة اليد والإسلام حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأخذ من يده لحماً من ذبيحته، واحتمل أن يكون مجوسياً لم يجز له ما لم يعرف أنه مسلم إذ اليد لا تدل في الميتة ولا الصورة تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلدة مسلمين، فيجوز أن يظن بالذي ليس عليه علامة الكفر أنه مسلم، وإن كان الخطأ ممكناً فيه فلا ينبغي أن تلتبس المواضع التي تشهد فيها اليد والحال بالتي لا تشهد.

مسألة: له أن يشتري في البلد داراً، وإن علم أنها تشتمل على دور مغصوبة لأن ذلك اختلاط السؤال بغير محصور، ولكن احتياط وورع. وإن كان في سكة عشر دور مثلاً إحداها مغصوبة أو وقف لم يجز الشراء ما لم يتميز ويجب البحث عنه، ومن دخل بلدة وفيها رباطات خصص بوقفها أرباب المذاهب وهو على مذهب واحد من جملة تلك

وهو وزان سؤال رسول الله ﷺ) سلمان وغيره (**عن الصدقة والهدية عند تردده فيها**) وفي فصل المقال للتقي السبكي ما لفظه: روى عبد الرحمن بن علقمة قال: قدم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ ومعهم هدية قد جاؤا بها فقال لهم: «ما هذا هدية أم صدقة؟ قالوا: هدية فقبضها منهم». (**لأن اليد لا تخصص الهدية عن الصدقة ولا الاستصحاب**) أي لا يخصصها (**فلا ينجي منه إلا السؤال**) والبحث، (**فإن السؤال حيث أسقطناه في المجهول**) أصله (**إنما أسقطناه بعلامة اليد والإسلام حتى لو لم يعلم أنه مسلم وأراد أن يأكل من يده لحماً من ذبيحته، واحتمل أن يكون مجوسياً لم يجز له**) الأكل (**ما لم يعرف أنه مسلم إذ اليد لا تدل**) وفي نسخة: لا تجوز (**في الميتة ولا الصورة**) الظاهرة (**تدل على الإسلام إلا إذا كان أكثر أهل البلد مسلمين فيجوز أن يظن بالذي ليس عليه علامة الكفر**) من شد زنار أو غيره (**أنه مسلم، وإن كان الخطأ ممكناً فيه فلا ينبغي**) إذاً (**أن تلتبس المواضع التي تشهد فيها اليد والحال بالتي لا تشهد**) فيها.

مسألة أخرى:

(**له أن يشتري في البلد داراً**) للسكنى (**وإن علم أنها تشتمل على دور مغصوبة لأنه اختلاط بغير محصور، ولكن السؤال**) عنه (**احتياط وورع. وإن كان في سكة**) أو محلة (**عشرة آدر**) جمع دار، في بعض النسخ دور (**إحداها مغصوبة أو وقف**) ولم يتبين (**لم يجز**) له (**الشراء**) منها (**ما لم يتبين**) وفي بعض النسخ ما لم يتميز (**ويجب البحث عنها**) استبراء لدينه، (**ومن دخل بلدة وفيها رباطات**) ومدارس (**خصص بوقفها أرباب المذاهب**)

المذاهب فليس له أن يسكن أيها شاء ويأكل من وقفها بغير سؤال، لأن ذلك من باب اختلاط المحصور فلا بدّ من التمييز، ولا يجوز الهجوم مع الإبهام لأن الرباطات والمدارس في البلد لا بدّ أن تكون محصورة.

مسألة: حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام والمال إذا لم يأمن غضبه وإنما أوجبنا السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله حرام وعند ذلك لا يبالي بغضب مثله إذ يجب ايذاء الظالم بأكثر من ذلك، والغالب أن مثل هذا لا يغضب من السؤال. نعم إن كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه أو تلميذه أو بعض أهله ممن هو تحت رعايته، فله أن يسأل مهما استراب لأنهم لا يغضبون من سؤاله، ولأن عليه أن يسأل ليعلمهم طريق الحلال، ولذلك سأل أبو بكر رضي الله عنه غلامه، وسأل عمر من سقاه من إبل الصدقة، وسأل أبا هريرة رضي الله عنه أيضاً لما ان قدم عليه بمال كثير فقال: ويحك أكل هذا طيب؟ من حيث أنه تعجب من كثرته وكان هو من رعيته، لا سيما وقد رفق

الأربعة التي استقر العمل عليها (**وهو**) أي الداخل (**على مذهب واحد من جملة تلك المذاهب فليس له أن يسكن أيها شاء ويأكل من**) ريع (**وقفها بغير سؤال**) وبحث، (**لأن ذلك من باب اختلاط في المحصور فلا بد من التمييز، ولا يجوز الهجوم مع الإبهام لأن الرباطات والمدارس في البلد لا بد وأن تكون محصورة**) والتمييز ممكن.

مسألة أخرى:

(**حيث جعلنا السؤال من الورع فليس له أن يسأل صاحب الطعام و**) صاحب (**المال إذا لم يأمن غضبه**) وتهوره (**ولا يؤمن قط غضبه**) عادة مستمرة، (**وإنما أوجبنا السؤال إذا تحقق أن أكثر ماله الحرام**) إما علماً منه بحاله أو بإخبار ثقة، (**وعند ذلك لا يبالي بغضب مثله**) فإنه ظالم بفعله (**إذ يجب إيذاء الظالم بأكثر من ذلك**) ليرتدع عما هو فيه، (**والغالب أن مثل هذا لا يغضب من السؤال**) ولا يتأذى به. (**نعم إذا كان يأخذ من يد وكيله أو غلامه**) الذي يخدمه (**أو تلميذه**) الذي يلازمه (**أو بعض أهله**) ممن يباشر في أموره (**ولو أحياناً ممن هو تحت رعايته**) وكنفه، (**فله أن يسأل مهما استراب**) أي وجد الريبة (**لأنهم لا يغضبون من سؤاله**) ويسامحون في مثل ذلك، (**ولأن عليه أن يسأل ليعلمهم طريق الحلال**) ويجنبهم من الحرام. (**ولذلك سأل أبو بكر**) رضي الله عنه (**غلامه**) الذي كان يتولى خراجه. (**وسأل عمر**) رضي الله عنه (**من سقاه من إبل الصدقة وسأل عمر**) أيضاً (**أبا هريرة**) رضي الله عنهما (**لما أن قدم عليه بمال كثير**) من بعض عمالته (**فقال**) له: (**ويحك**) كلمة ترحم (**أكل هذا طيب من حيث أن تعجب من كثرته وكان هو**) أي أبو هريرة (**من رعيته**) لأنه هو الذي ولاه الجهة التي قدم منها بالمال، (**ولا سيا وقد رفق في صيغة السؤال**) بقوله:

في صيغة السؤال، وكذلك قال علي رضي الله عنه: ليس شيء أحب إلى الله تعالى من عدل إمام ورفقه، ولا شيء أبغض إليه من جوره وخرقه.

مسألة: قال الحرث المحاسبي رحمه الله: لو كان له صديق أو أخ وهو يأمن غضبه لو سأله فلا ينبغي أن يسأله لأجل الورع، لأنه ربما يبدو له ما كان مستوراً عنه فيكون قد حمله على هتك الستر ثم يؤدي ذلك إلى البغضاء، وما ذكره حسن لأن السؤال إذا كان من الورع لا من الوجوب فالورع في مثل هذه الأمور والاحتراز عن هتك الستر وإثارة البغضاء أهم. وزاد على هذا فقال: وإن رابه منه شيء أيضاً لم يسأله ويظن به أنه يطعمه من الطيب ويجنبه الخبيث فإن كان لا يطمئن قلبه إليه فليحترز متلطفاً ولا يهتك ستره بالسؤال، قال: لأني لم أرَ أحداً من العلماء فعله، فهذا منه مع ما اشتهر به من الزهد يدل

« ويحك » وفي السير الكبير للإمام محمد بن الحسن تخريج شمس الأئمة السرخسي ما نصه: استعمل عمر أبا هريرة على البحرين فجاء بمال فقال عمر: سرقت مال الله. قال: لم أسرق ولكن خيلي تناتجت وسهامي اجتمعت فلم يلتفت عمر إلى قوله وأخذه فجعله في بيت المال اهـ.

(وكذلك قال علي) رضي الله عنه: **(ليس شيء أحب إلى الله من عدل إمام ورفقه) أي** برعيته، **(ولا شيء أبغض إليه من جوره)** بهم **(وخرقه)** والخرق والرفق متضادان. قال صاحب المنفرجة:

فالرفق يدوم لصاحبه والخرق يؤول إلى الهرج

مسألة أخرى:

(قال الحرث) بن أسد **(المحاسبي)** رحمه الله تعالى في كتاب الرعاية، قد تقدمت ترجمته في كتاب العلم: **(لو كان صديق أو أخ وهويأمن غضبه لو)** فرض أنه **(سأله فلا ينبغي أن يسأله لأجل الورع، لأنه ربما يبدو له)** أي يظهر له **(ما كان مستوراً عنه وقد حمله على هتك الستر ثم يؤدي)** ذلك **(إلى البغضاء)** أي العداوة، **(وما ذكره)** المحاسبي **(حسن)** موافق لما نحن بصدده **(لأن السؤال إذا كان من الورع)** فقط **(لا من)** طريق **(الوجوب فالورع في مثل هذه الأمور والاحتراز عن هتك الستر)** عن أخيه المسلم **(وإثارة البغضاء)** أي تهييج العداوة **(أهم)** وأحوط، **(وزاد على هذا وقال)** بعد ذلك: **(فإن رابه)** أي واقعه في الريب **(شيء أيضاً لم يسأله ويظن به أنه يطعمه من الطيب)** الذي عنده **(ويجنبه الخبيث)** وهذا من حسن الظن، **(فإن كان لا يطمئن إليه فليحترز)** من أكله **(متلطفاً)** ولا يغلظ عليه، **(ولا يهتك ستره بالسؤال)** والبحث. **(قال: لأني لم أر أحداً من العلماء)** الصالحين **(فعله)**. قال المصنف: **(فهذا منه مع ما شهر به من الزهد)** والتقشف والاحتياط **(يدل على مسامحة فيما إذا خالط المال الحرام القليل)** لا الكثير، **(ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقق لأن لفظ**

على مسامحة فيما إذا خالط المال الحرام القليل، ولكن ذلك عند التوهم لا عند التحقق لأن لفظ الريبة يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين، فليراع هذه الدقائق بالسؤال.

مسألة: ربما يقول القائل: أي فائدة في السؤال ممن بعض ماله حرام ومن يستحل المال الحرام ربما يكذب فإن وثق بأمانته فليثق بديانته في الحلال؟ فأقول: مهما علم مخالطة الحرام لمال إنسان وكان له غرض في حضورك ضيافته أو قبولك هديته فلا تحصل الثقة بقوله فلا فائدة للسؤال منه، فينبغي أن يسأل من غيره، وكذا إن كان بياعاً وهو يرغب في البيع لطلب الربح فلا تحصل الثقة بقوله إنه حلال ولا فائدة في السؤال منه وإنما يسأل من غيره. وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن متهماً كما يسأل المتولي على المال الذي يسلمه أنه من أي جهة، وكما سأل رسول الله ﷺ عن الهدية والصدقة فإن ذلك لا يؤذي ولا يتهم القائل فيه، وكذلك إذا اتهمه بأنه ليس يدري طريق كسب الحلال، فلا يتهم في قوله: إذا أخبر عن طريق صحيح، وكذلك يسأل عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه. فههنا يفيد السؤال فإذا كان صاحب المال متهماً فليسأل من غيره، فإذا أخبره

الريبة يدل على التوهم بدلالة تدل عليه ولا يوجب اليقين فلتراع هذه الدقائق) ويلاحظ اعتبارها **(في)** حال **(السؤال)** والبحث.

مسألة أخرى:

(ربما يقول القائل: أي فائدة في السؤال) والبحث **(ممن بعض ماله حرام وهو يستحل المال الحرام ربما يكذب)** في قوله: **(فإن وثق بأمانته فليثق بديانته في الحلال؟ ولا)** يحتاج أن يسأله. **(فأقول: مهما علمت مخالطة الحرام بمال إنسان وكان له غرض في حضورك ضيافته)** أي طعامه **(أو قبولك هديته فلا تحصل الثقة بقوله)** لأنه لغرضه ربما يلبس عليه، **(فلا فائدة للسؤال عنه فينبغي أن يسأل من غيره)** لأجل حصول الوثوق، **(وكذا إن كان بياعاً وهو يرغب في البيع لطلب الربح)** في سلعته **(فلا تحصل الثقة بقوله انه حلال ولا فائدة في السؤال منه وإنما يسأل من غيره وإنما يسأل من صاحب اليد إذا لم يكن متهماً)** بكذب أو خيانة، **(كما يسأل المتولي)** للأوقاف والوصايا وغيرها **(عن المال الذي يسلمه أنه من أي جهة)** من جهات الخير، **(وكما سأل رسول الله ﷺ عن الهدية والصدقة)** كما تقدم، **(فإن ذلك لا يؤذي)** المسؤول ولا يتهم السائل، فيه، وكذا إذا اتهمه أنه ليس يدري طريق **(الكسب الحلال)** لجهله **(فلا يتهم في قوله)** أنه حلال **(إذا أخبر من طريق صحيح، وكذلك يسأله عبده وخادمه ليعرف طريق اكتسابه)** من أي الجهات، **(فههنا يفيد السؤال فأما إذا كان**

عدل واحد قبله وإن أخبره فاسق يعلم من قرينة حاله أنه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله لأن هذا أمر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس، وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل في بعض الأحوال، وليس كل من فسق يكذب ولا كل من ترى العدالة في ظاهره يصدق، وإنما نيطت الشهادة بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم فإن البواطن لا يطلع عليها، وقد قبل أبو حنيفة رحمه الله تعالى شهادة الفاسق، وكم من شخص تعرفه وتعرف أنه قد يقتحم المعاصي ثم إذا أخبرك بشيء وثقت به، وكذلك إذا أخبر به صبي مميز ممن عرفته بالتثبت فقد تحصل الثقة بقوله فيحل

صاحب المال متهماً) عنده **(فليسأل من غيره فإذا أخبره عدل واحد قبله)** ولا يفتقر إلى استناده إلى عدل آخر، **(وإن أخبره فاسق يعلم من قرينة حاله أنه لا يكذب حيث لا غرض له فيه جاز قبوله له لأن هذا أمر بينه وبين الله تعالى والمطلوب ثقة النفس)** واطمئنانها، **(وقد يحصل من الثقة بقول فاسق ما لا يحصل بقول عدل في بعض الأحوال)** والصور، **(وليس كل من فسق يكذب ولا كل من ترى العدالة في ظاهره يصدق وإنما نيطت)** أي علقت **(الشهادة)** وهي أخبار بصحة الشيء عن مشاهدة وعيان لا تخمين وحسبان **(بالعدالة الظاهرة لضرورة الحكم، لأن البواطن لا يطلع عليها)** فهي موكولة إلى الله تعالى. **(وقد قبل أبو حنيفة)** رحمه الله تعالى **(شهادة فاسق)** ولم يقبل شهادة محدود في القذف وإن ناب، وأما سماع شهادة من لا يعرف عدالته الباطنة فقال أبو حنيفة: يسأل الحاكم عن باطن عدالتهم في الحدود والقصاص قولاً واحداً وفيما عدا ذلك لا يسأل عنهم إلا أن يطعن لخصم فيهم فما لم يطعن فيهم لم يسأل ويسمع شهادتهم فيهم ويكتفي بعدالتهم في ظاهر أحوالهم. وقال مالك والشافعي وأحمد في إحدى روايتيه: لا يكتفي الحاكم بظاهر العدالة حتى يعرف عدالتهم السابقة سواء طعن الخصم فيهم أو لم يطعن أو كانت شهادتهم في حد أو غيره. وعن أحمد رواية أخرى أن الحاكم يكتفي بظاهر اسلامهم ولا يسأل عنهم على الافتراق وهي اختيار أبي بكر. وأما شهادة الفاسق فقد أجازها أبو حنيفة خلافاً للثلاثة، ودليلهم قوله تعالى: ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾ [النور: ٤] قالوا: يتعين رد الشهادة لفسقه. ويقول أبو حنيفة: الواو في قوله تعالى المذكور واو نظم لا واو عطف، فيكون منقطعاً عن الأول فينصرف الاستثناء إلى ما يليه ضرورة، ولا جائز أن يكون رد شهادته على ~~نسخه لأن الثابت بالنص~~ في خبر الفاسق هو التوقف بقوله تعالى: ﴿فاسق بنبأ فتبينوا﴾ [الحجرات: ٦] لا الرد فتبين أن رد الشهادة لأجل أنه حد لا للفسق، ولهذا لو أقام أربعة بعد ما حد أنه زنى تقبل شهادته بعد التوبة في الصحيح لأنه بعد إقامته البينة لا يحد بها فهكذا لا ترد شهادته.

(وكم من شخص تعرفه وتعرف أنه يقتحم) أي يرتكب **(المعاصي)** والدناءات **(ثم إذا أخبرك بشيء وثقت به)** واطمأننت إليه، **(وكذلك إذا أخبر به صبي مميز عرفته بالتثبت**

الاعتماد عليه. فأما إذا أخبر به مجهول لا يدري من حاله شيء أصلاً فهذا ممن جوزنا الأكل من يده لأن يده دلالة ظاهرة على ملكه. وربما يقال إسلامه دلالة ظاهرة على صدقه، وهذا فيه نظر، ولا يخلو قوله عن أثر ما في النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة تفيد ظناً قوياً إلا أن أثر الواحد فيه في غاية الضعف، فلينظر إلى حد تأثير في القلب فإن المفتي هو القلب في مثل هذا الموضع وللقلب التفاتات إلى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق فليتأمل فيه. ويدل على وجوب الالتفات إليه ما روي عن عقبة بن الحرث: «أنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة فجاءت أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهي كاذبة، فقال: دعها، فقال: إنها سوداء ـ يصغر من شأنها ـ فقال عليه الصلاة والسلام: فكيف وقد زعمت أنها قد أرضعتكما؛ لا خير لك فيها دعها عنك».

فقد تحصل الثقة بقوله: فيحل الاعتماد عليه) وقيده بالمميز ليخرج به غير المميز فإنه لا تحصل الثقة بقوله: ولا الاعتماد عليه. وشهادة الصبي غير مقبولة عندنا إلا أن يتحمل في الصغر وأدى بعد البلوغ لأنه أهل للتحمل، **(فأما إذا أخبر به مجهول لا يدري من حاله شيء أصلاً فهذا مما جوّزنا الأكل من يده)** كما سبق قريباً، **(لأن يده دلالة ظاهرة على ملكه)** فلا يعارض بغيره، **(وربما يقال إسلامه دلالة ظاهرة على صدقه)** فيما تعدل **(وهذا فيه نظر ولا يخلو قوله عن أثر ما في النفس حتى لو اجتمع منهم جماعة)** فإنها **(تفيد ظناً قوياً)** لأجل ذلك الاجتماع، **(إلا أن أثر الواحد فيه في غاية الضعف فلينظر إلى حد تأثيره في القلب)** هل يقبله أم لا؟ **(فإن المفتي هو القلب في مثل هذا الموضع)** بنص الخبر «استفت قلبك». **(وللقلب التفاتات إلى قرائن خفية يضيق عنها نطاق النطق)** أي البيان اللساني، **(فليتأمل فيه)** حق التأمل. **(ويدل على وجوب الالتفات إليه)** أي إلى القلب **(ما روي عن عقبة بن الحرث)** بن عامر بن نوفل بن عبد مناف النوفلي المكي، كنيته أبو سروعة ويقال: أبو سروعة أخوه من مسلمة الفتح بقي إلى بعد الخمسين، روى له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي **(«أنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إني تزوّجت امرأة فجاءتنا أمة سوداء فزعمت أنها قد أرضعتنا وهي كاذبة فقال: دعها)** أي فارقها واتركها **(فقال: إنها سوداء يصغر من شأنها. فقال: وكيف وقد زعمت انها قد ارضعتكما)**: ولفظ القوت: كيف وقد وفيه قد أرضعتكم **(لا خير لك)** ولفظ القوت: لكم **(فيها دعها عنك» وفي لفظ آخر «كيف وقد قيل»)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث عقبة بن الحرث اهـ.

قلت: لفظ البخاري «أنه تزوّج فأتته امرأة فقالت: قد أرضعتكما، فسأل رسول الله ﷺ فقال: كيف وقد قيل». هكذا أخرجه في الشهادات، وأخرجه أبو داود في القضاء، والترمذي في الرضاع، والنسائي في النكاح. قال الطيبي: كيف سؤال عن الحال، وقد قيل حال، وهما يستدعيان

وفي لفظ آخر: « كيف وقد قيل ». ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر إمارة غرض له فيه كان له وقع في القلب لا محالة، فلذلك يتأكد الأمر بالاحتراز، فإن اطمأن إليه القلب كان الاحتراز حتماً واجباً.

مسألة: حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين تساقطا وكذا قول فاسقين، ويجوز أن يترجح في قلبه قول أحد العدلين أو أحد الفاسقين، ويجوز أن يرجح أحد الجانبين بالكثرة أو بالاختصاص بالخبرة والمعرفة وذلك مما يتشعب تصويره.

مسألة: لو نهب متاع مخصوص فصادف من ذلك النوع متاعاً في يد إنسان وأراد أن

عاملاً يعمل فيها يعني كيف تباشرها وتفضي إليها وقد قيل أنك أخوها هذا بعيد عن المروءة والورع. وقال الشافعي: كأنه لم يره شهادة فكره له المقام معها تورعاً أي فأمر بفراقها لا من طريق الحكم بل الورع لأن شهادة المرضعة على فعلها لا تقبل عند الجمهور وأخذ أحمد بظاهر الحديث فقبلها. وأورد صاحب القوت حديث عبد بن زمعة، وقول النبي ﷺ « الولد للفراش » وأنه قال لسودة بنت زمعة « احتجبي عنه » ثم قال: فلذلك يجب التقوى في الشبهات للورع وإن كانت الأحكام على الظواهر تتسع فيكون تركها للشبهات مقام الورعين وتنزيهاً للعرض والدين.

(ومهما لم يعلم كذب المجهول ولم تظهر إمارة غرض له فيه) دنيوي **(كان له وقع في القلب)** وتأثير عجيب **(لا محالة، فلذلك يتأكد الأمر في احتراز وإن اطمأن القلب إليه كان الاحتراز حتماً واجباً)** فوق التأكد.

مسألة أخرى:

(حيث يجب السؤال فلو تعارض قول عدلين) أحدهما قال إنه حلال، والثاني قال إنه حرام **(تساقطا)** ورجع من المجهول فيه، **(وكذلك قول فاسقين)** إذا تعارضا **(ويجوز أن يترجح في قلبه قول أحد العدلين)** دون الآخر **(أو أحد الفاسقين)** دون الآخر، **(ويجوز أن يترجح أحد الجانبين)** من العدلين أو الفاسقين **(بالكثرة أو بالاختصاص بالخبرة والمعرفة)** أو بغير ذلك، **(وذلك مما يتشعب تصويره)** أي تكثر الشعب إذا تصورناه فيطول البيان.

مسألة أخرى:

(ولو نهب متاع مخصوص) وانتشر في أيدي الناس منه **(فصادف من ذلك النوع متاعاً في يد إنسان وأراد أن يشتريه، واحتمل أن لا يكون من المغصوب)** إحتمالاً جائزاً فنظر،

يشتريه واحتمل أن لا يكون من المغصوب فإن كان ذلك الشخص ممن عرفه بالصلاح جاز الشراء وكان تركه من الورع، وإن كان الرجل مجهولاً لا يعرف منه شيئاً فإن كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله أن يشتري، وإن كان لا يوجد ذلك المتاع في تلك البقعة إلاّ نادراً وإنما كثر بسبب الغصب فليس يدل على الحل إلا اليد. وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه، فالامتناع عن شرائه من الورع المهم، ولكن الوجوب فيه نظر فإن العلامة متعارضة. ولست أقدر على أن أحكم فيه بحكم إلا ان أرده إلى قلب المستفتي لينظر ما الأقوى في نفسه، فإن كان الأقوى أنه مغصوب لزمه تركه وإلاَّ حل له شراؤه. وأكثر هذه الوقائع يلتبس الأمر فيها فهي من المتشابهات التي لا يعرفها كثير من الناس فمن توقاها فقد استبرأ لعرضه ودينه ومن اقتحمها فقد حام حول الحمى. وخاطر بنفسه.

(**فإن كان ذلك الشخص**) الذي يشتريه منه (**ممن عرف بالصلاح**) وحسن الحال جاز (**الشراء**) شرعاً (**وكان تركه من الورع**) والاحتياط، (**وإن كان الرجل مجهولاً لا يعرف منه شيء فإن كان يكثر نوع ذلك المتاع من غير المغصوب فله**) أيضاً (**أن يشتري**) منه، (**وإن كان لا يوجد ذلك في تلك البقعة إلا نادراً**) أي قليلاً، (**وإنما كثر بسبب الغصب**) والنهب (**فليس يدل على الحل إلا اليد**) أي وضعها عليه (**وقد عارضته علامة خاصة من شكل المتاع ونوعه، فالامتناع من شرائه من الورع المهم**) المتأكد فيه، (**ولكن الوجوب فيه نظر، فإن العلامة متعارضة ولست أقدر على أن أحكم فيه بحكم**) هل يمتنع عنه وجوباً أو ورعاً (**إلا أن أرده إلى قلب المستفتي لينظر ما الأقوى في نفسه، فإن كان الأقوى أنه مغصوب**) ونفر عنه القلب (**لزمه تركه وإلاّ حل له شراؤه، وأكثر هذه الوقائع يلتبس الأمر فيها**) ويشتبه (**فهي من المتشابهات التي**) أشار إليها ﷺ بأنه (**لا يعرفها كثير من الناس**) أي من حيث الحل والحرمة لخفائهن أو لعدم صراحة أو تعارض نصين، وإنما يؤخذ من عموم أو قياس أو استصحاب أو لاحتمال الأمر فيه الوجوب والندب والكراهة والحرمة أو لغير ذلك، وما هو كذلك إنما يعلمه قليل من الناس وهم الراسخون في العلم، فإن تردد في شيء لم يرد به نص ولا إجماع اجتهد بدليل شرعي فيصير مثله وقد يكون دليل غير خال من الاحتمال فيكون الورع تركه، كما قال: (**فمن توقاها**) أي تلك الشبهات أي اجتنبها (**فقد استبرأ**) بالهمز وقد يخفف أي طلب البراءة (**لعرضه**) يصونه عن الوقيعة فيه بترك الورع الذي أمر به (**ودينه**) من الذم الشرعي، (**ومن اقتحمها**) أي فعلها وتعودها (**فقد حام حول الحمى**) أي حمى الملوك أي المحمى المحذور على غير مالكه (**وخاطر بنفسه**) كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يواقعه وهذا بقية حديث النعمان بن بشير الذي تقدم في أول الباب.

مسألة: لو قال قائل: قد سأل رسول الله ﷺ عن لبن قدم إليه فذكر أنه من شاة فسأل عن الشاة من أين هي فذكر له فسكت عن السؤال، أفيجب السؤال عن أصل المال أم لا، وإن وجب فعن أصل واحد أو اثنين أو ثلاثة وما الضبط فيه؟ فأقول: لا ضبط فيه ولا تقدير، بل ينظر إلى الريبة المقتضية للسؤال إما وجوباً أو ورعاً. ولا غاية للسؤال إلا حيث تنقطع الريبة المقتضية له وذلك يختلف باختلاف الأحوال، فإن كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فإن قال: اشتريت، انقطع بسؤال واحد، وإن قال: من شاتي وقع الشك في الشاة، فإذا قال: اشتريت، انقطع وإن كانت الريبة من الظلم وذلك مما في أيدي العرب ويتوالد في أيديهم المغصوب فلا تنقطع الريبة بقوله إنه من شاتي، ولا بقوله: إن الشاة ولدتها شاتي، فإن أسنده إلى الوراثة من أبيه وحالة أبيه مجهولة انقطع السؤال، وإن كان يعلم ان جميع مال أبيه حرام فقد ظهر

مسألة أخرى:

(ولو قال قائل قد سأل رسول الله ﷺ عن لبن قدم إليه فذكر له أنه من شاة، فسأل عن الشاة من أي هي فذكر له فترك السؤال). تقدم في الباب الخامس من آداب الكسب والمعاش، وأنه رواه الطبراني من حديث أم عبد الله أخت شداد بن أوس بسند ضعيف **فسأل عن** أصله وأصل أصله. **(أفيجب السؤال عن أصل المال)** كما يشهد به هذا الخبر **(أم لا، وان وجب فعن أصل واحد و)** عن **(اثنين أو)** عن **(ثلاثة)** أم لا، **(فما الضبط فيه؟ فأقول لا ضبط فيه ولا تقدير)** يعوّل عليه، **(بل ينظر إلى الريبة المقتضية للسؤال إما وجوباً)** في محل الوجوب **(أو ورعاً)** واحتياطاً من باب الندب، **(ولا غاية للسؤال حيث تنقطع الريبة المقتضية له وذلك يختلف باختلاف الأحوال)** والأشخاص، **(فإن كانت التهمة من حيث لا يدري صاحب اليد كيف طريق الكسب الحلال فإن قال: اشتريت، انقطع ما في القلب بسؤال)** أصل **(واحد، ولو كان)** المتناول **(مثلاً لبناً فقال)** هو **(من شاتي)** أو من بقرتي **(وقع الشك في الشاة)** أو البقرة، **(فإذا قال: اشتريت، انقطع الشك)** فهذا سؤال عن أصلين، **(وإن كانت الريبة من الظلم وذلك فيما بين العرب)** في البوادي ومن على طريقهم من الأجلاف **(ويتولد في أيديهم المغصوب)** والمنهوب **(فلا يقطع بقوله: إنه من شاتي)** أو من بقرتي ولا يكتفي منه بهذا القدر **(ولا بقوله: إن الشاة ولدتها شاتي)** مثلاً لما علم من حاله من توالد المغصوب عنده، **(فإن أسنده إلى الوراثة عن أبيه وحال أبيه)** الذي ورثه منه إن كانت **(مجهولة انقطع السؤال وإن كان يعلم أن جميع مال أبيه حرام فقد ظهر التحريم)** فليجتنبه،

التحريم، وإن كان يعلم أن أكثره حرام فبكثرة التوالد طول الزمان وتطرق الإرث إليه لا يغير حكمه فلينظر في هذه المعاني.

مسألة: سئلت عن جماعة من سكان خانقاه الصوفية وفي يد خادمهم الذي يقدم إليهم الطعام وقف على ذلك المسكن ووقف آخر على جهة أخرى غير هؤلاء وهو يخلط الكل وينفق على هؤلاء وهؤلاء، فأكل طعام حلال أو حرام أو شبهة؟ فقلت: إن هذا يلتفت إلى سبعة أصول.

الأصل الأول: إن الطعام الذي يقدم إليهم في الغالب يشتريه بالمعاطاة والذي اخترناه صحة المعاطاة لا سيما في الأطعمة والمستحقرات، فليس في هذا إلا شبهة الخلاف.

الأصل الثاني: أن ينظر إن الخادم هل يشتريه بعين المال الحرام أو في الذمة؟ فإن اشتراه بعين المال الحرام فهو حرام، وإن لم يعرف فالغالب أنه يشتري في الذمة ويجوز

(**وإن كان يعلم ان أكثره حرام فكثرة التوالد وطول الزمان وتطرق الإرث إليه لا يغير حكمه**) فهو باق على التحريم، (**فلينظر إلى هذه المعاني الدقيقة**) ويعمل بها.

مسألة أخرى:

(**سئلت عن جماعة من سكان خانقاه**) عجمية أصلها خانكاه بالكاف المشوبة وهي مسكن (**الصوفية**) وقد استعملها العرب وجمعوها على خوانق (**وفي يد خادمهم الذي يقدم الطعام إليهم وقف**) أي جهة موقوفة (**على ذلك المسكن ووقف على جهة أخرى غير هؤلاء**) أي من سكان الخانقاه (**وهو يخلط**) بين المالين مما يتحصل من الجهتين (**على هؤلاء وهؤلاء**) من الفريقين (**فأكل طعامهم حلال أو حرام أو شبهة؟ فقلت**) في الجواب: (**إن هذا**) السؤال (**يلتفت إلى سبعة أصول**) لا بدّ من معرفتها.

(**الأصل الأول: أن الطعام الذي يقدم إليهم في الغالب يشتريه بالمعاطاة**) من غير اجراء الصيغة، (**والذي اخترناه**) فيما سبق. وفي نسخة اختاره (**صحة**) بيع (**المعاطاة لاسيا في الأطعمة والمستحقرات**) لعموم البلوى كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى، (**فليس في هذا إلا شبهة الخلاف**) وهو سهل.

(**الأصل الثاني: أن ينظر إن الخادم**) المذكور (**هل يشتريه بعين المال الحرام فهو حرام**) وقد سبق ذكره، (**وإن لم يعرف**) أنه هل اشتراه بذلك العين أو في الذمة (**فالغالب أنه يشتريه في الذمة**) نظراً إلى كثرة المعاملات بذلك، (**فيجوز الأخذ بالغالب**) ونحكم به (**فلا**

الأخذ بالغالب، ولا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين مال حرام.

الأصل الثالث: أنه من أين يشتريه فإن اشترى ممن أكثر ماله حرام لم يجز، وإن كان أقل ماله ففيه نظر قد سبق، وإذا لم يعرف جاز له الأخذ بأنه يشتريه ممن ماله حلال أو ممن لا يدري المشتري حاله بيقين كالمجهول، وقد سبق جواز الشراء من المجهول لأن ذلك هو الغالب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال.

الأصل الرابع: أن يشتريه لنفسه أو للقوم، فإن المتولي والخادم كالنائب وله أن يشتري له ولنفسه، ولكن يكون ذلك بالنية أو صريح اللفظ، وإذا كان الشراء يجري بالمعاطاة فلا يجري اللفظ، والغالب أنه لا ينوي عند المعاطاة والقصاب والخباز ومن يعامله يعول عليه ويقصد البيع منه لا ممن لا يحضرون فيقع عن جهته ويدخل في ملكه، وهذا الأصل ليس فيه تحريم ولا شبهة ولكن يثبت أنهم يأكلون من ملك الخادم.

الأصل الخامس: أن الخادم يقدم الطعام إليهم فلا يمكن أن يجعل ضيافة وهدية

ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال بعيد وهو شراؤه بعين حرام) فهو ملحق بشبهة الحلال، كما أن الاحتمال القريب يلحق بشبهة الحرام.

(**الأصل الثالث: أنه**) ينظر (**من أين يشتريه فإن اشترى ممن أكثر ماله حرام لم يجزأ كله**) فإن الغالب أن الذي اشتراه من جلته، (**وإن كان**) اشتراه (**ممن أقل ماله حرام ففيه نظر، وقد سبق**) تصويره. (**وإذا لم يعرف**) أي هو مجهول (**جاز له الأخذ بأنه يشتريه ممن ماله حلال أو ممن لا يدري المشتري حاله بيقين كالمجهول، وقد سبق جواز الشراء من المجهول**) الحال (**لأن ذلك هو الغالب فلا ينشأ من هذا تحريم بل شبهة احتمال.**)

(**الأصل الرابع: أنه**) ينظر (**هل**) ذلك الخادم (**يشتريه لنفسه أو للقوم فإن المتولي والخادم كالنائب**) عنهم، (**وله أن يشتري لهم ولنفسه**) كذلك، (**ولكن يكون ذلك بالنية**) بأن ينوي ذلك بقلبه (**أو صريح اللفظ، وإذا كان البيع بالمعاطاة فلا يجري اللفظ**) أي صيغة الإيجاب والقبول، (**والغالب أنه لا ينوي عند المعاطاة الشراء لهم**) بل لنفسه (**والقصاب والخباز ومن يعامله يعوّل عليه ويقصد البيع منه لا ممن لا يحضر**) لديه (**فيقع من جهته ويدخل في ملكه، وهذا الأصل ليس فيه تحريم ولا شبهة**) التحريم، (**ولكن يثبت أنهم يأكلون من ملك الخادم**).

(**الأصل الخامس: ان الخادم يقدم**) الطعام (**إليهم ولا يمكن أن يجعله ضيافة وهدية**

بغير عوض فإنه لا يرضى بذلك وإنما يقدم اعتماداً على عوضه من الوقف، فهو معاوضة ولكن ليس ببيع ولا إقراض لأنه لو انتهض لمطالبتهم بالثمن استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه. فأشبه أصل ينزل عليه هذه الحالة الهبة بشرط الثواب ـ أعني هدية لا لفظ فيها من شخص تقتضي قرينة حاله أنه يطمع في ثواب ـ وذلك صحيح والثواب لازم وههنا ما طمع الخادم في أن يأخذ ثواباً فيما قدمه إلا حقهم من الوقف ليقضي به دينه من الخباز والقصاب والبقال، فهذا ليس فيه شبهة إذ لا يشترط لفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وإن كان مع انتظار الثواب، ولا مبالاة بقول من لا يصحح هدية في انتظار ثواب.

بغير عوض)، فالضيافة بالكسر اسم للطعام الذي يقرب للضيف عند نزوله عنده والهدية ما يبعث للغير على سبيل الإكرام (**فإنه لا يرضى بذلك وإنما يقدم**) ما يقدم (**اعتماداً على عوضه من الوقف فهو معاوضة**) إذا تأملت فيه، (**ولكن ليس ببيع ولا إقراض لأنه لو انتهض لمطالبتهم بالثمن**) عما قدمه إليهم (**استبعد ذلك وقرينة الحال لا تدل عليه، فأشبه أصل ينزل عليه هذه الحالة الهدية بشرط الثواب أعني هدية لا لفظ فيها من شخص تقتضي قرينة حالة أن يطمع في ثواب**) أي عوض، (**وذلك صحيح لازم**)، وههنا ما طمع الخادم في أن لا يأخذ (**ثواباً عما قدمه**) إليهم (**إلا حقهم في الوقف**) عليهم (**ليقضي به دينه من القصاب والخباز والبقال**) وسائر الأصناف، (**فهذا ليس فيه شبهة**) لأنه بمنزلة الهدية (**إذ لا يشترط لفظ في الهدية ولا في تقديم الطعام وإن كان مع انتظار الثواب ولا مبالاة بقول من قال: لا تصح هدية في انتظار ثواب**) وفي فصل المقال للتقي السبكي، قال القاضي ابن كج، فيما حكاه الرافعي عنه: العطية للحكام إن كانت على أن يحكم بغير الحق أو يقف عن الحكم بالحق فهي الرشوة وإن كانت مطلقة فهي الهدية اهـ.

قال: قوله إن كانت مطلقة إن عني بالإطلاق أن لا يقترن بها لفظ يدل على الشرط فالهدايا لا يشترط فيه لفظ، وإنما الاعتبار فيها بالفعل والقصد فمتى قصد ترتب عليه الحكم وإن لم يترتب وليست كعقود البيع والهبة ونحوها مما ينظر فيه إلى اللفظ من غير اعتبار القصد على أنا هنا يجب أن ننظر إلى القصد حتى لو باعه بمحاباة لأجل ذلك كان كالهدية، كما أنا في الوصية نجعلها من الثلث أعني قدر المحاباة، ومحاباة القاضي كالهدية تعتبر فيها القصود المذكورة، فإذا كانت لأجل الحكم فهي رشوة، وإن عني بالاطلاق أن لا يقترن بها قصد التوصل بها إلى الحكم فصحيح أنها هدية وليست برشوة حقيقة، ولكن هل يسلك بها مسلك الرشوة فيحرمها أو مسلك الهدايا المباحة؟ ليس في كلامه تصريح بذلك. وقد تقدم قولنا وقول الغزالي فيها اهـ. وسيأتي الكلام على هذا في آخر الباب الذي يليه إن شاء الله تعالى.

الأصل السادس: أن الثواب الذي يلزم فيه خلاف، فقيل: إنه أقل متمول، وقيل: قدر القيمة، وقيل: ما يرضى به الواهب حتى له أن لا يرضى بأضعاف القيمة، والصحيح أنه يتبع رضاه فإذا لم يرض يرد عليه وههنا الخادم قد رضي بما يأخذ من حق السكان على الوقف فإن كان لهم من الحق بقدر ما أكلوه فقد تم الأمر، وإن كان ناقصاً رضي به الخادم صح أيضاً، وإن علم أن الخادم لا يرضى لولا أن في يده الوقف الآخر الذي يأخذه بقوة هؤلاء السكان فكأنه رضي في الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام، والحرام لم يدخل في أيدي السكان فهذا كالخلل المتطرق إلى الثمن. وقد ذكرنا حكمه من قبل ـ وأنه متى يقتضي التحريم ومتى يقتضي الشبهة؟ وهذا لا يقتضي تحريماً على ما فصلناه فلا تنقلب الهدية حراماً بتوصل المهدي بسبب الهدية إلى حرام.

الأصل السابع: أنه يقضي دين الخباز والقصاب والبقال من ريع الوقفين فإن وفى ما أخذ من حقهم بقيمة ما أطعمهم فقد صح الأمر، وإن قصر عنه فرضي القصاب والخباز بأي ثمن كان حراماً أو حلالاً، فهذا خلل تطرق إلى ثمن الطعام أيضاً فليلتفت إلى ما

(**الأصل السادس: ان الثواب الذي يلزم**) المهدى إليه (**فيه خلاف**) أي اختلف فيه (**فقيل: إنه أقل متمول، وقيل: قدر القيمة، وقيل: ما يرضى به الواهب حتى له أن لا يرضى بأضعاف القيمة**) أقوال ثلاثة. (**والصحيح أنه يتبع رضاه، فإذا لم يرض يرد عليه وههنا الخادم قد رضي بما يأخذ من حق السكان**) في الخانقاه (**على الوقف، فإن كان لهم من الحق بقدر ما أكلوه فقد تم الأمر، وإن كان ناقصاً**) عن ذلك القدر (**ورضي به الخادم صح أيضاً، وإن علم أن الخادم لا يرضى**) بالنقص (**لولا أن في يده الوقف الآخر الذي يأخذه لقوت هؤلاء الخادم صح أيضاً، وإن علم أن الخادم لا يرضى**) بالنقص (**لولا أن في يده الوقف الآخر الذي يأخذه لقوت هؤلاء السكان فكأنه رضي في الثواب بمقدار بعضه حلال وبعضه حرام والحرام لم يدخل في يد السكان**) وإنما هو في يد الخادم، (**فهذا كالخلل** المتطرق **إلى الثمن، وقد ذكرنا حكمه من قبل وأنه متى يقتضي التحريم ومتى يقتضي الشبهة؟**) وفي بعض النسخ مرة بدل متى في الموضعين، (**وهذا لا يتقضي تحريماً على ما فصلناه**) سابقاً (**فلا تنقلب الهدية حراماً بتوصل**) المهدي (**بسبب الهدية إلى حرام**) وبه يتميز عن الرشوة إذ الرشوة ما يتوصل به إلى حرام وبينهما فرق ظاهر كما سيأتي تفصيله في موضعه.

(**الأصل السابع: أنه يقضي دين الخباز والبقال**) وسائر الأصناف (**من ارتفاع الوقفين**) أي مما يتحصل من جهتها ويسمى ذلك المتحصل ارتفاعاً لكونه يفيض عنه فيرتفع، (**فإن وفى ما أخذ من حقهم بقيمة ما أطعمهم فقد صح الأمر، وإن قصر عنه**) ولم يوف ذلك القدر (**و**) لكنه (**رضي القصاب والخباز**) والبقال (**بأي ثمن كان حلالاً أو حراماً، فهذا خلل**

قدمناه من الشراء في الذمة ثم قضاء الثمن من الحرام، هذا إذا علم أنه قضاه من حرام، فإن احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة أبعد، وقد خرج من هذا إن أكل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبهة وهو بعيد من الورع، لأن هذه الأصول إذا كثرت وتطرق إلى كل واحد احتمال صار احتمال الحرام بكثرته أقوى في النفس كما أن الخبر إذا طال إسناده صار احتمال الكذب والغلط فيه أقوى مما إذا قرب إسناده، فهذا حكم هذه الواقعة وهي من الفتاوى، وإنما أوردناها ليعرف كيفية تخريج الوقائع الملتفة الملتبسة وأنها كيف ترد إلى الأصول، فإن ذلك مما يعجز عنه أكثر المفتين.

يتطرق إلى ثمن الطعام أيضاً فليلتفت إلى ما قدمناه) آنفاً **(من الشراء في الذمة)** أولاً، **(ثم قضاء الثمن من حرام هذا إذا علم أنه قضاه من حرام، فإن احتمل ذلك واحتمل غيره فالشبهة أبعد فقد خرج من هذا الذي)** أوردناه **(إن أكل هذا ليس بحرام ولكنه أكل شبهة وهو بعيد من الورع لأن هذه الأصول إذا كثرت وتطرق إلى كل واحد احتمال)** للحلال أو للحرام **(صار احتمال الحرام بكثرته أقوى في النفس كما أن الخبر)** المراد للحديث **(إذا طال إسناده)** بكثرة الرجال **(صار احتمال الكذب والغلط فيه أقوى مما إذا قرب إسناده)** وهذا بخلاف سند الخرقة واللباس، فإنه إذا طال اسناده كثر المدد بكثرة الرجال، **(فهذا حكم هذه الواقعة وهي من الفتاوى)** أي من حملة مسائلها، وللمصنف تأليفان فيها الكبرى والصغرى، ومنها ما سئل عنها وأجاب ولم يتضمن كتاباً وقد أوردنا منها بعض المسائل في خطبة كتاب العلم، **(وإنما أوردناها)** هنا **(ليعرف كيفية تخريج الوقائع الملتفة الملتبسة)** أي المشتبهة **(وأنها كيف ترد إلى الأصول، فإن ذلك مما يعجز عنه أكثر المفتين)** فإنما غالب عملهم التصرف في التعريفات من غير رد إلى الأصول.

الباب الرابع

في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

اعلم ان من تاب وفي يده مال مختلط فعليه وظيفة في تمييز الحرام وإخراجه، ووظيفة أخرى في مصرف المخرج فلينظر فيهما.

النظر الأول: في كيفية التمييز والإخراج:

اعلم ان كل من تاب وفي يده ما هو حرام معلوم العين من غصب أو وديعة أو غيره فأمره سهل، فعليه تمييز الحرام وإن كان ملتبساً مختلطاً فلا يخلو إما أن يكون في مال هو من ذوات الأمثال كالحبوب والنقود والأدهان، وإما أن يكون في أعيان متمايزة كالعبيد والدور والثياب. فإن كان في المتماثلات أو كان شائعاً في المال كله كمن اكتسب المال بتجارة يعلم أنه قد كذب في بعضها في المرابحة وصدق في بعضها، أو من غصب

الباب الثالث

في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية

(**اعلم أن من تاب**) إلى الله تعالى مما ارتكبه من المخالفات (**وفي يده مال مختلط**) بعضه حلال وبعضه حرام (**فعليه وظيفة في تمييز الحرام**) عن ماله (**واخراجه، ووظيفة في تصرف المخرج فلينظر فيهما**) أي الوظيفتين.

النظر الأول: في كيفية التمييز والإخراج:

(**اعلم أن كل من تاب وفي ماله ما هو حـرام معلوم العين من غصب**) أو نهب (**أو وديعة أو غير ذلك فأمره سهل فعليه تمييز الحرام**) وإخراجه، (**وإن كان ملتبساً مختلطاً**) مع بعضه (**فلا يخلو ذلك إما أن يكون في مال هو من ذوات الأمثال كالحبوب والبقول والأدهان**)وتسمى هذه متماثلات،(**وإما ان يكون في أعيان متايزة كالعبيد والثياب والدور، فإن كان من المتماثلات أو كان شائعاً في المال كله كمن اكتسب المال من تجارة علم**) وفي نسخة يعلم (**أنه قد كذب في بعضها في المرابحـة**) وفي نسخة بالمرابحة (**وصدق في بعضها، أو من**

دهناً وخلطه بدهن نفسه، أو فعل ذلك في الحبوب أو الدراهم والدنانير فلا يخلو ذلك إما أن يكون معلوم القدر أو مجهولاً فإن كان معلوم القدر مثل أن يعلم أن قدر النصف من جملة ماله حرام فعليه تمييز النصف، وإن أشكل فله طريقان: أحدهما: الأخذ باليقين، والآخر الأخذ بغالب الظن، وكلاهما قد قال به العلماء في اشتباه ركعات الصلاة، ونحن لا نجوز في الصلاة إلا الأخذ باليقين، فإن الأصل اشتغال الذمة فيستصحب ولا يغير إلا بعلامة قوية وليس في اعداد الركعات علامات يوثق بها، وأما ههنا فلا يمكن أن يقال الأصل أن ما في يده حرام بل ومشكل فيجوز له الأخذ بغالب الظن اجتهاداً، ولكن الورع في الأخذ باليقين فإن أراد الورع فطريق التحري والاجتهاد أن لا يستبقي إلا القدر الذي يتيقن أنه حلال، وإن أراد الأخذ بالظن فطريقه مثلاً أن يكون في يده مال تجارة فسد بعضها فيتيقن أن النصف حلال وإن الثلث مثلاً حرام، ويبقى سدس يشك فيه فيحكم فيه بغالب الظن. وهكذا طريق التحري في كل مال وهو أن يقتطع القدر المتيقن من الجانبين في الحل والحرمة. والقدر المتردد فيه إن غلب على ظنه التحريم أخرجه، وإن غلب الحل جاز له الإمساك والورع إخراجه. وإن شك فيه

غصب دهناً وخلطه بدهن نفسه أو فعل ذلك في الحبوب أو في الدراهم والدنانير فلا يخلو ذلك إما أن يكون معلوم القدر أو مجهوله، فإن كان معلوم القدر مثل أن يعلم أن قدر النصف من جملة ماله حرام، فعليه) حينئذ **(تمييز النصف وإن أشكل)** أمره **(فله طريقان: احداهما: الأخذ باليقين، والأخرى: الأخذ بغالب الظن، وكلاهما قد قال به العلماء في)** مسألة **(اشتباه ركعات الصلاة)** أي إذا اشتبه على المصلي أنه هل صلى ثلاثاً أو أربعاً أو أقل، **(ونحن لا نجوّز في الصلاة إلا الأخذ باليقين لأن الأصل اشتغال الذمة فيستصحب ولا يغير إلا بعلامة قوية وليس في إعداد الركعات علامات يوثق بها. أما ههنا فلا يمكن أن يقال الأصل إن ما في يده حرام بل هو مشكل فيجوز الأخذ بغالب الظن اجتهاداً ولكن الورع في الأخذ باليقين)** دون الأخذ بغالب الظن، **(فإن أراد الورع فطريق التحري والاجتهاد أن لا يستبقي)** عنده **(إلا القدر الذي يتيقن)** في نفسه **(أنه حلال، وإن أراد الأخذ بالظن فطريقه مثلاً أن يكون في يده مال تجارة قد فسد بعضها فيتمين أن النصف)** منه **(حلال وأن الثلث)** منه **(مثلاً حرام، ويبقى)** منه **(سدس يشك فيه)** هل هو حلال أو حرام؟ **(فنحكم فيه بغالب الظن، وهكذا طريق التحري في كل مال، وهو أن يقتطع القدر المتيقن من الجانبين في الحل والحرمة والقدر المتردد فيه إن غلب على ظنه التحريم أخرجه)** ولم يجز له الإمساك، **(وإن غلب عليه الحل جاز له الإمساك والورع إخراجه، وإن**

جاز الإمساك والورع إخراجه، وهذا الورع آكد لأنه صار مشكوكاً فيه، وجاز إمساكه اعتماداً على أنه في يده فيكون الحل أغلب عليه وقد صار ضعيفاً بعد يقين اختلاط الحرام. ويحتمل أن يقال الأصل التحريم ولا يأخذ إلا ما يغلب على ظنه أنه حلال، وليس أحد الجانبين بأولى من الآخر وليس يتبين لي في الحال ترجيح وهو من المشكلات.

فإن قيل: هب أنه أخذ باليقين لكن الذي يخرجه ليس يدري أنه عين الحرام، فلعل الحرام ما بقي في يده فكيف يقدم عليه؟ ولو جاز هذا لجاز أن يقال: إذا اختلطت ميتة بتسع مذكاة فهي العشر فله أن يطرح واحدة أي واحدة كانت ويأخذ الباقي ويستحله، ولكن يقال: لعل الميتة فيما استبقاه بل لو طرح التسع واستبقى واحدة لم تحل لاحتمال أنها الحرام؟ فنقول: هذه الموازنة كانت تصح لولا أن المال يحل بإخراج البدل لتطرق المعاوضة إليه، وأما الميتة فلا تتطرق المعاوضة إليها فليكشف الغطاء عن هذا الاشكال بالفرض في درهم معين اشتبه بدرهم آخر فيمن له درهمان أحدهما حرام قد اشتبه عينه، وقد سئل أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن مثل هذا فقال: يدع الكل حتى يتبين وكان قد رهن آنية فلما قضى الدين حمل إليه المرتهن آنيتين وقال: لا أدري أيتهما آنيتك فتركهما

شك فيه جاز) له **(الإمساك)** أيضاً **(والورع اخراجه، وهذا الورع أوكد)** مما قبله **(لأنه صار مشكوكاً فيه وكان إمساكه اعتماداً على أنه في يده ليكون الحل الأغلب عليه وقد صار)** هذا الاعتماد **(ضعيفاً بعد يقين اختلاط الحرام، ويحتمل أن يكون الأصل التحريم فلا يأخذ إلا ما يغلب على ظنه أنه حلال، وليس أحد الجانبين بأولى من الآخر وليس يتبين في الحال ترجيح)** لأحدهما على الآخر **(وهو من المشكلات)** المشتبهات.

(فإن قيل: هب أنه أخذ باليقين لكن الذي يخرجه) من المال **(ليس يدري أنه من الحرام فلعل الحرام)** هو **(ما بقي في يده، فكيف يقدم عليه؟ ولو جاز هذا لجاز أن يقال)** إذا **(اختلطت)** شاة **(ميتة بتسع)** شياه **(مذكيات فهي العشر)** أي الميتة **(فله أن يطرح واحدة أي واحدة كانت ويأخذ الباقي ويستحله، ولكن يقال: لعل الميتة فيما استبقاه)** أي في جلة ما تركه، **(بل لو طرح التسعة واستبقى واحدة لم يحل)** له **(لاحتمال أنها الحرام فنقول: هذه الموازنة كانت تصح لولا أن المال يحل بإخراج البدل لتطرق المعاوضة إليه. وأما الميتة فلا تتطرق المعاوضة إليها)** فافترقتا، **(فلنكشف الغطاء عن هذا الإشكال بالفرض في درهم معين اشتبه بدرهم آخر ممن له درهمان أحدهما حرام وقد اشتبه عينه، وقد سئل)** الإمام **(أحمد بن حنبل)** رحمه الله تعالى **(عن مثل هذا . فقال: يدع الكل حتى يتبين)** ويظهر له أمره وهو من جملة مسائل أبي بكر المروزي. **(وكان)** رحمه الله تعالى **(قد رهن آنية)** جمع إناء بكسر وليس بمفرد، **(فلما قضى الدين حمل إليه المرتهن آنيتين**

فقال المرتهن: هذا هو الذي لك وإنما كنت اختبرك فقضى دينه ولم يأخذ الرهن وهذا ورع ولكنا نقول أنه غير واجب، فلنفرض المسألة في درهم له مالك معين حاضر فنقول: إذا ردّ أحد الدرهمين عليه ورضي به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر لأنه لا يخلو إما أن يكون المردود في علم الله هو المأخوذ فقد حصل المقصود، وإن كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه، فالاحتياط أن يتبايعا باللفظ فإن لم يفعلا وقع التقاص والتبادل بمجرد المعاطاة، وإن كان المغصوب منه قد فات له درهم في يد الغاصب وعسر الوصول إلى عينه واستحق ضمانه فلما أخذه وقع عن الضمان بمجرد القبض وهذا في جانبه واضح، فإن المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ والإشكال في الجانب الآخر أنه لم يدخل في ملكه فنقول: «لأنه أيضاً إن كان قد تسلم درهم نفسه فقد فات له أيضاً درهم في يد الآخر، فليس يمكن الوصول إليه فهو كالغائب فيقع هذا بدلاً عنه في علم الله إن كان الأمر كذلك، ويقع هذا التبادل في علم الله كما يقع التقاص لو أتلف رجلان كل واحد منهما درهما على صاحبه في عين مسألتنا لو ألقى كل واحد ما في يده في البحر أو أحرقه كان قد أتلفه ولم يكن عليه عهدة

وقال: **لا أدري أيتها آنيتك**) فخذ أيتها شئت (**فترك كلتيها**) وفي نسخة فتركها كلتيها، (**فقال المرتهن: فهذه هي التي لك**) أعرفها، (**وإنما كنت أجربك فقضى دينه ولم يأخذ الرهن وهذا ورع**) في الدين، (**ولكنا نقول: أنه غير واجب**) بل من المندوبات، (**فلنفرض المسألة في درهم له مالك معين حاضر**) وفي نسخة خاص (**فنقول: إذا رد أحد الدرهمين عليه ورضي به مع العلم بحقيقة الحال حل له الدرهم الآخر لأنه لا يخلو إما أن يكون المردود في علم الله تعالى هو المأخوذ فقد حصل المقصود، فإن كان غير ذلك فقد حصل لكل واحد درهم في يد صاحبه والاحتياط**) في ذلك (**أن يتبايعا باللفظ**) أي بإجراء الصيغة، (**فإن لم يفعلا ذلك وقع القصاص والتبادل بمجرد المعاطاة وإن كان المغصوب منه قد فات له درهم في يد الغاصب وعسر عليه الوصول إلى عينه واستحق ضمانه** فلما أخذه) منه (**وقع عن الضمان بمجرد القبض، وهذا في جانبه واضح، فإن المضمون له يملك الضمان بمجرد القبض من غير لفظ**) صرح به السبكي في عقد الجمان في مسائل الضمان، (**والإشكال في الجانب الآخر**) هو (**أنه لم يدخل في ملكه فنقول: لأنه أيضاً وإن كان قد سلم درهم نفسه فقد فات له أيضاً درهم**) هو (**في يد الآخر وليس يمكن الوصول إليه فهو كالفائت، فيقع هذا بدلاً منه في علم الله تعالى إن كان الأمر كذلك، أو يقع هذا التبادل في علم الله تعالى كما يقع التقاص لو أتلف رجلان كل واحد منهما درهماً على صاحبه بل في عين مسألتنا**) هذه (**لو أوقع كل واحد منهما ما في يد صاحبه في البحر أو أحرقه**) بالنار (**كان قد أتلفه**

للآخر بطريق التقاص، فكذا إذا لم يتلف فإن القول بهذا أولى من المصير إلى أن من يأخذ درهماً حراماً ويطرحه في ألف ألف درهم لرجل آخر يصير كل المال محجوراً عليه لا يجوز التصرف فيه. فهذا المذهب يؤدي إليه فانظر ما في هذا من البعد وليس فيما ذكرناه إلا ترك اللفظ. والمعاطاة بيع ومن لا يجعلها بيعاً فحيث يتطرق إليها احتمال إذ الفعل يضعف دلالته وحيث يمكن التلفظ وههنا هذا التسليم والتسلم للمبادلة قطعاً والبيع غير ممكن لأن المبيع غير مشار إليه ولا معلوم في عينه، وقد يكون مما لا يقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بألف رطل دقيق لغيره، وكذا الدبس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض.

فإن قيل: فأنتم جوّزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه بيعاً؟ قلنا: لا نجعله بيعاً بل نقول: هو بدل عما فات في يده فيملكه كما يملك المتلف عليه من الرطب إذا أخذ مثله، هذا إذا ساعده صاحب المال فإن لم يساعده وأصرّ به وقال: لا آخذ درهماً أصلاً إلا عين ملكي فإن استبهم فاتركه ولا أهبه وأعطل عليك مالك. فأقول: على القاضي أن ينوب عنه في القبض حتى يطيب للرجل ماله فإن هذا محض التعنت

ولم يكن عليه عهدة) أي تجديد العهد به (**للآخر بطريق التقاص**) أصله التقاصص فأدغم، وأصله جعل الدين في مقابلة الدين، (**فهكذا إذا لم يتلف فإن القول بهذا أولى من المصير إلى أن من يأخذ درهماً حراماً ويطرحه في ألف ألف درهم لرجل آخر يصير كل المال محجوراً عليه**) أي ممنوعاً (**لا يجوز التصرف فيه، وهذا المذهب يؤدي إليه. فانظر ما في هذا من البعد**) عن الاستقامة (**وليس فيما ذكرناه إلا ترك اللفظ**) أي إجراء الصيغة (**والمعاطاة بيع**) كما سبق عن أبي حنيفة، (**ومن لا يجعل المعاطاة بيعاً**) كالشافعي ومن نحا نحوه (**فحيث يتطرق إليها احتمال إذ الفعل يضعف دلالته**) فلا بدّ من اللفظ، (**وحيث يمكن التلفظ**) ولا مانع. (**وههنا هذا التسليم والتسلم للمبادلة قطعاً والبيع غير ممكن، لأن المبيع غير مشار إليه ولا معلوم في عينه وقد يكون مما لا يقبل البيع كما لو خلط رطل دقيق بألف رطل دقيق**) مثله (**لغيره، وكذا الدبس والرطب وكل ما لا يباع البعض منه بالبعض**).

(**فإن قيل: فأنتم جوّزتم تسليم قدر حقه في مثل هذه الصورة وجعلتموه بيعاً. قلنا: لا نجعله بيعاً**) حقيقة (**بل نقول هو بدل عما فات في يده فيملكه**) ما تسلمه (**كما يملك المتلف عليه من الرطب إذا أخذ مثله. هذا إذا ساعده صاحب المال وإن لم يساعده وأصر**) أي عزم (**وقال: لا آخذ درهماً أصلاً إلا عين ملكي فإن استبهم**) ولم يتبين (**فاتركه ولا أهبه**) لك (**وأعطل عليك مالك. فأقول**) في هذه الصورة: (**على القاضي**) أي الحاكم الشرعي (**أن ينوب عنه في القبض حتى يطيب للرجل ماله**) ولا يكون محجوراً على التصرف فيه، (**فإن**)

والتضييق، والشرع لم يرد به، فإن عجز عن القاضي ولم يجده فليحكم رجلاً متديناً ليقبض عنه فإن عجز فيتولى هو بنفسه ويفرد على نية الصرف إليه درهماً ويتعين ذلك له ويطيب له الباقي، وهذا في خلط المائعات أظهر والزم.

فإن قيل: فينبغي أن يحل له الأخذ وينتقل الحق إلى ذمته فأي حاجة إلى الاخراج أولاً ثم التصرف في الباقي؟ قلنا: قال قائلون: يحل له أن يأخذ ما دام يبقى قدر الحرام، ولا يجوز أن يأخذ الكل ولو أخذ لم يجز له ذلك. وقال آخرون: ليس له أن يأخذ ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة وقصد الإبدال، وقال آخرون: يجوز للآخذ في التصرف أن يأخذ منه وأما هو فلا يعطي، فإن أعطى عصى هو دون الآخذ منه، وما جوّز أحد أخذ الكل وذلك لأن المالك لو ظهر فله أن يأخذ حقه من هذه الجملة، إذ يقول: لعل المصروف إليَّ يقع عين حقي. وبالتعيين وإخراج حق الغير وتمييزه يندفع هذا الاحتمال، فهذا المال يترجح بهذا الاحتمال على غيره وما هو أقرب إلى الحق مقدم كما يقدم المثل على القيمة، والعين على المثل فكذلك ما يحتمل فيه رجوع المثل مقدم على ما يحتمل فيه

فعله (**هذا محض التعنت**) هو الإيقاع في الحرج (**والتضييق**) على المسلمين (**والشرع لم يرد به**) بل لا ضرر ولا ضرار، (**فإن عجز عن القاضي ولم يجده**) في محل الواقعة، (**فليحكم رجلاً متديناً**) يرتضيه (**ليقبض منه، فإن عجز عن ذلك فليتول هو بنفسه ويفرز**) أي ينحي (**على نية الصرف إليه درهماً**) من ذلك المال (**ويتعين ذلك**) أي الخارج (**له ويطيب له الباقي، وهذا في خلط**) وفي نسخة: أختلاط (**المائعات أظهر وألزم**) لشدة الاشتباه.

(**فإن قيل: فينبغي أن يحل له الأخذ وينتقل الحق إلى ذمته فأي حاجة إلى الإخراج أولاً ثم التصرف في الباقي**) هل لذلك من وجه؟ (**قلنا: قال قائلون**) من العلماء: (**يحل له أن يأخذ ما دام يبقى قدر الحرام**) أي ما دام قدر الحرام باقياً فيبقى مضارع معلوم من الثلاثي، ويجوز أن يكون مضارعاً مجهولاً من الرباعي المجرد والمعنى صحيح، (**ولا يجوز أن يأخذ الكل ولو أخذ لم يجز ذلك. وقال آخرون**) منهم: (**ليس له أن يأخذ**) منه (**ما لم يخرج قدر الحرام بالتوبة**) الصحيحة (**وقصد الإبدال، وقال آخرون**) منهم: (**يجوز للآخذ في التصرف أن يأخذ منه وأما هو فلا يعطي، فإن أعطى عصى هو دون الآخذ**) وإنما يعصي الآخذ بأخذه لكونه لا يحل له ذلك (**واحد ما جوز أخذ الكل، وذلك لأن المالك لو ظهر فله أن يطالب حقه من هذه الجملة إذا يقول لعل المصروف إليَّ**) هو الذي (**يقع عين حقي وبالتعيين وإخراج حق الغير بتمييزه**) وإفرازه (**يندفع هذا الاحتمال، فهذا المال يترجح بهذا الاحتمال على غيره وما هو أقرب إلى الحق مقدم كما يقدم المثل على القيمة**) فإن المثل أقرب إلى العين، (**وكما**) يقدم (**العين على المثل**) فإن مع وجود العين لا ذكر للمثل، (**فكذلك ما**

رجوع القيمة، وما يحتمل فيه رجوع العين يقدم على ما يحتمل فيه رجوع المثل، ولو جاز لهذا أن يقول ذلك لجاز لصاحب الدرهم الآخر أن يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول علي قضاء حقك من موضع آخر إذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك أحدهما بأن يقدر فائتاً بأولى من الآخر إلا أن ينظر إلى الأقل فيقدر أنه فائت فيه، أو ينظر إلى الذي خلط فيجعل بفعله متلفاً لحق غيره، وكلاهما بعيدان جداً، وهذا واضح في ذوات الأمثال فإنها تقع عوضاً في الإتلافات من غير عقد، فأما إذا اشتبه دار بدور أو عبد بعبيد فلا سبيل إلى المصالحة والتراضي، فإن أبى أن يأخذ إلاَّ عين حقه ولم يقدر عليه وأراد الآخر أن يعوق عليه جميع ملكه فإن كانت متماثلة القيم فالطريق أن يبيع القاضي جميع الدور ويوزع عليهم الثمن بقدر النسبة، وإن كانت متفاوتة أخذ من طالب البيع قيمة أنفس الدور وصرف إلى الممتنع منه مقدار قيمة الأقل ويوقف قدر التفاوت إلى البيان أو الاصطلاح لأنه مشكل، وإن لم يوجد القاضي فللذي يريد الخلاص وفي يده الكل أن يتولى ذلك بنفسه. هذه هي المصلحة وما عداها من الاحتمالات ضعيفة لا نختارها. وفيما سبق تنبيه على العلة وهذا في الحنطة ظاهر وفي النقود دونه وفي العروض

يحتمل فيه رجوع المثل مقدم على ما يحتمل فيه رجوع القيمة، وما يحتمل فيه رجوع العين مقدم على ما يحتمل فيه رجوع المثل، ولو جاز لهذا أن يقول ذلك) وهو قوله المقدم **(لجاز لصاحب الدرهم الآخر أن يأخذ الدرهمين ويتصرف فيهما ويقول علي قضاء حقك من موضع آخر إذ الاختلاط من الجانبين وليس ملك أحدهما بأن يقدر فائتاً أولى من الآخر إلا أن ينظر إلى الأقل فيقدر أنه فائت، أو ينظر إلى الذي خلط فيجعل بفعله متلفاً لحق غيره وكلاهما بعيدان جداً)** عند التأمل فيه، **(وهذا واضح في ذوات الأمثال)** أي في المثليات **(فإنها تقع عوضاً في الإتلافات من غير عقد مؤتنف)** أي جديد، **(أما إذا اختلطت دار بدور أو عبد بعبيد فلا سبيل)** فيه **(إلى المصالحة والتراضي)** من الجانبين، **(فإن أبى أن يأخذ إلا عين حقه ولم يقدر عليه وأراد الآخر أن يرد عليه عين ملكه)** وفي نسخة: أن يعوق عليه جميع ملكه **(فإن كانت متماثلة القيم فالطريق)** المخلص **(أن يبيع القاضي)** أو من في معناه **(جميع الدور)** أو العبيد، **(ويوزع)** أي يفرق **(الثمن عليهم بقدر النسبة وإن كانت متفاوتة)** القيم **(أخذ من طالب البيع قيمة أنفس الدور)** أو العبيد أي أعجبها وأحسنها، **(وصرف إلى الممتنع منه)** أي من البيع **(مقدار قيمة الأقل ويوقف قدر التفاوت إلى البيان أو)** إلى **(الاصطلاح)** العرفي بينهم **(لأنه مشكل، وإن لم يوجد القاضي)** الذي يتولى ذلك **(فللذي يريد الخلاص وفي يده الكل أن يتولى ذلك بنفسه)** بما تقدم. **(هذا هو المصلحة)** الشرعية **(وما عداها من الإحتمالات ضعيف لانختاره)** ولا نفتي به،

أغمض إذ لا يقع البعض بدلاً عن البعض، فلذلك احتيج إلى البيع، ولنرسم مسائل يتم بها بيان هذا الأصل.

مسألة: إذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم فرد عليه قطعة معينة فهي لجميع الورثة. ولو ردّ من الضيعة نصفاً وهو قدر حقه ساهمه الورثة فإن النصف الذي له لا يتميز حتى يقال: هو المردود، والباقي هو المغصوب، ولا يصير مميزاً بنية السلطان، وقصده حصر الغصب في نصيب الآخرين.

مسألة: إذا وقع في يده مال أخذه من سلطان ظالم ثم تاب والمال عقار وكان قد حصل منه ارتفاع، فينبغي أن يحسب أجر مثله لطول تلك المدّة وكذلك كل مغصوب له منفعة أو حصل منه زيادة فلا تصح توبته ما لم يخرج أجرة المغصوب، وكذلك كل زيادة حصلت منه وتقدير أجرة العبيد والثياب والأواني وأمثال ذلك مما لا يعتاد

(**وفيما سبق**) من التقرير (**تنبيه على العلة**) المقتضية لترجيح الاحتمال المذكور عن غيره، (**وهذا في الخلط ظاهر في النقود دونه**) في الظهور (**وفي العرض**) محركة (**أغمض**) أي أدق. (**إذ لا يقع البعض بدلاً عن البعض فلذلك احتيج إلى البيع، ولنرسم**) في هذا الباب (**مسائل بها يتم بيان هذا الأصل**) وهي ثلاثة مسائل:

مسألة أولى:

(**إذا ورث مع جماعة وكان السلطان قد غصب ضيعة لمورثهم**) الذي ورثوا منه، والضيعة: العقار والجمع ضياع مثل كلبة وكلاب، (**فرد عليه**) أي على ذلك الوارث (**قطعة**) من الأرض (**معينة فهي لجميع الورثة، ولو ردّ من الضيعة نصفاً وهو قدر حقه ساهمه الورثة**) أي شاركوه في سهمته بالضم وهي النصيب، (**فإن النصف الذي له لا يتميز**) عن بعضه (**حتى يقال**) إنه (**هو المردود والباقي هو المغصوب، ولا يصير مميزاً بنية السلطان وقصده حصر الغصب في نصيب الآخرين.**)

مسألة ثانية:

(**إذا وقع في يده مال أخذه من السلطان**) وفي نسخة من سلطان ظالم (**ثم تاب والمال عقار**) وهو بالفتح كل ملك ثابت له أصل كالدار والنخل، (**وكان قد حصل منه ارتفاع**) أي مال متحصل، (**فينبغي أن يحسب أجر مثله لطول تلك المدة وكذلك كل مغصوب له منفعة أو حصل منه زيادة فلا تصح توبته ما لم يخرج أجرة المغصوب، وكل زيادة حصلت منه**) في تلك المدة (**وتقوم أجرة العبد والأواني والثياب وأمثال ذلك مما لا يعتاد إجارتها**

إجارتها مما يعسر ولا يدرك ذلك إلا باجتهاد وتخمين، وهكذا كل التقويمات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الأخذ بالأقصى، وما ربحه على المال المغصوب في عقود عقدها على الذمة وقضى الثمن منه فهو ملك له، ولكن فيه شبهة إذ كان ثمنه حراماً كما سبق حكمه، وإن كان بأعيان تلك الأموال فالعقود كانت فاسدة، وقد قيل تنفذ بإجازة المغصوب منه للمصلحة فيكون المغصوب منه أولى به، والقياس أن تلك العقود تفسخ ويسترد الثمن وترد الأعواض، فإن عجز عنه لكثرته فهي أموال حرام حصلت في يده فللمغصوب منه قدر رأس ماله والفضل حرام يجب إخراجه ليتصدق به ولا يحل للغاصب ولا للمغصوب منه. بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده.

مسألة: من ورث مالاً ولم يدر أن مورثه من أين اكتسبه أمن حلال أم من حرام ولم يكن ثَمّ علامة، فهو حلال باتفاق العلماء، وإن علم أن فيه حراماً وشك في قدره أخرج مقدار الحرام بالتحري، فإن لم يعلم ذلك ولكن علم أن مورثه كان يتولى أعمالاً للسلاطين واحتمل أنه لم يكن يأخذ في عمله شيئاً أو كان قد أخذ ولم يبق في يده منه شيء لطول

مما يعسر) تقويمه **(ولا يدرك ذلك إلا بالاجتهاد والتخمين، وهكذا كل التقويمات تقع بالاجتهاد وطريق الورع الأخذ بالأقصى)** أي آخر ما ينتهي إليه، **(وما ربحه على المال المغصوب في عقود عقدها على الذمة وقضى الثمن منه)** بعد ذلك **(فهي ملك له، ولكن فيه شبهة إذ كان ثمنه حراماً كما سبق حكمه)** في الباب الذي قبله،**(وإن كان قد اتّجر بأعيان تلك الأموال فالعقود كانت فاسدة)** أي باطلة، **(وقد قيل)** في وجه أنه **(ينفذ بإجازة المغصوب منه للمصلحة)** أي مراعاة لها **(فيكون المغصوب منه أولى به)** هكذا قالوا، **(والقياس أن تلك العقود تفسخ)** وفي نسخة ترد **(ويسترد الثمن وترد الأعواض)** أي الذي دفع في عوضه، **(وإن عجز عنه لكثرته فهي أموال حرام)** قد حصلت في يده **(فللمغصوب منه قدر رأس ماله والفضل)** أي الذي زاد من رأس المال **(حرام يجب اخراجه ليتصدق به)** حينئذ الذي تصح توبته **(فلا يحل للغاصب)** أخذه **(ولا للمغصوب منه)** كذلك **(بل حكمه حكم كل حرام يقع في يده)** كما عرف في محله.

مسألة ثالثة:

(من ورث مالاً) من جهة **(ولم يدرأن مورثه من أين اكتسبه)** أمن حلال أو من حرام **(ولم يكن ثم)** أي هناك **(علامة)** دالة على الحل أو الحرمة **(فهو حلال بإتفاق العلماء، وإن علم أن فيه حراماً وشك في قدره أخرج مقدار الحرام بالتحري)** والاجتهاد، **(وإن لم يعلم ذلك ولكن علم أن مورثه)** الذي ورث منه ذلك المال **(كان يتولى أعمالاً للسلاطين واحتمل أنه لم يكن يأخذ في عمله شيئاً)** من المظالم، **(أو كان أخذ ولم يبق منه في يده شيء لطول**

المدة، فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولا يجب، وإن علم أن بعض ماله كان من الظلم فيلزمه إخراج ذلك القدر بالاجتهاد. وقال بعض العلماء لا يلزمه والإثم على المورث، واستدل بما روي: أن رجلاً ممن ولي عمل السلطان مات، فقال صحابي: الآن طاب ماله أي لوارثه، وهذا ضعيف لأنه لم يذكر اسم الصحابي ولعله صدر من متساهل، فقد كان في الصحابة من يتساهل، ولكن لا نذكره لحرمة الصحبة، وكيف يكون موت الرجل مبيحاً للحرام المتيقن المختلط ومن أين يؤخذ هذا نعم إذا لم يتيقن يجوز أن يقال هو غير مأخوذ بما لا يدري فيطيب لوارث لا يدري أن فيه حراماً يقيناً.

المدة) أو مع قصرها، **(ولكن علم أنه صرفه إلى جهات معلومة، فهذه شبهة يحسن التورع عنها ولا يجب)** أي التورع هنا عن الشبهة استحسان لا بطريق الوجوب، **(وإن علم أن بعض ماله كان من الظلم)** أي قد تحصل منه **(فليزمه إخراج ذلك القدر بالاجتهاد. وقال بعض العلماء: لا يلزمه)** الإخراج أصلاً **(بل الإثم)** فيه **(على المورث)** وهو الذي كسبته يداه، **(واستدل بما روي أن رجلاً ممن ولي عمل السلطان مات فقال صحابي)** أي رجل من أصحاب رسول الله ﷺ: **(الآن طاب ماله أي لوارثه)** أي: فإن أكل منه أكل حلالاً، **(وهذا)** الذي ذهب إليه بالاستدلال المذكور **(ضعيف)** لا يعمل به **(لأنه لم يذكر اسم الصحابي)** فهو مجهول الاسم، ولكن الجهالة بالصحابة غير مضرة إذ كلهم عدول كما عرف في المصطلح، ولا أظن أحداً خالف في ذلك وإنما تعتبر فيمن بعدهم من الطبقات فتنزل مرتبة خبره عن القبول، **(ولعله صدر من متساهل)** بأمر دينه **(فقد كان فيمن كان في الصحبة من يتساهل، ولكن لا نذكره لحرمة الصحبة)** أي احتراماً لمقامها، وهذا أيضاً فيه نظر، فإنهم كلهم عدول وما صدر عن شذوذهم مما يرى أنه يعد من التساهل فعن اجتهاد أوله تأويل. **(وكيف يكون موت الرجل مبيحاً للحرام المتيقن المختلط ومن أين يؤخذ هذا)**، وقد يقال: إنه من أين يؤخذ قوله أي لوارثه من قوله المذكور فإنه يحتمل أن يقال أن معناه الآن طاب ماله أي أمن من اختلاط الحرام فطاب، وكان قد عهد منه أنه لم يخلط ماله بما كان يأخذ من عمل ذلك السلطان، ولكنه ما دام كان حياً كان يخاف منه الاختلاط فلما مات أمن ماله من ذلك، فإذا تأملت ما ذكرنا اتضح لك وجه تفسير قوله: إن صح عنه ذلك، ولا نذهب إلى ما ذهب إليه المصنف أن المراد منه أن طاب لوارثه، وأيضاً فهذا مدرك فليكشف عن حال من أدرج هذه الزيادة إن كان ثقة قبلت منه، وإلا فلا. **(نعم إذا لم يتيقن)** أنه حرام **(يجوز أن يقال: هو غير مؤاخذ)** عند الله تعالى **(فيما لا يدري فيطيب لوارث لا يدري أن فيه حراماً يقيناً)** وهذا تأويل حسن وهو أولى من المصير إلى نسبة بعض الصحابة إلى التساهل فافهم ذلك، والله أعلم.

النظر الثاني: في المصرف:

فإذا أخرج الحرام فله ثلاثة أحوال.

إما أن يكون له مالك معين فيجب الصرف إليه أو إلى وارثه، وإن كان غائباً فينتظر حضوره أو الايصال إليه، وإن كانت له زيادة ومنفعة فلتجمع فوائده إلى وقت حضوره.

وإما أن يكون لمالك غير معين وقع اليأس من الوقوف على عينه ولا يدري أنه مات عن وارث أم لا، فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك ويوقف حتى يتضح الأمر فيه، وربما لا يمكن الرد لكثرة الملاك كغلول الغنيمة فإنها بعد تفرق الغزاة كيف يقدر على جمعهم، وإن قدر فكيف يفرق ديناراً واحداً مثلاً على ألف أو ألفين، فهذا ينبغي أن يتصدق به.

وأما من مال الفيء والأموال المرصدة لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك إلى القناطر والمساجد والرباطات ومصانع طريق مكة، وأمثال هذه الأمور التي يشترك في

النظر الثاني: في المصرف:

(**فإذا أخرج الحرام**) من ماله (**فله ثلاثة أحوال**).

(**أما أن يكون له مالك معين فيجب الصرف إليه أو إلى وارثه**) أي وارث المالك إن كان المالك ميتاً (**وإن كان**) المالك أو وارثه (**غائباً**) إلى جهة (**فينتظر حضوره**) إن أمكن (**أو الإيصال إليه**) في الموضع الذي هو فيه إن أمكن، (**فإن كانت له زيادة**) حصلت من الارتفاع (**أو منفعة فلتجتمع فوائده**) المتحصلة (**إلى وقت حضوره**) أو إيصالها إليه.

(**وإما أن يكون لمالك غير معين وقع اليأس من الوقوف على عينه ولا يدري أنه مات عن وارث أم لا. فهذا لا يمكن الرد فيه للمالك ويوقف**) المال (**حتى يتضح الأمر فيه، وربما لم يمكن الرد لكثرة الملاك**) وهذا (**كغلول الغنيمة**) أي ما أخذه منها بطريق الخيانة قبل القسمة (**فإنها بعد تفرق الغزاة**) إلى أوطانهم (**كيف يقدر على جمعهم، وإن قدر كيف يفرق ديناراً واحداً مثلاً على ألف**) رجل (**وألفين**) أو أكثر أو أقل، (**فهذا ينبغي أن يتصدق به**) على الفقراء.

(**وإما أن يكون من مال الفيء والأموال المرصدة**) أي المحبسة (**لمصالح المسلمين كافة فيصرف ذلك إلى**) تعمير (**القناطر**) والجسور (**والمساجد**) وما في حكمها من الزوايا (**والرباطات**) لأهل العلم والصوفية (**ومصانع طريق مكة**) شرفها الله تعالى وهي مخازن المياه،

الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ليكون عاماً للمسلمين، وحكم القسم الأوّل لا شبهة فيه.

أما التصدق وبناء القناطر فينبغي أن يتولاه القاضي فيسلم إليه المال إن وجد قاضياً متديناً وإن كان القاضي مستحلاً، فهو بالتسليم إليه ضامن لو ابتدأ به فيما لا يضمنه، فكيف يسقط عنه به ضمان قد استقر عليه، بل يحكم من أهل البلد عالماً متديناً فإن التحكيم أولى من الانفراد فإن عجز فليتول ذلك بنفسه فإن المقصود الصرف، وأما عين الصارف فإنما نطلبه لمصارف دقيقة في المصالح فلا يترك أصل الصرف بسبب العجز عن صارف هو أولى عند القدرة عليه.

فإن قيل: ما دليل جواز التصدق بما هو حرام، وكيف يتصدق بما لا يملك وقد ذهب جماعة إلى أن ذلك غير جائز لأنه حرام. وحكي عن الفضيل أنه وقع في يده درهمان، فلما علم انهما من غير وجهها رماهما بين الحجارة وقال: لا أتصدق إلا بالطيب ولا أرضى لغيري ما لا أرضاه لنفسي.

(وأمثال هذه الأمور التي يشترك في الانتفاع بها كل من يمر بها من المسلمين ليكون عاماً للمسلمين، وحكم القسم الأول لا شبهة فيه).

(أما التصدق) على الفقراء **(وبناء القناطر)** وتعمير المساجد والمصانع؛ **(فينبغي أن يتولاه القاضي)** فإنه الحاكم الشرعي **(فليسلم إليه المال)** المذكور **(إن وجد قاضياً متديناً)** حافظاً لدينه **(وإن كان القاضي مستحلاً)** للأموال بغير وجه شرعي، **(فهو بالتسليم إليه ضامن)** للمال **(لو ابتدأ به فيما لا يضمنه، فكيف يسقط عنه ضمان قد استقر عليه)** في ذمته **(بل يحكم من أهل البلد عالماً متديناً فإن التحكيم أولى من الانفراد، فإن عجز عن ذلك فليتول ذلك بنفسه فإن المقصود)** الأصلي **(الصرف)** أي صرف المال إلى مصرفه، **(فإما عين صارف فإنما يطلبه لمصارفات دقيقة في المصالح فلا يترك أصل الصرف)** الذي هو المقصود **(بسبب العجز عن مصارف هو أولى عند القدرة عليه)**.

(فإن قيل: ما دليل جواز التصرف) على الفقراء **(بما هو حرام، وكيف يتصدق بما لا يملك، وقد ذهب جماعة)** من السلف **(أن ذلك غير جائز لأنه حرام)** ويدل لذلك ما **(حكي عن الفضيل)** بن عياض رضي الله عنه **(أنه وقع في يده درهمان، فلما علم أنهما من غير وجهه رماهما بين الحجارة وقال: لا أتصدق إلا بالطيب ولا أرضي لغيري بما لا أرضاه لنفسي)** وأصله قوله تعالى: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾

فنقول: نعم ذلك له وجه واحتمال، وإنما اخترنا خلافه للخبر والأثر والقياس.

أما الخبر فأمر رسول الله ﷺ بالتصدق بالشاة المصلية التي قدمت إليه فكلمته بأنها حرام إذ قال ﷺ: «أطعموها الأسارى»، ولما نزل قوله تعالى: ﴿آلم ★ غلبت الروم★

[البقرة: ٢٦٧] ويدل له أيضاً حديث عائشة المتقدم في كراهة أكل الضب وفيه «إنا لا نطعمهم مما لا نأكل» ففيه استحباب أن لا يطعم المساكين مما لا يأكل؟

(فنقول: نعم له وجه واحتمال، ولكنا اخترنا خلافه للخبر والأثر والقياس).

(أما الخبر: فأمر رسول الله ﷺ بالتصدق بالشاة المصلية) أي المشوية على النار **(التي قدمت إليه فكلمته بأنها حرام إذ قال «اطعموها الأسارى»)** قال العراقي: رواه أحمد من حديث رجل من الأنصار قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فلما رجعنا لقينا راعي امرأة من قريش فقال: إن فلانة تدعوك ومن معك في طعام» الحديث وفيه: فقال: «أجد لهم شاة أخذت، بغير إذن أهلها» وفيه فقال: «اطعموها الأسارى» وإسناده جيد اهـ.

قلت: رواه من طريق ابن إدريس وزائدة، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن رجل من الأنصار، وهكذا رواه أبو داود أيضاً من هذا الطريق ولفظه: «خرجنا في جنازة مع النبي ﷺ فلما رجع النبي ﷺ استقبله راعي امرأة وجيء بالطعام فوضع يده فلاك لقمة في فيه قال: إني أجد شاة أخذت بغير إذن أهلها، فقالت المرأة: إني لم أجد شاة اشتريها فأرسلت إلى جاري فلم أجده فأرسلت إلى امرأة فأرسلت لي شاة له. قال: فاطعميه الأسارى». ورواه محمد بن الحسن في الآثار عن أبي حنيفة، عن عاصم بن كليب الجرمي، عن أبيه، عن رجل من الأنصار «أن النبي ﷺ زار قوماً من الأنصار في دارهم فذبحو له شاة فصنعوا منها طعاماً فأخذ من اللحم شيئاً فلاكه فمضغه ساعة لا يسيغه، فقال: ما شأن هذا اللحم؟ قالوا: شاة لفلان ذبحناها حتى يجيء فنرضيه عن ثمنها. قال، فقال رسول الله ﷺ: «اطعموها الأسارى». ورواه الكلاعي من طريق محمد بن خالد الذهبي، عن أبي حنيفة، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ. وكذا رواه الطحاوي من طريق زهير بن معاوية عن عاصم إلا أنه لم يقل فيه من أصحاب النبي ﷺ. ورواه أبو محمد الحارثي الحافظ في مسنده، عن محمد بن الحسن البزاز البلخي، وإبراهيم بن معقل بن الحجاج النسفي، ومحمد بن إبراهيم بن زياد الرازي كلهم عن بشر ابن الوليد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة، عن عاصم بن كليب، عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبي موسى الأشعري. ورواه الحارثي أيضاً عن أحمد بن سعيد الهمداني، عن محمد بن سعيد العوفي، عن أبيه، عن أبي يوسف. ورواه أيضاً من وجهين من طريق ابن عاصم النبيل، ويزيد بن زريع، والحسن بن فرات، وسعيد بن أبي الجهم، ومحمد بن مسروق، والحسن بن زياد كلهم عن أبي حنيفة بهذا الإسناد.

ورواه أيضاً من طريق حمزة بن حبيب الزيات عن أبي حنيفة بالإسناد المذكور بلفظ: «صنع

في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ [الروم : ١ ـ ٣] كذبه المشركون ، وقالوا

رجل من أصحاب النبي ﷺ طعاماً فدعاه فقام وقمنا معه ، فلما وضع الطعام تناول منه شيئاً وتناولنا فأخذ بضعة فلاكها في فيه طويلاً فجعل لا يستطيع أن يأكلها . قال : فرماها من فمه ، فلما رأيناه قد صنع ذلك أمسكنا عنه أيضاً فدعا النبي ﷺ صاحب الطعـام فقال : أخبرني عن لحمك هذا من أين هو ؟ قال يا رسول الله شاة كانت لصاحب لنا فلم يكن عندنا ما نشتريها منه وعجلنا وذبحناها فصنعناها لك حتى يجيء فنعطيه ثمنها ، فأمر النبي ﷺ برفع الطعام وأمر أن يطعموه الأسارى » . وقال الطبراني في معجميه : حدثنا أحمد بن القاسم ، حدثنا بشر بن الوليد ، حدثنا أبو يوسف عن أبي حنيفة بالإسناد المذكور ، وكذا رواه طلحة ، وابن المظفر ، وابن عبد الباقي من طريق بشر .

قال الحافظ في تخريج أحايث الهداية : وهذا معلول والمحفوظ ما رواه محمد بن الحسن عن أبي حنيفة اهـ .

وقد استدل به أصحابنا على أن الشاة إذا ذبحت بغير إذن مالكها لا يجوز الانتفاع بها قبل أداء الضمان . قال محمد بن الحسن في الآثار بعد أن أخرج هذا الحديث : وبه نأخذ ولو كان اللحم على حاله الأولى لما أمر النبي ﷺ أن يطعموها الأسارى ، ولكنه رآه قد خرج عن مالك الأول وكره أكله لأنه لم يضمن لصاحبه الذي أخذت شاته ، ومن ضمن شيئاً صار له غصب من وجهه فأحب إلينا أن يتصدق به ولا يأكله وكذلك ربحه . والأسارى عندنا هم أهل السجن المحتاجون وهذا كله قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى اهـ .

وقال الزيلعي في شرح الكنز : والضابط في هذه المسألة أنه متى تغيرت العين المقصودة بفعل الغاصب حتى زال اسمها وأعظم منافعها أو اختلطت بملك الغاصب بحيث لا يمكن تمييزها أصلاً أو إلا بحرج زال ملك المغصوب منه عنها وملكها الغاصب وضمنها ولا يحل له الانتفاع بها حتى يؤدي بدلها إلا الفضة والذهب . ألا ترى ما نحن فيه قد تبدلت العين وتجدد لها اسم آخر فصارت كعين أخرى حصلها بكسبه فيملكها غير أنه لا يجوز له الانتفاع به قبل أن يؤدي الضمان كيلا يلزم منه فتح باب الغصب وفي منعه حسم مادته ، ولو جاز الانتفاع أو لم يملكه لما قال النبي ﷺ : « فاطعموه الأسارى » والقياس : أن يجوز الانتفاع به ـ وهو قول زفر والحسن بن زياد وروايته عن أبي حنيفة لوجود الملـك المطلـق للتصرف ، ولهذا ينفـذ تصرفـه فيـه كـالتمليـك لغيره ووجـه الاستحسان ما بيناه ونفاذ تصرفه فيه لوجود الملك ، وذلك لا يدل على الحل . ألا ترى أن المشتري شراء فاسداً ينفذ تصرفه فيه مع أنه لا يحل له الانتفاع به ، ثم إذا دفع القيمة إليه وأخذه أو حكم الحاكم بالقيمة أو تراضيا على مقدار حل له الانتفاع لوجود الرضا من المغصوب منه لأن الحاكـم لا يحكم إلا بطلبه فحصلت المبادلة بالتراضي .

(ولما نزل قوله تعالى : ﴿الم ★ غلبت الروم ★ في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم

للصحابة: ألا ترون ما يقول صاحبكم يزعم أن الروم ستغلب. **فخاطرهم أبو بكر رضي الله عنه بإذن رسول الله ﷺ، فلما حقق الله صدقه وجاء أبو بكر رضي الله عنه بما قامرهم به قال عليه الصلاة والسلام: هذا سحت، فتصدق به. وفرح المؤمنون بنصر الله، وكان قد نزل تحريم القمار بعد إذن رسول الله ﷺ له في المخاطرة مع الكفار.**

سيغلبون﴾ [الروم: ١ - ٣] كذبه المشركون وقالوا للصديق رضي الله عنه ألا ترى ما يقول صاحبكم) يعني محمداً ﷺ **(يزعم أن الروم ستغلب)** الفرس، وكان النبي ﷺ يحب غلبة الروم لكونهم أهل كتاب والمشركون كانوا يحبون غلبة الفرس لكونهم عبدة الأوثان، **(فخاطرهم أبو بكر)** رضي الله عنه أي راهنهم على مال **(بإذن رسول الله ﷺ، فلما حقق الله صدقه)** وغلبت الروم الفرس وجاءت البشائر **(جاء أبو بكر)** رضي الله عنه **(بما راهنهم به)** من الأموال، **(فقال ﷺ: «هذا سحت فتصدق به»)** والسحت كل مال حرام لا يحل كسبه ولا أكله، وقيل: هو الحرام الذي يلزم صاحبه العار كأنه يسحت دينه ومروءته وتسمى الرشوة سحتاً. وروي كسب الحجام سحت لكونه ساحتاً للمروءة لا للدين ألا تراه أذن في طعامه الناضح والمملوك. قال الواحدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أكالون للسحت﴾ [المائدة: ٤٢] اجمعوا على أن المراد بالسحت هنا الرشوة في الحكم، وقالوا: نزلت الآية في حكام اليهود كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم، وأما اشتقاق السحت فقال الزجاج: إن الرشا التي يأخذونها يسحتهم الله بها بعذاب أن يستأصلهم. وقال أبو الليث: لأنه يسحت مروءة الإنسان. قال السبكي: وحاصله أن السحت حرام خاص ليس كل حرام يقال له سحت بل الحرام الشديد الذي يذهب المروءة ولا يقدم عليه إلا من به شره عظيم ورشوة الحاكم من هذا القبيل، لذلك سماها الله تعالى سحتاً.

(ففرح المؤمنون بنصر الله) أهل الكتاب على المجوس، **(وكان قد نزل تحريم القمار بعد إذن رسول الله ﷺ إياه في المخاطرة مع الكفار)** قال العراقي: الحديث المذكور رواه البيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس وليس فيه أن ذلك كان بإذنه ﷺ، وهو عند الترمذي وحسنه والحاكم وصححه دون قوله أيضاً: «هذا سحت فتصدق به» اهـ.

قلت: الأقرب إلى سياق المصنف ما أخرجه أبو يعلى، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «لما نزلت ﴿الم غلبت الروم﴾ الآية قال المشركون لأبي بكر رضي الله عنه: ألا ترى إلى ما يقول صاحبك يزعم أن الروم تغلب فارساً. قال: صدق صاحبي. قالوا: هل لك أن نخاطرك فجعل بينه وبينهم أجلاً فحل الأجل قبل أن تغلب الروم فارساً، فبلغ ذلك النبي ﷺ فساءه فكرهه، وقال لأبي بكر: ما دعاك إلى هذا؟ قال: تصديقاً لله ورسوله. قال: تعرض لهم وأعظم الخطر واجعله إلى بضع سنين فأتاهم أبو بكر فقال: هل لكم في العود: فإن العود أحمد؟ قالوا: نعم فلم تمض تلك السنون حتى غلبت الروم فارساً وربطوا خيولهم بالمدائن وبنو الرومية، فقمر أبو بكر فجاء به يحمله إلى رسول الله ﷺ فقال: هذا السحت تصدق به».

....

وأما حديث ابن عباس الذي أشار إليه العراقي وأن الترمذي حسنه والحاكم صححه، فقد رواه أحمد والطبراني في الكبير، وابن مردويه والضياء في المختارة ولفظهم: «عنه في قوله تعالى: ﴿ألم غلبت الروم﴾ قال: غلبت وغلبت. قال: كان المشركون يكرهون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أصحاب كتاب فذكروه لأبي بكر رضي الله عنه، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال: أما أنهم سيغلبون فذكره أبو بكر لهم فقالوا جعل بيننا وبينك أجلاً فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا، فجعل بينهم أجلاً خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله ﷺ» الحديث.

وأخرج ابن جرير من حديث ابن مسعود نحوه وفيه: «فقالوا. هل لك أن نقامرك فبايعوه على أربعة قلائص إلى سبع سنين ولم يكن شيء، ففرح المشركون بذلك وشق على المسلمين، فقال النبي ﷺ: كم بضع سنين عندكم؟ قالوا: دون العشر. قال: إذهب فزايدهم وازدد سنتين في الأجل. قال: فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المؤمنون بذلك».

وأخرجه الترمذي وصححه، والدارقطني في الإفراد، والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل، والبيهقي في الشعب من حديث نيار بن مكرم السلمي قال: «لما نزلت هذه الآية خرج أبو بكر رضي الله عنه يسيح في نواحي مكة بها، فقال ناس من قريش لأبي بكر: ذاك بيننا وبينكم يزعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارساً في بضع سنين أو لا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى، وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان، فقالوا لأبي بكر: لم نجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطى ننتهي إليه. قال: فسموا بينهم ست سنين فمضت الست قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فعاب المسلمون على أبي بكر بتسميته ست سنين قال: لأن الله تعالى قال في بضع سنين فاسلم عند ذلك ناس كثير».

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي عن قتادة قال: «لما أنزل الله هذه الآية صدق المسلمون ربهم وعرفوا أن الروم ستظهر على فارس فاقتمروا هم والمشركون خمس قلائص وأجلوا بينهم خمس سنين، فولى قمار المسلمين أبو بكر رضي الله عنه وولى قمار المشركين أبي بن خلف، وذلك قبل أن ينهى عن القمار، فجاء الأجل ولم تظهر الروم على فارس، فسأل المشركون قمارهم فذكر ذلك الأصحاب للنبي ﷺ فقال: ألم تكونوا أحقاء أن تؤجلوا أجلاً دون العشر فإن البضع ما بين الثلاث إلى العشر فزايدوهم ومادوهم في الأجل فأظهر الروم على فارس عند رأس السبع من قمارهم الأول، وكان ذلك مرجعهم من الحديبية وكان مما شدّ الله به الاسلام فهو قوله ﴿ويومئذ يَفْرَحُ المؤمنون بنصر الله﴾» [الروم: ٤]».

وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال «لما أنزل الله هذه الآيات خرج أبو بكر إلى الكفار فقال:

وأما الأثر؛ فإن ابن مسعود رضي الله عنه اشترى جارية فلم يظفر بمالكها لينقده الثمن فطلبه كثيراً فلم يجده فتصدق بالثمن وقال: اللهم هذا عنه إن رضي وإلاَّ فالأجر لي. وسئل الحسن رضي الله عنه عن توبة الغال وما يؤخذ منه بعد تفرق الجيش؟ فقال: يتصدق به. وروي أن رجلاً سوّلت له نفسه فغل مائة دينار من الغنيمة ثم أتي أميره ليردها عليه فأبى أن يقبضها وقال له: تفرق الناس فأتى معاوية فأبى أن يقبض، فأتى بعض النساك فقال: ادفع خُمسها إلى معاوية وتصدق بما بقي، فبلغ معاوية قوله فتلهف إذ لم يخطر له ذلك. وقد ذهب أحمد بن حنبل والحارث المحاسبي وجماعة من الورعين إلى ذلك.

وأما القياس؛ فهو أن يقال: إن هذا المال مردد بين أن يضيع وبين أن يصرف إلى

أفرحتم بظهور إخوانكم على اخواننا فلا تفرحوا ولا يقر الله عينكم، فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا ﷺ، فقام إليه أبي بن خلف فقال: كذبت. فقال له أبو بكر: أنت أكذب يا عدو الله. قال: أناصبك عشر قلائص مني وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت وإن ظهرت فارس غرمت إلى ثلاث سنين، فجاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: ما هذا ذكرت إنما البضع من الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل، فخرج أبو بكر فلقي أبياً فقال: لعلك ندمت. قال: لا. قال: تعال أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل فاجعلها مائة قلوص إلى تسع سنين قال قد فعلت».

(**وأما الأثر، فإن ابن مسعود**) رضي الله عنه يروى عنه (**أنه اشترى جارية ولم يظهر مالكها لينقده الثمن**) أي يعطيه نقداً (**فطلبه كثيراً**) في مظانه (**فلم يجده**) وأيس منه (**فتصدق بالثمن وقال: اللهم هذا عنه إن رضي وإلاَّ فالأجر لي**) فهذا صريح في جواز التصدق بما ليس له. (**وسئل الحسن**) البصري (**عن توبة الغال**) وهو الذي غلّ من الغنيمة قبل تقسيمها (**و**) عن (**ما يؤخذ منه بعد تفرق الجيش**) ماذا يعمل به؟ (**فقال: يتصدق به**) ولولا ذلك لما صحت توبته. (**وروي أن رجلاً سوّلت له نفسه**) أي زينت (**فغلّ ثمانية دنانير من الغنيمة**) أي قبل أن تقسم (**ثم**) تاب إلى الله تعالى و (**أتى أميره ليرد عليه**) ذلك (**فأبى أن يقبضها**) وفي نسخة: أن يقبضه (**وقال: تفرق الناس فأتى معاوية**) رضي الله عنه وهو الأمير الأكبر (**فأبى أن يقبضها**) وفي نسخة أن يقبضه (**فرأى بعض النساك فحدثه خبره فقال: إدفع الي معاوية خمسه**) لكونه أمير المؤمنين (**وتصدق بما بقي**) على الفقراء، (**فبلغ معاوية قوله فتلهف إذا لم يخطر له ذلك**) أي بالبال. (**وقد ذهب أحمد بن حنبل والحرث المحاسبي**) رحمها الله تعالى (**وجماعة من المتورعين إلى ذلك.**)

وأما القياس، وهو أن يقال: إن هذا المال مردد بين أن يضيع) ويهلك (**وبين ان**

البحر، فإنا إن رميناه في البحر فقد فوّتناه على أنفسنا وعلى المالك ولم تحصل منه فائدة. وإذا رميناه في يد فقير يدعو لمالكه حصل للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سدّ حاجته، وحصول الأجر للمالك بغير اختياره في التصدق لا ينبغي أن ينكر. فإن في الخبر الصحيح: «إن للزارع والغارس أجراً في كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره وزرعه» وذلك بغير اختياره، وأما قول القائل: لا نتصدق إلا بالطيب، فذلك إذا طلبنا الأجر لأنفسنا ونحن

يصرف إلى خير، إذ وقع اليأس عن مالكه) فلعله مات، **(وبالضرورة يعلم أن صرفه إلى خير أولى من القائه في البحر فإنا إن رميناه في البحر فقد فوّتناه على أنفسنا وعلى المالك ولم تحصل منه فائدة. وإذا رميناه في يد فقير يدعو لمالكه حصلت للمالك بركة دعائه وحصل للفقير سد حاجته، وحصول الأجر للمالك بغير اختياره في التصدق لا ينبغي أن ينكر. فإن في الخبر الصحيح «إن للزارع والغارس أجراً في كل ما يصيبه الناس والطيور من ثماره)** وزرعه» **(وذلك بغير اختياره)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث أنس بلفظ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو بهيمة إلا كان له به صدقة» اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الطيالسي، وأحمد ومسلم، والترمذي كلهم من حديث أنس. ورواه هذه الثلاثة أيضاً دون الترمذي من حديث جابر، رواه أحمد والطبراني من حديث أم بشر، ورواه الطبراني أيضاً من حديث أبي الدرداء، وعند بعضهم زيادة «أو سبع أو دابة». وروى مسلم عن جابر «ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه صدقة وما أكل السبع فهو له صدقة وما أكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة». ورواه عبد بن حميد نحوه. وروى أحمد والباوردي وسمويه من حديث أبي أيوب «ما من رجل يغرس غرساً إلا كتب الله له من الأجر قدر ما يخرج من ثمر ذلك الغرس» ورجاله رجال الصحيح إلا عبد المؤمن ابن عبد العزيز الليثي ضعفه جماعة ووثقه مالك، وسعيد بن منصور شرح حديث أنس قوله «ما من مسلم يغرس غرساً أي مغروساً. والمراد الشجر «أو زرعاً» أي مزروعاً وأو للتنويع لأن الغرس غير الزرع، وخرج الكافر فلا يثاب في الآخرة على شيء من ذلك. ونقل عياض فيه الإجماع، والمراد بالمسلم الجنس فيشمل المرأة. وقوله: «إلا كان له به صدقة» أي يجعل لزارعه وغارسه ثواب سواء تصدق بالمأكول أو لا.

قال الطيبي في شرح المشكاة: الرواية برفع صدقة على أن كان تامة، ونكر مسلماً، وأوقعه في سياق النفي وزاد من الاستغراقية، وخص الغرس والشجر وعم الحيوان ليدل على سبيل الكناية الإيماء به على أن المراد أي مسلم حراً أو عبداً مطيعاً أو عاصياً أي عمل من المباح ينتفع بما عمله أي حيوان كان يرجع نفعه إليه ويثاب عليه، وفيه أن المتسبب في الخير له أجر العامل به هبة من

الآن نطلب الخلاص من المظلمة لا الأجر وترددنا بين التضييع وبين التصدق ورجحنا جانب التصدق على جانب التضييع. وقول القائل: لا نرضى لغيرنا ما لا نرضاه لأنفسنا، فهو كذلك، ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه وللفقير حلال إذ أحله دليل الشرع، وإذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل وإذا حل فقد رضينا له الحلال ونقول: إن له أن يتصدق على نفسه وعياله إذا كان فقيراً، أما عياله وأهله فلا يخفى لأن الفقر لا ينتفي عنهم بكونهم من عياله وأهله بل هم أولى من يتصدق عليهم، وأما هو فله أن يأخذ منه قدر حاجته لأنه أيضأ فقير ولو تصدق به على فقير لجاز وكذا إذا كان هو الفقير، ولنرسم في بيان هذا الأصل أيضاً مسائل.

مسألة: إذا وقع في يده مال من يد سلطان قال قوم: يرد إلى السلطان فهو أعلم بما

أعمال البرّ أو من مصالح الدنيا، وذلك يتناول من غرس لنفسه أو عياله وإن لم ينو ثوابه ولا يختص بمباشرة الغرس أو الزرع بل يشمل من استأجر لعمله.

(**وأما قول القائل: لا نتصدق إلا بالطيب، فذلك**) صحيح (**إذ طلبنا الأجر لأنفسنا ونحن الآن إنما نطلب الخلاص من المظلمة لا الأجر ورددنا**) وفي نسخة: ترددنا (**بين التضييع وبين التصدق**) واختيار أحدهما (**ورجحنا جانب التصدق على جانب التضييع**) ففرق بين من يطلب الأجر لنفسه وبين من يطلب الخلاص لها من مظلمة فقولهم المذكور محمول على الحالة الأولى. (**وقول القائل: لا نرضي لغيرنا إلا ما نرضاه لأنفسنا فهو كذلك**) صحيح، (**ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه**) وعدم احتياجنا إليه (**وللفقير حلال إذ أحله دليل الشرع، وإذا اقتضت المصلحة**) الشرعية (**التحليل وجب التحليل**) رعاية للمصلحة وهو المناسب المرسل (**وإذا حل**) له أخذه (**فقد رضينا له بالحلال ونقول**) زيادة على ذلك: (**له أن يتصدق على نفسه وعياله**) منه (**إذا كان فقيراً. أما عياله وأهله فلا يخفي**) حاله (**لأن الفقر لا ينتفي عنهم بكونهم من عياله وأهله بل**) لوصف ثابت فيهم على هذا (**هم أولى من يتصدق عليهم**) من غيرهم فالأقربون أولى بالمعروف، (**وأما هو**) بنفسه (**فله أن يأخذ منه قدر حاجته**) الداعية (**لأنه أيضاً فقير ولو تصدق به على فقير لجاز فهكذا إذا كان فقيراً**) بل إذا رأى تقديم نفسه فيه مصلحة يكون الأولى، (**ولنرسم في بيان هذا الأصل أيضاً مسائل**) لتكون متممات له جامعات لشواذه.

مسألة:

إذا وقع في يده مال من سلطان) فاختلف فيه (**فقال قوم: يرد**) ذلك المال (**إلى**

تولاه فيقلده ما تقلده وهو خير من أن يتصدق به، واختار المحاسبي ذلك. وقال: كيف يتصدق به فلعل له مالكاً معيناً؟ ولو جاز ذلك لجاز أن يسرق من السلطان ويتصدق به. وقال قوم: يتصدق به إذا علم أن السلطان لا يرده إلى المالك لأن ذلك إعانة للظالم وتكثير لأسباب ظلمه فالرد إليه تضييع لحق المالك، والمختار أنه إذا علم من عادة السلطان أنه لا يرده إلى مالكه فيتصدق به عن مالكه فهو خير للمالك إن كان له مالك معين من أن يرد على السلطان، ولأنه ربما لا يكون له مالك معين ويكون حق المسلمين فردّه على السلطان تضييع، فإن كان له مالك معين فالرد على السلطان تضييع وإعانة للسلطان الظالم وتفويت لبركة دعاء الفقير على المالك وهذا ظاهر؛ فإذا وقع في يده من ميراث ولم يتعد هو بالأخذ من السلطان فإنه شبيه باللقطة التي أيس عن معرفة صاحبها إذ لم يكن له أن يتصرف فيها بالتصدق عن المالك ولكن له أن يتملكها، ثم وإن كان غنياً من حيث أنه اكتسبه من وجه مباح وهو الالتقاط وههنا لم يحصل المال من وجه مباح فيؤثر في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصدق.

السلطان) الذي أخذه منه **(فهو أعلم بما تولاه فليقلده ما تقلده وهو خير من أن يتصدق به)** على فقير، **(واختار)** الحرث **(المحاسبي)** رحمه الله تعالى **(ذلك)** ومن تبعه **(وقال)** في توجيهه: **(كيف يتصدق به ولعل له مالكاً معيناً؟ ولو جاز ذلك لجاز أن يسرق من)** مال **(السلطان ويتصدق به)** ولا قائل بذلك. **(وقال قوم)** آخرون: **(بل يتصدق به إذا علم أن السلطان لا يرده إلى المالك)** هذا إذا علم أن له مالكاً معيناً **(لأن ذلك إعانة للظالم وتكثير لأسباب ظلمه فالرد إليه تضييع لحق المالك)** وهو غير جائز. **(والمختار أنه علم من عادة السلطان أنه لا يرده إلى مالكه فيتصدق به عن المالك فهو خير للمالك إن كان له مالك معين من أن يرد على السلطان، ولأنه ربما لا يكون له مالك معين ويكون لحق المسلمين فردّه على السلطان تضييع)** له، **(وإعادته للسلطان الظالم تفويت لدعاء الفقير)** للمالك وفي نسخة وإعانة للسلطان على ظلمة وتفويت لدعاء الفقير على المالك. **(وهذا ظاهر؛ فإذا وقع في يده مال من ميراث ولم يتعد هو بالأخذ من يد السلطان فإنه شبيه باللقطة التي أيس من معرفة صاحبها إذ لم يكن له أن يتصرف فيها بالتصرف عن الملاك ولكن له أن يتملكها)** أي تلك اللقطة وفي نسخة أن يتملكه أي المال، **(ثم وإن كان غنياً من حيث أنه أكتسبها)** وفي نسخة اكتسبه **(بجهة مباح وههنا لم يحصل المال بجهة مباح فيؤثر في منعه من التملك ولا يؤثر في المنع من التصرف)**. اعلم أنهم اختلفوا في اللقطة هل تملك بعد الحول والتعريف؟ فقال مالك والشافعي: يملك جميع اللقطات سواء كان غنياً أو فقيراً وسواء كانت اللقطة أثماناً أو عروضاً أو ضالة غنم. وقال مالك: هو بالخيار بين أن يتركها في يده أمانة وإن تلفت فلا ضمان عليه، وبين أن

مسألة: إذا حصل في يده مال لا مالك له وجوّزنا له أن يأخذ قدر حاجته لفقره ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب أسرار الزكاة، فقد قال قوم: يأخذ كفاية سنة لنفسه وعياله وإن قدر على شراء ضيعة أو تجارة يكتسب بها للعائلة فعل، وهذا ما اختاره المحاسبي ولكنه قال: الأولى أن يتصدق بالكل إن وجد من نفسه قوّة التوكل وينتظر لطف الله تعالى في الحلال، فإن لم يقدر فله أن يشتري ضيعة أو يتخذ رأس مال يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالاً أمسك ذلك اليوم عنه، فإذا في عاد إليه، فإذا وجد حلالاً معيناً تصدق بمثل ما أنفقه من قبل ويكون ذلك قرضاً عنده، ثم أنه يأكل إلاَّ الخبز ويترك اللحم إن قوي عليه، وإلاَّ أكل اللحم من غير تنعم وتوسع،

يتصدق بها بشرط الضمان، وبين أن يملكها وتصير ديناً في ذمته ويمكن له ملكها إلا في ضالة الغنم حيث الخوف فإن شاء تركها وإن شاء أكلها ولا ضمان عليه في أظهر الروايتين. وقال أبو حنيفة: لا يملك شيئاً من اللقطات ولا ينتفع بها إذا كان غنياً فإن كان فقيراً جاز له الانتفاع بها بشرط الضمان، فأما الغني فإنه يتصدق بها بشرط الضمان. وعن أحمد روايتان أظهرهما: إن كانت أثماناً تملكها بغير اختياره جاز له الانتفاع بها غنياً كان أو فقيراً فإن كانت عروضاً أو حلياً لا يملكها إلا باختياره لا بغير اختياره لم يجز له الانتفاع بها غنياً كان أو فقيراً. والاخرى: لا يملكها إلا أن يتصدق بها فإن جاء صاحبها بعد الحول خيّر بين الأخذ وبين أن يترك عليه مثلها.

مسألة:

(**إذا**) وفي نسخة: الذي (**حصل في يده مال لا مالك له وجوّزنا له أن يأخذ قدر حاجته**) الداعية (**لفقرة**) واحتياجه (**ففي قدر حاجته نظر ذكرناه في كتاب أسرار الزكاة، فقد قال قوم: يأخذ كفاية سنة**) منه (**لنفسه وعياله وإن قدر على شراء ضيعة أو تجارة يكتسب بها لعياله**) من ذلك المال (**فعل**) ذلك، (**وهذا ما اختاره المحاسبي**) رحمه الله تعالى (**ولكنه قال: الأولى أن يتصدق بالكل إن وجد من نفسه قوّة التوكل**) على الله تعالى (**وينتظر لطف الله سبحانه في الحلال، فإن لم يقدر**) على ذلك (**فله أن يشتري ضيعة**) أو غيرها (**أو يتخذ رأس مال**) يتّجر به و (**يتعيش بالمعروف منه وكل يوم وجد فيه حلالاً**) من غيره (**أمسك ذلك اليوم عنه**) ولم يأكل منه، (**فإذا في الحلال عاد إليه، فإذا وجد حلالاً معيناً يتصدق بمثل ما أنفقه من قبل وأن يكون ذلك قرضاً عنده**) في ذمته، (**ثم إنه لايأكل إلاَّ الخبز**) وحده أي بلا أدام إن قدر على ذلك وإلاَّ فمع مثل اللحم أو الزيت أو ما في معناه (**ويترك اللحم إن قدر على ذلك**) ويكون تركه بالتدرج ليكون قادراً عليه (**وإلاَّ أكل اللحم من غير تنعم و**) لا (**توسع**) بأن يأكل في كل أربعين يوماً واحداً أو في كل ثلاثين أو في كل عشرين أو في كل خمسة عشر يوماً أو في كل أسبوع أو في كل أربعة أيام ولا يزيد على

وما ذكره لا مزيد عليه ولكن جعل ما أنفقه قرضاً عنده فيه نظر ولا شك في أن الورع أن يجعله قرضاً فإذا وجد حلالاً تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يتصدق به عليه فلا يبعد أن لا يجب عليه أيضاً إذا أخذه لفقره، لا سيما إذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعدياً بغصبه وكسبه حتى يغلظ الأمر عليه فيه.

مسألة: إذا كان في يده حلال وحرام أو شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته، فإذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال لأن الحجة عليه أوكد في نفسه منه في عبده وعياله وأولاده الصغار والكبار من الأولاد يحرسهم من الحرام إن كان لا يفضي بهم إلى ما هو أشد منه، فإن أفضى فيطعمهم بقدر الحاجة. وبالجملة، كل ما يحذره في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة، وهو أنه يتناول مع العلم والعيال ربما تعذر إذا لم تعلم إذ لم تتول الأمر بنفسها، فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن يعول، وإذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته

ذلك، (**وما ذكره**) المحاسبي (**لا مزيد عليه**) في البيان (**ولكن قوله أن ما أنفقه**) وفي نسخة: ولكن جعل ما أنفقه (**فرضاً عنده فيه نظر**) يحتاج إلى تأمل (**ولا شك في أن الورع**) والاحتياط (**أن يجعله قرضاً فإذا وجد حلالاً تصدق بمثله ولكن مهما لم يجب ذلك على الفقير الذي يتصدق به عليه فلا يبعد أن لا يجب عليه أيضاً إذا أخذه لغيره**[1] ، **ولا سيما إذا وقع في يده من ميراث ولم يكن متعدياً بغصبه**) وفي نسخة بقبضة (**وكسبه حتى يغلظ الأمر عليه فيه**) أي يشدد.

مسألة:

(**إذا كان في يده حلال وحرام أو**) حلال و(**شبهة وليس يفضل الكل عن حاجته**) بل يستغرقه، (**فإذا كان له عيال فليخص نفسه بالحلال**) دون غيره (**لأن الحجة عليه أوكد في نفسه منها في عبده وعياله وأولاده الصغار**) وذكرهم بعد العيال من باب التخصيص بعد التعميم (**والكبار من أولاده يحرسهم من**) تناول (**الحرام**) لقوله تعالى ﴿قُوا أنفسكن وأهليكم ناراً﴾ [التحريم: ٦] وهذا (**إن كان لا يفضي بهم إلى ما هو أشد منه فإن أفضى بهم**) كذلك (**فيطعمهم**) منه (**بقدر الحاجة**) الضرورية التي يكون بها سد الرمق. (**وبالجملة؛ كل ما يحذر في غيره فهو محذور في نفسه وزيادة، وهو أنه يتناول مع العلم**) بكونه حراماً أو شبهة (**والعيال في أنفسهم ربما يعذرون إذا لم يعلموا**) ذلك (**إذ لم يتولوا الأمر بانفسهم**) فلا تقوم عليهم الحجة بسبب ذلك. (**فليبدأ بالحلال بنفسه ثم بمن يعول**) لما في الخبر «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» (**فإذا تردد في حق نفسه بين ما يخص قوته وكسوته وطعامه وبين**

---

(١) في الأحياء: «لفقره» بدلاً من «لغيره».

وكسوته وبين غيره من المؤن كأجرة الحجام والصباغ والقصار والحمال والإطلاء بالنورة والدهن وعمارة المنزل وتعهد الدابة وتسجير التنور وثمن الحطب ودهن السراج فليخص بالحلال قوته ولباسه، فإن ما يتعلق ببدنه ولا غني به عنه هو أولى بأن يكون طيباً، وإذا دار الأمر بين القوت واللباس فيحتمل أن يقال يخص القوت بالحلال لأنه ممتزج بلحمه ودمه، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به. وأما الكسوة ففائدتها ستر عورته ودفع الحر والبرد والأبصار عن بشرته، وهذا هو الأظهر عندي. وقال الحرث المحاسبي: يقدم اللباس لأنه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه لما روي: «أنه لا يقبل الله صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم فيها درهم حرام». وهذا محتمل. ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام، فمراعاة اللحم والعظم أن ينبته من الحلال أولى، ولذلك تقيأ الصديق رضي الله عنه ما شربه مع الجهل حتى لا ينبت منه لحم يثبت ويبقى.

غيره من المؤن) الخارجة (**كأجرة الحجام**) عند إخراج الدم (**و**) أجرة (**الصباغ والقصار والحمام**[1] **والإطلاء بالنورة والدهن**) أي الطيب للرأس (**وعمارة المنزل**) من بناء وغيره (**وتعهد الدابة**) من علف وغيره (**وتسجير التنور**) بالوقيد (**وثمن الحطب**) لطبخ الطعام (**ودهن السراج**) في كل ليلة (**فليخص بالحلال قوته ولباسه**) خاصة، (**فإن ما يتعلق ببدنه مما لا غنى به عنه هو أولى بأن يكون طيباً**) غير خبيث، (**وإذا دار الأمر بين القوت واللباس**) وأيهما يقدم (**فيحتمل أن يقال**) أنه (**يخص القوت بالحلال لأنه الممتزج بلحمه ودمه، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به**) كما ورد في الخبر وتقدم ذكره. (**وأما الكسوة، ففائدتها ستر عورته ودفع**) كل من (**الحر والبرد والأبصار عن بشرته**) الظاهرة (**وهذا هو الأظهر عندي**) والأقرب للصواب. (**وقال الحرث المحاسبي**) رحمه الله تعالى: (**يقدم اللباس**) على القوت (**لأنه يبقى عليه مدة والطعام لا يبقى عليه**) لأنه يضمحل أو يتلاشى (**لما روي**) في الخبر (**«أنه لا تقبل صلاة من عليه ثوب اشتراه بعشرة دراهم وفيها درهم حرام»**) رواه أحمد من حديث ابن عمر، وقد تقدم. (**وهذا محتمل ولكن أمثال هذا قد ورد فيمن في بطنه حرام ونبت لحمه من حرام**) أنه لا تقبل عبادته وأن النار أولى به، (**فمراعاة اللحم والدم والعظم أن ينبت من الحلال أولى**) من مراعاة اللباس، (**ولذلك تقيأ الصديق رضي الله عنه ما شربه مع الجهل**) بحاله (**حتى لا ينبت منه لحم يثبت ويبقى**) وقد تقدم ذلك قريباً.

---

(١) في الاحياء: «والحمال» بدلاً من «الحمام».

فإن قيل: فإذا كان الكل منصرفاً إلى أغراضه فأي فرق بين نفسه وغيره وبين جهة وجهة وما مدرك هذا الفرق؟ قلنا: عرف ذلك بما روي أن رافع بن خديج رحمه الله مات وخلف ناضحاً وعبداً حجاماً فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فنهى عن كسب الحجام فروجع مرات فمنع منه فقيل: إن له أيتاماً فقال: « اعلفوه الناضح ». فهذا يدل

(فإن قيل: فإذا كان الكل منصرفاً إلى أغراضه فأي فرق بين نفسه وغيره وبين جهة وجهة وما مدرك هذا الفرق)؟ تقدم تحقيق لفظ المدرك وضبطه وما يراد منه قريباً. **(قلنا: قد عرفنا ذلك فيما روي)** في الخبر **(أن رافع بن خديج)** بن رافع بن عدي الحارثي الأوسي الأنصاري رضي الله عنه، أول مشاهده أحد ثم الخندق، روى له الجماعة، **(مات وخلف ناضحاً)** أي بعيراً **(وعبداً حجاماً، فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فمنع من كسب الحجام فروجع مرات فمنع فقيل: إن له يتامى، فقال « اعلفوه الناضح »)** قال العراقي: رواه أحمد والطبراني من رواية عباية بن رفاعة بن رافع بن خديج أن جده حين مات ترك جارية وناضحاً وغلاماً حجاماً الحديث. وليس المراد بجده رافع بن خديج فإنه بقي إلى سنة أربع وسبعين، فيحتمل أن المراد جده الأعلى وهو خديج، ولم أر له ذكراً في الصحابة. وفي رواية للطبراني عن عباية بن رفاعة عن أبيه قال: مات أبي، وفي رواية له عن عباية قال: مات رفاعة على عهد النبي ﷺ وهو مضطرب اهـ.

أما وفاته فقال أبو جعفر الطبري: أنه مات في خلافة عثمان من انتقاض جرح من سهم أصاب ترقوته يوم أحد، وقال يحي بن بكير: مات أول سنة ثلاث، وقيل أول سنة أربع وسبعين. قال الواقدي: وحضر ابن عمر جنازته وكان رافع يوم مات ابن ست وثمانين سنة، وجعل بعضهم قول يحي بن بكير هو الأشبه. وقال الحافظ في الإصابة: وأما البخاري فقال: مات رافع في زمن معاوية وما عداه واهٍ، وأما خديج بن رافع فقد ذكره البغوي ومن تبعه في الصحابة وأوردوا له هذا الحديث وهو وهم، وقد رواه الطبراني من طريق عام بن علي عن شعبة عن يحي بن سليم سمعت عباية بن رفاعة عن جده أنه ترك حين مات جارية وناضحاً وعبداً حجاماً وأرضاً فقال النبي ﷺ في الجارية « نهى عن كسبها »، وقال في الحجام « ما أصاب فاعلفه الناضح » وقال في الأرض « ازرعها أو دعها ». ومن طريق هشيم عن أبي بلج عن عباية أن جده مات فذكره، فظهر بهذه الرواية أن قوله في الرواية الأولى عن جده أي عن قضية جده ولم يقصد الرواية عنه. وجد عباية الحقيقي هو رافع بن خديج ولم يمت في عهد النبي ﷺ، بل عاش بعده دهراً فكأنه أراد بقوله إن جده الأعلى وهو خديج ووقع في مسند مسدد عن أبي عوانة عن أبي بلج عن عباية بن رفاعة قال: مات رفاعة في عهد النبي ﷺ وترك عبداً الحديث، فهذا اختلاف آخر على عباية. ورواه الطبراني من طريق حصين بن نمير عن أبي بلج فقال عن عباية بن رفاعة عن أبيه قال:

على الفرق بين ما يأكله هو أو دابته، فإذا انفتح سبيل الفرق فقس عليه التفصيل الذي ذكرناه.

مسألة: الحرام الذي في يده لو تصدق به على الفقراء فله أن يوسع عليهم، وإذا أنفق على نفسه فليضيق ما قدر وما أنفق على عياله فليقتصد، وليكن وسطاً بين التوسيع والتضييق فيكون الأمر على ثلاث مراتب. فإن أنفق على ضيف قدم عليه وهو فقير فليوسع عليه، وإن كان غنياً فلا يطعمه إلا إذا كان في برية أو قدم ليلاً ولم يجد شيئاً، فإنه في ذلك الوقت فقير، وإن كان الفقير الذي حضر ضيفاً تقياً لو علم ذلك لتورع عنه. فليعرض الطعام ويخبره جمعاً بين حق الضيافة وترك الخداع فلا ينبغي أن يكرم أخاه بما يكره، ولا ينبغي أن يعوّل على أنه لا يدري فلا يضره، فإن الحرام إذا حصل

مات أبي وترك أرضاً فهذا اختلاف رابع، ووالد رفاعة هو رافع بن خديج ولم يمت في عهد النبي ﷺ كما تقدم، فلعله أراد بقوله أبي جده المذكور، فإن الجواب وقع في الأطراف لابن عساكر في مسند خديج بن رافع والد رافع على ما قيل حديث نهي عن كراء الأرض وهو وهم أيضاً. ولذا قال الحافظ في الإصابة: وذكر لخديج هذا على الاحتمال، والله اعلم.

(**فهذا**) هو الذي (**يدل على الفرق بين ما يأكله هو أو دابته**) وبين جهة وجهة، (**وإذا انفتح باب الفرق فقس عليه التفصيل الذي ذكرناه**) آنفاً.

مسألة:

(**لو تصدق بالحرام الذي في يده على الفقراء فله أن يوسع عليهم**) أي يعطيهم كثيراً، (**وإذا انفق على نفسه**) خاصة (**فليضيق ما قدر**) عليه (**وإذا أنفق على عياله**) ومن يمونهم (**فليقتصد، وليكن وسطاً بين التوسع والتضيق**) وهو الاقتصاد (**فيكون الأمر على ثلاث مراتب**) التوسع والتضيق والاقتصاد، (**وإذا أنفق على ضيف قدم عليه وهو فقير**) الحال (**فليوسع عليه**) في ضيافته، (**وإن كان غنياً فلا يطعمه**) لعدم استحقاقه (**إلا إذا كان في برية**) فإن الغالب أن في مثل هذه المواضع لا يجد ما يأكله (**أو قدم ليلاً**) من موضع بعيد (**ولم يجد شيئاً فإنه في ذلك الوقت فقير**) فشمله حكم الفقراء، (**وإن كان الفقير الذي حضر ديناً**[1] **تقياً**) ورعاً (**ولو علم ذلك لتورع عنه**) أي كف عن تناوله استبراء لدينه. (**فليعرض الطعام عليه وليخبره**) عن أصله (**جمعاً بين حق الضيافة وترك الخداع**) لأن كلاهما واجبان، (**فلا ينبغي أن يكرم أخاه بما يكره ولا ينبغي أن يعوّل**) أي يعتمد (**على أنه لا يدري**) أي مجهول عنده (**فلا يضره، لأن الحرام إذا حصل في المعدة**) واستقر بها (**أثر في**

---

(١) في الأحياء: «ضيفاً» بدلاً من «ديناً».

في المعدة أثر في قساوة القلب وإن لم يعرفه صاحبه، ولذلك تقيأ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وكانا قد شربا على جهل، وهذا وإن أفتينا بأنه حلال للفقراء أحللناه بحكم الحاجة إليه، فهو كالخنزير والخمر إذا أحللناهما بالضرورة فلا يلتحق بالطيبات.

مسألة: إذا كان الحرام أو الشبهة في يد أبويه فليمتنع عن مؤاكلتهما فإن كانا يسخطان فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى، فإن كان شبهة وكان امتناعه للورع فهذا قد عارضه أن الورع طلب رضاهما بل هو واجب، فليتلطف في الامتناع، فإن لم يقدر فليوافق وليقلل الأكل بأن يصغر اللقمة ويطيل المضغ ولا يتوسع، فإن ذلك عدوان والأخ والأخت قريبان من ذلك، لأن حقهما أيضاً مؤكد، وكذلك إذا ألبسته أمه ثوباً من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل وليلبس بين يديها ولينزع في غيبتها وليجتهد أن لا يصلي فيه إلا عند حضورها فيصلي فيه صلاة المضطر، وعند تعارض أسباب الورع ينبغي أن يتفقد هذه الدقائق.

قساوة القلب وإن لم يعرف به آكله) صرح بذلك غير واحد من العارفين، **(ولذلك تقيأ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما)** ما شرباه من اللبن **(وكانا قد شربا على جهل)** أي عدم علم بأصله فلما أعلما بذلك استفرغاه، **(وهذا وإن افتينا)** بموجب الظاهر **(بأنه حلال للفقير أحللناه بحكم الحاجة)** الضرورية **(فهو كالخنزير والخمر)** وأشباههما في الحرمة والنجاسة **(إذ حللناهما بالضرورة فلا يلحق بالطيبات)**، وكان أحمد بن حنبل لا يرى التداوي بالخمر وإن دعته ضرورة كما نقله عنه صاحب القوت.

مسألة:

(إذا كان الحرام أو الشبهة في يد أبويه فليمتنع من مؤاكلتهما) مهما أمكن **(فإن كانا يسخطان ذلك فلا يوافقهما على الحرام المحض بل ينهاهما فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)** وقد روي هكذا من حديث عمران بن الحصين رواه أحمد والحاكم، ومن حديث عمر والغفاري رواه الحكيم الترمذي، **(وإن كان شبهة وكان امتناعه بالورع فهذا قد عارضه الورع وطلب رضاهما بل هو الواجب فليتلطف في الامتناع)** مع القدرة، **(فإن لم يقدر فليوافق)** طلب رضاهما **(وليقلل الأكل بأن يصغر اللقمة ويطيل المضغ)** لها **(ولا يتوسع)** في الأكل **(فإن ذلك غـرور والأخ والأخت قريب من ذلك لأن حقهما أيضاً مؤكد)** ثابت، **(وكذلك إذا ألبسته أمه ثوباً من شبهة وكانت تسخط برده فليقبل وليلبسه بين يديها)** إرضاء لها **(ولينزع في غيبتها وليجتهد أن لا يصلي فيه إلا عند حضورها فيصلي فيه صلاة المضطر وعند تعارض أسباب الورع ينبغي أن يتفقد هذه الدقائق)** ويعمل بها في

وقد حكي عن بشر رحمه الله أنه سلمت إليه أمه رطبة وقالت: بحقي عليك أن تأكلها وكان يكرهه، فأكل ثم صعد غرفة فصعدت أمه وراءه فرأته يتقيأ. وإنما فعل ذلك لأنه أراد أن يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة. وقد قيل لأحمد بن حنبل: سئل بشر هل للوالدين طاعة في الشبهة؟ فقال: لا. فقال أحمد: هذا شديد. فقيل له: سئل محمد بن مقاتل العباداني عنها. فقال: بر والديك، فماذا تقول؟ فقال للسائل: أحب أن تعفيني فقد سمعت ما قالا. ثم قال: ما أحسن أن تداريهما

مواضعها.

(**وقد حكي عن بشر**) الحافي رحمه الله تعالى (**أنه سلمت له أمه رطبة وقالت**) له: (**بحقي عليك الا أكلتها**) وفي نسخة: أن تأكلها (**وكان يكره ذلك، فأكل ثم صعد غرفة فصعدت أمه وراءه فرأته يتقيأ**) ولفظ القوت: وحدثنا عن أحمد بن محمد بن الحجاج قال، قلت لأبي عبد الله: أخبرت أن بشر بن الحرث أرسل أخاه بتمر من الإبلة فأبقت أمه تمرة من التمر الذي كانت تفرقه يعني على أهل بيته فلما دخل بشر قالت له أمه: بحقي عليك لما أكلت هذه التمرة فأكلها كلها وصعد إلى فوق وصعدت خلفه فإذا هو يتقيأ وكان آخره على شيء، فقال أبو عبد الله: وقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه نحو هذا اهـ.

(**وإنما فعل ذلك لأنه**) **أراد أن يجمع بين رضاها وبين صيانة المعدة**) عن الشبهة. (**وقد قيل لأحمد بن حنبل**) رحمه الله تعالى: (**سئل بشر**) الحافي رحمه الله تعالى (**هل للوالدين طاعة في الشبهة؟ فقال: لا. فقال أحمد: هذا شديد. قيل له سئل محمد بن مقاتل العباداني**) ، أبو جعفر صدوق عابد مات سنة ست وثلاثين ومائتين، روى له أبو داود في كتاب المسائل عن ذلك فقال: بر والديك فماذا تقول أنت؟ (**فقال للسائل: أحب أن تعفيني فقد سمعت ما قالا. ثم قال: ما أحسن أن يداريهما**) . ولفظ القوت: قال أبو بكر المروزي، قلت لأبي عبد الله: إن عيسى بن عبد الفتاح قال: سألت بشر بن الحرث هل للوالدين طاعة في الشبهة؟ قال: لا. قال أبو عبد الله: هذا شديد، قلت لابي عبد الله: فللوالدين طاعة في الشبهة قال: فقال أبو عبد الله: هذا يضر محمد بن مقاتل قد رأيت ما قال، وهذا بشر بن الحرث قد قال ما قال، ثم قال أبو عبد الله: ما أحسن أن يداريهم، قال أبو عبد الله: الإثم حزاز القلوب. قال المروزي: ادخلت على أبي عبد الله رجلاً فقال: إن لي أخوة وكسبهم من الشبهة، وربما طبخت أمنا وتسألنا أن نجتمع ونأكل فقال له: هذا موضع بشر لو كان لك كان موضعاً أسأل الله أن لا يمقتنا، ولكن تأتي أبا الحسن عبد الوهاب فتسأله فقال له الرجل: فتخبرني بما في العلم قال: قد روي عن الحسن إذا استأذن والدته في الجهاد فأذنت له وعلم أن هواها في المقام فليقم.

مسألة: من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا يلزمه كفارة مالية لأنه مفلس ولا تجب عليه الزكاة إذ معنى الزكاة وجوب إخراج ربع العشر مثلاً، وهذا يجب عليه إخراج الكل إما رداً على المالك إن عرفه أو صرفاً إلى الفقراء إن لم يعرف المالك، وأما إذا كان مال شبهة يحتمل أنه حلال فإذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لأن كونه حلالاً ممكن ولا يسقط الحج إلا بالفقر ولم يتحقق فقره، وقد قال الله تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧] وإذا وجب عليه التصدق بما يزيد على حاجته حيث يغلب على ظنه تحريمه فالزكاة أولى بالوجوب، وإن لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والاعتاق ليتخلص بيقين، وقد قال قوم: يلزمه الصوم دون الإطعام إذ ليس له يسار معلوم. وقال المحاسبي: يكفيه الإطعام والذي نختاره أن كل شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها وألزمناه إخراجها من يده لكون احتمال الحرام أغلب على ما ذكرناه، فعليه الجمع بين الصوم والإطعام. أما الصوم فلأنه مفلس حكماً، وأما الإطعام فلأنه قد وجب عليه التصدق بالجميع، ويحتمل أن يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة.

مسألة:

(**من في يده مال حرام محض فلا حج عليه ولا تلزمه كفارة مالية لأنه مفلس**) لا شيء له فإذا حج به فهل يسقط عنه فرض الحج ظاهراً؟ قيل: نعم، لكنه بمعزل عن القبول (**ولا تجب عليه الزكاة إذ معنى الزكاة ربع العشر**)أي إخراجه، (**وهذا يجب إخراج الكل إما رداً على المالك إن عرفه**) بعينه (**أو صرفه إلى الفقراء إن لم يعرف المالك، وأما إذا كان مال شبهة يحتمل أنه حلال. فإذا لم يخرجه من يده لزمه الحج لأن كونه حلالاً ممكن ولا يسقط الحج إلا بالفقر**) المانع من الاستطاعة (**ولم يتحقق فقره، و**) قد (**قال الله**) تعالى ﴿**ولله على الناس حج البيت**﴾ الآية. (**فإذا وجب عليه التصدق بما يزيد علة حاجته حيث يغلب على الظن تحريمه فالزكاة أولى بالوجوب، وإن لزمته كفارة فليجمع بين الصوم والعتق ليتخلص**) مما عليه (**بيقين، وقد قال قوم: يلزمه الصوم**) فقط (**دون الإطعام إذ ليس له يسار**) أي غنى (**معلوم. وقال المحاسبي**) رحمه الله تعالى: (**يكفيه الإطعام والذي نختاره أن كل شبهة حكمنا بوجوب اجتنابها وألزمنا اخراجها من يده لكون احتمال الحرام أغلب على ما ذكرناه**) آنفاً، (**فعليه الجمع بين الصدقة والإطعام**) كذا في النسخ، ولعله بين الصوم والإطعام كما يدل له السياق. (**أما الصوم، فلأنه مفلس حكماً**) أي هو في حكم المفلس وإن كان في الظاهر في يده مال، (**وأما الإطعام، فإنه قد وجب عليه التصدق بالجميع**) والخروج عنه. (**ويحتمل أن يكون له فيكون اللزوم من جهة الكفارة**).

مسألة: من في يده مال حرام أمسكه للحاجة فأراد أن يتطوّع بالحج، فإن كان ماشياً فلا بأس به لأنه سيأكل هذا المال في غير عبادة فأكله في عبادة أولى، وإن كان لا يقدر على أن يمشي ويحتاج إلى زيادة للمركوب فلا يجوز الأخذ بمثل هذه الحاجة في الطريق كما لا يجوز شراء المركوب في البلد، وإن كان يتوقع القدرة على حلال لو أقام بحيث يستغني به عن بقية الحرام فالإقامة في انتظاره أولى من الحج ماشياً بالمال الحرام.

مسألة: من خرج لحج واجب بمال فيه شبهة فليجتهد أن يكون قوته من الطيب، فإن لم يقدر فمن وقت الإحرام إلى التحلل، فإن لم يقدر فليجتهد يوم عرفة أن لا يكون قيامه بين يدي الله ودعاؤه في وقت مطعمه حرام وملبسه حرام، فليجتهد أن لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام، فإنا وإن جوّزنا هذا بالحاجة فهو نوع ضرورة، وما ألحقناه بالطيبات، فإن لم يقدر فليلازم قلبه الخوف والغم لما هو مضطر إليه من تناول ما ليس بطيب فعساه ينظر إليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته.

مسألة:

(**من في يده مال حرام**) وقد (**أمسكه للحاجة فأراد أن يتطوّع بالحج**) كيف يفعل؟ الجواب: (**إن كان ماشياً لا بأس لأنه سيأكل هذا المال في غير عبادة فأكله في عبادة أولى، وإن كان لا يقدر على أن يمشي**) لضعف القوّة (**ويحتاج إلى زيادة للمركوب فلا يجوز الأخذ بمثل هذه الحاجة في الطريق كما لا يجوز شراء المركوب**) منه (**في البلد إذا كان ضعيفاً عن التصرف في مال ربه ومهمات عياله، وإن كان يتوقع القدرة على الحلال لو أقام**) في البلد (**بحيث يستغني به عن بقية الحرام فالإقامة في انتظاره أولى من الحج ماشياً بالمال الحرام**).

مسألة:

(من خرج لحج واجب بمال فيه شبهة فليجتهد أن يكون قوته) مما يصرفه لنفسه (**من الطيب**) الحلال، (**وإن لم يقدر**) على ذلك (**فمن وقت الإحرام إلى**) وقت (**التحلل**) الثاني، (**وإن لم يقدر**) على ذلك (**فليجتهد يوم عرفة أن لا يكون قيامه بين يدي الله تعالى ودعاؤه في وقت مطعمه فيه حرام وملبسه حرام، فليجتهد أن لا يكون في بطنه حرام ولا على ظهره حرام، فإنا وإن جوّزنا هذا للحاجة فهو نوع ضرورة، وما ألحقناه بالطيبات**) وإنما جوّزناه للضرورات (**فإن لم يقدر**) على ذلك (**فليلازم قلبه الخوف**) والخشية (**والغم لما هو مضطر إليه من تناول ما ليس بطيب**) حلال (**فعساه تعالى ينظر إليه بعين الرحمة ويتجاوز عنه بسبب حزنه وخوفه وكراهته**) وغمه وليس وراء هذا مقام ينتهي إليه.

مسألة: سئل أحمد بن حنبل رحمه الله فقال له قائل: مات أبي وترك مالاً وكان يعامل من تكره معاملته، فقال: تدع من ماله بقدر ما ربح، فقال: له دَيْن وعليه دين، فقال: تقضي وتقتضي، فقال: أفترى ذلك؟ فقال: أفتدعه محتبساً بدينه؟ وما ذكره صحيح وهو يدل على أنه رأى التحري بإخراج مقدار الحرام إذ قال: يخرج قدر الربح وأنه رأى أن أعيان أمواله ملك له بدلاً عما بذله في المعاوضات الفاسدة بطريق التقاص والتقابل مهما كثر التصرف وعسر الرد، وعوّل في قضاء دينه على أنه يقين فلا يترك بسبب الشبهة.

مسألة:

(سئل أحمد)بن حنبل رحمه الله تعالى**(فقال له قائل: مات أبي وترك مالاً وكان يعامل من تكره معاملته)** بأن كان يرابي أو يخالطه من يرابي أو الظلمة **(فقال له: تدع)** أي تترك **(من ماله بقدر ما ربح، فقال: له دين وعليه دين، فقال: تقضي وتقتضي قال: افترى ذلك؟ قال: أفتدعه محتبساً بدينه)**؟ نقله صاحب القوت فقال: حدثنا عن أحمد بن محمد بن الحجاج قال: سمعت أبا عبد الله وسأله رجل فقال: إن أبي كان يبيع من جميع الناس وذكر من تكره معاملته. فقال: يدع من ذلك بقدر ما ربح، فقال له: فإن له ديناً وعليه دين. فقال: يقتضي ويقضي عنه. قلت: وترى له بذلك؛ فتدعه محتبساً بدينة اهـ.

(وما ذكره صحيح، وهذا يدل على أنه رأى التحري بإخراج مقدار الحرام إذ قال يخرج قدر الربح) سواء كان قليلاً أو كثيراً **(وأنه رأى أن عين أمواله ملك له بدلاً له عما بذله في المعاوضات)** الفاسدة والعقود الباطلة **(بطريق التقاص والتقابل مهما كثر التصرف وعسر الرد، وعول في قضاء دينه أيضاً على أنه يقين)** لا شك فيه **(فلا يترك بسبب الشبهة)**.

الباب الخامس
في إدرارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منها وما يحرم

اعلم ان من أخذ مالاً من سلطان فلا بد له من النظر في ثلاثة أمور : في مدخل ذلك إلى يد السلطان من أين هو ؟ وفي صفته التي بها يستحق الأخذ . وفي المقدار الذي يأخذه هل يستحقه إذا أضيف إلى حاله وحال شركائه في الاستحقاق ؟

النظر الأوّل في جهات الدخل للسلطان:

وكل ما يحل للسلطان سوى الإحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان:

مأخوذ من الكفار وهو الغنيمة المأخوذة بالقهر والفيء ، وهو الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال ، والجزية وأموال المصالحة وهي التي تؤخذ بالشروط والمعاقدة.

الباب الخامس
في إدارات السلاطين وصلاتهم وما يحل منهم وما يحرم

(اعلم أن من أخذ مالاً من سلطان فلا بدّ له من النظر في ثلاثة أمور). الأول: **(في مدخل ذلك المال إلى يد السلطان من أين هو ، و)** الثاني: **(في صفته التي يستحق بها الاخذ ، و)** الثالث: **(في المقدار الذي يأخذه هل يستحقه إذا أضيف إلى حاله وحال شركائه في الاستحقاق ؟**

النظر الأول: في جهات المدخل للسلطان:

(وكلّ ما يحل للسلطان سوى الإحياء وما يشترك فيه الرعية فقسمان:)

قسم **(مأخوذ من الكفار)** بمحاربتهم **(وهو الغنيمة المأخوذة بالقهر)** والغلبة **(والفيء ، وهو الذي حصل من مالهم في يده من غير قتال)** قال أبو عبيد : الغنيمة ما نيل من أهل الشرك عنوة والحرب قائمة ، والفيء ما نيل منهم بعد أن تضع الحرب أوزارها . وفي المصباح : الفيء الخراج والغنيمة سمي فيئاً تسمية بالمصدر لأنه فاء من قوم إلى قوم وهو بالهمزة ولا يجوز الإدغام ، **(والجزية)** وهي بالكسر ما يؤخذ من أهل الذمة ، **(وأموال المصالحة وهي التي تؤخذ بالشرط**

والقسم الثاني: المأخوذ من المسلمين فلا يحل منه إلا قسمان: المواريث وسائر الأموال الضائعة التي لا يتعين لها مالك والأوقاف التي لا متولي لها. أما الصدقات فليست توجد في هذا الزمان. وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين والمصادرات وأنواع الرشوة كلها حرام؟

فإذا كتب لفقيه أو غيره إدراراً أو صلة أو خلعة على جهة فلا يخلو من أحوال ثمانية: فإنه إما أن يكتب له ذلك على الجزية، أو على المواريث، أو على الأوقاف، أو على ملك أحياه السلطان، أو على ملك اشتراه، أو على عامل خراج المسلمين، أو على بياع من جملة التجار، أو على الخزانة.

فالأول: هو الجزية، وأربعة أخماسها للمصالح وخمسها لجهات معينة. فما يكتب على الخمس من تلك الجهات أو على الأخماس الأربعة لما فيه مصلحة وروعي فيه الاحتياط في

والمعاقدة) وذلك أن يأتي السلطان قوماً فيحاصرهم فيطلبون الصلح فيعقد معهم على مال مخصوص ويشترط عليهم شروطاً.

(والقسم الثاني: المأخوذ من المسلمين ولا يحل منه إلا قسمان) أحدهما: مال **(المواريث)** وهي التركات التي لا وارث لها **(و)** يلحق بها **(سائر الأموال الضائعة التي لا يتعين لها مالك)** وكذا ديات مقتول لا ولي له، **(و)** الثاني **(الأوقاف التي لا متولي لها . أما الصدقات)** التي كانت تؤخذ في أول الإسلام **(فليست توجد في زماننا هذا)** فلا كلام فيها، **(وما عدا ذلك من الخراج المضروب على المسلمين)** شبه الجزية **(والمصادرات)** ما تؤخذ منهم بقوّة الصدر **(وأنواع الرشوة)** كما سيأتي بيانها **(كلها حرام، فإذا كتب لفقيه أو غيره إدرار أو صلة أو جُعلة)** وفي نسخة: خلعة **(على جهة فلا يخلو من أحوال ثمانية: فإنه إما أن يكتب على الجزية، أو على المواريث، أو على الأوقاف، أو على موات أحياه السلطان، أو على ملك اشتراه، أو على عامل خراج المسلمين، أو على بياع من جملة التجار، أو على الخزانة)** الشريفة.

(فالأول: هو الجزية) المضروبة على أهل كتاب كاليهود والنصارى أو شبه كتاب كالمجوس، ومن لا كتاب له ولا شبه كتاب كعبدة الأوثان من العرب والعجم ففيه اختلاف بين الائمة ليس هذا محل ذكره. **(وأربعة أخماسها للمصالح)** كسد الثغور وبناء القناطر والجسور وكفاية القضاة والعلماء والمقاتلة ووزرائهم، لأنه مأخوذ بقوّة المسلمين فيصرف إلى مصالحهم، وهؤلاء عملة المسلمين قد حبسوا أنفسهم لمصالح المسلمين فكان الصرف إليهم تقوية للمسلمين، **(وخمسها لجهات معينة)** ذكرت في كتاب الزكاة **(مما يكتب على الخمس من تلك الجهات أو على الأخماس الأربعة لما فيه مصلحة)** للمسلمين، **(وروعي فيه الاحتياط في القدر فهو**

القدر فهو حلال بشرط أن لا تكون الجزية إلا مضروبة على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار أو على أربعة دنانير، فإنه أيضاً في محل الاجتهاد وللسلطان أن يفعل ما هو في محل الاجتهاد، وبشرط أن يكون الذمي الذي تؤخذ الجزية منه مكتسباً من وجه لا يعلم

حلال) وقال أبو حنيفة: لا خمس في ذلك لأنه ﷺ لم يخمس الجزية ولانه مال أخذ بقوة المسلمين بلا قتال بخلاف الغنيمة لأنها مأخوذة بالقهر والقتال، فشرع الخمس فيها لا يدل على شرعه في الآخر **(بشرط أن لا تكون الجزية مضروبة إلا على وجه شرعي ليس فيها زيادة على دينار أو على أربعة دنانير فإنه أيضاً في محل الاجتهاد، وللسلطان أن يفعل ما هو في محل الاجتهاد)**.

اعلم ان الجزية إذا وضعت بتراض لا يعدل عنها لانها تتقرر بحسب ما يقع عليه الاتفاق، وإذا لم توضع بالتراضي بل بالقهر بأن غلب الإمام على الكفار وأقرهم على أملاكهم فاختلف في تقديرها. فقال أبو حنيفة وأحمد في أظهر روايتيه: هي مقدرة الأقل والأكثر فعلى الفقير المعتمل كل سنة إثنا عشر درهماً، وعلى المتوسط أربعة وعشرون درهماً، وعلى الغني ثمانية وأربعون درهماً. وقال مالك في المشهور عنه: يقدر على الغني والفقير جميعاً أربعة دنانير وأربعون درهماً لا فرق بينهما. وقال الشافعي: الواجب دينار يستوي فيه الغني والفقير والمتوسط. وعن أحمد رواية ثانية: أنها موكولة إلى رأي الإمام وليست بمقدرة، وعنه رواية ثالثة يتقدر الأقل منها دون الأكثر، وعنه رواية رابعة أنها في أهل اليمن خاصة مقدرة بدينار دون غيرهم اتباعاً للخبر الوارد فيهم، وما نقل عن أبي حنيفة نقل عن عمر وعثمان وعلي والصحابة متوافرون، ولم ينكر عليهم أحد منهم فصار إجماعاً. ودليل الشافعي ما رواه في مسنده عن عمر بن عبد العزيز أن النبي ﷺ كتب إلى أهل اليمن أن على كل إنسان منكم ديناراً كل سنة أو قيمته من المعافر. والجواب عنه: أنه كان ذلك بالصلح لأن الإمام له أن يضع قهراً إلا على الرجال، وكذا يقال فيما عن النبي ﷺ أنه قال لمعاذ «خذ من كل حالم وحالمة ديناراً» ثم إن الغني هو صاحب المال الذي لا يحتاج إلى العمل ولا يمكن أن يقدر بشيء من المال بتقدير، فإن ذلك يختلف باختلاف البلدان والأعصار والمتوسط من له مال لكنه لا يستغني بماله عن الكسب، والفقير المعتمل هو الذي يكسب أكثر من حاجته، واختلفوا في الفقير من أهل الجزية إذا لم يكن معتملاً ولا شيء له. فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: لا يؤخذ منهم شيء، وعن الشافعي في عقد الجزية على من لا كسب له ولا يتمكن من الأداء قولان. أحدهما: يخرج من بلاد الإسلام، والثاني أنه يقر ولا يخرج، فعلى هذا القول الثاني ما يكون حكمه فيه عنه ثلاثة أقوال. أحدها: كقول الجماعة، والثاني أنها تجب عليه وتحقن دمه بضمانها ويطالب بها عند اليسار، والثالث: إذا جاء آخر الحول ولم يبذلها لحق بدار الحرب.

(وبشرط أن يكون الذمي الذي يؤخذ منه مكتسباً من وجه لا يعلم تحريمه فلا يكون

تحريمه فلا يكون عامل سلطان ظالم ولا بياع خمر ولا صبياً ولا امرأة إذ لا جزية عليها. فهذه أمور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من تصرف إليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك.

الثاني: المواريث والأموال الضائعة. فهي للمصالح والنظر في أن الذي خلفه هل كان ماله كله حراماً أو أكثره أو أقله وقد سبق حكمه، فإن لم يكن حراماً بقي النظر في صفة من يصرف إليه بأن يكون في الصرف إليه مصلحة ثم في المقدار المصروف.

الثالث: الأوقاف وكذا يجري النظر فيها كما يجري في الميراث مع زيادة أمر وهو شرط الواقف حتى يكون المأخوذ موافقاً له في جميع شرائطه.

الرابع: ما أحياه السلطان، وهذا لا يعتبر فيه شرط إذ له أن يعطي من ملكه ما شاء

عامل سلطان ظالم ولا بياع خمر) إذ حرمة ما لها محققة **(ولا)** يكون **(صبياً ولا امرأة إذ لا جزية عليها)**. إلا ان بلغ الصبي ولا عبداً ولا مكاتباً مجنوناً حتى يفيق ولا ضريراً ولا زمناً ولا شيخاً فانياً ولا راهباً لا يخالط، فهؤلاء كلهم لا جزية عليهم بالاتفاق إلا أنهم اختلفوا في نساء بني تغلب وصبيانهم خاصة هل يؤخذ منهم ما يؤخذ من رجالهم أم لا؟ ولو أدرك الصبي أو افاق المجنون أو عتق العبد أو برىء المريض قبل وضع الإمام الجزية وضع عليهم، وبعد وضع الجزية لا توضع عليهم لأن المعتبر أهليتهم وقت الوضع إذ الإمام يخرج في تعرف حالهم فيضع على من هو أهل في ذلك الوقت وإلاَّ فلا بخلاف الفقير إذا أيسر بعد الوضع حيث يوضع عليه لأنه أهل للجزية، وإنما سقط عنه لعجزه وقد زال كذا في الاختيار على المختار لأصحابنا. **(فهذه أمور تراعى في كيفية ضرب الجزية ومقدارها وصفة من يصرف إليه ومقدار ما يصرف فيجب النظر في جميع ذلك)** مع معرفة اختلاف الفقهاء فيه.

(الثاني: المواريث) وهي التركات **(والأموال الضائعة)** التي لا ملاك لها وديات مقتول لا ولي له، **(فهي للمصالح)** التي تقدم ذكرها. **(والنظر في أن الذي خلفه)** أي تركه **(هل كان ماله كله حراماً أو أكثره أو أقله، وقد سبق حكمه فإن لم يكن حراماً فيبقى النظر في حق من يصرف إليه بأن يكون في الصرف إليه مصلحة)** للمسلمين ولولاه لتعطلت، **(ثم في القدر المصروف)** إليه.

(الثالث: الأوقاف) التي لا متولي لها **(وكذا يجري النظر فيها كما يجري في الميراث)** سواء بسواء **(مع زيادة أمر وهو شرط الواقف)** أي مراعاته فإنه أمر أكيد **(حتى يكون المأخوذ)** منها **(موافقاً له في جميع شرائطه)** المقررة فيها.

(الرابع: ما أحياه السلطان) من الموات **(وهذا لا يعتبر فيه شرط إذ له أن يعطي من**

لمن شاء أي قدر شاء، وإنما النظر في أن الغالب أنه أحياه بإكراه الأجراء أو بأداء أجرتهم من حرام، فإن الاحياء يحصل بحفر القناة والأنهار وبناء الجدران وتسوية الأرض ولا يتولاه السلطان بنفسه، فإن كانوا مكرهين على الفعل لم يملكه السلطان وهو حرام، وإن كانوا مستأجرين ثم قضيت أجورهم من الحرام فهذا يورث شبهة قد نبهنا عليها في تعلق الكراهة بالأعواض.

الخامس: ما اشتراه السلطان في الذمة من أرض أو ثياب خلعة أو فرس أو غيره فهو ملكه وله أن يتصرف فيه ولكنه سيقضي ثمنه من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة أخرى. وقد سبق تفصيله.

السادس: أن يكتب على عامل خراج المسلمين أو من يجمع أموال القسمة والمصادرة وهو الحرام السحت الذي لا شبهة فيه، وهو أكثر الإدرارات في هذا الزمان إلا ما على أراضي العراق فإنها وقف عند الشافعي رحمه الله على مصالح المسلمين.

ملكه ما شاء لمن شاء أي قدر شاء) لا حرج عليه في ذلك، **(وإنما النظر أن الغالب أنه أحياه بإكراه الأجراء)** المستخدمين وإجبارهم عليه **(أو بأداء أجرتهم)** لكن **(من حرام، فإن الاحياء)** إنما **(يحصل بحفر القناة)** وهي الجدول الصغير **(والأنهار وبناء الجدران وتسوية الأرض)** بالجراريف وغيرها، **(ولا يتولاه السلطان وهو حرام وإن كانوا مستأجرين)** أي أخذمهم بالأجرة **(ثم قضيت أجورهم من الحرام، فهذا يورث شبهة قد نبهنا عليها)** أنفاً **(في تعلق الكراهة بالأعواض)** والأبدال.

(الخامس: ما اشتراه السلطان في الذمة) سواء كان **(من أرض أو ثياب خلعة أو فرش أو غيره)** من الأثاث والأمتعة والخيول وغيرها **(فهو ملكه وله أن يتصرف فيه)** تصرف الملاك، **(ولكنه سيقضي ثمنه)** فيما بعد **(من حرام وذلك يوجب التحريم تارة والشبهة أخرى وقد سبق تفصيله)**. فموجب التحريم كونه اشترى من مال حرام وموجب الشبهة أنه اشتراه في الذمة ثم أدى ثمنه من حرام.

(السادس: أن يكتب على عامل خراج المسلمين) على الأراضي الخراجية **(أو)** على **(من يجمع أموال الغنيمة)** وفي نسخة: القسمة **(والمصادرة)** وما يجري مجراها، **(وهو الحرام السحت الذي لا شبهة فيه وهو أكثر الإدرارات)** السلطانية **(في هذا الزمان)** وهو آخر القرن الخامس **(إلا ما على أراضي العراق فإنها)** ليست بمملوكة لأهلها بل هي **(وقف عند)** الإمام **(الشافعي)** رضي الله عنه **(على مصالح المسلمين)** وأهلها مستأجرون لها، لأن عمر رضي

السابع: ما يكتب على بياع يعامل السلطان فإن كان لا يعامل غيره فما له كمال خزانة السلطان، وإن كان يعامل غير السلاطين أكثر فما يعطيه قرض على السلطان وسيأخذ بدله من الخزانة فالخلل يتطرق إلى العوض وقد سبق حكم الثمن الحرام.

الثامن: ما يكتب على الخزانة أو على عامل يجتمع عنده من الحلال والحرام، فإن لم يعرف للسلطان دخل إلا من الحرام فهو سحت محض، وإن عرف يقيناً أن الخزانة تشتمل على مال حلال ومال حرام واحتمل أن يكون ما يسلم إليه بعينه من الحلال احتمالاً

الله عنه استطاب قلوب الغانمين فأجرها، وقال أبو حنيفة: أرض السواد وما فتح عنوة وأقر أهلها عليها أو فتح صلحاً خراجية لأن عمر رضي الله عنه لما فتح السواد وضع عليهم الخراج بمحضر من الصحابة ووضع على مصر حين فتحها عمرو بن العاص، وأجمعت الصحابة على وضع الخراج على الشام فأرض السواد مملوكة لأهلها وعليها الخراج.

قال أبو بكر الجصاص: وما ذكره الشافعي غلط لوجوه. **أحدها**: أن عمر لم يستطب قلوب الغانمين فيه بل ناظرهم عليه وشاور الصحابة على وضع الخراج، وامتنع بلال وأصحابه فدعا عليهم وأين الاسترضاء. **ثانيها**: أن اهل الذمة لم يحضروا الغانمين على تلك الأراضي، فلو كان اجارة لاشترط حضورهم. **ثالثها**: أنه لم يوجد في ذلك رضا أهل الذمة، ولو كانت إجارة لاشترط رضاهم. **ورابعها**: إن عقد الإجارة لم يصدر بينهم وبين عمر، ولو كانت إجارة لوجب العقد. **وخامسها**: أن جهالة الأراضي تمنع صحة الإجارة. **وسادسها**: جهالة المدة تمنع من صحتها أيضاً. **وسابعها**: ان الخراج مؤبد وتأبيد الإجارة باطل. **وثامنها**: ان الاجارة لاتسقط بالإسلام والخراج يسقط عنده. **وتاسعها**: أن عمر أخذ الخراج من النخل ونحوه ولا تجوز إجارتها. **وعاشرها**: أن جماعة من الصحابة اشتروها فكيف يبيعون الأرض المستأجرة وكيف يجوز لهم شراؤها».

(السابع: ما يكتب على بياع يعامل السلطان فإن كان لا يعامل غيره فماله كمال خزانة السلطان، فإن كان معاملته مع غير السلطان أكثر فما يعطيه فهو فرض على السلطان وسيأخذ بدله من الحرام) [1] عند قضاء الثمن **(فالخلل يتطرق إلى العوض)** الذي يأخذه منه **(وقد سبق حكم الثمن الحرام)** قريباً.

(الثامن: ما يكتب على الخزانة) وهو المال الذي يجتمع فيخزن باسم السلطان **(أو على عامل)** من عماله على البلاد **(فيجتمع عنده من الحلال والحرام، فإن لم يعرف للسلطان دخل إلا من)** حيث **(الحرام فهو سحت محض، وإن علم أن الخزانة تشتمل على مال حلال ومال**

---

(١) في الإحياء: «الخزانة» بدلاً من «الحرام».

قريباً له وقع في النفس واحتمل أن يكون من الحرام وهو الأغلب لأن أغلب أموال السلاطين حرام في هذه الأعصار، والحلال في أيديهم معدوم أو عزيز، فقد اختلف الناس في هذا فقال قوم: كل ما لا أتيقن أنه حرام فلي أن آخذه، وقال آخرون: لا يحل أن يؤخذ ما لم يتحقق أنه حلال فلا تحل شبهة أصلاً وكلاهما إسراف، والاعتدال ما قدمنا ذكره وهو الحكم بأن الأغلب إذا كان حراماً حرم، وإن كان الأغلب حلالاً وفيه يقين حرام فهو موضع توقفنا فيه كما سبق.

ولقد احتج من جوّز أخذ أموال السلاطين إذا كان فيها حرام وحلال ـ مهما لم يتحقق إن عين المأخوذ حرام ـ بما روي عن جماعة من الصحابة أنهم أدركوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال: منهم أبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وزيد بن ثابت، وأبو أيوب الأنصاري، وجرير بن عبدالله، وجابر، وأنس بن مالك، والمسور بن مخرمة،

حرام، واحتمل أن يكون) ذلك **(من الحرام وهو الأغلب لأن أغلب أموال السلاطين حرام في هذه الأعصار)** لكثرة ظلمهم وغلبة جهلهم **(والحلال في أيديهم معدوم وعزيز)** وجوده، **(وقد اختلف الناس في هذا فقال قوم: كل ما لا يتيقن أنه حرام فله أن يأخذه، وقال آخرون: لا يحل أن يؤخذ ما لم يتحقق أنه حلال فلا يحل بشبهة أصلاً)** نقل كلاً من القولين صاحب القوت **(وكلاهما إسراف، والاعتدال قدمنا ذكره وهو الحكم بأن الأغلب إذا كان حراماً حرم وإن كان الأغلب حلالاً وفيه بقية حرام فهو موضع توقف فيه)** وفي نسخة: موضع توقفنا **(كما سبق)**.

(ولقد احتج من جوّز أخذ مال السلاطين إذا كان فيه حرام وحلال مهما لم يتحقق أن عين المأخوذ حرام بما روي عن جماعة من الصحابة أنهم ادركوا أيام الائمة الظلمة) الجائرين **(منهم: أبو هريرة)** قال هشام بن عروة وغير واحد: مات سنة سبع وخمسين زاد هشام هو وعائشة، وقال الهيثم بن عدي وغيره: مات سنة ثمان وخمسين. وقال الواقدي وغيره: مات سنة تسع وخمسين. قال الواقدي: وهو ابن ثمان وسبعين سنة وهو صلّى على عائشة في رمضان سنة ثمان وخمسين، وعلى أم سلمة في شوّال سنة تسع وخمسين، وكان الوالي الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فركب إلى الغابة وأمر أبا هريرة يصلي بالناس فصلّى على أم سلمة في شوّال ثم توفي بعد ذلك في هذه السنة. **(وأبو سعيد الخدري)** سعد بن مالك من نجباء الصحابة وفضلائهم، مات سنة أربع وسبعين بالمدينة. **(وزيد بن ثابت)** بن الضحاك الحياري الأنصاري مات سنة ثمان وأربعين عن سبع وخمسين، وقيل: سنة إحدى، وقيل: خمس وخمسين، وقيل غير ذلك. **(وأبو أيوب)** خالد ابن زيد الانصاري الخزرجي: مات ببلاد الروم غازياً في خلافة معاوية، وقبره في أصل سور القسطنطينية سنة خمسين، وقيل: إحدى، وقيل: اثنتين، وقيل: خمس وخمسين. **(وجرير بن**

فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك ومن عبد الملك. وأخذ ابن عمر وابن عباس من الحجَّاج. وأخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي، وابراهيم، والحسن، وابن أبي ليلى. وأخذ الشافعي من هارون الرشيد ألف دينار في دفعة. وأخذ

عبد الله) البجلي مات سنة إحدى أو أربع أو ست وخمسين. **(وجابر)** بن عبد الله الأنصاري: مات سنة ثمان وستين، وقيل: سنة اثنتين، وقيل، ثلاث، وقيل: سبع، وقيل: ثمان، وقيل: تسع وسبعين عن أربع وتسعين. قال البخاري وصلّى عليه الحجاج، وقال أبو نعيم صلّى عليه أبان بن عثمان. **(وأنس)** بن مالك الأنصاري: مات هو وجابر بن زيد أبو الشعثاء في جمعة واحدة سنة ثلاث ومائة، وقيل: أربع ومائة عن مائة وثلاث سنين، وقيل عن مائة وسبع أو ست أو سبع، وقال عبد العزيز بن زياد: عن ست وتسعين. وقال الواقدي: عن تسع وتسعين أو عن تسعين أو عن إحدى أو اثنين أو ثلاث وتسعين. **(والمسور بن مخرمة)** بن نوفل الزهري مات بمكة سنة أربع وستين عن ثلاث وستين، وقيل: سنة ثلاث وسبعين. والأول أصح رضي الله عنهم أجمعين.

(فأخذ أبو سعيد وأبو هريرة) رضي الله عنهما **(من مروان)** بن الحكم بن العاص بن أمية الأموي وهو رابع ملوك بني أمية بويع له بعد معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان سنة أربع وستين، **(ويزيد)** بن معاوية بن أبي سفيان وهو ثانيهم هلك سنة ست وأربعين، وفي بعض النسخ على الحاشية يزيد بن عبد الملك وهو لا يصح لأن يزيد هذا بويع له بعد موت عمر بن عبد العزيز سنة إحدى ومائة، ولم يعش أبو سعيد وأبو هريرة إلى هذا الوقت. **(ومن عبد الملك)** بن مروان بويع له بالشام سنة خمس وستين وبقي إلى سنة ثمانين ومدة ولايته إحدى وعشرون سنة وعمره ثلاث وستون سنة وفي لقي أبي هريرة له في خلافته إشكال لأن آخر الأقوال في وفاة أبي هريرة سنة تسع وخمسين فهو إذاً لم يحصل خلافة عبد الملك، **(وأخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج)**، أما عبد الله بن عمر فإنه مات سنة ثلاث وسبعين قاله الزبير بن بكار، وقال الواقدي: سنة أربع وسبعين وهذا أثبت، فإن رافع بن خديج مات سنة أربع وابن عمر حي وحضر جنازته، وأما ابن عباس فإنه مات سنة ثمان وستين عن اثنين وسبعين سنة، وقيل: مات سنة تسع وستين، وقيل: سنة سبعين، وأما الحجاج بن يوسف الثقفي فإنه كان عاملاً من طرف عبد الملك وكان محاصرته لابن الزبير بمكة أواخر إثنين وسبعين. **(وأخذ كثير من التابعين منهم)** عامر بن شراحيل **(الشعبي، وإبراهيم)** بن يزيد النخعي، **(والحسن)** بن يسار البصري، **(وابن أبي ليلى)** هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري والكوفي القاضي، **(وأخذ الشافعي)** رحمه الله تعالى **(من هارون الرشيد)** بن محمد بن أبي جعفر العباسي خامس خلفاء بني العباس بويع له سنة سبعين ومائة، ومات سنة ثلاث وتسعين ومائة عن أربع وأربعين سنة واشتهر **(ألف دينار في دفعة واحدة)** ففرقها. **(وأخذ مالك)** بن أنس رحمه الله تعالى ورضي عنه **(من الخلفاء أموالاً جمة)**

مالك من الخلفاء أموالاً جمة. وقال علي رضي الله عنه: خذ ما يعطيك السلطان فإنما يعطيك من الحلال وما يأخذ من الحلال أكثر. وإنما ترك من ترك العطاء منهم تورعاً مخافة على دينه أن يحمل على ما لا يحل. ألا ترى قول أبي ذر للأحنف بن قيس: خذ العطاء ما كان نحلة فإذا كان أثمان دينكم فدعوه؟ وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إذا أعطينا قبلنا وإذا منعنا لم نسأل. وعن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله عنه كان إذا أعطاه معاوية سكت وإن منعه وقع فيه. وعن الشعبي عن ابن مسروق: لا يزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار ـ أي يحملهم ذلك على الحرام لا أنه في نفسه حرام ـ وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن المختار كان يبعث إليه المال فيقبله ثم يقول: لا أسأل أحداً ولا أردّ ما رزقني الله. وأهدي إليه ناقة فقبلها وكان يقال لها: ناقة المختار، ولكن هذا يعارضه ما روي أن ابن عمر رضي الله عنهما لم يرد هدية أحد إلا

كالسفاح والمنصور والمهدي، **(وقال علي رضي الله عنه)** فيما روي عنه: **(خذ ما أعطاك السلطان فإن ما يعطيك من الحلال وما تأخذ من الحلال أكثر)** وهذا قد تقدم قريباً. **(وإنما ترك من ترك العطاء منهم تورعاً مخافة على دينه أن يحمل)** أخذه ذلك **(على ما لا يحل. ألا ترى إلى قول أبي ذر)** جندب بن جنادة رضي الله عنه **(للأحنف بن قيس)** بن معاوية بن حصين التميمي أبو بحر البصري، والأحنف لقب واسمه الضحاك، وقيل: صخر تابعي ثقة سيد قومه مات سنة سبع وستين بالكوفة، **(خذوا العطاء ما دام نحلة فإن كان أثمان دينكم فدعوه)** أي اتركوه، **(وقال أبو هريرة)** رضي الله عنه فيما روي عنه: **(إذا أعطينا)** أي من غير سؤال **(قبلنا وإذا منعنا لم نسأل)** وهو مصداق الخبر المشهور إذا أوتيت من غير سؤال فخذه وتموّله. **(وعن سعيد بن المسيب)** بن حزن القرشي التابعي **(عن أبي هريرة)** رضي الله عنه أنه **(كان إذا أعطاه معاوية)** بن أبي سفيان أوّل خلفاء بني أمية **(سكت وإن منعه وقع فيه)** أي تكلم وعاتب على تأخير عطائه. **(وعن)** عامر بن شراحيل **(الشعبي)** التابعي **(عن ابن مسروق)** وفي بعض النسخ أبي مسروق وكلاهما لم أعرفه ولعله عن مسروق، وقد وجد كذلك في بعض النسخ وهو ابن الأجدع الهمداني الكوفي التابعي ثقة فقيه عابد مخضرم، وهو الذي يروي عنه الشعبي **(لا يزال العطاء بأهل العطاء حتى يدخلهم النار أو يحملهم ذلك على)** ارتكاب **(الحرم لأنه في نفسه حرام. وروى نافع)** مولى ابن عمر ثقة كثير الحديث مات سنة ستة عشر ومائة **(عن ابن عمر)** هو مولاه عبد الله: **(أن المختار)** بن أبي عبيد الثقفي يكنى أبا إسحاق ولم يكن المختار، ولد عام الهجرة وليست له صحبة ولا رؤية، واخباره غير مرضية، وأبوه من جلة الصحابة، وكان طلب الأمارة لنفسه وغلب على الكوفة حتى قتله مصعب بن الزبير سنة سبع وستين. **(كان يبعث إليه المال فيقبله ثم يقول: لا أسأل أحداً)** أي ابتداء **(ولا أردّ ما رزقني الله تعالى وأهدي إليه ناقة فقبلها فكان يقال لها ناقة المختار، ولكن هذا يعارضه ما**

هدية المختار، والإسناد في رده أثبت. وعن نافع أنه قال: بعث ابن معمر إلى ابن عمر بستين ألفاً فقسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرض له من بعض من أعطاه وأعطى السائل. ولما قدم الحسن بن علي رضي الله عنهما على معاوية رضي الله عنه فقال: لأجيزك بجائزة لم أجزها أحداً قبلك من العرب ولا أجيزها أحداً بعدك من العرب. قال: فأعطاه أربعمائة ألف درهم فأخذها. وعن حبيب بن أبي ثابت قال: لقد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس فقبلاها فقيل: ما هي؟ قال: مال وكسوة. وعن الزبير بن عدي أنه قال، قال سلمان: إذا كان لك صديق عامل أو تاجر يقارف الربا فدعاك إلى طعام أو نحوه أو أعطاك شيئاً فأقبل فإن المهنأ لك وعليه الوزر، فإن ثبت هذا في المرابي فالظالم في معناه. وعن جعفر عن أبيه أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يقبلان

روي أن ابن عمر ما ردَّ هدية أحد إلا هدية المختار والإسناد في رده أثبت)، والذي في الإصابة نقلاً عن ابن الأثير ما نصه: وكان يعني المختار يرسل المال إلى ابن عمر وهو صهره وزوج أخته صفية بنت أبي عبيد وإلى ابن عباس وإلى ابن الحنفية فيقبلونه اهـ. ويحتمل أنه إن ثبت الردّ منه فيكون في الأواخر لما كثر جوره وتعديه وساءت سيرته.

(و) يروى **(عن نافع)** مولى ابن عمر أنه **(قال: بعث)** عمر بن عبيد الله **(ابن معمر)** التيمي القرشي **(إلى ابن عمر ستين ألفاً)** هدية **(فقسمها على الناس)** أي الحاضرين **(ثم جاءه سائل فاستقرض له من بعض أصحابه مما)** كان **(أعطاه)** من الستين ألفاً **(وأعطى السائل)** نقله صاحب القوت. **(ولما قدم)** أبو محمد **(الحسن بن علي)** بن أبي طالب **(على معاوية)** رضي الله عنهم **(فقال: لأجيزك بجائزة)** أي عطية **(لم أجزها أحداً قبلك من العرب ولا أجيزها أحداً بعدك من العرب. قال)** الراوي لهذه القصة: **(فاعطاه أربعمائة ألف فأخذها)** نقله صاحب القوت. **(وعن حبيب بن أبي ثابت)** واسمه قيس بن دينار الأسدي مولاهم يكنى أبا يحيى تابعي ثقة وهو مفتي الكوفة قبل حماد بن أبي سليمان مات سنة تسع عشرة ومائة **(قال: لقد رأيت جائزة المختار لابن عمر وابن عباس فقبلاها، فقيل: ما هي؟ فقال: مال وكسوة)** وقد تقدم عن ابن الاثير ما يؤيد ذلك. **(وعن الزبير بن عدي)** الهمداني اليامي الكوفي يكنى أبا عبد الله تقدم ذكره **(انه قال: قال سلمان)** الفارسي رضي الله عنه: **(إذا كان لك صديق عامل)** على عمل من أعمال السلطان **(أو تاجر يقارف الربا)** في معاملته **(فدعاك إلى طعام أو نحوه أو أعطاك شيئاً فاقبله)** ولا ترده وأجب إلى طعامه، **(فإن المهنأ لك)** أي حيث لم تعرفه **(وعليه الوزر)** حيث علمه. وقد تقدمت الإشارة إليه في كلام المصنف حيث قال: وقد روى سلمان مثل ذلك، **(فإذا ثبت هذا في المرابي فالظالم في معناه)** أي يجوز قبول عطيته والإجابة إلى دعوته. **(وعن)** الإمام أبي عبد الله **(جعفر)** الصادق **(عن أبيه)** محمد بن علي بن الحسين

جوائز معاوية. وقال حكيم بن جبير: مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاملاً على أسفل الفرات فأرسل إلى العشارين اطعمونا مما عندكم فأرسلوا بطعام فأكل وأكلنا معه. وقال العلاء بن زهير الأزدي: أتى ابراهيم أبي ـ وهو عامل على حلوان ـ فأجازه فقبل وقال ابراهيم: لا بأس بجائزة العمال إن للعمال مؤنة ورزقاً ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما أعطاك فهو من طيب ماله، فقد أخذ هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من أطاعهم في معصية الله تعالى. وزعمت هذه الفرقة أن ما ينقل من امتناع جماعة من السلف لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وأبي ذر وغيرهم من الزهاد، فإنهم امتنعوا من الحلال المطلق زهداً ومن الحلال الذي يخاف افضاؤه إلى محذور ورعاً وتقوى، فإقدام هؤلاء يدل على الجواز وامتناع أولئك لا يدل على التحريم. وما نقل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاء في بيت المال حتى اجتمع بضعة وثلاثون ألفاً، وما نقل عن الحسن من قوله: لا أتوضأ من ماء صيرفي ولو ضاق وقت

(أن الحسن والحسين) رضي الله عنهم **(كانا يقبلان جوائز معاوية) أي مع ما كان في ماله من** الاختلاط. **(وقال حكيم بن جبير)** الأسدي الكوفي ضعيف رمي بالتشيع **(مررنا على سعيد بن جبير)** الأسدي مولاهم الكوفي في ثقة ثبتَ فقيه، وروايته عن عائشة وأبي موسى مرسلة قتله الحجاج صبراً سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين، **(وقد جعل عاشراً)** أي قابضاً يقبض العشر **(من أسفل الفرات، فأرسل إلى)** جماعة **(العشارين أطعمونا مما عندكم فأرسلوا بطعام فأكل وأكلت معه)** يحمل حالهم على أن لهم رزقاً وكفاية من بيت المال تحت خدمتهم فيحل لهم وما حل لهم حل لغيرهم. **(وقال العلاء بن زهير)** بن عبد الله أبو زهير **(الأزدي)** الكوفي ثقة روى له النسائي: **(أتى إبراهيم)** النخعي **(أبي)** يعني زهيراً **(وهو عامل على حلوان)** مدينة بالعراق **(فأجازه)** بعطية **(فقبل)** ولم يرد. **(وقال إبراهيم)** النخعي: **(لا بأس بجائزة العمال إن للعامل مؤنة ورزقاً)** يعطاه تحت عمالته، **(ويدخل بيت ماله الخبيث والطيب فما أعطاك فهو من طيب ماله)** إذا علمت ذلك **(فقد)** ظهر لك أنه **(أخذ هؤلاء كلهم جوائز السلاطين الظلمة وكلهم طعنوا على من أطاعهم في معصية الله تعالى، وزعمت هذه الفرقة أن ما ينقل من امتناح جماعة)** من أخذها **(لا يدل على التحريم بل على الورع)** والاحتياط **(كالخلفاء الراشدين)** الصهران والختنان، وعمر بن عبد العزيز، **(وأبي ذر وغيرهم من الزهاد)** رضي الله عنهم، **(فإنهم امتنعوا من الحلال المطلق زهداً ومن الحلال الذي يخاف إفضاؤه إلى محذور ورعاً وتقوى فإقدام هؤلاء)** عليها **(يدل على الجواز وامتناع أولئك لا يدل على التحريم، وما نقل عن سعيد بن المسيب)** التابعي **(أنه ترك عطاءه في بيت المال)** ولم يأخذه تورعاً **(حتى اجتمع بضعة وثلاثون ألفاً، و)** كذا **(ما نقل عن الحسن)** البصري **(من قوله إنه قال: لا أتوضأ من ماء صيرفي وإن ضاق وقت الصلاة لأني**

الصلاة لأني لا أدري أصل ماله كل ذلك ورع لا ينكر واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم على الاتساع، ولكن لا يحرم اتباعهم على الاتساع أيضاً. فهذه هي شبهة من يجوّز أخذ مال السلطان الظالم.

والجواب: أن ما نقل من أخذ هؤلاء محصور قليل بالإضافة إلى ما نقل من ردهم وإنكارهم، وإن كان يتطرق إلى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق إلى أخذ من أخذ ثلاثة احتمالات متفاوتة في الدرجة بتفاوتهم في الورع فإن للورع في حق السلاطين أربع درجات.

الدرجة الأولى: أن لا يأخذ من أموالهم شيئاً أصلاً كما فعله الورعون منهم، وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى أن أبا بكر رضي الله عنه حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم فغرمها لبيت المال، وحتى أن عمر رضي الله عنه كان يقسم مال بيت المال يوماً فدخلت ابنة له وأخذت درهماً من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة عن أحد منكبيه، ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها، فأدخل عمر أصبعه فأخرجه من فيها وطرحه على الخراج

لا أدري أصل ماله) إذ يدخل على الصيرفي في معاملاته محذورات كثيرة **(كل ذلك ورع لا ينكر)** منهم **(واتباعهم عليه أحسن من اتباعهم على الاتساع)** والتساهل، **(ولكن لا نحرم اتباعهم على الاتساع أيضاً في كل ذلك. فهذه شبهة من يجيز أخذ مال السلطان الظالم)**.

(والجواب): الشافي عن ذلك: **(أن ما نقل من أخذ هؤلاء محصور قليل بالاضافة إلى ما نقل من ردهم وإنكارهم وإن كان يتطرق إلى امتناعهم احتمال الورع فيتطرق إلى أخذ من أخذ ثلاث احتمالات متفاوتة في الدرجة كتفاوتهم في الورع فإن للورع في حق السلاطين أربع درجات.**

(الدرجة الأولى: أن لا يأخذ من مالهم شيئاً أصلاً) جل أو قل **(كما فعله الورعون منهم، وكما كان يفعله الخلفاء الراشدون حتى أن أبا بكر رضي الله عنه)** يروى عنه أنه **(حسب جميع ما كان يأخذه من مال بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم فغرمها لبيت المال)** وردها إليه، **(وحتى أن عمر)** رضي الله عنه **(كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له)** وكان يحبها حباً شديداً، **(فأخذت درهماً من المال فنهض عمر)** رضي الله عنه **(في طلبها حتى سقطت الملحفة)** وهي الرداء **(عن أحد منكبيه)** لاستعجاله. **(ودخلت الصبية إلى بيت أهلها)** فزعة **(تبكي وجعلت الدرهم في فيها)** أي فمها حرصاً عليه، **(فأدخل عمر أصبعه فأخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال: أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر إلا ما**

وقال: أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر إلا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم. وكسح أبو موسى الأشعري بيت المال فوجد درهماً فمرّ بُني لعمر رضي الله عنه فأعطاه إياه فرأى عمر ذلك في يد الغلام فسأله عنه فقال: أعطانيه أبو موسى، فقال: يا أبا موسى ما كان في أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى من أمة محمد ﷺ أحد إلا طلبنا بمظلمة، ورد الدرهم إلى بيت المال. هذا مع أن المال كان حلالاً ولكن خاف أن لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبرىء لدينه ويقتصر على الأقل امتثالاً لقوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» ولقوله: «ومن تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه». ولما سمعه من رسول الله ﷺ من التشديدات في الأموال السلطانية حتى قال ﷺ حين بعث عبادة بن الصامت إلى الصدقة «اتق الله يا أبا الوليد لا تجيء يوم القيامة ببعير تحمله على رقبتك له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها ثؤاج، فقال: يا رسول الله أهكذا يكون؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده إلا من رحم الله قال: فوالذي بعثك بالحق

للمسلمين في قريبهم وبعيدهم) هذا وهو أمير المؤمنين وله في بيت المال حق ثابت. **(وكسح أبو موسى الأشعري)** رضي الله عنه **(بيت المال)** بعد تقسيم ما فيه على المستحقين **(فوجد درهماً فمر بُني)** تصغير ابن **(لعمر)** رضي الله عنه **(فأعطاه أبو موسى الدرهم)** المذكور **(فرأى عمر في يد الغلام الدرهم فسأله عنه فقال: أعطاني أبو موسى)** الأشعري **(فقال: يا أبا موسى ما كان في أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى من أمة محمد)** ﷺ **(أحد إلا طلبنا بمظلمة ورد الـدرهم إلى بيت المال. هذا مع أن المال كان حلالاً)** لأنه كان مال الغنائم والفيء، **(ولكن خاف أن لا يستحق هو ذلك القدر فكان يستبرىء لدينه)** أي يطلب براءته **(ويقتصر على الأقل امتثالاً لقوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»)** تقدم مراراً **(لقوله ﷺ: «من ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه»)** وهو جزء من حديث النعمان بن بشير وقد تقدم شرحه والرواية المشبهات وفي أخرى: المشتبهات. **(ولما سمعه مـن رسـول الله ﷺ مـن التشـديـدات)** والزواجـر **(في الأمـوال السلطانية حتى)** أنه **(قال حين بعث)** أبا الوليد **(عبادة بن الصامت)** بن قيس الأنصاري الخزرجي المدني أحد النقباء بدري مشهور، وكان طوله عشرة أشبار مات بالرملة سنة أربع وثلاثين عن اثنتين وسبعين سنة **(إلى الصدقة)** أي والياً يتولى قبضها من أربابها: « **(اتق الله يا أبا عبد الوليد)** ودعاه بالكنية ترحماً **(لا تجيء)** وفي رواية لا تأتي. قال الزمخشري: «لا» مزيدة أو أصلها لئلا تأتي بحذف اللام **(يوم القيامة ببعير تحمله على رقبتك)** هو ظرف وقع حالاً من الضمير في تأتي مستعلياً رقبتك بعير **(له رغاء)** بالضم أي تصويت **(وبقرة لها خوار)** بالضم كذلك **(وشاة تيعر)** وفي نسخة لها تؤاج بالضم صوت الغنم. **(قال: يا رسول الله أهكذا يكون؟ قال نعم والذي نفسي بيده)** أي في قبضة قدرته **(إلا من رحم الله)** وتجاوز عنه.

لا أعمل على شيء أبداً ». وقال ﷺ : « إني لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي إنما أخاف عليكم أن تنافسوا ». وإنما خـاف التنافس في المال. ولذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال: إني لم أجد نفسي فيه إلا كالوالي مـال اليتيم إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف. وروي أن ابناً لطـاوس افتعل

(**قال**) عبادة :(**فوالذي بعثك بالحق لاأعمل على شيء أبداً** ») كذا في النسخ والصواب على إثنين أبداً أي لا ألي الحكم على اثنين ولا أقوم على أحد، وهذا دليل على كراهة الإمارة التي كان فيها مثل عبادة ونحوه من صالحي الأنصـار وأشراف المهاجرين، فإذا كان حال هؤلاء الذين ارتضاهم رسول الله ﷺ للولاية وخصهم بها فما الظن بالولاية بعد ذلك.

قال العراقي: رواه الشافعي في المسند من حديث طاوس مرسلاً وأبي يعلى في المعجم من حديث ابن عمر مختصر أنه قاله لسعد بن عبادة وإسناده صحيح اهـ.

قلت: وأخرجه الطبراني في الكبير هكذا من حديث عبادة ورجاله رجال الصحيح قاله الهيثمي. وأما حديث ابن عمر فقد أخرجه أيضاً ابن جرير والحاكم ولفظه: « يا سعد إياك أن تجيء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء ».

(**وقال ﷺ : « إني لا أخاف عليكـم أن تشركـوا بعـدي ولكـن أخـاف عليكـم أن تنافسوا »**) قال العراقي: متفق عليه من حديث عقبة بن عامر اهـ.

قلت: في تاريخ من دخل مصر من الصحابة لمحمد بن الربيع الجيزي قال: حدثنا الربيع بن سليمان المرادي، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا يزيد بن حبيب، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر، حدثهم أن رسول الله ﷺ صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للإحياء والأموات ثم طلع المنبر فقال: « إني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وإن موعدكم الحوض وإني لأنظر إليه وأنا في مقامي وأن عرضه لكما بين أيلة والجحفة وإني أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا وأنا في مقامي فإني لست أخاف عليكم أن تشركوا ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها » وفي لفظ: « وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها » وفي لفظ آخر: « وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني رأيت أني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض فأخاف عليكم أن تنافسوا فيها ».

(**وإنما أخاف التنافس في المال**) هذا على رواية المصنف ومن علم سياق الحديث ظهر له مرجع الضمير، (**وكذلك قال عمر رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه مال بيت المال إني لم أجد نفسي فيه إلا كوالي مال اليتيم إن استغنيت استعففت**) عنه، (**وإن افتقرت أكلت بالمعروف**) أخرجه ابن سعد في الطبقات. (**وروي أن أبناً لطاوس**) هو عبد الله بن طاوس أبو

كتاباً عن لسانه إلى عمر بن عبد العزيز فأعطاه ثلاثمائة دينار فباع طـاوس ضيعة له وبعث من ثمنها إلى عمر بثلاثمائة دينار، وهذا مع أن السلطان مثل عمر بن عبد العزيز. فهذه هي الدرجة العليا في الورع.

الدرجة الثانية: هو أن يأخذ مال السلطان ولكن إنما يأخذ إذا علم أن ما يأخذه من جهة حلال، فاشتمال يد السلطان على حرام آخر لا يضره، وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها بأكابر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر فإنه كان من المبالغين في الورع، فكيف يتوسع في مال السلطان، وقد كان من أشدهم إنكاراً عليهم وأشدهم ذماً لأموالهم، وذلك أنهم اجتمعوا عند ابن عامر وهو في مرضه وأشفق على نفسه من ولايته وكونه مأخوذاً عند الله تعالى بها، فقالوا له: إنا لنرجو لك الخير، حفرت الآبار وسقيت الحاج وصنعت وصنعت. وابن عمر ساكت، فقال: ماذا تقول يا

محمد. قال النسائي: ثقة، وكان أعلم الناس بالعربية وأحسنهم وجهاً مات سنة اثنين وثلاثين ومائة، روى له الجماعة. والده طاوس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري مولاهم من أبناء الفرس كان ينزل الجند واسمه ذكوان وطاوس لقب. وروي عن ابن معين قال: سمي طاوساً لأنه كان طاوس القراء. ولفظ القوت أبو بكر المروزي: قلت لأبي عبد الله كان طاوس لا يشرب في طريق مكة من الأبار القديمة؟ قال: نعم قد بلغني هذا عنه. قال: وطاوس كـان اسمـه لقد **(افتعل)** ابنه **(كتاباً على لسانه إلى عمر بن عبد العزيز فأعطاه ثلاثمائة دينار فباع طاوس ضيعة له)** أي باليمن **(فبعث من ثمنها إلى عمر بثلاثمائة دينار)** ولفظ القوت فبعث بها عمر، **(وهذا مع أن السلطان مثل عمر بن عبد العزيز)** وناهيك به زهداً وورعاً، **(فهذه هي الدرجة العليا في الورع)**.

(الدرجة الثانية: هو أن يأخذ مال السلطان ولكن إنما يأخذه إذا علم أن ما يأخذه من جهة حلال فاشتمال يد السلطان على حرام آخر لا يضره، وعلى هذا ينزل جميع ما نقل من الآثار أو أكثرها أو ما اختص منها بأكابر الصحابة والورعين منهم مثل ابن عمر) رضي الله عنه **(فإنه كان من المبالغين في الورع)**، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالصلاح فيما روته أخته حفصة. وقال ابن مسعود: إن من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر، ومن كان بهذه المثابة **(فكيف يتوسع في مال السلطان وقد كان من أشدهم إنكاراً عليهم وأشدهم ذماً لأموالهم، وذلك أنهم اجتمعوا عند أبي عامر)** عبد الله بن عامر بن كريز **(وهو في مرضه)** الذي مات فيه **(وأشفق على نفسه من ولايته)** للأعمال **(وكونه مأخوذاً عند الله تعالى بها فقالوا له: إنا لنرجو لك الخير)** من الله تعالى **(حفرت الآبار)** في طريق البصرة إلى مكة **(وسقيت الحاج)** وكان قد عمل مصانع للماء **(وصنعت)** كذا **(وصنعت)** كذا يعددون

ابن عمر ؟ فقال: أقول ذلك إذا طاب المكسب وزكت النفقة وسترد فترى. وفي حديث آخر أنه قال: إن الخبيث لا يكفر الخبيث وإنك قد وليت البصرة ولا أحسبك إلا قد أصبت منها شراً. فقال له ابن عامر: ألا تدعو لي؟ فقال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول » وقد وليت البصرة فهذا قوله فيما صرفه إلى الخيرات. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال في أيام الحجاج: ما شبعت من الطعام مذ انتهبت الدار إلى يومي هذا. وروي عن علي رضي الله عنه أنه كان له سويق في إناء مختوم يشرب منه فقيل: أتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه؟

عليه من الخيرات، **(وابن عمر)** رضي الله عنهما **(ساكت)** لا يتكلم، **(فقال)** ابن عامر **(ماذا تقول يا ابن عمر؟ فقال: أقول ذلك إذا طاب المكسب وزكت النفقة)** أي وإلا فهو وبال على صاحبه، **(وسترد)** يوم القيامة **(فترى)** وتعاين **(وفي حديث آخر)** أي في لفظ آخر من هذا الحديث **(قال)** ابن عمر: **(إن الخبيث لا يكفر الخبيث وأنك قد وليت البصرة ولا أحسبك إلا وقد أصبت منها شراً، فقال ابن عامر: ألا تدعو لي؟ فقال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول »)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: وكذا رواه ابن ماجه أيضاً، وأبو عوانة من حديث أنس، ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه أيضاً، والطبراني في الكبير أيضاً من حديث أبي بكرة، ورواه الطبراني في الكبير أيضاً من حديث عمران بن الحصين، ورواه أبو عوانة أيضاً والطبراني في الأوسط أيضاً من حديث الزبير ابن العوام، ورواه ابن عدي وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة، ويروى بزيادة في أوله وهي: « لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله ولا يقبل صلاة عبد بغير طهور ولا صدقة من غلول » هكذا رواه الحاكم والشيرازي في الألقاب من حديث طلحة بن عبيد الله، ويروى أيضاً بزيادة في آخره وهي: « وابدأ بمن تعول » هكذا رواه أبو عوانة من حديث أبي بكر والطبراني من حديث ابن مسعود.

(فهذا قوله فيما صرفه إلى الخيرات) فما ظنك بغيرها.

(وعن ابن عمر) رضي الله عنه **(أنه قال في أيام الحجاج)** بن يوسف الثقفي: **(ما شبعت من الطعام منذ انتهبت الدار)** أي يوم قتل عثمان **(إلى يومي هذا)** ولفظ القوت: وكان ابن عمر يقول: ما شبعت فساقه، ولم يقل في أيام الحجاج وقد فعل ذلك أيضاً غيره من الصحابة كما تقدمت الإشارة إليه، ومعنى قوله المذكور أن أكله للطعام لم يكن إلا على قدر الضرورة من غير توسع فيه.

(وروي عن علي) رضي الله عنه **(أنه كان له سويق في إناء مختوم يشرب منه فقيل له:**

فقال: أما أني لا أختمه بُخْلاً به ولكن أكره أن يجعل فيه ما ليس منه، وأكره أن يدخل بطني غير طيب، فهذا هو المألوف منهم. وكان ابن عمر لا يعجبه شيء إلا خرج عنه فطلب منه نافع بثلاثين ألفاً فقال: إني أخاف أن تفتنني دراهم ابن عامر وكان هو الطالب إذهب فأنت حر. وقال أبو سعيد الخدري: ما منا أحد إلا وقد مالت به الدنيا إلا ابن عمر؟ فهذا يتضح أنه لا يظن به وبمن كان في منصبه أنه أخذ ما لا يدري أنه حلال.

الدرجة الثالثة: ان يأخذ ما أخذه من السلطان ليتصدق به على الفقراء أو يفرقه على

أتفعل هذا في العراق مع كثرة طعامه؟ فقال: أما إني لا أختمه بخلاً به ولكن أكره أن يجعل فيه ما ليس منه وأكره أن يدخل بطني غير طيب) أورده صاحب القوت عن عبد الملك ابن عمير عن رجل من ثقيف كان ولاه علي على عمل، وهو في الحلية لأبي نعيم قال: حدثنا الحسن ابن علي الوراق، وحدثنا محمد بن أحمد بن عيسى، حدثنا عمرو بن تميم، حدثنا أبو نعيم، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر قال: سمعت عبد الملك بن عمير يقول: حدثني رجل من ثقيف أن علياً استعمله على عكبري قال ولم يكن السواد يسكنه المصلون، وقال لي: إذا كان عند الظهر فرح إلي فرحت إليه فلم أجد عنه حاجباً يحجبني دونه فوجدته جالساً وعنده قدح وكوز من ماء فدعا بظبية فقلت في نفسي: لقد أمنني حين يخرج إلى جوهر أو لا أدري ما فيها فإذا عليها خاتم فكسر الخاتم فإذا فيها سويق فأخرج منها فصب في القدح فصب عليه ماء فشرب وسقاني فلم أصبر، فقلت: يا أمير المؤمنين أتصنع هذا بالعراق وطعام العراق أكثر من ذلك؟ قال: أما والله ما أختم عليه بخلاً عليه ولكن ابتاع قدر ما يكفيني فأخاف أن يفنى فيوضع من غيره، وإنما حفظي لذلك وأكره أن أدخل بطني إلا طيباً. وأخرج أبو نعيم أيضاً من طريق سفيان عن الأعمش قال: كان علي يغدي ويعشي ويأكل هو من شيء يجيئه من المدينة. **(فهذا هو المألوف منهم)** والمحكي في سيرهم.

(وكان ابن عمر) رضي الله عنه **(لا يعجبه شيء إلا خرج منه)** رواه نافع عنه كذا في القوت، **(فطلب منه نافع)** مولاه **(بثلاثين ألفاً فقال: يا نافع إني أخاف أن تفتنني دراهم ابن عامر وكان هو الطالب)** بالقدر المذكور وابن عامر هو عبدالله بن عامر بن كريز **(اذهب فأنت حر)** نقله صاحب القوت، وزاد قال: وكان يذهب الشهر فلا يذوق مزعة لحم.

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه **(ما منا أحد إلا وقد مالت به الدنيا إلا ابن عمر)** وأورده المزي عن جابر بن عبدالله فقال: ما منا أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها إلا عبدالله بن عمر. **(فبهذا يتضح أنه لا يظن به وبمن كان في منصبه)** من أمثاله **(أنه أخذ ما لا يدري أنه حلال)** حاشاهم من تلك.

(الدرجة الثالثة: أن يأخذ ما أخذه من السلطان ليتصدق به على الفقراء أو يفرقه على

المستحقين، فإن ما لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه. فإذا كان السلطان إن لم يؤخذ منه لم يفرقه واستعان به على ظلم فقد نقول أخذه منه وتفرقته أولى من تركه في يده، وهذا قد رآه بعض العلماء وسيأتي وجهه. وعلى هذا ينزل ما أخذه أكثرهم، ولذلك قال ابن المبارك: إن الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهما؟ لأن ابن عمر فرق ما أخذ حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقته ستين ألفاً، وعائشة فعلت مثل ذلك، وجابر بن زيد جاءه مال فتصدق به وقال: رأيت أن آخذه منهم وأتصدق أحب إليَّ من أن أدعها في أيديهم، وهكذا فعل الشافعي رحمه الله بما قبله من هارون الرشيد فإنه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة.

المستحقين فإن) كل **(ما لا يتعين مالكه هذا حكم الشرع فيه)** كما تقدم، **(فإذا كان السلطان)** بحيث **(إن لم يؤخذ منه)** ذلك المال **(ولم يفرقه)** على أرباب الاستحقاق **(استعان به على ظلمه)** ويحمله على ارتكاب أسبابه، **(فقد نقول:)** إن **(أخذه منه وتفرقته)** على من يستحقه **(أولى من تركه في يده وهذا قد رآه بعض العلماء)** جائزاً. **(وسيأتي وجهه)** فيما بعد **(وعلى هذا ينزل ما أخذه أكثرهم)** متأولين بما ذكر. **(وكذا قال ابن المبارك)** رحمه الله تعالى: **(إن الذين يأخذون الجوائز اليوم)** من السلاطين، **(ويحتجون بابن عمر وعائشة)** رضي الله عنهما وبغيرهما **(ما يقتدون بهم لأن ابن عمر فرق ما أخذ)** جميعه **(حتى استقرض في مجلسه بعد تفرقته ستين ألفاً)** كما ذكر قريباً. **(وعائشة رضي الله عنها فعلت مثل ذلك)** وفي القوت: قال أبو عبد الله: من أعطى هذا أو حُوبي على أثره. فليقبل وليفرق كما فعل أصحاب رسول الله ﷺ. بعث عمر بمال إلى أبي عبيدة ففرّق وبعث مروان إلى أبي هريرة ففرق وبعث إلى ابن عمر ففرق وبعث إلى عائشة ففرقت. قال المروزي: قلت لأبي عبد الله فعلى أي وجه قبلها منهم ابن عمر فإن قوماً يحتجون يقولون: لو لم يكن مباحاً لما أخذ فأنكر ذلك وقال: إنه لما رأى أنه حوبي كره أن يرد إليهم وفرقه بالسوية، قلت: فإن هذا فضل عنده دينار فطلبت منه امرأته فأعطاها، فقال: كانت محتاجة إليه، فقلت له: أنت تقول: من بلي من هذا المال بشيء فليعدل في تفريقه، وعائشة رضي الله عنها لما شكا ابن المنكدر إليها قالت: لو أن لي عشرة آلاف لأعنتك فلا حرج أرسل إليها بعشرة آلاف فبعثت خلفه فأعطته فقال: إنها كانت بليت بقولها ومع هذا قد أخرجته وذكر من زهدها وورعها اهـ.

(وجابر بن يزيد) أبو الشعثاء البصري **(قبل)** مالاً **(فتصدق به وقال: رأيت أني آخذ منهم وأتصدق أحب إلى من أن أدعه في أيديهم)** وحاله في الورع مشهور، **(وهكذا فعل الشافعي)** رحمه الله تعالى **(بما قبله من هارون الرشيد)** وهو ألف دينار **(فإنه فرقه)** على قريش كله **(عن قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة)** وقد ذكر ذلك في ترجمته في كتاب العلم.

الدرجة الرابعة: أن لا يتحقق أنه حلال ولا يفرق بل يستبقي ولكن يأخذ من سلطان أكثر ماله حلال، وهكذا كان الخلفاء في زمان الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين بعد الخلفاء الراشدين ولم يكن أكثر مالهم حراماً. ويدل عليه تعليل علي رضي الله عنه حيث قال: فإن ما يأخذه من الحلال أكثر، فهذا مما قد جوّزه جماعة من العلماء تعويلاً على الأكثر. ونحن إنما توقفنا فيه في حق آحاد الناس، ومال السلطان أشبه بالخروج عن الحصر فلا يبعد أن يؤدي اجتهاد مجتهد إلى جواز أخذ ما لم يعلم أنه حرام اعتماداً على الأغلب، وإنما منعنا إذا كان الأكثر حراماً، فإذا فهمت هذه الدرجات تحقق أن إدرارات الظلمة في زماننا لا تجري مجرى ذلك وإنها تفارقه من وجهين قاطعين.

أحدهما: أن أموال السلاطين في عصرنا حرام كلها أو أكثرها، وكيف لا والحلال هو الصدقات والفيء والغنيمة ولا وجود لها وليس يدخل منها شيء في يد السلطان؟ ولم يبق إلا الجزية وأنها تؤخذ بأنواع من الظلم لا يحل أخذها به فإنهم يجاوزون حدود الشرع في المأخوذ والمأخوذ منه والوفاء له بالشرط، ثم إذا نسبت ذلك إلى ما ينصب إليهم من

(**الدرجة الرابعة: أن لا يتحقق أنه حلال ولا يفرقه بل يستبقي**)عنده (**ولكن يأخذ من سلطان أكثر ماله حلال، وهكذا كان الخلفاء في زمن الصحابة والتابعين بعد الخلفاء الراشدين**) الأربعة، (**ولم يكن مـالهم حراماً ويدل عليه تعليل علي**) رضي الله عنه (**حيث قال: فإن ما يأخذ من الحلال أكثر، وهذا مما قد جوزه جماعة من العلماء**) أي رأوه جائزاً (**تعويلاً على الأكثر. ونحن توقفنا فيه في حق آحاد الناس، ومال السلطان أشبه بالخروج من الحصر**) لكثرته (**فلا يبعد أن يؤدي اجتهاد مجتهد إلى جواز أخذه ما لم يعلم أنه حرام اعتماداً على الأغلب، وإنما منعنا إذا كان الأكثر حراماً. فإذا فهمت هذه الدرجات**) الأربع (**تحققت أن إدرارات الظلمة في زماننا**) هذا (**لا تجري مجرى ذلك وإنها تفارقه من وجهين قاطعين**) للنزاع.

(**أحدهما: إن أموال السلاطين في عصرنا حرام كلها أو أكثرها، وكيف لا والحلال من أموالهم**) إنما (**هو**) بحسب مداخلها مثل (**الصدقات والفيء والغنيمة ولا وجود لها**) أي لهذه الثلاثة، (**وليس يدخل منها شيء في يد السلطان**) الآن (**ولم يبق إلا الجزية**) المضروبة على الكفار، (**وإنما تؤخذ**) منهم (**بأنواع من الظلم لا يحل أخذها به فإنهم يجاوزون حدود الشرع في المأخوذ والمأخوذ منه والوفاء لهم بالشرط**) على ما أشرت إلى بعض ذلك قريباً. (**ثم إذا نسبت ذلك إلى ما ينصب إليهم من الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات**) في

الخراج المضروب على المسلمين ومن المصادرات والرشا وصنوف الظلم لم يبلغ عشر معشار عشيره.

والوجه الثاني: أن الظلمة في العصر الأول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم، ومتشوّفين إلى استمالة قلوب الصحابة والتابعين، وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم، وكانوا يبعثون إليهم من غير سؤال وإذلال، بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم ويفرحون به، وكانوا يأخذون منهم ويفرقون ولا يطيعون السلاطين في أغراضهم ولا يغشون مجالسهم ولا يكثرون جمعهم ولا يحبون بقاءهم بل يدعون عليهم ويطلقون اللسان فيهم وينكرون المنكرات منهم عليهم، فما كان يحذر أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم ولم يكن يأخذهم بأس، فأما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا في استخدامهم والتكثر بهم والاستعانة بهم على أغراضهم والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم المواظبة على الدعاء والثناء والتزكية والإطراء في حضورهم ومغيبهم، فلو لم يدل الآخذ نفسه بالسؤال أوّلاً، وبالتردد في

الأموال (**والرشا**) والبراطيل (**وصنوف الظلم لم تبلغ عشر معشار عشيره**)، فلا حول ولا قوة إلا بالله. والعشير: كأمير لغة في العشر بالضم وهو الجزء من العشرة.

(**الوجه الثاني: أن الظلمة في العصر الأول لقرب عهدهم بزمان الخلفاء الراشدين كانوا مستشعرين من ظلمهم**) أي متخوفين (**إلى استمالة قلوب الصحابة والتابعين**) في الظاهر والباطن (**وحريصين على قبولهم عطاياهم وجوائزهم وكانوا يبعثون إليهم**) وفي نسخة: ينصحون إليهم ابتداء (**من غير سؤال**) منهم (**و**) لا (**إذلال**) لمنصبهم، (**بل كانوا يتقلدون المنة بقبولهم**) ما يرسلون (**ويفرحون به**) ويغتنمون ذلك، (**فكانوا يأخذون منهم ذلك**) ولا يردونه عليهم (**ويفرقونه**) على المستحقين بحسب ما يتراءى لهم، (**ولا يطيعون السلاطين في أغراضهم**) صحيحة كانت أو فاسدة، (**ولا يغشون مجالسهم**) أي لا يردونها، (**ولا يكثرون جمعهم**) بالدخول معهم، (**ولا يحبون بقاءهم**) في الدنيا (**بل يدعون عليهم**) بالويل والهلاك (**ويطيلون الألسن فيهم**) بالكلام، (**وينكرون المنكرات منهم. فما كان يحذر عليهم أن يصيبوا من دينهم بقدر ما أصابوا من دنياهم فلم يكن يأخذهم من بأس، فأما الآن فلا تسمح نفوس السلاطين بعطية إلا لمن طمعوا في استخدامهم**) واستصحابهم (**والتكثر بهم**) لسوادهم (**والاستعانة بهم على أغراضهم**) الدنيوية (**والتجمل بغشيان مجالسهم وتكليفهم**) الشطط و(**المواظبة على الدعاء**) لهم (**و**) حسن (**الثناء**) عليهم (**والتزكية**) لهم (**والإطراء**) هو المبالغة في المدح (**في حضورهم ومغيبهم**) فإن خالفوا ذلك لم يعط شيئاً (**فلو لم يذل الآخذ**) منهم (**نفسه بالسؤال أولاً، وبالتردد في الخدمة ثانياً،**

الخدمة ثانياً، وبالثناء والدعاء ثالثاً، وبالمساعدة له على أغراضه عند الاستعانة رابعاً، وبتكثير جمعه في مجلسه وموكبه خامساً، وبإظهار الحب والموالاة والمناصرة له على أعدائه سادساً، وبالستر على ظلمه ومقابحه ومساوىء أعماله سابعاً، لم ينعم عليه بدرهم واحد ولو كان في فضل الشافعي رحمه الله مثلاً، فإذاً لا يجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم أنه حلال لإفضائه إلى هذه المعاني، فكيف ما يعلم أنه حرام أو يشك فيه؟ فمن استجرأ على أموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين فقد قاس الملائكة بالحدادين، ففي أخذ الأموال منهم حاجة إلى مخالطتهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم واحتمال الذل منهم والثناء عليهم والتردد إلى أبوابهم. وكل ذلك معصية ـ على ما سنبين في الباب الذي يلي هذا ـ فإذاً قد تبين مما تقدم مداخل أموالهم وما يحل منها وما لا يحل، فلو تصوّر أن يأخذ الإنسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته يساق إليه ذلك ـ لا يحتاج فيه إلى تفقد عامل وخدمته، ولا إلى الثناء عليهم وتزكيتهم، ولا إلى مساعدتهم ـ فلا يحرم الأخذ ولكن يكره لمعان سننبه عليها في الباب الذي يلي هذا.

وبالثناء) الحسن **(والدعاء)** بالبقاء **(ثالثاً، وبالمساعدة له على** أغراضه **عند الاستعانة)** به **(رابعاً، وبتكثير جمعه في موكبه ومجلسه خامساً، وبإظهار الحب والموالاة والمناصرة له على اعدائه سادساً، وبالستر على ظلمه ومقابحه)** ومفاسده **(ومساوىء أعماله سابعاً)** والانتساب إليه في أحواله ثامناً، والتعويل عليه في مهماته تاسعاً، وجر أسباب تحصيل الأموال إليه عاشراً. **(لم ينعم عليه بدرهم واحد)** بل لم يلتفت إليه، **(ولو كان في فضل)** الإمام **(الشافعي)** رحمه الله تعالى **(مثلاً)** وليس وراء عبادان قرية، **(فإذاً لا يجوز أن يؤخذ منهم في هذا الزمان ما يعلم أنه حلال)** صرف **(لإفضائه إلى هذه المعاني)** السبعة بل العشرة. **(فكيف ما يعلم أنه حرام أو يشك)** فيه؟ **(فمن استجرأ على)** أخذ **(أموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين)** بأنهم قد أخذوا من أمراء زمانهم، **(فقد قاس الملائكة بالحدادين)** وأين هم من هؤلاء **(ففي أخذ الأموال منهم حاجة)** داعية **(إلى مجالستهم ومراعاتهم وخدمة عمالهم)** واتباعهم المنسوبين إليهم، **(واحتمال الذل منهم والثناء عليهم والتردد إلى أبوابهم)** بكرة وعشية، **(وكل ذلك معصية على ما سنبين في الباب الذي يلي هذا)** الباب، **(فإذا قد تبين بما تقدم مداخل أموالهم)** من أين تدخل لهم **(وما يحل منها وما لا يحل، فلو تصور أن يأخذ الإنسان منها ما يحل بقدر استحقاقه وهو جالس في بيته فيساق إليه)** بلا سؤال ولا إرسال واسطة ولا إذلال **(لا يحتاج فيه إلى تفقد عامل)** من عمالهم **(و)** لا إلى خدمته ولا إلى الثناء عليهم **(وتزكيتهم)** في المجالس **(ولا إلى مساعدتهم)** إن احتاجوا إليه، **(فلا يحرم الأخذ)** من هذا الوجه **(ولكن يكره لمعان سننبه عليها في الباب الذي يلي هذا)** الباب.

النظر الثاني من هذا الباب: في قدر المأخوذ وصفة الآخذ:

ولنفرض المال من أموال المصالح كأربعة أخماس الفيء والمواريث، فإن ما عداه مما قد تعين مستحقه إن كان من وقف أو صدقة أو خمس فيء أو خمس غنيمة، وما كان من ملك السلطان مما أحياه أو اشتراه فله أن يعطي ما شاء لمن شاء، وإنما النظر في الأموال الضائعة ومال المصالح فلا يجوز صرفه إلا إلى من فيه مصلحة عامة أو هو محتاج إليه عاجز عن الكسب، فأما الغني الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال إليه، هذا هو الصحيح وإن كان العلماء قد اختلفوا فيه. وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على أن لكل مسلم حقاً في مال بيت المال لكونه مسلماً مكثراً جمع الإسلام، ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فإذا ثبت هذا فكل من

النظر الثاني من هذا الباب: في قدر المأخوذ وصفة الآخذ:

(ولنفرض المال من أموال المصالح لأن فيه أخماس الفيء والمواريث) كذا في النسخ وفي بعضها كأربعة أخماس الفيء والمواريث، **(فإن ما عداه مما يتعين مستحقة إن كان من وقف أو صدقة أو خمس فيء أو خمس غنيمة)** كما ذكره في كتاب الزكاة **(وما كان من ملك السلطان مما أحياه أو اشتراه، فله أن يعطي ما شاء لمن شاء، وأما النظر في الأموال الضائعة)** التي لم يوجد مالكها **(ومال المصالح فلا يجوز صرفه إلا إلى من فيه مصلحة عامة وهو محتاج إليه عاجز عن الكسب)** وتدبير المعاش، **(فأما الغني الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال إلا لمن فيه مصلحة هذا هو الصحيح. وإن كان العلماء قد اختلفوا فيه)**.

اعلم أنهم اختلفوا في مال الفيء هل يخمس وهو ما أخذ من مشرك لأجل الكفر بغير قتال كالجزية المأخوذة عن الرؤوس والأرضين باسم الخراج وما تركوه فزعاً وهربوا. ومال المرتد إذا قتل في ردته، ومال من مات منهم ولا وارث له، ومن يؤخذ منهم من العشر إذا اختلفوا إلى بلاد المسلمين وما صولحوا عليه؟ فقال أبو حنيفة وأحمد في المنصوص عنه من رواية: هو للمسلمين كافة فلا يخمس وجميعه لمصالح المسلمين. وقال مالك: كل ذلك فيء غير مقسوم يصرفه الإمام في مصالح المسلمين بعد أخذ حاجته منه. وقال الشافعي: يخمس وقد كان حلاً لرسول الله ﷺ وما يصنع به بعد وفاته فيه عنه قولان. أحدهما: للمصالح، والثاني: للمقاتلة. واختلف قوله فيما يخمس منه في الجديد من قوله: أنه يخمس جميعه، والقديم لا يخمس إلا أن يكون ما تركوه فزعاً وهربوا. وعن أحمد رواية أخرى ذكرها الخرقي في مختصره: إن الفيء يخمس جميعه على ظاهر كلامه.

(وفي كلام عمر رضي الله عنه ما يدل على أن لكل مسلم حقاً في مال بيت المال لكونه مسلماً مكثراً لجمع الإسلام) وسواد المسلمين، **(ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على الخصوص)** وفي نسخة **(على مخصوصين)** بصفات، **(فإذا ثبت هذا**

يتولى أمراً يقوم به تتعدى مصلحته إلى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه، فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم، أعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون، وطلبة هذه العلوم أيضاً يدخلون فيه فإنهم إن لم يكفوا لم يتمكنوا من الطلب. ويدخل فيه العمال، وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الأجناد المرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن أهل العداوة وأهل البغي وأعداء الإسلام. ويدخل فيه الكتاب والحساب والوكلاء وكل من يحتاج إليه في ترتيب ديوان الخراج، أعني العمال على الأموال الحلال لا على الحرام، فإن هذا المال للمصالح. والمصلحة إما أن تتعلق بالدين أو بالدنيا فبالعلماء حراسة الدين وبالأجناد حراسة الدنيا. والدين والملك توأمان فلا يستغنى أحدهما عن الآخر. والطبيب وإن كان لا يرتبط بعلمه أمر ديني

فكل من يتولى أمراً يقوم به) ويكون بإزائه **(تتعدى مصلحته إلى المسلمين، ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية)** أي قدر ما يكفيه، **(ويدخل في ذلك العلماء كلهم)** يعني أصناف أهل العلم. **(أعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين كعلم الفقه والحديث والتفسير والقراءة)** وما نتوقف عليه مما هو جار مجرى الوسائل والوسائط كالنحو والصرف والمعاني والبيان فلها حكم علوم الدين، **(حتى يدخل فيه المعلمون)** للصبيان في الكتاب **(والمؤذنون)** في المساجد، **(وطلبة هذه العلوم أيضاً يدخلون فيه)** سواء كان طلبه من شهر أو سنة أو أزيد أو أقل، **(فإنهم إن لم يكفوا)** مؤنتهم من بيت المال **(لم يتمكنوا من الطلب)** ولولا الطلب ما انتهى إلى حد العلماء ويدخل فيه أيضاً القضاة فإن لهم أيضاً كفايتهم من بيت المال ليثبتوا الحقوق ويردعوا الظالم، **(ويدخل فيه)** أيضاً **(العمال وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الأجناد المرتزقة)** لأن المال المذكور مأخوذ بقوة المسلمين فيصرف إلى مصالحهم، وهؤلاء عملة المسلمين قد حبسوا أنفسهم لمصالحهم، فكان إليهم تقوية للمسلمين ولو لم يعطوا لاحتاجوا إلى الاكتساب وتعطلت مصالح المسلمين، ولذا قال المصنف: **(الذين يحرسون المملكة بالسيوف عن أهل العداوة وأهل البغي)** والفساد **(وأعداء الإسلام)** ونفقة الذراري على الآباء فيعطون كفايتهم كيلا يشتغلوا بها عن مصالح المسلمين، **(ويدخل فيه الكتاب والحساب)** من أرباب الدواوين **(والوكلاء)** والأمناء، **(وكل من يحتاج إليه في ترتيب ديوان الخراج: أعني العمال على الأموال الحلال لا الحرام)** يخرج بذلك المكاسون ومن يشابههم، **(فإن هذا المال)** مرصد **(للمصالح، والمصلحة إما أن تتعلق بالدين أو بالدنيا وبالعلماء حراسة)** أمور **(الدين)** عن تطرق الفساد إليها، **(وبالأجناد حراسة الدنيا)** من تطرق الفساد إلى نظامها. **(والدين والملك توأمان فلا يستغني أحدهما عن الآخر)** ولولا الملك لما انتظم حال العلماء، **(والطبيب)** أيضاً **(وإن كان لا يرتبط بعلمه أمر دنيوي ولكن يرتبط**

ولكن يرتبط به صحة الجسد والدين يتبعه، فيجوز أن يكون له ولمن يجري مجراه في العلوم المحتاج إليها في مصلحة الأبدان أو مصلحة البلاد إدرار من هذه الأموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين، أعني من يعالج منهم بغير أجرة، وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز أن يعطوا مع الغنى، فإن الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والأنصار ولم يعرفوا بالحاجة. وليس يتقدر أيضاً بمقدار بل هو إلى اجتهاد الإمام وله أن يوسع ويغني، وله أن يقتصر على الكفاية على ما يقتضيه الحال وسعة المال. فقد أخذ الحسن عليه السلام من معاوية في دفعة واحدة أربعمائة ألف درهم. وقد كان عمر رضي الله عنه يعطي لجماعة اثني عشر ألف درهم نقرة في السنة. وأثبتت عائشة رضي الله عنها في هذه الجريدة ولجماعة عشرة آلاف ولجماعة ستة آلاف وهكذا. فهذا مال هؤلاء فيوزع

به صحة الجسد) وحفظه عن تطرق الخلل إليه (**والدين يتبعه**) لتوقف أموره عليه، (**فيجوز أن يكون له ولمن يجري مجراه في العلوم المحتاج إليها في مصلحة الأبدان ومصلحة البلاد إدرار**) ووظيفة (**من هذه الأموال ليتفرغوا لمعالجة المسلمين**) عند طروّ العوارض الخارجية على البدن. (**اعني من يعالج منهم بغير أجرة**) بل احتساباً، ومتى أخذ الأجرة والعوض سقطه حقه من هذا المال، (**وليس يشترط في هؤلاء الحاجة**) ولا ينظر إليها، (**بل يجوز أن يعطوا مع الغنى**) والموجدة. (**فإن الخلفاء الراشدين**) رضي الله عنهم (**كانوا يعطون المهاجرين والأنصار**) بالآلاف (**ولم يعرفوا بالحاجة**) بل كانوا في غنى، (**وليس يتقدر أيضاً بمقدار**) معلوم، (**بل هو إلى اجتهاد الإمام**) أي موكل إليه، (**وله أن يوسع**) بالعطاء (**ويقتر**) أي يضيق، (**وله أن يقتصر على الكفاية**) أي قدر يكفيه (**على ما يقتضيه الحال وسعة المال**) فإن كان المال كثيراً وسع في عطائه، (**فقد أخذ**) أمير المؤمنين أبو محمد (**الحسن**) بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (**من معاوية**) بن أبي سفيان رضي الله عنه (**في دفعة واحدة أربعمائة ألف درهم**) كما تقدم. (**وقد كان عمر رضي الله عنه يعطي لجماعة اثني عشر ألف درهم نقرة في السنة**) والنقرة: القطعة المذابة من الفضة، وإنما قيده بها ليخرج بها دراهم النحاس وكل رطل ونصف من النحاس بدرهم نقرة، وأول من رسم بضرب فلوس جدد على قدر الدينار، ووزنه لسلطان حسن بن قلاوون ثم تغير ذلك فصار كل ثلثي رطل من الفلوس النحاس بدرهم نقرة، وعلى هذا قررأمراء مصر كشيخو ومرغتش لمدرستها بمصر كذا في تاريخ الخلفاء للسيوطي.

(**وأثبتت عائشة رضي الله عنها في هذه الجريدة**) فكانت تأخذ هذا القدر من العطاء في كل سنة (**و**) أعطى (**لجماعة**) آخرين لكل واحد (**عشرة آلاف ولجماعة**) آخرين (**ستة آلاف وهكذا**) على أختلاف مراتبهم وطبقاتهم كما سيأتي قريباً.

واعلم أن الذي يدخل بيت المال أنواع أربعة أحدها: هذا الذي ذكره مع صرفه، والثاني: الزكاة

عليهم حتى لا يبقى منه شيء. فإن خص واحداً منهم بمال كثير فلا بأس وكذلك للسلطان أن يخص من هذا المال ذوي الخصائص بالخلع والجوائز فقد كان يفعل ذلك في السلف، ولكن ينبغي أن يلتفت فيه إلى المصلحة. ومهما خص عالم أو شجاع بصلة كان فيه بعث للناس وتحريض على الاشتغال والتشبه به، فهذه فائدة الخلع والصلاة وضروب التخصيصات، وكل ذلك منوط باجتهاد السلطان، وإنما النظر في السلاطين الظلمة في شيئين.

أحدهما: أن السلطان الظالم عليه أن يكف عن ولايته وهو إما معزول أو واجب العزل، فكيف يجوز أن يؤخذ من يده وهو على التحقيق ليس بسلطان؟

والعشر ومصرفها سبعة أصناف وقد ذكر في كتاب الزكاة، والثالث: خمس الغنائم والمعادن والركاز ومصرفه ما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز في قوله ﴿**فأن لله خمسة وللرسول**﴾ الآية [الانفال: ٤١]. والرابع اللقطات والتركات التي لا وارث لها وديات مقتول لا ولي له ومصرفها اللقيط والفقراء الذين لا أولياء لهم يعطون منه نفقتهم وتكفي به مؤنتهم وتعقل به جنايتهم، وعلى الإمام أن يجعل لكل نوع من هذه الأنواع شيئاً يخصه ولا يخلط بعضه ببعض لأن لكل نوع حكماً يختص به، فإن لم يكن في بعضها شيء فللإمام أن يستقرض عليه من النوع الآخر ويصرفه إلى أهل ذلك، ثم إذا حصل من ذلك النوع شيء رده في المستقرض منه إلا أن يكون المصروف من الصدقات أو من خمس الغنيمة على أهل الخراج وهم فقراء، فإنه لا يرد فيه شيئاً لأنهم مستحقون للصدقات بالفقر، وكذا في غيره إلى صرفه إلى المستحق.

(**فهذا مال هؤلاء موزع عليهم**) ومقسوم بينهم (**حتى لا يبقى فيه شيء**) واختلفوا فيما فضل من الفيء بعد المصالح ما يصنع به، فقال أبو حنيفة، والشافعي: لا يجوز صرف فاضله إلا إلى المصالح أيضاً. وقال مالك وأحمد: يشترك فيه الغني والفقير. (**فإن خصّ واحداً منهم بمال كثير فلا بأس**) وإن كان غنياً، (**وكذلك للسلطان أن يخص في هذا المال ذوي الخصائص**) من الأشراف والعلماء والصالحين (**بالخلع**) السنية (**والجوائز**) البهية، (**فقد كان ينقل ذلك عن السلف**) والمنقول عن أصحابنا حرمة جواز التخصيص في هذا المال، بل للسلطان أن يصرف إلى كل مستحق قدر حاجته من غير زيادة. (**ولكن ينبغي أن يلتفت فيه إلى المصلحة ومهما خص عالم أو شجاع بصلة**) أي عطية (**كان فيه تحريض للناس على الاشتغال**) بالعلم والفروسية (**والتشبه به، فهذه فائدة الخلع والصلات**) والتكريمات (**وضروب التخصيصات، فكل ذلك منوط باجتهاد السلطان**) حسبما يؤديه فيما تقتضيه المصلحة (**وإنما النظر في السلاطين الظلمة في شيئين**).

(**أحدهما: أن السلطان الظالم عليه أن يكف**) أي يمنع (**عن ولايته**) أمور المسلمين (**وهو إما معزول أو واجب العزل، فكيف يجوز أن يؤخذ من يده**) هذه الأموال والتخصيصات (**وهو على التحقيق ليس بسلطان**) لأن الشرع قد عزله لظلمه.

والثاني: أنه ليس يعمم بماله جميع المستحقين، فكيف يجوز للآحاد أن يأخذوا فيجوز لهم الأخذ بقدر حصصهم أم لا يجوز أصلاً؟ أم يجوز أن يأخذ كل واحد ما أعطى؟

أما الأول: فالذي نراه أنه لا يمنع أخذ الحق، لأن السلطان الظالم الجاهل مهما ساعدته الشوكة وعسر خلعه وكان في الاستبدال به فتنة ثائرة لا تطاق وجب تركه ووجبت الطاعة له كما تجب طاعة الأمراء، إذ قد ورد في الأمر بطاعة الأمراء، والمنع من سل اليد عن مساعدتهم، أوامر وزواجر فالذي نراه أن الخلافة منعقدة للمتكفل بها من بني العباس رضي الله عنه، وأن الولاية نافذة للسلاطين في أقطار البلاد والمبايعين للخليفة

(والثاني: أنه ليس يعم بماله جميع المستحقين، فكيف يجوز للآحاد أن يأخذوا أفيجوز لهم الأخذ بقدر حصتهم أم لا يجوز أصلاً أم يجوز أن يأخذ كل ما اعطى؟).

(أما الأوّل: فالذي نراه أنه لا يمنع أخذ الحق لأن السلطان الظالم الجاهل) الغشوم **(مهما ساعدته الشوكة)** وهي القهر والغلبة **(وعسر)** على الناس **(خلعه)** عن سلطنته **(وكان في الاستبدال به)** غيره **(فتنة لا تطاق)** من حروب وشدائد **(وجب تركه ووجبت الطاعة له)** والانقياد لأمره وعدم الخلاف عليه، **(كما تجب طاعة الأمراء. وقد ورد في الأمر بطاعة الأمراء والمنع عن شيل اليد)** أي رفعها **(عن مساعدتهم)** ومناصرتهم أخبار فيها **(أوامر وزواجر)**. أما في الأمر بطاعة الأمراء، فأخرج أحمد والبخاري وابن ماجه من حديث أنس « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة ».

وأخرج أحمد ومسلم والنسائي من حديث أبي هريرة « عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثره عليك ». وروى مسلم من حديث أبي ذر « أوصاني النبي ﷺ أن أسمع وأطع ولو لعبد مجدع الأطراف ». ورواه أبو نعيم في الحلية كذلك.

وأما في المنع من شيل اليد عن مناصرتهم فأخرج البخاري، ومسلم من حديث ابن عباس « ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية ». وروى ابن أبي شيبة، وأحمد، ومسلم، والنسائي من حديث أبي هريرة « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية » الحديث. وروى الحاكم من حديث ابن عمر « من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه حتى يراجعه، ومن مات وليس عليه إمام جماعة فإن موتته موتة جاهلية ». وروى مسلم من حديث ابن عمر « من خلع يداً من طاعة لقي الله تعالى يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ».

(فالذي نراه أن الخلافة منعقدة للمتكفل بها من بني العباس) وهم الخلفاء المشهورون، **(وأن الولاية)** على البلاد **(نافذة للسلاطين في أقطار البلاد)** المشرقية والشمالية والجنوبية

ـ وقد ذكرنا في كتاب المستظهري المستنبط من كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار تأليف القاضي أبي الطيب في الرد على أصناف الروافض من الباطنية ما يشير إلى وجه المصلحة فيه ـ والقول الوجيز : أنا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوّفاً إلى مزايا المصالح، ولو قضينا ببطلان الولايات الآن لبطلت المصالح رأساً، فكيف يفوت رأس المال في طلب الربح ؟ بل الولاية الآن لا تتبع إلا الشوكة. فمن بايعه صاحب الشوكة هو الخليفة، ومن استبد بالشوكة وهو مطيع للخليفة في أصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم والقضاء في أقطار الأرض ولاية نافذة الأحكام. وتحقيق هذا قد ذكرناه في أحكام الإمامة من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد فلسنا نطوّل الآن به.

(المتابعين للخليفة) في وقته، **(وقد ذكرنا في كتاب المستظهري)** وهو الذي ألفه باسم المستظهر بالله العباسي **(ما يشير إلى وجه المصلحة فيه والقول)** المختصر **(الوجيز إنا نراعي الصفات والشروط في السلاطين تشوّقاً إلى مزايا المصالح)** الدينية والدنيوية، **(ولو قضينا ببطلان الولايات الآن لبطلت المصالح رأساً فكيف يفوت رأس المال في طلب الربح)** ؟ فالمصالح بمنزلة طلب الربح وولي الأمر بمنزلة رأس المال. **(بل الولاية الآن لا تتبع إلا الشوكة)** والعصبية بل وقبل زمان المصنف، بل وفي كل زمان كما صرح بذلك ابن خلدون في مقدمة تاريخه، وعقد لذلك أبوباً وفصولاً، ولذا تم الأمر لمعاوية، ولم يتم لعلي رضي الله عنهما، وتم الأمر ليزيد بعد أبيه ولم يتم للحسين بن علي رضي الله عنهما، **(فمن بايعه صاحب الشوكة)** وعاضدته العصبية **(فهو الخليفة)** الأعظم، **(ومن استبد بالشوكة)** أي استقل بها **(وهو مطيع للخليفة في أصل الخطبة والسكة فهو سلطان نافذ الحكم)**. فظهر مما تقدم أن الخلافة بالاستحقاق والسلطنة بالشوكة وقوّة السيف فإن ساعدت مع الخلافة الشوكة والعصبية فقد تم له الأمر من غير مشاركة، فإن لم تساعد فأصحاب الشوكة سلاطين وأمراء نافذو الاحكام في البلاد مع الإطاعة الظاهرية في إبقاء اسم الخليفة في الخطبة والسكة فقط، وهؤلاء إن لم يكونوا مستبدين ظاهراً فهم في نفس الأمر لا تسمح نفوسهم للتبعية، وعلى هذا كان أمراء العجم وسلاطينه، وكذا أمراء مصر ودمشق في زمن المصنف ومن قبله كذلك ومن بعده، وأما بعد دخول التتر إلى بغداد وإزالة الخلافة عنها أجريت رسومها بمصر على ما ذكرنا، ثم اضمحل الأمر جداً حتى لم يبق للخليفة الا الإسم فقط، ثم اضمحلت هذه الرسوم بأجمعها فتملكت البلاد أصحاب الشوكة وذهب اسم الخلافة فسبحان من يرث الأرض ومن عليها.

(والقضاء في أقطار الأرض ولاة نافذو الأحكام) ولذلك يحشرون مع السلاطين كما تقدم ذلك في كتاب العلم. **(وتحقيق ذلك قد ذكرناه في أحكام الإمامة)** العظمى **(من كتاب الاقتصاد في الاعتقاد)** فليراجع **(فلسنا نطوّل الآن به)**.

وأما الإشكال الآخر، وهو أن السلطان إذا لم يعمم بالعطاء كل مستحق فهل يجوز للواحد أن يأخذ منه؟ فهذا مما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب، فغلا بعضهم وقال: كل ما يأخذه فالمسلمون كلهم فيه شركاء ولا يدري أن حصته منه دانق أو حبة فليترك الكل، وقال قوم: له أن يأخذ قدر قوت يومه فقط، فإن هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين. وقال قوم: له قوت سنة فإن أخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق في هذا المال فكيف يتركه؟ وقال قوم: انه يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون. وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركاً بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين، ولا كالميراث بين الورثة لأن ذلك صار ملكاً لهم. وهذا لو لم يتفق قسمه حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث. بل هذا الحق غير متعين وإنما يتعين بالقبض. بل هو كالصدقات ومهما أعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكاً لهم ولم يمتنع بظلم المالك بقية الأصناف بمنع حقهم، هذا إذا لم يصرف إليه كل المال بل صرف إليه من

(وأما الإشكال الآخر، وهو أن السلطان إذا لم يعم بالعطاء كل مستحق) له، **(فهل يجوز للواحد أن يأخذ منه؟ فهذا مما اختلف العلماء فيه على أربع مراتب فغلا بعضهم فقال: كل ما يأخذه فالمسلمون كلهم فيه شركاء)** في الأخذ **(ولا يدري أن حصته منه دانق أو حبة)**. أما الدانق: بفتح النون وتكسر وقيل الكسر أفصح فهو خرنوب وثلثا حبة خرنوب والجمع الدوانق، وأوّل من ضربها في الإسلام أبو جعفر السفاح، ولذا لقب بالدوانيقي، والمراد بالحبة حبة خرنوب فالدرهم الإسلامي ست عشرة حبة خرنوب، **(فليترك الكل)** ولا يأخذ منه شيئاً. **(وقال قوم: له أن يأخذ قوت يوم فقط)** والليل تابع له، **(فإن هذا القدر يستحقه بحاجته)** أي بسببها وفي نسخة لحاجته أو لأجلها **(على المسلمين، وقال قوم: له)** أن يأخذ **(قوت سنة)** أي من الحول للحول فيحسب ما يكفيه كل يوم ثم يجمعه فيأخذه مرة واحدة. **(فإن أخذ الكفاية كل يوم عسير)** لطروّ الأعذار المانعة **(وهو ذو رزق)** وفي نسخة وهو ذو حق **(في هذا المال، فكيف يتركه)** واذا قسطه الإمام على أثلاث فيعطي في كل أربعة أشهر مرة واحدة قدر ما يكفيه في هذه المدة كان حسناً وهو الذي أراه وأذهب إليه. **(وقال قوم: إنه يأخذ ما يعطي والمظلوم هم الباقون، وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركاً بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا)** هو **(كالميراث بين الورثة لأن ذلك صار ملكاً لهم)** فإن مات من هؤلاء أحد ينتقل نصيبه إلى من يرثه، **(وهذا)** المال **(لو لم يتفق قسمه حتى مات هؤلاء)** يعني المستحقين **(لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث، بل هذا حق غير معين وإنما يتعين بالقبض)** وأما قبله فلا يتحقق فيه التعيين **(بل هو كالصدقات)** أي في حكمها. **(ومهما أعطى الفقراء حصتهم من الصدقات صار ذلك ملكاً لهم)** إذ له حق ثابت فإذا أخذه فقد ملك حقه **(ولم يمتنع بظلم المالك بقية الأصناف)** السبعة **(بمنع حقهم هذا إذا لم**

المال ما لو صرف إليه بطريق الإيثار والتفضيل مع تعميم الآخرين لجاز له أن يأخذه والتفضيل جائز في العطاء.

سوّى أبو بكر رضي الله عنه فقال: إنما فضلهم عند الله وإنما الدنيا بلاغ، وفضل عمر رضي الله عنه في زمانه فأعطى عائشة اثني عشر ألفاً وزينب عشرة آلاف وجويرية ستة آلاف وكذا صفية. وأقطع عمر لعلي خاصة رضي الله عنهما وأقطع عثمان أيضاً من السواد خمس جنات، وآثر عثمان علياً رضي الله عنهما بها فقبل ذلك منه، ولم ينكر. وكل ذلك جائز فإنه في محل الاجتهاد وهو من المجتهدات التي أقول فيها: أن كل مجتهد

يصرف إليه كل المال بل صرف اليه من المال ما) أي القدرة الذي **(لو صرف بطريق الإيثار والتفضيل)** بأن آثره دون غيره بزيادة **(مع تعميم الآخرين لجاز له أن يأخذه)**. وهل يجوز التخصيص بالتفضيل مع التعميم أشار إليه المصنف بقوله: **(والتفضيل جائز في العطاء)** كالتسوية.

(سوّى أبو بكر رضي الله عنه) في العطاء **(فراجعه عمر رضي الله عنه)** وأشار له أن يفضل، **(فقال)** أبو بكر: **(إنما فضلهم عند الله تعالى)** فلا أفضل أحداً على أحد **(وإنما الدنيا بلاغ)** أي كالبلاغ ينتفع بها إلى الآخرة، ووجه الاستدلال به أن التفضيل لو لم يكن جائزاً لما أشار به عمر وأبو بكر رضي الله عنه تمسك بما هو الأقوى، **(وفضل عمر)** رضي الله عنه **(في زمانه)** أي أيام خلافته وخالف صاحبه في العطاء اجتهاداً منه، **(فأعطى عائشة)** رضي الله عنها **(اثني عشر ألفاً)** درهماً نقرة لعلو منصبها ولكمال قربها من النبي ﷺ ولكونها فقيهة يؤخذ عنها، **(وزينب)** بنت حجش الأسدية ماتت سنة عشرين في خلافة عمر **(عشرة آلاف)** لأنها كانت أطولهن يداً وكانت كثيرة الصرف، **(وجويرية)** بنت الحرث بن أبي ضرار الخزاعية من بني المصطلق سباها في غزوة المريسيع ثم تزوّجها ماتت سنة خمسين على الأصح **(ستة آلاف وكذا صفية)** أعطاها ستة آلاف وهي ابنت حي بن أخطب الإسرائيلية تزوّجها النبي ﷺ بعد خيبر وماتت في خلافة معاوية على الصحيح. **(واقطع عمر علياً رضي الله عنهما خاصة)** أي إقطاعاً خاصاً لا يشاركه فيه أحد. **(واقطع عثمان أيضاً من)** أرض **(السواد)** بالعراق **(خمس حبات)** من أربع وعشرين حبة والإقطاع هو ربط الرزق على أرض. يقال: أقطع الإمام الجند البلد إقطاعاً جعل لهم عليه رزقاً، واسم ذلك الشيء الذي يقطع قطيعة ومنه قطائع العراق وأهل مصر هربوا من القطيعة لما فيها من التشاؤم فسموه أرزقة. **(وآثر عثمان علياً رضي الله عنهما فقبل)** علي **(ذلك منه ولم ينكر)** فدلّ ذلك على الجواز **(وكل ذلك)** أي من التفضيل والإقطاع والإيثار **(جائز، فإنه في محل الاجتهاد وهو من)** جملة المسائل **(المجتهدات التي**

مصيب، وهي كل مسألة لا نص على عينها ولا على مسألة تقرب منها فتكون في معناها بقياس جلي كهذه المسألة، ومسألة حد الشرب. فإنهم جلدوا أربعين وثمانين والكل سنّة وحق، وأن كل واحد من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة رضي الله عنهم، إذ المفضول ما ردّ في زمان عمر شيئاً إلى الفاضل مما قد كان أخذه في زمان

أقول فيها: إن كل مجتهد مصيب وهي كل مسألة لا نص على عينها ولا على مسألة تقرب منها فتكون في معناها بقياس جلي).

اعلم أنه ليس كل مجتهد في العقليات مصيباً بل الحق فيها واحد. فمن أصابه أصاب ومن فقده أخطأ وأثم. وقال القشيري والجاحظ: كل مجتهد فيها مصيب أي لا إثم عليه وهما محجوبان بالإجماع كما نقله الآمدي، وأما المجتهدون في المسائل الفقهية فهل المصيب منهم واحد والكل مصيبون فيه خلاف مبني على أن كل صورة هل لها حكم معين أم لا؟ وفيها أقوال ذكرها إمام الحرمين فقال: اختلف العلماء في الواقعة التي لا نص فيها على قولين.

أحدهما: انه ليس لله تعالى فيها قبل الاجتهاد حكم معين بل حكم الله فيها تابع لظن المجتهد، وهؤلاء هم القائلون بأن كل مجتهد مصيب وهم الأشعري والقاضي وجمهور المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة. واختلف هؤلاء فقال بعضهم: لا بدّ وأن يوجد في الواقعة ما لو حكم الله تعالى فيها بحكم لا يحكم إلا به وهذا هو القول الأشبه. وقال بعضهم: لا يشترط ذلك.

والقول الثاني: أن له في كل واقعة حكماً معيناً، وعلى هذا فثلاثة أقوال.

أحدها: وهو قول طائفة من الفقهاء والمتكلمين حصل الحكم من غير دلالة ولا إمارة بل هو لدفين يعثر عليه الطالب أتفاقاً فمن وجده فله أجران ومن أخطأه فله أجر واحد.

والقول الثاني: عليه إمارة دليل ظني والقائلون به اختلفوا فقال بعضهم: لم يكلف المجتهد باصابته لخفائه وغموضه، فلذلك كان المخطيء فيه مأجوراً معذوراً وهو قول كافة الفقهاء وينسب إلى الشافعي وأبي حنيفة. وقال بعضهم: إنه مأمور بطلبه أولاً فإن أخطأ وغلب على ظنه شيء آخر يعتبر التكليف وصار مأموراً بالعمل بمقتضى ظنه.

والقول الثالث: أن عليه دليلاً قطعياً والقائلون به اتفقوا على أن المجتهد مأمور بطلبه، لكن اختلفوا فقال الجمهور: إن المخطيء فيه لا يأثم ولا ينقض قضاؤه. وقال بشر المريسي فيه بالتأثيم والاصم بالنقض، وإليه يذهب أن لله تعالى في كل واقعة حكماً معيناً عليه دليل ظني، وأن المخطيء فيه معذور وأن القاضي لا ينقض قضاؤه به هذا حاصل كلام الإمام.

(فهذا المسألة ومسألة حد الشرب) سواء **(فإنهم جلدوا أربعين سوطاً وثمانين والكل سنّة وحق، وأن كل واحد من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مصيب باتفاق الصحابة إذ المفضول في زمان عمر ما ردّ شيئاً إلى الفاضل مما كان قد أخذه في زمان أبي بكر ولا**

أبي بكر، ولا الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر، واشترك في ذلك كل الصحابة واعتقدوا أن كل واحد من الرأيين حق. فليؤخذ هذا الجنس دستوراً للاختلافات التي يصوّب فيها كل مجتهد. فأما كل مسألة شذ عن مجتهد فيها نص أو قياس جلي بغفلة أو سوء رأي وكان في القوّة بحيث ينقض به حكم المجتهد، فلا نقول فيها إن كل واحد مصيب بل المصيب من أصاب النص أو ما في معنى النص. وقد تحصل من مجموع هذا أن وجد من أهل الخصوص الموصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين أو الدنيا وأخذ من السلطان خلعة أو إدراراً على التركات أو الجزية لم يصر فاسقاً بمجرد أخذه، وإنما يفسق بخدمته لهم ومعاونته إياهم ودخوله عليهم وثنائه واطرائه لهم إلى غير ذلك من لوازم لا يسلم المال غالباً إلا بها كما سنبينه.

الفاضل امتنع من قبول الفضل في زمان عمر، واشترك في ذلك الصحابة واعتقدوا أن كل واحد من الرأيين حق). روى أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه من حديث أنس أن النبي ﷺ أتى برجل قد شرب الخمر فجلد بجريدتين نحو أربعين. قال: وفعله أبو بكر، فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن بن عوف: أخف الحدود ثمانون فأمر به عمر. ولفظ البخاري: أن النبي ﷺ ضرب في الخمر بجريد والنعال، وضرب أبو بكر أربعين، وقد رواه مسلم أيضاً وبه تمسك الشافعي. وقال أبو حنيفة: ثمانون وتمسك بفعل عمر وأنه باجماع الصحابة. وفي الصحيح أن عثمان أمر علياً أن يجلد الوليد ثمانين، وفي رواية أربعين، ويجمع بينهما بما رواه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ان علي بن أبي طالب جلد الوليد بسوط له طرفان رواه الشافعي في مسنده، وكل ما ورد في هذا الباب من ضربه أربعين سوطاً محمول على ذلك.

(فليؤخذ هذا الجنس دستوراً للاختلافات التي يصوّب فيها كل مجتهد فأما كل مسألة شذت عن مجتهد فيها نص) على عينها **(أو قياس جلي)** وكان شذوذها عنه **(لغفلة)** عنها **(أو سوء رأي)** منه، **(وكان في القوّة بحيث ينقض به حكم المجتهد فلا تقول فيها إن كل واحد مصيب)** في اجتهاده **(بل المصيب من أصاب النص وما في معنى النص)** بدلالة أو أمارة أو عثور من إلهام الله تعالى، **(فقد تحصل من مجموع هذا)** الذي أوردته **(أن من وجد من أهل الخصوص الموصوفين بصفة تتعلق بها مصالح الدين أو الدنيا)** بأن يكون عالماً أو شجاعاً أو حيسوباً، **(وأخذ من السلطان خلعة أو جوائز من الزكاة)** والمواريث **(والجزية)** أو غيرها مما هو ماله إلى مال المصالح **(لم يصرفا فاسقاً بمجرد أخذه)** منه، **(وإنما يفسق بخدمته لهم ومعاونته اياهم وثنائه عليهم واطرائه لهم إلى غير ذلك من لوازم)** تقدم تفصيلها **(لا يسلم آخذ المال غالباً منها)** ولا ينفك عنها إلا بها، **(وكما سنبينه)** في الباب الذي يليه الآن إن شاء الله تعالى.

....

تنبيه:

قال أصحابنا: ومن مات ممن يقوم بمصالح المسلمين كالقضاة والغزاة وغيرهم لا يستحق من العطاء شيئاً لأنه صلة فلا يملك قبل القبض، ولو مات في آخر السنة يستحب صرفه إلى قريبه لأنه قد أوفى عناه فيصرف إليه ليكون أقرب إلى الوفاء، ولو عجل له كفاية سنة ثم عزل قبل تمام السنة قيل يجب ردّ ما بقي من السنة، وقيل على قياس قول محمد في نفقة الزوجة يرجع وعندهما لا يرجع وهو يعتبره بالإنفاق على امرأة ليتزوّجها وهما يعتبرانه بالهبة، والله أعلم.

الباب السادس

فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والاكرام لهم

اعلم أن لك مع الأمراء والعمال الظلمة ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى: وهي شرها أن تدخل عليهم.

والثانية: وهي دونها أن يدخلوا عليك.

والثالثة: وهي الأسلم أن تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك.

أما الحالة الأولى: وهي الدخول عليهم فهو مذموم جداً في الشرع وفيه تغليظات وتشديدات تواردت بها الأخبار والآثار، فننقلها لتعرف ذم الشرع له، ثم نتعرض

الباب السادس

فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة وغيرهم وحكم غشيان مجالسهم والدخول عليهم والإكرام لهم

اعلم أن كلما يذكر السلطان في هذه الفصول فإن المراد به ما هو الأعم من الخليفة والأمير من كل ذي شوكة ووفر حشم وكثرة ممتلكات وسواء كان متبوعاً مستقلاً أو تابعاً لآخر كما يرشد إليه سياق المصنف.

(**اعلم أن لك مع العمال والأمراء الظلمة ثلاثة أحوال**).

(**الحالة الأولى: وهي أشرها أن تدخل عليهم**) في محالهم.

(**والثانية وهي دونها أن يدخلوا عليك**) في محلك.

(**والثالثة: وهي الأسلم أن تعتزل عنهم**) مرة واحدة (**فلا تراهم ولا يرونك.**).

(**أما الحالة الأولى: وهي الدخول عليهم فهي حالة مذمومة جداً في الشرع وفيها تغليظات وتشديدات**) وزواجر (**وقد تواردت بها الأخبار والآثار**) وفي نسخة تواترت،

لما يحرم منه وما يباح وما يكره على ما تقتضيه الفتوى في ظاهر العلم.

أما الأخبار؛ إنه لما وصف رسول الله ﷺ الأمراء الظلمة قال: « فمن نابذهم نجا، ومن اعتزلهم سلم أو كاد أن يسلم، ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم » وذلك لأن من اعتزلهم سلم من إثمهم ولكن لم يسلم من عذاب يعمه معهم إن نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة. وقال ﷺ: « سيكون من بعدي أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولم يرد على الحوض ». وروى أبو هريرة

(**فلننقل ذلك ليعرف ذم الشرع لها ثم نتعرض**) بعد ذلك (**لما يحرم منها وما يباح وما يكره على ما يقتضيه ذم الشرع وما يبيحه على ما يقتضيه الفتوى في ظاهر العلم**) وفي بعض النسخ بعد قوله وما يكره على ما يقتضيه الفتوى في ظاهر العلم.

(**فأما الأخبار: فلما وصف**) وفي نسخة فإنه لما وصف (**رسول الله ﷺ الأمراء الظلمة**) في حديث طويل (**قال « فمن نابذهم**) أي جانبهم (**نجا**) من النفاق والمداهنة (**ومن اعتزلهم**) منكراً عليهم (**سلم**) من العقوبة على ترك المنكر (**أو كاد يسلم، ومن وقع معهم في دنياهم فهو منهم »**) قال العراقي: رواه الطبراني من حديث ابن عباس بسند ضعيف وقال: من خالطهم هلك اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن أبي شيبة في المصنف ولفظها جميعاً « أنها ستكون أمراء تعرفون وتنكرون فمن ناواهم نجا ومن اعتزلهم سلم أو كاد ومن خالطهم هلك » وفي رواية « سيكون بعدي أمراء » وفي أخرى « نابذهم » كما عند المصنف. وفي السند هياج بن بسطام وهو ضعيف.

قال المصنف: (**وذلك لأن من اعتزلهم سلم من إثمهم ولكن لم يسلم من عذاب إن نزل بهم يعمه معهم**) وفي نسخة: من عذاب نقمة أن ينزل (**لتركه المنابذة والمنازعة**) والمجافاة، (**فقد قال ﷺ « سيكون بعدي أمراء يظلمون**) الناس (**ويكذبون**) في قولهم (**فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس**) هو (**مني ولست**) أنا (**منه ولم يرد على الحوض**) يوم القيامة ». قال العراقي: رواه النسائي والترمذي وصححه والحاكم من حديث كعب بن عجرة اهـ.

قلت: وكذا أخرجه الحاكم وصححه البيهقي ولفظهم جميعاً « سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم » والباقي سواء إلا أنه في آخره « وليس بوارد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وهو وارد على الحوض ».

وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري « يكون أمراء تغشاهم غواش أو حواش من الناس يكذبون ويظلمون فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأنا منه بريء وهو مني بريء ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه ».

رضي الله عنه أنه قال ﷺ : « أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء »، وفي الخبر: « خير الأمراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الأمراء ». وفي الخبر: « العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم ». رواه أنس رضي الله عنه.

وأخرج أحمد والبزار وابن حبان من حديث جابر « ستكون أمراء من دخل عليهم وأعانهم على ظلمهم وصدقهم بكذبهم فليس مني ولست منه ولن يرد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وسيرد على الحوض ».

وأخرج الشيرازي في الألقاب من حديث ابن عمر « ستكون أمراء فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم وغشى أبوابهم فليس مني ولست منه ولا يرد على الحوض ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يغش أبوابهم فهو مني وسيرد على الحوض ».

(وروى أبو هريرة) رضي الله عنه **(أنه ﷺ قال « أبغض القراء إلى الله تعالى الذين يزورون الأمراء »)** أي يغشون أبوابهم ومجالسهم، والمراد بالقراء العلماء رواه ابن ماجه بلفظ « إن أبغض » وتقدم في كتاب العلم.

(وفي الخبر: « خير الامراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الامراء ») أغفله العراقي وله شاهد من حديث عمر أخرجه الديلمي « إن الله يحب الأمراء إذا خالطوا العلماء ويمقت العلماء إذا خالطوا الأمراء رغبوا في الدنيا والأمراء إذا خالطوا العلماء رغبوا في الآخرة ».

(وفي الخبر « العلماء) وفي رواية الفقهاء **(أمناء الرسل على عباد الله)** فإنهم استودعوهم الشرائع التي جاؤا بها وهي العلوم والأعمال وكلفوا الخلق طلب العلم فهم أمناء عليه وعلى العمل به فهم أمناء على الوضوء والصلاة والغسل والزكاة والحج وعلى الاعتقادات كلها، وكل ما يلزمهم التصديق به والعلم والعمل، فمن وافق علمه عمله وسره علنه كان جارياً على سنّة الانبياء فهو الأمين ومن كان بضد ذلك فهو الخائن وبين ذلك درجات، فلذلك قال: **(ما لم يخالطوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم »)** فإنهم إنما يتقربون إليه باستمالة قلبه وتحسين قبيح فعله وما يوافق هواه ولولا ذلك لما أدناهم **(رواه أنس رضي الله عنه)** قال العراقي: أخرجه العقيلي في المصنف في ترجمة حفص الأبري وقال: حديث غير محفوظ وقد تقدم في العلم اهـ.

قلت: وكذا رواه الحسن بن سفيان في مسنده عن مخلد بن مالك، عن إبراهيم بن رستم، عن عمر العبدي، عن إسماعيل بن سميع عن أنس. قال ابن الجوزي: موضوع إبراهيم لا يعرف

....

والعبدي متروك، ونازعه الجلال السيوطي فقال: قوله هذا ممنوع وله شواهد فوق الأربعين فيحكم له على مقتضى صناعة الحديث بالحسن اهـ.

ورواه كذلك الحاكم في التاريخ، وأبو نعيم في الحلية، والديلمي في مسند الفردوس، والرافعي في تاريخ قزوين إلا أن لفظ الحاكم « ما لم يداخلوا السلطان فإذا داخلوه فقد خانوا الرسل فاعتزلوهم » ولفظ العقيلي « أمناء الله على خلقه » وفيه « فقد خانوا الله والرسول ». وأخرج العسكري من حديث علي « الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا ويتبعوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فاحذروهم ».

فصل

وأورد الجلال السيوطي في كتاب الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين أخباراً غير التي أوردها المصنف، فناسب أن نذكرها هنا تتميماً للفوائد قال.

أخرج أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس « من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان افتتن ».

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة « إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص ».

وأخرج ابن ماجه بسند رواته ثقات من حديث ابن عباس « إن أناساً من أمتي يتفقهون في الدين ويقرأون القرآن ويقولون نأتي الامراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا ولا يكون ذلك كما لا يجتني من القتاد إلا الشوك كذلك لا يجتني من قربهم إلا الخطايا ».

وأخرجه ابن عساكر مثله.

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند رجاله ثقات، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال، « قلت يا رسول الله أمن أهل البيت أنا، فسكت، ثم قال في الثالثة: نعم ما لم تقم على باب سدة أو تأتي أميراً تسأله » قال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب: المراد بالسدة هنا باب السلطان ونحوه.

وأخرج الحاكم في تاريخه، والديلمي من حديث معاذ بن جبل « ما من عالم أتى صاحب سلطان طوعاً إلا كان شريكه في كل لون يعذب به في نار جهنم ».

وأخرج أبو الشيخ في حديث ابن عمر « من قرأ القرآن وتفقه في الدين ثم أتى صاحب سلطان طمعاً لما في يده طبع الله على قلبه وعذب كل يوم بلونين من العذاب لم يعذب به قبل ذلك ».

وأخرج أبو الشيخ في الثواب من حديث معاذ « إذا قرأ الرجل القرآن وتفقه في الدين ثم أتى باب السلطان تملقاً إليه وطمعاً لما في يده خاض بقدر خطاه في نار جهنم » وأخرجه الحاكم في تاريخه من حديث معاذ مثله.

وأخرجه الديلمي من حديث أبي الدرداء « من مشى إلى سلطان جائر طوعاً من ذات نفسه تملقاً

وأما الآثار: فقد قال حذيفة: إياكم ومواقف الفتن! قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه. وقال أبو ذر لسلمة: يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينكم

إليه بلقائه والسلام عليه خاض نار جهنم بقدر خطاه إلى أن يرجع من عنده إلى منزله فإن مال إلى هواه أو شدّ على عضده لم يحلل به من الله لعنة إلا كان عليه مثلها ولم يعذب بنوع من العذاب إلا عذّب بمثله».

وأخرج الديلمي من حديث ابن عباس «سيكون في آخر الزمان علماء يرغبون الناس في الآخرة ولا يرغبون ويزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون، وينهون عن غشيان الأمراء ولا ينتهون».

وأخرج الحسن بن سفيان في مسنده والديلمي من حديث ابن عمر «اتقوا أبواب السلطان وحواشيها فإن أقرب الناس منها أبعدهم من الله ومن آثر سلطاناً على الله جعل الله الفتنة في قلبه ظاهرة وباطنة وأذهب عنه الورع وتركه حيران». وأخرج البيهقي من حديث رجل من بني سليم «إياكم وأبواب السلطان». وأخرج الديلمي من حديث علي «إياكم ومجالسة السلطان فإنه ذهاب الدين وإياكم ومعونته فأنكم لا تحمدون أمره» وأخرجه البيهقي من حديثه: «اتقوا أبواب السلطان». وأخرج الديلمي من حديثه «أفضل التابعين من أمتي من لا يقرب أبواب السلطان». وأخرج أيضاً من حديث أبن الأعور السلمي «إياكم وأبواب السلطان». وأخرج الدارمي في مسنده ولا يخاصمن أصحاب الاهواء».

وأخرج ابن ماجه والبيهقي من حديث ابن مسعود «لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند أهله لساووا به أهل زمانهم ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا به من دنياهم فهانوا عليهم، سمعت نبيكم ﷺ يقول: من جعل الهم هماً واحداً وهم آخرته كفاه الله ما أهمه من أمر دنياه، ومن تشعبت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك». وأخرج ابن عساكر من حديث أبي أمامة الباهلي «أبعد الخلق من الله رجل يجالس الأمراء فما قالوا من جور صدقهم عليه» إلى هنا ما نقله من كتاب الأساطين وهي الأحاديث المرفوعة، وسيأتي ذكر بعضها في أثناء شرح كلام المصنف في الآثار قال:

(**وأما الآثار: فقد قال حذيفة**) بن اليمان رضي الله عنه: (**إياكم ومواقف الفتن! قيل: وما مواقف الفتن**) يا أبا عبد الله؟ (**قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بكذبه ويقول ما ليس فيه**) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أبي إسحاق عن عمارة بن عبد [1] عن حذيفة قال: «إياكم» فذكره. وهكذا أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي في الشعب.

(**وقال أبو ذر**) الغفاري رضي الله عنه (**لسلمة**) بن قيس: (**لا تغش أبواب السلطان**

---

(١) هنا بياض في الأصل.

أفضل منه. وقال سفيان: في جهنم وادٍ لا يسكنه إلا القراء الزوارون للملوك. وقال الأوزاعي ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملاً، وقال سمنون: ما اسمج بالعالم أن يؤتي إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال عند الأمير. وكنت أسمع انه يقال: إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك، إذ ما دخلت قط على

فإنك لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك أفضل منه) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، والبيهقي في الشعب بسندهما إلى سلمة بن قيس: ثلاث فاحفظها لا تجمع بين الضرائر فإنك لا تعدل ولو حرصت ولا تعمل على الصدقة فإن صاحب الصدقة زائد وناقص ولا تغش ذا سلطان فإنك تصيب فذكره، وله شاهد من حديث عبد الله بن الحرث رفعه: «سيكون بعدي سلاطين الفتن على أبوابهم كمبارك الإبل لا يعطون أحداً شيئاً إلا أخذوا من دينه مثله» أخرجه الحاكم، وأخرج البيهقي عن وهب بن منبه أنه قال لعطاء: «إياك وأبواب السلطان فإن على أبواب السلطان فتناً كمبارك الإبل لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك مثله» وأخرج ابن عساكر من طريق الأعمش عن مالك بن الحرث قال، قيل لعلقمة: ألا تدخل على السلطان فتنتفع. قال: إني لا أصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا في ديني مثله.

(وقال سفيان) بن سعيد الثوري رحمه الله تعالى: **(في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء المراؤن الزائرون الملوك)** أخرجه البيهقي من طريق بكر ابن محمد العابد قال: سمعت الثوري يقول: إن في جهنم لجباً تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء الزائرين للسلطان، وقد جاء في المرفوع نحوه أخرجه ابن عدي من حديث أبي هريرة بلفظ «إن في جهنم وادياً تستعيذ منه يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين بأعمالهم وأن أبغض الخلق إلى الله عالم السلطان».

(وقال الأوزاعي) رحمه الله تعالى: **(ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من عالم يزور عاملاً)** قد جاء ذلك في المرفوع أخرجه ابن لال والحافظ أبو الفتيان الدهسقاني في كتاب التحذير من علماء السوء، والرافعي في تاريخ قزوين من حديث أبي هريرة «إن أبغض الخلق إلى الله تعالى العالم يزور العمال». وأخرج ابن ماجه من حديثه «إن أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء» وفي حديثه أيضاً فيما أخرجه ابن عدي وذكر قريباً وان أبغض الخلق على الله عالم السلطان.

(وقال سمنون) العابد **(ما أسمج بالعالم يؤتى إلى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال: إنه عند الأمير وكنت أسمع)** من الشيوخ **(أنه يقال: إذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم)** هذا قد أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق هشام بن عباد قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: الفقهاء أمناء الرسل فإذا رأيتم الفقهاء قد ركنوا إلى السلاطين فاتهموهم، وتقدم في المرفوع من حديث أبي هريرة «إذا رأيت العالم يخالط السلطان فاعلم أنه لص». وأخرج البيهقي عن يوسف بن اسباط قال، قال لي سفيان الثوري: إذا رأيت القارىء يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص، وإذا رأيته يلوذ بالاغنياء فاعلم أنه مراء، وإياك أن تخدع فيقال لك ترد مظلمة تدفع عن مظلوم فإن

هذا السلطان إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك مع ما أواجههم به من الغلظة والمخالفة لهواهم. وقال عبادة بن الصامت: حب القارىءالناسك الأمراء نفاق وحبه الأغنياء رياء. وقال أبو ذر: من كثر سواد قوم فهو منهم أي من كثر سواد الظلمة. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دين فيخرج ولا دين له. قيل له: ولِمَ؟ قال: لأنه يرضيه بسخط الله. واستعمل عمر بن عبد العزيز رجلاً فقيل: كان عاملاً للحجاج فعزله، فقال الرجل: إنما عملت له على شيء يسير، فقال له عمر: حسبك بصحبته يوماً أو بعض يوم شؤماً وشراً. وقال الفضيل: ما

هذه خدعة إبليس اتخذها القراء سلماً. **(حتى جربت)** نفسي **(إذ ما دخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك)** وهذا **(مع ما أواجههم من الغلظة)** أي الكلام الغليظ **(والمخالفة لهواهم)** أي: فكيف بمن يلين لهم ويطيعهم في هواهم، وكلام سمنون هذا قد تقدم في كتاب العلم.

(وقال عبادة بن الصامت) الأوسي الانصاري رضي الله عنه. **(حب القارىء الناسك للأمراء نفاق وحبه للأغنياء رياء)** ويدل له قول سفيان السابق إذا رأيت القارىء يلوذ بالسلطان فاعلم أنه لص، وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مراء.

(وقال أبو ذر) رضي الله عنه: **(من كثر سواد قوم فهو منهم أي من كثر سواد الظلمة)** هكذا رواه ابن المبارك في الزهد عنه موقوفاً من غير التفسير السابق، وقد روي مرفوعاً من حديث ابن مسعود «أن رجلاً دعا ابن مسعود إلى وليمة فلما جاء ليدخل سمع لهواً فلم يدخل فقيل له، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول»: وذكره. وزاد «ومن رضي عمل قوم كان شريك من عمل به» أخرجه أبو يعلى وعلي بن معبد في كتاب الطاعة، والديلمي وله شاهد من حديث ابن عمر عن أحمد وأبي داود «من تشبه بقوم فهو منهم».

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(إن الرجل يدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له. قيل له: لم: قال: لأنه يرضيه بسخط الله تعالى)** أخرجه البخاري في التاريخ، وابن سعد في الطبقات مختصراً بلفظ «يدخل الرجل على السلطان ومعه دينه فيخرج وما معه شيء».

(واستعمل عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى **(رجلاً)** على عمالة **(فقيل له: إنه كان عاملاً للحجاج)** بن يوسف الثقفي **(فعزله)** عمر، **(فقال الرجل)** معتذراً، **(إنما عملت له على شيء يسير، فقال له عمر: حسبك بصحبته يوماً أو بعض يوم شؤماً وشراً)** وفي نسخة: أو شراً.

(وقال الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى: **(ما ازداد رجل من سلطان قرباً إلا ازداد**

ازداد رجل من ذي سلطان قرباً إلا ازداد من الله بُعْداً. وكان سعيد بن المسيب يتجر في الزيت ويقول: إن في هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين. وقال وهيب: هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم أضر على الأمة من المقامرين. وقال محمد بن سلمة: الذباب على العذرة أحسن من قارىء على باب هؤلاء. ولما خالط الزهري السلطان كتب أخ له في الدين إليه: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك، أصبحت شيخاً كبيراً قد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه

من الله بُعداً) وفي نسخة: إلا ازداد الله منه بعداً هذا قد روي في المرفوع من حديث أبي هريرة. أخرجه أحمد والبيهقي بسند صحيح « من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان افتتن وما ازداد أحد عند السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً ». ومما يدل على النسخة الثانية ما أخرجه هناد بن السري في الزهد من حديث عبيد بن عمير مرفوعاً « من تقرب من ذي سلطان ذراعاً تباعد الله منه باعاً ».

(وكان سعيد بن المسيب) التابعي رحمه الله تعالى **(يتجر في الزيت ويقول: إن في هذا لغنى عن هؤلاء السلاطين)**. قال العجلي: كان سعيد لا يأخذ العطاء وكانت له بضاعة أربعمائة دينار وكان يتجر بها في الزيت.

(وقال وهيب) بن الورد المكي رحمه الله تعالى: **(إن هؤلاء الذين يدخلون على الملوك أضر على)** هذه **(الأمة من المقامرين)** أورده صاحب القوت من طريق أيوب النجار عنه، وأيوب هذا ثقة، يونس يكنى أبا إسماعيل وكان قاضي اليمامة روى له البخاري ومسلم والنسائي.

(وقال محمد بن مسلمة) بن سلمة بن حريش بن خالد الخزرجي الأنصاري أبو عبد الله المدني من فضلاء الصحابة رضي الله عنه ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من حلفاء بني عبد الأشهل: **(الذباب على عذرة)** وزان كلمة الخرء ولا يعرف تخفيفها **(أحسن من قارىء على أبواب هؤلاء)** يعني المترفهين، هكذا نقله صاحب القوت.

(ولما خالط) أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب **(الزهري)** رحمه الله تعالى **(السلطان)** يعني به عبد الملك بن مروان فإنه كان قد خالطه وقدم عليه دمشق مراراً، وكذا ولده هشام قال سعيد بن عبد العزيز: سأل هشام بن عبد الملك الزهري أن يملي على بعض ولده شيئاً من الحديث فدعا بكاتب وأملى عليه اربعمائة حديث، ثم أتى هشاماً بعد شهر أو نحوه فقال للزهري: إن ذلك الكتاب قد ضاع. قال: لا عليك فدعا بكاتب فأملاها عليه، ثم قابل هشام بالكتاب الأول فما غادر حرف. **(كتب أخ له في الدين إليه)** ما نصه. **(عافانا الله وإياك أبا بكر من أيام الفتن، فلقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك)** أي يدعو لك بالرحمة

وعلمك من سنّة نبيه محمد ﷺ وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله تعالى: ﴿لتُبيِّنُنَّه للنَّاسِ ولاَ تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل البغي بدنوك ممن لم يؤد حقاً ولم يترك باطلاً حين أدناك اتخذوك قطباً تدور عليك رحى ظلمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلماً يصعدون فيه إلى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة﴾ الآية [مريم: ٥٩]، وإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداوِ دينك فقد دخله سقم، وهيء زادك فقد حضر سفر بعيد ﴿وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء﴾ [ابراهيم: ٣٨] والسلام.

(**أصبحت شيخاً كبيراً وقد اثقلتك نعم الله تعالى**) أي أثقلت كواهلك (**لما فهمك من كتابه**) أي بما رزقك الفهم فيه في استنباط معانيه (**وعلمك من سنة نبيه**) محمد (ﷺ **وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء. قال: فقال: ﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ واعلم أن ايسر ما ارتكبت**) في مخالطتك لهم (**وأخف ما تحملت انك آنست وحشة الظالم**) أي أزلتها عنه بإيناسك له (**وسهلت**) له (**سبيل الغي**) والضلال (**بدنوك ممن لم يؤد حقاً**) لصاحبه (**ولم يترك باطلاً**) في أحواله (**حين أدناك**) أي قربك (**اتخذك**) وفي نسخة: اتخذوك (**قطباً يدور عليه رحى ظلمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلائهم**) أي محنتهم، (**وسلماً يصعدون فيه إلى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلماء**) فيظنون أن العلماء كلهم هكذا، (**ويقتادون**) وفي نسخة، يغتالون (**بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمروا لك**) من دنياك (**في جنب ما خربوا عليك**) من آخرتك، (**وما أكثر ما أخذوا منك فيما**) وفي نسخة مما (**أفسدوا عليك من دينك، فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾ [مريم: ٥٩] فإنك تعامل من لا يجهل والذي يحفظ عليك لا يغفل، فداوِ دينك فقد دخله سقم، وهيء زادك فقد حضر سفر بعيد ﴿وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء﴾ والسلام**).

وهذه القصة أوردها أبو نعيم في الحلية في ترجمة أبي حازم بأطول مما هنا وها أنا أسوقها بتمامها قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مقسم أبو الحسن، وأبو بكر محمد بن أحمد بن هارون الوراق الأجهاني قالا: حدثنا أحمد بن محمد بن عبدالله صاحب ابن سجرة، حدثنا هارون بن حميد الذهلي، حدثنا الفضيل بن عتبة، عن رجل قد سماه وأراه عبد الحميد بن سليمان، عن الذيالي بن عباد قال: كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن ورحمك من النار، فقد أصبحت

....

بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك بها أصبحت شيخاً كبيراً قد أثقلتك نعم الله عليك بما أصح من بدنك، وأطال من عمرك وعلمت حجج الله تعالى بما حملك من كتابه، وفقهك فيه من دينه، وفهمك من سنة نبيه ﷺ، فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك وكل حجة يحتج بها عليك الغرض الأقصى ابتلى في ذلك شكرك وأبرأ فيه فضله عليك، وقد قال ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد﴾ [إبراهيم: ٧] انظر أي رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله فيسألك عن نعمه عليك كيف رعيتها، وعن حججه عليك كيف قضيتها، ولا تحسبن الله تعالى راضياً منك بالتعزيز، ولا قابلاً منك التقصير، هيهات ليس كذلك[1] في كتابه إذا قال ﴿لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم﴾ [آل عمران: ١٨٧] الآية إنك تقول أنك جدل ماهر عالم قد جادلت الناس فجدلتهم وخاصمتهم فخصمتهم إدلالاً منك بفهمك واقتداراً منك برأيك، فأين تذهب عن قول الله تعالى: ﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة﴾ [النساء: ١٠٩] الآية. اعلم أن أدنى ما ارتكبت وأعظم ما اقتفيت أن آنست الظالم وسهلت له طريق الغي بدنوك حين أدنيت وباجابتك حين دعيت، فما أخلقك أن ينوّه باسمك غداً مع الجرمة وأن تسأل باغضائك عما أردت عن ظلم الظلمة. إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك ودنوت ممن لم يرد على أحد حقاً ولا يرد باطلاً حين أدناك، وأجبت من أراد للتدليس بدعائه إياك حين دعاك. جعلوك قطباً تدور رحى باطلهم، وجسراً يعبرون بك إلى بلائهم، وسلماً إلى ضلالتهم، وداعياً الى غيهم سالكاً سبيلهم يدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم لهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، وما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك، فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك وحاسبها حساب رجل مسؤول، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس مبجلاً، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته ستيراً وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً. مالك لا تنتبه من نومتك وتستقل من عثرتك فتقول: والله ما قمت لله مقاماً واحداً أحيي له فيه ديناً ولا أمت فيه باطلاً إنما شكرك لمن استحملك كتابه واستودعك علمه فما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ [الأعراف: ١٦٩] إنك لست في دار مقام خلاد. أذنت بالرحيل فما بقاء أمرء بعد اقرانه طول لمن كان في الدنيا على وجل. يا بؤس من يموت وتبقى ذنوبه من بعده إنك لن تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك ليس أحد أهلاً أن تتركه[2] على ظهر ذهبت اللذة وبقيت التبعة. ما أشقى من سعد بكسبه غيره إحذر فقد اذنيت وتخلص فقد وهيت إنك تعامل من لا يجهل، والذي يحفظ عليك لا يغفل تجهز فقد دنا منك سفر بعيد، وداو دينك فقد دخله سقم شديد، ولا تحسبني أني أردت توبيخك أو تعييرك وتعنيفك، ولكن أردت أن تنعش ما فات من رأيك وترد عليك ما عزب

---

(١) هنا بياض في الأصل.

(٢) بياض في الأصل.

....

عنك من حلمك، وذكرت قوله تعالى ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ [الذاريات: ٥٥] أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك وبقيت بعدهم كقرن أعضب. فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه، وهل تراه ادخر لك خيراً منعوه أو علمت شيئاً جهلوه بل ابتليت به من حالك في صدور العامة وكلفهم بك إن صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك إن أحللت أحلوا وإن حرمت حرموا وليس ذلك عندك، ولكنهم أكبهم عليك رغبتهم فيما في يدك وتغلب عما هم وغلبة الجهل عليك وعليهم وحب الرئاسة وطلب الدنيا منك ومنهم. أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرة وما الناس فيه من البلاء والفتنة. ابتليتهم بالشغل عن مكاسبهم وفتنتهم بما رأوا من أثر العلم عليك وتاقت أنفسهم إلى أن يدركوا بالعلم ما أدركت، ويبلغوا منه مثل الذي بلغت فوقعوا منك في بحر لا يدرك قعره وفي بلاء لا يقدر قدره، فالله لنا ولك ولهم المستعان.

اعلم أن الجاه جاهان: جاه يجريه الله على يدي أولائه لأوليائه فهؤلاء قال الله تعالى ﴿أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة: ٢٢] وجاه يجريه الله على يدي أعدائه لأوليائهم: ﴿أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ [المجادلة: ١٩] وما أخوفني أن تكون نظيراً لمن عاش مستوراً عليه في دينه مقتوراً عليه في رزقه معزولة عنه البلايا مصروفة عنه الفتن في عنفوان شبابه وظهور جلده وكمال شهوته، فغني بذلك حتى إذا كبرت سنه ورق عظمه وضعفت قوته وانقطعت شهوته ولذته فتحت عليه الدنيا شر مفتوح، فلزمته تبعتها وعلقته فتنتها وأغشت عينيه زهرتها وصفت لغيره منفعتها، فسبحان الله ما أبين هذا الغبن وأخسر هذا الأمر، فهلا إذ عرضت لك فتنتها ذكرت أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في كتابه إلى سعد حين خالف عليك مثل الذي وقعت فيه عند ما فتح الله على سعد.

أما بعد. فاعرض عن زهرة ما أنت فيه حتى تلقى الماضين الذين دفنوا في أرماسهم لاصقة بطونهم بظهورهم ليس بينهم وبين الله حجاب، لم تفتنهم الدنيا ولم يفتتنوا بها رغبوا فطلبوا فما لبثوا أن لحقوا فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك ورسوخ علمك وحضور أجلك، فمن يلوم الحدث في شبيبته الجاهل في علمه [1] في رأيه المدخول في عقله إنا لله وإنا إليه راجعون، على من المعول وعند من المستغاث ونشكو إلى الله شيئاً وما نرى منك ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته اهـ نص الحلية.

وهنا فلنذكر بعض الآثار الذي أورده الجلال السيوطي في كتاب الأساطين: أخرج الدارمي في مسنده عن ابن مسعود قال: من أراد أن يكرم دينه فلا يدخل على السلطان، ولا يخلون بالنسوان، ولا يخاصمن أصحاب الأهواء.

---

(١) هنا بياض في الأصل.

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن سلمة بن نبيط قال، قلت لأبي وكان قد شهد النبي ﷺ ورآه وسمع منه: يا أبت لو أتيت هذا السلطان فأصبت منه وأصاب قومك في حاجتك. قال: أي بني إني أخاف أن أجلس منهم مجلساً يدخلني النار.

وأخرج ابن أبي شيبة عن حذيفة قال: ألا لا يمشين رجل مبكر شبراً إلى ذي سلطان.

وأخرج البيهقي، وابن عساكر عن أيوب السختياني قال، قال أبو قلابة: احفظ عني ثلاث خصال: إياك وأبواب السلطان، وإياك ومجالس أصحاب الأهواء، والزم سوقك فإن الغنى من العافية.

وأخرج البيهقي من طريق حماد بن سلمة عن يونس عن عبيد قال: لا تجالس صاحب بدعة، و صاحب سلطان، ولا تخلون بامرأة.

ومن طريق محمد بن واسع قال: سف التراب خير من الدنو من السلطان، ومن طريق الفضيل بن عياض قال: كنا نتعلم اجتناب السلطان كما نتعلم سورة من القرآن، ومن طريق أبي شهاب قال: سمعت سفيان الثوري يقول لرجل: إن دعوك أن تقرأ عليهم قل هو الله أحد فلا تأتهم قيل لابي شهاب: من يعني؟ قال: السلطان.

وأخرج الخطيب عن مالك بن أنس قال: أدركت بضعة عشر رجلاً من التابعين يقولون: لا تأتوهم ولا تأمروهم يعني السلطان.

وأخرج البيهقي عن أحمد بن عبد الله بن يونس قال: سمعت رجلاً يسأل الثوري أوصني. قال: إياك والأهواء، وإياك والخصومة، وإياك والسلطان.

وأخرج البخاري في تاريخه عن رجاء بن حيوة أنه قيل له: ما لك لا تأتي السلطان؟ قال: يكفيني الذي تركته لهم.

وأخرج الخطيب في التاريخ من طريق ابن دريد، عن أبي حاتم، عن العبي عن أبيه قال: قال موسى بن عيسى، وهو يومئذ أمير الكوفة لأبي شيبة: ما لك لا تأتيني؟ قال: أصلحك الله إن أتيتك فقربتني فتنتني وإن باعدتني أحزنتني وليس عندك ما أخافك عليه ولا عندك ما أرجو فما ردّ عليه شيئاً.

وأخرج الرافعي في تاريخ قزوين عن عبد الله بن السندي قال: كتب أبو بكر بن عياش إلى عبد الله بن المبارك: إن كان الفضل بن موسى السيناني لا يداخل السلطان فاقرئه مني السلام.

وأخرج أبو نعيم عن أبي صالح الانطاكي قال: سمعت ابن المبارك يقول: من بخل بالعلم ابتلي بثلاث: إما يموت، أو ينسى، أو يلزم السلطان فيذهب علمه.

فهذه الأخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وأنواع الفساد، ولكن نفصل ذلك تفصيلاً فقهياً نميّـز فيه المحظور عن المكروه والمباح. فنقول: الداخل على السلطان متعرض لأن يعصي الله تعالى إما بفعله أو بسكوته، وإما بقوله، وإما باعتقاده فلا ينفك عن أحد هذه الأمور.

أما الفعل؛ فالدخول عليهم في غالب الأحوال يكـون إلى دور مغصـوبـة وتخطيهـا والدخول فيها بغير إذن الملاك حرام؛ ولا يغرنك قول القائل: إن ذلك مما يتسامح به الناس كتمرة أو فتات خبز فإن ذلك صحيح في غير المغصوب، أما المغصوب فلا. لأنه إن قيل: إن كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهي في محل التسامح؟ وكذلك الاجتياز

وفي تعليق أبي علي الآمدي عن عمارة بن سيف أنه سمع سفيان الثوري يقول: النظر إلى السلطان خطيئة.

واخرج ابن عساكر عن الأوزاعي قال: قدم عطاء الخراساني على هشام بن عبد الملك فنزل على مكحول فقال عطاء لمكحول: أههنا أحد يحركنا يعني يعظنا؟ قال: نعم يزيد بن ميسرة فأتوه، فقال له عطاء حركنا رحمك الله، قال: نعم كانت العلماء إذا علموا عملوا فإذا عملوا شغلوا فإذا شغلوا فقدوا فإذا فقدوا طلبوا فإذا طلبوا هربوا. قال: أعد عليَّ فأعاد عليه فرجع ولم يلق هشاماً.

وأخرج ابن النجار في تاريخه عن سفيان الثوري قال: ما زال العلم عزيزاً حتى حمل إلى أبواب الملوك فاخذوا عليه أجراً، فنزع الله الحلاوة من قلوبهم ومنعهم العمل به.

(فهذه الأخبار والآثار تدل على ما في مخالطة السلاطين من الفتن وأنواع الفساد، ولكن نفصل ذلك تفصيلاً نميز فيه المحظور عن المكروه والمباح) الشرعيات. **(فنقول: الداخل على السلطان معرض)** أي في مثابة يعرض نفسه فيها **(لأن يعصى الله تعالى)** ويخالف أمره **(إما بفعله أو بسكوته، وإما بقوله، وإما باعتقاده)** أي على سائر الأحوال **(فلا ينفك عن هذه الأمور)**، ووجه الاستقراء ان الداخل لا يخلو عند دخوله أن يفعل شيئاً أو يسكت على شيء أو يقول شيئاً أو يعتقد في نفسه شيئاً، والقول ما كان باللسان والفعل ما كان بالجوارح.

(أما الفعل: فالدخول عليهم في غالب الأحوال يكون إلى دور مغصوبة) من أهلها **(وتخطّيـها)** بالثمن فيها **(والدخول فيها بغير إذن الملاك حرام)** هذا هو الصحيح. **(ولا يغرنك قول القائل: إن هذا مما يتسامح به الناس)** للضرورات **(كتمرة)** مسقطة **(أو فتات خبز)** هو ما تكسر منه، **(فإن ذلك صحيـح)** ويتسامـح بـه **(لكـن غير المغصـوب، وأمـا المغصوب فلا. لأنه لو قيل: إن كل جلسة خفيفة لا تنقص الملك فهي في محل التسامح**

فيجري هذا في كل واحد فيجري أيضاً في المجموع والغصب إنما تم بفعل الجميع، وإنما يتسامح به إذا انفرد إذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه، فأما إذا كان ذلك طريقاً إلى الاستغراق بالاشتراك فحكم التحريم ينسحب على الكل، فلا يجوز أن يؤخذ ملك الرجل طريقاً اعتماداً على أن كل واحد من المارين إنما يخطو خطوة لا تنقص الملك، لأن المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة في التعليم تباح ولكن بشرط الانفراد، فلو اجتمع جماعة بضربات توجب القتل وجب القصاص على الجميع مع إن كل واحدة من الضربات لو انفردت لكانت لا توجب قصاصاً، فإن فرض كون الظالم في موضع غير مغصوب كالموات مثلاً، فإن كان تحت خيمة أو مظلة من ماله فهو حرام، والدخول إليه غير جائز لأنه انتفاع بالحرام واستظلال به، فإن فرض كل ذلك حلالاً فلا يعصي

وكذلك الاجتياز فيجري هذا في كل احد فيجري أيضاً في المجموع والغصب إنما يتم بفعل الجميع، إنما يسامح به إذا انفرد) وحده **(إذ لو علم المالك به ربما لم يكرهه)** ويسامحه: **(فأما إذا كان ذلك طريقاً إلى الاستغراق بالاشتراك)** مع الجميع، **(فحكم التحريم ينسحب عل الكل فلا يجوز أن يتخذ ملك الرجل طريقاً)** وممراً **(اعتماداً على أن كل واحد)** من المارين **(إنما يخطو خطوات)** يسيرة **(لا تنقص الملك لأن المجموع مفوت للملك وهو كضربة خفيفة في التعليم تباح)** شرعاً، **(ولكن بشرط الانفراد. فلو اجتمع جماعة بضربات)** متعددة **(توجب القتل)** وازهاق النفس **(وجب القصاص على الجميع)** لأنهم اشتركوا في قتله **(مع أن كل واحدة من الضربات لو انفردت لكانت لا توجب قصاصاً)** هذا حال دار الإمارة إن حكم الدخول فيها، **(فإن فرض كون الظلم في موضع غير مغصوب كالموات مثلاً)** فإنها ليس لأحد فيها حق، **(فإن كان تحت خيمة)** قال ابن الاعرابي: الخيمة عند العرب لا تكون من ثياب بل من أربعة أعواد بسقف اهـ. لكن العرف الجاري الآن هي أنها ما كانت من ثياب وفي وسطها عمودان وحواليها عمدان كثيرة ويعبرون عنها بالصيوان، **(أو مظلة)** بكسر الميم البيت الكبير من الشعر وهو أوسع من الخباء قال الفارابي في باب مفعلة بكسر الميم، وإنما كسرت الميم لانها اسم آلة، ثم كثر الاستعمال حتى سموا العريش المتخذ من جريد مستور بالثمام مظلة على التشبيه. وقال الازهري: أما المظلة فرواه ابن الأعرابي بفتح الميم وغيره يجيز كسرها. وقال في مجمع البحرين: الفتح لغة في الكسر والجمع المظال اهـ. قلت: وقد كثر استعمالها الآن فيما يتخذ من الثياب، ويكون أقل من الخيمة بعمودين صغيرين في مقدمها ويعبّر عنها بالسحابة **(من ماله فهو حرام)** لكون أغلب أموال السلاطين كذلك **(والدخول إليه)** فيها **(غير جائز لانه انتفاع بالحرام واستظلال به)** هذا إذا كانت من ثياب، فإذا كانت من حرير مصبوغ بألوان مختلفة وحبالها من الحرير ومعاقدها من الفضة كما هو عادة السلاطين فتشتد فيه الحرمة، **(فإن فرض كل ذلك حلالاً فلا يعصى)** الداخل **(بالدخول من حيث أنه دخول**

بالدخول من حيث أنه دخول ولا بقوله: السلام عليكم، ولكن إن سجد أو ركع أو مثل قائماً في سلامه وخدمته كان مكرماً للظالم بسبب ولايته التي هي آلة ظلمه والتواضع للظالم معصية. بل من تواضع لغني ليس بظالم لأجل غناه ـ لا لمعنى آخر اقتضى التواضع ـ نقص ثلثا دينه فكيف إذا تواضع للظالم؟ فلا يباح إلا مجرد السلام. فأما تقبيل اليد والانحناء في الخدمة فهو معصية إلا عند الخوف، أو لإمام عادل أو لعالم أو لمن يستحق ذلك بأمر ديني.

قبّل أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يد عمر رضي الله عنه لما ان لقيه بالشام فلم

ولا بقوله: السلام عليك) أو عليكم، **(ولكن إن سجد)** في دخوله **(أو ركع)** أي عمل على هيئتها كما هو مألوف من الأعاجم **(أو مثل قائماً في سلامه وخدمته)** كما هو عادة ملوك الطوائف، وكذا إذا قبّل طرف بساطه من غير سلام، أو قبّل الأرض، أو قبّل حاشية ردائه في كل ذلك مع حرمته **(كان مكرماً للظالم بسبب ولايته التي هي آلة الظلمة والتواضع للظالم معصية، بل من تواضع لغني)** وهو **(ليس بظالم)** بل عدل في نفسه **(لأجل غناه)** طمعاً فيما عنده **(لا لمعنى آخر يقتضي التواضع نقص ثلثا دينه)** وقد روي معناه في المرفوع أخرج الديلمي من حديث أبي ذر «لعن الله فقيراً تواضع لغني من أجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه». وأخرجه البيهقي من حديث وهب بن منبه قال: قرأت في التوراة فذكر نحوه. وأخرج البيهقي في الشعب من حديث الحسن بن بشر حديثاً عن الأعمش، عن إبراهيم عن ابن مسعود من قوله قال «من خضع لغني ووضع له نفسه إعظاماً له وطمعاً فيما قبله ذهب ثلثا مروءته وشطر دينه». ومن حديث شمر بن عطية، عن أبي وائل، عن ابن مسعود رفعه فذكر الحديث وفيه «ومن دخل على غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه» وإنما لم يحكم على الثلث الثالث وهو القلب لخفائه إذ الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان وتصديق بالقلب.

(فكيف إذا تواضع لظالم فلا يباح) عند الدخول عليه **(إلا مجرد السلام، فأما تقبيل اليد)** ظهراً أو بطناً **(والانحناء في الخدمة)** كهيئة الراكع وتقبيل البساط أو حاشية الثوب أو أخذ شيء من التراب ووضعه على الرأس أو نزع قلنسوة من الرأس، **(فهو معصية إلا عند خوف)** منه على نفسه وعياله أو ضيعته، فإن قبّل اليد فلا بأس بذلك، وأما ما عداه مما ذكر فغير جائز فإنه ليس من شعار المسلمين، **(أو لإمام عادل)** في رعيته **(أو لعالم)** منتفع بعلمه **(أو لمن يستحق ذلك بأمر ديني)** كشيخ مسن صالح شاب في الإسلام أو شيخه في العلم، ولو كان شاباً أو والده أو والدته والعم بمنزلة الأب.

(وقبّل أبو عبيدة) عامر بن عبد الله **(بن الجراح)** بن هلال بن أهب الفهري القرشي أمين هذه الأمة وأحد العشرة المبشرة بالجنة، مات سنة ثماني عشرة في طاعون عمواس وهو ابن ثمان

ينكر عليه. وقد بالغ بعض السلف حتى امتنع من رد جوابهم في السلام والإعراض عنهم استحقاراً لهم، وعدّ ذلك من محاسن القربات. فأما السكوت عن رد الجواب ففيه نظر، لأن ذلك واجب فلا ينبغي أن يسقط بالظلم. فإن ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو من الجلوس على بساطهم وإذا كان أغلب أموالهم حراماً فلا يجوز الجلوس على فرشهم؛ وهذا من حيث الفعل.

فأما السكـوت؛ فهو أنه سيرى في مجلسهم من الفرش الحرير وأواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام. وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك

وخمسين سنة **(يد عمر رضي الله عنهما لما أن لقيه بالشام فلم ينكر عليه)** وكان عمر قد ولآه الشام وفتح الله عز وجل على يديه اليرموك والجابية وسرغ والرمادة. وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق معمر: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال: لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخـي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة. قالوا: الآن يأتيك فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته الحديث.

(وقد بالغ بعـض السلـف حتى امتنـع مـن ردّ جـوابهم في السلام والإعـراض عنهـم استحقاراً لهم وجعلوه من محاسن القربات) كأنه يشير بذلك إلى سفيان الثوري ونظرائه، ففي أخبار الصوفية لابن باكويه الشيرازي: حدثنا عبد الواحد بن بكر، حدثنا أحمد بن محمد بن حمدون، حدثنا أبو عيسى الأنباري، حدثنا فتح بن شخرف، حدثنا عبد الله بن حسين، عن سفيان الثوري أنه كان يقول: تعززوا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم.

(فاما السكوت عن رد السلام ففيه نظر، لأن ذلك) أي رد جواب السلام **(واجب)** إلا فيما استثنى، **(فلا ينبغي أن يسقط بالظلم)** وقد يقال: إن ورع سفيان أدى إلى أن الظلم من جملة المستثنيات كغيره مما هو في منظومة ابن العماد، **(فإن ترك الداخل جميع ذلك واقتصر على السلام فلا يخلو)** الحال **(من الجلوس على بساطهم، فإذا كان أغلب أموالهم حراماً فلا يجوز الجلوس على فرشهم)** فإنها مشتراة من المال الحرام أو في الذمة وأدى ثمنه من الحرام ففيه شبهة الحرام. **(هذا من حيث الفعل)**.

(فأما السكوت، فهو أنه يرى في مجالسهـم مـن فـراش الحريـر) والديبـاج والمزركش بالقصب **(وأواني الفضة)** والذهـب كـالمرشي والمجمـرة والطسـت والإبـريـق وأواني الشرب **(والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم)** الواقفين بين أيديهم **(مما هو حرام)** بالاتفاق ويزيد على ذلك صباحة وجوههم ودقة لباسهم كانوا في زي النساء فهو مع كونه منكر النظر إليهم حرام، **(وكل من رأى منكراً وسكت عنه)** ولم يغيره بيده أو بلسانه **(فهو شريك في ذلك المنكر)**

في تلك السيئة، بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وشتم وإيذاء والسكوت على جميع ذلك حرام. بل يراهم لابسين الثياب الحرام وآكلين الطعام الحرام وجميع ما في أيديهم حرام والسكوت على ذلك غير جائز. فيجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلسانه إن لم يقدر بفعله.

وإن قلت: إنه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت؟ فهذا حق ولكنه مستغن عن أن يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح إلا بعذر، فإنه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر. وعند هذا أقول: من علم فساداً في موضع وعلم أنه لا يقدر على إزالته فلا يجوز له أن يحضر ليجري ذلك بين يديه وهو يشاهده ويسكت، بل ينبغي أن يحترز عن مشاهدته.

وأما القول؛ فهو أن يدعو للظالم أو يثني عليه أو يصدّقه فيما يقول من باطل بصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار في وجهه، أو يظهر له الحب والموالاة

لأن سكوته بمنزلة رضاه لما هم عليه. **(بل يسمع من كلامهم ما هو فحش)** وبذيء **(وكذب وشتم)** وفي نسخة: «وسفه» بدل «وشتم» **(وإيذاء، والسكوت على جميع ذلك حرام، بل يراهم لابسين الثياب)** الحرام **(وآكلين الطعام الحرام وجميع ما في أيديهم)** من الأموال والأمتعة **(حرام والسكوت على ذلك)** كله **(غير جائز، فيجب عليه الأمر بالمعروف)** شرعاً **(والنهي عن المنكر)** شرعاً إما **(بلسانه إن لم يقدر بفعله)** فإن لم يقدر بلسانه فبقلبه وهذا أضعف الإيمان، وسيأتي شروط الأمر بالمعروف في موضعه.

(فإن قيل: إنه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت؟ فهذا حق ولكنه يستغني عن أن يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح إلا لعذر، فإنه لو لم يدخل ولم يشاهد) المنكر **(لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر. وعند هذا أقول: من علم فساداً في موضع)** من أنواع المنكرات **(وعلم أنه لا يقدر على إزالته)** ودفعه، **(فلا يجوز أن يحضر ذلك الموضع)** رأساً **(ليجري ذلك الفساد بين يديه وهو)** بمرأى منه ومسمع و**(يشاهد ويسكت عن الإنكار له، بل ينبغي أن يحترز عن مشاهدته)** ولذا قالوا: إن الوليمة إذا كانت لا تخلو من هذه المنكرات لا يجب إجابتها إلا إذا علم من نفسه إنه يقدر على إزالتها.

(فأما القول: فهو أن يدعو للظالم) بأنواع الأدعية **(ويثني عليه)** بالجميل **(أو يصدقه فيما يقول من باطل)** وزور وكذب **(إما بصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار في وجهه)** وطلاقه بشرته، **(أو بإظهار حب أو موالاة)** ومصادقة **(أو اشتياق إلى لقائه وحرص**

والاشتياق، إلى لقائه والحرص على طول عمره وبقائه، فإنه في الغالب لا يقتصر على السلام بل يتكلم ولا يعدو كلامه هذه الأقسام.

أما الدعاء له؛ فلا يحل إلا أن يقول: أصلحك الله أو وفقك الله للخيرات أو طوّل الله عمرك في طاعته أو ما يجري هذا المجرى. فأما الدعاء بالحراسة وطول البقاء وإسباغ النعمة مع الخطاب بالمولى وما في معناه فغير جائز، قال ﷺ: «من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله في أرضه» فإن جاوز الدعاء إلى الثناء فذكر ما ليس فيه فيكون به كاذباً ومنافقاً ومكرماً للظالم، وهذه ثلاث معاص. وقد قال ﷺ: «إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق» وفي خبر آخر: «من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الإسلام» فإن جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقول، والتزكية والثناء على ما يعمل كان عاصياً بالتصديق وبالإعانة، فإن التزكية والثناء إعانة على المعصية وتحريك للرغبة فيه كما أن التكذيب والمذمة والتقبيح زجر عنه وتضعيف لدواعيه. والإعانة على المعصية معصية ولو

على طول عمره وبقائه، فإنه في غالب الأمر لا يقتصر على السلام) فقط **(بل يتكلم)** ويطول لسانه **(ولا يعدو)** أي لا يتجاوز **(كلامه هذه الأقسام)** المذكورة.

(وأما الدعاء له فلا يحل إلا أن يقول: أصلحك الله) أيها الأمير أي جعل ظاهرك وباطنك صالحاً **(أو وفقك الله للخيرات أو طول الله عمرك في طاعته)** أو أصلح الله شأنك أو أعانك الله على وقتك أو وفقك لما يحبه ويرضاه، **(وما يجري هذا المجرى)** في الأدعية المناسبة للوقت والمقام كأن يقول: نصرك الله على عدوك أو قوى الله شوكتك أو أعانك فيما أنت عليه أو حبب الله إليك الصالحات أو رزقك الله التوفيق والإعانة. **(وأما الدعاء بالحراسة وطول البقاء وإسباغ النعمة)** وإتمامها ودوامها عليه **(مع الخطاب بالمولى وما في معناه)** من ألفاظ التعظيم، **(فغير جائز. قال ﷺ: «من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله في أرضه»)** تقدم الكلام عليه في آخر كتاب الكسب، وسيأتي في آفات اللسان أنه في قول الحسن وهو الصواب، **(فإن جاوز الدعاء إلى الثناء فذكر ما ليس فيه)** من تلك الأوصاف التي يستحق بها الثناء **(كان بذلك كاذباً ومنافقاً ومكرماً لظالم)** أما كذبه فظاهر، وأما نفاقه فلأنه يظهر له خلاف ما يضمره في باطنه، وأما إكرامه فلأنه ما اختار الكذب والنفاق إلا استجلاب رضاه فهو إكرام له. **(وهذه ثلاثة معاص)** ظاهرة، **(وقد قال ﷺ: «إن الله ليغضب إذا مدح الفاسق»)** تقدم الكلام عليه في آخر كتاب الكسب. **(وفي خبر آخر: «من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الإسلام»)** تقدم الكلام عليه أيضاً في آخر كتاب الكسب، **(فإن جاوز ذلك إلى التصديق له فيما يقوله كان عاصياً بالتصديق والإعانة فإن التزكية والثناء إعانة على الظلم، والمعصية)** وإبقاء له عليها **(وتحريك للرغبة فيه كما أن التكذيب والمذمة والتقبيح)** لما يفعله

بشطر كلمة. ولقد سئل سفيان الثوري رضي الله عنه عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء؟ فقال: لا، دعه حتى يموت، فإن ذلك إعانة له. وقال غيره: يسقى إلى أن تثوب إليه نفسه ثم يعرض عنه. فإن جاوز ذلك إلى إظهار الحب والشوق إلى لقائه وطول بقائه؛ فإن كان كاذباً عصى معصية الكذب والنفاق، وإن كان صادقاً عصى بحبه بقاء الظالم وحقه أن يبغضه في الله ويمقته. فالبغض في الله واجب، ومحب المعصية والراضي بها عاص. ومن أحب ظالماً فإن أحبه لظلمه فهو عاص لمحبته وإن أحبه لسبب آخر فهو عاص من حيث انه لم يبغضه، وكان الواجب عليه أن يبغضه. وإن اجتمع في شخص خير وشر وجب أن يحب لأجل ذلك الخير ويبغض لأجل ذلك الشر. وسيأتي في كتاب الاخوة والمتحابين في الله وجه الجمع بين البغض والحب. فإن سلم من

ويقوله **(زجر عنها وتضعيف لدواعيها)** وإماتة لبواعثها **(والإعانة على المعصية معصية)** كما أن الإعانة على الطاعة طاعة **(ولو بشطر كلمة)**، فقد روى الديلمي من حديث أنس « من أعان ظالماً على ظلمه جاء يوم القيامة وعلى جبهته مكتوب آيس من رحمة الله ».وروى الحاكم في تاريخه من حديث ابن مسعود: « من أعان على الظلم فهو كالبعير المتردي في الركن ينزع بذنبه ». وروى ابن ماجه والحاكم والرامهرمزي في الأمثال من حديث ابن عمر: « من أعان على خصومة بظلم أو معين على ظلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع » وروى ابن عساكر من حديث ابن مسعود: « من أعان ظالماً سلطه الله عليه ».

(ولقد سئل سفيان) الثوري رحمه الله تعالى: **(عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء؟ فقال: لا. قيل له: يموت. فقال: دعه يموت)** وإنما قال ذلك مع أن في كل كبد حار رطبة أجر، **(لأن ذلك إعانة له على ظلمه)** فهلاكه أولى وهذا فيه تشديد. **(قال غيره)**: بل **(يسقى إلى أن تثوب)** أي ترجع **(إليه نفسه ثم يعرض عنه)** وهذا أوفق بفتوى الظاهر، **(فإن جاوز ذلك إلى إظهار الحب)** والميل الباطني **(والشوق إلى لقائه)** من مدة **(وطول بقائه)** مع الصحة والعافية، **(فإن كان)** في ذلك **(كاذباً عصى بمعصية الكذب والنفاق، وإن كان)** فيه **(صادقاً عصى بحبه بقاء ظالم وحقه أن يبغضه في الله تعالى ويمقته)** ظاهراً وباطناً، **(فالبغض في الله واجب)** كما أن الحب في الله كذلك، **(ومحب المعصية والراضي بها عاص)** عند الله تعالى. **(ومن أحب ظالماً فقد أحبه لظلمه)** أي لأجل ظلمه وإلا فليس للظالم ما يحب لأجله **(فهو عاص بمحبته)** له، **(وإن أحبه لسبب آخر)** كان أعانه في واقعة أو دفع عمن يلوذ به مظلمة، **(فهو عاص من حيث أنه لم يبغضه)** في الله عز وجل، **(وكان الواجب عليه أن يبغضه)** لأجل ظلمه، **(وإن اجتمع في شخص واحد شر وخير وجب أن يحب لأجل ذلك الخير ويبغض لأجل ذلك الشر)** وفي هذا المقام يجتمع الحب والبغض معاً. **(وسيأتي في كتاب الأخوة)** الإلهية **(والمتحابين في الله وجه الجمع بين البغض**

ذلك كله وهيهات! فلا يسلم من فساد يتطرق إلى قلبه فإنه ينظر إلى توسعه في النعمة ويزدري نعم الله عليه ويكون مقتحماً نهي رسول الله ﷺ حيث قال: «يا معشر المهاجرين لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق» وهذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول ومن تكثيره سواد الظلمة بنفسه وتجميله إياهم إن كان ممن يتجمل به، وكل ذلك إما مكروهات أو محظورات. دعي سعيد بن المسيب إلى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال: لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فإن النبي ﷺ نهى عن بيعتين فقال: ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر، فقال: لا والله لا يقتدي بي أحد من الناس، فجلد مائة وألبس المسوح.

والحب، **فإن ساعده التوفيق وسلم من ذلك كله فلا يسلم من فساد يتطرق إلى قلبه فإنه ينظر إلى توسعه في النعمة)** الظاهرة وحسن تجمّله في محفله وحشمه، **(فيزدري)** أي يحتقر، **(نعم الله عليه)** لأن الإنسان غيور حسود بالطبع، فإذا نظر إلى ما أنعم الله به على غيره حملته الغيرة والحسد على الكفران والسخط، **(ويكون مقتحماً)** أي مرتكباً **(نهي رسول الله ﷺ حين قال: «يا معشر المهاجرين والأنصار لا تدخلوا على أهل الدنيا فإنها مسخطة للرزق»)** قال العراقي: رواه الحاكم من حديث عبد الله بن الشخير: «أقلوا الدخول على الأغنياء فإنه أجد ولا تزدروا نعم الله عز وجل». وقال صحيح الإسناد اهـ.

قلت: وآخره الذهبي، وقد رواه أيضاً أحمد وأبو داود والنسائي وعبّر «بأقلوا» ولم يقل لا تدخلوا لأنه قد تدعو الحاجة إلى الدخول عليهم. قال ابن عون: صحبت الأغنياء فلم أجد أكثرهما مني أرى دابة خيراً من دابتي وثوباً خيراً من ثوبي، وصحبت الفقراء فاسترحت. وقوله: فإنها مسخطة أي يحملك على السخط والكفران.

(هذا مع ما فيه من اقتداء غيره به في الدخول) لا سيما إن كان معتقداً **(ومن يكثر سواد الظلمة بنفسه)** فمن كثر سواد قوم فهو منهم، **(وتجميله إياهم إن كان ممن يتجمل به، وكل ذلك إما مكروه وإما محظور، دعي سعيد بن المسيب)** رحمه الله **(إلى البيعة للوليد وسليمان بن عبد الملك بن مروان)** بن الحكم بن أبي العاص الأموي بعد أبيهما على وجه الاشتراك وكان الداعي له هو والدهما عبد الملك **(فقال)** سعيد: **(لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار، فإن النبي ﷺ نهى عن بيعتين، فقال: ادخل من الباب وأخرج من الباب الآخر. قال)** عبد الملك: **(والله لا يقتدي بك أحد من الناس)** أي في الامتناع عن البيعة، وفي نسخة لا يقتدي بي فيكون ضميراً راجعاً إلى سعيد، **(فجلد مائة وألبس المسوح)** جمع مسح بالكسر وهو الكساء الأسود. قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية بإسناد صحيح اهـ.

قلت: وحديث نهى عن بيعتين رواه الترمذي والنسائي في البيوع المنهية من حديث أبي هريرة

ولا يجوز الدخول عليهم إلا بعذرين.

أحدهما: أن يكون من جهتهم أمر إلزام لا أمر إكرام وعلم أنه لو امتنع أوذي أو فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب عليهم أمر السياسة فيجب عليه الإجابة لا طاعة لهم بل مراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية.

والثاني: أن يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواه أو عن نفسه إما بطريق الحسبة أو بطريق التظلم فذلك رخصة بشرط أن لا يكذب ولا يثني ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولاً فهذا حكم الدخول.

بزيادة في بيعة، وقوله: بيعتين بالكسر نظراً للهيئة، بالفتح نظراً للمرة، ورجح الزركشي الكسر فإن كان الذي ذكره سعيد هو هذا الحديث فلا يدل على المطلوب لأن المقصود النهي عن بيعة الخليفتين لا أن يبيع رجلاً شيئاً على أن يشتري منه شيئاً آخر فتأمل ذلك.

مات سعيد في خلافة الوليد سنة أربع وتسعين، وقرأت في كتاب خلاصة التواريخ سنة خمس وثمانين فيها عزم عبد الملك على خلع عبد العزيز أخيه وتصيير العهد لابنيه الوليد وسليمان بعده، فهو في ذلك إذ أتاه نعي عبد العزيز من بلاد مصر في جمادى هذه السنة، فحزن عليه وشاور الناس في البيعة لابنيه فأشاروا بعقدها لهما. وأخذ البيعة لهما بحضرته، وكتب إلى سائر الأمصار فأخذها فبويع لهما في سائر بلدان الإسلام إلا سعيد بن المسيب فإنه امتنع من البيعة لهما وقال: لا أبايعهما. وعبد الملك حي فأخذه هشام بن إسماعيل وكان عامل عبد الملك بالمدينة فضربه ستين سوطاً وحبسه، فبلغ ذلك عبد الملك فقال: قبح الله هشاماً كان ينبغي أن يعرض عليه البيعة إن امتنع أن يضرب عنقه أو يصرفه ثم أمره بإطلاقه.

(**فلا يجوز الدخول عليهم إلا من عذرين**):

(**أحدهما: أن يكون من جهتهم أمر إلزام**) منهم (**لا أمر إكرام وعلم**) ومع ذلك أنه (**لو امتنع**) من الذهاب إليهم (**أوذي**) في الحال أو في المآل (**أو**) رأى امتناعه (**يفسد طاعة الرعية واضطراب أمر السياسة فيجب عليه حينئذ الإجابة**) لداعية (**لا طاعة لهم**) لكونهم أولياء الأمر (**بل مراعاة لمصلحة الخلق حتى لا تضطرب الولاية**) بسببه.

(**الثاني: أن يدخل عليهم في دفع ظلم عن مسلم سواه أو عن نفسه إما بطريق الحسبة**) أي احتساباً بالله تعالى (**أو بطريق التظلم**) أي التشكي عن الظلم، (**ففي ذلك رخصة**) شرعية ولكن بشرط (**أن لا يكذب**) في حديثه (**ولا يثني**) عليه ما ليس فيه، (**ولا يدع نصيحة يتوقع لها قبولا**) بالإمارات الظاهرة من أحواله، (**فهذا حكم الدخول**) عليهم.

الحالة الثانية: أن يدخل عليك السلطان الظالم زائراً فجواب السلام لا بدّ منه. وأما القيام والإكرام له فلا يحرم مقابلة له على إكرامه. فإنه بإكرام العلم والدين مستحق للإحماد كما أنه بالظلم مستحق للابعاد. فالإكرام بالإكرام والجواب بالسلام. ولكن الأولى أن لا يقوم إن كان معه في خلوة ليظهر له بذلك عز الدين وحقارة الظلم، ويظهر به غضبه للدين وإعراضه عمن أعرض عن الله فأعرض الله تعالى عنه. وإن كان الداخل عليه في جمع فمراعاة حشمة أرباب الولايات فيما بين الرعايا مهم فلا بأس بالقيام على هذه النية. وإن علم ان ذلك لا يورث فساداً في الرعية ولا يناله أذى من غضبه فترك الاكرام بالقيام أولى. ثم يجب عليه بعد أن وقع اللقاء أن ينصحه فإن كان يقارف ما لا يعرف تحريمه وهو يتوقع أن يتركه إذا عرف فليعرفه فذلك واجب. وأما ذكر تحريم ما

(**الحالة الثانية: أن يدخل عليك السلطان الظالم زائراً فجواب السلام لا بد منه**) ولا يجوز الإعراض عن جواب السلام. (**وأما القيام**) له من مجلسه (**والإكرام**) بأن يقدم له تكرمة من فراش أو وسادة ويجلسه في أعلى مجلس (**فلا يحرم مقابلة له على إكرامه، فإنه بإكرامه للعلم والدين مستحق للإحماد كما أنه بالظلم مستحق للإبعاد فالإكرام بالإكرام**) أي في مقابلته (**والجواب بالسلام ولكن الأولى أن لا يقوم**) عن موضعه دخوله عليه (**إن كان معه في خلوة**) من الناس (**ليظهر بذلك عز الدين**) وأهله (**وحقارة الظلم**) وأهله، (**ويظهر غضبه للدين**) أي حمية له (**و**) يظهر (**إعراضه عمن أعرض الله عنه**) ممن أخلد في ظلمه واسترسل في مخالفاته فقد روى ابن عساكر من حديث ابن عمر: « من أرعب صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنا وأمانا، ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله من الفزع الأكبر، ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة، ومن لان له إذا لقيه بتثبت فقد استخف بما أنزل على محمد ﷺ » فإذا كان هذا في صاحب بدعة فالظالم بطريق الأولى (**وإن دخل عليه**) وهو (**في جمع**) أو معه جمع (**فمراعاة حشمة أرباب الولايات فيما بين الرعايا مهم**) ضروري (**فلا**) بأس بالقيام على هذه النية، وإن علم أن ذلك لا يورث فساداً في (**الرعية ولا يناله أذى من غضبه**) ولا حقد عليه في نفسه (**فترك الإكرام بالقيام أولى**) روى المزي في التهذيب عن إبراهيم بن ميسرة قال: كان ابن سليمان بن عبد الملك يجلس إلى جنب طاوس فلم يلتفت إليه فقيل له جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه. قال: أردت أن يعلم أن الله عز وجل عباداً فيما بيديه. وقد ألف النووي رحمه الله تعالى في هذه المسألة كتاباً سماه الترخيص بالقيام أورد فيه ما ذكره المصنف من التنويعات وزاد: (**ثم يجب عليه بعد أن وقع اللقاء**) في محله (**أن ينصحه**) بأنواع من حكايات وضروب أمثال وشيء من الآيات والأخبار ولا يقابله في كل ذلك تجهماً وتكثراً لتقع النصيحة في محلها، (**وإن كان يقارف**) أي يرتكب (**ما لا يعرف تحريمه**) لجهله أو أنفه من التعليم (**وهو يتوقع أن يتركه إذا عرفه فليعرفه**) ليرتدع عنه، وكذا إذا علم منه أنه يرى بعض ما يقارفه مستحلاً

يعلم تحريمه من السرف والظلم فلا فائدة فيه، بل عليه أن يخوفه فيما يرتكبه من المعاصي مهما ظن أن التخويف يؤثر فيه. وعليه أن يرشده إلى طريق المصلحة إن كان يعرف طريقاً على وفق الشرع بحيث يحصل بها غرض الظالم من غير معصية ليصده بذلك عن الوصول إلى غرضه بالظلم. فإذاً يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيما هو مستجرىء عليه والإرشاد إلى ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم، فهذه ثلاثة أمور تلزمه إذا توقع للكلام فيه أثراً، وذلك أيضاً لازم على كل من اتفق له دخول على السلطان بعذر أو بغير عذر. وعن محمد بن صالح قال: كنت عند حماد بن سلمة وإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ منها؟ فبينا أنا عنده إذ دق داق الباب فإذا هو محمد بن سليمان فأذن له فدخل وجلس

أو يستهون في أمورهن في الحقيقة لا يجوز الإقدام عليها بواسطة إلقاء من يخالطه من المتفقهة ممن يؤثرون الدنيا على الدين، فينبغي تنبيهه على ذلك ويعرفه ما هو الحق ويريه مواقع الاتفاق والاختلاف ليكون على بصيرة من ذلك، (**فذلك واجب فأما ما ذكر تحريم ما يعلم تحريمه من الزنا والظلم**) والغصب وشرب الخمر وأمثال ذلك (**فلا فائدة فيه**) إذ قد علم تحريمها واشتهر كنار على علم فالتكرار في ذكر تحريمها غير مفيد (**بل عليه أن يخوفه فيما يرتكب من**) أنواع (**الظلم**) وصنوف (**المعاصي مهما ظن**) بإمارة دالة (**أن التخويف يؤثر فيه. وعليه أن يرشده إلى طريق المصلحة**) أي ما فيه مصلحة له (**إن كان يعرف طريقاً على وفق الشرع بحيث يحصل بها غرض الظالم من غير**) إرتكاب (**معصية فيصده**) أي يمنعه (**بذلك عن الوصول إلى غرضه بالظلم، فإذاً يجب عليه التعريف في محل جهله والتخويف فيما هو مستجرىء عليه**) أي قادم عليه بجرأته وتهوره (**والإرشاد إلى ما هو غافل عنه مما يغنيه عن الظلم. فهذه ثلاثة أمور تلزمه إذا توقع للكلام فيها أثراً**) ظاهراً (**وذلك أيضاً لازم لكل من اتفق له دخول على السلطان بعذر أو بغير عذر**) سواء دعاه لمصلحة دينية أو دينوية أو ابتدأ بالدخول عليه. (**روي عن محمد بن صالح**) بن عبد الرحمن البغدادي أبي بكر الأنماطي ثقة حافظ مات سنة إحدى وسبعين على الصحيح (**قال: كنت عند حماد بن سلمة**) بن دينار البصري العابد يكنى أبا سلمة مات سنة سبع وستين، روى له البخاري في الأدب ومسلم والأربعة (**فإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه**) أي الأحاديث التي كتبها عن شيوخه (**ومطهرة يتوضأ منها، فبينا أنا عنده إذ دق الباب فإذا هو**). وقد أخرجه الخطيب وابن عساكر وابن النجار في تواريخهم عن مقاتل بن صالح الخراساني قال: دخلت على حماد بن سلمة فبينا أنا عنده جالس إذ دق داق الباب فقال: يا صبية اخرجي فانظري من هذا. فقالت: هذا رسول محمد بن سليمان الهاشمي وهو أمير البصرة والكوفة قال: قولي له يدخل وحده فدخل فسلّم فناوله كتابه، فقال: اقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد

بين يديه ثم قال له: ما لي إذا رأيتك امتلأت منك رعباً؟ قال حماد: لأنه قال عليه السلام: « إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء وإن أراد أن يكنز به الكنوز هاب من كل شيء » ثم عرض عليه أربعين ألف درهم وقال: تأخذها وتستعين بها قال: ارددها على من ظلمته بها، قال: والله ما أعطيتك إلا مما ورثته، قال: لا حاجة لي بها. قال: فتأخذها فتقسمها، قال: لعلي إن عدلت في قسمتها أخاف أن يقول بعض من لم

ابن سليمان إلى حماد بن سلمة أما بعد: فصبحك الله بماصبح به أولياءه وأهل طاعته وقعت مسألة فإننا نسألك عنها فقال: يا صبية هلمي الدواة قال لي: اقلب الكتاب واكتب أما بعد؛ وأنت فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحداً فإن وقعت مسألة فأتنا فاسألنا عما بدأ لك وإن أتيتني فلا تأتني إلا وحدك ولا تأتني بخيلك ورجلك فلا أنصحك ولا أنصح نفسي والسلام. فبينا أنا عنده إذ دق داق الباب فقال: يا صبية اخرجي فانظري من هذا. قالت: هذا **(محمد بن سليمان فأذن له)** ورواية الجماعة قال: قولي له يدخل وحده، **(فدخل)** وسلم **(وجلس بين يديه ثم)** ابتدأ و**(قال: مالي إذا رأيتك)** ولفظ الجماعة إذا نظرت إليك **(امتلأت منك رعباً)** أي خوفاً وهيبة **(فقال حماد: لأنه ﷺ قال)** ولفظ الجماعة فقال: سمعت ثابتاً البناني يقول: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء فإن أراد)** ولفظ الجماعة: وإن أراد **(أن يكنز به الكنوز هاب من كل شيء »)** قال العراقي: هذا معضل. وروى أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث واثلة بن الأسقع « من خاف الله خوف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شيء » وللعقيلي في الضعفاء نحوه من حديث أبي هريرة وكلاهما منكر اهـ.

قلت: تقدم هذا الحديث في هذه القصة. رواه حماد عن ثابت عن أنس أخرجه الخطيب وابن عساكر وابن النجار، فلا يكون معضلاً مع تصريح حماد بسماعه من ثابت وتصريح ثابت بسماعه من أنس. وأما حديث واثلة فقد أخرجه أيضاً الديلمي والقضاعي، وأخرجه العسكري في الأمثال من حديث الحسين بن علي رفعه « من خاف الله أخاف منه كل شيء » وأخرجه أيضاً عن ابن مسعود من قوله بزيادة الشق الآخر « ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء » وقال المنذري في الترغيب: رفعه منكر لكن في الباب عن علي وغيره، وبعضها يقوي بعضاً. وقال عمر بن عبد العزيز: « من خاف الله أخاف منه كل شيء ومن لم يخف الله خاف من كل شيء » رواه البيهقي في الشعب.

(ثم عرض عليه أربعين ألف درهم وقال: تأخذها وتستعين بها) أي نفقتك **(قال: ارددها على من ظلمته بها)** أي لأرباب الحقوق. **(قال)** محمد بن سليمان: لما استشعر أنه ربما ظن أن تلك الدراهم من الحرام: **(والله ما أعطيتك إلا مما ورثته. قال: لا حاجة لي بها)** ردها. **(قال: فتأخذ فتقسمها)** أي على من يستحقها. **(قال لعلي إن عدلت في قسمتها**

يرزق منها أنه لم يعدل في قسمتها فيأثم فازوها عني.

الحالة الثالثة: أن يعتزلهم فلا يراهم ولا يرونه وهو الواجب إذ لا سلامة إلا فيه، فعليه أن يعتقد بغضهم على ظلمهم ولا يحب بقاءهم ولا يثني عليهم ولا يستخبر عن أحوالهم ولا يتقرب إلى المتصلين بهم ولا يتأسف على ما يفوت بسبب مفارقتهم، وذلك إذا خطر بباله أمرهم، وإن غفل عنهم فهو الأحسن، وإذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قاله حاتم الأصم: إنما بيني وبين الملوك يوم واحد فأما أمس فلا يجدون لذته وإني وإياهم في غد لعلي وجل وإنما هو اليوم وما عسى أن يكون في اليوم، وما قاله أبو الدرداء إذ قال: أهل الأموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء. وكل من أحاط علمه بظلم ظالم ومعصية عاص فينبغي أن يحط ذلك من درجته في قلبه. فهذا واجب عليه لأن

أخاف أن يقول بعض من لم يرزق) أي لم يعط **(منها أنه لم يعدل في قسمتها)** بل أعطى أناساً وترك أناساً **(فيأثم)** بسببي **(فازوها عني)** أي نحها وغيبها.

(الحالة الثالثة: أن يعتزل عنهم فلا يراهم ولا يرونه) وهو أحسن الأحوال **(وهو واجب إذ لا سلامة إلا فيه)** وفي مخالطتهم فتن وظلمات ومعاص، **(فعليه أن يعتقد بغضهم على ظلمهم)** أي لأجل ظلمهم **(ولا يحب بقاءهم)** في الدنيا استئصالاً لمادة الظلم لما ورد في الخبر السابق، **(ولا يثني عليهم)** في المجالس **(ولا يستخبر عن أحوالهم)** من الناس كيف فعلوا كيف تركوا، **(ولا يتقرب إلى المتصلين بهم)** فإنهم يدعونه إلى ما فيه هلاكه، **(ولا يتأسف على ما يفوت)** له من الحظ والدنيا **(بسبب مفارقتهم وذلك إذا خطر بباله أمرهم وإن غفل عنهم فهو الأحسن)** فإن لم يغفل فليتغافل، **(وإذا خطر بباله تنعمهم)** وما بسط لهم من زخارف الدنيا **(فليذكر ما قاله حاتم)** بن علوان **(الأصم)** رحمه الله تعالى، وكان قد اعتزل الناس في قبة له قدر ثلاثين سنة فلا يخاطبهم إلا لحاجة: **(إنما بيني وبين الملوك يوم واحد أما أمس)** الذي مضى **(فلا يجدون لذته وإني وإياهم من غد)** الذي يأتي **(لعلي وجل وإنما هو اليوم فما عسى أن يكون في اليوم)** وإليه أشار بعضهم بقوله:

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

(و) ليذكر **(ما قاله أبو الدرداء)** رضي الله عنه **(إذ قال: أهل الأموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس)** أي شاركناهم في هذه الأفعال **(ولهم فضول أموالهم وينظرون إليها وننظر معهم إليها وعليهم حسابهم ونحن منها برآء)** أي لا حساب علينا. **(وكل من أحاط بظلم ظالم أو معصية عاص فينبغي أن يحط ذلك من درجته)** ومرتبته

من صدر منه ما يكره نقص ذلك من رتبته في القلب لا محالة. والمعصية ينبغي أن تكره فإنه إما أن يغفل عنها أو يرضى بها أو يكره ولا غفلة مع العلم ولا وجه للرضا فلا بدّ من الكراهة، فليكن جناية كل أحد على حق الله كجنايته على حقك.

فإن قلت: الكراهة لا تدخل تحت الاختيار فكيف تجب؟ قلنا: ليس كذلك فإن المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له، فإن من لا يكره معصية الله لا يحب الله وإنما لا يحب الله من لا يعرفه والمعرفة واجبة، والمحبة لله واجبة، وإذا أحبه كره ما كرهه وأحب ما أحبه. وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا.

فإن قلت: فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين؟ فأقول: نعم تعلم الدخول منهم فمن دخل فليكن كما حكي أن هشام بن عبد الملك قدم حاجاً إلى مكة فلما دخلها

(**من قلبه**) اي لا يكون له في قلبه وقع لقدومه أو لذكره، (**فهذا واجب عليه لأن من صدر منه ما يكره**) أي ما هو مكروه عند الله تعالى (**نقص ذلك من رتبته في القلب لا محالة والمعصية ينبغي أن تكره فإنها**) لا تخلو (**إما أن يغفل عنها أو يرضى بها أو تكره ولا غفلة مع**) إحاطة (**العلم**) بها (**ولا وجه للرضا**) بها فإن الرضا بها معصية، (**فلا بد من الكراهة فلتكن جناية كل واحد من هؤلاء**) أي من الظلمة (**على حق**) من حقوق (**الله تعالى كجنايته على حقك**) بل أعظم.

(**فإن قلت، الكراهة لا تدخل تحت الاختيار**) يعني ليس في اختيار المرء أن يكره شيئاً فقد تكون النفس مجبولة على الخلاف، (**فكيف يجب ولا يجب؟ قلنا: ليس كذلك**) الأمر (**فإن المحب يكره بضرورة الطبع ما هو مكروه عند محبوبه ومخالف له**) وبه يتم مقام محبته وذلك (**فإن من لا يكره معصية الله تعالى لا يحب الله**) عز وجل وفي نسخة: فإنما لا يكره معصية الله من لا يحب الله، (**وإنما لا يحب الله من لا يعرفه فالمعرفة واجبة والمحبة لله واجبة**) إذ المحبة فرع عن معرفته، فإذا ثبتت المعرفة ثبتت كراهة المعاصي، وإليه أشار بقوله: (**وإذا أحبه كره ما كرهه وأحب ما أحبه**) وفي نسخة: ما يكرهه وما يحبه (**وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة والرضا**) إن شاء الله تعالى.

(**فإن قلت: فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين**) فلو لم يكن الدخول جائزاً لما كانوا يدخلون وفي إتباعهم القدوة؟ (**فأقول: نعم**) كانوا يدخلون، لكن (**تعلم الدخول منهم ثم ادخل**) لا حرج عليك، (**فقد حكى إن هشام بن عبد الملك**) بن مروان بن الحكم الأموي يكني أبا سليمان بويع له سنة خمس ومائة بعد موت يزيد بن عبد الملك، فبقي تسع عشرة سنة وأشهراً ومات سنة خمس وعشرين ومائة في غرة ربيع الأول بالدهناء عن أربع وخمسين سنة (**قدم حاجاً إلى مكة، فلما دخل قال: ائتوني برجل من الصحابة. فقيل**) له: (**قد فنوا**) أي لم يبق

قال: ائتوني برجل من الصحابة فقيل: يا أمير المؤمنين قد تفانوا فقال: من التابعين، فأتي بطـاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بأمرة المؤمنين ولكن قال: السلام عليك يا هشام، ولم يكنه وجلس بإزائه وقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب هشام غضباً شديداً حتى همَّ بقتله؛ فقيل له: أنت في حرم الله وحرم رسوله ولا يمكن ذلك، فقال له: يا طـاوس ما الذي حملك على ما صنعت؟ قال: وما الذي صنعت؟ فازداد غضباً وغيظاً، قال: خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبّل يدي ولم تسلم علي بإمرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بإزائي بغير إذني وقلت: كيف أنت يا هشام؟ قال: أما ما فعلت من خلع نعلي بحاشية بساطك؟ فإني أخلعها بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب عليَّ، وأما قولك لم تقبل يديَّ فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: لا يحل لرجل أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة، أو ولده من رحمة، وأما قولك لم تسلم عليَّ بإمرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك فكرهت أن أكذب، وأما قولك لم تكنني فإن الله تعالى سمى أنبياءه وأولياءه فقال: يا داود يا يحيى يا عيسى، وكنى أعداءه فقال: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ [اللهب:

منهم أحد، وفي نسخة: تفانوا (**قال: فمن التابعين، فأتى بطاوس**) بن كيسان (**اليماني**) وكان إذ ذاك بمكة، (**فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم**) عليه (**بأمرة المؤمنين، ولكن قال: السلام عليك**) يا هشام، (**ولم يكنه**) أي لم يقـل يا أبا سليمان (**وجلس بإزائه**) أي في مقابلته قريباً منه (**وقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب هشام**) لذلك (**غضباً شديداً حتى هم بقتله، فقيل له: أنت في حرم الله وحرم رسوله**) ﷺ (**فلا يمكن ذلك**) لأنه محل الأمن، (**فقال له: يا طاوس**) ولم يقل يا أبا عبد الرحمن (**ما الذي حملك على ما صنعت؟ قال: وما الذي صنعت؟ فازداد غيظاً وغضباً**) وامتلأ حقداً عليه (**فقال: خلعت نعليك بحاشية بساطي**) والملوك يحترمون (**ولم تقبل يدي**) كما يقبلها غيرك (**ولم تسلم علي بإمرة المؤمنين**) وصرحت بـاسمـي (**ولم تكنني**) وفي الكنيـة تفخيم، (**وجلسـت إزائـي بغير إذن**) والملـوك يستأذنون في الجلوس، (**وقلت: كيف أنت يا هشام؟ فقال**) طاوس (**أما خلع نعلي بحاشية بساطك فإني أخلعها بين يدي رب العزة**) وفي نسخة: رب العالمين (**كل يوم خمس مرات**) يعني به أوقات الصلوات الخمس (**فلا يعاقبني ولا يغضب علي. وأما قولك: لم تقبل يدي فإني سمعت**) أمير المؤمنين (**علي بن أبي طالب**) رضي الله عنه (**يقول: لا يحل لأحد أن يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده لرحمة. وأما قولك: لم تسلم علي بإمرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك**) عليهم وإنما هو البعض، (**فكرهت أن أكذب**) في قولي إذ لفظ المؤمنين عام في الكل. (**وأما قولك: لم تكنني فإن الله سمي أولياءه، فقال: يا داود، يا**

١]، وأما قولك جلست بإزائي فإني سمعت أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار، فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام. فقال له هشام: عظني، فقال: سمعت من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول: إن في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته، ثم قام وخرج.

وعن سفيان الثوري رضي الله عنه قال: أدخلت على أبي جعفر المنصور بمنى فقال لي: ارفع إلينا حاجتك، فقلت له: اتق الله فقد ملأت الأرض ظلماً وجوراً. قال: فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال: ارفع إلينا حاجتك فقلت: إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعاً فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم فطأطأ رأسه ثم رفع فقال: ارفع إلينا حاجتك فقلت: حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لخازنه: كم

عيسى، يا يحي) ولم يكنهم **(وكنى أعداءه فقال تبت يد أبي لهب)** فالكنية لا تدل على التفخيم في سائر الأحوال. قال بعض المفسرين: إنما وقع ذكر أبي لهب في القرآن بكنيته لكون اسمه عبد العزي، فكره أن ينسبه إلى الصنم فكناه بذلك لأن مآله إلى اللهب. **(وأما قولك: جلست بإزائي)** بغير إذن **(فإن سمعت)** أمير المؤمنين **(علي بن أبي طالب)** رضي الله عنه **(يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام. فقال هشام)** لما أسكته: **(عظني)** أي انصحني. **(قال: سمعت)** أمير المؤمنين **(علي بن أبي طالب)** رضي الله عنه **(يقول: إن في جهنم حيات كالقلال)** جمع قلة بالضم وهي قلة الجبل يشير إلى ضخامتها **(وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير)** وفي نسخة إمام **(لا يعدل في رعيته ثم قام وخرج)**، وهذا لأن طاوساً كان قوالاً بالحق أماراً بالمعروف نهاءً عن المنكر تساوى عنده الحالان، فقد روي عن سفيان قال: حلف لنا إبراهيم بن ميسرة وهو مستقبل الكعبة: ورب هذه البنية ما رأيت أحداً الشريف والوضيع عنده بمنزلة إلا طاوساً. مات طاوس في سنة ست ومائة، وكان هشام بن عبد الملك قد حج تلك السنة وهو خليفة فصلى عليه.

(وعن سفيان) بن سعيد **(الثوري)** رحمه الله تعالى **(قال: أدخلت على أبي جعفر)** المنصور بالله عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي ثاني الخلفاء بويع له سنة خمس وثلاثين ومائة وهو بمكة وبقي إثنين وعشرين سنة وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة ببئر ميمون ودفن بالحجون عن ثمان وخمسين وأشهر **(بمنى فقال)** لي: **(ارفع)** إلينا **(حاجتك. فقلت له: اتق الله فقد ملأت الأرض ظلماً وجوراً. قال: فطأطأ رأسه)** حياء **(ثم رفع فقال: أرفع إلينا حاجتك. فقلت: إنما أنزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار)** يشير إلى ما سهل الله على يديهم من فتوح العراق وبلاد العجم **(وابناؤهم يموتون جوعاً فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم)** من بيت المال. **(قال: فطأطأ رأسه)** حياء **(ثم رفع فقال: ارفع إلينا حاجتك.**

أنفقت؟ قال: بضعة عشر درهماً. وأرى ههنا أموالاً لا تطيق الجمال حملها وخرج. فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين إذا ألزموا وكانوا يغررون بأرواحهم للانتقام لله من ظلمهم. ودخل ابن أبي شميلة على عبد الملك بن مروان فقال له: تكلم؟ فقال: إن الناس لا ينجون في القيامة من غصصها ومراراتها ومعاينة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه، فبكى عبد الملك وقال: لأجعلن هذه الكلمة مثالاً نصب عيني ما عشت. ولما استعمل عثمان بن عفان رضي الله عنه عبدالله بن عامر أتاه أصحاب رسول الله ﷺ وأبطأ عنه أبو ذر ـ وكان له صديقاً ـ فعاتبه، فقال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ

فقلت: حج عمر بن الخطاب) رضي الله عنه (**فقال لخازنه: كم أنفقت**) أي في هذه السفرة؟ (**قال: بضعة عشر درهماً**) قال: أسرفنا (**وأرى ههنا أموالاً لا تطيق الجمال حملها**) قال ذلك (**وخرج**) أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة سفيان. قال المزي في التهذيب: وساق سنده إلى عبد الرزاق قال: بعث أبو جعفر الخشابين حين خرج إلى مكة قال: إن رأيتم سفيان فاصلبوه قال: فجاء النجارون ونصبوا الخشب ونودي سفيان فإذا رأسه في حجر الفضيل ورجلاه في حجر ابن عيينة فقالوا له: يا أبا عبد الله اتق الله ولا تشمت بنا الأعداء. قال: فتقدم إلى الأستار فأخذها ثم قال: برئت منه إن دخلها أبو جعفر. قال: فمات قبل أن يدخل مكة فأخبر بذلك سفيان فلم يقل شيئاً. (**فهكذا كانوا يدخلون على السلاطين إذا أكرهوا فكانوا يفرون بأرواحهم في الانتقام لله عز وجل ممن ظلم**) وتعدى وأساء السيرة.

(**ودخل ابن أبي شميلة على عبد الملك بن مروان**) يكنى أبا الوليد بويع له بالشام في رمضان سنة خمس وستين ومات سنة ثمانين (**فقال له: تكلم. فقال: إن الناس لا ينجون يوم القيامة من غصصها**) جمع غصة كغرفة وغرف وهو ما يغص به الانسان من لقمة أو غيظ على التشبيه (**ومراراتها ومعاينة الردى فيها**) أي الهلاك (**إلا من أرضى الله**) عز وجل (**بسخط نفسه، فبكى عبد الملك وقال: لأجعلن هذه الكلمات مثالاً**) أي ممثلة (**نصب عيني**) أي بين عيني (**ما عشت**) أي ما دمت حياً كناية عن شدة الملازمة، فقد روى الخليلي في الإرشاد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: « من أرضى الله بسخط المخلوقين كفاه الله مؤنة المخلوقين، ومن أرضى المخلوقين بسخط الله سلط الله عليه المخلوقين ». وروى أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة « من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله ».

(**ولما استعمل**) أمير المؤمنين (**عثمان بن عفان**) رضي الله عنه (**ابن عامر**) والياً على البصرة (**أتاه أصحاب رسول الله ﷺ**) يسلمون عليه (**وأبطأ عنه أبو ذر**) رضي الله عنه (**وكا له صديقاً فعاتبه**) على ترك المجيء (**فقال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عنه »**) قال العراقي: لم أقف له على أصل اهـ.

يقول: « إن الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عنه » ودخل مالك بن دينار على أمير البصرة فقال: أيها الأمير قرأت في بعض الكتب أن الله تعالى يقول: من أحمق من سلطان ومن أجهل ممن عصاني؟ ومن أعز ممن اعتز بي؟ أيها الراعي السوء دفعت إليك غنماً سماناً صحاحاً فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاماً تتقعقع، فقال له والي البصرة: أتدري ما الذي يجرئك علينا ويجنبنا عنك قال: لا. قال: قلة الطمع فينا؟ وترك الاهتمام لما في أيدينا. وكان عمر بن عبد العزيز واقفاً مع سليمان بن عبد الملك، فسمع سليمان صوت الرعد فجزع ووضع صدره على مقدمة الرحل فقال له عمر: هذا صوت رحمته فكيف إذا سمعت صوت عذابه؟ ثم نظر سليمان إلى الناس فقال: ما أكثر الناس؟ فقال عمر: خصماؤك يا أمير المؤمنين، فقال له سليمان: ابتلاك الله بهم.

وحكي إن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة، فأرسل إلى أبي حازم

قلت: ولكن له شاهد من حديث أبي هريرة عند الترمذي: « وما ازداد عبد من السلطان دنواً إلا ازداد من الله بُعداً » وسنده صحيح ومن حديث عبيد بن عمير عند هناد بن السري « ومن تقرب من ذي سلطان ذراعاً تباعد الله عنه باعاً » وكل ذلك قد تقدم.

(و) يروى أنه (**دخل مالك بن دينار**) أبو يحيى البصري العابد تقدمت ترجمته مراراً (**على أمير البصرة فقال: أيها الأمير قرأت في بعض الكتب**) السماوية يقول الله تعالى: (**من أحمق من السلطان ومن أجهل ممن عصاني**) وخالف أمري (**ومن أعز ممن اعتز بي**) وأطاعني. (**أيها الراعي السوء**) جعل السلطان بمنزلة الراعي الذي يرعى غنماً، وجعل الرعية بمنزلة الغنم التي تحت رعايته فقال: (**دفعت إليك غنماً سماناً صحاحاً فأكلت اللحم ولبست الصوف وتركتها عظاماً تتقعقع**) أي تصوّت أي لم توردها مواردها، فأنت راعي سوء أسأت في الرعية (**فقال له والي البصرة: أتدري ما الذي جرأك علينا وجنبنا عنك؟ قال: لا. قال: قلة الطمع إلينا**) أي ليس لك طمع إلينا، (**وترك الاهتمام بما في أيدينا**) في الأموال والأعراض.

(و) يروى انه (**كان عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى (**واقفاً**) بعرفة (**مع سليمان ابن عبد الملك**) وهو يومئذ خليفة، (**فسمع**) سليمان (**صوت الرعدفجزع ووضع صدره في مقدمة الرحل**) من خوفه (**فقال له عمر: هذا صوت رحمة**) فإنه يبشر بالغيث، (**فكيف إذا سمعت صوت عذابه؟ ثم نظر سليمان إلى الناس**) وهم واقفعون (**فقال: ما أكثر الناس: فقال عمر:**) هم (**خصماؤك يا أمير المؤمنين، فقال**) له (**سليمان: ابتلاك الله بهم**) فكان الأمر كذلك لأنه تولى الأمر بعده.

(**وحكي أن سليمان بن عبد الملك**) بن مروان يكنى أبا أيوب بويع له بعد أخيه الوليد سنة

فدعاه، فلما دخل عليه قال له سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب، فقال: يا أبا حازم كيف القدوم على الله؟ قال: يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال: ليست شعري ما لي عند الله؟ قال أبو حازم: اعرض نفسك على كتاب الله تعالى حيث قال: ﴿إن الأبرار لفي نعيم* وإن الفجّار لفي جحيم﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤]، قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: قريب من المحسنين، ثم قال سليمان: يا أبا حازم أي عباد الله أكرم؟ قال: أهل البر والتقوى. قال: فأيّ الأعمال أفضل؟ قال: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم. قال: فأيّ الكلام أسمع؟ قال: قول الحق عند من تخاف وترجو. قال: فأيّ المؤمنين أكيس؟ قال: رجل عمل بطاعة الله

ست وتسعين (**قدم المدينة وهو يريد مكة فأرسل إلى أبي حازم**) سلمة بن دينار الأعرج الأبرر التمار المدني ثقة عابد مات في خلافة المنصور (**فدعاه**) فأتاه، (**فلما دخل عليه قال له سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت**)؟ وهذه القصة قد أخرجها أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا أبو يونس محمد بن أحمد المدني، حدثنا أبو كرات عثمان بن إبراهيم بن غسان، حدثنا عبد الله بن يحي بن كثير، عن أبيه قال: دخل سليمان ابن عبد الملك المدينة حاجاً فقال: هل بها رجل أدرك عدة من الصحابة؟ قالوا: نعم أبو حازم فأرسل إليه، فلما أتاه قال: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟ قال: فأي جفاء رأيت فيّ يا أمير المؤمنين؟ قال: وجوه الناس أتوني ولم تأتني. قال: والله ما عرفتني قبل هذا ولا أنا رأيتك فأي جفاء رأيت مني؟ فالتفت سليمان إلي الزهري فقال: أصاب الشيخ واخطأت أنا. فقال: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ (**فقال: لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب**) ونص الحلية فقال: عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب، (**قال**): صدقت، (**فقال: يا أبا حازم**) ليت شعري (**كيف القدوم**) ولفظ الحلية كيف العرض (**على الله**) غداً؟ (**قال**) أبو حازم: (**يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء كالآبق يقدم به على مولاه، فبكى سليمان**) حتى علا نحيبه واشتد بكاؤه، (**فقال**): يا أبا حازم (**ليت شعري ما أنا عند الله تعالى**) غداً. وفي الحلية: ما لنا. (**قال أبو حازم: اعرض نفسك**) ولفظ القوت عملك (**على كتاب الله تعالى**) قال: أين أجده من كتاب الله عز وجل؟ قال: (**حيث قال ﴿إنّ الأبرار لفي نعيم* وإن الفجّار لفي جحيم﴾ قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال**) أبو حازم: (**قريب من المحسنين. قال سليمان: يا أبا حازم أي عباد الله أكرم؟ قال: أهل المروءة والتقى**) ولفظ الحلية: من أفضل الخلائق؟ قال: أولو المروءة والنهى. (**قال: فأي الاعمال أفضل؟ قال: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم**) هذه الجملة ليست في الحلية. (**قال: فأي الدعاء اسمع؟ قال: قول الحق عند من يخاف ويرجى**)

ودعا الناس إليها . قال: فأيّ المؤمنين أخسر ؟ قال: رجل خطا في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره . وقال سليمان: ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: أو تعفيني؟ قال: لا بد ، فإنها نصيحة تلقيها إليّ ، قال: يا أمير المؤمنين إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم؟ فقال له رجل من جلسائه: بئسما قلت . قال أبو حازم: إن الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه . قال: وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد ؟ قال: أن تأخذه من حله فتضعه في حقه ، فقال سليمان: ومن يقدر على ذلك ؟ فقال: من يطلب الجنة ويخاف من النار . فقال سليمان: ادع

ولفظ القوت قال: فما أعدل العدل؟ قال: كلمة صدق عند من ترجوه أو تخافه. قال: فما أسرع الدعاء إجابة؟ قال: دعاء المحسن للمحسن. قال: فما أفضل الصدقة؟ قال: جهد المقل إلى البائس الفقير لا يتبعها منا ولا أذى. (**قال**): يا أبا حازم (**فأي المؤمنين أكيس**) ، ولفظ الحلية: من أكيس الناس؟ (**قال: رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها**) ولفظ الحلية: ظفر بطاعة الله فعمل بها ثم دل الناس عليها. (**قال: فأي المؤمنين أخسر؟ قال: من أخطأ في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره**) ولفظ الحلية قال: فمن أحق الخلق؟ قال: رجل اغتاظ في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنياه ، وزاد في الحلية بعده قال: يا أبا حازم هل لك أن تصحبنا فتصيب منا ونصيب منك؟ قال: كلا. قال: ولم؟ قال: إني أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف المات ثم لا يكون لي منه نصير. قال: يا أبا حازم ارفع إليَّ حاجتك. قال: نعم تدخلني الجنة وتخرجني من النار. قال: ذلك ليس إليّ. قال: فما لي حاجة سواها. (**قال سليمان**): يا أبا حازم (**ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: وتعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا. ولكن**) ولفظ الحلية: قال: بل (**نصيحة تلقى إليَّ. قال: يا أمير المؤمنين إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم حتى قتلوا**) ولفظ الحلية: إن آباءك غصبوا الناس هذا الأمر فأخذوه عنوة بالسيف من غير مشورة ولا اجتماع من الناس وقد قتلوا فيه (**مقتلة عظيمة وقد ارتحلوا**) أي إلى دار الآخرة، (**فلو شعرت بما قالوا وما قيل لهم. فقال رجل من جلسائه: بئس ما قلت. فقال أبو حازم**): كذبت (**إن الله تعالى قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه. قال**) سليمان: يا أبا حازم (**كيف لنا أن نصلح**) أي (**هذا الفساد؟ قال: أن**) تدعوا عنكم الصلف وتمسكوا بالمروءة وتقسموا بالسوية وتعدلوا في القضية. قال: وكيف المأخذ من ذلك؟ قال: (**تأخذه من حله وتضعه في حقه**) ولفظ الحلية: تأخذه بحقه وتضعه بحقه في أهله. (**فقال سليمان: ومن يقدر على ذلك؟ قال: من يطلب الجنة ويخاف من النار**) هذه الجملة لم يذكرها صاحب الحلية في

لي. فقال أبو حازم: اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة وإن كان عدوّك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى، فقال سليمان: أوصني. فقال: أوصيك وأوجز عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك من حيث أمرك. وقال عمر بن عبد

هذا السياق، وإنما أوردها في أثناء هذه القصة قبلها بإسناد آخر قال: حدثنا أبو بكر حدثنا عبد الله، حدثنا أبي ح.

وحدثنا أبو حاتم، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا زياد بن أيوب ويعقوب قالوا: حدثنا يحي ابن عبد الملك بن أبي غنية، حدثنا زمعة بن صالح قال: قال الزهري لسليمان بن عبد الملك: الا تسأل أبا حازم ما قال في العلماء؟ قال: وما عسيت أن أقول في العلماء إلا خيراً فساقه إلى أن قال فقال له سليمان: ما المخرج مما نحن فيه؟ قال: أن تمضي ما في يديك لما أمرت به وتكف عما نهيت عنه. فقال: سبحان الله ومن يطيق هذا؟ قال: من طلب الجنة وفرَّ من النار وما هذا فيما تطلب وتفر منه، ثم رجع إلى سياق الحلية فقال: **(فقال سليمان:)** يا أبا حازم **(ادع)** الله **(لي. فقال أبو حازم:)** نُعم **(اللهم إن كان سليمان وليك)** ولفظ الحلية من أوليائك **(فيسره لخير الدنيا والآخرة وإن كان عدوّك)** ولفظ الحلية من أعدائك **(فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى)** قال سليمان: قط. قال أبو حازم: قد أكثرت وأطنبت إن كنت أهله، فإن لم تكن أهله فما حاجتك أن ترمي عن قوس لها وتر. **(فقال:)** يا أبا حازم **(أوصني. فقال:)** نعم سوف **(أوصيك وأوجز)** أي اختصر **(عظم ربك وانزهه)** ولفظ الحلية نزه الله وعظمه **(إن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك)** ثم قام. فلما ولّى قال: يا أبا حازم هذه مائة دينار انفقها ولك عندي أمثالها كثير فرمى بها وقال: ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسي إني أعيذك الله أن يكون سؤالك إياي هزلاً وردي عليك بذلاً إن موسى بن عمران عليه السلام ولما ورد ماء مدين قال ﴿رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير﴾ [القصص: ٢٤] فسأل موسى ربه ولم يسأل الناس، ففطنت الجاريتان ولم تفطن الرعاء لما فطنتا له فأتتا أباهما وهو شعيب عليه السلام فاخبرتاه خبره قال شعيب: ينبغي أن يكون هذا جائعاً ثم قال لإحداهما. اذهبي ادعيه لي فلما أتته أغطته وغطت وجهها ثم قالت: ﴿إنَّ أبي يدعوك﴾. فلما قالت ﴿ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ [القصص: ٢٥] كره ذلك موسى عليه السلام وأراد أن لا يتبعها ولم يجد بداً أن يتبعها لأنه كان في أرض مسبعة وخوف، فخرج معها وكانت امرأة ذات عجز، فكانت الرياح تضرب ثوبها فتصف لموسى عليه السلام عجزها فيغض مرة ويعرض أخرى، فقال: يا أمة الله كوني خلفي فدخل إلى شعيب عليه السلام والعشاء مهيئاً قال: كل. قال موسى: لا. قال شعيب: ألست جائعاً: قال: بلى ولكن من أهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً، وأخشى أن يكون أجر ما سقيت لها قال شعيب: لا يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي قرى الضيف وإطعام الطعام. قال: فجلس موسى عليه السلام فأكل. فإن هذه المائة دينار عوض مما حدثتك، فالميتة والدم ولحم الخنزير في

العزيز لأبي حازم: عظني. فقال: اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ به الآن، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن، فلعل تلك الساعة قريبة. ودخل اعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال: تكلم يا اعرابي، فقال: يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته. فقال: يا اعرابي إنا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه، فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه؟ فقال الاعرابي: يا أمير المؤمنين؟ إنه قد تكنفك رجال أساؤوا الاختيار لأنفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله تعالى ولم يخافوا الله فيك، حرب الآخرة سلم الدنيا فلا تأتمنهم على ما ائتمنك الله تعالى عليه فإنهم لم يألوا في الأمانة تضييعاً وفي الأمة خسفاً وعسفاً وأنت

حال الاضطرار أحل منه، وإن كانت من مال المسلمين فلي فيها شركاء إن وازنتهم بي وإلاَّ فلا حاجة لي فيها إن بني إسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى حيث كان أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبة في علمهم، فلما نكسوا وتعسوا وسقطوا في عين الله عز وجل وآمنوا بالجبت والطاغوت كان علماؤهم يأتون إلى امرائهم فشاركوهم في دنياهم وشركوا معهم في فتنتهم.

قال ابن شهاب: يا أبا حازم اياي تعني أو بي تعرض؟ قاتل: ما إياك اعتمدت ولكن هو ما تسمع، قال سليمان: يا ابن شهاب تعرفه؟ قال: نعم جاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته كلمة قط. قال أبو حازم: إنك نسيت الله عز وجل فنسيتني ولو أحببت الله عز وجل لأحببتني. قال ابن شهاب: يا أبا حازم تشتمني؟ قال سليمان: ما شتمك ولكن شتمت نفسك أما علمت أن للجار على الجار حقاً كحق القرابة، فلما ذهب أبو حازم قال رجل من جلساء سليمان: يا أمير المؤمنين تحب أن يكون الناس كلهم مثل أبي حازم؟ قال: لا اهـ. نص الحلية، وقد أخرجه ابن عساكر أيضاً مختصراً من طريق عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن جده.

(**ودخل إعرابي**) من سكان البادية (**على سليمان بن عبد الملك**) المتقدم ذكره (**فقال: تكلم يا اعرابي: فقال: يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام**) فيه غلظة (**فاحتمله**) مني (**وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته. فقال: يا إعرابي إنا لنجود بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ولا نأمن غشه**) أي: فكيف بمن نرجو نصحه؟ (**قال الاعرابي: يا أمير المؤمنين إنه قد تكنفك**) أي أحاط بك (**رجال أساؤا الاختيار لأنفسهم**) أي اختاروا لأنفسهم ما هو سوء (**وابتاعوا دنياهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم**) فآثروا رضاك على رضا الله تعالى، (**خانوك في الله تعالى ولم يخونوا الله فيك**)، فهم (**حرب للآخرة سلم للدنيا فلا تأتمنهم على ما ائتمنك الله عليه**) من أمور الرعية، (**فإنهم لم يألوا**) أي لم يقصروا (**في الأمانة**

مسؤول عما اجترحوا وليسوا بمسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس غبناً من باع آخرته بدنيا غيره. فقال له سليمان: يا اعرابي أما انك قد سللت لسانك وهو أقطع سيفيك. قال: أجل يا أمير المؤمنين، ولكن لك لا عليك.

وحكي أن أبا بكرة دخل على معاوية فقال: اتق الله يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا إلا بُعْداً ومن الآخرة إلا قرباً، وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علماً لا تجوزه فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب، وإنا وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن إليه صائرون باق إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فهكذا كان دخول أهل العلم على السلاطين. أعني علماء

تضييعاً وفي الأمة خسفاً) أي ذلاً وهواناً **(وعسفاً)** أي جوراً وظلماً، **(وأنت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أعظم الناس غبناً من باع آخرته بدنيا غيره)** أي فهو كالشمعة تحرق نفسها وتضيء على غيرها. **(فقال سليمان: أما إنك يا اعرابي قد سللت لسانك)** سلّ سيفك **(وهو أقطع من سيفك)** لو سللته. **(قال: أجل)** أي نعم **(يا أمير المؤمنين ولكن لك لا عليك)** أي نفعه عائد لك ولا عليك فيه ضرر.

(وحكي أن أبا بكرة) هو نفيع بن الحرث الثقفي الصحابي وهو أخو زياد لأمه وهي سمية أمة الحرث بن كلدة وكان أبو بكرة رجلاً صالحاً ورعاً وكان زياد استعمل ابنه عبيد الله على فارس، وابنه روادا على دار الرزق، وابنه عبد الرحمن على بيت المال. قال الحسن البصري: مرَّ بي أنس بن مالك وقد بعثه زياد إلى أبي بكرة يعاتبه، فانطلقت معه فدخلنا عليه وهو مريض فابلغه عنه فقال: إنه يقول: ألم استعمل أولاده على كذا وكذا؟ فقال: هل زاد على أن أدخلهم النار. قال: فرجعنا مخصومين. قال ابن سعد والواقدي: مات أبو بكرة بالبصرة في ولاية زياد سنة خمسين وقال غيرهما سنة احدى وخمسين **(دخل على معاوية)** بن أبي سفيان رضي الله عنه وهو يومئذ خليفة **(فقال له: اتق الله يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا إلا بُعداً ومن الآخرة إلا قرباً)** فإن الأيام والليالي مثل المسافات والمنازل للمسافر، فما من يوم وليلة إلا ويقطع منها جانباً ويؤخرها إلى وراء **(وعلى اثرك طالب لا تفوته)** أي لا تسبقه بالفوت، **(وقد نصب لكم علم لا تجوزه)** أي لا تتعداه **(فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ما يلحق بك)** الطالب؛ **(وإنا وما نحن فيه)** كله **(زائل)** فإن **(وفي الذي صائرون إليه)** أي راجعون **(باق)** لا يزول **(إن خيراً فخير وإن شراً فشرّ)** أي إن كان العمل خيراً فإنه يجزى خيراً وإن كان شراً فيجزي شراً **(فهكذا كان دخول أهل العلم)** والمعرفة بالله **(على السلاطين. أعني)** بهم **(علماء الآخرة)** لا علماء الدنيا، **(فأما علماء الدنيا**

الآخرة. فأما علماء الدنيا فيدخلون ليتقربوا إلى قلوبهم فيدلونهم على الرخص ويستنبطون لهم بدقائق الحيل طرق السعة فيما يوافق أغراضهم، وإن تكلموا بمثل ما ذكرناه في معرض الوعظ لم يكن قصدهم الإصلاح بل اكتساب الجاه والقبول عندهم، وفي هذا غرور ان يغتر بهما الحمقى.

أحدهما: أن يظهر أن قصدي في الدخول عليهم إصلاحهم بالوعظ وربما يلبسون على أنفسهم بذلك وإنما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة وتحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في لب الإصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من أقرانه في العلم ووقع موقع القبول وظهر به أثر الصلاح فينبغي أن يفرح به ويشكر الله تعالى كفايته. هذا المهم، كمن وجب عليه أن يعالج مريضاً ضائعاً فقام بمعالجته غيره فإنه يعظم به فرحه، فإن كان يصادف في قلبه ترجيحاً لكلامه على كلام غيره فهو مغرور.

الثاني: أن يزعم أني أقصد الشفاعة لمسلم في دفع ظلامة، وهذا أيضاً مظنة الغرور ومعياره ما تقدم ذكره.

فيدخلون) عليهم (**فيتقربون إلى قلوبهم**) بالاستمالة (**فيدلونهم على**) تتبع (**الرخص ويستنبطون لهم دقائق الحيل وطرق السعة فيما يوافق أغراضهم**) فيسهلون لهم الأمور ويفتون لهم بما تميل إليه نفوسهم، (**فإن تكلموا بمثل ما ذكرناه في طريق الوعظ**) ومعرض النصيحة (**ولم يكن قصدهم الإصلاح**) لهم (**بل**) قصدهم بذلك (**اكتساب الجاه والقبول عندهم وفي هذا غرور ان يغتربهما الحمقى**) منهم.

(**أحدهما أن يظهروا أن قصدهم بادخول عليهم إصلاحهم بالوعظ**) والتذكير، (**وربما يلبسون على أنفسهم ذلك وإنما الباعث لهم شهوة خفية للشهرة**) أي لأجلها (**و**) أجل (**تحصيل المعرفة عندهم وعلامة الصدق في طلب الاصلاح أنه لو تولى ذلك الوعظ غيره ممن هو من أقرانه**) وأسنانه وأشكاله (**من العلماء ووقع موقع القبول وظهرت قرائن الصلاح**) في الموعوظ، (**فينبغي أن يفرح بذلك ويشكر الله تعالى على كفايته هذا المهم**) ولو على يد غيره، (**كمن وجب عليه ان يعالج مريضاً ضائعاً ليس له أحد فقام بمعالجته غيره**) وكفاه مؤنته، (**فإنه لا محالة يعظم بذلك فرحه**) ويزداد سروره (**وإن كان يصادف في قلبه ترجيحاً لكلامه على كلام غيره فهومغرور**) وفي وعظه معذور.

(**الغرور الثاني: أن يزعم أني قصدت بالدخول عليهم الشفاعة لمسلم في دفع ظلامه**) عليه إما من قبلهم أو من قبل اتباعهم، (**وهذا أيضاً مظنة الغرور، ومعياره ما تقدم ذكره**). وقد روى البيهقي عن يوسف بن اسباط، عن سفيان الثوري قال: وإياك أن تخدع، فيقال لك ترد

....

مظلمة تدفع عن مظلوم فإن هذه خدعة إبليس أتخذها القراء سلماً. وقال ابن باكويه الشيرازي: أخبرنا أبو العلاء، سمعت أحمد بن محمد التستري، سمعت زيان بن علي الدمشقي يقول: سمعت صالح بن خليفة الكوفي يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: إن فجار القراء اتخذوا سلماً إلى الدنيا فقالوا ندخل على الأمراء ونفرج عن المكروب ونكلم في محبوس.

فصل

نذكر فيه ما يناسب لسياق المصنف في هذا الباب مما لم يذكره هو فنقول: روى أبو نعيم، في الحلية عن ميمون بن مهران أن عبد الملك بن مروان قدم المدينة فبعث حاجبه إلى سعيد بن المسيب فقال: أجب أمير المؤمنين. قال: وما حاجته؟ قال: لتتحدث معه. فقال: لست من حدّاثه فرجع الحاجب فأخبره فقال: دعه.

وقال البخاري في تاريخه: سمعت آدم بن أبي إياس يقول: شهدت حماد بن سلمة ودعاه السلطان فقال: اذهب آتي هؤلاء والله لا فعلت.

وأخرج أبو الحسن بن فهر في كتاب فضائل مالك عن عبد الله بن رافع وغيره قال: قدم هارون الرشيد المدينة فوجه البرمكي إلى مالك وقال له: إحمل إليَّ الكتاب الذي صنفته حتى اسمعه منك، فقال مالك للبرمكي: اقرأه مني السلام وقل له إن العلم يُزار ولا يزور، فرجع البرمكي إلى هارون فقال له: يا أمير المؤمنين يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك في أمر فخالفك اعزم عليه حتى يأتيك فأرسل إليه، فقال: قل له يا أمير المؤمنين لا تكن أول من يضع العلم فيضعك الله.

وروى غنجار في تاريخه عن ابن مستنير أن سلطان بخاري بعث إلى محمد بن إسماعيل يقول له: احمل إليَّ كتاب الجامع في التاريخ لأسمع منك، فقال لرسوله: قل له أنا لا أذل العلم ولا آتي أبواب السلاطين، فإن كانت له حاجة إلى شيء منه فليحضرني في مسجدي أو فيَ داري.

وقال نعيم بن الهيعم في جزئه: أخبرنا خلف بن تميم، عن أبي جاع الكلاعي، عن الحسن أنه مرّ ببعض القراء على بعض أبواب السلاطين قال: أفرجتم جباهكم وفرطحتم نعالكم وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم أما إنكم لو جلستم في بيوتكم لكان خيراً لكم. تفرقوا فرق الله بين أعضائكم.

وقال الزجاج في أماليه: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن، أخبرني عبد الرحمن بن أخير الأصمعي عن عمه قال: مرَّ الحسن البصري بباب عمر بن هبيرة وعليه القراء فسلم ثم قال: ما لكم جلوساً قد أحفيتم شواربكم وحلقتم رؤوسكم وقصرتم أكمامكم وفلطحتم نعالكم. أما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم. فضحتم القراء فضحكم الله.

وأخرج ابن النجار عن الحسن أنه قال: إن سركم أن تسلموا ويسلم لكم دينكم فكفوا أيديكم

....

عن دماء المسلمين، وكفوا بطونكم عن أموالهم، وكفوا ألسنتكم عن أعراضهم، ولا تجالسوا أهل البدع، ولا تأتوا الملوك فيلبسوا عليكم دينكم.

وقال ابن باكويه الشيرازي في كتاب أخبار الصوفية: حدثنا سلامة بن أحمد التكريتي، حدثنا محمد بن علي التكريتي، حدثنا يعقوب بن إسحاق، حدثنا عبيدالله بن محمد القرشي قال: كان سفيان الثوري بمكة فجاءه كتاب من عياله من الكوفة بلغت الحاجة بنا أن نقلي النوى فنأكله، فبكى سفيان. فقال له بعض أصحابه: يا أبا عبد الله لو مررت إلى السلطان صرت إلى ما تريد، فقال سفيان: والله لا أسأل الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها. قال: وحدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا ابن حسان، حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: قلت لأبي سليمان تخالف العلماء، فغضب وقال: رأيت عالماً يأتي باب السلطان فيأخذ دراهمه.

وقال الآمدي: حدثني أبو العباس قال: قدم طاهر بن عبد الله بن طاهر من خراسان في حياة أبيه يريد الحج، فنزل في دار إسحاق بن إبراهيم فوجه إسحاق إلى العلماء فأحضرهم ليراهم طاهر ويقرأ عليهم، فحضر أصحاب الحديث والفقه، وأحضر ابن الاعرابي وأبا نصر صاحب الأصمعي، ووجه إلى أبي عبيد القاسم بن سلام في الحضور فأبى أن يحضر وقال: العلم يقصد فغضب إسحاق من قوله ورسالته، وكان عبدالله بن طاهر يجري له في الشهر ألفي درهم فلم يوجه إليه إسحاق وقطع الرزق عنه وكتب إلى عبد الله بالخبر فكتب إليه عبد الله: لقد صدق أبو عبيد في قوله وقد أضعفت الرزق له من أجل فعله فاعطه فاته ثم زد عليه بعد ذلك مما يستحقه.

وأخرج ابن عساكر من طريق ابن وهب عن عبد الرحمن بن يزيد قال: حدثنا أبوحازم أن سليمان بن هشام قدم المدينة فأرسل إلى أبي حازم فدخل عليه قال: فسلمت عليه وأنا متكىء على عصاي، فقيل: ألا تتكلم؟ قلت: وما أتكلم به ليست لي حاجة فأتكلم فيها، وإنما جئت لحاجتكم التي أرسلتم إليَّ فيها وما كل من يرسل إلي آتيه، ولولا الفرق من شركم ما جئتكم إني أدركت أهل الدنيا تبعاً لأهل العلم حيث كانوا يقضي أهل العلم لأهل الدنيا حوائج دنياهم وآخرتهم، ولا يستعلي أهل الدنيا على أهل العلم لنصيبهم من العلم، ثم حال الزمان فصار أهل العلم تبعاً لأهل الدنيا حيث كانوا، فدخل البلاء على الفريقين جميعاً ترك أهل الدنيا النصيب الذي كانوا يتمسكون به من العلم حين رأوا أهل العلم قد جاؤهم، وضيع أهل العلم جسيم ما قسم له بإتباعهم أهل الدنيا.

وأخرج ابن أبي الدنيا والخرائطي، وابن عساكر، عن زمعه بن صالح قال: كتب بعض بني أمية إلى أبي حازم يعزم عليه أن يرفع إليه حوائجه فكتب إليه أما بعد؛ فقد جاءني كتابك تعزم علي أن أرفع حوائجي إليك وهيهات رفعت حوائجي إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني منها رضيت.

وأخرج أبو نعيم، وابن عساكر، عن يوسف بن اسباط قال: أخبرني مخبر أن بعض الأمراء أرسل إلى أبي حازم فأتاه وعنده الأفريقي والزهري وغيرهما فقال له: تكلم يا أبا حازم. فقال أبو

....

حازم: إن خير الأمراء من أحب العلماء وإن شر العلماء من أحب الأمراء، وكانوا فيما مضى إذا بعث الأمراء إلى العلماء لم يأتوهم وإذا سألوهم لم يرخصوا لهم، وكان الأمراء يأتون العلماء في بيوتهم فيسألونهم وكان في ذلك صلاح الامراء وصلاح العلماء، فلما رأى ذلك ناس من الناس قالوا: ما لنا لا نطلب العلم حتى نكون مثل هؤلاء فطلبوا العلم فأتوا للامراء فحدثوهم فرخصوا لهم، فخربت العلماء على الامراء وخربت الأمراء على العلماء.

وأخرج البيهقي في الزهد، وابن عساكر عن سفيان قال، قال بعض الأمراء لأبي حازم: ارفع إليَّ حاجتك. قال: هيهات هيهات رفعتها إلى من لا تختزل دونه الحوائج فما أعطاني منها قنعت وما زوي عني منها رضيت. كان العلماء فيما مضى يطلبهم السلطان وهم يفرون منه وإن العلماء اليوم طلبوا العلم حتى إذا جمعوه بحذافيره أتوا به أبواب السلاطين والسلاطين يفرون منهم وهم يطلبونهم.

وأخرج ابن عساكر من طريق أبي قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي، حدثنا الأصمعي، عن ابن أبي الزناد، عن أبيه قال: كان الفقهاء كلهم بالمدينة يأتون عمر بن عبد العزيز خلا ابن المسيب، فإن عمر كان يرضى أن يكون بينهما سفير وأنا كنت الرسول بينهما.

وأخرج ابن النجار في تاريخه عن مفلح بن الأسود قال: قال المأمون ليحي بن أكتم: إني أشتهي أن أرى بشر بن الحرث. قال: إذا اشتهيت يا أمير المؤمنين فإلى الليل ولا يكون هنا ثالث فركبا فدق يحي الباب، فقال بشر: من هذا؟ قال: هذا من تجب عليك طاعته. قال: وأي شيء تريد؟ قال: أحب لقاءك. قال: طائعاً أو مكرهاً. قال: ففهم المأمون. فقال ليحي: اركب فمرا على رجل يقيم الصلاة صلاة العشاء الأخيرة فدخلا يصليان فإذا الإمام يحسن القراءة، فلما أصبح المأمون وجه إليه فجاء به فجعل يناظره في الفقه وجعل الرجل يخالفه ويقول: القول في هذه المسألة خلاف هذا، فغضب المأمون فلما كثر خلافه قال: عهدي بك كأنك تذهب إلى أصحابك فتقول: خطأت أمير المؤمنين، فقال: والله يا أمير المؤمنين إني لأستحي من أصحابي أن يعلموا أني قد جئتك. فقال المأمون: الحمد لله الذي جعل في رعيتي من يستحي أن يجيئني ثم سجد لله شكراً والرجل إسحاق بن إبراهيم الحزلي.

وأخرج ابن النجار في تاريخه عن سفيان قال: ما زال العلم عزيزاً حتى حمل إلى أبواب الملوك فأخذوا عليه أجراً فنزع الله الحلاوة من قلوبهم ومنعهم العمل به.

وقال ابن الحاج في المدخل: ينبغي للعالم بل يتعين عليه أن لا يتردد لأحد من ابناء الدنيا لأن العالم ينبغي أن يكون الناس على بابه لا عكس الحال أن يكون هو على بابهم، ولا حجة له في كونه يخاف من عدو وحاسد وما اشبههما ممن يخشى أن يشوّش عليه أو يرجو أحداً منهم في دفع شيء مما يخشاه، أو يرجو أن يكون ذلك سبباً لقضاء حوائج المسلمين من جلب مصلحة أو دفع مضرة عنهم، فهذا ليس فيه عذر.

....

أما الأول، فلأنه إذا كان بإشراف نفس لم يبارك له فيه وإذا كان خائفاً مما ذكر فذلك أعظم من إشراف النفس وقد يسلط عليه من يتردد إليه على معلومه عقوبة عليه معجلة.

وأما الثاني: فهو يرتكب أمراً محذوراً محققاً لأجل محذور مظنون توقعه في المستقبل وقد يكون وقد لا يكون وهو مطلوب في الوقت لعدم ارتكاب ذلك الفعل المذموم شرعاً بل الإعانة على قضاء حوائجه وحوائج المسلمين إنما هو بالانقطاع عن أبواب هؤلاء، والتعويل على الله سبحانه والرجوع إليه فإنه سبحانه هو القاضي للحوائج والدافع للمخاوف والمسخر لقلوب الخلق والمقبل بها على ما شاء كيف شاء. قال تعالى خطاباً لحبيبه ﷺ: ﴿لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ [الأنفال: ٦٢] فذكر سبحانه هذا في معرض الامتنان على نبيه ﷺ، والعالم إذا كان متبعاً له ﷺ سيما في التعويل على ربه سبحانه والسكون إليه دون مخلوقاته، فإنه سبحانه يعامله بهذه المعاملة اللطيفة التي عامل بها نبيه ﷺ لبركة الاتباع له ﷺ وليسلم بذلك من التردد إلى أبواب هؤلاء كالذي يفعله بعض الناس وهو سم قاتل، ويا ليتهم لو اقتصروا على ما ذكر لا غير بل يضمون إلى ذلك ما هو أشد وأشنع. وهو أنهم يقولون: إن ترددهم إلى أبوابهم من باب التواضع، أو من باب إرشادهم إلى الخير إلى غير ذلك مما يخطر لهم وهو كثير قد عمت به البلوى، وإذا اعتقدوا ذلك فقد قلّ الرجاء عن توبتهم ورجوعهم. وقال في موضع آخر: ينبغي للعالم إذا اقطع عنه معلوم المدرسة لا يترك ما كان عليه من الاجتهاد ولا يتبرم ولا يتضجر لأنه قد يكون المعلوم قد قطع عنه اختباراً من الله تعالى كي يرى صدقه في علمه وعمله فإن رزقه مضمون له لا ينحصر في جهة دون أخرى. قال ﷺ « من طلب العلم تكفل الله برزقه » ومعناه يسر له من غير تعب ولا مشقة، وإن كان الله تعالى تكفل برزق الكل، ولكن حكمة تخصيص العالم بل لذكر أن ذلك يتيسر له بلا تعب ولا مشقة فجعل نصيبه من التعب والمشقة في الدرس والمطالعة والتفهم للمسائل والقائها، وذلك من الله تعالى على سبيل اللطف به والإحسان إليه، فينبغي له أن يصون هذا المنصب الشريف من التردد لمن يرجى أنه معين على إطلاق المعلوم أو المتحدث فيه أو إنشاء معلوم عوضه والعالم أولى أن يثق بربه عز وجل في المنع والعطاء، ولا عذر له في الطلب لأجل المعاملة. لأنه إن ترك ذلك تقية على هذا المنصب لم يضيع الله الكريم قصده وفتح له من نصيبه ما هو أحسن له من ذلك وأعانه وسدّ خلته على ماشاء كيف شاء، وليس رزقه بمخصوص بجهة بعينها، إذ عادة الله تعالى أبداً مستمرة على أنه سبحانه يرزق من هذا حاله من غير باب يقصده أو يؤمله لأن مراد الله تعالى من العلماء انقطاعهم إليه وتعويلهم في كل أمورهم عليه لا ينظرون إلى الأسباب، بل إلى مسبب الأسباب ومدبرها والقادر عليها، وكيف لا يكون العالم كذلك وهو المرشد للخلق والموضح للطريق المستقيم للسلوك إلى الله تعالى، ومن ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه من حيث لا يحتسب اهـ. كلام ابن الحاج ملخصاً.

وفي طبقات الحنفية لعبد القادر القرشي في ترجمة علي بن الحسن الصندلي: أن السلطان ملك شاه

وإذا ظهر طريق الدخول عليهم فلنرسم في الأحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة أموالهم مسائل.

مسألة: إذا بعث إليك السلطان مالاً لتفرقه على الفقراء فإن كان له مالك معين فلا يحل أخذه، وإن لم يكن بل كان حكمه أنه يجب التصدق به على المساكين ـ كما سبق ـ فلك أن تأخذه وتتولى التفرقة ولا تعصي بأخذه، ولكن من العلماء من امتنع عنه فعند هذا ينظر في الأولى فنقول: الأولى أن تأخذه إن أمنت ثلاث غوائل.

الغائلة الأولى: أن يظن السلطان بسبب أخذك أن ماله طيب ولولا أنه طيب لما

السلجوقي قال له: لم لا تجيء إليّ؟ قال: أردت أن تكون خير الملوك حيث تزور العلماء، ولا أكون من شر العلماء حيث أزور الملوك. وعن خلف قال: سمعت إبراهيم بن أدهم ينشد:

أرى أناساً بأدنى الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستعن بالله عن دنيا الملوك كما استغـ ... ـنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال القالي في أماليه: حدثنا أبو بكر بن الأنباري، حدثني أبي قال: بعث سليمان المهلبي إلى الخليل بن أحمد بمائة ألف درهم وسأله في صحبته فردّ عليه الدراهم وكتب إليه بأبيات:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة ... وفي غنى غير أني لست ذا مال
شحاً بنفسي أني لا أرى أحداً ... يموت هزلاً ولا يبقى على حال
فالرزق عن قدر العجز ينقصه ... ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه ... ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

وفي هذا الباب غير ما ذكرنا، وإنما وقع الاقتصار على القدر المذكور لئلا يطول الكتاب.

(وإذا ظهر طريق الدخول عليهم، فلنرسم في الأحوال العارضة في مخالطة السلاطين ومباشرة أموالهم مسائل) منها:

مسألة:

(إذا بعث إليك السلطان مالاً) وأذن لك أن **(تفرقه على الفقراء)** فلينظر فيه **(إن كان له مالك معين فلا يحل أخذه)** ولو جاء من يد غيره، **(وإن لم يكن)** له مالك معين **(بل كان حكمه أن يجب التصدق به على المساكين كما سبق بيانه)** آنفاً، **(فلك أن تأخذ)** ذلك **(وتتولى تفرقته)** عليهم **(ولا تعصى بأخذه، ولكن من العلماء من امتنع من ذلك)** تورعاً. **(فعند هذا ينظر في الأولى فنقول: الأولى أن تأخذه إن أمنت)** على نفسك **(ثلاث غوائل)** أي مهالك.

(الغائلة الأولى: أن يظن السلطان بسبب أخذك) له **(أن ماله طيب ولولا أنه طيب لما**

كنت تمديدك إليه ولا تدخله في ضمانك فإن كان كذلك فلا تأخذه، فإن ذلك محذور ولا يفي الخير في مباشرتك التفرقة بما يحصل لك من الجرأة على كسب الحرام.

الغائلة الثانية: أن ينظر إليك غيرك من العلماء والجهال فيعتقدون أنه حلال فيقتدون بك في الأخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون، فهذا أعظم من الأول، فإن جماعة يستدلون بأخذ الشافعي رضي الله عنه على جواز الأخذ ويغفلون عن تفرقته وأخذه على نية التفرقة، فالمقتدي والمتشبه به ينبغي أن يحترز عن هذا غاية الاحتراز فإنه يكون فعله سبب ضلال خلق كثير. وقد حكى وهب بن منبه أن رجلاً أتي به إلى ملك بمشهد من الناس لكرهه على أكل لحم الخنزير فلم يأكل فقدم إليه لحم غنم وأكره بالسيف فلم يأكل، فقيل له في ذلك فقال: إن الناس قد اعتقدوا أني طولبت بأكل لحم الخنزير فإذا خرجت سالماً وقد أكلت فلا يعلمون ماذا أكلت فيضلون ودخل وهب بن منبه

كنت تمديدك إليه) وتأخذه ولا كنت **(تدخله في ضمانك، فإن كان الأمر كذلك فلا تأخذه)** أصلاً **(فإن ذلك محظور)** أي ممنوع وفي نسخة: محذور **(ولا يفي الخير في مباشرتك التفرقة بما يحصل لك الجرأة على كسب الحرام.**

الغائلة الثانية: أن ينظر إليك غيرك من العلماء والجهال فيعتقدون) بأخذك **(أنه حلال)** ولولا ذلك ما أخذته، **(فيقتدون بك في الأخذ ويستدلون به على جوازه ثم لا يفرقون، فهذا أعظم من الأول)** وسراية خبثه أكثر، **(فإن جماعة)** من العلماء **(يستدلون بأخذ الشافعي)** رحمه الله تعالى الألف دينار من هارون الرشيد **(على جواز الأخذ)** مطلقاً **(ويغفلون عن تفرقته و)** عن **(أخذه على نية التفرقة)** على الفقراء، **(فالمقتدي والمتشبه به ينبغي أن يحترز من هذا غاية الاحتراز فإنه يكون فعله)** ذلك **(سبب ضلال خلق كثير)** وقد اتفق ذلك لكثير من الورعين ممن لم يعتد الأخذ منهم، فكان إذا أخذ منهم تارة فرّقه في الحال على الحاضرين. **(وقد حكى وهب بن منبه)** اليماني تقدمت ترجمته **(أن رجلاً أتى به إلى ملك)** من الملوك الجبابرة **(بمشهد من الناس)** أي محضر منهم، وقد **(أكرهه على)** أكل **(لحم الخنزير فلم يأكل فقدم إليه لحم غنم وأكرهه بالسيف فلم يأكل)** أيضاً، **(فقيل له في ذلك. فقال: إن الناس قد اعتقدوا أني طولبت بأكل الخنزير، فإذا خرجت سالماً وقد أكلت فلا يعلمون ماذا أكلت فيضلون)** بسببي، فهكذا ينبغي بمن يقتدي به أن لا يقدم على شيء منهم، ولو علم أنه حلال وأنه يستحقه لئلا يعتقد فيه من لا يعرف أصل المال ولا استحقاقه جوازاً لأخذ مطلقاً.

وقد أخرج هذه القصة أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا محمد بن سهل بن عسكر، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثني عبد الصمد بن معقل قال:

وطاوس على محمد بن يوسف ـ أخي الحجاج ـ وكان عاملاً وكان في غداة بـاردة في مجلس بارز فقال لغلامه: هلم ذلك الطيلسان وألقه على أبي عبد الرحمن ـ أي طـاوس ـ وكان قد قعد على كرسي فألقي عليه فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى الطيلسان عنه، فغضب محمد بن يوسف فقال وهب: كنت غنياً عن أن تغضبه لو أخذت الطيلسان وتصدقت به. قال: نعم لولا أن يقول من بعدي أنه أخذه طـاوس ولا يصنع به ما أصنع به إذن لفعلت.

سمعت وهب بن منبه يقول: أتي برجل من أفضل زمانه إلى ملك كان يفتن الناس على أكل لحوم الخنازير، فلما أتى به استعظم الناس مكانه وهالهم أمره وقال له صاحب شرط الملك: أئتني بجدي تذبحه مما يحل لك أكله فأعطنيه، فإن الملك إذا دعا بلحم الخنزير أتيتك به فكله فذبح جدياً فأعطاه إياه، ثم أتي به إلى الملك فدعا لهم بلحم الخنزير فاتى صاحب الشرط باللحم الذي كان أعطاه إياه لحم الجدي فأمر الملك أن يأكله فأبى، فجعل صاحب الشرط يغمز إليه ويأمره بأكله ويريه أنه اللحم الذي دفعه إليه فأبى أن يأكله، فأمر الملك صاحب شرطه أن يقتله، فلما ذهب به قال له: ما منعك أن تأكل وهو اللحم الذي دفعت إلي أظننت أني أتيتك بغيره. قال: قد علمت أنه هو، ولكن خفت أن يقتاس الناس بي فكلما أريد أحداً على أكل لحم الخنزير قال: قد أكله فلان فيقتاس الناس بي، فأكون فتنة لهم فقتل.

(ودخل وهب بن منبه وطاوس) رحمها الله تعالى **(على محمد بن يوسف)** الثقفي **(أخي الحَجاج)** بن يوسف **(وكان عاملاً)** على اليمن من طرف الوليد بن عبد الملك مات سنة إحدى وتسعين **(وكان في غداة باردة فقال)** محمد **(لغلامه: هلم ذلك الطيلسان فألقه على عبد الرحمن أي طاوس)** فإنه كان يكنى كذلك بأكبر أولاده عبد الرحمن، **(وكان)** طاوس **(قد قعد على الكرسي فألقى)** الغلام **(عليه)** ذلك الطيلسان، **(فلم يزل)** طاوس **(يحرك كتفيه حتى ألقى الطيلسان عنه)** وقام، **(فغضب محمد بن يوسف)** لذلك فلما خرجا **(قال وهب: كنت غنياً عن أن تغضبه لو أخذت الطيلسان فتصدقت به)** على من يستحقه، **(فقال: نعم لولا أن يقول من بعده)** وفي نسخة: من بعدي **(أخذه طاوس فلا يصنع به ما أصنع به إذاً لفعلت)** كذلك المقتدي به قد يمتنع من شيء وهو جائز خوفاً من أن يقلد من غير معرفة لأصل الامتناع.

وأورده أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرني[1] قال: كان طاوس يصلي في غداة باردة مغيمـة فمرَّ به محمد بن يوسف أخو الحَجاج بن يوسف أو أيوب بن يحي وهو ساجد في موكبه، فأمر بساج أو

---

(١) هنا بياض في الأصل.

الغائلة الثالثة: أن يتحرك قلبك إلى حبه لتخصيصه إياك وإيثاره لك بما أنفذه إليك فإن كان كذلك فلا تقبل فإن ذلك هو السم القاتل والداء الدفين أعني ما يجبب الظلمة إليك، فإن من أحببته لا بدّ أن تحرص عليه وتداهن فيه. قالت عائشة رضي الله عنها: جبلت النفوس على حب من أحسن إليها. وقال عليه السلام: «اللهم لا تجعل

طيلسان مرتفع فطرح عليه، فلم يرفع رأسه حتى فرغ من حاجته، فلما سلّم نظر فإذا الساج عليه. قال: فانتفض ولم ينظر إليه ومضى إلى منزله.

(**الغائلة الثالثة: أن يتحرك قلبك إلى حبه**) والميل إليه (**لتخصيصه إياك**) دون غيرك (**وإيثاره لك بما أنفذه إليك، فإن كان كذلك فلا تقبل**) منه أبداً (**فإن ذلك هو السم القاتل**) لدقته (**والداء الدفين**) الذي أعيا منه الأطباء. (**أعني ما يجبب الظلمة إليك، فإن ما أحببته لا بدّ وأن تحرص عليه وتداهن فيه**) بمقتضى الطبع البشري.

(**قالت عائشة رضي الله عنها ترفعه**) إلى رسول الله ﷺ (**« جبلت النفوس**) أي خلقت وطبعت وفي رواية القلوب (**على حب من أحسن إليها »**) بقول أو فعل وبغض من أساء اليها، وذلك لأن الآدمي مركب على طبائع شتى وأخلاق متباينة، والشهوات فيه مركبة. ومن رؤوس الشهوات نيل المنى وقضاء الوطر، فمن بلغ نفس غيره مرامها فلنفسه أقامها فإذا أحسن إليها صفت وصارت طوعاً له، وإلاّ فهي كالمكره، فاستبان أن الالفة إنما تتم ببر النفوس كأنها تقول: شأني اللذات لا الطاعات فهل يبرّ بي أحد حتى أحبه. قال ابن عطاء: من أحسن إليك فقد استرقك بامتنانه، ومن آذاك فقد أعتقك من رق إحسانه.

تنبيه:

قول المصنف: قالت عائشة إلى آخره هذا غلط، فإنه ما روى إلا من حديث ابن مسعود، ولم أر أحداً من الحفاظ نسبه إلى عائشة مطلقاً. وقوله: ترفعه مع غلطة فيه اختلاف هل هو مرفوع أو موقوف على ابن مسعود من قوله، ـ كما سيأتي بيان ذلك ـ ثم وجدت بعد ذلك في كتاب المقاصد للحافظ السخاوي: إن هذا الحديث أخرجه القضاعي مرفوعاً من جهة ابن عائشة فظهر لي أن المصنف رحمه الله تعالى سبق نظره إلى عائشة، فظن أنها هي أم المؤمنين وليس كذلك، وابن عائشة رجل محدث من رجال أبي داود والترمذي والنسائي، واسمه عبيد الله بن محمد بن حفص بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمي القرشي يقال له ابن عائشة نسبة إلى عائشة بنت طلحة لأنه من ذريتها، وسيأتي سياق القضاعي. ولما رأى العراقي هذا مع ما فيه من الوقف والرفع لم يخرجه في كتابه المغني.

وأما تخريجه فقد أخرجه هكذا بلفظ «جبلت القلوب» وبزيادة الجملة الأخيرة أبو نعيم في الحلية. وأبو الشيخ في كتاب الثواب، وابن حبان في روضة العقلاء، والخطيب في التاريخ،

....

وآخرون كلهم من طريق إسماعيل بن ابان الخياط قال: بلغ الحسن بن عمارة أن الأعمش وقع فيه فبعث إليه بكسوة فمدحه الأعمش، فقيل للأعمش: ذممته ثم مدحته. فقال: إن خيثمة حدثني عن ابن مسعود قال «جبلت» فذكره وهكذا أخرجه ابن عدي في الكامل. ومن طريقه البيهقي في الشعب، وابن الجوزي في العلل لكن مرفوعاً وقال: لا يصح. فالخياط مجرح. وقال يحيى: كذاب. وقال الشيخان والدارقطني: متروك. وقال ابن حبان: يضع على الثقات. وفي اللسان قال الازدي هذا الحديث باطل وإسماعيل الخياط كوفي زائغ. وقال الحافظ السيوطي في الجامع الصغير بعد أن أقرّ لابن عدي وأبي نعيم والبيهقي وصحح البيهقي وقفه اهـ.

أي على ابن مسعود وزاد فقال: إنه المحفوظ. وقال ابن عدي: المعروف وقفه، وتبعه الزركشي، وأورده السيوطي في الجامع الكبير، ورمز لأبي نعيم عن ابن مسعود قال: وأخرجه العسكري في الامثال من حديث ابن عمر.

وقال الحافظ السخاوي في المقاصد: وقول ابن عدي ثم البيهقي أن الموقوف معروف عن الأعمش يحتاج إلى تأويل فإنهما أورداه كذلك بسند فيه من اتهم بالكذب والوضع بسياق أجلّ الأعمش عن مثله، وهو أنه لما ولي الحسن بن عمارة مظالم الكوفة بلغ الأعمش فقال ظالم ولي مظالمنا، فبلغ الحسن فبعث إليه بأثواب ونفقة. فقال الأعمش: مثل هذا ولي علينا يرحم صغيرنا ويعود على فقيرنا ويوقر كبيرنا، فقال له رجل: يا محمد ما هذا قولك فيه أمس فقال: حدثني خيثمة وذكره موقوفاً.

وأخرجه القضاعي مرفوعاً من جهة ابن عائشة حدثنا محمد بن عبد الرحمن رجل من قريش قال: كنت عند الأعمش فقيل: إن الحسن بن عمارة ولي المظالم فقال الأعمش: يا عجباً من ظالم ما للحائك بن الحائك والمظالم فخرجت فأتيت الحسن فأخبرته فقال: عليَّ بمنديل وأثواب فوجه بها إليه، فلما كان من الغد بكرت إلى الأعمش، فقلت أجري الحديث قبل أن يجتمع الناس فأجريت ذكره، فقال: بخ بخ هذا الحسن بن عمارة ولي العمل وما زانه، فقلت بالأمس. قلت: ما قلت واليوم تقول هذا. فقال: دع عنك حدثني خيثمة عن ابن مسعود مرفوعاً، فقد كان رحمه الله زاهداً ناسكاً تاركاً للدنيا حتى وصفه القائل بقوله: ما رأيت الاغنياء والسلاطين عند أحد أحقر منهم عنده مع فقره وحاجته، وقال آخر: صبور مع فقره مجانباً للسلطان ورع عالم بالقرآن اهـ. كلام السخاوي.

قلت: وأورده هكذا العسكري في الأمثال إلا أنه قال: حدثني خيثمة عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «جبلت» وذكره. وفي رواية ذكر للأعمش الحسن بن عمارة فقال: بالأمس يطفف في المكيال والميزان، واليوم ولي أمور المسلمين، فلما كان جوف الليل بعث إليه ابن عمارة بصرة وتخت ثياب، فلما أصبح أثنى عليه وقال: ما عرفته إلا من أهل العلم، فقيل له في ذلك فقال: دعوني عنكم ثم ذكره، وإذا عرفت ذلك ظهر لك أن الحديث له أصل، وطريق القضاعي

لفاجر عندي يداً فيحبه قلبي » بيَّن ﷺ أن القلب لا يكاد يمتنع من ذلك. وروي أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بعشرة آلاف درهم فأخرجها كلها فأتاه محمد بن واسع فقال: ما صنعت بما أعطاك هذا المخلوق؟ قال: سل أصحابي؟ فقالوا: أخرجه كله، فقال: أنشدك الله أقلبك أشد حباً له الآن أم قبل أن أرسل إليك؟ قال: لا. بل الآن. قال: إنما كنت أخاف هذا وقد صدق فإنه إذا أحبه أحب بقاءه وكره عزله

والعسكري ليس فيه من أتهم بالوضع فلا يكون باطلاً. وأما الجواب عن الأعمش وأنه لا يليق بمقامه، فقد يقال: إن هذا كان في أوائل أمره وقد يستأنس له بالذي أورده المصنف فقال:

(وقال رسول الله ﷺ: « اللهم لا تجعل لفاجر عندي يداً فيحبه قلبي »). قلت: ويروى « اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة يرعاه بها قلبي ».

قال العراقي: رواه ابن مردويه في التفسير من رواية كثير بن عطية عن رجل لم يسم، ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وأبو موسى المديني في كتاب تضييع العمر والأيام من طريق أهل البيت مرسلاً، وأسانيده كلها ضعيفة اهـ.

(بيَّن ﷺ أن القلب لا يكاد يمتنع من ذلك) لما قدمنا ذكره، ويستأنس له أيضاً بما أخرجه الطبراني من حديث عصمة بن مالك: الهدية تذهب بالسمع والقلب والبصر.

(وروي أن بعض الأمراء) يعني أمراء البصرة **(أرسل إلى مالك بن دينار)** بن يحي البصري العابد **(بعشرة آلاف فأخرجها كلها)** بأن فرقها على الحاضرين، **(فأتاه محمد بن واسع)** بن جابر بن الأخنس الازدي أبو بكر أبو عبدالله البصري ثقة عابد كثير المناقب، روى له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وقد تقدم ذكره مراراً **(فقال له: ما صنعت بما أعطاك هذا المخلوق)** يعني الأمير ولم يسمه بالأمير؟ **(فقال: سل أصحابي)** فسألهم **(فقالوا: أخرجه كله)** وفرّقه **(فقال: أنشدك الله أقلبك أشد حباً له الآن أم قبل أن أرسل إليك؟ فقال: بل الآن. فقال: أنا كنت أخاف هذا)**، وقد أخرج هذه القصة أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا هارون بن هارون، حدثنا حمزة عن ابن شوذب قال: قسّم أمير من أمراء البصرة على قراء البصرة فبعث إلى مالك بن دينار فقبل، فأتى محمد بن واسع فقال: يا مالك قبلت جوائز السلطان. قال: فقال يا أبا بكر سل جلسائي. فقالوا: يا أبا بكر اشتري بها رقاباً فأعتقها، فقال له محمد: أنشدك الله أقلبك الساعة له على ما كان عليه قبل أن يجيزك؟ قال: اللهم لا. قال: ترى أي شيء دخل عليك؟ فقال مالك لجلسائه: إنما مالك حمار إنما يعبد الله مثل محمد بن واسع اهـ.

(وقد صدق) محمد بن واسع **(فإنه إذا أحبه أحب بقاءه وكره عزله ونكبته)** أي

ونكبته وموته وأحب اتساع ولايته وكثرة ماله، وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم. قال سلمان وابن مسعود رضي الله عنهما: من رضي بأمر وإن غاب عنه كان كمن شهده قال تعالى: ﴿ولا تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا﴾ [هود: ١١٣] قيل: لا ترضوا بأعمالهم. فإن كنت في القوّة بحيث لا تزداد حباً لهم بذلك فلا بأس بالأخذ. وقد حكي عن بعض عباد البصرة انه كان يأخذ أموالاً ويفرقها فقيل له: ألا تخاف أن تحبهم؟ فقال: لو أخذ رجل بيدي وأدخلني الجنة ثم عصى ربه ما أحبه قلبي لأن الذي سخره للأخذ بيدي هو الذي أبغضه لأجله شكراً له على تسخيره إياه، وبهذا تبين أن أخذ المال الآن منهم وإن كان ذلك المال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لأنه لا ينفك عن هذه الغوائل.

مسألة: إن قال قائل: إذا جاز أخذ ماله وتفرقته، فهل يجوز أن يسرق ماله أو تخفي وديعته وتنكر وتفرق على الناس؟ فنقول: ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين وهو على عزم أن يرده عليه، وليس هذا كما لو بعثه إليك فإن العاقل لا يظن به أنه

مصيبته (**وموته وأحب اتساع ولايته وكثرة ماله، وكل ذكل حب لأسباب الظلم وهو مذموم**)، ولذا قال مالك ما قال واعترف لنفسه بالتقصير في مقام المعرفة بالله تعالى.

(**وقال سلمان**) الفارسي (**وابن مسعود**) رضي الله عنهما: (**من رضي بأمر وإن غاب عنه كان كمن شهده**) وعاينه، (**وقال الله تعالى**) في كتابه العزيز ﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النَّار**﴾ أي لا تميلوا إليهم بقلوبكم، (**وقيل**) في بعض التفاسير: أي (**لا ترضوا بأعمالهم**) أي فمن رضي بأعمالهم كان كالعامل لها فيحشر معهم، (**فإن كنت**) أيها المريد (**في القوّة**) والطاقة (**بحيث لا تزداد حباً بذلك**) وتكون كما كنت عليه قبل، (**فلا بأس بالأخذ**) وهذا مقام طاوس وأضرابه. (**وقد حكي عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ**) من الأمراء (**أموالاً ويفرقها**) لمستحقيها (**فقيل له: ألا تخاف أن تحبهم**) فإن المال يميل القلوب؟ (**فقال: لو أخذ رجل بيدي فادخلني الجنة ثم عصى ربه ما أحبه قلبي لأن الذي سخرّه للأخذ بيدي هو الذي أبغضه لأجله شكراً له على تسخيره إياه**) لي: (**وبهذا يتبين أن أخذ المال منهم الآن وإن كان ذلك المال بعينه من وجه حلال محذور ومذموم لأنه لا يسلم**) الآخذ (**من هذه الغوائل**) وفي نسخة: لأنه لا بدّ له من هذه الغوائل وهذا دقيق جداً.

مسألة أخرى:

(**فإن قال قائل: إذا جاز أخذ ماله وتفرقته فهل يجوز أن يسرق ماله أو تخفى وديعته وتنكر وتفرق على الناس**) أم لا؟ (**فيقال: ذلك غير جائز لأنه ربما يكون له مالك معين وهو على عزم**) أي قصد ونية (**أن يرده إليه**) أي إلى مالكه، (**وليس هذا كما بعثه إليك**)

يتصدق بمال يعلم مالكه فيدل تسليمه على أنه لا يعرف مالكه، فإن كان ممن يشكل عليه مثله فلا يجوز أن يقبل منه المال ما لم يعرف ذلك، ثم كيف يسرق ويحتمل أن يكون ملكه قد حصل له بشراء في ذمته فإن اليد دلالة على الملك، فهذا لا سبيل إليه بل لو وجد لقطة وظهر أن صاحبها جندي واحتمل أن تكون له بشراء في الذمة أو غيره وجب الرد عليه. فإذاً لا يجوز سرقة مالهم لا منهم ولا ممن أودع عنده، ولا يجوز انكار وديعتهم ويجب الحد على سارق مالهم إلا إذا دعي السارق أنه ليس ملكاً لهم، فعند ذلك يسقط الحد بالدعوى.

مسألة: المعاملة معهم حرام لأن أكثر مالهم حرام فما يؤخذ عوضاً فهو حرام، فإن أدى الثمن من موضع يعلم حله فيبقى النظر فيما سلم إليهم، فإن علم أنهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم أنهم يلبسونه فذلك حرام كبيع العنب من الخمار، وإنما الخلاف في الصحة وإن أمكن ذلك وأمكن أن يلبسها نساءه فهو شبهة مكروهة هذا فيما يعصي في عينه من الأموال. وفي معناه بيع الفرس منهم لا سيما في وقت ركوبهم إلى قتال

هدية وإكراماً (**فإن العاقل لا يصلح به أن يتصدق بما يعلم مالكه فيدل تسليمه**) وفي نسخة إعطاؤه (**على أنه لا يعرف مالكه، فإن كان ممن يشكل عليه مثله فلا يجوز أن يقبل منه المال ما لم يعرف ذلك، ثم كيف**) يجوز له أن (**يسرق ويحتمل أن يكون ملكه قد حصل له** بشراء) صحيح (**في ذمته فإن اليد دلالة على الملك، فهذا لا سبيل إليه بل**) نقول (**لو وجد لقطة وظهر أن صاحبها جندي**) مثلاً (**فاحتمل أن يكون له بشراء في الذمة أو غيره**) كان ورثه من أبيه أو وهبه له أحد(**وجب الرد عليه**) ولم يجز تفرقته (**فإذاً لا يجوز سرقة مالهم لا منهم ولا ممن أودع عنده، ولا يجوز إنكار وديعتهم ويجب الحد على سارق مالهم**) لكونه أخذه من حرز المثل (**إلا**) في صورة وهي (**إذا ادّعى السارق أنه ليس ملكاً لهم فعند ذلك يسقط**) الحد (**بالدعوى**).

مسألة أخرى:

(**المعاملة معهم حرام**) فلا يعاملهم ولا يعامل من يعاملهم (**لأن أكثر مالهم حرام فما يأخذه عوضاً فهو حرام فإن أدى الثمن من موضع يعلم حله فينبغي النظر فيما يسلم إليهم، فإن علم أنهم يعصون الله به كبيع الديباج منهم وهو يعلم أنهم يلبسونه فذلك حرام**) وبيعه منهم إعانة على المعصية والإعانة عليهم معصية (**كبيع العنب من الخمار**) الذي يعصره خمراً وهذا لا خلاف فيه، (**وإنما الخلاف في الصحة**) هل يصح هذا البيع أو يبطل أو يفسد تقدم في كتاب البيوع. (**وإن أمكن ذلك وأمكن أن يلبسها نساءه فهو شبهة مكروهة وهذا فيما يعصي**) الله تعالى (**في عينه من الأموال. وفي معناه بيع الفرس**) والسلاح (**منهم لا سيما في وقت**

المسلمين أو جباية أموالهم، فإن ذلك إعانة لهم بفرسه وهي محظورة، فأما بيع الدراهم والدنانير منهم وما يجري مجراها مما لا يعصي في عينه بل يتوصل بها فهو مكروه لما فيه من إعانتهم على الظلم لأنهم يستعينون على ظلمهم بالأموال والدواب وسائر الأسباب، وهذه الكراهة جارية في الاهداء إليهم وفي العمل لهم من غير أجرة حتى في تعليمهم وتعليم أولادهم الكتابة والترسل والحساب، وأما تعليم القرآن فلا يكره إلا من حيث أخذ الأجرة، فإن ذلك حرام إلا من وجه يعلم حله، ولو انتصب وكيلاً لهم يشتري لهم في الأسواق من غير جُعل أو أجرة فهو مكروه من حيث الإعانة وإن اشترى لهم ما يعلم أنهم يقصدون به المعصية كالغلام والديباج للفراش واللبس والفرس للركوب إلى الظلم والقتل فذلك حرام، فمهما ظهر قصد المعصية بالمبتاع حصل التحريم ومهما لم يظهر واحتمل بحكم الحال ودلالتها عليه حصلت الكراهة.

مسألة: الأسواق التي بنوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها، فإن سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كسبه وكان عاصياً بسكناه وللناس أن

ركوبهم إلى قتال المسلمين أو) في وقت **(جباية أموالهم، فإن ذلك إعانة لهم لفرسه)** وسلاحه **(وهي محظورة)** شرعاً. **(وأما بيع الدنانير والدراهم وما يجري مجراه مما لا يعصى به في عينه بل يتوصل به)** إليه **(فهو مكروه لما فيه من إعانتهم على الظلم لأنهم يستعينون على ظلمهم بالأموال والدواب وسائر الأسباب)** غالباً، **(وهذه الكراهية جارية في الإهداء إليهم)** بطرقه **(وفي العمل لهم)** مجاناً **(من غير أجرة حتى في تعليمهم وتعليم أولادهم)** وغلمانهم **(الكتابة والترسل والحساب)** والفروسية، **(وأما تعليم القرآن فلا يكره إلا من حيث أخذ الأجرة فإن ذلك)** أي أخذها **(حرام إلاَّ من وجه يعلم حله)** فلا بأس به، **(ولو انتصب وكيلاً لهم يشتري لهم في الاسواق من غير جعل و)** لا **(أجرة فهو مكروه من حيث الإعانة)** لهم فقط، **(وإن اشترى لهم مما يعلم أنهم يقصدون به المعصية كالغلام)** الوسيم **(والديباج للفرس واللبس)** فيه لف ونشر مرتب **(والفرس للركوب إلى الظلم)** والفجور **(والقتل)** والنهب، **(فذلك حرام فمهما ظهر قصد المعصية بالمبتاع حصل التحريم ومهما لم يظهر)** قصدها **(واحتمل أن يكون بحكم الحال وحكم دلالتها عليه حصلت الكراهة)** وارتفع التحريم.

مسألة أخرى:

(الأسواق التي بنوها بالمال الحرام تحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها) فإن كانت الأراضي مغصوبة فالحرمة أشد، **(وإن سكنها تاجر واكتسب)** فيها في معاملة **(بطريق شرعي لم يحرم كسبه و)** لكن **(كان عاصياً بسكناه)** فيها، **(وللناس أن يشتروا منهم**

يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقاً أخرى فالأولى الشراء منها. فإن ذلك إعانة لسكناهم وتكثير لكراء حوانيتهم، وكذلك معاملة السوق التي لا خراج لهم عليها أحب من معاملة سوق لهم عليها خراج، وقد بالغ قوم حتى تحرزوا من معاملة الفلاحين وأصحاب الأراضي التي لهم عليها الخراج، فإنهم ربما يصرفون ما يأخذون إلى الخراج فيحصل به الإعانة وهذا غلو في الدين وحرج على المسلمين، فإن الخراج قد عمّ الأراضي ولا غنى بالناس عن ارتفاق الأرض ولا معنى للمنع منه، ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الأرض حتى لا يطلب خراجها وذلك مما يطول ويتداعى إلى حسم باب المعاش.

مسألة: معاملة قضاتهم وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل أشد. أما القضاة فلأنهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم فإنهم على زي العلماء ويختلطون بهم ويأخذون من أموالهم والطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بذوي الجاه والحشمة فهم سبب انقياد الخلق إليهم. وأما الخدم والحشم فأكثر أموالهم من

ولكن لو وجدوا أسواقاً أخر فالأولى الشراء منهم) وترك الشراء من تلك. (**فإن ذلك**) أي الشراء منهم (**إعانة لسكانهم**) وترويج لهم (**وتكثير لكراء حوانيتهم**) وترغيب لسكناها، (**وكذلك معاملة السوق التي لا خراج لهم عليها أحب من معاملة سوق لهم عليها خراج**). (**وقد بالغ قوم**) من الورعين (**حتى لم يجوّزوا معاملة الفلاحين**) أي الزراعين (**وأصحاب الأراضي التي عليها خراج**) مضروب (**لأنهم ربما يصرفون ما يأخذون إلى الخراج**) المذكور (**فتحصل به الإعانة، وهذا**) في الحقيقة (**غلو في الدين وحرج على المسلمين**) ولا يليق بيسر هذه الأمة، (**فإن الخراج قد عمّ الأراضي**) كلها شرقاً ومغرباً، (**ولا غنى بالناس عن ارتفاع الأرض فلا معنى للمنع منه، ولو جاز هذا لحرم على المالك زراعة الأرض حتى لا يطلب خراجها منه وذلك مما يطول**) الحال فيه (**ويتداعى إلى حسم**) أي قطع (**باب المعاش**) على الخلق.

مسألة أخرى:

(**معاملة قضاتهم وعمالهم**) على البلاد (**وخدمهم**) وحواشيهم (**حرام كمعاملتهم بل أشد، أما القضاة فإنهم يأخذون من أموالهم الحرام الصريح ويكثرون جمعهم ويغرون الخلق بزيهم**) أي يوقعونهم به في الغرور، (**فإنهم على زي العلماء ويختلطون بهم**) أي بالملوك (**ويأخذون من أموالهم، فالطباع مجبولة**) بحكم خلقتها (**على التشبه والاقتداء بذوي الجاه والحشمة فهو سبب انقياد الخلق إليهم**) وفي حقهم أنشد الزمخشري:

الغصب الصريح ولا يقع في أيديهم مال مصلحة وميراث وجزية ولا وجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بمالهم. قال طاوس: لا أشهد عندهم وإن تحققت الحق لأني أخاف تعديهم على من شهدت عليه. وبالجملة؛ إنما فسدت الرعية بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفاً من إنكارهم. ولذلك قال ﷺ: «لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه ما لم تمالىء قراؤها أمراءها» وإنما ذكر القراء لأنهم كانوا هم العلماء وإنما كان علمهم بالقرآن ومعانيه المفهومة بالسنّة، وما وراء ذلك من العلوم فهي محدثة بعدهم. وقد قال سفيان: لا تخالط السلطان ولا من يخالطه. وقال: صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الليطة بعضهم شركاء بعض، وقد صدق فإن رسول الله ﷺ لعن في الخمر

قضاة زماننا اضحوا لصوصا ... عموماً في البرايا لا خصوصا
نخاف إذا هم قد صافحونا ... لسلّوا من خواتمنا فصوصا

(وأما الخدم والحشم، فأكثر أموالهم من الغصب الصريح) بجاه مواليهم **(ولا يقع في أيديهم مال مصلحة ولا جزية و)** لا **(ميراث ولا وجه حلال حتى تضعف الشبهة باختلاط الحلال بما لهم، وقد صار ما في أيديهم قريباً مما في أيدي حشمهم وخدامهم، ولهذا قال طاوس)** بن كيسان اليماني: **(لا أشهد عندهم وإن تحققت الحق لأني أخاف تعديهم على من شهدت عليه)** أي فاترك هذه الشهادة درأ للمفسدة الحاصلة منها. **(وبالجملة، إنما فسدت الرعية بفساد الملوك)** بسبب الجور والظلم **(وفساد)** حال **(الملوك بفساد العلماء)** فإنهم خالطوهم وداهنوهم، فتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ففسد بذلك الحال من الطرفين وأدى ذلك إلى فساد حال الرعية، **(فلولا القضاة السوء والعلماء السوء لقلّ فساد الملوك خوفاً من إنكارهم)** على المنكرات، **(ولذا قال ﷺ «لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه ما لم تمالىء قراؤها امراءها»)** قال العراقي: رواه أبو عمرو الداني في كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلاً، ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي وابن عمر بلفظ «ما لم تعظم ابرارها فجارها ويداهن خيارها شرارها» وسندهما ضعيف اهـ.

(وإنما ذكر القراء) وهو جمع قاريء للذي يقرأ القرآن خاصة، وقد خص إطلاق هذا اللفظ على الفقهاء **(لأنهم كانوا هم العلماء وإنما كان علمهم بالقرآن والمعاني المفهومة منه ومن السنّة)** استنباطاً **(وما وراء ذلك من العلوم)** التي هي كآلات لفهم الكتاب والسنة **(محدثة بعدهم. وقد قال سفيان)** الثوري رحمه الله تعالى: **(لا تخالط السلطان ولا من يخالطه)** فإنه معصية، **(وقال)** أيضاً: **(صاحب القلم وصاحب الدواة وصاحب القرطاس وصاحب الطين)** الأحمر **(الذي يختم به)** الكتاب **(وصاحب الليطة بعضهم شركاء بعض)**

عشرة حتى العاصر والمعتصر. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد ﷺ». وكذا رواه جابر وعمر عن رسول الله

في الوزر، (**وقد صدق**) سفيان (**فإن النبي ﷺ لعن في الخمر عشرة، حتى لعن العاصر والمعتصر**). قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أنس وقال: حديث غريب اهـ.

قلت: وأخرجه من طريق علقمة وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي أنهما سمعا ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها».

وأخرجه ابن ماجه كذلك إلا أنه قال: وأبي طعمة بدل ابن علقمة، وهو في مسند الإمام أبي حنيفة عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عمر قال: «لعنت الخمر وعاصرها ومعتصرها وساقيها وشاربها وبائعها ومشتريها» وقد رواه أيضاً الحاكم والبيهقي، ورواه ابن ماجه من حديث أنس، ورواه الطبراني من حديث عثمان بن أبي السائب، ورواه أيضاً أحمد وابن ماجه والبيهقي مثل رواية الإمام بلفظ «لعنت الخمر على عشرة وجوه لعنت بعينها وشاربها وساقيها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وبائعها ومبتاعها وآكل ثمنها» ورواه الطبراني كذلك من حديث ابن مسعود ومن حديث ابن عمر ونحوه.

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**آكل الربا وموكله وشاهداه وكاتبه ملعونون على لسان محمد ﷺ**) قال العراقي: رواه مسلم وأصحاب السنن واللفظ للنسائي دون قوله «وشاهداه» ولأبي داود «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه» وقال الترمذي وصححه وابن ماجه «وشاهديه» اهـ.

قلت: رواه مسلم من طريق مغيرة قال: سأل شباك إبراهيم، فحدثنا عن علقمة عن عبد الله قال: «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله؟ قال: قلت وكاتبه وشاهده فقال: إنما نحدث بما سمعنا. وأما أبو داود فقد أخرجه من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، ورواه الطبراني بلفظ «لعن الله الربا وآكله وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون» ورواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه بلفظ: «لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه» وهذا الأنسب لسياق المصنف.

(**وكذلك روى جابر**) بن عبد الله الأنصاري (**وعمر**) بن الخطاب رضي الله عنهما، (**عن رسول الله ﷺ**) قال العراقي: أما حديث جابر، فأخرجه مسلم بلفظ «لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء» اهـ.

قلت: ورواه أحمد كذلك.

ﷺ . وقال ابن سيرين : لا تحمل للسلطان كتاباً حتى تعلم ما فيه ، وامتنع سفيان رحمه الله من مناولة الخليفة في زمانه دواة بين يديه وقال : حتى أعلم ما تكتب بها فكل من حواليهم من خدمهم واتباعهم ظلمة مثلهم يجب بغضهم في الله جميعاً . روي عن عثمان بن زائدة أنه سأله رجل من الجند وقال : أين الطريق ؟ فسكت وأظهر الصمم وخاف أن يكون متوجهاً إلى ظلم فيكون هو بإرشاده إلى الطريق معيناً . وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف مع الفساق من التجار والحاكة والحجامين وأهل الحمامات والصاغة والصباغين وأرباب الحرف مع غلبة الكذب والفسق عليهم ، بل مع الكفار من أهل الذمة . وإنما هذا في الظلمة خاصة الآكلين لأموال اليتامى والمساكين والمواظبين على إيذاء المسلمين الذين

ثم قال العراقي : وأما حديث عمر فقد أشار إليه الترمذي بقوله ، وفي الباب : ولابن ماجه من حديثه أن آخر ما أنزلت آية الربا أن رسول الله ﷺ مات ولم يفسرها فدعوا الربا والريبة وهو من رواية ابن المسيب عنه والجمهور على أنه لم يسمع منه اهـ .

قلت : وفي الباب عن علي رضي الله عنه أخرجه أحمد والنسائي بلفظ « لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه ومانع الصدقة » وعند البيهقي من حديثه بلفظ « لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه والواشمة والمستوشمة ومانع الصدقة والمحلل والمحلل له » .

(وقال) محمد **(بن سيرين)** رحمه الله تعالى : **(لا تحمل للسلطان كتاباً حتى تعلم ما فيه)** أي لئلا يكون معيناً على ظلمه . **(وامتنع سفيان)** الثوري **(من مناولة الخليفة)** الذي كان **(في زمانه دواة بين يديه وقال : حتى أعلم ما تكتب بها)** وقد تقدم هذا قريباً ، **(فكل من حواليهم)** وأطرافهم **(من خدمهم واتباعهم ظلمة مثلهم يجب بغضهم في الله جميعاً)** ظاهراً وباطناً من عرض دنيوي .

(وروي عن عثمان بن زائدة) الرسي ابن محمد الكوفي نزيل الري أحد العباد المبرزين . قال العجلي : ثقة صالح وذكره ابن حبان في الثقات وقال : أصله من الكوفة ، وانتقل إلى الري وكان من العباد المتقشفين وأهل الورع الدقيق والجهد الجهيد روى له مسلم حديثاً واحداً **(أنه سأله واحد من الجند)** بالري **(فقال : أين الطريق ؟ فسكت فأظهر أن به صمماً وخاف أن يكون متوجهاً إلى ظلم فيكون بإرشاده إلى الطريق معيناً)** له على الظلم ، **(وهذه المبالغة لم تنقل عن السلف من الفساق من التجار والحاكة والحجامين وأهل الحمامات والصاغة والصباغين وأرباب الحرف)** من سائر الأصناف ، **(مع غلبة الكذب والفسق عليهم)** في معاملاتهم وحركاتهم ، **(بل مع الكفار من أهل الذمة ، وإنما)** نقل **(هذا في الظلمة خاصة الآكلين لأموال اليتامى والمساكين)** ظلماً **(والمواظبين على إيذاء المسلمين)** قولاً وفعلاً

تعاونوا على طمس رسوم الشريعة وشعائرها. وهذا لأن المعصية تنقسم إلى لازمة ومتعدية، والفسق لازم لا يتعدى وكذا الكفر وهو جناية على حق الله تعالى وحسابه على الله. وأما معصية الولاة بالظلم وهو متعد فإنما يغلظ أمرهم لذلك، وبقدر عموم الظلم وعموم التعدي يزدادون عند الله مقتاً فيجب أن يزداد منهم اجتناباً ومن معاملتهم احترازاً، فقد قال ﷺ: «يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار». قال ﷺ: «من أشراط الساعة رجال معهم سياط كأذناب البقر»، فهذا حكمهم ومن عرف بذلك منهم فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء وطول الشوارب وسائر الهيئات المشهورة، فمن

(الذين تعاونوا على طمس رسوم الشريعة و)هدم **(شعارها، وهذا لأن المعصية منقسمة إلى لازمة)** على صاحبها لا تتعدى عنه **(ومتعدية)** تتعدى إلى الغير، **(والفسق لازم لا يتعدى. وكذا الكفر وهو جناية على الله وحسابه على الله. وأما معصية الولاة بالظلم)** والتعدي **(فهو متعد)** طار شررها في الآفاق، **(وإنما يغلظ أمرهم)** ويشدد **(لذلك وبقدر عموم الظلم وعموم التعدي يزدادون من الله بعداً ومقتاً)** فسحقاً لهم ثم سحقاً **(فيجب أن يزداد منهم اجتناباً)** وبُعداً **(ومن معاملتهم احترازاً، فقد قال ﷺ: «يقال للشرطي دع سوطك وادخل النار»)** الشرط: على لفظ الجمع أعوان السلطان لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها للأعداء. الواحد شرطة كغرفة وغرف، وإذا نسب إلى هذا قيل شرطي بالسكون أو إلى واحد. قال العراقي: رواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف اهـ.

قلت: وعند الحاكم من حديث أبي هريرة يقال لرجال يوم القيامة «اطرحوا سياطكم وادخلوا جهنم» وعند الديلمي من حديث عبد الرحمن بن سمرة يقال للجواز يوم القيامة ضع سوطك وادخل النار».

(وقال ﷺ «من أشراط الساعة رجال معهم سياط كأذناب البقر») قال العراقي: رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد من حديث أبي أمامة «يكون في هذه الأمة في آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر» الحديث، ولمسلم من حديث أبي هريرة «يوشك أن طالت بك مدة أن ترى قوماً في أيديهم مثل أذناب البقر» وفي رواية «له صنفان من أهل النار لم أرهما بعد قوم معهم سياط كأذناب البقر» اهـ.

قلت: وتمام حديث أبي أمامة «يغدون في سخط الله ويروحون في غضبه» ورواه كذلك أحمد، وتمام حديث أبي هريرة بعد قوله كأذناب البقر «يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وأن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» وكذلك رواه أحمد، **(فهذا حكمهم. ومن عرف بذلك فقد عرف ومن لم يعرف فعلامته القباء)** وكان أعوان الظلمة يلبسونه، **(وطول الشارب،**

رؤي على تلك الهيئة تعين اجتنابه ولا يكون ذلك من سوء الظن لأنه الذي جنى على نفسه إذ تزيّا بزيهم، ومساواة الزي تدل على مساواة القلب ولا يتجانن إلا مجنون ولا يتشبه بالفساق إلا فاسق. نعم الفاسق قد يلتبس فيتشبه بأهل الصلاح، فأما الصالح فليس له أن يتشبه بأهل الفساد لأن ذلك تكثير لسوادهم، وإنما نزل قوله تعالى: ﴿إنَّ الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ [النساء: ٩٧] في قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة المشركين بالمخالطة. وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون أني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال: ما بال الأخيار؟ قال: إنهم لا يغضبون لغضبي فكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم. وبهذا يتبين أن بغض الظلمة والغضب لله عليهم واجب. وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ: «إن الله لعن علماء بني إسرائيل إذ خالطوا الظالمين في معاشهم».

وسائر الهيئات المشهورة) لهم على اختلاف الأزمنة والأمكنة، **(فمن رؤي على تلك الحالة اجتنبه)** صحبة وجواراً ومصادقة ومعاملة، **(ولا يكون ذلك من سوء الظن)** بالأخ المسلم، **(لأنه الذي جنى على نفسه إذ تزيا بزيهم)** وتشكل بشكلهم **(ومساواة الزي)** في الظاهر **(يدل على مساواة القلب)** في الأغلب، **(فلا يتجانن)** أي يتكلف من نفسه الجنون **(إلا مجنون، ولا يتشبه بالفساق إلا فاسق)** والظاهر عنوان الباطن. **(نعم الفاسق قد يلتبس فيتشبه بأهل الصلاح)** والعلم بأن يلبس زيهم ويظهر على نفسه شعارهم، **(وأما الصالح فليس له أن يتشبه بأهل الفساد)** في زيهم، **(لأن ذلك تكثير لسوادهم)** وهو مذموم، **(وإنما نزل قوله تعالى: ﴿إنّ الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ في قوم من المسلمين كانوا يكثرون جماعة الكفار بالمخالطة)** معهم فمن كثر سواد قوم فهو منهم وادعاؤهم الاستضعاف غير مسموع، فقد جعل الله سبحانه الأرض واسعة ولا معنى لخلطتهم.

(وروي أن الله تعالى أوصى إلى يوشع بن نون) بن أبي أيثم بن يوسف الصديق فتى موسى عليهم السلام نبي، بعد موسى عليه السلام: **(إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال)** يوشع: **(ما بال الأخيار)** يا رب؟ **(فقال: إنهم لن يغضبوا لغضبي وكانوا يؤاكلونهم ويشاربونهم)** أي يخالطونهم في الأكل والشرب، **(وبهذا يتبين أن بغض الظلمة والغضب لله عليهم واجب)**.

(وروى ابن مسعود) رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ «إن الله تعالى لعن علماء بني إسرائيل إذ خالطوا الظالمين في معايشهم»)** قال العراقي: روى أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم

مسألة: المواضع التي بناها الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي أن يحتاط فيها وينظر أما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز ما أمكن وإن وجد عنه معدلاً تأكد الورع. وإنما جوّزنا العبور وإن وجد معدلاً لأنه إذا لم يعرف لتلك الأعيان مالكاً كان حكمها أن ترصد للخيرات وهذا خير، فأما إذا عرف أن الآجر والحجر قد نقل من دار معلومة أو مقبرة أو مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليه أصلاً إلا لضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير، ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه. وأما المسجد فإن بني في أرض مغصوبة أو بخشب مغصوب من مسجد آخر أو ملك معين فلا يجوز دخوله أصلاً ولا للجمعة بل لو وقف الإمام فيه فليصلّ هو خلف الإمام وليقف خارج المسجد فإن الصلاة في الأرض المغصوبة تسقط الفرض وتنعقد في حق الاقتداء، فلذلك جوّزنا للمقتدي الاقتداء بمن صلى في الأرض

علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم » لفظ الترمذي وقال حسن غريب اهـ.

قلت: ورواه أحمد كذلك ولفظهم بعد قوله عيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون لا والذي نفسي بيده حتى ناظروهم على الحق.

(**مسألة**) أخرى: (**المراصد التي بناها الظلمة في الطرق كالقناطر**) على الأنهار (**والرباطات**) للصوفية (**والمساجد**) لإقامة الصلوات (**والسقايات**) لشرب الماء وللوضوء أيضاً (**ينبغي أن يحتاط فيها وينظر، أما القنطرة؛ فيجوز العبور عليها للحاجة**) الضرورية، (**والورع الاحتراز ما أمكن وإن وجد عنه**) أي عن العبور (**معدلاً تأكد الورع**) اقتداء ببشر الحافي رحمه الله تعالى، فإنه كان لا يعبر الجسر الغربي ببغداد الذي بناه عبد الله بن طاهر، (**وإنما جوزنا العبور وإن وجدنا معدلاً لأنه إذا لم يعرف لتلك الأعيان مالكاً فإن حكمه أن يرصد للخيرات وهذا خير، فإما إذا عرف أن الآجر**) وهو الطوب المطبوخ (**والحجر قد نقل من دار معلومة أو**) من (**مقبرة أو**) من (**مسجد معين فهذا لا يحل العبور به أصلاً إلا بضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير، ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه**) لأن حقه باق ما زال. (**وأما المسجد فإن بني في أرض مغصوبة أو**) بني (**بخشب مغصوب من مسجد آخر له مالك معين**) وكذا العمدان والصواري (**فلا يجوز دخوله أصلاً ولا للجمعة**) أي لصلاتها (**بل لو وقف الإمام فيه فليصل هو**) مقتدياً (**خلف الإمام وليقف خارج المسجد**) ولو انقطع عن الصفوف (**فإن الصلاة في الأرض المغصوبة تسقط الفرض وتنعقد في حق الاقتداء، فلذلك جوزنا**

المغصوبة، وإن عصى صاحبه بالوقوف في الغصب، وإن كان من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول إلى مسجد آخر إن وجد فإن لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لأنه يحتمل أن يكون من ملك الذي بناه ولو على بعد وإن لم يكن له مالك معين فهو لمصالح المسلمين. ومهما كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم فلا عذر لمن يصلي فيه مع اتساع المسجد، أعني في الورع، قيل لأحمد بن حنبل: ما حجتك في ترك الخروج إلى الصلاة في جماعة ونحن بالعسكر؟ فقال: حجتي أن الحسن وإبراهيم التيمي خافا أن يفتنها الحجاج وأنا أخاف أن أفتن أيضاً. وأما الخلوق والتجصيص فلا يمنع من الدخول لأنه غير منتفع به في الصلاة وإنما هو زينة والأولى أنه لا ينظر إليه، وأما البواري التي فرشوها فإن كان لها مالك معين فيحرم الجلوس عليها وإلاَّ فبعد أن أرصدت لمصلحة عامة جاز افتراشها، ولكن الورع العدول عنها فإنها محل شبهة. وأما السقاية، فحكمها ما

للمقتدي الاقتداء بمن صلى في الأرض المغصوبة وإن عصى صاحبه بالوقوف في الغصب وإن كان) بني (من مال لا يعرف مالكه فالورع العدول) عنه (إلى مسجد آخر إن وجد) قريباً أو بعيداً (فإن لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به لأنه يحتمل أن يكون من ملك الذي بناه ولو على بعد) أي ولو كان هذا الاحتمال بعيداً (وإن لم يكن له مالك معين فهو لمصالح المسلمين) أي حكمه حكمها (ومهما كان في المسجد الكبير بناء لسلطان ظالم) مفروز أو غير مفروز (فلا عذر لمن يصلي فيه مع اتساع المسجد) أي لا يقبل عذره ففي المحل سعة (أعني في الورع. قيل لأحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى: (ما حجتك) ولفظ القوت: قال أبو بكر المروزي قيل لأبي عبد الله أي شيء حجتك (في ترك الخروج إلى الصلاة ونحن بالعسكر) وهو الموضع الذي بنى فيه المعتصم وسماه «سر من رأى» وقد نسب إليه هكذا جماعة من المحدثين وغيرهم منهم علي بن محمد بن موسى الكاظم يعرف هو وابنه الحسن بالعسكري؟ (فقال: حجتي أن الحسن) البصري (وابراهيم التيمي خافا أن يفتنهم الحجاج) بن يوسف الثقفي (وأنا أخاف أن أفتن أيضاً) لفظ القوت: وأنا أخاف أن يفتنني هذا بدنياه يعني الخليفة. (وأما الخلوق) وهو ما يتخلق به من الطيب، وقال بعض الفقهاء: هو مائع في صفرة، (والتجصيص فلا يمنع من الدخول فيه فإنه غير منتفع بها في الصلاة وإنما هو زينة) للمسجد، (والأولى أن لا ينظر إليه) ولا يلتفت نحوه، (وأما البواري) جمع بوريا وهو الحصير (التي فرشوها) فيه وكذا غيرها من الفرش، (فإن كان لها مالك معين، فيحرم الجلوس عليها) إلا بعد الاستحلال، (وإلا فبعد أن أرصدت لمصالح عامة) للمسلمين (جاز افتراشها) والجلوس عليها، (ولكن الورع العدول عنها) إلى غيرها (فإنها محل شبهة. فأما السقاية فحكمها ما ذكرناه) آنفاً (فليس من الورع الوضوء

ذكرناه وليس من الورع الوضوء والشرب منها والدخول إليها إلا إذا كان يخاف فوات الصلاة فيتوضأ وكذا مصانع طريق مكة. وأما الرباطات والمدارس فإن كانت رقبة الأرض مغصوبة أو الآجر منقولاً من موضع معين يمكن الرد إلى مستحقه فلا رخصة للدخول فيه وإن التبس المالك فقد أرصد لجهة من الخير، والورع اجتنابه ولكن لا يلزم الفسق بدخوله. وهذه الأبنية إن أرصدت من خدم السلاطين فالأمر فيها أشدّ إذ ليس لهم صرف الأموال الضائعة إلى المصالح ولأن الحرام أغلب على أموالهم إذ ليس لهم أخذ مال المصالح، وإنما يجوز ذلك للولاة وأرباب الأمر.

مسألة: الأرض المغصوبة إذا جعلت شارعاً لم يجز أن يتخطى فيه البتة وإن لم يكن له مالك معين جاز، والورع العدول إن أمكن، فإن كان الشارع مباحاً وفوقه ساباط جاز العبور وجاز الجلوس تحت الساباط على وجه لا يحتاج فيه إلى السقف كما يقف في الشارع لشغل، فإذا انتفع بالسقف في دفع حر الشمس أو المطر أو غيره فهو حرام لأن السقف لا يراد إلا لذلك، وهكذا حكم من يدخل مسجداً أو أرضاً مباحة سقف أو حوّط

والشرب منها إلا إذا) اضطر إلى الشرب منها بأن خاف على نفسه الهلاك من العطش أو لإساغة اللقمة فيشرب منها أو (**كان يخشى فوت الصلاة فيتوضأ**) منها، (**وكذلك مصانع طريق مكة**) حرسها الله تعالى وهي التي بناها الظلمة من أموالهم.

(**فأما الرباطات والمدارس، فإن كانت الرقبة مغصوبة أو الآجر**) أو الحجر أو الخشب (**منقولاً من موضع معين يمكن الرد إلى مستحقه فلا رخصة في الدخول فيها**) شرعاً (**فإن التبس المالك وقد أرصدت لجهة من الخير، فالورع اجتنابها. ولكن لا يلزم الفسق بدخولها. وهذه الأبنية إن أرصدت من خدم السلطان**) وأتباعه (**فالأمر فيها أشد إذ ليس لهم صرف الأموال الضائعة**) التي ليس لها ملاك إلى المصالح وإنما هو للسلطان (**ولأن الحرام أغلب على أموالهم إذ ليس لهم أخذ مال المصالح وإنما يجوز ذلك للولاة وأرباب الأمر**) كالسلاطين.

(**مسألة**) أخرى: (**الأرض المغصوبة إذا جعلت شارعاً**) يسلكه الناس (**لم يجز أن يتخطى إليه وإن لم يكن لها مالك معين جاز، والورع العدول عنه إن أمكن**) السلوك في شارع آخر، (**فإن كان الشارع مباحاً وفوقه ساباط**) وهو السقيفة التي تحتها ممر نافذ والجميع سوابيط (**جاز العبور**) من تحته (**ولا يحرم الجلوس تحت الساباط**) وفي نسخة: ويجوز الجلوس تحت الساباط (**على وجه لا يحتاج فيه إلى السقف كما يقف في الشارع لشغل**) عارض، (**فإن انتفع بالسقف في دفع حر الشمس او المطر أو غيره فهو حرام لأن السقف لا يراد إلا لذلك، وهكذا حكم من يدخل المسجد أو أرضاً مباحة سقف**) أي جعل له

بغصب فإنه بمجرد التخطي لا يكون منتفعاً بالحيطان والسقف إلا إذا كان له فائدة في الحيطان والسقف لحر أو برد أو تستر عن بصر أو غيره، فذلك حرام لأنه انتفاع بالحرام إذ لم يحرم الجلوس على الغصب لما فيه من المماسة بل للانتفاع، والأرض تراد للاستقرار عليها والسقف للاستظلال به فلا فرق بينهما.

سقف (**وحوط**) جعل عليه حائط (**بقصب**) فارسي (**فإنه بمجرد التخطي لا يكون منتفعاً بالحيطان والسقف إلا إذا كان له فائدة في الحيطان والسقف لحر أو برد أو لستر عن بصر**) الناس (**أو غيره، فذلك حرام لأنه انتفاع بالحرام إذ لم يحرم الجلوس على القصب لما فيه من المماسة بل للانتفاع، والأرض تراد للاستقرار**) عليها وفيها (**والسقف**) يراد (**للاستظلال**) به (**فلا فرق بينهما**) حينئذ.

الباب السابع

في مسائل متفرقة يكثر مسيس الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى

مسألة: سئل عن خادم الصوفية يخرج إلى السوق ويجمع طعاماً أو نقداً ويشتري به طعاماً فمن الذي يحل له أن يأكل منه؟ وهل يختص بالصوفية أم لا؟ **فقلت:** أما الصوفية؛ فلا شبهة في حقهم إذا أكلوه وأما غيرهم فيحل لهم إذا أكلوه برضا الخادم ولكن لا يخلو عن شبهة، أما الحل فلأن ما يعطي خادم الصوفية إنما يعطي بسبب الصوفية، ولكن هو المعطي لا الصوفية فهو كالرجل المعيل يعطي بسبب عياله لأنه متكفل بهم وما يأخذه يقع ملكاً له لا للعيال وله أن يطعم غير العيال إذ يبعد أن يقال لم يخرج عن ملك المعطي ولا يتسلط الخادم على الشراء به والتصرف فيه؟ لأن ذلك مصير إلى أن المعاطاة لا تكفي وهو ضعيف، ثم لا صائر إليه في الصدقات والهدايا، ويبعد أن

الباب السابع

في ذكر مسائل متفرقة لها تعلق بهذا الكتاب ويكثر مسيس الحاجة إليها وقد سئل عنها في الفتاوى وفي نسخة: وقد يسأل

(**مسألة: يسأل عن خادم الصوفية يخرج إلى السوق ويجمع طعاماً**) لهم (**أو**) يجمع (**نقداً**) من العين (**ويشتري به**) لهم (**طعاماً فمن ذا الـذي يحل له أن يأكل منه؟ وهل**) ذلك (**يختص بالصوفية أم لا؟ فقلت**) في الجواب: (**أما الصوفية فلا شبهة في حقهم إذا أكلوها وأما غيرهم فيحل لهم إذا أكلوه برضا الخادم لكن لا يخلو عن شبهة**) فيه. (**أما الحل**) أي وجهه، (**فلأن ما يعطى خادم الصوفية إنما يعطى بسبب الصوفية**) أي بسبب خدمته لهم، (**ولكن هو المعطى لا الصوفية**) وهذا (**كالرجل المعيل**) أي صاحب العيال (**يعطى بسبب عياله لأنه متكفل بهم**) أي برعايتهم (**وما أخذه يقع ملكاً له لا للعيال، ولذا**) جاز (**له أن يطعم غير العيال**) وكذلك خادم الصوفية فإنه إنما يعطى لكونه متكفلاً بخدمتهم فما أخذه يقع ملكاً له (**إذ يبعد أن يقال**) أنه (**لم يخرج عن ملك المعطى ولا يسلط الخادم على الشراء به والتصرف فيه، لأن ذلك مصير**) أي ذهاب (**إلى أن المعاطاة لا**

يقال زال الملك إلى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الخانقاه إذ لا خلاف أن له أن يطعم منه من تقدم بعدهم ولو ماتوا كلهم أو أحد منهم لا يجب صرف نصيبه إلى وارثه، ولا يمكن أن يقال إنه وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق لأن إزالة الملك إلى الجهة لا توجب تسليط الآحاد على التصرف فإن الداخلين فيه لا ينحصرون بل يدخل فيه من يولد إلى يوم القيامة، وإنما يتصرف فيه الولاة، والخادم لا يجوز له أن ينتصب نائباً عن الجهة فلا وجه إلا أن يقال هو ملكه وإنما هو يطعم الصوفية بوفاء شرط التصوّف والمروءة فإن منعهم عنه منعوه عن أن يظهر نفسه في معرض التكفل بهم حتى ينقطع رفقه كما ينقطع عمن مات عياله.

مسألة: سئل عن مال أوصى به للصوفية فمن الذي يجوز أن يصرف إليه؟ **فقلت:** التصوّف أمر باطن لا يطلع عليه ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته بل بأمور ظاهرة يعوّل عليها أهل العرف في إطلاق اسم الصوفي، والضابط الكلي أن كل من هو بصفة إذا نزل

تكفي) فلا بد من إجراء الصيغة **(وهو ضعيف ثم لا صائر إليه في الصدقات ولا الهدايا، ويبعد أن يقال زال الملك بانتقاله إلى الصوفية الحاضرين الذين هم وقت سؤاله في الخانقاه، إذ لا خلاف أن له أن يطعم منه من يقدم)** عليها **(بعدهم من الصوفية)** فكان القادمون بعدهم والحاضرون وقت السؤال في حد سواء، **(ولو ماتوا كلهم أو)** مات **(واحد منهم لا يجب صرف نصيبه إلى وارثه ولا يمكن أن يقال إنه وقع لجهة التصوف ولا يتعين له مستحق، لأن إزالة الملك إلى الجهة لا توجب تسليط الآحاد على التصرف)** وتمكينهم منه **(فإن الداخلين فيه لا ينحصرون)** ولا ينضبطون **(بل يدخل فيه من يولد)** منهم **(إلى يوم القيامة، وإنما يتصرف فيه الولاة)** للأمور، **(والخادم لا يجوز أن ينتصب نائباً عن الجهة ولا وجه إلا أن يقال هو مالكه)** وفي نسخة هو ملكه **(وإنما يطعم)** وفي نسخة: يعطى **(الصوفية ولا يشترط)** التصوف **(والمروءة فإن منعهم عنه منعوه عن أن يظهر نفسه في معرض التكفل بهم حتى ينقطع رفقه كما ينقطع عمن مات عياله.**

(مسألة: سئل عن مال أوصى به للصوفية فمن ذا الذي يجوز أن يصرف إليه؟ فقلت) في الجواب: **(التصوف أمر باطن)** خفي غير محسوس **(لا يطلع عليه ولا يمكن ربط الحكم بحقيقته)** نفياً وإثباتاً **(بل بأمور ظاهرة يعول عليها أهل العرف في إطلاق اسم الصوفي)** وأحسن ما قيل في تعريف التصوف الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً فيرى حكمها من الظاهر في الباطن، وباطناً فيرى حكمها من الباطن في الظاهر.

قال الشيخ أبو نعيم في أول الحلية: فإما التصوف فاشتقاقه عند أهل الإشارات من الصفاء والوفاء والفناء واشتقاقه من حيث الحقائق التي أوجبت اللغة، فإنه عن أحد أربعة أشياء من

في خانقاه الصوفية لم يكن نزوله فيها واختلاطه بهم منكراً عندهم فهو داخل في غمارهم. والتفصيل أن يلاحظ فيه خمس صفات الصلاح والفقر وزي الصوفية، وأن لا يكون مشتغلاً بحرفة، وأن يكون مخالطاً لهم بطريق المساكنة في الخانقاه، ثم بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم وبعضها ينجبر بالبعض فالفسق يمنع هذا الاستحقاق لأن الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من أهل الصلاح بصفة مخصوصة، فالذي يظهر فسقه وإن كان على زيهم لا يستحق ما أوصى به للصوفية ولسنا نعتبر فيه الصغائر. وأما الحرف والاشتغال بالكسب يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان والعامل والتاجر والصانع في

الصوفانة وهي بقلة زغباء قصيرة، أو من صوفة وهي قبيلة كانت في الدهر الأول تجيز الحاج وتخدم الكعبة، أو من صوفة القفا وهي الشعرات النابتة في مؤخره، أو من الصوف المعروف على ظهور الضأن، ثم أطال في تقرير كل ذلك بدلائله وحججه، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الفرقان في الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان هذه الأقوال كلها، ورجح قول من قال أنه منسوب إلى صوفة اسم قبيلة ورد بقية الأوجه.

(والضابط الكلي أن كل من هو بصفة إذا نزل في خانقاه الصوفية لم يكن نزوله فيها عليهم واختلاطه بهم منكراً عندهم فهو داخل في غمارهم) بالفتح والضم أي جلتهم فهذا هو الضابط الكلي في معرفته على الإجمال، **(والتفصيل)** فيه **(أن يلاحظ فيه خمس صفات)**: أولهن: **(الصلاح)** وهو اسم جامع في الأقوال والأفعال والأحوال، **(و)**الثاني **(الفقر)** وهو فقد ما هو محتاج إليه فإن فقد ما لا حاجة له إليه لا يسمى فقيراً، **(و)**الثالث **(زي الصوفية)** من التقصير في الملابس مع الترقيع فيها وضيق الأكمام ولبس القلنسوة من الصوف ودراعة صوف وحمل الإبريق والمشط والسواك وغير ذلك مما يختلف باختلاف الزمان والأمكنة والأشخاص، **(و)**الرابع: **(أن لا يكون مشتغلاً بحرفة)** وكسب. **(و)**الخامس: **(أن يكون مخالطاً لهم بطريق المساكنة في الخانقاه)** أي خلطة السكنى فقط. ثم **(بعض هذه الصفات مما يوجب زوالها زوال الاسم، وبعضها ينجبر بالبعض فالفسق يمنع هذا الاستحقاق)** فلا يكون الفاسق صوفياً **(لأن الصوفي بالجملة عبارة عن رجل من أهل الصلاح بصفة مخصوصة)** على هيئة مخصوصة، **(فالذي يظهر فسقه وإن كان على زيهم)** ولبسهم **(لا يستحق مما أوصى به للصوفية ولسنا نعتبر فيه)** أي في الفسق هنا ارتكاب الذنوب **(الصغائر)** كما هو المتعارف، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأخل بأحكامه.

(وأما الحرفة والاشتغال بالكسب يمنع هذا الاستحقاق فالدهقان) معرب يطلق على رئيس القرية وعلى من له مال وعقار والدال مكسورة وتضم، **(والعامل)** على القرى والضياع،

جانوته أو داره والأجير الذي يخدم بأجره كل هؤلاء لا يستحقون ما أوصى به للصوفية ولا ينجبر هذا بالزي والمخالطة، فأما الوراقة والخياطة وما يقرب منها مما يليق بالصوفية تعاطيها، فإذا تعاطاها لا في حانوت ولا على جهة اكتساب وحرفة فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجبر بمساكنته إياهم مع بقية الصفات، وأما القدرة على الحرف من غير مباشرة لا تمنع، وأما الوعظ والتدريس فلا ينافي اسم التصوف إذا وجدت بقية الخصال من الزي والمساكنة والفقر إذ لا يتناقض أن يقال صوفي مقرىء وصوفي واعظ وصوفي عالم أو مدرس، ويتناقض أن يقال صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل، وأما الفقر فإن زال بغنى مفرط ينسب الرجل إلى الثروة الظاهرة فلا يجوز معه أخذ وصية الصوفية، وإن كان له مال ولا يفي دخله بخرجه لم يبطل حقه، وكذا إذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة وإن لم يكن له خرج وهذه أمور لا دليل لها إلا العادات. وأما المخالطة لهم ومساكنتهم فلها أثر ولكن من لا يخالطهم وهو في داره

(**والتاجر والصانع في حانوته أو داره، والأجير الذي يخدم بالأجرة كل هؤلاء لا يستحقون، ولا ينجبر هذا بالزي والمخالطة**) أي ولو كانوا متميزين بزيهم ويخالطونهم لا يستحقون، (**فأما الوراقة**) وهي بالكسر صنعة الوراق والمراد به النساخ بالأجرة أو الذي يجلد كتب العلم، (**والخياطة**) معروفة (**وما يقرب منها مما يليق بالصوفية تعاطيها**) ولا عار عليهم فيه، (**فإذا تعاطاها في حانوته لا على جهة الاكتساب**) وفي نسخة. لا في حانوته ولا على جهة الاكتساب وحرفة، (**فذلك لا يمنع الاستحقاق وكان ذلك ينجبر بمساكنته إياهم مع بقية الصفات، وأما القدرة على الحرف ومعرفتها من غير مباشرة لا تمنع**) الاستحقاق، (**وأما الوعظ والتدريس**) والإقراء (**فلا ينافي إسم التصوف إذا وجدت بقية الخصال من الزي والمساكنة والفقر فلا يتناقض أن يقال صوفي**) مُقرىء يجود القرآن (**وصوفي واعظ وصوفي عالم ومدرس، ويتناقض أن يقال صوفي دهقان وصوفي تاجر وصوفي عامل**) للأمراء.

(**وأما الفقر فإن زال بغنى مفرط ينسب الرجل به إلى الثروة الظاهرة**) أي كثرة المال، (**فلا يجوز معه أخذ ما أوصى به للصوفية فإن كان له مال لا يفي دخله بخرجه**) بأن يكون المخروج أكثر من المدخول (**لم يبطل حقه**) فيا أوصى به، (**وهكذا إذا كان له مال قاصر عن وجوب الزكاة**) فإنه كذلك لا يبطل حقه، (**وإن لم يكن له خرج، وهذه أمور لا دليل عليها إلا العادات.**)

(**وأما المخالطة معهم ومساكنتهم فلها أثر**) في ثبوت الاستحقاق، (**ولكن من لا**

أو في مسجد على زيهم ومتخلق بأخلاقهم فهو شريك في سهمهم وكأن ترك المخالطة يجبرها ملازمة الزي فإن لم يكن على زيهم ووجد فيه بقية الصفات فلا يستحق إلا إذا كان مساكناً لهم في الرباط فينسحب عليه حكمهم بالتبعية. فالمخالطة والزي ينوب كل واحد منهما عن الآخر. والفقيه الذي ليس على زيهم هذا حكمه فإن كان خارجاً لم يعد صوفياً وإن كان ساكناً معهم ووجدت بقية الصفات لم يبعد أن ينسحب بالتبعية عليه حكمهم. وأما لبس المرقعة من يد شيخ من مشايخهم فلا يشترط ذلك في الاستحقاق، وعدمه لا يضره مع وجود الشرائط المذكورة. وأما المتأهل المتردد بين الرباط والمسكن فلا يخرج بذلك عن جملتهم.

مسألة: ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فالأمر فيه أوسع مما أوصى لهم به لأن معنى الوقف الصرف إلى مصالحهم، فلغير الصوفي أن يأكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة أو مرتين فإن أمر الأطعمة مبناه على التسامح حتى جاز الانفراد بها في الغنائم

يخالطهم وهو في داره أو في مسجده) حال كونه **(على زيهم)** وشكلهم **(ومتخلق بأخلاقهم فهو شريك في سهامهم)** لأن عدم المخالطة لا يؤثر في إبطال النصيب، **(وكان ترك المخالطة يجبرها ملازمة الزي، فإن لم يكن على زيهم ووجدت بقية الصفات فلا يستحق إلا إذا كان مساكناً لهم في)** الخانقاه أو **(الرباط فينسحب عليه حكمهم بالتبعية، فالمخالطة والزي ينوب كل واحد منهما عن الآخر، والفقيه الذي على زيهم هذا حكمه، فإن كان خارجاً)** عن الرباط **(لم يعد صوفياً وإن كان ساكناً معهم ووجدت بقية الصفات)** من الفقر والخلطة وعدم الاكتساب **(لم يبعد أن ينسحب بالتبعية عليه حكمهم)**.

(وأما لبس المرقع) وهو القميص الذي يخيط عليه المرقع ألواناً مختلفة ويسمى بالدلق **(من يد شيخ من مشايخهم)** عند وداعه من نسيخ هكذا كانت عادة مشايخ الصوفية، **(فلا يشترط ذلك في الاستحقاق وعدمه لا يضره مع وجود الشرائط المذكورة)** إلا أنه إن وجد فيهم من ليس من يد شيخه، فهذا علامة كماله المنبىء عن كمال الاستحقاق.

(وأما المتأهل) أي المتزوج **(المتردد بين الرباط والمسكن، فلا يخرج بذلك عن جملتهم)** سواء كان في كل ليلة يتردد إلى المسكن أو في كل أسبوع مرة أو مرتين إلا أنه يؤمر بالتقلل إلا عند الضرورة.

(مسألة: ما وقف على رباط الصوفية وسكانه فالأمر فيه أوسع مما أوصى به للصوفية لأن معنى الوقف الصرف إلى مصالحهم) أي السكان، **(فلغير الصوفي أن يأكل معهم برضاهم على مائدتهم مرة أو مرتين)** أو أكثر، **(فإن أمر الأطعمة مبناه على التسامح)**

المشتركة وللقوّال أن يأكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقف، وكان ذلك من مصالح(١) معايشهم، وما أوصى به للصوفية لا يجوز أن يصرف إلى قوال الصوفية بخلاف الوقف، وكذلك من أحضروه من العمال والتجار والقضاة والفقهاء ممن لهم غرض في استمالة قلوبهم يحل لهم الأكل برضاهم، فإن الواقف لا يقف إلا معتقداً فيه ما جرت به عادات الصوفية فينزل على العرف ولكن ليس هذا على الدوام، فلا يجوز لمن ليس صوفياً أن يسكن معهم على الدوام ويأكل وإن رضوا به إذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم.

وأما الفقيه إذا كان على زيهم وأخلاقهم فله النزول عليهم، وكونه فقيهاً لا ينافي كونه صوفياً، والجهل ليس بشرط في التصوف عند من يعرف التصوّف، ولا يلتفت إلى خرافات بعض الحمقى بقولهم: إن العلم حجاب فإن الجهل هو الحجاب. وقد ذكرنا

فلا يمنع منها غيرهم (**حتى جاز الانفراد بها في الغنائم المشتركة**) وفي نسخة: حتى كان الانفراد بها في الغنائم المشتركة جائزاً، (**وللقوال**) وهو المنشد لهم في حلقة الذكر (**أن يأكل معهم في دعوتهم من ذلك الوقف، وكان ذلك من مصالح معايشهم وما أوصى به للصوفية لا يجوز أن يصرف إلى قوال الصوفية**) لأنه ليس منهم (**بخلاف الوقف، وكذلك من حضرهم**) في المجلس (**من العمال**) على الولايات (**والتجار والقضاة والفقهاء**) وغيرهم (**ممن لهم في استمالة قلوبهم غرض**) ديني أو دنيوي (**يحل لهم الأكل**) من طعامهم (**برضاهم، فإن الواقف لا يقف**) عليهم شيئاً (**إلا معتقداً فيهم ما جرت به عادات الصوفية**) وعهد من حالهم، (**فينزل على العرف**) والمصطلح، (**ولكن ليس هذا على الدوام**) والاستمرار، (**فلا يجوز لمن ليس صوفياً أن يسكن معهم على الدوام ويأكل وإن رضوا به إذ ليس لهم تغيير شرط الواقف بمشاركة غير جنسهم**) والواقف شرط في وقفه أن يكون ريعه مصروفاً إلى الصوفية وسكان الرباط.

(**وأما الفقيه إذا كان على زيهم**) وشكلهم (**وأخلاقهم فله النزول عليهم**) والدخول في سهامهم، (**وكونه فقيهاً لا ينافي كونه صوفياً، والجهل ليس بشرط في التصوف عند من يعرف التصوف**) فإن التصوف هو مراعاة أمور الشرع ظاهراً وباطناً والعمل بالكتاب والسنة، (**فلا يلتفت إلى خرافات بعض الحمقى**) ممن لم يشموا رائحة المعرفة (**بقولهم: إن العلم حجاب**) الله الأكبر أي يحول بينه وبين السلوك إلى الحق، (**فإن الجهل هو الحجاب**) الأعظم. (**وقد ذكرت تأويل هذه الكلمة في كتاب العلم**) وتكلمت عليه بما يناسب المقام،

---

(١) من قوله «جاز الانفراد» حتى قوله «معايشهم» لم ترد في الاحياء.

تأويل هذه الكلمة في كتاب العلم، وأن الحجاب هو العلم المذموم دون المحمود، وذكرنا المحمود المذموم وشرحها.

وأما الفقيه إذا لم يكن على زيهم وأخلاقهم فلهم منعه من النزول عليهم فإن رضوا بنزوله فيحل له الأكل معهم بطريق التبعية فكان عدم الزي تجبره المساكنة ولكن برضا أهل الزي، وهذه أمور تشهد لها العادات وفيها أمور متقابلة لا يخفى أطرافها في النفي والإثبات ومتشابه أوساطها، فمن احترز في مواضع الاشتباه فقد استبرأ لدينه كما نبهنا عليه في أبواب الشبهات.

مسألة: سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع أن كل واحد منهما يصدر عن الرضا ولا يخلو عن غرض وقد حرمت إحداهما دون الأخرى. فقلت: باذل المال لا يبذله قط إلا لغرض، ولكن الغرض إما آجل كالثواب وإما عاجل، والعاجل إما مال وإما فعل وإعانة على مقصود معين، وإما تقرب إلى قلب المهدى إليه بطلب محبته إما للمحبة في عينها وإما للتوصل بالمحبة إلى غرض وراءها فالأقسام الحاصلة من هذه خمسة.

فإن شئت راجعه. (**وان الحجاب**) الذي يصونه (**هو العلم المذموم دون المحمود**) منه، (**وقد ذكرنا المحمود والمذموم وشرحها**) هناك.

(**وأما الفقيه إذا لم يكن على زيهم وأخلاقهم فلهم منعه من النزول عليهم**) إذ هو أجنبي عندهم (**وإن رضوا بنزوله**) بسبب من الأسباب (**فيحل له الأكل معهم بطريق التبعية**) لا الأصالة، (**وكان عدم الزي تجبره المساكنة ولكن برضا أهل الزي، وهذه الأمور تشهد بها العادات وفيها أمور متقابلة لا تخفى أطرافها النفي والإثبات وتشابه أوساطها، فمن احترز في موضع الاشتباه فقد استبرأ**) أي طلب البراءة (**لدينه**) وهو الورع (**كما نبهنا على ذلك في باب الشبهات**) فراجعه.

مسألة:

(**سئل عن الفرق بين الرشوة والهدية مع أن كل واحدة منهما تصدر عن الرضا ولا تخلو عن غرض، وقد حرم إحداهما دون الأخرى؟ فقلت**) في الجواب: (**باذل المال لا يبذله قط**) ولا يعطيه (**إلا لغرض، ولكن إما آجل كالثواب**) من الله تعالى، (**وإما عاجل والعاجل إما مال وإما فعل وإعانة على مقصود معين، وإما تقرب إلى قلب المهدى إليه لطلب محبة**) وذلك (**إما للمحبة في عينها وإما للتوصل بالمحبة إلى غرض وراءها، فالأقسام الحاصلة من هذا**) التقسيم (**خمسة**).

الأول: ما غرضه الثواب في الآخرة وذلك إما أن يكون لكون المصروف إليه محتاجاً أو عالماً أو منتسباً بنسب ديني أو صالحاً في نفسه متديناً. فما علم الآخذ أنه يعطاه لحاجته لا يحل له أخذه إن لم يكن محتاجاً، وما علم أنه يعطاه لشرف نسبه لا يحل له إن علم أنه كاذب في دعوى النسب، وما يعطي لعمله فلا يحل له أن يأخذه إلا أن يكون في العلم كما يعتقده المعطي، فإن كان خيل إليه كمالاً في العلم حتى بعثه بذلك على التقرب ولم يكن كاملاً لم يحل له، وما يعطي لدينه وصلاحه لا يحل له أن يأخذه إن كان فاسقاً في الباطن فسقاً لو علمه المعطي ما أعطاه. وقلما يكون الصالح بحيث لو انكشف باطنه لبقيت القلوب مائلة إليه، وإنما ستر الله الجميل هو الذي يحبب الخلق إلى الخلق. وكان المتورعون يوكلون في الشراء من لا يعرف أنه وكيلهم حتى لا يتسامحوا في المبيع خيفة من أن يكون ذلك أكلاً بالدين فإن ذلك مخطر والتقي خفي لا كالعلم والنسب والفقر فينبغي أن يجتنب الآخذ بالدين ما أمكن.

القسم الثاني: ما يقصد به في العاجل غرض معين كالفقير يهدي إلى الغني طمعاً في

(القسم الأول: ما غرضه الثواب في الآخرة وذلك بأن يكون المصروف إليه محتاجاً أو عالماً أو نسيباً بنسب ديني أو صالحاً في نفسه متديناً فما علم الآخذ أنه يعطاه لحاجته) أي لأجل أنه محتاج، **(فلا يحل له أخذه إن لم يكن محتاجاً)** لأنه لم تصادف العطية محلها، **(وما علم أنه يعطاه لشرف نسبه)** واتصاله برسول الله ﷺ أو بنسب قريش، **(فلا يحل له إن علم أنه مجازف)** وفي نسخة كاذب **(في دعوى النسب)** بأن لم يثبت ذلك عنده بطريق صحيح وإنما هو مجرّد اشتهار، **(وما يعطي لعلمه فلا يحل له أن يأخذه إلا أن يكون في العلم كما يعتقده المعطي، فإن كان حل إليه وهو يعتقد فيه كمالاً في العلم ولم يكن كاملاً)** وفي نسخة: فإن كان خيل إليه كمالاً **(في العلم حتى بعثه ذلك على التقرب ولم يكن كاملاً لم يحل له أخذه وما يعطي لدينه وصلاحه فلا يحل له أن يأخذه إن كان فاسقاً في الباطن فسقى)** وفي نسخة: فسقاً **(لو علم ذلك منه المعطي لما أعطاه، وقد يكون الرجل الصالح في الظاهر)** بحيث **(لو انكشف باطنه لما بقيت القلوب مائلة إليه)** بل تنفر منه، **(وإنما ستر الله الجميل هو الذي يحببه إلى الخلق و)** قد **(كان المتورعون)** من السلف **(يوكلون في الشراء من لا يعرف أنه وكيلهم)** فيه **(حتى لا يساعوا في البيع خيفة من أن يكون ذلك أكلاً بالدين، فإنه أمر مخطر والتقي خفي)** لا يعلم أمره **(لا كالعلم والنسب والفقر)** فإنه ظاهر **(ينبغي أن يجتنب الأخذ بالدين ما أمكن)**.

(القسم الثاني: ما يقصد به في العاجل غرض معين كالفقير يهدي إلى الغني طمعاً في

خلعته فهذه هبة بشرط الثواب لا يخفى حكمها وإنما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شروط العقود .

الثالث: أن يكون المراد إعانة بفعل معين كالمحتاج إلى السلطان يهدي إلى وكيل السلطان وخاصته ومن له مكانة عنده فهذه هدية بشرط ثواب يعرف بقرينة الحال ، فلينظر في ذلك العمل الذي هو الثواب فإن كان حراماً كالسعي في تنجيز إدرار حرام أو ظلم إنسان أو غيره حرم الأخذ ، وإن كان واجباً كدفع ظلم متعين على كل من يقدر عليه أو شهادة متعينة فيحرم عليه ما يأخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها ، وإن

خلعته) أي يعطيه خلعة ، **(فهذه هدية بشرط ثواب)** وهي التي لا لفظ فيها من شخص تقتضي قرينة حاله أن يطمع في ثواب وذلك صحيح لازم **(ولا يخفى حكمها)** كما تقدم في الباب الذي قبله في آخر الأصل الخامس حيث قال : ولا مبالاة بقول من قال لا تصح هدية في انتظار ثواب **(وإنما تحل عند الوفاء بالثواب المطموع فيه وعند وجود شرط العقد)** .

قال التقي السبكي : فإن قلت : المهدي قد يكون فقيراً فيقصد بهديته عوضاً من جهة المهدى إليه ولا يقصد غير ذلك . قلت : هذا بيع أخرج في صورة الهدية فإن صححناها بيعاً أفسدناها فلا يرد علينا ، وإن صححناها هدية وأوجبنا الثواب فنسميها هدية باعتبار صورتها لا باعتبار معناها ، ونحن كلامنا في الهدية صورة ومعنى فأما إذا حددنا حقيقة إنما نجد ذلك ، وتسمية الصورة المذكورة هدية كتمسية الصورة المنقوشة إنساناً على أنه قد يقال : إن الفقير قصد استمالة قلب المهدى إليه فيرحه ويعطيه لا على سبيل المعارضة ، فلا يخرج عن قصد التودد فتسمى هدية حقيقة ، وهذا هو عرف عند الناس ومقصود الفقراء ألا ترى أن العوض ليس معيناً ولا معلوماً ، وإنما يقصد الفقير المهدي أن ينعطف الغني المهدى إليه ويتحنن عليه فرجع إلى معنى الهدية الذي قدمناه ، وليس مقصوده شيئاً معيناً كما هو مقصود الراشي فلذلك لا تحرم الهدية المذكورة اهـ .

(القسم الثالث: أن يكون المراد إعانة بفعل معين كالمحتاج إلى السلطان يهدي إلى وكيل السلطان وخاصته) في إتباعه **(ومن كان له مكانة)** وقدر عنده **(فهذه هدية بشرط يعرف بقرينة الحال)** المقتضية طمعه في ثواب ، **(فننظر في ذلك العمل الذي هو الثواب)** المطموع فيه **(فإن كان حراماً كالسعي في إدرار حرام أوظلم إنسان أو غيره حرم الأخذ)** حينئذ ، **(وإن كان)** ذلك العمل **(واجباً كدفع ظلم متعين في كل من يقدر عليه)** وفي بعض النسخ : على كل من يقدر على إزالته **(وشهادة معينة فيحرم ما يأخذه وهي الرشوة التي لا يشك في تحريمها)** وهي بكسر الراء وضمها وجمعها رشى بكسر الراء وضمها أيضاً ومعانيها كلها راجعة إلى معنى التوصل والامتداد فهي اسم للمال الذي يقصد به التوصل إلى المهدى إليه ، وسيأتي الكلام عليها مع ذكر الأخبار الواردة في تحريمها قريباً . **(وإن كان)** ذلك العمل **(مباحاً واجباً**

كان مباحاً لا واجباً ولا حراماً وكان فيه تعب بحيث لو عرف لجاز الاستئجار عليه فما يأخذه حلال مهما وفى بالغرض، وهو جار مجرى الجعالة كقوله: أوصل هذه القصة إلى يد فلان أو يد السلطان ولك دينار وكان بحيث يحتاج إلى تعب وعمل متقوم، أو قال: اقترح على فلان أن يعينني في غرض كذا أو ينعم عليَّ بكذا وافتقر في تنجيز غرضه إلى كلام طويل، فذلك جعل كما يأخذه الوكيل بالخصومة بين يدي القاضي فليس بحرام إذا كان لا يسعى في حرام، وإن كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه أو تلك الفعلة من ذي الجاه تفيد كقوله للبواب: لا تغلق دونه باب السلطان أو كوضعه قصة بين يدي السلطان فقط، فهذا حرام لأنه عوض من الجاه، ولم يثبت في الشرع جواز ذلك بل ثبت ما يدل على النهي عنه ـ كما سيأتي في هدايا الملوك ـ وإذا كان لا يجوز العوض عن إسقاط الشفعة والرد بالعيب ودخول الأغصان في هواء الملك وجملة من الأغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه؟ ويقرب من هذا

ولا حراماً وكان فيه تعب) ومشقة (**بحيث لو عرف لجاز الاستئجار عليه فما يأخذه حلال مهما وفى بالغرض وهو جار مجرى الجعالة كقوله: أوصل هذه القصة إلى يد السلطان ولك دينار**) مثلاً (**وكان بحيث يحتاج إلى تعب**) وتحمل مشقة (**وعمل متقوم، أو قال: اقترح على فلان أن يعينني في غرض كذا أو ينعم علي في كذا**) وفي نسخة: بكذا (**أو افتقر في تنجيز غرضه إلى كلام طويل، فذلك جعل كما يأخذه الوكيل بالخصومة بين يدي القاضي فليس بحرام إذا كان لا يسعى به في حرام**) وفي نسخة: لا يستعين به، (**وإن كان مقصوده يحصل بكلمة لا تعب فيها**) وفي نسخة: بلا تعب (**ولكن تلك الكلمة من ذي الجاه أو تلك الفعلة من ذي الجاه مفيدة**) في قضاء الحاجة (**كقوله للبواب: لا تغلق دونه باب السلطان أو كوضعه قصته بين يدي السلطان فقط فهذا حرام أخذه لأنه عوض عن جاه، ولم يثبت في الشرع جواز ذلك، بل ثبت ما يدل على النهي عنه كما سيأتي في هدايا الملوك**) .

وفي فصل المقال للتقي السبكي فإن قلت: فمن ليس متولياً إذا أهدى إليه ليتحدث له في أمر جائز عند ذي سلطان؟ قلت: إذا كانت تلك الحاجة جائزة ولم يكن المتحدث مرصداً لإبلاغ مثلها بحيث يجب عليه فإن كان لحديثه فيها أجرة بأن يكون يحتاج إلى عمل كثير جاز، وإلا فلا. أما الجواز فلانه إجارة أو جعالة، وأما المنع فلأن الشرع لم يرد بالمعاوضة في هذا النوع وإن كان قد قصده العقلاء وقد بان بهذا الفرق بين الرشوة والهدية.

(**وإذا كان لا يجوز**) أخذ (**العوض على إسقاط**) حق (**الشفعة والرد بالعيب ودخول الأغصان في هواء المالك وجملة من الأغراض مع كونها مقصودة فكيف يؤخذ عن الجاه؟**

أخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته كواحد ينفرد بالعلم بنبت يقطع البواسير أو غيره فلا يذكره إلا بعوض فإن عمله بالتلفظ به غير متقوم كحبة من سمسم فلا يجوز أخذ العوض عليه ولا على علمه، إذ ليس ينتقل علمه إلى غيره وإنما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالماً به، ودون هذا: الحاذق في الصناعة كالصيقلي مثلا الذي يزيل إعوجاج السيف أو المرآة بدقة واحدة لحسن معرفته بموضع الخلل، ولحذقه بإصابته فقد يزيد بدقة واحدة مال كثير في قيمة السيف والمرآة فهذا لا أرى بأساً بأخذ الأجرة عليه، لأن مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها ليكتسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل.

الرابع: ما يقصد به المحبة وجلبها من قبل المهدى إليه لا لغرض معين ولكن طلباً للاستئناس وتأكيداً للصحبة وتودداً إلى القلوب فذلك مقصود للعقلاء ومندوب إليه

ويقرب من هذا أخذ الطبيب على كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته) عن الغير **(كمن ينفرد بعلم نبت)** سهلي أو جبلي أو بستاني **(ينفع البواسير)** المرض المعروف **(أو غيره)** شرباً أو شماً أو احتمالاً أو بخوراً **(ولا يذكره إلا بعوض)** معلوم **(فإن عمله في التلفظ به غير متقوم كحبة من سمسم لا قيمة لها فلا يجوز أخذ العوض على ذلك ولا على علمه، إذ ليس ينتقل علمه إلى غيره وإنما يحصل لغيره مثل علمه ويبقى هو عالماً به ودون هذا الحاذق في الصناعات)** الدقيقة أي الماهر فيها **(كالصيقلي مثلاً)** وهو **(الذي يزيل اعوجاج السيف والمرآة بدقة واحدة)** ويصقلها **(لحسن معرفته بموضع الخلل)** الحادث فيهما **(ولحذقه بإصابته فقد يزيد بدقة واحدة)** وهو عمل قليل **(مالاً كثيراً في قيمة السيف والمرآة)** ومنه المثل على ألسنة العامة: دقة المعلم بألف، والأصل فيه كما هو المشهور: إن رجلاً من ذي الجاه كانت له منقلة وهي المعروفة الآن بالساعة تعرف بها الأوقات ثمنها ألف دينار وقد وقفت عن الحركة فأعطاها معلمها ليصلحها فطلب في إصلاحها ألف دينار فرضي بذلك ففتحها ونظر في آلاتها فإذا قملة حبست على فرخها الذي يدور فأزالها ووضع آلاتها موضعها فتحركت على عادتها وأخذ الألف دينار فضرب به المثل المذكور، وهكذا في كل صناعة دقيقة يطلع في خفاياها الماهر في صنعته ما لا يدركه غيره، **(فهذا لا أرى به بأساً بأخذ الأجرة عليه لأن مثل هذه الصناعات يتعب الرجل في تعلمها ليكسب بها ويخفف عن نفسه كثرة العمل)**. قال التقي السبكي: وفي تحريم ما قاله مما يحصل به غرض صحيح، وإن لم يكن فيه تعب نظر، وقد أجاز أبو إسحاق الأعتياض عن حق الشفعة.

(القسم الرابع: ما يقصد به المحبة وجلبها من قلب المهدى إليه لا لعوض) وفي نسخة: لا لغرض **(معين، ولكن طلباً للاستئناس وتأكيداً للصحبة وتودداً للقلوب، فذلك مقصود**

في الشرع. قال ﷺ: « تهادوا تحابوا »، وعلى الجملة فلا يقصد الإنسان في الغالب أيضاً

للعقلاء ومندوب إليه في الشرع) وهذا هو المسمى بالهدية يحل أخذها. **(قال ﷺ: « تهادوا تحابوا »)** تهادوا أصله تهاديوا وهو أمر من التهادي بأن يهدي بعضهم بعضاً. وتحابوا قال الحاكم: إن كان بالتشديد فمن المحبة وإن كان بالتخفيف فمن المحاباة، ويشهد للأول رواية: يزدد في القلب حباً وكذا رواية: تزدد حباً. قال العراقي: رواه البيهقي من حديث أبي هريرة وضعفه ابن عدي اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد والطيالسي والبخاري في الأدب، والترمذي، والنسائي في الكنى، وأبو يعلى في معجمه وإسناده جيد، ورواه البيهقي في الشعب من طريق ضمام، عن موسى بن وردان، عن أبي هريرة. وعند ابن عساكر في التاريخ بزيادة: « وتصافحوا يذهب الغل عنكم ». وهو عند ابن عدي في ترجمة ضمام. وفي لفظ للترمذي: « وتهادوا فإن الهدية تذهب حر الصدر ». وهكذا رواه أيضاً. وهو من طريق أبي معشر عن سعيد عن أبي هريرة. قال الترمذي: غريب. وفي الميزان أبو معشر المدني تفرد به وهو ضعيف جداً. وفي الباب عن عائشة، وعبد الله بن عمرو، وأم حكيم بنت وادع وأنس، وعبد الله بن عمر، وعطاء الخراساني مرسلاً.

أما حديث عائشة فاخرجه الطبراني في الأوسط، والحربي في الهدايا، والعسكري في الأمثال، والقضاعي وابن عساكر من طريق عبيد الله بن العيزار عن القاسم بن محمد بن أبي بكر عنها بزيادة: « وهاجروا تورثوا أبناءكم مجداً وأقيلوا الكرام عثراتهم » لفظ الطبراني، ولبعضهم تزدادوا حباً.

ورواه الطبراني في الأوسط من طريق عمرة بنت أرطأة سمعت عائشة تقول: قال رسول الله ﷺ: « يا نساء المؤمنين تهادين ولو بفرسن شاة فإنه يثبت المودة ويذهب الضغائن » وللقضاعي من طريق هشام بن عروة عن أبيه مرفوعاً: « تهادوا فإن الهدية تذهب بالضغائن ».

وأما حديث عبد الله بن عمر فأخرجه الحاكم في علوم الحديث من وجه آخر عن ضمام عن أبي قبيل عنه.

وأما حديث أم حكيم فأخرجه أبو يعلى والطبراني في الكبير والديلمي بلفظ: « تهادوا فإن الهدية تضعف الحب وتذهب الغوائل » وفي رواية: « بغوائل الصدر » وفي لفظ: « تزيد في القلب حباً. وأخرجه البيهقي في الشعب. قال الهيثمي. وفي الإسناد من لم يعرف.

وأما حديث أنس فله طرق. منها: عند الطبراني في الأوسط من حديث عائذ بن شريح عنه مرفوعاً: « يا معشر الأنصار تهادوا فإن الهدية تسل السخيمة وتورث المحبة ». وفي لفظ للحربي: « تهادوا فإن الهدية قلت أو كثرت تورث المودة وتسل السخيمة ». وعند الديلمي بلا سند عن أنس رفعه: « عليكم بالهدايا فإنها تنشىء المودة وتذهب بالضغائن.

وأما حديث ابن عمر فذكره الأصبهاني في الترغيب والترهيب.

محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة في محبته ولكن إذا لم تتعين تلك الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض معين يبعثه في الحال أو المآل سمي ذلك هدية وحل أخذها .

الخامس: أن يطلب التقرب إلى قلبه وتحصيل محبته لا لمحبته ولا للأنس به من حيث أنه أنس فقط بل ليتوصل بجاهه إلى أغراض له ينحصر جنسها وإن لم ينحصر عينها وكان لولا جاهه وحشمته لكان لا يهدى إليه ، فإن كان جاهه لأجل علم أو نسب فالأمر فيه أخف وأخذه مكروه ، فإن فيه مشابهة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها ، فإن

وأما مرسل عطاء الخراساني فاخرجه مالك في الموطأ بلفظ: « تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء » وهو جيد .

(وعلى الجملة فلا يقصد الإنسان في الغالب أيضاً محبة غيره لعين المحبة بل لفائدة في محبته) وفي بعض النسخ: بل محبته لفائدة . **(ولكن إذا لم تتعين تلك الفائدة ولم يتمثل في نفسه غرض معين يتبعها في الحال أو المآل فمن ذلك هدية وحل أخذها)** فالهدية والهدي والهدى والإهداء والتهادي كله راجع إلى معنى الميل والإمالة ، ولما كانت العطية تميل قلب من يعطي له إلى من يعطيها سميت هدية لذلك ، ومنه الحديث المذكور فجعل التهادي سبباً للتحابب ، والهدية سبباً في المحبة ، والمحبة ميل القلب والتحابب والتوادد واستمالة القلوب محبوب في الشرع بهذا الحديث وبغيره ، فلذلك استحبت الهدية لما يترتب عليها من الأمر المطلوب شرعاً وهو التوادد الذي يحصل به التعاون على مصالح الدنيا والآخرة ، ويكون عباد الله إخواناً كما أمرهم نبيهم ﷺ .

قال التقي السبكي فإن قلت: المهدي يتوصل بهديته إلى محبة المهدى إليه ، والراشي يستميل المرتشي حتى يحكم له فلم اختص كل منها باسم؟ قلت: المهدي ليس له غرض معين إلا استمالة القلب والراشي له غرض معين وهو ذلك الحكم وليس غرضه استمالة القلب ، بل قد يكرهه ويلعنه ففي الهدية تودد خاص بها وتوصل مشترك بينها وبين الرشوة وإن افترقا في المتوصل إليه ، وفي الرشوة توصل خاص لا غير فخصصنا كلاً منها باسم وميزناً بينهما بما اختصا به والغينا في الهدية المشترك ، وأيضاً لما كان المتوصل إليه بالهدية محبوباً في الشرع كان هو المعتبر في التسمية ولم ينظر إلى السبب ، ولما كان المتوصل إليه بالرشوة حراماً في الشرع لم يعتبر ، وإنما اعتبر في التسمية السبب فقط لأنه لم يقصد الراشي والمرتشي غيره فكانت تسمية كل منها باعتبار مقصد فاعلها .

(القسم الخامس: أن يطلب التقرب إلى قلبه وتحصيل محبته لا لمحبته ولا للأنس به فقط ، بل ليتوصل بجاهه إلى أغراض له ينحصر جنسها وإن لم ينحصر نوعها) وفي بعض النسخ: وإن لم يتخصص عينها **(وكان لولا جاهه وحشمته لما أهدى إليه ، فإن كان جاهه لأجل علم أو نسب فالأمر فيه أخف وأخذه مكروه)** كراهة تنزيه ، **(فإن فيه شائبة الرشوة ولكنها هدية في ظاهرها)** .

كان جاهه بولاية تولاها من قضاء أو عمل أو ولاية صدقة أو جناية مال أو غيره من الأعمال السلطانية حتى ولاية الأوقاف مثلاً ، وكان لولا تلك الولاية لكان لا يهدي إليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية إذ القصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن الأمر ينحصر في جنسه ، إذ ما يمكن التوصل إليه بالولايات[1] لا يخفى وآية أنه لا يبغي المحبة أنه لو ولي في الحال غيره لسلم المال إلى ذلك الغير ، فهذا مما اتفقوا على أن الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراماً ، والمعنى فيه متعارض فإنه دائر بين الهدية المحضة وبين الرشوة المبذولة في مقابلة جاه محض في غرض معين ، وإذا تعارضت

قال التقي السبكي : الهدية لا يقصد بها إلا إستمالة القلب ، والرشوة يقصد بها الحكم الخاص مال القلب أو لم يمل . فإن قلت : العاقل إنما يقصد استمالة قلب غيره لغرض صحيح ، أما مجرد استمالة القلب من غير غرض أجر فلا ؟ قلت : صحيح لكن استمالة القلب له بواعث . منها : أن تترتب عليه مصلحة مخصوصة معينة كالحكم مثلاً فههنا المقصود تلك المصلحة ، وصارت استمالة القلب وسيلة غير مقصودة لأن القصد متى علم بعينه لا يقف مع سببه ، فدخل هذا في قسم الرشوة . ومنها : أن تترتب عليه مصالح لا تنحصر إما أخروية كالأخوة في الله تعالى والمحبة وقيل ثوابها وما أشبه ذلك لعلم أو دين ، فهذه مستحبة والإهداء لها مستحب . ومنها : أن تكون دنيوية كالتوصل بذلك إلى أغراض له لا تنحصر بأن يكون المستمال قلبه صاحب جاه ، فإن كان جاهه بالعلم والدين فذلك جائز وهل هو جائز بلا كراهة أو بكراهة تنزيه ؟ اقتضى كلام الغزالي في الإحياء الثاني ومراده في القبول للهدية وهو صحيح لأنه قد يكون أكل بعلمه أو دينه ، أما الباذل فلا نكره له ذلك وإن كان جاهه بأمر دنيوي فإن لم يكن ولاية بل كان له وجاهة بمال أو صلة عند الأكابر ويقدر على نفعه ، فهذا لا يكره الإهداء إليه لهذا الغرض ، وأما قبوله فهو أقل كراهة من الذي قبله ، بل لا تظهر فيه كراهة لأنه لم يأكل بعلمه ولا دينه وإنما هو أمر دنيوي ولم يخرج من حد الهدية فلا كراهة .

(فإن كان جاهه لولاية تولاها من قضاء أو عمل أو ولاية صدقة أو جباية مال أو غير من الأعمال السلطانية حتى ولاية الأوقاف مثلاً ، وكان لولا تلك الولاية لما أهدي إليه فهذه رشوة عرضت في معرض الهدية إذ القصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن الأمر ينحصر في جنسه إذ ما يمكن التوصل إليه بالولاية لا يخفى وآية أنه لا تبقى المحبة إلا به أنه لو ولي في الحال غيره لسلم المال إلى ذلك الغير ، فهذا ما اتفقوا على أن الكراهة فيه شديدة واختلفوا في كونه حراماً ، والمعنى فيه متعارض فإنه دائر بين الهدية

---

(١) في الإحياء « الآيات » بدلاً من « الولايات » .

المشابهة القياسية وعضدت الأخبار والآثار أحدهما تعين الميل إليه. وقد دلت الأخبار

المحضة وبين الرشوة المبذولة في مقابلة جاه محض في غرض معين، وإذا تعارضت المشابهة القياسية وعضدت الأخبار والآثار أحدهما تعين الميل إليه).

وعبارة السبكي في فصل المقال: وإن كان جاهه ولاية ولم يقصد حكماً منه وإنما قصد استمالة قلبه عسى أن ينتفع به في مهماته وينال بمحبته خيراً، فهذا محل التردد يحتمل أن يقال: إنه هدية لكونه ليس له غرض خاص، ويحتمل أن يقال هو رشوة لكون المهدى إليه في مظنة الحكم، فاستدل الغزالي بحديث ابن اللتبية على التحريم وبكون هذا، وإن كان القصد استمالة القلب من غير قصد خاص خرج من قسم الهدية ودخل في قسم الرشوة بالحديث، والذي أقوله: إن هذا قسم متوسط بين الهدية والرشوة صورة حكماً وأن حكمه أن يجوز القبول ويوضع في بيت المال، وحكم ما سواه من الهدايا يؤخذ ويمتلكه المهدى له، وحكم الرشوة أن يؤخذ بل يرد إلى صاحبها، وإنما صارحكم القسم المتوسط هكذا بالحديث، وسره أنه بالنسبة إلى صورته جاز الأخذ لإعراض المعطي عنه وعدم تعلق قصده بعضو خاص وبالنسبة إلى معناه، وإن المعطى له نائب عن المسلمين جعلت للمسلمين بأن كان والياً عاملاً أو قاضياً وإن كان عامل صدقة جعلت في الصدقات الذي هو نائب عن أصحابها.

فإن قلت: فإذا كان المهدى إليه غير حاكم؟ قلت: إن كان نائبه أو حاجبه أو من ندبه وولاه اتصال الأمور وما أشبه ذلك فهو مثله، وعلى الجملة كل من تولى ولاية يتعين عليه ذلك الفعل فيها أو يجب وإن لم يتعين كما إذا كان إثنان في وظيفة يحرم على كل منهما أن يأخذ على شغل مما يجب أو يحرم.

فإن قلت: فإن كان مما لا يجب ولا يحرم بل يجوز هل يجوز الأخذ عليه؟ قلت: هذا في حق المتولي عزيز فإنه يجب عليه رعاية المصالح، فمتى ظهرت مصلحة في شيء وجب، ومتى ظهر خلافها حرم، ومتى أشكل وجب النظر فأين يوجد في فعل القاضي ونحوه ممن يلي أمور المسلمين مما يتخير بين فعله وتركه على سبيل التشهي، وإن فرض ذلك فيحرم الأخذ عليه أيضاً لأنه نائب عن الله تعالى في ذلك الفعل، فكما لا يأخذ على حله لا يأخذ على فعله. وأعني بهذا ما يتصرف فيه القاضي غير الأحكام من التولية ونحوها، فلا يجوز له أن يأخذ من أحد شيئاً على أن يوليه نيابة قضاء أو مباشرة وقف أو مال يتيم، وكذلك لا يجوز له أن يأخذ شيئاً على ما يتعاطاه من العقود والفروض والفسوخ، وإن لم تكن هذه الأشياء أحكاماً بمعنى أنها ليست تنفيذاً لما قامت به الحجة بل إنشاء تصرفات مبتدأة، ولكن الأخذ عليها يمتنع كالحكم لأنه نائب فيها عن الله تعالى كما هو نائب في الحكم عنه.

(وقد دلت الأخبار على تشديد الأمر في ذلك قال) رسول الله (ﷺ : « **يأتي على الناس**

على تشديد الأمر في ذلك. قال ﷺ: « يأتي على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البريء لتوعظ به العامة ».

وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن السحت فقال: يقضي الرجل الحاجة فتهدى له الهدية ولعله أراد قضاء الحاجة بكلمة لا تعب فيها أو تبرع بها لا على قصد أجرة، فلا يجوز أن يأخذ بعده شيئاً في معرض العوض، شفع مسروق شفاعة فأهدى إليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال: لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا أتكلم فيما بقي منها. وسئل طـاوس عن هدايا السلطان فقال: سحت. وأخذ عمر رضي الله عنه ربح مال القراض الذي أخذه ولداه من بيت المال، وقال: إنما أعطيتما لمكانكما مني إذ علم

زمان يستحل فيه السحت بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البريء ليوعظ به العامة») قال العراقي: لم أقف له على أصل.

(وسئل ابن مسعود) رضي الله عنه **(عن السحت فقال)**: هو أن **(يقضي الرجل الحاجة فتهدى له الهدية)**. قال المصنف: **(ولعله)** رضي الله عنه **(أراد قضاء الحاجة بكلمة لا تعب فيها أو تبرع بها لا على قصد أجرة، فلا يجوز له أن يأخذ بعد ذلك شيئاً في معرض العوض)** أو أراد به حكماً بباطل، فإن كان أهدي إليه لذلك فيكون سحتاً. **(وتشفع مسروق شفاعة)** هو مسروق بن الأجدع الهمداني الكوفي، أبو عائشة تبنته عائشة رضي الله عنها، وهو أجل أصحاب ابن مسعود، وقد صلى خلف أبي بكر ولقي عمر وعلياً وزيد بن ثابت والمغيرة رضي الله عنهم، **(فاهدى إليه المشفوع له جارية فردها وقال: لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا أتكلم فيما بقي منها. وسئل طاوس)** بن كيسان اليماني رحمه الله تعالى **(عن هدايا السلطان)** ما حكمها؟ **(فقال: سحت)** لأن غالبها إنما يتوصل بها لأجل الحكم بالباطل أو التوقف عن الحكم بحق واجب، فهذا هو السحت الذي قال الله تعالى فيه: ﴿سماعون للكذب أكالون للسحت﴾ [المائدة: ٤٢] قال الحسن: تلك الحكام يسمعون الكذب ممن يكذب في دعواه عندهم ويأتيهم برشوة فيأخذونها ويأكلونها. سمعوا كذبه وأكلوا رشوته. والسحت حرام خاص ليس كل حرام يقال له سحت، بل الحرام الشديد الذي يذهب المروءة ولا يقدم عليه إلا من به شره عظيم وجوع شديد. ورشوة الحاكم من هذا القبيل، لذلك سماها الله تعالى سحتاً ونظراً إلى هذا سمى طاوس هدايا الملوك سحتاً.

(وأخذ عمر) بن الخطاب **(رضي الله عنه)** نصف **(ربح مال القراض الذي أخذه ولداه)** عبد الله وعبيد الله **(من مال بيت المال)** من العـراق. أخـرجـه الشـافعـي في اختلاف العراقيين ولفظه: إن عبد الله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب لقيا أبا موسى بالبصرة في منصرفهما من غزوة نهاوند فسلفا منه مالاً وابتاعا به متاعاً وقدما المدينة وربحا فيه فأراد عمر أخذ رأس المال

أنهما أعطيا لأجل جاه الولاية. وأهدت امرأة أبي عبيدة بن الجراح إلى خاتون ملكة الروم خلوقاً فكافأتها بجوهر فأخذه عمر رضي الله عنه فباعه وأعطاها ثمن خلوقها وردّ باقيه إلى بيت المسلمين. وقال جابر وأبو هريرة رضي الله عنهما: هدايا الملوك غلول. ولما ردّ

والربح كله، **(وقال)** لهما: **(إنما أعطاكما لمكانكما مني)** أي بحيث أنتما من أولادي **(إذ علم أنهما أعطيا لأجل جاه الولايه)** فقالا: لو تلف لكان ضمانه علينا أفلا يكون ربحه لنا؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين لو جعلته قرضاً؟ فقال: قد جعلته وأخذ منهما ربح النصف، ثم رده إلى بيت المال، وهذا أحد الأقوال الثلاثة للاصحاب وهو أنه يرجع لبيت المال ويضم إلى المال الذي استعمل فيه لوصولها بسببه، فإن رأى الإمام أن يعطيه جاز إذا كان يجوز أن يخص بمثلها، وإن رأى أن يشاطره جاز كما فعله عمر في هذه القصة، والقول الثاني: أن يقر على العامل استدلالاً بحديث ابن اللتبية حيث لم يسترجع منه، والقول الثالث: إن كان مرتزقاً أخذت منه لبيت المال وإلا أقرت عليه.

(وأهدت امرأة أبي عبيدة) عامر بن عبد الله **(بن الجراح)** رضي الله عنه إذ كان زوجها عاملاً على الشام من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه **(إلى خاتون ملكة الروم)** أي زوجة الملك **(خلوقاً)** أي طيباً في قارورة **(فكافأتها)** أي أرسلت في مكافأتها **(بجوهر)** مثمن، **(فأخذه عمر فباعه وأعطاها ثمن خلوقها ورد باقيه في بيت مال المسلمين)** والذي في السير الكبير للإمام محمد بن الحسن تخريج شمس الأئمة السرخسي ما نصه: أهدت امرأة عمر إلى امرأة ملك الروم فأهدت اليها إمرأة الملك فأعطاها عمر من ذلك مثل هديتها وجعل ما بقي في بيت المال، فكلمه عبد الرحمن بن عوف فقال له عمر: قل لصاحبتك فلتهد إليها حتى ننظر أنهدي إليها مثل هذا. واستدل بهذه على أن أمير العسكر لو أهدى إلى ملك العدو فعوضه فإن كان مثله أو فيه زيادة يتغابن بها فهو سالم له، وإن كان أكثر فله من ذلك قيمة هديته والفضل في الجماعة المسلمين الذين معه، وكذلك الحكم في القائد الذي يرجى ويخاف.

(وقال جابر) بن عبد الله، **(وأبو هريرة)** رضي الله عنهما: **(هدايا الملوك غلول)** وظاهرسياقه: أنه موقوف عليهما، وقد روي مرفوعاً من حديث جابر أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو سعيد النقاش، والرافعي في تاريخ قزوين بلفظ: «هدايا الأمراء غلول» وإسناده ضعيف، وأخرجه ابن جرير في التفسير بلفظ: «هدية الأمراء غلول» وروي أيضاً من حديث أبي هريرة مرفوعاً أخرجه الطبراني في الأوسط بإسناد ضعيف بلفظ: «هدايا الأمراء غلول». وأخرجه أبو سعيد النقاش في كتاب الفرق بين القضاة العادلة والجائرة من طريق النضر بن شميل، عن ابن عون، عن ابن سيرين عنه وإسناده أيضاً ضعيف قاله السبكي، ولعله يعني من بين النقاش وابن سهيل كأحمد بن عمار أو محمد بن قطني أو غيرهما والله أعلم.

عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له: «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية فقال: كان ذلك

وفي الباب عن ابن عباس، وحذيفة، وعبدالله بن سعد، وأبي سعيد الخدري، وأبي حميد الساعدي.

أما حديث ابن عباس فأخرجه الطبراني في الأوسط بلفظ: «هدايا الأمراء غلول» وإسناده ضعيف قاله ابن حجر.

وأما حديث حذيفة، فأخرجه أبو يعلى في مسنده بلفظ: «هدايا العمال حرام كلها».

وأما حديث عبدالله بن سعد، فأخرجه ابن عساكر بلفظ: «هدايا السلطان سحت وغلول».

وأما حديث أبي سعيد، فأخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو سعيد النقاش في الكتاب المذكور من طريق أبان بن أبي عياش، عن أبي نضرة عنه، وسنده أيضاً ضعيف لا تقوم به حجة قاله السبكي.

وأما حديث أبي حميد، فقد أخرجه أحمد والبزار وابن عدي والطبراني في الأوسط والبيهقي وأبو سعيد النقاش. قال البزار: حدثنا محمد بن عبد الرحيم، حدثنا إبراهيم بن مهدي، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن سعيد، عن عروة بن الزبير، عن أبي حميد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «هدايا العمال غلول». قال رواه إسماعيل بن عياش مختصراً ووهم فيه، وإنما هو عن الزهري، عن عروة، عن أبي حميد أن النبي ﷺ بعث رجلاً على الصدقة يعني حديث ابن اللتبية المشهور.

وقال أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن سعيد، عن عروةبن الزبير، عن أبي حميد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال «هدايا العمال غلول».

وقال النقاش في الكتاب المذكور: أخبرنا محمد بن نصر المؤدب، حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا، حدثنا إسماعيل ابن عياش، عن يحيى بن سعيد، عن عروة، عن حميد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «هدايا الأمراء غلول» وهذه الروايات كلها عن إسماعيل بن عياش، وهو فيما يروى عن غير الشاميين ضعيف، وقد نص البزار عن خطأ إسماعيل فيها.

(ولما ردّ عمر بن عبد العزيز) رحمه الله **(الهدية قيل له: «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية»)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث عائشة اهـ.

قلت: ولكن بزيادة «ويثيب عليها» هكذا رواه البخاري في الهبة، وكذا رواه أحمد، وأبو داود في البيوع، والترمذي في البر. وسيأتي للمصنف بزيادة «لو جرعة لبن أو فخذ أرنب» وقول العراقي: وفي الصحيحين ما هو في معناه.

(فقال: «كانت له هدية ولنا رشوة») ذكره البخاري في كتاب الهبة في باب من لم يقبل الهدية لعلة فقال: وقال عمر بن عبد العزيز: كانت الهدية في زمن رسول الله ﷺ هدية واليوم

هدية وهو لنا رشوة » أي كان يتقرب إليه عليه الصلاة والسلام لنبوّته لا لولايته ونحن إنما نعطى للولاية. وأعظم من ذلك كله ما روى أبو حميد الساعدي: « أن رسول الله ﷺ بعث والياً على صدقات الأزد فلما جاء إلى رسول الله ﷺ أمسك بعض ما معه وقال: هذا لكم وهذا لي هدية، فقال عليه السلام: ألا جلست في بيت أبيك وبيت أمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً، ثم قال: ما لي أستعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذا لي هدية. ألا جلس في بيت أمه ليهدى له والذي نفسي بيده لا يأخذ منكم أحد شيئاً بغير حقه إلا أتى الله يحمله فلا يأتين أحدكم يوم القيامة ببعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه، ثم قال: اللهم هل بلغت ». وإذا

رشوة، ثم ذكر حديث الصعب بن جثامة في هدية الصيد، ثم ذكر حديث ابن اللتبية الآتي ذكرهما.

قال المصنف: **(أي كان يتقرب إليه عليه الصلاة والسلام لنبوّته لا لولايته ونحن إنما نعطى للولاية)**. وروى عبد الرحمن بن علقمة قال: قدم وفد ثقيف على رسول الله ﷺ ومعهم هدية قد جاؤا بها فقال لهم: « ما هذا هدية أم صدقة، فإن الصدقة يبتغي بها وجه الله تعالى والهدية يبتغي بها وجه الرسول وقضاء الحاجة ». قالوا: هدية فقبضها منهم.

وأخرج أبو نعيم في الحلية أن عمر بن عبد العزيز اشتهى تفاحاً ولم يكن معه ما يشتري به فركب فتلقاه غلمان الدير بأطباق تفاح فتناول واحدة فشمها ثم ردّها فقيل له: ألم يكن النبي ﷺ وخلائفه كانوا يقبلون الهدية؟ فقال: إنها لأولئك هدية وهي للعمال بعدهم رشوة.

(وأعظم من ذلك كله ما رواه أبو حميد الساعدي) الأنصاري المدني الصحابي. قيل: اسمه عبد الرحمن، وقيل: المنذر بن سعد بن المنذر، وقيل: المنذر بن سعد بن مالك، وقيل: المنذر بن سعد بن عمرو بن سعد بن المنذر بن سعد بن خالد بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة. يقال: إنه عمل لسهل بن سعد الساعدي. قال الواقدي: توفي في آخر خلافة معاوية أو أوّل خلافة يزيد. روى له الجماعة، وروى عنه حفيده سعد بن المنذر، وجابر بن عبد الله، وعمر بن سليم الزرقي وآخرون **(أنه ﷺ بعث والياً)** وهو عبد الله بن اللتبية **(إلى صدقات الأزد)** حي من اليمن، يقال: أزد شنوأة، وأزد السراة، وأزد عمان، **(فلما جاء إلى رسول الله ﷺ أمسك بعض ما معه فقال: هذا لكم وهذا لي هدية، فقال رسول الله ﷺ: ألا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً، ثم قال: مالي استعمل الرجل منكم فيقول هذه لكم وهذه هدية لي: ألا جلس في بيت أمه فيهدى له، والذي نفسي بيده لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا أتى به يحمله فلا يأتين أحدكم يوم القيامة ببعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه وقال « اللهم هل بلغت »)**.

أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا عبد الله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا

ثبتت هذه التشديدات فالقاضي والوالي ينبغي أن يقدر نفسه في بيت أمه وأبيه فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت أمه يجوز له أن يأخذه في ولايته، وما يعلم أنه إنما يعطاه لولايته فحرام أخذه، وما أشكل عليه في هدايا أصدقائه أنهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولاً؟ فهو شبهة فليجتنبه.

سالم بن محمد، أخبرنا محمد بن أحمد بن علي، أخبرنا أبو يحيى الأنصاري، أخبرنا أبو الفضل أحمد ابن علي بن محمد العسقلاني، أخبرنا إبراهيم ابن أحمد التنوخي، أخبرنا أحمد بن أبي طالب، أخبرنا ابن الزبيدي، أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا الحموي، أخبرنا الفربري، حدثنا محمد ابن اسماعيل البخاري قال: باب هدايا العمال: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن الزهري أنه سمع عروة قال: أخبرنا أبو حميد الساعدي قال: استعمل النبي ﷺ رجلاً من بني أسد يقال له ابن اللتبية على صدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي إليَّ فقام النبي ﷺ على المنبر. قال سفيان أيضاً: فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «ما بال العامل نبعثه فيأتي يقول هذا لكم وهذا لي، فهلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رأيتا عفرة إبطيه. ألا هل بلغت» ثلاثاً. هذا الحديث متفق عليه.

وبوّب البخاري عليه في موضع آخر باب محاسبة الإمام عماله وفيه «فهلا جلست في بيت أبيك وأمك فتأتيك هديتك إن كنت صادقاً» وفيه «فـوالله لا يأخذ أحدكم منها شيئاً بغير حقه إلا جاء الله يحمله يوم القيامة». وكلا البابين في البخاري في كتاب الأحكام، وذكره مرة ثالثة في كتاب الهبة كما تقدمت الإشارة إليه.

(وإذا ثبتت هذه التشديدات فالقاضي والوالي ينبغي أن يقدر نفسه في بيت أبيه وأمه فما كان يعطى بعد العزل وهو في بيت أمه يجوز له أن يأخذه في ولايته) أو للعمالة، **(وما علم أنه إنما يعطاه لولايته فحرام أخذه)**. قال التقي السبكي في فصل المقال، قال أصحابنا: لا يقبل القاضي الهدية ممن لم تكن له عادة بالهدية ولا ممن كانت له عادة ما دامت له خصومة، فإن لم تكن له خصومة جاز له أن يقبل، والأفضل أن لا يقبل. وقد أطلق الأصحاب فيما إذا كان له عادة قبل القضاء جواز القبول. قال ابن الرفعة: وهذا لعمري فيما إذا لم يكن ما تقدم من الإهداء إليه في حال ترشحه للقضاء وغلب على الظن حصوله عن قرب له، بل كان ذلك لقرابة أو مودة. قال السبكي: قلت: وإذا فرض ذلك فينبغي أن يمتنع الشخص المترشح للولاية من قبول هدية من غلب على الظن إن هديته لذلك ويكون حكمها حكم الهدية للقاضي، وحيث قلنا بجواز القبول للقاضي إذا كانت عادة متقدمة فالأولى أن لا يقبل ويسد على نفسه باب قبول الهدايا مطلقاً.

(وما أشكل عليه من إهداء أصدقائه أنهم هل كانوا يهدون لو كان معزولاً فهو شبهة فليجتنبه). قال الشافعي، رحمه الله تعالى: وما أهدى له ذو رحمه ومودة كان يهاديه قبل الولاية

....

فالترك أحب إليَّ، ولا بأس أن يتموّل وعلى هذا جرى العراقيون كأبي الطيب، والبندنيجي، وابن الصباغ. وقال الإمام: إن الأولى في هذه الحالة أن يثيب المهدي، فإن لم يثبه فليضع ذلك في بيت المال. وفي الشامل: إن من أصحابنا من قال لا يجوز قبولها للخبر، ووجهه في الحاوي أنه قد تحدث له خصومة فيكون قد تسبب بالهدية للممالأة، وقضية كلام هذا القائل أنه لا يجوز للحاكم قبول الهدية ممن هو من أهل ولايته مطلقاً، وإليه أشار الفوراني والمسعودي، والمشهور الأول، وكله إذا كانت الهدية بعد الولاية قدر ما كانت قبل الولاية أو مثلها، فلو كانت أكثر أو أرفع مثل إن كان يهاديه بالطعام فصار يهاديه بالثياب. قال في الحاوي والكافي والتهذيب: لم يجز قبولها. وقال الرافعي: إنها تصير كهدية من لم تعهد منه الهدية. وقال الماوردي أيضاً: فيما إذا كانت عادته أن يهدي إلى الإمام قبل الولاية قدراً معلوماً فأهدى إليه بعد الولاية أكثر منه لا يحرم القبول إذا كان من جنس الأول. وفي الفرق غموض. هذا حكم الهدية للقاضي ممن له عادة بالهدية إليه قبل الولاية، وحاصل القول فيها أنها في حال الخصومة حرام لئلا ينكسر قلب خصمه وفي غير حال الخصومة إن زاد على عادته، فكذلك وإن لم يزد جاز والأولى تركها، أما من ليست له عادة فالذي قاله العراقيون والبغوي والرافعي التحريم للخبر، وعبارة الماوردي مصرحة بالتحريم. واقتصر الإمام والغزالي على الكراهة، وعلى هذا فالاحسن أن يثيب أو يضعها في بيت المال ليندفع عنه محذور المثل. وهذا على المشهور في أنه يملك الهدية في هذه الحالة. وعن القفال حكاية وجه أنه لا يملكها ومن هذا يؤخذ ان القبول حرام عند هذا القائل لا محالة، وقد حكيناه مرتين عن الفوراني والمسعودي والكلام في قبولها ممن هو من أهل ولايته، أما قبولها ممن ليس من أهل ولايته ولا خصومة له وكانت له عادة بالهدية له. قال الإمام: فهو قريب والمستحب له الامتناع، وقال أبو الوليد الباجي في المنتقى، قال ابن يونس: لا يقبل القاضي هدية من أحد لا من قريب ولا من صديق وإن كافأه بأضعافها إلا مثل الولد والوالد وأشباههم من خاصة القرابة. زاد سحنون: ومثل الخالة والعمة وبنت الاخ. وقال ابن أبي زيد القيرواني في كتاب النوادر له: ويكره قبولها للقاضي ممن كان يهاديه قبل أن يلي أو من قريب أو صديق أو غيره، ولو كافأه بأضعافه إلا من الصديق الملاطف أو من الأب والابن وشبهه من خاصة القرابة التي تجتمع من خاصة القربى ما هو أخص من الهدية. قال مطرف وابن الماجشون: وهو قول مالك ومن قبله من أهل السنة، وقد أطلنا القول في هذا. ولنختم ذلك بالأخبار المتعلقة بهذا الباب مما لم يذكره المصنف ثم نتبعه بذكر فصول ومسائل ليكون بذلك كالتتميم لهذا الكتاب بعون الملك الوهاب.

فأقول: تقدم للمصنف ذكر الرشوة، وقد وردت في ذمها أخبار، فمن ذلك ما رواه أبو داود في السنن فقال: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا ابن أبي ذئب، عن الحرث بن عبد الرحمن، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن عمرو قال: «لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي».

وقال ابن ماجه في السنن: حدثنا علي بن محمد، حدثنا وكيع، حدثنا ابن أبي ذئب، عن خاله الحرث بن عبد الرحمن بن سلمة، عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله ﷺ: «لعنة الله على

....

الراشي والمرتشي ». أخرجه أبو داود وابن ماجه كلاهما في كتاب الأقضية وإسناده جيد كلهم من رجال الصحيح إلا الحرث خال ابن أبي ذئب وأنه روى له الأربعة وليس فيه قدح.

وقال البزار في مسنده: حدثنا الوليد بن عمرو بن سكين، حدثنا يعقوب بن إسحاق، حدثني عمر بن حفص، حدثنا الحسين بن عثمان بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: « الراشي والمرتشي في النار » قال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عبد الرحمن بن عوف إلا من هذا الوجه بهذا الاسناد، وقد قال فيه عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة. وقال ابن أبي ذئب: عن الحرث بن عبد الرحمن عن أبي سلمة عن عبد الله بن عمرو اهـ كلام البزار.

ورواه أحمد في مسنده فقال: حدثنا عفان، حدثنا أبو عوانة، حدثنا عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم ». ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن عمرو وقال: صحيح الإسناد.

ورواه الترمذي عن محمد بن المثنى: حدثنا أبو عامر العقدي، حدثنا ابن أبي ذئب، عن خاله الحرث بن عبد الرحمن، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن عمرو قال « لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي » وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه الترمذي أيضاً من حديث عمر بن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال « لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي في الحكم » قال: وفي الباب عن عبد الله بن عمرو، وعائشة، وابن حيدة، وأم سلمة حديث أبي هريرة حديث حسن وروي عن أبي سلمة عن أبيه، عن النبي ﷺ ولا يصح، وسمعت عبد الله بن عبد الرحمن يقول: حديث أبي سلمة عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أحسن شيء في هذا الباب.

وأخرج أبو سعيد النقاش في كتاب الفرق بين القضاة العادلة والجائرة من طريق سلم بن قتيبة، حدثنا ابن أبي ذئب، عن الحرث بن عبد الرحمن، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ « إنه لعن الراشي والمرتشي والمفتري الذي يسعى بينهما ».

ومن طريق ليث عن أبي الخطاب عن أبي زرعة عن ثوبان قال « لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي والذي يعمل بينهما » وأسنده النقاش أيضاً عن عائشة، وأم سلمة، وأبي سلمة، عن أبيه.

ومن ذلك ما ورد في هدايا الأمراء قال الترمذي باب هدايا الأمراء حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو أسامة، عن داود بن يزيد الآمدي، عن المغيرة بن شبيل، عن قيس بن أبي حازم، عن معاذ بن جبل قال: « بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن فلما سرت أرسل في أثري فرددت، فقال: أتدري لم بعثت إليك لا تصيب شيئاً بغير إذني فإنه غلول، ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة لهذا دعوتك فامض لعملك ». قال الترمذي: وفي الباب عن عدي بن عميرة، وبريدة، والمستورد بن شداد،

وأبي حميد، وابن عمر حديث معاذ حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي أسامة عن داود الأودي انفرد الترمذي بإخراجه.

وقال أبو داود في السنن باب هدايا العمال، حدثنا مسدد، حدثنا يحي عن إسماعيل بن أبي خالد، حدثني قيس، حدثني عدي بن عميرة الكندي أن رسول الله ﷺ قال: «يا أيها الناس من عمل منكم لنا على عمل فكتمنا منه مخيطاً فما فوقه فهو غل يأتي به يوم القيامة، فقام رجل من الأنصار أسود كأني أنظر إليه فقال: يا رسول الله اقبل عني عملك. قال: وما ذاك؟ قال: سمعتك تقول كذا وكذا. قال: وأنا أقول ذلك من استعملناه على عمل فليأت بقليله وكثيره فما أوتي منه اخذ وما نهي عنه انتهى» انفرد أبو داود بإخراجه.

وقال أبو داود أيضاً، حدثنا زيد ابن أخي أبي طالب، حدثنا أبو عاصم، عن عبد الوارث بن سعيد، عن حسين المعلم، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه، عن النبي ﷺ: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أخذ بعد ذلك فهو غلول» وهذا إسناد صحيح.

وقال أبو داود أيضاً: حدثنا موسى بن مروان الرقي، حدثنا المعافي، حدثنا الأوزاعي، عن الحرث بن يزيد، عن جبير بن نفير، عن المستورد بن شداد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن كان لنا عامل فليكتسب زوجة فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكناً». قال أبو بكر: أخبرت أن النبي ﷺ قال: «من اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق».

قال المنذر في حواشيه قيل: هذا يتأوّل على وجهين. أحدهما: أنه إنما أباح اكتساب الخادم والمسكن من عمالته التي هي أجر مثله وليس له أن يرتفق بشيء سواها، والوجه الآخر: أن للعامل السكنى والخدمة فإن لم يكن له مسكن وخادم استؤجر له من يخدمه فيكفيه مهنة مثله ويكتري له مسكن يسكنه مدة مقامه في عمله، والله أعلم.

وهذه فصول ومسائل لها تعلق بالباب.

فصل

في الرشوة:

الرشوة حرام بالاتفاق وكذا بذلها إن كان على أن يحكم بغير الحق أو يقف عن الحكم بالحق، وأما إذا كان على أن يحكم بالحق فلا يحرم البذل ويحرم القبول صرح به الماوردي وأبو الطيب وابن الصباغ، وعلى الأوّل يحمل لعن الراشي، وهذا التفصيل يؤيد القول بأن الرشوة المال المدفوع قبل الحكم سواء كان بحق أم بباطل. وقال النووي في الروضة: وأما المتوسط بين الراشي والمرتشي فله حكم موكله منهما فإن كان وكيلاً عنهما حرم لأنه وكيل عن الآخذ وهو محرم عليه. قال ابن الرفعة: ثم ما حرمناه منها على الحكم بالحق محله إذا كان للحاكم رزق من بيت المال، فإن لم يكن له

....

رزق وكان ممن يجوز أن يفرض له فقال للمتحاكمين: لا أحكم بينكما حتى تجعلا لي جعلاً، فالمحكي عن الشيخ أبي حامد وهو المذكور في تعليق القاضي أبي الطيب أنه يحل له ذلك، وعليه جرى الجرجاني في التحرير. قال ابن الصباغ: ويجوز مثل ذلك لأنه لم يذكر أنه طلبه من أحدهما، واعتبر البندنيجي في جواز ذلك أن يكون مشغولاً في معاشه بحيث يقطعه النظر عن اكتساب المادة كما قاله في الحاوي، أما إذا لم يقطعه إما لغناه بما يستمده وإما لقلة المحاكمات التي لا تمنعه من الاكتساب، فلا يجوز أن يرتزق من الخصوم، ثم اعتبر في الحاوي في حالة الجواز مع ما ذكرناه ثمانية شروط. **أحدها**: أن يعلم به الخصمان قبل التحاكم فإن لم يعلماه إلا بعد الحكم يجز أن يرتزقهما. **الثاني**: أن يكون على الطالب والمطلوب. **الثالث**: أن يكون عن إذن الإمام، فإن لم يأذن لم يجز. **الرابع**: أن لا يجد متطوّعاً فإن وجد لم يجز. **الخامس**: أن يعجز الإمام عن دفع رزقه فإن قدر لم يجز. **السادس**: أن يكون ما يرتزقه من الخصوم غير مضرّ بهم، فإن أضربهم وأثرى عليهم لم يجز. **السابع**: أن لا يستزيد على قدر حاجته فإن زاد لم يجز. **الثامن**: أن يكون قدر المأخوذ مشهوراً يتساوى فيه جميع الخصوم وإن تفاضلوا في المطالبات فإن فاضل بينهم لم يجز إلا أن يتفاضلوا في الزمان فيجوز. قال: وفي هذا معرة على المسلمين، ولئن جاز في الضرورات فواجب على الامام وكافة المسلمين أن يزال مع الإمكان إما بأن يتطوع بينهم بالقضاء من هو أميل، وإما أن يقام لهذا بالكفاية، فلو اجتمع أهل البلد مع أعوان بيت المال على أن جعلوا للقاضي رزقاً من أموالهم جاز وكان أولى من أن يأخذ من أعيان الخصوم، وأطلق في كتاب القسمة القول بأنه لا يجوز للقاضي أن يأخذ شيئاً من الرعية إذا لم يكن له رزق من بيت المال.

فصل

قال ابن القاص في كتاب أدب القاضي، قال مالك والاوزاعي، وابن أبي ليلى، والثوري، وأبو حنيفة: لا بأس أن يأخذ القاضي أجرة. وروي عن عثمان: لا ينبغي لقاضي المسلمين أن يأخذ على القضاء أجرة ولا صاحب مغنمهم، ومعناه من غير بيت المال أو يكون على الاختيار له لأنه قد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يرزق شريحاً كل شهر مائة درهم، وحجة أخرى أن القاضي عامل من عمال المسلمين، وقد جعل الله للعاملين على الصدقة في كتابه سهماً، وهذا كله إذا كان من مال الله عز وجل منهم أو أجراه السلطان.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى في كتاب الصدقات: ولو أهدى إلى الساعي رجل من أهل عمله فأخذ هديته وأثابه عليها حلت له، فإن لم يثبه عليها فليجعلها في الصدقات لا يحل له عندي غير ذلك، وإن أعطاه رب المال فحرام أخذه، فأما أن يهدي إليه على طريق الهدايا لا على طريق الرزق على عمله، فإن الشافعي قال في كتاب القاضي: ولا يقبل من أحد الخصمين هدية حتى ينفذ خصومتهما، وحكي محمد بن الحسن في كتابه عن أبي حنيفة أنه قال: لا ينبغي للقاضي أن يقبل

....

هدية فإن ذلك موقع التهمة ويطمع فيه الناس، وحكى الخصاف عنه أنه كره قبولها وإن قبل لم تسقط عدالته.

فصل

ينبغي للقاضي على مذهب الشافعي أن يثبت على الهدية، فإن لم يثبت عليها ولم يرد صاحبها الثواب ففيها قولان. أحدهما: ما قال في أدب القاضي من جواز قبول الهدية إذا انفذت الخصومات، والآخر: ما قال في كتاب الصدقات في هدايا العمال من أهل عمله إن لم يثب عليها فهي حرام.

فصل

وإذا أخذ القاضي رشوة على قضائه فقضاؤه مردود، وإن قضى بحق والرشوة مردودة وكذلك كل قضاء يقضي بعده بثواب، فإن قبل القاضي القضاء بقبالة وأعطى عليه رشوة فولايته باطلة وقضاؤه مردود، وإذا أعطى رشوة على عزل قاض ليتولى مكانه فكذلك، وإن أعطاها على عزله دون ولايته نفسه فعزل الأول برشوته واستقضى هو مكانه لغير رشوة نظر في المعزول فإن كان عدلاً فأعطاه الرشوة على عزله حرام والمعزول على قضائه إلا أن يكون من عزله قد تاب برد الرشوة قبل عزله، وقضاء المستخلف باطل إلا أن يكون المستخلف أيضاً قد تاب قبل الولاية فيصح قضاؤه.

مسألة:

إذا كانت الهدايا حلالاً وهي لبيت المال فربما يقول من هي بيده أنا لي حق في بيت المال فآخذها منه. فالجواب: ليس له إلا بإذن الإمام الناظر في المصالح وأموال بيت المال، فإن رآه أهلاً لذلك وضعها فيه وإلاَّ صرفها إلى من هو أحق بها، وهذا بيان أموال بيت المال كلها، وفي هذه زيادة خصوصية تقتضي تحتم الإتيان بها إلى الإمام من جهة أن المهدى إليه تحقق أنه لا يختص بها، بل لا بد أن يأتي بها الإمام، فإن طيبها له قبلها وإلا دفعها إلى بيت المال لم يبق له غرض خاص فيها فتزول التهمة عنه ولا يصير في معنى الرشوة، بخلاف ما إذا أخذها وغاب، فإن التهمة حينئذ متمكنة والميل قوي لما حصل له بخصومة من المنع من جهة.

مسألة:

العالم الذي تعين عليه تعليم العلم أو وجب فرض كفاية ولم يتعين هل يجوز قبوله الاجرة أو الهدية عليه؟ فالجواب: هذا مما اختلف العلماء فيه، والأولى التنزه عنه ولا يظهر التحاقه في التحريم

بالقاضي فإن القاضي فيه وصفان. أحدهما: الوجوب، والثاني: كونه نائباً عن الله تعالى والعالم ليس فيه إلا الأول فقط.

فصل

أحسن أحوال الفقيه أن يشتغل بالعلم لله تعالى ولا يأخذ عليه شيئاً ويكتسب بتجارة أو زراعة أو صناعة إن قدر على ذلك ولم يعطله عن العلم، فإن عطله ذلك عن العلم لم يكن له ما يقوم فإن تيسر له رزق حلال ممن يسوقه الله على يده بلا شبهة، فذلك فضل من الله تعالى والتناول من الجهات الموقوفة للعلم قريب إذا قام بشروطها، وهي تتفاوت بالنظر إلى حل مال صاحبها وغير ذلك، فإذا صحت فهي جيدة وليست كالكسب لأنها على كل حال تشبه الأجر على العلم ففيها نقص من هذا الوجه، ولكن لا يجري فيها الخلاف في أخذ الأجر على العلم لأنها ليست أجراً حقيقة، وقد تكلم أهل العصر في كونها إجارة أو جعالة وكله خبط. والصواب أنها صدقة بصفة، فالذي يأخذها لاتصافه بتلك الصفة ودخوله في الوقت بذلك فإن تعلم العلم وعلمه لله خالصاً وأخذ ذلك لاتصافه بتلك الصفة فذلك أحسن المراتب ولا ينقص ذلك من ثواب تعلمه وتعليمه شيئاً، وإن تعلم وعلّم لينال ذلك لم يحصل له ثواب إلا أن يغير الله قصده بعد ذلك وتناول العلوم بعد اتصافه بالاستحقاق وبالصفة المحضة لا يشبه أجرة ولا جعلاً ولا رزقاً وتناوله قبله ليتعلم أو يعلم، كتناول الرزق الذي يجعله الإمام من بيت المال على ذلك حلال.

والحاصل؛ أن المدارس كالأرزاق وأخذها كأخذ الرزق على العلم، فإن نظر الطالب أو المدرّس في حال اشتغاله إليها ولم يشتغل إلا لأجلها فلا أجر له، وإن كان يشتغل فيه لكن سكنت نفسه بسببها ولولاها لم يشتغل لضرورة كسبه فله أجر ولكنه دون القسم الثالث، وهو أن يعرض عن ملاحظتها بالكلية ويكون اشتغاله لله تعالى خالصاً، بحيث لو قطعت أو لم تكن لم تتفاوت الحال عنده، وإن حصلت أخذها كالنحلة. فهذا أرفع الدرجات وعليه يحمل حال السلف الذين كانت لهم الارزاق من بيت المال، وفي الحال الثاني والثالث لا يأتي الخلاف في أخذ الأجرة على العلم، وفي الحال الأول قد يأتي باعتبار قصده، ومع ذلك ليس من الرشوة في شيء لأن الرشوة صاحبها يتوصل بها إلى غرض لنفسه، وهذه صاحبها يتوصل بها إلى غرض للمتعلم وللمسلمين ولله تعالى وهو نشر العلم فلا معنى للرشوة ههنا أصلاً بخلاف الذي يعطي عالماً مالاً ليعلمه.

مسألة:

فهذه هي التي ظهر اختلاف العلماء فيها لعود الغرض فيها إلى الباذل فإن اشترك هذان القسمان فالأخذ على ما هو واجب وللعلماء اختلاف فيه، ولكن المرتبتان مختلفتان والخلاف في الثانية أظهر منه في الأول، وأما الأرزاق بجميع وجوهه فلا خلاف فيه إلا ما أشرنا إليه بالنسبة إلى غرض الآخذ له.

فصل

وفي السير الكبير للإمام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله تعالى تخريج شمس الائمة السرخسي ما نصه: وإذا بعث ملك العدو إلى أمير الجند هدية فلا بأس أن يقبلها ويصرفها للمسلمين، لان النبي ﷺ كان يقبل هدية المشركين في الابتداء، ثم لما ظهر منهم مجاوزة الحد في طلب العوض أبي قبول الهدية منهم بعد ذلك وقال: «إنا لا نقبل زبد المشركين» فبهذا تبين أن للأمير رأياً في قبول ذلك، فإن طمع في إسلامهم فهو مندوب إلى تألفهم، وإن لم يطمع في إسلامهم فله أن يظهر الغلظة عليه برد الهدية، فإن قبلها كان ذلك فيئاً للمسلمين لأنه ما أهدي إليه لعينه بل لمنفعته بالمسلمين، فكان هذا بمنزلة المال المصاب بقوة المسلمين، وهذا بخلاف ما كان لرسول الله ﷺ من الهدية، فإن قوته ومنفعته لم يكن بالمسلمين على ما قال الله تعالى ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة: ٦٧] فلهذا كانت الهدية له خاصة، ثم الذي حمل المشرك على الإهداء إليه خوفه منه وطلبه الرفق به وبأهل مملكته وتمكنه من ذلك بعسكره، فكانت الهدية بينه وبين أهل العسكر، وكذلك إن كانت الهدية إلى قائد من قوّاد المسلمين ممن له عدة ومنعة لأن الرهبة منه والرغبة في التألف معه بالهدية ليرفق به وبأهل مملكته إنما كان باعتبار منعته وذلك بمن تحت رايته وبجميع أهل العسكر، وإن كان أهدى إلى بعض المبارزين أو إلى رجل من عرض الحبش، فذلك له خاصة لأن الهدية إلى مثله لم تكن على وجه الخوف منه أو طلب الرفق به، وإن كان فذلك الخوف باعتبار قوته في نفسه إذ لا يقع له فيكون ذلك سالماً له خاصة، وعلى هذا قالوا: من أهدى إلى مفتٍ أو واعظ شيئاً فإن ذلك سالم له خاصة. لأن الذي حمل المهدي على الإهداء إليه والتقرب معنى فيه خاصة بخلاف الهدي إلى الحكام، فإن ذلك رشوة لأن المعنى الذي حمل المهدي على التقرب إليه ولايته الثابتة بتقليد الإمام إياه، والامام في ذلك نائب عن المسلمين، والأصل في ذلك قوله ﷺ «هدايا الأمراء غلول» يعني إذا حسبوا ذلك لأنفسهم، فذلك بمنزلة الغلول منهم، والغلول: اسم خاص لما يؤخذ من المغنم فعرفنا أن ذلك بمنزلة الغنيمة، وتخصيص الأمير بذلك دلنا على أن مثله في حق الواحد من عرض الناس لا يكون غلولاً. وفي الحديث «فهلا جلس في بيت أبيه وأمه» وفيه إشارة إلى ما قلنا اهـ.

فصل

في قبول هدايا المشركين الحربيين فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه كان ممنوعاً فنسخ منعه. **الثاني:** أنه على التخيير. **الثالث:** أن المنع مستمر. **الرابع:** يقبل ان كانوا أهل كتاب، والأوّل قول الخطابي، والثاني قول الحنفية. قال السبكي: وهو المختار، والثالث، مقتضى قول أبي عبيد القاسم بن سلام فإنه قال في كتاب الأموال: إن المثبت عندنا أنه لم يقبل هدية مشرك من أهل الحرب، بذلك تواترت الأخبار. والرابع: اختيار ابن حزم وفي

....

الرافعي عن نص الشافعي في حرملة أنه إذا أهدى مشرك إلى الإمام أو الأمير هدية والحرب قائمة فهي غنيمة، بخلاف ما إذا أهدي قبل أن يرتحلوا عن دار الإسلام، وعن أبي حنيفة أنه للمهدي إليه بكل حال وهو رواية عن أحمد. قال السبكي: وهذا الذي نقله عن أبي حنيفة، ورواية عن أحمد أنها للمهدي إليه بكل حال مخالف لما ساقه محمد بن الحسن في السير الكبير، فإن ظاهره أنها لا يختص بها المهدى إليه سواء كانت في حال الحرب أم لا في دار الإسلام أم لا إذا كان المهدى إليه الإمام أو الأمير، ويمكن أن يقال أنه محمول على أنها ليست بغنيمة بل يكون المقصود بها الهدية، وحينئذ يكون على حكم الهدايا سواء كانت في حال الحرب أم لا، والشافعي يقول: إنها في حال الحرب غنيمة لا هدية.

فصل

قال الماوردي في الأحكام السلطانية: الهدايا في حق قضاة الأحكام أغلظ مأثماً وأشد تحريماً لأنهم مندوبون لحفظ الحقوق على أهلها دون أخذها يأمرون فيها بالمعروف وينهون عن المنكر، وحال القاضي ثلاثة أقسام:

أحدها: هدية في عمله من أهل عمله، فإن لم يهاده قبل الولاية لم يجز أن يقبل هديته سواء كان له محاكمة أم لا، لأنه معرض لأن يحاكم وهي من المتحاكمين رشوة محرمة ومن غيرهم هدية محظورة، وإن كان يهاديه قبل الولاية لرحم أو مودة وله في الحال محاكمة لم يحل قبول هديته، وإن كان يهاديه قبل الولاية وليس له محاكمة فإن كانت من غير جنس هداياه لم يجز أن يقبلها، وإن كان من جنسها فوجهان لجواز أن يحد له محاكمة.

الثاني: هدية في عمله من غير أهل عمله، فإن كان مهدياً دخل بها صار من أهل عمله فلا يجوز أن يقبلها سواء كانت له محاكمة أم لا. وإن لم يدخل وأرسلها وله محاكمة هو فيها طالب أو مطلوب فهي رشوة محرمة، وإن أرسلها ولم يدخل ولا محاكمة له ففي جواز قبولها وجهان. أحدهما: لا يجوز لما يلزمه من التزامه، والثاني: يجوز لوضع الهدية على الإباحة.

الثالث: هدية في غير عمله ومن غير أهل عمله لسفره عن عمله، فنزاهته عنها أولى. فإن قبلها جاز.

قال السبكي: وبقي قسم آخر لم يصرح به الماوردي ولا غيره، وهو: أن يكون في غير عمله من أهل عمله وذلك يفرض على وجهين: أحدهما: أن يسافرا جميعاً وهذا قد يقال أنه بخروجه صار من غير أهل عمله، والثاني: أن يرسلها وهو مقيم في عمله إلى القاضي وهو خارج عن عمله، والجواز في مثل هذا وإن اقتضاه إطلاق ما تقدم من النص لكنه بعيد لا سيما إذا عرف بقرينة

....

الحال أنه إنما يهدي إليه لأجل الولاية، وقد يتخذ مثل هذا حيلة يتوقع سفر القاضي فيتخذ عنده يداً في سفره، فإذا عاد تحاكم إليه. قال: والصواب عندي في هذا المنع مطلقاً سواء أرسلها إليه أو خرج معه، وأن القاضي لا يقبل الهدية مطلقاً لا في عمله ولا في غير عمله لا من أهل عمله ولا من غيرهم، إلا أن يكون ممن لا يتوقع له حاجة عنده البتة ويحمل النص على هذا، والله أعلم.

وإلى هذا قد انتهى بنا الكلام في شرح كتاب تفصيل الحلال والحرام، ونسأل الله سبحانه التوفيق لمحابه ومراضيه مع حسن الختام، واتفق ذلك في ضحوة نهار الأحد ثامن عشرى جمادي الثانية من شهور سنة ١١٩٩ قدر الله ختامها في خير العافية ووداعها. قال ذلك وكتبه مؤلفه أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر له بمنه وكرمه حامداً لله ومصلياً ومسلماً ومستغفراً ومحسبلاً ومحوقلاً.

(تم الجزء السادس من إتحاف السادة المتقين
ويليه إن شاء الله الجزء السابع
وأوله كتاب آداب الأخوة والصحبة).

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي خص خواص عباده بخصوصيات المواهب فضلاً وإحساناً ، وأفاض على هواجسهم عوارف الفيوضات اللدنية آناً فآناً ، ونور بصائرهم بحقائق معارفه فاغترفوا بمقاطر الإلفة الإلهية مشاهدة وعياناً ، وأودع قلوبهم من أسرار محبته الذاتية جواهر حساناً ، تزري قلائد عقودها المزينة ياقوتاً وعقياناً ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على حبيبه وصفيه ونجيه أبي القاسم عبد الله محمد الذي اختاره واصطفاه ورقاه مراتب وأعياناً ، ثم بعثه متمماً لمكارم الأخلاق إلى كافة الخلق إنساً وجاناً ، وهدى به السبيل الأقوم لمن سبقت له العناية من الأزل رحمة وامتناناً ، وأحيا به طرق الإيمان بعد أن جهل مكاناً ووهت أركاناً ، وعلى آله السادة المتقين الذين جعل الله محبتهم للسعادة الكبرى عنواناً ، وأصحابه الأكرمين الذين فازوا بقربه من الكرامة شرفاً ورضواناً ، أما بعد ، فهذا شرح :

كتاب آداب الألفة والاخوّة والصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق وهو الكتاب الخامس من ربع العادات الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولاً وامتناناً. وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته اخواناً. ونزع الغل من صدورهم فظلوا في الدنيا أصدقاء

(كتاب آداب الصحبة والأخوة والمعاشرة مع أصناف الخلق).

وهو الخامس من الربع الثاني من كتاب الإحياء للإمام حجة الإسلام أبـي حامد الغزالي سقى الله جدثه صوب رحماه المتالي، قصدت فيه كشف ما أبهم في طي مبانيه وتوضيح ما أودع في سر معانيه، وعزو ما فيه من الأخبار والآثار إلى نقلتها الأئمة الأخيار، وتبيين ما عسى أن يشكل على بعض الأذهان من دقائق أسرار تقف عندها أبكار نبلاء الزمان، شرعت فيه وإن كان في النطق حصر وفي اللسان قصر مستعيناً بالله خير معين وارداً من مناهل مواهبه أصفى معين.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتداء بعنوان الكتاب الكريم وامتثالاً لما ورد في الابتداء بها من خبر السيد العظيم ﷺ.

(الحمد لله الذي عم صفوة عباده) أصل الصفاء الخلوص من الشوب وهو الاختلاط، والمراد خلاصة عباده الذين اصطفاهم من الأزل وصفاهم من شوب الغير واختارهم لقربه والعموم والشمول مترادفان والمعنى شملهم **(بلطائف التخصيص)** اللطائف جمع لطيفة فعيلة من اللطف بالضم وهو الرفق والرأفة ويعبر عنه بما يقع عنده صلاح العبد آخره، والتخصيص التفرد ببعض الشيء بما لا يشاركه غيره في الجملة، والمراد هنا ما يعطى أهل من علو قدر وشرف منزلة مما يختصون به دون غيرهم **(طولاً)** بالفتح أي فضلاً **(وامتناناً)** هو مرادف للطول، **(وألف بين قلوبهم)** أي جعل قلوبهم مائلة لبعضها غير نافرة **(فأصبحوا)** أي صاروا **(بنعمته)** أي بمحض فضله وكرمه **(إخواناً)** كأنهم أشقاء في كمال الأنس والمحبة اقتبس ذلك من قوله تعالى

وأخدانا. وفي الآخرة رفقاء وخلانا. والصلاة على محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه واقتدوا به قولاً وفعلاً وعدلاً وإحساناً.

أما بعد؛ فإن التحاب في الله تعالى والأخوّة في دينه من أفضل القربات، وألطف ما يستفاد من الطاعات في مجاري العادات. ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوّة عن شوائب الكدورات ونزغات الشيطان، فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله زلفى وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى، ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة أبواب.

﴿فأصبحتم بنعمته أخواناً﴾ [آل عمران: ١٠٣] **(ونزع الغل)** بالكسر هو الحقد **(من صدورهم)** أي من بواطنهم **(فظلوا)** أي صاروا **(في الدنيا أصدقاء)** جمع صديق وهو الذي يصحبك بالصدق **(وأخداناً)** جمع خدن بالكسر وهو صاحب السر، **(وفي الآخرة رفقاء)** جمع رفيق **(وخلاناً)** جمع خليل كنديم وندمان، وفي الجملة اقتباس من قوله تعالى ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾ [الحجر: ٤٧]. **(والصلاة)** مع السلام **(على)** سيدنا **(محمد)** عبده **(المصطفى)** يقال: اصطفاه إذا تناول صفوه، واصطفى الله عبده يحتمل معنيين قد يكون بمعنى إياه صافياً عن شوائب الكدورات، وقد يكون بمعنى تخليصه منها، وكلا المعنيين جاريان في لقبه ﷺ **(وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوه)** أي سلكوا طريقته **(واقتدوا به)** في سلوكهم في سائر شؤونهم وأحوالهم **(قولاً وفعلاً وعدلاً وإحساناً)**.

(أما بعد: فإن التحابب) تفاعل من الحب وهو ميل القلب أو إحساس بوصلة لا يدري كنهها **(في الله تعالى)** أي في ذاته لا لغرض عاجل أو آجل **(والأخوة في دينه من أفضل القرّبات)** جمع قربة بالضم، أي أفضل ما يتقرب به الى الله تعالى، **(وألطف)** أي أرق وأحسن **(ما يستفاد)** أي يحصل **(من الطاعات)** المرضية التي بها يتقرب إلى الله تعالى **(في مجاري العادات)** جمع مجرى مصدر ميمي، والعادات جمع عادة وهي كل ما تكرر واستمر عليه الناس واشتقاقها من عاد يعود إذا رجع، **(ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله)** أي بمرتبتهم وسيأتي ذكر المتحابين في الله قريباً، **(وفيها حقوق بمراعاتها)** والوقوف بإزائها **(تصفو الأخوة)** أي تخلص **(عن شوائب الكدورات)** أصل الشوب الخلط وإن قل فاعلة بمعنى مفعولة مثل عيشة راضية. وقال الجوهري: الشوائب جمع شائبة وهي الأدناس والأقذار، والكدورات جمع كدورة كل ما يكدر النفس، **(ونزغات الشياطين)** أي عن وساوسهم وإفساداتهم، **(فبالقيام بحقوقها)** الآتي ذكرها **(يتقرب إلى الله زلفى)** أي قربى **(وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى)** أي العالية، **(ونحن نبين مقاصد هذا الكتاب في ثلاثة أبواب.**

الباب الأول: في فضيلة الألفة والأخوة في الله تعالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها.

الباب الثاني: في حقوق الصحبة وآدابها وحقيقتها ولوازمها.

الباب الثالث: في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من قد بلي بهذه الأسباب.

(الباب الأول) منها: **(في)** بيان **(فضيلة الألفة والأخوة في الله تعالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها).**

(الباب الثاني: في) بيان **(حقوق الصحبة وآدابها ولوازمها)** وفي بعض النسخ: في حقوق آداب الصحبة وحقيقتها ولوازمها.

(الباب الثالث: في) بيان **(حق المسلم)** على المسلم **(و)** حق **(الرحم و)** حق **(الجوار و)** حق **(الملك وكيفية المعاشرة مع من يدلي)** أي يتقرب **(بهذه الأسباب)** .

الباب الأول
في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها

فضيلة الألفة والاخوة:

اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرق ثمرة سوء الخلق. فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتباغض والتدابر، ومهما كان المثمر محموداً كانت الثمرة محمودة، وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه عليه السلام إذ قال: ﴿وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عظيمٍ﴾ [القلم: ٤]،

الباب الأول

في فضيلة الألفة والأخوة وفي شروطها ودرجاتها وفوائدها

بيان (**فضيلة الألفة والأخوة**) في الله تعالى:

(**اعلم أن الألفة**) بضم الهمزة وكسرها اتفاق الآراء في المعاونة عن تدبير المعاش (**ثمرة حسن الخلق**) فحسن الخلق هو الأصل بمنزلة الشجرة وثمرتها الألفة، (**والتفرق**) على البعض (**ثمرة سوء الخلق**) فإنه يحمل على ذلك. (**فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق**) وبها يتم نظام المعاش (**وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر**) وبها يفسد نظام المعاش، (**ومهما كان المثمر محموداً كانت الثمرة محمودة**) لا محالة. (**وحسن الخلق لا يخفى في الدين فضيلته**) ومقامه (**وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه ﷺ إذ قال ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**).

أخرج ابن مردويه، وأبو نعيم في الدلائل، والواحدي من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال لبيك فلذلك أنزل الله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾».

وأخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، ومسلم، وابن المنذر، والحاكم، وابن مردوية من حديث سعد بن هشام رضي الله عنه قال: أتيت عائشة فقلت، يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله ﷺ قالت: كان خلقه القرآن أما تقرأ القرآن ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾».

وقال النبي ﷺ: « أكثرُ ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق ». وقال أسامة بن شريك: قلنا يا رسول الله ما خير ما أعطي الإنسان؟ فقال: « خلق حسن ». وقال ﷺ: « بعثت لأتمم محاسن الأخلاق » وقال ﷺ: « أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن ».

وأخرج ابن المبارك وعبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في الدلائل، عن عطية العوفي في قوله: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ قال: أدب القرآن ».

وأخرج ابن المنذر، عن ابن عباس ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ قال: القرآن ».

وأخرج ابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس قال « الدين ».

وأخرج عبد بن حميد عن ابن مالك قال: « الإسلام ».

وأحرج عبد بن حميد، عن ابن ابزى، وسعيد بن جبير قال: « على دين عظيم ».

(**وقال النبي ﷺ « أكثر ما يدخل الجنة تقوى الله وحسن الخلق »**) قال العراقي: رواه الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة وقال: صحيح الإسناد وقد تقدم اهـ.

(**وقال أسامة بن شريك**) الثعلبي بالمثلثة والمهملة صحابي تفرد بالرواية عنه زياد بن علاقة على الصحيح، روى له الأربعة (**قلنا: يا رسول الله ما خير ما أعطي الإنسان؟ فقال: « حسن الخلق »**) وفي نسخة « خلق حسن ». قال العراقي: رواه ابن ماجه بإسناد صحيح.

(**وقال ﷺ « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »**) بعدما كانت ناقصة أو أجمعها بعد التفرقة. وقال بعضهم: أشار به إلى أن الأنبياء قبله بعثوا بمكارم الأخلاق وبقيت بقية فبعث ﷺ بما كان معهم وبتمامها. وقال الحكيم الترمذي: أنبأنا به أن الرسل قد مضت ولم تتمم هذه الأخلاق فبعث بإتمام ما بقي عليهم. قال العراقي: رواه أحمد والبيهقي والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة انتهى.

قلت: لكن لفظهم جميعاً إنما بعثت قال الحافظ السخاوي: أورده مالك في الموطأ بلاغاً عن النبي ﷺ.

وقال ابن عبد البر: هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة مرفوعاً منها ما أخرجه أحمد في مسنده، والخرائطي في أول المكارم من حديث محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق ». ورجاله رجال الصحيح.

قلت: وكذلك رواه ابن سعد في الطبقات، والبخاري في الأدب المفرد.

ثم قال السخاوي: وللطبراني في الأوسط بسند فيه عمر بن إبراهيم القرشي وهو ضعيف عن

وقال ﷺ : « ما حسن الله خلق امرىء وخلقه فيطعمه النار » وقال ﷺ : « يا أبا هريرة

جابر مرفوعاً « إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال » ومعناه صحيح، وقد عزاه الديلمي لأحمد بن معاذ، وما رأيته فيه انتهى.

قال الحراني: صالح الأخلاق هي صلاح الدين والدنيا والمعاد التي جمعها في قوله: « اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي هي معاشي واصلح لي آخرتي التي فيها معادي ».

تنبيه:

قال الشيخ الأكبر قدس سره: معنى الحديث أنه لما قسمت الأخلاق إلى مكارم وإلى سفساف وظهرت مكارم الأخلاق كلها في شرائع الرسل وتبيين سفسافها من مكارمها عندهم وما في العالم إلا أخلاق الله وكلها مكارم، فما ثم سفساف أخلاق فبعث فبينها عليها السلام بالكلمة الجامعة إلى الناس كافة، وأوتي جوامع الكلم، وكل نبي يقدمه على شرع خاص فأخبر عليه السلام أنه بعث ليتمم صالح الأخلاق لأنها أخلاق الله، فالحق ما قيل فيه أنه سفساف أخلاق بمكارم أخلاق، فصار الكل مكارم أخلاق، فما ترك عليه السلام في العالم سفساف أخلاق جملة واحدة لمن عرف مقصد الشرع فأبان لنا مصارف لهذا المسمى سفسافاً من نحو حرص وحسد وشره وبخل، وكل صنعة مذمومة فأعطانا لها مصارف إذا أجريناها عليها عادت مكارم أخلاق وزال عنها اسم الذم فكانت محمودة فتمم لله بهمكارم الأخلاق فلا ضد لها، كما أنه لا ضد للحق لكن منا من عرف المصارف ومنا من جهلها.

(**وقال ﷺ « أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن »**) وفي بعض النسخ: أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

(**وقال ﷺ: « ما أحسن الله خلق**) بفتح فسكون (**امرئ**) أي رجل(**و**)لا (**خلقه**) بضمها (**فتطعمه النار »**) أي تأكله قال الطيبي: استعار الطعم للإحراق مبالغة كان الإنسان طعامها تتغذى به نحو قوله تعالى ﴿وقودها الناس والحجارة﴾ [البقرة: ٢٤] أي الناس كالوقود والحطب الذي تشتعل به النار. قال العراقي: رواه ابن عدي والطبراني في مكارم الأخلاق وفي الأوسط، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة. قال ابن عدي: في إسناده بعض النكرة انتهى.

قلت: وكذلك ابن عساكر كلهم من طريق هشام بن عمار، عن عبد الله بن يزيد النكري، عن ابن غسان محمد بن مطرف المسمعي، عن داود بن فداهيج، عن أبي هريرة بزيادة « أبداً » في آخر الحديث وهو ظرف وضعه للمستقبل ويستعمل للماضي مجازاً وهو مبالغة. وفي الميزان: داود بن فداهيج ضعيف. وقال ابن عدي: لا أرى بمقدار ما يرويه بأساً وله حديث فيه نكرة ثم ساق له هذا الخبر انتهى.

عليك بحسن الخلق، قال أبو هريرة رضي الله عنه: وما حسن الخلق يا رسول الله؟ قال: تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك» ولا يخفى أن ثمرة الخلق الحسن

وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وتعقبه الجلال السيوطي فإنه ورد من طريق آخر وذكر المسلسل بالاتكاء كما سيأتي ذكره.

قلت: وقد روي من حديث ابن عمر، ومن حديث عائشة، ومن حديث الحسن بن علي، ومن حديث أنس. أما حديث ابن عمر فأخرجه ابن عدي ولفظه «ما حسن الله خلق عبد وخلقه فأطعم لحمه النار».

وأما حديث عائشة فأخرجه الشيرازي في الألقاب ولفظه «ما حسن الله وجه امرئ مسلم فيريد عذابه».

وأما حديث الحسن بن علي فأخرجه الخطيب في التاريخ ولفظه «ما حسن الله خلق عبد وخلقه إلا استحيا أن تطعم النار لحمه» وطرق هذه الألفاظ كلها ضعيفة، لكن تقوى بتعددها وتكثرها.

وأما حديث أنس فأخرجه الخطيب أيضاً.

وقال السيوطي، قال السلفي: قرأت على الفتح الغزنوي وهو متكيء قرأت على حمزة بن يوسف وهو متكيء، قرأت على علي بن محمد وهو متكيء، قرأت على الحسن بن الحجاج الطبراني وهو متكيء، قرأت على ابن العلاء الكوفي وهو متكيء، قرأت على عاصم بن علي وهو متكيء، قرأت على الليث بن سعد وهو متكيء، قرأت على بكر بن الفرات وهو متكيء، قرأت على أنس بن مالك وهو متكيء، قال قال رسول الله ﷺ «ما حسن الله خلق رجل ولا خلقه فتطعمه النار» حديث غريب التسلسل ورجاله ثقات هذا كلام السيوطي.

قلت: أخرجه الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي في مسلسلاته عن أبي بكر محمد بن عبد الله الحافظ إجازة عن أبي الفتح القرشي، عن أبي ظافر، عن السلفي بشرط التسلسل ثم قال: رواه مسلسلاً كذلك أبو علي الحسن بن علي البردعي، عن أبي بكر محمد بن عدي بالبصرة، عن الحسن ابن الحجاج الطبراني به. تابعها أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الحسين بن حسنويه فرواه مسلسلاً عن أبي علي الحسن بن الحجاج بن غالب الطبري به.

(**وقال ﷺ «يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق، قال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**وما حسن الخلق يا رسول الله؟ قال: تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك**») قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن أبي هريرة ولم يسمع منه انتهى.

قلت: هكذا قاله عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبيه في ترجمة الحسن أنه لا يصح له سماع من أبي هريرة.

(**ولا يخفى أن ثمرة حسن الخلق الألفة**) واجتماع الكلمة (**وانقطاع الوحشة**) من البين

الألفة وانقطاع الوحشة ومهما طاب المثمر طابت الثمرة، كيف وقد ورد في الثناء على نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة هي التقوى والدين وحب الله من الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع، قال الله تعالى مظهراً عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة: ﴿لو أَنْفَقْتَ ما في الأرْض جميعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبهِمْ ولكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بينهُم﴾ [الأنفال: ٦٣]، وقال: ﴿فأَصْبَحْتُم بنعمتِهِ إخواناً﴾ [آل عمران: ١٠٣] أي بالألفة، ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل: ﴿واعتصِمُوا بحبل الله جميعاً ولا تَفَرَّقُوا﴾ إلى ﴿لعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال ﷺ: « إن

وارتفاع الكلفة والمشقة، (**ومهما طاب المثمر طابت الثمرة، فكيف وقد ورد في الثناء على نفس الألفة سيما إذا كانت الرابطة**) لها (**هي الدين والتقوى وحب الله تعالى من الآيات والاخبار والآثار ما فيه كفاية ومقنع. قال الله تعالى**) في كتابه العزيز (**مظهراً عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة**) إذ ألف قلوبهم بعد أن كانوا متفرقين: ﴿هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين★ وألف بين قلوبهم (**لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣] وقال ﴿فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ [آل عمران: ١٠٣] أي بالألفة**) متفقين وعلى البر والتقوى مصطحبين، (**ثم**) ضم التذكرة بالنعم عليهم إلى تقواه وأمر بالاعتصام بحبله وهداه و(**ذم التفرقة وزجر عنها**) إن جمعتهم الدار وقرت ذلك بالمنة عليهم إذ أنقذهم من شفا حفرة النار، وقد جعل ذلك كله من آياته الدالة عليه سبحانه ووسيلة المواصلة بالهداية إليه، (**فقال عز من قائل**) في مجمل ما شرحناه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته (**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ إلى قوله ﴿لعلكم تهتدون﴾ وهو قوله ﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣]**.

(**وقال ﷺ « إن أقربكم مني مجلساً أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون »**) قوله: أحاسنكم جمع أحسن أفعل من الحسن، والأخلاق: جمع خلق وهي أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره وهو محمود ومذموم، والموطئون: من التوطئة وهي التذليل وفراش وطيء لا يؤذي جنب النائم، والأكناف: الجوانب أراد الذين جوانبهم وطيئة يتمكن فيها من يصاحبهم ولا يتأذى وهو من أحسن المبالغة.

قال العراقي: رواه الطبراني في مكارم الأخلاق من حديث جابر انتهى.

قلت: ورواه البيهقي عن ابن عباس بلفظ « خياركم أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً وشراركم الثرثارون». ويروى في حديث جابر أيضاً بلفظ « أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً » وفي آخر « وأبغضكم إلي وأبعدكم مني أساويكم أخلاقاً ».

أقربكم مني مجلساً أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون». وقال ﷺ: «المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف». وقال ﷺ في الثناء على الإخوّة في الدين: من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً إن نسي ذكّره وإن ذكر أعانه». وقال ﷺ: «مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وما

(وقال ﷺ «المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف») قال الماوردي: بين به أن الإنسان لا تصلح حاله إلا الإلفة الجامعة فإنه مقصود بالأذية محسود بالنعمة فإذا لم يكن آلفاً مألوفاً تخطفه أيدي حاسديه وتحكم فيه أهواء أعاديه فلم تسلم له نعمه ولم تصف له مدة، وإذا كان ألفاً مألوفاً انتصر بالإلفة على أعاديه وامتنع به من حاسديه فسلمت نعمته منهم وصفت مدته عنهم، وإن كان صفو الزمان كدراً ويسره عسراً وسلمه خطراً، والعرب تقول: من قل ذل انتهى.

قال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث سهل بن سعد، والحاكم من حديث أبي هريرة وصححه اهـ.

قلت: أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق صخر عن أبي حازم عن أبي هريرة وقال: إنه صحيح على شرطها ولا أعلم له علة، وتعقبه الذهبي فإن أبا حازم هو المدني لا الأشجعي وهو لم يلق أبا هريرة ولا لقيه أبو صخر اهـ.

وقال الحافظ السخاوي: وقد رواه العسكري من طريق الزبير بن بكار عن خالد بن وضاح عن أبي حازم بن دينار فقال: عن أبي صالح عن أبي هريرة، بل هو عند البيهقي في الشعب والقضاعي والعسكري من حديث عبد الملك بن أبي كريمة عن ابن جريج عن عطاء عن جابر مرفوعاً بلفظ «المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس» وليست الجملة الأخيرة منه عند العسكري انتهى.

قلت: وقد رواه هكذا بتمامه الدارقطني في الإفراد والضياء في المختارة.

(وقال ﷺ في الثناء على الأخوة في الدين «من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه») هكذا هو في القوت، وفي نسخة العراقي «أخاً صالحاً» وقال: هو غريب بهذا اللفظ، والمعروف أن ذلك في الأمير. رواه أبو داود من حديث عائشة «إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه» الحديث ضعفه ابن عدي. ولأبي عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة من حديث علي «من سعادة المرء أن يكون إخوانه صالحين» انتهى.

قلت: وباقي حديث عائشة «وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه» وقد رواه البيهقي أيضاً.

(وقال ﷺ: «مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وما التقى

التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً ». وقال عليه السلام في الترغيب في الاخوّة في الله: « من آخى أخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله ». وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ: إني أحبك في الله، فقال له: أبشر ثم أبشر فإني

مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً) هكذا هو في القوت، قال العراقي: رواه أبو عبد الرحمن السلمي في آداب الصحبة، والديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس، وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب، وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من الحربيات انتهى.

قلت: وأخرجه ابن شاهين في الترغيب والترهيب من طريق دينار عن أنس مرفوعاً « مثل المؤمنين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى » ودينار أبو مكيس قال ابن حبان: يروي عن أنس أشياء موضوعة انتهى، والباهلي هذا يعرف بغلام خليل. قال الدارقطني: كان يضع الحديث.

وأما الذي في أول الحربيات فقال أبو الحسن علي بن عمر بن محمد السكري الحريري، حدثنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار، ثنا يحي بن معين، ثنا وهب بن جرير، ثنا أبي قال: سمعت الأعمش يحدث عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن سلمان قال « مثل المسلم أو المؤمن وأخيه كمثل الكفين تنقي إحداهما الأخرى ».

قلت: وقد رواه بهذا اللفظ أبو نعيم من حديث سلمان مرفوعاً.

(وقال ﷺ في الترغيب في الأخوة في الله « من آخى أخاً في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس « من أحدث عبد إخاء في الله عز وجل إلا أحدث الله عز وجل له درجة في الجنة » وإسناده ضعيف انتهى.

قلت: ورواه أيضاً الديلمي في مسند الفردوس. وسيأتي للمصنف قريباً.

(وقال أبو إدريس) عائذ الله بن عبد الله بن عمرو **(الخولاني)** العوذي. قال الزهري: كان قاضي أهل الشام وقاضيهم في خلافة عبد الملك. قال ابن معين وغيره: مات سنة ثمانين، روى له الجماعة **(لمعاذ)** بن جبل رضي الله عنه اختلف في سماع أبي إدريس من معاذ، فقال أبو زرعة الدمشقي: لم يصح له سماع من معاذ، وإذا حدث عنه أسند ذلك إلى يزيد بن عميرة الزبيدي. وقال الزهري: أدرك أبو إدريس عبادة بن الصامت، وأبا الدرداء، وشداد بن أوس وفاته معاذ بن جبل. وقال أبو عمر بن عبد البر: سماع أبي إدريس من معاذ صحيح عندنا من رواية أبي حازم وغيره، ولعل رواية الزهري عنه أنه قال: فاتني معاذ أراد في معنى من المعاني، وأما لقاؤه وسماعه منه فصحيح غير مدفوع، وقد سئل الوليد بن مسلم وكان عالماً بأيام أهل الشام هل لقي أبو إدريس معاذاً؟ فقال: نعم أدرك معاذاً وأبا عبيدة وهو ابن عشر سنين، ولد يوم حنين سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول ذلك. **(إني أحبك في الله، فقال له: أبشر ثم أبشر فإني سمعت**

سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة، وجوههم كالقمر ليلة البدر، يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فقيل: من هؤلاء يا رسول الله؟ فقال: هم المتحابون في الله تعالى »، ورواه أبو هريرة رضي الله عنه وقال فيه: إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء، فقالوا: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله »، وقال ﷺ: « ما تحاب اثنان في الله إلا كان

رسول الله ﷺ **يقول: « ينصب لطائفة**) أي لجماعة من الناس (**كراسي**) جمع كرسي (**حول العرش يوم القيامة، وجوههم كالقمر ليلة البدر**) وهي ليلة نصف الشهر، (**يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافـون أولئـك أوليـاء الله الذيـن لا خـوف عليهـم ولا هـم يحزنون» فقيل: من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: هم المتحابون في الله »**) قال العراقي: رواه أحمد والحاكم في حديث طويل أن أبا إدريس قال: قلت لمعاذ والله إني لأحبك في الله. قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن المتحابين بجلال الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وهو عند الترمذي من رواية أبي مسلم الخولاني عن معاذ بلفظ: « المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » قال: حديث حسن صحيح. ولأحمد من حديث أبي مالك الأشعري « إن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله عز وجل » الحديث وفيه « تحابوا في الله وتصافحوا به يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه انتهى.

قلت: وروى الطبراني في الكبير من حديث معاذ: « إن المتحابين في الله في ظل العرش » ومن حديث أبي أيوب « المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش » وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة سعيد الجريري، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه رفعه « إن في الجنة غرفاً ترى ظواهرها من بواطنها وبواطنها من ظواهرها أعدها الله للمتحابين فيه المتزاورين فيه المتباذلين فيه ».

(**ورواه أبو هريرة**) رضي الله عنه، عن النبي ﷺ (**فقال فيه: « إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا أنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء، قالوا: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم المتحابون في الله والمتجالسون فيه والمتزاورون في الله »**). قال العراقي: رواه النسائي في سننه الكبرى ورجاله ثقات انتهى.

قلت: وفي أول الحلية لأبي نعيم قال: حدثنا محمد بن جعفر بن إبراهيم، ثنا جعفر بن محمد بن

أحبها إلى الله أشدهما حباً لصاحبه » ويقال: إن الأخوين في الله إذا كان أحدهما أعلى مقاماً من الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وأنه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض، لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله لم تكن دون أخوة الولادة. قال عز وجل: ﴿أَلْحَقنَا بهم ذُرِّيَّاتَهُم وما أَلَتْنَاهُم مِنْ عَمَلِهِمْ من شيء﴾ [الطور: ٢١]، وقال ﷺ: « إن الله تعالى يقول حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي وحقت محبتي للذين يتحابون من أجلي وحقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي ».

شاكر الصائغ، ثنا مالك بن إسماعيل وعاصم بن علي قالا: ثنا قيس بن الربيع، ثنا عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى، فقال رجل: من هم وما أعمالهم لعلنا نحبهم؟ قال: قوم يتحابون بروح الله من غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها بينهم والله إن وجوههم لنور وأنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم قرأ ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ » [يونس: ٦٢].

(وقال ﷺ: « ما تحاب اثنان في ألفة إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه ») قال العراقي: رواه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال: صحيح الإسناد أنتهى.

قلت: لفظ الحاكم في البر والصلة: « ما تحاب رجلان في الله إلا كان أفضلهما أشدّهما حباً لصاحبه » وقال صحيح وأقره الذهبي، وقد رواه أيضاً البخاري في الأدب، والبيهقي والطبراني في الأوسط وأبو يعلى والبزار قال الهيثمي: كالمنذري ورجال الأخيرين رجال الصحيح غير مبارك بن فضالة وقد وثقه جماعة على ضعف فيه، وأخرجه أيضاً في المختارة وفي المعجم الكبير للطبراني من حديث أبي عبيدة ومعاذ رفعاه: « ما تحاب رجلان في الله تعالى إلا وضع لهما كرسياً فاجلسا عليه حتى يفرغ الله من الحساب ».

(ويقال: إن الأخوين في الله تعالى إذا كان أحدهما أعلى مقاماً من الآخر رفع) الآخر **(معه إلى مقامه وأنه يلحق به كما تلحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا كانت)** وفي نسخة: إذا اكتسبت **(في الله لم تكن دون أخوة الولادة)** نقله صاحب القوت إلا أنه قال لأن الأخوة عمل كالولادة، **(وقد قال)** الله **(تعالى)** بعد قوله: ﴿ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾ أي: ما نقصناهم، **(وقال ﷺ: « إن الله تعالى يقول: حقت محبتي)** أي وجبت **(للذين يتزاورون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتحابون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي »)** قال العراقي رواه أحمد من حديث عمرو بن عبسة وحديث عبادة بن الصامت، ورواه الحاكم وصححه اهـ.

وقال ﷺ : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي » . وقال ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود

قلت: حديث عبادة بن الصامت أخرجه أيضاً الطيالسي وابن منيع وابن حبان والطبراني والضياء بلفظ: « قال الله تبارك وتعالى: حقت محبتي للمتحابين فيّ وحقت محبتي للمتواصلين فيّ وحقت محبتي للمتباذلين فيّ المتحابون فيّ على منابر من نور يغبطهم النبيون والصديقون والشهداء » وفي رواية للطبراني: « قال الله تعالى وجبت محبتي للذين يتجالسون فيّ، ووجبت محبتي للذين يتباذلون فيّ، ووجبت محبتي للذين يتلاقون فيّ » وفي لفظ له: « قال الله تعالى حقت محبتي للمتحابين فيّ، وحقت محبتي للمتجالسين فيّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيّ ».

وأخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان بلفظ: « قال الله تعالى حقت محبتي على المتحابين أظلهم في ظل العرش يوم القيامة يوم لا ظل إلى ظلي ». وأخرجه البيهقي في الشعب بلفظ: « حقت محبتي للمتحابين فيّ، وحقت محبتي للمتصافيين فيّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيّ » وأورده هكذا صاحب العوارف.

وأما حديث عمرو بن عبسة فقد أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان والطبراني في الكبير بلفظ:« يقول الله تعالى قد حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي ،وقد حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتصادقون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي » ثم ساق الحديث بطوله وقد روي ذلك أيضاً من حديث معاذ أخرجه أحمد وابن حبان والطبراني والحاكم والبيهقي ولفظه: « قال الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين والمتجالسين فيّ والمتباذلين والمتزاورين فيّ ».

(**وقال ﷺ : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون لجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي »**) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة أنتهى.

قلت: ورواه أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية من حديث العرباض ولفظه: « يقول الله تعالى المتحابون لجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي ».

(**وقال ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل**) في رعيته وقومه لعموم نفعة وتعديه، (**وشاب**) وخصه لكونه مظنة غلبة الشهوة فملازمة العبادة مع ذلك أشق وأدل على غلبة التقوى (**نشأ في عبادة الله**) أي أفنى شبابه ونشاطه في عبادة الله كما في خبر سليمان، (**ورجل قلبه معلق بالمسجد**) أشار إلى طول الملازمة شبه بالشيء المعلق بالمسجد كالقنديل (**إذا خرج منه حتى يعود إليه**) كنى به عن التردد إليه في جميع أوقات الصلاة فيلازم المسجد ولا يخرج منه إلا وهو ينتظر أخرى فيصليها فيه فهو ملازم للمسجد بقلبه وإن خرج منه

إليه، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إني أخاف الله تعالى، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه». وقال ﷺ: «ما زار رجل

بقالبه فليس المراد دوام الجلوس فيه، **(ورجلان تحابا)** أي أحب كل منهما صاحبه **(في الله)** أي في طلب رضا الله أو لأجله لا لغرض دنيوي **(اجتمعا على ذلك)** أي على الحب المذكور بقلوبهم **(وتفرقا عليه)** أي استمرا على صحبتهما حتى فرق بينهما الموت ولم ينقطع تحابهمالعارض دنيوي، أو المراد يحفظان الحب فيه في الغيبة والحضور وعد هذين واحداً لأن المحبة لا تتم إلا بينهما، **(ورجل ذكر الله)** بلسانه أو قلبه حالة كونه **(خالياً)** عن الناس أو عن الالتفات لما سوى الله وإن كان في ملأ **(ففاضت عيناه)** أي الدموع من عينيه فهو مجاز كجري الميزاب. زاد البيهقي: «من خشية الله» وبكاؤه يكون عن خوف أو شوق أو عن محبة الله عز وجل، **(ورجل دعته)** أي طلبته **(امرأة)** إلى الزنا بها أو للنكاح فخاف العجز عن حقها والشغل عن العبادة بالكسب لها **(ذات حسب)** أي أصل أو مال، ورواية الصحيحين: ذات منصب **(وجمال)** أي مزيد حسن **(فقال)** بلسانه زاجراً لها ويحتمل بقلبه زاجراً لنفسه ولا مانع من الجمع: **(إني أخاف الله)** رب العالمين وخص ذات الحسب والجمال لأن الرغبة فيها أشد فالصبر عنها مع طلبها أشد، **(ورجل تصدق بصدقة)** أي تطوع لأن الزكاة يسن إظهارها كما تقدم **(فأخفاها)** أي كتمها عن الناس **(حتى لا تعلم)** بالرفع نحو مرض حتى لا يرجونه، وبالنصب نحو سرت حتى لا تغيب الشمس **(شماله)** أي من بشماله **(ما تنفق يمينه)** أو ذكره مبالغة في الإخفاء بحيث لو كان شماله رجلاً ما علمها فهو من مجاز التشبيه.

قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم اهـ.

قلت: قد تقدم الكلام على ذلك في كتاب الزكاة مفصلاً، وقد رواه مالك في الموطأ، والترمذي عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد، ورواه أحمد والشيخان والنسائي عن أبي هريرة، ورواه مسلم عنهما معاً. ويروي: «سبعة في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله: رجل ذكر الله ففاضت عيناه ورجل يحب عبداً لا يحبه إلا لله، ورجل قلبه معلق بالمساجد من شدة حبه إياها، ورجل يعطي الصدقة بيمينه فيكاد يخفيها عن شماله، وإمام مقسط في رعيته، ورجل عرضت عليه امرأة ذات منصب وجمال فتركها لجلال الله عز وجل، ورجل كان في سرية مع قوم فلقوا العدو فانكشفوا فحمى آثارهم حتى نجا ونجوا أو استشهد» هكذا رواه ابن زنجويه عن الحسن مرسلاً وابن عساكر عن أبي هريرة. ويروي: «سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله: رجل قلبه معلق بالمساجد، ورجل دعته امرأة ذات منصب فقال إني أخاف الله، ورجلان تحابا في الله، ورجل غض عينه عن محارم الله، وعين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله» وهكذا رواه البيهقي في الأسماء عن أبي هريرة باقي الكلام على هذا الحديث تقدم في كتاب الزكاة.

رجلاً في الله شوقاً إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة». وقال ﷺ: «إن رجلاً زار أخاً له في الله، فأرصد الله له ملكاً فقال: أين تريد؟ قال: أريد أن أزور أخي فلاناً، فقال: لحاجة لك عنده؟ قال: لا، قال: لقرابة بينك وبينه؟ قال: لا، قال: فبنعمة له عندك؟ قال: لا، قال: فبمَ؟ قال: أحبه في الله قال: فإن الله أرسلني إليك يخبرك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة». وقال ﷺ: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»، فلهذا يجب أن

(**وقال ﷺ: «ما زار رجل رجلاً في الله شوقاً إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة»**) قال العراقي: رواه ابن عدي من حديث أنس دون قوله: «شوقاً إليه ورغبة في لقائه» وللترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة: «من عاد مريضاً أو زار أخاً في الله ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً قال الترمذي: غريب اهـ.

قلت: وكذلك ابن جرير أيضاً.

(**وقال ﷺ إن رجلاً زار أخاً**) له (**في الله فأرصد الله له ملكاً فقال: أين تريد؟ فقال: أريد أن أزور أخي فلاناً في الله. فقال:**) تزوره (**لحاجة لك عنده**) دنيوية؟ (**فقال: لا، قال: القرابة بينك وبينه؟ قال: لا، قال: بنعمة له عندك تربها؟ قال: لا، قال: فبم**) أي فما الذي حملك أن تزوره؟ (**قال: أحبه في الله تعالى. قال: إن الله أرسلني إليك يخبرك أنه يحبك بحبك إياه وقد أوجب لك الجنة»**) قال العراقي: رواه مسلم عن أبي هريرة اهـ.

ولفظه: «إن رجلاً زار أخاً في الله تعالى في قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجه ملكاً فقال: أين تريد؟ قال: أردت أخاً في هذه القرية. قال: هل بينك وبينه رحم تصلها أوله عليك نعمة تربها؟ قال: لا. إني أحببته في الله عز وجل قال: فإني رسول الله إليك إن الله تبارك وتعالى قد أحبك كما أحببته فيه».

(**وقال ﷺ: «أوثق عري الإيمان**) أي أقواها وأثبتها وأحكمها جمع عروة وهي في الأصل ما يعلق به نحو دلو أو كوز فاستعير لما يتمسك به من أمر الدين ويتعلق به من شعب الإيمان (**الحب في الله والبغض في الله»**) ولفظ القوت: وروينا عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه: «أي عري الإيمان أوثق؟ قالوا: الصلاة. قال: حسنة وليس به. قالوا: الحج والجهاد. قال: حسن وليس به. قالوا: فأخبرنا يا رسول الله. قال: أوثق عرى الإيمان الحب في الله تعالى والبعض فيه» اهـ.

قال العراقي: رواه أحمد من حديث البراء بن عازب وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه، والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بسند ضعيف اهـ.

يكون للرجل أعداء يبغضهم في الله كما يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم في الله. ويروى أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء: أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة وأما انقطاعك إليَّ فقد تعززت بي ولكن هل عاديت فيّ عدواً أو هل واليت فيّ ولياً؟ وقال ﷺ: «اللهم لا تجعل لفاجر عليَّ منَّة فترزقه مني محبة» ويروى: أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام: «لو أنك عبدتني بعبادة أهل السموات والأرض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما أغنى عنك ذلك شيئاً» وقال عيسى عليه السلام: تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم والتمسوا رضا الله بسخطهم، قالوا: يا روح الله فمن نجالس؟ قال: جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله. وروي في الأخبار السالفة أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام: يا ابن عمران كن يقظاناً وارتد لنفسك إخواناً وكل خدن

قلت: حديث البراء قد أخرجه أيضاً الطيالسي ولفظه قال: «أتدرون أي عرى الإيمان أوثق؟ قلت: الصلاة. قال: الصلاة حسنة وليست بذلك. قلنا: الصيام فقال: مثل ذلك حتى ذكرنا الجهاد فقال مثل ذلك ثم ذكره».

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والموادة في الله والحب في الله والبغض في الله». (**فبهذا يجب أن يكون للرجل أعداء يبغضهم في الله كما يكون له أصدقاء وإخوان يحبهم في الله**) عز وجل.

(**وروي أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء**) فيما تقدم (**أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت الراحة وأما انقطاعك إلي فقد تعززت بي ولكن هل عاديت فيّ**) أي في رضائي أو لأجلي (**عدواً وهل واليت فيّ وليا**) نقله صاحب القوت.

(**وقال** ﷺ: **«اللهم لا تجعل لفاجر عليَّ منة فترزقه مني محبةً**) وفي لفظ: «لا تجعل لفاجر عندي يداً فيحبه قلبي» وقد تقدم الكلام عليه في الكتاب الذي قبله.

(**ويروى أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام: «لو إنك عبدتني بعبادة أهل السموات والأرض وحب في الله ليس وبغض في الله ليس ما أغنى ذلك عنك شيئاً»**) نقله صاحب القوت، (**وقال** عيسى عليه السلام: **تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي وتقربوا إلى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضا الله بسخطهم قالوا: يا روح الله فمن نجالس؟ قال: جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله**) نقله صاحب القوت.

(**وروي في الأخبار السالفة**) أي الماضية (**أن الله تعالى أوحى إلى موسى بن عمران**)

وصاحب لا يؤازرك على مسرتي فهو لك عدو ، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال : يا داود ما لي أراك منتبذاً وحيداً ، قال : إلهي قليت الخلق من أجلك ، فقال : يا داود كن يقظاناً وارتد لنفسك أخداناً وكل خدن لا يوافق على مسرتي فلا تصاحبه فإنه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني . وفي أخبار داود عليه السلام أنه قال : يا رب كيف لي أن يحبني الناس كلهم وأسلم فيما بيني وبينك ؟ قال : خالق الناس بأخلاقهم وأحسن فيما بيني وبينك . وفي بعضها : خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة . وقال النبي ﷺ : « إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الإخوان » وقال ﷺ : « إن لله ملكاً نصفه من النار

عليه السلام : **(يا ابن عمران كن يقظاناً)** أي متيقظاً **(وارتد)** أي أطلب **(لنفسك أخداناً)** أي أصحاباً **(فكل خدن)** وصاحب **(لا يؤازرك على محبتي ومسرتي فهو لك عدو)** نقله صاحب القوت .

وقال القشيري في الرسالة : حدثنا حمزة بن يوسف السيمي الجرجاني قال : حدثنا محمد ابن أحمد العبدي ، حدثنا أبو عوانة ، حدثنا يونس ، حدثنا خلف بت تميم ، حدثنا أبو الأحوص ، عن محمد بن النضر الحارثي . قال : أوحى لله إلى موسى عليه السلام : كن يقظاناً مرتاداً لنفسك أخداناً وكل خدن لا يؤاتيك على مسرتي فاقصه ولا تصاحبه فإنه يقسي قلبك وهو لك عدو وأكثر من ذكري تستوجب شكري والمزيد من فضلي اهـ .

(وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام) فقال : **(يا داود مالي أراك منتبذاً)** مطروحاً بعيداً عن الناس **(وحداناً)** منفرداً . **(قال : الهي قليت الخلق)** أي أبغضتهم **(من أجلك . قال : داود كن يقظاناً)** أي صاحب يقظة وهي ضد الغفلة **(وارتد)** ولفظ القوت مرتاداً **(لنفسك أخداناً فكل خدن لا يوافقك على مسرتي فلا تصحبه فإنه لك عدو ويقسي قلبك ويباعدك مني)** نقله صاحب القوت والعوارف .

(وفي أخبار داود عليه السلام أنه قال : يا رب كيف لي أن يحبني الناس كلهم وأسلم فيما بيني وبينك ؟ قال : خالق الناس بأخلاقهم) أي عاشرهم بما يلائمهم **(وأحسن فيما بيني وبينك ، وفي بعضها : خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة)** نقله صاحب القوت والعوارف .

(وقال ﷺ : « إن أحبكم إلى الله الذين يألفون) الناس **(ويؤلفون)** أي تألفهم الناس **(وإن أبغضكم إلى الله المشاؤن بالنميمة)** أي إفساد ذات البين **(المفرقون بين الإخوان)** كذا في القوت . قال العراقي : رواه الطبراني في الأوسط والصغير من حديث أبي هريرة بسند ضعيف .

ونصفه من الثلج يقول: اللهم كما ألفت بين الثلج والنار كذلك ألف بين قلوب عبادك الصالحين». وقال أيضاً: «ما أحدث عبد أخاً في الله إلا أحدث الله له درجة في الجنة» وقال ﷺ: «المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يشرفون على أهل الجنة يضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة: انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله فيضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس، عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم: المتحابون في الله».

(وقال ﷺ: «إن لله ملكاً نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول) في دعائه أبداً: (اللهم كما ألفت بين الثلج والنار) كذلك (ألف بين) قلوب (عبادك الصالحين») كذا في القوت. قال العراقي: رواه أبو الشيخ بن حبان في كتاب العظمة من حديث معاذ بن جبل والعرباض بن سارية بسند ضعيف.

قلت: أخرجه إبراهيم الحربي في غريبه عن يعقوب بن إبراهيم، عن ابن عاصم، عن ثور عن خالد بن معدان قال: «إن لله ملكاً» فذكره إلا أنه فيه: «اللهم كما ألفت بين هذا الثلج وهذه النار فلا الثلج يطفىء النار ولا النار تذيب الثلج ألف بين قلوب عبادك الصالحين». وهكذا هو في عوارف المعارف، ثم وجدته في مسند الديلمي قال: أخبرنا عبدوس، ثنا محمد بن الحسين، ثنا محمد ابن بشر، ثنا عدي بن عمير، ثنا أبو الحسن بن البراء، ثنا عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه، عن وهب، عن ابن عباس رفعه: «إن لله ملكاً نصف جسده الأعلى ثلج ونصفه الأسفل نار ينادي بصوت رفيع: اللهم يا مؤلفاً بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك الصالحين على طاعتك سبحان الذي كف حر هذه النار فلا تذيب هذا الثلج وكف برد هذا الثلج فلا يطفىء حر هذه النار».

(وقال) ﷺ (أيضاً: «ما أحدث أحد إخاء) بالمد (في الله) تعالى (إلا أحدث الله له درجة في الجنة») أي أعدله منزلة عالية فيها بسبب احداثه ذلك الإخاء فيه. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس وقد تقدم اهـ.

قلت: ورواه كذلك الديلمي في مسند الفردوس وإسناده ضعيف.

(وقال) ﷺ: («المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة) وهي بالضم العلية جمعه غرف وغرفات (يشرفون) أي يطلعون (على أهل الجنة حتى يضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة: انطلقوا بنا ننظر المتحابين في الله فيضيء حسنهم لأهل الجنة) ونص العوارف: فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم (كما تضيء الشمس لأهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم:) هؤلاء (المتحابون في الله تعالى») هكذا أورده صاحب القوت والعوارف. قال العراقي: رواه الترمذي الحكيم في النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف اهـ.

الآثار: قال علي رضي الله عنه: عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار ﴿فمَا لَنَا من شافعين★ ولا صديق حميم﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]. وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: والله لو صمت النهار لا أفطره، وقمت الليل لا أنامه، وأنفقت مالي غلقاً غلقاً في سبيل الله أموت يوم أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله وبغض لأهل معصية الله ما نفعني ذلك شيئاً. وقال ابن السماك عند موته: اللهم إنك تعلم إني إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لي إليك. وقال الحسن ـ على ضده ـ يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من أحب فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم. وهذه إشارة إلى أن مجرد

قلت وعند الطراني في الكبير من حديث أبي أيوب «المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش».

(**الآثار: قال علي رضي الله عنه: عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع**) إلى (**قول أهل النار: ﴿فما لنا من شافعين ★ ولا صديق حميم﴾**) قال صاحب القوت والعوارف: والأصل في الحميم الهميم أبدلت الهاء حاء لقرب مخرجها مأخوذ من الاهتمام أي يهتم بأمره فالاهتمام بهم الصديق حقيقة الصداقة. (**وقال عبد الله بن عمر**) بن الخطاب رضي الله عنهما: (**والله لو صمت النهار لا أفطره وقمت الليل لا أنامه، وأنفقت مالي غلقاً**) أي حبساً (**في سبيل الله**) تعالى (**أموت حيث أموت وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله و**) لا (**بغض لأهل معصيته ما نفعني ذلك شيئاً**) نقله صاحب القوت فقال: روينا عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قالا: لو أن رجلاً صام النهار لا يفطر وقام الليل لم ينم وجاهد ولم يحب في الله ويبغض في الله ما نفعه ذلك شيئاً. (**وقال ابن السماك**) واعظ بغداد مشهور يكنى أبا العباس واسمه محمد بن صبيح (**عند موته: اللهم إنك تعلم أني إذ كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة مني إليك**) نقله صاحب القوت. (**وقال الحسن**) البصري (**على ضده يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع أحب**). هو حديث مرفوع أخرجه أحمد والشيخان والثلاثة عن أنس، وأخرجه البيهقي من حديث ابن مسعود (**فإنك لن تلحق بالأبرار**) أي درجتهم (**إلا إذا عملت بأعمالهم**) أي ولو قلت: (**فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم**) أخرجه العسكري في الأمثال من طريق داود ابن [1] حدثنا الحسن بن واصل قال، قال الحسن: لا تغتر يا ابن آدم بقول من يقول: أنت مع من أحببت فإنه من أحب قوماً اتبع آثارهم، واعلم أنك لن تلحق بالأخيار حتى تتبع آثارهم وحتى تأخذ بهديهم وتقتدي بسننهم وتصبح وتمسي على مناهجهم حرصاً على أن تكون منهم اهـ.

---

(١) هنا بياض في الأصل.

ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع، وقال الفضيل في بعض كلامه: هاه! تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين؟ بأي عمل عملته؟ بأي شهوة تركتها؟ بأي غيظ كظمته؟ بأي رحم قاطع وصلتها؟ بأي زلة لأخيك غفرتها؟ بأي قريب باعدته في الله؟ بأي بعيد قاربته في الله؟

(وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك) أي الحب **(من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع)** صاحبه وكأنه يعني أن اللحوق بالأبرار لا يتم إلا بالمحبة الكاملة لا بمطلق المحبة وعلامة المحبة الكاملة موافقة المحب المحبوب في التخلق بأخلاقه مع الإستطاعة وإليه أشار القائل:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديعُ
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيعُ

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى **(في بعض كلامه: هاه أتريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في جواره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)** .

قلت: هو ملفق من كلامين بإسنادين مختلفين: قال أبو نعيم في الحلية في ترجمته: حدثنا محمد بن إبراهيم، ثنا المفضل بن محمد، ثنا إسحاق بن إبراهيم قال: قال رجل للفضيل: كيف أصبحت وكيف أمسيت؟ فقال: في عافية. فقال: كيف حالك؟ فقال: عن أي حال تسأل عن حال الدنيا أو حال الآخرة إن كنت تسأل عن حال الدنيا فإن الدنيا قد مالت بنا وذهبت بنا كل مذهب، وإن كنت تسأل عن حال الآخرة فكيف ترى حال من كثرت ذنوبه وضعف عمله وفني عمره ولم يتزود لمعاده ولم يتأهب للموت ولم يتصنع ولم يتشمر للموت ولم يتزين للموت وتزين للدنيا؟ هيه: وقعد يحدث يعني نفسه فاجتمعوا حولك يكتبون عنك بخ فقد تفرغت للحديث، ثم قال: هاه: وتنفس طويلاً ويحك أتحسن أن تحدث أو أنت أهل أن يحمل عنك استح يا أحمق بين الحمقان، لولا قلة حيائك وسفاهة رأيك ما جلست تحدث، وأنت أنت أما تعرف نفسك، أما تذكر ما كنت وكيف كنت، أما لو عرفوك ما جلسوا إليك ولا كتبوا عنك ولا سمعوا منك شيئاً أبداً إلى آخر ما ذكر بطوله.

وقال أيضاً: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين، ثنا أحمد بن إبراهيم، ثنا الفيض ابن إسحاق قال: سمعت فضيلاً يقول: تريد الجنة مع النبيين والصديقين وتريد أن تقف مع نوح وإبراهيم ومحمد عليهم السلام **(بأي عمل عملته)** لله عز وجل؟ **(بأي شهوة تركتها)** لله عز وجل؟ **(بأي غيظ كظمته؟ بأي رحم مقطوعة وصلتها؟ بأي زلة)** أي سقطة **(لأخيك غفرتها)** ولفظ الحلية بعد قوله بأي عمل وأي شهوة تركتها **(بأي قريب باعدته في الله)** عز وجل؟ **(بأي بعيد قاربته في الله)** ولفظ الحلية: وأي عدو قربته في الله.

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : هل عملت لي عملاً قط ؟ فقال : إلهي إني صليت لك وصمت وتصدّقت وزكيت ، فقال : إن الصلاة لك برهان ، والصوم جنة ، والصدقة ظل ، والزكاة نور ، فأي عمل عملت لي ؟ قال موسى : إلهي دلني على عمل هو لك ؟ قال : يا موسى هل واليت لي ولياً قط ؟ وهل عاديت فيَّ عدواً قط ؟ فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لو أن رجلاً قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب . وقال الحسن رضي الله عنه : مصارمة الفاسق قربان إلى الله ، وقال رجل لمحمد بن واسع : إني لأحبك في الله ، فقال : أحبك الذي أحببتني له . ثم حوّل وجهه وقال : اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض . ودخل رجل على داود الطائي فقال له : ما حاجتك ؟ فقال : زيارتك ، فقال : أما أنت فقد عملت خيراً حين زرت ، ولكن انظر

(**ويروى**) في الأخبار السالفة : (**إن الله**) تعالى (**أوحى إلى موسى**) عليه السلام يا موسى (**هل عملت لي عملاً قط ؟ فقال : إلهي صليت إليك وصمت**) لك (**وتصدقت**) لك (**وزكيت**) لك ، (**فقال الله تعالى : إن الصلاة لك برهان ، والصوم لك جنة ، والصدقة**) لك (**ظل**) يوم القيامة ، (**والزكاة**) لك نور ، (**فأي عمل يا موسى عملته لي ؟ قال موسى : إلهي دلني على عمل هو لك قال : يا موسى هل واليت لي ولياً أو عاديت لي عدواً**) أي لأجلي ؟ (**فعلم موسى**) عليه السلام (**أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله**) نقله صاحب القوت .

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه : (**لو أن رجلاً أقام بين الركن والمقام**) هما معروفان من البيت (**يعبد الله سبعين سنة**) وهو غالب أعمار هذه الأمة (**لبعثه الله يوم القيامة مع من أحب**) أي فلينظر من يحبه ويخالله .

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى : (**مصارمة الفاسق**) أي مجافاته ومقاطعته (**قربان إلى الله عز وجل**) نقله صاحب القوت .

(**وقال رجل لمحمد بن واسع : إني أحبك في الله . قال : أحبك الذي أحببتني لأجله ثم حول وجهه وقال : اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض**) أخرجه أبو نعيم في الحلية قال : حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله المفتولي ، ثنا حاجب بن أبي بكر ، ثنا أحمد بن إبراهيم ، ثنا علي بن إسحاق ، ثنا ابن المبارك ، عن سفيان قال : قيل لمحمد ابن واسع : إني أحبك في الله . قال : أحبك الذي أحببتني له . اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي به ماقت مبغض .

(**ودخل رجل على**) أبي سليمان (**داود**) بن نصير (**الطائي**) الكوفي رحمه الله تعالى فقيه ثقة زاهد ، مات سنة خمس وستين ومائة . روى له النسائي (**فقال له : ما حاجتك ؟ فقال : زيارتك ،**

ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي: من أنت فتزار؟ أمن الزهاد أنت؟ لا والله، أمن العباد أنت؟ لا والله، أمن الصالحين أنت؟ لا والله، ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول: كنت في الشبيبة فاسقاً فلما شخت صرت مرائياً والله للمرائي شر من الفاسق، وقال عمر رضي الله عنه: إذا أصاب أحدكم وداً من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك. وقال مجاهد: المتحابون في الله إذا التقوا فكشر بعضهم إلى بعض تتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس. وقال الفضيل: نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة.

بيان معنى الأخوّة في الله وتمييزها من الاخوّة في الدنيا:

اعلم أن الحب في الله والبغض في الله غامض وينكشف الغطاء عنه. بما نذكره: وهو

فقال: أما أنت فقد عملت خيراً حين زرت، ولكن انظر ماذا ينزل بي أنا إذا قيل لي: من أنت فتزار؟ أمن الزهاد أنت؟ لا والله. أمن العباد أنت؟ لا والله أمن الصالحين أنت؟ لا والله، ثم اقبل يوبخ نفسه) ويعاتبها **(ويقول: كنت في الشبيبة فاسقاً فلما شخت)** أي صرت شيخاً **(أصبحت مرائياً والله للمرائي شر من الفاسق، وقال عمر)** بن الخطاب رضي الله عنه: **(إذا أصاب أحدكم وداً من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك)** ولفظ القوت: إذا رأى أحدكم من أخيه وداً والباقي سواء قال: وقد قال بعض الحكماء في معناه كلاماً منظوماً:

ما نالت النفس على بغية ... ألذ من ود صديق أمين
من فاته ودّ أخٍ صالحٍ ... فذلك المقطوع منه الوتين

قلت: فيه أيضاً كلام الشاعر:

وإذا صفا لك من زمانك واحد ... نعم الزمان ونعم ذاك الواحدُ

ويروى من كلام عمر أيضاً: ما أعطى عبد بعد الإسلام خيراً من أخ صالح. **(وقال مجاهد)** ابن جبر المكي التابعين ثقة إمام في التفسير وفي العلم، مات على رأس المائة عن ثلاث وثمانين، روى له الجماعة **(المتحابون في الله إذا التقوا فكشر بعضهم إلى بعض)** أي ضحك **(تحاتت عنهم الخطايا)** أي تساقطت **(كما يتحات)** يتساقط **(ورق الشجر في الشتاء إذا يبس)**. أورده صاحب القوت عن أبي بشر، عن مجاهد، وأبو بشر هو جعفر بن إياس ويعرف بابن أبي وحشية ثقة من أثبت الناس في سعيد بن جبير، وضعفه شعبة في مجاهد **(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة)** نقله صاحب القوت.

(بيان معنى الأخوة في الله) كيف تكون **(وتمييزها عن الأخوة في الدنيا)**.

(اعلم أن الحب في الله والبغض في الله) أمر **(غامض)** خفي **(وينكشف الغطاء عنه بما**

أن الصحبة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق، كالصحبة بسبب الجوار أو بسبب الاجتماع في المكتب أو في المدرسة أو في السوق أو على باب السلطان أو في الأسفار، وإلى ما ينشأ اختياراً ويقصد، وهو الذي نريد بيانه إذ الأخوّة في الدين واقعة في هذا القسم لا محالة إذ لا ثواب إلاّ على الأفعال الاختيارية ولا ترغيب إلا فيها. والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة. وهذه الأمور لا يقصد الإنسان بها غيره إلا إذا أحبه فإن غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا تقصد مخالطته، والذي يحب فإما أن يحب لذاته ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراءه وإما أن يحب للتوصل به إلى مقصود، وذلك المقصود إما أن يكون مقصوراً على الدنيا وحظوظها، وإما أن يكون متعلقاً بالآخرة، وإما أن يكون متعلقاً بالله تعالى فهذه أربعة أقسام:

أما القسم الأول: وهو حبك الإنسان لذاته فذلك ممكن وهو أن يكون في ذاته محبوباً عندك على معنى انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له، فإن كل جميل لذيذ في حق من أدرك جماله وكل لذيذ محبوب. واللذة تتبع الاستحسان

نذكره: **وهو أن الصحبة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق)** لا بالقصد والاختيار، **(كالصحبة بسبب الجوار)** أي المجاورة في المسكن **(وبسبب الاجتماع في المكتب)** محل تعليم القرآن **(أو في المدرسة)** محل تحصيل العلم **(أو في السوق)** محل التجارة **(أو على باب السلطان)** محل قضاء الحاجات **(أو في الأسفار)** فكل هذه مصاحبات إتفاقية **(وإلى ما ينشأ اختياراً)** من نفسه **(ويقصد وهو الذي أردنا بيانه)** هنا **(إذ الأخوة في الدين واقعة في هذا القسم لا محالة إذ لا ثواب إلا على الأفعال الاختيارية فلا ترغيب إلا فيها)** وما وقعت من غير اختياره فلا ينتظر بها ثواب ولا رغبة، **(والصحبة عبارة عن المخالطة والمجالسة والمجاورة)** مع الملازمة في كل منها ولا فرق بين أن تكون بالبدن وهو الاصل أو بالعناية والهمة ولا تطلق عرفاً إلا لمن كثرت منه الملازمة والمصاحبة أبلغ من الاجتماع لأنها تقتضي طول لبثه فكل مصاحبة إجتماع ولا عكس. **(وهذه الأمور لا يقصد الإنسان بها غيره إلا إذا أحبه فإن غير المحبوب يجتنب)** عنه **(ويباعد إذ لا يقصد مخالطته، والذي يحب إما أن يحب لذاته لا ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراءه، وإما أن يحب للتوصل به إلى المقصود، وذلك المقصود إما أن يكون مقصوراً على الدنيا وحظوظها وإما أن يكون متعلقاً بالآخرة، وإما أن يكون متعلقاً بالله. فهذه أربعة أقسام.**

(القسم الأول: وهو حب الإنسان لذاته) لا لأمر سواه **(فذلك ممكن وهو أن يكون في ذاته محبوباً عندك على معنى أنك تتلذذ برؤيته)** ومشاهدته **(ومعرفته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له)** في سائر حركاته وسكناته، **(فإن كل جميل لذيذ في حق من أدرك جماله)**

والاستحسان يتبع المناسبة والملاءمة والموافقة بين الطباع، ثم ذلك المستحسن إما أن يكون هو الصورة الظاهرة أعني حسن الخلقة، وإما أن يكون هي الصورة الباطنة أعني كمال العقل وحسن الأخلاق، ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم، وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم والعقل المستقيم، وكل مستحسن فمستلذ به ومحبوب، بل في ائتلاف القلوب أمر أغمض من هذا فإنه قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة في صورة ولا حسن في خلق وخلق، ولكن لمناسبة باطنة توجب الألفة والموافقة فإنه شبه الشيء ينجذب إليه بالطبع، والأشياء الباطنة خفية ولها

ولو من وجه واحد (**وكل لذيذ محبوب**) كما أن كل محبوب لذيذ. (**واللذة تتبع الاستحسان**) أي إذا استحسن شيئاً التذّ به (**والاستحسان يتبع المناسبة**) المعنوية (**والموافقة بين الطباع**) والمناسبة هي الملاءمة لأفعال العقلاء، والطباع جمع طَبع وهي الجبلة التي خلق عليها الإنسان، (**وذلك المستحسن أما أن يكون هو الصورة الظاهرة أعني حسن الخلقة**) وحسنها بتمام التركيب واعتدال المزاج ظاهراً وباطناً، (**وإما أن يكون في الصورة الباطنة أعني كمال العقل وحسن الخلق**) وهي هيئة للنفس راسخة تصد عنها الأفعال من غير احتياج إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجملية عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلقاً حسناً (**ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لا محالة**) كما أنه يتبع سيء الأخلاق سيء الأفعال، وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد مال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث نحو حياء ورياء (**ويتبع كمال العقل غزارة العلم، وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم**) عن وصمة النقص (**والعقل المستقيم**) بميزان الشرع، (**وكل مستحسن يستلذ به ومحبوب بل في ائتلاف القلوب**) بعضها مع بعض (**أمر أغمض من هذا**) وأدق (**فإنه قد تستحكم المودّة بين شخصين من غير ملاحة صورة**) في الظاهر ولا (**حسن في خلق**) ظاهر (**و**) لا (**خلق**) معنوي، (**ولكن بمناسبة باطنة توجب الإلفة والموافقة فإن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع**) وقد اشتهر على الألسنة هذا القول: شبيه الشيء منجذب إليه ونظموه في مقاطيع ما بين مستحسن ومستقبح فمن الأخير ما أنشدني بعضهم:

رأيت النخل يطلع كل قحف — وذاك الليف ملتف عليهِ
فقلت تعجبوا من صنع ربي — شبيه الشيء منجذب إليهِ

وليس هو من كلام النبي ﷺ كما تزعمه العامة. نعم معناه صحيح لقوله: «الارواح جنود مجندة» كما سيأتي. وروى الديلمي من حديث أنس «إن لله ملكاً موكلاً بتأليف الأشكال» وهو ضعيف. وأخرج الدينوري في تاسع المجالسة من طريق ابن أبي غزية الأنصاري عن الشعبي قال: «إن لله ملكاً موكلاً بجمع الأشكال بعضها إلى بعض». (**والأشياء الباطنة خفية**) وإدراكها

أسباب دقيقة ليس في قوّة البشر الإطلاع عليها، عبر رسول الله ﷺ عن ذلك حيث قال: « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف »، فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذي عبَّر عنه بالتعارف. وفي بعض الألفاظ: « الأرواح جنود مجندة تلتقي فتتشامّ في الهواء » وقد كنى بعض العلماء عن هذا بأن قال:

عسير، **(ولما أسباب دقيقة ليس في قوّة البشر الاطلاع عليها وعنه عبر ﷺ حيث قال « الارواح)** وهي التي تقوم بها الأجساد **(جنود مجندة »)** أي جموع مجمعة وأنواع مختلفة **(فما تعارف)** أي توافق في الصفات وتناسب في الأفعال **(منها ائتلف)** أي ألف قلبه قلب الآخر وإن تباعدا **(وما تناكر)** أي لم يتناسب **(أختلف »)** أي نافر قلبه قلب الآخر وإن تقاربا فالائتلاف والاختلاف للقلوب والأرواح البشرية التي هي النفوس الناطقة مجبولة على ضرائب مختلفة وشواكل متباينة، فكل ما تشاكل منها في عالم الأمر تعارف في عالم الخلق وكل ما كان في غير ذلك في عالم الأمر تناكر في عالم الخلق، فالمراد بالتعارف مابينهما من التناسب والتشابه وبالتناكر ما بينهما من التباين والتنافر وذلك بحسب الطباع التي جبل عليها من خير وشر فكل شكل ينجذب إلى شكله.

قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة والبخاري تعليقاً من حديث عائشة اهـ.

قلت: رواه مسلم في الأدب من صحيحه، وكذا أحمد وأبو داود من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن سهل، عن أبيه. ومن حديث جعفر بن برقان، عن يزيد الأصم كلاهما عن أبي هريرة به مرفوعاً. وهو عند البخاري في الأدب المفرد من طريق سليمان بن بلال عن سهيل، وفي بدء الخلق من صحيحه تعليقاً عن الليث ويحي بن أيوب كلاهما عن يحي بن سعيد عن عمرة عن عائشة سمعت رسول الله ﷺ وذكره. ووصله عنها في الأدب المفرد له ولبعضهم في معنى هذا الحديث:

إن القلـــوب لأجنـــاد مجنـــدة ... قول الرسـول فمـن ذا فيـه يختلـف
فما تعـارف منهـا فهـو مـؤتلـف ... ومـا تنـاكـر منهـا فهـو مختلـف

وقال لآخر:

بيني وبينـــك في المحبـــة نسبـــة ... مستـورة عـن سر هـذا العـالم
نحن الذيـــن تحابـــت أرواحنـــا ... مـن قبـل خلـق الله طينـة آدم

(فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف نتيجة التناسب الذي عبر عنه بالتعارف وفي بعض الأخبار) وفي نسخة وفي بعض الالفاظ: **(« إن الارواح جنود مجندة تلتقي فتتشام في الهواء »)** قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف من حديث علي « إن الأرواح في الهواء جند مجندة تلتقي فتشتام » الحديث اهـ.

ورأيت بالهامش نقلاً من خط الحافظ ابن حجر ما نصه: حديث علي اختلفوا في رفعه ووقفه،

إن الله تعالى خلق الأرواح ففلق بعضها فلقاً وأطافها حولَ العرش فأي روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا في الدنيا. وقال ﷺ: « إن أرواح المؤمنين ليلتقيان

وقد روي من حديث ابن مسعود اهـ.

وفي المقاصد للحافظ السخاوي، وقال مسعدة بن صدقة: دخلت على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق فقلت له: يا ابن رسول الله إني لأحبك فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال: صدقت سل قلبك عما لك في قلبي من حبك فقد أعلمني قلبي عما لي في قلبك، ثم حدثنا عن آبائه الطاهرين عن جده رسول الله ﷺ في الأرواح « وإنها جنود مجندة تشتام كما تشتام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » اهـ.

وأما حديث ابن مسعود الذي أشار إليه الحافظ، فقد أخرجه الطبراني في الكبير وقال الهيتمي: رجاله رجال الصحيح، وأخرجه العسكري في الأمثال من طريق إبراهيم العجوي عن أبي الأحوص عنه رفعه « الارواح جنود مجندة فتشام كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » **(وكنى بعض العلماء)** من حكماء الإسلام **(عن هذا فقال: إن الله تعالى خلق الأرواح على شكل كرى)** منسوب إلى الكرة وهي بالضم والتخفيف عبارة عن جسم محيط به سطح واحد في وسطه نقطة جميع الخطوط الخارجة منها إليه سواء **(وقسم كل كرة بنصفين)** ثم عرفها ذاته بنعوته، **(وأطافها حول العرش)** واستنطقها بقوله ﴿ألست بربكم﴾ [الأعراف: ١٧٢] ثم أوردها في الأبدان **(فأي روحين من كرة افترقا هناك والتقيا عند العرش تواصلا في الدنيا وأي روحين تعارفا هناك والتقيا تواصلا في الدنيا)** وفي بعض النسخ: وكنى بعض العلماء عن هذا بأن قال: إن الله تعالى خلق الأرواح ففلق بعضها فلقاً فأطافها حول العرش فأي روحين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا في الدنيا.

ولفظ القوت: وبعض الحكماء يقول: إن الله تبارك وتعالى خلق الأرواح ففلق بعضها فلقاً وقدر بعضها قدراً ثم أطافها حول العرش فأي روحين من قدرتين أو من فلقة وقدرة اختلفا ثم تناكرا هناك فاختلفا في الجولان، فإن هذين إذا اظهر اليوم تنافرا وتباينا، فهذا تأويل الخبر عنده فما تعارف منها أي في الطواف فتقابلا تعارفا ههنا وترافقا فائتلفا، وما تناكرا ثم في الجولان فتدابرا تناكرا ههنا اليوم في الخلق، والحال لما ظهرا فاختلفا وليس لائتلاف الأخلاق لأنهم شبهوا أجناس الناس باجناس الطير، وقد يتفق طيران من جنسين ويجتمعان في مكان ولا يكون ذلك ائتلافاً في الحقيقة ولا اتفاقاً في الخليقة لتباينهما في التشاكل ولا يتبين ذلك في الاجتماع، وإنما يتبين في الائتلاف في الطيران إذا طارا معاً، فأما إذا ارتفع أحدهما ووقع الآخر وعلا أحدهما وقصر الآخر فلا بد من افتراق حينئذ لفقد التشاكل ولا بدَّ من مباينة لعدم التجانس عند الطيران، فهذا مثال ما ذكرناه من الافتراق بعدم حقيقة تشاكل الحال والوصف بعد الاتفاق. واعلم أن الائتلاف والاختلاف يقع بين اثنين إذا اشتركا وافترقا في أربعة معان: إذا استويا في العقود واشتركا في الحال وتقاربا في العلم واتفقا في الخلق، فإن اجتمعا في هذه الأربع فهو التشاكل

على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط »، وروي: « أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى فنزلت المكية على المدينة فدخلت على عائشة رضي الله عنها فأضحكتها، فقالت: أين نزلت؟ فذكرت لها صاحبتها، فقالت: صدق الله ورسوله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الأرواح جنود مجندة » الحديث. والحق في هذا أن

والتجانس ومعه يكون الائتلاف والاتفاق، وإن اختلفا في جميعها فهو التباعد والتضاد وعنده يكون التباين والافتراق، وإن اتفقا في بعضها واختلفا في بعض كان بعض الاتفاق فيكون ما وجد من التآلف بمقدار ما وجد من التعرف ويوجد من التنافر بقدر ما وجد من التناكر، فهذا تناكر الأرواح لبعد تشامها في الهواء وذلك الأول هو تعارف الأرواح لقرب التشام باجتماع الأوصاف انتهى.

(وقال ﷺ « إن أرواح المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط ») قال العراقي: رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمر بلفظ « يلتقي » وقال أحدهم وفيه ابن لهيعة عن دراج انتهى.

قلت: وفي الحلية لأبي نعيم في ترجمة أويس أنه لما اجتمع به هرم بن حيان العبدي ولم يكن لقيه قبل وخاطبه أويس باسمه فقال له هرم: من أين عرفت اسمي واسم أبي فوالله ما رأيتك قط ولا رأيتني قال: عرف روحي روحك حيث كلمت نفسي نفسك لأن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد وأن المؤمنين يتعارفون بروح الله وإن نأت بهم الدار.

(وروي: « أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة أخرى) مثلها **(فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة)** رضي الله عنها **(فأضحكتها، فقالت: أين نزلت فذكرت فقالت: صدق الله ورسوله، سمعت رسول الله ﷺ يقول « الأرواح جنود مجندة » الحديث)** قال العراقي: رواه الحسن بن سفيان في مسنده بالقصة بسند حسن، وحديث عائشة عند البخاري تعليقاً مختصراً بدونها كما تقدم انتهى.

قلت: وأخرجه أبو بكر بن أبي داود من طريق الليث ولفظه عن عمرة قالت: كانت امرأة مكية بطالة تضحك النساء يعني وكانت بالمدينة امرأة مثلها فقدمت المكية المدينة فلقيت المدنية فتعارفتا فدخلتا على عائشة فعجبت من اتفاقهما، فقالت عائشة للمكية: عرفت هذه؟ قالت: لا ولكن التقينا فتعارفنا فضحكت عائشة وقال: سمعت رسول الله ﷺ وذكرته.

وأخرجه أبو يعلى بنحوه من حديث أيوب وعند الزبير بن بكار في المزاح والفكاهة من طريق علي بن أبي اللهبي عن أبي شهاب عن عروة عن عائشة أن امرأة كانت بمكة تدخل على نساء قريش تضحكهن، فلما هاجرن ووسع الله تعالى دخلت المدينة قالت عائشة: فدخلت عليَّ فقالت لها فلانة: ما أقدمك؟ قالت: إليكن، قلت: فأين نزلت؟ قالت: على فلانة امرأة كانت تضحك بالمدينة.

المشاهدة والتجربة تشهد للائتلاف عند التناسب والتناسب في الطباع والأخلاق باطناً وظاهراً أمر مفهوم.

وأما الأسباب التي أوجبت تلك المناسبة فليس في قوّة البشر الاطلاع عليها، وغاية هذيان المنجم أن يقول، إذا كان طالعه على تسديس طالع غيره أو تثليثه فهذا نظر الموافقة والمودة فتقتضي التناسب والتواد، وإذا كان على مقابلته أو تربيعه اقتضى التباغض والعداوة. فهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله في خلق السموات والأرض لكان الإشكال فيه أكثر من الإشكال في أصل التناسب، فلا معنى للخوض فيما لم يكشف سره للبشر فما أوتينا من العلم إلا قليلاً، ويكفينا في التصديق بذلك التجربة والمشاهدة فقد ورد الخبر به. قال ﷺ: «لو أن مؤمناً دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه، ولو أن منافقاً دخل إلى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس إليه». وهذا يدل على أن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع

قالت عائشة: ودخل رسول الله ﷺ فقال فلانة المضحكة عندكم؟ قالت عائشة: نعم. فقال: فعلى من نزلت؟ قالت: على فلانة المضحكة. قال: الحمد لله إن الأرواح وذكره وأفادت هذه الرواية سبب هذا. الحديث.

(**والحق في هذا أن المشاهدة**) بالعيان (**والتجربة**) الصحيحة (**وتشهد للائتلاف عند المناسبة والتناسب في الطباع والأخلاق باطناً وظاهراً أمر مفهوم**) لا ينكر.

(**وأما الأسباب التي أوجبت تلك المناسبة فليس**) يسأل عنها فإنه ليس (**في قوة البشر الاطلاع عليها**) والإحاطة بها، (**وهذا ليس فيه إلا التسليم وغاية هذيان المنجم**) وخرافاته (**أن يقول: إن كان طالعه**) في الذابجة (**على تسديس طالع غيره أو تثليثه، فهذا نظر الموافقة والمودة فيقتضي التناسب والتوادد، وإذا كان على مقابلته أو تربيعه اقتضى العداوة والتباغض**) ويقولون المقابلة مقاتلة فكلما كان بعيداً كان أوفق وطالع اليوم هو البرج الذي فيه الشمس وطالع الساعة هو برجها الذي هو مختص بها ورب اليوم هو كوكبه ورب الساعة هو كوكبها. (**وهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله تعالى في خلق السموات والأرض لكان الإشكال فيه أكثر من الإشكال في أصل التناسب ولا معنى للخوض فيما لا ينكشف سره للبشر فما أوتينا من العلم إلاَّ قليلاً**) بنص القرآن، (**ويكفينا في التصديق بذلك التجربة**) الصحيحة (**والمشاهدة**) العيانية (**وقد ورد الخبر به. قال ﷺ «لو أن مؤمناً دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه، ولو أن منافقاً دخل إلى مجلس فيه مائة مُؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس إليه»**) قال العراقي: رواه البيهقي في

وإن كان هو لا يشعر به، وكان مالك بن دينار يقول: لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر، وإن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلاّ وبينهما مناسبة، قال: فرأى يوماً غراباً مع حمامة فعجب من ذلك فقال: اتفقا وليسا من شكل واحد، ثم طارا فإذا هما أعرجان فقال: من ههنا اتفقا، ولذلك قال بعض الحكماء: كل إنسان يأنس إلى شكله كما أن كل طير يطير مع جنسه، وإذا

شعب الإيمان موقوفاً على ابن مسعود، وذكره صاحب الفردوس عن معاذ بن جبل ولم يخرجه ولده في المسند انتهى.

قلت: حديث ابن مسعود أخرجه العسكري في الأمثال من طريق ابراهيم الهجري عن أبي الأحوص عنه رفعه «الأرواح جنود مجندة فتشام كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فلو أن رجلاً مؤمناً جاء إلى مجلس فيه مائة منافق وليس فيهم إلا مؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه ولو أن منافقاً جاء إلى مجلس فيه مائة مؤمن وليس فيه إلا منافق واحد لجاء حتى يجلس إليه». وأما حديث معاذ الذي أورده الديلمي بلا سند فلفظه «لو أن رجلاً مؤمناً دخل مدينة فيها ألف منافق ومؤمن واحد لشم روحه روح ذلك المؤمن وعكسه».

(**وهذا يدل على أن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع وإن كان هو لا يشعر به، وكان مالك بن دينار**) أبو يحي البصري رحمه الله تعالى (**يقول: لا يتفق اثنان في عشرة**) ودوام صحبة (**إلا وفي أحدهما وصف من الآخر**) يناسبه، (**وأن أشكال الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران**) في الهواء (**إلاّ وبينهما مناسبة**) تكون سبباً لاتفاقهما كذا في القوت. (**قال**) مالك: (**ورأى رجل**) ولفظ القوت: فرأى يعني مالكاً (**غراباً مع حمامة فعجب من ذلك وقال: اتفقا وليسا من شكل واحد**) وكان يقول بالمناسبة فكاد ان ينكر على ذلك قال، (**ثم طارا فإذا هما أعرجان**) أما الغراب، فإنه يمشي مشية الأعراج، وأما الحمامة فكان أصابها العرج حقيقة، فقوله: هما أعرجان على التغليب أو كان العرج فيهما حقيقة (**فقال: من ههنا اتفقا**) كذا في القوت، وهذه الحكاية اشتهرت بين الخواص نسبتها للمصنف وأنه هو الذي كان يقول بالمناسبة وهو الذي رأى غراباً وبلبلاً يمشيان متفقين في صحن المسجد الأقصى، فلما رأوا ذلك أنكروا على المصنف فتعجب من ذلك حتى كاد أن يقول بعدم التناسب، فبينما كذلك إذ أخذ بحجر فرماهما به فطارا، فإذا البلبل أعرج فقال: من ههنا اتفقا. وقد نسبه الشيخ المناوي هكذا وأشرت إليه في مقدمة كتاب العلم، والصواب ما هنا فليتنبه لذلك، ولولا أن نسخ هذا الشرح قد انتشرت في الحجاز وبلاد الترك والتكرور والسودان لغيرت فيها وبدلت، ولكن كان ذلك قدراً مقدوراً. (**وكذلك قال بعض الحكماء: كل إنسان يألف إلى شكله**) ولفظ القوت مع شكله (**كما أن كل طير**) يألف (**مع جنسه**) يطير معه حيثما طار، (**فإذا اصطحب اثنان**

اصطحب اثنان برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بدّ أن يفترقا، وهذا معنى خفي تفطن له الشعراء حتى قال قائلهم:

وقــائــل كيــف تفــارقتما فقلـت قــولا فيــه انصــافُ
لم يـك مـن شكلي ففــارقتــه والنــاسُ أشكــالُ وإلافُ

فقد ظهر من هذا أن الإنسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه في حال أو مآل بل لمجرد المجانسة والمناسبة في الطباع الباطنة والأخلاق الخفية. ويدخل في هذا القسم الحب للجمال إذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فإن الصور الجميلة مستلذة في عينها وإن قدّر فقد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر إلى الفواكه والأنوار والأزهار والتفاح المشرب بالحمرة وإلى الماء الجاري والخضرة من غير غرض سوى عينها، وهذا الحب لا يدخل فيه

برهة من زمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يفترقا). ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: العلم جهل عند أهل الجهل كما أن الجهل جهل عند أهل العلم.

قال المناوي: حكى الشرواني أن تيمورلنك كان يحب رجلاً من معتقدي العجم ويتردد إليه، فوجد الرجل في قلبه ميلاً لتيمورلنك فتخوف وقال: ما المناسبة فمنع تيمورلنك من دخوله عليه، فسأله عن سببه فذكر ما خطر له فقال له تيمور: بيني وبينك مناسبة وهي حبك آل بيت النبي وأنا والله أحبهم وأنت رجل كريم وأنا أحب الكرم، فهذه المناسبة المقتضية للميل لا ما فيَّ من الشر. قال: وحكى بعضهم أن اثنين اصطحبا في سفينة فقعد أحدهما على طرفها والآخر بوسطها فسقط من على الطرف في البحر فرمى الآخر نفسه عليه فاخرجا بالحياة فقال الأول للثاني: إن كنت بطرفها فوقعت فمالك أنت؟ قال: لما وقعت أنت غبت بك عني فحسبت أنك أني، **(وهذا معنى خفي تفطن له بعض الشعراء حيث قال)**، ولفظ القوت: وقد أنشدنا بعض الشيوخ لبعض الأدباء:

وقــائــل كيــف يكــون تفــرقتنا فقلــت قــولاً فيــه انصــاف
لم يــك مــن شكلي ففــارقتــه والنــاس أشكــال وإلافُ

الإلاف: على وزن رمان جمع أليف، **(فقد ظهر من هذا أن الإنسان قد يحب لذاته لا لفائدة تنال منه في حال أو مآل بل بمجرد المناسبة)** والملاءمة **(والمناسبة في الطباع الباطنة والأخلاق الخفية)** التي لا تدرك بالحواس الظاهرة، **(ويدخل في هذا القسم الحب للجمال إذا لم يكن المقصود)** منه **(قضاء الشهوة)** الإنسانية **(فإن الصورة الجميلة مستلذة في عينها)** وحقيقتها **(وإن قدر فقد أصل الشهوة حتى يستلذ النظر إلى الفواكه)** المتنوّعة **(والأنوار والأزهار)** والرياحين **(والتفاح المشوب بالحمرة وإلى الماء)** سيما إذا كان متدفقاً والخضرة من غير غرض) عارض **(سوى عينها)** ولذا جمعت الثلاثة في قوله:

الحب لله بل هو حب بالطبع وشهوة النفس، ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذموماً كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها ، وإن لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم إذ الحب إما محمود وإما مذموم وإما مباح لا يحمد ولا يذم.

القسم الثاني: أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة إلى محبوب غيره والوسيلة إلى المحبوب محبوب، وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة. ولكن الطريق إلى المحبوب محبوب ولذلك أحب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما إذ لا يطعمان ولا يلبسان ولكنهما وسيلة إلى المحبوبات فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة من حيث أنه وسيلة إلى المقصود إذ يتوصل به إلى نيل جاه أو مال أو علم كما يحب الرجل سلطاناً لانتفاعه بماله أو جاهه ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم أمره في قلبه، فالمتوسل إليه إن كان مقصور الفائدة على الدنيا لم يكن حبه من جملة الحب في الله، وإن لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا

ثلاثـــة يجلين عـــن القلـــب الحزن   الماء والخضرة والوجـــه الحســـن

(**وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله تعالى بل هو حب بالطبع وشهوة النفس**) الحيوانية (**ويتصوّر ذلك ممن لا يؤمن بالله**) ولا له حب في الله (**إلاّ أنه إذا اتصل به غرض مذموم صار مذموماً**) في الحال (**كحب الصورة الجميلة لقضاء الشهوة حيث لا يحل قضاؤها**) بأن كان محرماً عليه، (**وإن لم يتصل به غرض مذموم فهو مباح لا يوصف بحمد ولا بذم إذ الحب إما محمود وإما مذموم وإما مباح لا يحمد ولا يذم**) فالمحمود هو حب الله تعالى، والمذموم ما تعلق به غرض مذموم والمباح ما لم يتعلق به ذلك.

(**القسم الثاني: أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة إلى محبوب غيره والوسيلة إلى المحبوب محبوب**) كما أنها إلى المذموم مذموم، (**وما يحب لغيره كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة، ولكن الطريق إلى المحبوب محبوب**) لكون ذلك موصلاً إلى المحبوب (**ولذلك أحب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما إذ لا يطعمان**) أي لا يذاقان (**ولا يلبسان ولكنهما وسيلة إلى المحبوبات**) فإنهما بمنزلة خواتيم الله في أرضه فمن أتى بهما قضيت حاجته (**فمن الناس من يحب**) لغيره (**كما يحب الذهب والفضة من حيث أنه وسيلة إلى المقصود**) المحبوب (**إذ يتوصل به إلى نيل جاه أو مال أو علم**) وغير ذلك (**كما يحب الرجل سلطاناً لانتفاعه بماله أو جاهه و**) كما (**يحب خواصه**) والمتقربين إليه (**لتحسينهم حاله عنده أو تميهدهم أمره**) وتسهيله (**في قلبه، والمتوسل إليه إن كان مقصور الفائدة**) تحصل (**على الدنيا لم يكن من جملة الحب في الله**) عز وجل، (**وإن لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا**

كحب التلميذ لأستاذه فهو أيضاً خارج عن الحب لله فإنه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم، فإذا كان لا يقصد العلم للتقرب إلى الله، بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه والقبول، والعلم وسيلة إليه والأستاذ وسيلة إلى العلم، فليس في شيء من ذلك حب لله إذ يتصوّر كل ذلك ممن لا يؤمن بالله تعالى أصلاً، ثم ينقسم هذا أيضاً إلى مذموم ومباح فإن كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران وحيازة أموال اليتامى وظلم الرعاة بولاية القضاء أو غيره كان الحب مذموماً، وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح فهو مباح وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوصل إليه فإنها تابعة له غير قائمة بنفسها.

القسم الثالث: أن يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعاً إلى حظوظه في الدنيا، بل يرجع إلى حظوظه في الآخرة فهذا أيضاً ظاهر لا غموض فيه، وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه لأنه يتوصل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الآخرة، فهذا من جملة المحبين في الله، وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويرقى به إلى درجة التعظيم في ملكوت السماء،

ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا كحب التلميذ لأستاذه فهو أيضاً خارج عن الحب لله) تعالى **(فإنه إنما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فإذا كان لا يقصد العلم للتقرب إلى الله)** تعالى، **(بل لينال منه المال والجاه والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه)** والمال **(والقبول، والعلم وسيلة إليه والأستاذ وسيلة إلى العلم)** كما هو حال أكثر أهل هذا الزمان بل وقبله بكثير، **(فليس في شيء من ذلك حب الله)** عز وجل **(إذ يتصوّر كل ذلك ممن لا يؤمن بالله)** تعالى **(أصلاً. ثم ينقسم هذا أيضاً إلى مذموم ومباح فإن كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران)** وكسر شوكتهم **(وجباية أموال اليتامى وظلم الرعايا بولاية)** الأحكام مثل **(القضاء أو غيره)** كالأوقاف والمدارس **(كان الحب مذموماً، وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح فهو مباح وإنما تكتسب الوسيلة الحكم والصفة من المقصد المتوسل إليه فإنها)** أي الوسيلة تابعة له **(غير قائمة بنفسها)**.

(القسم الثالث: أن يحبه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعاً إلى حظوظه الحاصلة في الدنيا بل يرجع إلى حظوظه في الآخرة فهذا أيضاً لا غموض فيه) ولا دقة **(وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه لأنه يتوصل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من)** ذلك **(العلم والعمل الفوز في الآخرة، وهذا من جملة المتحابين في الله)** أي معدود فيهم، **(وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتلقف منه العلم)** المفيد أي يتلقاه **(وينال بواسطته رتبة التعليم ويترقى به إلى درجة التعظيم في ملكوت السموات والأرض إذ قال عيسى عليه**

إذ قال عيسى ﷺ: من علم وعمل وعلّم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء. ولا يتم التعليم إلا بمتعلم فهو إذاً آلة في تحصيل هذا الكمال، فإن أحبه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرثه الذي هو سبب ترقيه إلى رتبة التعظيم في ملكوت السماء فهو محب في الله، بل الذي يتصدق بأمواله لله ويجمع الضيفان ويهيء لهم الأطعمة اللذيذة الغريبة تقرباً إلى الله فأحب طباخاً لحسن صنعته في الطبخ فهو من جملة المحبين في الله، وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه في الله، بل نزيد على هذا ونقول: إذا أحب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم أو العمل ومقصوده من استخدامه في هذه الأعمال الفراغ للعبادة فهو محب في الله، بل نزيد عليه ونقول: إذا أحب من ينفق عليه من ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه وجميع أغراضه التي يقصدها في دنياه ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب إلى الله فهو محب في الله. فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من أولي الثروة وكان المواسي والمواسي جميعاً من المتحابين في الله، بل نزيد عليه ونقول: من نكح امرأة صالحة ليتحصن بها عن وساوس الشيطان ويصون بها دينه أو ليولد منها له ولد صالح

السلام: **من علم وعمل)** بما علم **(وعلّم)** غيره **(فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السموات)** وقد تقدم في كتاب العلم. **(ولا يتم التعليم إلا بمتعلم فهو)** أي التلميذ **(إذاً آلة في تحصيل هذا الكمال فإنه أحبه لأنه آلة له إذ صدره مزرعة لحرثه الذي هو سبب رقيه)** أي عروجه **(إلى رتبة العظمة في ملكوت السماء فهو محب في الله)** تعالى، **(بل الذي يتصدق بأمواله لله)** تعالى **(ويجمع الضيفان)** جمع ضيف **(ويهيء لهم الأطعمة اللذيذة الغريبة)** الشهية **(تقرباً إلى الله سبحانه فأحب)** لذلك **(طباخاً لحسن صنعته في الطبخ)** لهؤلاء، **(فهو من جملة المحبين في الله)** تعالى، **(وكذلك لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين فقد أحبه في الله)** تعالى، **(بل أزيد على هذا وأقول: إذا أحب من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم والعمل ومقصوده من استخدامه في هذه الأعمال الفراغ للعبادة)** والتخلي لها عن الشواغل **(فهو محب في الله)** تعالى، **(بل أزيد على هذا وأقول: إذا أحب من ينفق عليه ماله ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه)** يأوي فيه **(ويكفيه جميع أغراضه التي يقصدها في دنياه)** من كفاية سائر المهمات **(ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب لله)** تعالى أي التفرغ لتحصيلهما **(فهو محب في الله)** تعالى وظهر فيه تجلي اسمه المعين، **(فقد كان جماعة من السلف)** قد **(تكفل بكفايتهم جماعة من أهل الثروة)** ذي المال الكثير. **(وكان المواسي والمواسى جميعاً من المتحابين في الله)** تعالى، **(بل نزيد على هذا ونقول: من نكح امرأة صالحة ليتحصن بها عن)** طرد **(وساوس**

يدعو له وأحب زوجته لأنها آلة إلى هذه المقاصد الدينية فهو محب في الله. ولذلك وردت الأخبار بوفور الأجر والثواب على الإنفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل في في امرأته بل نقول: كل من استهتر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه في الدار الآخرة فإذا أحب غيره كان محباً في الله لأنه لا يتصور أن يحب شيئاً إلا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله عز وجل، بل أزيد على هذا وأقول: إذا اجتمع في قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد المعنيان جميعاً حتى صلح لأن يتوسل به إلى الله وإلى الدنيا فإذا أحبه لصلاحه للأمرين فهو من المحبين في الله، كمن يحب أستاذه الذي يعلمه الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمؤاساة في المال فأحبه من حيث أنه في طبعه طلب الراحة في الدنيا والسعادة في الآخرة فهو وسيلة إليهما فهو محب في الله، وليس من شرط حب الله أن لا يحب في العاجل حظاً البتة إذ الدعاء الذي أمر به الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه فيه جمع بين الدنيا والآخرة ومن ذلك قولهم: ﴿ربنا آتِنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة﴾ [البقرة: ٢٠١]، وقال عيسى عليه السلام في دعائه: اللهم لا تشمت بي

الشيطان ويصون بها دينه) وعرضه (وليولد له ولد صالح يدعو له) من بعده (وأحب زوجته) تلك (لأنها آلته في هذه المقاصد الشريفة الدينية فهو محب في الله) تعالى، (ولذلك ورد في الأخبار وفور الأجر والثواب على الإنفاق على العيال حتى اللقمة) الواحدة (يضعها الرجل في في امرأته) تقدم في كتاب النكاح، (بل نقول: كل من اشتهر بحب الله وحب رضاه وحب لقائه في الدار الآخرة فإذا) اتفق أنه (أحب غيره كان محباً في الله) تعالى (لأنه لا يتصوّر أن يحب شيئاً إلا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله) تعالى، (بل أزيد على هذا وأقول: إذا اجتمع في قلبه محبتان محبة الله ومحبة الدنيا واجتمع في شخص واحد المعنيان جميعاً حتى صلح لأن يتوصل به إلى الله) تعالى بهدايته وإرشاده (وإلى الدنيا) باعانته ومساعدته، (فإذا أحبه لصلاحه للأمرين فهو من المحبين في الله) تعالى (كمن يحب استاذه الذي يعلمه) أمور (الدين ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال فأحبه من حيث أن في طبعه طلب الراحة في الدنيا و) نيل (السعادة في الآخرة وهي وسيلة إليهما فهو المحب في الله) تعالى، (وليس من شرط حب الله) تعالى (أن لا يحب في العاجل حظاً البتة إذ الدعاء الذي أمر به الأنبياء) عليهم السلام (فيه جمع بين الدنيا والآخرة، فمن ذلك قولهم ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) وقنا عذاب النار﴾ أخرجه البيهقي من حديث أنس أن النبي ﷺ كان يقول ذلك في دعائه. قال الحسن: الحسنة في الدنيا الزوجة الصالحة وقد تقدم في كتاب العلم.

(وقال عيسى) عليه السلام (في دعائه) فيما روي عنه: (اللهم لا تشمت بي عدوي) أي

عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي لديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي فدفع شماتة الأعداء من حظوظ الدنيا، ولم يقل: ولا تجعل الدنيا أصلاً من همي، بل قال: لا تجعلها أكبر همي. وقال نبينا ﷺ في دعائه: «اللهم إني أسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة» وقال: «اللهم عافني من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة» وعلى

لا تفرح والشماتة الفرح ببلية تنزل بالغير (**ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي**) وقد وردت الاستعاذة من شماتة الأعداء عن نبينا ﷺ فيما رواه النسائي والحاكم من حديث ابن عمر مرفوعاً كان يقول «اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء» وعند الحاكم من حديث ابن مسعود «اللهم احفظني بالاسلام قائماً وقاعداً وراقداً ولا تشمت بي عدواً ولا حاسداً» والجملتان الاخيرتان قد وردتا أيضاً في جملة أدعيته ﷺ، فأخرج الترمذي والحاكم من حديث ابن عمر مرفوعاً «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك» إلى آخره وفيه: «ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا» (**فدفع شماتة الأعداء من حظوظ الدنيا ولم يقل ولا تجعل الدنيا أصلاً من همي بل قال: لا تجعل الدنيا أكبر همي**) فإن ذلك سبب الهلاك وفي مفهومه: إن قليل الهم مما لا بدّ من أمر المعاش مرخص فيه بل مستحب.

(**وقال نبينا ﷺ في دعائه «اللهم إني أسألك رحمة**) من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها ألفتي وتعصمني بها من كل سوء. اللهم اعطني إيماناً ويقيناً ليس بعده كفر ورحمة (**أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة»**) أي علواً لقدر فيهما ورفع الدرجات. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث ابن عباس في الحديث الطويل في دعائه بعد صلاة الليل وقد تقدم اهـ.

قلت: وكذلك رواه محمد بن نصر في كتاب صلاة الليل والطبراني في الكبير والبيهقي في الدعوات من طريق داود بن علي بن عبدالله بن عباس عن أبيه عن جده، وقد مر ذلك في كتاب الأوراد بطوله.

(**وقال**) ﷺ: (**«اللهم عافني من بلاء الدنيا وعذاب القبر»**) قال العراقي: رواه أحمد من حديث بشر بن أبي أرطأة نحوه بسند جيد انتهى.

قلت: يشير إلى قوله «اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها واجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة» وقد رواه كذلك أحمد وابن حبان والطبراني وبشر بن أبي أرطأة عامري قرشي مختلف في صحبته ولاّه معاوية اليمن فأساء السيرة فيها ونزل بآخرة خوفاً من بني العباس بافريقية بأهله وولده وهم هناك اليوم بادية يعرفون بأولاد علي. قال الهيثمي: رجال أحمد وأحد اسنادي الطبراني ثقات والمراد ببلاء الدنيا وخزيها رزاياها ومصائبها وغرورها وغدرها وهوانها. وفي الفائق هذا من جنس استغفار الانبياء مما علموا أنه مغفور لهم اهـ.

الجملة فإذا لم يكن حب السعادة في الآخرة مناقضاً لحب الله تعالى فحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا كيف يكون مناقضاً لحب الله؟ والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين إحداهما أقرب من الأخرى، فكيف يتصوّر أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غداً ولا يحبها اليوم؟ وإنما يحبها غداً لأن الغد سيصير حالاً راهنة فالحالة الراهنة لا بدّ أن تكون مطلوبة أيضاً إلاَّ أن الحظوظ العاجلة منقسمة إلى ما يضاد حظوظ الآخرة ويمنع منها وهي التي احترز عنها الأنبياء والأولياء وأمروا بالاحتراز عنها وإلى ما لا يضاد وهي التي لم يمتنعوا منها كالنكاح الصحيح وأكل الحلال وغير ذلك مما يضاد حظوظ الآخرة. فحق العاقل أن يكرهه ولا يحبه أعني أن يكرهه بعقله لا بطبعه، كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده أو حزت رقبته لا بمعنى أن الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا يستلذه لو أكله فإن ذلك محال،

ومما يشهد لهذا المقام أيضاً ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة رفعه «اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري واصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي آخرتي التي فيها معادي» الحديث.

(وعلى الجملة فإذا لم يكن حب السعادة في الآخرة مناقضاً لحب الله) تعالى **(فحب السلامة)** من آفات الدنيا **(والصحة)** في البدن **(والكفاية)** للمهمات **(والكرامة في الدنيا كيف يكون مناقضاً لحب الله؟)** تعالى، وقد ورد سؤال كل من ذلك في الأخبار **(والدنيا)** سميت لدنوها للآخرة **(والأخرة)** سميت لتأخرها عن خلق الدنيا بخمسين ألف سنة مما تعدون كما نقله الشيخ الأكبر قدس سره، وهما **(عبارة عن حالين إحداهما أقرب من الأخرى، فكيف يتصوّر أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غداً ولا يحبها اليوم وإنما يحبها غداً لأن غداً يصير حالاً راهنة)** أي ثابتة دائمة يقال: رهن الشيء رهوناً إذا ثبت ودام فهو راهن، **(فالحالة الراهنة لا بدّ أن تكون مطلوبة أيضاً إلا أن الحظوظ العاجلة)** وهي الدنيوية **(منقسمة إلى ما يضاد حظوظ الآخرة ويمنع منها)** أي من طلبها وارتكابها **(وهو الذي احترز عنه الأنبياء)** عليهم السلام **(والأولياء)** الكرام، **(وأمروا بالاحتراز عنها والتباعد منها وإلى ما يضاد ، حظوظ الآخرة وهي التي لم يمتنعوا منها كالنكاح الصحيح وأكل الحلال وغير ذلك مما يضاد حظوظ الآخرة، فحق العاقل أن يكرهه ولا يحبه)** ولا يختاره لنفسه **(أعني انه يكرهه بعقله)** واختياره **(لا بطبعه)** فإن الطبع مجبول على ارتكاب بعض أشياء لا يصادقه العقل فيه، **(كما يكون التناول من طعام لذيذ)** غريب شهي **(لملك من الملوك يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده أو جزت رقبته)** أي فصلت عن رأسه **(لا بمعنى أن الطعام اللذيذ يصير بحيث لا يشتهيه بطبعه ولا يستلذه لو أكله فإن ذلك محال، ولكن على معنى انه**

ولكن على معنى أنه يزجره عقله عن الإقدام عليه وتحصل فيه كراهة الضرر المتعلق به. والمقصود من هذا أنه لو أحب أستاذه لأنه يؤاسيه ويعلمه أو تلميذه لأنه يتعلم منه ويخدمه وأحدهما حظ عاجل والآخر آجل لكان في زمرة المتحابين في الله، ولكن بشرط واحد وهو أن يكون بحيث لو منعه العلم مثلاً أو تعذر عليه تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقده هو لله تعالى، وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله وليس بمستنكر أن يشتد حبك لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به، فإن امتنع بعضها نقص حبك وإن زاد زاد الحب، فليس حبك للذهب كحبك للفضة إذا تساوى مقدارهما لأن الذهب يوصل إلى أغراض هي أكثر مما توصل إليه الفضة، فإذاً يزيد الحب بزيادة الغرض ولا يستحيل اجتماع الأغراض الدنيوية والأخروية فهو داخل في جملة الحب لله. وحدّه هو أن كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصوّر وجوده فهو حب في الله، وكذلك كل زيادة في الحب لولا الإيمان بالله لم تكن تلك الزيادة فتلك الزيادة من الحب في الله فذلك وإن دق فهو عزيز. قال الجريري: تعامل الناس في

يزجره عقله عن الإقدام عليه ويجعل فيه كراهية للضرر المتعلق به) من قطع اليد أو جزّ الرقبة، (والمقصود من هذا) السياق (أنه لو أحب أستاذه لانه يعلمه) أمور الدين (ويواسيه) مع ذلك بماله (أو) أحب (تلميذه لأنه يتعلم منه و) مع ذلك (يخدمه) في مهنة نفسه، (وأحدهما حظ عاجل والآخر آجل فيكون في زمرة المتحابين في الله) عز وجل، (ولكن بشرط واحد وهو أن يكون بحيث لو منعه العلم مثلاً) ولم يفده به (أو تعذر عليه) أي على التلميذ (تحصيله منه لنقص حبه بسببه فالقدر الذي ينقص بسبب فقده فهو لله) عز وجل (وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله) عز وجل (وليس بمستنكر أن يشتد حبك لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به) ما بين دنيوية وأخروية، (فإن امتنع بعضها نقص حبك) بقدر الفقد الحاصل من الامتناع (وإن زاد زاد الحب) بقدر وجدان الانتفاع، (فليس حبك للذهب كحبك للفضة إذا تساوى مقدارهما) في الثمن (لأن الذهب يوصل إلى أغراض هي أكثر مما توصل إليه الفضة) مع خفة محله وعدم تغيره على طول المكث، (فإذاً يزيد الحب بزيادة الغرض فلا يستحيل اجتماع الأغراض الدنيوية والأخروية) معاً في شخص واحد (فهو داخل في جملة الحب لله) تعالى (وحدّه هو أن كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر لم يتصوّر وجوده فهو حب في الله، وكذلك كل زيادة في الحب لولا الإيمان بالله تعالى لم تكن تلك الزيادة) ولم توجد فتلك الزيادة من الحب في الله تعالى، (وذلك وإن دق فهو عزيز) قليل الوجود. (قال) أبو محمد أحمد بن الحسن (الجريري) بضم الجيم منسوب إلى جرير قبيلة من بكر بن وائل من كبار أصحاب الجنيد، وصحب سهل بن عبد الله واقعد بعد

القرن الأوّل بالدين حتى رق الدين وتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء وفي الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ولم يبق إلا الرهبة والرغبة.

القسم الرابع: أن يحب لله وفي الله لا لينال منه علماً أو عملاً أو يتوسل به إلى أمر وراء ذاته وهذا أعلى الدرجات وهو أدقها وأغمضها، وهذا القسم أيضاً ممكن فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدى من المحبوب إلى كل ما يتعلق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد، فمن أحب إنساناً حباً شديداً أحب محب ذلك الإنسان وأحب محبوبه وأحب من يخدمه وأحب من يثني عليه محبوبه وأحب من يتسارع إلى رضا محبوبه، حتى قال بقية بن الوليد: إن المؤمن إذا أحب المؤمن أحب كلبه، وهو كما قال. ويشهد له التجربة في أحوال العشاق ويدل عليه أشعار الشعراء ولذلك يحفظ ثوب المحبوب ويخفيه تذكرة من جهته ويحب منزله ومحلته وجيرانه حتى قال مجنون بني عامر:

الجنيد في مكانه، وكان كبير الحال مات سنة ٣١١ ترجمه أبو نعيم والقشيري (**تعامل الناس في القرن الأول**) وهو بعد المائة من الهجرة (**بالدين حتى رقد الدين**) أي ضعف أمره، (**وتعاملوا في القرن الثاني**) بالوفاء حتى ذهب الوفاء، (**ثم تعاملوا في**) القرن (**الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ولم يبق**) بعد ذلك (**إلا الرغبة والرهبة**) ولقد استظرف من قال في ذهاب المروءة:

مررت على المروءة وهي تبكي ... فقلت لها وما تبكي الفتاةُ؟
فقالت: كيف لا أبكي وأهلي ... جميعاً دون أهل الناس ماتُوا

(**القسم الرابع: أن يحب لله وفي الله لا لينال منه علماً أو عملاً أو يتوصل به إلى أمر وراء ذاته وهذا**) إن وجد فهو (**أعلى الدرجات**) عند القوم (**وهو أغمضها وأدقها، وهذا القسم أيضاً ممكن فإن من آثار غلبة الحب أن يتعدى من المحبوب إلى كل من يتعلق بالمحبوب ويناسبه**) ويلائمه، (**ولو من بُعد فإن من أحب انساناً حباً شديداً أحب محب ذلك الإنسان وأحب محبوبه وأحب من يخدمه واحب من يثني على محبوبه**) بالخير (**وأحب من يتسارع إلى رضا محبوبه**) بكل ما أمكن، (**حتى قال بقية بن الوليد**) بن صائد بن كعب بن حريز الكلاعي الحميري الهيتمي أبو محمد الحمصي من كبار المحدثين استشهد له البخاري، وروى له مسلم في المتابعات واحتّج به الباقون (**أن المؤمن إذا أحب المؤمن أحب كلبه**)، والمعنى أحب كل شيء يتعلق به حتى كلبه، (**وهو كما قال**) صحيح، (**وتشهد له التجربة**) والاختبار (**في أحوال العشاق**) المغلوبين في وجدهم، (**وتدل عليه أشعار الشعراء**) جاهلية وإسلاماً (**ولذلك يحفظ ثوب المحبوب**) والمراد أثر من آثاره (**وتحفته**) التي يتحفه بها (**تذكره من جهته**) وفي بعض النسخ: ثوب المحبوب لذكره من جهته (**ويحب منزله**) الذي ينزله (**ومجلسه وجيرانه، حتى قال مجنون بني عامر**) واسمه قيس الملوح والمجنون لقبه:

أمـــرّ على الديـــار ديـــار ليلى   أقبّـــــلُ ذا الجدار وذا الجدارا
وما حـــبّ الديـــار شغفـــن قلبي   ولكن حبّ من سكـــن الديـــارا

فإذاً المشاهدة والتجربة تدل على أن الحب يتعدى من ذات المحبوب إلى ما يحيط به ويتعلق بأسبابه ويناسبه. ولو من بعد، ولكن ذلك من خاصية فرط المحبة فأصل المحبة لا يكفي فيه ويكون اتساع الحب في تعديه من المحبوب إلى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق بأسبابه بحسب إفراط المحبة وقوّتها، وكذلك حب الله سبحانه وتعالى إذا قوي وغلب على القلب استولى عليه حتى انتهى إلى حد الاستهتار فيتعدى إلى كل موجود سواه، فإن كل موجود سواه اثر من آثار قدرته ومن أحب إنساناً أحب صنعته وخطه وجميع أفعاله، ولذلك كان ﷺ إذا حمل إليه باكورة الثمر مسح بها عينه وأكرمها وقال: إنه قريب العهد بربنا، وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء في مواعيده وما يتوقع في

(**أمرّ على الديار ديار ليلى**) وفي نسخة: على منازل آل ليلى:

أقبـــــل ذا الجدار وذا الجدارا

ومـــا حـــب الديـــار شغفـــن قلبي)

وفي نسخة: يهيج قلبي (**ولكن حب من سكن الديارا**). ويحكى عنه انه راه رجل يكرم كلباً فسأله فقال: رأيته يوماً في حي ليلى.

(**فإذاً المشاهدة والتجربة تدل على أن الحب يتعدى من ذات المحبوب إلى ما يحيط به ويتعلق بأسبابه ويناسبه، ولو من بُعد وأكثر ذلك من خاصية فرط المحبة**) وغلبة الوجد، (**فأصل المحبة لا يكفي فيه ويكون اتساع الحب في تعديه من المحبوب إلى ما يكتنفه ويحيط به ويتعلق بأسبابه بحسب إفراط المحبة**) والوجد (**وقوتها**) وغلبته، (**وكذلك حب الله**) تعالى (**إذا قوي وغلب على القلب**) واستقام به (**واستولى عليه**) وملكه بالكلية (**حتى انتهى إلى حد الاستهتار**) وكشف الأستار (**فيتعدى إلى كل موجود سواه**) فيحبه لأجله وفيه، (**فإن كل موجود سواه أثر من أثار قدرته**) وعليه مسحة وحدانية (**ومن أحب انساناً أحب خطه وصنعته وجميع أفعاله، ولذلك كان ﷺ إذا حمل إليه باكورة من الفواكه**) وهو من أوّل كل فاكهة ما عجل الإخراج، والجمع البواكير والباكورات (**مسح بها عينيه وأكرمها وقال: إنه قريب عهد بربنا »**) قال العراقي رواه الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس، ورواه أبو داود في المراسيل، والبيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة دون قوله « وأكرمها » الخ. وقال: انه غير محفوظ وحديث أبي هريرة عند بقية أصحاب السنن دون مسح عينيه بها وما بعده، وقال الترمذي: حسن صحيح. (**وحب الله تارة يكون لصدق الرجاء في**

الآخرة من نعيمه، وتارة لما سلف من أياديه وصنوف نعمته، وتارة لذاته لا لأمر آخر وهو أدق ضروب المحبة وأعلاها ـ وسيأتي تحقيقها في كتاب المحبة من ربع المنجيات إن شاء الله تعالى ـ وكيفما اتفق حب الله فإذا قوي تعدى إلى كل متعلق به ضرب من التعلق حتى يتعدى إلى ما هو في نفسه مؤلم مكروه، ولكن فرط الحب بضعف الإحساس بالألم والفرح بفعل المحبوب وقصده إياه بالايلام يغمر إدراك الألم، وذلك كالفرح بضربة من المحبوب أو قرصة فيها نوع معاتبة فإن قوة المحبة تثير فرحاً يغمر إدراك الألم فيه، وقد انتهت محبة الله بقوم إلى أن قالوا: لا نفرق بين البلاء والنعمة فإن الكل من الله ولا نفرح إلا بما فيه رضاه حتى قال بعضهم: لا أريد أن أنال مغفرة الله بمعصية الله. وقال سمنون:

مواعيده وما يتوقع في الآخرة من نعيمه، وتارة) يكون (لما سلف من أياديه) أي سبق (وصنوف نعمته) الظاهرة والباطنة، (وتارة) يكون (لذاته لا لأمر آخر وهو أدق ضروب المحبة وأعلاها ـ وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة إن شاء الله تعالى ـ وكيفما اتفق حب الله تعالى فإذا قوي تعدى إلى كل متعلق به ضرباً) أي نوعاً (من التعلق حتى يتعدى إلى ما هو في نفسه مؤلم) أي موجع (مكروه، ولكن فرط الحب يضعف) ويوهن (الإحساس بالألم) فلا يحس به أصلاً (والفرح بفعل المحبوب وقصده إياه بالإيلام) والايجاع (يغمر) ويغلب (إدراك الألم كالفرح بضربة من المحبوب) بيده أو بعضا (أو قرصة) في عضو من أعضائه (فيها نوع معاتبة، فإن قوّة المحبة تثير فرحاً يغمر إدراك الألم فيه) من تلك الضربة أو القرصة، وهنا مقام ضد ذلك وهو أن يؤلمه ضرب الحبيب وإن كان خفيفاً لأنه لم يكن يعتد منه ذلك، وعليه حكي أن الحلاج لما صلب أمروا برجمه فرجمه الناس بحجارة فلم يقل شيئاً ورمته أخته وكانت من المتعبدات العارفات بحصبة صغيرة، فلما أصابته قال: أه فتعجب وقالت له: ما بالك لم تقل آه من تلك الحجارة؟ فقال لها: هؤلاء لا يعلمون ما بي وأنت عارفة محبة والضرب من الحبيب يوجع، ومن هنا المثل على لسان العامة: وردة الحبيب توجع أي ولو رماه بالوردة. (وقد انتهت محبة الله تعالى بقوم إلى أن قالوا: لا فرق بين البلاء والنعمة فإن الكل من لدنه) أي من عنده (ولا نفرح إلا بما فيه رضاه) وعليه يحمل ما مرّ عن الشيخ الأكبر قدس سره في شرح حديث «بعثت لأتمم مكارم الاخلاق» وغير ذلك مما مرّ من ذكر الاعتبارات في كتاب أسرار الصلاة والصوم والزكاة والحج، (حتى قال بعضهم: لا أريد أن أنال مغفرة الله بمعصية الله) وقد سقطت هذه الجملة من بعض النسخ. (وقال شقيق)[1] البلخي رحمه الله تعالى:

---

(١) في الإحياء: «وقال سمنون» بدلاً من «وقال شقيق».

وليس لي في سـواك حـظ فكيفما شئـت فـاختبرني

وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة. والمقصود أن حب الله إذا قوي أثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله في علم أو عمل وأثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن أو تأدب بآداب الشرع، وما من مؤمن محب للآخرة ومحب لله إلا إذا أخبر عن حال رجلين أحدهما عالم عابد والآخر جاهل فاسق إلا وجد في نفسه ميلاً إلى العالم العابد، ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوّته وبحسب ضعف حبه لله وقوّته. وهذا الميل حاصل وإن كانا غائبين عنه بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة، فذلك الميل هو حب في الله ولله من غير حظ فإنه إنما يحبه لأن الله يحبه ولأنه مرضي عند الله تعالى ولأنه يحب الله تعالى ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى إلا أنه إذا ضعف لم يظهر أثره ولا يظهر به ثواب ولا أجر، فإذا قوي حمل على الموالاة والنصرة والذب بالنفس والمال واللسان وتتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله

(وليـس لـي فـي سـواك حـظ فكيفما شئـت فـأختبرني)

أورده القشيري في أوّل الرسالة في ترجمة سمنون المحب أن أنشد هذا البيت فأخذه الأسر من ساعته فكان يدور على المكاتب ويقول للصبيان: ادعوا لعمكم الكذاب، **(وسيأتي ذلك في كتاب المحبة إن شاء الله تعالى والمقصود أن حب الله تعالى إذا قوي)** واستقام بالقلب **(أثمر حب كل من يقوم بحق عبادة الله)** تعالى **(في علم أو عمل وأثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله)** تعالى **(من خلق حسن وتأدب بأدب الشرع)** من أوامر ونواهي، **(وما من مؤمن محب للآخرة محب لله)** تعالى **(إلا إذا أخبر عن حال رجلين أحدهما عالم عابد)** أي قد جمع مع العبادة العلم، **(والآخر جاهل فاسق)** أي قد جمع مع الجهل الفسق **(إلا وجد في نفسه ميلاً إلى العالم العابد، ثم يضعف ذلك الميل ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوّته وبحسب حبه لله وقوّته، وهذا الميل حاصل وإن كانا غائبين عنه)** في محل بعيد **(بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر في الدنيا ولا في الآخرة، فذلك الميل هو حب في الله تعالى ولله تعالى من غير حظ)** مضمر في نفسه، **(فإنه إنما يحبه لأن الله سبحانه يحبه ولأنه مرضي عند الله تعالى ولأنه يحب الله تعالى ولأنه مشغول بعبادة الله عز وجل)** فهذه الأوصاف كلها مما تنشىء الحب فيه **(إلا أنه إذا ضعف)** ذلك الحب **(لم يظهر أثره فلا يظهر له ثواب واحد، وإذا قوي حمل على الموالاة)** والمحالأة **(والنصرة والذب)** أي الدفع عنه **(بالنفس والمال واللسان، ويتفاوت الناس فيه بحسب تفاوتهم في حب الله تعالى)** بحسب القوّة والضعف، **(ولو كان**

عز وجل، ولو كان الحب مقصوراً على حظ ينال من المحبوب في الحال أو المآل لما تصوّر حب الموتى من العلماء والعباد ومن الصحابة والتابعين، بل من الأنبياء المنقرضين صلوات الله عليهم وسلامه، وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين ويتبين ذلك بغضبه عند طعن أعدائهم في واحد منهم ويفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم وكل ذلك حب لله لأنهم خواص عباد الله، ومن أحب ملكاً أو شخصاً جميلاً أحب خواصه وخدمه وأحب من أحبه إلا أنه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ إلا فيما هو حظ المحبوب، وعنه عبر قول من قال:

أريد وصاله ويريد هجري ... فأترك ما أريد لما يريد

وقول من قال:

وما لجرح إذا أرضاكم ألمُ

وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه في نصف ماله أو في ثلثه أو في عُشره، فمقادير الأموال موازين المحبة إذ

الحب مقصوراً على حظ) من الحظوظ (ينال من المحبوب في الحال) عاجلاً (أو) في (المآل) آجلاً (لما تصوّر حب الموتى) أي الذين مضوا إلى رحمة الله تعالى (من العلماء) العاملين (والعباد) الصالحين (ومن الصحابة) الكرام، (والتابعين) الاعلام، (بل من الأنبياء المنقرضين صلوات الله عليهم) وسلامه (أجمعين، وحب جميعهم مكنون في قلب كل مسلم متدين) لا محالة (ويتبين ذلك بمصيبته) وفي نسخة بغضبه، وفي أخرى بغيظه (عند طعن أعدائهم) من ذوي البدع الفاسدة (في واحد منهم) فيتعصب لهم ويرد على طاعتهم (ويفرحه عند الثناء عليهم وذكر محاسنهم) فينشرح صدره لذلك، (وكل ذلك حب لله) تعالى: (لأنهم خواص عباد الله) وخلصائه ومختاروه، (ومن أحب ملكاً أو شخصاً جميلاً أحب خواصه وخدمه) وأتباعه (وأحب من أحبه) فمحب الحب حبيب (إلا أنه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس وقد يغلب) الحب (بحيث لا يبقى للنفس حظ إلا فيما هو حظ المحبوب وعنه عبر قول من قال:

أريد وصاله ويريد هجري ... فأترك ما أريد لما يريدُ

وكقول من قال:

إن كان يرضيكم ما قال حاسدنا ... فما بجرح إذا أرضاكم ألم

(وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه في نصف ماله أو في ثلثه أو في عشره) أو في أقل أو في أكثر، (فمقادير

لا تعرف درجة المحبوب إلا بمحبوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئاً مثل أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه فإنه لم يترك لنفسه أهلاً ولا مالاً فسلـّم ابنته التي هي قرة عينه وبذل جميع ماله. قال ابن عمر رضي الله عنهما: « بينما رسول الله ﷺ جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال إذ نزل جبريل عليه السلام فأقرأه عن الله السلام وقال له: يا رسول الله ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال؟ فقال: أنفق ماله عليّ قبل الفتح. قال: فأقره من الله السلام وقل له: يقول لك ربك أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر وقال: يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول: أراضٍ أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: أعلى ربي أسخط. أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض ».

الأموال موازين المحبة) ولكن الذي لا يُبقي له شيئاً هو أعلى الرتب **(إذ لا يعرف درجة المحبوب إلا بمحبوب يترك في مقابلته فمن استغرق الحب جميع قلبه)** وعمه **(لم يبق له محبوب سواه فلا يملك لنفسه)** وفي نسخة دونه **(شيئاً مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإنه لم يترك لنفسه أهلاً ولا مالاً فسلم ابنته التي هي قرة عينه)** وهي عائشة رضي الله عنها إذ زوّجها له **(وبذل جميع ماله)** إنفاقاً عليه فكانت يده ويد النبي ﷺ فيه سواء.

أخرج ابن عدي من طريق الفضل بن المختار عن أبان عن أنس رفعه: « قال لأبي بكر يا أبا بكر ما أطيب مالك. منه بلال مؤذني، وناقتي التي هاجرت عليها، وزوّجتني ابنتك وواسيتني بنفسك ومالك كأني أنظر إليك على باب الجنة تشفع لأمتي ». قال صاحب الميزان: وهذا باطل.

وأخرج ابن النجار في تاريخه من طريق عمر بن صبيـح عن يزيد الرقاشي عن أنس رفعه « إن أعظم الناس عليّ منة أبو بكر زوجني ابنته وواساني بماله وصاحبني بالغار وإن أفضل أموال المسلمين مال أبي بكر منه ناقتي التي هاجرت عليها ومنه مؤذني » بلال عمر بن صبيح متروك.

قال **(ابن عمر)** رضي الله عنهما: **(« بينا النبي ﷺ جالس وعنده أبو بكر رضي الله عنه عليه عباءة)** من صوف **(قد خللها)** أي شكّها **(على صدره بخلال إذ نزل جبريل)** عليه السلام **(فأقرأه من الله السلام وقال له: يا رسول الله ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال؟ فقال: أنفق ماله عليّ قبل الفتح. قال: فاقرئه من الله السلام وقل له: يقول لك ربك أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط: فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه وقال: يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله)** تعالى **(ويقول: أراض أنت في فقرك هذا أم ساخط؟ فبكى أبو بكر)** رضي الله عنه **(وقال: أعلى ربي أسخط أنا**

فحصل من هذا أن كل من أحب عالماً أو عابداً أو أحب شخصاً راغباً في علم أو في عبادة أو في خير فإنما أحبه في الله ولله وله فيه من الأجر والثواب بقدر قوّة حبه، فهذا شرح الحب في الله ودرجاته وبهذا يتضح البغض في الله أيضاً ولكن نزيده بياناً.

بيان البغض في الله:

اعلم أن كل من يحب في الله لا بدّ أن يبغض في الله فإنك إن أحببت إنساناً لأنه مطيع لله ومحبوب عند الله فإن عصاه فلا بدّ أن تبغضه لأنه عاص لله وممقوت عند الله، ومن أحب بسبب فبالضرورة يبغض لضده وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر وهو مطرد في الحب والبغض في العادات، ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب، وإنما يترشح عند الغلبة ويترشح بظهور أفعال المحبين والمبغضين في

عن ربي راض وأنا عن ربي راض»). ولقد استظرف بعض المتأخرين من الشعراء فأشار إلى هذه القصة في قوله يمدح أبا بكر رضي الله عنه:

صهـر النبي وصنـوه وصـديقـه ... وصفيـه وضجيعـه تحت الثرى
والمنفـق الأمـوال في مـرضـاتـه ... حتى تخلـل بعـد ذلـك بـالعبـا

قال العراقي: رواه ابن حبان والعقيلي في كتاب الضعفاء. قال الذهبي في الميزان: هو كذب.

(**فحصل من هذا**) التفصيل والبيان (**أن كل من أحب عالماً أو عابداً أو أحب شخصاً راغباً في علم أو عبادة أو خير فإنما أحب لله وفي الله وله فيه من الأجر والثواب بقدر قوّة حبه، فهذا شرح الحب في الله ودرجاته، وبهذا يتضح البغض في الله تعالى ولكن نزيده بياناً**.

بيان البغض في الله تعالى:

(**اعلم أن من يحب في الله لا بدّ وأن يبغض في الله فإنك إن أحببت انساناً**) لا تحبه إلا (**بأنه مطيع لله**) تعالى (**ومحبوب عند الله**) تعالى، (**فإن**) اتفق أنه (**عصاه**) يوماً (**فلا بدّ وأن تبغضه لأنه عاص لله**) تعالى (**وممقوت عند الله**) تعالى لا أنه إن عصاه مرة لا يقال في حقه أنه عاص كما ذكروا في قوله تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ [طه: ١٢١] إذ لا يكون عاصياً وممقوتاً إلا إذا دام ذلك الفعل منه، فكان الأولى للمصنف أن يقول: لأنه عصى الله تعالى فصار بذلك ممقوتاً عنده ولكن هذه الدقيقة قد لا يلتفت اليها (**ومن أحب لسبب**) من الأسباب (**فبالضرورة يبغض لضده**) إذا طرأ عليه (**وهذان متلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر**) ولا ينفكان غالباً (**وهو مطرد في الحب والبغض في العادات**) أي في مجاريها، (**ولكن كل واحد من الحب والبغض دفين**) أي مكتوم (**في القلب**) لا يطلع عليه، (**وإنما يترشح عند الغلبة**) والقوّة (**ويترشح**) أيضاً (**بظهور أفعال المحبين والمبغضين في المقاربة**

المقاربة والمباعدة وفي المخالفة والموافقة فإذا ظهر في الفعل سمي موالاة ومعاداة، ولذلك قال الله تعالى: هل واليت في ولياً وهل عاديت فيّ عدواً؟ كما نقلناه. وهذا واضح في حق من لم يظهر لك إلا طاعاته إذ تقدر على أن تحبه أو لم يظهر لك إلا فسقه وفجوره وأخلاقه السيئة فتقدر على أن تبغضه، وإنما المشكل إذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فإنك تقول: كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان؟ وكذلك تتناقض ثمرتهما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة فأقول: ذلك غير متناقض في حق الله تعالى كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية، فإنه مهما اجتمع في شخص واحد خصال يحب بعضها ويكره بعضها فإنك تحبه من وجه وتبغضه من وجه، فمن له زوجة حسناء فاجرة أو ولد ذكي خدوم ولكنه فاسق فإنه يحبه من وجه ويبغضه من وجه ويكون معه على حالة بين حالتين، إذ لو فرض له ثلاثة أولاد أحدهما ذكي بار والآخر بليد عاق والآخر بليد بار أو ذكي عاق فإنه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم، فكذلك ينبغي أن يكون حالك بالإضافة إلى من غلب عليه الفجور ومن غلبت عليه الطاعة، ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب، وذلك بأن تعطي كل صفة

والمباعدة وفي المخالفة والموافقة فإذا ظهر في العقل سمي موالاة ومعاداة ولذلك قال) الله (**تعالى**) لبعض أنبيائه: (**هل واليت فيّ ولياً أو عاديت فيّ عدواً؟ كما نقلناه**) قريباً. (**وهو واضح في حق من لم يظهر لك إلا طاعاته**) وحسن عبادته في مراضي الله تعالى (**إذ تقدر على أن تحبه**) لذلك (**أو لم يظهر لك إلا فسقه وفجوره وأخلاقه السيئة فتقدر على أن تبغضه**) لذلك، (**وإنما المشكل إذا اختلطت الطاعات بالمعاصي**) واشتبه عليك الحال (**فإنك تقول: كيف أجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان؟ وكذلك تتناقض ثمراتها من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة فنقول ذلك غير متناقض في حق الله**) تعالى (**كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية فإنه مهما اجتمع في شخص واحد خصال**) متباينة (**تحب**) منها بعضها (**وتكره**) منها (**بعضها فإنك تحبه من وجه وتبغضه من وجه**) آخر، (**فمن له زوجة حسناء**) جميلة الصورة إلا أنها (**فاجرة**) لا تمنع يد لامس (**أو ولد ذكي**) عاقل (**خدوم**) كثير الخدمة (**ولكنه فاسق فإنك تحبها من وجه**) جمالها وخدمته (**وتبغضها من وجه**) فجورها وفسقه، (**وتكون معها على حالة بين حالتين**) من حب وبغض (**إذ لو فرض له ثلاثة أولاد أحدهم ذكي بار**) بوالديه (**والآخر بليد عاق**) لوالديه (**والآخر بليد بار أو ذكي عاق فإنه يصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم، فكذلك ينبغي أن يكون حالك بالإضافة إلى من غلب عليه الفجور ومن غلبت عليه الطاعة، ومن اجتمع عليه كلاهما**) أي الفجور والطاعة (**متفاوتة على ثلاث مراتب،**)

حظها من البغض والحب والإعراض والإقبال والصحبة والقطيعة وسائر الأفعال الصادرة منه.

فإن قلت: فكل مسلم فإسلامه طاعة منه فكيف أبغضه مع الإسلام؟ فأقول: تحبه لإسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قستها بحال كافر أو فاجر أدركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب للإسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك، فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فكن معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال وبين الإقبال والاعراض وبين التودد إليه والتوحش عنه ولا تبالغ في إكرامه مبالغتك في إكرام من يوافقك على جميع أغراضك، ولا تبالغ في إهانته مبالغتك في إهانة من خالفك في جميع اغراضك. ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله إلى طرف الإهانة عند غلبة الجناية وتارة إلى طرف المجاملة والإكرام عند غلبة الموافقة، فكذا ينبغي أن يكون فيمن يطيع الله تعالى ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه أخرى.

فإن قلت: فماذا يمكن إظهار البغض؟ فأقول: أما في القول فبكف اللسان عن مكالمته

متفاوتة، وذلك أن يعطي كل صفة حظها من الحب والبغض، والإعراض والإقبال والصحبة والقطيعة وسائر الأفعال الصادرة منهم).

(**فإن قلت: فكل مسلم فإسلامه طاعة منه**) لأنه منقاد لطاعة الله تعالى بإسلامه (**فكيف أبغضه مع**) وجود (**الإسلام؟ فأقول: تحبه لإسلامه وتبغضه لمعصيته وتكون معه على حالة لو قستها بحال كافر أو فاجر أدركت تفرقة بينهما وتلك التفرقة حب للإسلام وقضاء لحقه وقدر الجناية على حق الله**) تعالى (**والطاعة له كالجناية على حقك والطاعة لك، فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر فتكون معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال**) وفي نسخة: والانبساط (**وبين الاقبال والاعراض وبين التودد إليه والتوحش منه فلا تبالغ في إكرامه مبالغتك في إكرام من يوافقك على جميع أغراضك، ولا تبالغ في إهانته مبالغتك في إهانة من خالفك في جميع أغراضك. ثم ذلك التوسط تارة يكون ميله إلى طرف الإهانة عند غلبة الجناية**) وفي نسخة المخالفة وفي نسخة أخرى زيادة وظلم النفس (**وتارة**) يكون ميله (**إلى طرف المجاملة والإكرام عند غلبة الموافقة، فهكذا ينبغي أن يكون فيمن يطيع الله ويعصيه ويتعرض لرضاه مرة ولسخطه مرة أخرى**).

(**فإن قلت: فماذا يمكن اظهار البغض؟ فأقول: أما بالقول فبكف اللسان**) أي منعه (**عن مكالمته ومحادثته**) ومنادمته (**مرة بالاستخفاف والتغليظ في القول**) والتشديد عليه

ومحادثته مرة وبالاستخفاف والتغليظ في القول أخرى، وأما في الفعل فبقطع السعي في إعانته مرة وبالسعي في إساءته وإفساد مآربه أخرى، وبعض هذا أشد من بعض وهو بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه. أما ما يجري مجرى الهفوة التي يعلم انه متندم عليها ولا يصر عليها فالأولى فيه الستر والإغماض، أما ما أصر عليه من صغيرة أو كبيرة فإن كان ممن تأكدت بينك وبينه مودة وصحبة وأخوة فله حكم آخر ـ وسيأتي وفيه خلاف بين العلماء ـ وأما إذا لم تتأكد أخوة وصحبة فلا بدّ من إظهار أثر البغض إما في الإعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه، وإما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه. وهذا أشد من الاعراض وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها، وكذلك في الفعل أيضاً رتبتان أحدهما: قطع المعونة والرفق والنصرة عنه وهو أقل الدرجات، والأخرى: السعي في افساد أغراضه عليه كفعل الأعداء المبغضين وهذا لا بدّ منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية. أما ما لا يؤثر فيه فلا، مثاله رجل عصى الله بشرب الخمر وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطاً بها بالمال والجمال والجاه إلا أن ذلك لا يؤثر في منعه من شرب الخمر ولا في بعث وتحريض عليه، فإذا قدرت على إعانته ليتم له

(أخرى، وأما بالفعل فبقطع السعي في إعانته مرة وبالسعي في إساءته وافساد مآربه) أي حاجاته **(أخرى، وبعض هذا أشد من بعض وهو)** يختلف **(بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة أما ما يجرى مجرى الهفوة التي يعلم أنه متندم عليها ولا يصر عليها)** وإنما هي نادرة منه **(فالأولى فيه الإغماض)** أي غض البصر عنه **(والستر)** عليه، **(وأما ما أصر عليه من صغيرة أو كبيرة فإن كان ممن تأكدت بينك وبينه مودة وصحبة)** وآخوة **(فله حكم آخر وسيأتي)** بيانه. **(وفيه خلاف بين العلماء)** يذكر في محله، **(وأما إذا لم تتأكد أخوته وصحبته فلا بدّ من إظهار أثر البغض إما في الإعراض والتباعد عنه وقلة الالتفات إليه)** بعدم المكالمة معه، **(وإما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه)** بالانكار **(وهذا أشد من الإعراض)** والتباعد **(وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها، وكذلك في الفعل أيضاً رتبتان. احداهما: قطع المعرفة)** الظاهرة، **(والرفق)** في أمر المعيشة، **(والنصرة)** على من يعاديه، والذب **(عنه وهو أقل الدرجات. والأخرى السعي في إفساد أغراضه عليه كفعل الاعداء المبغضين وهذا لا بد منه ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية، وذلك فيما يؤثر فيها. وأما ما لا يؤثر فلا)** لفوات المقصود فيه، **(مثاله مثال رجل عصى الله)** تعالى **(بشرب الخمر)** مثلاً **(وقد خطب امرأة لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطاً فيها بالمال والجمال والجاه إلا أن ذلك لا يؤثر في منعه من شرب الخمر ولا في بعث وتحريض عليه، فإذا قدرت على إعانته ليتم له مقصوده)** ومن نكاح المرأة **(وقدرت على تشويشه ليفوته)** ذلك

غرضه ومقصوده وقدرت على تشويشه ليفوته غرضه فليس لك السعي في تشويشه. أما الإعانة فلو تركتها إظهاراً للغضب عليه في فسقه فلا بأس، وليس يجب تركها إذ ربما يكون لك نية في أن تتلطف بإعانته واظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك ويقبل نصحك فهذا حسن، وإن لم يظهر لك ولكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق إسلامه فذلك ليس بممنوع بل هو الأحسن إن كان معصيته بالجناية على حقك أو حق من يتعلق بك، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ولاَ يأتلِ أولو الفَضْلِ مِنكم والسعة﴾ إلى قوله: ﴿ألاَ تحبون أن يغفر الله لكم﴾ [النور: ٢٢] إذ تكلم مسطح بن اثاثة في واقعة الإفك، فحلف أبو بكر أن يقطع عنه رفقه، وقد كان يواسيه بالمال، فنزلت الآية مع عظم معصية مسطح وأية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله ﷺ وإطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله

التشويش (**غرضه فليس**) إلا أن تكون (**لك**) نية في السعي في تشويشه. وأما الإعانة فلو تركتها إظهاراً للغضب عليه في فسقه فلا بأس في ذلك، (**وليس يجب تركها إذ ربما تكون له نية في أن يتلطف في إعانته واظهار الشفقة عليها ليعتقد مودتك ويقبل نصحك فهذا حسن، وإن لم يظهرلك ولكن رأيت أن تعينه على غرضه قضاء لحق إسلامه فكذلك ليس بممنوع بل هو الأحسن إن كانت معصيته بالجناية على حقك أو حق من يتعلق بك، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ولا يأتلِ**) أي لا يحلف (**أولوا الفضل منكم والسعة﴾**) في الرزق ومعرفة الله تعالى، والمراد به أبو بكر رضي الله عنه (**أن يؤتوا أولي القربى﴾ إلى قوله ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾**) وتمام الآية بعد قوله ﴿أولي القربي والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ (**إذ تكلم مسطح بن أثاثة**) بن عباد بن المطلب بن عباد (**في قصة الإفك**) المشهور المتفق عليها من حديث عائشة رضي الله عنها، (**فحلف أبو بكر**) رضي الله عنه (**أن يقطع عنه رفقه**) وفي نسخة نفقته، (**وقد كان يؤاسيه بالمال فنزلت هذه الآية**) من جملة الآيات في براءة عائشة وهي ثماني عشرة آية (**مع عظم معصية مسطح، وأي معصية تزيد عل التعرض لحرم رسول الله ﷺ وإطالة اللسان في مثل عائشة**) رضي الله عنها. وهذه القصة قد أخرجها عبد الرزاق، وأحمد، والبخاري، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب كلهم من حديث عائشة وهي طويلة وفيها قالت عائشة: فلما أنزل الله في براءتي ﴿إن الذين جاؤوا بالافك﴾ العشر الآيات قال أبو بكر: وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قاله لعائشة قال: فأنزل الله ﴿ولا يأتل أولوا الفضل﴾ إلى قوله ﴿رحيم﴾ قال أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً.

عنها. إلا أن الصديق رضي الله عنه كان كالمجني عليه في نفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين وإنما يحسن الإحسان إلى من ظلمك، فأما من ظلم غيرك وعصى الله به فلا يحسن الإحسان إليه لأن في الإحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم وحق المظلوم أولى بالمراعاة، وتقوية قلبه بالإعراض عن الظالم أحب إلى الله من تقوية قلب الظالم، فأما إذا كنت أنت المظلوم فالأحسن في حقك العفو

وأخرج البخاري، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من حديثها وفيه: وكان الذي تكلم فيها مسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبد الله بن أبيّ وهو الذي كان تولى كبره مع حمنة بنت جحش قال: فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحاً بنفقة أبداً فانزل الله ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة﴾ يعني أبا بكر ﴿أن يؤتوا أولي القربى والمساكين﴾ يعني مسطحاً إلى قوله ﴿غفور رحيم﴾ قال أبو بكر: بلى والله إنا نحب أن يغفر لنا وعاد له بما كان يصنع.

وأخرج أحمد، وسعيد من منصور، وابن المنذر، وابن مردويه من حديث ابن رومان وفيه. وكان فيمن حدّث الحديث رجل كان يحدث به أبو بكر فحلف أن لا يصله، فأنزل الله ﴿ولا يأتل أولوا الفضل﴾ الآية فوصله أبو بكر.

وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس وفيه: وكان أبو بكر يعطي مسطحاً ويصله ويبره، فحلف أبو بكر أن لا يعطيه فنزل ﴿ولا يأتل أولوا الفضل﴾ الآية.

وعند الطبراني، وابن مردويه من حديث ابن عمر. فبعث أبو بكر إلى مسطح لا أوصلناك بدرهم أبداً ولا عطفت عليك بخير أبداً ثم طرده أبو بكر وأخرجه من منزله، فنزل القرآن ﴿ولا يأتل﴾ الآية فقال أبو بكر: القرآن يأمرني فيك لأضاعفهن لك.

وعند ابن أبي حاتم والطبراني من حديث سعيد بن جبير: وكان مسطح من المهاجرين الأولين وكان ابن خالة أبي بكر، وكان يتيماً في حجره فقيراً، فلما حلف أبو بكر أن لا يصله نزلت في أبي بكر ﴿ولا يأتل﴾ الآية فقال النبي ﷺ: «أما تحب أن يغفر الله لك»؛ قال: بلى يا رسول الله. قال «فاعف واصفح» قال أبو بكر: قد عفوت وصفحت لا أمنعه معروفاً بعد اليوم.

(**إلا أن الصديق**) رضي الله عنه (**كان كالمجني عليه في نفسه في تلك الواقعة والعفو عمن ظلم والإحسان إلى من أساء من أخلاق الصديقين**) كما أن الاساءة إلى من أحسن من أخلاق المتهوّرين، (**وإنما يحسن الاحسان إلى من ظلمك، فأما من ظلم غيره وعصى الله به فلا يحسن الإحسان إليه لأن في الإحسان إلى الظالم إساءة إلى المظلوم**) وكسراً لجانبه (**وحق المظلوم أولى بالمراعاة، وتقوية قلبه فالإعراض عن الظالم أحب إلى الله من تقوية قلب الظالم**) بالإحسان إليه، (**فأما إذا كنت أنت المظلوم فالإحسان في حقك العفو**) والسماح.

والصفح. وطرق السلف قد اختلفت في إظهار البغض لله مع أهل المعاصي وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية متعدية منه إلى غيره، فأما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم، ومنهم من شدد الإنكار واختار المهاجرة. فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الأكابر في أدنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين لقوله: إني لا أسأل أحداً شيئاً ولو حمل السلطان إليّ شيئاً لأخذته. وهجر الحرث المحاسبي في تصنيفه في الرد على المعتزلة وقال: إنك لا بدّ تورد أولاً شبهتهم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم، وهجر أبا ثور في تأويله قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال، فإن كان الغالب على القلب النظر إلى اضطرار الخلق وعجزهم وأنهم مسخرون لما قدروا له أورث هذا تساهلاً في المعاداة والبغض وله وجه ولكن قد تلتبس به المداهنة

(**وطرق السلف قد اختلفت في إظهار البغض لله مع أهل المعاصي**) صغيرة أو كبيرة (**وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمبتدعة**) أي المتدينين بالبدع السيئة (**وكل من عصى الله**) تعالى (**بمعصية متعدية إلى غيره، فأما من عصى الله تعالى في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم**) نظراً إلى سعة رحمة الله وجيل إحسانه، (**ومنهم من شدّد الإنكار**) عليهم (**واختار المهاجرة**) عن مجالسته ومكالمته. (**فقد كان أحمد بن حنبل**) رحمه الله تعالى (**يهجر الأكابر في أدنى كلمة**) يسمعها منه أو تبلغه عنه (**حتى هجر يحيى بن معين**) الإمام المشهور (**لقوله: إني لا أسأل أحداً شيئاً ولو حمل السلطان إلي شيئاً لأخذته**) وفي رواية: ولو أعطاني السلطان شيئاً لأخذته وقد تقدم ذلك في الكتاب الذي قبله. (**وهجر الحرث**) بن أسد (**المحاسبي**) رحمه الله تعالى (**في تصنيفه الرد على المعتزلة وقال: إنك تورد أولاً شبهتهم**) التي تحكموا بها (**وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد عليهم**) فربما غبي الطبع تثبت تلك الشبهة على ذهنه ولا يفهم الرد فيكون سبباً لفساد اعتقاده وقد تقدم ذلك في كتاب العلم. (**وهجر أبا ثور**) صاحب الشافعي (**في تأويله قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته»**) قال العراقي رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وقد تقدم الكلام عليه في كتاب قواعد العقائد.

(**وهذا أمر يختلف باختلاف النية وتختلف النية باختلاف الحال، فإن كان الغالب على القلب النظر إلى اضطرار الخلق وعجزهم**) الذي جبلوا عليه (**وأنهم مسخرون لما قدر لهم**) من الأزل (**أورث هذا تساهلاً في المعاداة والبغض وله وجه**) يلمح إلى الجواز (**ولكن قد تلتبس به المداهنة**) وهي ترك دفع منكر هو قادر عليه لقلة مبالاة بالدين أو حفظاً لجانب

فأكثر البواعث على الإغضاء عن المعاصي المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها، وقد يلبس الشيطان ذلك على الغبي الأحمق بأنه ينظر بعين الرحمة ومحك ذلك أن ينظر إليه بعين الرحمة إن جنى على خاص حقه ويقول إنه قد سخر له والقدر لا ينفع منه الحذر، وكيف لا يفعله وقد كتب عليه فمثلي هذا قد تصح له نية في الإغماض عن الجناية على حق الله وإن كان يغتاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله، فهذا مداهن مغرور بمكيدة من مكائد الشيطان فليتنبه له.

فإن قلت: فأقل الدرجات في إظهار البغض الهجر والاعراض وقطع الرفق والإعانة فهل يجب ذلك حتى يعصي العبد بتركه؟ فأقول: لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والايجاب فإنا نعلم أن الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش في زمان رسول الله ﷺ والصحابة ما كانوا يهجرون بالكلية، بل كانوا منقسمين فيهم إلى من يغلظ القول عليه ويظهر البغض له، وإلى من يعرض عنه ولا يتعرض له، وإلى من ينظر إليه بعين

مرتكبه. (**فأكبر البواعث على الإغضاء عن المعاصي المداهنة ومراعاة القلوب والخوف من وحشتها ونفارها**) عنه، (**وقد يلبس الشيطان ذلك على الغبي الأحمق**) ويسوله عليه (**بأنه نظر بعين الرحمة**) الإلهية (**ومحل ذلك أن ينظر إليه بعين الرحمة إن جنى على خاص حقه ويقول: إنه قد سخر له والقدر لا ينفع منه الحذر**)، ومنه القول المشهور لا ينفع حذر من قدر، وقول العامة المقدور ما منه مهروب وروى أبو نعيم في الحلية من حديث خالد بن رافع رفعه: «لا تكثر همك ما يقدر يكون». وخالد بن رافع مختلف في صحبته. ورواه الأصبهاني في الترغيب من حديث مالك بن عمر[1] به مرسلاً (**فكيف لا يفعله وقد كتب عليه فبمثل هذا قد تصح له نية في الإغماض على الجناية على حق الله**) تعالى (**وإن كان يغتاظ**) ويغضب (**عند الجنايه على حقه**) خاصة (**ويترحم عند الجناية على حق الله**) تعالى (**فهذا مداهن مغرور**) قد غره الأماني (**بمكيدة من مكائد الشيطان فليتنبه له**) فإنه من الدقائق.

(**فإن قلت: فأقل الدرجات في إظهار البغض المجرة**) أي المهاجرة بترك المكالمة (**والإعراض وقطع الرفق والإعانة فهل يجب ذلك حتى يعصي العبد بتركه**) أم لا؟ (**فأقول: لا يدخل ذلك في ظاهر العلم تحت التكليف والإيجاب فإنا نعلم أن الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش**) من الزنا وغيره (**في زمن رسول الله ﷺ وفي**) زمن (**الصحابة**) رضوان الله عليهم (**ما كانوا يهجرون بالكلية**) في الكلام والمعاشرة، (**بل كانوا منقسمين فيه إلى من يغلظ القول عليه**) ويشدد في النكير (**ويظهر البغض له، وإلى من يرضى عنه ولا يتوخى له، وإلى من ينظر إليه بعين الرحمة ولا يؤثر بالمقاطعة والتباعد، فهذه دقائق**

---

(١) هنا بياض في الأصل.

الرحمة لا يؤثر المقاطعة والتباعد. فهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحد على ما يقتضيه حاله ووقته. ومقتضى الأحوال في هذه الأمور إما مكروهة أو مندوبة فتكون في رتبة الفضائل ولا تنتهي إلى التحريم والايجاب، فإن الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله تعالى وأصل الحب وذلك قد لا يتعدى من المحبوب إلى غيره وإنما المتعدى افراط الحب واستيلاؤه وذلك لا يدخل في الفتوى وتحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق أصلاً.

بيان مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم:

فإن قلت: إظهار البغض والعداوة بالفعل إن لم يكن واجباً فلا شك أنه مندوب إليه والعصاة والفساق على مراتب مختلفة، فكيف ينال الفضل بمعاملتهم وهل يسلك بجميعهم مسلكاً واحداً أم لا؟

فاعلم أن المخالف لأمر الله سبحانه لا يخلو إما أن يكون مخالفاً في عقده أو في عمله، والمخالف في العقد إما مبتدع أو كافر، والمبتدع إما داع إلى بدعته أو ساكت،

دينية تختلف فيها طرائق السالكين لطريق الآخرة ويكون عمل كل واحدة على ما يقتضيه حاله و) على ما يقتضيه **(وقته)** فكانوا يعملون كل شيء بمقتضاه. **(ومقتضى الأحوال في هذه الأمور إما مكروهة وإما مندوبة فتكون في رتبة الفضائل ولا ينتهي إلى التحريم والإيجاب، فإن الداخل تحت التكليف أصل المعرفة لله)** تعالى **(وأصل الحب واستيلاؤه)** أي غلبته حتى يملك **(وذلك قد لا يتعدى من المحبوب إلى غيره وإنما المتعدي إفراط الحب واستيلاؤه، وذلك لا يدخل في الفتوى تحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق أصلاً)** والله أعلم.

بيان مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم:

(فإن قلت: إظهار البغض والعداوة بالفعل إن لم يكن واجباً) شرعياً **(فلا نشك أنه مندوب إليه والعصاة والفساق على مراتب مختلفة)** وضروب شتى. **(فكيف ينال الفضل بمعاملتهم، وهل يسلك بجميعهم مسلكاً واحداً أم لا)؟**

(فاعلم أن المخالف لأمر الله) تعالى **(لا يخلو إما أن يكون مخالفاً في عقده)** مع الله أي فيما اعتقده بقلبه **(أو في عمله)** الظاهر. **(والمخالف في العقد)** الباطني **(إما أن يكون مبتدعاً وإما كافراً، والمبتدع)** كذلك لا يخلو **(إما أن يكون داعياً إلى بدعته)** غيره **(أو**

والساكت إما بعجزه أو باختياره. فأقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة.

الأوّل: الكفر. فالكافر إن كان محارباً فهو يستحق القتل والإرقاق وليس بعد هذين إهانة، وأما الذمي فإنه لا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض عنه والتحقير له بالاضطرار إلى أضيق الطرق وبترك المفاتحة بالسلام، فإذا قال: السلام عليك، قلت: وعليك. والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومؤاكلته، وأما الانبساط معه والاسترسال إليه كما يسترسل إلى الأصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهي ما يقوي منها إلى حد التحريم. قال الله تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله

ساكتاً) عن الدعوة، وذلك السكوت **(إما لعجزه)** في نفسه **(أو باختياره، فأقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة)**.

(الأول: الكفر. والكافر) إما محارب أو ذمي **(إن كان محارباً)** وهو الحربي **(فهو مستحق للقتل والإرقاق)** أي أخذه على سبيل الرق فإن أبي قتل، **(وليس بعد هذين الأمرين إهانة وأما الذمي)** الذي تحت عقد ذمة المسلمين وجوارهم **(فأنه لا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض عنه والتحقير له)** في المجالس **(وبالاضطرار)** أي الإلجاء **(إلى أضيق الطرق)** إن كان ماشياً في طريق فيه زحمة بحيث لا يقع في وهدة ولا يصدمه نحو جدار، فإن إيذاءهم بلا سبب لا يجوز، وإنما المراد ولا تتركوا لهم صدر الطريق إكراماً لهم وفيه تنبيه على ضيق مسلك الكفر، وأنه يلجىء إلى النار فأذن بطريقه الحسي الدنيوي إلى طريقه المعنوي الأخروي، وهذه سنة قد أميتت من زمان فمن أحياها فله الأجر، **(وبترك المفاتحة بالسلام)** فلا يقول السلام عليك تحقيراً لشأنهم فيحرم ابتداؤهم به على الأصح عند الشافعية، وفي الإسناد لمحمد بن الحسن يكره أن يبتدأ المشرك بالسلام ولا بأس بالرد عليه وهو قول أبي حنيفة رحمه الله تعالى، ولا ما يقوم مقامه من التحايا كأن يقول له صبحك الله بالخير، أو أسعد الله صباحك، أو مثل ذلك مما جرت به العادات الآن **(وإذا قال)** مبادئاً **(السلام عليك. قلت: وعليك)** وإنما وجب الرد عليه بعليك فقط ولا تعارضه آية ﴿سلام عليك سأستغفر لك ربي﴾ [النحل: ٤٧] وآية ﴿فقل سلام فسوف يعلمون﴾ [الزخرف: ٨٩] لأن هنا سلام متاركة ومنابذة لاسلام تحية وأمان، وقد وردت في كل منها أخبار فأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة: «لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطرّوه إلى ضيقه». **(والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومؤاكلته)** فإن في كل من ذلك نوع إعزازله، **(فأما الانبساط معه والاسترسال إليه كما يسترسل إلى الأصدقاء فهو مكروه كراهة شديدة يكاد ينتهي ما يقوى منه إلى حد التحريم قال الله تعالى)** في كتابه العزيز: **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم﴾** والموادة مفاعلة من الود كما ان المحاددة من الحد وهو العداوة **(وقال ﷺ: «المؤمن والمشرك لا تتراءى ناراهما»)**

ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية. وقال ﷺ: « المسلم والمشرك لا تتراءى ناراهما » وقال عزّ وجل: ﴿يا أيها الذين آمنُوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء﴾ [الممتحنة: ١] الآية.

الثاني: المبتدع الذي يدعو إلى بدعته فإن كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد من الذميّ لأنه لا يقرّ بجزية ولا يسامح بعقد ذمة وإن كان مما لا يكفر فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لا محالة ولكن الأمر في الإنكار عليه أشدّ منه على الكافر لأن شر الكافر غير متعد، فإن المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلى قوله إذ لا يدعي لنفسه الإسلام واعتقاد الحق. أما المبتدع الذي يدعو إلى البدعة ويزعم أن ما يدعو إليه حق فهو سبب لغواية الخلق فشره متعد، فالاستحباب في إظهار بغضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه أشد، وإن سلم في خلوة فلا بأس برد جوابه وإن علمت أن الإعراض عنه والسكوت عن جوابه يقبح في نفسه بدعته ويؤثر في زجره فترك الجواب أولى، لأن جواب السلام وإن كان واجباً فيسقط بأدنى غرض فيه مصلحة حتى يسقط بكون الإنسان في الحمّام أو في قضاء حاجته

قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي من حديث جرير: « أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين. قالوا: يا رسول الله ولم؟ قال: لا تتراءى ناراهما » ورواه النسائي مرسلاً. وقال البخاري والصحيح مرسل اهـ.

(**وقال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ الآية**) أي لا تتخذوهم أولياء لكم ولا توالوهم ولا تخالطوهم.

(**الثاني المبتدع الذي يدعو إلى بدعته فإن كانت البدعة بحيث يكفر بها فأمره أشد**) أمر (**الذمي لأنه لا يقر بجزية ولا يتسامح بعقد ذمة**) بخلاف الذمي، (**وإن كان**) ابتداعه (**مما لا يكفر به فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر ولا محالة ولكن الأمر في الإنكار عليه أشد منه على الكافر لأن شر الكافر غير متعد**) إلى الغير، (**فإن المسلمين اعتقدوا كفره فلا يلتفتون إلى قوله إذ لا يدعي لنفسه الإسلام واعتقاد الحق وأما المبتدع الذي يدعو**) الغير (**إلى البدعة ويزعم أن ما يدعو إليه حق فهو سبب لغواية الخلق**) وإضلالهم (**فشره متعد، فالاستحباب في إظهار بغضه ومعاداته**) ومجافاته (**والإنقطاع عنه وتحقيره والشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه أشد وإن سلم**) عليه (**في خلوة**) عن الناس (**فلا بأس برد جوابه، فإن علم أن في الإعراض عنه والسكون عن جوابه يقبح في نفسه بدعته**) التي هو فيها (**ويؤثر**) ذلك (**في زجره**) وردعه (**فترك الجواب أولى**) من الرد عليه، (**لأن جواب السلام وإن كان واجباً فيسقط بأدنى غرض فيه مصلحة**) مهمة (**حتى يسقط**) هذا الواجب

وغرض الزجر أهم من هذه الأغراض وإن كان في ملأ فترك الجواب أولى تنفيراً للناس عنه وتقبيحاً لبدعته في أعينهم، وكذلك الأولى كف الإحسان إليه والإعانة له لا سيما فيما يظهر للخلق قال عليه السلام: «من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر، ومن ألان له وأكرمه أو لقيه ببشر فقد استخف بما أنزل الله على محمد ﷺ».

الثالث: المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوى ولا يخاف الاقتداء به فأمره أهون، فالأولى أن لا يقابح بالتغليظ والإهانة بل يتلطف به في النصح، فإن قلوب العوام سريعة التقلب فإن لم ينفع النصح وكان في الإعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تأكد الاستحباب في الاعراض، وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه ورسوخ عقده في

(**بكون الإنسان في الحمام وفي قضاء الحاجة**) وقد سئل السراج العبادي عن قولهم رد السلام لا يجب في إثنين وعشرين موضعاً ضمنها قول القائل:

رد السلام واجـــــب إلا على   مـن في صلاة أو بـأكـل شغلا

إلى آخره فأجاب أما قاضي الحاجة فيكره له الرد، وأما من في الحمام فيستحب له الرد ولا يجب ولا يسلم على الفاسق والمبتدع ولا يجب الرد، (**وغرض الزجر أهم من هذه الأغراض**) التي ذكروا في إسقاط الوجوب (**وإن كان في ملأ**) أي جماعة (**فترك الجواب أولى لتنفير الناس عنه وتقبيحاً لبدعته في أعينهم**) وتحقيراً لشأنه، (**وكذلك الأولى كف الإحسان إليه و**) منع (**الإعانة له**) في مهماته، (**ولاسيما فيما يظهر للخلق قال ﷺ: «من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً، ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر، ومن ألان له أو أكرمه أو لقيه ببشر فقد استخف بما أنزل على محمد**) ﷺ» وفي نسخة: بما أنزل الله على محمد ﷺ. قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية والهروي في ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف، اهـ.

قلت: ورواه أبو نصر السجزي في الإبانة من حديث ابن عمر وابن عباس مرفوعاً: «من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام» ورواه أبو نصر أيضاً وابن عدي وابن عساكر من حديث عائشة مرفوعاً، ورواه ابن عدي أيضاً من حديث ابن عباس مرفوعاً.

(**الثالث: المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوى**) أي دعاء الناس إلى بدعته (**ولا يخاف الإقتداء به فأمره أهون**) وأخف، (**فالأولى أن لا يعالج بالتغليظ**) عليه (**والإهانة**) له (**بل يتلطف به بالنصح**) والإرشاد إلى الحق، (**فإن قلوب العوام سريعة التقلب**) لأنها ساذج لم يرسخ فيها شيء (**وإن لم ينفع النصح**) فيه (**وكان في الإعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه**) وتحقير لشأنها (**تأكد الاستحباب في الإعراض**) عنه، (**فإن علم أن ذلك لا يؤثر**

قلبه، فالإعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها. وأما العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشي بالنميمة وأمثالها، أو كان مما لا يقتصر عليه ويؤذي غيره وذلك ينقسم إلى ما يدعو غيره إلى الفساد كصاحب الماخور الذي يجمع بين الرجال والنساء ويهيء أسباب الشرب والفساد أو لا يدعو غيره إلى فعله كالذي يشرب ويزني، وهذا الذي لا يدعو غيره إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو بصغيرة، وكل واحد فإما أن يكون مصراً عليه أو غير مصر، فهذه التقسيمات يتحصل منها ثلاثة أقسام، ولكل قسم منها رتبة وبعضها أشد من بعض ولا نسلك بالكل مسلكاً واحداً.

القسم الأول: وهو أشدها: ما يتضرر به الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة فهؤلاء الأولى الإعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم، لأن المعصية شديدة فيما يرجع إلى إيذاء الخلق. ثم هؤلاء ينقسمون إلى من يظلم في الدماء وإلى من يظلم في الأموال وإلى من يظلم في الأعراض، وبعضها أشد من بعض

بجمود طبعه) وبلادة ذهنه **(ورسوخ عتوّه في قلبه فالإعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقبيحها)** والحط في شأنها **(شاعت بين الخلق وطار شررها وعم فسادها)** وتحققت الغواية بها. **(وأما العاصي بفعله وعمله لا باعتقاده فلا يخلو إما أن يكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم والغصب والشهادة الزور والغيبة والتضريب بين الناس والمشي بالنميمة وأمثالها)** من المعاصي، **(إذا كان مما لا يقتصر عليه يؤذي غيره، فذلك ينقسم إلى ما يدعو غيره إلى الفساد كصاحب الماخور)** وهو مجلس الفساق **(الذي يجمع بين الرجال والنساء)** في الحرام **(ويهيء أسباب الشرب والفساد لأهل الفساد أو لا يدعو غيره إلى فعله)** بل يقتصر **(كالذي يشرب أو يزني، وهذا الذي لا يدعو غيره)** لا يخلو **(إما أن يكون عصيانه بكبيرة أو صغيرة، وكل واحد إما أن يكون مصراً عليها أو غير مصر، فهذه التقسيمات تتحصل منها ثلاثة أقسام، ولكل قسم منها رتبة)** معلومة معينة **(وبعضها أشد من بعض فلا نسلك بالكل مسلكاً واحداً)** ولكن نفصل ونقول.

(القسم الأول: وهو أشدها) أي أشد الأقسام الثلاثة **(ما يتضرر به الناس كحال الظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة، فهؤلاء الأولى الإعراض عنهم)** بالكلية **(وترك مخالطتهم والانقباض عن معاملتهم، لأن المعصية شديدة فيما يرجع إلى إيذاء الخلق)** إذ ليس بعد الشرك أشد من الإضرار، **(ثم هؤلاء ينقسمون إلى من يظلم في الدماء)** أي بقتل النفوس، **(وإلى من يظلم في الأموال)** أي يأخذها من غير حق، **(وإلى من يظلم في**

فالاستحباب في إهانتهم والإعراض عنهم مؤكد جداً ، ومهما كان يتوقع من الإهانة زجراً لهم أو لغيرهم كان الأمر فيه آكد وأشد .

الثاني: صاحب الماخور الذي يهيء أسباب الفساد ويسهل طرقه على الخلق ، فهذا لا يؤذي الخلق في دنياهم ولكن يختلس بفعله دينهم ، وإن كان على وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه ، فإن المعصية بين العبد وبين الله تعالى إلى العفو أقرب ولكن من حيث انه متعد على الجملة إلى غيره فهو شديد ، وهذا أيضاً يقتضي الإهانة والإعراض والمقاطعة وترك جواب السلام إذا ظن أن فيه نوعاً من الزجر له أو لغيره .

الثالث: الذي يفسق في نفسه بشرب خمر أو ترك واجب أو مقارفة محظور يخصه فالأمر فيه أخف ولكنه في وقت مباشرته إن صودف يجب منعه بما يمتنع به منه ولو بالضرب والاستخفاف فإن النهي عن المنكر واجب ، وإذا فرغ منه وعلم أن ذلك من عادته وهو مصر عليه فإن تحقق أن نصحه يمنعه عن العود إليه وجب النصح ، وإن لم

الأعراض) اي يهتكها **(وبعضها أشد من بعض)** فإن قتل النفوس أشد من أخذ الأموال ، وأخذ الأموال أشد من الوقوع في الأعراض ، **(والاستحباب في إهانتهم)** وإذلالهم **(والإعراض عنهم مؤكد جداً ومهما كان يتوقع من)** تلك **(الإهانة زجر لهم أو لغيرهم كان الأمر فيه آكد وأشد .**

(الثاني: صاحب الماخور) أي مجلس الفساق **(الذي يهيء أسباب الفساد)** بالجمع بين الرجال والنساء **(ويسهل سبيله)** أي الفساد **(على الخلق)** وفي نسخة ويسهل طرقها على الخلق أي الأسباب ، **(فهذا لا يؤذي الخلق في دنياهم ولكن يجتاح)** أي يستأصل **(بفعله دينهم)** ويهلكهم وفي بعض النسخ: يختلس بدل يجتاح **(وإن كان على وفق رضاهم فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه ، فإن المعصية بين الله)** تعالى **(وبين العبد إلى العفو أقرب)** بناء على أن حقوق الله مبنية على المسامحة على قول ، **(ولكنه من حيث أنه متعد على الجملة إلى غيره فهو شديد)** لأجل تعديه **(وهذا أيضاً يقتضي الإهانة والإعراض والمقاطعة وترك جواب السلام)** له **(إذا ظن أن فيه نوعاً من الزجر له أو لغيره) .**

(الثالث: الذي يفسق في نفسه كشرب خمر أو ترك واجب أو مقارفة محظور) شرعي **(يخصه)** في نفسه ، **(فالأمر فيه أخف ولكنه في وقت مباشرته إن صودف يجب منعه بما يمتنع به منه)** بأي حال كان **(ولو بالضرب)** إن أمكن **(والاستخفاف)** والإزراء ، **(فإن النهي عن المنكر واجب ، فإذا نزع عنه وعلم أن ذلك من عادته)** اللازمة **(وهو مصر عليه ، فإن تحقق أن نصحه يمنعه من العود)** إليه **(وجب النصح)** حينئذ ، **(وإن لم يتحقق**

يتحقق ولكنه كان يرجو فالأفضل النصح والزجر بالتلطف أو بالتغليظ إن كان هو الأنفع، فإما الإعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه يصر وأن النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه مختلفة، والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال الاعمال بالنيات إذ في الرفق والنظر بعين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع وفي العنف والإعراض نوع من الزجر والمستفتي فيه القلب، فما يراه أميل إلى هواه ومقتضى طبعه فالأولى ضده إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ بإظهار العلو والإدلال بالصلاح وقد يكون رفقه عن مداهنة واستمالة قلب للوصول به إلى غرض أو لخوف من تأثير وحشته ونفرته في جاه أو مال بظن قريب أو بعيد وكل ذلك مردد على إشارات الشيطان وبعيد عن أعمال أهل الآخرة؛ فكل راغب في أعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق ومراقبة هذه الأحوال والقلب هو المفتي فيه وقد يصيب الحق في اجتهاده وقد يخطىء وقد يقدم على اتباع هواه وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الغرور ظان أنه عامل لله وسالك طريق الآخرة.

ولكنه كان يرجوه) منه **(فالأفضل النصح والزجر بالتلطف أو بالغليظ إن كان هو الأنفع، فأما الإعراض عن جواب سلامه والكف عن مخالطته حيث يعلم أنه مصر)** عليه **(وأن النصح ليس ينفعه فهذا فيه نظر وسير العلماء فيه)** أي طرائقهم **(مختلفة، والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل فعند هذا يقال: «الأعمال بالنيات»)** وقد رواه هكذا الإمام أبو حنيفة وابن حبان في صحيحه من حديث عمر، والمشهور في لفظه: «إنما الأعمال بالنيات» وقد تقدم وسيأتي لذلك شرح وتفصيل في محله. **(إذ في الرفق والنظر بعين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع)** لجلال الله وكبريائه، **(وفي العنف والإعراض نوع من الكبر والعجب والمستفتى فيه القلب)** الذي رد إليه الأمر فيه. **(فما يراه أميل إلى هواه ومقتضى طبعه فالأولى ضده)** وخلافه **(إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن)** باعث **(كبر وعجب والتذاذ بإظهار العلو)** عليه **(والإدلال بالصلاح)** أي بصلاح نفسه، **(وقد يكون رفقه)** ولينه **(عن)** باعث **(مداهنة واستمالة قلب للوصول إلى غرض)** من الأغراض الدنيوية، **(أو لخوف من تأثير وحشة ونفرة في مال أو جاه)** سواء **(علم ذلك بظن قريب أو بعيد، وكل ذلك تردد على إشارات الشيطان)** ورموزه وتخيلاته **(وبعيد عن أعمال الآخرة، فكل راغب في أعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش)** والبحث والتنقير **(عن هذه الدقائق)** الخفية **(ومراقبة هذه الأحوال)** المختلفة، **(والقلب هو المستفتى فيه)** فيما يرد عليه **(وقد يصيب الحق في اجتهاده)** إن وافاه التوفيق **(وقد يخطىء)** عن الإصابة، **(وقد يقدم على اتباع هواه)** بما يهواه **(وهو عالم به وقد يقدم وهو بحكم الغرور ظان أنه عامل لله وسالك**

وسيأتي بيان هذه الدقائق في كتاب الغرور من ربع المهلكات. ويدل على تخفيف الأمر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روي أن شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله ﷺ مرات وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يشرب، فقال ﷺ: «لا تكن عوناً للشيطان على أخيك» أو لفظاً هذا معناه، وكان هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتغليظ.

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته:

اعلم أنه لا يصلح للصحبة كل إنسان. قال ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم

طريق الآخرة) وهو مغرور بما ظن، **(وسيأتي بيان هذه الدقائق في كتاب الغرور من ربع المهلكات)** إن شاء الله تعالى. **(ويدل على تخفيف الأمر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله)** تعالى **(ما روي إن شارب خمر ضرب مرات بين يدي رسول الله ﷺ وهو يعود)** إلى الشرب **(فقال واحد من الصحابة: لعنه الله ما أكثر ما يشرب، فقال رسول الله ﷺ: «لا تكن عوناً للشيطان على أخيك»)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: لفظه: «لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم» رواه من طريق محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

وأخرج أبو محمد الحارثي في مسند من طريق حمزة بن حبيب الزيات، والحسن بن الفرات، وأبي يوسف، وسعيد بن أبي الجهم، ومحمد بن ميسر الصغاني كلهم عن أبي حنيفة، عن يحيى بن عبد الله الجابر، عن أبي واحد الحنفي عن ابن مسعود قال: إن أول حد أقيم في الإسلام لسارق أتى به النبي ﷺ فلما قامت عليه البينة قال: «انطلقوا به فاقطعوه فلما انطلق به ليقطع نظر إلى وجه النبي ﷺ كأنما أسيف عليه الرماد، فقال بعض جلسائه: والله يا رسول الله لكان ماذا قد أشتد عليك: قال: وما يمنعني أن لا يشتد على أن تكونوا أعوان الشياطين على أخيكم» الحديث. وسيأتي في ذكر حقوق المسلم مفصلاً **(أو لفظ)** آخر **(هذا معناه)** قال ذلك تأدباً **(وكان هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتغليظ)**.

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته:

(اعلم أنه لا يصلح للصحبة كل إنسان. قال ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل») قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه والحاكم من حديث أبي هريرة وقال: صحيح إن شاء الله اهـ.

قلت: وكذلك رواه الطيالسي، والبيهقي، والقضاعي من طريقه، والعسكري كلهم من طريق

من يخالل ». ولا بد أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها في صحبته وتشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة إذ معنى الشرط ما لا بدّ منه للوصول إلى المقصود فبالإضافة إلى المقصود تظهر الشروط. ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية. أما الدنيوية؛ فكالانتفاع بالمال أو الجاه أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك من أغراضنا. وأما الدينية، فيجتمع فيها أيضاً أغراض مختلفة إذ منها الاستفادة من العلم والعمل، ومنها الاستفادة من الجاه تحصناً به عن إيذاء من يشوّش القلب ويصد عن العبادة، ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الأوقات في طلب القوت، ومنها الاستعانة في المهات فيكون عدة في المصائب وقوّة في الأحوال، ومنها التبرك بمجرد الدعاء، ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة، فقد قال بعض السلف: استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة أخيك. وروي في

موسى بن وردان، عن أبي هريرة. وتوسع ابن الجوزي فأورده في الموضوعات، ورواه العسكري من طريق سليمان بن عمرو النخعي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس مرفوعاً ولفظه: « المرء على دين خليله ولا خير لك في صحبة من لا يرى لك من الخير مثل الذي ترى » ورواه ابن عدي في كامله وسنده ضعيف، وهو في الشعب للبيهقي بلفظ: « من يخال » بلام واحدة مشددة وفي هذا المعنى قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

(**فلا بد أن يتميز بخصال يرغب في صحبته بسببها وتشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة إذ معنى الشرط ما لا بد منه للوصول إلى المقصود**) ويكون كالعلامة عليه، (**فبالإضافة إلى المقصود تظهر الشروط**) وتبان العلامات (**وتطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية. أما الدنيوية فكالانتفاع بالمال أو الجاه أو بمجرد الاستئناس بالمشاهدة**) لوجهه هو (**وبالمجاورة**) حيث يسكن، (**وليس ذلك من غرضنا. وأما الدينية فتجتمع فيها أغراض مختلفة**) باختلاف الأشخاص والأحوال (**إذ منها الاستفادة في العلم والعمل، ومنها الاستفادة في الجاه تحصناً به عن إيذاء من يشوش القلب**) ويفرقه (**ويصد عن العبادة ومنها استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الأوقات في طلب الأقوات**) فإن تحصيل القوت يستدعي أوقاتاً إن هو تأخر عنها لم يحصل على مقصوده فيضيعها فيما يشغله عن عبادة الله، (**ومنها الاستعانة في المهات**) أي الأمور اللازمة (**فيكون عدة في المصائب**) يستعين في رفع النوازل (**أو قوة في الأحوال، ومنها التبرك بمجرد الدعاء**) الصالح، (**ومنها انتظار الشفاعة في**) الدار (**الآخرة. قال بعض السلف: استكثر من الإخوان فإن لكل مؤمن**) عند الله (**شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة أخيك**) نقله صاحب القوت. وقد روي ذلك مرفوعاً أخرج ابن النجار

غريب التفسير في قوله تعالى: ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله﴾ [الشورى: ٢٦] قال: يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم. ويقال: إذا غفر الله للعبد شفع في إخوانه ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والألفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد. فهذه فوائد تستدعي كل فائدة شروطاً لا تحصل إلاّ بها ونحن نفصلها. أما على الجملة فينبغي أن يكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال: أن يكون عاقلاً حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا.

في تاريخه من حديث أنس بسند ضعيف مرفوعاً استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة» والمراد به الاستكثار من مؤاخاة الأخيار، فإن لم يكونوا خياراً فينبغي الإقلال منهم كما قال ابن الرومي:

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

(وروي في غريب التفسير في قوله تعالى ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾) هكذا في النسخ. وهذه الآية في سورة النساء. وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية، والاسماعيلي في معجمه بسند ضعيف عن ابن مسعود رفعه قال «أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة فيمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا».

وأما صاحب القوت فقال: وروينا عن رسول الله ﷺ حديثاً غريباً في تفسير قوله تعالى يعني في الشورى: **﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزدهم من فضله﴾ قال: يشفعهم في إخوانهم فيدخلهم الجنة معهم)** قلت: أخرجه ابن جرير من طريق قتادة عن إبراهيم النخعي في قوله: ﴿ويزيدهم من فضله﴾ قال: يشفعون في إخوان إخوانهم.

(ويقال إذا غفر للعبد شفع في اخوانه) نقله صاحب القوت، **(ولذلك حث جماعة من السلف على الصحبة والإلفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد)** منهم المسيب، والشعبي وابن أبي ليلى، وهشام بن عروة، وابن شبرمة، وشريح، وابن عيينة، وابن المبارك، والشافعي، وابن حنبل كما سيأتي ذلك في أول كتاب العزلة. **(فهذه فوائد تستدعي كل فائدة شروطاً لا تحصل إلا بها ويخفى تفصيلها)** وفي نسخة: ولا يخفى. **(أما على الجملة فينبغي أن يكون فيمن تؤثر)** أي تختار **(صحبته خمس خصال: أن يكون عاقلاً، حسن الخلق، ولا مبتدع، ولا حريص على الدنيا)** وفي القوت: واياك أن تصحب من الناس خمسة: المبتدع، والفاسق، والجاهل، والحريص على الدنيا، والمغتاب فإن هؤلاء مفسدة للقلوب مذهبة للأحوال مضرة في الحال والمال اهـ.

أما العقل فهو رأس المال وهو الأصل فلا خير في صحبة الأحمق فإلى الوحشة والقطيعة ترجع عاقبتها وإن طالت: قال علي رضي الله عنه:

فلا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى ... حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء ... إذ ما المرء ما شاه
فلا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه
وللشيء من الشيء ... مقاييس واشباه
وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاه

كيف والأحمق قد يضرك وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لا يدري، ولذلك قال الشاعر:

إني لآمن من عدو عاقل ... وأخاف خلاّ يعتريه جنون
فالعقل فن واحد وطريقه ... أدري فارصد والجنون فنون

(**أما العقل فهو رأس المال**) أي بمنزلته (**وهو الأصل**) وبتمامه تمام الدين، فقد روى البيهقي في حديث أنس «وما تم دين إنسان قط حتى يتم عقله». (**ولا خير في صحبة الأحمق**) أي فاسد العقل، (**فإلى القطيعة والوحشة ترجع عاقبتها**) أي تلك الصحبة (**وإن طالت. قال علي رضي الله عنه**) فيما نسب إليه وفي القوت: روى الأصمعي عن مجالد عن الشعبي قال، قال علي رضي الله عنه لرجل وقد كره صحبة رجل أحمق فقال:

لا تصحب أخنا الجهل ... وأياك وايـاه
فكم من جاهل أردى ... حكيماً حين آخاه
يقاس المرء بالمرء ... إذا ما المرء ما شاه)

معنى أردى: أهلك.

وفي نسخة. إذا ما هو ما شاه والممشاه الاستواء في المشي.

(وللشيء من الشيء ... مقاييس واشباه)
(وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاه)

(**كيف والأحمق قد يضرك وهو يريد منفعتك وإعانتك من حيث لا يدري**). وروى جعفر الصادق عن أبيه إياك والأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك (**ولذلك قيل:**

إني لآمن من عدو عاقل ... وأخاف خلاً يعتريه جنونُ
فالعقل فن واحد وطريقه ... أدري فارصد والجنون فنونُ

ولذلك قيل: مقاطعة الأحمق قربان إلى الله. وقال الثوري: النظر إلى وجه الأحمق خطيئة مكتوبة ونعني بالعاقل الذي يفهم الأمور على ما هي عليه إما بنفسه وإما إذا فهم.

وأما حسن الخلق فلا بد منه إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ما هي عليه، ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه فلا خير في صحبته.

وأما الفاسق المصر على الفسق فلا فائدة في صحبته لأن من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاغراض. وقال تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه﴾ [طه: ١٦]، وقال تعالى: ﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ [النجم: ٢٩]، وقال: ﴿واتبع سبيل من أناب إلي﴾ [لقمان: ١٥] وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق.

ولذلك قيل: مقاطعة الأحمق قربان إلى الله) تعالى، وقد جاء في بعض الأخبار: اياك أن تصحب جاهلاً فتجهل بصحبته، أو غافلاً عن مولاه متبعاً لهواه فيصدك عن سبيله فتردى كما قال تعالى: ﴿فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ [يونس: ٨٩] (**وقال**) سفيان (**الثوري**) رحمه الله تعالى (**النظر في وجه الأحمق خطيئة مكتوبة**) كذا في القوت، (**ونعني بالعاقل الذي يفهم الأمور**) بنور عقله (**على ما هي عليها إما بنفسه**) أي من جوهر طبعه وهو الوهب الإلهي، (**وإما إذا فهم وعلم**) أي علمه الغير وفهمه ففهم وعلم وهذا هو العقل المكتسب.

(**وأما حسن الخلق فلا بدّ منه**) في الصاحب (**إذ ربَّ عاقل يدرك الأشياء**) بنفوذ بصيرته (**على ما هي عليها، ولكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو جبن**) أسترسل مع نفسه و (**أطاع هواه وخالف ما هو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته**) الردية (**وتقويم أخلاقه**) السيئة، (**فلا خير في صحبته**) أيضاً.

(**وأما الفاسق المصر على الفسق فلا فائدة في صحبته**) أيضاً (**لأن من يخاف الله**) ويخشاه (**لا يصر على كبيرة**) أصلاً، (**ومن لا يخاف الله**) تعالى (**لا تؤمن غائلته**) أي داهيته (**ولا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الأغراض**) ومنه قول العامة: الذي لا يخاف الله خف منه، (**وقال تعالى ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾**) أي لا توافقه ولا ترافقه، (**وقال عز وجل**) **﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾** أي تكون ردياً أو فتهلك، وقال تعالى: **﴿فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾** ففي دليله الإقبال بالصحبة على من أقبل إلى ذكره والإعراض عمن أعرض عن وجهه فلا تصحبن إلا مقبلاً إليه. (**وقال تعالى ﴿واتبع سبيل من أناب إليَّ﴾**) أي رجع، (**وفي مفهوم ذلك زجر عن**) مصاحبة (**الفساق**) والغافلين.

وأما المبتدع ففي صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شؤمها إليه فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة، فكيف تؤثر صحبته؟ وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدين في الصديق فيما رواه سعيد بن المسيب قال: عليك باخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم ولا أمين إلا من خشي الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى.

وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردي في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال: يا بني إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك وإن

(وأما المبتدع، ففي صحبته خطر سراية البدعة وتعدي شؤمها إليه، فالمبتدع مستحق للهجرة والمقاطعة) وعدم المصافاة، **(وكيف تؤثر صحبته، وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث في طلب التدين في الصديق فيما رواه سعيد بن السيب)** ولفظ القوت، وفي وصية عمر ابن الخطاب رضي الله عنه التي رويناها عن يحي بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب قال، قال عمر رضي الله عنه. قلت: وسعيد بن المسيب لم يدرك عمر باتفاق المحدثين إلا أنه كان راوية اخباره لكثرة تتبعه لها: **(عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه، واعتزل عدوك واحذر صديقك)** من القوم **(إلا الأمين ولا أمين إلا من يخشى الله، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى)** كذا في القوت.

وقال أبو نعيم في الحلية، حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا محمد ابن أبي سهيل، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن محمد بن عجلان، عن إبراهيم بن مرة عن محمد بن شهاب قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تعترض فيما لا يعنيك واعتزل عدوّك واحتفظ من خليك إلا الأمين، فإن الأمين من القوم لا يعادل. ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تفش إليه سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله عز وجل.

(وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة) بن عمر بن الحصين **(العطاردي)** أبو الفضل الكوفي صدوق له غرائب. روى له ابن ماجه مات سنة ست وخمسين **(في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة قال:)** ولفظ القوت: وحدثونا عن إبراهيم بن سعيد قال: حدثنا يحي بن أكثم قال: حدثنا المأمون أمير المؤمنين فقلت له: حدثني سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن أبجر قال: لما حضرت علقمة العطاردي الوفاة دعا بابنه فقال: **(يا بني إن عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك وإن صحبته زانك وإن قعدت بك مؤنة مانك، اصحب من**

صحبته زانك وإن قعدت بك مؤنـة مانك ، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن رأى سيئة سدها ، اصحب من إذا سألته أعطاك وإن سكت ابتداك وإن نزلت بك نازلة واساك ، اصحب من إذا قلت صدّق قولك وإن حاولتما أمراً أمرك وإن تنازعتما آثرك ، فكأنه جمع بهذا جميع حقوق الصحبة وشرط أن يكون قائماً بجميعها . قال ابن أكثم ؛ قال المأمون فأين هذا ؟ فقيل له : أتدري لم أوصاه بذلك ؟ قال : لا . قال : لأنه أراد أن لا يصحب أحداً . وقال بعض الأدباء : لا تصحب من الناس إلا من يكتم سرك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فإن لم تجده فلا تصحب إلا نفسك .

إذا مددت يدك بخير مدّها وإن رأى منك حسنة عدّها وإن رأى منك سيئة سدّها . اصحب من إذا سألته أعطاك وإن سكت ابتداك وإن نزلت بك نازلة واساك . اصحب من اذا قلت قولاً صدق قولك وإن حاولتما أمراً أمرك وإن **تنازعتما آثرك)** . قال المصنف: زيادة على صاحب القوت **(وكأنه جمع بهذا جميع حقوق الصحبة، وشرط أن يكون قائماً بجميعها)** ، ثم قال صاحب القوت : **(قال ابن أكثم)** هو أبو محمد يحي بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي المرفدي القاضي المشهور ، فقيه صدوق إلا أنه رمي بسرقة الحديث ولم يقع ذلك له إنما كان يرى الرواية بالإجازة والإجادة ، روى له الترمذي مات سنة ثلاث وأربعين عن ثلاث وثمانين سنة . **(قال المأمون)** يعني أمير المؤمنين عبد الله بن هارون : **(فأين هذا ، فقيل له : تدري لم أوصاه بذلك ؟ قال : لا . قال : لأنه أراد أن لا يصحب أحداً)** أي لأنه لا يجده جامعاً لهذه الأوصاف. وتروى هذه الوصية بلفظ آخر : لا تصحب من الناس إلا من افتقرت قرب منك ، وإن استغنيت لم يطمع فيك وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك ، وإن ابتذلت له صانك ، وإن احتجت إليه عانك ، وإن اجتمعت معه زانك فإن لم تجد هذا فلا تصحب أحداً ، **(وقال بعض الأدباء : لا تصحب من الناس إلا من)** كان على هذا الوصف **(يكتم سرك ويستر عيبك ويكون معك في النوائب)** أي الشدائد ، **(ويؤثرك بالرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فإن لم تجد فلا تصحب إلا نفسك)** أي اعتزل عنهم نقله صاحب القوت قال : وقد أنشدنا بعض العلماء لبعض الادباء :

ونـــدمـــان أخـــي ثقـــة … كـــان حـــديثـــه خبره
يسرك حســن ظـــاهـــره … وتحمـــد منـــه مختبره
يســاعــد خلــه كــرمـــاً … وفي اخلاقـــه أثـــره
ويطـــوي ســره أبـــداً … وحسنـــاً إن طـــوى نشره
ويسْتر عيــب صــاحبــه … ويستـرانـــــه ستره

وقال علي رضي الله عنه:

إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيه شمله ليجمعك

وقال بعض العلماء: لا تصحب إلا أحد رجلين: رجل تتعلم منه شيئاً في أمر دينك فينفعك، أو رجل تعلمه شيئاً في أمر دينك فيقبل منك. والثالث فاهرب منه. وقال بعضهم: الناس أربعة: فواحد حلو كله فلا يشبع منه، وآخر مر كله فلا يؤكل منه، وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك، وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: لا تصحب خمسة الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب، والأحمق فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه، والجبان فإنه يسلمك ويفر عند الشدة، والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها.

(**وقال علي رضي الله عنه**)، ولفظ القوت: وروينا عن الحسن بن علي رضي الله عنهما في وصف الأخ كلاماً (**رجزاً**) جامعاً مختصراً.

(إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك)

(ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت شمل نفسه ليجمعك)

ويروى: إن أخاك الصدق بدل الحق وشتت فيك شمله، ومنهم من نسبه للإمام الشافعي.
(**وقال بعض العلماء: لا تصحب إلا أحد رجلين رجل تتعلم منه شيئاً من أمر دينك فينفعك، أو رجل تعلمه شيئاً من أمر دينه فيقبل منك، والثالث فاهرب منه**) نقله صاحب القوت، ومثله قول أبي الدرداء: كن عالماً أو متعلماً ولا تكن ثالثاً فتهلك. (**وقال بعضهم الناس أربعة فواحد حلو كله فلا تشبع منه**) ولفظ القوت فهذا لا يشبع منه، (**وآخر مرٌّ كله فلا تأكل منه**) ولفظ القوت فهذا لا يؤكل منه، (**وآخر فيه حموضة فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك، وآخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط**) ولفظ القوت فخذ منه إذا احتجت إليه.
(**وقال جعفر الصادق**) ولفظ القوت وروينا عن جعفر بن محمد الصادق قال: قال محمد بن علي: يا بني (**لا تصحب**) ولفظ القوت لا تصبن من الناس (**خمسة**). الأول: (**الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب**)الذي يلمع من حر الشمس فيرى أنه ماء وليس كذلك (**يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب، و**) الثاني: (**الأحمق فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك، و**) الثالث: (**البخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه، و**) الرابع: (**الجبان فإنه يسلمك ويفرّ عند الشدة، و**) الخامس: (**الفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل**

فقيل: وما أقل منها؟ قال: الطمع فيها ثم لا ينالها. وقال الجنيد: لأن يصحبني فاسق حسن الخلق أحب إليّ من أن يصحبني قارىء سيء الخلق. وقال ابن أبي الحواري: قال أستاذي أبو سليمان: يا أحمد لا تصحب إلا أحد رجلين. رجلاً ترتفق به في أمر دنياك أو رجلاً تزيد معه وتنتفع به في أمر آخرتك. والاشتغال بغير هذين حمق كبير. وقال سهل بن عبدالله: اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس: الجبابرة الغافلين، والقرّاء المداهنين، والمتصوّفة الجاهلين. واعلم أن هذه الكلمات أكثرها غير محيط بجميع أغراض الصحبة، والمحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها

منها فقيل) ولفظ القوت قلت: **(وما أقل منها؟ فقيل الطمع فيها ثم لا ينالها)** وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا أحمد بن يوسف بن الضحاك، حدثنا محمد بن يزيد، حدثنا محمد بن عبد الله القرشي، حدثنا محمد بن عبد الله الزبيدي، عن أبي حمزة الثمالي، حدثني أبو جعفر محمد بن علي قال: أوصاني أبي فقال: لا تصحبن خمساً ولا تحادثهم ولا ترافقهم في الطريق قال: قلت جعلت فداك يا أبت من هؤلاء الخمسة؟ قال: لا تصحبن فاسقاً فإنه يبيعك بأكلة فما دونها. قال، قلت يا أبت فما دونها؟ قال: يطمع فيها ثم لا ينالها. قال: قلت يا أبت ومن الثاني قال: لا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه. قال: قلت يا أبت ومن الثالث؟ قال: لا تصحبن كذاباً فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد. قلت: يا أبت ومن الرابع؟ قال: لا تصحبن أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك. قال: قلت يا أبت ومن الخامس؟ قال: لا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضع.

(وقال) أبو القاسم **(الجنيد)** قدس سره: **(لأن يصحبني فاسق حسن الخلق أحب إليّ من أن يصحبني قاريء)** أي فقيه **(سيء الخلق)** نقله صاحب القوت. **(وقال)** أحمد **(بن أبي الحواري: قال لي أستاذي أبو سليمان)** الداراني رحمه الله تعالى: **(يا أحمد لا تصحب إلا أحد رجلين رجل ترتفق به في دنياك أو رجل تزيد بصحبته المنفعة في آخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كبير)** نقله صاحب القوت. **(وقال)** أبو محمد **(سهل بن عبد الله)** التستري رحمه الله تعالى: **(اجتنب صحبة ثلاثة من اصناف الناس، الجبابرة الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوّفة الجاهلين)** نقله صاحب القوت، والمراد بالجبابرة الظلمة ووصفهم بالغافلين، لغفلتهم عن الله تعالى وهو وصف لازم لهم، وأراد بالقراء المداهنين العلماء المخالطين لأهل الأموال فيصانعونهم بالمداهنة في الأعمال، وأراد بالمتصوّفة الجاهلين المتزيين بزي أهل الله وهم جاهلون في السلوك فهؤلاء مضرتهم أكثر من منفعتهم.

(واعلم أن هذه الكلمات أكثرها غير محيط بجميع أغراض الصحبة و) إنما **(المحيط ما ذكرناه من ملاحظة المقاصد ومراعاة الشروط بالإضافة إليها فليس ما يشترط للصحبة في**

فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا مشروطاً للصحبة في الآخرة والاخوة كما قاله بشر: الأخوّة ثلاثة أخ لآخرتك وأخ لدنياك وأخ لتأنس به، وقلما تجتمع هذه المقاصد في واحد بل تتفرق على جميع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة. وقد قال المأمون: الإخوان ثلاثة: أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغني عنه، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت، والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط، ولكن العبد قد يبتلي به وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع وقد قيل: مثل جلة الناس كمثل الشجر والنبات، فمنها ما له ظل وليس له ثمر وهو مثل الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فإن نفع الدنيا كالظل السريع الزوال، ومنها ما له ثمر وليس له ظل وهو مثل الذي يصلح للآخرة دون الدنيا،

مقاصد الدنيا مشروطاً في) مقاصد **(الصحبة للآخرة كما قال شقيق)** البلخي رحمه الله تعالى: **(الأخوان ثلاثة: أخ لآخرتك، وأخ لدنياك، وأخ لتأنس به)** هذا الكلام لم أجده في ترجمة شقيق في الحلية ولا في غيرها، والذي في القوت وقال بشر بن الحارث: يكون للرجل ثلاثة اخوان أخ لآخرته وأخ لدنياه وأخ يأنس به فاخبر أن أخ المؤانسة قد لا يكون متقرباً عابداً وأن الانس مخصوص يقال لا يوجد في كريم، وكان يوسف بن اسباط يعزز من فيه أنس من الإخوان فكان يقول: ما في المصيصة ثلاثة يؤنس بهم، واعلم أن الانس لا يوجد في كل عالم ولا في كل عاقل ولا في كل عابد زاهد ويحتاج الانس إلى وجود معان تكون في الولي، فإذا اجتمعت فيه كل الأنس وارتفعت عنه الوحشة والحشمة، ومن لم تكن فيه لم يوجد فيه أنس، ومن لم تكمل فيه وجد فيه بعض الأنس وإذا حصل الأنس ففيه الروح من الكروب والاستراحة من الغم والسكون والطمأنينة في القلب، فلذلك عز من يوجد فيه الانس لعزة خصاله وهي سبع علم وعقل وأدب وحسن خلق وسخاء نفس وسلامة قلب وتواضع، فإن فقد بعضها لم يجد خلاً يأنس بكماله من قبل أن أضدادها وحشة كلها فاعرف هذا. **(وقلما تجتمع هذه المقاصد في واحد بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة، وقد قال المأمون)** أمير المؤمنين عبد الله بن هارون: **(الاخوان ثلاثة: أحدهم مثله مثل الغذاء)** للجسد **(لا يستغنى عنه، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت، والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط، ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع)** عنده. والأوّل نعمة من الله سبحانه على العبد فيه ألفة وأنس ومعه غنيمة ونفع كذا في القوت. **(وقيل: مثل جلة الناس مثل)** جلة **(الشجر والنبات فمنه ماله ظل وليس له ثمر وهو الذي ينفع في الدنيا دون الآخرة)** شبهه بالشجرة التي لها ظل من غير ثمر فينتفع بظله ولكن لا ثمرة له في العقبى وكذلك المشبه به يحتاج إليه في وقت، **(فإن نفع الدنيا كالظل السريع الزوال)** ولذا قيل: انما الدنيا كظل زائل.

(ومنه ماله ثمر وليس له ظل وهو الذي يصلح للآخرة دون الدنيا، ومنه ماله ثمر وظل

ومنها ما له ثمر وظل جميعاً، ومنها ما ليس له واحد منهما كأم غيلان تمزق الثياب ولا طعم فيها ولا شراب ومثله من الحيوانات الفأرة والعقرب كما قال تعالى: ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾ [الحج: ١٣] وقال الشاعر:

الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم ... لا يستوون كما لا يستوي الشجر
هذا له ثمر حلو مذاقته ... وذاك ليس له طعم ولا ثمر

فإذاً من لم يجد رفيقاً يؤاخيه ويستفيد به أحد هذه المقاصد فالوحدة أولى به. قال أبو ذر رضي الله عنه: الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة. ويروى مرفوعاً. وأما الديانة وعدم الفسق فقد قال الله تعالى: ﴿واتبع سبيل من أناب

جميعاً) فهذا الذي يصلح للدين والدنيا وهو أعزها **(ومنه ما ليس له واحد منهما)** لا ظل ولا ثمر وهذا هو الذي لا يحتاج إليه **(كأم غيلان)** وهي شجر الغضا شائكة لا ينتفع بها وتعرف أيضاً بشوك البرية، وإنما عرفت بأم غيلان لما تزعم العرب إنها مأوى شياطين الجن **(تمزق الثياب ولا طعم لها ولا شراب)** فهؤلاء من الناس من يضر ولا ينفع ويكثر ولا يدفع، **(ومثله في الحيوان)** مثل **(الفأرة والعقرب)** أي فإنهما مضران لا نفع فيهما للإنسان مطلقاً **(كما قال)** الله **(تعالى ﴿يدعو لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير﴾ و)** في وصفهم **(قال الشاعر)** وهو المؤمل:

(الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم ... لا يستوون كما لا يستوي الشجرُ)
(هذا له ثمر حلو مذاقته ... وذاك ليس له ظل ولا ثمرُ)

ولفظ القوت:

ذا رب ظل وهذا عنده ثمر ... وذاك ليس له ظل ولا ثمر

ويوجد في بعض نسخ الكتاب: وذلك ليس له طعم ولا ثمر وفي أخرى: ولا أثر، **(فإذاً من لم يجد له رفيقاً يؤاخيه ويستفيد منه أحد هذه المقاصد)** دينية ودنيوية **(فالوحدة أولى به)** وأرفق لحاله. **(قال أبو ذر)** رضي الله عنه: **(الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة)** هكذا هو في القوت موقوفاً على أبي ذر قال الحافظ ابن حجر وهو المحفوظ، **(ويروى مرفوعاً)** إلى رسول الله ﷺ أخرجه الحاكم في المناقب، والبيهقي، وأبو الشيخ، والعسكري في الأمثال من طريق صدقة بن أبي عمران عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ «الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة، واملاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشر» قال الذهبي: لم يصح ولا صححه الحاكم وقال الحافظ ابن حجر سنده حسن، وقد أغفله العراقي فلم يورده، وصدقة بن أبي عمران قاضي الأهواز كوفي صدوق روى له البخاري تعليقاً ومسلم وابن ماجه. **(وأما الديانة وعدم الفسق فقال تعالى:**

إليّ﴾ [لقمان: ١٥] ولأن مشاهدة الفسق والفساق تهوّن أمر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنها. وقال سعيد بن المسيب: لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة بل هؤلاء لا سلامة في مخالطتهم وإنما السلامة في الانقطاع عنهم. قال الله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ [الفرقان: ٦٣] أي سلامة والألف بدل من الهاء ومعناه: أنا سلمنا من إثمكم وأنتم سلمتم من شرنا. فهذا ما أردنا أن نذكره من معاني الاخوة وشروطها وفوائدها. فلنرجع في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها.

وأما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه، فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا، فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين في الآخرة. قال علي رضي الله عنه: أحيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا

﴿واتبع سبيل من أناب لي﴾) ففي مفهومه زجر عن مصاحبة أهل الفسق والفجور كما تقدم فلا تصبحن إلا مقبلاً عليه، (**ولأن مشاهدة الفسق و**) معاشرة (**الفساق تهوّن أمر المعاصي على القلب وتبطل نفرة القلب عنها**) فالاحرى عدم مشاهدتهم وأحوالهم في حال من الأحوال. (**قال**) سعيد (**بن المسيب**) رحمه الله تعالى: (**لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة**) كذا في القوت، (**بل هؤلاء**) الظلمة والفساق (**لا سلامة في مخالطتهم وإنما السلامة في الانقطاع عنهم**) وقد (**قال**) الله (**تعالى**) وهو أحسن الواصفين في وصف أوليائه المتقين (﴿**وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً**﴾ **أي سلامة والألف بدل من الهاء**) لازدواج الكلم ومعناه أي سلمنا من إثمكم وأنتم سلمتم من شرنا كذا في القوت، (**فهذا ما أردنا أن نذكره في معاني الأخوة وشروطها وفوائدها فلنشرع في ذكر حقوقها ولوازمها وطرق القيام بحقها**).

ثم قال المصنف مشيراً إلى الشرط الخامس، (**وأما الحريص على الدنيا فصحبته سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء**) في الأحوال والأوصاف، (**بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يريده صاحبه**) ومنه قول العامة: الطبع سراق (**فمجالسة الحريص على الدنيا تحرك الحرص**) على الدنيا (**ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا**) وتقللها في عينه، (**فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا وتستحب صحبة الراغبين في الآخرة**) فقد روى الطبراني في الكبير والخرائطي في مكارم الأخلاق، والعسكري في الأمثال، من حديث أبي جحيفة: « جالسوا العلماء وسائلوا الكبراء وخالطوا الحكماء » رواه من طريق أبي مالك النخعي عن سلمة بن كهيل عن أبي جحيفة به مرفوعاً. ورواه العسكري أيضاً من طريق إسحاق بن الربيع العصفري: حدثنا أبو مالك نحوه، ومن طريق مسعر عن أبي جحيفة قال: كان يقال جالس الكبراء

منه. وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: ما أوقعني في بلية إلا صحبة من لا أحتشمه. وقال لقمان: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن القلوب لتحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل القطر.

وخالط العلماء وخالل الحكماء موقوف. وفي حديث ابن عباس قيل: يا رسول الله من نجالس؟ قال «من ذكركم الله رؤيته وزاد في علمكم منطقه وذكركم الآخرة عمله» رواه العسكري في الأمثال. **(قال علي رضي الله عنه: أحيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه)** وذلك لأن الصحبة مؤثرة فإذا جالس من يحتشم منه وجد لذة الحشمة والوقار في نفسه فيسري ذلك في طاعاته. **(وقال)** أحمد **(بن حنبل)** رحمه الله: **(ما أوقعني في بلية إلا صحبة من لا أحتشم منه. وقال لقمان)** الحكيم **(لابنه)** وهو يعظه: **(يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن القلوب تحيا بالحكمة كما تحيا الأرض الميتة بوابل المطر)**. رواه مالك في الموطأ، وقد تقدم في كتاب العلم، وروى الديلمي من حديث أنس جالس العلماء تعرف في السماء ووقر كبير المسلمين تجاور في الجنة .ومن حديث ابن عباس: مجالسة العلماء عبادة.

الباب الثاني

في حقوق الاخوة والصحبة

اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي النكاح حقوقاً يجب الوفاء بها قياماً بحق النكاح ـ كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح ـ فكذا عقد الأخوة، فلأخيك عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب بالعفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق.

الحق الأوّل: في المال:

قال رسول الله ﷺ: « مثل الأخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى »، وإنما

الباب الثاني

في حقوق الأخوّة والصحبة

وفي بعض النسخ حقيقة بدل حقوق.

(**اعلم ان عقد الأخوّة رابطة بين الشخصين**) معنوية (**كعقد النكاح بين الزوجين**) به يستحل الزوج من قرينه ما لم يكن له حلالاً من قبل، فكذلك يستحل المؤاخي من أخيه بذلك العقد ما لم يكن جائزاً من قبل، (**فكما يقتضي النكاح حقوقاً يجب الوفاء بها**) من الطرفين (**قياماً بحق النكاح ـ كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح ـ فكذا آداب عقد الأخوّة فلأخيك عليك حق في المال وفي النفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو والدعاء وبالإخلاص والوفاء والتخفيف وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثماني جمل.**)

الحق الأوّل: في المال:

(**قال ﷺ « مثل الاخوين مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى »**) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث سلمان بلفظ: « مثل المؤمن وأخيه كمثل الكفين تنقي إحداهما الأخرى » وهو في أول الحربيات من قول سلمان موقوف عليه، وقد تقدم هذا قريباً في الباب الذي قبله. (**وإنما شبههما باليدين**) وبالكفين (**لا باليد والرجل فإنهما يتعاونان على غرض واحد، وكذلك الاخوان**

شبههما باليدين لا باليد والرجل لأنهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الأخوان إنما تتم إخوتهما إذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المآل والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار والمواساة بالمال مع الأخوة على ثلاثة مراتب.

أدناها: أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فإذ سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال فإن احوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الاخوة.

الثانية: أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته في المال. قال الحسن: كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه.

الثالثة: وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين ومن ثمار هذه الرتبة: الإيثار بالنفس أيضاً، كما روي أنه سعى بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين

إنما تتم إخوّتهما إذا توافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة) أي المقاسمة **(في السراء والضراء والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص الاستئثار)** فلا يختص أحد دون صاحبه ولا يطلب إيثار نفسه عليه **(والمواساة بالمال مع الإخوان على ثلاث مراتب:)**

(أدناها أن تنزله منزلة عبدك) الذي اشتريته بمالك **(وخادمك)** الذي يخدمك بالأجرة **(فتقوم بحاجته)** الضرورية **(من فضل مالك، فإذا سَنَحت له حاجة)** أي عرضت **(وكانت عندك فضلة)** من مال **(على حاجتك أعطيته إياها ابتداء)** أي بادىء بدء **(ولم تحوجه إلى السؤال)** أي سؤاله مثل ذلك **(فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير في حق الأخوّة)** وهذه هي المرتبة الدنيا.

(الثانية) وهي الوسطى: **(أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته في المال)** بأن يكون لك منه شطر وله شطر. **(قال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه)** نقله صاحب القوت.

(الثالثة وهي العليا: أن تؤثره على نفسك) وتختاره عليها **(وتقدم حاجته على حاجتك، وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين)** في الله تعالى **(ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضاً)** أي يؤثر نفسه أخيه في الموت، **(كما روي انه سعى بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء)** لكلام بلغه عنهم **(فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين)** أحمد بن محمد

النوري فبادر إلى السيّاف ليكون هو أول مقتول فقيل له في ذلك فقال: أحببت أن أؤثر إخواني بالحياة في هذه اللحظة فكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة، فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد بعد في الباطن وإنما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل والدين، فقد قال ميمون بن مهران: من رضي من الإخوان بترك الأفضال فليؤاخ أهل القبور.

وأما الدرجة الدنيا فليست أيضاً مرضية عند ذوي الدين روي أن عتبة الغلام جاء إلى منزل رجل كان قد آخاه فقال: أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال خذ ألفين فاعرض عنه وقال: آثرت الدنيا على الله أما استحييت أن تدعي الاخوة في الله وتقول هذا، ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة ينبغي أن لا تعامله في الدنيا. قال أبو حازم: إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دنياك وإنما أراد به من كان في هذه الرتبة.

(النوري) رحمه الله تعالى، صحب السري وابن أبي الحواري وكان من أقران الجنيد، مات سنة خمس وتسعين ومائتين، **(فبادر إلى السيّاف ليكون هو أوّل مقتول)** دون إخوانه **(فقيل له في ذلك. فقال: أحببت أن أؤثر إخواني بالحياة في هذه اللحظة)** اللطيفة فبلغ ذلك الخليفة فعفا عنهم. **(فكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة)** هذا محصلها، **(فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك فاعلم أن عقد الأخوّة لم ينعقد بعد في الباطن وإنما الجاري بينكما مخالطة رسمية)** ظاهرية **(لا وقع لها)** ولا تأثير **(في العقل والدين، فقد قال ميمون بن مهران)** الجزري، كوفي نزل الرقة ثقة فقيه ولى لعمر بن عبد العزيز الجزيرة، روى له البخاري في الأدب المفرد والباقون: **(من رضي من الإخوان بترك الإفضال فليؤاخ أهل القبور)** كذا في القوت، وأخرجه صاحب الحلية من طريق المعافي ابن عمران عن ميمون بن مهران قال: من رضي من صلة الإخوان بلا شيء فليؤاخ أهل القبور.

(وأما الدرجة الدنيا) وهي التي ذكرت **(فليست أيضاً مرضية)** مقبولة **(عند ذوي الدين. روي أن عتبة الغلام)** أحد مشايخ وقته **(جاء إلى منزل رجل كان قد آخاه)** أي اتخذه أخاً في الله تعالى **(فقال)** له: **(أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف)** من درهم، **(فقال: خذ ألفين فاعرض عنه وقال: آثرت الدنيا على الله)** تعالى: **(أما استحييت أن تدعي الأخوة في الله وتقول هذا)** نقله صاحب القوت. **(ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة ينبغي أن لا تعامله في الدنيا. قال أبو حازم)** سلمة بن دينار الأعرج المدني: **(إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دنياك)** نقله صاحب القوت، **(وإنما أراد به من كان في هذه الرتبة التي ذكرناها)** وهي الرتبة الدنيا.

وأما الرتبة العليا ؛ فهي التي وصف الله تعالى المؤمنين بها في قوله: ﴿وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم يُنْفِقُون﴾ [الشورى: ٣٨] أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض ، وكان منهم من لا يصحب من قال: نعلي ، لأنه أضافه إلى نفسه. وجاء فتح الموصلي إلى منزل لأخ له وكان غائباً ، فأمر أهله فاخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاها فقال: إن صدقت فأنت حرة لوجه الله سروراً بما فعل. وجاء رجل إلى أبي هريرة رضي الله عنه وقال: إني أريد أن أؤاخيك في الله فقال: أتدري ما حق الإخاء؟ قال: عرفني، قال: أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني، قال: لم أبلغ هذه المنزلة بعد؟ قال: فاذهب عني. وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل: هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه؟ قال: لا . قال: فلستم بإخوان. ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا: يا أبا سعيد أصليت؟ قال: نعم. قالوا: فإن أهل السوق لم يصلوا بعد . قال: ومن يأخذ دينه من أهل

(**وأما**) الرتبة (**العليا: فهي التي وصف الله المؤمنين بها في قوله تعالى ﴿وأمرهم شورى بينهم**) أي أمورهم ذكر جاعها كالشيء الواحد شورى بينهم مشاع غير مقسوم ولا يستبد به واحدهم فيه سواء (**ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض**) كذا في القوت. (**وكان فيهم من لا يصحب من قال مالي**) وفي بعض النسخ: نعلي (**لأنه أضافه إلى نفسه**) أي ففيه نوع استبداد ، ولفظ القوت: ومن أخلاق السلف قال: لم يكن أحدنا يقول في رحله هذا لي وهذا لك بل كل من احتاج إلى شيء استعمله من غير مؤامرة، وأورده القشيري في الرسالة نحوه عن إبراهيم بن شيبان. (**وجاء فتح**) بن سعيد (**الموصلي**) تقدمت ترجمته في كتاب العلم (**إلى منزل أخ له وكان غائباً فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخرج**) من كيسه (**حاجته ، فأخبرت الجارية مولاها**) ولفظ القوت: فذهبت الجارية إلى مولاها فأعلمته ، (**فقال**) لها: (**إن صدقت**) أي إن كنت صادقة (**فأنت حرة لوجه الله تعالى سروراً بما فعل**) نقله صاحب القوت. (**وجاء**) رجل (**آخر إلى أبي هريرة**) رضي الله عنه (**فقال: إني أريد أن أؤاخيك في الله تعالى ، فقال: أتدري ما حق الإخاء؟ قال: عرفني. قال: أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني. قال**) الرجل: (**لم أبلغ هذه المنزلة بعد. قال: فاذهب عني**) نقله صاحب القوت. (**وقال علي بن الحسين**) بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم (**لرجل من جلسائه: هل يدخل أحدكم يده في كم صاحبه**) ولفظ القوت: أخيه (**أو كيسه فيأخذ منه ما يريد من غير إذن؟ قال: لا . قال: فلستم بإخوان**) نقله صاحب القوت. (**ودخل قوم على**) أبي سعيد (**الحسن**) البصري (**فقالوا: يا أبا سعيد أصليت؟ قال: نعم. قالوا: فإن أهل السوق لم يصلوا بعد. قال: ومن يأخذ دينه عن أهل السوق؟ قال: فإن**

السوق؟ بلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدراهم! قاله كالمتعجب منه. وجاء رجل إلى ابراهيم بن أدهم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال: إني أريد أن أرافقك، فقال له ابراهيم على أن أكون أملك لشيئك منك. قال: لا. قال: أعجبني صدقك، قال: فكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخالفه. وكان لا يصحب إلا من يوافقه، وصحبه رجل شرّاك فأهدى رجل إلى إبراهيم في بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شراك وجعلها في القصعة وردها إلى صاحب الهدية، فلما جاء رفيقه قال: أين الشراك؟ قال: ذلك الثريد الذي أكلته إيش كان؟ قال: كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة. قال: اسمح يسمح لك. وأعطى مرة حماراً كان لرفيقه ـ بغير اذنه ـ رجلاً رآه رجلاً فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك. قال ابن عمر رضي الله

أهل السوق بلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم) نقله صاحب القوت زاد المصنف **(قاله كالمتعجب منه، و)**قال محمد بن نصر: **(جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم وهو يريد بيت المقدس فقال: إني أريد أن أرافقك، فقال له إبراهيم: على أن أكون أملك لشيئك منك. قال: لا. قال: فأعجبني صدقك)** كذا في القوت. **(وقال)** موسى بن طريف: **(كان إبراهيم ابن أدهم إذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب إلا من يوافقه)** كذا في القوت، وأخرجه أبو نعيم في الحلية مثله. قال موسى بن طريف: **(و)** بلغني أنه **(صحبه)** في بعض أسفاره **(رجل شراك)** وهو الذي يعمل الشرك للنعال **(فأهدى رجل إلى إبراهيم في بعض المنازل)** في قرية من قرى حمص وكانت هناك ساقية ماء وإلى جانبها دار فيها غرفة، فلما نزل إبراهيم هناك وتوضأ وصف قدميه للصلاة بصر به صاحب الغرفة فأرسل إليه **(قصعة)** فيها **(ثريد)** وخبز وعراق، فوضعت بين أيديهم فانفتل من الصلاة وقال: من بعث؟ قالوا: صاحب المنزل. قال: ما اسمه؟ قالوا: فلان بن فلان فأكل وأكلوا فلما أراد أن يرد القصعة **(ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شرك)** بضمتين جمع شراك ككتاب وكتب **(فجعلها في القصعة وردها الى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه)** صاحب الشرك **(قال: أين الشرك؟ قال: ذلك الثريد الذي أكلته أي شيء كان؟ قال: كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة. قال: اسمح يسمح لك)** هكذا في القوت وبعضه في الحلية، وقوله: «اسمح يسمح لك» حديث مرفوع رواه ابن عباس وقد تقدم في كتاب الكسب والمعاش، **(و)** قال موسى بن طريف: و**(بلغني أنه)** يعني إبراهيم بن أدهم **(أعطى مرة حماراً كان لرفيقه بغير إذنه رجلاً رآه راجلاً)** أي ماشياً على رجليه **(فلما جاء رفيقه)** وأخبر به **(سكت ولم يكره ذلك)** كذا في القوت.

وفي الحلية من طريق أحمد بن أبي الحواري قال: حدثني أخي محمد قال: دخل رواد بن الجراح الرحلة على برذون بلا سرج فقيل: أين سرجك؟ قال: ذهب به شيخنا إبراهيم بن أدهم. قال: أحمد: وكان أهدى له طبق تين وعنب، فأخذ السرج ووضعه على الطبق، ومرة أخرى أهدى له

عنها: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال: أخي فلان أحوج مني إليه فبعث به إليه فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة. وروي أن مسروقاً أدان ديناً ثقيلاً وكان على أخيه خيثمة دين قال: فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم، وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم، ولما آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فيهما، فآثره بما آثره به، وكأنه قبله ثم آثره به وذلك مساواة والبداية إيثار والإيثار أفضل من المساواة. وقال أبو

مثله فنزع فروه فوضعه على الطبق، ومن طريق محمد بن خلف العسقلاني قال: سمعت داود بن الجراح يقول: خرجت مع ابراهيم للغزو ففقدت سرجي فقلت: أين سرجي؟ فقالوا: إن ابراهيم ابن أدهم أتى بهدية فلم يجد ما يكافئه فأخذ سرجك فأعطاه. قال: فرأيت رواداً سر به.

(**وقال ابن عمر**) رضي الله عنهما: (**أهدي لرجل من الصحابة رأس شاة فقال: أخي فلان أحوج إليه مني فبعث به إليه فبعثه الثاني إلى آخر، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة**) تقدم هذا في كتاب العلم، وهذه المعاملة وقعت لأهل الصفة وهذا هو الإيثار المشار إليه بقوله: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ [الحشر: ٩].

(**وروي أن مسروقاً**) بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي (**ادان ديناً ثقيلاً وكان على أخيه خيثمة**) بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي الكوفي (**دين**) كذلك. (**قال**) الراوي: (**فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم**) كذا في القوت.

(**ولما آخى النبي ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف**) القرشي الزهري أحد العشرة الكرام رضي الله عنه، (**و**) بين (**سعد بن الربيع**) بن عمر والأنصاري الخزرجي عقبي بدري نقيب الخرث بن الخزرج (**آثره بالمال والأهل**) وفي بعض النسخ بالمال والنفس وهكذا هو في القوت، (**فقال عبد الرحمن**) وفي بعض النسخ فقال: سعد فاعترض عليه العراقي كما سيأتي: (**بارك الله لك فيما آثرت به وكأنه قبله ثم آثر به، وذلك مساواة والبداية إيثار والإيثار أفضل من المساواة**) ولفظ القوت: فآثر بما به آثره فكأنه استأنف هبة له لأنه قد كان ملكه إياه لسخاوته وحقيقة زهده وصدق مودته، فكانت المساواة لسعد والإيثار لعبد الرحمن فزاد عليه. وهذا من فضل المهاجرين على الأنصار إذ كانت المساواة دون الإيثار.

قال العراقي: المعروف أن سعد بن الربيع هو الذي عرض نفسه نصف ماله وإحدى زوجتيه

سليمان الداراني: لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقللتها له. وقال أيضاً: إني لألقم اللقمة أخاً من اخواني فأجد طعمها في حلقي.

ولما كان الانفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال علي رضي الله عنه: لعشرون درهماً أعطيها أخي في الله أحب إليّ من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين. وقال أيضاً: لأن أصنع صاعاً من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إلي من أن أعتق رقبة. واقتداء الكل في الإيثار برسول الله ﷺ، فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم إلى صاحبه، فقال له: يا رسول الله كنت والله أحق بالمستقيم مني فقال: «ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من النهار إلا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله أم أضاعه» فأشار

على عبد الرحمن بن عوف فقال له عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك. هكذا رواه البخاري من حديث أنس.

قلت: وهذا على ما في نسخة قال سعد: والذي في أيدينا ؟ قال عبد الرحمن: فلا إشكال.

(**وقال أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى، ولفظ القوت: وقد كان نصر بن عيسى وسليمان يقولان: من أحب رجلاً ثم قصر في حقه فهو كاذب في حبه مفرط في حقه، ثم قال: (**لو أن الدنيا كلها لي**) أي في حوزني (**فجعلتها في فم أخ من أخواني لاستقللتها له**) أي لوجدتها قليلة. (**وقال أيضاً إني لألقم أخاً من أخواني اللقمة فأجد طعمها في حلقي**) كذا في القوت.

(**ولما كان**) إطعام الطعام و(**الإنفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء**) وعلى العطاء للأجانب بمنزلة تضعيف الثواب في الأهل والقرابات (**قال علي كرم الله وجهه**) ورضي عنه: (**لعشرون درهماً أعطيها اخي في الله أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين**) كذا في القوت. (**وقال أيضاً إني لأصنع**) ولفظ القوت: لئن أصنع (**صاعاً من طعام أجمع عليه إخواني في الله**) عز وجل (**أحب إلي من أن أعتق رقبة**) وتقدم في كتاب الزكاة. (**واقتدى الكل منهم في الإيثار بالنبي ﷺ فإنه دخل غيضة**) هي الشجر الملتف (**مع بعض أصحابه**) ولفظ القوت: وروي أن النبي ﷺ صحبه رجل في طريق فدخل غيضة، (**فاجتنى منها سواكين**) من أراك (**أحدهما معوج والآخر مستقيم، فدفع المستقيم الى صاحبه**) وحبس المعوج لنفسه، (**فقال: يا رسول الله كنت أحق بالمستقيم مني، فقال: «ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من نهار إلا سئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله أو أضاعه»**) كذا أورده صاحب القوت. قال العراقي: لم أقف على أصل انتهى.

قلت: وقد يستأنس به ما تقوله العامة النبي سأل عن صحبة ساعة.

بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصحبة. وخرج رسول الله ﷺ إلى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب وقام يستر رسول الله ﷺ حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل، فتناول رسول الله ﷺ الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا تفعل فأبى عليه السلام إلا أن يستره بالثـوب حتى اغتسل وقال ﷺ: «ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه» وروي أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائباً فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك: كف يدك حتى يجيء صاحب البيت، فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل، وكان مالك أبسط منه وأحسن خلقاً فدخل الحسن وقال: يا مويلك هكذا كنا لا يحتشم بعضنا بعضاً حتى ظهرت أنت وأصحابك. وأشار بهذا إلى ان الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في

(فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصحبة، وخرج ﷺ إلى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة بن اليمان) رضي الله عنه **(الثوب على النبي)** ﷺ **(ونشره)** أي ستره له **(حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول النبي)** ﷺ **(الثوب وقام يستر حذيفة من الناس فأبى حذيفة وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا تفعل فأبى ﷺ إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل)**. هكذا أورده صاحب القوت. قال العراقي: لم أقف له على أصل اهـ.

قلت: أخرجه ابن أبي عاصم في الوحدان.

(وقال ﷺ «ما اصطحب إثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما لصاحبه») وفي نسخة أوفقهما. تقدم هذا الحديث في الباب الذي قبله بلفظ «أشدهما حباً لصاحبه».

(وروي أن مالك بن دينار) أبا يحي **(ومحمد بن واسع)** بن جابر الأزدي أبا بكر **(دخلا منزل الحسن)** البصري **(وكان)** الحسن **(غائباً فأخرج محمد)** بن واسع **(سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل، فقال له مالك: كف)** أي احبس **(يدك حتى يجيء صاحب المنزل)** يعني الحسن، **(فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل، وكان)** محمد **(أبسط منه)** أي أكثر بسطاً من مالك، **(وأحسن خلقاً)** وفي بعض نسخ القوت: وأحسن ظناً **(فدخل الحسن فقال: يا مويلك)** تصغير مالك يريد مالك بن دينار: **(هكذا كنا)** وفي بعض النسخ: ما هكذا كنا كنا. **(لا يحتشم بعضنا من بعض حتى ظهرت أنت وأصحابك)** يعني بقوله هكذا كنا أهل الصفة لأن يساراً والد الحسن كان مولى لأم سلمة زوج النبي ﷺ وكان خادماً للصفة. وقوله: ظهرت أنت وأصحابك يعني الصوفية الذين ظهروا بعد القرن الذي كانوا بعد أهل الصفة لبسوا الصوف تشبيهاً بسيما أهل الصفة وتأسياً بشمائلهم فنسبوا إليهم، **(وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة)** أي من علاماته الدالة عليه، **(وكيف لا**

الاخوة كيف وقد قال الله تعالى: ﴿أو صديقكم﴾ [النور: ٦١]، وقال: ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ [النور: ٦١] إذ كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض إليه التصرف كما يريد، وكان أخوه يتحرج عن الأكل بحكم التقوى حتى أنزل الله تعالى هذه الآية وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان الأصدقاء.

الحق الثاني: في الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة:

وهذه أيضاً لها درجات كما للمؤاساة بالمال فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة. قال بعضهم: إذا استقضيت أخاك

وقد قال) تعالى: **﴿أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم﴾** فقد ضم الصديق إلى الأهل ووصله بهم، ثم رفع الأخ وقدمه على الصديق، وكان يقال: صحبة سنة أخوة ومعرفة عشر سنين قرابة **(إذ كان الأخ يدفع مفتاح)** خزائن **(بيته إلى أخيه)** ويتصرف في الحضر وينقلب في السفر **(ويفوض إليه التصرف كما يريد)** فيقول له: حكمك فيما أملك كحكمي وملكي له كملكك، **(وكان أخوه)** يتضايق و **(يتحرج عن الأكل)** فيقتر على نفسه لأجل غيبة أخيه ويقول: لو كان حاضراً لاتسعت وأكلت، ولا أدري مقدار ما أذن فيه ولعله يكره أن أكثرت وذلك **(بحكم التقوى)** والورع الذي فيه والنصح والإيثار لأخيه، **(حتى أنزل الله هذه الآية)** رحمة على تضايقهم وشكراً لتورعهم، **(وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والأصدقاء)** فقال جل وعلا ﴿ولا على أنفسكم﴾ أي لا إثم ولا ضيق أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم، ثم نسق الأقارب على ترتيب الأحكام وضم إليهم الأخ كما وصفه بتمليكه مفاتحه أخاه، فأقام ذلك مقام أخيه لأنه أقام أخاه مقامه فقال ﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾ ثم أخر الصديق بعده إذ لم يكن بحقيقة وصفه، ثم قال عز وجل ﴿ليس عليكم جناح﴾ أن تأكلوا جميعاً بحضرة الأخوان أو أشتاتاً حال تفرقهم فسوى بين غيبتهم ومشهدهم لتسوية إخوانهم بينهم وبين أملاكهم واستواء قلوبهم مع ألسنتهم في البذل والمحبة لتناول المبذول. وهذا تحقيق وصفه لهم في قوله تعالى ﴿وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الشورى: ٣٨] أي هم في الأمر والإنفاق سواء.

(الحق الثاني: في الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال) من أخيه **(وتقديمها على الحاجات الخاصة)** المتعلقة بنفسه.

(وهذه أيضاً لها درجات كما للمؤاساة بالمال) مراتب **(فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة)** عليه، **(ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح)** والسرور لذلك **(وقبول المنة)** ومن هنا **(قال بعضهم: إذا استقضيت أخاك الحاجة)** أي طلبت منه قضاءها

حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله أن يكون قد نسي فإن لم يقضها فكبّر عليه واقرأ هذه الآية: ﴿والموْتَى يَبْعَثُهُم الله﴾ [الأنعام: ٣٦]، وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة فجاء بهدية، فقال: ما هذا؟ قال: لما أسديته إلي، فقال: خذ مالك عافاك الله، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبّر عليه أربع تكبيرات وعده في الموتى. قال جعفر بن محمد: إني لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائي مخافة أن أردهم فيستغنوا عني. هذا في الأعداء فكيف في الأصدقاء؟ وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم إليهم ويمونهم من ماله فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم في حياته، وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه، ويسأل ويقول: هل لكم

(**فلم يقضها فذكره**) مرة (**ثانية فلعله أن يكون قد نسي**) أي أنساه الشيطان عنها، (**فإن لم يقضها**) فعاوده ثالثة فقد يكون شغل عنها بعذر، فإن لم يقضها بعد ذلك (**فكبر عليه واقرأ عليه هذه الآية ﴿والموتى يبعثهم الله﴾**) كذا في القوت أي صوره في نفسك كأنه ميت فصل عليه صلاة الجنازة بالتكبيرات وإنما شبهه بالموتى إذ لا أنس فيه كما أن الميت لا يستأنس به. (**وقضى ابن شبرمة**) هو أبو عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان الضبي الكوفي القاضي فقيه أهل الكوفة عداده في التابعين، كان عفيفاً صارماً عاقلاً ناسكاً ثقة في الحديث شاعراً حسن الخلق جواداً. مات سنة أربع وأربعين. استشهد به البخاري وروى له الباقون سوى الترمذي (**حاجة لبعض إخوانه كبيرة فجاءه بهدية**) جليلة (**فقال**) ابن شبرمة: (**ما هذا؟ فقال: لما أسديته إليّ**) يعني مكافأة لما قضى له الحاجة، (**فقال: خذ مالك عافاك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها**) أي لم يتعب، (**فتوضأ**) وضوءك (**للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده في الموتى**) نقله صاحب القوت. (**وقال جعفر بن محمد**) بن علي بن الحسين رضي الله عنهم. (**إني لأسارع في قضاء حوائج أعدائي مخافة أن أردهم فيستغنوا عني**) كذا في القوت (**هذا في الأعداء فكيف في الأصدقاء، و**)قد (**كان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجاتهم ويتردد كل يوم عليهم ويمونهم بماله، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه**) أي ذاته (**بل كانوا يروا منه ما لم يرون من أبيهم في حياته**) وفي نسخة: ما لم يروا. ولفظ القوت: ومن حسن الإخاء مع الوفاء أن يكون له بعد موته ولأهله من بعده كما كان له في حياته، وكذلك قال بعض الأدباء: قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة، وكذلك كان السلف مما ذكره الحسن وغيره قالوا: كان أحدهم يخلف أخاه في عياله بعد موته أربعين سنة لا يفقدون إلا وجهه انتهى.

وقال في موضع آخر: (**وكان الواحد منهم يتردد إلى باب أخيه**) من حيث لا يعلم

زيت، هل لكم ملح، هل لكم حاجة؟ وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه. وبهذا تظهر الشفقة والأخوة فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها. قال ميمون بن مهران: من لم تنتفع بصداقته لم يضرك عداوته. وقال ﷺ: «ألا وإن لله أواني في أرضه وهي القلوب فأحب الأواني إلى الله تعالى أصفاها وأصلبها وأرقها». أصفاها من الذنوب وأصلبها في الدين وأرقهاعلى الاخوان». وبالجملة، فينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهم من حاجتك وأن تكون متفقداً لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك وتغنيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة، بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قمت بها ولا ترى لنفسك

(**ويسأل ويقول لأهله: هل لكم حاجة هل لكم ملح هل لكم زيت**) ولفظ القوت: هل عندكم دقيق ألكم زيت تحتاجون إلى كذا وكذا فإن قالوا عندنا قال: أروني حتى أنظر إليه، وإن قالوا ليس عندنا شيء (**وكان يقوم بها**) باشتراء المطلوب كل ذلك (**من حيث لا يعرفه أخوه**) ولم يكن الأخ يعرف بين عياله وعيال أخيه يقاسمهم المؤنة ويلقى أخاه فلا يعلمه بذلك، (**وبهذا تظهر الشفقة والأخوة إذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها**) إنما هي رسمية لا يعبأ بها. (**وقال ميمون بن مهران**) الجزري تقدم ذكره قريباً (**من لم ينتفع بصداقته لم يتضرر بعداوته**) نقله صاحب القوت. (**وقال ﷺ «إن لله أواني**) جمع آنية (**في أرضه وهي القلوب وأحب القلوب إلى الله**) أي أكثرها حباً عنده (**أصفاها وأصلبها وأرقها»**) قال المصنف: (**أصفاها من الذنوب وأصلبها في الدين وأرقها على الأخوان**) قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أبي عقبة الخولاني إلا أنه قال: ألينها وأرقها وإسناده جيد اهـ.

قلت: أبو عقبة اسمه عبد الله بن عقبة. قيل: كان صلى القبلتين جميعاً، وقيل ولد في عهده ﷺ بل صحب معاذ بن جبل، روى عنه أبو الزاهرية وبكر بن زرعة ومحمد بن زيان الإلهاني، ولفظ حديثه «إن لله تعالى آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها» وفي إسناده بقية بن الوليد وهو مدلس، لكنه صرح بالتحديث فيه.

قال المناوي في شرحه إذا رق القلب ولان انجلى وصار كالمرآة الصقيلة فإذا أشرقت عليه أنوار الملكوت أضاء الصدر وامتلأ من شعاعها فأبصرت عين الفؤاد باطن أمر الله في خلقه فيؤديه ذلك إلى ملاحظة نور الله، فإذا لاحظه فذلك قلب استكمل الزينة والتهيؤ بما رزق من الصفاء فصار محل نظر الله من بين خلقه، فلما نظر إلى قلبه زاده به فرحاً وله حباً واكتنفه بالرحمة وأراحه من الرحمة انتهى.

(**وبالجملة، فينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك أو أهم من حاجتك وان تكون متفقداً لأوقات الحاجة غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك وتغنيه عن السؤال**) ابتداء منه (**وإظهار الحاجة إلى الاستعانة**) بك (**بل تقوم لحاجته كأنك لا تدري**

حقاً بسبب قيامك بها ، بل تتقلد منة بقبوله سعيك في حقه وقيامك بأمره . ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء الحاجة بل تجتهد في البداية بالإكرام في الزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد . كان الحسن يقول: إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا ، لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة . وقال الحسن : من شيع أخاه في الله بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه إلى الجنة . وفي الأثر : « ما زار رجل أخاه في الله شوقاً إلى لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة » . وقال عطاء : تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث ، فإن كانوا مرضى فعودوهم أو مشاغيل فأعينوهم أو كانوا

إنك قمت بها ولا ترى لنفسك حقاً) عليه **(بسبب قيامك)** لتلك الحاجة ، **(بل تتقلد منة بقبوله سعيك في حقه وقيامك بأمره)** وأنه له الفضل في ذلك ، **(ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء الحاجة)** فقط **(بل تجتهد في البداية بالإكرام بالزيارة)** وفي نسخة بالزيادة **(والإيثار والتقديم على الأقارب والولد . كان الحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(يقول: إخواننا)** في الله تعالى **(أحب إلينا من أهلينا وأولادنا لأن أهلينا)** وأولادنا **(يذكروننا بالدنيا وأخواننا يذكروننا بالآخرة)** كذا في القوت ولفظه : وكان الحسن وأبو قلابة يقولان: أخواننا أحب إلينا من أهلينا وأولادنا إلى آخره ، وقال أحدهما : لأن الأهل والولد من الدنيا والأخوان في الله من آلة الآخرة ، وفي موضع آخر : فينبغي أن يؤثر أخاه بنفسه وماله إن احتاج إلى ذلك فإن لم يكن هناك فيساويه منه ، وهذا أقل منازل الأخوة وهو من أخلاق المؤمنين ، وإنما آخى رسول الله ﷺ بين الغني والفقير ليساوي الغني الفقير فيعتدلان ، وينبغي أن يقدمه على أهله وولده وأن يحبه فوق محبتهم لأن محبة أولئك من الدنيا وللنفس والهوى ومحبة الأخوان من الآخرة ولله تبارك وتعالى وفي الدين وأمور الدين والآخرة مقدم عند المتقين . وكان عبد الله بن الحسن البصري يصرف أخوان الحسن إذا جاؤه لطول لبثهم عنده ولشدة شغله بهم فيقول لهم: لا تملوا الشيخ فكان الحسن إذا علم ذلك يقول: دعهم يا لكع فإنهم أحب إلي منكم هؤلاء يحبوني لله عز وجل وأنتم تريدوني للدنيا . وقال أبو معاوية الأسود . أخواني كلهم خير مني . قيل: وكيف ذاك؟ قال: كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلني على نفسه فهو خير مني . **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى : **(من شيع أخاه في الله بعث الله له ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه إلى الجنة)** كذا في القوت ، ومعنى التشييع أن يتبعه عند رحيله إكراماً له **(وفي الأثر : ما زار رجل أخاه في الله شوقاً إلى لقائه)** ولفظ القوت شوقاً إليه ورغبة في لقائه **(إلا ناداه ملك من خلفه طبت)** وطاب ممشاك **(وطابت لك الجنة)** تقدم في الباب الذي قبله ، وسيأتي في حقوق المسلم ما يقرب منه . **(وقال)** عطاء بن أبي رباح المكي ثقة فقيه فاضل مات سنة أربع عشرة : **(تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث فإن كانوا مرضى فعودوهم ، أو)** كانوا **(مشاغيل**

نسوا فذكروهم. وروي «أن ابن عمر كان يلتفت يميناً وشمالاً بين يدي رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك فقال: أحببت رجلاً فأنا أطلبه ولا أراه. فقال: إذا أحببت أحداً فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضاً عُدتَه وإن كان مشغولاً أعنته». وفي رواية: «وعن اسم جده وعشيرته». وقال الشعبي في الرجل يجالس الرجل فيقول: اعرف وجهه ولا أعرف اسمه: تلك معرفة النوكى، وقيل لابن عباس: من أحب الناس إليك؟ قال: جليسي. وقال: ما اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثاً من غير حاجة له إليَّ فعلمت ما

فأعينوهم، أو كانوا نسوا فذكروهم) نقله صاحب القوت. أي إذا لم يأتك أخوك بعد مضي ثلاث ليال وجب عليك تفقده، فإنه لا يخلو من إحدى الحالات الثلاث إما مريض أو مشغول أو نسي الصحبة والأخوة، فالمريض يعاد، والمشغول يعان، والناسي يذكر. وقد روي هذا في المرفوع من حديث أنس «كان النبي ﷺ إذا فقد الرجل من إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه فإن كان غائباً دعا له. وإن كان شاهداً زاره. وإن كان مريضاً عاده» أخرجه أبو يعلى في مسنده من طريق عباد ابن كثير عن ثابت عن أنس، وأخرج البيهقي في الشعب عن الأعمش قال: كنا نقعد في المجلس فإذا فقدنا الرجل ثلاثة أيام سألنا عنه فإن كان مريضاً عدناه.

(وذكر) في بعض الأخبار **(أن ابن عمر)** رضي الله عنهما **(كان يلتفت يميناً وشمالاً بين يدي النبي ﷺ)** ولفظ القوت. وقد روينا عن النبي ﷺ أنه رأى ابن عمر يلتفت يميناً وشمالاً **(فسأله فقال:)** يا رسول الله **(أحببت رجلاً فأنا أطلبه ولا أراه، فقال)** يا عبد الله **(إذا أحببت أحداً فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فإن كان مريضاً عدته وإن كان مشغولاً أعنته»)** كذا في القوت **(وفي رواية «عن اسم جده وعشيرته»)** قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف. ورواه الترمذي من حديث يزيد بن نعامة. وقال: غريب، ولا نعلم ليزيد بن نعامة سماعاً من النبي ﷺ انتهى.

قلت: وقد وقع لنا حديث مسلسل بقولهم لقيت فلاناً فسألني عن اسمي ونسبي وكنيتي وعن الموضع الذي أنا ساكنه من طريق أبي الحسين محمد بن النضر الموصلي عن هدبة بن خالد عن حماد ابن سلمة عن ثابت عن أنس رفعه: «يا أنس أكثر من الأصدقاء فإنكم شفعاء بعضكم في بعض». هكذا أورده ابن ناصر الدين في مسلسلاته، ورواه كذلك أبو جعفر محمد بن علي الهمداني، وأبو الحسين المبارك، ابن عبد الجبار الصيرفي، وأبو مسعود سليمان بن ابراهيم الأصبهاني الحافظ في مسلسلاتهم من طرق مدارها على هدبة.

(وقال) عامر بن شراحيل **(الشعبي)** رحمه الله تعالى **(في الرجل يجالس الرجل فيسأله عنه فيقول: أعرف وجهه ولا أعرف اسمه تلك معرفة النوكى)** أي الحمقى كذا في القوت، **(و)** يروى عن الضحاك **(قيل لابن عباس)** رضي الله عنهما: **(من أحب الناس إليك؟ قال جليسي)** كذا في القوت. **(وقال)** ابن عباس أيضاً ولفظ القوت وكان يقول: **(ما**

مكافأته من الدنيا. وقال سعيد بن العاص: لجليسي عليّ ثلاث: إذا دنا رحبت به، وإذا حدث أقبلت عليه، وإذا جلس أوسعت له. وقد قال تعالى: ﴿رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] إشارة إلى الشفقة والإكرام. ومن تمام الشفقة أن لا ينفرد بطعام لذيذ أو بحضور في مسرة دونه بل يتنغص لفراقه ويستوحش بانفراده عن أخيه.

الحق الثالث: في اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى:

أما السكوت؛ فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به ولا يماريه ولا يناقشه وأن يسكت عن التجسس

اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثاً من غير حاجة) تكون **(له إليّ فعلمت ما مكافأته من الدنيا)** كذا في القوت، وذكر في ترجمة ابن شبرمة أنه كان إذا اختلف إليه الرجل ثلاثة أيام دعاه فقال له: أراك قد لزمتنا منذ ثلاثة أيام عليك خراج نتكلم فيه. **(وقال سعيد بن العاص)** بن سعيد ابن العاصي بن أميمة القرشي الأموي أبو عثمان، ويقال أبو عبد الرحمن المدني والد عمر والأشدق ويحيى وهو سعيد بن العاصي الأصغر، قتل أبوه يوم بدر مشركاً، ولجده أبي أحيحة سعيد بن العاصي ذكر في فتح خيبر، قال محمد بن سعد: قبض النبي ﷺ وهو ابن تسع سنين، وقال ابن عبد البر: كان من أشراف قريش جمع السخاء والفصاحة، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان، واستعمله عثمان على الكوفة، وغزا طبرستان فافتتحها، وكذا جرجان في خلافة عثمان، واستعمله معاوية أيضاً على المدينة. قال البخاري، قال مسدد: مات سعيد وأبو هريرة وعائشة وعبد الله بن عامر سنة سبع أو ثمان وخمسين، روى له مسلم والترمذي والنسائي: **(لجليسي علي ثلاث: إذا دنا رحبت به، وإذا حدث أقبلت عليه، وإذا جلس أوسعت له)** نقله صاحب القوت، ويحكى عن سعيد هذا أنه كان يدعو إخوانه وجيرانه في كل جمعة فيصنع لهم الطعام، ويخلع عليهم الثياب الفاخرة، ويأمر لهم بالجوائز الواسعة، ويبعث إلى عيالاتهم بالبر الكثير، وكان يوجه مولى له في كل ليلة جمعة فيدخل المسجد ومعه صرر فيها دنانير فيضعها بين يدي المصلين، وكان قد كثر المصلون في كل ليلة جمعة في مسجد الكوفة. **(وقد قال تعالى)** في معرض الوصف والمدح لأصحاب حبيبه ﷺ ﴿أشداء على الكفار **(رحماء بينهم﴾)** إشارة إلى الشفقة على الإخوان **(والإكرام)** لهم، **(ومن تمام الإشفاق أن لا ينفرد بطعام لذيذ)** شهي عن أخيه، **(أو بحضور في مسرة دونه، بل يتنغص لفراقه ويتوحش بانفراده عن أخيه)** ولفظ القوت وقال بعض الأدباء: إذا ائتلف الإخوان جماعة ثم اجتمع بعضهم على لذة وقعد البعض نقص من اللذة بمقدار من نقص منهم.

(الحق الثالث: على اللسان بالسكوت مرة وبالنطق أخرى.

(أما السكوت، فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه)ومساوئه **(في حضرته)** أي حضوره **(وغيبته بل يتجاهل عنها)**أي يتكلف الجهل، **(ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به فلا**

والسؤال عن أحواله، وإذا رآه في طريق أو حاجة ولم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره ومورده لا يسأله عنه فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه، وليسكت عن أسراره التي بثها إليه ولا يبثها إلى غيره البتة، ولا إلى أخص أصدقائه ولا يكشف شيئاً منها ولو بعد القطيعة والوحشة، فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن، وأن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه، فإن الذي سبك من بلغك. وقال أنس: «كان ﷺ لا يواجه أحداً بشيء يكرهه» والتأذي يحصل

يماريه) أي لا يخاصمه **(ولا يناقشه)** أي لا يستقصيه في الحساب، **(وأن يسكت عن التجسس عليه)** وهو تجسس الأخبار والتفحص عن بواطنها، **(و)** عن **(السؤال عما يكتمه من أحواله)** الباطنة، **(وإذا رآه في حاجة)** هو مشغول بها، **(أو)** ماشياً **(في طريق ولم يفاتحه بذكر غرضه)** ابتداء منه **(و)** ذكر **(مصدره ومورده)** أي صدوره وورود **(فلا يسأله عنه، فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج إلى أن يكذب فيه)** وفي القوت: وليتق أن يعاشر أخاه بخمس خصال، فليس من الأدب ولا المروءة أولها: أن لا يلزمه بما يكره مما يشق عليه، والثانية: أن لا يسمع فيه بلاغة ولا يصرف فيه مقالة، والثالثة: أن لا يكثر مسألته من أين تجيء والي أين تذهب، والرابعة: أن لا يتجسس عليه، والخامسة: أن لا يتحسس عنه، فقد روينا كراهة هذه الخمس في سير السلف، وقال محمد بن سيرين: لا تكرم أخاك بما يشق عليه. وقال مجاهد: إذا رأيت أخاك في طريق فلا تسأل من أين جئت وإلى أين تذهب فلعله يكره أن يصدقك في ذلك أو يكذبك فتكون قد حملته على الكذب، **(وأن يسكت عن الاسرار التي يبثها إليه)** أي ينشرها **(ولا يبثها إلى غيره ألبتة)** أي لا يفشيها **(ولا إلى أخص أصدقائه)** وأصدق أحبابه **(ولا يكشف شيئاً منها ولو بعد القطيعة)** والمجافاة **(والوحشية)** والنفرة، وهذا في الأمور التي لو فرض أنه أطلع على ذلك لتكدر خاطره **(فإن ذلك)** أي إفشاء السر إلى الغير **(من لؤم الطبع وخبث الباطن)** وهو دليل عليها، **(وأن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده)** فلا يتكلم فيهم ما يسوءهم وكثير يتقرب لصاحبه بذلك وهو خطأ تنشأ عنه المفاسد، ولو فرض فيه مصالح فلا توازي مفاسده ودرؤها أولى، **(وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه فإن الذي يسبك من بلغك)** ومنه قولهم: ما سبك إلا من بلغك.

(وقال أنس) بن مالك رضي الله عنه: **(« كان النبي ﷺ لا يواجه أحداً بما يكرهه »)** أي لا يشافهه به لئلا يشوش عليه، فإنه كان واسع الصدر جداً غزير الحياء. قال العراقي: رواه أبو داود، والترمذي في الشمائل، والنسائي في اليوم والليلة بسند ضعيف انتهى.

قلت: وكذلك رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد ولفظهم جميعاً «كان لا يواجه أحداً في وجهه بشيء يكرهه» وسببه أن رجلاً دخل وبه أثر صفرة فلما خرج قال: لو أمرتم هذا! أن يغسل هذا عنه.

أولاً من المبلّغ ثم من القائل. نعم لا ينبغي أن يخفي ما يسمع من الثناء عليه فإن السرور به أوّلاً يحصل من المبلغ للمدح، ثم من القائل واخفاء ذلك من الحسد. وبالجملة؛ فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلاً إلا إذا وجب عليه النطق في أمر بمعروف أو نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت، فإذ ذاك لا يبالي بكراهته فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق وإن كان يظن أنها إساءة في الظاهر.

أما ذكر مساوئه وعيوبه ومساوىء أهله فهو من الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجرك عنه أمران.

أحدهما: أن تطالع أحوال نفسك فإن وجدت فيها شيئاً واحداً مذموماً فهون على نفسك ما تراه من أخيك وقدراته عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما أنك عاجز عما أنت مبتلي به ولا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة. فأي الرجال المهذب؟ وكل ما لا تصادفه من نفسك في حق الله فلا تنتظره من أخيك في حق نفسك فليس حقك عليه بأكثر من حق الله عليك.

(**والتأذي يحصل أولاً من المبلغ**) له ذلك (**ثم من القائل**) وهي مرتبة ثانية. (**نعم لا ينبغي أن يخفي ما يسمع من الثناء عليه**) والمدح فيه، (**فإن السرور يحصل من المبلغ**) أولاً، (**ثم من القائل**) ثانياً. (**وإخفاء ذلك من**) داء (**الحسد**) وهو مذموم، (**وبالجملة فيسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلاً**) قليلاً وكثيراً (**إلا إذا وجب عليه النطق بأمر بمعروف أو نهي عن منكر ولم يجد رخصة**) شرعية (**في السكوت، فإن ذلك لا يبالي بكراهته**) ولو تغير عليه (**فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق وإن كان يظن أنه أساءة**) له (**في الظاهر**)، ومنهم من قال: يكتبه في لوح فيعرض عليه لعله يعتبر فيرتدع عنه، فهذا هو أولى الاشياء وأبعد من غرور المواجهة.

(**أما ذكر مساوئه وعيوبه ومساوىء أهله فهو من الغيبة**) لأنه ذكر له فيما يكره، (**وذلك حرام في حق كل مسلم ويزجرك عنه أمران**).

(**أحدهما: أن تطالع أحوال نفسك**) خاصة (**فإن وجدت فيها شيئاً واحداً مذموماً فهوّن على نفسك ما تراه من أخيك**) المؤمن (**قدر**) في نفسك (**أنه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة الواحدة كما أنك عاجز فيما أنت مبتلي به**) واقع فيه (**فلا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة**). قال الحسن البصري: (**فأي الرجال المهذب**) هيهات؟ (**وكل ما لا تصادفه من نفسك في حق الله**) تعالى (**فليس حقك عليه بأكثر من حق الله عليك**).

والأمر الثاني: أنك تعلم أنك لو طلبت منزهاً عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلاً فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساوىء فإذا غلبت المحاسن المساوىء ، فهو الغاية والمنتهى ، فالمؤمن الكريم أبداً يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام . وأما المنافق اللئيم فإنه أبداً يلاحظ المساوىء والعيوب . قال ابن المبارك : المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات . وقال الفضيل : الفتوّة العفو عن زلات الاخوان ، ولذلك قال عليه السلام : « استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيراً ستره وإن رأى شراً أظهره » وما من شخص إلا ويمكن تحسين

(**والأمر الثاني: أنك لو طلبت**) أخاً (**منزهاً من كل عيب**) وزلل (**اعتزلت عن الخلق كافة**) وجانبتهم (**ولم تجد**) في الدنيا (**من تصاحبه أصلاً**) وأعياك طلبه ، ومنه قول الحريري : وأعلم بأنك لو طلبت مهذباً رمت الشطط . (**فما من الناس أحد إلا وله محاسن ومساوىء فإذا غلبت المحاسن المساوىء فهو الغاية**) القصوى (**والمنتهى**) في الرغبات . ولفظ القوت : فمن ظهرت محاسنه فغلبت مساوئه فهو المؤمن المقتصد ، (**فالمؤمن الكريم أبداً يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبعث في قلبه التوقير**) أي التعظيم (**والود والإكرام**) وفي نسخة : والاحترام (**وأما المنافق اللئيم فإنه أبداً يلاحظ المساوىء والعيوب**) ولفظ القوت : فالأخ الشفيق الرفيق الكريم يذكر أحسن ما يعلم في أخيه ، والمنافق اللئيم يذكر أسوأ ما يعلم فيه ، (**قال ابن المبارك**) رحمه الله تعالى : (**المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات**) كذا في القوت . (**وقال الفضيل**) ابن عياض رحمه الله تعالى : (**الفتوة الصفح عن الزلات**) كذا في القوت ، (**ولذلك قال** ﷺ : **« استعيذوا بالله من جار السوء الذي إذا رأى خيراً ستره وإذا رأى شراً أظهره »**) قال العراقي : رواه البخاري في التاريخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف ، وللنسائي من حديث أبي هريرة ، وأبي سعيد بسند صحيح : « تعوذ بالله من جار السوء في دار المقام » انتهى .

قلت : وروى الحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ : « استعيذوا بالله من شر جار المقام فإن جار المسافر إذا شاء أن يزايل زايل » ورواه بلفظ : « اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول : وروى الطبراني في الكبير من حديث عقبة بن عامر : « اللهم إني أعوذ بك من يوم السوء ومن ليلة السوء ومن ساعة السوء ومن صاحب السوء ومن جار السوء في دار المقامة » وأخرج ابن النجار من حديث سعيد المقبري مرسلاً : « اللهم إني أعوذ بك من خليل ماكر عيناه ترياني وقلبه برعاني إن رأى حسنة دفنها وإن رأى سيئة أذاعها » .

وأما حديث النسائي الذي أشار إليه العراقي فقد أخرجه أيضاً البيهقي في الشعب ، وزاد هو والنسائي أيضاً بعد قوله دار المقام : « فإن الجار البادي يتحول عنك » وروى البيهقي أيضاً في معناه بسنده إلى الحسن قال : قال لقمان لابنه : يا بني حملت الجندل وكل ثقيل فلم أحمل شيئاً أثقل من جار السوء ، وذقت المرار فلم أذق شيئاً أمر من الصبر . وروى البيهقي أيضاً من حديث أبي هريرة :

حاله بخصال فيه ويمكن تقبيحه أيضاً. روي أن رجلاً أثنى على رجل عند رسول الله ﷺ فلما كان من الغد ذمه فقال عليه السلام: « أنت بالأمس تثني عليه واليوم تذمه ». فقال: والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم إنه أرضاني بالأمس فقلت أحسن ما علمت فيه وأغضبني اليوم فقلت أقبح ما علمت فيه. فقال عليه السلام: « ان من البيان لسحراً » وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر ولذلك قال في خبر آخر: « البذاء

« تعوذوا بالله من ثلاث نوافر جار سوء إن رأى خيراً كتمه وإن رأى شراً أذاعه » الحديث وسنده ضعيف.

(وما من شخص إلا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه ويمكن تقبيحه أيضاً) بخصال أخرى فيه، **(و)** هذا المعنى سبب قول النبي ﷺ: « إن من البيان لسحراً إذ كل حديث **(روي)** وفي آخره سبب يكون أوله خرج عليه، وهو **(أن رجلاً أثنى على رجل عند رسول الله ﷺ فلما كان من الغد ذمه، فقال ﷺ: « أنت بالأمس تثني عليه واليوم تذمه ». فقال: والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم أنه أرضاني بالأمس فقلت أحسن ما علمت فيه، فقال ﷺ)** عند ذلك **(« إن من البيان لسحراً » وكأنه كره ذلك فشبهه بالسحر)** لأن السحر حرام أي أن بعض البيان سحر لأن صاحبه يكشف بحسن بيانه عن حقيقة المشكل فيستميل القلوب كما يستمال بالسحر، فلما كان في البيان من صنوف التركيب وغرائب التأليف ما يجذب السامع إلى حد يكاد يشغله عن غيره شبهه بالسحر الحقيقي.

قال العراقي: رواه الطبراني في لأوسط والحاكم في المستدرك من حديث أبي بكرة إلا أنه ذكر المدح والذم في مجلس واحد لا يومين ورواه الحاكم من حديث ابن عباس أطول منه بسند ضعيف أيضاً انتهى.

قلت: « إن من البيان لسحراً رواه أحمد، والبخاري في النكاح والطب، وأبو داود في الأدب، والترمذي في البر كلهم من حديث ابن عمر، وعزاه صاحب المشارق إلى علي ووهم فيه، فإن البخاري لم يخرجه عنه. وأما حديث ابن عباس فأخرجه أحمد وأبو داود بلفظ: « إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكماً ».

وأما القصة ففي قدوم وفد تميم وفيهم الزبرقان، وعمرو بن الأهتم وأنهما خطبا ببلاغة وفصاحة ثم قال الزبرقان: يا رسول الله أنا سيد بني تميم والمطاع فيهم والمجاب لديهم أمنعهم من الظلم وآخذ لهم بحقوقهم وهذا يعلم ذاك، فقال عمر: وإنه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في أذينه، فقال الزبرقان: والله لقد علم مني أكثر مما قال ما منعه أن يتكلم إلا الحسد، فقال عمر: وأنا أحسدك فوالله أنه للئيم الخال حديث المال ضعيف العطن أحمق الولد، والله يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أولاً وما كذبت فيما قلت آخراً، ولكني رجل إن أرضيت قلت أحسن ما علمت وإن

والبيان شعبتان من النفاق » . وفي الحديث الآخر : « إن الله يكره لكم البيان كل البيان » وكذلك قال الشافعي رحمه الله : ما أحد من المسلمين يطيع الله ولا يعصيه ولا أحد يعصي الله ولا يطيعه . فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه فهو عدل وإذا جعل مثل هذا عدلاً في حق الله فبان تراه عدلاً في حق نفسك ومقتضى اخوتك أولى . وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساوئه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك بترك إساءة الظن ،

أغضبت قلت أقبح ما وجدت ولقد صدقت في الأولى والأخرى ، فقال ﷺ : « إن من البيان سحراً قال الميداني : هذا المثل استحسان النطق وإيراد الحجة البالغة

(ولذلك قال ﷺ في خبر آخر : « البذاء والبيان شعبتان من النفاق ») البذاء كسحاب الكلام القبيح يكون تارة من القوة الشهوية كالرفث والسخف ومن القوة الغضبية تارة فمتى كان معه استعانة بالقوة المفكرة كان منه السباب ومتى كان من مجرد الغضب كان صوتاً مجرداً لا يفيد نطقاً كما يرى ممن فار غضبه وهاج هائجه قاله الراغب ، والبيان هو التعمق في إظهار الفصاحة في المنطق وتكلف البلاغة في أساليب الكلام . قال العراقي : رواه الترمذي وقال : حسن غريب ، والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة .

(وفي حديث آخر) قال ﷺ : **(« إن الله كره لكم البيان كل البيان »)** أي لأنه يجر إلى أن يرى الواحد منا لنفسه فضلاً على من تقدمه في المقام ومزية عليه في العلم أو الدرجة عند الله بفضل خص به عنهم فيحتقر من تقدمه ، ولا يعلم المسكين أن قلة كلام السلف إنما كان ورعاً وخشية لله تعالى ، ولو أراد الكلام وإطالته لما عجزوا ، وأعني أنهم إذا ذكروا عظمة الله تلاشت عقولهم واسكرت قلوبهم وقصرت ألسنتهم . والبيان : جمع الفصاحة في اللفظ والبلاغة في المعنى .

قال العراقي : رواه ابن السني في كتاب رياضة المتعلمين من حديث أبي أمامة بسند ضعيف انتهى .

قلت : ورواه الطبراني في الكبير كذلك وفي سنده عفير بن معدان وهو ضعيف .

(ولذلك قال الشافعي) رضي الله عنه ولفظ القوت : وقد قال الشافعي رحمه الله تعالى في وصف العدالة قولاً حسناً استحسنه العلماء : حدثنا محمد بن عبد الله الحكم قال : سمعت الشافعي يقول : **(ما أحد من المسلمين يطيع الله عز وجل فلا يعصيه ولا أحد يعصي الله عز وجل فلا يطيعه)** ولفظ القوت : حتى لا يعصيه وحتى لا يطيعه في الموضعين ، **(فمن كانت طاعاته أغلب من معاصيه فهو عدل)** لفظ القوت فهو العدل . قال ابن عبد الحكم وهذا كلام الحذاق : **(وإذا جعل مثل ذلك عدلاً في حق الله)** تعالى **(فبأن تراه عدلاً في حق نفسك ومقتضى اخوتك أولى ، وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساوئه يجب عليك السكوت بقلبك وذلك**

فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه أيضاً، وحدّه أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن. فأما ما انكشف بيقين ومشاهدة فلا يمكنك أن لا تعلمه وعليك أن تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان إن أمكن، وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى تفرساً وهو الذي يستند إلى علامة فإن ذلك يحرك الظن تحريكاً ضرورياً لا يقدر على دفعه، وإلى ما منشؤه سوء اعتقادك فيه حتى يصدر منه فعل له وجهان، فيحملك سوء الاعتقاد فيه أن تنزله على الوجه الأردأ من غير علامة تخصه به، وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن إذ قال ﷺ: « إن الله قد حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء »، وقال ﷺ: « إياكم والظن فإن الظن

بترك إساءة الظن) فيه (**فسوء الظن غيبة بالقلب وهو منهي عنه أيضاً**) لأن لفظ الغيبة شامل للكل، (**وحقه**) عليك (**أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكنك أن تحمله على وجه حسن**) أي ما وجدت سبيلاً إليه، (**فاما إن انكشف لك بيقين وشاهدته**) بعينك (**فلا يمكنك أن لا تعلمه وعليك أن تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان إن أمكن**) كما هو الأليق بحال المؤمن، (**وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى تفرساً وهو أن يستند إلى علامة**) تدل عليه، (**فإن ذلك يحرك الظن تحركاً ضرورياً لا يقدر على دفعه وإلى ما منشؤه سوء اعتقادك فيه حتى إذا صدر منه**) وفي نسخة: حتى يصدر منه (**فعل له وجهان، فيحملك سوء الاعتقاد على أن تنزله على الوجه الأردأ**) أي الأقبح (**من غير علامة**) هناك (**تخصه بها وذلك جناية عليه بالباطن وذلك حرام في حق كل مؤمن، إذ قال ﷺ**). ولفظ القوت وكذلك الفرق بين الفراسة وسوء الظن أن الفراسة ما توسمته من أخيك بدليل يظهر لك أو شاهد يبدو منه أو علامة تشهدها فيه فتتفرس ذلك فيه ولا تنطق به إن كان سوءاً ولا تظهره ولا تحكم عليه ولا تقطع به فتأثم، وسوء الظن مما تظننته من سوء رأيك فيه أو لأجل حقد في نفسك عليه أو لسوء نية تكون منك أو خبث حال فيك تعرفها من نفسك فتحمل حال أخيك عليها وتقيسه بك، فهذا هو سوء الظن الإثم وهو غيبة القلب وذلك المحرم لقول النبي ﷺ: (**« إن الله قد حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء »**) قال العراقي: رواه الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله وعرضه، ورجاله ثقات إلا أن أبا علي النيسابوري قال: ليس هذا عندي من كلام النبي ﷺ إنما هو عندي من قول ابن عباس، ولابن ماجه نحوه ومن حديث ابن عمر، ولمسلم من حديث أبي هريرة: « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ».

(**وقال**) ﷺ: (**« إياكم والظن**) أي احذروا إتباع الظن واحذروا سوء الظن بمن لا يساء الظن به والظن تهمة تقع في القلب بلا دليل، فإنما ينشأ الظن الخبيث من القلب الخبيث، وفيه يقول الشاعر:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم

أكذب الحديث » وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس ، وقد قال ﷺ : « لا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً » والتجسس في تطلع الأخبار ، والتحسس بالمراقبة بالعين . فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين ، ويكفيك تنبيهاً على كمال الرتبة في ستر القبيح وإظهار الجميل أن الله تعالى

وعـــادى محبيــه بقـــول عـــدوه وأصبـــح في ليـــل مـــن الشـــك مظلمِ

(**فإن الظن**) أقام المظهر مقام المضمر إذ القيـاس فإنه لزيادة تمكن المسند إليه في ذكر السامع حثاً على الاجتناب (**أكذب الحديث** ») أي حديث النفس لأنه يكون بالقاء الشيطان في نفس الإنسان واستشكل تسمية الظن حديثاً . وأجيب : بأن المراد عدم مطابقة الواقع قولاً أو غيره وما ينشأ عن الظن يوصف الظن به مجازاً . قال العراقي : متفق عليه من حديث أبي هريرة انتهى .

قلت : وكذلك رواه مالك وأحمد وأبو داود والترمذي ، وللحديث بقية يأتي ذكرها بعده وهو قوله : « ولا تجسسوا » الخ .

(**وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس**) بالجيم والحاء . (**قال ﷺ : « لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً**) وهذا بقية الحديث الذي تقدم قبله ولفظه : « ولا تجسسوا » بالجيم « ولا تحسسوا » بالحاء : « ولا تنافسوا » ويروى : « ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك ، وقد تقدم أنه أخرجه مالك وأحمد والشيخان والترمذي من حديث أبي هريرة . (**والتجسس**) بالجيم يستعمل (**في تطلع الأخبار**) وتعرفها بتلطف ومنه الجاسوس ، (**والتحسس**) بالحاء (**بالمراقبة بالعين**) وأصله طلب الشيء بحاسته كاستراق السمع وإبصار الشيء بخفية ، وقيل : الأول التفحص عن عورات الناس وبواطن أمورهم بنفسه أو بغيره ، والثاني : أن يتولاه بنفسه ، وقيل : الأول يخص الشر ، والثاني أعم ، وقوله : « ولا تقاطعوا » قال ابن العربي في المعارضة المقاطعة ترك الحقوق الواجبة بين الناس تكون عامة وتكون خاصة ، والتدبر أن يولي كل منهم صاحبه دبره محسوساً بالأبدان ومعقولاً بالعقائد والآراء والأقوال انتهى .

وقوله : « وكونوا عباد الله إخواناً » بحذف حرف النداء أي يا عباد الله إخواناً أي اكتسبوا ما تصيرون به إخواناً مما ذكر وغيره ، فإذا تركتم ذلك كنتم إخواناً ، وإذا لم تتركوه صرتم أعداء . (**فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها سمة**) أي علامة (**أهل الدين**) ويستثنى منه ما لو تعين طريقاً لإنقاذ محترم من هلاكه أو نحوه كان يخبر ثقة بأن فلاناً خلا بـرجـل ليقتلـه أو بـامـرأة ليزني فيشرع التجسس كما نقله النووي عن الأحكام السلطانية واستجادة . (**ويكفيك تنبيهاً على كمال الرتبة في ستر القبيح وإظهار الجميل إن الله وصف به في الدعاء فقيل له**) ولفظ القوت : ومن علامة التقى حسن المقال عند التفرق وجميل البشر بعد التقاطع . أنشدنا بعض العلماء لبعض الحكماء :

وصف به في الدعاء فقيل: يا من أظهر الجميل وستر القبيح. والمرضي عند الله من تخلق بأخلاقه فإنه ستار العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العبيد، فكيف لا تتجاوز أنت عمن هو مثلك أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك؟ وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين: كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائماً وقد كشف الريح ثوبه عنه؟ قالوا: نستره ونغطيه. قال: بل تكشفون عورته! قالوا: سبحان الله من يفعل هذا؟ فقال: أحدكم يسمع بالكلمة في أخيه فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها. واعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأقل درجات الأخوّة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ولا شك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوىء والعيوب ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه فما أبعده إذا كان ينتظر منه ما

إن الكـــــريم إذا تقضـــــى ودّه ... يخفـي القبيـح ويظهـر الإحسـانـا
وتـــرى اللئيـــم إذا تصـــرم حبلـــه ... يخفـي الجميـل ويظهـر البهتـانـا

فوصف الكريم في هذا المعنى التخلق بخلق الربوبية ألم تسمع إلى الدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ في أوله: (**يا من أظهر الجميل وستر القبيح**) ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر انتهى.

(**والمرضي عند الله تعالى من تخلق بأخلاقه**) وتحلى بأوصافه (**فإنه**) عز وجل (**ستار العيوب وغفار الذنوب ومتجاوز عن العبد**) لا يؤاخذ على الجريرة، (**فكيف لا تتجاوز وأنت**) أيها المؤمن (**أيضاً عمن هو مثلك**) في القدر والمقام (**أو فوقك وما هو بكل حال عبدك ولا مخلوقك**) وإنما أنت وإياه في العبودية سواء، فليس من حقيقة الصداقة أن تؤاخذه بعيوبه، كيف (**وقد قال عيسى عليه السلام للحواريين**) من أصحابه: (**كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائماً وقد كشفت الريح عنه ثوبه؟ قالوا: نستره ونغطيه. قال: لكنكم تكشفون عورته**) ولفظ القوت: بل تكشفون عورته! (**فقالوا: سبحان الله ومن يفعل هذا؟ فقال: أحدكم يسمع من**) ولفظ القوت في (**أخيه الكلمة فيزيد عليها ويشيعها**) أي يتبعها (**بأعظم منها**) كذا في القوت، وزاد: وهذا مخرجه من الحسد الكائن في النفس والغل المستكن في القلب أن يزيد على الشيء مما يسمع ويتبعه بمثله فيظهر هذا غله، وهذا هو الذي استعاذ منه المؤمنون في قوله: ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا﴾ [الحشر: ١٠] (**واعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه**)، وقد روى أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أنس: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» أي لا يتم إيمانه. (**وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله**) أي نفسه (**به ولا يشك أنه**) أي أخاه المؤمن (**ينتظر منه ستر العورة والسكوت عن المساوىء والعيوب**) والفضائح، (**ولو ظهر له منه بعض ما يكره ونقيض ما**) كان (**ينتظره**) منه (**اشتد عليه غيظه وغضبه فما أبعده**) عن

لا يضمره له ولا يعزم عليه لأجله، وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال: ﴿ويل للمطففين* ٱلَّذِينَ إذا اكتالوا على الناس يستوفون* وإذا كالُوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ [المطففين: ١ - ٣]، وكل من يلتمس من الإنصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية. ومنشأ التقصير في ستر العورة أو السعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد والحسد، فإن الحقود الحسود يملأ باطنه بالخبث ولكن يحبسه في باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد له مجالاً وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء ويترشح الباطن بخبثه الدفين، ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى. قال بعض الحكماء: ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد، ولا يزيد لطف الحقود إلا وحشة منه، ومن في قلبه سخيمة على مسلم فإيمانه ضعيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله.

وقد روى عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه انه قال: كنت باليمن ولي جار

الإنصاف (**إذا كان ينتظر منه ما لا يضمره له ولا يعزم عليه لأجله، وويل له في نص كتاب الله تعالى حيث قال: ﴿ويل للمطففين﴾ الآية**) إلى آخرها وهو قوله: **﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون* وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾** والويل كلمة تحسر وتحزن، وقيل: اسم واد في جهنم فكل من يلتمس من الإنصاف أكثر مما تسمح به نفسه فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية (**فأقل درجاته التساوي**) كما قال الحريري:

وكلـــت للخـــل كما كـــال لي على وفـــاء الكيـــل أو بخســـه

(**ومنشؤ التقصير في ستر العورة والسعي في كشفها الداء الدفين في الباطن وهو الحقد**) المستكن في القلب (**والحسد، فإن الحسود والحقود يمتلىء باطنه بالخبث ولكنه يحبسه في باطنه ويخفيه**) عن الإظهار، (**ولا يبديه**) لأخيه (**مهما لم يجد له مجالاً فإذا وجد الفرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء**) وظهر المخبأ (**وترشح الباطن بخبثه الدفين**) المستكن، (**ومهما انطوى على حقده وحسده**) وعلم من نفسه ذلك (**فالانقطاع أولى**)، وبهذا السبب انقطع جماعة من الصالحين عن إخوانهم وكانوا إذا سئلوا عن سبب الانقطاع يقولون: ما كل ما يعلم يقال وليس كل عذر يبدى، (**قال بعض الحكماء: ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيد لطف الحسود إلا وحشة منه**) ولفظ القوت: ولا يزيدك لطف الحقود إلا وحشة منه، (**ومن في قلبه سخيمة على مسلم فإيمانه ضعيف وأمره مخطر وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله تعالى**).

(**وقد روى عبد الرحمن بن جبير عن أبيه**). ولفظ القوت: وقد روينا في الحقد عن الإخوان لفظة شديدة وهو ما حدثونا عن عبد الرحمن بـن جبير بن نفير عن أبيه قلت عبد الرحمن ابن جبير بن نفير بن مالك بن عامر الحضرمي يكنى أبا حميد، ويقال أبو حمير. روى عن أبيه جبير

يهودي يخبرني عن التوراة فقدم عليّ اليهودي من سفر فقلت: إن الله قد بعث فينا نبياً فدعانا إلى الإسلام فأسلمنا وقد أنزل علينا كتاباً مصدقاً للتوراة، فقال اليهودي: صدقت ولكنكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به إنا نجد نعته ونعت أمته في التوراة إنه لا يحل لامرىء أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه المسلم. ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه وله أن ينكره وإن كان كاذباً فليس الصدق واجباً في كل مقام، فإنه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب فله أن يفعل ذلك في حق أخيه، فإن أخاه نازل منزلته وهما كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن. هذه حقيقة الأخوّة وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائياً وخارجاً عن أعمال السر إلى أعمال العلانية فإن معرفة أخيه بعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق. وقد قال عليه السلام: «من ستر عورة أخيه ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة» وفي

ابن نفير وعن صفوان بن عمر، و عنه أبو حزة عيسى بن سليم، ومحمد بن الوليد الزبيدي، ومعاوية ابن صالح بن جرير الحضرمي، ويحي بن جابر الطائي، ويزيد بن ضمير. قال أبو زرعة: والنسائي ثقة. وقال أبو حاتم صالح الحديث مات سنة ثماني عشرة ومائة في خلافة هشام، روى له الجماعة إلا البخاري وأما أبوه فإنه يكنى أبا عبد الرحمن، ويقال أبا عبد الله شامي حمصي أدرك زمان النبي ﷺ، وروي عنه مرسلاً وهو من كبار تابعي أهل الشام مات سنة خمس وسبعين، روى له الجماعة إلا البخاري (**أنه قال: كنت باليمن ولي جار يهودي يخبرني عن التوراة فقدم عليّ اليهودي**) ولفظ القوت فقدم علينا (**يهودي من سفر، فقلت: إن الله**) تعالى (**قد بعث فينا نبياً فدعانا إلى الإسلام فأسلمنا، وقد أنزل علينا كتاباً مصدقاً للتوارة فقال اليهودي: صدقت ولكنكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به إنا نجد نعته ونعت أمته في التوراة أنه لا يحل لامرىء**) يعني منهم (**أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه المسلم**) هكذا أورده صاحب القوت. (**ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه إياه أن ينكره**) من أصله (**وإن**) كان (**كاذباً**) في إنكاره، (**فليس الصدق واجباً في كل مقام**) بل في بعض المواضع يستحسن الكذب شرعاً (**فإنه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه و**) أن يخفي (**أسراره وإن احتاج إلى الكذب، فله أن يفعل ذلك في حق أخيه فإن أخاه نازل منزلته وهما كشيء واحد لا يختلفان إلا بالبدن**) أي هما من حيث البدن شخصان في رأي العين ومن حيث الروح كشيء واحد في كمال الموافقة. (**فهذه حقيقة الأخوة**) وفضيلة الصداقة، (**وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائياً وخارجاً عن أعمال السر إلى أعمال العلانية، فإن معرفة أخيه لعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق، وقد قال ﷺ: «من ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة»**) قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث ابن عباس وقال:

خبر آخر: «فكأنما أحيا موؤدة». وقال عليه السلام: «إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة»، وقال: «المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس مجلس يسفك فيه دم

يوم القيامة ولم يقل في الدنيا. ولمسلم من حديث أبي هريرة: «من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة» وللشيخين من حديث ابن عمر: «من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة» انتهى.

قلت: لفظ حديث ابن عباس عند ابن ماجه: «من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها» وروى عبد الرزاق من حديث عقبة بن عامر: «من ستر مؤمناً في الدنيا على عورة ستره الله يوم القيامة» وروى أبو نعيم من حديث ثابت بن مخلد: «من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة» وزاد عبد الرزاق وأحمد وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، والخطيب من حديث مسلمة بن مخلد: «ومن فك عن مكروب فك الله عنه كربة من كرب يوم القيامة» الحديث.

وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق حديث ابن عمر: «من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة». وروي أحمد عن رجل من الصحابة: «من ستر أخاه المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيامة» وروى عبد الرزاق من حديث عقبة بن عامر: «من ستر أخاه في فاحشة رآها عليه ستره الله في الدنيا والآخرة».

(وفي خبر آخر: «فكأنما أحيا موؤدة») قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي والحاكم من حديث عقبة بن عامر: «من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة» زاد الحاكم: **(«من قبرها»)** وقال: صحيح الإسناد انتهى.

قلت: ورواه أيضاً البخاري في الأدب المفرد بهذه الزيادة، وروى أحمد وابن ماجه من حديثه أيضاً بلفظ: «من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا موؤدة من قبرها». ورواه بهذا اللفظ ابن مردويه والبيهقي والخرائطي في مكارم الأخلاق، وابن عساكر، وابن النجار من حديث جابر، ورواه الطبراني في الأوسط من حديث مسلمة بن مخلد، وروى الطبراني في الكبير والضياء في المختارة من حديث رجل من الصحابة اسمه جابر بن شهاب كان ينزل مصر بلفظ: «من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا ميتاً» وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عقبة بلفظ: «من ستر على مؤمن جريمة فكأنما أحيا موؤدة من قبرها». ولابن حبان والبيهقي من حديثه: «من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موؤدة في قبرها». وعند البيهقي من حديث أبي هريرة: «من ستر على مؤمن فاحشته فكأنما أحيَا موؤدة».

(وقال ﷺ: إذا حدث الرجل بحديث) الحديث وفي أخرى إذا حدث رجل رجلاً حديثاً **(ثم التفت)** يميناً وشمالاً فظهر في حاله بالقرائن إن قصده أن لا يطلع على حديثه غير الذي حدثه **(فهي)** أي الكلمة التي حدث بها **(أمانة)** عند المحدث فيجب عليه كتمها إذ التفاته بمنزلة استكتامه بالنطق. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي من حديث جابر وقال: حسن انتهى.

حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال من غير حله ». وقال ﷺ : « إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره ».

قلت : أخرجه أبو داود في الأدب والترمذي في البر والصلة وكذلك أخرجه أحمد والضياء في المختارة وصححه وأخرجه أبو يعلى من حديث أنس وفيه حبارة بن المغلس ضعيف وبقية رجاله ثقات.

(**وقال**) ﷺ (**« المجالس بالأمانة**) فلا يشيع حديث جليسه إلا فيما يحرم ستره من الأضرار بالمسلمين ولا يبطن غير ما يظهره رواه ابن ماجه من حديث جابر ، والخطيب من حديث علي ، وأورده القضاعي في الشهاب ، وكذا الديلمي والعسكري كلهم من طريق حسين بن عبد الله ابن حمزة عن أبيه عن جده عن علي . وقال الحافظ في الفتح : سنده ضعيف فلا يلتفت إلى قول شراح الشهاب كأبي بكر العامري البغدادي والحضرمي أنه صحيح ، ويروى بزيادة : (**إلا ثلاثة مجالس مجلس يسفك فيه دم حرام**) أي يراق دم سائل من مسلم بغير حق ، (**ومجلس يستحل فيه فرج حرام**) أي على وجه الزنا ، (**ومجلس يستحل فيه مال من غير حله »**) سواء من مال مسلم أو ذمي ، فمن قال في مجلس أريد قتل فلان أو الزنا بفلانة ، أو مال فلان ظلماً لا يجوز للمستمعين حفظ سره بل عليهم إفشاؤه دفعاً للمفسدة ، والمراد منه أن المؤمن إذا حضر مجلساً ووجد أهله على منكر أن يستر على عوراتهم ولا يشيع ما رأى منهم إلا أن يكون أحد هذه الثلاثة فإنه فساد كبير وخفاؤه إضرار عظيم . قال العراقي : رواه أبو داود من حديث جابر من رواية ابن أخيه غير مسمى عنه انتهى.

قلت : ولفظه في الأدب « إلا ثلاثة مجالس سفك دم حرام أو اقتطاع مال بغير حق » قال المنذري : ابن أخي جابر مجهول قال : وفيه أيضاً عبد الله بن نافع الصائغ ، روى له مسلم وغيره وفيه كلاخ اهـ . ولكن سكوت أبي داود عليه يدل على حسنه والله أعلم.

وروى أبو الشيخ في كتاب التوبيخ من حديث عثمان بن عفان وابن عباس بلفظ « إنما المجالس بالأمانة » والمعنى المجالس الحسنة إنما هي المصحوبة بالأمانة.

(**وقال**) ﷺ (**« إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة لا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره »**) كذا في القوت . قال العراقي : رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف ، ورواه ابن المبارك في الزهد من حديث أبي بكر بن حزم مرسلاً ، وللحكم من حديث ابن عباس بلفظ « إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله تعالى فلا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يخاف » وفي سنده وسند ابن لال عبد الله بن محمد بن المغيرة . قال الذهبي في الضعفاء ، قال العقيلي : يحدث بما لا أصل له وقال ابن عدي : عامة أحاديثه لا يتابع عليها ، وأما مرسل أبي بكر بن حزم فقد رواه البيهقي في الشعب وقال : هذا مرسل جيد .

قيل لبعض الأدباء: كيف حفظك للسر؟ قال: أنا قبره. وقد قيل: صدور الأحرار قبور الأسرار، وقيل: إن قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه. أي لا يستطيع الأحمق اخفاء ما في نفسه فيبديه من حيث لا يدري به، فمن هذا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم بل عن مشاهدتهم. وقد قيل لآخر: كيف تحفظ السر؟ قال: أجحد المخبر وأحلف للمستخبر، وقال آخر: أستره واستر أني أستره وعبر عنه ابن المعتز فقال:

ومستودعي سراً تبوأت كتمه ... فأودعته صدري فصار له قبرا

وقال آخر وأراد الزيادة عليه:

وما السر في صدري كثاوٍ بقبره ... لأني أرى المقبور ينتظر الشرا

(وقيل لبعض الأدباء: كيف حفظك للسر؟ قال: أنا قبره) كذا في القوت أي أنا أكتمه كما يكتم القبر على الميت، (وقد قيل: صدور الأحرار قبور الأسرار) هو قول مشهور على ألسنة الناس، (وقيل: إن قلب الأحمق في فيه) أي فمه (ولسان العاقل في قلبه) وهذا أيضاً مشهور من قول الحكماء، وقد نظموا هذا المعنى في أبيات مشهورة (أي لا يستطيع الأحمق إخفاء ما في نفسه فيبديه للناس من حيث لا يدري به) أي لا يدري طرق المضرة فيه، (فمن هنا تجب مقاطعة الحمقى) والبعد عنهم (والتوقي عن صحبتهم) وعشرتهم، (بل عن مشاهدتهم) فإنه ضرر صرف، (وقد قيل للآخر: كيف حفظك للسر؟ فقال: أجحد المخبر) أي أنكر معرفته (وأحلف للمستخبر) نقله صاحب القوت، (وقال آخر) وقد سئل عن حفظ السر فقال: (أستره واستر أني أستره وعبر عنه ابن المعتز فقال): هو المنتصر بالله عبد الله بن المعتز بالله أبي عبد الله محمد بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسي الشاعر المفلق، ووالده ثالث عشر خليفة. ولفظ القوت: ومن أحسن ما سمعت في حفظ السر ما حدثني بعض أشياخنا من إخوان له دخلوا على عبد الله بن المعتز فاستنشده شيئاً من شعره في حفظ السر فأنشدهم على البديهة:

(ومستودعي سراً تبوأت كتمه ... فأودعته صدري فكان له قبرا)

ولفظ القوت: فصار له (قبراً).

(وقال آخر وأراد الزيادة عليه) ولفظ القوت: فخرجنا من عنده فاستقبلنا محمد بن داود الأصبهاني فسألنا من أين جئنا فأخبرناه بما أنشدنا ابن المعتز في السر فاستوقفنا ثم أطرق ملياً قال اسمعوا قولي:

(وما السر في صدري كثاوٍ بقبره ... لأني أرى المقبور ينتظر النشرا

ولكنني أنســـــاه حتى كـــأنني بما كان منه لم أحط ساعـة خبرا
ولـو جـاز كتم السر بيني وبينـه عن السر والاحشـاء لم تعلم السرا

وأفشى بعضهم سراً له إلى أخيه ثم قال له: حفظت؟ فقال: بل نسيت. وكان أبو سعيد الثوري يقول: إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك فإن قال خيراً وكتم سرك فاصحبه. وقيل لأبي يزيد: من تصحب من الناس؟ قال: من يعلم منك ما يعلم الله ثم يستر عليك كما يستره الله. وقال ذو النون: لاخير في صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصوماً ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها. وقد قال بعض الحكماء: لا تصحب من يتغير عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه، وعند طمعه وهواه، بل ينبغي أن يكون صدق الأخوّة ثابتاً على اختلاف هذه الأحوال ولذلك قيل:

وترى الكريم إذا تصرم وصلـه يخفي القبيح ويظهر الإحســانـا

ولكنني أنســـــاه حتى كـــــأنني بما كـان منـه لم أحـط سـاعـة خبرا
ولـــو جـــاز كتم السر بيني وبينـــه عـن السر والاحشـــاء لم تعلم السرا)

(**وأفشى بعضهم سراً إلى أخيه، ثم قال له: حفظت؟ فقال: بل نسيت**) كذا في القوت، (**وكان أبو سعيد الثوري**) هو سفيان بن سعيد والكنية المشهور بها أبو عبد الله وعليها اقتصر المزني في تهذيب الكمال (**يقول: إذا أردت أن تؤاخي رجلاً**) أي تعقد بينك وبينه عقدة أخوة (**فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك فإن قال خيراً وكتم سرك فاصحبه**) نقله صاحب القوت غير قوله وعن أسرارك وكتم سرك وزاد وقال غيره: لا تؤاخ أحداً حتى تبلوه وتفشي إليه سراً ثم اجفه واستغضبه وانظر فإن أفشاه عليك فاجتنبه. (**وقيل لأبي يزيد**) طيفور ابن عيسى البسطامي قدس سره: (**من أصحب من الناس؟ فقال: من يعلم منك ما يعلم الله**) عز وجل (**ثم يستر عليك كما يستر الله**) عز وجل كذا في القوت (**وقال ذو النـون**) المصري قـدس سره: (**لا خير**) لك (**في صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصوماً**) كذا في القوت أي مبرأ من العيوب، وهذا لا يتفق: (**ومن أفشى السر عند الغضب فهو لئيم لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها**) وإنما محل الامتحان عند الغضب فإفشاؤه عنده من علامات اللؤم وخبث الطبع وسوء السريـرة، (**وقد قال بعض الحكماء: لا تصحب من يتغير عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه، وعند طمعه وهواه**) كذا في القوت أي فليكن حاله عند غضبه كحاله في رضاه وحاله عند طمعه كحاله عند هواه وإليه أشار بقوله (**بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتاً على اختلاف هذه الأحوال**) كيفما تحولت (**ولذلك قيل**):

(وترى الكـريم إذا تصرم وصلـه يخفي القبيـح ويظهـر الإحسـانـا

وترى اللئيم إذا تقضى وصله　　　يخفي الجميل ويظهر البهتانا

وقال العباس لابنه عبد الله: إني أرى هذا الرجل ـ يعني عمر رضي الله عنه ـ يقدمك على الأشياخ فاحفظ عني خمساً: لا تفشين له سراً، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا تجرين عليه كذباً، ولا تعصين له أمراً، ولا يطلعن منك على خيانة، فقال الشعبي: كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف. ومن ذلك السكوت عن المماراة، والمدافعة في كل ما يتكلم به أخوك. قال ابن عباس: لا تمار سفيهاً فيؤذيك ولا حليماً فيقليك. وقد قال ﷺ: «من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بني له

وترى اللئيم إذا تقضى وصله　　　يخفي الجميل ويظهر البهتانا)

هكذا هو في القوت وقد تقدم ذلك قريباً.

(**وقال العباس**) بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي رضي الله عنه عم رسول الله ﷺ وهو أصغر أعمامه، توفي سنة اثنتين وثلاثين عن ثمان وثمانين، وقد كف بصره، وقال المدني: يكنى أبا الفضل. قال الزبير بن بكار: كان أسن من رسول الله ﷺ بثلاث سنين روى له الجماعة (**لابنه عبد الله**) هو الحبر ترجمان القرآن رضي الله عنه: (**إني أرى هذا الرجل يعني عمر**) ابن الخطاب رضي الله عنه (**يقدمك على الأشياخ**) ويقربك وذلك (**فاحفظ مني خمساً**) وفي رواية ثلاثاً (**لا تفشين له سراً ولا تغتابن عنده أحداً ولا يجزين عليك كذباً**) فهذه الثلاثة، وزاد في بعض الروايات، (**ولا تعصين له أمراً، ولا يطلعن منك على خيانة، وقال الشعبي**) لفظ القوت قال: وقلت للشعبي وقد رواه (**كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف**) قال: كل كلمة خير من عشرة آلاف هذا لفظ القوت.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن الحسن بن كيسان، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا علي بن المديني، حدثني أبو أسامة، حدثني مجالد، حدثنا عامر الشعبي، عن ابن عباس قال: قال لي أبي: أي بني أرى أمير المؤمنين يقربك ويدعوك ويستشيرك مع أصحاب رسول الله ﷺ فاحفظ مني ثلاث خصال: اتق لا يجرين عليك كذباً، ولا تفش له سراً، ولا تغتابن عنده أحداً، قال عامر الشعبي: كل واحدة خير من ألف. قال: كل واحدة خير من عشرة آلاف.

(**ومن ذلك السكوت عن المماراة**) أي المخاصمة (**والمدافعة في كل ما يتكلم به أخوك، وقال ابن عباس**) رضي الله عنه: (**لا تمار سفيهاً فيؤذيك**) أي بالرد عليك، (**ولا حليماً فيقليك**) أي يبغضك، (**وقد قال ﷺ «من ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة**) أي فيما حولها، (**ومن تركه وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة»**) وفي رواية بنى له في

بيت في أعلى الجنة » هذا مع أن تركه مبطلاً واجب، وقد جعل ثواب النفل أعظم لأن السكوت عن الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل، وإنما الأجر على قدر النصب وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان المماراة والمنافسة فإنها عين التدابر والتقاطع، فإن التقاطع يقع أولاً بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان. وقال عليه السلام: « لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ». وأشد

وسطها ومن حسن خلقه بني له في أعلاها. ورواه ابن منده من حديث مالك بن أوس بن الحدثان عن أبيه وقد تقدم في كتاب العلم. **(وهذا مع أن تركه)** حالة كونه **(مبطلاً)** وهو يعلم ذلك **(واجب)** في حقه، **(وقد جعل ثواب المحق أعظم لأن السكوت عن الحق)** وهو يعلم به **(أشد على النفس من السكوت على الباطل، وإنما الأجر على قدر النصب)** أي التعب والمشقة، وقد جاء في حديث صحيح أن النبي ﷺ قال لعائشة بعد اعتمارها « إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك » قال النووي: وظاهره أن الثواب والفضل في العبادة بكثرة النصب والنفقة. قال الحافظ ابن حجر: وهو كما قال ولكنه ليس بمطرد.

(وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الأخوان المماراة والمناقشة) أي الاستقصاء **(فإنها عين التدابر والتقاطع، فإن التقاطع يقع أولاً بالآراء ثم بالأقوال ثم بالأبدان)** وكل ذلك منهي عنه، **(وقد قال ﷺ « لا تدابر ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله أخواناً)** وهذا بعض من حديث أبي هريرة السابق، وذكره قبل هذا بنحو سبعة أحاديث « إياكم وسوء الظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا » إلى آخره وأوله متفق عليه من حديثه كما تقدم.

وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي أيوب: « لا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله أخواناً هجرة المؤمنين ثلاث فإن تكلما وإلا أعرض الله عز وجل عنهما حتى يتكلما ».

وأخرج مالك والطيالسي وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي من حديث أنس « لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله أخواناً كما أمركم الله ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام ».

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف من حديث أبي بكر « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ».

وروى أحمد ومسلم من حديث أبي هريرة « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله أخواناً **(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحرمه ولا يخذله)** وفي رواية لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا، وأشار إلى صدره

الاحتقار المماراة فإن من ردّ على غيره كلامه فقد نسبه إلى الجهل والحمق أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه، وكل ذلك استحقار وايغار للصدر وايحاش. وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى فغضب وقال: «ذروا المراء لقلة خيره وذروا المراء فإن نفعه قليل وأنه يهيج العداوة بين الاخوان». وقال بعض السلف: من لاحى الإخوان وماراهم قلّت مروءته وذهبت كرامته. وقال عبدالله بن الحسن: إياك ومماراة الرجال. فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم. وقال بعض السلف: أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان وأعجز منه من

(بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم) كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه. **(وأشد الاحتقار المماراة فإن من رد على غيره كلامه فقد نسبه إلى الجهل والحمق)** وهو فساد جوهر العقل **(أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه وكل ذلك استحقار له وإيغار للصدر)** يقال: أوغر صدره إذا ملأه غيظاً **(وإيحاش، وفي حديث أبي أمامة)** صدى بن عجلان **(الباهلي)** رضي الله عنه سكن الشام ومات بها سنة ست وثمانين **(قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى فغضب وقال: «ذروا المراء)** أي اتركوه **(فإن نفعه قليل وأنه يهيج العداوة بين الأخوان»)** كذا في القوت إلا أنه قال: «ذروا المراء لقلة خيره ذروا المراء فإن نفعه قليل» والباقي سواء.

قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة، وأبي الدرداء، وواثلة، وأنس دون ما بعد قوله لقلة خيره، ومن هنا إلى آخر الحديث رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة فقط وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: وروى الديلمي من حديث معاذ «دعوا الجدال والمراء لقلة خيرهما فإن أحد الفريقين كاذب فيأثم الفريقان».

(وقال بعض السلف: من لاحي) من الملاحاة وهي المخاصمة ولفظ القوت من لاج من الملاجة بمعناه **(الأخوان وماراهم قلت مروءته)** وفي نسخة مودته **(وذهبت كرامته)** زاد في القوت: وفي حديث علي رضي الله عنه قال: من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته.

(وقال عبد الله بن الحسن) هكذا هو في القوت، وهو يحتمل أن يكون ابن الحسن بن علي ابن أبي طالب ثقة روى له الأربعة أو عبد الله بن الحسن البصري: **(إياك ومماراة الرجال فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم)** هكذا نص القوت وفي نسخ الكتاب: فإنك لن تعدم تكرم حليم وهو غلط. **(وقال بعض السلف: أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان وأعجز منه**

ضيع من ظفر به منهم وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة وتورث العداوة. وقد قال الحسن: لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل. وعلى الجملة؛ فلا باعث على المماراة إلا إظهار التمييز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه بإظهار جهله، وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والإيذاء والشتم بالحمق والجهل، ولا معنى للمعاداة إلا هذا فكيف نضامه الأخوة والمصافاة؟ فقد روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه» وقد قال عليه السلام: «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط وجه وحسن خلق» والمماراة مضادة لحسن

من ضيع من ظفر به منهم). كذا في القوت. **(وقال الحسن)** البصري: **(لا تشتروا عداوة رجل بمودة ألف رجل)** كذا في القوت إلا أنه قال: لا تشتر.

(وعلى الجملة، فلا باعث على المماراة إلا إظهار التميز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه بإظهار جهله) والإزراء به **(وهذا يشتمل على)** أوصاف ذميمة مثل **(التكبر والاحتقار والإيذاء والوسم بالحمق ولا معنى للمعاداة إلا هذا، فكيف تضامه الأخوة)** الإلهية **(والمصافاة)** والصداقة **(وقد روى ابن عباس)** رضي الله عنهما، **(عن النبي ﷺ أنه قال «لا تماره)** أي لا تخاصمه **(ولا تمازحه)** بما يتأذى به **(ولا تعده موعداً فتخلفه»)** قال الطيبي: إن روي منصوباً كان جواباً للنهي على تقدير أن يكون مسبباً عما قبله أو مرفوعاً فالمنهى الوعد المستعقب للإخلاف أي لا تعده موعداً فأنت تخلفه على أنه جملة خبرية معطوفة على إنشائية والوفاء بالوعد سنة مؤكدة وقيل واجب.

قال العراقي: رواه الترمذي وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه يعني من حديث ليث بن أبي سليم وضعفه الجمهور انتهى.

قلت: رواه هكذا في البر والصلة من طريق ليث بن أبي سليم. قال الذهبي: فيه ضعف من جهة حديثه. وروى أبو نعيم في الحلية من حديث معاذ بن جبل بسند ضعيف «إذا أحببت رجلاً فلا تماره ولا تشاره ولا تسأل عنه أحداً فعسى أن توافق له عدواً فيخبرك بما ليس فيه فيفرق ما بينك وبينه».

(وقال ﷺ «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم) بفتح السين أي لا تطيقون أن تعموا وفي رواية «أنكم لن تسعوا» أي لا يمكنكم ذلك، **(ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق»)** وفي رواية «فسعوهم بأخلاقكم» وذلك أن استيعاب عامتهم بالإحسان بالفعل غير ممكن فأمر بجبر ذلك بالقول حسبما نطق به وقولوا للناس حسناً، قال العسكري في الأمثال بعد أن أخرجه نقلاً عن المولى قال: لو وزنت كلمته ﷺ بأحسن كلام الناس كلهم لرجحت على ذلك يعني بها هذا الحديث.

الخلق. وقد انتهى السلف في الحذر عن المماراة والحض على المساعدة إلى حد لم يروا السؤال أصلاً. وقالوا: إذا قلت لأخيك قم فقال: إلى أين؟ فلا تصحبه، بل قالوا: ينبغي أن يقوم ولا يسأل. وقال أبو سليمان الداراني: كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في النوائب فأقول: أعطني من مالك شيئاً فكان يلقي إليّ كيسه فآخذ منه ما أريد، فجئته ذات يوم فقلت: أحتاج إلى شيء. فقال: كم تريد؟ فخرجت حلاوة إخائه من قلبي.

وقال الحراني: السعة المزيد على الكفاية من نحوها إلى أن ينبسط إلى ما وراء امتداداً ورحمة وعلماً ولا تقع السعة إلا مع إحاطة العلم والقدرة وكمال الحكم والإفاضة في وجوه الكفايات ظاهراً وباطناً عموماً وخصوصاً، وذلك ليس إلا لله. أما المخلوق فلم يكن يصل إلى حظ من السعة أما ظاهراً فلم يقع منه ولا يكاد، وإما باطناً بخصوص حسن الخلق ففساده يكاد انتهى.

وكان إبراهيم بن أدهم يقول: إن الرجل ليدرك بحسن خلقه ما لا يدركه بما له لأن المال عليه فيه زكاة وصلة أرحام وأشياء أخر وخلقه ليس عليه فيه شيء.

قال العراقي: رواه أبو يعلى الموصلي، والطبراني في مكارم الأخلاق، وابن عدي في الكامل، وضعفه والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة انتهى.

قلت: وكذا رواه البزار وأبو نعيم، وأما البيهقي فإنه أخرجه من طريق الطبراني وقال: تفرد به عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه، وروي من وجه آخر ضعيف عن عائشة انتهى.

وفي الميزان عبد الله بن سعيد هذا واه بمرة، وقال العلائي: منكر الحديث متروك، وقال يحيى: استبان كذبه. وقال الدارقطني: متروك ذاهب وساق له أخباراً منها هذا ثم قال، وقال البخاري: تركوه. وأما سند أبي يعلى فقال العلائي: أنه حسن.

(والمماراة مضادة لحسن الخلق) كادا لا يجتمعان، **(وقد انتهى السلف في الحذر عن المماراة والحض على المساعدة)** وعدم الاختلاف **(إلى حد لم يروا السؤال أيضاً وقالوا: إذا قلت لأخيك قم فقال: إلى أين فلا تصحبه)** فإن فيه نوع مخالفة في الظاهر، وهذا وأمثاله وإن كان جائزاً في الشرع ولكن لأهل الباطن فيه خصوص وتقييد يرون مخالفته خروجاً عن الحد، **(و)**كذا **(قالوا: بل يقوم)** في أول وهلة **(ولا يسأل)** ولا يتردد. ولفظ القوت: وينبغي أن لا يخالفه في شيء ولا يعترض عليه في مراد، قال بعض العلماء: إذا قال الأخ لأخيه قم بنا فقال: إلى أين فلا تصحبه.

(وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى: **(كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في النوائب)** أي الشدائد **(فأقول: أعطني من مالك شيئاً فكان يلقي إلي الكيس)** الذي فيه المال، **(فآخذ منه ما أريد، فجئته ذات يوم فقلت أحتاج إلى شيء فقال: كم تريد؟ فخرجت حلاوة إخائه من قلبي)** كذا في القوت. **(وقال آخر: إذا طلبت من أخيك مالاً**

وقال آخر: إذا طلبت من أخيك مالاً فقال: ماذا تصنع به، فقد ترك حق الإخاء. واعلم أن قوام الأخوّة بالموافقة في الكلام والفعل والشفقة. قال أبو عثمان الحيري: موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم وهو كما قال.

الحق الرابع: على اللسان بالنطق:

فإن الاخوّة كما تقتضي السكوت عن المكاره تقتضي أيضاً النطق بالمحاب بل هو أخص بالأخوّة لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور، وإنما تراد الإخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أذاهم، والسكوت معناه كف الأذى فعليه أن يتودد إليه بلسانه ويتفقده في أحواله التي يجب أن يتفقد فيها كالسؤال عن عارض إن عرض وإظهار شغل القلب بسببه واستبطاء العافية عنه، وكذا جملة أحواله التي يكرهها ينبغي أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهتها، وجملة أحواله التي يسر بها ينبغي أن يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها. فمعنى الأخوة المساهمة في السراء والضراء، وقد قال عليه السلام: «إذا

فقال: ما تصنع به فقد ترك حق الإخاء) ولفظ القوت: إذا قال أعطني من مالك فقال: كم تريد وما تصنع به لم يقم بحق الإخاء.

(واعلم أن قوام الأخوة) وأساسها **(بالموافقة في الكلام والفعل والشفقة. قال أبو عثمان الحيري)** سعيد بن إسماعيل المقيم بنيسابور صحب شاه الكرماني، ويحيى بن معاذ الرازي، ثم ورد نيسابور على أبي حفص الحداد وأقام عنده وبه تخرج مات سنة ٢٩٨. قال القشيري في الرسالة: وكان يقال في الدنيا ثلاثة لا رابع لهم أبو عثمان بنيسابور، والجنيد ببغداد، وابن الجلاء بالشام: **(موافقة الإخوان خير من الشفقة)** أي التي فيها المخالفة **(وهو كما قال)**.

(الحق الرابع: على اللسان بالنطق) لكونه آلة له.

(فإن الأخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره تقتضي أيضاً النطق بالمحاب) جمع محبوب **(بل هو أخص بالأخوة)** أي من خصوصياتها **(لأن من قنع بالسكوت صحب أهل القبور)** وجاورهم، **(وإنما تراد الإخوان ليستفاد منهم لا ليتخلص عن أذاهم والسكوت معناه كف الأذى فعليه أن يتوددِ إليه بلسانه ويتفقده في أحواله التي يجب أن يتفقد فيها)** وفي نسخة أن يتفقده فيها **(كالسؤال عن عارض عرض له)** أي حادث حدث له، **(وإظهار شغل القلب بسببه و)** إظهار **(استبطائه عنه)** من وجه لا يكون فيه كاذباً، **(وكذا جملة أحواله التي يكرهها ينبغي أن يظهر بلسانه)** نطقاً **(وأفعاله كراهتها، وجملة أحواله التي يسر به)** ويفرح **(ينبغي أن يظهر بلسانه مشاركته له في السرور بها)** ليتم بذلك معنى أخوته في الله ورسوله، **(فمعنى الأخوة)** في الله **(المساهمة)** أي المقاسمة **(في السراء والضراء)** والمنشط

أحب أحدكم أخاه فليخبره ». وإنما أمر بالإخبار لأن ذلك يوجب زيادة حب فإن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لا محالة فإذا عرفت أنه أيضاً يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين، ولذلك علم فيه الطريق فقال: « تهادوا تحابوا » ومن ذلك أن تدعوه بأحب أسمائه إليه في غيبته وحضوره. قال عمر رضي الله عنه: ثلاث يصفين لك: ود أخيك أن تسلم عليه إذا لقيته أولاً وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه، ومن ذلك أن تثني

والمكره، (**وقد قال ﷺ « إذا أحب أحدكم أخاه**) أي لما فيه من الصفات المرضية (**فليخبره » ندباً مؤكداً**) أي أنه يحبه. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، والحاكم من حديث المقدام بن معدي كرب انتهى.

قلت: وكذلك رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن حبان كلهم من طريق حبيب بن عبيد عن المقدام، والمقدام صحابي له وفادة نزل حمص ومات سنة سبع وثمانين، فلفظ أبي داود « فليخبره أنه يحبه » ولفظ البخاري « فليعلمه أنه أحبه » ولفظ الترمذي « فليعلمه إياه » ولفظ النسائي « فليعلمه ذلك ». ورواه ابن حبان أيضاً من حديث أنس والبخاري في الأدب أيضاً من حديث رجل من الصحابة، وأخرج البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر « إذا أحب أحدكم عبداً فليخبره فإنه يجد مثل الذي يجد له ». وأخرج أحمد والضياء في المختارة من حديث أبي ذر « إذا أحب أحدكم صاحبه فليأته منزله فليخبره أنه يحبه لله ».

(**وإنما أمر بالإخبار**) والإعلام (**لأن ذلك يوجب زيادة حب**) له وهو إحساس بوصلة لا يدرك كنهها (**فإنه إن عرف أنك تحبه**) استمال قلبه إليك و(**أحبك بالطبع لا محالة، وإذا عرفت أنه أيضاً يحبك زاد حبك لا محالة**) وعلى كل حال فاجتلاب الود حاصل، (**فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف**) وتجتمع الكلمة وينتظم الشمل إلى أن ينقلب ذاتياً وذلك حين يعرى عن المقاصد (**والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الدين ولذلك علم فيه الطريق، فقال ﷺ « تهادوا تحابوا »**) رواه أبو هريرة، وأخرجه البيهقي وغيره، وقد تقدم الكلام عليه في آخر الكتاب الذي قبله أي: تهادوا بينكم تزدادوا محبة مع بعضكم. وعند الطبراني من حديث أم حكيم « تهادوا فإن الهدية تضعف الحب وتذهب بغوائل الصدر » وعند البيهقي من حديث أنس « تهادوا فإن الهدية تذهب بالسخيمة » إلى غير ذلك من الأخبار الواردة مما تقدم ذكر بعضها.

(**ومن ذلك أن يدعوه بأحب أسمائه إليه**)وكذا بأحب ألقابه وكناه (**في**) حال (**غيبته وحضوره**) فإن هذا مما يورث انشراح صدره لأخيه وميل قلبه فيكون سبباً لتزايد المحبة المطلوبة. (**وقال عمر رضي الله عنه: ثلاثة يصفين لك ود أخيك**) أي ثلاث خصال من عمل بهن صفا له ود أخيه: (**إن تسلم عليه إذا لقيته أولاً**) أي تفاتحه بالسلام فإنه تحية المؤمن وعلامة

عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده، فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة، وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به، وذلك من غير كذب وإفراط، ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بدّ منه وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح، فإن اخفاء ذلك محض الحسن، ومن ذلك أن تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وإن لم يتم ذلك.

على صفاء الود، (**وتوسع له في المجلس**) إذا قدم عليك وأنت جالس فتزحزح له عن مجلسك وتقول له: ههنا يا أبا فلان، (**وتدعوه بأحب أسمائه إليه**) مما سماه به أبواه، وقد تقدم مثل ذلك قريباً من كلام سعيد بن العاص كان يقول: لجليسي عليّ ثلاث: إذا دنا رحبت به، وإذا حدث أقبلت عليه، وإذا جلس أوسعت له.

(**ومن ذلك أن تثني عليه بما تعرف من محاسن أفعاله عند من يريد هو الثناء عنده، فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة**) والطبع مجبول على حب من فعل مثل ذلك كما هو مشاهد، (**وكذلك الثناء على أولاده وأهله**) وقرابته الأدنين وأتباعه وحشمه (**وصنعته**) التي هو فيها (**وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته**) الظاهرة (**وخطه**) إن كان جيداً (**وشعره**) إن كان موزوناً (**وتصنيفه**) في أي فن كان (**وجميع ما يفرح به، وذلك**) كله (**من غير كذب وإفراط**) في المدح لئلا ينقلب إلى ضده، (**ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بد منه**) كان يقول: إن أولادك وأهلك أحسن من غيرهم في هذا الزمان وإن صنعتك هذه لا بأس بها ما اتقيت الله فيها، وإن فعلك لحسن، وإن عقلك ذكي، وهيئتك هذه تدل على حسن الخلق في الباطن، وإن هذا الخط جلي واضح صحيح يؤدي إلى المعنى بأقرب طريق، وأن شعرك فيه حكمة، وأن تصنيفك مفيد في الباب جامع للفروع المحتاج إليها وأقل الدرجات في ذلك يكون المؤمن قد عود لسانه بالطيب من القول.

وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة مالك بن دينار أن عيسى عليه السلام مر مع الحواريين على جيفة كلب فكلهم قد أسرع السير ووضع يده على أنفه إلا عيسى عليه السلام فإنه سار على سكينة، فلما تجاوزوا قالوا: ما أنتن ريحه؟ فقال عيسى عليه السلام: ما أحسن بياض أسنانه. فقيل له في ذلك فقال: لا أعود لساني الذم. ومر عمر رضي الله عنه على قوم يصطلون بالنار فقال: السلام عليكم يا أهل النور ولم يقل أهل النار.

(**وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح به**) والسرور له، (**فإن إخفاء ذلك من محض الحسد**) وخالص الغل المستكن في الصدر، (**ومن ذلك أن تشكره على صنيعه في حقك**) من المعروف والبر والصلة (**بل على نيته**) بأن نوى أن يعمل معك معروفاً (**وأن لم يتم ذلك**) وفي نسخة وإن لم يتمم.

قال علي رضي الله عنه: من لم يحمد أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة. وأعظم من ذلك تأثيراً في جلب المحبة الذب عنه في غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لعرضه بكلام صريح أو تعريض، فحق الاخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الأخوّة وإنما شبه رسول الله ﷺ الأخوين باليدين تغسل إحداهما الأخرى لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه، وقد قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه»، وهذا من الإسلام والخذلان فإن إهماله لتمزيق عرضه كإهماله لتمزيق لحمه. فاخسس بأخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحومك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك! وتمزيق الاعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم، ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ [الحجرات: ١٢] والملك الذي يمثل في المنام ما تطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالأمثلة

(قال علي رضي الله عنه: من لم يحمد أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة) وله شاهد من حديث جابر: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير» الحديث أخرجه الديلمي، **(وأعظم من ذلك تأثيراً في جلب المحبة)** وتحصيل المودة **(الذب)** أي الدفع **(عنه في)** حال **(غيبته مهما قصد)** أي قصده غيره **(بسوء)** من إذاية وغيرها، **(أو تعرض لعرضه بكلام قبيح)** لا يليق بمثله **(صريح أو تعريض، فحق الأخوة)** الإلهية **(التشمير في الحماية)** له **(والنصرة)** والإعانة **(وتبكيت المتعنت)** وتسكيته عليه **(وتغليظ القول عليه)** مع إراءة الغضب والحدة ليرتدع عنه، **(فالسكوت عن ذلك يوغر الصدر)** أي يملؤه حرارة **(وينفر القلب)** ويوحشه **(ويقصر في حق الأخوة)** المطلوب منه، **(وإنما شبه ﷺ الأخوة باليدين تغسل إحداهما الأخرى)** وهو من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه روي مرفوعاً وموقوفاً كما تقدم ذلك قبله **(لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه)** في مهماته، **(وقال ﷺ «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه»)** رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم قريباً، **(وهذا)** أي سكوته عن النصرة له **(من الإسلام والخذلان لأن إهماله)** أي تركه **(ليمزق عرضه كإهماله ليمزق لحمه)** سواء، **(وأخسس بأخ يراك والكلاب)** قد أحاطت بك تنوشك و**(تفترسك وتمزق لحمك)** بأنيابها **(وهو ساكت لا تحركه الشفقة)** الإسلامية **(والحمية)** الأخوية **(ليدفع عنك)** شرهم **(وتمزيق الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم، ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال)** عز من قائل **﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾ (والملك الذي يمثل في المنام)** لأحدنا **(ما تطالعه الروح)** أي تشاهده **(من اللوح المحفوظ بالأمثلة المحسوسة)** في الظاهر **(يمثل الغيبة بأكل الميتة، حتى أن من**

المحسوسة يمثل الغيبة بأكل لحوم الميتة حتى أن من يرى أنه يأكل لحم ميتة فإنه يغتاب الناس لأن ذلك الملك في تمثيله يراعي المشاركة والمناسبة بين الشيء وبين مثاله في المعنى الذي يجري من المثال مجرى الروح، لا في ظاهر الصور. فإذن حماية الأخوّة بدفع ذم الأعداء وتعنت المتعنتين واجب في عقد الأخوّة، وقد قال مجاهد: لا تذكر أخاك في غيبته إلا كما تحب أن يذكرك في غيبتك، فإذن لك فيه معياران.

أحدهما: أن تقدر أن الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان أخوك حاضراً ما الذي كنت تحب أن يقوله أخوك فيك؟ فينبغي أن تعامل المتعرض لعرضه به.

والثاني: أن تقدر أنه حاضر من وراء جدار يسمع قولك ويظن أنك لا تعرف حضوره، فما كان يتحرك في قلبك من النصرة له بمسمع منه ومرأى فينبغي أن يكون في مغيبه كذلك فقد قال بعضهم: ما ذكر أخ لي بغيب إلا تصورته جالساً فقلت فيه ما يحب أن يسمعه لو حضر. وقال آخر: ما ذكر أخ لي إلا تصورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما أحب أن يقال فيّ. وهذا من صدق الإسلام وهو أن لا يرى لأخيه إلا

رأى أنه يأكل لحم ميت فإنه يغتاب الناس) هكذا اتفق عليه أئمة التعبير أخذاً من الآية، **(لأن ذلك الملك في تمثيله يدعي المشاركة والمناسبة بين الشيء وأمثاله في المعنى الذي يجري من المثال مجرى الروح لا في ظاهر الصورة)** كما علم ذلك في فن التعبير، **(فإذاً حماية الأخوان)** ونصرتهم **(تدفع ذم الأعداء وتعنيف المعنفين)** وفي بعض النسخ وتعنيت المعنتين **(واجب في عقد الأخوة، فقد قال مجاهد)** بن جبير المكي رحمه الله تعالى: **(لا تذكر أخاك في غيبته إلا بما تحب أن يذكرك به في غيبتك)** كذا في القوت ولفظه: قال ابن عباس في وصيته لمجاهد: ولا تذكر أخاك إذا تغيب عنك إلا بمثل ما تحب أن تذكر به إذا غبت واعفه مما تحب أن تعفى عنه، **(فإذا لك فيه معياران.**

(أحدهما: أن تقدر) في نفسك **(أن الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان أخوك حاضراً ما الذي كنت تحب أن يقوله فيك أخوك فينبغي أن تعامل المتعرض لعرضه به)**.

المعيار **(الثاني: أن تقدر)** في نفسك**(أنه حاضر من وراء جدار)** أو ستارة **(ليسمع قولك)** وفي نسخة يتسمع عليك **(ويظن أنك لا تعرف حضوره هناك فما كان يتحرك في قلبك من النصرة له بمسمع منه ومرأى)** أي بحيث كان يسمعه ويراه **(ينبغي أن تكون في غيبته كذلك، فقد قال بعضهم: ما ذكر لي أخ بعيب إلا تصوّرته)** ولفظ القوت تمثلته **(جالساً)** عندي **(فقلت فيه ما أحب)** هو **(أن يسمعه)** مني **(لو حضر)** كذا في القوت، **(وقال آخر: ما ذكر أخ لي إلا تصورت في نفسي صورته)** ولفظ القوت نفسه وصورته **(فقلت فيه مثل ما أحب أن يقال فيّ)** كذا في القوت، **(وهذا من صدق الإسلام)** وكمال

ما يراه لنفسه. وقد نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحرثان في فدان فوقف أحدهما يحك جسمه فوقف الآخر، فبكى وقال: هكذا الإخوان في الله يعملان لله فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر. وبالموافقة يتم الإخلاص ومن لم يكن مخلصاً في إخائه فهو منافق، والإخلاص استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك مماذقة في المودة وهو دخل في الدين ووليجة في طريق المؤمنين، ومن لم يقدر من نفسه على هذا فالانقطاع والعزلة أولى به من المؤاخاة والمصاحبة، فإن حق الصحبة ثقيل لا يطيقه إلا محقق فلا جرم أجره جزيل لا يناله إلا

الإيمان، (**وهو أن لا يرى لأخيه إلا ما يراه لنفسه**) في سائر الشؤون، ولفظ القوت فهذا حقيقة في صدق الإسلام لا يكون مسلماً حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه.

(**نظر أبو الدرداء**) رضي الله عنه (**إلى ثورين يجريان في قرن**) محركة هو الحبل يقرن به بين اثنين. وفي بعض النسخ: في فدان وهو الخشب الذي يوضع على رقبتي الثورين، ولفظ القوت: إلى ثورين يحرثان، (**فوقف أحدهما يحك جسمه**) لفظ القوت: جلده (**فوقف الآخر**) لوقوفه (**فبكى أبو الدرداء وقال: هكذا الإخوان في الله تعالى يعملان لله**) تعالى ويتعاونان على أمر الله تعالى، (**فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر**) ولفظ القوت: وقف الآخر لوقوفه، وفي الحلية لأبي نعيم من طريق سفيان الثوري، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سالم بن أبي الجعد قال: مرَّ ثوران على أبي الدرداء وهما يعملان فقام أحدهما ووقف الآخر، فقال أبو الدرداء: إن في هذا لمعتبراً.

(**وبالموافقة يتم الاخلاص ومن لم يكن مخلصاً في إخائه فهو منافق**) باطنه مخالف لظاهره؛ (**والإخلاص**) كما قال بعض الصوفية (**استواء الغيب والشهادة واستواء الخلوة والجماعة واستواء اللسان والقلب واستواء السر والعلانية والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك مما ذكر مماذقة في الود**) قد شابه بكدر، (**وهو دخل في الدين ووليجة في طريق المؤمنين**) وفي نسخة المسلمين، ولفظ القوت فمن حقيقة المؤاخاة في الله عز وجل إخلاص المودة بالغيب والشهادة واستواء القلب مع اللسان واعتدال السر مع العلانية، وفي الجماعة والخلوة فإذا لم يختلف ذلك فهو إخلاص الأخوة وإن اختلف ذلك ففيه مداهنة في الأخوة ومماذقة المروءة، وذلك دخل في الدين ووليجة في طريق المؤمنين ولا يكون ذلك مع حقيقة الإيمان، (**ومن لم يقدر**) وفي نسخة ومن لا يقدر (**من نفسه على هذا**) ولم يوفق (**فالانقطاع والعزلة والانفراد أولى به من المؤاخاة والمصاحبة فإن حق الصحبة ثقيل لا يطيقه إلا محقق**) ملك زمام نفسه وأرشدها إلى سلوك طريق الآخرة، (**ولا جرم أجره جزيل**) وثوابه نبيل (**لا يناله إلا موفق**) وإليه يلحظ ما تقدم من حديث عائشة رضي الله عنها قال لها رسول الله ﷺ: «أجرك على قدر نصبك».

موفق، ولذلك قال عليه السلام: « أبا هر أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمناً » فانظر كيف جعل الإيمان جزاء الصحبة والإسلام جزاء الجوار؟ فالفرق بين فضل الإيمان وفضل الإسلام على حد الفرق بين المشقة في القيام بحق الجوار والقيام بحق الصحبة. فإن الصحبة تقتضي حقوقاً كثيرة في أحوال متقاربة مترادفة على الدوام والجوار لا يقتضي إلا حقوقاً قريبة في أوقات متباعدة لا تدوم. ومن ذلك التعليم والنصيحة فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال، فإن كنت غنياً بالعلم فعليك مؤاساته من فضلك وارشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا، وإن علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح في عينه وتحسن الحسن، ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا

(ولذلك قال ﷺ: « أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمناً ») قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه واللفظ له من حديث أبي هريرة بالشطر الأوّل فقط، وقال الترمذي مؤمناً قال: وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً. وقال ابن ماجه: مؤمناً. قال الدارقطني: والحديث غير ثابت، ورواه القضاعي في مسند الشهاب بلفظ المصنف، وسيأتي للمصنف في ذكر حقوق المسلم قريباً **(فانظر كيف جعل الإيمان جزاء الصحبة والإسلام جزاء الجوار، والفرق بين فضل الإيمان وفضل الإسلام على حد الفرق بين المشقة في القيام بحق الصحبة والقيام بحق الجوار، فإن الصحبة تقتضي حقوقاً كثيرة في أحوال متقاربة مترادفة بل على الدوام، و)** أن **(الجوار لا يقتضي إلا حقوقاً قريبة في أوقات متباعدة لا تدوم)** وسيأتي المزيد في ذلك عند بيان حقوق الجوار قريباً.

(ومن ذلك التعليم والنصيحة) له **(فليس حاجة أخيك إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال)** وفي القوت حقيقة الحب في الله عز وجل أن يؤثر أخاه بالدين والدنيا إذا كان محتاجاً إليهما كنفسه، **(فإن كنت غنياً بالعلم فعليك مؤاساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا)** وفي القوت: وينبغي أن يعلمه ما جهل مما هو به أعلم فيعينه بعلمه كما يعينه بماله، فإن فقر الجهل أشد من فقر المال وأن الحاجة إلى العلم ليست بدون الحاجة إلى المال، وكان الفضيل يقول: إنما سمي الصديق لتصدقه والرفيق لترفقه فإن كنت أغنى منه فارفقه بمالك وإن كنت أعلم منه فارفقه بعلمك، **(فإن علمته وأرشدته فلم يعمل بمقتضى العلم فعليك نصحه وذلك بأن تذكره آفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوّفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة ليكف عنه)** وفي نسخة لينزجر عنه، **(وتنبهه على عيوبه وتقبح القبيح في عينه وتحسن الحسن، ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا تطلع عليه أحداً فما كان على الملأ)** هم

يطلع عليه أحد فما كان على الملأ فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة. إذ قال ﷺ: « المؤمن مرآة المؤمن » أي يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المرء بأخيه معرفة عيوب نفسه، ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة. وقال الشافعي رضي الله عنه: من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه. وقيل لمسعر: أتحب من يخبرك بعيوبك؟ فقال: إن نصحني فيما بيني وبينه فنعم، وإن قـرّعني بين الملأ فلا. وقد صدق فإن النصح على الملأ فضيحة والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه في ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سراً، وقد يدفع كتاب عمله مختوماً إلى الملائكة الذين يحفون به إلى

جماعة الناس **(فهو توبيخ وفضيحة، وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة)** ولفظ القوت وينبغي أن ينصح له فيما بينه وبينه ولايوبخه بين الملأ ولا يطلع على عيبه أحداً، فقد قيل: إن نصائح المؤمنين في آذانهم انتهى.

(إذ قال ﷺ: « المؤمن مرآة المؤمن ») قال العراقي: رواه أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد حسن انتهى.

قلت: رواه من طريق الوليد بن رباح عن أبي هريرة وهو عند العسكري في الأمثال من أوجه عن أبي هريرة لفظه في بعضها « إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى شيئاً فليمطه » قال الحافظ السخاوي، وفي الباب عن أنس من طريق شريك بن أبي نمر أخرجه الطبراني والبزار والقضاعي وعن الحسن من قوله أنشده ابن المبارك في البدل. **(أي: يرى منه ما لا يرى من نفسه فيستفيد المؤمن من أخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب عورته الظاهرة)** وأنشد بعضهم في معناه:

صـديقـي مـــرآة أميـــط بها الأذى ... وعضب حسام إن منعـت حقـوقـي
وإن ضـــاق أمـــر أو ألمت ملمـــة ... لجأت إليـــه دون كـــل شقيـــق

(وقيل لمسعر) بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالي العامري الكوفي يكني أبا سلمة. قال ابن معين: ثقة مات سنة خمس وخمسين ومائة، روى له جماعة **(تحب من يخبرك بعيوبك؟ فقال: إن نصحني فيما بيني وبينه فنعم)** أي نعم ما فعل، **(وإن قـرّعني في الملأ فلا)** نقله صاحب القوت، **(وقد صدق)** مسعر فيما قاله، **(فإن النصح على الملأ إفضاح و)** كذلك **(الله عز وجل يعاتب المؤمن)** ولفظ القوت رجلاً من المؤمنين **(يوم القيامة تحت كنفه وفي ظل ستره)** ولفظ القوت: ويسبل عليه ستره **(فيوقفه على ذنوبه سراً وقد يدفع)** ولفظ القوت ومنهم من يدفع **(كتاب عمله مختوماً إلى الملائكة الذين يحفون به**

الجنة فإذا قاربوا باب الجنة أعطوه الكتاب مختوماً ليقرأه، وأما أهل المقت فينادون على رؤوس الاشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك خزياً وافتضاحاً. ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر. فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالاسرار والإعلان كما أن الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء. فإن أغضيت لسلامة دينك ولما ترى من إصلاح أخيك بالإغضاء فأنت مدارٍ، وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن. وقال ذو النون: لا تصحب مع الله إلا بالموافقة، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة، ولا مع النفس إلا بالمخالفة، ولا مع الشيطان إلا بالعداوة.

فإن قلت: فإذا كان في النصح ذكر العيوب ففيه إيحاش القلب، فكيف يكون ذلك من حق الأخوة؟ فاعلم أن الايحاش إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه فأما

إلى الجنة فإذا قاربوا) دخول **(باب الجنة أعطوه الكتاب مختوماً ليقرأه)** ولفظ القوت: فإذا قاربوا دخول الجنة دفعوا إليهم الكتب مختمة فيقرأونها، **(وأما أهل المقت فينادون على رؤوس الأشهاد)** وفي القوت: وأما أهل التوبيخ **(وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك خزياً وافتضاحاً)** ولفظ القوت بعد قوله الأشهاد فلا يخفى على أهل الموقف فضيحتهم فيزداد ذلك في عذابهم، **(ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر، والفرق بين التوبيخ والنصيحة بالإسرار والإعلان)** وكذلك بين العتاب والنصيحة، وكذلك بين الفضيحة والنصيحة، فما كان في السر فهو نصيحة وما كان في العلانية فهو توبيخ وعتاب وفضيحة، وقلما تصح فيه النية لوجه الله تعالى لأن فيه شناعة، **(كما أن الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الاغضاء فإن أغضيت لسلامة دينك ولما تترقبه من إصلاح أخيك)** بصلاح قلبه وسلامته من الإثم **(بالإغضاء)** واردت به وجه الله **(فأنت مدارٍ، وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهوتك)** من دنيا وغيرها **(وسلامة جاهك)** من الانحطاط **(فأنت مداهن)** وكذلك الفرق بين الغبطة والحسد وبين الفراسة وسوء الظن بما سيأتي بيان كل من ذلك في موضعه. قال صاحب القوت: فهذه خمس معان وأضدادها بينها فرق عند العلماء فاعرف ذلك. **(وقال ذو النون)** المصري رحمه الله تعالى: **(لا تصحب مع الله إلا بالموافقة)** في أمره ونهيه، **(ولا مع الخلق إلا بالمناصحة)** لهم وعدم غشهم، **(ولا مع النفس إلا بالمخالفة)** لها لأنها مائلة بطبعها إلى كل لذيذ ونافرة بطبعها من كل كريه، **(ولا مع الشيطان إلا بالعداوة)** له قال الله تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّاً﴾ [فاطر: ٦] أخرجه القشيري في الرسالة.

(فإن قلت: فإذا كان في النصح ذكر العيوب ففيه إيحاش للقلب، فكيف يكون ذلك من حق الاخوة؟ فاعلم أن الايحاش إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه)، أنه فيه

تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين الشفقة وهو استمالة القلوب أعني قلوب العقلاء، وأما الحمقى فلا يلتفت إليهم فإن من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته أو صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها كان كمن ينبهك على حية أو عقرب تحت ذيلك وقد همت بإهلاكك، فإن كنت تكره ذلك فما أشد حمقك والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات فإنها تلدغ القلوب والأرواح وألمها أشد مما يلدغ الظواهر والأجساد وهي مخلوقة من نار الله الموقدة، ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من إخوانه ويقول: رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه، ولذلك قال عمر لسلمان وقد قدم عليه: ما الذي بلغك مني مما تكره؟ فاستعفى فألح عليه فقال: بلغني أن لك حلتين تلبس إحداهما بالنهار والأخرى بالليل، وبلغني انك تجمع بين أدامين على مائدة واحدة. فقال عمر رضي الله عنه: أما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما؟ فقال: لا. وكتب حذيفة المرعشي إلى يوسف بن أسباط: بلغني أنك بعت دينك

ذلك العيب **(فأما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو من الشفقة)** وفي نسخة فهو عين الشفقة **(وهو استمالة للقلوب)** أي طلب لميلها إلى الحق **(أعني قلوب العقلاء)** الصافية النقية، **(وأما الحمقى)** الذين فسد جوهر عقلهم **(فلا يلتفت إليهم فإن من نبهك على فعل مذموم تعاطيته أو صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها)** وتطهرها عن المذام **(كان كمن ينبهك على حية أو عقرب تحت ذيلك وأنت لا ترى)** وقد همت بإهلاكك، **(فإن كنت تكره ذلك فما أشد حمقك)** وما أبلد فهمك، **(والصفات المذمومة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات فإنها تلدغ القلوب والأرواح وألمها أشد مما يلدغ الظواهر والأجساد)** لأنها حينئذ لا تقبل الرقى، **(وهي مخلوقة من نار الله الموقدة)** التي أوقدها الله تعالى وما أوقده لا يطفئه غيره **(التي لا تطلع إلا على الأفئدة)** أي لا تعلو إلا على أوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لأن الفؤاد ألطف ما في البدن وأشد تألماً أو لأنه محل العقائد الزائغة ومنشأ الأعمال القبيحة. وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي في قوله: «تطلع على الأفئدة» قال: تأكل كل شيء منه حتى تنتهي إلى فؤاده، **(ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك من إخوانه ويقول: رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه)** ولفظ القوت أهدى إلى أخيه نفسه، **(وكذلك قال لسلمان)** الفارسي رضي الله عنهما **(وقد قدم عليه)** من بعض أعماله: **(ما الذي بلغك عني مما تكره فاستعفى)** أي طلب العفو **(فألح عليه)** في القول؟ **(فقال: بلغني أن لك حلتين تلبس إحداهما بالنهار والأخرى بالليل)** والحلة إزار ورداء، **(وبلغني أنك جمعت بين أدامين على مائدة واحدة، فقال: أما هاتان فقد كفيتهما، فهل بلغك غيرهما؟ فقال: لا.**

وكتب حذيفة) بن قتادة **(المرعشي)** رحمه الله تعالى **(إلى يوسف بن أسباط)** رحمه الله

بحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت: بكم هذا؟ فقال: بسدس، فقلت له: لا. بثُمن! فقال: هو لك وكان يعرفك اكشف عن رأسك قناع الغافلين وانتبه عن رقدة الموتى، واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغن وآثر الدنيا لم آمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين، وقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين إذ قال: ﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾ [الاعراف: ٧٩] وهذا في عيب هو غافل عنه، فأما ما علمت أنه يعلمه من نفسه فإنما هو مقهور عليه من طبعه فلا ينبغي أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه، وإن كان يظهره فلا بدّ من التلطف في النصح بالتعريض مرة وبالتصريح أخرى إلى حد لا يؤدي إلى الايحاش، فإن علمت أن النصح غير مؤثر فيه وأنه مضطر من طبعه إلى الإصرار عليه فالسكوت عنه أولى، وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك في دينه أو دنياه. أما ما يتعلق بتقصيره في حقك فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتعامي عنه، والتعرض لذلك

تعالى وكلاهما من رجال الحلية، (**بلغني أنك بعت دينك بحبتين**) من درهم وذلك أنك (**وقفت على**) دكان (**صاحب لبن فقلت**) له. (**بكم هذا**) اللبن؟ (**فقال: بسُدس**) درهم (**فقلت: لا. بل هو بثُمن**) درهم، (**فقال**) اللبان: (**هو لك**) أي صار ملكك، (**وكان يعرفك**) أي صلاحك ومنزلتك. (**اكشف عن رأسك قناع الغافلين وانتبه عن رقدة الموتى، واعلم أن من قرأ القرآن ولم يستغنِ به لم آمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين، وقد وصف الله الكافرين ببغضهم للناصحين إذ قال: ﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾**).

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق أبي يوسف الغسولي قال: كتب حذيفة المرعشي إلى يوسف بن اسباط أما بعد؛ فإن من قرأ القرآن وآثر الدنيا على الآخرة، فقد اتخذ القرآن هزواً. ومن كانت النوافل أحب إليه من ترك الدنيا لم آمن أن يكون مخدوعاً والحسنات أضر علينا من السيئات والسلام، ولفظ القوت: وقال جعفر بن برقان قال لي ميمون بن مهران: قل لي في وجهي ما أكره فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول في وجهه ما يكره، فإن كان أخوه الذي نصح له صادقاً في حاله أحبه على نصحه، فإن لم يحبه وكره ذلك منه دل على كذب الحال. قال الله تعالى في وصف الكاذبين: ﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾.

(**وهذا في عيب هو غافل عنه فأما ما علمت أنه يعلمه من نفسه فإنما هو مقهور من طبعه فلا ينبغي أن يكشف فيه ستره إن كان**) هو (**يخفيه**) عن الناس، (**وإن كان يظهره**) لهم (**فلا بدّ من التلطف في النصح**) من لين القول (**بالتعريض مرة وبالتصريح أخرى**) كل ذلك (**إلى حد لا يؤدي إلى**) مرتبة (**الإيحاش، فإن علمت أن النصح غير مؤثر فيه فإنه مضطر من طبعه**) المجبول عليه (**إلى الاصرار عليه، فالسكوت عنه أولى، وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك في دينه ودنياه، وأما ما يتعلق بتقصيره في حقك**

ليس من النصح في شيء. نعم إن كان بحيث يؤدي استمراره عليه إلى القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة، والتعريض به خير من التصريح، والمكاتبة خير من المشافهة، والاحتمال خير من الكل، إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك إصلاح نفسك بمراعاتك إياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا الاستعانة به والاسترقاق منه.

قال أبو بكر الكتاني: صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلاً فوهبت له يوماً شيئاً على أن يزول ما في قلبي فلم يزل فأخذت بيده يوماً إلى البيت وقلت له: ضع رجلك على خدي فأبى، فقلت: لا بدّ، ففعل فزال ذلك من قلبي. وقال أبو علي الرباطي: صحبت عبدالله الرازي وكان يدخل البادية فقال: على أن تكون أنت الأمير أو أنا؟ فقلت: بل

فالواجب فيه الاحتمال والعفو والصفح والتغاضي عنه) وفي نسخة والتعامي عنه، **(فالتعرض لذلك ليس من النصح)** الواجب **(في شيء نعم إن كان)** حاله **(بحيث يؤدي استمراره عليه إلى القطيعة)** والهجران، **(فالعتاب في السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والكتابة)** في صحيفة **(خير من المشافهة)** ففي القوت: ومن اخلاف السلف كان الرجل إذا كره من أخيه خلقاً عاتبه فيما بينه وبينه أو كاتبه في صحيفة، **(والاحتمال خير من الكل إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك إصلاح نفسك بمراعاتك إياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره لا للاستعانة به والاسترقاق منه.**

وقال أبو بكر الكتاني) اسمه محمد بن علي بغدادي الأصل صحب الجنيد والخراز والنوري وجاور بمكة إلى أن مات سنة ٣٢٢ ترجمه القشيري في الرسالة وقال في باب الصحبة: سمعت أبا حاتم السجستاني الصوفي يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت الكتاني يقول: **(صحبني رجل فكان على قلبي ثقيلاً)** بغير سبب أعرفه ففكرت في سببه فلم أعرفه **(فوهبته يوماً شيئاً)** لتطيب به نفسه **(على أن يزول)** ولفظ الرسالة فوهبت له شيئاً ليزول **(ما في قلبي)** من ثقله لخبر «تهادوا تحابوا». **(فلم يزل فأخذت بيده يوماً إلى البيت)** ولفظ الرسالة: فحملته إلى بيتي **(وقلت له: ضع رجلك على خدي فأبى فقلت لا بد ففعل فزال ذلك من قلبي)** هذا منشؤه إتهام النفس في سوء أخلاقها وكراهتها لغير سبب فيهادي العبد نفسه بمثل ذلك، ولفظ الرسالة بعد قوله ففعل واعتقدت أن لا يرفع رجله عن خدي حتى يرفع الله عن قلبي ما كنت أجده، فلما زال عن قلبي ما كنت أجده قلت له ارفع رجلك الآن. وذكره صاحب العوارف وقال: ومن آدابهم أنهم إذا استثقلوا صاحباً يتهمون أنفسهم ويتسببون إلى إزالة ذلك من بواطنهم لأن انطواء الضمير على مثل ذلك وليجة في الصحبة ثم ساق هذه القصة، ثم قال في آخرها قال الرقي: قصدت من الشام إلى الحجاز حتى سألت الكتاني عن هذه الحكاية.

(وقال أبو عبدالله الرباطي) وفي نسخة أبو علي الرباطي: **(صحبت عبدالله الرازي)** له

أنت. فقال: وعليك الطاعة. فقلت: نعم فأخذ مخلاة ووضع فيها الزاد وحملها على ظهره، فإذا قلت له أعطني قال: ألست قلت أنت الأمير؟ فعليك الطاعة فأخذنا المطر ليلة فوقف على رأسي إلى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عني المطر، فكنت أقول مع نفسي: ليتني مت ولم أقل أنت الأمير.

الحق الخامس: العفو عن الزلات والهفوات:

وهفوة الصديق لا تخلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية أو في حقك بتقصيره في الأخوة. أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها فعليك التلطف في نصحه بما يقوم أوده ويجمع شمله ويعيد إلى الصلاح والورع حاله، فإن لم تقدر وبقي مصراً فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين في إدامة حق مودته أو مقاطعته، فذهب أبو ذر رضي الله عنه إلى الانقطاع وقال: إذا انقلب أخوك عما كان عليه فأبغضه من حيث

ذكر في الرسالة، وفي بعض النسخ المروزي بدل الرازي **(وكان يدخل البادية)** أي على قدم التجريد **(فقال: على أن تكون أنت الأمير)** وأنا المأمور، **(أو أنا الأمير وأنت المأمور، فقلت: بل أنت)** الأمير وأنا المأمور **(فقال: وعليك الطاعة)** والانقياد لي، **(فقلت: نعم فأخذ مخلاة ووضع فيها الزاد ووضعه على ظهره)** أي الزاد، **(فقلت له: أعطني)** إياه **(قالت: ألست الأمير؟)** قال الله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ [النساء: ٥٩] **(فعليك الطاعة)** وعدم المخالفة قال: **(فأخذنا المطر ليلة)** من الليالي **(فوقف على رأسي حتى الصباح وعليه كساء وأنا جالس يمنع عني المطر، فكنت أقول مع نفسي: ليتني مت ولم أقل أنت الأمير)** هكذا تكون الصحبة والمرافقة كذا ساقه القشيري في باب الصحبة من الرسالة وما عرفت حال أبي علي الرباطي وشيخه، وفي التهذيب أحمد بن سعيد بن إبراهيم الرباطي أبو عبد الله المروزي ثقة حافظ مات سنة ٢٤٦، روى له البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي فلعل أبا علي المذكور من قرابة هذا.

(الحق الخامس: العفو عن الزلات) أي السقطات، **(والهفوات**

وهفوة الصديق لا تخلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية) لله تعالى **(أو)** تكون **(في حقك بتقصيره في الأخوّة)** أي في أداء حقوقها، **(أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها)** وعدم الإقلاع عنها **(فعليك التلطف في نصحه)** أي تنصحه بلطافة **(بما يقيم أوده)** أي عوجه **(ويجمع شمله)** المتفرق **(ويعيد إلى الصلاح والورع حاله، فإن لم تقدر)** على ذلك **(وبقي مصراً)** على حاله **(فقد اختلفت طرق الصحابة)** رضوان الله عليهم **(والتابعين)** رحمهم الله تعالى **(في ادامة حق مودته أو مقاطعته)** مطلقاً، **(فذهب أبو ذر)** الغفاري رضي الله عنه **(إلى الانقطاع فقال: إذا انقلب أخوك عما كان عليه)** من الاستقامة

أحببته، ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله. وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا إلى خلافه فقال أبو الدرداء: إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك، فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى. وقال ابراهيم النخعي: لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غداً. وقال أيضاً: لا تحدثوا الناس بزلة العالم فإن العالم يزل الزلة ثم يتركها. وفي الخبر: «اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته»، وفي حديث عمر وقد سأل عن أخ كان آخاه فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال: ما فعل أخي؟ قال: ذلك أخو الشيطان. قال: مه. قال: إنه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر. قال: إذا أردت الخروج فآذني فكتب عند

(فأبغضه من حيث أحببته، ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله) ولفظ القوت قد اختلف مذهب الصحابة في الأخ يحب أخاه في الله عز وجل ينقلب الآخر عما كان عليه ويتغير هل يبغضه بعد ذلك أم لا، فكان أبو ذر رضي الله عنه يقول فساقه.

(وأما أبو الدرداء وجماعة من الصحابة) رضي الله عنهم **(فذهبوا إلى خلافه، فقال أبو الدرداء)** رضي الله عنه: **(إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه)** أي لا تترك صحبته **(لأجل ذلك)** أي تغيره عما كان عليه، **(فإن أخاك يعوجّ مرة ويستقيم أخرى)** نقله صاحب القوت وزاد. وكان يقول: دارِ أخاك ولا تطع فيه حاسداً فتكون مثله. **(وقال)** ابراهيم بن يزيد **(النخعي)** التابعي: **(لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فإنه يرتكبه اليوم ويتركه غداً)** نقله صاحب القوت والعوارف، **(وقال أيضاً: لا تحدث الناس بزلة العالم فإن العالم يزل الزلة ثم يتركها)** كذا في القوت إلا أنه قال: لا تحدثوا بلفظ الجمع، وزلة العالم فعلته الخطيئة جهراً إذ بزلته يزل عالم كثير لاقتدائهم به.

(وفي الخبر) عن رسول الله ﷺ: **(«اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته»)** كذا في القوت أي رجوعه وتوبته عما لابسه من الزلل. قال العراقي: رواه البغوي في المعجم وابن عدي في الكامل من حديث عمرو بن عوف المزني وضعفاه انتهى.

قلت: وكذلك رواه الحلواني والبيهقي كلهم من طريق كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده، والحديث ضعيف لضعف كثير ففي الكاشف واه، وقال أبو داود كذاب، وفي الميزان عن الشافعي ركن من أركان الكذب وضرب أحمد على حديثه، وقال الدارقطني وغيره متروك، وقال ابن حبان له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة، وقال ابن عدي عامة ما يرويه لا يتابع عليه، **(وفي حديث عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه وقد سأل عن أخ كان)** قد **(آخاه)** أي عقد الأخوة بينه وبينه فخرج إلى الشام، **(فسأل عنه بعض من قدم عليه)** من الشام **(فقال: ما فعل أخي، فقال: ذاك أخو الشيطان قال: مه قال إنه قارف الكبائر)** أي

خروجه إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿حم ★ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ★ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾ [غافر: ١-٣] الآية. ثم عاتبه تحت ذلك وعذله. فلما قرأ الكتاب بكى وقال: صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع.

وحكي أن أخوين ابتلى أحدهما بهوى فاظهر عليه أخاه وقال: إني قد اعتللت فإن شئت أن لا تقعد على صحبتي لله فافعل، فقال: ما كنت لأحل عقد أخوّتك لأجل

ارتكبها (**حتى وقع في**) شرب (**الخمر. قال: إذا أردت الخروج إلى الشام فآذني**) أي اعلمني بخروجك قال: (**فكتب معه عند خروجه إليه: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ★ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ★ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾ الآية**) أي إلى آخرها. (**ثم عاتبه بعد ذلك وعذله**) أي نصحه فوصل إليه، (**فلما قرأ الكتاب بكى وقال: صدق الله عز وجل ونصحني عمر فتاب ورجع**). هكذا أورده صاحب القوت.

وهذه القصة في تفسير غافر من الكشاف بلفظ: روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه افتقد رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له: إنه يتابع الشراب، فقال عمر لكاتبه: اكتب من عمر إلى فلان سلام عليك وأنا أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم﴾ إلى قوله: ﴿المصير﴾ وختم الكتاب وقال لرسوله: لا تدفعه إليه حتى يكون صاحياً ثم أمر من عنده بالدعاء بالتوبة له، فلما أتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول: قد وعدني الله أن يغفر لي وحذرني عذابه ولم يزل يرددها حتى بكى، ثم نزع فأحسن النزع وحسنت توبته، فلما بلغ عمر أمره قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له بالتوبة ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه. وقال الشهاب السهروردي في العوارف: بعد أن أخرج هذه الحكاية: وهذا الخلاف في المقارفة ظاهراً وباطناً والملازمة باطناً إذا وقعت المباينة ظاهراً تختلف باختلاف الأشخاص ولا يطلق القول فيه إطلاقاً من غير تفصيل، فمن الناس من كان تغيره رجوعاً عن الله تعالى وظهور سر السابقة فيجب بغضه وموافقة الحق فيه، ومن الناس من كان تغيره عثرة حدثت وفترة وقعت يرجى عوده، فلا ينبغي أن يبغض ولكن يبغض عمله في الحالة الحاضرة ويلحظ بعين الود منتظراً له الفرج والعود إلى أوطان الصلح انتهى. وهذا التفصيل حسن وعلى الأول يحمل قول أبي ذر رضي الله عنه، وسيأتي للمصنف ما يشهد لهذا التفصيل.

(**و**) من آدابهم في الصحبة الاستغفار للاخوان بظهر الغيب والاهتمام لهم مع الله تعالى في دفع المكاره عنهم، (**حكي أن أخوين**) في الله تعالى (**ابتلي أحدهما بهوى**) أي بحب صورة حسنة (**فأظهر عليه**) أي على سره (**أخاه**) إذ كانوا لا يكتمون عن الأخ شيئاً من أحوالهم (**وقال: إني اعتللت**) أي أصابتني علة العشق، (**فإن شئت أن لا تقعد على محبتي لله تعالى فافعل**) أي لأني صرت مشغولاً بما أنا فيه فلا أطيق حمل أعباء الأخوّة ولا على أداء حقوقها، (**فقال: ما كنت لأحل عقد إخوّتك**) في الله (**لأجل خطيئتك**) التي أصابتك (**أبداً**) قال: (**ثم عقد

خطيئتك أبداً ، ثم عقد أخوه بينه وبين الله أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافي الله أخـاه من هواه ، فطوى أربعين يوماً في كلها يسأله عن هواه فكان يقول : القلب مقيم على حاله وما زال هو ينحل من الغم والجوع حتى زال الهوى من قلب أخيه بعد الأربعين فأخبر بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يتلف هزالاً وضراً .

وكذلك حكي عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقيل لأخيه : ألا تقطعه وتهجره ؟ فقال : أحوج ما كان إلي في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن آخذ بيده وأتلطف له في المعاتبة وادعو له بالعود إلى ما كان عليه .

وروي في الاسرائيليات أن اخوين عابدين كانا في جبل نزل أحدهما ليشتري من المصر لحماً بدرهم فرأى بغياً عند اللحام فرمقها وعشقها واجتذبها إلى خلوة وواقعها ثم أقام عندها ثلاثاً واستحيا أن يرجع إلى أخيه حياء من جنايته قال : فافتقده أخوه واهتم

أخوه بينه وبين الله تعالى) أي عزم على **(أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافي الله أخاه من هواه)** الذي ابتلي به . قال : **(فطوى أربعين يوماً في كلها يسأله عن هواه)** كيف أنت منه ، **(فكان يقول : القلب مقيم على حاله)** قال : **(وما زال هو)** أي أخوه الآخر **(ينحل)** ويسقم **(من الجوع والغم حتى زال الهوى من قلب أخيه بعد الأربعين)** يوماً قال : **(فأخبره بذلك فأكل وشرب بعد أن كاد يتلف هزالاً وضراً)** أي من قلة الأكل والشرب والغم على أخيه . هكذا أورده صاحب القوت وتبعه صاحب العوارف .

(وهكذا حكي) ولفظ القوت وبمعناه حدثت **(عن أخوين من السلف أحدهما انقلب عن الاستقامة)** أي تغير حاله عما كان فيه **(فقيل لأخيه)** التقي **(ألا تقطعه وتهجره)** أي تترك صحبته ، **(فقال : أحوج ما كان إليّ في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن آخذ بيده)** واعينه **(وأتلطف له في المعاتبة وادعو له بالعود إلى ما كان عليه من الاستقامة)** نقله صاحب القوت والعوارف .

(وذكر في الاسرائيليات) ولفظ القوت وفيما روينا من الاسرائيليات أي في الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبياء بني إسرائيل **(أن أخوين عابدين في جبل)** أي كانا يأويان إلى جبل فيعبدان الله فيه فاتفق أنه **(نزل أحدهما من الجبل يشتري من المصر)** أي القرية القريبة من الجبل **(لحماً بدرهم)** ليتقويّا به على عبادة الله تعالى ، **(فرأى بغياً)** أي زانية **(عند اللحّام)** أي الجزار الذي يبيع اللحم **(فرمقها)** بعينه **(وعشقها)** وأصل البلاء من النظر ولفظ القوت فهواها **(فواقعها)** أي غلب عليه الشيطان حتى اتفق وإياها فأتت به إلى منزلها فاختلى معها ، **(ثم أقام عندها ثلاثاً واستحيا أن يرجع إلى أخيه من جنايته)** أي من أجل جنايته وفي بعض النسخ

بشأنه فنزل إلى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دلّ عليه فدخل إليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه، وأنكر الآخر أنه يعرفه قط لفرط استحيائه منه. فقال: قم يا أخي فقد علمت شأنك وقصتك وما كنت قط أحب إلي ولا أعز من ساعتك هذه، فلما رأى أن ذلك لم يسقطه من عينه قام فانصرف معه، فهذه طريقة قوم وهي ألطف وأفقه من طريقة أبي ذر رضي الله عنه وطريقته أحسن وأسلم.

فإن قلت: ولم قلت هذا ألطف وأفقه ومقارف هذه المعصية لا تجوز مؤاخاته ابتداء فتجب مقاطعته انتهاء لأن الحكم إذا ثبت بعلة فالقياس أن يزول بزوالها، وعلة عقد الأخوّة التعاون في الدين ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية؟ فأقول: أما كونه ألطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتعطف المفضي إلى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة، ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة أصر واستمر. وأما كونه أفقه فمن حيث أن الأخوّة عقد ينزل منزلة القرابة، فإذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء

بجنايته (**قال: فافتقده أخوه**) الذي في الجبل (**واهتم لشأنه فنزل المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دل عليه**) وأخبر بمكانه، (**فدخل عليه وهو جالس معها فاعتنقه وجعل يقبله ويلتزمه وأنكر الآخر أنه يعرفه لفرط استحيائه منه فقال: قم يا أخي فقد علمت بشأنك وقصتك وما كنت قط احب إليَّ ولا أعز علي من ساعتك هذه**) ولفظ القوت وما كنت أعز علي وأحب منك في يومك هذا ولا ساعتك هذه، (**فلما رأى أن ذلك لم يسقطه عن عينه قام فانصرف معه**) هكذا أورده صاحب القوت، (**فهذه طريقة قوم وهي ألطف وأفقه من طريق أبي ذر**) رضي الله عنه (**وطريقته أحسن وأسلم**) ولفظ القوت: فهذا من أحسن النيات وهو من طريق العارفين من ذوي الآداب والمروءات.

(**فإن قلت: فلم قلت إن هذا ألطف وأفقه ومقارف هذه المعصية لا تجوز مؤاخاته**) في الله تعالى (**ابتداء**) أي في بادىء الأمر (**فلم لا تجب مقاطعته انتهاء**) أي في آخر الأمر عند انكشاف حاله (**لأن الحكم إذا ثبت لعلة فالقياس أن يزول**) ذلك الحكم (**بزوالها**) أي تلك العلة (**وعلة عقد الأخوّة التعاون في الدين**) والمثابرة على أموره (**ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية**) وارتكابها؟ (**فأقول**) في الجواب: (**أما كونه ألطف فلما فيه من الرفق والاستمالة والتعطف المفضي**) كل واحد من ذلك (**إلى الرجوع**) إلى الحق (**والتوبة**) عن المعصية (**لاستمرار الحياء عند دوام الصحبة**) والرفقة (**ومهما قوطع**) بالمباينة (**وانقطع طمعه عن الصحبة أصر**) على المعصية (**واستمر**) على حالته التي هو فيها، (**وأما كونه أفقه فمن حيث أن الأخوة عقد**) بين المتواخيين (**ينزل منزلة القرابة**) القريبة، (**فإذا انعقدت تأكد الحق ووجب الوفاء بموجب العقد**) المذكور وصيغته أن يقول: آخيتك في الله ورسوله،

بموجب العقد، ومن الوفاء به أن لا يهمل أيام حاجته وفقره وفقر الدين أشد من فقر المال، وقد أصابته جائحة وألمت به آفة افتقر بسببها في دينه، فينبغي أن يراقب ويراعي ولا يهمل بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من تلك الواقعة التي ألمت به. فالأخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان وهذا من أشد النوائب، والفاجر إذا صحب تقياً، وهو ينظر إلى خوفه ومداومته فسيرجع على قرب ويستحي من الإصرار بل الكسلان يصحب الحريص في العمل فيحرص حياء منه.

قال جعفر بن سليمان: مهما فترت في العمل نظرت إلى محمد بن واسع واقباله على الطاعة فيرجع إلي نشاطي في العبادة وفارقني الكسل وعملت عليه أسبوعاً، وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لحمة كلحمة النسب والقريب لا يجوز أن يهجر بالمعصية، ولذلك قال

أو اتخذتك أخاً في الله ورسوله أو مثل ذلك. (**ومن الوفاء به أن لا يهمل**) أي لا يترك (**أيام حاجته وفقره**) واحتياجه (**و**) لا خفاء أن (**فقر الدين أشد من فقر المال**) لأن ثلمة المال تسد بأدنى شيء وثلمة الدين لا جبر لها ففقير الدين أبداً فقير ولو كان متمولاً، (**وقد أصابته جائحة**) هي الداهية المستأصلة (**وألمت به**) أي نزلت (**آفة افتقر بسببها في دينه**) وعرى عنه، (**فينبغي أن يراقب ويراعي**) حاله (**ولا يهمل**) بالكلية، (**بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من الواقعة التي ألمت به**) على وجه يرتضى، (**فالاخوّة عدة للنائبات و**) عصمة عند (**حوادث الزمان**) وغيره، (**وهذا**) الذي هو فيه (**من أشد النوائب والفاجر إذا صحب تقياً فهو**) في صحبته إياه (**ينظر إلى خوفه**) من الله تعالى (**ومداومته**) عليه (**فيرجع**) عن فجوره (**على قرب ويستحي من الإصرار**) عليه، (**بل الكسلان**) عن العمل (**يصحب الحريص في العمل فيحرص حياء منه.**

قال) أبو سليمان (**جعفر بن سليمان**) الضبعي البصري مولى بني الحريش كان ينزل في بني ضبيعة فنسب إليهم، روي عن ثابت البناني. قال أحمد: لا بأس به، وقال ابن سعد: ثقة يتشيع مات سنة ثمان وسبعين ومائة، روى له الجماعة إلا البخاري: (**مهما فترت في العمل نظرت إلى محمد بن واسع**) البصري الزاهد (**وإقباله على الطاعة فيرجع نشاطي إلى العمل وفارقني الكسل وعملت على ذلك أسبوعاً**) كذا في القوت، وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن محمد بن سنان، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا هارون بن عبدالله، ثنا سيار، ثنا جعفر قال: كنت إذا وجدت من قلبي قسوة فنظرت إلى محمد بن واسع نظرة، وكنت إذا رأيت محمد بن واسع حسبت أن وجهه وجه ثكلى، وفي القوت قال موسى بن عقبة: كنت ألقى الأخ من اخواني مرة فأقيم عاقلاً بلقائه أياماً.

(**وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لحمة كلحمة النسب**) كذا في القوت، (**والقريب لا**

الله تعالى لنبيه ﷺ في عشيرته: ﴿فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون﴾ [الشعراء: ٢١٦] ولم يقل إني بريء منكم مراعاة الحق القرابة ولحمة النسب، وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له: ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا؟ فقال: إنما أبغض عمله وإلاّ فهو أخي وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة، ولذلك قيل لحكيم: أيما أحب إليك أخوك أو صديقك؟ فقال: إنما أحب أخي إذا كان صديقاً لي. وكان الحسن يقول: كم من أخ لم تلده أمك؟ ولذلك قيل: القرابة تحتاج إلى مودة، والمودة لا تحتاج إلى قرابة. وقال جعفر الصادق رضي الله

يجوز أن يهجر بالمعصية، ولذلك قال الله عز وجل لنبيه ﷺ في) حق **(عشيرته)** وقرابته **(﴿فإن عصوك)** ولم يتبعوك **(فقل إني بريء مما تعملون﴾ ولم يقل)** فقل **(إني بريء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمة النسب)** نقله صاحب القوت. وقال صاحب العوارف: ففيه أنه لا يبغض الأخ بعد الصحبة ولكن يبغض عمله وفيه تقوية لما ذهب إليه أبو الدرداء وغيره من الصحابة، **(وإلى هذا أشار أبو الدرداء)** رضي الله عنه **(لما قيل له: ألا تبغض أخاك وقد فعل كذا)** ولفظ القوت: وروينا عن أبي الدرداء أن شاباً غلب على مجلسه حتى أحبه أبو الدرداء فكان يقدمه على الأشياخ ويقربه فحسدوه، وإن الشاب وقع في كبيرة من الكبائر فجاؤوا إلى أبي الدرداء فحدثوه وقالوا له لو أبعدته. **(فقال)**: سبحان الله لا نترك صاحبنا لشيء من الأشياء، ولفظ العوارف قيل: كان شاب يلازم مجلس أبي الدرداء، وكان أبو الدرداء يميزه على غيره فابتلي الشاب بكبيرة من الكبائر فانتهى إلى أبي الدرداء ما كان منه فقيل له لو أبعدته وهجرته، **فقال**: سبحان الله لا يترك الصاحب لشيء كان فيه انتهى.

ثم قال صاحب القوت: وروينا عن بعض التابعين وعن الصحابه في مثل ذلك وقد قيل له فيه فقال: **(إنما أبغض عمله وإلا فهو أخي)** فانظر كيف خلط المصنف بين قولين. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا سليمان بن أحمد، ثنا إسحاق بن ابراهيم، ثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن أبي قلابة أن أبا الدرداء مرّ على رجل قد أصاب ذنباً فكانوا يسبونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى. قال: فلا تسبوا أخاكم واحمدوا الله الذي عافاكم. قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخي.

(وأخوّة الدين آكد من أخوّة القرابة، ولذلك قيل لحكيم) مرة: **(أيما أحب إليك أخوك)** أي في النسب **(أو صديقك)** أي في المحبة؟ **(فقال: إنما أحب أخي إذا كان صديقاً لي)** كذا في القوت أشار بذلك إلى تأكيد حق الصداقة والأخوّة في الله. **(وكان الحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(يقول: كم من أخ لم تلده أمك)** كذا في القوت وقد صار هذا مثلاً في تأكيد حق الصداقة، وأورده الحريري في مقاماته بلفظ: فرب أخ لم تلده أمك، **(ولذلك قيل: القرابة تحتاج إلى مودة والمودة لا تحتاج إلى قرابة)** وقال أكثم بن صيفي لبنيه: يا بني تقاربوا

عنه: مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله فإذاً الوفاء بعقد الأخوة إذا سبق انعقادها واجب. وهذا جوابنا عن ابتداء المؤاخاة مع الفاسق فإنه لم يتقدم له حق، فإن تقدمت له قرابة فلا جرم لا ينبغي أن يقاطع بل يجامل والدليل عليه أن ترك المؤاخاة والصحبة ابتداء ليس مذموماً ولا مكروهاً بل قال قائلون: الانفراد أولى. فأما قطع الأخوة عن دوامها فمنهي عنه ومذموم في نفسه ونسبته إلى تركها ابتداء كنسبة الطلاق إلى ترك النكاح والطلاق أبغض إلى الله تعالى من ترك النكاح. قال ﷺ: « شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة » وقال بعض

في المودة ولا تتكلموا على القرابة، وقد قيل لأبي حازم: ما القرابة؟ قال: المودة كذا في القوت وفي هذا قال العتبي:

ولقد بلوت الناس ثم خبرتهم ... ووصلت ما قطعوا من الأسبابِ
فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً ... وإذا المودة أقرب الأنسابِ

(وقال جعفر الصادق) رضي الله عنه **(مودة يوم صلة ومودة شهر قرابة ومودة سنة رحم ماسة من قطعها قطعه الله)** كذا في القوت ومعنى ماسة أي قريبة، **(فإذا الوفاء بعقد الأخوّة إذا سبق انعقادها واجب وهذا جوابنا في ابتداء المؤاخاة مع الفاسق فإنه لم يتقدم له حق)** يراعي لأجله، **(فإن تقدمت له قرابة)** من النسب **(فلا جرم لا ينبغي أن يقاطع)** ويهاجر **(بل يجامل)** ويتحمل، **(والدليل على ذلك أن ترك المؤاخاة والصحبة ابتداء ليس بمذموم ولا مكروه بل قال قائلون: الانفراد)** عنه **(أولى، وأما قطع الأخوّة عن دوامها فمنهي عنه)** شرعاً **(ومذموم في نفسه)** وحدّ ذاته **(ونسبته إلى تركها ابتداء كنسبة الطلاق إلى)** ترك **(النكاح)** فترك النكاح ليس بمنهي عنه، **(والطلاق أبغض إلى الله تعالى من ترك النكاح)** وقد ورد في الخبر: أبغض الحلال إلى الله الطلاق، وتقدم في كتاب أسرار النكاح، **(وقال ﷺ: « شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة »)** الباغون البذاء والعنت هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بسند ضعيف انتهى.

قلت: البذاء. جمع بذيء وهو والعنت منصوبان مفعولان للباغون، والعنت محركة المشقة والفساد والهلاك والإثم والغلط والزنا والباغون الطالبون، ويروى هذا الحديث بلفظ: « خيار أمتي الذين إذا رأوا ذكر الله وشرار أمتي المشاؤون » إلخ، وهكذا رواه أحمد من حديث عبد الرحمن بن غنم. قال المنذري: فيه شهر بن حوشب وثق وضعف وبقية إسناده محتج بهم في الصحيح، ورواه الطبراني في الكبير من حديث عبادة بن الصامت. قال الهيثمي: فيه يزيد بن ربيعة وهو متروك. قال المنذري وحديث عبد الرحمن أصح ويقال له صحبة، وأخرج البيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بلفظ: « خياركم الذين إذا رأوا ذكر الله بهم وشراركم المشاؤون » إلخ وفيه: ابن لهيعة، وابن

السلف في ستر زلات الأخوان: ودّ الشيطان أن يلقى على أخيكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه، فماذا اتقيتم من محبة عدوكم. وهذا لأن التفريق بين الأحباب من محاب الشيطان كما أن مقارفة العصيان من محابه فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه فلا ينبغي أن يضاف إليه الثاني، وإلى هذا أشار عليه السلام في الذي شتم الرجل الذي أتى فاحشة إذ قال: « مه » وزبره وقال: « لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم » فبهذا كله يتبين الفرق بين الدوام والابتداء لأن مخالطة الفساق محذورة ومفارقة الأحباب والأخوان أيضاً محذورة، وليس من سلم عن معارضة غيره كالذي لم يسلم وفي الابتداء قد سلم فرأينا أن المهاجرة والتباعد هو الأولى وفي الدوام تعارضا فكان الوفاء بحق الأخوة أولى هذا كله في زلته في دينه.

أما زلته في حقه بما يوجب إيحاشه فلا خلاف في أن الأولى العفو والاحتمال بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب أو بعيد فهو واجب بحق

عجلان ضعيفان. وأخرجه كذلك الحاكم وأبو الشيخ في التوبيخ زاد الأخير في آخر الحديث: « يحشرهم الله في وجوه الكلاب ».

(**وقال بعض السلف: في ستر زلات الإخوان**) ولفظ القوت وفي أثر عن بعض العلماء في مثل زلات الإخوان قال: (**ودّ الشيطان أن يلقي على أخيكم مثل هذا حتى تهجروه وتقطعوه فماذا اتقيتم من محبة عدوكم**) يعني الشيطان؛ (**وهذا لأن التفرق بين الأحباب من محاب الشيطان**) أي مما يحبه ويرغب إليه، (**كما أن مقاربة العصيان من**) جلة (**محابه فإذا حصل للشيطان أحد غرضيه**) الذي هو مقارفة المعصية، (**فلا ينبغي أن يضاف إليه**) غرضه (**الآخر**) الذي هو مفارقة الأحبّة وترك الصداقة، (**وإلى هذا أشار** ﷺ **في الذي شتم الرجل الذي أتى فاحشة**) قيل سرقة (**إذ قال: « مه »**) أي اكفف عن قولك (**وزجره**) عنه، (**وقال: « لا تكونوا أعواناً**) وفي لفظ: عوناً (**للشيطان على أخيكم »**) رواه البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم الكلام عليه في الباب الذي قبله مبسوطاً.

(**فهذا كله يبين الفرق بين الدوام والابتداء لأن مخالطة الفساق**) ومن على طريقتهم (**محذورة، ومفارقة الإخوان والاحباب أيضاً محذورة، وليس ما سلم من معارضة غيره كالذي لم يسلم وفي الابتداء قد سلم عن المعارضة فرأينا أن المهاجرة والتباعد هو الأولى وفي الدوام تعارضا فكان الوفاء بحق الاخوّة أولى هذا كله في زلة في دينه.**

أما زلته في حقه بما يوجب إيحاشه) وفوات أنسه (**فلا خلاف في أن الأولى العفو والاحتمال**) والصفح والتجاوز، (**بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن**) لائق (**ويتصوّر**

الأخوة فقد قيل: ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذراً، فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذراً فلا تقبله فأنت المعيب لا أخوك، فإن ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي أن لا تغضب إن قدرت ولكن ذلك لا يمكن، وقد قال الشافعي رحمه الله: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حماراً ولا شيطاناً، واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك واحترز أن تكون شيطاناً إن لم تقبل. قال الأحنف: حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثاً: ظلم الغضب، وظلم الدالة، وظلم الهفوة. وقال آخر: ما

تمهيد عذره فيه قريب أم بعيد فهو واجب بحق الاخوّة، **فقد قيل: ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذراً فإن لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك فقل لقلبك ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذراً فلا تقبله فأنت المعيب لا أخوك)**، وقد قيل القول قد نقل بمعناه عن ابن سيرين فإنه كان يقول: يحتمل الرجل لأخيه إلى سبعين زلة ويطلب له المعاذير، فإن أغناه ذلك وإلاَّ قال: لعل لأخي عذراً غاب عني، وأما رد اللوم على النفس فهو عند اتهامها في سوء أخلاقها وكراهتها لغيرها لسبب أو لغير سبب، فينبغي أن يرد اللوم عليها حينئذ لأن ذلك من وساوس الشيطان فيداوي العبد نفسه برد اللوم عليها، وقد وقع ذلك للعارفين بالله كثيراً، فمنها ما تقدم للمصنف في حكاية أبي بكر الكتاني قريباً، **(فإن ظهر عيب بحيث لم يقبل التحسين)** أصلاً **(فينبغي أن لا تغضب إن قدرت)** على ذلك، **(ولكن ذلك لا يمكن، وقد قال)** الإمام **(الشافعي)** رضي الله عنه فيما أخرجه الأبدي وأبو نعيم والبيهقي كلهم في مناقبه بأسانيدهم إلى الربيع وأحمد بن سنان كلاهما عن الشافعي أنه قال: **(من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان)** وأراد بكونه حماراً أنه بليد لا يعي، وأخرج البيهقي في الشعب عن جعفر الصادق قال: من لم يغضب عند التقصير لم يكن له شكر عند المعروف، **(فلا تكن حماراً)** بليداً **(ولا شيطاناً)** مريداً، **(واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك واحترز أن تكون شيطاناً إن لم تقبل)** فقد يكون الغضب محموداً في بعض الأحيان وبه تكمل الخليقة الإنسانية. وقال الراغب: الغضب في الإنسان نار تشتعل والناس مختلفون، فمنهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود، وبعضهم كالعصي بطيء الوقود بطيء الخمود، وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود، وبعضهم على عكس ذلك وهو أحمدهم ما لم يكن مفضياً به إلى زوال حميته وفقدان غيرته واختلافهم تارة يكون بحسب الأمزجة، وتارة بحسب اختلاف العادة وأسرع الناس غضباً الصبيان والنساء، وأكثرهم ضجراً الشيوخ.

(وقال الأحنف) بن قيس التميمي تقدمت ترجمته مراراً **(حق الصديق أن تحتمل منه ثلاثة ظلم الغضب)** أي إذا غضب عليك فاحتمله إذ هو نار تشتعل وإخمادها السكوت

شتمت أحداً قط لأنه إن شتمني كريم فأنا أحق من غفرها له أو لئيم فلا اجعل عرضي له غرضاً ثم تمثل وقال:

واغفر عوراء الكريم إدخاره ... وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

(وقد قيل):

خذ من خليلك ما صفا ... ودع الذي فيه الكدر

فالعمر أقصر من معا ... تبة الخليل على الغير

والاحتمال، **(وظلم الدالة)** بتشديد اللام اسم من الإدلال أي إذا أتم عليك فاحتمله، **(وظلم الهفوة)** أي الكلمة القبيحة تبدر من لسانه فاحتمله أيضاً إذ يرجى له الرجوع في كل من الثلاثة. نقله صاحب القوت فقال: وحدثونا عن الأصمعي قال: حدثنا العلاء بن جرير عن أبيه قال: قال الأحنف بن قيس من حق الصديق أن تحتمل له ثلاثاً أن يتجاوز عن ظلم الغضب وظلم الهفوة وظلم الدالة. **(وقال آخر: ما شتمت أحداً قط لأنه إن شتمني كريم فأنا أحق من غفرها)** وتجاوز عنها، **(أو لئيم فلا أجعل عرضي له غرضاً)** يهدفه بسهام شتمه، **(ثم تمثل)** بقول الشاعر: **(وقال:**

واغفر زلات الكريم ادخاره ... واعرض عن شتم اللئيم تكرما)

وفي نسخة: واغفر عوراء الكريم والعوراء هي الكلمة القبيحة ولفظ القوت: وكان أسماء بن خارجة الفزاري يقول: ما شتمت أحداً قط لأنه إنما يشاتمني أحد رجلين كريم كانت عنده هفوة وزلة فأنا أحق من غفرها وأثاب عليها بالفضل فيها أو لئيم فلم أكن أجعل عرضي له غرضاً ثم تمثل:

واغفر عوراء الكريم اصطناعه ... واعرض عن ذات اللئيم تكرما

قال: وأنشدونا لمحمد بن عامر في الإخوان:

ولا تعجل على أحد بظلم ... فإن الظلم مرتعه وضيمُ

ولا تفحش وإن ملئت ظلماً ... على أحد فإن الفحش لومُ

ولا تقطع اخاك عند ذنب ... فإن الذنب يغفره الكريمُ

ولكن دار عورته برقع ... كما قد يرقع الخلق القديمُ

وقد قيل في هذا المعنى:

(خذ من خليلك ما صفا ... ودع الذي فيه الكدَرْ)

(فالعمر أقصر من معا ... تبة الخليل على الغيَرْ)

وفي القوت: وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾

ومهما اعتذر إليك أخوك كاذباً كان أو صادقاً فاقبل عذره. قال عليه السلام: « من اعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب المكس ». وقال عليه السلام:

[الاعراف: ١٩٩] قال: خذ من أخلاق الناس ومن أعمالهم ما ظهر من غير تجسس، وقد أنشدونا لبعض الحكماء في ذلك شعراً فساقه.

(ومهما اعتذر إليك أخوك) سواء **(كاذباً كان)** في اعتذاره **(أو صادقاً فاقبل)** ذلك منه، فقد روى الديلمي عن أنس في حديث رفعه « ومن اعتذر قبل الله معذرته » وأنشد البيهقي في الشعب لبعضهم:

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً ... إن بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من أرضاك ظاهره ... وقد أجلك من يعصيك مستترا

وفي كتاب المجالسة من طريق محمد بن سلام قال: قال بعض الحكماء: أقل الاعتذار موجب للقبول وكثرته ريبة. **(قال ﷺ: « من اعتذر إليه أخوه)** أي طلب قبول معذرته ويقال: اعتذر عن فعله أظهر ما يمحو به الذنب **(فلم يقبل)** منه **(عذره فعليه مثل إثم صاحب المكس »)** هو ما يأخذه أعوان السلطان ظلماً عند البيع والشراء، وفيه إيذان بعظم جرم المكس وأنه من الجرائم العظام.

قال الراغب: وجميع المعاذير لا تنفك عن ثلاثة أوجه: إما أن يقول لم أفعل أو فعلت لأجل كذا فيبين ما يخرجه عن كونه ذنباً، أو يقول فعلت ولا أعود فمن أنكر وأنبأ عن كذب ما نسب إليه فقد برئت ساحته، وإن فعل وجحد فقد يعد التغابي عنه كرماً، ومن أقر فقد استوجب العفو بحسن ظنه بك، وإن قال فعلت ولا أعود فهذا هو التوبة، وحق الإنسان أن يقتدي بالله في قبولها انتهى. أي: أن من صفات الله تعالى قبول الاعتذار والعفو عن الزلات فمن أبى واستكبر عن ذلك فقد عرض نفسه لغضب الله ومقته.

قال العراقي: رواه ابن ماجه وأبو داود في المراسيل من حديث جودان، واختلف في صحبته، وجهله أبو حاتم وباقي رجاله ثقات، ورواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف انتهى.

قلت: وأخرجه كذلك الضياء في المختارة، وابن حبان في روضة العقلاء من طريق وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن ابن ميناء عن جودان وهو بالضم صحابي، ويقال: ابن جودان نزل الكوفة وذكره البغوي في معجم الصحابة وقال: ليس له غيره، وأخرجه أيضاً الباوردي وابن قانع، والبيهقي، وأبو نعيم. وفي الإصابة قال ابن حبان: إن كان ابن جريج سمعه فهو حسن غريب وأنكره أبو حاتم وقال: لا صحبة له ثم لفظ الجماعة: « من اعتذر إليه أخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه من الخطيئة مثل صاحب مكس »، وأما حديث جابر فأخرجه أيضاً سمويه في فوائده

« المؤمن سريع الغضب سريع الرضا » فلم يصفه بأنه لا يغضب. وكذلك قال الله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ [آل عمران: ١٣٤] ولم يقل والفاقدين الغيظ، وهذا لأن العادة لا تنتهي إلى أن يجرح الإنسان فلا يتألم، بل تنتهي إلى أن يصبر عليه ويحتمل، وكما أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم بأسباب الغضب طبع القلب ولا يمكن قلعه ولكن يمكن ضبطه وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فإنه يقتضي التشفي والانتقام والمكافأة وترك العمل بمقتضاه ممكن، وقد قال الشاعر:

ولست بمستبق أخا لا تلمه … على شعث أي الرجال المهذب؟

قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري: إذا واخيت أحداً في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه فإنك لا تأمن من أن ترى في جوابك ما هو شر من الأول قال:

والحرث بن أبي أسامة والبيهقي في الشعب وفي الباب عن عائشة بلفظ « من اعتذر إليه أخوه المسلم من ذنب قد أتاه فلم يقبل لم يرد على الحوض » رواه أبو الشيخ.

(**وقال ﷺ: « المؤمن سريع الغضب سريع الرضا »**) كذا في القوت وزاد فهذه بهذه. قال العراقي: لم أجده هكذا، وللترمذي وحسنه من حديث أبي سعيد الخدري « إلا أن بني آدم خلقوا على طبقات شتى » الحديث، وفيه « ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك » انتهى.

قلت: وله شاهد من حديث علي « خيار أمتي أحداؤهم وهم الذين إذا غضبوا رجعوا » رواه البيهقي في الشعب والطبراني في الأوسط بسند فيه يغنم بن سالم بن قنبر وهو كذاب، وأخرج الديلمي من طريق الزبير بن عدي عن أنس رفعه « الحدة لا تكون إلا في صالح أمتي وأبرارها ثم تفيء » (**فلم يصفه بأنه لا يغضب**) أصلاً، (**وكذا قال الله تعالى**) في حق المؤمنين (**﴿والكاظمين الغيظ﴾ ولم يقل الفاقدين الغيظ**) فإنما ركبت هذه الصفات والقوى محكاً لامتحان كل مؤمن كامل عن غيره، (**وهذه لأن العادة لا تنتهي إلى أن يجرح الإنسان فلا يتألم بل تنتهي إلى أن يصبر عليه ويحتمل**) له، (**وكما أن التألم بالجرح مقتضى طبع البدن فالتألم بأسباب الغضب طبع للقلب ولا يمكن قلعه**) وإزالته، (**ولكن يمكن ضبطه**) وحبسه (**وكظمه والعمل بخلاف مقتضاه فإنه**) أي الغضب ثوران دم من القلب متى تحرك تتولد منه أحوال خبيثة ومتى تحقق تحركه على من هو دونه فإنه (**يقتضي التشفي والانتقام والمكافأة وترك العمل بمقتضاه ممكن، وقد قال الشاعر:**

ولست بمستبق أخاً لا تلمه) أي لا تصلحه (**على شعث**) أي تفرق وفساد حال (**أي الرجال المهذب**) أي أرنى المهذب الأخلاق الكامل من الرجال فإنه قليل الوجود عزيز النظير.

(**قال أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى (**لأحمد بن أبي الحواري**) وكان تلميذه: يا أحمد (**إذا واخيت أخاً في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما تكرهه**) منه، (**فإنك لا تأمن أن**

فجربته فوجدته كذلك. وقال بعضهم: الصبر على مضض الأخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة. وينبغي أن لا يبالغ في البغضة عند الوقيعة. قال تعالى: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ [الممتحنة : ٧] وقال عليه السلام: «أحبب حبيبك هوناً مّا عسى أن يكون بغيضك يوماً مّا، وأبغض

ترى في جوابك) منه **(ما هو شر من الأوّل)** أي مما كان فيه مما تكرهه منه، فإن رياضة النفوس صعبة. **(قال)** أحد: **(فجربته فوجدته كذلك)** نقله صاحب القوت، **(وقال بعضهم: الصبر على مضض الأخ)** أي غصصه وشداته **(خير من معاتبته)** لأن المعاتبة تهيج الشر **(والمعاتبة)** على التقصير في الحقوق **(خير من القطيعة)** والهجران **(والقطيعة خير من الوقيعة)** فيه بما لا يليق نقله صاحب القوت. وكان أبو الدرداء يقول: معاتبة الصديق خير من فقده ومن لك بأخيك كله هن لأخيك ولن له ولا تطع الشيطان في أمره غد يوافيه الموت فيكفيك فقده كيف تبكيه بعد الموت وفي الحياة تركت وصله.

(وينبغي أن لا تبالغ في البغض عند القطيعة) وبعدها فعسى أن تودّه يوماً **(قال الله تعالى: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّة﴾)** والترجي من الله تعالى يقيني. **(وقال ﷺ: «أحبب)** بفتح الهمزة وكسر الموحدة **(حبيبك هوناً ما)** أي حباً قليلاً فهو منصوب على المصدر صفة لما اشتق منه أحبب وما ابهامية تزيد النكرة إبهاماً وشياعاً وتسد عنها طرق التقييد، وقيل: مزيدة لتأكيد معنى القلة، ويصح نصبه على الظرف لأنه من صفات الأحيان أي أحببه في حين قليل ولا تسرف في حبه، وقيل معناه حباً مقتصداً لا إفراط فيه ولا تفريط، فإنه **(عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وابغض بغيضك هوناً ما)** فإنه **(عسى أن يكون حبيبك يوماً ما»)** إذ ربما انقلب ذلك بتغيير الزمان والاخوان بغضاً فلا تكون قد أسرفت في حبه فتندم عليه إذا أبغضته أو حباً فلا تكون قد أسرفت في بغضه فتستحيي منه إذا أحببته.

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال: غريب. قلت: رجاله رجال مسلم، لكن الراوي تردد في رفعه اهـ.

قلت: رواه في البر والصلة من طريق سويد بن عمر والكلبي عن حماد عن أيوب عن أبي هريرة، ورواه ابن حبان في الضعفاء بهذا السند وأعله بسويد وقال: يضع المتون الواهية على الأسانيد الصحيحة، وكذا أخرجه البيهقي إلا أنه وهم أي رفعه وهم.

وأخرجه الطبراني في الكبير من طريق أبي الصلت عبد السلام الهروي عن جميل بن يزيد عن ابن عمر وجميل وراويه ضعيفان، وأخرجه ابن حبان كذلك وأعله بجميل وقال: يروى في فضائل علي وأهله العجائب لا يحتج به إذا انفرد.

وقال الزيلعي: عبد السلام الهروي ضعيف، ورواه الطبراني أيضاً من حديث عبدالله بن عمرو،

بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً مّا ». وقال عمر رضي الله عنه: لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً، وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكه.

الحق السادس: الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته

الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه ولأهله وكل متعلق به، فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه. فإن دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق، فقد قال ﷺ: « إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك: ولك مثل

وفيه محمد بن كثير الفهري، وهو ضعيف. وأخرجه الدارقطني في الإفراد، وابن عدي والبيهقي من حديث علي مرفوعاً، وفيه عطاء بن السائب وهو ضعيف، وقال الدارقطني في العلل: لا يصح رفعه، وقال ابن حبان: رفعه خطأ فاحش، وأخرجه البخاري في الأدب والبيهقي أيضاً عن علي موقوفاً. قال الترمذي: هذا هو الصحيح، وتبعه ابن طاهر وغيره من الحفاظ، وقد استدرك العراقي على الترمذي، دعوى غرابته كما ترى، وقال: رجاله رجال مسلم لكن الراوي تردد في رفعه فإذا علمت ذلك، فاعلم أن أمثل الروايات الأولى، والله أعلم.

(وقال عمر) رضي الله عنه: **(لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكه)** ولفظ القوت: وروينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه معناه لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً. قال: اسلم يعني راويه، فقلت: وكيف ذلك؟ فقال: إذا أحببت فلا تكلف كما يكلف الصبي بالشيء يحبه، وإذا أبغضت فلا تبغض بغضاً تحب أن يتلف صاحبك ويهلك.

الحق السادس:

(الدعاء) الصالح **(للأخ في)** حال **(حياته و)** بعد **(مماته فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه، فإن دعاءك له بمنزلة دعائك لنفسك على التحقيق، فقد قال ﷺ: « إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب)** أعم من أن يكون غائباً عنه بالسفر أو بالموت أو عن المجلس **(فإن الملك)** أي الموكل بنحو ذلك كما يرشد إليه تعريفه وفي رواية قالت الملائكة: **(ولك بمثل ذلك»)** أي دعوا الله أن يجعل لك مثل ما دعوت به لأخيك وذلك يكاد أن يكون بين أهل الكشف متعارفاً محسوساً، ولهذا كان بعضهم إذا أراد الدعاء لنفسه بشيء دعا به أولا لبعض إخوانه ثم يعقبه بالدعاء لنفسه.

قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي الدرداء اهـ.

قلت: وكذلك أخرجه أبو داود، وأخرجه ابن عدي من حديث أبي هريرة بلفظ « إذا دعا الغائب لغائب قال الملك: ولك بمثل ذلك ». وأخرج أحمد ومسلم وابن ماجه من حديث أبي الدرداء

ذلك ». وفي لفظ آخر: « يقول الله تعالى بك أبداً يا عبدي ». وفي الحديث: « يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه » وفي الحديث: « دعوة الرجل لأخيه في ظهر الغيب لا ترد » وكان أبو الدرداء يقول: إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم. وكان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت، وهو منفرد بحزنك مهتم مما قدمت وما صرت إليه، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى، وكأن الأخ الصالح

بلفظ « دعاء المرء المسلم مستجاب لأخيه بظهر الغيب عند رأسه ملك موكل به كلما دعا لأخيه بخير قال الملك: آمين ولك بمثل ذلك ». ورواه أحمد والطبراني وابن حبان من حديث أم الدرداء مثله.

(**وفي لفظ آخر**) من هذا الحديث (**« يقول الله عز وجل بك أبداً »**) كذا في القوت وفي نسخة العراقي زيادة « عبدي » وقال لم أجد هذا اللفظ. (**وفي حديث آخر**) عن النبي ﷺ قال: (**« يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه »**) كذا في القوت. قال العراقي لم أجده بهذا اللفظ، ولأبي داود والترمذي وضعفه من حديث عبدالله بن عمر: « وإن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب » اهـ.

قلت: ورواه كذلك البخاري في الأدب المفرد، والطبراني في الكبير بلفظ: « أسرع الدعاء إجابة ».

(**وفي الحديث**) قال ﷺ: « (**« دعوة الرجل لأخيه في ظهر الغيب لا ترد »**) ولفظ القوت: دعاء الأخ لأخيه بالغيب لا يرد، ويقول الملك: ولك مثل هذا. وفيه أيضاً دعوة الأخ لأخيه في الغيب لا ترد. قال: فهذا أيضاً من واجب الأخوّة تخصيصاً وإفراده بالدعاء والاستئثار له في الغيب فلو لم يكن من بركة الاخوّة إلا هذا لكان كثيراً. قال العراقي: رواه الدارقطني في العلل من حديث أبي الدرداء، وهو عند مسلم إلا أنه قال: مستجابة مكان لا ترد اهـ.

قلـت: وبلفظ المصنف أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق، وبلفظ القوت أخرجه البزار من حديث عمران بن حصين، وفي الغيلانيات من حديث أم كرز: « دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب مستجابة وملك موكل عند رأسه يقول آمين ولك بمثله ».

(**وكان أبو الدرداء**) رضي الله عنه (**يقول: إني لأدعو لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسمائهم**) كذا في القوت إلا أنه قال لأربعين، وفي بعض نسخه كما عند المصنف. (**وكان محمد بن يوسف الأصبهاني**) رحمه الله تعالى (**يقول: وأين مثل الأخ الصالح أهلك يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت**) لهم من الأثاث والأمتعة (**وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت**) من العمل (**وما صرت إليه**) من الحال، (**ويدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى**) يعني القبر هكذا أورده صاحب القوت. (**وكان**) هذا (**الأخ الصالح يقتدي**

يقتدي بالملائكة، إذ جاء في الخبر: «إذا مات العبد قال الناس: ما خلف؟ وقالت الملائكة: ما قدَّم؟» يفرحون له بما قدم ويسألون عنه ويشفقون عليه، ويقال: من بلغه موت أخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كأنه شهد جنازته وصلى عليه. وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَثَلُ الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب، وأنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال». وقال بعض السلف: الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور، فيقول: هذه هدية لك من عند أخيك فلان، من عند قريبك فلان، قال: فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية.

بالملائكة) ولفظ القوت. فقد أشبه هذا الأخ الصالح الملائكة **(إذ جاء في الخبر)** عن النبي ﷺ أنه قال: **(«إذا مات العبد قال الناس ما خلّف وقالت الملائكة ما قدّم)** كذا في القوت. قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف اهـ.

قلت: ولفظه «إذا مات الميت» وإنما قال بسند ضعيف لأن فيه يحي بن سليمان الجعفي. قال النسائي: ليس بثقة، وعبد الرحمن بن محمد المحاربي قال ابن معين يروي عن المجهولين مناكير.

(يفرحون له بما قدّم) من الخير **(ويسألون عنه ويشفقون عليه)** أي اهتمام الملائكة بشأن الأعمال حتى يثاب أو يعاقب عليه، واهتمام الورثة بما تركه ليورث عنه. وقال بعض العلماء: لو لم يكن في اتخاذ الإخوان إلا أن أحدهم يبلغه موت أخيه فيترحم عليه ويدعو له فلعله يدعو له بحسن نيته. **(ويقال: من بلغه موت أخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له كأنه شهد جنازته وصلى عليه)** هكذا نقله صاحب القوت.

(وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مثل الميت في قبره مثل الغريق) في الماء **(يتعلق بكل شيء)** لعله ينجو به **(ينتظر دعوة)** صالحة **(من ولد)** له أعقبه **(أو من والد أو أم أو قريب وأنه ليدخل على قبور الموتى من دعاء الاحياء من الأنوار مثل الجبال»)**. كذا في القوت إلا انه قال: من ولد ووالد وأخ وقال أمثال الجبال والباقي سواء. قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة، وقال الذهبي في الميزان: إنه خبر منكر.

(وقال بعض السلف: الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء) في الدنيا قال: **(فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول: هذه هدية لك من عند أخيك فلان، أو من عند قريبك فلان قال: فيفرح بذلك كما يفرح الحي بالهدية)** إذا جاءته كذا نقله صاحب القوت وزاد: فقد كان الإخوان يوصون إخواهم بعدهم بدوام الدعاء لهم بعد موتهم ويرغبون في ذلك بحسن يقينهم وصدق نياتهم، وأن أعظم الحسرة من خرج من الدنيا ولم

الحق السابع: الوفاء والإخلاص:

ومعنى الوفاء: الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن الحب إنما يراد للآخرة، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي، ولذلك قال عليه السلام: «في السبعة الذين يظلّهـم الله في ظله: ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه». وقال بعضهم: قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة، ولذلك روي أنه ﷺ أكرم عجوزاً دخلت عليه، فقيل له في ذلك،

يؤاخ أخاً في الله تعالى فيدرك بذلك فضائل المؤاخاة وينال به منازل المحبين عند الله تعالى، ومن أشد الناس وحشة في الدنيا ما لم يكن له خليل يأنس به وصديق صدق يسكن إليه، كما قال علي رضي الله عنه: وغريب من لم يكن له حبيب ولا يوحشنك من صديق سوء ظن.

(الحق السابع: الوفاء والإخلاص).

(ومعنى الوفاء: الثبات على الحب والإقامة) عليه **(إلى)** نزول حادثة **(الموت)** به **(وبعد الموت)** أيضاً **(مع أولاده)** وأحفاده **(وأصدقائه)** ومحبيه وملازميه، **(فإن الحب إنما يراد للآخرة، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعي)** ولفظ القوت: فقد كانوا يتواخون ويتعارفون لمنافع الآخرة الباقية لا لمرافق الدنيا الفانية، وأفضل الأخوة كما قال بعض العلماء المحبة الدائمة والألفة اللازمة من قبل أن الأخوة والمحبة عمل وكل عمل يحتاج إلى حسن خاتمة به ليتم العمل به فيكمل أجره، فإن لم يختم له بالاخوّة ولم يحسن عاقبة الصحبة والمحبة فقد أدركه سوء الخاتمة وبطل عنه ما كان قبل ذلك، فقد يصطحب الاثنان ويتواخى الرجلان عشرين سنة ثم لا يختم لهما بحسن الاخوّة فيحبط بذلك ما سلف من الصحبة، فلذلك شرط العالم بالمحبة الدائمه والألفة اللازمة إلى الوفاة ليختم له به، **(ولذلك قال ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله)** فساق الحديث الذي تقدم ذكره وفيه: **(«ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه»)** وفي القوت وقال يحيى بن معاذ: ثلاثة عزيزة في وقتنا هذا ذكر منها حسن الإخاء مع الوفاء يعني بالوفاء أن يكون له في غيبه ومن حيث لا يعلم ولا يبلغه مثل ما يكون له في شهوده معاشرته ويكون له بعد موته ولأهله من بعده كما كان له في حياته، فهذا هو الوفاء وهو المعنى الذي شرطه النبي ﷺ للمؤاخاة في قوله: اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه وجعل جزاءه إظلال العرش يوم القيامة.

(و) لذلك **(قال بعضهم: قليل)** من **(الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة)** كذا في القوت قال: وكذلك كان السلف فيما ذكره الحسن وغيره، **(ولذلك روي أنه ﷺ أكرم عجوزاً)** أي أمرأة قد طعنت في سنها ولا يقال امرأة عجوزة إلا في لغة قليلة **(دخلت عليه، فقيل له في ذلك)** أي في إكرامه لها والإحتفال بها، **(فقال: «إنما كانت**

فقال: « إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن كرم العهد من الدين »، فمن الوفاء للأخ مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به، ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه، فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر، إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديها من المحبوب إلى كل من يتعلق به، حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي أن

تأتينا أيام خديجة) أي بنت خويلد رضي الله عنها **(فإن كرم العهد من الدين »)** كذا في نسختنا وفي نسخة العراقي: « وإن حسن العهد من الايمان » وقال: رواه الحاكم من حديث عائشة وقال: صحيح على شرط الشيخين وليس له علة اهـ.

قلت: رواه من طريق الصغاني عن أبي عاصم، حدثنا صالح بن رستم، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي فقال لها « من أنت »؟ فقالت: أنا جثامة المزنية. قال: « أنت حسانة كيف أنتم كيف حالكم كيف تيكم بعدنا ». قالت: بخير بأبي أنت، فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال. قال « إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان ». وهكذا رواه الديلمي من طريقه إلا أنه قال: عهد بدل زمن، وقال: إن أكرم الود من الايمان. وروى ابن عبد البر من طريق الكريمي عن أبي عاصم فسمى المرأة الحولاء فيحتمل أن يكون وصفها أو لقبها، ويحتمل التعدد على بعد لاتحاد الطريق.

وروى العسكري في الأمثال من طريق الزبير بن بكار، حدثنا محمد بن الحسن، ثنا إبراهيم ابن محمد، عن محمد بن زيد بن مهاجر بن قنفذ أن عجوزاً سوداء دخلت على النبي ﷺ فحياها وقال لها: « كيف انت كيف حالكم ». فلما خرجت قالت عائشة يا نبي الله ألهذه السوداء تحيّ وتصنع ما أرى؟ فقال: « إنها كانت تغشانا في حياة خديجة وإن حسن العهد من الإيمان » قال الزبير: حدثني سليمان بن عبدالله، عن شيخ من أهل مكة هي أم زفر ماشطة خديجة. ومن حديث حفص بن غياث عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كانت تأتي النبي ﷺ امرأة فيكرمها فقلت: يا رسول الله من هذه؟ فقال: « هذه كانت تأتينا على زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان » وهذا الأخير عند البيهقي في الشعب وقال: إنه بهذا السند غريب اهـ.

والعهد ينصرف في اللغة إلى وجوه: أحدها: الحفظ والمراعاة وهو المراد هنا وقول الحاكم: إنه صحيح على شرط الشيخين قد أقره على ذلك الذهبي، وسكت عليه العراقي في إصلاح المستدرك، ويظهر مما تقدم أن قول المصنف فإن كرم العهد من الايمان ليس في شيء من رواياته وإنما هو أخذ بالمعنى، وقوله من الدين أو من الإيمان أي من أموره أو خصاله أو من شعبه.

(فمن الوفاء مراعاة أصدقائه) وأحبابه **(وأقربائه)** بل **(والمتعلقين به)** والمترددين إليه، **(ومراعاتهم أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ نفسه، فإن فرحه بتعهد من يتعلق به أكثر، إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب إلا تعديها من المحبوب إلى كل من**

يميز في القلب عن سائر الكلاب، ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان، فإنه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين في الله ومتحابين فيه، فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما، قال الله تعالى: ﴿وقل لعبادي يقُولُوا التي هي أحسنُ إنَّ الشيطان ينزغ بينهم﴾ [الاسراء: ٥٣] وقال مخبراً عن يوسف: ﴿مِن بعدِ أن نزغَ الشيطان بيني وبين اخوتي﴾ [يوسف: ١٠٠] ويقال: ما تواخى اثنان في الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما. وكان بشر يقول: إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يؤنسهُ وذلك لأن الإخوان مسلاة للهموم وعون على الدين. ولذلك قال ابن المبارك: ألذ الأشياء مجالسة الإخوان والانقلاب إلى كفاية، والمودة الدائمة هي التي تكون في الله، وما يكون لغرض

يتعلق به، حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي أن يتميز في القلب عن سائر الكلاب، و) هذا هو الغاية القصوى في حسن العهد وقس على ذلك جيرانه وأهل حارته بل أهل قريته. (**ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت بـه الشيطـان**) أي فـرح، (**فـإنـه لا يحسـد على متعاونين على بر**) وخير (**كما يحسد متواخيين في الله**) تعالى (**ومتحابين فيه**) لأجله، (**فإنه**) أي الشيطان (**يجهد نفسه**) أي يتعبها (**لإفساد ما بينهما**). ولفظ القوت ويقال: ما حسد العدو متعاونين على بر حسده متواخيين في الله عز وجل ومتحابين فيه، فإنه يجهد ويحث قبيله على إفساد ما بينهما، وقد (**قال الله تعالى لعباده ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن أن الشيطان ينزغ بينهم﴾**) يعني الكلمة الحسنة بعد نزغ الشيطان (**وقال تعالى مخبراً عن يوسف عليه السلام ﴿من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخواتي﴾**) هكذا في القوت. (**ويقال: مـا تواخى اثنان في الله**) عز وجل (**ففرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما**) كذا في القوت أي فرقة أحد الأخوين إنما تكون من ذنب فهو عقوبة للمرتكب.

(**وكان بشر**) بن الحارث الحافي قدس سره (**يقول: إذا قصر العبد في طاعة الله**) تعالى (**سلب الله**) عز وجل (**من يؤنسه**) كذا في القوت، (**وذلك أن الإخوان**) وفي نسخة مجالسة الإخوان (**مسلاة للقلوب**) وفي نسخة للهموم (**وعون على الدين**) والذي في القوت: وكان بعضهم يقول: الإخوان مسلاة للهم ومذهبة للأحزان، (**ولذلك قال ابن المبارك: ألذ الأشياء مجالسة الإخوان والانقلاب إلى كفاية**) كذا في النسخ والذي في القوت، وقيل لسفيان بن عيينة: أي الأشياء ألذ؟ فقال: مجالسة الإخوان والانقلاب إلى كفاية، (**والمودة الدائمة**) في الحياة وبعدها (**هي التي تكون في الله وما يكون لغرض يزول بزوال الغرض**)، فإن من أحب انساناً لشيء كرهه عند انقطاعه. ولفظ القوت: فأدل ما تصح له المحبة في الله عز وجل أن لا يكون أصل ذلك من محبة لأجل معصية ولا على حظ من دنياه ولا لأجل ارتفاقه به اليوم ولا لمنافعه منه ومصالحه، ولا يكون ذلك مكافأة على إحسان أحسن به إليه ولا لنعمة يجزيه عليها لمحبته له، ولا لأجل هوى بينه وبينه فليس هذا طريقاً إلى الله تعالى، فإذا سلم من هذه المعاني

يزول بزوال ذلك الغرض. ومن ثمرات المودة في الله أن لا تكون مع حسد في دين ولا دنيا، وكيف يحسده وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته. وبه وصف الله تعالى المحبين في الله تعالى فقال: ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أوتُوا ويؤثرون على أنفسهم﴾ [الحشر: ٩] ووجود الحاجة هو الحسد. ومن الوفاء أن لا يتغير حاله في التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه، فالترفع على الإخوان بما يتجدد من

الثلاث فهي إذاً محبة ومؤاخاة في الله عز وجل فإن أحبه لأخلاقه اللازمة فيه ومعانيه الكائنة به لم يخرجه ذلك من الحب لله عز وجل ولا يقع في الأخوة، ولأن هذه سياء ثابتة فيه مثل أن يحبه لحسن خلقه وكثرة عمله وعلمه وحلمه ولحسن عقله ولوجود الانس به، والائتلاف الذي جعله الله عز وجل بينه وبينه فإنما يخرجه عن حقيقة الحب في الله عز وجل أن يحبه داخلاً بينه وبينه وليجة بين الدنيا والآخرة لما يفصل عنه ولم تكن سياء متصلة به مثل الإنعام والإفضال عليه ومثل الارتفاق والاحسان إليه، فهذا الحب لا يمنع القلب من وجده لأنه جُبل على حب من أحسن إليه وليس يأثم ولا يعصي بوجود هذه المحبة لمكان هذه الأسباب المعروفة، كما أنه إذا أساء إليه وجد بغضه له فلا يأثم على هذا البغض ما لم يخرجه ذلك إلى أذى يوجب عليه حكماً إلا أن هذين المعنيين يخرجان عن حقيقة الحب لله عز وجل لأنه لا يكون محباً له مع وجود الاسباب خالصاً لله تعالى من قبل أنها إذا زالت زالت المحبة، وكذلك إن أبغضه لتغير هذه الأسباب من الاساءة إليه بعد أن كان أحبه لله عـز وجل ثم تغير لأن صحة الحب لله تعالى والبغض لا ينقلب بسبب بغض جعل في الطبع، وكل محبة تكون عن عوض فإنه إذا فقد العوض فقدت المحبة.

(**ومن ثمرات المودة في الله**) عز وجل (**أن لا يكون مع حسد**) أي لا يحسده (**في دين ودنيا**) أي عليها جميعاً كما لا يحسد نفسه عليها، (**وكيف يحسد وكل ما هو فيه لأخيه فإليه ترجع فائدته**) وأن يؤثره بالدين والدنيا إذا كان محتاجاً إليها كنفسه، وهذان شرطان في الحب في الله عز وجل. (**وبه**) أي الشرط الأوّل (**وصف الله المحبين في الله**) عز وجل (**فقال**) يحبون من هاجر إليهم، ثم وصف حقيقة محبتهم إذ كان لا يصف إلا حقاً ولا يمدح إلاّ حقاً فقال: (**﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾**) يعني مما أوتي احبابهم من دين ودنيا ثم قال في الشرط الثاني: (**﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾**) فهذا فصل الخطاب ونعت الأحباب (**ووجود الحاجة**) في هذا الموضع (**الحسد**) كما لا يجدون في صدورهم لأنفسهم حسداً، فهذه حقيقة الوجود. وأما الشرط الثاني الذي هو الإيثار، فإن كان مع احتياج فهو مقام الصديقين أو يساويه وهو من مقام الصادقين أو يواسيه فهو أخلاق المؤمنين، وهذا أقل منازل الآخرة وقد تقدمت الإشارة إليه في سياق المصنف عند ذكر قصة سعد بن الربيع مع عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنهما.

(**ومن الوفاء أن لا يتغير حاله في التواضع**) وفي نسخة: التواصل (**مع أخيه وإن ارتفع**

الأحوال لؤم. قال الشاعر:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكـروا   من كان يألفهم في المنزل الخشنِ

وأوصى بعض السلف ابنه فقال: يا بني لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك، وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك، وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك، وقال بعض الحكماء: إذا ولي أخوك ولاية فثبت على نصف مودته لك فهو كثير.

وحكى الربيع: أن الشافعي رحمه الله آخى رجلاً ببغداد ثم ان أخاه ولّى السيبين فتغير له عما كان عليه، فكتب إليه الشافعي بهذه الأبيات:

إذهب فودّك من فؤادي طالـقُ   أبـداً وليس طلاقُ ذات البيْـنِ

شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه) وكبرت منزلته، **(فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الأحوال)** وما ينقلب فيها **(لؤم)** وهو مذموم **(قيل فيه:)**

(إن الكرام إذا ما أيسروا) أي صاروا ذوي يسار أي غنى وفي نسخة أسياداً **(ذكروا من كان يألفهم)** أي يصحبهم ويأنس بهم **(في المنزل الخشن)** كناية عن قلة ذات اليد والضيق وخشونة العيش.

(وأوصى بعض السلف ابنه فقال: يا بني لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك، وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك، وإن علت منزلته لم يرتفع عليك) ولفظ القوت: من افتقرت قرب منك، وإن استغنيت لم يطمع فيك، وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك، وإن ابتذلت له صانك، وإن احتجت إليه مانك، وإن اجتمعت معه زانك فإن لم تجد هذا فلا تصحبن أحداً.

(وقال بعض الحكماء) ولفظ القوت بعض السلف: **(إذا ولي أخوك ولاية)** عمل من الأعمال **(فثبت على نصف مودته لك فهو كثير)** أي لأن شغله بحمل اعباء ما ولي يمنعه عن تأدية حقوق مودتك، فإذا وجد فيه الثبات على نصف ما كان عليه فلا تعاتبه.

(وحكى الربيع) بن سليمان بـن عبد الجبار المرادي، أبو محمد المصري المؤذن ثقة مات سنة سبعين ومائتين عن ست وتسعين سنة، روى له الاربعة، ولفظ القوت: حدثنا محمد بن القاسم عن الربيع بن سليمان: **(أن الشافعي)** رضي الله عنه **(آخى رجلاً ببغداد ثم أن أخاه هذا ولي السيبين)** بكسر السين المهملة وسكون التحية وفتح الموحدة مثنى السيب وهما الأعلى والأسفل كورة بالعراق، **(فتغير)** للشافعي **(عما كان عليه)** مما كان يعهده منه، **(فكتب إليه الشافعي)** رحمه الله تعالى **(هذه الابيات)** وهي من نظمه:

(اذهب فودّك من ودادي طالـق   مني وليس طلاق ذات البيْـــــنِ

فإن ارعويت فإنها تطليقةٌ ويدوم ودّك لي على ثنتينِ
وإن امتنعت شفعتها بمثالها فتكون تطليقين في حيضينِ
وإذا الثلاث أتتك مني بتة لم تغنِ عنك ولاية السيبينِ

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة، فقد كان الشافعي رضي الله عنه آخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول: ما يقيمني بمصر غيره؛ فاعتل محمد فعاده الشافعي رحمه الله فقال:

فإن ارعويت فإنها تطليقة ويدوم ودّك لي على ثنتينِ
وإن امتنعت شفعتها بمثالها فتكون تطليقين في حيضينِ
فإذا الثلاث أتتك مني بتة لم تغن عنك ولا ية السيبينِ)

هكذا أورده صاحب القوت وزاد بعدها، فذكر هذا الكلام لبعض الفقهاء فاستحسنه وقال: هذا طلاق فقهي إلا انه طلق قبل النكاح اهـ.

قلت: وهذا الاستدراك ليس بشيء وذلك لأن الاجتماع بعد عقد المودة من الجانبين نزل منزلة الدخول بجامع الحقوق بينهما على التشبيه، وهذه القصة أخرجها ابن عساكر من وجه آخر في تاريخه من طريق البيهقي عن الحاكم قال: أخبرني أبو الفضل بن أبي نصر، حدثنا علي بن الحسن بن حبيب الدمشقي قال: سمعت الغاقوسي وكان من أهل القرآن والعلم قال: سمعت محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم يقول: سمعت الشافعي يقول: كان لي صديق يقال له حصين وكان يبرني ويصلني فولاه أمير المؤمنين السيبين فكتب إليه:

خذها إليك فإن ودّك طالق مني وليس طلاق ذات البين

ثم ساق بقية الأبيات إلا أنه قال: فإن التويت بدل ارعويت وطائعاً بدل بتة وزاد في آخرها البيت الخامس

لم أرض أن أهجر حصيناً وحده حتى أسوّد وجه كل حصينِ

(**واعلم أنه ليس من الوفاء موافقته فيما يخالف الحق**) الصريح (**في أمر يتعلق بالدين بل من الوفاء له المخالفة**) فيه، (**فقد كان الشافعي**) رضي الله عنه (**آخى**) أبا عبد الله (**محمد ابن**) عبد الله بن (**عبد الحكم**) بن أعين بن ليث المصري من موالي آل عثمان، فقد تقدمت ترجمته وترجمة أبيه في كتاب العلم وأبوه من كبار أصحاب مالك، (**وكان يقربه ويقبل عليه**) وكان محمد قد لزم الشافعي لأن أباه أوصاه بذلك فأخذ عنه علماً كثيراً وتفقه به وتمذهب بمذهبه، وقد روى عنه النسائي، وأبو حاتم، وأبن خزيمة، وابن صاعد وجماعة. قال النسائي: ثقة. وقال مرة: صدوق لا بأس به، وقال ابن يونس: كان مفتي مصر في أيامه مات سنة ٢٦٨، (**و**) لكثرة بره وإحسانه إلى الشافعي كان (**يقول: ما يقيمني بمصر غيره فاعتل محمد**) مرة حتى أشرف على الهلاك (**فعاده الشافعي**) رحمه الله تعالى (**وقال:**

مَرِضَ الحبيبُ فعدُتُه فمرضتُ من حذري عليهِ
وأتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري إليهِ

وظن الناس لصدق مودتها أنه يفوض أمر حلقته إليه بعد وفاته، فقيل للشافعي في علته التي مات فيها رضي الله عنه: إلى من نجلس بعدك يا أبا عبدالله؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومىء إليه، فقال الشافعي: سبحان الله أيشك في هذا أبو يعقوب البويطي؟ فانكسر لها محمد ومال أصحابه إلى البويطي مع أن محمداً كان قد حمل عنه مذهبه كله، لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع. فنصح الشافعي لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يؤثر رضا الخلق على رضا الله تعالى. فلما توفي

(مرض الحبيب فعدته فمرضت من حزني عليهِ)

فقال محمد في جوابه:

(فأتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري إليهِ)

(وظن الناس لصدق مودتها) وأخوّتها **(أنه)** أي الشافعي **(يفوّض أمر حلقته)** بسكون اللام **(بعد وفاته إليه)** أي في جامع عمرو بن العاص، **(فقيل للشافعي)** رحمه الله تعالى **(في علته التي مات فيها)** في سنة أربع: **(إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله)** وهي كنية الشافعي؟ **(فاستشرف له محمد بن عبد الحكم)** وتطاول **(وهو عند رأسه ليوميء إليه)** أي يشير، **(فقال الشافعي)** رحمه الله تعالى: **(سبحان الله أيشك فيها)** ولفظ القوت في هذا؟ **(أبو يعقوب البويطي)** يوسف بن يحي القريشي مولاهم المصري الفقيه وبويط كزبير قرية بالصعيد الأوسط وهو أكبر أصحاب الشافعي وقد اختص بصحبته واشتهر بها وحدث عنه وعن عبد الله بن وهب وغيرهما، وعنه الربيع المرادي وإبراهيم الحربي ومحمد بن إسماعيل الترمذي وأبو حاتم وآخرون، وله المختصر المشهور الذي اختصره من كلام الشافعي، وقد قرأه على الشافعي بحضرة الربيع، وكان الشافعي رحمه الله تعالى يعتمد البويطي في الفتيا ويحيل عليه إذا جاءته مسألة. حمل مقيداً في الحديد من مصر إلى بغداد في فتنة خلق القرآن وحبس حتى مات سنة ٢٣١، **(فانكسر لها محمد)** بن عبد الحكم ووجد في نفسه، **(ومال أصحابه إلى البويطي)** فتخرج على يديه أئمة تفرقوا في البلاد ونشروا علم الشافعي في الآفاق **(مع أن محمداً كان قد حمل عنه مذهبه)** وعلمه **(كله)** مع معرفته لمذهب مالك، **(لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع)** وكان سريع الدمعة غالب أوقاته الذكر ودرس العلم وغالب ليله التهجد والتلاوة. وقال الربيع: كان البويطي أبداً يحرك شفتيه بذكر الله عز وجل، وما أبصرت أحداً أسرع لحجة في كتاب الله من البويطي، **(فنصح الشافعي)** رحمه الله تعالى **(لله)** عز وجل **(وللمسلمين وترك المداهنة)** أي حمله نصحه للدين والنصيحة للمسلمين ولم يداهن في ذلك، **(ولم يؤثر رضا الخلق على رضا**

انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلى مذهب أبيه ودرس كتب مالك رحمه الله، وهو من كبار أصحاب مالك رحمه الله. وآثر البويطي الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة وصنف « كتاب الأم » الذي ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان ويعرف به، وإنما صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه، فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره. والمقصود أن الوفاء بالمحبة من تمامها النصح لله. قال الأحنف: الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من

الله تعالى) بأن وجه الأمر إلى البويطي وآثره لأنه كان أولى، **(فلما توفي)** الشافعي **(انقلب محمد ابن عبد الحكم من مذهبه ورجع إلى مذهب أبيه ودرس كتب مالك)** رضي الله عنه، **(وهو من كبار أصحاب مالك)** ولفظ القوت: وروي كتب أبيه عن مالك وتفقه فيها فهو اليوم من كبار أصحاب مالك، وقرأت في طبقات القطب الخيضري ما لفظه: وروى الحاكم عن إمام الائمة ابن خزيمة قال: كان ابن عبد الحكم اعلم من رأيت بمذهب مالك، فوقعت بينه وبين البويطي وحشة عند موت الشافعي فحدثني أبو صنبر السكري قال: تنازع ابن عبد الحكم والبويطي مجلس الشافعي فقال البويطي: أنا أحق به منك، وقال الآخر كذلك فجاء الحميد وكان تلك الايام بمصر، فقال قال الشافعي: ليس أحد أحق بمجلسي من البويطي، وليس أحد من أصحابي اعلم منه. فقال له ابن عبد الحكم: كذبت. فقال له: كذبت أنت وأبوك وأمك، وغضب ابن عبد الحكم وجلس البويطي في مجلس الشافعي، وجلس ابن عبد الحكم في الطاق الثالث.

(وآثر البويطي الزهد والخمول) وترك العلائق **(ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة واشتغل بالعبادة)** ليلاً ونهاراً **(وصنف « كتاب الأم » الذي ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان)** المرادي ويعرف به، **(وإنما صنفه البويطي ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه)** هضماً لها، **(فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره للناس)** فهذا هو الأم المشهور وتلقته الأمة بالقبول والمسند المنسوب إلى الشافعي هو عبارة عن الأحاديث التي وقعت في مسموع الأصم على الربيع من كتاب الأم والمبسوط التقطها بعض النيسابوريين، وهو أبو عمر وحمد بن جعفر بن مطر من الأبواب فسمى ذلك مسند الشافعي، قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى.

(والمقصود أن الوفاء بالمحبة من تمامها النصح لله) عز وجل ولرسوله وللمسلمين. **(قال الأحنف)** بن قيس رضي الله عنه: **(الإخاء جوهرة رفيعة)** وفي بعض النسخ: رقيقة **(إن لم تحرسها)** وتوق عليها **(كانت معرضة للآفات فاحرسها بالكظم)** ولفظ القوت فارض بالتذلل له حتى تصل إلى قربه بالكظم، **(حتى تعتذر إلى من ظلمك والرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير)**، ويقال: من لم يظلم نفسه للناس ويتظالم لهم ويتغافل

أخيك التقصير. ومن آثار الصدق والاخلاص وتمام الوفاء أن تكون شديد الجزع من المفارقة، نفور الطبع عن أسبابها كما قيل:

وجدتُ مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الأحباب هينة الخطبِ

وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال: لقد عهدت أقواماً فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل إلي أن حسرتهم ذهبت من قلبي. ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لا سيما من يظهر أوّلاً أنه محب لصديقه - كيلا يتهم - ثم يلقي الكلام عرضاً وينقل عن الصديق ما يوغر القلب، فذلك من دقائق الحيل في التضريب ومن لم يحترز منه لم تدم مودته أصلاً، قال واحد لحكيم: قد جئت خاطباً لمودتك، قال: إن جعلت مهرها ثلاثاً فعلت، قال: وما هي؟ قال: لا تسمع علي بلاغة ولا تخالفني في أمر ولا توطئني عشوة. ومن الوفاء أن لا يصادق عدوّ صديقه. قال الشافعي رحمه الله: إذا أطاع

عنهم لم يسلم منهم، **(ومن آثار الصدق)** في المودّة **(والإخلاص)** في المحبة **(وتمام الوفاء أن يكون شديد الجزع من المفارقة)** أي مفارقة الأحباب **(لفتور الطبع من أسبابها)** التي تلتجيء إليه **(كما قيل)**:

(وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الأحباب هينة الخطبِ)

أي أن المصائب كلها خطبها هين إلا مصيبة الفراق فإنها شديدة.

(وأنشد) سفيان **(بن عيينة)** رحمه الله تعالى **(هذا البيت وقال: لقد عهدت أقواماً فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل لي أن حسرتهم ذهبت من قلبي)** كذا في القوت وزاد. وقال بعضهم: ما هدني شيء ما هدني موت الأقران، ويقال: إذا مات صديق الرجل فقد عضو من أعضائه.

(ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه) من كلام يغيره عنه **(ولا سيا من يظهر أوّلاً أنه محب لصديقه كيلا يتهم)** في صداقته، **(ثم يلقي الكلام عرضاً وينقل من الصديق ما يوغر القلب)** ويهيج الغارة، **(فذلك من دقائق الحيل في التضريب)** والإفساد، **(ومن لا يحترز منه لم تدم مودته أصلاً. قال رجل لحكيم: قد جئت خاطباً لمودتك)** ولفظ القوت: وروينا أن حكيماً جاء إلى حكيم فقال: جئتك خاطباً إليك مودتك. **(قال: إن جعلت مهرها ثلاثاً فعلت)** فقال: ما هن؟ قال: **(لا تسمع علي بلاغاً ولا تخالفني في أمر ولا تواطئني عشوة)** ولفظ القوت قال: لا تخالفني في أمر ولا تقبل علي بلاغة ولا تعطني في رشوة فقال: قد فعلت. قال: قد آخيتك.

(ومن الوفاء أن لا يصادق عدوّ صديقه) أي لا يتخذ عدو صديقه محباً **(قال الشافعي)**

صديقك عدوّك فقد اشتركا في عدواتك.

الحق الثامن: التخفيف وترك التكلف والتكليف:

وذلك بأن لا يكلف أخاه ما يشق عليه بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه عن أن يحمله شيئاً من أعبائه فلا يستمد منه من جاه ومال ولا يكلفه التواضع له والتفقد لأحواله والقيام بحقوقه، بل لا يقصد بمحبته إلا الله تعالى تبركاً بدعائه واستئناساً بلقائه واستعانة به على دينه وتقرباً إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته. قال بعضهم: من اقتضى من إخوانه ما لا يقتضونه منه فقد ظلمهم، ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه فقد أتعبهم، ومن لم يقتض فهو المتفضل عليهم. وقال بعض الحكماء: من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم وأثموا، ومن جعل نفسه في قدره تعب وأتعبهم، ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وتمام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي

رحمه الله تعالى: (**إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في العداوة**) والذي نقله أبو نعيم والبيهقي أنه من علامات الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقاً.

(**الحق الثامن: التخفيف**) على الأخ (**وترك التكلف والتكليف**) له ومعه وأصل التكلف أن تحمل المرء على أن يكلف بالأمر كلفه بالأشياء التي يدعوه طبعه قاله الحراني وقال الراغب: هو اسم لما يفعله الإنسان بمشقة أو بتصنع أو بتشبع والتكليف الزام ما فيه كلفة.

(**وذلك أن لا يكلف أخاه ما يشق عليه**) ويتعب فيه (**بل يروح سره**) أي باطنه (**عن مهماته وحاجاته ويرفهه أن يحمله شيئاً من أعبائه**) أي أثقاله (**ولا يستمد منه من جاه ومال**) وغيرهما (**ولا يكلفه التواضع له**) عند لقائه في المجلس (**و**) لا (**التفقد والقيام بحقوقه، بل لا يقصد بمحبته**) ومعرفته (**إلا الله**) عز وجل (**تبركاً بدعائه**) الصالح (**واستئناساً للقائه**) واسترواحاً بمشاهدته (**واستعانة به على دينه وتقرباً إلى الله تعالى بالقيام بحقوقه**) لا لغرض عاجل، (**والتحمل بمؤنته**) من أمور الدنيا. (**وقال بعضهم: من اقتضى من إخوانه ما لا يقتضونه منه فقد ظلمهم، ومن اقتضى منهم**) مثل (**ما يقتضونه منه**) وفي نسخة مثل ما يفعل معهم (**فقد أتعبهم**) وفي نسخة: فقد أنصفهم، (**ومن لم يقتض**) منهم (**فهو المتفضل عليهم**) ولفظ القوت: ومن لم يقتضهم فقد تفضل عليهم وبمعناه. (**قال بعض الحكماء: من جعل نفسه عند الإخوان فوق قدره أثم وأثموا، ومن جعل نفسه**) في قدره تعب وأتعبهم، (**ومن جعلها عندهم دون قدره سلم وسلموا**) كذا في القوت وزاد، فلذلك عزز الناس الأخوة في الله عز وجل قديماً لأن هذا حقيقتها، فروي في الاخبار: اثنان عزيزان ولا يزيدان إلاّ عزة درهم حلال وأخ تسكن، إليه، وقيل: تأنس به. وقال يحيى بن معاذ: ثلاثة عزيزة

من نفسه. وقال الجنيد: ما تواخى اثنان في الله فاستوحش أحدهما من صاحبه أو احتشم إلا لعلة في أحدهما. وقال علي عليه السلام: شر الأصدقاء من تكلف لك ومن أحوجك إلى مداراة وألجأك إلى اعتذار. وقال الفضيل: إنما تقاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه. وقالت عائشة رضي الله عنها: المؤمن أخو المؤمن لا

في وقتنا هذا ذكر منها حسن الإخاء مع الوفاء، **(وتمام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه)** وفي ذلك يقول الشاعر:

إنما مجلس البساط بساط ... فإذا ما انطوى طوينا بساطه

(وقال) أبو القاسم **(الجنيد)** قدس سره: **(ما تواخى اثنان في الله)** عز وجل **(فاستوحش أحدهما من صاحبه)** أي وجد منه وحشة في نفسه **(أو احتشم إلا لعلة في أحدهما)**، ومثله قول بشر الحافي وقد تقدم. وفي القوت: وقد كان الإخوان يتسابقون على العلوم وعلى الأعمال وعلى التلاوة والأذكار، وبهذا المعاني تحسن الصحبة وتحق المحبة وكانوا يجدون من المزيد من ذلك والنفع به في العاجل والآجل ما لا يجدونه في التخلي، والانفراد من تحسين الأخلاق وتنقيح العقول ومذاكرة العلوم، وهذا لا يصح إلا لأهله وهم أهل سلامة، الصدور والرضا بالميسور مع وجود الرحمة وفقد الحسد وسقوط التكليف ودوام التآلف إذا عدمت هذه الخصال ففي وجود أضدادها وقوع المباينة.

(و) قد **(قال علي رضي الله عنه: شر الأصدقاء من تكلف لك)** وفي القوت من تكلف له، **(ومن أحوجك إلى مداراته، وألجأك إلى الاعتذار)** ولفظ القوت وقال أيضاً: شر الاصدقاء من أحوجك الخ. فهما قولان له جمع بينهما المصنف، وفي تاريخ قزوين للرافعي قال إبراهيم بن حمير القزويني: بئس الصديق يحتاج إلى المداراة، أو يلجئك إلى الاعتذار، أو يقول لك أذكرني في دعائك وفي القوت قال يونس عليه السلام، لما زاره اخوانه فقدم إليهم خبز شعير وجزلهم من بقل كان زرعه: لولا أن الله سبحانه لعن المتكلفين لتكلفت لكم.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: **(إنما تقاطع الناس بالتكليف يزور أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية وابن أبي الدنيا في كتاب إقراء الضيف، ولفظ القوت: فيتكلف له ما لا يفعله كل واحد منها في منزلة فيحشمه ذلك من الرجوع إليه.

(وقالت عائشة رضي الله عنها المؤمن أخو المؤمن لا يغشه ولا يحتشمه) كذا في القوت، وفي المرفوع من حديث أبي هريرة عند الترمذي «من غشنا ليس منا» وعند ابن النجار من حديث جابر «المؤمن أخو المؤمن لا يدع نصيحته على كل حال» وقال صاحب القوت: روينا في الانبساط إلى الاخوان ما استطرفته ولو أنه جاء عن إمام ما ذكرته، حدثنا الحرث بن محمد، عن إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: أهدي لهشيم قرد كثير الثمن فقال: أذهب بها إلى سعيد الجوهري فقل له:

يغشه ولا يحتشمه. وقال الجنيد: صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة ـ كل طبقة ثلاثون رجلاً ـ حارثاً المحاسبي وطبقته، وحسناً المسوحي وطبقته، وسرياً السقطي وطبقته، وابن الكريبي وطبقته، فما تواخى اثنان في الله واحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش إلا لعلة في أحدهما. وقيل لبعضهم: من نصحب؟ قال: من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ. وكان جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما يقول: أثقل إخواني عليّ من يتكلف لي وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي. وقال بعض الصوفية: لا تعاشر من الناس إلا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده بإثم يكون ذلك وعليك وأنت عنده سواء، وإنما قال هذا لأن به يتخلص عن التكلف والتحفظ. وإلاّ فالطبع يحمله على أن يتحفظ منه إذا علم أن ذلك ينقصه عنده. وقال بعضهم: كن مع أبناء الدنيا بالأدب ومع أبناء الآخرة بالعلم ومع العارفين

هذه قرد بعثها هشيم اشترها له، قال: فذهب بها إليه فاشتراها ثم بعث بها إلى هشيم فصارت له ودراهمها.

(وقال) أبو القاسم **(الجنيد)** قدس سره: **(صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة)** يعني الصوفية **(كل طبقة ثلاثون رجلاً: الحرث)** بن أسد **(المحاسبي وطبقته)** أي أقرانه، **(وحسن المسوحي وطبقته)** له ذكر في الرسالة، **(و)** أبو الحسن **(سري السقطي وطبقته)** وهو خال الجنيد، **(وابن الكريبي وطبقته)** له ذكر في الرسالة وترجمه الخطيب في التاريخ **(فما تواخى اثنان في الله فاحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش إلا لعلة في أحدهما)** وهذا القول قدم مختصراً قريباً، وأورده صاحب القوت **(وقيل لبعضهم: من تصحب)** من الناس؟ **(قال: من يرفع عنك ثقل التكلف ويسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ)** أي التحرز كذا في القوت. **(و)** قد **(كان جعفر بن محمد)** بن علي بن الحسين رضي الله عنهم **(يقول أثقل إخواني من يتكلف لي وأتحفظ منه، واخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي)** كذا في القوت قال: ويريدون بهذا كله من لم يكن على هذه الأوصاف دخل عليه التصنع والتزين فأخرجاه إلى الرياء والتكلف فذهب بركة الصحبة وبطلت منفعة الأخوة. **(وقال بعض الصوفية: لا تعاشر من الناس إلا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص عنده بإثم يكون لك وعليك وأنت الحالين سواء)** كذا في القوت، **(وإنما قال هذا لأن به يتخلص عن التكلف والتحفظ وإلا فالطبع يحمله على أن يتحفظ منه إذا علم أن ذلك ينقصه عنده، وقال بعضهم: كن مع أبناء الدنيا بالأدب)** لأنهم أهل الظاهر فيعاشرون بالأدب الظاهر، **(ومع أبناء الآخرة بالعلم)** المراد به معرفة الفقه الباطن ومن جلته حفظ الخواطر الردية، **(ومع العارفين بالله)** عز وجل **(كيف شئت)** كذا في القوت **(وقال آخر: لا تصحب إلا من**

كيف شئت! وقال آخر: لا تصحب إلا من يتوب عنك إذا أذنبت ويعتذر إليك إذا أسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه. وقائل هذا قد ضيق طريق الأخوة على الناس وليس الأمر كذلك، بل ينبغي أن يؤاخي كل متدين عاقل ويعزم على أن يقوم بهذه الشرائط ولا يكلف غيره هذه الشروط حتى تكثر إخوانه، إذ به يكون مؤاخياً في الله وإلا كانت مؤاخاته لحظوظ نفسه فقط. ولذلك قال رجل للجنيد: قد عز الإخوان في هذا الزمان أين أخ لي في الله؟ فأعرض الجنيد حتى أعاده ثلاثاً، فلما أكثر، قال له الجنيد: إن أردت أخاً يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهذا لعمري قليل، وإن أردت أخا في الله تحمل مؤنته وتصبر على أذاه فعندي جماعة أعرفهم لك. فسكت الرجل.

واعلم أن الناس ثلاثة: رجل تنتفع بصحبته، ورجل تقدر على أن تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به، ورجل لا تقدر أيضاً على أن تنفعه وتتضرر به وهو الأحمق أو السيء الخلق فهذا الثالث ينبغي أن تتجنبه، فأما الثاني فلا تجتنبه لأنك تنتفع في الآخرة

يتوب عنك إذا أذنبت ويعتذر لك) وفي نسخة إليك **(إذا أسأت ويحمل عليك مؤنة نفسه ويكفيك مؤنة نفسك)** كذا في القوت قال: وهذا من أعز الأوصاف في هذا الوقت، وحاول المصنف الرد عليه فقال: **(وقائل هذا قد ضيق طريق الآخرة على الناس وليس الأمر كذلك، بل ينبغي أن يؤاخي)** الإنسان **(كل متدين عاقل ويعزم على أن يقوم بهذه الشروط ولا يكلف غيره هذه الشروط حتى تكثر إخوانه)** في الله تعالى **(إذ به يكون مؤاخياً في الله)** عز وجل وإلا كانت مؤاخاته لحظوظ نفسه فقط، **(وكذلك قال رجل للجنيد)** ولفظ القوت كما قاله بعض الناس: **(قد عز الإخوان في هذا الزمان أين أخ لي في الله؟ فاعرض الجنيد حتى أعاده ثلاثاً)** ولفظ القوت: قد عز في هذا الوقت أخ في الله قال: فسكت الجنيد عنه فأعاد ذلك فتغافل عنه، **(فلما أكثر قال له)** الجنيد: **(إن أردت أخاً)** في الله تعالى **(يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهو)** ولفظ القوت فهذا **(لعمري قليل، وإن أردت أخاً في الله)** تعالى **(تحمل)** أنت مؤنته وتصبر على أذاه **(فعندي جماعة أعرفهم لك)** وفي بعض نسخ القوت: أدلك عليهم إن أحببت قال: **(فسكت الرجل)** كذا في القوت. قال: وهذا لعمري يكون محباً لنفسه إذا اقتضى من أخيه هذا لا محباً في الله عز وجل، وقد قيل: ليس الإخاء في الله كف الأذى هذا واجب، وإنما الإخاء الصبر على الأذى.

(وأعلم أن الناس ثلاثة: رجل تنتفع بصحبته، ورجل تقدر على أن تنفعه ولا تتضرر به ولكن لا تنتفع به، ورجل لا تقدر على أن تنفعه وتتضرر به وهو الأحمق) أي الناقص العقل **(والسيء الخلق، فهذا الثالث ينبغي أن يجتنب)** اصطحابه وقد تقدم ما يتعلق به،

بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به، وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن أطعتني فما أكثر إخوانك أي وإن واسيتهم واحتملت منهم ولم تحسدهم. وقال قال بعضهم: صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف فإني كنت معهم على نفسي ومن كانت هذه شيمته كثر اخوانه.

ومن التخفيف وترك التكلف أن لا يعترض في نوافل العبادات. كان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين أربع معان. إن أكل أحدهم النهار كله لم يقل له صاحبه صم، وإن صام الدهر كله لم يقل له أفطر. وإن نام الليل كله لم يقل له قم، وإن صلى الليل كله لم يقل له نم، وتستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لأن ذلك إن تفاوت حرّك الطبع إلى الرياء والتحفظ لا محالة. وقد قيل: من سقطت كلفته دامت

(فأما الثاني) الذي لا تتضرر به ولا تنتفع **(فلا يجتنب بل ينتفع في الآخرة بشفاعته و)** في الدنيا **(بدعائه وبثوابك على القيام به)** ومن ذلك قال بشر الحافي لا تخالط من الناس إلا حسن الخلق فإنه لا يأتي إلا بخير ولا تخالط سيء الخلق فإنه لا يأتي إلا بشر، **(وقد أوحى الله)** عز وجل **(إلى موسى عليه السلام أن أطعتني فما أكثر اخوانك أي أن واسيتهم)** بالفضل **(واحتملت منهم)** الإساءة **(ولم تحسدهم)** لا في دين ولا في دنيا. ولفظ القوت وفي أخبار موسى عليه السلام فيما أوحى الله عز وجل إليه: إن أطعتني فأكثر إخوانك من المؤمنين. المعنى: إن واسيت الناس وأشفقت عليهم وسلم قلبك لهم ولم تحسدهم كثر إخوانك. **(وقال بعضهم: صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف)** أي مخالفة فيما يقتضي حقوق الصحبة **(لأني كنت معهم)** حاكماً **(على نفسي)** كذا في القوت، **(ومن كانت هذه سمته)** أي علامته ووصفه **(كثر إخوانه)** لا محالة ودامت ألفتهم.

(ومن) جملة **(التخفيف وترك التكليف أن لا تعترضه في مداخل العبارات)** الظاهرة **(لأن طائفة من الصوفية يصبحون على شروط المواساة وهي أربعة معان)** ولفظ القوت: وكانت هذه الطائفة من الصوفية لا يصطحبون إلا على استواء أربعة معان لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعتراض من بعض. **(إن أكل صاحبه)** ولفظ القوت أحدهم النهار كله **(لم يقل له صاحبه صم، وإن صام الدهر كله لم يقل له أفطر، وإن نام الليل كله لم يقل له قم، وإن صلى الليل كله لم يقل له نم وتستوي حالاته)** وفي نسخة الحالات **(عنده لا مزيد)** لأجل صيامه وقيامه، **(ولا نقصان)** لأجل إفطاره ونومه فإذا كان عنده يزيد بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة أسلم للدين وأبعد من الرياء، **(لأن ذلك إن تفاوت حرك الطبع إلى الرياء والتحفظ لا محالة)** من قبل أن النفس مجبولة على حب المدح وكراهة الذم ومبتلاة بأن ترتب حالها التي عرفت فيه وأن تظهر أحسن ما يحسن عند الناس منها فإذا صحب من يعمل معه هذا فليس

إلفته، ومن خفت مؤونته دامت مودته. وقال بعض الصحابة: إن الله لعن المتكلفين. وقال ﷺ: «أنا والاتقياء من أمتي برآء من التكلف» وقال بعضهم: إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به إذا أكل عنده، ودخل الخلاء، وصلى، ونام. فذكر ذلك لبعض المشايخ فقال: بقيت خامسة وهو أن يحضر مع الأهل في بيت أخيه ويجامعها، لأن البيت يتخذ للاستخفاء في هذه الأمور الخمس، وإلاَّ فالمساجد أروح

ذلك بطريق من الصادقين ولا بغية المخلصين، فمجانبة هؤلاء الناس أصلح للقلب وأخلص للعمل، وفي معاشرتهم وصحبة أمثالهم فساد القلوب ونقصان الحال لأن هذه أسباب الرياء وفي الرياء حبط الأعمال وخسر رأس المال، والسقوط من عين ذي الجلال نعوذ بالله سبحانه من ذلك.

(وقد قيل: من سقطت كلفته دامت) صحبته و**(ألفته، ومن خفت مؤنته دامت مودته)** كذا في القوت إلا أنه قال: ومن قلت بدل من خفت، **(وقال بعض الصحابة: إن الله)** عز وجل **(لعن المتكلفين)** هو من قول سلمان رضي الله عنه قال لمن استضاف عنده: لولا إن نهينا عن التكلف لكم، وقد روي ذلك مرفوعاً كما عند أحمد والطبراني وأبي نعيم في الحلية، ولكن الصحيح أنه موقوف قاله الحافظ ابن حجر، وقد تقدم هذا من قول يونس عليه السلام لما زاره إخوانه، وقدم إليهم خبز شعير وجزلهم بقلاً كان زرعه وقال: لولا أن الله تعالى لعن المتكلفين لتكلفت لكم.

(وقال ﷺ: «أنا والأتقياء من أمتي برآء من التكلف») وفي نسخة أبرآء جمع بريء كنصيب وأنصباء وكريم وكرماء هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه الدارقطني في الإفراد من حديث الزبير بن العوام: «إلا أني بريء من التكلف وصالحو أمتي» وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: ونقل الحافظ السخاوي عن النووي أنه قال: ليس بثابت يعني بلفظ المصنف ويروي من قول عمر رضي الله عنه: «نهينا عن التكلف» أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(وقال بعضهم: إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال فقد تم أنسه به. إذا أكل عنده، ودخل الخلاء، ونام، وصلى) ووقع هذا في نسخة العراقي مرفوعاً إلى النبي ﷺ فقال: لم أجد له أصلاً وأنت خبير بأنه من قول بعض الصوفية، وهكذا هو في القوت أيضاً فتنبه لذلك. **(فذكر ذلك لبعض المشايخ)** ولفظ القوت فذكرت هذه الحكاية لبعض أشياخنا **(فقال)**: صدق **(بقيت)** خصلة **(خامسة)** قلت: ما هي؟ قال: وجامع، فإذا فعل هذا فقد تم أنسه به، **(وهو أن يحضر مع الأهل في بيت أخيه ويجامعها لأن البيت يتخذ للاستخفاء في هذه الأمور الخمسة)** ولفظ القوت: إن هذه الخمس لأجلها تتخذ البيوت ويقع الاستخفاء لما فيها من التبذل وكشف العورة، **(وإلا فالمساجد أروح لقلوب المتعبدين)** ولفظ القوت: ولولاها كانت بيوت الله أروح وأطيب، ففي الأنس بالأخ وارتفاع الحشمة من هذه الخمس مثال حال الأنس

لقلوب المتعبدين، فإذا فعل هذه الخمس فقد تم الإخاء وارتفعت الحشمة وتأكد الانبساط. وقول العرب في تسليمهم يشير إلى ذلك، إذ يقول أحدهم لصاحبه: مرحباً وأهلاً وسهلاً، أي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان، ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة لك منا، ولك عندنا سهولة في ذلك كله، أي لا يشتد علينا شيء مما تريد. ولا يتم التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه ويحسن الظن بهم ويسيء الظن بنفسه فإذا رآهم خيراً من نفسه، فعند ذلك يكون هو خيراً منهم، وقال أبو معاوية الأسود: إخواني كلهم خير مني، قيل: وكيف ذلك؟ قال: كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلني على نفسه فهو خير مني، وقد قال ﷺ: «المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له» فهذه أقل الدرجات وهو

بالوحدة بالنفس من غير عيب من عائب ولا ضد، لكن من إتفاق جنس وهذا لعمري نهاية الانس، (**فإذا فعل هذه الخمسة فقد تم الإخاء وارتفعت الحشمة وتأكد الإنبساط، وقول العرب في تسليمهم يشير إلى ذلك**) ولفظ القوت: وأما الخامسة وهو قول شيخنا وجامع فعله ذلك يصلح أن يستدل له بقول العرب في تسليمهم وترحيبهم (**إذ يقولون مرحباً وأهلاً وسهلاً أي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان**) فهو مصدر ميمي بمعنى الرحب، (**ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة منا، ولك عندنا سهولة في ذلك كله أي**) يسهل و(**لا يشتد علينا شيء مما تريد**) فهو سهولة اللقاء وسهولة في الأخلاق من الإلتقاء، (**ولا يتم التخفيف وترك التكلف إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه**) في القدر والمقام (**ويحسن الظن بهم**) في كل حال (**ويسيء بنفسه**) ويتهمها (**فإذا رآهم خيراً من نفسه فعند ذلك يكون خيراً منهم**) ومن هنا قولهم: سيد القوم خادمهم فلا تتم السيادة إلاّ بإطراح النفس وترك الترفع على (**الإخوان. قال أبو معاوية الأسود**) هو من رجال الحلية. قال أبو نعيم في ترجمته: حدثنا أبو محمد بن حيان، ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، ثنا محمد بن إسحاق، ثنا أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أحمد بن وديع يقول: سمعت أبا معاوية الأسود يقول: (**إخواني كلهم خير مني. قيل**) له: (**وكيف**) ذاك يـا أبا معاوية؟ (**قال: كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلني على نفسه فهو خير مني، وقد قال ﷺ: «المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له»**) قال العراقي: تقدم الشطر الأول منه في الباب قبله، وأما الشطر الثاني فرواه ابن عدي في الكامل من حديث أنس بسند ضعيف اهـ.

قلت: أما الشطر الأول الذي مضى هو: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» وتقدم الكلام عليه، وأما الشطر الثاني فقد رواه أيضاً العسكري في الأمثال من طريق سليمان بن عمرو النخعي، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس مرفوعاً ولفظه: «المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الخير مثل الذي ترى له». وروي أيضاً من حديث ليث عن

النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للأخ. ولذلك قال سفيان: إذا قيل لك يا شر الناس فغضبت فأنت شر الناس أي ينبغي أن تكون معتقداً ذلك في نفسك أبداً. وسيأتي وجه ذلك في كتاب الكبر والعجب. وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للإخوان أبيات:

تـذلّـل لمن أن تـذللـت لــه ... يـرى ذاك للفضــل لا للبَلَــهْ
وجانب صداقـة مـن لا يـزال ... على الأصدقاء يرى الفضـل لَـهْ

(وقال آخر):

كم صــديـق عـرفتـه بصـديـق ... صار أحظى من الصديق العتيـق

مجاهد قال: كانوا يقولون لا خير لك في صحبة لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له. ولأبي نعيم في الحلية عن سهل بن سعد رفعه: «لا تصحبن أحداً لا يرى لك من الفضل كما ترى له» ورواه ابن حبان في روضة العقلاء لكن بلفظ مجاهد، وشاهده ما ثبت في الأثر بأن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، وقال الشاعر:

إن الكــريم الذي تبقــى مــودتــه ... يرى لك الفضل إن صافى وإن صرما
ليس الكــريم الذي إن زل صــاحبــه ... أفشى وقــال عليــه كــل مــا كتما

وأنشد العسكري لأبي العباس المدغول:

إذا كنــت تــأتي المرء تعــرف حقــه ... ويجهـل منــك الحق فــالصرم أوسـعُ
ففي الناس أبدال وفي الأرض مـذهـب ... وفي النـاس عمـن لا يـؤاتيـك مقنـعُ
وإن امـــرأ يـــرضى الهوان لنفســه ... حقيــق بجدع الأنــف والجدع أشنـعُ

(**فهذه أقل الدرجات وهو النظر بعين المساواة والكمال في رؤية الفضل للأخ**) وهو مقام عامة المؤمنين وفوقه مقام أفضل منه، وهو أن لا يرى لنفسه فضلاً أصلاً وهو مقام الصادقين، (**ولذلك قال سفيان**) الثوري رحمه الله تعالى: (**إذا قيل لك ياشر الناس فغضبت**) لذلك (**فانت شر الناس**) كذا في القوت إذ فيه رؤية الخيرية في نفسه واتباع هوى الشيطان في التغضب. (**أي ينبغي أن تكون معتقداً في نفسك ذلك أبداً، وسيأتي وجه ذلك في كتاب الكبر والعجب**) في ربع المهلكات إن شاء الله تعالى، (**وقد قيل في معنى التواضع ورؤية الفضل للإخوان:**

تــذلـــل لمن أن تـــذللــت لــه ... يـــرى ذاك للفضـــل لا للبلـــه
وجـانـب صـداقــة مــن لا يــزال ... على الأصــدقــاء الفضـــل لــه)

هكذا أورده صاحب القوت، وصاحب العوارف لمحمد بن جامع الفقيه.

(**وقال آخر**) من الأدباء:

(كم صـديـق عـرفتـه بصـديـق ... صار أحظـى مـن الصـديـق العتيـقِ

ورفيـــق رأيتـــه في طـــريـــق صار عندي هو الصديق الحقيقي

ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم. وقال ﷺ: « بحسب المؤمن من الشر أن يحقر أخاه المسلم » ومن تتمة الانبساط وترك التكلف أن يشاور إخوانه في كل ما يقصده، ويقبل إشارتهم فقد قال تعالى: ﴿وشاوِرْهُم في الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وينبغي أن لا يخفي عنهم شيئاً من أسراره كما روي أن يعقوب ابن أخي معروف قال: جاء أسود بن سالم إلى عمي معروف وكان مؤاخياً له فقال: إن بشر بن الحرث يحب مؤاخاتك وهو يستحي أن يشافهك بذلك، وقد أرسلني إليك يسألك أن تعقد له فيما بينك وبينه أخوّة يحتسبها ويعتدّ بها إلا أنه يشترط فيها شروطاً: لا يحب أن يشتهر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة فإنه يكره كثرة الالتقاء، فقال معروف: أما أنا لو آخيت أحداً لم أحب مفارقته ليلاً ولا نهاراً ولزرته في كل وقت وآثرته على نفسي في كل حال، ثم ذكر من فضل الأخوة والحب في الله أحاديث كثيرة،

ورفيـــق رأيتـــه في طـــريـــق صار عندي هو الصـديـق الحقيقـي)

هكذا في القوت إلا أن المصراع الأخير عنده:

صار عندي محض الصديق الحقيقي.

(ومهما رأى الفضل لنفسه فقد احتقر أخاه وهذا في عموم المسلمين مذموم. قال ﷺ: « بحسب المؤمن من الشر أن يحتقر أخاه المسلم ») قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة وتقدم في أثناء حديث: « لا تدابروا » في هذا الباب. **(ومن تتمة الانبساط وترك التكليف أن يشاور إخوانه في كل ما يقصده)** من الأمور المتعلقة به **(ويقبل إشارتهم)** إذا أشار عليه بشيء ما لم يكن مضراً في الدين، **(فقد قال تعالى)** في كتابه العزيز مخاطباً لحبيبه ﷺ **(﴿وشاورهم في الأمر﴾)** يعني أصحابك، **(ولا ينبغي أن يخفي عنهم شيئاً من أسراره)** الباطنة **(كما روي عن يعقوب ابن أخي)** أبي محفوظ **(معروف)** بن فيروز الكرخي قدس سره **(قال: جاء اسود بن سالم إلى عمي معروف)** الكرخي **(وكان مؤاخياً فقال: إن)** أبا نصر **(بشر بن الحرث)** الحافي قدس سره **(يحب مؤاخاتك وهو يستحي أن يشافهك بذلك، وقد أرسلني إليك)** يسألك **(أن تعقد فيما بينك وبينه أخوة يحتسبها ويعتد بها إلا أنه يشترط فيها شروطاً، لا يحب أن يشتهر بذلك: أن لا يكون بينك وبينه مزاورة، ولا ملاقاة فإنه يكره كثرة الالتقاء. فقال معروف)** قدس سره: **(أما أنا إذا أحببت أحداً لم أحب مفارقته ليلاً ولا نهاراً، ولزرته في كل وقت، ولآثرته على نفسي)** وفي بعض نسخ القوت: أما أنا لو أحببته لم أحب أن أفارقه ليلاً ولا نهاراً، ولأزورنّه في كل وقت، ولاؤثرنه على نفسي في كل حال **(ثم ذكر من فضل الأخوة والحب في الله أحاديث كثيرة، ثم قال فيها: وقد آخى رسول الله**

ثم قال فيها: وقد آخى رسول الله ﷺ علياً فشاركه في العلم وقاسمه في البُدْن وأنكحه أفضل بناته وأحبهن إليه وخصه بذلك لمؤاخاته وأنا أشهدك أني قد عقدت له أخوة بيني

ﷺ **علياً)** رضي الله عنه **(فشاركه في العلم)** قال العراقي: رواه النسائي في الخصائص من سننه الكبرى من حديث علي قال: «جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب». الحديث وفيه: «فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي فلم يقم إليه أحد فقمت إليه» وفيه: «حتى إذا كان بالثالثة ضرب بيده على يدي» وله وللحاكم من حديث ابن عباس: «إن علياً كان يقول في حياته رسول الله ﷺ والله إني لأخوه ووليه ووارث علمه» الحديث، وكل ما ورد في أخوة علي فضعيف لا يصح منه شيء، وللترمذي من حديث ابن عمر: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» وللحاكم من حديث علي: «أنا مدينة العلم وعلي بابها». وقال صحيح الإسناد. وقال ابن حبان: لا أصل له، وقال ابن طاهر: إنه موضوع، وللترمذي من حديث علي: «أنا دار الحكمة وعلي بابها» وقال: غريب اهـ.

قلت: أما حديث: «أنا دار الحكمة» الخ فأخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية من طريق سلمة بن كهيل عن الصنابحي عن علي مرفوعاً. قال: ورواه الأصبغ بن نباتة، والحرث عن علي نحوه، ورواه مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ مثله.

وأما حديث: «أنا مدينة العلم» فرواه الحاكم في المناقب من مستدركه، والطبراني في الكبير، وأبو الشيخ بن حبان في السنة له وغيرهم كلهم من طريق أبي معاوية الضرير عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس رفعه بزيادة: «فمن أتى العلم فليأت الباب» وقال. صحيح الإسناد، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، ووافقه الذهبي وغيره على ذلك، وأشار إلى هذا ابن دقيق العيد بقوله: هذا الحديث لم يثبتوه، وقيل: إنه باطل وهو مشعر بتوقفه فيما ذهبوا إليه من الحكم بكونه كذباً، بل صرح العلائي بالتوقف في الحكم عليه بذلك فقال: وعندي فيه نظر ثم بين ما يشهر لكون أبي معاوية راوي حديث ابن عباس حدث به فزال المحذور ممن هو دونه. قال: وأبو معاوية ثقة حافظ محتج بإفراده كابن عيينة وغيره، فمن حكم على الحديث مع ذلك بالكذب فقد أخطأ.

(وقاسمه البدن) بضم فسكون جمع بدنة، وقد رواه مسلم في حديث جابر الطويل، ثم أعطى علياً فنحر ما غبر وأشركه في هديه الحديث، **(وأنكحه أفضل بناته وأحبهن إليه وخصه بذلك لمؤاخاته)** روى الشيخان من حديث علي: «لما أردت أن ابتني بفاطمة بنت النبي ﷺ واعدت رجلاً صواغاً الحديث، وروى الحاكم من حديث أم أيمن: «زوج رسول الله ﷺ ابنته فاطمة علياً» الحديث وقال: صحيح الإسناد، وفي الصحيحين من حديث عائشة عن فاطمة: «يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين» الحديث. وللحاكم من حديث عائشة: «يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الأمة» وللبخاري من حديث

وبينه وعقدت اخاءه في الله لرسالتك ولمسألته على أن لا يزورني إن كره ذلك، ولكني أزوره متى أحببت، ومره أن يلقاني في مواضع نلتقي بها، ومره أن لا يخفي عليّ شيئاً من شأنه وأن يطلعني على جميع أحواله، فأخبر ابن سالم بشراً بذلك فرضي وسرَّ به، فهذا جامع حقوق الصحبة وقد أجملناه مرة وفصلناه أخرى، ولا يتم ذلك إلا بأن تكون على نفسك للإخوان ولا تكون لنفسك عليهم وأن تنزل نفسك منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك.

المسور بن مخرمة: «فاطمة بضعة مني فمن أبغضها أغضبني» وعند أحمد والطبراني: «يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها».

(وأنا أشهدك إني قد عقدت له أخوة بيني وبينه وعقدت إخاءه في الله تعالى) ولفظ القوت: واعتقدت إخاءه في الله عز وجل **(لرسالتك ومسألتك على أن لا يزورني إن كره ذلك ولكني أزوره متى أحببت وآمره إن يلقاني في مواضع نلتقي فيها، وآمره أن لا يخفي على شيئاً من شأنه وأن يطلعني على جميع أحواله)** قال: **(فاخبر ابن سالم بشراً بذلك فرضي وسر به)** قال صاحب القوت: وهذا أسود بن سالم أحد عقلاء الناس وفضلائهم، وكان فيه إتساع للناس وجرى عليه، وهو الذي أشار به معروف على الرجل الذي سأله مستشيراً فقال: يا أبا محفوظ هذان الرجلان إماما هذا البلد أشر على أيها أصحب فإني أريد أن أتأدب به؟ إما أحمد ابن حنبل، وإما بشر بن الحرث فقال معروف رحمه الله تعالى: لا تصحب واحداً منهما أبداً فإن أحمد صاحب حديث كثير وهو كثير الاشتغال بالناس، فإن صحبته ذهب ما تجد في نفسك من حلاوة الذكر وحب الخلوة والعبادة، وأما بشر فإنه لا يتفرغ لك ولا يقبل عليك شغلاً منه بحاله، ولكن اصحب أسود بن سالم فإنه يصلح لك ويقبل عليك ففعل الرجل ذلك فانتفع به وإنما ضمه إلى أسود لأنه أشبه بحاله.

وكذلك روينا في حديث المؤاخاة الذي آخى فيه رسول الله ﷺ الذي آخى بين كل اثنين شكلين في العلم والحال. آخى بين أبي بكر وعمر رضي الله عنها، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عـوف رضي الله عنهما وهما نظيران، وآخى بين سلمان وأبي الدرداء رضي اللهعنهما وهما شكلان في العلم والزهد، وآخى بين عمار وسعد وكانا نظيرين، وآخى بينه وبين علي رضي الله عنه وهذا من أعلى فضائل علي كرم الله وجهه لأن علمه من علمه وحاله من وصفه، ثم آخى بين الغني والفقير ليعتدلا في الحال وليعود الغني على أخيه الفقير بالمال.

(فهذا جامع حقوق الصحبة وقد أجملناه مرة وفصلناه أخرى، ولا يتم ذلك إلاّ بأن تكون على نفسك للإخوان ولا تكون لنفسك عليهم) وهذا قد تقدم قريباً عند ذكر قول بعضهم: صحبت الناس خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف لأني كنت معهم على نفسي، **(وأن تنزل نفسك عندهم منزلة الخادم لهم فتقيد بحقوقهم جميع جوارحك)** الظاهرة.

أما البصر فبأن تنظر إليهم نظر مودة يعرفونها منك، وتنظر إلى محاسنهم وتتعامى عن عيوبهم ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم عليك وكلامهم معك؛ روي أنه ﷺ كان يعطي كل من جلس إليه نصيباً من وجهه وما استصغاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مسألته وتوجهه للجالس إليه، وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة، وكان عليه السلام أكثر الناس تبسماً وضحكاً في وجوه أصحابه وتعجباً مما يحدثونه به، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيراً له عليه السلام.

وأما السمع، فبأن تسمع كلامهم متلذذاً بسماعه ومصدقاً به ومظهراً للاستبشار به ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادّة ولا منازعة ومداخلة واعتراض، فإن أرهقك عارض اعتذرت إليهم وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون.

(**أما النظر، فبأن تنظر إليهم نظرة مودة**) وكمال (**يعرفونها منك**)، فقد أخرج الحكيم من حديث أبي عمرو: من نظر إلى أخيه نظر ود غفر الله له، (**و**) أن (**تنظر إلى محاسنهم**) وشمائلهم الحسنة (**وتتعامى عن عيوبهم**) وتتغاضى عنها (**ولا تصرف بصرك عنهم في وقت إقبالهم عليك**) بحسن التوجه (**وكلامهم معك**) ففيه جبر لخواطرهم، (**روي**) في الخبر (**أنه كان ﷺ يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه وما استصغاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه، حتى كان مجلسه في سمعه وحديثه ولطيف مسألته وتوجهه للجالس اليه وكان مجلسه حياء وتواضع وأمانة**) قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل من حديث علي في أثناء حديث فيه: « يعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه ممن جالسه ومن سأله حاجة لم يرد إلا بها أو بميسور من القول » ثم قال: « مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ».

(**وكان ﷺ أكثر الناس تبسماً وضحكاً إلى وجوه أصحابه مما يتحدثون به وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء منهم بفعله وتوقيراً له ﷺ**) وفي حديث علي المتقدم وذكره عندالترمذي: يضحك مما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون منه، وللترمذي من حديث عبد الله بن الحارث بـن جزء: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ وقال: غريب.

(**وأما السمع، فبأن تسمع كلامهم**) مصغياً إليه (**متلذذاً بسماعه**) كأنك لم تسمعه إلا في ذلك الوقت (**ومصدقاً به ومظهراً للاستبشار به**) والفرح بسماعه (**ولا تقطع حديثهم عليهم بمرادة**) أصله مراددة مفاعلة من الرد (**لا منازعة**) فيما يقولونه، (**ولا مداخلة وإعراض**) بأن يدخل في كلامهم كلام غيرهم فيكون كالجملة المعترضة أو يعرض عنهم، (**فإن أرهقك**) أي أعجلك (**عارض اعتذرت إليهم**) بحسن ترجية (**و**) إن (**تحرس سمعك عن سماع ما يكرهون**).

وأما اللسان، فقد ذكرنا حقوقه فإن القول فيه يطول، ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم ولا يخاطبهم إلا بما يفقهون.

وأما اليدان، فإن لا يقبضها عن معاونتهم في كل ما يتعاطى باليد.

وأما الرجلان، فأن يمشي بهما وراءهم مشي الأتباع لا مشي المتبوعين ولا يتقدمهم إلا بقدر ما يقدمونه ولا يقرب منهم إلا بقدر ما يقربونه، ويقوم لهم إذا أقبلوا ولا يقعد إلا بقعودهم ويقعد متواضعاً حيث يقعد. ومهما تم الاتحاد خف حمله من هذه الحقوق مثل القيام والاعتذار والثناء فإنها من حقوق الصحبة، وفي ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف، فإذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية فلا يسلك به إلا مسلك نفسه لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب. ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف إظهار ما فيها، ومن كان نظره إلى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم، ومن كان نظره إلى الخالق لزم الاستقامة ظاهراً وباطناً وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فإنها أعلى أنواع الخدمة لله إذ لا وصول

(وأما اللسان، فقد ذكرنا حقوقه فإن القول فيه يطول، ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم) سواء في مذاكرة علم أو غيرها، **(ولا يخاطبهم إلا بما يفهمون)** فلا يلقي عليهم ما يعسر فهمهم له.

(وأما اليدان، فإن لا يقبضها عن معونتهم) ونصرتهم **(في كل ما يتعاطى باليد)** ويتناول بها.

(وأما الرجلان: فأن يمشي بهما وراءهم مشي الأتباع) والخدم **(لا مشي المتبوعين)** والمخدومين **(ولا يبعد عنهم إلا بقدر ما يبعدونه ولا يقرب)** منهم **(إلا بقدر ما يقربونه، ويقوم لهم إذا أقبلوا)** عليه إكراماً **(ولا يقعد إلا بقعودهم)** موافقة لهم **(ويقعد حيث يقعد)** أي يقعدونه **(متواضعاً)** متخشعاً. **(ومهما تم الاتحاد خف جملة من هذه الحقوق مثل القيام والابتدار)** وفي نسخة: الاعتذار **(والثناء فإنها من حقوق الصحبة وفي ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف، فإذا تم الاتحاد انطوى بساط التكليف بالكلية فلا يسلك به إلا مسلك نفسه لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان أدب الباطن)** ويقال: للظاهر عنوان الباطن **(غير أن أدب الباطن في صفاء القلب)** عن الكدورات والغير، **(ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف إظهار ما فيها ومن كان نظره إلى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم)** لعدم استقامته، **(ومن كان نظره إلى الخالق لزم الاستقامة ظاهراً وباطناً وزين باطنه بالحب لله)** وفي نسخة بما يحب الله من خلقه **(وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لله فإنها أعلى أنواع**

إليها إلا بحسن الخلق ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القائم الصائم وزيادة.

خاتمة لهذا الباب

نذكر فيها جملة من آداب العشرة والمجالسة مع أصناف الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء:

إن أردت حسن العشرة فالق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير ذلة لهم ولا هيبة منهم، وتوقير من غير كبر، وتواضع في غير مذلة. وكن في جميع أمورك في أوسطها فكلا طرفي قصد الأمور ذميم. ولا تنظر في عطفيك، ولا تكثر الالتفات، ولا تقف على الجماعات، وإذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك

الخدمة إذ لا وصول إليها إلا بحسن الخلق و) قد **(يدرك العبد بحسن خلقه درجة الصائم القائم وزيادة)** وقد روى الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة: « إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل الصائم بالهواجر ».

(خاتمة هذا الباب نذكر فيه جملاً من آداب المعيشة والمجالسة مع أصناف الخلق) على اختلاف مراتبهم **(ملتقطة من كلام بعض الحكماء)** وذلك بطريق الإجمال قالوا:

(إن أردت حسن المعيشة) مع الناس **(فالق صديقك وعدوك بحسن الرجاء من غير ذلة لهم)** أي من غير أن تذل لهم **(ولا هيبة منهم)** أي لا تهابهم ففي الخبر: لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، **(وتوقر)** أي تعظم **(في غير كبر)** عليهم **(وتواضع)** لهم **(في غير مذلة)** نفس، **(وكن في جميع أمورك في أوسطها)** فإنه خير الأمور، **(فكلا طرفي القصد ذميم)**. قال مطرف بن عبدالله: خير الأمور أوسطها أخرجه ابن جرير في التفسير، وأخرج العسكري من طريق معاوية بن صالح عن الأوزاعي قال: ما من أمر أمر الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين لا يبالي أيهما أصاب الغلو أو التقصير. وأخرج أبو يعلى بسند رجاله ثقات عن وهب بن منبه قال: إن لكل شيء طرفين ووسطاً فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر، وإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالأوساط وأنشد بعضهم:

عليك بأوساط الأمور فإنها ... نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وقال الآخر:

حب التناهي غلط ... خير الأمور الوسط

(ولا تنظر في عطفيك) فإنه علامة العجب **(ولا تكثر الالتفات)** فإنه علامة الحمق، **(ولا تقف على الجماعات)** وهم جلوس ولكن اجلس معهم، **(وإذا جلست فلا تستوفز)** أي

وخاتمك وتخليل أسنانك وإدخال أصبعك في أنفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب من وجهك وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها ، وليكن مجلسك هادياً وحديثك منظوماً مرتباً واصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط ولا تسأله إعادته ، واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك ولا شعرك ولا تصنيفك وسائر ما يخصك ، ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين ولا تتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والإسراف في الدهن ، ولا تلح في الحاجات ولا تشجع أحداً على الظلم ولا تعلم أهلك وولدك فضلاً عن غيرهم مقدار مالك فإنهم إن رأوه قليلاً هنت عندهم وإن كان كثيراً لم تبلغ قط

لا تجلس منصباً غير مطمئن ، **(وتحفظ من تشبيك أصابعك)** فإنه قد نهي عنه ، وكذا عن التفرقع ، **(والعبث بلحيتك وخاتمك)** فإنه من علامة الحمق وقد نهي عنه ، **(وتخليل أسنانك)** فإنه مما تتقذره الطباع ، **(وإدخال أصبعك في أنفك)** أو أذنك فكل ذلك فيه تقذير إلا أن احتيج إليه فمرة واحدة ، **(وكثرة بصاقك وتنخمك)** فإن ذلك مما تنبو عنه الطباع ، **(وطرد الذباب من وجهك)** بمذبة أو بيدك فإنه يدل على خفة العقل ، **(وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس في الصلاة وغيرها)** فإنه مما يهيجه الشيطان وهو في الصلاة أشد كراهة كما جاء في الخبر وفي الخبر « التثاؤب من الشيطان » . وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد « إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه فإن الشيطان يدخل مع التثاؤب » . وعند البخاري من حديث أبي هريرة « إذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال ها ضحك منه الشيطان » . وسيأتي في حقوق المسلم وقالوا : كثرة التمطي تكون من جوع شديد أو من كسل أو من شهوة نفس . **(وليكن مجلسك هادياً)** يهتدي به الناس إلى الخير ووصف المجلس بالهادي على سبيل المبالغة أو المراد بالهادي هنا اللين **(وحديثك منظوماً)** غير مشوش **(مرتباً)** أوله وآخره **(واصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير إظهار تعجب مفرط)** فإنه ربما يسيء الظن بك **(ولا تسأله إعادته)** إلا أن لم يتقن ، **(واسكت عن المضاحك في الحكايات)** وفي نسخة والحكايات أي لا تضحك معهم ، فإن الضحك يميت القلب ويورث النسيان وكثرته من الرعونة وإيراد المضحكات على سبيل السخف نهاية القباحة ، ففي الخبر « ويل للذي يحدث ويكذب فيضحك القوم ويل له ويل له » **(ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك وشعرك وتصنيفك وسائر ما يخصك)** وينسب إليك فإنه مما يدل على السخف وقلة المعقول والمراد من ذلك كله الإطراء فيه ، **(ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين)** فإنه يجانب شأن أهل الإيمان **(ولا تبتذل تبذل العبد)** في اللباس والهيئة ، **(وتوق كثرة الكحل)** في العين **(والإسراف في الدهن)** أي التطيب به ، **(ولا تلح في الحاجات)** فإن الإلحاح فيها يدل على الحرص وهو مذموم ، **(ولا تشجع أحداً على الظلم)** أي تحمله عليه ، **(ولا تعلم أهلك وولدك فضلاً عن غيرهم)** من الأجانب **(مقدار**

رضاهم، وخوفهم من غير عنف ولِنْ لهم من غير ضعف ولا تهازل أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك، وإذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتجنب عجلتك وتفكر في حجتك ولا تكثر الإشارة بيديك ولا تكثر الإلتفات إلى من وراءك ولا تجث على ركبتيك، وإذا هدأ غيظك فتكلم وإن قربك سلطان فكن منه على مثل حدّ السنان فإن استرسل إليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهيه ما لم يكن معصية، ولا يحملنك لطفه بك أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت لذلك مستحقاً عنده فإن سقطة الداخل بين الملك وبين أهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال، وإياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك، وإذا دخلت مجلساً فالأدب فيه البداية بالتسليم وترك التخطي لمن سبق والجلوس حيث اتسع وحيث يكون أقرب إلى التواضع، وأن تحي بالسلام من قرب منك عند الجلوس.

مالك فإنهم إن رأوه قليلاً **هنت عليهم**). ولا تبجل عندهم **(وإن كان كثيراً لم تبلغ قط رضاهم)** فإنهم يستكثرون منك ذلك، **(واجفهم في غير عنف)** يظهر منك لهم، **(ولن لهم من غير ضعف)** ولا خور، **(ولا تهازل أمتك ولا عبدك)** أي لا تخاطبهم بكلام هزل **(فيسقط وقارك)** وهيبتك من أعينهم، **(وإذا خاصمت فتوق)** في كلامك **(وتحفظ من جهلك)** وعثرتك **(وتجنب عجلتك)** فإنها من الشيطان، **(وتفكر في حجتك)** التي تحتج بها على خصمك، **(ولا تكثر الإشارة بيدك)** وقت المحادثة، **(ولا تكثر الالتفات إلى من وراءك)** فإنه من خفة العقل، **(ولا تجث على ركبتك)** بل اطمئن جالساً، **(وإذا هدأ)** أي سكن **(غضبك فتكلم)** فإن الغضب يفسد العقل **(وإن قربك سلطان)** أو أمير ولم تجد بدّاً من قربه فإنما هو نار **(فكن منه على مثل حد السنان)** أي لا تأمنه ولا تطمئن إليه، **(وإن استرسل إليك فلا تأمل من انقلابه عليك)** فإن استرسال السلاطين لا يعتمد عليه **(وارفق به رفقك بالصبي)** موافقاً لمزاجه **(وكلمه بما يشتهيه)** هو لا بما تشتهيه أنت **(ولا يجذبك لطفه)** ولينه ورقته معك **(إل أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وإن كنت لذلك مستحقاً عنده)** إلا إذا نبهه بضرب أمثال من خارج أو حكاية تشير إلى شيء مما يتعلق بمقصوده فلا بأس بذلك، **(فإن سقطة الداخل بين الملك وأهله سقطة لا تنعش)** أي لا تقام **(وزلة لا تقال)** عثرتها، **(وإياك وصديق العافية)** وصديق الرخاء **(فإنه أعدى الأعداء)** أي فلا تثق بمثله في صداقته **(ولا تجعل مالك أكرم من عرضك)** فإنما جعل المال خادماً للعرض لأن العرض مسوس والمال سائس، **(وإذا دخلت مجلساً)** فيه الناس **(فالأدب البداءة بالتسليم)** عليهم، روى الطبراني من حديث معاذ بن أنس« حق على من أتى مجلساً أن يسلم عليهم ». **(وترك التخطي لمن سبق)** أي لا يتخطى في الجلوس على من سبقه في الدخول **(والجلوس حيث اتسع)** ووجد فرجة **(وحيث يكون أقرب إلى التواضع)** ومنه قول الشاعر:

ولا تجلس على الطريق، فإن جلست فأدبه غض البصر ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وعون الضعيف وإرشاد الضال ورد السلام وإعطاء السائل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والارتياد لموضع البصاق، ولا تبصق في جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى.

ولا تجالس الملوك، فإن فعلت فأدبه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الألفاظ والإعراب في الخطاب، والمذاكرة بأخلاق الملوك وقلة المداعبة وكثرة الحذر منهم ـ وإن ظهرت لك المودة ـ وأن لا تتجشأ بحضرتهم ولا تتخلل بعد

وجالس مجلس الرجل الأقل.

ولا يجلس بين اثنين إلا بإذنهما فإنه قد ورد النهي عنه في الخبر »، فإذا وسع له أخوه في مجلسه فإنما هو كرامة فلا يأباه » كما رواه البيهقي من حديث مصعب بن شيبة. **(وأن تخص بالسلام من قرب منك)** إذا كان المجلس واسعاً وفيه ناس كثير وإلا فليعمم بالسلام ولا يخص أحداً دون أحد، وقوله: **(عند الجلوس)** أي عند إرادته وهذا يدل على أن هذا السلام غير سلام الدخول، **(ولا تجلس على الطريق)** التي يمر بها الناس **(وإن جلست فآدابه غض البصر)** عن المحرمات **(ونصرة المظلوم)** بأن يخلصه من يد الظالم عليه **(وإغاثة الملهوف وعون الضعيف وإرشاد الضال)** عن الطريق، **(ورد السلام)** أي جوابه وهو قوله: وعليكم السلام، **(وإعطاء السائل)** ولو شيئاً قليلاً **(والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)** فقد روى أحمد والشيخان وأبو داود من حديث أبي سعيد « إياكم والجلوس على الطرقات فإن أبيتم إلا المجالس فاعطوا الطريق حقها. قالوا: يا رسول الله وما حقها؟ قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ».

وروى ابن السني في عمل اليوم والليلة من حديث أبي هريرة « لا خير في الجلوس على الطرقات إلا من هدى السبيل ورد التحية وغض البصر وأعان على الحمل ».

(والارتياد لموضع البصاق، ولا تبصق في جهة القبلة ولا عن يمينك ولكن عن يسارك وتحت قدمك اليسرى) وليغيبه لئلا يصيب جلد مؤمن أو ثوبه فيؤذيه وقد ورد في ذلك خبر إلا أنه خاص بالمسجد والنهي عن جهة القبلة إكراماً لها، وكذا عن جهة اليمين إكراماً للملائكة.

(ولا تجالس الملوك) فإنه مضر بالدين **(وإن فعلت فأدبه ترك الغيبة)** عندهم **(ومجانبة الكذب)** من أصله **(وصيانة السر)** من إفشائه **(وقلة الحوائج)** لنفسه ولغيره **(وتهذيب الألفاظ و)**مراعاة **(الإعراب في الخطاب، والمذاكرة بأخلاق الملوك)** السالفة **(وقلة المداعبة)** أي المازحة **(وكثرة الحذر منهم وإن ظهرت لك)** منهم **(المودة)** فإنك لا تعتمد عليها، **(وأن لا تتجشأ بحضرته)** أي الملك فإن الجشاء يكون من شبع مفرط وهو يدل على

الأكل عنده، وعلى الملك أن يحتمل كل شيء إلا افشاء السر والقدح في الملك والتعرض للحرم.

ولا تجالس العامة، فإن فعلت فأدبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم. وإياك أن تمازح لبيباً أو غير لبيب فإن اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترىء عليك لأن المزاح يخرق الهيبة ويسقط ماء الوجه ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجرّىء السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون، وهو يميت القلب ويباعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة ويورث الذلة وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب. وقد قيل: لا يكون المزاح إلا من سخف أو بطر. ومن بلي في مجلس بمزاح أو

الحرص وهو مذموم، **(ولا تتخلل بعد الأكل عنده)** فإنه ربما يتقذر منه فينفر عنك، **(وعلى الملك أن يتحمل)** من جليسه **(كل شيء إلا إفشاء السر)** فإنه مذموم لا يتحمل **(و)** كذلك **(القدح في الملك)** فإنه وخيم **(والتعرض للحرم)** فإنه يوجب التحفظ.

(ولا تجالس العامة) من الناس مهما أمكنك فإنه يسلب الراحة **(فإن فعلت)** وبليت بذلك **(فأدبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم)** وهي الأقوال السيئة والأخبار الكاذبة، وقد أرجف القوم الشيء وبه إذا أكثروا من تلك الأقوال والأخبار حتى يضطر الناس بها **(والتغافل عما يجري في سوء ألفاظهم)** واختلاف أقوالهم **(وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم)** على قدر ما يقتضي الحال. **(وإياك أن تمازح لبيباً أو غير لبيب فإن اللبيب يحقد عليك والسفيه يتجرأ عليك)**. اعلم أن المزاح إذا كان على الاقتصاد محمود، ففي الخبر: إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً. وقال سعيد بن العاصي لابنه: اقتصد في مزاحك فالإفراط فيه يذهب بالبهاء ويجريء عليك السفهاء وتركه يقبض المؤانسين ويوحش المخاطبين ولكن الاقتصاد فيه صعب جداً لا يكاد يوقف عليه، ولذلك تحرج منه أكثر الحكماء وإليه أشار المصنف بقوله: **(فإن المزاح يخرق الهيبة)** أي يذهب بها فلا يهاب **(ويسقط ماء الوجه)** أي الحياء وإليه أشار الشاعر:

فإن إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء المحيا

(ويعقب الحقد ويذهب بحلاوة الود ويشين فقه الفقيه ويجريء) عليك **(السفيه ويسقط المنزلة عند الحكيم ويمقته المتقون ويميت القلب ويباعد عن الرب ويكسب الغفلة ويورث الذلة)** والاحتقار، **(وبه تظلم السرائر)** أي تسود البواطن **(وتموت الخواطر، وبه تكثر العيوب وتبين الذنوب)** ومثل ذلك قال بعض الحكماء: المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للإخاء وهو لا ينتج إلا الشر، وروى ابن عساكر من حديث أبي هريرة «من كثرت دعابته ذهبت جلالته ومن كثر مزاحه ذهب وقاره» وقال: غريب المتن والإسناد. **(وقد قيل: لا يكون المزاح إلا من**

لغط فليذكر الله عند قيامه. قال النبي ﷺ: « من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك ».

سخف أو بطر) قال الخليل: السخف بالضم في العقل خاصة وهو النقص، والسخافة في كل شيء وهي الرقة والبطر محركة كفر النعمة. **(ومن بلي في مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عز وجل عند قيامه)** منه **(قال ﷺ «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك»)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه اهـ.

قلت: لفظه في السند حسن صحيح غريب، ورواه كذلك ابن حبان والحاكم وابن السني في عمل يوم وليلة والبيهقي في الشعب.

وروى الطبراني في الكبير وابن النجار من حديث عبد الله بن عمر « وكفارة المجلس ان يقول العبد: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك أستغفرك وأتوب إليك ». ورواه الطبراني أيضاً من حديث ابن مسعود.

وأخرج سمويه في فوائده من حديث أنس « كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك ». وعند ابن النجام من حديث جبير « كفارة المجلس أن لا تقوم حتى تقول سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت تب علي واغفر لي » يقولها ثلاث مرات، فإن كان مجلس لغو كانت كفارته وإن كان مجلس خير كان طابعاً عليه.

وأخبرني المسند عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا عبد الله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا سالم بن محمد، أختبرنا محمد بن أحمد بن علي، أخبرنا البدر محمد بن البهاء المشهدي، أخبرنا الشهاب أحمد بن محمد الحجازي، أخبرنا أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسني العراقي، أخبرنا القاضي أبو عمر عبد العزيز بن جماعة، أخبرنا القاضي أبو العباس أحمد بن محمد الحلبي، أخبرنا يوسف بن خليل الحافظ، أخبرنا محمد بن أحمد بن نصر، أخبرنا الحسن بن أحمد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثنا سعيد بن الحكم، حدثنا خلاد بن سليمان، حدثنا خالد بن أبي عمران، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما جلس رسول الله ﷺ مجلساً ولا تلا قرآناً ولا صلى إلا ختم ذلك بكلمات، فقلت يا رسول الله أراك ما تجلس مجلساً ولا تتلو قرآناً ولا تصلي إلا ختمت بهؤلاء الكلمات قال: « نعم من قال خيراً كن طابعاً له على ذلك الخير ومن قال شراً كن كفارة له سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » أخرجه النسائي في اليوم والليلة عن محمد بن إسماعيل بن عسكر عن سعيد بن الحكم به فوقع لنا بذلك عالياً. ولله الحمد.

الباب الثالث

في حق المسلم والرحم والجوار والملك وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الأسباب

اعلم أن الإنسان إما أن يكون وحده أو مع غيره، وإذا تعذر عيش الإنسان إلا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة. وكل مخالط ففي مخالطته أدب والأدب على قدر حقه وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة. والرابطة إما القرابة وهي أخصها أو أخوة الإسلام وهي أعمها، وينطوي في معنى الأخوة الصداقة والصحبة، وإما الجوار، وإما صحبة السفر والمكتب والدرس، وإما الصداقة أو الأخوة.

ولكل واحد من هذه الروابط درجات. فالقرابة لها حق ولكن حق الرحم المحرم آكد، وللمحرم حق ولكن حق الوالدين آكد، وكذلك حق الجار ولكن يختلف بحسب

الباب الثالث

(في حق المسلم والرحم والجوار والملك) بكسر الميم (وكيفية المعاشرة مع من يدلي)

أي يتقرب بهذه الأسباب:

(**اعلم أن الإنسان إما أن يكون وحده**) أي منفرداً بنفسه (**أو**) يكون (**مع غيره، وإذا تعذر عيش الإنسان وحده إلا بمخالطة من هو من جنسه**) ومن شكله (**لم يكن بد من تعلم آداب المخالطة، فكل مخالط**) لخليطه (**ففي مخالطته**) معه (**أدب والأدب على قدر حقه**) أي على قدر ما يستحقه (**وحقه على قدر رابطته التي بها وقعت المخالطة**) وأصل الرابطة ما يربط به الشيء ويضبط، (**و**)تلك (**الرابطة إما القرابة وهي أخصها**) ولها درجات قرابة قربى وقرابة قريبة وقرابة بعيدة، (**أو أخوة الإسلام وهي أعمها**) وينطوي معنى الإخوة على الصداقة والصحبة، (**وإما الجوار**) أي المجاورة في المنزل (**أو صحبة السفر أو المكتب أو الدرس أو الصداقة أو الأخوة**).

(**ولكل واحدة من هذه الروابط درجات فللقرابة حق، ولكن حق الرحم المحرم آكد وللمحرم حق، ولكن حق الوالدين آكد وكذلك حق الجوار يختلف بحسب قربه من الدار أو بعده**) فإن الجار الملاصق حقه آكد من الجار الذي بينه وبينه حائل، (**ويظهر التفاوت عند**

قربه من الدار وبعده، ويظهر التفاوت عند النسبة حتى أن البلدي في بلاد الغربة يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوار في البلد. وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة. وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع بل آكد منه والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط. وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة في الدرس والمكتب آكد من حق صحبة السفر. وكذلك الصداقة تتفاوت فإنها إذا قويت صارت اخوة فإن ازدادت صارت محبة فإن ازدادت صارت

النسبة حتى أن البلدي) الذي هو من نفس بلده إذا وجد (**في بلاد الغربة**) فإنه (**يجري مجرى القريب في الوطن لاختصاصه بحق الجوار في البلد**) حتى كاد أن يكون أولى به من غيره، (**وكذلك حق المسلم يتأكد بتأكد المعرفة وللمعارف درجات**) متفاوتة، (**فليس حق الذي عرف بالمشاهدة**) والنظر كحق الذي عرف بالسماع من أفواه الناس (**بل آكد منه، والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط**) والاصطحاب، (**وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة في المدرسة والمكتب آكد من حق صحبة السفر**) فإن الصاحب في السفر يفارق عن قرب وتنتهي صحبته بانتهاء السفر وعمر السفر قصير بخلاف صحبة المكتب وصحبة المدرسة فإنها تستدعي طول الزمن، (**وكذلك الصداقة تتفاوت فإنها إذا قربت صارت أخوة فإذا ازدادت صارت محبة فإذا ازدادت صارت خلة**).

وفي القوت: اعلم أن للناس في التعارف سبع مقامات بعضها فوق بعض، فأول ذلك المعرفة في الرؤية أو السمع فقط فلهذا حرمة الإسلام وحق العامة ثم المجاورة، وله حق وهي ثاني حقوق الإسلام وهذا هو الجار الجنب ثم المرافقة في طريق السفر، وهذا هو الصاحب بالجنب في أحد الوجهين من الآية. فلهذا ثلاثة حقوق لأنه قد جمع حرمة الإسلام وحرمة الجوار وزاد عليها بأنه ابن سبيل، ثم الصحبة وهي الملازمة والاتباع فهذا فوق ذلك، ثم الصداقة وهي حقيقة الأخوة، ومنها تكون المعاشرة وهو اسم تكون معه المخالطة وتوجد فيه المؤانسة وهو حكم يحكم عليه بالمزاورة والمباتة والمؤاكلة، وهذا جملة العشرة والعشير هو الخليط المقارب ولذلك سمي به الزوج في الخبر «ويكفرن العشير» ويطلق على ابن العم المختلط به وبه فسر قوله تعالى ﴿ولبئس العشير﴾ [الحج: ١٣] والمعاشرة تقع بين اثنين لا محالة كان كل واحد قد فعل مثله، ثم الاخوة فوق الصداقة وهذا لا يكاد يكون إلا بين النظراء في الحال والمتقارنين في الجنس والمعاني، بأن يوجد في أحدهما من القلب والهمة والعلم والخلو والعقل ما يوجد في الآخر وإن تفاوتا حكماً قال الله تعالى: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ وليسوا من جنسهم ولا على وصفهم من الخلقة، ولكن لما تشابهت قلوبهم وأحوالهم آخى بينهم فهذه أخوة الحال وهي حقيقة الصداقة، ثم المحبة وهي خاصة الأخوة وهذا ما يجعله الله تعالى من الإلفة ويوجده من الإنس في القلوب يتولاه بصنعه ولا يوليه غيره وهو ارتياح القلوب وانشراح الصدور ووجد السرور وفقد الوحشة وارتفاع الحشمة.

خلة، والخليل أقرب من الحبيب، فالمحبة ما تتمكن من حبة القلب والخلة ما تتخلل سر القلب، فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلاً، وتفاوت درجات الصداقة لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة، فأما كون الخلة فوق الأخوة فمعناه أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة وتعرفه من قوله ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله». إذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع أجزاء

(**والخليل أقرب من الحبيب**) وهو فوق الحبيب ولا يكون إلا في عاقلين عالمين عارفين على معيار واحد وطريق واحد وقلب واحد وحال واحد، وهذا أعز موجود وأغرب مشهود. (**والمحبة ما تتمكن من حبة القلب**) وتستولي عليها (**والخلة ما تتخلل سر القلب**) ومعها تكون حقيقة الحب والإيثار، (**فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلاً**) لأن الخلة تحتاج إلى فضل عقل ومزيد علم وقوة تمكين وقد لا يوجد ذلك في كل محبوب، فلذلك عز طلبه وجل وصفه، (**وتفاوت درجات الصداقة لا تخفى بحكم المشاهدة والتجربة فإما كون الخلة فوق الأخوة فمعناه أن لفظ الخلة عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة وتعرفه من قوله ﷺ: «لو كنت متخذاً**) من الخلق (**خليلاً**) ارجع إليه في الحاجات وأعتمد عليه في المهات (**لاتخذت أبا بكر خليلاً**) لكن الذي ألجأ إليه وأعتمد عليه في جملة الأمور هو الله تعالى (**ولكن صاحبكم خليل الله**) وهو فعيل من الخلة بالفتح وهي الخصلة فإنه تخلل بخصال حسنة اختصت به أو من التخلل، فإن الحب تخلل شغاف قلبه واستولى عليه، أو من الخلة وهي الحاجة من حيث أنه عليه الصلاة والسلام ما كان يفتقر إلا إليه ولا يتوكل إلا عليه فيكون بمعنى فاعل أو بمعنى مفعول. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي سعيد اهـ.

قلت: الحديث متواتر وقد رواه زهاء خمسة عشر من الصحابة: أبو سعيد، وابن عباس، والزبير، وابن مسعود، وجندب البجلي، وأبو المعلى، وأبو هريرة، وأبو واقد، وعائشة، وأنس، وابن عمر، والبراء، وجابر، وسعد.

فحديث أبي سعيد رواه البخاري في الصلاة ومسلم في المناقب كما ذكره العراقي.

وحديث ابن عباس رواه البخاري في الصلاة والطبراني في الكبير بلفظ «لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً دون ربي لاتخذت أبا بكر ولكن أخي وصاحبي».

وحديث الزبير: رواه أحمد والبخاري وفي بعض ألفاظه زيادة «في الغار».

وأما حديث ابن مسعود وجندب البجلي فرواه مسلم في المناقب بلفظ «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً» وفي بعض ألفاظه «لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله». وفي بعض ألفاظه «إلا أني أبرأ إلى كلّ خل من خلته ولو كنت متخذاً» الخ.

قلبه ظاهراً وباطناً ويستوعبه ولم يستوعب قلبه عليه السلام سوى حب الله، وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع أنه اتخذ علياً رضي الله عنه أخا فقال: «علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة» فعدل بعلي عن النبوّة كما عدل بأبي بكر عن الخلة، فشارك أبو بكر علياً رضي الله عنهما في الأخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة وأهليته لها لو كان

وأما حديث أبي المعلى وأبي هريرة وأبي واقد وعائشة فرواه الترمذي بلفظ حديث ابن مسعود عند مسلم وهو اللفظ الثاني، وقد رواه الطبراني وابن عساكر من حديث أبي واقد.

وأما حديث أنس، فرواه البزار.

وأما حديث ابن عمر فرواه الطبراني في الكبير.

وأما حديث البراء فلفظه لفظ المصنف، وقد سقط ذكر مخرجه في نسختين من الجامع الكبير.

وأما حديث جابر فرواه ابن عساكر بلفظ «ولكن قولوا كما قال الله صاحبي».

وأما حديث سعد فرواه الشيرازي في الألقاب بلفظ «ولكن أخي في الدين وصاحبي في الغار» وفي القوت: وقد رفع الله نبيه ﷺ في مقام المحبة فأعطاه الخلة ليلحقه بمقام أبيه إبراهيم عليه السلام فكانت الخلة مزيد المحبة، ومنه ما روي عنه ﷺ «لو كنت متخذاً من الخلق خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله».

(إذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع أجزاء قلبه ظاهراً وباطناً ويستوعبه ولم يكن يستوعب قلبه ﷺ سوى حب الله تعالى وقد منعته الخلة الاشتراك فيه) أي لما اتخذه خليلاً لم يصلح أن يشترك في خلة الخالق خلة الخلق، ثم قال: ولكن أخوة الإسلام فأوقفه مع الأخوة لأن فيها مشاركة في الحال وإليه أشار بقوله: **(مع أنه)** ﷺ **(اتخذ علياً رضي الله عنه أخاً فقال «علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة»)** قال العراقي: متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص اهـ.

قلت: ولكن لفظه: «يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» وهكذا رواه الطيالسي وأحمد والترمذي وابن ماجه. ورواه الطبراني من حديث البراء زيد ابن أرقم معاً، والطبراني أيضاً من حديث أم سلمة، وأخرجه أبو بكر محمد بن جعفر المغيري في جزئه من حديث أبي سعيد بلفظ المصنف وفيه «إلا أنه لا نبي بعدي» ورواه أيضاً الطبراني من حديث أسماء بنت عميس، وابن عباس، وحبشي بن جنادة، وابن عمر، وعلي وجابر بن سمرة رضي الله عنهم.

(فعدل بعلي) رضي الله عنه **(من النبوة)** في استثنائه **(كما عدل بأبي بكر)** رضي الله عنه **(عن الخلة فشارك أبو بكر علياً رضي الله عنهما في الأخوة وزاد عليه بمقاربة الخلة وأهليته**

للشركة في الخلة مجال، فإنه نبه عليه بقوله: « لاتخذت أبا بكر خليلاً »، وكان ﷺ حبيب الله وخليله، وقد روي أنه صعد المنبر يوماً مستبشراً فرحاً فقال: « إن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلاً، فأنا حبيب الله وأنا خليل الله تعالى » فإذاً ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة، وما سواهما من الدرجات بينهما، وقد ذكرنا حق الصحبة والأخوة ويدخل فيها ما وراءهما من المحبة والخلة، وإنما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت المحبة والاخوة، حتى ينتهي أقصاها إلى أن يوجب الإيثار بالنفس والمال، كما آثر أبو بكر رضي الله عنه نبينا ﷺ، وكما آثره أبو طلحة

لها) ولفظ القوت بعد قوله الخلة لأنه معرض لها وأهل لها (**لو كان للشركة في الخلة مجال فإنه نبه عليه بقوله: « لاتخذت أبا بكر خليلاً »**) ولفظ القوت: إلا أن غيرة الله تعالى على خليله منعته من الشرك لخلقه في خلته إيثاراً للتوحيد وقياماً بشاهد الوحدانية بمعنى مقتضى صفة الربوبية اهـ.

لكن ذكر الحافظ في فتح الباري أنه ورد من طريق أن النبي ﷺ قد أذن له قبل وفاته بثلاثة أيام أن يتخذ أبا بكر خليلاً كما سيأتي من حديث أبي أمامة.

(**وكان ﷺ حبيب الله وخليله فقد روي أنه**) ﷺ (**صعد المنبر يوماً مستبشراً فرحاً فقال:**) « إلا (**إن الله**) تبارك وتعالى (**قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً فأنا حبيب الله وأنا خليل الله »**) هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله « فأنا حبيب الله وأنا خليل الله » اهـ.

قلت في سنده عبيد الله بن زهير. قال الذهبي: له صحبة واهية، ثم أن لفظ الطبراني « إن الله تبارك وتعالى اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً وأن خليلي أبو بكر ». والجمع بينه وبين الحديث الذي سبق أن ذلك كان قبل العلم به. ورواه ابن ماجه بعد قوله خليلاً « فمنزلي ومنزل إبراهيم يوم القيامة في الجنة تجاهان والعباس بيننا مؤمن بين خليلين » وفي رواية للحاكم على بدل العباس وفي الكل مقال.

(**فإذا ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وما سواهما من الدرجات بينهما**) ولفظ القوت وليس قبل المعرفة اسم يوجب حكماً ولا بعد الخليل وصف يعرف إلا نعت حبيب ثم تتزايد الحرمات في الأحوال ما بين المعرفة والخلة، (**وقد ذكرنا حق الصحبة والأخوة ويدخل فيها ما وراءهما من المحبة والخلة، وإنما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق بحسب تفاوت رتب المحبة والأخوة حتى ينتهي أقصاها إلى أن يوجب الإيثار بالنفس والمال، كما آثر أبو بكر رضي الله عنه نبينا ﷺ**).

ومن الإيثار بالنفس: ما أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق الحميدي، عن سفيان بن عيينة،

ببدنه إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز ﷺ، فنحن الآن نريد أن نذكر حق أخوة الإسلام وحق الرحم وحق الوالدين، وحق الجوار، وحق الملك ـ أعني ملك اليمين ـ فإن ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح.

حقوق المسلم:

هي: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتجيبه إذا دعاك، وتشمته إذا عطس، وتعوده إذا مرض، وتشهد جنازته إذا مات، وتبرّ قسمه إذا أقسم عليك، وتنصح له إذا استنصحك، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك، وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما

عن الوليد بن كثير، عن ابن تدرس، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: أتى الصريخ إلى أبي بكر فقيل له: أدرك صاحبك فخرج من عندنا وأن له غدائر فدخل المسجد وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟ قالت: فلهوا عن رسول الله ﷺ واقبلوا على أبي بكر فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا جاء معه وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام.

ومن ذلك، ما أخرجه أيضاً من طريق عطاء بن أبي ميمونة عن أنس قال: لما كان ليلة الغار قال أبو بكر: يا رسول الله دعني لأدخل قبلك فإن كان وليجية أو شيء كان لي قبلك. قال: ادخل فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه فكلما رأى حجراً قال بثوبه فشقه ثم القمه الحجر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع. قال: فبقي حجر فوضع عقبه عليه ثم أدخل رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال النبي ﷺ: فأين ثوبك يا أبا بكر؟ فأخبره بالذي صنع الحديث.

وأما إيثاره بالمال فقد تقدم للمصنف حديث التخلل بالعباء، وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال: لما أتى أبو بكر بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ: « ما أبقيت لأهلك » قال: أبقيت لهم الله ورسوله.

(**وكما آثره أبو طلحة**) زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه (**ببدنه**) يوم أحد (**إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلوات الله عليه**) وسلامه عن كفار قريش إذ كانوا يرمونه بالسهام وبالحجارة، (**فنحن الآن نريد أن نذكر حق الإسلام، وحق الرحم، وحق الوالدين، وحق الجوار، وحق الملك أعني**) به (**ملك اليمين، فإن ملك النكاح قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح**).

حقوق المسلم:

(**وهي**) كثيرة منها: (**أن تسلم عليه إذا لقيته**) ما لم يكن مشتغلاً بشيء من المستثنيات، (**وتجيبه**) إلى منزله (**إذا دعاك، وتشمته إذا عطس، وتعوده إذا مرض، وتشهد جنازته إذا مات، وتبر قسمه إذا أقسم عليك، وتنصح له إذا استنصحك، وتحفظه بظهر الغيب إذا**

تكره لنفسك ورد جميع ذلك في أخبار وآثار. وقد روى أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أربع من حق المسلمين عليك: أن تعين محسنهم، وأن تستغفر

غاب عنك، وتحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك. ورد جميع ذلك في أخبار وآثار).

قال العراقي: روى الشيخان من حديث أبي هريرة «حق المسلم على المسلم خمس خصال: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس». وفي رواية لمسلم «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا استنصحك فانصح له». وللترمذي وابن ماجه منْ حديث علي: «للمسلم على المسلم ست» فذكر منها «ويحب له ما يحب لنفسه» قال: «وينصح له إذا غاب أو شهد». ولأحمد من حديث معاذ «وتحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك». وفي الصحيحين من حديث البراء: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع فذكر منها «وإبرار القسم أو المقسم ونصر المظلوم» اهـ.

قلت: والمتفق عليه من حديث أبي هريرة أخرجه أيضاً أحمد هكذا. وفي بعض ألفاظه «إذا لقيه يسلم عليه ويشمته إذا عطس ويعوده إذا مرض ويشهد جنازته إذا مات ويجيبه إذا دعاه» وما انفرد به مسلم عن البخاري فلفظه «حق المسلم على المسلم ست إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه» وهكذا رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد.

وأما حديث علي عند الترمذي وابن ماجه فلفظه «للمسلم على المسلم ست بالمعروف يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويشيع جنازته إذا مات، ويحب له ما يحب لنفسه، وينصح له بالغيب». وهكذا رواه أحمد وقال الترمذي: حسن وابن السني في عمل يوم وليلة.

وأما قول العراقي: وينصح له إذا غاب أو شهد فهو عند الترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة ولفظه «للمؤمن على المؤمن ست خصال: يعوده إذا مرض، ويشهده إذا مات، ويجيبه إذا دعاه، ويسلم عليه إذا لقيه، ويشمته إذا عطس، وينصح له إذا غاب أو شهد» وقال الترمذي: صحيح. وأخرج الحكيم في النوادر، والطبراني في الكبير، وابن النجار من حديث أبي أيوب «للمسلم على المسلم ست خصال واجبة فمن ترك خصلة منها فقد ترك حقاً واجباً لأخيه: إذا دعاه أن يجيبه، وإذا لقيه أن يسلم عليه، وإذا عطس أن يشمته، وإذا مرض أن يعوده، وإذا مات أن يتبع جنازته، وإذا استنصحه أن ينصحه». وأخرج أحمد والطبراني والحاكم من حديث أبي مسعود «للمسلم على المسلم أربع خصال: يشمته إذا عطس، ويجيبه إذا دعاه، ويشهده إذا مات، ويعوده إذا مرض».

(وقد روى أنس) رضي الله عنه **(عن رسول الله ﷺ أنه قال «أربع من حق المسلمين**

لمذنبهم، وأن تدعو لمدبرهم، وأن تحب تائبهم»، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى: ﴿رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] قال: يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم، فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد ﷺ قال: اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به، وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال: اللهم اهده وتب عليه واغفر له عثرته.

ومنها: أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه. قال النعمان بن بشير: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَثَلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد

عليك: أن تعين محسنهم، وأن تستغفر لمذنبهم، وأن تدعو لمدبرهم، وأن تحب تائبهم») قال العراقي: ذكره صاحب الفردوس ولم أجد له إسناداً.

(وقال ابن عباس رضي الله عنه في معنى قوله تعالى ﴿رحماء بينهم﴾ قال: يدعو صالحهم لطالحهم وطالحهم لصالحهم، فإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد ﷺ قال: اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وأنفعنا به، وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال: اللهم اهده واغفر له وتب عليه) وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة في قوله ﴿رحماء بينهم﴾ قال: جعل الله في قلوبهم الرحمة بعضهم لبعض.

(ومنها: أن يحب لكافتهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه) جاء ذلك في حديث معاذ أخرجه أحمد، وروى الطبراني من حديث معاذ بن أنس «أفضل الإيمان أن تحب للناس ما تحب لنفسك وأن تقول خيراً أو تصمت». **(قال النعمان بن بشير)** بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الله المدني صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه **(رضي الله عنه)**، وهو أوّل مولود ولد في الأنصار بعد القدوم، توفي النبي ﷺ وله ثمان سنين وسبعة أشهر، وولاه معاوية الكوفة فكان أميراً عليها تسعة أشهر، قتله أهل حمص بسلمية سنة خمسة وستين: **(سمعت رسول الله ﷺ يقول)** نقل المزي عن يحي بن معين قال أهل المدينة لم يسمع النعمان من النبي ﷺ، وأهل العراق يصححون سماعه منه. وقال أيضاً: ليس يروي عن النعمان عن النبي ﷺ حديث فيه سمعت النبي ﷺ إلا في حديث الشعبي فإنه يقول: سمعت النبي ﷺ، يقول: إن في الجسد مضغة». الخ والباقي من حديث النعمان إنما هو عن النبي ﷺ ليس فيه سمعت: **(«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالسهر بالحمى»)** قال العراقي: متفق عليه. اهـ.

قلت: لفظ مسلم «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وفي لفظ البخاري «ترى المؤمنين في توادهم» الخ روى الطبراني من حديث سهل بن سعد «مثل المؤمن من أهل الإيمان مثل الرأس من الجسد يألم مما

إذا اشتكى عضو منه تداعى سائره بالحمى والسهر »، وروى أبو موسى عنه ﷺ أنه قال: « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ».

ومنها: أن لا يؤذي أحداً من المسلمين بفعل ولا قول، قال ﷺ: « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »، وقال ﷺ في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل: « فإن لم

يصيب أهل الايمان كما يألم الرأس مما يصيب الجسد ». وروى أحمد ومسلم في الأدب من حديث النعمان بن بشير « المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى رأسه اشتكى كله، وإن اشتكى عينه اشتكى كله » قال ابن أبي جمرة: التواد والتراحم والتعاطف وإن تقارب معناها بينها فرق لطيف، فالمراد بالتراحم أن يرحم بعضهم بعضاً لأخوّة الإيمان لا لشيء آخر، وبالتواد التواصل الجالب للمحبة كالتهادي، وبالتعاطف إعانة بعضهم بعضاً وقوله « كمثل الجسد » أي الواحد بالنسبة لجميع أعضائه وجه الشبه فيه التوافق في التعب والراحة، وتداعى أي دعا بعضه بعضاً إلى المشاركة في الألم، والسهر: محركة ترك النوم لأن الألم يمنع النوم والحمى معروفة لأن فقد النوم يثيرها ثم لفظ الحديث خبر ومعناه أمر أي كما أن الرجل إذا تألم بعض جسده سرى ذلك الألم إلى جميع جسده فكذا المؤمنون ليكونوا كنفس واحدة إذا أصاب أحدهم مصيبة يغتم جميعهم ويقصدوا إزالتها، وفي هذا التشبيه تقريب للفهم وإظهار المعاني في الصور المرئية.

(وروى أبو موسى) الأشعري رضي الله عنه **(عنه ﷺ أنه قال « المؤمن للمؤمن كالبنيان)** المراد بعض المؤمنين لبعض أي لا يتقوى في أمر دينه ودنياه إلا بمعونة أخيه كما أن بعض البنيان يقوي بعضه بعضاً **(يشد بعضه بعضاً)** بيان لوجه التشبيه، وبعضاً منصوب بنزع الخافض أو مفعول يشد. قال العراقي: متفق عليه اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد والترمذي والنسائي، وعند البخاري له تتمة: ثم شبك بين أصابعه وضع التشبيك تشبيهاً لتعاضدهم بعضهم ببعض وذلك لأن أقوالهم لهم ركن وضعيفهم مستند لذلك الركن القوي فإذا ولاه قوى.

(ومنها: أن لا يؤذي أحداً بفعل ولا قول. قال ﷺ « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ») وإنما خصهما بالذكر لأن الأذى بهما أكثر وأغلب، وقدّم اللسان أكثر الأذى به ولكونه يعبر به عما في الضمير وعبّر به دون القول ليشمل من أخرج لسانه استهزاء، وباليد دون بقية الجوارح لتدخل اليد المعنوية كالاستيلاء على حق الغير ظلماً، وأما إقامة الحد والتعزيز فبالنظر إلى المقصود الشرعي إصلاح ولو مآلا لا ايذاء. وقوله: « من سلم المسلمون » أي وغيرهم من أهل الذمة فالتقييد غالبي كالتقييد بجمع المذكر. وفي الحديث من أنواع البديع جناس الاشتقاق وهو من جوامع الكم. قال العراقي: متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو اهـ.

قلت: ورواه مسلم أيضاً من حديث جابر، وأبي موسى، ورواه الحاكم من حديث أنس، وفضالة ابن عبيد. ورواه أحمد من حديث معاذ، وعمرو بن عبسة. ورواه الطبراني من حديث بلال بن

تقدر فدع الناس من الشر، فإنها صدقة تصدقت بها على نفسك»، وقال أيضاً: «أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده». وقال ﷺ: «أتدرون من المسلم؟ فقالوا: الله ورسوله اعلم، قال: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، قالوا: فمن المؤمن؟ قال: من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم، قالوا: فمن المهاجر؟ قال: من هجر السوء واجتنبه». وقال رجل: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك». وقال مجاهد: يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى

الحرث، وابن عمر، وأبي امامة، وواثلة بن الأسقع رضي الله عنهم: ورواه أحمد والترمذي، والنسائي، والحاكم من حديث أبي هريرة بزيادة «والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» زاد الحاكم «والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب».

(وقال ﷺ في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل: «فإن لم تقدر فدع الناس من الشر فإنها) أي تلك الخصلة **(صدقة تتصدق بها على نفسك»)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي ذر اهـ.

قلت: وأخرج أبو نعيم من طريق أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر قال: دخلت المسجد وإذا برسول الله ﷺ جالس وحده فجلست إليه الحديث، وفيه قال قلت فأي المؤمنين أسلم؟ قال «من سلم المسلمون من لسانه ويده» ثم ساق الحديث بطوله.

(وقال) ﷺ (أيضاً «أفضل المسلمين من سلم المسلمين من لسانه ويده») قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي موسى اهـ.

قلت: وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر: «وأفضل المؤمنين إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده» الحديث.

(وقال ﷺ «أتدرون من المسلم؟ فقالوا: الله ورسوله اعلم. فقال: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. قالوا: فمن المؤمن؟ قال: من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم. قالوا: فمن المهاجر؟ قال: من هجر الشر واجتنبه. فقال رجل: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك») قال العراقي: رواه الطبراني والحاكم وصححه من حديث فضالة بن عبيد: «ألا أخبركم بالمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب» ورواه ابن ماجه مقتصراً على المؤمن والمهاجر. وللحاكم من حديث أنس قال: على شرط مسلم. والمهاجر: من هجر السوء. ولأحمد من حديث عمرو بن عبسة باسناد صحيح قال رجل: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال «أن يسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك» اهـ.

يبدو عظم أحدهم من جلده، فينادي: يا فلان هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم، فيقول: هذا بما كنت تؤذي المؤمنين. وقال ﷺ: «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين»، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: يا رسول الله علمني شيئاً أنتفع به. قال: «اعزل الأذى عن طريق المسلمين»، وقال ﷺ:

قلت: حديث فضالة بن عبيد رواه الحاكم من حديث أنس أيضاً، وحديث عمرو بن عبسة رواه أحمد من حديث معاذ أيضاً، ورواه الطبراني أيضاً من حديث بلال بن الحرث، وابن عمر، وأبي امامة، وواثلة بن الاسقع مختصراً. ورواه أحمد أيضاً، والترمذي، والنسائي، والحاكم أيضاً من حديث أبي هريرة «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» زاد الحاكم وحده: «والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب». وفي حديث أبي ذر الطويل في الحلية قال: قلت يا رسول الله فأي الهجرة أفضل؟ قال: «من هجر السيئات». وروى الطبراني من حديث ابن عمرو «وأفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله عنه، وأفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله عز وجل».

(**وقال مجاهد**) بن جبر المكي التابعي: (**يسلط على أهل النار الجرب**) محركة وهو داء معروف، (**فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده فينادي يا فلان هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم، فيقال**) له.(**هذا بما كنت تؤذي المؤمنين**) في الدنيا فجوزي به جزاء وفاقاً.

(**وقال ﷺ «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة**) أي يتنعم بملاذها أو يمشي ويتبختر (**في شجرة**) أي من أجل شجرة (**قطعها من ظهر الطريق**) احتساباً لله تعالى ولفظ الظهر مقحم (**كانت تؤذي الناس**) فشكر الله له ذلك فأدخله الجنة وفيه فضل إزالة الأذى عن الطريق كشجر وغصن يؤذي، وحجر يتعثر به أو قذر أو جيفة، وذلك من شعب الإيمان. قال العراقي: رواه مسلم عن أبي هريرة اهـ.

قلت: وهكذا هو في الجامعين الكبير والصغير للجلال. قال المناوي في شرحه: وقد أخرجه البخاري أيضاً في المظالم من حديث أبي هريرة والله أعلم. وروى ابن ماجه من حديثه بلفظ «كان على الطريق غصن شجرة يؤذي الناس فأماطها رجل فأدخل الجنة».

(**وقال أبو هريرة**) هكذا في سائر نسخ الكتاب، ووجدت بخط العراقي ما نصه: ولعله أبو برزة وهكذا رأيت في نسخة من نسخ الكتاب مصلحاً بخط بعض من يوثق به، وكذا في نسخ الجامع الصغير كتب بعض المقيدين أبو برزة بازاء أبي هريرة (**يا رسول الله: علمني شيئاً أنتفع به. فقال عليه السلام «اعزل الأذى عن طريق المسلمين»**) أي أزل عن طريقهم ما يؤذيهم من حجر أو غصن أو شوك أو جيفة أو قذر وإن كان يسيراً حقيراً، ويظهر أن المراد بالطريق المسلوك لا المهجور وإن مرَّ فيه على ندور وخرج بطريق المسلمين طريق أهل الحرب وغيرهم فلا يندب عزل الاذى عنها. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي برزة قال: قلت يا نبي الله فذكره.

« من زحزح عن طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم كتب الله له به حسنة ، ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة » ، وقال ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه » . وقال : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً » ، وقال ﷺ : « إن الله يكره أذى المؤمنين » ، وقال الربيع بن خيثم : الناس رجلان ، مؤمن فلا تؤذه ، وجاهل فلا تجاهله .

ومنها : أن يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه ، فإن الله لا يحب كل مختال فخور .

قلت : هكذا في نسخ لمسلم وفي بعضها أبو هريرة ، وقد رواه أبو داود كذلك ، وبخط الحافظ ابن حجر رواه الطبراني في الكبير من حديث معقل بن يسار .

(وقال ﷺ « من زحزح عن طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم كتب له بها حسنة ومن كتب له حسنة أوجب الله له بها الجنة ») قال العراقي : رواه أحمد من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف اهـ .

قلت : وكذلك رواه أبو يعلى الخرائطي في مكارم الاخلاق ، وابن عساكر .

(وقال ﷺ « لا يحل لمسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه ») وفي نسخة « بنظر يؤذيه » . قال العراقي : رواه ابن المبارك في الزهد من رواية حمزة بن عبيدة مرسلاً بسند ضعيف ، وفي البر والصلة له من زيادات الحسين المروزي حمزة بن عبد الله بن أبي سمى وهو الصواب .

(وقال ﷺ « لا يحل لمسلم أن يروّع مسلماً ») أي يفزعه كإشارته بسيف أو حديدة أو أفعى وإن كان هازلاً لما فيه من إدخال الاذى والضرر عليه . قال العراقي : رواه أحمد والطبراني من حديث رجال من الصحابة باسناد حسن .

قلت : ورواه أيضاً أبو داود ، والبغوي ، والبيهقي من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم ، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزعه فذكره رسول الله ﷺ . ورواه الطبراني في الكبير من حديث النعمان بن بشير ، والدارقطني في الافراد من حديث ابن عمرو ، وابن المبارك في الزهد من حديث أبي هريرة .

(وقال ﷺ « إن الله تعالى يكره أذى المؤمن ») قال العراقي : رواه ابن المبارك في الزهد من رواية عكرمة بن خالد مرسلاً باسناد جيد اهـ .

قلت : وقال الحافظ ابن حجر : ذكره الترمذي تعليقاً .

(وقال الربيع بن خيثم) الكوفي العابد تقدمت ترجمته في كتاب تلاوة القرآن : **(الناس رجلان : مؤمن فلا تؤذه ، وجاهل فلا تجاهله)** أي لا تخاطبه بما يجهله على جهله عليك .

(ومنها : أنْ يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فإن الله) عز وجل **(لا يحب كل مختال**

قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد » ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتمل. قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿خُذِ العفْوَ وأمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ [الاعراف : ١٩٩] وعن ابن أبي أوفي : « كان رسول الله ﷺ يتواضع لكل مسلم ولا يأنف ولا يتكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجتـه ».

ومنهـا : أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض. قال ﷺ : « لا يدخل الجنة قتّات ». وقال الخليل بن أحمد : من نمّ لك نم عليك ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك.

فخور) فالمختال المتكبر والفخور الكثير الفخر على الناس، **(وقال ﷺ « إن الله عز وجل أوحى إليّ ان تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد »)** قال العراقي : رواه أبو داود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن حماد ورجاله رجال الصحيح.

(ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتمل قال الله عز وجل لنبيه ﷺ ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾) فقد أمر أن يحتمل كلامهم ويعرض عن أهل الجهل. **(و)** عن عبـد الله **(بن أبي أوفى)** علقمة بن خالد بن الحرث الأسلمي صحابي شهد الحديبية وعمّر بعد النبي ﷺ دهراً، مات سنة سبع وثمانين وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة قال: **(« كان رسول الله ﷺ لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة)** التي لا زوج لها لافتقارها. قال الازهري : لا يقال لها أرملة إلا إذا كانت فقيرة فإن كانت موسرة فلا يقال لها أرملة والجمع أرامل، **(والمسكين فيقضي حاجته »)** قال العراقي : رواه النسائي باسناد صحيح وقال: على شرط الشيخين.

قلت : ولكن ليس عنده ولا يستكبر، وعند البخاري إن كانت الأمة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت، وفي رواية أحمد فتنطلق به في حاجتها.

(ومنها : أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض) فإن هذا يؤذيه ويغير خاطره. **(قال ﷺ « لا يدخل الجنة قتات »)** أي نمّام وهو الذي يبلغ الناس عن الناس الاخبار السيئة وفي بعض الفاظه : نمام بدل قتات. قال العراقي : متفق عليه من حديث حذيفة اهـ.

قلت : ورواه كذلك الطيالسي، وأحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، والطبراني. ورواه أبو البركات السقطي في معجمه، وابن النجار عن بشير الأنصاري عن جده. ورواه القاضي عبد الجبار بن أحمد في أماليه من حديث أبي سعيد بلفظ « لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمـن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قتات ».

(وقال الخليل بن أحمد) الفراهيدي النحوي : **(من نمَّ لك نم عليك ومن أخبرك بخبر**

ومنهـا: أن لا يزيد في الهجر لمن يعرفه على ثلاثة أيام مهما غضب عليه. قال أبو أيوب الأنصاري: قال ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» وقد قال رسول الله ﷺ: «من أقال

غيرك أخبر غيرك بخبرك) والنم: نقل الحديث بما يكرهه، والنمام من يحدث على القوم فهم عليهم، فيكشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو إليه أو الثالث وهبه بعبارة أو إشارة أو غيرهما.

(ومنها: أن لا يزيد في المجرة لمن يعرفه) ويصاحبه **(على ثلاثة أيام مهما غضب عليه. قال أبو أيوب)** خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة **(الأنصاري)** الخزرجي شهد بدراً والعقبة والمشاهد كلها، ونزل عليه رسول الله ﷺ حين قدم المدينة شهراً وعاش كثيراً حتى مات ببلاد الروم غازياً في خلافة معاوية سنة خمسين وقبره في أصل سور القسطنطينية رضي الله عنه. **(قال رسول الله ﷺ «لا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث»)** رواه الطبراني من حديث ابن مسعود وزاد الحاكم «إلا ان يكون ممن لا تؤمن بوائقه». هكذا رواه في الكنى من حديث عائشة بهذه الزيادة، وأنكر أحمد بن حنبل هذه الزيادة. وروى الشيخان. من طريق الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي أيوب ولفظهما «فوق ثلاث ليال» ثم قال: **(«يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا)** ولفظهما يصد هذا ويصد هذا **(وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»)** وهكذا رواه مالك والطيالسي وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، وابن حبان، وابن جرير كلهم من طريق الزهري إلاّ أنه قال عن أنس وقال: غريب والمحفوظ الأوّل، ورواه ابن جرير وابن عدي والطبراني وابن عساكر أيضاً من طريق الزهري، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي بن كعب. قال ابن عدي: هكذا يرويه الليث بن سعد عن عقيل، وإنما يرويه أصحاب الزهري عنه عن عطاء عن أبي أيوب، وروى مسلم من حديث ابن عمر «لا يحل للمؤمن ان يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام» وكذلك رواه الخرائطي في مساويء الاخلاق، والبزار من حديث ابن مسعود وسعد وأنس.

وروى أحمد والطبراني والبيهقي من حديث هشام بن عامر «لا يحل لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاث ليال فإنهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما وإن أولهما فيئاً يكون سبقه بالفيء كفارته وإن سلم عليه فلم يرد عليه سلامه ردت عليه الملائكة ويرد على الآخر الشيطان وإن ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة جميعاً أبداً».

وروى أبو داود من حديث أبي هريرة «لا يحل المسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار» وعند ابن النجار من حديثه «لا يحل لرجل مسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام والسابق يسبق إلى الجنة». وعند البيهقي من حديثه «لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمناً فوق ثلاثة أيام فإذا مر ثلاث لقيه فسلم عليه فإن ردَّ فقد اشتركا في الاجر وإن لم يرد عليه فقد بريء المسلم من الهجرة وصارت على صاحبه».

مسلماً عثرته أقاله الله يوم القيامة » قال عكرمة ، قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب: بعفوك عن إخوتك رفعت ذكرك في الدارين. قالت عائشة رضي الله عنها: « ما انتقم ﷺ لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله » وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً. وقال ﷺ: « ما نقص مال من صدقة وما زاد الله رجلاً بعفو إلا عزاً وما من أحد تواضع لله إلا رفعه الله ».

(وقال ﷺ « من أقال مسلماً عثرته أقاله الله يوم القيامة ») وأصل الإقالة فسخ البيع وهو من الإحسان المأمور به في القرآن لما له من الغرض فيما ندم عليه سيما في بيع العقار وتمليك الجوار. قال العراقي: رواه أبو داود والحاكم وقد تقدم.

قلت: لفظ أبي داود وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة « من أقال مسلماً أقال الله عثرته ». ولفظ البيهقي من حديثه « من أقال نادماً أقاله الله يوم القيامة » فالذي ذكره المصنف مركب من حديثين من طريقين مختلفين.

(وقال عكرمة) مولى ابن عباس ثقة في التفسير **(قال الله تعالى ليوسف بن يعقوب عليهما السلام:)** يا يوسف **(بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك في الذاكرين)** وفي بعض النسخ في الدارين.

(وقالت عائشة رضي الله عنها: « ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط إلا أن تصاب حرمة الله فينتقم لله ») قال العراقي: متفق عليه بلفظ « إلا أن تنتهك ».

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه: **(ما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً)** في الدنيا فإن من عرف بالعفو والصفح عظم في القلوب أو في الآخرة بأن يعظم ثوابه وهو معنى حديث أبي هريرة الآتي بعده.

(وقال رسول الله ﷺ « ما نقص مال من صدقة) في الدنيا بالبركة فيه والإخلاف عليه بما هو أجدى وأكثر ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه﴾ [سبأ: ٣٩] أوفي الآخرة بإجزال الأجر أو تضعيفه أو فيها وذلك جائز. **(وما زاد الله رجلاً بعفو)** أي بسبب عفو **(إلا عزاً)** في الدنيا أو في الآخرة أو فيها **(وما من أحد تواضع لله)** رقاً وعبودية في الإئتمار بأمره والإنتهاء عن نهيه **(إلا رفعه الله »)** في الدنيا بأن يثبت له في القلوب منزلة وكذا في الآخرة على سرير خلود لا يفنى ومنبر ملك لا يبلى.

واعلم أن من حيلة الإنسان الشح بالمال، ومشابهة السبعية من إيثار الغضب والإنتقام، والاسترسال في الكبر الذي هو من نتائج الشيطنة، فأراد الشارع أن يقلعها من سنخها فحث أولاً على الصدقة ليتحلى بالسخاء والكرم، وثانياً على العفو وليتعزز بعز الحلم والوقار، وثالثاً على التواضع ليرفع درجاته في الدارين. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

ومنهـا : أن يحسن إلى كل من قدر عليه منهم ما استطاع لا يميز بين الأهل وغير الأهل . روى علي بن الحسين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ : « اصنع المعروف في أهله وفي غير أهله فإن أصبت أهله فهو أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله » وعنه باسناده قال : قال رسول الله ﷺ : « رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر » . وقال أبو هريرة : « كان رسول الله

قلت : ورواه كذلك أحمد والترمذي وابن حبان ولفظهم جميعاً « ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه » قال الطيبي . قوله : ما نقصت صدقة من مال من هذه يحتمل أن تكون زائدة أي ما نقصت صدقة مالاً ، ويحتمل أن تكون صلة لنقصت ، والمفعول الاول محذوف أي ما نقصت شيئاً من مال .

(ومنها : أن يحسن إلى كل من قدر عليه) من الإحسان إليه **(منهم ما استطاع)** عليه **(لا يميز بين الأهل)** للمعروف **(وغيرهم . وروي عن)** أبي الحسن زين العابدين **(علي بن الحسين)** بن علي بن أبي طالب **(عن أبيه)** الحسين **(عن جده)** علي رضي الله عنه **(قال : قال رسول الله ﷺ « اصنع المعروف)** وهو كل ما عرف حسنه من الشارع **(إلى أهله وإلى غير أهله فإن أصبت أهله فهو أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله »)** وانظر إلى قوله تعالى : ﴿ويطعمون الطّعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ [الإنسان : ٨] والأسير : في دارنا الكافر فأثنى على من صنع معروفاً بإطعامه ، فكيف بمن أطعم موحداً ؟ ولهذا قال ابن عباس : لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره فإنه يشكرك عليه من لم تصطنعه .

قال العراقي : ذكره الدارقطني في العلل وهو ضعيف ، ورواه في المستجاد من رواية جعفر بن محمد عن أبيه عن جده مرسلاً بسند ضعيف اهـ .

قلت : وكذلك رواه ابن النجار في تاريخه من حديث علي ، ورواه الخطيب من رواية مالك من طريق بشر بن يزيد الازدي ، عن مالك ، عن نافع عن ابن عمر رفعه . وقال الحافظ في اللسان : له عن مالك مناكير ثم ساق منها هذا الخبر ثم عقبه بقوله قال الدارقطني : اسناده ضعيف ورجاله مجهولون ، وأورده صاحب الميزان في ترجمة عبد الرحمن بن بشير عن أبيـه ، وقال : إسناده مظلم ، ثم إن لفظ روايتهم « اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى غير أهله فإن أصبت أهله أصبت أهله وإن لم تصب أهله كنت أنت أهله » .

(وعنه) أي عن علي بن الحسين بن علي **(باسناده)** المذكور عن أبيه عن جده **(رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « رأس العقل)** أي أصله وعماده الذي يقوم به **(بعد الإيمان)** وفي نسخة بعد الدين **(التودد إلى الناس)** أي التسبب في محبتهم لك بالبشر والطلاقة والهدية والإحسان وغيـر ذلك **(واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر »)** قال العراقي : رواه الطبراني في

ﷺ لا يأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي يرسله ولم تكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه».

الأوسط، وأبو بكر الجعابي في أخبار الطالبيين، وعنه أبو نعيم في الحلية دون قوله «واصطناع» الخ. وفي سنده عبيد الله بن عمر القيسي وهو ضعيف. ورواه البيهقي كذلك من طريق هشيم بن علي بن زيد بن جدعان، عن ابن المسيب عن أبي هريرة وقال: لم يسمعه هشيم عن علي، وهذا حديث يعرف بأشعث بن براق عن علي بن زيد عن ابن المسيب مرسلاً فدلسه هشيم، وقال في موضع آخر في هذا الاسناد: ضعف. ورواه الديلمي كذلك بزيادة في غير ترك الحق، ولفظ المصنف بتمامه قد رواه أيضاً البيهقي من طريق عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي، عن أبيه، عن علي بن موسى الرضا عن آبائه أورده الذهبي في الضعفاء يعني الطائي وقال له نسخة باطلة. ورواه الشيرازي في الالقاب من حديث أنس بزيادة «وأهل التودد في الدنيا لهم درجة في الجنة» الحديث. وكذلك أخرجه البيهقي أيضاً من طريق إسماعيل بن يحيى العسكري، عن إسحاق العمي، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن أبي هريرة، والعسكري والعمي ضعيفان. وروى البيهقي من مرسل سعيد بن المسيب باسناد ضعيف بزيادة وما يستغني الرجل عن مشورة، وأن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب قضاء الحوائج إلا أنه قال مداراة الناس بدل قوله التودد إلى الناس. وروى يونس بن عبيد عن ميمون بن مهران قال: «التودد إلى الناس نصف العقل وحسن المسألة نصف الفقه ورفقك في المعيشة يلقي عنك نصف المؤنة» وقد روي هذا مرفوعاً بإسناد ضعيف.

(وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ لا يأخذ أحد بيده فينزع يده حتى يكون هو الذي يرسله ولم يكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه ثم لم ينصرف) وفي نسخة: ثم لم يصرفه **(عنه حتى يفرغ من كلامه»)** قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط باسناد حسن، ولأبي داود، والترمذي، وابن ماجه نحوه من حديث أنس باسناد ضعيف.

قلت: أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، عن سويد بن نصر، عن المبارك، عن عمران بن زيد الثعلبي، عن زيد العمي عن أنس بلفظ «كان إذا استقبله رجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هذا الذي ينزع يده من يده، ولا يصرف وجهه منه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه ولم أره مقدماً ركبته بين يدي جليس له». وأخرجه ابن ماجه من طريق وكيع، عن أبي يحيى الطويل هو عمران بن زيد الثعلبي المذكور، وشيخه زيد العمي ضعيف عند الجمهور. وأخرجه ابن سعد في الطبقات من طريق الحسن بن الحكم عن أنس، والحرث بن أبي أسامة من طريق يونس بن عبيد عن ثابت عن أنس. ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق الحرث هذا.

ومنهـا: ان لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه بل يستأذن ثلاثاً فإن لم يؤذن له انصرف. قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «الاستئذان ثلاث فالأولى يستنصتون، والثانية يستصلحون، والثالثة يأذنون أو يردون».

ومنهـا: أن يخالق الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسب طريقته فإنه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم والأمي بالفقه والعي بالبيان آذى وتأذى.

(**ومنها: أن لا يدخل على أحد منهم إلا بإذنه حتى يستأذن ثلاثاً**) أي ثلاث مرات. (**فإن لم يؤذن له وإلا انصرف**) لقوله تعالى: ﴿فإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم﴾ [النور: ٢٨] (**قال أبو هريرة**) رضي الله عنه، (**قال رسول الله ﷺ: «الاستئذان**) وهو طلب الإذن للدخول (**ثلاث**) من المرات: (**فالأولى يستنصتون**) أي أهل المنزل الاستئذان عليهم، (**والثانية يستصلحون**) أي يصلحون المكان لجلوسه أو يصلحون عليهم ثيابهم ونحو ذلك، (**والثالثة يأذنون**) للمستأذن عليهم (**أو يردون عليه بالمنع»**) وهذا الحديث يبين أن المستأذن لا يشرع له طرق الباب، لكن محله من قرب محله من بابه أما من بعد من الباب حيث لا يبلغه الصوت فيدق عليه الباب. قال العراقي: رواه الدارقطني في الإفراد بسند ضعيف، وفي الصحيحين من حديث أبي موسى «الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا ارجع» اهـ.

قلت في سند الدارقطني عمر بن عمران السدوسي. قال في الميزان: مجهول، وقال الأزدي: منكر الحديث أحد المتروكين، ثم ساق له هذا الخبر فما أنكر عليه.

وأما حديث أبي موسى، فقد رواه الشيخان أيضاً من حديث أبي سعيد، ورواه الترمذي عنهما كذلك ولما روى أبو سعيد هذا الخبر لعمر رضي الله عنه قال: لتأتيني عليه ببينة وإلاّ فعلت وفعلت، فأتى بأبي سعيد وفي رواية بأبيّ بن كعب فقال: سمعت النبي ﷺ يقوله. يا ابن الخطاب فلا تكونن عذاباً على أصحاب رسول الله فقال أحببت أن أتثبت.

تنبيه:

اختلف هل السلام شرط في الاستئذان أم لا؟ قال المازري: صورة الاستئذان أن يقول: السلام عليكم أأدخل ثم هو مخير بين أن يعمي نفسه أولاً، وفيه أنه قد لا تجوز الزيادة على الثلاث في الاستئذان. نعم إن علم أنه لم يسمع زاد على الأصح عند الشافعية.

(**ومنها: أن يخالق الجميع بخلق حسن ويعامل كلاً منهم بحسب طريقته**) وفي نسخة بحسن طريقته (**فإنه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم و**) لقاء (**الأمي**) الذي لم يقرأ ولم يكتب، وفي نسخة اللاهي (**بالفقه والعي**) بكسر العين هو الحصر الابكم، وفي نسخة الغبي (**بالبيان**) أي فصاحة اللسان (**آذى**) غيره (**وتأذى**) بنفسه.

ومنهـا : أن يوقر المشايخ ويرحم الصبيان . قال جابر رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا » ، وقال ﷺ : « من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم » ومن تمام توقير المشايخ أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بالإذن ، وقال

(ومنها : أن يوقر المشايخ) ذوي الأسنان أي يعظمهم **(ويرحم الصبيان)** أي الأطفال الصغار . **(قال جابر)** بن عبد الله رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ « ليس منا)** أي من أهل سنتنا **(من لم يوقر)** أي يعظم **(كبيرنا)** بما يستحقه من التبجيل والتعظيم **(ولم يرحم صغيرنا »)** الواو بمعنى « أو » فالتحذير من كل منها فيتعين أن يعامل كلاً منهما بما يليق به فيعطي الصغير حقه من الرفق به والرحمة والشفقة عليه ويعطي الكبير حقه من الشرف والتوقير . قال العراقي : رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف وهو عند أبي داود و البخاري في الأدب المفرد من حديث عبد الله بن عمر بسند حسن اهـ .

قلت : ويروى بتقديم الجملة الأخيرة على الأولى ، وهكذا رواه الترمذي والخرائطي من حديث أنس . ورواه أبو نعيم وأبو موسى المديني في الذيل من حديث الاحظ ، ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث علي وأبي هريرة وابن مسعود . وروي : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولا يشرف كبيرنا » وهكذا رواه الترمذي وقال : حسن صحيح ، والحاكم من حديث ابن عمرو . ويروى : « ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا » . وهكذا رواه الطبراني في الكبير ، والحكيم من حديث أبي أسامة ، والطبراني أيضاً من حديث واثلة . ويروى بزيادة : « ويعرف لعالمنا حقه » وهكذا رواه أحمد والطبراني في الكبير . والعسكري في الأمثال ، وابن جرير ، والحاكم ، وأيضاً من حديث عبادة بن الصامت . ويروى : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا وليس منا من غشنا » الحديث . وهكذا رواه الطبراني في الكبير من طريق حسين بن عبد الله بن شميرة عن أبيه عن جده ، ويروى بلفظ المصنف بزيادة ويجل عالمنا . وهكذا رواه الكشفوي في الأمثال من حديث عبادة . ويروى : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » وهكذا رواه أحمد والترمذي وقال : غريب من حديث ابن عباس .

(والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله ﷺ) فروى البزار من حديث أنس : « كان من أفكه الناس مع صبي) وقد تقدم في النكاح . وفي الصحيحين من حديث أنس : « يا أبا عمير ما فعل النغير » وغير ذلك .

(وقال) ﷺ : **(من إجلال الله)** أي تعظيمه **(إكرام ذي الشيبة المسلم »)** أي تعظيم الشيخ الكبير صاحب الشيبة البيضاء الذي عمره في الإسلام وتوقيره في المجالس والرفق به والشفقة عليه . قال العراقي : رواه أبو داود من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن اهـ .

قلت : وتمامه وحامل القرآن غير المغالي والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط ، وقد سكت

جابر: قدم وفد جهينة على النبي ﷺ فقام غلام ليتكلم، فقال ﷺ: «مه. فأين الكبير» وفي الخبر: «ما وقر شاب شيخاً إلا قيض الله له في سنه من يوقره». وهذه بشارة بدوام الحياة فليتنبه لها فلا يوفق لتوقير المشايخ إلا من قضى الله له بطول العمر،

عليه أبو داود أي فهو حسن عنده، وهكذا قاله ابن القطان، والحافظ ابن حجر. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات بهذا اللفظ من حديث أنس، ونقل عن ابن حبان أنه لا أصل له ولم يصب ابن الجوزي ولا ابن حبان بل له أصل من حديث أبي موسى.

وأما حديث أنس الذي قال ابن حبان لا أصل له فلفظه: «إن من إجلال الله توقير الشيخ من أمتي» ورواه الخطيب في الجامع وفيه عبد الرحمن بن حبيب عن بقية قال يحيى: ليس بشيء وروى أبو الشيخ في التوبيخ من حديث جابر: «ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق بين النفاق ذو الشيبة في الإسلام والإمام المقسط ومعلم الخير» ورواه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة نحوه.

(**ومن تمام توقير المشايخ**) وتعظيمهم (**أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بإذن**) منهم. (**قال جابر**) بن عبد الله رضي الله عنه: (**قدم وفد جهينة**) وهي قبيلة من قضاعة (**على رسول الله ﷺ فقام غلام**) أي شاب بينهم (**يتكلم، فقال رسول الله ﷺ: «مه**) أي اكفف (**فأين الكبير»**) قال العراقي: رواه الحاكم وصححه (**وفي الخبر**) عن النبي ﷺ: (**«ما وقر**) أي عظم (**شاب شيخاً**) لأجل سنه (**إلا قيض الله له**) أي سبب وقدر في سنته مجازاة له على فعله (**من يوقره»**) بأن يقدر له عمراً يبلغ به إلى الشيخوخة ويقدر له من يكرمه. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أنس بلفظ: «ما أكرم ومن يكرمه» وقال: حديث غريب وفي بعض النسخ حسن وفيه أبو الرحال وهو ضعيف اهـ.

قلت: قوله غريب أقرب من قوله حسن، وإن تبعه الجلال في جامعه فرمز لحسنه تبعاً لهذه النسخة، والذي في نسخ الترمذي بعد أن أخرجه من طريق يزيد بن بيان عن أبي الرحال عن أنس وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد اهـ.

قال ابن عدي: هذا حديث منكر، وقال الصدر المناوي: وفيه يزيد بن بيان العقيلي عن أبي الرحال خالد بن محمد الأنصاري، ويزيد ضعفه الدارقطني وغيره، وأبو الرحال واهٍ قال البخاري: عنده عجائب وعلق له. وقال الحافظ السخاوي: وقد رواه حزم بن أبي حزم القطعي عن الحسن البصري من قوله: (**وهذه بشارة بدوام الحياة فليتنبه لها فلا يوفق لتوقير الشيوخ إلا من قضى له بطول العمر**) وهكذا ذكره ابن العربي في شرح الترمذي عن العلماء أنه فيه دليل على طول العمر لمن أكرم المشيخة، وقد دخل الشاعر السرقسطي مجلساً وقد هرم وهو يهرول في مشيه فتغامز عليه الأحداث فأنشأ يقول:

يا عائباً للشيوخ من أشر ... داخله للصبي ومن بذخ
اذكر إذا شئت أن تعيبهم ... جدك واذكر أباك وابن أخ

وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظاً والمطر قيظاً وتفيض اللئام فيضاً وتغيض الكرام غيضاً ويجترىء الصغير على الكبير واللئيم على الكريم» و«التلطف بالصبيان من عادة رسول الله ﷺ». «كان ﷺ يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم»، فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض: حملني رسول الله ﷺ بين يديه وحملك أنت وراءه، ويقول بعضهم: أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم، «وكان يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة وليسميه فيأخذه فيضعه في حجره فربما بال الصبي فيصيح به بعض من يراه فيقول: لا تزرموا الصبي بوله فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ

من لا يعز الشيوخ لا يلفت يوماً به سنه إلى الشيخ

(**وقال ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظاً**) لأبويه (**والمطر قيظاً**) أي ضعيفاً (**وتفيض اللئام فيضاً**) أي يكثرون. يقال: فاض الماء إذا جرى بكثرة، (**ويغيض الكرام غيضاً**) أي تذهب في الأرض ذهاباً. فيقال: غاض الماء في الأرض إذا ذهب، (**ويجترىء الصغير على الكبير**) فلا يحترمه لكبره (**واللئيم على الكريم»**) قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عائشة والطبراني من حديث ابن مسعود وإسنادهما ضعيف.

(**«وكان ﷺ يقدم من السفر فيلقاه الصبيان**) إذا خرجوا يتلقونه فرحاً بقدومه (**فيقف عليهم ثم يأمر بهم فيرفعون إليه فيرفع منهم بين يديه و**) بعضهم (**من خلفه ويأمر أصحابه أن يرفعوا بعضهم لبعض»**) وفي نسخة: فيحملوا بعضهم. (**وربما تفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض: حملني رسول الله ﷺ بين يديه وحملك وراءه ويقول بعضهم أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث عبد الله بن جعفر: «كان إذا قدم من سفر تلقى بنا فتلقى بي وبالحسن أو بالحسين قال: فحمل أحدنا بين يديه والآخر خلفه» وفي رواية تلقى بصبيان أهل بيته وأنه قدم من سفر فسبق بي إليه فحملني بين يديه ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه» وفي الصحيحين أن عبد الله بن جعفر قال لابن الزبير: «أتذكر تلقينا رسول الله ﷺ أنا وأنت؟ قال: نعم فحملنا وتركك» لفظ مسلم. وقال البخاري إن ابن الزبير قال لابن جعفر والله أعلم اهـ.

قلت: رواه مسلم في الفضائل وتمامه: فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة وكذلك رواه أحمد وأبو داود في الجهاد.

(**«وكان ﷺ يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة وليسميه فيأخذه فيضعه في حجره فربما بال الصبي**) في حجره (**فيصيح به بعض من يراه**) من الحاضرين (**فيقول: لا**

من دعائه له وتسميته ويبلغ سرور أهله فيه لئلا يروا أنه تأذى ببوله فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده ».

ومنهـا : أن يكون مع كافة الخلق مستبشراً طلق الوجه رفيقاً . قال ﷺ : « أتدرون على من حرمت النار ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : على اللين الهين السهل القريب » وقال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يحب السهل الطلق الوجه » ،

تزرموا الصبي) أي لا تقطعوا عليه **(بوله)** يقال : أزرم عليه بوله إذا قطعه وهو بتقديم الزاي على الراء **(فيدعه)** أي يتركه **(حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعائه له ويسميه) ويحنكه (ويبلغ سرور أهله فيه وأن لا يروا)** وفي نسخة : لئلا يروا **(أنه تأذى ببوله) في حجره (فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعد ذلك »)** وفي نسخة بعدهم . قال العراقي : رواه مسلم من حديث عائشة : « كان يؤتي بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم فأتى بصبي فبال عليه فدعا بماء فاتبعه بوله ولم يغسله » وأصله متفق عليه وفي رواية لأحمد « فيدعو لهم وفيه صبوا عليه الماء صباً » وللدارقطني : « بال ابن الزبير على النبي ﷺ فأخذته أخذاً عنيفاً » الحديث وفيه الحجاج بن أرطأة ضعيف ، ولأحمد بن منيع من حديث الحسن بن علي امرأة منهم « بينا رسول الله ﷺ مستلقياً على ظهره يلاعب صبياً إذ بال فقامت لتأخذه وتضربه فقال : دعيه ائتوني بكوز من ماء » الحديث وإسناده صحيح اهـ .

قوله : وأصله متفق عليه يشير إلى أن البخاري قد رواه كذلك إلا أنه ليس عنده **ويحنكهم** ، وقد رواه أبو داود أيضاً وسياقه كسياق مسلم .

(ومنها : أن يكون مع كافة الخلق مستبشراً طلق الوجه) سهل الخلق لين العريكة **(رفيقاً)** أي صاحب رفق وشفقة . **(قال رسول الله ﷺ : « أتدرون على من حرمت النار ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال :)** حرمت **(على الهين اللين السهل القريب ») قال العراقي** : رواه الترمذي من حديث ابن مسعود ولم يقل اللين وذكرها الخرائطي من رواية محمد بن أبي معيقيب عن أبيه . قال الترمذي : حسن غريب اهـ .

قلت : ورواه أيضاً كرواية الخرائطي الطبراني في الكبير وفي الأوسط وفي رواية لابن مسعود « حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس » .

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه ، **(قال رسول الله ﷺ : « إن الله يحب السهل) في أمور** الدنيا والدين **(الطليق »)** وفي رواية : الطلق . قال أبو زيد رجل طليق الوجه متهلل بسام ، وقال غيره : رجل طلع الوجه وطليقه بمعنى قال العراقي : رواه البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ، ورواه مورق العجلي مرسلاً اهـ .

قلت : وكذلك رواه الشيرازي في الألقاب ، والديلمي . وفي سند البيهقي أحمد بن عبد الجبار

وقال بعضهم: «يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة، فقال: إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام». وقال عبدالله بن عمر: إن البر شيء هين، وجه طليق وكلام لين، وقال ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة»، وقال ﷺ: «إن في الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها، فقال

أورده الذهبي في الضعفاء، وقال: مختلف فيه وحديثه مستقيم، وجويبر البلخي قال الدارقطني وغيره متروك.

(**وقال بعضهم: يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة. فقال: «إن من موجبات المغفرة**) أي من أسباب ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها (**بذل السلام**) أي إفشاءه بين الناس (**وحسن الكلام»**) أي إلانته القول لإخوانه واستعطافهم على منهج المداراة. قال العراقي: رواه ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له، والبيهقي في شعب الإيمان من حديث هانيء بن يزيد بإسناد جيد اهـ.

قلت: هو هانيء بن يزيد المذحجي ابن شريح، له وفادة وهو جد يزيد بن القولم بن شريح نزل الكوفة وهو الذي قال: دلني يا رسول الله الخ. روى له البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود، والنسائي وقد وقع هنا للمناوي في شرح الجامع أوهام فإنه قال: هانيء بن يزيد بن شريح الأنصاري الأوسي الذي شهد بدراً والمشاهد كلها، روى له البخاري حديثاً واحداً اهـ.

قلت: لم يشهد بدراً ولا المشاهد، وإنما له وفادة وليس هو من الأوس ولا من أهل المدينة وأوهم قوله روى له البخاري الخ أنه روى له في الصحيح وليس كذلك، بل روى له في الأدب المفرد ثم قال نقلاً عن الهيثمي فيه أبو عبيدة بن عبيد الله الأشجعي روى عنه أحمد ولم يضعفه وبقية رجاله رجال الصحيح اهـ. وهو ذهول فإن الأشجعي هذا من رجال الصحيحين اهـ.

قلت: وقع له تحريف في والد أبي عبيدة ووهم في تعيينه، وكونه من رجال الصحيح فإن الأشجعي هذا هو أبو عبيدة بن عبيدة بن عبيد الله بن عبيد الرحمن بالتصغير فيهما، ويقال: اسمه عباد لكنه مشهور بكنيته وهو من رجال أبي داود وليس من رجال الصحيح، وهو مقبول من طبقة اتباع التابعين، والعجب من الشيخ كيف ذهل وعنده كتب الفن.

(**وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما**) فيما روي عنه: (**البر شيء هين وجه طليق وكلام لين**) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وسيأتي في آفات اللسان وقد نظمه بعضهم فقال:

بني إن البر شيء هين ... وجه طليق وكلام لين

ويروى المنطق اللين والطعيم. (**وقال رسول الله ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة»**) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وقد تقدم مشروحاً مفصلاً في كتاب الزكاة. (**وقال ﷺ: «إن في الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها وبطونها من**

اعرابي: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام». وقال معاذ بن جبل قال لي رسول الله ﷺ: «أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح». وقال أنس رضي الله عنه: «عرضت لنبي الله ﷺ امرأة

ظهورها) أي شفافة لا تحجب ما وراءها، **(فقال اعرابي: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام)** أي ألانه مع إخوانه، **(وأطعم الطعام)** أي للفقراء والأضياف والإخوان، **(وصلى بالليل والناس نيام»)** يعني تهجد. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث علي وقال: حديث غريب قلت: وهو ضعيف اهـ.

قلت: لفظ الترمذي بعد قوله غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقد تكلم فيه من قبل حفظه اهـ أي فضعفه من قبله.

وقد رواه أيضاً أحمد وابن حبان والبيهقي من حديث أبي مالك الأشعري، وقال البيهقي: رجال أحمد رجال الصحيح ثم إن لفظ الحديث عندهم: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام» وفي رواية: «واصل» وفي أخرى «وافشى السلام وصلى بالليل والناس نيام» زاد البيهقي في روايته: «قيل يا رسول الله وما إطعام الطعام؟ قال: من قات عياله. قيل: وما واصل الصيام؟ قال: من صام رمضان ثم أدركَ رمضان فصامه قيل: وما إفشاء السلام؟ قال: مصافحة أخيك. قيل: وما الصلاة والناس نيام؟ قال: صلاة العشاء الآخرة» اهـ. وهو إن ضعفه ابن عدي لكن أقام له ابن القيم شواهد يعتد بها ومع ملاحظته لا يمكن التعبير بغيره، والله أعلم.

(وقال معاذ بن جبل) رضي الله عنه، **(قال لي رسول الله ﷺ: «أوصيك)** يا معاذ **(بتقوى الله تعالى وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض الجناح»)** قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي في كتاب الزهد، وأبو نعيم في الحلية، ولم يقل البيهقي: «وخفض الجناح» وإسناده ضعيف اهـ.

قلت. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدثنا يعقوب بن حميد، حدثنا إبراهيم بن عيينة، عن إسماعيل بن رافع، عن ثعلبة بن صالح، عن رجل من أهل الشام، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ انطلق فارحل راحلتك ثم ائتني أبعثك إلى اليمن، فانطلقت فرحلت راحلتي ثم جئت فوقفت بباب المسجد حتى أذن لي رسول الله ﷺ فأخذ بيدي ثم مضى معي فقال: يا معاذ إني أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، ووفاء العهد، وإداء الأمانة، وترك الخيانة، ورحم اليتيم، وحفظ الجار، وكظم الغيظ، وخفض الجناح، وبذل السلام، ولين الكلام، ولزوم الايمان، والتفقه في القرآن، وحب الآخرة،

وقالت: لي معك حاجة، وكان معه ناس من أصحابه، فقال: اجلسي في أي نواحي السكك شئت أجلس إليك، ففعلت فجلس إليها حتى قضت حاجتها»، وقال وهب بن منبه: إن رجلاً من بني اسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل سبعة أيام، فسأل الله تعالى أنه يريه كيف يغوي الشيطان الناس؟ فلما طال عليه ذلك ولم يجب قال: لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيراً لي من هذا الأمر الذي طلبته، فأرسل الله إليه ملكاً فقال له: إن الله أرسلني إليك وهو يقول لك: إن كلامك هذا الذي تكلمت به أحب إليّ مما مضى من عبادتك، وقد فتح الله بصرك فانظر، فنظر فإذا جنود إبليس

والجزع من الحساب، وقصر الأمل، وحسن العمل، وإياك أن تشتم مسلماً أو تكذب صادقاً أو تعصي إماماً عادلاً. يا معاذ اذكر الله عند كل حجر وشجر، وأحدث مع كل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية».

رواه ابن عمر نحوه، أخبرناه الحسن بن منصور الحمصي في كتابه، حدثنا الحسن بن معروف، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثنا أبي عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: لما أراد النبي ﷺ أن يبعث معاذاً إلى اليمن ركب معاذ ورسول الله يمشي إلى جانبه يوصيه فقال: «يا معاذ أوصيك وصية الأخ الشفيق، أوصيك بتقوى الله» وذكر نحوه وزاد «وعد المريض واسرع في حوائج الأرامل والضعفاء، وجالس الفقراء والمساكين، وانصف الناس من نفسك، وقل الحق ولا تأخذك في الله لومة لائم».

(وقال أنس) رضي الله عنه: «**(عرضت لرسول الله ﷺ امرأة)** كان في عقلها شيء **(وقالت: لي معك حاجة وكان معه ناس من أصحابه فقال)** لها: **(اجلسي في أي نواحي السكك)** أي سكك المدينة **(شئت أجلس إليك، ففعلت فجلس إليها حتى قضى حاجتها»)** رواه مسلم في صحيحه وقال: أقضي حاجتك فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت حاجتها.

(وقال وهب بن منبه) اليماني رحمه الله تعالى: **(إن رجلاً من بني إسرائيل)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا محمد بن سهل بن عسكر، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول: إن رجلاً من بني إسرائيل **(صام سبعين سنة)** ولفظ الحلية سبعين أسبوعاً **(يفطر في كل سبعة أيام)** يوماً **(فسأل الله)** ولفظ الحلية: وهو يسأل الله تعالى **(أن يريه كيف يغوي الشيطان الناس، فلما طالت عليه ذلك)** ولفظ الحلية: فلما أن طال ذلك عليه **(ولم يجب قال: لو اطلعت)** ولفظ الحلية لو أقبلت **(على خطيئتي و)** على **(ذنبي بيني وبين ربي لكان خيراً من هذا الأمر الذي طلبته)** ولفظ الحلية: أطلب، **(فأرسل الله تعالى إليه ملكاً فقال له: إن الله عز وجل أرسلني إليك وهو يقول لك: إن كلامك هذا الذي تكلمت به أعجب إلي مما مضى من عبادتك**

قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالذباب فقال: أيّ رب من ينجو من هذا؟ قال: الورع اللين.

ومنها: أن لا يعد مسلماً بوعد إلا ويفي به. قال ﷺ: «العدة عطية». وقال:

وقد فتح الله بصرك فأنظر. قال: فنظر فإذا جنود إبليس لعنه الله) ولفظ الحلية: فإذا أحبولة إبليس **(قد أحاطت بالأرض وإذا ليس أحد من الناس إلا والشياطين حوله كالذبان)** جمع ذباب ولفظ الحلية: وإذا ليس أحد من بني آدم إلا وحوله شياطين مثل الذباب. **(فقال: أي رب من ينجو من هذا؟ فقال: الورع اللين)** ولفظ الحلية: الوارع اللين.

(ومنها: أن لا يعد مسلماً بوعد إلا ويفي به. قال ﷺ: «العدة عطية») أي بمنزلة العطية. فلا ينبغي أن تخلف كما لا ينبغي أن يرجع الإنسان في عطيته، ولأنه إذا وعد فقد أعطى عهده بما وعد، وقد قال تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد﴾ [الإسراء: ٣٤] وفي حديث آخر: «من وعد وعداً فقد عهد عهداً ذكره العامري في شرح الشهاب. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف اهـ.

قلت: قال رفيقه البيهقي: فيه أصبغ بن عبد العزيز الليثي. قال أبو حاتم: مجهول، وللخرائطي في المكليم عن الحسن البصري مرسلاً ان امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئاً فلم تجده عنده، فقالت عدني فقال رسول الله ﷺ: «إن العدة عطية» وهو في المراسيل لأبي داود، وكذا الصمت لابن أبي الدنيا من حديث يونس بن عبيد البصري عن الحسن أن النبي ﷺ قال: «العدة عطية» وفي لفظ عن يونس بن عبيد البصري عن الحسن قال: سأل رجل النبي ﷺ شيئاً فقال: «ما عندي ما أعطيك» فقال: فعدني، فقال رسول الله ﷺ: «العدة واجبة» ورواه أيضاً أبو نعيم في الحلية، والديلمي من حديث ابن مسعود.

(وقال ﷺ: «العدة دين») أي كالدين في تأكد الوفاء بها، فإذا أحسنت القول فأحسن الفعل ليجتمع لك مزية اللسان وثمرة الإحسان ولا تقل ما لا تفعل قال العراقي: أخرجه الطبراني في معجميه الأوسط والأصغر من حديث علي، وابن مسعود بسند فيه جهالة. ورواه أبو داود في المراسيل اهـ.

قلت: في سندها حمزة بن داود ضعفه الدارقطني، وكذلك رواه القضاعي في الشهاب من حديث ابن مسعود ولفظهم: لا يعد أحدكم حبيبه ثم لا ينجز له فإن رسول الله ﷺ قال: «العدة دين» ولفظه عند أبي نعيم في الحلية «إذا وعد أحدكم حبيبه فلينجز له فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول العدة عطية» والموقوف منه فقط عند البخاري في الأدب المفرد بزيادة، ولفظ الطبراني وابن عساكر من حديث علي مرفوعاً: «العدة دين ويل له ويل له ويل له» ثلاثاً. أي لمن وعد ثم أخلف أورد القضاعي منه لفظ المصنف، والديلمي معناه بلفظ: «الواعد بالعدة مثل الدين أو أشد» وفي لفظ له: «عدة المؤمن دين وعدة المؤمن كالأخذ باليد».

« العدة دين » ، وقال : « ثلاث في المنافق : إذا حدّث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » ، وقال : « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى » وذكر ذلك .

ومنهـا : أن ينصف الناس من نفسه ولا يأتي إليهم إلا بما يحب أن يؤتى إليه ، قال ﷺ : « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الإنفاق من الإقتار ،

(وقال ﷺ : « ثلاث) خصال **(في المنافق)** اللام إما للجنس أو للعهد ، فإن كانت للجنس على سبيل التشبيه والتمثيل لا على سبيل الحقيقة ، وإن كانت للعهد فيكون المراد المنافق الخاص بعينه أو من المنافقين الذين كانوا في زمنه ﷺ . **(إذا حدث كذب)** أي أخبر بخلاف الواقع ، **(وإذا وعد)** الإنسان بإيصال الخير في المستقبل **(أخلف)** وعده ولم يف به ، **(وإذا ائتمن)** أي جعل أميناً ويروي ائتمن بتشديد التاء **(خان »)** أي تصرف في الأمانة على غير وجه الشرع أو لم ينصح وفي ذكر « إذا » الدالة على تحقق الوقوع تنبيه على أن هذه عادة المنافق وفي الحديث حذف المفاعيل الثلاث من الأفعال الثلاثة تنبيهاً على العموم وفيه عطف العام عل الخاص ، فإن الوعد نوع من التحديث لكنه أفرده بالذكر تنبيهاً على زيادة قبحه ، ووجه الحصر في الثلاث هو التنبيه على فساد القول والفعل والنية . قال العراقي : متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ .

قلت : وهو في أول الصحيح للبخاري قال : حدثنا سليمان أبو الربيع ، حدثنا إسماعيل بن جعفر ، حدثنا نافع بن مالك ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا أئتمن خان » . وهكذا أخرجه أيضاً في الوصايا عن أبي الربيع ، وفي الشهادات عن قتيبة ، وفي الأدب عن أبي سلام ، وأخرجه مسلم في الإيمان عن قتيبة ، ويحي بن أيوب كلهم عن إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل عن أبيه . وأخرجه الترمذي والنسائي .

(وقال ﷺ : « ثلاث منّ كن فيه فهو منافق) أي حاله يشبه حال المنافق **(وإن صام)** الصوم المفروض **(وصلى »)** الصلاة المفروضة . وهذا الشرط اعتراض وارد للمبالغة لا يستدعي الجواب ذكره الزمخشري ، **(وذكر ذلك)** وهو من إذا حدث كذب وإذاوعدأخلف وإذا ائتمن خان . قال العراقي : رواه البخاري من حديث أبي هريرة وأصله في المتفق عليه اهـ .

قلت : لم يروه البخاري بهذا اللفظ ، وإنما رواه مسلم ، ورواه أبو يعلى ورستة في كتاب الإيمان ، وأبو الشيخ في التوبيخ من حديث أنس بلفظ : « وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال : إني مسلم » . والباقي سواء .

(ومنها أن ينصف الناس من نفسه ولا يأتي إليهم إلا بما يحب أن يؤتى إليه قال ﷺ : « لا يستكمل العبد الإيمان حتى تكون فيه ثلاث خصال : الإنفاق من الإقتار) أي الإفتقار . أقتر الرجل إذا افتقر فيكون المعنى الإنفاق من العدم وهو مشكل إذ العـدم لا ينفق منه ويخرج على وجوه : إما أن يكون من بمعنى : « في » والمعنى الإنفاق في حالة الفقر وهو من غاية الكرم ، أو

والإنصاف من نفسه، وبذل السلام ». وقال عليه السلام: « منّ سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وليؤت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه » وقال ﷺ: « يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً » قال الحسن: أوحى الله تعالى إلى

بمعنى عند أي عند الفقر **(والإنصاف من نفسه)** أي العدل منها. يقال: أنصف من نفسه وانتصفت أنا منه، **(وبذل السلام »)** أي اعطاؤه وإفشاؤه. قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمار بن ياسر وقفه البخاري اهـ.

قلت: لفظ البخاري المعلق في باب السلام من الإسلام وقال عمار: « ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان الإنصاف من نفسك وبذل السلام للعالم والإنفاق من الإقتار ».

قال أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة: حدثنا علي بن أحمد بن حفص، حدثنا أحمد بن علي المرهي، حدثنا أبو محمد الحسن بن علي بن جعفر الصيرفي، حدثنا أبو نعيم، حدثنا قطر عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر، عن عمار. ورواه رستة في كتاب الإيمان له، وأحمد في مسنده كلاهما من طريق سفيان، ورواه يعقوب بن شيبة في مسنده من طريق شعبة وزهير بن معاوية وغيرهما كلهم عن أبي إسحاق السبيعي عن صلة بن زفر عن عمار. ولفظ شعبة: « ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان » وهكذا في جامع معمر عن أبي إسحاق، وكذا رواه عبد الرزاق في المصنف فرفعه إلى النبي ﷺ. ورواه البزار في مسنده وابن أبي حاتم في العلل كلاهما عن الحسن بن عبد الله الكوفي. ورواه البغوي في شرح السنة من طريق أحمد بن كعب الواسطي وابن الأعرابي، وفي معجمه عن محمد بن الصباح عن الصغاني ثلاثتهم عن عبد الرزاق مرفوعاً. وقال البزار: غريب وقال أبو زرعة: هو خطأ وقد روي مرفوعاً من وجه آخر عن عمار أخرجه الطبراني في الكبير لكن في إسناده ضعف.

(وقال ﷺ: « من سره ان يزحزح) أي يخرج **(عن النار و)** إن **(يدخل الجنة فلتأته منيته)** أي موته المقدر **(وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه »)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ونحوه، والخرائطي في مكارم الأخلاق بلفظه اهـ.

قلت: ورواه كذلك الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية ولفظهم: « ويحب أن يأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه ».

(وقال ﷺ: « يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً) قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف، والمعروف أنه قال لأبي هريرة وقد تقدم اهـ.

آدم ﷺ بأربع خصال، وقال: فيهن جماع الأمر لك ولولدك، واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك، وواحدة بينك وبين الخلق، فأما التي لي تعبدني ولا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك فعملك أجزيك به أفقر ما تكون إليه، وأما التي بيني وبينك: فعليك الدعاء وعليَّ الإجابة، وأما التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذي تحب أن يصحبوك به، وسأل موسى عليه السلام الله تعالى فقال: أيّ رب أي عبادك أعدل؟ قال: من أنصف من نفسه.

ومنهـا: أن يزيد في توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم. روي أن عائشة رضي الله عنها كانت في سفر فنزلت منزلاً فوضعت طعامها، فجاء سائل فقالت عائشة: ناولوا هذا المسكين قرصاً، ثم مرَّ رجل على دابة فقالت: ادعوه إلى الطعام، فقيل لها: تعطين المسكين وتدعين هذا الغني؟ فقالت: إن الله تعالى أنزل الناس

قلت: وتمامه عند الخرائطي: «وارض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس».

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**أوحى الله إلى آدم عليه السلام بأربع**) خصال (**وقال: فيهن جماع الأمر لك ولولدك**) منها (**واحدة لي**) خاصة (**وواحدة لك**) خاصة، (**وواحدة بيني وبينك**) مشتركة، (**وواحدة بينك وبين الخلق**) عامة. (**فإما**) الخصلة (**التي لي**) خاصة (**تعبدني**) أي توحدني (**ولا تشرك بي شيئاً**) مما خلقت، (**وأما**) الخصلة (**التي لك**) خاصة (**فعملك أجزيك به**) إن خيراً فخير وإن شراً فشر (**أفقر ما تكون إليه**) أي أحوج، (**وأما**) الخصلة (**التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعليَّ الإجابة، وأما**) الخصلة (**التي بينك وبين الناس فتصحبهم بالذي تحب أن يصحبوك به**) كذا أورده صاحب القوت.

(**وسأل موسى عليه السلام ربه تعالى، فقال: يا رب أي عبادك أعدل**) أي أكثر عدلاً؟ (**فقال: من أنصف من نفسه**) وفي المرفوع من حديث ابن عمر، وعند الديلمي: «من أنصف الناس من نفسه ظفر بالجنة العالية».

(**ومنها: أن يزيد في توقير من تدل هيئته**) الظاهرة (**وثيابه**) أي ملبسه وكذا مركبه (**على علو منزلته**) ورفع مقامه (**فينزل الناس منازلهم**) ويدل على ذلك ما (**روي أن عائشة رضي الله عنها كانت في سفر فنزلت منزلاً فوضعت طعامها**) لتأكل (**فجاء سائل**) فسأل، (**فقالت عائشة رضي الله عنها**) لخدمها: (**ناولوا هذا المسكين**) من هذا الطعام (**قرصاً، ثم مر رجل**) آخر ذو هيئة وهو راكب (**على دابة، فقالت: ادعوه إلى الطعام، فقيل لها تعطين المسكين**) قرصاً (**وتدعين**) أي تطلبين (**هذا الغني، فقالت: إن الله عز وجل قد أنزل**

منازل لا بدّ لنا من أن ننزلهم تلك المنازل، هذا المسكين يرضى بقرص، وقبيح بنا أن نعطي هذا الغني على هذه الهيئة قرصاً. وروي أنه ﷺ دخل بعض بيوته فدخل عليه أصحابه حتى غصّ المجلس وامتلأ؛ فجاء جرير بن عبدالله البجلي فلم يجد مكاناً فقعد على الباب فلف رسول الله ﷺ رداءه فألقاه إليه وقال له: اجلس على هذا فأخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي، ثم لفه ورمي به إلى النبي ﷺ وقال: ما كنت

الناس منازل لا بد لنا أن ننزلهم تلك المنازل. هذا المسكين رضي بقرص وقبيح بنا أن نعطي هذا الغني على هذه الهيئة قرصاً).

روى مسلم في أول صحيحه بلا إسناد تعليقاً فقال: ويذكر عن عائشة قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم، ووصله أبو نعيم في المستخرج وغيره كأبي داود في السنن، وابن خزيمة في الصحيح، والبزار، وأبو يعلى في مسنديها، والبيهقي في الأدب والعسكري في الأمثال وغيرهم كلهم من طريق ميمون بن أبي شبيب قال: جاء سائل إلى عائشة فأمرت له بكسرة، وجاء رجل ذو هيئة فأقعدته معها فقيل لها: لم فعلت ذلك؟ قالت: أمرنا وذكره. ومنهم من اختصر هذا. ولفظ أبي نعيم في الحلية أن عائشة كانت في سفر وأمرت لناس من قريش بغداء فجاء رجل غني ذو هيئة فقالت: أدعوه فنزل فأكل ومضى، وجاء سائل فأمرت له بكسرة فقالت: إن هذا الغني لم يجمل بنا إلا ما صنعناه به وإن هذا الفقير سأل فأمرت له بما يترضاه وإن رسول الله ﷺ أمرنا وذكره. ولفظ أبي داود وأنزلوا الناس منازلهم، وقد صحح هذا الحديث الحاكم في معرفة علوم الحديث وكذا غيره وتعقب بالإنقطاع وبالإختلاف على رواية في رفعه.

قال السخاوي في المقاصد: وبالجملة فحديث عائشة حسن وفي هذا الباب عن معاذ وجابر وعلي، فحديث معاذ «أنزل الناس منازلهم من الخير والشر وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة» رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق مرفوعاً.

وحديث جابر «جالسوا الناس على قدر أحسابهم وخالطوا الناس على قدر أديانهم وأنزلوا الناس منازلهم وداروا الناس بعقولكم» رواه الغسولي في جزئه مرفوعاً.

وحديث علي «من أنزل الناس منازلهم رفع المؤنة عن نفسه ومن رفع أخاه فوق قدره اجتر عداوته» رواه أبو الزهري في تذكرة الغافل موقوفاً.

(وروي أنه ﷺ دخل بعض بيوته فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ) وفي نسخة: حتى دهس وامتلأ المجلس، **(فجاء جرير بن عبد الله البجلي)** رضي الله عنه **(فلم يجد مكاناً فقعد على الباب فلف رسول الله ﷺ رداءه فألقاه إليه وقال له: إجلس على هذا فأخذه جرير)** رضي الله عنه **(ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي، ثم لفه فرمى به إلى**

لأجلس على ثوبك؛ أكرمك الله كما أكرمتني، فنظر النبي ﷺ يميناً وشمالاً ثم قال: « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه »، وكذلك كل من له عليه حق قديم فليكرمه، روي « أن

النبي ﷺ وقال: ما كنت لأجلس على ثوبك أكرمك الله كما أكرمتني فنظر النبي ﷺ ثم قال: « إذا أتاكم كريم قوم) أي رئيسهم المطاع فيهم المعود منهم بإكثار الاحترام. وفي رواية « كريمة قوم » قال ابن الأثير. والهاء فيه للمبالغة **(فاكرموه »)** برفع مجلسه وإجزال عطيته ونحو ذلك لأن الله عوده ذلك ابتلاء منه له، فمن استعمل معه غيره فقد استهان به وجفله وأفسد عليه دينه، فإن ذلك يورث في قلبه الغل والحقد والبغضاء والعداوة وذلك يجر إلى سفك الدماء وفي إكرامه اتقاء شره وإبقاء دينه فإنه قد تعزز بدنياه وتكبر وتاه وعظم في نفسه، فإذا حقرته فقد أهلكته من حيث الدين والدنيا، وبه عرف أنه ليس المراد بكريم القوم عالمهم أو صالحهم كما وهم البعض. ألا تراه أنه لم ينسبه في الحديث إلى علم ولا إلى دين، ومن هذا البيان انكشف لك أن استثناء الفاسق والكافر كما وقع للبعض منشؤه الغفلة عما تقرر من أن الإكرام شرط بخوف محذور ديني أو دنيوي أو لحوق ضرر للفاعل، فمتى خيف شيء من ذلك شرع إكرامه كائناً من كان، بل قد يجب فيمن قدم عليه بعض الولاة الفسقة الظلمة فأقصى مجلسه وعامله بمعاملة الرعية فقد عرض نفسه وماله للبلاء، فإن أوذي ولم يصبر فقد خسر الدنيا والآخرة.

قال العراقي: رواه الحاكم من حديث جابر وقال: صحيح الإسناد وتقدم في الزكاة مختصراً اهـ.

قلت: ورواه ابن ماجه في سننه من طريق سعيد بن مسلمة، عن محمد بن عجلان، عن نافع، عن ابن عمر رفعه بهذا، وسنده ضعيف محمد بن عجلان ذكره البخاري في الضعفاء وقال الحاكم: سيء الحفظ ولم يخرج له مسلم إلا في الشواهد، لكن روى الطبراني في الأوسط من طريق حصين بن عمر الأحمسي عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير البجلي قال: لما بعث النبي ﷺ أتيته فقال: ما جاء بك؟ قلت: جئت لأسلم فألقى إليّ كساءه وقال « إذا أتاكم » الخ. وحصين فيه ضعف.

وله طريق آخر عند الطبراني في الأوسط والصغير بسند ضعيف، وآخر عن البزار في مسنده من حديث جرير وهو ضعيف أيضاً عن أبي بريدة عن يحي بن يعمر عن جرير قال: أتيت النبي ﷺ فبسط إليّ رداءه وقال: اجلس على هذا. فقلت، أكرمك الله كما أكرمتني، فقال ﷺ « إذا أتاكم » الخ. وقال: إنه غريب بهذا الإسناد ويحي بن يعمر لا نعلم روى عن جرير إلا هذا.

وللعسكري في الأمثال، وابن شاهين، وابن السكن، وأبي نعيم وابن منده في كتبهم من الصحابة، وابن سعد في شرف المصطفى، والحكيم الترمذي، وآخرين كلهم من طريق صابر بن سالم بن حميد بن يزيد بن عبد الله بن حمزة، حدثني أبي، عن أبيه، حدثني يزيد بن عبد الله، حدثتني أختي أم القصاف قالت: حدثني أبي عبد الله بن حمزة أنه بينما هو قاعد عند رسول الله

ظئر رسول الله ﷺ التي أرضعته جاءت إليه فبسط لها رداءه، ثم قال لها مرحباً بأمي ثم أجلسها على الرداء، ثم قال لها: اشفعي تشفعي وسلي تعطي فقالت: قومي. فقال: أما حقي وحق بني هاشم فهو لك؟ فقام الناس من كل ناحية وقالوا: وحقنا يا رسول الله، ثم وصلها بعد وأخدمها ووهب لها سهمانه بحنين (١)، فبيع ذلك من عثمان بن عفان رضي

ﷺ في جماعة من أصحابه إذ قال: «سيطلع عليكم من هذه الثنية خير ذو يمن» فإذا هم بجرير بن عبد الله فذكر قصة طولها بعضهم وفيه فقالوا: يا نبي الله لقد رأينا منك له ما لم نره لأحد فقال: «نعم هذا كريم قوم فإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» وليس عند ابن السكن حدثتني أختي وسنده مجهول.

وللعسكري فقط من حديث مجالد عن الشعبي عن عدي بن حاتم أنه لما دخل على النبي ﷺ ألقى إليه وسادة فجلس على الأرض وقال: أشهد أنك لا تبغي علواً في الأرض ولا فساداً فاسلم، ثم قال رسول الله ﷺ وذكره. وسنده ضعيف أيضاً.

وللدولابي في الكنى من طريق عبد الرحمن بن خالد بن عثمان، عن أبيه، عن عثمان، عن جده محمد بن عثمان بن عبد الرحمن، عن جده أبي راشد عبد الرحمن بن عبد الله قال: قدمت على النبي ﷺ في مائة رجل من قومي فذكر حديثاً وفيه: «أن النبي ﷺ أكرمه فاجلسه وكساه رداءه ودفع إليه عصاه وأنه أسلم فقال له رجل من جلسائه: يا رسول الله إنا نراك أكرمت هذا الرجل. فقال: إن هذا شريف قوم وإذا أتاكم شريف قوم فأكرموه».

ولأبي داود في المراسيل وسنده صحيح من حديث طارق عن الشعبي رفعه مرسلاً «إذا أتاكم شريف قوم فاكرموه» وقال: روي متصلاً وليس بشيء. وفي الباب عن ابن عباس ومعاذ وأبي قتادة وأبي هريرة وآخرين منهم أنس.

(ومنها): أن **(كل من له عليه حق فليكرمه. روي «أن ظئر رسول الله ﷺ التي أرضعته)** وأصل الظئر بالكسر وسكون الهمزة ويجوز تخفيفها الناقة تعطف على غير ولدها، ثم سميت به المرأة تحضن ولد غيرها ويقال للرجل الحاضن ظئراً أيضاً والجمع آظار كحمل وأحمال، والمراد هنا حليمة السعدية رضي الله عنها **(جاءت إليه)** زائرة **(فبسط لها رداءه)** الذي عليه، **(ثم قال لها: مرحباً بأمي ثم أجلسها على الرداء، ثم قال لها: اشفعي تشفعي)** أي تقبل شفاعتك **(وسلي تعطي فقالت)**: هبني **(قومي)** بني سعد من هوازن فإن النبي ﷺ كان أغار عليهم، **(فقال: أما حقي وحق بني هاشم فهو لك)** أي وهبناه لك، **(فقام الناس من كل ناحية وقالوا: وحقنا يا رسول الله)** أي كذلك هبة لها **(ثم وصلها بعد)** ذلك **(وأخدمها)** أي أعطاها خادماً **(ووهب لها سهمانه)** الذي أصابها **(من خيبر)** فأخذت ذلك وانصرفت مكرمة، **(فبيع ذلك من عثمان بن عفان رضي الله عنه بمائة ألف درهم»)** وذلك أيام

(١) في سياق الشرح: «من خيبر» بدلاً من: «بحنين».

الله عنه بمائة ألف درهم » « ولربما أتاه من يأتيه وهو على وسادة جالس ولا يكون فيها سعة يجلس معه فينزعها ويضعها تحت الذي يجلس إليه فإن أبى عزم عليه حتى يفعل » .

ومنها : أن يصلح ذات البين بين المسلمين مهما وجد إليه سبيلاً . قال ﷺ : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة ؟ قالوا : بلى ، قال : إصلاح ذات البين

خلافته . قال العراقي : رواه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي الطفيل مختصراً في بسط ردائه لها دون ما بعده .

إن قلت : أما حليمة بنت أبي ذؤيب فإنها جاءته يوم خيبر فقام إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه ذكره ابن عبد البر .

وروي أيضاً وكذا ابن قتيبة إن خيلاً له ﷺ أغارت على هوازن ، فأخذوا الشيماء بنت حليمة أخته ﷺ من الرضاعة فقالت : أنا أخت صاحبكم ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ قالت له : يا محمد أنا أختك فرحب بها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه ودمعت عيناه ، وقال لها : « إن أحببت فأقيمي عندي مكرمة محببة وإن أحببت أن ترجعي إلى قومك وصلتك » . قالت : بل ارجع إلى قومي فأسلمت وأعطاها النبي ﷺ ثلاثة أعبد وجارية ونعماً وشاء .

وفي مغازي موسى بن عقبة أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الطائف إلى الجعرانة وفيها سبي هوازن قدمت عليه وفود هوازن مسلمين فيهم ستة نفر من أشرافهم فأسلموا وبايعوا ثم كلموه فقالوا : يا رسول الله إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمات والخالات ، فقال : سأطلب لكم ، وقد وقعت المقاسم وفيه أما الذي لبني هاشم فهو لكم وسوف أكلم لكم المسلمين قال ثم تشفع لهم » .

وعند الطبراني في قصة زهير بن صرد لما أنشد تلك الأبيات ثم ساقها ، وفيها قوله ﷺ « ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم » وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ورسوله ، وقالت الأنصار كذلك .

(« ولربما أتاه) ﷺ (من يأتيه وهو على وسادة جالس فلا يكون فيها سعة يجلس معهم فينزعها) من تحته (ويضعها تحت الذي يجلس إليه فإن أبى)من جلوسه عليها (عزم عليه حتى يفعل ») قال العراقي : رواه أحمد من حديث ابن عمرو « أنه دخل عليه ﷺ فألقى له وسادة حشوها ليف » الحديث وإسناده صحيح ، وللطبراني من حديث سلمان « دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكيء على وسادة فألقاها إليّ » وسنده ضعيف . قال صاحب الميزان : هذا خبر ساقط .

(ومنها : إن يصلح ذات البين بين المسلمين) يعني الفساد بين القوم والفتنة الثائرة بينهم فيصلحها ويزيل أسبابها ولو بتحمل حمالة على نفسه (مهما وجد إليه سبيلاً) سهلاً . (قال ﷺ « ألا أخبركم بأفضل) أي بدرجة هي أفضل (من درجة الصيام والصلاة والصدقة) أي

وفساد ذات البين هي الحالقة »، وقال ﷺ: « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين » وعن النبي ﷺ فيما رواه أنس رضي الله عنه قال: « بينما رسول الله ﷺ جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما الذي أضحكك؟ قال: رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من هذا، فقال الله تعالى: رد على أخيك مظلمته. فقال: يا رب لم يبق لي من حسناتي شيء، فقال الله تعالى للطالب: كيف تصنع بأخيك ولم يبق له من حسناته شيء؟ فقال: يا رب فليحمل عني من أوزاري. ثم فاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء فقال: إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم قال: فيقول الله تعالى ـ أي للمتظلم ـ ارفع بصرك فانظر في الجنان فقال: يا رب أرى مدائن من فضة

المستمرات أو الكثيرات؟ **(قالوا: بلى)** أخبرنا به. **(قال: إصلاح ذات البين)** أي إصلاح أحوال البين حتى تعود إلى صحبة وإلفة أو هو إصلاح الفساد والفتنة التي بين المسلمين **(وفساد ذات البين هي الحالقة »)** أي الخصلة التي شأنها أن تحلق أي تهلك وتستأصل الدين كما يستأصل المزينون الشعر، أو المراد المزيلة لمن وقع فيها لما يترتب عليه من الفساد والضغائن. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي الدرداء اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وقال الحافظ ابن حجر: سنده صحيح.

(وقال ﷺ « أفضل الصدقة إصلاح ذات البين ») قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير، والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو، وفيه عبد الرحمن بن زياد الأفريقي ضعفه الجمهور اهـ.

قلت: ووقع في نسخ الجامع للجلال عبد الله بن عمر، وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم وإن كان ضعيفاً لكن حديثه هذا أحسن لحديث أبي الدرداء السابق قاله المنذري.

(و)روي **(عن أنس)** رضي الله عنه **(قال: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر)**بن الخطاب رضي الله عنه: **(بأبي أنت وأمي ما الذي أضحكك يا رسول الله؟ قال: « رجلان من أمتي جثيا)** على ركبهما **(بين يدي رب العزة)** جل شأنه **(فقال أحدهما: يا رب خذ مظلمتي من هذا. فقال الله عز وجل: رد على أخيك المسلم مظلمته؟ فقال: يا رب لم يبق لي من حسناتي شيء. فقال الله تعالى للطالب: كيف تصنع بأخيك لم يبق من حسناته شيء؟ فقال: يا رب فليحمل عني من أوزاري)** شيئاً، **(ثم فاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء)** لما تذكر ذلك الموقف العظيم **(فقال: إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس)** فيه **(إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم فيقول الله عز وجل للمظلوم)** وفي نسخة للمتظلم: **(إرفع بصرك فانظر في الجنان)** فيرفع بصره **(فقال: يا رب أرى مدائن من**

وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق أو لأي شهيد ؟ قال الله تعالى : هذا لمن أعطى الثمن . قال : يا رب ومن يملك ذلك ؟ قال : أنت تملكه ، قال : بماذا يا رب ؟ قال : بعفوك عن أخيك ، قال : يا رب قد عفوت عنه ، فيقول الله تعالى : خذ بيد أخيك فادخله الجنة ، ثم قال ﷺ : « اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة » وقد قال ﷺ : « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً » وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس لأن ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه ، وقال ﷺ : « كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب ، فإن الحرب خدعة ، أو يكذب بين اثنين فيصلح بينهما أو يكذب لامرأته ليرضيها » .

فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا) من بين الأنبياء ؟ **(أو لأي صديق هذا ؟ أو لأي شهيد هذا ؟ فيقول الله عز وجل : هذا لمن أعطى الثمن فيقول : يا رب ومن يملك ذلك ؟ قال : أنت تملكه . قال : بماذا يا رب ؟ قال : بعفوك عن أخيك . قال : يا رب قد عفوت عنه ، فيقول الله عز وجل : خذ بيد أخيك فادخله الجنة ، ثم قال ﷺ : اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة »)** قال العراقي : رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد وضعفه البخاري وابن حبان .

(وقد قال ﷺ « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين) متشاجرين أو متباغضين ، وفي رواية : ليس الكذاب بالذي ، وفي أخرى الذي يصلح بين الناس **(فقال خيراً أو نما)** أي رفع **(خيراً)** أي على وجه الإصلاح وفي رواية : فينمي خيراً ويقول خيراً ، والمراد لا يأثم في كذبه من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم ، والمراد بقوله قال خيراً أي أخبر بخير ما عمله ويسكت عما عمله من الشر فإن ذلك جائز بل محمود ، بل قد يندب ، بل قد يجب وإليه أشار المصنف بقوله : **(وهذا يدل على وجوب الإصلاح لأن ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب إلا بواجب آكد منه)** لكن في اشتراط قصد التورية خلف ، وليس المراد نفي ذات الكذب بل نفي إثمه فالكذب كذب لا صلاح أو غيره . قال العراقي : متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط اهـ .

قلت : وكذلك رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن جرير كلهم من حديث حميد بن عبد الرحمن عن أمه أم كلثوم بنت عقبة ، ورواه الطبراني في الكبير من حديث شداد بن أوس .

(وقال ﷺ « كل الكذب مكتوب) على ابن آدم وفي رواية : يكتب **(إلا)** ثلاثاً **(أن يكذب الرجل في الحرب)** فلا يكتب عليه ذلك **(فإن الحرب خدعة)** بل قد يجب إذا دعت اليه ضرورة أهل الإسلام ، **(أو يكذب بين اثنين)** بينهما نحو إحن وفتن **(ليصلح بينهما)** بقوله ذلك ، **(أو يكذب لامرأته ليرضيها »)** فالكذب في هذه الأحوال غير محرم ، بل قد يجب .

ومنهـا: أن يستر عورات المسلمين كلهم قال ﷺ: «من ستر على مسلم ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة»، وقال: «لا يستر عبد عبداً إلا ستره الله يوم القيامة»، وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، قال ﷺ: «لا يرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة»، وقال ﷺ لماعـز لما أخبره: «لو سترته بثوبك كان خيراً لك»

ومحصوله: أن الكذب تجري فيه الأحكام الخمسة، وسيأتي ضابطه في كلام المصنف في ربع المهلكات. قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث النواس بن سمعان وفيه انقطاع وضعف، ولمسلم نحوه من حديث أم كلثوم بنت عقبة اهـ.

قلت وكذلك رواه الطبراني في الكبير وابن السني في عمل يوم وليلة، ومن سندهم محمد بن جامع العطار وهو ضعيف، ورواه ابن عدي في الكامل من حديث أسماء بنت يزيد بزيادة في أوله.

(ومنها: أن يستر عورات المسلمين كلهم) بالإغضاء عنهم وعدم إفشاء أسرارهم **(قال ﷺ «من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة»)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة، وللشيخين من حديث ابن عمر «من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» اهـ.

قلت: وحديث ابن عمر هذا رواه أيضاً الخرائطي في مكارم الأخلاق، ويروى «من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة» رواه أحمد والبيهقي وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، وأبو نعيم والخطيب من حديث مسلمة بنت مخلد، وروى أحمد عن رجل من الصحابة «من ستر أخاه المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيامة». وروى عبد الرزاق من حديث عقبة بن عامر «من ستر مؤمناً في الدنيا على عورة ستره الله يوم القيامة».

(وقال ﷺ «لا يستر عبد عبداً إلا ستره الله يوم القيامة») قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وكذلك رواه البيهقي في الشعب.

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: «لا يرى امرؤ في أخيه عورة فسترها عليه إلا دخل الجنة»)** قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط والصغير، والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له بسند ضعيف اهـ.

قلت: وفي رواية فيسترها عليه، وفي أخرى إلا أدخل الجنة، وكذلك رواه عبد بن حميد، ورواه ابن النجار من حديث عقبة بن عامر بلفظ «أدخله» ورواه الطبراني في الكبير بلفظ المصنف من حديث عقبة بن عامر.

(وقال ﷺ لماعز) هو ابن مالك الأسلمي **(لما أخبره)** عن قصته **(«لو سترته بثوبك**

فإذاً على المسلم أن يستر عورة نفسه فحق إسلامه واجب عليه كحق إسلام غيره. قال أبو بكر رضي الله عنه: لو وجدت شارباً لأحببت أن يستره الله، ولو وجدت سارقاً لأحببت أن يستره الله. وروي أن عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ذات ليلة فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة فلما أصبح قال للناس: أرأيتم لو أن إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين؟ قالوا: إنما أنت إمام، فقال علي رضي الله عنه: ليس ذلك لك، إذاً يقام عليك الحد إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود، ثم تركهم ما شاء الله أن يتركهم ثم سألهم، فقال القوم مثل مقالتهم الأولى، فقال علي رضي الله عنه: مثل مقالته الأولى. وهذا يشير إلى أن عمر رضي الله عنه كان متردداً

كان خيراً لك») قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي من حديث نعيم بن هزال، والحاكم من حديث هزال نفسه. وقال: صحيح الإسناد، ونعيم مختلف في صحبته اهـ.

قلت: هذه القصة ساقها ابن الأثير وهو في جزء ابن الطلاية، ونعيم بن هزال الأسلمي نزل المدينة روى عنه ابنه قصة ماعز، وقيل: الصحبة لأبيه هزال بن يزيد الأسلمي وهو الذي قال له رسول الله ﷺ: «يا هزال لو سترته بثوبك كان خيراً لك» كذا في صحيح ابن فهد، وهكذا رواه أحمد والطبراني في الكبير من طريق يزيد بن نعيم عن أبيه، وروى ابن سعد في الطبقات من طريق يزيد بن نعيم عن ابيه عن جده «بئسما صنعت بيتيمك لو سترت عليه بطرف ردائك لكان خيراً لك».

(فإذاً على المسلم أن يستر عورة نفسه فحق إسلامه واجب عليه كحق إسلام غيره. قال أبو بكر رضي الله عنه: لو وجدت شارباً) في خمر **(لأحببت أن يستره الله، ولو وجدت سارقاً)** في سرقة **(لأحببت أن يستره الله)**.

(وروي أن عمر)بن الخطاب **(رضي الله عنه كان يعس بالمدينة ليلاً)** أي يدور بها طائفاً في طلب الريبة **(ذات ليلة)** أي ليلة من الليالي ولفظة: ذات مقحمة **(فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة)** أي يزنيان، **(فلما أصبح قال للناس: أرأيتم لو أن إماماً رأى رجلاً وامرأة)** على فاحشة فأقام عليهما الحد الشرعي **(ما كنتم فاعلين؟ قالوا: إنما أنت إمام)** أي فافعل ما يظهر لك من إقامة الحد، **(فقال علي رضي الله عنه: ليس ذلك لك إذاً يقام عليك الحد إن الله)** تعالى **(لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهداء)**. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم﴾ [النور: ٤]قال: يعني الحكام إذا رفع إليهم ما دام كان حياً، **(ثم تركهم ما شاء الله أن يتركهم ثم سألهم فقال القوم مثل مقالتهم الأولى، وقال علي مثل مقالته)** الأولى كذلك، **(وهذا يشير إلى أن عمر**

في أن الوالي هل له أن يقضي بعلمه في حدود الله ؟ فلذلك راجعهم في معرض التقدير لا في معرض الاخبار خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفاً بإخباره ، ومال رأي علي إلى أنه ليس له ذلك . وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لستر الفواحش فإن أفحشها الزنا ، وقد نيط بأربعة من العدول ـ ويشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالمرود في المكحلة ـ وهذا قط لا يتفق ، وإن علمه القاضي تحقيقاً لم يكن له أن يكشف عنه . فانظر إلى الحكمة في حسم باب الفاحشة بإيجاب الرجم الذي هو أعظم العقوبات . ثم انظر إلى كثيف ستر الله كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه ؟ فنرجو أن لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر . ففي الحديث : « إن الله إذا ستر على عبد عورته في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى » . وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : خرجت مع عمر

رضي الله عنه كان متردداً في أن الوالي هل له أن يقضي بعلمه في حدود الله تعالى فلذلك راجعهم في معرض الفتوى) وفي نسخة التقرير **(لا في معرض الأخبار خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذفاً بأخباره، ومال رأي علي رضي الله عنه إلى أنه ليس له ذلك وهذا من أعظم الأدلة على طلب الشرع لسترة الفواحش)** والتحذير على كشفها ، **(فإن أفحشها الزنا)** لأنه يتعلق بالعرض ، **(وقد نيط بأربعة من العدول يشاهدون ذلك منه)** كناية عن الذكر **(في ذلك منها)** كناية عن الفرج **(كالمرود)** أي الميل **(في المكحلة)** أو الإبرة في المخيط **(وهذا قط لا يتفق)** لصعوبته ، **(فإن علمه القاضي تحقيقاً لم يكن له أن يكشف عنه، فانظر)** أيها المتأمل **(إلى الحكمة)** الإلهية **(في حسم باب الفاحشة)** وسده **(بإيجاب الرجم الذي هو أعظم العقوبات)** وأكبر الفضائح الدنيوية ، **(ثم انظر إلى كثيف)** وفي نسخة كنف **(ستر الله تعالى كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه، فنرجو أن لا نحرم هذا الكرم)** الإلهي **(يوم تبلى السرائر)** أي تمتحن البواطن ، **(ففي الحديث)** عن النبي ﷺ **(قال « إن الله تعالى إذا ستر على عبده عورة في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها)** عليه **(في الآخرة فإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى »)** قال العراقي : رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث علي « من أذنب ذنباً في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يرجع في شيء قد عفا عنه ، ومن أذنب ذنباً فعوقب عليه فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده » لفظ الحاكم . وقال : صحيح على شرط الشيخين ، ولمسلم من حديث أبي هريرة « لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة » اهـ .

قلت : ورواه أحمد ، وابن جرير ، وصححه من حديث علي بلفظ : « من أذنب في الدنيا ذنباً

رضي الله عنه ليلة في المدينة فبينما نحن نمشي إذ ظهر لنا سراج فانطلقنا نؤمه فلما دنونا منه إذا باب مغلق على قوم لهم أصوات ولغط فأخذ عمر بيدي وقال: أتدري بيت من هذا؟ قلت: لا، فقال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه. قال الله تعالى: ﴿ولا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢] فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم، وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع، وقد قال ﷺ لمعاوية: «إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم». وقال ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عـوراتهم

فعوقب عليه فالله أعدل أن يثني عقوبته على عبده، ومن أذنب ذنباً في الدنيا فستر الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه».

(و) أخرج عبد بن حميد، وعبد الرزاق، والخرائطي في مكارم الأخلاق من طريق زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف عن المسور بن مخرمة، **(عن عبد الرحمن بن عوف قال: حرست مع عمر رضي الله عنهما ليلة بالمدينة فبينا نحن نمشي إذ)** شب أي **(ظهر لنا سراج)** في بيت **(فانطلقنا نؤمه)** أي نقصده، **(فلما دنونا منه إذا باب)** مجاف أي **(مغلق على قوم لهم)** فيه **(أصوات)** مرتفعة **(ولغط)** محركة اختلاط الأصوات، **(فأخذ عمر رضي الله عنه بيدي وقال: أتدري بيت من هذا؟ قلت: لا. قال)**: هذا بيت **(ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب)** بفتح فسكون للجماعة يشربون الخمر، **(فما ترى؟ قلت: أرى أنا أتينا ما نهى الله عنه قال الله تعالى ﴿ولا تجسسوا﴾ فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم)** على حالهم، ونحو ذلك ما أخرجه سعيد بن منصور، وابن المنذر، عن الشعبي أن عمر بن الخطاب فقد رجلاً من أصحابه فقال لابن عوف: انطلق بنا إلى منزل فلان ننظره فأتيا منزله فوجدا باباً مفتوحاً وهو جالس وامرأته تصب له في إناء فتناوله إياه فقال عمر لابن عوف: هذا الذين شغله عنا. فقال ابن عوف لعمر وما يدريك ما في الإناء؟ فقال عمر: أتخاف أن يكون هذا التجسس. قال: بل هو التجسس. قال: وما التوبة من هذا؟ قال: لا تعلمه بما اطلعت عليه من أمره ولا يكونن من نفسك إلا خيراً ثم انصرفا. وأخرجا أيضاً عن الحسن قال: أتى عمر بن الخطاب رجل فقال: إن فلاناً لا يصحو فدخل عليه عمر فقال: إني لأجد ريح شراب يا فلان أتيت بهذا، فقال الرجل: يا ابن الخطاب وأنت بهذا لم ينهك الله أن تتجسس فعرفها عمر فانطلق وتركه.

(فهذا) وأمثاله **(يدل على وجوب الستر)** على الأخ المسلم **(وترك التتبع)** لعوراته، **(وقد قال ﷺ لمعاوية)** بن أبي سفيان رضي الله عنه: **(«إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم»)** قال العراقي: رواه أبو داود بإسناد صحيح من حديث معاوية اهـ.

(وقال ﷺ «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا الناس ولا

فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته». وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لو رأيت أحداً على حد من حدود الله تعالى ما أخذته ولا دعوت له أحداً حتى يكون معي غيري. وقال بعضهم: كنت

تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته») قال العراقي: رواه أبو داود من حديث أبي برزة بإسناد جيد، وللترمذي نحوه من حديث ابن عمر وحسنه اهـ.

قلت: حديث أبي برزة الأسلمي رواه أيضاً هكذا أحمد، وأبو يعلى، وابن أبي الدنيا، وابن المنذر، وابن مردوية والطبراني في الكبير والبيهقي. ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في الغيبة، وأبو يعلى والضياء في المختارة من حديث البراء بزيادة: خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في الخدر ينادي بأعلى صوته يا معشر الخ.

وروي ذلك أيضاً من حديث ابن عباس ولفظه: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته حتى يخرقه الله عليه في بطن بيته» هكذا رواه العقيلي وابن مردويه.

وروى ابنه من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه ولفظه «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تذموا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من يطلب عورة أخيه المسلم هتك الله ستره وأبدى عورته ولو كان في سر بيته» هكذا رواه الطبراني في الكبير.

ورواه كذلك ابن مردويه بزيادة «صلينا الظهر خلف نبي الله ﷺ فلما انفتل أقبل علينا غضبان مسفراً ينادي بأعلى صوته اسمع العواتق في جوب الخدور «يا معشر» الخ.

وأما حديث ابن عمر الذي أشار إليه العراقي فلفظه «يا معشر بن أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» هكذا ساقه الترمذي وقال: حسن غريب رواه ابن حبان كذلك. ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس.

ويروى أيضاً من مرسل جبير بن نفير ولفظه «يا معشر الذين أسلموا بألسنتهم ولم يدخل الإيمان في قلوبهم لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عثراتهم فإنه من يتبع عثرة أخيه المسلم يتبع الله عثرته ومن يتبع الله عثرته يفضحه وهو في قعر بيته» الحديث بطوله هكذا أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول.

(وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لو رأيت أحداً على حد من حدود الله تعالى ما أخذته ولا دعوت له أحداً حتى يكون معي غيري) أي فالحاكم وحده لا يجوز له أن يهتك

قاعداً مع عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، إذ جاءه رجل بآخر، فقال: هذا نشوان، فقال عبدالله بن مسعود: استنكهوه فاستنكهوه فوجدوه نشواناً فحبسه حتى ذهب سكره، ثم دعا بسوط فكسر ثمره ثم قال للجلاد اجلد وارفع يدك واعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء أو مرط، فلما فرغ قال للذي جاء به: ما أنت منه؟ قال عمه، قال عبدالله: ما أدبت فأحسنت الأدب ولا سترت الحرمة! إنه ينبغي للإمام إذا انتهى إليه حدٌّ أن يقيمه وإن الله عفوّ يحب العفو ثم قرأ: ﴿وليعفُوا وليصْفَحُوا﴾ [النور: ٢٢]، ثم قال: « إني لأذكر أول رجل قطعه النبي ﷺ أتي بسارق فقطعه فكأنما أسف وجهه، فقالوا: يا رسول الله كأنك كرهت قطعه، فقال: وما يمنعني! لا تكونوا عوناً للشياطين على أخيكم. فقالوا: ألا عفوت عنه؟ فقال: إنه ينبغي للسلطان إذا انتهى إليه حد أن يقيمه إن الله عفو يحب العفو وقرأ: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألاَ تحبونَ أن يَغْفِرَ اللهُ لَكُم والله

ستر عبده وقد ستره الله تعالى.

(**وقال بعضهم: كنت قاعداً مع عبد الله بن مسعود**) رضي الله عنه (**إذ جاءه رجل تاجر فقال: هذا نشوان**) أي سكران (**فقال عبد الله بن مسعود**) رضي الله عنه: (**استنكهوه**) أي شموه (**ففعلوا**) به ذلك (**فوجدوه نشواناً**) كما قال، (**فحبسه حتى ذهب سكره ثم دعا بسوط فكسر ثمرته ثم قال للجلاد: اجلد وارفع يدك واعط كل عضو حقه فجلده وعليه قباء أو مرط**) بكسر الميم كساء من صوف، وفي نسخة أو قرطق وهو بضم القاف وفتح الطاء معرب كرته وهو قميص صغير على الجسد، (**فلما فرغ**) الجلاد (**قال للذي جاء به: ما أنت منه؟ قال**) أنا (**عمه**) في النسب (**فقال له عبد الله**) رضي الله عنه: (**ما أدبت فأحسنت الأدب ولا سترت الخزية**) أي الفضيحة والمذلة الحاصلة من تلك الفعلة (**أنه ينبغي للإمام إذا انتهى إليه حد**) من حدود الله (**أن يقيمه**) كما أمر الله تعالى، (**وأن الله عفو يحب العفو، ثم قرأ**) قوله تعالى: ﴿**وليعفوا وليصفحوا**﴾ قال: ثم شرع يحدثنا فقال: (**إني لأذكر أول رجل قطعه النبي ﷺ أتي بسارق فقطعه**) أي قطع يده (**فكأنما أسف وجهه**) أي تغير من الإسفاف، (**فقالوا: يا رسول الله كأنك كرهت قطعه؟ فقال: « ما يمنعني**) عن الكراهة (**لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم**) أي لا تتبعوا الشيطان ولا تكونوا عوناً له فإنه يفرح في إخوانكم المسلمين إذا أصيبوا بمثل ذلك، (**فقالوا: ألا عفوت**) يا رسول الله (**فقال: إنه ينبغي للسلطان إذا انتهى إليه حد**) من حدود الله (**أن يقيمه إن الله عفو يحب العفو**) وهذه الجملة أعني قوله أن الله هنا حديث مستقل رواه الحاكم عن ابن مسعود، ورواه ابن عدي من حديث عبد الله بن جعفر، (**وقرأ** ﴿**وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم**﴾) . قال العراقي: رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

غفور رحيم﴾ [النور : ٢١]. وفي رواية : فكأنما سفي في وجه رسول الله ﷺ رماد لشدة تغيره. وروي أن عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت

(وفي رواية أخرى: كأنما سفي في وجه رسول الله ﷺ رماد) هكذا رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق **(لشدة تغيره)**.

وأخرج عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبو داود وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب عن زيد بن وهب قال: أتى ابن مسعود فقيل هذا فلان تقطر لحيته خمراً. فقال عبد الله: إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لناشيء نأخذ به، والاقرب إلى سياق المصنف ما رواه الإمام أبو حنيفة، عن يحي بن عبد الله الجائر عن أبي ماجد الحنفي عن ابن مسعود قال: أتاه رجل بابن أخ له نشوان قد ذهب عقله فقال: ترتروه ومزمزوه واستنكهوه فترتر ومزمز واستنكه فوجد منه رائحة شراب فأمر بحبسه، فلما صحا دعاه ودعا بسوط فقطع ثمرته ثم رقه ثم دعا جلاداً فقال: إجلد وارفع يدك في جلدك ولا تبعد ضبعيك. قال: ثم أنشأ عبد الله يعد حتى إذا كمل ثلاثين جلدة خلي سبيله، فقال الشيخ: يا أبا عبد الرحمن إنه لابن أخي وما لي ولد غيره، فقال: بئس العم والله والي اليتيم أنت كنت ما أحسنت أدبه صغيراً ولا سترته كبيراً قال: ثم أنشأ يحدثنا قال: إن أول حدّ أقيم في الإسلام لسارق أتى النبي ﷺ فلما قامت عليه البينة قال: « انطلقوا به فأقطعوه »، فلما انطلق به ليقطع نظر إلى وجه النبي ﷺ كأنما أسفي الرماد فقال: بعض جلسائه: والله يا رسول الله كان هذا اشتد عليك. قال: « وما يمنعني أن لا يشتد علي لا تكونوا أعوان الشيطان على أخيكم » قالوا: فلولا خليت سبيله. قال « أفلا كان هذا قبل ان تؤتوني به فإن الإمام إذا انتهى إليه حدّ فليس له أن يعطله. قال: ثم تلا هذه الآية ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ » كذا رواه أبو محمد الحارثي الحافظ في مسنده من طريق حمزة بن حبيب الزيات وأبي يوسف والحسن بن الفرات وسعيد بن أبي الجهم ومحمد بن يسر الصغاني كلهم عن الإمام أبي حنيفة، لكن ليس في روايتهم فقال: ترتروه إلى قوله شراب، وإنما روى هذه الزيادة طلحة العدل من طريق حمزة بن حبيب خاصة. ورواه ابن خسر ومن طريق الحسن بن زياد عن أبي حنيفة. ورواه الكلاعي من طريق محمد بن خالد الموهبي عن أبي حنيفة. وقد رواه سفيان وزهير بن معاوية وجرير بـن عبد الحميد وابن عيينة وغيرهم، وقد اختلف فيه من دون أبي حنيفة فروى بعضهم عن يحي بن الحرث عن عبد الله بن أبي ماجد عن عبد الله. وأخرجه إسحاق بن راهويه، والطبراني من طريق أبي ماجد الحنفي بلفظ: جاء رجل بابن أخيه سكران إلى ابن مسعود فقال: ترتروه واستنكهوه ففعلوا فرفعه إلى السجن ثم دعابه من الغد فجلده. وأخرجه عبد الرازق من حديث سفيان الثوري عن يحي بدون ذكر العدد. وأخرجه أبو يعلى من قوله: فانشأ يحدثنا الخ من طريق زهير بن حرب عن جرير عن يحي. وأخرجه بتمامه الحميدي وابن عمر في مسندهما.

(وروي أن عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة من الليل) أي يدور طائفاً وذلك في أيام خلافته، **(فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسوّر عليه)** أي اطلع على سور جدار

يتغنى فتسوّر عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر، فقال: يا عدوّ الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته؟ فقال: وأنت يا أمير المؤمنين فلا تعجل، فإن كنت قد عصيتُ الله واحدة فقد عصيتَ الله في ثلاثاً، قال الله تعالى: ﴿ولا تجسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]، وقد تجسست، وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ البِرُّ بأنْ تأْتُوا البيوتَ مِنْ ظُهُورِها﴾ [البقرة: ١٨٩] وقد تسورت عليَّ، وقد قال الله تعالى: ﴿لا تدخلُوا بيوتاً غَيْرَ بيُوتِكُم﴾ [النور: ٢٧] الآية. وقد دخلت بيتي بغير إذن ولا سلام، فقال عمر رضي لله عنه: هل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم والله يا أمير المؤمنين لئن عفوت عني لا أعود إلى مثلها أبداً فعفا عنه وخرج وتركه. وقال رجل لعبدالله بن عمر: يا أبا عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعته يقول: «إن الله ليدني منه المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول: أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم يا رب، حتى إذا قرره بذنوبه فرأى في نفسه أنه قد هلك قال له: يا عبدي إني لم أسترها عليك في الدنيا إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافرون والمنافقون ﴿ويقول الاشهاد، هؤلاء الذين كذبوا على ربِّهِمْ ألاَ لَعْنَةَ اللهِ على الظالمين﴾ [هود: ١٨]»، وقد قال

فنزل عليه، (**فوجده وعنده امرأة وعنده خمر فقال**) له: (**يا عدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته؟ قال: وأنت يا أمير المؤمنين فلا تعجل إن كنت عصيت الله تعالى واحدة فقد عصيت الله في**) أي في حقي (**ثلاثاً قال الله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ وقد تجسست. وقال تعالى: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾**) ولكن البرّ أن تأتوا البيوت من أبوابها﴾ (**وقد تسوّرت علي. وقال تعالى: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا**) وتسلموا على أهلها﴾ (**الآية. وقد دخلت بيتي بغير إذن ولا سلام، فقال عمر**) رضي الله عنه: (**هل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم والله يا أمير المؤمنين لئن عفوت عني لا أعود لمثلها أبداً فعفا عنه وخرج وتركه**). هكذا بطوله أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق عن ثور الكندي أن عمر كان يعس فساقه.

(**وقال رجل لعبد الله بن عمر**) بن الخطاب رضي الله عنه: (**ياأبا عبد الرحمن كيف سمعت النبي ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة قال: سمعته يقول «إن الله تعالى ليدني**) أي ليقرب (**منه المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس فيقول له: أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا**) يعدد الذنوب عليه؟ (**فيقول: نعم يا رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال له: يا عبدي إني لم أسترها عليك في الدنيا إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته. وأما الكافرون والمنافقون: فيقول الأشهاد**)

ﷺ : « كل أمتي معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل السوء سراً ثم

أي الملائكة الشهود وهم الحفظة (**هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين »**) قال العراقي : متفق عليه .

قلت : وأخرج الحكيم الترمذي من مرسل جبير بن نفير في أثناء حديث قيل : يا رسول الله وهل على المؤمن من ستر ؟ قال : « ستور الله على المؤمن أكثر من أن تحصى إن المؤمن ليعمل بالذنوب فيهتك عنه ستراً ستراً حتى لا يبقى عليه منه شيء فيقول الله للملائكة : استروا على عبدي من الناس فإنهم يعيرون ولا يغيرون فتحف الملائكة بأجنحتها يسترونه عن الناس فإن تاب قبل الله منه ورد عليه ستوره ومع كل ستر تسعة استار فإن تتابع في الذنوب قالت الملائكة : يا ربنا إنه قد غلبنا وأقذرنا فيقول الله : استروا عبدي من الناس فان الناس يعيرون ولا يغيرون فتحف به الملائكة بأجنحتها يسترونه من الناس ، فإن تاب قبل الله منه وإن عاد قالت الملائكة : ربنا إنه قد غلبنا وأقذرنا فيقول الله للملائكة : تخلوا عنه فلو عمل ذنباً في بيت مظلم في ليلة مظلمة في جحر أبدى الله عنه وعن عورته » .

(**وقال ﷺ : « كل أمتي معافى**) اسم مفعول من عافاه الله بمعنى عفا الله عنه أو سلمه وسلم منه ، وفي بعض ألفاظ هذا الحديث معافاة بالهاء في آخره . كذا نقله النووي نقلاً عن النسخ المعتمدة من صحيح مسلم ، والذي في نسخ المصابيح وغيرها كما هنا . قال الطيبي : وعليه فينبغي له أن تكتب ألفه ياء ليكون مطابقاً للفظ كل . (**إلا المجاهرون »**) كذا في نسخ الكتاب كلها ، والرواية إلا المجاهرين ، ووجه ما هنا بأن معافى في معنى النفي فيكون استثناء من كلام غير موجب ، والتقدير : كل امتي لا ذنب لهم إلا المجاهرين ، وتقديره على الثاني : لكن المجاهرين بالمعاصي لا يعافون من جاهر بكذا بمعنى جهر به ، وعبر بفاعل للمبالغة أو على ظاهر المفاعلة ، والمراد الذي يجاهر بعضهم بعضاً بالتحدث بالمعاصي ، وجعل منه ابن جماعة إفشاء ما يكون بين الزوجين من المباح ، ويؤيده الخبر المشهور في الوعيد عليه . (**وإن من المجاهرة**) وفي رواية : وإن من الجهار أي الإظهار والإذاعة (**أن يعمل الرجل سراً ثم يخبر به »**) قال العراقي : متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ .

قلت : وكذلك رواه أبو يعلى وغيرهم ولفظهم جميعاً . أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله تعالى ، فيقول : عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات بستر ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه . ورواه الطبراني في الأوسط والصغير بسند ضعيف من حديث أبي قتادة وفيه بعد قوله إلا المجاهرين الذي يعمل العمل بالليل فيستره ربه ، ثم يصبح فيقول يا فلان إني عملت البارحة كذا وكذا فيكشف ستر الله عنه . واعلم أن إشهار الذنب في الملأ جناية منه على ستر الله عز وجل الذي أسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه أو أشهده فهما جنايتان إنضمتا إلى جنايته فتغلظت به ، فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر ، وسيأتي للمصنف في المهلكات أن الكشف المذموم إذا وقع على وجه المجاهرة والاستهزاء لا على

يخبر به »، وقال ﷺ: « من استمع خبر قوم وهم له كارهون صب في أذنه الآنك يوم القيامة ».

ومنها: أن يتّقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم عن الغيبة، فإنهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكاً، قال الله تعالى: ﴿ولا تسبُّوا الذين يدعُونَ من دون اللهِ فيسُبُّوا الله عَدْواً بغير عِلْم﴾ [الانعام: ١٠٨]، وقال ﷺ:

وجه السؤال والاستفتاء بدليل خبر المحترف المتقدم في كتاب الصوم فإنه أخبر بحاله النبي ﷺ فلم ينكر عليه. وقال النووي: يكره لمن ابتلي بمعصية أن يخبر غيره بها بل يقلع ويندم ويعزم على أن لا يعود فإن أخبر بها شيخه ونحوه ممن يرجو باخباره أن يعلمه مخرجاً منها أو ما يسلم به من الوقوع في مثلها أو يعرفه السبب الذي أوقعه فيها أو يدعو له ونحو ذلك فهو حسن وإنما يكره لانتفاء المصلحة.

(**وقال ﷺ « من استمع سر قوم**) كذا في النسخ وفي بعضها بين قوم، وفي أخرى من قوم (**وهم له**) أي لاستماعه (**كارهون**) الجملة حال من القوم أو من ضمير استمع يعني حال كونهم يكرهونه لأجل استماعه أو يكرهون استماعه إذا علموا ذلك أو صفة قوم، والواو لتأكيد لصوقها بالموصوف (**صبّ في أذنه**) وفي رواية: أذنيه (**الآنك يوم القيامة »**) بفتح الهمزة الممدودة وضم النون أفعل. قال الجوهري هو من أبنية الجمع ولم يجيء عليه الواحد إلا الآنك وهو الرصاص أو الخالص منه أو الأسود أو الأبيض أو القصبدير، والجملة أخبار أو دعاء عليه وفيه وعيد شديد وموضعه فيمن يستمع بمفسدة كنميمة، إما مستمع حديث قوم بقصد منعهم من الفساد أو ليتحرز من شرهم فلا يدخل تحته بل قد يندب بل يجب بحسب المواطن وللوسائل حكم المقاصد.

قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن عباس مرفوعاً وموقوفاً عليه وعلى أبي هريرة أيضاً اهـ.

قلت: ورواه من حديث ابن عباس أيضاً مرفوعاً للطبراني في الكبير باسناد حسن وفيه زيادة ولفظه: « من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك ومن أرى عينيه ما لم تريا كلف ان يعقد شعيرة » وأخرجه الإسماعيلي في المستخرج وزاد « يعذب بها وليس بفاعل » وفي رواية « بين شعيرتين ».

(**ومنها: أن يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن**) به (**و**) صيانة (**لألسنتهم عن الغيبة فإنهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكاً. قال الله تعالى: ﴿ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾**) أي لا تسببوا لسب آلهتهم فيجر إلى تجاوزهم عن الحدود ويجهلون فيسبون الله عز وجل فتكونوا انتم السبب في ذلك.

« كيف ترون من يسب أبويه؟ فقالوا: وهل من أحد يسب أبويه؟ فقال: نعم يسب أبوي غيره فيسبون أبويه ». وقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ كلم إحدى نسائه فمرَّ به رجل فدعاه رسول الله ﷺ وقال: يا فلان هذه زوجتي صفية، فقال: يا رسول الله من كنت أظن فيه فإني لم أكن أظن فيك، فقال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » وزاد في رواية: « إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً وكانا رجلين فقال: على رسلكما إنها صفية » الحديث. وكانت قد زارته في العشر الأواخر من رمضان. وقال عمر رضي الله عنه: من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء به الظن. ومرَّ برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة فقال: يا أمير المؤمنين، إنها امرأتي فقال: هلا حيث لا يراك أحد من الناس؟

ومنهـا: أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين إلى من له عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه، قال ﷺ: « إني أوتي وأسأل وتطلب إلي الحاجة وأنتم عندي

(**وقال ﷺ « كيف ترون من يسب أبويه**) أي يشتمها (**فقالوا: وهل من أحد يسب أبويه**) هذا لا يكـون؟ (**قـال: نعـم يسـب أبـا غيره**) وفي نسخـة أبـوي غيره (**فيسبـون أبويه »**). قال العراقي: متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر ونحوه.

(**وقال أنس**) رضي الله عنه (**« أن رسول الله ﷺ كلم إحدى نسائه فمرّ به رجل**) ورآه يكلمها (**فدعاه رسول الله ﷺ فقال: يا فلان هذه زوجتي صفية، فقال: يا رسول اللهمن كنت أظن فيه فإني لم أكن أظن فيك فقال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم »**) رواه أحمد والشيخان وأبو داود من حديثه وقد تقدم مفصلاً في كتاب الصوم، (**و**) زاد (**في رواية**) أخرى فقال: (**« أني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً وكانا رجلين فقال: على رسلكما إنها صفية» الحديث. وكانت زارته في العشر الأواخر من رمضان**) فشيعها إلى منزلها رواه الشيخان وأبو داود وابن ماجه من حديث صفية، وقد تقدم شرح هذا الحديث في كتاب أسرار الصوم.

(**وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من أقام نفسه مقام التهم فلا يلومن من أساء الظن به**) نقله الذهبي في مناقب عمر، والإسماعيلي كذلك. (**ومرّ**) رضي الله عنه (**برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة**) أي رام أن يضربه بها (**فقال:**) مه (**يا أمير المؤمنين إنها امرأتي**) اي ليست بأجنبية (**فقال: فهلا حيث لا يراك الناس**) أورده الذهبي والإسماعيلي كلاهما في مناقب عمر.

(**ومنها: أن يشفع لكل من له حاجة من**) إخوانه (**المسلمين عنه**) كل (**من له عنده منزلة**) وجاه (**ويسعى في قضاء حاجته**) وإتمام مراده (**مما يقدر**) عليه ويمكنه. (**قال رسول**

فاشفعوا لتؤجروا ويقضي الله على يدي نبيه ما أحب ». وقال معاوية: قال رسول الله ﷺ: « اشفعوا إلي تؤجروا إني أريد الأمر وأؤخره كي تشفعوا إليّ فتؤجروا ». وقال ﷺ: « ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان. قيل: وكيف ذلك؟ قال: الشفاعة يحقن بها الدم وتجربها المنفعة إلى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر ». وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث كأني أنظر إليه خلفها

الله ﷺ « **إني أوتي وأسأل** » أي يأتوني الناس ويسألوني (**وتطلب إلي الحاجة وأنتم عندي**) أي حاضرون (**فاشفعوا لتؤجروا ويقضي الله على يدي نبيه ما أحب** ») بوحي أو إلهام ما قدر في علمه إنه سيكون من إعطاء أو حرمان، أو ما أحب من موجبات قضاء الحاجة أو عدمها.

قال العراقي: متفق عليه من حديث أبو موسى نحوه اهـ.

قلت: أخرجاه من طريق بريد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده عن أبي موسى قال: إذا جاءه السائل أو طلبت إليه حاجة قال: فذكره. وكذلك رواه أبو داود والترمذي والنسائي كلهم في الأدب كان إذا أتاه طالب حاجة أو طلبت إليه حاجة أقبل على جلسائه وقال: اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء وفي لفظ لأبي داود: ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء وهي موضحة لمعنى رواية الصحيحين.

(**وقال معاوية رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ « اشفعوا إلي تؤجروا إني أريد الأمر فأؤخره كي تشفعوا إلي فتؤجروا** ») رواه أبو داود والنسائي وابن عساكر من طريق همام بن منبه عن معاوية قال: إن الرجل ليسألني الشيء فامنعه كي تشفعوا فتؤجروها، وأن رسول الله ﷺ قال « اشفعوا تؤجروا » وقد سقط هذا الحديث عند العراقي.

(**وقال ﷺ « ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان. قيل: وكيف ذلك**) يا رسول الله؟ (**قال: الشفاعة يحقن بها الدم**) أي تمنعه أن يسفك يقال: حقنت دمه إذا حل به القتل فأنقذته (**وتجربها المنفعة إلى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر** ») قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له، والطبراني في الكبير من حديث سمرة بن جندب بسند ضعيف اهـ.

قلت: فيه أبو بكر الهذلي ضعفه أحمد وغيره. وقال البخاري ليس بالحافظ ثم أورد له هذا الخبر كذا في الميزان، وقد رواه أيضاً البيهقي في الشعب ولفظه « أفضل الصدقة صدقة اللسان. قالوا: يا رسول الله وما صدقته؟ قال: الشفاعة يفك بها الأسير ويحقن بها الدم ويجربها المعروف والإحسان إلى أخيك وتدفع عنه الكريهة » وفي سنده مروان بن جعفر السهري أورده الذهبي في الضعفاء.

(**وروي عن عكرمة**) مولى ابن عباس روى له مسلم مقروناً بغيره واحتج به الباقون (**عن ابن عباس**) رضي الله عنهما: (**أن زوج بريرة كان عبداً**) أسود (**يقال له مغيث**) كان من

وهو يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال ﷺ للعباس: «ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغضها له؟ فقال النبي ﷺ: لو راجعتيه فإنه أبو ولدك، فقالت: يا رسول الله أتأمرني فافعل؟ فقال: لا إنما أنا شافع».

ومنها: أن يبدأ كل مسلم منهم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام. قال ﷺ: «من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه حتى يبدأ بالسلام» وقال بعضهم: دخلت على رسول الله ﷺ ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي ﷺ: «ارجع فقل السلام

موالي أبي أحمد بن حجش (**كأني أنظر إليه**) يدور (**خلفها**) لما اشترتها عائشة رضي الله عنها فاعتقها (**يبكي ودموعه تسيل على لحيته فقال رسول الله ﷺ للعباس**) بن عبد المطلب والد عبد الله راوي الحديث (**«ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة وشدة بغض بريرة مغيثاً**) وذلك لما خيرها (**فقال النبي ﷺ**) لبريرة: (**لو راجعتيه فإنه أبو ولدك. فقالت: يا رسول الله أتأمرني فافعل**) لأن أمره مطاع، (**فقال: لا إنما أنا شافع»**) قال العراقي: رواه البخاري.

قلت: وقد روى مسلم من هذا الحديث من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها أعتقت بريرة ولها زوج مولى آل أبي أحمد، فخيّرها رسول الله ﷺ فاختارت نفسها. وفي لفظ: فخيرها وكان زوجها عبداً فاختارت نفسها ولو كان حراً لم يخيرها ولم يقل البخاري ولو كان حراً لم يخيرها. وقال في بعض طرقها: فخيرها من زوجها. فقالت: لو أعطاني كذا وكذا ما بت عنده.

(**ومنها: أن يبدأ كل مسلم بالسلام قبل الكلام**) أي يسلم عليه قبل أن يكلمه (**ويصافحه عند السلام**) أي يضع يده في يده وذلك من تمام المحبة. (**قال ﷺ «من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجبه حتى يبدأ بالسلام»**) لأن من أهمل السلام وبدأ بالكلام فقد ترك الحق والحرمة، فحقيق أن لا يجاب وجدير بأن لا يهاب. قال في التجنيس وغيره هذا في الفضاء فيسلم أوّلاً ثم يتكلم، وأما في البيوت فيستأذن فإذا دخل سلم هكذا قيل وفيه نظر. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في اليوم والليلة واللفظ له من حديث ابن عمر بسند فيه لين اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن السني في عمل يوم وليلة، ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق هشام بن عبد الله، عن بقية، عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع، عن ابن عمر، ثم قال: غريب من حديث عبد العزيز لم نكتبه إلا من حديث بقية وفي سند الطبراني هارون بن محمد أبو الطيب وهو كذاب، ولفظ الطبراني وأبو نعيم «من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه» وروى أحمد والحكيم والطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة «من بدأ بالسلام فهو أولى بالله ورسوله».

(**وقال بعضهم: دخلت على رسول الله ﷺ ولم أسلم ولم استأذن، فقال ﷺ: «ارجع فقل السلام عليكم أدخل»**) وهذه صورة الاستئذان قريباً. وفي بعض النسخ وأدخل والاولى هي الصواب. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث كلدة بن الحنبل وهو صاحب القصة اهـ.

عليكم أدخل » وروى جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته »، وقال أنس رضي الله عنه: خدمت النبي ﷺ ثماني حجج فقال لي: « يا أنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلّم على من لقيته من أمتي تكثر حسناتك، وإذا دخلت منزلك فسلّم على أهل بيتك يكثر خير بيتك ». وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: « إذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسع وستون لأحسنهما بشراً » وقال الله تعالى: ﴿وإذا حُيِّيتُم بتحية

قلت: كلدة بن الحنبل الغساني، وقيل الاسلمي أخو صفوان بن أمية، وكان أسود خدم صفوان وأسلم بعده، روى له، أصحاب السنن.

(وروى جابر) بن عبد الله رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته »)** قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق وفيه ضعف اهـ.

قلت: وروى البيهقي من مرسل قتادة « إذا دخلتم بيتاً فسلموا على أهله فإذا خرجتم فاودعوا أهله بسلام ».

(وقال أنس) بن مالك رضي الله عنه: **(خدمت رسول الله ﷺ ثمان حجج)** وروى المزي في التهذيب عن أنس قال: قدم رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وتوفي وأنا ابن عشرين، وعنه أيضاً قدم ﷺ وأنا ابن ثمان سنين فذهبت بي أمي إليه، وعنه أيضاً خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين لم يضربني ضربة ولم يسبني ولم يعبس في وجهي، **(فقال « يا أنس أسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلّم على من لقيته من أمتي تكثر حسناتك وإذا دخلت منزلك فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك »)** قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له، والبيهقي في الشعب باسناد ضعيف، وللترمذي وصححه « إذا دخلت على أهل بيتك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك » اهـ.

قلت: ورواه ابن عدي والعقيلي بزيادة « ولا تبيت إلا وأنت طاهر فإنك إن مت متَّ شهيداً وصلّ صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين قبلك، وصلّ بالليل والنهار وتحبك الحفظة، ووقر الكبير وارحم الصغير تلقني غداً.

(وقال أنس) رضي الله عنه **([قال رسول الله ﷺ]: « إذا التقى المؤمنان فتصافحا)** أي وضع كل منهما يده في يد صاحبه **(قسمت بينهما سبعون مغفرة)** وفي نسخة: رحمة **(تسع وستون لأحسنهما بشراً »)** بالكسر أي طلاقة الوجه وتبسماً وحسن إقبال هكذا وجد سياق هذا الحديث في هذا الموضع، وسيأتي ذكره بعد قريباً ولم يذكره العراقي هنا.

(وقال الله تعالى: ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾ وقال ﷺ:

فحيّوا بأحسن منها أو ردُّوها﴾ [النساء : ٨٦] ، وقال عليه السلام : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابّوا أفلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : افشوا السلام بينكم » ، وقال أيضاً : « إذا سلم المسلم على المسلم فردَّ عليه صلت عليه الملائكة سبعين مرة » وقال ﷺ : « إن الملائكة تعجب من المسلم يمر على المسلم ولا يسلم عليه » . وقال عليه السلام : « يسلم الراكب على الماشي وإذا سلّم من القوم واحد أجزأ عنهم » . وقال قتادة : كانت تحية من كان قبلكم السجود

« والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا) بالله تعالى **(ولا تؤمنوا)** أي لا يكمل إيمانكم **(حتى تحابوا)** أي يحب بعضكم بعضاً . **(أفلا أدلكم على عمل إذا عملتموه تحاببتم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : افشوا السلام بينكم »)** قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ .

قلت : وكذلك رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وابن حبان . فرواه مسلم وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة ورواه مسلم أيضاً عن أبي خيثمة زهير بن حرب ، عن جرير ، عن الاعمش . ورواه أحمد ، عن وكيع ، عن الأعمش . ورواه البخاري في الأدب المفرد من طريق العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة . ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود .

(وقال) ﷺ (أيضاً « إذا سلم المسلم فردّ عليه) بأن قال : وعليكم السلام **(صلّت عليه الملائكة سبعين مرة »)** قال العراقي : ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة ولم يسنده ولده .

(وقال ﷺ « يسلم الراكب على الماشي وإذا سلّم واحد من القوم أجزأ عنهم ») قال العراقي : رواه مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم مرسلاً ولأبي داود من حديث علي يجزيء عن الجماعة : « إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزيء عن الجلوس أن يرد أحدهم » . وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « يسلم الراكب على الماشي » . الحديث وسيأتي في بقية الباب اهـ .

قلت : الجملة الأولى من الحديث يأتي ذكرها قريباً مع بقيتها ، وأما مرسل زيد بن أسلم فرواه أيضاً عبد الرازق في المصنف ، عن معمر ، عن زيد بن أسلم أتم مما في الموطأ ولفظه « إذا مرَّ القوم فسلم أحدهم أجزأ عنهم وإذا ردَّ أحدهم كفى » ورواه ابن عبد البر من طريق ابن جريج عن زيد ابن أسلم كذلك ولم يذكر من وصله . قال الحافظ في أمالي الإذكار . وقد ظفرت به في الحلية من رواية ابن كثير عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري أورداه في ترجمة يوسف بن اسباط اهـ .

قلت : لفظ الحلية : حدثنا إبراهيم بن محمد بن يحيي ، والحسين بن محمد قالا : حدثنا محمد بن

فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي تحية أهل الجنة. وكان أبو مسلم الخولاني يمرّ على قوم فلا يسلم عليهم ويقول: ما يمنعني إلا أني أخشى أن لا يردوا فتلعنهم الملائكة،

المسيب، حدثنا عبد الله بن خبيق، حدثنا يوسف بن إسباط، عن عباد البصري، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «إذا مرَّ رجال فسلّم رجل من الذين مروا على الجالسين ورد من هؤلاء واحد أجزأ عن هؤلاء وعن هؤلاء» غريب من حديث زيد وعباد لم نكتبه إلا من حديث يوسف اهـ.

وأما حديث علي الذي ذكره العراقي فقد أخبرني به عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا عبد الله ابن سلام، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا سالم بن محمد، أخبرنا محمد بن أحمد بن علي، أخبرنا أبو يعلى الأنصاري، أخبرنا أبو الفضل الحافظ، أخبرني عبد الله بن عمر الحلاوي، أخبرنا أحمد بن كشفندي، أخبرنا أبو الفرج الحراني، أخبرنا أبو أحمد بن سكعية، أخبرنا أبو القاسم بن الحصين، أخبرنا أبو طالب بن غيلان، أخبرنا أبو بكر الشامي، حدثنا محمد بن بشير، حدثنا الحسن بن علي الحلواني، حدثنا عبد الملك بن إبراهيم الجدي، حدثنا سعيد بن خالد الخزاعي من أهل المدينة، حدثنا عبد الله بن الفضل، حدثني عبيد الله بن أبي رافع، عن علي رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال «يجزي عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزيء عن الجلوس أن يرد أحدهم». هذا حديث حسن أخرجه أبو داود عن الحسن الحلواني فوقع لنا موافقة عالية ورجاله رجال الصحيح إلا الخزاعي ففي حفظه مقال، وقد تفرد به لكن له شاهد.

قال الطبراني في الكبير: حدثنا إبراهيم بن هاشم، حدثنا كثير بن يحيى، حدثنا حفص بن عمر الرقاشي، حدثنا عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله القوم يأتون الدار فيستأذن واحد منهم أيجزيء عنهم جميعاً؟ قال: «نعم». قال: فيأذن واحد منهم أيجزيء عنهم؟ قال: «نعم» قيل: فالقوم يمرون فيسلم واحد منهم ايجزيء عنهم؟ قال: «نعم». قال: فيرد رجل من القوم ايجزيء عن الجميع؟ قال: «نعم». قال الحافظ في الأمالي: واسناده يصلح للاعتبار. وأخرجه أيضاً ابن السني في عمل يوم وليلة، والبيهقي في الشعب.

(وقال قتادة) بن دعامة البصري التابعي رحمه الله تعالى. **(كانت تحية من كان قبلكم السجود)** على الجباه، وقيل المراد به الإنحناء **(فاعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي تحية أهل الجنة)** قال الله تعالى ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ [الأحزاب: ٤٤] **(وكان أبو إدريس الخولاني)** عائذ الله بن عبد الله سمع من كبار الصحابة، وكان عالم الشام بعد أبي الدرداء تقدمت ترجمته **(يمر على قوم فلا يسلم عليهم فيقول: لا يمنعني)** من السلام **(إلا أني أخشى أن لا يردوا فتلعنهم الملائكة)** أي فأكون سبباً للعنهم، ولقد كان الفخر ابن عساكر لا يمر على مدرسة الحنابلة. فقيل له، فقال: اخشى أن يقعوا فيَّ فأكون سبباً لمقتهم يشير إلى ما كان بينهم وبين الأشاعرة من المخاصمات.

والمصافحة أيضاً سنّة مع السلام، وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: السلام عليكم، فقال عليه السلام: «عشر حسنات، فجاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله فقال: عشرون حسنة، فجاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فقال: ثلاثون».

(والمصافحة أيضاً سنة مع السلام) أي عنده أو بعده وأما قبله فلا. **(و)** روي أنه **(جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: سلام عليك)** وفي نسخة: عليكم، وفي أخرى السلام عليك. **(فقال له رسول الله ﷺ «عشر حسنات، فجاء آخر فقال: سلام عليكم ورحمة الله، فقال: عشرون حسنة، فجاء آخر فقال: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون حسنة»)** قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي من حديث عمر ان بن حصين. قال الترمذي: حسن غريب، وقال البيهقي في الشعب: إسناده حسن اهـ.

قلت: رواه الدارمي، وأحمد، وأبو داود جميعاً عن محمد بن كثير عن جعفر بن سليمان عن عوف الإعرابي عن أبي رجاء عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «السلام عليكم فردّ عليه، ثم قال: عشر، ثم جاء رجل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه وقال عشرون، ثم جاء رجل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فردَّ عليه وقال ثلاثون». ورواه أحمد أيضاً عن هوذة بن خليفة، عن عوف، عن أبي رجاء وهو العطاردي فلم يذكر عمران قال: وهكذا رواه غير هوذة عن عوف مرسلاً. ورواه الترمذي عن الدرامي، ورواه أيضاً عن الحسين الجويزي والنسائي عن أبي داود الحراني كلاهما عن محمد بن كثير.

وللحديث شاهد جيد من حديث أبي هريرة أخرجه البحاري في الأدب المفرد قال: أنا عبد العزيز بن عبد الله، أنا محمد بن أبي كثير، عن يعقوب بن زيد التيمي، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رجلاً مرّ على النبي ﷺ وهو في مجلس فقال: السلام عليكم فقال عشر حسنات قال: ثم مرَّ رجل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فقال عشرون حسنة، قال: فمرَّ رجل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون حسنة». وهذا السياق بعينه هو سياق المصنف، وهو أقرب من سياق حديث عمران الذي تقدم ذكره، وإنما تبعنا فيه الحافظ العراقي، ورواته من شرط الصحيح إلا يعقوب وهو صدوق، وقد أخرج النسائي في الكبرى من طريق إبراهيم بن طهمان، عن يعقوب بن زيد حدثنا آخر في السلام بهذا الإسناد، وذكر في سنده اختلافاً على سعيد المقبري.

وأخرج أبو داود عن إسحاق الرملي، عن سعيد بن أبي مريم، عن نافع بن يزيد، عن أبي مرحوم، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه أن رجلاً أتى إلى مجلس فيه رسول الله ﷺ فقال: السلام عليكم فردَّ عليه وقال: «عشر حسنات، ثم جاء رجل آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فردَّ عليه وقال عشرون حسنة، ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال ثلاثون، وجاء آخر فقال ومغفرته فقال أربعون» ثم قال «هكذا تكون الفضائل».

وكان أنس رضي الله عنه يمرّ على الصبيان فيسلم عليهم، ويروى عن رسول الله ﷺ أنه فعل ذلك. وروى عبد الحميد بن بهرام: أنه ﷺ مرَّ في المسجد يوماً وعصبة من النساء قعود فأومأ بيده بالسلام، وأشار عبد الحميد بيده إلى الحكاية. وقال عليه السلام: « لا

وأخرج الطبراني عن الحسن الحلواني، عن أبي أسامة عن موسى، عن أيوب بن خالد، عن مالك ابن التيهان رضي الله عنه أنه جاء إلى رسول الله ﷺ فقال السلام عليكم فذكر نحو حديث أبي هريرة، وهذا يمكن أن يفسر به من لم يسم في حديث أبي هريرة.

(وكان أنس) رضي الله عنه **(يمر على الصبيان فيسلم عليهم، وروى)** هو **(عن رسول الله ﷺ أنه فعل ذلك.)** قال العراقي: رفعه متفق عليه اهـ.

قلت: قال البخاري في الصحيح: حدثنا علي بن الجعد، حدثنا شعبة، عن سيار قال: كنت أمشي مع ثابت البناني فمر بصبيان فسلم عليهم، وحدث أنس أنه كان مع أنس فمر بصبيان فسلم عليهم، وحدث أنس أنه كان مع النبي ﷺ فمر بصبيان فسلم عليهم. ورواه أبو بكر الشافعي عن أحمد بن بشر، عن علي بن الجعد، ورواه أبو نعيم في المستخرج عن أبي بكر الآجري، عن أحمد ابن يحي الحلواني،، عن علي بن الجعد. ورواه الدارمي عن سهل بن حماد عن شعبة، ورواه مسلم والنسائي جميعاً عن عمرو بن علي، عن محمد بن جعفر عن شعبة، ورواه أحمد عن محمد بن جعفر. ورواه الترمذي عن زياد بن يحي عن سهل بن حماد، ورواه مسلم أيضاً من وجهين عن هشيم عن سيار قال في أحدهما كشعبة، وفي الآخر بغلمان. وقال أبو بكر الشافعي: حدثنا محمد بن الأزهر، حدثنا أبو الوليد، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ مر بغلمان وأنا فيهم فسلم علينا. وقال عبد بن حميد في مسنده: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: مررت على غلمة يلعبون فقمت أنظر إلى لعبهم، فجاء رسول الله ﷺ فسلم عليهم. ورواه أحمد مطولاً عن هاشم بن القاسم، ورواه أبو داود عن القعنبي عن سليمان بن المغيرة، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد المسند: حدثنا أبي قال: حدثنا وكيع عن حبيب القيسي، عن ثابت، عن أنس قال: مر علينا النبي ﷺ ونحن نلعب فقال: « السلام عليكم يا صبيان » أخرجه ابن السني من رواية ابن أبي سمينة، وأبو نعيم في الحلية من رواية مجاهد بن موسى كلاهما عن وكيع به.

(وروى عبد الحميد بن بهرام) الفزاري المدائني صدوق روى له البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه **(أنه ﷺ مر في المسجد يوماً وعصبة من النساء قعود فأومأ بيده بالتسليم وأشار عبد الحميد بيده إلى الحكاية.)** قال العراقي: رواه الترمذي من رواية عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد وقال: حسن، وقال أحمد: لا بأس به. ورواه أبو داود وابن ماجه من رواية ابن أبي حسين عن شهر اهـ.

تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه ».
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تصافحوا أهل الذمة ولا تبدأوهم بالسلام فإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيق الطرق ».

قالت عائشة رضي الله عنها: إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا:

قلت: قال أحمد في مسنده: حدثنا هاشم بن القاسم قال: حدثنا عبد الحميد بن بهرام، عن شهر ابن حوشب قال: سمعت أسماء بنت يزيد بن السكن تقول « إنها كانت في نسوة فمر النبي ﷺ فألوى بيده إليهن بالتسليم » الحديث هكذا أخرجه الترمذي من طريق عبد الحميد وقال: حسن. وقال أحمد: لا بأس برواية عبد الحميد، وقال أبو داود: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، عن سفيان، عن ابن أبي حسين، عن شهر، عن أسماء بنت يزيد أنها بينا هي في نسوة مر عليهن النبي ﷺ فسلم عليهن. رواه الدارمي عن الحكم بن نافع عن شعيب بن أبي حمزة عن ابن أبي حسين به.

(وقال ﷺ « لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام) لأن السلام إعزاز وإكرام، ولا يجوز ذلك لهم بل ينبغي الإعراض عنهم وترك الالتفات تصغيراً لشأنهم وتحقيراً **(وإذا لقيتم أحداً منهم في طريق)** فيه زحمة **(فاضطروهم)** وفي لفظ: فاضطروه أي الجوه **(إلى أضيقه »)** بحيث لا يقع في وهدة ولا يصدمه نحو جدار، فإن كان الطريق واسعاً فلا تضييق عليهم لأنه إيذاء بلا سبب، وقد نهينا عن إيذائهم قاله القرطبي. قاله العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا علي بن عبد القادر الطبري، عن أبيه، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا أحمد بن علي الحافظ، أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد بن مبارك، أخبرنا علي بن إسماعيل بن قريش، أخبرنا عبد المنعم الحراني عن أبي الحسن الجمال، أخبرنا أبو علي الحداد، أخبرنا أبو نعيم قال: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا شعبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال في أهل الكتاب « لا تبدأوهم بالسلام وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقها » أخرجه أحمد عن محمد بن جعفر عن شعبة فوقع لنا بدلاً عالياً، وأخرجه مسلم عن محمد بن المثنى عن محمد بن جعفر، وأخرجه أبو عوانة في صحيحه عن يونس بن حبيب فوقع لنا موافقة عالية.

(وعن أبي هريرة) رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ « لا تصافحوا أهل الذمة ولا تبدأوهم بالسلام »)** لم يذكره العراقي وأخرجه البيهقي في الشعب من حديث علي بلفظ « لا تصافحوهم ولا تبدأوهم بالسلام ولا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا عليهم والجؤهم إلى مضائق الطرق وصغروهم كما صغرهم الله ».

(وقالت عائشة رضي الله عنها إن رهطاً من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا

السام عليك ، فقال النبي ﷺ : « عليكم » . قالت عائشة رضي الله عنها : فقلت بل عليكم السام واللعنة فقال عليه السلام : « يا عائشة إن الله يحب الرفق في كل شيء » قالت عائشة : ألم تسمع ما قالوا ؟ قال : « فقد قلت عليكم » وقال عليه السلام : « يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير » . وقال عليه

السام عليك فقالت عائشة) ففهمتها فقلت : **(عليكم السام واللعنة ، فقال ﷺ « إن الله يحب الرفق في كل شيء » قالت : ألم تسمع ما قالوا ؟ قال : « فقد قلت عليكم »)** متفق عليه من طريق الزهري عن عروة عنها وفيه ألم تسمع ما قالوا ؟ لفظ مسلم عن سفيان : قد قلت عليكم بلا واو ، ولفظ شعيب عند البخاري « وعليكم » .

وأخرج البزار هذا الحديث من وجه آخر عن أنس فيه زيادة فقال في روايته : فقالوا السام عليكم أي تسامون دينكم . وقال في آخره : عليكم أي عليكم ما قلتم هكذا في نفس الحديث ، ويغلب على الظن أن التفسير مدرج في الخبر من بعض رواته ، لكن الإدراج لا يثبت بالاحتمال .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا شعبة عن هشام بن زيد ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أتى رجل من أهل الكتاب فسلم على رسول الله ﷺ فقال : السام عليك ، فقال عمر رضي الله عنه ألا أضرب عنقه ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم » .

وأخرجه أحمد عن سليمان بن داود وروح بن عبادة كلاهما عن شعبة ، وقال بعد قوله « عنقه » فقال رسول الله ﷺ « لا » .

وأخرجه البخاري من طريق ابن المبارك عن شعبة وفيه فقالوا « ألا نقتله » ولم يسم عمر .

وأخرجه الطبراني في الكبير من حديث زيد بن أرقم قال : بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أقبل رجل من اليهود يقال له ثعلبة بن الحرث ، فقال : السام عليك يا محمد الحديث . وسنده واهٍ إلا أنه يستفاد منه تسمية الذي سلم .

وقال أبو نعيم في المستخرج : حدثنا محمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد بن بركة ، حدثنا يوسف بن سعيد ، حدثنا حجاج بن محمد قال : قال ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً رضي الله عنه يقول : سلم ناس من اليهود على النبي ﷺ ، فقالوا : السام عليك يا أبا القاسم فقال « وعليكم » فقالت عائشة رضي الله عنها وغضبت ألم تسمع ما قالوا ؟ قال : « بلى قد سمعت ورددتها عليهم إنا نجاب عليهم ولا يجابون علينا » أخرجه مسلم عن حجاج بن الشاعر ، وهارون الحمال كلاهما عن حجاج بن محمد .ويستفاد منه رفع أشكال العطف في الجواب .

(وقال ﷺ « يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير ») قال العراقي : متفق عليه من حديث أبي هريرة ولم يقل مسلم والصغير على الكبير اهـ .

السلام: «لا تشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود بالإشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالإشارة بالأكف». قال أبو عيسى: اسناده ضعيف.

قلت: قال أبو محمد الفاكهي في تاريخ مكة أخبرنا أبو يحيي بن أبي ميسرة قال: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن سليمان، عن ابن جريج قال: أخبرني زياد يعني ابن سعد أن ثابتاً يعني ابن عياض مولى عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير» أخرجه الحرث بن أبي أسامة وأحمد جميعاً عن روح بن عبادة عن ابن جريج، وأخرجه البخاري عن إسحاق بن إبراهيم ومسلم عن محمد بن مرزوق، وأبو داود عن يحيي بن عربي ثلاثتهم عن روح. وأخرجه أحمد أيضاً عن عبد الله بن الحرث، والبخاري أيضاً من رواية مخلد بن يزيد، ومسلم أيضاً من رواية أبي عاصم كلهم عن ابن جريج، وأخرجه الترمذي من رواية الحسن البصري عن أبي هريرة بلفظه، وأشار إلى انقطاعه وأن الحسن لم يسمع من أبي هريرة على الصحيح، وفي رواية للبخاري «يسلم الصغير على الكبير» وقد ترجم له في كتاب الاستئذان باب تسليم الصغير على الكبير وقال إبراهيم: يعني ابن طهمان عن موسى بن عقبة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار قال: يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير، وقد وصله البيهقي في الشعب من طريق أحمد بن حفص بن عبد الله السلمي قال: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ فذكره، وكذلك أخرجه البخاري موصولاً في كتاب الأدب المفرد عن أحمد بن أبي عمرو هو أحمد بن حفص المذكور، وأخرجه أيضاً في الصحيح موصولاً من وجه آخر، وكذلك الترمذي كل منهما من طريق ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ «يسلم الصغير على الكبير» فذكر مثله. أخرجه الطبراني عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق، وأخرجه أحمد عن عبد الرزاق، وأخرجه أبو داود عن أحمد. وفي الباب عن عبد الرحمن بن شبل وفضالة بن عبيد وجابر بن عبد الله والثلاثة أنصاريون، فلفظ حديث عبد الرحمن بن شبل «يسلم الراكب على الراجل ويسلم الراجل على الجالس والأقل على الأكثر فمن أجاب السلام كان له ومن لم يجب فلا شيء له» أخرجه أحمد والطبراني.

ولفظ حديث فضالة بن عبيد «يسلم الراكب على الماشي والقائم على القاعد والقليل على الكثير» أخرجه البخاري في الأدب المفرد وفي رواية له بلفظ «الماشي على القائم» وفي لفظ آخر له «بلفظ الفارس على الماشي والماشي على القاعد» وأخرجه الترمذي والنسائي.

ولفظ حديث جابر «يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والماشيان أيهما بدأ بالسلام فهو أفضل» أخرجه أبو عوانة وابن حبان في صحيحهما، والبزار في مسنده.

(وقال ﷺ «لا تشبهوا باليهود و)لا (النصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالكف» قال أبو عيسى) يعني به صاحب السنن محمد بن عيسى بن

وقال عليه السلام: «إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة». وقال أنس رضي الله عنه: قال

سورة الترمذي رحمه الله تعالى (**إسناده ضعيف**) قال العراقي: رواه الترمذي من رواية عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده وقال: إسناده ضعيف اهـ.

قلت: افهم سياقه ان سبب ضعفه روايته عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وليس كذلك، وإنما هو لأجل روايته من طريق ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب لأنه يقال: إن ابن لهيعة لم يسمعه من عمرو، وابن لهيعة حاله مشهور، وقد روي من غير طريق ابن لهيعة.

قال الطبري: حدثنا محمد بن أبان، حدثنا أحمد بن علي بن شوذب، حدثنا أبو المسيب سلامة ابن مسلم، حدثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده رفعه قال: «ليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود بالأصابع وتسليم النصارى بالأكف» وفي هذا السند من لا يعرف حاله، وأخرجه البيهقي في الشعب من حديث جابر نحو هذا بسند واه ولفظه «فإن تسليم اليهود والنصارى بالكفوف والحواجب». ورواه النسائي نحوه في عمل اليوم والليلة، وهو عند أبي يعلى من حديثه بلفظ «تسليم الرجل بإصبع واحدة يشير بها إلى فعل اليهود».

(وقال ﷺ «إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس، ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة)» وفي نسخة: من الأخيرة وفي أخرى: من الأخرى. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: أخبرنا به عمر بن أحمد بن عقيل قال: أخبرنا أحمد بن محمد النخلي، أخبرتنا زين الشرف ابنة عبد القادر بن محمد بن مكرم الطبري قالت: أخبرني أبي، عن جده قال: أخبرنا محمد ابن عبد الرحمن الحافظ قال: قرأت على محمد بن محمد الوزان بالصالحية قال: قُرِيء على زينب ابنة أحمد بن عبد الرحيم ونحن نسمع، عن محمد بن عبد الهادي، أخبرنا أبو طاهر السلفي الحافظ، أخبرنا محمد بن الحسن بن أحمد، أخبرنا عبد الملك بن محمد أخبرنا عبد الله بن محمد بن إسحاق، أخبرنا أبو يحيى المكي قال: حدثنا هشام بن سليمان عن ابن جريج قال: أخبرني محمد بن عجلان أن سعيد بن أبي سعيد أخبره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم ثم إن بدا له أن يجلس فليجلس فإذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الأخيرة» هذا حديث حسن أخرجه النسائي عن أحمد بن بكار عن مخلد بن يزيد، عن ابن جريج فوقع لنا بدلاً عالياً. وأخرجه أيضاً والترمذي جميعاً عن قتيبة عن الليث، وأخرجه أبو داود عن بشر بن المفضل، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد عن خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال كلهم عن محمد بن عجلان، وأخرجه البخاري من وجه آخر عن أبي عاصم الضحاك بن مخلد عن محمد بن عجلان بلفظ «إذا أتى أحدكم المجلس فليسلم فإن قام والقوم جلوس فليسلم» والباقي مثله.

رسول الله ﷺ: « إذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة تسعة وستون لاحسنهما بشراً ». وقال عمر رضي الله عنه: سمعت النبي ﷺ يقول: « إذا التقى المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادىء تسعون وللمصافح عشرة ». قال الحسن: المصافحة تزيد في الود، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: « تمام تحياتكم بينكم المصافحة ». وقال عليه السلام:

وأخرجه أحمد عن بشر بن المفضل، ويحي القطان، وقران بن تمام ثلاثتهم عن ابن عجلان. قال الترمذي: حديث حسن وقد روي هذا الحديث عن ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة وهذه هي التي أخرجها البخاري من طريق صفوان بن عيسى، والنسائي من طريق الوليد بن مسلم كلاهما عن ابن عجلان. قال الدارقطني في العلل: رواه ابن جريج وعدد من ذكرنا إلا سليمان وقران ويحي وزاد المفضل بن فضالة وروح بن القاسم وجرير بن عبد الحميد فصاروا عشرة كلهم عن محمد بن عجلان كما قال ابن جريج والله أعلم.

(**وقال أنس**) رضي الله عنه، (**قال رسول الله ﷺ « إذا التقى المؤمنان فتصافحا »**) أي وضع كل منهما يده في يد صاحبه (**قسمت بينهما سبعون رحمة**) وفي نسخة مغفرة (**تسعة وستون منها لأحسنهما بشراً**) بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة. قال العراقي: رواه الخرائطي بسند ضعيف، وللطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة مائة رحمة تسعة وتسعون لأبشهما وأطلقهما وأبرهما وأحسنهما مساءلة بأخيه، وفيه الحسن بن كثير بن يحي بن أبي كثير مجهول اهـ.

قلت: لفظ الذهبي في ديوان الضعفاء بخطه الحسن بن كثير عن يحي بن أبي كثير مجهول وعنه علي بن حرب الطائي.

(**وقال عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا التقى المسلمان فسلم كل منهما على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادىء »**) بالسلام والمصافحة (**تسعون وللمصافح**) بفتح الفاء (**عشرة**) » قال العراقي: رواه البزار في مسنده، والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له، والبيهقي في الشعب وفي إسناده نظر اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الحكيم الترمذي في النوادر، وأبو الشيخ في الثواب ولفظهم بعد قوله صاحبه كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشراً بصاحبه فإذا تصافحا أنزل الله عليهما، والباقي سواء. ورواه الطبراني بسند حسن بلفظ « إن المسلمين إذا التقيا فتصافحا » كلفظ المصنف.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**المصافحة تزيد في الود**) نقله صاحب القوت، (**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه، (**قال رسول الله ﷺ « تمام تحياتكم بينكم المصافحة »**) قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق وهو عند الترمذي من حديث أبي أمامة وضعفه.

« قبلة المسلم أخاه المصافحة » ولا بأس بقبلة يد المعظم في الدين تبركاً به وتوقيراً له. وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قبلنا يد النبي ﷺ، وعن كعب بن مالك قال: لما نزلت توبتي أتيت النبي ﷺ فقبلت يده، وروي أن اعرابياً قال: يا رسول الله ائذن لي فأقبل رأسك ويدك قال: فأذن له ففعل، ولقي أبو عبيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فصافحه وقبّل يده وتنحيا يبكيان، وعن البراء بن عازب رضي الله عنه: أنه سلم على رسول الله ﷺ وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فردّ عليه ومد يده

قلت: وسيأتي الكلام عليه في عيادة المريض بعد هذا.

(وقال ﷺ « قبلة المسلم) وفي نسخة المؤمن **(أخاه المصافحة »)** أي هي بمنزلة القبلة وقائمة مقامها فهي مشروعة، والقبلة غير مشروعة قال العراقي: رواه الخرائطي وابن عدي من حديث أنس وقال: غير محفوظ اهـ.

وكذلك رواه المحاملي في أماليه، وابن شاهين في الإفراد، وفي سندهم عمرو بن عبد الجبار قال في الميزان: عن ابن عدي روى عن عمه مناكير، وأحاديثه غير محفوظة، ثم ساق له عدة أخبار هذا منها، وقد روي ذلك من حديث الحسن بن علي مرفوعاً بلفظ « تقبيل المسلم يد أخيه المصافحة » أخرجه الديلي من طريق سعيد المرزبان عن مقسم عنه.

(ولا بأس بقبلة يد المعظم في الدين تبركاً به وتوقيراً له. روي عن ابن عمر) رضي الله عنهما **(قال: قبلنا يد النبي ﷺ)** رواه أبو داود بسند حسن. قاله العراقي: **(وعن كعب ابن مالك)** بن أبي كعب الأنصاري السلمي بالفتح المدني صحابي مشهور، وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك مات في خلافة علي روى له الجماعة **(قال: لما نزلت توبتي)** من السماء **(أتيت النبي ﷺ فقبلت يده)** رواه أبو بكر بن المقري في كتاب الرخصة في تقبيل اليد بسند ضعيف قاله العراقي. **(وروي: أن أعرابياً)** أي من سكان البادية **(قال: يا رسول الله ائذن لي فاقبل رأسك ويدك. فأذن له ففعل)** رواه الحاكم من حديث بريدة إلا أنه قال: رجليك موضع يدك، وقال: صحيح الإسناد نقله العراقي. **(ولقي أبو عبيدة)** عامر بن الجراح **(عمر بن الخطاب رضي الله عنهما)** حين قدم الشام، وكان أبو عبيدة عاملاً عليها من قبله **(فصافحه وقبّل يده وتنحيا يبكيان)** وفي الحلية لأبي نعيم: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي، حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال: لما دخل عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة. قالوا: الآن يأتيك فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته، الحديث.

(وعن البراء بن عازب) الأنصاري الأوسي المدني رضي الله عنهما **(أنه سلّم على رسول الله ﷺ وهو يتوضأ فلم يرد عليه)** السلام **(حتى فرغ من وضوئه فرد عليه)** السلام **(ومد يده**

إليه فصافحه فقال: يا رسول الله ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم؟ فقال رسول الله ﷺ: « إن المسلمين إذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما ». وعن النبي ﷺ قال: « إذا مرّ الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام، وإن لم يردوا عليه ردّ عليه ملأ خير منهم وأطيب ـ أو قال وأفضل » ـ والانحناء عند السلام منهي عنه. قال أنس رضي الله عنه: قلنا يا رسول الله أينحني بعضنا لبعض؟ قال: لا. قال: فيقبل بعضنا بعضاً؟ قال: « لا » قال: فيصافح بعضنا بعضاً؟ قال: « نعم ». والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر. وقال أبو ذر رضي الله عنه: ما لقيته ﷺ إلا صافحني، وطلبني يوماً فلم أكن في البيت فلما أخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني فكانت أجود وأجود.

إليه فصافحه، فقال: يا رسول الله ما كنت أظن هذا) يعني المصافحة (**إلا من أخلاق الأعاجم**) جمع أعجمي (**فقال** ﷺ) مبيناً فضل المصافحة وأنها من أخلاق العرب: (**« إن المسلمين إذا التقيا فتصافحا تحاتت**) أي تساقطت (**ذنوبهما »**) قال العراقي: رواه الخرائطي بسند ضعيف، وهو عند أبي داود والترمذي وابن ماجه مختصراً ما « من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا » قال الترمذي: حسن غريب من حديث أبي إسحاق عن البراء اهـ.

قلت: وهذا اللفظ قد يذكره المصنف قريباً.

(**وعنه** ﷺ **أنه قال: « إذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه**) السلام (**كان له عليهم فضل درجة لأنه ذكرهم السلام**) وفي نسخة بالسلام (**وإن لم يردوا عليه رد عليه ملأ خير منهم وأطيب أو قال وأفضل »**) قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود مرفوعاً، وضعف البيهقي المرفوع ورواه موقوفاً عليه بسند صحيح.

(**والانحناء عند السلام منهي عنه**) وهو من فعل الأعاجم (**قال أنس**) رضي الله عنه، (**قلنا يا رسول الله أينحني بعضنا لبعض**) أي عند السلام؟ (**قال: « لا » قال: فيقبل بعضنا بعضاً؟ قال: « لا » قال: فيصافح؟ قال: « نعم »**) قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقي.

(**والالتزام والتقبيل قد ورد عند القدوم من السفر. قال أبو ذر رضي الله عنه: ما لقيته** ﷺ **إلا صافحني وطلبني يوماً فلم**) يجدني لأني لم (**أكن في البيت، فلما أخبرت جئت وهو**) جالس (**على سرير**) فقام (**فالتزمني فكانت أجود وأجود**) قال العراقي: رواه أبو داود وفيه رجل من عنزة لم يسم، وسماه البيهقي في الشعب عبد الله اهـ.

والأخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الأثر. فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت، وأخذ عمر بغرز زيد حتى رفعه وقال: هكذا فافعلوا بزيد وأصحاب زيد قيام.

والقيام مكروه على سبيل الإعظام لا على سبيل الاكرام، قال أنس: ما كان شخص أحب إلينا من رسول الله ﷺ؟ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك، وروي أنه عليه السلام قال مرة: « إذا رأيتموني فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم » وقال عليه السلام: « من سرَّه أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوّأ مقعده من النار » وقال عليه السلام: « لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا » وكانوا

قلت: رواه من طريق أيوب بن بشير بن كعب عن رجل من عنزة، وتسمية البيهقي إياه عبد الله لا يخرجه من الجهالة.

(والأخذ بالركاب في توقير العلماء ورد به الأثر)، فقد **(فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت)** رضي الله عنهم كما تقدم ذلك في كتاب العلم، **(وأخذ عمر بغرز زيد ابن ثابت)** رضي الله عنهما **(حتى رفعه)** والغرز بفتح فسكون ركاب الإبل **(وقال: هكذا فافعلوا)** بعلمائكم **(وأصحاب زيد قيام)** ينظرون.

(والقيام مكروه) إذا كان **(على سبيل الإعظام لا على سبيل الإكرام. قال أنس)** رضي الله عنه: **(ما كان شخص أحب إلينا)** وفي نسخة اليهم **(من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا)** له **(لما)** كانوا **(يعلمون من كراهيته لذلك)** رواه الترمذي وقال: حسن صحيح قاله العراقي **(وروى أنه ﷺ قال مرة « إذا رأيتموني فلا تقوموا كما تصنع الأعاجم »)** قال العراقي: رواه أبو داود وابن ماجه من حديث أبي إمامة وقال: كما تقدم الأعاجم وفيه أبو العرس وهو مجهول هو تبيع بن سليمان الكوفي كذا في ديوان الذهبي قال وفيه جهالة.

(وقال ﷺ « من سره أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار ») رواه أبو داود والترمذي من حديث معاوية وقال: حسن قاله العراقي.

قلت: ويروى بلفظ « من سره إذا رأته الرجال مقبلاً أن يمثلوا له قياماً فليتبوأ مقعده من النار » هكذا رواه الطبراني في الكبير وابن جرير وابن عساكر من حديث معاوية، ولفظ ابن عساكر « بنى الله له بيتاً في النار » وعند ابن جرير أيضاً من حديث « من سره ان يستخم له بنو آدم قياماً دخل النار » وقال: الاستخمام الوثوب.

(وقال ﷺ « لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا ») متفق عليه من حديث ابن عمر قاله العراقي.

قلت: وكذلك رواه مالك والترمذي وكلهم إلى قوله ثم يجلس فيه، ورواه أحمد ومسلم أيضاً

يحترزون عن ذلك لهذا النهي. وقال ﷺ: «إذا أخذ القوم مجالسهم فإن دعا أحد أخاه فأوسع له فليأته فإنما هي كرامة كرمه بها أخوه فإن لم يوسع له فلينظر إلى أوسع مكان يجده فيجلس فيه». وروي أنه سلم رجل على رسول الله ﷺ وهو يبول فلم يجب. فيكره السلام على من يقضي حاجته، ويكره أن يقول ابتداء: عليك السلام، فإنه قاله رجل لرسول الله ﷺ فقال عليه السلام: «إن عليك السلام تحية الموتى» قالها ثلاثاً، ثم قال:

بلفظ «لا يقم الرجل الرجل من مقعده ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا» ورواه الشافعي في مسنده، ومسلم أيضاً من حديث جابر «لا يقم أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم يخالفه إلى مقعده فيقعد فيه ولكن ليقل افسحوا». وعند الحاكم من حديث أبي بكر «لا يقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يقعد فيه ولا تمسح يدك بثوب من لا تملك».

(وقال ﷺ «إذا أخذ القوم) أي جماعة الرجال قال الصغاني: وربما دخل النساء تبعاً (مجالسهم فإن دعا رجل أخاه فأوسع له) مجلسه (فليأته) ندباً (فإنما هي) أي هذه الفعلة أو الخصلة التي هي التفسح (كرامة) من الله (أكرمه بها أخوه) المسلم يعني إكراماً من الله أجراه على يد ذلك الأخ، (فإن لم يوسع فلينظر إلى أوسع مكان يجده) في تلك البقعة (فليجلس فيه») وإن كان نازلاً بالنسبة لغيره ولا يزاحم أحداً ولا يحرص على التصدير ويتهافت على تعظيم نفسه ويتهالك على الشموخ والترفع كما هو ديدن أهل الدنيا وعلماء السوء.

قال العراقي: رواه البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن شيبة، ورجاله ثقات، وابن شيبة هذا ذكره أبو موسى المديني في ذيله في الصحابة، وقد رواه الطبراني في الكبير من حديث مصعب ابن شيبة، عن أبيه، عن النبي ﷺ اختصر منه، وشيبة بن جبير والد مصعب ليست له صحبة اهـ.

قلت: المسمى بشيبة خمسة من الصحابة، وابن شيبة روى عنه عبد الملك بن عمير عند النسائي، وفي الإسناد اضطراب، وعزاه الجلال في جامعه إلى ابن أبي شيبة الخدري من تخريج الحرث بن أبي أسامة وأخاً له وهماً وقال في موضع آخر من جامعه «إذا جاء أحدكم فأوسع له أخوه فإنما هي كرامة أكرمه الله بها» وقال: أخرجه البخاري في التاريخ، والبيهقي عن مصعب بن شيبة.

قلت: والحديثان واحد، وراويهما شيبة والد مصعب وهو شيبة بن جبير بن عثمان بن طلحة الحجبي المكي، روى له الجماعة إلا البخاري، وقد اختلف فيه لكنه قليل الحديث وليست له صحبة والصحبة لجده شيبة بن عثمان، وفي سياق الجلال في الموضعين وسياق شارح كتابه أوهام ليس هذا محل ذكرها وعبد الملك بن عمير أورده الذهبي في الضعفاء.

(وروى أنه سلم رجل على رسول الله ﷺ وهو يبول فلم يجبه) رواه مسلم من حديث ابن عمر بلفظ «فلم يرد» قاله العراقي (فيكره السلام على من يقضي حاجته) من بول أو غائط (ويكره أن يقول ابتداء عليك السلام فإنه قاله رجل لرسول الله ﷺ فقال ﷺ: «إن عليك السلام تحية الميت» قاله ثلاثاً، ثم قال: «إذا لقي أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم

« إذا لقي أحدكم أخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله » ويستحب للداخل إذا سلم ولم يجد مجلساً أن لا ينصرف بل يقعد وراء الصف. كان رسول الله ﷺ جالساً في المسجد إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فوجد فرجة فجلس

ورحمة الله وبركاته ») قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث أبي حبري الهجيمي وهو صاحب القصة. قال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: أخبرني به المسند عمر بن أحمد بن عقيل قال: أخبرنا عبد الله بن سالم، وأحمد بن علي بن محمد، والحسن بن علي بن يحي قالوا: أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا النور علي بن يحي، أخبرنا يوسف بن محمد وأبو سفيان بن زكريا قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ قال: أخبرنا أبو الفضل الحافظ قال: قُرِيء على أم الفضل ابنة أبي إسحاق بن سلطان ونحن نسمع عن أبي محمد بن أبي غالب وأبي نصر بن التمار كلاهما عن محمد بن إبراهيم بن سفيان قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن عمر، أنا عبد الوهاب بن محمد بن إسحاق، أنا أبي، أنا محمد بن يعقوب وأحمد بن محمد بن إبراهيم قالا: ثنا يحي بن جعفر، ثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن الجريري: عن أبي السليل، عن أبي تميمة الهجيمي، عن جابر رجل من قومه وهو أبو حبري رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ في بعض سكك المدينة وعليه إزار قطري فقلت: عليك السلام يا رسول الله، فقال: « عليك السلام تحية الموتى قل السلام عليكم » قالها مرتين أو ثلاثاً هذا حديث صحيح أخرجه النسائي عن إبراهيم ابن يعقوب، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن ابيه، عن الجريري واسمه سعيد بن إياس فوقع لنا عالياً بثلاث درجات.

وقال الطبراني: حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا مسدد، حدثنا يحي القطان، عن المثنى بن سعد أبي غفار عن أبي تميمة الهجيمي، عن أبي حبري قال: قلت يا رسول الله عليك السلام. قال « لا تقل عليك السلام عليك السلام تحية الموتى » الحديث.

وأخرجه أبو داود، عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر والترمذي، عن الحسن بن علي، عن أبي أسامة، والنسائي عن عمران بن يزيد، عن عيسى بن يونس، وعن محمد بن بشار، عن عبد الوهاب الثقفي كلهم عن أبي غفار، منهم من سمى أبا حبري جابر بن سليم، ومنهم من سماه سليم بن جابر. وأخرجه الترمذي والنسائي أيضاً من طرق عن خالد الحذاء عن أبي تميمة عن رجل من قومه ولم يسمه.

(ويستحب للداخل إذا سلم) على القوم **(ولم يجد مجلساً)** ولم يوسع له **(أن لا ينصرف)** عنهم **(بل يقعد وراء الصف. كان رسول الله ﷺ جالساً في المسجد)** وحوله أصحابه **(إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ فأما أحدهما فوجد فرجة)** أي سعة فجلس

فيها، وأما الثاني فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة. أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه». وقال ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا» وسلمت أم هانىء على النبي ﷺ فقال: «من هذه؟ فقيل: أم هانىء، فقال عليه السلام: «مرحباً بأم هانىء».

فيها، (**وأما الثاني**) لم يجد فرجة (**فجلس خلفهم، وأما الآخر فادبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله ﷺ**) من شغله الذي كان فيه. (**قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله**) أي رجع وانعطف ومال إليه فادخله تحت كنفه وأقبل إليه، (**وأما الثاني فاستحيا**) أي غلب عليه الحياء فلم يدخل في الصف (**فاستحيا الله منه، وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه**) متفق عليه من حديث أبي واقد الليثي قاله العراقي.

(**وقال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل إن يتفرقا»**) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث البراء بن عازب قاله العراقي.

قلت: وكذلك رواه أحمد ومسلم. وقال الترمذي: حسن غريب والبيهقي والضياء، وفي رواية لأحمد: «ما من مسلمين يلتقيان فيسلم أحدهما على صاحبه ويأخذ بيده لا يأخذ بيده إلا لله فلا يفترقان حتى يغفر لهما» وفي رواية له ولأبي يعلى والضياء عن ميمون المرائي عن ميمون بن سياه عن أنس رفعه: «ما من مسلمين التقيا فأخذ أحدهما بيد صاحبه إلا كان حقاً على الله عز وجل أن يحضر دعاءهما ولا يفرق بين أيديهما حتى يغفر لهما» الحديث. وميمون بن موسى المرائي من رجال الترمذي وابن ماجه. قال أحمد: كان يدلس وميمون بن سياه ضعفه ابن معين واحتج به البخاري.

(**وسلمت أم هانىء**) فاختة ابنة أبي طالب أخت علي رضي الله عنهما (**عليه**) ﷺ (**فقال: «من هذه» فقيل له: أم هانىء. فقال ﷺ: «مرحباً بأم هانىء»**) أخبرنا به علي بن موسى ابن شمس الدين، أخبرنا محمد بن سالم بن أحمد، أخبرنا محمد بن منصور ح.

وأخبرني أعلى منه بدرج عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا عبد الله بن سالم قال: أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا أحمد بن خليل، أخبرنا محمد بن أحمد بن علي، أخبرنا النجم عمر بن محمد بن فهد، أخبرنا أبو الفضل الحافظ، أخبرنا أبو عبد الله بن قوام، أخبرنا أبو الحسن بن هلال، أخبرنا أبو إسحاق بن نصر، أخبرنا أبو الحسن الطوسي، أخبرنا أبو محمد السيدي، أخبرنا أبو عثمان البحيري، أخبرنا أبو علي السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب الزبيري، عن مالك، عن أبي النضر أن أبا مرة مولى أم هانىء أخبره أنه سمع أم هانىء رضي الله عنها تقول: ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة عليها السلام تستره فسلمت فقال: «من هذه» قلت: أم هانىء بنت أبي طالب، فقال: «مرحباً بأم هانىء» الحديث في قصتها مع

ومنهـا : أن يصون عرض أخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره مهما قدر ، ويرد عنه ويناضل دونه وينصره ، فإن ذلك يجب عليه بمقتضى أخوة الإسلام . وروى أبو الدرداء أن رجلاً نال من رجل عند رسول الله ﷺ فرد عنه رجل فقال النبي ﷺ : « مَنْ ردّ عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار » وقال ﷺ : « ما من امرىء مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة » . وعن أنس رضي

أخيها ، وفي آخره فقد أجرنا من أجرت يا أم هانىء . أخرجه مسلم عن يحي بـن يحي عن مالك ، وأخرجه ابن حبان عن عمرو بن سعيد ، عن أبي مصعب فوافقناهما في شيخي شيخهما بعلو .

(**ومنها : أن يصون عرض أخيه المسلم وماله عن ظلم غيره مهما قدر**) على ذلك ، (**ويرد عنه**) بيده ولسانه (**ويناضل دونـه**) أي يـدافـع (**وينصره**) فـإن ذلـك يجب عليـه بمقتضى الإسلام ، (**فقد روى أبو الدرداء**) رضي الله عنه (**أن رجلاً نال من رجل عند رسول الله** ﷺ) أي تكلم في حقه بسوء (**فرد عنه رجل**) آخر كان بالمجلس ، (**فقال النبي ﷺ : « من رد عن عرض أخيه**) في الدين أي رد على من اغتابه وعابه (**كان حجاباً من النار**) يوم القيامة وذلك لأن عرض المؤمن كدمه فمن هتك عرضه كان كمن سفك دمه ، ومن عمل على صون عرضه فكأنه صان دمه فيجازى على ذلك بصونه عن النار يوم القيامة إن كان ممن يستحق دخولها وإلا كان زيادة رفعة في درجاته في الجنة » قال العراقي : رواه الترمذي وحسنه اهـ .

قلت : وكذلك رواه عبد بن حميد وحميد بن زنجويه والروياني والخرائطي في مكارم الأخلاق ، والطبراني في الكبير ، والبيهقي وابن السني في عمل يوم وليلة .

(**وقال ﷺ : « ما من امرىء مسلم يرد عن عرض أخيه**) في الدين بأن يرد عنه في أذاه وعابه (**إلا كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة »**) جزاء بما فعل . قال العراقي : رواه أحمد من حديث أسماء بنت يزيد بنحوه وهو عند الخرائطي في مكارم الأخلاق ، والطبراني بهذا اللفظ عن أبي الدرداء وفيهما شهر بن حوشب اهـ .

قلت : حديث أسماء رواه أيضاً ابن أبي الدنيا ولفظه : « من رد عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار » وروي حديث أبي الدرداء بألفاظ أخرى منها : « من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة » هكذا رواه أحمد والترمذي وقال : حسن وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة ، والطبراني في الكبير ، وإنما اقتصر الترمذي على قوله حسن ، ولم يقل صحيح لأن فيه مرزوقاً التيمي والد يحي مجهول الحال .

ومنها : « من رد عن عرض أخيه كان حقاً على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة » رواه الطبراني في الكبير والخرائطي .

ومنهـا : « من رد عن عرض أخيه كان حقاً على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة » رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة .

الله عنه أن النبي ﷺ قال: « من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصره فلم ينصره أذلّه الله بها في الدنيا والآخرة، ومن ذكر عنده أخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة » وقال عليه السلام: « من حمى عن عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله تعالى له ملكاً يحميه يوم القيامة من النار ». وقال جابر وأبو طلحة: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: « ما من امرىء مسلم ينصر مسلماً في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصره، وما من امرىء خذل مسلماً في موطن ينتهك فيه حرمته إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته ».

(وعن أنس) رضي الله عنه **(أن النبي ﷺ قال: « من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع نصره)** على من ذكره بسوء **(فلم ينصره ولو بكلمة أذله الله عز وجل)** كذا في نسخة العراقي، وفي لفظ أدركه الله بها **(في الدنيا والآخرة، ومن ذكر عنده أخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى بها في الدنيا والآخرة »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصراً على الجملة الأولى وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بتمامة ولفظه: « أدركه الله » بدل « أذله ». ورواه أيضاً من حديث عمران بن حصين بلفظ: « من ذكر عنده اخوه المسلم بظهر الغيب وهو يقدر على أن ينصره فنصره نصره الله في الدنيا والآخرة ».

(وقال ﷺ: « من حمى عرض أخيه المسلم في الدنيا) بالرد عنه **(بعث الله له ملكاً يحميه يوم القيامة من النار »)** جزاء بما فعل قال العراقي: رواه أبو داود من حديث معاذ بن أنس بنحوه بسند ضعيف اهـ.

قلت: رواه من طريق سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه ولفظه: « من حمى مؤمناً من منافق يغتابه بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلماً بشيء يريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال » وهكذا رواه ابن المبارك وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة، والطبراني في الكبير والأقرب إلى سياق المصنف ما رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أنس بلفظ: « من حمى عن عرض أخيه في الدنيا بعث الله تعالى له ملكاً يوم القيامة يحميه من النار ».

(وقال جابر) بن عبد الله **(وأبو طلحة)** زيد بن سهل الأنصاريان رضي الله عنهما، **(سمعنا رسول الله ﷺ يقول: « ما من امرىء مسلم ينصر مسلماً في موضع يهتك فيه من عرضه ويستحل من حرمته إلا نصره الله عز وجل في موضع)** وفي نسخة: في موطن **(يحب فيه نصره، وما من امرىء خذل مسلماً في موطن ينتهك فيه حرمته إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته »)** أي موضع يكون فيه أحوج لنصرته وهو يوم القيامة فخذلان المؤمن شديد

ومنهـا: تشميت العاطس. قال عليه السلام في العاطس: «يقول الحمد لله على كل حال، ويقول الذي يشمته: يرحمكم الله، ويرد عليه العاطس فيقول: يهديكم الله ويصلح بالكم». وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا يقول: «إذا

التحريم دنيوياً كان مثل أن يقدر على دفع عدو يريد البطش به فلا يدفعه أو أخروياً كان يقدر على نصحه من غيه بنحو وعظ فيترك. قال العراقي: رواه أبو داود مـع تقـديم وتأخير واختلف في إسناده اهـ.

قلت ولفظه عند أبي داود: «ما من امرىء يخذل امرأ مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه من حرمته إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه أو ينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في مواطن يحب فيه نصرته» هكذا رواه أبو داود عنهما معاً، ورواه كذلك أحمد والبخاري في تاريخه، وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة، والطبراني في الكبير والبيهقي والضياء قال المنذري: اختلف في إسناده، وقال الهيثمي حديث جابر سنده حسن.

(ومنها: تشميت العاطس) يقال بالشين المعجمة وبإهمالها، فعلى الأول من الشوامت وهي القوائم وهذا هو الأشهر الذي عليه الأكثر، وعلى الثاني من السمت بمعنى قصد الشيء وصفته. (قال ﷺ في العاطس: «يقول الحمد لله على كل حال») أي شكر الله تعالى على نعمته بالعطاس لأنـه تحـران الرأس الذي هو معدن الحس وهو محل الفكر وبسلامته تسلم الأعضاء فهو جدير أن يشكر عليه(«ويقول، الذي يشمته») ممن كان على قربه وسمع منه ذلك حيث لا مانع من إسماعه إياه («يرحمك الله») أي أعطاك الرحمة ترجع بها إلى حالك الأول أو يرجع بها كل عضو إلى سمته وهو دعاء أو خبر على طريق البشارة. («ويرد) على المشمت (العاطس ويقول: يهديكم الله ويصلح بالكم») أي حالكم واعترض بأن الدعاء بالهداية للمسلم تحصيل الحاصل، ومنع بأنه إنما المراد به معرفة تفاصيل أجزائه وأمانته على أعماله وكل مؤمن يحتاج إلى ذلك في كل طرفة عين قال العراقي: رواه البخاري وأبو داود من حديث أبي هريرة ولم يقل البخاري على كل حال اهـ.

قلت: رواه النسائي من حديث علي وأخذ به قوم وسيأتي في الذي يليه زيادة «رب العالمين» واختار جع الجمع فيقول: الحمد لله رب العالمين على كل حال، وقد روي من حديث عبد الله بن عمرو «من عطس أو تجشأ فقال الحمد لله على كل حال من الحال دفع عنه بها سبعون داء أهونها الجذام» هكذا رواه الخطيب وابن النجار وسنده ضعيف، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات.

(وعن ابن مسعود) رضي الله عنه (قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا يقول: «إذا

عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين، فإذا قال ذلك فليقل من عنده: يرحمك الله فإذا قالوا ذلك فليقل: يغفر الله لي ولكم» وشمت رسول الله ﷺ عاطساً ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال: «إنه حمد الله وأنت سكت». وقال ﷺ: «يشمت العاطس المسلم إذا عطس ثلاثاً فإن زاد فهو زكام». وروي أنه شمت عاطساً ثلاثاً فعطس أخرى

عطس) بفتح الطاء **(أحدكم فليقل)** ندباً **(الحمد لله رب العالمين»)** ولا أصل لما اعتيد من قراءة بقية الفاتحة ويكره العدول عن الحمد إلى أشهد أن لا إله إلا الله أو تقديمها على الحمد فهو مكروه ذكره الحافظ ابن حجر قال: وروى ابن أبي شيبة أن ابن عمر سمع ابنه عطس فقال: إش قال ما إش إن الشيطان جعلها بين العطسة والحمد **(«فإذا قال ذلك فليقل من عنده)** ندباً **(يرحمك الله)** دعاء أو خبر **(فإذا قالوا ذلك فليقل)** العاطس تأليفاً لهم ومكافأة لدعائهم **(يغفر الله لي)** كذا لفظ الطبراني وقال غيره لنا **(ولكم»)** قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة، وقال: حديث منكر ورواه أيضاً أبو داود والترمذي من حديث سالم بن عبيد واختلف في إسناده اهـ.

قلت: حديث ابن مسعود رواه أيضاً في الكبير والحاكم والبيهقي بلفظ: «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين وليقل له يرحمك الله وليقل هو يغفر الله لنا ولكم». وقال الطبراني: «لي ولكم» وفي مسند الطبراني أبيض بن أبان غير قوي وقال: يتكلمون فيه ووثقة ابن حبان.

وأما حديث سالم بن عبيد وهو الأشجعي من أهل الصفة سكن الكوفة، فرواه أحمد وابن ماجه والحاكم والبيهقي باللفظ المزبور، ورواه البخاري في الأدب المفرد بلفظ: «إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله فإذا قال له يرحمك الله فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم». وروي فيه أيضاً من حديث ابن عباس بسند صحيح يقول أي العاطس «عافانا الله وإياكم من النار يرحمكم الله» وروى أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن جعفر كان إذا عطس حمد الله فيقال له يرحمك الله فيقول يهديكم ويصلح بالكم، **(و)** يروى **(أنه شمت رسول الله ﷺ عاطساً ولم يشمت آخر فسأله فقال: «إنه حمد الله تعالى وأنت سكت»)** متفق عليه من حديث أنس قاله العراقي، وأخرج أحمد والبخاري في الأدب المفرغ، ومسلم، والطبراني من حديث أبي موسى الأشعري «إذا عطس أحدكم، فحمد الله فشمتوه وإذا لم يحمد الله فلا تشمتوه».

(وقال ﷺ: «يشمت المسلم إذا عطس ثلاثاً) أي ثلاث مرات **(فإن زاد فهو زكام»)** قال العراقي: رواه أبو داود من حديث أبي هريرة: «شمت أخاك ثلاثاً» الحديث وإسناده جيد اهـ.

قلت: وقال ابن السني في عمل يوم وليلة من حديث أبي هريرة ما هو أقرب إلى سياق المصنف ولفظه: «يشمت العاطس إذا عطس ثلاث مرات فإن عطس فهو زكام» وروى ابن ماجه من حديث سلمة بن الأكوع: «يشمت العاطس ثلاثاً فما زاد فهو مزكوم» ولفظ أبي داود عن أبي

فقال: « إنك مزكوم » وقال أبو هريرة: كان رسول الله ﷺ إذا عطس غضّ صوته واستتر بثوبه أو يده. وروي: خمر وجهه. وقال أبو موسى الأشعري: كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله ﷺ رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول: « يهديكم الله ».

هريرة: « إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه فإن زاد على ثلاث فهو مزكوم ولا يشمت بعد ثلاث » هكذا هو لفظ الجلال في جامعه الصغير وقد عزاه النووي في الأذكار لابن السني وقال فيه رجل لم أتحقق حاله وباقي إسناده صحيح، وعزاه الحافظ ابن حجر لأبي يعلى وقال فيه سليمان الحراني وهو ضعيف ولم يعرجوا على تخريجه لأبي داود فليحرر، وقد روى الترمذي من حديث عمر بن إسحاق ابن طلحة عن أمه عن أبيها رضي الله عنه رفعه: « شمت العاطس ثلاثاً فإن زاد فإن شئت فشمته وإن شئت فلا » وقال: غريب.

وروي أبو داود والحاكم وابن السني من حديث عبيد بن رفاعة بن رافع الزرقي مرسلاً: « يشمت العاطس ثلاثاً فإن زاد فإن شئت شمته وإن شئت فكف » وقوله في الحديث فهو زكام هو داء معروف وفي أخرى مزكوم أي به زكام وفيه أنه من زاد على ثلاث لا يشمت بالدعاء المشروع للعاطس بل يدعي له بما يلائمه بنحو شفاء وعافية فمن فهم النهي عن مطلق الدعاء فقد وهم.

(وروي أنه ﷺ شمت عاطساً فعطس) مرة **(أخرى فقال: « أنت مزكوم »)** قال ابن القيم فيه تنبيه على الدعاء له بالعافية لأن الزكمة علة وإشارة إلى الحث على تدارك هذه العلة ولا يهملها فيعظم أمرها وكلامه ﷺ حكمة ورحمة. قال العراقي: رواه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع اهـ.

قلت: رواه ابن ماجه من حديثه بنحو وتقدم قريباً وفيه التقييد بالثلاث فيحمل المطلق على المقيد.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه. **(« كان رسول الله ﷺ إذا عطس غض صوته)** أي خفضه **(واستتر بثوبه أو يده وروي خمر وجهه »)** قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح وفي رواية لأبي نعيم في اليوم والليلة: « خمر وجهه وفاه » اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الحاكم بلفظ: « كان إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه ونقص به صوته » وروى الحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة: « إذا عطس أحدكم فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته » قال الحاكم: صحيح وأقره الذهبي.

(وقال أبو موسى الأشعري) رضي الله عنه **(كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله ﷺ)** عمداً **(رجاء أن يقول يرحمكم الله فكان يقول: « يهديكم الله »)** قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

وروى عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أبيه: أن رجلاً عطس خلف النبي ﷺ في الصلاة فقال: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يرضى ربنا وبعدما يرضى والحمد لله على كل حال، فلما سلم النبي ﷺ قال: «من صاحب الكلمات» فقال: أنا يا رسول الله ما أردت بهن إلا خيراً، فقال: «لقد رأيت اثني عشر ملكاً كلهم يبتدرونها أيهم يكتبها». وقال ﷺ: «من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته». وقال عليه الصلاة

(**وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة**) العنزي أبو محمد المديني حليف بني عدي بن كعب بن قريش ولد في عهد رسول الله ﷺ قال ابن منده: ومات النبي ﷺ وهو ابن خمس، وقيل ابن أربع روى عن أبيه وعبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب وعائشة. روى عنه الزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري توفي سنة خمس وثمانين روى له الجماعة، (**عن أبيه**) عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مالك ابن ربيعة بن حجر بن سلمان بن مالك بن ربيعة بن رفيدة بن عنز بسكون النون العنزي أبي عبد الله حليف آل الخطاب من المهاجرين الأولين شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ توفي في فتنة عثمان روى له الجماعة. (**أن رجلاً عطس خلف النبي ﷺ في الصلاة فقال: الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يرضاه ربنا وبعد ما يرضى، والحمد لله على كل حال، فلما سلم النبي ﷺ**) من الصلاة (**فقال: «من صاحب الكلمات» فقال**) الرجل: (**أنا يا رسول الله وما أردت به إلا خيراً فقال: «لقد رأيت اثني عشر ملكاً كلهم يبتدرونها أيهم يكتبها»**) قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه وإسناده جيد اهـ. والمعنى أيهم يكتبها أول فيجيء بها إلى الله عز وجل والسر في تخصيص هذا العدد لكون الكلمات اثني عشر.

(**وقال ﷺ: «من عطس عنده فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته»**) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط في الدعاء من حديث علي بسند ضعيف اهـ.

قلت: وروى البخاري في الأدب المفرد عن علي رضي الله عنه: «من قال عند عطسة سمعها الحمد لله رب العالمين على كل حال ما كان لم يجد وجع الضرس والأذن أبداً» قال الحافظ ابن حجر: هو موقوف رجاله ثقات ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع، وخرج الطبراني عن علي مرفوعاً: «من سبق العاطس بالحمد عوفي من وجع الخاصرة ولم يشك ضرسه أبداً» وسنده ضعيف اهـ.

وأخرج تمام في فوائده، وابن عساكر في التاريخ من حديث ابن عباس: «من سبق العاطس بالحمد وقاه الله وجع الخاصرة ولم ير في فيه مكروهاً حتى يخرج من الدنيا» وفي السند بقية وقد عنعن. وأورده ابن الأثير في النهاية بلفظ: «من سبق العاطس بالحمد أمن الشوص واللوص والعلوص» وسنده ضعيف. فالشوص: وجع الضرس، وقيل: وجع في البطن. واللوص: وجع الأذن، وقيل: وجع المخ. والعلوص: وجع في البطن من التخمة، وقد نظمه بعض الشعراء أنشدناه

والسلام: «العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليضع يديه على فيه، فإذا قال هاها، فإن الشيطان يضحك من جوفه» وقال ابراهيم النخعي: إذا عطس في قضاء الحاجة، فلا بأس بأن يذكر الله. وقال الحسن: يحمد الله في نفسه. وقال كعب: قال موسى عليه السلام: يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ فقال: أنا

شيخنا علي بن موسى بن شمس الدين الحسيني، وكتبه من املائه وخطه قال: أنشدنا شيخ الوقت أحمد بن عبد الفتاح الملوي قدس الله روحهما في الجنة:

من يستبق عاطساً بالحمد يأمن من ... شوص ولوص وعلوص كذا وردا
عنيت بالشوص داء الضرس ثم بما ... يليه البطن والضرس اتبع رشدا

(وقال ﷺ: «العطاس من الله) لأنه تنشأ عنه العبادة فلذلك أضافه إلى الله (والتثاؤب) بالهمز بعد الألف هو فتح الفم لغلبة الأبخرة وينشأ من ثقل النفس وامتلائها المتسبب عن نيل الشهوات الذي يأمر به الشيطان فيورث الغفلة والكسل، ولذلك قال (من الشيطان) فأضافه إليه (فإذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه) ليرده ما استطاع (فإذا قال آآه) حكاية صوت التثاؤب (فإن الشيطان يضحك من جوفه») لما أنه قد وجد إليه سبيلاً وقوى سلطانه عليه. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله: «العطاس من الله» فرواه الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة، وقال البخاري: إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب اهـ. وذلك لأن العطاس يورث خفة الدماغ ويروّحه ويزيل كدره وتنشأ عنه سعة المنافذ وذلك محبوب إلى الله، فإذا اتسعت ضاقت على الشيطان وإذا ضاقت بالاخلاط والطعام اتسعت وكثر منه التثاؤب فأضيف للشيطان مجازاً. وقال الحافظ ابن حجر: إن الله يحب العطاس أي الذي لا ينشأ عن زكام لأنه المأمور بالتحميد والتشميت.

قلت: روى أحمد والشيخان وأبو داود من حديث أبي سعيد: «إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه فإن الشيطان يدخل مع التثاؤب» وروى البخاري من حديث أبي هريرة: «إذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال ها ضحك منه الشيطان». وروى ابن ماجة من حديثه: «إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه ولا يعوي فإن الشيطان يضحك منه» ويروى: «إذا تجشأ أحدكم أو عطس فلا يرفع بها الصوت فإن الشيطان يحب أن يرفع بها الصوت» رواه البيهقي من حديث عبادة بن الصامت، وشداد بن أوس، وواثلة. ورواه أبو داود في مراسيله عن يزيد بن مرثد.

(وقال إبراهيم) بن يزيد (النخعي) رحمه الله تعالى (إذا عطس) الرجل وهو (في قضاء الحاجة) أي في تلك الحالة (فلا بأس أن يذكر الله تعالى في نفسه، وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: (يحمد الله تعالى في نفسه) أي ولا يجهر به. (وقال كعب) بن ماتع الحميري المعروف بالأحبار رحمه الله تعالى، (قال موسى عليه السلام: يا رب أقريب أنت أناجيك أم

جليس من ذكرني فقال: فإنا نكون على حال نجلك أن نذكرك عليها كالجنابة والغائط، فقال: اذكرني على كل حال.

ومنها: أنه إذا بلي بذي شر فينبغي أن يتحمله ويتقيه، قال بعضهم: خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة، فإن الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر. وقال أبو

بعيد فأناديك؟ فقال: أنا جليس من ذكرني، فقال: يا رب فإنا نكون على حال نجلك) أي ننزهك **(أن نذكرك عليها)** أي معها **(كالجنابة والغائط فقال:)** يا موسى **(اذكرني على كل حال)**. وقد روى مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عائشة: «كان ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه» أي في كل أوقاته.

وأما حديث: «أنا جليس من ذكرني» فأورده الديلمي بلا سند من حديث عائشة مرفوعاً، وللقصة المذكورة أوردها البيهقي تماماً في الذكر من شعب الإيمان من طريق الحسين بن جعفر، عن سفيان، عن عطاء بن مروان، حدثني أبي بن كعب قال: قال موسى عليه السلام فذكره.

ونحوه عند أبي الشيخ في الثواب من طريق عبدالله بن عمير وهو في سابع عشر المجالسة من طريق ثور بن يزيد عن عبيدة قال: لما كلم الله موسى عليه السلام يوم الطور كان عليه جبة من صوف مخللة بالعيدان محزوم وسطه بشريط ليف وهو قائم على جبل وقد أسند ظهره إلى صخرة فقال الله: يا موسى إني قد أقمتك مقاماً لم يقمه أحد قبلك ولا يقومه أحد بعدك وقربتك نجياً قال موسى: إلهي لم أقمتني هذا المقام؟ قال: لتواضعك يا موسى. قال: فلما سمع لذاذة الكلام من ربه نادى موسى إلهي أقريب فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ قال: يا موسى أنا جليس من ذكرني.

وللبيهقي في موضع آخر من طريق أبي أسامة عن شعبة قال: قلت لمحمد بن النضر: أما تستوحش من طول الجلوس في البيت: فقال: مالي استوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني.

وكذا أخرجه أبو الشيخ من طريق حسين الجعفي قال: قال محمد بن النضر الحارثي لأبي الأحوص: أليس ترى أنه قال: أنا جليس من ذكرني فما أرجو بمجالسة الناس ومعناه في المرفوع من حديث أبي هريرة أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه.

(ومنها: إذا بلي بذي خلق سيء) أي رديء **(فينبغي أن يجامله)** أي يعمل معه جيل الخلق **(ويتقيه)** أي يحذر من شره **(قال بعضهم: خالص المؤمنين مخالصة)** أي عاشرهم بإخلاص وحسن نية **(وخالق الفاجر مخالقة)** أي جامل معه بحسن الخلق، **(فإن الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر)** ويميل إليه فيكون سبباً لاستمالة قلبه نقله صاحب القوت عن الشعبي عن صعصعة بن صوحان أنه قال لابن أخيه زيد: أنا كنت أحب إلى أبيك منك وأنت أحب إلي من ابني خصلتان أوصيك بهما فاحفظهما: خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة، فإن الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وأنه لحق عليك مخالصة المؤمن.

الدرداء: إنا لنبش في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهي مع من يخاف شره، قال الله تعالى: ﴿إِدْفَعْ بالتي هي أحسنُ السيِّئة﴾ [المؤمنون: ٩٦]، قال ابن عباس في معنى قوله: ﴿ويـدرؤن بالحسنةِ السَّيئة﴾ [الرعد: ٢٢] أي الفحش والأذى بالسلام والمداراة. وقال في قوله تعالى: ﴿ولولاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بعضَهم ببعض﴾ [البقرة: ٢٥١] قال: بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة. وقالت عائشة رضي الله عنها: استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو». فلما دخل ألان له القول حتى ظننت أن له عنده منزلة فلما خرج قلت له: لما دخل قلت الذي

(وقال أبو الدرداء) رضي عنه: **(إنا لنكشر)** أي نبش **(في وجوه أقوام وأن قلوبنا لتبغضهم)** كذا في القوت وأخرجه أبو نعيم في الحلية، حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبد الجبار بن العلاء، حدثنا سفيان عن خلف بن حوشب قال قال أبو الدرداء: إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم اهـ.

(وهذا معنى المداراة وهي ملاطفة من يخاف شره) وأصله المخاتلة من دريت الصيد وادريته ختلته. **(قال الله تعالى: ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حيم﴾)** [فصلت: ٣٤] أي قريب ولفظ القوت بعد نقل قول أبي الدرداء فمعنى هذا على الثقة والمداراة ليدفع بذلك شره وأذاه كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ قيل: السلام: ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حـميم﴾ **(وقال ابن عباس)** رضي الله عنه **(في معنى قوله تعالى: ﴿ويدرؤن بالحسنة السيئة﴾)** قال: **(أي الفحش والأذى)** وهو السيئة **(بالسلام والمداراة)** وهو الحسنة أي يدفعون بالسلام عليهم والملاينة معهم في الكلام بالخلق الجميل ما جبلوا عليه من فحشهم وأذاهم، ومن الكلام المشهور: دارهم ما دمت في دارهم، وكذا قولهم: داروا سفهاءكم،وفي الخبر: داروا الناس على قدر إحسانهم وخالصوا الناس على قدر أديانهم وأنزلوا الناس منازلهم وداروا الناس بعقولكم، وفيه يقول الشاعر:

كـان لا يـدري مـداراة الورى ... ومـداراة الورى أمـر مهـم

(وفي معنى قوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) لفسدت﴾ الآية **(قال)** ولفظ القوت قيل **(بالرهبة والرغبة والمداراة)** زاد صاحب القوت وكذا معنى قولهم: خالص المؤمن وخالق الفاجر فالمخالصة بالقلوب من المودة واعتقاد المؤاخاة في الله عز وجل والمخالقة المخالطة في المعاملة والمبايعة وعند اللقاء.

(وقالت عائشة رضي الله عنها: استأذن رجل على النبي ﷺ فقال: «ائذنوا له فبئس رجل العشيرة» فلما دخل ألان له القول) ولاطفه **(حتى ظننت أن له عنده منزلة)** وقدراً، **(فلما خرج قلت له لما دخل قلت الذي قلت)** تعني قوله: بئس رجل العشيرة، **(ثم ألنت له**

قلت، ثم ألنت له القول فقال: «يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه» وفي الخبر: «ما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقة».

وفي الأثر: خالطوا الناس بأعمالكم وزايلوهم بالقلوب. وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدّاً حتى يجعل الله له منه فرجاً.

القول) ولاطفته (**فقال**) ﷺ: (**«يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس إتقاء فحشه»**) أي تركوا مخالطته وتجنبوا معاشرته لأجل قبح قوله وفعله وهذا أصل المداراة رواه الشيخان، وأبو داود، والترمذي، وعند الخطيب في المتفق والمفترق وابن النجار «شر الناس يوم القيامة من اتقى مجلسه لفحشه» وسنده حسن، وفي رواية للترمذي: «يا عائشة إن من شر الناس من تركه الناس إتقاء فحشه» وقال: حسن صحيح. وروى الطبراني في الأوسط من حديث أنس: «إن شر الناس منزلة يوم القيامة من يخاف الناس شره» وهو في ذم الغيبة لابن أبي الدنيا بلفظ: «شر الناس منزلة يوم القيامة من يخاف لسانه أو يخاف شره».

(**وفي الخبر: «ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة»**) وفي رواية: «كتب له به صدقة» قال العراقي: رواه أبو يعلى وابن عدي من حديث اهـ.

ورواه الحاكم بلفظ: «ما وقى به المؤمن» وقد رواه عن جابر محمد بن المنكدر، وعنه مسور بن الصلب، وعبد الحميد بن الحسن الهلالي. قلت لابن المنكدر ما يعني به؟ قال: أن تعطي الشاعر أو ذا اللسان المتقي، وللديلمي من طريق أبي المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً: «ذبوا بأموالكم عن أعراضكم» قالوا: يا رسول الله، كيف؟ قال: «تعطون الشاعر ومن يخاف لسانه» ورواه ابن لال من حديث عائشة.

(**وفي الأثر خالطوا الناس بأعمالهم وزايلوهم بالقلوب**) كذا في القوت وتقدم معناه قريباً وهو في جزء الغسولي من حديث جابر بنحوه وقد تقدم قريباً. وأخرج العسكري في الأمثال من حديث ثوبان: خالطوا الناس بأخلاقكم وخالفوهم. (**وقال**) أبو القاسم (**محمد بن**) علي بن أبي طالب الشهير بابن (**الحنفية**) وهي أمه اسمها خولة بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الردل بن حنيفة. كانت من سبي اليمامة الذين سباهم أبو بكر الصديق، دخل على عمر، وروى عن عثمان وأبيه وعنه ابناه الحسن وعبد الله ومنذر أبو يعلى الثوري، وروى ليث ابن أبي سليم عن محمد بن بشر عن محمد بن الحنفية عن علي قال: قلت يا رسول الله ﷺ إن ولد لي مولود بعدك أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك. قال «نعم» قيل: إنه ولد في خلافة أبي بكر ومات برضوي سنة ثلاث وسبعين، وقيل غير ذلك ودفن بالبقيع، والمشهور أنه بالطائف هو وابن عباس في قبر واحد روى له الجماعة: (**ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدأ حتى يجعل الله له فرجاً**) أخرجه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أبو

ومنهـا : أن يجتنب مخالطة الأغنياء ويختلط بالمساكين ويحسن إلى الأيتام ، كان النبي ﷺ يقول : « اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين » . وقال كعب الأحبار : كان سليمان عليه السلام في ملكه إذا دخل المسجد فرأى مسكيناً جلس

خليفة، حدثنا عبيد الله بن محمد ابن عائشة، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن الحسن بن عمر والفقيمي عن منذر الثوري قال: قال محمد ابن الحنفية: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بداً حتى يجعل الله فرجاً مخرجا.

(**ومنها: أن يجتنب من مخالطة الأغنياء**) أرباب الأموال (**ويختلط بالمساكين**) والفقراء ويعاشرهم ويجالسهم (**ويحسن إلى الأيتام**) وهم الذين لا أب لهم ولا أم. (**كان النبي ﷺ يقول: « اللهم احيني مسكيناً وأمتني**) وفي لفظ: وتوفني (**مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين »**) أي اجمعني في جماعتهم. قال اليافعي: وناهيك بهذا شرفاً للمساكين. ولو قال: واحشر المساكين في زمرتي لكفاهم شرفاً. فكيف، وقد قال واحشرني في زمرتهم ثم أنه لم يسأل مسكنة ترجع للقلة بل إلى الإخبات والتواضع ذكره البيهقي، وعليه جرى المصنف كما سيأتي له فيما بعد، ومنه أخذ السبكي قوله المراد استكانة القلب لا المسكنة التي هي نوع من الفقر، فإنه أغنى الناس بالله. وسئل القاضي زكريا عن معنى هذا الحديث فقال: معناه التواضع والخضوع وان لا يكون من الجبابرة المتكبرين والأغنياء المترفين.

قال العراقي: رواه ابن ماجه والحاكم من حديث أبي سعيد وصححه، والترمذي من حديث عائشة وقال: غريب اهـ.

قلت: رواه ابن ماجه من طريق أبي خالد الأحمر، عن يزيد بن سنان، عن ابن المبارك، عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري قال: « أحبوا المساكين فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه وذكره. ورواه الطبراني في الدعاء من طريق أبي فروة يزيد بن محمد بن يزيد بن سنان الرهاوي، حدثني أبي عن أبيه هو يزيد بن سنان عن عطاء بدون واسطة بين يزيد وعطاء، وبدون قول أبي سعيد وبلفظ « توفني » ويزيد بن سنان ضعيف عندهم، لكن قد رواه الطبراني أيضاً من طريق خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بلفظ « اللهم توفني إليك فقيراً ولا توفني إليك غنياً واحشرني إليك في زمرة المساكين يوم القيامة » وخالد الأكثر على تضعيفه وكان الحاكم اعتمد توثيقه، فإنه قد أخرج هذا الحديث من طريقه في الرقاق من المستدرك بزيادة وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي في التلخيص، وكذا رواه البيهقي في الشعب بلفظ « يا أيها الناس لا يحملنكم العسر على أن تطلبوا الرزق من غير حله فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره بالزيادة.

وهو عند أبي الشيخ ومن طريقه الديلمي بدون قول أبي سعيد وله شواهد، فرواه الترمذي في

إليه وقال: مسكين جالس مسكيناً، وقيل: ما كان من كلمة تقال لعيسى عليه السلام أحب إليه من أن يقال له: يا مسكين. وقال كعب الأحبار: ما في القرآن من ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فهو في التوراة: «يا أيها المساكين». وقال عبادة بن الصامت: إن للنار سبعة أبواب ثلاثة للأغنياء وثلاثة للنساء وواحدة للفقراء والمساكين، وقال الفضيل: بلغني أن نبياً من الأنبياء قال: يا رب كيف لي أن أعلم رضاك عني؟ فقال: انظر كيف رضا المساكين عنك. وقال عليه الصلاة والسلام: «إياكم ومجالسة الموتى، قيل: ومن

الزهد من جامعه والبيهقي في الشعب من طريق ثابت بن محمد العابد الكوفي، حدثنا الحرث بن النعمان الليثي، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال «اللهم احيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة» فقالت عائشة: لم يا رسول الله؟ قال «إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً. يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشق تمرة. يا عائشة أحبي المسكين فإن الله يقربك يوم القيامة» وقال: إنه غريب اهـ. والحرث: قال البخاري وغيره أنه منكر الحديث وتردد فيه ابن حبان فذكره في الثقات وفي الضعفاء.

ورواه الطبراني في الدعاء من طريق بقية بن الوليد، حدثنا الثقل بن زياد، عن عبيد الله بن زياد، سمعت جنادة بن أبي أمية يقول: حدثنا عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ «اللهم احيني مسكيناً وتوفني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين» ورجاله موثقون وبقية قد صرح بالتحديث، ومع وجود هذا الطريق وغيرها مما تقدم لا يحسن الحكم عليه بالوضع من ابن الجوزي وابن تيمية، وقد رد عليهما الزركشي والحافظ ابن حجر والسيوطي. قال الأول: أساء ابن الجوزي بذكره له في الموضوعات، وقال الثاني: ليس كما قال صححه الضياء في المختارة، وقال الثالث: أسرف ابن الجوزي بذكره في الموضوع والله أعلم.

(**وقيل: ما كان من كلمة تقال لعيسى عليه السلام أحب إليه من أن يقال له يا مسكين**) أي أنه عليه السلام كان يفرح إذا خوطب بذلك ويجد له لذة لما أن المسكنة من أشرف أوصاف العبودية، وكذلك كان نبينا ﷺ أحب ما إليه أن يقال له يا عبد الله. (**وقال كعب الأحبار**) رحمه الله تعالى (**ما في القرآن**) **من ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فهو في التوراة «يا أيها المساكين»**) والمراد به مسكنة التواضع والإخبات لا ما يرجع إلى القلة. (**وقال عبادة بن الصامت**) الأنصاري الأوسي رضي الله عنه تقدمت ترجمته: (**إن للنار سبعة أبواب ثلاثة**) منها (**للأغنياء، وثلاثة منها للنساء**) وواحد منها (**للفقراء والمساكين**) يشير إلى أنهم أقل الناس دخولاً فيها ولذلك جعل لهم باب واحد. (**وقال الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى: (**بلغني أن نبياً من الأنبياء قال: يا رب كيف لي أن أعلم رضاك عني؟ قال: انظر كيف رضا المساكين عنك**) أخرجه أبو نعيم في الحلية، (**وقال ﷺ «إياكم ومجالسة الموتى» قيل: ومن**

الموتى يا رسول الله؟ قال: الأغنياء». وقال موسى: إلهي أين أبغيك؟ قال عند المنكسرة قلوبهم. وقال ﷺ: «لا تغبطن فاجراً بنعمة فإنك لا تدري إلى ما يصير بعد الموت فإن من ورائه طالباً حثيثاً» وأما اليتيم، فقال ﷺ: «من ضم يتيماً من أبوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة البتة». وقال عليه الصلاة والسلام: «أنا وكافل اليتيم في الجنة

الموتى يا رسول الله؟ قال الأغنياء») قال العراقي: رواه الترمذي وضعفه والحاكم وصحح إسناده من حديث عائشة «إياك ومجالسة الأغنياء».

قلت: وتعقب تصحيح الحاكم، ورواه ابن سعد في الطبقات أيضاً ولفظهم: يا عائشة «إن أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلفي ثوباً حتى ترقعيه».

(**وقال موسى عليه السلام**) في مناجاته: (**إلهي أين أبغيك**) أي أطلبك؟ (**قال:**) ابغني (**عند المنكسرة قلوبهم**) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو حامد، حدثنا محمد، حدثنا هارون، حدثنا سيار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك بن دينار قال: قال موسى عليه السلام: يا رب أين أبغيك فذكره. وقد ذكر المصنف في بداية الهداية أنه في الخبر: أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي.

قلت: وكأنه من الإسرائيليات ولم يثبت رفعه عند أئمة الحديث.

(**وقال ﷺ «لا تغبطن فاجراً بنعمة**) أي لا تفرح بمثلها له ولا ترج أن يكون ذلك لك (**فإنك لا تدري إلى ما يصير بعد الموت**) هل ينجو أم لا، (**فإن من ورائه طلباً حثيثاً**) أي مجداً قال العراقي: رواه البخاري في التاريخ، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف اهـ.

قلت: لفظ البيهقي في الشعب «لا تغبطن فاجراً بنعمة إن له عند الله قاتلاً لا يموت» وله شاهد عند الحاكم من حديث ابن عباس «لا تغبطن جامع المال من غير حله فإنه إن تصدق لم يقبل وما بقي كان زاده في النار».

(**وأما اليتيم فقد قال ﷺ «من ضم يتيماً من**) بين (**أبوين مسلمين**) أي تكفل بمؤنته وما يحتاجه (**حتى يستغني فقد وجبت له الجنة ألبتة»**) نصب على المصدر، والمراد به القطع بالشيء، والمراد أنه لا بد له من الجنة وإن تقدم عذابه لا أن المراد أنه يدخلها بلا عذاب ألبتة. قال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث مالك بن عمرو وفيه علي بن زيد بن جدعان متكلم فيه اهـ.

قلت: مالك بن عمرو هو القشيري، وقيل الكلابي، وقيل العقيلي، ويقال: الأنصاري انفرد بحديثه علي بن زيد بن جدعان واختلف عليه فيه. رواه عن زرارة بن أوفى عنه وبعض الناس فرق

كهاتين وهو يشير بأصبعيه ». وقال ﷺ : « من وضع يده على رأس يتيم ترحماً كانت له

بينهم وعلي بن زيد روى له مسلم مقروناً بثابت البناني والباقون إلا البخاري، وقد مات علي وثابت في سنة واحدة.

ولفظ حديث مالك بن عمر « ومن ضم يتيماً إلى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله » الحديث هكذا رواه أحمد بطوله، ورواه الباوردي عن أبي مالك العامري، وروى الطبراني في الأوسط من حديث عدي بن حاتم رفعه « من ضم يتيماً له أو لغيره حتى يغنيه الله عنه وجبت له الجنة » وفيه المسيب بن شريك وهو متروك، وروى الترمذي من حديث ابن عباس بسند ضعيف « من قبض يتيماً من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة إلا أن يعمل ذنباً لا يغفر ».

(وقال ﷺ « أنا وكافل اليتيم) أي القائم بأمره ومصالحه هبه من مال نفسه أو من مال اليتيم كان ذا قرابة أم لا (في الجنة كهاتين وأشار بإصبعيه ») السبابة والوسطى وفرج بينهما أي أن الكافل في الجنة مع النبي لا أن درجته تقارب درجة النبي، وفي الإشارة إشارة إلى أن بين درجته والكافل قدر تفاوت ما بين المشاربه، ويحتمل أن المراد قرب المنزلة حال دخول الجنة أو المراد في سرعة الدخول وذلك لما فيه من حسن الخلافة للأبوين ورحمة الصغير وذلك مقصود عظيم في الشريعة ومناسبة التشبيه أن النبي شأنه أن يبعث لقوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلاً لهم ومرشداً ومعلماً وكافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل فيرشده ويعلمه، وهذا تنويه عظيم بفضل قبول وصية من يوصي إليه ومحل كراهة الدخول في الوصايا أن يخاف تهمة أو ضعفاً عن القيام بحقها. قال العراقي: رواه البخاري من حديث سهل بن سعد ومسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد، وأبو داود، والترمذي من حديث سهل ولفظهم في الجنة هكذا. ورواه مسلم أيضاً من حديث عائشة وابن عمر بزيادة له أو لغيره بعد قوله اليتيم.

(وقال ﷺ « من وضع يده على رأس يتيم ترحماً كانت له بكل شعرة تمر يده عليها حسنة ») قال العراقي: رواه أحمد والطبراني بإسناد ضعيف من حديث أبي أمامة دون قوله ترحماً، ولابن حبان في الضعفاء من حديث ابن أبي أوفى « من مسح يده على رأس يتيم رحمة له » الحديث اهـ.

قلت: وبلفظ المصنف رواه ابن المبارك في الزهد عن ثابت بن عجلان بلاغاً. وأما حديث أبي أمامة عند أحمد والطبراني فلفظه « من مسح رأس يتيم لا يمسحه إلا لله فإن له بكل شعرة مرت على يده حسنة، ومن أحسن إلى يتيمه أو يتيم غيره كنت أنا وهو في الجنة كهاتين » وفرق بين أصبعيه. وهكذا رواه ابن المبارك أيضاً، والحاكم، وأبو نعيم في الحلية، وروى الحكيم من حديث أنس بالجملة الأخيرة فقط « من أحسن إلى يتيم أو يتيمة كنت أنا وهو في الجنة كهاتين ».

بكل شعرة تمرّ عليها يده حسنة ». وقال ﷺ : « خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ».

ومنهـا : النصيحة لكل مسلم والجهد في إدخال السرور على قلبه ، قال ﷺ : « المؤمن يحب للمؤمن كما يحب لنفسه ». وقال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب

(**وقال ﷺ « خير بيت من**) وفي رواية في (**المسلمين بيت فيه يتيم**) لا أبوان له ذكر أو أنثى (**يحسن إليه**) بالبناء للمفعول أي بالقول أو بالفعل أو بهما ، (**وشر بيت من**) وفي رواية : في (**المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه »**) أي بقول أو بفعل أو بهما . قال العراقي : رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة وفيه ضعف اهـ .

قلت : وكذا رواه ابن المبارك والبخاري في الأدب المفرد ، وأبو نعيم في الحلية بزيادة « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » . وقال الحافظ ابن حجر : رواه ابن ماجه من طريق زيد بن أبي عشير ، عن أبي هريرة وزيد وثقه يحي بن معين والباقون من رجال الصحيح إلا شيخ ابن ماجه وهو ثقة ، وروى العقيلي والخرائطي في مكارم الأخلاق ، وأبو نعيم في الحلية وابن النجار من حديث عمر بن الخطاب « خير بيوتكم بيت فيه يتيم مكرم » .

(**ومنها : النصيحة لكل مسلم والجهد في إدخال السرور على قلبه . قال ﷺ « المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه »**) قال العراقي : لم أره بهذا اللفظ . قلت : هو معنى الحديث الذي يليه .

(**وقال ﷺ « لا يؤمن أحدكم**) إيماناً كاملاً ونفى اسم الشيء بمعنى نفي الكمال عنه مستفيض في كلامهم وخصوا بالخطاب لأنهم الموجودون إذ ذاك والحكم عام (**حتى يحب لأخيه**) في الإسلام من الخير كما هو في رواية النسائي وغيره (**ما يحب لنفسه »**) من ذلك ليكون المؤمنون كنفس واحدة ، ومن زعم كابن الصلاح أن هذا من الصعب الممتنع غفل عن المعنى المراد وهو أن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها وبه دفع ما قيل هذه محبة عقلية لا تكليفية طبيعة لأن الانسان جبل على حب الاستئثار فتكليفه بأن يحب له مثل ما يحبه لنفسه مفض إلى أن لا يكمل إيمان أحد إلا نادراً . وذكر الأخ غالبي ، فالمسلم ينبغي له أن يحب للكافر الإسلام وما يترتب عليه من الخيور والأجور ، ومقصود الحديث انتظام أحوال المعاش والمعاد والجري على قانون السداد ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران : ١٠٣] رواه ابن المبارك والطيالسي وأحمد وعبد بن حميد والشيخان والترمذي وقال : صحيح والنسائي وابن ماجه والدارمي كلهم من حديث أنس لكن لفظ رواية مسلم « حتى يحب لأخيه » أو قال لجاره ورواية البخاري وغيره لأخيه بغير شك ، وفي رواية لأحمد حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وروى ابن عساكر من حديث أسد بن عبد الله بن يزيد القسري عن أبيه عن جده بلفظ المصنف مع زيادة .

لنفسه » وقال ﷺ : « إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رأى فيه شيئاً فليمطه عنه »، وقال ﷺ : « من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله عمره » وقال ﷺ : « من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة ». وقال ﷺ : « من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار

(**وقال ﷺ « إن أحدكم مرآة أخيه**) أي هو بمنزلة المرآة التي يرى فيها ما به من شعث فيصلحه (**فإذا رأى به**) بنحو بدنه أو ملبوسه (**شيئاً**) من الأذى كمخاط وبصاق وتراب (**فليمطه**) أي لينزله (**عنه »**) ندباً فإن بقاءه يشينه، والظاهر أنه يشمل الأذى المعنوي أيضاً ما لو رأى بعرضه ما يشينه فيزيله عنه بإرشاده له إلى ذلك، لكن يبعده زيادته في بعض الروايات ويره إياه إلا أن يقال أراد برؤياه ما يعم توقيفه عليه ليجتنبه. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وقد تقدم اهـ.

قلت: الذي تقدم من حديث أبي هريرة لفظه « المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه » وهذا الذي رواه أبو داود وقد روى مثل ذلك عن أنس أيضاً لكن بأول الحديث فقط، والذي ذكره المصنف هنا فمن رواية الترمذي خاصة عن أبي هريرة.

(**وقال ﷺ « من قضى حاجة لأخيه فكأنما خدم الله تعالى عمره »**) أي فينبغي لمن عزم على معاونة أخيه في قضاء حاجاته أن لا يجبن عن نفاد قوله وصدعه بالحق إيماناً بأن الله تعالى في عونه. قال العراقي: رواه البخاري في التاريخ والطبراني والخرائطي كلاهما في مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أبو نعيم في الحلية، والخطيب من طريق إبراهيم بن شاذان، عن عيسى بن يعقوب بن جابر الزجاج، عن دينار مولى أنس عن أنس. وأورده ابن الجوزي في الموضوع، ولفظ البخاري في التاريخ « من قضى لأخيه حاجة » وفي لفظ « من قضى لأخيه المسلم حاجة كان له من الأجر كمن خدم الله عمره » وفي أخرى « كان بمنزلة من خدم الله عمره ».

وأخرج الديلمي من حديث ابن عمر « من قضى لأخيه حاجة في غير معصية كان كمن خدم الله عمره ».

(**وقال ﷺ « من أقر عين مؤمن**) أي فرحها وأسرها أو بلغها أمنيتها حتى رضيت وسكنت (**أقر الله عينه يوم القيامة »**) جزاء وفاقاً. قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق بإسناد ضعيف مرسلاً اهـ.

قلت: الجلال في جامعه الصغير بعين مؤمن بالباء في الموضعين، وقال الشارح: هي زائدة وقال عن رجل مرسلاً. وقال في الكبير ابن المبارك عن عبيد الله بن زحر عن بعض أصحابه مرسلاً وعبيد الله بن زحر الضمري الافريقي صدوق يخطيء، روى له البخاري في الأدب المفرد والأربعة.

قضاها أو لم يقضها كان خيراً له من اعتكاف شهرين » وقال عليه الصلاة والسلام: « من فرج عن مؤمن مغموم أو أعان مظلوماً غفر الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة ». وقال ﷺ: « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ». فقيل: كيف ينصره ظالماً؟ قال: « يمنعه من الظلم ».

(وقال ﷺ « من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها كان خيراً له من اعتكاف شهرين متتابعين ») قال العراقي: رواه الحاكم وصححه من حديث ابن عباس « لأن يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته - وأشار بإصبعيه - أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين ». وللطبراني في الأوسط « من مشى في حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين » وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: وبلفظ الطبراني رواه أيضاً البيهقي وضعفه، والخطيب وقال غريب ولفظه « من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين ». ويروى أن الحسن البصري أمر ثابتاً البناني بالمشي في حاجة فقال: أنا معتكف. فقال: يا أعمش إن مشيك في حاجة اخيك خير لك من حجة بعد حجة.

(وقال ﷺ « من فرج عن مغموم) الذي أصابه الغم **(أو أغاث ملهوفاً)** أي مكروباً **(غفر الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة »)** قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، وابن حبان في الضعفاء، وابن عدي من حديث أنس بلفظ « من أغاث ملهوفاً » اهـ.

قلت: وكذلك رواه البخاري في التاريخ، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج والبيهقي والخطيب وابن عساكر باللفظ المذكور، وفي أخرى زيادة منها واحدة بها صلاح أمره كله، واثنتان وسبعون درجات له عند الله يوم القيامة، والبيهقي رواه عن أبي طاهر، عن أبي داود الخفاف، عن غسان ابن المفضل، عن عبد العزيز بن عبد الصمد العمي، عن زياد بن حسان، عن أنس. وأخرجه البخاري في تاريخه في ترجمة عباس بن عبد الصمد وقال: هو منكر الحديث، وقال في الميزان: زياد وهاه ابن حبان وقال: حدث عن أنس بنسخة أكثرها موضوع ثم ساق منها هذا الخبر، وحكم ابن الجوزي بوضعه وتعقبه الجلال وقال: إن له شاهداً، وفي رواية « حسنة » بدل « مغفرة » وهكذا رواه أبو يعلى والعقيلي وابن عساكر، وفي سند كل منهم زياد بن أبي حسان المذكور. وللحديث طريق آخر ليس فيه زياد وهو ما أخرجه ابن عساكر من طريق عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حصين عن أنس ولفظه « من أغاث ملهوفاً أغاثة غفر الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة واحدة في الدنيا واثنتين وسبعين في الدرجات العلى من الجنة » الحديث.

(وقال ﷺ « انصر أخاك) في الدين **(ظالماً)** بمنعه من الظلم من تسمية الشيء بما يؤل إليه وهو من وجيز البلاغة **(أو مظلوماً)** بإعانته على ظالمه وتخليصه منه **(فقيل:)** أي قال راويه: **(كيف ننصره ظالماً يا رسول الله؟ قال: « تمنعه من الظلم »)**. وتحول بينه وبينه فإن ذلك

وقال عليه الصلاة والسلام: « إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب المؤمن أو أن يفرج عنه غماً أو يقضي عنه ديناً أو يطعمه من جوع ». وقال ﷺ: « من حمى مؤمناً من منافق يعنته بعث الله إليه ملكاً يوم القيامة يحمي لحمه من نار جهنم »،

نصرة له لأنه لو ترك على ظلمه جرى على الاقتصاص منه فمنعه من وجوب القود نصرة له وهذا من قبيل الحكم للشيء وتسميته بما يؤل إليه وهو من وجيز البلاغة. ورواه البخاري في الصحيح من طريق معتمر بن سليمان عن حميد عن أنس به مرفوعاً وفيه قال يا رسول الله هذا ينصره مظلوماً فكيف ينصره ظالماً؟ فقال: « يأخذ فوق يديه » وفي لفظ المغيرة: « تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه » وروى البخاري أيضاً مختصراً من طريق هشيم عن حميد الطويل، وعبيد الله بن أبي بكر بن أنس سمعا أنساً به، بل أخرجه في الإكراه من حديث عبيد الله فزاد فقال رجل. يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: « تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره ». وقد رواه أيضاً أحمد والترمذي وعند مسلم من وجه آخر وفيه بيان سببه، فرواه في الأدب من طريق زهير عن أبي الزبير عن جابر قال: اقتتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنادى المهاجرين يا للمهاجرين ونادى الأنصاري يا للأنصار فقال: « ما هذا دعوة أهل الجاهلية. قالوا: يا رسول الله إن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر، فقال: لا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصرة وإن كان مظلوماً فلينصره ».

ورواه الدارمي وابن عساكر من حديث جابر بلفظ: « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً إن يك ظالماً فاردده عن ظلمه وإن يك مظلوماً فانصره ».

(وقال ﷺ « إن من أحب الأعمال إلى الله) تعالى **(إدخال السرور على)** أخيه **(المؤمن وأن يفرج عنه غماً)** أي يكشفه عنه بالقول أو بالفعل أو بهما أو بالمال **(أو يقضي عنه ديناً)** بأن يرضي غريمه بما عليه **(أو يطعمه من جوع »)** قال العراقي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث ابن عمر بسند ضعيف اهـ.

قلت: وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم، وروي أيضاً من حديث الحكم بن عمير « أحب الأعمال إلى الله من أطعم مسكيناً من جوع أو دفع عنه مغرماً أو كشف عنه كرباً » وفي سند الأول إسماعيل ابن عمر البجلي وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وفي الثاني سليمان بن مسلمة الخبائري وهو ضعيف.

(وقال ﷺ « من حمى مؤمناً من منافق يعنته) أي يؤذيه ويوقعه في العنت وفي الشدة هكذا في النسخ وفي بعضها يغتابه **(بعث الله له ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم »)** رواه ابن المبارك، وأحمد، وأبو داود، وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة، والطبراني عن سهل بن معاذ ابن أنس الجهني عن أبيه، وقد تقدم قريباً ولم يذكره العراقي.

وقال ﷺ : « خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الإيمان بالله والنفع لعباد الله » ، وقال ﷺ : « من لم يهتم للمسلمين فليس منهم » ، وقال معروف الكرخي : من قال كل يوم ، اللهم ارحم أمة محمد كتبه الله من الأبدال ـ وفي رواية أخرى ـ اللهم أصلح أحوال أمة محمد لهم فرج عن أمة محمد ـ كل يوم ثلاث مرات ـ كتبه الله من الأبدال ، وبكى علي بن الفضيل يوماً

(**وقال ﷺ « خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الإيمان بالله والنفع لعباد الله »**) قال العراقي: ذكره صاحب الفردوس من حديث علي ولم يسنده ولده في مسنده اهـ.

قلت: وقد نظمه الشاعر:

كن كيف شئت فإن الله ذو كرم ... وما عليك إذا أذنبت من باس
إلا اثنتان فلا تقربهما أبداً ... الشرك بالله والإضرار للناس

(**وقال ﷺ « من لم يهتم للمسلمين فليس منهم »**) قال العراقي: رواه الحاكم من حديث حذيفة، والطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الطبراني في الأوسط أيضاً من حديث حذيفة ولفظه « من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لم يصبح ويمس ناصحاً لله ورسوله ولكتابه ولإمامه وأمة المسلمين فليس منهم ».

(**وقال**) أبو محفوظ (**معروف**) بن فيروز (**الكرخي**) قدس الله سره (**من قال اللهم اصلح أمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد، اللهم فرج عن أمة محمد كل يوم ثلاث مرات كتبه الله من الابدال**) جمع بدل وهم طائفة من الأولياء كأنهم أرادوا أنهم أبدال الأنبياء وخلفاؤهم وهم عند القوم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون قاله أبو البقاء.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن الحرث الطبراني، حدثنا سعيد ابن أبي زيدون، حدثنا عبد الله بن هارون الصوري، حدثنا الأوزاعي عن الزهري، عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ « خيار أمتي في كل قرن خمسمائة والأبدال اربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون كلما مات رجل أبدل الله من الخمسمائة مكانه وأدخل من الأربعين مكانهم ». قالوا: يا رسول الله دلنا على أعمالهم. قال « يعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويتواسون فيما آتاهم الله تعالى ».

وروي من طريق الثوري عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله رفعه « إن لله في الخلق ثلاثمائة » ثم ساق الحديث، وفيه « ويدعون فيرفع بهم أنواع البلاء » والدعاء المذكور مشهور بدعاء الأبدال وإن زاد الداعي ﷺ عند ذكر اسمه الشريف فحسن ويروى بدل الجملة الثالثة « اللهم تجاوز عن أمة محمد ﷺ » وقد أوصى المشايخ بهذا الدعاء لمريديهم رجاء حصول البركة في

فقيل له ما يبكيك؟ قال: أبكي على من ظلمني إذا وقف غداً بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه ولم تكن له حجة.

ومنها: أن يعود مرضاهم فالمعرفة والإسلام كافيان في إثبات الحق ونيل فضله. وأدب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال وإظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع. وعند الاستئذان لا يقابل الباب ويدق برفق ولا يقول: أنا، إذا قيل له: من! ولا يقول، يا غلام، ولكن يحمد ويسبح، وقال ﷺ: « تمام عيادة المريض أن

اللحوق بهم، وإن لم يكونوا مثلهم، ومن هذا النمط أيضاً: اللهم احفظ ما خلقت وبارك فيما رزقت ولا تسلب ما أنعمت، ولا تهتك ما سترت أصبحت بين العباد مالي مراد سبحان من له المراد فيما يريد، فهذا أيضاً من دعائهم من قاله كل يوم ثلاث مرات كتبه الله منهم.

(**وبكى علي بن الفضيل**) بن عياض التميمي رحمه الله تعالى من العلماء العاملين، صدوق، روى عن عبد العزيز بن أبي رواد وغيره، وعنه أبوه والقدماء، ومات قبل أبيع سمع آية فمات روى له النسائي ووثقه (**يوماً فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أبكي على من ظلمني إذا وقف غداً بين يدي الله تعالى وسئل عن ظلمه**) لم ظلمت فلاناً (**ولم تكن له حجة**) فكأنه بكاء شفقة عليه ورحمة له وهذا من أوصاف الأبدال.

(**ومنها: أن يعود مرضاهم**) أي يأتي إلى زيارتهم (**والمعرفة والإسلام كاف**) وفي نسخة: كافيان (**في إثبات هذا الحق ونيل فضله**) أي التعارف الظاهر، وكونه مسلماً. والظاهر أن كلاً منهما شرط فإذا عدم أحدهما سقط حق العيادة (**وأدب العائد**) للمريض (**خفة الجلسة**) عنده لئلا يمرض المريض منه، فقد روى الديلمي من حديث أبي هريرة من تمام العيادة خفة القيام عند المريض، (**وقلة السؤال**) عن أحواله فإن كثرته ربما تضجره (**وإظهار الرقة**) له (**والدعاء**) له (**بالعافية وغض البصر عن عورات الموضع**) أي لا يتطلع إلى ما في الموضع من فرش وأوان وغيرها ولا يرفع بصره الى جوانب الموضع، فإن هذا ربما يكدر خاطر المريض. ومن جملة آدابه أنه إذا جلس عنده فعرض عليه طعام أو شراب فلا يأكل ولا يشرب، فقد روى الديلمي من حديث أبي أمامة إذا عاد أحدكم مريضاً فلا يأكل عنده فإنه حظه من عبادته. (**و**)آدابه (**عند الاستئذان أن لا يقابل الباب في وقوفه**) فإنه ربما يقع بصره عند فتحه على ما لا يحل له النظر إليه بل يقف في طرف منه، (**و**)إذا دق الباب (**يدق برفق**) ولين لا بانزعاج، (**ولا يقول: أنا إذا قيل من**) بالباب فقد ورد النهي عن ذلك، وأول من قال أنا الشيطان، (**ولا يقول يا غلام**) يا ولد يا جارية (**لكن يحمد ويسبح ويهلل**) معلناً بذلك وإن قال فلان بن فلان لا بأس بذلك لأن المقصود الإعلام وهو يحصل بذكر الاسم أكثر من التسبيح وإن جمع بينهما فحسن.

يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده ويسأله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة » وقال ﷺ : « من عاد مريضاً قعد في مخارف الجنة حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل » وقال ﷺ : « إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قعد

(قال ﷺ « تمام عيادة المريض أن يضع أحدهم يده على جبهته أو) قال **(على يده ويسأله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة »)** وفي لفظ : « وتمام تحيتكم بينكم المصافحة » رواه أحمد والترمذي وضعفه وابن أبي الدنيا والبيهقي من حديث أبي أمامة بلفظ « من تمام » ورواه الأخيران أيضاً بلفظ « من تمام عيادة أحدكم أخاه أن يضع يده عليه فيسأله كيف أصبح كيف أمسى » وعند الطبراني في الكبير من حديث أبي رهم وإن من الحسنات عيادة المريض وإن من تمام عيادته أن تضع يدك عليه وتسأله كيف هو ، ومن حديث أبي أمامة أيضاً بلفظ المصنف وكل من السياقين في أثناء الحديث . وأما الجملة الأخيرة من الحديث فقد تقدم ذكرها في أول الباب .

(وقال ﷺ « من عاد مريضاً قعد في مخارف الجنة) جمع مخرف موضع الاختراف وخرف الثمار واخترفها قطعها وجناها ، والمراد بمخارف الجنة ، مجاني ثمارها **(حتى إذا قام وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه)** أي يستغفرون له **(حتى الليل »)** قال العراقي : رواه أصحاب السنن والحاكم من حديث علي « من أتى أخاه المسلم عائداً أمسى في خزانة الجنة حتى يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن كان مساء » الحديث لفظ ابن ماجه ، وصححه الحاكم وحسنه الترمذي ، ولمسلم من حديث ثوبان « من عاد مريضاً لم يزل في خزانة الجنة » اهـ .

قلت : وبقية حديث ابن ماجة « وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح » ولفظ البيهقي من حديث علي « من عاد مريضاً قعد في خراف الجنة فإذا قام من عنده وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل » وهذا أقرب إلى سياق المصنف ، وفي لفظ عنده من حديثه أيضاً « من عاد مريضاً مشى في خراف الجنة فإذا جلس عنده استنقع في الرحمة فإذا خرج من عنده وكل الله به سبعين ألف ملك يستغفرون له ويحفظونه ذلك اليوم » .

ولفظ ابن النجار من حديثه : « من عاد مريضاً ابتغاء مرضاة الله وتنجيز موعود الله ورغبة فيما عنده وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه إن كان صباحاً حتى يمسي وإن كان مساء حتى يصبح » .

ولفظ ابن صصري في أماليه من حديثه : « من عاد مريضاً إيماناً بالله واحتساباً وتصديقاً بكتابه وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه من حيث يصبح حتى يمسي ومن حيث يمسي حتى يصبح وكان ما كان قاعداً عنده في خراف الجنة » ، وقد روي نحو ذلك من حديث ابن عباس ، ولفظه عند الطبراني في الكبير : « من عاد مريضاً خاض في الرحمة فإذا جلس إليه غمرته الرحمة فإن عاده

عنده قرت فيه »، وقال ﷺ: « إذا عاد المسلم أخاه أو زاره قال الله تعالى طبت وطاب

في أول النهار استغفر له سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن عاده من آخر النهار استغفر له سبعون ألف ملك حتى يصبح » قيل: يا رسول الله هذا للعائد فما للمريض؟ قال: أضعاف ذلك ».

وأما حديث ثوبان فقد رواه أيضاً أحمد وابن جرير والطبراني في الكبير بزيادة قيل: يا رسول الله وما خرافة الجنة؟ قال: « جناها ». ورواه الطبراني وابن جرير أيضاً بزيادة حتى يرجع، وفي لفظ لمسلم أيضاً « عائد المريض يمشي في مخرفة الجنة حتى يرجع » وهكذا رواه أيضاً ابن جرير وابن قانع.

(وقال ﷺ: « إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة فإذا قعد عنده قرت فيه »)
قال العراقي: رواه الحاكم والبيهقي من حديث جابر وقال: انغمس فيها. قال الحاكم صحيح على شرط مسلم، وكذا صححه ابن عبد البر، وذكره مالك في الموطأ بلاغاً بلفظ « قرت فيه » ورواه الواقدي بلفظ « استقر فيها » والطبراني في الصغير من حديث انس: « فإذا قعد عنده غمرته الرحمة » وله في الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمر بن حزم استنقع فيها اهـ.

قلت: لفظ حديث جابر « من عاد مريضاً خاض في رحمة الله فإذا جلس انغمس فيها » وهكذا رواه أحمد والنسائي والبخاري في الأدب المفرد والحرث بـن أبي أسامة وابن منيع والبزار والبخاري في التاريخ وابن حبان والضياء في المختارة، وهكذا رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة.

وأما حديث أنس عند الطبراني في الصغير فلفظه: « من عاد مريضاً خاض في الرحمة حتى تبلغه فإذا قعد عنده غمرته الرحمة » وهكذا رواه أيضاً في الكبير من حديث ابن عباس مع زيادة في آخره تقدم ذكرها قبل هذا الحديث، ورواه بهذا اللفظ أيضاً ابن عساكر في التاريخ من حديث عثمان بن عفان، ورواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي من حديث أبي أمامة، وأخرج البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف: « عائد المريض في مخرفة الجنة فإذا جلس عنده غمرته ».

وأما حديث كعب بن مالك عند الطبراني في الأوسط والكبير أيضاً فلفظه « من عاد مريضاً خاض في الرحمة فإذا جلس عنده استنقع فيها ». وهكذا رواه ابن جرير أيضاً، وقد رواه الطبراني أيضاً في الكبير من حديث كعب بن عجرة.

وأما حديث عمرو بن حزم عند الطبراني في الأوسط وفي الكبير أيضاً فلفظه « من عاد مريضاً لا يزال يخوض في الرحمة حتى إذا قعد عنده استنقع فيها. ثم إذا قام من عنده لا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج » الحديث. وهكذا رواه أيضاً بطوله ابن جرير والبغوي والبيهقي وابن عساكر من طريق عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده، وقد رويت هذا اللفظة من حديث علي وابن عباس أما حديث علي فأخرجه البيهقي في الشعب بلفظ « فإذا

ممشاك وتبوأت منزلاً في الجنة ». وقال عليه الصلاة والسلام: « إذا مرض العبد بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكين فقال: انظر ماذا يقول لعواده؟ فإن هو إذا جاؤوه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول: لعبدي علي إن توفيته أن أدخله الجنة وإن أنا شفيته أن أبدل له لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وإن أكفر عنه سيئاته » وقال رسول الله ﷺ: « من يرد الله به خيراً يصب منه » وقال عثمان رضي الله عنه:

جلس عنده استنقع في الرحمة ». ولفظ حديث ابن عباس عنده أيضاً « من عاد مريضاً يلتمس وجه الله خاض في رحمته خوضاً، فإذا قعد عنده استنقع فيها استنقاعاً ».

(**وقال ﷺ: « إذا عاد المسلم أخاه**) في الدين (**أو زاره**) احتساباً لله (**قال الله تعالى طبت وطاب ممشاك**) أي مشيك (**وتبوأت منزلاً في الجنة** ») أي اتخذته قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة إلا أنه قال ناداه مناد. قال الترمذي: غريب قلت: فيه عيسى بن سنان القسملي ضعفه الجمهور اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن جرير ولفظهم: « من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد أن طبت » الحديث. وعيسى بن سنان الحنفي أبو سنان القسملي الفلسطيني نزيل البصرة حدث بها عن يعلى بن شداد بن أوس ووهب وعدة، وعنه عيسى بن يونس وأبو أسامة وجمع ضعفه وبعضهم قواه كذا في الكاشف وقال في الضعفاء: ضعفه يحيى بن معين.

(**وقال ﷺ: « إذا مرض العبد بعث الله تعالى له ملكين فيقول**) لهما وفي نسخة فقال: (**انظرا ماذا يقول لعوّاده**) جمع عائد (**فإن هو**) أي المريض (**إذا جاؤوه**) وسألوه عن حاله (**حمد الله تعالى وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله تعالى وهو اعلم فيقول: لعبدي علي إن توفيته**) أي من هذا المرض، (**أن أدخله الجنة وإن أنا شفيته أن أبدل له لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وأن أكفر عنه سيئاته** ») قال العراقي: رواه مالك في الموطأ مرسلاً من حديث عطاء بن يسار، ووصله ابن عبد البر في التمهيد من روايته عن أبي سعيد الخدري وفيه عباد بن كثير ضعيف، وللبيهقي من حديث أبي هريرة قال الله: « إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عوّاده أطلقته من أساري ثم أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه ثم يستأنف العمل » وإسناده جيد انتهى.

قلت: وكذلك رواه الحاكم ومما يقرب من سياقه ما روي عن شداد بن أوس رفعه « قال الله تعالى إذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمناً فحمدني وصبر على ما ابتليته فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا ويقول الرب للحفظة: إني أنا قيدت عبدي هذا وابتليته فأجروا له ما كنتم تجرون له قبل ذلك من الأجر » وهو صحيح رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني وأبو نعيم.

(**وقال ﷺ: « من يرد الله به خيراً**) أي جميع الخيرات أو خيراً غزيراً (**يصب**) بكسر

مرضت فعادني رسول الله ﷺ فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد من شر ما تجد» قالها مراراً. ودخل ﷺ على علي رضي الله عنه وهو مريض فقال له: «قل اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك أو صبراً على بليتك أو خروجاً من الدنيا إلى رحمتك فإنك ستعطى إحداهن».

الصاد عند الأكثر والفاعل الله، وروي بفتحها واستحسنه ابن الجوزي ورجحه الطيبي بأنه أليق بالأدب لآية ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء: ٨٠] والضمير في قوله (**منه**) على التقديرين للخير ويصح عود الضمير في يصب إلى من وفي منه إلى الله أو إلى الخير والمعنى أن الخير لا يحصل للإنسان إلا بإرادته تعالى وعلمه. قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والنسائي وابن حبان، وقال الحافظ ابن حجر: ونسبه أبو الفضل بن عمار الشهيد إلى تخريج مسلم وأعله وليس هو في النسخ الموجودة الآن.

(**وعن**) أمير المؤمنين (**عثمان بن عفان**) بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي أبي عمرو، ويقال أبو عبدالله، ويقال أبو ليلى الأموي ذو النورين (**رضي الله عنه**) أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها أم حكيم البيضاء ابنة عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ أسلم قديماً وهاجر الهجرتين، وتزوّج ابنتي رسول الله ﷺ رقية فماتت عنده، ثم أم كلثوم فماتت عنده أيضاً فقال: لو كانت عندي غيرها لزوّجتكها، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين جعل فيهم عمر الشورى. وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض، بويع له بالخلافة يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين بعد دفن عمر بثلاثة أيام باجتماع الناس عليه، وقتل في وسط أيام التشريق سنة خمس وثلاثين عن اثنين وثمانين، ودفن بحش كوكب، روى له الجماعة: (**مرضت فعادني النبي ﷺ فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد من شر ما تجد» قال ذلك مراراً**) وفي نسخة ثلاثاً. قال العراقي: رواه ابن السني في اليوم والليلة، والطبراني، والبيهقي في الأدعية من حديث عثمان بن عفان.

(**ودخل ﷺ على علي رضي الله عنه وهو مريض فقال: «قل اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك أو صبراً على بليتك أو خروجاً من الدنيا إلى رحمتك فإنك ستعطى إحداهن»**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا من حديث أنس بسند ضعيف أن رسول الله ﷺ دخل على رجل وهو يشتكي ولم يسم علياً. وروى البيهقي في الدعوات من حديث عائشة أن جبريل علمها للنبي ﷺ وقال: أن الله يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات اهـ.

قلت: ويروى عن علي رضي الله عنه قال: كنت شاكياً فمر بي رسول الله ﷺ وأنا أقول: اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان متأخراً فارفعني، وإن كان بلاء فصبرني، فقال

ويستحب للعليل أيضاً أن يقول: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا شكا أحدكم بطنه فليسأل امرأته شيئاً من صداقها ويشتري به عسلاً ويشربه بماء السماء فيجتمع له الهنيء والمريء والشفاء والمبارك.

رسول الله ﷺ: «كيف قلت» قال: فأعاد عليه ما قال، فضربه برجله وقال: «اللهم عافه أو اشفه شعبة الشاك» قال: فما اشتكيت وجعي بعده. رواه الترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان في صحيحهما، وقال الترمذي: واللفظ له حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولفظه: «اللهم اشفه اللهم عافه» ولفظ النسائي: «اللهم اشفه اللهم اعفه».

(**ويستحب للعليل أيضاً أن**) يضع يده على الموضع الذي يألم من جسده و (**يقول: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد**) رواه مالك في الموطأ من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه أتى رسول الله ﷺ وقال له بي وجع قد كاد يهلكني قال: فقال لي: «امسح بيمينك سبع مرات وقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد» قال: ففعلت ذلك فاذهب الله ما كان بي فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم، وروى الجماعة إلا البخاري في حديثه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثاً وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» زاد أبو داود والترمذي والنسائي قال: ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان بي فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم. وأخرجه الترمذي أيضاً من حديث أنس ولفظه: «ضع يدك حيث تشكي ثم قل بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا ثم ارفع يدك ثم أعد ذلك وتراً».

(**وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا اشتكى أحدكم بطنه**) أي وجعاً في بطنه (**فليسأل امرأته شيئاً من صداقها**) الذي عليه فتهبه له (**فيشتري به عسلاً فيشربه**) ممزوجاً (**بماء السماء**) أي المطر (**فيجمع له الهناء والشفاء والماء المبارك**). أما ما يأخذه من الصداق فإنه هنيء مريء بنص الآية ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ [النساء: ٤]، وأما العسل فإنه شفاء بنص القرآن ﴿فيه شفاء للناس﴾ [النحل: ٦٩] وأما ماء السماء فإنه طهور قال الله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾ [الفرقان: ٤٨] وكان بعض مشايخنا يأمر بكتابة سورة الفاتحة في إناء نظيف بماء ورد وزعفران ثم يمحي بماء المطر ثم يمزج به ذلك العسل المشترى من دراهم الصداق فيشربه المريض إن كان الوجع من الباطن أو يمسح به موضع الألم إن كان ظاهراً وكان يقول: هذا من المجربات.

فصل

في ذكر أدعية تتعلق بالباب:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوّذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها»، رواه الجماعة إلا

وجملة أدب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفزع إلى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء. وقال ﷺ: « يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق من

الترمذي. وعنها أن النبي ﷺ كان يقول للمريض بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفي سقيمنا ». رواه الجماعة إلا الترمذي زاد البخاري في آخره في رواية أخرى بإذن ربنا، وفي لفظ بإذن الله. وعنها: أن النبي ﷺ كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول: « اللهم رب الناس اذهب البأس اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً ». رواه البخاري ومسلم والنسائي ولهم في رواية أخرى: « امسح الباس رب الناس بيدك الشفاء لا كاشف له إلا أنت ».

وعن أبي سعيد « أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اشتكيت؟ قال: « نعم قال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك » رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: « من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات اسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من ذلك المرض »، رواه أبو داود واللفظ له، والترمذي، والنسائي، والحاكم، وابن حبان في صحيحها بمعناه. وقال الحاكم: صحيح على شرطهما، وفي رواية للنسائي كان النبي ﷺ إذا عاد المريض جلس عند رأسه ثم قال فذكر مثله بمعناه.

وعن عبدالله بن عمرو قال: قال النبي ﷺ: « إذا جاء الرجل يعود مريضاً فليقل اشف عبدك ينكي لك عدواً ويمشي إلى جنازة » رواه أبو داود واللفظ له والحاكم وابن حبان وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم وعنده يمشي لك إلى صلاة ينكي لك عدواً.

وعن أبي هريرة قال: جاءني النبي ﷺ يعودني فقال: ألا أرقيك برقية رقاني بها جبريل عليه السلام، فقلت: بلى بأبي وأمي، قال: بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء فيك من شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حسد » فرقي بها ثلاث مرات.

وعن سلمان قال: عادني رسول الله ﷺ وأنا عليل، فقال: « يا سلمان شفي سقمك وغفر ذنبك وعافاك في دينك وجسمك إلى مدة أجلك » رواهما الحاكم في المستدرك.

وعن فضيل بن عمرو قال: جاء رجل إلى علي رضي الله عنه فقال: إن فلاناً يشتكي. قال: فيسرك أن يبرأ؟ قال: نعم. قال: يا حليم يا كريم اشف فلاناً. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه.

(وجملة آداب المريض الصبر) على ما ابتلاه به ربه، وفي نسخة: حسن الصبر **(وقلة الشكوى)** لعوّاده **(و)** قلة **(الضجر)** أي القلق مهما استطاع. وأما الأنين فلا بأس به فقد ورد: إن أنين المريض تسبيح، **(والفزع إلى الدعاء)** بأن يحسن الله عواقبه ويدفع عنه الثقل **(والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء)** أي استعمال الدواء لا يمنع في التوكل فقد ورد: تداووا عباد الله فما من داء إلا وأنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله.

تكلم به في أوّل مضجعه من مرضه نجاه الله من النار » قلت: بلى يا رسول الله. قال: « يقول لا إله إلا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على كل حال. الله أكبر كبيراً إن كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان. اللهم إن أنت أمرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدني من النار كما باعدت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى » وروي أنه قال عليه الصلاة والسلام: « عيادة المريض بعد ثلاث فواق ناقة » وقال طـاوس: أفضل العيادة أخفها. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: عيادة المريض مرة سنّة فما ازدادت فنافلة، وقال بعضهم: عيادة المريض

(وقال ﷺ: « يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق) أي لا يستراب فيه **(من تكلم به في أوّل مضجعه)** أي رقوده **(من مرضه نجاه الله من النار)** ببركة ما تكلم به؟ فقلت: بلى يا رسول الله **(قال: تقول لا إله إلا الله)** وفي بعض النسخ هنا زيادة وحده لا شريك له **(يحيي ويميت وهو حي لا يموت سبحان الله رب العباد والبلاد والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على كل حال الله أكبر كبيراً كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان. اللهم إن أنت أمرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدني من النار كما باعدت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء وفي المرض والكفارات بسند ضعيف.

(وروي أنه ﷺ قال: « عيادة المريض فواق ناقة ») أي قدرها أشار به إلى خفة الجلوس عنده. قال ابن فارس: فواق الناقة رجوع اللبن في ضرعها بعد الحلب. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة.

قلت: ورواه البيهقي في الشعب والديلمي بلفظ: « العيادة فواق ناقة » إلا أن الديلمي لم يذكر له سنداً.

(وقال طـاوس) اليماني رحمه الله تعالى. **(أفضل العيادة أخفها)** رواه ابن المظفر في فضائل العباس من طريق هود بن علاء قال: سمعت طـاوساً يقول: أفضل العيادة ما خف منها. ورواه صاحب الفردوس من حديث عثمان بن عفان مرفوعاً « أفضل العبادة أخفها » وروي من حديث جابر مرفوعاً « أفضل العيادة أجراً سرعة القيام من عند المريض » ومنهم من صحف حديث عثمان المتقدم فرواه بالباء الموحدة فقال: « أفضل العبادة أخفها » وهو غلط والصواب بالياء التحتية وفي تخفيف العيادة أخبار وآثار غير ما ذكره المصنف.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه، **(عيادة المريض مرة سنّة فما زاد فنافلة)** أخرجه البزار من طريق النضر بن عربي عن عكرمة عنه بلفظ: عيادة المريض أول يوم سنّة وما زاد فهي له

بعد ثلاث. وقال عليه الصلاة والسلام: « أغبوا في العيادة واربعوا فيها ».

ومنهـا: أن يشيع جنائزهم. قال ﷺ: « من شيَّع جنازة فله قيراط من الأجر فإن وقف حتى تدفن فله قيراطان » وفي الخبر: « القيراط مثل أُحد »، ولما روى أبو هريرة

نافلة. وقال: لا نعلمه بهذا اللفظ من هذا الطريق إلا عن ابن عباس. قال السخاوي: وهو منتقد برواية الطبراني له في الكبير من طريق علي بن عروة، وعن عمرو بن دينار، عن ابن عباس، لكن ابن عروة ضعيف متروك، وحديث النضر حديث حسن، وأخرج الطبراني في الأوسط من طريق النضر هذا عن عكرمة عنه بلفظ: كان بعد ذلك تطوّع وقوله سنّة يريد بها سنّة النبي ﷺ كما هو في الصحيح في المسألة فيحتمل أن تكون مراده أول مرة ولهذا لاحظ المصنف فقال مرة فتأمل.

(وقال بعضهم: عيادة المريض بعد ثلاث) المراد بالبعض النعمان بن أبي عياش الزرقي أحد التابعين الفضلاء من أبناء الصحابة فيما أخرجه البيهقي في الشعب وابن أبي الدنيا في عيادة المريض عنه بهذا اللفظ، وقد روي معنى ذلك في المرفوع من حديث أنس: « كان النبي ﷺ لا يعود مريضاً إلا بعد ثلاث » أخرجه ابن ماجة وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات، والبيهقي في الشعب كلهم من طريق مسلمة بن علي مصغراً حدثنا ابن جريج عن حميد الطويل عنه وعنه أيضاً مرفوعاً: « المريض لا يعاد حتى يمرض ثلاثة أيام » وخرجه الديلمي من طريق أبي عصمة نوح بن أبي مريم عن عبد الرحمن بن الحرث عن أبيه عن أنس به وروي كذلك من حديث أبي هريرة رفعه: « لا يعاد المريض إلا بعد ثلاث » أخرجه الطبراني في الأوسط من طريق نصر بن حماد عن روح بن جناح، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة.

(وقال ﷺ: « اغبوا في العيادة) أي زوروا المريض يوماً بعد يوم **(واربعوا فيها »)** اتركوا يومين بعد العيادة ثم عودوه في الرابع، وقال الزمخشري: الإغباب أن تعوده يوماً وتتركه يوماً أي لا تلازموا المريض كل يوم لما يجد من الثقل. والإرباع: أن تتركه يومين بعد يوم العيادة ثم تعوده في الرابع. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض، وأبو يعلى من حديث جابر وزاد: « إلا أن يكون مغلوباً » وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: وبهذه الزيادة رواه أيضاً البيهقي في الشعب وغيره بلفظ: « اغبوا في العيادة واربعوا العيادة وخير العيادة أخفها إلا أن يكون مغلوباً فلا يعادوا لتفدية مرة » وقد رواه الخطيب كذلك ألا إن الاغباب في الزيادة إذا كان المريض صحيح العقل وإلا فلا يعاد، وروى البغوي في مسند عثمان من حديثه مرفوعاً: « عودوا المريض واتبعوا الجنازة والعيادة غباً أو ربعاً إلا أن يكون مغلوباً فلا يعاد والتفدية مرة » ثم قال البغوي: هو مجهول الإسناد.

(ومنها: أن يتبع جنائزهم) وفي بعض النسخ أن يشيع. **(قال رسول الله ﷺ: « من شيع)** وفي نسخة من تبع **(جنازة فله قيراط من الأجر فإن وقف حتى يدفن فله قيراطان »)**

....

قال العراقي: رواه الشيخان من حديث أبي هريرة **(وفي الخبر: « القيراط مثل)** جبل **(أحد »)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث ثوبان وأبي هريرة وأصله متفق عليه اهـ.

قلت: روي في الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد وعبدالله بن مغفل وثوبان وابن عمر وأبيّ بن كعب وابن مسعود بلفظ حديث أبي هريرة: « من تبع جنازة مسلم إيماناً واحتساباً وكان معها حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فإنه يرجع من الأجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد، ومن صلى عليها ثم رجع قبل أن تدفن فإنه يرجع بقيراط من الأجر » هكذا رواه البخاري والنسائي وابن حبان. ويروى: « من صلى على جنازة فله قيراط ومن انتظرها حتى توضع في اللحد فله قيراطان، والقيراطان مثل الجبلين العظيمين ». وهكذا رواه أحمد والنسائي وابن ماجه ورواه النسائي أيضاً بلفظ: « من تبع جنازة فصلى عليها ثم انصرفت فله قيراط من الأجر ومن تبعها فصلى عليها ثم قعد حتى فرغ من دفنها فله قيراطان من الأجر كل واحد منهما أعظم من أُحُد ». ويروى: « من صلى على جنازة ولم يتبعها فله قيراط فإن تبعها فله قيراطان. قيل: وما القيراطان؟ قال: أصغرهما مثل أُحُد ». هكذا رواه مسلم والترمذي.

وأما حديث أبي سعيد فلفظه مثل لفظ أبي هريرة، هكذا رواه أحمد والضياء في المختارة.

وأما حديث عبدالله بن مغفل فلفظه: « من تبع جنازة حتى يفرغ منها فله قيراطان فإن رجع قبل أن يفرغ منها فله قيراط » هكذا رواه النسائي والطبراني في الكبير. ويروى « من شيع جنازة حتى تدفن فله قيراطان ومن رجع قبل أن تدفن فله قيراط مثل أُحُد » وهكذا رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول. ويروى « من صلى على جنازة فله قيراط فإن انتظرها حتى يفرغ منها فله قيراطان »، وهكذا رواه أحمد.

وأما حديث ثوبان فلفظه: « من تبع جنازة حتى يصلى عليها كان له من الأجر قيراط ومن مشى مع الجنازة حتى تدفن كان له من الأجر قيراطان والقيراط مثل أُحُد » وهكذا رواه الطيالسي وأحمد ومسلم وابن ماجه وأبو عوانة. ويروى « من صلّى على جنازة فله قيراط فإن شهد دفنها فله قيراطان القيراط مثل أُحُد » كذا رواه مسلم وابن ماجه.

وأما حديث البراء فلفظه مثل لفظ ثوبان عند الطيالسي هكذا رواه أحمد والنسائي والروياني والضياء، ويروى « من صلى على جنازة فله قيراط ومن شهد دفنها فله قيراطان أحدهما مثل أُحُد »، هكذا رواه ابن النجار.

وأما حديث ابن عمر فلفظه: « من تبع جنازة حتى يصلى عليها ثم رجع فله قيراط، ومن صلى عليها ثم مشى معها حتى يدفنها فله قيراطان القيراط مثل أُحُد »، هكذا رواه الطبراني في الكبير.

وأما حديث أبيّ بن كعب فلفظه: « من تبع جنازة حتى يصلي عليها ويفرغ منها فله قيراطان ومن تبعها حتى يصلي عليها فله قيراط والذي نفسي بيده لهو أثقل في ميزانه من أُحُد » هكذا رواه

هذا الحديث وسمعه ابن عمر قال: لقد فرطنا إلى الآن في قراريط كثيرة. والقصد من التشييع قضاء حق المسلمين والاعتبار. وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال: اغدوا فإنا رائحون، موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأوّل والآخر لا عقل له. وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه وهو يبكي ويقول: والله لا تقرّ عيني حتى أعلم إلى ما صرت ولا والله لا أعلم ما دمت حياً. وقال الأعمش: كنا نشهد الجنائز فلا ندري لمن نعزي لحزن القوم كلهم؟ ونظر إبراهيم الزيات إلى قوم يترحمون على ميت فقال: لو ترحمون أنفسكم لكان أولى! إنه نجا من أهوال ثلاث: وجه ملك الموت قد رأى، ومرارة الموت قد ذاق، وخوف الخاتمة قد أمن. وقال ﷺ: «يتبع الميت ثلاث

أحمد وابن ماجه وأبو عوانة والدارقطني في الأفراد، والطبراني في الأوسط، والضياء في المختارة.

وأما حديث ابن مسعود فلفظه كلفظ حديث ثوبان وهي الرواية الثانية التي تقدم ذكرها.

(ولما روى أبو هريرة) رضي الله عنه **(هذا الحديث وسمعه ابن عمر)** رضي الله عنه **(قال)** مصدقاً له: **(لقد فرطنا)** إذاً **(في قراريط كثيرة)** هكذا هو في صحيح البخاري **(والقصد)** الأعظم **(من التشييع)** أي من اتباع الجنازة **(أداء حق المسلمين)** إذ هو من جملة الحقوق المذكورة في الحديث المتقدم في أوّل الباب. **(والاعتبار)** والتفكر بما يؤول إليه الحال.

(كان مكحول الدمشقي) هو أبو عبدالله بن أبي مسلم شهراب بن شادك بن سند بن شروان بن يزدك بن يعوث بن كسرى، وكان جده من أهل هراة، فتزوّج امرأة من ملوك كابل ثم هلك عنها فانصرفت إلى أهلها فولدت شهراب، فلم يزل في أخواله بكابل حتى ولد مكحول وسبي من ثمة فرفع إلى سعيد بن العاص فوهبه لامرأة من هذيل فاعتقته، تابعي ثقة. روى عن عدة من الصحابة، وهو فقيه أهل الشام، صدوق مات سنة اثنتي عشرة ومائة وقيل غير ذلك **(إذا رأى جنازة قال: اغدوا فإنا رائحون)** الغدوّ السير في أول النهار والرواح في آخره **(موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول)** فالأول **(والآخر لا عقل له)** فإنه لو كان له عقل لاتعظ بها فالسعيد من وعظ بغيره.

(وخرج) أبو يحيى **(مالك بن دينار)** البصري **(خلف جنازة أخيه وهو يبكي ويقول: لا تقر عيني حتى اعلم ما صرت، ولا والله لا أعلمه ما دمت حياً. وقال)** سليمان بن مهران **(الأعمش)** الكوفي، **(كنا نشهد الجنازة فلا ندري من نعزي لحزن القوم كلهم)** فلا يدري من المعزي فيهم وهذا لكثرة اعتبارهم بالموت. **(ونظر إبراهيم الزيات)** أحد العارفين بالله **(إلى أناس يترحمون على ميت، فقال: لو ترحمون أنفسكم لكان أولى إنه)** أي الميت **(قد نجا من أهوال ثلاثة: وجه ملك الموت وقد رأى)** وذلك عند قبض روحه، **(ومرارة الموت قد**

فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله».

ومنها: أن يزور قبورهم، والمقصود من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب، قال ﷺ: «ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه»، وقال عمر رضي الله عنه، خرجنا مع رسول الله ﷺ فأتى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه. فبكى وبكينا، فقال: «ما يبكيكم؟» قلنا: بكينا لبكائك. قال: «هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي واستأذنته في أن أستغفر لها فأبى علي فأدركني ما يدرك الولد من

ذاق، وخوف الخاتمة قد أمن) فهذه ثلاث عقبات فما من ميت إلا وقد عاين هذه الثلاثة واستراح.

(وقال ﷺ: «يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى) معه **(عمله»)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أنس اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن المبارك وأحمد والبخاري والترمذي وقال: حسن صحيح والنسائي.

(ومنها: أن يزور قبورهم والمقصود) من هذه الزيادة **(الدعاء)** لهم **(والاعتبار)** بهم، فإنه سيصير إلى ما صاروا إليه **(وترقيق القلب)** إذا علاه صدى الوحشة. **(قال ﷺ: «ما رأيت منظراً)** أي منظوراً **(إلا والقبر أفظع)** أي أقبح وأشنع **(منه»)** بالنصب وإنما كان كذلك لأنه بيت الدود والوحدة والغربة. قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال: صحيح الإسناد، وقال الترمذي: حسن غريب اهـ.

قلت: رواه من طريق عبدالله بن يحي عن هانىء مولى عثمان عن عثمان، وتعقب الذهبي الحاكم بأن ابن بحير ليس بعمدة، ولكن منهم من يقوّيه، وهانىء روي عنه جمع ولا ذكر له في الكتب الستة. قلت: عبدالله بن بحير بن ريسان أبو وائل القاص الصنعاني وثقه ابن معين واضطرب فيه كلام ابن حبان، كذا في التهذيب، وقال في الكاشف: روي عن هانىء مولى عثمان وعنه هشام بن يوسف وعبد الرزاق وثق.

(وقال عمر) بن الخطاب **(رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ)** أي متوجهين إلى مكة حتى إذا كنا بشرف الروحاء **(فأتى المقابر فجلس إلى قبر منها)** أي عنده **(وكنت أدنى القوم منه)** أي أقربهم إليه **(فبكى وبكينا فقال: ما يبكيكم» قلنا لبكائك)** يا رسول الله **(قال: «هذا قبر)** أمي **(آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فاستأذنت في أن استغفر لها فأبى علي)** أي لم يأذن لي **(فأدركني ما يدرك الولد من الرقة»)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة مختصراً وأحمد من حديث بريرة وفيه فقام إليه عمر ففداه بالأب والأم يقول يا رسول الله مالك الحديث.

الرقة »، وكان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته ويقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنّ القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وإن لم ينج منه فما بعده أشد »، وقال مجاهد: أوّل ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول: أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة. فهذا ما أعددت لك فما أعددت لي؟ وقال أبو ذر: ألا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري. وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور فقيل له في ذلك فقال: أجلس إلى قوم يذكرونني معادي وإن قمت عنهم لم

(**وكان عثمان**) بن عفان (**رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته**) ولفظ: حتى تبتل لحيته (**ويقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول**) ولفظ الجماعة فيقال له تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا فيقول: إن رسول الله ﷺ قال: (**« إن القبر أوّل**) منزل من (**منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه**) أي من القبر أي من عذابه ونكاله (**فما بعده**) من أهوال الحشر والموقف والحساب والصراط والميزان وغيرهما (**أيسر**) عليه منه (**وإن لم ينج منه**) أي من عذابه (**فما بعده**) مما يذكر (**أشد منه »**) عليه فما يراه الإنسان فيه عنوان ما سيصير إليه. قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده اهـ.

قلت: ورواه أحمد كذلك كلهم من طريق عبد الله بن يحيى بن ريسان الصغاني عن هانيء مولى عثمان عن عثمان، وقد تعقبه الذهبي في تلخيصه بالكلام الذي سبق في ابن يحيى قريباً.

(**[وقال مجاهد] أول ما يكلم ابن آدم حفرته**) أي قبره (**فيقول: أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة فهذا ما أعددت لك فما أعددت لي**) ؟ ولهذا كان يزيد الرقاشي إذا مرَّ بقبر صرخ صراخ الثكلى، وفي العاقبة لعبد الحق عن أبي الحجاج مرفوعاً يقول القبر للميت إذا وضع فيه: « ويحك ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الدود ».

قلت: أبو الحجاج هذا هو عبد بن عبد الثمالي له صحبة وحديثه هذا قد رواه الحكيم، وأبو يعلى الطبراني، وأبو نعيم في الحلية وبقيته بعد قوله الدود ما غرك بي إذ كنت تمشي فراداً فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب القبر فيقول: أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول إني إذاً أعود عليه خضراً ويعود جسده علي نوراً وتصعد روحه إلى رب العالمين، وقال ابن السماك: إن الميت إذ عذب في قبره نادته الموتى أيها المخلف بعد أخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر، أما كان لك في تقدمنا إياك فكرة، أما رأيت انقطاع آمالنا وأنت في مهلة آمالك؟

(**وقال أبو ذر**) الغفاري رضي الله عنه: (**ألا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري، وكان أبو الدرداء**) رضي الله عنه (**يقعد إلى القبور**) أي عندها ويلازمها كثيراً (**فقيل له في**

يغتابوني. وقال حاتم الأصم: من مرَّ بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم. وقال ﷺ: «ما من ليلة إلا وينادي مناد: يا أهل القبور من تغبطون؟ قالوا: نغبط أهل المساجد لأنهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون الله ولا نذكره»، وقال سفيان: من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار. وكان الربيع بن خيثم قد حفر في داره قبراً فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال: ﴿ربِّ ارجعون * لعلّي أعملُ صالحاً فيما تركت﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] ثم يقول: يا ربيع قد أرجعت فاعمل الآن قبل أن لا ترجع. وقال ميمون بن مهران: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى وقال: يا ميمون، هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم

ذلك؟ فقال: اجلس إلى قوم يذكروني معادي) أي آخرتي، (**وإن قمت) عنهم (لم يغتابوني. وقال حاتم**) بن علوان الأصمّ قدس سره، (**من مرّ بالمقابر فلم يتفكر لنفسه**) أي لم يتعظ (**ولم يدع لهم**) بالمغفرة (**فقد خان نفسه**) بترك الأعتبار (**وخانهم**) بترك الاستغفار. (**وقال ﷺ: «ما من ليلة إلا وينادي منادياً أهل القبور من تغبطون؟ قالوا: نغبط أهل المساجد لأنهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون الله ولا نذكره»**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً. (**وقال سفيان**) بن سعيد الثوري رحمه الله: (**من أكثر ذكر القبر**) أي وحدته وظلمته وضيقه (**وجده روضة من رياض الجنة**) لأن الإكثار من ذكره علامة الاتعاظ والاعتبار، وذا مما يبعثه على تحسين الاعتبار وتقصير الآمال فإذا دخله وجده فسيحاً، (**ومن غفل عن ذكره**) ولم يتعظ بأهواله (**وجده حفرة من حفر النار**) وبهذا يعلم أن فظاعة القبر إنما هي بالنسبة للعصاة والمخلطين لا للسعداء. وقد روى الترمذي والطبراني معاً من حديث أبي سعيد والطبراني فقط في الأوسط من حديث أبي هريرة وابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» ولفظ البيهقي «القبر حفرة من حفر جهنم أو روضة من رياض الجنة» وأخرج أحمد في الزهد وابن المبارك في كتاب القبور عن وهب كان عيسى عليه السلام واقفاً على قبر ومعه الحواريون فذكروا القبر ووحشته وظلمته وضيقه. قال عيسى عليه السلام: كنتم في أضيق منه في أرحام أمهاتكم فإذا أحب الله أن يوسع وسع.

(**وكان**) أبو يزيد (**الربيع بن خيثم**) بن عائد الثوري الكوفي التابعي تقدمت ترجمته في كتاب تلاوة القرآن (**وقد حفر في داره قبراً فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخله فاضطجع فيه ومكث ساعة ثم قال ﴿رب ارجعون لعليّ اعمل صالحاً فيما تركت﴾ ثم يقول: يا ربيع قد رجعت فاعمل قبل أن لا ترجع. وقال ميمون بن مهران**) الجزري أبو أيوب الرقي، قال العجلي: تابعي ثقة وثقه أبو زرعة والنسائي. وقال ابن سعيد: كان

يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم أما تراهم صرعى قد خلت بهم المثلات وأصاب الهوام من أبدانهم ثم بكى وقال: والله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله؟

وآداب المعزّي خفض الجناح، وإظهار الحزن، وقلة الحديث، وترك التبسم.

وآداب تشييع الجنازة لزوم الخشوع، وترك الحديث، وملاحظة الميت، والتفكر في

ثقة قليل الحديث، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وكان عمر بن عبد العزيز قد ولاّه على خراج الجزيرة وقضائها ولد سنة أربعين ومات سنة ثماني عشرة ومائة، روى لـه الجماعـة إلا البخـاري وقـد تقدم ذكره قريباً وأن البخاري روى له في الأدب المفرد. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن أحمد بن أبان قال: حدثني أبي قال: حدثنا أبو بكر بن سفيان قال: حدثني محمد بن الحسين، حدثني أبو منصور الواسطي، حدثنا المغيرة بن مطرف الرؤاسي قال: حدثنا خالد بن صفوان عن ميمون ابن مهران قال: (**خرجت مع عمر بن عبد العزيز**) الأموي رضي الله عنه (**إلى المقبرة**) أي في دمشق، (**فلما نظر إلى القبور بكـى**) ثم أقبل إليَّ (**وقال: يا ميمون**) ولفظ الحلية فقال: يا أبا أيوب (**هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم**) وعيشهم، (**أما تراهم صرعى قد دخلت بهم المثلات**) واستحكم فيهم البلى (**وأصابت الهوام**) أي الديدان (**من أبـدانهم**) ولفـظ الحليـة في أبـدانهم مقيلاً، قـال: (**ثم بكـى**) حتى غشي عليـه ثم أفـاق (**وقال**): انطلق (**فوالله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله**) ولفظ الحلية: وقد أمن عذاب الله عز وجل.

(**وآداب المعزي**) يقال عزاه تعزية إذا قال له أحسن الله عزاءك أي رزقك الصبر الحسن والعزاء كسحاب اسم من ذلك كالكلام من كلمه تكليماً وتعزى هو تصبر وشعاره أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون (**خفض الجناح**) أي لين الجانب (**وإظهار الحزن**) وفي نسخة الخوف (**وقلة الحديث**) مع الحاضرين فإنه مرجوم (**وترك التبسم**) والالتفات ولا بأس بتعزية أهل الميت وترغيبهم في الصبر لما روي: من عزى مصاباً فله مثل أجره ولا بأس بالجلوس لها ثلاثة أيام من غير ارتكاب محظور من فرش البسط والأطعمة من أهل البيت لأنها تتخذ عند السرور.

(**وآداب تشييع الجنازة دوام الخشوع، وترك الحديث، وملاحظة الميت**) والاعتبار به، (**والتذكر في الموت، والاستعداد له**) بما أمكن من صالح الأعمال كتقديم الصدقات وصلة الأقارب والتسبيح والتهليل، وقراءة سورة الإخلاص والتنصل عن المذام والحقوق وخلوص التوبة، وإدراك ما فاته من الخيور وغير ذلك، (**وأن يمشي أمام الجنازة بقربها**) فإنه شفيع لها والشفيع يتقدم هذا مذهب الشافعي رحمه الله تعالى، ويدل له حديث ابن عمر: كان رسول الله ﷺ يمشي بين يديها وأبو بكر وعمر. وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: المشي خلفها أفضل لما رواه البراء بن

الموت، والاستعداد له وأن يمشي امام الجنازة بقربها والإسراع بالجنازة سنّة. **فهذه جمل آداب تنبه على آداب المعاشرة مع عموم الخلق.**

والجملة الجامعة فيه أن لا تستصغر منهم أحداً حياً كان أو ميتاً فتهلك لأنك لا تدري لعله خير منك؟ وإن كان فاسقاً فلعله يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصلاح؟ ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فإن الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها.

عازب قال: أمرنا رسول الله ﷺ باتباع الجنازة، وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حق المسلم على المسلم خمس وذكر منها اتباع الجنازة» والاتباع لا يقع إلا على التوالي، وكان علي رضي الله عنه يمشي خلفها وقال: إن فضل الماشي خلفها على الماشي أمامها كفضل الصلاة المكتوبة على النافلة، وأن أبا بكر وعمر كانا يعلمان ذلك لكنهما، يسهلان على الناس، وعن ابن عمر مثله، وروي عن ابن عمر أنه مشى خلف الجنازة فسأله نافع كيف المشي في الجنازة خلفها أم أمامها؟ فقال أما تراني أمشي خلفها. وعن أنس أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يمشون أمام الجنازة وبها علم أن في المشي أمامها فضيلة والمشي خلفها أفضل لما فيه من الامر والنهي والفعل والحث عليه، ولهذا مشى ابن عمر خلفها وهو الراوي لمشى النبي ﷺ أمامها ولأن المشي خلفها أمكن للمعاونة عند الحاجة إليها إذا نابت نائبة، فكان أولى ولا يستقيم قول من قال: إن الشفيع يتقدم عادة لأن الشفاعة في الصلاة وهم يتأخرون عنها عندها ولأن الشفيع عادة إذا خيف عليه بطش المشفوع عنده فيمنعه الشفيع ولا يتحقق ذلك هنا. **(والإسراع بالجنازة سنّة)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة «اسرعوا بالجنازة» الحديث اهـ.

قلت: وتمامه: «فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم» وكذلك رواه أحمد وأصحاب السنن، وقد روي أيضاً من حديث ابن عمر وفيه «عن أعناقكم» بدل «عن رقابكم» ثم المسنون أن يسرع بالميت وقت المشي بلا خبب وحده بحيث لا يضطرب الميت على الجنازة. وعن أبي موسى الأشعري قال: مرّت برسول الله ﷺ جنازة تمخض مخض الزق فقال: «عليكم بالقصد» وعن أبي مسعود قال: سألنا نبينا ﷺ عن المشي بالجنازة فقال: «ما دون الخبب» والمستحب أين يسرع بتجهيزه كله. **(فهذه جمل تنبه)** الغافل **(على آداب المعاشرة مع عموم الخلق)** وأصنافهم.

(والجملة الجامعة لمعرفتها أن لا تستصغر منهم أحداً) أي لا تستحقره **(حياً كان أو ميتاً فتهلك لأنك لا تدري لعله)** أي الذي يستصغره **(خير منك فإنه وإن كان فاسقاً فلعله يختم لك بمثل حاله)** وهو الفسق **(ويختم له بالصلاح)** فإن الخاتمة تتضمن على الأعمال **(ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم)** أي لا تعظمهم لأجل دنياهم، **(فإن الدنيا صغيرة)** أي ذليلة **(عند الله صغير ما فيها)** أي أمورها إلا ما استثنى منها، بل إنها لا تسوي

ومهما عظم أهل الدنيا في نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله، ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر في أعينهم ثم تحرم دنياهم، فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير، ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الأمر عليك في المعاداة ويذهب دينك ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك، إلا إذا رأيت منكراً في الدين فتعادي أفعالهم القبيحة وتنظر إليهم بعين الرحمة لهم لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم فحسبهم جهنم يصلونها، فما لك تحقد عليهم ولا تسكن إليهم في مودتهم لك وثنائهم عليك في وجهك وحسن بشرهم لك فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة إلا واحداً وربما لا تجده ولا تشك إليهم أحوالك فيكلك الله إليهم، ولا تطمع أن يكونوا لك في الغيب والسر كما في العلانية. فذلك طمع كاذب وأنى تظفر به ولا تطمع فيما في أيديهم فتستعجل الذل ولا تنال الغرض. ولا تعل عليهم تكبراً

عند الله جناح بعوضة كما ورد في الخبر، **(ومهما عظم أهل الدنيا في نفسك)** وعينك **(فقد عظمت الدنيا)** لأنه لازم من تعظيم أهلها لأجلها تعظيمها **(فتسقط من عين الله عز وجل)** أي تبعد من رحمته، **(ولا تبذل لهم دينك)** الذي هو رأس مالك **(لتنال من دنياهم)** التي بأيديهم **(فتصغر في أعينهم)** وتزول هيبتك عندهم **(ثم تحرم دنياهم)** أي لا يعطونك منها، **(فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير)** وفي هذا سئل ابن المبارك عن حاله فانشد:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

(ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة) وتجاهر بها **(فيذهب دينك ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك)** فإن من لازم عداوتهم إن يعادوه ومعاداة أهل الإيمان محاربة الله ورسوله فتكون أنت سبباً في ذلك **(إلا إذا رأيت منكراً)** شرعياً **(في الدين فتعادي أفعالهم القبيحة)** لاذواتهم **(وتنظر إليهم بعين الرحمة لهم)** والشفقة عليهم **(لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم)** وتمردهم على الله **(حسبهم جهنم يصلونها)** أي يدخلونها **(فمالك تحقد عليهم)** أي مثل هؤلاء لا يحقدون **(ولا تسكن إليهم في مودتهم لك)** إن أظهروها **(و)** حسن **(ثنائهم)** لك و **(عليك في وجهك)** في ملأ من الناس **(وحسن بشرهم لك)** عند الملتقى، **(فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة إلا واحداً وربما لا تجده)** ففي الخبر: الناس كالابل المائة لا تجد فيها راحلة **(و)** إن بليت بمعاشرتهم **(لا تشكو إليهم أحوالك فيكلك الله إليهم)** فتخسر عاقبتك فإن من وكله الله إلى غيره فقد هلك **(ولا تطمع أن يكونوا لك في الغيبة والسر كما)** يكونوا لك **(في العلانية فإن ذلك طمع كاذب)** وسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء **(وأنّى تظفر بذلك)** فإنه كالمحال **(ولا تطمع فيما في أيديهم)** من الأموال والأرزاق **(فتستعجل الذل)** والهوان عندهم **(ولا تنال الغرض)** المطلوب منهم **(ولا تصد عنهم بكثرة استغنائك عنهم**

لاستغنائك عنهم، فإن الله يلجئك إليهم عقوبة على التكبر بإظهار الاستغناء. وإذا سألت أخاً منهم حاجة فقضاها فهو أخ مستفاد وإن لم يقض فلا تعاتبه فيصير عدواً تطول عليك مقاساته، ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول فلا يسمع منك ويعاديك، وليكن وعظك عرضاً واسترسالاً من غير تنصيص على الشخص، ومهما رأيت منهم كرامة وخيراً فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعذ بالله أن يكلك إليهم، وإذا بلغك عنهم غيبة أو رأيت منهم شراً أو أصابك منهم ما يسوؤك فكل أمرهم إلى الله واستعذ بالله من شرهم. ولا تشغل نفسك بالمكافأة فيزيد الضرر ويضيع العمر بشغله، ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي.

واعتقد أنك لو استحقيت ذلك لجعل الله لك موضعاً في قلوبهم فالله المحبب والمبغض إلى القلوب، وكن فيهم سميعاً لحقهم أصم عن باطلهم، نطوقاً بحقهم صموتاً عن باطلهم، واحذر صحبة أكثر الناس فإنهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ولا

فإن الله يلجئك إليهم) ويضطرك لهم (**عقوبة على التكبر بإظهار الاستغناء**) وقد جرت سنة الله بذلك، (**وإذا سألت أحداً منهم حاجة**) دنيوية (**فقضاها فهو أخ مستفاد**) فتمسك به، (**وإن لم يقض**) لمانع (**فلا تعاقبه فيصير**) لك (**عدواً**) يحقد عليك في نفسه (**تطول عليك مقاساته**) وتصعب معالجته (**ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه**) لوائح (**القبول**) بقرائن ظاهرة (**فلا يسمع منك**) قولك (**ويعاديك وليكن وعظك**) لهم (**عرضاً**) تعرضه عليهم (**واسترسالاً من غير تنصيص**) ولا تخصيص (**على الشخص**) بعينه كما كان ﷺ يفعل ذلك يقول إذا أراد التحذير عن شيء بلغه عن بعض أفراد أمته: ما بال رجال يقولون كذا ويفعلون كذا. (**ومهما رأيت منهم كرامة**) أي إكراماً لك (**وخيراً**) وصل إليك (**فاشكر الله الذي سخرهم لك**) فانقادوا (**واستعذ بالله أن يكلك إليهم**) فتنسى المنعم المطلق، (**فإذا بلغك عنهم غيبة**) أي كلمة سوء في حق أحد من المسلمين (**أو رأيت منهم شراً**) لجماعة المسلمين، (**أو أصابك منهم ما يشوّش**) القلب والخاطر، (**فكل أمرهم إلى الله واستعذ بالله من شرهم ولا تشغل نفسك بالمكافأة**) أي المجازاة (**فيزيد الضرر**) ويطير الشرر (**ويضيع العمر بشغله، ولا تقل لهم**) أنتم (**لم تعرفوا موضعي**) من الحب.

(**وأعتقد أنك لو استحقيت ذلك لجعل الله لك موضعاً في قلوبهم**) ومهابة في عيونهم (**فالله**) عز وجل هو (**المحبب والمبغض إلى القلوب**) وقلوبهم بيده يصرفها كيف شاء، (**وكن فيهم سميعاً لحقهم**) فاعطه ما يستوجبه، (**أصم عن باطلهم**) ولغوهم، (**ونطوقاً**) أي كثير النطق (**بحقهم صموتاً**) كثير السكوت (**عن باطلهم**) فإنه لا يعنيك، (**واحذر صحبة أكثر الناس فإنهم لا يقيلون عثرة**) أي سقطة، (**ولا يغفرون زلة**) أي خطيئة، (**ولا**

يسترون عورة ويحاسبون على النقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير، ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفون. يغرون الإخوان على الإخوان بالنميمة والبهتان، فصحبة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان، إن رضوا فظاهرهم الملق وإن سخطوا فباطنهم الحنق، لا يؤمنون في حنقهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب، يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون، يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم ولا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة، بأن تصحبه مدة في دار أو موضع واحد فتجربه في عزله وولايته وغناه وفقره أو تسافر معه أو تعامله في الدينار والدرهم أو تقع في شدة فتحتاج إليه، فإن رضيته في هذه الأحوال فاتخذه أباً لك إن كان كبيراً أو ابناً لك إن كان صغيراً أو أخاً إن كان مثلك. فهذه جملة آداب المعاشرة مع أصناف الخلق.

يسترون عورة) أي عيباً، **(ويحاسبون على النقير والقطمير)** أي الشيء التافة الحقير، **(ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون)** لأنفسهم من غيرهم **(ولا ينصفون)** في أنفسهم للغير، **(ويؤاخذون على الخطأ والنسيان)** ويدققون **(ولا يعفون)** ولا يسامحون، **(يعيرون)** ولا يغيرون **(ويمشون بين الإخوان بالنميمة والبهتان فصحبة أكثرهم خسران)** واتباع لهوى الشيطان **(وقطيعتهم رحجان)** والعزلة عنهم سلامة الإنسان **(إن رضوا فظاهرهم الملق)** بالتحريك، **(وإن سخطوا فباطنهم الحنق)** بالتحريك أيضاً وهو الاغتباط **(ولا يؤمنون في حنقهم)** فإنه يخشى من بوادرهم، **(ولا يرجون في ملقهم)** أي تملقهم **(ظاهر ثياب)** فاخرة، **(وباطنهم ذئاب)** كاسرة **(يقطعون بالظنون)** ويتهمون **(ويتغامزون وراءك بالعيون)** أي إذا قمت من عندهم **(ويتربصون)** أي ينتظرون **(بصديقهم من)** أجل **(الحسد ريب المنون)** أي الهلاك **(ويحصون عليك العثرات)** أي يعدونها **(في صحبتهم ليهجوك)** وفي نسخة: ليجبهوك **(بها في)** وفي نسخة: عند **(غضبهم ووحشتهم ولا تعوّل)** أي لا تعتمد **(على مودة من لم تخبره حق الخبرة إلا بأن تصحبه مدة في دار أو موضع واحد وتجربة في)** حالتي **(عزله وولايته وغناه وفقره)** وعسره ويسره، **(أو تسافر معه)** إلى موضع آخر **(أو تعامله في الدينار والدرهم أو تقع في شدة فتحتاج إليه)**، وقد مرَّ بعض ذلك من قول سيدنا عمر رضي الله عنه: **(فإن رضيته)** في هذه الأحوال واختبرته خبرة الرجال **(فاتخذه أباً لك إن كان كبيراً)** فوقره توقير الأب، **(أوابنا)** لك **(إن كان صغيراً)** فعامله معاملة الشفقة، **(أو أخاً لك إن كان مثلاً لك)** في السن وقد روي مثل ذلك من قول الحسن بن علي رضي الله عنهما. **(فهذه جملة آداب المعاشرة مع أصناف الخلق)** على نياتهم واختلاف طبقاتهم والله أعلم.

حقوق الجوار:

اعلم أن الجوار يقتضي حقاً وراء ما تقتضيه أخوّة الإسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة، إذ قال النبي ﷺ: «الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم، وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك». فانظر كيف أثبت للمشرك حقاً بمجرد الجوار، وقد قال ﷺ: «أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً» وقال النبي

حقوق الجوار

(**اعلم ان الجوار**) أي المجاورة (**تقتضي حقاً وراء ما يقتضيه حق اخوة الاسلام، فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة إذ قال النبي ﷺ «الجيران**) جمع جار كنار ونيران: (**«جار**) وفي رواية «فجار» (**له «حق واحد»**) على جاره وهو أدنى الجيران حقاً، (**وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم، وأما الجار الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وأما الذي له حق واحد فالجار المشرك»**) يعني الكافر وخص الشرك لغلبته حينئذ وفي رواية الجيران ثلاثة؛ فجار له حق واحد وهو أدنى الجيران حقاً وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق، فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له حق الجوار، وأما الذي له حقان فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار، وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم، فاستفدنا من الحديث أن للمجاورة مراتب بعضها ألصق من بعض على الترتيب المذكور في الرواية الثانية وأقرب أهل المرتبة الثالثة في رواية الثانية، وأحقها بما يستوجبه الجار من الإكرام لزوجته فإن كانت قرابة فهي آكد، وقد قال الله تعالى ﴿والجار ذي القربى والجار الجنب﴾ [النساء: ٣٦] قيل: الأول المسلم، والثاني الكافر، وقيل: الأول القريب المسكن، والثاني بعيده. وقيل: الأول البعيد، والثاني الزوجة قال العراقي رواه الحسن ابن يوسف والبزار في مسنديها، وأبو الشيخ في كتاب الثواب، وأبو نعيم في الحلية من حديث جابر ورواه ابن عدي من حديث عبد الله بن عمرو وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه الديلمي والطبراني من حديث جابر وله طرق متصلة ومرسلة وفي الكل مقال وشيخ الطبراني فيه عبد الله بن محمد الحاذمي وضّاع.

(**فانظر كيف أثبت للمشرك حقاً بمجرد الجوار**) وقد تقدم أن المراد به الكافر، (**وقال ﷺ أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً**) وفي لفظ «مؤمناً» الحديث بطوله قد تقدم عن أبي الدرداء، فهذا أعم من أن يجاور مسلماً أو مشركاً فهو على كل حال مأمور بإحسان الجار، (**وقال**

ﷺ : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » وقال ﷺ : « من كان

ﷺ « ما زال جبريل يوصيني بالجار) قال العلاء : الظاهر أن المراد جار الدار لا جار الجوار ، لأن التوارث كان في صدر الإسلام بجوار العهد ، ثم نسخ (حتى) أنه لما أكثر علي في المحافظة على رعاية حقه (ظننت أنه سيورثه ») أي سيحكم بتوريث جار من جاره أي يأمرني عن الله به قيل : بأن تجعل له مشاركة في المال بفرض يعطاه مع التصرف أو بأن ينزل منزلة من يرث بالبر والصلة. قال الحافظ ابن حجر : والأول أولى فإن الثاني استمر والخبر مشعر بأن التوريث لم يقع ، وقال ابن العربي في العارضة نبه بذلك على أن الحقوق إذا تأكدت بالأسباب فاعظمها حرمة الجوار وهو قرب الدار فقد أنزله بذلك منزلة الرحم وكاد يوجب له حقاً في المال، وللجوار مراتب : منها الملاصقة ، ومنها المخالطة بأن يجمعها مسجد أو مدرسة أو محلة أو سوق أو نحو ذلك ويتأكد الحق مع المسلم اهـ.

قال المناوي : وفيه إشارة إلى ما بلغ به بعض الائمة من إثبات الشفعة له وله مراتب بعضها أقل من بعض. فأعلاها من جمع صفات الكمال ثم أكثرها وهلم جرا ، وعكسه من جمع ضدها كذلك فيعطى كل حقه بحسب حاله ويربح عند تعارض الصفات والميراث قسمان حسي ومعنوي ، فالحسي هو المراد هنا والمعنوي ميراث العلم ، وقد يلحظ هنا أيضاً فإن حق الجار على جاره تعليمه ما يجب وأخذ من تعميم الجار في هذا الخبر حيث لم يخص جاراً دون جار أنه يجب ودّ أهل المدينة ومحبة عوامهم وخواصهم. قال المجد اللغوي : وكل ما احتج به من رمي عوامهم بالبدع وترك الإتباع لا يصلح حجة فإن ذلك إذا ثبت في شخص معين لا يخرج عن حكم الجار ولو جار ولا يزول عنه شرف مساكنة الدار كيف دار.

قال العراقي : متفق عليه من حديث عائشة وابن عمر اهـ.

قلت : حديث عائشة رواه أيضاً أحمد والأربعة ، ورواه البيهقي في الشعب من طريق الليث عن يحي بن سعيد عنها بلفظ يورثه وفيه زيادة : « وما زال يوصيني بالمملوك حتى ظننت أنه يضرب له أجلاً أو وقتاً إن بلغه عتق » وقال : هو صحيح على شرط مسلم والبخاري ، وأما حديث ابن عمر : فرواه أيضاً أحمد وأبو داود والترمذي من طريق مجاهد عنه وله سبب سيأتي ذكره قريباً في كلام المصنف، وفي الباب عن ابن عمرو وأبي هريرة وجابر وزيد بن ثابت وأبي أمامة وعلي ومحمد بن مسلمة ، فحديث ابن عمرو رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب ، وحديث أبي هريرة رواه أحمد وابن حبان ، وحديث جابر رواه عبد بن حميد والبخاري في الأدب المفرد ، وحديث زيد بن ثابت رواه الطبراني في الكبير ، وحديث أبي أمامة رواه أحمد والطبراني في الكبير ، وحديث علي رواه الطبراني في الكبير ، وحديث محمد بن مسلمة رواه الطبراني في الكبير بلفظ « حتى كنت أنتظر أن يأمرني بتوريثه ».

يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره». وقال ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه». وقال ﷺ: «أول خصمين يوم القيامة جاران». وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته». ويروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له: إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق عليّ فقال: اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه. وقيل لرسول الله ﷺ: إنّ فلانة تصوم النهار وتقوم الليل

(وقال ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره») قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي شريح.

قلت: أخبرنا به أحمد بن عمر بن عقيل، أخبرنا عبدالله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا علي بن يحي، أخبرنا يوسف بن زكريا، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبر أحمد بن علي الحافظ قال: أخبرنا أبو عبد الله بن قوام، أخبرنا أبو الحسن بن الهلال، وأبو الحسن العسقلاني قال: أخبرنا أبو إسحاق الواسطي، أخبرنا أبو الحسن الطوسي، أخبرنا أبو محمد السيدي، أخبرنا أبو عثمان البحيري، أخبرنا أبو علي السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب الزهري، أخبرنا مالك عن سعيد المقبري، عن أبي شريح الكعبي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» هذا حديث صحيح أخرجه أحمد عن يحي القطان قال: حدثني مالك فوقع لنا بدلاً عالياً، وأخرجه البخاري، وأبو داود والنسائي من حديث مالك، وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن الليث عن سعيد.

(وقال ﷺ «لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه») جمع بائقة وهي النازلة وهي الداهية والشر الشديد، وباقت الداهية إذا نزلت. قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي شريح اهـ.

قلت: وروى ابن عساكر من طريق أسد بن عبد الله بن يزيد القسري عن أبيه عن جده رفعه «لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره شره» وروى ابن النجار من حديث أنس «لا يؤمن عبد حتى يكون لسانه وقلبه سواء وحتى يأمن جاره بوائقة ولا يخالف قوله فعله».

(وقال ﷺ «إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته») قال العراقي: لم أجد له أصلاً. (ويروى أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود) رضي الله عنه (فقال له: إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق عليّ فقال له: إذهب فإن هو عصى الله فيك فاطع الله فيه). أي لا تؤذه ولا تضيق عليه، (وقيل لرسول الله ﷺ: إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها. فقال ﷺ «هي في النار») قال العراقي: رواه أحمد والحاكم من حديث أبي هريرة وقال: صحيح الإسناد.

وتؤذي جيرانها فقال ﷺ: « هي في النار ». وجاء رجل إليه عليه الصلاة والسلام يشكو جاره فقال له النبي ﷺ: « اصبر » ثم قال له في الثالثة والرابعة: « اطرح متاعك في الطريق ». قال: فجعل الناس يمرون به ويقولون: ما لك؟ فيقال: آذاه جاره. قال: فجعلوا يقولون لعنه الله فجاءه جاره فقال له: ردّ متاعك فوالله لا أعود. وروى الزهري: أن رجلاً أتى النبي عليه السلام فجعل يشكو جاره، فأمر النبيّ ﷺ أن ينادي على باب المسجد: « ألا إن أربعين داراً جار » قال الزهري: أربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا وأربعون هكذا. وأومأ إلى أربع جهات. وقال عليه الصلاة والسلام: « اليمن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها. ويمن المسكن

(وجاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره) أنه يؤذيه **(فقال له ﷺ « اصبر »)** على أذاه **(ثم قال له في الثالثة أو الرابعة « اطرح متاعك في الطريق »)** فذهب فطرح متاعه في الطريق **(قال: فجعل الناس يمرون به فيقولون: مالك؟ فيقال: أذاه جاره. فجعلوا يقولون: لعنه الله، فجاءه جاره فقال: ردّ متاعك والله لا أعود)** إلى أذاك. قال العراقي: رواه أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة وقال: صحيح على شرط مسلم.

(وروى الزهري) بن عبيد الله بن شهاب رحمه الله تعالى **(أن رجلاً أتى النبي ﷺ يشكو جاره فأمر ﷺ أن ينادي على باب المسجد « ألا إن أربعين داراً جار » قال الزهري أربعين هكذا وأربعين هكذا وأربعين هكذا وأومأ إلى أربع جهات.)** قال العراقي: رواه أبو داود في المراسيل ووصله الطبراني من حديث ابن كعب بن مالك عن أبيه، ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة وقال: أربعون ذراعاً وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: لفظ أبي داود في المراسيل قلت له يعني الزهري وكيف أربعون داراً جار. قال: أربعون عن يمينه وعن يساره وعن خلفه وبين يديه وسنده صحيح. وقال الحافظ: رجاله ثقات وفيه حجة لمذهب الشافعي أنه لو أوصى لجيرانه صرف الأربعين داراً من كل جانب من الجوانب الأربعة. وقال أبو حنيفة: يصرف إلى الجار الملاصق فقط، وروى الديلمي في مسنده من طريق عبد السلام ابن الجنوب، عن الزهري، عن سلمة، عن أبي هريرة رفعه بلفظ « الجار ستون داراً عن يمينه وستون عن يساره وستون خلفه وستون بين يديه ».

(وقال ﷺ « اليمن والشؤم في المرأة والمسكن والفرس فيمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها، وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها ويُمن المسكن

سعته وحسن جوار أهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله، ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته وسوء خلقه.

سعته وحسن جوار أهله، وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله، ويمن الفرس ذله وحسن خلقه، وشؤمه صعوبته») قال العراقي: رواه مسلم من حديث ابن عمر «الشؤم في الدار والمرأة والفرس» وفي رواية له «أن يكن من الشؤم شيء حقاً» وله من الحديث سهل بن سعد: إن كان ففي الفرس والمرأة والمسكن، وللترمذي من حديث حكيم بن معاوية لا شؤم، وقد يكون اليمن في الدار والمرأة والفرس. ورواه ابن ماجه فسماه عمر بن معاوية. وللطبراني من حديث أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله ما سوء الدار؟ قال: «ضيق ساحتها وخبث جيرانها» قيل: فما سوء الدابة؟ قال: «منعها ظهرها وسوء خلقها. قيل: فما سوء المرأة؟ قال: عقم رحمها وسوء خلقها» وكلاهما ضعيف. ورويناه في كتاب الخيل للدمياطي من حديث سالم بن عبد الله مرسلاً إذا كان الفرس ضروباً فهو شؤم، وإذا كانت المرأة قد عرفت زوجاً قبل زوجها فحنت إلى الزوج الأوّل فهي مشؤمة، وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع فيها الآذان والإقامة فهي مشؤمة وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: أما حديث سهل بن سعد، فقد رواه أيضاً مالك وأحمد والبخاري وابن ماجه بلفظ: «إن كان الشؤم في شيء» الحديث وحديث ابن عمر متفق عليه، ورواه كذلك مسلم والنسائي من حديث جابر، وفي لفظ لمسلم «إن كان في شيء ففي الربع والخادم والفرس» ورواه النسائي من حديث الزهري، عن محمد بن زيد بن قنفذ، عن سالم مرسلاً وزاد فيه السيف ورواه الطبراني في الكبير من حديث عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده بلفظ: «لا شؤم فإن يك شؤم ففي الفرس والمرأة والمسكن» وأما حديث معاوية بن حكيم عن عمه حكيم بن معاوية النميري قال البخاري في صحبته نظر، وروى أحمد والحاكم والبيهقي من حديث عائشة: «إن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها» واختلف العلماء في هذا على أقوال.

أحدها: إنكاره وأنه عليه السلام إنما حكاه عن معتقد الجاهلية وهو قول عائشة رواه ابن عبد البر في التمهيد.

الثاني: أنه على ظاهره وأن هذه الأمور قد تكون سبباً في الشؤم فيجري الله الشؤم عند وجودها بقدره.

الثالث: ليس المراد بشؤمها ما يتوقع بسبب اقتنائها من الهلاك بل شؤم الدار والمرأة والفرس ما ذكر في سياق المصنف. وقال معمر: سمعت من يفسر هذا الحديث ويقول: شؤم المرأة إذا كانت غير ولود، وشؤم الفرس إذا لم يغز عليه في سبيل الله، وشؤم الدار الجار السوء، واستحسنه ابن عبد البر وقد أشار البخاري إلى هذا التأويل.

واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال الأذى فإن الجار أيضاً قد كف أذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الأذى بل لا بدّ من الرفق واسداء الخير والمعروف، إذ يقال: إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة فيقول: يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسدّ بابه دوني؟ وبلغ ابن المقفع أن جاراً له يبيع داره في دين ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال: ما قمت إذاً بحرمة ظل داره إن باعها معدماً فدفع إليه ثمن الدار وقال: لا تبعها.

وشكا بعضهم كثرة الفأر في داره فقيل له: لو اقتنيت هراً؟ فقال: أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم ما لا أحب لنفسي.

وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح ويظهر الشركة

الرابع: المراد بالشؤم في هذه الأحاديث عدم الموافقة كما سيأتي في حديث سعد ونافع بن عبد الحرث قريباً.

(**واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى**) عنه (**فقط بل**) حقه (**احتمال الأذى**) منه مع الكف، (**فإن الجار أيضاً قد كف أذاه**) عنه (**فليس في ذلك قضاء حق**) إذ هو كف في مقابلة كف (**ولا يكفي احتمال الأذى فقط، بل لا بد من الرفق**) معه (**وإسداء الخير والمعروف**) له وإليه (**إذ يقال: إن الجار الفقير يتعلق بالجار الغني يوم القيامة، ويقول رب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني**) وقد كنت محتاجاً إلى فضله.

(**وبلغ ابن المقفع**) هو أبو محمد عبد الله فصيح بليغ، وكان اسمه روزبه أو راذبة بن داذ جشنش قبل إسلامه، وكنيته أبو عمر فلما أسلم تسمى بعبد الله وتكنى بأبي محمد، ولقب أبوه بالمقفع لأن الحجاج ضربه ضرباً مبرحاً فتقفعت يده أي تشنجت كذا في العباب للصنعاني (**أن جاراً له يبيع داره في دين**) أي لأجل دين (**ركبه، وكان**) ابن المقفع (**يجلس في ظل داره فقال: ما قمت إذاً بحرمة ظل داره إن باعها لعدمه**) بالضم أي لفقره وفي نسخة معدماً (**فدفع إليه الثمن**) أي ثمن الدار، (**وقال: لا تبتعها**) وفي نسخة: لا تبعها.

(**وشكا بعضهم كثرة الفأر في داره فقيل له: لو اقتنيت هراً**) أي لو اتخذته (**فقال: أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر فيهرب إلى دور الجيران فأكون قد أحببت لهم مالا أحب لنفسي**) وفي نسخة: ما لم أحب، (**وجملة حق الجار أن يبتدئه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء**

في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يطلع من السطح إلى عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في مصب الماء في ميزابه ولا في مطرح التراب في فنائه ولا يضيق طريقه إلى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلاماً ويغض بصره عن حرمته، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه. هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين، وقد قال ﷺ: «أتدرون ما حق الجار؟ إن استعان بك أعنته، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عدت عليه، وإن مرض عدته، وإن مات تبعت جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطل عليه بالبناء عليه فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه وإذا اشتريت فاكهة فأهد له،

ويهنئه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه ويصفح عن زلاته ولا يطلع)وفي نسخة: ولا يتطلع (**من السطح إلى عوارته ولا يضايقه في وضع الجذوع**) أي الخشبة (**على جداره ولا في مصب الماء من ميزابه ولا في مطرح التراب من فنائه**) أي حوالي داره فإن كل ذلك من جملة المرافق، (**ولا يضيق طريقه إلى الدار ولا يتبعه بالنظر فيما يحمله إلى داره ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته إذا نابته نائبة**) أي حدث به حادثة (**ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته**) بل يحوطها، (**ولا يسمع عليه كلاماً**) وفي نسخة ولا يستمع عليه كلامه، (**ويغض بصره عن حرمه ولا يديم النظر إلى خادمه**) خصوصاً إذا كان مقبول الذات، (**ويتلطف لولده في كلمته**) وفي نسخة لولده (**ويرشده إلى ما جهله من أمور دينه ودنياه**) مما تناط به المصالح. (**هذا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها للمسلمين عامة**) قال ابن أبي جمرة: والذي يشمل الجميع إرادته الخير له وموعظته بالحسنى، والدعاء له بالهداية، وترك الأذى والإضرار مع اختلاف أنواعه حسياً كان أو معنوياً إلا في الموضع الذي يجب فيه الإضرار بالقول أو الفعل فإن كان كافراً يعظه بعرض الإسلام عليه إظهار محاسنه برفق والترغيب فيه فيعظ الفاسق بما يناسبه أيضاً ويستر عليه زلله عن غيره وينهاه برفق فإن أفاد وإلا هجره قاصداً تأديبه مع إعلامه بالسبب ليكف، (**وقد قال ﷺ: «أتدرون ما حق الجار**) على الجار؟ (**إن استعان بك أعنته وإن استقرضك**) أي طلب منك أن تقرضه شيئاً (**أقرضته**) أي تيسر معك (**وإن افتقر عدت عليه**) وفي نسخة: جدت (**وإن مرض عدته وإن مات اتبعت جنازته**) إلى المصلى ثم إلى القبر (**وإن أصابه خير هنأته**) به، (**وإن أصابته مصيبة**) في نفس أو مال أو أهل (**عزيته**) بما ورد في السنة من المأثور، (**ولا تستطيل عليه بالبناء**) رفعاً يضره أشار به لقوله: (**فتحجب عنه**) ونسخة فتحجز أي تمنع عنه (**الريح**) أو الضوء فإن خلا عن الضرر جاز الا لذمي على مسلم (**إلا بإذنه وإن اشتريت فاكهة فاهدله فإن لم تفعل فادخلها**

فإن لم تفعل فادخلها سراً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها، ثم قال: أتدرون ما حق الجار؟ والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله» هكذا رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ.

سراً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار) بالضم أي ريح (قدرك) أي طعامك الذي تطبخه في القدر فأطلق لظرف، وأراد المظروف (إلا أن تغرف له منها») شيئاً يهدي مثله عرفاً فلا تجعل سنة القيام بحقة بقليل محتقر لا يقع موقعاً عن كفايته كما يدل له قوله في رواية أخرى: فأصبهم منها بمعروف إذ هو ظاهر في أن المراد شيء يهدي مثله عادة ذكره العلائي («أتدرون ما حق الجار؟ والذي نفس محمد بيده لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله» هكذا رواه عمرو بن شعيب) بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي المدني، يكنى أبا إبراهيم، وقيل أبا عبد الله، نزل الطائف ومكة. روى (عن أبيه) شعيب (عن جده) عبد الله بن عمرو بن العاص، أما عمرو فأكثر رواياته عن أبيه وروى أيضاً عن الربيع بن بنت معوذ، وزينب بنت أبي سلمة، وطاوس، وابن المسيب في آخرين، وعنه عمرو بن دينار وعطاء وداود ابن أبي هند وابن جريج والأوزاعي وخلق كثير ووثقه يحي بن معين والنسائي، واختلف فيه قول يحي بن سعيد وأحمد، وقال أبو داود: ليس بحجة، وقال ابن عدي: رواه عنه أئمة الناس إلا أن أحاديثه عن أبيه عن جده مع احتمالهم إياه لم يدخلوها في صحاح ما خرجوا وقالوا: هي صحيفة، مات بالطائف سنة ثماني عشرة ومائة.

وأما والده شعيب فقد روى عن جده عبد الله وابن عمر وابن عباس وغيرهم، روى عنه ابناه عمرو وعمر وثابت البناني وعطاء الخراساني وغيرهم، ذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال: لا يصح له سماع من عبد الله بن عمرو، وقال البخاري، وأبو داود، والدارقطني، والبيهقي وغيرهم، إنه سمع منه وهو الصواب.

وأما أبوه محمد بن عبد الله فإنه روى عن أبيه وعنه ابنه شعيب وحكيم بن الحرث معاً. وليس مراداً هنا فإن ضمير عن جده راجع إلى شعيب وهو أقرب مذكور ومن هنا سبب الاختلاف ودخول الشبه في روايات عمرو.

وأما جده عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم القرشي فإنه صحابي مشهور، وابن صحابي يكنى أبا محمد أسلم قبل أبيه، وكان بينه وبين أبيه في السن اثنتا عشرة سنة، (عن النبي ﷺ)، وعن أبيه، وعن أبي بكر وعمر وغيرهم، وعنه ابنه محمد وحفيده شعيب، وأبو أمامة بن سهل، وابن المسيب، وأبو سلمة وآخرون توفي ليالي الحرة، وكانت سنة ثلاث وستين مات بمصر، وقيل بفلسطين، وقيل بمكة، وقيل بالمدينة، وقيل بالطائف. وقال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل وهو ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الطبراني في الكبير من حديث بهز بن حكيم بن معاوية بن صيدة عن أبيه عن جده

قال مجاهد : كنت عند عبدالله بن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال: يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي ، حتى قال ذلك مراراً فقال له : كم تقول هذا ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه . وقال هشام: كان الحسن لا يرى بأساً أن تطعم الجار اليهودي والنصراني من أضحيتك. وقال أبو ذر رضي الله عنه: أوصاني خليلي ﷺ وقال: « إذا طبخت قدراً فأكثر ماءها ثم انظر بعض أهل بيت في جيرانك فاغرف لهم منها ». وقالت عائشة رضي الله عنها : قلت يا رسول الله إن لي

قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ما حق جاري علي؟ قال: « حق الجار إن مرض عدته وإن مات شيعته وإن استقرضك أقرضته وإن أعور سترته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزيته ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح ولا تؤذه بريح قدرك إلا أن تغرف له منها » قال الهيثمي: فيه أبو بكر الهذلي وهو ضعيف، وقال العلائي فيه إسماعيل بن عياش ضعيف، لكن ليس العهدة فيه عليه، بل على شيخه أبي بكر الهذلي فإنه أحد المتروكين، وقال الحافظ: هذا الحديث روي بأسانيد واهية لكن اختلاف مخرجيها يشعر بأن للحديث أصلاً.

(قال مجاهد) التابعي رحمه الله تعالى **(وكنت عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وغلام له يسلخ شاة فقال: يا غلام إذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي حتى قال ذلك مراراً فقال له: كم تقول هذا ؟ فقال: « إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى حسبنا أنه سيورثه »)** قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن غريب اهـ.

قلت: ولفظ أبي داود، والترمذي عن مجاهد قال: كنا عند ابن عمر عند القسمة وغلامه يسلخ شاة فقال: أبدأ بجارنا اليهودي ثم قالها مرة فمرّة فقيل له لم تذكر اليهودي ؟فقال: سمعت رسول الله ﷺ فذكره.

(وقال هشام) بن حسان الأزدي القروسي أبو عبد الله البصري ثقة ثبت. روى عن الحسن وابن سيرين، مات سنة وسبع وأربعين **(كان الحسن)** يعني البصري **(لا يرى بأساً أن يطعم الجار اليهودي والنصراني من أضحيته)** وفي نسخة: أن تطعم من أضحيتك وقال مالك: يكره أن يطعم منها يهودياً أو نصرانياً.

(وقال أبو ذر) الغفاري رضي الله عنه: **(أوصاني خليلي رسول الله ﷺ وقال: « إذا طبخت قدراً فأكثر ماءها ثم انظر بعض أهل البيت من جيرانك فاغرف لهم منها »)** قال العراقي: رواه مسلم.

قلت: روى ابن أبي شيبة في المصنف من حديث جابر: « إذا طبختم اللحم فاكثروا المرق فإنه أوسع وأبلغ للجيران ».

(وقالت عائشة رضي الله عنها قلت لرسول الله ﷺ : إن لي جارين أحدهما مقبل ببابه

جارين أحدهما مقبل على بـابه والأخر ناء ببابه عني وربما كان الذي عندي لا يسعهما فأيهما أعظم حقاً؟ فقال: المقبل عليك ببابه. ورأى الصدّيق ولده عبد الرحمن وهو يناصي جاراً له فقال: لا تناص جارك فإن هذا يبقى والناس يذهبون. وقال الحسن بن عيسى النيسابوري: سألت عبدالله بن المبارك فقلت: الرجل المجاور يأتيني فيشكو غلامي أنه أتى إليه أمراً والغلام ينكره، فأكره ان أضربه ولعله بريء وأكره أن ادعه فيجد علي جاري فكيف أصنع؟ قال: إن غلامك لعله أن يحدث حدثاً يستوجب فيه الأدب فاحفظه عليه، فإذا شكاه جارك فأدبه على ذلك الحدث فتكون قد أرضيت جارك، وأدبته على ذلك الحدث، وهذا تلطف في الجمع بين الحقين.

وقالت عائشة رضي الله عنها: خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن أحب صدق: الحديث، وصدق الناس، واعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، وحفظ الأمانة،

والآخر ناء) أي بعيد (**بابه عني، وربما كان الذي عندي لا يسعهمـا**) أي لا يكفيهما، (**فأيهما أعظم حقاً؟ فقال: المقبل عليك ببابه».**) قال العراقي: رواه البخاري، (**ورأى**) أبو بكر (**الصديق رضي الله عنه ولده عبد الرحمن**) شقيق عائشة تأخر إسلامه إلى قبيل الفتح وشهد اليمامة والفتوح، ومات سنة ثلاث وخمسين في طريق مكة فجأة وقيل بعد ذلك، (**وهو يناصي**) أي يخاصم (**جاره. فقال: لا تناص جارك**) أي لا تخاصمه (**فإن هذا يبقى والناس يذهبون، وقال الحسن بن عيسى**) بن ماسرجس الماسرجسي أبو علي (**النيسابوري**) مولى عبد الله بن المبارك، ذكره ابن حبان في كتاب الثقات ولم يزل من عقبه بنيسابور، فقهاء ومحدثون مات سنة تسع وثلاثين ومائتين روى له مسلم وأبو داود: (**سألت عبد الله بن المبارك قلت: الرجل المجاور**) لي (**يأتيني فيشكو غلامي أنه أتى إليه أمراً والغلام ينكره فاكره أن أضربه**) أي لإنكاره (**ولعله بريء**) مما ينسبه إليه، (**وأكره أن أدعه**) أي أتركه (**فيجد على جاري**) أي يأخذ في نفسه حيث أني لم أضربه، (**فكيف اصنع؟ فقال: إن غلامك لعله أن يحدث حدثاً فيستوجب به الأدب فاحفظ عليه**) ذلك وفي نسخة فاحفظه عليه، (**فإذا اشتكاه جارك فأدّبـه على ذلك الحدث فيكون قد أرضيت جارك وأدبته على ذلك الحدث، وهذا تلطف في الجمع بين الحقين**) حق الجار وحق الملك.

(**وقالت عائشة رضي الله عنها: خلال المكارم عشرة**) والحصر إضافي باعتبار الذكر هنا (**تكون في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله تعالى لمن أحب صدق الحديث**) لأن الكذب يجانب الإيمان لأنه إذا قال كان كذا ولم يكن فقد افترى على الله زعمه أنه كونه فصدق الحديث من الإيمان، (**وصدق الباس**) لأنه من الثقة بالله شجاعة

والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، وقرى الضيف ورأسهن الحياء.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «يا معشر المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة». وقال ﷺ: «إن من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء». وقال عبدالله: قال رجل: يا رسول الله كيف لي أن اعلم إذا أحسنت أو أسأت؟ قال: «إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت

وسماحة، (**وإعطاء السائل**) لأنه من الرحمة، (**والمكافأة بالصنائع**) لأنه من الشكر، (**وصلة الرحم**) لأنها من العطف، (**وحفظ الأمانة**) لأنه من الوفاء، (**والتذمم للجار**) أي التعهد وأصله أخذ الإمام وهو ما يذم من العهد على إضاعته، (**والتذمم للصاحب**) لأن كلا منهما من نزاهة النفس، (**وقرى الضيف**) لأنه من السخاء فهذه مكارم الأخلاق الظاهرة وهي تنشأ من مكارم الأخلاق الباطنة (**ورأسهن**) كلهن (**الحياء**) لأنه من عفة الروح، فكل خلق من هذه الأخلاق مكرمة يسعد من منحها بالواحد منها فكيف بمن جمعت له كلها. وأخرج ابن عساكر عن سعيد بن العاص لو أن المكارم كانت سهلة لسابقكم إليها اللئام لكنها كريهة مرة لا يصبر عليها إلا من عرف فضلها هكذا رواه الحكيم والخرائطي في مكارم الأخلاق عن عائشة موقوفاً وإسناده ضعيف، ورواه الدارقطني، والديلمي، وابن لال، والبيهقي، وابن عساكر من طريق أيوب الوزان عن الوليد بن مسلم عن ثابت عن الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة مرفوعاً. قال البيهقي: وهو بالموقوف أشبه، وقال ابن الجوزي: حديث لا يصح ولعله من كلام بعض السلف وثابت بن يزيد ضعيف، وقال الحاكم: مجهول.

(**وقال أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»**) رواه أحمد والشيخان من حديثه، وفي رواية: «إحداكن لجارتها أو لو كراع شاة محرق» وهكذا رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث خولة.

(**وقال ﷺ: «إن من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع والجار الصالح والمركب المنيء»**) قال العراقي: رواه أحمد من حديث نافع بن عبد الحرث وسعد بن أبي وقاص وحديث نافع أخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: وحديث سعد أخرجه الطيالسي من طريق إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده بلفظ: «سعادة لابن آدم ثلاث وشقاوة لابن آدم ثلاث فمن سعادة ابن آدم الزوجة الصالحة والمركب الصالح والمسكن الواسع ومن شقاوة ابن آدم المسكن السوء والمرأة السوء والمركب السوء».

(**وقال عبد الله**) بن مسعود رضي الله عنه (**قال رجل: يا رسول الله كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت؟ قال: «إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت، فقد أحسنت، وإذا**

وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت». وقال جابر رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «من كان له جار في حائط أو شريك فلا يبعه حتى يعرضه عليه». وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قضى رسول الله ﷺ أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى. وقال ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله ﷺ: «لا يمنعن أحدكم جاره أن يضع خشبه في جداره». وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: ما لي أراكم عنها معرضين، والله لأرمينها بين أكتافكم. وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب ذلك. وقال

سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت») قال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث عبد الله ابن مسعود وإسناده جيد اهـ.

قلت: ورواه أيضاً ابن ماجه وابن حبان ورجاله رجال مسلم، ورواه ابن ماجه أيضاً من حديث كلثوم الخزاعي.

(وقال جابر) رضي الله عنه **(من كان له جار في حائط)** أي مزرعة أو بستان **(أو شريك فلا يبعه حتى يعرضه عليه)** قال العراقي: رواه ابن ماجة والحاكم دون ذكر الجار، وقال: صحيح الإسناد وهو عند الخرائطي في مكارم الأخلاق بلفظ المصنف، ولابن ماجه من حديث ابن عباس: «من كانت له أرض فاراد بيعها فليعرضها على جاره» ورجاله رجال الصحيح اهـ.

قلت: الحديث الذي ليس فيه ذكر الجار قد رواه أيضاً عبد الرزاق في المصنف ومسلم وابن حبان ولفظه: «من كان له شريك في حائط فلا يبع نصيبه من ذلك حتى يعرضه على شريكه فإن رضي أخذ وإن كره ترك» ولفظ ابن ماجه: «من كانت له نخل أو أرض فلا يبعها حتى يعرضها على شريكه». وأما حديث ابن عباس فقد رواه أيضاً الطبراني في الكبير.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قضى رسول الله ﷺ أن الجار يضع جذوعه)** وفي نسخة جذعه **(في حائط جاره)** إن احتاج لذلك **(شاء الجار)** ذلك **(أم أبى)** أي امتنع. قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق هكذا وهو متفق عليه بلفظ: «لا يمنعني أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره». **(وقال ابن عباس)** رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: «لا يمنعن أحدكم جاره أن يضع خشبه في حائطه»)** قال العراقي: رواه ابن ماجه بإسناد ضعيف واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الخرائطي في مساوىء الأخلاق والبيهقي ولفظهما: «على حائطه» بزيادة في آخره: وإذا اختلفتم في الطريق الميتاء فاجعلوها سبعة أذرع، وعند الطبراني في الكبير بلفظ: «لا يمنعن أحدكم أخاه المؤمن خشباً يضعه على جداره».

(وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: مالي أراكم عنها معرضين والله لأرمينها بين اكتافكم) رواه البخاري في الصحيح، **(وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب ذلك)** نظراً إلى

ﷺ: « من أراد الله به خيراً عسله » قيل: وما عسله؟ قال: « يحببه إلى جيرانه ».

حقوق الأقارب والرحم:

قال رسول الله ﷺ: « يقول الله تعالى: أنا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته ». وقال ﷺ: « من سرّه أن ينسأ في أثره

ظاهر الأحاديث الواردة فيه، **(وقال ﷺ: « من أراد الله به خيراً عسله » قيل: وما عسله؟ قال: « يحببه إلى جيرانه »)** هكذا رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمرو بن الحمق، ورواه البيهقي في الزهد بلفظ: « يفتح له صالحاً قبل موته حتى يرضى عنه من حوله » وإسناده جيد ورواه أحمد من حديث أبي عنبسة الخولاني بالجملة الأولى فقط قاله العراقي:

حقوق الأقارب والرحم:

اعلم أن أقسام القرابة ثلاثة.

الأول: ذو رحم غير محرم كأولاد الأعمام والعمات وأولاد الأخوال والخالات.

الثاني: محرم غير ذي رحم كالأمهات والاخوات والعمات والخالات من الرضاعة والزوجة وموطوءة الأب وحليلة الابن.

الثالث: ذو رحم محرم ما سوى القسمين المذكورين إذا عرفت هذا فقال بعضهم: إن الرحم التي يجب صلتها هي قرابة كل ذي رحم محرم، وقال آخرون: هي قرابة كل قريب محرماً كان أو غيره فينزل العم والأخ الأكبر والخال منزلة الوالد وتنزل الخالة والعمة والأخت الكبرى منزلة الأم في التوقير والخدمة والإطاعة. **(قال رسول الله ﷺ: « يقول الله تعالى: أنا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته »)** أي قطعته. قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة اهـ.

ورواه الحكيم من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ: « يقول الله تعالى أنا الرحمن وهي الرحم جعلت لها شجنة مني من وصلها وصلته ومن قطعها بتته إلى يوم القيامة لسان ذلق ويروى: « قال الله تعالى أنا الرحمن وأنا خلقت الرحم وشققت لها إسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته ومن بتها بتته » هكذا رواه أحمد وابن أبي شيبة في المصنف، والبخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والترمذي وقال: صحيح والبغوي وابن حبان والحاكم والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن عوف. ورواه الخرائطي في مساوىء الأخلاق، والخطيب من حديث أبي هريرة، ورواه الحكيم من حديث ابن عباس بلفظ: « قال الله تبارك وتعالى للرحم خلقتك بيدي

ويوسع عليه في رزقه فليصل رحمه». وفي رواية أخرى: «من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه». وقيل لرسول الله ﷺ: «أيّ الناس أفضل؟ قال: «أتقاهم لله وأوصلهم لرحمه وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر». وقال أبو ذر رضي الله عنه: «أوصاني خليلي عليه السلام بصلة الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مراً». وقال ﷺ: «إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل المكافىء، ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها». وقال عليه الصلاة

وشققت لك من اسمي وقربت مكانك مني وعزتي وجلالي لأصلنّ من وصلك ولاقطعن من قطعك ولا أرضى حتى ترضين».

(وقال ﷺ: «من سره أن ينسأ له) أي يؤخر **(في أثره يوسع عليه في رزقه فليتق الله وليصل رحمه»)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس دون قوله: «فليتق الله» وهو بهذه الزيادة عند أحمد والحاكم من حديث علي بإسناد جيد اهـ.

قلت: حديث أنس رواه أيضاً أبو داود ولفظه: «من سره أن يبسط في رزقه وأن ينسأله في أثره فليصل رحمه» وكذلك رواه أحمد ومسلم من حديث أبي هريرة، وعند أحمد وأبي داود والنسائي من حديث أنس: «من سره أن يعظم الله رزقه وأن يمد في أجله فليصل رحمه» ويروى: «من سره النساء في الأجل والزيادة في الرزق فليصل رحمه» هكذا رواه أحمد والضياء في المختارة من حديث ثوبان، وفي رواية: «من سره أن تطول أيام حياته ويزاد في رزقه فليصل رحمه» كذا رواه ابن جرير والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس.

أما حديث علي فلفظه: «من سره أن يمد الله له في عمره ويوسع له في رزقه ويدفع عنه منية السوء فليتق الله وليصل رحمه» هكذا رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن جرير وصححه، والخرائطي في مكارم الأخلاق والطبراني في الأوسط وابن النجار.

(قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل» قال: «اتقاهم لله وأوصلهم لرحمه وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر») قال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث درة بنت أبي لهب بإسناد حسن. **(وقال أبو ذر)** رضي الله عنه: **(«أوصاني خليلي رسول الله ﷺ بصلة الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مراً»)** قال العراقي: رواه أحمد وابن حبان في صحيحه اهـ.

قلت: وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر قال: «قل الحق وإن كان مراً» الحديث.

(وقال ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها») قال العراقي: رواه الطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو وهو عند البخاري دون قوله: «الرحم معلقة بالعرش» فرواها مسلم من حديث عائشة اهـ.

والسلام: « إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم، حتى أن أهل البيت ليكونون فجاراً، فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم». وقال زيد بن أسلم: لما خرج رسول الله ﷺ إلى مكة عرض له رجل فقال: إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فعليك ببني مدلج، فقال عليه الصلاة والسلام: « إن الله قد منعني من بني مدلج بصلتهم الرحم». وقالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: قدمت عليّ أمي فقلت: يا رسول الله، أن أمي قدمت عليّ وهي مشركة أفأصلها؟ قال: « نعم» وفي رواية: أفأعطيها؟

قلت: وعند أحمد والطبراني من حديث ابن عمر: والرحم شجنة معلقة بالعرش، ولفظ مسلم من حديث عائشة: « الرحم شجنة من الرحمن قال الله: من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته». وعند البخاري من حديث أبي هريرة وعائشة: « الرحم شجنة من الرحمن قال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته». وأما قوله ليس الواصل الخ. فكذلك رواه أبو داود والترمذي وابن حبان من حديث ابن عمرو، ورواه أيضاً ابن النجار من حديث أنس.

(وقال ﷺ: « إن أعجل ثواباً صلة الرحم حتى أن أهل البيت ليكونون فجاراً فتنمى) أي تزداد **(أموالهم ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم»)** قال العراقي: رواه ابن حبان من حديث أبي بكرة والخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الشعب من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند ضعيف.

(وقال زيد بن أسلم) أبو عبد الله العدوي مولى عمر ثقة عالم وكان يرسل مات سنة ست وثلاثين **(لما خرج رسول الله ﷺ إلى مكة عرض له رجل فقال: إن كنت تريد النساء البيض والنوق الأدم فعليك ببني مدلج)** وهي قبيلة من العرب، **(فقال ﷺ: « إن الله قد منعني من بني مدلج بصلتهم الرحم»)** قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق وزاد وطعنهم في لبات الإبل وهو مرسل صحيح الإسناد اهـ.

قلت: وبخط الحافظ ابن حجر هو في غريب الحديث لأبي عبيد، وقال الذي يراد من هذا الحديث إن الصدقة والصلة يدفعان ميتة السوء والمكاره.

(وقالت اسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما) زوجة الزبير بن العوام وهي شقيقة عبد الله بن أبي بكر، أسلمت قديماً وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير، وكانت تسمى ذات النطاقين، وتوفيت بمكة سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابنها عبد الله بيسير، وكانت قد بلغت مائة سنة لم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل، روى لها الجماعة. **(قدمت علي أمي)** وهي أم العزي قتيلة بنت عبد العزي بن عبد أسعد بن جابر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي، **(فقلت: يا رسول الله إن أمي قدمت علي وهي مشركة أفأصلها؟ قال: « نعم» وفي رواية: « أفأعطيها»؟**

قال: « نعم صليها ». وقال عليه الصلاة والسلام: « الصدقة على المساكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان ». ولما أراد أبو طلحة أن يتصدق بحائط كان له يعجبه عملاً بقوله تعالى: ﴿لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران: ٩٢] قال: يا رسول الله هو في سبيل الله، وللفقراء والمساكين. فقال عليه السلام: « وجب أجرك على الله فأقسمه في أقاربك ». وقال عليه السلام: « أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح »، وهو في معنى قوله: « أفضل

قال: « نعم صليها ») رواه البخاري ومسلم والنسائي وفي رواية فاستأذنت رسول الله ﷺ فقال: « صلي أمك ».

(وقال ﷺ: « الصدقة على المساكين) الأجانب **(صدقة)** فقط **(و)** هي **(على ذي الرحم اثنتان »)** أي صدقتان اثنتان صدقة وصلة ففيه حث على الصدقة على الأقارب وتقديمهم على الاباعد، لكن هذا غالبي وقد يكون الحال بالعكس، ولهذا قال الحافظ ابن حجر لا يلزم من ذلك أن تكون هي في الرحم أفضل مطلقاً لاحتمال كون المسكين محتاجاً ونفعه بذلك متعدياً والآخر بعكسه. قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبي اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد والحاكم وابن خزيمة وابن حبان وصححوه، وأقر الذهبي تصحيح الحاكم ولفظهم: « الصدقة على المسكين صدقة وهي على ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة ».

(ولما أراد أبو طلحة) زيد بن سهل الأنصاري **(أن يتصدق بحائط)** نخل **(له كان يعجبه عملاً بقوله تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قال: يا رسول الله هو في سبيل الله، والفقراء والمساكين، فقال ﷺ: « وجب أجرك فاقسمه في أقاربك »)** رواه البخاري وقد تقدم في كتاب الزكاة، **(وقال ﷺ: « أفضل الصدقة)** الصدقة **(على ذي الرحم الكاشح »)** وهو الذي يضمر العداوة ويطوي عليها كشحه، أو الذي يطوي عليك كشحه ولا يألفك، وإنما كان أفضل لما فيه من قهر النفس للإذعان لمعاديها. قال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث أبي أيوب، وفيه الحجاج بن ارطأة، ورواه البيهقي من حديث أم كلثوم بنت عقبة اهـ.

قلت: الحجاج بن أرطأة حاله معروف، ورواه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند، وابن شاهين، والطبراني في الكبير، وابن منده، وابن الأثير كلهم من طريق سفيان بن حسين، عن الزهري، عن أيوب بن بشير عن حكيم بن حزام قال الحافظ في الإصابة: وهو معلول ووجد في نسخ الجامع للجلال عز وحديث حكيم بن حزام إلى تخريج أحمد والطبراني، وقال الهيثمي: إن سنده حسن، وعن ابن طاهر أنه صحيح، وأقره الحافظ وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري، وأخرجه الطبراني في الكبير والحاكم من حديث أم

الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك » وروي أن عمر رضي الله عنه كتب إلى عماله : مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا وإنما قال ذلك لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق ، وربما يورث الوحشة وقطيعة الرحم .

حقوق الوالدين والولد :

لا يخفى أنه إذا تأكد حق القرابة والرحم فأخص الأرحام وأمسها الولادة ، فيتضاعف تأكد الحق فيها . وقد قال ﷺ : « لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكاً

كلثوم ، ورجال الطبراني رجال الصحيح قاله الهيثمي وقال الحاكم : وهو على شرط مسلم وأقره الذهبي .

(**وهو في معنى قوله**) ﷺ : (**« أفضل الفضائل**) جمع فضيلة وهي الخصلة الجميلة التي يحصل لصاحبها بسببها شرف وعلو نزلة عند الحق أو الخلق ، والثاني لا عبرة به إلا أن أوصل إلى الأول (**أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك**) أي منعك لما فيها من المشقة في مجاهدة النفس وإرغامها ومكابدة الطبع لميله إلى المؤاخذة والإنتقام (**وتصفح عمن ظلمك »**) لأن ذلك أشق على النفس من سائر العبادات الشاقة ، فكأن أفضل ، فالعفو عمن ظلمك نهاية الحلم والشجاعة وإعطاء من حرمك غاية الجود ، ووصل من قطعك نهاية الإحسان ، وقال العراقي : رواه أحمد من حديث معاذ بن أنس بسند ضعيف ، وللطبراني نحوه من حديث أبي أمامة وقد تقدم انتهى .

قلت : كذلك الطبراني في الكبير .

قال المنذري : فيه زبان بن فائد وهو ضعيف . قلت : وسهل بن معاذ راويه ضعفه ابن معين .

(**وروي أن عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه كتب إلى عماله**) في أطراف البلاد (**مروا الأقارب أن يتزاوروا**) أي يزور بعضهم بعضاً غباً فإن ذلك يورث الألفة (**ولا يتجاوروا**) أي لا يساكنوا في محل واحد (**وإنما قال ذلك لأن التجاور يوجب التزاحم على الحقوق وربما يورث الوحشة و**)ترفع الحرمة والهيبة فيفضي إلى (**قطيعة الرحم**) والتدابر .

حقوق الوالدين والولد :

اعلم أنه (**لا يخفى**) على أحد (**أنه إذا تأكد حق القرابة والرحم فالصق الأرحام وأمسها الولادة فيتضاعف تأكد الحق فيها ، وقد قال** ﷺ **« لن يجزي ولد والده**) وفي لفظ لا يجزي ولد والداً والمعنى لا يكافئه بإحسانه وقضاء حقه والأم مثله بطريق الأولى ومثلها الأجداد والجدات من النسب (**حتى يجده**) وفي لفظ : إلا أن يجده (**مملوكاً فيشتريه فيعتقه »**) أي يخلصه من الرق بسبب شراء أو نحوه ، لأن الرقيق كالمعدوم لاستحقاق غيره منافعه ونقصه عن المناصب الشريفة فيتسبب في عتقه المخلص له من ذلك كأنه أوجده ، كما كان الأب سبباً في

....

إيجاده فهو يتسبب في إيجاد معنوي في مقابلة الإيجاد الصوري. وقال ابن العربي: المعنى فيه أن الأبوين أخرجا الولد من حيز العجز إلى حيز القدرة فإنه تعالى أخرج الخلق من بطون أمهاتهم لا يقدرون على شيء كما لا يعلمون شيئاً، فكفله الوالدان حتى خلق الله له القدرة والمعرفة واستقل بنفسه بعد العجز فكفاه بفضل الله وقوته لا بصورة الأمر، وحقيقته أن يجد والده في عجز الملك فيخرجه إلى قدرة الحرية اهـ. لكن جعل الطيبي الحديث من قبيل التعليق بمحال للمبالغة يعني لا يجزي ولد والده إلا أن يملكه فيعتقه وهو محال فالمجاز محال اهـ.

وتبعه عليه بعضهم فقال: القصد بالخبر الإيذان بأن قضاء حقه محال لأنه حصر قضاء حقه في هذه الصورة وهي مستحيلة إذ العتق يفارق الشراء فقضاء حقه مستحيل. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: رواه في العتق بلفظ لا يجزي، ورواه البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان، وقال التقى السبكي في النظر المصيب في عتق القريب، وقد روي القول بأن من ملك ذا رحم محرم فهو حر عن عمر بن الخطاب نقله ابن حزم عنه، وحكاه غيره عن ابن شبرمة والحسن وجابر بن زيد وإبراهيم النخعي وعطاء والحكم وحماد وقتادة والزهري والليث والثوري والحسن بن صالح وهو مذهب أبي حنيفة، وأحمد في المشهور عنه. ونقله الترمذي عن أهل العلم وهو قول ابن وهب وهي رواية عن مالك، وصححها ابن عبد السلام المالكي وشرط هؤلاء شيئين. أحدهما: القرابة وهي الرحم، والأخرى المحرمية فلو وجد الرحم بلا محرمية لم يوجب العتق كابن العم ولو وجدت المحرمية بلا رحم كالرضاع لم يوجب العتق، فالرضاع والمصاهرة محل إجماع لا يعتق عند الأكثرين إلا الأوزاعي، فإنه قال: يعتق كل ذي رحم محرم وغير محرم حتى ابن العم وابن الخالة، ومحل الاختلاف بين الشافعية والحنفية في الرحم المحرم كالأخوة وأولادهم والأعمام والأخوات، وجعلوا القرابات ثلاثة أقسام هذا قسماً متوسطاً تجب صلته وتحرم قطيعته وهو دون قرابة الولادة، وأعلى من بنوة العم وهذا يقتضي أن بنوة العم لا توجب الصلة، والظاهر أن وجوب الصلة عام في كل الأقارب، لأنها تسمى رحماً، ولذلك يخصص فيقال: ذو رحم محرم، ورأيت في كتاب بر الوالدين لأبي بكر الطرطوشي من المالكية عن بعض العلماء ما يوافق كلام الحنفية وأن صلة الرحم إنما تجب إذا كان هناك محرمية، ولعل هذا عن الحنفية، والذي يظهر ما قدمناه أن الصلة واجبة في كل من تعرف من القرابة ويوافقه إطلاق الصحاح الرحم على القرابة، وقول الأزهري بينهما رحم أي قرابة قريبة تحمل على رحمة عظيمة وهذا الذي قلت أنه الذي يظهر هو الذي اختاره الطرطوشي، واستدل له بحديث: إن الله يسأل عن الرحم ولو بأربعين، وقاس بعضهم على النكاح ورد عليه الرضاع وتعلق بعضهم بصلة الرحم، ورد عليه الرحم الذي ليس بمحرم وقاس بعضهم على الوالدين والولد، ولا يصح لأن الوالدين والأولاد جعوله مع الرحم والمحرمية شيئاً ثالثاً وهو الجزئية. أحدهما: بعض من الآخر وهو أقوى

فيشتريه فيعتقه ». وقد قال ﷺ: « بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله » وقد قال ﷺ: « من أصبح مرضياً لأبويه أصبح

المعاني ولا يقاس عليه ما هو دونه بكثير على أن داود الظاهري خالف في عتق الوالدين والأولاد بملكهم وقال: لا يعتق أحد على أحد، واحتج بما صح عن رسول الله ﷺ قال: « لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه » رواه مسلم من حديث جابر مرفوعاً، ورواه أحمد من حديث أبي هريرة مرفوعاً فقال داود: الحديث يقتضي إنشاء اعتاق فلا يعتق عليه، وخالفه ابن حزم فقال: يعتق كل ذي رحم محرم، ومالك في المشهور عنه يقول: يعتق الوالدين والأولاد والأخوة والأخوات وهم السبعة الذين ذكرهم الله في كتابه الذين يستحقون ميراثه، ولا يعتق العم والعمة ولا الخال والخالة، وهو قول يحي بن سعيد الأنصاري. وروي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، والظاهر أنه صحيح عنهم، وعن ربيعة ومجاهد ومكحول ولم يصح عنهم. وقال الشافعي: لا يعتق إلا الأصول والفروع بعلة البعضية وهي رواية عن أحمد وأبو حنيفة. قال: بالتخصيص أيضاً في رواية عنه فيما إذا ملك المكاتب ذا رحم محرم منه أنه لا يعتق عليه ولم يراع الصلة مطلقاً كالاوزاعي، فمذهب الأوزاعي أقرب منه لأن معه دليلاً وهو صلة الرحم، وتمسك أصحاب الشافعي في الرد على أبي حنيفة بالقياس على ابن العم، فإنهم وافقوا عليه، وبأن ذا الرحم المحرم لو استحق العتق لمنع من بيعه إذا اشتراه وهو مكاتب كالوالد والولد، وبأن الصلة لا تجب في تحريم منكوحة أحدهما على الآخر ولا في القصاص وهو القذف ولا في وجوب النفقة في الكسب، ولا في السفر بغير إذنه بخلاف الولادة فإنه يجب فيها صلة الرحم في جميع الحقوق فأوجبت العتق بأن الولادة قرابة بعضية فيصير كما لو ملك بعض نفسه، وهذه قرابة مجاورة فيصير كما لو ملك غيره، ومع ذلك المسألة مشكلة لعدم نص خاص فيها إلا الحديث، والحديث فيه ما فيه، فلو صح على الرأس والعين، وإذا لم يصح فمذهب داود يبتدره الذهن، ومذهب الشافعي أمتن وأدق، ويليه مذهب الاوزاعي، وأبعدها مذهب أبي حنيفة وأحمد لا مستند له إلا الحديث لو صح، وأبعد منه مذهب مالك لا يعضده حديث ولا نظر فهي خمسة مذاهب انتهى.

(وقال ﷺ « بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله تعالى ») قال العراقي: لم أجده هكذا، وروى أبو يعلى والطبراني في الصغير والأوسط من حديث أنس « أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه. قال: هل بقي من والديك أحد؟ قال: أمي. قال: قابل الله في برها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد » وإسناده حسن اهـ.

قلت: ولفظ الطبراني في الأوسط « هل بقي أحد من والديك؟ قال: أمي. قال: قابل الله في برها فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد، وإذا رضيت عليك أمك فاتق الله وبرها » وفي المصنف لابن أبي شيبة عن الحسن مرسلاً بر الوالدين يجزيء عن الجهاد.

له بابان مفتوحان إلى الجنة ومن أمسى فمثل ذلك وإن كان واحداً فواحد وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما. ومن أصبح مسخطاً لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار ومن أمسى مثل ذلك وإن كان واحداً فواحد، وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما». وقال ﷺ: «إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم». وقال ﷺ: «بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك». ويروى أن الله تعالى

(وقال ﷺ «من أصبح مرضياً لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة) وفي رواية من الجنة، (ومن أمسى مثل ذلك وإن كان واحداً فواحد) وفي رواية فواحداً أي فكان الباب المفتوح واحداً. (ومن أصبح مسخطاً لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار) وفي رواية من النار، (ومن أمسى مثل ذلك وإن كان واحداً فواحد) وفي رواية فواحداً. قال رجل: وإن ظلما قال: (وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما») قال الطيبي: أراد بالظلم ما يتعلق بالأمور الدنيوية لا الأخروية. قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس ولا يصح اهـ.

قلت: ورواه ابن عساكر في التاريخ قال في اللسان: رجاله ثقات أثبات غير عبد الله بن يحي السرخسي فقد اتهمه ابن عدي بالكذب ولفظه: «من أصبح مطيعاً لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من الجنة وإن كان واحداً فواحداً، ومن أمسى عاصياً لله في والديه أصبح له بابان مفتوحان من النار وإن كان واحداً فواحداً قال رجل: وإن ظلماه قال: وإن ظلماه وإن ظلماه وإن ظلماه».

ورواه الديلمي أيضاً من حديثه وهو في الافراد للدارقطني من حديث زيد بن أرقم بلفظ «من أصبح والداه راضيين عنه أصبح وله بابان مفتوحان من الجنة ومن أمسى ووالداه راضيين عنه أمسى وله بابان مفتوحان من الجنة، ومن أصبح ساخطين عليه أصبح له بابان مفتوحان من النار ومن أمسى ساخطين عليه أمسى له بابان مفتوحان من النار، وإن كان واحداً فواحداً فقيل وإن ظلماه قال وإن ظلماه وإن ظلماه».

(وقال ﷺ «إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق) أي لوالديه (ولا قاطع رحم») قال العراقي: رواه الطبراني في الصغير من حديث أبي هريرة دون ذكر القاطع وهي في الأوسط من حديث جابر إلا أنه قال: من مسيرة ألف عام وإسنادهما ضعيف.

(وقال ﷺ «بر أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك») قال العراقي: رواه النسائي من حديث طارق المحاربي وأحمد والحاكم من حديث أبي رمثة ولأبي داود نحوه من حديث كليب بن منقعة عن جده، وله وللترمذي والحاكم وصححه من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده «من أبر؟ قال: أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب» وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال رجل: من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك» لفظ مسلم اهـ.

قال لموسى عليه السلام: يا موسى، إنه من بر والديه وعقني كتبته باراً ومن برني وعق والديه كتبته عاقاً.

وقيل: لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له فأوحى الله إليه أتتعاظم أن تقوم لأبيك وعزتي وجلالي لا أخرجت من صلبك نبياً.

قلت: ولفظ البخاري جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال «أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك» هكذا رواه من طريق أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة، وأخرجه ابن ماجه بنحوه.

وأما حديث كليب بن منقعة فلفظه عند أبي داود أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: من أبر؟ قال: «أمك وأباك وأختك وأخاك ومولاك الذي يلي ذلك حق واجب ورحم موصولة» ذكره البخاري في تاريخه الكبير تعليقاً. وقال ابن أبي حاتم كليب بن منقعة قال: أتى جدي النبي ﷺ فقال: من أبر؟ مرسل قال بعض العلماء: ينبغي أن يكون للأم ثلاثة أمثال ما للأب لأنه ﷺ كرر الأم ثلاث مرات وذكر الأب في المرة الرابعة فقط، وإذا تؤمل هذا المعنى شهد له العيان، وذلك أن صعوبة الحمل وصعوبة الوضع وصعوبة الرضاع والتربية تنفرد بها الأم وتشقى بها دون الأب، فهذه ثلاث منازل يخلو منها الأب، وقيل: للأم ثلثا البر وللأب الثلث، ووجهة الحديث الذي ذكر فيه حق الأم مرتين والأب مرة. وروى هذا عن الليث بن سعد، وذكر المحاسبي أن تفضيل الأم على الأب في البر هو إجماع العلماء وفيه تنزيل الناس منازلهم وأنه يوفى كل أحد حقه على قدر قرباه وحرمته ورحمه.

(وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: يا موسى أنه من بر والديه وعقني كتبته) عندي **(باراً ومن برني وعق والديه كتبته)** عندي **(عاقاً)** وهذا يدل على أن حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة.

(وقيل: لما دخل يعقوب على) ابنه **(يوسف عليهما السلام)** بمصر **(لم يقم له)** يوسف، **(فأوحى الله تعالى إليه أتتعاظم أن تقوم لأبيك وعزتي وجلالي لا أخرجت من صلبك نبياً)**. لكن أخرج أبو الشيخ عن ثابت البناني قال: لما قدم يعقوب على يوسف تلقاه يوسف على العجل ولبس حلية الملوك وتلقاه فرعون إكراماً ليوسف، فقال يوسف لأبيه: إن فرعون قد أكرمنا فقل له، فقال له يعقوب: لقد بوركت يا فرعون. وأخرج أيضاً عن سفيان الثوري قال: لما التقى يوسف ويعقوب عانق كل واحد منهما صاحبه وبكى، فقال يوسف: يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا؟ قال: بلى يا بني، ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بينك وبيني.

وقال ﷺ: « ما على أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء ». وقال مالك بن ربيعة: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله، هل بقي علي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد وفاتهما؟ قال: « نعم، الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما». وقال ﷺ: « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي

(وقال ﷺ « ما على أحد) وفي رواية « ما على أحدكم » يقال لمن أمهل شيئاً أي غفل عنه أو قصر فيه ما عليه لو فعل كذا ولو كان كذا، أي أي شيء يلحقه من الضرر أو العيب أو العار ونحو ذلك لو فعل كذا؟ فكأنه استفهام يتضمن تنبيهاً وتوبيخاً **(إذا أراد أن يتصدق بصدقة)** وفي رواية أن يتصدق لله صدقة تطوعاً **(أن يجعلها لوالديه)** أي أصليه وإن علياً وفي رواية عن والديه **(إذا كانا مسلمين)** خرج الكافران، **(فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء »)** وفي رواية بعد أن لا ينقص من أجورهما شيئاً. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده بسند ضعيف دون قوله إذا كانا مسلميناهـ.

قلت: وقد أخرجه ابن عساكر وابن النجار في تاريخهما بلفظ المصنف.

(قال مالك بن ربيعة) بن البدري وأبو أسيد الساعدي مشهور بكنيته شهد بدراً وغيرها. قال المدائني: وهو آخر البدريين موتاً. قيل: سنة ثلاثين، وقيل تأخر بعدها: **(بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة)** بفتح السين وكسر اللام قبيلة من الأنصار **(فقال: يارسول الله هل بقي من بر والدي)** أي أبي وأمي **(شيء أبرهما به بعد وفاتهما؟ قال « نعم الصلاة عليهما)** أي الدعاء لهما **(والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما)** من بعدهما هو أن يكون بينهما وبين أحد عهد في معونة وبر ولم يتمكنا من ذلك حتى ماتا فيقوم الولد به بعدهما، **(وإكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما »)** قال العراقي: رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: لكن في سياق أبي داود تأخير قوله وإكرام صديقهما بعد قوله ولا توصل إلا بهما.

(وقال ﷺ « إن أبر البر) وفي رواية إن من أبر البر أي الإحسان أي جعل البر باراً فبناء أفعل التفضيل منه وإضافته إليه مجازاً وإن المراد منه أفضل البر فافعل التفضيل للزيادة المطلقة، وقال الأكمل أبر البر من قبيل جل جلاله وجد جده بجعل الجد جاداً وإسناد الفعل إليه **(أن يصل الرجل أهل ود أبيه)** بضم الواو بمعنى المودة **(بعد أن يولي الأب »)** أي يدبر بموت أو سفر، قال التوربشتي: وقد تخبط الناس في ضبط يولي والذي أعرفه أن الفعل مسند إلى الأب أي

الأب ». وقال ﷺ : « بر الوالدة على الولد ضعفان ». وقال ﷺ : « دعوة الوالدة أسرع إجابة. قيل: يا رسول الله ولِمَ ذاك؟ قال: هي أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط ». وسأله رجل فقال: يا رسول الله من أبر؟ فقال: بر والديك ». فقال: ليس لي والدان. فقال: « بر ولدك كما أن لوالديك عليك حقاً كذلك لولدك عليك حق ». وقال ﷺ : « رحم الله والداً أعان ولده على بره » أي لم يحمله على العقوق بسوء عمله.

بعد أن يغيب أبوه أي يموت، والمعنى أن من جلة المبرات الفضلى مبرة الرجل أحباء أبيه، فإن مودة الآباء قرابة الأبناء أي إذا غاب أبوه أو مات يحفظ أهل وده ويحسن إليهم، فإنه من تمام الإحسان إلى الأب. وفي شرح الترمذي للعراقي إنما جعله أبر البر أو من أبر البر لأن الوفاء بحقوق الوالدين والأصحاب بعد موتهم أبلغ لأن الحي يجامل والميت لا يستحيا منه ولا يجامل إلا بحسن العهد، ويحتمل أن أصدقاء أبيه كانوا مكفيين في حياته بإحسانه إليهم وانقطع بعد موته فأمر بصلته. قال العراقي: رواه مسلم من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: لفظ أبي داود « أن أبر البر صلة المرء أهل ود أبيه بعد أن يولي » وأخرجه كذلك أحمد والترمذي قالوا: مر بابن عمر أعرابي وهو راكب حماراً فقال: ألست ابن فلان؟ قال: بلى، فأعطاه حماره وعمامته، فقيل له فيه فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره، وفي رواية لمسلم عنه: أعطاه حماراً كان يركبه وعمامة كانت على رأسه، فقالوا له: أصلحك الله أنهم الأعراب وأنهم يرضون باليسير، فقال: إن أبا هذا كان وداً لعمر وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث أنس في البر أن تصل صديق أبيك.

(وقال ﷺ « بر الوالدة على الولد ضعفان ») قال العراقي: غريب بهذا اللفظ، وقد تقدم قبل هذا بثلاثة أحاديث حديث بهز بن حكيم، وحديث أبي هريرة وهو معنى هذا الحديث. **(وقال ﷺ « الوالدة أسرع إجابة. قيل يا رسول الله: ولم ذاك؟ قال: هي أرحم من الأب ودعوة الرحيم لا تسقط »)** قال العراقي: لم أقف له على أصل. **(وسأله)** ﷺ **(رجل فقال: يا رسول الله من أبر؟ قال: والديك، فقال: ليس لي والدان. قال: بر ولدك فكما أن لوالديك حقاً كذلك لولدك عليك حق »)** قال العراقي: رواه النوقاني في كتاب معاشرة الأهلين من حديث عثمان بن عفان دون قوله: فكما أن لوالديك الخ، وهذه القطعة رواها الطبراني من حديث ابن عمر. قال الدارقطني في العلل: إن الأصح وقفه على ابن عمر.

(وقال ﷺ « رحم الله والداً أعان ولده على بره ») بتوفية ماله عليه من الحقوق. قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث علي وابن عمر بسند ضعيف، ورواه النوقاني من رواية الشعبي مرسلاً. **(أي لم يحمله على العقوق لسوء عمله)**. أي: لأن الوالد إذا كان عادياً جافياً جر الولد إلى القطيعة والعقوق.

وقال ﷺ: «ساووا بين أولادكم في العطية». وقد قيل: ولدك ريحانتك تشمها سبعاً وخادمك سبعاً، ثم هو عدوّك أو شريكك. وقال أنس رضي الله عنه، قال النبي ﷺ: «الغلام يعق عنه يوم السابع ويسمى، ويماط عنه الأذى، فإذا بلغ ست سنين عزل فراشه فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة فإذا بلغ ست عشرة سنة زوّجه أبوه ثم أخذ بيده وقال: قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في

(**وقال ﷺ «ساووا بين أولادكم في العطية»**) هكذا وجد هذا الحديث في بعض النسخ وليس هو في كثير من النسخ ولا في نسخة العراقي، وقد رواه الطبراني في الكبير وابن عساكر في تاريخها من حديث ابن عباس بزيادة «فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء». (**وقد قيل: ولدك ريحانتك سبعاً**) أي إلى سبع سنين هو بمنزلة الريحان تشمه وتحبه، (**وخادمك سبعاً**) أي من ابتداء سبعة أخرى فهو بمنزلة الخادم يعينك في المهات، (**ثم هو عدوك أو شريكك**) أي بمنزلتها.

(**وقال أنس**) بن مالك رضي الله عنه، (**قال ﷺ «الغلام يعق عنه يوم السابع**) من ولادته وسيأتي الكلام عليه قريباً يقال: عق عن ولده عقاً إذا ذبح العقيقة وهي الشاة تذبح يوم الأسبوع (**ويسمى**) فيه ولو قدم التسمية غداة ولادته جاز كما اقتضاه صنيع البخاري، ومنهم من حمل التسمية على أنه يسمى عند الذبح كما يسمى على الأضحية، (**ويماط عنه الأذى**) أي يزال بأن يغسل بدنه ويزال شعر رأسه، (**فإذا بلغ ست سنين أدب فإذا بلغ عشراً عزل فراشه**) أي جعل له فراش على حدة (**فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة والصوم**) أي على تركها، (**فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه ثم أخذ بيده وقال: قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة»**) قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب الضحايا والعقيقة إلا أنه قال: وأدبوه لسبع وزوجوه لسبع عشرة ولم يذكر الصوم وفي إسناده من لم يسم اهـ.

قلت: وروى أبو داود والطبراني في الكبير من حديث عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده رفعه «مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، وإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها».

وأخرج الدارقطني والطبراني في الأوسط من حديث أنس «مروهم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لثلاث عشرة».

وأخرج أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود وأبو نعيم في الحلية والحاكم والبيهقي والخطيب والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع».

الآخرة». وقال ﷺ: «من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه». وقال

(وقال ﷺ «من حق الولد على والده أن يحسن أدبه») قال الماوردي: التأديب يلزم من وجهين. أحدهما: ما لزم الوالد للولد في صغره، الثاني: ما لزم للإنسان في نفسه عند كبره، فالأول أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ليستأنس بها وينشأ عليها فيسهل عليه قبولها عند الكبر. قال الحكماء: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال وتفرق البال، والثاني: أدبان أدب مواضعة وإصلاح وأدب رياضة واستصلاح، فالأول يؤخذ تقليداً على ما استقر عليه اصطلاح العقلاء، والثاني ما لا يجوز في العقل أن يكون بخلافه وأمثلته كثيرة اهـ.

وقال الحليمي: تحسين أدبه بأن ينشئه على الأخلاق الحميدة ويعلمه القرآن ولسان العرب وما لا بد منه من أحكام الدين، فإذا بلغ حد العقل عرفه الباري بالأدلة التي توصله إلى معرفته من غير أن يسمعه شيئاً من مقالات الملحدين لكن يذكرها له في الجملة أحياناً ويحذره منها وينفره منها بكل ممكن، ويبدأ من الدلائل بالأقرب الأجلى، ثم ما يليه وكذا يفعل بالدلائل الدالة على نبوة نبينا ﷺ اهـ.

قيل: كان لعامر بن عبد الله بن الزبير ابن لم يرض سيرته فحبسه، وقال: لا تخرج حتى تحفظ القرآن فأرسل إليه قد حفظته فأخرجني، فقال: لا بيت خير لك من بيت جمعت فيه كتاب الله عز وجل فأقم فما أخرج إلا لجنازة عامر وكان أدخل شاباً فأخرج شيخاً. **(و)** أن **(«يحسن اسمه»)** فلا يسميه باسم مستكره كحرب ومرة وحزن ولا بما يتطير بنفسه كنافع وأملح وبركة ويسار. قال صاحب القاموس: في سفر السعادة أمر الأمة بتحسين الأسماء فيه تنبيه على أن الأفعال ينبغي أن تكون مناسبة للأسماء لأقوالها ودالة عليها لا جرم اقتضت الحكمة الربانية أن يكون بينهما تناسب ارتباط وتأثير الأسماء في المسميات والمسميات في الأسماء بين وإليه أشار القائل بقوله:

وقلما أبصرت عيناك ذا لقب ... إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس، وحديث عائشة وضعفهما اهـ.

قلت: حديث ابن عباس لفظه قالوا: يا رسول الله قد علمنا حق الوالد على الولد فما حق الولد على والده؟ فذكره. ثم قال البيهقي: محمد بن الفضل بن عطية أي أحد رواته ضعيف بمرة لا يحتج بما انفرد به اهـ.

وقال الذهبي: تركوه واتهمه بعضهم أي بالوضع، وفيه أيضاً محمد بن عيسى المدائني. قال الدارقطني: ضعيف متروك، وقيل: كان مغفلاً.

وأما حديث عائشة فلفظه «حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه» وفيه عبد الصمد بن النعمان وهو ضعيف، وفي الباب عن أبي هريرة وأبي رافع. أما حديث أبي رافع فلفظه «حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وأن لا يرزقه إلا طيباً» وفي

عليه الصلاة والسلام: « كل غلام رهين أو رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم السابع ويحلق

رواية « وأن لا يورثه برزقه إلا طيباً رواه الحكيم وأبو الشيخ في الثواب والبيهقي وإسناده ضعيف، ورواه ابن السني بلفظ « أن يعلمه كتاب الله.

وأما حديث أبي هريرة فلفظه « حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويزوجه إذا أدرك ويعلمه الكتاب » رواه أبو نعيم في الحلية، والديلمي في مسند الفردوس إلا أن الأخير قال « الصلاة » بدل « الكتاب ».

(وقال ﷺ « كل غلام) أي مولود ذكراً كان أو أنثى **(رهين أو رهينة بعقيقته)** أي هي لازمة له فشبهه في عدم انفكاكه منها بالرهن في يد مرتهنه يعني إذا لم يعق عنه فمات طفلاً لا يشفع في أبويه كذا نقله الخطابي عن أحمد، واستجوده، وذكره ابن الجوزي في الكشف عن مشكل الصحيحين وتعقب بأنه لا يقال لمن يشفع في غيره مرهون، فالأولى أن يقال: إن العقيقة سبب لفكاكه من الشيطان الذي طعنه حال خروجه فهي تخليص له من حبس الشيطان له في أمره ومنعه له من سعيه في مصالح آخرته فهي سنة مؤكدة عند الشافعي ومالك، بل أخذ بظاهره الليث وجمع فأوجبوها، وقال أبو حنيفة: هي على الاختيار وهي شاتان للذكر وشاة للأنثى عند الشافعي وعند مالك شاة للذكر كالأنثى. **(يذبح)** عنه بالبناء للمفعول فأفاد أنه لا يتعين الذابح، وعند الشافعية يتعين من تلزمه نفقة المولود وعن الحنابلة يتعين الأب إلا أن تعذر **(يوم السابع)** من يوم ولادته، وهل يحسب يوم الولادة وجهان. رجح الرافعي الحسبان، واختلف ترجيح النووي وتمسك به من قال: بتأقيتها به وإن ذبح قبله لم يقع الموقع وأنها تفوت بعده وهو قول مالك، وعند الشافعية أن ذكر السابع للاختيار لا للتعيين. ونقل الترمذي عن العلماء أنهم يستحبون أن يذبح يوم السابع فإن لم يتهيأ فالرابع عشر، فالحادي والعشرين. قال الحافظ: ولم أره صريحاً إلا للبوشتجي، **(ويحلق رأسه »)** أي كله لأنه أنفع للرأس مع ما فيه من فتح المسام ليخرج البخار بسهولة، وفيه تقوية حواسه وإطلاقه يقتضي أن يشمل الأنثى، وبه قال أحمد في رواية عنه، وحكى الماوردي كراهة حلق رأسها. قال العراقي: رواه أصحاب السنن من حديث سمرة، وقال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والحاكم والبيهقي وأعله بعضهم أنه من رواية الحسن عن سمرة ولم يثبت سماعه منه. قال عبد الحق في الأحكام: سماع الحسن عن سمرة لا يصح إلا في حديث العقيقة، وقال: غيره إن حديث الحسن عن سمرة كله كتاب إلا حديث العقيقة.

قال التقي السبكي في النظر المصيب: قد صحح الترمذي عدة أحاديث من رواية الحسن عن سمرة ولا ينازع فيها، ولكن سماعه منه لحديث العقيقة وغيره مختلف فيه علي بن المديني يثبته ويحتج بحديث العقيقة، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين ينكر أنه وهؤلاء كبار أحمد ويحيى في طرف الإنكار وعلي في طرق الإثبات والبخاري إنما قال في كتابه: حدثنا عبد الله بن أبي الأسود،

رأسه». وقال قتادة: إذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبلت بها أوداجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعد.

حدثنا قريش بن أنس، عن حبيب بن الشهيد قال: أمرني ابن سيرين أن أسأل الحسن ممن سمع حديث العقيقة فسألته، فقال عن سمرة بن جندب وهذا مجرد تاريخ نقله البخاري فلا يلزم أن يكون له ما شرطه على نفسه من شرط الصحيح في كتابه من الحديث وإن كان أصحاب الأطراف ذكروه في الأحاديث. وقال الترمذي: أخبرني محمد بن إسماعيل عن علي بن عبد الله عن قريش بن أنس بهذا الحديث. وقال محمد قال علي وسماع الحسن من سمرة صحيح، واحتج بهذا الحديث، وهذا الكلام من البخاري الآخر مجرد تاريخ وتحديثه للترمذي بالحديث في خارج الصحيح ولم يخرجه في الصحيح فتركه إخراجه في كتابه يدل على أنه ليس من شرطه فرجع الحال إلى أن المثبت لسماع الحسن من سمرة هو علي بن المديني، وناهيك به نبلاً وجلالة وحفظاً وإتقاناً وعلماً وكل شيء وفي مقابلته أحمد وابن معين، فرأيت في العلل للاثرم أنه ذكر لأبي عبد الله عن علي أنه يصحح سماع الحسن من سمرة ويحتج بحديث حبيب بن الشهيد فقال: ذاك إنما هو عن ذاك الشيخ قريش يقول: هذا كالمستضعف لحديثه، وقال: ما أرى ذاك بشيء، وأما يحي فروى له أبو قلابة عبد الملك بن محمد عن قريش حديث العقيقة فقال أبو قلابة: سمعت يحيى يقول لم يسمع الحسن من سمرة قال فقلت[1] من على قريش بن أنس أو على حبيب بن الشهيد فسكت وسكوت يحي عن جوابه لا يدل على شيء، ولو كان أبو قلابة انفرد عن قريش لقلنا أنه كان عند اختلاط قريش صغيراً ومثله لا يضبط، لكن علي بن المديني قد سمع من قريش وكذلك أبو موسى الزمن وهارون والحمل في ذلك على قريش، وإن كان ثقة متفقاً عليه لكنه تغير واختلط قبل موته بست سنين، فلا يجوز الاحتجاج بحديثه فيما انفرد فاما ما وافق فيه الثقات فهو المعتبر فهذا ما وقفنا عليه من الاختلاف في سماع الحسن من سمرة فما وجدنا الأقدمين قد صححوه منه وليس ذلك إلا في الترمذي، علمنا على أنهم اطلعوا على موافقة غيره له وما لا فليس كذلك فيتوقف فيه وبما ذكرناه ظهر أنه ليس لنا أن نحكم بكل حديث ورد لنا عن الحسن عن سمرة بالصحة، وظهر أن البخاري لم يصحح حديث العقيقة ولم يوجد منه ما يدل على أن قريش بن أنس من شرطه، والله أعلم.

(**وقال**) أبو الخطاب (**قتادة**) بن دعامة السدوسي البصري راوي حديث العقيقة في سياق أبي داود بلفظ: «ويدمي» بدل «ويسمي» لما سأل عن التدمية قال: (**إذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها فاستقبل بها أوداجها**) أي تلك الذبيحة (**ثم توضع**) تلك الصوفة (**على يافوخ الصبي حتى يسيل منها**) وفي نسخة منه (**مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعده**) وهذا كان في الجاهلية، واستمر زمنا في صدر الإسلام، ثم نسخ وأمرهم النبي ﷺ أن يجعلوا مكان الدم خلوقاً ويتصدق بزنة شعره ذهباً أو فضة، ولذلك كره الجمهور التدمية، وقد ذكر الحافظ الاختلاف في

---

(١) هنا بياض بالأصل.

وجاء رجل إلى عبدالله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده فقال: هل دعوت عليه؟ قال: نعم. قال: أنت أفسدته.

ويستحب الرفق بالولد: رأى الأقرع بن حابس النبي ﷺ وهو يقبل ولده الحسن فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم! فقال عليه الصلاة والسلام: «إن من لا يَرحم لا يُرحم». وقالت عائشة رضي الله عنها: قال لي رسول الله ﷺ يوماً: «اغسلي

الحديث السابق فقال: منهم من قال ويدمي ويحلق رأسه بدل ويسمي، ثم قال: والأصح يسمي، وقال ابن المنذر: تكلم في حديث سمرة الذي فيه ويدمي وانتصر ابن حزم لهذه الرواية وأثبتها وقال: لا بأس أن يمس بشيء من دم العقيقة. وحكاه ابن المنذر عن الحسن وقتادة، ثم قال: وأنكر ذلك غيرهم وكرهه، وممن كرهه الزهري ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق، وكذلك نقول وفي حديث عائشة: إن أهل الجاهلية كانوا يخضبون قطنة يوم العقيقة فإذا حلقوا وضع على رأسه فأمرهم رسول الله ﷺ أن يجعلوا مكان الدم خلوقاً وثبت انه قال اهريقوا منه دماً وأميطوا عنه الأذى، فإذا كان قد أمر بإماطة الأذى عنه والدم أذى فغير جائز أن ينجس رأس الصبي اهـ.

وروى الديلمي والبيهقي من حديث سلمان بن عامر رضي الله عنه رفعه: «الغلام مرتهن بعقيقته فأهريقوا منه الدم وأميطوا عنه الأذى» ونقل المناوي عن جماعة قالوا: وندب إماطة الأذى يعرفك أن ما اعتيد من لطخ رأس المولود بدم العقيقة غير جائز لأنه تنجيس له بلا ضرورة وذلك من أكبر الأذى، وقد جاء النهي عنه صريحاً لأنه من فعل الجاهلية اهـ.

قلت: يشير إلى ما رواه ابن ماجه من رواية يزيد بن عبد المدني يعق عن الغلام ولا يمس رأسه بدم، ورواه البزار وغيره بزيادة عن أبيه وهو مرسل أيضاً كما قاله البخاري، لكن نقل الولي العراقي عن شيخه الأسنوي أنه نقل عن الماوردي في الإقناع الجزم بأنه لا يكره لطخ رأسه بالدم. قلت: وكان المصنف ممن يقول بذلك ويميل إلى عدم الكراهة فإن سياقه قد دل على ذلك فتأمل.

(**وجاء رجل إلى عبدالله بن المبارك**) رحمه الله تعالى، (**فشكا إليه بعض ولده فقال: هل دعوت عليه؟ قال: نعم. قال: أنت أفسدته**) يشير بذلك إلى أن دعوة الوالد في ولده مستجابة فلا ينبغي للوالد أن يدعو عليه فيتسبب لإفساد حاله.

(**ويستحب الرفق بالولد: رأى الأقرع بن حابس**) التميمي من المؤلفة قلوبهم (**النبي ﷺ وهو يقبل ولده الحسن فقال**) الأقرع: (**إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم**) فنظر إليه (**فقال: «إن من لا يرحم لا يُرحم»**) أي من لا يكون من أهل الرحمة لا يرحمه الله. قال العراقي. رواه البخاري من حديث أبي هريرة انتهى.

قلت: وكذلك رواه أحمد ومسلم والترمذي، ورواه ابن ماجه من حديث جرير، وكلهم اقتصروا على القطعة الأخيرة منه. ورواه البخاري أيضاً في الأدب المفرد بتمامه.

وجه أسامة فجعلت أغسله وأنا أنفة فضرب يدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال: قد أحسن بنا إذ لم تكن له جارية». وتعثر الحسن والنبي ﷺ على منبره فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ [التغابن: ١٥] وقال عبدالله بن شداد: بينما رسول الله ﷺ يصلي بالناس إذ جاءه الحسين فركب عنقه وهو ساجد، فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا: قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظننا أنه قد حدث أمر! فقال: «إن ابني قد ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته».

(وقالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله ﷺ يوماً: «اغسلي وجه أسامة) هو ابن زيد بن حارثة بن شراحيل القضاعي حب رسول الله وابن حب رسول الله، **(فجعلت أغسله وأنا أنفة)** يقال: أنف من كذا إذا استكبر أو استحيى وفي نسخة وأنا أتقيه أي أتحذره، **(فضرب بيدي ثم أخذه فغسل وجهه ثم قبّله، ثم قال: قد أحسن بنا إذ لم يكن جارية»)** قال العراقي: لم أجده هكذا ولأحمد من حديث عائشة أن أسامة عثر بعتبة الباب فدمي فجعل النبي ﷺ يمصه ويقول: «لو كان أسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتى أنفقها» وإسناده صحيح اهـ.

قلت: ما أورده المصنف نقله الذهبي في ترجمة أسامة في كتابه سير النبلاء عن مجالد عن الشعبي عن عائشة بلفظ أتم منه، فدل على أن للحديث أصلاً. هكذا وجدته بهامش المغني، وبخط الحافظ ابن حجر أخرجه ابن سعد من الوجه الذي أخرجه أحمد وزاد فقال: «يا عائشة أميطي عنه فتقذرته» اهـ.

قلت: وكذلك رواه من هذا الوجه ابن أبي شيبة في المصنف وابن ماجه والبيهقي.

(وأقبل الحسن) بن علي رضي الله عنهما، وفي نسخة: دخل الحسن وفي أخرى: الحسين **(يتعثر)** وفي أخرى: تعثر الحسن **(وهو على منبره ﷺ)** وفي نسخة: والنبي ﷺ على منبره **(فنزل)** عن المنبر، **(فحمله وقرأ قول الله تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾)** قال العراقي: رواه أصحاب السنن من حديث بريدة في الحسن والحسين معاً يمشيان ويعثران. قال الترمذي: حسن غريب.

(وقال عبدالله بن شداد) بن الهاد بن عمرو بن جابر بن بشر بن عتوارة الليثي أبو الوليد المدني وأمه سلمى بنت عميس الخثعمية أخت أسماء، وهو وعبدالله بن عباس، وخالد بن الوليد، وعبدالله بن جعفر أولاد الخالة من كبار التابعين وثقاتهم فقد يوم دجيل روى له الجماعة، **(بينما رسول الله ﷺ يصلي بالناس إذ جاءه الحسين)** بن علي رضي الله عنهما، **(فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فلما قضى)** ﷺ **(صلاته قالوا: قد أطلت السجود حتى ظننا أنه قد حدث أمر فقال)**: كل ذلك لم يكن **(«إن ابني)** كان **(قد ارتحلني)** أي ركبني كما تركب الراحلة **(فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»)** قال

وفي ذلك فوائد إحداها: القرب من الله تعالى فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى إذا كان ساجداً، وفيه الرفق بالولد والبر وتعليم لأمته. وقال ﷺ: «ريح الولد من ريح الجنة». وقال يزيد بن معاوية: أرسل أبي إلى الأحنف بن قيس فلما وصل إليه قال له: يا أبا بحر ما تقول في الولد؟ قال: يا أمير المؤمنين، ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فاعطهم، وإن غضبوا فارضهم، يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلاً ثقيلاً، فيملوا حياتك ويودوا وفاتك ويكرهوا قربك، فقال له معاوية: لله أنت يا أحنف لقد دخلت عليَّ وأنا

العراقي: رواه النسائي من حديث عبدالله بن شداد عن أبيه وقال: فيه الحسن أو الحسين على الشك، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

قلت: ورواه أيضاً أحمد والبغوي والطبراني في الكبير والضياء عنه عن أبيه أن النبي ﷺ صلى فسجد فركبه الحسن فأطال السجود، فقالوا: يا رسول الله سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك فقال: كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني والباقي سواء قال البغوي: وليس لشداد مسند غيره وقد ظهر بما تقدم أن هذا من مسند شداد لا ابنه عبدالله فتعين أن يزاد عن أبيه.

(**وقال ﷺ: «ريح الولد من ريح الجنة»**) أي تشم منه رائحة الجنة لا تشبه بروائح الدنيا، ومنه الخبر «الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة» ومنه قيل لعلي رضي الله عنه: «أبا الريحانتين». قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط والصغير وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وفيه مندل بن علي ضعيف اهـ.

قلت: ورواه البيهقي أيضاً في الشعب من هذا الطريق وفي الأوسط شيخ الطبراني محمد بن عثمان بن سعيد ضعيف أيضاً.

(**وقال يزيد بن معاوية**) يكني أبا خالد ولي الخلافة سنة ستين ومات سنة أربع وستين ولم يكمل الأربعين، وليس بأهل أن يروى عنه له ذكر في مراسيل أبي داود. (**أرسل معاوية**) بن أبي سفيان الأموي يعني والده رضي الله عنه (**إلى الأحنف بن قيس**) التميمي رضي الله عنه يكنى أبا بحر، (**فلما صار إليه قال**) له معاوية: (**يا أبا بحر ما تقول في الولد**) أي في منزلته من أبيه؟ قال: يا أمير المؤمنين (**ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة**) أي منقادة (**وسماء ظليلة**) أي مظللة (**وبهم نصول**) أي نحمل (**على كل جليلة فإن طلبوا**) مالاً (**فأعطهم وإن غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم**) أي حبهم وميلهم (**ويحبوك جهدهم**) أي على قدر طاقتهم، (**ولا تكن عليهم ثقلاً**) وفي نسخة قفلاً أي لا تقفل عنهم باب العطاء، (**فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال معاوية: لله أنت يا أحنف لقد دخلت**

مملوء غضباً وغيظاً على يزيد، فلما خرج الأحنف من عنده رضي عن يزيد وبعث إليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب، فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقاسمه إياها على الشطر.

فهذه هي الأخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما تعرف مما ذكرناه في حق الأخوة، فإن هذه الرابطة آكد من الأخوّة بل يزيد ههنا أمران.

أحدهما: أن أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات وإن لم تجب في الحرام المحض حتى إذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام، فعليك أن تأكل معهما، لأن ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم. وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافلة إلا بإذنهما، والمبادرة إلى الحج الذي هو فرض الإسلام نفل لأنه على التأخير، والخروج لطلب العلم نفل إلا إذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك، وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الإسلام فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين.

عليَّ وأنا مملوء غيظاً وغضباً على يزيد) لأنه كان وجد عليه في شيء أنكر عليه ذلك، (**فلما خرج الأحنف من عنده رضي**) معاوية (**عن يزيد**) وليته لم يرض عنه لما كان منه من سفك الدماء وتخريب الأرض، ولو لم يكن في صحيفة أعماله إلا واقعة الحرة لكفته، ولكن كان ذلك في الكتاب مسطوراً وكان أمر الله قدراً مقدوراً. (**وبعث إليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فأرسل يزيد إلى الأحنف**) منها (**بمائة ألف درهم ومائة ثوب قاسمه إياها على الشطر**) أي على النصف.

(**فهذه هي الأخبار الدالة على تأكد حق الوالدين وكيفية القيام بحقهما تعرف بما ذكرناه في حق الأخوة فإن هذه الرابطة آكد من**) رابطة (**الأخوّة بل يزيد ههنا أمران: أحدهما: أن أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات وإن لم تجب في الحرام المحض حتى إذا كانا لا ينعمان**) وفي نسخة ينغصان (**بانفرادك عنهما بالطعام، فعليك أن تأكل معهما لأن ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم**) واجب، (**وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافلة إلا بإذنهما والمبادرة إلى الحج الذي هو فرض الإسلام نفل لأنه**) مأمور به (**على التأخير**) والتراخي لا على الفور وفيه خلاف نقل في كتاب الحج، (**والخروج لطلب العلم نفل إلا إذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم، ولم يكن في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلدة ليس فيها من يعلمه شرع الإسلام، فعليه الهجرة ولا يتقيد بحق الوالدين**) . ونقل بعض أصحابنا ممن تأخر عصره في كتابه: (مرشد المتأمل) ما

....

لفظه: كل ما لا تأمن من الهلاك مع جهله فطلب علمه فرض عين لا يسوغ لك تركه وإن منعك أبواك عن طلبه سواء كان من الأمور الإعتقادية كمعرفة الصانع وصفاته، وما يجب له وما يستحيل عليه، وما يجوز وأن محمداً عبده ورسوله الصادق في أفعاله وأقواله، ومن الطاعات التي تتعلق بالظاهر كالطهارة والصلاة والصيام وغيرها وما يتعلق بالباطن كالنية والإخلاص والتوكل والصبر والشكر وغيرها، أو من المعاصي مما يتعلق باللسان كشرب الخمر وأكل الحرام والربا وغير ذلك أو بالفرج كالزنا أو باليد كالسرقة، وما يتعلق منها بالباطن كالحسد والكبر والرياء وسوء الظن وغير ذلك، فإن معرفة هذه الأشياء فرض عين ويجب عليه طلبها وإن لم يأذن له أبواه، وأما ما سوى ذلك من العلوم فقيل: لا يجوز له الخروج لطلبه إلا بإذنهما وكذلك لا يجوز طلب قراءة القرآن إلا بإذنهما إلا مقدار ما لا تجوز الصلاة بدونه، وقيل: لا بأس بالسفر على قصد التعلم إذا كان الطريق آمناً وإن كره الوالدان أو أحدهما لأن الغالب فيه السلامة والحزن على الغيبة ينقطع بالطمع على الرجوع، وعلى هذا سفر الحج والتجارة بخلاف الجهاد، فإنه تعريض النفس على الهلاك، وفيه إلحاق المشقة بهما فإذا خرج بغير إذنهما يكون عاقاً وبر الوالدين أحب من الجهاد وغيره اهـ.

ووجدت بخط قاضي القضاة تاج الدين بن السبكي ما نصه: مسألة الذي أراه في بر الوالدين وتحريم عقوقهما أنه تجب طاعتهما في كل ما ليس بمعصية ويشتركان في هذا هما والإمام أعني الخليفة وولي الأمر لقوله ﷺ: «اسمع وأطع ما لم تؤمر بمعصية» ويزيد الوالدان على الإمام بشيء آخر وهو أنهما قد يتأذيان من فعل أو قول يصدر من الولد، وإن لم ينهياه عنه فيحرم عليه ذلك لأنه يحرم عليه كل ما يؤذيهما بخلاف الإمام، وكذلك إذا تأذيا بترك قول أو ترك فعل منه وجب عليه فعل أرضاهما، وإن لم يأمراه به، وإذا أمراه بترك سنة أو مباح أو بفعل مكروه، فالذي أراه تفصيل وهو أنه إن أمراه بترك سننه دائماً فلا يسمع منهما لأن في ذلك تغيير الشرع وتغيير الشرع حرام وليس لهما فيه غرض صحيح، فهما المؤذيان لأنفسهما بأمرهما بذلك، وأما إن أمراه بترك سننه في بعض الأوقات فإن كانت غير راتبة وجبت طاعتهما وإن كانت راتبة فإن كان لمصلحة لهما وجبت طاعتهما وإن كانت شفقة عليه ولم يحصل لهما أذى بفعلها، فالأمر منهما في ذلك محمول على الندب لا على الإيجاب فلا تجب طاعتهما فإن علم من حالهما أنه أمر إيجاب وجبت طاعتهما، وما في البخاري من أن أمه إن نهته عن حضور العشاء في جماعة شفقة لم يطعها. إما أن يحمل على عدم الإيجاب لقوله شفقة وإما أن يحمل على أن المراد على الدوام لما قلناه من تغيير الشرع وتغيير الشرع حرام، وإن كان ماله أو مسكنه حلالاً صافياً عن الشبهة وأمراه أن يأكل أو يسكن معهما وفيما يأكلانه أو يسكنانه شبهة وجبت طاعتهما كما قاله الطرطوشي لأن مخالفتهما حرام والورع ليس بواجب وأن نهياه عن الصلاة في أول الوقت فإن كان على الدوام لم يسمع منهما لأن فيه تغيير الشرع وإن كان في وقت وجبت طاعتهما كما قاله الطرطوشي، وهو دون حضور الجماعة والسنن الراتبة لأنه صفة لا مستقل، وحاصله أنه يجب امتثال أمرهما والانتهاء عن نهيهما ما لم تكن معصية

قال أبو سعيد الخدري: هاجر رجل إلى رسول الله ﷺ من اليمن وأراد الجهاد فقال عليه الصلاة والسلام: « هل باليمن أبواك »؟ قال: نعم. قال: « هل أذنا لك »؟ قال: لا. فقال عليه الصلاة والسلام: « فارجع إلى أبويك فاستأذنهما فإن فعلا فجاهد وإلاّ فبرّهما ما استطعت فإن ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد ». وجاء آخر إليه ﷺ ليستشيره في الغزو فقال: « ألك والدة »؟ قال: نعم. قال: « فالزمها فإن الجنة عند رجليها ». وجاء آخر يطلب البيعة على الهجرة وقال: ما جئتك حتى أبكيت والديّ فقال:

على الإطلاق، وإنما تكون معصية إذا كان فيه مخالفة لأمر الله الواجب أو لشرعه المقرر، وفي هذا هما والإمام سواء ويزيد فيهما تحريم ما يؤذيهما بأي شيء كان وإن كان مباحاً وبوجوب طاعتهما، وإن كان يأمران به لحظ أنفسهما بخلاف الإمام فإنه لا يأمر ـ إلا بما فيه مصلحة المسلمين ولا تجب طاعته ـ في حق نفسه، ولا يحرم أذاه بمباح، والوالدان يحرم أذاهما هيناً كان الأذى أو ليس بهين خلافاً لمن شرط في تحريم الأذى أن يكون ليس بالهين، فأقول: يحرم إيذاهما مطلقاً إلا أن يكون إيذاهما بما هو حق واجب لله فحق الله أولى فعلي ما قلته لو أمراه بطلاق امرأته ونحوه وجب عليه طاعتهما هذا الذي اعتقده وأرجو أنه حق إن شاء الله تعالى والله أعلم.

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه **(هاجر رجل إلى رسول الله ﷺ من اليمن وأراد الجهاد)** في سبيل الله **(فقال)** له (ﷺ : **« هل باليمن أبواك »؟ قال: نعم. قال: « فهل أذنا لك)** في الخروج »؟. **(فقال: لا. فقال ﷺ : « فارجع إلى أبويك فاستأذنهما فإن فعلا فجاهد وإلاّ فبرهما ما استطعت فإن ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد »)** قال العراقي: رواه أحمد وابن حبان دون قوله ما استطعت إلخ اهـ.

قلت: وروى أحمد والشيخان، وأبو داود، والترمذي، والنسائي من حديث عبدالله بن عمرو قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال: « أحي والداك ». قال: نعم. قال: « ففيهما فجاهد » ورواه أيضاً الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر.

(وجاء) رجل **(آخر إلى النبي ﷺ يستشيره في الغزو فقال: « ألك والدة »؟. فقال: نعم. قال: « فالزمها فإن الجنة عند رجليها »)** وفي نسخة عند قدميها. قال العراقي: رواه النسائي وابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن جاهمة: إن جاهمة أتى النبي ﷺ قال الحاكم: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: ورواه القضاعي في مسند الشهاب، والخطيب في الجامع من حديث أنس بلفظ « الجنة تحت أقدام الأمهات » وإسناده ضعيف وفيه من لا يعرف وعزاه بعضهم إلى مسلم من حديث النعمان بن بشير.

(وجاء) رجل **(آخر)** إلى النبي ﷺ **(يطلب البيعة على الهجرة وقال: ما جئتك حتى**

« ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما ». وقال ﷺ: « حق كبير الأخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده ». وقال عليه الصلاة والسلام: « إذا استصعبت على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذّن في أذنه ».

حقوق المملوك:

اعلم أن ملك النكاح قد سبقت حقوقه في آداب النكاح فأما ملك اليمين فهو أيضاً يقتضي حقوقاً في المعاشرة لا بدّ من مراعاتها، فقد كان من آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ أن قال: « اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فإن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم». وقال ﷺ: « للمملوك طعامه

أبكيت والدي. قال: « ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما ») قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة والحاكم من حديث عبدالله بن عمرو، وقال: صحيح الإسناد.

(وقال ﷺ: « حق كبير الأخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده ») أي في وجوب احترامه وتعظيمه وتوقيره وعدم مخالفته ما يشير به ويرتضيه. قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة. ورواه أبو داود في المراسيل من رواية سعيد بن عمرو بن العاص مرسلاً، ووصله صاحب مسند الفردوس فقال: عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاصي عن أبيه عن جده سعيد بن العاصي وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحاكم في التاريخ والخطيب في التاريخ أيضاً، وأبو الشيخ في الثواب أيضاً مسنداً مرفوعاً.

(وقال ﷺ: « إذا استصعب على أحدكم دابته أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته فليؤذن في أذنه ») قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث الحسين بن علي بن أبي طالب بسند ضعيف نحوه.

حق المملوك:

بملك اليمين **(اعلم أن ملك النكاح قد سبقت حقوقه في آداب النكاح فأما ملك اليمين فهو أيضاً يقتضي حقوقاً في المعاشرة لا بدّ من مراعاتها، فقد كان آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ أن قال: « اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا خلق الله فإن الله تعالى ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم »)** قال العراقي: هو مفرق في عدة أحاديث، فروى أبو داود من حديث علي كان آخر كلام رسول الله ﷺ: « الصلاة

وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق ». وقال عليه الصلاة والسلام: « لا

الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم » وفي الصحيحين من حديث أنس كان آخر وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت « الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم » ولهما من حديث أبي ذر: « أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم » لفظ رواية لمسلم وفي رواية لأبي داود: « من لايمكم من مملوكيكم فأطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون، ومن لم يلايمكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله تعالى » وإسناده صحيح اهـ.

قلت: حديث علي أخرجه كذلك ابن ماجه، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد بلفظ: « اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم » وروى الخطيب من حديث أم سلمة: « اتقوا الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم » ورواه البيهقي في الشعب من حديث أنس: « اتقوا الله في الصلاة ـ ثلاث مرات وذكر في الرابعة ـ اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم ».

وأما حديث أبي ذر في المتفق عليه، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن واصل الأحدب، عن المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال: إني سابيت رجلاً فعيرته بأمه فقال لي النبي ﷺ: « يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم » هكذا أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، وفي العتق عن آدم عن شعبة عن واصل، وفي الأدب عن عمرو بن حفص بن غياث عن أبيه.

وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان والنذور، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن أحمد بن يونس، عن زهير وعن أبي بكر عن أبي معاوية عن إسحاق بن يوسف عن عيسى بن يونس كلهم عن الأعمش، وعن أبي موسى وبندار عن غندر عن شعبة عن واصل كلاهما عن المعرور. ولفظ أبي داود: رأيت أبا ذر بالربذة وعليه برد غليظ وعلى غلامه مثله قال: فقال القوم يا أبا ذر فساق الحديث، وفيه: « إنهم اخوانكم فضلكم الله عليهم فمن لم يلائمكم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله » وفي رواية له سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اخوانكم جعلهم الله في أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه » وفي رواية له: « من لايمكم » إلخ كما ساقه العراقي، وهذه قد أخرجها أيضاً أحمد والبيهقي، وروى ابن ماجه من حديث أبي بكر رضي الله عنه: « مملوكك يكفيك فإذا صلى فهو أخوك فأكرموهم كرامة أولادكم وأطعموهم مما تأكلون ».

١ **وقال ﷺ: « للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق »)**
وفي رواية إلا ما يطيق. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: رواه أيضاً عبد الرزاق وأحمد بدون قوله بالمعروف، وكذا ابن حبان بزيادة: « فإن

يدخل الجنة خب ولا متكبر ولا خائن ولا سيء الملكة ». وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كم نعفو عن الخادم؟ فصمت عنه رسول الله ﷺ، ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة، وكان عمر رضي الله عنه يذهب إلى العوالي في كل يوم سبت فإذا وجد عبداً في عمل لا يطيقه وضع عنه منه. ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى رجلاً على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال

كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا عباد الله خلقاً أمثالكم» وقد رواه البيهقي في الشعب بلفظ المصنف.

(**وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة خب**) الخب: بالكسر الخداع ورجل خب بالفتح تسمية بالمصدر (**ولا مكر**) ككتف أي صاحب مكر ويحتمل أن يكون بفتح فسكون تسمية بالمصدر كما في خب (**ولا خائن**) أي صاحب خيانة (**ولا سيء الملكة**») الذي يسيء السيرة مع من يملكه. قال العراقي: رواه أحمد مجموعاً والترمذي مفرقاً وابن ماجه مقتصراً على سيء الملكة من حديث أبي بكر وليس عند أحد منهم مكر، وزاد أحمد والترمذي البخيل والمنان وهو ضعيف وحسن الترمذي أحد طرقه اهـ.

قلت: لفظ أحمد: «لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وأول من يقرع باب الجنة المملوكون إذا أحسنوا فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين مواليهم». وفي رواية له: «لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا منان ولا سيء الملكة، وأول من يدخل الجنة المملوك إذا أطاع الله وأطاع سيده» وهذا اللفظ رواه الخرائطي في مساوىء الأخلاق من حديث أنس، وعند الخطيب في كتاب البخلاء وابن عساكر من حديث أبي بكر: «لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان ولا منافق ولا سيء الملكة وأن أول من يقرع باب الجنة المملوك والمملوكة فاتقوا الله وأحسنوا فيما بينكم وبين الله وفيما بينكم وبين مواليكم». وروى الطيالسي من حديث أبي بكر: «لا يدخل الجنة خب ولا خائن» ولفظ ابن ماجه: «لا يدخل الجنة سيء الملكة»، قد رواه كذلك الطيالسي والترمذي وقال: حسن غريب والدارقطني في الافراد.

(**وقال عبدالله بن عمر**) رضي الله عنه: (**جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت**) أي سكت (**عنه رسول الله ﷺ، ثم قال: «اعف عنه كل يوم سبعين مرة»**) قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وقال حسن غريب. (**وكان عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه يذهب إلى العوالي**) موضع قرب المدينة به نخيل وزراعة كأنه جمع عالية (**كل يوم سبت فإذا وجد عبداً في عمل لا يطيقه وضع عنه منه**) أي خففه عليه بأن يعينه بنفسه في عمله وقد بقيت هذه السنّة إلى الآن عند أهل المدينة، فإنهم يذهبون إلى العوالي في كل سبت. (**ويروى عن أبي هريرة**) رضي الله عنه (**أنه رأى رجلاً على دابة وغلامه يسعى خلفه فقال له يا عبدالله احمله**) أي اركبه خلفك، (**فإنما هو أخوك روحه**

له: يا عبدالله احمله خلفك فإنما هو أخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال: لا يزال العبد يزداد من الله بعداً ما مشى خلفه. وقالت جارية لأبي الدرداء: إني سمعتك منذ سنة فما عمل فيك شيئاً. فقال: لم فعلت ذلك؟ فقالت: أردت الراحة منك. فقال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله. وقال الزهري: متى قلت للمملوك أخزاك الله فهو حر. وقيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم، قيل: فما بلغ من حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ أتته خادمة له بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات، فدهشت الجارية فقال: ليس يسكن روع هذه الجارية إلا العتق، فقال لها: أنت حرة لا بأس عليك. وكان عون بن عبدالله إذا عصاه غلامه قال: ما أشبهك بمولاك؟ مولاك يعصي مولاه وأنت تعصي مولاك، فاغضبه يوماً فقال: إنما تريد أن أضربك اذهب فأنت حر. وكان عند ميمون بن مهران ضيف فاستعجل على

مثل روحك فحمله) خلفه، **(ثم قال)** أبو هريرة: **(لا يزال العبد يزداد من الله عز وجل بعداً ما مشى خلفه)** وقد روي نحوه في المرفوع. وقال أبو نعيم في الحلية بسنده إلى سليمان بن عنز قال: لقينا كريب بن ابراهة راكباً ووراءه غلام له فقال: سمعت أبا الدرداء يقول: لا يزال العبد يزيد من الله بعداً كلما مشى خلفه. **(وقالت جارية لأبي الدرداء)** رضي الله عنه **(إني سمعتك منذ سنة)** إما في طعام أو شراب **(وما عمل فيك شيئاً)** أي لم يؤثر فيك، **(فقال: لِمَ فعلت ذلك؟ قالت: أردت الراحة منك. فقال)** لها: **(اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى. وقال)** أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب **(الزهري)** رحمه الله تعالى: **(متى قلت للمملوك أخزاك الله فهو حر)** أي مكافأته أن يعتقه في سبيل الله تعالى. **(وقيل للأحنف بن قيس)** التميمي رضي الله عنه وكان أحلم الناس حتى ضرب المثل بحلمه: **(ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم)** بن سنان بن خالد المنقري صحابي مشهور بالحلم نزل البصرة رضي الله عنه، روى له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي والنسائي. **(قيل له: فما بلغ من حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ أتته خادم له)** أي جارية **(بسفود)** كتنور جمعه سفافيد **(عليه شواء)** أي لحم مشوي **(فسقط السفود من يدها على ابن له)** صغير **(فعقره)** أي قتله **(فمات فدهشت الجارية)** أي أصابها الدهش أي الحيرة **(فقال)** قيس في نفسه: **(ليس يسكن فزع هذه الجارية إلا العتق)** فقال لها: **(أنت حرة)** لوجه الله **(لا بأس عليك. وكان عون بن عبدالله)** بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبدالله الكوفي الزاهد. قال أحمد وابن معين والعجلي والنسائي ثقة وكان ملازماً لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة، روى له الجماعة إلا البخاري **(إذا عصاه غلامه قال)** له **(ما أشبهك بمولاك مولاك يعصي مولاه)** يعني به نفسه يعصي الله تعالى **(وأنت تعصي مولاك)** ولا يزيد على هذا، **(فأغضبه يوماً)** بمخالفته أمراً من أوامره **(فقال: إنما تريد أن أضربك إذهب فأنت حر)** ولم يضربه، فهذا وأمثاله من الرفق بالمماليك.

جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة فعثرت وأراقتها على رأس سيدها ميمون، فقال: يا جارية أحرقتيني. قالت: يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع إلى ما قال الله تعالى. قال: وما قال الله تعالى؟ قالت: قال: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ [آل عمران: ١٣٤] قال: قد كظمت غيظي. قالت: ﴿والعافين عن الناس﴾ [آل عمران: ١٣٤] قال: قد عفوت عنك قالت: زد فإن الله تعالى يقول: ﴿والله يحب المحسنين﴾ قال: أنت حرة لوجه الله. وقال ابن المنكدر: إن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ضرب عبداً له فجعل العبد يقول: أسألك بالله أسألك بوجه الله فلم يعفه، فسمع رسول الله ﷺ صياح العبد فانطلق إليه فلما رأى رسول الله ﷺ أمسك يده فقال رسول الله: «سألك بوجه الله فلم تعفه فلما رأيتني أمسكت يدك». قال: فإنه حر لوجه الله يا رسول الله. فقال: «لو لم تفعل لسفعت وجهك النار». وقال ﷺ:

(**وكان عند ميمون بن مهران**) أبي أيوب الجزري كاتب عمر بن عبد العزيز تقدم ذكره مراراً (**ضيف فاستعجل جاريته بالعشاء**) تقدمه للضيف (**فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة**) من الثريد، (**فعثرت**) في ذيلها (**وأراقتها على رأس سيدها ميمون فقال: يا جارية أحرقتيني! قالت: يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع إلى ما قال الله تعالى. قال**) لها: (**وما قال الله تعالى؟ قالت: قال: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ قال: قد كظمت غيظي**) أي كففته (**قالت: ﴿والعافين عن الناس﴾ قال قد عفوت عنك. قالت: زد فإن الله عز وجل يقول: ﴿والله يحب المحسنين﴾ قال: أنت حرة لوجه الله. وقال**) محمد (**ابن المنكدر**) بن عبدالله بن الهدير التيمي أبو عبدالله، ويقال أبو بكر القرشي المدني تابعي ثقة روى له الجماعة مات سنة ثلاثين ومائة: (**أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ضرب عبداً له فجعل العبد يقول أسألك بالله أسألك بالله**) مرتين (**أسألك بوجه الله**) قال: (**فسمع رسول الله ﷺ صياح العبد فانطلق إليه، فلما رأى رسول الله ﷺ أمسك يده**) عن ضربه، (**فقال ﷺ: «سألك بوجه الله تعالى فلم تعفه فلما رأيتني أمسكت يدك» قال فإنه حر لوجه الله تعالى يا رسول الله، فقال: «لو لم تفعل لسفعت وجهك النار»**) قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد هكذا مرسلاً وفي رواية مرسلاً وفي رواية لمسلم في حديث أبي مسعود الآتي ذكره فجعل يقول أعوذ بالله قال فجعل يضربه، فقال أعوذ برسول الله فتركه. وفي رواية له فقلت: هو حر لوجه الله، فقال: «أما إنك لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار» اهـ.

(**وقال ﷺ**): «أن (**العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله تعالى فله أجره مرتين»**) قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: أخرجاه من طريق مالك عن الزهري، عن نافع عنه، وأخرجه أبو داود أيضاً من هذا

« العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فلـه أجـره مـرتين ». ولما أعتـق أبـو رافـع

الوجه، وأخرجاه أيضاً من طريق عبيد الله بن عمر، ومسلم وحده من طريق أسامة بن زيد ثلاثتهم عن نافع عنه، وروى مسلم من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ « إذا أدى العبد حق الله وحق مواليه كان له أجران » فقال: فحدثتها كعباً فقال كعب: ليس عليه حساب ولا على مؤمن مزهد.

وروى الشيخان من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً « للعبد المملـوك الصالح أجران » قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر أمي لأحببت أن أموت وأنا مملوك هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم المصلح، وعند البخاري من رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً نعماً لأحدهم يحسن عبادة الله وينصح لسيده ».

إن قلت: قوله فله أجره مرتين يفهم أنه يؤجر على العمل الواحد مرتين مع أنه لا يؤجر على كل عمل إلا مرة واحدة لأنه يأتي بعملين مختلفين عبادة الله ونصح سيده فيؤجر على كل من العملين مرة، وكذا كل آت بطاعتين يؤجر على كل واحدة أجرها، ولا خصوصية للعبد بذلك؟ قلت: يحتمل وجهين.

أحدهما: لما كان جنس العمل مختلفاً لأن أحدهما طاعة الله والآخر طاعة مخلوق خصه بحصول أجره مرتين لأنه يحصل له الثواب على عمل لا يأتي في حق غيره بخلاف من لا يتأتى في حقه إلا طاعة الله خاصة فإنه يحصل أجره مرة واحدة أي على كل عمل أجر وأعماله من جنس واحد، لكن يظهر مشاركة المطيع لأميره، والمرأة لزوجها والولد لوالده له في ذلك.

ثانيهما: يمكن أن يكون في العمل الواحد طاعة الله وطاعـة سيـده فيتحصـل لـه على العمـل الواحـد الأجـر مرتين لامتثاله بذلك أمر الله وأمر سيده المأمور بطاعته. وقال ابن عبد البر: معنى الحديث عندي والله أعلم أن العبد لما اجتمع عليه أمران واجبان طاعة سيده في المعروف وطاعة ربه فقام بهما جميعاً كان له ضعفا أجر الحر المطيع لربه مثل طاعته، لأنه قد أطاع الله فيما أمره به من طاعة سيده ونصحه وأطاعه أيضاً فيما افترض عليه، ومن هذا المعنى عندي أنه من اجتمع عليه فرضان فأداهما كان أفضل ممن ليس عليه إلا فرض واحد، فأداه، فمن وجبت عليه زكاة وصلاة فقام بهما فله أجران، ومن لم تجب عليه زكاة وأدى صلاته فله أجر واحد، وعلى هذا يعصي من اجتمعت عليه فروض فلم يؤد شيئاً منها وعصيانه أكثر من عصيان من لم تجب عليه إلا بعض تلك الفروض، والله أعلم.

(ولما أعتق أبو رافع بكى وقال: كان لي أجران فذهب أحدهما) هو أبو رافع القبلي مولى رسول الله ﷺ يقال: اسمه إبراهيم ويقال: أسلم ويقال: ثابت ويقال: هرمز، ويقال: يزيد وهذه غريبة. وحكاها ابن الجوزي في كتابه جامع المسانيد. كان عبداً للعباس بن عبد المطلب،

بكى وقال: كان لي أجران فذهب أحدهما. وقال ﷺ: «عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار. فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة ربه ونصح لسيده وعفيف متعفف ذو عيال، وأول ثلاثة يدخلون النار أمير مسلط وذو ثروة لا يعطي حق الله وفقير فخور». وعن أبي مسعود الأنصاري قال: بينا أنا أضرب غلاماً لي إذ سمعت صوتاً من خلفي «اعلم يا أبا مسعود» مرتين فالتفت فإذا

فوهبه للنبي ﷺ، فلما بشره بإسلام العباس أعتقه، شهد أحداً وما بعده ولم يشهد بدراً وكان إسلامه قبل بدر. قال الواقدي مات بالمدينة بعد قتل عثمان بيسير روى له الجماعة.

(**وقال ﷺ «عرض علي أول ثلاثة**) قال الطيبي: إضافة أفعل إلى النكرة للاستغراق، وإن أول كل ثلاثة ثلاثة من الداخلين في الجنة هؤلاء الثلاثة، وأما تقدم أحد الثلاثة على الآخرين فليس في اللفظ إلا التنسيق عند علماء البيان، وفي رواية بدل ثلاثة ثلة بضم المثلثة وتشديد اللام أي جماعة (**يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك أحسن عبادة الله**) وفي رواية عبادة ربه (**ونصح لسيده**) أي أراد له الخير وقام بخدمته حق القيام (**وعفيف**) عن تعاطي ما لا يحل له (**متعفف**) عن سؤال الناس (**ذو عيال، وأول ثلاثة يدخلون النار أمير**) وفي رواية وأما أول فأمير (**مسلط**) على رعيته بالجور والفسق، (**وذو ثروة**) أي وفرة من مال (**لا يعطي حق الله**) في ماله، (**وفقير فخور**) أي متكبر، قال الطيبي: أطلق الشهادة وقيد العفة والعبادة ليشعر بأن مطلق الشهادة أفضل منهما، فكيف إذا قرن بإخلاص. ونصح والوجه استغناء الشهادة عن التقييد إذ شرطها الإخلاص والنصح والخصلتان مفتقرتان إليه فقيدهما وأطلقها اهـ.

قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن وابن حبان من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: الذي رواه الترمذي وحسنه لفظه «عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد وعفيف متعفف وعبد أحسن عبادة الله ونصح لمواليه» وأما سياق المصنف فرواه أحمد وابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي من طريق عامر العقيلي عن أبيه عن أبي هريرة، وعامر هذا ضعيف وفي لفظ لهؤلاء وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه.

(**وعن أبي مسعود**) عقبة بن عامر (**الأنصاري**) ويقال له البدري أيضاً لنزوله بدراً لا لشهوده إياها وهو عقبي سنا رضي الله عنه (**قال: بينا أنا أضرب غلاماً لي فسمعت صوتاً من خلفي اعلم**) بصيغة الأمر من علم (**أبا مسعود**) هكذا رواية مسلم وأبي داود وفي رواية: يا أبا مسعود (**مرتين**) أي قالها مرتين، (**فالتفت فإذا رسول الله ﷺ فألقيت السوط فقال: «والله لله**) وفي رواية والله إن الله، ورواية مسلم فقال: إن الله (**أقدر عليك منك على هذا**) الغلام، فقلت: هو حر لوجه الله تعالى، فقال: أما لو لم تفعل للفحتك النار»

رسول الله ﷺ فألقيت السوط من يدي فقال: « والله لله أقدر عليك منك على هذا ». وقال ﷺ : « إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الحلو فإنه أطيب لنفسه » رواه معاذ. وقال أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ : « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه وليأكل معه فإن لم يفعل فليناوله لقمة ». وفي رواية: « إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره ومؤنته وقربه إليه فليجلسه وليأكل معه، فإن لم يفعل فليناوله أو ليأخذ أكلة فليروغها ـ وأشار بيده ـ وليضعها في يده وليقل كل هذه ».

والمعنى أقدر عليك بالعقوبة من قدرتك على ضربه لكنه يحلم إذا غضب وأنت لا تقدر على الحلم إذا غضبت رواه مسلم وأبو داود وتمام في فوائده.

(وقال ﷺ « إذا ابتاع) أي اشترى **(أحدكم الخادم)** عبداً أو أمة **(فليكن أول شيء يطعمه الحلواء)** أي ما فيه حلاوة خلقية أو مصنوعة **(فإنه أطيب لنفسه »)** مع ما فيه من التفاؤل الحسن والأمر للندب **(رواه معاذ)** بن جبل رضي الله عنه أخرجه الطبراني في الأوسط والخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف قاله العراقي.

قلت: وعده ابن الجوزي في الموضوعات ولم يصب فقد روى نحو ذلك من حديث عائشة بلفظ « من ابتاع مملوكاً فليحمد الله وليكن أول ما يطعمه الحلو فإنه أطيب لنفسه » هكذا رواه ابن عدي وابن النجار وإسنادهما أيضاً ضعيف.

(وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « إذا أتى أحدكم خادمه) بالرفع وأحدكم منصوب به والخادم يطلق على الذكر والأنثى **(بطعامه)** حاملاً له **(فليجلسه)** معه ندباً **(وليأكل معه)** سلوكاً لسبيل التواضع، **(فإن لم يفعل)** وفي نسخة فإن أبى ذلك لعذر كان تعاف نفسه ذلك قهراً عليه ويخشى من إكراهها محذور أو كان الخادم يكره ذلك حياء منه أو تأدباً أو كونه أمرد يخشى من التهم في إجلاسه معه ونحو ذلك **(فليناوله »)** ندباً مؤكداً من ذلك الطعام شيئاً **(وفي رواية أخرى « إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه فكفاه حره ومؤنته)** بتحصيل الآلة من أوله إلى آخره **(وقربه إليه فليجلسه وليأكل معه)** كفايته مكافأة له على كفايته حره ومؤنته **(أو ليأخذ لقمة)** منه وفي نسخة أكلة **(فليروغها)** بالأدام أي يدسمها **(وأشار بيده فليضعها في يده وليقل)** له **(كل هذه »)** قال العراقي: متفق عليه مع اختلاف لفظه وهو في مكارم الأخلاق للخرائطي باللفظين اللذين ذكرهما المصنف غير أنه لم يذكر علاجه، وهذه اللفظة عند البخاري اهـ.

قلت: لفظ البخاري « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه قد كفاه علاجه فليجلسه معه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين » ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه نحو ذلك.

ودخل على سلمان رجل وهو يعجن فقال: يا أبا عبدالله ما هذا ؟ فقال: بعثنا الخادم في شغل فكرهنا أن نجمع عليه عملين. وقال ﷺ : « من كانت عنده جارية فصانها وأحسن إليها ثم اعتقها وتزوّجها فذلك له أجران » . وقد قال ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » .

فجملة حق المملوك أن يشركه في طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر

(**ودخل على**) أبي عبد الله (**سلمان**) الفارسي رضي الله عنه (**رجل**) فرآه (**وهو يعجن**) دقيقاً له (**فقال: يا أبا عبد الله، ما هذا؟ قال: بعثنا الخادم في شغل وكرهنا أن نجمع عليه عملين**) . قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله ابن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، ومحمد بن عبد الرحمن الطفاوي قالا : حدثنا أيوب عن أبي قلابة أن رجلاً دخل على سلمان وهو يعجن فقال: ما هذا قال بعثنا الخادم في عمل، أو قال في صنعة فكرهنا أن نجمع عليه عملين أو قال صنعتين، ثم قال فلان يقرئك السلام. قال: متى قدمت؟ قال: منذ كذا وكذا. قال: فقال أما إنك لو لم تؤدها كانت أمانة لم تؤدها.

(**وقال ﷺ « من كانت عنده جارية فعلمها**) وفي نسخة فعالها (**وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فذلك له أجران »**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: لفظها في الصحيح « ثلاثة يؤتون أجورهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق سيده فله أجران، ورجل كانت له أمة فغذاها فأحسن غذاءها ثم أدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » وهكذا رواه أيضاً أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه.

(**وقال ﷺ « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته »**) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس مقتصراً عليه، ورواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي من حديث ابن عمر بزيادة « فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ورواه بتمامه الخطيب من حديث عائشة والعقيلي والطبراني في الكبير من حديث أبي موسى.

(**فجملة حق المملوك أن يشركه في طعمته وكسوته**) أي ليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس، (**ولا يكلفه**) في مزاولة العمل (**فوق طاقته**) وإذا كلفه فليعنه بنفسه، (**ولا ينظر**

إليه بعين الكبر والازدراء وأن يعفو عن زلته ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته أو بجنايته في معاصيه وجنايته على حق الله تعالى وتقصيره في طاعته، مع أن قدرة الله عليه فوق قدرته. وروى فضالة بن عبيد أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة ورجل عصى إمامه فمات عاصياً فلا يسأل عنها، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنــة الدنيا فتبرجت بعده فلا يسأل عنها». و «ثلاثة لا يسأل عنهم رجل ينازع الله رداءه ورداؤه الكبرياء وازاره العز، ورجل في شك من الله، وقنوط من رحمة الله.

إليه بعين الكبر) والنعمة **(والازدراء)** أي الاحتقار، **(وأن يعفو عن زلته)** أي سقطته **(ويتفكر عند غضبه عليه بهفوته أو بجنايته في معاصيه وجنايته على حق الله وتقصيره في طاعته)** أي فليحمل ذلك عليه ويشبهه به، **(مع أن قدرة الله عز وجل عليه)** أي على نفس مولى العبد **(فوق قدرته)** عليه كما فهم ذلك من حديث أبي مسعود البدري السابق قريباً.

(وروى فضالة بن عبيد) بن نافذ بن قيس بن صهيبة بن الأصرم بن جحجبي، أبو محمد الأنصاري الأوسي الصحابي، وأمه غفوق بنت محمد بن عقبة بن أحيحة بن الحلاج بن الحريش ابن جحجبي، وكان عبيد بن نافذ يعني أباه شاعراً شهد فضالة أحداً وبايع تحت الشجرة وخرج إلى الشام وتولى القضاء بها لمعاوية فلم يزل بها حتى مات وله بها دار وولد. قال الواقدي: قدم رسول الله ﷺ المدينة، وهو ابن ست سنين ومات رسول الله ﷺ وهو ابن سبع عشرة سنة مات فضالة سنة ثلاث وخمسين **(أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يسأل عنهم)** أي فإنهم من الهالكين وفي رواية لا تسأل عنهم **(رجل فارق)** بقلبه واعتقاده ولسانه أو ببدنه ولسانه وخص الذكر بالذكر لشرفه وأصالته وغلبة دوران الأحكام عليه، فالأنثى مثله من حيث الحكم **(الجماعة)** المعهودين وهم جماعة المسلمين، **(ورجل عصى إمامه)** أي بنحو بدعة أو امتناع عن إقامة الحق عليه أو بنحو بغي أو حرابة أو صيال، **(ومات عاصياً)** فميتته ميتة جاهلية **(فلا يسأل عنها)** لحل دمائها **(وامرأة غاب عنها زوجها)** قريباً أو بعيداً **(وقد كفاها مؤنة الدنيا)** من نفقة وكسوة **(فتزوجت)** بعده وبخط بعض المتقنين فتبرجت أي تزينت **(فلا يسأل عنها»)** فإنه ذكره ثانياً هنا وفيما تقدم تأكيد للعلم ومزيد بيان الحكم رواه البخاري في الأدب المنفرد، وأبو يعلى والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي وصححه الحاكم وقال: على شرطهما ولا أعلم له علة، وأقره الذهبي في تلخيصه وقال: رجاله ثقات، لكن لفظهم جميعاً «ثلاثة لا تسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً وأمة أو عبد ابق من سيده فمات وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتزوجت بعده فلا تسأل عنهم».

(و) يروى عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: **(«ثلاثة لا يسأل عنهم رجل ينازع الله في ردائه ورداؤه الكبرياء وإزاره العظمة)** فمن تكبر من المخلوقين أو تعزز فقد نازع الخالق رداءه وإزاره الخاصين به فله في الدنيا الذل والصغار وفي الآخرة عذاب

تمّ كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق.

النار، (**ورجل في شك من الله عز وجل، والقنوط من الرحمة** ») أي اليأس منها إذ لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الكافرون. رواه البخاري في الأدب المفرد، وأبو يعلى والطبراني في الكبير. قال الهيثمي: رجاله ثقات ولفظهم « ثلاثة لا تسأل عنهم رجل ينازع الله إزاره ورجل ينازع الله رداءه فإن رداء الله الكبرياء وإزاره العز، ورجل في شك من أمر الله والقنوط من رحمة الله » وبه يظهر أنهما حديثان مستقلان، وراويهما واحد، واقتصر الحاكم على الأول دون الثاني وأن سياق المصنف في كل منهما لا يخلو من نقص وخلل.

وأخرج القضاعي في مسند الشهاب من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً « يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار » وقد رواه مسلم وابن حبان، وأبو داود وابن ماجه فلفظ ابن ماجه في جهنم ولفظ أبي داود قذفته في النار ولفظ مسلم عذبته وقال: رداؤه وإزاره بالغيبة، وزاد مع أبي هريرة أبا سعيد، ورواه الحاكم في مستدركه بلفظ قصمته، وللحكيم الترمذي من حديث أنس « يقول الله عز وجل إن العظمة والكبرياء والفخر ردائي فمن نازعني واحدة منهن كبيته في النار ». اللهم إنا نعوذ بك من النار ومن كيد الشرار والفجار.

وبه ختم المصنف كتاب الصحبة والألفة والأخوة والمعاشرة والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد أفضل المخلوقات، وعلى آله وصحبة وتابعيهم بإحسان إلى ما بعد الممات، قد نجز عن شرحه في مجالس آخرها ظهر يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رجب الفرد من شهور سنة ١١٩٩ جامعه العبد، أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله ذنوبه، وستر عيوبه بمنه وكرمه آمين والحمد لله رب العالمين، وسلام على المرسلين وأتباعهم أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً الله ناصر كل صابر

الحمد لله الذي عمر قلوب أحبائه المخلصين بما غمرها من أنوار المؤانسة، وحبب إليها التخلي عن كل ما سواه فلم يكدر صفو مشاربهم عارض الخلطة والمجالسة، وفرغها لقبول تنزلات أسرار أنسه، من تجليات فيوضات قدسه، فلم يكن للغير إليها سبيل إلى المؤانسة عرفهم فهاموا ونبههم فقاموا وأراهم حقارة الدنيا فصاموا وأشهدهم فلم يعيروا طرفهم إلى المخالسة، طووا كشحهم على الإخلاص وعزلوا نفوسهم عن دواعي التقاص. ورقوا إلى رتب القرب والاختصاص. وفي ذلك تمت لهم المنافسة، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أفضل نوع بني آدم سيدنا ومولانا محمد الذي كمله بمكارم أخلاقه، وجمله بحلى أوصافه وألطف لـه وآنسه، وعلى أهل بيته الكرام، وصحبه الأعلام، وكل تابع له على طريقته، ممن صاهره أو صاحبه أو خالله أو جالسه.

(أما بعد،) فهذا شرح

كتاب آداب العزلة وهو الكتاب السادس من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عظم النعمة على خيرة خلقه وصفوته بأن صرف هممهم إلى مؤانسته، وأجزل حظهم من التلذذ بمشاهدة آلائه وعظمته، وروح أسرارهم بمناجاته وملاطفته،

كتاب العزلة

وهو السادس من الربع الثاني من كتاب الإحياء للإمام ذي الفيض المتوالي والسر المتلالي حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي سقى الله بعهاد الرحمة ثراه، وجعل جنة الفردوس مسكنه ومأواه، سلكت فيه طريقاً سهلاً فتحت به عيون رموزه، ورفعت به رصد كنوزه متتبعاً مطاوي إشاراته مقتفياً على عباراته، على وجه ينتفع به المريد عند مطالعته، ويستفيد منه المسترشد وقت مراجعته ومن الله الكريم استمد العون والعناية إنه ولي كل خير وبيده أزمة التوفيق والهداية لا إله غيره ولا خير إلا خيره.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**بسم الله الرحمن الرحيم**) استعان بالله الجليل الذي ألف بين قلوب عباده وروحها بلذيذ أنسه ووداده الرحمن الذي عمت رحمته بجمع الشمل بعد التفرق والشتات الرحيم الذي خصهم بسير الملاطفة في الخلوات.

(**الحمد لله الذي عظم**) وفي نسخة أعظم والإعظام والتعظيم من واد واحد (**النعمة**) هي ما قصد به الإحسان والنفع وبناؤها بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجلسة وفي نسخة المنة وفي الأولى إشارة الى قوله تعالى: ﴿فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ [آل عمران: ١٠٣] (**على خير خلقه**) وفي نسخة على خيرة خلقه (**وصفوته**) بكسر الصاد وفتحها أي خلاصته من عباده (**بأن صرف هممهم**) أي عطفها والهمة قوة راسخة في النفس طالبة لمعالي الأمور (**إلى مؤانسته**) مفاعلة من الإنس قد أنس به واستأنس إذا سكن قلبه إليه ولم ينفر، وأشار بهذه الجملة إلى قوله تعالى ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ [الأنفال: ٦٣] وقد امتن على حبيبه ﷺ بهذا التأليف وجمع شمل الاشكال على معاونة معنوية مع رفع أعباء التكليف، (**وأجزل**) أي أكثر (**حظهم**) أي نصيبهم (**من التلذذ**

وحقر في قلوبهم النظر إلى متاع الدنيا وزهرتها حتى اغتبط بعزلته كل من طويت الحجب عن مجاري فكرته فاستأنس بمطالعة سبحات وجهه تعالى في خلوته، واستوحش بذلك عن الانس بالإنس وإن كان من أخص خاصته، والصلاة على سيدنا محمد سيد أنبيائه وخيرته وعلى آله وصحابته سادة الحق وأئمته.

أما بعد؛ فإن للناس اختلافاً كثيراً في العزلة والمخالطة وتفضيل إحداهما على الأخرى، مع أن كل واحدة منها لا تنفك عن غوائل تنفر عنها وفوائد تدعو إليها،

بمشاهدة آلائه) أي نعمه الظاهرة والباطنة **(وعظمته)** أي جلاله وكبريائه **(وروح أسرارهم)** هي ما انطوت عليها قلوبهم أي جعلها ذات راحة **(بمناجاته)** أي مكالمته السرية **(وملاطفته)** المعنوية **(وحقر في قلوبهم النظر)** أي التطلع **(إلى)** ظاهر **(زينة الدنيا)** مما يتراءى من بهجتها **(وزهرتها)** وفي نسخة إلى متاع الدنيا وزهرته، فالضمير راجع إلى المتاع وكأنه راعى بذلك تناسب القوافي أي جعل التطلع إليها حقيراً في قلوبهم لا في أعينهم إذ العمدة تحقيرها القلوب، ولذلك كان بعض العارفين يقول: اللهم اجعل حبها في أيدينا لا في قلوبنا أي لا تشغل بها قلوبنا، وأما تعظيمها في الأيدي والعيون فإنما هو من باب إعطاء كل ذي حظه **(حتى اغتبط بعزلته)** اسم من الاعتزال وهو تجنب السوى أو الخروج عن مخالطة الخلق بالانزواء والانقطاع والاغتباط بالشيء الإعجاب به **(كل من طويت الحجب)** أي أزيلت ورفعت **(عن مجاري فكرته)** أي ميادينها التي تجول فيها وتسترسل في أرجائها **(فاستأنس)** أي سكن **(بمطالعة)** أي مشاهدة **(سبحات وجهه تعالى)** بضمتين أي نوره وبهائه وجلاله وعظمته **(في خلوته)** أي في حال محادثة السر مع الحق حيث لا أحد، فالخلوة أعلى مقاماً من العزلة ومنهم من قال: الخلوة تكون من الأغيار والعزلة تكون من النفس وما تدعو إليه ويشغل عن الله فالخلوة كثيرة والعزلة قليلة، وإليه جنح صاحب العوارف والمعروف الأول فقد كان ﷺ أتم مقاماً وأحسن حالاً فقد حبب إليه الخلاء، **(واستوحش بذلك عن الأنس)** بالضم أي ميل الباطن **(بالإنس)** بالكسر وإن كان ذلك المستأنس به **(من أخص خاصته)** أي من أعظم من يختص بقربه **(والصلاة)** الكاملة **(على)** سيدنا ومولانا أبي القاسم **(محمد سيد أنبياء الله وخيرته)** منهم وسيادته عليهم ثبتت من عموم قوله ﷺ «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» رواه مسلم وأبو داود من حديث أبي هريرة، ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه بزيادة «ولا فخر» **(وعلى آله)** المشرفين بقرابته **(وصحبه)** المفضلين بحسن صحابته **(سادة الخلق)** أي رؤسائهم **(وأئمته)** الذين يقتدي بهم وسلم تسليماً.

(أما بعد: فإن للناس) المراد بهم العارفون بالله تعال من أهل السلوك في طريق الحق سبحانه **(اختلافاً كثيراً في)** شأن **(العزلة والمخالطة)** ما هما **(و)** في **(تفضيل أحدهما على الآخر)** فاختار بعضهم العزلة وفضلها وآخرون الخلطة وعظمها، **(مع أن كل واحد منها)**

وميل أكثر العباد والزهاد **إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة، وما ذكرناه في** كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة والمؤاخاة والمؤالفة **يكاد يناقض ما مال إليه الأكثرون** من اختيار الاستيحاش والخلوة، **فكشف الغطاء عن الحق في ذلك مهم. ويحصل ذلك** برسم بابين.

الباب الأول: في نقل المذاهب والحجج فيها.

الباب الثاني: في كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل.

عند التأمل (**لا ينفك عن غوائل**) أي دواه (**تنفر عنها**) وتوحش منها (**وفوائد تدعو إليها**) وتحمل عليها، (**وميل أكثر العباد**) المشتغلين بعبادة الله تعالى (**والزهاد**) المتقللين من الدنيا قديماً وحديثاً (**إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة**) لما وجدوا فيها من السلامة والاستئناس، (**وما ذكرناه**) آنفاً (**في كتاب الصحبة من فضيلة المخالطة**) مع الناس (**والمؤاخاة**) بينهم (**والمؤالفة**) معهم (**يكاد يناقض ما مال إليه الأكثرون**) من العباد والزهاد (**من اختيار الاستيحاش**) والانفراد، (**والخلوة**) عن الناس، (**فكشف الغطاء عن**) وجه (**الحق**) في ذلك أمر (**مهم**) يدعو إلى الاعتناء به (**ويحصل ذلك برسم بابين**) يضم أحكامها مما تشتت.

(**الباب الأول: في نقل المذاهب**) المعروفة (**و**) نقل (**الحجج**) والبراهين فيه.

(**الباب الثاني: في كشف الغطاء عن الحق بحصر الفوائد والغوائل**) وإراءة الطريق في كل منهما اختياراً وتركاً.

الباب الأوّل

في نقل المذاهب والأقاويل وذكر حجج الفريقين في ذلك

أما المذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين. فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة: سفيان الثوري، وابراهيم بن أدهم، وداود الطائي، وفضيل بن عياض، وسليمان الخواص، ويوسف بن أسباط، وحذيفة المرعشي، وبشر الحافي.

الباب الأول

في نقل المذاهب والأقاويل

جمع قول على خلاف القياس أو هو جمع الجمع **(وذكر حجج الفريقين في ذلك)**.

(أما المذاهب فقد اختلف الناس فيها وظهر هذا الاختلاف بين التابعين) ولفظ القوت: وقد كانت المؤاخاة في حق الله تعالى والصحبة لأجله والمحبة له في الحضر والسفر طرائق للعاملين في كل طريق فريق لما في ذلك من الفضل، ولما جاء فيه من الأمر والندب إذ كان الحب في الله عز وجل من أوثق عرى الإيمان، وكانت الألفة والصحبة والتزاور من أحسن أسباب المتقين، وقد كثرت الأخبار في تفضيل ذلك والحث عليه على أن رأي التابعين قد اختلف في التعرف، **(فذهب إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان)** بن سعيد **(الثوري، وإبراهيم بن أدهم)** البلخي، **(وداود)** بن نصير **(الطائي، والفضيل بن عياض)** التميمي، **(وسليمان الخواص، ويوسف بن أسباط)** الشيباني، **(وحذيفة)** بن قتادة **(المرعشي، وبشر)** بن الحرث **(الحافي رضي الله عنهم)**. وهؤلاء ليسوا من طبقة التابعين، وإنما وافق رأيهم رأي التابعين، ويدل لذلك سياق صاحب القوت فإنه قال، بعد قوله على أن رأي التابعين قد اختلف في التعرف فمنهم من كان يقول: اقلل من المعارف فإنه أسلم لدينك وأقل غداً لفضيحتك وأخف لسقوط الحق عنك لأنه يقال: كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وكلما طالت الصحبة توكدت المراعاة. وقال بعضهم: هل رأيت شراً إلا ممن تعرف فكل ما نقص من هذا فهو خير. وقال بعضهم: أنكر من تعرف ولا تتعرف إلى من لا تعرف، وممن مال إلى هذا الرأي سفيان الثوري ثم ساق ما ذكره المصنف إلى آخره ثم قال:

وقال أكثر التابعين: باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والاخوان والتآلف والتحبب إلى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاوناً على البر والتقوى ومال إلى هذا: سعيد بن المسيب، والشعبي، وابن أبي ليلى، وهشام بن عروة، وابن شبرمة، وشريح، وشريك بن عبدالله، وابن عيينة، وابن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وجماعة.

(**وقال أكثر التابعين: باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والإخوان**) في الله عز وجل (**للتآلف والتحبب إلى المؤمنين والاستعانة بهم في الدين تعاوناً على البر والتقوى**)، ولأن ذلك زين في الرخاء وعون في الشدائد، وتقدم قول بعضهم استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل في شفاعة أخيك إلى غير ذلك من الأقوال التي تقدم ذكرها في كتاب الصحبة. (**و**) ممن (**مال إلى هذا**) الطريق (**سعيد بن المسيب**) بن حزن القرشي، (**وعامر**) بن شراحيل (**الشعبي، و**)عبد الرحمن (**بن أبي ليلى**) الأنصاري المدني ثم الكوفي، (**وهشام بن عروة**) بن الزبير بن العوام القرشي المدني، (**و**) عبد الله (**بن شبرمة**) الضبي قاضي الكوفة وعاملها (**وشريح**) بن الحرث القاضي أبو امية الكندي (**وشريك بن عبدالله**) ابن أبي عمر وهؤلاء كلهم من التابعين، (**و**) ممن جاء بعدهم كسفيان (**بن عيينة**) الهلالي، (**و**) عبد الله (**بن المبارك**) المروزي، (**و**) محمد بن إدريس (**الشافعي، وأحمد بن**) محمد بن (**حنبل وجماعة**) آخرون ممن وافقهم هكذا ساقهم صاحب القوت.

وقال الشهاب السهروردي في عوارف المعارف: المقتضي للصحبة وجود الجنسية وقد يدعو إليها أعم الأوصاف وقد يدعو إليها أخص الأوصاف، فالدعاء بأعم الأوصاف كميل جنس البشر بعضهم الى بعض، والدعاء بأخص الأوصاف كميل كل ملة بعضهم إلى بعض ثم أخص من ذلك كميل أهل الطاعة بعضهم إلى بعض، وكميل أهل المعصية بعضهم إلى بعض، فإذا علم هذا الأصل وإن الجاذب إلى الصحبة وجود الجنسية بالأعم تارة وبالأخص أخرى فليتفقد الإنسان نفسه عند الميل إلى صحبة شخص، وينظر ما الذي يميل به إلى صحبته ويزن أحوال من يميل إليه بميزان الشرع، فإن رأى أحواله مسددة فليبشر نفسه بحسن الحال فقد جعله مرآته يلوح في مرآة أخيه جمال حسن الحال، وإن رأى أفعاله غير مسددة فليرجع إلى نفسه باللوم والإتهام فقد لاح له في مرآة أخيه سوء حاله. فبالجدير أن يفر منه كفراره من الأسد فإنهما إذا اصطحبا ازدادا ظلمة واعوجاجاً، ثم إذا علم من صاحبه الذي مال إليه حسن الحال وحكم لنفسه بحسن الحال وطالع ذلك في مرآة أخيه، فليعلم أن الميل بالوصف الأعم مركوز في جبلته والميل بطريقه واقع وله بحسبه أحكام، وللنفس بسببه سكون وركون، فليستلب الميل بالوصف الأعم جدوى الميل بالوصف الاخص، ويصير بين المصاحبين استردادات طبيعية وتلذذات جبلية لا يفرق بينها وبين الصحبة لله عز وجل إلا العلماء الزاهدون، وقد يتفسد المريد الصادق بأهل الصلاح أكثر مما ينفسد بأهل الفساد ووجه ذلك أن أهل الفساد علم فساد طريقتهم فأخذ حذره منهم، وأهل

والمأثور عن العلماء من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على الميل إلى أحد الرأيين، وإلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علة الميل. فلننقل الآن مطلقات الكلمات لنبين المذاهب فيها، وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض للغوائل والفوائد،

الصلاح غره صلاحهم فمال إليهم بجنسية الصلاحية ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية حالت بينهم وبين حقيقة الصحبة لله تعالى، فاكتسب من طريقتهم الفتور والتخلف عن بلوغ الأرب، فليتنبه الصادق لهذه الدقيقة ويأخذ من الصحبة أخص الأقسام ويذر منها ما يسد في وجه المرام، ولهذا المعنى أنكرت طائفة من السلف الصحبة ورأوا فضيلة العزلة والوحدة كإبراهيم ابن أدهم، وداود الطائي، وفضيل بن عياض، وسليمان الخواص، وحكي عنه أنه قيل له: جاء إبراهيم بن أدهم أما تلقاه؟ قال: لأن ألقى سبعاً ضارياً أحب إلي من أن ألقى إبراهيم. قيل: ولم؟ قال: لأني إذا رأيته أحسن له كلامي فتظهر نفسي بإظهار أحسن أحوالها وفي ذلك الفتنة وهذا كلام عالم بالنفس وأخلاقها، وهذا واقع بين المتصاحبين إلا من عصم الله تعالى، ثم قال: وقد رغب جمع من السلف في الصحبة والأخوة في الله تعالى، ورأوا أن الله تعالى منّ على أهل الإيمان حيث جعلهم إخواناً ثم ساق الآية ﴿هو الذي أيدك بنصره﴾ إلى قوله ﴿بينهم﴾ [الأنفال: ٦٢ ، ٦٣] ثم قال: وقد اختار الأخوة والصحبة في الله سعيد بن المسيب وعبد الله بن المبارك وغيرهما، وفائدة الصحبة أنها تفتح مسام الباطن ويكتسب الإنسان بها علم الحوادث والعوارض، ويتصلب الباطن برزين العلم، ويتمكن الصدق بطرو وهبوب الآفات ثم التخلص منها بالإيمان ويقع بطريق الصحبة والاخوة التعاضد والتعاون وتتقوى جنود القلب وتتروح الأرواح بالتشام، ويتفق في التوجه إلى الرفيق الأعلى ويصير مثالها في الشاهد كالأصوات إذا اجتمعت خرقت الأجرام وإذا انفردت قصرت عن بلوغ المرام اهـ.

وقال النووي: اختلف العلماء في العزلة والاختلاط أيها أفضل؟ فمذهب الشافعي والأكثرين تفضيل الخلطة لما فيها من اكتساب الفوائد وشهود شعائر الإسلام، وتكثير سواد المسلمين وايصال الخير إليهم، والتعاون على البر والتقوى، وإغاثة المحتاج فإن كان صاحب علم أو زهد تأكيد فضل اختلاطه. وذهب آخرون إلى تفضيل العزلة لما فيها من السلامة المحققة لكن بشرط أن يكون عارفاً بوظائف العبادة التي تلزمه. وقال الكرماني في شرح البخاري: المختار في عصرنا تفضيل الاعتزال لندور خلو المحافل من المعاصي. وقال البدر العيني: أنا موافق له فيما قال، فإن الاختلاط مع الناس في هذا الزمان لا يجلب إلا الشرور، وقال أبو البقاء الأحدي: وأنا أقول بأفضلية العزلة لبعدها عن الرياء في العمل وخلو الخاطر وشهود سر الوحدانية في الأزل. قلت: وأنا موافق لما قالوا من تفضيل العزلة لفساد الزمان والاخوان والله المستعان.

(والمأثور عن العلماء من الكلمات ينقسم إلى كلمات مطلقة تدل على الميل إلى أحد الرأيين، وإلى كلمات مقرونة بما يشير إلى علة الميل فننقل الآن مطلق تلك الكلمات لنبين المذاهب فيها وما هو مقرون بذكر العلة نورده عند التعرض للغوائل والفوائد فنقول:

فنقول؛ قد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: خذوا بحظكم من العزلة. وقال ابن سيرين: العزلة عبادة. وقال الفضيل: كفى بالله محباً وبالقرآن مؤنساً وبالموت واعظاً. وقيل: اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانباً. وقال أبو الربيع الزاهد لداود الطائي: عظني،

قد روي عن عمر) بن الخطاب (**رضي الله عنه أنه قال: خذوا بحظكم من العزلة**). وقال أيضاً في وصيته التي تقدم ذكرها في الكتاب الذي قبله: واعتزل عدوّك واحذر صديقك من القوم إلا الأمين، (**وقال**) محمد (**بن سيرين: العزلة عبادة**)، وذلك لأنها تدعو إلى السلامة من المحظورات. (**وقال الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى: (**« كفى بالله محباً و**) كفى (**بالقرآن مؤنساً و**) كفى (**بالموت واعظاً**) وهذا قد ورد في المرفوع من حديث عمار « كفى بالموت واعظاً وكفى باليقين غنى » رواه الطبراني في الكبير (**وقيل: اتخذ الله صاحباً ودع الناس جانباً**) وروى ابن عساكر في تاريخه من غريب المسلسل ما لفظه: أنبأنا أبو الفرج غيث بن علي الخطيب، أخبرنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا القاضي أبو محمد بن رامين الاستراباذي أخبرنا عبد الله بن محمد الحميدي الشيرازي حدثنا القاضي أحمد بن محمود بن خرزاذ الأهوازي، حدثنا علي بن محمد النصري، حدثنا أحمد بن محمد الحلبي، قال: سمعت سرياً السقطي يقول: سمعت بشراً يعني ابن الحرث يقول: قول إبراهيم بن أدهم: وقفت على راهب في جبل لبنان فناديته فاشرف عليَّ فقلت له: عظني، فانشأ يقول:

خذ عن الناس جانباً ... كي يعدوك راهبا
إن دهراً أظلني ... قد أراني العجائبا
قلب الناس كيف شئـ ... ـت تجدهم عقاربا

قال بشر: هذه موعظة الراهب لك فعظني أنت فأنشأ يقول:

توحش من الإخوان لا تبغ مؤنساً ... ولا تتخذ أخاً ولا تبغ صاحبا
وكن سامري الفعل من نسل آدم ... وكن أوحدياً ما قدرت مجانبا
فقد فسد الأخوان والحب والاخا ... فلست ترى إلاّ مزوقاً وكاذبا

قال سري: فقلت لبشر هذه موعظة إبراهيم لك. فعظني أنت فساق الكلام بتمامه وفيه فقال أبو بكر الخطيب: فقلت للقاضي بن رامين: هذه موعظة الحميدي لك فعظني أنت فقال: اتق الله وثق به ولا تتهمه فإن اختياره لك خير من اختيارك لنفسك وأنشأ:

اتخذ الله صاحباً ... وذر الناس جانبا
جرب الناس كيف شئـ ... ـت تجدهم عقاربا

وقد أمليت المسلسل من حفظي عقيب درس الشمائل في مقام أبي محمد الحنفي قدس سره وهو محفوظ في جملة الأماني التي أمليتها.

(**وقال أبو ربيع الزاهد، قلت لداود**) بن نصير (**الطائي: عظني. قال: صم عن الدنيا**

قال: صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفِرْ من الناس فرارك من الأسد. وقال الحسن رحمه الله: كلمات أحفظهن من التوراة، قنع ابن آدم فاستغنى، اعتزل الناس فسلم، ترك الشهوات فصار حراً، ترك الحسد فظهرت مروءته، صبر قليلاً فتمتع طويلاً. وقال وهيب بن الورد: بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت والعاشرة في عزلة

واجعل فطرك الآخرة، وفر من الناس فرارك من الأسد) أخرج أبو نعيم في الحلية، قال: حدثنا إبراهيم بن عبيد الله، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن زكريا، عن أبي الربيع الأعرج، قال: أتيت داود الطائي وكان داود لا يخرج من منزله حتى يقول المؤذن قد قامت الصلاة، فيخرج فيصلي فإذا سلّم الإمام أخذ نعله ودخل منزله، فلما طال ذلك عليَّ أدركته يوماً فقلت له: على رسلك فوقف لي فقلت أبا سليمان أوصني. قال: أتق الله وإن كان لك ولدان فبرّهما ثلاث مرات، ثم قال في الرابعة: ويحك صم عن الدنيا واجعل الفطر موتك واجتنب الناس غير تارك لجماعتهم.

وقال أيضاً: حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا محمد بن إسحاق، وحدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا محمد بن عبد المجيد التميمي، حدثنا عبد الله بن إدريس قال: قلت لداود الطائي: أوصني. فقال: أقلل من معرفة الناس. قلت: زدني. قال: ارض باليسير من الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بالدنيا مع فساد الدين. قلت: زدني قال: أجعل الدنيا كيوم صمته ثم أفطر على الموت، وأما قوله: فر من الناس فرارك من الأسد فأخرجه أبو نعيم من طريق عثمان بن زفر، حدثنا سعيد قال كان داود شديد الانقباض ولقد جئته يوماً في وقت الصلاة فانتظرته حتى خرج، فمشيت معه والمسجد منه قريب فسلك بي غير طريقة، فقلت: أين تريد فسلك بي في سكك خالية حتى خرج على المسجد، فقلت: الطريق، ثم أقرب عليك. فقال: يا سعيد فِرْ من الناس فرارك من السبع إنه ما خالط أحد إلا نسي العهد. وأخرج أيضاً من طريق حسن بن مالك عن بكر العابد قال: سمعت داود الطائي يقول: توحش من الناس كما تتوحش من السباع.

(وقال الحسن رضي الله عنه) هو الحسن بن علي بن أبي طالب: **(كلمات أحفظهن من التوراة، قنع ابن آدم فاستغنى، اعتزل الناس فسلم)** أي دينه، **(ترك الشهوات فصار حراً، ترك الحسد فظهرت مروءته، صبر قليلاً فتمتع طويلاً)** فهي خمس كلمات، ولكل منها شاهد في المرفوع من الأخبار.

(وقال وهيب بن الورد) المكي: يقال اسمه عبد الوهاب، ووهيب لقبه وتقدمت ترجمته مراراً. **(بلغنا ان الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عثمان بن محمد العثماني، حدثنا أبو نصر بن حمدويه، حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا الحسين بن محمد بن يزيد بن خنيس قال: قال وهيب بن الورد.

الناس. وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار: ما أصبرك على الوحدة؟ وقد كان لزم البيت فقال: كنت وأنا شاب أصبر على أكثر من هذا؛ كنت أجالس الناس ولا أكلمهم، وقال سفيان الثوري: هذا وقت السكوت وملازمة البيوت ـ وقال بعضهم: كنت في سفينة ومعنا شاب من العلوية فمكث معنا سبعاً لا نسمع له كلاماً، فقلنا له: يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا، فأنشأ يقول:

قليـــل الهمّ لا ولـــد يموت ولا أمـــر يحاذره يفـــوتُ
قضى وطْـرَ الصبـا وأفـــاد علماً فغـايتـه التفـــرد والسكـــوتُ

وقال ابراهيم النخعي لرجل تفقه ثم اعتزل، وكذا قال الربيع بن خيثم، وقيل: كان مالك بن أنس يشهد الجنائز، ويعود المرضى، ويعطي الإخوان حقوقهم، فترك ذلك

قال حكيم من الحكماء العبادة، أو قال: الحكمة عشرة أجزاء تسعة أجزاء في الصمت وواحد في العزلة فأدومت نفسي من الصمت على شيء فلم أقدر عليه فصرت إلى العزلة فحصلت لي التسعة.

(**وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار**) المصيصي صدوق مات في حدود الأربعين: (**ما أصبرك على الوحدة، وقد كان لزم البيت؟ فقال: كنت وأنا شاب أصبر على أشد من هذا . كنت أجالس الناس ولا أكلمهم**) . وقد جرى لداود الطائي هكذا فإنه جلس في مجلس أبي حنيفة سنة ترد عليه الفتاوى والأسئلة وهو لا يكلمهم، ثم اعتزل الناس، وقد علم من ذلك أن مخالطة الناس مع عدم الكلام معهم أشد من الإنفراد والوحدة.

(**وقال سفيان**) بن سعيد (**الثوري**) رحمه الله تعالى: (**هذا وقت السكوت وملازمة البيوت**) وزاد غيره فقال: والقناعة باقل القوت. (**وقال بعضهم: كنت في سفينة ومعنا شاب من العلوية**) أي من ولد علي بن أبي طالب (**فمكث معنا سبعاً**) أي سبع ليال (**لا نسمع له كلاماً فقلنا له: يا هذا قد جمعنا الله وإياك منذ سبع**) ليال في هذه السفينة (**ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فانشأ يقول:**

قليـــل الهم لا ولـــد يموت ولا أمـــر يحاذره يفـــوتُ
قضى وطـر الصبّـا وأفـــاد علماً فغـــايتـــه التفـــرد والسكـــوتُ

(**وقال ابراهيم**) بن يزيد (**النخعي**) رحمه الله تعالى (**لرجل**) قد رآه معتزلاً عن الناس (**تفقه ثم اعتزل**) أي تعلم من أمور دينك ما يلزمك ثم اترك مخالطة الناس، (**وكذلك قال الربيع بن خيثم**) الثوري الكوفي العابد: تقدم ذكره مراراً، (**وقيل: كان**) الإمام أبو عبد الله (**مالك بن أنس**) الأصبحي رضي الله عنه (**يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطي الأخوان حقوقهم**) اللازمة مما تقدم ذكرها، (**فترك ذلك واحداً واحداً**) بالتدرج كلها، واستمر على

واحداً واحداً حتى تركها كلها، وكان يقول: لا يتهيأ للمرء أن يخبر بكل عذر له. وقيل لعمر بن عبد العزيز: لو تفرغت لنا؟ فقال: ذهب الفراغ لا فراغ إلا عند الله تعالى. وقال الفضيل: إني لأجد للرجل عندي يداً إذا لقيني أن لا يسلم علي، وإذا مرضت ان لا يعودني، وقال أبو سليمان الداراني: بينما الربيع بن خيثم جالس على باب داره إذا جاءه حجر فصكّ جبهته فشجه، فجعل يمسح الدم ويقول: لقد وعظت يا ربيع، فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته. وكان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق. وقال يوسف بن اسباط: سمعت سفيان الثوري يقول: والله

العزلة نحو اثنتي عشرة سنة، وأقام عليه أهل عصره النكير وكثر فيه الكلام. **(وكان)** إذا سئل عن انفراده **(يقول: لا يتهيأ للمرء أن يخبر بكل عذر)** فرب عذر ينبغي عدم إفشائه. **(وقيل لعمر بن عبد العزيز)** الأموي رحمه الله تعالى: **(لو تفرغت لنا. قال:)** هيهات **(ذهب الفراغ ولا فراغ إلا عند الله عز وجل)** والمراد بالفراغ فراغ البال والوقت. وفي الخبر: «نعمتان مغبون فيهما أكثر الناس الصحة والفراغ». **(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(إني لأجد للرجل عندي يداً)** أي منة **(إذا لقيني لا يسلم علي وإذا مرضت أن لا يعودني)** أخرجه أبو نعيم في الحلية، **(وقال أبو سليمان)** عبد الرحمن ابن أحمد بن عطية **(الداراني)** رحمه الله تعالى: **(بينما الربيع بن خيثم)** الثوري **(جالس على باب داره إذا جاءه حجر فصك وجهه فشجه)** وأسال دمه، **(فجعل يمسح الدم ويقول: لقد وعظت يا ربيع)** كان لسان الحجر يقول له: لا تعد تجلس على باب الدار، **(فقام فدخل داره، فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى أخرجت جنازته. وكان سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد)** بن عمرو بن نفيل كلاهما من العشرة المبشرة رضي الله عنهما، **(وقد لزما بيوتهما بالعقيق)** الأعلى قرب المدينة على عشرة أميال، منها مما يلي الحرة إلى منتهى البقيع وهو مقابر المسلمين، وهناك عقيق آخر أسفل من ذلك ويقال له العقيق الاسفل، **(فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق)**. أما سعد فكان ممن لزم بيته في الفتنة وأمر أهله أن لا يخبروه بشيء من أخبار الناس حتى تجتمع الأمة على إمام، وكان ابنه عمر بن سعد رام أن يدعو لنفسه بعد قتل عثمان فأبى، وكذلك رامه ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، فلما أبى صار هاشم إلى علي ومات سعد في قصره بالعقيق، وحمل إلى المدينة على رقاب الرجال، ودفن بالبقيع وصلّى عليه مروان بن الحكم سنة خمس وخمسين وهو المشهور، وأما سعيد فقال الواقدي: أنه توفي أيضاً بالعقيق وحمل على رقاب الرجال فدفن بالبقيع سنة إحدى وخمسين، وشهده سعد بن أبي وقاص وابن عمر قال: ولا اختلاف في ذلك بين أهل العلم قبلنا. وروى أهل الكوفة أنه مات عندهم بالكوفة في خلافة معاوية وصلّى عليه المغيرة بن شعبة وهو يومئذ والي الكوفة.

الذي لا إله إلا هو لقد حلت العزلة. وقال بشر بن عبدالله: أقل من معرفة الناس فإنك لا تدري ما يكون يوم القيامة، فإن تكن فضيحة كان من يعرفك قليلاً. ودخل بعض الأمراء على حاتم الاصم فقال له: ألك حاجة؟ قال: نعم، قال: ما هي؟ قال: أن لا تراني ولا أراك ولا تعرفني. وقال رجل لسهل: أريد أن أصحبك، فقال: إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر؟ قال: الله. قال: فليصحبه الآن. وقيل للفضيل: إن عليا ابنك يقول: لوددت أني في مكان أرى الناس ولا يروني، فبكى الفضيل وقال: يا ويح عليَّ أفلا أتمها؟ فقال: لا أراهم ولا يروني. وقال الفضيل أيضاً: من سخافة عقل الرجل

(**وقال يوسف بن اسباط**) الشيباني رحمه الله تعالى: (**سمعت سفيان الثوري يقول: والله الذي لا إله إلا هو لقد حلت العزلة**) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: وحدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أحمد بن روح، حدثنا أحمد بن عتيق، سمعت يوسف بن اسباط يقول: كنت مع سفيان الثوري في المسجد الحرام فقال: والله الذي لا إله إلاَّ هو ورب هذه الكعبة لقد حلت العزلة».

(**وقال بشر بن عبد الله**) بن يسار السلمي الجمعي تابعي صدوق كان من حرس عمر بن عبد العزيز، روى عن عبد الله بن بسر المازني وطارق، وعنه بقية وأبو المغيرة وجماعة. روى له أبو داود (**أقل من معرفة الناس فإنك لا تدري ما يكون يوم القيامة فإن تكن فضيحة كان من يعرفك قليلاً**). أورده صاحب القوت بمعناه فقال: ومنهم من كان يقول اقلّل من المعارف، فإنه أسلم لدينك وأقل غداً لفضيحتك وأخف لسقوط الحق عنك. (**ودخل بعض الأمراء على حاتم**) بن علوان (**الأصم**) رحمه الله تعالى (**فقال**) الأمير: (**ألك حاجة**) نقضيها؟ (**قال: نعم. قال: ما هي؟ قال: لا تراني ولا أراك**). أشار بذلك إلى أن الاعتزال عنهم أسلم للدين. (**وقال رجل لسهل**) بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى: (**أريد أن أصحبك فقال: إذا مات أحدنا فمن يصحبه إلى الآخرة؟ قال: الله قال: فليصحبه الآن**) بأن يعلق همته به، ولا ينافي ذلك صحبة من يتأدب بآدابه، وهذا مقام الإحسان ذكره أبو القاسم القشيري في الرسالة ولفظ: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: قال رجل لسهل بن عبد الله: أريد أن أصحبك يا أبا أحمد. فقال: إذا مات أحدنا فمن يصحبه الباقي فقال: الله. قال: فليصحبه الآن اهـ. وفيه صحة إطلاق الصحبة على الله، ويؤيده خبر «اللهم أنت الصاحب في السفر».

(**وقيل للفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى: (**إن علياً ابنك يقول: لوددت أني في مكان أرى الناس ولا يروني فبكى الفضيل وقال: يا ويح علي**) فيما قاله. (**أفلا أتمها فقال: لا أراهم ولا يروني**). أخرجه صاحب الحلية أشار بذلك إلى أن المقام الثاني أفضل وأعلى درجة إذ في رؤيته للناس شغل كبير عن الله تعالى. (**وقال الفضيل**) رحمه الله أيضاً: (**من سخافة عقل**

كثرة معارفه. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى. فهذه أقاويل المائلين إلى العزلة.

ذكر حجج المائلين إلى المخالطة ووجه ضعفها:

احتج هؤلاء بقوله تعالى: ﴿ولا تكُونُوا كالَّذين تَفَرّقوا واختَلَفُوا﴾ [آل عمران: ١٠٥] الآية، وبقوله تعالى: ﴿فألف بين قُلُوبكم﴾ [آل عمران: ١٠٣] امتن على الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف، لأن المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله وأصول الشريعة. والمراد بالألفة نزع الغوائل من الصدور وهي الأسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات، والعزلة لا تنافي ذلك.

واحتجوا بقوله ﷺ: «المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف» وهذا أيضاً ضعيف لأنه إشارة إلى مذمة سوء الخلق التي تمتنع بسببه المؤالفة، ولا يدخل

الرجل) أي من رقته **(كثرة معارفه)** أخرجه صاحب الحلية، وذلك لأن كثرتهم توجب عليه حقوقاً ولحاله مع الله تشتيتاً. **(وقال ابن عباس)** رضي الله عنهما: **(أفضل المجالس مجلس في قعر بيتك)** أي داخله **(لا ترى)** أحداً **(ولا ترى)** أنت لأحد.

ذكر حجـج المائلين إلى المخالطة:

والمصاحبة **(ووجه ضعفها)** في الاحتجاج.

(احتج هؤلاء بقول الله تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين تَفَرّقوا واختلفوا﴾ وبقوله تعالى ﴿فألف بين قلوبكم﴾ فامتن على الناس بـالسبـب المؤلـف) بين القلـوب بعـد تفـرقتـها، **(وهذا)** الاستدلال بالآيتين **(ضعيف لأن المراد به تفرق الآراء واختلاف المذاهب في معاني كتاب الله وأصول الشريعة)** فهذا هو المنهي عنه. لأنه يفضي إلى المراء، والمراء في القرآن كفر وكذا حكم الاختلاف في أصول الشريعة فإنه مفسد هذا هو الجواب عن الآية الاولى، وأشار بالجواب عن الثانية بقوله: **(والمراد بالألفة نزع الغوائل)** والأحقاد **(من الصدور وهي الأسباب المثيرة للفتن المحركة للخصومات)** وإلا حن **(والعزلة لا تنافي ذلك)** فإن الألفة بهذا المعنى حاصلة للمنفرد عنهم.

(واحتجوا) أيضاً **(بقوله ﷺ «المؤمن إلف مالوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»)** تقدم في الباب الأوّل من آداب الصحبة، **(وهذا أيضاً ضعيف)** في الاستدلال **(لأنه إشارة إلى مذمة سوء الخلق الذي تمتنع بسببه المؤالفة)** والمؤانسة، **(ولا يدخل تحته الخلق**

تحته الحسن الخلق الذي إن خالط ألف وألف، ولكنه ترك المخالطة اشتغالاً بنفسه وطلبا للسلامة من غيره.

واحتجوا بقوله ﷺ: «من فارق الجماعة شبراً خلع ربقة الإسلام من عنقه» وقال: «من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية». وبقوله ﷺ: «من شق عصا المسلمين والمسلمون في إسلام دامج فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه». وهذا ضعيف لأن المراد به الجماعة التي اتفقت آراؤهم على إمام بعقد البيعة فالخروج عليهم بغي، وذلك مخالفة بالرأي وخروج عليهم وذلك محظور لاضطرار الخلق إلى امام مطاع يجمع وأيهم ولا يكون ذلك بالبيعة من الأكثر، فالمخالفة فيها تشويش مثير للفتنة فليس في هذا تعرض للعزلة.

الحسن الذي إن خالط ألف وألف) أي ألف الغير وألفه غيره، **(ولكن ترك المخالطة استقلالاً بنفسه)** في تربيتها **(وطلباً للسلامة من غيره)** أو طلباً لسلامة الغير منه.

(واحتجوا أيضاً بقوله ﷺ «من فارق الجماعة) أي جماعة المسلمين **(شبراً خلع ربقة الإسلام من عنقه»)** ليس هذا الحديث موجوداً في بعض النسخ، ولم يتعرض له العراقي، وقد رواه أحمد وأبو داود والروياني والحاكم والضياء من حديث أبي ذر، ورواه الطبراني من حديث ابن عباس بلفظ: «قيد شبر» ورواه أيضاً من حديث ابن عمر بلفظ «من فارق جماعة المسلمين شبراً خرج من عنقه ربقة الاسلام» وروى البزار من حديث حذيفة «من فارق الجماعة شبراً فقد فارق الإسلام».

(وقال ﷺ «من فارق الجماعة فمات فميتته جاهلية») رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم في الباب الخامس من الحلال والحرام وروى الطبراني من حديث ابن عباس ومن مات ليس على إمام فميتته جاهلية وفي حديث ابن عمر ومن مات من غير إمام جماعة مات ميتة جاهلية. **(وبقوله ﷺ «من شق عصا المسلمين والمسلمون في إسلام دامج)** أي مجتمع **(فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»)** قال العراقي: رواه الطبراني والخطابي في العزلة من حديث ابن عباس بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الرامهرمزي في كتاب الأمثال والخطيب في المتفق والمفترق.

(وهذا) الاستدلال أيضاً **(ضعيف لأن المراد به الجماعة التي اتفقت آراؤهم على إمام يعقد البيعة فالخروج عليهم بغي)** وشق عصا **(وذلك مخالفة بالرأي وخروج عليهم وذلك محظور)** شرعاً **(لاضطرار الناس إلى إمام مطاع يجمع رأيهم، ولا يكون ذلك إلا بالبيعة من الأكثر فالمخالفة فيه تشويش مثير)** أي محرك **(للفتنة، فليس في هذا تعرض للعزلة)** فتفارقا.

واحتجوا بنهيه ﷺ عن الهجرة فوق ثلاث إذ قال: « من هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار » وقال عليه الصلاة والسلام: « لا يحل لامرىء مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق يدخل الجنة »، وقال: « من هجر أخاه فوق ستة أيام فهو كسافك دمه »

(واحتجوا) أيضاً **(بنهيه ﷺ عن الهجرة فوق ثلاث إذ قال) ﷺ (« من جر أخاه فوق ثلاث)** ليال **(فمات دخل النار »)** قال العراقي: رواه أبو داود من حديث أبي هريرة بسند صحيح اهـ.

قلت: لفظ أبي داود « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار ». ورواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد بلفظ المصنف إلا أنه قال « فهو في النار إلا أن يتداركه الله برحمته ».

(وقال ﷺ « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث والسابق بالصلح يدخل الجنة ») قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس دون قوله والسابق. زاد فيه الطبراني في الأوسط باسناد حسن « والذي يبدأ بالسلام يسبق إلى الجنة » اهـ.

قلت: هذا الحديث قد روي بألفاظ مختلفة وفيها نقصان وزيادة فمن ذلك: « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » رواه مالك والطيالسي، وأحمد، وعبد بن حميد، والشيخان، وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، وأبن حبان، وابن جرير عن الزهري، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي أيوب، ورواه ابن عساكر عن الزهري عن أنس وقال: غريب والمحفوظ الأوّل. ورواه ابن جرير وابن عدي والطبراني وابن عساكر أيضاً عن الزهري عن عطاء بن يزيد عن أبي بن كعب. قال ابن عدي: هكذا يرويه الليث بن سعد عن عقيل، وإنما يرويه أصحاب الزهري عن عطاء عن أبي أيوب.

ومن ذلك قوله ﷺ « لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » رواه مسلم من حديث ابن عمر والخرائطي في مساوىء الأخلاق، والبزار من حديث ابن مسعود، وسعد وأنس. ورواه ابن النجار من حديث أبي هريرة بزيادة « والسابق يسبق إلى الجنة » ورواه الطبراني من حديث ابن مسعود بلفظ « فوق ثلاث ».

ومن ذلك قوله ﷺ « لا يحل لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاث ليال فإنهما ناكبان عن الحق ما داما على صرامهما وإن أولهما فيئاً يكون سبقه بالفيء كفارته، وإن سلم عليه فلم يقبل ولم يرد عليه سلامه ردت عليه الملائكة ويرد على الآخر الشيطان وإن ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة جميعاً أبداً ». رواه أحمد والطبراني والبيهقي من حديث هشام بن عامر.

ومن ذلك قوله ﷺ « لا يحل لمؤمن يهجر مؤمناً فوق ثلاثة أيام فإذا مرّ ثلاث لقيه فسلّم عليه فإن ردّ فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يرد عليه فقد برىء المسلم من الهجرة وصارت على صاحبه ». ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة.

(وقال ﷺ « من هجر أخاه في الإسلام سنة) اي بغير عذر شرعي **(فهو كسافك**

قالوا: والعزلة هجره بالكلية. وهذا ضعيف لأن المراد به الغضب على الناس واللجاج فيه بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة، فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلاً من غير غضب. مع ان الهجر فوق ثلاث جائز في موضعين.

أحدهما: أن يرى فيه استصلاحاً للمهجور في الزيادة.

والثاني: أن يرى لنفسه سلامة فيه، والنهي وإن كان عاماً فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين بدليل ما روي عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ هجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر. وروي عن عمر أنه ﷺ اعتزل نساءه وآلى منهن شهراً وصعد إلى غرفة له وهي خزانته فلبث تسعاً وعشرين يوماً، فلما نزل قيل له: إنك كنت فيها تسعاً وعشرين، فقال: «الشهر قد يكون تسعاً وعشرين». وروت عائشة رضي الله

دمه») كذا في النسخ والرواية كسفك دمه أي مهاجرته سنة توجب العقوبة كما أن سفك دمه يوجبها. قال العراقي: رواه أبو داود من حديث أبي خراش السلمي واسمه حدرد بن أبي حدرد وإسناده صحيح اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، والحرث بن أسامة، والبغوي، والباوردي، وابن منده والطبراني في الكبير، والحاكم في البر والصلة، والضياء في التجارة، وأبو خراش اسمه حدرد وأبو حدرد اسمه سلامة بن عمير، ويقال: فيه الأسلمي أيضاً وقد روى عن أبي خراش هذا عمران بن آبي أنس القوسي العامري نزيل الاسكندرية.

(**وقالوا: والعزلة هجرة بالكلية**) فتدخل في مفهوم هذه الأخبار (**وهذا ضعيف**) في الاستدلال أيضاً، (**لأن المراد به الغضب على الناس واللجاج بقطع الكلام والسلام والمخالطة المعتادة، فلا يدخل فيه ترك المخالطة أصلاً من غير غضب مع أن**) مذهب الشافعي وغيره من العلماء أن (**الهجرة فوق ثلاث جائزة في موضعين**).

(**أحدهما: أن يرى فيه استصلاحاً للمهجور في الزيادة. والثاني: أن يرى لنفسه سلامة فيها والنهي**) في الأخبار المذكورة (**وإن كان عاماً فهو محمول على ما وراء الموضعين المخصوصين**)، وما من عام إلا وقد خص (**بدليل ما روي عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أن النبي ﷺ هجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر**) كذا في النسخ. قال العراقي: إنما هجر زينب هذه المدة. كما رواه أبو داود من حديث عائشة وسكت عليه أبو داود فهو عنده صالح اهـ.

(**وروى عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه أنه ﷺ اعتزل نساءه وآلى منهن شهراً وصعد إلى غرفة له وهي خزانته فلبث فيها تسعاً وعشرين**) يوماً (**فلما نزل قيل له: إنك كنت فيها تسعاً وعشرين فقال «الشهر قد يكون تسعاً وعشرين»**) رواه البخاري في المظالم

عنها: أن النبي ﷺ قال: « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلا أن يكون ممن لا تؤمن بوائقه ». فهذا صريح في التخصيص وعلى هذا ينزل قول الحسن رحمه الله حيث قال: هجران الأحمق قربة إلى الله فإن ذلك يدوم إلى الموت إذ الحماقة لا ينتظر علاجها. وذكر عند محمد بن عمر الواقدي رجل هجر رجلاً حتى مات؛ فقال: هذا شيء قد تقدم

والنكاح وبلفظ: وكان قال ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله عز وجل، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها، فقالت له عائشة: يا رسول الله إنك كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنا أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدها عداً. قال: « الشهر تسع وعشرون » وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة. ورواه مسلم بلفظ: ونزل رسول الله ﷺ كأنما يمشي على الأرض ما يمسه بيده فقلت: يا رسول الله إنما كنت في الغرفة تسعاً وعشرين قال: « إن الشهر يكون تسعاً وعشرين ». وفي لفظ آخر: كان آلى منهن شهراً فلما كان تسع وعشرون نزل إليهن. وله أيضاً من طريق الزهري قال: وأخبرني عروة عن عائشة قالت: لما مضى تسع وعشرون ليلة دخل عليَّ رسول الله ﷺ بدأ بي فقلت: يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنك قد دخلت في تسع وعشرين أعدهن. فقال « إن الشهر تسع وعشرون ». وروى البخاري من حديث أنس قال: آلى رسول الله ﷺ من نسائه شهراً وكان قد انفكت قدمه فجلس في علية له فجاء عمر فقال: أطلقت نساءك؟ قال: « لا. ولكني آليت منهن شهراً فمكث تسعاً وعشرين » وقال في طريق أخرى منقطع عن ابن عباس عن عمر عن الأنصاري اعتزل النبي ﷺ أزواجه.

(وروت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام إلا أن يكون ممن لا يؤمن بوائقه ») وفي نسخة ممن لا يأمن بوائقه. قال العراقي: رواه ابن عدي وقال: غريب المتن والإسناد وحديث عائشة عند أبي داود دون الاستثناء صحيح اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الحاكم بهذه الزيادة وأنكرها أحمد بن حنبل.

(فهذا) إن ثبت **(صريح في التخصيص، وعلى هذا ينزل قول الحسن رضي الله عنه)** هو الحسن بن علي بن أبي طالب **(حيث قال: هجران الأحمق)** هو الذي فسد جوهر عقله **(قربة إلى الله تعالى)** وقد تقدم في كتاب الصحبة، **(فإن ذلك)** أي كونه أحمق **(يدوم إلى الموت إذ الحماقة لا ينتظر علاجها)** فمهاجرته عين التقرب إلى الله تعالى لما فيها من السلامة.

(وذكر عند محمد بن عمر) بن واقد **(الواقدي)** الإسلامي المدني القاضي نزيل بغداد، روى عن ابن عجلان وثور وابن جريج والطبقة، وعنه الشافعي والصاغاني والرمادي والحرث بن اسامة وخلق، قال البخاري وغيره: متروك مع سعة علمه، وروى له النسائي فقال: حدثنا أبن أبي شيبة، حدثنا شيخ لنا عن عبد الحميد بن جعفر في لباس الجنة، مات في ذي الحجة سنة سبع ومائتين عن ثمان وسبعين كذا في الكاشف للذهبي والتهذيب للحافظ. **(رجل هجر رجلاً حتى**

فيه قوم، سعد بن أبي وقاص كان مهاجراً لعمار بن ياسر حتى مات، وعثمان بن عفان كان مهاجراً لعبد الرحمن بن عوف، وعائشة كانت مهاجرة لحفصة. وكان طاوس مهاجراً لوهب بن منبه حتى ماتا. وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة.

واحتجوا بما روي: أن رجلاً أتى الجبل ليتعبد فيه فجيء به إلى رسول الله ﷺ فقال: «لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم في بعض مواطن الإسلام خير له من عبادة أحدكم وحده أربعين عاماً»، والظاهر أن هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الإسلام بدليل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:

مات فقال: هذا تقدم فيه قوم سعد بن أبي وقاص كان مهاجراً لعمار بن ياسر حتى مات) رضي الله عنهما، وكان عمر رضي الله عنه قد ولّى سعد الكوفة فلما شكاه أهلها ورموه بالباطل عزله وذلك سنة إحدى وعشرين، وولى عماراً الصلاة، وابن مسعود بيت المال، وعثمان بن حنيف مساحة الأرض، ثم عزل عماراً وأعاد سعداً إلى الكوفة ثانياً ومات سعد سنة خمس وخمسين كما تقدم، ومات عمار سنة سبع وثلاثين بصفين مع علي فضمير حتى مات راجع إلى عمار فإنه أقدم وفاة من سعد. **(وعثمان بن عفان كان مهاجراً لعبد الرحمن بن عوف)** رضي الله عنهما، ومات عبد الرحمن سنة إحدى وثلاثين وصلى عليه عثمان، وقيل: الزبير، وقيل: ابنه. **(وعائشة كانت مهاجرة لحفصة)** رضي الله عنهما. **(وكان طاوس مهاجراً لوهب بن منبه حتى مات)** وكلاهما يمانيان. مات طاوس بمكة سنة ست ومائة، ومات وهب سنة أربعة عشر ومائة بصنعاء، وهجر الحسن ابن سيرين، وهجر ابن المسيب أباه فلم يكلمه إلى أن مات وكان أبو حازم مهاجراً للزهري، وكان الثوري تعلم من ابن أبي ليلى ثم هجره، فمات ابن أبي ليلى فلم يشهد جنازته. وهجر أحمد بن حنبل عمه وأولاده لقبولهم جائزة السلطان. وأخرج البيهقي أن معاوية باع سقاية من زيد بأكثر من وزنها فقال له أبو الدرداء: نهى النبي عنه. فقال معاوية: لا أرى بأساً. فقال: أخبرك عن رسول الله وتخبرني عن رأيك لا أساكنك بأرض أنت بها أبداً. **(وكل ذلك يحمل على رؤيتهم سلامتهم في المهاجرة)** ففيه مصلحة لهم.

(واحتجوا بما روي: أن رجلاً أتى الجبل ليتعبد فيه فجيء به إلى النبي ﷺ فقال: «لا تفعل أنت ولا أحد منكم لصبر أحدكم في بعض مواطن الإسلام خير له من عبادة أحدكم أربعين عاماً) قال العراقي: رواه البيهقي عن عسعس بن سلامة. قال ابن عبد البر: يقول أن حديثه مرسل ولذا ذكره ابن حبان في ثقات التابعين انتهى.

قلت: وكذا رواه الطيالسي ولفظها: «لا تفعله ولا يفعله أحد منكم فلصبر ساعة في بعض مواطن المسلمين خير من عبادة أربعين عاماً خالياً»، وعسعس بن سلامة التميمي نزل البصرة، روى عنه الحسن والأزرق بن قيس تابعي أرسل.

(والظاهر أن هذا إنما كان لما فيه من ترك الجهاد مع الكفار مع شدة وجوبه في ابتداء

غزونا مع رسول الله ﷺ ، فمررنا بشعب فيه عيينة طيبة الماء ؛ فقال واحد من القوم : لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن أفعل ذلك حتى أذكره لرسول الله ﷺ ، فقال ﷺ : « لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلاته في أهله ستين عاماً . ألا تحبون أن يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فإنه من قاتل في سبيل الله فواق ناقة أدخله الله الجنة » .

واحتجوا بما روى معاذ بن جبل أنه ﷺ قال : « إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصية والناحية والشاردة وإياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة

الإسلام بدليل ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : غزونا على عهد رسول الله ﷺ فمررنا بشعب) أي طريق في الجبل **(فيه عيينة)** تصغير عين **(طيبة الماء)** غزيرة **(فقال واحد من القوم : لو اعتزلت الناس في هذا الشعب ولن أفعل ذلك حتى أذكره لرسول الله ﷺ ، فقال ﷺ)** لما ذكر له ذلك : **(لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله خير من صلاته في أهله ستين عاماً . ألا تحبون أن يغفر الله لكم وتدخلوا الجنة اغزوا في سبيل الله فإنه من قاتل في سبيل الله فواق ناقة أدخله الله الجنة »)** قال العراقي : رواه الترمذي قال : سبعين عاماً اهـ .

قلت : وكذلك رواه البيهقي ولفظهم : « فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة » . وروى ابن ماجه والحاكم من حديث معاذ بن جبل : « من قاتل في سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنة ، ومن سأل الله القتل من نفسه صادقاً ثم مات أو قتل فإن له أجر شهيد » . ورواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال : صحيح الإسناد والنسائي وابن حبان والطبراني والبيهقي بزيادة : « ومن جرح جرحاً في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كاغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ، ومن خرج به خراج في سبيل الله كان عليه طابع الشهداء » . وروى أحمد وابن زنجويه من حديث عمرو بن عيسة : « من قاتل في سبيل الله فواق ناقة حرم الله على وجهه النار » .

(واحتجوا بما روى معاذ بن جبل) رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ : « قال الشيطان ذئب الإنسان)** أي مفسد للإنسان ومهلك له **(كذئب)** أرسل في قطيع **(الغنم يأخذ)** الشاة **(القاصية)** أي البعيدة من صواحباتها **(والناحية)** التي غفل عنها وبقيت في جانب منها **(والشاردة)** أي النافرة وهذا تمثيل مثل حالة مفارق الجماعة واعتزاله عنهم ثم تسلط الشيطان عليه بحالة شاة شاذة عن الغنم ثم افتراس الذئب إياها بسبب انقطاعها ووصف الشاة بثلاث صفات ، ولما انتهى التمثيل حذّر فقال : **(إياكم والشعاب)** أي الاعتزال فيها وهي طرق الجبل ، ويحتمل أن يكون مصدر شاعبه أي احذروا التفرق والاختلاف ، والأول أظهر . **(وعليكم بالعامة)** أي

والمساجد »، وهذا إنما أراد به من اعتزل قبل تمام العلم، وسيأتي بيان ذلك وأن ذلك ينهى عنه إلا لضرورة.

ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة:

احتجوا بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وأعتزلكم وما تدعُونَ مِن دون الله وأدعو ربي﴾ [مريم: ٤٨] الآية. ثم قال تعالى: ﴿فلمّا اعتَزَلَهم وما يعبُدُون مِن دُون اللهِ وهَبْنَا لهُ إسحَاقَ ويعقُوبَ وكلاًّ جَعلْنَا نَبياً﴾ [مريم: ٤٩] إشارة إلى أن ذلك ببركة العزلة. وهذا ضعيف لأن مخالطة الكفار لا فائدة فيها إلا دعوتهم إلى الدين. وعند اليأس من إجابتهم فلا وجه إلا هجرهم، وإنما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة لما روي أنه قيل: يا رسول الله الوضوء من جر مخمر أحب إليك أو من هذه

السواد الأعظم (**والجماعة**) الكثيرة المجتمعة من المسلمين (**والمساجد**) فإنها أحب البقاع إلى الله تعالى ». قال العراقي: رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعاً اهـ.

قلت: بينه الهيثمي فقال: روياه من حديث العلاء بن زياد عن معاذ والعلاء لم يسمع من معاذ.

(**وهذا إنما أراد به من اعتزل**) الجماعة (**قبل تمام العلم**) الواجب عليه تعلمه، (**وسيأتي أن ذلك منهي عنه إلا لضرورة**) وتقدم أيضاً تفقه ثم اعتزل قاله النخعي وسيأتي أيضاً في آخر هذا الكتاب.

ذكر حجج المائلين إلى تفضيل العزلة:

ووجه ضعفها. (**احتجوا بقوله تعالى حكاية عن إبراهيم**) عليه السلام ﴿**واعتزلكم وما تدعون من دون الله**﴾ أي الأصنام (**وادعو ربي الآية**) استظهر بالعزلة على قومه، (**ثم قال عز وجل** ﴿**فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاً جعلنا نبياً**﴾ **إشارة إلى أن ذلك ببركة العزلة. وهذا**) الاحتجاج (**ضعيف لأن مخالطة الكفار لا فائدة فيها إلا دعوتهم إلى الدين**) وإرشادهم إلى التوحيد (**وعند اليأس من إجابتهم فلا وجه إلا هجرتهم، وإنما الكلام في مخالطة المسلمين وما فيها من البركة**) والفوائد (**إذ روي أنه ﷺ قيل له: الوضوء من جر مخمر**) أي مغطى (**أحب إليك أم من هذه المطاهر التي يتطهر منها الناس؟**) قال في المصباح: كل إناء يتطهر به مطهرة والجمع المطاهر، (**فقال: « بل من هذه المطاهر إلتماساً لبركة أيدي المسلمين »**) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر وفيه ضعف اهـ.

قلت: قال ابن أبي شيبة في المصنف باب في المطاهر التي توضع للمسجد، حدثنا حفص، عن ابن جرير، عن عطاء عن ابن عباس أنه صنع هذه المطهرة، وقد علم أنه يتوضأ منه الأسود

المطاهر التي يتطهر منها الناس؟ فقال: « بل هذه المطاهر إلتماساً لبركة أيدي المسلمين ». وروي أنه ﷺ لما طاف بالبيت عدل إلى زمزم ليشرب منها، فإذا التمر المنقع في حياض الأدم وقد مغثه الناس بأيديهم وهم يتناولون منه ويشربون، فاستسقى منه وقال: « اسقوني » فقال العباس: إن هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالأيدي أفلا آتيك بشراب أنظف من هذا من جر مخمر في البيت؟ فقال: « اسقوني من هذا الذي يشرب منه الناس التمس بركة أيدي المسلمين » فشرب منه فإذاً كيف يستدل باعتزال الكفار والأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة فيهم؟

والأبيض. وحدثنا وكيع عن عصمة بن وائل عن أبيه عن أبي هريرة أنه توضأ من المطهرة. وحدثنا وكيع عن سفيان عن مزاحم قال: قلت للشعبي أكوز عجوز مخمر أحب إليك أن تتوضأ منه أو المطهرة التي يدخل فيها الخراز يده؟ قال: من المطهرة التي يدخل فيها الخراز يده.

(وروي أنه ﷺ لما طاف بالبيت) أي فرغ من طوافه **(عدل إلى زمزم ليشرب منها)** أنث الضمير على إرادة العين، **(فإذا التمر المنتقع في حياض الأدم قد مغثه الناس)** أي مرسوه ودلكوه **(بأيديهم وهم يتناولون منه ويشربون)** والمعنى أنهم قد وسخوه لما خالطته أيديهم **(فاستسقى منه وقال: « اسقوني » فقال العباس)** بن عبد المطلب رضي الله عنه: **(إن هذا النبيذ شراب قد مغث)** أي مرس ودلك **(وخيض بالأيدي أفلا آتيك بشراب أنظف من هذا في جر مخمر)** أي مغطى **(في البيت؟ فقال: « اسقوني من هذا الذي يشرب الناس منه التمس بركة يد المسلمين فشرب منه »)** قال العراقي: رواه الأزرقي من حديث ابن عباس بسند ضعيف، ومن رواية طاوس مرسلاً نحوه اهـ.

قلت: لفظ الأزرقي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستقى، فقال العباس: يا فضل اذهب إلى أمك فـأت رسول ﷺ بشراب من عندها. فقال: « اسقني » فقال: يا رسول الله إنهم يجعلون أيديهم فيه، فقال: « اسقني » فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يسقون عليها، فقال: « اعملوا أنكم على عمل صالح ». الحديث وفي رواية: هذا شراب قد مرث ومغث أفلا نسقيك لبناً وعسلاً؟ فقال: « اسقونا مما تسقون به المسلمين » وفي رواية قال: اسقوني من النبيذ فقال العباس: إن هذا شراب قد مغث ومرث وخالطته الأيدي وقع فيه الذباب وفي البيت شراب هو أصفى منه فقال: « منه فاسقني » يقول ذلك ثلاث مرات فسقاه منه. كذا أخرجها الأزرقي في تاريخه، وأخرج معناها سعيد بن منصور عن عاصم عن الشعبي، وذكر الملا في سيرته قوله: إنهم يجعلون أيديهم فيه فقال اسقني لأتبـرك بأكف المسلمين ذكره المحب الطبري في كتاب أفضل القرى. قال: وذكر ابن حزم أن ذلك كله كان يوم النحر، وفيه دلالة على أنه لا ينبغي أن يتقذر ما يجعل الناس أيديهم فيه.

(فإذاً كيف يستدل باعتزال الكفار والأصنام على اعتزال المسلمين مع كثرة البركة

واحتجوا أيضاً بقول موسى عليه السلام: ﴿وإن لم تُؤْمنوا لي فاعتزلون﴾ [الدخان: ٢١] وانه فزع إلى العزلة عند اليأس منهم. وقال تعالى في أصحاب الكهف: ﴿وإذا اعتزلتُمُوهم وما يعبدون إلاَّ الله فـأووا إلى الكهـف ينْشر لَكُـم ربّكـم مـن رحمتِـه﴾ [الكهف: ١٦] أمرهم بالعزلة. وقد اعتزل نبينا ﷺ قريشاً لما آذوه وجفوه ودخل الشعب وأمر أصحابه باعتزالهم والهجرة إلى أرض الحبشة، ثم تلاحقوا به إلى المدينة بعد أن أعلى الله كلمته. وهذا أيضاً اعتزال عن الكفار بعد اليأس منهم، فانه ﷺ لم يعتزل

فيهم. واحتجوا أيضاً بقوله تعالى) حكاية **(عن موسى عليه السلام ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾ وإنه فزع إلى العزلة عند اليأس منهم، وقد قال تعالى في)** حكاية **(أصحاب الكهف)** وهم سبعة قص الله عنهم في كتابه العزيز فقال **(وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ حيث أمرهم بالعزلة)** عن المشركين، واختلف في أسمائهم على أقوال: ذكرها صاحب القاموس وإن الملك الذي هربوا منه يقال له: دقيانوس، **(وقد اعتزل نبينا ﷺ قريشاً)** وهم بنو فهر **(لما آذوه وجفوه)** وإليه أشار البوصيري في همزيته:

ويـح قـوم جفـوا نبيـاً بـأرض وألفتـه ضبـابها والظبـاء

(ودخل الشعب) في أعلى مكة المعروف بشعب أبي طالب، **(وأمر أصحابه)** ممن آمن به وصدقه **(باعتزالهم)** عن مجالستهم ممن لم يقدر على الهجرة وقد قدر منهم أمره **(بالهجرة إلى أرض الحبشة)** إذ بلغه أن ملكها ممن يحبه فهاجروا، **(ثم تلا حقوا به إلى المدينة)** المشرفة **(بعد أن أعلى الله كلمته)** وأعز دينه. قال العراقي: رواه موسى بن عقبة في المغازي ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن ابن شهاب مرسلاً، ورواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن شهاب عن ابن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام مرسلاً أيضاً ووصله من رواية أبي سلمة عن ابن عباس إلا أن ابن مسعود ذكر أن المشركين حصروا بني هاشم في الشعب، وذكر موسى بن عقبة أن أبا طالب جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومغازي موسى بن عقبة أصح المغازي، وذكر موسى بن عقبة أيضاً أنه أمر أصحابه حين دخل الشعب بالهجرة إلى أرض الحبشة. ولأبي داود من حديث أبي موسى أمرنا النبي ﷺ أن ننطلق إلى أرض النجاشي قال البيهقي: وإسناد صحيح. ولأحمد من حديث ابن مسعود: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي، وروى ابن إسحاق بإسناد جيد ومن طريقه البيهقي في الدلائل من حديث أم سلمة بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحـد عنده فألحقوا ببلاده الحديث.

(وهذا اعتزال على الكفار عند اليأس منهم) أي من إيمانهم **(فإنه ﷺ لم يعتزل المسلمين ولا من توقع إسلامه من الكفار)** بل كان يخالطهم، **(وأهل الكهف لم يعتزل**

المسلمين ولا من توقع إسلامه من الكفار. وأهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضاً وهم مؤمنون وإنما اعتزلوا الكفار، وإنما النظر في العزلة من المسلمين.

واحتجوا بقوله ﷺ لعبدالله بن عامر الجهني لما قال: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «ليسعك بيتك وأمسك عليك لسانك وابك على خطيئتك». وروي أنه قيل له ﷺ: أيّ الناس أفضل؟ قال: «مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله تعالى» قيل: ثم مَنْ؟ قال: «رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره» وقال ﷺ: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي».

بعضهم بعضاً وهم مؤمنون، وإنما اعتزلوا الكفار) خيفة الضرر على أنفسهم، **(وإنما النظر في العزلة من المسلمين)** ولم تثبت.

(واحتجوا بقوله ﷺ لعبد الله بن عامر الجهني) هكذا في سائر نسخ الكتاب وليس في الصحابة من اسمه عبد الله بن عامر إلا رجلان. أحدهما بلدي حليف بني ساعدة وهو بدري عند ابن إسحاق وآخر عامري له وفادة، وفي نسخة العراقي عقبة بن عامر الجهني وهكذا هو في سنن الترمذي **(لما قال له يا رسول الله: ما النجاة؟ قال: «ليسعك بيت وامسك عليك لسانك وابك على خطيئتك»)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عقبة وقال حسن اهـ.

قلت: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت قال: حدثنا داود بن عمر، والضبي عن عبد الله بن المبارك، عن يحي بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة الباهلي قال: قال عقبة بن عامر قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أملك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك».

(وروي أنه قيل له ﷺ أي الناس أفضل؟ قال: مؤمن مجاهد) قال الحافظ ابن حجر: أراد بالمؤمن هنا من قام بما تعين عليه ثم حصل هذه الفضيلة لا أن المراد من اقتصر على الجهاد وأهمل الفروض العينية **(بنفسه وماله)** لما فيه من بذلها **(في سبيل الله»)** من النفع المتعدي **(قيل ثم من)** يا رسول الله؟ **(قال: «رجل معتزل)** منقطع للتعبد **(في شعبة من الشعاب)** وهي الفرجة بين جبلين، وليس بقيد بل مثال إذا الغالب على الشعاب الخلو منها **(يعبد ربه ويدع)** أي يترك **(الناس من شره»)** فلا يشارهم ولا يخاصمهم. رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري ولفظه: «مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره».

(وقال ﷺ: «إن الله يحب التقي) هو من يترك المعاصي امتثالاً للمأمور به واجتناباً للمنهي عنه، وقيل: هو المبالغ في تجنب الذنوب **(الغني)** غني النفس كما جزم به في الرياض. وقال عياض والبيضاوي: المراد به غني المال وأقره الطيبي **(الخفي)** أي الخامل الذكر. وروي بمهملة ومعناه

وفي الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر، فأما قوله لعبدالله بن عامر فلا يمكن تنزيله إلا على ما عرفه ﷺ بنور النبوّة من حاله، وأن لزوم البيت كان أليق به وأسلم له من المخالطة، فإنه لم يأمر جميع الصحابة بذلك، ورب شخص تكون سلامته في العزلة لا في المخالطة كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وأن لا يخرج إلى الجهاد، وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل. وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة، ولذلك قال ﷺ: «الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم» وعلى هذا ينزل قوله عليه السلام: «رجل معتزل يعبد ربه ويدع الناس من شره» فهذا إشارة إلى شرير بطبعه تتأذى الناس بمخالطته، وقوله: «إن الله يحب التقي الخفي» إشارة الى إيثار الخمول وتوقي الشهرة، وذلك لا يتعلق بالعزلة فكم من راهب

الوصول للرحم اللطيف بهم من الضعفاء. وقال الطيبي: وإن كان المراد غني القلب اشتمل على الفقير الصابر والغني الشاكر منهم رواه أحمد ومسلم في آخر صحيحه عن سعد بن أبي وقاص كان في إبله فجاءه ابنه فقال: نزلت ههنا وتركت الناس يتنازعون الملك فضربه سعد في صدره فقال: اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو بكر بن خلاد، حدثنا الحرث بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن عمر الواقدي، حدثنا بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص سمعته يخبر عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره.

(**وفي الاحتجاج بهذه الأحاديث نظر، فأما قوله ﷺ لعبدالله بن عامر**) كذا في النسخ، وعند العراقي لعقبة بن عامر (**فلا يمكن تنزيله إلا على ما عرفه ﷺ بنور النبوة**) وصدق الفراسة من حاله، (**فإن لزوم البيت كان أليق به وأسلم**) عاقبة (**له من هذه المخالطة**) المفضية إلى المتاعب، وهو ﷺ حكيم بأحوال أمته، (**فإنه لم يأمر جميع الصحابة بذلك فرب شخص تكون سلامته في العزلة**) عن الناس (**لا في المخالطة**) معهم (**كما قد تكون سلامته في القعود في البيت وأن لا يخرج إلى الجهاد**) مع الكفار (**وذلك لا يدل على أن ترك الجهاد أفضل وفي مخالطة الناس مجاهدة ومقاساة**) شدائد، (**ولذلك قال ﷺ: «الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير**) وفي رواية: أفضل (**من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»**) قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر ولم يسم الترمذي الصحابة قال عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ والطريق واحد اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وفي فتح الباري إسناده حسن. (**وعلى هذا ينزل قوله ﷺ: «رجل معتزل**) في شعب من الشعاب (**يعبد ربه ويدع الناس من شره» فهذه إشارة إلى شرير**) أي رجل الشر والفساد (**بطبعه**) وجبلته (**يتأذى الناس بمخالطته**) لشره، (**وقوله ﷺ: «إن الله يحب**) العبد (**التقي**) الغني (**الخفي إشارة إلى إيثار**

معتزل تعرفه كافة الناس؟ وكم من مخالط خامل لا ذكر له ولا شهرة؟ فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة.

واحتجوا بما روي أنه ﷺ قال لأصحابه: «ألا أنبئكم بخير الناس» قالوا: بلى يا رسول الله، فأشار بيده نحو المغرب وقال: «رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه ألا أنبئكم بخير الناس بعده؟» وأشار بيده نحو الحجاز وقال: «رجل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرور الناس»، فإذا ظهر أن هذه الأدلة لا شفاء فيها من الجانبين فلا بدّ من كشف الغطاء بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة بعضها بالبعض ليتبين الحق فيها.

الخمول وتوقي الشهرة) عند الناس، (**وذلك لا يتعلق بالعزلة، فكم من راهب**) عابد (**معتزل**) عن الناس (**يعرفه كافة الناس**) أي جيعهم؟ (**وكم من مخالط**) بالناس (**خامل**) بينهم (**لا ذكر له ولا شهرة، فهذا تعرض لأمر لا يتعلق بالعزلة**).

(**واحتجوا بما روي عنه ﷺ**) أنه (**قال لأصحابه: «ألا أنبئكم بخير الناس؟ قالوا: بلى**) يا رسول الله (**قال: فأشار بيده نحو المغرب فقال: رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله فينتظر أن يغير**) على العدو (**أو يغار عليه**) فهو متيقظ غير غفول. (**ألا أنبئكم بخير الناس بعده**)؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: (**وأشار بيده نحو الحجاز فقال رجل في غنيمة**) بالتصغير أي قطعة من غنم (**يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة**) المفروضة في غنمه (**ويعلم حق الله في ماله**) للسائل والمحروم (**واعتزل**) شرور (**الناس»**) قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أم مبشر إلا أنه قال: نحو المشرق بدل نحو المغرب، وفيه ابن إسحاق رواه بالعنعنة. وللترمذي والنسائي نحوه مختصراً من حديث ابن عباس. قال الترمذي: حديث حسن اهـ.

قلت: ورواه الحاكم من حديث ابن عباس بلفظ: «خير الناس في الفتن رجل آخذ بعنان فرسه خلف أعداء الله يخيفهم ويخيفونه أو رجل معتزل في بادية يؤدي حق الله الذي عليه». ورواه نعيم ابن حماد في الفتن عن طاوس مرسلاً، ورواه البيهقي في الشعب من حديث أم مبشر بلفظ: «خير الناس منزلة رجل على متن فرس يخيف العدو ويخيفونه» ورواه أحمد والطبراني من حديث أم مالك البهزية بلفظ: «خير الناس في الفتنة رجل معتزل في ماله يعبد ربه ويؤدي حقه، ورجل آخذ برأس فرسه في سبيل الله يخيف العدو ويخيفونه».

(**فإذا ظهر أن هذه الأدلة لا شفاء فيها من الجانبين**) لما عرفت (**فلا بد من كشف الغطاء**) عن وجه الحق (**بالتصريح بفوائد العزلة وغوائلها ومقايسة بعضها ببعض ليتبين الحق فيها إن شاء الله تعالى**) بمنه وعونه.

الباب الثاني

في فوائد العزلة وغوائلها وكشف الحق في فضلها

اعلم أن اختلاف الناس في هذا يضاهي اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة، وقد ذكرنا أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوائده، فكذلك القول فيما نحن فيه. فلنذكر أوّلاً فوائد العزلة وهي تنقسم إلى فوائد دينية ودنيوية. والدينية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة والمواظبة على العبادة والفكر وتربية العلم، وإلى تخلص من ارتكاب المناهي التي يتعرض الإنسان لها بالمخالطة، كالرياء والغيبة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة من جلساء السوء. وأما الدنيوية فتنقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة؛ كتمكن المحترف في خلوته إلى ما يخلص من محذورات

الباب الثاني

في بيان العزلة وغوائلها وكشف الحق عن فضلها

(**اعلم أن اختلاف الناس فيها**) أي في العزة مع الخلطة (**يضاهي**) أي يشابه (**اختلافهم في فضيلة النكاح والعزوبة، وقد ذكرنا**) في كتاب النكاح (**أن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص بحسب ما فصلناه من آفات النكاح وفوائده**) في الكتاب المذكور، (**فكذلك القول فيما نحن فيه**) في هذا الباب، (**فلنذكر أولاً فوائد العزلة وهي تنقسم إلى فوائد دينية و**) فوائد (**دنيوية، و**) الفوائد (**الدينية تنقسم إلى ما يمكن من تحصيل الطاعات في الخلوة بالمواظبة**) أي المداومة (**على العبادة**) المأمور بها (**والفكر**) في آلاء الله تعالى (**وتربية العلم**) بالمطالعة والقراءة، (**وإلى تخلص من ارتكاب المناهي هي التي يتعرض الإنسان إليها**) وفي نسخة فيها (**بالمخالطة**) مع الناس (**كالرياء والغيبة والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الردية والأعمال الخبيثة من الجلساء السوء**) وقرناء الشر ففي المثل الطبع سراق. (**وأما الدنيوية فتنقسم إلى ما يمكن من التحصيل بالخلوة كتمكن المحترف**) أي المكتسب (**في خلوته، وإلى ما يخلص**) وفي نسخة وإلى تخلص (**من**

يتعرض لها بالمخالطة، كالنظر إلى زهرة الدنيا وإقبال الخلق عليها وطمعه في الناس وطمع الناس فيه، وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة والتأذي بسوء خلق الجليس في مرائه أو سوء ظنه أو نميمته أو محاسدته أو التأذى بثقله وتشويه خلقته. وإلى هذا ترجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ست فوائد.

الفائدة الأولى:

التفرغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق، والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والأرض، فإن ذلك يستدعي فراغاً ولا فراغ مع المخالطة، فالعزلة وسيلة إليه. ولهذا قال بعض الحكماء: لا يتمكن أحد من الخلوة إلا بالتمسك بكتاب الله تعالى، والمتمسكون بكتاب الله تعالى هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله الذاكرون الله بالله عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بذكر الله. ولا شك في أن هؤلاء تمنعهم المخالطة عن الفكر

محذورات يتعرض لها بالمخالطة كالنظر إلى زهرة الدنيا) أي متاعها (**وإقبال الخلق عليها، وطمعه في الناس وطمع الناس فيه، وانكشاف ستر مروءته بالمخالطة**) مع الخلق (**والتأذي بسوء خلق الجليس**) أي المجالس له والمخالط (**في مرائه**) أي رؤيته (**أو سوء ظنه أو نميمة أو محاسدته**) في نعمة أوتيها (**أو التأذي بثقله**) وفي نسخة لثقله (**وتشوه خلقته**) أي تغيرها، (**فإلى هذا يرجع مجامع فوائد العزلة فلنحصرها في ستة فوائد**) أي نذكرها محصورة فيها.

الفائدة الأولى:

(**الفراغ للعبادة والتفكر**) وفي نسخة الفكر (**والإستئناس بمناجاة الله سبحانه**) أي محادثته سراً (**عن مناجاة الخلق**) أي معرضاً عنها (**والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى**) أي التطلب لكشفها (**في أمر الدنيا والآخرة**) وما أودع في كل منها (**وملكوت السموات والأرض**) من أفلاك ونجوم ونبات وأشجار وجبال وفجاج وغير ذلك، (**فإن ذلك**) أي التفكر في كل من ذلك (**يستدعي فراغاً**) للخاطر ليترشح لكشف ذلك (**ولا فراغ مع المخالطة**) إذ يرد على الخواطر ما يتكدر عليها، (**فالعزلة وسيلة إليه**) أي إلى الفراغ، (**ولهذا قال بعض الحكماء: لا يتمكن أحد من الخلوة إلا بالتمسك بكتاب الله عز وجل**)، ولا يتم التمسك إلا بمعرفة أسراره الظاهرة والباطنة، (**والمتمسكون بكتاب الله هم الذين استراحوا من**) أشغال (**الدنيا بذكر الله**) حتى صار قوتاً لأرواحهم وعماداً لقوتهم (**الذاكرون الله بالله**) المستهترين فيه، (**عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ولقوا الله بالله**) فكان عيشهم به سعيداً وموتهم حميداً ولقاؤهم عيداً. ورأوا ما آملوه قريباً إذ رأى غيرهم بعيداً. (**ولا شك في أن**

والذكر فالعزلة أولى بهم. ولذلك كـان ﷺ في ابتداء أمره يتبتل في جبل حراء وينعزل إليه حتى قوي فيه نور النبوّة. فكان الخلق لا يحجبونه عن الله فكان ببدنه مع الخلق وبقلبه مقبلاً على الله تعالى حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر خليله. فأخبر النبي ﷺ عن استغراق همه بالله فقال: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً

هؤلاء تمنعهم المخالطة) مع الخلق **(عن الفكر والذكر)** والمراقبة **(فالعزلة أولى بهم)** وهذا أول ملاحظ السادة النقشبندية. وكان شيخ المصنف أبو علي الفارمدي الطوسي على هذا المقام، **(ولذا كان ﷺ في ابتداء أمره)** قبل نزول الوحي إليه **(يتبتل)** أي يتفرغ للعبادة وينقطع لها **(في)** غار من **(جبل حراء)** بكسر الحاء ممدود ويفتح مع القصر. قال عياض: يمد ويقصر ويذكر ويؤنث ويصرف ولا يصرف، والتذكير أكثر فمن ذكره صرفه ومن انثه لم يصرفه يعني على إرادة البقعة أو الجهة التي فيها الجبل، وقال الخطابي: يخطئون في حراء في ثلاثة مواضع يفتحون الحاء وهي مكسورة، ويكسرون الراء وهي مفتوحة، ويقصرون الألف وهي ممدودة. وقال التيمي في شرح البخاري: العامة لحنت في ثلاثة مواضع فتح الحاء وقصر الألف وترك صرفه وهو مصروف في الاختيار لأنه اسم جبل. قال الكرماني: بعد نقله عنهما: إذا جمعنا بين كلاميهما يلزم اللحن في أربعة مواضع وهو من الغرائب إذ بعدد كل حرف لحن، وقال العيني: ولقائل أن يقول: كسر الراء ليس بلحن فإنه بطريق الإمالة وحراء بينه وبين مكة ثلاثة أميال إذا سرت إلى منى له قنة مشرفة إلى الكعبة. **(وينعزل إليه)** أي ينقطع عن الناس بمجاورته وسبب تخصيصه به دون جبال مكة، لأنه كان يرى بيت ربه منه وهو عبادة قاله ابن أبي جمرة، وهذا قد رواه البخاري في أول الصحيح من حديث عائشة بلفظ: «وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة». الحديث، ورواه أيضاً في التفسير والتعبير، ورواه مسلم في الإيمان والترمذي والنسائي في التفسير. **(حتى قوي فيه نور النبوة)** يشير إلى ما وقع في الحديث المذكور عند البخاري حتى جاءه الحق وهو في غار حراء **(فكان الخلق لا يحجبونه عن الله فكان ببدنه مع الخلق)** في المخالطة **(وبقلبه مقبلاً على الله تعالى)** وفي أثناء ذلك كانت تحصل له تفرقة بسبب فترة الوحي فكاد أن يتردى من رؤوس الجبال، وذلك لغلبة الأشواق وكانت رؤية جبريل عليه السلام تخفف عنه ألم الشوق في الجملة لأنه السفير بين المحب والحبيب، فإذا أبطأ عنه الرسول خاف الانقطاع في الوصول فيهم بإتلاف مهجته فيعلم صدق محبته فيتراءى له ويقول: يا محمد أنت رسول الله فيعلم أن العلقة باقية فيسكن قلبه وتقر عينه، **(حتى كان الناس يظنون أن أبا بكر)** الصديق **(رضي الله عنه)** لكثرة العلاقة المعنوية بينه وبين النبي ﷺ **(خليله)** الذي دخل وده شغاف قلبه، **(فاخبر ﷺ عن)** مقامه الذي هو فيه من **(استغراق همه بالله)** واستيلائه بكله حتى لم يبق فيه متسع للغير **(فقال: «لو كنت متخذاً)** أحداً **(خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً لكن صاحبكم خليل الله»)** رواه مسلم من حديث ابن مسعود بلفظ: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة

ولكن صاحبكم خليل الله » ولن يسع الجمع بين مخالطة الناس ظاهراً والإقبال على الله سراً إلا قوّة النبوّة فلا ينبغي أن يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك، ولا يبعد أن تنتهي درجة بعض الأولياء إليه. فقد نقل عن الجنيد أنه قال: أنا أكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أني أكلمهم. وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله استغراقاً لا يبقى لغيره فيه متسع وذلك غير منكر، ففي المشتهرين بحب الخلق من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول ولا ما يقال له لفرط عشقه لمحبوبه، بل الذي دهاه ملم يشوش عليه أمراً من أمور دنياه فقد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم ولا يسمع أصواتهم لشدة استغراقه. وأمر الآخرة أعظم عند العقلاء فلا يستحيل ذلك فيه ولكن الأولى بالأكثرين الاستعانة بالعزلة، ولذلك قيل لبعض الحكماء: ما الذي أرادوا بالخلوة

خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله عز وجل » وهكذا رواه الطبراني، وابن عساكر من حديث أبي واقد، وفي لفظ لمسلم: « لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً » وقد تقدم في الكتاب الذي قبله، **(ولن يسع الجمع بين مخالطة الخلق ظاهراً والإقبال على الله سراً إلا قوة النبوة)** إذ لها وجه إلى الخلق من حيث تبليغ الأحكام إلى الآنام ووجه إلى الحق من حيث المثول بين يديه، والاستئناس بالقرب. فالوجه الأول هو وجه النبوة والثاني هو وجه الولاية وهي سر النبوة وخلاصها، فقول من قال: الولاية أفضل من النبوة إنما يعني بها ولاية النبوة وقد جمع له ﷺ بين الوجهين في آن واحد. **(فلا ينبغي أن يغتر كل ضعيف بنفسه)** عاجز عن شاوي الكمال **(فيطمع في ذلك)** أي اللحوق بهذا المقام، فإنه صعب المرام تحيرت فيه الأفكار والأوهام، **(ولا يبعد أن تنتهي درجة بعض الأولياء)** الكمل **(إليه)** وإليه الإشارة بقولهم: الصوفي بائن كائن بالله وبائن عن الخلق ويسمى هذا مقام جمع الجمع، **(فقد نقل عن)** سيد الطائفة أبي القاسم **(الجنيد)** قدس الله سره **(أنه قال: أنا أكلم الله)** أي أخاطبه **(منذ ثلاثين سنة والناس يظنون أني أكلمهم)**، والدليل على أن المراد من قوله هذا الرمز إلى المقام المذكور قوله **(وهذا إنما يتيسر للمستغرق بحب الله تعالى استغراقاً لا يبقى لغيره فيه متسع)** وهو المرتبة الأحدية وهو أتم وأعلى من مقام الجمع، **(وذلك غير منكر ففي المستهزئين)** وفي نسخة المشتهرين **(بحب الخلق)** أي بالعشق للصور الجميلة **(من يخالط الناس ببدنه وهو لا يدري ما يقول)** هو **(و)** لا **(ما يقال له لفرط عشقه)** وهيامه **(لمحبوبه)** الذي سلب قراره لأجله، **(بل الذي دهاه ملمة)** أي نازلة **(تشوش عليه أمراً من أمور دنياه، فقد يستغرقه الهم بحيث يخالط الناس ولا يحس بهم، ولا يسمع أصواتهم)** كل ذلك **(لشدة استغراقه)** في حب محبوبه هذا أمر الدنيا. **(وأمر الآخرة أعظم عند العقلاء)** الكمل **(فلا يستحيل ذلك فيه)** وهذا هو الخلوة في الجلوة، **(ولكن الأولى بالأكثرين)** من أهل السلوك **(الاستعانة بالعزلة)** فإنها نعم الوسيلة لإيصال السالك إلى المقام

واختيار العزلة؟ فقال: يستدعون بذلك دوام الفكرة وتثبت العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويذوقوا حلاوة المعرفة. وقيل لبعض الرهبان: ما أصبرك على الوحدة؟ فقال: ما أنا وحدي أنا جليس الله تعالى إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه وإذا شئت أن أناجيه صليت. وقيل لبعض الحكماء: إلى أي شيء أفضى بكم الزهد والخلوة؟ فقال: إلى الإنس بالله. وقال سفيان بن عيينة: لقيت ابراهيم بن أدهم رحمه الله في بلاد الشام فقلت له: يا ابراهيم تركت خراسان؟ فقال: ما تهنأت بالعيش إلا ههنا أفرّ بديني من شاهق إلى شاهق، فمن يراني يقول موسوس أو جمال أو فلاح. وقيل لغزوان الرقاشي: هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة إخوانك؟ قال: إني أصيب راحة قلبي في مجالسة من عنده

المذكور وإن كان المدار على الهمة وسبق العناية الأزلية **(ولذلك قيل لبعض الحكماء)** من الإسلاميين: **(ما الذي أرادوا بالخلوة واختيار العزلة؟ قال: ليستدعوا)** أي ليستجلبوا **(بذلك دوام الفكرة وتثبيت العلوم)** الإلهية التي وهبوها فضلاً **(في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة)** في الدارين **(ويذوقوا حلاوة المعرفة)** بالله ومن هنا قول بعضهم: خرج أكثر العارفين بالله من الدنيا وهم في حسرة إذا لم يذوقوا لذة المعرفة، **(وقيل لبعض الرهبان)** من الإسلاميين إذ رآه منتبذ من الناس: **(ما أصبرك على الوحدة؟ فقال: ما أنا وحدي أنا جليس الله تعالى إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه)** فإنه كلامه منه إليه، **(وإذا شئت أن أناجيه صليت)** وقد ورد أن المصلي يناجي ربه، **(وقيل لبعض الحكماء: أي شيء أفضى بهم الزهد)** عن الدنيا **(والخلوة)** عن الناس أو الاعتزال؟ **(فقال: إلى الإنس بالله عز وجل)** أشار بذلك إلى ثمرتها. **(وقال سفيان بن عيينة)** أبو محمد الهلالي، مولاهم المكي. هكذا في سائر النسخ وهو غلط نشأ من تصحيف والصواب وقال شقيق لأن سفيان مات سنة ١٩٨ وابن أدهم متأخر: **(لقيت إبراهيم بن أدهم)** البلخي قدس سره في بلاد الشلام **(فقلت: يا إبراهيم تركت خراسان)** اسم إقليم ببلاد فارس؟ **(فقال: ما تهنأت بالعيش أفر بديني من شاهق إلى شاهق)** وهو المرتفع من الجبال، **(فمن رآني يقول)** هذا **(موسوس أو جمال أو فلاح)** أخرجه صاحب الحلية عن شقيق على الصواب فقال: حدثنا عبد الله بن محمد ومحمد بن إبراهيم قالا: حدثنا أبو يعلى، حدثنا عبد الصمد بن يزيد قال: سمعت شقيقاً البلخي يقول: لقيت إبراهيم بن أدهم في بلاد الشام فقلت: يا إبراهيم تركت خراسان فساقه وفيه بعد قوله إلى شاهق ومن جبل إلى جبل فمن يراني يقول: هو موسوس ومن يراني يقول هو جمال.

(وقيل لغزوان الرقاشي) هو غزوان بن يوسف، روى عن الحسن، وعنه نصر بن علي الجهضمي. قال البخاري: تركوه كذا في الديوان للذهبي: **(هبك لا تضحك فما يمنعك من مجالسة إخوانك. قال: إني أصبت)** أي وجدت **(راحة قلبي في مجالسة من عنده حاجتي،**

حاجتي. وقيل للحسن: يا أبا سعيد؛ ههنا رجل لم نره قط جالساً إلا وحده خلف سارية. فقال الحسن: إذا رأيتموه فأخبروني به، فنظروا إليه ذات يوم فقالوا للحسن: هذا الرجل الذي أخبرناك به، وأشاروا إليه؛ فمضى الحسن إليه وقال له: يا عبدالله أراك قد حببت إليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس؟ فقال: أمر شغلني عن الناس، قال: فما يمنعك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس إليه؟ فقال: أمر شغلني عن الناس، وعن الحسن. فقال له الحسن: وما ذاك الشغل يرحمك الله؟ فقال: إني أصبح وأمسي بين نعمة وذنب فرأيت أن أشغل نفسي بشكر الله تعالى على النعمة والاستغفار من الذنب، فقال له الحسن: أنت يا عبدالله أفقه عندي من الحسن فألزم ما أنت عليه. وقيل: بينما أويس القرني جالس إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس: ما جاء بك؟ قال: جئت لآنس بك، فقال أويس: ما كنت أرى أن أحداً يعرف ربه فيأنس بغيره، وقال الفضيل: إذا رأيت الليل مقبلاً فرحت به وقلت اخلو بربي، وإذا رأيت الصبح أدركني

وقيل للحسن) البصري: **(ههنا)** أي في مسجد البصرة **(رجل لم نره جالساً قط إلا وحده خلف سارية)** من سواري المسجد، **(فقال الحسن: إذا رأيتموه فاخبروني به فنظروا إليه ذات يوم، فقالوا للحسن: هذا الرجل الذي أخبرناك به وأشاروا إليه فمضى إليه)** الحسن **(وقال له: يا عبد الله أراك قد حببت إليك العزلة)** والانفراد **(فما)** الذي **(يمنعك من مجالسة الناس؟ فقال: أمر شغلني عن الناس. قال: فما يمنعك أن تأتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن)** يعني نفسه **(فتجلس إليه)** فتستفيد منه؟ **(فقال: أمر شغلني عن الناس وعن الحسن، فقال له)** الحسن: **(وما ذاك الشغل يرحمك الله؟ قال: إني أصبح وأمسي بين نعمة وذنب، فرأيت أن أشغل نفسي بشكر الله على النعمة والاستغفار من الذنب. قال له الحسن: أنت يا عبد الله أفقه عندي من الحسن فالزم ما أنت عليه)** أي لما رآه الحسن مشغولاً بما هو أهم لم يأمره بالخلطة وتركه على ما هو فيه.

(وقيل: بينما أويس) بن عامر **القرني** محركة روى له مسلم قصة مختصرة في آخر صحيحه، وهو سيد التابعين قتل بصفين وله ترجمة واسعة **(جالس إذ أتاه هرم)** ككتف **(ابن حيان)** أحد الأولياء المشهورين ترجمته في الحلية **(فقال أويس: ما جاء بك؟ قال: جئت لآنس بك. فقال أويس: ما كنت أرى أن أحداً يعرف ربه فيأنس بغيره)**. قال أحمد في الزهد: حدثنا محمد بن مصعب، سمعت مخلداً هو ابن حسين ذكر عن هشام يعني ابن حسان عن الحسين أن هرماً مات في غزاة في يوم صائف، فلما فرغ من دفنه جاءته سحابة حتى كانت حيال القبر فرشت القبر حتى روي لا تجاوز قطرة ثم عادت عودها على بدئها.

(وقال الفضيل) قدس سره: **(إذا رأيت الليل مقبلاً فرحت به وقلت أخلو بربي)** أي

استرجعت كراهية لقاء الناس وأن يجيئني من يشغلني عن ربي. وقال عبدالله بن زيد: طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: يناجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة، وقال ذو النون المصري: سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاته ربه. وقال مالك بن دينار: من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قلّ علمه وعمي قلبه وضيع عمره. وقال ابن المبارك: ما أحسن حال من انقطع إلى الله تعالى! ويروى عن بعض الصالحين أنه قال: بينما أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بعابد خارج من بعض تلك الجبال فلما نظر إليّ تنحى إلى أصل شجرة وتستر بها فقلت: سبحان الله تبخل عليَّ بالنظر إليك؟ فقال: يا هذا إني أقمت في هذا الجبل دهراً طويلاً أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها فطال في ذلك تعبي وفني فيه

لقلة مخالطة الناس عامة، (**وإذا رأيت الصبح**) قد انفجرو (**أدركني استرجعت**) أي قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون وهي كلمة تقال عند حلول المصيبة (**كراهية لقاء الناس وان يجيئني من يشغلني عن ربي**). أخرجه أبو نعيم في الحلية، وفي ترجمة سفيان الثوري من طريق يزيد بن توبة قال: قال لي سفيان: إني لأفرح إذا جاء الليل ليس إلا لأستريح من رؤية الناس.

(**وقال عبد الله بن زيد**) كذا في النسخ، والصواب عبد الواحد بن زيد، وهو البصري المذكر. قال البخاري والنسائي متروك كذا في الديوان للذهبي، وقد روي عن الحسن البصري وأسلم الكوفي وغيرهما: (**طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة. قيل له: وكيف ذلك؟ قال: يناجي الله في الدنيا**) أي في حال صلواته، فإن المصلي يناجي ربه كما في الخبر، (**ويجاوره في الآخرة**) في الفردوس الأعلى وهذه المجاورة هي ثمرة المناجاة.

(**وقال ذو النون المصري**) قدس سره: (**سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة ربه**) وهو يحتمل أن يكون بمناجاة ربه إياه، وذلك بتلاوة كلامه وأن يكون بمناجاته ربه وذلك بالصلاة والمراقبة. (**وقال مالك بن دينار**) أبو يحي البصري: (**من لم يأنس بمحادثة الله عز وجل عن محادثة المخلوقين فقد قلّ علمه وعمي قلبه وضيع عمره**). وعمى القلب كناية عن غلبة الران عليه. (**وقال**) عبد الله (**بن المبارك**) رحمه الله تعالى: (**ما أحسن حال من انقطع إلى الله عز وجل**) أي اعتزل عن الخلطة وحبب إليه الانقطاع إلى الله بالخلوة وتفرغ الفكر لعبادته. (**وروي عن بعض الصالحين أنه قال: بينا أنا أسير في بعض بلاد الشام إذا أنا بعابد**) من العباد (**خارج من بعض**) مغارات (**تلك الجبال فلما نظر إليَّ تنحى**) أي صار في ناحية والتجأ (**إلى أصل شجرة وتستر بها**) أي بالشجرة، وفي بعض النسخ به أي بأصل الشجرة (**فقلت: سبحان الله تبخل عليّ بالنظر إليك! فقال: يا هذا**) عذري (**أني أقمت في هذا الجبل دهراً طويلاً أعالج قلبي في الصبر عن الدنيا وأهلها**) أي بعدم الميل إليها والمخالطة بأهلها، (**فطال في**

عمري، فسألت الله تعالى أن لا يجعل حظي من أيامي في مجاهدة قلبي، فسكنه الله عن الاضطراب وألفه الوحدة والانفراد، فلما نظرت إليك خفت أن أقع في الأمر الأول فإليك عني فإني أعوذ من شرك برب العارفين وحبيب القانتين، ثم صاح: واغماه من طول المكث في الدنيا، ثم حوّل وجهه عني ثم نفض يديه وقال: إليك عني يا د يا لغيري فتزيني وأهلك فغري، ثم قال: سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة وحلاوة الانقطاع إليه ما ألهى قلوبهم عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان، وجمع همهم في ذكره فلا شيء ألذ عندهم من مناجاته. ثم مضى وهو يقول: قدوس قدوس. فإذاً في الخلوة أنس يذكر الله واستكثار من معرفة الله وفي مثل ذلك قيل:

وإني لاستغشي وما بي غشوة ... لعلّ خيالاً منك يلقى خياليا
وأخرجُ من بين الجلوس لعلني ... أحدث عنك النفس بالسر خالياً

ولذلك قال بعض الحكماء: إنما يستوحش الإنسان من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة

ذلك تعبي وفني فيه عمري) ولم أحصل ذلك، **(فسألت الله عز وجل أن لا يجعل حظي من أيامي)** الباقية **(في مجاهدة قلبي، فسكنه الله عز وجل عن الإضطراب)** والقلق **(وأنس الوحدة والانفراد، فكلما نظرت إليك خفت أن أقع في الأمر الأوّل)** وهو الخلطة، **(فإليك عني)** أي تنح عني بعيداً **(فإني أعوذ من شرك برب العالمين وحبيب القانتين، ثم صاح)** وقال: **(واغماه من طول المكث في الدنيا ثم حوّل وجهه عني ثم نفض يديه وقال: إليك عني يا دنيا لغيري فتزيني ولأهلك الذين أحبوك فغري)** أي أوقعيهم في الغرور **(ثم قال: سبحان من أذاق قلوب العارفين من لذة الخدمة)** إشارة إلى العبادة **(وحلاوة الانقطاع)** عن الخلق **(ما ألهى قلوبهم)** أي شغلها **(عن ذكر الجنان وعن الحور الحسان)** إلى هنا في غالب النسخ وفي بعضها بزيادة: **(وجمع هممهم في ذكره فلا شيء ألذ عندهم من مناجاته، ثم)** تركني و**(مضى وهو يقول: قدوس قدوس)**. وهذا رجل قد استهلك في حب الله وتنزه عما سواه ونزه الله عما لا يليق بجلاله وكبريائه ألوف بالوحدة نفور عن الكثرة، **(فإذاً في الخلوة أنس بذكر الله تعالى واستكثار من معرفة الله تعالى وفيه قيل)**.

(وإني لأستغشي وما بي غشوة) وفي بعض النسخ وإني لاستغفي وما بي غفوة، وفي أخرى: نعسة والغشوة والغفوة والنعسة بمعنى واحد **(لعل خيالاً منك يلقى خيالياً)** أشار به إلى الوصال المعنوي.

(وأخرج من بين الجلاّس) أي الجماعة الجالسين **(لعلني أحدث منك النفس بالسر خالياً)** أشار به إلى المراقبة ومنها يتم المكالمة والمحادثة.

(ولذلك قال بعض الحكماء إنما استوحش الإنسان من نفسه) وأكرها **(لخلو ذاته عن**

فيكثر حينئذ ملاقاة الناس ويطرد الوحشة عن نفسه بالسكون معهم، فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة. وقد قيل: الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس فإذا هذه فائدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص ومن يتيسر له بدوام الذكر الأنس بالله أو بدوام الفكر التحقق في معرفة الله فالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة، فإن غاية العبادات وثمرة المعاملات أن يموت الإنسان محباً لله عارفاً بالله ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر ولا معرفة إلا بدوام الفكر. وفراغ القلب شرط في كل واحد منها ولا فراغ مع المخالطة.

الفائدة الثانية:

التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الإنسان لها غالباً بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة: الغيبة والنميمة، والرياء، والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن

الفضيلة) والكمال، **(فيكثر حينئذ ملاقاة الناس)** والاستئناس بهم **(ويطرد الوحشة)** بذلك **(عن نفسه، فإذا كانت ذاته فاضلة)** كاملة **(طلبت الوحدة)** والانفراد وحبب إليها الخلاء **(لتستعين بها على الفكرة وتستخرج العلم)** النافع **(والحكمة)** الإلهية، **(وقد قيل: الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس)**. يقال: أفلس إذا قلّ ماله. وقال القشيري في الرسالة: سمعت أبا علي يقول: سمع الشبلي يقول: الإفلاس الإفلاس فقيل له: يا أبا بكر ما الإفلاس؟ قال: من علامات الإفلاس الاستئناس بالناس. **(فإذاً هذه فائدة جزيلة ولكن في حق بعض الخواص)** وهم الذين كلمهم الله بالمعارف الظاهرة وحلى باطنهم بالأنوار الباهرة، **(ومن يتيسر له بدوام الذكر)** بأن لا يفتر عنه طرفه عين **(الإنس بالله أو بدوام الفكر التحقق في معرفة الله)** أو فيما يكون وسيلة إليها، **(فالتجرد له أفضل من كل ما يتعلق بالمخالطة)** والمعاشرة، **(فإن غاية العبادات وثمرة المعاملات)** أي منتهى ما قابل السالك منها **(أن يموت الإنسان محباً لله عارفاً بالله)** وإليه الإشارة في الخبر، «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله» **(فلا محبة إلا بالإنس الحاصل بدوام الذكر)** القلبي، **(ولا معرفة إلا بدوام الفكر)** الروحي **(وفراغ القلب)** من خطور خيال السوي **(شرط في كل واحد منها)** لا يتم إلا به، **(ولا فراغ مع المخالطة)** إذ ليس في الجوف قلبان.

الفائدة الثانية:

(التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يعرض الإنسان لها غالباً بالمخالطة والمعاشرة ويسلم منها في الخلوة) عنهم **(وهي أربعة: الغيبة، والرياء، والسكوت عن الامر بالمعروف**

المنكر، ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا.

أما الغيبة، فإذا عرفت من كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت أن التحرز عنها مع المخالطة عظيم لا ينجو منها الصديقون. فإن عادة الناس كافة التمضمض باعراض الناس والتفكه بها والتنقل بحلاوتها وهي طعمتهم ولذتهم وإليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة. فإن خالطتهم ووافقتهم أثمت وتعرضت لسخط الله تعالى، وإن سكت كنت شريكاً، والمستمع أحد المغتابين، وإن أنكرت أبغضوك وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة إلى غيبة، وربما زادوا على الغيبة وانتهوا إلى الاستخفاف والشتم.

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو من أصول الدين وهو واجب ـ كما سيأتي بيانه في آخر هذا الربع ـ ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فإن سكت عصي الله به، وإن أنكر تعرض لأنواع من الضرر إذ ربما يجره طلب الخلاص

والنهي عن المنكر، ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة التي يوجبها الحرص على الدنيا) أي التكالب على تحصيلها.

(أما الغيبة: فإذا عرفت في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات وجوهها عرفت أن التحرز عنها مع المخالطة) أمر **(عظيم لا ينجو منها إلا الصديقون)** ومن عصمه الله تعالى من غيرهم، **(فإن عادة الناس)** المستمرة في كل زمان **(التمضمض بأعراض الناس)** أي إدارة اللسان بها **(والتفكه بها)** أي جعلها كالفاكهة في لسانهم، **(والتنقل بحلاوتها فهم طعمتهم ولذتهم وإليها يستريحون من وحشتهم في الخلوة)** كأنهم يستأنسون بها مع الأحباب، **(فإن خالطتهم)** وعاشرتهم **(ووافقتهم)** فيها فقد **(أثمت)** أي وقعت في الإثم **(وتعرضت لسخط الله)** وغضبه، **(وإن سكت)** ولم تفاوضهم فيها **(كنت شريكاً)** لهم **(والمستمع أحد المغتابين)** كما ورد في الخبر، **(وإن أنكرت)** ما يقولون **(أبغضوك)** وجفوك **(وتركوا ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة إلى الغيبة، وربما ازدادوا على الغيبة وانتهوا إلى الاستخفاف والشتم)** والأذى الحاضر باليد.

(وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أصول الدين وهو واجب) بشروط **(كما سيأتي بيانه في آخر هذا الربع)** أي ربع العادات **(إن شاء الله تعالى)** على وجه التفصيل، **(ومن خالط الناس)** في مجالسهم **(فلا يخلو من مشاهدة المنكرات)** الشرعية والعرفية، **(فإن سكت)** عن الإنكار عليها **(عصى الله به)** أي بسكوته، ، **(وإن أنكر)** كما أمر **(تعرض**

منها إلى معاص هي أكبر مما نهى عنه ابتداء. وفي العزلة خلاص من هذا فإن الأمر في إهماله شديد والقيام به شاق. وقد قام أبو بكر رضي الله عنه خطيباً وقال: أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذين آمَنُوا عليكم أَنْفُسَكُم لا يضرُّكُم من ضلّ إذا اهتديتم﴾ [المائدة: ١٠٥] وإنكم تضعونها في غير موضعها وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب ». وقد قال ﷺ:

لأنواع) شتى (من الضرر) الحاصل في الحال والمال، (وربما يجره طلبه الخلاص منها إلى) ارتكاب معاص (أكبـر مما هي عليه) وفي نسخة هي أكبر مما نهى عنه (ابتداء، في العزلة) عن الناس (خلاص منه فإن الأمر في إهماله شديد والقيام به شاق) أي ذو مشقة، (وقد قام أبو بكر رضي الله عنه خطيباً) على المنبر (وقال): وعن قيس بن أبي حازم قال: لما ولي أبو بكر صعد المنبر فحمد الله ثم قال: (يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية) وهي في سورة المائدة (﴿يا أيّها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ وإنكم تضعونها في غير موضعها) وفي نسخة: على غير مواضعها، (وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا رأى الناس المنكر ») وفي لفظ « إن الناس إذا رأوا المنكر » (فلم يغيروه) وفي لفظ « ولا يغيرونه » (أوشـك أن يعمهم الله بعقاب ») قال العراقي: رواه أصحاب السنن. قال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلـت: ورواه أيضاً بهذا السياق أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف، وأحمد، وعبد بن حميد، والعوفي، وابن منيع، والحميدي في مسانيدهم، وأبو يعلى، والكنجي في سننه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والدارقطني في الإفراد، وابن منده في غرائب شعبة، وأبو الشيخ وابن مردويه وأبو ذر الهروي في الجامع، وأبو نعيم في المعرفة والبيهقي في الشعب، والضياء في المختارة كلهم من حديث قيس بن أبي حازم. وقال الدارقطني في العلل: جميع رواته ثقات. وفي لفظ لابن جرير، صعد أبو بكر منبر رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس إنكم لتتلون آية في كتاب الله وتعدونها رخصة والله ما أنزل الله في كتاب أشد منها ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضرّكم من ضل إذا اهتديتم﴾ والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليعمنكم الله بعقاب.

وقال البزار في مسنده: حدثنا يحي بن حبيب بن عربي، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن إسماعيل ابن أبي خالد قال: سمعت أبا بكر الصديق رحمه الله يقول: أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن أمتي إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعقاب ». قال البزار: وهذا الكلام لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بهذا اللفظ إلا عن أبي بكر عنه، وقد أسند هذا الحديث جماعة عن أبي بكر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ ووافقه جماعة، فكان ممن أسنده شعبة

« إن الله ليسأل العبد حتى يقول له ما منعك إذا رأيت المنكر في الدنيا أن تنكره فإذا لقن الله العبد حجته قال: يا رب رجوتك وخفت الناس » وهذا إذا خاف من ضرب أو أمر لا يطاق. ومعرفة حدود ذلك مشكلة وفيه خطر. وفي العزلة خلاص. وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إثارة للخصومات وتحريك لغوائل الصدور كما قيل:

وكم سقت في آثاركم من نصيحة ... وقد يستفيد البغضة المتنصح

ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالباً، فإنه كجدار مائل يريد الإنسان أن يقيمه فيوشك أن يسقط عليه، فإذا سقط عليه يقول يا ليتني تركته مائلاً. نعم لو وجد أعواناً أمسكوا الحائط حتى يحكمه بدعامة لاستقام وأنت اليوم لا تجد الأعوان فدعهم وانج بنفسك.

وزائدة بن قدامة، والمعتمر بن سليمان، ويزيد بن هارون وغيرهم، فأما حديث شعبة فحدثنا محمد ابن معتمر، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا شعبة عن إسماعيل بن قيس بن أبي حازم، عن أبي بكر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ.

وأما حديث زائدة، فحدثنا محمد بن المثنى، حدثنا روح عن زائدة، عن إسماعيل، عن قيس، عن أبي بكر، عن النبي ﷺ بنحو حديث المعتمر، وأسنده شعبة عن معاذ بن جبل وروح بن عبادة وعثمان بن عمر، ورواه بيان عن قيس عن أبي بكر موقوفاً.

(**وقد قال** ﷺ **« إن الله يسأل العبد**) أي يوم وقوفه بين يديه (**حتى يقول ما منعك إذا رأيت المنكر في الدنيا أن تغيره**) بيدك أو بلسانك، (**فإذا لقن الله العبد حجته فيقول: يا رب رجوتك وخفت الناس»**) قال العراقي. رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد، (**وهذا إذا خاف**) الناس (**من ضرب أو أمر لا يطاق**) كقلع عضو وغيره ممن له ولاية ذلك (**ومعرفة حدود ذلك مشكل وفيه خطر**) عظيم، (**وفي العزلة له خلاص**) من ذلك، (**وفي الأمر بالمعروف إثارة الخصومات**) وتهييج الشر، (**وتحريك لغوائل الصدور**) المستحنة (**كما قيل:**

(وكم سقت في آثاركم من نصيحة ... وقد يستفيد البغضة المتنصح)

(**ومن جرب الأمر بالمعروف ندم عليه غالباً فإنه**) في المثال (**كجدار مائل**) إلى السقوط (**يريد الإنسان أن يقيمه**) عن ميلانه (**فيوشك أن يسقط عليه، فإذا سقط عليه فيقول: ليتني تركته مائلاً**) وما لي ولإقامته وهذا حيث لا ينفعه الندم، (**نعم لو وجد أعواناً**) أي أنصاراً (**أمسكوا الحائط**) وشدوه بأخشاب وحبال (**حتى يحكمه**) أي يثبته (**بدعامة**) من حجارة أو خشب (**استقام**) أي استوى قائماً (**وأنت اليوم لا تجد الأعوان**) قط (**فدعهم**) ودع الحائط (**وانج بنفسك**) فهو أولى الأحوال بك.

وأما الرياء ؛ فهو الداء العضال الذي يعسر على الأبدال والأوتاد الاحتراز عنه . وكل من خالط الناس داراهم ، ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا . وأقل ما يلزم فيه النفاق فإنك إن خالطت متعادين ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه صرت بغيضاً إليهما جميعاً ، وإن جاملتهما كنت من شرار الناس . قال عليه الصلاة والسلام : « إن من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه » ، وأقل ما يجب في مخالطة الناس إظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك عن كذب إما في

(وأما الرياء فهو الداء العضال) أي المشكل مداواته **(الذي يعسر على)** طائفة **(الأبدال والاوتاد الاحتراز عنه)** فكيف بغيرهم . أما الابدال فقد تقدم ذكرهم ، والأوتاد أربعة في كل زمن لا يزيدون ولا ينقصون . قال الشيخ الأكبر قدس سره : رأيت منهم رجلاً بمدينة فاس ينخل الحناء بالأجرة اسمه ابن جعدون أحدهم يحفظ الله به المشرق وولايته فيه ، والآخر المغرب ، والآخر الجنوب ، والآخر الشمال ، ويعبر عنهم بالجبال فحكمهم في العالم حكم الجبال في الأرض ، وألقابهم في كل زمن عبد الحي وعبد المريد وعبد العليم وعبد القادر . **(وكل من خالط الناس)** وعاشرهم **(داراهم)** أي عاملهم بالمداراة ، **(ومن داراهم راياهم)** أي عاملهم بالرياء **(ومن راياهم وقع فيما وقعوا وهلك فيما هلكوا)** نقله صاحب القوت عن الثوري وهو في الرسالة للقشيري عن يحي بن أبي كثير إلى قولهم راياهم . **(وأول من يلزم فيه)** أي الرياء **(النفاق)** وهو اظهار ما في الباطن خلافه ، **(فإنك إذا خالطت متعادين)** أي شخصين كل منهما عدو للآخر **(ولم تلق كل واحد منهما بوجه يوافقه)** في رأيه وهواه **(صرت بغيضاً إليهما جيمعاً وإن جاملتهما كنت من شرار الناس)** واستثنى من ذلك ما كان القصد فيه الإصلاح .

(وقال ﷺ « تجدون من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ») قال العراقي : متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ .

قلت : وكذا رواه أحمد ولفظهم جميعاً « تجدون الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهة قبل أن يقع فيه وتجدون شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين الذين يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه » .

(وقال ﷺ : « إن من شرار الناس ذا الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ») قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي هريرة وهو الذي قبله اهـ .

قلت : وقد تقدم ذلك في آخر كتاب قواعد العقائد وفي بعض النسخ بل أكثرها الاقتصار على الحديث ، **(وأقل ما يجب في المخالطة للناس إظهار الشوق)** لملاقاتهم **(والمبالغة فيه)** كان يقول : لا أرتاح إلا برؤياك أواني أتذكرك في كل ساعة وأمثال ذلك ، **(ولا يخلو ذلك عن**

الأصل وإما في الزيادة، وإظهار الشفقة بالسؤال عن الأحوال بقولك: كيف أنت؟ وكيف أهلك؟ وأنت في الباطن فارغ القلب من همومه، وهذا نفاق محض. قال سري: لو دخل علي أخ لي فسويت لحيتي بيدي لدخوله لخشيت أن أكتب في جريدة المنافقين. وكان الفضيل جالساً وحده في المسجد الحرام فجاء إليه أخ له فقال له: ما جاء بك؟ قال: المؤانسة يا أبا علي فقال: هي والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تتزين لي وأتزين لك وتكذب لي وأكذب لك؟ إما أن تقوم عني أو أقوم عنك. وقال بعض العلماء: ما أحب الله عبداً إلا أحب أن لا يشعر به. ودخل طاوس على الخليفة هشام فقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب عليه وقال: لِمَ لم تخاطبني يا أمير المؤمنين؟ فقال: لأن جميع المسلمين ما اتفقوا على خلافتك فخشيت أن أكون كاذباً. فمن أمكنه أن يحترز هذا

كذب) صريح **(أما في الأصل وأما في الزيادة وإظهار الشفقة في السؤال عن الأحوال)** المتعلقة به **(بقوله كيف أنت وكيف أهلك)** وربما سمي كيف فلان وكيف فلانة، **(وأنت في الباطن فارغ القلب من همومه)** لا تهتم له مطلقاً **(وهذا نفاق محض، وقال بعضهم)** هو سري السقطي رحمه الله تعالى: **(لو دخل علي رجل فسويت لحيتي)** أي أصلحتها بالمشط **(لدخوله)** أي لأجله **(لخشيت أن أكتب في جريدة المنافقين)** أي أحشر في زمرتهم، وقد وجد هنا في بعض النسخ زيادة. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إن الرجل منكم ليخرج من بيته فيلقي الرجل له إليه حاجة فيقول: ذيت وذيت فيمدحه، فعسى أن لا يحظى من حاجته بشيء فيرجع وقد أسخط الله عليه ما معه من دينه شيء.

(وكان الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى **(جالساً وحده في المسجد الحرام فجاء إليه أخ له)** في الله تعالى **(فقال له)** الفضيل: **(ما جاء بك؟ قال: المؤانسة)** أي لأجلها **(يا أبا علي)** وكان الفضيل يكنى كذلك، **(قال: هي والله بالمواحشة أشبه)** منه بالمؤانسة. **(هل تريد إلا أن تتزين لي)** في كلامك **(وأتزين لك)** في كلامي **(وتكذب لي واكذب لك. إما أن تقوم عني وإما أن أقوم عنك)**. وأخرج أبو نعيم نحوه في الحلية من طريق أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا علي بن الحسين قال: بلغ فضيلاً أن جريراً يريد أن يأتيه. ؛ قال: فأقفل الباب من خارج، فجاء جرير فرأى الباب مقفلاً فرجع. قال علي: فبلغني ذلك فأتيته فقلت: جرير، فقال: ما يصنع بي يظهر لي محاسن كلامه، وأظهر له محاسن كلامي فلا يتزين لي ولا أتزين له خير له.

(وقال بعض العلماء: ما أحب الله عبداً إلا أحب أن يشعر به) أي لا يعلم به أي بان جعله خامل الذكر بين الناس لا يشار إليه بالبنان، فالخمول علامة حب الله للعبد. **(ودخل طاوس)** بن كيسان اليماني **(على الخليفة)** يومئذ **(هشام)** بن عبد الملك الأموي **(فقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب عليه وقال: لم لم تخاطبني بأمير المؤمنين؟ فقال: لأن جميع المسلمين لم يتفقوا على خلافتك، فخشيت أن أكون كذاباً)** تقدم نحو ذلك في الكتاب الذي قبله، وفيه:

الاحتراز فليخالط الناس وإلا فليرض باثبات اسمه في جريدة المنافقين. فقد كان السلف يتلاقون ويحترزون في قولهم كيف أصبحت؟ وكيف أمسيت؟ وكيف أنت؟ وكيف حالك؟ وفي الجواب عنه. فكان سؤالهم عن أحوال الدين لا عن أحوال الدنيا. قال حاتم الأصم لحامد اللفاف: كيف أنت في نفسك؟ قال: سالم معافى. فكره حاتم جوابه وقال: يا حامد السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة. وكان إذا قيل لعيسى ﷺ: كيف

فغضب عليه هشام وقال: صرحت باسمي ولم تكنني فراجعه، **(فمن أمكنه أن يحترز هذا الاحتراز فليخالط الناس)** ويسوغ له الدخول على الملوك وإني له ذلك **(وإلاً فليرض بإثبات اسمه في جريدة المنافقين)** لأنه يظهر خلاف ما يبطنه، **(فقد كان السلف يتلاقون)** مع بعضهم **(ويحترزون في قولهم. كيف أصبحت وكيف أمسيت)** وكيف أنت **(وكيف حالك؟ وفي الجواب عنه: وكان سؤالهم عن أحوال الدين لا عن أحوال الدنيا)** ومنهم فضيل بن عياض رحمه الله تعالى، فقد أخرج أبو نعيم في الحلية من طريق إسحاق بن إبراهيم قال: قال رجل للفضيل: كيف أصبحت يا أبا علي وكان يثقل عليه كيف أصبحت وكيف أسميت؟ فقال: في عافية. وفي القوت في آخر كتاب العلم ما نصه: كان الناس قديماً إذا التقوا يقول أحدهم لصاحبه: ما خبرك وما حالك؟ يعنون بذلك ما خبر نفسك في مجاهدتها وصبرها وما حال قلبك من مزيد الإيمان وعلم اليقين، ويريدون أيضاً ما خبرك في المعاملة لمولاك وما حالك في أمور الدين والآخرة هل ازدادت أم انتقصت فيتذاكرون أحوال قلوبهم ويصفون أعمالهم علومهم، ويذكرون ما وهب الله تعالى لهم من حسن المعاملة وما فتح لهم من غرائب الفهوم، فكان هذا من تقرير نعم الله عليهم ومن جيل شكرهم، ويكون مزيداً لهم في المعرفة والمعاملة، وقد كان بعضهم يقول: أكثر علومنا ومواجيدنا يعرفه بعضنا من بعض وما يخبر به أحدنا أخاه إذا التقيا فقد جهل هذا اليوم فترك فهم إذا تساءلوا عن الخبـر والحال إنما يريدون الدنيا وأسباب الهوى، ثم يشكو كل واحد مولاه الجليل إلى عبده الذليل، ويتسخط أحكامه ويتبرم بقضائه وينسى نفسه وما قدمت يداه فمثله كما قال الله عز وجل: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه﴾ [الكهف: ٥٧] وكما قال تعالى ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ [العاديات: ٦] قيل: كفور بنعمه يعدد المصائب وينسى النعم كل ذلك جهالة بالله وغفلة عنه، ومنه قولهم الآن: كيف أصبحت كيف أمسيت هذا محدث إنما كانوا إذا التقوا قالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اهـ.

(قال حاتم) بن علون **(الأصم)** رحمه الله تعالى **(لحامد اللفاف)** له ذكر في الحلية في ترجمة حاتم روى عنه فأكثر وعنه محمد بن الليث: **(كيف أنت في نفسك؟ قال:)** حامد **(سالم معافى. فكره حاتم جوابه)** أي لأنه على خلاف سنّة السلف. **(وقال: يا حامد السلامة من وراء الصراط)** أي إن نجوت من هذه العقبة **(والعافية في الجنة)** أراد به العافية الكاملة المقصودة بذاتها فعلى هذا كل من العافية والسلام لا يتحصلان إلا بعد الخروج من هذا العالم. **(وكان إذا**

أصبحت؟ قال: أصبحت لا أملك تقديم ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتهناً بعملي والخير كله في يد غيري ولا فقير أفقر مني، وكان الربيع بن خيثم إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من ضعفاء مذنبين نستوفي أرزاقنا وننتظر آجالنا. وكان أبو الدرداء إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بخير إن نجوت من النار. وكان سفيان الثوري إذا قيل له: كيف أصبحت؟ يقول: أصبحت أشكر ذا إلى ذا وأذم ذا إلى ذا وأفرّ من ذا إلى ذا، وقيل لأويس القرني: كيف أصبحت؟ قال: كيف يصبح رجل إذا أمسى لا يدري أنه يصبح وإذا أصبح لا يدري أنه يمسي؟ وقيل لمالك بن دينار: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد. وقيل لبعض الحكماء: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت لا أرضى حياتي لماتي ولا نفسي لربي. وقيل لحكيم: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت آكل رزق ربي وأطيع عدوه إبليس. وقيل لمحمد بن واسع: كيف أصبحت؟ قال: ما ظنك برجل يرتحل كل يوم إلى الآخرة

قيل لعيسى عليه السلام كيف أصبحت؟ قال: لا أملك نفع ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتهناً بعملي والخير كله في يد غيري فلا فقير أفقر مني). وقد ورد في المرفوع من كلام نبينا ﷺ بلفظ اللهم إني أصبحت لا أملك الخ.

(وكان الربيع بن خيثم) بن عائذ الثوري الكوفي **(إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفي أرزاقنا وننتظر آجالنا. وكان أبو الدرداء)** رضي الله عنه **(وإذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بخير إن نجوت من النار)** وكان أيضاً يقول: ما بت ليلة سلمت فيها لم أرم فيها بداهية إلا عرفتها عافية عظيمة. أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وكان سفيان)** بن سعيد **(الثوري)** رحمه الله **(إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أشكو ذا إلى ذا وأذم ذا إلى ذا وأفرّ من ذا إلى ذا. وقيل لأويس)** بن عامر **(القرني)** رحمه الله تعالى: **(كيف أصبحت؟ فقال: كيف يصبح رجل إذا أمسى لا يدري أنه يصبح، وإذا أصبح لا يدري أنه يمسي. وقيل لمالك بن دينار)** أبي يحي البصري رحمه الله تعالى: **(كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد. وقيل لبعض الحكماء: كيف أصبحت؟ فقال أصبحت لا أرضي حياتي لماتي ولا نفسي لربي)** أي للقائه لما بها من الخبث والمخالفات. **(وقيل لحكيم: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت آكلُ رزق ربي وأطيع عدوّه إبليس)** أي فيما يأمرني من الهوى والمخالفات. **(وقيل لمحمد بن واسع)** البصري رحمه الله تعالى: **(وكيف أصبحت؟ يا أبا عبد الله؟ فقال: ما ظنك برجل يرحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة)** أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق مخلد بن الحسين عن هشام بن حسان قال: كان محمد بن واسع إذا قيل له كيف أصبحت أبا عبد الله؟ قال: قريباً أجلي بعيداً أملي. **(وقيل لحامد**

مرحلة. وقيل لحامد اللفاف: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أشتهي عافية يوم إلى الليل، فقيل له: ألست في عافية في كل الأيام؟ فقال: العافية يوم لا أعصي الله تعالى فيه، وقيل لرجل وهو يجود بنفسه: ما حالك؟ فقال: وما حال من يريد سفراً بعيداً بلا زاد ويدخل قبراً موحشاً بلا مؤنس وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة. وقيل لحسان بن أبي سنان: ما حالك؟ فقال: ما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب. وقال ابن سيرين لرجل: كيف حالك؟ فقال: وما حال من عليه خمسمائة درهم ديناً وهو مقيل؟ فدخل ابن سيرين منزله فأخرج له ألف درهم فدفعها إليه وقال: خمسمائة اقض بها دينك

اللفاف: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت أشتهي عافية يوم إلى الليل، فقيل له: ألست في عافية في كل الأيام؟ فقال: العافية يوم لا أعصي الله فيه) وهذا أخرجه أبو نعيم في ترجمة حاتم الأصم فقال: حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال: سمعت سعيد بن أحمد البلخي يقول: سمعت خالي محمد بن الليث يقول: قال رجل لحاتم: ما تشتهي؟ قال: أشتهي عافية يوم إلى الليل. فقيل له: أليست الأيام كلها عافية؟ قال: إن عافية يومي أن لا أعصي الله فيه. **(وقيل لرجل وهو يجود بنفسه)** أي في سكرات الموت: **(ما حالك؟ فقال: وما حال من يريد سفراً بعيداً بلا زاد، ويدخل قبراً موحشاً بلا مؤنس، وينطلق إلى ملك عدل بلا حجة. وقيل لحسان بن أبي سنان)** البصري العابد الصدوق. روى له البخاري في الصحيح تعليقاً وقد تقدم ذكره **(ما حالك؟ فقال: وما حال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب)** وإليه يشير قول القائل:

ولـــو أنــا إذا متنـــا تـــركنـــا ... لكـــان الموت راحـــة كـــل حـــي
ولكنـــا إذا متنـــا بعثنـــا ... ونســـأل بعـــد ذا عـــن كـــل شيء

وأخرج البيهقي في مناقب الشافعي من طريق الربيع بن سليمان قال: دخل المزني على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقال له: كيف أصبحت يا أستاذ؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً ولأخواني مفارقاً ولكأس المنية شارباً، وعلى الله وارداً ولسوء عملي ملاقياً. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا المفضل بن محمد، حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: قال رجل للفضيل: كيف أصبحت يا أبا علي؟ فقال: عن أي حال تسأل عن حال الدنيا أو حال الآخرة؟ إن كنت تسأل عن حال الدنيا فإن الدنيا قد مالت بنا وذهبت بنا كل مذهب، وإن كنت تسأل عن حال الآخرة فكيف ترى حال من كثرت ذنوبه وضعف عمله وفني عمره ولم يتزوّد لمعاده ولم يتأهب للموت ولم يتضع للموت ولم يتشمر للموت ولم يتزين للموت وتزين للدنيا، ثم قال: هاه وتنفس طويلاً وجعل يقول: أما تذكر الموت ويحك أما للموت في قلبك موضع إلى آخر ما قال.

(وقال) محمد **(بن سيرين)** رحمه الله تعالى **(لرجل: كيف حالك؟ فقال: وما حال من عليه خمسمائة درهم ديناً وهو معيل)** أي ذو عيال؟ **(فدخل ابن سيرين منزله فأخرج له ألف درهم فدفعها إليه وقال: خمسمائة اقض بها دينك)** الذي عليك **(وخمسمائة عُدْ بها على**

وخمسمائة عد بها على نفسك وعيالك ـ ولم يكن عنده غيرها ـ **فقال: والله لا أسأل أحداً** عن حاله أبداً . وإنما فعل ذلك لأنه خشي أن يكون سؤاله من غير **اهتمام بأمره فيكون** بذلك مرائياً منافقاً . فقد كان سؤالهم عن أمور الدين وأحوال **القلب في معاملة الله وإن** سألوا عن أمور الدنيا فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحاجة . **وقال بعضهم:** إني لأعرف أقواماً كانوا لا يتلاقون ولو حكم أحدهم على صاحبه **بجميع ما يملكه لم** يمنعه ، وأرى الآن أقواماً يتلاقون ويتساءلون حتى عن الدجاجة في البيت . ولو انبسط أحدهم لحبة من مال صاحبه لمنعه ، **فهل هذا إلا مجرد الرياء والنفاق؟ وآية ذلك أنك** ترى هذا يقول كيف أنت؟ ويقول الآخر: كيف أنت؟ **فالسائل لا ينتظر الجواب** والمسؤول يشتغل بالسؤال ولا يجيب وذلك لمعرفتهم بأن ذلك عن رياء وتكلف ، ولعل القلوب لا تخلو عن ضغائن وأحقاد والألسنة تنطق بالسؤال. قال الحسن: إنما كانوا يقولون السلام عليكم إذا سلمت والله القلوب ، وأما الآن: **فكيف أصبحت؟ عافاك الله** كيف أنت؟ أصلحك الله ، فإن أخذنا بقولهم كانت بدعة لا كرامة فإن شاءوا غضبوا

عيالك) أي أنفق عليهم **(ولم يكن عنده غيرها)** أي غير الألف المذكورة قيل: كان ذلك سبب افتقاره ، **(ثم قال: والله لا أسأل أحداً عن حاله أبداً وإنما فعل ذلك لأنه خشي أن يكون سؤاله عن)** حال الصديق عن **(غير اهتمام بأمره فيكون مرائياً منافقاً . فقد)** ظهر من ذلك أنه إنما **(كان سؤالهم عن أمور الدين)** والآخرة **(وأحوال القلب في معاملة الله)** لا عن أمور الدنيا وأسباب الهوى ، **(وإن سألوا عن أمور الدنيا فعن اهتمام وعزم على القيام بما يظهر لهم من الحالة)** واضطرّوا إليها كذا في القوت . **(وقال بعضهم: إني لأعرف أقواماً كانوا لا يتلاقون ولو حكم أحدهم على صاحبه بجميع ما ملكه لم يمنعه)** لسماحته وإيثاره ، **(وأرى الآن أقواماً يتلاقون ويتساءلون)** عن كل شيء **(حتى على الدجاجة في البيت)** كيف هي **(ولو انبسط أحدهم لحبة من مال صاحبه لمنعه ، فهل هذا إلا مجرد الرياء والنفاق)** كذا في القوت ، **(وآية ذلك أنك ترى هذا يقول)** لصاحبه: **(كيف أنت)** وكيف حالك؟ **(فالسائل لا ينتظر الجواب والمسؤول يشتغل بالسؤال ولا يجيب)** عن أحواله . **(وذلك لمعرفتهم بأن ذلك عن رياء وتكلف ، ولعل القلب لا يخلو عن ضغائن وأحقاد)** خفية **(والألسنة تنطلق بالسؤال)** فإنها رسوم عادية يجرونها بينهم لا ثمرة لها فهي بالعبث أشبه . **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(إنما كانوا يقولون: السلام إذا سلمت والله القلوب)** ولفظ القوت: وروى أبو معشر عن الحسن إنما كانوا يقولون: السلام عليكم سلمت والله القلوب. وفي نسخة لسلامة القلوب. **(وأما الآن)** ولفظ القوت: فأما اليوم **(كيف أصبحت؟ عافاك الله . كيف أنت؟)** وفي بعض نسخ القوت كيف أمسيت **(أصلحك الله ،**

علينا وإن شاءوا لا. وإنما قال ذلك لأن البداية بقولك: كيف أصبحت بدعة. وقال رجل لأبي بكر بن عياش: كيف أصبحت؟ فما أجابه وقال: دعونا من هذه البدعة. وقال: إنما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع، كان الرجل يلقاه أخوه غدوة فيقول: كيف أصبحت من الطاعون؟ ويلقاه عشية فيقول: كيف أمسيت؟ والمقصود أن الالتقاء في غالب العادات ليس يخلو عن أنواع من التصنع والرياء والنفاق، وكل ذلك مذموم، بعضه محظور وبعضه مكروه. وفي العزلة الخلاص من ذلك، فإن من لقي الخلق ولم يخالقهم بأخلاقهم مقتوه واستثقلوه

فإن أخذنا بقولهم كانت بدعة لا كرامة) أي لا نأخذ بقولهم ولا نلزمهم بذلك، **(فإن شاءوا غضبوا علينا، وإن شاءوا لا)** . وفي القوت: وإن شاءوا رضوا **(وإنما قالوا ذلك لأن البداية بقولك كيف أصبحت بدعة)** ففي الخبر: «من بدأكم بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه» وقد تقدم. **(قال رجل لأبي بكر بن عياش)** بن سالم الأسدي الكوفي المقري الحناط مشهور بكنيته واختلف في اسمه على ثلاثة عشر قولاً فقيل: شعبة أو سالم أو عبدالله أو محمد أو ردبة أو مسلم أو خداش أو مطرف أو حماد أو حبيب أو غير ذلك، والأوّل صححه أبو زرعة الرازي: والصحيح أن اسمه كنيته صححه ابن حبان وابن عبد البر وابن الصلاح والمدني والذهبي، وقد احتج به البخاري في صحيحه ووثقه أحمد وابن معين، مات سنة أربع وتسعين، وقد قارب المائة وفي طبقته أيضاً أبو بكر بن عياش السلمي فاضل مقبول له كتاب في غريب الحديث: **(كيف أصبحت)** أو كيف أمسيت؟ **(فما أجابه. وقال: دعونا من هذه البدعة)** أورده صاحب القوت فقال: حدثونا عن أحمد بن أبي الحواري قال: قال رجل لأبي بكر بن عياش فساقه. **(وقالوا: إنما حدث هذا في زمان الطاعون الذي كان يدعى طاعون عمواس)** بفتح العين والميم وآخره سين مهملة بلد **(بالشام)** قريب بيت المقدس، وكانت قديمة بدينة عظيمة **(من الموت الذريع)** أي السريع وهو أوّل طاعون وقع في الإسلام بهذا البلد في خلافة عمر رضي الله عنه. وقيل: إنما سمي به لكونه عم وآسى فركّب منها، وقيل: عمواس ولهذا لم يذكره صاحب القاموس. **(كان الرجل يلقاه أخوه غدوة فيقول: كيف أصبحت من الطاعون؟ ويلقاه عشية فيقول: كيف أمسيت)** من الطاعون؟ لأن أحدهم كان إذا أصبح لم يمس وإذ أمسى لم يصبح فبقي إلى هذا اليوم ونسي سببه، وكان من عرف حدوثه من المتقدمين يكرهه كذا في القوت، ومن ذلك قال أحمد بن أبي الحواري قلت لرجل من السلف: كيف أصبحت؟ فأعرض عني وقال: ما كيف أصبحت قل بالسلام؟ **(والمقصود أن الالتقاء في غالب العادات، ليس يخلو عن أنواع)** وأشكال **(من التصنع والرياء والنفاق وكل ذلك مذموم بعضه محظور)** كالأخيرين **(وبعضه مكروه)** كالأوّل **(وفي العزلة الخلاص من كل ذلك)** وفي بعض النسخ منها **(فإن من لقي الخلق ولم يخالقهم بأخلاقهم مقتوه)** أي بغضوه **(واستثقلوه)** أي عدوّه

واغتابوه وتشمروا لإيذائه، فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم.

وأما مسارقة الطبع مما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم فهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلاً عن الغافلين، فلا يجالس الإنسان فاسقاً مدة مع كونه منكراً عليه في باطنه إلا ولو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لأدرك بينهما تفرقة في النفرة عن الفساد واستثقاله. إذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة هيناً على الطبع فيسقط وقعه واستعظامه له، وإنما الوازع عنه شدة وقعه في القلب، فإذا صار مستصغراً بطول المشاهدة أوشك أن تنحل القوة الوازعة ويذعن الطبع للميل إليه أو لما دونه، ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استحقر الصغائر من نفسه. ولذلك يزدري الناظر إلى الأغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم في أن يستصغر ما عنده وتؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما أتيح له من النعم. وكذلك النظر إلى المطيعين والعصاة. هذا تأثيره في الطبع فمن يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة والتابعين في العبادة والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر إلى نفسه

ثقيلاً (**واغتابوه وتشمروا لإذايته**) والإستطالة فيه، (**فيذهب دينهم فيه ويذهب دينه ودنياه في الانتقام منهم**) والانتصاف بكل ما أمكن فيكون قد شغل نفسه بما يوقعه في الهلاك الأبدي.

(**وأما مسارقة الطبع لما يشاهده من أخلاق الناس وأعمالهم**) وهيئاتهم (**فهو داء دفين**) في الباطن (**وما ينتبه له العقلاء**) الكاملون (**فضلاً عن الغافلين**) والقاصرين، (**فلا يجالس الإنسان فاسقاً**) أو فاجراً ظالماً غشوماً (**مدة**) من الزمان (**مع كونه منكراً عليه في باطنه**) أي على فسقه وفجوره وظلمه (**إلا ولو قاس نفسه إلى ما قبل**) زمان (**مجالسته لأدرك فيها تفرقة في النفرة عن الفساد واستثقاله إذ يصير الفساد بكثرة المشاهدة له هيناً على الطبع**) سهلاً (**ويسهل وقعه واستعظامه له**) عنه، (**وإنما الوازع عنه**) أي المانع والحابس (**شدة وقعه في القلب**) وعظمته فيه، (**فإذا صار مستصغراً بطول المشاهدة أوشك أن تنحل القوّة الوازعة**) وتضعف (**ويذعن الطبع**) أي يطيع وينقاد (**للميل إليه**) بذاته. (**أو لما دونه ومهما طالت مشاهدته للكبائر**) الصادرة (**من غيره استحقر الصغائر من نفسه**) تهويناً بأمرها، (**ولذلك يزدري الناظر إلى الأغنياء**) في تجملاتهم أي يحتقر (**نعمة الله عليه**) ولذلك نهي عن النظر إليهم (**فيؤثر مجالستهم في أن يستصغر ما عنده من النعم**) ويزدريها (**وتؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما أتيح له من النعم**) وهو يرفل فيها فالمعية مؤثرة على كل حال وإليه الإشارة بقوله: وكونوا مع الصادقين. (**وكذلك النظر إلى المطيعين**) من عباد الله تعالى، (**و**) إلى (**العصاة**) منهم (**هذا تأثيره في الطبع**) فإن الطبع سراق (**فمن يقصر نظره على ملاحظة أحوال الصحابة**) رضي الله عنهم (**و**) أحوال (**التابعين**) من بعدهم (**في**) أمر

بعين الاستصغار ، وإلى عبادته بعين الاستحقار . وما دام يرى نفسه مقصراً فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماماً للاقتداء . ومن نظر إلى الأحوال الغالبة على أهل الزمان وإعراضهم عن الله وإقبالهم على الدنيا واعتيادهم المعاصي استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة في الخير يصادفها في قلبه. وذلك هو الهلاك. ويكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلاً عن مشاهدته. وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله ﷺ : « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة » ، وإنما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله وليس ينزل عند الذكر عين ذلك ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستنكاف عما هو ملابس له من القصور والتقصير ، ومبدأ الرحمة فعل الخير ومبدأ فعل الخير الرغبة ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين. فهذا معنى نزول الرحمة .

(**العبادة**) والزهد وإيثار الآخرة (**والتنزه عن الدنيا**) بالتخلي عنها بالكلية (**فلا يزال ينظر إلى نفسه بعين الاستصغار**) والاستقلال (**وإلى عبادته بعين الاستحقار وما دام يرى نفسه مقصراً**) في أحوالها (**فلا يخلو عن داعية الاجتهاد**) والتشمر والتيقظ (**رغبة في الاستكمال واستتماماً للاقتداء**) بهم، (**ومن نظر إلى الأحوال الغالبة على أهل الزمان**) الذي هو فيه (**وإعراضهم عن الله**) عز وجل (**وإقبالهم على**) زخارف (**الدنيا واعتيادهم المعاصي**) مرة بعد أخرى. (**استعظم أمر نفسه بأدنى رغبة**) وميل (**في الخير يصادفها من قبله وذلك هو الهلاك**) أي سببه (**ويكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر**) إما بواسطة أو كتاب (**فضلاً عن مشاهدته**) والحضور فيه، (**وبهذه الدقيقة يعرف سر قوله ﷺ : « عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة »**) قال العراقي: ليس له أصل في الحديث المرفوع. وإنما هو قول سفيان بن عيينة. كذا رواه ابن الجوزي في مقدمة صفوة الصفوة اهـ.

قلت: وسئل عنه تلميذه الحافظ ابن حجر فقال: لا أستحضره مرفوعاً. وقال تلميذه الحافظ السخاوي في المقاصد: وسأل أبو عمر وأبا جعفر بن حمدان وهما صالحان بأي نية أكتب الحديث؟ فقال: ألستم ترون أن عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة؟ قال: نعم. قال: فرسول الله ﷺ رأس الصالحين اهـ أشار بذلك أن له أصلاً.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حاتم أحمد بن محمد بن الحسن، حدثنا الحسن بن محمد الهيثمي، حدثنا محمد بن حسين قال: سمعت ابن عيينة يقول: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، ووقع في كتاب جامع العلم لابن عبد البر عزوه إلى الثوري والمشهور الأول (**وإنما الرحمة**) المرادة هنا (**دخول الجنة ولقاء الله تعالى وليس ينزل عند الذكر عين ذلك، ولكن سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص على الاقتداء بهم والاستنكاف عما هو ملابس له من القصور والتقصير، ومبدأ الرحمة فعل الخير، ومبدأ فعل الخير الرغبة، ومبدأ الرغبة ذكر أحوال الصالحين**) ومقاماتهم وما اختصهم الله عز وجل من المعارف، (**فهذا معنى نزول**

والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن كالمفهوم من عكسه وهو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة لأنه كثرة ذكرهم تهوّن على الطبع أمر المعاصي. واللعنة هي البعد ومبدأ البعد من الله هو المعاصي والإعراض عن الله بالإقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع، ومبدأ المعاصي سقوط ثقلها وتـ احشها عن القلب ومبدأ سقوط الثقل وقوع الأنس بها بكثرة السماع، وإذا كان هذا حال ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم؟ بل قد صرح بذلك رسول الله ﷺ حيث قال: « مثل الجليس السوء كمثل الكير إن لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه » فكما أن الريح يعلق بالثوب ولا يشعر به، فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به. وقال: « مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك إن لم يهب لك منه تجد ريحه ». ولهذا

الرحمة) والمتبادر من معنى الأثر المذكور[1] انه عند ذكر الله وخاصته في مجلس من المجالس فيكون استغفارهم سبباً لرحمتهم بأن تغفر سيئاتهم وتتقبل حسناتهم وما من صالح يذكر في مجلس إلا ويذكر الله معه فإذا ذكر الله في مجلس غشيته الملائكة بالرحمة، كما ورد ذلك في أخبار سبق ذكرها.

(والمفهوم من فحوى هذا الكلام عند الفطن) العارف **(كالمفهوم من عكسه)** وفي نسخة من نقيضه، وفي أخرى من ضده، وفي أخرى من بدله **(وهو أن عند ذكر الفاسقين تنزل اللعنة)** ويسمى هذا مفهوم المخالفة عند الأصوليين وذكرهم لا يخلو إما أن يكون على سبيل الثناء عليهم فهو سبب للمقت، وإما أن يكون على سبيل الذم فهو إما غيبة وإما بهتان، وكل منهما سبب اللعنة لهم إلا أن يكون على سبيل التحذير منهم فقد ورد: لا غيبة لفاسق، **(لأن كثرة ذكرهم)** على اللسان **(يهون على الطبع أمر المعاصي واللعنة هي البعد)** عن رحمة الله تعالى، **(ومبدأ البعد من الله هو المعاصي والإعراض عن الله بالإقبال على الحظوظ العاجلة والشهوات الحاضرة لا على الوجه المشروع)** فإذا تمكن ذلك منه ألقي في هوة الإدبار فكان سبباً لطرده وبعده عن ساحة الرحمة، **(ومبدأ المعاصي سقوط ثقلها وتفاحشها عن القلب)** بأن يستخفها، **(ومبدأ سقوط الثقل وقوع الأنس بها لكثرة السماع، وإذا كان هذا حال تأثير ذكر الصالحين والفاسقين فما ظنك بمشاهدتهم)** فهو أقوى قواماً وأتم تأثيراً. **(بل قد صرح به ﷺ حيث قال: « مثل الجليس السوء كمثل الكير)** هو بكسر الكاف أصله البناء الذي عليه الزق ثم سمي به الزق مجازاً للمجاورة **(إن لم يحرقك شرره يعلق بك من ريحه »)** الخبيثة، **(فكما ان الريح تعلق بالثوب ولا يشعر به فكذلك يسهل الفساد على القلب وهو لا يشعر به. وقال)** ﷺ: **(« مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك)** وفي رواية: حامل المسك وهو

---

(١) هكذا هذه العبارة بالأصل ولينظر ما معناها اهـا مصححه.

أقول من عرف من عالم زلة حرم عليه حكايتها لعلتين، احداهما: أنها غيبة، والثانية وهي

أعم من الأول (إن لم يهب لك منه تجد ريحه ») قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي موسى اهـ.

قلت: هما حديث واحد وقد أدرج المصنف بينهما كلاماً من عنده، واختلف في سياق لفظه فلفظ البخاري: « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدم من صاحب المسك إما يشتريه أو يجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة ». وهكذا رواه أيضاً ابن حبان. وفي لفظ: « وفاتح الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً خبيثة » ورواه ابن حبان أيضاً والرامهرمزي في الأمثال بلفظ: « مثل الجليس الصالح مثل العطّار إن لم يصبك منه أصابك ريحه، ومثل الجليس السوء مثل القيران إن لم يحرقك بشرره غلق بك من ريحه »، وقد روي هذا أيضاً من حديث أنس بلفظ: « ومثل جليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه ومثل جليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من شرره أصابك من دخانه ». هكذا رواه أبو داود والنسائي من طريق قتادة عن أنس. وبلفظ: « مثل الجليس الصالح مثل العطّار إن لم يعطك من عطره أصابك من ريحه، ومثل الجليس السوء مثل الكير إن لم يحرق ثوبك أصابك من ريحه » هكذا رواه أبو داود أيضاً وأبو يعلى وابن حبان في روضة العقلاء، والحاكم والضياء في المختارة من طريق شبيل عن أنس. قال الراغب: نبه بهذا الحديث على أن حق الإنسان أن يتحرى بغاية جهده مصاحبة الأخيار ومجالستهم، فهي قد تجعل الشرير خيراً، كما أن صحبة الأشرار قد تجعل الخيِّر شريراً. قال الحكماء: من صحب خيِّراً أصاب بركة فجليس أولياء الله لا يشقى وإن كان كلباً ككلب أصحاب الكهف، ولهذا قال الحكماء الأحداث بالبعد عن مجالس السفهاء. قال علي رضي الله عنه: لا تصحب الفاجر فإنه يريد لك فعله ويود لو أنك مثله. وقالوا: إياك ومجالسة الأشرار فإن طبعك يسرق منهم وأنت لا تدري، وليس أعداء الجليس جليسه بمقاله وفعاله فقط بل بالنظر إليه، والنظر إلى الصور يؤثر في النفوس أخلاقاً متناسبة لأخلاق المنظور إليه، فإن من دامت رؤيته لمسرور سرّ أو لمحزون حزن، وليس ذلك في الإنسان فقط بل في الحيوان والنبات فالجمل الصعب يصير ذلولاً بمقارنة الذلل، والذلول قد ينقلب صعباً بمقارنة الصعاب، والريحانة الغضة تذبل بمجاورة الزابلة، ولهذا تلتقط أهل الفلاحة الرمم عن الزروع لئلا تفسدها، ومن المشاهد أن الماء والهواء يفسدان بمجاورة الجيفة فما الظن بالنفوس البشرية التي موضوعها القبول صور الأشياء خيرها وشرها، فقد قيل: سمي الانس إنساً لأنه يأنس بما يراه خيراً أو شراً اهـ.

(ولهذا أقول: من عرف من عالم زلة حرمت عليه حكايتها) للناس **(لعلتين إحداهما أنها غيبة)** لأنه ذكره بما يكرهه، **(الثانية: وهي أعظمها أن حكايتها تهون على المستمعين أمر تلك الزلة ويسقط عن قلوبهم استعظامهم الإقدام عليها، فيكون ذلك سبباً لتهوين**

أعظمها أن حكايتها تهون على المستمعين أمر تلك الزلة، ويسقط من قلوبهم استعظامهم الإقدام عليها فيكون ذلك سبباً لتهوين تلك المعصية. فإنه مهما وقع فيها فاستنكر ذلك دفع الاستنكار وقال: كيف يستبعد هذا منا وكلنا مضطرون إلى مثله حتى العلماء والعباد؟ ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه موفق معتبر لشق عليه الإقدام، فكم من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص على جمعها ويتهالك على حب الرئاسة وتزيينها ويهوّن على نفسه قبحها ويزعم أن الصحابة رضي الله عنهم لم ينزهوا أنفسهم عن حب الرئاسة؟ وربما يستشهد عليه بقتال علي ومعاوية ويخمن في نفسه أن ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرئاسة، فهذا الاعتقاد خطأ يهون عليه أمر الرئاسة ولوازمها من المعاصي، والطبع اللئيم يميل إلى اتباع الهفوات والإعراض عن الحسنات بل تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة ليتعلل به وهو من دقائق مكائد الشيطان، ولذلك وصف الله المراغمين للشيطان فيها بقوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فيتّبعون أحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨] وضرب ﷺ لذلك مثلاً وقال: «مثل الذي يجلس يستمع الحكمة ثم لا يعمل إلا بشر ما يستمع كمثل رجل أتى راعياً فقال له: يا

تلك المعصية فإنه مهما وقع فيها فاستنكر ذلك) عليه (**دفع الاستنكار وقال: كيف يستبعد مثل هذا**) منا (**وكلنا مفرطون إلى مثله حتى العلماء والعباد؛ ولو اعتقد أن مثل ذلك لا يقدم عليه عالم ولا يتعاطاه مرموق**) أي منظور إليه (**متخصص**) وفي نسخة: معتبر (**لشق عليه الإقدام**) عليه، (**فكم من شخص يتكالب على الدنيا**) أي يتواثب عليها (**ويحرص على جمعها**) من هنا ومن هنا، (**ويتهالك على حب الرئاسة وتزيينها**) في عينه (**ويهون على نفسه قبحها، ويزعم أن الصحابة رضي الله عنهم لم يزهدوا عن حب الرئاسة قديماً**) ولم ينزهوا نفوسهم عنه، (**وربما استشهد**) عليه (**بقتال علي ومعاوية رضي الله عنهما**) بصفين، (**ويخمن ذلك في نفسه أن ذلك لم يكن لطلب الحق**) من باب الاجتهاد، (**بل لطلب الرئاسة. فهذا الاعتقاد الخطأ يهون عليهم أمر الرئاسة ولوازمها من المعاصي**) وما يرتكبه مما يخالف المروءة، (**والطبع اللئيم يميل إلى اتباع الهفوات والإعراض عن الحسنات**) لما جبل فيه من اللؤم فلا يرى إلا ما يناسبه (**بل إلى تقدير الهفوة فيما لا هفوة فيه بالتنزيل على مقتضى الشهوة**) النفسية (**لتعلل به**) وفي نسخة بذلك (**وهذا من دقائق مكائد الشيطان**) ومن خفايا ضروب حيله، (**ولذلك وصف الله تعالى المراغمين للشيطان فيها بقوله: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾** وضرب النبي ﷺ **لذلك مثلاً وقال: «مثل الذي يجلس يستمع الحكمة**) وهي هنا كل ما يمنع من الجهل ويزجر عن القبيح (**ثم لا يحمل إلاّ شر ما يستمع**) وفي رواية ولا يحدث عن صاحبه إلاّ شر ما يسمع (**كمثل رجل أتى راعياً فقال له: يا راعي أجزرنا**) وفي

راعي اجزر لي شاة من غنمك. فقال: اذهب فخذ خير شاة فيها، فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم». وكل من ينقل هفوات الأئمة فهذا مثاله أيضاً.

ومما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلماً أفطر في نهار رمضان استبعدوا ذلك منه استبعاداً يكاد يفضي إلى اعتقادهم كفره، وقد يشاهدون من يخرج الصلوات عن أوقاتها ولا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع أن صلاة واحدة يقتضي تركها الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم، وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر،

رواية اجزرني أي أعطيني (**شاة من غنمك**) تصلح للذبح يقال: أجزرت القوم إذا أعطيتهم شاة يذبحونها، ولا يقال إلا في الغنم خاصة قاله ابن الأثير (**فقال**) له الراعي: (**إذهب فخذ خير شاة فيها**) وفي رواية فخذ بأذن خيرها (**فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم**») أي الذي يحرس الغنم من الذئاب. قال العراقي: ورواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو يعلى والرامهرمزي في الأمثال، والبيهقي في الشعب وسند أحمد رجاله موثقون.

(**وكل من ينقل هفوات الأئمة**) المقتدى بهم (**فهذا مثاله أيضاً، ومما يدل على سقوط وقع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته أن أكثر الناس إذا رأوا مسلماً أفطر في نهار رمضان استبعدوه استبعاداً يكاد يفضي إلى اعتقادهم كفره**) ويقيمون النكير عليه، (**وقد يشاهدون من يضيع الصلاة**) المفروضة (**حتى تخرج عن أوقاتها**) وهم يشاهدون من يخرج الصلوات عن أوقاتها (**فلا ينفر عنها طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع أن صلاة واحدة يقتضي تركها الكفر عند قوم**) نظراً لظاهر الخبر «من ترك الصلاة عامداً متعمداً فقد كفر» (**وجزّ الرقبة عند قوم**)، اعلم أنهم أجمعوا على أن من وجبت عليه الصلاة من المخاطبين بها ثم امتنع منها ليس جاحداً لوجوبها. فقال مالك والشافعي وأحمد: يقتل إجماعاً منهم، وقال أبو حنيفة يحبس أبداً من غير قتل لقوله ﷺ: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا لإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس بغير حق» وهذا مؤمن لأنه مصدق بقلبه غير جاحد بلسانه، ثم اختلف موجبو قتله بعد ذلك، فقال مالك والشافعي يقتل حداً، وقال ابن حبيب من أصحاب مالك: يقتل كفراً. واختلفوا أيضاً كيف يقتل؟ فقال أبو إسحاق الشيرازي: ضرباً بالسيف، وقال ابن سريج: ينخس به أو يضرب بالخشب حتى يصلي أو يموت. وقال أحمد: من ترك الصلاة متهاوناً وكسلاً وهو غير جاحد وجوبها فإنه يقتل بالسيف رواية واحدة، وهل حداً أو كفراً روايتان. اختيار الجمهور من أصحابه أنه لكفره كالمرتد. (**وترك صوم رمضان كله لا**

والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب. ولذلك لو لبس الفقيه ثوباً من حرير أو خاتماً من ذهب أو شرب من اناء فضة استبعدته النفوس واشتد إنكارها، وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم إلا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد منه ذلك والغيبة أشد من الزنا. فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير؟ ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين أسقط وقعها عن القلوب وهوّن على النفس أمرها فتفطن لهذه الدقائق وفِرْ من الناس فرارك من الأسد لأنك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك في الطاعة، فإن وجدت جليساً يذكرك الله رؤيته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فإنها غنيمة العاقل وضالة المؤمن. وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة وأن الوحدة خير من الجليس السوء. ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت طبعك والتفت إلى حال من أردت

يقتضيه) أي الكفر ولا تجز الرقبة، **(ولا سبب له إلا أن الصلاة تتكرر)** في الأوقات الخمسة، **(والتساهل فيها مما يكثر فيسقط وقعها بالمشاهدة عن القلب)** بخلاف الصوم، **(ولذلك لو لبس الفقيه)** العالم المشار إليه **(ثوباً حريراً وخاتماً من ذهب أو شرب من إناءِ فضة)** أو أمثال ذلك **(استبعدته النفوس)** جداً **(واشتد إنكارها)** عليه ذلك، **(وقد يشاهد في مجلس طويل لا يتكلم)** فيه **(إلا بما هو اغتياب للناس)** وأكل لحومهم وهم يستمعون، **(ولا يستبعد منه ذلك)** ولا ينكر عليه، **(والغيبة أشد من الزنا فكيف لا تكون أشد من لبس الحرير)** وما أشبهه. **(ولكن كثرة مشاهدة سماع الغيبة والمغتابين أسقط عن القلوب وقعها وهوّن على النفوس أمرها، فتفطن لهذه الدقائق وفِرْ من الناس فرارك من الأسد)** أي عن خلطتهم كما تفر من عدوك، **(فإنك لا تشاهد منهم إلا ما يزيد في حرصك على الدنيا وغفلتك عن الآخرة ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك في الطاعة، فإن وجدت جليساً)** صالحاً **(تذكرك بالله رؤيته وسيرته فالزمه)** واعقد قلبك على خلطته، **(ولا تفارقه واغتنمه ولا تستحقره فإنها غنيمة العاقل وضالة المؤمن)** كما يشير إليه قول سيدنا عمر رضي الله عنه على ما تقدم، وقول الشاعر:

وإذا صفا لك من زمان واحد   نعم الزمان ونعم ذاك الواحد

(وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة، وأن الوحدة خير من الجليس السوء) وقد روي مرفوعاً من حديث أبي ذر «الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة، وإملاء الخير خير من الصمت. والصمت خير من إملاء الشر» أخرجه الحاكم وأبو الشيخ والعسكري والبيهقي، ورواه الديلمي من حديث أبي هريرة. **(ومهما فهمت هذه المعاني ولاحظت طبعك والتفت إلى حال من أردت مخالطته لم يخف عليك أن الأولى التباعد عنه**

مخالطته لم يخف عليك أن الأولى التباعد عنه بالعزلة أو التقرب إليه بالخلطة. وإياك أن تحكم مطلقاً على العزلة أو على الخلطة بأن إحداهما أولى إذ كل مفصل فإطلاق القول فيه بلا أو نعم خلف من القول محض ولا حق في المفصل إلا التفصيل.

الفائدة الثالثة:

الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها وقلما تخلو البلاد عن تعصبات وفتن وخصومات، فالمعتزل عنهم في سلامة منها. قال عبدالله بن عمرو بن العاص لما ذكر رسول الله ﷺ الفتن ووصفها وقال: «إذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا ـ وشبك بين أصابعه ـ» قلت، فما تأمرني؟ فقال: «الزم بيتك وأملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة». وروى أبو سعيد الخدري أنه ﷺ قال:

بالعزلة أو التقرب إليه بالخلطة، وإياك أن تحكم مطلقاً على العزلة أو الخلطة إن أحدهما أولى) من الآخر. (**إذ كل مفصل**) أي قابل للتفصيل (**فإطلاق القول فيه بلا أو نعم**) أي بالنفي أو الإثبات (**خلف**) من القول (**محض ولا حق في المفصل إلا التفصيل**) فيعطى كل ذي حق حقه.

الفائدة الثالثة:

الخلاص من الفتن والخصومات بين الناس وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها) والدخول في غمارها (**والتعرض لأخطارها**) جمع خطر محركة، (**وقلما تخلو البلاد**) في كل عصر وأوان (**عن تعصبات**) دنيوية (**وفتن وخصومات**) وشرور (**فالمعتزل عنهم في سلامة منها**) وفي نسخة: من ذلك. (**قال عبدالله بن عمرو بن العاص**) رضي الله عنهما وقد تقدمت ترجمته، (**لما ذكر رسول الله ﷺ الفتن**) التي ستقع (**ووصفها وقال**) «كيف بك (**إذا رأيت الناس مرجت عهودهم**) أي اضطربت (**وخفت أماناتهم**) أي قلّت (**وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه»**) إشارة إلى شدة الاختلاط، (**فقلت: ما تأمرني يا رسول الله؟ فقال: «الزم بيتك واملك عليك لسانك**) أي لا تتكلم في شيء من أمورهم (**وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة»**) قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن اهـ.

قلت: ورواه الطبراني من حديث سهل بن سعد بلفظ: «كيف ترون إذا أخرتم في زمان حثالة الناس قد مرجت عهودهم ونذورهم فاشتبكوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «تأخذون ما تعرفون وتدعون ما تنكرون ويقبل أحدكم على خاصة نفسه ويذر

« يوشك أن يكون خير مال المسلم غنماً يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن من شاهق إلى شاهق » . وروى عبدالله بن مسعود أنه ﷺ قال: « سيأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فرّ بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذي يروغ قيل له: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: « إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصي الله تعالى فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة » قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله وقد أمرتنا بالتزويج؟ قال: « إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده فإن لم يكن فعلى يدي

أمر العامة » ورواه البزار من حديث ثوبان بلفظ: « كيف أنتم في قوم مرجت عهودهم وأيمانهم وأماناتهم وصاروا هكذا وشبك بين أصابعه » قالوا: كيف نصنع يا رسول الله؟ قال: « أصبروا وخالقوا الناس بأخلاقهم وخالفوهم في أعمالهم ».

(**وروى أبو سعيد الخدري**) رضي الله عنه (**أنه ﷺ قال: « يوشك**) بكسر الشين أي يقرب وفتحها لغة رديئة (**أن يكون خير مال المسلم غنم**) يجوز في لفظة خير الرفع والنصب، فالرفع على الابتداء وخبره غنم وفي يكون ضمير الشأن لأنه كلام تضمن تحذيراً وتعظيماً لما يتوقع قاله ابن مالك، وقال الحافظ: لكن لم تجيء به الرواية. وأما النصب؛ فعلى كونه خبر يكون مقدماً على اسمه وهو قوله غنم، ولا يضر كون غنم نكرة لأنها وصفت بيتبع بها والأشهر في الرواية نصب خير، وفي رواية الأصيلي برفع خير ونصب غنم على الخبرية. قال العيني: وهو ظاهر (**يتّبع بها**) أي بالغنم بالتشديد والتخفيف وخصت بذلك لما فيها من السكينة والبركة وسهولة القياد وكثرة النفع وخفة المؤنة، وجعلت خير مال المسلم لما فيها من الرفق والربح وصيانة الدين (**شعاف الجبال**) كذا في النسخ والرواية شعف الجبال محركة جمع شعفة محركة أيضاً ويجمع أيضاً على شعوف وشعاف وهو رأس الجبل، (**ومواقع القطر**) أي مساقط الغيث، (**يفر بدينه**) أي بسبب دينه (**من الفتن »**) أي من فساد ذات الفتن وغيرها. ففيه الدلالة على فضل العزلة في أيام الفتن إلا أن يكون من له قدرة على إزالة الفتن، فإنه يجب عليه السعي في إزالتها إما فرض عين، أو كفاية بحسب الحال والإمكان. أخرجه مالك وأحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان.

(**وروى عبدالله بن مسعود**) رضي الله عنه (**أنه ﷺ قال: « سيأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فرّ بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق**) وهو الجبل العالي (**ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذي يروغ» قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: « إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصي الله فإذا كان ذلك الزمان**) فقد (**حلت العزوبة » قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ وقد أمرتنا بالتزويج؟ قال: « إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه، فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده، فإن لم يكن فعلى يدي**

قرابته » قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: « يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة ». وهذا الحديث وإن كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منه، إذ لا يستغني المتأهل عن المعيشة والمخالطة، ثم لا ينال المعيشة إلا بمعصية الله تعالى. ولست أقول: هذا أوان ذلك الزمان فلقد كان هذا باعصار قبل هذا العصر، ولأجله قال سفيان: والله لقد حلت العزلة. وقال ابن مسعود رضي الله عنه ذكر رسول الله ﷺ أيام الفتنة وأيام الهرج. قلت: وما الهرج؟ قال: « حين لا يأمن الرجل جليسه » قلت: فبِمَ تأمرني إن أدركت ذلك الزمان؟ قال: « كف نفسك ويدك وادخل دارك ». قال: قلت يا رسول الله أرأيت إن دخل علي داري؟ قال: « فادخل بيتك » قلت: فإن دخل علي بيتي؟ قال: « فادخل مسجدك » واصنع هكذا وقبض على الكوع وقل ربي الله

قرابته» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: « يعيرونه بضيق المعيشة فيتكلف ما لا يطيق حتى يوردوه موارد الهلكة ») وقد روي مختصراً « يأتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فرّ به من شاهق إلى شاهق، أو من جحر إلى جحر كالثعلب بأشباله، وذلك في آخر الزمان إذا لم تنل المعيشة إلا بمعصية الله فإذا كان كذلك حلت العزوبة. يكون في ذلك الزمان هلاك الرجل على يدي أبويه إن كان له أبوان، فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده، فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يدي الأقارب والجيران يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق حتى يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها ». رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد، والخليلي في الإرشاد، والرافعي في التاريخ.

(**وهذا الحديث**) تقدم ذكره في كتاب أسرار النكاح، وهو (**وإن كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منه إذ لا يستغني المتأهل عن المعيشة والمخالطة، ثم لا تنال المعيشة إلا بمعصية الله**) عز وجل (**ولست أقول: هذا أوان ذلك الزمان، فلقد كان هذا بإعصار قبل هذا العصر، ولأجله قال سفيان**) بن سعيد (**الثوري**) رحمه الله تعالى: (**والله لقد حلت العزوبة**) وتقدم قريباً (**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**ذكر رسول الله ﷺ أيام الفتنة وأيام الهرج**) بفتح فسكون (**قلت: متى الهرج**) يا رسول الله؟ (**قال: « حين لا يأمن الرجل جليسه »**) أي من بوائقه (**قلت: فبم تأمرني إن أدركت ذلك الزمان؟ قال « كف نفسك ويديك**) أي عن المباشرة (**وادخل دارك**) واغلق عليك الباب » (**قال: قلت أرأيت يا رسول الله إن دخل علي داري؟ قال: « فادخل بيتك »**) أي داخل الدار (**قال: إن دخل علي بيتي؟ قال « فادخل مسجدك »**) أي: المخدع الذي تصلي فيه داخل البيت (**واصنع هكذا وقبض على الكوع**) هو طرف الزند الذي يلي الإبهام (**وقل « ربي الله حتى تموت »**) . قال العراقي: رواه أبو داود مختصراً والخطابي في العزلة بتمامه، وفي إسناده عند الخطابي انقطاع وصلة أبو داود بزيادة رجل اسمه سالم يحتاج إلى معرفته اهـ.

حتى تموت ». وقال سعد ـ لما دعي إلى الخروج أيام معاوية ـ لا ... إلا أن تعطوني سيفاً له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فاقتله وبالمؤمن فاكف عنه، وقال: مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء فبينما هم كذلك يسيرون إذ هاجت ريح عجاجة فضلّوا الطريق فالتبس عليهم، فقال بعضهم: الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فتاهوا وضلّوا. وقال بعضهم: ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا وضلوا، وأناخ آخرون وتوقفوا حتى ذهبت الريح وتبينت الطريق فسافروا. فاعتزل سعد وجماعة معه فارقوا الفتن ولم يخالطوا إلا بعد زوال الفتن. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه لما بلغه أن الحسين رضي الله عنه توجه إلى العراق تبعه فلحقه على مسيرة ثلاثة أيام فقال له: أين تريد؟ فقال: العراق. فإذا معه طوامير وكتب، فقال: هذه كتبهم وبيعتهم. فقال: لا تنظر إلى كتبهم

قلت: إن كان هو الراوي عن ابن مسعود فهو سالم البراد أبو عبد الله الكوفي روى عنه عبد الملك بن عمير، وإسماعيل بن أبي خالد وثقه صالح جرزة.

(**وقال سعد**) بن أبي وقاص رضي الله عنه، (**لما دعي إلى الخروج أيام معاوية**) وكان الداعي له على الخروج ابنه عمر بن سعد، وابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص (**قال: لا، إلا أن تعطوني سيفاً له عينان بصيرتان ولسان ينطق بالكافر فاقتله وبالمؤمن فاكف عنه، وقال: مثلنا ومثلكم كمثل قوم كانوا على محجة بيضاء**) أي طرق واضح غير ملتبس وهو طريق الإسلام، (**فبينما هم كذلك يسيرون إذ هاجت**) عليهم (**ريح عجاجة**) أي ذات عجاج، (**فضلوا في الطريق والتبس عليهم**) أي اشتبه فاختلفوا (**فقال بعضهم: الطريق ذات اليمين فأخذوا فيها فضلوا، وقال بعضهم: بل الطريق ذات الشمال فأخذوا فيها فتاهوا، وأناخ آخرون وتوقفوا حتى هبت الريح وتبين الطريق**) وانكشف الحال، (**فاعتزل سعد وجماعته**) ممن ينتمي إليه بقصره بالعقيق وأمر أهله أن لا يخبروه بشيء من أخبار الناس حتى تجتمع الأمة على إمام فلم يزل كذلك حتى مات. (**ففاز وأمن الفتن ولم يخالط الناس إلا بعد الفتن**)، ولحق عمر بن سعد بمعاوية ولحق هاشم بعلي، وروي أن علياً رضي الله عنه سئل عن الذين قعدوا عن بيعته والقيام معه، فقال: أولئك قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل.

(**وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه لما بلغه أن الحسين**) بن علي (**رضي الله عنه توجه إلى العراق**) حين وردت عليه كتب من الكوفة بنصرته والقيام معه، وكان قد شاور جلة من الصحابة فما رضوا خروجه من المدينة فأبى فلما خرج بأهله وعياله (**اتبعه**) ابن عمر، (**فلحقه على مسيرة ثلاثة أيام**) من المدينة بعد خروجه (**فقال له: أين تريد؟ فقال:**) أريد (**العراق: فإذا معه طوامير وكتب**) التي وصلت إليه منهم (**فقال: هذه كتبهم وبيعتهم. فقال: لا**

ولا تأتهم فأبى، فقال: إني أحدثك حديثاً إن جبريل أتى النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا، وإنك بضعة من رسول الله ﷺ والله لا يليها أحد منكم أبداً وما صرفها عنكم إلا للذي هو خير لكم فأبى أن يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال: استودعك الله من قتيل أو أسير. وكان في الصحابة عشرة آلاف فما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلاً. وجلس طاوس في بيته فقيل له في ذلك فقال: فساد الزمان وحيف الأئمة، ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه قيل له: لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله ﷺ فقال: رأيت مساجدكم لاهية وأسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية، وفيما هناك عما أنتم فيه عافية. فإذاً الحذر من الخصومات ومثارات الفتن

تنظر إلى كتبهم ولا تأتهم) فإنهم لا وفاء لهم وبالأمس قتلوا أباك فكيف ينصرونك اليوم؟ **(فأبى)** الحسين رضي الله عنه **(فقال)** ابن عمر: **(إني محدثك حديثاً إن جبريل أتى النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وإنك بضعة)** أي جزء **(من رسول الله ﷺ لا يليها أحد منكم أبداً)** أي الخلافة **(وما صرفها عنكم إلا للذي هو خير لكم، فأبى)** الحسين **(أن يرجع)** وكان أمر الله قدراً مقدوراً، **(فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال: استودعك الله من قتيل أو أسير)**. قال العراقي: رواه الطبراني مقتصراً على المرفوع، ورواه في الأوسط بذكر قصة الحسين مختصرة ولم يقل على مسيرة ثلاثة أيام، وكذا رواه البزار بنحوه وإسنادهما حسن اهـ.

قلت: والذي في القوت: ولما ودع ابن عمر الحسين بن علي رضي الله عنهم بمكة وقت خروجه إلى الكوفة قال له: لا تخرج ولا تطلب هذا الأمر فإن الله عز وجل يزوي عنكم الدنيا وأنتم أهل بيت اختار الله لكم الآخرة، وكذلك قاله ابن عباس. فقال: قد جاءني بثلاثمائة كتاب ليستحثوني على القدوم، فعانقه ابن عباس وقال: استودعك الله من قتيل اهـ.

وروى الطبراني من حديث أبي واقد رفعه «خير عبد من عبيد الله بين الدنيا وملكها ونعيمها وبين الآخرة فاختار الآخرة» فقال أبو بكر: بل نفديك يا رسول الله بأموالنا وأنفسنا.

(وكان) بالمدينة **(من الصحابة عشرة آلاف)** أو أكثر أو أقل **(فما خف أيام الفتنة أكثر من أربعين رجلاً وجلس طاوس بن كيسان)** اليماني **(في بيته)** فلم يخالط **(فقيل له في ذلك)** أي في أمر عزلته، **(فقال: فساد الزمان وحيف الأئمة)** أي ظلم ولاة الأمور، **(ولما بنى عروة)** بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي القرشي الأسدي أبو عبد الله المدني أحد الفقهاء السبعة **(قصره بالعقيق)** على ثلاثة أميال من المدينة **(لزمه، فقيل له: لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله ﷺ. فقال: رأيت مساجدكم لاهية)** أي ذات لهو **(وأسواقكم لاغية)** أي ذات لغو **(والفاحشة في ناديكم)** أي مجلسكم **(عالية)** أي

إحدى فوائد العزلة.

الفائدة الرابعة:

الخلاص من شر الناس فإنهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة ومرة بالاقتراحات والاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها، وتارة بالنميمة أو الكذب فربما يرون منك من الأعمال أو الأقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه فيتخذون ذلك ذخيرة عندهم يدخرونها لوقت تظهر فيه فرصة للشر، فإذا اعتزلتهم استغنيت من التحفظ عن جميع ذلك. ولذلك قال بعض الحكماء لغيره: أعلمك بيتين خير من عشرة آلاف درهم. قال ما هما؟ قال:

اخفض الصوت ان نطقت بليلٍ ... والتفت بالنهار قبل المقالِ
ليس للقول رجعة حين يبدو ... بقبيح يكون أو بجمالِ

ولا شك أن من اختلط بالناس وشاركهم في أعمالهم لا ينفك من حاسد وعدوّ يسيء

مرتفعة، **(وفيما هناك عما أنتم فيه عافية)**. قال العجلي في ترجمته مدني تابعي ثقة وكان رجلا صالحاً لم يدخل في شيء من الفتن. وقال ابن سعد: مات سنة أربع وتسعين بأمواله بالفرع ودفن هناك، **(فإذاً الحذر من الخصومات ومثارات الفتن أحد فوائد العزلة.**

الفائدة الرابعة:

(الخلاص من شر الناس) عند المخالطة **(فإنهم يؤذونك مرة بالغيبة ومرة بسوء الظن والتهمة)** بالباطل **(ومرة بالاقتراحات)** التي يقترحونها عليك **(والأطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها)** غالباً، **(وتارة بالنميمة أو الكذب، فربما يرون منك من الأعمال والأقوال ما لا تبلغ عقولهم كنهه)** ولا يدركون غوره، **(فيدخرون ذلك ذخيرة عندهم لوقت تظهر فيه فرصة الشر)** فيظهرون ذلك المخبأ ويجعلونه أساساً فيبنون عليه الملام والطعن والإيلام، **(فإذا اعتزلتهم استغنيت عن التحفظ عن جميع ذلك، ولذلك قال بعض الحكماء لغيره، أعلمك بيتين)** وفي نسخة اثنتين **(هما خير لك من عشرة آلاف درهم. قال: ما هما؟ قال:**

(إخفض الصوت إن نطقت بليل ... والتفت بالنهار قبل المقال)

أي إذا تكلمت بالليل فاخفض صوتك لئلا يسمعك من لا تراه فينقل عنك ما يجر إليك الضرر، ومنه المثل: الحيطان لها آذان وإذا تكلمت بالنهار فالتفت يميناً وشمالاً لئلا يسمعك من لا تحبه فإن الكلام أمانة. ومنه الخبر: إذا تكلم أحدكم فالتفت فهي أمانة، وقد تقدم.

(ليس للقول رجعة حين يبدو ... بقبيح يكون أو بجمال)

أي أن القول إذا خرج منك فإنه لا يعود سواء كان قبيحاً أو جميلاً فتندم على خروجه منك

الظن به ويتوهم أنه يستعد لمعاداته ونصب المكيدة عليه وتدسيس غائلة وراءه، فالناس مهما اشتد حرصهم على أمر ﴿يحسبُونَ كل صيْحةٍ عليهم هُمُ العدوّ فاحذرْهُم﴾ [المنافقون: ٤]، وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم إلا الحرص عليها قال المتنبي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاد من توهم
وعادى محبيه بقول عداته ... فاصبح في ليل من الشك مظلمِ

وقد قيل: معاشرة الاشرار تورث سوء الظن بالأبرار، وأنواع الشر الذي يلقاه الإنسان من معارفه وممن يختلط به كثيرة، ولسنا نطول بتفصيلها ففيما ذكرناه إشارة إلى مجامعها. وفي العزلة خلاص من جميعها. وإلى هذا أشار الأكثر ممن اختار العزلة فقال أبو الدرداء: اخبر تقله، يروى مرفوعاً. وقال الشاعر:

حيث لا ينفع الندم، فكن متيقظاً قبل خروجه منك، **(ولا شك أن من اختلط بالناس وشاركهم في أعمالهم لم ينفك من حاسد)** يحسده **(وعدو يسيء الظن به ويتوهم)** في نفسه **(أنه يستعد لمعاداته أو لنصب المكيدة عليه)**أي الحيلة التي توقع في الكيد، **(وتدليس غائلة وراءه)** أي تهيئة مصيبة من خفية، **(فالناس مهما اشتد حرصهم على أمر ﴿يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم﴾)** قاتلهم الله، **(وقد اشتد حرصهم على الدنيا فلا يظنون بغيرهم إلا الحرص عليها)** فيعادونك لأجل ذلك **(وقيل)** قائله هو أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر المشهور:

(إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهم)
(وعادى محبيه بقول عداته ... وأصبح في ليل من الشك مظلم)

يقول: تصديق الأوهام الفاسدة مما يعتاد عليها هو من سوء الظن بالناس المكتسب من سوء الفعل بسبب معاشرة الأشرار، فهو يسمع كل قول ويصدقه ولو في حبيبه، ويتبع كل هيعة فيطير إليها فهو أبداً بذلك في شك مظلم يمسي فيه ويصبح.

(وقد قيل: معاشرة الأشرار توجب سوء الظن بالأخيار) يروى ذلك من قول علي رضي الله عنه، ومنه أخذ المتنبي قوله المذكور. **(وأنواع الشرور التي يلقاها الإنسان من معارفه ومن يختلط به)** من أصحابه، **(لسنا نطيل القول بتفصيلها وفيما ذكرناه إشارة الى مجامعها)** ورؤوسها، **(وفي العزلة خلاص من جميعها وإلى هذا أشار أكثر من اختار العزلة على الخلطة، فقال أبو الدرداء)** رضي الله عنه: **(أخبر)** بضم الهمزة أمر من خبره إذا جربه **(تقله)** بفتح اللام وكسرها معاً من قلاه يقلاه ويقليه قلى وقلى إذا أبغضه، قال الجوهري: إذا فتحت مددت، وتقلى لغة طيء يقول: جرب الناس فإنك إذا جربتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر

مـن حمد النـاس ولم يبلهـم ثم بلاهـم ذم مـن يحمـدِ
وصـار بـالـوحـدة مستـأنسـاً يـوحشـه الأقـرب والأبعـدِ

وقال عمر رضي الله عنه: في العزلة راحة من القرين السوء، وقيل لعبدالله بن الزبير: ألا تـأتي المدينة؟ فقال: ما بقي فيها إلا حاسد نعمة أو فرح بنقمة. وقال ابن السماك:

لك من بواطن سرائرهم لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر أي من جربهم وخبرهم أبغضهم وتركهم، والهاء في تقله للسكت، ونظم الحديث وجدت الناس مقولاً فيهم هذا القول، ويروى ذلك مرفوعاً رواه أبو يعلى في مسنده، والعسكري في الأمثال، والطبراني في الكبير ثلاثتهم من طريق بقية بن الوليد عن أبي بكر بن أبي مريم عن عطية بن قيس. وقال الطبراني في روايته عن عطية المذبوح، ثم اتفقوا عن أبي الدرداء رفعه به، وكذا أخرجه ابن عدي في كامله من جهة بقية بلفظ «وجدت الناس أخبر تقله» ورواه الحسين بن سفيان، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من طريق بقية أيضاً باللفظ الأول، لكنه قال عن أبي عطية المذبوح، ورواه الطبراني في الكبير، والعسكري في الأمثال من حديث أبي حيوة شريح بن يزيد عن أبي بكر بن أبي مريم، عن سعيد بن عبيد الله الأفطس وسفيان بن المذبوح كلاهما عن أبي الدرداء أنه كان يقول: ثق بالناس رويداً، ويقول أخبر تقله وكلها ضعيفة، فابن أبي مريم وبقية ضعيفان، ورواه العسكري من حديث مؤثرة بن محمد: حدثنا سفيان عن سعيد بن حسان، عن مجاهد: وجدت الناس كما قيل أخبر من شئت تقله.

(وقال الشاعر:

(من حمد الناس ولم يبلهم) أي من شكرهم قبل أن يختبرهم **(ثم بلاهم ذم من يحمد)** أي ثم اختبرهم قلب حمده ذماً لما يظهر له من بواطن أسراره وخبث أفعاله.

(وصـار بـالـوحـدة مستـأنسـاً يـوحشـه الأقـرب والأبعـد)

وقال عمر رضي الله عنه: في العزلة راحة من الخليط السوء)، وقد ترجم البخاري في الصحيح «العزلة راحة من خلاط السوء» وذكر حديث أبي سعيد مرفوعاً ورجل يعبد في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره، **(وقيل لعبد الله بن الزبير)** بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي أبي بكر، ويقال أبي خبيب المدني، وأمه أسماء ابنة أبي بكر الصديق، وكان أول مولود ولد في الإسلام في المدينة في قريش، هاجرت به أمه حملاً فولد بعد الهجرة بعشرين شهراً وتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين وأربعة أشهر، وكان فصيحاً ذا لسن وشجاعة، بويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة أربع وستين، وغلب على الحجاز والعراقين واليمن ومصر وأكثر الشام، وكانت ولايته تسع سنين وقتله الحجاج بن يوسف في أيام عبد الملك بن مروان يوم الثلاثاء بمكة سنة اثنين وسبعين، روى له الجماعة **(ألا تأتي المدينة)** أي وتسكنها وبها المهاجرون والأنصار؟ **(قال: ما بقي إلا حاسد نعمة أو فرح بنقمة)** فإن رأى صاحبه في نعمة

كتب صاحب لنا ، أما بعد ، فإن الناس كانوا دواء يتداوى به فصاروا داء لا دواء له ففر منهم فرارك من الأسد . وكان بعض الأعراب يلازم شجراً ويقول: هو نديم فيه ثلاث خصال، إن سمع مني لم ينم عليّ، وإن تفلت في وجهه احتمل مني، وإن عربدت عليه لم يغضب، فسمع الرشيد ذلك فقال: زهدني في الندماء . وكان بعضهم قد لزم الدفاتر والمقابر، فقيل له في ذلك. فقال: لم أرَ أسلم من وحدة ولا أوعظ من قبر ولا جليساً أمتع من دفتر . وقال الحسن رضي الله عنه: أردت الحج فسمع ثابت البناني بذلك ـ وكان أيضاً من أولياء الله ـ فقال: بلغني أنك تريد الحج فأحببت أن أصحبك، فقال له الحسن: ويحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من

حسده عليها وإن رأى به نقمة فرح بها . (**وقال ابن السماك**) هو أبو العباس محمد بن صبيح البغدادي الواعظ: (**كتب صاحب لنا أما بعد، فإن الناس كانوا دواء يتداوى بهم فصاروا داء لا دواء له ففر منهم فرارك من الأسد . وكان بعض الأعراب**) من أهل البادية (**يلازم شجرة**) ويخدمها ويسقيها بالماء ويكنس حواليها (**ويقول: هو نديم فيه ثلاث خصال: إن سمع مني لم ينم علي، وإن تفلت في وجهه احتمل مني، وإن عربدت عليه لم يغضب علي**) والعربدة اختلاط كلام عند السكر، (**فسمع**) هارون (**الرشيد ذلك. فقال: زهدني في الندماء**) أي هذه الخصال الثلاث من شروط النديم فمن لم توجد فيه لا يصاحب، (**وكان بعضهم لزم الدفاتر**) أي مطالعة الكتب في أي فن كان (**والمقابر**) أي زيارتها في طرف النهار (**فقيل له في ذلك فقال: لم أر أسلم من وحدة ولا أوعظ من قبر ولا جليساً أمتع من دفتر**) . وفي ذلك قيل:

نعم المحدث والجليس كتاب ... تلهو به إن خانك الأصحابُ
لا مفشياً سراً إذا أودعته ... يوماً إذا ما ملك الأحباب

(**وقال الحسن**) البصري: (**أردت الحج**) إلى بيت الله الحرام (**فسمع ثابت**) بن أسلم أبو محمد (**البناني**) البصري، وبنانة هم بنو سعد بن غالب، ويقال: إنهم بنو سعد بن ضبيعة بن نزار، ويقال: هم في ربيعة بن نزار باليمامة، (**بذلك، وكان أيضاً من أولياء الله تعالى**) من ثقات التابعين. صحب أنس بن مالك أربعين سنة، مات سنة سبع وعشرين، روى له الجماعة، وقد رؤي بعد موته يصلي في قبره، وكان قد دعا الله بذلك فقال: اللهم إن كنت أعطيت أحداً الصلاة في قبره فاعطني الصلاة في قبري. فيقال: إنه استجيب له ذلك. (**فقال: بلغني أنك تريد الحج فأحببت أن أصطحبك**) في الطريق، (**فقال له الحسن: ويحك دعنا نتعاشر بستر الله إنني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه**) . وفي القوت، وقال علي بن المديني، قال لي أحمد بن حنبل: إني أحب أن أصحبك إلى مكة وما يمنعني من ذلك إلا أني أخاف أن أملك أو تملني لأنه يقال: إن ملل الأخوان ليس من أخلاق الكرام، وقال مكحول، قلت

بعض ما نتاقت عليه. وهذه إشارة إلى فائدة أخرى في العزلة وهو بقاء الستر على الدين والمروءة والأخلاق والفقر وساتر العورات. وقد مدح الله سبحانه المتسترين فقال: ﴿يحسبهُم الجاهلُ أغنياء من التعفّف﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وقال الشاعر:

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ... ولكن عاراً أن يزول التجمل

ولا يخلو الإنسان في دينه ودنياه وأخلاقه وأفعاله عن عورات. الأولى في الدين والدنيا سترها ولا تبقى السلامة مع انكشافها. وقال أبو الدرداء: كان الناس ورقاً لا شوك فيه فالناس اليوم شوك لا ورق فيه. وإذا كان هذا حكم زمانه وهو في أواخر القرن الأول فلا ينبغي أن يشك في أن الأخير شر. وقال سفيان بن عيينة، قال لي سفيان الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد وفاته: أقلل من معرفة الناس فإن التخلص منهم شديد ولا أحسب أني رأيت ما أكره إلا ممن عرفت. وقال بعضهم: جئت إلى

للحسن: إني أريد الخروج إلى مكة. فقال: لا تصحبن رجلاً يكرم عليك فينقطع الذي بينك وبينه اهـ.

(وهذه إشارة إلى فائدة أخرى في العزلة وهو بقاء الستر على الدين والمروءة والأخلاق والفقر وسائر العورات) الخافية والبادية، **(وقد مدح الله سبحانه المتسترين فقال)** في كتابه العزيز **(﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾** أي من عفتهم عن السؤال يظن بهم الغنى التام. **(وقال الشاعر)** في معنى ذلك:

(ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ... ولكن عار أن يزول التجمل)

(ولا يخلو الإنسان في دينه ودنياه وأخلاقه وأفعاله عن عورات) يجب الستر عليها. **(الأولى في الدين والدنيا سترها ولا تبقى السلامة مع انكشافها. وقال أبو الدرداء)** رضي الله عنه: **(كان الناس)** فيما مضى **(ورقاً لا شوك فيه، والناس اليوم شوك لا ورق فيه)** إن ناقدتهم ناقدوك وإن تركتهم لم يتركوك. كذا في القوت بزيادة فاقرضهم اليوم من عرضك تترك، وأخرجه أبو نعيم في الحلية أشار به إلى ما حصل من الاختلاف والتغيير والفتن واتباع الأهواء، **(وإذا كان هذا حكم زمانه وهو في آخر القرن الأول)** لأنه توفي في سنة اثنين وثلاثين. قال الواقدي وقيل قبله: **(فلا ينبغي أن يشك في أن الأخير شر، وقال** (أبو محمد) **سفيان بن عيينة)** الهلالي **(قال لي سفيان)** بن سعيد **(الثوري في اليقظة في حياته وفي المنام بعد وفاته: أقلل من معرفة الناس فإن التخلص منهم شديد ولا أحسب أني رأيت ما أكره إلا ممن عرفت)**. أما قوله في حياته، فأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق ابن حنيف، حدثنا خلف بن تميم، سمعت سفيان الثوري يقول: أقلل من معرفة الناس يقل عيبك، ومن طريق ابن المقري، قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: رأيت سفيان الثوري في المنام فقلت: أوصني. فقال:

مالك بن دينار وهو قاعد وحده وإذا كلب قد وضع حنكه على ركبته فذهبت أطرده فقال: دعه يا هذا هذا لا يضر ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء. وقيل لبعضهم. ما حملك على أن تعتزل الناس؟ قال: خشيت أن أسلب ديني ولا أشعر. وهذه إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرين السوء. وقال أبو الدرداء: اتقوا الله واحذروا الناس فإنهم ما ركبوا ظهر بعير إلا أدبروه، ولا ظهر جواد إلا عقروه، ولا قلب مؤمن إلا خربوه. وقال بعضهم: أقلل المعارف فإنه أسلم لدينك وقلبك وأخف لسقوط الحقوق عنك لأنه

أقلل من معرفة الناس أو كما قال. ومن طريق إبراهيم بن أيوب: حدثنا سفيان بن عيينة قال: رأيت سفيان الثوري في المنام فقلت: أوصني. قال: أقلل من مخالطة الناس. قلت: زدني. قال: سترد فتعلم، وأنشدنا في معناه شيخنا المرحوم السيد عبد الله بن ابراهيم الحسيني نزيل الطائف قدس سره لنفسه وكتبته من خطه:

إنما النـــاس كشـــوك نـــابـــت   كيف ينجو مـن بـذا الشـوك اشتبـك

(وقال بعضهم: جئت إلى) أبي يحي **(مالك بن دينار)** البصري رحمه الله تعالى **(وهو قاعد وحده، وإذا كلب قد وضع حنكه على ركبتيه فذهبت أطرده فقال: دعه يا هذا)** هذا **(لا يضر ولا يؤذي وهو خير من الجليس السوء)** أخرجه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا محمد بن علي، حدثنا أحمد بن عبد الله الوكيل، حدثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثنا عمار بن زربي، حدثنا حماد بن واقد الصفار قال: جئت يوماً مالك بن دينار وهو جالس وحده وإلى جنبه كلب قد وضع خرطومه بين يديه، فذهبت أطرده فقال: دعه هذا خير من جليس السوء. هذا لا يؤذي.

وحدثنا أحمد بن ضبر بن سالم، حدثنا أحمد بن علي الأبار، حدثنا محرز بن عون، حدثنا مختار أخي عن جعفر بن سليمان قال: رأيت مع مالك بن دينار كلباً يتبعه فقلت: يا أبا يحي ما هذا معك؟ قال: هذا خير من جليس السوء.

(وقيل لبعضهم: ما حملك على أن تعتزل الناس؟ قال: خشيت أن أسلب ديني ولا أشعر إشارة إلى مسارقة الطبع من أخلاق القرين السوء) فإن الطبع سراق فإذا سرقه كان سبباً لسلب دينه بحيث لا يشعر به، **(وقال أبو الدرداء)** رضي الله عنه: **(اتقوا الله واحذروا الناس)** أي عن معاشرتهم، **(فإنهم ما ركبوا ظهر بعير إلا أدبروه)** أي جعلوا فيه الدبر وهو بالتحريك نقب في ظهر الجمل، **(ولا ظهر جواد إلا عقروه)** أي أهلكوه **(ولا قلب مؤمن إلا خربوه)** بأن يشغلوه عن الله تعالى بإدخال الهموم عليه. **(وقال بعضهم: أقلل من المعارف فإنه أسلم لدينك وقلبك وأخف لسقوط الحقوق عنك لأنه يقال: كلما كثرت المعارف كثرت**

كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع. وقال بعضهم: أنكر من تعرف ولا تتعرف إلى من لا تعرف.

الفائدة الخامسة:

أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس، فأما انقطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد، فإن رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء بإصلاح نفسه أولى. ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور الجنازة وعيادة المريض وحضور الولائم والإملاكات وفيها تضييع الأوقات وتعرض للآفات، ثم قد تعوق عن بعضها العوائق وتستقبل فيها المعاذير، ولا يمكن إظهار كل الاعذار فيقولون له: قمت بحق فلان وقصرت في حقنا ويصير ذلك سبب عداوة، فقد قيل: من لم يعد مريضاً في وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله إذا صح على تقصيره، ومن عمم الناس كلهم بالحرمات رضوا عنه كلهم، ولو خصص استوحشوا وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد له طول

الحقوق) وكلما طالت الصحبة تأكدت المراعاة، **(وعسر القيام بالجميع)** نقله صاحب القوت وزاد. وقال بعضهم: هل رأيت شراً إلا ممن تعرف فكلما نقص من هذا فهو خير.

الفائدة الخامسة:

(أن ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس، فأما انقطاع طمع الناس عنك ففيه فوائد فإن رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء بصلاح نفسه أولى) هو من كلام أكثم بن صيفي أخرجه الخطابي في العزلة عنه قال: رضا الناس غاية لا تدرك ولا يكره سخط من رضاه الجور، وأخرج من طريق الشافعي أنه قال: ليونس بن عبد الأعلى: يا أبا إسحاق رضا الناس غاية لا تدرك ليس إلى السلامة ومن الناس من سبيل، فانظر ما فيه صلاح نفسك الزمه ودع الناس وما هم فيه. **(ومن أهون الحقوق وأيسرها حضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور الولائم والإملاكات وفيها تضييع الأوقات)** فيما لا يعني **(والتعرض للآفات)** الدينية والدنيوية **(ثم قد يعوق عن بعضها)** أي يمنع **(العوائق)** الموانع الدهرية وفي نسخة عائق، **(ويستقبل فيها المعاذير)** جمع معذرة أو عذر، **(ولا يمكن إظهار كل الأعذار)** فإن منها ما يجب كتمه، **(فيقولون)**: واعجباً **(قمت بحق فلان)** في حضورك عنده، **(وقصرت في حقنا فيصير ذلك سبب عداوة)** وتربية ضغائن في القلوب، **(وقد قيل: من لم يعد مريضاً في وقت العيادة اشتهى موته خيفة من تخجيله)** وتصفير وجهه **(إذا صح)** من مرضه **(على تقصيره)** في عيادته، **(ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم، ولو خصص)** بعضهم دون بعض **(استوحشوا)** ونغلت قلوبهم عليك، **(وتعميمهم بجميع الحقوق لا يقدر عليه المتجرد**

الليل والنهار. فكيف من له مهم يشغله في دين أو دنيا؟ قال عمرو بن العاص: كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء. وقال ابن الرومي:

عدوّك من صديقك مستفادٌ ... فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب

وقال الشافعي رحمه الله: أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام. وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضاً فائدة جزيلة، فإن من نظر إلى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوّة الحرص طمعه ولا يرى إلا الخيبة في أكثر الأحوال فيتأذى بذلك، ومهما اعتزل لم يشاهد، وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ولا تمدنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم﴾ [الحجر: ٨٨]، وقال ﷺ: « انظروا إلى من هو

له طول الليل والنهار) من كل وجه، **(فكيف بمن له هم)** وفي نسخة **(يشغله)** وفي نسخة فكيف من يلزمه شغل **(في دين أو دنيا، وقال عمرو بن العاص)** رضي الله عنه: **(كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء)** شبه الأصدقاء بالغرماء في ملازمتهم ومطالبتهم الحقوق. **(وقال ابن الرومي)** الشاعر المشهور في معنى ذلك:

(عدوك من صديقك مستفاد ... فلا تستكثرن من الصحاب)

جمع صاحب.

(فإن الداء أول ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب)

(وقال الشافعي: أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام) رواه البيهقي والابري وغيرهما في مناقب الشافعي ولفظهم: الصنيعة إلى الأندال» وأخرجه أبو نعيم في ترجمة سفيان الثوري من طريق ابن حنيف: حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله قال: سمعت الثوري يقول: وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام، **(وأما انقطاع طمعك عنهم فهو أيضاً فائدة جزيلة، فإن من نظر إلى زهرة الدنيا)** أي متاعها **(وزينتها تحرك)** في **(حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه)** الفاسد، **(ولا يرى)** غالباً **(إلا الخيبة في أكثر الأطماع فيتأذى بذلك)** طبعاً، **(ومهما اعتزل عنهم لم يشاهد)** تجملهم **(وإذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع)**، فمن أدار ناظره أتعب خاطره **(وكذلك قال)** الله **(تعالى)** مخاطباً لحبيبه ﷺ **(﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا)** لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ قال ابن حرير، وابن أبي حاتم: نزلت الآية في إسلاف النبي ﷺ من يهودي دقيقاً ورهنه درعه الحديد لما أبى أن يسلفه كأنه يعزيه عن الدنيا، والمراد بزهرة الدنيا بركات الأرض. وكان عروة إذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفاً فإذا رجع إلى أهله فدخل الدار قرأ هذه الآية.

(وقال ﷺ « انظروا إلى من هو دونكم) وفي رواية إلى من هو أسفل منكم أي في أمور

دونكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم». وقال عون بن عبدالله: كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموماً، كنت أرى ثوباً أحسن من ثوبي ودابة أفره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحت. وحكي أن المزني رحمه الله خرج من باب جامع الفسطاط وقد أقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما رأى من حسن حاله وحسن هيئته فتلا قوله تعالى: ﴿وجَعَلْنابعضَكم لبعض فتنة أتصبرون﴾ [الفرقان: ٢٠]، ثم قال: بلى اصبر وارضى، وكان فقيراً مقلاً. فالذي هو في بيته لا يبتلى بمثل هذه الفتن. فإن من شاهد زينة الدنيا، فأما أن يقوي دينه ويقينه فيصبر فيحتاج إلى أن

الدنيا **(ولا تنظروا إلى من هو فوقكم)** فيها **(فإنه أجدر)** أي أحق **(أن لا تزدروا)** أي لا تحتقروا **(نعمة الله عليكم»)** فإنكم إذا رأيتم من هو فوقكم طمحت نفسكم له واستصغرتم ما عندكم من نعم الله تعالى وحرصتم على الازدياد لتلحقوه أو تقاربوه، وإذا نظرتم للدون تواضعتم وشكرتم، وقد أخذ محمود الوراق هذا المعنى في قوله:

لا تنظـــــــرن إلـــى ذوي ... المـــال المؤثـــل والريـــــاش
فتظـــل مـــوصـــول النهـــا ... ر بحسرة قلـــق الفـــــراش
وانظـــر إلى مـــن كـــــان ... مثـــلـــك أو نظيرك في المعـــاش
تقنـــع بعيشـــك كيـــف كـــا ... ن وتـــرض منـــه بـــانتعـــاش

قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحكيم في نوادر الأصول. **(وقال عون بن عبد الله)** بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبد الله المكي، عابد ثقة، مات قبل سنة عشرين ومائة، روى له مسلم وأصحاب السنن: **(كنت أجالس الأغنياء فلم أزل مغموماً، كنت أرى ثوباً أحسن من ثوبي ودابة أفره من دابتي فجالست الفقراء فاسترحت)** من الغم. **(وحكي أن المزني)** صاحب الشافعي **(رحمه الله تعالى خرج)** يوماً **(من باب جامع الفسطاط)** هو جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه والفسطاط: اسم لمصر، **(وقد أقبل)** محمد بن عبد الله **(بن عبد الحكم في موكبه)** وكان ذا ثروة وأبهة، **(فبهره ما رأى من حسن حاله وهيئته فتلا قوله تعالى ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون)﴾** وكان ربك بصيراً﴾ **(ثم قال)** في نفسه: **(بلى أصبر وأرضى، وكان)** المزني **(فقيراً)** متقشفاً **(مقلاً)** عادماً **(فالذي هو في بيته لا يبتلي بمثل هذه الفتن، فأما من شاهد زينة الدنيا)** وبهجتها لا يخلو من حالين: **(فإما أن يقوى دينه ويقينه فيصبر)** على ما هو عليه، **(فيحتاج إلى أن يتجرع مرارة الصبر وهو)** أي الصبر **(أمر من الصبر)** ككتف على الأشهر الدواء المر معروف وبالسكون لغة على التخفيف، ومنهم من قال: لم يسمع تخفيفه في السعة.

يتجرع مرارة الصبر ـ وهو أمر من الصبر ـ أو تنبعث رغبته فيحتال في طلب الدنيا فيهلك هلاكاً مؤبداً. أما في الدنيا فبالطمع الذي يُخيب في أكثر الأوقات، فليس كل من يطلب الدنيا تتيسر له. وأما في الآخرة فبإيثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب إليه، ولذلك قال ابن الأعرابي:

إذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت إلى العلياء من جانب الفقر

أشار إلى أن الطمع يوجب في الحال ذلاً.

الفائدة السادسة:

الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى ومقاساة حمقهم وأخلاقهم، فإن رؤية الثقيل هي العمى الأصغر. قيل للأعمش: مم عمشت عيناك؟ قال: من النظر إلى الثقلاء. ويحكى أنه دخل عليه أبو حنيفة فقال في الخبر: « إن من سلب الله كريمتيه عوضه الله

وحكى ابن السيد في مثلث اللغة جواز التخفيف كما في نظائره بسكون الباء مع فتح الصاد وكسرها فتكون فيه ثلاث لغات، **(وإما أن تنبعث رغبته فيحتال في)** طلب **(الدنيا)** حتى يقارب من رأى أو يضاهيه، **(فيهلك هلاكاً مؤبداً أما في الدنيا فبالطمع الذي يخيب في أكثر الأوقات فليس كل من يطلب الدنيا يتيسر له)** حصولها ويتسهل، **(وأما في الآخرة فبإيثاره متاع الدنيا على ذكر الله تعالى والتقرب إليه، ولذلك قال ابن الأعرابي:)** أحد أئمة الأدب:

(إذا كان باب الذل في جانب الغنى سموت إلى العلياء من جانب الفقر)

أشار إلى أن الطمع يوجب في الحال ذلاً ولو أدرك به مأموله.

الفائدة السادسة:

(الخلاص من مشاهدة الثقلاء): جمع ثقيل وهو من يثقل عليك وقعه ذاتاً وصفات **(والحمقاء)** جمع أحمق وهو من نقص جوهر عقله **(ومقاساة خلقهم)** أي صورتهم الظاهرة وأخلاقهم الباطنة، **(فإن رؤية الثقيل هو العمى الأصغر، وقيل للأعمش)** سليمان بن مهران الكوفي: رأى أنساً وأبا بكرة وحديثه عن أنس مرسل: **(لم عمشت عيناك؟ قال: من النظر إلى الثقلاء)** يقال: عمشت عينه إذا سال دمعها في أكثر الأوقات مع ضعف البصر، وكان هو كذلك. وقال ابن خيثمة في تاريخه: حدثنا أبو خالد الأحمر قال، قال الأعمش: ما عمشت عيني إلا من بول الشيطان في أذني **(ويحكى أنه دخل عليه)** الإمام **(أبو حنيفة)** رحمه الله تعالى يوماً **(فقال له)**: ورد **(في الخبر « أن من سلب الله كريمتيه)** أي عينيه، ويقال: للعين كريمة لكرامتها على صاحبها، **(عوضه الله عنهما ما هو خير منهما »)** قال العراقي: رواه الطبراني بإسناد ضعيف من حديث جرير « من سلبت كريمتيه عوضته عنهما الجنة » وللبخاري من حديث

عنهما ما هو خير منهما » . فما الذي عوضك ؟ فقال ـ في معرض المطايبـة ـ عوضني الله عنهما أنه كفاني رؤية الثقلاء وأنت منهم. وقال ابن سيرين : سمعت رجلاً يقول نظرت إلى

أنس « يقول الله تبارك إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ثم صبر عوضته بهما الجنة يريد عينيه »اهـ.

قـلت : حديث جرير رواه الطبراني في الأوسط بهذا اللفظ بزيادة، قال الله تعالى وهو الكبير أيضاً إلا انه وقع في النسخة عن جويبر، وكان تحريف من النساخ، وقد روى ذلك أيضاً من حديث أبي هريرة يقول الله عز وجل « من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة » رواه هناد والترمذي وقال: حسن صحيح. ومن حديث أبي أمامة « يقول الله تعالى: يا ابن آدم إذا أخذت كريمتيك فصبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أر لك ثواباً دون الجنة » رواه أحمد وأبو داود، ورواه الطبراني في الكبير بلفظ: « قال ربكم إذا قبضت كريمة عبدي وهو بها ضنّين فحمدني على ذلك لم أرض له ثواباً دون الجنة » ومن حديث ابن عباس: « قال الله تعالى إني إذا أخذت كريمتي عبدي فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة ». ورواه أبو يعلى والطبراني في الكبير، والضياء في المختارة، ومن حديث العرباض بن سارية قال الله عز وجل: « إذا قبضت من عبدي كريمتيه وهو بهما ضنين لم أرض له بهما ثواباً إلا الجنة إذا حمدني عليهما » رواه ابن حبان، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في التاريخ، وأما حديث أنس الذي أخرجه البخاري فقد أخرجه كذلك أحمد والطبراني في الكبير، فأخرجه من حديث جرير بهذا اللفظ، وروي بلفظ آخر: « قال الله عز وجل لا أقبض كريمتي عبدي فيصبر لحكمي ويرضى لقضائي فأرضى له بثواب دون الجنة » رواه هكذا عبد بن حميد وسمويه في فوائده، وابن عساكر، ورواه أبو يعلى بلفظ « قال ربكم من أذهبت كريمتيه ثم صبر واحتسب كان ثوابه الجنة ».

(فما الذي عوضك) عنهما؟ **(فقال: في معرض المطايبة)** والمزاح **(عوّضني عنهما أنه كفاني رؤية الثقلاء وأنت منهم)** . وهذا الجواب من الأعمش وإن كان سبيله سبيل المطايبة غير صواب، وأظنه إنما استثقله لأنه كان يبين خطأه وينبه الناس عليه، وهذا معروف عند الناس إن من رأس في بلدة وكان فيها من هو أفقه منه لا يريد مجاورته ويستثقله ولا يحب بقاءه ولا أن يراه لأنه كلما أخطأ يبين للناس خطأه، فمن ذلك ما قال ابن أبي خيثمة في تاريخه: وحدثنا سليمان بن أبي شيخ. قال: أخبرني المغيرة بن جزء بن المغيرة قال: سمعت أبا حنيفة، وقد قيل له: إن الأعمش يقول إذا أردت أن أتسحر أقول: أجيفوا الباب عليّ فاتسحر، واخرج إلى الصلاة فيقيم المؤذن حين أدخل المسجد، فقال أبو حنيفة: ما صام منذ صنع هذا فهذا وأمثاله كان السبب في استثقاله إياه، وكيف يكون هذا وقد أخرج ابن عبد البر في كتاب جامع العلم بسنده إلى بشر بن الوليد عن أبي يوسف قال: سألني الأعمش عن مسألة وأنا وهو لا غير فأجبته، فقال لي: من أين قنت هذا يا يعقوب؟ فقلت: بالحديث الذي حدثتنيه أنت ثم حدثته، فقال لي: يا يعقوب إني لأحفظ هذا الحديث من قبل أن يجتمع أبواك ما عرفت تأويله إلا الآن. وروي نحو هذا إنه جرى بين

ثقيل مرة فغشي علي. وقال جالينوس: لكل شيء حمى وحمى الروح النظر إلى الثقلاء. وقال الشافعي رحمه الله: ما جالست ثقيلاً إلا وجدت الجانب الذي يليه من بدني كأنه أثقل عليّ من الجانب الآخر.

وهذه الفوائد ما سوى الأولين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة ولكنها أيضاً تتعلق بالدين فإن الإنسان مهما تأذى برؤية ثقيل لم يأمن أن يغتابه وأن يستنكر ما هو صنع الله

الأعمش وأبي يوسف وأبي حنيفة، فكان من قول الأعمش: أنتم الأطباء ونحن الصيادلة، ومن هنا قال اليزيدي: من تحمل الحديث ولا يعرف فيه التأويل كالصيدلاني، وقال علي بن معبد بن شداد: حدثنا عبيد الله بن عمر، وقال: كنت في مجلس الأعمش فجاءه رجل فسأله عن مسألة فلم يجبه فيها، ونظر إذا أبو حنيفة فقال: يا نعمان قل فيها. قال: القول فيها كذا. قال: من أين: قال من حديث كذا أنت حدثتناه. قال: فقال الأعمش نحن الصيادلة وأنتم الأطباء ولله در القائل:

ومليحـــــة شهـــــدت لها ضراتها والحســـن مـــا شهـــدت بـــه الضرات

ومن صحت في العلم إمامته وبانت ثقته لم يلتفت فيه إلى قول أحد، والعجب من المصنف كيف يورد هذا الكلام المفضي إلى سقوط حرمة إمام من أئمة الإسلام مع كمال تحذيره فيما سبق في تتبع هفوات الأئمة، فتنبه لذلك وكان الأولى حذف قوله وأنت منهم تأدباً مع الإمام، وأخرج ابن عبد البر حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه رفعه « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء وهي الحالقة » الحديث وتقدم قريباً، وأخرج من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: « اسمعوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالـذي نفسي بيده لهم أشد تغايراً من التيوس في زروبها. قال: وما مثل من يتكلم في الائمة إلا كما قال الحسن بن حميد:

يـــا نـــاطـــح الجبـــل العـــالي ليكلمـــه اشفـــق على الرأس لا تشفـــق على الجبـــل

(وقال) محمد **(بن سيرين)** رحمه الله تعالى: **(سمعت رجلاً يقول: نظرت إلى ثقيل مرة فغشي علي وقال جالينوس)** هو حكيم من حكماء اليونان مشهور له تآليف في علم الحكمة. **(لكل شيء حمى وحمى الروح النظر إلى الثقلاء)**، ومن هنا أخذ بعضهم فقال: مجالسة الثقيل حمى الروح. **(وقال الشافعي)** رحمه الله تعالى: **(ما جالست ثقيلاً إلا وجدت الجانب الذي يليه مني كأنه أثقل من الجانب الآخر)**، وأبلغ ما سمعت في الثقيل قول من قال:

حـــــط في الغـــــرب رجلـــــه صعـــــــــــد الشرق إلى السماء

وقول من قال:

وثقيـــل لقيتـــــه في طـــــريقـــــي يـــــوم عيـــدي فما سررت بعيـــدي
قـــال نسعـــــى إلى المصلى جميعـــــاً قلـــت مـــن ههنـــا أكـــون يهودي

(وهذه الفوائد) الست **(ما سوى الأولين متعلقة بالمقاصد الدنيوية الحاضرة، ولكنها أيضاً تتعلق بالدين فإن الإنسان مهما تأذى برؤية ثقيل لم يلبث ان يغتـابـه)** ويشتمـه ويسيء بـه،

فإذا تأذى من غيره بغيبة أو سوء ظن أو محاسدة أو نميمة أو غير ذلك لم يصبر عن مكافأته وكل ذلك يجر إلى فساد الدين. وفي العزلة سلامة عن جميع ذلك فليفهم.

آفات العزلة:

اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة. فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة، وفواته من آفات العزلة، فانظر إلى فوائد المخالطة والدواعي إليها ما هي، وهي التعليم والتعلم، والنفع والانتفاع، والتأديب والتأدب، والاستئناس والايناس، ونيل الثواب وانالته في القيام بالحقوق، واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها، فلنفصل ذلك فإنها من فوائد المخالطة، وهي سبع:

الفائدة الأولى: التعليم والتعلم:

وقد ذكرنا فضلها في كتاب العلم وهما أعظم العبادات في الدنيا. ولا يتصوّر ذلك

(**وأن يستنكر ما هو صنع الله**) الذي أتقن كل شيء (**فإذا تأذى من غيره بغيبة أو سوء ظن أو محاسدة أو نميمة أو غيره لم يصبر على مكافأته**) أي مقابلته بمثله، (**وكل ذلك ينجر إلى الدين وفي العزلة سلامة من جميع ذلك فتفهم**) في ذلك لتكون على بصيرة.

آفات العزلة:

لما فرغ من بيان آفات الخلطة وما ينشأ منها شرع في بيان ما ينشأ من آفات العزلة فقال.

(**اعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة، فكل ما يستفاد من المخالطة يفوت بالعزلة وفواته من آفات العزلة فانظر**) أوّلاً (**إلى فوائد المخالطة و**) الأسباب (**الدواعي إليها ما هي وهي: التعليم والتعلم، والنفع**) للغير (**والانتفاع، والتأديب والتأدب، والاستئناس والإيناس ونيل الثواب**) من الله واصابته (**وانالته**) للغير (**في القيام بالحقوق**) الواجبة والمسنونة والمستحبة، (**واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال، والاعتبار بها من حيث التحقق والتخلق، فلنفصل ذلك فإنها من فوائد الخلطة وهي سبع فوائد**):

الفائدة الأولى: التعليم والتعلم:

(**وقد ذكرنا فضلها في كتاب العلم**) مفصلاً (**وهما أعظم**) وفي نسخة: أفضل. (**العبادت في الدنيا ولا يتصوّر ذلك إلا بالمخالطة**) مع الناس، فإن الإنسان لا يتعلم بنفسه فلا

إلا بالمخالطة إلا أن العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة، وبعضها ضروري في الدنيا فالمحتاج إلى التعلم لما هو فرض عليه عاص بالعزلة، وإن تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الخوض في العلوم ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل، وإن كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل، فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران. ولهذا قال النخعي وغيره: تفقه ثم اعتزل ومن اعتزل قبل التعلم فهو في الأكثر مضيع أوقاته بنوم أو فكر في هوس، وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد يستوعبها، ولا ينفك في أعماله بالبدن والقلب عن أنواع من الغرور يخيب سعيه ويبطل عمله بحيث لا يدري، ولا ينفك اعتقاده في الله وصفاته عن أوهام يتوهمها ويأنس بها وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها فيكون في أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد. فالعلم هو أصل الدين فلا خير في عزلة العوام والجهال، أعني من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها. فمثال النفس مثال مريض يحتاج إلى طبيب متلطف يعالجه، فالمريض الجاهل إذا خلا

بدّ من شيخ يريه طريق العلم، وكذا التعليم يحتاج إلى تعديه للغير فلا بد من المخالطة (**إلا أن العلوم كثيرة وعن بعضها مندوحة**) أي سعة لا يحتاج إليها غالباً، (**وبعضها ضروري في الدنيا**) لا بدّ منه (**فالمحتاج إلى تعلم ما هو فرض عليه**) إما عيناً أو كفاية (**عاص بالعزلة**) لفواته، (**وإن تعلم الفرض وكان لا يتأتى منه الخوض في العلوم، ورأى الاشتغال بالعبادة فليعتزل**) فإن ذلك القدر يكفيه (**وإن كان يقدر على التبرز في علوم الشرع والعقل**) ويتأتى منه تحصيلها (**فالعزلة في حقه قبل التعلم غاية الخسران، ولهذا قال**) إبراهيم بن يزيد (**النخعي وغيره**) من أهل العلم: (**تفقه**) أي حصل من علوم الشرع ما تؤدي به فرضك، (**ثم اعتزل**) ليكون بناء أمرك على أساس محكم، (**ومن اعتزل قبل التعلم**) لما هو لازم عليه (**فهو في الأكثر مضيع أوقاته**) إما (**بنوم**) في غالب أوقاته (**أو فكر في هوس**) واختلاط، (**وغايته أن يستغرق الأوقات بأوراد**) من أذكار وأحزاب (**يستوعبها فلا ينفك في أعماله بالبدن والقلب عن أنواع من الغرور**) يغره الشيطان بها، (**يخيب سعيه ويبطل عمله من حيث لا يدري**) ولا يشعر (**ولا ينفك في اعتقاده بالله**) عز وجل (**وصفاته عن أوهام**) وأباطيل (**يتوهمها**) في نفسه، (**ويأنس بها**) ويألف إليها، (**وعن خواطر فاسدة تعتريه فيها**) ولا يكاد يتخلص منها، (**فيكون في أكثر أحواله ضحكة للشيطان وهو يرى نفسه من العباد**) ويتخيل إليه أنه في زمرتهم، (**فالعلم هو أصل الدين**) وأساسه الذي لا يتم إلاّ به، (**فلا خير**) إذاً (**في عزلة العوام والجهال**)، بل الأفضل في حقهم الاختلاط ومعاشرة أهل العلم ليتعلموا ما وجب عليهم. (**أعني**) بهؤلاء (**من لا يحسن العبادة في الخلوة ولا يعرف جميع ما يلزمه فيها**) ولو بطريق التقليد، (**فمثال النفس مثال مريض يفتقر**) أي يحتاج (**إلى طبيب متلطف**) يوصل إليه الدواء بلطف (**ليعالجه**) حسبما يقتضيه نظره، (**فالمريض الجاهل**

بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب تضاعف لا محالة مرضه. فلا تليق العزلة إلا بالعالم، وأما التعليم ففيه ثواب عظيم مهما صحت نية المعلم والمتعلم، ومهما كان القصد إقامة الجاه والاستكثار بالأصحاب والأتباع فهو هلاك الدين. وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم.

وحكم العالم في هذا الزمان أن يعتزل إن أراد سلامة دينه، فإنه لا يرى مستفيداً يطلب فائدة لدينه، بل لا طالب إلا لكلام مزخرف، يستميل به العوام في معرض الوعظ أو لجدل معقد يتوصل به إلى إفحام الأقران ويتقرب به إلى السلطان ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة، وأقرب علم مرغوب فيه: المذهب، ولا يطالب غالباً إلا للتوصل إلى التقدم على الأمثال وتولي الولايات واجتلاب الأموال. فهؤلاء كلهم يقتضي الدين والحزم الاعتزال عنهم، فإن صودف طالب لله ومتقرب بالعلم إلى الله تعالى فأكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه، وهذا لا يصادف في بلدة كبيرة أكثر من واحد أو اثنين إن صودف.

إذا خلا بنفسه عن الطبيب قبل أن يتعلم الطب) الضروري **(تضاعف لا محالة مرضه)** وفي نسخة ضرره بمرضه، **(فلا تليق العزلة إلا بالعالم)** الماهر. **(وأما التعليم ففيه ثواب عظيم)** وأمر جسيم **(مهما صحت نية المتعلم والمعلم)** عن الأغراض الفاسدة، **(ومهما كان القصد)** من التعليم **(إقامة الجاه)** عند ذويه، **(والاستكثار بالأصحاب والاتباع) فهو** هلاك الدين، **(وقد ذكرنا وجه ذلك في كتاب العلم)** فراجعه إن شئت.

(وحكم العالم في هذا الزمان أن يعتزل إن أراد السلامة في دينه) فإنه الأوفق بحاله **(فإنه لا يرى مستفيداً يطلب فائدة لدينه، بل لا طالب إلا لكلام مزخرف)** مموه **(يستميل به)** طائفة **(العوام في معرض الوعظ)** والتدريس، **(أو لجدال معقد يتوصل به إلى افحام)** أي إسكات **(الاقران)** في المجالس، **(ويتقرب به إلى السلطان)** من دونه من ذوي المال، **(ويستعمل في معرض المنافسة والمباهاة)** والمفاخرة، **(وأقرب علم مرغوب فيه المذهب)** أي المسائل المتعلقة بمذهبه، **(فلا يطلب غالباً إلا للتوصل إلى التقدم على الأمثال)** والنظراء **(وتولي الولايات)** كالافتاء والقضاء والاحتساب ومشيخة المدارس والتحدث على أرباب الوظائف. **(واجتلاب الأموال)** من هنا ومن هنا، **(وهؤلاء كلهم ممن يسعون في نقض الدين)** وهدم أركانه **(والحزم)** كل الحزم **(الاعتزال عنهم)** مهما أمكن **(فإن صودف)** مرة **(طالب)** علماً **(لله)** تعالى **(ومتقرب في العلم إلى الله)** تعالى ويعرف ذلك بالقرائن ثم بنور الفراسة بالنظر إلى أحواله، **(فأكبر الكبائر الاعتزال عنه وكتمان العلم منه)** فإن منع العلم عن أهله ظلم، وعليه يحمل ما ورد في الأخبار من الوعيد على الكتمان. **(وهذا لا يصادف في بلد**

ولا ينبغي أن يغتر الإنسان بقول سفيان: تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلا لله، فإن الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون إلى الله. وانظر إلى أواخر أعمار الأكثرين منهم واعتبرهم أنهم ماتوا، وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبون عليها أو راغبون عنها وزاهدون فيها، وليس الخبر كالمعاينة. واعلم أن العلم الذي أشار إليه سفيان هو علم الحديث وتفسير القرآن ومعرفة سير الأنبياء والصحابة، فإن فيها التخويف والتحذير وهو سبب لإثارة الخوف من الله فإن لم يؤثر في الحال أثر في المآل.

وأما الكلام والفقه المجرد ـ الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات ـ المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا إلى الله، بل لا يزال متمادياً في حرصه إلى

كبير) آهل بأهله (**أكثر من واحد واثنين**) ولا زيادة لعزة المقصد (**إن صودف**).

(**ولا ينبغي أن يغتر الإنسان بقول سفيان**) بن سعيد الثوري؛ (**تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم إلا أن يكون لله، و**) المعنى (**ان الفقهاء يتعلمون**) العلم (**لغير الله، ثم يرجعون إلى الله**) وفي الأواخر (**فانظر إلى أواخر أعمار الأكثرين منهم واعتبرهم أنهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبون عليها**) أي على تحصيلها (**أو راغبين عنها وزاهدين فيها، وليس الخبر كالمعاينة**) وهو حديث مرفوع. رواه أحمد وابن منيع والعسكري من طريق جعفر بن أبي شعبة، والطبراني في الأوسط من طريق محمد بن عيسى الطباع كلاهما عن هشيم عن ابن أبي وحشية. قال الدارقطني: تفرد به خلف بن سالم عن غندر عن شعبة، وكذا رواه أبو عوانة عن ابن أبي وحشية أخرجه ابن حبان والعسكري أيضاً، وقد صحح هذا الحديث ابن حبان والحاكم وغيرهما، وأورده الضياء في المختارة. وممن روى عن هشيم أيضاً أحمد، وزياد بن أيوب، والنضر بن طاهر، والمأمون، وأبو القاسم البغوي. قال الحافظ السخاوي: وقول ابن عدي: إن هشيماً لم يسمعه من ابن أبي وحشية، وإنما سمعه من أبي عوانة عنه فدلسه لا يمنع صحته: لاسيما وقد رواه الطبراني، وابن عدي، وأبو يعلى الخليلي في الإرشاد من حديث ثمامة عن أنس، ومن هذا الوجه أيضاً اورده الضياء في المختارة وفي لفظ ليس المعاين كالمخبر. (**واعلم أن العلم الذي أشار إليه سفيان هو علم الحديث**) أي سماعه وضبطه واتقانه ثم العمل به، (**وتفسير القرآن ومعرفة سير الأنبياء والصحابة**) ومن بعدهم (**فإن فيها التخويف والتحذير وهي سبب لإثارة الخوف من الله تعالى فإن لم يؤثر في الحال**) لمانع (**اثر في المآل**) لا محالة.

(**فأما الكلام والفقه المجرد الذي يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات**) بين الفريقين (**المذهب منه والخلاف لا يرد الراغب فيه للدنيا إلى الله، بل لا يزال متمادياً**) متجرأ (**في حرصه**) وطمعه وتهافته (**إلى آخر عمره**) ولا ينبئك مثل خبير، (**ولعل ما**

آخر عمره. ولعل ما أودعناه هذا الكتاب إن تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا فيجوز أن يرخص فيه، إذ يرجى أن ينزجر به في آخر عمره فإنه مشحون بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا، وذلك مما يصادف في الأحاديث وتفسير القرآن ولا يصادف في كلام ولا في خلاف ولا في مذهب. فلا ينبغي أن يخادع الإنسان نفسه فإن المقصر العالم بتقصيره أسعد حالاً من الجاهل المغرور أو المتجاهل المغبون وكل عالم اشتد حرصه على التعليم يوشك أن يكون غرضه القبول والجاه، وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الإذلال على الجهال والتكبر عليهم، فآفة العلم الخيلاء كما قال ﷺ؛ ولذلك حكي عن بشر أنه دفن سبعة عشر قمطراً من كتب الأحاديث التي سمعها، وكان لا يحدث. ويقول: إني أشتهي أن أحدث فلذلك لا أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت. ولذلك قال: «حدثنا» باب من أبواب الدنيا، وإذا قال الرجل:

أودعناه هذا الكتاب) من مسائل الفقه وغيرها **(إن تعلمه المتعلم رغبة في الدنيا)** أي لأجل تحصيلها **(فيجوز أن يرخص فيه إذ يرجى)** له **(أن ينزجر به)** بعد **(في آخر عمره فإنه مشحون بالتخويف بالله والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا)** وغوائلها، **(وذلك مما يصادف في الأحاديث والآثار وتفسير القرآن، ولا يصادف في كلام ولا خلاف ولا في مذهب)** وفي في معرفة المدارك منه، **(ولا ينبغي أن يخادع الإنسان نفسه)** أي لا يعاملها بالمخادعة **(فإن المقصر العالم بتقصيره أسعد حالاً)** وأسلم عاقبة **(من الجاهل المغرور)** بنفسه، **(أو المتجاهل المغبون)** الذي غبن في رأيه، **(وكل عالم اشتد حرصه على التعليم والتدريس يوشك أن يكون غرضه القبول والجاه)** عند أرباب الأموال، **(وحظه تلذذ النفس في الحال باستشعار الإذلال على الجهال)** من العوام الطغام **(والتكبر عليهم، فآفة العلم الخيلاء كما قاله ﷺ)**. قال العراقي المعروف ما رواه مطين في مسنده من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف «آفة العلم النسيان وآفة الجهال الخيلاء» اهـ.

قلت: رواه البيهقي في الشعب، وابن لال في مكارم الأخلاق بلفظ «آفة الظرف الصلف، وآفة الشجاعة البغي، وآفة السماحة المن، وآفة الجمال الخيلاء، وآفة العبادة الفترة، وآفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة الحلم السفة، وآفة الحسب الفخر، وآفة الجود السرف».

(ولذلك حكي عن بشر) بن الحرث الحافي قدس سره: **(إنه دفن سبعة عشر قمطراً من كتب الأحاديث التي سمعها)** من شيوخه وأثبتها في تلك الجرائد، **(وكان لا يحدث)** إلا قليلاً **(ويقول: إني لأشتهي أن أحدث فلذلك لا أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت)** لأن مبنى الطريق عند القوم مخالفة النفس وقد تقدم في كتاب العلم، **(ولذلك قال: حدثنا وأخبرنا باب من)** أبواب **(الدنيا، وإذا قال الرجل: حدثنا فإنما يقول أوسعوا لي)** في المجلس وانظروا إليّ تقدم في كتاب العلم.

« حدثنا » فإنما يقول أوسعوا لي. وقالت رابعة العدوية لسفيان الثوري: نعم الرجل أنت لولا رغبتك في الدنيا. قال: وفيما رغبت؟ قالت: في الحديث. ولذلك قال أبو سليمان الداراني: من تزوّج أو طلب الحديث أو اشتغل بالسفر فقد ركن إلى الدنيا. فهذه آفات قد نبهنا عليها في كتاب العلم، والحزم والاحتراز بالعزلة وترك الاستكثار من الأصحاب ما أمكن، بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه فالصواب له إن كان عاقلاً في مثل هذا الزمان أن يتركه. فلقد صدق أبو سليمان الخطابي حيث قال: دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال، إخوان العلانية أعداء السر، إذا لقوك تملقوك وإذا غبت عنهم سلقوك، من أتاك منهم كان عليك رقيباً وإذا خرج كان عليك خطيباً، أهل نفاق ونميمة وغل وخديعة، فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم بل الجاه والمال وأن يتخذوك سلماً إلى أوطارهم وأغراضهم وحماراً في

(**وقالت رابعة**) بنت إسماعيل (**العدوية**) البصرية من خيار النساء الصالحات ترجمها أبو نعيم في الحلية (**لسفيان**) بن سعيد (**الثوري**) حين جاء زائراً لها: (**نعم الرجل أنت لولا رغبتك في الدنيا. قال: وفيما ذا رغبت؟ قالت: في الحديث**) أي كثرت فيه حتى اشتهرت به فرغب إليك الناس ورغبت، ولفظ القوت: قالت رابعة لسفيان: نعم الرجل أنت لولا أنك تحب الدنيا » يعني الحديث. والمذاكرة به لأصحاب الحديث والتفرغ لهم، (**ولذا قال أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى: (**من تزوّج أو طلب**) وفي نسخة: كتب (**الحديث أو اشتغل بالسفر فقد ركن إلى الدنيا**) تقدم في كتاب العلم، (**وهذه آفات قد نبهنا عليها في كتاب العلم**) وذكرنا الوجوه والدواعي، وكيف التخلص منها، (**والحزم**) كل الحزم (**الاحتراز**) عنها (**بالعزلة وترك الإكثار من الأصحاب ما أمكن**) وقدر عليه، (**بل الذي يطلب الدنيا بتدريسه وتعليمه** ووعظه وتذكيره، (**فالصواب له إن كان عاقلاً في هذا الزمان أن يترك ذلك**) ليسلم حاله، (**فلقد صدق أبو سليمان**) أحمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب (**الخطابي**) البستي نسب إلى جده إمام فقيه محدث وله غريب الحديث ومعالم السنن وغيرهما توفي سنة ٣٨٨ (**حيث قال**) في كتاب له سماه العزلة (**دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال**) هم (**إخوان العلانية**) أي يدعون الاخوّة في الظاهر (**أعداء السر**) أي يسرون العداوة في الباطن، (**إذا لقوك**) في مجلس (**تملقوك**) أي تملقوا لك بأن أظهروا لك الحب والإخلاص، (**وإذا غبت عنهم سلقوك**) بألسنتهم، وفي نسخة: سبوك أي آذوك (**من أتاك منهم كان عليك رقيباً**) أي مراقباً لهناتك حافظاً سيئاتك، (**وإذا خرج كان عليك خطيباً**) يخبر الناس بعيوبك ويفصح لهم بلسانه، (**أهل نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم، بل**) تحصيل (**الجاه والمال**) منك، (**وأن يتخذوك سلماً**) أي واسطة

حاجاتهم، إن قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد أعدائك، ثم يعدون ترددهم إليك دالة عليك ويرونه حقاً واجباً لديك، ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم، وتنتهض لهم سفيهاً وقد كنت فقيهاً، وتكون لهم تابعاً خسيساً بعد أن كنت متبوعاً رئيساً. ولذلك قيل: اعتزال العامة مروءة تامة. فهذا معنى كلامه وإن خالف بعض ألفاظه وهو حق وصدق. فإنك ترى المدرسين في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد إليهم فكأنه يهدي تحفة إليهم ويرى حقه واجباً عليهم. وربما لا يختلف إليه ما لم يتكفل برزق له على الإدرار. ثم إن المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله، فلا يزال متردداً إلى أبواب السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام، ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله إلى أن يسلم إليه ما يقدره نعمة مستأنفة من عنده عليه، ثم يبقى في مقاساة القسمة على أصحابه إن سوّى بينهم مقته المميزون ونسبوه إلى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مصارفات الفضل

يرقون بها (**إلى قضاء أوطارهم**) وأغراضهم، (**وحماراً**) مسخراً (**في**) تأدية (**حاجتهم إن قصرت في غرض من أغراضهم كانوا من أشد اعدائك**) وأكبر خصمائك، (**ثم**) بعد ذلك (**يعدون ترددهم إليك دالة عليك**) أي منة ودلالاً (**ويرونه حقاً واجباً لديك ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم، وتكون لهم تابعاً خسيساً بعد أن كنت متبوعاً رئيساً، ولذلك قيل: اعتزال العامة مروءة تامة فهذا معنى كلامه**) الذي ساقه، (**وإن خالف بعض ألفاظه**) فإنه زاد في العبارة جملاً لم يذكرها المصنف اختصاراً (**وهو حق وصدق فإنك ترى المدرسين**) أبداً (**في رق**) أي أسر (**دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد إليهم فكأنه يهدي**) تردده (**تحفة إليهم فيرى**) بذلك التردد (**حقاً واجباً عليهم، وربما لا يختلف**) المتردد (**إليه ما لم يتكفل برزق له على**) سبيل (**الإدرار**) والتوظيف والقيام بمهاته، (**ثم إن المدرس المسكين قد يعجز عن القيام بذلك من ماله**) لعدم ماله، (**فلا يزال يتردد على أبواب السلاطين**) ومن دونهم من الأمراء والتجار (**ويقاسي الذل والشدائد**) وأنواع المشقات (**مقاساة المهين الذليل**) المستقل (**حتى يكتب له على بعض وجوه السحت مال حرام**) يكون كالإدرار عليه يأخذه في كل يوم أو جمعة أو شهر أو سنة بحسب اصطلاح كل وقت، (**ثم لا يزال العامل**) من طرق السلطان (**يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستذله**) بكثرة التردد إليه في ملأ من الناس بعد تلك المواعيد الكاذبة إلى أن يسلم إليه ما يقدره نعمة مستأنفة من عنده عليه كأنه هو الذي أعطاه، (**ثم يبقى**) ذلك المدرس المسكين (**في مقاساة القسمة على أصحابه إن ساوى بينهم مقته المبرزون**) من

والقيام في مقادير الحقوق بالعدل، وإن فاوت بينهم سلقه السفهاء بألسنة حداد وثاروا عليه ثوران الأساود والآساد، فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مطالبة ما يأخذه ويفرقه عليهم في العقبى. والعجب أنه مع هذا البلاء كله يمني نفسه بالأباطيل ويدليها بحبل الغرور ويقول لها، لا تفتري عن صنيعك فإنما أنت بما تفعلينه مريدة وجه الله تعالى، ومذيعة شرع رسول الله ﷺ، وناشرة علم دين الله، وقائمة بكفاية طلاب العلم من عباد الله، وأموال السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة للمصالح وأي مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم؟ فبهم يظهر الدين ويتقوى أهله، ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بأدنى تأمل أن فساد الزمان لا سبب له إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين يأكلون ما يجدون ولا يميزون بين الحلال والحرام، فتلحظهم أعين الجهال ويستجرئون على المعاصي باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء لآثارهم. ولذلك قيل: ما فسدت الرعية إلا بفساد الملوك

تلامذته الذين لهم سابقة حضور عنده **(ونسبوه إلى الحمق وقلة التمييز والقصور عن درك مصارف الفضل والقيام في مقادير الحقوق بالعدل)** والتسوية، **(وإن فاوت بينهم بالعطاء)** بأن أعطى بعضاً كثيراً ورعاه وأعطى بعضاً منهم قليلاً **(سلقه السفهاء)** منهم **(بألسنة حداد وثاروا عليه ثوران الأساود)** أي الحيات **(والآساد)** جمع أسد، **(فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مظالم ما يأخذه ويفرقه)** عليهم **(في العقبى)** فإن حرامها عقاب وحلالها حساب، **(والعجب أنه مع هذا البلاء كله يمني نفسه بالأباطيل)** والظنون الكواذب **(ويدليها بحبل الغرور)** وفي نسخة تمنيه نفسه بالأباطيل وتدليه بحبل الغرور، **(ويقول لها لا تفتري)** أي لا تكسلي. وفي نسخة: وتقول له لا تفتر **(عن صنيعك)** الذي أنت فيه **(فإنما أنت بما تفعلينه مريدة وجه الله تعالى ومذيعة شرع رسول الله ﷺ وناشرة علم دين الله)** أي رايته **(وقائمة بكفاية طلاب العلم من عباد الله)** وفي نسخة: فإنما أنت بما تفعله مريد ومذيع وناشر وقائم كل ذلك بتذكير الضمير على أن الخطاب من النفس له. وعلى النسخة الخطاب منه إلى النفس، فلذا أنت في الجميع ثم يقول **(وأموال السلاطين لا مالك لها وهي مرصدة للمصالح وأي مصلحة أكبر من تكثير أهل العلم)** وتوسيع سوادهم **(فبهم يظهر الدين ويتقوّى أهله، ولو لم يكن ضحكة للشيطان لعلم بأدنى تأمل. إنّ فساد الزمان لا سبب له إلا كثرة أمثال أولئك الفقهاء الذين يأكلون ما يجدون)** من غير بحث عن أصله **(ولا يميزون بين الحلال والحرام فتلحظهم أعين الجهال)** والعامة ويستجرئون على المعاصي أي ارتكابها **(باستجرائهم اقتداء بهم واقتفاء بآثارهم)** فإذا منعوا لم يمتنعوا، واحتجوا بهؤلاء المقتدى بهم وقالوا: لنا أسوة ويكفي بنا أن نكون في العمل مثلهم، **(ولذلك قيل: ما فسدت الرعية إلا بفساد الملوك وما فسدت الملوك إلا بفساد العلماء)**، فإذا فسدت الرعية أصلحتها الملوك بعدلها، وإذا فسدت الملوك أصلحتها العلماء بالوعظ والنصحية واراءة طرق الخير، فإذا فسدت العلماء فسد الكل وفي

ولا فسدت الملوك إلا بفساد العلماء . فنعوذ بالله من الغرور والعمى فإنه الداء الذي ليس له دواء .

الفائدة الثانية : النفع والانتفاع :

أما الانتفاع بالناس ، فبالكسب والمعاملة . وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة إن طلب موافقة الشرع فيه ـ كما ذكرناه في كتاب الكسب ـ فإن كان معه مال لو اكتفى به قانعاً لأقنعه فالعزلة أفضل له إن انسدت طرق المكاسب في الأكثر إلا من المعاصي ، إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة ، فإذا اكتسب من وجهه وتصدق به فهو أفضل من العزلة للاشتغال بالنافلة ، وليس بأفضل من العزلة للاشتغال بالتحقق في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع ، ولا من الإقبال بكنه الهمة على الله تعالى والتجرد بها لذكر الله ؛ أعني من حصل له أنس بمناجاة الله عن كشف وبصيرة لا عن أوهام وخيالات فاسدة .

وأما النفع ؛ فهو أن ينفع الناس إما بماله أو ببدنه فيقوم بحاجاتهم على سبيل الحسبة .

ذلك قيل : ايش يصلح الملح إذا الملح فسد . (**فنعوذ بالله من الغرور**) الشيطاني (**والعمى**) الباطني (**فإنه الداء**) العضال (**الذي ليس له دواء**) .

الفائدة الثانية الانتفاع والنفع :

(**أما الانتفاع بالناس ، فبالكسب والمعاملة . وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة**) مع الناس (**والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة فيقع في جهاد من المخالطة إن طلب موافقة الشرع**) فإنه يقع بذلك في مشقات لا تحصى كما ذكرناه في كتاب الكسب ، (**وإن كان معه مال لو اكتفى به قانعاً لأقنعه**) وكفاه (**فالعزلة أفضل له**) من الخلط (**إذا انسدت طرق المكاسب**) والأرباح (**في الأكثر إلا من المعاصي**) أي لا تتحصل إلا بارتكابها (**إلا أن يكون غرضه الكسب للصدقة**) وفي نسخة : الصدقة بكسبه (**فإذا اكتسب من وجه وتصدق به فهو أفضل من العزلة**) التي هي (**للاشتغال بالنافلة**) الزائدة على المهم ، (**وليس بأفضل من العزلة**) التي هي (**للاشتغال بالتحقيق**) والتحقق (**في معرفة الله ومعرفة علوم الشرع**) من مواضعها ومداركها (**ولا**) هو أفضل أيضاً (**من الإقبال بكنه الهمة على الله**) تعالى (**والتجرد به لذكر الله**) تعالى (**أعني من حصل له أنس بمناجاة الله**) في أثناء مراقباته (**عن كشف**) حقيقي (**وبصيرة**) تامة (**لا من أوهام**) باطلة (**وخيالات فاسدة**) .

(**وأما النفع ، فهو أن ينفع الناس إما بماله**) إن كان ذا مال (**أو ببدنه**) إن كان قوياً (**فيقوم بحاجتهم**) متكفلاً بها (**على سبيل الحسبة**) أي احتساباً لله تعالى (**ففي النهوض**)

ففي النهوض بقضاء حوائج المسلمين ثواب وذلك لا ينال إلا بالمخالطة. ومن قدر عليها مع القيام بحدود الشرع فهي أفضل له من العزلة إن كان لا يشتغل في عزلته إلا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية، وإن كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر فذلك لا يعدل به غيره ألبتة.

الفائدة الثالثة: التأديب والتأدب:

ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل أذاهم كسراً للنفس وقهراً للشهوات. وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة، وهي أفضل من العزلة في حق من لم تتهذب أخلاقه، ولم تذعن لحدود الشرع شهواته، ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات فيخالطون الناس بخدمتهم وأهل السوق للسؤال منهم كسراً لرعونة النفس واستمداداً من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهممهم إلى الله سبحانه. وكان هذا هو المبدأ في الاعصار الخالية والآن قد خالطته الأغراض الفاسدة ومال ذلك عن القانون كما مالت سائر شعائر الدين، فصار يطلب من التواضع بالخدمة التكثير بالاستتباع والتذرع إلى جمع المال والاستظهار بكثرة الاتباع، فإن كانت النية هذه فالعزلة خير من ذلك ولو

والقيام **(بقضاء حوائج المسلمين ثواب)** عظيم، **(وذلك لا ينال إلا بالمخالطة)** مع الناس، **(ومن قدر عليه بحدود الشرع فهو أفضل له من العزلة إن كان لا يشتغل في عزلته إلا بنوافل الصلوات والأعمال البدنية، وإن كان ممن انفتح له طريق العمل بالقلب بدوام ذكر أو فكر)** ومراقبة وحفظ أنفاس، **(فذلك لا يعدل به غيره البتة)** فإنه الأشرف والأفضل.

الفائدة الثالثة التأديب والتأدب:

(ونعني به الارتياض لمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل أذاهم) وجفاهم **(كسراً للنفس)** الأمارة **(وقهراً للشهوات)** وردعاً لها **(وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة)** والمعاشرة **(وهي أفضل من العزلة في حق من لم تتهذب بعد أخلاقه)** بالتهذيب الشرعي **(ولم تذعن)** أي تنقد **(لحدود الشرع شهواته)** النفسية، **(ولهذا انتدب خدام الصوفية في الرباطات)** والتكايا **(فيخالطون الناس لخدمتهم و)** يخالطون **(أهل السوق للسؤال منهم)** فيمدون أياديهم ويقولون: شيئاً لله **(كسراً لرعونة النفس واستمداداً من بركة دعاء الصوفية المنصرفين بهممهم إلى الله تعالى، وكان هذا هو المبدأ في الأعصار الخالية)** أي الماضية **(و)** أما **(الآن خالطته الأغراض الفاسدة)** السقيمة، **(ومال ذلك عن القانون المستقيم كما مال سائر شعائر الدين)** عن محور استقامته. **(فصار المطلوب من التواضع بالخدمة التكبر بالاستتباع والتذرع)** أي التوسل **(إلى جمع المال والاستظهار بكثرة الاتباع)** والحشم، **(فإن**

إلى القبر، وإن كانت النية رياضة النفس فهي خير من العزلة في حق المحتاج إلى الرياضة، وذلك مما يحتاج إليه في بداية الإرادة، فبعد حصول الارتياض ينبغي أن يفهم أن الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها، بل المراد منها أن تتخذ مركباً يقطع به المراحل ويطوي على ظهره الطريق، والبدن مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات إن لم يكسرها جمحت به في الطريق، فمن اشتغل طول العمر بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها، فلا يستفيد منها إلا الخلاص في الحال من عضها ورفسها ورمحها، وهي لعمري فائدة مقصودة ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة، وإنما تراد الدابة لفائدة تحصل من حياتها، فكذلك الخلاص من ألم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت، ولا ينبغي أن يقنع به كالراهب الذي قيل له: يا راهب، فقال: ما أنا راهب إنما أنا كلب عقور حبست نفسي حتى لا أعقر الناس، وهذا حسن بالإضافة إلى من يعقر الناس، ولكن لا ينبغي أن يقتصر عليه، فإنّ

كانت النية هذا فالعزلة خير منه ولو إلى آخر العمر) وفي نسخة إلى القبر، **(وإن كانت النية رياضة النفس فهي خير من العزلة في حق المحتاجين إلى الرياضة، وذلك مما يحتاج إليه في بداية الإرادة)** أي بعد السلوك **(فبعد حصول الارتياض ينبغي أن يفهم أن الدابة لا يطلب من رياضتها عين رياضتها، بل المراد منها أن تتخذ مركباً تقطع به المراحل)** والمفاوز آناً فآناً **(ويطوي على ظهرها الطريق)** للوصول إلى المطلوب **(والبدن)** بمنزلة **(مطية للقلب يركبها ليسلك بها طريق الآخرة وفيها شهوات إن لم يكسرها)** بقوة قاهرة **(جمحت به في الطريق)** وأتعبته، **(فمن اشتغل طول عمره بالرياضة كان كمن اشتغل طول عمر الدابة برياضتها ولم يركبها فلا يستفيد منها إلا الخلاص في الحال من عضها ورفسها ورمحها)** وغير ذلك من العيوب التي فيها مما تذهب بالرياضة، **(وهي لعمري فائدة مقصودة. ولكن مثلها حاصل من البهيمة الميتة)** فإنها ممن يؤمن منها من العضة والرفس والرمح، **(والدابة إنما تراد لفائدة تحصل من حياتها، فكذلك الخلاص من ألم الشهوات في الحال يحصل بالنوم والموت فلا ينبغي أن تقنع بها)** فإنه قليل الجدوى، **(كالراهب الذي)** كان على قلة جبل، وقد **(قيل: يا راهب)** عظني **(فقال: ما أنا راهب إنما أنا كلب عقور حبست نفسي حتى لا أعقر الناس)** أي إنما أنا حابس لنفسي التي كالكلب العقور لئلا تعقر الناس أورده أبو نعيم في الحلية، ولفظ القشيري في الرسالة: ورؤي بعض الرهبان فقيل إنك راهب فقال: لا أنا حارس كلب إن نفسي كلب يعقر الخلق أخرجتها من بينهم ليسلموا منها. **(وهذا حسن، ولكن بالإضافة إلى من يعقر الناس)** بأن يؤذيهم ويقطع عليهم الطريق، **(ولكن لا ينبغي أن يقتصر عليه، فإن من قتل نفسه أيضاً لم يعقر الناس، بل ينبغي أن يتشوف إلى الغاية**

من قتل نفسه أيضاً لم يعقر الناس، بل ينبغي أن يتشوّف إلى الغاية المقصودة بها، ومن فهم ذلك واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك استبان له أن العزلة أعون له من المخالطة، فالأفضل لمثل هذا الشخص المخالطة أوّلاً والعزلة آخراً.

وأما التأديب، فإنما نعني به أن يروض غيره وهو حال شيخ الصوفية معهم، فإنه لا يقدر على تهذيبهم إلا بمخالطتهم، وحاله حال المعلم وحكمه حكمه، ويتطرق إليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق إلى نشر العلم إلا أن مخايل طلب الدنيا من المريدين الطالبين للارتياض أبعد منها من طلبة العلم، ولذلك يرى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة. فينبغي أن يقيس ما تيسر له من الخلوة بما تيسر له من المخالطة وتهذيب القوم، وليقابل أحدهما بالآخر وليؤثر الأفضل، وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد ويختلف بالأحوال والأشخاص فلا يمكن الحكم عليه مطلقاً بنفي ولا إثبات.

الفائدة الرابعة: الاستئناس والايناس:

وهو غرض من يحضر الولائم والدعوات ومواضع المعاشرة والأنس، وهذا يرجع إلى

المقصودة بها) وأنه ما المراد بهذا الحبس وما غايته التي لأجلها شرع فيه، **(ومن فهم ذلك واهتدى إلى الطريق وقدر على السلوك)** فيها **(استبان له)** أي ظهر **(أن العزلة أعون له)** أي أكثر عوناً **(من المخالطة، فالأفضل لهذا الشخص المخالطة أولاً)** ليتعلم رياضة النفس **(والعزلة آخراً)**.

(وأما التأديب: فإنما نعني به أن يروض غيره وهو حال شيخ المتصوفة معهم) أي الصوفية، **(فإنه لا يقدر على تهذيبهم إلا بمخالطتهم)** ومجالستهم ومعرفة مجاري أحوالهم مرة بعد أخرى، **(وحاله كحال المعلم)** سواء **(ويتطرق إليه من دقائق الآفات والرياء ما يتطرق إلى نشر العلم)** عند تعليمه، **(إلا أن مخايل طلب الدنيا من المريدين الطالبين للإرتياض)** وجهاد النفس **(أبعد منها من طلبة العلم)** في المدارس، **(ولذلك ترى فيهم قلة وفي طلبة العلم كثرة، فينبغي أن يقيس ما يتيسر له في الخلوة بما يتيسر له في المخالطة وتهذيب القوم)** وتأديبهم، **(وليقابل أحدهما بالآخر وليؤثر)** أي يختار **(الأفضل)** منهما، **(وذلك يدرك بدقيق الاجتهاد و)** هو مع ذلك **(يختلف بالأحوال والأشخاص)** والأزمان والبلدان. **(فلا يمكن الحكم عليه مطلقاً بنفي وإثبات)** بل لا بد من التفصيل السابق فيه، والله أعلم.

الفائدة الرابعة الاستئناس والايناس:

(وهذا غرض من يحضر الولائم والدعوات ومواضع المعاشرة والأنس) مع الأصحاب

حظ النفس في الحال. وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا تجوز مؤانسته، أو على وجه مباح، وقد يستحب ذلك لأمر الدين وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين كالأنس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى. وقد يتعلق بحظ النفس ويستحب إذا كان الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة، فإن القلوب إذا أكرهت عميت ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة أنس يروّح القلب فهي أولى، إذ الرفق في العبادة من حزم العبادة، ولذلك قال ﷺ: «إن الله لا يمل حتى تملوا» وهذا أمر لا يستغنى عنه فإن النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح، وفي

والخلان، (**وهذا يرجع إلى حظ النفس في الحال، وقد يكون ذلك على وجه حرام بمؤانسة من لا تجوز مؤانسته**) ولا الخلوة به، (**أو على وجه مباح وقد يستحب ذلك لأمر الدين، وذلك فيمن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين**) عند الحضور لديه والجمع بين يديه، (**كالأنس بالمشايخ الملازمين لسمت التقوى**) والصلاح الذين إذا رأوا ذكر الله عز وجل (**وقد يتعلق بحظ النفس، و**) قد (**يستحب**) ذلك (**إذا كان الغرض منه ترويح القلب**) وتنشيطه (**لتهييج دواعي النشاط في العبادة، فإن القلوب إذا أكرهت**) على شيء ولح عليها (**عميت**) فقد أخرج أبو داود في مراسيله عن الزهري مرسلاً، ووصله الديلمي من طرق أبي الطاهر الموقري عن الزهري عن أنس رفعه: «روحوا القلوب ساعة وساعة». وأخرجه ابن المقري في فوائده، ومن طريقه القضاعي في الشهاب، وفي صحيح مسلم من حديث حنظلة: «يا حنظلة ساعة وساعة». (**ومهما كان في الوحدة وحشة وفي المجالسة**) وفي نسخة المخالطة (**أنس يروح القلب**) وينشطه، (**فهو أولى إذ الرفق في العبادة من حزم العبادة، ولذلك قال ﷺ إن الله لا يمل حتى تملوا** ») قال البخاري في صحيحه: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا يحي بن هشام قال: أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة فقال: «من هذه» قالت: فلانة تذكر من صلاتها. قال: «مه عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا» وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبة والملالة من السآمة والضجر، ففيه المشاكلة والازدواج واختلف العلماء في تأويله فقال الخطابي: معناه أنه لا يترك الثواب عن العمل ما لم يتركوا العمل، وذلك إن من مل شيئاً تركه فكنى عن الترك بالملال الذي هو سبب الترك، وقال ابن قتيبة. معناه لا يمل الله إذا مللتم وهو مستعمل في كلام العرب يقولون: لا أفعل كذا حتى يبيض القار أو حتى يشيب الغراب وقال الهروي: معناه لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فتزهدوا بالرغبة إليه، وهذا كله بناء على أن «حتى» على بابها في إنتهاء الغاية وما يترتب عليها من المفهوم. وقال المازري وقيل: «حتى» هنا بمعنى الواو فيكون التقدير لا يمل وتملوا فنفي عنه الملل وأثبته لهم، وقيل: حتى بمعنى حين والأول أجرى على القواعد وأنه من باب المقابلة اللفظية.

(**وهذا أمر لا يستغنى عنه فإنه النفس لا تألف الحق على الدوام ما لم تروح**) بما فيه

تكليفها الملازمة داعية للفترة وهذا عني بقوله عليه السلام: « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق » والإيغال فيه برفق دأب المستبصرين، ولذلك قال ابن عباس: لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس، وقال مرة: لدخلت بلاداً لا أنيس بها، وهل يفسد الناس إلا الناس؟ فلا يستغني المعتزل إذاً عن رفيق يستأنس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة ساعة فليجتهد في طلب من لا يفسد عليه في ساعته تلك سائر ساعاته، فقد قال ﷺ: « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ». وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره عن الثبات على الحق والاهتداء إلى الرشد، ففي ذلك متنفس ومتروّح للنفس، وفيه مجال رحب لكل مشغول بإصلاح

نشاطها (**وفي تكليفها الملازمة تنفير**) وفي نسخة داعية إلى النفرة، (**فمن يشاد هذا الدين يغلبه**) يشاد هذه الصيغة يستوي فيها بناء المعلوم والمجهول لأن هذا من باب المفاعلة، وعلامة بناء الفاعل فيه كسر ما قبل آخره وعلامة بناء المفعول فيه فتح ما قبل آخره، وهذا لا يظهر في المدغم ولا يفرق بينهما إلا بالقرينة. ويشاد من المشادة وهي المغالبة من الشدة، ويقال: شاده مشادة إذا غلبه وقاواه، والمعنى لا يتعمق أحد في الدين ويترك الرفق إلا غلب الدين عليه وعجز ذلك المتعمق وانقطع عن عمله كله أو بعضه، وأصل من يشاد من يشادد أدغمت الأولى في الثانية.

أخرج البخاري في الصحيح من طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة رفعه: « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا » الحديث هكذا هو في رواية الأصيلي، ورواه كذلك أبو نعيم وابن حبان الإسماعيلي والنسائي: (**فإن الدين متين والإيغال فيه برفق دأب المستبصرين**) أشار به إلى ما رواه أحمد من حديث أنس رفعه: « إن هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق » وروى البزار من حديث جابر مرفوعاً: « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى ». (**ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس وقال مرة**): لولا مخافة الوسواس (**لدخلت بلاداً لا أنيس بها**) وفي نسخة آنس بها. (**وهل يفسد الناس إلا الناس**)؟ أي مخالطتهم تغير الطباع (**فلا يستغني المعتزل إذاً عن رفيق يستأنس**) به (**بمشاهدته ومحادثته**) ومكالمته (**في**) أثناء (**اليوم والليلة ساعة**) زمانية (**فليجتهد في طلب من لا يفسد في ساعته تلك عليه سائر ساعاته، فقد قال ﷺ: « المرء على دين خليله**) الذي يصادقه ويخالله (**فلينظر أحدكم من يخالل »**) تقدم في آداب الصحبة قريباً. (**وليحرص أن يكون حديثه عند اللقاء في أمور الدين وحكاية أحوال القلب وشكواه وقصوره على الثبات على الحق والاهتداء إلى الرشد**): وما أشبه ذلك. ففي هذه المذاكرة ترويح للقلب من الجانبين لا أن يذاكره في أمور الدنيا وأحوال فساد الخلق والشكوى على الظالمين وما انتشر من فساد حال الرعية والعامة، (**ففي ذلك منتعش ومتروح للنفس وفيه مجال**

نفسه فإنه لا تنقطع شكواه ولو عمر أعماراً طويلة، والراضي عن نفسه مغرور قطعاً. فهذا النوع من الاستئناس في بعض أوقات النهار ربما يكون أفضل من العزلة في حق بعض الأشخاص فليتفقد فيه أحوال القلب وأحوال الجليس أولاً ثم ليجالس.

الفائدة الخامسة: في نيل الثواب وإنالته:

أما النيل فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين، وأما حضور الجمعة فلا بدّ منه. وحضور الجماعة في سائر الصلوات أيضاً لا رخصة في تركه إلا لخوف ضرر ظاهر يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه، وذلك لا يتفق إلا نادراً، وكذلك في حضور الإملاكات والدعوات ثواب من حيث أنه إدخال سرور على قلب مسلم.

وأما إنالته، فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس أو ليعزوه في المصائب أو يهنوه على النعم فإنهم ينالون بذلك ثواباً، وكذلك إذا كان من العلماء وأذن لهم في الزيارة نالوا

رحب) أي واسع (**لكل مشغول بإصلاح نفسه فإنه لا تنقطع شكواه ولو عمر أعماراً طويلة والراضي عن نفسه مغرور قطعاً**) قد غره الشيطان وحال بينه وبين معرفة النفس ونسبة القصور إليها. (**فهذا النوع من الاستئناس في بعض أوقات النهار بما يكون أفضل من العزلة في حق بعض الأشخاص فليتفقد فيه أحوال القلب**) وما يعتريه (**وأحوال الجليس أولاً ثم ليجالس**) وإليه الإشارة بقوله: «فلينظر أحدكم من يخالل» فإن المرء إنما يعرف بجليسه وكل قرين بالقرين يقتدي، والله أعلم.

الفائدة الخامسة في نيل الثواب:

من الله تعالى (**وإنالته**) للغير ذلك بأن يكون سبباً لحصول ذلك له.

(**أما النيل فبحضور الجنائز**) فيمشي معها ويصلي عليها (**وعيادة المرضى وحضور العيدين**) لصلاتها، (**أما حضور الجمعة فلا بد منه**) فقد ورد في تركه وعيد في أخبار صحيحة، (**وحضور الجماعات في سائر الصلوات أيضاً رخصة في تركه إلا لخوف ضرر ظاهر**) كعدو يرتقبه في طريقه سواء كان إنساناً أو حيواناً أو غريم يلازمه بحيث (**يقاوم ما يفوت من فضيلة الجماعة ويزيد عليه وذلك لا يتفق إلا نادراً**) والنادر لا حكم له. (**وكذلك في حضور الإملاكات والدعوات ثواب من حيث أنه إدخال سرور على قلب مسلم**) وقد وردت في ذلك أخبار.

(**وأما إنالته فهو أن يفتح الباب ليعوده الناس**) إن كان مريضاً (**أو يعزوه في المصائب**) إن وقعت له مصيبة من حادثة موت أو غيره (**أو يهنوه على النعم**) من شفاء مريض له أو ورود خبر عن قادم أو غير ذلك، (**فإنهم ينالون بذلك ثواباً**) من الله عز وجل،

ثواب الزيارة، وكان هو بالتمكين سبباً فيه، فينبغي أن يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التي ذكرناها، وعند ذلك قد ترجح العزلة وقد ترجح المخالطة. فقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك إجابة الدعوات وعيادة المرضى وحضور الجنائز، بل كانوا أحلاس بيوتهم لا يخرجون إلا إلى الجمعة أو زيارة القبور، وبعضهم فارق الامصار وانحاز إلى قلل الجبال تفرغاً للعبادة وفراراً من الشواغل.

الفائدة السادسة:

من المخالطة التواضع، فإنه من أفضل المقامات ولا يقدر عليه في الوحدة، وقد يكون الكبر سبباً في اختيار العزلة. فقد روي في الاسرائيليات أن حكيماً من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصحفاً في الحكمة حتى ظن أنه قد نال عند الله منزلة، فأوحى الله إلى نبيه: قل لفلان إنك قد ملأت الأرض نفاقاً وإني لا أقبل من نفاقك شيئاً، قال:

(وكذلك إذا كان الرجل من العلماء) العاملين المشهورين بالسمت الحسن والصلاح **(وأذن لهم في الزيارة)** له إما بطلب صريح أو بالقرينة الشاهدة، **(وكان هو بالتمكين سبباً فيه فينبغي أن يزن ثواب هذه المخالطات بآفاتها التي ذكرناها)** آنفاً وليقابلها مع بعضها **(وعند ذلك قد تترجح العزلة وقد تترجح المخالطة فقد حكى عن جماعة من السلف)** الصالحين **(مثل مالك)** بن أنس **(رضي الله عنه)** عالم المدينة **(وغيره)** من أكابر الأئمة **(ترك إجابة الدعوات وترك عيادة المرضى و)** ترك حضور **(الجنائز، بل كانوا إحلاس بيوتهم)** جمع حلس بكسر فسكون وهو الحصير الذي يلي الأرض أي كانوا ملازمين بيوتهم لا ينتقلون، كما أن الإحلاس لا تنتقل وفي هذا إشارة إلى كمال التواضع، **(ولا يخرجون إلا إلى الجمعة)** فقط **(أو زيارة القبور)** أن آنسوا من قلبهم قساوة **(وبعضهم)** ترك الجمعة والجماعات وبعضهم **(فارق الأمصار وانحاز)** إلى القرى والكفور فاتخذها داراً، وبعضهم إنحاز **(إلى قلل الجبال)** وشعابها مغاراتها كل ذلك **(تفرغاً للعبادة وفراراً من الشواغل)** الدنيوية.

الفائدة السادسة من المخالطة التواضع:

(وهو من أفضل المقامات) عند الصوفية **(ولا يقدر عليه في الوحدة)** لأن التواضع تفاعل يقتضي الأثنينية، **(وقد يكون الكبر سبباً في إيثار العزلة فقد ورد في الإسرائيليات)** أي في الأخبار المروية عن بني إسرائيل **(أن حكيماً من الحكماء)** الإسرائيليين **(صنف ثلاثمائة وستين مصحفاً من الحكمة)** أودع في كل من تلك المصاحف طرائف الحكمة الإلهية **(حتى ظن أنه نال عند الله منزلة)** بسبب ذلك، **(فأوحى الله تعالى إلى نبيه)** الذي في ذلك العصر عليه السلام **(أن قل لفلان أنك قد ملأت الأرض نفاقاً)** هو الكلام الكثير **(وأني لا أقبل من**

« فتخلى وانفرد في سرب تحت الأرض وقال: الآن قد بلغت رضا ربي، فأوحى الله إلى نبيه قل له: إنك لن تبلغ رضاي حتى تخالط الناس وتصبر على أذاهم، فخرج فدخل الأسواق وخالط الناس وجالسهم وواكلهم وأكل الطعام بينهم ومشى في الأسواق معهم، فأوحى الله تعالى إلى نبيه: الآن قد بلغ رضاي. فكم من معتزل في بيته وباعثه الكبر ومانعه عن المحافل أن لا يوقر أو لا يقدم، أو يرى الترفع عن مخالطتهم أرفع لمحله وأبقى لطراوة ذكره بين الناس، وقد يعتزل خيفة من أن تظهر مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ البيت ستراً على مقابحه إبقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر أو فكر، وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولا يحبون أن يزوروا، ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين إليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك، ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض إليه المخالطة وزيارة الناس لبغض إليه زياراتهم له، كما حكيناه عن الفضيل حيث قال: وهل جئتني إلا لأتزين لك وتتزين لي. وعن حاتم الأصم أنه قال

نفاقك شيئاً قال) : فأخبره النبي بذلك **(فتخلى وانفرد)** عن الناس **(في سرب)** محركة **(تحت الأرض)** كالسرداب **(قال: الآن بلغت محبة ربي فأوحى)** الله **(إلى نبيه)** أن **(قل له: إنك لن تبلغ رضاي حتى تخالط الناس وتصبر على أذاهم)** وتتحمل جفاهم، **(فخرج)** من السرب **(ودخل الأسواق)** حيث مجتمع الناس **(وخالط العامة وجالسهم وواكلهم وأكل الطعام بينهم ومشى في الأسواق معهم، فأوحى الله إلى نبيه)** أن قل له: **(الآن قد بلغت رضاي)** هكذا نقله صاحب القوت. وتقدم ذلك أيضاً في كتاب العلم. **(فكم من معتزل في بيته وباعثه)** على عزلته **(التكبر)** على إخوانه **(ومانعه عن المحافل)** والمشاهد **(أن لا يوقر ولا يقدم)** ولا ينظر إليه بالإحترام فتنازعه نفسه من الحضور فيها، **(أو يرى الترفع عن مخالطتهم ارفع لمحله وأبقى لطرواة ذكره بين الناس)** بأن يثنوا عليه في كل آن، **(وقد يعتزل خيفة من أن تظهر مقابحه)** ومعايبه **(لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد)** في الدنيا **(والاشتغال بالعبادة)** فينقص مقامه بين أعينهم **(فيتخذ من البيت ستراً على مقابحه إبقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في الخلوة بذكر أو فكر)** أو مراقبة، **(وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولا يزوروا)** وتأتيهم الناس ولا يأتوهم، **(ويفرحون بتقرب العامة والسلاطين إليهم واجتماعهم على باب أحدهم وطريقه)** الذي يخرج إليه من البيت إلى المسجد **(وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك، ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض إليه المخالطة وزيارة الناس لبغض إليه زيارتهم له)** ومجيئهم على بابه، **(كما حكيناه عن الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى حيث قال للذي زاره في المسجد الحرام: **(وهل جئتني إلا**

للأمير الذي زاره: حاجتي أن لا أراك ولا تراني، فمن ليس مشغولاً مع نفسه بذكر الله فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس، لأن قلبه متجرد للالتفات إلى نظرهم إليه بعين الوقار والاحترام، والعزلة بهذا السبب جهل من وجوه.

أحدها: أن التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو متكبر بعلمه أو دينه إذ كان علي رضي الله عنه يحمل التمر والملح في ثوبه ويده ويقول:

لا ينقص الكامل من كماله ... ما جرّ من نفع إلى عيالِهِ

وكان أبو هريرة وحذيفة وأبيّ وابن مسعود رضي الله عنهم يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق على أكتافهم، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول ـ وهو والي المدينة والحطب على رأسه ـ طرقوا لأميركم. وكان سيد المرسلين ﷺ يشتري الشيء فيحمله إلى بيته بنفسه؛ فيقول له صاحبه: أعطني أحمله فيقول: «صاحب الشيء أحق بحمله». وكان

لأتزّين لك وتتزين لي وتقدم قريباً. وعن حاتم الأصم رحمه الله تعالى (**أنه قال للأمير الذي زاره**) وقال له: هل لك من حاجة نقضيها؟ قال: (**حاجتي إليك أن لا أراك ولا تراني**) وتقدم أيضاً قريباً. (**فمن ليس مشغولاً مع نفسه بذكر الله تعالى فاعتزاله عن الناس سببه شدة اشتغاله بالناس، لأن قلبه يتجرد للإلتفات إلى نظرهم إليه بعين الوقار والإحترام والعزلة لهذا السبب جهل**) محض (**من وجهين**):

(**أحدها: أن التواضع والمخالطة لا تنقص من منصب من هو متكبر بعلمه أو دينه إذ كان علي رضي الله عنه**) يدخل السوق (**ويحمل التمر**) والسويق (**والملح**) وأشباه ذلك (**في ثوبه**) تارة، (**وفي يده**) أخرى (**ويقول**):

(**لا ينقص الكامل من كماله ... ما جر من نفع إلى عياله**)

وهو بيت الرجز أشار بذلك أن مثل هذا لا ينقص من مروءة الإنسان، بل هو آية دالة على كماله لما فيه من التواضع.

(**وكان أبو هريرة وحذيفة**) بن اليمان (**وابن مسعود رضي الله عنهم يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق**) جمع جراب ككتاب وكتب (**على أكتافهم**) من السوق إلى البيت ولا يعدوها منقصة. (**وكان أبو هريرة**) رضي الله عنه (**يقول وهو والي**) على (**المدينة**) نيابة: (**والحطب على رأسه طرقوا**) أي أوسعوا (**الطريق لأميركم**) مع أنه مطيق على أن يأمر أحداً من خدمه أن يحمله، (**وكان ﷺ يشتري الشيء**) من السوق (**فيحمله إلى بيته بنفسه فيقول صاحبه**) الذي معه: (**اعطني**) يا رسول الله (**احمله**) عنك (**فيقول: «صاحب الشيء أحق بحمله»**) لأنه أعون له على التواضع وأنفى للكبر وبيان الأحقية في هذا أن لكل من المتصاحبين

الحسن بن علي رضي الله عنهما يمر بالسّؤال وبين أيديهم كسر فيقولون: هلم إلى الغداء يا ابن رسول الله فكان ينزل يجلس على الطريق ويأكل معهم ويركب ويقول: ﴿ إنَّ الله لا يحبّ المستكبرين ﴾ [النحل: ٢٣].

حقاً على الآخر، وصاحب الشيء أحق لكونه صاحبه، وصاحب هذا الصاحب له حق الخدمة فطلب الوفاء به، وإنما منعه مع أن في خدمته غاية الشرف والثواب لأنه شرع فبين كل فعل في محله تشريفاً.

قال العراقي: رواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف في حمله السراويل الذي اشتراه اهـ.

قلت: ولفظه عند أبي يعلى في المسند: « صاحب المتاع أحق به أن يحمله إلا أن يكون ضعيفاً يعجز عنه فيعينه عليه أخوه المسلم » وأخرجه كذلك ابن حبان في الضعفاء، والطبراني في الأوسط، والدارقطني في الافراد، والعقيلي في الضعفاء، وابن عساكر في التاريخ.

وأورده صاحب الشفاء بدون عزو ولفظهم: « صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله إلا أن يكون ضعيفاً » ولفظ الطبراني في الأوسط قال أبو هريرة: دخلت يوماً السوق مع رسول الله ﷺ فجلس إلى البزاز فاشترى سراويل بأربعة دراهم، وكان لأهل السوق وزان يزن فقال له: « أتزن وارجح » فقال الوزان: هذه كلمة ما سمعتها من أحد. قال أبو هريرة: كفى بك من الوهن والجفاء أن لا تعرف نبيك فطرح الميزان ووثب إلى يده يريد تقبيلها فجذب يده وقال: « إنما تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم فوزن وأرجح ». قال أبو هريرة: فذهبت أحمله عنه فذكره فأبى أبو هريرة الحديث. وهكذا سياقه عند أبي يعلى أيضاً.

قال الحفاظ العراقي، وابن حجر، والسخاوي: ضعيف بل بالغ ابن الجوزي فحكم بوضعه وقال: إن فيه يوسف بن زياد عن عبد الرحمن الإفريقي ولم يروه عنه غيره، ورده الحافظ السيوطي في تعقباته عليه بأنه لم ينفرد به يوسف فقد خرجه البيهقي في الشعب والأدب من طريق حفص بن عبد الرحمن، ورد عليه بأن ابن حبان قال في حفص هذا يروي الموضوعات عن الثقات، فهو كاف في الحكم بوضعه.

وأخرجه الديلمي من حديث أبي بكر الصديق رفعه: « من اشترى لعياله شيئاً ثم حمله إليهم حط عنه ذنب سبعين سنة » وهو ضعيف أيضاً. وقال السخاوي أحسبه باطلاً والله أعلم.

(وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يمر على السؤال) في الطريق جمع سائل **(وبين أيديهم كسر)** ملقاة في الأرض فيسلم عليهم **(فيقولون: هلم إلى الغداء يا ابن رسول الله فكان)** يثني رجله على بغلته **(وينزل ويجلس)** معهم **(على الطريق)** على الأرض **(ويأكل معهم ثم يركب ويقول: ﴿ إن الله لا يحب المستكبرين ﴾)** ثم يدعوهم بعدذلك إلى منزله فيقول للخادم، هلمي ما كنت تدخرين فيأكلون معه. هكذا أورده صاحب القوت.

الوجه الثاني: إن الذي شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور، ولأنه لو عرف الله حق المعرفة علم أن الخلق لا يغنون عنه من الله شيئاً، وأن ضرره ونفعه بيد الله ولا نافع ولا ضار سواه، وأن من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، بل رضا الناس غاية لا تنال فرضا الله أولى بالطلب، ولذلك قال الشافعي ليونس بن عبد الأعلى: والله ما أقول لك إلا نصحاً إنه

(الوجه الثاني: إن الذي شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور، لأنه لو عرف الله حق معرفته علم أن الخلق) ولو اجتمعوا **(لا يغنوا عنه من الله شيئاً وإن ضرره ونفعه بيد الله)** عز وجل **(فلا نافع ولا ضار سواه تعالى)** ولفظ القوت: فلو أيقن البائس المتصنع للخلق الأسير في أيديهم الرهين بنظرهم أن الخلق لا ينقصون من رزق ولا يزيدون في عمره، ولا يرفعون عند الله، ولا يضعون لديه وأن هذا كله بيد الله عز وجل لا يملكه سواه، ولو سمع خطاب المولى لاستراح من جهد البلاء إذ يقول الله عز وجل: ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه﴾ [العنكبوت: ١٧] مع قوله تعالى: ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم﴾ [الأعراف: ١٩٤] اهـ.

(وأن من طلب رضا الناس ومحبتهم بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس) أخرج أبو يعلى الخليلي في الإرشاد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه: «من أرضى الله بسخط المخلوقين كفاه مؤنة المخلوقين، ومن أرضى المخلوقين بسخط الله سلط الله عليه المخلوقين» وأخرج أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة رضي الله عنها: «من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله». **(بل رضا الناس غاية لا تدرك)** قاله أكثم بن صيفي هكذا في كتاب العزلة للخطابي كما تقدم. **(فرضا الله أولى بالطلب)** ولفظ القوت: وحدثونا عن الثوري قال: رضا الناس غاية لا تدرك فأحق الناس من طلب ما لادرك فيه.

(ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه ليونس بن عبد الأعلى) بن ميسرة بن حفص بن حيان الصوفي، كنيته أبو موسى وأبو إسحاق، وأمه فليحة بنت أبان بن زياد بن نافع التجيبي، مولده في ذي الحجة سنة ١٧٠، وصحب الشافعي وتفقه به وعرف بصحبته، وروى عنه الحديث، وعن ابن عيينة، وابن وهب، والوليد بن مسلم، ومعن بن عيسى، وأبي ضمرة أنس بن عياض، وجماعة. وعنه مسلم، والنسائي، وابن ماجه، وبقية بن مخلد وأبو زرعة، وأبو حاتم، وابن خزيمة، والطحاوي وآخرون. وكان قرأ القرآن على ورش وغيره، وأقرأ الناس. قرأ عليه ابن جرير الطبري وجماعة. انتهت إليه رئاسة العلم بمصر. وقال أبو عمر الكندي: كان يستسقي بدعائه، مات في ربيع الآخر سنة ٢٦٤. وثقة النسائي وابن حبان والطحاوي: **(والله ما أقول لك إلا نصحاً**

ليس إلى السلامة من الناس من سبيل. فانظر ماذا يصلحك فافعله؟ ولذلك قيل:

مـن راقـب النـاس مـات غماً وفـاز بـاللـذة الجسـورُ

ونظر سهل إلى رجل من أصحابه فقال له: اعمل كذا وكذا ـ لشيء أمره به ـ فقال: يا أستاذ لا أقدر عليه لأجل الناس، فالتفت إلى أصحابه وقال: لا ينال عبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين، عبد تسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا إلا خالقه، وأن أحداً لا يقدر على أن يضره ولا ينفعه، وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي بأي حال يرونه. وقال الشافعي رحمه الله: ليس من أحد إلا وله محب

أنه ليس إلى السلامة من الناس من سبيل) فانظر ماذا يصلحك فافعله. هكذا أورده صاحب القوت.

وحدثونا عن يونس بن عبد الأعلى قال: قال لي الشافعي فساقه. وهو في كتاب العزلة للخطابي بلفظ: «يا أبا إسحاق رضا الناس غاية لا تدرك ليس إلى السلامة من الناس من سبيل فانظر ما فيه صلاح نفسك الزمه ودع الناس وما هم فيه، **(ولذلك قيل)** في معناه:

(مـن راقـب النـاس مـات غماً وفـاز بـاللـذة الجسـور)

وفي نسخة بالراحة بدل باللذة هكذا أورده صاحب القوت.

(ونظر) أبو محمد **(سهل)** بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى **(إلى واحد من أصحابه)** ولفظ القوت إلى رجل من الفقراء **(فقال: اعمل لكذا وكذا. فقال: يا أستاذ لا أقدر عليه لأجل الناس فالتفت إلى أصحابه وقال: لا ينال عبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين: عبد يسقط الناس من عينيه فلا يرى في الدنيا)** ولفظ القوت في الدار **(إلا خالقه وأن أحداً لا يقدر على أن يضره ولا ينفعه، أو عبد سقطت)** ولفظ القوت أسقط **(نفسه عن قلبه فلا يبالي في أي حال يرونه)** هكذا أورده صاحب القوت. وقال أيضاً بعد ما أورد الآيتين المذكورتين ﴿إن الذي تعبدون من دون الله﴾ الآية وكذا قوله: ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ الآية. فلو عقل ذلك لأطرح الخلق عن قلبه اشتغالاً بقلبه ولأعرض عن الناس بهمه نظراً منه إلى مهمه وأظهره له وكشف أمره تقوياً بربه وثقته بعلمه، فلم يبال أن يراه الناس على كل حال يراه فيه مولاه إذ كان لا يعبد إلا إياه ولا يضره ولا ينفعه سواه فعمل ما يصلحه، وإن كان عند الناس يضعه وسعى فيما يحتاج إليه، وإن كان عند المولى يزري عليه، ولكن ضعف يقينه فقوى إلى الخلق نظره وأحب أن يستر عنهم خبره لإثبات المنزلة عندهم ولاستخراج الجاه لنفسه فيفخر الخيلاء والعجب فموه بحال على من لا حال له، وهم بمقام عند من ليس له مقام واعتقدوا فضله بذلك لنقصهم وتوهموا به علمه لجهلهم ولو صدقوا الله لكان خيراً لهم.

ومبغض، فإذا كان هكذا فكن مع أهل طاعة الله. وقيل للحسن: يا أبا سعيد إن قوماً يحضرون مجلسك ليس بغيتهم إلا تتبع سقطات كلامك وتعنيتك بالسؤال فتبسم وقال للقائل: هوّن على نفسك فإني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لأني قد علمت أن خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم. وقال موسى ﷺ: يا رب احبس عني ألسنة الناس. فقال: يا موسى هذا شيء لم أصطفه لنفسي فكيف أفعله بك؟ وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى عزيز: إن لم تطب نفساً بأني أجعلك علكاً في أفواه الماضغين لم أكتبك عندي من المتواضعين، فإذاً من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس. وأقوالهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ [القلم: ٣٣] فإذاً لا تستحب العزلة إلا لمستغرق

(**قال الشافعي رضي الله عنه: ما من أحد إلا له محب ومبغض فإذا كان هكذا فكن مع أهل طاعة الله**) أخرجه البيهقي والإبري في مناقب الشافعي، (**وقيل للحسن البصري يا أبا سعيد**) ولفظ القوت: وحدثونا عن امام الأمة الحسن البصري رحمه الله تعالى أن رجلاً قال له: يا أبا سعيد (**إن قوماً يحضرون مجلسك ليس بغيتهم**) الفائدة منك ولا الأخذ منك (**إلا تتبع سقطات كلامك**) ولفظ القوت إنما همّهم تتبع سقط كلامك، (**وتعنتك في السؤال**) ليعيبوك بذلك، (**فتبسم**) الحسن (**وقال: هون على نفسك**) ولفظ القوت: ثم قال هون عليك يا ابن أخي، (**فإني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت ولم تطمع فيّ السلامة من الناس**) ولفظ القوت: فإني حدثت نفسي بسكنى الجنان فطمعت وما حدثت نفسي قط بالسلامة من الناس (**لأني قد علمت أن خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم**) فكيف أحدث نفسي بالسلامة منهم. (**وقال موسى عليه السلام**) ولفظ القوت، وبمعناه ما روي عن موسى عليه السلام أنه قال: (**يا رب احبس عني ألسنة الناس، فقال**) الله عز وجل: يا موسى (**هذا شيء لم أصطفه لنفسي فكيف أفعله بك**)؟ وإلى هذا أشار القائل:

قيل إن الإله ذو ولد ... قيل إن الرسول قد كهنا
ما نجا الله والرسول من ... لسان الورى فكيف أنا

(**وأوحى الله تعالى إلى عزير**) مصغراً نبي من أنبياء بني إسرائيل عليه السلام وقرأ السبعة بالصرف وتركه (**إن لم تطب نفساً بأن أجعلك علكاً**) بكسر العين كل صمغ يعلك من لبان وغيره فلا يسيل (**في أفواه الماضغين لم أكتبك عندي من المتواضعين**) نقله صاحب القوت، (**فإذاً من حبس نفسه في البيت لتحسين اعتقادات الناس و**) تحسين (**أقوالهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا**) لأجل حبسه (**ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**). فإن الله تعالى لا تخفى عليه خافية. (**فإذاً لا تستحب العزلة إلا لمستغرق الأوقات لربه ذكراً**

الأوقات بربه ذكراً وفكراً وعبادة وعلماً بحيث لو خالطه الناس لضاعت أوقاته وكثرت آفاته ولتشوشت عليه عباداته. فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي أن تتقي فإنها مهلكات في صور منجيات.

الفائدة السابعة:

التجارب: فإنها تستفاد من المخالطة للخلق ومجاري أحوالهم. والعقل الغريزي ليس كافياً في تفهم مصالح الدين والدنيا. وإنما تفيدها التجربة والممارسة ولا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب، فالصبي إذا اعتزل بقي عمراً جاهلاً بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ويكفيه ذلك، ويحصل بقية التجارب بسماع الأحوال ولا يحتاج إلى المخالطة. ومن أهم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة، فإن كل مجرب في الخلاء يسر، وكل غضوب أو حقود أو حسود إذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه، وهذه الصفات مهلكات في أنفسها يجب إماطتها وقهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها. فمثال القلب

وفكراً) ومراقبة **(وعبادة وعلماً بحيث لو خالط الناس لضاعت أوقاته أو كثرت آفاته وتشوّشت عليه عبادته)**، ولم يجد في نفسه جمعية ولا لقلبه مع الحق حضوراً. **(فهذه غوائل)** مهالك **(خفية في اختيار العزلة فينبغي ان تتقى)** ويحذر منها، **(فإنها مهلكات في صور منجيات)** والتحرز منها مما يشتد على السالك لكونه أبداً في مجاهد لا ينفك.

الفائدة السابعة:

(التجارب: فإنها تستفاد من المخالطة للخلق ومن مجاري أحوالهم المختلفة. والعقل الغريزي) المركوز في غريزة الإنسان **(ليس كافياً في تفهم مصالح الدين والدنيا)** لعدم إحاطته بأفرادها، **(وإنما تفيدها التجربة والممارسة)** والمزاولة وقتاً بعد وقت **(ولا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب)** وأصل التحنيك أن يدلك حنك الصبي بنحو تمر وغيره، **(فالصبي إذا اعتزل)** ولم يخالط **(بقي عُمراً)** بالضم **(جاهلاً)** لم يدر شيئاً **(بل ينبغي أن يشتغل بالتعلم)** من الشيوخ **(ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج إليه من التجارب ويكفيه ذلك)** ولو كان خليلاً، **(ويحصل بقية التجارب بسماع الأحوال)** من الأفواه، **(ولا يحتاج إلى المخالطة. ومن أهم التجارب أنه يجرب نفسه وأخلاقه الظاهرة وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فإن كل مجرب بالخلاء يسر)** ويكتم، **(وكل غضوب أو حسود أو حقود إذا خلا ونفسه لم يترشح منه خبثه)** من غضب وحقد وحسد. **(وهذه الصفات مهلكات في نفسها)** أي في حد ذاتها **(يجب إماطتها)** أي إزالتها من أصلها وتبديلها بما يضادها **(أو قهرها)**

المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلىء بالصديد والمدة وقد لا يحس صاحبه بألمه ما لم يتحرك أو يمسه غيره، فإن لم يكن له يد تمسه أو عين تبصر صورته ولم يكن معه من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقده، ولكن لو حركه محرك أو أصابه مشرط حجّام لانفجر منه الصديد وفار فوران الشيء المختنق إذا حبس عن الاسترسال، فكذلك القلب المشحون بالحقد والبخل والحسد والغضب وسائر الأخلاق الذميمة إنما تنفجر منه خبائثه إذا حرك، وعن هذا كان السالكون لطريق الآخرة الطالبون لتزكية القلوب يجربون أنفسهم، فمن كان يستشعر في نفسه كبراً سعى في إماطته حتى كان بعضهم يحمل قربة ماء على ظهره بين الناس أو حزمة حطب على رأسه ويتردد في الأسواق ليجرب نفسه بذلك، فإن غوائل النفس ومكائد الشيطان خفية قلّ من يتفطن لها، ولذلك حكي عن بعضهم أنه قال: أعدت صلاة ثلاثين سنة مع أني كنت أصليها في الصف الأوّل، ولكن تخلفت يوماً بعذر فما وجدت موضعاً في الصف

فتسكن مع بقاء أصلها (**ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث**) أي الصفات الخبيثة (**مثل دمل**) كسكر وهو (**ممتلىء بالصديد**) وهو الدم المختلط بالقيح، وفي نسخة بالقيح والمدة. (**وقد لا يحس صاحبه بألمه ما لم يتحرك أو يمسه غيره**) بيده، (**فإن لم تكن له يد تمسه أو عين تبصر صورته ولم يكن معه من يحركه أو يمسه**) وفي نسخة أو يمسكه (**ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقده**) من أصله، (**ولكن لو حركه محرك أو أصابه مشرط حجّام**) وهو الموسى (**انفجر منه**) ذلك (**الصديد**) وفي نسخة القيح (**وفارفوران الشيء المحتقن**) أي المحتبس (**إذا حبس عن الاسترسال، فكذا القلب المشحون بالبخل والحسد والحقد والغضب وسائر الاخلاق الذميمة إنما تتفجر منه خبائثه إذا حرك**) وما لم تحرك فهي ساكنة أبداً. (**ومن هذا كان السالكون لطريق الآخرة**) من المريدين الصادقين (**الطالبون لتزكية القلوب**) من المستعدين (**يجربون أنفسهم**) ويمتحنونها (**فمن كان يستشعر في نفسه كبراً سعى في إماطته**) مهما أمكنه (**حتى كان بعضهم يحمل قربة ماء أو نحوها على ظهره بين الناس**) يسقيهم (**أو حزمة حطب**) يأتي بها من الجبل (**على رأسه ويتردد في الأسواق**) كأنه يبيعها (**ليجرب نفسه هل تثبت لذلك أم لا ؟ فإذا اطمأنت ذهب عنها**) وصف الكبر، ومنهم من كان يحمل مزبلة على رأسه في يوم مطر فيتساقط عليه من ذلك البلل ويدور بها المواضع التي يعتقده أهلها يريد بذلك قهر نفسه، (**فإن غوائل النفس ومكائد الشيطان خفية قلَّ من يتفطن لها، ولذلك حكي عن بعضهم أنه قال: أعدت صلاة ثلاثين سنة**) أي المفروضة (**مع أني كنت أصليها**) في الجماعة. وفي نسخة وذلك لأني كنت أصليها (**في الصف الأوّل**) على يمين الإمام (**ولكن تخلفت يوماً**

الأوّل فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس إليّ وقد سبقت إلى الصف الأول، فعلمت أن جميع صلواتي التي كنت أصليها كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس إليّ ورؤيتهم إياي في زمرة السابقين إلى الخير. فالمخالطة لها فائدة ظاهرة عظيمة في استخراج الخبائث وإظهارها، ولذلك قيل: السفر يسفر عن الأخلاق فإنه نوع من المخالطة الدائمة. وستأتي غوائل هذه المعاني ودقائقها في ربع المهلكات، فإن بالجهل بها يحبط العمل الكثير وبالعلم بها يزكو العمل القليل، ولولا ذلك ما فضل العلم على العمل إذ يستحيل أن يكون العلم بالصلاة ولا يراد إلا للصلاة أفضل من الصلاة فانا نعلم أن ما يراد لغيره فإن ذلك الغير أشرف منه، وقد قضى الشرع بتفضيل العالم على العابد حتى قال ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي» فمعنى تفضيل العلم يرجع إلى ثلاثة أوجه.

أحدها: ما ذكرناه.

والثاني: عموم النفع لتعدي فائدته والعمل لا تتعدى فائدته.

لعذر) عرض **(فما وجدت لي موضعاً في الصف الأوّل فوقفت في الصف الثاني، فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس إليّ وقد سبقت بالصف الأوّل، فعلمت أن جميع صلاتي كانت مشوبة بالرياء ممزوجة بلذة نظر الناس إليّ ورؤيتهم اياي في زمرة السابقين إلى الخير)**. فهذا من جملة امتحانهم لنفوسهم مع طول المدة. **(فالمخالطة لها فائدة ظاهرة في استخراج الخبائث وإظهارها، ولذلك قيل:)** إنما سمي **(السفر)** سفراً لأنه **(يسفر)** أي يكشف ويوضح **(عن أخلاق الرجال فإنه نوع من المخالطة دائماً وستأتي غوائل هذه المعاني ودقائقها في ربع المهلكات)** إن شاء الله تعالى، **(فإن بالجهل بها يحبط العمل الكثير)** أي يفسد ويهدر **(وبالعلم بها يزكو)** أي ينمو **(العمل القليل، ولولا ذلك لما فضل العلم عن العمل إذ يستحيل أن يكون العلم بالصلاة ولا يراد إلا للصلاة أفضل من الصلاة فإنا نعلم أن ما يراد لغيره فإن ذلك الغير أشرف منه)**، وهنا فالعلم أريد به الصلاة فيلزم منه أن تكون الصلاة أفضل منه. **(وقد قضى الشرع)** أي مشروعه أي حكم **(بتفضيل العلم على العمل، حتى قال ﷺ «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي»)** رواه الترمذي من حديث أبي أمامة بلفظ «على أدناكم» وفيه زيادة وقد تقدم في كتاب العلم مفصلاً. **(فمعنى تفضيل العلم)** على العبادة **(يرجع إلى ثلاثة أوجه)**.

(أحدها: ما ذكرناه).

(والثاني: عموم نفعه إذ تتعدى فائدته والعمل لا تتعدى فائدته) إذ نفعه مقصور على صاحبه.

والثالث: أن يراد به العلم بالله وصفاته وأفعاله، **فذلك أفضل من كل عمل، بل** مقصود الأعمال صرف القلوب عن الخلق إلى الخالق لتنبعث بعد الانصراف إليه لمعرفته ومحبته، فالعمل وعلم العمل مرادان لهذا العلم، وهذا العلم غاية المريدين والعمل كالشرط له. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكَلِمُ الطيّب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠] فالكلم الطيب هو هذا العلم والعمل كالجمال الرافع له إلى مقصده، فيكون المرفوع أفضل من الرافع. وهذا كلام معترض لا يليق بهذا الكلام، فلنرجع إلى المقصود فنقول: إذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت أن الحكم عليها مطلقاً بالتفضيل نفياً وإثباتاً خطأ بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله وإلى الخليط وحاله وإلى الباعث على مخالطته وإلى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد المذكورة، ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل، وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطاب إذ قال: يا يونس الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء،

(**الثالث: أن يراد به العلم بالله وبصفاته وأفعاله**) ومعاملاته. (**فذلك أفضل من كل عمل**) وهذه الوجوه الثلاثة قد تقدم بيانها في كتاب العلم في أمثالهم في أثناء بيان الأخبار الواردة في بيان فضل العلم، (**بل مقصود الأعمال**) أي المقصود منها (**صرف القلوب عن الخلق**) وعطفها (**إلى الخالق لتنبعث**) وتنشط (**بعد الانصراف إليه لمعرفته ومحبته**) فليس شيء في هذه العالم ألذ ولا أعز من معرفته ومحبته، (**فالعلم وعلم العمل مراد لهذا العلم**) ومقصود لأجله، (**وهذا العلم غاية المريدين**) الصادقين وإليها تنتهي هممهم والانصراف إليه من جملة محبته وهي باب من أبواب معرفته (**والعمل كالشرط له**) يقع لوقوعه وهو كالعلامة له (**وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ فالكلم الطيب هو هذا العلم والعمل له كالجمال الرافع إلى مقصده فيكون المرفوع أفضل من الرافع**) لا محالة. (**وهذا كلام معترض**) بين كلامين (**فلا يليق بهذا الكلام**) الذي نحن فيه من بيان الخلوة والعزلة وإنما يليق ذكره في كتاب العلم، وقد تقدمت الإشارة إليه هناك. (**فلنرجع إلى المقصود فنقول: إذا عرفت فوائد العزلة وغوائلها تحققت أن الحكم عليها مطلقاً بالتفصيل نفياً واثباتاً خطأ بل ينبغي أن ينظر إلى الشخص وحاله وإلى الخليط**) أي المخالط له (**وإلى الباعث على مخالطته**) ماذا (**وإلى الفائت بسبب مخالطته**) ما هو (**من هذه الفوائد المذكورة آنفاً، ويقاس الفائت بالحاصل**) ويوزن بينهما وزناً صحيحاً ثم يميز (**فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل، وكما قال الشافعي رضي الله عنه وهو فصل الخطاب في هذا**) المقام (**إذ قال: يا يونس**) يعني به يونس بن عبد الأعلى الصدفي المتقدم ذكره قريباً (**الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض**

فكن بين المنقبض والمنبسط. فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة، ويختلف ذلك بالأحوال. وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الأفضل. هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وإنما هو اخبار كل واحد عن حالة خاصة هو فيها، ولا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال، والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع إلى هذا، وهو أن الصوفي لا يتكلم إلا عن حاله فلا جرم تختلف أجوبتهم في المسائل، والعالم هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر إلى حال نفسه فيكشف الحق فيه، وذلك مما لا يختلف فيه فإن الحق واحد أبداً، والقاصر عن الحق كثير لا يحصى. ولذلك سئل الصوفية عن الفقر فما من واحد إلا وأجاب بجواب غير جواب الآخر، وكل ذلك حق بالإضافة إلى حاله وليس بحق في نفسه إذ الحق لا يكون إلا واحداً، ولذلك قال أبو عبدالله الجلاء ـ وقد سئل عن الفقر ـ فقال: اضرب بكميك الحائط وقل ربي الله فهو الفقر. وقال الجنيد: الفقير هو الذي لا يسأل أحداً ولا يعارض

والمنبسط) كذا في القوت، وأخرجه الأبري وأبو نعيم والبيهقي بأسانيدهم في مناقب الشافعي بتقديم الجملة الثانية على الأولى، **(فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة ويختلف ذلك بالأحوال)** وفي نسخة باختلاف الأحوال، **(وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الأفضل)** من المفضول **(هذا هو الحق الصراح)** البين **(وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر)** عن درجة الكمال، **(وإنما هو إخبار كل واحد عن حالة خاصة هي فيه)** قد لاحظها فأخبر عنها **(فلا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال)** والمقام **(والفرق بين العالم والصوفي في ظاهر العلم يرجع إلى هذا وهو أن الصوفي لا يتكلم إلا عن حاله)** الذي أقامه الله فيه، **(فلا جرم تختلف أجوبتهم في المسائل)** إذا سئلوا عن شيء **(والعالم)** الكامل المحيط بعلمه **(هو الذي يدرك الحق على ما هو عليه ولا ينظر إلى حال نفسه)** وإذا نظر لا يعتمد عليه **(فيكشف الحق فيه)** على ما هو عليه **(وذلك مما لا يختلف فيه واحد أبداً)** كما ذهب إليه سائر العلماء وقرره الأصوليون. وقال بعضهم: بل الحق يتعدد وإليه جنح التاج السبكي وأيده القطب الشعراني واختاره في مؤلفاته، **(والقاصر عن الحق كثير لا ينحصر، ولذلك سئل الصوفية عن الفقر)** والفقير **(ما من واحد)** منهم **(إلا وأجاب بجواب سوى جواب الآخر، وكل ذلك حق بالإضافة إلى حاله)** ومقامه **(وليس بحق في نفسه إذ الحق لا يكون إلا واحداً، ولذلك قال أبو عبد الله)** أحمد بن يحي **(الجلاء)** البغدادي الأصل نزيل الرملة ودمشق من أكابر مشايخ الشام صحب أبا تراب النخشبي وذا النون وأبا عبيد السري وأباه يحي الجلاء، **(وقد سئل عن الفقر فقال: أضرب بكميك الحائط وقل ربي الله فهو الفقر)** وهو إشارة إلى كمال التخلي عن الدنيا وصدق التوجه والإلتجاء إلى الله تعالى. **(وقال)** أبو القاسم **(الجنيد)** قدس سره: **(الفقير هو الذي لا يسأل)** أحداً شيئاً **(ولا يعارض)** في شيء **(وإن**

وإن عورض سكت. وقال سهل بن عبدالله: الفقير الذي لا يسأل ولا يدخر، وقال آخر: هو أن لا يكون لك فإن كان لك فلا يكون لك من حيث لم يكن لك. وقال ابراهيم الخوّاص: هو ترك الشكوى وإظهار اثر البلوى. والمقصود أنه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة قلما يتفق منها اثنان، وذلك كله حق من وجه فإنه خبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت أحدهما لصاحبه قدماً في التصوّف أو يثني عليه، بل كل واحد منهم يدعي أنه الواصل إلى الحق والواقف عليه، لأن أكثر ترددهم على مقتضى الأحوال التي تعرض لقلوبهم فلا يشتغلون إلا

عورض) في شيء **(سكت)** ولم يتحرك. **(وقال)** أبو محمد **(سهل بن عبد الله التستري)** قدس سره: **(الفقير)** هو **(الذي لا يسأل)** أحداً شيئاً **(ولا يدخر)** لنفسه شيئاً. **(وقال آخر)**: الفقير **(هو أن لا يكون لك فإذا كان لك فلا يكون لك ومن حيث لم يكن لك لم يكن لك)** وقال أبو القاسم القشيري في الرسالة: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي يقول: سمعت إبراهيم بن المولد يقول: سألت ابن الجلاء: متى يستحق الفقير اسم الفقر؟ فقال: إذا لم تبق عليه بقية منه. فقلت: كيف ذلك؟ فقال: إذا كان له فليس له وإذا لم يكن له فهو له. **(وقال)** أبو إسحاق **(إبراهيم)** بن أحمد **(الخواص)** قدس سره وهو من أقران الجنيد والنوري وله في التوكل والرياضيات حظ كبير، مات بالري سنة إحدى وتسعين ومائتين: **(الفقر هو ترك الشكوى وإظهار أثر البلوى)**. وقال يحي بن معاذ: حقيقة الفقر أن لا يستغني إلا بالله، ورسمه عدم الأسباب كلها. وقال أيضاً: الفقر هو خوف الفقر، وقال رويم: هو إرسال النفس في أحكام الله تعالى، وقال آخر: الفقر أن لا يستغني الفقير في فقره بشيء إلا بمن إليه فقره، وقال أبو الحسين النوري: هو السكون عند العدم والإيثار عند الوجود. وقال الشبلي: هو أن لا تستغني بشيء دون الله تعالى. وقال مظفر القريسيني: الفقير هو الذي لا تكون له إلى الله حاجة. قال القشيري: يشير به إلى سقوط المطالبات وإنتفاء الاختيار والرضا بما يجريه الحق، وقال ابن خفيف: الفقر عدم الإملاك والخروج من أحكام الصفات. وقال محمد بن المسوحي: الفقير الذي لا يرى لنفسه حاجة إلى شيء من الأسباب. وقال أبو بكر الحصري. الفقير الذي لا يملك ولا يملك.

(والمقصود أنه لو سئل منهم مائة لسمع منهم مائة جواب مختلفة قلما يتفق فيها اثنان) على مضمون واحد، **(وذلك كله حق من وجه فإنه أخبر كل واحد عن حاله وما غلب على قلبه)** وما كوشف له عن سره، **(ولذلك لا ترى اثنين منهم يثبت أحدهما لصاحبه قدماً في التصوّف أو يثني عليه)** في حاله الذي أقامه الله فيه، **(بل كل واحد منهم يدعي أنه)** هو **(الواصل إلى الحق والواقف عليه)** وكل يدعي وصله بليلى، **(لأن أكثر ترددهم على مقتضى الأحوال التي تعرض لقلوبهم)** عرضاً مختلفاً **(فلا يشتغلون إلا بأنفسهم ولا يلتفون**

بأنفسهم، ولا يلتفتون إلى غيرهم، ونور العلم إذا أشرق أحاط بالكل وكشف الغطاء ورفع الاختلاف. ومثال نظر هؤلاء ما رأيت من نظر قوم في أدلة الزوال بالنظر في الظل فقال بعضهم: في الصيف قدمان، وحكي عن آخر أنه نصف قدم، وآخر يرد عليه وأنه في الشتاء سبعة أقدام، وحكي عن آخر انه خمسة أقدام، وآخر يرد عليه، فهذا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم، فإن كل واحد من هؤلاء أخبر عن الظل الذي رآه ببلد نفسه فصدق في قوله وأخطأ في تخطئة صاحبه إذ ظن أن العالم كله بلده أو هو مثل بلده، كما أن الصوفي لا يحكم على العالم إلا بما هو حال نفسه والعالم بالزوال هو الذي يعرف علة طول الظل وقصره وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر بأحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها: لا يبقى ظل وفي بعضها يطول، وفي بعضها يقصر.

إلى غيرهم) بحكم المقام والتجلي **(ونور العلم)** الإلهي **(إذا اشرق أحاط بالكل)** معرفة وكشفاً **(وكشف الغطاء)** عن وجه الحق **(ورفع الاختلاف)** أي الحجاب الواقع منه، وفي نسخة ورفع الحجاب. **(ومثال نظر هؤلاء ما رأيت من نظر قوم في أدلة الزوال)** أي زوال الشمس **(فقال بعضهم: هو في الصيف قدمان، وحكي عن آخر أنه نصف قدم، وآخر يرد عليه وأنه في الشتاء سبعة أقدام، وحكى عن آخر أنه خمسة أقدام، وآخر يرد عليه)**. اعلم أن الفصول أربعة: فالأول الربيع وهو عند الناس الخريف ودخوله عند حلول الشمس رأس الميزان، والثاني الشتاء ودخوله عند حلول الشمس رأس الجدي، والثالث الصيف ودخوله عند حلول الشمس رأس الحمل. وهو عند الناس الربيع، والرابع القيظ وهو عند الناس الصيف ودخوله عند حلول الشمس رأس السرطان، والزوال أول وقت الظهر وأقدار ظله مختلفة باختلاف الأقاليم حسبما بين في محله. **(فهذا يشبه أجوبة الصوفية واختلافهم، فإن كل واحد من هؤلاء أخبر عن الظل الذي رآه ببلد نفسه فصدق في قوله، وأخطأ في تخطئة صاحبه إذ ظن أن العالم كله)** يعني به الأقاليم السبعة **(كبلده)** وهو قصور بالغ، **(كما أن الصوفي لا يحكم على العالم إلا بما هو حال نفسه)** وهو معذور فيه، **(والعالم)** المحيط علمه **(بالزوال هو الذي يعرف طول الظل وقصره)** وتساويه ويعرف الظلين المبسوط والمنكوس وارتفاع الشمس منهما، وأن الظل المستعمل هو الظل المنكوس ومقياسه مقسوم على تسعين جزءاً وليس هو ظل أصابع ولا أقدام، ثم يعرف بعد الكوكب عن معدل النهار وغاية ارتفاع نصف نهار الكوكب وتعديل نهار الكوكب ونصف قوس نهاره وسهمه ودرجة ممر الكوكب بدائرة نصف النهار والدرجة التي تطلع مع الكوكب في أفق المشرق والدرجة التي تغرب معه في أفق المغرب، **(وعلة اختلافه بالبلاد فيخبر بأحكام مختلفة في بلاد مختلفة ويقول في بعضها لا يبقى ظل وفي بعضها يطول وفي بعضها يقصر)** ولا يقاس بلد ببلد، بل يعطي لكل بلد حكمه وما يقتضيه. مثاله: ان مصر من الإقليم الثالث وأوله حيث يكون الظل نصف النهار إذا استوى الليل والنهار ثلاث أقدام ونصف

فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة.

فإن قلت: فمن آثر العزلة ورآها أفضل له وأسلم فما آدابه في العزلة؟ فنقول: إنما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة. وأما آداب العزلة فلا تطول فينبغي للمعتزل أن ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس أولاً، ثم طلب السلامة من شر الأشرار ثانياً، ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين

وعشر وسدس عشر قدم وآخره حيث يكون ظل الاستواء فيه نصف النهار أربع أقدام ونصف وعشر وثلث قدم، ويبلغ ظل النهار في وسطه أربع عشرة ساعة، فأما ظل نصف النهار إذا استوى الليل والنهار، فإنه في وسطه وذلك في اليوم السادس عشر من آذار فيكون أربع أقدام وسدس، ثم يختلف بعد ذلك إلى أن ينتهي إلى ستة من آذار فيكون أربع أقدام وخمسة أسداس وعشر سدس قدم، وظل جميع هذا الإقليم متوجه كله إلى الشمال وليس للظل في شيء منه، ولا ما بعده من الأقاليم انقطاع كما هو الإقاليم الأوّل والثاني.

(فهذا ما أردنا أن نذكره من فضيلة العزلة والمخالطة).

(فإن قلت: فمن آثر العزلة) أي اختارها **(ورآها أفضل له)** من الخلطة **(وأسلم)** لدينه وحاله **(فما آدابه في حال العزلة)** ليعرفها المعتزل فيكون على بصيرة؟ **(فنقول: إنما يطول النظر في آداب المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة)** قريباً. **(وأما آداب العزلة، فلا يطول)** النظر فيه، ولكن يحتاج إلى ذكر ما لا بدَّ منه، **(فينبغي للمعتزل)** عن الخلق **(أن ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس أولاً)** كما فعله الراهب حين جعل نفسه كالكلب العقور ونوى بعزلته حبسها عن عقر الناس، **(ثم طلب السلامة من شر الأشرار ثانياً)**.

قال القشيري في رسالته: ومن حق العبد إذا آثر العزلة أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامته من شر الخلق، فإن الأوّل من القسمين نتيجة استصغار نفسه، والثاني شهود مزيته على الخلق ومن استصغر نفسه فهو متواضع، ومن رأى لنفسه مزية على أحد فهو متكبر ثم ساق قصة الراهب ثم قال: ومرَّ إنسان ببعض الصالحين فجمع ذلك الشيخ ثيابه منه فقال الرجل: لم تجمع ثيابك وليست ثيابي نجسة؟ فقال الشيخ: وهمت في ظنك ثيابي هي النجسة جمعتها عنك لئلا تتنجس ثيابك لا لكيلا تتنجس ثيابي اهـ.

قال شيخ الإسلام في شرحه: ومعلوم أن ثياب كل واحد منهما لم تكن نجسة، ولكن الشيخ أدب هذا الرجل على سوء ظنه بالناس المفهوم من كلامه السابق: فإنه لا يدري لم جمع الشيخ ثيابه، ولعله جمعها لمقصود آخر لا لنجاستها وثياب الإنسان قد تطلق على حالته التي هو فيها من سوء خلقه وكثرة وقوعه في الغيبة والكذب والكلام فيما لا يعنيه ونحوها، فكأنه قال: نفسي هي الحقيرة

ثالثاً، ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعاً. فهذه آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظباً على العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس عن أن يكثروا غشيانه وزيارته فيشوّش أكثر وقته، وليكف عن السؤال عن أخبارهم وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد، وما الناس مشغولون به، فإن كل ذلك ينغرس في القلب حتى ينبعث في أثناء الصلاة أو الفكر من حيث لا يحتسب، فوقوع الأخبار في السمع كوقوع البذر في

التي لا تصلح تخالط الناس وهذا هو اللائق بما قصده من أن العبد يقصد بعزلته عن الناس سلامتهم من شره لا سلامته من شرهم اهـ.

وإنما قال المصنف: من شر الأشرار ولم يقل من شرهم إشارة إلى أنه ليس كل خليط شريراً فإذا لم يكن كذلك فلا يطلب السلامة منه، لأنه لا شر عنده وهو احتراس حسن وإن كان يفهم من قولهم من شرهم أي من شر أشرارهم فتأمل.

(ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين ثالثاً) لأنه إذا خالط كثرت بذمته حقوقهم وهو يقدر أن يفي بها وعدم القدرة على الوفاء بها آفة كبيرة، فإذا اعتزل خلص منها. ومن هنا ما نقل عن الشيخ العارف خواجه عبيد الله الأحرار السمرقندي أحد أعيان الطائفة النقشبندية أنه كان يقول: لا أسكن بلدة فيهاآل بيت رسول الله ﷺ وهذا كلام فيه غموض في باديء الأمر، وإنما مراده بذلك أن هؤلاء لهم حقوق خاصة في المجاورة والمخالطة غير حقوق العامة وهو لا يقدر على الوفاء بها، فرأى الاعتزال عن تلك البلدة أو المحلة أسلم في حقه. **(ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعاً)**، وتلك العبادة أعم من أن تكون صلاة أو قراءة أو ذكراً أو فكراً أو مراقبة في جلال الملكوت. **(فهذه آداب نيته)** في أول دخوله في العزلة، **(ثم ليكن في خلوته مواظباً على العلم)** أي دراسته مع نفسه والوقوف على مهماته بتكرار النظر فيه ليعطي له قوة الرسوخ في ذهنه، والمراد به ما يصحح به عقد توحيده لكيلا يستهويه الشيطان بوسواسه ومن علوم الشرع ما يؤدي به فرضه ليكون بناء أمره على أساس محكم، **(و)** على **(العمل)** بالجوارح قدر طاقته، **(و)** على **(الذكر)** باللسان **(و)** على **(الفكر)** بالقلب والروح **(ليجتني ثمر العزلة)** وقال القشيري: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: من اختار الخلوة على الصحبة ينبغي أن يكون خالياً من جميع الأذكار إلا ذكر ربه، ومن جميع الإرادات إلا رضا ربه، ومن مطالبة النفس من جميع الأسباب فإن لم تكن هذه صفته فإن خلوته توقعه في فتنة أو بلية، **(وليمنع الناس أن يكثروا غشيانه وزيارته فيشوّش وقته)** ويتشتت جمعه وينقسم باله **(ويكف عن السؤال عن أخبارهم)** وأحوالهم **(وعن الإصغاء إلى أراجيف البلد)** أي الأخبار المختلفة التي ترجف الحواس **(وما الناس مشتغلون به)** من خير أو شر، **(فإن كل ذلك ينغرس في القلب)** ويثبت، والأذن هي الواسطة لايصاله إليه **(حتى ينبعث في اثناء الصلاة الفكر من حيث لا يحتسب)** ولا يقوى على مدافعته لرسوخه،

الأرض، فلا بدّ أن ينبت وتتفرع عروقه وأغصانه ويتداعى بعضها إلى بعض، وأحد مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله والأخبار ينابيع الوساوس وأصولها. وليقنع باليسير من المعيشة وإلا اضطره التوسع إلى الناس واحتاج إلى مخالطتهم، وليكن صبوراً على ما يلقاه من أذى الجيران وليسد سمعه عن الإصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة، فإن كل ذلك يؤثر في القلب ولو مدة يسيرة، وحال اشتغال القلب به لا بدّ أن يكون واقفاً عن سيره إلى طريق الآخرة، فإن السير إما بالمواظبة على ورد، ذكر مع حضور قلب، وإما بالفكر في جلال الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأرضه، وإما بالتأمل في دقائق الأعمال ومفسدات القلوب وطلب طرق التحصن منها. وكل ذلك يستدعي الفراغ والإصغاء إلى جميع ذلك مما يشوّش القلب في الحال، وقد يتجدد ذكره في دوام الذكر من حيث لا ينتظر وليكن له أهل

(**فـوقـوع الأخبـار في السمـع كـوقـوع البـذر في الأرض**) الصـالحة للغـرس، (**فلا بدّ وأن ينبت**) ذلك البذر ويثبت (**ويتفرع عروقه**) في الأرض (**وأغصانه**) في الهواء (**ويتداعى بعضه إلى بعض**) فليحذر من إيصال شيء من المكدارت إلى السمع حتى يسلم القلب. (**وأحد مهمات المعتزل قطع الوساوس**) النفسية والخواطر الوهمية (**الصارفة عن ذكر الله**) وعن الفكر والمراقبة، (**والأخبار**) المختلفة (**ينابيع الوساوس وأصولها**) فإنها إنما تنشأ منها ومما يصرف عن الحضور مع الحق سبحانه ويبطل صورة الجمعية والصحبة الجوع المفرط والشبع المفرط، فليحذر منهما أيضاً. وفي ملفوظ أبي عثمان المغربي السابق ذكره إشارة إلى كل ذلك، (**وليقنع باليسير من المعيشة**) فإنه أقرب لقطعه عن الناس (**وإلاّ اضطره التوسع**) فيها (**إلى الناس واحتاج إلى مخالطتهم**) فيكون سبباً لفساد عزلته، (**وليكن صبوراً على ما يلقاه من أذى الجيران**) من قولهم أو فعلهم ولا ينوي الانتصاف منهم فإنه من جملة الإحسان في المجاورة (**وليسد سمعه عن الإصغاء إلى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة أو قدح فيه بترك الخلطة فإن كان ذلك**) ربما (**يؤثر في القلب ولو مدة يسيرة، وحال اشتغال القلب به لا بد وأن يكون واقفاً عن سيره**) وسلوكه (**في طريق الآخرة**) إلى الله تعالى والوقوف في السير نقصان، (**فإن السير**) في هذا الطريق (**إما**) أن يكون (**بالمواظبة على ورد أو ذكر مع حضور القلب**) وجمعه مع المذكور، (**وإما بالفكر في جلال الله تعالى**) وعظمته (**وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأرضه**) وما فيها من العجائب الدالة على كمال كبريائه، (**وإما بالتأمل في دقائق الأعمال**) الظاهرة (**ومفسدات القلوب وطلب طريق التخلص منها. وكل ذلك يستدعي الفراغ**) للوقت والقلب (**والإصغاء إلى جميع**) ما ذكر من (**ذلك يشوّش القلب في الحال**) ويفرق صورة الجمعية وهذا هو المسمى عندهم بالتفرقة (**وقد يتجدد ذكره**) بالانبعاث (**في**) حالة (**دوام الذكر من حيث لا ينتظر**) فيكون سبباً لإزالة صورة الدوام (**وليكن له**

صالحة أو جليس صالح لتستريح نفسه إليه في اليوم ساعة من كد المواظبة ففيه عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر في العزلة إلا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدر لنفسه عمراً طويلاً ، بل يصبح على أنه لا يمسي ويمسي على أنه لا يصبح ، فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة . لو قدر تراخي الأجل . وليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة بعد الموت ، وإن من أنس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت أنسه إذ لا يهدم الموت محل الانس والمعرفة ، بل يبقى حياً بمعرفته وأنسه فرحاً بفضل الله عليه ورحمته ، كما قال الله تعالى في الشهداء : ﴿ولا تحسبنّ الذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل

أهل) أي زوجة (**صالحة**) بأن تكون ديّنة حسنة الخلق والخُلق قانعة باليسير قاصرة طرفها عليه (**أو جليس صالح**) يعينه على حاله ويواسيه بماله (**لتستريح نفسه إليه في اليوم ساعة**) أو أكثر (**عن ثقل المواظبة**) فإن الوقوف على حال واحد مما يعقبه السآمة (**ففيه عون على بقية الساعات**) وفيه استجماع للقلب وترويح للخاطر ، (**ولا يتم له الصبر في العزلة إلا بقطع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه**) فلا تستشرف نفسه إليه ، (**ولا ينقطع طمعه إلا بقصر الأمل بأن لا يقدر لنفسه عمراً طويلاً بل يصبح على أنه لا يمسي ويمسي على أنه لا يصبح ، فيسهل عليه صبر يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الأجل**) وامتداده ، فقد حكى صاحب القوت أنه رأى بعض الناس رجلاً من الصوفية دفع إليه كيس فيه بعض دراهم في أوّل النهار ففرقه كله ثم سأل قوتاً في يده بعد عشاء الآخرة فعاتبه على ذلك وقال : وقع لك شيء أخرجته كله فلو تركت منه لعشائك شيئاً ؟ فقال : ما ظننت أني أعيش إلى المساء ولو علمت ذلك فعلت . (**وليكن**) المعتزل (**كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه عن الوحدة**) عن الناس بأنه سيموت ويضطجع في القبر طويلاً متوحداً لا أنيس به إلا صالح عمله فإذا ذكر ذلك وجعله في باله هان عليه أمر العزلة وطاب وقته واصطلح أمره ، (**وليحقق أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله تعالى ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحدة الوحشة بعد الوحشة بعد الموت ، وإن من أنس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت أنسه إذ لا يهدم الموت محل الأنس والمعرفة ، بل يبقى حياً بمعرفته وأنسه فرحاً بفضل الله تعالى**) فالأنس بالله هو النافع وهو ثمرة المعرفة إذ لا يحصل قبلها ، وقد يحصل له الأنس بالخلوة فيتوهم أنه الانس بالله وليس كذلك . قال يحي بن معاذ الرازي : أنظر أنسك بالخلوة وأنسك معه في الخلوة فإن كان الأنس بالخلوة ذهب أنسك إذا خرجت منها ، وإن كان أنسك به في الخلوة استوت بك الأماكن في الصحارى والبراري (**كما قال تعالى في**) حق (**الشهداء إذ قال ﴿ولا تحسبَن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون★ فرحين بما آتاهم الله**

احياء عند ربهم يُرزقون★ فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ [آل عمران: ١٦٩ ، ١٧٠] وكل متجرد لله في جهاد نفسه فهو شهيد مهما أدركه الموت مقبلاً غير مدبر. « فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه » كما صرح به رسول الله ﷺ. والجهاد الأكبر جهاد النفس، كما قال الصحابة رضي الله عنهم: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، يعنون جهاد النفس.

تم كتاب العزلة ويتلوه كتاب آداب السفر والحمد لله وحده.

من فضله﴾ وكل متجرد) عن الدنيا **(لله)** تعالى **(في جهاد نفسه)** في تبديل الذمائم **(فهو شهيد مهما أدركه الموت مقبلاً غير مدبر)** كاراً غير فار. فالآية وإن كانت خاصة في شهداء المعركة فشهداء المحبة لهم حكم شهداء المعركة بشرط الاقبال وعدم الادبار. **(« فالمجاهد)** ليس هو من جاهد الكفار بسيفه وسنانه فقط بل هو أيضاً **(من جاهد نفسه وهواه »)** بأن أماته بسيف تأديبه **(كما صرح به رسول الله ﷺ)**. قال العراقي: رواه الحاكم من حديث فضالة بن عبيد وصححه دون قوله « هواه » وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والترمذي وابن حبان والطبراني والقضاعي كلهم من حديث عمرو بن مالك الحنفي عن فضالة ولفظهم جميعاً « المجاهد من جاهد نفسه ». وفي رواية بزيادة: « في ذات الله » وفي الباب عن جابر بن عقبة بن عامر.

(والجهاد الأكبر جهاد النفس كما قال الصحابة رضي الله عنهم: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) والمراد بجهاد النفس قهرها على ما فيه رضا الله تعالى من فعل الطاعات وتجنب المخالفات، وسمي الأكبر لأنه من لم يجاهدها لم يمكنه جهاد العدوّ الخارج، وكيف يمكنه وعدوّه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه، وما لم يجاهد نفسه على الخروج لعدوّه لا يمكنه الخروج له، فجهاد العدوّ الخارج بالنسبة إلى جهاد العدو الباطن أصغر.

فصل

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري في رسالته: الخلوة صفة أهل الصفوة والعزلة من أمارات الوصلة، ولا بد للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه ثم في نهايته من التحقق بأنسه، والعزلة في الحقيقة إعتزال الخصال المذمومة والتأثير لتبديل الصفات لا للتنائي عن الأوطان، ولهذا قيل: من العارف؟ قالوا: كائن بائن يعني كائناً مع الخلق بائناً عنهم بالسر. سمعت الأستاذ أبا علي يقول: البس ما يلبسون وتناول ما يأكلون وانفرد عنهم بالسر، وسمعته يقول: جاءني وقال جئتك من مسافة بعيدة، فقلت: ليس هذا الحديث من حديث قطع المسافات ومسافات الأسفار ففارق نفسك بخطوة وقد حصل مقصودك، وقيل: الإنفراد بالخلوة أجمع لدواعي السلوة. سمعت محمد بن الحسين، سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: جاء رجل إلى زيارة أبي

بكر الوراق، فلما أراد أن يرجع قال: أوصني. فقال: وجدت خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة وشرهما في الكثرة والإختلاط. وسئل الجريري عن العزلة فقال: هي الدخول بين الزحام وتحفظ سرك أن لا يزاحموك فيه، وتعزل نفسك عن الأنام، ويكون سرك مربوطاً بالحق. وقيل: من آثر العزلة حصل العزّ له. وقال سهل: لا تصح العزلة إلا بأكل الحلال، ولا يصح أكل الحلال إلا بأداء حق الله تعالى، وقال ذو النون: لم أرَ شيئاً أبعث في الإخلاص من الخلوة. وقال أبو عبدالله البرمكي: ليكن خدنك الخلوة وطعامك الجوع وحديثك المناجاة فإما أن تموت بذلك أو تصل إلى الله تعالى. وقال ذو النون: ليس من احتجب عن الخلق بالخلوة كمن احتجب عنهم بالله تعالى. وقال الجنيد: مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة. وقال مكحول: إن كان في مخالطة الناس أنس فإن في العزلة السلامة. وقال يحي بن معاذ: الوحدة جليس الصديقين. وقال: شعيب بن حرب دخلت على مالك بن مغول بالكوفة وهو في داره وحده فقلت له: ما تستوحش وحدك؟ فقال: ما كنت أرى أن أحداً يستوحش من الله تعالى. وقال الجنيد: من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس، فإن هذا زمان وحشة، والعاقل من اختار فيه الوحدة. وقال أبو العباس الدامغاني: أوصاني الشبلي وقال: ألزم الوحدة وامح اسمك عن القوم، واستقبل الجدار حتى تموت. وجاء رجل إلى شعيب بن حرب فقال: ما جاء بك؟ قال: أكون معك. قال: يا أخي العبادة لا تكون بالشركة ومن لم يأتنس بالله لم يأتنس بشيء، وقيل لبعضهم: ما هنا أحد تستأنس به؟ فقال: نعم ومدّ يده إلى مصحف في حجره وقال: هذا. وفي معناه أنشدوا:

وكتبك حولي ما تفارق مضجعي ... وفيها شفاء للذي أنا كاتم

وقال رجل لذي النون: متى تصح العزلة؟ فقال: إذا قويت على عزلة النفس، وقيل لابن المبارك: ما وراء القلب؟ قال: قلة الملاقاة للناس، وقيل: إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره عيوب نفسه، فمن أعطى ذلك فقد أعطى خير الدنيا والآخرة.

فصل

وقال الشيخ الأكبر قدس سره في الباب الثمانين من الفتوحات في العزلة:

إذا اعتزلت فلا تركن إلى أحد ... ولا تعرج على أهل ولا ولدِ
ولا توال إذا وليت منزلة ... وغب عن الشرك والتوحيد بالأحدِ
وافزع إلى طلب العلياء منفرداً ... بغير فكر ولا نفس ولا جسدِ
وسابق الهمة العلياء تحظ بمن ... سما بأسمائه الحسنى بلا عددِ
واعلم بأنك محبوس، ومكتنف ... بالنور حبساً جلياً لا إلى أمدِ

فلا يعتزل إلا من عرف نفسه، وكل من عرف نفسه عرف ربه، فليس له شهود إلا الله من حيث أسماؤه الحسنى وتخلقه بها ظاهراً وباطناً، وأسماؤه الحسنى على قسمين: أسماء يقبلها العقل

....

ويثبتها ويسمى بها الله تعالى، وأسماء أيضاً إلاهية لولا ورود الشرع ما قبلها فيقبلها إيماناً ولا يعقلها من حيث ذاته إلا أن أعلمه الحق بحقيقة نسبة تلك الأسماء إليه، فصاحب العزلة هو الذي يعتزل بما هو له من ربه من غير تخلق فمن رأى التخلق بها فلا بدّ أن يظهر بها على الحد المشروع، ولما رأى هذا المعتزل مزاحمة الحق في النعوت التي ينبغي أن تكون للعبد كما هي في نفس الأمر عنده. قال: الأليق في أن اعتزل بأسماء ولا أزاحمه فيما يكون عارية عندي إذ كانت العارية أمانة مؤداة فاعتزل صاحب هذا النظر التخلق بالأسماء الحسنى. وانفرد بفقره وذله وعجزه وقصوره وجهله في بيته كلما قرع عليه الباب اسم إلهـي قيل له: ما هنا من يكلمك؟ فإذا انقدح له بهذا الاعتزال أن الله أزلي الوجود، فإما أن يعتزل عن الجميع، وإما أن يتسمى بالجميع، فقلنا له: اعتزل عن الجميع واترك الحق إن شاء سماك بالأسماء كلها فأقبلها ولا تعترض، وإن شاء سماك ببعضها، وإن شاء لم يسمك ولا بواحد منها لله الأمر من قبل ومن بعد، فرجع العبد إلى خصوصيته التي هي العبودية فتحلى بها وقعد في بيته ينظر تصريف الحق فيه وهو معتزل عن التدبر في ذلك، فإن تسمى من هذه حالته بأي اسم كان فالله مسميه ما تسمى وليس له ردّ ما سماه به، فتلك الأسماء هي خلع الحق على عباده وهي خلع تشريف. فمن الأدب قبولها لأنها جاءته من غير سؤال ولا استشراف ووقف عند ذلك على أنه كان عاصياً لله فيما كان يزعم أنه له، فإذاً هو لله وهو قوله تعالى: ﴿وإليه يُرجع الأمر كله﴾ [هود: ١٢٣] فأخذ منه جميع ما كان يزعم إلا العبادة فإنه لا يأخذها إذ كانت ليست بصفة له فقال له تعالى: لما مال إليه. وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وهو أصله الذي خلق لأجله، فقال تعالى: ﴿وما خلقتُ الجن والإنس إلاَّ ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] فالعبادة اِسم حقيقي فهي ذاته وموطنه وحاله وعينه ونفسه وحقيقته ووجهه، فمن اعتزل هذه العزلة فهي عزلة العلماء بالله لا هجران الخلائق ولا غلق الأبواب وملازمة البيوت، وهي العزلة التي عند الناس أن يلزم الإنسان بيته ولا يعاشر ولا يخالط ويطلب السلامة ما استطاع بعزلته ليسلم من الناس ويسلم الناس منه، فهذا طلب عامة أهل الطريق بالعزلة، ثم إن ارتقى إلى طور أعلى من هذا فيجعل عزلته رياضة وتقدمه بين يدي خلوته لتأليف النفس قطع المألوفات من الإنس بالخلوة، فإنه يرى الإنس بالخلوة من العلائق الحائلة بينه وبين مطلوبه من الانس بالله والانفراد به فإذا انتقل من العزلة بعد إحكامه شرائطها سهل عليه أمر الخلوة هذا سبب العزلة عند خاصة أهل الله فهذه العزلة نسبته لا مقام والعزلة الأولى التي ذكرناها مقام مطلوب، ولذا جعلناها في المقامات من هذا الكتاب، وإذا كانت مقاماً فهي من المقامات المستصحبة في الدنيا والآخرة وللعارفين من أهل الأنس والوصال في العزلة من الدرجة خمسمائة درجة وثمانية وثلاثون، وللعارفين الأدباء الواقفين مائة وثلاثة وأربعون درجة، وللملامتية فيها من أهل الأنس خمسمائة درجة وسبع درجات، وللملامتية من أهل الأدب الواقفين معهم مائة واثنتا عشرة درجة، والعزلة المعهودة في عموم أهل الله من المقامات المقيدة بشرط لا يكون إلا به وهي نسبة في التحقيق لا مقام، وهذا كله في عزلة العموم وهي من عالم الجبروت والملكوت ما لها قدم في عالم الشهادة، فلا

....

تتعلق معارفها بشيء من عالم الملك، ثم قال بعده في الباب الذي بعده وهو الحادي والثمانون في ترك العزلة: اعلم أيدنا الله وإياك لما كان مثير العزلة خوف القواطع في الوصلة بالجناب الإلهي أو رجاء الوصلة بالعزلة لما كان في حجاب نفسه وظلمة كونه وحقيقة ذاته يبعثها على طلب الوصلة ما هي عليه من الصورة الإلهية كما يطلب الرحم الوصلة بالرحمن لما كانت شجنة منه، ثم إن العبد رأى ارتباط الكون بالله ارتباطاً لا يمكن الانفكاك عنه لأنه وصف ذاتي له وتجلى له في هذا الارتباط وعرف من هذا التجلي وجوبه به، وأنه لا يثبت لمطلوبه هذه الرتبة إلا به، وأنه سرها الذي لو بطل لبطلت الربوبية، فلم يتمكن له الاعتزال فتأدب مع قوله: ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ [النور: ٣٥] فالنور العلمي منفر ظلمة الجهل من النفس، فإذا أضاءت ذات النفس أبصرت ارتباطها بربها في كونها وكون كل كون فلم ترعمن تعزل اهـ، مع اختصار وحذف ما لا يحتاج إليه في المقام.

وبه تم شرح كتاب العزلة وكان ذلك عند آذان عصر يوم السبت ثامن عشر من شعبان من شهور سنة ١١٩٩ على يد مؤلفه العبد الفقير المضطر أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه وأعانه بمنه مع إكمال بقية الكتاب إنه كريم جواد وهاب، والحمد لله رب العالمين على حال وحين وصلواته وسلامه على حبيبه محمد وآله وصحبه أجمعين آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً الله ناصر كل صابر الحمد لله رافع حجب الأستار عن معاني الأسرار، في مطاوي الأسفار، ومطلع شموس الأنوار من أكنة أفق غيب دجى الأسحار، وناصب أعلام الهداية في كل فج ليعتبر بها السالكون في تلك الشعاب من المهامة والقفار، سبحانه من إله فتح أبواب عنايته لمشاهدي ملكوت سمواته وأرضه، فجذبهم إلى حضرات قدسه، وأشهدهم لطائف أنسه، ونزه قلوبهم عن الالتفات للاغيار، وحملهم على نجائب التوفيق، وأذاقهم حلاوة التحقيق، واستخلصهم لخلاصة ذكرى الدار، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا ومولانا محمد سيد الأنبياء والمرسلين الأخيار، ولي المؤمنين، وعصمة المتقين، ذي الجاه المكين، والحبل المتين، والمصباح المضيء الأنوار، وعلى آله الأئمة الأطهار، وأصحابه القادة الأبرار، من المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان إلى ما بعد يوم القرار.

أما بعد؛ فهذا شرح:

كتاب آداب السفر وهو الكتاب السابع من ربع العادات من كتب إحياء العلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح بصائر أوليائه بالحكم والعبر، واستخلص هممهم لمشاهدة عجائب صنعه في الحضر والسفر، فأصبحوا راضين بمجاري القدر، منزهين قلوبهم عن

كتاب آداب السفر

وهو السابع من الربع الثاني من إحياء العلوم، لإمام المنطوق منها والمفهوم، العارف بأسرار المعارف المعكوم منها والمختوم، محي ما اندرس من الفنون لأهل الرسوم، المستوجب بصنيعه حسن المحامد، مجدد القرن الخامس حجة الإسلام الإمام أبي حامد، سقى الله بعهاد الرحمة ثراه، وأجزل في جنة الفردوس قراه، يسفر عن خفايا معانيه، ويكشف عن مشكلات مبانيه، ويرفع الحجب عن منصات عرائسه المجلوة، ويميط اللثم عن صفحات مخدرات نفائسه المتلوة، فمن طالعه بصدق عزم انشرح صدره، ومن مارسه بعقد قلب ارتفع بين الأنام قدره، شرعت فيه وابكار الأفكار بشغل الوقت مشرده، والخواطر بمقاساة الأهم فالأهم مبدده، سائلاً من الله الكريم اللطف والعناية، والمعونة الحسنى مع الهداية، إنه أكرم مسؤول وولي كل مأمول.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(بسم الله الرحم الرحيم ★ الحمد لله الذي فتح بصائر أوليائه)** أي قواهم المودعة للقلب المنوّرة بنور القدس والبصيرة للقلب بمثابة البصر للنفس وهي القوة القدسية والعاقلة النظرية وأولياؤه عباده المتقون المخصصون بالقرب لديه وفتحها بأن أمدها بأنواره، وحلاها بفيوضات أسراره. **(بالحكم والعبر)** جمعا حكمة وعبرة. والحكمة هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاها. والعبرة هي المجاوزة من علم أدنى إلى علم أعلى فينال وراءها ما هو أعظم منها، **(واستخلص هممهم)** جمع همة وهي قوة راسخة في النفس طالبة لمعالي الأمور هاربة من خسائسها، أي جعلها خالصة **(لمشاهدة عجائب صنعه)** بعين البصر **(في الحضر والسفر)** والحضر: مجمع الناس في قرية أو مصر، والسفر: يقابله، **(فأصبحوا راضين بمجاري القدر)** إذ الرضا بها من نتائج مشاهدة العجائب لما فيها من الدلالة التامة على كمال قدرته، **(منزهين)** أي مباعدين **(قلوبهم عن التلفت)** أي الميل **(إلى متنزهات البصر)**

التلفت إلى منتزهات البصر، إلاّ على سبيل الاعتبار بما يسبح في مسارح النظر ومجاري الفكر، فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر. والصلاة على محمد سيد البشر، وعلى آله وصحبه المقتفين لآثاره في الأخلاق والسير وسلم كثيراً.

أما بعد؛ فإن السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه أو الوصول إلى مطلوب

يقال: مكان متنزه ومنتزه ونزه ونزيه إذا كان ذا حسن وألوان مختلفة من الزهور وغيرها، وخرجوا يتنزهون يطلبون الأماكن النزهة واستعمال النزهة في الخضر والجنان. منقول عن ابن قتيبة والزمخشري ولأهل اللغة عداهما اختلاف **(إلا على سبيل الاعتبار)** أي الوعظ والتذكار **(بما يسبح)** أي يجري **(في مسارح النظر ومجاري الفكر)** جمع فكرة وهي قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم وحين ساحوا طلباً للخمول ورجاء لصلاح القلوب واستقامة الأحوال قوي يقينهم واطمأنت خواطرهم **(فاستوى عندهم البر والبحر والسهل والوعر والبدو والحضر)** السهل الأرض اللينة والوعر هي الشاقة، والبدو البادية، والحضر الحاضرة يقال: بدا بداوة وحضر حضارة، **(والصلاة)** التامة الكاملة **(على)** سيدنا **(محمد سيد البشر)** أي جنس الإنسان، وإليه الإشارة بقوله: «أنا سيد ولد آدم وبيدي لواء الحمد». **(وعلى آله وصحبه المقتفين)** أي المتبعين **(لآثاره في الأخلاق والسير)** جمع سيرة وهي الحالة التي عليها الإنسان غريزياً كان أو كسبياً **(وسلم)** تسليماً **(كثيراً)** كثيراً.

(أما بعد؛ فإن السفر) يقال: سفر الرجل سفراً من حد ضرب فهو سافر، والاسم منه السفر وهو قطع المسافة والجمع أسفار يقال ذلك إذا خرج للارتحال أو لقصد موضع فوق مسافة العدوى لأن أهل العرف لا يسمون مسافة العدوى سفراً وأصل تركيبه يدل على الظهور والانكشاف يقال: سفر الحجاب والخمار عن الوجه، والعمامة عن الرأس إذا كشفه وأزاله وأسفر عن الشيء كشفه وأوضحه، وسفرت المرأة سفوراً كشفت وجهها فهي سافرة، وسفرت الشمس سفراً طلعت وسفرت بين القوم سفارة أصلحت، والواسطة يسمى سفيراً لأنه يوضح ما ينوب فيه ويكشفه، وأسفر الصبح إسفاراً أضاء، وأسفر الوجه من ذلك، وسفر البيت كنسه بالمسفر أي المكنس، وذلك إزالة السفير عنه وهو التراب، ومن لفظ السفر اشتقت السفرة بالضم للجلدة التي يوعى فيها طعام السفر والجمع سفر كغرفة وغرف، وإنما خص المسافر بصيغة المفاعلة مع أنه يسافر وحده اعتباراً بأنه سفر من المكان والمكان سفر عنه. ويقال: كانت سفرته قريبة، ويقاس جمعه على سفرات كسجدة وسجدات، وأما وجه تسميته فسيأتي قريباً في سياق المصنف. **(وسيلة)** عظيمة يتوسل في قضاء أغراضه الدنيوية والدينية وهو عمل من الأعمال يحتاج إلى نية وإخلاص فإن كان يتوسل به **(إلى الخلاص عن مهروب)** فإن كان الهرب عن معصية فهو فرض **(أو الوصول إلى مطلوب)** فإن كان ما طلب به طاعة فهو فضل أو ما ضرب في تجارة فهو مباح ومنه معصية وهو

ومرغوب فيه. والسفر سفران: سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن إلى الصحاري والفلوات، وسفر يسير القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السموات، وأشرف السفرين السفر الباطن فإن الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقيب الولادة الجامد على ما تلقفه بالتقليد من الآباء والأجداد لازم درجة القصور وقانع بمرتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء ﴿جنّة عرضها السموات والأرض﴾ [آل عمران: ١٣٣] ظلمة السجن وضيق الحبس، ولقد صدق القائل:

ولم أرَ في عيوب الناس عيباً ... كنقص القادرين على التمام

إلا أن هذا السفر لما كان مقتحمه في خطب خطير لم يستغن فيه عن دليل وخفير، فاقتضى غموض السبيل وفقد الخفير والدليل وقناعة السالكين عن الحظ الجزيل بالنصيب النازل القليل اندراس مسالكه فانقطع فيه الرفاق وخلا عن الطائفين منتزهات الأنفس

ما سعى به إلى فساد، **(والسفر سفران)**: سفر ظاهري وهو أن يخرج **(بظاهر البدن)** مفارقاً **(عن المستقر والوطن)** متوجهاً **(إلى الصحارى والفلوات)** وهي لا أنيس بها **(و)** سفر **(باطني وهو يسير القلب)** منتقلاً **(عن)** عدوة **(أسفل سافلين)** وهو العالم السفلي متجاوزاً **(إلى ملكوت السموات)** وهو العالم العلوي، **(وأشرف السفرين السفر الباطن)** الذي هو يسير القلب من عالم إلى عالم وأصل هذا في الرسالة للقشيري قال: واعلم بأن السفر على قسمين: سفر بالبدن وهو انتقال من بقعة إلى بقعة، وسفر بالقلب وهو ارتقاء من صفة إلى صفة، فترى أنه يسافر بنفسه وقليل من يسافر بقلبه. سمعت أبا علي الدقّاق يقول: كان بفرخك من قرى نيسابور شيخ من هذه الطائفة سأله بعض الناس هل سافرت؟ فقال: سفر الأرض أم سفر السماء؟ سفر الأرض لا. وسفر السماء بلى انتهى.

(فإن الواقف على الحالة التي نشأ عليها عقّيب الولادة) من حال صغره **(الجامد على ما تلقنه)** أي تناوله **(بالتقليد من الآباء والأجداد)** ومن في حكمهم من شيوخ بلده **(لازم درجة القصور قانع بمرتبة النقص ومستبدل بمتسع فضاء عرضه السموات والأرض)** وهي الجنة **(ظلمة السجن وضيق الحبس)** أي الدنيا **(ولقد صدق القائل:**

ولم أرَ في عيوب الناس عيباً ... كنقص القادرين على التمام

إلا أن هذا السفر لما كان مقتحمه) أي مرتكبه **(في خطب خطير)** أي عظيم **(لم يستغن فيه عن)** استصحاب **(دليل)** يدل على الطريق الصحيح والمحجة الواضحة **(وخفير)** يخفره من نكاية الأعداء، **(فاقتضى غموض السبيل)** أي دقته **(وفقد الخفير والدليل)** معاً **(واقتناع السالكين من الحظ الجزيل)** أي الوافر **(بالنصيب النازل)** وفي نسخة النزر **(القليل اندراس مسالكه)** وانطماس آثارها **(فانقطعت فيه الرفاق)** جمع رفيق **(وخلا عن الطائفين منتزهات**

والملكوت والآفاق، وإليه دعا الله سبحانه بقوله: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ [فصلت: ٥٣] وبقوله تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين ★ وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى: ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين ★ وبالليل أفلا تعقلون﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨]، وبقوله سبحانه: ﴿وكأيّن مِنْ آيةٍ في السَّموات والأرْض يمُرُّونَ عليْها وهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥] فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيره متنزهاً في جنة عرضها السموات والأرض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن. وهو السفر الذي لا تضيق فيه المناهل والموارد ولا يضر فيه التزاحم والتوارد، بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده، فغنائمه دائمة غير ممنوعة وثمراته متزايدة غير مقطوعة إلا إذا بدا للمسافر فترة في سفره ووقفة في حركته، فإن الله لا يغير ما

الأنفس والملكوت والآفاق، وإليه دعا الله سبحانه بقوله: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾) ففيه إشارة إلى تنزه الآفاق والأنفس (**وبقوله تعالى: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين ★ وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾**) أشار به إلى متنزه ملكوت الأرض والأنفس، وبقوله تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا﴾ [العنكبوت: ٢٠] فمن جعلت آياته في نفسه تبصر ففطن ومن جعلت له الآيات في الآفاق سرب وسرى. (**وعلى القعود عن هذا السفر وقع الانكار بقوله تعالى: ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين ★ وبالليل أفلا تعقلون﴾، وبقوله تعالى: ﴿وكأيّن من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾**). فمن سار فكانت له بصيرة اعتبر وعقل، ومن مرّ على الآيات فنظر إليها منها تذكّر وأقبل.

(**فمن يسر له هذا السفر لم يزل في سيره متنزهاً في جنة عرضها السموات والأرض وهو ساكن بالبدن مستقر في الوطن**) وهذا هو السفر في الوطن إحدى الكلمات الاثنتي عشرة التي بني عليها السادة النقشبندية أصول طريقتهم، وكان شيخ المصنف أبو علي الروذباري من أئمتهم وأحد كبراء سلسلتهم. (**وهو السفر الذي لا تضيق فيه المناهل والموارد**) إن ضاقت على السفر الظاهر، (**ولا يضر فيه التزاحم والتوارد**) كما يضر في السفر الظاهر، (**بل تزيد بكثرة المسافرين غنائمه وتتضاعف ثمراته وفوائده، فغنائمه دائمة غير ممنوعة**) على آخذيها، (**وثمراته متزايدة غير مقطوعة**) عن جانيها (**إلا إذا بدا للمسافر فترة**) وتراخ وسكون (**في سفره**) هذا، (**ووقفة**) ولو قليلة (**في حركته**) وارتقائه، (**فإن الله سبحانه لا يغير ما بقوم**) مما ينعم عليهم (**حتى يغيروا ما بأنفسهم**) وإلاّ فلكل مجتهد نصيب على قدر اجتهاده وعزمه، (**وإذا زاغوا**) عن الطريق بإغواء الشيطان (**أزاغ الله قلوبهم**) عن المعرفة

بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا زاغوا أزاغ الله قلوبهم وما الله بظلام للعبيد، ولكنهم يظلمون أنفسهم ومن لم يؤهل للجولان في هذا الميدان والتطواف في متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنماً بها تجارة للدنيا أو ذخيرة للآخرة، فإن كان مطلبه العلم والدين أو الكفاية للاستعانة على الدين كان من سالكي سبيل الآخرة، وكان له في سفره شروط وآداب إن أهملها كان من عمال الدنيا وأتباع الشيطان، وإن واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الآخرة ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين إن شاء الله تعالى.

الباب الأول: في الآداب من أول النهوض إلى آخر الرجوع وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان.

الباب الثاني: فيما لا بدّ للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات.

والوصول. **(وما الله بظلام للعبيد)** حاشاه من ذلك، **(ولكنهم يظلمون أنفسهم)** وينقطعون بمعاصيهم ويتأخرون لقصورهم، **(ومن لم يؤهل للجولان)** أي الحركة **(في هذا الميدان)** يعني به سفر الباطن **(والتطواف في متنزهات هذا البستان ربما سافر بظاهر بدنه في مدة مديدة فراسخ معدودة مغتنماً بها تجارة للدنيا أو ذخيرة للآخرة، فإن كان مطلبه)** من هذا السفر تحصيل **(العلم أو الدين أو)** تحصيل **(الكفاية للاستعانة على)** أمور **(الدين كان من سالكي سبيل الآخرة وكان له في سفره)** هذا **(شروط وآداب)** ينبغي مراعاتها، **(وإن أهملها كان من عمال الدنيا واتباع الشيطان وإن واظب عليها لم يخل سفره عن فوائد تلحقه بعمال الآخرة، ونحن نذكر آدابه وشروطه في بابين.**

الباب الأوّل في آداب السفر من أوّل النهوض) إلى القيام والحركة **(إلى آخر الرجوع)** إلى مستقره **(وفيه نية السفر وفائدته.**

الباب الثاني: فيما لا بدّ للمسافر من تعلمه من رخص السفر ومعرفة أدلة القبلة والأوقات) للصلوات.

الباب الأوّل

في الآداب من أوّل النهوض إلى آخر الرجوع، وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان:

الفصل الأول

في فوائد السفر وفضله ونيته:

اعلم أن السفر نوع حركة ومخالطة، وفيه فوائد وله آفات، كما ذكرناه في كتاب الصحبة والعزلة.

والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب. فإن المسافر إما أن يكون له مزعج عن مقامه ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه، وإما أن يكون له مقصد ومطلب.

والمهروب عنه إما أمر له نكاية في الأمور الدنيوية، كالطاعون والوباء إذا ظهر ببلد

الباب الأوّل

في الآداب من أوّل النهوض إلى آخر الرجوع
وفي نية السفر وفائدته وفيه فصلان)

الفصل الأوّل

(في فوائد السفر ونيته وفضله:

اعلم أن السفر) ارتحال من بقعة إلى بقعة وقطع مسافة، وفيه **(نوع حركة)** بظاهر البدن **(ومخالطة)** مع الغير **(فيها فوائد، ولها آفات كما ذكرناها في كتاب)** آداب **(الصحبة والعزلة)** قريباً **(والفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب فإن المسافر إما أن يكون له)** سبب **(مزعج)** أي مقلق **(عن مقامه)** أي مستقره ومأمنه، **(ولولاه لما كان له مقصد يسافر إليه، وإما أن يكون له مقصود ومطلب.**

والمهروب عنه إما أمر له نكاية في الأمور الدنيوية كالطاعون والوباء إذا ظهر ببلد)

أو خوف سببه فتنة أو خصومة أو غلاء سعر. وهو إما عام كما ذكرناه أو خاص كمن يقصد بأذية في بلدة فيهرب منها. وإما أمر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلده بجاه ومال واتساع أسباب تصدّه عن التجرد لله، فيؤثر الغربة والخمول ويجتنب السعة والجاه، أو كمن يدعى إلى بدعة قهراً أو إلى ولاية عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار منه.

وأما المطلوب فهو إما دنيوي كالمال والجاه أو ديني. والديني إما علم وإما عمل.

والعلم إما علم من العلوم الدينية، وإما علم بأخلاق نفسه وصفاته على سبيل التجربة، وإما علم بآيات الأرض وعجائبها كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي الأرض.

والعمل إما عبادة وإما زيارة، والعبادة هو الحج والعمرةِ والجهاد. والزيارة أيضاً من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس. والثغور فإن الرباط بها قربة، وقد يقصد بها الأولياء والعلماء وهم إما موتى فتزار قبورهم، وإما احياء فيتبرك

فالطاعون الموت بطعن الجن، والوباء فساد يعرض لجوهر الهواء لأسباب سماوية أو أرضية، وسيأتي الكلام عليهما قريباً (**أو خوف سببه فتنة أو خصومة أو غلاء سعر**) في الأقوات، (**وهو إما عام كما ذكرناه أو خاص كمن يقصد بإذاية في بلدة فيهرب منها**) لأجل ذلك. فهذه أقسام النكاية في الأمور الدنيوية، (**وأما أمر له نكاية في الدين كمن ابتلي في بلدة بجاه ومال واتساع أسباب تصده**) أي تمنعه (**عن التجرد لله**) تعالى (**فيؤثر الغربة والخمول**) أي يختارهما (**ويجتنب السعة والجاه**) والمال، (**أو كمن يدعى إلى بدعة**) أي إلى ارتكابها (**قهراً**) عن نفسه (**أو إلى ولاية عمل لا تحل مباشرته**) كالمكس ومال الأيتام وما أشبه ذلك، (**فيطلب الفرار منه**) سلامة لدينه.

(**وأما المطلوب، فهو إما دنيوي كالمال والجاه**) أي تحصيلهما (**أو ديني، والديني إما علم وإما عمل.**

والعلم: إما علم من العلوم الدينية وإما علم بأخلاق نفسه وصفاته على سبيل التجربة، وإما علم بآيات الأرض وعجائبها) المودعة فيها (**كسفر ذي القرنين وطوافه في نواحي الأرض**) أي أطرافها وقصته مذكورة في القرآن، وهل كان نبياً أو ملكاً صالحاً؟ فيه اختلاف وكذا في اسمه، والمشهور أنه الاسكندر وفي سبب تلقيبه أقوال. وقد ذكرت طرفاً منه في شرح القاموس.

(**والعمل إما عبادة وإما زيارة، والعبادة هو الحج والعمرة والجهاد**) في سبيل الله، (**والزيارة أيضاً من القربات وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس والثغور**) التي في وجه العدو، (**فإن الرباط بها قربة وقد يقصد بها**) أي بالزيارة (**الأولياء والعلماء**

بمشاهدتهم ويستفاد من النظر إلى أحوالهم قوّة الرغبة في الاقتداء بهم.

فهذه هي أقسام الأسفار ويخرج من هذه القسمة أقسام:

القسم الأول: السفر في طلب العلم، وهو إما واجب وإما نفل وذلك بحسب كون العلم واجباً أو نفلاً. وذلك العلم إما علم بأمور دينه أو بأخلاقه في نفسه أو بآيات الله في أرضه. وقد قال عليه السلام: «من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»، وفي خبر آخر: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة»، وكان سعيد بن المسيب يسافر الأيام في طلب الحديث الواحد. وقال الشعبي: لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة تدله على هدى أو تردّه عن ردى ما كان

وهم إما موتى) انتقلوا إلى دار الآخرة **(فتزار قبورهم)** قصداً للتبرك، **(وإما أحياء فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر إلى أحوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم. فهذه هي أقسام الأسفار وتخرج عن هذه القسمة أقسام)** أربعة:

(القسم الأول: في طلب العلم وهو إما واجب وإما نفل، وذلك بحسب كون العلم واجباً أو نفلاً. وذلك العلم إما علم بأمور دينية أو بأخلاقه في نفسه أو بآيات الله في أرضه، وقد قال ﷺ: «من خرج من بيته في طلب العلم) الشرعي النافع الذي أريد به وجه الله **(فهو في سبيل الله)** أي حكمه حكم من هو في الجهاد **(حتى يرجع»)** لما في طلبه من احياء الدين وإذلال الشيطان وإتعاب النفس، وفي قوله: «حتى يرجع» إشارة إلى أنه بعد الرجوع وإنذار القوم له درجة أعلى من تلك الدرجة لأنه حينئذ ورث الأنبياء في تكميل الناقصين. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أنس وقال: حسن غريب اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو يعلى والطبراني والضياء في المختارة، وفيه خالد بن يزيد اللؤلؤي قال العقيلي: لا يتابع على كثير من حديثه، وذكر له هذا الخبر قال الذهبي: وهو مقارب الحديث وفي رواية لأبي نعيم في الحلية بلفظ: «من طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع».

(وفي خبر آخر: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة») رواه الترمذي وقال: حسن من حديث أبي هريرة. ويروى: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع» الحديث بطوله رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي من حديث أبي الدرداء، وقد تقدم ذلك في كتاب العلم.

(وكان سعيد بن المسيب) رحمه الله تعالى، وهو من كبار التابعين **(يسافر أياماً في طلب الحديث الواحد)** كذا في القوت. **(وقال)** عامر بن شراحيل **(الشعبي)** رحمه الله تعالى: **(لو سافر رجل من الشام إلى أقصى اليمن في كلمة)** أي لأجل تحصيل كلمة **(تدله على هدى أو**

سفره ضائعاً. ورحل جابر بن عبدالله من المدينة إلى مصر مع عشرة من الصحابة فساروا شهراً في حديث بلغهم عن عبدالله بن أنيس الأنصاري يحدّث به عن رسول الله ﷺ

ترده عن ردى ما كان سفره ضائعاً) نقله صاحب القوت **(ورحل جابر بن عبدالله)** الأنصاري رضي الله عنه **(من المدينة إلى مصر مع غيره من الصحابة فسافروا شهراً في حديث بلغهم عن عبدالله بن أنيس)** بن أسد الجهني ثم **(الأنصاري)** حليفهم يكنى أبا يحي روى عنه أولاده وعمر وحمزة وعبدالله وبسر بن سعيد، روى له الجماعة إلا البخاري مات بالشام سنة ثمانين. **(يحدث عن رسول الله ﷺ حتى سمعوه)** قال ابن إسحاق؛ وهو من قضاعة حليف لبني سلمة وهو أنه بعثه رسول الله ﷺ إلى خالد بن نبيح الغزي فقتله، وهو الذي سأل النبي ﷺ عن ليلة القدر، وهو الذي رحل إليه جابر بن عبدالله فسمع منه حديث القصاص، وهذا الذي ساقه المصنف هو بعينه لفظ القوت.

وقال العراقي رواه الخطيب في كتاب الرحلة بإسناد حسن ولم يسم الصحابي. وقال البخاري في صحيحه: رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد، ورواه أحمد إلا أنه قال إلى الشام وإسناده حسن، ولأحمد إن أبا أيوب ركب إلى عقبة بن عامر إلى مصر في حديث وله أن عقبة بن عامر أتى سلمة بن مخلد وهو أول أمير بمصر في حديث آخر وكلاهما منقطع اهـ.

قلت: ويقال هو عبدالله بن أبي أنيسة. قال الوليد بن مسلم: حدثنا داود بن عبد الرحمن المكي، عن عبيدالله بن محمد بن عقيل، عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت حديثاً في القصاص لم يبق أحد يحفظه إلا رجل بمصر. يقال له: عبد الله بن أبي أنيسة فساقه، ولكن الصحيح ما قاله البخاري، وقرأت في تاريخ مصر لمحمد بن الربيع الجيزي ما نصه: قدم جابر بن عبدالله الأنصاري مصر بعد الفتح على عقبة بن عامر الجهني، ويقال على عبد الله بن انيس الجهني، وكان قدومه في أيام مسلمة بن مخلد، ولأهل مصر عنه عن النبي ﷺ نحو من عشرة أحاديث ثم ساقها. ثم قال: ومما يبين قدوم جابر مصر ما حدثناه أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال: حدثنا عمر، حدثني محمد بن مسلم الطائفي، عن القاسم بن عبد الواحد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كان عبد الله بن أنيس الجهني وكان عداده في الأنصار يحدث عن رسول الله ﷺ حديثاً في القصاص قال، جابر: فخرجت إلى السوق فاشتريت بعيراً ثم شددت عليه رحلاً ثم سرت إليه شهراً، فلما قدمت مصر سألت عنه حتى وقفت على بابه فخرج إلي غليم أسود فقال: من أنت؟ قال: قلت جابر بن عبد الله فدخل عليه فذكر ذلك له، فقال: قل له أصاحب رسول الله ﷺ فخرج الغلام فقال ذلك لي، فقلت: نعم. فخرج إليّ فالتزمني والتزمته وذكر الحديث.

حتى سمعوه، وكل مذكور في العلم محصل له ـ من زمان الصحابة إلى زماننا هذا ـ لم يحصل العلم إلا بالسفر وسافر لأجله، وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضاً مهم فإن طريق الآخرة لا يمكن سلوكها إلا بتحسين الخلق وتهذيبه. ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها. وإنما السفر هو الذي يسفر عن أخلاق الرجال وبه يخرج الله الخبء في السموات والأرض، وإنما سمي السفر سفراً، لأنه يسفر عن الأخلاق، ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي زكى عنده بعض الشهود: هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ فقال: لا، فقال: ما أراك تعرفه، وكان بشر يقول: يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فإن الماء إذا ساح طاب، وإذا طال مقامه في موضع تغيّر. وبالجملة، فإن النفس في الوطن مع مؤاتاة الأسباب لا تظهر خبائث أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة،

(وكل مذكور في العمل محصل) أي ذو تحصيل **(من زمان الصحابة إلى زماننا)** هذا **(إلاّ وحصل العلم بالسفر وسافر لأجله)** وفي بعض النسخ: وكل مذكور في العلم محصل من زمان الصحابة إلى زماننا لم يحصل العلم إلا بالسفر وسافر لأجله، **(وأما علمه بنفسه وأخلاقه فذلك أيضاً مهم فإن طريق الآخرة لا يمكن سلوكه إلا بتحسين الخلق وتهذيبه)** وتصفيته عن المذام **(ومن لا يطلع على أسرار باطنه وخبائث صفاته لا يقدر على تطهير القلب منها وإنما السفر هو الذي يسفر عن الأخلاق)** أي يوضحها ويكشف عنها، **(وبه يخرج الله الخبء في السموات والأرض)** ولفظ القوت فيكون للمسافر في ذلك علوم وبصائر يعرف بها خفايا نفسه ومكامنها، ويكون هذا من خبء الأرض الذي يخرجه الله عز وجل لمحبيه متى شاء كما قال جل وعلا ﴿يخرج الخبء في السموات والأرض﴾ [النمل: ٢٥] **(و)** قيل: **(إنما سمي السفر سفراً لأنه يسفر عن الاخلاق)** وفي القوت: عن أخلاق النفس قال: وأيضاً يسفر عن آيات الله وقدره وحكمه في أرضه، **(ولذلك قال عمر رضي الله عنه للذي كان يعرف عنده بعض الشهود)** أي يزكي عنده رجلاً من الشهود ليقبل شهادته فقال: **(هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق؟ فقال: لا. فقال: ما أراك تعرفه)**. هكذا أورده ههنا مختصراً تبعاً لصاحب القوت، وقد تقدم له في كتاب آداب الصحبة بطوله، وأخرجه الإسماعيلي في مناقب عمر مطوّلاً. **(وكان)** أبو نصر **(بشر)** بن الحرث **(الحافي)** قدّس سره **(يقول: يا معشر القراء)** يعني بهم العلماء **(سيحوا في الأرض)** أي سافروا فيها **(تطيبوا)** أي يطيب عيشكم، **(فإن الماء إذا ساح)** أي جرى على وجه الأرض **(طاب وإذا طال مقامه في موضع تغير)** ولفظ القوت: فإن الماء إذا كثر مقامه في موضع تغير، **(وبالجملة فإن النفس في الوطن لا تظهر خبائث أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة،**

فإذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها. وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخالطة، والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق.

وأما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر، ففيها قطع متجاورات وفيها الجبال والبراري والبحار وأنواع الحيوان والنبات. وما من شيء منها إلا وهو شاهد لله بالوحدانية ومسبح له بلسان ذلق لا يدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد. وأما الجاحدون والغافلون والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا، فإنهم لا يبصرون ولا يسمعون لأنهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ [الروم: ٧] وما أريد بالسمع السمع الظاهر - فإن الذين

فإذا حملت وعثاء السفر وصرفت عن مألوفاتها المعتادة وامتحنت بمشاق الغربة انكشفت غوائلها ووقع الوقوف علي عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها) ولفظ القوت: فلتكن نية هذا المسافر استصلاح قلبه ورياضة نفسه واستكشاف حاله وامتحان أوصافه، لأن النفس إنما أظهرت الإذعان والانقياد في الحضر، وربما استكانت وأجابت في المصر، فإذا وقعت عليها أثقال الأسفار ولزمتها حقائق الاستخبار خرجت من مقاد ذلك المعيار فاسفرت حقيقتها وانكشفت دواعيها. **(وقد ذكرنا في كتاب العزلة فوائد المخالطة والسفر مخالطة مع زيادة اشتغال واحتمال مشاق)**.

(وأما آيات الله في أرضه) الدالة على كمال قدرته **(ففي مشاهدتها)** بعين البصر **(فوائد للمستبصرين)** أي المتأملين، **(ففيها قطع متجاورات)** كما قال الله تعالى: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ [الرعد: ٤] **(وفيها الجبال)** الشوامخ التي جعلها الله أوتاداً في الأرض، **(وفيها البراري)** والقفار، **(وفيها البحار)** العذبة والملحة، **(وفيها أنواع الحيوان و)** أصناف **(النبات)** ذو ألوان، **(وما من شيء منها إلا وهو شاهد لله تعالى بالوحدانية)** قال القائل:

ففي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

(و) ما من شيء منها إلا وهو **(مسبح له بلسان ذلق)** أي فصيح **(لا يدركه إلا من ألقى)** له **(السمع)** الباطن **(وهو شهيد)** بقلبه حاضر بلبه. **(وأما الجاحدون)** أي المنكرون **(والغافلون)** عن الحقائق **(والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا)** أي متاعها، **(فإنهم لا يبصرون ولا يسمعون)** لحجب أبصارهم وأسماعهم عن درك ذلك **(لأنهم عن السمع معزولون وعن آيات ربهم محجوبون ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون﴾ وما أريد بالسمع)** هنا **(السمع الظاهر)** الذي هو عبارة عن قوّة مودعة في العصب

أريدوا به ما كانوا معزولين عنه ـ وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات. ويشارك الإنسان فيه سائر الحيوانات. فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال الذي هو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القائل ـ حكاية لكلام الوتد والحائط ـ قال الجدار للوتد: لم تشقني؟ فقال: سل من يدقني، ولم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي. وما من ذرة في السموات والأرض إلا ولها أنواع شاهدات لله تعالى بالوحدانية هي توحيدها، وأنواع شاهدات لصانعها بالتقدس هي تسبيحها، ولكن لا يفقهون تسبيحها لأنهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن ومن ركاكة لسان المقال إلى فصاحة الحال، ولو قدر كل عاجز على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصاً بفهم منطق الطير، ولما كان موسى عليه السلام مختصاً بسماع كلام الله تعالى الذي يجب تقديسه عن مشابهة الحروف والأصوات. ومن يسافر ليستقرىء هذه

المفروش في مقعر الصماخ به تدرك الأصوات، (**فإن الذين أريدوا به**) في الآية (**ما كانوا معزولين عنه، وإنما أريد به السمع الباطن ولا يدرك بالسمع الظاهر إلا الأصوات**) بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية الصوت إلى الصماخ (**ويشارك الإنسان فيه سائر الحيوانات**) فإنها كذلك تدرك به الأصوات بالوجه المذكور، (**فأما السمع الباطن فيدرك به لسان الحال الذي هو وراء نطق المقال يشبه قول القائل حكاية لكلام الوتد والحائط**) ومراجعتها (**قال الجدار للوتد: لم تشقني؟ فقال: سل من يدقني ولم يتركني وراء الحجر الذي ورائي**) ومن ذلك حكاية لسان حال الحوض:

امتلأ الحوض وقـــــال قطني مهلاً رويـــداً قـــد ملأت بطني

(**وما من ذرة في السموات والأرض إلا ولها أنواع شهادات لله تعالى بالوحدانية هو توحيدها**) وفي نسخة هي أمر من السرّ به النزول إلى توحيدها، (**وأنواع شهادات لصانعها بالتقديس هي تسبيحها ولكن لا يفقهون تسبيحها لأنها لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن و**) لم يتجاوزوا (**من ركاكة لسان المقال إلى فصاحة لسان الحال**) فهم قاصرون عن وصول هذا المقام، (**ولو قدر كل عاجز**) بنفسه قاصر على مقامه (**على مثل هذا السير لما كان سليمان عليه السلام مختصاً بفهم منطق الطير**) من دون أقرانه الكرام، (**ولما كان موسى عليه السلام مختصاً بسمع كلام الله تعالى الذي يجب تقديسه عن مشابهة الحروف والأصوات**).

قال المصنف في كتاب المعارف العقلية: اعلم أن العقل الكلي أثر من آثار كلام الباري، والنطق أثر من العقل الكلي، فإذاً النطق ليس هو صورة العبارة ولا نفس العبارة ولا شكل الحروف ولا تقطع الأصوات، بل النطق هو تمكن النفس الإنسانية من العبارة عن الصور المجردة المتقررة في

الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن، بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرات، فما له وللتردد في الفلوات وله غنية في ملكوت السموات؟ فالشمس والقمر والنجوم بأمره مسخرات. وهي إلى أبصار ذوي البصائر مسافرات في الشهر والسنة مرات، بل هي دائبة في الحركة على توالي الأوقات. فمن الغرائب أن يدأب في الطواف بآحاد المساجد من أمرت الكعبة أن تطوف به، ومن الغرائب أن يطوف في أكناف

علمه المنفردة في عقله المبراة عن الأشكال المعراة عن الاجسام، والمثال فيه تتصور حقائق الاشياء بأعيانها وذواتها المجردة في مرآة القلب وتقدر النفس من العبارة عنها ويتمكن الذهن من التفكير فيها ويحيط العقل بظاهرها وباطنها. ولذلك سميت النفس ناطقة. ويقال: كذلك للرجل ناطق ولو لم يتكلم في العيان ولو لم يقل باللسان، وحقيقة ذلك تتعين في القرآن حيث قال: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ [الجاثية: ٢٩] وليس الكتاب له العبارة ولا عند الإشارة، لكن لما تضمن جميع الأشياء وأحاط على المكتوبات واشتمل على لطائف الموجودات وكثائفها، فبهذا المعنى سمى الله كتابه ناطقاً ليعلم العاقل أن الناطق من الإنسان هو من تكون نفسه مناسبة لكتاب الله تعالى ومقصودة لمضمونات كلماته، ومن لم يعرف حقيقة ما قلنا فهو أبكم وإن كان قائلاً، ومن لم يدركه فهو أصم وإن كان سميعاً، ومن لم يره بعين بصيرته فهو أعمى وإن كان ناظراً، فمن انسلخ عن جلدة الهوى والطبيعة انسلاخ الحية وتدرع بدرع الشريعة ينشرح صدره بنور الإيمان ويحترق قلبه بنار الوحدانية ويكل نظره الحسي ويحتد نظره العقلي ولا يخفى عليه شيء من أسرار الملكوت وروضة الجبروت فهو قاعد بشخصه بين أبناء جنسه وقلبه، كالطير فهو في الهواء يصعد إلى مرقاة الكرم، ويتغذى بلطائف أسرار الحكم فيسمع قلبه النغمات الفلكية، ويلتذ بالترنمات الملكية، ويفهم أصوات الطير كما قال الله تعالى إخباراً عن نبيه سليمان عليه السلام ﴿وعلمنا منطق الطير﴾ [النمل: ١٦] فإذاً النطق أشرف الأحول وأجل الأوصاف وماهية تصور النفس صور المعلومات، وقدرة النفس على الإسماع لغيرها بما ينتج في العقل بأي لغة كانت وبأي عبارة اتفقت.

(**ومن يسافر ليستقرىء هذه الشهادات**) الناطقة (**من الأسطر المكتوبة بالخطوط الإلهية على صفحات الجمادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويفرغ قلبه للتمتع بسماع نغمات التسبيحات من**) السنة (**آحاد الذرات فما له وللتردد في الفلوات**) من عالم الملك (**وله غنيمة في ملكوت السموات، فالشمس والقمر والنجوم مسخرات**) ولأمره طائعات (**وإلى أبصار ذوي البصائر**) القدسية (**مسافرات في الشهر والسنة مرات**) كرات، (**بل هي دائبة في الحركة على توالي الأوقات**) يدل على ذلك قوله ﴿والشمس والقمر دائبين﴾ [إبراهيم: ٣٣] (**فمن الغرائب أن يدأب في الطواف بأحد المساجد**) والمشاهد (**من أمرت الكعبة أن تطوف به**) وقد وقع طواف الكعبة لرجال من الصديقين والأولياء

الأرض من تطوف به أقطار السماء. ثم ما دام المسافر مفتقراً إلى أن يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو مبعد في المنزل الأول من منازل السائرين إلى الله والمسافرين إلى حضرته، وكأنه معتكف على باب الوطن لم يفض به المسير إلى متسع الفضاء، ولا سبب لطول المقام في هذا المنزل إلا الجبن والقصور. ولذلك قال بعض أرباب القلوب: إن الناس ليقولون افتحوا أعينكم حتى تبصروا، وأنا أقول: غمضوا أعينكم حتى تبصروا، وكل واحد من القولين حق إلا أن الأول خبّر عن المنزل الأول القريب من الوطن، والثاني خبّر عما بعده من المنازل البعيدة عن الوطن التي لا يطؤها إلا مخاطر بنفسه، والمجاوز إليها ربما يتيه فيها سنين وربما يأخذ التوفيق بيده فيرشده إلى سواء السبيل، والهالكون في التيه هم الأكثرون من ركاب هذه الطريق ولكن السائحون بنور التوفيق فازوا بالنعيم والملك المقيم وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، واعتبر هذا الملك

الصالحين. (**ومن الغرائب أن يطوف في أكناف الأرض**) أي جوانبها (**من تطوف به أقطار السماء**) فمن تأمل هذا رجع إلى نفسه وانتبه من رقدة غفلته، (**ثم ما دام المسافر مفتقراً إلى أن يبصر عالم الملك والشهادة بالبصر الظاهر فهو مبعد في المنزل الأول من منازل السائرين إلى الله والمسافرين إلى حضرته، ولأنه معتكف على باب الوطن لم يفض به المسير إلى متسع الفضاء**) وهذا المقام الذي هو فيه ليس معدوداً من الأسفار الأربعة المعروفة عند أهل الحق، وإنما هو مبدأ آثار تجمل تهيأ منه للوصول إلى السفر الذي هو رفع حجب الكثرة عن وجه الوحدة وهو السير إلى الله من منازل النفس بإزالة التعشق من الظاهر والأغيار إلى أن يصل إلى الأفق المبين. (**ولا سبب للطول في هذا المنزل إلا الجبن**) والخوف (**والقصور، ولذلك قال بعض أرباب القلوب**) من العارفين: (**إن الناس ليقولون أفتحوا أعينكم حتى تبصروا**) مطلوبكم، (**وأنا أقول: غمضوا أعينكم حتى تبصروا، وفي**) الظاهر أن بين الكلامين مخالفة وليس كذلك بل (**كل واحد من القولين حق**) ولكل منهما وجه وجيه (**إلا أن الأول خبر عن المنزل الأول القريب من الوطن**) إذ فيه الافتقار إلى فتح البصر لرؤية المظاهر والاغيار ليعتبر بها إلى ما وراء ذلك، (**والثاني خبر عما بعده من المنازل البعيدة من الوطن التي لا يطؤها إلا مخاطر بنفسه**) أي من رمى نفسه في خطر عظيم (**والمجاوز إليها بما يتيه فيها سنين**) لما فيها من المخاوف والمهالك التي منها الترقي إلى حضرة الواحدية ثم إلى عين الجمع والحضرة الأحدية ثم إلى أحدية الجمع والفرق، (**وبما يأخذ التوفيق**) الإلهي (**بيده فيرشده**) في لحظة (**إلى سواء السبيل**) وذلك بفضله وكرمه، (**والهالكون في التيه هم الأكثرون من ركاب هذا الطريق**) كما يومىء إليه كلام سهل التستري، (**والعالمون كلهم هلكى**) إلا المخلصون والمخلصون على خطر، (**ولكن السائحون بنور التوفيق فازوا بالنعيم**) الأبدي (**والملك المقيم**) السرمدي (**وهم الذين سبقت لهم من الله الحسنى**) ومن ساعدته العناية لا

بملك الدنيا فإنه يقل بالإضافة إلى أكثر الخلق طلابه، ومهما عظم المطلوب قل المساعد. ثم الذي يهلك أكثر من الذي يملك. ولا يتصدى لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وطول التعب.

وإذا كانت النفوس كباراً ... تعبت في مرادها الأجسامُ

وما أودع الله العز والملك في الدين والدنيا إلا في حيز الخطر. وقد يسمي الجبان الجبن والقصور باسم الحزم والحذر كما قيل:

يرى الجبناء أنّ الجبن حزمٌ ... وتلك خديعة الطبع اللئيم

فهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الله في الأرض.

فلنرجع إلى الغرض الذي كنا بصدده ولنبين **(القسم الثاني)**: وهو أن يسافر لأجل العبادة إما لحج أو جهاد وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه وأعماله الظاهرة والباطنة في كتاب أسرار الحج، ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام، وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء، وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد

يقاس بغيره **(واعتبر هذا الملك)** الأخروي **(بملك الدنيا)** فإنه يقل بالإضافة إلى كثرة الخلق طلابه، **(ومهما عظم المطلوب قلّ المساعد)** وعز المعين، **(ثم الذي يهلك أكثر من الذي يملك)** كما هو مشاهد **(ولا يتصدي لطلب الملك العاجز الجبان لعظم الخطر وكثرة التعب)** فيتحامى عنه ولا يحمل أثقال الملوك إلا الجهال ولقد صدق القائل:

(وإذا كانت النفوس كباراً ... تعبت في مرادها الأجسامُ)

(وما أودع الله العز) والابهة **(والملك في الدين والدنيا إلا في حيز الخطر)** وهو الإشراف على الهلاك وخوف التلف، وفي نسخة: إلا في متن الخطر **(وقد يسمي الجبان الجبن)** أي الإحجام عن الإقدام **(والقصور)** عن درك المعالي **(باسم الحزم والحذر)** قال الشاعر:

(يرى الجبناء إن الجبن حزم ... وتلك خديعة الطبع اللئيم)

والجبناء: جمع الجبان المذكر وجمع المؤنث جبنات، **(فهذا حكم السفر الظاهر إذا أريد به السفر الباطن بمطالعة آيات الأرض)** الدالة على كمال قدرته.

(فلنرجع إلى الغرض الذي كنا بصدده ولنبين القسم الثاني وهو أن يسافر لأجل العبادة إما لحج) إلى بيت الله الحرام **(أو جهاد)** في سبيل الله **(وقد ذكرنا فضل ذلك وآدابه وأعماله الظاهرة والباطنة في كتاب أسرار الحج)** فأغنانا عن ذكره ثانياً **(ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء)** والشهداء **(والأولياء)** والصلحاء على اختلاف طبقاتهم، **(وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد**

وفاته. ويجوز شدّ الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله عليه السلام: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى» لأن ذلك في المساجد، فإنها متماثلة بعد هذه المساجد، وإلاَّ فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء في أصل الفضل وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله.

وبالجملة؛ زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات. والفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر إليهم، فإن النظر إلى وجوه العلماء والصلحاء عبادة. وفيه أيضاً حركة للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم هذا سوى ما ينظر من الفوائد العلمية المستفادة من أنفاسهم وأفعالهم كيف ومجرد زيارة الإخوان في الله فيه فضل؟ كما ذكرناه في كتاب الصحبة. وفي التوراة: سِرْ أربعة أميال زر أخاً في الله.

وأما البقاع، فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة وسوى الثغور للرباط بها،

وفاته، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى») وفي رواية: تقديم المسجد الحرام رواه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة، ورواه أيضاً سوى أبي داود من حديث أبي سعيد، ورواه ابن ماجه وحده من حديث ابن عمر وقد تقدم في أسرار الحج، (**لأن ذلك في المساجد فإنها متماثلة بعد هذه المساجد، وإلاَّ فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء وبين الأولياء والعلماء في أصل الفضل، وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتاً عظيماً بحسب اختلاف درجاتهم عند الله**) وهنا بحث مشهور للشيخ أبي العباس بن تيمية تقدم نقله في كتاب الحج والجواب عنه.

(**وبالجملة زيارة الاحياء أولى من زيارة الأموات**) وقالوا في المثل كلب جوّال خير من أسد رابض. (**والفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدعاء**) منهم (**و**) طلب (**بركة النظر إليهم فإن النظر إلى وجوه العلماء والصالحين**) من عباده (**عبادة**) فإنهم إذ رأوا ذكر الله والذكر عبادة (**وفيه أيضاً حركة للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم هذا سوى ما ينتظر من الفوائد العلمية المستفادة من**) بركات (**أنفاسهم وأفعالهم كيف ومجرد زيارة الإخوان في الله فيه فضل**) وأجر وهو مستحب ومندوب إليه (**كما ذكرناه في كتاب الصحبة و**) قيل مكتوب (**في التوراة**) سر ميلاً عد مريضاً سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة (**سر أربعة أميال زر أخاً في الله**). قال صاحب القوت: وقد رويناه في خبر عن بعض أهل البيت.

(**وأما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاث وسوى الثغور المرابط بها**) في

فالحديث ظاهر في أنه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى المساجد الثلاثة.

وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج وبيت المقدس أيضاً له فضل كبير. خرج ابن عمر من المدينة قاصداً بيت المقدس حتى صلّى فيه الصلوات الخمس ثم كرّ راجعاً من الغد إلى المدينة. وقد سأل سليمان عليه السلام ربه عز وجل: أن من قصد هذا المسجد لا يعنيه إلا الصلاة فيه، ان لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيماً فيه حتى يخرج منه، وان تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك.

القسم الثالث: أن يكون السفر للهرب من سبب مشوّش للدين. وذلك أيضاً حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن الأنبياء والمرسلين.

وجه العدو، (**فالحديث**) المذكور (**ظاهر في أنه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى المساجد الثلاث**) وفي القوت وإن سافر إلى بعض الثغور ناوياً رباط أربعين يوماً أو ثلاثة أيام فحسن وإن قصد عبادان فرابط فيها ثلاثاً فقد انتابها ثلاثمائة من العلماء والعباد للرباط فيها ما يجل وصفه روي عن علي رضي الله عنه أنه سأل رجلاً بالبصرة أن يرابط بعبادان ثلاثاً ويشركه في صحبته. وقال بعض العارفين: كوشفت بالأبصار فرأيت الثغور كلها تسجد لعبادان.

(**وقد ذكرنا فضائل الحرمين في كتاب الحج، وبيت المقدس أيضاً له فضل كبير**) ولفظ القوت: ومن قصد في سفره أحد المساجد الثلاث المندوب إليها لشد الرحال فهو أفضل، أعلاها المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ. ومسجد بيت المقدس فيقال: من جمع الصلاة في هذه المساجد الثلاث من سنته غفرت له ذنوبه كلها، ومن أهلّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، (**وخرج ابن عمر**) رضي الله عنهما (**قاصداً إلى بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كرَّ راجعاً من الغد إلى المدينة**) كذا في القوت، (**وقد سأل سليمان**) عليه السلام (**ربه عز وجل أن من قصد هذا المسجد لا يعنيه**) أي لا يهمه (**إلا الصلاة فيه أن لا تصرف نظرك عنه ما دام مقيماً فيه حتى يخرج منه وأن تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فأعطاه الله ذلك**) كذا في القوت.

قلت: وهذا قد أخرجه النسائي من حديث عبدالله بن عمر ورفعه « إن سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأله خلالاً ثلاثاً: سأله حكماً يصادف حكمه فأوتيه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأله حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهز إلا للصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه » وأخرجه أحمد كذلك وزاد « فنحن نرجو أن يكون الله عز وجل قد أعطاه إياه ».

(**القسم الثالث: أن يكون السفر للهرب من سبب مشوّش للدين، وذلك أيضاً حسن فالفرار مما لا يطاق من سنن الأنبياء والمرسلين أي من طرائقهم**) فإنه إن لم يفر منه فقد

ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلائق والأسباب فإن كل ذلك يشوش فراغ القلب، والدين لا يتم إلا بقلب فارغ عن غير الله، فإن لم يتم فراغه فبقدر فراغه فلا يتصور أن يشتغل بالدين، ولا يتصور فراغ القلب في الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضرورية، ولكن يتصور تخفيفها وتثقيلها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون. والحمد لله الذي لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جميع الأوزار والأعباء، بل قبل المخف بفضله وشمله بسعة رحمته. والمخف هو الذي ليست الدنيا أكبر همه، وذلك لا يتيسر في الوطن

أوقع نفسه في التهلكة، وقد نهى الله عنه حيث قال ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥].

(ومما يجب الهرب منه الولاية والجاه وكثرة العلائق والأسباب فإن كل ذلك يشوّش فراغ القلب) ويدخل عليه أنواع الاشتغال والفكر الردية، **(والدين لا يتم إلا بقلب فارغ)** خال **(عن)** ملاحظة **(غير الله)** تعالى، **(فإن لم يتم فراغه فبقدر فراغه يتصور أن يشتغل بالدين)** أي بأموره **(ولا يتصوّر فراغ القلب من الدنيا عن مهمات الدنيا والحاجات الضروية)** خصوصاً لصاحب العلائق والأسباب، **(ولكن يتصوّر تخفيفها وتثقيلها وقد نجا المخفون وهلك المثقلون)** ومن المشهور على الألسنة: فاز المخفون.

وأخرج الحاكم في الأهوال من مستدركه وتمام في فوائده من حديث هلال بن يسار عن أم الدرداء قالت: قلت لأبي الدرداء: ما يمنعك أن لا تبتغي لأضيافك ما تبتغي الرجال لأضيافهم؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «أمامكم عقبة كؤود لا يجوزها المثقلون». فإنا أريد أن أتخفف لتلك العقبة. وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ورواه أبو المظفر في فضائل العباس بلفظ «إنما أمامكم» وعند الطبراني «وراءكم عقبة كؤود» وأورده ابن الأثير في النهاية بلفظ «إن بين أيدينا عقبة كؤوداً لا يتجاوزها إلا الرجل المخف». وأخرج أبو نعيم في الحلية في قصة التقاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأويس القرني وعرض عليه نفقته وأباها أنه قال: يا أمير المؤمنين إن بين يدي ويديك عقبة كؤوداً لا يجاوزها إلا كل ضامر مخف، ومما قيل فيه:

قالوا تزوّج فلا دنيا بلا امرأة ... وراقب الله واقرأ آي ياسينا
لما تزوجت طاب العيش لي وحلا ... وصرت بعد وجود الخير مسكينا
جاء البنون وجاء الهم يتبعهم ... ثم التفت فلا دنيا ولا دينا
هذا الزمان الذي قال الرسول لنا ... خف الرحال فقد فاز المخفونا

(والحمد لله الذي لم يعلق النجاة بالفراغ المطلق عن جمع الأوزار والأعباء) إلى الاثقال، **(بل قبل المخف بفضله)** وكرمه **(وشمله بسعة رحمته. والمخف)** من أخف الرجل إذا صار خفيفاً والمراد به **(هو الذي ليست الدنيا أكبر همه)** وروى هناد، والترمذي من حديث أنس،

لمن اتسع جاهه وكثرت علائقه، فلا يتم مقصوده إلا بالغربة والخمول وقطع العلائق التي لا بد عنها حتى يروض نفسه مدة مديدة. ثم ربما يمده الله بمعونته فينعم عليه بما يقوي به يقينه ويطمئن به قلبه فيستوي عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الأسباب والعلائق وعدمها فلا يصده شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله، وذلك مما يعز وجوده جداً، بل الغالب على القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق، وإنما يسعد بهذه القوة الأنبياء والأولياء، والوصول إليها بالكسب شديد وإن كان للاجتهاد والكسب فيها مدخل أيضاً. ومثال تفاوت القوة الباطنة فيه كتفاوت القوّة الظاهرة في الأعضاء، فرب رجل قوي ذي مرة سوي شديد الأعصاب محكم البنية

والطبراني من حديث ابن عباس: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له».

وأخرج الطبراني من حديث أنس خرج رسول الله ﷺ يوماً وهو آخذ بيد أبي ذر فقال: «يا أبا ذر أعلمت ان بين أيدينا عقبة كؤوداً ولا يصعدها إلا المخفون» قال رجل: يا رسول الله: أمن المخفين انا أم من المثقلين» قال «عندك طعام اليوم» قال: نعم. قال: «وطعام غد»؟ قال: نعم. قال «وطعام بعدم غد». قال: لا قال: «لو كان عندك طعام ثلاث كنت من المثقلين».

(وكذلك لا يتيسر في الوطن لمن اتسع جاهه وكثرت علائقه فلا يتم مقصوده إلا بالعزلة) وفي نسخة: بالغربة **(والخمول وقطع العلائق التي لا بد عنها)** وحاجة إليها **(حتى يروض نفسه)** ويختبرها **(مدة)** وفي نسخة مديدة، **(ثم ربما يمده الله بمعونته ينعم عليه بما يقوى به يقينه ويطمئن به قلبه فيستوي عنده الحضر والسفر ويتقارب عنده وجود الأسباب والعلائق وعدمها ولا يصده شيء منها عما هو بصدده من ذكر الله)**. ولفظ القوت: فإن نوى القرب من الأمصار طمعاً في سلامة دينه وبعداً من تعلق النفس بما في الحضر من حظ دنياه فحسن، وربما خرج طلباً للخمول والذلة لخشية الفتنة بالشهرة ورجاء صلاح قلبه واستقامة حاله في البعد عن الناس ورياضته بالتفرق والتوحد إلى أن يعتدل يقينه ويطمئن قلبه، فيستوى عنده الحضر والسفر، ويعتدل عنده وجود الخلق وعدمهم بإسقاط الاهتمام بهم انتهى.

(وذلك مما يعز وجوده جداً بل الغالب مع القلوب الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق وإنما يسعد بهذه القوّة الأنبياء) والصديقون والشهداء **(والأولياء)** إذ منحهم مواهب لدنية **(والوصول إليها بالكسب)** والرياضة **(شديد، وإن كان للإجتهاد والكسب فيها مدخل أيضاً)** ولكن جل العناية للوهب الإلهي. **(ومثال تفاوت القوّة الباطنة فيه مثال تفاوت القوّة الظاهرة في الأعضاء، فرب رجل قوي ذي مرة)** بالكسر أي قوّة، وأصل المرة

يستقل بحمل ما وزنه ألف رطل مثلاً ، فلو أراد الضعيف المريض أن ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج فيه قليلاً قليلاً لم يقدر عليه ، ولكن الممارسة والجهد يزيد في قوته زيادة مّا وإن كان ذلك لا تبلغه درجته ، فلا ينبغي أن يترك الجهد عند اليأس عن الرتبة العليا ، فإن ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال . وقد كان من عادة السلف رضي الله عنهم مفارقة الوطن خيفة من الفتن . وقال سفيان الثوري : هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل فكيف على المشتهرين ؟ هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد كلما عرف في موضع تحوّل إلى غيره . وقال أبو نعيم : رأيت سفيان الثوري وقد علق قلته بيده ووضع جرابه على ظهره فقلت : إلى أين يا أبا عبدالله ؟ قال : بلغني عن قرية فيها رخص أريد أن أقيم بها ، فقلت له : وتفعل هذا ؟ قال : نعم إذا بلغك ان قرية فيها رخص فأقم بها ، فإنه أسلم لدينك وأقل لهمك وهذا هرب من غلاء السعر . وكان سري السقطي يقول

الفتل وحبل مرير أي مفتول، ويقال إنه لذو مرة إذا كان ذا رأي محكم (**سوي**) كغني أي مستوي الخلقة كاملها (**شديد الأعصاب محكم البنية**) لم توهنه الأمراض ولم تزعزعه النوائب (**يستقل بحمل ما وزنه ألف رطل مثلاً**) وهو ما يقرب عشرة قناطير ، وقد سمع بمثل ذلك في الحمالين ببلاد الروم فإن منهم من يحمل قدر ذلك ويفتخر به على أقرانه ، (**فلو اراد الضعيف**) البنية (**المريض**) الواهن (**أن ينال رتبته بممارسة الحمل والتدريج فيه قليلاً قليلاً لم يقدر عليه**) وخانته قواه ، (**ولكن الممارسة والجهد يزيد في قوته زيادة مّا**) أي نوعاً من الزيادة ، (**وإن كان ذلك لا يبلغه درجته**) ولا يجعله مثله في القوة (**فلا ينبغي أن يترك الجهد عند اليأس من الرتبة العليا فإن ذلك غاية الجهل ونهاية الضلال**) والإخلاد إلى الهوان ، (**وقد كان من عادة السلف**) رحمهم الله تعالى (**مفارقة الوطن خيفة من الفتن . وقال سفيان الثوري**) رحمه الله تعالى : (**هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل ، فكيف على المشتهرين ؟ هذا زمان رجل ينتقل من بلد إلى بلد كلما عرف في موضع تحوّل إلى غيره**) نقله صاحب القوت إلا أنه قال : المشهورين بدل المشتهرين ، وهو في الحلية لأبي نعيم . (**وقال أبو نعيم**) الفضل بن دكين بن حماد ابن زهير التيمي مولاهم الأحول الملائي الكوفي ثقة ثبت من كبار مشايخ البخاري ، روى له الجماعة ، مات سنة ثماني عشرة ومائتين : (**رأيت سفيان الثوري وقد علق قلته بيده**) وهي شبه الكوز للماء (**ووضع جرابه على ظهره فقلت : إلى أين يا أبا عبد الله ؟ قال : بلغني عن قرية فيها رخص**) أي ارتخاء أسعار ، وأنا (**أريد أن أقيم فيها فقيل له : وتفعل هذا**) ؟ ولفظ القوت : فقلت : وتفعل هذا يا أبا عبد الله ؟ (**قال : نعم إذا بلغك عن قرية فيها رخص فاقم بها فإنه أسلم لدينك وأقل لهمك**) هكذا نقله صاحب القوت وهو في الحلية لأبي نعيم ، (**وهذا هرب من غلاء السعر**) لا غير . (**وكان سري**) بن المغلس (**السقطي رحمه الله تعالى يقول**

للصوفية: إذا خرج الشتاء فقد خرج أذار وأورقت الأشجار وطاب الانتشار فانتشروا. وقد كان الخوّاص لا يقيم ببلد أكثر من أربعين يوماً. وكان من المتوكلين ويرى الإقامة اعتماداً على الأسباب قادحاً في التوكل. وسيأتي أسرار الاعتماد على الأسباب في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى.

القسم الرابع: السفر هرباً مما يقدح في البدن كالطاعون، أو في المال كغلاء السعر أو ما يجري مجراه. ولا حرج في ذلك، بل ربما يجب الفرار في بعض المواضع، وربما يستحب في بعض بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد واستحبابه، ولكن يستثنى منه الطاعون فلا ينبغي أن يفرّ منه لورود النهي فيه. قال أسامة بن زيد: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا الوجع ـ أو السقم ـ رجز عذب به بعض الأمم قبلكم. ثم بقي بعد في

للصوفية: إذا خرج الشتاء فقد خرج آذار وأورقت الأشجار وطاب الانتشار فانتشروا) ولفظ القوت: إذا خرج الشتاء ودخل آذار وأورقت الأشجار طاب الانتشار، وآذار بالمد شهر معروف من الشهور العجمية وفيه تورق الأشجار بعد سقوطها ويطيب الزمان ويعتدل الهواء، **(وقد كان)** إبراهيم **(الخواص)** رحمه الله تعالى **(لا يقيم ببلد أكثر من أربعين يوماً)** بل كان ينتقل، **(وكان من المتوكلين ويرى الإقامة اعتماداً على الأسباب قادحة في التوكل)** هذا مشربه، وكان يرى أيضاً السؤال قادحاً في التوكل وخالفه في المسألتين جماعة من العارفين، **(وسيأتي أسرار الاعتماد على الأسباب في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى)** ونفصل هناك مذاهب الجماعة.

(القسم الرابع: السفر هرباً مما يقدح في البدن كالطاعون) فاعول من الطعن عدلوا به عن أصله ووضعوه دالاً على الموت العام كالوباء ذكره الجوهري، **(أو في المال لغلاء الأسعار وما يجري مجراه ولا حرج في ذلك، بل ربما يجب الفرار في بعض المواضع وربما يستحب في بعض)** منها **(بحسب وجوب ما يترتب عليه من الفوائد واستحبابه، ولكن يستثنى منه الطاعون فلا ينبغي أن يفر منه لورود النهي فيه)** قال أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي الأمير، أبو محمد، وأبو زيد حب رسول الله وابن حب رسول الله مات بالمدينة سنة أربع وخمسين عن خمس وسبعين سنة روى له الجماعة **(قال رسول الله ﷺ: «إن هذا الوجع ـ أو)** قال إن هذا **(السقم ـ رجز)** أي عذاب وأصله الاضطراب، يقال: رجز البعير رجزاً إذا تقارب خطوة واضطرب لضعف فيه. **(عذب الله به بعض الأمم قبلكم)** وهم قوم فرعون من بني إسرائيل أمرهم الله أن يدخلوا الباب سجداً فخالفوا فأرسل الله عليهم ذلك فمات منهم في ساعة سبعون ألفاً، وقد ورد التصريح بأنهم من بني إسرائيل في هذا الخبر بعينه كما سيأتي. **(ثم بقي بعد**

الأرض فيذهب المرة ويأتي الأخرى فمن سمع به في أرض فلا يقدمن عليه ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه». وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «إن فناء أمتي بالطعن والطاعون فقلت: هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: غدة كغدة البعير تأخذهم في مراقهم، المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب كالمرابط في سبيل الله، والفار منه كالفار من الزحف».

في الأرض فيذهب المرة ويأتي الأخرى فمن سمع به في أرض فلا يقدمن عليه ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه») قال الخطابي: أحد الأمرين تأديب وتعليم والآخر تفويض وتسليم. وقال التوربشتي: الله شرع لنا التوقي من المحذور، وقد صح أن النبي ﷺ لما بلغ الحجر منع أصحابه من دخوله وأما نهيه عن الخروج فلأنه إذا خرج الأصحاء ضاعت المرضى من متعهد والموتى من التجهيز والصلاة عليهم انتهى.

قال العراقي: هو متفق عليه واللفظ لمسلم انتهى.

قلت: ورواه كذلك الترمذي والنسائي وفي لفظ لهما: «الطاعون رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بني إسرائيل فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه، وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تهبطوا عليها» وقوله أو عذاب هكذا هو بالشك ووقع بالجزم عند ابن خزيمة من حديث عامر بن سعد بلفظ: «إنه رجس سلط على طائفة من بني إسرائيل».

(**وقالت عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ: «إن فناء أمتي بالطعن والطاعون. فقلت: هذا الطعن قد عرفناه**) وهو أن يطعن بعضهم في الحرب بالرماح (**فما الطاعون؟ قال:**) هو (**غدة كغدة البعير**) قال الزمخشري في الفائق. الغدة داء يأخذ البعير فترم نكفتاه له فيأخذه شبه الموت. وفي أمثالهم: أغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية قاله عامر بن الطفيل عند دعاء النبي ﷺ عليه (**تأخذهم**) أي الآفة (**في مراقهم**) جمع مرق وهو أسفل البطن مما رق ولان (**المسلم الميت منه شهيد والمقيم عليه المحتسب**) وجه الله تعالى أي طالب الثواب على صبره على خوفه منه وشدته (**كالمرابط في سبيل الله**) أي له مثل ثواب الشهيد، (**والفار منه كالفار من الزحف»**) والفرار من الزحف حين يزحف العدوّ على المسلمين من غير عذر كبيرة، والفرار من الطاعون وزره مثل وزر ذلك.

قال العراقي: رواه أحمد وابن عبد البر في التمهيد بإسناد جيد اهـ.

قلت: حديث عائشة روي بألفاظ مختلفة، فروى أحمد والبخاري بلفظ: «الطاعون كان عذاباً بعثه الله على من يشاء وأن الله جعله رحمة للمؤمنين فليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد» قاله لها حين سألته عن الطاعون ما هو؟

وعن مكحول، عن أم أيمن قالت: أوصى رسول الله ﷺ بعض أصحابه، لا تشرك بالله شيئاً وإن عذبت أو خوّفت، وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من كل شيء هو لك فاخرج منه. لا تترك الصلاة عمداً فإن من ترك الصلاة عمداً فقد برئت ذمة الله منه، وإياك والخمر فإنها مفتاح كل شر، وإياك والمعصية فإنها تسخط الله، ولا تفرّ من الزحف، وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم فاثبت فيهم، أنفق طولك على أهل بيتك

وروى أحمد أيضاً بسند فيه ثقات: « الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منه كالفار من الزحف ».

وروى الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في فوائد أبي بكر بن خلاد بسند حسن « الطاعون شهادة لأمتي ووخز أعدائكم من الجن كغدة الإبل تخرج في الآباط والمراق من مات فيه مات شهيداً، ومن أقام به كان كالمرابط في سبيل الله، ومن فرّ منه كان كالفار من الزحف ».

وأخرج أحمد والطبراني في الكبير من حديث أبي موسى وفي الأوسط من حديث ابن عمر: « فناء أمتي بالطعن والطاعون وخز أعدائكم من الجن وفي كل شهادة ».

(وعن مكحول) أبي عبدالله الدمشقي الفقيه، مات سنة بضع عشرة ومائة روى له مسلم والأربعة، **(عن أم أيمن)** بركة حاضنة رسول الله ﷺ وهي والدة أسامة بن زيد ماتت في خلافة عثمان رضي الله عنهما **(قالت: « أوصى رسول الله ﷺ بعض أصحابه)** وفي نسخة بعض أهله **(لا تشرك بالله شيئاً وإن عذبت أو خوّفت)** وفي نسخة: وإن حرقت بالنار **(أطع والديك وإن أمراك أن تخرج عن كل شيء هو لك فأخرج، لا تترك الصلاة عمداً فإن من ترك الصلاة عمداً فقد برئت ذمة الله منه؛ إياك والخمر)** لا تشربه **(فإنه مفتاح كل شر، إياك والمعصية فإنها تسخط الله)** أي تغضبه، **(ولا تفر من الزحف)** أي عند زحف المشركين بالمسلمين، **(وإن أصاب الناس موتان)** بالضم الموت الكثير الذريع **(وأنت فيهم فأثبت فيهم)** أي لا تنتقل عن موضعك فاراً، **(أنفق من طولك)** أي طاقتك وقدرتك وما طالت به يدك **(على أهل بيتك ممن عليك نفقته، ولا ترفع عصاك عنهم)** لأجل التأديب، **(أخفهم بالله »)**. قال العراقي: رواه البيهقي وقال: فيه إرسال اهـ.

قلت: ومكحول كثير الإرسال مشهور بذلك، ورواه كذلك ابن عساكر في التاريخ، وقد رواه ابن ماجه والبيهقي من حديث أبي الدرداء بلفظ: « لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت وحرقت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فمن تركها فقد برئت منه الذمة، ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر ».

وعند الطبراني من حديث أميمة مولاة رسول الله ﷺ بلفظ: « لا تشرك بالله شيئاً، وإن قطعت وحرقت بالنار، ولا تعصين والديك وإن أمراك أن تخلي من أهلك ودنياك فتخله، ولا تشربن خمراً فإنها رأس كل شر، ولا تتركن صلاة متعمداً فمن فعل ذلك برئت منه ذمة الله وذمة

ولا ترفع عصاك عنهم أخفهم بالله». فهذه الأحاديث تدل على أن الفرار من الطاعون منهي عنه وكذلك القدوم عليه، وسيأتي شرح ذلك في كتاب التوكل.

رسوله، ولا تفرن يوم الزحف فمن فعل ذلك فقد باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير، ولا تزدادن في تخوم أرضك فمن فعل ذلك يأتي به على رقبته يوم القيامة من مقدار سبع أرضين، وأنفق على أهلك من طولك، ولا ترفع عصاك عنهم وأخفهم في الله عز وجل» وأميمة قيل هو اسم أم أيمن الحبشية.

وعند أحمد والطبراني وأبي نعيم في الحلية من حديث معاذ بلفظ: «لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلت وحرقت، ولا تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمداً فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله، ولا تشربن خمراً فإنه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية فإن المعصية تحل سخط الله، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس. وإذا أصاب الناس موت وأنت فيهم فأثبت وأنفق على عيالك من طولك ولا ترفع عنهم عصاك أدباً وأخفهم في الله».

وعند الطبراني من حديث أبي الدرداء بلفظ: «لا تشرك بالله شيئاً وإن عذبت وحرقت، وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من كل شيء حولك فأخرج منه ولا تترك صلاة مكتوبة عمداً، فإنه من ترك الصلاة عمداً فقد برئت منه ذمة الله إياك والخمر فإنها مفتاح كل شر وإياك والمعصية فإنها موجبة سخط الله، لا تغلل ولا تفر يوم الزحف وإن هلكت وفر أصحابك وإن أصاب الناس موتان وأنت فيهم فأثبت ولا تنازع الأمر أهله وإن رأيت أنه لك وأنفق من طولك على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أدباً وأخفهم في الله عز وجل».

وعند ابن النجار في تاريخه من حديث أبي ريحانة بلفظ: «لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت وحرقت بالنار، وأطع والديك وإن أمراك أن تخلي من أهلك ودنياك ولا تدعن صلاة متعمداً فإن من تركها فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله، ولا تشربن خمراً، فإنها رأس كل خطيئة ولا تزدادن في تخوم أرضك فإنك تأتي بها يوم القيامة من مقدار سبع أرضين» والمسمى بأبي ريحانة صحابيان: أحدهما الأزدي أو الدوسي الأنصاري، وقيل اسمه سمعون، والثاني أبو ريحانة القرشي.

وعند الطبراني من حديث عبادة بن الصامت: «لا تشركوا بالله شيئاً وإن قطعتم أو حرقتم أو صلبتم ولا تتركوا الصلاة متعمداً فإن من تركها متعمداً فقد خرج من الملة، ولا تركبوا المعصية فإنها سخط الله، ولا تشربوا الخمر فإنها رأس الخطايا كلها، ولا تفروا من الموت وإن كنتم فيه، ولا تعص والديك وإن أمراك أن تخرج من الدنيا كلها فأخرج، ولا تضع عصاك عن أهلك وأنصفهم من نفسك».

(فهذه الأحاديث تدل على أن الفرار من الطاعون منهي عنه وكذلك القدوم عليه)

فهذه أقسام الأسفار، وقد خرج منه أن السفر ينقسم إلى مذموم وإلى محمود وإلى مباح. والمذموم ينقسم إلى حرام كإباق العبد وسفر العاق، وإلى مكروه كالخروج من بلد الطاعون. والمحمود ينقسم إلى واجب كالحج وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم، وإلى مندوب إليه كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم. ومن هذه الأسباب تتبين النية في السفر فإن معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لإجابة الداعية. ولتكن نيته الآخرة في جميع أسفاره، وذلك ظاهر في الواجب والمندوب، ومحال في المكروه والمحظور.

وأما المباح فمرجعه إلى النية. فمهما كان قصده بطلب المال مثلاً التعفف عن السؤال ورعاية ستر المروءة على الأهل والعيال والتصدق بما يفضل عن مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من أعمال الآخرة، ولو خرج إلى الحج وباعثه الرياء والسمعة لخرج عن

أما الخروج فلأنه إذا خرج الصحيح ضاع المريض من متعهد، وأما الدخول فللتوقي عن المحذور، (**وسيأتي شرح ذلك في كتاب التوكل**) إن شاء الله تعالى ذكر هناك أنه إنما نهي عن الخروج كالدخول، مع أن سببه في الطب الهواء وأظهر طرق التداوي الفرار من الضرر، وترك التوكل في نحوه مباح لأن الهواء لا يضر من حيث يلاقي ظاهر البدن، بل من حيث دوام استنشاقه فإنه إذا كان فيه عفونة وصل إلى الرئة والقلب أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر إلا بعد استحكام التأثير في الباطن، فالخروج لا يخلص لكنه يوهم الخلاص فيصير من جنس الموهومات كالطيرة إلى آخر ما قال على ما سيأتي تفصيله.

(**فهذه أقسام الأسفار، وقد خرج منه أن السفر ينقسم إلى مذموم وإلى محمود وإلى مباح والمذموم ينقسم إلى حرام كاباق العبد**) من سيده (**وسفر العاق**) لوالديه بأن خرج من غير رضاهما، (**وإلى مكروه كالخروج من بلد**) فيه (**الطاعون والمحمود**) منه (**ينقسم إلى واجب كالحج**) إلى بيت الله (**وطلب العلم الذي هو فريضة على كل مسلم**) وهو تعلم ما لا بدّ منه، (**وإلى مندوب إليه كزيارة العلماء والصلحاء وزيارة مشاهدهم**) بعد موتهم، (**ومن هذه الأسباب تتبين النية في السفر فإن معنى النية الانبعاث للسبب الباعث والانتهاض لإجابة الداعية**) وقد خصت في غالب الاستعمال بعزم القلب على أمر من الأمور، (**ولتكن نيته الآخرة في جميع أسفاره، وذلك ظاهر في الواجب والمندوب ومحال في المكروه والمحظور.**

وأما المباح؛ فمهما كان قصده بطلب المال مثلاً التعفف عن السؤال ورعاية ستر المروءة على الأهل والعيال والتصدق بما فضل) أي زاد (**عن مبلغ الحاجة صار هذا المباح بهذه النية من أعمال الآخرة**) وهذا ظاهر، (**ولو خرج إلى الحج وباعثه الرياء والسمعة**) ونحو ذلك

كونه من أعمال الآخرة لقوله ﷺ: « إنما الأعمال بالنيّات ». فقوله ﷺ: الأعمال بالنيات عام في الواجبات والمندوبات والمباحات دون المحظورات، فإن النية لا تؤثر في إخراجها عن كونها من المحظورات، وقد قال بعض السلف: إن الله تعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم فيعطى كل واحد على قدر نيته. فمن كانت نيته الدنيا أعطي منها ونقص من آخرته أضعافه، وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله. ومن كانت نيته الآخرة أعطي من البصيرة والحكمة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه ودعت له الملائكة واستغفرت له.

وأما النظر في أن السفر هو الأفضل أو الإقامة، فذلك يضاهي النظر في أن الأفضل هو العزلة أو المخالطة؟ وقد ذكرنا منهاجه في كتاب العزلة فليفهم هذا منه، فإن السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب في حق الأكثرين. والأفضل

(**لخرج عن كونه من أعمال الآخرة فقوله ﷺ: « الأعمال بالنيات »**) رواه بهذا اللفظ الإمام أبو حنيفة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص الليثي، عن عمر بن الخطاب مرفوعاً وهو لفظ ابن حبان في صحيحه وللستة بلفظ: « إنما » (**عام في الواجبات والمندوبات والمباحات دون المحظورات، فإن النية لا تؤثر في إخراجها عن كونها من المحظورات، وقد قال بعض السلف**) ولفظ القوت ويقال: (**إن الله تبارك وتعالى قد وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون إلى مقاصدهم فيعطى كل واحد على قدر نيته**) ولفظ القوت: على نحو نيته (**فمن كانت نيته**) طلب (**الدنيا أعطي منها ونقص من آخرته أضعافه وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله، ومن كانت نيته**) طلب (**الآخرة**) وأهلها (**أعطي من البصيرة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه**) وملك من الدنيا بالقناعة والزهد شغله (**ودعت له الملائكة واستغفرت له**) هكذا هو في القوت ومعناه في المرفوع من حديث أنس فيما رواه ابن أبي حاتم في الزهد: « من كانت نيته طلب الدنيا شتت الله عليه أمره وجعل الفقر بين عينيه ولم يأته منها إلا ما كتب له، ومن كانت نيته طلب الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ». وعند الطيالسي وابن ماجه والطبراني من حديث زيد بن ثابت: « من كانت نيته الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا راغمة ومن كانت نيته الدنيا فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له ».

(**وأما النظر في أن السفر هو الأفضل أو الإقامة**) في الوطن هو الأفضل، (**فذلك يضاهي النظر في أن الأفضل هو العزلة أو المخالطة؟ وقد ذكرنا منهاجه في كتاب العزلة فليفهم هذا منه، فإن السفر نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة تفرق الهم وتشتت القلب في**

في هذا ما هو الأعون على الدين، ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله تعالى وتحصيل الأنس بذكر الله تعالى، والأنس يحصل بدوام الذكر، والمعرفة تحصل بدوام الفكر. ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما. والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء. والإقامة هي المعينة على العمل بالعلم في الانتهاء.

وأما السياحة في الارض على الدوام فمن المشوّشات للقلب إلا في حق الأقوياء، فإن المسافر وماله لعلى قلق إلا ما وقى الله، فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه وماله، وتارة بمفارقة مألفه واعتاده في إقامته. وإن لم يكن معه مال يخاف عليه فلا يخلو عن الطمع والاستشراف إلى الخلق، فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر، وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع. ثم الشغل بالحط والترحال مشوّش لجميع الأحوال، فلا ينبغي أن يسافر المريد إلا في طلب علم أو مشاهدة شيخ يقتدي به في سيرته وتستفاد الرغبة في

حق الأكثرين. والأفضل في هذا ما هو الأعون في الدين) وقال القشيري في رسالته: هذه الطائفة مختلفون فمنهم من آثر الإقامة على السفر ولم يسافر إلا لغرض كحجة الإسلام، والغالب عليهم الإقامة مثل الجنيد، وسهل بن عبدالله، وأبي يزيد البسطامي، وأبي حفص الحداد وغيرهم. ومنهم من آثر السفر وكانوا على ذلك إلى أن خرجوا من الدنيا مثل أبي عبدالله المغربي، وإبراهيم بن أدهم وغيرهم وكثير منهم سافروا في ابتداء أمورهم في حال شبابهم أسفاراً كثيرة، ثم قعدوا عن السفر في آخر أحوالهم مثل أبي عثمان الحيري والشبلي وغيرهما، ولكل واحد منهم أصول بنوا عليها طريقتهم انتهى.

(ونهاية ثمرة الدين في الدنيا تحصيل معرفة الله تعالى وتحصيل الانس بذكر الله تعالى والانس يحصل بدوام الذكر) حتى يغمر قلبه، **(والمعرفة تحصل بدوام الفكر)** بالمراقبة، **(ومن لم يتعلم طريق الفكر والذكر لم يتمكن منهما)** أي لم يكن له نصيب منهما **(والسفر هو المعين على التعلم في الابتداء والإقامة هي المعينة على العمل بالعلم في الانتهاء.**

فأما السياحة في الأرض على الدوام، فمن المشوّشات للقلب إلا في حق الأقوياء) مثل إبراهيم بن أدهم وأضرابه، **(فإن المسافر وماله)** كل منهما **(لعلى قلق)** محركة أي تعب وهلاك **(إلا ما وقى الله)** وحفظه **(فلا يزال المسافر مشغول القلب تارة بالخوف على نفسه)** من الأعداء **(وماله)** من السراق، **(وتارة بمفارقة ما ألفه واعتاده)** وأنس به **(في إقامته وإن لم يكن معه مال يخاف عليه)** من التلف **(فلا يخلو عن الطمع والاستشراف)** والتطلع **(إلى الخلق فتارة يضعف قلبه بسبب الفقر فيعتريه فتور، وتارة يقوى باستحكام أسباب الطمع)** فيه فتنزرع فيه أنواع الخبائث، **(ثم الشغل بالحط والترحال)** من بقعة إلى بقعة **(مشوّش بجميع الأحوال)** مشتت للبال، **(فلا ينبغي أن يسافر المريد إلا في طلب علم)**

الخير من مشاهدته، فإن اشتغل بنفسه واستبصر وانفتح له طريق الفكر أو العمل فالسكون أولى به. إلا أن أكثر متصوّفة هذه الأعصار ـ لما خلت بواطنهم عن لطائف الأفكار ودقائق الأعمال ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة وكانوا بطالين غير محترفين ولا مشغولين ـ قد ألفوا البطالة واستثقلوا العمل، واستوعروا طريق الكسب واستلانوا جانب السؤال والكدية، واستطابوا الرباطات المبنية لهم في البلاد واستسخروا الخدم المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم وأديانهم، من حيث لم يكن قصدهم من الخدمة إلا الرياء والسمعة وانتشار الصيت واقتناص الأموال بطريق السؤال تعللاً بكثرة الأتباع، فلم يكن لهم في الخانقاهات حكم نافذ، ولا تأديب للمريدين نافع، ولا حجر عليهم قاهر، فلبسوا المرقعات واتخذوا في الخانقاهات منتزهات، وربما تلقفوا ألفاظاً مزخرفة من أهل الطامات، فينظرون إلى أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقتهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وعباراتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم، فيظنون بأنفسهم خيراً

واجب (**أو مشاهدة شيخ يقتدي به في سيرته**) الظاهرة والباطنة (**وتستفاد الرغبة في الخير من مشاهدته**) وملاقاته، (**فإن اشتغل بنفسه**) بمداومة الذكر القلبي (**واستبصر**) فيه (**وانفتح له**) باب (**طريق الفكر**) الصحيح (**والعمل**) المطابق بالسنة (**فالسكون**) في حقه في مستقره (**أولى به وأرفق**) لحاله، وهذا هو الحق الصريح الذي أشار إليه السادة النقشيندية (**إلا أن أكثر متصوّفة هذه الأعصار لما خلت بواطنهم عن لطائف الأفكار ودقائق الأعمال**) لفترات عرضتها ولم يقدروا على إزالتها، (**ولم يحصل لهم أنس بالله تعالى وبذكره في الخلوة**) ووقفوا عن السير ومالوا إلى الغير. (**وكانوا بطالين**) أي من أهل البطالة (**غير محترفين ولا مشغولين قد ألفوا البطالة**) ومالت نفوسهم إليها (**واستثقلوا العمل واستوعروا طريق الكسب**) أي وجدوها وعرة المسلك، (**واستلانوا جانب السؤال**) والتكفف (**والكدية**) أي الاستجداء من الناس (**واستطابوا**) سكنى (**الرباطات**) والخانقاهات (**المبنية لهم**) أي بإسمهم (**في**) سائر (**البلاد واستسخروا الخدم**) أي جعلوهم مسخرين منقادين، (**المنتصبين للقيام بخدمة القوم واستخفوا عقولهم وأديانهم من حيث لم يكن لهم قصد من الخدمة إلا الرياء والسمعة**) للناس، (**وانتشار الصيت**) بينهم والشهرة، (**واقتناص الأموال بطريق السؤال**) وأنواع الاحتيال (**تعللاً بكثرة الاتباع**) والواردين، (**فلم يكن لهم في الخانقاهات حكم نافذ ولا تأديب للمريدين نافع ولا حجر عليهم قاهر**) يقهرهم عما لا يليق (**فلبسوا المرقعات**) أي الخرق الملفقة من أنواع الصوف والخز وغيره (**واتخذوا في الخانقاهات منتزهات**) من مياه جارية وأشجار مغروسة وفرش مبسوطة، (**وربما تلقفوا ألفاظاً مزخرفة من الطامات**) وهي ما فيها شطح (**فينظرون إلى أنفسهم وقد تشبهوا بالقوم في خرقهم وفي سياحتهم وفي لفظهم وفي عبارتهم وفي آداب ظاهرة من سيرتهم**

ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ويعتقدون أن كل سوداء تمرة، ويتوهمون أن المشاركة في الظواهر توجب المساهمة في الحقائق وهيهات! فما أغزر حماقة من لا يميز بين الشحم والورم؟ فهؤلاء بغضاء الله فإن الله تعالى يبغض الشاب الفارغ. ولم يحملهم على السياحة إلا الشباب والفراغ، إلا من سافر لحج أو عمرة في غير رياء ولا سمعة، أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدي به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن والأمور الدينية كلها قد فسدت وضعفت إلا التصوّف فإنه قد امحق بالكلية وبطل، لأن العلوم لم تندرس بعد، والعالم وإن كان عالم سوء فإنما فساده في سيرته لا في علمه، فيبقى عالماً غير عامل بعلمه، والعمل غير العلم.

فيظنون بأنفسهم خيراً ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ويعتقدون أن كل سوداء تمرة) وأن كل بيضاء شحمة، **(ويتوهمون أن المشاركة)** لهم **(في الظاهر)** من الأقوال والأفعال **(توجب المساهمة)** أي المقاسمة **(في الحقائق)** الباطنة **(وهيهات! فما أغزر حماقة)** أي قلة عقل **(من لا يميز بين الشحم والورم)؟** كلاهما ككتف أي فيستسمن كل ذي ورم ويظن أن به شحماً **(فهؤلاء بغضاء الله تعالى فإن الله تعالى يبغض الشاب الفارغ)** أخرج سعيد بن منصور في سننه من قول ابن مسعود: إني لأكره الرجل فارغاً لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة، ورواه أحمد وابن المبارك والبيهقي كلهم في الزهد، وإن أبي شيبة من طريق المسيب بن رافع قال: قال ابن مسعود: إني لأمقت الرجل أراه فارغاً ليس في شيء من عمل دنيا ولا آخرة، وهو عند الزمخشري في سورة الانشراح من قول عمر رضي الله عنه بلفظ: «إني لأكره أحدكم سبهللاً لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة، ويحتمل أن يكون المراد بالشاب هنا الصحيح، فقد قال العسكري في الأمثال الصحة عند بعضهم الشباب، والعرب تجعل مكان الصحة الشباب كما قالوا القلب الفارغ والشباب المقبل يكسب الآثام، وكان يقال: إن لم يكن الشغل محذة فالفراغ مفسدة والقلب الفارغ يبحث عن السوء.

(ولم يحملهم على السياحة) من أرض إلى أرض **(إلا الشباب والفراغ إلا من سافر لحج أو عمرة في غير رياء ولا سمعة أو سافر لمشاهدة شيخ يقتدي به في علمه وسيرته وقد خلت البلاد عنه الآن)** هذا في زمن المصنف فكيف بزماننا الآن وقد كمل المائتان بعد الألف؟ **(والأمور الدينية كلها قد فسدت وضعفت إلا التصوّف فإنه قد امحق)** وزال حتماً رسمه **(بالكلية وبطل)** أمره **(لأن العلوم لم تندرس بعد)** ففي طلابها كثرة، **(والعالم وإن كان عالم سوء فإنما فساده في سيرته لا في علمه فيبقى عالماً غير عامل بعلمه و)** لا يخفى أن **(العمل غير العلم)** فالعلم شيء والعمل شيء، ولا يلزم من فساد العمل فساد العلم، ولكن لما كان المقصود من العلم هو للعمل أطلقوا اسم الفساد على العلم بوجود الفساد في العمل وقالوا هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

وأما التصوّف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ما سوى الله. وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح. ومهما فسد العمل فات الأصل. وفي أسفار هؤلاء نظر للفقهاء من حيث أنه إتعاب للنفس بلا فائدة، وقد يقال أن ذلك ممنوع. ولكن الصواب عندنا أن نحكم بالإباحة فإن حظوظهم التفرج عن كرب البطالة بمشاهدة البلاد المختلفة، وهذه الحظوظ وإن كانت خسيسة فنفوس المتحركين لهذه الحظوظ أيضاً خسيسة، ولا بأس بإتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود إليه، فهو المتأذي والمتلذذ. والفتوى تقتضي تسييب العوام في المباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر، فالسائحون في غير مهم في الدين والدنيا بل لمحض التفرج في البلاد كالبهائم المترددة في الصحاري فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم ولم يلبسوا على الخلق حالهم، وإنما عصيانهم في التلبيس والسؤال على اسم التصوّف والأكل من الأوقاف التي وقفت على الصوفية،

(**وأما التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله واستحقار ما سوى الله**) بأن لا يكون في ملاحظة غيره، (**وحاصله يرجع إلى عمل القلب والجوارح ومهما فسد العمل فات الأصل**) المحصول. (**وفي أسفار**) مثل هؤلاء (**نظر**) وبحث (**للفقهاء من حيث أنه اتعاب نفس بلا فائدة**) تؤول إليه وهو منهي عنه، (**وقد يقال: إن ذلك ممنوع**) وسند المنع إنا لا نسلم أنه إتعاب نفس بلا فائدة فأقل ما يقال فيه أن تلك الحركة لا تخلو عن مشقة وهي لا تقصر عن رياضة للبدن وهذه فائدة في الجملة، (**ولكن الصواب عندنا أن نحكم بالإباحة**) لهم، (**فإن حظوظهم**) من سياحتهم (**التفرج عن كرب البطالة**) وغمومها فإن البطالة ثقل معنوي لا يخففها إلا التنقل من أرض إلى أرض (**بمشاهدة البلاد المختلفة**) وما فيها من الآثار القديمة والحادثة. (**وهذه الحظوظ وإن كانت**) عند أهل الحق (**خسيسة**) مبتذلة، (**فنفوس المتحركين لهذه الحظوظ أيضاً خسيسة ولا بأس بأتعاب حيوان خسيس لحظ خسيس يليق به ويعود إليه فهو المتأذي وهو المتلذذ**) فلكل عمل رجال ولكل ميدان أبطال. (**والفتوى تقتضي تسييب العوام في المباحات التي لا نفع فيها ولا ضرر، فالسائحون**) في الأرض (**من غير مهم في الدين والدنيا بل لمحض التفرج في البلاد كالبهائم المترددة في الصحاري**) بلا أزمة ولا خطام، (**فلا بأس بسياحتهم ما كفوا عن الناس شرهم**) من لسانهم ويدهم (**ولم يلبسوا على الخلق حالهم**) وكف شرهم عن الناس إن كان ذا شر ولم يجدوا بداً إلا بمفارقتهم إياهم فهي فائدة يؤول إلى الناس نفعها وإليه أيضاً. وأما تلبيس الحال على الخلق فهذا أمر آخر زائد على الأوّل، (**وإنما عصيانهم في التلبيس والسؤال على اسم التصوّف والأكل من الأوقاف التي وقفت على الصوفية**) بأن يجعل نفسه صوفياً فيرتب له شيء من ذلك الوقف، أو يسأل الناس على اسم التصوّف فيعطي لذلك ويكرم فهو عصيان وحاله حال المتشبه بما لم يعط فهو

لأن الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات أخر وراء الصلاح، ومن أقل صفات أحوال هؤلاء أكلهم أموال السلاطين وأكل الحرام من الكبائر فلا تبقى معه العدالة والصلاح، ولو تصوّر صوفي فاسق لتصوّر صوفي كافر وفقيه يهودي. وكما أن الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذي يحصل به العدالة. وكذلك من نظر إلى ظواهرهم ولم يعرف بواطنهم وأعطاهم من ماله على سبيل التقرب إلى الله تعالى حرم عليهم الأخذ وكان ما أكلوه سحتاً، وأعني به إذا كان المعطي بحيث لو عرف بواطن أحوالهم ما أعطاهم، فأخذ المال بإظهار التصوّف من غير اتصاف بحقيقته كأخذه بإظهار نسب رسول الله ﷺ على سبيل الدعوى، ومن زعم أنه علوي وهو كاذب وأعطاه مسلم مالاً لحبه أهل البيت ولو علم أنه كاذب لم يعطه شيئاً فأخذه على ذلك حرام، وكذلك الصوفي. ولهذا احترز المحتاطون عن الأكل بالدين فإن المبالغ في الاحتياط لدينه لا ينفك في باطنه عن عورات لو

زائر مزور، (**لأن الصوفي عبارة عن رجل صالح عدل في دينه مع صفات أخرى وراء الصلاح**) يبعد اجتماعها في شخص على الوجه المرضي، فكيف يلبس عليهم حاله وهو لم يتصف بتلك الأوصاف، (**ومن أقل صفات أحوال هؤلاء أكلهم أموال السلاطين**) الحاصلة من الجبايات والمكوس وغيرها ولا شك في حرمتها، (**وأكل الحرام من الكبائر فلا تبقى معه العدالة والصلاح**) فكيف يطلق على هؤلاء اسم الصوفية، (**ولو تصوّر صوفي فاسق**) غير عدل (**لتصوّر صوفي كافر وفقيه يهودي، وكما ان الفقيه عبارة عن مسلم مخصوص فالصوفي أيضاً عبارة عن عدل مخصوص لا يقتصر في دينه على القدر الذي تحصل به العدالة**) فقط بل يتعداه، (**وكذلك من نظر إلى ظواهرهم**) من حس الحال (**ولم يعرف بواطنهم**) وما فيها من الخبث، (**وأعطاهم من ماله على سبيل التقرب إلى الله تعالى حرم عليهم الأخذ**) من ذلك المال، (**وكان ما أكلوا سحتاً وأعني به إذا كان المعطي بحيث لو عرف بواطن أحوالهم**) الخبيثة (**ما أعطاهم**) لأن مثله ما لا يتقرب به، (**فأخذ المال بإظهار التصوّف**) من نفسه (**من غير اتصاف بحقيقته**) ولا تحقق بوصفه (**كأخذه بإظهار نسب رسول الله ﷺ لنفسه على سبيل الدعوى**) واللحوق. (**ومن زعم أنه علوي**) أي من أولاد علي بواسطة أحد أولاده الخمسة: الحسن، والحسين، ومحمد، والعباس، وعمر (**وهو كاذب**) في دعواه وزعمه، (**وأعطاه مسلم مالاً بحب أهل البيت**) النبوي، (**ولو علم أنه كاذب**) في انتسابه (**لم يعطه شيئاً فأخذه على ذلك حرام وكذلك الصوفي**) فمن زعم أنه كذلك ولم يكن كذلك وأعطي بذلك الاسم لم يجز له أخذه، (**ولهذا احترز المحتاطون**) في دينهم (**عن الأكل بالدين**) أي بمقابلته، (**فإن المبالغ في الاحتياط لدينه لا ينفك في باطنه عن عورات**) ومعائب (**لو**

انكشفت للراغب في مؤاساته لفترت رغبته عن المؤاساة فلا جرم كانوا لا يشترون شيئاً بأنفسهم مخافة أن يسامحوا لأجل دينهم فيكونوا قد أكلوا بالدين. وكانوا يوكلون من يشتري لهم ويشترطون على الوكيل أن لا يظهر أنه لمن يشتري، نعم إنما يحل أخذ ما يعطي لأجل الدين إذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطي من باطنه ما يعلمه الله تعالى لم يقتض ذلك فتوراً في رأيه فيه، والعاقل المنصف يعلم من نفسه أن ذلك ممتنع أو عزيز، والمغرور الجاهل بنفسه أحرى بأن يكون جاهلاً بأمر دينه، فإن أقرب الأشياء إلى قالبه قلبه فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له غيره؟ ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة أن لا يأكل إلا من كسبه ليأمن من هذه الغائلة، أو لا يأكل إلا من مال من يعلم قطعاً أنه لو انكشف له عورات باطنه لم يمنعه ذلك عن مؤاساته. فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصرح له، وليقل إنك إن كنت تعطيني لما تعتقده فيّ من الدين فلست مستحقاً لذلك، ولو كشف الله تعالى ستري لم ترني بعين التوقير، بل اعتقدت أني شر الخلق أو من شرارهم، فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ، فإنه ربما يرضى

انكشفت للراغب في مؤاساته لفترت) أي سكنت **(رغبته عن المؤاساة فلا جرم كانوا لا يشترون شيئاً)** في الأسواق **(بأنفسهم مخافة أن يسامحوا)** أي يرى صلاحهم وشهرتهم فيسامح لهم **(لأجل دينهم)** وصلاحهم، **(فيكونوا قد أكلوا بالدين وكانوا يوكلون من يشتري لهم ويشترطون على الوكيل أن لا يظهر)** للبائع **(أنه لمن يشتري)** لئلا يسامح فيه **(نعم إنما يحل لهم أخذ ما يعطي لأجل الدين إذا كان الآخذ بحيث لو علم المعطي)** أي صاحب العطاء **(من باطنه ما يعلمه الله تعالى لم يقتض ذلك فتوراً في رأيه)** وفي نسخة: لم يقض بدل لم يقتض، **(والعاقل المنصف يعلم من نفسه أن ذلك ممتنع أو عزيز)** نادر **(والمغرور الجاهل نفسه أحرى أن يكون جاهلاً بأمر دينه فإن أقرب الأشياء)** إليه **(قلبه، فإذا التبس عليه أمر قلبه فكيف ينكشف له أمر غيره ومن عرف هذه الحقيقة لزمه لا محالة أن لا يأكل إلاَّ من كسبه)** أي من كسب يده، فقد ورد في الخبر: «أحل ما أكل العبد من كسب يده» **(ليأمن هذه الغائلة أو لا يأكل إلاَّ من مال من يعلم قطعاً أنه لو انكشفت له عورات باطنه لم يمنعه ذلك عن مؤاساته)** ووجد أن مثل هذا عزيز في كل الأعصار. **(فإن اضطر طالب الحلال ومريد طريق الآخرة إلى أخذ مال غيره فليصرح له)** عن حقيقة حاله، **(وليقل إنك إن كنت تعطيني لما تعتقده فيّ من الدين)** والصلاح والنسب **(فلست مستحقاً لذلك، ولو كشف الله ستري لم ترني بعين التوقير)** والتعظيم، **(بل اعتقدت)** فيّ أني **(شر الخلق)** الموجودين **(أو من شرارهم)** أو من المقصرين في خدمة المولى أو نحو ذلك، **(فإن أعطاه مع ذلك فليأخذ فإنه ربما يرتضي منه)** هذه **(الخصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين)** أي ضعفه **(وعدم**

منه هذه الخصلة وهو اعترافه على نفسه بركاكة الدين وعدم استحقاقه لما يأخذه. ولكن ههنا مكيدة للنفس بينة ومخادعة فليتفطن لها، وهو أنه قد يقول ذلك مظهراً أنه متشبه بالصالحين في ذمهم نفوسهم واستحقارهم لها ونظرهم إليها بعين المقت والازدراء، فتكون صورة الكلام صورة القدح والازدراء وباطنه وروحه هو عين المدح والإطراء، فكم من ذام نفسه وهو لها مادح بعين ذمه، فذم النفس في الخلوة مع النفس هو المحمود. وأما الذم في الملأ فهو عين الرياء إلا إذا أورده إيراداً يحصل للمستمع يقيناً بأنه مقترف للذنوب ومعترف بها. وذلك مما يمكن تفهيمه بقرائن الأحوال ويمكن تلبيسه بقرائن الأحوال. والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم أن مخادعته لله عز وجل أو مخادعته لنفسه محال، فلا يتعذر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك. فهذا هو القول في أقسام السفر ونية المسافر وفضيلته.

استحقاقه لما يأخذه) أو اعترافه بأنه ليس له تعلق بالنسب النبوي وأنه ليس بمتحقق فيه فلا يكون مستحقاً لما أعطي لأجل ذلك المتعلق، **(ولكن ههنا مكيدة للنفس)** خفية **(ومخادعة)** دقيقة **(فليتفطن لها وهو أنه يقول ذلك مظهراً أنه متشبه بالصالحين)** من السلف **(في ذمهم نفوسهم)** الأمارة **(واستحقارهم لها ونظرهم إليها بعين المقت والازدراء)** أي الاحتقار. **(فتكون صورة الكلام)** في الظاهر **(صورة القدح والازدراء وباطنه وروحه عين المدح والإطراء)** أي المبالغة في الثناء، **(فكم من ذام نفسه)** في المجالس **(وهو لها مادح بعين ذمه)** وهذه الدسيسة قلّما يدركها إلا المستبصرون، **(فذم النفس في الخلوة)** عن الناس **(مع النفس)** بأن يخاطبها ويذكر لها عيوبها ونقصها فيقول: أنت كذا وفعلت كذا وكذا **(هو المحمود)** النافع، **(أما الذم في الملأ)** من الناس **(فهو عين الرياء إلا إذا أورده إيراداً يحصل للمستمع يقيناً بأنه مقترف للذنوب)** مرتكب لما لا يحل **(ومعترف بها)** أي مقر **(وذلك مما يمكن تفهمه وممكن)** أيضاً تلبيسه **(بقرائن الأحوال)** القائمة **(والصادق بينه وبين الله تعالى يعلم أن مخادعته لله تعالى إذ مخادعته لنفسه محال فلا يتعذر عليه الاحتراز عن أمثال ذلك، فهذا هو القول في أقسام السفر ونية المسافر وفضيلته)** وبه تم الفصل الأوّل من الكتاب.

الفصل الثاني

في آداب المسافر من أوّل نهوضه إلى آخر رجوعه وهي أحد عشر أدباً

الأوّل: أن يبدأ برد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته، وبرد الودائع إن كانت عنده ولا يأخذ لزاده إلا الحلال الطيب، وليأخذ قدراً يوسع به على رفقائه. قال ابن عمر رضي الله عنهما: من كرم الرجل طيب زاده في سفره. ولا بدّ في السفر من طيب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الأخلاق في السفر، فإنه يخرج خبايا الباطن. ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر، وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر، ولذلك قيل: إذا أثني على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في

الفصل الثاني

في آداب المسافر في أول نهوضه أي حركته للسفر (إلى آخر رجوعه) أي المستقر (وهي أحد عشر أدباً)

(**الأول: أن يبدأ برد المظالم**) إلى أربابها إن كانت قبله لأحد (**وقضاء الديون**) وإيصالها على الوجه المرضي لأصحابها (**وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته ويرد الودائع إن كانت ولا يأخذ لزاده إلا الطيب الحلال وليأخذ قدراً يوسع به على رفقائه. قال ابن عمر رضي الله عنهما: من كرم الرجل طيب زاده في سفره**) والمراد بطيبه أن يكون من وجه حلال، (**ولا بد في السفر من طيب الكلام**) ولينه (**وإطعام الطعام**) لمن مر به. (**ومن إظهار مكارم الأخلاق**) وهي عشرة: صدق الحديث، وصدق الناس، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وحفظ الأمانة، وصلة الرحم، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، وإقراء الضيف ورأسهن الحياء هكذا في حديث عائشة، وفي حديث أنس: « مكارم الأخلاق ثلاثة تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك » (**فإن السفر يخرج خبايا الباطن**) ويسفر عن مكامنه، ولذلك سمي سفراً ولفظ القوت: لأن السفر يسيء الأخلاق ويكثر الضجر ويخرج مكامن النفس من الشح والشره، (**و**) كل (**من صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر وقد يصلح في الحضر من لا يصلح في السفر**) ولفظ القوت: وكل من صلحت صحبته في السفر صلحت صحبته في الحضر وليس كل من صحب في الحضر صلح أن يصحب في السفر، (**ولذلك قيل: إذا أثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه**) نقله

السفر فلا تشكّوا في صلاحه. والسفر من أسباب الضجر، ومن أحسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق، وإلاَّ فعند مساعدة الأمور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق.

وقد قيل ثلاثة لا يلامون على الضجر: الصائم والمريض والمسافر، وتمام حسن خلق المسافر الإحسان إلى المكاري ومعاونة الرفقة بكل ممكن، والرفق بكل منقطع بأن لا يجاوزه إلا بالإعانة بمركوب أو زاد أو توقف لأجله. وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطايبة في بعض الأوقات من غير فحش ولا معصية ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه.

الثاني: أن يختار رفيقاً فلا يخرج وحده، فالرفيق ثم الطريق وليكن رفيقه ممن يعينه

صاحب القوت عن بعض السلف، **(والسفر من أسباب الضجر)** أي السآمة والملل، **(ومن أحسن خلقه في الضجر فهو الحسن الخلق وإلا فعند مساعدة الأمور على وفق الغرض قلما يظهر سوء الخلق)** وإنما امتحانه عند توارد المشاق.

(وقد قيل: ثلاثة لا يلامون على الضجر: الصائم والمريض والمسافر) نقله صاحب القوت عن بعض السلف وأضجرهم في الغالب المريض ثم الصائم ثم المسافر، **(وتمام حسن خلق المسافر بالإحسان إلى المكاري)** بأن يلين معه في الكلام ويتحمله ويطعمه معه ويواسيه بالمعاملة **(وبمعاونة الرفقة)** أي المرافقين معه **(بكل ممكن)** في كل ما يعسر عليهم، **(وبالرفق بكل من قطع)** في الطريق **(بأن لا يجاوزه)** إن رآه كذلك **(إلا بالإعانة)** له بما يليق لحاله **(بمركوب)** إن أبدعت به راحلته، **(أوزاد)** إن نفد زاده، أو ماء إن عطش هو أو دابته، **(أو توقف لأجله)** إن كان ضعيف السير فلا يتركه ويسير لأنه خلاف المروءة، **(وتمام ذلك مع الرفقاء بمزاح ومطايبة)** في الكلام **(في بعض الأوقات من غير فحش و)** لا **(معصية)** ولكن بحد محدود **(ليكون ذلك شفاء لضجر السفر ومشاقه)** فيقطعون المسافة البعيدة من غير تعب.

(الثاني: أن يختار رفيقاً) في سفره **(فلا يخرج)** مسافراً **(وحده فالرفيق ثم الطريق)** وقد روي ذلك من حديث رافع بن خديج مرفوعاً «التمسوا الرفيق قبل الطريق والجار قبل الدار» رواه الطبراني في الكبير، وابن أبي خيثمة، وأبو الفتح الأزدي، والعسكري في الأمثال، والخطيب في الجامع من طريق أبان بن المحبر عن سعيد بن معروف بن رافع بن خديج عن أبيه عن جده. وابن المحبر وسعيد لا تقوم بهما حجة، ولكن له شاهد رواه العسكري فقط. من حديث عبد الملك بن سعيد الخزاعي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ وذكر حديثاً طويلاً ثم قال في آخره «الجار ثم الدار الرفيق ثم الطريق» وهو عند الخطيب في جامعه باختصار من حديث محمد بن مسلم عن أبي جعفر بن علي عن ابيه علي بن

على الدين فيذكره إذا نسي ويعينه ويساعده إذا ذكر، **فإن المرء على دين خليله ولا** يعرف الرجل إلاّ برفيقه. وقد نهى ﷺ عن أن يسافر الرجل وحده وقال: « الثلاثة نفر »، وقال أيضاً: « إذا كنتم ثلاثة في السفر فأمّروا أحدكم » وكانوا يفعلون ذلك ويقولون: هذا أميرنا أمره رسول الله ﷺ. وليؤمروا أحسنهم أخلاقاً وأرفقهم

الحسين عن ابيه الحسين بن علي عن أبيه علي عن النبي ﷺ أنه قال « الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق والزاد قبل الرحيل ». وعند الخطيب في الجامع من طريق عبد الله بن محمد اليماني عن أبيه عن جده قال: قال خفاف بن ندبة قال لي رسول الله ﷺ « يا خفاف ابتغ الرفيق قبل الطريق » وكلها ضعيفة ولكن بانضمامها تقوى، **(وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين فيذكره إذا نسي ويعينه ويساعده إذا ذكر)** وهو معنى الخبر الوارد إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له رفيقاً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه، وقد تقدم في كتاب الصحبة. وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان عن الحسن مرسلاً « خير الأصحاب صاحب إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيت ذكرك؟ » **(فإن المرء على دين خليله)** وروي ذلك مرفوعاً وقد تقدم ذلك في كتاب الصحبة **(ولا يعرف الرجل إلا برفيقه)** فلينظر من يخالل، ومنه أخذ المتنبي قوله:

وكل قرين بالمقارن يقتدي

(وقد نهى ﷺ أن يسافر الرجل وحده) قال العراقي: رواه أحمد من حديث ابن عمر باسناد صحيح وهو عند البخاري بلفظ « لو يعلم الناس في الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل » اهـ.

قلت: وروى أحمد من حديث ابن عمر أيضاً نهى عن الوحدة أن يبيت الرجل وحده.

وأما حديث البخاري فهو عن ابن عمر أيضاً وقد أخرجه كذلك أحمد والترمذي وابن ماجه **(وقال « الثلاثة نفر »)** ولفظ القوت: وقد نهى ﷺ أن يسافر الرجل وحده وقال: الثلاثة نفر فهذا يدل أن الحديث المرفوع هو هذا القول الثلاثة نفر فتأمل.

قال العراقي: رويناه من حديث علي في وصيته المشهورة وهو حديث موضوع، والمعروف الثلاثة ركب رواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

(وقال) أيضاً **(« إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمروا أحدكم »)** هكذا هو في القوت. وقال العراقي: رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن، **(وكانوا يفعلون ذلك ويقولون: هو أمير أمره رسول الله ﷺ)** هكذا هو في القوت. وقال العراقي: رواه البزار والحاكم عن عمر رضي الله عنه قال « إذا كنتم ثلاثة في سفر فأمروا عليكم أحدكم ذاك أمير أمره رسول الله ﷺ » قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، **(وليؤمروا عليهم أحسنهم أخلاقاً وأرفقهم**

بالأصحاب وأسرعهم إلى الايثار وطلب الموافقة، وإنما يحتاج إلى الأمير لأن الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق ومصالح السفر، ولا نظام إلا في الوحدة ولا فساد إلا في الكثرة، وإنما انتظم أمر العالم لأن مدبر الكل واحد ﴿ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء : ٢٢]، ومهما كان المدبر واحداً انتظم أمر التدبير، وإذا كثر المدبرون فسدت الأمور في الحضر والسفر، إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام كأمير البلد وأمير خاص كرب الدار. وأما السفر فلا يتعين له أمير إلا بالتأمير. فلهذا وجب التأمير ليجتمع شتات الآراء ثم على الأمير أن لا ينظر إلا لمصلحة القوم وأن يجعل نفسه وقاية لهم. كما نقل عن عبدالله المروزي أنه صحبه أبو علي الرباطي فقال: على أن تكون أنت الأمير أو أنا، فقال: بل أنت، فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولأبي علي على ظهره فأمطرت السماء ذات ليلة فقام عبدالله طول الليل على رأس رفيقه وفي يده كساء يمنع عنه المطر،

بالأصحاب وأسرعهم إلى الإيثار) والبذل **(وطلب الموافقة)** فإذا أمر فليطيعوه ولا يخالفوه **(وإنما يحتاج الى الأمير)** في السفر **(لأن الآراء تختلف في تعيين المنازل والطرق)** بحسب البعد والقرب والأمن والخوف **(ومصالح السفر، ولا نظام إلا من الوحدة ولا فساد إلا من الكثرة)** ولفظ القوت. والسياحة لا تحسن إلا على الانفراد والوحدة فإن اتفق ثلاثة في سياحة بقلب واحد وهم واحد على حال واحد فهم كعبد واحد فهو حسن وفيه معاونة على البر والتقوى، **(وإنما انتظم أمر العالم لأن مدبر الكل واحد)** لا يشاركه أحد **(و)**إليه الإشارة بقوله جل وعز: **(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)** وتوضيح هذا المقام قد مر في كتاب قواعد العقائد **(ومهما كان المدبر واحداً انتظم التدبير)** وارتفع التعسير، **(وإذا كثرت المدبرون فسدت الأمور في الحضر والسفر)** وإنما يخشى من التلف في البحر إذا كان في السفينة مدبران **(إلا أن مواطن الإقامة لا تخلو عن أمير عام)** يدير أمر العامة بالسياسة الشرعية كأمير البلد **(أو أمير خاص كرب الدار، وأما السفر فلا يتعين له أمير إلا بالتأمير)** من عند أنفسهم، **(فلهذا وجب التأمير ليجمع شتات الآراء)** في أمر المنازل والطرق ويتكلم على مصالح السفر، **(ثم على الأمير)** إن أمره القوم **(أن لا ينظر إلا لمصلحة القوم)** أي ما يصلح به حالهم **(وأن يجعل نفسه وقاية لهم)** إن عرضت مشقة **(كما نقل عن عبد الله المروزي أنه صحبه أبو علي الرباطي)** وكان المروزي من عادته أنه يدخل البادية بلا زاد ولا راحلة **(فقال)** الرباطي لما صحبه: **(على أن تكون أنت الأمير أو أنا)** ولفظ الرسالة أيما أحب إليك أن تكون أنت الأمير أو أنا، **(فقال)**: لا **(بل أنت)** فقال: وعليك الطاعة لي. قال: نعم **(فلم يزل يحمل الزاد لنفسه ولأبي علي على ظهره)** ولفظ الرسالة فأخذ مخلاة ووضع فيها زاداً فحمله على ظهره، فإذا قلت اعطني أحمله. قال: الأمير أنا وعليك الطاعة، **(فأمطرت السماء ذات ليلة فقام عبد الله طول الليل على رأس رفيقه وفي يده كساء)** أرخاه عليه من سائر جهاته **(يمنع عنه**

فكلما قال له عبدالله: لا تفعل. يقول: ألم تقل أن الإمارة مسلّـمة لي فلا تتحكم علي ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو علي: وددت أني مت ولم أقل له أنت الأمير، فهكذا ينبغي أن يكون الأمير. وقد قال ﷺ: «خير الأصحاب أربعة» وتخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد لا بدّ أن يكون له فائدة، والذي ينقدح فيه أن المسافر لا يخلو عن رجل يحتاج إلى حفظه وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها، ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد في الحاجة واحداً فيتردد في السفر بلا رفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد أنس الرفيق ولو تردد في الحاجة اثنان لكان الحافظ للرحل واحداً فلا يخلو أيضاً عن الخطر

المطر، فكلما قال له عبد الله لا تفعل يقول: ألم تقل أن الإمارة مسلمة لي) وعليك الطاعة لي **(فلا تتحكم علي ولا ترجع عن قولك حتى قال أبو علي: وددت أني مت ولم أقل له أنت الأمير)** ولفظ الرسالة: فكنت أقول في نفسي ليتني مت ولم أقل له أنت الأمير، ثم قال لي: إذا صحبت إنساناً فاصحبه كما رأيتني صحبتك هكذا. أورده القشيري في كتاب الصحبة من الرسالة وتبعه المصنف هنا وسبق للمصنف هذه القصة أيضاً في كتاب آداب الصحبة مع اختلاف يسير بين السياقين. **(فهكذا ينبغي أن يكون الأمير)** على الجماعة يقي بنفسه عنهم في المخاوف ويجب عليهم امتثال أمره لقوله تعالى ﴿أولي الأمر منكم﴾ [النساء: ٥٩] **(وقال ﷺ «خير الأصحاب أربعة»)** قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي والحاكم من حديث ابن عباس. قال الترمذي: حسن غريب، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: وإنما لم يصححه الترمذي لأنه يروى مسنداً ومرسلاً ومعضلاً. قال ابن القطان: لكن هو ليس بعلة فالأقرب صحته انتهى.

ورواه كذلك أحمد والبيهقي وابن عساكر: ولفظ الجميع «خير الصحابة أربعة، وخير السرايا أربعمائة، وخير الجيوش أربعة آلاف ولا يهزم اثنا عشر ألفاً من قلة» زاد ابن عساكر «إذا صبروا وصمدوا».

(وتخصيص الأربعة من بين سائر الأعداد لا بد أن يكون له فائدة والذي ينقدح) الفكر **(فيه أن المسافر لا يخلو عن رجل يحتاج إلى حفظه)** ومنعه وصيانته **(وعن حاجة يحتاج إلى التردد فيها)** بالذهاب والمجيء فيها **(ولو كانوا ثلاثة لكان المتردد في الحاجة واحداً فيتردد في السفر بلا رفيق فلا يخلو عن خطر وعن ضيق قلب لفقد أنيس الرفيق، ولو تردد في الحاجة اثنان كان الحافظ للرحل واحداً فلا يخلو أيضاً عن الخطر وضيق الصدر)** وهذا الذي ذكره المصنف حسن ويقرب منه أن يقال وجه تخصيص هذا العدد لأن أحدهم لو مرض أمكنه جعل واحد وصياً والآخرين شهيدين، والثلاثة لا يبقى منهم غير واحد، ولأن الأربعة أبعد أوائل الأعداد من الآفة وأقربها إلى التمام. ألا ترى أن الشيء الذي تحمله

وعن ضيق الصدر. فإذاً ما دون الأربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الأربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة فلا ينعقد بينهم الترافق لأن الخامس زيادة بعد الحاجة، ومن يستغنى عنه لا تنصرف الهمة إليه فلا تتم المرافقة معه. نعم في كثرة الرفقاء فائدة للأمن من المخاوف، ولكن الأربعة خير للرفاقة الخاصة لا للرفاقة العامة. وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط إلى آخر الطريق للاستغناء عنه.

الثالث: أن يودع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء، وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله ﷺ. قال بعضهم: صحبت عبدالله بن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة حرسها الله، فلما أردت أن أفارقه شيعني وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال لقمان إن الله تعالى إذا استودع شيئاً حفظه وإني استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم

الدعائم أربعة وذا القوائم الأربع إذا زال أحدها قام على ثلاث ولم يكد يثبت وماله ثلاث قوائم إذا زال أحدها سقط وإنما كانت الأربعة أبعد من الآفة لأنهم لو كانوا ثلاثة ربما تناجى اثنان دون واحد وهو منهي عنه والأربعة إذا انتحى اثنان يبقى اثنان والله أعلم.

(فإذاً ما دون الأربعة لا يفي بالمقصود وما فوق الأربعة يزيد فلا تجمعهم رابطة واحدة فلا ينعقد بينهم التوافق لأن الخامس زيادة بعد الحاجة، ومن يستغني عنه لا تصرف الهمة إليه فلا تتم الموافقة معهم نعم في كثرة الرفقاء فائدة للأمن من المخاوف) إذا كان الطريق بعيداً ويخاف فيه من العدو ففي الكثرة صيانة وأمن لأنه يرجى به دفع الصائل وهيبة على العدو ولو كان فيهم كثرة، **(ولكن الأربعة خير للرفاقة الخاصة لا للرفاقة العامة، وكم من رفيق في الطريق عند كثرة الرفاق لا يكلم ولا يخالط إلى آخر الطريق للاستغناء عنه)** وعدم الاحتياج إليه.

(الثالث: أن يودع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله ﷺ، قال بعضهم: صحبت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة، فلما أردت أن أفارقه شيعني وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «قال لقمان الحكيم إن الله تعالى إذا استودع شيئاً حفظه وإني أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك») قال العراقي: رواه النسائي في اليوم والليلة ورواه أبو داود مختصراً وإسناده جيد اهـ.

قلت: رواه النسائي من طريق قزعة بن يحي عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال «إن لقمان الحكيم كان يقول إن الله إذا استودع شيئاً حفظه» وأخرجه الإمام أحمد من هذا الوجه، وأخرجه النسائي أيضاً من طرق أخرى فيها اختلاف في تسمية التابعي، وهذا ينبغي أن يدخل في رواية الأكابر عن الأصاغر سواء كان لقمان نبياً أم لا.

....

وأخرجه الطبراني في كتاب الدعاء والنسائي أيضاً في اليوم والليلة. قال الطبراني: حدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمر الدمشقي، وأبو عبد الملك أحمد بن ابراهيم القرشي. وقال النسائي: حدثنا أحمد بن ابراهيم وعبدة قالا: حدثنا محمد بن عائذ، حدثنا الهيثم بن حميد، عن المطعم بن مقدام عن مجاهد قال: أتيت ابن عمر رضي الله عنهما أنا ورجل ومعي وقد أردنا الخروج إلى الغزو فشيعنا، فلما أراد أن يفارقنا قال: إنه ليس لي ما أعطيكما ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا استودع الله شيئاً حفظه وإني أستودع الله دينكما وأمانتكما وخواتيم أعمالكما». وهو حديث صحيح أخرجه ابن حبان في النوع الثاني من القسم الأول من صحيحه عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي زرعة الرازي عن محمد بن عائذ.

وأما قول العراقي ورواه أبو داود مختصراً إلى آخره فقد أخبرنا إسماعيل بن علي بن عبد الله الحنفي، أخبرنا محمد بن إبراهيم بن حسن، أخبرنا الحسن بن علي بن يحيى، أخبرنا علي بن عبد القادر بن محمد الطبراني، عن أبيه، عن جده محمد بن مكرم، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا أحمد بن علي بن محمد الحافظ قال: قرأت على محمد بن علي البكري بمكة وعلى أبي إسحاق البعلي بمصر. قال البكري: أخبر أبو الفرج بن عبد الهادي فيما سمع عليه، أخبرنا أحمد بن أبي أحمد بن نعمة، أخبرنا أبو الفضل الخطيب في كتابه، أخبرنا أبو الخطاب القاري، أخبرنا عبد الله بن عبيد الله بن يحيى، أخبرنا الحسين بن إسماعيل القاضي المحاملي قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى القاضي ح.

وقال البعلي: أخبرنا إسماعيل بن يوسف، أخبرنا عبد الله بن عمر، أخبرنا عبد الأول بن عيسى، أخبرنا عبد الرحمن بن محمد، أخبرنا عبد الله بن أحمد، أخبرنا إبراهيم بن خزيم قال: حدثنا عبد بن حميد قالا: حدثنا أبو نعيم، حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، عن يحيى بن إسماعيل بن جوير، عن قزعة بن يحيى أنه أتى ابن عمر رضي الله عنهما في حاجة فقال: تعال أودعك كما ودعني رسول الله ﷺ وأرسلني في حاجة فقال« استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك». هذا حديث حسن أخرجه أحمد والبخاري في التاريخ كلاهما عن أبي نعيم فوقع لنا موافقة عالية.

وأخرجه النسائي في اليوم والليلة عن أحمد بن سليمان عن ابي نعيم فوقع لنا بدلاً عالياً بثلاث درجات.

وأخرجه أبو داود عن مسدد والحاكم من طريق أخرى عن مسدد عن عبد الله بن داود الخريبي عن عبد العزيز بن عمر، ولكن وقع في روايته عن إسماعيل بن جرير لم يذكر يحيى، وقد وافق أبا نعيم أبو حمزة أنس بن عياض وعبدة بن سليمان عند النسائي، ومروان بن معاوية عند أحمد ثلاثتهم عن عبد العزيز بن عمر.

وأخرجه أحمد أيضاً، عن وكيع، عن عبد العزيز لكنه لم يذكر بين عبد العزيز وقزعة أحداً

عملك». وروى زيد بن أرقم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أراد أحدكم سفراً فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل له في دعائهم البركة». وعن عمرو بن شعيب عن أبيه

ووافقه يحي بن حمزة عن عبد العزيز عند الخرائطي، ورواه عيسى بن يونس عن عبد العزيز فوافق الخربي في إسماعيل لكنه خالفه في اسم أبيه، فقال إسماعيل بن محمد بن سعد وهي عند النسائي أيضاً وزاد فيها فأخذ بيدي فحركها، ثم قال: ووقع في رواية أبي حمزة فأردت الانصراف فقال: كما أنت حتى أودعك وفيها فأخذ بيدي فصافحني، ثم قال: الحديث، وفيه من الاختلاف غير ذلك وقد مضى بعضه.

وقال المحاملي: حدثنا خلاد بن أسلم، حدثنا سعيد بن خيثم، حدثنا حنظلة بن أبي سفيان، عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: كان ابن عمر إذا جاءه الرجل وهو يريد السفر قال له ادن مني حتى أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا يقول: «استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك» أخرجه أحمد عن سعيد بن خيثم، وأخرجه الترمذي عن إسماعيل بن موسى والنسائي عن محمد بن عبيد كلاهما عن سعيد بن خيثم. وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من حديث سالم وخالف سعيداً الوليد بن مسلم فقال عن حنظلة عن القاسم بن محمد بن أبي بكر بدل سالم قال: كنت عند عبد الله بن عمر إذ جاءه رجل فذكر الحديث بتمامه نحوه هكذا أخرجه النسائي عن محمود بن خالد عن الوليد بن مسلم.

(**وروى زيد بن أرقم**) بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي صحابي مشهور رضي الله عنه أول مشاهده الخندق مات سنة ست وسبعين من الهجرة، روى له الجماعة (**عن رسول الله ﷺ أنه قال «إذا أراد أحدكم سفراً فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل في دعائهم البركة»**) قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف اهـ.

قلت: لفظ الخرائطي حدثنا أحمد بن سهل العسكري، حدثنا يحي بن عثمان بن صالح، ثنا عبد الله بن يوسف الكلاعي، حدثنا مزاحم بن زفر التيمي، حدثني أيوب بن خوط، عن نقيع بن الحرث، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فذكره إلا أنه قال في دعائهم خيراً بدل البركة وهو حديث غريب وسنده ضعيف جداً ونقيع هو أبو داود الأعمى متروك عندهم كذبه يحي بن معين وقد روى بلفظه من حديث أبي هريرة.

قال الحافظ في آمال الإذكار: قرأت على التقي بن عبيد الله عن أبي عبد الله بن الزرار، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرتنا أم الحسن بنت أبي الحسن قالت: أخبرنا زاهر بن طاهر، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن، أخبرنا محمد بن أحمد قال: حدثنا أحمد بن علي، حدثنا عمرو بن الحصين، حدثنا يحي بن العلاء، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا أراد أحدكم سفراً فليسلم على إخوانه فإنهم يزيدونه بدعائهم إلى دعائه خيراً» وهو حديث غريب أخرجه الطبراني في الأوسط وابن السني وأبو يعلى في المسند.

عن جده: أن رسول الله ﷺ كان إذا ودع رجلاً قال: « زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك إلى الخير حيث توجهت » فهذا دعاء المقيم للمودع. وقال موسى بن وردان: أتيت أبا هريرة رضي الله عنه أودعه لسفر أردته فقال: ألا أعلمك يا ابن أخي شيئاً علمنيه رسول الله ﷺ عند الوداع؟ فقلت: بلى. قال: « قل أستودعك الله الذي لا

(**وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده**) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم تقدمت تراجمهم (**أن رسول الله ﷺ كان إذا ودع رجلاً قال « زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث توجهت »**) قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق والمحاملي في الدعاء وفيه ابن لهيعة اهـ.

قلت: وله شاهد من حديث قتادة الرهاوي رضي الله عنه قال: لما عقد رسول الله ﷺ على قومي أخذت بيده فودعته فقال « جعل الله التقوى زادك وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث تكون » أخرجه المحاملي في الدعاء من طريق قتادة بن الفضيل بن عبد الله عن أبيه عن عمه هشام ابن قتادة الرهاوي عن أبيه.

(**فهذا دعاء المقيم للمودع وقال موسى بن وردان**) العامري مولاهم المصري مدني الأصل صدوق مات سنة سبع عشرة ومائة عن أربع وسبعين، وروى له البخاري في الأدب والأربعة (**أتيت أبا هريرة**) رضي الله عنه (**أودعه لسفر أردته فقال: ألا أعلمك يا ابن أخي شيئاً علمنيه رسول الله ﷺ عند الوداع؟ فقلت: بلى. فقال: « استودعك الله الذي لا تضيع ودائعه »**) قال العراقي: رواه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن اهـ.

قلت: قال المحاملي في الدعاء: حدثنا أبو بكر أحمد بن منصور، ومحمد بن صالح الأنماطي قالا: حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث قال: حدثنا الليث، حدثنا الحسن بن ثوبان أنه سمع موسى ابن وردان قال: أردت الخروج إلى سفر فأتيت أبا هريرة رضي الله عنه فقلت: أودعك. فقال: يا ابن أخي ألا أعلمك شيئاً حفظته من رسول الله ﷺ عند الوداع؟ قلت: بلى. قال: « فاستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه » هذا لفظ أحمد بن منصور. وفي رواية محمد بن صالح بالسند المذكور إلى موسى عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ودع رجلاً فذكره، وقال في آخره: أو لا تخيب. هذا حديث حسن أخرجه النسائي وابن السني كلاهما في اليوم والليلة من رواية الليث وابن لهيعة.

وأخرجه أيضاً من طريق رشدين بن سعيد عن الحسن بن ثوبان عن موسى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « من أراد أن يسافر فليقل لمن يخلفه استودعتكم الله الذي لا تضيع ودائعه » وهذا اللفظ بصيغة الأمر تفرد به رشدين وفيه ضعف، وقد أخرج أبو يعلى في مسنده الكبير رواية ابن المغربي من طريق بشر بن السري عن ابن لهيعة وفق رواية رشدين في أن الذي يريد السفر هو الذي يقول ذلك، والله أعلم.

تضيع ودائعه». وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً أتي النبي ﷺ فقال: إني أريد سفراً فأوصني، فقال له: «في حفظ الله وفي كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت» شك فيه الراوي.

وينبغي إذا استودع الله تعالى ما يخلفه أن يستودع الجمع ولا يخصص فقد روي أن عمر رضي الله عنه كان يعطي الناس عطاياهم إذ جاءه رجل معه ابن له فقال له عمر: ما رأيت أحداً أشبه بأحد من هذا بك؟ فقال له الرجل: أحدثك عنه يا أمير المؤمنين بأمر، إني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل به فقالت: تخرج وتدعني على هذه

(**وعن أنس بن مالك**) رضي الله عنه (**أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إني أريد سفراً فأوصني، فقال له «في حفظ الله وفي كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيث كنت أو أينما كنت» شك فيه الراوي**) تقدم هذا الحديث في الباب الثاني من كتاب الحج أخبرنا به عمر بن أحمد بن عقيل قال: أخبرنا عبد الله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا علي بن يحي، أخبرنا يوسف بن زكريا، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا أبو الفضل الكتاني الحافظ، أخبرنا أبو إسحاق التنوخي أن أحمد بن أبي طالب أخبرهم قال: أخبرنا أبو الحسن بن المظفر، أخبرنا أبو محمد بن حمويه، أخبرنا عيسى بن عمر، حدثنا الدارمي، حدثنا مسلم ابن إبراهيم، حدثنا سعيد بن أبي كعب، عن موسى بن ميسرة، عن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله إني أريد السفر. فقال: «متى» قال: غداً إن شاء الله تعالى فأتاه فأخذ بيده فقال له «في حفظ الله وفي كنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما توجهت أو أين توجهت» شك سعيد.

وأخرجه الطبراني عن علي بن عبد العزيز، وأخرجه المحاملي عن عبيد الله بن عمر بن جبلة وأحمد بن محمد بن عيسى وعبد الله بن أحمد بن إبراهيم. وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق عن العباس بن محمد خمستهم عن مسلم بن إبراهيم فوقع لنا بدلاً عالياً.

وقال البغوي في معجمه حدثنا محمد بن إسحاق، ثنا يحي بن إسماعيل، حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أريد سفراً فزودني قال «زودك الله التقوى» قال: زدني قال «وغفر دنبك» قال: زدني قال: «ويسر لك الخير حيثما كنت» واخرجه الترمذي عن عبد الله بن أبي زياد، قال حدثنا يسار فساقه وقال: حسن غريب.

(**وينبغي إذا استودع الله تعالى ما يخلفه أن يستودع الجميع ولا يخصص**) واحداً دون واحد، (**فقد روي أن عمر رضي الله عنه كان يعطي الناس عطاياهم إذ جاء رجل معه ابن له فقال له عمر: ما رأيت أحداً أشبه بأحد من هذا بك. فقال له الرجل: أحدثك عنه يا أمير المؤمنين بأمر إني أردت أن أخرج إلى سفر وأمه حامل فقالت: تخرج وتدعني على هذه**

الحالة؟ فقلت: استودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت فإذا هي قد ماتت فجلسنا نتحدث، فإذا نار على قبرها فقلت للقوم: ما هذه النار؟ فقالوا: هذه النار من قبر فلانة نراها كل ليلة. فقلت: والله إن كانت لصوّامة قوّامة، فأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا فإذا سراج وإذا هذا الغلام يدب، فقيل لي: إن هذه وديعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها. فقال عمر رضي الله عنه: لهو أشبه بك من الغراب بالغراب.

الحالة؟ فقلت: استودع الله ما في بطنك فخرجت ثم قدمت) من سفري، (**فإذا هي قد ماتت، فجلسنا نتحدث فإذا نار على قبرها، فقلت للقوم: ما هذه النار؟ فقالوا: هذا من قبر فلانة**) يعنون به زوجته (**نراها كل ليلة، فقلت: والله إن كانت لصوامة**) كثيرة الصوم (**قوامة**) كثيرة القيام للصلاة بالليل، (**فأخذت المعول**) بالكسر الفأس العظيمة (**وأتيت إلى القبر فحفرنا وإذا سراج**) يضيء، (**وإذا هذا الغلام يدب**) أي يتحرك (**فقيل لي: إن هذه وديعتك ولو كنت استودعت أمه لوجدتها. فقال عمر رضي الله عنه: هو أشبه بك من الغراب بالغراب**).

أخبرنا الشريف الصوفي سليمان بن أبي بكر الهجام الحسيني قراءة عليه وأنا أسمع قال: أخبرنا الشريف عماد الله بن يحيى بن عمر بن عبد القادر الحسيني، أخبرنا يوسف بن محمد الحسيني، أخبرنا عمير أبو بكر بن علي، أخبرنا الطاهر بن الحسين، أخبرنا عبد الرحمن بن علي بن محمد الزبيدي، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد المصري قال: قرأت على شيخ الحفاظ أبي الفضل بن الحسين رحمه الله تعالى قال: قرأت على أبي محمد بن القيم عن الفخر بن النجاري سماعاً قال: أخبرنا أبو عبد الله الكراني في كتابه، أخبرنا محمود بن إسماعيل؛ أخبرنا أبو الحسين بن نادشاه» أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني قال في كتاب الدعاء، حدثنا محمد بن العباس المؤدب، حدثنا عبيد بن إسحاق العطار، حدثنا عاصم بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر، عن زيد بن أسلم عن أبيه هو مولى عمر قال: بينما عمر رضي الله عنه يعطي الناس إذا هو برجل معه ابنه فقال عمر: ما رأيت غراباً أشبه بغراب أشبه بهذا منك. قال: أما والله يا أمير المؤمنين ما ولدته أمه إلا ميتة فاستوى له عمر فقال: ويحك حدثني. فقال: خرجت في غزاة وأمه حامل به، فقالت: تخرج وتدعني على هذه الحال حاملاً مثقلاً. فقلت: استودع الله ما في بطنك فغبت ثم قدمت فإذا بابي مغلق فقلت: فلانة؟ قالوا: ماتت فذهبت إلى قبرها فبكيت عنده، فلما كان الليل قعدت مع بني عمي أتحدث وليس يسترنا من البقيع شيء فارتفعت لي نار فقلت لبني عمي: ما هذه النار؟ فتفرقوا عني فقمت لأقربهم مني فسألته. فقال: هذه نار ترى كل ليلة على قبر فلانة. فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون أما والله إن كانت لصوامة قوامة عفيفة مسلمة انطلق بنا، وأخذت الفاس، فإذا القبر منفرج وهي جالسة وهذا يدب حولها فنادى مناد: ألا أيها

الرابع: أن يصلي قبل سفره صلاة الاستخارة كما وصفناها في كتاب الصلاة. ووقت الخروج يصلي لأجل السفر، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت سفراً وقد كتبت وصيتي فإلى أيّ الثلاثة أدفعها؟ إلى ابني أم أخي أم أبي؟ فقال النبي ﷺ: «ما استخلف عبد في أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن في بيته إذا شدّ عليه ثياب سفره، يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، ثم يقول: اللهم إني أتقرب بهن إليك فاخلفني بهن في أهلي ومالي فهي خليفته في أهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله».

المستودع ربه خذ وديعتك، أما والله لو استودعت أمه لوجدتها فعاد القبر كما كان. هذا حديث غريب موقوف ورواته موثقون إلا عبيد بن إسحاق فضعفه الجمهور ومشاه أبو حاتم الرازي.

وأخرجه أبو بكر الخرائطي من وجه آخر أخصر منه فقال: حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد، حدثنا عبيد بن إسحاق بسنده ومعناه قال: فأخذت المعول حتى انتهينا إلى القبر فحفرنا فإذا سراج يقد، وإذا هذا الغلام يدب. الحديث.

(**الرابع: أن يصلي قبل سفره صلاة الاستخارة كما وصفنا في كتاب الصلاة ووقت الخروج**) من المنزل (**يصلي**) ركعتين أو أربع ركعات (**لأجل السفر**) أما الركعتان فهو المنصوص في المذهب الشافعي. وأما الأربع ركعات (**فقد روى أنس بن مالك**) رضي الله عنه (**أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إني أردت سفراً**) هكذا في النسخ وفي بعضها إني نذرت سفراً وهو الموافق لما سيأتي، وبخط الحافظ العراقي في هامش المغني لعله أردت أي بدل نذرت، (**وقد كتبت وصيتي فإلى أي الثلاثة أدفعها إلى ابني أم أخي أم أبي**)؟ وفي نسخة إلى أبي أم أخي أم ابني. (**فقال النبي ﷺ: «ما استخلف عبد من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن في بيته إذا شدّ عليه ثياب سفره، يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد، ثم يقول: اللهم إني أتقرب بهن إليك فاخلفني بهن في أهلي وما لي فهن خليفته في أهله وماله وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله»**) قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق وفيه من لا يعرف انتهى.

قلت: أخبرنا محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي في كتابه، أخبرنا عبد القادر بن عمر الثعلبي، أخبرنا أبو المواهب محمد بن عبد الباقي الحنبلي، أخبرنا والدي، أخبرنا النجم المغربي، أخبرنا أبو يحيى الأنصاري، أخبرنا الحافظ أبو الفضل العسقلاني قال: أخبرنا أبو بكر بن إبراهيم بن العز، عن أبي عبد الله بن محمد بن السلم سماعاً عليه بدمشق، أخبرنا الكمال محمد بن عبد الرحيم، أخبرنا القاضي أبو القاسم الخرستاني، أخبرنا أبو الحسن بن المسلم، أخبرنا أحمد بن عبد الواحد، أخبرنا محمد بن أحمد بن عثمان، أخبرنا محمد بن جعفر بن سهل قال: حدثنا علي بن حرب، حدثنا المعافي بن

الخامس: إذا حصل على باب الدار فليقل: بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله، رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أزل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي فإذا مشى قال: اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك

محمود، حدثنا سعيد بن مرتاش، عن إسماعيل بن محمد، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: إني نذرت سفراً وقد كتبت وصيتي، فإلى أي الثلاثة أدفعها إلى أبي أم إلى أخي أم ابني؟ فقال رسول الله ﷺ «ما استخلف عبد في أهله من خليفة أحب إلى الله تعالى من أربع ركعات يصليهن في بيته إذا شدَّ عليه ثياب سفره يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، ثم يقول: اللهم إني افتقرت إليك بهن فأخلفني بهن في أهلي فهن خليفته في أهله وماله وداره ودور حول داره حتى يرجع إلى أهله» هذا حديث غريب أخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور في ترجمة نصر بن بابا من طريقه قال: حدثنا سعيد بن المرتاش فذكره. وقال في روايته: أتقرب بهن، وقال فيها يقرأ في كل واحدة.

قال الحافظ في أمالي الأذكار بعد أن أورد هذا. وسعيد هذا لم أقف له على ترجمة ولست على يقين من ضبط اسم أبيه، ونصر بن بابا قد ضعفوه، وقد تابعه المعافي ولا أعرف حاله.

قلت: أما نصر بن بابا فهو أبو سهل المروزي. قال البخاري يرمونه بالكذب، وسعيد بن المرتاش والمعافي بن محمود لم أجد لهما ذكراً في المثنى للذهبي مع كثرة جمعه ولا في الديوان له ولا في ذيله، فهذا معنى قول الحافظ العراقي وفيه من لا يعرف.

(الخامس: إذا حصل على باب الدار فليقل) هذه الكلمات: **(بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوّة إلا بالله. اللهم إني أعوذ بك أن أضل)** غيري **(أو أضل)** أي يضلني غيري **(أو أذِل)** أحداً بأن اوقعه في الذلة **(أو أذل)** أي يوقعني غيري فيها، **(أو أظلم)** أحداً **(أو أظلم)** أي يظلمني أحد **(أو أجهل أو يجهل علي)** رواه الطبراني في الكبير من حديث بريدة رضي الله عنه أنه ﷺ كان إذا خرج من بيته قال «بسم الله ربِّ أعوذ بك من أن أذل أو أضل أو أظلم أو أُظلم أو أجهل أو يجهل عليَّ» ورواه ابن عساكر وزاد «ابغي أو يبغي عليّ» وعند الترمذي وابن السني كان إذا خرج من بيته قال «بسم الله توكلت على الله اللهم إنا نعوذ بك من أن نذل أو نضل أو نظلم أو نُظلم أو نجهل أو يُجهل علينا». وأخرج ابن ماجه والحاكم وابن السني من حديث أبي هريرة كان إذا خرج من بيته قال «بسم الله التكلان على الله لا حول ولا قوّة إلاَّ بالله» وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه مرفوعاً «ما من مسلم يخرج من بيته يريد سفراً أو غيره فقال حين يخرج بسم الله آمنت بالله اعتصمت بالله توكلت على الله لا حوّل ولا قوّة إلاّ بالله إلاّ رزق خير ذلك المخرج وصرف عنه شره» أخرجه أحمد والمحاملي في الدعاء وفيه رجل لم يسم.

(فإذا) نهض من جلوسه و **(مشى قال: اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك**

توجهت. اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي فاكفني ما أهمني وما لا أهتم به وما أنت اعلم به مني عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك. اللهم زوّدني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت، وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه، فإذا ركب الدابة فليقل: بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان ولم يشأ لم يكن. سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى

اعتصمت واليك توجهت. اللهم أنت ثقتي ورجائي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما أنت اعلم به مني عز جارك وجلّ ثناؤك ولا إله غيرك. اللهم زوّدني التقوى واغفر لي ذنبي ووجهني للخير أينما توجهت).

أخبرنا احمد بن الحسن بن عبد الكريم المخزومي، اخبرنا محمد بن منصور، أخبرنا علي بن علي، اخبرنا أحمد بن خليل، اخبرنا محمد بن أحمد بن علي، أخبرنا قاضي القضاة أبو يحيى الأنصاري، أخبرنا أبو الفتح المراغي، أخبرنا عبد الرحيم بن الحسين الحافظ، أخبرنا عبد الله بن محمد بن القيم، عن أبي الحسن بن النجاري سماعاً، عن محمد بن أبي زيد قال: أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أحمد ابن محمد، حدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن سعيد، حدثنا عبد الرحمن المجاري، عن عمر بن مساور العجلي، عن الحسن عن أنس رضي الله عنه قال: لم يرد رسول الله ﷺ سفراً قط إلا قال حين ينهض من جلوسه: «اللهم بك انتشرت وإليك توجهت وبك اعتصمت. اللهم اكفني ما اهمني وما لا اهتم له وما أنت أعلم به مني. اللهم اغفر لي ذنبي وزوّدني التقوى ووجهني للخير حيثما توجهت». ثم يخرج. هذا حديث غريب أخرجه أبو يعلى الموصلي عن أبي بكير عن المحاربي. وأخرجه ابن السني عن أبي عروة الحراني، عن أبي كريب. واخرجه ابن عدي في ترجمة عمر المذكور من كتاب الضعفاء وعدّه من افراده، واختلف في اسمه واسم ابيه فقيل فيه عمرو بفتح أوله، وقيل في أبيه مسافر بالفاء بدل الواو وهو ضعيف عندهم، والمشهور الأول فيهما. وأخرجه المحاملي في الدعاء عن هارون بن إسحاق عن المحاربي عن عمرو بن مساور، فذكره وزاد «أنت ثقتي ورجائي».

(وليدع بهذا الدعاء في كل منزل يرحل عنه، فإذا ركب الدابة فليقل: بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون). وروى نحوه مع زيادة من حديث أبي إسحاق السبيعي عن علي بن ربيعة الوالبي قال: شهدت علياً رضي الله عنه أتى بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم قال: الحمد لله ثلاث مرات، ثم قال: الله أكبر ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك فقلت: يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت؟ فقال:

ربنا لمنقلبون، فإذا استوت الدابة تحته فليقل: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا

رأيت رسول الله ﷺ فعل كما فعلت ثم ضحك، فقلت: يا رسول الله من أي شيء ضحكت؟ فقال: «إن ربنا يعجب من عبده إذا قال اغفر لي ذنوبي. قال: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري» رواه عن أبي إسحاق جماعة أبو الاحوص سلام ابن سليم، ومنصور بن المعتمر، والاجلح الكندي، وسفيان بن سعيد الثوري، وإسرائيل بن أبي إسحاق، وشريك.

أما أبو الاحوص، فأخرجه أبو داود عن مسدد عنه، وأخرجه الطبراني عن معاذ بن المثنى عن مسدد، وأخرجه الترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة عن أبي الأحوص، وأخرجه ابن حبان من طريق قتيبة، وأخرجه صاحب الحلية عن عبد الله بن جعفر، عن يوسف بن حبيب، عن سليمان بن داود عن أبي الأحوص.

وأما منصور بن المعتمر، فأخرجه النسائي عن محمد بن قدامة عن جرير بن عبد الحميد عنه، وأخرجه المحاملي في الدعاء عن يوسف بن موسى، عن جرير. وأخرجه الحاكم. والبزار من طريق جرير.

وأما الأجلح الكندي فأخرجه المحاملي في الدعاء، عن يوسف بن موسى، عن أبي أسامة عنه.

وأما سفيان الثوري فأخرجه المحاملي أيضاً عن زكريا بن يحيى البناطي، عن يحيى القطان عنه.

وأما إسرائيل فأخرجه الطبراني في الدعاء عن عثمان بن عمر الضبي، عن عبيد الله بن رجاء، وأخرجه عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى كلاهما عنه.

وأما شريك فأخرجه أحمد عن يزيد بن هارون عنه، واخرجه الطبراني في الدعاء عن الحسن بن محمد بن الصباح وأحمد بن منصور كلاهما عن يزيد. قال الحاكم: صحيح الإسناد. وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال البزار: هذا أحسن إسناد يروى لهذا الحديث. وقد روي عن أبي إسحاق السبيعي ايضاً شعبة بن الحجاج العتكي. قال الحاكم في تاريخ نيسابور: حدثنا أبو بكر المزكي قال: حدثنا أبو بكر بن خزيمة قال: سمعت عبد الرحمن بن بشر بن الحكم يقول: ذكر عبد الرحمن بن مهدي وأنا اسمع الحديث الذي حدثنا يحيى بن سعيد بن القطان، عن شعبة عن أبي إسحاق، عن علي بن ربيعة قال: كنت ردف علي رضي الله عنه حين ركب فقال: سبحان الذي سخر لنا هذا. قال شعبة: قلت لأبي إسحاق ممن سمعته؟ قال: من يونس بن خباب، فلقيت يونس فقلت: ممن سمعته؟ قال: من رجل سمعه عن علي بن ربيعة. قال الحافظ في أمالي الاذكار: فقد دلت هذه القصة على أن أبا إسحاق دلسه بحذف رجلين، فالعجب من الحاكم كيف ذهل عنها في المستدرك، والرجل الذي ما سماه أحد أربعة أو أكثر وصلت إلينا رواياتهم له عن علي بن ربيعة شقيق الأزدي، والحكم بن عيينة، وإسماعيل بن عبد الملك بن أبي الصغير، والمنهال بن عمرو، ورواياتهم إلا الحكم في كتاب الدعاء للطبراني وأحسنها سياقاً رواية المنهال، والله أعلم.

لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [الاعراف: ٤٣] اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور.

السادس: أن يرحل عن المنزل بكرة. روى جابر أن النبي ﷺ رحل يوم الخميس وهو يريد تبوك وبكّر وقال: « اللهم بارك لأمتي في بكورها » ويستحب أن يبتدىء بالخروج يوم الخميس، فقد روى عبدالله بن كعب بن مالك عن أبيه قال: قلما كان رسول الله ﷺ يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس. وروي أنس أنه ﷺ قال: « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم السبت ». وكان ﷺ إذا بعث سرية بعثها أول النهار.

(فإذا استوت الدابة تحته فليقل ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور) تقدم من حديث علي رضي الله عنه أنه كان يقول: إذا استوى على ظهر الدابة الحمد لله.

(السادس: أن يرحل من المنزل بكرة) أي في أول النهار، **(روى جابر)** بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه **(أن النبي ﷺ رحل يوم الخميس يريد تبوك)** وهو موضع بالشام، **(وبكر)** أي سافر في أول النهار **(وقال: « اللهم بارك لأمتي في بكورها »)** قال العراقي: رواه الخرائطي بسند ضعيف، وفي السنن الأربعة من حديث صخر الغامدي « اللهم بارك لأمتي في بكورها » قال الترمذي: حديث حسن انتهى.

قلت: ورواه كذلك أحمد وابن حبان، ورواه ابن ماجه من حديث ابن عمر، ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس، وابن مسعود، وعبد الله بن سلام،وعمـران بن حصين، وكعب ابن مالك، والنواس بن سمعان. وستأتي الإشارة إلى بعض ذلك.

(ويستحب أن يبتديء بالخروج يوم الخميس فقد روى كعب بن مالك عن أبيه) هكذا في النسخ وهو غلط، فإن كعب بن مالك صحابي مشهور وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا في غزوة تبوك وتيب عليهم، وكأنه كان في الأصل فقد روى ابن كعب بن مالك عن أبيه، فسقط لفظ « ابن » من النساخ، وكعب له ولدان عبد الرحمن وعبد الله الأخير، روى له الشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجه: **(قلما كان رسول الله ﷺ يخرج إلى سفر إلا يوم الخميس)** رواه البخاري في صحيحه، **(وروى أنس)** رضي الله عنه **(أنه قال ﷺ: « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم الخميس والسبت »)** وفي بعض النسخ يوم السبت فقط. قال العراقي: رواه البزار مقتصراً على يوم خميسها والخرائطي مقتصراً على يوم السبت وكلاهما ضعيف.

قلت: وفي لفظ للبزار « في بكور يوم خميسها ».

(وكان ﷺ إذا بعث سرية) أي طائفة من العسكر **(بعثها أول النهار)** قال العراقي: رواه الأربعة من حديث صخر الغامدي وحسنه الترمذي اهـ.

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها ». وقال عبدالله بن عباس: إذا كان لك إلى رجل حاجة فاطلبها منه نهاراً ولا تطلبها ليلاً واطلبها بكرة، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اللهم بارك لأمتي في بكورها ».

ولا ينبغي أن يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصياً بترك الجمعة، واليوم منسوب إليها فكان أوله من أسباب وجوبها والتشييع للوداع مستحب وهو سنّة. قال ﷺ: « لأن أشيع مجاهداً في سبيل الله فاكتنفه على رحله غدوة أو روحة احب إليَّ من الدنيا وما فيها ».

قلت: ولفظهم ما عدا النسائي « كان إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم من أول النهار » وكان صخر تاجراً فكان يبعث في تجارته من أول النهار فأثري وكثر ماله.

(وروى أبو هريرة) رضي الله عنه **(أنه ﷺ قال « اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم خميسها »)** قال العراقي: رواه ابن ماجه، والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له. وقال ابن ماجه: « يوم الخميس » وكلا الإسنادين ضعيف انتهى.

قلت: ورواه في الأوسط من حديث عائشة ولفظه « واجعله في يوم الخميس » وفي رواية له « اغدوا في طلب العلم فإني سألت ربي أن يبارك لأمتي في بكورها ويجعل ذلك يوم الخميس ».

(وقال عبد الله بن عباس) رضي الله عنه **(إذا كانت لك إلى رجل حاجة فاطلبها إليه نهاراً ولا تطلبها ليلاً واطلبها بكرة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « اللهم بارك لأمتي في بكورها »)** قال العراقي: رواه البزار والطبراني في الكبير، والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له وإسناده ضعيف.

قلت: وفي لفظ للطبراني قال ابن عباس: وباكر في حاجتك فإن النبي ﷺ قال: وذكره. وفي الباب عن بريدة ونبيط بن شريك وأبي بكر قال الحافظ ابن حجر: منها ما يصح، ومنها ما لا يصح، وفيها الضعيف.

(ولا ينبغي أن يسافر بعد طلوع الفجر من يوم الجمعة فيكون عاصياً بترك الجمعة واليوم) سائره **(منسوب إليها)** فيقال يوم الجمعة، **(فكان أوله من أسباب وجوبها)**. وأخرج ابن النجار في تاريخه من حديث ابن عمر مرفوعاً « من سافر من دار إقامة يوم الجمعة دعت عليه الملائكة لا يصحب في سفره ولا يعان على حاجته، وكذلك رواه الدارقطني في الافراد. ورواه أبو بكر بن أبي شيبة من قول سنان بن عطية موقوفاً، وتقدم في كتاب الجمعة. **(والتشييع للوداع مستحب)** وقد ثبت فعله عن النبي ﷺ وعن السلف، **(وهو سنّة)** متبعة. **(وقال ﷺ)** وفي بعض النسخ والتشييع مستحب قال النبي ﷺ: **(« لأن أشيع مجاهداً في سبيل الله فاكففه)** وفي نسخة فاكتنفه **(على رحله غدوة أو روحة احب إليَّ من الدنيا وما**

السابع: أن لا ينزل حتى يحمي النهار فهي السنّة ويكون أكثر سيره بالليل. قال ﷺ: « عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوي بالليل ما لا تطوي بالنهار ». ومهما أشرف على المنزل فليقل: اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله، وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر

فيها ») قال العراقي: رواه ابن ماجه بسند ضعيف من حديث معاذ بن انس انتهى.

قلت: وكذلك رواه أحمد والطبراني في الكبير.

(**السابع: أن لا ينزل**) عن دابته (**حتى يحمى النهار**) وذلك عند إرتفاع الشمس من مشرقها (**فهو السنّة فإن الأرض تطوي بالليل ما لا تطوي بالنهار. قال ﷺ « عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوي بالليل »**) الدلجة بالضم سير آخر الليل، ويجوز في اللغة بالفتح وهو سير الليل كله، وليس بمراد هنا والإدلاج بالتخفيف سير الليل كله، والدلجة بالفتح اسم منه، والإدلاج بالتشديد سير آخر الليل. والدلجة بالضم اسم منه فهذا هو الأكثر، وقيل: يقال فيهما بالتخفيف والتشديد أخرجه أبو يعلى عن أبي خيثمة عن يزيد بن هارون عن هشام بن حسان عن الحسن عن جابر مرفوعاً. وأخرجه النسائي عن أحمد بن سليمان، عن يزيد. وأخرجه ابن السني عن النسائي ورجاله ثقات إلا أن الحسن لم يسمع من جابر عند الأكثر، ورواه أبو داود وابن خزيمة، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي، والحاكم من حديث أنس، وعند البخاري من حديث أبي هريرة « فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » وهذا الحديث قد تقدم للمصنف في الباب الثاني في كتاب اسرار الحج.

وقوله (**« ما لا تطوي بالنهار »**) هو صحيح في المعنى، لكن ما رأيته في رواية من روايات هذا الحديث. (**ومهما أشرف على المنزل**) يريد نزوله (**فليقل**) هذه الكلمات: (**اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما اقللن**) أي حملن (**ورب الشياطين وما أضللن**) أي أغوين، (**ورب الرياح وما ذرين، ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله، وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه اصرف عني شر شرارهم**).

قال الطبراني في الدعاء حدثنا القاسم بن عباد، وحدثنا سويد بن سعيد، حدثنا حفص بن مسيرة، وحدثنا عبد الله بن محمد العمري، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، حدثني حفص عن موسى بن عقبة عن عطاء بن أبي مروان، عن أبيه أن كعباً حلف بالله الذي فلق البحر لموسى عليه السلام أن صهيباً رضي الله عنه حدثه أن رسول الله ﷺ لم يرَ قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها « اللهم رب السموات » الخ وفيه نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها وقال كعب: إنها دعوة داود عليه السلام حين يرى العدو وهذا حديث حسن. وأخرجه المحاملي في الدعاء عن أحمد بن منصور عن سويد بن سعيد، وأخرجه النسائي، وأبن

شرارهم. فإذا نزل المنزل فليصلّ فيه ركعتين ثم ليقل: اللهم إني أعوذ بكلمات الله

خزيمة، وابن حبان، والحاكم كلهم من رواية عبد الله بن وهب، عن حفص بن ميسرة. وأخرجه ابن السني من طريق محمد بن أبي السري عن حفص، ورواه عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة فزاد في السند رجلاً قبل كعب.

قال المحاملي في الدعاء: حدثنا الحسن بن محمد يعني الزعفراني، والعباس بن محمد يعني الدورقي، وإبراهيم بن هانيء قالوا: حدثنا سعيد بن عبد الحميد، حدثنا ابن أبي الزناد، عن موسى، عن عطاء، عن أبيه أن عبد الرحمن بن مغيث الأسلمي حدثه قال: قال كعب فذكر الحديث. بطوله أخرجه النسائي عن هارون بن عبدالله، عن سعيد بن عبد الحميد بن جعفر، وأشار إلى ضعف هذه الزيادة. وقد روي من وجه آخر عن عطاء بن أبي مروان، عن أبيه، عن أبي مغيث أخرجه النسائي عن إبراهيم بن يعقوب عن أبي جعفر النفيلي، عن محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق وقال: حدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن أبي مغيث بن عمر أن النبي ﷺ أشرف على خيبر فقال لأصحابه «قفوا» ثم قال: «اللهم رب السموات السبع وما أظللن» فذكر الحديث.

وأخرجه الطبراني عن أبي شعيب الحراني عن النفيلي ووقع في روايته وقال لأصحابه : «قفوا» فوقفوا وأنا فيهم وهذا يدل على صحبة أبي مغيث، فكان الحديث عند أبي مروان بسندين هذا والماضي وهو كعب عن صهيب، وقد جاء الحديث من وجه آخر عن أبي مروان قال فيه عن أبيه عن جده.

قال المحاملي في الدعاء: وأحمد بن عثمان الدقاق المعروف بابن أخي سمي في جزئياته، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصاري، عن صالح ابن كيسان، عن أبي مروان الأسلمي، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر حتى إذا كنا قريباً وأشرفنا عليها قال للناس «قفوا» فوقفوا وقال «اللهم رب السموات السبع». فذكر الحديث مثل اللفظ الأوّل إلا الرياح زاد في آخره «اقدموا باسم الله» ومدار هذا الحديث على أبي مروان، وقد اختلف فيه فذكره الطبراني في الصحابة وذكره الاكثر في التابعين، وذكره ابن حبان في إتباع التابعين، وعلى القول الأوّل تكون روايته عن كعب من رواية الصحابة عن التابعين وهي قليلة. وروي أيضاً من حديث ابن عمر وفي آخره زيادة.

قال الطبراني في الدعاء: حدثنا الحسن بن علي العمري، ومحمد بن علي الطرائفي قالا: حدثنا علي ابن ميمون الرقي، حدثنا سعيد بن مسلمة، حدثنا محمد بن عجلان، عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال «إذا خرجتم من بلدكم إلى بلد تريدونها فقولوا اللهم رب السموات وما أظللن» فذكر مثل الحديث الماضي أولاً لكن بالإفراد فيها وزاد «ورب الجبال أسألك خير هذا المنزل وخير ما فيه وأعوذ بك من شر هذا المنزل وشر ما فيه. اللهم ارزقنا جناه واصرف عنا

التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق. فإذا جن عليه الليل فليقل: يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك ومن شر ما فيك وشر ما دب عليك. أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكني البلد ووالد وما ولد ﴿وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم﴾ [الانعام: ١٣] ومهما علا شرفاً من

وباه واعطنا رضاه وحببنا إلى أهله وحبب أهله إلينا ».

(فإذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين) فقد روى البيهقي من حديث أنس: « كان إذا نزل منزلاً لم يرتحل حتى يصلي فيه ركعتين » وعند الطبراني من حديث فضالة بن عبيد « كان إذا نزل منزلاً في سفر ودخل بيته لم يجلس حتى يركع ركعتين » **(ثم ليقل: أعوذ بكلمات الله التامات)** وفي بعض النسخ: اللهم إني أعوذ بك وبكلماتك **(التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلقت)** قال المحاملي في الدعاء: حدثنا إبراهيم بن هانيء، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا الليث بن سعد، عن زيد بن أبي حبيب، عن الحارث بن يعقوب أن يعقوب بن عبد الله بن الأشج، حدثه أن بسر بن سعيد، حدثه أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حدثه قال: سمعت خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من نزل منزلاً » فقال « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لا يضره شيء حتى يرتحل من منزله ». هذا حديث صحيح أخرجه مالك بلاغاً عن يعقوب. وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي جميعاً عن قتيبة. وأخرجه مسلم أيضاً عن محمد بن رمح كلاهما عن الليث، وأخرجه أبو نعيم في المستخرج عن أحمد ابن يوسف، ومحمد بن أحمد وإبراهيم بن عبد الله، وإبراهيم بن محمد، ومحمد بن إبراهيم. قالا الأول: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث. وقال الثاني: حدثنا الحسن بن سفيان. وقال الثالث والرابع: حدثنا محمد بن إسحاق قال حدثنا قتيبة حدثنا الليث. وقال الخامس: حدثنا •مد بن رياد، حدثنا محمد بن رمح، حدثنا الليث وليس لخولة في الصحيحين حديث غيره. ورواه الطبراني في الكبير من حديث عبد الرحمن بن عابس.

وأخرج أبو الشيخ في الثواب بسند فيه ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه رفعه « من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ أعصم من شر الثقلين الانس والجن وإن لدغ لم يضره شيء حتى يمسي وإن قالها حين يمسي كان كذلك حتى يصبح ».

(فاذا جن عليه الليل فليقل: يا أرض ربي وربك الله. أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك. أعوذ بالله من شر كل أسد) وهو حيوان معروف **(وأسود)** وهو الشخص. وقيل: العظيم من الحيوانات وفيه سواد ويكون تخصيصها بالذكر لخبثها **(وحية وعقرب)** وذكر الحية بعد الأسود على المعنى الثاني فيه تعميم بعد تخصيص **(ومن ساكن البلد)** قال الخطابي: هم الجن الذي هم سكان الأرض ما كان مأوى الحيوان بها وإن لم يكن فيه بناء

الأرض في وقت السير فينبغي أن يقول: اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال. ومهما هبط سبَّح ومهما خاف الوحشة في سفره قال: سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت.

الثامن: أن يحتاط بالنهار فلا يمشي منفرداً خارج القافلة ـ لأنه ربما يغتال أو

ومنازل، (**ووالد وما ولد**) المراد بالوالد إبليس وبما ولد الشيطان قاله الخطابي (**﴿وله ما سكن في الليّل والنَّهار وهو السميع العليم﴾**) أخرج أبو داود واللفظ له من حديث عبد الله بـن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال « يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك، وأعوذ بك من أسد وأسود، ومن الحية والعقرب، وساكن البلد ووالـد وما ولد » ورواه النسائي في الكبرى والحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد وفي رواية للنسائي: وأعوذ بالله من أسد.

(**ومهما علا نشزاً**) محركة وهو ما ارتفع (**من الأرض في وقت السير فينبغي أن يقول: اللهم لك الشرف على كل شرف، ولك الحمد على كل حال**). قال الطبراني في الدعاء: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا عمارة بن زاذان، عن زياد النميري، عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فصعد أكمة قال « اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ». وأخرجه المحاملي في الدعاء، وعن محمد بن أشكاب، عن عمارة به بلفظ « إذا صعد نشزاً من الأرض أو أكمة » وأخرجه كذلك أحمد وابن السني من رواية عمارة وهو ضعيف وفي شيخه ضعف أيضاً.

(**ومهما هبط سبح**) قال المحاملي في الدعاء: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا روح، حدثنا أشعث عن الحسن عن جابر قال: « كنا نسافر مع رسول الله ﷺ فإذا صعدنا كبرنا وإذا هبطنا سبحنا » وأخرجه النسائي في الكبرى، عن محمد بن إبراهيم، عن خالد بن الأشعث به. وأخرجه أحمد بن عثمان الدقاق في خبر به، عن محمد بن عيسى، عن محمد بن الفضيل، عن سالم الأفطس، عن سالم بن أبي الجعد عن جابر مثله. وأخرجه الدارمي، عن أحمد بن يونس، عن أبي زبيد، عن حسين، عن سالم بن أبي الجعد مثله.

(**ومهما خاف الوحشة في سفره قال: سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعزة والجبروت**) قال الطبراني في الدعاء: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا عبد الحميد بن صالح، حدثنا محمد بن أبان، حدثنا دريك بن عمر، وعن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ الوحشة فقال « سبحان الملك القدوس ». فذكره فقالها الرجل فذهبت عنه الوحشة. وأخرجه النسائي من رواية محمد بن عبد الواهب عن محمد بن أبان وهو ضعيف.

(**الثامن: أن يحتاط**) لنفسه (**بالنهار فلا يمشي منفرداً خارج القافلة لأنه ربما يغتال**) أي

ينقطع ـ ويكون بالليل متحفظاً عند النوم. كان ﷺ إذا نام في ابتداء الليل في السفر افترش ذراعه، وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه نصباً وجعل رأسه في كفه. والغرض من ذلك أن لا يستثقل في النوم فتطلع الشمس وهو نائم لا يدري فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يطلبه بسفره.

والمستحب بالليل أن يتناوب الرفقاء في الحراسة فإذا نام واحد حرس آخر فهذه السنّة. ومهما قصده عدو أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي، وشهد الله، وسورة الإخلاص، والمعوّذتين. وليقل: بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتي بالخيرات إلا الله. ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله. حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ ﴿كتب الله لأغلبن

يؤخذ غيلة (**أو ينقطع**) عن الرفقة (**ويكون بالليل متحفظاً عند النوم. كان ﷺ إذا نام في ابتداء الليل في السفر افترش ذراعه وإن نام في آخر الليل نصب ذراعه نصباً وجعل رأسه في كفه**) تقدم في كتاب الحج، (**والغرض من ذلك أن لا يستثقل في النوم**) أي لا يستغرقه لأنه إذا نصب الذراع لم يزل متهيئاً لليقظة والافتراش يوجب الاستغراق (**فتطلع الشمس**) عليه (**وهو نائم لا يدري**) الوقت، (**فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يطلبه بسفره**) من غزو أو حج أو تجارة.

(**والمستحب بالليل أن يتناوب الرفقاء في الحراسة فإذا نام واحد حرس آخر**) كل واحد بنوبته (**فهو السنة**) تقدم في الباب الثاني من كتاب الحج. (**ومهما قصده عدو**) من الآدميين (**أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي**) إلى خالدون، (**وسورة الإخلاص والمعوذتين وشهد الله**) إلى الإسلام، فقد وردت في كل ذلك أخبار، (**وليقل: بسم الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله حسبي الله توكلت على الله ما شاء الله لا يأتي بالخير إلا الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله**) قال المحب الطبري في المناسك، عن ابن عباس: ولا أحسبه إلا مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال: «يلتقي الخضر والياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله ما شاء الله. ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله. قال ابن عباس: من قالهن حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات أمنه الله من الحرق والغرق والسرق. قال عطاء: وأحسبه ومن الشيطان والسلطان والحية. والعقرب، وتقدم ذلك في كتاب الحج. وأخرج الترمذي والبيهقي من حديث أنس من قال حين خرج من بيته بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله يقال له: كفيت ووقيت ونحى عنه الشيطان. قال الترمذي: حسن غريب.

(**حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا**) أي أجاب (**ليس وراء الله منتهى ولا دون الله**

أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ [المجادلة: ٢١] تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي القيوم الذي لا يموت. اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام. اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا. اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة إنك أنت أرحم الراحمين.

ملتجي: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي القيوم الذي لا يموت).

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبي، وأبو محمد بن حبان، ومحمد بن عبد الرحمن قالوا: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا محمد بن يزيد، حدثنا عبيد بن حبار، عن عطاء بن مسلم قال: سمعت رجلاً من أصحاب إبراهيم بن أدهم يقول: خرجنا إلى الجبل فاكترانا قوم نقطع الخشب يهيؤن منه القصاع والأقداح فبينا أنا وإبراهيم نصلي إذ أقبل السبع فانصدع الناس فدنوت منه، فقلت: ألا ترى ما الناس فيه؟ قال: وما لهم؟ قلت: هذا السبع خلف ظهرك فالتفت إليه وقال: يا خبيث وراءك ثم قال: الا قلتم حين نزلتم: **(اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بكنفك الذي لا يرام اللهم ارحمنا)** وفي لفظ الحلية: وارحمنا **(بقدرتك علينا ولا نهلك)** ولفظ الحلية ولا تهلكنا **(وأنت ثقتنا ورجاؤنا)** قال: وحدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا أحمد بن محمد ابـن سلامة الطحاوي، حدثنا عبد الرحمن بن الجارود البغدادي، حدثنا خلف بن تميم قال: كنا مع إبراهيم بن أدهم في سفر فأتاه الناس فقال له: إن الأسد قـد وقف على طريقنا قال: فأتاه فقال: يا أبا الحارث إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به وإن لم تكن أمرت فينا بشيء فتنح عن طريقنا. قال: فمضى وهو يهمهم. فقال لنا إبراهيم بن أدهم: وما على أحدكم إذا أصبح وإذا أمسى أن يقول: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واحفظنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا ولا نهلك وأنت الرجاء. قال إبراهيم: إني لاقولها على ثيابي ونفقتي فما فقدت منها شيئاً.

حدثنا أبو محمد بن حبان، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا خلف بن تميم، حدثني عبد الجبار بن كثير قال، قيل لإبراهيم بن أدهم هو ذا السبع قد ظهر فقال: أرونيه، فلما نظر إليه ناداه: يا قسورة إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به، وإلا فعودتك على ذلك فضرب بذنبه وولى ذاهباً. قال: فعجبنا منه حين فقه كلامه، ثم أقبل علينا إبراهيم فقال: قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، اللهم واكنفنا بركنك الذي لا يرام، اللهم ارحمنا بقدرتك علينا ولا نهلك وأنت الرجاء قال خلف: فأنا أسافر منذ نيف وخمسين سنة فأقولها لم يأتني لص قط ولم أر إلا خيراً.

(اللهم اعطف علينا قلوب عبـادك وإمائك برأفة رحمة) أي أملها إلينا بأن يرأفوا بنا ويرحمونا، فإن قلوبهم بقبضتك تصرفها كيف شئت ونواصيهم بيدك **(إنك ارحم الراحمين)** قيل هو اسم الله الأعظم ولذلك حسن ختم الدعوات به.

التاسع: أن يرفق بالدابة إن كان راكباً فلا يحملها ما لا تطيق. ولا يضربها في وجهها فإنه منهي عنه ولا ينام عليها فإنه يثقل بالنوم وتتأذى به الدابة، كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة. وقال ﷺ: «لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي» ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروّحها بذلك فهو سنّة، وفيه آثار عن لسلف.

وكان بعض السلف يكتري بشرط أن لا ينزل ويوفي الأجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسناً إلى الدابة، فيوضع في ميزان حسناته لا في ميزان حسنات المكاري، ومن آذى بهيمة بضرب أو حمل ما لا تطيق طولب به يوم القيامة إذ في كل كبد حراء أجر. قال أبو الدرداء رضي الله عنه لبعير له عند الموت: أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإن لم أكُ أحملك فوق طاقتك. وفي النزول ساعة صدقتان: إحداهما: ترويح الدابة، والثانية:

(**التاسع: أن يرفق بالدابة إن كان راكباً فلا يحملها ما لا تطيق**) فإنها ستخاصمه إلى الله يوم القيامة (**ولا يضربها في وجهها فإنه منهي عنه**) فقد روي أحمد ومسلم والترمذي من حديث جابر: نهى عن الوسم في الوجه والضرب في الوجه، (**ولا ينام عليها فإنه يثقل بالنوم**) لارتخائه (**وتتأذى به الدابة. كان أهل الورع**) من السلف (**لا ينامون على الدابة إلا غفوة**) من ضرورة. (**وقال ﷺ: «لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي»**) تقدم في الباب الثالث من كتاب الحج، (**ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف، وكان بعض السلف يكتري**) الدابة من صاحبها (**بشرط أن لا ينزل**) عنها (**ويوفي الأجرة**) تامة، (**ثم كان ينزل**) عنها (**ليكون بذلك محسناً إلى الدابة فيوضع في ميزان حسناته لا في ميزان**) حسنات (**المكاري**) فإنه قد استوفى كراءه وأذن له في عدم النزول، (**ومن آذى بهيمة بضرب أو حمل ما لا تطيق طولب به يوم القيامة إذ في كل كبد حراء أجر**) وهو حديث مرفوع: رواه أحمد وابن ماجه وأبو يعلى والبغوي والطبراني والضياء من حديث سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، ورواه البيهقي ولفظه: «في الكبد الحارة أجر» ورواه أحمد أيضاً من حديث ابن عمر، وفي لفظ: «في كل ذات كبد حراء أجر» ورواه الطحاوي من حديث سراقة بن مالك الأنصاري أخي كعب بن مالك، ورواه ابن سعد في الطبقات من حديث حبيب بن عمرو السلاماني.

(**وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لبعير له عند الموت: أيها البعير لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك، وفي النزول ساعة صدقتان إحداهما: ترويح الدابة**) أي تنشيطها عن كلالها لترجع إلى أصلها، (**والثانية: إدخال السرور على المكاري**) فإنه كذلك

إدخال السرور على قلب المكاري. وفيه فائدة أخرى وهي رياضة البدن وتحريك الرجلين. والحذر من خدر الأعضاء بطول الركوب.

وينبغي أن يقرر مع المكاري ما يحمله عليها شيئاً شيئاً ويعرضه عليه، ويستأجر الدابة بعقد صحيح لئلا يثور بينهما نزاع يؤذي القلب ويحمل على الزيادة في الكلام، فما يلفظ العبد من قول إلا لديه رقيب عتيد. فليحترز عن كثرة الكلام واللجاج مع المكاري، فلا ينبغي أن يحمل فوق المشروط شيئاً، وإن خف فإن القليل يجر الكثير ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. قال رجل لابن المبارك وهو على دابة: احمل لي هذه الرقعة إلى فلان، فقال: حتى استأذن المكاري، فإني لم أشارطه على هذه الرقعة. فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء إن هذا مما يتسامح فيه، ولكن سلك طريق الورع».

العاشر: ينبغي أن يستصحب ستة أشياء. قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا سافر حمل معه خمسة أشياء: «المرآة والمكحلة والمقراض والسواك والمشط»،

يستريح. (**وفيه فائدة أخرى وهي رياضة البدن**) بالحركة المعتدلة (**وتحريك الرجلين**) بالمشي خطوات يسيرة (**والحذر من خدر الأعضاء**) وحبس الدم في العروق (**بطول الركوب**).

(**وينبغي أن يقرر على المكاري ما يحمله عليها شيئاً شيئاً ويعرضه عليه**) ولا يكتم شيئاً منه (**ويستأجر الدابة بعقد صحيح**) شرعي (**لئلا يثور بينهما نزاع يؤذي القلب ويحمل على الزيادة في الكلام، فما يلفظ**) العبد (**من قول إلا لديه رقيب عتيد**) أي مراقب حاضر يحصي عليه جميع أقواله، (**فليحترز عن كثرة الكلام**) واللغط (**واللجاج**) والخصومة (**على المكاري، فلا ينبغي أن يحمل فوق المشروط**) أي الذي وقع عليه الشرط (**شيئاً وإن خف فإن القليل قد يجر إلى الكثير، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه**) وهو قطعة من حديث تقدم في كتاب الحلال والحرام. (**قال رجل لابن المبارك**) رحمه الله تعالى (**وهو**) راكب (**على دابة: احمل لي هذه الرقعة إلى فلان، فقال: حتى استأمر الجمال**) أي استأذنه، (**فإني لم أشارطه على حمل هذه الرقعة فانظر كيف لم يلتفت إلى قول الفقهاء إن هذا مما يتسامح فيه**) لأنه تافة حقير. (**ولكن سلك طريق الورع**) والاحتياط استبراء لدينه وعرضه.

(**والعاشر: ينبغي له أن يستصحب ستة أشياء**) في سفره. (**قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا سافر حمل معه خمسة أشياء. المرآة والمكحلة والمدرا والسواك والمشط**) قيل: وكان مراده حمل المرآة ليرى فيها وجهه، والمكحلة هي قارورة الكحل، والمدرا بالكسر شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط، وأطول منه يسرح به الشعر الملبد، وفي ضمنه إشعار بأنه كان يتعهد نفسه بالترجيل وغيره مما ذلك آلة له، وذلك من

وفي رواية أخرى عنها، ستة أشياء: المرآة والقارورة والمقراض والسواك والمكحلة والمشط. وقالت أم سعد الأنصارية: كان رسول الله ﷺ لا يفارقه في السفر المرآة والمكحلة، وقال صهيب، قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالإثمد عند مضجعكم فإنه مما

سننه المؤكدة والسواك والمشط معروفان **(وفي رواية أخرى عنها ستة أشياء: المرآة والقارورة)** أي وعاء الطيب **(والمقراض)** وهو المقص **(والسواك والمكحلة والمشط)** قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في السنن، والخرائطي في مكارم الأخلاق، واللفظ له وطرقه كلها ضعيفة اهـ.

قلت: ورواه العقيلي كذلك بلفظ: «كان لا يفارقه في الحضر ولا في السفر خمس المرآة والمكحلة والسواك والمشط والمدرا» وفي سنده يعقوب بن الوليد الأزدي قال في الميزان: كذبه أبو حاتم ويحي وحذف أحمد حديثه وقال من الكذابين الكبار يضع الحديث، ورواه أيضاً ابن طاهر في كتاب صفة التصوف من حديث أبي سعيد وأعله ابن الجوزي من جميع طرقه.

(وقالت أم سعد الأنصارية) هي كبشة بنت رافع بن عبيد الخدرية أم سعد بن معاذ رضي الله عنه: **(كان رسول الله ﷺ لا يفارقه في السفر المرأة والمكحلة)** قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق وإسناده ضعيف.

(وقال صهيب) بن سنان أبو يحي الرومي رضي الله عنه أصله من بني النمير قيل: اسمه عبد الملك، وصهيب لقبه صحابي مشهور **(قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالإثمد)** بالكسر هو الكحل الأسود وهو أجود الإكحال وأيسرها وجوداً سيما في الحجاز أي الزموا الاكتحال به **(عند مضجعكم)** أي عند إرادة النوم **(فإنه مما يزيد في البصر)** بدفعه المواد المنحدرة من الرأس **(وينبت الشعر)** بتحريك العين للازدواج والمراد شعر هدب العين لأنه يقوي طبقاتها وقد تعلق بظاهره قوم فانكروا على الرجال الاكتحال نهاراً. قال ابن جرير: وهو خطأ لأنه إنما نص على النوم لأن الإكتحال عنده أنفع لا لكراهة استعماله في غيره من أوقات النهار قال: وتخصيص الإثمد فيه إشارة إلى اختصاصه بالانفعية من بين الاكحال.

قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف، وهو عند الترمذي وصححه، وابن خزيمة وابن حبان من حديث ابن عباس وصححه ابن عبد البر وقال الخطابي: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: حديث ابن عباس رواه أبو نعيم في الحلية بلفظ: «عليكم بالإثمد عند النوم فإنه يجلو البصر وينبت الشعر» ورواه الطيالسي والبيهقي ولم يقل عند النوم.

وفي الباب عن جابر، وابن عمر، وعلي، وعثمان، وأبي هريرة. فحديث جابر أخرجه عبد بن حميد وابن ماجه وابن منيع وأبو يعلى والعقيلي والضياء ولفظه كلفظ ابن عباس في الحلية.

يزيد في البصر وينبت الشعر ». وروي أنه كان يكتحل ثلاثاً ثلاثاً، وفي رواية: إنه اكتحل لليمنى ثلاثاً ولليسرى اثنتين، وقد زاد الصوفية الركوة والحبل.

وقال بعض الصوفية: إذا لم يكن مع الفقير ركـوة وحبل دل على نقصان دينه. وإنما زادوا هذا لما رأوه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب، فالركوة لحفظ الماء الطاهر، والحبل لتجفيف الثوب المغسول ولنزع الماء من الآبار. وكان الأوّلون يكتفون

وحديث ابن عمر أخرجه ابن ماجه والحاكم وصححه وأقره الذهبي ولفظه كلفظ جابر.

وحديث علي أخرجه الطبراني وابن السني وأبو نعيم في الحلية والديلمي بلفظ: « عليكم بالاثمد فإنه منبتة للشعر مذهبة للقذى مصفاة للبصر » وإسناد الطبراني حسن، وروى الضحاك في كتاب الشمائل له من حديث علي مرفوعاً « أمرني جبريل بالكحل وأنبأني أن فيه عشر خصال يجلو البصر ويذهب بالهم ويبعث ويلحس البلغم ويحسن الوجه ويشد الأضراس ويذهب النسيان ويذكي الفؤاد عليكم بالكحل فإنه سنة من سنتي وسنة الأنبياء قبلي ».

وحديث عثمان رواه البغوي في معجمه بلفظ: « عليكم بالكحل فإنه ينبت الشعر ويشد العين ».

وحديث أبي هريرة أخرجه ابن النجار في تاريخه بلفظ حديث ابن عباس السابق.

(وروي أنه ﷺ كان يكتحل ثلاثاً ثلاثاً) رواه أنس بلفظ: « كان يكتحل وتراً ». ذكره المحب الطبري في الأحكام، وأخرج أحمد والطبراني من حديث عقبة بـن عامر كان إذا اكتحل اكتحل وتراً وإذا استجمر استجمر وتراً. **(وفي رواية: إنه اكتحل لليمنى ثلاثاً ولليسرى اثنتين)** قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر بسند لين اهـ.

قال المناوي في شرح الجامع وفي كيفية الايتار في الاكتحال وجهان: أصحهما في كل عين ثلاثة لما رواه الترمذي وحسنه كان له مكحلة يكتحل منها كل عين ثلاثة أطراف، والثاني يكتحل في العين وتراً. وفي عين شفعاً ليكون المجموع وتراً لما في حديث الطبراني عن ابن عمر أنه كان إذا اكحتل جعل في اليمنى ثلاثاً وفي اليسرى اثنتين يجعلها وتره، وفي إيضاح التنبيه للأصبحي تفسير هذا الوجه قال يكتحل في اليمنى أربعة أطراف وفي اليسرى ثلاثة. قال الولي العراقي: وهو تقييد غريب. وقال ابن وضاح في تفسير الايتار: اثنين في كل عين ويقسم بينهما واحدة. **(وقد زاد الصوفية)** قدس الله أسرارهم فيما يستصحبه المسافر **(الركوة)** بالفتح ولو صغيرة والجمع ركاء مثل كلبة وكلاب **(والحبل)**.

(وقال بعض الصوفية إذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل) ذلك **(على نقصان دينه)** نقله صاحب القوت، **(وإنما زاد وهذا لما رأوه من الاحتياط في طهارة الماء وغسل الثياب، فالركوة لحفظ الماء للطهارة، والحبل لتجفيف الثوب المغسول)** وفي نسخة الثياب

بالتيمم ويغنون أنفسهم عن نقل الماء . ولا يبالون بالوضوء من الغدران ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها حتى توضأ عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية . وكانوا يكتفون بالأرض والجبال عن الحبل فيفرشون الثياب المغسولة عليها . فهذه بدعة إلا أنها بدعة حسنة ، وإنما البدعة المذمومة ما تضاد السنن الثابتة ، وأما ما يعين على الاحتياط في الدين فمستحسن .

وقد ذكرنا أحكام المبالغة في الطهارات في كتاب الطهارة ، وإن المتجرد لأمر الدين لا ينبغي أن يؤثر طريق الرخصة بل يحتاط في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل أفضل منه .

وقيل : كان الخوّاص من المتوكلين وكان لا يفارقه أربعة أشياء في السفر والحضر : الركوة والحبل والإبـرة بخيوطها والمقراض ، وكان يقول : هذه ليست من الدنيا .

المغسولة (**ولنزع الماء**) من الآبار (**وكان الأولون**) من السلف (**يكتفون بالتيمم من الأرض ويغنون أنفسهم عن نقل الماء**) فإذا حان عليهم وقت الصلاة ولم يجدوا ماء تيمموا (**و**) كانوا (**لا يبالون بالوضوء من الغدران**) وهي الحيضان التي غادرتها السيول وأبقت فيها مياها . (**ومن المياه كلها ما لم يتيقنوا نجاستها حتى توضأ عمر رضي الله عنه من**) ماء في (**جرة نصرانية**) ذكره البخاري في الصحيح وتقدم في كتاب الطهارة ، (**وكانوا يكتفون بالجبال والأرض عن الحبل فيفرشون الثياب**) المغسولة (**عليها فهذه بدعة**) أي أخذ الحبل والركوة (**إلا أنها بدعة حسنة ، وإنما البدعة المذمومة ما تضاد السنن الثابتة**) وتخالفها (**أما ما يعين على الاحتياط في الدين فمستحسن**) شرعاً .

(**وقد ذكرنا أحكام المبالغة في الطهارة في كتاب**) أسرار (**الطهارة و**) ذكرنا هناك (**أن المتجرد للدين لا ينبغي أن يؤثر**) أي يختار (**طريق الرخصة بل يحتاط في الطهارة ما لم يمنعه ذلك عن عمل أفضل منه**) وإلاّ جرّه إلى الوسواس .

(**وقيل : كان**) إبراهيم (**الخواص من المتوكلين وكان لا يفارقه أربعة أشياء في السفر والحضر : الركوة والحبل والإبرة بخيوطها والمقراض . وكان يقول : ليست هذه من الدنيا**) بل هي من الأسباب المعينة على الآخرة ولم يقدح ذلك في توكله .

ولفظ القوت : ولا ينبغي للمسافر أن يفارقه من الأسباب أربعة . الركوة والحبل وإبرة بخيوطها والمقراض ، وكان الخواص من المتوكلين ولم تكن هذه الأربعة تفارقه ، وكان يقول : ليست من الدنيا .

ولفظ القشيري في الرسالة : وقيل كان إبراهيم الخواص لا يحمل شيئاً في السفر وكان لا يفارقه

الحادي عشر: في آداب الرجوع من السفر، كان النبي ﷺ إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة أو غيره يكبّر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» وإذا أشرف على مدينته فليقل: اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً، ثم ليرسل إلى أهله من يبشرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة فيرى ما يكره، ولا ينبغي له أن يطرقهم

الابرة والركوة أما الإبرة فلخياطة ثوبه إن تمزق سترة للعورة، وأما الركوة فللطهارة وكان لا يرى ذلك علاقة ولا معلوماً انتهى. قوله علاقة أي ما يتعلق به القلب من الأغراض الفاسدة والحظوظ النفسية.

(**الحادي عشر في آداب الرجوع من السفر: كان النبي ﷺ إذا قفل**) أي رجع (**من غزو أو حج أو عمرة**) والتقييد بالثلاثة الواقع للاختصاص فيسن الذكر الآتي لكل سفر (**يكبر على كل شرف**) أي محال عال (**من الأرض ثلاث تكبيرات**) والمناسبة فيه أن الإستعلاء محبوب للنفس وفيه ظهور وغلبة، فينبغي للمتلبس به أن يذكر عنده أن الله أكبر من كل شيء ويشكر له ذلك ويستمطر منه المزيد (**ويقول: «لا إله إلا الله**) بالرفع على الخبرية أو على البدلية من الضمير المستتر في الخبر المقدر أو من اسم لا باعتبار محله قبل دخولها (**وحده**) نصب على الحال (**لا شريك له**) عقلاً ونقلاً وهو تأكيد لقوله وحده لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له، (**له الملك**) بالضم السلطان والقدرة أو اصناف المخلوقات، (**وله الحمد**) زاد الطبراني في روايته يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير (**وهو على كل شيء قدير**) وظاهره أنه يقوله عقب التكبير على المحل المرتفع، ويحتمل أنه يكمل الذكر مطلقاً ثم يأتي بالتسبيح إذا هبط وفي تعقيب التكبير بالتهليل إشارة إلى أنه المنفرد بإيجاد كل موجود وأنه المعبود بالحق (**آيبون**) خبر مبتدأ محذوف أي نحن راجعون لله (**تائبون**) من التوبة وهي الرجوع من كل مذموم شرعاً إلى ما هو محمود شرعاً قاله تواضعاً أو تعلياً أو اراد امته أو استعمل التوبة للإستمرار على الطاعة. (**عابدون ساجدون لربنا**) يتعلق بساجدون أو بسائر الصفات على التنازع وهو مقدر بعد قوله (**حامدون**) أيضاً، (**صدق الله وعده**) في إظهار دينه وأن العاقبة للمتقين، (**ونصر عبده**) محمداً ﷺ يوم الخندق، (**وهزم الأحزاب**) أي طوائف الكفر المتفقة عليه على باب المدينة (**وحده»**) بغير فعل من الآدميين رواه مالك وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي من حديث ابن عمر. وأخرجه الطبراني والمحاملي في الدعاء زاد الأخير في آخره «وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون» وهذا الحديث ذكره المصنف في كتاب الحج.

(**وإذا أشرف على مدينته**) أي قارب الدخول عليها (**فليقل اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً ثم ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه**) وفي بعض النسخ من يبشرهم (**كيلا يقدم**

ليلاً، فقد ورد النهي عنه، وكان ﷺ إذا قدم دخل المسجد أوّلاً وصلى ركعتين ثم دخل البيت، وإذا دخل قال: «توباً توباً لربنا أوباً أوباً لا يغادر علينا حوباً».

وينبغي أن يحمل لأهل بيته وأقاربه تحفة من طعوم أو غيره على قدر إمكانه فهو سنّة. فقد روي: أنه إن لم يجد شيئاً فليضع في مخلاته حجراً وكأن هذا مبالغة في الاستحثاث على هذه المكرمة لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح به، فيتأكد الاستحباب في تأكيد فرحهم وإظهار التفات القلب في السفر إلى ذكرهم بما يستصحبه في الطريق لهم، فهذه جملة من الآداب الظاهرة.

وأما الآداب الباطنة: ففي الفصل الأول بيان جملة منها. وجملته أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة دينه في السفر. ومهما وجد قلبه متغير إلى نقصان فليقف ولينصرف، ولا ينبغي أن يجاوز همه منزله، بل ينزل حيث ينزل قلبه. وينوي في دخول كل بلدة أن

عليهم بغتة) أي فجأة (**فيرى**) من أهله (**ما يكره**) وورد ذلك في السنة ففي الصحيح كي تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة، (**ولا ينبغي أن يطرقهم ليلاً، فقد ورد النهي عنه**) تقدم في كتاب الحج (**وكان النبي ﷺ إذا قدم**) من سفره (**دخل المسجد أولاً وصلى ركعتين، ثم دخل البيت**) روى الطبراني والحاكم من حديث أبي ثعلبة كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم يثني بفاطمة، ثم يأتي أزواجه وقد تقدم في كتاب الحج (**فإذا دخل**) البيت (**قال: «توباً توباً لربنا أوباً أوباً لا يغادر علينا حوباً»**) الحوب بالفتح والضم اكتساب الإثم، والأوب: الرجوع وهذا قاله تعليماً لأمته. قال العراقي: رواه ابن السني في اليوم والليلة، والحاكم من حديث ابن عباس وقال: صحيح على شرطها.

(**وينبغي أن يحمل لأهل بيته ولأقاربه تحفة**) وفي نسخة هدية (**مطعوماً أو غيره على قدر إمكانه فهو سنة، فقد روي أنه إن لم يجد شيئاً فليضع في مخلاته حجراً**) قال العراقي: رواه الدارقطني من حديث عائشة بإسناد ضعيف، (**وكان هذا مبالغة في الاستحثاث على هذه المكرمة لأن الأعين تمتد إلى القادم من السفر**) ليطرفهم بشيء يجلبه إليهم (**والقلوب تفرح به فيتأكد الاستحباب في تأكيد فرحهم وإظهار التفات القلب في السفر إلى ذكرهم بما يستصحب لهم**) من التحف والهدايا. (**فهذه جملة من الآداب الظاهرة**).

(**فأما الآداب الباطنة: ففي الفصل الأول بيان جملة منها**) فمن تأمل الفصل المذكور ظفر بها (**وجملة ذلك**) أي بيانه على وجه الإجمال (**أن لا يسافر إلا إذا كان زيادة دينه في السفر**) بأن يحصل له الترقي إلى أمور الخير والنشاط في العبادة وجمع الهمة، (**ومهما وجد قلبه متغيراً إلى نقصان**) في دينه (**فليقف ولينصرف**) عن سفره، (**ولا ينبغي أن يجاوز همه منزله بل ينزل حيث ينزل قلبه**). قال القشيري في رسالته: سمعت محمد بن الحسين يقول:

يرى شيوخها ويجتهد أن يستفيد من كل واحد منهم أدباً أو كلمة لينتفع بها، لا ليحكي ذلك ويظهر أنه لقي المشايخ. ولا يقيم ببلدة أكثر من أسبوع أو عشرة أيام إلا أن يأمره الشيخ المقصود بذلك. ولا يجالس في مدة الإقامة إلا الفقراء الصادقين. وإن كان قصده زيارة أخ فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو حدّ الضيافة إلا إذا شق على أخيه مفارقته. وإذا

سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت عيسى القصار يقول: سئل رويم عن أدب السفر. فقال: أن لا يجاوز همه قدمه وحيثما وقف قلبه يكون منزله. قال الشارح: إذ ليس مقصوده من السفر إلا تخليص قلبه لمراقبة ربه ووجود لذته في مناجاته فحيثما وقف قلبه لانتظار جبر نقص أو لكمال شكر زيادة يكون منزله فلا يجاوزه.

قلت: وهذا المقام هو المسمى بالنظر على القدم عند السادة النقشبندية قدس الله أرواحهم الزكية.

(وينوي في دخول كل بلدة أن يرى شيوخها ويجتهد أن يستفيد من كل واحد منهم أدباً) من آداب الطريقة، **(أو كلمة)** من الحكم الشرعية **(لينتفع بها لا ليحكي ذلك)** عنه، **(ويظهر أنه لقي المشايخ)** فإنه يظهر في النفس رعونة وترفعاً على إخوانه الذي لا يسافروا **(ولا يقيم ببلدة أكثر من مدة أسبوع)** أي سبعة أيام من يوم اجتماعه به **(أو عشرة أيام)** يزيد ثلاثة أيام على الأسبوع **(إلا أن يأمره الشيخ المقصود)** أي الذي قصده بزيارته **(بذلك)** أي بالإقامة أكثر لما ذكر **(ولا يجالس في مدة الإقامة إلا الفقراء الصادقين)** دون الأغنياء المترفهين **(وإن كان قصده زيارة أخ)** في الله تعالى **(فلا يزيد على ثلاثة أيام فهو حد الضيافة)** روي في ذلك عن ابن شريح، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وابن عمر، وابن عباس، وابن مسعود، والتلب بن ثعلبة، وطارق بن أشيم. فحديث ابن شريح رواه البخاري في التاريخ بلفظ: « الضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة » وهكذا رواه أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة ولفظه عند ابن أبي الدنيا في قرى الضيف: « فما زاد فهو صدقة » وعلى الضيف أن يتحول بعد ثلاثة أيام، وبدون هذه الزيادة رواه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد والبزار من حديث ابن عمر، والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس، والبزار أيضاً من حديث ابن مسعود إلا أنه زاد: « وكل معروف صدقة ».

وأما حديث التلب بن ثعلبة، فرواه الباوردي، وابن قانع، والطبراني في الكبير، والضياء بلفظ: « الضيافة ثلاث ليال حق لازم فما سوى ذلك فهو صدقة ».

وحديث طارق رواه الطبراني أيضاً في الكبير بلفظ: « ثلاثة أيام فما فوق ذلك فهو معروف ».

وقال صاحب القوت: المسافر هو ابن السبيل الذي أوجب الله حقه في الأموال وليس عليه أيضاً في الثواء عند أخيه المسلم ثلاثة أيام شيء لأنه يقيم على ما أبيح له فلا يقيمن فوق ثلاث، فقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: « ولا يقيم فوق ثلاثة فيحرجه » أي يضيق عليه وتأويل قوله

قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم وليلة. ولا يشغل نفسه بالعشرة فإن ذلك يقطع بركة سفره. وكلما دخل بلداً لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزله، فإن كان في بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج، فإذا خرج تقدم إليه بأدب فسلّـم عليه، ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله، فإن سأله أجاب بقدر السؤال، ولا يسأله عن مسألة ما لم يستأذن أولاً. وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان

عدني فما زاد فهو صدقة أي مكروه ولا مندوب إليه ولا مأمور فإن اختار الصدقة ولم ينزه نفسه عنها فهو أعلم أي وما كان في الثلاث فهو حق له واجب على مضيفه. **(إلا إذا شق على أخيه مفارقته)** ولفظ القوت: فإن سألوه الإقامة فوق ثلاث أو علم أنهم يحبون إقامته فلا بأس بذلك، وقد تأول بعض الصوفية قول النبي ﷺ: « فما زاد فوق ثلاث فهو صدقة » أنه صدقة على أصحاب المنزل من الضيف تصدق عليهم بإقامته لأنه ثوبة لهم ولا يعجبني هذا التأويل.

(وإذا قصد زيارة شيخ فلا يقيم عنده أكثر من يوم وليلة ولا يشغل نفسه بالعشرة) فإن ذلك يقطع بركة نفسه. قال القشيري في الرسالة: سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي التميمي يقول: حكى عن محمد بن إسماعيل الفرغاني أنه قال كنا نسافر مقدار عشرين سنة أنا وأبو بكر الدقاق والكتاني لا نختلط بأحد ولا نعاشر أحداً فإذا قدمنا بلداً فإن كان فيه شيخ سلمنا عليه وجالسناه إلى الليل ثم نرجع إلى مسجدٍ فيصلي الكتاني من أول الليل إلى آخره ويختم القرآن، ويجلس الدقاق مستقبل القبلة وكنت أستلقي متفكراً ثم نصبح ونصلي صلاة الفجر على وضوء العتمة فإذا وقع معنا إنسان ينام كنا نراه أفضل منا.

(وكلما يدخل بلداً لا يشتغل بشيء سوى زيارة الشيخ بزيارة منزلة فإن كان في بيته فلا يدق عليه بابه ولا يستأذن عليه إلى أن يخرج) إلى الصلاة في المسجد، **(فإذا خرج يتقدم إليه بأدب)** فيسلم عليه. وقال صاحب القوت في آخر كتاب العلم: وأما العلماء فقد كان من الناس من لا يستأذن عليهم إلا لمهم لا بد منه، بل كانوا يقعدون على أبوابهم أو مساجدهم ينتظرون خروجهم لأوقات الصلاة احلالاً للعمل وهيبة للعلماء، حدثونا عن أبي عبيد قال: ما قرعت على عالم قط بابه كنت أجيء إلى منزله فأقعد على بابه أنتظر خروجه من قبل نفسه أتأول قول الله تعالى: ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾ [الحجرات: ٥] وقد روينا مثل هذا عن ابن عباس كان في موضع من العلم والشرف، وأن المار كان يمر به وهو قائم على منزل الرجل من الأنصار تسفي عليه الرياح فيقول: ما يجلسك ههنا يا ابن عم رسول الله؟ فيقول: أنتظر خروج صاحب المنزل وقد تقدم هذا الأثر في كتاب العلم. **(ولا يتكلم بين يديه إلا أن يسأله)** عن مقدمه مثلاً وما الذي أقدمه، **(فإن سأله أجاب بقدر السؤال)** ولا يزيد **(ولا يسأله عن مسألة ما لم يستأذن أولاً)** وإلا كان سبباً لتغير خاطره عليه فيمقت في الحال، **(وإذا كان في السفر فلا يكثر ذكر أطعمة البلدان وأسخيائها ولا)** ذكر **(أصدقائه فيها)** فإن ذلك يدل

وأسخيائها ولا ذكر أصدقائه فيها، وليذكر مشايخها وفقراءها. ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين بل يتفقدها في كل قرية وبلدة. ولا يظهر حاجته إلا بقدر الضرورة ومع من يقدر على إزالتها. ويلازم في الطريق الذكر وقراءة القرآن بحيث لا يسمع غيره، وإذا كلمه إنسان فليترك الذكر وليجبه ما دام يحدثه ثم ليرجع إلى ما كان عليه، فإن تبرمت نفسه بالسفر أو بالإقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس وإذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي له أن يسافر تبرماً بالخدمة فذلك كفران نعمة. ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان عليه في الحضر فليعلم أن سفره معلول وليرجع إذ لو كان لحق لظهره أثره.

على شره وحرص وتعريف لحاله، (**وليذكر مشايخها وفقراءها**) وعبادها فإن عند ذكرهم تتنزل الرحمات، (**ولا يهمل في سفره زيارة قبور الصالحين**) ومشاهدهم، (**بل يتفقدها في كل قرية وبلدة**) ينزل فيها فإنه مظنة البركة (**ولا يظهر حاجته**) لأحد (**إلا بقدر الضرورة**) إن دعت (**ومع من يقدر على إزالتها**) كما قال الشاعر:

ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة ... يواسيك أو يسليك أو يتوجع

(**ويلازم في الطريق الذكر**) فلا يفتر لسانه عنه (و) أفضل الذكر (**قراءة القرآن**) ولكن (**بحيث لا يسمع غيره**) لئلا يداخله الرياء والسمعة، (**وإذا كلمه إنسان فليترك الذكر وليجبه**) متوجهاً له (**ما دام يحدثه ثم يرجع إلى ما كان عليه**) من الذكر، (**فإن تبرمت نفسه بالسفر أو بالإقامة فليخالفها فالبركة في مخالفة النفس**) وقد بنى القوم طريقهم على مخالفة النفس كما سيأتي للمصنف، (**وإذا تيسرت له خدمة قوم صالحين فلا ينبغي له أن يسافر تبرماً بالخدمة فذلك كفران نعمة**) فإن خدمة الصالحين نعمة من الله فإذا تركها تبرماً دل على كفرانه لها، (**ومهما وجد نفسه في نقصان عما كان**) عليه (**في الحضر، فليعلم أن سفره معلول**) أي فيه علة (**وليرجع**) عن سفره (**إذ لو كان بحق**) وفي نسخة: محقاً (**لظهر أثره**) عليه. وفي القوت: وعلى المسافر من أهل القلوب أن يفرق بين سكون القلب إلى الوطن والسفر وبين سكون النفس إليها، فإن ذلك قد يلتبس فيحسب من لا بصيرة له ولا تفتيش لحاله ولا صدق في أحواله إن سكون النفس هو سكون القلب فينتقص بذلك ولا يفطن لنقصانه، فإن كان قلبه يسكن إلى أحدهما وفيه صلاح دينه وعمارة آخرته ومحبة ربه، فهذا سكون القلب لأنه يسكن إلى أخلاق الإيمان وما ورد العلم به وإن كانت نفسه تسكن إلى أحدهما مما فيه عاجل حظوظه وعمارة دنياه وموافقة هواه، فهذا سكون نفسي لأنها تسكن إلى معاني الهوى فليتحول من الوطن إلى الغربة، وليرجع من الغربة إلى المصر، ومن كان في سفر على غير هذا النعت من التفقد لحاله وحسن القيام بأحكامه فهو على هوى وفتنة وسفره بلاء عليه ومحنة.

قال رجل لأبي عثمان المغربي: خرج فلان مسافراً، فقال: السفر غربة والغربة ذلة وليس للمؤمن أن يذل نفسه، وأشار به إلى أن من ليس له في السفر زيادة دين فقد أذل نفسه وإلا فعز الدين لا ينال إلا بذلة الغربة. فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فإن من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة إما عاجلاً وإما آجلاً.

(**قال رجل لأبي عثمان المغربي**) اسمه سعيد بن سلام واحد عصره، صحب ابن الكاتب، وأبا عمر والزجاجي، ولقي النهرجوري، وابن الصائغ وغيرهم. مات بنيسابور سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، وأوصى أن يصلي عليه الإمام أبو بكر بن فورك (**خرج فلان مسافراً، فقال: السفر غربة**) عن الوطن (**والغربة**) عنه (**ذلة وليس للمؤمن أن يذل نفسه**)، وهو في حديث مرفوع تقدم ذكره في آفات المناظرة من كتاب العلم، (**وأشار به إلى من ليس له في السفر زيادة دين وإلاَّ فعز الدين لا ينال إلاَّ بذل الغربة فليكن سفر المريد من وطن هواه ومراده وطبعه حتى يعز في هذه الغربة ولا يذل فإنه من اتبع هواه في سفره ذل لا محالة إما عاجلاً وإما آجلاً**) وفي القوت: من لم يكن له في سفره حال يشغله وهم يجمعه ووقت يحبسه ومأوى يظله وسكن يؤنسه وزاد من باطنه وعلم من عالمه فإن الحضر أوفر لحاله وأصلح لقلبه وأسكن لنفسه من السفر والسفر يجمع هم الأقوياء ويشتت قلوب الضعفاء ويذهب أحوال أهل الابتداء.

الباب الثاني
فيما لا بد للمسافر من تعلمه من رخص السفر وأدلة القبلة والأوقات

اعلم أن المسافر يحتاج في أول سفره إلى أن يتزوّد لدنياه ولآخرته.

أما زاد الدنيا ؛ فالطعام والشراب وما يحتاج إليه من نفقة. فإن خرج متوكلاً من غير زاد فلا بأس بـه إذا كان سفره في قافلة أو بين قرى متصلة. وإن ركب البادية وحده أو مع قوم لا طعام معهم ولا شراب، فإن كان ممن يصبر على الجوع أسبوعاً أو عشراً مثلاً، أو قدر على أن يكتفي بالحشيش فله ذلك، وإن لم يكن له قوّة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء بالحشيش، فخروجه من غير زاد معصية فإنه ألقى نفسه بيده إلى التهلكة، ولهذا سر سيأتي في كتاب التوكل.

الباب الثاني

فيما لا بدّ للمسافر من تعلمه من رخص السفر

أي التي رخص الله فيها لعباده **(وأدلة القبلة والاوقات)** مما تتأكد معرفته لكل مسلم.

(اعلم أن المسافر) من بقعة إلى بقعة **(يحتاج في أول سفرة أن يتزوّد لدنياه ولآخرته)**.

(أما زاد الدنيا ؟ فالطعام والشراب وما يحتاج إليه من نفقة فإن خرج متوكلاً) على الله **(من غير زاد)** ولا نفقة **(فلا بأس به إذا كان سفره في قافلة)** وهي الرفقة وعليه اقتصر الفارابي وقال في مجمع البحرين: ومن قال القافلة الراجعة من السفر فقط غلط بل يقال للمبتدئة بالسفر قافلة أيضاً تفاؤلاً لها بالرجوع. وقال الأزهري: مثله قال والعرب تسمي الناهضين للغزو قافلـة تفاؤلاً بقفولها وهو شائع، **(أو بين قرى متصلة)** كبلاد الريف. **(وإن ركب البادية وحده أو مع قوم لا طعام معهم ولا شراب)** بل كلهم على قدم التجريد، **(فإن كان ممن يصبر على الجوع)** والعطش **(أسبوعاً)** أي سبعة أيام **(أو عشراً)** أي عشرة أيام **(مثلاً أو يقدر على أن يجتزي)** أي يكتفي **(بالحشيش)** الرطب وأصول النبات **(فله ذلك، وإن لم يكن له قوة الصبر على الجوع ولا القدرة على الاجتزاء فخروجه من غير زاد معصية فإنه ألقى نفسه بيده إلى التهلكة)** وهو منهى عنه.

وليس معنى التوكل التباعد عن الأسباب بالكلية ولو كان كذلك لبطل التوكل بطلب الدلو والحبل ونزع الماء من البئر، ولوجب أن يصبر حتى يسخر الله له ملكاً أو شخصاً آخر حتى يصب الماء في فيه. فإن كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو آلة الوصول إلى المشروب فحمل عين المطعوم والمشروب حيث لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يقدح فيه. وستأتي حقيقة التوكل في موضعها فإنه يلتبس إلا على المحققين من علماء الدين.

وأما زاد الآخرة، فهو العلم الذي يحتاج إليه في طهارته وصومه وصلاته وعباداته

قال القشيري في الرسالة: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول. سمعت محمد بن علي العلوي يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت أحنف الهمداني يقول: كنت في البادية وحدي فعييت فرفعت يدي وقلت: يا رب ضعيف زمن وقد جئت إلى ضيافتك فوقع في قلبي أن يقال لي من دعاك؟ فقلت: يا رب هي مملكتك تحتمل الطفيلي فإذا أنا بهاتف من ورائي، فالتفت فإذا أنا باعرابي على راحلة قال: يا أعجمي إلى أين؟ قلت إلى مكة. قال: أودعاك؟ قلت: لا أدري. فقال: أو ليس قال الله تعالى ﴿من استطاع إليه سبيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧] فقلت: المملكة واسعة تحتمل الطفيلي. فقال: نعم الطفيلي أنت يمكنك أن تخدم الجمل؟ فقلت: نعم فنزل عن راحلته وأعطانيها وقال: سر عليها. قال الشارح: في ذلك دلالة على أن المسافر لا يسافر في البادية بلا زاد ولا راحلة إلا إذا عوّده الله القوى على ذلك وقد يعوّده إياها، لكن يطرأ له في اثناء سفره ما يوجب له العجز عن ذلك فلا يضره، والأحنف كان الغالب عليه بحسب ما خطر له من السفر بلا زاد ولا راحلة إن الله يقويه على ذلك فلما طرأ عليه العجز في السفر استغاث بالله تعالى فاغاثه (**ولهذا سر سيأتي في كتاب التوكل**) إن شاء الله تعالى.

(**وليس معنى التوكل التباعد عن الأسباب**) الظاهرية (**بالكلية، ولو كان ذلك لبطل التوكل بطلب الدلو و**) الحبل لأجل (**نزع الماء من البئر**) كما وقع لبعضهم لما قيل له: ألا تشرب من زمزم؟ قال: لو كان لي حبل ودلو. (**ولوجب**) عليه (**أن يصبر حتى يسخر الله**) له (**ملكاً**) في صورة إنسان (**أو شخصاً آخر حتى يصب الماء في فيه، فإن كان حفظ الدلو والحبل لا يقدح في التوكل وهو**) آي الدلو مع الحبل (**آلة الوصول إلى المشروب فحمل عين المطعوم والمشروب حتى لا ينتظر له وجود أولى بأن لا يقدح فيه**) أي في التوكل إذ لا فرق بين حمل الشيء وما هو آلة للوصول إليه، (**وسيأتي حقيقة التوكل**) ما هي (**فإنه ملتبس**) أمره (**إلا على المحققين من علماء الدين**) فإنهم يدركون حقيقته ويميزون بين ما يقدح فيه وما لا يقدح فيه ولهم فيه مشارب.

(**وأما زاد الآخرة، فهو العلم الذي يحتاج إليه**) وهو أخذ الأربعة التي يحتاج إليها المسافر،

فلا بدّ وأن يتزوّد منه، إذ السفر تارة يخفف عنه أموراً فيحتاج إلى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر والجمع والفطر، وتارة يشدد عليه أموراً كان مستغنياً عنها في الحضر كالعلم بالقبلة وأوقات الصلوات، فإنه في البلد يكتفي بغيره من محاريب المساجد وأذان المؤذنين وفي السفر قد يحتاج إلى أن يتعرف بنفسه. فإذاً ما يفتقر إلى تعلمه ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: العلم برخص السفر:

والسفر يفيد في الطهارة رخصتين: مسح الخفين والتيمم، وفي صلاة الفرض رخصتين: القصر والجمع، وفي النفل رخصتين: أداؤه على الراحلة وأداؤه ماشياً، وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر، فهذه سبع رخص.

الرخصة الأولى: المسح على الخفين، قال صفوان بن عسال: أمرنا رسول الله ﷺ

نقل القشيري في الرسالة عن أبي يعقوب السوسي أنه قال: يحتاج المسافر في سفره إلى أربعة اشياء: علم يسوسه، وورع يحجزه، ووجد يحمله، وخلق يصل به. واقتصر المصنف على الأول ثم فصله فقال: هو العلم الذي يحتاج إليه **(في طهارته وصومه وصلاته وعبادته، فلا بدَّ وأن يتزود منه إذ السفر تارة يخفف عنه أموراً فيحتاج إلى معرفة القدر الذي يخففه السفر كالقصر)** أي قصر الصلاة الرباعية على الركعتين، **(والجمع)** أي بين الصلاتين في وقت واحد، **(وتارة يشدد عليه أموراً كان)** هو **(مستغنياً عنها)** وهو **(في الحضر)** وذلك **(كالعلم بالقبلة وأوقات الصلوات فإنه)** حال إقامته **(في البلد مكفي بغيره من محاريب المساجد)** المبنية، **(وأذان المؤذنين، و)** أما **(في السفر)** فإنه **(قد يحتاج إلى ان يتعرف بنفسه فإذاً ما يفتقر إلى تعلمه ينقسم إلى قسمين)**.

القسم الأول: العلم برخص السفر.

(والسفر يفيد في الطهارة رخصتين: مسح الخفين والتيمم، وفي صلاة الفرض رخصتين: القصر والجمع، وفي صلاة النفل رخصتين: اداؤه على الراحلة) أعم من أن تكون جملاً أو بغلاً أو فرساً أو حماراً وهنا بخلاف ما قيل في الحج من اشتراطها جملاً كما تقدمت الإشارة إليه في كتاب الحج، **(واداؤه ماشياً)** على القدمين، **(وفي الصوم رخصة واحدة وهي الفطر، فهذه سبع رخص)**.

(الرخصة الأولى: المسح على الخفين) وقد اتفقوا على جوازه في السفر وعلى جوازه في الحضر أيضاً إلا رواية عن مالك يصح للرجال والنساء، وقد ثبت جوازه بالسّنة لا بالكتاب خلافاً لمن حمل قراءة الجر في أرجلكم عليه لأن المسح على الخف لا يجب على الكعبين إتفاقاً وليس في

....

المسح على الخفين خلاف إلاّ للراوفض، فإنهم لا يرونه والأخبار المستفيضة ترد عليهم، مثل هؤلاء لا يعتد بخلافهم.

قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: ما قلت بالمسح حتى جاءني فيه مثل ضوء النهار، وروي عنه أيضاً قال: أخاف الكفر على من لم ير المسح على الخفين لأن الأخبار التي جاءت فيه في حيز التواتر. وقال أبو يوسف: خبر المسح على الخفين يجوز نسخ الكتاب به لشهرته. وقال أحمد: ليس في قلبي من المسح شيء فيه أربعون حديثاً عن أصحاب رسول الله ﷺ ما رفعوا ولا وقفوا أي مرفوعة وموقوفة، وهكذا نقله ابن عبد البر في الاستذكار. وقال ابن أبي حاتم فيه عن أحد وأربعين، ونقل ابن المنذر عن الحسن البصري قال: حدثني سبعون من أصحاب النبي ﷺ أنه كان يمسح على الخفين. وذكر أبو القاسم بن منده أسماء من رواه في تذكرته فبلغ ثمانين صحابياً، وسرد الترمذي في سننه جماعة، والبيهقي في سننه جماعة منهم: أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وسعد، والمغيرة، وأبو موسى الأشعري، وعمرو بن العاص، وأبو أيوب، وأبو أمامة وسهل بن سعد، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، وبلال، وصفوان بن عسال، وعبد الله ابن الحرث بن جزء، وسلمان، وثوبان، وعبادة بن الصامت، ويعلى بن مرة وأسامة بن زيد، وعمر ابن أمية الضمري، وأبو بكرة، وخزيمة ابن ثابت، وأبي بن عمارة، وأبو هريرة وعائشة رضي الله عنهم أجمعين.

قال ابن عبد البر بعد أن سرد منهم جماعة: لم يرد عن غيرهم منهم خلاف إلا الشيء الذي لا يثبت عن عائشة وابن عباس وأبي هريرة. قال الحافظ في تخريج الرافعي، قال أحمد: لا يصح حديث أبي هريرة في إنكار المسح وهو باطل، وروى الدارقطني من حديث عائشة إثبات المسح، ويؤيد ذلك حديث شريح بن هانيء في سؤاله إياها عن ذلك. فقالت: سل ابن أبي طالب، وفي رواية إنها قالت: لا علم لي بذلك.

وأما ما أخرجه ابن أبي شيبة عن حاتم بن إسماعيل عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال علي: سبق الكتاب الخفين فهو منقطع لأن محمداً لم يدرك علياً.

وأما ما رواه محمد بن مهاجر عن إسماعيل بن أبي أويس، عن إبراهيم بن إسماعيل عن داود بن الحصين عن القاسم عن عائشة قالت: لأن أقطع رجلي بالموسى أحب إلي أن أمسح على الخفين فهو باطل عنها. قال ابن حبان: محمد بن مهاجر كان يضع الحديث وأغرب ربيعة فيما حكاه الآجري عن أبي داود قال: جاء زيد بن أسلم إلى ربيعة فقال: أمسح على الجوربين؟ فقال ربيعة: ما صح عن النبي ﷺ أنه مسح على الخفين فكيف على الخرقتين؟.

(قال صفوان بن عسال) المرادي صحابي مشهور نزل الكوفة، له اثنتا عشرة غزوة، وروى عنه ابن مسعود مع جلالته، وزر بن حبيش، وعبد الله بن سلمة، وطائفة وروى له الترمذي والنسائي وابن

إذا كنا مسافرين أو سفراً أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن، **فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث فله أن يمسح على خفه من وقت حدثه ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافراً، أو يوماً وليلة إن كان مقيماً ولكن بخمسة شروط.**

الأول: أن يكون اللبس بعد كمال الطهارة، فلو غسل الرِجل اليمنى وأدخلها في

ماجه: **(أمرنا رسول الله ﷺ إذا كنا مسافرين أو)** قال **(سفراً)** شك من الراوي وهو بفتح فسكون جمع سافر كركب وراكب **(أن لا ننزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن)** إلا من جنابة، لكن من غائط أو بول أو نوم. قال العراقي: رواه الترمذي وصححه ابن ماجه والنسائي في الكبرى وابن حبان وابن خزيمة اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الشافعي وأحمد والدارقطني والبيهقي. قال الترمذي: عن البخاري حديث حسن، وصححه أيضاً الخطابي ومداره عندهم على عاصم بن النجود عن زر بن حبيش عنه، وذكر أبو القاسم بن منده أنه رواه عن عاصم أكثر من أربعين نفساً، وتابع عاصماً عليه عبد الوهاب بن بخت، وإسماعيل بن أبي خالد، وطلحة بن معرب، والمنهال بن عمرو، ومحمد بن سوقة. وذكر جماعة ومراده أصل الحديث لأنه مشتمل على التوبة والمرء مع من أحب وغير ذلك، وقد روى الطبراني حديث المسح من طريق عبد الكريم بن أمية، عن حبيب بن أبي ثابت، عن زر وعبد الكريم ضعيف، ورواه البيهقي من طريق أبي روق عن أبي الغريب عن صفوان بن عسال ولفظه «ليمسح أحدكم إذا كان مسافراً على خفيه إذا أدخلهما طاهرتين ثلاثة أيام ولياليهن. وليمسح المقيم يوماً وليلة». ووقع في الدارقطني زيادة في آخر هذا المتن وهي قوله «أو ريح» وذكر أن وكيعاً تفرد بها عن مسعر عن عاصم.

(فكل من لبس الخف على طهارة مبيحة للصلاة ثم أحدث، فله أن يمسح على خفيه من وقت حدثه) العارض له **(ثلاثة أيام ولياليهن إن كان مسافراً أو يوماً وليلة إن كان مقيماً)** هذا التوقيت باتفاق الائمة إلاَّ مالكاً فإنه لا توقيت عنده بحال، وحكى الزعفراني عن الشافعي: أنه لا توقيت بحال إلاَّ إذا وجب عليه غسل، ثم رجع عن ذلك نقله ابن هبيرة في الإفصاح. وقوله على طهارة مبيحة للصلاة ونصه في الوجيز: إذا لبسه على طهارة كاملة ثم أحدث فشرط كما لها في وقت اللبس وخرج عنه التيمم فإنه ليست طهارة كاملة، وعبارة الهداية لأصحابنا جائز بالسنّة من كل حدث موجب للوضوء على طهارة كاملة إذا لبسهما ثم أحدث أي من كل حدث كائناً أو حادثاً على طهارة كاملة، وتتفرع منها مسائل خلافية يأتي ذكرها. وقوله: فله أن يمسح إشارة إلى أنه رخصة لا عزيمة والأحب المسح، وقوله: من وقت حدثه يأتي الكلام عليه قريباً، **(ولكن بخمسة شروط)**.

(الأول: أن يكون اللبس بعد كمال الطهارة، فلو غسل الرجل اليمنى وأدخلها في

الخف ثم غسل اليسرى فأدخلها في الخف لم يجز له المسح عند الشافعي رحمه الله حتى ينزع خف اليمنى ويعيد لبسه.

الثاني: أن يكون الخف قوياً يمكن المشي فيه، ويجوز المسح على الخف وإن لم يكن منعلاً إذ العادة جارية بالتردد فيه في المنازل لأن فيه قوّة على الجملة، بخلاف جورب الصوفية فإنه لا يجوز المسح عليه وكذا الجرموق الضعيف.

الخف، ثم غسل اليسري ثم أدخلها في الخف لم يجز له المسح عند الشافعي) رضى الله عنه، **(حتى ينزع خف اليمين ويعيد لبسه)** فيكفيه ويجوز المسح بعده على الصحيح من المذهب، وعلى الثاني لا بدّ من نزعها، ولو أدخل الرجلين ساقي الخف بلا غسل ثم غسلهما ثم أدخلهما قرار الخف صح لبسه وجاز المسح، ولو لبس متطهراً ثم أحدث قبل وصول قدم الخف أو مسح بشرطه ثم أزال القدم من مقرها ولم يظهر من محل الفرض شيء، ففي الصورتين ثلاثة أوجه: الصحيح جواز المسح في الثانية ومنعه في الأولى، والثاني يجوز فيهما، والثالث لا يجوز فيهما. وعند أصحابنا هذه الصورة التي ذكر المصنف يجوز فيها المسح إذا أحدث لعدم اشتراط كمال الطهارة وقت اللبس عندنا، وإنما يشترط وقت الحدث حتى لو غسل رجليه ولبس خفيه، ثم أتم الوضوء قبل أن يحدث جاز له المسح عليهما لوجود التمام عند الحدث، وصورة امتناعها عند الشافعي لوجهين لعدم الترتيب في الوضوء ولعدم كمال الطهارة وقت اللبس، ويستدل بلفظ الحديث أدخلتهما وهما طاهرتان، وأجاب أصحابنا بأن المراد منه أدخلت كل واحد منهما الخف وهي طاهرة لأنهما اقترنا في الطهارة والإدخال، وهذا كما يقال: دخلت البلد ونحن ركبان يشترط أن يكون كل واحد راكباً عند دخولها، ولا يشترط أن يكون جميعهم ركباناً عند دخول كل واحد منهم ولا اقترانهم في الدخول

(الثاني: أن يكون الخف) الذي يلبسه صالحاً للمسح وصلاحيته بأمور: أحدها: أن يكون **(قوياً)** بحيث **(يمكن)** متابعة **(المشي فيه)** وعليه بقدر ما يحتاج إليه المسافر حوائجه عند الحط والترحال، **(ويجوز المسح على الخفين، وأن لم يكن متصلاً)** بأن يجعل له نعل في أسفله كما يفعله أهل ما وراء النهر **(إذ العادة جارية بالتردد فيه في المنازل، لأن فيه قوّة على الجملة بخلاف جورب الصوفية المتخذ من الجلد)** الذي يلبس مع المكعب، **(فإنه لا يجوز المسح عليه)** حتى يكون قوياً يمكن متابعة المشي عليه، ويمنع نفوذ الماء إن شرطناه إما لصفاقته وإما لتجليد القدمين والنعل على الأسفل والإلصاق على الكعب، وقيل: في اشتراط تجليد القدم مع صفاقته قولان، ولو تعذر المشي فيه لسعته المفرطة أو ضيقه لم يجز المسح على الأصح ولو تعذر لغلظه أو ثقله كالخشب والحديد أو لتحديد رأسه بحيث لا يستقر على الأرض لم يجز، وكذا يجوز المسح على اللفائف والجوارب المتخذة من صوف ولبد. وقال أصحابنا. يجوز المسح على الجوارب إذا كان متصلاً أو مجلداً أو ثخيناً. أما إذا كان مجلداً ومتصلاً فلأنه يمكن المواظبة في المشي عليهما والرخصة لأجله فصار كالخف والمجلد هو الذي وضع الجلد على أعلاه وأسفله، والنعل هو الذي

....

وضع على أسفله كالنعل للقدم، وقيل: يكون إلى الكعب. وأما الثخين فحده أن يستمسك على الساق من غير أن لا يرى وأن لا يرى ما تحته هذا قول الصاحبين. وقال أبو حنيفة: لا يجوز المسح عليه، ويروى رجوعه إلى قولهما قبل موته بثلاثة أيام أو سبعة، وعليه الفتوى وهو مذهب علي وابن مسعود.

(وكذا الجرموق الضعيف) فإنه لا يجوز المسح عليه لأن الحاجة لا تدعو إليه في الغالب فلا تتعلق به الرخصة، ولأن البدل لا يكون له بدل.

قال الرافعي في الشرح الكبير: الجرموق هو الذي يلبس فوق الخف لشدة البرد غالباً فإذا لبس جرموقاً فوق خف فله أربعة أحوال أحدها: أن يكون الأعلى صالحاً للمسح دون الأسفل لضعفه أو تخرقه فالمسح على الأعلى خاصة. **الثاني:** عكسه فالمسح على الأسفل خاصة فلو مسح الأعلى فوصل البلل إلى الأسفل فإن قصد مسح الأسفل أجزأ وكذا إن قصدهما على الصحيح، وإن قصد الأعلى لم يجز وإن لم يقصد واحداً بل قصد المسح في الجملة أجزأه على الأصح لقصده إسقاط فرض الرجل بالمسح. **الثالث:** أن لا يصلح واحد منهما فيتعذر المسح. **الرابع:** أن يصلحا كلاهما ففي المسح على الأعلى وحده قولان القديم والإملاء جوازه الجديد منعه.

قال النووي: قلت: الأظهر عند الجمهور الجديد، وصححه القاضي أبو الطيب في شرح الفروع والله أعلم. فإن جوّزنا المسح على الجرموق فقد ذكر ابن سريج ثلاثة معان. أظهرها أنها كخف واحد فالأعلى على ظهارة والأسفل بطانة، وتتفرع على المعاني مسائل.

منـها ما لو لبسهما معاً على طهارة فأراد الاقتصار على مسح الأسفل جاز على المعنى الأول دون الآخرين.

ومنـها: ما لو لبس الأسفل على طهارة والأعلى على حدث ففي جواز المسح على الأعلى طريقان. أحدهما: لا يجوز وأصحهما فيه وجهان. وإن قلنا بالمعنى الأول أو الثاني لم يجز، وبالثالث يجوز. ولو لبس الأسفل بطهارته ثم أحدث ومسحه، ثم لبس الجرموق فهل يجوز مسحه؟ فيه طريقان. أحدهما: ينبني على المعاني إن قلنا بالأول أو الثالث جاز، وبالثاني لا يجوز. وقيل: ينبني الجواز على هذا الثاني على أن مسح الخفين يرفع الحدث أم لا؟ إن قلنا يرفع جاز، وإلاّ فلا. والطريق الثاني القطع بالبناء على رفع الحدث، وإذا جوّزنا مسح الأعلى في هذه المسألة قال الشيخ أبو علي ابتداء المدة من حين أحدث أو لبسه الاسفل، وفي جواز الاقتصار على الاسفل الخلاف السابق.

ومنـها: لو لبس الأسفل على حدث وغسل رجله فيه ثم لبس الأعلى على طهارة كاملة فلا يجوز الأسفل قطعاً ولا مسح الأعلى. إن قلنا بالمعنى الأوّل والثالث والثاني يجوز.

ومنـها: ما لو تخرق الأعلى من الرجلين جميعاً أو نزعه منهما بعد مسحه وبقي الأسفل بحاله،

....

فإن قلنا بالمعنى الأوّل لم يجب نزع الأسفل بل يجب مسحه، وهل يكفيه مسحه أو يجب استيعاب الوضوء فيه؟ القولان في نازع الخفين، وإن قلنا بالمعنى الثالث فلا شيء عليه، وإن قلنا بالثاني وجب نزع الأسفل أيضاً وغسل القدمين، وفي استئناف الوضوء القولان فحصل في المسألة خمسة أقوال: أحدها: لا يجب شيء، والثاني يجب مسح الأسفل فقط، والثالث يجب المسح واستئناف الوضوء، والرابع: يجب مسح الخف وغسل الرجلين، والخامس: يجب ذلك مع استئناف الوضوء.

ومنـها: لو تخرق الأعلى من أحد الرجلين أو نزعه فإن قلنا: بالمعنى الثالث فلا شيء عليه، وإن قلنا بالثاني وجب نزع الأسفل أيضاً من هذه الرجل ووجب نزعها من الرجل الأخرى وغسل القدمين، وفي استئناف الوضوء القولان. وإن قلنا بالمعنى الاوّل فهل يلزمه نزع الأعلى من الرجل الاخرى؟ وجهان: أصحهما: نعم كمن نزع أحد الخفين فإذا نزعه عاد القولان في أنه يجب استئناف أم يكفيه مسح الأسفل، والثاني: لا يلزمه نزع الثاني. وفي واجبه القولان. أحدهما مسح الاسفل الذي نزع أعلاه والثاني استئناف الوضوء ومسح هذا الاسفل والأعلى من الرجل الأخرى.

ومنـها: لو تخرق الأسفل منهما لم يفسد على المعاني كلها، ولو تخرق من احداهما فإن قلنا بالمعنى الثاني أو الثالث فلا شيء، وإن قلنا بالأول وجب نزع واحد من الرجل الأخرى لئلا يجمع بين البدل والمبدل قاله في التهذيب، ثم إذا نزع ففي واجبه القولان. أحدهما مسح الخف الذي نزع الأعلى من فوقه، والثاني: استئناف الوضوء والمسح عليه، وعلى الأعلى الذي تخرق الأسفل تحته.

ومنـها: لو تخرق الأسفل والأعلى من الرجلين أو من أحدهما لزمه نزع الجميع على المعاني كلها.

ومنـها: لو تخرق الأعلى من رجل والأسفل من الأخرى فإن قلنا بالثالث فلا شيء عليه، وإن قلنا بالأول: نزع الأعلى المتخرق وأعاد مسح ما تحته، وهل يكفيه ذلك أم يجب استئناف الوضوء ماسحاً عليه وعلى الأعلى من الرجل الأخرى؟ فيه القولان هذا تفريع على جواز مسح الجرموق فإن منعنا فأدخل يده بينهما ومسح الخف الأسفل جاز على الاصح، ولو تخرق الأسفلان فإن كان عند التخريق على طهارة لبسه الأسفل ومسح الأعلى لأنه صار أصلاً لخروج الأسفل عن صلاحيته للمسح، وإن كان محدثاً لم يجز مسح الأعلى كاللبس على حدث وإن كان على طهارة مسح فوجهان: إما إذا لبس جرموقاً في رجل واقتصر على الخف في الأخرى فعلى الجديد لا يجوز مسح الجرموق، وعلى القديم ينبني على المعاني الثلاث، فعلى الأول يجوز كما لا يجوز المسح في خف وغسل الرجل الأخرى، وعلى الثالث يجوز وكذا على الثاني على الأصح. قال النووي: فإذا جوزنا المسح على الجرموق فكذا إذ لبس ثانياً وثالثاً ولو لبس الخف فوق الجبيرة لم يجـز المسح على الأصح والله أعلم.

الثالث: أن لا يكون في موضع فرض الغسل خرق، فإن تخرق بحيث انكشف محل الفرض لم يجز المسح عليه. وللشافعي قول قديم أنه يجوز ما دام يستمسك على الرجل، وهو مذهب مالك رضي الله عنه. ولا بأس به لمسيس الحاجة إليه وتعذر الخرز في السفر

فصل

وقال أصحابنا: ومن لبس الجرموق فوق الخف مسح عليه إذا لبسهما قبل أن يحدث فإذا حدث قبله وهو لابس الخف لا يجوز، لأن وظيفة المسح استقرت للخف الحلول الحدث فلا يزال بمسح غيره، وكذا لو لبس الجرموقين قبل الحدث ثم أحدث فأدخل يديه فمسح خفيه لا يجوز مسح في غير محل الحدث، ولو مسح أحد جرموقيه بعد المسح عليهما وجب مسح الخف البادىء وإعادة المسح على الجرموق لانتقاض وظيفتهما كنزع أحد الخفين، وفي بعض روايات الأصل ينزع الآخر ويمسح على الخفين، وإن كان الجرموقان من كرباس لا يجوز المسح عليه لأنه لا يمكن متابعة المشي عليه فصار كاللفافة إلا أن تنفذ البلة للخف قدر الواجب لحصول المقصود. ودليل الإمام ما رواه أحمد من حديث بلال رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ مسح على الجرموقين والخمار. ولأبي داود كان يخرج فيقضي حاجته فآتيه بالماء فيمسح على عمامته وجرموقيه. قال الجوهري والمطرزي: الجرموق خف قصير يلبس فوق الخف فارسي معرب. وقال زفر من أصحابنا يمسح على الخف المنزوع جرموقه وليس عليه في الآخر شيء لأن المسح باق في غير المنزوع. وأجيب بأن طهارة الرجلين لا تتجزأ إذ هما وظيفة واحدة، ولهذا لا يجوز أن يغسل إحداهما ويمسح الأخرى فإن انتقض في إحداهما كنزعهما لعدم التجزيء فصار كنزع أحد الخفين حيث يجب عليه نزع الآخر.

(**الثالث: أن لا يكون في موضع فرض الغسل**) من الرجلين (**خرق فإن تخرق انكشف محل الفرض**) ولو قلّ (**لم يجز المسح**) قطعاً وهذا هو الجديد وهو الأظهر، (**وللشافعي رضي الله عنه قول قديم أنه يجوز**) المسح عليه ما لم يتفاحش الخرق وهو (**ما دام يستمسك على الرجل**) ويتأتى المشي عليه، فهذا هو التفاحش. وقيل: التفاحش أن يبطل اسم الخف فلو تخرقت البطانة أو الظهارة جاز المسح إذا كان الباقي صفيقاً. وإلاَّ فلا على الصحيح ويقاس على هذا ما إذا تخرق من الظهارة موضع ومن البطانة موضع لا يحاذيه (**وهو مذهب مالك**) رحمه الله تعالى، (**ولا بأس به لمسيس الحاجة إليه وتعذر الخرز في السفر في كل وقت**). وقال أصحابنا: الخرق الذي يمنع المسح قدر ثلاث أصابع القدم أصغرها والاعتبار بالأصغر للأحتياط، وأما إذا انكشفت الأصابع نفسها يعتبر أن ينكشف الثلاث أيتها كانت ولا يعتبر الأصغر، لأن كل أصبع أصل بنفسها فلا يعتبر بغيرها لو انكشف الابهام مع جارتها، وهما قدر ثلاث أصابع من أصغرها يجوز المسح، فإن كان مع جارتيها لا يجوز المسح والخرق المانع هو المنفرج الذي يرى ما تحته من الرجل أو يكون منضماً، لكن ينفرج عند المشي ويظهر القدم منه عند الوضع بأن كان الخرق

في كل وقت، والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساتراً لا تبدو بشرة القدم من خلاله، وكذا المشقوق الذي يرد على محل الشق بشرج لأن الحاجة تمس إلى جميع ذلك. فلا يعتبر إلا أن يكون ساتراً إلى ما فوق الكعبين كيفما كان، فأما إذا ستر بعض ظهر القدم وستر الباقي باللفافة لم يجز المسح عليه.

الرابع: أن لا ينزع الخف بعد المسح عليه، فإن نزع فالأولى له استئناف الوضوء، فإن اقتصر على غسل القدمين جاز.

عرضاً، وإن كان طولاً فيه ثلاث أصابع وأكثر، ولكن لا يرى شيء من القدم ولا ينفرج عند المشي لصلابته لا يمنع المسح، ولو انكشفت الظهارة وفي داخلها بطانة من جلد أو خرقة مخروزة بالخف لا يمنع والخرق فوق الكعب لا يمنع لأنه لا عبرة بلبسه، وفي الكعب وما تحته هو المعتبر في المنع، ويجمع الخروق في خف واحد لا في خفين، لأن الرجلين عضوان حقيقة فعمل بها ولم يجمع، ثم الخرق الذي يجمع أقله ما تدخل فيه المسلة وما دونه ويعتبر إلحاقاً بمواضع الخرز.

(والمداس المنسوج يجوز المسح عليه مهما كان ساتراً لا تبدو بشرة القدم من خلاله، وكذا) الخف **(المشقوق)** القدم **(الذي يرد)** أي يشد **(على محل الشق بشراج)** وفي بعض النسخ بشرج وهو محركة العروة تكون للجوالق وجمعه اشراج بشرط أن لا يظهر شيء مع الشد وهذا هو الصحيح المنصوص **(لأن الحاجة تمس إلى جميع ذلك)** فإن ظهر شيء مع الشد لم يجز المسح، وكذا لو فتح الشرج بطل المسح في الحال، وإن لم يظهر شيء، **(فلا يعتبر إلا أن يكون ساتراً إلى فوق الكعبين كيفما كان، فأما إذا كان ستر بعض القدم)** بأن شد عليه قطعة من أدم **(وستر الباقي باللفافة لم يجز المسح عليه)** لأنه لم يقع عليه اسم الخف.

(الرابع: أن لا ينزع الخف بعد المسح فإن نزع فالأولى استئناف الوضوء) مراعاة للقول بأنه مبطل جميع الوضوء وهو أحد قولي الشافعي وأظهر الروايتين عن أحمد، **(فإن اقتصر على غسل القدمين)** فقط **(جاز)** وهو القول الأظهر للشافعي. وقال أحمد: أرجو أن يجزئه وبه قال أبو حنيفة ومالك، وليس عليه إعادة بقية الوضوء إذا كان على وضوء لأن الحدث السابق هو الذي حل بقدميه، وقد غسل بعده سائر الأعضاء وبقيت القدمان فقط فلا يجب عليه إلا غسلها.

وقال الرافعي: واختلف في أصل القولين فقيل: أصل بأنفسهما، وقيل مبنيان على تفريق الوضوء وضعفه الأصحاب، وقيل: على أن بعض الطهارة هل يختص بالانتقاض أم يلزم من انتقاض بعضها انتقاض جميعها؟ وقيل مبنيان على أن مسح الخف يرفع الحدث عن الرجل أم لا؟ فإن قلنا: لا يرفع اقتصر على غسل الرجلين إلاَّ استأنف.

قال النووي: الأصح عند الأصحاب أن مسح الخف يرفع الحدث عن الرجل كمسح الرأس انتهى.

الخامس: أن يمسح على الموضع المحاذي لمحل فرض الغسل لا عن الساق وأقله ما يسمى مسحاً على ظهر القدم من الخف، وإذا مسح بثلاث أصابع أجزأ والأولى أن يخرج من شبهة الخلاف وأكمله أن يمسح أعلاه وأسفله دفعة واحدة من غير تكرار، كذلك

وقال أصحابنا: وحكم النزع يثبت القدم بخروج القدم إلى ساق الخف، وكذا بخروج أكثر القدم إليه في الصحيح. وعن أبي يوسف أنه إن خرج أكثر القدم بكل، وعن محمد إن بقي في الخف من القدم قدر ما يجوز المسح عليه لا ينتقض وإلا انتقض. وقال بعض المشايخ: إن أمكن المشي به لا ينتقض وإلاّ انتقض ولا فرق بين خروجه بنفسه والإخراج.

(الخامس أن يمسح على الموضع المحاذي لمحل فرض الغسل، لا على الساق وأقله ما يسمى مسحاً) أي ما ينطلق عليه اسم المسح **(على ظهر القدم من الخف)** لا اسفل الرجل، فلا يجوز الاقتصار عليه في الأظهر، وقيل يجوز قطعاً، وقيل: لا يجوز قطعاً ولا العقب فلا يجزي، على المذهب. وقيل: هو أولى بالجواز من الأسفل، وقيل: أولى بالمنع كذا في الروضة وفي الإفصاح لابن هبيرة، وهل يسن مسح ما حاذى باطن القدمين أيضاً؟ فقال أبو حنيفة وأحمد: لا يسن. وقال مالك والشافعي: يسن، وفي شرح الكنز للزيلعي لا يجوز مسح باطنه أو عقبه أو ساقيه أو جوانبه أو كعبيه لقول علي رضي الله عنه: لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخف أولى بالمسح من أعلاه، لكن رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهرهما خطوطاً بالأصابع. وقال أبو حنيفة. يجزيء قدر ثلاث أصابع فصاعداً فلو مسح بأصبع واحدة ثلاث مرات من غير أن يأخذ ماء جديداً لا يجوز، ولو مسح كذلك وأخذ لكل مرة ماء جديداً جاز لوجود المقصود، ولو أصاب موضع المسح ماء أو مطر قدر ثلاث أصابع جاز ويعتبر قدر ثلاثة أصابع من كل رجل على حدة حتى لو مسح على إحدى رجليه مقدار أصبعين، وعلى الأخرى مقدار خمس أصابع لا يجزئه، والمعتبر فيها أصابع اليد على الأصح لأنها آلة المسح، ومذهب أحمد مسح الأكثر ومالك يرى الاستيعاب.

(وإذا مسح بثلاثة أصابع خرج من شبهة الخلاف) مع أبي حنيفة، **(وأكمله أن يمسح أعلاه وأسفله)** ولكن ليس استيعاب جميعه سنة على الأصح، ويستحب مسح العقب على الأظهر، وقيل: الأصح، وقيل: قطعاً ولو كان عند المسح على أسفل خفه نجاسة لم يجز المسح عليه ويجزىء غسل الخف عن مسحه على الصحيح، لكن يكره **(دفعة واحدة من غير تكرار)** قال النووي: يكره تكرار المسح على الصحيح وعلى الثاني يستحب تكراره ثلاثاً كالرأس، **(كذلك فعل رسول الله ﷺ)** أي مسح أعلى الخف وأسفله.

قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي، وضعفه، وابن ماجه من حديث المغيرة، وهكذا ضعفه البخاري وأبو زرعة اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والدارقطني والبيهقي وابن الأنبار وكلهم من طريق ثور بن يزيد بن

فعل رسول الله ﷺ. ووصفه أن يبل اليدين ويضع رؤوس أصابع اليمنى من يده على رؤوس أصابع اليمنى من رجله ويمسحه بأن يجر أصابعه إلى جهة نفسه، ويضع رؤوس أصابع يده اليسرى على عقبه من أسفل الخف ويمرها إلى رأس القدم ومهما مسح مقبماً ثم

رجاء بن حيوة عن كاتب المغيرة عن المغيرة. وفي رواية ابن ماجه عن وراد كاتب المغيرة. قال الأثرم: عن أحمد أنه كان يضعفه ويقول: ذكرته لعبد الرحمن بن مهدي فقال: عن ابن المبارك عن ثور حدثت عن رجاء عن كاتب المغيرة ولم يذكر المغيرة، ثم قال أحمد: وقد كان نعيم بن حماد حدثني به عن ابن المبارك كما حدثني الوليد بن مسلم به عن ثور، فقلت له: إنما يقول هذا الوليد فأما ابن المبارك فيقول: حدثت عن رجاء ولم يذكر المغيرة فقال لي نعيم: هذا حديثي الذي أسأل عنه، فاخرج إلي كتابه القديم بخط عتيق فإذا فيه ملحق بين السطرين بخط ليس بالقديم عن المغيرة فأوقفته عليه وأخبرته أن هذه زيادة في الإسناد لا أصل لها فجعل يقول للناس بعد احرسوا على هذا الحديث. وقال ابن أبي حاتم في العلل عن أبيه عن أبي زرعة حديث الوليد ليس بمحفوظ. وقال موسى بن هارون لم يسمعه ثور عن رجاء حكاه قاسم بن أصبغ عنه.

وقال البخاري في التاريخ الأوسط: حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا محمد بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عروة بن الزبير عن المغيرة رأيت رسول الله ﷺ يمسح على خفه ظاهرها. قال: وهذا أصح من حديث رجاء عن كاتب المغيرة. وكذا رواه أبو داود والترمذي من حديث ابن أبي الزناد. ورواه الطيالسي عن ابن أبي الزناد. وقال الترمذي: هذا حديث معلول لم يسنده عن ثور غير الوليد. قال الحافظ في تاريخ الرافعي: قد رواه الشافعي في الأم عن إبراهيم بن يحيي عن ثور مثل الوليد، وذكر الدارقطني في العلل أن محمد بن عيسى بن سميع رواه عن ثور كذلك. وقال الترمذي: وسمعت أبا زرعة ومحمداً يقولان ليس بصحيح، وقال أبو داود: ولم يسمع ثور عن رجاء. وقال الدارقطني: روي عن عبد الملك بن عمر عن وراد كاتب المغيرة عن المغيرة ولم يذكر أسفل الخف. وقال ابن حزم أخطأ فيه الوليد في موضعين.

قال الحافظ: ووقع في سنن الدارقطني ما يوهم رفع العلة وهي: حدثنا عبدالله بن محمد بن عبد العزيز، حدثنا داود بن رشيد، عن الوليد بن مسلم، عن ثور بن زيد، حدثنا رجاء بن حيوة فذكره فهذا ظاهر أن ثوراً سمعه من رجاء فتزول العلة، ولكن رواه أحمد بن عبيد الصفار في مسنده عن أحمد بن يحيي الحلواني عن داود بن رشيد فقال: عن رجاء ولم يقل حدثنا رجاء، فهذا الخلاف على داود يمنع من القول بصحة وصلة مع ما تقدم في كلام الأئمة.

قال الحافظ: قد روى الشافعي في القديم وفي الإملاء من حديث نافع عن ابن عمر أنه كان يمسح أعلى الخف وأسفله، **(ووجهه)** وفي نسخة: ووصفه **(أن يبل اليدين ويضع رؤوس أصابع اليد اليمنى على رؤوس أصابع رجله اليمنى، ويمسحه بأن يجر أصابعه إلى جهة نفسه ويضع رؤوس أصابع يده اليسرى على عقبه من أسفل الخف ويمرها إلى رأس القدم)** وعبارة

سافر أو مسافراً ثم أقام غلب حكم الإقامة، فليقتصر على يوم وليلة وعدد الأيام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف، فلو ليس الخف في الحضر ومسح في الحضر ثم خرج وأحدث في السفر وقت الزوال مثلاً مسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال إلى الزوال من اليوم الرابع، فإذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له أن يصلي إلا بعد غسل الرجلين فيغسل رجليه ويعيد لبس الخف ويراعي وقت الحدث ويستأنف الحساب من وقت الحدث. ولو أحدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله أن يمسح ثلاثة أيام لأن العادة قد تقتضي اللبس قبل الخروج، ثم لا يمكن الاحتراز

الرافعي الأولى: أن يضع كفه اليسرى تحت العقب واليمنى على رؤوس الأصابع، ويمر اليسرى على أطراف الأصابع من أسفل واليمنى إلى الساق. قال: وتروى هذه الكيفية عن ابن عمر. قال الحافظ: كذا قال، والمحفوظ عن ابن عمر أنه كان يمسح أعلى الخف وأسفله كذا رواه الشافعي والبيهقي.

(ومهما مسح) على الخف حال كونه **(مقيماً)** في الحضر **(ثم سافر أو)** مسح حال كونه **(مسافراً ثم أقام غلب حكم الإقامة، فليقتصر على يوم وليلة)** قال الرافعي: إذا مسح في السفر ثم أقام فإن كان بعد مضي يوم وليلة فأكثر فقد انقضت مدته ويجزئه ما مضى، وإن كان قبل يوم وليلة تممها وقال المزني: يمسح ثلاثاً ما لقي من ثلاثة أيام ولياليهن مطلقاً ولو شك الماسح في السفر أو الحضر في انقضاء مدته وجب الأخذ بانقضائها، ولو شك المسافر هل ابتدأ المسح في الحضر أم في السفر؟ أخذ بالحضر فيقتصر على يوم وليلة، فلو مسح في اليوم الثاني شاكاً وصلى به ثم علم في الثالث أنه كان ابتدأ في السفر لزمه إعادة ما صلى في اليوم الثاني وله المسح في اليوم الثالث، فإن كان في اليوم الأول واستمر على الطهارة فلم يحدث في اليوم الثاني، فله أن يصلي في الثالث بذلك المسح لأنه صحيح، فإن كان أحدث في الثاني ومسح شاكاً وبقي على تلك الطهارة لم يصح مسحه، فيجب إعادة المسح وفي وجوب استئناف الوضوء القولان في الموالاة. وقال صاحب الشامل: يجزئه المسح مع الشك والصحيح الأول.

(وعدد الأيام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف) لا من وقت المسح، وبه قال أبو حنيفة ومالك ورواية عن أحمد لأن ما قبل ذلك طهارة الوضوء ولا تقدير فيها إنما التقدير في التحقيق تقدير منعه شرعاً، وإنما منع من وقت الحدث. وفي رواية عن أحمد أنها من وقت المسح، **(ولو لبس الخف في الحضر ومسح في الحضر، ثم خرج وأحدث في السفر وقت الزوال مثلاً مسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال من اليوم الرابع، فإذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له أن يصلي إلا بعد غسل الرجلين فيغسل رجليه ويعيد لبس الخف ويراعي وقت الحدث ويستأنف الحساب من وقت الحدث. ولو أحدث بعد لبس الخف في الحضر ثم خرج بعد الحدث فله أن يمسح ثلاثة أيام لأن العادة قد تقتضي اللبس قبل**

من الحدث. فأما إذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين.

الخروج، ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث فأما إذا مسح في الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين) . قال الرافعي: إذا لبس الخف في الحضر ثم سافر مسح في السفر مسح مسافر سواء كان محدثاً في الحضر أم لا. وسواء سافر بعد الحدث وخروج وقت الصلاة أم لا؟ وقال المزني: إن أحدث في الحضر مسح مسح مقيم. وقال أبو إسحاق المروزي: إن خرج الوقت في الحضر ولم يصل ثم سافر مسح مسح مقيم أما إذا مسح في الحضر ثم سافر فتيمّم مسح مسح مقيم، والإعتبار بالمسح بتمامه فلو مسح أحد الخفين في الحضر ثم سافر ومسح الآخر في السفر فله مسح مسافر. قال النووي: هذا الذي جزم به الرافعي في مسألة المسح على أحد الخفين وهو الذي ذكره القاضي حسين وصاحب التهذيب، لكن الصحيح المختار ما جزم به صاحب التتمة واختاره الشاشي أنه يمسح مسح مقيم لتلبسه بالعادة في الحضر والله أعلم.

وهنا مسائل ينبغي التنبيه عليها:

منها: أن الخف المسروق والمغصوب وخف الذهب أو الفضة يصح المسح عليه على الأصح، والخف من جلد كلب أو ميتة قبل الدباغ لا يجوز المسح عليه مطلقاً لا لمس مصحف ولا غيره ولو وجدت في الخف شرائطه إلا أنه لا يمنع الماء لم يجز المسح عليه على الأصح واختار إمام الحرمين والمصنف الجواز.

ومنها لو لبس واسع الرأس يرى من رأسه القدم جاز المسح عليه على الصحيح، ويجوز على خف زجاج قطعاً إذا أمكن متابعة المشي عليه.

ومنها أنه لا يتعين اليد للمسح، بل يجوز بخرقة وخشبة وغيرهما ولو وضع يده المبتلة ولم يمرها، أو قطر الماء عليه أجزأه على الصحيح.

ومنها: أن أكثر ما يمكن المقيم أن يصلي من الفرائض المؤداة ست صلوات إن لم يجمع فإن جمع لمطر فسبع، والمسافر ست عشرة وبالجمع سبعة عشرة، وأما المقضيات فلا تنحصر.

ومنها: أن المسافر إنما يمسح ثلاثة أيام إذا كان سفره طويلاً وغير معصية فإن قصر سفره مسح يوماً وليلة وإن كان معصية مسح يوماً وليلة على الأصح، وعلى الثاني لا يمسح شيئاً ويجري الوجهان في العاصي بالإقامة كالعبد المأمور إذا أقام.

ومنها: ما لو خرج الخف عن صلاحيته لضعفه أو تخرقه أو غير ذلك فهو كنزعه.

ومنها: لو انقضت المدة أو ظهرت الرجل وهو في صلاة بطلت فلو لم يبق من المدة إلا ما يسع ركعة فافتتح ركعتين، فهل يصح الافتتاح وتبطل صلاته عند انقضاء المدة أم لا؟ تنعقد وجهان في البحر أصحهما الانعقاد وفائدتها أنه لو اقتدى به إنسان عالم بحاله، ثم فارقه عند انقضاء المدة هل تصح صلاته أم لا؟ تنعقد فيه الوجهان، وفيا أراد الاقتصار على ركعة.

ويستحب لكل من يريد لبس الخف في حضر أو سفر أن ينكس الخف وينفض ما فيه حذراً من حية أو عقرب أو شوكة، فقد روي عن أبي أمامة أنه قال: دعي رسول الله ﷺ بخفيه فلبس أحدهما فجاء غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به فخرجت منها حية فقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضها».

الرخصة الثانية: التيمم. بالتراب بدلاً عن الماء عند العذر، وإنما يتعذر الماء بأن يكون بعيداً عن المنزل بعداً لو مشي إليه لم يلحقه غوث القافلة إن صاح أو استغاث وهو البعد الذي لا يعتاد أهل المنزل في ترددهم لقضاء الحاجة التردد إليه، وكذا إن

ومنها: أن لزم الماسح غسل جنابة أو حيض أو نفاس يجب استئناف اللبس بعده.

ومنها: إذا تنجست رجله في الخف ولم يمكن غسلها فيه وجب النزع لغسلها فإن أمكن غسلها فيه فغسلها لم يبطل المسح.

ومنها: سليم الرجلين إذا لبس في إحداهما لا يصح مسحه فلو لم يكن له إلا رجل جاز المسح على خفها، ولو بقيت من الرجل الأخرى بقية لم يجز المسح حتى يواريها بما يجوز المسح عليه، ولو كانت إحدى رجليه عليلة بحيث لا يجب غسلها فلبس الخف في الصحيحة قطع الدارمي بصحة المسح عليه وصاحب البيان بالمنع وهو الأصح لأنه يجب التيمم عن الرجل العليلة فهي كالصحيحة والله أعلم.

(ويستحب لمن يريد لبس خف في حضر أو سفر أن ينكس الخف وينفض ما فيه حذراً من عقرب أو حية أو شوكة) أو غير ذلك مما يؤذيه، **(فقد روي أبو أمامة)** الباهلي صدى ابن عجلان رضي الله عنه **(أنه قال: دعا رسول الله ﷺ بخفيه فلبس أحدهما فجاء غراب فاحتمل الآخر ثم رمى به فخرجت منه حية)** وفي لفظ: فوقعت بدل فخرجت **(فقال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس خفيه حتى ينفضها»)** قال العراقي: رواه الطبراني وفيه من لا يعرف اهـ.

قلت: أورده في معجمة الكبير بهذه القصة، وقال الهيثمي: صحيح إن شاء الله تعالى.

(الرخصة الثانية: التيمم بالتراب) وفيه ثلاثة أبواب:

الأول

فيما يبيحه وإنما يباح بالعجز عن استعمال الماء بعذره أو بعسره لخوف ضرر ظاهر:

وللعجز أسباب أشار للسبب الأول بقوله: **(والتراب بدل عن الماء عند العذر، وإنما يتعذر الماء بأن يكون بعيداً عن المنزل بعداً لو مشي إليه لم يلحقه غوث)** الرفاق من **(القافلة إن صاح واستغاث وهو البعد الذي لا يعتاده أهل المنزل في ترددهم لقضاء حوائجهم إلى التردد عليه)**. أعلم أن للمسافر عند فقد الماء أربعة أحوال.

نزل على الماء عدوّ أو سبع فيجوز التيمم وإن كان الماء قريباً، وكذا إن احتاج إليه لعطشه في يومه أو بعد يومه لفقد الماء بين يديه فله التيمم، وكذا إن احتاج إليه لعطش أحد رفقائه فلا يجوز له الوضوء ويلزمه بذله إما بثمن أو بغير ثمن، ولو كان يحتاج إليه

إحداها: أن يتيقن عدم الماء حوله فيتيمم ولا يحتاج إلى طلب الماء على الأصح.

الثانية: أن يجوز وجوده بعيداً أو قريباً فيجب تقديم الطلب قطعاً ويشترط أن يكون بعد دخول وقت الصلاة.

والثالثة: أن يتيقن وجود الماء حواليه إما أن يكون على مسافة ينتشر إليها النازلون للحطب والحشيش والرعي فيجب السعي إليه ولا يجوز التيمم، وهذا فوق حد الغوث الذي يقصده عند التوهم، قال محمد بن يحي تلميذ المصنف تقرب من نصف فرسخ؟ وإما أن يكون بعيداً بحيث لو سعى إليه فاته فرض فيتيمم على المذهب، بخلاف ما لو كان واجداً للماء وخاف فوت الوقت لو توضأ فإنه لا يجوز التيمم على المذهب، وفي التهذيب وجه شاذ أنه يتيمم ويصلي في الوقت، ثم يتوضأ ويعيد وليس بشيء، وإما أن يكون بين المرتبتين على ما ينتشر إليه النازلون ويقصر من خروج الوقت، فهل يجب قصده أم يجوز التيمم نص الشافعي رحمه الله أنه إن كان على يمين المنزل أو يساره وجب وإن كان صوب مقصده لم يجب، فقيل بظاهر النص، وقيل فيها قولان والمذهب جواز التيمم، وإن علم وصوله إلى الماء في آخر الوقت.

الحالة الرابعة: أن يكون الماء حاضراً بأن يزدحم مسافرون على بئر لا يمكن أن يستقي منها إلا واحد بعد واحد لضيق الموقف أو لاتحاد الآلة فإن توقع حصول نوبته قبل خروج الوقت لم يجز التيمم وإن علم أنه لا يحصل إلا بعد الوقت فنص الشافعي رحمه الله أنه يجب الصبر ليتوضأ.

(وكذا إن نزل على الماء عدوّ أو سبع فيجوز التيمم وإن كان الماء قريباً) وهذا هو السبب الثاني من أسباب العجز وهو الخوف على نفسه أو ماله إذا كان بقربه ما يخاف من قصده على نفسه أو عضوه من سبع أو عدو أو على ماله الذي معه أو المخلف في رحله من غاصب أو سارق، أو كان في سفينة وخاف لو استقى من البحر فله التيمم ولو خاف من قصده الانقطاع عن رفقته تيمم.

(وكذا إن احتاج إليه لعطشه في يومه أو بعد يومه لفقد الماء بين يديه فله التيمم، وكذا إن احتاج إليه لعطش أحد رفقائه فلا يجوز له الوضوء) وهذا هو السبب الثالث من أسباب العجز، وفيه مسائل اقتصر منها المصنف على مسألتين: **إحداها**: إذا وجد ماء واحتاج إليه لعطشه في الحال أو في المآل جاز التيمم ولا يكلف أن يتوضأ بالماء لجمعة ويشتريه. **الثانية**: إذا وجد ماء واحتاج لعطش أحد رفقائه في الحال أو في المآل جاز التيمم، ونقل عن المصنف في غير هذا الكتاب تبعاً لشيخه إمام الحرمين التردد في عطش رفيقه، والمذهب القطع بجوازه ويلحق به الحيوان المحترم وغير المحترم من الحيوان هو الحربي والمرتد والخنزير والكلب العقور وسائر الفواسق

لطبخ مرقة أو لحم أو لبل فتيت يجمعه به لم يجز له التيمم بل عليه أن يجتزىء بالفتيت اليابس ويترك تناول المرقة، ومهما وهب له الماء وجب قبوله، وإن وهب له ثمنه لم يجب قبوله لما فيه من المنة. وإن بيع بثمن المثل لزمه الشراء وإن بيع بغبن لم يلزمه، فإذا لم يكن

الخمس وما في معناها (**ويلزمه**) في هذه الصور (**بذله بثمن أو بغير ثمن**) وللعطشان أن يأخذ من صاحبه قهراً إذا لم يبذله.

(و) من فروع هذا السبب أن (**لو كان يحتاج إليه للقدر حتى يطبخ به مرقة**) أو أرزاً (**أو احتاج إليه لينقع به الكعك**) اليابس أو البقسماط وفي معناه الخبز المقدد أو يبل به سويقاً (**أو ليطبخ به اللحم**) أو غيره (**لم يجز التيمم به، بل عليه أن يجتزىء**) أي يكتفي (**بالكعك اليابس ويترك تناول المرقة**) والسويق: (**ومهما وهب له**) أي لعادم الماء (**الماء وجب قبوله على الصحيح، ولو أعير الدلو والرشاء وجب قبوله قطعاً، وقيل: إن زادت قيمة المستعار على ثمن الماء لم يجب قبوله، ولو أقرض ثمن الماء وجب قبوله**) على الصحيح، (**وإن وهب ثمنه**) أو آلة الإستقاء وكان الواهب أجنبياً (**لما يجز قبوله لما فيه من المنة**) وكذا لو وهب الأب أو الأبن على الصحيح ولو أقرض ثمن الماء وهو معسر لم يجب قبوله، وكذا إن كان موسراً بمال غائب على الصحيح وصورة المسألة أن يكون الأجل ممتداً إلى أن يصل إلى بلد ماله ولو وجد ثمن الماء واحتاج إليه لدين مستغرق أو نفقة حيوان محترم معه أو لمؤنة من مؤن سفره في ذهابه وإيابه لم يجب شراؤه (**وإن**) فضل عن هذا كله و(**بيع بثمن المثل لزمه الشراء**) ويصرف إليه أي نوع كان معه من المال، (**وإن بيع بغبن**) أي بزيادة (**لم يلزمه**) الشراء وإن قلت الزيادة، وقيل: إن كانت مما يتغابن بمثلها وجب وهو ضعيف ولو بيع بنسيئة وزيد بسبب الأجل ما يليق به فهو ثمن مثله على الصحيح، وفي ضبط ثمن المثل أوجه الأصح إنه ثمنه في ذلك الموضع وتلك الحالة، والثاني ثمن مثله في ذلك الموضع في غالب الأوقات، والثالث: أنه قدر أجرة نقله إلى ذلك الموضع واختاره المصنف في كتبه. قال النووي: ولم يتقدمه أحد باختياره، ولو بيع آلة الإستقاء وأجرتها بثمن المثل وأجرته وجب القبول فإن زاد لم يجب ذلك. قال الأصحاب: ولو قيل يجب التحصيل ما لم تتجاوز الزيادة ثمن مثل الماء لكان حسناً ولو لم يجد إلا ثوباً وقدر على سده في الدلو ليستقي الماء وأمكن شقه وشد بعضه ببعض لزمه هذا كله إذا لم يحصل في الثوب نقص يزيد على أكثر الأمرين من ثمن المثل وأجرة الحبل.

تنبيه: وللعجز أسباب أخر:

منهـا: العجز بسبب الجهل جعله المصنف في كتبه الثلاثة سبباً وأنكره الرافعي، وقال اللائق: إن يذكره في آخر سبب الفقد وقد وجهه النووي بما هو مذكور في روضته.

ومنها: المرض وهو ثلاثة أقسام الأول: ما يخاف معه من الوضوء فوت الروح أوفوت عضو أو منفعة عضو فيبيح التيمم ولو خاف مرضاً مخوفاً يتيمم على المذهب، الثاني: أن يخاف زيادة العلة أو

معه ماء وأراد أن يتيمم فأول ما يلزمه طلب الماء مهما جوّز الوصول إليه بالطلب وذلك بالتردد حوالي المنزل وتفتيش الرحل وطلب البقايا من الأواني والمطاهر. فإن نسي الماء في رحله أو نسي بئراً بالقرب منه لزمه إعادة الصلاة لتقصيره في الطلب، وإن علم أنه

بطء البرء أو المرض المدنف أو حصول شين قبيح في عضو يبدو عند المهنة أظهر الأقوال جواز التيمم، ويجوز الاعتماد على أخبار طبيب حاذق بشرط الإسلام والبلوغ والعدالة.

ومنها: القاء الجبيرة وهي تكون للكسر أو الانخلاع.

ومنها: الجراحة وهي قد تحتاج إلى لصوق من خرقة أو قطنة أو نحوهما فيكون لها حكم الجبيرة، وقد لا تحتاج وفي كل منهما مسائل وتفريعات يراجع فيها الشرح الكبير للرافعي.

(وإذا لم يكن معه ماء وأراد التيمم، فأول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول إليه بالطلب) وبه قال مالك. وقال أبو حنيفة: الطلب ليس بشرط وعن أحمد روايتان كالمذهبين وقد تقدم في السبب الأول ذكر الأحوال الأربعة للمسافر عند فقد الماء، وذكرنا أنه إن تيقن عدم الماء حوله لم يحتج إلى طلب على الأصح، فإن جوز وجوده وجب تقديم الطلب قطعاً وله أن يطلب بنفسه ويكفيه طلب من أذن له على الصحيح ولا يكفيه من لم يأذن له قطعاً **(وذلك)** أي الطلب **(بالتردد حول المنزل)** بأن ينظر يميناً وشمالاً وقداماً وخلفاً إن استوى موضعه، ويخص مواضع الخضرة واجتماع الطير لمزيد احتياط إن أمن على نفسه أو ماله لو تردد، **(والتردد حول الرحل بالتفتيش وطلب البقايا من الأواني والمطاهر)** وهذا إنما يكون قبل التردد حول المنزل فإن لم يجد في رحله أو عند رفقته طلب حول المنزل فإن كان معه رفقة وجب سؤالهم إلى أن يستوعبهم أو يضيق الوقت فلا يبقى إلا ما يسع تلك الصلاة على الأصح، وفي وجه إلى أن يبقى ما يسع ركعة وفي وجه يستوعبهم إن خرج الوقت ولا يجب أن يطلب من كل أحد من الرفقة بعينه بل ينادي فيهم من معه ماء من يجود بالماء ونحوه.

قال البغوي: وغيره، لو قلت الرفقة لم يطلب من كل بعينه ولو بعث النازلون ثقة كفاهم كلهم ومتى عرف معهم ماء وجب استيهابه على الأصح هذا كله إذا لم يسبق منه تيمم وطلب، فإن سبق نظر إن جرى أمر يحتمل بسببه حصول ماء بأن انتقل عن موضعه أو طلع ركب أو سحابة وجب الطلب أيضاً لكن كل موضع تيقن بالطلب الأول إن لا ماء ولم يحتمل حدوثه لم يجب الطلب منه على المذهب، وإن لم يجر الأمر المذكور نظر، فإن تيقن عدم الماء لم يجب على الأصح، وإن كان ظنه وجب على الأصح لكنه أخف طلباً من الأول.

(فإن نسي الماء في رحله أو نسي بئراً بالقرب منه لزمه إعادة الصلاة لتقصيره في الطلب) في أظهر القولين، والثاني لا تلزمه الإعادة، وبه قال أبو حنيفة، وعن أحمد ومالك

سيجد الماء في آخر الوقت فالأولى أن يصلي بالتيمم في أول الوقت فإن العمر لا يوثق به. وأوّل الوقت رضوان الله.

تيمم ابن عمر رضي الله عنهما فقيل له: أتتيمم وجدران المدينة تنظر إليك؟ فقال: أو أبقى إلى أن أدخلها؟ ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلاة لم تبطل صلاته ولم يلزمه الوضوء. وإذا وجده قبل الشروع في الصلاة لزمه الوضوء.

روايتان في الإعادة كالقولين، **(وإن علم)** باليقين **(أنه سيجد الماء في آخر الوقت، فالأولى أن يصلي بالتيمم في أول الوقت فإن العمر لا يوثق به)** هكذا اختاره المصنف هنا وهو وجه شاذ، وعبارة الرافعي فإن تيقن وجود الماء آخر الوقت، فالأفضل تأخير الصلاة ليؤديها بالوضوء وفي التتمة وجه شاذ أنه يقدمها بالتيمم أفضل لفضيلة الوقت فإن لم يتيقن الماء ولكنه رجاه فقولان: أظهرهما التقديم أفضل وموضع القولين إذا اقتصر على صلاة واحدة، أما إذا صلى بالتيمم أول الوقت وبالوضوء مرة أخرى آخره فهو النهاية في احراز الفضيلة، وإن ظن عدم الماء أو تساوى احتمال وجوده وعدمه فالتقديم أفضل قطعاً، وربما وقع في كلام بعضهم نقل القولين فيما إذا لم يظن الوجود ولا وثوق بهذا النقل قال النووي: قد صرح الشيخ أبو حامد وصاحب الحاوي والمحاملي وآخرون بجريان القولين فيما إذا تساوى الإحتمال والله أعلم.

(وأول الوقت رضوان الله) أي إيقاع الصلاة في أول وقتها سبب لحصول رضا الله تعالى، وقد ورد ذلك مرفوعاً من حديث جرير رواه الدارقطني بلفظ: «أول الوقت رضوان الله وآخر الوقت عفو الله» قال الذهبي في سنده كذاب. وقال الحافظ: في سنده من لا يعرف، وأورده ابن الجوزي في الواهيات وقال: لا يصح. وروي عن أبي محذورة مرفوعاً: «أول الوقت رضوان الله ووسط الوقت رحمة الله وآخر الوقت عفو الله» رواه الدارقطني أيضاً وفيه إبراهيم بن زكريا وهو متهم، وفي الباب ابن عمر وابن عباس وعلي وأنس وأبو هريرة وفي سند الكل مقال.

(تيمم ابن عمر) رضي الله عنهما **(فقيل له: أتتيمم وجدران المدينة تنظر إليك؟ فقال: أو أبقى إلى أن أدخلها)**، ثم ذكر الحديث رواه الترمذي والدارقطني مختصراً بدون هذه القصة، وفي سنده يعقوب بن الوليد المدني وهو من كبار الكذابين، ثم أن ابن عمر كان مسافراً لأن المقيم لا يجوز له التيمم، وإن خاف الوقت لو سعى إلى الماء فإنه لا بد من القضاء.

(ومهما وجد الماء بعد الشروع في الصلاة لم تبطل صلاته) ولا تيممه **(ولم يلزمه الوضوء)** بل يمضي فيها، وبه قال مالك، ورواية عن أحمد أنه يمضي في صلاته وهي صحيحة وقال أبو حنيفة وأحمد في الرواية الأخرى تبطل صلاته وتيممه إلا أن الشافعي شرط في صحة الصلاة بهذا التيمم أن يكون بمحل لا يغلب فيه وجود الماء، **(وإذا وجد الماء قبل الشروع في الصلاة لزمه الوضوء)** وبطل تيممه بإجماع منهم وإذا رآه بعد فراغه من الصلاة فلا إعادة عليه، وإن كان الوقت باقياً إذا كان مسافراً سفراً طويلاً مباحاً بإجماع منهم.

الباب الثاني

في كيفية التيمم

ومهما طلب ولم يجد فليقصد صعيداً طيباً عليه تراب يثور منه غبار وليضرب عليه

الباب الثاني

في كيفية التيمم:

وإليه أشار بقوله: **(ومهما طلب)** الماء **(فلم يجد)** فليتيمم أي **(فليقصد صعيداً طيباً)** قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً﴾ [المائدة: ٦] قال أهل اللغة التيمم القصد والتعمد، وله أركان.

أحدها: أن يكون ذلك الصعيد **(عليه تراب يثور منه غبار)** والمراد بالطيب أن يكون طاهراً خالصاً غير مستعمل، فالتراب متعين ويدخل فيه جميع أنواعه ولو ضرب يده على ثوب أو جدار ونحوهما وارتفع غبار جاز التيمم به، وأما الرمل فالمذهب أنه إن كان خشناً لا يرتفع منه غبار لم يكف ضرب اليدين عليه، وإن ارتفع كفى، وقيل: قولان مطلقاً. وأما كونه طاهراً فلا بد منه فلا يصح بنجس مطلقاً، وأما كونه خالصاً فيخرج منه المشوب بالزعفران والدقيق ونحوهما فإن كثر المخالط لم يجز بلا خلاف وكذا إن قل على الصحيح، وهذا الذي ذهب إليه الشافعي من كونه لا يجوز التيمم بغير التراب هو مذهب أحمد، وقال أبو حنيفة ومالك: يجوز بسائر الأجناس من الأرض مما ينطبخ كالنورة والزرنيخ، وزاد مالك فقال: ويجوز بكل ما اتصل بالأرض كالنبات.

الركن الثاني: قصد التراب:
الركن الثالث: نقل التراب الممسوح به العضو.
الركن الرابع: النية.
الركن الخامس: مسح الوجه.
الرن السادس: مسح اليدين.
الركن السابع: الترتيب وفي كل ذلك تفريعات يأتي ذكر بعضها.

كفيه بعد ضم أصابعهما ضربة فيمسح بها وجهه ويضرب ضربة أخرى ـ بعد نزع الخاتم ـ ويفرج الأصابع ويمسح بها يديه إلى مرفقيه فإن لم يستوعب بضربة واحدة جميع يديه ضرب ضربة أخرى، وكيفية التلطف فيه ما ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيده.

(ويضرب عليه كفيه بعد ضم أصابعهما ضربة) واحدة (فيمسح بها وجهه) ويجب استيعابه ولا يجب إيصال التراب إلى منابت الشعور التي يجب إيصال الماء إليها في الوضوء على المذهب، ويجب إيصاله إلى ظاهر ما أيسر من اللحية على الأظهر كما في الوضوء، (ويضرب ضربة أخرى بعد نزع الخاتم) من أصبعه وجوباً لئلا يحول بين الصعيد وبين داخل حلقة الخاتم، ولا يكفي تحريكه بخلاف الوضوء ذكره صاحب العدة وغيره، وأما نزعه في الضربة الأولى فسنة كما في الشرح الكبير، (ويفرج الأصابع) على ما نص عليه الشافعي، وقال الأكثرون في الضربة الأولى أيضاً، (ويمسح بها يديه إلى مرفقيه) فيستوعب هذا هو قدر الأجزاء في التيمم فهما ضربتان إحداهما للوجه، والثانية لليديـن إلى المرفقين، وهـي الروايـة المشهـورة عـن أبي حنيفـة وهـو الجديد من مذهب الشافعي إن قدر الأجزاء مسح جميع الوجه ومسح اليدين إلى المرفقين بضربتين، (فإن لم يستوعب بضربة واحدة جميع يديه ضرب) ضربة (أخرى بعد نزع الخاتم وتفريج الأصابع ويمسح بها يديه إلى مرفقيه).

قال الشيخ أبو إسحاق: والمذهب الأول يعني بضربتين، وهذا الذي ذكره المصنف هو القول القديم، وقد أنكر أبو حامد الاسفرايني القول القديم ولم يعرفه، وقال المنصوص هو هذا القول قديماً وجديداً كمذهب أبي حنيفة. وقال مالك في إحدى الروايتين وأحمد. قدره ضربة واحدة للوجه والكفين يكون بطرف أصابعه للـوجـه وبطـون راحتيـه لكفيـه قـال الوزير ابن هبيرة في الإفصاح: وهو ألمّ بحال المسافر لضيق أثوابه التي يجد المشقة في إخراج ذراعية من كميه غالباً. قال: وينبغي لمن تيمم بضربتين أن يحول يديه في الضربة الثانية عن الموضع الذي كان ضرب عليه أولاً إلى موضع آخر احترازاً من أن يكون قد سقط في ذلك المكان من التراب الذي استعمله شيء. وقال مالك في الرواية الأخرى كقول أبي حنيفة والشافعي في المشهور هذا كله سياق ابن هبيرة. وقال الرافعي: ويجب إستيعاب مسح اليدين إلى المرفق على المذهب وقيل قولان أظهرهما هذا والقديم مسحهما إلى الكوعين وأعلم أنه تكرر لفظ الضربتين في الأخبار فجرت طائفة من الأصحاب على الظاهر فقالوا: لا يجوز النقص من من الضربتين، وتجوز الزيادة والأصح ما قاله الآخرون أن الواجب إيصال التراب سواء حصل بضربة أو أكثر، لكن يستحب أن لا يزيد على ضربتين ولا ينقص، وقيل: يستحب ثلاث ضربات ضربة للوجه وضربتان لليدين وهو ضعيف. قال النووي: الأصح وجوب الضربتين نص عليه الشافعي، وبه قطع العراقيون وجماعة الخراسانيين، والله أعلم.

(وكيفية التلطف فيه ذكرناه في كتاب الطهارة فلا نعيده) قال الرافعي: صورة الضرب

....

ليست متعينة فلو وضع اليد على التراب الناعم وعلق بها غبار كفى، ويستحب أن يبدأ بأعلى الوجه، وأما اليدان فيضع أصابع اليسرى سوى الإبهام على ظهور أصابع اليمنى، فإذا بلغت الكوع ضم أطراف أصابعه على حرف الذراع ويمر بها على المرفق ثم يدير بطن كفه إلى بطن الذراع فيمرها عليه وإبهامه مرفوعة، فإذا بلغ مسح ببطن إبهام اليسرى ظهر إبهام اليمنى ثم يضع أصابع اليمنى على اليسرى ويمسحها كذلك، وهذه الكيفية ليست واجبة ولكنها مستحبة على المذهب، وقيل: غير مستحبة.

الباب الثالث
في أحكام التيمم

ثم إذا صلى به فريضة واحدة فله أن يتنفل ما شاء بذلك التيمم. وإن أراد الجمع بين فريضتين فعليه أن يعيد التيمم للصلاة الثانية فلا يصلي فريضتين إلا بتيممين. ولا ينبغي أن يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها فإن فعل وجب عليه إعادة التيمم ولينوِ عند مسح

الباب الثالث

في أحكام التيمم:

وذكر فيه مسائل منها ما أشار إليه بقوله: (**ثم إذا صلى به فريضة واحدة فله أن يتنفل ما شاء بذلك التيمم**) خاصة إلى أن يدخل وقت صلاة أخرى دون قضاء الفوائت، وبه قال مالك. وقال أبو حنيفة وأحمد: يقضي به الفوائت أيضاً. وقال الرافعي: يجوز أن يجمع بين فريضة ونوافل، وأما ركعتا الطواف فإن قلنا على الأصح أنها سنة فلها حكم النوافل، وإن قلنا واجبتان لم يجز أن يجمع بينها وبين الطواف الواجب على الأصح، وأما صلاة الجنائز ففيها ثلاث طرق والمذهب الجواز.

(**وإن أراد الجمع بين فريضتين فعليه أن يعيد التيمم للصلاة الثانية فلا يصلي فريضتين إلا بتيممين**) سواء كانت الفريضتان متفقتين أو مختلفتين كصلاتين وطوافين أو صلاة وطواف، أو مقضيّتين كظهر، أو مكتوبة، أو منذورة أو منذورتين. فلا يجوز الجمع بينهما بتيمم وفي قول أي وجه ضعيف يجوز في منذورتين، وفي وجه شاذ يجوز في فوائت وفائتة، ومؤداة الصبي كالبالغ على المذهب. وقيل: وجهان. الثاني يجمع بين مكتوبتين بتيمم.

(و) منها أنه (**لا ينبغي أن يتيمم لصلاة قبل دخول وقتها وإن فعل وجب عليه إعادة التيمم**) أي لا يجوز التيمم بفرض قبل وقتها، فلو فعل لم يصح للفرض ولا للنفل أيضاً على المذهب، ولو جمع بين الصلاتين بالتيمم جاز على الصحيح، ويكون وقت الأولى وقتاً للثانية، ولو تيمم للظهر فصلاّها ثم تيمم للعصر ليجمعها فدخل وقت العصر قبل فعلها بطل الجمع والتيمم، ووقت الفائتة بتذكرها. ولو تيمم لمؤداة في أوّل وقتها وصلاّها به في آخره جاز قطعاً، نص عليه. قال النووي: وفيه وجه مشهور في الحاوي وغيره، أنه لا يجوز التأخر إلا بقدر الحاجة كالمستحاضة والفرق ظاهر والله أعلم.

الوجه استباحة الصلاة. ولو وجد من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله ثم ليتيمم بعده تيمماً تاماً.

ولو تيمم لفائتة ضحوة فلم يصلها حتى دخل الظهر، فله أن يصلي به الظهر على الأصح، ولو تيمم للظهر تذكر فائتة. قيل يستبيحها، وقيل على الوجهين وهو الأصح هذا كله تفريع على الأصح، إنّ تعيين الفريضة ليس بشرط فإن شرطناه لم يصح غير ما نواه والتيمم للفائتة وحدها صحيح على المذهب. قال النووي: ولو تيمم لفائتة لا سبب لها قبل وقت الكراهة لم تبطل بدخول وقت الكراهة، بل يستبيحها بعده بلا خلاف، ولو أخذ التراب قبل وقت الفريضة ثم مسح الوجه في الوقت لم يصح لأن أخذ التراب من واجبات التيمم فلا يصح قبل الوقت، ولو تيمم شاكاً في الوقت فصادفه لم يصح، وكذا لو طلب شاكاً في دخول الوقت فصادفه لم يصح الطلب، والله أعلم.

(ولينو عند مسح الوجه استباحة الصلاة) اعلم أن النية ركن من أركان التيمم كما سبقت الإشارة إليه، فلا بدّ منها فإن نوى رفع الحدث أو نوى الجنب رفع الجنابة لم تصح نيته على الصحيح، وإن نوى استباحة الصلاة فله أربعة أحوال:

أحدها: أن ينوي استباحة الفرض والنفل معاً فيستبيحها، وله التنفل قبل الفريضة وبعدها في الوقت وخارجه، وفي وجه ضعيف لا يتنفل بعد الوقت إن كانت الفريضة معينة ولا يشترط تعيين الفريضة على الأصح، فعلى هذا لو نوى الفرض مطلقاً صلى به أي فريضة شاء، ولو نوى معينة فله ان يصلي غيرها.

الحال الثاني: أن ينوي الفريضة سواء كانت إحدى الخمس أو منذورة، ولا ينوي النافلة فتباح الفريضة، وكذا النافلة قبلها على الأظهر وبعدها على المذهب في الوقت، وكذا بعده على الأصح، ولو تيمم لفائتتين أو منذورتين استباح أحدهما على الأصح، وعلى الثاني لا يستبيح شيئاً. ولو تيمم لفائتة ظنها عليه ولم يكن عليه شيء أو لفائتة الظهر وكانت العصر لم تصح، ولو ظن عليه فائتة ولم يجزم بها فتيمم لها ثم ذكرها. قال المتولي والبغوي والروياني: لا يصح، وصححه الشاشي وهو ضعيف.

الحال الثالث: أن ينوي النفل فلا يستبيح به الفرض على المشهور وقيل قطعاً، ولو نوى مس المصحف أو سجود التلاوة والشكر أو نوى الجنب الاعتكاف أو قراءة القرآن فهو كنية النفل، ولا يستبيح الفرض على المذهب، ويستبيح ما نوى على الصحيح وعلى الآخر يستبيح الجميع، ولو تيمم لصلاة الجنازة فهي كنية النفل على الأصح.

الحال الرابع: أن ينوي الصلاة فحسب له حكم التيمم للنفل على الأصح وعلى الثاني هو كمن نوى الفرض والنفل معاً أما إذا نوى فرض التيمم أو إقامة التيمم المفروض فلا يصح على الأصح، ولو نوى التيمم وحده لم يصح قطعاً ذكره الماوردي، ولو تيمم بنية استباحة الصلاة ظاناً أن حدثه أصغر فكان أكبر أو عكسه صح قطعاً لأن موجبها واحد ولو تعمد ذلك لم يصح في الأصح

الرخصة الثالثة: في الصلاة المفروضة القصر، وله أن يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين ولكن بشروط ثلاثة.

الأوّل: أن يؤديها في أوقاتها فلو صارت قضاء فالأظهر لزوم الاتمام.

ذكره المتولي، ولو أجنب في سفره ونسي وكان تيمم وقتاً وتوضأ وقتاً أعاد صلوات الوضوء **فقط**، والله أعلم.

(و) من فروع هذا الباب (**لو وجد**) الجنب أو المحدث (**من الماء ما يكفيه لبعض طهارته فليستعمله**) وجوباً على الأظهر، (**ثم ليتيمم بعده تيمماً تاماً**) وجوباً فيغسل المحدث وجهه ثم يديه على الترتيب، ويغسل الجنب من جسده ما شاء، والأولى اعضاء الوضوء فإن كان محدثاً جنباً ووجد ما يكفي الوضوء وحده. فإن قلنا بالمذهب أن يدخل الأصغر في الأكبر فهو كالجنب، وإن قلنا لا يدخل الأصغر ويتيمم عن الجنابة يقدم أيهما شاء. هذا كله إذا صلح الماء لوجود الغسل فإن لم يجد المحدث إلا ثلجاً أو برداً لا يقدر على إذابته لم يجب استعماله على المذهب، وقيل: فيه القولان فإن أوجبناه تيمم عن الوجه واليدين ثم مسح به الرأس ثم تيمم للرجلين. هذا كله إذا وجد تراباً فإن لم يجده وجب استعمال الناقص على المذهب، وقيل فيه القولان، ولو لم يجد إلا تراباً يكفيه للوجه واليدين وجب استعماله على المذهب، وقيل فيهالقولان، ولو لم يجد ماء ووجد ما يشتري بعض ما يكفي من الماء طريقان، ولو تيمم ثم رأى ماء لا يكفيه فإن احتمل عنده أنه يكفيه بطل تيممه، وإن علم بمجرد رؤيته أنه لا يكفيه فعلى القولين في استعماله إن أوجبناه بطل، وإلاَّ فلا. ولو كان عليه نجاسات فوجد ما يغسل بعضها وجب على المذهب، ولو كان جنباً أو حائضاً أو محدثاً وعلى يديه نجاسة ووجد ما يكفي إحداهما تعين للنجاسة فيغسلها ثم يتيمم، فلو تيمم ثم غسلها جاز على الأصح، ولو عدم ماء الطهارة وساتراً ووجد ثم أحدهما تعين ستر العورة، وبقت لهذه شروط استقصاها النووي في شرحي المهذب والتنبيه.

الرخصة الثالثة: في الصلاة المفروضة القصر:

وهو جائز في كل صلاة رباعية مؤداة في السفر أدرك وقتها فيه، (**وله ان يقتصر في كل واحدة من الظهر والعصر والعشاء على ركعتين**) فأما المغرب والصبح فلا قصر فيهما بالإجماع، (**ولكن بشروط ثلاثة**).

(**الأوّل: أن يؤديها في أوقاتها، فلو صارت قضاء**) أي فاتت في الحضر وقضاها في السفر (**فالأظهر لزوم التمام**) خلافاً للمزني، وان شك هل فاتت في السفر أو الحضر لم يقصر أيضاً، وإن فاتت في السفر فقضاها فيه أو في الحضر فأربعة أقوال: أظهرها: إن قضى في السفر قصر وإلاَّ فلا. والثاني: يتم فيهما. والثالث: يقصر فيهما. والرابع: إن قضى في ذلك السفر قصر. وإن قضى في الحضر أو سفر آخر أتم. فإن قلنا يتم فيهما فشرع في الصلاة بنية القصر فخرج الوقت في أثنائها فهو مبني على أن الصلاة التي يقع بعضها في الوقت أداء أم قضاء، والصحيح أنه إن وقع في الوقت

الثاني: أن ينوي القصر فلو نوى الإتمام لزمه الإتمام، ولو شك في أنه نوى القصر أو الإتمام لزمه الإتمام.

الثالث: أن لا يقتدي بمقيم ولا بمسافر متم، فإن فعل لزمه الإتمام بل إن شك في أن إمامه مقيم أو مسافر لزمه الإتمام، وإن تيقن بعده أنه مسافر لأن شعار المسافر لا تخفى فليكن متحققاً عند النية، وإن شك في أن إمامه هل نوى القصر أم لا بعد أن عرف أنه مسافر لم يضره ذلك لأن النيات لا يطلع عليها. وهذا كله إذا كان في سفر طويل مباح.

ركعة فأداء، وإن كان دونها فقضاء. فإن قلنا قضاء لم يقصر، وإن قلنا أداء قصر على الصحيح، وقال صاحب التلخيص: يتم.

(الثاني: أن ينوي القصر) فلا بدّ من هذه النية عند أبتداء الصلاة ولا يجب استدامة ذكرها، لكن يشترط الانفكاك عما يخالف الجزم بها، **(فلو نوى الإتمام لزمه الإتمام، ولو)** نوى القصر أوّلاً ثم الاتمام أو تردد بينهما أو **(شك في أنه نوى القصر أو الاتمام)** أو شك أنه نوى القصر، ثم ذكر انه نواه **(لزمه الاتمام)** في هذه الصور.

(الثالث: أن لا يقتدي بمقيم ولا مسافر متم، فإن فعل) ولو في لحظة **(لزمه الاتمام)** والاقتداء في لحظة يتصوّر من وجوه: منها: أن يدرك الإمام في آخر صلاته، أو يحدث الإمام عقب اقتدائه وينصرف. ولو صلى الظهر خلف من يقضي الصبح مسافراً كان أو مقيماً لم يجز القصر على الأصح، ولو صلى الظهر خلف من يصلي الجمعة فالمذهب أنه لا يجوز القصر مطلقاً، وقيل: إن قلنا الجمعة ظهر مقصورة قصر وإلا فهي كالصبح، **(بل إن شك في أن إمامه مقيم أو مسافر لزمه الاتمام)**. اعلم ان المقتدي تارة يعلم حال إمامه، وتارة يجهلها فإن علم نظر أن علمه مقيماً أو ظنه لزمه الاتمام، فلو اقتدى به ونوي القصر انعقدت صلاته وكفت نية القصر بخلاف المقيم ينوي القصر لا تنعقد صلاته، لأنه ليس من أهل القصر والمسافر من أهله فلم تضره نية القصر، وإن علمه أو ظنه مسافراً أو علم أو ظن أنه نوى القصر فله أن يقصر خلفه، وكذا إن لم يدر أنه نوى القصر ولا يلزم الاتمام بهذا التردد لأن الظاهر من حال المسافر القصر، ولو لم يعرف نيته فعلق عليها فنوى إن قصر قصرت وإن أتم أتممت فوجهان: أصحهما جواز التعليق، فإن أتم الإمام أتم، وإن قصر قصر أما إذا لم يعلم ولم يظن أنه مسافر أو مقيم بل شك فيلزمه الإتمام.

(وإن تيقن بعده أنه مسافر) قاصر **(لأن شعار المسافر لا يخفي فليكن متحققاً عند النية)** وفي وجه أنه إذا بان قاصراً جاز القصر وهو شاذ قاله الرافعي.

(وإن شك في إمامه) أنه **(هل يرى القصر أم لا بعد ان عرف أنه مسافر لم يضره ذلك لأن النيات)** من الأمور الخفية **(لا يطلع عليها)** وقد بقي على المصنف شرطان آخران: **الشرط الرابع** أن يكون مسافرا من أوّل الصلاة إلى آخرها، فلو نوى الإقامة في أثنائها أو انتهت

وحدّ السفر من جهة البداية والنهاية فيه أشكال. فلا بدّ من معرفته. والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم فالهائم وراكب التعاسيف ليس له الترخص وهو الذي لا يقصد موضعاً معيناً، ولا يصير مسافراً ما لم يفارق عمران البلد، ولا يشترط أن يجاوز خراب البلدة وبساتينها التي يخرج أهل البلدة إليها للتنزه.

به السفينة إلى دار الإقامة أو سارت به من دار الإقامة في أثنائها أو شك هل نوى الإقامة أم لا أو دخل بلداً وشك هل هو مقصده أم لا لزمه الاتمام. **الشرط الخامس:** العلم بجواز القصر، فلو جهل جوازه فقصر لم يصح لتلاعبه نص عليه في الأم.

(**وهذا كله إذا كان في سفر طويل مباح**) أي السبب المجوّز له السفر الطويل المباح فلا بدّ من هذه القيود الثلاثة وبيانها في سياق المصنف.

(**وحدّ السفر من جهة البداية والنهاية فيه إشكال**) وغموض (**فلا بدّ من معرفته والسفر هو الانتقال من موضع الإقامة مع ربط القصد بمقصد معلوم**) لا بدّ فيه منه، (**فالهائم**) على وجهه لا يدري أين يتوجه وإن طال سفره، (**وراكب التعاسيف**) وهو الذي يسلك على غير طريق كأنه جمع تعساف مثل التضراب، والتقتال والترحال والتفعال مطرد من كل فعل ثلاثي غالباً (**ليس له الترخص، وهو الذي لا يقصد موضعاً معيناً**) هو تفسير لراكب التعاسيف بالمعنى، وفي وجه أن الهائم إذا بلغ مسافة القصر له القصر وهو شاذ منكر.

ثم شرع في بيان ابتداء السفر ببيان تفصيل الموضع الذي منه الارتحال فقال: (**ولا يصير مسافراً ما لم يفارق عمران البلد**) هذا إذا لم يكن للبلد سور أو كان في غير صوب مقصده، فابتداء سفره بمفارقة العمران حتى لا يبقى بيت متصل ولا منفصل، والخراب الذي يتخلل العمارات معدود من البلد كالنهر الحائل بين جانبي البلد فلا يترخص بالعبور من جانب إلى جانب، (**ولا يشترط أن يجاوز جدران البلدة**) أي أطرافها إن كانت خربة ولا عمارة وراءها لأنه ليس بموضع إقامة هكذا اعتمده المصنف، وإليه ذهب صاحب التهذيب، وقال العراقيون والشيخ أبو محمد: لا بدّ من مجاوزتها، وهذا الخلاف فيما إذا كانت بقايا الحيطان قائمة لم يتخذوا الخراب مزارع ولا هجروه بالتحويط على العامر، فإن لم يكن كذلك لم يشترط مجاوزتها بلا خلاف، (**و**) كذلك لا يشترط مجاوزة (**بساتينها**) ومزارعها المتصلة بالبلدة (**التي قد يخرج أهل البلدة إليها للتنزه**) وإن كانت محوطة إلا إذا كان فيها قصور ودور سكنها ملاكها بعض فصول السنة، فلا بدّ من مجاوزتها حينئذ، وفي وجه في التتمة إنه يشترط مجاوزة البساتين والمزارع المضافة إلى البلدة مطلقاً وهو شاذ ضعيف جداً هذا حكم البلدة التي لا سور لها، فإن ارتحل من بلدة لها سور مختص بها فلا بد من مجاوزته، وإن كان داخل السور مزارع أو مواضع خربة لأن جميع داخل السور معدود من نفس البلد محسوب من موضع الإقامة، فإن فارق السور ترخص إن لم يكن خارجه دور متلاصقة أو مقابر فإن كانت فوجهان: الأصح أنه يترخص بمفارقة السور ولا يشترط مفارقة

وأما القرية فالمسافر منها ينبغي أن يجاوز البساتين المحوطة دون التي ليست بمحوطة، ولو رجع المسافر إلى البلد لأخذ شيء نسيه لم يترخص إن كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران، وإن لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص إذ صار مسافراً بالانزعاج والخروج منه.

وأما نهاية السفر فبأحد أمور ثلاثة.

الدور والمقابر، وبهذا قطع المصنف وكثيرون، والثاني يشترط مفارقتها وهو موافق لظاهر نص الشافعي رحمه الله تعالى هذا حكم البلدة إن كانت مسورة أو غير مسورة.

(وأما القرية) فلها حكم البلدة في جميع ما ذكرناه **(فالمسافر منها ينبغي أن يجاوز البساتين المحوطة)** وكذا المزارع المحوطة **(دون التي ليست بمحوطة)** هكذا اعتمده المصنف في الوجيز نقلاً عن الأصحاب. قال الرافعي: وهو شاذ والصواب أنه لا يشترط فيها مجاوزة البساتين ولا المزارع المحوطة، وهو الذي اختاره العراقيون. وقال إمام الحرمين: لا يشترط مجاوزة المزارع المحوطة ولا البساتين غير المحوطة ويشترط مجاوزة البساتين المحوطة، وأما المقيم في الصحاري فلا بدّ له من مجاوزة عرض الوادي نص عليه الشافعي، وأما أهل الخيام فيعتبر مع مجاوزة الخيام مجاوزة مرافقها كمطرح الرماد وملعب الصبيان والنادي ومعاطن الإبل، فإنها من جملة مواضع إقامتهم، وفي وجه أنه لا يعتبر مفارقة الخيام بل يكفي مفارقة خيمة وهو شاذ. **(ولو رجع المسافر إلى البلد)** بعد أن فارق البنيان **(لأخذ شيء نسيه)** أو لحاجة أخرى فله أحوال.

أحدها: أن لا يكون بتلك البلدة إقامة أصلاً فلا يصير مقيماً بالرجوع ولا بالحصول فيها.

الثاني: أشار إليه بقوله **(لم يترخص ان كان ذلك وطنه ما لم يجاوز العمران)** أي إن كان ذلك وطنه فليس له الترخص في رجوعه، وإنما يترخص إذا فارقها ثانياً. وفي وجه أنه يترخص ذاهباً وهو شاذ منكر.

الثالث: أشار إليه بقوله **(وإن لم يكن ذلك هو الوطن فله الترخص)** أي إن لم يكن ذلك وطنه لكنه أقام بها مدة، فهل له الترخص في رجوعه؟ وجهان: أصحهما نعم له الترخص صححه إمام الحرمين، والمصنف وقطع به في التتمة **(إذ صار مسافراً بالانزعاج والخروج منه مدة)** والوجه الثاني: لا. وقطع به في التهذيب وحيث حكمنا بأنه لا يترخص إذا عاد، ولو نوى العود ولم يعد لم يترخص وصار بالنية مقيماً ولا فرق بين حاجتي الرجوع والحصول في البلدة في الترخص وعدمه هذا محله إذا لم يكن من موضع الرجوع إلى الوطن مسافة القصر، فإن كانت فهو مسافر مستأنف فيترخص.

(وأما نهاية السفر) الذي يقع الترخص **(فبأحد أمور ثلاثة)**.

الأول: الوصول إلى العمران من البلد الذي عزم على الإقامة به.

الثاني: العزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعداً إما في بلد أو في صحراء.

الثالث: صورة الإقامة وإن لم يعزم كما إذا أقام على موضع واحد ثلاثة أيام سوى يوم الدخول لم يكن الترخص بعده، وإن لم يعزم على الإقامة وكان له شغل وهو يتوقع كل يوم إنجازه ولكنه يتعوق عليه ويتأخر، فله أن يترخص وإن طالت المدة ـ على أقيس

(**الأول**): العود إلى الوطن والضبط فيه أن يعود إلى الموضع الذي شرطنا مفارقته في إنشاء السفر منه، وفي معنى الوطن (**الوصول إلى العمران من البلد الذي**) سافر إليه إذا (**عزم على الإقامة به**) القدر المانع من الترخص، فلو لم ينو الإقامة به ذلك القدر لم ينته سفره بالوصول إليه على الأظهر، ولو حصل في طريقه في قرية أو بلدة له بها أهل وعشيرة فهل ينتهي سفره بدخولها؟ قولان: أظهرهما لا.

(**الأمر الثاني: العزم على الإقامة ثلاثة أيام فصاعداً إما في بلد أو صحراء**) أي إذا نوى الإقامة في طريقه مطلقاً انقطع سفره فلا يقصر، فلو أنشأ السير بعد ذلك فهو سفر جديد فلا يقصر إلا إذا توجه إلى مرحلتين. هذا إذا نوى الإقامة في موضع يصلح لها من بلدة أو قرية أو واد يمكن البدوي النزول فيه للإقامة، فأما المفازة ففي انقطاع السفر بنية الإقامة فيها قولان. أظهرهما عند الجمهور انقطاعه، ولو نوى إقامة ثلاثة أيام فأقل لم يصر مقيماً قطعاً، وإن نوى أكثر من ثلاثة، فقال الشافعي وجمهور الأصحاب: إن نوى إقامة أربعة أيام صار مقيماً، وذلك يقتضي أن نية دون الأربعة لا يقطع السفر، وإن زاد على ثلاثة وقد صرح به كثيرون واختلفوا في أن الأربعة كيف تحسب على وجهين في التهذيب وغيره. أحدهما يحسب منها يوما الدخول والخروج، كما يحسب يوم الحدث ويوم نزع الخف في مدة المسح وأصحهما لا يسحبان، فعلى الأول لو دخل يوم السبت وقت الزوال بنية الخروج يوم الأربعاء وقت الزوال صار مقيماً، وعلى الثاني لا يصير وإن دخل ضحوة السبت وخرج عشية الأربعاء. قال امام الحرمين والمصنف: متى نوى إقامة زيادة على ثلاثة أيام صار مقيماً وهذا الذي قالاه موافق لما قاله الجمهور، لأنه لا يمكن زيادة على الثلاثة غير يومي الدخول والخروج بحيث لا يبلغ الأربعة، ثم الايام المحتملة معدودة لياليها، وإذا نوى ما لا يحتمل صار مقيماً في الحال، ولو دخل ليلاً لم تحسب بقية الليلة ويحسب الغد.

(**الأمر الثالث: صورة الإقامة وإن لم يعزم**) عليها (**كما إذا قام على موضع واحد ثلاثة أيام سوى يوم الدخول لم يكن له الترخص بعده، وإن لم يعزم على الإقامة وكان له شغل**) عرض في بلدة أو قرية فأقام له فله حالان. أحدهما (**وهو يتوقع**) أو يرجو (**كل يوم**) ساعة فساعة (**إنجازه**) أي الفراغ من شغله، (**ولكنه يتعوّق عليه ويتأخر**) وهو على نية الارتحال عند فراغه، والثاني يعلم أن شغله لا يفرغ في ثلاثة أيام غير يومي الدخول والخروج كالنفقة والتجارة الكثيرة ونحوهما (**فله**) في الأول (**أن يترخص**) بالقصر إلى اربعة أيام وفيها بعد ذلك

القولين ـ لأنه منزعج بقلبه ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب، ولا فرق بين أن يكون هذا الشغل قتالاً أو غيره، ولا بين أن تطول المدة أو تقصر، ولا بين أن يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه ثلاثة أيام أو لغيره، إذ ترخص رسول الله ﷺ فقصر في بعض الغزوات ثمانية عشر يوماً على موضع

طريقان: الصحيح منها ثلاثة أقوال: أحدها يجوز القصر أبداً **(وإن طالت المدة على أقيس القولين لأنه منزعج بقلبه)** غير مستقر، **(ومسافر عن الوطن بصورته ولا مبالاة بصورة الثبوت على موضع واحد مع انزعاج القلب، ولا فرق بين أن يكون هذا الشغل قتالاً أو غيره)** كالخوف من القتال أو التجارة أو غيرها، **(ولا بين أن تطول المدة أو تقصر، ولا بين أن يتأخر الخروج لمطر لا يعلم بقاؤه ثلاثة أيام أو لغيره)**. والثاني لا يجوز القصر أصلاً، والثالث قال الرافعي: هو الأظهر يجوز ثمانية عشر يوماً فقط وقيل: سبعة عشر، وقيل: تسعة عشر، وقيل عشرين يوماً، والطريق الثاني أن هذه الأقوال في المحارب ويقطع بالمنع في غيره، وأما الحال الثاني فإن كان محارباً وقلنا في الحال الأول لا يقصر فهنا أولى، وإلاَّ فقولان أحدهما يترخص أبداً، والثاني ثمانية عشر. وإن كان غير محارب كالمتفقه والتاجر فالمذهب أنه لا يترخص أصلاً وقيل، هو كالمحارب وهو غلط.

وقد أشار المصنف إلى القول الثالث من الأقوال الثلاثة من الحال الأوّل بقوله: **(إذ ترخص رسول الله ﷺ فقصر في بعض الغزوات ثمانية عشر يوماً على موضع واحد)**. قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عمران بن حصين في قصة الفتح، فأقام بمكة ثمانية عشر ليلة لا يصلي إلا ركعتين، وللبخاري من حديث ابن عباس « أقام بمكة تسعة عشر يوماً يقصر الصلاة » ولأبي داود سبعة عشر بتقديم السين، وفي رواية له خمسة عشر اهـ.

قلت: قال في التهذيب: اعتمد الشافعي رواية عمران لسلامتها من الاختلاف. قال الحافظ: رواها أبو داود وابن حبان من حديث علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن عمران قال: « غزوت مع رسول الله ﷺ وشهدت معه الفتح فأقام بمكة ثماني عشر لا يصلي إلا ركعتين يقول يا أهل البلد صلوا أربعاً فأنا قوم سفر » حسنه الترمذي وعلي ضعيف، وإنما حسن الترمذي حديثه لشواهده ولم يعتبر الاختلاف في المدة كما عرف من عادة المحدثين من اعتبارهم الاتفاق على الاسانيد دون السياق، فهي من جهة الإسناد ليست صحيحة، ودعوى صاحب التهذيب أنها سالمة من الاختلاف أي على راويها وهو وجه من الترجيح فعيد لو كان راويها عمدة، وأما رواية تسعة عشرة فرواها أيضاً أحمد من حديث عكرمة عن ابن عباس، وأما رواية سبعة عشر بتقديم السين فرواها أيضاً ابن حبان من حديثه وأما رواية خمسة عشر فرواها أيضاً النسائي وابن ماجه والبيهقي من حديث ابن عباس، ويروى أيضاً أنه أقام عشرين يوماً رواها عبد بن حميد من حديث ابن عباس أيضاً والله أعلم.

واحد، وظاهر الأمر أنه لو تمادى القتال لتمادى ترخصه إذ لا معنى للتقدير بثمانية عشر يوماً. والظاهر أن قصره كان لكونه مسافراً لا لكونه غازياً مقاتلاً هذا معنى القصر.

وأما معنى التطويل، فهو أن يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال وكل ميل أربعة آلاف خطوة وكل خطوة ثلاثة أقدام.

(فظاهر الظن أنه لو تمادى القتال) أي استطال **(لتمادى ترخصه)** في القصر **(إذ لا معنى لتقدير ثمانية عشر يوماً، والظاهر أن قصره)** ﷺ **(كان لكونه مسافراً لا لكونه غازياً مقاتلاً هذا)** الذي ذكرناه هو **(معنى القصر)**.

(وأما معنى الطول) أي معنى كون السفر طويلاً **(فهو أن يكون مرحلتين كل مرحلة ثمانية فراسخ)**، فالمرحلتان ستة عشر فرسخاً وهي أربعة برد وهي مسيرة يومين معتدلين، **(وكل فرسخ ثلاثة أميال)**، فالمجموع ثمانية وأربعون ميلاً، **(وكل ميل أربعة آلاف خطوة، وكل خطوة ثلاثة أقدام)** يوضع قدم أمام قدم ملاصق له.

وفي المصباح: الميل عند العرب مقدار مدى البصر من الأرض، وعند القدماء من أهل الهيئة ثلاثة آلاف ذراع، وعند المحدثين أربعة آلاف ذراع والخلاف لفظي فإنهم اتفقوا على ان مقداره ستة وتسعون ألف أصبع، والاصبع ست شعيرات بطن كل واحدة إلى أخرى، ولكن القدماء يقولون الذراع اثنتان وثلاثون أصبعاً والمحدثون يقولون اربعة وعشرون أصبعاً فإذا قسم الميل على رأي القدماء كل ذراع اثنين وثلاثين أصبعاً كان المتحصل ثلاثة آلاف ذراع، والفرسخ عند الكل ثلاثة أميال فإذا قدر الميل بالغلوات إن كانت كل غلوة أربعمائة ذراع كان ثلاثين غلوة، وإن كان كل غلوة مائتي ذراع كان ستين غلوة، ويقال للاعلام المبنية في طريق مكة أميال لأنها بنيت على مقادير مدى البصر من الميل إلى الميل، وإنما أضيف إلى بني هاشم، فقيل: الميل الهاشمي لأن بني هاشم حدوده وأعلموه اهـ.

قال الرافعي: وهل هذا الضبط تحديد أو تقريب؟ وجهان الأصح تحديد، وحكى قول شاذان القصر يجوز في السفر القصير بشرط الخوف، والمعروف الأول، واستحب الشافعي رحمه الله أن لا يقصر إلا في ثلاثة أيام للخروج من خلاف أبي حنيفة رحمه الله في ضبطه به، والمسافة في البحر مثل المسافة في البر وإن قطعها في لحظة فإن شكّ فيها اجتهد. قال النووي: وان حبستم الريح فيه. قال الدارمي: هو كالإقامة في البر بغير نية الإقامة، والله أعلم.

واعلم أن مسافة الرجوع لا تحسب فلو قصد موضعاً على مرحلة بنية أن لا يقيم فيه فليس له القصر لا ذاهباً ولا راجعاً، وإن كان يناله مشقة مرحلتين متواليتين لأنه يسمى سفراً طويلاً. وحكى الحناطي وجهاً أنه يقصر إذا كان الذهاب والرجوع مرحلتين وهو شاذ منكر، ويشترط عزمه في الابتداء على قطع مسافة القصر، فلو خرج لطلب آبق أو غريم وينصرف متى لقيه ولا يعرف موضعه لم يترخص، وإن طال سفره كما قلنا في الهائم فإذا وجده وعزم على الرجوع إلى بلده

ومعنى المباح ان لا يكون عاقاً لوالديه هارباً منها، ولا هارباً من مالكه، ولا تكون المرأة هاربة من زوجها، ولا يكون من عليه الدين هارباً من المستحق مع اليسار، ولا يكون متوجهاً في قطع طريق أو قتل إنسان، أو طلب إدرار حرام من سلطان ظالم أو سعي بالفساد بين المسلمين.

وبالجملة فلا يسافر الإنسان إلا في غرض والغرض هو المحرك فإن كان تحصيل ذلك الغرض حراماً ولولا ذلك الغرض لكان لا ينبعث لسفره فسفره معصية، ولا يجوز

وبينهما مسافة القصر ترخص إذا ارتحل عن ذلك الموضع، فلو كان في ابتداء السفر يعلم موضعه وأنه لا يلقاه قبل مرحلتين ترخص، فلو نوى مسافة القصر، ثم نوى أنه إن وجد الغريم رجع نظر إن نوى ذلك قبل مفارقته عمران البلد لم يترخص، وإلاَّ فوجهان أصحهما يترخص ما لم يجده، فإذا وجده صار مقيماً وكذا لو نوى قصد موضع في مسافة القصر، ثم نوى الإقامة في بلد وسط الطريق فإن كان من مخرجه إلى المقصد الثاني مسافة القصر ترخص، وإن كان أقل ترخص أيضاً على الأصح ما لم يدخله وإذا سار العبد بسير المولى، والمرأة بسير الزوج، والجندي بسير الأمير، ولا يعرفون مقصدهم لم يجز لهم الترخص، فلو نووا مسافة القصر فلا عبرة بنية العبد والمرأة وتعتبر نية الجندي لأنه ليس تحت يد الأمير وقهره، فإن عرفوا مقصدهم فنووا فلهم القصر.

(**ومعنى المباح**) أي معنى كون السفر مباحاً أنه ليس بمعصية سواء كان طاعة أو تجارة، وذلك (**أن لا يكون عاقاً لوالديه هارباً منها**) من غير إذنهما (**ولا هارباً من مالكه**) إن كان رقيقاً، (**و**) أن (**لا تكون المرأة هاربة من زوجها، ولا أن يكون من عليه الدين**) الشرعي (**هارباً من المستحق**) لذلك الدين (**مع اليسار**) أي الغنى، ولو قال: والغريم مع القدرة على الأداء كان أخصر، (**ولا يكون متوجهاً في قطع طريق**) على المسلمين، (**أو**) في (**قتل انسان**) بريء أو للزنا، (**أو طلب إدرار حرام من السلطان**) من نحو جبايات ومكوس، (**أو سعي بالفساد بين المسلمين**) ونحو ذلك من المعاصي.

(**وبالجملة فلا يسافر الإنسان إلا في غرض**) من الأغراض (**والغرض هو المحرك**) له على سفره (**فإن كان تحصيل ذلك الغرض حراماً ولولا ذلك الغرض لا ينبعث لسفره فسفره معصية، ولا يجوز فيه الترخص**) فلا يقصر ولا يفطر ولا يتنفل على الراحلة، ولا يجمع بين الصلاتين ولا يمسح ثلاثة أيام، وله أن يمسح يوماً وليلة على الصحيح. والثاني: لا يمسح أصلاً وليس له أكل الميتة عند الاضطرار على المذهب، وبه قطع الجماهير من العراقيين وغيرهم. وقيل: وجهان أصحهما لا يجوز تغليظاً عليه، لأنه قادر على استباحتها بالتوبة. والثاني: الجواز كما يجوز للمقيم العاصي على الصحيح الذي عليه الجمهور، وفي وجه شاذ لا يجوز للمقيم العاصي لقدرته على التوبة. قال النووي: ولا تسقط الجمعة عن العاصي بسفره وفي تيممه خلاف والله أعلم. ومما ألحق

فيه الترخص. وأما الفسق في السفر بشرب الخمر وغيره فلا يمنع الرخصة بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يعين عليه بالرخصة، ولو كان له باعثان. أحدهما مباح والآخر محظور، وكان بحيث لو لم يكن الباعث له المحظور لكان المباح مستقلاً بتحريكه، ولكن لا محالة يسافر لأجله فله الترخص. والمتصوّفة الطوّافون في البلاد من غير غرض صحيح سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف، والمختار أن لهم الترخص.

الرخصة الرابعة: الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما، وبين المغرب والعشاء في وقتيهما، فذلك أيضاً جائز في كل سفر طويل مباح وفي جوازه في السفر القصير قولان،

بسفر المعصية أن يتعب الإنسان نفسه ويعذب دابته بالركض من غير غرض ذكر الصيدلاني أنه لا يحل له ذلك.

(وأما الفسق في السفر بشرب الخمر وغيره لا يمنع الرخصة، بل كل سفر ينهى الشرع عنه فلا يعين) وفي نسخة فلا يعان **(عليه بالرخصة، ولو كان له باعثان احدهما مباح والآخر محظور، وكان بحيث لو لم يكن له الباعث المحظور لكان المباح مستقلاً بتحريكه، ولكان لا محالة يسافر لأجله فله الترخص)**. قال الرافعي: وأما العاصي في سفره وهو أن يكون السفر مباحاً ويرتكب المعاصي في طريقه فله الترخص، ولو أنشأ سفراً مباحاً ثم جعله معصية فالأصح أنه لا يترخص، ولو أنشأ سفر معصية ثم تاب وغير قصده من غير تغيير صوب السفر قال الاكثرون: ابتداء سفره من ذلك الموضع إن كان منه إلى مقصده مسافة القصر ترخص، وإلاّ فلا. وقيل في الترخص وجهان كما لو نوى مباحاً ثم جعله معصية.

(والمتصوّفة الطوّافون في البلاد من غير غرض صحيح) كلقاء شيخ مسلك أو زيارة ولي أو غير ذلك من الاغراض الحسنة، **(سوى التفرج لمشاهدة البقاع المختلفة في ترخصهم خلاف والمختار أن لهم الترخص)**، وعبارة النووي: ولو كان ينتقل من بلد إلى بلد من غير غرض صحيح لم يترخص. قال الشيخ أبو محمد: السفر لمجرد رؤية البلاد والنظر إليها ليس من الأغراض الصحيحة.

الرخصة الرابعة الجمع:

بين الصلاتين يجوز الجمع **(بين الظهر والعصر في وقتيها، وبين المغرب والعشاء في وقتيها)** تقديماً في وقت الأولى وتأخيراً في وقت الثانية، **(فلذلك أيضاً جائز في كل سفر طويل مباح، وفي جوازه في السفر القصير قولان)**، وفي نسخة قول. وسيأتي بيانه، والأفضل للسائر في وقت الأولى أن يؤخرها إلى الثانية، وللنازل في وقتها تقديم الثانية، وفهم من قوله مباح أنه لا يجوز الجمع في سفر المعصية، وفهم من سياق المصنف أنه لا يجوز جمع الصبح إلى غيرها ولا العصر إلى المغرب، وأما الحجاج من أهل الآفـاق فيجمعون بين الظهر والعصر بعرفة في وقت

ثم إن قدم العصر إلى الظهر فلينوِ الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم. وعند الفراغ يقيم للعصر ويجدد التيمم أولاً إن كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة، فإن قدم العصر لم يجز وإن نوى الجمع عند التحريم بصلاة العصر جاز عند المزني وله وجه في القياس إذ لا مستند لإيجاب تقديم النية بل الشرع جوّز الجمع، وهذا جمع وإنما الرخصة في العصر فتكفي النية فيها. وأما الظهر فجاز على القانون ثم إذا فرغ من الصلاتين فينبغي أن يجمع بين سنن الصلاتين. أما

الظهر، وبين المغرب والعشاء بمزدلفة في وقت العشاء، وذلك الجمع بسبب السفر على المذهب الصحيح. وقيل: بسبب النسك كما ذهب إليه أبو حنيفة رحمه الله، فإن قلنا بالأول ففي جمع المكي القولان لأن سفره قصير ولا يجمع العرفي بعرفة، ولا المزدلفي بمزدلفة لأنه وطنه، وهل يجمع كل واحد منهما بالبقعة الأخرى فيه القولان كالمكي وان قلنا بالثاني جاز الجمع لجميعهم ومن الأصحاب من يقول في جمع المكي قولان الجدية منعه والقديم جوازه، وعلى القديم في العرفي والمزدلفي وجهان. والمذهب منع جمعهم على الاطلاق، وحكم جمعهم في البقعتين حكمه في سائر الاسفار ويتخير في التقديم والتأخير والاختيار التقديم بمعرفة والتأخير بمزدلفة.

(**ثم إن**) جمع المسافر في وقت الأولى بأن (**قدم العصر إلى الظهر**) اشترط ثلاثة أمور: الأول نية الجمع وإليه أشار بقوله: (**فلينو الجمع بين الظهر والعصر في وقتيهما**) والمذهب أنها تشترط وسنقف على تفصيله قريباً، وذلك (**قبل الفراغ من الظهر وليؤذن للظهر وليقم**) له، (**وعند الفراغ**) منه (**يقيم للعصر**) بل تخلل بينهما أشار بذلك إلى الترتيب وهو الشرط الثاني فيبدأ بالظهر ثم يتبعه بالعصر، (**ويجدد التيمم أولاً وإن كان فرضه التيمم ولا يفرق بينهما بأكثر من تيمم وإقامة**) أي لا يجوز الفصل الطويل ولا يضر اليسير. قال الصيدلاني نقلاً عن الأصحاب: حد اليسير قدر الإقامة، والأصح ما قاله العراقيون أن الرجوع في الفصل إلى العادة، وقد تقتضي الإعادة إحتمال زيادة على قدر الإقامة، ويدل عليه أن جمهور الأصحاب جوزوا الجمع بين الصلاتين بالتيمم وقالوا: لا يضر الفصل بينهما بالطلب والتيمم، لكن يخفف الطلب، ومنع أبو إسحاق المروزي جمع المتيمم للفصل بالطلب، (**فإن قدم العصر لم يجز**) ويجب إعادتها بعد الأولى، ولو بدأ بالأولى ثم صلى الثانية فبان فساد الأولى فالثانية فاسدة أيضاً، ثم أن النية يكفي حصولها عند الإحرام بالأولى أو في اثنائها أو مع التحلل منها، ولا يكفي بعد التحلل، وفي قول أنها تشترط عند الإحرام بالأولى وفي وجه أنها تجوز في أثنائها ولا تجوز مع التحلل. (**وإن نوى الجمع عند التحرم بصلاة العصر**) أي بعد التحلل قبل الإحرام بالثانية (**جاز عند المزني**) وهو قول خرجه للشافعي، (**وله وجه في القياس إذ لا مستند لإيجاب تقديم النية بل الشرع جوز الجمع وهذا جمع، وإنما الرخصة في العصر فتكفي النية فيها. وأما الظهر فجاز على القانون**) وفي وجه للأصحاب وهو مذهب المزني أن نية الجمع لا تشترط أصلاً قال النووي، قال

العصر فلا سنة بعدها ولكن السنّة التي بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر إما راكباً أو مقيماً ، لأنه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر لانقطعت الموالاة وهي واجبة ـ على وجه ـ ولو أراد أن يقيم الأربع المسنونة قبل الظهر والأربع المسنونة قبل العصر فليجمع بينهن قبل الفريضتين فيصلي سنة الظهر أولاً ثم سنة العصر ، ثم فريضة الظهر ثم فريضة العصر ، ثم سنة الظهر الركعتان اللتان هما بعد الفرض ، ولا ينبغي أن يهمل النوافل في السفر فما يفوته من ثوابها أكثر مما يناله من الربح لا سيما وقد خفف الشرع عليه وجوّز له أداءها على الراحلة كي لا يتعوّق عن الرفقة بسببها ، وإن أخر الظهر إلى العصر فيجري على

الدارمي : لو نوى الجمع ثم تركه في أثناء الأولى ثم نوى الجمع ثانياً ففيه القولان ، (**ثم إذا فرغ من الصلاتين فينبغي أن يجمع بين سنن الصلاتين أما العصر فلا سنة بعدها ، ولكن السنة التي بعد الظهر يصليها بعد الفراغ من العصر لأنه لو صلى راتبة الظهر قبل العصر انقطعت الموالاة**) التي هي الشرط الثالث (**وهي واجبة على وجه**) والصحيح المشهور اشتراطها . وقال الاصطخري وأبو علي الثقفي يجوز الجمع إن طال الفصل بين الصلاتين ما لم يخرج وقت الأولى ، وحكى عن نصه في الأم أنه إذا صلى المغرب في بيته بنيّة الجمع وأتى المسجد فصلى العشاء جاز ، والمعروف اشتراط الموالاة فلا يجوز الفصل الطويل ولا يضر اليسير كما تقدم قريباً .

(**ولو أراد أن يقيم الأربعة المسنونة قبل الظهر والأربعة المسنونة قبل العصر فليجمع بينهن قبل الفريضتين فيصلي سنة الظهر أولاً ، ثم سنة العصر ، ثم فريضة الظهر ، ثم فريضة العصر ، ثم سنة الظهر الركعتان اللتان هما بعد الفرض**) وقد وافقه الرافعي على بعض هذا السياق . قال النووي في الروضة هذا شاذ ضعيف ، والصواب الذي قاله المحققون أنه يصلي سنة الظهر التي قبلها ثم يصلي الظهر ثم العصر ثم سنة الظهر التي بعدها ثم سنة العصر ، وكيف تصح سنة الظهر التي بعدها قبل فعلها ، وقد تقدم أن وقتها يدخل بفعل الظهر ، وكذا سنة العصر لا يدخل وقتها إلا بدخول وقت العصر ، ولا يدخل وقت العصر المجموعة إلى الظهر إلا بفعل الظهر الصحيحة والله أعلم .

قلت : وهذا لا يرد على الرافعي إلا أن قال بتقديم ركعتي سنة الظهر البعدية على فريضة الظهور وهو لم يقل كذلك ولفظه : إذا جمع الظهر والعصر صلى سنة الظهر ثم سنة العصر ، ثم يأتي بالفريضتين ، وأما قوله وكذا سنة العصر إلى آخره فهو وارد عليه وعلى المصنف .

(**ولا ينبغي أن يهمل النوافل في السفر**) أي الزوائد على الفريضة ، ولذلك تطلق على السنن أيضاً (**فما يفوته من ثوابها أكثر مما يناله من الربح لاسيا ، وقد خفف الشرع عليه وجوز له أداءها على الراحلة كيلا يتعوق**) أي يتأخر (**عن الرفقة**) إذ لو أمر بالنزول للصلاة فاتتة الرفقة ، (**وإن أخر الظهر إلى العصر فيجري على هذا الترتيب**) أي يصلي السنن أولاً ثم

هذا الترتيب ولا يبالي بوقوع راتبة الظهر بعد العصر في الوقت المكروه لأن ماله سبب لا يكره في هذا الوقت، وكذلك يفعل في المغرب والعشاء والوتر وإذا قدم أو أخر فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب ويختم الجميع بالوتر. وإن خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على أدائه مع العصر جمعاً فهو نية الجمع لأنه إنما يخلو عن هذه النية إما بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام، وإن لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته إما لنوم أو لشغل فله أن يؤدي الظهر مع العصر ولا يكون عاصياً، لأن السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن ذكرها. ويحتمل أن يقال: إن الظهر إنما تقع أداء إذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها، ولكن الأظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركاً في السفر بين الصلاتين، ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر إذا طهرت قبل الغروب، ولذلك ينقدح أن لا تشترط الموالاة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر. أما إذا قدم العصر على الظهر لم يجز لأن ما بعد

الفريضتين ثم ركعتي الظهر البعدية، **(ولا يبالي بوقوع راتبة الظهر بعد العصر في الوقت المكروه لأن ماله سبب لا يكره في هذا الوقت)** كما تقدم في كتاب الصلاة، **(وكذلك يفعل في المغرب والعشاء والوتر إذا قدم وأخر)** أي يصلي الفريضتين، **(فبعد الفراغ من الفرض يشتغل بجميع الرواتب)** من سنة المغرب ثم سنة العشاء **(ويختم الجميع بالوتر وإن خطر له ذكر الظهر قبل خروج وقته فليعزم على أدائه مع العصر جيماً فهو نية الجمع لأنه إنما يخلو عن هذه النية إما بنية الترك أو بنية التأخير عن وقت العصر وذلك حرام والعزم عليه حرام، وإن لم يتذكر الظهر حتى خرج وقته)** أو ضاق بحيث لم يبق معه ما يكون للصلاة فيه أداء **(أما النوم)** غلب عليه **(أو لشغل)** عرضه، **(فله أن يؤدي الظهر مع العصر ولا يكون عاصياً)** لله تعالى **(لأن السفر كما يشغل عن فعل الصلاة فقد يشغل عن ذكرها)** وإن تذكر إلا أنه لم ينو تأخيره بنية الجمع حتى خرج الوقت أو ضاق يكون عاصياً وتكون الأولى قضاء لأنه يجب في وقت الأولى كون التأخير بنية الجمع كما صرح به الأصحاب.

(ويحتمل أن يقال إن الظهر إنما تقع أداء إذا عزم على فعلها قبل خروج وقتها) فإن لم يعزم كذلك وقعت قضاء **(لأن الأظهر أن وقت الظهر والعصر صار مشتركاً في السفر بين الصلاتين، ولذلك يجب على الحائض قضاء الظهر إذا طهرت من الحيض)** على ما مر تفصيله في كتاب أسرار الطهارة **(ولذلك ينقدح أن لا يشترط الموالاة ولا الترتيب بين الظهر والعصر عند تأخير الظهر)** وبذلك صرح الرافعي بقوله: فلو جمع الثانية لم يشترط الترتيب ولا الموالاة ولا نية الجمع حال الصلاة على الصحيح، **(أما إذا قدم العصر على الظهر لم يجز)**

الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقتاً للعصر، إذ يبعد أن يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر أو على تأخيره. وعذر المطر يجوز للجمع كعذر السفر وترك الجمعة

تقديه (**لأن ما بعد الفراغ من الظهر هو الذي جعل وقتاً للعصر إذ يبعد أن يشتغل بالعصر من هو عازم على ترك الظهر أو على تأخيره**) فإن بدأ بالعصر وجب إعادتها بعد الأولى كما تقدم (**وعذر المطر**) سواء كان قوياً أو ضعيفاً إذ بل الثوب (**مجوز للجمع**) بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء (**كعذر السفر**) وفي وجه أنه يجوز بين المغرب والعشاء في وقت المغرب دون الظهر والعصر وهو ضعيف حكاه إمام الحرمين وهو مذهب مالك وقال المزني: لا يجوز مطلقاً والثلج والبرد إن كانا يذوبان فكالمطر وإلا فلا، وفي وجه شاذ لا يرخصان بحال ثم هذه الرخصة لمن يصلي جماعة في مسجد يأتيه من بعد ويتأذى بالمطر في إتيانه فأما من يصلي في بيته منفرداً أو في جماعة أو مشي إلى المسجد في كن أو كان المسجد في باب داره أو صلى النساء في بيوتهن أو حضر جمع الرجال في المسجد وصلوا إفراداً فلا يجوز الجمع على الأصح وقيل: الأظهر. ثم إن أراد الجمع في وقت الأولى فشروطه كما تقدمت في جمع السفر، وهو إن أراد تأخير الأولى إلى الثانية كالسفر لم يجز على الأظهر الجديد ويجوز على القديم، فإذا جوزناه فقال العراقيون: يصلي الأولى مع الثانية سواء اتصل المطر أو انقطع. وقال في التهذيب: إذا انقطع قبل دخول وقت الثانية لم يجز الجمع ويصلي الأولى في آخر وقتها كالمسافر إذا أخر بينة الجمع، ثم أقام قبل دخول وقت الثانية، ومقتضى هذا ن يقال لو انقطع في وقت الثانية قبل فعلها انقطع الجمع وصارت الأولى قضاء كما لو صار مقيماً، وأما إذا جمع في وقت الأولى فلا بد من وجود المطر في أول الصلاتين، ويشترط أيضاً وجوده عند التحلل من الأولى على الأصح الذي قاله أبو زيد، وقطع به العراقيون وصاحب التهذيب وغيرهم، والثاني لا يشترط. ونقله في النهاية عن معظم الأصحاب ولا يضر انقطاعه فيما سوى هذه الأحوال الثلاث. هذا هو الصواب الذي نص عليه الشافعي وقطع به الأصحاب في طرقهم، وذكر ابن كج عن بعض الأصحاب أنه إن افتتح الصلاة الأولى ولا مطر ثم أمطرت في أثنائها ففي جواز الجمع القولان في نية الجمع في أثناء الأولى، واختار ابن الصباغ هذه الطريقة والصحيح المشهور ما قدمناه.

فصل

المعروف في المذهب أنه لا يجوز الجمع بالمرض ولا الخوف ولا الوحل، وقال جماعة من الأصحاب يجوز بالمرض والوحل، وممن قاله أبو سليمان الخطابي والقاضي حسين، واستحسنه الروياني وأيده النووي وقال: هو ظاهر مختار، فقد ثبت في صحيح مسلم: «أن النبي ﷺ جمع بالمدينة من غير خوف ولا مطر». وقد حكى الخطابي عن القفال الكبير عن أبي إسحاق المروزي جواز الجمع في الحضر للحاجة من غير اشتراط الخوف والمطر والمرض، وبه قال ابن المنذر والله أعلم.

أيضاً من رخص السفر وهي متعلقة أيضاً بفرائض الصلوات. ولو نوى الإقامة بعد أن صلى العصر فأدرك وقت العصر في الحضر.فعليه أداء العصر، وما مضى إنما كان مجزئاً بشرط أن يبقى العذر إلى خروج وقت العصر.

الرخصة الخامسة: التنفل راكباً: كان رسول الله ﷺ يصلي على راحلته أينما توجهت به دابته، وأوتر رسول الله ﷺ على الراحلة وليس على المتنفل الراكب في

(وترك الجمعة أيضاً من رخص السفر وهي متعلقة بفرائض الصلوات) وقد تقدم بتفاريعه في باب الجمعة من كتاب الصلاة، **(ولو نوى الإقامة بعد أن صلى العصر فادرك وقت العصر في الحضر، فعليه أداء العصر وما مضى إنما كان مجزئاً بشرط أن يبقى العذر إلى خروج وقت العصر)** قال الرافعي: إذا جمع تقديماً فصار في أثناء الأولى قبل الشروع في الثانية مقيماً بنية الإقامة أو وصول السفينة دار الإقامة بطل الجمع، فيتعين تأخير الثانية في وقتها. وأما الأولى فصحيحة. فلو صار مقيماً في أثناء الثانية فوجهان أحدهما: يبطل الجمع كما يمتنع القصر بالإقامة في أثنائها فعلى هذا هل تكون الثانية نفلاً أم تبطل؟ فيه الخلاف كنظائره وأصحهما لا يبطل الجمع صيانة لها عن البطلان بعد الانعقاد بخلاف القصر، فإن وجوب الإتمام لا يبطل فرضية ما مضى من صلاته. أما إذا صار مقيماً بعد الفراغ من الثانية، فإن قلنا الإقامة في أثنائها لا تؤثر فهنا أولى وإلا فوجهان الأصح لا يبطل الجمع كما لو قصر ثم أقام، ثم قال صاحب التهذيب وآخرون: الخلاف فيما إذا قام بعد فراغه من الصلاتين إما في وقت الأولى وإما في وقت الثانية قبل مضي إمكان فعلها، فإن كان بعد إمكان فعلها لم تجب إعادتها بلا خلاف صرح إمام الحرمين بجريان الخلاف مهما بقي من وقت الثانية شيء هذا كله إذا جمع تقديماً فلو جمع في وقت الثانية فصار مقيماً بعد فراغه منها لم يضر وإن كان قبل الفراغ صارت الأولى قضاء.

الرخصة الخامسة النفل راكباً:

على الراحلة سائر إلى جهة مقصودة في السفر الطويل، وكذا القصير على المذهب ولا يجوز في الحضر على الصحيح بل لها فيه حكم الفريضة في كل شيء إلا القيام، وفي وجه شاذ يجوز للراكب في الحضر المتردد في وجهة مقصوده قال الاصطخري: واختار القفال الجواز بشرط الإستقبال في جميع الصلاة وحيث جازت النافلة على الراحلة فجميع النوافل سواء على الصحيح الذي عليه الأكثرون، وعلى الضعيف لا يجوز صلاة العيد والكسوف والاستسقاء. **(كان رسول الله ﷺ يصلي على راحلته أينما توجهت به دابته، وأوتر رسول الله ﷺ على الراحلة)** قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عمر انتهى.

قلت: وله ألفاظ منها للبخاري عن عامر بن ربيعة كان يسبح على الراحلة، وله من وجه آخر عن ابن عمر كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومىء برأسه قبل أي وجه توجه ويوتر

الركوع والسجود إلا الإيماء، وينبغي أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه ولا يلزمه الانحناء إلى حد يتعرض به لخطر بسبب الدابة فإن كان في مرقد فليتم الركوع والسجود فإنه قادر عليه.

وأما استقبال القبلة فلا يجب لا في ابتداء الصلاة ولا في دوامها، ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة. فليكن في جميع صلاته إما مستقبلاً للقبلة أو متوجهاً في صوب الطريق لتكون له جهة يثبت فيها، فلو حرف دابته عن الطريق قصداً بطلت صلاته إلا

عليها غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة، وقد روي عن جابر مثله في المتفق، وله ألفاظ منها: كان يصلي على راحلته حيث توجهت به، فإذا أراد الفريضة نزل فاستقبل القبلة هذا لفظ البخاري، ولم يذكر مسلم النزول. وقال الشافعي: أخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: رأيت رسول الله ﷺ يصلي وهو على راحلته النوافل. ورواه ابن خزيمة من حديث محمد بن بكر عن ابن جريج مثل سياقه، وزاد: ولكن يخفض السجدتين من الركعة يومىء إيماء، ولابن حبان نحوه. وأخرج أبو داود من حديث الجارود بن أبي سبرة حدثني أنس أن النبي ﷺ كان إذا سافر وأراد أن يتطوع استقبل بناقته القبلة وكبر ثم صلى حيث كان وجهه ركابه، ورواه أيضاً ابن السكن وصححه.

(وليس على المتنفل الراكب في الركوع والسجود إلا الإيماء) أي الإشارة فيهما بالرأس، **(و)** ليس عليه وضع الجبهة على عرف الدابة ولا على قربوس السرج والإكاف، بل **(ينبغي أن)** ينحني و**(يجعل سجوده أخفض من ركوعه)** قال إمام الحرمين: والفصل بينهما عند التمكن محتوم، **(و)** الظاهر أنه **(لا يلزمه الإنحناء إلى حد يتعرض به لخطر بسبب الدابة)** فلو يبلغ غاية وسعه فيه إلى هذا الحد، **(فإن كان)** الراكب **(في مرقد)** ونحوه مما يسهل فيه الإستقبال وإتمام الأركان **(فليتم الركوع والسجود)** في جميع الصلاة على الاصح **(فإنه قادر عليه)** كراكب السفينة.

(وأما استقبال القبلة فلا يجب لا في إبتداء الصلاة ولا في دوامها، فليكن في جميع صلاته إما مستقبلاً القبلة أو متوجهاً في صوب الطريق ليكون له جهة يثبت فيها). قال الرافعي: إذا لم يتمكن المتنقل راكباً من إتمام الركوع والسجود والاستقبال في جميع صلاته ففي وجوب الاستقبال عند الإحرام أوجه إن سهل وجب، وإلا فلا فالسهل أن يكون يمكن إنحرافه عليه أو تحريفها، أو كانت سائرة وبيده زمامها وهي سهلة وغير السهل أن تكون صعبة، والثاني: لا يجب أصلاً، والثالث: يجب مطلقاً، فإن تعذر لم تصح صلاته. والرابع: إن كانت الدابة متوجهة إلى القبلة أو إلى طريقه أحرم كما هو، وإن كانت إلى غيرها لم يجز الإحرام إلا إلى القبلة الإعتبار باستقبال الراكب دون الدابة، فلو استقبل عند الإحرام لم يشترط عند السلام على الأصح، ولا يشترط فيما سواهما من أركان الصلاة. لكن يشترط لزوم جهة المقصد في جميعها إذا لم

إذا حرفها إلى القبلة. ولو حرفها ناسياً وقصر الزمان لم تبطل صلاته، وإن طال ففيه خلاف وإن جمحت به الدابة فانحرفت لم تبطل صلاته ـ لأن ذلك مما يكثر وقوعه ـ وليس عليه سجود سهو إذ الجماح غير منسوب إليه، بخلاف ما لو حرف ناسياً فإنه يسجد للسهو بالإيماء.

الرخصة السادسة: التنفل للماشي جائز في السفر، ويومىء بالركوع والسجود، ولا يقعد للتشهد لأن ذلك يبطل فائدة الرخصة وحكمه حكم الراكب، لكن ينبغي أن يتحرم بالصلاة مستقبلاً للقبلة؛ لأن الانحراف في لحظة لا عسر عليه فيه بخلاف الراكب

يستقبل القبلة، ويتبع ما يعرض في الطريق من معاطف، ولا يشترط سلوكه في نفس الطريق، بل الشرط جهة المقصد، وليس لراكب التعلسف ترك الاستقبال في شيء من نافلته وهو الهائم الذي يستقبل تارة ويستدبر تارة وليس له مقصد معلوم، فلو كان له مقصد معلوم ولكن لم يسر في طريق معين فله التنفل مستقبلاً جهة مقصده.

(**فلو حرف دابته عن الطريق**) إلى غير القبلة (**قصداً بطلت صلاته إلا إذا صرفها إلى القبلة**) فإنه لم يضره، (**ولو حرفها ناسياً**) أو غالطاً أن الذي توجه إليه طريقه، (**وقصر الزمان**) أي عاد عن قرب (**لم تبطل صلاته، وإن طال ففيه خلاف**) الأصح أنها تبطل، (**وإن جمحت به الدابة فانحرفت**) فإن طال الزمان بطلت على الصحيح كالإمالة قهراً، وإن قصر (**لم تبطل صلاته**) على المذهب، وبه قطع الجمهور (**لأن ذلك مما يكثر وقوعه وليس عليه سجود سهو إذ الجماح غير منسوب إليه**) وذكر الرافعي في صورة الجماح أوجها أصحها يسجد، والثاني: لا. والثالث: إن طال سجد، وإلا فلا، وهذا تفريع على المشهور أن النفل يدخله سجود السهو (**بخلاف ما لو حرف ناسياً فإنه يسجد للسهو بالإيماء**) وقال في صورة النسيان إن طال الزمان سجدللسهو وإن قصر فوجهان المنصوص لا يسجد.

الرخصة السادسة التنفل للماشي:

وهو (**جائز في السفر**) الطويل، وكذا القصير على المذهب ولا يجوز في الحضر على الصحيح، وفي الماشي أقوال: أظهرها أنه يشترط أن يركع ويسجد على الأرض وله التشهد ماشياً، والثاني يشترط التشهد أيضاً قاعداً ولا يمشي إلا حالة القيام، والثالث لا يشترط اللبث بالأرض في شيء، (**ويومىء بالركوع والسجود**) مقتضاه أنه (**لا يقعد للتشهد**) وهذا القول اختاره المصنف وعلله بقوله: (**لأن ذلك**) أي القعود للتشهد (**يبطل فائدة الرخصة، وحكمه**) فيها (**حكم الراكب**) الذي بيده الزمام، (**لكن ينبغي أن يتحرم بالصلاة مستقبلاً للقبلة**) وهذا مفرع على القول الثالث الذي اختاره المصنف إلا أن صاحب هذا القول يشترط الاستقبال أيضاً في حالة السلام، وعلى القول الأول يستقبل في الإحرام والركوع والسجود ولا يجب عند السلام على

فإن في تحريف الدابة، وإن كان العنان بيده نوع عسر، وربما تكثر الصلاة **فيطول عليه** بذلك. ولا ينبغي أن يمشي في نجاسة رطبة عمداً، **فإن فعل بطلت صلاته بخلاف ما لو** وطئت دابة الراكب نجاسة. وليس عليه أن يشوش المشي على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا تخلو الطريق عنها غالباً. وكل هارب من عدوّ أو سيل أو سبع **فله أن** يصلي الفريضة راكباً أو ماشياً كما ذكرناه في التنفل.

الأصح، وعلى القول الثاني وجب عند الإحرام وفي جميع الصلاة غير القيام، ثم علل المصنف لما اختاره بقوله: (**لأن الانحراف في لحظة**) أي وقت الإحرام (**لا عسر عليه فيه بخلاف الراكب، فإن في تحريف الدابة وإن كان العنان بيده نوع عسر، وربما تكثر الصلاة فيطول عليه ذلك**) ، وإذا لم نوجب استقبال القبلة شرطنا ملازمة جهة مقصده، (**ولا ينبغي أن يمشي في نجاسة رطبة عامداً فإن فعل بطلت صلاته**) فإن كان ناسياً أو غالطاً لم يضر (**بخلاف ما لو وطئت دابة الراكب نجاسة**) فإنه لم يضر على الأصح (**وليس عليه**) أي على الماشي (**أن يشوش المشي على نفسه**) أي يكلف نفسه (**بالاحتراز**) والتحفظ والاحتياط (**من النجاسات التي لا يخلو الطريق عنها غالباً**) فإنه حرج، وإذا انتهى إلى نجاسة يابسة ولم يجد عنها معدلاً فقال إمام الحرمين: فيه احتمال، (**وكل هارب من عدو أو سيل أو سبع فله أن يصلي الفريضة راكباً وماشياً كما ذكرناه في التنفل**) في كتاب الصلاة، وتقدم أنه لا يجوز فعل الفريضة على الراحلة من غير ضرورة، فإن خاف انقطاعاً عن الرفقة لو نزل أو خاف على نفسه أو ماله فله أن يصليها على الراحلة وتجب الإعادة ومن فروع الرخصتين لا تصح المنذورة ولا الجنازة على الراحلة على المذهب فيهما، ومنها شرط الفريضة أن يكون مصلياً مستقراً فلا تصح من الماشي المستقبل، ولا من الراكب المخل بقيام أو ركوع أو استقبال، فإن استقبل وأتم الأركان في هودج أو سرير أو نحوهما على دابة واقفة صحت الفريضة على الأصح الذي قطع به الأكثرون. منهم صاحب المعتمد والتهذيب، وصاحب التتمة والبحر وغيرهم، والثاني: لا يصح وبه قطع إمام الحرمين والمصنف، فإن كانت سائرة لم تصح الفريضة على الأصح المنصوص، ومنها راكب السفينة لا يجوز تنفله فيها إلى غير القبلة لتمكنه نص عليه الشافعي، وكذا من تمكن في هودج أو على دابة واستثنى صاحب العمدة ملاح السفينة الذي سيرها وجوز تنفله حيث توجه لحاجة ومنها ما لو انحرف المتنفل ماشياً عن مقصده فإن كان إلى جهة القبلة فلا يضره وإن كان إلى غيرها عمداً بطلت صلاته. ومنها أنه يشترط أن يكون ما يلاقي بدن المصلي على الراحلة وثيابه من السرج وغيره طاهراً، ولو بالت الدابة، أو كان على السرج نجاسة فسترها وصلى عليه لم يضر. ومنها: أنه يشترط في جواز التنفل راكباً وماشياً دوام السفر والسير، فلو بلغ المنزل في خلال الصلاة اشترط إتمامها إلى القبلة متمكناً وينزل إن كان راكباً ولو دخل بلد إقامته فعليه النزول وإتمام الصلاة مستقبلاً بأول دخول البنيان إلا إذا جوزنا للمقيم التنفل على الراحلة، وكذا لو نوى الإقامة بقرية

الرخصة السابعة: الفطر، وهو في الصوم، فللمسافر أن يفطر إلا إذا أصبح مقيماً ثم سافر فعليه إتمام ذلك اليوم. وإن أصبح مسافراً صائماً ثم أقام فعليه الإتمام. وإن أقام مفطراً فليس عليه الإمساك بقية النهار. وإن أصبح مسافراً على عزم الصوم لم يلزمه بل له أن يفطر إذا أراد، والصوم أفضل من الفطر. والقصر أفضل من الإتمام للخروج عن شبهة الخلاف، ولأنه ليس في عهدة القضاء بخلاف المفطر فإنه في عهدة القضاء وربما يتعذر عليه ذلك بعائق فيبقى في ذمته، إلاَّ إذا كان الصوم يضرّ به فالإفطار أفضل.

ولو مر بقرية محتاجاً فله إتمام الصلاة، فإن كان له بها أهل فهل يصير مقيماً بدخولها؟ قولان. أظهرهما لا يصير. ومنها: أنه يشترط للراكب الاحتراز عن الأفعال التي لا يحتاج إليها فلو ركض الدابة للحاجة فلا بأس ولو أجراها بلا عذر أو كان ماشياً فعدا بلا عذر بطلت صلاته على الأصح.

الرخصة السابعة الفطر:

وهو في الصوم فللمسافر أن يفطر فقد رخص الله له ذلك **(إلا إذا أصبح مقيماً)** أي عازماً على الإقامة، **(ثم سافر فعليه إتمام ذلك اليوم، وإن أصبح مسافراً صائماً ثم أقام)** أي بداله الإقامة **(فعليه الإتمام)** لصومه، **(وإن أقام مفطراً فليس عليه الإمساك بقية النهار، وإن أصبح مسافراً)** وهو **(على عزم الصوم لم يلزمه)** الصوم **(بل له أن يفطر إذا أراد، والصوم أفضل من الفطر)** أي صوم رمضان في السفر لمن أطاقه أفضل من الإفطار على المذهب **(والقصر أفضل من الإتمام)** على المذهب، وبه قال مالك وأحمد **(للخروج عن شبهة الخلاف)** فإن أبا حنيفة قال: هو عزيمة وقد شدد فيه حتى قال ببطلان صلاة من صلى أربعاً ولم يجلس بعد الركعتين، ويروى عن مالك أيضاً أنه عزيمة فهذا قول، وعلى الثاني الإتمام أفضل وفي وجه هما سواء، **(ولأنه ليس في عهدة القضاء بخلاف المفطر فإنه في عهدة القضاء، وربما يتعذر عليه ذلك بعائق)** يمنعه **(فيبقى في ذمته إلا إذا كان الصوم يضر به)** أي ببدنه أو عقله، **(فالإفطار أفضل)** ولذلك قلنا بأفضلية الصوم لمن أطاقه واستثنى الأصحاب صوراً من الخلاف.

منها: إذا كان السفر دون ثلاثة أيام فالإتمام أفضل قطعاً نص عليه.

ومنها: أن يجد من نفسه كراهة القصر فيكاد يكون رغبة عن السنة، فالقصر لهذا أفضل قطعاً بل يكره له الإتمام إلى أن نزول تلك الكراهة، وكذلك القول في جميع الرخص في هذه الحالة.

ومنها: الملاح الذي يسافر في البحر ومعه أهله وأولاده في سفينة فإن الأفضل له الإتمام نص عليه في الأم وفيه خروج من الخلاف فإن أحمد لا يجوز له القصر.

فهذه سبع رخص تتعلق ثلاث منها بالسفر الطويل وهي القصر والفطر والمسح ثلاثة أيام. وتتعلق اثنتان منها بالسفر طويلاً كان أو قصيراً وهما سقوط الجمعة وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتيمم. وأما صلاة النافلة ماشياً وراكباً ففيه خلاف والأصح جوازه في القصير. والجمع بين الصلاتين ففيه خلاف والأظهر اختصاصه بالطويل. وأما صلاة الفرض راكباً وماشياً للخوف فلا تتعلق بالسفر، وكذا أكل الميتة، وكذا أداء الصلاة في الحال بالتيمم عند فقد الماء، بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت أسبابها.

فإن قلت: فالعلم بهذه الرخص هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر أم يستحب له ذلك؟ فاعلم أنه إن كان غازماً على ترك المسح والقصر والجمع والفطر وترك التنفل

(**فهذه سبع رخص**) شرعية (**ثلاث منها**) تتعلق (**بالسفر الطويل وهو القصر والفطر والمسح**) على الخف (**ثلاثة أيام وتتعلق اثنان بالسفر طويلاً كان أو قصيراً وهو سقوط الجمعة وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتيمم**) على الصحيح، (**وأما صلاة النافلة ماشياً وراكباً ففيه خلاف والأصح جواز في**) السفر (**القصير والجمع بين الصلاتين فيه خلاف، والأظهر اختصاصه بالطويل**) ولذا عده الرافعي والنووي في الرخص المتعلقة بالطويل، **فهي** أربعة، والثلاثة ذكرها المصنف قريباً.

(**وأما صلاة الفرض ماشياً وراكباً للخوف**) أي لأجل الخوف (**فلا يتعلق بالسفر وكذا أكل الميتة**) عند الإضطرار ليس مختصاً بالسفر، (**وكذا آداء الصلاة في الحال بالتيمم عند فقد الماء**) وإسقاط الفرض به على الصحيح، (**بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت أسبابها**) قال النووي: وترك الجمع أفضل بلا خلاف فيصلي كل صلاة في وقتها للخروج من الخلاف، فإن أبا حنيفة وجماعة من التابعين لا يجوزونه. وممن نص على أن تركه أفضل المصنف وصاحب التتمة. قال المصنف في البسيط: لا خلاف إن ترك الجمع أفضل قال الأصحاب: وإذا جمع كانت الصلاتان اداء سواء جمع في وقت الأولى أو الثانية، وفي وجه شاذ في الوسيط وغيره أن المؤخرة تكون قضاء وغسل الرجل أفضل من مسح الخف إلا إذا تركه رغبة عن السنة أو شكا في جوازه ومن فروع هذا الباب لو نوى الكافر أو الصبي السفر إلى مسافة القصر ثم أسلم وبلغ في أثناء الطريق فلهما القصر في بقيته، ولو نوى مسافران إقامة أربعة أيام، وأحدهما يعتقد انقطاع القصر كالشافعي، والآخر لا يعتقده كالحنفي كره للأول أن يقتدي بالثاني، فإن اقتدى صح فإذا سلم الإمام من ركعتين قام المأموم لإتمام صلاته والله أعلم.

(**فإن قلت: فالعلم بهذه الرخص**) المذكورة (**هل يجب على المسافر تعلمه قبل السفر أم يستحب ذلك؟ فاعلم أنه إن كان عازماً**) أي قاصداً في نيته (**على ترك المسح والقصر**

راكباً وماشياً لم يلزمه علم شروط الترخص في ذلك، لأن الترخص ليس بواجب عليه. وأما علم رخصة التيمم فيلزمه لأن فقد الماء ليس إليه، إلا أن يسافر على شاطىء نهر يوثق ببقاء مائه، أو يكون معه في الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة فله أن يؤخر إلى وقت الحاجة. أما إذا كان يظن عدم الماء ولم يكن معه عالم فيلزمه التعلم لا محالة.

فإن قلت: التيمم يحتاج إليه لصلاة لم يدخل بعد وقتها فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم تجب وربما لا تجب؟ فأقول: من بينه وبين الكعبة مسافة لا تقطع إلا في سنة؛ فيلزمه قبل أشهر الحج ابتداء السفر. ويلزمه تعلم المناسك لا محالة إذا كان يظن أنه لا يجد في الطريق من يتعلم منه؛ لأن الأصل الحياة واستمرارها. وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب. وكل ما يتوقع وجوبه توقعاً ظاهراً غالباً على الظن وله شرط لا يتوصل إليه إلا بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب فيجب تقديم تعلم الشرط لا محالة، كعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته. فلا يحل إذاً للمسافر أن ينشىء السفر ما لم يتعلم هذا القدر من علم التيمم. وإن كان عازماً على سائر الرخص فعليه أن

والجمع والفطر وترك التنفل راكباً وماشياً لم يلزمه علم شروط الترخص في ذلك) لاستغنائه عنه و(**لأن الترخص ليس بواجب عليه، وأما علم رخصة التيمم فيلزمه لأن فقد الماء ليس إليه إلا أن يسافر على شط نهر)** أو بحر (**يوثق ببقاء مائه)** أو إدامة سفره على ذلك الشط من غير أن يعدل عنه، (**أو يكون معه في الطريق عالم يقدر على استفتائه عند الحاجة)** إليه، (**فله أن يؤخر إلى وقت الحاجة أما إذا كان يظن عدم الماء)** بأن لم يستمر على شط النهر، (**ولم يكن معه عالم)** يستفتي منه (**فليزمه التعلم لا محالة)**.

(**فإن قلت: التيمم يحتاج إليه لصلاة لم يدخل بعد وقتها، فكيف يجب علم الطهارة لصلاة بعد لم تجب وربما لا تجب؟ فأقول: من بينه وبين الكعبة مسافة)** أي بعد (**لا تقطع إلا في سنة)** مثلاً (**فيلزمه قبل)** دخول (**أشهر الحج ابتداء السفر ويلزمه تعلم المناسك)** والآداب المتعلقة بالحج (**لا محالة إذا كان يظن أنه لا يجد في الطريق من يتعلم منه)** تلك المناسك، (**لأن الأصل الحياة واستمرارها)** إلى أن يصل إلى المقصود، (**وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب)** لتوقفه عليه، (**وكل ما يتوقع وجوبه توقعاً ظاهراً غالباً على الظن،وله شرط لا يتوصل إليه بتقديم ذلك الشرط على وقت الوجوب، فيجب تقديم الشرط لا محالة كعلم المناسك قبل وقت الحج وقبل مباشرته، فلا يحل إذاً للمسافر أن ينشىء السفر ما لم يتعلم هذا القدر الذي ذكرنا من علم التيمم، فإن كان عازماً على سائر الرخص فعليه**

يتعلم أيضاً القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص ؛ فإنه إذا لم يعلم القدر الجائز لرخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه.

فإن قلت: إنه إن لم يتعلم كيفية التنفل راكباً وماشياً ماذا يضره وغايته إن صلى أن تكون صلاته فاسدة؟ وهي غير واجبة فكيف يكون علمها واجباً؟ فأقول: من الواجب أن لا يصلي النفل على نعت الفساد، فالتنفل مع الحدث والنجاسة وإلى غير القبلة ومن غير إتمام شروط الصلاة وأركانها حرام، فعليه أن يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة حذراً عن الوقوع في المحظور، فهذا بيان علم ما خفف عن المسافر في سفره.

القسم الثاني: ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر:

وهو علم القبلة والأوقات، وذلك أيضاً واجب في الحضر، ولكن في الحضر من يكفيه من محراب متفق عليه يغنيه عن طلب القبلة ومؤذن يراعي الوقت فيغنيه عن طلب علم الوقت.

أن يتعلم أيضاً القدر الذي ذكرناه من علم التيمم وسائر الرخص، فإنه إذا لم يعلم القدر الجائز لرخصة السفر لم يمكنه الاقتصار عليه.

فإن قلت: إن لم يتعلم كيفية التنفل راكباً وماشياً ماذا يضره وغايته إن صلى أن تكون صلاته فاسدة؟ وهي غير واجبة فكيف يكون علمها واجباً؟ فأقول: من الواجب أن لا يصلي النفل على نعت الفساد) أي وصفه (**فالنفل مع**) وجود (**الحدث والنجاسة وإلى غير القبلة من غير إتمام شروط الصلاة و**) من غير إتمام (**أركانها حرام**) لا يحل فعله، (**فعليه أن يتعلم ما يحترز به عن النافلة الفاسدة**) ويحتاط فيها (**حذراً عن الوقوع في المحذور، فهذا لبيان علم ما خفف على المسافر سفره**) وبه تم القسم الأول.

القسم الثاني: ما يتجدد من الوظيفة بسبب السفر:

(**وهو علم القبلة والأوقات**) وقد صنف العلماء في كل منها كتباً مختصة بمعرفتها، (**وذلك أيضاً واجب في الحضر**) لأن معرفة الأوقات أكيدة لتصحيح العبادات واستقبال القبلة شرط لصحة الفريضة إلا في شدة الخوف وشرط لصحة النافلة أيضاً إلا في شدة الخوف والسفر المباح كما تقدم، والعاجز كالمريض لا يجد من يوجهه، والمربوط على خشبة يصلي حيث توجه، (**ولكن في الحضر**) يجد (**من يكفيه من محراب**) من محاريب المساجد المشهورة (**متفق عليه**) وأصل المحراب صدر المجلس والغرفة، والمراد هنا محراب المسجد وهو الموضع الذي يقف فيه الإمام للصلاة (**يغنيه عن طلب القبلة و**) عن (**مؤذن**) عارف (**يراعي الوقت**) ويحافظ عليه، (**فيغنيه عن طلب علم الوقت، و**) أما (**المسافر**) فإنه (**قد تشتبه عليه القبلة**) لعدم محراب

والمسافر قد تشتبه عليه القبلة وقد يلتبس عليه الوقت فلا بدّ له من العلم بأدلة القبلة والمواقيت. أما أدلة القبلة فهي ثلاثة أقسام: أرضية، كالاستدلال بالجبال والقرى والأنهار، وهوائية، كالاستدلال بالرياح شمالها وجنوبها وصباها ودبورها، وسماوية، وهي النجوم.

فأما الأرضية والهوائية فتختلف باختلاف البلاد، فرب طريق فيه جبل مرتفع يعلم أنه على يمين المستقبل أو شماله أو ورائه أو قدامه، فليعلم ذلك وليفهمه. وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد فليفهم ذلك. ولسنا نقدر على استقصاء ذلك إذ لكل بلد وإقليم حكم آخر.

وأما السماوية، فأدلتها تنقسم إلى نهارية وإلى ليلية.

(**وقد يلتبس عليه الوقت**) لعدم مؤذن، (**فلا بدّ له من علم أدلة القبلة والمواقيت**) قدر ما يعرف به القبلة ومواقيت الصلاة. قال الرافعي: وأما التمكن من أدلة القبلة فينبني على أن تعلمها فرض كفاية أم عين، والأصح فرض عين. قال النووي: المختار ما قاله غيره أنه إن أراد سفراً ففرض عين لعموم حاجة المسافر إليها وكثرة الاشتباه عليه. وإلاّ ففرض كفاية إذ لم ينقل أن النبي ﷺ ثم السلف الزموا آحاد الناس بذلك، بخلاف أركان الصلاة وشروطها والله أعلم.

قال الرافعي: فإن قلنا: ليس بفرض عين صلى بالتقليد ولا يقضي كالأعمى، وإن قلنا فرض عين لم يجز التقليد فإن قلد قضى لتقصيره، وإن ضاق الوقت عن التعلم فهو كالعالم إذا تحير وفيه خلاف.

(**أما أدلة القبلة؛ فهي ثلاثة أقسام أرضية، كالاستدلال بالجبال والقرى والأنهار، أو هوائية كالاستدلال بالرياح**) الأربع (**شمالها وجنوبها وصباها ودبورها**) فالشمال تأتي من ناحية الشام وهي حارة في الصيف بارح، والجنوب تقابلها وهي الريح اليمانية والصبا تأتي من مشرق الشمس وهي القبول أيضاً، والدبور تأتي من ناحية المغرب وهو أضعفها لاختلافها كما قاله النووي. (**أو سماوية وهي النجوم**) وهي أقواها

(**فأما الأرضية والهوائية فتختلف باختلاف البلاد**) والاقطار (**فرب طريق فيه جبل مرتفع**) أو أكمة عالية (**يعلم أنه على يمين المستقبل أو شماله أو ورائه أو قدامه، فليعلم ذلك وليفهمه. وكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد**) دون بعضها، (**فليتفهم ذلك ولسنا نقدر على استقصاء ذلك إذ لكل بلد واقليم حكم آخر**) فالضبط فيه لا يخلو من العسر.

(**أما السماوية: فأدلتها تنقسم إلى نهارية وإلى ليلية. أما النهارية فكالشمس فلا بدّ أن**

أما النهارية؛ فالشمس فلا بدّ أن يراعي قبل الخروج من البلد أنّ الشمس عند الزوال أين تقع منه، أهي بين الحاجبين؟ أو على العين اليمنى؟ أو اليسرى؟ أو تميل إلى الجبين ميلاً أكثر من ذلك؟ فإن الشمس لا تعدو في البلاد الشمالية هذه المواقع. فإذا حفظ ذلك فمها عرف الزوال بدليله الذي سنذكره عرف القبلة به. وكذلك يراعي مواقع الشمس منه وقت العصر. فإنه في هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة. وهذا أيضاً لما كان يختلف بالبلاد فليس يمكن استقصاؤه.

وأما القبلة وقت المغرب فإنها تدرك بموضع الغروب. وذلك بأن يحفظ أن الشمس تغرب عن يمين المستقبل، أو هي مائلة إلى وجهه، أو قفاه. وبالشفق أيضاً تعرف القبلة للعشاء الأخيرة.

وبمشرق الشمس تعرف القبلة لصلاة الصبح. فكأن الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس، ولكن يختلف ذلك بالشتاء والصيف، فإن المشارق والمغارب كثيرة وإن كانت محصورة في جهتين، فلا بدّ من تعلم ذلك أيضاً. ولكن قد يصلي المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه أن يستدل على القبلة به. فعليه أن يراعي موضع

يراعي قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أين تقع منه أهي بين الحاجبين؟ أو على العين اليمنى؟ أو العين **(اليسرى؟ أو تميل إلى الجنبين ميلاً أكثر من ذلك؟ فإن الشمس لا تعدو في البلاد الشمالية)** وهي ناحية الشام **(هذه المواقع فإذا حفظ ذلك. فمها عرف الزوال بدليله لذي سنذكره عرف القبلة به)** لا محالة، **(وكذلك يراعي مواقع الشمس منه وقت العصر فإنه في هذين الوقتين يحتاج إلى القبلة بالضرورة، وهذا أيضاً لما كان يختلف في البلاد فليس يمكن استقصاؤه)** وفي نسخة استيفاؤه.

(وأما القبلة وقت المغرب فإنها تدرك بموضع الغروب. وذلك أن تحفظ أن الشمس تغرب عن يمين المستقبل أو هي مائلة إلى وجهه أو قفاه، وبالشفق أيضاً تعرف القبلة للعشاء الأخيرة.

وبمشرق الشمس تعرف القبلة لصلاة الصبح، فكأن الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس، ولكن يختلف ذلك باختلاف الشتاء والصيف، فإن المشارق والمغارب كثيرة) كما يرشد إليه قوله تعالى: ﴿رب المشارق والمغارب﴾ [المعارج: ٤٠] **(وإن كانت محصورة في جهتين)** كما يرشده إليه قوله تعالى: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ [الرحمن: ١٧] فلا بدّ من تعلم ذلك أيضاً، **(ولكن قد يصلي المغرب والعشاء بعد غيبوبة الشفق فلا يمكنه أن يستدل**

القطب. وهو الكوكب الذي يقال له الجدي. فإنه كوكب كالثابت لا تظهر حركته عن موضعه، وذلك إما أن يكون على قفا المستقبل، أو على منكبه الأيمن من ظهره، أو منكبه الأيسر في البلاد الشمالية من مكة. وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما والاها فيقع في مقابلة المستقبل، فيتعلم ذلك، وما عرفه في بلده فليعوّل عليه في الطريق كله إلا إذا طال السفر، فإن المسافة إذا بعدت اختلف موقع الشمس وموقع القطب وموقع المشارق والمغارب، إلا أنه ينتهي في أثناء سفره إلى بلاد فينبغي أن يسأل أهل البصيرة. أو يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك. فمهما تعلم هذه

على القبلة به فعليه أن يراعي موضع القطب) بالضم **(وهو الكوكب)** الصغير **(الذي يقال له الجدي)** وفي تعبيره هذا مسامحة. فإن الذي عرفه غيره من علماء هذا الفن أنه نجم صغير في بنات نعش الصغير بين الفرقدين والجدي، وهو **(كالثابت لا تظهر حركته عن موضعه)** ولذلك سمي قطباً تشبيهاً له بقطب الرحى، **(وذلك إما أن يكون على قفا المستقبل أو على منكبه الأيسر)** أو خلف أذنه اليمنى **(في البلاد الشمالية من مكة)** كالكوفة وبغداد وهمدان وقزوين وطبرستان وجرجان وما والاها، **(وفي البلاد الجنوبية كاليمن وما وراءها فيقع في مقابلة المستقبل فليعلم ذلك وما عرفه)** حالة كونه **(في بلده فليعمل عليه في الطريق كله)** إذا سافر، **(إلا إذا طال السفر)** وامتد بأن يكون المقصد بعيداً كان يتوجه الشامي إلى اليمن مثلاً أو بالعكس، **(فالمسافة إن بعدت اختلف موقع الشمس)** في وسط النهار **(و)** كذا اختلف **(موضع القطب وموضع المشارق والمغارب، إلاَّ أنه ينتهي في أثناء سفره إلى بلاد فينبغي أن يسأل أهل المصر)** وفي نسخة أهل البصيرة **(أو يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك)** ولنذكر التعريف بحال هذه الكواكب التي يراقبها في حضره وسفره، ثم نذكر المجرة إذ بها تعرف المشارق والمغارب المختلفة، ثم نذكر الرياح الأربع وتحديدها بهن وما عدل عنهن وإن كان قد سبق ذكرها إجمالاً، ثم نذكر حكم استدلال الفقهاء على القبلة بالجدي.

قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب النجوم: اعلم أن النجوم السيّارة سبعة وهي التي تقطع البروج والمنازل فهي تنتقل فيها مقبلة ومدبرة لازمة لطريقة الشمس أحياناً وناكبة عنها أحياناً إما في الجنوب وإما في الشمال، ولكل نجم منها في عدوله عن طريقة الشمس مقدار إذا هو بلغه عاود في مسيره الرجوع إلى طريقة الشمس، ولك المقدار من كل نجم منها مخالف لمقدار النجم الآخر، فإذا عزلت هذه النجوم السبعة عن السماء سميت الباقية كلها ثابتة تسمية على الأغلب من الأمر، لأنها وإن كانت لها حركة مسير فإن ذلك خفي يفوت الحس إلا في المدة الطويلة، وذلك لأنه في كل مائة عام درجة واحدة، فلذلك سميت ثابتة وسيرها مع خفائه هو على تأليف البروج. أعني من الحمل إلى الثور ثم إلى الجوزاء سيراً مستمراً لا يعرف لشيء منها رجوع، وإنما أدرك العلماء ذلك

....

في الدهور المتطاولة والأزمان المترادفة بأن تعرف العالم منهم مواضعها من البروج، ورسم ما وقف عليه من ذلك لمن يخلف بعده ثم قاسها أخلافهم من بعدهم فوجدوها قد تقدمت عن تلك الأماكن الأولى، وكذلك فعل اخلاف الأخلاف، واختبروا ذلك فوجدوها تتحرك بأسرها معاً حركة واحدة، وقد تقدم الأوائل فتعرفوا مواضع هذه الكواكب من الفلك ورسموا ذلك في كتبهم على ما أدركوا في ازمنتهم وبيّنوا تاريخ ذلك في كتبهم بياناً واضحاً، ولما أرادوا تمييز كواكب السماء بدأوا فقسموا الفلك نصفين بالدائرة التي هي مجرى رؤوس برجي الاستواء وهما الحمل والميزان، وسموا أحد النصفين جنوبياً وسموا النصف الثاني شمالياً وسموا كل ما وقع في النصف الجنوبي من البروج والكواكب جنوبياً وما وقع منها في الشمال شمالياً، والعرب سمت الشمالية شامية والجنوبية يمانية والمعنيان واحد، لكن مهب الشمال عليهم من جهة الشام ومهب الجنوب من جهة اليمن، فكل كوكب مجراه فيما بين القطب الشمالي وبين مدار السماك الأعزل أو فويقه قليلاً فهو شآم، وما كان مجراه دون ذلك إلى ما يلي القطب الجنوبي فهو يمان، فأقربها من القطب بنات نعش الصغرى وهي سبعة كواكب في مثل نظم بنات نعش الكبرى، والمنجمون يسمونها الدب الأصغر. والبنات منها ثلاثة. أولها الكوكب الذي يسمى الجدي وهو الذي يتوخى الناس به القبلة، وتسمية العرب جدي بنات نعش ليفرقوا بينه وبين جدي البروج، فالجدي والكوكبان اللذان يليانه هي البنات وهي عند المنجمين ذنب الدب الأصغر ثم النعش وهي أربعة كواكب مربعة منها الفرقدان وكوكبان آخران معها. فالكواكب الثلاثة التي هي البنات وكوكبان من النعش أحدهما أحد الفرقدين، وهؤلاء الخمسة في سطر واحد أقوس، وقد قابله سطر آخر أقوس أيضاً فيه كواكب خفية متناسقة أخذت من الجدي إلى الفرقدين حتى صار هذان السطران شبيهين بحلقة السمكة،والناس يسمونها الفاس تشبيهاً بفاس الرحى التي في القلب في وسطها يظنون أن قطب الفلك في وسط هذه الصورة وليس كذلك، بل القطب بقرب الكوكب الذي يلي الجدي من هذا السطر الخفي الكواكب، فوجدت هذه الكوكب أقرب كواكب السماء كلها من هذا القطب لم أجد بينه وبين القطب إلا أقل من درجة واحدة وليس القطب كوكباً بل هو نقطة من الفلك إلى آخر ما ذكر فأطال، ثم ذكر بعد ذلك الكواكب اليمانية وإنما اقتصرت على القدر المطلوب منه.

وأما معرفة المشارق والمغارب باختلاف الفصول، فاعلم أن المجرة هي أم النجوم لكثرة عدد نجومها وهي وإن كانت مواضع منها أرق، ومواضع أكثف، ومواضع أرق، ومواضع أعرض فهي راجعة في خاصتها إلى الاستدارة، فإذا كان كوكب الردف في أفق المشرق وذلك حين يبدو طالعاً فذاك حين تفقد المجرة من السماء إلا خطا خفيا في جهة مشارق الشتاء إلى مهب الجنوب، ثم كلما ازداد الردف علوّا ازدادت المجره ظهوراً وهي في ذلك مضطجعة في جهة المشارق قد أخذت ما بين الشمال إلى الجنوب إلى أن يطلع النسر الطائر، فيرى حينئذ طرفها الشمالي يتراد إلى نحو مشرق الصيف إلى أن يطلع العيوق، فحينئذ ترى وسط المجرة على قمة الرأس وترى طرفها الجنوبي قد عدل على القبلة شيئاً إلى نحو مغرب الشتاء، وترى طرفها الشرقي فيما بين مطلع العيوق وبين مطلع

....

السماك الرامح وهو مشرق الصيف، ثم لا يزال العيوق يرتفع ووسط المجرة تميل عن قمة الرأس في جهة الشمال إلى أن يطعل الناجز وهو رجل الجوزاء، فعند ذلك ينتهي ميلان المجرة في الشمال وعدولها عن قمة الرأس ثم يرتفع الناجز قليلاً حتى ترى طرف المجرة الشرقي في حقيقة مطلع رأس الحمل وهو مشرق الاستواء وترى طرفها الغربي في حقيقة مغرب رأس الحمل وهو مغرب الاستواء فتراها قد قسمت دائرة الأفق نصفين فدار وسطها بعد ما دل عن سمت الرأس إلى الشمال، ثم لا يزال العيوق يرتفع ويميل طرف المجرة الشرقي إلى مطلع رأس الجدي وهو مشرق الشتاء ويميل طرفها الغربي إلى مغرب الردف وذلك فوق مغرب الصيف الأعلى ويرجع وسطها إلى سمت الرأس حتى يعتدل على قمة الرأس، ثم لا تزال تعدل عنها في جهة الجنوب ويدنو طرفها الغربي من مغرب قلب العقرب وهو مغرب الشتاء الأسفل إلى أن يبدو كوكب الردف طالعاً فيرجع إلى ابتدائه، فهذه حالها أبد الدهر.

وأما مهاب الرياح فقد تقدم أن الرياح أربع: الصبا ومهبها فيما بين مطلع الشرطين الى القطب، ومهب الشمال فيما بين القطب إلى مسقط الشرطين وما بين مسقط الشرطين إلى القطب الأسفل مهب الدبور، وما بين القطب الأسفل إلى مطلع الشرطين مهب الجنوب. وحكي عن بعضهم أنه قال: الرياح ست: القبول وهي الصبا، والدبور والشمال والجنوب النكباء ومحوة، فما بين المشرقين مخرج القبول، وما بين المغربين مخرج الدبور، وما بين مشرق الشمس في الصيف إلى القطب مخرج النكباء، وما بين القطب إلى مغرب الصيف مخرج الشمال، وما بين مغرب الشتاء إلى القطب الأسفل مخرج الجنوب، وما بين القطب الأسفل إلى مشرق الشتاء مخرج محوة. وهذا قول خالد.

فأما أبو سعيد الأصمعي، فإنه قال: معظم الرياح أربع وحدّهن بالبيت الحرام فقال: القبول هي التي تأتي من تلقاء الكعبة يريد التي تستقبلها وهي الصبا، والدبور التي تأتي من دبر الكعبة، والشمال التي تأتي من قبل الحجر، والجنوب من تلقائها يريد من تلقاء الشمال قال: وكل ريح انحرفت فوقعت بين ريحين فهي نكباء. وقال أبو زيد مثل ذلك، والمنجمون على نحو قول الأصمعي فمهب الصبا في بلد من قبل مشرقه، ومهب الدبور من قبل مغربه، وكذلك الأخريان مهبهما بكل بلد من جهة القطبين، فأما قولهم للجنوب اليمانية وللشمال الشامية فلأن مهبها هو كذلك بالحجاز ونجده، فالشمال تأتيهم من قبل الشام، والجنوب من قبل اليمن، وليس هذا بلازم لكل بلد لا تكون الشمال ببلاد الروم شامية، وإلا الجنوب ببلاد الزنج يمانية فاعرف هذا فإنهما قد شهرتا على ألسن العرب بالشامية واليمانية حتى كأنهما لهما اسمان علمان لازمان والعلة ما أخبرتك.

وأما القول في القبلة فقال أبو حنيفة الدينوري في كتاب الزوال والقبلة ما لفظه: أما علم القبلة في كل بلد فليس يتهيأ فيه شيء تضبطه العامة وتقوى عليه أكثر مما ذكره الفقهاء من توخيها بالمشارق والمغارب، ومهاب الرياح الأربع، ومجاري النجوم، وليس على من يبلغ فهمه غامض علمه أكثر من ذلك، وأرجو أن يكون الأمر فيه واسعاً مع الاجتهاد، والتحري بمن أوتي فيه فضل

الأدلة فله أن يعول عليها. فان بان له أنه أخطأ من جهة القبلة إلى جهة أخرى من

معرفة بعد أن لا يكون من قوم معروفين بالخلاف فيه لبدعة وهوى أو لجاج، فإن أولئك لا يقتدى بهم. ولا يلتفت إليهم. واعلم أن لأولي العلم بغوامض هذا الباب أدلة لطيفة لا يختلفون فيها تضطر العاقلين من أهل القـوّة عليه إلا أن أسبابه إذا صودفت على صحة أدت إلى اليقين الذي لا شك فيه. والعامة لا تضبط ذلك ولا تقوى على فهمه، فمن ذلك أن تبدأ فتعلم بحيال أي درجة مكه، وبحيال أي درجة البلد الآخر، وعلى ذلك فإن علمه ممكن على عسر فيه شديد، فإذا علمت ذلك على الحقيقة فقد علم قدر الاختلاف الذي بين الجزأين المتحاذيين للبلدين، وعلمت حقيقة الجهتين أيضاً، ثم تعمل الدائرة الممثلة بدائرة الأفق فإذا خطت على ما ينبغي في البلد الذي يراد نصب قبلته وضعت مكة حينئذ موضعها الذي يجب لها من هذه الدائرة، ثم أجيز على النقطة التي وضعت لمكة وعلى النقطة الموضوعة للمدينة الاخرى، وهي مركز الدائرة خط يبلغ طرفه خط الدائرة فإذا خط هذا الخط على هذه الصفة بإحاطة فإن هذا الخط هو متوجه في سمت مكة لا محالة. ومن جعله حيال جهة فقد توجه جهة مكة من غير شك، وليس يخفي على من سمع هذا النعت أنه إذا فعل فهو كما وصفنا، وإن أحداً لا يستطيع دفعه وفعله ممكن بالبراهين المضطرة، وما أكثر ما يتنازع الناس في أمر القبلة فيحتج المتنازعان جميعاً بالجدي فاعلم أنه لا يقدر أن تصيب سمت مكة من بلد من البلدان إلا بعد أن تعلم وأنت بمكة اين سمت ذلك البلد فتضع الجدي منك في مثل ذلك الوقت بذلك الموضع الذي وجدته عليه بمكة، فإذا فعلت ذلك أصبت، فأما إذا لم تعلم وأنت بمكة أين بلدك وكيف جهته فما ينفعك من النظر الى الجدي، وإذا كان هذا هكذا فالاهتداء إلى بلدك بالجدي وأنت بمكة كاهتدائك إلى مكة بالجدي وأنت ببلدك ليس بينهما فرق، فافهم ذلك وتوخ بالجدي وغير الجدي واحتط بجهدك وتحرّ بطاقتك فإنه ليس عليك أكثر من ذلك إلا أن تصادف عالماً قد لطفت معرفته وبرع علمه فيوقفك عليه إن شاء الله تعالى.

(فمهما تعلم هذه الأدلة فله أن يعوّل عليها) أي يعتمد **(فإن بان له)** في اجتهاده **(انه أخطأ من جهة القبلة إلى جهة أخرى من الجهات الأربع فينبغي أن يقضي)** اعلم أن المصلي بالاجتهاد إذا ظهر له الخطأ في الاجتهاد له أحوال.

أحدها: أن يظهر قبل الشروع في الصلاة فإن تيقن الخطأ في اجتهاده أعرض عنه واعتمد الجهة التي يعلمها أو يظنها الآن، وإن لم يتيقن بل ظن ان الصواب جهة أخرى، فإن كان دليل الاجتهاد الثاني عنده أوضح من الأوّل اعتمد الثاني، وإن كان الأوّل أوضح اعتمده، وان تساويا فله الخيار فيهما على الأصح، وقيل: يصلي إلى الجهة مرتين.

الحال الثاني: أن يظهر الخطأ بعد الفراغ من الصلاة، فإن تيقنه وجبت الإعادة على الأظهر سواء تيقن الصواب أيضاً أم لا. وقيل القولان إذا تيقن الخطأ وتبين الصواب، أما إذا لم يتيقن الصواب فلا إعادة قطعاً والمذهب الأوّل، فلو تبين خطأ الذي قلده الأعمى فهو كتيقن خطأ

الجهات الأربع فينبغي أن يقضي. وإن انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء.

وقد أورد الفقهاء خلافاً في أن المطلوب جهة الكعبة أو عينها، وأشكل معنى ذلك على قوم إذ قالوا: إن قلنا إن المطلوب العين فمتى يتصور هذا مع بعد الديار؟ وإن قلنا: إن المطلوب الجهة فالواقف في المسجد إن استقبل جهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن

المجتهد، وأما إذا لم يتقين الخطأ بل ظنه فلا إعادة عليه، فلو صلى أربع صلوات إلى أربع جهات باجتهادات فلا إعادة على الصحيح، وعلى وجه شاذ تجب إعادة الأربع. وقيل: إعادة غير الأخيرة، ويجري هذا الخلاف سواء أوجبنا تجديد الاجتهاد أم لم نوجبه وفعله.

الحال الثالث: أن يظهر الخطأ في أثناء الصلاة وهو ضربان.

أحدهما: يظهر الصواب مقترناً بظهور الخطأ فإن كان الخطأ متيقناً بنيناه على القولين في تيقن الخطأ بعد الفراغ. فإن قلنا: موجب الإعادة بطلت صلاته، وإلاَّ فوجهان. وقيل: قولان. أصحهما: ينحرف إلى جهة الصواب ويتم صلاته، والثاني، يبطل وإن لم يكن الخطأ متيقناً بل مظنوناً، فعلى هذين الوجهين أو القولين الأصح ينحرف ويبني. وعلى هذا الأصح لو صلى أربع ركعات إلى أربع جهات باجتهادات فلا إعادة كالصواب. وخص صاحب التهذيب الوجهين بما إذا كان القليل الثاني أوضح من الأوّل. قال: فإن استويا تمم صلاته إلى الجهة الأولى، ولا إعادة.

الضرب الثاني: أن لا يظهر الصواب مع الخطأ فإن عجز عن الصواب بالاجتهاد على القرب بطلت صلاته لأنه وان قدر عليه على القرب، فهل ينحرف ويبني أم يستأنف؟ فيه خلاف مرتب على الضرب الأوّل، وأولى بالاستئناف مثاله عرف أن قبلته يسار المشرق، فذهب الغيم وظهر كوكب قريب من الافق هو مستقبله فعلم الخطأ يقيناً ولم يعلم الصواب، إذ يحتمل كون الكوكب في المشرق ويحتمل المغرب، لكن يعرف الصواب على قرب فإنه يرتفع فيعلم أنه مشرق أو ينحط فيعلم أنه مغرب ويعرف به القبلة وقد يعجز عن ذلك بأن يطبق الغيم عقيب الكوكب، **(فإن انحرف عن حقيقة محاذاة القبلة ولكن لم يخرج عن جهتها لم يلزمه القضاء)**.

(وقد أورده الفقهاء خلافاً في أن المطلوب) بالاجتهاد **(جهة الكعبة أو عينها)** قولان. أظهرهما الثاني اتفق العراقيون والقفال على تصحيحه، فلو ظهر الخطأ في التيامن أو التياسر فإن كان ظهوره بالاجتهاد وظهر بعد الفراغ لم يؤثر قطعاً وإن كان في أثنائها انحرف وأتمها قطعاً، وان كان ظهوره بالتيقن وقلنا الفرض جهة الكعبة فذاك، وإن قلنا عينها ففي وجوب الإعادة بعد الفراغ والاستئناف في الاثناء القولان. **(وأشكل معناه على قوم إذ قالوا: إن قلنا إن المطلوب العين فمتى يتصوّر هذا مع بعد الديار، وإن قلنا المطلوب الجهة فالواقف في المسجد إن استقبل جهة الكعبة وهو خارج ببدنه عن موازاة الكعبة لا خلاف في أنه لا تصح**

....

صلاته)، وقال صاحب التهذيب وغيره: ولا يستيقن الخطأ في الانحراف مع البعد عن مكة وإنما يظن ومع القرب يمكن التيقن والظن، وهذا كالتوسط بين اختلاف أطلقه العراقيون أنه هل يتيقن الخطأ في الانحراف من غير معاينة الكعبة من غير فرق بين القرب عن مكة والبعد، فقالوا: قال الشافعي رحمه الله تعالى: لا يتصوّر إلا بالمعاينة. وقال بعض الأصحاب: يتصوّر، ثم اعلم أنه في اشتراط استقبال المصلي على الأرض له أحوال.

أحدها: أنه يصلي في جوف الكعبة فتصح الفريضة والنافلة يستقبل أي جدار شاء والباب مردود أو مفتوح.

الثاني: يقف على سطحها فإن لم يكن بين يديه شاخص لم يصح على الصحيح، وإن كان شاخص من نفس الكعبة فله حكم العتبة إن كان قدر ثلثي ذراع جاز، وإلاّ فلا. على الصحيح، ولو استقبل خشبة أو عصا مغروزة غير مسمرة لم يكف على الأصح.

الثالث: أن يصلي عند طرف ركن الكعبة وبعض بدنه يحاذيه وبعضه يخرج عنه فلا تصح صلاته على الأصح، وهذا هو الذي أشار إليه المصنف بقوله: لا خلاف في أنه لا تصح صلاته، ولو وقف الإمام بقرب الكعبة عند المقام أو غيره وقف القوم خلفه ومستدير بالبيت جاز، ولو وقفوا في آخر باب المسجد وامتد صف طويل جاز، وإن وقفوا بقربه وامتد الصف فصلاة الخارجين عن محاذاة الكعبة باطلة.

الرابع: أن يصلي بمكة خارج المسجد وإن عاين الكعبة كمن يصلي على أبي قبيس صلى إليها، ولو بنى محرابه على العيان صلى إليه أبداً ولا يحتاج في كل صلاة إلى المعاينة، وفي معنى المعاين من نشأ بمكة وتيقن إصابة الكعبة وإن لم يشاهدها حال الصلاة فإن لم يعاين ولا تيقن الإصابة فله اعتماد الأدلة والعمل بالاجتهاد إن حال بينه وبين الكعبة حائل أصلي كالجبل، وكذا إن كان الحائل طارئاً كالبناء على الأصح للمشقة في تكليف المعاينة.

الخامس: أن يصلي بالمدينة فمحراب رسول الله ﷺ نازل منزلة الكعبة، فمن يعاينه يستقبله ويسوّي محرابه عليه بناء على العيان، وفي معنى المدينة سائر البقاع التي صلى فيها رسول الله ﷺ إذا ضبط المحراب، وكذا المحاريب المنصوبة في بلاد المسلمين وفي الطريق التي هي جادتهم يتعين استقبالها، ولا يجوز الاجتهاد وكذا القرية الصغيرة إذا نشأ فيها قرون من المسلمين، ثم هذه المواضع التي عليه الاجتهاد فيها في الجهة هل يجوز له التيامن أو التياسر؟ إن كان محراب رسول الله ﷺ لم يجز بحال ولو تخيل حاذق في معرفة القبلة فيه تيامناً أو تياسراً فليس له ذلك وخياله باطل، وأما سائر البلاد فيجوز على الأصح الذي قطع به الأكثرون، والثاني لا يجوز، والثالث لا يجوز في الكوفة خاصة، والرابع لا يجوز في الكوفة والبصرة لكثرة من دخلها من الصحابة.

السادس: إذا كان بموضع لا يقين فيه اعلم أن القادر على يتيقن القبلة لا يجوز له الاجتهاد، وفيمن استقبل حجر الكعبة مع تمكنه منها وجهان. الأصح المنع لأن كونه من البيت غير مقطوع به بل هو مظنون ثم اليقين قد يحصل بالمعاينة وبغيرها كالناشيء بمكة العارف يقيناً بأمارات، وكما لا

موازاة الكعبة لا خلاف في أنه لا تصح صلاته. وقد طولوا في تأويل معنى الخلاف في الجهة والعين. ولا بدّ أولاً من فهم معنى مقابلة العين ومقابلة الجهة.

فمعنى مقابلة العين: أن يقف موقفاً لو خرج خط مستقيم من بين عينيه إلى جدار الكعبة لا تصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان. (وهذه صورته:

الكعبة

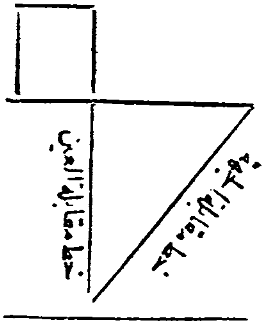

موقف المصلي

يجوز الاجتهاد مع القدرة على اليقين لا يجوز إعتماد قول غيره، وأما غير القادر على اليقين فإن وجد من يخبره بالقبلة اعتمده ولم يجتهد، ثم قد يكون الخبر صريح لفظ وقد يكون دلالة كالمحراب المعتمد، وإذا لم يجد العاجز من يخبره فتارة يقدر على الاجتهاد، وتارة لا يقدر فإن قدر لزمه واستقبل ما ظنه القبلة.

(وقد طوّلوا في تأويل معنى الخلاف في الجهة والعين. ولا بد أوّلاً من فهم معنى مقابلة العين و) معنى **(مقابلة الجهة)**.

(ومعنى مقابلة العين أن يقف) المصلي **(موقفاً لو خرج خط مستقيم من بين عينيه إلى جدار الكعبة لاتّصل به وحصل من جانبي الخط زاويتان متساويتان وهذه صورته)** المرسومة:

الكعبة

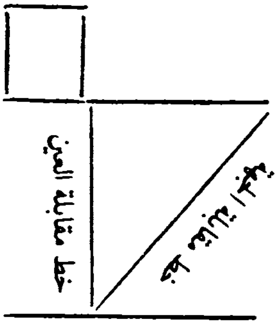

موقف المصلي

والخط الخارج من موقف المصلي يقدر أنه خارج من بين عينيه) فهذه صورة مقابلة العين.

وأما مقابلة الجهة: فيجوز فيها أن يتصل طرف الخط الخارج من بين العينين إلى الكعبة من غير أن يتساوى الزاويتان عن جهتي الخط، بل لا يتساوى الزاويتان إلا إذا انتهى الخط إلى نقطة معينة هي واحدة. فلو مدّ هذا الخط على الاستقامة إلى سائر النقط من يمينها أو شمالها كانت إحدى الزاويتين أضيق، فيخرج عن مقابلة العين ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة ـ كالخط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهة ـ فإنه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلاً لجهة الكعبة لا لعينها.

وحدّ تلك الجهة ما يقع بين خطين يتوهمها الواقف مستقبلاً لجهة خارجين من

(والخط الخارج من موقف المصلي يقدر أنه خارج من بين عينيه فهذه صورة مقابلة العين) وهي ظاهرة في الرسم كما ترى وفي بعض النسخ هكذا صورته:

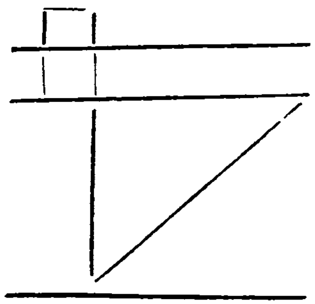

(فأما مقابلة الجهة فيجوز فيها أن يتصل طرفا الخط الخارج من بين العينين إلى الكعبة من غير أن يتساوى الزاويتان عن جهتي) وفي نسخة في جنبتي **(الخط، بل لا يتساوي الزاويتان إلا إذا انتهى الخط إلى نقطة معينة هي واحدة، فلو مدّ هذا الخط على الاستقامة إلى سائر النقط عن يمينها أو شمالها كانت إحدى الزاويتين أضيق فيخرج عن مقابلة العين، ولكن لا يخرج عن مقابلة الجهة كالخط الذي كتبنا عليه مقابلة الجهة)** في الرسم الذي تقدم قبل هذا، **(فإنه لو قدر الكعبة على طرف ذلك الخط لكان الواقف مستقبلاً لجهة الكعبة لا لعينها.**

وحدّ تلك الجهة ما يقع بين خطين يتوهمها الواقف مستقبلاً لجهة خارجين من العينين

العينين، فيلتقي طرفاهما في داخل الرأس بين العينين على زاوية قائمة، فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة. وسعة ما بين الخطين تتزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة. (وهذه صورته):

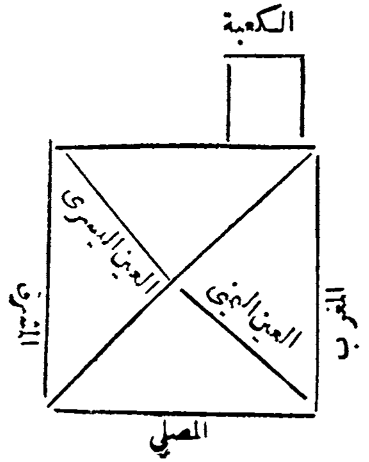

فإذا فهم معنى العين والجهة فأقول: الذي يصح عندنا في الفتوى أن المطلوب العين

يلتقي طرفاهما في داخل الرأس بين العينين على) وفي نسخة في **(زاوية قائمة فما يقع بين الخطين الخارجين من العينين فهو داخل في الجهة، وسعة ما بين الخطين تتزايد بطول الخطين وبالبعد عن الكعبة)** باتساع الجهة **(وهذه صورته)** كما تراها:

هكذا صورته في غالب النسخ الموجودة   ويوجد في بعضها هكذا

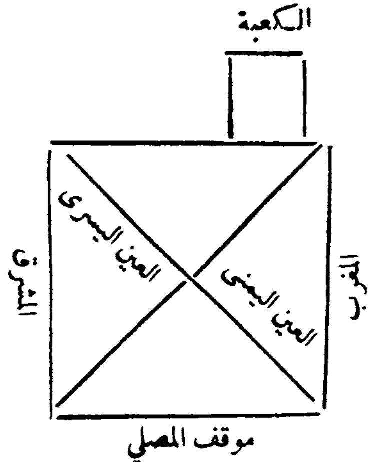

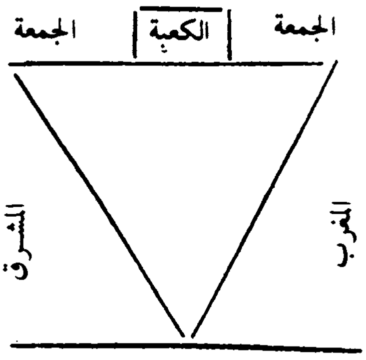

(فإذا فهم معنى العين والجهة فأقول: الذي يصح عندنا في الفتوى أن المطلوب)

إن كانت الكعبة مما يمكن رؤيتها، وإن كان يحتاج إلى الاستدلال عليها لتعذر رؤيتها فيكفي استقبال الجهة.

فأما طلب العين عند المشاهدة فمجمع عليه، وأما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسنّة وفعل الصحابة رضي الله عنهم والقياس.

أما الكتاب؛ فقوله تعالى: ﴿وحيثما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[البقرة: ١٥٠] أي نحوه. ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولى وجهه شطرها.

وأما السنّة؛ فما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال لأهل المدينة: « ما بين المغرب

بالاجتهاد (العين إن كانت الكعبة مما يمكن رؤيتها) وهو أظهر القولين واتفق العراقيون على تصحيحه كما تقدم، (وإن كان يحتاج إلى الاستدلال عليها) بالأدلة (لتعذر رؤيتها) بأن حال بينه وبينها حائل أصلي كالجبل أو طارىء كالبناء، (فيكفي استقبال الجهة، وأما طلب العين عند المشاهدة فمجمع عليه) وبه قال أصحابنا الحنيفة: ففي التجنيس للمرغيناني من كان بمعاينة الكعبة فالشرط إصابة عينها ومن لم يكن بمعاينتها فالشرط إصابة جهتها وهو المختار، والمراد باستقبال الجهة عندنا أن يبقى شيء من سطح الوجه مسامتاً للكعبة أو لهوائها لأن المقابلة، إن وقعت في مسافة بعيدة لا تزول بما تزول به من الانحراف لو كانت في مسافة قريبة، ويتفاوت ذلك بحسب تفاوت البعد وتبقى المسامتة مع انتقال مناسب لذلك البعد، فلو فرض خط من تلقاء وجه المستقبل للكعبة على التحقيق في بعض البلاد وخط آخر يقطعه على زاويتين قائمتين من جانب يمين المستقبل أو شماله لا تزول تلك المقابلة، والتوجه بالانتقال إلى الشمال على ذلك الخط بفراسخ كثيرة. ولذا وضع العلماء قبلة بلد وبلدين وثلاث على سمت واحد، فجعلوا قبلة بخارى وسمرقند ونسف وترمذ وبلخ ومرو وسرخس مواضع الغروب إذا كانت الشمس في آخر الميزان، وأول العقرب، كما اقتضته الدلائل الموضوعة لمعرفة القبلة، ولم يخرجوا لكل بلد سمتها لبقاء المقابلة والوجه في ذلك القدر ونحوه من المسافة. كذا في الدراية نقلا عن شيخه.

(وأما الاكتفاء بالجهة عند تعذر المعاينة فيدل عليه الكتاب والسّنة وفعل الصحابة رضي الله عنهم والقياس.

أما الكتاب فقوله تعالى ﴿وحيث ما كُنتم فولّوا وجوهكم شطره﴾ أي نحوه) هكذا فسره البيضاوي قال: وقيل الشطر في الأصل لما انفصل عن الشيء من شطر إذا انفصل ودار شطور أي منفصلة عن الدور، ثم استعمل الشطر الجانب وإن لم ينفصل كالقطر، وكذا قوله تعالى ﴿فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾ [البقرة: ١٥٠] (ومن قابل جهة الكعبة يقال قد ولى وجهه شطره) قال البيضاوي: وإنما ذكر المسجد دون الكعبة لأنه ﷺ كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاته الجهة فإن استقبل عينها حرج عليه بخلاف القريب.

(وأما السنة فما روي عن رسول الله ﷺ إنه قال لأهل المدينة « ما بين المغرب والمشرق

والمشرق قبلة». والمغرب يقع على يمين أهل المدينة والمشرق على يسارهم. فجعل رسول الله ﷺ جميع ما يقع بينهما قبلة ومساحة الكعبة لا تفي بما بين المشرق والمغرب وإنما يفي بذلك جهتها. وروي هذا اللفظ أيضاً عن عمر وابنه رضي الله عنهما.

قبلة» والمغرب يقع على يمين أهل المدينة والمشرق على يسارهم، فجعل رسول الله ﷺ جميع ما يقع بينهما قبلة، ومساحة الكعبة لا تفي بما بين المشرق، والمغرب، وإنما يفي بذلك جهتها) قال العراقي: رواه الترمذي وصححه والنسائي وقال: منكر. وابن ماجه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه الحاكم كذلك وقال: هو على شرطهما وأقره الذهبي ولفظهم جميعاً: «ما بين المشرق والمغرب قبلة» وزاد الديلمي في مسند الفردوس مفرد للترمذي بزيادة «لأهل المشرق» فليحرر، قال المناوي في شرحه على الجامع: أي ما بين مشرق الشمس في الشتاء وهو مطلع قلب العقرب، ومغرب الشمس في الصيف وهو مغرب السماك الرامح قبلة أهل المدينة، فإنها واقعة بين المشرق والمغرب وهي إلى طرف المغرب أميل فيجعلون المغرب عن يمينهم والمشرق عن يسارهم، ولأهل اليمن من السعة في قبلتهم كما لأهل المدينة لكنهم يجعلون المشرق عن يمينهم والمغرب عن يسارهم.

(وروي هذا اللفظ أيضاً عن عمر) بن الخطاب **(وابنه)** عبد الله بن عمر **(رضي الله عنهما)** أما حديث ابن عمر فأخرجه الحاكم من طريق شعيب بن أيوب، عن عبد الله بن نمير، عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر. وأما حديث عمر فأخرجه الدارقطني في العلل وقال: الصواب عن نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر، ورواه البيهقي كذلك ولفظه: بعدما أورد الحديث المراد به والله أعلم. أهل المدينة ومن كانت قبلته على سمتهم فيما بين المشرق والمغرب تطلب قبلتهم ثم يطلب عينها، فقد روى نافع بن أبي نعيم عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر قال: «ما بين المشرق والمغرب قبلة إذا توجهت قبل البيت وفيه ثلاثة أمور. الأول: إن نافع بن أبي نعيم قال: فيه أحمد ليس بشيء في الحديث حكاه عنه ابن عدي في الكامل، وحكى عنه الساجي إنه قال هو منكر الحديث، والثاني: إن هذا الأثر اختلف فيه عن نافع فرواه ابن أبي نعيم كما مرّ، ورواه مالك في الموطأ عن ابن عمر قال: الثالث قوله: إذا توجهت قبل البيت يحتمل أن يراد به طلب الجهة فيحمل على ذلك حتى لا يخالف أوّل الكلام وهو قوله «ما بين المشرق والمغرب قبله» فتأمل. ورواه عبد الرزاق في المصنف عن عمر موقوفاً، وعن ابن عمر موقوفاً: ثم هذا الحديث بظاهره معارض لما في المتفق عليه من حديث أسامة، ومن حديث ابن عمر أن النبي ﷺ دخل البيت ودعا في نواحيه، ثم خرج وركع ركعتين في قبل الكعبة وقال: هذه القبلة واختلف في تأويله. فقال الخطابي قوله هذه القبلة معناه أن أمرها استقر على هذه البنية فلا ينسخ أبداً، فصلّوا إليها فهي قبلتكم. وقال النووي: يحتمل إن يريد هذه الكعبة هي المسجد الحرام الذي أمرتم باستقباله لا كل

وأما فعل الصحابة رضي الله عنهم: فما روي أن أهل مسجد قباء كانوا في صلاة الصبح بالمدينة مستقبلين لبيت المقدس مستدبرين الكعبة ـ لأن المدينة بينهما ـ فقيل لهم: الآن قد حوّلت القبلة إلى الكعبة. فاستداروا في أثناء الصلاة من غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم. وسمي مسجدهم « ذا القبلتين ». ومقابلة العين من المدينة إلى مكة لا تعرف

الحرم ولا مكة ولا المسجد الذي حولها بل نفسها فقط. قال الحافظ: وهو احتمال حسن بديع، ويحتمل أن يكون تعلياً للإمام أن يستقبل البيت من وجهه، وإن كانت الصلاة إلى جميع جهاته جائزة. وقد روى البزار عن عبد الله بن حبقي قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي إلى باب الكعبة وهو يقول: « أيها الناس إن الباب قبلة البيت » لكن إسناده ضعيف، وروى البيهقي عن ابن عباس مرفوعاً « البيت قبلة لأهل المسجد، والمسجد قبلة لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها لأمتي » وإسناده ضعيف أيضاً. قال صاحب الكشف والتحقيق وهو عبد العزيز النجاري هذا على التقريب وإلاَّ فالتحقيق أن الكعبة قبلة العالم.

(وأما فعل الصحابة رضي الله عنهم فما روي أن أهل مسجد قباء كانوا في صلاة الصبح مستقبلين لبيت المقدس مستدبرين الكعبة لأن المدينة بينهما فقيل لهم: إلا قد حوّلت القبلة إلى الكعبة. فاستداروا في أثناء الصلاة من غير طلب دلالة ولم ينكر عليهم وسمي مسجدهم ذا القبلتين) قال العراقي: رواه مسلم من حديث أنس واتفقا عليه من حديث ابن عمر مع إختلاف اهـ.

قلت: لفظ حديث ابن عمر « بينما الناس يصلون في صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه وقد أمر أن يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة ». وهو متفق عليه من حديثه هكذا. ومن حديث البراء بن عازب نحوه، ومسلم من حديث أنس نحوه وللبزار من طريق ثمامة عن أنس « فصلوا الركعتين الباقيتين إلى الكعبة ».

وذكر البيضاوي في تفسيره أنه ﷺ قدم المدينة فصلّى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم وجه إلى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلّى بأصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحوّل في الصلاة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمى المسجد ذا القبلتين اهـ.

وحديث البراء قال البخاري في صحيحه: حدثنا عمر بن خالد، حدثنا أبو إسحاق، عن البراء أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده، أو قال اخواله من الأنصار وإنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاّها صلاة العصر، وصلّى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمرَّ على أهل

إلا بأدلة هندسية يطول النظر فيها ؛ فكيف أدركوا ذلك على البديهة في أثناء الصلاة وفي ظلمة الليل ، ويدل أيضاً من فعلهم أنهم بنوا المساجد حوالي مكة وفي سائر بلاد الإسلام ولم يحضروا قط مهندساً عند تسوية المحاريب ، ومقابلة العين لا تدرك إلا بدقيق النظر الهندسي .

وأما القياس؛ فهو أن الحاجة تمس إلى الاستقبال وبناء المساجد في جميع أقطار

مسجدهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت الحديث .

قوله: على أهل مسجد هو مسجد بني سلمة ومرّ عليهم في صلاة العصر ، وأما أهل قباء فما أتاهم إلا في صلاة الصبح هكذا أخرجه في أول الصحيح ، وأيضاً في التفسير عن أبي نعيم ومحمد بن المثني والنسائي عن محمد بن بشار ثلاثتهم عن يحي بن سعيد ، عن الثوري ، عن أبي إسحاق عنه . وأخرجه النسائي أيضاً عن محمد بن حاتم ، عن حبان بن موسى ، عن ابن المبارك ، عن شريك عن أبي إسحاق . وأخرجه ابن ماجه عن علقمة بن عمر ، وعن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق ، وأخرجه الترمذي عن هناد عن وكيع عن إسرائيل بن يونس عن جده أبي إسحاق . وأخرجه البخاري أيضاً في الصلاة عن عبد الله بن جابر . وفي خبر الواحد عن يحي عن وكيع كلاهما عنه به وأخرجه النسائي أيضاً عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم عن إسحاق بن يوسف الأزرق عن زكريا ابن أبي زائدة عن أبي إسحاق ، وفيه جواز الصلاة الواحدة إلى جهتين وهو الصحيح عند أصحاب الشافعي ، فمن صلى ، إلى جهة فتغير اجتهاده في أثنائها فإنه يستدير إلى الجهة الآخرة كما تقدم ، وفيه دليل على قبول خبر الواحد وهو مجمع عليه وفيه وجوب الصلاة إلى القبلة والإجماع على أنها الكعبة ، وبه يحتج على أن من صلّى بالاجتهاد إلى غير القبلة ثم تبين له الخطأ لا تلزمه الإعادة لأنه فعل ما عليه في ظنه مع مخالفة الحكم في نفس الأمر ، كما أن أهل قباء فعلوا ما وجب عليهم عند ظن بقاء الأمر فلم يؤمروا بالإعادة .

(ومقابلة العين من المدينة إلى مكة لا يعرف إلا بأدلة هندسية) بترتيب آلات غريبة **(يطول النظر فيها ، فكيف أدركوه على البديهة في أثناء الصلاة)** إذ ورد عليهم الخبر وهم راكعون ، **(وفي ظلمة الليل)** إذ كانوا يصلون الصبح بغلس ، **(ويدل أيضاً)** من فعلهم **(أنهم بنوا المساجد حول مكة وفي سائر بلاد الإسلام)** كالكوفة والبصرة ومصر والشام ومرو وقرقيبيا وغيرها ، **(ولم يحضروا قط مهندساً)** ولا منجماً **(عند تسوية المحراب)** ولما كانوا يعرفون الاسطرلاب ، **(ومقابلة العين لا تدرك إلا بدقيق النظر في الهندسة)** ومعرفة آلات الفن .

(وأما القياس: فهو أن الحاجة تمس إلى الاستقبال وبناء المساجد في جميع أقطار الارض

الأرض، ولا يمكن مقابلة العين إلا بعلوم هندسية لم يرد الشرع بالنظر فيها، بل ربما يزجر عن التعمق في علمها فكيف ينبني أمر الشرع عليها؟ فيجب الاكتفاء بالجهة للضرورة.

وأما دليل صحة الصورة التي صوّرناها: وهو حصر جهات العالم في أربع جهات فقوله عليه الصلاة والسلام في آداب قضاء الحاجة: «لا تستقبلوا بها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرّقوا أو غرّبوا» وقال: هذا بالمدينة - والمشرق على يسار المستقبل بها والمغرب على يمينه - فنهى عن جهتين ورخص في جهتين. ومجموع ذلك أربع جهات. ولم يخطر ببال أحد أن جهات العالم يمكن أن تفرض في ست أو سبع أو عشر. وكيفما كان فما حكم الباقي؟ بل الجهات تثبت في الاعتقادات بناء على خلقة الإنسان، وليس له إلا أربع جهات: قدام وخلف ويمين وشمال فكانت الجهات بالإضافة إلى الإنسان في ظاهر النظر أربعاً. والشرع لا يبنى إلا على مثل هذه الاعتقادات فظهر أن المطلوب الجهة،

ولا يمكن مقابلة العين) في محاريبها **(إلا بعلوم هندسية)** وآلات فلكية وأرصاد الكواكب السبعة السيارة **(لم يرد الشرع بالنظر فيها، بل ربما يزجر عن التعمق)** أي غوص الذهن **(في علمها، فكيف ينبني أمر الشرع عليها؟ فيجب الاكتفاء)** في البلاد البعيدة **(بالجهة للضرورة)** الداعية.

(وأما دليل الصورة التي صورناها) آنفاً **(في حصر جهات العالم في أربع)** فقط **(فقوله ﷺ في آداب قضاء الحاجة: «لا تستقبلوا بها القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا»)**. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي أيوب اهـ.

قلت: وكذلك رواه النسائي والطبراني ولفظهم «لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها بغائط أو بول ولكن شرقوا أو غربوا» وفي لفظ عند الطبراني وسمويه: «لا تستقبلوا القبلة بفروجكم ولا تستدبروها» ورواه أبو يعلى من حديث أسامة بن زيد بلفظ «لا تستقبلوا القبلة بغائط أو بول»

(وقال: هذا بالمدينة والمشرق على يسار المستقبل لها والمغرب على يمينه) إذ هي واقعة بين المشرق والمغرب وهي إلى طرف المغرب أميل كما تقدم، **(فنهى عن جهتين)** الاستقبال والاستدبار، **(ورخص في جهتين)** التشريق والتغريب، **(ومجموع ذلك أربع جهات)** قدام ووراء والشرق والغرب، **(ولم يخطر ببال أحد أن جهات العالم يمكن أن تفرض ستة أو سبعة أو عشرة، وكيفما كان فما حكم الباقي)** منها، **(بل الجهات تثبت في الاعتقادات بناء على خلقة الإنسان، وليس له إلا أربع جهات قدام وخلف ويمين وشمال، فكانت الجهة بالإضافة إلى الإنسان في ظاهر النظر أربعاً، والشرع لا يبنى إلا على مثل هذه الاعتقادات، فظهر)** مما تقدم **(أن المطلوب)** بالاجتهاد في الأقطار النائية **(الجهة)** لا العين، **(وذلك يسهل أمر**

وذلك يسهل أمر الاجتهاد فيها وتعلم به أدلة القبلة. **فأما مقابلة العين فإنها تعرف بمعرفة** مقدار عرض مكة عن خط الاستواء، ومقدار درجات طولها وهو بعدها عن أول عمارة في المشرق. ثم يعرف ذلك أيضاً في موقف المصلي، ثم يقابل أحدهما بالآخر. ويحتاج فيه إلى آلات وأسباب طويلة، والشرع غير مبني عليها قطعاً. فإذاً القدر الذي لا بد من تعلمه من أدلة القبلة: موقع المشرق والمغرب في الزوال، وموقع الشمس وقت العصر. فبهذا يسقط الوجوب.

فإن قلت: فلو خرج المسافر من غير تعلم ذلك هل يعصي؟ فأقول: إن كان طريقه على قرى متصلة فيها محاريب، أو كان معه في الطريق بصير بأدلة القبلة موثوق بعدالته

الاجتهاد فيها ويعلم أدلة القبلة، فأما مقابلة العين فإنها تعرف بمعرفة مقدار عرض مكة عن خط الاستواء) هي الدائرة التي في سطح دائرة معدل النهار على الأرض، وإنما سميت بخط الاستواء لكون الفلك هناك متحركاً على الاستواء ولاستواء الليل والنهار فيه أبداً بالتقريب، ويعلم منه أيضاً وجه التسمية بمعدل النهار، **(و)** معرفة **(مقدار درجات طولها وهو بعدها عن أول عمارة في المشرق)** وهو الموضع المعروف بجزائر الخالدات وجزائر السعداء. وقيل: موضع يسمى بكنك دز يقال ان أرصاد علماء الهند كانت هناك وهو آخر العمارة في جهة المشرق على زعمهم، وهذا الموضع هو مستقر الشياطين على زعم براهمة الهند، وقيل: آخر عمارة المشرق جزيرة يسميها الهنود جكوت وهي آخر عمارة تصل إليها، والبعد بين كنك دز وبين الجزائر الخالدات مائة وثمانون درجة. قال الجفميني في شرح الملخص: طول مكة من جزائر الخالدات سبع وسبعون درجة وعشر دقائق، وعرضها من خط الاستواء إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة.

(ثم يعرف ذلك أيضاً في موقف المصلي) من أي بلد كان، **(ثم يقابل أحدهما بالآخر)** وهذا لا بدَّ من ذلك. وقد تقدم عن كتاب القبلة لأبي حنيفة الدينوري ما يؤيد ذلك فانك إذاً لم تقابل أحدهما بالآخر، وأنت بمكة أين بلدك وكيف جهته؟ فما ينفعك من النظر إلى الجدي، **(ويحتاج فيه إلى آلات وأسباب طويلة)** وتلك الآلات هندسية، ومن أشد ما يحتاج إليه في معرفة سمت القبلة الدائرة الممثلة بدائرة الافق وهي معروفة عند أهل العلم وسهلة، الصنعة عليهم. **(والشرع غير مبني عليها قطعاً)** إذ لم يثبت ذلك عن السلف، **(فإذاً القدر الذي لا بدَّ من تعلمه من أدلة القبلة موقع الشرق والغرب والزوال وموقع الشمس وقت العصر، فهذا يسقط الوجوب.**

فإن قلت: فلو خرج المسافر) من مستقره إلى بلد آخر **(من غير تعلم ذلك هل يعصي؟ فأقول: إن كان)** ذلك المسافر **(طريقه على قرى متصلة فيها محاريب)** للمسلمين معروفة في مساجدهم، **(أو كان معه في الطريق)** رجل **(بصير)** عارف بأدلة القبلة **(موثوق بعدالته**

وبصيرته ويقدر على تقليده فلا يعصي. وإن لم يكن معه شيء من ذلك عصى. لأنه سيتعرض لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه فصار ذلك كعلم التيمم وغيره، فإن تعلم هذه الأدلة واستبهم عليه الأمر بغيم مظلم. أو ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده، فعليه أن يصلي في الوقت على حسب حاله، ثم عليه القضاء سواء أصاب أم أخطأ، والأعمى ليس له إلا التقليد فليقلد من يوثق بدينه وبصيرته إن كان مقلده مجتهداً في القبلة، وإن كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يخبره بذلك في حضر أو سفر

وبصيرته) يستوي فيه الرجل والمرأة والعبد ولا يقبل كافر قطعاً ولا فاسق وصبي مميز على الصحيح فيهما **(يقدر على تقليده فلا يعصي، فإن لم يكن معه شيء من ذلك عصى لأنه سيتعرض)** وفي نسخة: متعرض **(لوجوب الاستقبال ولم يكن قد حصل علمه، فصار ذلك كعلم التيمّم وغيره، فإن تعلم هذه الأدلة واستبهم عليه الأمر إما بغيم مظلم)** طبق أفق السماء **(أو ترك التعلم ولم يجد في الطريق من يقلده، فعليه أن يصلي في الوقت)** إن خاف فوته **(على حسب حاله ثم عليه القضاء سواء أصاب أو أخطأ)**. قال الرافعي: ليس للقادر على الاجتهاد تقليد غيره، فإن فعل وجب قضاء الصلاة وسواء خاف خروج: الوقت أو لم يخفه، لكن إن ضاق الوقت صلّى كيف كان وتجب الإعادة هذا هو الصحيح، وفيه وجه لابن سريج أنه يقلد عند خوف الفوات، وفي وجه ثالث يصبر إلى أن تظهر القبلة، وإن فات الوقت ولو خفيت الدلائل على المجتهد لغيم أو ظلمة أو تعارض أدلة فثلاثة طرق: أصحها قولان أظهرهما لا يقلد، والثاني يقلد. والطريق الثاني لا يقلد، والثالث يصلي بلا تقليد كيف كان ويقضي. فإن قلنا: يقلد لم تلزمه الإعادة على الصحيح، وقول الجمهور. قال إمام الحرمين: هذا الطريق إذا ضاق الوقت وقبل ضيقه يصبر ولا يقلد قطعاً قال: وفيه احتمال من التيمّم أول الوقت.

(و) إذا لم يقدر على الاجتهاد بأن عجز عن تعلم الأدلة مثل **(الأعمى)** والبصير الذي لا يعرف الأدلة ولا له معرفتها **(ليس له إلا التقليد، فيقلد من يوثق بدينه ومعرفته إن كان مقلداً مجتهداً في القبلة)** وهو كل مكلف مسلم عدل عارف بالأدلة سواء فيه الرجل والمرأة والعبد، وفي وجه شاذ له تقليد صبي مميز والتقليد قبول قوله المستند إلى الاجتهاد، فلو قال بصير: رأيت القطب أو رأيت الخلق العظيم من المسلمين يصلون إلى هنا كان الاخذ به قبول خبر لا تقليد، ولو اختلف عليه اجتهاد مجتهدين قلّد من شاء منهما على الصحيح، والأولى تقليد الأوثق والأعلم، وقيل: يجب ذلك، وقيل: يصلي مرتين إلى الجهتين.

(وإن كانت القبلة ظاهرة فله اعتماد قول كل عدل يخبره بذلك في حضر أو سفر) ثم قد يكون الخبر صريح لفظ، وقد يكون دلالة كالمحراب المعتمد وسواء في العمل بالخبر أهل الاجتهاد وغيره حتى الأعمى يقصد المحراب إذا عرفه بالمس حيث يعتمده البصير، وكذا البصير في الظلمة، وقال صاحب العدة: إنما يعتمد الأعمى على المس في محراب رآه قبل الأعمى، فإن لم

وليس للأعمى ولا للجاهل أن يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف أدلة القبلة ـ حيث يحتاج إلى الاستدلال ـ كما ليس للعامي أن يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل الشرع، بل يلزمه الهجرة إلى حيث يجد من يعلمه دينه، وكذا إن لم يكن في البلد إلا فقيه فاسق فعليه الهجرة أيضاً إذ لا يجوز له اعتماد فتوى الفاسق بل العدالة شرط لجواز قبول الفتوى ـ كما في الرواية ـ وإن كان معروفاً بالفقه مستور الحال في العدالة والفسق فله القبول مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لأن المسافر في البلاد لا يقدر أن يبحث عن عدالة المفتين، فإن رآه لابساً للحرير أو ما يغلب عليه الإبريسم، أو راكباً لفرس عليه مركب ذهب فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله، فليطلب غيره. وكذلك إذا رآه يأكل على مائدة سلطان أغلب ماله حرام أو يأخذ منه إدراراً أو صلة من غير أن يعلم أن الذي يأخذه من وجه حلال، فكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة.

يكن شاهده لم يعتمده، ولو اشتبه عليه مواضع لمسها فلا شك أنه يصبر حتى يخبره غيره صريحاً فإن خاف فوت الوقت صلى، وأعاد هذا كله إذا وجد من يخبره عن علم وهو ممن يعتمد قوله: أما إذا لم يجد العاجز من يخبره فتارة يقدر على الاجتهاد، وتارة لا يقدر فإن قدر لزمه واستقبل ما ظنه القبلة ولا يصح الاجتهاد إلاَّ بأدلة القبلة. **(وليس للأعمى ولا للجاهل أن يسافر في قافلة ليس فيها من يعرف أدلة القبلة حيث يحتاج إلا الاستدلال)** بها إما بالرياح أو بالنجوم **(كما ليس للعامي أن يقيم ببلدة ليس فيها فقيه عالم بتفصيل)** أحكام **(الشرع بل يلزمه الهجرة)** أي الانتقال منها **(إلى حيث يجد من يعلمه دينه)** أي أموره، **(وكذا إن لم يكن في البلد إلا فقيه فاسق)** معلن بفسقه **(فعليه الهجرة أيضاً)** إلى بلد آخر **(إذ لا يجوز له الاعتماد على فتوى الفاسق بل العدالة شرط الجواز)** وفي نسخة في جواز **(قبول الفتوى، كما)** شرطوا **(في)** قبول **(الرواية وإن كان معروفاً بالفقه مستور الحال في العدالة والفسق)** غير معلن به، **(فله القبول)** لفتواه **(مهما لم يجد من له عدالة ظاهرة لأن المسافر في البلاد لا يقدر أن يبحث عن عدالة المفتين)** لأنه في شغل عنه في أموره اللازمة، **(فإن رآه لابساً للحرير أو ما يغلب عليه الإبريسم)** وهو الحرير الخام **(أو راكباً لفرس عليه مركب ذهب)** أي سرج ذهب وغيره من العدد والآلات كذلك كالركاب وما يوضع على عذاريه ورأسه، **(فقد ظهر فسقه وامتنع عليه قبول قوله فليطلب غيره)** ممن ليس كذلك، **(وكذلك إذا رآه يأكل على مائدة سلطان)** أو أمير **(أغلب ماله حرام)** من المكوسات والغصوب وغيرها من المظالم، **(أو يأخذ منه ادراراً أو صلة)** أو خلعة **(من غير أن يعلم أن الذي يأخذه من وجه حلال)** كما تقدم في كتاب الحلال والحرام، **(فكل ذلك فسق يقدح في العدالة ويمنع من قبول الفتوى والرواية والشهادة)** فالعدالة شرط في قبول هؤلاء الثلاثة ولا عدالة في الكافر والفاسق على ما

وأما معرفة أوقات الصلوات الخمس فلا بد منها . فوقت الظهر يدخل بالزوال، فإن كل شخص لا بدّ أن يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب، ثم لا يزال ينقص إلى وقت الزوال، ثم يأخذ في الزيادة في جهة المشرق ولا يزال يزيد إلى الغروب. فليقم المسافر في موضع أو لينصب عوداً مستقيماً وليعلم على رأس الظل، ثم لينظر بعد ساعة فإن رآه في النقصان فلم يدخل بعد وقت الظهر.

وطريقه في معرفة ذلك أن ينظر في البلد ـ وقت أذان المؤذن المعتمد ـ ظل قامته فإن كان مثلاً ثلاثة أقدام بقدمه فمهما صار كذلك في السفر وأخذ في الزيادة صلى. فإن زاد

بين.

(**وأما معرفة أوقات الصلوات الخمس**) المفروضة في الحضر والسفر، (**فلا بدّ منها**) أما في الحضر فربّ مؤذن عارف بصير بالأوقات يكفيه مؤنتها بخلاف السفر، (**فوقت الظهر يدخل بالزوال**) أي بزوال الشمس عن كبد السماء، (**وكل شخص يقع له في ابتداء النهار ظل مستطيل في جانب المغرب ثم لا يزال ينقص إلى وقت الزوال، ثم يأخذ في الزيادة في جهة المشرق ولا يزال يزيد إلى الغروب، فليقم المسافر في موضع**) مستو (**أو لينصب عوداً مستقيماً**) في أرض مستوية بحيث لا يكون بعض جوانبها مرتفعاً وبعضها منخفضاً إما بصب الماء أو ببعض موازين المفننين، (**وليعلّم على رأس الظل**) علامة (**ثم لينظر بعد ساعة فإن رآه في النقصان فلم يدخل بعد وقت الصلاة**). أو يرسم في الأرض دائرة وينصب في مركزها مقياس قائم بان يكون بعد رأسه عن ثلاث نقط من محيط الدائرة متساوياً، ولتكن قامته بمقدار ربع قطر الدائرة فرأس ظله في أوائل النهار خارج الدائرة، لكن الظل ينقص إلى أن يدخل في الدائرة فتضع علامة دلالة على مدخل الظل من محيط الدائرة، ولا شك أن الظل ينقص إلى حده ثم يزيد إلى أن ينتهي إلى محيط الدائرة، ثم يخرج منها، وذلك بعد نصف النهار فتضع علامة على مخرج الظل فتنصف القوس التي بين مدخل الظل ومخرجه ويرسم خطاً مستقيماً. من منتصف القوس إلى مركز الدائرة مخرجاً من الطرف الآخر إلى المحيط. فهذا الخط هو خط نصف النهار، فإذا كان ظل المقياس على هذا الخط فهو نصف النهار، والظل الذي في هذا الوقت هو فيء الزوال فإذا زال الظل من هذا الخط فهو وقت الزوال، فلذلك أول وقت الظهر، وقد تقدمت صورة هذه الدائرة في كتاب الصلاة.

(**وطريقه في معرفة ذلك أن ينظر في البلد وقت أذان المؤذن ظل قامته فإذا كانت مثلاً ثلاثة أقدام بقدمه، فمهما صار كذلك في السفر وأخذ في الزيادة صلّى**) فهو أول وقت الظهر. وقال أبو حنيفة الدينوري: من أراد أن يعرف ظل نصف النهار بالقياس فليتحر وقت نصف النهار، وليكن ذلك قبيل انتصافه ثم لينصب القياس ولينظر كم الظل من قدم ثم ليثبت قليلاً، ثم ليعد القياس، فإن وجد الظل قد نقص، فإن الشمس لم تزل، وإن وجده زاد فقد فاته

عليه ستة أقدام ونصفا بقدمه دخل وقت العصر ، إذ ظل كل شخص بقدمه ستة أقدام ونصف بالتقريب . ثم ظل الزوال يزيد كل يوم إن كان سفره من أول الصيف . وإن كان من أول الشتاء فينقص كل يوم. وأحسن ما يعرف به ظل الزوال الميزان فليستصحبه المسافر ، وليتعلم اختلاف الظل به في كل وقت . وإن عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال وكان في السفر في موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر ، فيمكنه أن يعرف الوقت بالشمس بأن تصير بين عينيه مثلاً إن كانت كذلك في البلد .

الزوال، فإن وجد الظل ينقص فليقس أبداً حتى يجده قد اختصر الزيادة، فإذا زاد فذلك حين زالت الشمس ، فلينظر على كم قدم زالت من أقدام القياس فذلك هو ظل الزوال في ذلك اليوم.

(فإن زاد عليه ست أقدام ونصف دخل وقت العصر إذ ظل كل شخص بقدمه ست ونصف بالتقريب) وإنما قال بالتقريب ليشمل من قال هو أن يزيد على ظل الزوال أبداً سبع أقدام ، ومقادير الظل مختلفة باختلاف البلدان والفصول كما هو مبين في كتاب الزوال لأبي حنيفة الدينوري. واعلم أن لكل بلد خطاً من السماء عليه تزول الشمس الدهر كله ، فمن أراد أن يعلمه فلينظر إلى مطلع الشمس من أي يوم شاء ، ويعلّم بذلك الموضع علامة من الأرض ويحفظها ثم يقدر ببصره النصف مما بين العلامتين وليحتط في ذلك أشد الاحتياط ، فحيث وجده فليعلّم عليه له علامة من الأرض لتكون محفوظة عنده أبداً ، ثم ليعلم أن الشمس تزول أبداً على الخط الذي يأخذه من تلك العلامة إلى محاذاة الرأس لا يخرم عنه إذا هو أخذ ذلك بتقدير صحيح ، وليعلم أن نصف النهار هو أبداً من طلوع الشمس إلى مصيرها على هذا الخط إلى أن تغيب ، واعلم أن فصل أزمان هذا التقدير هو عند أقصر مايكون النهار ، وذلك لأن مطلع الشمس يقرب من مغربها فيكون إصابة النصف ما بينهما بالنظر والتقدير أسهل والخطأ فيه أقل.

(ثم ظل الزوال يزيد كل يوم إن كان سفره من أول الصيف ، وإن كان من أول الشتاء فينقص كل يوم، وأحسن ما يعرف به ظل الزوال الميزان فليستصحبه) معه **(المسافر ويتعلم اختلاف الظل به في كل وقت، وإن عرف موقع الشمس من مستقبل القبلة وقت الزوال، وكان في السفر في موضع ظهرت القبلة فيه بدليل آخر يمكنه أن يعرف الوقت بالشمس بأن يصير بين عينيه مثلاً إن كان كذلك في البلد)** .

وقال النووي في الروضة: وقت الظهر يدخل بالزوال وهو زيادة الظل بعد استواء الشمس ويخرج وقتها إذا صار ظل الشخص مثله سوى الظل الذي كان عند الزوال إن كان ظل، وما بين الطرفين وقت احتياط. وأما العصر فيدخل وقتها بخروج وقت الظهر بلا خلاف ويمتد إلى غروب الشمس وفيه وجه ضعيف قاله الاصطخري أربعة أوقات: وقت فضيلة وهو الأول، ووقت الاختيار إلى أن يصير ظله مثليه وبعده جواز بلا كراهة إلى إصفرار الشمس، ومن الاصفرار إلى الغروب وقت كراهة يكره تأخيرها إليه انتهى.

وأما وقت المغرب فيدخل بالغروب، ولكن قد تحجب الجبال المغرب عنه، فينبغي أن ينظر إلى جانب المشرق فمهما ظهر سواد في الأفق مرتفع من الأرض قدر رمح فقد دخل وقت المغرب.

وقال أصحابنا: وقت الظهر من الزوال إلى بلوغ الظل مثليه سوى الفيء هذا مذهب أبي حنيفة. وقال صاحباه وفاقاً للشافعي آخره إذا صار ظل كل شيء مثله، وهو رواية الحسن بن زياد عن أبي حنيفة، وفي رواية أسد بن عمر وعنه: إذا صار كل شيء مثله خرج وقت الظهر ولا يدخل وقت العصر حتى يصير ظل كل شيء مثليه، وجعل صاحب الوسيط رواية الحسن عن أبي حنيفة رواية محمد عنه، وجعل المثلين رواية أبي يوسف عنه، وجعل المهمل رواية الحسن عنه ووقت العصر من المثلين إلى الغروب هذا قول أبي حنيفة وعندهما إذا صار ظل كل شيء مثله دخل وقت العصر وهو مبني على خروج وقت الظهر على القولين. وقال الحسن بن زياد إذا اصفرت الشمس خرج وقت العصر.

تنبيه:

قال النوري في كتاب الزوال: وما أكثر من يغلط في هذا الموضع إذا سمع ما جاء به بعض الخبر مجملاً بأن أول وقت العصر إذا صار ظل كل شيء مثليه، ولم يسمع الخبر المفسر بأن أول وقت العصر إذا كان الظل مثل الشيء ومثل ظل الزوال، ولو أن إنساناً لم يصلّ العصر أبداً حتى يصير ظل الشيء مثليه لمكث في الشتاء أشهراً لا يصلي العصر ولا سيما في البلدان الشمالية، وكذلك إن لم يصل الظهر حتى يكون ظل كل شيء مثله مكث في الصيف اشهراً لا يصلي الظهر ولا سيما في البلدان الجنوبية، وذلك بيِّن فيما وصفناه من مقادير الظل في البلدان فافهَم هذا واعلمه، والله أعلم.

(وأما وقت المغرب فيدخل بالغروب) بلا خلاف والاعتبار بسقوط قرصها وهو ظاهر في الصحاري، **(ولكن قد تحجب الجبال المغرب عنه)** وفي نسخة الشمس التي تغرب عنه، **(فمهما ظهر سواد في الأفق مرتفع من الأرض قيد رمح فقد دخل وقت المغرب)**. وفي الروضة: وأما العمران وخلل الجبال فالاعتبار بأن لا يرى شيء من شعاعها على الجدران ويقبل الظلام من المشرق، وفي آخر وقتها قولان. القديم أنه يمتد إلى مغيب الشفق، والجديد أنه إذا مضى قدر وضوء وستر عورة وأذان وإقامة وخمس ركعات انقضى الوقت، وما لا بدّ من شرائطه لا يجب تقديمه على الوقت فيجوز التأخير بعد الغروب بقدر اشتغاله بها، والاعتبار في ذلك بالوسط المعتدل، ويحتمل أيضاً أكل لقم يكسر بها حدة الجوع، وفي وجه ما يمكن تقديمه على الوقت كالطهارة والسترة يسقط من الاعتبار وفي وجه يعتبر ثلاث ركعات لا خمس، وهما شاذان. والصواب الأوّل ثم على الجديد لو شرع في المغرب في الوقت المضبوط، فهل له مدّها إلى انتفاء الوقت؟ إن قلنا الصلاة التي لا يقع بعضها في الوقت وبعضها بعده اداء وإنه يجوز تأخيرها إلى أن يخرج عن الوقت بعضها فله ذلك قطعاً، وإن لم يجوز ذلك في سائر الصلوات ففي المغرب قولان.

وأما العشاء فيعرف بغيبوبة الشفق ـ وهو الحمرة ـ فإن كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرتها، فإن ذلك يكون بعد غيبوبة الحمرة.

وأما الصبح فيبدو في الأوّل مستطيلاً كذنب السرحان فلا يحكم به إلى أن ينقضي زمان، ثم يظهر بياض معترض لا يعسر إدراكه بالعين لظهوره، فهذا أول الوقت. قال

أصحها: يجوز مدّها إلى مغيب الشفق، والثاني منعه كغيرها، ثم أن القولين في الجديد واختيار طائفة من الأصحاب القديم ورجحوه وعندهم المسألة مما يفتي به على القديم. قال النووي: الأحاديث الصحيحة مصرحة بما قاله القديم وتأويل بعضها متعذر فهو الصواب، وممن اختاره الخطابي والبيهقي والغزالي في الإحياء والبغوي في التهذيب وغيرهم والله أعلم.

(**وأما العشاء فيعرف**) وقتها (**بغيبوبة الشفق وهو الحمرة**) لأنه المتفاهم عند أهل اللغة وهو مذهب عمر وابنه وعلي وابن مسعود، واختاره الشافعي، وأبو يوسف، ومحمد، ورواية عن أسد بن عمر، وعن أبي حنيفة وإليه ذهب الخليل والفراء والأزهري من أهل اللغة، ويروى ذلك مرفوعاً من حديث ابن عمر «الشفق الحمرة فإذا غاب وجبت الصلاة» رواه الدارقطني. وقال البيهقي الصحيح أنه موقوف على ابن عمر، وأقره النووي وعند أبي حنيفة: الشفق هو البياض، وعند غيبوبته يدخل وقت العشاء. ونقل عن أبي بكر ومعاذ بن جبل وعائشة وابن عباس في رواية وأبي هريرة، وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعي والمزني وابن المنذر والخطابي واختاره المبرد وثعلب. وقال امام الحرمين، يدخل وقتها بزوال الحمرة والصفرة. قال: والشمس إذا غربت تعقبها حمرة ثم ترقى حتى تنقلب صفرة، ثم يبقى البياض قال: ومن غروب الشمس إلى زوال الصفرة كما بين طلوع الفجر الصادق وطلوع الشمس، ومن زوال الصفرة إلى انمحاق البياض قريب مما بين الصبح الصادق والكاذب هذا قول إمام الحرمين، والذي عليه المعظم ويدل عليه نص الشافعي أنه الحمرة ثم هذا في الصحاري والمواضع البارزة.

(**فإن كانت محجوبة عنه بجبال فيعرفه بظهور الكواكب الصغار وكثرتها**) وانتشارها، (**فإن ذلك يكون بعد غيبوبة الحمرة**) ثم غيبوبة الشفق ظاهرة في معظم النواحي، أما الساكنون بناحية تقصر لياليهم ولا يغيب عنهم الشفق فيصلون العشاء إذا مضى من الزمان قدر ما يغيب فيه الشفق في أقرب البلاد إليهم. أما وقت الاختيار للعشاء فيمتد إلى ثلث الليل على الأظهر وإلى نصفه على الثاني ويبقى وقت الجواز إلى طلوع الفجر الثاني على الصحيح. وقال الاصطخري: يخرج بذهاب وقت الاختيار.

(**وأما الصبح: فيبدو في الأوّل مستطيلاً**) في السماء (**كذنب السرحان**) بالكسر يطلق على الذئب وعلى الأسد والجمع سراحين شبه الفجر الكاذب بذنبه في استطالته، (**فلا يحكم به إلى أن ينقضي زمان ثم يظهر بياض معترض**) مستطير في الأفق (**لا يعسر إدراكه لظهوره، فهذا أوّل الوقت**) أي فبطلوعه يدخل أوّل وقتها إجماعاً ويتمادى وقت الاختيار إلى أن يسفر.

ﷺ: «ليس الصبح هكذا - وجمع بين كفيه - وإنما الصبح هكذا - ووضع إحدى سبابتيه على الأخرى وفتحهما - » وأشار به إلى أنه معترض. وقد يستدل عليه بالمنازل وذلك تقريب لا تحقيق فيه، بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض عرضاً لأن قوماً ظنوا أن الصبح يطلع قبل الشمس بأربع منازل، وهذا خطأ لأن ذلك هو الفجر الكاذب. والذي ذكره المحققون أنه يتقدم على الشمس بمنزلتين وهذا تقريب، ولكن لا اعتماد عليه فإن بعض المنازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها، وبعضها منتصبة فيطول زمان طلوعها، ويختلف ذلك في البلاد اختلافاً يطول ذكره. نعم تصلح المنازل لأن يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده، فأما حقيقة أوّل الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين أصلاً. وعلى الجملة فإذا بقيت أربع منازل إلى طلوع قرن الشمس بمقدار منزلة يتيقن أنه الصبح الكاذب، وإذا بقي قريب من منزلتين يتحقق طلوع الصبح الصادق،

وعند أبي حنيفة يبتديء مسفراً بحيث يمكنه ترتيل أربعين آية أو أكثر ثم إعادته إن ظهر فساد وضوئه ويختم مسفراً وهو اختيار الحافظ ابن حجر وفاقاً للحنفية ومختار الطحاوي يبتدىء مغلساً ويختم مسفراً ووقت الجواز إلى طلوع الشمس على الصحيح، وعند الأصطخري يخرج وقت الجوار بالأسفار، فعلى الصحيح للصبح أربعة أوقات فضيلة أوله، ثم الاختيار إلى الاسفار، ثم جواز بلا كراهة إلى طلوع الحمرة، ثم كراهة وقت طلوع الحمرة إذا لم يكن عذر. (**قال ﷺ ليس الصبح هكذا - وجمع بين كفيه - وإنما الصبح هكذا - ووضع إحدى سبابتيه على الاخرى - وفتحها » وأشار به إلى انه معترض**) ليس بمستطيل. قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث ابن مسعود باسناد صحيح مختصر دون الإشارة بالكف والسبابتين، ولأحمد من حديث طلق بن علي: « ليس الفجر المستطيل بالأفق ولكنه المعترض الأحمر » واسناده حسن اهـ.

قلت: لفظ أحمد في مسنده « ليس الفجر بالابيض المستطيل في الافق ولكنه الاحمر المعترض » وقد رواه كذلك الطبراني في الكبير.

(**وقد يستدل عليه**) أي على الصبح الصادق (**بالمنازل**) القمرية وهي ثمانية وعشرون منزلة يقطعها القمر، (**وهو تقريب لا تحقيق فيه بل الاعتماد على مشاهدة انتشار البياض عرضاً**) في السماء (**لأن قوماً**) من أهل الحساب (**ظنوا أن الصبح يطلع قبل الشمس بأربع منازل وهذا خطأ، لأن ذلك هو الفجر الكاذب والذي ذكره المحققون أنه يتقدم على الشمس بمنزلتين وهذا**) أيضاً (**تقريب لكن الاعتماد عليه لأن بعض المنازل تطلع معترضة منحرفة فيقصر زمان طلوعها، وبعضها منتصبة فيطول زمان طلوعها ويختلف ذلك في البلاد**) باختلاف الأقاليم (**اختلافاً يطول ذكره**) في هذا الكتاب، (**نعم تصلح المنازل لأن يعلم بها قرب وقت الصبح وبعده، فأما حقيقة أول الصبح فلا يمكن ضبطه بمنزلتين**) كما قالوا (**أصلاً، وعلى الجملة فإذا بقيت أربع منازل إلى طلوع قرن الشمس بمقدار منزلة يتيقن أنه**

ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزلة بالتقريب يشك فيه أنه من وقت الصبح الصادق أو الكاذب، وهو مبدأ ظهور البياض وانتشاره قبل اتساع عرضه. فمن وقت الشك ينبغي أن يترك الصائم السحور، ويقدم القائم الوتر عليه ولا يصلي صلاة الصبح حتى تنقضي مدة الشك، فإذا تحقق صلّى. ولو أراد مريد أن يقدّر على التحقيق وقتاً معيناً يشرب فيه متسحراً ويقوم عقيبه يصلي الصبح متصلاً به لم يقدر على ذلك، فليس معرفة ذلك في قوّة البشر أصلاً، بل لا بدّ من مهلة للتوقف والشك، ولا اعتماد إلا على العيان، ولا اعتماد في العيان إلا على أن يصير الضوء منتشراً في العرض حتى تبدو مبادىء الصفرة وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير يصلون قبل الوقت. ويدل عليه ما روى أبو عيسى الترمذي في جامعه بإسناده عن طلق بن علي: أن رسول الله ﷺ قال: «كلوا واشربوا ولا يهيدنكم الساطع المصعد وكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر». وهذا صريح في

الصبح الكاذب، وإذا بقي قريب من منزلتين يتحقق طلوع الصبح الصادق، ويبقى بين الصبحين قدر ثلثي منزلة بالتقريب يشك فيه أنه من وقت الصبح الصادق والكاذب وهو مبدأ ظهور البياض وانتشاره) في الأفق **(قبل اتساع عرضه فمن وقت الشك ينبغي أن يترك الصائم السحور ويقدم القائم)** بالليل للصلاة **(الوتر عليه، ولا يصلي صلاة الصبح حتى تنقضي مدة الشك فإذا تحقق صلى)** الصبح، **(ولو أراد مريد أن يقدر على التحقيق وقتاً معيناً يشرب فيه متسحراً ويقوم عقبه ويصلي الصبح متصلابه)** كما كان يفعله الأعمش، **(فليس معرفته في قوّة البشر أصلاً)** لصعوبته، **(بل لا بدّ من مهلة للتوقف والشك ولا اعتماد إلا على العيان ولا اعتماد في العيان إلا أن يصير الضوء منتشراً في العرض)** حتى **(تبدو مبادىء الصفرة)** عقب الحمرة، **(وقد غلط في هذا جمع من الناس كثير فيصلون قبل الوقت، ويدل عليه ما روى)** الإمام **(أبو عيسى)** محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي **(الترمذي)** الحافظ الضرير أحد الأئمة الستة، وقيل: إنه ولد أكمه طاف البلاد فسمع من قتيبة بن سعيد، وعلي بن حجر، وأبي كريب، وخلائق، وأخذ علم الرجال والعلل عن البخاري، وقد روى عنه حماد بن شاكر، وأحمد بن علي بن هندية، ومحمد بن أحمد بن محبوب، ومحمد بن محمد بن يحيى بن الفرات، والهيثم بن كليب الشاشي، وآخرون. وقد سمع البخاري عنه أيضاً. قال ابن حبان في الثقات كان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر. قال المستغفري: مات في شهر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين **(في جامعه)** المعروف بالسنن **(بإسناده)** المعروف عن قيس بن طلق **(عن)** أبيه **(طلق بن علي)** بن المنذر الحنفي السحيمي أبي علي اليامي الصحابي رضي الله عنه، له وفادة وعدة أحاديث روى عنه والده قيس وخلدة وغيرهما، روى له الأربعة. **(أن رسول الله ﷺ قال: «كلوا واشربوا ولا يهيدنكم»)** أي لا يزعجنكم ولا يمنعكم الأكل، وأصل الهيد: الزجر، يقال: هدته هيدة هيداً إذا زجرته، ويقال: في زجر الدواب هيد هيد **(الساطع**

رعاية الحمرة. قال أبو عيسى - وفي الباب عن عدي بن حاتم وأبي ذر وسمرة بن جندب - وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: « كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعاً » قال صاحب الغريبين: أي مستطيلاً. فإذاً

المصعد) وسطوعه ارتفاعه مصعداً قبل أن يعترض **(فكلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر »)** أي يستبطن البياض المعترض أوائل الحمرة، وذلك أن البياض إذا تتام طلوعه ظهرت أوائل الحمرة، وقد رواه كذلك أبو دادو وابن خزيمة والدارقطني.

(وهذا تصريح برعاية الحمرة) قال أبو عيسى **(وفي الباب عن عدي بن حاتم)** بن عبد الله بن سعد الطائي أبي طريف صحابي شهير، وكان ممن ثبت في الردة وحضر فتوح العراق وحروب علي ومات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين سنة، **(وأبي ذر)** جندب بن جنادة الغفاري، **(وسمرة بن جندب)** بن هلال الفزاري حليف الأنصار، مات بالبصرة سنة ثمان وخمسين، **(وهو حديث حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم)** انتهى.

وحديث سمرة لفظة « لا يمنعكم عن سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق » رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي كلهم في الصوم، واللفظ للترمذي، ورواه كذلك الطيالسي وأحمد والدارقطني والحاكم.

وفي لفظ لأبي داود « لا يمنعني من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق الذي هكذا حتى يستطير » رواه عن مسدد، حدثنا حماد بن زيد عن عبد الله بن سوادة عن أبيه قال: سمعت سمرة ابن جندب يخطب وهو يقول: قال رسول الله ﷺ « لا يمنعني » فساقه.

وأما حديث عدي بن حاتم فإنه لما نزل قوله تعالى: ﴿حتى يتبيّن لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ﴾ [البقرة: ١٨٧] قال: أخذت عقالاً أبيض وعقالاً أسود وضعتهما تحت وسادتي فنظرت فلم أتبين، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فضحك وقال: « إن وسادك إذاً لعريض طويل إنما هو الليل والنهار » وقال عثمان: إنما هو سواد الليل وبياض النهار.

وقد روي أيضاً من حديث ابن مسعود وسلمان بلفظ « لا يمنعن أحدكم أذان بلال من سحوره فإنه يؤذن بليل ليرجع قائمكم ولينبه نائمكم وليس الفجر أن يقول هكذا حتى يقول هكذا يعترض في أفق السماء ». فحديث ابن مسعود أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي وابن حبان، وحديث سلمان أخرجه الطبراني في الكبير.

(فقال ابن عباس) رضي الله عنهما: **(« كلوا واشربوا ما دام الضوء ساطعاً » قال صاحب الغريبين)** غريب القرآن وغريب الحديث، وهو أبو عبيد أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن القاشاني المروي من أئمة اللغة والحديث، روي عن أحمد بن محمد بن ياسين، وأبي إسحاق أحمد بن محمد بن يونس البزار الحافظ وغيرهما، وأخذ علم اللغة عن الأزهري وغيره، واشتهر بها.

لا ينبغي أن يعوّل إلا على ظهور الصفرة وكأنها مبادي الحمرة. وإنما يحتاج المسافر إلى معرفة الأوقات لأنه قد يبادر بالصلاة قبل الرحيل حتى لا يشق عليه النزول، أو قبل النوم حتى يستريح. فإن وطّن نفسه على تأخير الصلاة إلى أن يتيقن فتسمح نفسه بفوات فضيلة أوّل الوقت ويتجشم كلفة النزول وكلفة تأخير النوم إلى التيقن استغنى عن تعلم علم الاوقات. فإن المشكل أوائل الأوقات لا أوساطها.

روى عنه أبو عثمان الصابوني وعبد الواحد المليحي وغيرهما ذكره الشيخان ابن الصلاح والنووي في طبقات الشافعية، توفي في رجب سنة احدى وأربعمائة. نقل عنه الرافعي في الحيض وغيره في تفسيره لهذا الحديث. (**أي**) ما دام (**مستطيلاً**) في الأفق كذنب السرحان، (**فإذاً لا ينبغي أن يعوّل إلاّ على ظهور الصفرة وكأنها مبادىء الحمرة**) هكذا ذكره إمام الحرمين في النهاية، (**وإنما يحتاج المسافر إلى معرفة الأوقات لأنه قد يبادر بالصلاة قبل الرحيل**) أي قبل انتقاله من موضعه (**حتى لا يشق عليه النزول**) ثانياً، (**أو**) يبادر بها (**قبل النوم حتى يستريح، فإن وطّن نفسه على تأخير الصلاة إلى أن يتيقّن**) دخول الوقت، (**فتسمح نفسه بفوات فضيلة أوّل الوقت**) الذي هو رضوان الله (**ويتجشم**) أي يتحمل (**كلفة النزول وكلفة تأخير النوم إلى التيقن استغنى عن تعلم علم الأوقات فإن المشكل**) أي الملتبس إنما هي (**أوائل الأوقات**) على ما مرّ بيانها (**لا أوساطها**) ولا أواخرها والله أعلم.

وبه تم كتاب آداب السفر والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وسلم.

قال مؤلفه رحمه الله تعالى: فرغ منه في الثالثة من ليلة الخميس سابع شهر رمضان المبارك سنة ١١٩٩ على يد مؤلفه أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله له بمنه وكرمه ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم الله ناصر كل صابر

الحمد لله الذي بذكره تطمئن القلوب وتنشرح الصدور، وتصفو النفوس من الهموم والأكدار، وبشكره على نعمائه ترفع اعلام الحضور، وتخفض رايات الشرور، وتنصب أسرة السرور لبلوغ الأوطار، أحمده على ما منحناه من الاسماع ومتعنا به من الابصار، وأصلي على نبيه المبعوث إلى عموم الخلق في جميع الأقطار، المعنوت بالخلق العظيم في الكتاب الكريم وناهيك به من الشرف والفخار، صلى الله عليه صلاة متصلة بالعشي والأبكار، دائمة بدوام الليل والنهار، وعلى آله الأطهار، وأصحابه البررة الاخيار. الذين أضحى بهم الدين عالي المنار، وارتفع بهم الحق حتى صار أوضح من علم في رأسه نار، صلى الله عليه وعليهم ما طلع نجم وتعاقبت الأنوار، ونم النسيم بأسرار الأزهار، وترنم البلبل وغنى الهزار، ورقصت قضب البان على تشبيب نسمات الأسحار وتمايلت غصون الأشجار بالثمار، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد: فهذا شرح

كتاب آداب السماع والوجد وهو الكتاب الثامن
من ربع العادات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحرق قلوب أوليائه بنار محبته، واسترق هممهم وأرواحهم بالشوق إلى لقائه ومشاهدته، ووقف أبصارهم وبصائرهم على ملاحظة جمال حضرته، حتى أصبحوا من تنسم روح الوصال سكرى، وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال

كتاب السماع والوجد

وهو الثامن من الربع الثاني من كتاب الإحياء للإمام حجة الإسلام أبي حامد قطب الاعلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي أحله الله فراديس الجنان ومتعه بالأنس الدائم مع الحور والولدان. يكشف النقاب عن مخدرات أبكاره، ويميط اللثام عن مخبآت أسراره، بوجه لطيف يحصل وجه المقصود، بعون الرب المعبود، ومن فيض فضله الغادي، جل اعتمادي وبه استمدادي، إنه خير مأمول، وولي كل سؤل.

قال رحمه الله تعالى: (**بسم الله الرحمن الرحيم**) تيمناً بذكره الكريم واتباعاً للسنن المألوف القديم، ثم أعقب بالحمد مع مراعاة البراعة اللفظية والمعنوية بذكر ما يناسب إيراده لما سيذكر ويشوّق الرغب لمطالعته إلى معرفة ما يخبأ فيه ويضمر فقال:

(**الحمد لله الذي أحرق قلوب أوليائه بنار محبته**) بأن أحبهم بالحب الأزلي وأراهم شؤنه فولعت له قلوبهم، وذلك مصداق قوله ﴿يحبّهم ويحبّونه﴾ [المائدة: ٥٤] (**واسترق هممهم**) أي قواهم الراسخة في نفوسهم (**وأرواحهم بالشوق إلى لقائه**) أي معرفته وهم في هذا العالم (**ومشاهدته**) في حظيرة قدسه والاستيفاء الأخذ بالتمام والكمال، (**ووقف أبصارهم**) الظاهرة (**وبصائرهم**) الباطنة (**على ملاحظة جمال حضرته**) الجامعة للمحضرات الخمس من الغيب المطلق والشهادة المطلقة والغيب المضاف بقسميها والجامعة وهي مظهر الحضرة الأحدية وجمالها نعوتها الرحموتية وما بها من الألطاف الإلهية، (**حتى أصبحوا**) أي صاروا (**من تنسم روح الوصال**) الروح بالفتح ما تلذ به النفس والوصال حضرة الجمع (**سكرى**) جمع سكران، والسكر عندهم غيب بوارد قوي وهو يعطي الطرب والالتذاذ وهو أقوى من الغيبة وأتم منها، (**وأصبحت قلوبهم من ملاحظة سبحات الجلال**) الجلال: نعوت القهر من الحضرة الإلهية،

والهة حيرى، فلم يروا في الكونين شيئاً سواه، ولم يذكروا في الدارين إلا إياه، إن سنحت لأبصارهم صورة عبرت إلى المصوّر بصائرهم، وإن قرعت أسماعهم نغمة سبقت إلى المحبوب سرائرهم، وإن ورد عليهم صوت مزعج أو مقلق أو مطرب أو محزن أو مبهج أو مشوق أو مهيج لم يكن إنزعاجهم إلا إليه، ولا طربهم إلا به. ولا قلقهم إلا عليه، ولا حزنهم إلا فيه ولا شوقهم إلا إلى ما لديه، ولا انبعاثهم إلا له ولا ترددهم إلا حواليه. فمنه سماعهم، وإليه استماعهم، فقد أقفل عن غيره أبصارهم وأسماعهم، أولئك الذين اصطفاهم الله لولايته، واستخلصهم من بين أصفيائه وخاصته. والصلاة على محمد

وسبّحاته: عظمته ونوره وبهاؤه **(والهة)** أي مغيبة **(حيرى)** جمع حائر أي متحيرة، **(فلم يروا في الكونين)** هما عالم الغيب والشهادة **(شيئاً سواه)** أي لم يعتقدوا أو لم يقع بصرهم على شيء إلا رأوه قبله، **(ولم يذكروا في الدارين)** أي الدنيا والآخرة **(إلا إياه)** ﴿قل الله ثم ذرهم﴾ [الأنعام: ٩١] **(إن سنحت)** أي عرضت **(لأبصارهم صورة)** جسيمة أو نوعية **(عبرت)** أي جاوزت **(إلى المصوّر)** لها جلّ وعز **(بصائرهم)** وهذا هو الاعتبار المشار إليه بقوله ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ [الحشر: ٢] **(وإن قرعت أسماعهم نغمة)** أي جرس من الكلام أو حسن الصوت في القراءة **(سبقت إلى المحبوب سرائرهم)** أي خواطر نفوسهم، **(وإن ورد عليهم صوت مزعج)** يقال أزعجه من مكانه إزعاجاً أزاله **(أو مقلق)** وهو بمعناه يقال: أقلقه إذا أزعجه والقلق الاضطراب **(أو مطرب)** من الطرب محركة خفة تصيبه لشدة حزن أو سرور. قال في المصباح: والعامة تخصه بالسرور **(أو محزن)** من الحزن بالضم الغم الحاصل لوقوع مكروه أو فوات محبوب في الماضي ويضاده الفرح **(أو مهيج)** أي مثير من أهاج أو هيج للمبالغة **(أو مشوّق)** من الشوق وهو نزاع النفس إلى الشيء وقد شاقه إليه وشوّقه **(لم يكن إنزعاجهم إلا إليه)** قال بعض أئمة اللغة: لا يقال في مطاوع أزعجه فانزعج. وقال الخليل: لو قيل كان صواباً، واعتمده الفارابي فقال: أزعجته فانزعج، والمشهور أزعجته فشخص، **(ولا طربهم إلا به ولا قلقهم إلا عليه، ولا حزنهم إلا فيه)** أي لأجله، **(ولا شوقهم إلا إلى ما لديه)** من النعيم الأبدي، **(ولا انبعاثهم)** أي حركتهم **(إلاّ له)** خاصة كما هو شأن المخلصين، **(ولا ترددهم إلا حواليه)** بفتح اللام على الظرفية أي حوالي كرمه وفضله إذ هو تعالى منزه عن الجهات الست، **(فمنه سماعهم وإليه استماعهم)** وفي الحديث القدسي إشارة إلى ذلك حيث يقول: **(ولا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر)** الحديث. **(فقد أقفل عن غيره أبصارهم وأسماعهم)** أي حجبت أبصارهم عن النظر لسواه وأسماعهم عن الاستماع من غيره. **(أولئك الذين اصطفاهم الله)** أي اختارهم **(لولايته)** وهي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه **(واستخلصهم)** أي ميزهم **(من بين أصفيائه وخاصته)** فهم خلاصة الخلاصة وصفوة الخاصة. **(والصلاة)** الكاملة

المبعوث برسالته، وعلى آله وأصحابه أئمة الحق وقادته. وسلم كثيراً.

أما بعد؛ فإن القلوب والسرائر، خزائن الأسرار ومعادن الجواهر، وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر، وأخفيت كما أخفي الماء تحت التراب والمدر، ولا سبيل إلى استثارة خفاياها إلا بقوادح السماع، ولا منفذ إلى القلوب إلا من دهليز الاسماع، فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها، وتظهر محاسنها أو مساوئها، فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه. كما لا يرشح الإناء إلا بما فيه، فالسماع للقلب محك صادق، ومعيار ناطق، فلا يصل نفس السماع إليه، إلا وقد تحرك فيه ما هو الغالب عليه، وإذا كانت القلوب بالطباع، مطيعة للاسماع، حتى أبدت بواردتها مكامنها، وكشفت بها عن مساوئها وأظهرت محاسنها، وجب شرح القول في السماع

(**على**) سيدنا ومولانا (**محمد المبعوث برسالته**) إلى عموم الخلق، (**وعلى آله وأصحابه أئمة الحقة وقادته**) أي رؤسائه (**وسلم**) تسليماً (**كثيراً**) كثيراً.

(**أما بعد: فإن القلوب والسرائر**) هي خواطر النفس فهي غير القلوب إذ القلب عبارة عن لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان (**خزائن الأسرار**) أي مواضع تخزن فيها أسرار الحق، (**ومعادن الجواهر**) أي بمنزلتها، (**وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر**) إذا أصاب أحدهما الآخر ظهرت النار وطار الشرار، (**وأخفيت**) تلك الجواهر (**كما أخفي الماء تحت التراب والمدر**) فلو حفر عليه لانبسط، (**ولا سبيل إلى استثارة حناياها**) أي اظهار تلك الأسرار الخفية (**إلا بقداح السماع**) هو بالتشديد اسم للحجر الذي تقدم به النار أو الحجر هو الزناد والقداح الحديد، (**فلا منفذ إلى القلوب**) أي محل النفوذ إليها (**إلا من دهليز الاسماع**) والدهليز المدخل إلى الدار والجمع دهاليز فارسي معرب، (**فالنغمات الموزونة**) على الإيقاع (**المستلذة**) أي تستلذها النفوس (**تخرج ما فيها**) من المكامن (**وتظهر محاسنها**) إن كانت (**أو مساوئها فلا يظهر من القلب عند التحريك**) لسماعها (**إلا ما يحويه**) ويشمله (**كما لا يترشح الإناء إلا بما فيه**) وقد اشتهر على الألسنة ذلك وهو من الحكم يقولون: كل اناء بما فيه يطفح، ويروى يرشح وفي لفظ ينضح، (**فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق**) والمحك هو الحجر الاسود الصافي البراق الذي تحك عليه الجواهر المعدنية فيبين الخالص من المغشوش، وللعيار ما تتعاير عليه المكاييل والموازين امتحاناً لمعرفة التساوي (**فلا يصل روح**) وفي نسخة نفس (**السماع إليه إلا وقد تحوّل فيه ما هو الغالب عليه**) من حسن أو قبيح، (**وإذا كانت القلوب بالطباع مطيعة للاسماع حتى أبدت بمواردها مكامنها**) أي ما ستر فيها (**وكشف بها مساوئها ومحاسنها وجب شرح القول**) بتفصيله (**في**) حكم (**السماع والوجد**

والوجد وبيان ما فيهما من الفوائد والآفات، وما يستحب فيهما من الآداب والهيئات، وما يتطرق إليهما من خلاف العلماء في أنهما من المحظورات أو المباحات. ونحن نوضح ذلك في بابين.

الباب الأوّل: في إباحة السماع.

الباب الثاني: في آداب السماع وآثاره في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزعق وتمزيق الثياب.

وبيان ما فيهما من الفوائد والآفات وما يستحب فيهما من الآداب والهيئات وما يتطرق إليهما من خلاف العلماء) في المذاهب الأربعة **(في أنها من المحظورات أو المباحات، ونحن نوضح ذلك في بابين.**

الباب الأول: في إباحة السماع.

الباب الثاني: في آدابه وآثاره) التي تحدث **(في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص والزعقة)** وهو الصوت الشديد **(وتمزيق الثياب).**

الباب الأوّل

في ذكر اختلاف العلماء في إباحة السماع وكشف الحق فيه

بيان أقاويل العلماء والمتصوّفة في تحليله وتحريمه:

اعلم أن السماع هو أوّل الأمر، ويثمر السماع حالة في القلب تسمى الوجد، ويثمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة فتسمى الاضطراب وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص، فلنبدأ بحكم السماع وهو الأول: وننقل فيه الأقاويل المعربة عن المذاهب فيه، ثم نذكر الدليل على إباحته، ثم نردفه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه.

فأما نقل المذاهب؛ فقد حكى القاضي أبو الطيب الطبري عن الشافعي ومالك وأبي

الباب الأول

في ذكر اختلاف العلماء في إباحة السماع وكشف قناع الحق فيه

(**بيان أقاويل العلماء**) من فقهاء المذاهب (**والمتصوّفة في تحليله وتحريمه**):

(**أعلم أن السماع هو أوّل الأمر ويثمر السماع حالة**) باطنية (**في القلب تسمى الوجد**) وهو إحساسه بما هو فيه (**ويثمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركة غير موزونة**) بالإيقاع (**فتسمى الاضطراب**) ولا يختص به الاطراف، بل تارة يعم سائر الجسد (**وإما موزونة فتسمى التصفيق والرقص**) فالتصفيق هو ضرب الكف على الكف والرقص هو تمايل الأعضاء كلهات. (**فنبدأ بحكم السماع وهو الأوّل**) وما ذكر فإنما هو ثمراته (**وننقل فيه الأقاويل المعربة عن المذاهب**) المتبوعة فيه، (**ثم نذكر الدليل على إباحته ثم نردفه**) أي نتبعه (**بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه**).

(**فأما نقل المذاهب فقد نقل القاضي أبو الطيب**) طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر (**الطبري**) شيخ المذهب ولد بآمل طبرستان سنة ٣٤٨ وسمع بجرجان من أبي أحمد الغطريفي وبنيسابور من أبي الحسن الماسرجسي وعليه تفقه، وببغداد من الدارقطني روى عنه الخطيب البغدادي وأبو إسحاق الشيرازي وهو أخص تلامذته، وأبو محمد بن الآبنوسي، وأبو نصر

حنيفة وسفيان وجماعة من العلماء ألفاظاً يستدل بها على أنهم رأوا تحريمه.

وقال الشافعي رحمه الله في كتاب آداب القضاء: إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته.

وقال القاضي أبو الطيب: استماعه من المرأة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي رحمه الله بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب، وسواء كانت حرة أو مملوكة وقال: قال الشافعي رضي الله عنه: صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته، وقال: وحكي عن الشافعي أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول: وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن. وقال الشافعي رحمه الله: ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشيء من الملاهي، ولا أحب اللعب بالشطرنج

الشيرازي في جماعة آخرهم موتاً أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري توفي سنة ٤٥٠ وقد جاوز المائة، وله كتاب في تحريم السماع وهذا الذي ذكره المصنف عنه فيما بعد فهو من الكتاب المذكور، (**عن الشافعي ومالك وأبي حنيفة وسفيان**) الثوري وهؤلاء أئمة الإسلام (**و**) عن (**جماعة من العلماء**) سواهم (**ألفاظاً يستدل بها أنهم رأوا تحريمه وقال**).

(**قال الشافعي في كتاب آداب القضاء**) من الأم: (**إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته.**

وقال القاضي أبو الطيب: استماعه من المرأة التي ليست بمحرم له لا يجوز عند أصحاب الشافعي بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب، وسواء كانت) المرأة (**حرة أو مملوكة**) له (**وقال**) أيضاً (**قال الشافعي: صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته، وقال**) أيضاً. (**حكي عن الشافعي أنه كان يكره الطقطقة بالقضيب**) أي الضرب به، (**و**) كان (**يقول: وضعته الزنادقة**) جمع زنديق وهو الذي لا يتمسك بشريعة ويقول بقدم الدهر (**ليشغلوا به عن القرآن**) أي عن قراءته والاستماع إليه. قال، (**وقال الشافعي: ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشيء من الملاهي**) ولفظه في الأم: وأكره اللعب بالنرد للخبر أكثر مما أكره اللعب بشيء من الملاهي اهـ. كأنه يشير إلى ما رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم والبيهقي من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً « من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله » وإلى ما رواه أيضاً سوى الأخيرين، ورواه أيضاً أبو عوانة والطبراني من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعاً « من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده في لحم الخنزير ودمه ».

(**ولا أحب اللعب بالشطرنج**) بالفتح على المشهور، وقيل بالكسر وهو المختار ليكون

وأكره كل ما يلعب به الناس، لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة.

وأما مالك رحمه الله فقد نهى عن الغناء وقال: إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها، وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا ابراهيم بن سعد وحده.

نظيره، الأوزان العربية مثل جردحل إذ ليس في الأوزان العربية فعلل بالفتح وغيره، **(وأكره كل ما لعب به الناس لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة)**، فقد روى ابن عساكر من حديث أنس: لست من دد ولا دد مني.

(وأما مالك) رحمه الله تعالى، **(فقد نهى عن الغناء وقال: إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو مذهب سائر أهل المدينة)** أي عامة فقهائها **(إلا إبراهيم بن سعد وحده)** هو إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري. أبو إسحاق المدني نزيل بغداد والد يعقوب وسعد، روى عن الزهري. قال أحمد: ثقة، وقال ابن معين: ثقة حجة، وقال العجلي: مدني ثقة، وقال أبو حاتم: ثقة. وقال ابن خراش: صدوق ولد سنة ثمان ومائة ومات سنة خمس وثمانين ومائة، روى له الجماعة، وهو أحد شيوخ الشافعي وكان تعاطيه الغناء وسماعه أمراً مشهوراً عنه لم يختلف النقل فيه، وحكاه عنه الفقهاء في كتبهم ونصبوا الخلاف معه وحكاه عنه الشافعي في كتابه، واجمع أهل الأخبار على نسبة ذلك إليه، وكان لا يسمع الطلبة الحديث حتى يسمعهم الغناء نشيداً ونشيطاً. وقال الخطيب في التاريخ بسنده: إنه لما قدم إبراهيم بن سعد العراق سنة أربع وثمانين ومائة فأكرمه الرشيد وسئل عن الغناء فأتى بتحليله فأتاه بعض أصحاب الحديث ليسمع منه أحاديث الزهري فسمعه يتغنى فقال: لقد كنت حريصاً على أن أسمع منك، وأما الآن فلا سمعت منك حديثاً أبداً فقال: إذاً لا أفقد إلا سخطك عليّ وعلي لاحدثت ببغداد ما أقمت حتى أغني قبله، فشاعت عنه ببغداد، فبلغت الرشيد فدعا به فسأله عن أحاديث المخزومية التي قطعها النبي ﷺ في سرقة الحلي فدعا بعود، فقال الرشيد: أعود مجمر؟ قال: لا ولكن عود الطرب فتبسم الرشيد ففهمها إبراهيم فقال: لعله بلغك يا أمير المؤمنين حديث السفيه الذي آذاني بالأمس والجاني إلى أن حلفت! قال: نعم فدعا له الرشيد بعود فغنى:

يــا أم طلحــة إن البين قــد أفــدى ... قــل الثـواء لئـن كـان الرحيـل غـدا

فقال: هل كان من فقهائكم من يكره السماع؟ فقال: من ربطه الله تعالى وقد ساقها ابن قتيبة بأتم من هذا السياق، وفيه: أن إبراهيم بن سعد أتاه بعض أصحاب الحديث ليسمع منه أحاديث الزهري فسمع غناء في الدار وذكر هذا البيت:

كــان لم يكــن بين الحجــون إلى الصفــا ... أنيس ولــم يسمــر بمكــة ســامــر

قال: فاستأذنت عليه فدخلت، وإذا بالعود عن يمينه فقلت: أصلحك الله جئتك في أحاديث الزهري لأسمعها منك فسمعت صوتاً أنكرته. فقال: والله لاسمعت مني حديثاً حتى أغنيك أصواتاً، ثم تناول العود فقلت: لا حاجة لي في السماع منك حديثاً ولا غناء. قال: فمر وانصرف

وأما أبو حنيفة رضي الله عنه فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب، وكذلك سائر أهل الكوفة: سفيان الثوري، وحماد، وابراهيم، والشعبي وغيرهم. فهذا كله نقله القاضي أبو الطيب الطبري.

إلى لعنة الله وخزي عذابه، فقمت وأنا أقول: هذا فقيه المدينة يتغنى، فقال يا عاص ما أنت أعلم بالدين مني ولا أبوك اذهب أتبعك الله خرية ومن أشبهك، وذكر في حكايته أن الرشيد سأله عن مالك وقال: بلغني عنه أنه كان يحرم الغناء، فقال إبراهيم: وهل لمالك أن يحلل أو يحرم، ولا والله لابن عمك إلا بوحي من الله تعالى، وما أدركت أحداً يحرم الغناء، وما أدركت أحداً إلا وهو ينشد شيئاً إلا ابن أبي لبيد، فإنه كان يقول: لا آمر به ولا انهى عنه لأني لا أدري أحق هو أم باطل؟ وأما نحن يا أمير المؤمنين فربما أعددناه في الحسنات وقد ساقها، كذلك الفضل بن سلمة في كتاب ملاهي العرب.

(**وأما أبو حنيفة**) رحمه الله تعالى، (**فإنه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب، وكذلك سائر أهل الكوفة وسفيان الثوري، وحماد**) بن أبي سليمان، (**وإبراهيم**) ابن يزيد النخعي، (**و**) عامر بن شراحيل (**الشعبي وغيرهم. فهذا كله نقله القاضي أبو الطيب الطبري**) في كتابه المذكور، وانفرد بهذه النقول عن الأئمة دون أصحاب الشافعي، وعليه اعتمد الطرطوشي، وأبو العباس القرطبي، وابن الجوزي ونقلوا عنه كثيراً في تصانيفهم في هذه المسألة وفي سياقه المذكور مؤاخذات سيأتي ذكرها في أثناء كلام المصنف.

وقد عقد الشهاب السهروردي في العوارف أبواباً في حكم السماع منها الباب الثالث والعشرون في القول فيه رداً وإنكاراً قال فيه: وحيث كثرت الفتنة بطريقه وزالت العصمة فيه وتصدى للحرص عليه أقوام قلت آمالهم وانفسدت أحوالهم وأكثروا الإجتماع للسماع، وربما يتخذ للإجتماع طعام تطلب النفوس الإجتماع لذلك لا رغبة القلوب في السماع كما ان من سبر الصادقين فيصير السماع معلولاً تركن إليه النفوس طلباً للشهوات واستحلاء لمواطن اللهو والغفلات، وينقطع بذلك على المريد طلب المزيد ويكون بطريقه تضييع الأوقات وقلة الحظ من العبادات، وتكون الرغبة في الاجتماع طلباً لتناول الشهوة واسترواحاً إلى الطرب واللهو والعشرة، ولا يخفى أن هذا الإجتماع مردود عند أهل الصدق فكان يقال لا يصح السماع إلا لعارف مكين ولا يصلح لمريد مبتدىء. وقال الجنيد: إذا رأيت المريد يطلب السماع فأعلم أن فيه بقية من البطالة، وقيل: إن الجنيد ترك السماع فقيل له: أما كنت تسمع فلم تمتنع؟ فقال: مع من؟ قيل له: تسمع أنت لنفسك. فقال: ممن لأنهم كانوا لا يسمعون إلا من أهل مع أهل، فلما فقدوا سماع الإخوان تركوا فما اختاروا السماع حيث اختاروه إلا بشروط وقيود وآداب يذكرون به الآخرة ويرغبون به في الجنة ويحذرون به من النار ويزداد طلبهم وتحسن به أحوالهم ويتفق لهم ذلك إتفاقاً في بعض الأحايين لا أن يجعلوه دأباً وديدناً حتى يتركوا لأجله الأوراد. وقد نقل عن الشافعي رضي الله عنه قال في كتاب آداب

....

القضاء ثم ساقه إلى قوله: وضعته الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن، وزاد وقال الشافعي: لا بأس بالقراءة بالألحان وتحسين الصوت، ثم نقل عن مالك وأبي حنيفة ما تقدم في كلام القاضي أبي الطيب الطبري وقال: وما أباحه إلا نفر قليل من الفقهاء من أباحه من الفقهاء أيضاً لم ير إعلانه في المساجد والبقاع الشريفة، وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ [لقمان: ٦] قال ابن مسعود هو الغناء والإستماع إليه. وقيل في قوله تعالى: ﴿وأنتم سامدون﴾ النجم: ٦١] أي مغنون رواه عكرمة عن ابن عباس قال: هو الغناء بلغة حمير يقولون: سمد إذا غنى وقوله تعالى: ﴿واستفزز من استطعت منهم بصوتك﴾ [الإسراء: ٦٤] في قول مجاهد الغناء والمزامير، ويروى مرفوعاً: « إن إبليس أول من ناح وأول من تغنى » وفي حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً: « إنما نهيت عن صوتين فاجرين صوت عند نعمة وصوت عند مصيبة » وروي عن عثمان رضي الله عنه قال: لا تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني مذ بايعت رسول الله ﷺ، وروي عن ابن مسعود أنه قال: الغناء ينبت النفاق في القلب، وروي أن ابن عمر مر عليه قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال: ألا لا سمع الله لكم، وروي أن رجلاً سأل القاسم بن محمد عن الغناء فقال: أنهاك عنه وأكرهه لك. قال: أحرام هو ؟ قال: انظر يا ابن أخي إذا ميز الله الحق والباطل ففي أيهما نجعل الغناء. وقال فضيل بن عياض: الغناء رقية الزنا، وعن الضحاك: الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب وقال بعضهم: إياكم والغناء فإنه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل السكر، وروي عن الحسن أنه قال: ليس الدف من سنة المسلمين، والذي نقل عنه ﷺ أنه سمع الشعر لا يدل على إباحة الغناء فإن حسنه حسن وقبيحه قبيح، وإنما يصير غناء بالألحان وإن أنصف المنصف وتفكر في اجتماع أهل الزمان وقعود المغني بدفه والمشبب بشبابته وتصور في نفسه هل وقع هذا الجلوس والهيئة بحضرته ﷺ، وهل استحضروا قوّالاً وقعدوا مجتمعين لاستماعه؟ لا شك بأن ينكر ذلك من حاله ﷺ وأصحابه، ولو كان في ذلك فضيلة تطلب ما أهملوها وكثيراً ما يغلط الناس في هذا كلما احتج عليهم بالسلف الماضين يحتج بالمتأخرين، فان السلف أقرب عهداً إلى رسول الله ﷺ ، وهديهم أشبه بهدي رسول الله ﷺ، ثم ذكر عن عبد الله بن عروة بن الزبير عن جدته أسماء، وعن ابن عمر في الإنكار على من يتساقط عند قراءة القرآن، وكذا عن ابن سيرين في الإنكار على مثلهم ثم قال: وأما إذا انضاف إلى السماع، أن يسمع من الأمرد فقد توجهت الفتنة وتعين على أهل الديانة إنكار ذلك. قال بقية بن الوليد: كانوا يكرهون النظر إلى الأمرد الجميل، وقال عطاء: كل نظرة يهواها القلب فلا خير فيها. وقال بعض التابعين: اللوطية على ثلاثة أصناف: صنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يعملون ذلك العمل، فقد تعين على طائفة الصوفية الإجتناب عن مثل هذه الاجتماعات واتقاء مواضع التهم، فهذه الآثار دلت على اجتناب السماع وأخذ الحذر منه اهـ كلام السهروردي باختصار.

وقال البدر بن جماعة في جواب فتوى رفعت إليه في السماع فقال: هذه مسألة خلافية تباينت

ونقل أبو طالب المكي إباحة السماع عن جماعة فقال: سمع من الصحابة عبدالله بن

فيها الطرق تبايناً لا يوجد في غيرها، وصنف فيها العلماء تصانيف ولم يتركوا فيها القائل مقالاً. وملخص القول فيها: إن الناس على أربعة أقسام: فرقة استحسنت، وفرقة أباحت، وفرقة كرهت، وفرقة حرمت وكل من هذه الفرق على قسمين فمنهم من أطلق القول، ومنهم من قيده بشرط. ولسنا الآن بصدد التقصي لهذه الأقوال وترجيح بعضها على بعض لأن هذا الجواب ليس وارداً مورد التصنيف، بل مورد الإفتاء الذي جرت العادة فيه بالاختصار، فلنقتصر على حكاية المذاهب الأربعة.

فأما أبو حنيفة رحمه الله فمذهبه فيه أشد المذاهب وقوله فيه أغلظ الأقوال، وقد صرح أصحابه بأن استماعه فسق والتلذذ به كفر وليس بعد الكفر غاية.

وأما مالك رحمه الله فإنه لما سئل عنه قال: إنما يفعله عندنا الفساق وفي كتب أصحابه إذا اشترى جارية فوجدها مغنية فله أن يردها بالعيب.

وأما أحمد بن حنبل رحمه الله فإن ابنه عبد الله سأله عنه فقال: يا بني ينبت النفاق في القلب ثم ذكر قول مالك إنما يفعله عندنا الفساق.

وأما الشافعي رحمه الله فقد قال في كتاب أدب القضاء: إن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل وقال لأصحابه بمصر خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن فإذا كان قوله في التغبير وهو عبارة عن شعر مزهد في الدنيا إذا غنى المغني به ضرب الحاضرون بقضب على نطع أو مخدة ضرباً موافقاً للأوزان الشعرية، فليت شعري ماذا يقول في السماع الواقع في زماننا فمن قال بإباحة هذا النوع، فقد أحدث في دين الله ما ليس منه انتهى باختصار.

(**ونقل**) الشيخ (**أبو طالب**) محمد بن علي بن عطية الحارثي البصري (**المكي**) رحمه الله تعالى في كتابه قوت القلوب (**إباحة السماع عن جماعة**) من السلف، (**وقال: سمع من الصحابة عبدالله بن جعفر**) بن أبي طالب أحد أجواد بني هاشم، ولد بأرض الحبشة، وأمه أسماء بنت عميس توفي سنة ثمانين وهو ابن ثمانين روى له الجماعة. وقال الشيخ كمال الدين أبو الفضل جعفر ابن تغلب الأدفوي في الإمتاع: وأما عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما فسماع الغناء عنه مشهور مستفيض نقله عنه كل من أمعن في المسألة من الفقهاء والحفاظ وأهل التاريخ الإثبات. وقال ابن عبد البر في الإستيعاب: إنه كان لا يرى بالغناء بأساً. وقال الأستاذ أبو منصور البغدادي في مؤلفه في السماع كان عبد الله بن جعفر مع كبر شأنه يصوغ الألحان لجواريه ويسمعها منهن على أوتاره. وروى الزبير بن بكار بسنده أن عبد الله بن جعفر راح إلى منزل جميلة يستمع منها لما حلفت انها لا تغني لأحد إلا في بيتها وغنت له، وأرادت أن تكفر عن يمينها وتأتيه ليستمعه فمنعها.

جعفر، وعبدالله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة، ومعاوية، وغيرهم، وقال: قد فعل ذلك

(وابن الزبير) هو عبدالله بن بـن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي أبو بكر المدني، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق وكان فصيحاً ذا لسن وشجاعة بويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية، وقتله الحجاج بمكة في أيام عبد الملك بـن مروان سنة ثلاث وسبعين، وروى له الجماعة. وروي الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد في كتابه اقتناص السوانح بسنده عن وهب بن سنان قال: سمعت عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يترنم بالغناء وقال عبد الله قلما سمعت رجلاً من المهاجرين إلا وهو يترنم. وقال إمام الحرمين وابن أبي الدم: إن الإثبات من أهل التواريخ نقلوا أنه كان لعبد الله بن الزبير جوار عوادات، وإن ابن عمر دخل عليه فرأى العود فقال: ما هذا يا صاحب رسول الله؟ فناوله له فتأمله ابن عمر وقال: هذا ميزان شامي، فقال ابن الزبير: توزن به العقول، وحكى سماع الغناء عنه أيضاً الشيخ تاج الدين الفزاري نقل هذا كله الأدفوي في الإمتاع.

(والمغيرة بن شعبة) بن أبي عامر بن مسعود أبو عبد الله الثقفي كان يعد من دهاة العرب تقدمت ترجمته بطولها في كتاب النكاح، وقد حكى سماعه الشيخ تاج الدين الفزاري وغيره، وكان كثير النكاح والتزويج.

(ومعاوية) بن أبي سفيان الأموي روى ابن قتيبة بسنده أن معاوية سمع عند ابنه يزيد بالغناء على العود فطرب لذلك، وذكر حكاية مطولة وساقها أيضاً المبرد في الكامل، وقال ابن قتيبة في كتاب الرخصة: دخل معاوية على عبد الله بن جعفر يعوده فوجد عنده جارية في حجرها عود فقال: ما هذا يا ابن جعفر؟ فقال: هذه جارية أرويها رقيق الشعر فتزيده حسناً لحسن تغنيها فقال: فلتقل فحركت العود فغنت:

أليس عنـدك شكـر للتي جعلـت ... ما ابيض من قـادمـات الرأس كـالحمـم
وجـددت منـك مـا قـد كـان أخلقـه ... طـول الزمـان وصرف الدهـر والقـدم

قال فحرك معاوية رجله فقال له عبد الله: لم حركت رجلك؟ فقال: إن الكريم طروب، وحكى الماوردي في الحاوي أن معاوية وعمر بن العاص مضياً إلى عبد الله بن جعفر لما استكثر من سماع الغناء وانقطع إليه واشتغل به فمضيا إليه ليكلماه في ذلك، فلما دخل عليه سكتت الجواري فقال له معاوية: مرهن يرجعن إلى ما كن عليه فرجعن فغنين فطرب معاوية فحرك رجله على السرير فقال له عمرو: إن من جئت تلحاه أحسن حالاً منك. فقال له معاوية إليك يا عمرو، فإن الكريم طروب. **(وغيرهم)** منهم: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نقله ابن عبد البر وابن طاهر في صفوة التصوف، ومنهم عثمان بن عفان نقل الماوردي في الحاوي وصاحب البيان وغيرهما أنه كانت له جاريتان تغنيان له، فإذا كان وقت السحر قال لهما: إمسكا فإن هذا وقت الاستغفار، ومنهم عبد الرحمن بن عوف رواه أبو بكر بن أبي شيبة وابن عبد البر والمبرد والزبير بن بكار وغيرهم، ومنهم أبو عبيدة بن الجراح رواه البيهقي، ومنهم سعد بن أبي وقاص رواه ابن قتيبة في

كثير من السلف الصالح صحابي وتابعي بإحسان، وقال: لم يزل الحجازيون عندنا بمكة

كتاب الرخصة، ومنهم أبو مسعود البدري رواه البيهقي، ومنهم بلال المؤذن رواه البيهقي أيضاً، ومنهم عبد الله بن الأرقم رواه ابن عبد البر، ومنهم أسامة بن زيد رواه البيهقي وابن عبد البر، ومنهم حمزة بن عبد المطلب وقصته في الصحيحين، ومنهم عبد الله بن عمر رواه ابن طاهر وابن حزم وابن أبي الدم، ومنهم البراء بن مالك رواه أبو نعيم الحافظ وابن دقيق العيد، ومنهم عمرو بن العاص رواه ابن قتيبة وقد تقدم، ومنهم النعمان بن بشير رواه صاحب الأغاني وصاحب العقد وشارح المقنع، ومنهم حسان بن ثابت رواه صاحب الأغاني، ومنهم خوات بن جبير ورباح بن المغترف رواهما البيهقي، ومنهم عبيد الله بن عمرو رواه الزبير بن بكار في الموفقيات، ومنهم عائشة الصديقية وردت أحاديث كثيرة في سماعها.

(وقال) أبو طالب المكي رحمه الله تعالى: **(قد فعل ذلك كثير من السلف الصالح صحابي)** كما تقدم بيانه، **(وتابعي بإحسان)** وحسبك منهم سعيد بن المسيب وبه يضرب المثل في الورع، وهو أفضل التابعين بعد أويس واحد الفقهاء السبعة، وقد سمع الغناء واستلذ سماعه. قال ابن عبد البر: ذكر وكيع عن محمد بن خلف قال: حدثني عبد الله بن أبي سعيد، حدثني الحسن بن علي بن منصور، أخبرني أبو غياث عن إبراهيم بن محمد بن العباس المطلبي أن سعيد بن المسيب مر في بعض أزقة مكة فسمع الأخضر يغني في دار العاص بن وائل وهو يقول:

تضوع مسكاً بطن نعمان إذ مشت ... به زينب في نسوة خفرات

فضرب سعيد برجله فقال: هذا والله مما يلذ استماعه ثم قال سعيد:

وليست كأخرى أوسعت جيب درعها ... وأبدت بنان الكف في الجمراتِ
وعلت بنان المسك وصفاً مرجلاً ... على مثل بدر لاح في ظلماتِ
وفاضت تراثي يوم جمع فأفتنت ... برؤيتها من راح من عرفاتِ

قال: وكانوا يروون هذا الشعر لسعيد بن المسيب قال ابن عبد البر: وليس هذا من شعر النميري رويناه وليس فيه هذه الأبيات، فهي لسعيد، والنميري هو محمد بن عبد الله من بني ثقيف وليس من بني نمير، وهذا شعره في زينب أخت الحجاج وقد ساق هذه الحكاية أيضاً ابن الجوزي في تلبيس إبليس، والطبراني وابن السمعاني في أوائل الذيل.

وأما سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر: أخبرنا أبو الفتح عبدوس بن عبد الله الهمداني بها. أخبرني عبد الله بن عيسى الخلقاني، حدثنا الحسين بن أحمد الصفار الهروي، حدثني أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي، ثنا يموت بن المزرع، حدثنا محمد بن حميد بن يشجر، ثنا محمد بن سلمة، حدثني أبي قال: أتيت عبد العزيز بن عبد المطلب أسأله عن بيعة الجن للنبي ﷺ بمسجد الأحزاب ما كان بدؤها، فوجدته مستلقياً وهو يتغنى:

فما روضة بالحزن طيبة الثرى ... يمد الندا جثجاثها وعرارها

....

بأطيب من أردان عزة موهناً ... وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها
من الخفرات البيض لم تلق شقرة ... وبالحسب المكنون صاف نجارها
فإن برزت كانت لعينك قرة ... وإن غبت عنها لم يغمك عارها

فقلت: أصلحك الله أتغني بهذه الأبيات وأنت في جلالك وشرفك أما والله لأحدثن بها ركبان نجد، فوالله ما اكترث بي وعاد يتغنى بهذه الأبيات:

فما ظبية أدماء حفافة الحشي ... تجوب بظلفيها بطون الخمائل
بأحسن منها إذ تقول تدللاً ... وأدمعها تذرين حشو المكاحل
تمتع بذا اليوم القصير فإنه ... رهين بأيام الشهور الأطاول

قال: فندمت على قولي له، وقلت له: أصلحك الله أتحدثني في هذا بشيء؟ فقال: نعم حدثني أبي قال: دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر، وأشعب يغنيه بهذا الشعر:

مغيرية كالبدر سنة وجهها ... مطهرة الأثواب والعرض وافر
لها حسب ذاك وعرض مهذب ... وعن كل مكروه من الأمر زاجر
من الخفرات البيض لم تلق ريبة ... ولم يستملها عن تقي الله شاعر

فقال له سالم: زدني فقال:

ألمت بنا والليل داج كأنه ... جناح غراب عنه قد نفض القطرا
فقلت أعطار ثوى في رحالنا ... وما احتملت ليلى سوى ريحها عطرا

فقال سالم: أما والله لولا أن تداوله الرواة لأجزلت جائزتك، فلك من هذا الأمر مكان انتهى وساقه ابن السمعاني في أوائل الذيل بأسانيده، وعبد العزيز بن عبد المطلب هذا هو قاضي المدينة، وقيل قاضي مكة.

وأما خارجة بن زيد فهو أحد الفقهاء السبعة، وعبد الرحمن بن حسان، فروى صاحب الأغاني بسنده إلى خارجة بن زيد قال: دعينا إلى مأدبة فحضرنا وحضر حسان بن ثابت، وكان قد ذهب بصره ومعه ابنه عبد الرحمن فجلسنا جميعاً على مأدبة، فلما فرغ الطعام أتونا بجاريتين مغنيتين إحداهما ريعة والإخرى عزة الميلاء فجلستا وأخذتا بمزهرهما وضربتا ضرباً عجيباً وغنتا بشعر حسان:

فلا زال قصر بين بصرى وجلق ... عليه من الوسمي جود ووابل

فاسمع حسان يقول: قد أراني هناك سميعاً بصيراً وعيناه تدمعان، فإذا سكتتا سكتت عينه، وإذا غنتا يبكي، وكنت أرى عبد الرحمن ابنه إذا سكتتا يشير إليهما أن غنيا، وذكر ذلك أيضاً صاحب التذكرة الحمدونية، والمبرد في الكامل، وابن المرزبان.

....

وأما القاضي شريح فنقل عنه الأستاذ أبو منصور البغدادي في مؤلفه في السماع أنه كان يصوغ الألحان ويسمعها من القيان مع جلالته وكبر شأنه.

وأما سعيد بن جبير، فقال الحافظ محمد بن طاهر بسنده إلى الأصمعي، قال. حدثنا عمر بن زائدة، حدثتني امرأة عمرو بن الأصم قالت: مررنا ونحن جوار بمسجد سعيد بن جبير ومعنا جارية تغني ومعهادف وهي تقول:

لئن فتنتني فهي بالأمس أفتنت ... سعيداً فأضحى قد قلى كل مسلم
وألقى مفاتيح القراءة واشترى ... وصال الغواني بالكتاب المنمنم

فقال سعيد: تكذبين، ورواه أيضاً الفاكهي في تاريخ مكة، وابن السمعاني في أوائل الذيل وهي في الأصمعيات، فقد سمع سعيد الغناء بالدف ولم ينكر عليها فعلها، ولما ذكرت ما لم يكن أنكر عليها القول، ولم ينكر الفعل مع زهده وتقشفه ومبادرته إلى إنكار ما ينكر. وأما الشعبي فهو من أكابر التابعين علماً وعملاً فقد حكي عنه الأستاذ أبو منصور أنه كان يقسم الأصوات إلى الثقيل الأول وإلى الثقيل الثاني وما بعدهما من المراتب. وقال الحافظ محمد بن طاهر في كتابه صفوة التصوف، قال الأصمعي: حدثنا عمرو بن أبي زائدة قال: مر الشعبي بجارية تغني فتن الشعبي لما. فلما رأت الشعبي سكتت.

فقال الشعبي قولي رفع الطرف إليها.

وهو في الأصمعيات وساقه ابن السمعاني في أوائل الذيل بأسانيده.

وأما عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر المعروف بابن أبي عتيق، فقال الأستاذ أبو منصور: كان فقيهاً ناسكاً يغني ويعلم القينات الغناء، وقال الزبير بن بكار في الموفقيات: حدثتنا طيبة مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب بن الزبير، عن أم سليمان بنت نافع إن ابن أبي عتيق دخل على جارية بالمدينة فسمعها تغني لابن سريج:

ذكر القلب ذكره أم زيد ... والمطايا بالشهب شهب الركاب
وبنعمان طاف منها خيال ... يا لقومي من طيفها المنتاب
عللته وقربته بوعد ... ذاك منها إلى مشيب الغراب
بت في نعمة وبات وسادي ... بين كف حديثه بخضاب

فسألها ابن أبي عتيق أن تعيده، فأبت فخرج من عندها وركب نجيباً فقدم مكة، وأخذ ابن سريج وأدخله حماماً وهيأه ثم جاء به إليها وقال: هذا يغني أحب أن تسمعي منه وتسمعيه. قالت: نعم فأمره بالغناء فغنى أبياتاً ذكرها الزبير فسألته أن يعيده، فقال له ابن أبي عتيق: خذ نعليك أتعرفين ابن سريج، وساق صاحب الأغاني منه جملة وبالجملة فسماع ابن أبي عتيق كثير مشهور لا

....

يختلف فيه أهل الأخبار مروي بأسانيد جياد، وكان كثير البسط والخلاعة مع عفة ونسك وزهد وعبادة، وأخرج له الشيخان في الصحيحين.

وأما عطاء بن أبي رباح فهو من أكابر التابعين وهو مع علمه وزهده وورعه وعبادته ومعرفته بالسنن والآثار فقد قال الأستاذ أبو منصور: إنه كان يقسم الأصوات إلى الثقيل الأول وإلى الثقيل الثاني وما بعدهما من المراتب. وقال البيهقي بسنده إلى ابن جريج قال: سألت عطاء عن الغناء بالشعر، فقال: لا أرى به بأساً ما لم يكن فحشاً. وروى ابن قتيبة بسنده إلى إبراهيم المخزومي قال: أرسلني أبي إلى عطاء بن أبي رباح أسأله عن مسألة فأتيته فوجدته في دار العقبي وعليه ملحفة معصفرة. فقالوا له: يا أبا محمد لو أذنت لنا أرسلنا إلى العريض، وابن سريج فقال: افعلوا ما شئتم فبعثوا إليهما فحضرا وغنيا وعطاء يسمعهما حتى إذا مالت الشمس قام إلى منزله. قال ابن قتيبة: واختلف عند محمد بن إبراهيم في الغناء فبعث إلى ابن جريج وإلى عمرو بن عبيدة فأتياه فسألهما فقال ابن جريج: لا بأس به جئت عطاء بن أبي رباح وقد ختن ولده وعنده الأبجر يغني، فكان إذا سكت لا يقول له غن، وإذا غنى لا يقول له أسكت. وإذا لحن رد عليه، فقال عمرو بن عبيد: فأيهما يكتب الغناء الذي على اليمين أو الذي على الشمال؟ فقال ابن جريج: لا يكتبه واحد منهما. وقال ابن عبد البر بسنده إلى ابن جريج قال: سألت عطاء عن الحداء والشعر والغناء. فقال: لا بأس به ما لم يكن فحشاً. وقال محمد بن إسحاق الفاكهي في تاريخ مكة: حدثني عبد الله بن أحمد، ثنا خلف بن سالم مولى ابن صيفي، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الحميد المخزومي، عن عمه عيسى بن عبد الحميد قال: ختن عطاء ولده فدعانا في وليمة في دار الأخنس، فلما فرغ الناس جلس عطاء على المنبر يقسم بقية الطعام، ودعا الفتيان العريض وابن سريج فجعلا يغنيان، فقالوا لعطاء أيهم أحسن غناء؟ فقال: يغنيان حتى أسمع فاعادا واستمع، فقال: أحسنهما الرقيق الصوت يعني ابن سريج، وأما الزهري فنقله عنه الأستاذ أبو منصور.

وأما عمر بن عبد العزيز فقال ابن قتيبة. سئل إسحاق عنه. فقال: ما طن في أذنه شيء بعد أن أفضت إليه الخلافة، وأما قبلها وهو أمير فكان يسمع من جواريه خاصة، ولا يظهر منه إلا الجميل، وكان ربما صفق بيديه وتمرغ على فراشه طرباً وضرب برجليه. وقال الزبير بن بكار في الموفقيات: أخبرني عمي قال: أدركت الناس بالمدينة يغنون لحناً وينسبونه إلى عمر بن عبد العزيز وهو:

كان قد شهدت الناس يوم تقسمت ... خلائقهم فاخترت منهن أربعا
إعارة سمع كل مغتاب صاحب ... ويأتي بعيب الناس إلا تتبعا
وأعجب من هاتين إنك تدعي السـ ... ـلامة من عيب الخليقة أجمعا
وإنك لو حاولت فعل إساءة ... فكوفيت إحساناً جحدتهم معا

وأما سعد بن إبراهيم، فحكاه عنه ابن حزم، وابن قدامة الحنبلي وغيرهما، فهؤلاء جملة من التابعين.

فصل

وأما من بعد التابعين: فمنهم عبد الملك بن جريج، وهو من العلماء الحفاظ والفقهاء العباد المجمع على جلالته وعدالته، وكان يستمع الغناء ويعرف الألحان، حكى عنه الأستاذ أبو منصور أنه كان يصوغ الألحان يميز بين البسيط والنشيد والخفيف. وقال ابن قتيبة: حكى عن ابن جريج أنه كان يروح إلى الجمعة فيمر على مغن فيولج عليه الباب فيخرج فيجلس معه على الطريق ويقول له: غن فيغنيه أصواتاً فتسيل دموعه على لحيته ثم يقول: إن من الغناء ما يذكر الجنة. وقال صاحب التذكرة الحمدونية، قال داود المكي: كنا في حلقة ابن جريج وهو يحدثنا وعنده جماعة منهم عبد الله بن المبارك وجماعة من العراقيين إذ مر به مغن فقال له: أحب أن تسمعني، فقال له: إني مستعجل فألح عليه فغناه، فقال له: أحسنت أحسنت ثلاث مرات، ثم التفت إلينا فقال: لعلكم أنكرتم، فقالوا: إنا ننكره بالعراق، فقال: ما تقولون في الرجز يعني الحداء؟ قالوا: لا بأس به. قال: أي فرق بينه وبين الغناء.

وأما محمد بن علي بن أبي طالب، فقال ابن قتيبة: أنه سئل عن الغناء. فقال: ما أحب أن أمضي إليه ولو دخل علي ما خرجت منه ولو كان في موضع لي فيه حاجة ما امتنعت من الدخول.

وأما إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف فقد تقدم عنه قريباً.

وأما ابن مجاهد فسيأتي قريباً.

وأما عبد الله بن الحسن العنبري قاضي البصرة، فكان من العلم والورع بمكان، وكان من مذهبه إباحة الغناء. اتفقت النقلة على ذلك ونصب الفقهاء الخلاف معه فيه، وممن حكاه عنه زكريا بن يحيى الساجي في كتابه في الخلاف، وأبو بكر بن المنذر في الأشراف والقاضي أبو الطيب وغيرهم.

وأما الإمام أبو حنيفة، فحكى صاحب التذكرة الحمدونية أنه سئل هو وسفيان الثوري عن الغناء، فقالا: ليس من الكبائر ولا من أسوأ الصغائر. وحكى ابن عبد ربه في العقد أيضاً عن أبي حنيفة وذكر قصة جاره التي سنذكرها بعد، وذكر عن أبي يوسف أيضاً أنه كان يحضر مجلس الرشيد وفيه الغناء. وقال الحافظ في رسالته: وأما أبو حنيفة فحدثنا أصحابنا عنه منهم من حدث عن حفص بن غياث، ومنهم من حدث عن محمد بن الحسن عن أبي يوسف قال: ذكر عند أبي حنيفة الغناء فقال: أما أنا فوددت أن لي غريماً لازمني وحلف علي فأدخلني إلى موضع فيه سماع فاسمع وذكر ابن قتيبة أنه ذكر عند أبي يوسف الغناء فذكر قصة جار أبي حنيفة التي نذكرها وهي ما حكاه ابن قتيبة وغيره عنه أنه كان له جار وكان كل ليلة يغني:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

....

وكان أبو حنيفة يسمع إليه، وأنه فقد صوته فسأل عنه فقيل له: إنه وجد في الليل وسجن في سجن الأمير عيسى فلبس عمامته وتوجه إلى الأمير وتحدث معه، فقال: لا أعرف ما اسمه. فقال أبو حنيفة: اسمه عمرو، فقال الأمير: يطلق كل من اسمع عمرو، فأطلق الرجل فلما قال له أبو حنيفة: أضعناك. فقال: بل حفظت، وتمام هذا أنه قال له فصر إلى ما كنت عليه، وقد ضمن ذلك في قصيدته أبو عمر يوسف بن هارون الكندي المعروف بالرمادي على ما أورده الحافظ أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي صاحب كتاب المعجب في أخبار أهل المغرب والقصيدة أوّلها:

لخطب الشاربين يضيق صدري ... ويوقفني تلقيهم بضرِ
فإن أبا حنيفة وهو عدل ... وفرّ من القضاء مسير شهرِ
فقيه لا يدانيه فقيه ... إذا ذكر القياس أتى ببدرِ
وكان له من الشراب جار ... يواصل مغرباً منها بفجرِ
وكان إذا انتشى غنى بيبـ ... ـت المضاع بسجنه من آل عمروِ
أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغرِ
فغيّب صوت ذاك الجار سجن ... ولم يكن الإمام بذاك يدري
فقال وقد مضى ليل وثان ... ولم يسمع غناء ليت شعري
أجاري المؤنسي ليلاً غناه ... لخير قطع ذلك أم لشرِ
فقالوا إنه في سجن عيسى ... أتوه به بليل وهو يسري
فنادى بالطويلة وهي مما ... يكون برأسه لجليل أمرِ
ويمم جاره عيسى بن موسى ... فلاقاه بإكرام وبشرِ
فقال سجنت لي جاراً يسمى ... بعمر وقال: يطلق كل عمري

فقد تضمنت هذه الحكاية والقصيدة أنه كان يسمع إليه ولم ينهه عن الغناء، فدل على إباحته عنده، فإن استماعه كل ليلة مع ورعه وزهده ينبغي أن يحمل على الإباحة، وما ورد عنه بخلافه يحمل على الغناء المقترن بشيء من الفحش ونحوه جمعاً بين القول والفعل، على أن التحريم أخذ من مقتضى قوله لا من نصه فيما علمت، ورأيت في كتبهم ولا دلالة فيما أخذ منه لاحتماله وجوهاً. هذا لفظ الكمال الأدفوي في الامتاع.

قلت: وذكر صاحب الهداية في باب الشهادة: ولا تقبل شهادة نائحة ولا مغنية وهذا أيضاً لفظ القدوري، فأطلق ثم قال: ولا من يغني للناس فورد أنه تكرار يعلم ذلك من قوله مغنية.

قال الشيخ ابن الهمام في فتح القدير: إن الوجه أن اسم مغنية ومغن إنما هو في العرف لمن كان الغناء حرفته التي يكتسب بها المال، فاللفظ المذكور هنا عام غير أنه خص المؤنث به ليوافق لفظ الحديث «لعن الله النائحات لعن الله المغنيات» ومعلوم أن ذلك لوصف التغني لا لوصف الأنوثة ولا للتغني

مع الأنوثة، لأن الحكم المرتب على مشتق إنما يفيد أن وصف الاشتقاق هو العلة فقط لا مع زيادة أخرى. نعم هو من المرأة أفحش لرفع صوتها وهو حرام، ونصوا على أن المغني للهو أو لجمع المال حرام بلا خلاف، ثم قال: وفي التغني لإسماع نفسه ولدفع الوحشة خلاف بين المشايخ: منهم من قال إنما يكره ما كان على سبيل اللهو احتجاجاً بما روي عن أنس بن مالك أنه دخل على أخيه البراء بن مالك، وكان من زهاد الصحابة وكان يتغنى وبه أخذ شمس الائمة السرخسي، ومنهم من قال: يكره جميع ذلك وبه أخذ شيخ الإسلام، ويحمل حديث البراء بن مالك أنه كان ينشد الأشعار المباحة التي فيها الحكم والمواعظ، كما أن لفظ الغناء يطلق على المعروف يطلق على غيره وإنشاد المباح من الأشعار لا بأس به، ومن المباح أن تكون فيه صفة امرأة مرسلة بخلاف ما إذا كانت بعينها حية، فقد عرف ان التغني المحرم هو ما كان في اللفظ ما لا يحل كصفة المذكر والمرأة المعينة الحية ووصف الحيةووصف الخمر المهيج إليها، والهجاء لمسلم أو ذمي إذا أراد المتكلم به هجاءه إلاَّ إذا أراد إنشاد الشعر للاستشهاد به أو لتعلم فصاحته. نعم إذا قيل ذلك على الملاهي امتنع، وإن كان مواعظاً وحكماً للآلات نفسها لا لذلك التغني، وفي المعنى: الرجل الصالح إذا تغنى بشعر فيه فحش لا تبطل عدالته، وفي مغنى ابن قدامة الملاهي نوعان: محرم وهو الآلات المطربة ومباح وهو الدف في النكاح، وفي معناه ما كان من حادث سرور ويكره غيره، وفي الاجناس. وسئل محمد بن شجاع عن الذي يترنم مع نفسه قال لا يقدح في شهادته اهـ. كلام ابن الهمام.

ثم قال الأدفوي وأما الإمام مالك رحمه الله تعالى؛ فقد ذكرنا في قصة إبراهيم بن سعد ما وقع من مالك يعني أن الرشيد سأله هل بلغك عن مالك بن أنس في ذلك شيء؟ فقال: لا والله إلاَّ أن أبي أخبرني انهم اجتمعوا في مدحاة كانت في بني يربوع وهم يومئذ جله، ومالك أقلهم من فقه وقدر معهم دفوف وعيدان يغنون بها ويلعبون ومع مالك دف مربع وهو يغنيهم.

سليمـــي ازمعـــت بينـــا ... وايـــن لقـــاؤهـــم أينـــا
وقـــد قـــالـــت لأتـــراب ... لها زهـــــر تلاقينـــا
تعـــالين فقـــد طـــا ... ب لنـــا العيش تعـــالينـــا

وقد حكى صاحب الأغاني والتذكرة الحمدونية أنه سمع من يغني شيئاً على غير الصواب، فسأله ذلك الشخص ان يخبره بالصواب، فاخرج رأسه من كوّة وغناه على الصواب، فسأله أن يعيده، فقال: حتى تقول أخذته عن مالك بن أنس، وحكى الإباحة عنه أبو القاسم القشيري، والأستاذ أبو منصور، والقفال وغيرهم، وسألت جماعة من فضلاء المالكية هل له نص في تحريم الغناء؟ فقالوا: لا وإنما أخذ من قوله أنه لا يصح بيع الجارية المغنية على أنها مغنية، ومن نصه في الجارية أنه إذا وجدها مغنية كان له الرد، وهذا لا يدل على التحريم فإنه يجوز أن يكون عنده حلالاً ويمتنع البيع لأمر آخر إمالكونه غير منضبط وأنه لا يقابل بالعوضية شرعاً كما أن عسيب الفحل جائز، ولا يصح العقد عليه ببيع ولا إجارة. وقد ذكر القاضي عياض في التنبيهات منع

....

إجارة الدف مع القول بإباحته، وقال: ما كل مباح يجوز العقد عليه، وأما الرد بالعيب فقد حكى ابن رشد عنه في المقدمات في رواية زياد عنه أنه فرق بين أمة التسري وأمة الخدمة، فإن أمة التسري يعاير بها الولد، واختاره ابن رشد، وقطع ابن الموّاز بعدم الرد. وقال صاحب البحر: إن مالكاً يرد الجارية بالغناء ولا يرد العبد. قال: لأن الغناء يدل على قلة صيانتها، ولو كان الغناء حراماً لرد العبد أيضاً ثم بتقدير تسليم ذلك كله يدل على تحريم غناء النساء خاصة لا لأجل أن الغناء نفسه حرام، وإنما هو لأجل أن الغناء من النساء يدعو إلى الفساد، ولذلك صرح ابن العربي المالكي بأنه يجوز للرجل سماع جاريته. وبالجملة: فإذا لم يكن له نص في المسألة فما استنبطوه غير متجه إذ هو محتمل، وما نقل عنه بالاسناد أنه سئل عنه فقال: إنما يسمعه الفساق محتمل، وأنه لا يجوز محمول على غناء يقترن به منكر ونحوه جمعاً بين النقول التي قدمناها التي هي صريحة، وأيضاً فقوله: إنما يسمعه الفساق محتمل أن الذين نعهدهم أو نعرفهم يسمعونه عندنا وصفهم كذا، فلا يدل أنه أراد التحريم، كما إذا قلت: ما قولك في المتفرجين في البحر؟ فتقول: إنما يفعله عندنا أهل اللعب وأهل الفساد، فلا دلالة على تحريم فرجة البحر، وقد قال ابن العربي: إن علماءنا بجملتهم قالوا إذا وقع البيع فسخ. قال: ولو كان حراماً لم يقولوا فسخ.

وأما الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، فسيأتي الكلام على نصوص مذهبه أثناء سياق المصنف.

وأما الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، فقال أبو الوفاء بن عقيل في كتابه المسمى بالفصول: صحت الرواية عن أحمد أنه سمع الغناء عن ابنه صالح، وقد قال أبو حامد: إن فعله يضاف إليه مذهباً يكون كالقول وحكاه عن جماعة الأصحاب، وقد كان أبو بكر الخلال وصاحبه عبد العزيز يحملان الكراهة من أحمد على غناء يقترن به ما يقتضي الكراهة، وقال شارح المقنع: روي عن أحمد أنه سمع عند ابنه صالح قوّالاً فلم ينكره، فقال له ابنه: يا أبت ألست كنت تنكره أو تكرهه؟ فقال: قيل لي أنهم يستعملون المنكر معه. وما استنبطه ابن الجوزي غير متجه، وأما منع بيع الجارية المغنية فتقدم الكلام عليه عند ذكر مالك، وأما أخذه ذلك من كسب المخنث على تقدير تسليم أن كسبه بالغناء، فلا يدل لأن أكثر من قال بإباحة الغناء أطلق القول بمنع أخذ الأجرة، وقد يجوز الشيء ويمتنع مقابله بالعوضية لمعنى آخر، وكيف يصح استنباط ذلك من مقتضى قوله وفعله يخالفه، وقد علل هو المنع بأنه كان يقول أنه يقترن به منكر. وقول ابن الجوزي أنه يحمل فعله وقوله على ما كان يغني به في زمنه من القصائد الزهديات كلام عجيب، فإن الكلام في التحريم والإباحة للغناء نفسه لا ما يقترن به، وكون الشعر الذي يغني به مما لا يجوز ليس موضع النزاع، فإنه يكون تحريمه لعارض، ولا نعلم أحداً قال بجواز الغناء بالقصائد الزهديات دون غيرها، وابن الجوزي غلب عليه الوعظ والرواية والفقيه الغوّاص له مرتبة أخرى.

وأما سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى، فحكى عنه تلميذه الزبير بن بكار في الموفقيات أنه لما

يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام المعدودات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق، ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا،

قدم ابن جامع مكة بمال جم قال سفيان لأصحابه: علام يعطي ابن جامع هذه الأموال؟ قالوا: على الغناء. قال: ما يقول فيه؟ قال يقول:

أطوف بالبيت مع من يطوف وارفع من مئزري المسبل

قال هي السنّة. ثم ماذا؟ قالوا: يقول:

واسجد بالليل حتى الصباح واتلو من المحكم المنزل

قال: أحسن وأصلح، ثم ماذا؟ قالوا: يقول:

عسى فارج الهم عن يوسف يسخر لي ربة المحمل

قال: أفسد الخبيث ما أصلح لا سخرها الله تعالى له، وهكذا ساقه الماوردي في الحاوي، وساقه أيضاً المبرد في الكامل إلا أنه قال: لما سمع البيت الثالث أشار بالسكوت وقال: حلالاً حلالاً وهذا من سفيان صريح في الجواز. ألا ترى أنه استحسن أوّلاً. وإنما أنكر آخر لما اقترن به من ذكر ربة المحمل في طوافة.

وأما عبد العزيز بن المطلب القاضي، فأخرج له مسلم في صحيحه والترمذي وغيرهما واستشهد به البخاري في الصحيح، وقد قدمنا أنه كان يغني وما غنى به في ترجمة سالم بن عبد الله بن عمر.

ثم ذكر الأدفوي جماعة من المتأخرين ممن كان يجوّز السماع كالقاضي أبي بكر الباقلاني، وأبي عبد الله بن مجاهد، وأبي علي الثقفي، وأبي بكر بن إسحاق، وأبي نصر السندي، والحاكم أبي عبد الله، والشيخ تاج الدين الفزاري، والعز بن عبد السلام، وابن دقيق العيد. وأطال في النقول عنهم، ورأيت إن نقلت ذلك برمته طال الكتاب، وسيأتي ذكر كلام بعضهم في أثناء السياق، بحسب المناسبة.

قال المصنف: **(وقال)** يعني أبا طالب المكي في القوت: **(ولم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الأيام المعدودات التي أمر الله عباده فيها بذكره كأيام التشريق)** تقدم الكلام على الأيام المعدودات والمعلومات في كتاب الحج، **(ولم يزل أهل المدينة مواظبين كأهل مكة على السماع إلى زماننا هذا)**. وقد تقدم في ترجمة إبراهيم بن سعد أنه قال للرشيد: وما أدركت أحداً إلاّ وهو ينشد شيئاً إلا ابن أبي لبيد، فإنه كان يقول: لا آمر به ولا أنهي عنه لأني لا أدري أحق هو أم باطل، وأما نحن يا أمير المؤمنين فربما أعددناه في الحسنات.

قلت: ابن أبي لبيد هذا هو عبد الله بن أبي لبيد أبو المغيرة المدني، روى عن أبي سلمة والمطلب بن عبد الله، وعنه السفيانان ثقة روى له البخاري مقروناً بغيره والباقون سوى الترمذي.

فأدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعن الناس التلحين قد أعدهن للصوفية، قال: وكان لعطاء جاريتان تلحنان فكان إخوانه يستمعون إليهما. قال: وقيل لأبي الحسن بن سالم: كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون يسمعون؟ فقال: وكيف أنكر السماع وقد أجازه وسمعه من هو خير مني؟ فقد كان عبدالله بن جعفر الطيار يسمع، وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع.

(فأدركنا أبا مروان القاضي وله جوار يسمعن التلحين قد أعدهن للصوفية) هو محمد ابن عثمان بن خالد بن عمر بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان العثماني المدني نزيل بمكة، روى عن أبيه، وعن إبراهيم بن سعد، وجماعة. وعنه ابن ماجه، والفريابي، ومحمد بن يحيى بن منده، ومحمد بن أحمد بن عوف، وخلق. وثقه أبو حاتم مات سنة ٢٤١ ووالده عثمان، روى عن مالك وهو متروك الحديث.

(قال) صاحب القوت: **(وكان لعطاء)** يعني ابن أبي رباح **(جاريتان تلحنان وكان إخوانه يستمعون إليهما)**، وقد نقل هذا الكلام الشهاب السهروردي في العوارف عن الشيخ أبي طالب المكي قال: وعندي اجتناب ذلك هو الصواب، وهذا لا يسلم إلا بشرط طهارة القلب وغض البصر والوفاء بشرط قوله تعالى ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾ [غافر: ١٩] اهـ.

ونقله أيضاً الكمال الأدفوي في الإمتاع وقال: وهذا وإن صدر من هؤلاء فهو محمول على من يوثق به وبدينه وجرب وصحَّ وإلاَّ فقد قال الشافعي رحمه الله تعالى: ما يقتضي ذم ذلك إذا قصد وقال: من اتخذ غلاماً أو جارية يدعو الناس إليهما ليستمعوا منهما فهو سفيه، وفي الجارية سفه ودناءة، وما نقل عن عطاء في ذلك فهو محمول على ما ذكرناه، وعند جماعة من الشافعية أنه إذا كان إخوانه يأتون إليه لا لأجل سماع جاريته فيسمعونها عنده أنه يجوز على تفصيل مذكور في رد الشهادة، وقد نقل عن الشافعي وغيره ما يقتضي أن سماع الجوار لي وإن لم تكن له جائز، وقد قدمنا بحث الماوردي فيه، وكلام إبراهيم بن سعد وما حكاه ابنه وجماعة من أهل العلم، وكلام الحاكم وما روي عن المزني ويونس بن عبد الأعلى، فالمتجه الجواز إلا عند خوف الافتتان، وكذلك سماع المرد فإن خاف الافتتان فحينئذ يحرم مع إحتمال الجواز.

ثم قال المصنف: **(قال)** يعني أبي طالب: **(وقيل لأبي الحسن بن سالم)** هو من مشايخ البصرة ومن شيوخ أبي طالب وقد تقدم ذكره في هذا الكتاب مراراً **(كيف تنكر السماع وقد كان الجنيد)** سيد الطائفة **(و)** خاله وشيخه **(سري)** بن المغلس **(السقطي، وذو النون)** المصري **(يسمعون؟ فقال: وكيف أنكر السماع وأجازه وسمعه من هو خير مني؟ وقد كان عبدالله ابن جعفر الطيار يسمع)** كما قدمنا في ترجمته، **(وإنما أنكر اللهو واللعب في السماع)** ففي

وروي عن يحيي بن معاذ أنه قال: فقدنا ثلاثة أشياء فما نراها ولا أراها تزداد إلاَّ قلة، حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الديانة، وحسن الإخاء مع الوفاء. ورأيت في بعض الكتب هذا محكياً بعينه عن الحرث المحاسبي وفيه ما يدل على تجويزه السماع مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشميره. قال: وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة إلا أن يكون فيها سماع.

هذا تجويز أصل السماع، وإنما ينكر لما يعرضه من العوارض الخارجية، ونقل هذا القول أيضاً صاحب العوراف وقال عقبة وهذا قول صحيح، ثم ساق حديث الجاريتين عند عائشة.

(وروي عن يحيي بن معاذ) الرازي **(أنه قال: فقدنا ثلاثة أشياء فما أراها ولا أراها تزداد إلا قلة)**. أحدها: **(حسن الوجه)** أي صباحته أو المراد الاقبال والملقى في الظاهر بين الإخوان **(مع الصيانة)** عما لا تحل تعاطيه أو مع الصيانة للباطن عن التكلف ومخالفة الظاهر، **(و)** الثاني: **(حسن القول)** أي التكلم بما يثاب عليه **(مع الديانة)** الحاصلة بالطاعات، **(و)** الثالث: **(حسن الإخاء)** بأن ينظر كل واحد في حق أخيه كما ينظر في حق نفسه بل يؤثره على نفسه **(مع)** دوام **(الوفاء)** بذلك، **(ورأيت في بعض الكتب هذا)** القول **(بعينه محكياً عن الحرث)** بن أسد **(المحاسبي)** رحمه الله تعالى.

قلت: ذكره القشيري في الرسالة فقال: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر الصوفي يقول: سمعت الوجيهي يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: كان الحرث بن أسد المحاسبي يقول: ثلاث إذا وجدن متع بهن، وقد فقدناها: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الصوت مع الديانة، وحسن الإخاء مع الوفاء.

(وفيه ما يدل على تجويزه لسماع الغناء مع زهده وتصاونه وجده في الدين وتشمره) ولا يخفى أن هذا لا يتم إلا أن أريد بقوله حسن القول الإنشاد، وأما على رواية القشيري حسن الصوت فظاهر لا يحتمل التأويل.

(قال) أبو طالب: **(وكان ابن مجاهد)** يحتمل أنه أراد به أبا عبدالله بن مجاهد شيخ المتكلمين وهو شيخ القاضي أبي بكر الباقلاني ترجمه السبكي في الطبقات، ويحتمل أنه أراد به أبا بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقري البغدادي المتوفي سنة ٣٢٤، روى عنه الدارقطني وابن الجنابي وهو ثقة. **(لا يجيب دعوة إلا أن يكون فيها سماع)** أما أبو بكر بن مجاهد فيدل له ما رواه الخطيب في التاريخ بسنده إلى أبي بكر الجنابي الحافظ قال: كنت جالساً عند أبي بكر بن مجاهد فأتاه بعض غلمانه فقال: يا أستاذ إن رأيت أن تجملني بحضورك غداً دارنا. فقال: ينبغي أن تدعو أبا بكر يغنينا فأقبل الفتى يسألني، فقلت أريد ابن عريب، فقال: السمع والطاعة، فلما حضرنا طلبت ابن عريب، فقال: حبسه عنا بعض الرؤساء فشق عليَّ، فقال أبو بكر بن مجاهد: من ينوب عن ابن عريب فانتظرته ساعة فلم أره، ثم سألت عن الغائب فقال: هات قضيباً وأخذه

وحكى غير واحد أنه قال: اجتمعنا في دعوة ومعنا أبو القاسم ابن بنت منيع، وأبو بكر بن داود، وابن مجاهد في نظرائهم، فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن داود في أن يسمع فقال ابن داود: حدثني أبي عن أحمد بن حنبل أنه كره السماع وكان أبي يكرهه وأنا على مذهب أبي، فقال أبو القاسم ابن بنت منيع: أما جدي أحمد ابن بنت منيع فحدثني عن صالح بن أحمد أن أباه كان يسمع قول ابن الخبازة،

واندفع يغني فغناني نيفاً وأربعين صوتاً في غاية الحسن والطيبة والإطراب، فقلت: يا أستاذ متى تعلمت هذا؟ فقال: يا بارد تعلمته لبغيض مثلك لا يحضر الدعوة إلا بمغن.

وأما أبو عبد الله بن مجاهد فيدل له ما ساقه المصنف تبعاً لصاحب القوت فقال: **(وحكى عن غير واحد أنه قال: اجتمعنا في دعوة)** ولفظ القوت: حدثني بعض المحدثين قال: اجتمعنا في دعوة **(ومعنا أبو القاسم)** البغوي **(ابن بنت منيع)** هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز سبط أحمد بن منيع إمام حافظ صنف معجم الصحابة، **(وأبو بكر)** عبد الله **(بن أبي داود)** سليمان ابن الأشعث السجستاني الحافظ بن الحافظ روى عن عمرو بن علي القلاس، وعيسى بن حماد زغبة، ومحمد بن أسلم الطوسي في جماعة آخرهم أحمد بن صالح المصري، روى عنه الدارقطني، وابن شاهين، وابن سمعون، وأبو طاهر المخلص، وكان مولده في سنة ثلاثين ومائتين بسجستان ونيسابور، وسمع الكثير وحدث في أصبهان بثلاثين ألف حديث من حفظه وكانت عنده قوة نفس فوقع بينه وبين محمد بن جرير ويحيى بن محمد بن صاعد فتكلم فيهما وتكلما فيه على عادة الأقران. قال الدارقطني: هو ثقة إلا إنه كثير الخطأ في الكلام على الحديث، وقال صالح جزرة: هو إمام العراق في وقته، وقال الخلال: كان أحفظ من أبيه توفي سنة ٣١٠. **(وابن مجاهد في نظرائهم فحضر سماع فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت منيع على ابن أبي داود في أن يسمع، فقال ابن أبي داود: حدثني أبي عن أحمد بن حنبل)** رحمه الله تعالى **(أنه كره السماع)** وكان أبي يكرهه، **(وأنا على مذهب أبي)** أي في كراهة السماع، **(فقال أبو القاسم ابن بنت منيع: حدثني جدي)** لأمي هو أحمد بن منيع بن عبد الرحمن البغوي أبو جعفر الأصم نزيل بغداد ابن عم إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن البغوي. قال النسائي: ثقة مات سنة ٢٤٤، وكان مولده سنة ١٦٠ روى له البخاري وروى عنه الباقون، **(عن صالح بن أحمد)** كنيته أبو الفضل، وأمه عباسة بنت الفضل من العرب، وهي أول زوجات أبيه. أقامت معه ثلاثين سنة وما تزوّجها إلا بعد أربعين، مولده سنة ٢٠٣ وتوفي في شهر رمضان سنة ١٦٦ عن ثلاثة وستين سنة باصبهان، وقبره عند قبر جمة بن أبي جمة الدوسي الصحابي يزار، والدعاء عنده مستجاب. وكان المعتمد قد ولاّه القضاء بها. سمع من أبيه مسائل كثيرة إلا أنه قلّت روايته عن أبيه لأشتغالة بكثرة عياله، وروى عن أبي الوليد الطيالسي، وعنه ابنه زهير والبغوي ومحمد بن مخلد وعبد الرحمن بن أبي حاتم. **(أن**

فقال ابن مجاهد لابن داود: دعني أنت من أبيك، وقال لابن بنت منيع: دعني أنت من جدك أي شيء تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام؟ فقال ابن داود: لا. قال: فإن كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده؟ قال: لا، قال: فإن أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومدّ منه المقصور أيحرم عليه؟ قال: أنا لم أقوَ لشيطان واحد فكيف

أباه كان يسمع قول ابن الخبازة) هو محمد بن عبد الله بن يحي بن زكريا أبو بكر البغدادي الشاعر، ذكره الخطيب في التاريخ.

قال الحافظ محمد بن ظاهر: حدثنا أبو بكر أحمد بن علي، حدثنا محمد بن الحسين الصوفي، حدثنا الحسين بن أحمد، سمعت أبا العباس الحسن الفرغاني يقول: سمعت صالح بن أحمد يقول: كنت أحب السماع، وكان أبي يكره ذلك فواعدت ليلة ابن الخبازة فمكث عندي إلى أن علمت أن أبي قد نام، فأخذ يغني فسمعت حسّه فوق السطح، فصعدت فرأيت أبي فوق السطح يسمع ما يغني وذيله تحت إبطه وهو يتبختر فوق السطح كأنه يرقص.

وقد روي مثل هذه القصة من وجه آخر عن عبد الله بن أحمد قال: أبن الجوزي في تلبيس ابليس: أخبرنا أبو منصور القزاز، حدثنا أبو بكر أحمد بن علي بن الحسين الثوري، حدثنا يوسف بن عمر القواس، سمعت أبا بكر بن مالك القطيعي يحكي أظنه عن عبد الله بن أحمد قال: كنت أدعو ابن الخبازة وكان أبي ينهانا عن التغني، فكنت إذا كان عندي أكتمه من أبي لئلا يسمع، فجاء ذات ليلة عندي وكان يقول فعرضت لأبي عندنا حاجة وكانوا في زقاق، فجاء فسمعه يقول فوقع في سمعه شيء من قوله فخرجت لأنظر، فإذا بأبي ذاهباً وجائياً فرددت الباب ودخلت، فلما كان من الغد قال: يا بني إذا كان مثل هذا فنعم هذا الكلام أو معناه. وأخرجه أيضاً ابن طاهر عن أبي غالب الذهلي عن أبي بكر الخطيب مثله.

(فقال ابن مجاهد لابن أبي داود: دعني أنت من أبيك. وقال لابن بنت منيع: دعني أنت من جدك إيش) أي أي شيء **(تقول يا أبا بكر فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام)** ولفظ القوت: فيمن أنشدك شعراً أحرام عليه؟ **(قال ابن أبي داود: لا. قال: فإن كان حسن الصوت حرم عليه إنشاده)** ولفظ القوت فيه تحريم عليه؟ **(قال: لا. قال: فإن أنشده وطوّله وقصر الممدود ومد المقصور أيحرم عليه؟ قال: أنا لم أقو لشيطان واحد فيكف أقوى لشيطانين)**؟ ولفظ القوت أنا ما أقوى لشيطان واحد أقوى لشيطانين. ثم قال صاحب القوت: وكان ابن منيع يسمع القول وقد نقل هذه العبارة أيضاً الكمال الادفوي في الامتاع، ويقرب من هذا ما أورده ابن طاهر المقدسي قال:

أخبرنا أبو محمد التميمي قال: سألت الشريف أبا علي محمد بن أحمد بن أبي موسى الهاشمي، عن السماع فقال: ما أدري ما أقول فيه إلا أني حضرت دار شيخنا أبي الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي سنة ٣٧٠ في دعوة عملها لأصحابه حضرها أبو بكر الأبهري شيخ المالكية، وأبو القاسم

أقوى لشيطانين؟ قال: وكان أبو الحسن العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويوله عند السماع، وصنف فيه كتاباً وردَّ فيه على منكريه، وكذا جماعة منهم صنفوا في الرد على منكريه.

وحكي عن بعض الشيوخ أنه قال: رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت: ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا؟ فقال: هو الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء. وحكي عن ممشاد الدينوري أنه قال: رأيت النبي ﷺ في النوم

الداركي شيخ الشافعية، وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث، وأبو الحسين بن سمعون شيخ الوعاظ والزهاد، وأبو عبد الله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه أبو بكر الباقلاني في دار شيخنا أبي الحسن التميمي شيخ الحنابلة، فقال أبو علي: لو سقط السقف عليهم لم يبق في العراق من يفتي في حادثة بسنّة، وكان أبو عبد الله معهم، وكان يقرأ بصوت حسن فقالوا له: قل شيئاً. فقال: وهم يستمعون:

خطت أناملها في بطن قرطاس ... رسالة بعبير لا بأنفاسِ
أن زر فديتك قف لي غير محتشم ... فإن حبك لي قد شاع في الناس
وكان قولي لمن أدّى رسالتها ... قفي لأمشي على العينين والراسِ

قال أبو علي: فبعد ما رأيت لا يمكنني أن أفتي بحظر أو إباحة.

(**قال**) صاحب القوت: (**وكان أبو الحسن العسقلاني الأسود من**) كبار (**الأولياء**) وفي بعض نسخ القوت أبو الخير بدل أبو الحسن (**يسمع ويوله**) أي يحصل له الوله حتى يغيب عن نفسه (**عند السماع وصنف فيه كتاباً رد فيه على منكريه، وكذلك جماعة منهم**) أي من الأولياء (**صنفوا في الردّ على منكريه**). قال صاحب القوت: إن أنكرنا السماع مجملاً مطلقاً غير مقيد مفصل يكون إنكاراً على سبعين صديقاً، وإن كنا نعلم أن الإنكار أقرب إلى قلوب القراء والمتعبدين إلا أنا لا نفعل ذلك لأنا نعلم ما لا يعلمون، وسمعنا عن السلف من الأصحاب والتابعين ما لا يسمعون.

قال صاحب العوراف: وهذا قول الشيخ عن علمه الوافر بالسنن والآثار مع اجتهاده وتحريه الصواب،ولكن نبسط لأهل الإنكار لسان الأعتذار ،ونوضح لهم الفرق بين سماع يؤثر وسماع ينكر.

(**وحكي عن بعض الشيوخ أنه قال: رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام فقلت: ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا؟ قال: هو الصفاء الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء**) كذا نقله صاحب القوت أي المزلق للأقدام، ونقله أيضاً عن الشهاب السهروردي في العوارف، والأدفوي في الامتاع، ولفظ العوارف: رأي بعض الصالحين أبا العباس الخضر قال: قلت ما تقول فذكره، وأورده القشيري هكذا في الرسالة.

فقلت: يا رسول الله هل تنكر من هذا السماع شيئاً؟ قال: ما أنكر منه شيئاً ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن. وحكي عن طاهر بن بلال الهمداني الوراق ـ وكان من أهل العلم ـ أنه قال: كنت معتكفاً في جامع جدة على البحر فرأيت يوماً طائفة يقولون في جانب منه قولاً ويستمعون، فأنكرت ذلك بقلبي وقلت: في بيت من بيوت الله يقولون الشعر؟ قال: فرأيت النبي ﷺ تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية وإلى جنبه أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه، وإذا أبو بكر يقول شيئاً من القول والنبي ﷺ يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد بذلك، فقلت في نفسي: ما كان ينبغي لي أن أنكر على أولئك الذين كانوا يستمعون، وهذا رسول الله ﷺ يستمع وأبو بكر يقول فالتفت إليَّ رسول الله ﷺ وقال: هذا حق بحق ـ أو قال حق من حق ـ أنا أشك فيه.

وقال الجنيد: تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواضع، عند الأكل لأنهم لا

(وحكي عن ممشاد الدينوري) اسمه محمد بن الحسين يكنى أبا علي أخذ عن الجنيد، أورده القشيري في الرسالة وقال: توفي سنة ٣٩٩ (أنه قال: رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله هل تنكر من السماع شيئاً؟ فقال: ما أنكر منه شيئاً ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختتمون بعده بالقرآن) هكذا أورده صاحب القوت وصاحب الإمتاع، وزاد صاحب العوارف بعده فقلت: يا رسول الله إنهم يؤذونني وينبسطون فقال: احتملهم يا أبا علي هم أصحابك، فكان ممشاد يفتخر ويقول: كناني رسول الله ﷺ.

(وحكي عن طاهر بن هلال الهمداني الوراق وكان من أهل العلم) وفي بعض النسخ طاهر بن بلال بن بلبل وهو نص القوت (أنه قال: كنت معتكفاً في جامع) ثغر (جدة على البحر) وهي فرضة مكة (فرأيت يوماً طائفة يقولون في جانب منه) أي من الجامع (قولاً) أي نشيداً (ويسمعون، فأنكرت ذلك بقلبي وقلت) في نفسي: (في بيت من بيوت الله يقولون الشعر. قال:فرأيت رسول الله ﷺ تلك الليلة وهو جالس في تلك الناحية) التي كانوا ينشدون فيه الشعر، (وإلى جانبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأبو بكر) رضي الله عنه (يقول شيئاً من القول والنبي ﷺ يستمع إليه ويضع يده على صدره كالواجد) لذلك، (فقلت في نفسي: ما كان ينبغي أن أنكر على أولئك) النفر (الذين كانوا يستمعون، وهذا رسول الله ﷺ يستمع وأبو بكر) رضي الله عنه (يقول فالتفت إليَّ ﷺ وقال: هذا بحق أو قال حق من حق أنا اشك فيه) هكذا أورده صاحب القوت وتبعه صاحب العوارف.

(وقال) أبو القاسم (الجنيد) بن محمد سيد الطائفة وكان يفتي على مذهب أبي ثور: (تنزل

يأكلون إلا عن فاقة، وعند المذاكرة لأنهم لا يتحاورون إلا في مقامات الصديقين، وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقاً. وعن ابن جريج أنه كان يرخص في السماع فقيل له: أيؤتى به يوم القيامة في جملة حسناتك أو سيئاتك؟ فقال: لا في الحسنات ولا في السيئات، لأنه شبيه باللغو، وقال الله تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُم الله باللَّغْو في أيْمَانِكُم﴾ [البقرة: ٢٢٥] هذا ما نقل من الأقاويل. ومن طلب الحق في التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده هذه الأقاويل فيبقى متحيراً أو مائلاً إلى بعض الأقاويل بالتشهي، وكل ذلك قصور بل ينبغي أن يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والإباحة كما سنذكره.

الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواطن: عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة) لينشطوا للعبادة، **(وعند المذاكرة)** في العلم **(لأنهم يتحاورون في مقامات الصديقين)** وأحوالهم، **(وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد)** صادق **(ويشهدون حقاً)** نقله صاحب القوت والعوارف، ولفظ القشيري في الرسالة، وحكي عن جعفر بن نصير عن الجنيد أنه قال: تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن عند السماع فإنهم لا يسمعون إلا عن حق، ولا يقولون إلا عن وجد، وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة، وعند مجاراة العلم فإنهم لا يذكرون إلا صفة الأولياء.

(وعن ابن جريج) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي الأموي أبو الوليد المكي، روى عن عطاء وعمرو بن دينار. قال أحمد: هو من أوعية العلم، وقال يحيى بن سعيد: صدوق مات سنة ١٥٠ روى له الجماعة **(أنه كان يرخص في السماع)** وقد تقدم ذلك في ترجمته مفصلاً، **(فقيل: أيؤتى به يوم القيامة في جملة حسناتك أو سيئاتك؟ فقال: لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبيه باللغو. قال الله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾)** قال ابن قتيبة: اختلف عند محمد بن إبراهيم في الغناء، فبعث إلى ابن جريج وإلى عمرو بن عبيد فأتياه فسألهما فقال ابن جريج: لا بأس به جئت عطاء بن أبي رباح وقد ختن ولده وعنده الأبجر يغني، فكان إذا سكت لا يقول له غن وإذا غنّى لا يقول له اسكت، وإذا لحن ردّ عليه، فقال عمرو بن عبيد: فأيها يكتب الغناء الذي عن اليمين أو الذي عن الشمال؟ فقال ابن جريج: لا يكتبه واحد منهما، وقد تقدم هذا عند ترجمته قريباً. **(هذا ما نقل من الأقاويل)** في إباحة السماع، **(ومن طلب الحق من التقليد فمهما استقصى تعارضت عنده الأقاويل فيبقى متحيراً)** فيها **(أو مائلاً إلى بعض الأقاويل)** دون بعض، **(فكل ذلك قصور)** في المقام، **(بل ينبغي أن يطلب الحق بطرائقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر والإباحة)** والتأمل فيها **(كما سنذكره)** فيما بعد.

بيان الدليل على إباحة السماع:

اعلم أن قول القائل: السماع حرام، معناه أن الله تعالى يعاقب عليه؟ وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ومعرفة الشرعيات محصورة في النص أو القياس على المنصوص. وأعني بالنص ما أظهره ﷺ بقوله أو فعله، وبالقياس المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله، فإن لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بتحريمه، وبقي فعلاً لا حرج فيه كسائر المباحات. ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس، ويتضح ذلك في جوابنا عن أدلة المائلين إلى التحريم، ومهما تم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكاً كافياً في إثبات هذا الغرض، لكن نستفتح ونقول: قد دل النص والقياس جميعاً على إباحته.

أما القياس؛ فهو أن الغناء اجتمعت فيه معان ينبغي أن يبحث عن أفرادها ثم عن مجموعها، فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى محرك للقلب، فالوصف الأعم أنه صوت طيب. ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره. والموزون ينقسم إلى المفهوم

بيان الدليل على إباحة السماع:

(**اعلم أن قول القائل السماع حرام معناه ان الله تعالى يعاقب عليه**) لارتكابه الحرمة الممنوعة، (**وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل**) إذ هو معزول عن الاستقلال (**بل بالسمع**) من جهة الشارع (**ومعرفة الشرعيات محصورة في النص أو القياس على المنصوص**) بإجماع فقهاء الامصار، ولا عبرة بمخالفة الظاهرية فيه. (**واعني بالنص**) ما ازداد وضوحاً على الظاهر (**ما أظهره رسول الله ﷺ بقوله أو فعله، وبالقياس**) الحاق معلوم بمعلوم في حكمه لمساواة الأول للثاني في علة حكمه وهو (**المعنى المفهوم من ألفاظه وأفعاله، فإن لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على منصوص بطل القول بالتحريم، ويبقى فعلاً لا حرج فيه كسائر المباحات**) وهو الذي فهمه ابن جريج كما تقدم قريباً. (**ولا يدل على تحريم السماع نص ولا قياس، ويتضح ذلك في جوابنا على أدلة المائلين إلى التحريم ومهما تم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكاً كافياً في اثبات هذا الغرض**) وهو الإباحة (**لكن نستفتح ونقول: قد دل القياس والنص جميعاً على الإباحة**).

(**أما القياس فهو أن الغناء**) قال ابن قتيبة في أدب الكاتب هو مكسور الأول ولا يضم، وقال الهروي ممدود ويقصر صوت مرتفع متوال. وقال ابن سيده: الغناء من الصوت ما طرب به هذا قول اهل اللغة. وأما في الاصطلاح فقد أشار إليه المصنف بقوله: (**اجتمع فيه معان ينبغي أن يبحث عن افرادها ثم عن مجموعها، فإن فيه سماع صوت طيب موزون مفهوم محرك للقلب، فالوصف الأعم أنه صوت طيب. ثم الطيب ينقسم إلى الموزون وغيره. والموزون**

كالأشعار، وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات.

أما سماع الصوت الطيب من حيث أنه طيب، فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصوص به، وللإنسان عقل وخمس حواس ولكل حاسة إدراك، وفي مدركات تلك الحاسة ما يستلذ، فلذة النظر في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن، وبالجملة سائر الألوان الجميلة، وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة. وللشم

ينقسم إلى المفهوم كالأشعار، وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات). وحاصله أنه رفع الصوت المتوالي بالشعر وغيره على الترتيب المرعي الخاص في الموسيقي، ويندرج فيه البسيط المسمى بالاستبداء وهو صوت مجرد من غير شعر ولا زجر، لكنه على ترتيب خاص مضبوط عند أهل الصنعة وهو من أحسن أنواع الغناء عندهم.

وقال ابن الجوزي في تلبيس إبليس: لهم شيء يسمونه بالبسيط يبتدئون به يزعج النفوس على مهل اهـ.

ويشمل البسيط الاستبداء وهو أصوات متوالية والضرب مزدوج ويشمل البيشرد والضرب فيه مفرد. وقال ابن الجوزي: والغناء اسم يقع على أشياء منها غناء الحجيج في الطرقات وفي معناه الغزاة ينشدون أشعاراً في الحرب قال: ويطلق على الحداء. وقال ابن عبد البر في التمهيد: أن اسم الغناء يشمل غناء الركبان وهو رفع الصوت بالشعر كالتغنّي به ترنماً وغناء النعب والحداء اهـ.

وهذا يشعر بان غناء النعب غير الركبان، والصحيح أنه هو صرح به ابن الكلبي في كتابه ابتداء الغناء والعيدان. وقال صاحب الاغاني: لم يكن للعرب إلا الحداء والنشيد وكانوا يسمونه الركباني، وقال بعضهم: هو صوت فيه تمطيط ورقة.

(أما سماع الصوت الطيب من حيث أنه طيب فلا ينبغي أن يحرم بل هو حلال بالنص والقياس أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلذذ حاسة السمع بإدراك ما هو مخصوص بها) وفي نسخة به، **(وللإنسان عقل وخمس حواس)** السمع والبصر والشم والذوق والحس، **(ولكل حاسة)** من هذه الخمس **(إدراك وفي مدركات تلك الحواس ما يستلذ، فلذة البصر في المبصرات الجميلة كالخضرة والماء الجاري والوجه الحسن)** فقد روى الحاكم في تاريخه من حديث علي وابن عمر، وأبو نعيم في الطب من حديث عائشة، والخرائطي في اعتدال القلوب من حديث أبي سعيد بلفظ: «ثلاث يجلين البصر النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن». وروى أبو الحسن العراقي في فوائده من حديث بريدة «ثلاث يزدن في قوّة البصر الكحل بالاثمد والنظر إلى الخضرة والنظر إلى الوجه الحسن».

(وبالجملة سائر الألوان الجميلة) فإنه يستلذه البصر **(وهي في مقابلة ما يكره من**

الروائح الطيبة، وهي في مقابلة الانتان المستكرهة، وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة، وهي في مقابلة المرارة المستبشعة. وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة، وهي في مقابلة الخشونة والضراسة. وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة.

فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت العنادل والمزامير، ومستكرهة كنهيق الحمير وغيرها، فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها؟

وأما النص: فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن امتنان الله تعالى على عباده به إذ قال: ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ [فاطر: ١] فقيل: هو الصوت الحسن. وفي الحديث: «ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت» وقال ﷺ: «لله أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة لقينته». وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام:

الألوان الكدرة القبيحة) الردية، **(وللشم الروائح الطيبة)** من كل مشموم على تباين أنواعه، **(وفي مقابلتها)** وفي بعض النسخ وهي في مقابلة **(الأنتان المستكرهة)** جمع نتن محركة وقد نتن الشيء فهو نتن ونتين نتونة ونتانة من حد ضرب وقتل وتعب وأنتن مثله فهو منتن، **(وللذوق الطعوم اللذيذة كالدسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة)** والمزارة **(المستبشعة، وللمس لذة اللين والنعومة والملاسة وهي في مقابلة الخشونة والضراسة، وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل والبلادة، فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستلذة كصوت البلابل)** جمع بلبل طير معروف، **(والمزامير)** جماع مزمور **(ومستكرهة كنهيق الحمار وغيره، فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذتها على سائر الحواس ولذاتها.**

وأما النص فيدل على إباحة سماع الصوت الحسن إمتنان الله على عباده به إذ قال) في كتابه العزيز **(﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ قيل)** في تفسيره هو **(حسن الصوت)** هكذا فسره الزهري أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان كلهم بأسانيدهم عنه، وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس قال: الصوت الحسن: **(وفي الحديث «ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت»)** قال العراقي رواه الترمذي في الشمائل عن قتادة من قوله وزاد. «وكان نبيكم حسن الوجه حسن الصوت» ورويناه متصلاً في الغيلانيات من رواية قتادة عن أنس، والصواب الأوّل قال الدارقطني، ورواه ابن مردويه في التفسير من حديث علي بن أبي طالب وطرقه كلها ضعيفة اهـ.

(وقال ﷺ «لله أشد أذناً للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى

« إنه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحوش والطير لسماع صوته، وكان يحمل من مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب منها في الأوقات». وقال ﷺ في مدح أبي موسى الأشعري: «لقد أعطي مزماراً من مزامير آل داود» وقول الله تعالى: ﴿إن أنكرَ الأصْوات لصوتُ الحمير﴾ [لقمان:

قينته») رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي في السنن والحاكم في المستدرك من حديث فضالة بن عبيد، وقال الحاكم: صحيح على شرطها وقد تقدم هذا للمصنف في كتاب آداب تلاوة القرآن والأذن محركة هو الاستماع والانصات. قال عدي بن زيد:

أيها القلـــب تعلـــل بـــدرن إن همـــــــي في سماع وأذن

أي في سماع واستماع. قال صاحب الامتاع: فالتمثيل بالقينة والتقييد بصاحبها فيها إشعار بذلك وليقع التشبيه كاملاً مستوفى شبه شدة الاستماع إلى القراءة بشدة الاستماع إلى القينة وجعل استماع القراءة أشد، وجعل القارىء في مقابلة القينة، ولا شك أن النفوس تستلذ سماع الغناء أكثر من مجرد رفع الصوت بالشعر، وكذلك يستلذ لسماع التغني بالقرآن أكثر من مجرد القراءة ورفع الصوت بها من غير لحن يعد تغنياً فإن الألحان لها تأثير في رقة القلب وجريان الدمع.

(**وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام «أنه كان حسن الصوت في النياحة على نفسه وفي تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحوش والطير لسماع صوته، وكان يحمل من مجلسه أربعمائة جنازة وما يقرب منها في الأوقات»**) هكذا أورده صاحب القوت وصاحب العوارف، ولفظ القشيري في الرسالة وقيل: إن داود عليه السلام كان يستمع لقراءته الجن والانس والطير والوحش إذا قرأ الزبور، وكان يحمل كل يوم من مجلسه أربعمائة جنازة ممن قد مات ممن يسمع قراءته. وقال العراقي: هذا الحديث لم أجد له أصلاً اهـ.

قلـت: قال ابن بطال، قال أبو عاصم: حدثنا ابن جريج، عن عطاء عن عبيد بن عمير قال: كانت لداود عليه السلام معزفة يتغني عليها ويبكي ويبكي. قال: وقال ابن عباس: إن داود عليه السلام كان يقرأ الزبور بسبعين لحناً يلون فيهن ويقرأ قراءة يطرب منها المحموم، فإذا أراد أن يبكي نفسه لم تبق دابة بر أو بحر إلا انصتن ويستمعن ويبكين.

(**وقال ﷺ في مدح أبي موسى الأشعري**) رضي الله عنه (**«لقد أعطي مزماراً من مزامير آل داود»**) أخرجه الشيخان. وقد تقدم في كتاب تلاوة القرآن. وثبت أيضاً أن معاذ بن جبل قال لرسول الله ﷺ: لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرته تحبيراً. ومن ذلك أن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قرأ فرجع، وقرأ أبو إياس وقال: لولا أني أخشى أن يجتمع عليَّ الناس لقرأت بذلك اللحن الذي قرأ به رسول الله ﷺ، وهو في الصحيحين من رواية شعبة.

(**وقال الله تعالى: ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ دل بمفهومه على مدح الصوت**

١٩] يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن، ولو جاز أو يقال إنما أبيح ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزمه أن يحرم سماع صوت العندليب لأنه ليس من القرآن، وإذا جاز سماع صوت غفل لا معنى له، فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة؟ وإن من الشعر لحكمة فهذا نظر في الصوت من حيث انه طيب حسن.

الدرجة الثانية: النظر في الصوت الطيب الموزون، فإن الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن وكم من صوت موزون غير مستطاب. والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة: فإنها إما أن تخرج من جماد كصوت المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيره، وإما أن تخرج من حنجرة حيوان؛ وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت العنادل والقماري وذوات السجع من الطيور، فهي مع طيبها موزونة متناسبة المطالع والمقاطع فلذلك يستلذ سماعها. والأصل في الأصوات حناجر الحيوانات، وإنما وضعت المزامير على أصوات الحناجر وهو تشبيه للصنعة بالخلقة. وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال في الخلقة التي استأثر الله تعالى باختراعها؛ فمنه تعلم الصناع وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك يطول. فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة فلا ذاهب إلى تحريم صوت

الحسن) فإنه في مقابلته. (**ولو جاز أن يقال: إنما أبيح ذلك بشرط أن يكون في القرآن)** خاصة (**للزمه أن يحرم صوت البلبل لأنه ليس يقرأ القرآن وإذا جاز السماع لصوت غفل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة والمعاني الصحيحة؟ و)** في الخبر: (**«إن من الشعر لحكمة»)** أخرجه البخاري من حديث أبيّ بن كعب وسيأتي قريباً.

(**الدرجة الثانية: النظر في الصوت الطيب الموزون، فإن الوزن وراء الحسن فكم من صوت حسن خارج عن الوزن، وكم من صوت موزون غير مستطاب. والأصوات الموزونة باعتبار مخارجها ثلاثة بالاستقراء: فإنها)** لا تخلو (**إما أن تكون من جماد)** لا روح له (**كصوت المزامير والأوتار وضرب القضيب والطبل وغيره، وإما أن تخرج من حنجرة حيوان، وذلك الحيوان إما إنسان وإما غيره فصوت العنادل)** جمع عندليب (**والقماري)** جمع قمري، (**وذوات السجع من الطيور مع طيبها)** في نفسها (**موزونة متناسبة المطالع والمقاطع، فلذلك يستلذ سماعها والأصل في الأصوات حناجر الحيوانات وإنما وضعت المزامير على صوت)** وفي نسخة على صور (**الحناجر وهي تشبيه للصنعة بالخلقة، وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال في الخلقة التي استأثر الله تعالى باختراعه منه تعلم الصناع، وبه قصدوا الاقتداء وشرح ذلك يطول)** ليس هذا محل تفصيله، (**فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة، فلا ذاهب إلى تحريم صوت العندليب**

العندليب وسائر الطيور. ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان، فينبغي أن يقاس على صوت العندليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الآدمي كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره.

ولا يستثنى من هذه إلا الملاهي والأوتار والمزامير التي ورد الشرع بالمنع منها. لا للذتها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الإنسان. ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس بها المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدنان فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهي الأوتار والمزامير فقط، وكان تحريمها

وسائر الطيور) ذوات السجع، **(ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ولا بين جماد وحيوان، فينبغي أن يقاس على صوت العندليب الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باختيار الآدمي كالذي يخرج من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره.**

ولا يستثنى عن هذه إلا الملاهي والأوتار والمزامير إذ ورد الشرع بالمنع عنها) في أخبار كثيرة.

منها عند البخاري من حديث أبي عامر، أو أبي مالك الأشعري «ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والمعازف» صورته عند البخاري صورة التعليق، ولذلك ضعفه ابن حزم ووصله أبو داود الإسماعيلي. والمعازف: الملاهي قاله الجوهري، ولأحمد من حديث أبي أمامة «إن الله أمرني أن أمحق المزامير والكبارات» يعني البرابط. والمعازف، وله من حديث قيس بن سعد «إن ربي حرم عليّ الخمر والكوبة والقنين» وله في حديث لأبي امامة باستحلالهم الخمور وضربهم بالدفوف، وكلها ضعيفة، ولأبي الشيخ من حديث مكحول مرسلاً الاستماع إلى الملاهي معصية الحديث، ولابي داود من حديث ابن عمر سمع مزماراً فوضع أصبعيه على أذنيه. قال أبو داود: هو منكر هكذا ساق العراقي هذه الأخبار باختصار. وسيأتي ذكر بعضها عند الكلام في الجواب عن أدلة المحرمين ولا عبرة بتضعيف ابن حزم بعد أو وصله أبو داود الإسماعيلي وكذا البيهقي والبخاري إذا علق شيئاً بصيغة الجزم يحتج به، ثم أن البخاري علقه عن هشام بن عمار وقد لقيه فيحمل على السماع فالحكم حينئذ للوصل كما هو معروف في موضعه.

(لا للذتها إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الإنسان، ولكن حرمت الخمور واقتضت ضراوة الناس لها) أي الاعتياد لها والاجتراء عليها **(المبالغة في الفطام عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدنان)** جمع دن، وهو الذي كان تعمل فيه الخمور ومنه قول الشاعر:

فصلى على دنها وارتسم

(فحرم معها ما هو شعار أهل الشرب وهي الاوتار والمزامير فقط، وكان تحريمها من

من قبل الاتباع كما حرمت الخلوة بالأجنبية لأنها مقدمة الجماع، وحرم النظر إلى الفخذ لاتصاله بالسوأتين، وحرم قليل الخمر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو إلى السكر، وما من حرام إلا وله حريم يطيف به، وحكم الحرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له وحظاراً مانعاً حوله، كما قال ﷺ: «إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه» فهي محرمة تبعاً لتحريم الخمر لثلاث علل.

احداها: أنها تدعو إلى شرب الخمر فإن اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالخمر، ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر.

الثانية: أنها في حق قريب العهد بشرب الخمر تذكر مجالس الانس بالشرب فهي سبب الذكر، والذكر سبب انبعاث الشوق، وانبعاث الشوق إذا قوي فهو سبب الإقدام. ولهذه العلة «نهي عن الانتباذ في المزفت والحنتم والنقير» وهي الأواني التي

قبل الاتباع) أي لكونها من شعار أهل الشرب، **(كما حرمت الخلوة)** بالأجنبية **(لأنها مقدمة الجماع)** ففي الخبر ولا يخلون أحد بالاجنبية ولو اقرأها القرآن، **(وحرم النظر إلى الفخذ)** في حديث محمد بن جحش: غط فخذك فإنها عورة، **(لاتصاله بالسوأتين، وحرم قليل الخمر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو إلى السكر)** كما في حديث ابن عباس «حرمت الخمر لعينها قليلها وكثيرها». **(وما من حرام إلا وله حريم يطيف به)** أي يدور به، **(وحكم الحرمة ينسحب)** أي يعم **(على جميع حريمه ليكون حمى الحرام وقاية له)** وحفظاً **(وحظاراً مانعاً حوله كما قال ﷺ:)** «ألاو **(أن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه»)** تقدم في كتاب الحلال والحرام **(فهي محرمة تابعة لتحريم الخمر بثلاث علل)**.

(إحداها: أنها تدعو إلى شرب الخمر، فإن اللذة الحاصلة بها إنما تتم بالخمر ولمثل هذه العلة حرم قليل الخمر) وإن لم يسكر.

(العلة الثانية انها في قريب عهد بشرب الخمر تذكر مجالس الانس بالشرب، فهي سبب الذكر والذكر سبب انبعاث الشوق وانبعاث الشوق إذا قوي فهو سبب الإقدام) على الشرب، وأجاب المبيحون بأن قولكم أنها في قريب العهد تذكر مجالس الشرب، فذلك إنما يقتضي المنع في حق من هذا حاله، فأما من ليس كذلك أو كانت قد مضت مدة وحسنت توبته واستمر على الخير لم تشمله العلة المذكورة، **(ولهذه العلة «نهي عن الانتباذ في المزفت)** هو الإناء المطلي بالزفت **(والحنتم)** والنقير» **(وهي الأواني التي كانت مخصوصة بها بهيئاتها)** أخرج البخاري من حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس وفيه: «فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع الحنتم والدباء والمزفت والنقير» وربما قال: المقير. قال أبو هريرة: الحنتم هي الجرار الخضر. وقال ابن عمر: هي الجرار كلها وقال أنس جرار يؤتى بها من مصر مقيرات الأجواف. وقالت

كانت مخصوصة بها، فمعنى هذا أن مشاهدة صورتها تذكرها وهذه العلة تفارق الأولى إذ ليس فيها اعتبار لذة في الذكر إذ لا لذة في رؤية القنينة وأواني الشرب لكن من حيث التذكر بها. فإن كان السماع يذكر الشرب تذكيراً يشوق إلى الخمر عند من ألف ذلك مع الشرب فهو منهي عن السماع لخصوص هذه العلة فيه.

الثالثة: الاجتماع عليها، لما أن صار من عادة أهل الفسق فيمنع من التشبه بهم، لأن من تشبه بقوم فهو منهم. وبهذه العلة نقول بترك السنّة مهما صارت شعاراً لأهل البدعة

عائشة: جرار حمر أعناقها في جنوبها يجلب فيها الخمر من مصر. وقال ابن أبي ليلى: أفواهها في جنوبها يجلب فيها الخمر من الطائف، وكان ناس ينتبذون فيها. وقال عطاء جرار يعمل من طين ودم وشعر، وفي المحكم جرار خضر تضرب إلى المحمرة، وفي مجمع الغرائب حمر. وقال الطبرزدي، قال بعض أهل العلم: إنما الحنتم ما طلي من الفخار بالحنتم المعمول بالزجاج وغيره وفيه النهي عن الانتباذ في هذه الأواني، وهي ان تجعل في الماء شيئاً من تمر أو زبيب ليحلو ويشرب لأنه يسرع فيه الإسكار فيصير حراماً، ثم أن هذا النهي كان في أوّل الإسلام ثم نسخ ففي صحيح مسلم من حديث بريدة «كنت نهيتكم عن الانتباذ إلا في الأسقية فانتبذوا في كل وعاء ولا تشربوا مسكراً» وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي والجمهور، وذهب طائفة إلى أن النهي باق منهم مالك وأحمد وإسحاق حكاه الخطابي عنهم.

(**فمعنى هذا أن مشاهدة صورتها تذكرها وهذه العلة تفارق الأولى إذ ليس فيها اعتبار لذة في الذكر إذ لا لذة في رؤية القنينة**) وهي الزجاجة التي يشرب فيها المسكر (**و**) سائر (**أواني الشرب لكن من حيث التذكير بها، فإن كان السماع يذكر الشرب تذكيراً يشوّق إلى الخمر عند من ألف ذلك مع الشرب، فهو منهي عن السماع لخصوص هذه العلة فيه**).

(**العلة الثالثة: الاجتماع عليها لما أن صار من عادة أهل الفسق**) والفجور (**فيمنع التشبه بهم لأن من تشبه بقوم فهو منهم**) رواه أحمد وأبو داود والطبراني في الكبير من حديث أبي منيب الجرشي، عن ابن عمر به مرفوعاً بسند فيه ضعف، ويروى عن الحسن قال: قلّما تشبه رجل بقوم إلا كان منهم. (**وبهذه العلة نقول بترك السنّة مهما صارت شعاراً لأهل البدعة خوفاً من التشبه بهم**) وقد نقل الرافعي عن بعض أئمة الشافعية أنه كان يقول: الأولى ترك رفع اليدين في الصلاة في ديارنا يعني ديار العجم قال: لأنه صار شعاراً للرافضة وله أمثلة كثيرة، لكن قد يقال ليس كل شيء يفعله الفساق يحرم فعله على غيرهم، ولو كان هذا معتبراً لكن الضرب بالدفوف والشبابة حراماً، ولكان يحرم اتخاذ الظروف المستعملة غالباً في الخمر كالقناني والأقداح المزورقة فإنها الآن كذلك حتى لو امتنع أو عدم الخمر لنقص ثمنها، ولكان أيضاً يحرم بقاء شجر العنب

خوفاً من التشبه بهم. وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة ـ وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين ـ وضربها عادة المخنثين ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو، وبهذه العلة نقول: لو اجتمع جماعة وزينوا مجلساً وأحضروا آلات الشرب

فإنه أصل لذلك، وكذلك الرياحين فإن استعمالها للشراب ولا تكاد تفارق الفاكهة مجلس الشرب خصوصاً الورد فإن الشّراب ينتظرون وروده ويتألمون إذا جاء في شهر الصوم كما قال بعضهم متألماً من ذلك:

وما عذب الله العصاة بمثل ما ... أدابل ورد في أواخر شعبان

فلما لم يحرم شيء من ذلك علمنا أن هذه العلة غير معتبرة فتأمل، **(وبهذه العلة يحرم ضرب الكوبة)** بالضم **(وهو طبل مستطيل رقيق الوسط واسع الطرفين)** معرب، **(وضربها عادة المخنثين)** في ذلك الوقت **(ولولا ما فيه من التشبه لكان مثل طبل الحجيج والغزو)**.

اعلم أن الكوبة هي طبل مخصر مغلوف الطرفين بجلد، فالذي صرح به الشافعية أن الضرب به حرام وتوقف أمام الحرمين فيه فقال: إن صح حديث عملنا به. قال: والقاضي لم يتعرض لها، ولو رددناه إلى المعنى فهو في معنى الدف ولست أرى فيها ما يقتضي التحريم إلا أن المخنثين يعتادون الضرب بها ويتولعون بها. قال: والذي يقتضيه الرأي أن ما يصار منه ألحان مستلذة يهيج الإنسان ويستحثه على الشرب ومجالسه أهله فهو المحرم وما ليس كذلك، وإنما ينتحي لإيقاعات قد تطرب وإن كانت لا تلذ فجميعها في معنى الدف، والكوبة في هذا المعنى كالدف فإن صح فيها تحريم حرمنا وإلا توقفنا. وقال شارح المقنع من الحنابلة إن أحمد قال: أكره الطبل وهو الكوبة، وقد أخرج أبو داود من حديث ابن عمر مرفوعاً « نهى عن الخمر والميسر والكوبة والغبيراء » ومن حديث ابن عباس « إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة » وقال « كل مسكر حرام » وقد أجاب المبيحون عن هذه العلة المذكورة بأنا لا نسلم أنها شعار المخنثين فإن يكن في بعض الأقاليم فيختص به، ولا نسلم أن كل شيء يفعله المخنثون يكون حراماً، ولو كان ذلك كذلك لحرم على الرجال غسل الثياب حرفة فإن المخنثين اعتادوه، وأكثرهم غسالون وإنما يمنع التشبه بهم في الأفعال المخصوصة لهم إن سلم أيضاً، وإلا فلا. ويقولون أيضاً: ان الكوبة لم يتحقق موضوعها في اللغة ففي الفائق للزمخشري الكوبة: النرد، وقيل: الطبل، وفي المجمل لابن فارس الكوبة الطبل على ما قيل، ويقال النرد. وفي المصباح الكوبة النرد بلغة أهل اليمن عن أبي عبيدة، وحكاه البيهقي عنه أيضاً. وقال ابن الاعرابي: الكوبة النرد، ويقال الطبل، ويقال البربط، وهذا أظهر. وقال الخطابي: غلط من قال الكوبة الطبل، بل هي النرد فلما اختلف أهل اللغة فيها سقط الاحتجاج بتلك الأحاديث التي فيها ذكر الكوبة بالمعنى الذي ذكروه.

(ولهذا العلة نقول: لو اجتمع جماعة) في موضع **(وزينوا مجلساً)** بالفرش الفاخرة والتعليقات المثمنة من الثياب وغيرها **(وأحضروا)** ما بينهم **(آلات الشرب وأقداحه، وصبوا**

وأقداحه، وصبوا فيها السكنجبين، ونصبوا ساقياً يدور عليهم ويسقيهم، فيأخذون من الساقي ويشربون ويحيي بعضهم بعضاً بكلماتهم المعتادة بينهم حرم ذلك عليهم، وإن كان المشروب مباحاً في نفسه، لأن في هذا تشبهاً بأهل الفساد، بل لهذا ينهي عن لبس القباء وعن ترك الشعر على الرأس قزعاً في بلاد صار القباء فيها من لباس أهل الفساد، ولا ينهى عن ذلك فيما وراء النهار لاعتياد أهل الصلاح ذلك فيهم. فبهذه المعاني حرم المزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط وغيرها. وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب، وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوق إليها ولا يوجب التشبه بأربابها فلم يكن في معناها. فبقي على أصل الإباحة قياساً على أصوات الطيور وغيرها، بل أقول سماع

فيها السكنجبين) المعمول بالخل والعسل أو صبوا فيها اللبن الممزوج بالسكر، **(ونصبوا ساقياً يدور عليهم)** بتلك الأقداح **(ويسقيهم، فيأخذون من الساقي ويشربون ويحيي بعضهم بعضاً بكلماتهم المعتادة. بينهم حرم ذلك عليهم، وإن كان المشروب مباحاً)** في ذاته طيباً صرح به فقهاء المذاهب الأربعة. وقالوا: **(لأن في هذا تشبهاً بأهل الفساد)** ومن تشبه بقوم فهو منهم، **(بل لهذا ينهي عن لبس القباء)** وهي الفرجية المشقوقة من قدّام، **(و)** عن **(ترك الشعر على الرأس قزعاً)** وهو حلق بعض الرأس دون بعض. وفي الخبر «نهى عن القزع» ومعناه بما ذكر. **(في بلاد صار القباء من لباس أهل الفساد فيها)** وترك شعر الرأس من شعار الزنادقة، **(ولا ينهي عن ذلك في)** بلاد **(ما وراء النهر)** المراد به ما وراء نهر جيحون وهي بلاد الأزبك **(لاعتياد أهل الصلاح ذلك فيهم)**، فلا ينكر ذلك عندهم أي لبس القباء. وأما ترك شعر الرأس ففي الأول كان شعار الصوفية فإن كان ذلك معتاداً عند قوم في بلاد فلا بأس بذلك. **(فبهذه المعاني يحرم المزمار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبربط)** وفي سياق المصنف دلالة على أن البربط غير العود، والمشهور بين أهل الضرب خلافه، فقد ذكروا أن من أسماء العود البربط والمزهر والكراز والموتر والعرطبة والكبارة والقنين. قيل: والطنبور أيضاً، والصحيح أنه غير العود. **(وغيرها)** كالسنطير والقانون والكمنجة، **(وما عدا ذلك فليس في معناها كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقضيب، وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب، لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ولا يذكر بها ولا يشوّق إليها ولا يوجد التشبه بأربابها فلم يكن في معناها فبقي على أصل الإباحة قياساً على أصوات الطيور وغيرها)**.

وقد نقضه أبو العباس القرطبي في كشف القناع فقال: الجواب عن هذا منع الحكم في الأصل وبيانه: أنا لا نسلم الإجماع على إباحة سماع الطيور المطربة والمدعي مدفوع إلى اثبات نقله، ولئن

....

سلمناه لكن لا نسلم مساواة الفرع للأصل في الجامع، وبيانه: أن أصوات الغناء المطربة تنشأ عنه تلك المفاسد التي ذكرت وليس شيء من تلك المفاسد التي ذكرت في أصوات الطيور، فإنا لا نعلل تحريم الغناء بمجرد الاستطابة بل بالتطريب الذي تنشأ عنه تلك المفاسد، سلمناه لكن ينتقض باصوات المزامير والأوتار، فإنها مطربة. وقد حكى إجماع أهل العصر المتقدم على تحريمها. لا يقال هذا لا يرد فإنا قد تحرزنا عنه بقولنا خارجه باختيار، لأنا نقول: هو وارد لأنا نقول بموجبه في المزامير والأوتار، فإنها خارجة من الآلة باختيار النافخ والضارب. سلمناه لكنه تحرز بوصف طردي لا مناسبة فيه، وذلك أنه إذا حصل الإطراب المفضي إلى تلك المفاسد حكم بالتحريم مطلقاً لوجود المقتضي للتحريم، ولا فرق بين أن يخرج من جماد أو حيوان فقد صح بطلان القياس والله الموفق اهـ.

قلت: وأصل هذا الكلام في النقض على المصنف من ابن الجوزي وقد تبعه القرطبي على بعض كلامه بما ملخصه ان المفردات قد تباح ولا تباح المركبات. قال ابن الجوزي: قد نزل الغزالي عن مرتبته في الفهم إلى أن قضى لإباحة المركبات لإباحة المفردات ورد عليه بأن الهيئة الاجتماعية لها زيادة تأثير. هذا معنى ما قاله. قال: فإن العود بمفرده لو ضرب به بغير وتر لم يحرم، والوتر ضرب به بمفرده لم يحرم، وعند اجتماعها يحرم الضرب بها، وكذلك ماء العنب لم يحرم شربه فإذا حدثت فيه شدة مطربة حرم، فكذلك ههنا فإن المجموع يحدث طربا يخرج عن الاعتدال قال القرطبي: وما ذكره الغزالي منتقض بالعود، فإن ما ذكره موجود فيه والضرب به حرام. قال صاحب الامتاع: وليس العجب إلا منهما فإن الغزالي لم يقل أن كل شيء يجوز منفرداً يجوز مع الاجتماع، وإنما قال: هذا في المقام الخاص لما ذكره من الأدلة على جواز كل فرد، والهيئة الاجتماعية لم يحصل منها ما يقتضي الدليل على تحريمه، فإنه إنما يحدث فيه زيادة اطراب وزيادة الإطراب لم يدل الدليل على تحريمها، بل فيه ما يدل على الجواز، وقد قال معاوية بحضرة عبد الله بن جعفر، وعمرو بن العاص: الكريم طروب فأتى بصيغة مبالغة، وبعد أن ورد الشرع ولم يحرم شيئاً فالأصل فيه الإباحة فيبقى على الأصل إلا بدليل، وقد قال تعالى: ﴿وقد فصل لكم ما حرم عليكم﴾ [الأنعام: ١١٩] وقال تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش﴾ [الأعراف: ٣٣] الآية. وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده ما تركت عملاً يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار إلا ذكرته لكم» الحديث. فقد دلت الأدلة على أن المحرم بين وفصل فحيث لم نجد دليلاً على شيء قلنا أنه ليس بحرام، والغناء كان موجوداً قديماً، فلو حرم لبين وفصل كما بين الشارع تحريم غيره وهذه طريقة ذكرها جماعة من العلماء. وأما القياس فشرطه مساواة الفرع للأصل أو الزيادة، وما ذكروه ليس بساوٍ أما العنب فليس فيه عند الانفراد إسكار البتة وعند حدوث الشدة فيه يحدث السكر بخلاف الغناء فإن في المفردات طرباً، وعند الاجتماع زيادة طرب، وكذلك العود بمفرده، والوتر بمفرده فلا يصح القياس، ثم إنا نقول: لولا النص على التحريم عند الهيئة الاجتماعية لم يقل بالتحريم بمجرد مناسبة، وليس ثم دليل على تحريم مجموع مفردات الغناء، والقياس إباحة المركب مما كانت مفرداته مباحة ما

الأوتار ممن يضربها على غير وزن متناسب مستلذ حرام أيضاً، وبهذا يتبين أنه ليست العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة، بل القياس تحليل الطيبات كلها إلا ما في تحليله فساد. قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ التي أَخرَجَ لعبادِهِ والطيِّبات من الرزق﴾ [الاعراف: ٣٢] فهذه الأصوات لا تحرم من حيث أنها أصوات موزونة وإنما تحرم بعارض آخر. كما سيأتي في العوارض المحرمة.

الدرجة الثالثة: الموزون والمفهوم، وهو الشعر وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان فيقطع بإباحة ذلك لأنه ما زاد إلاَّ كونه مفهوماً، والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام، فإذا لم يحرم الآحاد فمن أين يحرم المجموع؟ نعم

لم يدل دليل ونحن نطالب بالدليل، وأما ما قاله القرطبي أنه ينتقض فعجب منه كيف ينتقض، والغزالي يقول: والقياس تحليل العود وسائر الملاهي ولكن ورد ما يقتضي التحريم، فورد في الكوبة ونحوها أخبار أوردت، فهي المعتمد في التحريم، وفي الأوتار والمزمار جعل العلة كونها شعاراً للشاربين، فالعلة وإن وجدت لكنها تختلف لمعان، والصحيح أن ذلك لا يقدح به، وقد قال إمام الحرمين في بعض الآلات، القياس إباحتها. قال: فإن صح الخبر قلنا به وإلا توقفنا، وما قاله القرطبي أو الغزالي يحتاج إلى إثبات إن سماع الطيور المطربة جائز؟ قال: ولا نسلم الإجماع عليه، فالموجود في كتب كثير من أصحاب المذاهب ما هو صريح في الجواز ما يدل عليه، وقد جوز الشافعية والحنابلة الاستئجار للإستئناس بأصوات الطيور المسموعة، فإن نازع أحد في جواز سماعها فهو سفسطة لا يقوم عليه دليل، بل هو بعيد عن القواعد وما كل قول يعتد به، ولا كل رأي يعتمد عليه، والوقوف مع من لم تثبت عصمته في جميع ما قاله يفضي إلى الوقوع في المهالك، وكل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر قاله الإمام مالك والله أعلم.

(بل أقول: سماع الأوتار ممن يضربها على غير موزون متناسب مستلذ حرام أيضاً وبهذا يتبين أنه ليس العلة في تحريمها بمجرد اللذة الطيبة، بل القياس تحليل الطيبات كلها إلا ما في تحليله فساد) يعرض. **(قال الله تعالى)** في كتابه العزيز: **(﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾)** والطيبات: جمع محلى بالألف واللام، فيشمل كل طيب يطلق بإزاء معان ثلاث المستلذ وهو الأكثر. وبإزاء الطاهر الحلال وصيغة العموم كلية تتناول كل فرد من أفراد العموم ويتعلق الحكم بهن، **(فهذه الأصوات لا تحرم من حيث أنها أصوات موزونة إنما تحرم بعارض آخر كما سيأتي بيان العوارض المحرمة)** قريباً.

(الدرجة الثالثة: الموزون والمفهوم) معناه **(وهو الشعر وذلك لا يخرج إلا من حنجرة الإنسان فيقطع بإباحة ذلك لأنه ما زاد إلا كونه مفهوماً، والكلام المفهوم غير حرام والصوت الطيب الموزون غير حرام، فإذا لم يحرم الآحاد فمن اين يحرم المجموع؟ نعم**

ينظر فيما يفهم منه فإن كان فيه أمر محظور حرم نثره ونظمه وحرم النطق به سواء كان

ينظر فيما يفهم منه فإن كان فيه أمر محظور حرم نثره ونظمه وحرم النطق به) كأن يكون فيه هجو، أو تشبيب بامراة معينة أو كذب، أو وصف الخدود والقدود والأصداغ ونحوها أو ذكر الأمرد.

القيد الأول: أن لا يكون في هجو والهجو على قسمين: هجو الكفار وهجو المسلمين. أما هجو الكفار فضربان.

أحدهما: أن يكون بصيغة عامة فيجوز ولا يتجه فيه خلاف كما يجوز لعنهم على العموم.

الثاني: أن يكون في معين فذلك المعين إما أن يكون حربياً أو ذمياً، فالأول جائز فإن دمه وماله وعرضه كل ذلك مباح. الثاني: موضع نظر، والمتجه المنع كغيبته والنظم كالنثر والنظم أولى بالمنع فإنه يحفظ وقد يسلم الذي هجا. وصاحب الشافـي والمصنف وغيرهما أطلقوا الجواز وهو محمول على غير المعين من أهل الذمة، فإن الذي محقون الدم والمال وكذلك العرض، وأما هجو المشركين غير أهل الذمة فجائز، وأما هجو المسلم فإما. أن يكون فاسقاً متجاهراً بالفسق أولاً. فإن كان متجاهراً فينبغي أن يجوز كما نجوز غيبته، وما جاز في النثر جاز في النظم ونقل ابن العربي الإجماع على لعن العاصي على العموم، وهل يلحق التعريض بالتصريح؟ فالذي يجري على قياس قواعد المالكية إلحاقه، وعند الشافعية نزاع فيه، والمنقول عن القاضي ابن كج أن التعريض ليس بهجو. وقال الرافعي: يشبه أن يكون هجواً. والذي قاله ابن كج أقيس فإنهم لم يجعلوا التعريض في باب القذف ملحقاً بالكناية، فكيف يلحق بالتصريح، ومن حيث المعنى المحذور الذي في الصريح ليس في التعريض فإن الصريح يفهمه كل أحد، وينقله ويعرف المقصود به وليس كذلك التعريض.

القيد الثاني: التشبيب بامرأة معينة. فالمعينة إما أن تكون أجنبية أو غير أجنبية كزوجته وأمته. فإن كانت أجنبية فشبب بها ووصف اعضاءها الباطنة ونحوها لم يجز، وفي النهاية في شرح الهداية من كتب الحنفية أن الشعر إذا كان فيه صفة امرأة معينة وهي حية كره، وإن كانت ميتة لم يكره وإن كانت مرسلة لم يكره اهـ.

وأما غير الأجنبية، ففيه خلاف في المذهب وإيراد الرافعي يقتضي عدم الجواز. وقال الروياني في البحر: يجوز أن يشبب بزوجته وأمته ولا ترد شهادته قاله عامة الأصحاب، وسيأتي لذلك بقية في أثناء سياق المصنف.

القيد الثالث: الكذب فإذا كذب الشاعر في شعره إما أن يكون يمكن حمله على نوع من المبالغة أولا. فإن أمكن جاز والصحيح أن المبالغة إذا أفضت إلى خروج الشيء عن حد الإمكان إلى حد الاستحالة ونحو ذلك فالترك أفضل، وإلا فالمبالغة أفضل. وأما إذا لم يمكن حمله على نوع من المبالغة فنقل الرافعي عن جهور الشافعية أنه حرام وادعى أنه الأصح، وأنه ظاهر المعنى كسائر

بألحان أو لم يكن، والحق فيه ما قاله الشافعي رحمه الله تعالى إذ قال: الشعر كلام فحسنه

أنواع الكذب، ونقل عن القفال وأبي بكر الصيدلاني أنه لا يلحق بالكذب لأن الكاذب يوهم أن الكذب صدق، والشاعر بخلافه فإنه إنما يقصد تحسين الصفة والكلام لا يحقق المذكور، قال الرافعي بعد سياقه: وهذا حسن بالغ، وقد قيل أكذبه أعذبه قال: فلا فرق بين قليله وكثيره.

القيد الرابع: ذكر الخدود والأصداغ والقدود ونحو ذلك، فإذا ذكر في شعره شيئاً من ذلك ففيه خلاف. ادعى المصنف أنه لا يحرم بشرط أن لا يكون في معين، وكلام الرافعي في كتاب السير يقتضي أنه مكروه، وكلام الحنابلة يقتضي عدم جواز ذلك، وصرح به صاحب المستوعب منهم، وفي فتاوي الصدر الشهيد من الحنفية أن الشعر الذي فيه ذكر الخمر والفسق وذكر الغلام يكره، وكذا في فتاوى قاضي خان.

القيد الخامس: أن لا يكون التشبيب بالمرد فإن كان في معين فالذي نقله الرافعي أنه حرام، فإن كان في غير معين فشبب به وذكر محبته له. فقال الروياني في البحر: حرام يفسق به، وقال البغوي وغيره: لا يحرم، وهذا هو الذي يترجح ويحمل على محل صحيح، وقال الرافعي على قياس ما ذكره القفال والصيدلاني في مسألة الكذب أن يكون التشبيب بالنساء والغلمان بغير تعيين لا يخل بالعدالة إذ غرض الشاعر تحسين الكلام لا تحقيقه، وهذا الذي بحثه هو المتجه.

(والحق فيه ما قال الشافعي) رضي الله عنه **(إذ قال: الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح)**. وقد روي ذلك أيضاً عن ابن سيرين وعن الشعبي كما نقله ابن عبد البر قال: وليس أحد من أهل العلم ينكر الحسن من الشعر، وذلك ما كان حكمة أو مباحاً من القول وهو كالكلام يوجد منه على ما يوجد منه ويكره منه ما يكره منه، وليس أحد من الصحابة إلا وقد قال الشعر أو تمثل به أو سمعه فرضيه ولولا ذلك ما كان مباحاً اهـ.

وقد أخرج البيهقي في السنن هذا حديثاً مرفوعاً من عدة طرق، والصحيح أنه مرسل، وأخرجه أبو يعلى الموصلي من حديث عائشة قالت: سئل رسول الله ﷺ عن الشعر فقال: «الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح» وإسناده جيد.

وأخرج البخاري في الأدب المفرد، والطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً: «الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام».

وحكى الماوردي في الحاوي، والروياني في البحر: أن الشعر ينقسم إلى محرم ومباح ومستحب، وأن المستحب على قسمين الأول ما حذر من الأخرة، والثاني ما حث على مكارم الأخلاق. ومن المستحب مدح الأنبياء عليهم السلام والصحابة وأهل التقوى وأمثال ذلك، ولا يخفى القسمان الأخيران. وقال أبو محمد بن حزم في رسالته في مراتب العلوم أنه إذا عاني الإنسان الشعر فليكن فيه الحكم والخير. قال: وينبغي أن يجتنب من الشعر أربعة أضرب.

حسن وقبيحه قبيح. ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت وألحان جاز إنشاده مع الألحان، فإن أفراد المباحات إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحاً. ومهما انضم مباح إلى مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظوراً لا تتضمنه الآحاد. ولا محظور ههنا وكيف ينكر

أحدها: الاغزال فإنها نعم العون على عدم الصيانة، وتدعو إلى الفتن وتصرف النفس إلى الخلاعة.

الثاني: الأشعار المقولة في الحروب فإنها تهيج الطبع وتسهل على المرء موارد التلف.

الثالث: أشعار التغرب وصفات المفاوز والبيد فإنها تسهل التغرب والتحوّل.

الرابع: الهجاء وصنفان من الشعر لا ينهى عنهما نهياً تاماً ولا يحض عليهما، بل هما عندنا من المباح المكروه وهما المدح والثناء اهـ.

وهذا الذي قاله أبو محمد مردود لما سيأتي في سياق المصنف.

(ومهما جاز إنشاد الشعر بغير صوت والحان جاز مع الالحان فإن إفراد المباحات إذا اجتمعت كان ذلك المجموع مباحاً، ومهما انضم مباح إلى مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظوراً لا تتضمنه الآحاد ولا محظور هنا). وقد ادعى ابن عبد البر وغيره الإجماع على جوازه، **(وكيف ينكر إنشاد الشعر، وقد انشد بين يدي رسول الله ﷺ)** واستنشده أكثر من أن يحفظ، فمن ذلك في المتفق عليه من حديث أبي هريرة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ بحسان بن ثابت وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه فقال: قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك الحديث. ولمسلم من حديث عائشة انشاد حسان قصيدته المشهورة التي فيها:

هجـوت محمداً فـأجبـت عنـه ... وعنـد الله في ذاك الجزاءُ
أتهجـوه ولسـت لـه بكـفء ... فشركما لخيـركما الفـداءُ
فـإن أبي ووالده وعـرضي ... لعـرض محمد منكـم فـداءُ

وأنشد حسان أيضاً:

وإن سنـام المجـد مـن آل هـاشم ... بنـو بنـت مخزوم ووالدك العبـدُ

وللبخاري انشاد ابن رواحة:

وفينـا رسـول الله يتلـو كتـابـه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطـعُ

وأخرج البيهقي في الدلائل أن العباس رضي الله عنه قال: يا رسول الله إني أريد ان أمدحك. فقال: «قل لا يفضض الله فاك» فأنشدته:

مـن قبلهـا طبـت في الظلال وفي ... مستـودع حيـث يخصـف الورقُ
ثم هبطـت البلاد لا بشر ... أنـت ولا نطفـة ولا علـقُ
بـل نطفـة تـركـب السفين وقـد ... ألجم نسراً وأهلـه الغـرقُ

إنشاد الشعر وقد أنشد بين يدي رسول الله ﷺ؟ وقال عليه الصلاة والسلام: « إن من الشعر لحكمة » وأنشدت عائشة رضي الله عنها:

ذهبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيت في خلف كـجُلْدِ الأجْربِ

تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبقُ

وقال البيهقي أبو عبد الله الحافظ: اخبرنا عبد الرحمن بن الحسن بهمدان، حدثنا إبراهيم بن الحسن، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثني محمد بن فليح عن موسى بن عقبة قال: انشد النبي ﷺ « بانت سعاد » في المسجد بالمدينة فلما بلغ قوله:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلولُ
في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا

أشار رسول الله ﷺ بكمه إلى الخلق ليأتوا فيستمعوا منه. **(وقال ﷺ « إن من لشعر لحكمة »)** رواه البخاري من حديث أبي بن كعب، والترمذي من حديث ابن عباس وقال: حسن صحيح وقد تقدم في كتاب العلم، **(وانشدت عائشة رضي الله عنها)** بيت لبيد بن ربيعة رضي الله عنه:

(ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب)

قلت: وهو مسلسل. قال الحافظ بن ناصر الدمشقي في نفحات الأخيار من مسلسلات الأخبار: أخبرنا أبو العباس أحمد بن حجر بن موسى بن أحمد بن الحسباني بقراءتي عليه بظاهر دمشق سنة ٨٣٠، أخبر أبو عمرو وعثمان بن يوسف بن القواس قراءة عليه وأنت تسمع فأقرّ به، أخبرنا أبو حفص عمر بن عبد المنعم الطائي، أخبرنا عبد الواحد بن عبد الرحمن بن سلطان، وأبو نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازي قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن مهدي، أخبرنا أبو طاهر محمد ابن الحسين بن محمد الحنائي في سنة ٥٠٢، أخبرنا أبو الفرج محمد بن عبد الرحمن الدارمي البغدادي في سنة ٤٦٩.

وأخبرنا يوسف بن عثمان العوفي في قراءة عليه، وأنا أستمع، أنبأنا ابن أحمد بن إبراهيم بن محمد ابن إبراهيم الطبري، أخبرنا علي بن هبة الله بن الجميزي سماعاً عليه في سنة ٤٥٤، أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفي، أخبر أبو الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي بغداد في سنة ٤٣٣، أخبرنا أبو الفتح عبد الكريم بن محمد بن أحمد المحاملي قال: هو والدارمي واللفظ له، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان البزار ببغداد، حدثنا أبو بكر بن محمد بن إسماعيل الليثي، حدثنا يعيش بن الجهم عن أبي ضمرة، عن هشام بن عروة، وعن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تتمثل بأبيات لبيد بن ربيعة رضي الله عنه:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب
يتحدثون مخافة وملامة ويعاب قائلهم وإن لم يشعب

....

قالت عائشة رضي الله عنها: رحم الله لبيداً كيف لو أدرك زماننا هذا. قال عروة: رحم الله عائشة كيف لو أدركت زماننا هذا؟ وقال هشام: رحم الله عروة كيف لو أدرك زماننا هذا؟ وقال أبو ضمرة: رحم الله هشاماً كيف لو أدرك زماننا هذا. والتسلسل إلى آخره. ثم قال أبو ضمرة أنس بن عياض وثقه أبو حاتم، وقال ابن عدي له أحاديث غير محفوظة، وقال غيره منكر الحديث.

ثم قال: وقد رويناه في مسلسلات الإبراهيمي بشرطه من طريق أبي الفوارس أحمد بن محمد السدي، حدثنا إبراهيم بن مرزوق، حدثنا أبو عامر العقدي، حدثنا مالك ابن أنس، عن هشام ابن عروة، عن عائشة فذكره. وإبراهيم بن مرزوق يخطىء ويصر ولا يرجع ذكره الدارقطني.

ثم قال: وهذا الحديث له طرق. منها ما أخبرناه عالياً عبد الرحمن بن محمد بن الشهاب الفارقي بقراءتي عليه، أخبرك أبو محمد القاسم بن المظفر الدمشقي قراءة عليه وأنت تسمع فأقرّ به، أخبرنا محمود بن إبراهيم بن سفيان العبدي في كتابه إليَّ، أخبرنا أبو الخير محمد بن أحمد بن محمد الباغباني سماعاً، أخبرنا أبو عمر وعبد الوهاب بن محمد بن منده، سمعت أبا عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدي، سمعت الحسن بن يوسف الطرائفي بمصر، سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، سمعت أبا ضمرة يعني أنس بن عياض يقول: سمعت هشام بن عروة يقول: سمعت أبي يقول: سمعت عائشة رضي الله عنها تقول: يرحم الله لبيداً حيث يقول:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب

قالت عائشة رضي الله عنها: فكيف بلبيد لو ادرك زماننا هذا، ثم ساق التسلسل إلى آخره قال: وأخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن الفارقي اجازة عن أحمد بن أبي بكر البكاري أن الحسين بن عطية أخبره في سنة ٤٩٥، أخبرنا علي بن مختار، أخبرنا أبو طاهر السلفي الحافظ، أخبرنا أبو علي الحسن ابن أحمد المقري، حدثنا أبو بكر أحمد بن الفضل، أخبرنا الحافظ أبو عبد الله بن منده العبدي قال: أخبرنا خيثمة بن سليمان، حدثنا محمد بن عوف بن سفيان، حدثنا عثمان بن سعيد الحمصي، حدثنا محمد بن المهاجر، حدثنا محمد بن الوليد الزبيدي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت لبيداً رضي الله عنه حيث يقول:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الاجربِ
يتجاورون صيانة وملامة ... ويعاب قائلهم وإن لم يشغبِ

ثم قالت عائشة: رحم الله لبيداً لو أدرك زماننا هذا، ثم ساق التسلسل إلى آخره قال: ورواه عن خيثمة بن سليمان أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يحيى القطان الدمشقي، والخضر ابن عبد الوهاب بن يحيى الحراني مسلسلاً بنحوه، ورواه أبو عبد الله الحصين بن محمد بن الحسين بن شعيب بن فنجوية الدينوري في مسلسلاته عن أبي عمرو بن عثمان بن عمر بن خفيف الدارج، حدثنا أبو بكر أحمد بن عمرو بن جابر بالرملة، حدثنا محمد بن عوف فذكره، وحدث به ابن

....

المبارك في الزهد فقال: أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة سمعت عائشة تقول قال لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في نسل كجلد الاجربِ
يتحدثون مخافة وملاذة ... ويعاب قائلهم وإن لم يغشب

قالت: فكيف لو أدرك لبيد قوماً نحن بين ظهرانيهم، قال الزهري: وكيف ولو أدركت عائشة من نحن بين ظهرانيهم اليوم. قال: وقد جاء عن وكيع عن هشام مسلسلاً. وذلك فيما رواه الحافظ أبو الغنائم الترسي قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي العلوي، حدثنا أبو محمد جناح بن نذير عن جناح المحاري الكوفي، حدثنا أبو الحسين علي بن الحسن البلخي القطان، حدثنا أبو بشير إسماعيل بن إبراهيم بن إسحاق الحلواني بحلوان، حدثنا علي بن عبد المؤمن الزعفراني، حدثنا وكيع، أخبرنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها فذكره بنحوه. هذا كله سياق الحافظ بن ناصر الدين.

وأورده الحافظ أبو مسعود سليمان بن إبراهيم الاصبهاني الوراق في مسلسلاته من طرق أربعة.

الأولى: مسلسلة يقول كل راو: رحم الله فلاناً فكيف لو أدرك زماننا هذا عن أبي بكر أحمد ابن محمد بن أحمد بن جعفر الحافظ، عن أبي سعيد الحسين بن محمد بن الحسن بن مماق عن أبي بكر أحمد بن محمد بن الفضل الصيرفي عن الزبير بن بكار.

الثانية: مسلسلة يقول كل راو: فكيف بفلان لو أدرك زماننا، هذا عن أبي منصور محمد بن عبدالله بن يوسف التاجر، عن أبي عبد الله الحسين بن جعفر بن محمد الجرجاني بالري، عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن عيسى البزاز بالقلزم، عن محمد بن عبد الله بن يزيد القلزمي.

الثالثة: مسلسلة يقول كل راوٍ: فكيف لو أدرك فلان أهل هذا الزمان عن أبي الحسن أحمد ابن محمد بن أحمد بن زنجويه المزكى، عن أبي الحسن يوسف بن الفضل بن شاذان، عن أبي يعلى محمد ابن زهير بن الفضل الإيلي، حدثنا أحمد بن داود الإيلي.

الرابعة: مسلسلة بقول كل راو: سمعت، عن أبي الفضل أحمد بن أحمد بن محمود المزكى، عن أبي عبد الله محمد بن أبي يعقوب الحافظ، عن أبي علي الحسن بن يوسف الطرائفي، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أربعتهم عن أبي ضمرة أنس بن عياض فذكره.

وأورده أيضاً من وجه آخر عن أبي القاسم الحسين بن محمد بن عمر بن عبدان الواعظ، عن أبي بكر أحمد بن عبد الرحمن الحافظ، عن أبي عبد الله الحسين بن أحمد الثقفي ببغداد عن أبي العباس الدمشقي أحمد بن جوصا الحافظ، عن أبي عمر وعثمان بن سعيد الحمصي، عن أبيه، عن محمد بن الوليد الزبيدي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة. قال الحافظ بن ناصر الدين: وروينا عن الكديمي قال: سمعت أبا نعيم يقول: كنت أكثر تعجبي من قول عائشة رضي الله عنها. ذهب الذين يعاش في أكنافهم، لكني أقول:

وروي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما، وكان بها وباء فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرىء مصبحٌ في أهله والموت أدنى من شراك نَعْلهِ

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادٍ وحولي أذخر وجليلُ

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة رضي الله عنها: فأخبرت بذلك رسول الله ﷺ فقال: «اللهم حبِّب

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا خلفا في اراذل النسناسِ

في اناس تعدهم من عديد فإذا فتشوا فليسوا بناس

كلما جئت ابتغي النيل منهم بدروني قبل السؤال بياس

وبكوا لي حتى تمنيت أني منهم قد أفلت رأساً براس

(**وروي في**) الموطأ و(**الصحيحين**) من حديث هشام بن عروة عن أبيه (**عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال**) رضي الله عنهما أي أصابتهما الحمى، (**وكان بها وباء**) أي وخم، (**فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا اخذته الحمي يقول**):

(**كل امرىء مصبح في أهلهِ والموت أدنى من شراك نعلهِ**)

(**وكان بلال**) رضي الله عنه (**إذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته**) أي صوته (**ويقول**) ويتشوق إلى مكة:

(**ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادٍ وحولي اذخر وجليلُ**)

وهما نبتان معروفان

(**وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل**)

الماء مجنة فهي من مياه مكة وشامة وطفيل قال الخطابي: كنت أقول أنهما جبلان حتى وردتهما فإذا هما ماءان.

(**قالت عائشة رضي الله عنها فأخبرت بذلك رسول الله ﷺ فقال «اللهم حبب لنا المدينة كحبنا مكة»**) أو أشد » الحديث. قال العراقي: هو في الصحيحين كما ذكر المصنف، لكن أصل الحديث والشعر عند البخاري فقط ليس عند مسلم اهـ.

ووجه الاستدلال منه إنشاد أبي بكر وبلال، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأقرهما عليه. قال ابن عبد البر: وإذا كان النبي ﷺ سمع وأبو بكر أنشد فهل للتقليد موضع أرفع من هذا؟ (**وكان**

كحبنا مكة أو أشد » . وقد كان رسول الله ﷺ ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد وهو يقـول :

هـــــذا الحمال لا حمال خيبر   هـذا ـ أبـر ـ ربنـا وأطهـرَ

وقال أيضاً ﷺ مرة أخرى :

لا هم إن العيشَ عيشُ الآخـرة   فـارحـم الأنصـار والمهـاجـرة

وهذا في الصحيحين ، وكان النبي ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح ، ويقول رسول الله ﷺ : « إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله ﷺ » ولما أنشده النابغة شعره قال له

رسول الله ﷺ ينقل اللبن) ككتف الطوب النيء **(مع القوم في بناء المسجد)** النبوي **(وهو يقول)** :

(هـــــذا الحمال لا حمال خيبر   هـــذا أبـــرّ ربنـــا وأطهـــرُ)

وقال أيضاً مرة أخرى :

(اللهـــم إن العيش عيش الآخـــرة   فارحم الأنصار والمهاجرة)

(وهذا في الصحيحين) قال العراقي : البيت الأول انفرد به البخاري في قصة الهجرة من رواية عروة مرسلاً ، وفيه البيت الثاني أيضاً إلا أنه قال : الأجر بدل العيش متمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي . قال ابن شهاب : ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت ، والبيت الثاني في الصحيحين من حديث أنس يرتجزون ورسول الله ﷺ يقول :

اللهـــم لا خير إلا خير الآخـــرة   فـــانصر الانصـــار والمهـــاجـــرة

وليس البيت الثاني موزوناً . وفي الصحيحين أيضاً أنه قال في حفر الخندق : بلفظ فبارك في الأنصار والمهاجرة ، وفي رواية فاغفر ، وفي رواية لمسلم فأكرم ، ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفر للمهاجرين والأنصار ، **(وكان النبي ﷺ يضع لحسان)** بن ثابت رضي الله عنـه **(منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً فيفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح)** أي يدافع وهو شك من الراوي ، **(ويقول رسول الله ﷺ : « إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو)** قال **(فاخر عن رسول الله ﷺ »)** قال العراقي : رواه البخاري تعليقاً ، ورواه أبو داود والترمذي ، والحاكم متصلاً من حديث عائشة . قال الترمذي : حسن صحيح وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، وفي الصحيحين أنها قالت : أنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ اهـ .

قلـت : وفيهما أيضاً من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع حسان بن ثابت يستشهد أبا هريرة أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يا حسان أجب عن رسول الله ﷺ اللهم

ﷺ : « لا يفضض الله فاك » ، وقالت عائشة رضي الله عنها : « كان أصحاب رسول الله

أيده بروح القدس » فقال أبو هريرة : نعم وعندهما أيضاً أنه قال له : « اهجهم وجبريل معك » وفي لفظ « هاجهم » وسيأتي للمصنف وروى أيضاً أنه ﷺ قال له : كيف تعمل بحسبي ونسبي ؟ فقال : لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين . **(ولما أنشده النابغة)** الجعدي رضي الله عنه واسمه قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعه بن جعدة بن كعب بن عامر بن صعصعة يكنى أبا ليلى ، قدم أصبهان مع الحرث بن عبيد الله بن عبد عوف بن أصرم من قبل معاوية **(شعراً)** وهو قوله الآتي ذكره : **(قال له « لا يفضض الله فاك »)** أي لا يكسر الله سنك . قال العراقي : رواه البغوي في معجم الصحابة ، وابن عبد البر في الاستيعاب بسند ضعيف من حديث النابغة . قال : أنشدت النبي ﷺ :

بلغنا السماء مجدنا وثناؤنا ... وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

الابيات . ورواه البزار بلفظ :

علونا العباد عفة وتكرما

الأبيات وفيه فقال : أحسنت يا أبا ليلى لا يفضض الله فاك اهـ .

قلت : ورواه أيضاً أبو نعيم في تاريخ اصبهان ، والشيرازي في الالقاب كلهم من طريق يعلى بن الأشرف ، سمعت النابغة يقول : أنشدت النبي ﷺ :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال : أين المظهر يا أبا ليلى ؟ قلت : الجنة . قال : أجل إن شاء الله تعالى ، ثم قلت :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له ... بوادر تحمي صفوة أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال لي رسول الله ﷺ « لا يفضض الله فاك » مرتين . هكذا رواه علي بن أحمد البزار عن محمد بن عبد الرحمن المخلص ، عن البغوي ، عن داود بن رشيد ، عن يعلى بن الأشرف ، ورواه ابن هزارمود على المخلص بلفظ « لا يفضض الله فوك » مرتين ، تابعه أحمد بن علي الأشقر ، والحسين ابن علي الخياط ، ومحمد بن احمد بن دحروج ، ومحمد بن أحمد بن قريش ، والقاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزاز ، وأبو الدرياقوت بن عبد الله الرومي كلهم عن ابن هزارمود . ورواه أبو حفص عمر بن إبراهيم الكتاني وأبو الحسن محمد بن عبد الله بن أخي يمن الدقاق عن أبي القاسم البغوي ، وحدث به أبو بكر بن أبي داود السجستاني ، عن أيوب بن محمد الوزان ، حدثنا يعلى بن الأشرف فذكره بنحوه .

ورواه أيضاً الدارقطني في المؤتلف والمختلف ، وأبو علي بن السكن في الصحابة وغيرهما من طريق الرحال بن المنذر عن ابيه عن كرز بن أسامة . وكان قد وفد إلى النبي ﷺ ، عن النابغة الجعدي قال : أتيت النبي ﷺ فقلت فذكره .

....

ورواه السلفي في البلدانيات له فيما أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل الحسيني، عن عبد الله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا سالم بن محمد، أخبرنا محمد بن أحمد علي، أخبرنا محمد ابن محمد بن العماد، أخبرتنا أم الفضل هاجر ابنة محمد القدسي قالت: اخبرنا محمد بن أحمد بن محمد ابن نهين، أخبرنا أبو الحسن الراقي، أخبرنا أبو القاسم المكي، أخبرنا أبو طاهر السلفي، اخبرنا أبو طالب نصر بن الحسين قاضي الدينور بها، حدثنا أبو سعيد بندار بن علي بن الحسن الرواس، إملاء. أخبرنا أبو الخير زيد بن رفاعة الكاتب، أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن بن دويد، عن أبي حاتم السجستاني، عن الاصمعي، عن أبي عمرو بن العلاء، عن نصر بن عاصم الليثي، عن ابيه قال: سمعت النابغة يقول: أتيت رسول الله ﷺ فانشدته حتى اتيت إلى قولي:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ... ويتلو كتاباً واضح الحق نيّرا

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ... وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال: إلى أين يا أبا ليلى؟ فقلت: إلى الجنة. فقال: إن شاء الله تعالى فأنشدته: ولا خير في جهل البيتين. فقال لي: «صدقت لا يفضض فاك» فبقي عمره أحسن الناس ثغراً كلما سقطت له سن عادت له سن أخرى، وكان معمّراً.

ورواه الخطابي في غريب الحديث له وأبو العباس المرحبي في فضل العلم له من طريق سليمان بن أحمد الحرشي عن عبد الله بن محمد بن حبيب الكعبي، عن مهاجر بن سليم، عن عبد الله بن جراد قال: سمعت نابغة بني جعدة قال: أنشدت النبي ﷺ من قولي:

علونا السماء عفة وتكرما ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فغضب النبي ﷺ وقال: وأين المظهر يا أبا ليلى؟ قلت: الجنة. قال: أجل إن شاء الله. ثم قال: أنشدني من قولك فانشدته وذكرهما. فقال لي: «أجدت لا يفضض الله فاك» قال: فرأيت أسنانه كالبرد المنهل لا انقضمت له سن ولا انفلت نزف غروبه.

ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده، ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب من جهته قال: حدثنا العباس بن الفضل، حدثنا محمد بن عبد الله التميمي، حدثني الحسن بن عبيد الله، حدثني من سمع النابغة يقول: أتيت النبي ﷺ فأنشدته قولي:

وإنا لقوم ما نعوّد خيلنا ... إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا

وننكر يوم الروع ألوان خيلنا ... من الطعن حتى نحسب الجو أشقرا

وليس بمعروف لنا أن نردها ... صحاحاً ولا مستنكر أن تعقرا

بلغنا السماء وذكر البيت مع باقي القصة بنحوه، وقد وقع لي هذا من وجه آخر مسلسلاً بالسرار فيما كتب إلى فجر الديار الشامية أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي رحمه الله تعالى قال: أخبرنا عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، عن موسى النحو، وعن زين الدين بن سلطان، أخبرنا الشمس محمد بن محمد بن الحسن المزي، وأخبرنا عمر بن أحمد الحسيني، عن عبدالله بن سالم، عن

ﷺ، يتناشدون عنده الأشعار وهو يتبسم» وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: أنشدت رسول الله ﷺ مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول: «هيه هيه»، ثم قال: «إن كاد في شعره ليسلم» وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان

محمد بن العلاء الحافظ، عن سالم بن محمد، عن محمد بن أحمد بن علي، أخبرنا الكمال محمد بن علي الطويل قال: أخبرنا الشهاب أبو الطيب أحمد بن محمد الحجازي الأنصار الخزرجي، اخبرنا الزين العراقي الحافظ، والشرف محمد بن محمد بن الكويك. قال الأول: أخبرنا الصلاح خليل بن كيكلدي العلائي، أخبرنا الخطيب شرف الدين أحمد، أخبرنا العلم السخاوي، أخبرنا أبو طاهر السلفي الحافظ، أخبرنا أبو الوفاء علي بن شهرباي الزعفراني، أخبرنا أبو القاسم عبد الملك بن المظفر، أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسين، وقال الثاني: أخبرنا أبو عبد الله الذهبي، أخبرنا أحمد بن إسحاق، أخبرنا عبد السلام بن سهل، أخبرنا شهردار بن شهرويه، أخبرنا أحمد بن عمر بن البيع، أخبرنا حميد بن المأمون قال: اخبرنا أبو بكر عبد الله بن أحمد الفارسي، أخبرنا أبو عثمان سعيد بن زيد بن خالد، أخبرنا عبد السلام بن رغبان ديك الجن، أخبرنا زعبل الخزاعي، أخبرنا أبو نواس الحسن بن هانيء، أخبرني والبة بن الحباب، أخبرني أبو المسهل الكميت بن زيد، أخبرني خالي أبو فراس همام بن غالب الفرزدق، أخبرنا الطرماح قال: لقيت نابغة بني جعدة قلت له: ألقيت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم وأنشدته قصيدتي التي أقول فيها: بلغنا السماء فساقه.

(وقالت عائشة رضي الله عنها «كان أصحاب رسول الله ﷺ يتناشدون الأشعار وهو يبتسم») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث جابر بن سمرة وصححه ولم أقف عليه من حديث عائشة اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد والطبراني من طرق بلفظ: قال جابر بن سمرة: شهدت رسول الله ﷺ أكثر من مائة مرة في المسجد وأصحابه يتذاكرون الشعر وأشياء من أمر الجاهلية فربما يتبسم رسول الله ﷺ.

(وعن عمرو بن الشريد) بن سويد الثقفي الطائفي يكنى أبا الوليد. قال العجلي: حجازي تابعي ثقة، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، روى له الجماعة إلاّ الترمذي **(عن أبيه)** له صحبة روى له مسلم وأبو داود والنسائي **(قال: أنشدت النبي ﷺ مائة قافية)** أي مائة بيت وأصل القافية الحرف الأخير من البيت، وقيل: هي الكلمة الأخيرة منه **(من قول أمية بن أبي الصلت)** الثقفي، وكان قد قرأ الكتب ورغب عن عبادة الأوثان ويخبر أن نبياً يبعث قد أظل زمانه **(كل ذلك يقول «هيه هيه»)** بالكسر وسكون الآخر فيهما وهي كلمة تقال عند الاستزادة للشيء، **(ثم قال: «إن كاد)** أمية **(في شعره ليسلم»)** رواه مسلم، وكان كلما سمع بخروج النبي ﷺ وقصته كفر حسداً له، ويروى أيضاً أنه قال «آمن لسانه وكفر قلبه».

(وعن أنس) بن مالك رضي الله عنه **(أن النبي ﷺ كان يحدى له في السفر، وإن**

يحدى له في السفر. وإن أنجشة كان يحدو بالنساء، والبراء بن مالك كان يحدو بالرجال، فقال رسول الله ﷺ: «يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير» ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمان رسول الله ﷺ وزمان الصحابة رضي الله عنهم وما هو إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره، بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال وتارة للاستلذاذ فلا يجوز أن يحرم من حيث أنه كلام مفهوم مستلذ مؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة.

أنجشة) بفتح الهمزة وسكون النون وضم الجيم وفتح الشين المعجمة **(كان يحدو بالنساء، والبراء ابن مالك)** يعني أخاه **(كان يحدو بالرجال، فقال النبي ﷺ: «يا أنجشة رويدك سوقاً بالقوارير»)** قال العراقي: رواه أبو داود الطيالسي، واتفق الشيخان منه على قصة أنجشة دون ذكر البراء بن مالك اهـ.

قلت: قال أبو داود الطيالسي في مسنده، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: كان البراء بن مالك يعني أخاه رضي الله عنهما يحدو بالرجال وكان أنجشة يحدو بالنساء وكان حسن الصوت، فكان إذا حدا اعنقت الإبل، فقال النبي ﷺ «يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير».

وأخرجه أحمد بن سلمة وهو حديث صحيح. وقصة أنجشة مخرجة في الصحيحين من غير هذا الوجه من طريق أيوب عن أبي قلابة، عن أنس. وسياقه أتم لكن لم يذكر البراء وفيهما من طريق قتادة عن أنس قال: كان للنبي ﷺ حادٍ يقال له «أنجشة» وفيه قال قتادة القوارير ضعفة النساء.

وقال أبو مسلم الكجي في سننه: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا حميد عن أنس قال: كان يسوق بأمهات المؤمنين رجل يقال له أنجشة فقال له النبي ﷺ «رويدك ارفق بالقوارير» وأخرجه عن ابن أبي عدي عن حميد.

(ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمن رسول الله ﷺ وزمان الصحابة) رضوان الله عليهم **(وما هي إلا أشعار تؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة)**. قال الماوردي وغيره: تحسين الرجز بالصوت الشجي عند كلال السفر تنشيطاً للنفوس، ومنهم من لم يقيده بالرجز لكنه الأكثر، **(ولم ينقل عن أحد من الصحابة إنكاره بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال، وتارة للاستلذاذ فلا يحرم من حيث أنه كلام مفهوم مستلذ مؤدى بأصوات طيبة وألحان موزونة)**. قال صاحب الاقناع: ولا أعلم خلافاً في جواز الحداء، وقد صرح بنفي الخلاف جماعة منهم ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما. وفي كلام ابن أحمد أن في الرعاية الكبرى ما يقتضي خلافاً ولم أره لغيره، فإن ذهب إلى التحريم أو الكراهة فيقطع بعدم الاعتداد به، ولو قيل باستحبابه لكان أقرب، فإن فيه تخفيف كلال السفر ونشاط النفس وتقطع الإبل المفاوز وتحمل الأثقال به، وقد أشار القرطبي إلى ذلك فقال: ربما يندب إليه.

الدرجة الرابعة: النظر فيه من حيث أنه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه. فأقول: لله تعالى سر في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى أنها لتؤثر تأثيراً عجيباً. فمن الأصوات ما يفرح، ومنها ما يحزن. ومنها ما ينوّم، ومنها ما يضحك ويطرب، ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد والرِجل والرأس. ولا ينبغي أن يظن أن ذلك لفهم معاني الشعر، بل هذا جار في الأوتار حتى قيل من لم يحركه الربيع وأزهاره والعود وأوتاره فهو فاسد المزاج ليس له علاج وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد في الصبي في مهده؟ فإنه يسكته الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه

قلت: وقد قطع النووي باستحبابه فقال في الاذكار باب استحباب الحداء، وأورده فيه أحاديث كثيرة مشهورة منها ما تقدم ذكره.

(**الدرجة الرابعة: النظر فيه من حيث أنه محرك للقلب ومهيج لما هو الغالب عليه. فأقول: لله عز وجل سر**) خفي (**في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح حتى أنها لتؤثر فيها تأثيراً عجيباً**) وقد أشار كشاجم إلى ذلك في تأليفه في السماع والسهرودي في العوارف. (**فمن الأصوات ما يفرح**) أي يورث الفرح والسرور، (**ومنها ما يحزن**) أي يورث الحزن والغم، (**ومنها ما ينوّم**) أي يستجلب النوم والسكرة، (**ومنها ما يطرب**) أي يورث الطرب الزائد، (**ومنها ما يضحك**) أي يورث الضحك. (**ومنها ما يبكي**) أي يورث البكاء، (**ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها**)وإيقاعها (**باليد والرجل والرأس**) فتضطرب له، (**ولا ينبغي أن ذلك لفهم معاني الشعر**) المقول به (**بل هذا جار في الأوتار**) بدون أصوات (**حتى قيل من لم يحركه**) وفي نسخة من لم يهجه (**الربيع وأزهاره والعود وأوتار فهو فاسد المزاج**) مختل التركيب (**ليس له علاج**) وفي نسخة لا ينفع فيه علاج وفي هذا المعنى قيل:

فإن كنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى ... فكن حجراً صلباً يدق بك النوى

وكلما لطف المزاج وخفت الروح وشرفت النفس حركتها الألحان وهزها الوجد، وكذلك الكلام الحسن. والمعنى الرقيق يحرك الجسم، وقد ينتهي إلى أن يصير الإنسان مغلوباً على الحركة. قال أبو منصور الثعالبي في بعض كتبه: كان أبو الطيب سهل بن أبي سهل الصعلوكي يقول: ما كنت أعرف سبب رقص الصوفية حتى سمعت قول أبي الفتح البستي الكاتب، فكدت أرقص طرباً وعلمت أن الكلام الحسن يرقص وذلك قوله:

ايقولون ذكر المرء يحيا بنسله ... وليس له ذكر إذا لم يكن نسل
فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي ... فإن فاتنا نسل فإنّا به نسلو

(**وكيف يكون ذلك لفهم المعنى وتأثيره مشاهد في الصبي وهو في مهده، فإنه يسكته الصوت الطيب عن بكائه**) ويستلذ به وتنصرف النفس عما يبكيه إلى الإصغاء إليه، (**و**)

عما يبكيه إلى الإصغاء إليه. والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثراً يستخف معه الأحمال الثقيلة. ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة، وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويوله، فتراها إذا طالت عليها البوادي واعتراها الإعياء والكلال تحت المحامل والأحمال إذا سمعت منادي الحداء تمدّ أعناقها وتصغي إلى الحادي ناصبة آذانها وتسرع في سيرها حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها، وربما تتلف أنفسها من شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به لنشاطها. فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري

كذلك (**في الجمل مع بلادة طبعة**) وغلظ خلقته (**يتأثر بالحداء تأثيراً يستخف معه الأحمال الثقيلة ويستقصر بقوّة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة**) في المفاوز البعيدة، (**وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويؤلمه فتراها إذا طالت عليها البراري اعتراها الإعياء**) والكلال (**تحت**) تلك (**المحامل**) والشقادف والأحمال الثقيلة، (**وإذا سمعت منادي الحداء تمد أعناقها وتصغي إلى**) ذلك (**الحادي ناصبة آذانها وتسرع في سيرها**) وتخرج شقاشق جرتها (**حتى تتزعزع عليها محاملها**) واثقالها. (**وربما تتلف أنفسها في شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر لنشاطها**) وقد تكلم الطرطوشي في كتابه الحوادث والبدع على السماع وذكر في الإنكار أن شجنهم في السماع الجهال والأطفال قال: فإنهم يحتجون بهم. قال صاحب الامتاع: وهذا الذي ذكره كلام عجيب ساقط فإن القوم لم يجعلوا ذلك حجة على الجواز، وإنما أبدوه شاهداً لما ذكروه من أن الإستلذاذ ليس من حيث المعنى الفهوم، واحتجوا بأن من لا يفهم لا يطرب وسبب هذا الاعتراض والإنكار ما ذكره الغافقي المالكي المقري في مصنفه في السماع من كلام ذكره. وقال: إنما هم مثل البراغيث يأكلون ويرقصون وهذه الألفاظ كلها عبارات مزوقة ومقالات غير محققة، وقد ادعى أبو هلال العسكري في كتابه الأوائل أن في الألحان لحناً يسمى القمي يطرب كل من يسمعه سواء فهمه أم لا. وقال كشاجم في آداب النديم أن الغناء شيء يخص النفس دون الجسم، كما أن المأكول شيء يخص الجسم دون النفس. قال: وقال العلماء الغناء فضيلة في المنطق أشكلت على النفس وقصدت عن تبيين كنهها فأخرجتها ألحاناً. قال فأقول أنها إلى الألحان أشد إصغاء مما ظهر عندنا من سائر منطقها حرصاً على معرفة غامضها وشوقاً إلى استقباح متعلقها، وهي إلى تعرف ما لا يعرف أشوق منها إلى ما عرفت، وكذلك المثل العجيب والنادر من الشعر كلما دق معناه ولطف حتى يحتاج في استخراجه إلى غوار الفكر وإجالة الذهن تكون النفس إذا ظهر لها أكثر استلذاذاً وأشد إصغاء منها إلى ما يفهمه أول وهلة، ولا يحتاج فيه إلى نظر وفكر وليس إلا لشرفها وبعد غايتها. قال الشاعر: يصف كلام امرأة

وحـــديـــث ألذّه وهـــو مما ... يشتهي السـامعـون يــوزن وزنــا
منطـق بـــارع وتلحـــن أحيا ... نا وأحلى الحــديث مـا كان لحنا

والمراد باللحن هنا المعنى الغامض اللطيف الذي يستخرج بالفطنة والذكاء. قال: ويقال إن

ـ المعروف بالرقي ـ رضي الله عنه قال: كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وأدخلني خباءه، فرأيت في الخباء عبداً أسود مقيداً بقيد، ورأيت جمالاً قد ماتت بين يدي البيت وقد بقي منها جمل وهو ناحل ذابل كأنه ينزع روحه،

الألحان أشرف المنطق فكذلك نفس الطروب أشرف النفوس، وكل ذي ذهن لطيف ونفس فاضلة أحرص على السماع والمشاكلة قال كشاجم وكتبتِ إلى بعض من كان يزهد في السماع وينكر فضله بهذه الأبيات:

إن كنـــت تنكـــر في الأ	لحان فـــائـــدة ونفعـــا
أنظـــر إلى الإبـــل اللـــوا	ئـي هــن أغلـظ منـك طبعـا
تصغـــي لأصـــوات الحدا	ة فتقطــع الفلــوات قطعـــا
ومـــن العجـــائـــب أنهم	يظمـــونها خمســـاً وربعـــا
وإذا تـــوردت الحيـــا	ض وحـــاولـــت في الماء كـــرعـا
وتشـــوّقـــت للصـــوت مـــن	حـــاد تصيـــخ إليـــه سمعـــا
ذهلـــت عـــن الماء الذي	تلتـــذه بـــرداً ونفعـــا
شـــوقـــاً إلى النغـــم الذي	أطـــربنهـــا لحنـــاً وسجعـــا

قال: وقد وجدناه يؤنس الوحيد ،ويهيج النفوس ويقوي الحس اهـ.

وقالت الحكماء السماع يستنهض العاجز ويستجلب الغائب من الأفكار ويحيد الكلال عن الأذهان. قال ابن قتيبة: الغناء يروق الذهن ويلين العريكة ويهيج النفس ويجلي الدم ويلائم أصحاب العلل الغليظة وينفعهم النفع التام ويزيد في فضائل النفس. قال: وكان الحكماء أهل الهند يصفونه لبعض الأمراض. وذكر أبو علي بن سينا في كليات القانون ما معناه: أنه يجب في تربية الأطفال أن يؤخذوا بالألحان، وذكر مناسبة الأنغام والنقرات والقبض. وذكر ابن حزم في رسالته: أن الاوائل وصفوا أنها ثلاثة أنواع: منها نوع يشجع الجبان، ونوع يسخي البخيل، ونوع يؤلف بين النفوس وينفر. وقال غيره: جلاوة الأنغام ولذتها يعرفها أرباب الأحوال وأهل اللطافة، وكلما كان حجاب النفس خفيفاً كان أشد استلذاذاً وأكثر تأثراً وكلما كانت القلوب عامرة حركتها الأنغام والله أعلم هذا كله سياق صاحب الامتاع.

(**فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالرقي**) من كبار العارفين أصحاب الأحوال أقام بالشام وعاش أكثر من مائة سنة مات بعد الخمسين وثلاثمائة صحب ابن الجلاء والدقاق، ولفظ الرسالة: أخبرنا أبو حاتم السجستاني قال: أخبرنا عبد الله بن علي السراج قال: حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوي الرقي (**قال: كنت في البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فأضافني رجل منهم وادخلني خباء فرأيت في الخباء**) أي في طرفه (**عبداً أسود مقيداً بقيد، ورأيت جمالاً قد ماتت بين يدي البيت**) ولفظ الرسالة بفناء البيت، (**وقد**

فقال لي الغلام: أنت ضيف ولك حق فتشفع فيَّ إلى مولاي فإنه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك في هذا القدر، فعساه يحل القيد عني، قال: فلما أحضروا الطعام امتنعت وقلت لا آكل ما لم أشفع في هذا العبد، فقال: إن هذا العبد قد أفقرني وأهلك جميع مالي، فقلت: ماذا فعل؟ فقال: إن له صوتاً طيباً وإني كنت أعيش من ظهور هذه الجمال، فحملها أحمالاً ثقالاً وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة من طيب نغمته، فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد، ولكن أنت ضيفي فلكرامتك قد وهبته لك، قال: فأحببت أن أسمع صوته، فلما أصبحنا أمره أن يحدو على جمل يستقي الماء من بئر هناك، فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ووقعت أنا على وجهي، فما أظن أني سمعت قط صوتاً أطيب منه. فإذاً تأثير السماع في القلب

بقي منها جمل وهو ناحل ذابل) وقد سقطت قوّته **(كأنه ينزع روحه)** من شدة الضعف والكلال، **(فقال)** لي **(الغلام)** وهو ذاك الأسود المقيد: **(أنت)** الليلة **(ضيف)** عند مولاي **(ولك حق)** عليه **(فأشفع فيَّ إلى مولاي فإنه مكرم لضيفه ولا يرد شفاعتك فعساه يحل القيد عني)** ولفظ الرسالة: أنت الليلة ضيف وأنت على مولاي كريم فتشفع لي فإنه لا يردك، **(فلما أحضروا الطعام امتنعت وقلت لا آكل ما لم اشفع في هذا العبد)** ولفظ الرسالة فقلت لصاحب البيت: لا آكل طعامك حتى تحل هذا العبد **(فقال: إن هذا العبد قد افقرني وأهلك)** ولفظ الرسالة: واتلف **(جميع مالي فقلت ماذا فعل)** ولفظ الرسالة فقلت فما فعل **(فقال: إن له صوتاً طيباً وإني كنت أعيش)** بما اكتسبه **(من ظهور هذه الجمال فحملها أحمالاً ثقالاً وكان يحدو بها)** ولفظ الرسالة ثقيلة وحدا بها **(حتى قطع مسيرة ثلاث ليال في ليلة)** واحدة ولفظ الرسالة: مسيرة ثلاثة أيام في يوم واحد **(من طيب نغمته، فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا الجمل الواحد)** ولفظ الرسالة: فلما حط عنها ماتت كلها. **(ولكن أنت ضيفي فلكرامتك قد وهبته)** أي ذنبه **(لك)** وقبلت شفاعتك فيه ولفظ الرسالة: ولكن قد وهبته لك وحل عنه القيد **(قال: فأحببت أن أسمع صوته فلما أصبحنا أمره)** ولفظ الرسالة: فلما أصبحنا أحببت أن أسمع صوته فسألته ذلك فأمر الغلام أن يحدو **(على جمل)** كان **(يستقي الماء في بئر هناك)** ولفظ الرسالة على جمل كان هناك على بئر يستقي عليه **(فلما رفع صوته هام الجمل)** على وجهه **(وقطع حباله ووقعت أنا على وجهي، فما أظن أني سمعت صوتاً قط أطيب منه)** ولفظ الرسالة: فحدا فهام الجمل على وجهه وقطع حباله ولم أظن أني سمعت صوتاً أطيب منه فوقعت لوجهي حتى أشار عليه بالسكوت.

ونقضه القرطبي في كشف القناع فقال: إن كل ما ذكروه فلا ننكره فإنه ليس موضع الخلاف غير قولهم ولم يفرقوا في ذلك بين الأصوات المطربة ولا غيرها، فإنا نمنع ذلك ونسند المنع للادلة المتقدمة ثم أن النبي ﷺ قد فرق بين المطرب وغيره حيث قال لأنجشة: «رويدك سوقاً بالقوارير»

فقد منعه من الإطراب، ونص على تعليل المنع وإن كانت القوارير المراد بها النساء فنهاه مخافة الفتنة عليهن، فإن الغناء رقية الزنا وإن كان كنى به عن الإبل فنهاه مخافة إتلاف المال وكيفما كان فقد منعه من التزيين المطرب الذي يؤثر فساداً وهو الذي منعناه في أوّل المسألة، وتحصل من هذا الجواب عن حكاية الرقي أن ذلك العبد عصى بإتلاف مال سيده، ولا فرق بين اتلافها بذلك أو إتلافها بالنحر بغير إذن سيده، بل وأقول: إنه لا يحل سماع مثل ذلك الحداء فإنه يهلك الأموال ويتلف النفوس ويغيب العقول، فقد زاد هذا على الخمر باتلاف النفوس وهو أولى بالتحريم، وأما إنشاد الاشعار فما في ذلك منع ولا إنكار، لكن على الوجه الصحيح فإن الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح اهـ كلامه.

فصل

قد ذكر الشيخ شهاب الدين السهروردي في العوارف وجهين في التناسب فقال: اعلم أن الوجد يشعر بسابقة فقد، فمن لم يفقد لم يجد، وإن كان الفقد لمزاحمة وجود العبد بوجود صفاته وبقاياه فلو تمحض عبداً تمحض حراً، ومن تمحض حراً أفلت من شرك الوجد فشرك الوجد يصطاد البقايا ووجود البقايا لتخلف شيء من العطايا. قال الحصري رحمه الله تعالى: ما أدون حال من يحتاج إلى مزعج يزعجه، فالوجد في السماع في حق المحق كالوجد بالسماع في حق المبطل من حيث النظر إلى انزعاجه وتأثيراً الباطن وهو ظهور أثره على الظاهر وتغييره للعبد من حال إلى حال، وإنما يختلف الحال بين المحق والمبطل أن المبطل يجد لوجود هوى النفس والمحق يجد لوجود إرادة القلب، فالمبطل محجوب بحجاب النفس، والمحق محجوب بحجاب القلب، وحجاب النفس حجاب أرضي ظلماني، وحجاب القلب حجاب سماوي نوراني، ومن لم يفقد بدوام التحقق بالشهوة فلا يتعثر بأذيال الوجود ولا يجد ولا يسمع، ومن هذه المطالعة قال بعضهم: أنا ردم كله لا ننقذ في قول.

ومرّ ممشاد الدينوري رحمه الله تعالى بقوم فيهم قوّال فلما رأوه أمسكوا فقال: ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في أذني ما شغل همي ولا شفي بعض ما بي، فالوجد صراخ المبتلي بالنفس تارة في حق المبطل وبالقلب تارة في حق المحق، فمثار الوجد الروح الروحاني في حق المبطل، والمحق يكون الوجد تارة من قبيل فهم المعاني يظهر، وتارة من مجرد النغمات والألحان فما كان من قبيل المعاني تشارك النفس الروح في حق المبطل، ويشارك القلب الروح في حق المحق وما كان من قبيل مجرد النغمات يتجرد الروح للسماع، ولكن في حق المبطل، ويشارك القلب الروح في حق المحق وما كان من قبيل مجرد النغمات يتجرد الروح للسماع، ولكن في حق المبطل تسترق النفس السمع وفي حق المحق يسترق القلب والسمع، ووجه استلذاذ الروح بالنغمات أن العالم

محسوس. ومن لم يحركه السماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور بل على جميع البهائم، فإن جميعها تتأثر بالنغمات

الروحاني مجمع الحسن والجمال ووجود التناسب في الأكوان مستحسن قولاً وفعلاً ووجود التناسب في الهياكل والصور ميزان الروحانية، فمتى سمع الروح النغمات اللذيذة والألحان المتناسبة تأثر به لوجود الجنسية، ثم يتقيد ذلك بالشرع لمصالح عالم الحكمة ورعاية الحدود للعبد عين المصلحة عاجلاً وآجلاً، ووجه آخر إنما تستلذ الروح النغمات لأن النغمات بها تحادث النفس مع الروح بالإيماء الخفي إشارة ورمزاً بين المتعاشقين وللنفوس والأرواح تعاشق أصلي ينزع ذلك إلى أنوثة النفس وذكورة الروح، والميل والتعاشق بين الذكر والأنثى بالطبيعة واقع قال الله تعالى: ﴿وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ [الأعراف: ١٨٩] وفي قوله: منها أشعار بتلازم وتلاصق موجب للائتلاف والتعاشق والنغمات تستلذها الروح لأنها مناغات بين المتعاشقين، وكما أن في عالم الحكمة كوّنت حوّاء من آدم كذلك في عالم القدرة كوّنت النفس من الروح، فهذا التآلف من هذا الأصل، وذلك أن النفس روح حيواني تجنس بالقرب من الروح الروحاني وتجنسها بأن امتازت من أرواح جنس الحيوان بشرف القرب من الروح الروحاني فصار نفساً فإذا تكوّن النفس في الروح الروحاني في عالم القدرة لتكون حواء من آدم في عالم الحكمة، فهذا التآلف والتعاشق ونسبة الأنوثة والذكوره من ههنا ظهر، وبهذا الطريق استطاب الروح النغمات، لأنها مراسلات بين المتعاشقين ومكالمة بينهما، وقد قال القائل:

تكلم منا في الوجود عيوننا ... ونحن سكوت والهوى يتكلم

فإذا استلذ لروح النغمة وتحركت بما فيها بحدوث الروح النغمة وجدت النفس المعلولة بالهوى وتحركت بما فيها لحدوث العوارض، ووجد القلب المعلول بالإرادة وتحرك بما فيه لوجود العارض في الروح.

وللأرض من كأس الكرام نصيب.

فنفس المبطل أرض لسماء قلبه وقلب المحق أرض لسماء روحه، فالبالغ مبلغ الرجال والمتجوهر المتجرد من أغراض الأحوال خلع نعلي النفس والقلب بالوادي المقدس، وهو في مقعد صدق عند مليك مقتدر استقر وغرس وأحرق بنور العيان أجرام الألحان ولم تصغ روحه إلى مناغات عاشقة لشغله بمطالعة آثار محبوبه والهائم المشتاق لا يستكشف ظلامة العشاق، ومن هذا حاله لا يحركه السماع رأساً وإذا كانت الألحان لا تلحق هذا الروح مع لطافة مناجاتها وخفي لطف مناغاتها كيف يلحقه السماع بطريق فهم المعاني، وهو أكثف ومن يضعف عن حل لطيف الأشارات كيف يتحمل ثقل اعباء العبارات اهـ. سياقه وهو حسن.

(فإذاً تأثير السماع في القلوب محسوس) ومشاهد **(ومن لم يحركه السماع فهو ناقص)** الخلقة **(مائل عن الاعتدال)** الأصلي **(بعيد عن الروحانية زائد في غلظ الطبع وكثافته على**

الموزونة. ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته. ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقاً بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم في القلب.

قال أبو سليمان: السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه، فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع.

الجمال والطيور بل على سائر البهائم فإن جميعها يتأثر بالنغمات الموزونة) كما عرفت في الجمال، **(ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته)** عند قراءة الزبور كما ذكره القشيري في الرسالة. **(ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلوب لم يجز أن يحكم فيه مطلقاً بإباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب)** فالمنكر له من غير تفصيل إما مغتر بما أتيح له من أعمال الأخيار، وإما جامد الطبع لا ذوق له فيصر على الإنكار.

(قال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى: **(السماع لا يحصل في القلب ما ليس فيه لكن يحرك ما فيه)** أي لا يحدث في القلب شيئاً وإنما يحرك ما في القلب، فمن كان يتعلق قلبه بغير الله يحركه السماع فيجد بالهوى، ومن يتعلق باطنه بمحبة الله يجد بالإرادة إرادة القلب. ولفظ الرسالة قال أبو سليمان: إن الصوت الحسن لا يدخل في القلب شيئاً إنما يحرك من القلب ما فيه. قال ابن أبي الحواري: صدق والله أبو سليمان اهـ.

وسبق تفصيله في كلام صاحب العوارف، ونقضه القرطبي فقال: لا نسلم أن السماع يحرك ما غلب على قلبه، وإنه يزيده حالاً إلى حاله ووجداً إلى وجده، فإن الغناء المطرب من حيث هو كذلك لا يستخرج من القلب خيراً ولا يكون فيه خير، وإنما ينبت النفاق في القلب كما في الخبر، ولئن سلمنا أنه يستخرج من القلب فلا يسلم أن كل ما كان كذلك كان مباحاً بدليل الخمر فإنها تظهر ما في قلب الشارب لها وهي مع ذلك محرمة، ثم نقول: إن الذي يجده أرباب القلوب عند السماع لا يتوقف على الأصوات الطيبة الموزونة والنغمات المقطعة، بل ذلك فتح من الحق وهبات لا يتوصل إليها بشيء من المحرمات ولا المكروهات، وقد قيل: الطرب يسمع من صرير الباب وصوت الذباب اهـ.

والجواب عن هذا ظاهر. **(فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة يعتاد في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب)** وبه يحصل التغير للعبد من حال إلى حال، **(وهي سبعة مواضع)**.

الأوّل: غناء الحجيج، فإنهم أولاً يدورون في البلاد بالطبل والشاهين والغناء، وذلك مباح لأنها أشعار نظمت في وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر ووصف البادية وغيرها، وأثر ذلك يهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتعال نيرانه إن كان ثَمَّ شوق حاصل، أو استثارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلاً، وإذا كان الحج قربة والشوق إليه محموداً كان التشويق إليه بكل ما يشوّق محموداً. وكما يجوز للواعظ أن ينظم كلامه في الوعظ ويزينه بالسجع ويشوّق الناس إلى الحج بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه جاز لغيره ذلك على نظم الشعر، فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب، فإذا أضيف إليه صوت طيب ونغمات موزونة زاد وقعه، فإن أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات الإيقاع زاد التأثير. وكل ذلك جائز ما لم يدخل

(**الأوّل: غناء الحجيج فإنهم يدورون أوّلاً في البلاد**) قبل دخول الوقت (**بالطبل والشاهين والغناء**) بالأشعار الطيبة والألحان الموزونة بالايقاع، (**وذلك مباح**) لا ينكره أحد من أهل الدين (**لأنها**) تجري مجرى الحداء والإنشاد إذ هي (**أشعار نظمت**) وفي نسخة تنظم (**في وصف الكعبة والمقام والحطيم وزمزم وسائر المشاعر**) المحترمة (**ووصف البادية وغيرها وتأثيرها يهيج الشوق إلى حج بيت الله الحرام واشتعال نيرانه إن كان ثم**) أي هناك (**شوق حاصل**) في نفسه (**أو استثارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلاً**) من قبل، (**وإذا كان الحج قربة**) من القرب (**والشوق إليه محمود**) شرعاً، (**فالتشويق إليه بكل ما يشوّق محمود**) إلا أنه بحد محدود ومتى خالطه ما يخالف الشرع فأنكاره حتم على ذوي الدين، وذلك مثل مخالطة الرجال بالنساء وما أشبهه فموقع الإنكار هو هذا القدر المحرم، وبهذا قطع الحافظ ابن حجرحين سئل عن إدارة المحمل في وسط مصر وما ينجر إليها من المفاسد ورفع أمر ذلك إلى سلطان العصر، فأفتى العلماء بالمنع مطلقاً الا الحافظ ابن حجر، ووقع لذلك اجلاس بين يدي السلطان وتفاوضوا فقال الحافظ: إدارة المحمل إشعار بالحج، وأن الطريق أمن فمن شاء أن يحتج فليتأهب وفيه تشويق إلى القربة فلا يمنع، وإنما يمنع ما يقع فيه من المفاسد والمحرمات وتم الأمر على ذلك. (**وكما يجوز للواعظ**) على العامة (**أن ينظم كلامه في الوعظ ويزيّنه بالسجع**) بأن يكون متناسب الطرفين (**ويشوّق الناس**) بذلك (**إلى الحج**) والزيارة وذلك (**بوصف البيت**) السعيد (**والمشاعر**) الحرمية (**ووصف الثواب عليه**) لمن قصده (**جاز لغيره ذلك على نظم الشعر، فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب**) وأكثر تأثيراً فيه، (**فإذا أضيف إليه صوت طيب ونغمات طيبة موزونة زاد وقعه**) وتأثيره في القلب. (**فإن أضيف إليه الطبل والشاهين وحركات الإيقاع زاد التأثير**) في القلب (**وكل ذلك جائز**) مباح (**ما لم يدخل فيه المزامير والأوتار التي هي شعار الأشرار**)

فيه المزامير والأوتار التي هي من شعار الأشرار، نعم إن قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذي أسقط الفرض عن نفسه ولم يأذن له أبواه في الخروج، فهذا يحرم عليه الخروج. فيحرم تشويقه إلى الحج بالسماع وبكل كلام يشوق إلى الخروج فإن التشويق إلى الحرام حرام. وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالباً لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق.

الثاني: ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو. وذلك أيضاً مباح كما للحاج، ولكن ينبغي أن تخالف أشعارهم وطرق ألحانهم أشعار الحاج وطرق ألحانهم، لأن استثارة داعية الغزو ـ بالتشجيع وتحريك الغيظ والغضب فيه على الكفار وتحسين الشجاعة واستحقار النفس والمال بالإضافة إليه ـ بالأشعار المشجعة مثل قول المتنبي:

فإن لا تمت تحت السيوف مكرماً   تمت وتقاسي الذلّ غير مكرم

(وقوله أيضاً):

وعوائد الفجار فإنه حينئذ يجب إزالة ما عرضه ويبقى الصوت والطبل على إباحته. **(نعم إن قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذي أسقط الفرض عن نفسه ولم يأذن له أبوه في الخروج، فهذا يحرم عليه الخروج)** ولو خرج كان عاصياً **(فيحرم)** لذلك **(تشويقه إلى الخروج بالسماع، وبكل كلام مشوّق إلى الخروج فإن التشويق إلى الحرام حرام)** فينبغي للوعاظ أن ينبهوا على ذلك وأن يفصلوا، ومع ذلك فما يمنع من وعظه فإن الذي يخرج على الوصف المذكور عن أن يكون د قضى فريضة الإسلام بالنسبة إلى من لم يقض بعد قليل، وأقل من خالف أبويه والقليل لاحكم له. **(وكذلك إذا كانت الطرق غير آمنة)** من فساد الأعراب، **(وكان الهلاك غالباً)** بأخبار السيارة **(لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق)** فإنه يفضي إلى الإهلاك.

(الثاني: ما يعتاده الغزاة) في سبيل الله **(بتحريض الناس على الغزو)** في أسجاعهم المسجعة عليه، **(وذلك أيضاً مباح)** لا ينكره أحد **(كما للحاج، ولكن ينبغي أن يخالف أشعارهم وطرق ألحانهم)** ونغماتهم **(طرق أشعار الحاج وطرق ألحانهم)** ونغماتهم، **(لأن استثارة داعية الغزو)** إنما هو **(بالتشجيع)** لقلب الجبان **(وتحريك الغيظ والغضب على الكفار)** عند انتهاك حرمات الله تعالى **(وتحسين الشجاعة)** وتقبيح الجبن **(واستحقار النفس والمال بالإضافة إليه بالأشعار المشجعة مثل قول)** أبي الطيب أحمد بن الحسين الكوفي الشاعر **(المتنبي)** في قصيدته:

(فإن لا تمت تحت السيوف مكرماً   تمت وتقاسي الذل غير مكرم)

(و) مثل **(قوله)** وقد كبست إنطاكية فقتل المهر وأمه كانت تدعى الجهامة في قصيدة:

يرى الجبناء أنَّ الجبن حزمٌ ... وتلك خديعة الطبع اللئيمِ

وأمثال ذلك. وطرق الأوزان المشجعة تخالف الطرق المشوّقة. وهذا أيضاً مباح في وقت يباح فيه الغزو. ومندوب إليه في وقت يستحق فيه الغزو، ولكن في حق من يجوز له الخروج إلى الغزو.

الثالث: الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء، والغرض منها التشجيع للنفس وللأنصار وتحريك النشاط فيهم للقتال، وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة، وذلك إذا كان بلفظ رشيق وصوت طيب كان أوقع في النفس، وذلك مباح في كل قتال مباح، ومندوب في كل قتال مندوب، ومحظور في قتال المسلمين وأهل الذمة. وكل قتال محظور، لأن تحريك الدواعي إلى المحظور محظور. وذلك منقول عن شجعان الصحابة

(يرى الجبناء أن الجبن حزم ... وتلك خديعة النفس اللئيم)

كذا في النسخ والموجود في ديوانه العجز بدل الجبن والطبع بدل النفس ومن هذه القصيدة:

وكم من عائب قولاً صحيحاً ... وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه ... على قدر القرائح والعلوم

وله مثل ذلك من قصيدة أخرى:

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم ... بين طعن القنا وخفق البنودِ
فرؤوس الرماح أذهب للغيـ ... ـظ وأشفى لغل صدر الحقودِ
لا كما قد حييت غير حميد ... فإذا مت مت غير فقيدِ
فاطلب العز في لظى وذرِ الذ ... لَّ ولو كان في جنان الخلودِ
يقتل العاجز الجبان وقد يـ ... ـعجز عن قطع بخنق المولودِ

أي العاجز كل العجز قد يقتل فالعجز والجبن ليسا من أسباب البقاء. **(وأمثال ذلك وطرق الأوزان المشجعة تخالف طرق)** أوزان **(المشوّقة، فهذا أيضاً مباح في وقت يباح فيه الغزو، ولكن في حق من يجوز له الخروج إلى الغزو)** ومن لا فلا.

(الثالث: الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء) مع الأعداء **(والغرض منها التشجيع للنفس)** والتحريض **(وللأنصار)** والأعوان **(وتحريك النشاط فيهم للقتال)** ليستعدوا في ملاقاة العدوّ بانشراح صدر، **(وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة)** وقوة القلب، **(وذلك إذا كان بلفظ رشيق)** أي لخفيف **(وصوت طيب كان أوقع في النفس)** وأكثر تأثيراً فيه، **(وذلك مباح في كل قتال مباح، ومندوب إليه في كل قتال مندوب إليه، ومحظور في قتال المسلمين وأهل الذمة)** من الكفار. **(وكل قتال محظور شرعاً لأن تحريك**

رضي الله عنهم كعلي وخالد رضي الله عنهما وغيرهما. ولذلك نقول: ينبغي أن يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر الغزاة فإن صوته مرقق محزن يحلل عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس ويشوّق إلى الأهل والوطن ويورث الفتور في القتال، وكذا سائر الأصوات والألحان المرققة للقلب، فالألحان المرققة المحزنة تباين الألحان المحركة المشجعة فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتغيير الآراء عن القتال الواجب فهو عاص، ومن فعله على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو بذلك مطيع.

الرابع: أصوات النياحة ونغماتها وتأثيرها في تهييج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة والحزن قسمان: محمود ومذموم.

فأما المذموم، فكالحزن على ما فات قال الله تعالى: ﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا على ما فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] والحزن على الأموات من هذا القبيل فإنه تسخط لقضاء الله تعالى وتأسف على ما لا تدارك له. فهذا الحزن لما كان مذموماً كان تحريكه بالنياحة مذموماً فلذلك ورد النهي الصريح عن النياحة.

الدواعي إلى المحظور محظور. وذلك منقول عن شجعان الصحابة) في حروبهم مع المشركين (**كعلي**) بن أبي طالب (**وخالد**) بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومي، سيف الله يكنى أبا سليمان، وكان أميراً على قتال أهل الردة وغيرها من الفتوح (**رضي الله عنهما وغيرهما**) من الصحابة ممن وجه إلى حروب الكفار كما هو معروف من سيرهم ومذكور في كتب المغازي، (**ولذلك نقول: ينبغي أن يمنع من الضرب بالشاهين في معسكر الغزاة فإن صوته مرقق محزن يحل عقدة الشجاعة ويضعف صرامة النفس**) وشهامتها (**ويشوّق إلى الأهل والوطن ويورث الفتور في القتال**) لخاصية فيه، (**وكذا سائر الأصوات والألحان المرققة للقلب، فالألحان المرققة المحزنة تباين الألحان المحركة المشجعة. فمن فعل ذلك على قصد تغيير القلوب وتغيير الآراء عن القتال المندوب**) إليه (**فهو عاص لله**) تعالى، (**ومن فعل ذلك على قصد التفتير عن القتال المحظور فهو به مطيع**) لله تعالى.

(**الرابع: أصوات النياحة ونغماتها وتأثيرها في تهييج الحزن والبكاء وملازمة الكآبة**) والغم (**والحزن قسمان: محمود ومذموم**).

(**فأما المذموم، فكالحزن على ما فات**) من الأموال. (**قال الله عز وجل**) ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير (**لكيلا تأسوا**) أي تحزنوا (**على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم**﴾ **والحزن على الأموات من هذا القبيل فإنه سخط لقضاء الله عز وجل وتأسف على ما لا تدارك فيه**) وفي نسخة: له. (**فهذا الحزن لما كان مذموماً كان تحريكه بالنياحة مذموماً، فلذلك ورد النهي الصريح في**

وأما الحزن المحمود؛ فهو حزن الإنسان على تقصيره في أمر دينه، وبكاؤه على خطاياه. والبكاء والتباكي والحزن والتحازن على ذلك محمود وعليه بكاء آدم عليه السلام. وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لأنه يبعث على التشمير للتدارك، ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة إذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب، فقد كان عليه السلام يبكي ويبكي ويحزن ويحزن حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته. وكان يفعل ذلك بألفاظه وألحانه، وذلك محمود لأن المفضي إلى المحمود محمود. وعلى هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على المنبر بألحانه الأشعار المحزنة المرقة للقلب ولا أن يبكي ويتباكى ليتوصل به إلى تبكية غيره وإثارة حزنه.

النياحة) رواه البخاري ومسلم من حديث أم عطية أخذ علينا النبي ﷺ في البيعة أن لا ننوح، وروى أبو داود بلفظ: «نهى عن النياحة» وفي حديث معاوية «نهى عن النوح والشعر والتصاوير وجلود السباع والتبرج والغناء والذهب والخز والحرير» وعند البيهقي من حديث ابن عمر: «إن الميت ليعذب بما نيح عليه» وفي الذريعة للراغب قال بعض الحكماء: أسباب الحزن فقد محبوب أو فوت مطلوب، ولا يسلم منهما الإنسان لأن الثبات والدوام معدومان في عالم الكون والفساد، واعلم أن الجزع على ما فات لا يلم ما تشعث ولا يرم ما انتكث، وأما غمه على المستقبل فلا يخلو من ثلاثة أوجه: إما في شيء ممتنع كونه فليس لك من شأن العاقل فكذلك إن كان من قبيل الواجب كونه كالموت الذي هو حتم في رقاب العباد، وإن كان ممكناً كونه فإن كان في الممكن الذي لا سبيل إلى دفعة كامكان الموت قبل الهرم فالحزن له جهل وإستجلاب غم إلى غم، وإن كان من الممكن الذي يصح دفاعه فالوجه أن يحتال لدفاعه بعقل غير مشوب بحزن، فمن علم أن ما جرى من حكمه وسبق في علمه لا سبيل إلى أن لا يكون هانت عليه النوب.

(وأما الحزن المحمود فهو حزن الإنسان على تقصيره في أمر دينه وبكاؤه على خطاياه. والبكاء) حقيقة **(والتباكي)** تكلفاً **(و)** كذا **(الحزن والتحازن على ذلك محمود)** شرعاً، **(وعليه بكى آدم عليه السلام)** لما اهبط إلى الأرض على خطيئته. **(وتحريك هذا الحزن وتقويته محمود لأنه يبعث على التشمر)** والاجتهاد **(على التدارك)** لما فاته، **(ولذلك كانت نياحة داود عليه السلام محمودة إذ كان ذلك مع دوام الحزن وطول البكاء بسبب الخطايا والذنوب)** بالإضافة إلى مقامه، **(فقد كان يحزن)** في فواته **(ويُحزن غيره ويبكي ويُبكي)** غيره **(حتى كانت الجنائز ترفع من مجالس نياحته)** نقل ذلك القشيري في الرسالة وتقدم قريباً. **(وكان يعمل ذلك بألفاظه وألحانه، وذلك محمود لأن المفضي إلى المحمود محمود، ومن هذا لا يحرم على الواعظ الطيب الصوت أن ينشد على المنبر بألحانه الأشعار المحزنة المرققة للقلب، وأن يبكي ويتباكى ليتوصل به إلى تبكية غيره وإثارة حزنه)**. وكان سبط بن

الخامس: السماع في أوقات السرور تأكيداً للسرور وتهييجاً له، وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحاً كالغناء في أيام العيد وفي العرس وفي وقت قدوم الغائب وفي وقت الوليمة والعقيقة وعند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه القرآن العزيز. وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به. ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه. ويدل على هذا النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله ﷺ.

طَلَعَ البدر علينا ... من ثنيّاتِ الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داعٍ

فهذا إظهار السرور لقدومه ﷺ وهو سرور محمود، فإظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات أيضاً محمود. فقد نقل عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم حجلوا في سرور أصابهم ـ كما سيأتي في أحكام الرقص ـ وهو جائز في قدوم كل قادم

الجوزي ربما طلع على المنبر فيغلب عليه البكاء قبل أن يشرع في الوعظ فيبكي الناس لبكائه وينزل عن المنبر ولم يقل شيئاً.

(**الخامس: في أوقات السرور تأكيد للسرور وتهييجاً له وهو مباح إن كان ذلك السرور مباحاً كالغناء في أيام العيد في العرس**) أي الدخول بالمرأة (**وفي وقت قدوم الغائب**) من سفره (و) في (**وقت الوليمة والعقيقة، وكذلك عند ولادة المولود وعند ختانه وعند حفظه للقرآن. وكل ذلك معتاد لإظهار السرور ووجه جوازه أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب، فكل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه، ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء بالدف والألحان عند قدوم رسول الله ﷺ**) المدينة:

(طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داعٍ)

قال العراقي: رواه البيهقي في الدلائل من حديث ابن عائشة معضلاً وليس فيه ذكر الدف والالحان اهـ.

قلت: هو في الخلفيات وفيه ذكر الدف ويروى بزيادة:

أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع

(**فهذا إظهار السرور بقدومه ﷺ**) وكانوا ينتظرونه (**وهو سرور محمود فإظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات أيضاً محمود، فقد نقل عن جماعة من الصحابة أنهم حجلوا في سرور أصابهم**) ورواه أبو داود من حديث علي (**كما سيأتي**) في الباب الثاني (**في أحكام**

يجوز الفرح به وفي كل سبب مباح من أسباب السرور. ويدل على هذا ما روي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لقد رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسأمه». فأقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو إشارة إلى طول مدة وقوفها. وروى البخاري ومسلم أيضاً في صحيحيهما حديث عقيل، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها: أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدفقان

الرقص) قريبا، **(وهو جائز في قدوم كل غائب قادم يجوز الفرح به، وفي كل سبب مباح من أسباب السرور، ويدل على هذا ماروي في الصحيحين)** البخاري ومسلم. **(عن عائشة رضي الله عنها قالت: «رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا انظر إلى الحبشة يلعبون)** أي بالحراب والدرق **(في المسجد حتى أكون أنا التي أسأمه» فاقدروا)** بضم الدال وكسرها لغتان حكاهما الجوهري وغيره وهو من التقدير أي قدروا في أنفسكم **(قدر)** رغبة من تكون بهذه الصفة وهي **(الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو)** أي حداثة السن والحرص على اللهو ولا مانع لها من ذلك متى تشتهي **(إشارة إلى طول مدة وقوفها)** لذلك. ومن المعلوم أن من كانت بهذه الصفة تحب اللهو والتفرج والنظر إلى اللعب حباً بليغاً وتحرص على إدامته ما أمكنها ولا تمل ذلك إلا بعد زمن طويل. قال العراقي: هو كما ذكره المصنف في الصحيحين اهـ.

قلـت: أخرجه البخاري من طريق معمر، وفيه بعد قوله الحديثة السن «تسمع اللهو» وأخرجه أيضاً من طريق صالح بن كيسان وفيه «والحبشة يلعبون في المسجد» ولم يذكر ما بعده. وأخرجه أيضاً تعليقاً ومسلم مسنداً من طريق يونس بن يزيد وفيه «حريصة على اللهو» وذلك عند مسلم، وليس عند البخاري فإنه إنما ساق هذه الرواية المعلقة مختصرة. وأخرجه البخاري أيضاً من طريق الاوزاعي مثل سياق المصنف. وأخرجه مسلم والنسائي من طريق عمرو بن الحارث وفيه «فاقدروا قدر الجارية العربة الحديثة السن» خمستهم عن الزهري عن عروة عن عائشة، وله طرق أخرى تركتها اختصاراً. ورواه أحمد بلفظ «فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة للهوى» وسيأتي قريباً.

(وروى مسلم والبخاري من حديث عقيل) بالتصغير هو ابن خالد بن عقيل كامير الايلي يكنى أبا خالد الأموي مولى عثمان بن عفان. قال أحمد والنسائي: ثقة. وقال ابن معين: أثبت من روى عن الزهري مالك ثم معمر ثم عقيل، وعنه أيضاً أثبت الناس في الزهري مالك ومعمر ويونس وعقيل وشعيب بن أبي حمزة وسفيان بن عيينة. وقال أبو زرعة: عقيل صدوق ثقة مات بمصر سنة إحدى وأربعين ومائة روى له الجماعة، **(عن الزهري)** هو أبو بكر محمد بن عبيد بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة المدني تقدمت ترجمته مراراً، **(عن عروة)** بن الزبير بن العوّام القرشي تقدمت ترجمته مراراً، **(عن عائشة رضي الله عنها أن بكر رضي الله عنه دخل**

وتضربان والنبي ﷺ متغشٍ بثوبه فانتهرهما أبو بكر رضي الله عنه، فكشف النبي ﷺ عن وجهه وقال: «دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد» وقالت عائشة رضي الله عنها: رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ: «أمناً يا بني أرفدة» يعني من الأمن، وفي حديث عمرو بن الحرث عن ابن شهاب نحوه وفيه: تغنيان وتضربان. وفي حديث أبي طاهر عن

عليها وعندها جاريتان في أيام منى تدففان وتضربان، والنبي ﷺ متغش بثوبه) أي مخمّر وجهه (**فانتهرهما**) أي زجرهما (**أبو بكر فكشف النبي ﷺ عن وجهه فقال: دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد»**) قال العراقي: هو كما ذكر المصنف في الصحيحين، لكن قوله: إنه فيهما من رواية عقيل عن الزهري ليس كما ذكر، بل هو عند البخاري كما ذكره، وعند مسلم من رواية عمرو بن الحارث عنه اهـ.

قلت: أخرجه البخاري في سنّة العيد وفي أبواب متفرقة من طرق، وفي بعضها ما سيأتي للمصنف قريباً. وأخرجه مسلم في العيد، وأخرجه النسائي في عشرة النساء، ووجه التمسك بها أنهما غنتا بحضرته الشريفة. وزجر أبا بكر عن الإنكار عليهما ولم ينهه عن سماعهما، فدل ذلك على جوازه وإباحته.

(**وقالت عائشة رضي الله عنها رأيت رسول الله ﷺ يسترني وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ «أمنا يا بني أرفدة» يعني من الامن**) قال العراقي: تقدم قبله بحديث زجر عمر لهم إلى آخره، فرواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله «أمنا يا بني ارفدة» بل قال «دعهم يا عمر» زاد النسائي «فإنما هم بنو أرفدة» ولهما من حديث عائشة: «دونكم يا بني ارفدة» وقد ذكره المصنف بعد هذا.

(**وفي حديث عمرو بن الحارث**) بن يعقوب بن عبد الله الأنصاري أبي أمية المصري المدني الأصل، مولى قيس بن سعد بن عبادة كان قارئاً فقيهاً مفتياً روى (**عن**) بكر بن سوادة، وبكير ابن الأشج، وثمامة بن شقي، وجعفر بن ربيعة، وأبيه الحارث، وحبان بن واسع، وربيعة الرأي، وسالم أبي النضر، وسعيد بن الحارث الأنصاري، وسعيد بن أبي هلال، وعامر بن يحي المعافري، وعبد ربه بن سعيد، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعبيد الله بن أبي جعفر، وعمارة بن غزية، وقتادة، وكعب بن علقمة، وأبي الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل، ومحمد بن مسلم (**بن شهاب**) الزهري، وهشام بن عروة ويحى الأنصاري، ويزيد بن أبي حبيب، ويونس بن يزيد الأيلي، وأبي حمزة بن سليم، وأبي الزبير المكي، وأبي يونس مولى أبي هريرة. روى عنه بكر وعبد الله بن وهب، وهو روايته. وموسى بن أعين الجزري ذكره خليفة في الطبقة الثالثة من التابعين من أهل مصر، وابن سعد في الرابعة. وقال: كان ثقة إن شاء الله. وقال أبو داود: سمعت أحمد يقول ليس فيهم يعني أهل مصر أصح حديثاً من الليث وعمرو بن الحارث يقاربه، وثقه ابن

ابن وهب: «والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله ﷺ وهو يسترني بثوبه ـ أو بردائه ـ لكي أنظر إلى لعبهم ثم

معين وأبو زرعة والعجلي والنسائي وغيرهم. مات سنة ثمان وأربعين ومائة عن ثمان وخمسين سنة. روى له الجماعة (**نحوه**) يريد المساواة في أصل المعنى مع اختلاف اللفظ، فإذا اتفق اللفظان قالوا مثله. (**وفيه: «تغنيان وتضربان»**) قال العراقي: رواه مسلم وهو عند البخاري من رواية الاوزاعي عن ابن شهاب اهـ.

قلت: أخرجه صاحب العوارف من طريق عمر بن الخطاب عن الأوزاعي وفيه «تغنيان وتضربان بدفين» ولمسلم في العيد «تغنيان وتدففان وتضربان».

(**وفي حديث أبي الطاهر**) أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن السرح القرشي الأموي المصري، مولى نهيك، مولى عتبة بن أبي سفيان. قال النسائي: ثقة. قال أبن يونس: كان فقيهاً من الصالحين الأثبات توفي سنة خمسين ومائتين روى عنه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه (**عن ابن وهب**) وهو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي الفهري مولاهم المصري وثقه ابن معين وأبو زرعة. وقال ابن حبان جمع وصنّف وحفظ على أهل الحجاز ومصر حديثهم، وعني بجمع ما رووا من المسانيد والمقاطيع وكان من العباد. وقال ابن عدي من أجلة الناس ومن ثقاتهم. وقال يونس بن عبد الأعلى: عرض على ابن وهب القضاء فجفا نفسه ولزم بيته فاطلع عليه رشدين بن سعد وهو يتوضأ في صحن داره فقال له: يا أبا محمد لم لا تخرج إلى الناس تقضي بينهم بكتاب الله وسنّة رسوله؟ فرفع رأسه إليه وقال: إلى ههنا انتهى عقلك أما علمت أن العلماء يُحشرون مع الأنبياء عليهم السلام، وأن القضاة يحشرون مع السلاطين. وقال خالد بن خداش: قرىء على ابن وهب كتاب أهوال القيامة يعني من تصنيفه فخرّ مغشياً عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد أيام سنة سبع وتسعين ومائة وروى له الجماعة: (**«والله لقد رأيت رسول الله ﷺ**) فيه الحلف لتوكيد الأمر وتقويته (**يقوم على باب حجرتي**) أرادت بها منزلها وكلام بعضهم يقتضي أن أصلها حظيرة الإبل (**والحبشة**) بالتحريك ويقال فيهم حبش بغير هاء. وقال صاحب المحكم: وقالوا الحبشة وليس بصحيح في القياس لأنه لا واحد له على مثال فاعل فيكون مكسراً على فعله (**يلعبون بحرابهم**) ودرقهم (**في مسجد رسول الله ﷺ**) فيه جواز اللعب بالسلاح ونحوه من آلات الحرب في المسجد كما سيأتي (**وهو يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم»**) وفيه جواز نظر النساء إلى لعب الرجال.

قال ابن بطال: وقد يمكن أن يكون تركه إياها لتنظر إلى اللعب بالحراب لتضبط السنّة في ذلك وتنقل تلك الحركات المحكمة إلى بعض من يأتي من أبناء المسلمين وتعرفهم بذلك، واستدل به على جواز نظر المرأة للرجل، وفيه لاصحاب الشافعي أوجه. أحدها: وهو الذي صححه الرافعي جوازه فتنظر جميع بدنه إلا ما بين السرة والركبة، والثاني: لها أن تنظر ما يبدو في المهنة فقط،

يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف »، وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ قالت وكان يأتيني صواحب لي فكن يتقنعن من رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يسر لمجيئهن إليّ فيلعبن معي، وفي رواية أن

وهذا الحديث محتمل للوجهين. والثالث: وهو الذي صححه النووي تبعاً لجماعة تحريم نظرها إليه كما يحرم نظره إليها، واستدل هؤلاء بقوله تعالى: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ [النور: ٣١] وبقوله ﷺ لأم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما « احتجبا عنه » أي عن ابن أم مكتوم فقالتا: إنه أعمى لا يبصرنا. فقال النبي ﷺ « أفعميا وإن أنتما ألستما تبصرانه » رواه الترمذي وغيره وحسنه هو وغيره، وأجابوا عن حديث عائشة هذا بجوابين. أحدهما: أنه ليس فيه أنها نظرت إلى وجوههم وأبدانهم، وإنما نظرت إلى لعبهم وحرابهم، ولا يلزم من ذلك تعمد النظر إلى البدن وإن وقع بلا قصد صرفته في الحال. والثاني: لعل هذا كان قبل نزول الآية في تحريم النظر أو أنها كانت صغيرة قبل بلوغها فلم تكن مكلفة على قول من يقول: إن الصغير المراهق لا يمنع ولا يخفي أن محل الخلاف فيما إذا كان النظر بغير شهوة ولا خوف فتنة فإن كان كذلك حرم قطعاً.

(« ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف ») فيه بيان ما كان عليه ﷺ من الرأفة والرحمة وحسن الخلق ومعاشرة الأهل بالمعروف، وذلك من أوجه سيأتي ذكر بعضها في سياق المصنف قريباً. قال العراقي: هذا الحديث رواه مسلم أيضاً إنتهى.

قلت: ورواه أيضاً أحمد والنسائي ولفظهم بعد قوله « لأنظر إلى لعبهم بين أذنه وعاتقه » وزاد بعد قوله انصرف فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة للهوى، وعند الشيخين « الحريصة على اللهو » وفي رواية لمسلم « الجارية العربة » وهي المشتهية للعب المحبة له، ومعنى الحريصة للهوى أنها حريصة على تحصيل ما تهواه نفسها من اللعب واللهو، ولم تتصف بالحرص لأجل محبة المال كما يعهد من غيرها فإنها لم تكن بتلك الصفة ما كان حرصها إلا كحرص الصغار على تحصيل ما تهوى نفسها من النظر إلى اللعب. ورواية الصحيحين « الحريصة على اللهو » أظهر توجيهاً وهو منصوب على الحال، وفي رواية البخاري « الحديثة السن تسمع اللهو » يعني أن حداثة سنها مع سماع اللهو يوجب ملازمتها له، فما ظنك برؤية اللهو التي هي أبلغ من سماعه؟

(وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كنت ألعب عند رسول الله ﷺ وكان تأتيني صواحبات لي فكن يستحيين) وفي نسخة: ينقمعن **(من رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ يسربهن لمجيئهن إليّ فيلعبن معي)** قال العراقي هو في الصحيحين كما ذكر المصنف ولكن مختصراً اهـ.

قلت: روياه من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، وفي لفظ المسلم: « وهي اللعب »، ورواه أحمد بلفظ « كنت ألعب بالبنات فتأتيني صواحبي فإذا دخل رسول الله ﷺ فررن منه

النبي ﷺ قال لها يوماً: «ما هذا؟» قالت: بناتي. قال: «فما هذا الذي أرى في وسطهن؟» قالت: فرس. قال: «ما هذا الذي عليه؟» قالت: جناحان قال: «فرس له جناحان» قالت: أو ما سمعت أنه كان لسليمان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة؟ قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه. والحديث محمول عندنا على عادة الصبيان في اتخاذ الصورة من الخزف والرقاع من غير تكميل صورته بدليل ما روي في بعض الروايات أن الفرس كان له جناحان من رقاع. وقالت عائشة رضي الله عنها:

فيأخذهن رسول الله ﷺ فيردهن إليَّ» قال القرطبي في شرح مسلم: البنات جمع بنت وهن الجواري، وأضيفت اللُّعب وهي جمع لُعبة وهو ما يلعب به للبنات لأنهن هن اللواتي يصنعنها ويلعبن بها. وقال الولي العراقي: المراد بالبنات هنا نفس اللُّعب وتسميتهن بذلك من مجاز التشبيه الصوري كتسمية المنقوش في الحائط أسداً والله أعلم. وقال القاضي عياض في شرح مسلم: فيه جواز اللعب بهن. قال: وهن مخصوصات من الصور المنهي عنها لهـذا الحـديث ولما فيه من تدريب النساء في صغرهن لأمر أنفسهن وبيوتهن وأولادهن.

(**وفي رواية**) أخرى: (**أن النبي ﷺ قال لها**) يوماً (**«ما هذا»**) يا عائشة؟ (**قالت: بنياتي**) بالتصغير وفي نسخة: بناتي (**قال: «فما هذا الذي أرى في وسطهن»؟ قالت: فرس. قال: «ما هذا الذي عليه»؟ قالت: جناحان. فقال: «فرس له جناحان» قالت: أو ما سمعت أنه كان لسليمان بن داود**) عليهما السلام (**خيل لها أجنحة؟ قالت: فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه**). قال العراقي وهذه ليست في الصحيحين، وإنما رواها أبو داود بإسناد صحيح انتهى. (**والحديث محمول عندنا**) معاشر الشافعية (**على عادة الصبيان في اتخاذ اللعب من الخرق والرقاع من غير تكميل صورة بدليل ما روي في بعض الروايات أن الفرس كان له جناحان من رقاع**). وقال القاضي عياض: وقد أجاز العلماء بيعهن وشراءهن. وروي عن مالك كراهة شرائهن، وهذا محمول على كراهة الاكتساب بها وتنزيه ذوي المروءات من تولي بيع ذلك لا كراهة اللعب. قال: ومذهب جمهور العلماء جواز اللعب بهن. وقالت طائفة: هو منسوخ بالنهي عن الصور اهـ.

قال الولي العراقي في شرح التقريب: ومقتضاه استثناء ذلك من امتناع الملائكة من دخول البيت الذي فيه صورة، وقد يُقال فيه مثل الخلاف الذي بين الخطابي والنووي في الكلب المأذون في اتخاذه هل تمنع الملائكة من دخول البيت الذي هو فيه؟ فقال الخطابي: لا. وهو الأرجح. وقال النووي: نعم وفي اطراد مثل ذلك هنا نظر، إذ لو كان كذلك لمنع النبي ﷺ دخول مثل هذه الصورة في بيته وإن كان اللعب بها مباحاً كرهه على دخول الملائكة إليه وإن ذلك لا بدَّ منه، والله أعلم.

دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحول وجهه، فدخل أبو بكر رضي الله عنه فانتهرني وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ، فأقبل عليه رسول الله ﷺ وقال: «دعهما» فلما غفل غمزتهما فخرجتا. وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال: «تشتهين تنظرين» فقلت: نعم، فأقامني وراءه وخدّي على خده ويقول: «دونكم يا بني أرفدة» حتى إذا مللت قال: «حسبك» قلت: نعم. قال: «فاذهبي» وفي صحيح مسلم: فوضعت رأسي على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا الذي انصرفت.

فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين وهو نص صريح في أن الغناء واللعب ليس

(وقالت عائشة رضي الله عنها: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث) وفي رواية: من جواري الأنصار تغنيات بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث وليستا بمغنيتين، وبعاث: كغراب موضع بالمدينة. قال البكري: على ليلتين منها وتأنيثها أكثر. ويوم بعاث من أيام الأوس والخزرج بين البعثة والهجرة، وكان الظفر للأوس. قال الأزهري: هكذا ذكره بالعين المهملة الواقدي ومحمد بن إسحاق وصحفه الليث فجعله بالغين المعجمة. وقال القالي في باب العين المهملة: يوم بعاث في الجاهلية للأوس والخزرج بضم الباء. قال هكذا سمعناه من مشايخنا، وهذه عبارة ابن دريد أيضاً. **(فاضطجع على الفراش وحول وجهه)** عنهما. **(ودخل أبو بكر)** رضي الله عنه **(فانتهرني)** أي زجرني **(وقال: مزمارة الشيطان عند النبي ﷺ)** وهو استفهام إنكاري، **(فاقبل عليه رسول الله ﷺ قال: «دعهما» فلما غفل غمزتهما فخرجتا وكان يوم عيد)** وفي لفظ: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟ يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا. أخرجه البخاري في أبواب متفرقة، وفي بعضها أنه دخل عليها في يوم عيد فطر أو أضحى وعندها قينتان تغنيات وتدففان، وفي هذه الطريق فقال له النبي ﷺ: «دعهما» وأخرجه مسلم في العيد، والنسائي في عشرة النساء **(يلعب فيه السودان)** وهم الحبشة **(بالحراب والدراق، فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال)** ابتداء **(تشتهي)** يا عائشة **(تنظرين»)** إلى لعبهم؟ **(فقلت: نعم. فأقامني وراءه وخدي على خده)** وفي رواية أحمد والنسائي: بين أذنه وعاتقه **(ويقول: دونكم يا بني أرفدة»)** وهو لفظ الصحيحين كما تقدمت الإشارة إليه **(حتى إذا مللت قال: حسبك»)** أي كفاك **(قلت: نعم: قال «فاذهبي»)** رواه البخاري ومسلم. **(وفي صحيح مسلم)** خاصة: **(فوضعت رأسي على منكبه فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي انصرفت)** ولا تنافي في الروايتين المذكورتين، وبين رواية أحمد والنسائي المذكورة أيضاً فإنها إذا وضعت على رأسها منكبه صارت بيت أذنه وعاتقة فإن تمكنت في ذلك صار خدها على خده.

(فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين) سوى بعض الذي أشرنا إليه أنه ليس فيهما

بحرام. وفيها دلالة على أنواع من الرخص.

(وهي نص صريح في أن الغناء واللعب ليسا بحرام). وقد بقي على المصنف ذكر أحاديث أخر تمسك بها القائلون بإباحة الغناء واللعب.

ومنها: ما أخرجه البخاري في باب الضرب بالدف في النكاح من حديث الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت: جاء النبي ﷺ فدخل حين بني عليّ فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي إذ قالت إحداهن:

وفينا نبي يعلم ما في غد

فقال ﷺ: «دعي هذا وقولي التي كنت تقولين». وأخرجه الترمذي عن حميد بن مسعدة البصري، عن بشر بن المفضل، عن خالد، عن ذكوان، عن الربيع بنت معوذ وقال حديث حسن صحيح. وأخرجه أبو داود عن بشر بن المفضل، وأخرجه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يزيد بن هارون، وعن حماد بن سلمة، عن أبي الحسن المدائني قال: كنا بالمدينة يوم عاشوراء والجواري يندبن بالدف ويغنين، فدخلنا على الربيع بنت معوذ فذكرنا ذلك لها فقالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ صبيحة عرسي وعندي جاريتان تغنيان وتندبان آبائي الذي قتلوا يوم بدر وتقولان فيما تقولان:

وفينا نبي يعلم ما في غد

فقال: «أما هذا فلا تقولان لا يعلم ما في غد إلا الله». وقد تقدم للمصنف في كتاب النكاح، وسيأتي في آخر هذا الكتاب.

ومنها ما أخرجه البخاري في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها أنه زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال النبي ﷺ: «يا عائشة ما كان معكم من لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو». وأخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس قال: أنكحت عائشة قرابة لها من الأنصار فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أهديتم الفتاة» قالوا: نعم. قال: «أرسلتم معها من يغني». قالت: لا. فقال رسول الله ﷺ: «إن الأنصار فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول:

أتيناكم أتيناكم فحيّانا وحياكم»

وقال ابن دقيق العيد في اقتناص السوانح بسنده إلى عائشة: أن النبي ﷺ قال لها «ما فعلت فلانة ليتيمة كانت عندها. فقالت: أهديتها إلى زوجها. قال: «فهلا بعثتم معها بجارية تضرب الدف وتغني» قالت: تقول ماذا؟ قال: تقول:

أتيناكم أتيناكم فحيّانا وحياكم»

وقال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي: أخبرنا أبو إسحاق وإبراهيم بن محمد الأصفهاني بها، حدثنا إبراهيم بن عبد الله التاجر، حدثنا الحسن بن إسماعيل المحاملي، حدثنا أبو

....

حمزة الزبير بن خالد، حدثنا صفوان بن فهيرة أبو عبد الرحمن البصير، عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الأصبغ أن جميلة أخبرته أنها سألت جابر/بن عبد الله رضي الله عن الغناء فقال: نكح بعض الأنصار بعض أهل عائشة رضي الله عنها وأهدتها إلى فتى، فقال لها رسول الله ﷺ: «أهديت عروسك». قالت: نعم. قال: «فأرسلت معها بغناء فإن الأنصار يحبونه». قالت: لا. قال: «فادركيها يا زينب» امرأة كانت تغني بالمدينة. ورواه أبو الزبير عن جابر كذلك.

ومنها: ما أخرجه النسائي في باب إطلاق الرجل لزوجته إستماع الغناء والضرب بالدف فقال: أخبرنا هارون بن عبد الله، حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا الجعيد هو ابن عبد الرحمن، عن يزيد ابن خصيفة، عن السائب بن يزيد أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا عائشة أتعرفين هذه». فقالت: لا يا نبي الله. قال: «هذه قينة بني فلان تحبين أن تغنيك». فقال النبي ﷺ: «قد نفخ الشيطان في منخريها» وإسناده صحيح. وأخرجه الطبراني في الكبير عن أحمد بن داود المكي، عن علي بن حجر، عن مكي عن الجعيد بلفظ: «تحبين أن تغنيك». فقالت: نعم فغنتها.

ومنها: ما أخرجه الحافظ أبو ذر الهروي فقال: أخبرنا أحمد بن إبراهيم بن الحسن قراءة عليه، حدثنا عبد الله بن سليمان، حدثنا هارون بن إسحاق، حدثنا محمد وهو ابن عبد الوهاب، عن سفيان عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد أنه أتى أبا مسعود وقرظة بن كعب وثابت بن يزيد وعندهم غناء فقلت لهم: ما هذا وأنتم أصحاب محمد؟ قالوا: «إنه رخص لنا في الغناء في العرس» قال: وأخبرنا أيضاً عبد الرحمن بن عمر الخلال، حدثنا الحسين بن إسماعيل المحاملي، حدثنا هارون بن إسحاق فذكره. وهذا الحديث من جملة الأحاديث التي ألزم الدارقطني الشيخين إخراجها إياه في كتابيهما. وأخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف عن شريك عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد. وأخرجه الحاكم في المستدرك وفيه: «أنه رخص لنا في الغناء في العرس والبكاء على الميت من غير نياحة». وقال: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه. وأخرجه النسائي في السنن وفيه: «فإن شئت فأقم وإن شئت فاذهب إنه رخص لنا في اللهو عند العرس». ورواه ابن قتيبة في كتاب الرخصة في السماع بسنده إلى عامر بن سعد قال: دخلت على أبي مسعود الأنصاري وقرظة بن كعب وجوار يغنين بدفوف لهن فقلت: تفعلون هذا وأنتم أصحاب محمد؟ فقالوا: «نعم رخص لنا في ذلك».

ومنها: ما أخرجه ابن ماجه في السنن فقال: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا عوف، عن ثمامة بن عبد الله، عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ مر ببعض أزقة المدينة فإذا هو بجوار يضربن بدفهن ويغنين ويقلن:

نحن جوار من بني النجار ... يا حبذا محمد من جار

فقال النبي ﷺ: «الله يعلم إني لأحبكن».

ومنها: ما أخرجه الترمذي من رواية بريدة بن الحصيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما

الأول: اللعب: ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب.

والثاني: فعل ذلك في المسجد.

والثالث: قوله ﷺ: «دونكم يا بني أرفدة» وهذا أمر باللعب والتماس له فكيف يقدر كونه حراماً.

رجع من مغازيه جاءته جارية سوداء فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى. فقال لها: «إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا». فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدف تحت إستها وقعدت عليه، فقال ﷺ: «إن الشيطان يخاف منك يا عمر» الحديث. وقال: حسن صحيح. وأخرجه البيهقي كذلك من هذا الوجه، وأخرجه أبو داود فقال: حدثنا مسدد، حدثنا الحرث بن عبيد، عن عبدالله بن الأخنس، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف، فقال: «أوفي بنذرك».

ومنها: ما رواه الترمذي وابن ماجه فال الترمذي: حدثنا أحمد بن منيع، وقال ابن ماجه: حدثنا عمرو بن رافع قالا: حدثنا هشيم، حدثنا أبو مليح عن محمد بن طالب الجمحي قال، قال رسول الله ﷺ: «فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت» قال: وفي الباب عن عائشة وجابر والربيع بنت معوذ، وحديث محمد بن حاطب حديث حسن، وقد أخرجه كذلك أحمد والنسائي وصححه الحاكم، وهو من جلة الأحاديث التي ألزم الدارقطني مسلماً إخراجه وقال: هو صحيح. فهذه الأحاديث التي ذكرناها كذلك يستدل بها على الإباحة إما مطلقاً وإما في النكاح ونقيس عليه غيره ولا ينصرف عن ذلك إلا بدليل يمنع منه. (**وفيها**) أي الأحاديث التي ذكرها المصنف آنفاً (**دلالة على أنواع من الرخص**).

(**الأول: اللعب**) بالسلاح ونحوه من آلات الحرب ويلتحق به ما في معناه من الأسباب المعينة على الجهاد وأنواع البر: (**ولا تخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب**).

(**الثاني: فعل ذلك في المسجد**) قال المهلب شارح البخاري المسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين فما كان من الأعمال مما يجمع منفعة الدين وأهله فهو جائز في المسجد، واللعب بالحراب من تدريب الجوارح على معاني الحروب وهو من الإشتداد للعدو والقوة على الحرب فهو جائز في المسجد وغيره.

(**الثالث: قوله ﷺ: «دونكم يا بني ارفدة»**) كما هو في الصحيحين من حديث عائشة كما تقدم، (**وهو أمر باللعب والتماس له**) وذلك مفهوم من قوله: «دونكم» (**فكيف يقدر كونه حراماً**).

والرابع: منعه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن الإنكار والتغيير وتعليله بأنه يوم عيد أي هو وقت سرور؟ وهذا من أسباب السرور.

والخامس: وقوفه طويلاً في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة رضي الله عنها. وفيه دليل على أن حسن الخلق في تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتقشف في الامتناع والمنع منه.

والسادس: قوله ﷺ ابتداء لعائشة: «أتشتهين أن تنظري» ولم يكن ذلك عن اضطرار إلى مساعدة الأهل خوفاً من غضب أو وحشة، فإن الالتماس إذا سبق ربما كان الرد سبب وحشة وهو محذور فيقدم محذور، على محذور. فأما ابتداء السؤال فلا حاجة فيه.

والسابع: الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجاريتين مع أنه شبه ذلك بمزمار الشيطان وفيه بيان أن المزمار المحرم غير ذلك.

(**الرابع: منعه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن الإنكار والتغيير**) بقوله: «دعهما» (**وتعليله بأنه يوم عيد**) وكان يوم عيد فطر أو أضحى كما سبق ذكره (**أي هو وقت السرور، وهذا من أسباب السرور**).

(**الخامس: وقوفه طويلاً في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة**) رضي الله عنها، (**وفيه دليل على أحسن الخلق في تطييب نفوس النساء والصبيان بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتقشف في الامتناع والمنع منه**) حاصله بيان ما كان عليه ﷺ من الرأفة والرحمة وحسن الخلق ومعاشرة الأهل بالمعروف، وذلك من أوجه: منها تمكينه ﷺ عائشة من النظر إلى هذا اللهو، ومنها: أنه لم يقطع ذلك عليها بل جعل الخيرة إليها في قدر وقوفها، ومنها مباشرته ﷺ سترها بنفسه الكريمة وبردائه وموافقتها في ذلك بنفسه وإنه لم يكله إلى غيره، وإلى ذلك أشارت بقولها: ثم يقوم من أجلي، وفي أيضاً أنه لا بأس بترويح النفس بالنظر إلى بعض اللهو المباح.

(**السادس: قوله ﷺ ابتداء لعائشة**) رضي الله عنها (**أتشتهين أن تنظري**) كما هو في الصحيحين، (**فلم يكن ذلك عن اضطرار إلى مساعدة الأهل خوفاً من غضب أو وحشة فإن الالتماس إذا سبق ربما كان الرد سبب الوحشة وهو محظور فيقدم محظور على محظور، فأما إبتداء السؤال فلا حاجة فيه**).

(**السابع: الرخصة في الغناء والضرب بالدف من الجاريتين**) المذكورتين وفي رواية: من القينتين كما سبق، (**مع أنه شبه ذلك بمزامير الشيطان**) كما في قول أبي بكر رضي الله عنه،

والثامن: أن رسول الله ﷺ كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع، ولو كان يضرب بالأوتار في موضع لما جوّز الجلوس ثم لقرع صوت الأوتار سمعه. فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم تحريم صوت المزامير بل إنما يحرم عند خوف الفتنة.

فهذه المقايس والنصوص تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب بالدف واللعب بالدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزنوج في أوقات السرور كلها ـ قياساً على يوم العيد ـ فإنه وقت سرور، وفي معناه يوم العرس والوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر، وسائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز به الفرح شرعاً، ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام فهو أيضاً مظنة السماع.

السادس: سماع العشاق تحريكاً للشوق وتهييجاً للعشق وتسلية للنفس. فإن كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيده اللذة، وإن كان مع المفارقة فالغرض تهييج الشوق. والشوق وإن كان ألماً ففيه نوع لذة إذا انضاف إليه رجاء الوصال فإن الرجاء لذيذ

وفي لفظ آخر: نفخ الشيطان في منخريها كما سبق، **(وفيه بيان أن المزمار المحرم غير ذلك)** ولولا ذلك لما أقره ﷺ).

(الثامن: أن النبي ﷺ كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع) في الفراش، **(ولو كان يضرب بالأوتار في موضع لما جوز الجلوس ثم)** أي هناك **(ليقرع صوت الأوتار سمعه. فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم تحريم صوت المزامير بل إنما يحرم عند خوف الفتنة)** قطعاً.

(فهذه المقايس والنصوص تدل على إباحة الغناء والرقص والضرب والدف واللعب والدرق والحراب والنظر إلى رقص الحبشة والزنوج) ومن في حكمها **(في أوقات السرور كلها قياساً على يوم العيد فإنه وقت سرور)** وفرح، **(وفي معناه يوم العرس)** وهو يوم دخول العريس بالعروس، **(ويوم الوليمة والعقيقة والختان ويوم القدوم من السفر وسائر أسباب الفرح وهو كل ما يجوز الفرح به شرعاً ويجوز الفرح بزيارة الإخوان ولقائهم وإجتماعهم في موضع واحد على طعام أو كلام، فهو أيضاً مظنة السماع)**.

(السادس: سماع العشاق تحريكاً للشوق) الكامن في النفس **(وتهييجاً للعشق)** المستكن في القلب **(وتسلية للنفس المحزونة)** فإن كان ذلك **(في مشاهدة المعشوق)** المحبوب إلى النفس **(فالغرض)** منه **(تأكيد اللذة)** المعنوية في شهوده إياه، **(وإن كان مع المفارقة)** عنه **(فالغرض)** منه **(تهييج الشوق والتشوق)** إليه، وهذا **(وإن كان مؤلماً)** للنفس **(ففيه**

واليأس مؤلم، وقوة لذة الرجاء بحسب قوّة الشوق والحب للشيء المرجوّ. ففي هذا السماع تهييج العشق وتحريك الشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر في الوصال مع الاطناب في وصف حسن المحبوب. وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن يباح وصاله كمن يعشق زوجته أو سريته، فيصغي إلى غنائها لتضاعف لذته في لقائها. فيحظى بالمشاهدة البصر، وبالسماع الأذن، ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب، فتترادف أسباب اللذة. فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها ﴿وما الحياة الدنيا إلاّ لهو ولعب﴾ [العنكبوت: ٦٤] وهذا منه. وكذلك إن غضبت منه جارية أو حيل بينه وبينها بسبب

نوع لذة إذا إنضاف إليه رجاء الوصال) عن قرب أو بعد، (**فإن الرجاء**) من حيث هو (**لذيذ واليأس مؤلم**) طبعاً، (**وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشيء**) فكلما قوي الحب قويت لذة الرجاء (**ففي هذا السماع تهييج للعشق وتحريك للشوق وتحصيل لذة الرجاء المقدر في**) حالة (**الوصال مع الإطناب في وصف حسن المحبوب**) مما أعطى من الكمال فيه، (**وهذا**) لا شك أنه (**حلال إن كان المشتاق إليه ممن يباح وصاله**) شرعاً. وهذا (**كمن يعشق زوجته أو سريته**) أي جاريته المملوكة له، (**فيصغي إلى عتابها لتتضاعف لذته في لقائها فيحظى بالمشاهدة البصر، وبالسماع الأذن، ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب فتترادف أسباب اللذة**) ومن ذلك ما حكى الماوردي في الأحكام السلطانية أن أبا الأزهر حكى أن أبا عائشة رأى رجلاً يكلم امرأة في الطريق فقال: لئن كانت حرمتك إنه لقبيح بك، وان لم تكن حرمتك فأقبح، ثم تولى فجلس يحدث الناس فإذا رقعة ألقيت في حجره مكتوب فيها:

إن التي أبصرتني ... سحراً أكملها رسول
أدت إليَّ رسالة ... كادت لها روحي تسيل
من فاتر الألحاظ يجـ ... ـذب خصره ردف ثقيل

أبياتاً ذكرها. فقرأها ابن أبي عائشة ووجد مكتوباً على رأسها أبو نواس. فقال: مالي وللتعرض لأبي نواس. قال: وليس فيما قاله أبو نواس صريح، فجوز لاحتمال أن يكون إشارة إلى ذي محرم اهـ.

(**فهذا**) وأمثال ذلك (**نوع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها وما متاع الحياة الدنيا إلا لعب ولهو**) كما قال تعالى: ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ [العنكبوت: ٦٤] وقال أيضاً ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ [الحديد: ٢٠] وقال تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون﴾ [الأنعام: ٣٢] (**وهذا**) الذي ذكرناه (**منه**) أي داخل في جملته (**وكذلك إن غضبت منه جارية**) أو غابت (**أو حيل بينه وبينها بسبب من الأسباب**) وكان يهواها (**فله**) وفي نسخة: فلعله (**أن**

من الأسباب فله أن يحرك بالسماع شوقه وأن يستثير به لذة رجاء الوصال، فإن باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده، إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال واللقاء. وأما من يتمثل في نفسه صورة صبي أو امرأة لا يحل له النظر إليها وكان ينزل ما يسمع على ما تمثل في نفسه فهذا حرام لأنه محرك للفكر في الأفعال المحظورة، ومهيج للداعية إلى ما لا يباح الوصول إليه. وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إضمار شيء من ذلك، وذلك ممنوع في حقهم لما فيه من الداء الدفين لا لأمر يرجع إلى نفس السماع، ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال: دخان يصعد إلى دماغ الإنسان يزيله الجماع ويهيجه السماع.

السابع: سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه، ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه، فالسماع في حقه مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحبه ومورٍ زناد قلبه، ومستخرج منه أحوالاً من المكاشفات والملاطفات لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها. وتسمى تلك

يحرك بالسماع شوقه وأن يستثير به لذة رجاء الوصال) كما جرى ذلك كثيراً في الأزمنة السالفة، (**فإن باعها**) برضا نفسه إما لفقر ألجأ إليه أو لغير ذلك من الأسباب الضرورية (**أو طلقها حرم عليه ذلك بعد، إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصال والرجاء، وأما من يتمثل في نفسه صورة صبي أو امرأة لا يحل له النظر إليها، وكان ينزل ما يسمع على ما يمثل في نفسه فهو حرام)** قطعاً (**لأنه محرك للفكر**) الرديئة (**في الأفعال المحظورة ومهيج للداعية إلى ما لا يباح الوصال إليه**) فينبغي حسم هذه المادة وسد أبوابها. (**وأكثر العشاق**) البطالة (**والسفهاء**) من العامة (**من الشباب في وقت هيجان الشهوة**) النفسية (**لا ينفكون عن إضمار شيء من ذلك، فذلك ممنوع في حقهم لما فيه من الداء الدفين**) المكتم في النفس الأمارة بالسوء (**لا لأمر يرجع إلى نفس السماع، ولذلك سئل حكيم**) من الحكماء (**عن العشق**) ما هو (**فقال**): هو (**دخان**) مظلم (**يصعد إلى دماغ الإنسان**) تهيجه الشهوة (**يزيله الجماع ويحركه السماع**)، وقد اختلف عباراتهم في العشق وذكر بعضها الإمام أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج في كتابه مصارع العشاق.

(**السابع: سماع من أحب الله عز وجل وعشقه واشتاق إلى لقائه فلا ينظر لشيء إلا رآه فيه**) رؤية تليق بحبه، (**ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه**) باعتبار قوة محبته وضعفها. (**فالسماع في حقه مهيج لشوقه**) المستكن في ضميره (**مؤكد لعشقه وحبه ومورٍ زناد قلبه**) بقداح شوقه (**ومستخرج منه أحوالاً من المكاشفات**) الصريحة (**والملاطفات**) المقربة (**لا يحيط الوصف بها يعرفها من ذاقها وينكرها من كل حسه عن ذوقها**) وفيه يقول

الأحوال بلسان الصوفية وجداً مأخوذ من الوجود والمصادفة أي صادف من نفسه أحوالاً لم يكن يصادفها قبل السماع. ثم تكون تلك الأحوال أسباباً لروادف وتوابع لها تحرق القلب بنيرانها وتنقيه من الكدورات كما تنقي النار الجواهر المعروضة عليها من الخبث، ثم يتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات وهي غاية مطالب المحبين لله تعالى ونهاية ثمرة القربات كلها، فالمفضي إليها من جملة القربات لا من جملة المعاصي والمباحات. وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح وتسخير الأرواح لها وتأثرها بها شوقاً وفرحاً وحزناً وانبساطاً وانقباضاً. ومعرفة السبب في تأثر الأرواح بالأصوات من دقائق علوم المكاشفات. والبليد الجامد القاسي القلب المحروم عن لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع ووجده واضطراب حاله وتغير لونه تعجب البهيمة من لذة اللوزينج، وتعجب العنين من لذة

القائل:

ولو يذوق عاذلي صبابتي صبا معي لكنه ما ذاقها

(**وتسمى تلك الأحوال**) الشريفة (**بلسان الصوفية وجداً**) بفتح فسكون (**مأخوذ من**) معنى (**الوجود والمصادفة أي يصادف من نفسه أحوالاً لم يكن يصادفها قبل السماع**) والوجود عندهم فقدان العبد بمحق أوصافه البشرية ووجود الحق لأنه لا بقاء للبشرية عند سلطان الحقيقة. وقال القشيري في الرسالة: الوجود ما يصادف قلبك ويرد عليك بلا تعمل ولا تكلف، ولهم في الوجد والوجود والتواجد فروق سيأتي ذكرها. (**ثم تكون تلك الأحوال أسباباً**) محصلة (**لروادف وتوابع لها تحرق القلب نيرانها وتنقيه**) أي تصفيه (**من الكدورات**) العارضة عليه (**كما تنقي النار**) أي تخلص (**الجواهر المعروضة عليها من الخبث**) الكامن بها، (**ثم تتبع الصفاء الحاصل به مشاهدات**) أنوار (**ومكاشفات**) أسرار (**وهي غاية مطالب المحبين لله عز وجل**) وقصوى أمانيهم، (**ونهاية ثمرات القربات كلها والمفضي إليها**) كالسماع ونحوه (**من جلة القربات**) المطلوبة (**لا من جملة المعاصي**) على قول الأكثر، (**والمباحات**) على قول ابن جريج. (**وحصول هذه الأحوال للقلب بالسماع سببه سر الله عز وجل**) خفي (**في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح**) كما سبق قريباً، (**وتسخير الأرواح لها وتأثيرها بها شوقاً**) تارة، (**وفرحاً وحزناً تارة، وانبساطاً وانقباضاً ومعرفة السبب في تأثير الأرواح بالأصوات**) والنغمات (**من دقائق علوم المكاشفات**) وخفاياها ليس لأهل الرسوم إلى معرفته من سبيل، (**والبليد الجامد القاسي القلب**) بما زرع فيه من ظلمات الشكوك والأوهام (**المحروم من لذة السماع يتعجب من التذاذ المستمع**) به (**ووجده**) منه (**واضطراب حاله، وتغير لونه تعجب البهيمة**) الحيوانية (**من لذة اللوزينج**) وهو حلواء معروف تقدم ذكره في آخر كتاب آداب الأكل، (**وتعجب العنين**

المباشرة، وتعجب الصبي من لذة الرئاسة واتساع أسباب الجاه، وتعجب الجاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته وعجائب صنعه. ولكل ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك والإدراك يستدعي مدركاً ويستدعي قوة مدركة. فمن لم تكمل قوة إدراكه لم يتصوّر منه التلذذ فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق؟ وكيف يدرك لذة الألحان من فقد السمع؟ ولذة المعقولات من فقد العقل؟ وكذلك ذوق السماع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يدرك بحاسة باطنه، في القلب، فمن فقدها عدم لا محالة لذته.

ولعلك تقول: كيف يتصوّر العشق في حق الله تعالى حتى يكون السماع محركاً له؟ فاعلم أن من عرف الله أحبه لا محالة، ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته بقدر تأكد

الذي لا شهوة له في النساء من لذة المباشرة) أي الجماع ومقدماته، **(وتعجب الصبي)** وهو الصغير دون البلوغ **(من لذة الرئاسة و)** لذة **(إتساع أسباب الجاه، وتعجب الجاهل)** الذي لا يدرك حقائق الأشياء كما هي **(من لذة معرفة الله عز وجل ومعرفة جلاله وعظمته)** وكبريائه **(وعجائب صنعته)** في مخلوقاته، **(ولكن ذلك سبب واحد وهو أن اللذة نوع إدراك والإدراك يستدعي مدركاً ويستدعي قوة مدركة)** بسببها يحصل له الإدراك. **(فمن لم تكمل له قوى إدراكه لم يتصور منه التلذذ)** أصلاً. **(فكيف يدرك لذة المطعوم من فقد الذوق؟ وكيف يدرك لذة الألحان)** والنغمات الموزونة **(من فقد السمع؟ ولذة المعقولات)** المعنوية **(من فقد العقل؟ فكذلك ذوق السماع)** يكون **(بالقلب)** أي بواسطته **(بعد وصول الصوت إلى)** حاسة **(السمع يدرك)** ذلك **(بحاسة باطنه في القلب، ومن فقدها عدم لا محالة لذته)**.

(ولعلك تقول: كيف يتصور العشق في حق الله عز وجل حتى يكون السماع محركاً له)؟ هذا شروع في بيان إطلاق العشق على الله تعالى، فقد أنكره ابن تيمية وغيره من العلماء، وتلاه تلميذه ابن القيم فأورد في كتاب الداء والدواء فصلاً منع فيه إطلاقه وكأنه نظر إلى قول أهل اللغة فإنهم قالوا: إن العشق يكون في عفاف وفي ذعارة، ومنهم من قال هو عمى الحس عن إدراك عيوبه، أو هو مرض وسواس يجلبه إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور وقد ألف الرئيس أبو علي بن سينا فيه رسالة وبسط فيه معناه: وأنه لا يدرك معناه والتعبير عنه يزيده خفاء وهو كالحسن لا يدرك ولا يمكن التعبير عنه، وكالوزن في الشعر وغير ذلك مما يحال فيه على الأذواق السليمة والطباع المستقيمة اهـ. واشتقاقه من العشقة محركة وهي اللبلابة تخضر ثم تصفر وتدق قاله الزجاج وابن دريد سمي العاشق لذبوله، وفي الأساس سمي به لالتوائه ولزومه هواه كاللبلابة تلتوي على الشجر وتلزمه

(فأعلم أن من عرف الله عز وجل أحبه لا محالة، ومن تأكدت معرفته تأكدت محبته

معرفته. والمحبة إذا تأكدت سميت عشقاً فلا معنى للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة. ولذلك قالت العرب: إن محمداً قد عشق ربـه لما رأوه يتخلى للعبادة في جبل حراء. واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال والله تعالى جميل يحب الجمال. ولكن الجمال إن كان يتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك بحاسة البصر، وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب. ولفظ الجمال قد يستعار أيضاً لها فيقال: إن فلاناً حسن وجميل ولا تراد صورته. وإنما يعني به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة، حتى قد يحب الرجل بهذه الصفات الباطنة

بقدر تأكد معرفته، والمحبة إذا تأكدت وقويت (**سميت عشقاً**) وبه عبر بعض أهل اللغة أنه إفراط الحب فالحب أخص من العشق من حيث أنه في عفاف، والعشق يعم في عفاف الحب ودعارة كما تقدم، وبهذا المعنى لا يظهر المنع من الإطلاق. (**فلا معنى للعشق إلا محبة مفرطة ولذلك قالت العرب: إن محمداً**) ﷺ (**عشق ربه لما رأوه يتخلى للعبادة**) وهي التفكر (**في جبل حراء**) تقدم الكلام عليه. (**واعلم أن كل جمال فمحبوب عند مدرك ذلك الجمال فالله جميل**) له الجمال المطلق في الذات والصفات والأفعال (**يحب الجمال**) منكم في قلة إظهار الحاجة لغيره، وسر ذلك أنه كامل في أسمائه وصفاته فله الكمال المطلق من كل وجه ويحب أسماءه وصفاته ويحب ظهور آثارها في خلقه، فإنه من لوازم كماله، وهذا قد روي مرفوعاً من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً. فقال: «إن الله جميل يحب الجمال» أخرجه مسلم في الإيمان والترمذي في البر، وأخرجه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة الباهلي، والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو، وابن عساكر من حديث جابر، وابن عمرو في بعض طرق حديث ابن مسعود قلت: يا رسول الله أمن الكبر أن ألبس الحلة الحسنة؟ فذكره. قال الحاكم: احتجا برواته، وأقره الذهبي وقد وهم الحاكم في إستداركه فإنه أخرجه مسلم، وأخرج أبو يعلى والبيهقي من حديث أبي سعيد الخدري بزيادة: ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس. وعند ابن عدي من حديث ابن عمر بزيادة سخي يحب السخاء نظيف يحب النظافة.

(**ولكن الجمال إن كان بتناسب الخلقة**) واعتدالها (**وصفاء اللون**) ونقائه (**أدرك بحاسة البصر، وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة وحسن الصفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب، ولفظ الجمال قد يستعار أيضاً لها فيقال: إن فلاناً جميل وحسن ولا يراد صورته، وإنما يعني به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات حسن السيرة**)

استحساناً لها كما تحب الصورة الظاهرة. وقد تتأكد هذه المحبة فتسمى عشقاً. وكم من الغلاة في حب أرباب المذاهب كالشافعي ومالك وأبي حنيفة رضي الله عنهم؟ حتى يبذلوا أموالهم وأرواحهم في نصرتهم وموالاتهم ويزيدوا على كل عاشق في الغلو والمبالغة. ومن العجب أن يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته أجميل هو أم قبيح وهو الآن ميت؟ ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته المرضية والخيرات الحاصلة من عمله لأهل الدين وغير ذلك من الخصال. ثم لا يعقل عشق من ترى الخيرات منه. بل على التحقيق من لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده، بل كان حسن وجمال في العالم أدرك بالعقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس من مبتدأ العالم إلى منقرضه ومن ذروة الثريا إلى منتهى الثرى فهو ذرّة من خزائن قدرته ولمعة من أنوار حضرته، فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه؟ وكيف لا يتأكد عند العارفين بأوصافه حبه حتى يجاوز حداً يكون إطلاق اسم العشق عليه ظلماً في حقه لقصوره عن الانباء عن فرط محبته؟ فسبحان من احتجب عن

وفي الروض للسهلي: إن الحسن يتعلق بالمفردات والجمال بالمركبات الجمليات أي أن الحسن إنما يوصف به ما كان مفرداً نحو: خاتم حسن فإذا اجتمع من ذلك جمل وصف صاحبها بالجمال، (**حتى قد يحب الرجل لهذه الصفات الباطنة استحساناً لها كما يحب الصورة الظاهرة وقد تتأكد هذه المحبة فتسمى عشقاً**) وهذا معنى قول بعض أئمة: اللغة في حد العشق أنه إفراط الحب، (**وكم من الغلاة**) جمع غال وهو المتجاوز عن الحد (**في حب أرباب المذاهب**) المتبوعة (**كالشافعي ومالك وأبي حنيفة**) رحمهم الله تعالى (**حتى أنهم ليبذلون أموالهم وأرواحهم في نصرتهم وموالاتهم**) وحسن القيامة بمقلديهم، (**ويزيدون على كل عاشق في الغلو والمبالغة**) والتهالك. (**ومن العجب أن يعقل عشق شخص لم يشاهد قط صورته أجميل هو أم قبيح وهو الآن ميت**) تحت أطباق الثرى. (**ولكن لجمال صورته الباطنة وسيرته المرضية والخيرات الحاصلة من علمه**) أي بواسطة علمه (**لأهل الدين وغير ذلك من الخصال**) الحميدة (**ثم لا يعقل عشق من لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسناته وأثر من آثار كرمه وغرفة من بحر جوده، بل كان حسن وجمال**) إفراداً ومجموعاً (**في العالم**) سواء (**أدرك بالعقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس من مبتدأ العالم إلى منقرضه**) أي تمامه، (**ومن ذروة السماء إلى منتهى الثرى**) وفي نسخة: ومن دون الثريا إلى منتهى الثرى، (**فهو ذرة من خزائن قدرته**) الباهرة (**ولمعة من أنوار حضرته**) الساطعة (**فليت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه؟ وكيف لا يتأكد عند العارفين بأوصافه حبه**) ويقوى (**حتى يتجاوز حداً يكون إطلاق إسم العشق عليه ظلماً**) وتعدياً

الظهور بشدة ظهوره واستتر عن الأبصار بإشراق نوره، ولولا احتجابه بسبعين حجاباً من نوره لأحرقت سبحات وجهه أبصار الملاحظين لجمال حضرته، ولولا أن ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول ودهشت القلوب وتخاذلت القوى وتنافرت الأعضاء، ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد لأصبحت تحت مبادىء أنوار تجليه دكاً دكاً، فأنّى تطيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش. وسيأتي تحقيق هذه الإشارة في كتاب المحبة.
ويتضح أن محبة غير الله تعالى قصور وجهل بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى، إذ ليس في الوجود تحقيقاً إلا الله وأفعاله. ومن عرف الأفعال من حيث أنها أفعال لم يجاوز معرفة الفاعل إلى غيره. فمن عرف الشافعي مثلاً رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه ـ لا من حيث أنه بياض وجلد وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية ـ فلقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعي إلى غيره، ولا جاوزت محبته إلى غيره. فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وفعله وبديع أفعاله فمن عرفها من حيث

(في حقه لقصوره عن الإنباء) أي الإخبار **(عن فرط محبته؟. فسبحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره، واستتر عن الأبصار)** أي استترت عنه الأبصار **(بإشراق نوره)** فكان لشدة ظهوره خفاؤه عن مرامي الأبصار والأفكار، **(ولولا احتجابه بسبعين حجاباً من نوره لأحرقت سبحات وجهه)** ما انتهى إليه من **(أبصار الملاحظين لجمال حضرته)**. والمراد بالسبحات هنا جلال الله وعظمته ونوره وبهاؤه، وهو حديث مرفوع قد تقدم الكلام عليه مراراً. **(ولولا أن ظهوره سبب خفائه لبهتت العقول)** وطاحت الأفكار **(وذهبت القلوب وتخاذلت القوى)** البشرية **(وتناثرت الأعضاء)** لشدة ذلك المقام. **(ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد)** وهما من أصلب الاجرام **(لأصبحت تحت مبادىء أنوار تجليه)** القهري **(دكاً دكاً، وأنّى تطيق كنه نور الشمس أبصار الخفافيش)** جمع خفاش حيوان معروف لا يبصر بالنهار. **(وسيأتي تحقيق هذه الإشارة في كتاب المحبة)** إن شاء الله تعالى **(ويتضح)** به **(أن محبة غير الله عز وجل قصور وجهل في الحقيقة، بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله عز وجل إذا ليس في الوجود تحقيقاً إلا الله تعالى وأفعاله)** وهذا من المعبر عنه عندهم بوحدة الوجود، **(ومن عرف الأفعال من حيث أنها أفعال فلم تجاوز معرفة الفاعل إلى غيره)** بل لم يخطر بوجوده خيال غيره، **(فمن عرف الشافعي)** رحمه الله تعالى **(وعلمه وتصنيفه)** أي جمعه وتركيبه **(من حيث أنه تصنيفه)** وصنعته **(لا من حيث أنه بياض وجلد وحبر وورق وكلام منظوم ولغة عربية، فلقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعي إلى غيره ولا جاوزت محبته إلى غيره، وكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى)** في نسخة: صنع الله **(وفعله بديع أفعاله)** وحسن تركيبه **(فمن عرفها من حيث هي صنع**

هي صنع الله تعالى فرأى من الصنع صفات الصانع كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله تعالى غير مجاوزة إلى سواه. ومن حدّ هذا العشق أنه لا يقبل الشركة وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة، إذ كل محبوب سواه يتصوّر له نظير إمّا في الوجود وإما في الإمكان. فأما هذا الجمال فلا يتصوّر له ثان لا في الإمكان ولا في الوجود. فكان اسم العشق على حب غيره مجازاً محضاً لا حقيقة. نعم الناقص القريب في نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لفظة العشق إلا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الأجسام وقضاء شهوة الوقاع. فمثل هذا الحمار ينبغي أن لا يستعمل معه لفظة العشق والشوق والوصال والانس، بل يجنب

الله تعالى رأى من الصنع صفات الصانع، كما يرى من حسن التصنيف فضل المصنف وجلالة قدره. كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله عز وجل غير مجاوزة إلى ما سواه) وقد ألم بهذا البحث الشيخ الأكبر قدس سره في الفتوحات عند ذكره قوله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال» فقال: الجمال نعت إلهي، ونبه بقوله جميل على أنا نحبه فانقسمنا، فمنا من نظر إلى جمال الكمال وهو جمال الحكمة فأحبه في كل شيء لأن كل شيء محكم وهو صنعة حكيم، ومنا من لم يبلغ هذه المرتبة وماله علم بالجمال إلا هذا الجمال المقيد الموقوف على الغرض وهو في الشرع موضع قوله اعبد الله كأنك تراه فجاء بكاف التشبيه، فمن لم يصل فهمه إلى أكثر من الجمال المقيد قيده فأحبه لكماله ولا حرج عليه لإتيانه بالمشروع على قدر وسعه، فبقي حبه تعالى للجمال وهي رتبة أهل الكمال فأحبه في كل شيء فإن العالم خلقه الله تعالى في غاية الأحكام والإتقان، فالعالم جمال الله وهو الجميل للجمال فمن أحب العالم بهذا النظر فما أحب إلا جمال الله إذ جمال الصنعة لا يضاف إليها بل إلى صانعها والله أعلم.

(ومن حد هذا العشق أن لا يقبل الشركة) كما هو شأن الوحدة الحقيقية **(وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشركة إذ كل محبوب سواه فيتصوّر له نظير)** ومشابه **(إما في الوجود وإما في الإمكان، فأما هذا الجمال فلا يتصوّر له ثان لا في الإمكان ولا في الوجود)** وإليه أشار بعض العارفين بقوله:

فما لهذا الجمال ثاني.

(فكان اسم العشق في حب غيره مجازاً محضاً لا حقيقة) لما عرفت. **(نعم الناقص)** المدرك **(القريب في نقصانه من البهيمة قد لا يدرك من لفظ العشق إلا طلب الوصال الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الأجسام بالعناق)** والتقبيل والتفخيذ **(وقضائه شهوة الوقاع)** أي الجماع، **(فمثل هذا الحمار ينبغي أن لا يستعمل معه لفظ العشق والشوق والوصال**

هذه الألفاظ والمعاني كما تجنب البهيمة النرجس والريحان وتخصص بالقت والحشيش وأوراق القضبان. فإن الألفاظ إنما يجوز إطلاقها في حق الله تعالى إذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه. والأوهام تختلف باختلاف الأفهام فلينتبه لهذه الدقيقة في أمثال هذه الألفاظ، بل لا يبعد أن ينشأ من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه نياط القلب. فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر غلاماً كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه: من خلق السماء؟ قالت: الله عز وجل، قال: فمن خلق الأرض؟ قالت: الله عز وجل، قال: فمن خلق الجبال؟ قالت: الله عز وجل. قال: فمن خلق الغيم؟ قالت: الله عز وجل. قال: إني لأسمع لله شأناً، ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع. وهذا كأنه سمع ما دل على جلال الله تعالى وتمام قدرته فطرب لذلك ووجد فرمى بنفسه من الوجد. وما أنزلت الكتب إلا ليطربوا بذكر الله تعالى. قال بعضهم: رأيت مكتوباً في الإنجيل: غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا. أي شوّقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا. فهذا ما أردنا أن نذكره من أقسام

والانس) ونحو ذلك، **(بل يجنب هذه الألفاظ والمعاني كما تجنب البهيمة النرجس والريحان ويخص بالقت)** وهو الفصة إذا يبست **(والحشيش)** هو الكلأ اليابس **(وأوراق القضبان)** جمع قضيب وهو كل ما اقتضب من الشجر طرياً أي اقتطع، **(فإن الألفاظ إنما يجوز إطلاقها في حق الله تعالى إذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله عز وجل)** أي تنزيهه **(عنه، والايهام)** فيه **(يختلف باختلاف الأفهام)** فمن لم يجاوز فهمه غير ما أدركه من ظواهر الرسوم فهو معذور، **(فليتنبه لهذه الدقيقة في أمثال هذه الألفاظ)** فإنه من المهات، **(بل لا يبعد أن ينشأ من مجرد سماع صفات الله عز وجل وجد غالب)** يغمره **(ينقطع بسببه نياط القلب)** وهو بكسر النون عرق علق به القلب من الوتين إذا اقطع مات صاحبه، **(فقد روى أبو هريرة)** رضي الله عنه، **(عن رسول الله ﷺ أنه ذكر غلاماً في بني إسرائيل كان على جبل)** وفي نسخة: كان في بني إسرائيل على جبل **(فقال لأمه من خلق السماء؟ قالت: الله عز وجل، فقال: من خلق الأرض؟ قالت: الله عز وجل. فقال: من خلق الجبال؟ قالت: الله عز وجل، فقال: من خلق هذا الغيم؟ قالت: الله عز وجل. فقال: إني لأسمع لله تعالى شأناً ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع)** هكذا في القوت. وفي العوارف قال العراقي: رواه ابن حبان. **(وهذا كأنه سمع ما دل على جلال الله تعالى وتمام قدرته فطرب له ووجد في نفسه من الوجد ما وجد)** وفي نسخة: ووجد فرمى نفسه من الوجد، **(وما أنزلت الكتب إلا ليطربوا بذكر الله تعالى)** ويهيموا به. **(رأيت مكتوباً في الإنجيل)** وهي النسخة المشهورة بين أيدي الرهبان ما نصه: **(غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا)** هو على وجه التمثيل **(أي شوّقناكم بذكر الله تعالى فلم تشتاقوا)** كذا في القوت ووضع الغناء والزمر موضع التشويق، وقد

السماع وبواعثه ومقتضياته وقد ظهر على القطع إباحته في بعض المواضع والندب إليه في بعض المواضع.

فإن قلت: فهل له حالة يحرم فيها؟ فأقول: إنه يحرم بخمسة عوارض: عارض في المسمع، وعارض في آلة السماع، وعارض في نظم الصوت، وعارض في نفس المستمع أو في مواظبته، وعارض في كون الشخص من عوام الخلق لأن أركان السماع هي المسمع والمستمع وآلة الاسماع.

العارض الأول: أن يكون المسمع امرأة لا يحل النظر إليها وتخشى الفتنة من سماعها، وفي معناها الصبي الأمرد الذي تخشى فتنته، وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة وليس ذلك لأجل الغناء، بل لو كانت المرأة بحيث يفتن بصوتها في المحاورة من غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومحادثتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضاً، وكذلك الصبي الذي تخاف فتنته.

أخرجه أبو نعيم في الحلية بسنده إلى مالك بن دينار قال: زمرنا لكم فلم ترقصوا أي وعظناكم فلم تتعظوا. (**فهذا ما أردنا أن نذكره من أقسام السماع وبواعثه ومقتضياته، وقد ظهر على القطع إباحته في بعض المواضع والندب إليه في بعض المواضع**.

فإن قلت: فهل له حالة يحرم فيها؟ فاقول: إنه يحرم بخمسة عوارض) تعرضه (**عارض في المسمع، وعارض**) يعرض (**في آلة السماع، وعارض**) يعرض (**في نظم الصوت، وعارض**) يعرض (**في نفس المستمع أو في مواظبته**) أي المداومة عليه (**لأن أركان السماع**) ثلاثة لا يتم إلا بها (**هو المسمع والمستمع وآلة السماع، وعارض في أن يكون الشخص من عوام الخلق لم يغلب عليه خوف الله سبحانه**).

العارض الأول: أن يكون المسمع

هو الذي يصدر منه السماع وهو القوّال الذي يستمعه المستمعون (**امرأة**) أجنبية (**لا يحل النظر إليها ويخشى الفتنة من سماعها**) في نفسه، (**وليس ذلك من الغناء، بل لو كانت المرأة بحيث يفتن بصوتها في المحاورة**) أي مراجعة الكلام معها (**من غير ألحان فلا يجوز محاورتها ومحادثتها**) حينئذ (**ولا سماع صوتها في القرآن أيضاً**) لتحقق الافتتان وقال الماوردي في الحاوي: وبكراهة الغناء جزم كثير من الشافعية ولم يفرقوا بين الرجل والمرأة بشرط أمن الفتنة. قالوا: ونص عليه الشافعي في أدب القضاء من الأم. قال ابن الصباغ وصاحب البحر، وصاحب الذخائر وغيرهم: لم يفرق أصحابنا بين الرجل والمرأة. قال ابن الصباغ: وينبغي أن يكون في الأجنبية أشد كراهة. وقال الرافعي في الشرح الصغير: الغناء بغير آلة مكروه، ومن الأجنبية أشد

فإن قلت: فهل تقول إن ذلك حرام بكل حال حسماً للباب أو لا يحرم إلا حيث تخاف الفتنة في حق من يخاف العنت؟ فأقول: هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلان.

أحدهما: أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام سواء خيفت الفتنة أو لم تخف

كراهة. وقيل: يحرم سماعها وبناه في الشرح الكبير على أن صوتها عورة أو ليس بعورة.

وقال صاحب الإمتاع: وذهبت طائفة إلى التفرقة بين الرجال والنساء، فجزموا بتحريمه من النساء الأجانب، وأجروا الخلاف في غيرهن. قال القاضي أبو الطيب الطبري: إذا كان المغني امرأة ليس بمحرم له فلا يجوز بحال وسواء كانت حرة أو مملوكة قاله الاصحاب، وسواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب. وقال القاضي حسين في تعليقه: إن كان المغني امرأة فلا خلاف أنه يحرم سماع صوتها. وقال أبو عبد الله السامري الحنبلي في كتابه المستوعب: الغناء إذا قلنا به فذاك إذا كان ممن لا يحرم صوتها، كزوجته وأمته، فأما من يحرم كالنساء الأجانب فلا يجوز قولاً واحداً. وقال القرطبي: جمهور من أباحه حكموا بتحريمه من الأجنبيات للرجال، والرافعي حكاه وجهاً في مذهب الشافعي. وسياق ابن حمدان في الرعاية الكبرى يقتضي أنه مذهب أحمد وأبو بكر بن العربي فرق بين الحرة والمملوكة فمنع من الحرة وأجاز في الأمة لسيدها ولغيره ذكره في العارضة.

(وكذلك الصبي الذي يخاف فتنة) فإنه بمنزلة المرأة فيحرم عند خوف الفتنة، ولا يحرم إذا لم يخف. ووافقه الرافعي على ذلك في الشرح الكبير، وقال الماوردي في الحاوي: من تفصيل ذكره في ردّ الشهادة وإن كان المغني جارية فإن كانت حرة ردّت شهادة المستمع، وإن كانت أمة فسماعها أخف من سماع الحرة لنقصها في العورة وأغلظ من سماع الغلام لزيادتها عليه في العورة، فيحتمل أن يغلب نقصها عن الحرة وإجراؤها مجرى الغلام، ويحتمل أن يغلب زيادتها على الغلام وإجراؤها مجرى الحرة. وقال القرطبي: يحرم سماع الأمرد الحسن وأدعى أن الفتنة فيه أشد والبلية أعظم، فإن المملوكات يمكن شراؤهن والحرائر يمكن التوصل إليهن بالنكاح ولا كذلك المرد اهـ.

قال صاحب الإمتاع. والذي يتجه أنه يجوز سماع الجميع إلا عند خوف الفتنة. وحكى ابن الجوزي في ذم الهوى خلافاً لأصحاب أحمد في أنه إذا خاف إن نظر حصلت الشهوة عنده هل يجوز؟ وقال صاحب الذخيرة من الحنفية أيضاً خلافاً في الشاهد إذا كان شهد على المرأة قد يحصل له الافتتان، والله أعلم.

(فإن قلت: فهل تقول أن ذلك حرام) مطلقاً (بكل حال حسماً للباب أم لا يحرم إلا حيث يخاف الفتنة فقط؟ فأقول هذه مسألة محتملة من حيث الفقه يتجاذبها أصلان) أصلان

(أحدهما: أن الخلوة بالأجنبية والنظر إلى وجهها حرام) قولاً واحداً (سواء خيف

لأنها مظنة الفتنة على الجملة. فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور.

والثاني: أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الحسم بل يتبع فيه الحال. وصوت المرأة دائر بين هذين الأصلين فإن قسناه على النظر إليها وجب حسم الباب وهو قياس قريب. ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيجانها ولا تدعو إلى سماع الصوت وليس تحريك النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع بل هو أشد. وصوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء في زمن الصحابة رضي الله عنهم يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء والسؤال والمشاورة وغير ذلك. ولكن للغناء مزيد أثر في تحريك الشهوة. فقياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات. فينبغي أن يتبع مثار الفتن ويقصر التحريم عليه. هذا هو الأقيس عندي ويتأيد بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة رضي الله عنها، إذ يعلم أنه ﷺ كان يسمع أصواتها ولم يحترز منه، ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه فلذلك لم يحترز. فإذاً يختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في

الفتنة أو لم يخف لأنها مظنة الفتنة على الجملة، فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور.

(**الثاني: أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة**) بهم، (**ولا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الحسم، بل يتبع فيه الحال. وصوت المرأة دائر بين هذين الأصلين فإن قسناه على النظر إليها**) أي المرأة وهو حرام (**أوجب حسم الباب وهو قياس قريب**) وينظر فيه ما سيأتي من كلام صاحب الإمتاع من أنه مبني على القول بالمصالح المرسلة وهو مذهب مالك ولا يقول به الشافعية، (**ولكن بينهما فرق إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أول هيجانها ولا تدعو إلى سماع الصوت وليس النظر لشهوة المماسة كتحريك السماع بل هو أشد**) وأقوى، (**وصوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة فما زالت النساء في زمان الصحابة**) رضي الله عنهم وبعدهم بل زمنه ﷺ (**يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء**) في أمور الدين (**والسؤال والمشاورة وغيرها**) كما هو معروف لمن طالع سيرهم وسيرهن. (**ولكن للغناء مزيد أثر في تحريك الشهوة. فقياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب**)عن الرجال، (**كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات، فينبغي أن يتتبع مثار الفتن فيقتصر التحريم عليه هذا هو الأشبه والأقيس عندي**) وقد تقدم معنى الأقيس والأشبه في مقدمة كتاب أسرار الصلاة. (**ويتأكد**) ذلك (**بحديث الجاريتين المغنيتين في بيت عائشة رضي الله عنها**) في يوم العيد كما تقدم قريباً (**إذ يعلم أنه ﷺ كان يسمع أصواتها**) وهو مضطجع على فراشه، (**ولم يحترز منه ولكن لم تكن الفتنة مخوفة عليه**) لكونه معصوماً (**فلذلك لم يحترز فإذاً**

كونه شاباً وشيخاً ولا يبعد أن يختلف الأمر في مثل هذا بالأحوال. فإنا نقول: للشيخ أن يقبّل زوجته وهو صائم وليس للشاب ذلك، لأن القبلة تدعو إلى الوقاع في الصوم وهو محظور، والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف أيضاً بالأشخاص.

العارض الثاني: في الآلة، بأن تكون من شعار أهل الشرب أو المخنثين وهي المزامير والأوتار وطبل الكوبة. فهذه ثلاثة أنواع ممنوعة، وما عدا ذلك يبقى على أصل

يختلف هذا بأحوال المرأة وأحوال الرجل في كونه شاباً) تام القوّة كثير الشهوة (**وشيخاً**) قد فترت شهوته، وكون المرأة شابة والرجل شيخاً وعكسه، (**ولا يبعد أن يختلف الأمر في مثل هذا بالأحوال فإنا نقول للشيخ: أن يقبل زوجته وهو صائم**) لضعف قوته وهو يستدعي ملك نفسه، (**وليس للشاب ذلك لأن القبلة تدعو إلى الوقاع في الصوم**) غالباً (**وهو محظور**) ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه، (**والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف**) ذلك (**أيضاً بالأشخاص**) وقال صاحب الامتاع: على اني أقول: إذا خاف الفتنة فهو محل نظر أيضاً فإن المفسدة غير حاصلة، وإنما تتوقع فيحتمل حصولها ويحتمل عدمه، والأمور المتوقعة لا تلحق إلاَّ بنص أو إجماع فإن ورد شيء من ذلك فهو المعتمد. والشافعية لا يقولون بالمصالح المرسلة وكذلك أكثر العلماء.

(**العارض الثاني: في الآلة بأن تكون من شعائر أهل الشرب**) للمسكرات (**أو**) من شعائر (**المخنثين وهي المزامير والأوتار**) فإن كلاً من ذلك من شعائر أهل الشرب، (**وطبل الكوبة**) وهو من شعائر المخنثين، (**فهذه ثلاثة أنواع**) من الآلات (**ممنوعة**). أما المزامير، فاسم يعم عدة أنواع:

منها: الصرناي وهو قصبة الرأس متسعة آخرها يزمر بها في المراكب على النقارات وفي الحرب وهي معروفة.

ومنها: الكرجة وهي مثل الصرناي إلا أنه يجعل أسفل القصبة قطعة نحاس معوجة يزمر بها في أعراس أهل البادية في الأرياف وصوتها أقرب إلى صوت الصرناي.

ومنها: النائي وهو معروف وهو أكثر ضرباً من الأولين.

ومنها: المقرونة وهما قصبتان ملتصقتان وأول من اتخذها بنو إسرائيل على ما قاله ابن الكلبي، وقد اختلف العلماء في المزامير فالمعروف في مذهب الائمة التحريم. وذهبت الظاهرية وابن طاهر إلى الإباحة والظاهرية بنوه على مسألة الحظر والإباحة والأصل عندهم الإباحة ومنعوا ورود نص فيها وضعفوا الأحاديث الواردة كلها. وقد ذكر المصنف أن القياس الحل لولا ورود الأخبار وكونها صارت شعار أهل الشرب، والمبيحون يمنعون صحة الأخبار ولا يسلمون ما ذكره من إنها شعار أهل الشرب، والغالب على أهل الشرب أن لا يحضروا الزمر عند الشرب فإن فيه تشنيعاً

الإباحة كالدف ـ وإن كان فيه الجلاجل ـ وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات.

عليهم وإظهاراً لحالهم خصوصاً الصرناي والكرجة فليسا من شعار الشرب أصلاً، وليسا مطربين أيضاً كما حققه صاحب الامتاع.

وأما الاوتار ويدخل فيها العود والقانون والرباب والجنك والسنطير والكمنجة وغير ذلك، والمعروف في مذهب الائمة أن الضرب بها وسماعها حرام، وحكى جماعة جواز ضرب العود وسماعه عن عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عمر، وإبراهيم بن مسعود وغيرهم، كما أورده صاحب العقد وغيره وقد تقدم للمصنف المنع في الأوتار لثلاث علل. احداها: أنها تدعو إلى الشرب، والثانية: أنها تذكر الشرب لقرب عهدها به. والثالثة: أنه من عادة أهل الفسق، وتقدم الكلام على كل ذلك نفياً وإثباتاً. وأما طبل الكوبة فقد تقدم تحقيقه وتقدم قول المصنف أنه من عادة المخنثين، والموجود في كتب الشافعية أنه حرام وتوقف إمام الحرمين فيه كما تقدم.

(وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدف) هو بضم الدال وفتحها لغتان مشهورتان، ويعني به الدائر المفتوح. اما المغلوق فيسمى مزهراً على ما حكى في كتب الفقهاء. قال بعض علماء الموسيقى: إنه آلة كاملة تحكم على سائر الملاهي وتفتقر إليه جميع آلات الطرب إذ به تعرف الضروب صحيحها وسقيمها، ومنه تكملت صورة الكرة الفلكية على الوضع الصحيح لأنه بيكاري الصورة وادّعوا أنه مركب على العناصر الأربعة. قالوا: ولا نتبين الفقرات الخفاف والثقال إلا به، وهو الذي يوصل ويقطع وكل ملهاة لا يحضرها الدف فهي ضعيفة القوة. وأما حكم الضرب شرعاً فقد اختلف العلماء فيه فقال الحافظ محمد بن طاهر: أنه سنّة وأطلق قوله فيه وقيدت طائفة منهم بأنه سنّة في العرس فقط، وزاد آخرون: والختان. وإنه يحرم في غيرهما. وأورده البغوي في التهذيب، والشاشي في الحلية، وأبو إسحاق في المهذب، وبه قال صاحب البيان، وابن أبي عصرون، وابن درياس صاحب الاستقصاء، وإيراد المحاملي في البحر يقتضيه، وكذلك الجرجاني في تحريره وسليم الرازي في المجرد وإليه أشار صاحب الذخائر، ونقله ابن حمدان في الرعاية الكبرى قولاً في مذهب أحمد. وذهبت طائفة إلى إباحته في العرس والختان وكراهته في غيرهما، وهذا ما أورده القاضي أبو الطيب في تعليقه، وصاحب زوائد المهذب. وذهبت طائفة إلى إباحته في العرس واقتصروا على ذكره. قال الحليمي في المنهاج: ويحتمل أن يكون المعنى في تحريم الدف في غير العرس أنه آلة لا يراد بها إلا إشراب اللهو في القلب وإيراد الحموي في شرح الوسيط يقتضيه. وحكى عن فتاوي أبي الليث السمرقندي من الحنفية أن ضرب الدف في غير العرس مختلف فيه بين العلماء. قال بعضهم: يكره، وقال بعضهم: لا يكره، وذهبت طائفة إلى الإباحة مطلقاً. وعليه جرى إمام الحرمين والمصنف، وحكاه العماد السهروردي عن بعض الأصحاب. وقال القاضي أبو الطيب، وابن الصباغ عن بعض أصحاب الشافعي أيضاً أنه قال: إن صح حديث المرأة التي نذرت

....

لم يكره في حال من الأحوال، وذهبت طائفة إلى إباحته في العرس والعيد وقدوم الغائب وكل سرور حادث. وهذا ما اختاره المصنف في هذا الكتاب، والقرطبي المالكي في كشف القناع لما ذكر أحاديث تقتضي المنع. قال: وقد جاءت أحاديث تقتضي الإباحة في النكاح وأوقات السرور وتستثني هذه المواضع من المنع المطلق، وحكاه ابن حمدان الحنبلي في الرعاية قولاً عندهم، فقال: وقيل يباح في كل سرور حادث. وذهبت طائفة من الشافعية في العرس والختان وفي غيرهما وجهان، وهذا ما حكاه مجلي في الذخائر وعليه درج الرافعي وصحح من الوجهين الجواز، وذهبت طائفة من الشافعية إلى إباحته في النكاح، وهل يعم البلدان والأزمان أو يختص بالبوادي والقرى التي لا يناكره أهلها ويباح فيها، ويكره في الأمصار وفي زماننا فيه وجهان. وهذا ما اقتصر عليه الماوردي في الحاوي، وتابعه الروياني حكاه عنه ولم يحك غيره. وكلام أبي الفضل الجاكرمي يقتضي التفرقة بين المداومة وغيرها كالغناء وفي كلام غيره ما يقتضيه. وقول المصنف:

(وإن كان فيه جلاجل) في أصح الوجهين. وتبعه الرافعي في الشرح الكبير. وذكر المصنف في البسيط الوجهين فقال: إن لم يكن بجلاجل فمباح، وإن كان بجلاجل فوجهان ولم يصحح أحدهما وكأنه تبع شيخه إمام الحرمين حيث قال في النهاية· ولا يحرم الدف إذا لم يكن بجلاجل فإن كان بجلاجل فوجهان: والوجه الثاني أنه حرام، وهو الذي أورده القاضي حسين في تعليقه، والشاشي في الحلية، وإيراد ابن درياس في شرح المهذب يقتضيه، ونقله في الذخيرة من كتب الحنفية عن أبي الليث السمرقندي. قال: الدف الذي يضرب به في زماننا هذا مع الصنجات والجلاجل ينبغي أن يكون مكروهاً، وإنما الخلاف في ذلك كان يضرب به في الزمان المتقدم. وقال القرطبي من المالكية: لما استثنى الدف فيما ذكرنا من المواضع ولا يلحق بذلك الطارات ذات الصلاصل والجلاجل لما فيها من زيادة الأطراب **(وكالطبل والشاهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات)**.

وأما الطبل بأنواعه فقد قال المصنف هنا وفي البسيط والوسيط تباح سائر الطبول غير الكوبة، وتابعه الرافعي وهو مذهب أهل الظاهر، واختاره ابن طاهر، وذهبت طائفة إلى تحريم الطبول كلها غير طبل الحرب. قال القاضي حسين في تعليقه: أما ضرب الطبول فإن كان طبل لهو فلا يجوز وإن كان طبل حرب فيجوز ضربه ولا يكره، والماوردي قسم الآلات إلى محرم ومكروه ومباح، وجعل من المحرم طبل الحرب، والحليمي في منهاجه استثنى طبل الحرب والعيد، وأطلق تحريم سائر الطبول، ولكنه حصر ما استثناه في العيد للرجال خاصة، والقرطبي والمالكي وابن الجوزي الحنبلي استثنيا أيضاً طبل الحرب. وقال الخوارزمي الشافعي في الكافي: يحرم طبل اللهو، وأطلقت طائفة القول بتحريم الطبول كلها ولم تستثن، ومنهم العمراني صاحب البيان والبغوي صاحب التهذيب والسهرودي صاحب الذخيرة، وحكاه صاحب الاستقصاء عن الشيخ أبي حامد، وأطلق أيضاً ابن أبي عصرون في كتاب التنبيه له.

....

وأما الشاهين فهو الصرناي وقد تقدم حكمه عند ذكر سائر الآلات.

وأما الضرب بالقضيب ويسمى التعبير فللعلماء فيه خلاف، فذهبت طائفة إلى تحريمه منهم البغوي، وأبو بكر بن المظفر الشافعيان، وحكاه السامري، وابن حمدان عن بعض الحنابلة وإطلاقات المالكية تشمله وفي فتاوى الصدر الشهيد من الحنفية أنه حرام وتقدم قول الشافعي: خلقت بالعراق شيئاً يسمى التعبير أحدثه الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن والذكر إلا أن كلام الشافعي يقتضي أنه إنما كرهه لعلة أخرى، فقد ذكر الحافظ المنذري في الفوائد السفرية أن الشافعية قالت: إن الكراهة من حيث قوله قالت الفلانية وهو كذب، وذهبت طائفة إلى كراهته، وهذا ما أورده العراقيون من الشافعية وجماعة من الخراسانيين، واختاره من الحنابلة السامري وقال ابن حمدان أيضاً: حكمه حكم الغناء إن كره كره وإن حرم حرم. وذهبت طائفة إلى إباحته وبه قطع المصنف هنا. واقتضاه إيراد الحليمي والفوراني، وإليه ذهب ابن طاهر وإطلاق الظاهرية يشمله، وفي البدائع من كتب الحنفية أن الضرب بالقضيب والدف لا بأس به بخلاف العود. وذهبت طائفة إلى تفصيل فقالوا: إن كان مع الغناء فهو مكروه، وإن كان مفرداً فهو مباح، وهذا ما أورده صاحب الحاوي، وابن درياس من الشافعية. وحكاه للشيخ شمس الدين الحنبلي في شرح المقنع ولم يحك غيره ولم يثبت نص في ذلك، وفي الفوائد السفرية للحافظ المنذري أنه قيل للربيع قول الشافعي: أكره التعبير، فقال: ما أدري ما هذا كان الشافعي يسمع مثل هذا ولا ينكره.

فصل

في الشبابة:

في الكلام على الشبابة وهي اليراعة المثقبة وتحتها أنواع قصبة واحدة ويسمى الزير والفحل، وقصبتان أحدهما تحت أخرى ويسمى الموصول، ونوع يسمى المنجارة وهي التي تضرب بها الرعاة. فذهبت طائفة إلى تحريم الضرب وهو الموجود في كتب الائمة الثلاثة، واختاره من الشافعية البغوي، وجزم به ابن أبي عصرون، ونقل الحموي في شرح الوسيط عن الشيخ أبي علي قال: صوت اليراعة مختلف فيه، والقياس تحريمه كسائر المزامير، وادعى النووي أنه الأصح. ونقل عن القزويني من المتأخرين ترجيحه. وذهبت طائفة إلى الإباحة وهو مذهب الظاهرية، واختاره ابن طاهر المقدسي، وأبو بكر العامري واقتضاه سياق المصنف. وقال الرافعي في الشرح الصغير: إنه الأظهر وقال في الشرح الكبير: إنه الأقرب. وكلام الروياني يشعر بالإباحة، فإنه لم يحك التحريم ولا الكراهة، وحمل ما ورد على غير الشبابة. وقال الجاجرمي: ولا يحرم اليراع، واختار الجواز من المتأخرين ابن الفركاح، والعز بن عبد السلام، وابن دقيق العيد، والبدر بن جماعة. قال صاحب الامتاع: سمعت ذلك من لفظه مراراً والقاضي حسين، وإمام الحرمين حكيا في المذهب وجهين،

ولم يرجحا شيئاً. وقال التاج الشريشي المالكي: أنه مقتضى المذهب الفقهي والفقه المذهبي، وذهب الماوردي في الحاوي إلى أنها في الأمصار مكروهة وفي الأسفار والمرعى مباحة ولم يحك غير هذا. وحكاه الروياني عنه في التحريم ولم يحك خلافه. وقال في الوصية: الشبابة التي يعمل فيها في الحرب وفي الأسفار يجوز الوصية بها مع منعه الوصية في المزامير هكذا ذكر صاحب الحاوي. وقال الرافعي: وقد روى إن داود عليه السلام كان يضرب بها في غنمه. قال: وروى عن الصحابة الترخص في البراع. قالوا: والشبابة تحث على السير وتجمع البهائم إذا سرحت وتجري الدمع وترق القلب. وهذه المعاني ليست موجودة في المزامير، وبمثل هذا أجاب المصنف ولم تزل أهل الصلاح والمعارف يحضرون السماع بالشبابة وتجري على يدهم الكرامات الظاهرة، ولهم الأحوال السنية ومرتكب المحرم لا سيما إذا أصر عليه يفسق به.

فصل

في العود

ويسمى المزهر والكران والموتر والعرطبة والكبارة والقنين وألحق بعضهم به الطنبور، والصحيح أنه غيره، وله ذكر في كلام العرب وأشعارهم وهو آلة كاملة وافية لجميع النغمات فإنه مركب على حركات نفسانيـة فالأوتار الأربعة هي الزير والمثنى والمثلث والبم تقابل الأخلاط الأربعة السوداء والصفراء والبلغم والدم. قال ابن الكلبي: وأول من عمله رجل من بني قابيل بن آدم يقال له لمك بن آدم عمَّر زماناً طويلاً، ولم يكن يولد له. فتزوّج خمسين امرأة وتسرى بمائتي جارية فولد له غلام قبل أن يموت بعشر سنين فاشتد فرحه به، فلما أتت على الغلام خمس سنين مات بجزع عليه جزعاً شديداً وأخذه فعلقه على شجرة وقال: لا تذهب صورته عن عيني فجعل لحمه يقع وعظامه تسقط بقيت الفخذ والساق والقدم والأصابع، فأخذ عوداً فشقه ورفعه وجعل يؤلف بعضه إلى بعض وجعل صدره على صورة الفخذ، والعنق على صورة الساقي والابزيم على صورة القدم، والملك على صورة الاضلاع وعلق عليه أوتاراً كالعروق ثم جعل يضرب به ويبكي اهـ.

وقد اختلف العلماء فيه فالمعروف في مذاهب الائمة الأربعة أن الضرب به وسماعه حرام، وذهبت طائفة إلى جوازه، وحكى إسماعه عن عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وحسان بن ثابت رضي الله عنهم. وعن عبد الرحمن بن حسان وخارجة بن زيد، ونقله الاستاذ أبو منصور، عن الزهري، وسعيد بن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، والشعبي، وعبد الله بن أبي عبيد، وأكثر فقهاء المدينة. وحكاه الخليلي عن عبد العزيز بن الماجشون. وقدمنا ذلك عن إبراهيم وابنه سعد، وحكاه الأستاذ أبو منصور أيضاً عن مالك، وكذلك حكاه الفوراني في كتابه الغمد. وحكى الروياني عن القفال أنه حكى عن مالك أنه كان يبيح الغناء عن المعازف، وحكاه الماوردي في الحاوي عن بعض الشافعية، ومال إليه الاستاذ

العارض الثالث: في نظم الصوت وهو الشعر، فإن كان فيه شيء من الخنا والفحش

أبو منصور، ونقل الحافظ ابن طاهر عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي أنه كان مذهبه، وأنه كان مشهوراً عنه، وأنه لم ينكره عليه أحد من علماء عصره، وابن طاهر عاصر الشيخ، واجتمع به وهو ثقة وحكاه عن أهل المدينة وادعى أنه لا خلاف فيه بينهم، وإليه ذهب الظاهرية حكاه ابن حزم وغيره. قال صاحب الامتاع: ولم أر من تعرض للكراهة ولا لغيرها إلا ما أطلقه الشافعي في الأم حيث قال: وأكره اللعب للخبر أكثر ما أكره اللعب بشيء من الملاهي، فإطلاقه يشمل الملاهي كلها ويندرج فيه العود وغيره، وقد تمسك بهذا النص من أصحابه من جعل النرد مكروهاً غير محرم، وما حكاه المازري في شرح التلقين عن ابن عبد الحكم انه قال: إنه مكروه. ونقل عن العز ابن عبد السلام انه سئل عنه فقال: إنه مباح وهذا هو الذي يقتضيه سياق المصنف هنا.

فصل

في الصفاقتين:

اختلف العلماء في الضرب بهما، فذهبت طائفة إلى التحريم وهو اختيار الشيخ أبي محمد الجويني، وجزم به المصنف، وجرى عليه الرافعي وإطلاق المالكية تحريم الآلات كلها غير ما استثنوه يشمله. وحكى ابن أبي الدم في شرح الوسيط خلافاً فيه، وتوقف إمام الحرمين، ومال إلى الجواز وقياس من أباح الضرب بالقضيب إباحته بالأولى. إذ ليس هو مما يطرب لا مفرداً ولا مضافاً، وأهل الظاهر يبيحون جميع الآلات فيندرج فيها، ومقتضى ما قاله بعض الشافعية والحنابلة كراهته وأنهم قالوا: كل ما لا يطرب بانفراده فالضرب به مكروه والمحرمون اعتمدوا فيه على أن المخنثين يعتادون الضرب به، ولا يخفى توجيه الأقوال والأجوبة من جهة المبيحين والإباحة هي التي تظهر.

فصل

في الصنوج:

ذهبت طائفة إلى التحريم، وبه قال من الشافعية القاضي حسين وصاحبه البغوي، وحكاه ابن أبي الدم عن الشيخ أبي علي، وبه قطع المصنف والرافعي وإطلاقات المالكية وغيرهم ممن يرى تحريم جميع الآلات يشمله. وقال الماوردي: إنه مكروه مع الغناء ولا يكره إذا انفرد، والظاهرية يبيحون جميع الآلات وقياس قول من يبيح القضيب من الشافعية، والحنابلة إباحة الصنوج ولم يثبت نص في المنع.

(العارض الثالث: في نظم الصوت وهو الشعر، فإن كان فيه شيء من الخنا والفحش) وهو كل ما عظم قبحه **(والهجو)** وهو على قسمين: هجو الكفار وهجو المسلمين، وهجو الكفار إما أن يكون بصيغة عامة فيجوز، وإما أن يكون في معين فإن كان حربياً جاز أو ذمياً، فالمستحب المنع، والمصنف أطلق الجواز وهو محمول على غير المعين من أهل الذمة، وأما هجو الكفار

والهجو أو ما هو كذب على الله تعالى وعلى رسول الله ﷺ أو على الصحابة رضي الله عنهم، كما رتبه الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم، فسماع ذلك حرام بألحان وغير ألحان، والمستمع شريك للقائل. وكذلك ما فيه وصف امرأة بعينها فإنه لا يجوز وصف

فسيأتي في كلام المصنف، وسبق تفصيل ذلك أيضاً وبكل ما ذكر حمل قوله ﷺ: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يريه خير من أن يمتلىء شعراً» رواه مسلم فقد قيل في تأويله: إن المراد به الشعر الذي فيه هجو رسول الله ﷺ، وقد ورد التصريح به في هذا الحديث أن عائشة رضي الله عنها قالت: إنما قال ﷺ «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خير من ان يمتلىء من شعر هجيت به». وقيل: إن المراد به شعر فيه فحش وخنا: قال صاحب الامتاع: وقد ورد هذان الوجهان بأن فيهما المسامحة بالقليل.

قلت: ووجدت بخط العلامة محمد بن حسين القماط صاحب الفتاوى ما نصه: والقليل في التحريم كالكثير لأن هجوه ﷺ حرام بل كفر قليله وكثيره. قال صاحب الامتاع: وما صح ما قيل فيه على ما حكاه البيهقي وابن حزم أن المراد أن يمتلىء من الشعر حتى لا يشتغل بعلم سواه ولا يذكر غيره وبوّب البيهقي على هذا.

(**أو كذب على الله تعالى**) أو اعتراض عليه (**وعلى رسوله ﷺ أو على الصحابة رضي الله عنهم كما رتبه الروافض في هجاء الصحابة وغيره**) أي غير ذلك، وفي بعض النسخ وغيرهم: (**فسماع ذلك حرام بألحان وبغير ألحان والمستمع شريك للقائل**) وكلاهما في الحرمة سواء. (**وكذلك ما فيه وصف امرأة بعينها فإنه لا يجوز وصف المرأة بين يدي الرجال**) ولكن فيه تفصيل فإن المعينة إما ان تكون أجنبية أو لا كزوجته وأمته، فإن كانت أجنبية فالتشبيب بها ووصف أعضائها الباطنة ونحوها لم يجز، وقد ثبت في الصحيح أنه ﷺ نهى أن تنعت المرأة المرأة لزوجها، ولا شك أن الوصف يشوّق النفوس ويؤثر في القلب قال بعضهم:

أهـــوى بجارحـــة السما ع ولا أرى ذات المسمـــــى

وقال آخر:

هـويتكـم بـالسمـع قبـل لقـائكـم وسمـع الفتى يهوى لعمـري لطـرفـه
وشـــوّقني وصـــف الجليس إليكـــم فلما التقينـــا كنتم فـــوق وصفـــه

ولا خلاف في المنع من ذلك إلا أنه وقع لجماعة ممن يعتد بهم التشبيب بالأجنبيات، كعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما. قال الزبير بن بكار بسنده إلى هشام بن عروة، عن أبيه أن عبد الرحمن بن أبي بكر قدم الشام في تجارة، فرأى هناك امرأة يقال لها إبنة الجودي على طنفسة حولها ولائد فأعجبته فقال فيها:

تـــذكـــرت ليلى والسماوة دونها فما لابنـــة الجودي ليلى ومـــا ليـــا

المرأة بين يدي الرجال. وأما هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز. فقد كان حسان بن

في أبيات ذكرها. قال: فلما بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشه إلى الشام قال لأمير الجيش: إن ظفرت بليلى ابنة الجودي عنوة فادفعها إلى عبد الرحمن فظفر بها فدفعها إليه. وفي النهاية من شرح الهداية من كتب الحنفية إن الشعر إذا كان فيه صفة امرأة معينة وهي حية كره، وإن كانت ميتة لم يكره، وإن كانت مرسلة لم يكره انتهى. أما غير الاجنبية كزوجته وأمته ففيه خلاف في مذهب الشافعي وإيراد الرافعي يقتضي عدم الجواز، وقال الروياني في البحر: يجوز أن يشبب بزوجته وأمته ولا ترد شهادته قاله عامة الأصحاب. وقال الطبراني بسنده إلى الشعبي، قال قال شريح في زينب زوجته:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم ... فشلت يميني يوماً أضرب زينبا
أأضربها في غير جرم أتت به ... إليّ فما عذري إذا كنت مذنبا
فتاة تزين الحلى إن هي زينت ... كأن بفيها المسك خالط محلبا
فلو كنت يا شعبي صادفت مثلها ... لعشت زماناً ناعم البال طيبا

وقال الطبراني أيضاً: حدثنا أبو شعيب الحراني، حدثنا عمرو بن شعبة، حدثنا أبو نعيم، حدثنا عمرو بن ثابت قال: سمعت سكينة ابنة الحسين تقول عوتب أبي الحسين بن علي في أمي فقال أبي:

لعمرك إنني لاحب دارا ... تصيفها سكينة والرباب
أحبهم وأبذل جل مالي ... وليس للائم فيها جواب

أما إذا كان شبّب بامرأة غير معينة ففيه خلاف. قال ابن عقيل الحنبلي في الفصول: إذا شبب بأمته أو زوجته قال شيخنا في المجرد: لا ترد شهادته. قال: وهذا عندي فيه تفصيل إن شبب بها ولم يظهر الشعر لم ترد شهادته، وان شهر صفاتها دخل في مداخل المظهر محاسن زوجته، وكان مقاروناً للديوث وجعله مما يسقط المروءة، وإن اختلف اسماً لغير معين كسعاد وسلمى على عادة الشعراء لم يفسق ولم ترد شهادته لأنه لم يوقع الصفة على معين اهـ.

وكلام الشافعي صريح في الجواز فإنه قال: إذا شبب بامرأة ولم يسم أحداً لا ترد شهادته لأنه يمكن أن يشبب بأمته وزوجته، وهذا النص أيضاً يرجح ما ذكره الروياني في المسألة الأولى.

(وأما هجاء الكفار) الحربيين (وأهل البدع) السيئة (فذلك جائز) باتفاق العلماء وإنما قيدت بالحربيين فإن الذمي محقون الدم والمال وكذلك العرض، وإنما جاز هجوهم على العموم لما ثبت في الصحيحين لعن اليهود لعن النصارى. قال ﷺ «لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجداً» الحديث. واللعنة أغلظ من الهجو، وفي كلام القرطبي ما هو صريح في جواز لعن الكفار سواء كانت لهم ذمة أم لا. قال: وكذلك المجاهر بالمعاصي كشرب الخمر وأكلة الربا ومن تشبه من النساء بالرجال وعكسه اهـ.

وأما هجو المشركين غير أهل الذمة فأشار المصنف إلى جوازه بقوله: (فقد كان حسان بن

ثابت رضي الله عنه ينافح عن رسول الله ﷺ ويهاجي الكفار وأمره ﷺ بذلك، فأما النسيب وهو التشبيب بوصف الخدود والأصداغ وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر. والصحيح أنه لا يحرم نظمه وإنشاده بلحن وغير لحن. وعلى المستمع أن لا ينزله على امرأة معينة فإن نزله فلينزله على من يحل له من زوجته

ثابت رضي الله عنه ينافح عن رسول الله ﷺ ويهاجي الكفار) ويرد عليهم مهاجاتهم ويوضع له منبر في المسجد لذلك، **(وأمره رسول الله ﷺ بذلك)** قال العراقي: متفق عليه من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان « اهجهم أو هاجهم وجبريل معك » اهـ.

قلت: رواه البخاري عن سليمان بن حرب، ورواه مسلم من أوجه عن شعبة، وعند مسلم من حديث عائشة « هجاهم حسان فشفي واشتفى » وعندهما أيضاً من رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع حسان بن ثابت يستشهد أبا هريرة أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول « يا حسان أجب عن رسول الله اللهم أيده بروح القدس » فقال أبو هريرة: نعم.

(فأما النسيب وهو التشبيب بوصف الخدود والأصداغ وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر)، فكلام الرافعي في السير يقتضي أنه مكروه، فإنه قال: ومن المكروه أشعار المولدين في الغزل والبطالة. وقال اللخمي من المالكية في التبصرة أنه يكره من الشعر ما فيه ذكر الخمر والخنا، وذكر ابن أبي زيد في نوادره عن ابن حبيب أنه قال: يكره تعلم الشعر وروايته إن كان فيه ذكر الخمر والخنا وقبيح الهجاء وقاله كله أصبغ. وقال أبو عبد الله القرطبي: المفسر أن ذلك حرام وجعل منه البيت الأول من قول الشاعر:

ذهبي اللون تحسب من وجنتيه النار تقتدح
خوفوني من فضيحته ليته وافى فافتضح

وكذلك إيراد ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس يقتضي عدم جواز ذلك، وصرح به صاحب المنسوب من الحنابلة وفي باب الكراهة من فتاوي الصدر الشهيد من الحنفية أن الشعر الذي فيه ذكر الخمر والفسق وذكر الغلام يكره، وكذلك في فتاوى قاضي خان. **(والصحيح أنه لا يحرم نظمه وانشاده بلحن وغير لحن، وعلى المستمع أن لا ينزله على امرأة معينة وإن نزله نزله على من تحل من زوجته وجاريته)**.وقال الرافعي في كتاب الشهادات وينبغي أن قال على قياس ما ذكره القفال والصيدلاني في مسألة الكذب أنه لا يخل بالعدالة إذا كان في الشعر أن يكون الحكم كذلك إذا شبب بامرأة ولم يذكر عينها. قال صاحب الامتاع: وهذا الذي ذكره الرافعي بحث جزم به الجرجاني في الشافي حيث قال: إذا شبب بزوجته أو أمته ولم يكثر لم ترد شهادته، وكذا إذا أطلق لجوازان يريد إحدهما اهـ.

ودليل ذلك قصة كعب بن زهير، وقد رويت من طرق مرفوعة ومرسلة ومن قصيدته قوله:

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحولُ

وقوله في وصف الظلم:

كأنه منهل بالراح معلول

وفي شعر حسان في قصيدته التي يقول فيها:

كـأن شبيبـة مـن بيـت رأس ... يكـون مـزاجهـا عسـل ومـاء

وفيها ذكر المزاح والخمر قالها في السنة الثانية من الهجرة، وسمعها منه من لا يمكن الطعن عليه، ولم ينكر عليه وهي قصيدة مشهورة مذكورة في السير وبعضها في الصحيح. وقال الطبراني: حدثنا أحمد بن ثعلب، حدثنا محمد بن سلام الجمحي، حدثنا أبو عبيدة مسلم بن المثني، حدثني رؤبة بن العجاج عن أبيه قال: أنشدت أبا هريرة رضي الله عنه:

طـاف الخيـالان فهـاجـا سقمـاً ... خيـال مكني وخيـال تكتما

قـامـت تـريـك خشيـة أن تصرمـا ... سـاقـا مخنـداً وكعبـاً أو رمـا

فقال أبو هريرة: كنا ننشد مثل هذا على عهد رسول الله ﷺ فلا يعاب علينا. وساقه ابن عساكر في التاريخ، وابن زرعة أحمد بن الحسين الحافظ في كتاب الغزل، وقال الرافعي في كتاب السير: ومن المباح شعر المولدين الذي لا يتبين فيه الشخص، وقال ابن عبد البر في التمهيد: وقد روي قتيبة بن سعيد عن أبي بكر بن شعيب بن الحجاب المعمولي عن أبيه قال: كنت عند ابن سيرين فجاءه رجل يسأله عن شيء من الشعر قبل صلاة العصر فأنشده ابن سيرين.

كـأن المدامـة والزنجبيـل ... وريـح الخزامـي وذوب العسـل

يعـل بـه بـرد أنيـابها ... إذا النجـم وسـط السماء اعتـدل

وقال: الله أكبر، ودخل في الصلاة. قال: وسمع سعيد بن المسيب الأخضر يغني في دار العاصي ابن وائل:

تضـوع مسكـا بطـن نعمان إذ مشـت ... بـه زينـب في نسـوة خفـرات

فكمل عليه أبياتاً ذكرت آنفاً. وأخرج الطبراني بسنده إلى سفيان بن عيينة قال: جئت يوماً مسعر بن كدام فوجدته يصلي فجلسنا فأطال الصلاة، ثم انفتل إلينا بعدما صلى فتبسم وقال:

ألا تلـك عـزة قـد أقبلـت ... تقلـب للعين طـرفـا غضيضـا

تقـول مـرضـت فما عـدتنـا ... فقلـت لها لا أطيـق النهـوضـا

كلانـا مـريضـان في بلـدة ... وكيـف يـزور مـريـض مـريضـا

فقلت له: تنشد هذا الشعر بعد هذه الصلاة. فقال مرة هكذا ومرة هكذا، وأنشد السمعاني للشيخ أبي إسحاق الشيرازي أشعاراً فيها ذكر الخدود والخمر مع تقشفه وزهده وعلمه، وروى الخطيب في ترجمة الإمام ابن الإمام أبي بكر محمد بن داود الظاهر في مناظرة جرت بينه وبين ابن سريج أن أبي داود تمدح عليه بقوله:

وجاريته، فإن نزله على أجنبية فهو العاصي بالتنزيل وإحالة الفكر فيه. ومن هذا وصفه

أكــرر في روض المحــاسـن مقلتي ... وأمنــع نفسي ان تنــال محرمــا
وينطق سري مـن مترجـم خـاطـري ... فلــولا اختلاس رده لتكلما
رأيـت الهوى دعـوى مـن النـاس كلهـم ... فما أن رؤى حبـاً صحيحـاً مسلما

فقال يا ابن سريج: أو علي تفخر بهذا وأنا الذي أقول:

ومساهرٍ بـالغنـج مـن لحظـاتـه ... قـد بـتّ أمنعـه لـذيـذ سنـاتـه
ضنـا بحسـن حـديثـه وعتـابـه ... وأكـرر اللحظـات في وجنـاتـه
حتى إذا مـا الصبـح لاح عمـوده ... ولّـى بخاتم ربـه وبـراتـه

وكان ذلك بحضرة القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، وأمثال ذلك مما هو في أشعارهم وفي انشادهم ذلك واستماعهم له في كل ورد وصدر ما يرفع الأشكال ويشهد للقائل بالجواز بصحة المقال، (فإن نزله على أجنبيه فهو العاصي بالتنزيل وإحالة الفكر فيه) وتقدم للمصنف قوله: وسائر أوصاف النساء تتعلق به مسألة التشبيب بالمردان، وفيها أيضاً اختلاف للعلماء فإن كان في معين فالذي نقل الرافعي أنه حرام. قال صاحب الامتاع: لا بد أن يقيد هذا بما إذا لم يكن في ابنه ونحوه اهـ.

قلـت: قال الفقيه محمد بن حسين القماط: لا ينبغي هذا التقييد، بل التشبيب بالابن أفحش من غيره إلا أن يريد شيئاً يحمل على محض الشفقة والرحمة والملاطفة لا غير فله وجه والله أعلم اهـ.

وإن كان في غير معين فشبب به وذكر محبته له فقال الروياني في البحر: إنه حرام يفسق به، وقال البغوي وغيره: لا يحرم. قال صاحب الامتاع: وهذا هو الذي يترجح ويحمل على محل صحيح، وقد يذكر المذكر ويراد به الشيخ وغير ذلك قال: ولعل مراد الروياني إذا فهم بالقياس والقياس إرادة من تحرم محبته والتشبيب به وإلاّ فالتفسيق بالمحتملات بعيد عن القواعد، وذكر ابن عقيل الحنبلي في الفصول أنه إذا شبب بالمردان ووصف قدودهم وشعورهم ردت شهادته لأنهم لم يباحوا بحال. قال: ويحتمل أن لا ترد لأنه وصف ما لم يخلق للتمتع فهو كوصف البهائم، وإن كان في الناس من يشتهي البهائم، وهذا عند من يحرم، وأما من يبيح نظر الأمرد كالظاهرية وغيرهم لم يفسق، وقد ساق الخطيب وابن الجوزي عن أبي بكر بن داود الإمام أنه عشق بعض الغلمان وشبب بمحبته ومات من العشق، وكذا ابن حزم وابن طاهر عشقا وشيبا في شعرهما وقبل الناس شهاداتهم وروایاتهم. وقال الرافعي على قياس ما ذكره القفال والصيدلاني في مسألة الكذب أن يكونَ التشبيب بالنساء والغلمان بغير تعيين لا يخل بالعدالة إذ غرض الشاعر تحسين الكلام لا تحقيقه، قال صاحب الامتاع: وهذا الذي بحثه هو المتجه وإذا سقطت أشعار العلماء الذين يقتدي بهم وسماعهم لذلك كان كثيراً، والله أعلم.

فينبغي أن يجتنب السماع رأساً فإن من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه؛ سواء كان اللفظ مناسباً له أو لم يكن إذ ما من لفظ إلا ويمكن تنزيله على معان بطريق الاستعارة، فالذي يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ مثلاً ظلمة الكفر، وبنضارة الخد نور الإيمان، وبذكر الوصال لقاء الله تعالى، وبذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى في زمرة المردودين، وبذكر الرقيب المشوّش لروح الوصال عوائق الدنيا وآفاتها المشوّشة لدوام الانس بالله تعالى، ولا يحتاج في تنزيل ذلك عليه إلى استنباط وتفكر ومهلة، بل تسبق المعاني الغالبة على القلب إلى فهمه مع اللفظ.

كما روي عن بعض الشيوخ، أنه مرّ في السوق فسمع واحداً يقول: الخيار عشرة بحبة، فغلبه الوجد، فسئل عن ذلك فقال: إذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الأشرار؟

(ومن هذا وصفه فينبغي أن يجتنب السماع رأساً فإن من غلب عليه عشق) لشيء **(نزل كل ما يسمعه عليه)** لكمال تعلقه به، **(سواء كان اللفظ)** الذي سمعه **(مناسباً أو لم يكن)** كذلك **(إذ ما من لفظ إلا ويمكن تنزيله على معان)** متنوّعة **(بطريق الاستعارة)** والتشبيه والنقل، **(فالذي يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر بسواد الصدغ)** أي الشعر النابت عليه مثلاً **(ظلمة الكفر)** بجامع الضلال فيهما ففي الأول ضلال الفكر، وفي الثاني ضلال العقل، **(وبنضارة الخد نور الإيمان)** وطلاوته ووفوره بجامع البهجة فيهما أو يتذكر بسواد الأصداغ ليالي الفراق فإنها سود وبنضارة الخدود الصبح المسفر عن الوصال، **(وبذكر الوصال لقاء الله تعالى)** فإنه الوصال الذي لا انقطاع بعده، **(وبذكر الفراق الحجاب عن الله تعالى في زمرة المردودين)** أي البعد عن حضرته بسوء ما جنته يداه **(وبذكر الرقيب)** وهو العذول الذي يحول بينه وبين محبوبه ويعذله عن حبه له وهو **(المشوّش لروح الوصال عوائق الدنيا)** أي موانعها **(وآفاتها المشوشة عن الانس بالله تعالى)** فتلك بمنزلة الرقباء بين العبد وربه، **(ولا يحتاج في تنزيل ذلك عليه إلى استنباط وتفكر ومهلة بل تسبق المعاني الغالبة على القلب إلى فهمه مع اللفظ)** بسرعة.

(كما روي عن بعض الشيوخ أنه مرَّ في السوق فسمع واحداً يقول: الخيار عشرة بحبة) وهو إنما أراد الخيار المأكول وأنه عشرة تساوي حبة درهم، **(فغلبه الوجد)** وغشي عليه من سماعه، **(فسئل عن ذلك فقال: إذا كان الخيار عشرة بحبة فما قيمة الأشرار)** أي سبق إلى ذهنه أن المراد بالخيار هم الناس الأخيار ذوو الصلاح، فإن كانوا بحبة درهم فقد بخست قيمتهم فما مقدار سواهم عند الله تعالى؟ فهذا المعنى الذي سبق إلى ذهنه أدهشه وأورث فيه الوجد، ولفظ القشيري في الرسالة قيل: سمع الشبلي قائلاً يقول: الخيار عشرة بدانق فصاح وقال: إذا كان الخيار عشرة بدانق كيف الأشرار؟

واجتاز بعضهم في السوق، فسمع قائلاً يقول: يا سعتر بري، فغلبه الوجد فقيل له: على ماذا كان وجدك؟ فقال: سمعته كأنه يقول اسع تر بري، حتى أن العجمي قد يغلب عليه الوجد على الأبيات المنظومة بلغة العرب فإن بعض حروفها يوازن الحروف العجمية فيفهم منها معان أخر. أنشد بعضهم:

وما زارني في الليل إلا خياله

فتواجد عليه رجل أعجمي، فسئل عن سبب وجده فقال: إنه يقول: ما زاريم، وهو

(**واجتاز بعضهم**) في السوق (**فسمع قائلاً يقول: يا سعتر بري**) وهو إنما يريد بذلك النداء على السعتر النبات المعروف في كتب الطب ينبت بنفسه في البراري يقصد بذلك بيعه ويصفه بأنه بري غير مستنبت وهو أقوى، (**فغلب عليه الوجد فقيل له: على ماذا كان وجدك؟ فقال: سمعته كأنه يقول: اسع**) أي اجتهد في طاعتي (**تر**) وأصله ترى، وإنما سقطت ياؤه لكونها وقعت في جواب الأمر (**بري**) بسكر الباء أي خيري ومواهب كرامتي.

ولفظ القشيري في الرسالة: سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: سمعت يحي بن الرضى العلوي قال: سمع أبو سليمان الدمشقي طوافاً ينادي: يا سعتر بري فسقط مغشياً عليه، فلما أفاق سئل فقال: حسبته يقول: اسع تر بري انتهى.

وقد نقله القطب سيدي عبد الوهاب الشعراني هكذا في بعض مصنفاته، وقد وفد إلينا من المغرب أحد الأولياء الصالحين محمد العربي ابن القطب سيدي محمد المعطي بن محمد الصالح بن محمد المعطي بن عبد الخالق بن عبد القادر بن أبي عبد الله محمد الشرقي التادلي نفع الله به، فرأيت عنده كتاب المرقي في مناقب سيدي محمد الشرقي تأليف أحد أحفاده، وهو عبد الخالق بن محمد بن أحمد بن عبد القادر بن سيدي محمد الشرقي وفيه ما نصه: كان رجل في زقاق مصر يبيع ويقول: يا سعتر بري ففهم منه ثلاثة من العباد. الأول: من أهل البداية اسع تربري أي اجتهد في طاعتي تر مواهب كرامتي، والثاني: متوسط ففهم يا سعة برّي أي ما أوسع معروفي وإحساني لمن أحبني وأطاعني. والثالث: من أهل النهاية ففهم الساعة ترى برّي أي الفتح جاء إبانه فتواجدوا جميعاً انتهى.

(**حتى أن العجمي**) الذي لا يعرف يتكلم بالعربية (**قد يغلب عليه الوجد على**) سماع (**الأبيات المنظومة بلغة العرب، فإن بعض حروفها توازن الحروف العجمية**) مع بقاء التركيب (**فيفهم منها معاني أخر**) غير التي قصدها الشاعر (**أنشد بعضهم**):

(**وما زارني في النوم إلا خياله ... فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحبا**)

(**فتواجد عليه أعجمي**) أي أخذه الوجد بسماعه، (**فسئل عن سبب وجده فقال: إنه يقول ما زاريم وهو كما يقول، فإن لفظ زار يدل في العجمية على المشرف على الهلاك**)

كما يقول فإن لفظ « زار » يدل في العجمية على المشرف على الهلاك ، فتوهم أنه يقول: كلنا مشرفون على الهلاك ، فاستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة.

والمحترق في حب الله تعالى وجده بحسب فهمه ، وفهمه بحسب تخيله ، وليس من شرط تخيله أن يوافق مراد الشاعر ولغته. فهذا الوجد حق وصدق. ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فجدير بأن يتشوش عليه عقله وتضطرب عليه أعضاؤه. فإذاً ليس في تغيير أعيان الألفاظ كبير فائدة ، بل الذي غلب عليه عشق مخلوق ينبغي أن يحترز من السماع بأي لفظ كان ، والذي غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الألفاظ ولا تمنعه عن فهم المعاني اللطيفة المتعلقة بمجاري همته الشريفة.

العارض الرابع: في المستمع وهو أن تكون الشهوة غالبة عليه وكان في غرّة الشباب وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها ، فالسماع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب ، فإنه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخدّ والفراق والوصال إلا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها في قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة وتحتد بواعث الشر. وذلك هو النصرة لحزب الشيطان والتخذيل

ولفظ ما موضوع بازاء انا والياء والميم المضاف إليها زار موضوع بأزاء ضمير الجمع ، (**فتوهم أنه يقول: كلنا مشرفون على الهلاك واستشعر عند ذلك خطر هلاك الآخرة، والمحترق في حب الله تعالى وجده بحسب فهمه**) من منطوق اللفظ الذي يسمعه (**وفهمه بحسب تخيله وليس من شرط تخيله أن يوافق مراد الشاعر ولغته، فهذا الوجد حق وصدق، ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فجدير أن يشوّش عليه عقله وتضطرب عليه أعضاؤه، فإذاً ليس في تغيير أعيان الألفاظ كبير فائدة، بل الذي غلب عليه عشق مخلوق: فينبغي أن يحترز من السماع بأي لفظ كان، والذي غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الألفاظ ولا تمنعه عن فهم المعاني اللطيفة المتعلقة بمجاري همته الشريفة**).

(**العارض الرابع: في المستمع وهو أن تكون الشهوة**) النفسية (**غالبة عليه**) لا يمكنه دفعها عنه، (**وكان في غرة الشباب**) وعنفوانه، (**وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها فالسماع**) حينئذ (**حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب**) إذ هو مغلوب الشهوة، (**فإنه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ والخد والفراق والوصال**) والرقيب، (**إلا ويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة ينفخ الشيطان بها**) أي بتلك الشهوة (**في قلبه فتشتعل فيه نار الشهوة وتحثه بواعث الشر، وذلك هو النصرة لحزب الشيطان**) وجنده (**والتخذيل للعقل المانع منه الذي هو حزب الله تعالى**) ومن هنا قال

للعقل المانع منه الذي هو حزب الله تعالى، والقتال في القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات، وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل، إلا في قلب قد فتحه أحد الجندين واستولى عليه بالكلية. وغالب القلوب الآن قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لازعاجها، فكيف يجوز تكثير أسلحتها وتشحيذ سيوفها وأسنتها، والسماع مشحذ لأسلحة جند الشيطان في حق مثل هذا الشخص. فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فإنه يستضر به.

العارض الخامس: أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله تعالى فيكون السماع له محبوباً، ولا غلبت عليه شهوة فيكون في حقه محظوراً. ولكنه أبيح في حقه كسائر أنواع اللذات المباحة، إلا أنه إذا اتخذه ديدنه وهجيراه وقصر عليه أكثر

صاحب القوت: السماع حرام وحلال وشبهة، فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى فهو حرام، ومن سمع بمعقول على صفة مباح من جاريته أو زوجته كان شبهة لدخول اللهو فيه، ومن سمعه بقلبه بمشاهدة مكان تدل على الدليل وتشهده طرقات الجليل فهو مباح، وقد نقله صاحب العوارف أيضاً وصححه. وقال قول الشيخ أبي طالب: يعتبر لوفور عمله وكمال حاله وعلمه بأحوال السلف ومكان ورعه وتقواه وتحريه الأصوب والأولى. (**والقتال في القلب دائم بين جنود الشيطان وهي الشهوات**) النفسانية (**وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل**) الإلهي، (**إلا في قلب قد فتحه أحد الجندين واستولى عليه بالكلية**) وغلب عليه، (**وغالب القلوب**) في غالب الأزمان من غالب الأشخاص (**قد فتحها جند الشيطان وغلب عليها فيحتاج**) حينئذ إلى (**أن يستأنف أسباب القتال لإزعاجها**) وفي نسخة لإزعاجه، (**فكيف يجوز تكثير أسلحتها وتشحيذ سيوفها وأسنتها والسماع مشحذ لأسلحة جند الشيطان في حق مثل هذا الشخص. فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فإنه يستضربه**) من هنا قال الشيخ: أبو عبد الرحمن السلمي سمعت جدي يقول: المستمع ينبغي ان يستمع بقلب حي ونفس ميتة، ومن كان قلبه ميتاً ونفسه ميتة لا يحل له السماع.

(**العارض الخامس: أن يكون الشخص من عوام الخلق ولم يغلب عليه حب الله تعالى فيكون السماع عليه محبوباً ولا غلبت عليه شهوة**) بحكم الشيخوخة، (**فيكون في حقه محظوراً، ولكنه أبيح في حقه كسائر أنواع اللذات المباحة**) وأراد بالعوام هنا غير أهل المعرفة بالله تعالى، فدخل فيه علماء الدنيا بسائر فنونهم والمتكلمون على العلوم الغريبة والمشتغلون بالتدريس والتصنيف. وقال القاضي حسين في تعليقه: الناس في السماع على ثلاثة أضرب: العوام، والزهاد، والعارفون. فأما العوام، فحرام عليهم لبقاء نفوسهم، وأما الزهاد فيباح لهم لحصول مجاهداتهم، وأما أصحابنا فيستحب لهم لحياة قلوبهم (**إلا أنه إذا اتخذه ديدنه**) أي عادته

أوقاته فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته، فإن المواظبة على اللهو جناية. وكما أن الصغيرة بالإصرار والمداومة تصير كبيرة فكذلك بعض المباحات بالمداومة يصير صغيرة، وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر إلى لعبهم على الدوام فإنه ممنوع وإن لم يكن أصله ممنوعاً إذ فعله رسول الله ﷺ ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج فإنه مباح ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة، ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو فذلك إنما يباح لما فيه من ترويح القلب، إذ راحة القلب معالجة له في بعض الأوقات لتنبعث

(وهجيـراه) أي طريقته **(وقصر عليه أكثر أوقاته)** وفي نسخة: وقضى بدل وقصر، **(فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته)** وهذا السياق أشار به إلى قول من قال بالتفرقة بين القليل من الغناء والكثير، فأجاز القليل وحظر الكثير، وقد حكاه الرافعي وجهاً في مذهب الشافعي عن رواية أبي الفرج البزاز وفي شرح مختصر المزني للقاضي أبي علي بن أبي هريرة ما يقتضي أنه مذهب الشافعي فإنه لما حكى اختلاف العلماء في الحظر والإباحة. قال: والشافعي لا يبيحه يعني مطلقاً قال: ويقول إن كان كثيراً دخل في باب السفيه. وقال الحافظ أبو بكر بن المنذر في الاشراق، قال الشافعي: وإذا كان الرجل يدمـن الغناء ويشتغل به فهو بمنزلة السفه، وقال الصيمري في شرح الكفاية: وأما الرجل يشعر في بيته أو مع من يستأنس به في وقت دون وقت تطربا فلا يمنع. وقال القاضي حسين في تعليقه، قال الشافعي في الكبير: إذا كان الرجل يغني على الأدوار فهو سفيه، أما إذا كان يغني أحياناً وحده أو مع صديق له استئناساً فلا ترد شهادته، وقال أبو حامد محمد بن إبراهيم الجاجرمي في كفايته: ولا يحرم اليراع والدف مع الجلاجل في وجه، وكذا الغناء وسماعه والرقص إلا إذا داوم عليها. وقال الماوردي في الحاوي: ولم يزل أهل الحجاز يترخصون فيه وهم في عصر العلماء وجلة الفقهاء ولا ينكرون عليهم ولا يمنعونهم عنه إلا في حالين: أحدهما الإكثار منه والانقطاع إليه، والثاني أن يكون فيه مكروه وإيراد الحليمي في منهاجه يقتضيه.

(فإن المواظبة على اللهو جناية، وكما أن الصغيرة بالإصرار عليها والمداومة تصير كبيرة، فكذلك بعض المباحات بالمـداومة يصير صغيرة) قال الرافعي: والرجوع في المداومة والإكثار إلى العرف ويختلف باختلاف الأشخاص فيستقبح من شخص قدر لا يستقبح من غيره اهـ.

واختلف في الإصرار على الصغيرة هل هو تكرارها أو الإتيان بأنواع كما سيأتي في كتاب التوبة، **(وهو كالمواظبة على متابعة الزنوج والحبشة والنظر إلى لعبهم على الدوام، فإنه ممنوع وإن لم يكن أصله ممنوعاً إذ فعله رسول الله ﷺ، ومن هذا القبيل اللعب بالشطرنج فإنه مباح، ولكن المواظبة عليه مكروهة كراهة شديدة)** وسيأتي قريباً ما يتعلق به **(ومهما كان الغرض اللعب والتلذذ باللهو، فإن ذلك إنما يباح لما فيه من ترويح القلب)** واستئنـاس النفس

دواعيه فتشتغل في سائر الأوقات بالجدّ في الدنيا كالكسب والتجارة، أو في الدين كالصلاة والقراءة، واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجسد كاستحسان الخال على الخد، ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوهته فما أقبح ذلك! فيعود الحسن قبحاً بسبب الكثرة فما كل حسن يحسن كثيره ولا كل مباح يباح كثيره، بل الخبز مباح والاستكثار منه حرام. فهذا المباح كسائر المباحات.

(**إذ راحة القلب معالجة له في بعض الأوقات لتنبعث دواعيه**) وتقوم بواعثه، (**فيشتغل في سائر الأوقات بما يجدي**) أي ينفع، وفي نسخة بالجد (**في الدنيا كالكسب والتجارة أو في الدين كالصلاة والقراءة واستحسان ذلك في تضاعيف الجد**) أي الاجتهاد (**كاستحسان الخال**) وهي الشامة السوداء (**على الخد، ولو استوعبت الخيلان الوجه لشوهته فما أقبحه**) وفي نسخة فما أقبح ذلك، (**فيعود ذلك الحسن قبيحاً لسبب الكثرة فما كل حسن يحسن بكثيره ولا كل مباح يباح كثيره بل الخبز**) الذي به قوام البدن (**مباح**) أكله (**والاستكثار منه حرام**) إذا كان يستضرّ به، وكذا شراب الرمان شربه وهو شفاء، والاستكثار منه مضر بالمعدة، (**فهذا المباح كسائر المباحات**) وهذا الذي ذكره المصنف صحيح من جهة القياس، وقد ناقضه صاحب الإمتاع من أصله فقال: وأما من فرق بين القليل والكثير فغيره متجه ولا دليل له، والقياس أن المباح قليله يباح كثيره إلا أن يدل الدليل كسائر المباحات، وقد كان عبد الله بن جعفر يستكثر منه وتعلم الصحابة منه ذلك كما تقدم قال: وأما قول الغزالي أن بعض المباحات يصير بالمداومة صغيرة، فغير مسلم ما لم يدل دليل، وقوله: إن الشطرنج يباح اللعب به وبالمواظبة عليه يصير مكروهاً غير مسلم، ولا أعرف هذا لأحد من الأصحاب والمسألة فيها ثلاثة أوجه. الصحيح: على ما هو مشهور في المذهب الكراهة مطلقاً، والثاني: الاباحة، والثالث: التحريم وهذه التفرقة لا نعرفها. فإن كان قد قيل بها فلا نسلم، وشرط القياس الاتفاق على الأصل، وما ذكره من القياس على الصغيرة أنها تصير كبيرة فليس القياس صحيحاً فإن المرتكب للصغيرة مرتكب لشيئين. أحدهما: ما طلب الشارع تركه في كل زمن، والثاني استمراره وهو في كل زمن منهي عن التلبس به، فصار كبيرة لمخالفته أولاً واستمراره على المخالفة وهو مأمور بالترك وواجب عليه التوبة فصارت الصغيرة كبيرة بالاستمرار، ولقائل أيضاً يقول قولاً ما ورد من كون الصغيرة تصير كبيرة بالإصرار لم يقل به. وأما المباح فلا خبر وأن المعنى الذي أبديناه موجود فيه فبطل القياس، ولو قيل: إن بعض المباحات يصير بالمداومة مكروهاً لأمكن أن يكون له وجه فإن الاشتغال بالمباحات وترك ما هو أنفع منها في الآخرة تفريط، والإنسان مطلوب منه الإشتغال في كل وقت بالطاعات بحسب القدرة. قال الله تعالى ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] وإذا صرف أكثر وقته النفيس إلى المباح كان تاركاً للأولى، ولا نعني بالكراهة هنا إلا ترك الأولى إلاَّ أنه يقال: إن الشارع قد أوجب وحرم وكره وندب وأباح، فإذا أتى الإنسان بالواجب

فإن قلت: فقد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح في بعض الأحوال دون بعض فلِمَ أطلقت القول أولاً بالإباحة إذ إطلاق القول في المفصل بلا أو بنعم خلف وخطأ؟ فاعلم أن هذا غلط لأن الإطلاق إنما يمتنع لتفصيل ينشأ من عين ما فيه النظر، فأما ما ينشأ من الأحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الإطلاق، ألا ترى أنا إذا سئلنا عن العسل أهو حلال أم لا؟ قلنا: إنه حلال، على الإطلاق مع أنه حرام على المحرور الذي يستضرّ به وإذا سئلنا عن الخمر قلنا: إنها حرام، مع أنها تحل لمن غص بلقمة أن يشربها مهما لم يجد غيرها. ولكن هي من حيث إنها خمر حرام وإنما أبيحت لعارض الحاجة. والعسل من حيث أنه عسل حلال وإنما حرم لعارض الضرر، وما يكون لعارض فلا يلتفت إليه فإن البيع حلال ويحرم بعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة ونحوه من العوارض، والسماع من جملة المباحات من حيث انه سماع صوت طيب موزون مفهوم،

عليه وترك المحرم عليه والمكروه في حقه لا يذم بوجه من الوجوه إذا استكثر من المباحات وظاهر قوله ﷺ للأعرابي «أفلح إن صدق وإن صدق ليدخلن الجنة» يقتضي أن من قام بالواجبات لا عيب ولا ذم عليه اهـ.

(فإن قلت: فقد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح في بعض الأحوال دون بعض) ولبعض الاشخاص دون بعض، **(فلم أطلقت القول أوّلاً بالإباحة)** أي انه مباح مطلقاً **(وإطلاق القول في المفصل)** أي فيا فيه تفصيل عند الائمة **(بلا أو نعم خلف وخطأ؟ فاعلم أن هذا غلط)** نشأ عن قلة التأمل **(لأن الإطلاق إنما يمتنع)** حمله **(لتفصيل ما ينشأ من غير ما فيه النظر، فأما ما ينشأ من الأحوال العارضة المتصلة من خارج فلا يمنع الإطلاق. ألا ترى إذا سئلنا عن العسل)** المعروف الذي يمجه النحل **(أهو حلالا أم لا؟ قلنا إنه حلال على الإطلاق مع أنه حرام على المحرور)** أي من كان مزاجه حاراً دموياً **(الذي يستضربه)** لمخالفة مزاجه، وكذا الصفراوي الذي غلب عليه خلط الصفراء فإنه يحركه ويستضرّبه أيضاً، **(وإذا سئلنا عن الخمر)** أي عن شربها **(قلنا أنه حرام مع أنها تحل)** في بعض الأحيان، وذلك **(لمن غص بلقمة أن يشربها مهما لم يجد غيرها، ولكن هو من حيث أنه خمر حرام، وإنما أبيح لعارض الحاجة)** في بعض الأوقات، **(والعسل من حيث أنه عسل حلال، وإنما حرم لعارض الضرر)** لبعض الأشخاص. **(وما كان لعارض فلا يلتفت إليه فإن البيع حلال ويحرم لعارض الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة)** كما تقدم الكلام عليه في باب الجمعة من كتاب الصلاة. **(وجملة من العوارض)** وفي بعض النسخ. ونحوه من العوارض. **(والسماع من جملة المباحات من حيث أنه صوت موزون طيب مفهوم، وإنما تحريمه لعارض**

وإنما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته. فإذا انكشف الغطاء عن دليل الإباحة فلا نبالي بمن يخالف بعد ظهور الدليل.

وأما الشافعي رضي الله عنه فليس تحريم الغناء من مذهبه أصلاً. وقد نص الشافعي وقال في الرجل يتخذه صناعة: لا تجوز شهادته. وذلك لأنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل، ومن اتخذه صنعة كان منسوباً إلى السفاهة وسقوط المروءة، وإن لم يكن محرماً بيِّن التحريم. فإن كان لا ينسب نفسه إلى الغناء ولا يؤتى لذلك ولا يأتي لأجله وإنما يعرف بأنه قد يطرب في الحال فيترنم بها لم يسقط هذا مروءته ولم يبطل شهادته. واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان في بيت عائشة رضي الله عنها، وقال يونس بن عبد

خارج عن حقيقة ذاته. وإذا انكشف الغطاء عن دليل الإباحة فلا يبالي بمن يخالف عن ظهور الدليل).

(وأما الشافعي) رضي الله عنه **(فليس تحريم الغناء من مذهبه أصلاً)** قال صاحب الامتاع: وتتبعت أنا عدة كثيرة من المصنفات فلم أر له نصاً في تحريمه، وطالعت جلة من الأم والرسالة وتصانيف متقدمي الأصحاب ومتوسطيهم ومتأخريهم، فلم يحك أحد عنه التحريم، بل حكى عنه الأستاذ أبو منصور البغدادي أن مذهبه إباحة السماع بالقول والالحان إذا سمعه الرجل من رجل أو من جاريته أو من امرأة يحل له النظر إليها متى سمعه في داره، وفي دار بعض أصدقائه ولم يسمعه على قارعة الطريق، ولم يقترن سماعه بشيء من المنكرات ولم يضيع مع ذلك أوقات الصلاة عن أدائها فيها ولم يضيع شهادة لزمه اداؤها اهـ.

(وقد نص الشافعي) رضي الله عنه في كتاب آداب القضاء من الأم **(وقال في الرجل يتخذه صناعة)** يحترف بها: **(لا تجوز شهادته)** ولفظ الاستاذ أبي منصور أن الشافعي نص في بعض كتبه على أن الذي يحرم من الغناء ما يغني به القوّال والقينة على جعل مشروط لا يغني إلا به اهـ.

(وذلك لأنه من اللهو والمكروه الذي يشبه الباطل، ومن اتخذه صناعة كان منسوباً إلى السفاهة وسقوط المروءة، وإن لم يكن محرماً بين التحريم، فإن كان لا ينسب نفسه إلى الغناء ولا يؤتي لذلك ولا يأتي لأجله، وإنما يعرف بأنه قد يطرب في الحال فيترنم فيها لم يسقط هذا مروءته ولم تبطل شهادته. واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان في بيت عائشة رضي الله عنها). وقد تقدم شيء من هذا قريباً عند قوله فهذا هو السفيه الذي ترد شهادته وأزيد على ما ذكرته هناك في حكم قبول شهادة المغني والمستمع وردها فالذي ظهر من كلام الشافعي أن من اتخذ الغناء صنعة وحرفة لم تقبل شهادته، وهذا لا خلاف فيه بين ائمة المذاهب المتبوعة إلا ما سيذكر بعد وإيراد الظاهرية وغيرهم ممن يبيح الغناء يقتضي القبول وإن لم

الأعلى: سألت الشافعي رحمه الله عن إباحة أهل المدينة للسماع فقال الشافعي: لا أعلم أحداً من علماء الحجاز كره السماع إلا ما كان منه في الأوصاف، فأما الحداء وذكر

يتخذه صنعة ولا يد من عليه فشهادته مقبولة. قال الرافعي في الكبير: وإذا كان الرجل يغني أحياناً وحده أو مع صديق يستأنس به لا ترد شهادته. وقال ابن أبي هريرة في شرح المختصر: إذا قلل من الغناء فهذا يسير لا ترد به الشهادة. وقال الصيمري في شرح الكفاية: إذا كان الرجل يشعر في بيته أو مع من يستأنس به في وقت دون وقت تطرباً فلا ترد شهادته، واحتج بأن عبد الرحمن بن عوف استأذن على عمر رضي الله عنهما فسمعه يتغنى. وقال الماوردي في الحاوي: من باشر الغناء بنفسه فله ثلاثة أحوال.

أحدها: ان يصير منسوباً إليه ويسمى به، فيقال له المغني يأخذ على غنائه أجراً يدعونه الناس إلى دورهم لذلك، ويقصدونه في داره لذلك فهو سفيه ترد شهادته لأنه قد تعرض لأخس المكاسب ونسب إلى أقبح الاسماء.

الحال الثاني: يغني لنفسه إذا خلا في داره بالتسستر استرواحاً فهذا مقبول الشهادة فإن قرب بغنائه من الملاهي ما حظرناه نظر، فإن خرج صوته عن داره حتى سمع منها كان سفيهاً ترد شهادته.

الحال الثالث: أن يغني إذا اجتمع مع إخوانه ليستروحوا بصوته وليس بمنقطع إليه نظر فإن صار مشهوراً يدعوه الناس لأجله كان سفيهاً ترد به الشهادة، وإن لم يصر مشهوراً به ولا يدعوه الناس لأجله نظر، فإن كان مظاهراً به ومعلناً به ردت شهادته وإن كان متستراً لم ترد شهادته اهـ.

وقال غيره: إذا كان يدمن الغناء ردت شهادته حكاه جماعة عن نص الشافعي منهم: القاضي حسين، وقيده ابن أبي هريرة في شرح المختصر بما إذا أعلن به، وكان يغشاه المغنون، ولفظ مختصر المزني إذا كان الرجل يديم الغناء ويغشاه المغنون معلناً بذلك ردت شهادته، وان قلّ فلا ترد فشرط الدوام والإتيان له والتظاهر، ونقل القاضي حسين عن نص الشافعي إذا كان يغني وحده أو مع صديق استئناساً فلا ترد شهادته. وقال الرافعي بعد ذكر المداومة على لعب الشطرنج: وكذا إذا داوم على الغناء، وكان الناس يأتونه له لم تقبل شهادته. وفي الإبانة للفوراني أنه إذا اتخذه كسباً أو أدام الغناء أو شبب بامرأة أو غلام ردت شهادته، وإلاّ فلا فهذا ما تلخص من مذهب الشافعي رضي الله عنه.

(وقال يونس بن عبد الأعلى) بن ميسرة أبو موسى الصدفي المصري ثقة مات سنة أربع وستين ومائتين، وروى له مسلم والنسائي وابن ماجه **(سألت الشافعي عن إباحة أهل المدينة السماع، فقال الشافعي: لا أعلم أحداً من علماء الحجاز)** وفي بعض النسخ: لا أعلم من علماء

الأطلال والمرابع وتحسين الصوت بألحان الأشعار فمباح.

وحيث قال: إنه لهو مكروه يشبه الباطل فقوله: «لهوٌ» صحيح. ولكن اللهو من حيث أنه لهوٌ ليس بحرام فلعب الحبشة ورقصهم لهو، وقد كان ﷺ ينظر إليه ولا يكرهه. بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله تعالى به إن عنى به أنه فعل ما لا فائدة فيه. فإن الإنسان لو وظف على نفسه أن يضع يده على رأسه في اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم. قال الله تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمْ الله باللَّغْوِ في أيْمَانِكُم﴾ [البقرة: ٢٢٥] فإذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم والمخالفة فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤاخذ به فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص؟. وأما قوله:

الحجاز (**من كره السماع إلا ما كان منه في الأوصاف، وأما الحداء وذكر الاطلال والمرابع وتحسين الصوت بألحان بالأشعار فمباح**) نقله الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي في صفوة التصوّف بسنده إلى الإمام أبي خزيمة قال: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: سمعت الشافعي يقول: وقد سألته عن إباحة أهل المدينة السماع فذكره.

(**وحيث قال**) الشافعي في آداب القضاء من الأم (**أنه لهو مكروه يشبه الباطل**) وقد نقله عنه غير واحد هكذا منهم القاضي أبو الطيب الطبري كما تقدم في أوّل هذا الكتاب، (**فقوله «لهو» صحيح، ولكن اللهو من حيث أنه لهو ليس بحرام، فلعب الحبشة**) في المسجد بين يديه ﷺ (**ورقصهم لهو، وقد كان ﷺ ينظر إليه ولا يكرهه**) وفي نسخة فلا يكرهه، (**بل اللهو واللغو لا يؤاخذ الله به إن عني به أنه فعل ما لا فائدة فيه لا يؤاخذ به، فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص، فإن الإنسان لو وظف على نفسه أن يضع على رأسه في اليوم مائة مرة فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم**) ذلك. (**قال الله تعالى ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم﴾ فإذا كان ذكر اسم الله تعالى على الشيء**) أي على طريق القسم من غير عقد عليه ولا تصميم، (**والمخالفة فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤاخذ به، فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص**).
وأما المستمع فقال الماوردي له ثلاثة أحوال. أحدها: أن يصير منقطعاً إليه فترد شهادته، والثاني: ان يقل في استماعه فهو على شهادته إذا لم يقصد غناء امرأة غير ذات محرم. الثالث: أن يتوسط بين الكثرة والقلة، فإن اشتهر به وانقطع به عن اشغاله كان مردود الشهادة، وإلاّ فهو على عدالته وقبول شهادته اهـ.

وقال صاحب البيان: أما سماع الغناء فإن كان يغشى بيوت المغنين أو يستدعيهم إلى منزله ليغنوا له، فإن كان في خفية لم ترد شهادته، وإن أكثر من ذلك ردت شهادته. وقال الجرجاني في تحريره: ولا تقبل شهادة المشهور بسماع الغناء، وقال المحاملي في التجريد: إذا كان الرجل يسمع الغناء فإن كثر ذلك منه واشتهر به وصار الناس يدعونه إلى الغناء ويدعوهم هو إليه ردت شهادته، وإن كان

« يشبه الباطل » فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه، بل لو قال: هو باطل صريحاً. لما دل على التحريم وإنما يدل على خلوه عن الفائدة، فالباطل ما لا فائدة فيه. فقول الرجل لامرأته مثلاً: بعت نفسي منك، وقولها: اشتريت، عقد باطل مهما كان القصد اللعب والمطايبة وليس بحرام إلا إذا قصد به التمليك المحقق الذي منع الشرع منه.

يفعله نادراً ولم يكثر لم ترد، وجعل صاحب الإبانة حكم المستمع حكم المغني فيفرق بين المداومة وغيرها. وقال الطبراني في العدة، وابن أبي عصرون في الإنتصار: إذا كان الرجل يسمع الغناء ويقصد له، فإن كان في خفية لم ترد شهادته، وإن كان متظاهراً فإن كان نادراً لم ترد وإن كثر ردت، وأما من يقتني الجواري والغلمان للغناء، فحكى ابن المنذر في الأشراف عن الشافعي انه قال: إن كان يجمع عليها الناس ويغشى لذلك أو كان لذلك مدمناً وكان يشتغل بهم، فهو منزلة سفه ترد به الشهادة. وحكى ابن أبي هريرة في شرح المختصر عن الشافعي انه قال: ولو كان يجمع الناس لسماع جاريته فليس هذا من الديانة، ولو قيل: إن شهادة من يستمع إليها ساقطة لصلح، وحكى المحاملي في التجريد عن الأم أنه إذا اشترى غلاماً مغنياً أو جارية مغنية فإن كان يدعو الناس لسماعه ردت شهادته، والجارية في ذلك أشد من الغلام، وكذا قال صاحب البيان: وإن كان يسمع وحده لم ترد شهادته. وقال القاضي حسين في تعليقه: ولو اشترى مغنية لتغني للناس ردت شهادته، فأما إذا اشتراها لتغني له أحياناً على الأدوار لم ترد شهادته. وقال الماوردي في الحاوي: أما مقتني الجواري والغلمان المغنين فله ثلاثة أحوال.

أحدها: أن يصير بهم مكتسباً ومقصوداً لأجلهم إما أن يدعوه الناس إلى دورهم، وإما ان يقصدوه في داره لأجلهم فهذا سفيه ترد شهادته، وحاله في الجواري أغلظ من الغلمان.

الحال الثاني: أن يقتني ذلك لنفسه ليسمع غناءهم إذا خلا مستتراً غير مكاثر ولا مجاهر فهو على شهادته.

الثالث: أن يدعو من يشاركه في السماع، فإن كان يدعوهم لأجل السماع ردت شهادته، وإن دعاهم لغير الغناء وأسمعهم نظر فإن كثر حتى اشتهر به ردت شهادته، وإن قلّ ولم يشتهر، فإن كان الغناء من غلام لم ترد شهادته، وإن كان من الجارية نظر، فإن كانت حرة ردت شهادته، وإن كانت أمة فيحتمل إجراؤها مجرى الغلام لنقصها عن الحرة، ويحتمل إجراؤها مجرى الحرة لزيادتها على الغلام فترد الشهادة. فهذا ما لخصناه من مذهب الشافعي.

(وأما قوله: يشبه الباطل فهذا) أيضاً **(لا يدل على اعتقاده التحريم، بل لو قال: هو باطل صريحاً لما دل على التحريم، وإنما يدل على خلوه من الفائدة فالباطل ما لا فائدة فيه)** والمباح لا فائدة فيه **(فقول الرجل لامرأته: بعت نفسي منك، وقولها اشتريت عقد باطل مهما كان القصد)** بذلك **(اللعب والمطايبة وليس بحرام إلا إذا قصد بذلك التمليك المحقق الذي منع الشرع منه، وأما قوله: مكروه)** فيجوز أن يريد به أن تركه أولى، والمكروه يطلق

وأما قوله: « مكروه » فينزل على بعض المواضع التي ذكرتها لك أو ينزل على التنزيه، فإنه نص على إباحة لعب الشطرنج وذكر أني أكره كل لعب وتعليله يدل عليه فإنه قال: ليس ذلك من عادة ذوي الدين والمروءة. فهذا يدل على التنزيه. ورده الشهادة بالمواظبة عليه لا يدل على تحريمه أيضاً، بل قد ترد الشهادة بالأكل في السوق وما يخرم المروءة، بل الحياكة مباحة وليست من صنائع ذوي المروءة، وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة فتعليله يدل على أنه أراد بالكراهة التنزيه. وهذا هو الظن أيضاً بغيره من كبار الأئمة، وإن أرادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم.

بالاشتراك على المحظور، والمنهي عنه نهي تنزيه وعلى ترك الأولى **(فينزل على بعض المواضع التي ذكرتها)** وهو ما اقترن به فحش أو منكر، ويكون التحريم لعارض لا لمعنى في الغناء **(أو ينزل على التنزيه)** كما هو مذهبه أو على ترك الأولى، وبالجملة فقد صح من قوله أو فعله ما هو صريح في الإباحة وليس له نص في التحريم **(فإنه نص)** في الأم **(على إباحة لعب الشطرنج، وذكر أني أكره كل لعب وتعليله يدل عليه، فإنه قال: ليس ذلك من عادة ذوي الدين والمروءة، فهذا)** كما لا يخفى **(يدل على التنزيه ورد الشهادة على المواظبة عليه)** كما تقدم النقل فيه **(لا يدل على تحريمه أيضاً، بل قد ترد الشهادة بالأكل في السوق وما يخرم المروءة)** ترد به الشهادة، **(بل الحياكة مباحة وليست من صنائع ذوي المروءة وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة)** كالحجامة والكناسة، **(وتعليله يدل على أنه أراد الكراهة التنزيه)**. قال صاحب الامتاع: وههنا نظر آخر، وهو أن من يبيح الغناء أو يكره جعلا المدرك في رد الشهادة ترك المروءة، ومن لا تقبل شهادته لكونه تاركاً للمروءة إذا شهد بمال يسير قبلت شهادته، وإن كان كثيراً وهو مما لا يحتاج فيه إلى الاشهاد كالاتلافات ونحوها تقبل شهادته فيها. هكذا قال القاضي حسين في تعليقه، ولم يحك خلافاً فيه. فشهادة تارك المروءة حينئذ لا ترد مطلقاً. وقال ابن حزم: اشتراط المروءة إن كان من جملة الطاعات فقد اندرج فيها، وإن كان غير ذلك فاشتراط فضول لا دليل عليه. وحكى الماوردي أيضاً: ما يخل بالمروءة منه ما تركه شرط ومنه ما يختلف في اشتراطه. وحكى أربعة أوجه في المشي حافياً، والبول قائماً في الماء الراكد، وحمل الطعام حيث لم تجر العادة بمثله ونحو ذلك فافهم ذلك. ثم العجب من قولهم أنه يخل بالمروءة وأي إخلال لمن سمع أو فعل، وكان ممن يليق به. والأصح أن شهادة أصحاب الحرف الدنية تقبل من غير اعتبار من يليق به من غيره، فغايته أن يكون هذا تعاطي حرفة دنية، ثم أن الأصح أن من داوم على نوع من المعاصي لا ترد شهادته، فليكن كذلك من تعاطي نوعاً منها يخلّ بالمروءة، وقد قال الشافعي: لا نعرف أحداً يمحض الطاعة والمروءة حتى لا يخلطها بغيرهما، فمن كان الغالب عليه الطاعات والمروءة قبلت شهادته.

(وهذا) أي حل الكراهة على التنزيه **(هو الظن أيضاً بغيره من كبار الائمة)** جمعاً بين

بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها :

احتجوا بقوله تعالى : ﴿ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحديث﴾ [لقمان : ٦] قال ابن

الأقوال المتضادة تارة وتارة جمعاً بين القول والفعل ، **(وإن أرادوا التحريم)** أو فهم ذلك من نصوصهم **(فما ذكرناه حجة عليهم)** فأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فقد تقدم عنه ما دل على إباحته عنده وما ورده عنه خلافه يحمل على الغناء المقترن بشيء من الفحش ونحوه جمعاً بين القول ، والفعل ، على أن التحريم أخذ من مقتضى قوله لا من نصه ، ولا دلالة فيما أخذ عنه لاحتماله وجوهاً . ومذهبه في إطلاق الكراهة على التحريم أو التنزيه مشهور فقد تقدمت الإشارة إليه مراراً .

وأما الإمام مالك رحمه الله تعالى فقد تقدم عنه أيضاً ما يدل على إباحته عنده ، وحكى ذلك عنه القشيري ، والاستاذ أبو منصور ، والقفال وغيرهم ، ولا نص له في تحريمه ، وإنما أخذ من قوله : إنه لا يصح بيع الجارية المغنية على أنها مغنية ، وقد تقدم الكلام عليه وهو محتمل . وما نقل عنه بالإسناد أنه سئل عنه فقال : إنما يسمعه الفساق محتمل كذلك ، وأنه لا يجوز محمول على ما يقترن به منكر . ونحوه جمعاً بين النقول التي قدمناها ، وأيضاً فقوله : إنما يسمعه الفساق معناه الذين نعهدهم أو نعرفهم يسمعونه عندنا وصفهم كذا ، فلا يدل على أنه أراد التحريم ، كما إذا قلت : ما قولك في المتفرجين في البحر ؟ فتقول : إنما يفعله عندنا أهل اللعب وأهل الفساد فلا دليل على تحريم فرجة البحر .

وأما الإمام أحمد رحمه الله تعالى ، فقد تقدم ما يدل على أنه صح عنه سماع الغناء عند أبنه صالح ، وقد قال أبو حامد : إن فعله يضاف إليه مذهباً يكون كالقول ، وما ورد عنه مخالفاً لهذا محمول على الغناء المذموم المقترن به ما يقتضي المنع منه ، وقد كان أبو بكر الخلال وصاحبه عبد العزيز يحملان الكراهة من أحمد على غناء يقترن به ما يقتضي الكراهة ، وأما أخذه ذلك من كسب المخنث على تقدير تسليم أن كسبه بالغناء ، فلا يدل لأن أكثر من قال بإباحة الغناء أطلق القول بمنع أخذ الأجرة على الغناء ، وقد يجوز الشيء ويمتنع مقابلة بالعوضية لمعنى آخر ، وكيف يصح استنباط ذلك من مقتضى قوله وفعله يخالفه ، وقد علل هو المنع بأنه كان يقول : إنه يقترن به منكر ، وقول ابن الجوزي أنه يحمل فعله ، وقوله على ما كان يغني به من القصائد الزهديات كلام عجيب ، فإن الكلام في التحريم والإباحة للغناء نفسه لا ما يقترن به ، وكون الشعر الذي يغنّي به مما لا يجوز ليس موضع النزاع ، فإنه يكون تحريمه لعارض ، ولا نعلم أحداً قال بجواز الغناء بالقصائد الزهديات دون غيره ، وابن الجوزي غلب عليه الوعظ والرواية والفقيه الغوّاص له مرتبة أخرى ، والله أعلم .

بيان حجج القائلين بتحريم السماع والجواب عنها :

(احتجوا) على ذلك بالكتاب والسنة أما من الكتاب فاحتجوا **(بقوله تعالى : ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث)** ليضل عن سبيل الله﴾ **(قال ابن مسعود رضي الله عنه)** ، وكذا ابن

مسعود والحسن البصري والنخعي رضي الله عنهم: إن لهو الحديث هو الغناء. وروت عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ قال: « إن الله تعالى حرّم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها » فنقول: أما القينة فالمراد بها الجارية التي تغني للرجال في مجلس الشرب. وقد ذكرنا أن غناء الأجنبي للفساق ومن يخاف عليهم الفتنة حرام، وهم لا يقصدون بالفتنة إلا ما هو محظور، فأما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث، بل لغير مالكها سماعها عند عدم الفتنة. بدليل ما روي في الصحيحين من غناء الجاريتين في بيت عائشة

عباس رضي الله عنهما، **(والحسن البصري، و)** إبراهيم بن يزيد **(النخعي)** وغيرهم: **(إن لهو الحديث)** هنا **(هو الغناء، وروت عائشة رضي الله عنها)** أن النبي ﷺ قال: **(« إن الله تعالى حرّم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها »)** قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط باسناد ضعيف قال البيهقي: ليس بمحفوظ اهـ.

(فنقول): في الجواب **(أما)** أوّلاً فإن الحديث ليس بمحفوظ كما قاله البيهقي فسقط الاحتجاج به وعلى التسليم **(القينة المراد بها الجارية التي تغني للرجال في مجلس الشرب)** هكذا قيده بعض أئمة اللغة. وقال ابن السكيت: هي الأمة البيضاء سواء كانت مغنية أو غير مغنية، **(وقد ذكرنا)** آنفاً **(أن غناء الأجنبية للفساق ومن يخاف منه الفتنة حرام وهم لا يقصدون بالقينة إلا ما هو محظور)** شرعاً، **(فإما غناء الجارية لمالكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث، بل لغير مالكها سماعها عند عدم الفتنة بدليل ما روي في الصحيحين من غناء الجاريتين في بيت عائشة رضي الله تعالى عنها)** وسماع النبي ﷺ لها كما تقدم، ولنذكر حكم بيع الجارية المغنية إذا كانت تساوي ألفاً بغير غناء وألفين بالغناء، فإن باعها بألف صح، وإن باعها بألفين فقد اختلف فيه فذهبت طائفة إلى بطلانه. ونقل عن مالك وأحمد واختاره من الشافعية المحمودي، وذهبت طائفة إلى الصحة وهو مذهب الظاهرية، وإيراد صاحب الهداية يقتضي أنه مذهب أبي حنيفة فإنه قاس آلات الملاهي عليه، واختاره من الشافعية أبو بكر الأدوني، وجزم به الحليمي. وقال: الثمن يكون حراماً. وقال إمام الحرمين: إنه القياس السديد، وصححه النووي، واختاره أبو بكر بن العربي من المالكية، وبناه على إباحة الغناء وتحريمه قال في العارضة. وأما بيع المغنية فينبني على أن الغناء حرام أو ليس بحرام. وحكاه ابن حمدان قولاً في مذهب أحمد، وذهبت طائفة إلى التفصيل فقالت: إن قصد الغناء بطل وإلاَّ فلا. وهو الموجود في كتب الحنابلة، وكذلك قال كثير من المالكية قالوا: لا يجوز بزيادة ثمن لأجل الغناء، وقال: ابن رشد في المقدمات: إن باع بزيادة ثمن لأجل الغناء حرم على المبتاع، وإن زاد المشتري لذلك حرم على المشتري خاصة، وذكر تقاسيم. وحكى خلافاً في أنه يحرم جميع الثمن، أو ما يقابل الغناء. وقال في التهذيب: وكره مالك بيع المغنية. قال ابن القاسم: فإن وقع فسخ. وقال الشوشاوي المالكي: إن شرط أنها مغنية فسد، وإلاَّ فلا. قال أشهب: لا تباع ممن يعلم أنها مغنية وإن تبرأ من

رضي الله عنها. وأما شراء لهو الحديث بالدين استبدالاً به ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم، وليس النزاع فيه، وليس كل غناء بدلاً عن الدين مشتري به ومضلاً عن سبيل الله تعالى، وهو المراد في الآية. ولو قرأ القرآن ليضل به عن سبيل الله لكان حراماً.

حكي عن بعض المنافقين أنه كان يؤم الناس ولا يقرأ إلاَّ سورة «عبس» لما فيها من

ذلك وإلى التفصيل في الصحة وعدمها عند قصد الغناء وغيره ذهب من الشافعية أبو زيد المروزي والله أعلم احتج من قال بالبطلان بحديث عائشة المتقدم، وبعضهم علله بأنها صنعة محرمة فلا يصح العقد عليها كسائر المحرمات، واحتج المجوّزون بالنص والقياس. أما النص فقوله تعالى ﴿وأحل الله البيع﴾ [البقرة: ٢٧٥] فعمّ كل بيع ولم يأت هنا ما يخصه فبقي على عمومه فيما لم يثبت فيه نص، وأجابوا عن الحديث انه ضعيف وبعض الشافعية حمله على المغنية بالآلات المحرمة، وادعى أنه الغالب على المغنيات فخرج الحديث مخرج الغالب وألجأه إلى هذا أمران.

الأول: ان بيع المغنيات كان مشهوراً في الصدر الأوّل يتنافس فيهن بسببه، فقد ذكر صاحب الأغاني أن عبد الله بن جعفر اشترى جارية مغنية بأربعين ألفاً.

الثاني: ان المغنية عين طاهرة مستكملة لجميع شرائط البيع، فصح بيعها قياساً على غيرها، وأما الجواب عن الآية فقد رويت أقوال في معنى لهو الحديث فقيل: هو الطبل نقله الطبري، وقيل: هو اللهو واللعب. روى ذلك عن عطاء، وقيل الجدال في الدين، وقيل: كل ما شغل عن ذكر الله وقال ابن العربي: أصح ما قيل فيه، انه الباطل، وقال ابن إسحاق وغيره: إنها نزلت في النضر بن الحرث كان يشتري أخبار الأكاسرة فيحدث بها. وقال ابن قتيبة: إنها نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يشترون كتب فارس والروم ويقرأونها للمسلمين ليصدّوهم عن ذكر الله، وأخطأ من فسرها بالغناء. وقال ما معناه: إن الشراء لا يقع على عرض، والغناء عرض.

وعلى التسليم فإن (**شراء لهو الحديث بالدين استبدالاً به ليضل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم، وليس النزاع فيه وليس كل غناء بدلاً عن الدين ومشتري به ومضلاً عن سبيل الله تعالى وهو المراد في الآية**). أي لا يتم الاحتجاج بالآية إلا أن كان لهو الحديث موضوعاً للغناء فإن الذم وقع على من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله، (**و**) لا شك أنه (**لو قرأ القرآن**) أو فعل غيره من الطاعات (**ليضل به عن سبيل الله كان**) ذلك (**حراماً**) فالتحريم والحالة هذه لعارض من جملة العوارض المحرمة فلا دلالة على الغناء المطلق، ومتى كان في محل الحكم وصف يمكن اعتباره وجب اعتباره ولا يلغى.

(**وحكي عن واحد من المنافقين أنه كان يؤم الناس ولا يقرأ**) في صلاته الجهرية (**إلا سورة «عبس» لما فيها من العتاب مع رسول الله ﷺ فهمّ عمر**) رضي الله عنه أي قصد

العتاب مع رسول الله ﷺ فهمّ عمر بقتله، ورأى فعله حراماً لما فيه من الإضلال. فالإضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم.

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿أفمِنْ هذا الحديث تَعجبون٭ وتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ٭ وأنتُم سَامِدُون﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الغناء بلغة حمير ـ يعني السمد ـ فنقول: ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضاً لأن الآية تشتمل

(**بقتله**) ورأى فعله حراماً لما فيه من الإضلال. (**فالإضلال بالشعر والغناء أولى بالتحريم**).

(**واحتجوا**) أيضاً (**بقوله تعالى: ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون٭ وتضحكون ولا تبكون٭ وأنتم سامدون﴾ قال ابن عباس**) رضي الله عنه: (**سامدون**) من السمود (**هو الغناء**) باليمانية كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا أخرجه هكذا عبد الرزاق في المصنف والفريابي، وأبو عبيد في فضائله، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي، والبزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في السنن وقال عكرمة: هو الغناء (**بلغة حمير يعني السامد**) أخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جزء عنه: سمد لنا أي غنى لنا، ووجه الاستدلال به أن الله تعالى ذكر ذلك في معرض الذم والوصف المذموم شرعاً محرم فعله، فنقول في الجواب: إن الآية محتملة لمعان، وقد فسرت بغير ما ذكر، فقد نقل عن ابن عباس أيضاً تفسيرها بمعرضين عنه لاهين أخرجه عبد الرزاق الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عنه في قوله تعالى: ﴿سامدون﴾ قال: لاهون معرضون عنه. وقال قتادة: أي غافلون أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير، وأخرج الفريابي وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: كانوا يمرون على رسول الله ﷺ وهو يصلي شامخين ألم ترى إلى البعير كيف يخطر شامخاً، وقيل: معناه مستكبرون. ونقل ذلك عن الضحاك، وقيل: غضاب مبرطمون. ونقل ذلك عن مجاهد أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، وقال المهدوي: المعروف في اللغة أن السمود اللهو والإعراض. وقال المبرد: سمد معناه صمد. وقال الجوهري: سمد سموداً رفع رأسه تكبراً، وكل رافع رأسه فهو سامد. وقال ابن الأعرابي: سمدت سموداً علوت، وسمدت الإبل في سيرها جدت، والسمود اللهو والسامد اللاهي. وأخرجه الطيبي في فوائده، والطبراني عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله (**سامدون**) قال: السمود اللهو والباطل. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت قول هزيلة بنت بكر وهي تبكي قوم عاد:

ليت عاداً أقبلوا الحـ ـق ولم يبدوا جحودا
قيل قم فانظر إليهم ثم دع عنك السمودا

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن أبي خالد الوالي قال: خرج علي بن أبي

عليه.

فإن قيل: إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لإسلامهم؟ فهذا أيضاً مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين، كما قال تعالى: ﴿والشعراء يتّبعُهُم الغاوون﴾[الشعراء: ٢٢٤]وأراد به شعراء الكفار. ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه

واحتجوا بما روى جابر رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «كان إبليس أول من ناح

طالب علينا وقد أقيمت الصلاة ونحن قيام ننتظره ليتقدم فقال: مالكم سامدون لا أنتم في صلاة ولا أنتم جلوس تنتظرون.

وأخرج ابن جرير من طريق منصور بن إبراهيم قال: كانوا يكرهون أن يقوم القوم ينتظرون الإمام وكان يقال ذلك من السمود أو هو السمود، وقال منصور: حين يقوم المؤذن فيقومون ينتظرون، وقيل في معناه واقفون للصلاة قبل وقوف الإمام، وهذا روي عن الحسن فإذا كان السمود موضوعاً لما ذكرناه فاستعماله في الغناء يحتاج إلى دليل ولا دليل فانتفى ما قالوه على أنه لو كان موضوعاً للغناء أو استعمل فيه لم تكن في الآية حجة، فإن الذم ورد بقوم موصوفين بفعل أشياء من كونهم يضحكون من الحديث إذا سمعوه ويعجبون منه ولا يبكون ويسمدون.

(**فينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضاً لأن الآية تشتمل عليه**) فإن المرتب على مجموع أشياء ينتفي بانتفاء بعضها بالضرورة، ولو سمعوا القرآن فاشتغلوا عن سماعه بالغناء كان حراماً لما عرض لهم وهو من مادة قوله: ﴿يشتري لهو الحديث﴾ وقد ذكر القرطبي في كشف القناع عند الكلام على هذه الآية أشياء ضعيفة لا تستحق أن توضع بطون الأوراق، فمن ذلك قوله في تفسير ابن عباس: السمود بمعنى الغناء إن تفسيرنا أولى، فإنه عن ابن عباس وهو ترجمان القرآن، فانظر هل يقول أحد أن تأويل ابن عباس وتفسيره أرجح من تفسير علي وتأويله، وهذه أمور احتهادية فلا يزن الحق فيها بالرجال، وإنما يرجح بالاستدلال، ثم إن ابن عباس كان يستفيد من علي وقال عنه أنه أعطى تسعة أعشار العلم ولقد شاركهم في العشر الآخر، وكونه ترجمان القرآن ليس فيه نفي الحكم عن غيره، وإلا لكان الصحابة ما يخالفونه بعد سماع ذلك.

(**فإن قيل: إن ذلك مخصوص بالضحك على المسلمين لإسلامهم؟ فهذا أيضاً مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين، كما قال تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾**) أي المضلون (**وأراد به شعراء الكفار ولم يدل على تحريم نظم الشعر في نفسه**) كما هو ظاهر.

(**واحتجوا**) أيضاً بقوله تعالى: ﴿واستفــزز من استطعت منهم بصوتك﴾ [الإسراء: ٦٤] قال مجاهد: إنه الغناء وأتوا فيه (**بما روي عن جابر**) بن عبد الله رضي الله عنه، (**عن النبي ﷺ أنه قال: «كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى» فقد جمع بين النياحة والغناء**)

وأول من تغنّى » فقد جمع بين النياحة والغناء. قلنا: لا جرم كما استثنى منه نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك يستثنى الغناء الذي يراد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه، بل كما استثنى غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله ﷺ، وغناؤهن عند قدومه عليه السلام بقولهن:

طلـــع البـــدر علينـــا مـــن ثنيـــات الوداع

قال العراقي: لم أجد له أصلاً من حديث جابر، وذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرجه ولده في مسنده اهـ.

قلت: وكذا ذكر تلميذه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الأذكار عند قوله. وذكر أبو شجاع الديلمي في كتاب الفردوس عن علي رفعه: « إن أول من تغنى وزمر وحدا إبليس » ما لفظه ولم أقف له على أصل ولا ذكر له ولده أبو منصور في مسنده سنداً اهـ.

وفي لفظ: « إن إبليس أول من تغنى وزمر ثم حدا ثم ناح » ذكره صاحب الإمتاع وذكر القرطبي مثل ذلك في كشف القناع، وقال: فإن صح الحديث وإلا فالمعنى غير بعيد إذ لا يناسب أن يظهر هذا الفعل الخسيس إلا من مثل إبليس اهـ.

قلنا في الجواب عن الآية: لا نسلم أن صوته الغناء فإنه ليس موضوعاً له فينصرف إليه ولا دل عليه دليل في كتاب ولا سنة وما قاله مجاهد معارض بمثله، فالمنقول عن ان عباس أن معنى قوله بصوتك بدعائك إلى معصية الله تعالى، ونقل ذلك عن قتادة أيضاً وما رشحوه به من أن إبليس أول من تغنى لو صح لم تكن فيه حجة فما كان ما فعله إبليس يكون حراماً على أن في بعض ألفاظه كما تقدم أنه أول من حدا وليس الحداء حراماً بالإتفاق، فإن ادعوا أن الدليل دل على إباحة الحداء فخرج بدليل قلنا: وقد دل الدليل على إباحة الغناء ولم يثبت من طريق صحيح المنع عنه. وسلك المصنف في الجواب مسلكاً آخر فقال (**لا جرم كما استثنى منه نياحة داود عليه السلام ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك يستثني**) منه (**الغناء الذي يرد به تحريك السرور والحزن والشوق حيث يباح تحريكه، كما استثنى غناء الجاريتين في يوم العيد في بيت رسول الله ﷺ و**) كما استثنى (**غناؤهم**) الأولى غناؤهن أي جويريات الأنصار (**عند قدومه**) ﷺ من بعض أسفار (**بقولهم**) الأولى: بقولهن:

طـلـــع البـــدر علينـــا مـــن ثنيـــات الوداع)

إلى آخره كما تقدم ذلك.

واحتجوا أيضاً بآية أخرى ولم يذكرها المصنف وهي قوله تعالى: ﴿والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾ [الفرقان: ٧٢] قال مجاهد ومحمد بن الحنفية الزور الغناء. قالوا: واللغو كل سقط من قول وفعل فيدخل الغناء فيه، ورووا في ذلك أن عمر سمع غناء فأسرع فبلغ

واحتجوا بما روي أبو أمامة عنه ﷺ أنه قال: « ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك » قلنا: هو منزل على

ذلك رسول الله ﷺ فقال: لقد أصبح ابن عمر عبداً كريماً ذكره القرطبي في تفسيره عن ابن عمر، وذكره ابن عطية عن ابن مسعود. والجواب عن ذلك: إنا لا نسلم أن الزور الغناء فليس لفظ الزور موضوعاً له ولا دليل نحمله عليه وما نقلوه من تفسير مجاهد وابن الحنفية فمعارض بمثله أيضاً، فقد نقل جماعة من المفسرين عن علي وابنه محمد أنه من الشهادة وتقديره: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ ونقل عن ابن جريج قال: الزور الكذب، وقيل: أنه الشرك، وقيل: أعياد كانت لأهل الذمة، وقيل لعب كان في الجاهلية يسمى بالزور، وقيل: المجلس الذي كان يشتم فيه رسول الله ﷺ. نقل ذلك أبو بكر بن العربي في الأحكام وضعف قول من فسره بالغناء.

وكذا أيضاً احتجوا به من قوله تعالى: ﴿وإذا مروا باللغو﴾ وان المراد باللغو الغناء ورشحوا ذلك بما رووه عن ابن عمر أنه مر بقوم وهم يغنون فأسرع فليس اللغو الغناء فإنما فسر في هذه الآية بكل سقط من قول وفعل لا نسلم إندراج الغناء فيه، وحديث ابن عمر لو صح لم تكن فيه حجة فإن الإنسان إذا زهد في بعض المباحات واشتغل بما هو أهم مدح، ويثني عليه لاسيما إذا كان من قبيل اللهو واللعب، وقد سمع ابن عمر الغناء بعد موت النبي ﷺ مراراً فيبعد صحة ما ذكروه، فهذا الجواب عن الآيات.

(و) أما السنة فإنهم (**احتجوا بما روى أبو أمامة**) صدى بن عجلان الباهلي رضي الله عنه (**عنه ﷺ أنه قال: « ما رفع رجل صوته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي، والطبراني في الكبير وهو ضعيف اهـ.

قلت: رواه الطبراني من طريق مسلمة بن علي الدمشقي، عن يحيى بن الحارث الذماري، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة رفعه بلفظ: « لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا الجلوس إليهن » ثم قال: « والذي نفسي بيده ما رفع أحد عقيرته بغناء إلا ارتدف على ذلك شيطان على عاتقه هذا وشيطان على عاتقه هذا حتى يسكت ».

وقد رواه أيضاً ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي، وابن مردويه ولفظهم: « لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا تجارة فيهن وثمنهن حرام إنما أنزلت هذه الآية في ذلك ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ [لقمان: ٦] والذي بعثني بالحق ما رفع رجل عقيرته بالغناء إلا بعث الله عند ذلك شيطانين يرتدفان على عاتقيه ثم لا يزالان يضربان بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت ». واقتصر أحمد والبيهقي على صدر هذا الحديث إلى قوله حرام.

بعض أنواع الغناء الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوقين، فأما ما يحرّك الشوق إلى الله أو السرور بالعيد أو حدوث الولد أو قدوم الغائب فهذا كله يضاد مراد الشيطان. بدليل قصة الجاريتين والحبشة والأخبار التي نقلناها من الصحاح فالتجويز في موضع واحد نص في الاباحة، والمنع في ألف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتنزيل. أما الفعل فلا تأويل له، إذ ما حرم فعله

وقال الترمذي في السنن حدثنا قتيبة، حدثنا بكر بن مضر، عن عبيد الله بن زجر، عن علي بن أبي يزيد، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام في مثل هذا أنزلت هذه الآية ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾» قال الترمذي: وفي الباب عن عمر بن الخطاب.

وأخرجه الطبراني في الكبير من عدة طرق كلها عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم فأما مسلمة بن علي فقال عنه يحيى بن معين ليس بشيء وقال البخاري: منكر الحديث، وكذا قال أبو حاتم، والقاسم بن عبد الرحمن قال فيه يحيى بن معين لا يساوي شيئاً وقال أحمد: منكر الحديث. وقال ابن حبان: يروي عن الصحابة المعضلات ويأتي عن الثقات بالأسانيد المقلوبات وأما عبيد الله بن زحر في رواية الترمذي فقال الترمذي نفسه: تكلم فيه بعض أهل العلم وضعفه. وقال الترمذي: لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقد قيل: إن ضعف الأسانيد هذا الإسناد. وقال ابن طاهر وغيره عن أبي مسهر الغساني أنه قال: عبيد الله بن زحر صاحب كل معضلة، وليس على حديثه اعتماد. وقال يحيى بن معين: كل حديثه ضعيف. وقال أبو حاتم: منكر الحديث جداً يروي الموضوعات من الثقات، وإذا روى عن يزيد أتى بالطامات، وإذا اجتمع في إسناد هو ويزيد والقاسم فلا يكون ذلك الحديث إلا مما عملته أيديهم لا يحل الاحتجاج بهذه الصحيفة، وعلي ابن يزيد قال النسائي متروك الحديث. وقال أبو حاتم: منكر الحديث جداً. والقاسم قال يحيى لا يساوي شيئاً. وقال أحمد: منكر الحديث، وقال ابن حبان: يروي عن الصحابة المعضلات. ويروي عن الثقات بالأسانيد المقلوبات، وهذا الحديث لو صح لم يدل على تحريم الغناء، وإنما قد يحتج به على تحريم غناء المغنيات، ولا يصح قياس غيرهن عليهن، ويمنع أيضاً دلالته على تحريم غنائهن فإنه ليس فيه إلا النهي عن بيعهن وشرائهن، ولا يلزم من منع البيع تحريم الغناء ولئن سلمنا (**قلنا: هو منزل على بعض أنواع الغناء الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوقين، فأما ما يحرك الشوق إلى الله تعالى أو السرور بالعيد أو حدوث الولد أو قدوم الغائب، فهذا كله يضاد مراد الشيطان بدليل قصة الجاريتين، و**) قصة لعب (الحبشة) وغنائهم، (**والأخبار التي نقلناها عن الصحاح**) والحسان قبل ذلك. (**فالتجويز في موضع واحد نص في الإباحة والمنع في ألف موضع محتمل للتأويل ومحتمل**

إنما يحل بعارض الإكراه فقط، وما أبيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود.

واحتجوا بما روى عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بقوسه وملاعبته لامرأته». قلنا: فقوله: «باطل» لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة وقد يسلم ذلك على أن التلهي بالنظر إلى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام، بل يلحق بالمحضور غير المحصور قياساً كقوله ﷺ: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث» فإنه يلحق به رابع وخامس،

للتنزيه) جمعاً بين الأقوال المتضادة **(أما الفعل: فلا تأويل له إذا حرم فعله إنما يحل بعارض الإكراه فقط، وما أبيح فعله يحرم بعوارض كثيرة حتى النيات والقصود).**

(واحتجوا) أيضاً **(بما روى عقبة بن عامر)** الجهني رضي الله عنه **(أن النبي ﷺ قال: «كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه فرسه ورميه بالقوس وملاعبته امرأته»)** وفي نسخة: زوجته وفي أخرى أهله. قال العراقي: رواه أصحاب السنن الأربعة وفيه اضطراب اهـ.

قلت: هذا لفظ الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ولا يلتفت إلى قول ابن حزم بعد أن خرجه من طرق وضعفها فيه مجهولون، ولفظ النسائي: «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو الحديث».

ورواه النسائي أيضاً والباوردي والطبراني في الكبير والبيهقي والضياء من حديث جابر بن عبد الله، وجابر بن عمير الأنصاري بلفظ: «كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب إلا أن يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة» قال البغوي: ولا أعلم لجابر بن عمير غير هذا الحديث.

ورواه النسائي أيضاً من حديث أبي هريرة بلفظ: «كل شيء من لهو الدنيا باطل إلا ثلاثة: انتضالك بقوسك وتأديبك فرسك، وملاعبتك أهلك فإنها من الحق» الحديث ووجه الإستدلال منه أن الغناء ليس من الثلاثة ولا من الأربعة فيكون لعباً وباطلاً وذلك حرام إلا ما خرج بدليل.

(قلنا: فقوله: «باطل») وفي نسخة قوله فهو باطل **(لا يدل على التحريم بل يدل على عدم الفائدة)** فإن الباطل ما لا فائدة فيه وأكثر المباحات لا فائدة فيه. **(وقد يسلم ذلك على أن التلهي بالنظر إلى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام، بل)** على عدم الفائدة **(ويلحق بالمحصور غير المحصور قياساً)** وهذا تقرير جواب ثان، وحاصله أن هذا العام خرجت منه مفردات كثيرة جداً، وإذا كثرت مخصصات العام لم تبق فيه حجة عند قوم وعند من يتمسك بالعموم، فنقول: هذا العام خرج منه الغناء بالأدلة التي ذكرت **(كقوله ﷺ: «لا يحل دم**

فكذلك ملاعبة امرأته لا فائدة له إلا التلذذ. وفي هذا دليل على أن التفرج في البساتين وسماع أصوات الطيور وأنواع المداعبات مما يلهو به الرجل لا يحرم عليه شيء منها وإن جاز وصفه بأنه باطل.

امرىء مسلم) يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله **(إلا بإحدى ثلاث)** الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة». رواه عبد الرزاق في المصنف، وأحمد وابن أبي شيبة، والشيخان والاربعة من حديث ابن مسعود. وفي لفظ: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل زني بعد إحصان فيرجم، أو ارتد بعد إسلام فيقتل أو قتل نفساً بغير حق فقتل به» رواه كذلك عبد الرزاق والطيالسي وأحمد والدارمي والترمذي وقال: حسن صحيح، وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان بن عفان. ورواه البيهقي والضياء من حديث عائشة ورواه أحمد من حديث طلحة. **(فإنه يلحق به رابع وخامس)** إلحاقاً لغير المحصور بالمحصور **(وكذلك ملاعبته امرأته لا فائدة له إلا التلذذ وفي هذا تلذذ)** فاشبهها **(على أن التفرج في البساتين وسماع أصوات الطيور)** الحسنة الأصوات **(وأنواع المداعبات مما يلهو به الرجل ولا يحرم عليه شيء منها، وإن جاز وصفه بأنه باطل)** وقد احتج المحرمون أيضاً بأحاديث سوى التي ذكرها المصنف لا بأس بإيرادها مع الأجوبة عنها.

فمنها: حديث أبي هريرة: «لعن النائحة والمستمعة والمغني والمغنى له» رواه عمرو بن يزيد المدائني عن الحسن البصري عنه. والجواب أن عمرو بن يزيد هذا قال ابن عدي: إنه منكر الحديث، والحسن لم يسمع من أبي هريرة والحديث غير محفوظ.

ومنها: حديث عمرو بن قرة. قال صفوان بن أمية: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذا جاءه عمرو ابن قرة فقال: يا نبي الله إن الله كتب علي الشقوة ولا أراني أرزق إلا من دفي بكفي أفتأذن لي في الغناء من غير فاحشة؟ فقال: «لا آذن لك ولا كرامة» وذكر حديثاً طويلاً رواه عبد الرزاق في المصنف عن يحي بن العلاء عن بشير بن نمير عن مكحول قال: حدثني يزيد بن عبد الملك، عن صفوان وأخرجه الطبراني في الكبير. والجواب أن يحي بن العلاء قال فيه يحي بن معين ليس بثقة، وقال: غيره متروك الحديث.

ومنها: حديث جابر أن النبي ﷺ أخذ بيد عبد الرحمن بن عوف فذكر حديثاً فيه: «ونهيت عن صوتين فاجرين صوت عند مصيبة، وصوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير الشيطان». رواه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن عطاء عن جابر، وأصله عند الترمذي. ورواه أيضاً من طريق محمد بن يونس الكريمي أحد الضعفاء، ويروي من حديث معاوية رفعه: «نهي عن تسع وذكر منهن الغناء والنوح» ذكره القاسم بن أصبع. ويروي أيضاً من حديث ابن عمر كذا عند أبي نعيم. والجواب أن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قد أنكر عليه هذا الحديث وضعف الأجله، وقال ابن حبان: إنه كان رديء الحفظ كثير الوهم فاحش الخطأ استحق الترك وتركه أحمد وقال:

....

أنه سيء الحفظ مضطرب الحديث. وقال عبد الحق: لم يحتج بحديثه أحد. ومن طريقه خرجه أبو نعيم، والكريمي ضعفه الدارقطني وغيره وقال بعضهم: كان وضاعاً. وحديث معاوية حديث ضعيف لم يروه إلا كيسان مولاه وهو مجهول قاله ابن حزم، ولم يروه عنه إلا محمد بن المهاجر، وادعى ابن حزم أنه ضعيف الحديث.

ومنها: أنه ﷺ سمع معاوية وعمرو بن العاص يتغنيان فقال: «اللهم اركسهما في الفتنة ركساً ودعهما إلى النار دعا» أخرجه الطبراني والجواب أن في إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، وروي من طريقين آخرين ضعيفين: في إسناد أحدهما يزيد بن أبي زياد قال ابن طاهر: كوفي كان يلقن بالكذب فيحدث به، والطريق الثاني رواه ابن عدي من طريق شعيب بن إبراهيم قال: وعنده أحاديث منكرة، وهذا الحديث يقطع بكذبه، فإن النبي ﷺ ما يدعو على أصحابه بالنار لا سيما وهما من كبار الصحابة ولا شك أن هذا من وضع الرافضة.

ومنها: احتجاجهم بقول أبي بكر: «مزمور الشيطان» ولم ينكر عليه ﷺ قوله. والجواب، فقال الفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن حبيب المعافري البغدادي في مؤلفه في السماع وهو من مشايخ ابن الجوزي: من تمسك بقول أبي بكر مزمور الشيطان، فقد أخطأ وأساء الفهم من وجوه: منها تمسكه بقول أبي بكر مع رد النبي ﷺ له عن قوله وزجره عن منعه لهن ورجوع أبي بكر إلى إشارته ﷺ ومنها: إعراض هذا القائل عن إقراره ﷺ واستماعه الذي لا احتمال فيه أنه يقتضي الحل والإطلاق إلى لفظ أبي بكر وتسميته المحتملة المترددة بين احتمالين: أبعدهما إرادة التحريم ولو قدر أنه اعتقد التحريم لوجب رجوعه عنه، ومحال، أن يعتقد أبو بكر تحريم أمر حضره النبي ﷺ وأقر عليه مع علم أبي بكر أنه ﷺ لا يقر على خطأ ولا معصية، بل الصحيح أنه يفهم من قول أبي بكر ما يليق به، وهو أنه رأى ضرب الدف وإنشاد الشعر لعباً من جملة المباح الذي ليس فيه عبادة فغشي باطنه الكريم من تعظيم النبوة واحترام منصب الرسالة ما حمله من تبرئة حضرته عن صورة لعب وطرب، ورأى أن الاشتغال بالذكر والعبادة في ذلك الموطن أدل فزجر عنه إحتراماً لا تحريماً فرد عليه ﷺ لأمرين: أحدهما: أن لا يعتقد تحريم ما أبيح في شرعه توسعة لامته ورفقاً بهم، والثاني: إظهار الشاعر مكارم الأخلاق وسعة الصدر لأهله وأمته لتبتهج قلوبهم ببعض المباح ليكون أبسط لهم في العود إلى وظائف العبادات كما قال لما قال أبو بكر: أقرآن وشعر؟ فقال ﷺ: «ساعة من هذا وساعة من هذا» اهـ. كلامه.

ومما يدل على أن قوله مزمور الشيطان ليس للتحريم أنه لم ينكر إلا كون ذلك في بيت النبي ﷺ، ولو كان أراد بقوله: مزمور الشيطان التحريم لقال أمزمور الشيطان ولم يقيده فالإنكار والله أعلم إنما هو كونه وجد ما صورته لعب في يوم العيد الذي هو محل العبادة في بيت النبي ﷺ الذي هو موطن الذكر ومهبط الوحي، ولذلك لم يجبه ﷺ بأنه ليس بحرام لعلمه أنه لم يخطر له التحريم، وإنما قال: «دعهما فإنه يوم عيد» أي وقت سرور فسمح به في موطنه بمثل ذلك، وبعض من ادعى تحريم الدف تمسك به وقال قوله مزمور يعود على ضرب الدف لا على الغناء والله أعلم.

....

ومنها: ما قاله الترمذي في السنن: حدثنا صالح بن عبد الله، عن الفرج بن فضالة الشامي، عن يحي بن سعيد، عن محمد بن عمر بن علي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء. قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: إذا كان المغنم دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبرّ صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القيان والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فارتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً».

قال: وحدثني علي بن حجر عن محمد بن يزيد عن المسلم بن سعيد بن رميح الجذامي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اتخذ الفيء دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره، وظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور، ولعن آخر هذه الأمة أولها فارتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً وقذفا وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع».

قال: وحدثنا عباد بن يعقوب الكوفي، عن عبد الله بن عبد القدوس، عن الأعمش، عن هلال ابن يساف، عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف». فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى يكون ذلك؟ قال: «إذا ظهرت القيان والمعازف وشربت الخمور».

والجواب قد قال الترمذي نفسه بعد إيراده الحديث الأول ما لفظه: هذا الحديث لا نعرفه عن علي إلا من هذا الوجه ولا نعرف أحداً رواه عن يحي بن سعيد إلا الفرج بن فضالة، وقد تكلم فيه بعض أهل الحديث وضعفه من قبل حفظه، وقد روى عنه وكيع وغير واحد من الأئمة هذا كلام الترمذي. والفرج بن فضالة مختلف فيه، فروي عن عبد الرحمن بن مهدي أنه قال فيه: ما رأيت شامياً أثبت منه، ونقل معاوية بن صالح عن أحمد أنه قال: هو ثقة. وقال ابن معين لا بأس به، وقال ابن المديني: هو وسط ليس بالقوي وقد ضعفه جماعة. سئل الدارقطني عنه فقال: ضعيف فقيل له: نكتب عنه حديثه عن يحي بن سعيد: «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة» الحديث المحتج به فقال: هذا باطل. فقيل: من جهة الفرج؟ فقال: نعم. وقال أبو داود: سمعت أحمد يقول: إذا حدث عن الشاميين فليس به بأس ولكنه عن يحي بن سعيد عنده مناكير. وقال أبو حاتم: لا يحل الاحتجاج به، وقال مسلم: إنه منكر الحديث ثم الاحتجاج بهذا الحديث على تقدير ثبوته فيه نظر، فإن فيه ترتيب أمور مذكورة على مجمع أمور، والترتب على أمور لا يلزم منه الترتيب على الأفراد ثم أن في الخصال المذكورة ما ليس بمحرم كطاعة الرجل زوجته وبرّ صديقه وارتفاع الأصوات في المساجد لا يختلف فيه.

....

فإن قيل: إن طاعة الرجل زوجته مقيدة بعقوق أمه وكذلك بر صديقه بجفاء أبيه؟.

قلت: إن جعلنا خصلة واحدة نقص العدد، ويبقى ارتفاع الأصوات فإنه ليس بمحرم ولا نعلم فيه خلافاً، ويقال أيضاً: وكذلك اتخاذ القينات مقيد بضرب المعازف ولا يتناول إلى الغناء بالآلة، وقد تقدم في كلام المصنف قريباً أن القينة في عرفهم هي التي تغني للشراب، فيكون الحديث إنما يتناول الغناء المقترن بالمنكر ونحوه.

وأما الحديث الثاني: ففيه رميح الجذامي مجهول الحال ولم يخرج له أحد من الستة إلا الترمذي هذا الحديث الواحد، وأما الحديث الثالث فقال الترمذي: عقبه حديث غريب، ورواه الأعمش مرسلاً وفي سنده أيضاً عبد القدوس قال يحي بن معين ليس بشيء رافضي خبيث، وهناك أحاديث أخر احتج بها المحرمون تركت ذكرها والكلام عليها مخافة الإطالة.

وقد تصدى أبو العباس القرطبي للجواب عما ذكرنا في كتابه كشف القناع من ثلاثة أوجه، فقال:

الأول: إن المحدثين لهم في علل الأحاديث طرق اصطلحوا عليها يذكرون الأحاديث من أجلها وإذا عرفت تلك الطرق على محل التحقيق الاصولي لم تكن تلك الطرق موجبة للترك مطلقاً، وإنما تكون موجبة عند تعارضها مما هو سليم من تلك العلل، فيكون التسليم أولى، وأما مع عدم المعارض فإن تلك الطرق لا تكون قادحة في غلبة ظن الصدق، وبيان ذلك أنهم يقولون الجهالة للراوي موجبة للترك ويعنون بالمجهول ما لا يروي عنه إلا واحد، وإن كان ذلك المروي عنه معروف العين والحال من عدالة وغيرها، فإن روى عنه راويان فأكثر خرج عن الجهالة إلى الشهرة في اصطلاحهم، والتحقيق خلاف ذلك. فمتى عرفت عدالة الرجل قبل خبره سواء روى عنه واحد أم أكثر، وعلى هذا كان الحال في الصنف الأول من الصحابة وتابعيهم إلى أن تنطع المحدثون وتواضع المصطلحون، فقولهم في كيسان مجهول مع أنه معلوم الحال غير مقبول، وإلا فالمجهول في التحقيق مثل قولك شيخ ورجل لا يعرف عينه ولا اسمه فهذا الذي لا يختلف في تركه لجواز أن يكون كذباً. ومن هذا النوع أيضاً قولهم منقطع أو مرسل، فإن هذا قد يمكن أن يكون علة معتبرة إذا كان المرسل لا يروي إلا عن الثقات، فإن روايته عنه تعديل له فإنا علمنا من حاله أنه لا يروي إلا عن عدل، فالمسكوت عنه عدل. وعلى هذا درج السلف حتى قال محمد بن جرير الطبري: إنكار المرسل بدعة حدثت بعد المائتين، فأما إذا عارضه سند عدل كان أولى بالاتفاق. أما إذا كان المرسل يروي عن الثقات وغيرهم لم يقبل مرسله ولا ينبغي أن يختلف فيه، وعلى هذا فلا يلتفت إلى قولهم في حديث البخاري أنه منقطع لأن البخاري لا يعلق في كتابه إلا ما كان في نفسه مسنداً صحيحاً، لكنه لم يسنده ليفرق بين ما كان على أصله في شرط شرطه في أصل كتابه وبين ما ليس كذلك ومن ذلك قولهم: فلان ضعيف ولا يبينون وجه الضعف فهو جرح مطلق وفيه خلاف. وتفصيل مذكور في الأصول والأولى أن لا يقبل من متأخري المحدثين لأنهم

يجرحون بما لا يكون جرحاً. ومن ذلك قولهم: فلان سيء الحفظ أو ليس بالحافظ، فلا يكون هذا جرحاً مطلقاً بل ينظر إلى حال المحدث والحديث، فإن كان الحديث من الأحاديث القصار التي تنضبط لكل أحد قبل حديثه إلا أن يكون مختل الذهن والحفظ، فهذا لا يحل أن يروي عنه ولا يعد من المحدثين، وأما إن كان من الأحاديث الطوال فإن كان ذلك المحدث ممن يكتب حديثه ويضبطه فلا يكون سوء حفظه قادحاً فيه، فإن الكتابة أثبت من الحفظ، فينبغي أن لا يرد حديثه إلا أن يتيقن أنه نقله من حفظه، فإن تبين أنه كان لا يكتب حديثه فيعتبر حديثه من رواية غيره، فإن وجد غيره قد رواه على نحو ما رواه قبل وإن خالفه الحفاظ ترك، وينظر أيضاً هل روي عنه أئمة حفاظ أو حسنوا حديثه أو لا. فإن كان الأول قبلناه، وحديث الفرج بن فضالة من هذا القبيل فإنه قد روى عنه وكيع بن الجراح وغيره من الأئمة. وقال الترمذي: إنه حسن فدل على أنه يعمل بحديثه ولا يترك وقد ذكر معنى حديثه من طريق آخر ذكرها الترمذي فصح اعتباره فوجب يقبوله.

الوجه الثاني: إن هذه الأحاديث مشهورة عند المصنفين من المحدثين وغيرهم، مخرجة في كتبهم يحتج بها عند العلماء، متداولة بينهم، فكل من منع الغناء استدل بها وأسند منعه إليها وهم العدد الكثير والجم الغفير حتى صارت من الشهرة لا يحتاج إلى ذكر مسندها لشهرتها ومعرفة الناس بها، فلو كانت تلك العلل موجبة للترك لتلك الأحاديث لما جاز لهم ولما استجازوه في دينهم، فإنه كان يكون منهم اقتباس الحكم من غير أصل واستدلال بما ليس بدليل، وكل ذلك بعيد عنهم ومحال عليهم لما يعرف من حالهم.

الوجه الثالث: أن تلك الأحاديث معضودة المتون بالقواعد الشرعية لكونها زاجرة عن الخوض في أحوال السفهاء والتشبه بالفجار والسخفاء، وما كان فيه تشبه وخوض فهو حرام شهدت الأدلة به. قال ﷺ « إذا سمعتم الحديث تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به وإذا سمعتم الحديث تقشعر منه جلودكم وتتغير له قلوبكم وأشعاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم به ». رواه البزار في مسنده بإسناد صحيح إلى أبي حميد. وروى الدارقطني نحوه من حديث أبي سعيد رفعه قال: « إذا حدثتم عني بحديث تنكرونه فكذبوه فأنا أقول ما يعرف ولا ينكر، ولا أقول ما ينكر ولا يعرف ». وهذا أيضاً صحيح على ما قاله عبد الحق، وما اشتملت عليه تلك الأحاديث من ذم الغناء وأهله تعرفه قلوب العلماء وتلين لذلك أشعارهم وأبشارهم، وتنفر ممن ظن إباحته ومشروعيته قلوبهم وتنكره عقولهم، فتؤول تلك الأحاديث على ما يشهد به هذا الحديث اهـ كلام القرطبي.

وقد أجاب عن هذا صاحب الامتاع مجملاً ومفصلاً. أما مجملاً فقال: العلم أن قوله في **الوجه الأول** أن المحدثين أصطلحوا في العلل إلى آخر كلام لا يرتد به المنازع ولا يندفع به الخصم، فإن لكل علم قوماً أهلهم الله تعالى له احتفلوا به واعتنوا به وهذبوه واستقرؤا عوارضه وتتبعوا أحواله،

....

فصار كلامهم فيه هو المعتبر وعليه المعوّل، وقد تلقى الأئمة من الفقهاء والحفاظ وغيرهم كلام أهل كل علم بالقبول واعتمدوا عليه، فالائمة الحفاظ مثل: أحمد وابن المديني وابن معين وشعبة والأئمة الستة وابن حبان وابن خزيمة وغيرهم إذا قالوا هذا حديث صحيح سمع منهم وهذا ضعيف توقف في العلم به، ويرجع إليهم في العلل كما يرجع العامي إلى قول المفتي، ويجب عليه العمل بما افتاه من غير أن يذكر له دليله مع جواز الخطأ على مثل المفتي، فالمعتمد في العلل والتصحيح على أهله المعتنين به فهذا بطريق الإجمال.

وأما من حيث التفصيل، فقوله في المجهول أنهم يعنون به ما لا يروي عنه إلا واحد لم يقصر القوم الجهالة ما قاله، وإنما هذا قسم من الجهالة ولا يطلقون هذا على من هو معروف العين والعدالة، وإنما يطلق على من هو معروف وتجهل عدالته، فرواية الواحد عنه لا تخرجه عن الجهالة، ورواية الاثنين وإن كانت تخرجه إلا أنه لا تثبت بذلك عدالته على ما قاله الخطيب البغدادي، وهذا الظاهر المتجه فإن مطلق الرواية لا دلالة لها على التعديل، وقد ورد عن الأئمة من العلماء والحفاظ عن الضعفاء والمتروكين. نعم كل من قال من الحفاظ أني لا أروي إلا عن ثقة فهذا قريب على أنه أيضاً فيه نظر إذ يحتمل الذهول ويخفي الجرح عنه أو لا يعتمد هو لما فيه من جرح ولا يعتمده جرحاً، فإن الناس تختلف آراؤهم في أسبابه، وقد وثق الشافعي جماعة وبعض الحفاظ يضعف من وثقه، فلا بدّ من معرفة حال ذلك الشخص والتعديل له، فقوله في كيسان لا يلتفت إلى ما قالوه فيه هو كما قال، لكن ليس من الوجه الذي ذكره، فإنه روي عن محمد بن المهاجر وغيره ووثقه ابن حبان، وكذا محمد بن المهاجر ثقة روى له البخاري في الأدب المفرد، واحتج به الباقون، لكن لم يخرج أحد من الأئمة هذا الحديث من هذا الطريق، ولا حكم بصحته أو بحسنه من يعتمد عليه، ولا يكفي كون سنده جيداً فقد يصح السند ولا يصح الحديث لعلة، فلا بدّ ممن يحكم بصحته أو بحسنه من يعتمد عليه، ثم قوله في هذا الحديث: نهي عن تسع ولا يلزم من النهي التحريم، ويحمل على الكراهة لمعارضته الأدلة التي ذكرناها أو الغناء المقترن به منكر والله أعلم.

وأما ما ذكره في المرسل فالحق فيه ما ذهب إليه الشافعي وغيره أنه ليس بحجة، وقد نقله مسلم في صدر كتابه وعزاه إلى أهل العلم بالاخبار، وكذا ابن عبد البر عن جماعة أصحاب الحديث، وكذا ابن الصلاح وغيرهم وقوله: إن رواية الراوي تعديل له هذا الذي قاله هو الذي ادعى الفخر الرازي أنه الحق، والذي قاله غيره أنه ليس تعديلاً وادعى ابن الصلاح أن أكثر العلماء من المحدثين وغيرهم عليه وهو الذي يظهر، فإن ثم احتمالات كثيرة. وما علقه البخاري تقدم الكلام فيه، وقوله: إنهم يقولون فلان ضعيف ولم يبينوا الضعف، وأن ذلك لا يقدح من المتأخرين. فهذه مسألة فيها مذاهب، ومذهب الشافعي وصاحبي الصحيحين وغيرهم أنه لا بدّ من التبيين. وذهب القاضي أبو بكر وغيره إلى أنه لا يجب لأنه إن كان غير بصير بهذا الشأن لم يصح منه ولم يعتبر قوله فإن كان بصيراً فلا معنى للسؤال. وقال الفخر: إن الحق التفصيل فيه بأنه إن كان عالماً بأسباب الجرح والتعديل اكتفينا منه بذلك، وإلاّ فلا بد من البيان. وبالجملة فإنا وإن قلنا أنه لا

....

يقبل إلا مفسراً، فمعناه أنا لا نثبت الجرح للمجروح، لكن نتوقف في الحكم بحديثه، وقد صرح بذلك ابن الصلاح في جواب سؤال رفعه إليه. وأما قوله: إنهم يقولون فلان سيء الحفظ ونحوه الخ فكلام تفرد القرطبي ببعضه، وبعضه قاله الفخر الرازي فذكر أنه إذا كان غير قادر على الحفظ أصلاً لا يقبل حديثه البتة، وإن كان يقدر على ضبط قصار الحديث دون طوالها فهذا يقبل منه ما عرف كونه قادراً على ضبطه. أما إذا كان السهو غالباً عليه لم يقبل منه، وإذا استوى الذكر والنسيان لم يترجح أنه مما سها فيه، وهذا الذي قالاه لعلهما تفردا به فلم أره لغيرهما، والمعروف ما قاله العلماء والحفاظ أن ذلك يوجب التوقف وجعله حديث الفرج من هذا عجيب من وجهين. أحدهما: أنه طويل. الثاني: إن الفرج ضعف من أجل هذا الحديث حتى قال الدارقطني: لا يكتب من حديثه هذا الحديث.

وأما الوجه الثاني: فقوله إن تلك الأحاديث مخرجة في كتب العلماء الخ فكلام عجيب، وكيف جعل الأحكام الشرعية تابعة لاحتجاج المحتج، وإنما الأحكام تتبع الأدلة. فلو سلكنا ذلك لأدى إلى مفاسد عظيمة ولا نعرف أحداً من أهل العلم يقول ذلك إلا بعض المتأخرين من الحنفية وهو أيضاً وارد عليه، فإن المبيحين احتجوا بأحاديث ذكروها فعين ما قاله يقلب عليه. وأما احتجاجه على ذلك بأنه لو كانت تلك العلل موجبة للترك لما جاز لهم، ولما استحلوا الاحتجاج بها الخ. فكلام عجيب أيضاً فإنه يجوز أن يظنوا صحتها وسلامتها ولا يطلعون على ضعفها فيحتجون بها على ظن السلامة، وعلمنا بدينهم اقتضى لنا حمل ما صدر منهم على ذلك ولا يوجب القدح فيهم ولا العلم بما احتجوا به، والمجتهد إنما يكلف بما ظنه فقد يكون خطأ، وقد شهد الشارع بأن المجتهد قد يخطىء، وهذا الشافعي قد وثق إبراهيم بن محمد، واتفق الحفاظ أو أكثرهم على تضعيفه ونسب إلى الكذب. وروى مالك مع تشدده عن عبد الكريم بن أبي المخارق ظاناً فيه الثقة وهو ضعيف وأمثال ذلك كثيرة، ثم إن تلك الأحاديث مخرجة في كتب المحدثين إن عني به كل المحدثين فليس كذلك، فإنه ليس منها شيء في الصحيحين، وبعضها في الترمذي خرجه وضعفه، وكذلك قوله محتج بها في كتب العلماء فنقول: جمهور العلماء لم يحتجوا بها بل القائلون بالإباحة وهم الأكثرون ضعفها منهم جماعة من الظاهرية والمالكية، وذكر ابن العربي في الأحكام تضعيفها، وقال: لم يصح في التحريم شيء ولم يحتج به الائمة المشهورون من أرباب المذاهب المتبوعة، وإن أراد البعض فليس كلام البعض حجة.

وأما الوجه الثالث: فقوله: إن تلك الأحاديث معضودة المتون بالقواعد الشرعية فلا يسلم ما قاله، بل القواعد الشرعية تقتضي خلاف ما قاله فإن الخشوع ورقة القلب وشوق النفس إلى الأحباب والأوطان ونفع الأبدان وإدخال السرور على القلب وجلاء الهموم كل ذلك مطلوب ممدوح والغناء يحصل منه ذلك، وهذا أمر محسوس مشاهد، وكم من سمع الغناء فحصل له ما هيمه من المعرفة وربما كان سبب وفاة بعض العارفين، فهذا تمام الأجوبة عن الوجوه التي ذكرها وقد

واحتجوا بقول عثمان رضي الله عنه: ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني مذ بايعت بها رسول الله ﷺ. قلنا: فليكن التمني ومس الذكر باليمنى حراماً إن كان هذا دليل تحريم الغناء فمن أين يثبت أن عثمان رضي الله عنه كان لا يترك إلا الحرام؟.

واحتجوا بقول ابن مسعود رضي الله عنه: الغناء ينبت في القلب النفاق ـ وزاد بعضهم ـ كما ينبت الماء البقل، ورفعه بعضهم إلى رسول الله ﷺ وهو غير صحيح.

حذفت منه ما رأيت حذفه في بعض المواضع، ثم شرع المصنف رحمه الله تعالى بذكر آثار الصحابة ومن بعدهم ما احتج به المحرمون فقال:

(واحتجوا بقول عثمان) بن عفان **(رضي الله عنه)** قال: **(ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني مذ بايعت رسول الله ﷺ)** أخرجه ابن ماجه في سننه، **(فنقول)**: أبعد الاحتمالات إرادته التحريم. كيف وكان يسمع الغناء وكانت له جاريتان تغنيان له، وإلاَّ **(فليكن التمني ومس الذكر باليمين حراماً إن كان هذا دليل تحريم الغناء)** وليس كذلك، **(فمن أين ثبت أن عثمان)** رضي الله عنه **(كان لا يترك إلا الحرام)** وإنما تنزه عن ذلك كما تنزه عن غيره من المباحات، وكثير من الصحابة رضي الله عنهم تورعوا وزهدوا في كثير من المباحات.

(واحتجوا) أيضاً **(بقول)** عبد الله **(بن مسعود رضي الله عنه: الغناء ينبت في القلب النفاق)** أي هو سبب له ومنبعه وأسه وأصله، **(وزاد بعضهم: كما ينبت الماء البقل)** وهذا التشبيه تمثيلي لأنه متنوّع من عدة أمور متوهمة، **(ورفعه بعضهم إلى رسول الله ﷺ وهو غير صحيح)** لأن في إسناده من لم يسم رواه أبو داود هو في رواية ابن العبد ليس في رواية اللؤلؤي، ورواه البيهقي مرفوعاً وموقوفاً قاله العراقي.

قلت: روي مرفوعاً من عدة طرق كلها ضعيفة. قال البيهقي: والصحيح أنه من قول ابن مسعود، وفي بعض طرقه من هو مجهول، وفي بعضها ليث بن أبي سليم، وقد نقل النووي في تهذيب الأسماء واللغات الإتفاق على ضعفه وأقره الزركشي، وقال ابن طاهر: رواه الثقات عن شعبة عن مغيرة عن إبراهيم ولم يجاوز فهو من قول إبراهيم اهـ.

قلت: رواه ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي عن إبراهيم قال: كانوا يقولون الخ فإذاً ليس هو من قول إبراهيم، وممن رواه مرفوعاً ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي، ورواه ابن عدي والديلمي من حديث أبي هريرة، وأخرجه البيهقي من حديث جابر بلفظ «الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع» وهو ضعيف أيضاً فيه علي بن حماد قال الدارقطني: متروك، وابن أبي رواد قال أبو حاتم أحاديثه منكرة، وقال ابن الجنيد: لا يساوي فلساً، وإبراهيم بن طهمان مختلف فيه، وقال بعضهم: المراد بالغناء هنا غنى المال، وهو الذي يناسب إنبات النفاق فان كثرة المال تطغى

قالوا: ومرّ على ابن عمر رضي الله عنهما قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال: ألا لا أسمع الله لكم ألا لا أسمع الله لكم. وعن نافع أنه قال: كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما في طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق؛ فلم يزل يقول: يا نافع أتسمع ذلك؟ حتى قلت: لا. فأخرج أصبعيه وقال: هكذا رأيت رسول

وتكسب أموراً ردية من عدم الفكرة في الأخرة، ورد عليه الغافقي رداً شنيعاً من حيث أن الغنى من المال مقصور. ولفظ الحافظ ابن حجر وزعم أن المراد بالغناء هنا غنى المال ردّ عليه بأن الرواية إنما هي بالمد وغنى المال مقصور اهـ.

وحاول صاحب الإمتاع تصحيح معنى القصر فقال: وهذا الذي قاله يعني الغافقي إنما يتجه إن كان العلماء كلهم رووه بالمد، وإن كان كذلك لم يبق لرده قوة، ثم لو سلم أنهم رووه بالمد فتحرير الأداة من المد والحركات لا يتحرر، ولذلك لم يحتج أهل العربية بالرواية بالمعنى، وخطّأوا من احتج بها ممن تأخر لعدم الوثوق بتحرير اللفظ، ولذلك وقع فيها لحن.

قلت: ومما يؤيد رواية المدّ ما رواه الديلمي من طريق مسلمة بن علي: حدثنا عمر مولى غفرة عن أنس رفعه «الغناء واللهو ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب والذي نفسي بيده إن القرآن والذكر لينبتان الإيمان في القلب كما ينبت الماء العشب».

قال السخاوي، قال النووي لا يصح. وعز القرطبي قول ابن مسعود السابق إلى عمر بن عبد العزيز. قال: وقال الحكم بن عتيبة: حب السماع ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب.

قلت: ولكن عمر بن عبد العزيز صرّح بأنه بلغه من الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع المغاني واللهيج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب. هكذا أخرجه ابن أبي الدنيا من طريق جعفر الأموي قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده كتاباً فيه كذا وكذا فذكره فهذا ليس فيه أنه من قوله.

(ومر على) عبد الله **(بن عمر)** رضي الله عنهما **(قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال: ألا لا أسمع الله لكم ألا لا أسمع الله لكم)** مرتين. هكذا في كشف القناع إلا أنه اقتصر على القول مرة واحدة وهكذا هو في العوارف ولفظ صاحب الامتاع.

ومن الآثار ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه مرّ بقوم محرمين وفيهم رجل يغني. فقال: ألا لا سمع الله بكم. **(وعن نافع)** مولى بن عمر **(أنه قال: كنت مع ابن عمر)** رضي الله عنهما **(في طريق فسمع زمارة راع، فوضع أصبعيه في أذنيه ثم عدل عن الطريق، فلم يزل يقول: يا نافع اتسمع ذلك؟ حتى قلت: لا. فاخرج أصبعيه)** من أذنيه **(وقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ صنع)** قال العراقي: ورفعه أبو داود. وقال: هذا حديث منكر انتهى.

الله ﷺ صنع ، وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : الغناء رقية الزنا . وقال بعضهم : الغناء رائد من رواد الفجور . وقال يزيد بن الوليد : إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم المروءة ، وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر ، فإن كنتم لا بدّ فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا . فنقول : قول ابن مسعود رضي الله عنه : « ينبت النفاق » أراد به في حق المغني ، فإنه في حقه ينبت النفاق إذ غرضه كله أن يعرض نفسه على غيره ويروّج صوته عليه ، ولا يزال ينافق ويتودد إلى الناس ليرغبوا في غنائه ، وذلك أيضاً لا يوجب تحريماً ، فإن لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المهملجة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأنعام والزرع وغير ذلك ينبت في القلب النفاق

قلت : وصححه ابن ناصر شيخ ابن الجوزي ، وأخرجها ابن أبي الدنيا ، والبيهقي عن نافع قال : كنت أسير مع ابن عمر فساقاه هكذا .

(وقال الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى : **(الغناء رقية الزنا)** وهكذا نقله القرطبي وصاحب العوارف يقال : رقيته أرقيه رقياً من حدّ رمى عوذته بالله والاسم الرقيا والمرة رقية والجمع رقى كمدية ومدى **(وقال بعضهم : الغناء رائد من روّاد الفجور)** وأصل الرود الطلب بخداع وتلطف وحيلة ، وفي بعض النسخ من رادة الفجور . **(وقال يزيد بن الوليد)** بن عبد الملك بن مروان وأبو خالد بن العباس الأموي ثاني عشر خلفاء بني أمية توفي سنة ست وعشرين ومائة ، وكان لأم ولد ويسمى الناقص وبقي خمسة أشهر وأياماً مات بدمشق عن ست وأربعين سنة قال : يا بني أمية **(إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء ويزيد الشهوة ويهدم المروءة وإنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر ، فإن كنتم لا بدَّ فاعلين فجنبوه النساء فإن الغناء داعية الزنا)** نقله القرطبي في كشف القناع .

قلت : أخرجه ابن أبي الدنيا والبيهقي من طريق أبي عثمان الليثي قال ، قال : يزيد بن الوليد الخ . ومن ذلك قول الضحاك : الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب ، ومر ابن عمر على جارية تغني فقال : لو كان الشيطان تاركاً أحداً لترك هذه . وقول الشعبي : لعن المغني والمغنى له وغير ذلك من الأقوال التي قد مرّ بعضها .

(فنقول) في الجواب **(قول ابن مسعود)** رضي الله عنه : **(الغناء ينبت النفاق)** في القلب **(أراد به في حق المغني فإنه في حقه ينبت النفاق إذا كان غرضه كله أن يعرض نفسه على غيره ويروّج صوته عليه)** أي يزينه ، **(ولا يزال ينافق ويتردد إلى الناس ليرغبوا في غنائه)** ويزدادوا ميلاً إليه ، **(وذلك أيضاً لا يوجب تحريماً فإن)** كثيراً من المباحات كذلك ، وذلك لأن **(لبس الثياب الجميلة وركوب الخيل المهملجة وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأنعام والزرع)** كذا في النسخ ، والأولى اسقاط قوله الزرع فإن الحرث هو الزرع

والرياء، ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله. فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط، بل المباحات التي هي مواقع نظر الخلق أكثر تأثيراً، ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس هملج تحته وقطع ذنبه لأنه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مشيته. فهذا النفاق من المباحات. وأما قول ابن عمر رضي الله عنهما: ألا لا أسمع الله لكم. فلا يدل على التحريم من حيث أنه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث، وظهر له من مخايلهم أن سماعهم لم يكن لوجد وشوق إلى زيارة بيت الله تعالى بل لمجرد اللهو، فأنكر ذلك عليهم لكونه منكراً بالإضافة إلى حالهم وحال الإحرام. وحكايات الأحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال. وأما وضعه أصبعيه في أذنيه فيعارضه أنه لم يأمر نافعاً بذلك ولا أنكر عليه سماعه، وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن ينزه سمعه في الحال وقلبه عن صوت ربما يحرّك اللهو ويمنعه عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه. وكذلك فعل رسول الله ﷺ ـ مع انه لم يمنع ابن عمر ـ لا يدل أيضاً على التحريم. بل

(ينبت الرياء والنفاق في القلب) ويبعثهما **(ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله فليس السبب في ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط، بل المباحات التي هي مواقع نظر الخلق أكثر تأثيراً، ولذلك نزل عمر رضي الله عنه عن فرس مهملج تحته وقطع ذنبه لأنه استشعر في نفسه الخيلاء لحسن مشيته)** وتلك الهملجة وإنما قطع ذنبه لئلا تطمح نفسه إليه ثانياً، فان أزين ما في الأفراس بعد معارفها ذيولها **(فمبدأ النفاق من المباحات)** ثم لو سلم جميع ذلك وان ابن مسعود قاله وأنه قصد به الغناء وقصد التحريم كان قول صحابي وليس بحجة كما هو الصحيح من مذهب الشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد لاسيا مخالفة غيره له من الصحابة.

(وأما قول ابن عمر) رضي الله عنهما **(ألا لا أسمع الله لكم فلا يدل)** أيضاً **(على التحريم من حيث أنه غناء بل كانوا محرمين ولا يليق بهم الرفث)** حالتئذ وهو الفحش في المنطق **(وظهر له من مخايلهم أن سماعهم)** لذلك القول **(لم يكن لوجد وشوق إلى زيارة بيت الله بل لمجرد اللهو)** بمقتضى شهوة النفس، **(فأنكر ذلك عليهم لكونه بالإضافة إلى حالهم وحال الإحرام)** المقتضي لاشتغالهم بالتلبية والذكر والتسبيح والاستغفار المشروعات، فتركهم ذلك واشتغالهم بالغناء يستحقون به الذم والإنكار. **(وحكايات الأحوال تكثر فيها وجوه الاحتمالات، و)** أما الجواب عن **(وضع الأصبع في أذنيه)** حين سمع زمارة راع **(فيعارضه أنه لم يأمر نافعاً بذلك)** أي بسد أذنيه **(ولا أنكر عليه سماعه)** ولا ذكر له أنه حرام ولا نهى الراعي، ولو كان حراماً لنهى الفاعل، **(وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن ينزه في الحال سمعه وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو)** والشغل به **(ويمنعه عن)** استحضار أمر في **(فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه)** فسدّ أذنيه ليجتمع له فكره ويستمر في حاله، **(وكذلك فعل**

يدل على أن الأولى تركه. ونحن نرى أن الأولى تركه في أكثر الأحوال، بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر في القلب. فقد خلع رسول الله ﷺ بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم إذ كانت عليه أعلام شغلت قلبه، أفترى أن ذلك يدل على تحريم الأعلام على الثوب؟ فلعله ﷺ كان في حالة كان صوت زمارة الراعي يشغله عن تلك الحالة كما شغله العلم عن الصلاة. بل الحاجة إلى استثارة الأحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالإضافة إلى من هو دائم الشهود للحق، وإن كان كمالاً بالإضافة إلى غيره. ولذلك قال الحصري: ماذا أعمل بسماع ينقطع إذا مات من يسمع منه إشارة إلى أن السماع من الله تعالى هو الدائم. فالأنبياء عليهم السلام على الدوام في لذة السمع والشهود فلا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة. وأما قول الفضيل: هو رقية الزنـا

رسول الله ﷺ) كما رواه أبو داود (**مع أنه لم يمنع ابن عمر**) وكان معه، (**وفعل ابن عمر أيضاً لا يدل على التحريم بل يدل على أن الأولى تركه، ونحن**) فلا نخالفه في ذلك بل (**نرى أن الأولى تركه في أكثر الأحول**) لأكثر الأشخاص، (**بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر في القلب فقد خلع رسول الله ﷺ بعد الفراغ من الصلاة ثوب أبي جهم**)بن حذيفة وهي الانجبانية(**إذ كانت عليه أعلام شغلت قلبه**) وقد تقدم هذا الحديث في كتاب الصلاة (**أفترى أن ذلك لا يدل على تحريم الأعلام على الثوب**) ومما يقوّيه أنه ﷺ بعث ذلك الثوب إلى أبي جهم ليلبسه ولم ينهه عن لبسه وقت الصلاة. وقد صرح ﷺ أنها شغلته مع كمال حاله فأولى أن تشغل أبا جهم ومع ذلك فلم ينهه عن اللبس، فدلّ على أنه تنزيه عن الشيء مع أنه يكون مباحاً. (**فلعله ﷺ كان في حالة كان صوت زمارة الراعي يشغله عن تلك الحالة كما شغله العلم**) بالتحريك واحد الأعلام (**عن الصلاة بل الحاجة إلى استثارة الأحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع**) وبواسطة (**قصور**) في الحال والمقام (**بالإضافة إلى من هو دائم الشهود للحق وإن كان كمالاً بالاضافة إلى غيره**) ممن هو دونه في الحال والمقام، (**ولذلك قال**) به أبو الحسن علي بن إبراهيم (**الحصري**) البصري أحد مشايخ الرسالة: سكن بغداد وبها مات سنة ٣٧١، وكان شيخ وقته حالاً وقالاً (**ماذا أعمل بسماع ينقطع إذا مات من يسمع منه إشارة إلى أن السماع من الله تعالى هو الدائم**).

ولفظ القشيري في الرسالة: سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت الحصري يقول: في بعض كلامه: إيش أعمل بسماع ينقطع إذا انقطع من يسمع منه، بل ينبغي أن يكون سماعك سماعاً متصلاً غير منقطع. قال وقال الحصري: ينبغي أن يكون ظمأ دائماً وشرباً دائماً فكلما ازداد شربه ازداد ظمؤه انتهى.

(**فالانبياء عليهم السلام على الدوام في لذة السماع**) من الله تعالى (**والشهود**) لحضرته جل

وكذلك ما عداه من الأقاويل القريبة منه، فهو منزل على سماع الفساق والمغتلمين من الشبان. ولو كان ذلك عاماً لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله ﷺ.

وعز (**لا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة**)، وأيضاً فإن زمارة راع لا تتعين فإن الرعاة كما تقدم يضربون بقصبة تسمى المخارة وبقصبتين يسمونها المقرونة بأقصاب متلاصقة يقال لها الشبجية فالذي امتنع ﷺ من سماعه، وكذا ابن عمر ليس بمتعين فيحتمل ما ذكرناه فلا يبقى لهم حجة في الحديث إلا بالقياس، فمن يمنع كون القياس حجة يسقط الاستدلال، ومن يقول به يعارض بقياس آخر وبأدلة أخرى، (**وإنما قول الفضيل هو رقية الزنا وكل ما عداه من الأقاويل الغريبة**) مما تقدم ذكر بعضها (**فهو منزل على سماع العشاق**) للصور الحسان، (**والمغتلمين من الشبان**) من أصحاب الشهوات النفسية ولو كان ذلك عاماً في الكل (**لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله ﷺ**) كما تقدم ثم بتقدير ما استدل به المانعون فهو معارض بالأدلة التي ذكرناها، وطريق الجمع أن يحمل ما أورده على الغناء المقترن به منكراً وبشعر فيه فحش ونحو ذلك، واعترض المانعون عن ذلك بأن الأحاديث التي أوردها المبيحون ليست نصاً. وما أوردناه نص في التحريم وبتقدير تسليمها لم يحصل التوارد على شيء واحد، فإن محل النزاع في الغناء المطرب وليس في أدلتكم ما يدل عليه. أما غناء الجاريتين ففي بعض طرقه وليستا بمغنيتين، وإنما قالت ذلك تحرزاً من أن يظن أن كان يطرب غناؤها ثم انهما كانتا صغيرتين ولا كلام فيه، وكذا الجواري التي في حديث الربيع، وأما حديث المرأة التي نذرت فليس غناؤها مما يطرب، وكذا المرأة التي جاءت لعائشة فليس غناؤها مما يطرب، ثم أنه ليس فيه أن النبي ﷺ سمعها، وإنما سمعتها عائشة وسماع المرأة للمرأة مما لا يتناوله النزاع. قال القرطبي: والظاهر أنه ﷺ لم يسمعها فإنه، وان لم يكن حراماً فهو من اللغو الذي يعرض عنه، وبقية تلك الأحاديث مخصوصة بالعيد والعرس ونحوه. قال القرطبي: وبتقدير التسليم فهو مخصوص بذلك الزمن مع من يؤمن منه وليس زماننا كذلك، وقال ابن الجوزي: ويدل على ان الغناء كان مما لا يطرب قولها ما تقاولت به الأنصار يوم بُعاث، وكذلك حديث الربيع كن ينـدبن من قتل يوم بدر وليس فيه ذكر الخدود والقدود والغزالة والغزل، وروى بسنده إلى عبد الله بن أحمد أنه سأل أباه عما كانوا يغنون به فقال: غناء الركبان أتيناكم أتيناكم. قال: والظاهر من حال عائشة أنها كانت صغيرة.

والجواب عن ذلك: أما قول القرطبي أن أحاديثهم نص إن اريد بالنص ما لا يحتمل التأويل فلا نسلم، فإن مما احتجوا به لا تبيعوا القينات وهذا ليس نصاً في التحريم، بل ولا ظاهر فيه كما تقدم، وكذا ما احتجوا به من قوله من أحدث في ديننا وكل أحاديثهم ليست نصاً في التحريم، بل ولا دلالة لها على تحريم نفس الغناء، وإنها إن سلم دلالتها فهي تدل على المنع من غناء النساء خاصة، والفرق بين غناء النساء وغيرهن ظاهر. وأما قولهم ليس ذلك الغناء مما يطرب فلا نسلم، وهل الطرب إلا خفة ورقة يحصل معها الخضوع والخشوع وإثارة الشوق والحزن، فحيث كان محموداً كان محموداً والغناء لم يحرك في القلب ما ليس فيه وإنما يحرك الساكن ويثير الكامن، فحيث كان

....

حسناً كان حسناً، ثم إن كان التحريم في الغناء من حيث الطرب فماالدليل عليه، وقد نقل عن جماعة من الصحابة الطرب كما تقدم وهو ليس من صفات الذم باتفاق الحكماء والعقلاء، ولا ثبت في الشرع ذمّه ولا المنع منه، وإن كانت العلة الاضطراب فيلزمه تحريم جميع أنواع الغناء مما يطرب وهم قد خصوا غناء الركبان ونشيد الأعراب والحداء بالجواز ونقلوا الاتفاق عليه، وكذا غناء الحُجاج والغزاة والقول بأنه لا يحصل منه طرب مكابرة، بل يحصل للإنسان الطرب بمجرد الصوت كما يحصل للإبل والأطفال وبنفس الشعر من غير غناء، ومن ادعى النعب والحداء لا يطربه، فذلك لأحد شيئين إما لكثافة طبعه وبُعد حسه، وإما لما ألفه. وكذلك هذا الغناء المرتب لا يطرب بعض الناس، ثم إن حملهم سماع عائشة انه من المرأة فإنه إذا كانت العلة الاطراب دار الحكم فيه مع وجود الطرب، سواء كانت امرأة تغني لامـرأة أم لا. وأما اعتذارهم بقول عائشة ليستا بمغنيتين الخ فليس في اللفظ دلالة على ذلك، ولا دلّ دليل على انها قصدت ذلك، بل قال بعضهم في معنى قولها المذكور أي لم تكونا ممن تغني للناس، وقال بعضهم: ليستا بمجيدتين والأوّل أقرب إلى اللفظ، بل في الطريق المنقول عنها وعندي قينتان، وهذا اللفظ الغالب في استعماله في المعتادة في الغناء المعـدّة له كما تقدم. وقوله: إنهما كانتا صغيرتين فهو محتمل إلا أنه ثبت أنهما كانتا كذلك وذلك ليس بكاف، فإنه لو كان حراماً لم يفعلاه في بيته ﷺ، والمميز يمنع من تعاطي المحرمات إما وجوباً على البالغ أو ندباً، وكذلك قوله عن عائشة أنها كانت صغيرة ثم أن عائشة بنـى بها النبي ﷺ وهي بنت تسع، وفي بعض طرق الحديث أن الغناء كان في فطر فأقل ما يكون عمرها عشر سنين فأما أن تكون بالغة، وقد قال الشافعي أن نساء تهامة يحضن لتسع، وإما مراهقة والمراهقة تمنع المحرمات، وقد حكم جماعة من العلماء بمنع الصبي المميز من لبس الحرير ومنع المراهق من النظر، ولو كان جواز ذلك من حيث الطفولية لذكر ذلك ردا على أبي بكر ولما علل به بالعيد. ولما أنكر أبو بكر على ما احتجوا به من انكاره وتمسكوا به من قولهم مزمورة، وقول القرطبي أن الظاهر أنه ﷺ لم يسمعها ظاهر الحديث يخالف ظاهر قوله فإن فيه فلما فرغت قال: نفخ الشيطان في منخريها. وقوله: إنه لو لم يكن محرماً لكان من اللغو الذي يعرض عنه غير مسلم فما كل لغو يمتنع منه ولا كل لهو يمتنع من حضوره وفعله، وغناء الجاريتين كان لهواً وكان ﷺ حاضره ولعب الحبشة ورقصهم في المسجد وأشباه ذلك من اللهو واللغو، ثم إنه ليس فيه أنه قصد السماع واستدعاه، وإنما فعل بحضرته فلم ينكره ولا سد أذنيه كما فعل في المزامير وأمره بالوفاء بالنذر قوي، وكذلك استدعاؤه من عائشة سماع المرأة، ثم إنهم لم يثبتوا على تعليل، وإنما إن دل دليل على الجواز حملوه على أنه كان من شعر ليس فيه من ذكر الأوصاف فيجعلون المنع في غيره من جهة الشعر، فإن احتج عليهم بشعر سالم مما ذكروه ذكروا تارة الصغر وتارة يحملونه على سماع من يجوز له، وإن ورد عليهم من لا يجوز على رأيهم سماعه جعلوا أنه كان مما لا يطرب، وهذا كاف في الرد عليهم، وقولهم: إن ذلك مخصوص بـالعيـد والعـرس يحتـاج إلى دليـل المخصـص والأصل التعميم حتى يرد مخصص ولا نعلم أحداً من أهل الإجتهاد قال بجواز الغناء في العيد

وأما القياس: فغاية ما يذكر فيه أن يقاس على الأوتار، وقد سبق الفرق، أو يقال

والعرس دون غيره، فالقول به احداث قول آخر والجمهور على المنع منه، وإن كان الفخر الرازي اختار فيه تفصيلاً. وأما احتجاج ابن الجوزي بما ذكروه أنهم كانوا يقولون في غنائهم أتيناكم أتيناكم وكذا ندبهم من قتل فلا حجة فيه، فإنه ليس في اللفظ صيغة حصر، فيجوز أن يكون يقولون أشياء هذا من جملتها، ويدل عليه أن في حديث الربيع ويقولان فيما يقولان:

وفينا نبي يعلم ما في غد

فدل على أنهما كانا يقولان أشياء كثيرة على عادة من يأتي بالغث والسمين، ولو كان كما قال لكان التحريم لأجل ما يعرض في الشعر من ذكر الخدود والقدود كما قال لا لمعنى في الغناء كما بيناه غير مرة،وأما حملهم ذلك على ذلك الزمان فيحتاج إلى دليل، وقد قدمنا في تراجم بعض من ذكر ما يخالفه ما قاله، وقلما يقع إنصاف ويظهر من ناقص اعتراف، فهذا تمام الكلام على الآيات والأحاديث والآثار.

(وأما القياس: فغاية ما يذكر فيه أن يقاس على الأوتار وقد سبق الفرق) قريباً **(أو يقال)** في الاستدلال به على التحريم ما هو ملتحق بنوعي الكتاب والسنة وهو أن نقول: **(هو)** أي الغناء المطرب **(لهو ولعب)** والأصل فيهما التحريم، فالغناء على التحريم.

أما المقدمة الأولى فواضحة وإليه أشار بقوله: **(وهو كذلك)** فإن الغناء المطرب يحمل على اللهو وينتهي به عن غيره لشدة التذاذ النفس به وسرورها وفرحها به، حتى يكون عن ذلك مجون وعيث كالاهتزاز والرقص وغير ذلك من أحوال المجانين والسفهاء، وهو المعنى باللعب، وهذا كله مشاهد بحيث لا يمنع ولا ينكر.

وأما المقدمة الثانية: فيدل عليه أمران:

أحدهما: الكتاب والثاني السنة فالأول ما في كتاب الله من ذم اللعب واللهو في غير موضع كما تقدم، ووجه التمسك بهذا الأسلوب أن الله تعالى ذكر اللهو واللعب في تلك المواضع على جهة أن يذم بهما ما حملا عليه فيلزم أن يكونا مذمومين إذ لا يذم بوصف مدح، والوصف المذموم شرعاً محرم شرعاً، فيلزم أن يكون اللهو واللعب محرماً شرعاً، ثم أن اللعب واللهو من أسماء الأجناس فيلزم الذم بجنسهما وهو الذي أردناه.

الأمر الثاني: وهما حديثان أحدهما ما خرجه الترمذي وغيره: « كل لهو يلهو به الرجل باطل » الحديث وقد تقدم ذكره وتقدم وجه التمسك به، والحديث الثاني هو الحديث المشهور: « لست من دد ولا الدد مني » قال مالك: الدد اللهو واللعب وما كان كذلك كان محرماً لأنه قد تبرأ منه النبي ﷺ فظهر أنه حرام. هذا تقرير هاتين المقدمتين من جانب المحرمين، والجواب عنه منع المقدمتين فإن من الناسِ من يقول: إن الغناء ليس لهواً ولعباً وإنما فيه تفصيل. وقد أجاب المصنف عن ذلك بعد تسليمه للمقدمة الأولى بقوله وهو كذلك فقال:

هو لهو ولعب، وهو كذلك ولكن الدنيا كلها لهو ولعب. قال عمر رضي الله عنه لزوجته: إنما أنت لعبة في زاوية البيت. وجميع الملاعبة مع النساء لهو إلا الحراثة التي هي سبب وجود الولد. وكذلك المزح الذي لا فحش فيه حلال. نقل ذلك عن رسول الله ﷺ عن الصحابة، كما سيأتي تفصيله في كتاب «آفات اللسان» إن شاء الله. وأي لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج في لعبهم وقد ثبت بالنص إباحته؟ على أني أقول: اللهو

(ولكن الدنيا كلها لهو ولعب) أي لا نسلم أن اللهو واللعب محرم، فإن الدنيا لهو ولعب وأكثر ما فيها من المآكل والمشارب والمناكح والمساكن الحسنة وكثرة الخدم والرئاسات وما لا يقبله الحصر كذلك. **(قال عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه لزوجته)** وقد كلمته في واقعة وعارضته: **(إنما أنت لعبة في زاوية البيت)** وقد تقدم تمامه في كتاب النكاح، وفي كتاب ألف بالأبى الحجاج البلوى ما لفظه: تكلمت نسوة بحضرة عمر فقال لهن: اسكتن فإنما أنتن اللعب فإذا فرغ لكن لعب بكن. **(وجميع الملاعبة مع النساء لهو إلا الحراثة التي هي سبب وجود الولد)** فإنه خارج عنه، **(وكذلك المزح الذي لا فحش فيه حلال. نقل ذلك عن رسول الله ﷺ)** يأتي في آفات اللسان، **(و)** نقل **(عن الصحابة)** رضوان الله عليهم **(كما سيأتي تفصيله في كتاب آفات اللسان)** إن شاء الله تعالى، **(وأي لهو يزيد على لهو الحبشة والزنوج في لعبهم وقد ثبت بالنص أباحته)**، وما احتجوا به على المقدمة الثانية فلا حجة فيه أيضاً فإن الآيات التي ذكروها منها قوله تعالى: ﴿الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً﴾ [الأعراف: ٥١] فإن الذم فيها لمن اتخذ دينه كذلك، وليس من غنى أو سمع الغناء اتخذ دينه كذلك ومنها قوله تعالى: ﴿ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ [الحديد: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾ [الأنعام: ٣٢] فلا نسلم أن ذلك ذم وإنما هو إخبار عن حالها وإن هذه صفتها ومنها قوله تعالى: ﴿ إنما كنا نخوض ونلعب﴾ [التوبة: ٦٥] وكذا قوله تعالى: ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا﴾ [المعارج: ٤٢] فإن فيها تهديداً لمن خاض ولعب واشتغل عن الآخرة وما يقرب إلى الله تعالى، فذموا على سلوك هذا الطريق ومنه ذرهم يأكلوا ويتمتعوا فليس ذلك ذماً للأكل والتمتع، ولم يقل أن ذلك حرام، فاللهو من حيث هو ليس بحرام، كيف وقد كانت الأنصار يحبون اللهو ولم يمتنعوا من محبته، بل أقروا عليه في قوله عليه الصلاة والسلام: أما علمت أن الأنصار يعجبهم اللهو، فلو بعثت معها بغناء كما تقدم، وقول الصحابة لما قيل لهم ما هذا؟ قالوا: نلهو، ولو كان ذلك حراماً لما أجابوا به وحرص عائشة على اللهو كما قالت: فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو، وقد وقف لها ﷺ حتى نظرت إلى لعب الحبشة زماناً طويلاً، وكذلك رقص الحبشة إنما كان لهواً ولعباً، وأما ما استدلوا به من الحديثين فلا يدلان أيضاً. أما الحديث الأول: وهو قوله: «كل شيء يلهو به الرجل باطل» فقد تقدم الكلام عليه قريباً، وذكرنا أن الباطل ما فائدة فيه وغالب المباحات لا فائدة فيها بل المباح من حيث هو هو لا فائدة فيه، فإنه المستوى الطرفين. وأما الحديث الثاني: فالدد مختلف فيه عن الخليل أنه النقر برؤوس الأصابع في الأرض، فلا دلالة له

مروّح للقلب ومخفف عنه أعباء الفكر، والقلوب إذا أكرهت عميت وترويحها إعانة لها على الحد، فالمواظب على التفقه مثلاً ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة لأن عطلة يوم تبعث على النشاط في سائر الأيام، والمواظب على نوافل الصلوات في سائر الأوقات ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات، ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات. فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجدّ، ولا يصبر على الجدّ المحض والحق المرّ إلا نفوس الأنبياء عليهم السلام. فاللهو دواء القلب من داء الإعياء والملال، فينبغي أن يكون مباحاً، ولكن لا ينبغي أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء، فإذاً اللهو على هذه النية يصير قربة، هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليس له إلا اللذة والاستراحة المحضة، فينبغي أن يستحب له ذلك ليتوصل به إلى

حينئذ على الغناء. وقيل: هو اللعب بمعزفة فلا دلالة له أيضاً، وقيل: هو اللهو فإذا كان مختلفاً في موضوعه لم يستدل به ثم بتقدير تسليم أنه اللهو فلا دلالة فيه، فإن التبرئة وقعت في لفظ الشارع بإزاء معان الخروج عن الملة وهو نادر جداً وارادة التحريم كقوله: « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب». وأمثال ذلك واردة ليس على طريقتنا ولم يرد التحريم كقوله: « ليس منا من لم يتغن بالقرآن» وأمثال ذلك كثيرة، ويدل على أنه ليس المراد التحريم ما قدمناه من الأدلة المقتضية لإباحته.

(**على أني أقول: اللهو**) في الجملة (**مروّح للقلب ومخفف عنه أعباء الفكر**) أي أثقاله، (**والقلوب إذا اكرهت**) واضطرت إلى ما لا تطيقه (**عميت**) عن درك الحقائق كما في قول علي رضي الله عنه (**وترويحها**) باللهو (**إعانة لها على الجد**) في الأعمال. (**فالمواظب على التفقه مثلاً ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة**) كما هو اختيار أكثر البلاد وفي بعضها يوم الثلاثاء كما هو اختيار بلاد الروم، (**لأن عطلة يوم تبعث النشاط**) وتهيجه (**في سائر الأيام**) أي في بقيتها. (**والمواظب على نوافل الصلوات في سائر الأوقات ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات**) كما تقدم ذلك مفصلاً في كتاب الصلاة. (**فالعطلة معونة على العمل واللهو معين على الجد**) وقد أشرت إلى ذلك في شرح حديث أم زرع، (**ولا يصبر على الجد المحض والحق المر إلا أنفس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام**) لما أعطوا من قوة المقام والحال، (**فاللهو واللعب دواء القلب عن داء الإعياء والملل**) والسآمة، (**فينبغي أن يكون مباحاً**) بهذا الوجه، (**ولكن لا ينبغي أن يستكثر منه كما لا**) ينبغي أن (**يستكثر الدواء**) فيعود مضراً بعد أن كان نافعاً، (**فإذاً اللهو على هذه النية يصير قربة**) لا حراماً (**هذا في حق من لا يحرك السماع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها بل ليسْ له إلا اللذة والاستراحة المحضة، فينبغي أن يستحب له ذلك ليتوصل به إلى المقصود الذي**

المقصود الذي ذكرناه. نعم هذا يدل على نقصان عن ذروة الكمال فإن الكامل هو الذي لا يحتاج أن يروح نفسه بغير الحق، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين ومن أحاط بعلم علاج القلوب ووجود التلطف بها لسياقتها إلى الحق علم قطعاً أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه.

ذكرناه، نعم هذا يدل على) نوع **(نقصان عن)** بلوغ **(ذروة الكمال، فإن الكامل)** في الحقيقة **(هو الذي لا يحتاج أن يروح نفسه بغير الحق)** كما هو شأن الأنبياء الكرام ومن على قدمهم من ورثتهم، **(ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين)** كما قاله سهل التستري، **(ومن أحاط بعلم علاج القلوب ووجوب التلطف بها لسياقها إلى الحق علم قطعاً أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه)** للسالك في طريق الحق.

الباب الثاني

في آثار السماع وآدابه

اعلم أن أوّل درجة السماع فهم المسموع وتنزيله على معنى يقع للمستمع ، ثم يثمر الفهم الوجد ، ويثمر الوجد الحركة بالجوارح ، فلينظر في هذه المقامات الثلاثة .

المقام الأوّل : في الفهم ، وهو يختلف باختلاف أحوال المستمع . وللمستمع أربعة أحوال :

احداها : أن يكون سماعه بمجرد الطبع أي لا حظ له في السماع إلا استلذاذ الألحان والنغمات ، وهذا مباح وهو أخس رتب السماع ، إذ الابل شريكة له فيه ، وكذا سائر البهائم بل لا يستدعي هذا الذوق إلا الحياة ، فلكل حيوان نوع تلذذ بالأصوات الطيبة .

الباب الثاني

في آثار السماع وآدابه

(اعلم) أولاً **(أن)** للسماع درجات متفاوتة مترتبة ، وإن **(أول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله)** بعد الفهم **(على معنى)** مناسب **(يقع للمستمع ، ثم يثمر)** ذلك الفهم **(الوجد)** في القلب **(ويثمر الوجد)** بعد تمكنه **(الحركة بالجوارح ، فلينظر في هذه المقامات الثلاثة)** ويقابل فيها .

(المقام الأول : في الفهم وهو يختلف باختلاف أحوال المستمع) فلنبين تلك الأحوال **(وللمستمع أربعة أحوال)** :

(أحدها : أن يكون سماعه بمجرد الطبع) فيما يقتضيه **(أي لا حظ له في السماع إلا استلذاذ الألحان والنغمات)** الموزونة فتطربه وتثير ما فيه باطنه من الغرام ، **(وهذا مباح)** لاضطراره بطبعه لذلك **(وهو أخس رتب السماع إذ الإبل شريكة له فيه ، وكذا سائر البهائم بل لا يستدعي هذا الذوق إلا الحياة ، ولكل حيوان نوع تلذذ بالأصوات الطيبة)** كما بينه صاحب مصارع العشاق .

الحالة الثانية: أن يسمع بفهم ولكن ينزله على صورة مخلوق إما معيناً وإما غير معين، وهو سماع الشباب وأرباب الشهوات ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم ومقتضى أحوالهم. وهذه الحالة أخس من أن نتكلم فيها إلا ببيان خستها والنهي عنها.

الحالة الثالثة: أن ينزل ما يسمعه على أحوال نفسه في معاملته لله تعالى وتقلب أحواله في التمكن مرة والتعذر أخرى، وهذا سماع المريدين لا سيما المبتدئين، فإن للمريد لا محالة مراداً هو مقصده، ومقصده معرفة الله سبحانه ولقاؤه والوصول إليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء، وله في مقصده طريق هو سالكه، ومعاملات هو مثابر عليها، وحالات تستقبله في معاملاته. فإذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد أو تلهف على فائت أو تعطش إلى منتظر أو شوق إلى وارد أو طمع أو يأس أو وحشة أو استئناس أو وفاء بالوعد أو نقض للعهد أو خوف فراق أو فرح بوصال أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب أو هموم العبرات أو ترادف الحسرات أو طول الفراق أو عدة الوصال أو غير ذلك مما يشتمل على وصفه

(**الحالة الثانية: أن يسمع ولكن ينزله على صورة مخلوق إما معيناً وإما غير معين وهو سماع الشبان**) المغتلمين (**وأرباب الشهوة**) الغالبة على نفوسهم، (**ويكون تنزيلهم للمسموع على حسب شهواتهم، ومقتضى أحوالهم. وهذه الحالة أخس أن يتكلم فيها إلا ببيان خستها**) ورداءتها (**والنهي عنها**).

(**الحالة الثالثة**): أن يسمع بفهم ولكن (**ينزل ما يسمعه على أحوال نفسه في معاملته مع الله تعالى وتقلب أحواله في التمكن منه مرة وتعذره أخرى وهذا سماع المريدين**) السالكين، (**لاسيا المبتدئين**) منهم في أول درجات السلوك، (**فإن للمريد لا محالة مراداً هو مقصده**) لأن المريد هو الطالب ولا بد للطالب من مطلوب يطلبه يسمى لأجله طالباً. (**ومقصده معرفة الله ولقاؤه الوصول إليه بطريق المشاهدة بالسر وكشف الغطاء**) عن باطنه، (**وله في مقصده طريق هو سالكه ومعاملات هو متاجر عليها وحالات تستقبله في معاملاته، فإذا سمع ذكر عتاب أو خطاب أو قبول أو رد أو وصل أو هجر أو قرب أو بعد أو تلهف على فائت أو تعطش إلى منتظر أو تشوق إلى وارد أو طمع أو يأس أو وحشة أو استئناس أو وفاء بالوعد أو نقض للعهد أو خوف فراق أو فرح بوصال أو ذكر ملاحظة الحبيب ومدافعة الرقيب أو هموم العبرات أو ترادف الحسرات أو طول الفراق أو عدة الوصال أو غير ذلك مما يشتمل على وصفه الإشعار**)، وأصل هذا السياق من الرسالة للقشيري ولفظه: وقال بندار بن الحسين السماع على ثلاثة أوجه: منهم من يسمع بالطبع، ومنهم من يسمع بالحال، ومنهم من يسمع بحق فالذي يسمع بالطبع يشترك فيه الخاص والعام فإن للجبلة البشرية استلذاذ بالصوت الطيب،

الأشعار، فلا بدّ أن يوافق بعضها حال المريد في طلبه فيجري ذلك مجرى القداح الذي يوري زناد قلبه، فتشتعل به نيرانه ويقوى به انبعاث الشوق وهيجانه ويهجم عليه بسبب أحوال مخالفة لعادته ويكون له مجال رحب في تنزيل الألفاظ على أحواله. وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه، بل لكل كلام وجوه، ولكل ذي فهم في اقتباس المعنى منه حظوظ. ولنضرب لهذه التنزيلات والفهوم أمثلة كيلا يظن الجاهل أن المستمع لأبيات فيها ذكر الفم والخد والصدغ إنما يفهم منها ظواهرها. ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعاني من الأبيات ففي حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك. فقد حكي أن بعضهم سمع قائلاً يقول:

قال الرسول غداً تزو ... ر فقلت تعقل ما تقول

فاستفزه اللحن والقول وتواجد وجعل يكرر ذلك ويجعل مكان التاء نوناً. فيقول:

والذي يسمع بالحال فهو يعامل ما يرد عليه من ذكر عتاب أو خطاب أو وصل أوهجر أو قرب أو بعد أو تأسف على فائت أو تعطش إلى آت أو وفاء بعهد أو تصديق لوعد أو نقض لعهد أو ذكر قلق أو إشتياق أو خوف فراق أو فرح وصال أو حذر انفصال وما جرى مجراه، وأما من يسمع بحق فيسمع بالله ولله ولا يتصف بهذه الأحوال التي هي ممزوجة بالحظوظ البشرية فإنها مبقاة مع العلل فيسمعون من حيث صفاء التوحيد بحق لا بحظ اهـ.

(فلا بد أن يوافق بعضها تفصيل حال المريد في طلبه فيجري ذلك مجرى القداح الذي يوري زناد قلبه) ويستجلب ما فيه، **(فتشتغل به نيرانه ويقوي به انبعاث الشوق وهيجانه وتهيج عليه بسببه أحوال مخالفة لعادته)** فيضطرب لذلك ويسلب اختياره **(ويكون له مجال رحب)** أي واسع **(في تنزيل الألفاظ على أحواله)** المناسبة، **(وليس على المستمع مراعاة مراد الشاعر من كلامه بل لكل كلام وجوه)** مختلفة **(ولكل ذي فهم في اقتباس المعنى منه حظ)** ونصيب، **(ولنضرب لهذه التنزيلات والفهم أمثلة كي لا يظن الجاهل أن المستمع لأبيات فيها ذكر الفم والخد والصدغ وإنما يفهم منها ظواهرها)** التي يعرفها العامة والخاصة، **(ولا حاجة بنا إلى ذكر كيفية فهم المعاني من الأبيات ففي حكايات أهل السماع ما يكشف عن ذلك)** لمن طالعها وتأمل فيها، **(فقد حكى أن بعضهم سمع قائلاً يقول)** في غنائه:

(قال الرسول غداً يزو ... ر فقلت تدري ما تقول)

فالمراد بالرسول هو الواسطة بينه وبين حبيبه أخبر أن حبيبه يزوره في غد فلما أخبره بذلك قال له تدري ماذا تقول أهو حق ما تقوله، **(فاستفزه)** أي أطربه وحركه **(القول واللحن وتواجد وجعل يكرر ذلك)** بلسانه **(ويجعل مكان الياء)** التحتية من يزور **(نوناً فيقول: قال**

قال الرسول غداً نزور، حتى غشي عليه من شدة الفرح واللذة والسرور. فلما أفاق سئل عن وجده مم كان؟ فقال: ذكرت قول الرسول ﷺ: « إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة ».

وحكى الرقى عن ابن الدراج أنه قال: كنت أنا وابن الفوطي مارين على دجلة بين البصرة والأبلة، فإذا بقصر حسن له منظرة وعليه رجل بين يديه جارية تغني وتقول:

كــــل يـــــوم تتلـــوّن؟ غير هــــذا بـــك أحســـنُ

فإذا شاب حسن تحت المنظرة وبيده ركوة وعليه مرقعة يستمع فقال: يا جارية بالله

الرسول غداً نزور حتى غشي عليه من شدة الفرح واللذة والسرور، فلما أفاق من غشيته سئل عن وجده مم كان؟ قال: ذكرت قول الرسول ﷺ: « إن أهل الجنة يزورون ربهم في كل يوم جمعة مرة ») قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة، وفيه عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين مختلف فيه، وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قال: وقد روى سويد بن عمرو عن الاوزاعي شيئاً من هذا اهـ.

قلت: وروى ابن عساكر في التاريخ من حديث جابر أن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء في الجنة، وذلك أنه يزورون الله تعالى في كل جمعة فيقول لهم: تمنوا عليَّ ما شئتم الحديث وقد تقدم شيء من ذلك في باب الجمعة من كتاب الصلاة.

(**وحكى الرقي**) أبو بكر محمد بن داود الدينوري من كبار مشايخ الشام صحب ابن الجلاء عاش إلى بعد الخمسين وثلاثمائة (**عن ابن الدراج أنه قال:**) كذا في النسخ وفي بعضها عن ابن أبي الدراج. ولفظ الرسالة: سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت الدراج يقول: وهذا هو الصحيح، وهو أبو الحسن الدراج بن الحسين الرازي نزيل بغداد له ذكر في غير موضع من الرسالة. (**كنت أنا وابن الفوطي مارين على الدجلة بين البصرة والابلة**) بضم الهمزة والموحدة وتشديد اللام مدينة بالبصرة (**فإذا**) نحن (**بقصر حسن له منظر**) وفي بعض النسخ منظرة (**وعليه رجل وبين يديه جارية تغني وتقول في غنائها:**

في سبيــــــــــل الله ود كـــان مني لـــك يبـــذل

(**كل يوم تتلون**) وتلونه مع مولاه دليل قلة معرفته، ولذا قال: (**غير هذا بك أجمل**) أي أحسن.

مـــا تـــرى العمـــر تـــولى ورســـول الموت أقبـــل

(**فإذا شاب تحت**) تلك (**المنظرة وبيده ركوة وعليه مرقعة يستمع**) هـذه الأبيـات

وبحياة مولاك إلا أعدت عليَّ هذا البيت. فأعادت فكان الشاب يقول: هذا والله تلوّني مع الحق في حالي، فشهق شهقة ومات، قال: فقلنا قد استقبلنا فرض، فوقفنا، فقال صاحب القصر للجارية: أنت حرة لوجه الله تعالى. قال: ثم إن أهل البصرة خرجوا فصلوا عليه، فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر: أشهدكم أن كل شيء لي في سبيل الله. وكل جواري أحرار، وهذا القصر للسبيل. قال: ثم رمي بثيابه واتزر بإزار وارتدى بآخر ومرّ على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم، وهم يبكون.

(**فقال: يا جارية بالله وبحياة مولاك ألا أعدت عليَّ هذا البيت**) ولفظ الرسالة: يا جارية بحياة مولاك أعيدي.

(كـــل يـــوم تتلـــون غير هذا بـــــك أجمل

(**فأعادت**) بإذن مولاه فقال لها الشاب: قولي فأعادت أيضاً (**فكان الشاب يقول: هذا والله تلوني مع الحق**) تعالى (**في حالي فشق شهقه ومات**) ولفظ الرسالة: خرجت بها روحه (**قال: فقلنا قد استقبلنا فرض**) يعني تجهيز ذلك الميت إذ هو فرض كفاية على عموم المسلمين، فإن قام به جماعة سقط عن الآخرين (**فوقفنا**) لذلك، (**فقال صاحب القصر للجارية**) لما أثر فيه صدق الشاب: (**أنت حرة لوجه الله تعالى قال: ثم إن أهل البصرة**) لما سمعوا به (**خرجوا**) لجنازته (**فصلوا عليه**) بعد أن جهز وكفن، (**فلما فرغوا من دفنه قال صاحب القصر:**) أليس تعرفوني (**أشهدكم أن كل شيء لي**) فهو (**في سبيل الله وكل جواري أحرار، وهذا القصر للسبيل قال: ثم رمي بثيابة وائتزر بإزار وارتدى بآخر ومر على وجهه والناس ينظرون إليه حتى غاب عن أعينهم وهم يبكون فلم يسمع له بعد خبر**) ولفظ الرسالة بعد قوله: وكل مماليكي أحرار ثم ائتزر بإزار وارتد برداء وتصدق بالقصر، ومر فلم ير له بعد ذلك وجه ولا سمع له أثر.

وأخرجه ابن الجوزي في صفوة التصوف فقال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن حبيب العامري، أخبرنا علي بن صادق، أخبرنا أبو عبد الله بن باكويه، حدثنا عبد الواحد بن بكر، حدثنا أبو بكر محمد بن داود الدينوري هو الرقي يقول: سمعت أبا إسحاق الهروي يقول: كنت مع ابن الحوطي بالبصرة فأخذ بيدي وقال: قم حتى نخرج إلى الأبلة فلما قربنا من الإبلة ونحن نمشي على شاطىء الإبلة في الليل والقمر طالع إذ مررنا بقصر لجندي فيه جارية تضرب بالعود فوقفنا في بناء القصر نستمع وفي جانب القصر فقير بخرقتين واقف فقالت الجارية:

كـــل يـــوم تتلـــون غير هـــذا بـــك أجمل

فصاح الفقر وقال: أعيديه، فهذا حالي مع الله فنظر صاحب الجارية إلى الفقير فقال لها: اتركي العود واقبلي عليه إنه صوفي فأخذت تقول والفقير يقول هذا حالي مع الله، والجارية تقول إلى أن زعق الفقير زعقة خر مغشياً عليه، فحركناه فإذا هو ميت. فقلنا: مات الفقير فلما سمع صاحب

فلم يسمع له بعد خبر. والمقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة عجزه عن الثبوت على حسن الأدب في المعاملة وتأسفه على تقلب قلبه وميله عن سنن الحق، فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ويقول له:

كل يوم تتلوّن غير هذا بك أحسن

ومن كان سماعه من الله تعالى وعلى الله وفيه فينبغي أن يكون قد أحكم قانون العلم في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته، وإلا خطر له من السماع في حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكفر به. ففي سماع المريد المبتدىء خطر إلا إذا لم ينزل ما يسمع إلا على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى. ومثال الخطأ فيه هذا البيت بعينه فلو سمعه في نفسه

القصر بموته نزل فأدخله القصر فاغتممنا، وقلنا هذا يكفنه من غير وجهه فصعق الجندي وكسر كل ما كان بين يديه. فقلنا: ما يعد هذا الأخير ومضينا إلى الأبلة وبتنا وعرفنا الناس، فلما أصبحنا رجعنا إلى القصر، وإذا الناس مقبلون من كل وجه إلى الجنازة فكأنما نودي في البصرة حتى خرج القضاة والعدول وغيرهم، وإذا الجندي يمشي خلف الجنازة حافياً حاسراً حتى دفن ثم ذكر القصة إلى آخرها.

(والمقصود أن هذا الشخص كان مستغرق الوقت بحاله مع الله تعالى ومعرفة عجزه من الثبوت على حسن الأدب في المعاملة وتأسفه عن تقلب قلبه وميله عن سنن الحق) وهذا هو التلوين **(فلما قرع سمعه ما يوافق حاله سمعه من الله تعالى كأنه يخاطبه ويقول له: كل يوم تتلون)** يا عبدي ولا تثبت في مقام العبودية والذل لي **(غير هذا بك أجمل)** فاستحيا من هذا الخطاب استحياء اذهب نفسه فإن الحياء قد يميت إذا تمكن، كما حكى أن رجلاً كان بين يدي جماعة فخرج منه صوت فاستحيا ونكس رأسه وسكن فحركوه فوجدوه ميتاً. **(ومن كان سماعه من الله تعالى وعلى الله)** تعالى **(وفيه)** تعالى **(فينبغي أن يكون قد أحكم قانون العلم في معرفة الله ومعرفة صفاته)** على وجه ينكشف له الغطاء عن وجه الحق. **(والأخطر له من السماع في حق الله تعالى ما يستحيل عليه ويكفر به)** ومن هنا قال القشيري في الرسالة ويقال: السماع على قسمين: سماع بشرط العلم والصحو فمن شرط صاحبه معرفة الأسامي والصفات وإلا وقع في الكفر المحض، وسماع بشرط الحال فمن شرط صاحبه الفناء من أحوال البشريّة والتنقي من آثار الحظوظ لظهور أعلام الحقيقة، **(ففي سماع المريد المبتدىء خطر)** عظيم **(إلا إذا لم ينزل ما يسمع إلا على حاله من حيث لا يتعلق بوصف الله تعالى)** ومن هنا قال القشيري في الرسالة المريد لا تسلم له حركة في السماع بالاختيار البتة فإن ورد عليه وارد حركة ولم يكن فيه فضل قوة فبقدر الغلبة يعذر، فإذا زالت الغلبة وجب عليه السكون فإن استدام الحركة مستجلباً للوجد من غير غلبة وضرورة لم يصح. **(ومثال الخطأ فيه مثال هذا البيت)** المذكور **(بعينه لو سمعه)**

وهو يخاطب به ربه عز وجل فيضيف التلوّن إلى الله تعالى فيكفر، وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق، وقد يكون عن جهل ساقه إليه نوع من التحقيق، وهو أن يرى تقلب أحوال قلبه بل تقلب أحوال سائر العالم من الله وهو حق، فإنه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوّره وتارة يظلمه وتارة يقسيه وتارة يلينه وتارة يثبته على طاعته ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق، وهذا كله من الله تعالى. ومن يصدر منه أحوال مختلفة في أوقات متقاربة فقد يقال له في العادة: إنه ذو بداوات وإنه متلوّن. ولعل الشاعر لم يرد به إلا نسبة محبوبه إلى التلوّن في قبوله ورده وتقريبه وإبعاده وهذا هو المعنى. فسماع هذا كذلك في حق الله تعالى كفر محض بل ينبغي أن يعلم أنه سبحانه وتعالى يلون ولا يتلوّن ويغيِّر ولا يتغيّر بخلاف عباده. وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدي إيماني. ويحصل للعارف البصير بيقين كشفي حقيقي. وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية وهو المغير من غير تغير، ولا يتصوّر ذلك إلا في

السامع (**في نفسه وهو يخاطب به ربه عز وجل فيضيف التلون إلى الله تعالى فيكفر**) ولا يشعر، (**وهذا قد يقع**) من المريد (**عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق**) علمي وهو الغالب على السامعين، (**وقد يكون عن جهل ساقه إليه نوع من التحقيق**) على حسب زعمه (**وهو أن يرى تقلب أحواله**) أي أحوال قلبه، (**بل تقلب سائر أحوال العالم من الله تعالى وهو حق**) في حد ذاته، (**فإنه**) تعالى بيده الأمر يقلب كيف شاء (**تارة يبسط قلبه**) ويشرح صدره بالواردات المناسبة للحال، (**وتارة يقبضه**) بما يرد عليه من التجلي القهري، (**وتارة ينوره**) بإفاضة لمعة من أنواره عليه، (**وتارة يظلمه**) بإرخاء الحجاب عليه وفي نسخة يغسله وهو بمعناه وفي أخرى يقسيه أي يجعله ضيقاً حرجا فيقسي، (**وتارة يثبته على طاعته**) كما قال تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [إبراهيم: ٢٧] (**وتارة يسلط الشيطان عليه ليصرفه عن سنن الحق**) إلى السوء والفحشاء، (**وهذا**) لا شك أنه (**كله من الله تعالى ومن تصدر منه أفعال مختلفة في أوقات متقاربة به فقد يقال له في العادة أنه ذو بدوات وأنه متلون، ولعل الشاعر لم يرد إلا نسبة محبوبه إلى التلون في قبوله ورده وتقريبه وتبعيده، وهو هذا المعنى فسماع هذا كذلك في حق الله تعالى كفر محض**) لأنه نسب إليه تعالى ما لا يليق به، (**بل ينبغي أن يعلم أنه تعالى يلون ولا يتلون ويغير ولا يتغير**) كل يوم هو في شأن لا يسأل عما يفعل (**بخلاف عباده**) فإنهم يتلونون ويتغيرون، (**وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليد إيماني**) يتلقفه من أفواه من يعتقد فيه الكمال فيقلده ويعقد قلبه عليه، (**ويحصل للعارف البصير بيقين كشفي حقيقي**) يطمئن قلبه وينشرح به صدره، (**وذلك من أعاجيب أوصاف الربوبية وهو المغير من غير تغيير**) يلحقه (**ولا يتصور ذلك إلا في حق الله تعالى بل كل مغير سواه فلا يغير ما لم يتغير ومن أرباب الوجد**

حق الله تعالى، بل كل مغير سواه فلا يغير ما لم يغيره. ومن أرباب الوجد من يغلب عليه حال مثل السكر المدهش، فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى، ويستنكر اقتهاره للقلوب، وقسمته للأحوال الشريفة على تفاوت. فإنه المستصفي لقلوب الصديقين، والمبعد لقلوب الجاحدين والمغرورين، فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة ولا أمد الأنبياء عليهم السلام بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة. ولكنه قال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كلمَتُنا لعبَادِنا الْمُرْسَلِين﴾ [الصافات: ١٧١] وقال عز وجل: ﴿ولكنْ حقّ القولُ مِنِّي لأملأنَّ جهنَّم من الجِنَّةِ والنّاسِ أجمعين﴾ [السجدة: ١٣]، وقال تعالى: ﴿إن الذين سبَقَتْ لَهُمْ منّا الْحُسْنَى أولئك عنها مبعدون﴾ [الأنبياء: ١٠١]، فإن خطر ببالك أنه لِمَ اختلفت السابقة وهم في ربقة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال لا تجاوز حد الأدب، فإنه ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ولعمري تأدب اللسان والظاهر مما يقدر عليه الأكثرون. فأما تأدب السر عن إضمار الاستبعاد بهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والابعاد والإشقاء والإسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الآباد فلا يقوى عليه إلا العلماء الراسخون في العلم. ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام:

من يغلب عليه حال مثل السكر المدهش) لعقله، (**فيطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر اقتهاره للقلوب و**) كذا (**قسمته للأحوال الشريفة على التفاوت**) والتباين، (**فإنه المستصفي لقلوب الصديقين**) أي جاعلها مختارة مصفاة عن الكدر قابلة لإفاضة الأنوار، (**والمبعد لقلوب الجاحدين**) المنكرين (**والمغرورين فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع**) كما ورد ذلك في الخبر، (**ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة**) فيكون ذلك القطع سبباً لها. (**ولا أمد الأنبياء عليهم السلام بتوفيقه ونور هدايته الوسيلة سابقة**) يمتنون بها، (**ولكنه قال تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ وقال عز وجل ﴿ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ وقال تعالى: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾**) وغير ذلك من الآيات الدالة على ذلك، (**فإن خطر ببالك أنه لم اختلفت السابقة وهم في رتبة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال**) تأدب (**ولا تجاوز حد الأدب فإنه: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ ولعمري تأدب اللسان والظاهر مما يقدر عليه الأكثرون فأما تأدب السر عن إضمار الاستبعاد لهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والإبعاد والإشقاء والإسعاد مع بقاء السعادة والشقاوة أبد الآباد فلا يقوي عليه إلا العلماء الراسخون في العلم**) الموفقون من الله لفهم هذا وأمثاله. (**ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام**) ما تقول في هذا السماع الذي

إنه الصفو الزلال الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء لأنه محرك لأسرار القلوب ومكانها، ومشوّش لها تشويش السكر المدهش الذي يكاد يحل عقدة الأدب عن السر إلا ممن عصمه الله تعالى بنور هدايته ولطيف عصمته. ولذلك قال بعضهم: ليتنا نجونا من هذا السماع رأساً برأس. ففي هذا الفن من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة، فإن غاية ذلك معصية وغاية الخطأ ههنا كفر.

واعلم أن الفهم قد يختلف بأحوال المستمع، فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد وأحدهما مصيب في الفهم والآخر مخطىء، أو كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين، ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهم لا يتناقض. كما حكي عن عتبة الغلام أنه سمع رجلاً يقول:

سبحـــــان جبـــــار السما إن المحـــب لفـــي عنـــا

فقال: صدقت وسمعه رجل آخر فقال: كذبت. فقال بعض ذوي البصائر: أصابا

يختلف فيه أصحابنا؟ (**فقال: إنه الصفاء الزلال**) بالتشديد (**الذي لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء**) وقد تقدم ذلك في أول هذه الكتاب وذلك (**لأنه محرك لأسرار القلوب ومكامنها**) أي خوافيها (**ومشوش لها تشويش السكر المدهش الذي يكاد يحل عقدة الأدب عن السر إلا ممن عصمه الله عز وجل بنور هدايته ولطيف عصمته، ولذلك قال بعضهم**) وهو أبو علي الروذباري (**لما سئل عنه فقال: ليتنا نجونا من هذا السماع رأساً برأس**) نقله القشيري في الرسالة أي لا لنا ولا علينا خوفاً من التكلف واستجلاب الأحوال مع الجماعة، (**ففي هذا الفن**) أي النوع (**من السماع خطر يزيد على خطر السماع المحرك للشهوة فإن غاية ذلك معصية وغايه الخطأ ههنا كفر**) وشتان بينهما.

(**واعلم ان الفهم قد يختلف بأحوال المستمع، فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد**) سمعاه من القوّال (**وأحدهما مصيب في الفهم والآخر مخطىء، أو كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين، ولكنه بالإضافة إلى اختلاف أحوالهما يتناقض كما حكى عن عتبة الغلام**) هو عتبة بن أبان بن تغلب هكذا نقله أبو حاتم الرازي عن علي بن المديني وهو من رجال الحلية (**أنه سمع رجلاً يقول:**)

(**سبحـــــان جبـــــار السمـــا ان المحـــب لفـــي عنـــا**)

(**فقال: صدقت وسمعه آخر فقال: كذبت**) كل واحد سمع منه حيث هو هكذا نقله القشيري في الرسالة.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا جعفر، حدثنا إبراهيم قال: حدثني عبد الواحد بـن عون

جميعاً وهو الحق فالتصديق كلام محب غير ممكن من المراد بل مصدود متعب بـالصـد والهجر والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به، أو كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشعر بخطر الصد في المآل. وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن على قلبه. فباختلاف هذه الأحوال يختلف الفهم.

وحكي عن أبي القاسم بن مروان ـ وكان قد صحب أبا سعيد الخراز رحمه الله وترك حضور السماع سنين كثيرة ـ فحضر دعوة وفيها إنسان يقول:

واقـــف في الماء عطشـــا ن ولكـــن ليس يسقـــي

فقام القوم وتواجدوا، فلما سكنوا سألهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت، فأشاروا إلى التعطيش إلى الأحوال الشريفة والحرمان منها مع حضور أسبابها، فلم يقنعه

الخراز، حدثنا أبو حفص البصري قال: كان خليد جار العتبة قال: فسمع عتبة ذات ليلة وهو يقول:

سبحـــان جبـــار السماء إن المحـــب لفـــي عنـــاء

فقال عتبة: صدقت والله فغشي عليه اهـ.

(فقال بعض ذوي البصائر: أصابا جميعاً) في قولهما **(وهو الحق)** الذي لا محيد عنه، **(فالتصديق كلام محب غيره ممكن من المراد)** أي لم يتم تمكينه من وصوله إلى المراد **(بل مصدود)** أي ممنوع **(ومتعب بالصد والهجر)** وهو المراد من قوله في عناء، **(والتكذيب كلام مستأنس بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متأثر به)** فلا يحس بالعناء أصلاً، فهذا معنى قوله: كذبت **(أو كلام محب غير مصدود عن مراده في الحال ولا مستشعر بخطر الصد)** والهجران **(في المآل، وذلك لاستيلاء الرجاء وحسن الظن)** معاً **(على قلبه)** فهما يتواردان عليه ويتجاذبان، **(فباختلاف هذه الأحوال يختلف الفهم)** وهذا معنى قول القشيري كل واحد سمع منه حيث هو.

(وحكي عن أبي القاسم بن مـروان وكـان قـد صحـب أبـا سعيـد) أحمد بـن عيسى **(الخراز)** البغدادي صحب ذا النون والسري وغيرهما مات سنة سبع وسبعين ومائتين **(وترك حضور السماع سنين كثيرة فحضر في دعوة فأنشد بعضهم:**

واقـــف في الماء عطشـــا ن ولكـــن ليس يسقـــي

فقام القوم وتواجدوا فلما سكنوا) أي رجعوا عن وجدهم **(سألهم عما وقع لهم من معنى البيت فأشاروا إلى التعطش إلى الأحوال الشريفة)** أي التشوّق لحصولها **(والحرمان عنها)** أي عدم الوصول لها **(مع حضور أسبابها)** وذلك السبب وقوفه في الماء، **(فلم يقنعه ذلك فقالوا**

ذلك فقالوا له: فماذا عندك فيه؟ فقال: أن يكون في وسط الأحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطي منها ذرة. وهذه إشارة إلى إثبات حقيقة وراء الأحوال، والكرامات والأحوال سوابقها، والكرامات تسنح في مبادئها، والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها. ولا فرق بين المعنى الذي فهمه وبين ما ذكروه إلا في تفاوت رتبة المتعطش إليه، فإن المحروم عن الأحوال الشريفة أولاً يتعطش إليها، فإن مكن منها تعطش إلى ما وراءها، فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف بين الرتبتين. وكان الشبلي رحمه الله كثيراً ما يتواجد على هذا البيت:

ودادكم هجر وحبكم قِلًى ووصلكم صرمٌ وسلمكم حرب

وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل، وأظهرها: أن يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا بأسرها بل في كل ما سوى الله تعالى. فإن الدنيا مكّارة خدّاعة قتّالة لأربابها معادية لهم في الباطن ومظهرة صورة الود «فما امتلأت منها دار حبرة إلا امتلأت عبرة» كما ورد في الخبر، وكما قال الثعالبي في وصف الدنيا.

له: فما عندك فيه؟ فقال: أن يكون في وسط الأحوال ويكرم بالكرامات ولا يُعطي منها ذرة) فشبه الوقوف في الماء بكونه في وسط الأحوال وتمكينه فيها هو إكرامه بالكرامات، ولكن لا يسقي من ذلك الماء أراد به لا يعطي ذرة من تلك الأحوال. **(وهذا إشارة إلى اثبات حقيقة وراء الأحوال والكرامات والأحوال سوابقها والكرامات تسنح من مبادئها، والحقيقة بعد لم يقع الوصول إليها)** فالتعطش انما هو إلى وجدان تلك الحقيقة، **(ولا فرق بين المعنى الذي فهمه)** أبو القاسم بن مروان **(وبين ما ذكروه إلا في تفاوت رتبة المتعطش إليه فإن المحروم عن الأحوال الشريفة)** أوّلاً **(يتعطش إليها)** ويتمنى إدراكها، **(فإن مكن منها تعطش إلى ما وراءها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الإختلاف بين الرتبتين)** ويدرك ذلك بأدنى فهم. **(وكان أبو بكر)** دلف بن جحدر **(الشبلي)** البغدادي **(رحمه الله)** صحب الجنيد وكان نسيج وحده، مات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة عن سبع وثمانين سنة **(كثيراً ما يتواجد على هذا البيت)** ينشده بنفسه:

(ودادكم هجر وحبكم قلى ووصلكم صرم وسلمكم حرب)

(وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل، وأظهرها أن يفهم هذا في الخلق بل في الدنيا بأسرها بل في كل ما سوى الله تعالى، فإن الدنيا مكارة) أي كثيرة المكر والحيلة **(خدّاعة)** أي كثيرة الخداع **(قتّالة لأربابها)** بإيقاعها لهم في أسباب الهلاك **(معادية لهم في الباطن ومظهرة صورة الود)** في الظاهر **(«فما امتلأت منها دار حبرة)** أي سروراً **(إلا امتلأت عبرة»)** أي بكاء وإليه أشار الحريري بقوله:

تنح عن الدنيا فلا تخطبنّها ... ولا تخطبن قتّالة من تناكحُ
فليس يفي مرجوّها بمخوفها ... ومكروهها اما تأملت راجحُ
لقد قال فيها الواصفون فاكثروا ... وعندي لها وصف لعمري صالحُ
سلافٌ قصاراها زعاف ومركب ... شهي إذا استذللته فهو جامحُ
وشخص جميل يؤثر الناس حسنه ... ولكن له أسرار سوء قبائحُ

والمعنى الثاني: أن ينزله على نفسه في حق الله تعالى، فإنه إذا تفكر فمعرفته جهل إذ

دار متي ما أضحكت في يومها ... أبكت غداً تباً لها من دار

وقال غيره:

إن جلت أوجلت ... أوحلت أوحلت ... أو كست أوكست

(**كما ورد في الخبر**) قال العراقي رواه ابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً بلفظ « ما امتلأت دار منها حبرة إلا امتلأت عبرة » اهـ.

(**وكما قال**) أبو منصور (**الثعالبي**) صاحب اليتيمة والمضاف والمنسوب وغيرهما (**في وصف الدنيا**):

(تنح عن الدنيا فلا تخطبنها ... ولا تخطبن قتالة من تناكح)
(فليس يفي مرجوّها بمخوفها ... ومكروهها اما تأملت راجح)

وفي نسخة: فأطنبوا

(لقد قال فيها الواصفون فأكثروا ... وعندي لها وصف لعمري صالح)

(**سلاف**) بالضم من أسماء الخمر (**قصاراها**) أي غايتها (**ذعاف**) أي مر (**ومركب شهى إذا استلذذته فهو جامح**) يقال: جمح عن الطريق إذا عدل ومرَّ جامحاً أي على رأسه.

(**وشخص جميل يونق**) أي يزين (**الناس حسنه ولكن له أسرار سوء قبائح**) أي قبحة لو ظهرت.

(**والمعنى الثاني أن ينزله على نفسه في حق الله تعالى فإنه إذا تفكر فمعرفته جهل**) روى أبو الشيخ في العظمة من حديث ابن عباس: « تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله » ومن حديث أبي ذر « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا » وروى الطبراني في الأوسط وابن عدي والبيهقي من حديث ابن عمر « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله » (**إذ ما قدروا الله حق قدره**) بنص الآية.

ما قدروا الله حق قدره. وطاعته رياء إذ لا يتقي الله حق تقاته، وحبه معلول إذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه. ومن أراد الله به خيراً بصره بعيوب نفسه فيرى مصداق هذا البيت في نفسه، وإن كان عليّ المرتبة بالإضافة إلى الغافلين، ولذلك قال ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وقال عليه الصلاة والسلام: «إني لأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة». وإنما كان استغفاره عن أحوال هي درجات بعد بالإضافة إلى ما بعدها، وإن كانت قرباً بالإضافة إلى ما قبلها، فلا قرب إلا ويبقى وراءه قرب لا نهاية له، إذ سبيل السلوك إلى الله تعالى غير متناه، والوصول إلى أقصى درجات القرب محال.

والمعنى الثالث: أن ينظر في مبادىء أحواله فيرتضيها ثم ينظر في عواقبها فيزدريها لإطلاعه على خفايا الغرور فيها، فيرى ذلك من الله تعالى فيستمع البيت في حق الله تعالى شكاية من القضاء والقدر وهذا كفر ـ كما سبق بيانه ـ وما من بيت إلا ويمكن تنزيله على معان وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه.

وروى أبو الشيخ من حديث أبي ذر «تفكّروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم ما تقدرون قدره». (**وطاعته رياء إذ لا يتقي الله حق تقاته**) ولأجل ذلك قال الله تعالى ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا﴾ (**وحبه معلول إذ لا يدع شهوة من شهواته في حبه**) فكيف يكون الحب خالصاً، (**ومن أراد الله به خيراً وبصره بعيوب نفسه**) وشغله عن عيوب غيره، (**فسيرى مصداق هذا البيت في نفسه وإن كان علي الرتبة**) كاملها (**بالإضافة إلى الغافلين، ولذلك قال ﷺ «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»**) رواه مسلم وقد تقدم ولم يرد به انه عرف منه ما لا يطاوعه لسانه في العبارة عنه بل معناه إني لا أحيط بمحامدك وصفات الهيتك، وإنما أنت المحيط بها وحدك فإذاً لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته إلا بالحيرة والدهشة، وأما اتساع المعرفة فإنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته. (**وقال**) ﷺ: (**«إني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة»**) تقدم في الباب الثاني من الأركان، (**وإنما كان استغفاره من أحوال**) شريفة (**هي درجات بعد بالإضافة إلى ما بعدها**) من الأحوال، (**وإن كانت قرباً بالإضافة إلى ما قبلها فلا قرب إلا ويبقى وراء قرب**) لا نهاية له (**إذ سبيل السلوك إلى الله تعالى غير متناه والوصول إلى أقصى درجات القرب محال**).

(**والمعنى الثالث: أن ينظر**) السالك (**في مباديء أحواله فيرتضيها ثم ينظر في عواقبها فيزدريها**) أي يحتقرها (**لاطلاعه على خفايا الغرور فيها فيرى ذلك من الله تعالى فيستمع البيت في حق الله تعالى شكاية من القضاء والقدر**) والاستنكار على القسمة الأزلية (**وهذا كفر محض كما سبق بيانه**) قريباً. (**وما من بيت إلا ويمكن تنزيله على معان**) شتى (**وذلك بقدر غزارة علم المستمع وصفاء قلبه**).

الحالة الرابعة: سماع من جاوز الأحوال والمقامات فعزب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها، وكان كالمدهوش الغائص في بحر عين الشهود الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن وسقط إحساسهن. وعن مثل هذه الحالة تعبر الصوفية بأنه قد فنى عن نفسه. ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره أفنى فكأنه فني عن كل شيء إلاَّ عن الواحد المشهود.

(الحالة الرابعة: سماع من جاوز الأحوال والمقامات) فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب، وقيل: الأحوال ثمرات المقامات، وسيأتي الكلام على كل ذلك في موضعه اللائق به، **(فعزب)** أي غاب **(عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزب عن)** فهم **(نفسه وأحوالها)** وتلويناتها **(ومعاملاتها. وكان كالمدهوش الغائص في)** بحر **(عين الشهود)** وفي بعض النسخ في بحر الشهود، وفي أخرى في عين بحر الشهود وفي كل من هذه العبارات تفاوت خفي أشرت به في شرح صيغة القطب سيدي عبد السلام بن مشيش قدس سره عند قوله: وأغرقني في عين الوحدة **(الذي يضاهي حاله حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف عليه السلام حتى دهشن)** وفي نسخة: بهتن **(وسقط احساسهن)**.

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن زيد قال أعطتهن ترنجاً وعسلاً فكن يحززن الترنج بالسكين ويأكلن بالعسل فلما قيل له أخرج عليهن خرج فلما رأينه أعظمنه وتهيمن به حتى جعلن يحززن أيديهن بالسكين وفيها الترنج ولا يعقلن لا يحسبن إلا أنهن حززن الترنج قد ذهبت عقولهن مما رأين.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق دريد بن مجاشع عن بعض أشياخه قال: قالت زليخا للقيم أدخله عليهن وألبسه ثياباً بيضاً، فإن الجميل أحسن ما يكون في البياض، فأدخله عليهن وهن يحززن مما في أيديهن، فلما رأينه حززن أيديهن وهن لا يشعرن من النظر إليه مقبلاً ومدبراً، فلما خرج نظرن إلى أيديهن وجاء الوجع فجعلن يولولن.

(وعن مثل هذه الحالة تعبر) السادة **(الصوفية بأنه فني عن نفسه)** بأن استولى من أمر الحق سبحانه عليه فغلب كون الحق تعالى على كونه وهذا هو الثناء المطلق، **(ومهما فني عن نفسه فهو عن غيره أفنى فكأنه فني عن كل شيء إلا عن الواحد المشهود وفني أيضاً عن الشهود)** أعلم أن الفناء المطلق على قسمين: فناء ظاهر وفناء باطن، فالفناء الظاهر هو أن يتجلى الحق تعالى له بطريق الأفعال ويسلب عن العبد اختياره وارادته فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلاً إلا بالحق، ثم يأخذ في المعاملة مع الله تعالى بحسبه، وهذا هو الذي أشار إليه المصنف بقوله فهو عن غيره أفنى، والفناء الباطن أن يكاشف تارة بالصفات وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات ويستولي على باطنه أمر الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس، وهذا هو الذي أشار إليه المصنف بقوله: وفني أيضاً عن الشهود وليس من ضرورة الفناء أن يغيب إحساسه كما قد يفهم من سياق المصنف

وفني أيضاً عن الشهود فإن القلب أيضاً إذا التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد فقد غفل عن المشهود. فالمستهتر بالمرئي لا التفات له في حال استغراقه إلى رؤيته، ولا إلى عينه التي بها رؤيته ولا إلى قلبه الذي به لذته، فالسكران لا خبر له من سكره، والملتذ لا خبر له من التذاذه، وإنما خبره من الملتذ به فقط. ومثاله العلم بالشيء فإنه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء، فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضاً عن الشيء. ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق المخلوق وتطرأ أيضاً في حق الخالق، ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم، وإن دام لم تطقه القوّة البشرية، فربما اضطرب تحت أعبائه اضطراباً تهلك به نفسه.

كما روي عن أبي الحسن النوري انه حضر مجلساً فسمع هذا البيت:

ما زلت أنزل من ودادك منـزلاً   تتحير الألبـاب عنـد نـزولـه

فقام وتواجد وهام على وجهه. فوقع في أجمة قصب قد قطع وبقيت أصوله مثل

السابق ولكن قد تتفق غيبة الإحساس لبعض الأشخاص، وليس ذلك من ضرورة الفناء على الإطلاق.

ثم استدل المصنف على قوله: وفني أيضاً عن الشهود فقال: **(فإن القلب إن التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد فقد غفل عن المشهود فالمستهتر بالمرئي)** وفي بعض النسخ فالمستغرق بالمرئي **(لا التفات له في حال استغراقه إلى رؤيته ولا إلى عينه التي بها رؤيته ولا إلى قلبه الذي به لذته، فالسكران لا خبر له من سكره، والملتذ لا خبر له من التذاذه، وإنما خبره من الملتذ به فقط)** وهذا مقام من أطلق من وثائق الأحوال وصار بالله لا بالاحوال وخرج من القلب فصار مع تقلبه لا مع قلبه، **(ومثاله: العلم بالشيء فإنه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضاً عن الشيء، ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق المخلوقين وتطرأ أيضاً في حق الخالق، ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم، فإن دام لم تطقه القوّة البشرية، فربما تضطرب تحته اضطراباً تهلك فيه نفسه)** وقد يتفق أن صاحب هذا الاستغراق يتسع وعاؤه حتى لعله يكون متحققاً في الفناء ومعناه روحاً وقلباً ولا يغيب عن كل ما يجري من قول وفعل، وإلى الأوّل أشار المصنف بقوله: **(كما روي عن أبي الحسين)** أحمد بن محمد **(النوري)** البغدادي كان من أقران الجنيد مات سنة ٢٩٨ **(إنه حضر مجلساً)** فيه سماع، **(فسمع)** من القوّال **(هذا البيت)** لبعضهم:

(ما زلت أنزل من ودادك منـزلاً   تتحير الالبـاب عنـد نـزولـه)

فقام وتواجد وهام على وجهه، فوقع في أجمة قصب قد قطع وبقي أصولها مثل السيوف فكان

السيوف، فصار يغدو فيها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يخرج من رجليه، حتى ورمت قدماه وساقاه وعاش بعد ذلك أياماً ومات رحمه الله. فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال نازل عن درجات الكمال وهي ممتزجة بصفات البشرية وهو نوع قصور، وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله؛ أعني انه ينساها فلا يبقى له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدي والسكاكين. فيسمع لله وبالله وفي الله ومن الله وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق وعبر ساحل الأحوال والأعمال واتحد بصفاء التوحيد وتحقق بمحض الإخلاص، فلم يبق فيه منه شيء أصلاً، بل خمدت بالكلية بشريته وفني التفاته إلى صفات البشرية رأساً ولست أعني بفنائه فناء جسده بل فناء قلبه، ولست أعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له

يغدو فيها ويروح **(ويعيد البيت)** المذكور **(إلى الغداة والدم يجري)** وفي نسخة يخرج **(من رجليه حتى ورمت قدماه وساقاه، وعاش بعده أياماً ومات رحمه الله تعالى. فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد وهي أعلى الدرجات لأن السماع على الأحوال نازل عن درجات الكمال وهي ممتزجة بصفات البشرية وهو نوع قصور)** عند أهل العرفان، **(وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله أعني أنه ينساها فلا يبقى له التفات إليها)** أي إلى الأحوال وإلى النفس، **(كما لم يكن للنسوة التفات إلى اليد والسكين)** وفي نسخة إلى الأيدي والسكاكين، **(فيسمع بالله وفي الله ولله ومن الله)** وإليه يشير ما نقله القشيري عن بندار بن الحسين بعد أن نقل من يسمع بطبع وبحال فقال: وأما من يسمع بحق فيسمع بالله ولله ولا يتصف بهذه الأحوال التي هي ممزوجة بالحظوظ البشرية فإنها مبناة مع العلل فيسمعون من حيث ابقاء التوحيد بحق لا بحظ. ونقل أيضاً عن بعضهم أن أهل السماع على ثلاث طبقات أبناء الحقائق يرجعون في سماعهم إلى مخاطبة الحق لهم، وضرب يخاطبون الله تعالى بقلوبهم بمعاني ما يسمعون فهم مطالبون بالصدق فيما يشيرون به إلى الله تعالى، وثالث هو فقير مجرد قطع العلاقات من الدنيا والآفات يسمعون بطيبة قلوبهم وهؤلاء أقربهم إلى السلامة اهـ.

(وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق) فظفر منها بلطائف الرقائق **(وعبر ساحل الأحوال والأعمال)** ولم يقف عندها، **(واتحد بصفاء التوحيد)** الخالص من كدورات الشبه **(وتحقق بمحض الإخلاص)** أي تمكن منه، **(فلم يبق فيه منه)** أي من نفسه **(شيء أصلاً بل خمدت بالكلية بشريته)** وزالت صفاتها **(وفني التفاتها إلى صفات البشرية رأساً)** أي من أصله، ومن ههنا ترقى العارفون من حضيض المجاز إلى ارتفاع الحقيقة واستكملوا معراجهم، فرأوا بالمشاهدة العبرانية أن ليس في الوجود إلا الله وكل شيء سواه إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض، وإذا اعتبر من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأوّل رأى موجوداً إلا في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجده فيكون الموجود وجه الله فقط، **(ولست أعني بفنائه فناء جسده بل فناء**

إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي هو من أمر الله عز وجل ـ عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ـ ولذلك السر وجود . وصورة ذلك الوجود ما يحضر فيه فإذا حضر فيه غيره فكأنه لا وجود إلا للحاضر . ومثاله المرآة المجلوة إذ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها ، وكذلك الزجاجة فإنها تحكي لون قرار ما ولونها لون الحاضر فيها . وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ، ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان، ويعرب من هذه الحقيقة ـ أعني سر القلب بالإضافة إلى ما يحضر فيه ـ قول الشاعر :

قلبه ، ولست أعني بالقلب اللحم والدم بل سر لطيف له إلى القلب الظاهر نسبة خفية وراءها سر الروح الذي هو من أمر الله عز وجل عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ، ولذلك السر وجود . وصورة ذلك الوجود وما يحضر فيه فإذا حضر فكأنه لا وجود إلا للحاضر) .

قال المصنف في كيمياء السعادة: وليس القلب هذه القطعة اللحم التي في الصدر من الجانب الأيسر لأنه يكون في الدواب ويكون في الموتى ، وكل شيء تبصره بعين الظاهر ، فهو من هذا العالم الذي سمي عالم الشهادة ، وأما حقيقة القلب فليس من هذا العالم لكنه من عالم الغيب فهو في هذا العالم غريب ، ثم قال: والروح من عالم الأمر ، والإنسان من عالم الخلق من جانب فكل شيء يجوز عليه المساحة والمقدار والكيفية ، فهو من عالم الخلق وليس للقلب مساحة ولا مقدار ، ولهذا لا يقبل القسمة ولو قبل القسمة لكان من عالم الخلق ، وكان من جانب الجهل ومن جانب العلم وكل شيء يكون فيه جهل وعلم فهو محال وفي معنى آخر هو من عالم الأمر له عبارة عن شيء من الأشياء ولا يكون عليه طريق المساحة والكيفية .

(ومثاله: المرآة المجلوة إذ ليس لها لون في نفسها ، بل لونها لون الحاضر فيها ، وكذلك الزجاجة فإنها تحكي لون قرارها ولونها لون الحاضر في نفسها وليس لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصورة ، ولونها هو هيئة الاستعداد لقبول الألوان) .

قال المصنف في المقصد الأسنى: من ينظر إلى مرآة انطبعت فيها صورة متلوّنة فيظن أن تلك الصورة صورة المرآة وأن ذلك اللون لون المرآة وهيهات بل المرآة في ذاتها لا لون لها وشأنها قبول صور الألوان على وجه يتخايل إلى الناظرين إلى ظاهر الأمور إن ذلك هو صورة المرآة حقاً حتى أن الصبي إذا رأى إنساناً في المرآة ظن أن الإنسان في المرآة ، فكذلك القلب خال من الصورة في نفسه عن الهيئات وإنما هيئاته قبول معاني الهيئات والصور والحقائق فما يحله يكون كالمتحد به لا أنه كالمتحد به تحقيقاً ، ومن لا يعرف الزجاج والخمر إذا رأى زجاجة فيها خمر لم يدرك تباينهما فتارة يقول لا خمر وتارة يقول لا زجاجة .

(ويعرب عن هذه الحقيقة في القلب بالإضافة إلى ما يحضر قول الشاعر) :

رق الزجاج ورقّت الخمرُ   فتشابها فتشاكل الأمرُ
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ   وكأنما قدح ولا خمرُ

وهذا مقام من مقاماتِ علوم المكاشفة منه نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد، وقال أنا الحق وحوله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حلولها فيها على ما اختلفت فيه عباراتهم وهو غلط محض يضاهي غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة إذ ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها، وإذا كان هذا غير

(رق الزجاج ورقت الخمر   وتشابها فتشاكل الأمرُ
فكأنما خمر ولا قدح   وكأنما قدح ولا خمرُ)

وقال في مشكاة الأنوار بعد كلام ساقه في وحدة الوجود: ولا يبعد أن يفجأ الإنسان مرآة فينظر فيها ولم ير المرآة فقط، فيظن أن الصورة التي يرى في المرآة هي صورة المرآة متحدة بها، ويرى الخمر في الزجاج فيظن أن الخمر لون الزجاج، فإذا صار ذلك عنده مألوفاً ورسخ فيه قدمه استغربه فقال: رق الزجاج ورقت الخمر الخ. وفرق بين أن يقول الخمر قدح وبين أن يقول كأنه القدح. وهذه الحالة إذا غلبت سميت بالإضافة إلى صاحب الحالة فناء بل فناء الفناء لأنه فني عن نفسه وفني عن فنائه فإنه ليس يشعر في تلك الحال ولا يعدم شعوره ولو شعر بعدم شعوره بنفسه كان قد شعر بنفسه، وتسمى هذه الحال بالإضافة إلى المستغرق به بلسان المجاز اتحاداً وبلسان الحقيقة توحيداً.

(وهذا مقام من مقامات علوم المكاشفة) ووراءها أيضاً أسرار يطول الخوض فيها. **(منها نشأ خيال من ادعى الحلول والاتحاد وقال: أنا الحق)** كما صدر من الحلاج، أو سبحاني ما أعظم شأني كما صدر عن أبي يزيد البسطامي، **(وحولها يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت أو تدرعها بها أو حلول فيها على ما اختلفت فيه عباراتهم وهو خطأ محض يضاهي غلط من يحكم على المرآة بصورة الحمرة إذا ظهر فيها لون الحمرة من مقابلها)**.

قال المصنف في مشكاة الأنوار: العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة اتفقوا أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق، لكن منهم من كان له هذه الحال عرفاناً علمياً، ومنهم من صار له ذلك ذوقاً حالاً وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة واستوفيت فيها عقولهم، فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر انفسهم أيضاً، فلم يكن عندهم إلا الله فسكر واسكرا وقع دون سلطان عقولهم، فقال أحدهم: أنا الحق، وقال الآخر: سبحاني ما أعظم شأني، وقال الآخر: ما في الجبة إلا الله، وكلام العشاق في حال السكر يطوي ولا يحكي، فلما خف عنهم سكرهم وردوا إلى سلطان العقل الذي هو ميزان الله في أرضه عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل يشبه مثل قول العاشق في حال فرط:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا .

ثم أورد الكلام الذي أسبقناه قريباً .

وقال في المقصد الأسنى عند ذكر اسمه الحق : حظ العبد من هذا الاسم أن يرى نفسه باطلاً ولا يرى غير الله حقاً ، والعبد وإن كان حقاً فليس هو حقاً لنفسه بل هو حق لغيره وهو الله سبحانه وتعالى ، فإنه موجود به لا بذاته بل هو بذاته باطل لولا إيجاد الحق له فقد أخطأ من قال : أنا الحق إلا بأحد وجهين. أحدهما : أن يعني انه بالحق وهذا التأويل بعيد لأن اللفظ لا ينبيء عنه ولأن ذلك لا يخصه بل كل شيء سوى الحق فهو بالحق. الثاني : أن يكون مستغرقاً بالحق حتى لا يكون فيه مستمع لغيره وما أخذ كلية الشيء واستغرقه فقد يقال انه كان قال الشاعر :

أنـا من أهوى ومن أهوى أنا .

ويعني به الاستغراق وأهل التصوّف لما كان الغالب عليهم رؤية فناء أنفسهم مـن حيـث ذاتهم وملاحظتهم جانب الحق كان الجاري على ألسنتهم من أسماء الله تعالى في أكثر الأحوال اسم الحق لأنهم يلحظون الذات بالحقيقة دون ما هو هالك في نفسه ، وقال في خاتمة هذا الكتاب : وحيث يطلق الاتحاد ويقول هو هو لا يكون إلا بطريق التوسع والتجوّز اللائق بعادة الصوفية والشعراء ، فإنهم لأجل تحسين موقع الكلام في الأفهام يسلكون سبيل الإستعارة كما يقول الشاعر :

أنامن أهوى ومن أهوى أنا .

وذلك مؤوّل عند الشاعر فإنه لا معنى لأنه هو تحقيقاً بل كأنه هو ، فإنه مستغرق الهم به كما يكون هو مستغرق الهم بنفسه فيعبر عن هذه الحالة بالاتحاد على سبيل التجوّز وعليه ينبغي أن يحمل كلام أبي يزيد حيث قال : انسلخت نفسي عن نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها ، فنظرت فإذا أنا هو فيكون معناه أن ينسلخ من شهـوات نفسـه وهـواهـا وهمهـا فلا يبقـى فيـه متسـع لغير الله تعـالى ولا يكون همه سوى الله تعالى ، وإذا لم يحل في القلب إلاَّ جلال الله تعالى وجماله حتى صار مستغرقاً به يصير كأنه هو لا أنه هو تحقيقاً ، وفرق بين قولنا هو هو ، وبين قولنا كأنه هو ، ولكن قد يعبر بقولنا هو هو عن قولنا كأنه هو ، وهذه مزلة قدم فإن من ليس له قدم راسخ في المعقولات ربما لم يتميز له أحدهما عن الآخر فينظر إلى كمال ذاته ، وقد تزين بما تلألأ فيه من حلية الحق فيظن أنه هو فيقول : أنا الحق وهو غالط غلط النصارى حيث رأوا ذلك في ذات عيسى عليه السلام ، فقالوا : هو الإله بل من غلط من ينظر إلى مرآة انطبعت فيها صورة متلونة ، ثم ساق الكلام الذي ذكرته قريباً ، ثم قال : وقول من قال : أنا الحق إما أن يكون معناه قول الشاعر أنا من أهوى ، وإما أن يكون قد غلط في ذلك كما غلط النصارى في ظنهم إتحاد اللاهوت بالناسوت ، وقول أبي يزيد إن صح عنه : سبحاني ما أعظم شأني إما أن يكون جارياً على لسانه في معرض الحكاية من الله تعالى ، وإما أن يكون قد شاهد كمال حظه في صفة القدس عن باب الترقيات عاجز عن قدس نفسه وقال :

لائق بعلم المعاملة فلنرجع إلى الغرض، فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم المسموعات.

المقام الثاني: بعد الفهم والتنزيل الوجد. وللناس كلام طويل في حقيقة الوجد -أعني الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للأرواح- فلننقل من أقوالهم ألفاظاً ثم لنكشف عن الحقيقة فيه.

أما الصوفية؛ فقد قال ذو النون المصري رحمه الله في السماع: إنه وارد حق جاء يزعج القلوب إلى الحق، فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق. فكأنه عبَّر عن الوجد بانزعاج القلوب إلى الحق وهو الذي يجده عند ورود السماع إذا سمي السماع وارد حق. وقال أبو الحسين الدراج مخبراً عما وجده في السماع :الوجد عبارة عما

سبحاني أي عظم شأنه بالإضافة إلى شأن عموم الخلق فقال: ما أعظم شأني وهو مع ذلك يعلم أن قدسه وعظم شأنه بالإضافة إلى الخلق ولا نسبة أن قدس الرب وعظم شأنه، وإما أن يكون قد جرى هذا اللفظ في سكر وغلبات الأحوال، فإن الرجوع إلى الصحو واعتدال الحال يوجب حفظ اللسان عن الألفاظ الموهمة، وحال السكر ربما لا يحتمل ذلك، فإن جاوزت هذين التأويلين إلى الاتحاد فذلك محال قطعاً، وأما الحلول فإن المفهوم منه أمران. أحدهما: النسبة التي بين الجسم وبين مكانه الذي يكون فيه وذلك لا يكون إلا بين جسمين، فالبريء عن معنى الجسمية يستحيل في حقه ذلك والثاني: النسبة التي بين العرض والجوهر، فإن العرض يكون قوامه بالجوهر، فقد يعبر بأنه حال فيه، وذلك محال على كل ما قوامه بنفسه فدع عنك ذكر الرب تعالى في هذا العرض، فإن كل ما قوامه بنفسه يستحيل أن يحل فيما قوامه بنفسه إلا بطريق المجاورة الواقعة بين الأجسام فلا يتصوّر الحلول بين عبدين، فكيف يتصوّر بين العبد والرب، فإذا بطل الحلول والانتقال والاتحاد لم يبق لقولهم معنى إلا ما أشرنا إليه والله أعلم.

(وإن كان هذا غير لائق بعلم المعاملة فلنرجع إلى الغرض فقد ذكرنا تفاوت الدرجات في فهم المسموعات) فنقول:

(المقام الثاني: بعد الفهم والتنزيل الوجد وللناس كلام طويل في حقيقة الوجد. أعني الصوفية والحكماء الناظرين في وجه مناسبة السماع للأرواح، فلننقل من أقوالهم ألفاظاً) رويت عنهم ونسبت إليهم، **(ثم لنكشف)** الغطاء **(عن)** وجه **(الحقيقة فيه)**.

(أما الصوفية فقد قال ذو النـون المصري رحمه الله تعالى في السماع) لما سئل عنه: **(أنه وارد حق)** أي وارد ورد من الحق تعالى وهو وارد قولاً لا يشوبه الباطل **(جاء يزعج القلوب)** أي يحركها **(إلى الحق)** تعالى، **(فمن أصغى بنفس)** وطبع تزندق هكذا نقله القشيري في الرسالة **(فكأنه عبَّر عن الوجود بانزعاج القلوب إلى الحق)** تعالى، **(وهو الذي يجده عند ورود وارد السماع إذ سمى السماع وارد حق. وقال أبو الحسين الدراج)** بن الحسين الرازي

يوجد عند السماع، وقال: جال بي السماع في ميادين البهاء فأوجدني وجود الحق عند العطاء فسقاني بكأس الصفاء فأدركت به منازل الرضاء وأخرجني إلى رياض التنزه والفضاء. وقال الشبلي رحمه الله: السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة، فمن عرف الإشارة حل له استماع العبارة وإلاَّ فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية. وقال بعضهم: السماع غذاء الأرواح لأهل المعرفة لأنه وصف يدق عن سائر الأعمال ويدرك برقة الطبع لرقته وبصفاء السر لصفائه ولطفه عند أهله. وقال عمرو بن عثمان المكي: لا يقع على كيفية الوجد عبارة لأنه سر الله عند عباده المؤمنين الموقنين. وقال بعضهم: الوجد مكاشفات

نزيل بغداد تقدم ذكره قريباً (**مخبراً عما وجده في السماع والوجد عبارة عما يوجد عند السماع**) وهذه جملة معترضة (**وقال: جال بي السماع**) أي اضطرب ودار (**في ميادين البهاء**) أي الحال والهيبة أو المراد عظمة الله عز وجل. (**فأوجدني وجود الحق عند العطاء فسقاني**) وفي نسخة فاسقاني (**بكأس الصفا فأدركت به منازل الرضا، وأخرجني إلى رياض النزهة والعناء**) وفي بعض النسخ المتنزه من النزهة وفي أخرى: الزهد وفي أخرى: الصفاء بدل العناء. (**وقال**) أبو بكر (**الثعلبي**) رحمه الله تعالى لما سئل عن (**السماع**) فقال: (**ظاهره فتنة**) لما فيه غناء بأصوات حسنة وربما كان آلات (**وباطنه عبرة**) للسامع بما يفهمه مما سمعه مما يدل على المحبة والشوق والقرب والبعد ونحو ذلك، (**فمن عرف الإشارة من الكلام حل له استماع العبرة وإلاَّ فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية**) لعدم معرفته الإشارة نقله القشيري في الرسالة. (**وقال بعضهم: السماع غذاء الأرواح لأهل المعرفة**) ولفظ الرسالة وقيل: السماع لطف غذاء الأرواح لأهل المعرفة أي أرواحهم تتغذى وتعيش بالمعاني اللطيفة التي تفهم عن السماع ويقوى لها جدها وطلبها ويدوم أنسها بمحبوبها ويظهر عليها طربها، (**لأنه وصف يدق عن سائر الأعمال ويدرك برقة الطبع لرقته**) لمن كان سماعه من طبع (**وبصفاء السر**) الذي في القلب (**لصفائه ولطفه عند أهله**) وهم الذين سماعهم بحق عن حق. (**وقال عمرو بن عثمان المكي**) أبو عبد الله شيخ القوام وإمام الطائفة في الأصول والطريقة، صحب أبا سعيد الخراز وغيره، ومات ببغداد سنة ٢٧١: (**لا يقع على كيفية الوجد عبارة**) يعبر بها عنه (**لأنه سر الله تعالى عند عباده المؤمنين الموقنين**) ولفظ الرسالة في ترجمة عمرو بن عثمان المذكور وقال: **لا يقع على الوجد عبارة لأنه سر الله عند المؤمنين** اهـ.

أي يعسر عليهم التعبير عنه وإن كان محسوساً لهم وإذا عسرت العبارات عن تمييز هذه المحسوسات فعسرها عن موارد القلوب، ومما يفتح به الحق من أحوال القلوب أولى وإنما يفسرها من منّ الله تعالى عليهم بها بالاشارات ويقربها بالأمثال من الأمور المعلومة.

(**وقال بعضهم: الوجد من مكاشفات الحق**) للعبد توجب استغراقه فيه. وفي الرسالة: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول، سمعت أبا علي الروذباري يقول وقد

من الحق. وقال أبو سعيد بن الاعرابي: الوجد رفع الحجاب ومشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب ومحادثة السر وإيناس المفقود، وهو فناؤك من حيث أنت، وقال أيضاً: الوجد أوّل درجات الخصوص وهو ميراث التصديق بالغيب فلما ذاقوه وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب. وقال أيضاً: الذي يحجب عن الوجد رؤية آثار النفس والتعلق بالعلائق والأسباب، لأن النفس محجوبة بأسبابها فإذا انقطعت الأسباب وخلص الذكر وصحا القلب ورق وصفا ونجعت المواظبة فيه وحل من المناجاة في محل قريب وخوطب وسمع الخطاب بأذن واعية وقلب شاهد وسر ظاهر فشاهد ما كان منه خالياً، فذلك هو الوجد لأنه قد وجد ما كان معدوماً عنده. وقال أيضاً: الوجد ما يكون عند ذكر مزعج أو خوف مقلق أو توبيخ على زلة أو محادثة بلطيفة أو إشارة إلى فائدة أو شوق إلى غائب أو أسف على فائت أو ندم على ماض أو استجلاب إلى حال أو

سئل عن السماع فقال: مكاشفة الأسرار إلى مشاهدة المحبوب. **(وقال أبو سعيد)** أحمد بن محمد ابن زياد البصري **(ابن الأعرابي)** صاحب الجنيد، وعمر بن عثمان المكي، وأبا الحسين النوري وغيرهم جاور الحرم ومات به سنة ثلاثمائة واحدى وأربعين: **(الوجد رفع الحجاب)** من البين، **(ومشاهدة الرقيب)** بلا كيف وأين **(وحضور الفهم)** في معاني ما يسمع، **(وملاحظة الغيب)** مما يرد عليه من الواردات السرية، **(ومحادثة السر)** بلسان السر، **(وايناس المفقود وهو فناؤك أنت من حيث أنت)** أي فناؤك عن نفسك من حيث هي وبما لها من الحظوظ البشرية وهذا القول يشير إلى أن الوجد عين الوجود وفيه خلاف ستأتي الإشارة إليه. **(وقال أيضاً: الوجد أولى درجات الخصوص)** هم الذين اختصهم الله تعالى بمعرفته **(وهو ميراث التصديق بالغيب)** أي ثمرته، **(فلما ذاقوه)** بقواهم الروحانية **(وسطع في قلوبهم نوره زال عنهم كل شك وريب، وقال أيضاً: الذي يحجب عن الوجود)** أي عن حصوله في السالك عند السماع **(رؤية آثار النفس)** والتطلع إلى الأحول **(والتعلق بالعلائق والأسباب)** مع الالتفات إليها، **(لأن النفس محجوبة بأسبابها، فإذا انقطعت الأسباب)** بترك الالتفات إليها وعدم التعلق بها **(وخلص الذكر)** عن الشوائب **(وصحا القلب)** عن الغفلة **(ورق)** برقة السر **(وصاف)** عن الكدر **(نجحت الموعظة فيه)** أي أثرت ونفعت، **(وحل من المناجاة)** السرية **(في محل غريب وخوطب)** وكوشف **(وسمع الخطاب بأذن واعية)** أي حافظة **(وقلب شاهد)** لما يكاشف به، **(وسر ظاهر يشاهد ما كان منه غائباً ذلك هو الوجد لأنه قد وجد معدوماً عنده)** مفقوداً لديه. **(وقال أيضاً: الوجد ما يكون عند ذكر مزعج)** أي محرك الى الحق تعالى، **(أو خوف مقلق)** من أليم حجابه، **(أو توبيخ على زلة)** صدرت منه، **(أو محادثة بلطيفة)** من لطائفه، **(أو إشارة إلى فائدة)** لاحت له، **(أو شوق باعث إلى غائب)** اشتاق إليه، **(أو أسف)** أي حزن **(على فائت)** من الأحوال الشريفة، **(أو ندم على**

داع إلى واجب أو مناجاة بسر، وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج مالك بما عليك مما سبق لك السعي فيه فيكتب ذلك لك بعد كونه منك، فيثبت لك قدم بلا قدم وذكر بلا ذكر، إذ كان هو المبتدىء بالنعم والمتولي، وإليه يرجع الأمر كله، فهذا ظاهر علم الوجد وأقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة.

وأما الحكماء فقال بعضهم: في القلب فضيلة شريفة لم تقدر قوّة النطق على إخراجها باللفظ فأخرجتها النفس بالألحان، فلما ظهرت سرت وطربت إليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر. وقال بعضهم: نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأي واستجلاب العازب من الأفكار وحدة الكالّ من الأفهام والآراء حتى يثوب ما عزب

ماض) من عمره في غير معرفة، **(أو استجلاب إلى حال)** يرجو التمكن فيه، **(أو داع إلى واجب أوجبه)** الله تعالى عليه، **(أو مناجاة بسر)** فصاحب الوجد يتأمل في سماعه عند عروض هذه الأحول ما يرد عليه منه. **(وهو مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسر بالسر واستخراج مالك بما عليك مما سبق لك لتسعى فيه، فكتب ذلك لك بعد كونه منك فيثبت لك قدم بلا قدم، وذكر بلا ذكر وإن كان هو المسدي بالنعم والمتولي)** للأمور كلها، **(وإليه يرجع الأمر كله، فهذا ظاهر علم الوجد وأقوال الصوفية من هذا الجنس في الوجد كثيرة)**، فمن ذلك قول الجنيد: السماع فتنة لمن طلبه ترويح لمن صادفه. وقال أبو يعقوب الهرجوري: هو حال يبدي الرجوع إلى الأسرار من حيث الاحتراق، وقال أبو علي الدقاق: السماع طبع إلا عن شرع وحزن إلا عن حرق وفتنة إلا عن عبرة. وقال بعضهم: السماع نداء والوجد قصد. وقال الاستاذ أبو سهل الصعلوكي: المستمع بين استتار وتجل، فالاستتار يوجب التلهيب، والتجلي يورث الترويح والاستتار تتولد منه حركات المريدين وهو محل الضعف والعجز والتجلي يتولد منه سكون الواصلين وهو محل الاستكانة والتمكين، وكذلك محل الحضرة ليس فيها إلا الذبول تحت مورد الهيئة. وقال سهل التستري: السماع علم استأثر الله به لا يعلمه إلا هو كل ذلك نقله القشيري في الرسالة.

(وأما الحكماء فقال بعضهم: في القلب فضيلة شريفة تقدر) وفي نسخة: لم تقدر **(على قوّة النطق إخراجها باللفظ فاخرجتها النفس بالألحان، فلما ظهرت)** تلك الفضيلة **(سرت وطربت إليها فاستمعوا من النفس وناجوها ودعوا مناجاة الظواهر)** أي تركوها. **(وقال بعضهم: نتائج السماع استنهاض العاجز من الرأي واستجلاب العازب من الأفكار)** وفي نسخة: الفكر **(وحدة الكالّ)** بتشديد اللام **(عن الأفهام والآراء حتى يثور)** أي يتحرك، وفي نسخة يثوب أي يرجع **(ما عزب)** أي غاب **(وينهض)** أي يقوم **(ما عجز)** ويحتدما

وينهض ما عجز ويصفو ما كدر ويمرح في كل رأي ونية، فيصيب ولا يخطىء ويأتي ولا يبطىء. وقال آخر: كما أن الفكر يطرق العلم إلى المعلوم فالسماع يطرق القلب إلى العالم الروحاني. وقال بعضهم وقد سئل عن سبب حركة الأطراف بالطبع على وزن الألحان والإيقاعات فقال: ذلك عشق عقلي والعاشق العقلي لا يحتاج إلى أن يناغي معشوقه بالمنطق الجرمي بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والإشارة، وهذه نواطق أجمع إلا أنها روحانية، وأما العاشق البهيمي فإنه يستعمل المنطق الجرمي ليعبر به عن ثمرة ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائف. وقال آخر: من حزن فليسمع الألحان. فإن النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها، وإذا فرحت اشتعل نورها

كل (**ويصفو ما كدر ويخرج من كل رأي ونية فيفيب ولا يخطىء ويأتي ولا يبطيء . وقال آخر: كما أن الفكر يطرق العلم إلى المعلوم فالسماع يطرق القلب إلى العالم الروحاني، وقال بعضهم وقد سئل عن حركة سبب الاطراق بالطبع على وزن الالحان والإيقاعات فقال: ذلك عشق عقلي من العاشق العقلي والعاشق العقلي لا يحتاج إلى أن يناغي معقوله**) أي يساروه (**بالنطق الجرمي، بل يناغيه ويناجيه بالتبسم واللحظ والحركة اللطيفة بالحاجب والجفن والإشارة، وهذه نواطق أجمع إلا انها روحانية، وأما العاشق البهيمي فإنه يستعمل الجرمي ليعبر به عن ثمرة ظاهر شوقه الضعيف وعشقه الزائف**) المبهرج، وأوضحه صاحب العوارف فقال: ووجه آخر إنما تستلذ الروح النغمات لأن النغمات بها نطق النفس مع الروح بالإيماء الخفي إشارة ورمزاً بين المتعاشقين وبين النفوس والأرواح تعاشق أصلي ينزع ذلك إلى أنوثة النفس وذكورة الروح والميل والتعاشق بين الذكر والانثى بالطبيعة واقع. قال الله تعالى ﴿وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ [الأعراف: ١٨٩] في قوله: منها اشعار بتلازم وتلاصق موجب للائتلاف والتعاشق والنغمات تستلذها الروح لأنها مناغاة بين المتعاشقين، وكما أن في عالم الحكمة كوّنت حواء من آدم كذلك في عالم القدرة كوّنت النفس من الروح، فهذا التآلف من هذا الأصل، وذلك أن النفس روح حيواني تجنس بالقلب من الروح الروحاني وتجنسها بأن امتازت من أرواح جنس الحيوان فشرف القرب من الروح الروحاني فصار نفساً فإذا تكوّن النفس من الروح الروحاني في عالم القدرة لتكوّن حواء من آدم في عالم الحكمة، فهذا التآلف والتعاشق ونسبة الذكورة والأنوثة من ههنا ظهر، وبهذا الطريق استطاب الروح النغمات لأنها مراسلات بين المتعاشقين ومكالمة بينهما، وقد قال القائل:

تكلم منـــا في الوجـــوه عيـــوننـــا ونحن سكـــــــــوت والهوى يتكلم

انتهى وقد سبق سياق ذلك في أوّل الكتاب مبسوطاً.

(**وقال آخرون: من حزن فليسمع الألحان**) ومنه قول بعضهم: من ابتلى بالأحزان فعليه بسماع الألحان، (**فإن النفس إذا دخلها الحزن خمد نورها**) وعزب سرورها، (**وإذا فرحت**

وظهر فرحها فيظهر الحنين بقدر قبول القابل وذلك بقدر صفائه ونقائه من الغش والدنس.

والأقاويل المقررة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار من إيرادها، فلنشتغل بتفهيم المعنى الذي الوجد عبارة عنه فنقول: إنه عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع يجده المستمع من نفسه. وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين: فإنها إما أن ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتنبيهات، وإما أن ترجع إلى تغيرات وأحوال ليست من العلوم بل هي كالشوق والخوف والحزن والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والقبض، وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها، فإن ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغيير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجداً، وإن ظهر على الظاهر سمي وجداً إما ضعيفاً وإما قوياً بحسب ظهوره وتغييره للظاهر وتحريكه بحسب قوة وروده، وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوّة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه، فقد يقوى الوجد في الباطن ولا يتغير الظاهر

اشتعل نورها وظهر فرحها فيظهر الحزن بقدر صفائه ونظافته) ونقائه (**من الغش والدنس**) المعنوي.

(**والأقاويل المقررة في السماع والوجد كثيرة ولا معنى للاستكثار من إيرادها**) إذ ما ذكر فيه مقنع للمسترشد، (**فلنشتغل بفهم المعنى الذي الوجد عبارة عنه، فنقول: إنه**) أي الوجد (**عبارة عن حالة يثمرها السماع وهو وارد حق جديد عقيب السماع**) أي عنده (**يجده المستمع من نفسه**) وهو يشعر بسابقة فقد، فمن لم يفقد لم يجد، وإن كان الفقد لمزاحمة وجود العبد بوجود صفاته وبقاياه، (**وتلك الحالة لا تخلو عن قسمين فإما ان ترجع إلى مكاشفات ومشاهدات هي من قبيل العلوم والتشبيهات، وإما ان ترجع إلى تعبيرات وأحوال ليست من هذا**) القبيل، (**بل هي كالشوق والحزن والخوف والقلق والسرور والأسف والندم والبسط والقبض**) وهذه المواجيد ثمرات للأعمال والواردات، (**وهذه الأحوال يهيجها السماع ويقويها فإن ضعف بحيث لم يؤثر في تحريك الظاهر أو تسكينه أو تغير حاله حتى يتحرك على خلاف عادته أو يطرق**) برأسه، (**أو يسكن عن النظر والنطق والحركة على خلاف عادته لم يسم وجداً، وإن ظهر على الظاهر سمي وجداً إما ضعيفاً وإما قوياً بحسب ظهوره وتغيره للظاهر وتحريكه بحسب قوّة وروده، وحفظ الظاهر عن التغيير بحسب قوّة الواجد وقدرته على ضبط جوارحه فقد يقوى الوجد في الباطن، ولا يتغير الظاهر لقوّة صاحبه، وقد لا**

لقوّة صاحبه، وقد لا يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك. وإلى المعنى الأوّل أشار أبو سعيد بن الأعرابي حيث قال في الوجد: إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب، ولا يبعد أن يكون السماع سبباً لكشف ما لم يكن مكشوفاً قبله، فإن الكشف يحصل بأسباب: منها: التنبيه والسماع منبه، ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها وإدراكها فإن إدراكها نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورود، ومنها، صفاء القلب والسماع يؤثر في تصفية القلب والصفاء سبب الكشف، ومنها: انبعاث نشاط القلب بقوّة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوّته، كما يقوى البعير على حمل ما كان لا يقوى عليه قبله. وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار الملكوت، كما أن عمل البعير حمل الأثقال فبواسطة هذه الأسباب يكون سبباً للكشف، بل القلب إذا صفا ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة أو في لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف إذا كان في اليقظة، وبالرؤيا إذا كان في المنام، وذلك جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة، وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم

يظهر لضعف الوارد وقصوره عن التحريك وحل عقد التماسك، وإلى المعنى الأول اشار أبو سعيد بن الأعرابي) فيما تقدم من سياق كلامه **(حيث قال في الوجد: إنه مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب، ولا يبعد أن يكون السماع سبباً لكشف ما لم يكن مكشوفاً قبله)** ولا بدع في ذلك، **(فإن الكشف يحصل بأسباب، منها: التنبيه والسماع منبه لأمور كان قبله في غفلة عنها، ومنها: تغير الأحوال)** وتلونها **(ومشاهدتها وإدراكها)** في نفسه **(فإن إدراكها)** أي الأحوال **(نوع علم يفيد إيضاح أمور لم تكن معلومة قبل الورود)** والسماع سبب لإدراكها، **(ومنها صفاء القلب والسماع يؤثر تصفية القلب)** عن الكدورات **(والصفاء سبب الكشف ومنها انبعاث نشاط القلب بقوّة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان تقصر عنه قبل ذلك قوّته كما يقوى البعير)** عند سماع الحداء **(على حمل ما كان لا يوقى عليه قبله)** وهذا مشاهد، **(وعمل القلب الاستكشاف وملاحظة أسرار الملكوت)** بعين السر، **(كما أن عمل البعير حمل الأثقال)** ولكل عمل رجال، **(فبواسطة هذه الأسباب يكون)** السماع **(سبباً للكشف بل القلب إذا صفا)** عن غش الكدورات **(ربما يمثل له الحق في صورة مشاهدة)** يطالعها بعين الباطن، **(وفي لفظ منظوم يقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف إذا كان في اليقظة و)** يعبر عنه أيضاً **(بالرؤيا إذا كان في المنام، وذلك جزء من)** ستة وأربعين جزءاً من **(النبوّة)** كما ورد ذلك في الخبر، **(وعلم تحقيق ذلك خارج عن علم المعاملة)** وقد تقدمت الإشارة إليه في مواضع من هذا الكتاب، **(كما روي عن)** أبي عبد الله **(محمد بن**

المعاملة وذلك كما روي عن محمد بن مسروق البغدادي أنه قال: خرجت ليلة في أيام جهالتي وأنا نشوان وكنت أغني بهذا البيت.

بطور سيناء كرم ما مررت به ... إلا تعجبت ممن يشرب الماء

فسمعت قائلاً يقول:

وفي جهنم ماء ما تجرعه ... خلق فأبقى له في الجوف أمعاء

قال: فكان ذلك سبب توبتي واشتغالي بالعلم والعبادة. فانظر كيف أثر الغناء في تصفية قلبه حتى تمثل له حقيقة الحق في صفة جهنم في لفظ مفهوم موزون وقرع ذلك سمعه الظاهر.

وروي عن مسلم العباداني أنه قال: قدم علينا مرة صالح المري وعتبة الغلام وعبد الواحد بن زيد ومسلم الاسواري فنزلوا على الساحل، قال: فهيأت لهم ذات ليلة طعاماً فدعوتهم إليه فجاءوا فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا بقائل يقول رافعاً صوته هذا البيت:

مسروق البغدادي) رحمه الله تعالى **(أنه قال: خرجت ليلة في أيام جاهليتي)** أي عنفوان شبابي **(وأنا نشوان)** أي سكران **(وكنت أغني بهذا البيت)** أي أردده لنفسي:

(بطرزنا ماء كرم ما مررت به ... الا تعجبت ممن يشرب الماء)

كذا في النسخ، وكأنه اسم بقعة. وفي بعض النسخ: بطور سيناء بدله **(فسمعت قائلاً)** وهو الهاتف يقول:

(وفي جهنم ماء ما تجرعه ... خلق وابقى له في الجوف امعاء)

(قال فكان ذلك سبب توبتي) عما كنت عليه **(واشتغالي بالعلم و)** اقبالي على **(العبادة، فانظر كيف أثر الغناء في تصفية قلبه حتى تمثل ذلك له حقيقة الحق من صفة جهنم في لفظ موزون قرع ذلك سمعه الظاهر)**. وقال صاحب الامتاع: عمل سماع فحضر أخي وحصل له فيه حال، فأصبح واهتم للسفر وسافر وحج من غير أب بعد أن أقام بها قريباً من عشرين سنة، ولم يحج فكان السماع سبباً لسفره من ارنو وليس ذلك من مجرد الشعر بل للالحان فيه تأثير وكم من سمع الغناء فحصل له ما هيمه من المعرفة.

(وروي عن مسلم العباداني) رحمه الله **(قال: قدم علينا مرة صالح)** بن بشير **(المري)** تقدمت ترجمته في كتاب العلم، **(وعتبة)** بن أبان **(الغلام)** تقدم ذكره قريباً، **(وعبد الواحد ابن زيد)** البصري تقدمت ترجمته في كتاب العلم، **(ومسلم الأسواري)** بفتح الهمزة **(ونزلوا على الساحل)** أي ساحل عبادان بقصد المرابطة، **(فهيأت لهم ذات يوم طعاماً فدعوتهم إليه فجاؤا، فلما وضعت الطعام بين أيديهم إذا قائل يقول)** من بعض أولئك المطوعة **(رافعاً صوته)**:

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيها غير نافعُ

قال: فصاح عتبة الغلام صيحة وخرّ مغشياً عليه وبقي القوم، فرفعت الطعام وما ذاقوا والله منه لقمة.

وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد أيضاً بالبصر صورة الخضر عليه السلام فإنه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة. وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للأنبياء عليهم السلام إما على حقيقة صورتها وإما على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة. وقد رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام مرتين في صورته وأخبر عنه بأنه سد الأفق

(وتلهيك عن دار الخلود مطاعم ولذة نفس غيها غير نافع)

(قال: فصاح عتبة الغلام صيحة خرّ مغشياً عليه وبكى القوم) لما سمعوا، **(فرفعت الطعام من بين أيديهم وما ذاقوا والله لقمة منه)**. أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عتبة الغلام فقال: حدثني أبي، حدثنا أحمد بن محمد بن عثمان، حدثنا أبو بكر بن عبيد قال: حدثت عن محمد قال: حدثني روح بن سلمة الوراق، حدثني مسلم العباداني قال: قدم علينا مرة صالح المري. وعتبة الغلام فذكره.

وقال حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا جعدة بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثنا سجف بن منظور قال: صنع عبد الواحد بن زيد طعاماً وجمع عليه نفراً من إخوانه وكان فيهم عتبة الغلام قال: فأكل القوم غير عتبة فإنه كان قائماً على رؤسهم يحدثهم قال: فالتفت بعضهم إلى عتبة فنظر إلى عينيه والدموع تنحدر منهما فسكت وأقبل على الطعام، فلما فرغ القوم من طعامهم تفرقوا، وأخبر الرجل عبد الواحد بما رأى من عتبة فقال له عبد الواحد: يا بني لم بكيت والقوم يطعمون؟ قال: ذكرت موائد أهل الجنة والخدم قيام على رؤوسهم، فشهق عبد الواحد شهقة خرَّ مغشياً عليه. قال سجف: وحدثني حصين بن القاسم قال: فما رأيت عبد الواحد بعد ذلك اليوم دعا إنساناً إلى منزله ولا أكل طعاماً إلا دون شبعه وإلاَّ فتر ضاحكاً حتى مضى لوجهه. قال: وأما عتبة فإنه جعل لله على نفسه أن لا يأكل إلا أقل من شبعه، ولا يشرب إلا أقل من ريّه، ولا ينام بالليل والنهار إلا أقل من نبهته.

(وكما يسمع صوت الهاتف عند صفاء القلب فيشاهد أيضاً بالبصر صورة الخضر عليه السلام فإنه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة) في أماكن شتى، **(وفي مثل هذه الحالات تتمثل الملائكة للانبياء)** عليهم السلام **(إما على حقيقة صورتها وإما على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة، ورأى رسول الله ﷺ جبريل)** عليه السلام **(مرتين في صورته)** الأصلية **(فأخبر عنه بأنه سدّ الأفق)**.

وهو المراد بقوله تعالى: ﴿علّمه شديدُ القوى ★ ذُو مرة فاستوى ★ وهو بالأفق الأعلى﴾ [النجم: ٥ ـ ٧] إلى آخر هذه الآيات. وفي مثل هذه الأحوال من الصفاء يقع الاطلاع على ضمائر القلوب، وقد يعبر عن ذلك الإطلاع بالتفرس، ولذلك قال ﷺ: « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله »، وقد حكي أن رجلاً من المجوس كان يدور على المسلمين ويقول: ما معنى قول النبي ﷺ: « اتقوا فراسة المؤمن » فكان يذكر له تفسيره

وأخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً « أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول ». ورواه مسلم كذلك.

وفي حديث جابر: بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه، **(وهذا المراد بقوله ﴿علمه شديد القوى﴾)** المراد به جبريل عليه السلام، وهذا يؤيد رواية من قال: يعلمني بدل فيكلمني **﴿ذو مِرّة فاستوى ★ وهو بالافق الأعلى﴾** إلى آخر الآيات من سورة النجم، **(وقد يعبر عن ذلك الاطلاع بالتفرس، ولذلك قال رسول الله ﷺ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى »)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد. وقال: حديث غريب اهـ.

قلت: ورواه في التفسير من جامعه وكذا أبو يعلى في مسنده، والعسكري في الأمثال كلهم من طريق عمرو بن قيس الملائي عن عطية العوفي، عن أبي سعيد به مرفوعاً ثم قرأ ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ [الحجر: ٧٥] وقد روي عن بعض أهل العلم في تفسير **(للمتوسمين)** قال: للمتفرّسين وكذا أخرجه الهروي والطبراني وأبو نعيم في الطب النبوي وابن عدي وغيرهم كالحكيم الترمذي وسمويه من طريق راشد بن سعد عن أبي أمامة مرفوعاً.

ويروى عن ابن عمر وأبي هريرة أيضاً، بل هو عند الطبراني وأبي نعيم والعسكري من طريق وهب بن منبه عن طاوس عن ثوبان مرفوعاً بلفظ: « احذروا دعوة المسلم وفراسته فإنه ينظر بنور الله وينظر بتوفيق الله » ولكن قال الخطيب: عقب أبي سعيد المحفوظ ما رواه سفيان عن عمرو بن قيس قال: كان يقال: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، وعند العسكري من حديث ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عمير بن هانيء، عن أبي الدرداء من قوله: اتقوا فراسة العلماء فإنهم ينظرون بنور الله إنه شيء يقذفه الله في قلوبهم وعلى ألسنتهم. وكلها ضعيفة وفي بعضها ما هو متماسك لا يليق مع وجوده الحكم على الحديث بالوضع، لاسيما وللبزار والطبراني وغيرهما كأبي نعيم في الطب بسند حسن عن أنس مرفوعاً « إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم ».

(وقد حكي أن واحداً من المجوس كان يدورعلى المسلمين وكان يقول) لهم: **(ما معنى قول النبي ﷺ « اتقوا فراسة المؤمن »)** الحديث، **(فكان)** كل من سأله **(يذكر له**

فلا يقنعه ذلك حتى انتهى إلى بعض المشايخ من الصوفية. فسأله، فقال له معناه: أن تقطع الزنار الذي على وسطك تحت ثوبك، فقال: صدقت هذا معناه وأسلم، وقال: الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق. وكما حكي عن ابراهيم الخواص قال: كنت ببغداد في جماعة من الفقراء في الجامع فأقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه فقلت لأصحابي: يقع لي أنه يهودي، فكلهم كرهوا ذلك، فخرجت وخرج الشاب ثم رجع إليهم وقال: أيّ شيء قال الشيخ فيّ؟ فاحتشموه فألح عليهم فقالوا له: قال إنك يهودي، قال: فجاءني وأكب على يدي وقبّل رأسي وأسلم، وقال: نجد في كتبنا أن الصديق لا تخطىء فراسته فقلت: أمتحن المسلمين فتأملتهم فقلت: إن كان فيهم صدّيق ففي هذه الطائفة، لأنهم يقولون حديثه سبحانه ويقرأون كلامه، فلبست عليكم فلما اطلع عليّ الشيخ وتفرس فيّ علمت أنه صديق قال، وصار الشاب من كبار الصوفية.

وإلى مثل هذا الكشف الإشارة بقوله عليه السلام: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء» وإنما تحوم الشياطين على القلوب إذا كانت

تفسيره ولا يقنعه ذلك حتى انتهى إلى بعض المشايخ من الصوفية فسأله فقال: معناه أن تقطع الزنار) وهو خيط الكفر (**الذي**) هو مشدود (**على وسطك تحت ثوبك، فقال: صدقت هذا معناه وأسلم**) في الحال، (**وقال: الآن عرفت أنك مؤمن وأن إيمانك حق. وكما حكي عن إبراهيم الخوّاص**) ترجمه القشيري في الرسالة (**قال: كنت ببغداد في جماعة من الفقراء في الجامع، فأقبل شاب طيب الريح حسن الوجه فقلت لأصحابي: يقع لي**) في نفسي (**أنه يهودي فكلهم كرهوا ذلك**) أي نظروا إلى ظاهر حاله (**فخرجت وخرج الشاب ثم رجع إليهم**) وسألهم (**وقال: أي شيء قال الشيخ فيّ**) أي في حقي؟ (**فاحتشموا**) من الجواب، (**فألح عليهم، فقالوا: قال إنك يهودي قال: فجاءني فأكب على يديّ**) يقبلها (**وقبل رأسي وأسلم**) على يدي (**وقال: نجد في كتبنا**) يعني السماوية (**أن الصديق لا تخطىء فراسته، فقلت**) في نفسي: (**امتحن المسلمين**) واختبرهم، (**فتأملتهم فقلت: إن كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة لأنهم يقولون حديثه سبحانه**) ويقرأون كلامه، (**فلبست عليكم**) وفي نسخة عليهم، (**فلما اطلع الشيخ عليّ وتفرس فيّ علمت أنه صديق. قال: وصار الشاب**) المذكور (**من كبار الصوفية**) أي فتح الله عليه ببركة صدقه وخدمته لهم فلحق بهم، وقد روي في صدق الفراسة لأفراد من رجال هذه الأمة ما هو مذكور في تراجمهم في مواضعه.

(**وإلى مثل هذا الكشف الإشارة بقوله ﷺ: لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء**) تقدم الكلام عليه في كتاب الصوم، (**وإنما تحوم الشياطين على القلوب إذا كانت مشحونة بالصفات المذمومة**) القبيحة، (**فإنها مرعى الشيطان**)

مشحونة بالصفات المذمومة فإنها مرعى الشيطان وجنده. ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه لم يطف الشيطان حول قلبه. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [الحجر: ٤٠] وبقوله تعالى: ﴿إن عبادي ليسَ لَكَ عليهم سلطان﴾ [الحجر: ٤٢] والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء.

وعلى هذا يدل ما روي أن ذا النون المصري رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوّال، فاستأذنوه في أن يقول لهم شيئاً. فأذن لهم في ذلك فأنشأ يقول:

صغير هـواك عـذبني ... فكيـف بـه إذا احتنكـا
وأنـت جمعـت في قلبي ... هـوىً قـد كـان مشتركـا
أمـا تـرثـي لمكتئـب ... إذا ضحـك الخلي بكـى

فقام ذو النون وسقط على وجهه، ثم قام رجل آخر فقال ذو النون: الذي يراك حين تقوم. فجلس ذلك الرجل وكان ذلك إطلاعاً من ذي النون على قلبه. انه متكلف

ومأواه، (**ومن خلص قلبه من تلك الصفات وصفاه**) عن الكدورات (**لم يطف الشيطان حول قلبه**) ولم يحم أصلاً، (**وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إلاّ عبادك منهم المخلصين﴾ وبقوله تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾**) أي تسليط واستيلاء، (**والسماع سبب لصفاء القلب وهو شبكة للحق بواسطة الصفاء، وعلى هذا يدل ما روي ان ذا النون المصري رحمه الله دخل بغداد فاجتمع إليه قوم من الصوفية ومعهم قوّال**) ينشد الشعر، (**فاستأذنوه**) أي ذا النون (**أن يقول**) القوّال بين يديه (**شيئاً فاذن لهم في ذلك فأنشأ يقول**):

(**صغير هـواك عـذبني ... فكيـف بـه إذا احتنكـا**)

أي استحكم واستولى وقهر.

(**وأنـت جمعـت مـن قلبي ... هـوى قـد كـان مشتركـا**)

وبعـد رضـاك تقتلني ... وقتلي لا يحل لكـا

(**أما ترثي**) أي أما ترق (**لمكتئب**) أي ذي حزن وكآبة (**إذا ضحك الخلي**) أي الخالي من الهم (**بكى**).

قال: (**فقام ذو النون**) وتواجد (**وسقط على وجهه**) مغشياً عليه من شدة وجده والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الأرض، (**ثم قام رجل آخر**) من القوم يتواجد لم يبلغ حاله ذي النون، (**فقال ذو النون: الذي يراك حين تقوم، فجلس ذلك الرجل**). أورده القشيري في

متواجد، فعرفه أن الذي يراه حين يقوم هو الخصم في قيامه لغير الله تعالى ولو كان الرجل صادقاً لما جلس. فإذاً قد رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات وإلى حالات، واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الإقامة منه وإلى ما لا تمكن العبارة عنه أصلاً، ولعلك تستبعد حالة أو علماً لا تعلم حقيقته ولا يمكن التعبير عن حقيقته، فلا تستبعد ذلك فإنك تجد في أحوالك القريبة لذلك شواهد.

الرسالة فقال: وحكي أحمد بن مقاتل العكي قال: لما دخل ذو النون المصري بغداد فساقه الخ. (وذلك إطلاع من ذي النون على قلبه أنه متكلف متواجد فعرفه أن الذي يراه حين يقوم هو الخصم في قيامه لغير الله تعالى، ولو كان الرجل صادقاً في وجده لما جلس)، ولفظ القشيري في الرسالة بعد سياق القصة: سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول في هذه الحكاية: كان ذو النون صاحب اشراف على ذلك الرجل حيث نبهه أن ذلك ليس مقامه، وكان ذلك الرجل صاحب انصاف حيث قبل ذلك منه فرجع وقعد اهـ.

وقال صاحب العوارف: وأما وجه الإنكار في السماع فهو أن يرى جماعة من المريدين دخلوا في مبادىء الإرادة ونفوسهم ما تمرنت على صدق المجاهدة حتى يحدث عندهم علم بظهور صفات النفس، وأحوال القلب حتى تنصبط حركاتهم بقانون العلم ويعلمون بما لهم وعليهم وحكي أن ذا النون لما دخل بغداد دخل عليه جماعة ومعهم قوّال فاستأذنوه فساق القصة ثم قال: فطاب قلبه وقام وتواجد وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يقع على الأرض، ثم قام واحد منهم فنظر إليه ذو النون فقال: الذي يراك حين تقوم فجلس الرجل فكان جلوسه لموضع صدقه وعلمه أنه غير كامل الحال الصالح للقيام متواجداً، فيقوم أحدهم من غير بصيرة وعلم في قيامه، وذلك إذا سمع إيقاعاً موزوناً بسمع يؤدي ما سمعه إلى طبع موزون فيتحرك بالطبع الموزون للصوت الموزون والإيقاع الموزون، وينسبل حجاب نفسه المنبسط بانبساط الطبع الموزون على وجه القلب، ويستفزه النشاط المنبعث من الطبع فيقوم يرقص موزوناً ممزوجاً بتصنع محرم عند أهل الحق ويحسب ذلك طيبة القلب، وما رأى وجه القلب وطيبة بالله تعالى. ولعمري هو طيبة القلب، ولكن قلب ملوث بلوث النفس ميال إلى الهوى موافق للرأي لا يهتدي إلى حسن النية في الحركات ولا يعرف شروط صحة الإرادات، ولمثل هذا الراقص قيل الرقص نقص لأنه رقص مصدره الطبع غير مقترن بنية صالحة انتهى.

(**فإذاً قد رجع حاصل الوجد إلى مكاشفات**) تحصل للبعض (**وإلى حالات**) تعتري للبعض فالأول لأهل القلب، والثاني لأهل الطبع، (**واعلم أن كل واحد منهما ينقسم إلى ما يمكن التعبير عنه عند الإفاقة، وإلى ما لا يمكن العبارة عنه أصلاً**) وإلى الاخير أشار عمرو ابن عثمان المكي بقوله: لا يقع على الوجد عبارة كما تقدم قريباً (**ولعلك تستبعد حالة أو علماً لا تعلم حقيقته، ولا يمكن التعبير عن حقيقته فلا تستبعد ذلك فإنك تجد في أحوالك القريبة لما شواهد**) لذلك.

أما العلم، فكم من فقيه تعرض عليه مسألتان متشابهتان في الصورة ويدرك الفقيه بذوقه أن بينهما فرقاً في الحكم؟ وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير وإن كان من أفصح الناس، فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه، وإدراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق ولا يشك في أن لوقوعه في قلبه سبباً وله عند الله تعالى حقيقة، ولا يمكنه الإخبار عنه لا لقصور في لسانه بل لدقة المعنى في نفسه عن أن تناله العبارة. وهذا مما قد تفطن له المواظبون على النظر في المشكلات.

وأما الحال؛ فكم من إنسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصبح فيه قبضاً أو بسطاً ولا يعلم سببه، وقد يتفكر الإنسان في شيء فيؤثر في نفسه أثراً فينسى ذلك السبب ويبقى الأثر في نفسه وهو يحس به، وقد تكون الحالة التي يحسها سروراً ثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور، أو حزناً فينسى المتفكر فيه ويحس بالأثر عقيبه. وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها لفظ السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود، بل ذوق الشعر الموزون والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض، وهي حالة يدركها صاحب الذوق بحيث لا يشك فيها ـ أعني التفرقة بين الموزون والمنزحف ـ فلا يمكنه التعبير عنها بما يتضح به مقصوده

(**أما العلم فكم من فقيه تعرض عليه مسألتان متشابهتان في الصورة ويدري الفقيه بذوقه أن بينهما فرقاً في الحكم، وإذا كلف ذكر وجه الفرق لم يساعده اللسان على التعبير**) عن ذلك الفرق، (**وإن كان من أفصح الناس**) لساناً (**فيدرك بذوقه الفرق ولا يمكنه التعبير عنه وإدراكه الفرق علم يصادفه في قلبه بالذوق، ولا يشك في أن لوقوعه في قلبه سبباً، وله عند الله حقيقة ولا يمكنه الإخبار عنه لا لقصور في لسانه، بل لدقة المعنى في نفسه عن أن تناله العبارة، وهذا إنما يتفطن له المواظبون على النظر في**) المسائل (**المشكلات**) والنظائر والأشباه العويصات.

(**وأما الحال فكم من إنسان يدرك في قلبه في الوقت الذي يصبح فيه قبضاً أو بسطاً ولا يعلم سببه، وقد يتفكر الإنسان في شيء فيؤثر في نفسه أثراً فينسى ذلك السبب ويبقى الأثر في نفسه وهو يحس به**) ويدركه، (**قد تكون الحالة التي يحسنها سروراً ثبت في نفسه بتفكره في سبب موجب للسرور أو حزناً**) كذلك (**فينسى المتفكر فيه ويحس بالأثر عقيبة، وقد تكون تلك الحالة حالة غريبة لا يعرب عنها**) لفظ (**السرور والحزن ولا يصادف لها عبارة مطابقة مفصحة عن المقصود، بل ذوق الشعر الموزون**) بالموازين العروضية، (**والفرق بينه وبين غير الموزون يختص به بعض الناس دون بعض وهي حالة**) يدركها (**صاحب الذوق**) السليم (**بحيث لا يشك فيها أعني التفرقة بين الموزون والمنزحف**)

لمن لا ذوق له. وفي النفس أحوال غريبة هذا وصفها بل المعاني المشهورة من الخوف والحزن والسرور إنما تحصل في السماع عن غناء مفهوم، وأما الأوتار وسائر النغمات التي ليست مفهومة فإنها تؤثر في النفس تأثيراً عجيباً ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الآثار، وقد يعبر عنها بالشوق ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق إليه فهو عجيب، والذي اضطرب قلبه بسماع الأوتار أو الشاهين وما أشبهه ليس يدري إلى ماذا يشتاق؟ ويجد في نفسه حالة كأنها تتقاضى أمراً ليس يدري ما هو؟ حتى يقع ذلك للعوام ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمي ولا حب الله تعالى وهذا له سر وهو أن كل شوق فله ركنان:

أحدهما: صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق إليه.

والثاني: معرفة المشتاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه، فإن وجدت الصفة التي بها

أي الذي به زحاف أو علة. **(ولا يمكنه التعبير عنها بما يتضح به مقصوده لمن لا ذوق له وفي النفس أحوال غريبة هذا وصفها)** بل في المحسوسات لو قيل لك: ما الفرق بين رائحة الزبد ورائحة المسك، وطولبت بعبارة تميز بينهما لعسرت عليك وأنت تدرك الفرق بينهما قطعاً من نفسك، ولو قيل لك: ما الفرق بين حلاوة السكر وحلاوة العسل لكان كذلك، وإذا عسرت العبارات عن تمييز هذه المحسوسات فعسرها عن موارد القلوب وما يفتح به الحق ويخلقه فيها من المحبة والشوق والفرح والانس وغيرها من أحوال القلوب أولى، وإنما يسر من الله تعالى عليه بالإشارات ويقربها بالأمثال من الأمور المعلومة، **(بل المعاني المشهورة من الخوف والحزن والسرور وإنما تحصل في السماع عن غناء مفهوم)** من غير أوتار. **(فأما الأوتار وسائر النغمات التي ليست مفهومة فإنها تؤثر في النفس تأثيراً عجيباً ولا يمكن التعبير عن عجائب تلك الأوتار، وقد يعبر عنها بالشوق)** تقريباً للإفهام، **(ولكن شوق لا يعرف صاحبه المشتاق إليه فهو عجيب)** يحير الأفكار، **(والذي اضطرب قلبه)** وفي نسخة اضطربت نفسه **(بسماع الأوتار والشاهين وما أشبهه ليس يدري إلى ماذا يشتاق ويجد في نفسه حالة كأنها تتقاضى)** وتطلب **(أثراً ليس يدري ما هو حتى يقع ذلك للعوام)** فضلاً عن الخواص، **(ومن لا يغلب على قلبه لا حب آدمي ولا حب الله تعالى،)** كما هو مشاهد **(وهذا له سر)** خفي، **(وهو أن كل شوق فله ركنان)** عليهما مداره.

(أحدهما: صفة المشتاق وهو نوع مناسبة مع المشتاق إليه).

(والثاني: معرفة المشتاق إليه ومعرفة صورة الوصول إليه فإن وجدت الصفة التي بها

الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق إليه كان الأمر ظاهراً، وإن لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوّقة وحركت قلبك الصفة واشتعلت نارها أورث ذلك دهشة وحيرة لا محالة.

ولو نشأ آدمي وحده بحيث لم يرَ صورة النساء ولا عرف صورة الوقاع ثم اهق الحلم وغلبت عليه الشهوة لكان يحس من نفسه بنار الشهوة، ولكن لا يدري أنه يشتاق إلى الوقاع لأنه ليس يدري صورة الوقاع ولا يعرف صورة النساء، فكذلك في نفس الآدمي مناسبة مع العالم الأعلى واللذات التي وعد بها في سدرة المنتهى والفراديس العلا، إلاَّ أنه لم يتخيل من هذه الأمور إلا الصفات والأسماء كالذي سمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المرآة ليعرف بالمقايسة، فالسماع يحرك منه الشوق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذي إليه حنينه واشتياقه بالطبع، فيتقاضاه قلبه أمراً ليس يدري ما هو؟ فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالمختنق الذي لا يعرف طريق الخلاص، فهذا وأمثاله من الأحوال التي لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن المتصف بها أن يعبر عنها. فقد ظهر انقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره وإلى ما لا يمكن إظهاره.

الشوق ووجد العلم بصورة المشتاق إليه كان الأمر ظاهراً، وإن لم يوجد العلم بالمشتاق ووجدت الصفة المشوقة وحركت تلك الصفة واشتعلت نارها أورثت ذلك دهشة وحيرة لا محالة، ولو نشأ آدمي وحده بحيث لم ير صورة النساء ولا عرف صورة لوقاع) أي الجماع، **(ثم راهق الحلم)** أي بلغ مبلغ من يحتلم، **(وغلبت عليه الشهوة)** المركبة فيه **(لكن يحس من نفسه بنار)** تلك **(الشهوة ولا يدري أنه يشتاق إلى الوقاع لأنه ليس يدري صورة الوقاع)** ما هي **(ولا صورة النساء)** ما هي، **(فكذلك في نفس الآدمي مناسبة)** باطنة، **(مع العالم الأعلى واللذات التي وعد بها في سدرة المنتهى والفراديس العلا إلا أنه لم يتخيل من هذه الأمور إلا الصفات والأسماء كالذي يسمع لفظ الوقاع واسم النساء ولم يشاهد صورة امرأة قط ولا صورة رجل ولا صورة نفسه في المرآة ليعرف بالمقايسة)** على صورة نفسه، **(فالسماع يحرك منه الشرق والجهل المفرط والاشتغال بالدنيا)** ولذاتها، **(قد أنساه نفسه وأنساه ربه وأنساه مستقره الذي إليه حنينه واشتياقه بالطبع فيتقاضاه قلبه)** وفي نسخة: فيتقاضي بقلبه **(أمراً ليس يدري ما هو فيدهش ويتحير ويضطرب ويكون كالمنخنق الذي لا يعرف طريق الخلاص، فهذا وأمثاله من الأحوال التي لا يدرك تمام حقائقها ولا يمكن المتصف بها أن يعبر عنها)** باللسان، **(فقد ظهر انقسام الوجد إلى ما يمكن إظهاره، وإلى ما لا يمكن إظهاره)** بالوجه الذي فصلناه.

واعلم أيضاً أن الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكلف ويسمى التواجد، وهذا التواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذي يقصد به الرياء وإظهار الأحوال الشريفة مع الإفلاس منها، ومنه ما هو محمود وهو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة، فإن للكسب مدخلاً في جلب الأحوال الشريفة، ولذلك أمر رسول الله ﷺ من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن فإن هذه الأحوال قد تتكلف مبادئها ثم تتحقق أواخرها. وكيف لا يكون التكلف سبباً في أن يصير المتكلف في الآخرة طبعاً. وكل من يتعلم القرآن أو لا يحفظه تكلفاً، ويقرأه تكلفاً مع تمام التأمل وإحضار الذهن، ثم يصير ذلك ديدناً للسان مطرداً حتى يجري به لسانه في الصلاة

(**واعلم أيضاً أن الوجد ينقسم إلى هاجم**) وهو الذي يهجم عليه من غير تكلف (**وإلى متكلف**) يرد عليه بنوع من التكلف (**ويسمى التواجد**) والصيغة تدل على معنى التكلف فيه، (**وهذا التواجد المتكلف فمنه مذموم وهو الذي يقصد به الرياء وإظهار الأحوال الشريفة مع الإفلاس منها**) أي خلوه منها، (**ومنها ما هو محمود هو التوصل إلى استدعاء الأحوال الشريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة، فإن للكسب مدخلاً في جلب الأحوال، ولذلك أمر رسول الله ﷺ من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن**) وهو قوله: « فإن لم تبكوا » وقد تقدم في الباب الثاني من كتاب تلاوة القرآن، وأصل هذا السياق للقشيري في الرسالة فإنه قال: التواجد استدعاء الوجد بقرب اختيار وليس لصاحبه كمال الوجد، إذا لو كان له ذلك لكان واجداً وباب التفاعل أكثره على إظهاره الصفة وليست كذلك قال الشاعر:

إذا تخازرت وما بي من خزر ثم كسرت العين من غير عور

فقوم قالوا: التواجد غير مسلم لصاحبه لما يتضمن من التكلف ويبعد عن التحقيق، وقوم قالوا: إنه مسلم للفقراء المجردين الذين ترصدوا لوجدان هذه المعاني، وأصله خبر الرسول ﷺ: « ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا » والحكاية المعروفة لأبي محمد الجزيري على ما سيأتي ذكرها للمصنف مختصرة، ونكمل سياقها هناك حيث أطلق هناك التواجد ولم ينكر عليه، وسيأتي للمصنف في كتاب ذم الغرور ما لفظه: التواجد استدعاء الوجد والتشبه في تكلفه بالصادقين من أهل الوجد، فالتواجد تفاعل في اكتساب الوجد، وإن كان أصل باب التفاعل إنما يصح من اثنين لكنه لما استدعى الوجد وعسر عليه ثم استدعاه أشبه التفاعل والوجد غلبة ما كان يبعثه ويتواجد له على قلبه والوجود حصول ذلك في القلب وتواليه عليه من غير تكلف، (**فإن هذه الأحوال قد تتكلف مبادئها ثم تتحقق أواخرها، وكيف لا يكون التكلف سبباً في أن يصير التكلّف بالآخرة طبعاً**) لازماً، (**وكل من يتعلم القرآن ويحفظه تكلفاً ويقرؤه تكلفاً من غير تمام التأمل وإحضار الذهن عند ذلك قد يصير ذلك ديدناً للسان**) أي عادة له (**مطرداً**) جارياً (**حتى يجري به لسانه في الصلاة وغيرها**) من غير تكلف (**وهو غافل**) عن قراءته (**فيقرأ**

وغيرها وهو غافل، فيقرأ تمام السورة وتثوب نفسه إليه بعد انتهائه إلى آخرها ويعلم أنه قرأها في حال غفلته، وكذلك الكاتب يكتب في الابتداء بجهد شديد ثم تتمرن على الكتابة يده فيصير الكتب له طبعاً فيكتب أوراقاً كثيرة وهو مستغرق القلب بفكر آخر، فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتصنع أولاً ثم يصير بالعادة طبعاً، وهو المراد بقول بعضهم: العادة طبيعة خامسة. فكذلك الأحوال الشريفة لا ينبغي أن يقع اليأس منها عند فقدها، بل ينبغي أن يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره، فلقد شوهد في العادات من اشتهى أن يعشق شخصاً ولم يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه ويديم النظر إليه ويقرّر على نفسه الأوصاف المحبوبة والأخلاق المحمودة فيه حتى عشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخاً خرج عن حد اختياره، فاشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص. فكذلك حب الله تعالى والشوق إلى لقائه والخوف من سخطه وغير ذلك من الأحوال الشريفة، إذا فقدها الإنسان فينبغي أن يتكلف اجتلابها بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة أحوالهم وتحسين صفاتهم في

تمام السورة وتثوب نفسه) أي ترجع **(إليه بعد إنتهائه إلى آخرها، ويعلم أنه قرأها في حال غفلة، وكذلك الكاتب يكتب في الابتداء)** أي في أول مرة **(بجهد شديد)** ومشقة زائدة **(ثم تتمرن على الكتابة يده فيصير الكتب له طبعاً)** أي سهلاً **(فيكتب أوراقاً وهو مستوفي القلب بفكر آخر فجميع ما تحتمله النفس والجوارح من الصفات لا سبيل إلى اكتسابه إلا بالتكلف والتصنع أولاً، ثم يصير بالعادة طبعاً، وهو المراد بقول بعضهم: العادة طبيعة خامسة)** زائدة على الطبائع الأربع، وهذا القول مشهور عن الحكماء ويشبه ذلك ما سبق للمصنف في آداب الأكل: عودوا كل بدن ما اعتاد وهو من قول الحكماء أيضاً، **(فكذلك الأحوال الشريفة لا ينبغي أن يقع اليأس منها عند فقدها، بل ينبغي أن يتكلف اجتلابها بالسماع وغيره)** ليكون ذلك طبعاً له، **(فلقد شوهد من العادات من اشتهى أن يعشق شخصاً ولم يكن يعشقه فلم يزل يردد ذكره على نفسه، ويديم النظر إليه ويقرر على نفسه الأوصاف المحبوبة والأخلاق المحمودة فيه حتى عشقه ورسخ ذلك في قلبه رسوخاً خرج عن جد اختياره، فاشتهى بعد ذلك الخلاص منه فلم يتخلص)** أي لم يمكنه، **(وكذلك حب الله تعالى)** والعشق فيه **(والشوق إليه)** أي إلى لقائه **(والخوف من سخطه)** وعقابه **(وغير ذلك من الأحوال)** الشريفة، **(إذا فقدها الإنسان فينبغي أن يتكلف اجتلابها)** وتحصيلها **(بمجالسة الموصوفين بها ومشاهدة أحوالهم)** في أثناء المجالسة، **(وتحسين صفاتهم في النفس بالجلوس معهم في السماع)** ومجالس الذكر والمراقبة، **(وبالدعاء والتضرع إلى الله تعالى في أن يرزقه تلك الحالة بأن تتيسر له أسبابها)** التي تحصل تلك الحالة.

النفس وبالجلوس معهم في السماع وبالدعاء والتضرع إلى الله تعالى في أن يرزقه تلك الحالة بأن ييسر له أسبابها.

ومن أسبابها، السماع ومجالسة الصالحين والخائفين والمحبين والمشتاقين والخاشعين فمن جالس شخصاً سرت إليه صفاته من حيث لا يدري. ويدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قول رسول الله ﷺ في دعائه: «اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب من يقربني إلى حبك». فقد فزع عليه السلام إلى الدعاء في طلب الحب. فهذا بيان انقسام الوجد إلى مكاشفات وإلى أحوال وانقسامه إلى ما يمكن الإفصاح عنه وإلى ما لا يمكن، وانقسامه إلى المتكلف وإلى المطبوع.

فإن قلت: فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله ويظهر على الغناء وهو كلام الشعراء؟ فلو كان ذلك حقاً من لطف الله تعالى ولم يكن باطلاً من غرور الشيطان لكان القرآن أولى به من الغناء؟ فنقول: الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق إرادته والشوق إلى لقائه وذلك يهيج بسماع القرآن أيضاً، وإنما الذي لا يهيج بسماع القرآن حب الخلق وعشق المخلوق. ويدل على ذلك قوله تعالى:

(ومن أسبابها، السماع ومجالسة الصالحين والخائفين) لله **(والمحبين)** له **(والمشتاقين)** إليه **(والخاشعين)** في عبادتهم، **(فمن جالس شخصاً)** مدة من الزمان **(سرت إليه صفاته من حيث لا يدري)** ومن ذلك قول العامة: من عاشر القوم أربعين يوماً صار منهم أو صر منهم، **(ويدل على إمكان تحصيل الحب وغيره من الأحوال بالأسباب قول رسول الله ﷺ في دعائه: «اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك»)** تقدم في كتاب الدعوات، **(فقد فزع عليه السلام إلى الدعاء في طلب الحب)** وهو دليل قوي على إثبات ما ذكر. **(فهذا بيان انقسام الوجد إلى مكاشفات وإلى أحوال و)** بيان **(انقسامه إلى ما يمكن الإفصاح عنه)** والتعبير به، **(وإلى ما لا يمكن)** التعبير عنه، **(و)** بيان **(انقسامه إلى المتكلف)** منه **(والمطبوع)**.

(فإن قلت: فما بال هؤلاء لا يظهر وجدهم عند سماع القرآن وهو كلام الله تعالى ويظهر) وجدهم **(على الغناء وهو كلام الشعراء)** وشتان بينهما، **(فلو كان ذلك حقاً من لطف الله تعالى ولم يكن باطلاً من غرور الشيطان لكان القرآن أولى به من الغناء؟ فنقول)** في الجواب عن ذلك: **(الوجد الحق هو ما ينشأ من فرط حب الله تعالى وصدق إرادته)** أي السالك في طريق الله **(والشوق إلى لقائه، وذلك يهيج بسماع القرآن أيضاً)** كما سيأتي بيانه،

﴿ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾ [الرعد : ٢٨] وقوله تعالى : ﴿مثاني تقشعر منه جلود الذين يَخْشَوْنَ ربَّهم ثم تلين جلودُهُم وقلوبُهُم إلى ذكر الله﴾ [الزمر : ٢٣] وكل ما يوجد عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد . فالطمأنينة والاقشعرار والخشية ولين القلب كل ذلك وجد . وقد قال الله تعالى : ﴿إنما المؤمِنُونَ الّذين إذا ذُكِرَ اللهُ وجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الانفال : ٢] وقال تعالى : ﴿لو أنزلنا هذا القرآنَ على جَبَل لرأيْته خاشعاً متصدّعاً من خَشْيَةِ الله﴾ [الحشر : ٢١] فالوجل والخشوع وجد من قبيل الأحوال ، وإن لم يكن من قبيل المكاشفات . ولكن قد يصير سبباً للمكاشفات والتنبيهات ، ولهذا قال ﷺ : « زينوا القرآن بأصواتكم » . وقال لأبي موسى الأشعري : « لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود عليه السلام » .

وأما الحكايات الدالة على أن أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع القرآن فكثيرة ، فقوله ﷺ : « شيبتني هود وأخواتها » خبَّر عن الوجد . فإن الشيب يحصل من

(وإنما الذي لا يهيج بسماع القرآن حب الخلق وعشق المخلوق ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾) وكذا **(قوله تعالى : ﴿مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ وكل ما يوجد عقب السماع)** أي عنده **(بسبب السماع في النفس ، فهو وجد والطمأنينة والاقشعرار والخشية ولين القلب)** والجلد **(كل ذلك وجد ، وقد قال تعالى : ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ وقال تعالى : ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾ فالوجل والخشوع وجد من قبيل الأحوال ، وإن لم يكن من قبيل المكاشفات ولكن قد يصير سبباً للمكاشفات والتنبيهات ، ولذلك قال ﷺ : « زينوا القرآن بأصواتكم »)** تقدم في كتاب تلاوة القرآن ، **(وقال)** ﷺ **(لأبي موسى)** الأشعري رضي الله عنه **(« لقد أوتي مزماراً من مزامير داود عليه السلام »)** تقدم أيضاً في كتاب تلاوة القرآن .

(وأما الحكايات الدالة على أن أرباب القلوب ظهر عليهم الوجد عند سماع) آيات **(القرآن فكثيرة)** يأتي ذكر بعض ذلك ، **(فقوله ﷺ : « شيبتني هود وأخواتها »)** قال العراقي : رواه الترمذي من حديث أبي جحيفة ، وله وللحاكم من حديث ابن عباس نحوه . قال الترمذي : حسن وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري اهـ .

(خبر عن الوجد فإن الشيب يحصل من الحزن والخوف وذلك وجد) والمعنى : شيبتني سورة هود وأخواتها أي أشباهها من السور التي فيها ذكر أهوال القيامة والعذاب والهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع إليه المشيب في غير أوان . قال المتنبي :

....

والهم يخترم الجسيم نحافـــــــــــــة ويشيـــب نـــاصيــــة الصبي ويهرم

هكذا رواه الطبراني في الكبير من حديث عقبة بن عامر وأبي جحيفة، وسند الطبراني رجاله رجال الصحيح.

وقال الحافظ السخاوي في المقاصد: رواه ابن مردويه في تفسيره من رواية محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال: قيل يا رسول الله: أسرع إليك الشيب؟ قال: «شيبتني هود والواقعة وأخواتها» وفي الترمذي والحلية لأبي نعيم من حديث شيبان، عن أبي إسحاق السبيعي، عن عكرمة، عن ابن عباس قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت. قال: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت» وصححه الحاكم وقال الترمذي: أنه حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه وقد رواه علي بن صالح عن أبي إسحاق، عن أبي جحيفة نحوه يعني كما أخرجه في الشمائل بلفظ: «هود وأخواتها» قال الترمذي: وروي عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة شيء من هذا وهو مرسل، وكذا من حديث شيبان أخرجه البزار وقال: اختلف فيه على أبي إسحاق فقال: شيبان كذا، وقال علي بن صالح عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة، وقال زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة أن أبا بكر قال: «وحديث أبي بكر رواه كذلك أبو بكر الشافعي كما في الفوائد الغيلانيات، بل وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده، عن أبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن عكرمة قال أبو بكر: سألت النبي ﷺ ما شيبك؟ قال: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت» وهو مرسل صحيح إلا أنه موصوف بالاضطراب، وقد أطال الدارقطني في ذكر علله واختلاف طرقه في أوائل كتاب العلل، ونقل حمزة السهمي عنه أنه قال: طرقه كلها معتلة، وأنكره موسى بن إبراهيم الحمال على تمام وفيه نظر، فطريق شيبان وافقه أبو بكر بن عياش عليها كما أخرجه الدارقطني في العلل، وقال ابن دقيق العيد في أواخر الاقتراح: إسناده على شرط البخاري.

ورواه البيهقي في الدلائل من رواية عطية عن أبي سعيد قال، قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله: لقد أسرع إليك الشيب قال: «شيبتني هود وأخواتها الواقعة وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت» وأخرجه ابن سعد وابن عدي من رواية يزيد الرقاشي عن أنس وفيه: «الواقعة والقارعة وسأل سائل وإذا الشمس كورت» وللطبراني من حديث ابن مسعود بسند فيه عمرو بن ثابت وهو متروك أن أبا بكر سأل رسول الله ﷺ ما شيبك يا رسول الله؟ قال: «شيبتني هود والواقعة والحاقة وإذا الشمس كورت» اهـ.

قلت: وهذا الأخير رواه الطبراني كذلك من حديث سهل بن سعد وفيه سعيد بن سلام العطار وهو كذاب، ويروي من حديث سعيد بن أبي وقاص أخرجه ابن مردويه في تفسيره وسنده ضعيف، وسياقه سياق حديث ابن عبـاس وأبي بكـر، ويـروي: «شيبتني هـود وأخـواتها قبـل المشيب» رواه كذلك ابن مردويه عن أبي بكر، ورواه سعيد بـن منصور من حديث أنس بلفظ:

الحزن والخوف وذلك وجد. وروي أن ابن مسعود رضي الله عنه قرأ على رسول الله ﷺ سورة النساء، فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿فكَيْفَ إذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أمةٍ بشهيدٍ وجِئْنا بك عَلَى هؤلاء شهيداً﴾ [النساء: ٤١]، قال: «حسبك» وكانت عيناه تذرفان بالدموع. وفي رواية أنه عليه السلام قرأ هذه الآية أو قرىء عنده: ﴿إن لدَيْنَا أنكالاً وجحيماً* وطعَاماً ذا غُصَّة وعذاباً أليماً﴾ [المزمل: ١٢، ١٣] فصعق، وفي رواية أنه

«وأخواتها من المفصل» ويروي من مرسل محمد بن الحنفية: «شيبتني هود وأخواتها وما فعل بالأمم قبلي» هكذا رواه ابن عساكر ومن مرسل أبي الجوني بلفظ: «شيبتني هود وأخواتها ذكر يوم القيامة وقصص الأمم» هكذا رواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد لأبيه وأبو الشيخ في تفسيره، وقد خرجت هذا الحديث في جزء سميته (**بذل المجهود في تخريج حديث: «شيبتني هود»**) أوردت كلام الدارقطني بتمامه وكلام غيره فليراجع ذلك فإنه فيه المقصود والله أعلم.

(**وروي أن ابن مسعود**) رضي الله عنه قرأ على رسول الله ﷺ سورة النساء انتهى إلى قوله تعالى: **﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ قال: حسبك فكانت عيناه تذرفان**) أي تسيلان (**بالدموع**) قال العراقي: متفق عليه من حديث اهـ.

قلت: وأخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والترمذي والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل بطرق عن ابن مسعود قال، قال النبي ﷺ: «إقرأ علي. قلت: يا رسول الله إقرأ عليك وعليك انزل؟ قال: نعم إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ فقال: حسبك فإذا عيناه تذرفان».

وأخرج الحاكم وصححه من حديث عمرو بن حريث قال: قال رسول الله ﷺ لابن مسعود: «اقرأ» فساق الحديث وفيه: فاستعبر رسول الله ﷺ وكف عبد الله.

وأخرج ابن أبي حاتم والبغوي في معجمه، والطبراني بسند حسن عن محمد بن فضالة الأنصاري، وكان ممن صحب النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ أتاهم في بني ظفر ومعه ابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وناس أصحابه فأمر قارئاً مقرأ فأتى على هذه الآية ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة﴾ إلى قوله (**شهيدا**) فبكى حتى اضطرب لحياه وجنباه وقال: يا رب هذا شهدت على من أنا بين ظهريه فكيف بمن لم أره.

(**وفي رواية**) أخرى (**أنه ﷺ قرىء عنده**) قوله تعالى (**﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً* وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً﴾ فصعق**) قال العراقي: رواه ابن عدي في الكامل، والبيهقي في الشعب من طريقه من حديثه أبي حرب بن أبي الأسود مرسلاً اهـ.

قلت: الصحيح أنه معضل قال أبو عبيد في فضائل القرآن: حدثنا وكيع، حدثنا حمزة الزيات،

ﷺ قرأ : ﴿إن تعذِّبْهُم فإنَّهم عبادك﴾ [المائدة : ١١٨] فبكى ، وكان عليه السلام إذا مرّ بآية رحمة دعا واستبشر . والاستبشار وجد . وقد أثنى الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن فقال تعالى : ﴿وإذا سَمِعُوا ما أُنْزِل إلى الرَّسُولِ ترى أعيُنَهُم تَفيضُ من الدَّمْع مما عرَفُوا

عن حمران بن أعين قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ : ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً ★ وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً﴾ فصعق » وهكذا أخرجه أبو بكر بن أبي داود في فضائل القرآن عن هانىء محمد بن أبي الحبيب ، عن وكيع وعمران ضعيف ، وقد ذكره ابن عدي في ترجمته في الكامل من جملة ما أنكر عليه . وأخرجه من وجه آخر ضعيف عن حمزة بن حمران عن أبي حرب بن أبي الأسود وزيادة أبي حرب فيه ضعيفة ، وهو من ثقات التابعين حققه الحافظ ابن حجر في أمالي الأذكار .

(وروي أنه ﷺ قرأ ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾) قال العراقي : رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر اهـ .

قلت : وكذلك أخرجه النسائي وابن أبي الدنيا في حسن الظن ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن حبان وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات ولفظهم جميعاً إن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني﴾ الآية [إبراهيم : ٣٦] . وقال عيسى ابن مريم عليه السلام : ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ فرفع يديه فقال : « اللهم أمتي وبكى » فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نضرك .

(وكان ﷺ إذا مر بآية رحمة دعاواستبشر) تقدم في كتاب تلاوة القرآن دون قوله واستبشر ، وروى أحمد ومسلم والأربعة من حديث حذيفة كان إذا مر بآية خوف تعوذ ، وإذا مر بآية رحمة سأل ، وإذا مر بآية فيها تنزيه سبّح . **(والاستبشار وجد ، وقد أثنى الله تعالى على أهل الوجد بالقرآن فقال: ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾)** قال صاحب العوارف : وهذا السماع هو سماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الإيمان محكوم لصاحبه بالهداية واللب هذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع ، لأنه تارة يثير حزناً والحزن حار ، وتارة يثير شوقاً والشوق حار ، وتارة يثير ندماً والندم حار ، فإذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء ببرد اليقين أبكى وادمع ، لأن الحرارة والبرودة إذا اصطدما عصرا ماء ، فإذا ألم السماع بالقلب تارة يخف المامه فيظهر أثره في الجسد ويقشعر منه الجلد ، وتارة يعظم وقعه ويتصوّب أثره إلى فوق نحو الدماغ ، فتندفق منه العين بالدمع ، وتارة يتصوّب أثره إلى الروح فتموج منه الروح موجاً يكاد يضيق منه نطاق القلب ، فيكون من ذلك الصياح والإضطراب ، وهذه كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الحال ، وقد يحكيها بدلائل هوى النفس أرباب الحال .

(وروي أن رسول الله ﷺ كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل) رواه أبو داود

من الحقِّ﴾ [المائدة:٨٣] ، وروي أن رسول الله ﷺ كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل.

وأما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين فكثير : فمنهم من صعق، ومنهم من بكى، ومنهم من غشي عليه، ومنهم من مات في غشيته. وروي أن زرارة بن أبي أوفى ـ وكان من التابعين ـ كان يؤم الناس بالرقة فقرأ: ﴿فإذَا نُقِرَ في النَّاقُور﴾ [المدثر: ٨] فصعق ومات في محرابه رحمه الله، وسمع عمر رضي الله عنه رجلاً يقرأ: ﴿إن عذابَ ربِّكَ لواقع★ ما له من دافع﴾ [الطور: ٧، ٨] فصاح صيحة وخر مغشياً عليه فحمل إلى بيته فلم يزل مريضاً في بيته شهراً. وأبو جرير ـ من التابعين ـ قرأ عليه صالح المري فشهق ومات. وسمع الشافعي رحمه الله قارئاً يقرأ:

والنسائي والترمذي في الشمائل من حديث عبد الله بن الشخير وقد تقدم.

(**وأما ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصحابة**) رضي الله عنهم (**والتابعين، فكثير منهم من صعق، ومنهم من بكى، ومنهم من غشي عليه، ومنهم من مات في غشيته**) وقد جمع أبو إسحاق الثعلبي صاحب التفسير المشهور في كتابه قتل القرآن عدداً كثيراً منهم، (و) من قديم ذلك ما (**روي أن زرارة بن أبي أوفى**) العامري الحريشي البصري يكنى أبا حاجب، وكان قاضيها ثقة عابد أخرج له الجماعة (**كان من**) ثقات (**التابعين كان يؤم الناس بالرقة فقرأ**) يوماً في صلاته، (**﴿فإذا نقر في الناقور﴾ فصعق ومات في محرابه**).

أخبرنا به عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا عبد الله بن سالم، أخبرنا أبو الحسين علي بن عبد القادر عن أبيه عن جده قال: أخبرنا جدي يحيى بن مكرم أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا الحافظ تقي الدين محمد بن محمد بن محمد بن فهر المكي، أخبرنا إبراهيم بن صديق، أخبرنا أبو إسحاق التنوخي، أخبرنا ابن أبي يوسف بن عبد الرحمن المري الحافظ، أخبرنا الفخر علي بن أحمد المقدسي، أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي، أنبانا إبراهيم بن عمر، أنبأنا عبد الله ابن إبراهيم بن أيوب، أنبأنا أبو جعفر أحمد بن علي الخراز، حدثنا أبو بحر عبد الواحد بن غياث، حدثنا أبو حباب القصاب واسمه عوف بن ذكوان قال: صلى بنا زرارة بن أبي أوفى صلاة الفجر، فلما بلغ ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ فشهق شهقة فمات. هذا أثر حسن الإسناد أخرجه الترمذي في أواخر كتاب الصلاة في جامعه من طريق بهز بن حكيم قال: صلى بنا زرارة بن أبي أوفى فذكره نحوه، وزاد في آخره: فكنت فيمن حمله. ومن هذا الوجه أخرجه ابن أبي داود في كتاب الشريعة.

(**وسمع عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه رجلاً يقرأ ﴿أن عذاب ربك لواقع★ ماله من دافع﴾ فصاح صيحة خر مغشياً عليه فحمل إلى بيته لم يزل مريضاً في بيته شهراً**) وروي عنه ايضاً أنه ربما مر بآية في ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب

﴿هذا يَوْمُ لاَ يَنْطِقُونَ* ولاَ يُؤْذَن لهم فيعتذرُون﴾ [المرسلات: ٣٥ ، ٣٦] فغشي عليه وسمع علي بن الفضيل قارئاً يقرأ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لرب العالمين﴾ [المطففين: ٦] فسقط مغشياً عليه. فقال الفضيل: شكر الله لك ما قد علمه منك. وكذلك نقل عن جماعة منهم. وكذلك الصوفية: فقد كان الشبلي في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف إمام له فقرأ الإمام: ﴿ولئن شِئْنَا لنذهبنّ بالذي أوحينا إليك﴾ [الاسراء: ٨٦] فزعق الشبلي زعقة ظن الناس أنه قد طارت روحه واحمرّ وجهه وارتعدت فرائصه، وكان يقول: بمثل هذا يخاطب الأحباب، يردد ذلك مراراً. وقال الجنيد: دخلت على سري

مريضاً.

(**وكان أبو حيم**) وفي نسخة: أبو جهيم بالتصغير، وفي أخرى أبو عمير (**من التابعين يقرأ عليه صالح**) بن بشير (**المري فشهق ومات**). وكان صالح من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وقد أخرج أبو عبيد في فضائل القرآن، وابن أبي داود في كتاب الشريعة جلة من التابعين ومن بعدهم ممن صعق عند قراءة القرآن منهم: الربيع بن خيثم وقد تقدمت قصته في آداب تلاوة القرآن وهو من كبار التابعين، ومنهم أبو أسيد من صغار التابعين. أخرج ابن أبي داود من طريق خليد بن سعد قال: وكان حسن الصوت بالقرآن، وكان يقرأ عند أم الدرداء، وكان أهل المسجد يجتمعون عنده، وكان أبو أسيدِ إذا حضر قالت أم الدرداء لخليد لا تقرأ بآية شديدة تشد على الرجل، وكان يصعق إذا سمع بآية شديدة. قال ابن أبي داود: وكان أبو أسيد مستجاب الدعوة وكان يقال إنه من الأبدال.

(**وسمع الشافعي رحمه الله قارئاً يقرأ (هذا يوم لا ينطقون﴾ فغشي عليه**) تقدم في ترجمته في كتاب العلم، (**وسمع علي بن الفضل**) بن عياض رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته (**قارئاً يقرأ ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ فسقط مغشياً عليه فقال**) أبوه (**الفضيل: شكراً الله لك ما قد علمه منك**) ومات قبل والده، (**وكذلك نقل عن جماعة منهم**) غير هؤلاء.

(**وكذلك الصوفية فقد كان**) أبو بكر (**الشبلي**) رحمه الله تعالى (**في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلي خلف إمام له فقرأ الإمام ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ فزعق الشبلي زعقة ظن الناس أنه قد طارت**) بها (**روحه وأخضر وجهه وأربد**) أي تغير، (**وكان يقول: بمثل هذا يخاطب الأحباب**) فكيف بغيرهم (**يردد ذلك مراراً**) على نفسه وهو مغلوب عليه. أخرجه القشيري في الرسالة فقال: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت أحمد بن مقاتل العكي يقول كنت مع الشبلي في مسجد ليلة في شهر رمضان وهو يصلي خلف إمام له وأنا بجنبه فقرأ الإمام: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ فزعق زعقة. قلت طارت روحه وهو يرتعد ويقول: بمثل هذا يخاطب الأحباب ويردد ذلك كثيراً.

السقطي فرأيت بين يديه رجلاً قد غشي عليه فقال لي: هذا رجل قد سمع آية من القرآن فغشي عليه، فقلت: اقرأوا عليه تلك الآية بعينها فقرئت فأفاق، فقال: من أين قلت هذا؟ فقلت: رأيت يعقوب عليه السلام كان عماه من أجل مخلوق فبمخلوق أبصر، ولو كان عماه من أجل الحق ما أبصر بمخلوق، فاستحسن ذلك. ويشير إلى ما قاله الجنيد قول الشاعر:

وكأس شربت على لذّة   وأخرى تداويت منها بها

وقال بعض الصوفية: كنت أقرأ ليلة هذه الآية: ﴿كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فجعلت أرددها فإذا هاتف يهتف بي: كم تردد هذه الآية؟ فقد قتلت أربعة من الجن ما رفعوا رؤوسهم إلى السماء منذ خلقوا. وقال أبو علي المغازلي للشبلي:

(وقال الجنيد) رحمه الله تعالى: (دخلت على) استاذي (سري) بن المغلس (السقطي) رحمه الله تعالى (فرأيت بين يديه رجلاً قد أغشي عليه) ولفظ الرسالة: وحكي عن الجنيد أنه قال: دخلت على السري يوماً فرأيت عنده رجلاً مغشياً عليه فقلت: ماله؟ (فقال: هذا رجل سمع آية من القرآن فغشي عليه) واستغرق فيها، (فقلت اقرأوا عليه تلك الآية) ثانياً لعله يفيق، (فقرىء) الأولى فقرئت عليه، فأفاق. ولفظ الرسالة: فقرأ أي الجنيد، وفيها أيضاً فقلت تقرأ عليه فيكون مطابقاً، (فلما أفاق) الرجل (قال) لي السري (من أين قلت هذا) ولفظ الرسالة: من أين علمت ذلك؟ (فقلت: رأيت يعقوب) عليه السلام (كان عماه من أجل مخلوق) أي بعد يوسف وغيبته عنه وأسفه عليه مع إتيان قميصه له ملطخاً بالدم، (فبمخلوق أبصر) أي لما أتاه قميصه تحقق وجوده وسلامته وقرب الاجتماع به فزال عنه ما كان فيه ورد الله عليه بصره، (ولو كان عماه من أجل الحق ما أبصر بمخلوق فاستحسنوا ذلك) ولفظ الرسالة فقلت له: إن قميص يوسف ذهب بسببه بصر يعقوب ثم به عاد بصره فاستحسن ذلك مني، فقوله ثم به - أي بعوده - يعني بعود جنسه فإنه غير القميص الذي لطخ. (ويشير إلى ما قاله الجنيد قول الشاعر):

(وكأس شربت على لذة   وأخرى تداويت منها بها)

وقال آخر:

كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

(وقال بعض الصوفية: كنت أقرأ ليلة هذه الآية ﴿كل نفسٍ ذائقة الموت﴾ فجعلت أرددها) بصوت محزون، (وإذا هاتف يهتف كم تردد هذه الآية فقد قتلت أربعة من الجن لم يرفعوا رؤسهم إلى السماء منذ خلقوا) أي حياء من الله عز وجل.

(وقال أبو علي المغازلي للشبلي) رحمها الله تعالى، ولفظ الرسالة: سأل أبو علي الغازلي الشبلي

ربما تطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى فتجذبني إلى الإعراض عن الدنيا ثم أرجع إلى أحوالي وإلى الناس فلا أبقى على ذلك، فقال: ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك به إليه، فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك، وإذا ردك إلى نفسك فهو شفقة منه عليك فإنه لا يصلح لك إلا التبرىء من الحول والقوّة في التوجه إليه. وسمع رجل من أهل التصوّف قارئاً يقرأ: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ★ ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] فاستعادها من القارىء وقال: كم أقول لها ارجعي وليست ترجع؟ وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه. وسمع بكر بن معاذ قارئاً يقرأ:

فقال: (**ربما تطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى فتجذبني**) ولفظ الرسالة: فتحدوني أي تشوفني (**إلى**) ترك الأشياء المشتهاة و(**الاعراض عن الدنيا والإقبال على الله تعالى،** (**ثم ارجع إلى أحوالي**) وإحساسي، (**وإلى الناس فلا أبقى مع ذلك. فقال**) الشبلي: (**ما طرق سمعك من القرآن واجتذبك به إليه**) تعالى. ولفظ الرسالة ما اجتذبك إليه، (**فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك**) وإكرام منه إليك، (**وإذا ردك**) ولفظ الرسالة: وما رددت (**إلى نفسك فهو شفقة منه عليك فإنه لا يصلح لك**) لكونك لم تكمل به. ولفظ الرسالة: لأنه لم يصح لك (**التبرىء من الحول والقوّة في التوجه إليه**) تعالى، فهو يـربيك ويعلمك ويذيقك أشرف الأحوال منه لتعرف قدر نعمه عليك ويردك إلى نفسك وإحساسك ليعود عجزك عن نيل ذلك، ويتكامل همك وتقوى رغبتك في الاشتمال به والاعتماد عليه دون غيره.

وقد ذكر القشيري في آخر بحث الوجد والتواجد حكاية عن أبي عبد الله التروغندي أنه لما كان أيام المجاعة دخل بيته فرأى مقدار منوين حنطة، فقال: الناس يموتون من الجوع وفي بيتي حنطة فخولف في عقله فما كان يفيق إلا في أوقات الصلاة يصلي الفريضة ثم يعود إلى حالته، فلم يزل كذلك إلى أن مات. قال القشيري: دلت هذه الحكاية على أن هذا الرجل كان محفوظاً عليه آداب الشريعة عند غلبات أحكام الحقيقة، وهذا هو صفة أهل الحقيقة، ثم كان سبب غيبته عن تمييزه شفقته على المسلمين وهذه أقوى سمة لتحققه في حاله.

(**وسمع رجل من أهل التصوّف قارئاً يقرأ**) قوله تعالى (**﴿يا أيتها النفسُ المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ فاستعادها**) أي الآية (**من القارىء وقال: كم أقول لها ارجعي**) إلى ربك (**وليس ترجع**) لشؤمها، (**وتواجد**) لهذا المعنى (**وزعق زعقة فخرجت روحه**) منها.

(**وسمع بكر بن معاذ**) رحمه الله تعالى (**قارئاً يقرأ**) قوله تعالى: **﴿وأنذرهم يوم الآزفة إذا القلوب لدى الحناجر﴾** الآية (**فاضطرب**) جسمه (**ثم صاح**) قائلاً: يا رب (**ارحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الإنذار طاعتك ثم غشي عليه**) وهذا الوجه حصل له من خوف المخالفة.

﴿وأنذِرْهُم يوم الآزفةِ﴾ [غافر : ١٨] الآية. فاضطرب ثم صاح ارحم من أنذرته ولم يقبل إليك بعد الإنذار بطاعتك، ثم غشي عليه. وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله إذا سمع أحداً يقرأ : ﴿إذا السماء انشقت﴾ [الانشقاق : ١] اضطربت أوصاله حتى كان يرتعد. وعن محمد بن صبيح قال : كان رجل يغتسل في الفرات فمرّ به رجل على الشاطىء يقرأ : ﴿وامتازوا اليومَ أيُّها المجرمون﴾ [يس : ٥٩] فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات. وذكر أن سلمان الفارسي أبصر شاباً يقرأ فأتى على آية فاقشعر جلده فأحبه سلمان وفقده، فسأل عنه فقيل له : إنه مريض، فأتاه يعوده فإذا هو في الموت، فقال : يا أبا عبدالله! أرأيت تلك القشعريرة التي كانت بي؟ فإنها أتتني في أحسن صورة فأخبرتني أن الله قد غفر لي بها كل ذنب.

وبالجملة؛ لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلاً فمثله ﴿كمثلِ الذي يَنْعِقُ بمَا لاَ يَسْمَعُ إلا دعاءً ونداءً صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون﴾ [البقرة : ١٧١] بل صاحب القلب تؤثر فيه الكلمة من الحكمة يسمعها، قال

(**وكان إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى (**إذا سمع أحداً يقرأ**) سورة ﴿**إذا السماء انشقت**﴾ إلى آخرها (**اضطربت أوصاله حتى ترتعد**) لما فيها مع قصرها من ذكر أهوال. (**وعن محمد بن صبيح**) بن السماك أبي العباس الواعظ، روى عن سفيان الثوري والأعمش وهشام وإسماعيل بن أبي خالد ترجمه أبو نعيم في الحلية (**قال: كان رجل يغتسل في الفرات**) نهر بالعراق (**فمرّ رجل**) على شاطئه وهو (**يقرأ**) قوله تعالى من سورة يس (﴿**وامتازوا اليوم أيها المجرمون**﴾ **فلم يزل الرجل يضطرب**) في الماء (**حتى**) غشي عليه و(**غرق ومات**) رحمه الله تعالى.

(**وروي**) في بعض الأخبار (**ان سلمان الفارسي**) رضي الله عنه (**أبصر شاباً يقرأ**) القرآن (**فأتى**) الشاب في قراءته (**على آية**) من القرآن فيها تهديد (**فاقشعرّ جلده**) واضطرب حاله، (**فأحبه سلمان**) لما رأى منه ذلك، (**وفقده مرة فسأل عنه فقيل له: إنه مريض فأتاه يعوده فإذا هو في**) سياق الموت (**فقال**) له الشاب لما رآه: (**يا أبا عبد الله أرأيت تلك القشعريرة**) أي الرعدة (**التي كانت مني؟ فإنها أتتني في أحسن صورة**) أي تمثلت لي (**فأخبرتني أن الله قد غفر لي بها كل ذنب**) وتلك القشعريرة هي الوجد.

(**وبالجملة لا يخلو صاحب القلب من وجد عند سماع القرآن، فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلاً فمثله** ﴿**كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون**﴾ أولئك كالانعام بل هم أضل﴾ (**بل صاحب القلب**) المنوّر (**تؤثر فيه الكلمة**)

جعفر الخلدي: دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد وعنده جماعة فقال للجنيد: متى يستوي عند العبد حامده وذامه؟ فقال بعض الشيوخ: إذا دخل البيمارستان وقيد بقيدين، فقال الجنيد: ليس هذا من شأنك، ثم أقبل على الرجل وقال: إذا تحقق أنه مخلوق فشهق الرجل شهقة ومات.

فإن قلت: فإن كان سماع القرآن مفيداً للوجد فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوّالين دون القارئين؟ فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق المغنين؟ وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتماع في كل دعوة قارىء لا قوّال، فإن كلام الله تعالى أفضل من الغناء لا محالة، فاعلم أن الغناء أشد تهييجاً للوجد من القرآن من سبعة أوجه.

الواحدة (**من الحكمة**) إذا وردت عليه.

(**قال جعفر**) بن محمد بن نصير (**الخلدي**) أبو محمد البغدادي رحمه الله تعالى، صحب الجنيد وانتهى إليه، وصحب النوري ورويماً وسمنوناً والطبقة، مات ببغداد سنة ٣٤٨ ترجمه القشيري في الرسالة (**دخل رجل من أهل خراسان على الجنيد**) رحمه الله (**وعنده جماعة**) من الصوفية (**فقال**) ذلك الرجل: (**متى يستوي عند العبد حامده وذامه؟ فقال بعض الشيوخ**) الحاضرين والجنيد ساكت: (**إذا دخل البيمارستان**) وهو المحل الذي يسكن به المرضى وتحبس فيه المجانين، (**وقيد بقيدين**) كأنه يشير إلى حالة الفقد فيشبه بالمجانين، فإنه إذا فقد نفسه استوى عنده المدح والذم والمادح والذام. (**فقال الجنيد: ليس هذا من شأنك**) أي الكلام في هذا ليس من صفتك لأنك لم تكمل بعد، وكان سؤال الرجل كان متوجهاً إلى كل من حضر بالمجلس، ولم يكن خص الجنيد وإلاّ كان المبادرة من هذا المجيب مع خطئه عدّ من سوء أدب المجلس، (**ثم أقبل**) الجنيد (**على الرجل**) السائل (**فقال**): نعم (**إذا تحقق أنه مخلوق**) ومن تحقق أنه كذلك فالحامد عنده والذام بمنزلة واحدة لكمال شغله بالعبودية، (**فشهق الرجل شهقة ومات**) وكأنه ارتفع عنه عند سماع هذه الكلمة الحجاب الذي كان غطى على حق يقينه، فلما انكشف لم يتحمل فكان سبب مفارقة الروح منه.

(**فإن قلت: فإن كان سماع القرآن مفيداً للوجد**) كما ذكرت (**فما بالهم يجتمعون على سماع الغناء من القوّالين**) والمغنين (**دون القارئين؟ فكان ينبغي أن يكون اجتماعهم وتواجدهم في حلق القراء لا حلق المغنين، وكان ينبغي أن يطلب عند كل اجتماع في كل دعوى قارىء**) للقرآن (**لا قوّال**) من المنشدين، (**فإن كلام الله عز وجل أفضل من الغناء لا محالة**) بل ولا نسبة بينهما؟ (**فاعلم أن الغناء**) من حيث هو هو (**أشد تهييجاً**) وأكثر إثارة (**للوجد**) في القلب (**من القرآن من سبعة أوجه**).

الوجه الأوّل: أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له، فمن استولى عليه حزن أو شوق أو ندم فمن أين يناسب حاله قوله تعالى: ﴿يوصيكُم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين﴾ [النساء: ١١]، وقوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ [النور: ٤]، وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان أحكام الميراث والطلاق والحدود وغيرها، وإنما المحرك لما في القلب ما يناسبه. والأبيات إنما يضعها الشعراء إعراباً بها عن أحوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منها إلى تكلف. نعم من يستولي عليه حالة غالبة قاهرة لم تبق فيه متسعاً لغيرها ومعه تيقظ وذكاء ثاقب يتفطن به للمعاني البعيدة من الألفاظ، فقد يخطر وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكره قوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ حالة الموت المحوج إلى الوصية وأن كل إنسان لا بدّ أن يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا، فيترك أحد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعاً، فيغلب عليه الخوف والجزع أو يسمع ذكر الله في قوله: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ فيدهش بمجرد الإسم عما قبله وبعده، أو يخطر له رحمة الله على عباده

(**الوجه الأوّل: أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له**) ومخالط به (**ممن استولى عليه حزن أو شق أو ندم، فمن أين يناسب حاله قوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين﴾**) الآية. (**وقوله تعالى**): ﴿**والذين يرمون المحصنات**﴾ الآية (**وكذلك جميع الآيات التي فيها بيان أحكام الميراث**) والعدة (**والطلاق والحدود وغيرها، وإنما المحرك لما في القلب ما يناسبه، والأبيات إنما نظمها الشعراء إعراباً**) أي إظهاراً (**بها عن أحوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منها إلى تكلف**) لإثارة وجد، (**نعم من تستولي عليه حالة غالبة قاهرة**) وفي بعض النسخ: من يستولي عليه حال غلبة قاهرة (**لم تبق فيه متسعاً لغيره**) وفي نسخة: لم تبق فيه متسعاً لغيرها (**ومعه**) مع ذلك (**تيقظ وذكاء ثابت يتفطن به**) أي بذلك الذكاء (**للمعاني البعيدة**) الغور (**من الألفاظ فقد يخطر وجده على كل مسموع**) بل كل ناطقة في الكون تطربه، (**كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ حالة الموت المحوج للوصية، وأن كل انسان لا بدّ أن يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا**) بالحب الاضطراري. (**فيترك أحد المحبوبين**) الذي هو المال (**للثاني**) الذي هو الولد (**ويهجرهما جميعاً فيغلب عليه**) بفهم ذلك (**الخوف**) من العواقب (**والجزع**) على النوائب، (**أو يسمع ذكر**) كلمة (**الله في قوله ﴿يوصيكم الله﴾ فيدهشه بمجرد**) ذكر الاسم (**عما قبله وما بعده**) فلا يخطر له بباله شيء سواه (**أو يخطر له**) عند ذلك ذكر (**رحمة الله على عباده**

وشفقته بأن تولى قسم مواريثهم بنفسه نظراً لهم في حياتهم وموتهم فيقول: إذا نظر لأولادنا بعد موتنا فلا نشك بأنه ينظر لنا فيهيج منه حال الرجاء ويورثه ذلك استبشاراً وسروراً، أو يخطر له من قوله تعالى: ﴿للذكر مثل حظ الانثيين﴾ تفضيل الذكر بكونه رجلاً على الأنثى وأن الفضل في الآخرة ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [النور: ٣٧] وأن من ألهاه غير الله تعالى عن الله تعالى فهو من الإناث لا من الرجال تحقيقاً، فيخشى أن يحجب أو يؤخر في نعيم الآخرة كما أخرت الأنثى في أموال الدنيا، فأمثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان.

أحدهما: حالة غالبة مستغرقة قاهرة.

والآخر: تفطن بليغ وتيقظ بالغ كامل للتنبيه بالأمور القريبة على المعاني البعيدة وذلك مما يعز، فلأجل ذلك يفزع إلى الغناء الذي هو ألفاظ مناسبة للأحوال حتى يتسارع هيجانها. وروي أن أبا الحسين النوري كان مع جماعة في دعوى فجرى بينهم مسألة في العلم، وأبو الحسين ساكت ثم رفع رأسه وأنشدهم:

وشفقته) عليهم **(بأن تولى قسم مواريثهم بنفسه نظراً إليهم في حياتهم وموتهم، فيقول: إذا نظر لاولادنا بعد موتنا فلا نشك بأنه ينظر لنا فيهيج منه حال الرجاء)** في رحمة الله تعالى الواسعة: **(ويورثه ذلك استبشاراً وسروراً)** وفرحاً عظيماً، **(ويخطر له من قوله تعالى ﴿للذكر مثل حظ الانثيين﴾ تفضيل الذكر بكونه رجلاً على الانثى)**، ويخطر له في أثناء ذلك **(أن الفضل في الآخرة ﴿لرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ وأن من ألهاه)** أي شغله **(غير الله تعالى)** وأخلد إلى الحظ الفاني **(فهو من الإناث لا من الرجال تحقيقاً، فيخشى أن يحجب)** من الإرث المعنوي، **(أو يؤخر في نعيم الآخرة كما أخر في أموال الدنيا)** وفي نسخة: كما أخرت الانثى في أموال الدنيا، **(فأمثال هذا قد يحرك الوجد)** في القلب **(ولكن لمن فيه وصفان)**.

أحدهما: حالة غالبة مستغرقة قاهرة.

والآخر: تفطن بليغ وتيقظ كامل للتنبيه بالأمور القريبة المأخذ على المعاني البعيدة) فهمها من ظاهر الألفاظ. **(وذلك مما يعز)** وجوده **(فلأجل ذلك يفزع إلى الغناء الذي هو ألفاظ مناسبة للأحوال حتى يتسارع هيجانها)**.

(وروي أنه كان أبو الحسين) أحمد بن محمد **(النوري)** رحمه الله تعالى **(مع جماعة في دعوة)** طعام **(فجرى بينهم)** ذكر **(مسألة في العلم)** وتفاوضوا فيها، **(وأبو الحسين ساكت)** لا يتكلم **(ثم رفع رأسه وأنشدهم)** قول الشاعر:

رب ورقاء هتوف في الضحى — ذات شجوٍ صدحت في فننِ
ذكرت الفاً ودهراً صالحاً — وبكت حزناً فهاجت حزني
فبكائي ربما أرقها — وبكاها ربما أرقني
ولقد أشكو فما أفهمها — ولقد تشكُو فما تفهمني
غير أني بالجوى أعرفها — وهي أيضاً بالجوى تعرفني

قال: فما بقي أحد من القوم إلا قام وتواجد، ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه، وإن كان العلم جداً وحقاً.

الوجه الثاني: أن القرآن محفوظ للأكثرين ومتكرر على الأسماع والقلوب، وكلما سمع أولاً عظم أثره في القلوب، وفي الكرة الثانية يضعف أثره، وفي الثالثة يكاد يسقط

(رب ورقاء هتوف في الضحى — ذات شجو صدحت في فننِ)

أي رب حمامة يقال حمامة ورقاء، والاسم الورقة بالضم مثال الحمرة، وهتوف: كثيرة الصوت. يقال: هتفت الحمامة إذا صوتت، والشجو: الحزن، وصدحت: صوّتت. والفنن: محركة الغصن الناعم.

(ذكرت إلفاً ودهراً صالحاً — فبكت حزناً فهاجت حزني)

الإلف بالكسر الأليف وهو من يألفه، ودهراً صالحاً أي زماناً مضى كان صالحاً للالفة والاجتماع، والحزن بالضم الغم، وهاجت: أثارت، والحزن محركة بمعنى الحزن بالضم لغة فيه:

(فبكائي ربما أرقها — وبكاها ربما أرقني)

أرقها تأريقاً أشجاها، والأرق محركة اللوعة والرقة، وأرقني أشجاني.

(ولقد أشكو فما أفهمها — ولقد تشكو فما تفهمني)

أي أشكو من مفارقة ذلك الإلف فما أطيق أن أفهمها ما عندي من الشكوى، وهي أيضاً تشكو من فراق إلفها، فلا تطيق أن تفهمني ما عندها من الوجد والشكوى والحزن.

(غير أني بالجوى أعرفها — وهي أيضاً بالجوى تعرفني)

الجوى: وجد الباطن وحرقته. **(قال: فما بقي أحد من القوم إلا قام)** قائماً **(وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من)** مذاكرة **(العلم الذي خاضوا فيه، وإن كان العلم جداً وحقاً)**.

(الوجه الثاني: أن القرآن محفوظ للأكثرين) في صدورهم، **(ومتكرر على الأسماع والقلوب وكل ما سمع أوّله)** أي في أوّل مرة **(عظم أثره في القلب)** حتى يمتلىء هيبة وجلالة. **(وفي الكرة الثانية يضعف أثره في القلب، و)** في الكرة الثالثة **(يكاد يسقط أثره)**

أثره، ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة في الزمان، في يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك. ولو أبدل ببيت آخر لتجدد له أثر في قلبه وإن كان معرباً عن عين ذلك المعنى. ولكن كون النظم واللفظ غريباً بالإضافة إلى الأوّل يحرك النفس وإن كان المعنى واحداً. وليس يقدر القارىء على أن يقرأ قرآناً غريباً في كل وقت ودعوة فإن القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه وكله محفوظ متكرر، وإلى ما ذكرناه أشار الصديق رضي الله عنه حيث رأى الأعراب يقدمون فيسمعون القرآن ويبكون فقال: كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا، ولا تظنن أن قلب الصديق رضي الله عنه كان أقسى من قلوب الأجلاف من العرب، وأنه كان أخلى عن حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم، ولكن التكرار على قلبه اقتضى المرون عليه وقلة التأثر به لما حصل له من الأنس بكثرة استماعه، إذ محال في العادات أن يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيبكي، ثم يدوم على بكائه عليهم عشرين سنة، ثم يرددها ويبكي، ولا يفارق الأوّل الآخر إلا في كونه غريباً جديداً، ولكل جديد لذة ولكل طارىء صدمة، ومع كل مألوف أنس يناقض الصدمة. ولهذا همَّ عمر رضي الله عنه أن يمنع الناس من

من القلب، (**ولو كلف صاحب الوجد الغالب أن يحضر وجده على**) سماع (**بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة في الزمان في يوم أو أسبوع لم يمكنه ذلك**) أي لم يدم له ذلك الوجد، (**ولو أبدل ببيت آخر لتجدد له أثر**) في قلبه، (**وإن كان**) ذلك البيت (**معرباً**) أي مفصحاً (**عن عين ذلك المعنى**) المفهوم من البيت الأوّل، (**ولكن كون النظم واللفظ غريباً بالإضافة إلى الأوّل يحرك النفس**) ويزيدها هيجاناً، (**وإن كان المعنى واحداً. وليس يقدم القارىء على أن يقرأ قرآناً غريباً في كل وقت و**) في (**كل دعوة، فإن القرآن محصور لا يمكن الزيادة عليه وكل محفوظ متكرر، وإلى ما ذكرناه إشارة**) أبي بكر (**الصديق رضي الله عنه حيث رأى**) طائفة (**الأعراب**) من سكان البوادي (**يقدمون**) المدينة، (**فيسمعون القرآن ويبكون فقال: كنا كما كنتم ولكن قست قلوبنا**) أي ثبتت أخرجه أبو نعيم في الحلية، (**ولا تظنن**) أيها السامع (**إن قلب الصديق رضي الله عنه كان أقسى من قلوب الأجلاف من العرب، وأنه كان أخلى**) أي أكثر خلواً (**من حب الله تعالى وحب كلامه من قلوبهم**) أي أولئك الاجلاف، (**ولكن التكرار على قلبه اقتضى المرون عليه**) أي التعود عليه، (**وقلة التأثر لما حصل له من الإنس بكثرة استماعه إذ محال في العادة**) الجارية (**أن يسمع السامع آية لم يسمعها قبل فيبكي ثم يدوم على بكائه عليه عشرين سنة ثم يرددها ويبكي ولا يفارق الأوّل الآخر إلا في كونه غريباً جديداً، ولكل جديد لذة**) كما ان لكل قديم هجراناً، (**ولكل طارىء صدمة**) على القلب، (**ومع كل مألوف أنس يناقض الصدمة**) وقد

كثرة الطواف وقال: قد خشيت أن يتهاون الناس بهذا البيت أي يأنسوا به. ومن قدم حاجاً فرأى البيت أوّلاً بكى وزعق وربما غشي عليه إذا وقع عليه بصره، وقد يقيم بمكة شهراً ولا يحس من ذلك في نفسه بأثر. فإذاً المغني يقدر على الأبيات الغريبة في كل وقت ولا يقدر في كل وقت على آية غريبة.

الوجه الثالث: أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيراً في النفس فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون، وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات، ولو زحف المغني البيت الذي ينشده أو لحن فيه أو مال عن حدّ تلك الطريقة في اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة. وإذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوّش، فالوزن إذاً مؤثر فلذلك طاب الشعر.

الوجه الرابع: أن الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمى الطرق والدستانات، وإنما اختلاف تلك الطرق بمدّ المقصور وقصر الممدود والوقف في أثناء

قرره المصنف على وجه آخر يأتي بيانه في ذكر الأدب الثالث من آداب السماع قريباً. (**ولهذا همّ عمر رضي الله عنه أن يمنع الناس من كثرة الطواف وقال: قد خشيت أن يأبس الناس بهذا البيت أي يأنسوا به**) يقال: أبس به بالموحدة كفرح إذا ألفه وآنسه. (**ومن قدم حاجاً فرأى البيت أوّلاً بكى وزعق، وربما غشي عليه إذا وقع عليه بصره، وقد يقيم بمكة شهراً ولا يحس من ذلك في نفسه تأثيراً**) وكل هذا يقرب البعض من البعض في المعنى لمن عرف الإشارة فيه وفهم وهو عزيز الفهم عزيز الوجود، (**فإذاً المغني يقدر على الأبيات الغريبة**) أن ينشدها (**في كل وقت ولا يقدر على ذلك في الآيات**) القرآنية وهو ظاهر والله أعلم.

(**الوجه الثالث: أن لوزن الكلام بذوق الشعر تأثيراً**) غريباً (**في النفس، فليس الصوت الموزون**) بالأوزان الشعرية (**الطيب**) بحسن النغمات (**كالصوت الطيب**) اللذيذ (**الذي لس بموزون، وإنما يوجد الوزن في الشعر دون الآيات**) وما وجد في بعضها أحياناً اتفاقاً فهو نادر، فقد استخرج بعض القدماء للبحور الستة عشر آيات مناسبة للوزن وتتبعهم المتأخرون فاستنبطوا كذلك آيات، ولكن لا حكم لذلك. والقرآن معجز للبشر ولم يقصد فيه الوزن. (**ولو زحف المغني البيت الذي ينشده أو لحن فيه**) بأن غير إعرابه وأزاله عن جهته، (**أو مال عن حد تلك الطريقة في اللحن لما طرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة، وإذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوّش، فالوزن إذاً مؤثر فلذلك طاب الشعر**) ومالت إليه النفوس البشرية.

(**الوجه الرابع: أن الشعر الموزون يختلف تأثيره في النفس بالألحان التي تسمى الطرق والدستنيات**) وفي بعض النسخ الرستيانات وهي لفظة عجمية، (**وإنما اختلاف تلك الطرق بمد**

الكلمات والقطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أنزل، فقصره ومدّه والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام أو مكروه، وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذي سببه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير وإن لم يكن مفهوماً، كما في الأوتار والمزمار والشاهين، وسائر الأصوات التي لا تفهم.

الوجه الخامس: أن الألحان الموزونة تعضد وتؤكد بإيقاعات وأصوات أخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره، لأن الوجد الضعيف لا يستثار إلا بسبب قوي، وإنما يقوى بمجموع هذه الأسباب ولكل واحد منها حظ في التأثير، وواجب أن يصان القرآن عن مثل هذه القرائن لأن صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب، والقرآن جد كله عند كافة الخلق، فلا يجوز أن يمزج بالحق المحض ما هو لهو عند العامة. وصورته صورة اللهو عند الخاصة، وإن كانوا لا ينظرون إليها من حيث أنها لهو، بل ينبغي أن يوقر القرآن فلا يقرأ على شوارع الطرق بل في مجلس ساكن، ولا

المقصور وقصر الممدود والوقف في أثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها، وهذا التصرّف جائز في الشعر) بالاتفاق. **(ولا يجوز في القرآن إلا التلاوة كما أنزل)** وتلقفه الخلف عن السلف **(فقصره ومده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة)** والتجويد **(حرام ومكروه)** صرح به أئمة هذا الشأن. **(وإذا رتل القرآن كما أنزل سقط عنه الأثر الذي سببه وزن الألحان وهو سبب مستقل بالتأثير، وإن لم يكن مفهوماً كما في الأوتار والشاهين، وسائر الأصوات التي لا تفهم)**.

(الوجه الخامس: أن الألحان الموزونة تعضد) أي تقوي **(وتوله بايقاعات وأصوات أخر موزونة خارج الحلق كالضرب بالقضيب والدف وغيره)** ويقال لهذا الميزان دم تك. وقد رأيت كتاباً موسوماً كذلك نحو عشرين كراساً في قطع الكامل في بيان هذه الأوزان، فمن لم يتقنها ليس له في وزن الألحان كمال، **(لأن الوجد الضعيف لا يستثار)** من مكانه **(إلا بسبب قوي)** وسبب ضعفه سذاجة القلب وبلادة الطبع واستحكام الشواغل الفكرية أو رداءة المزاج، **(وإنما يقوى بمجموع هذه الأسباب ولكل واحد منها حظ في التأثير)** في النفوس، **(وواجب أن يصان القرآن)** ويحفظ **(عن مثل هذه القرائن لأن صورتها عند عامة الخلق صورة اللهو واللعب، والقرآن جدّ كله عند كافة الخلق)** مصون من الهزل، **(فلا يجوز أن يمزج الحق المحض بما هو لهو عند العامة)** وفي بعض النسخ: بالحق المحض ما هو لهو عند العامة. **(وصورتها صورة اللهو عند الخاصة وإن كانوا لا ينظرون إليها من حيث أنها لهو)** بل يلاحظون فيها معنى آخر وراء ذلك، **(بل ينبغي أن يوقر القرآن)** على كل حال،

في حال الجنابة ولا على غير طهارة ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن في كل حال إلا المراقبون لأحوالهم، فيعدل إلى الغناء الذي لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة، ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع قراءة القرآن ليلة العرس. وقد أمر رسول الله ﷺ بضرب الدف في العرس فقال: «أظهروا النكاح ولو بضرب الغربال» أو بلفظ هذا معناه، وذلك جائز مع الشعر دون القرآن، وكذلك لما دخل رسول الله ﷺ بيت الربيع بنت معوّذ وعندها جوار يغنين فسمع إحداهن تقول: وفينا نبي يعلم ما في غد. على وجه الغناء، فقال ﷺ: «دعي هذا وقولي ما كنت تقولين» وهذه شهادة بالنبوّة فزجرها

(فلا يقرأ على شوارع الطرق) وفي المزابل والمجاز ولا حيث تكشف العورات، **(بل في مجلس ساكن)** لا يشتغل أهله بشيء سوى سماعه، **(ولا)** يقرأ أيضاً **(في حال الجنابة ولا على غير طهارة)** بل يستاك ويتخلل ويطيب فاه إذ هو طريق القرآن، وله مع ذلك آداب.

منها: أن يستوي له قاعداً إن كان في غير صلاة فلا يكون متكئاً.

ومنها: أن يستقبل القبلة عند قراءته وإذا تثاءب يمسك عن القرآن وأن يقرأ على تؤدة وترسيل وغير ذلك مما تقدم بعضها في آداب تلاوة القرآن. **(ولا يقدر على الوفاء بحق حرمة القرآن في كل حال)**. ولا يقدر على ذلك إلا المراقبون لأحوالهم، **(فيعدل إلى الغناء الذي لا يستحق هذه المراقبة والمراعاة، ولذلك لا يجوز الضرب بالدف مع القرآن ليلة العرس)** أي الزفاف.

(وقد أمر رسول الله ﷺ بضرب الدف في العرس وقال «اظهروا النكاح ولو بضرب الغربال» أو لفظ هذا معناه) رواه ابن ماجه في سننه فقال: حدثنا نصر بن علي الجهضمي، والخليل بن عمرو قالا: حدثنا عيسى بن يونس، عن خالد بن الياس، عن ربيعة بن عبد الرحمن، عن القاسم، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «أعلنوا هذا النكاح واضربوا عليه بالغربال» خالد بن الياس ضعيف.

وقال الترمذي: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا عيسى بن ميمون، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف». قال الترمذي: حديث حسن غريب، وميمون يضعف في الحديث.

قلت: والحديث ثابت في أصله، ولو كان خالد وميمون ضعيفين. وفي الباب عن جماعة. وقد تقدم ذكر هذا الحديث في كتاب النكاح.

(وكذلك لما دخل رسول الله ﷺ بيت الربيع) بالتصغير مشدداً **(بنت معوّذ)** بن عفراء الانصارية بايعت تحت الشجرة وتأخرت وفاتها، **(وعندها جوار يغنين فسمع إحداهن تقول: وفينا نبي يعلم ما في غد على وجه الغناء)** وفي نسخة: على معرض الغناء **(فقال ﷺ «دعي**

عنها وردها إلى الغناء الذي هو لهو، لأن هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو، فإذاً يتعذر بسببه تقوية الأسباب التي بها يصير السماع محركاً للقلب فواجب في الاحترام العدول إلى الغناء عن القرآن كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوّة إلى الغناء.

الوجه السادس: أن المغني قد يغني ببيت لا يوافق حال السامع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي غيره فليس كل كلام موافقاً لكل حال. فلو اجتمعوا في الدعوات على القارىء فربما يقرأ آية لا توافق حالهم إذ القرآن شفاء للناس كلهم على اختلاف

هذا) أي اتركي هذا الكلام **(وقولي ما كنت تقولينه)** أخرجه البخاري في باب الضرب بالدف في النكاح قالت: جاء النبي ﷺ فدخل حين بني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر، إذا قالت إحداهن:

وفينا نبي يعلم ما في غد

فقال ﷺ «دعي هذا وقولي الذي كنت تقولين» وأخرجه الترمذي، وأبو داود وقال: حسن صحيح.

وقال ابن ماجه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن أبي الحسين واسمه خالد المدائني قال: كنا بالمدينة يوم عاشوراء والجواري يضربن بالدف ويتغنين، فدخلنا على الربيع بنت معوّذ فذكرنا ذلك لها فقالت: دخل علي رسول الله ﷺ صبيحة عرسي وعندي جاريتان تغنيان وتندبان آبائي الذين قتلوا يوم بدر وتقولان فيما تقولان:

وفينا نبي يعلم ما في غد

فقال «أما هذا فلا تقولاه لا يعلم ما في غد إلا الله» وقد تقدم الحديث في كتاب النكاح.

(وهذه شهادة بالنبوّة) وهو قولها، وفينا نبي، **(فزجرها عنها وردها إلى الغناء الذي هو «لهو» لأن هذا جد محض)** يعني الإقرار بالنبوّة، **(فلا يقرن بصورة اللهو)** وفي نسخة: بصورة الهزل، **(فإذاً يتعذر بسببه تقوية هذه الأسباب التي بها يصير السماع محركاً للقلب فواجب في الاحترام العدول إلى الغناء عن القرآن، كما وجب على تلك الجارية العدول عن شهادة النبوّة إلى الغناء)**، ولكن لا يتم هذا إلا إذا كان نهيه ﷺ متوجهاً لذلك، والظاهر من سياق ابن ماجه كما تقدم أن النهي توجه لقولها يعلم ما في غد، وأكد ذلك بقوله: «لا يعلم ما في غد إلا الله» ولهذا النظر يسقط الاحتجاج بالوجه الخامس فتأمل ذلك.

(الوجه السادس: ان الغناء قد يغني ببيت لا يوافق السامع فيكرهه وينهاه عنه ويستدعي غيره، وليس كل كلام موافقاً لكل حال) مطابقاً له فيما في نفسه. **(فلو اجتمعوا في الدعوات على القارىء فربما يقرأ آية)** من القرآن **(لا توافق حالهم، إذ القرآن شفاء**

الأحوال، فآيات الرحمة شفاء الخائف، وآيات العذاب شفاء المغرور الآمن. وتفصيل ذلك مما يطول. فإذاً لا يؤمن أن لا يوافق المقروء الحال وتكرهه النفس فيتعرض به لخطر كراهة كلام الله تعالى من حيث لا يجد سبيلاً إلى دفعه. فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب إذ لا يجد الخلاص عنه إلا بتنزيله على وفق حاله ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى إلا على ما أراد الله تعالى. وأما قول الشاعر فيجوز تنزيله على غير مراده ففيه خطر الكراهة أو خطر التأويل الخطأ لموافقة الحال فيجب توقير كلام الله وصيانته عن ذلك، هذا ما ينقدح لي في علل انصراف الشيوخ إلى سماع الغناء عن سماع القرآن.

وههنا **وجه سابع** ذكره أبو نصر السراج الطوسي في الاعتذار عن ذلك فقال: القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه البشرية، لأنه غير مخلوق فلا تطيقه الصفات المخلوقة. ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت. والألحان الطيبة مناسبة للطباع ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق، والشعر

الناس كلهم على اختلاف الأحوال **فآيات الرحمة شفاء الخائف)** من العذاب **(وآيات العذاب شفاء المغرور الآمن)** وأيات الشفاء شفاء المريض وآيات الكفاية شفاء المضطر، **(وتفصيل ذلك مما يطول فإذاً لا يؤمن أن لا يوافق المقروء الحال وتكرهه النفس فتعرض به لخطر كراهة كلام الله عز وجل من حيث لا يجد سبيلاً إلى دفعه فالاحتراز عن خطر ذلك حزم بالغ وحتم واجب إذ لا يجد الخلاص عنه إلا بتنزيله على وفق حاله)** المناسب له، **(ولا يجوز تنزيل كلام الله تعالى إلا على ما أراد الله تعالى فيجب توقير كلامه تعالى وصيانته عن ذلك)**. وقد عقد القاضي عياض في كتابه الشفاء باباً لذلك وبالغ في التحذير عنه وذكر فيه اتفاق العلماء على ذلك. **(وأما قول الشاعر: فيجب تنزيله على وفق الحال ولا يجب صيانته عن ذلك)** بل يتلاعب به كما شاء ولا يلزمه في ذلك محذور إذ هو كلام مخلوق. **(هذا ما ينقدح لي في علل انصراف الشيوخ إلى سماع الغناء عن سماع القرآن في حالة الجمع والأوقات)**.

(وههنا وجه سابع ذكره أبو نصر السراج الطوسي) روى عنه أبو حاتم السجستاني وغيره وله ذكر في الرسالة في مواضع كثيرة **(في الاعتذار عن ذلك فقال: القرآن كلام الله وصفة من صفاته وهو حق لا تطيقه)** القوة **(البشرية لأنه غير مخلوق، فلا تطيقه الصفات المخلوقة)** لضعفها وعجزها عن أن تنال منه. **(ولو كشف للقلوب ذرة من معناه وهيبته لتصدعت ودهشت وتحيرت)** في درك ذلك **(والألحان الطيبة مناسبة للطباع)** ملائمة لها **(ونسبتها نسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الحظوظ، فإذا علقت الألحان**

نسبته نسبة الحظوظ. فإذا علقت الألحان والأصوات بما في الأبيات من الإشارات واللطائف شاكل بعضها بعضاً فكان أقرب إلى الحظوظ وأخف على القلوب لمشاكلة المخلوق. فما دامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا وحظوظنا نتنعم بالنغمات الشجية والأصوات الطيبة، فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلى القصائد أولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدأوا إليه يعود. هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره.

وقد حكي عن أبي الحسن الدراج أنه قال: قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد للزيارة والسلام عليه، فلما دخلت الري كنت أسأل عنه فكل من سألته عنه قال: ايش تعمل بذلك الزنديق؟ فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف. ثم قلت في

والأصوات بما في الأبيات) المقولة **(من اللطائف)** المعنوية **(والإشارات)** السرية **(شاكل بعضها بعضاً فكان أقرب إلى الحظوظ)** النفسية **(وأخف على القلوب بمشاكلة المخلوق، فما دامت البشرية باقية ونحن بصفاتنا)** الحادثة **(وحظوظنا النفسية نتنعم بالنغمات الشجية والأصوات الطيبة)** ونتلذذ بها **(فانبساطنا لمشاهدة بقاء هذه الحظوظ إلى القصائد أولى من انبساطنا إلى كلام الله تعالى الذي هو صفته وكلامه الذي منه بدا، وإليه يعود هذا حاصل المقصود من كلامه واعتذاره)**.

وههنا وجه ثامن قريب من الوجه السابع إن لم يكن هو. قال القشيري في الرسالة، وقال الخواص وقد سئل ما بال الإنسان يتحرك ويجد عند سماع غير القرآن ما لا يجد ذلك في سماع القرآن فقال: لأن سماع القرآن صدمه لا يمكن لأحد أن يتحرك فيه بشدة غلبة، وسماع القول ترويح فيتحرك فيه.

ووجه تاسع أن عند سماع القرآن تنزل السكينة والطمأنينة وتحضر الملائكة فينتج ذلك له التوقر والسكون وعدم الحركة وسماع الألحان على خلاف ذلك لأنه في صور اللهو، فلا تحضره الملائكة فينتج ذلك له الحركة والاضطراب، وهذا هو المشهور الذي كنا نسمعه من مشايخنا في الاعتذار.

(وقد حكي عن أبي الحسين الدراج) بن الحسين الرازي تقدم ذكره ولفظ الرسالة: وسمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول حكى لي بعض إخواني عن أبي الحسين الدراج **(أنه قال: قصدت يوسف بن الحسين الرازي)** شيخ المري والجيلي **(من بغداد للزيارة والسلام عليه)** وكان بالري وهو نسيج وحده في إسقاط التصنع، صحب ذا النون المصري، وأبا تراب، ورافق أبا سعيد الخراز مات سنة أربع وثلاثمائة وترجه القشيري في الرسالة، **(فلما دخلت الري)** وهي المدينة المشهورة من خراسان **(كنت أسال عنه)** أي عن منزله **(فكل من سألته يقول: إيش تعمل بذلك الزنديق؟)** ولفظ الرسالة: فلما دخلت الري سألت عن منزله فكل من

نفسي: قد جبت هذا الطريق كله فلا أقل من أن أراه. فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه في مسجد وهو قاعد في المحراب وبين يديه رجل وبيده مصحف وهو يقرأ، فإذا هو شيخ بهي حسن الوجه واللحية، فسلمت عليه فأقبل عليَّ وقال: من أين أقبلت؟ فقلت: من بغداد، فقال: وما الذي جاء بك؟ فقلت: قصدتك للسلام عليك، فقال: لو أن في بعض هذه البلدان قال لك إنسان أقم عندنا حتى نشتري لك داراً أو جارية أكان يقعدك ذلك عن المجيء؟ فقلت: ما امتحنني الله بشيء من ذلك ولو امتحنني ما كنت أدري كيف أكون؟ ثم قال لي: أتحسن أن تقول شيئاً؟ فقلت: نعم. فقال: هات! فأنشأت أقول:

أسأل عنه يقول: إيش تفعل بـذلـك الزنـديـق؟ (**فضيقـوا عليَّ صـدري حتى عـزمـت على الانصراف**) عنه فبت تلك الليلة في مسجد، (**ثم قلت في نفسي: قد جئت هذا الطريق كله**). ولفظ الرسالة: جئت هذا البلد (**فلا أقل من أن أراه**) ولفظ الرسالة: من زيارته، (**فلم أزل أسأل عنه حتى دخلت عليه في مسجد**) ولفظ الرسالة: حتى دفعت إلى مسجده، (**وهو قاعد في المحراب وبين يديه رحل بيده**) وفي نسخة: وبيده. وفي أخرى: رجل في يده (**مصحف وهو يقرأ**) وكل ذلك تصحيف. ولفظ الرسالة: وبين يديه رحل وعليه مصحف يقرأ والرحل بالحاء المهملة ما يوضع عليه المصحف، (**وإذا بشيخ**) ولفظ الرسالة: وإذا هو شيخ (**بهي حسن الوجه واللحية**) فدنوت منه (**فسلمت**) عليه (**فأقبل عليَّ**) بعد أن ردَّ السلام (**وقال: من أين**) جئت؟ (**فقلت: من بغداد. فقال: وما الذي جاء بك؟ فقلت: قصدتك للسلام عليك**) ولفظ الرسالة بعد قوله من بغداد: قصدت زيارة الشيخ (**فقال**) لي مكاشفة وامتحاناً فيما وقع لي من ترددي في زيارته بسبب ما قيل لي: إنه زنديق، ومن قولي بعده فلا أقل من أن أراه ثم زيارتي له بهذه النية ورؤيتي له على صورة حسنة وهو يقرأ في المصحف: (**لو أن رجلاً في بعض هذه البلدان**) التي بيننا وبين بغداد (**قال لك: أقم عندنا حتى نشتري لك داراً وجارية أكان يقعدك ذلك عن المجيء**) ولفظ الرسالة: كان يمنعك عن زيارتي (**فقلت**) له: يا سيدي (**ما امتحنني الله بشيء من ذلك، فلو**) كان (**امتحنني ما كنت أدري كيف يكون**) ولفظ الرسالة: ولو كان لا أدري كيف كنت أكون. قال الشارح: يعني ما كنت أدري ما يكون، ففهم من كلامه أنه عاقل عالم بقدر الله صادق في زيارته، (**ثم قال لي: أتحسن شيئاً من القول**) المناسب للحال؟ ولفظ الرسالة فقال: تحسن أن تقول شيئاً؟ (**فقلت له: نعم. فقال: هات فابتدأت فقلت**):

رأيتـك يـدنيني إليك تبـاعـدي ... فبـاعـدت نفسي في ابتغـاء التقـرب

فقال: زدني. فقلت:

رأيتـــــك تبني دائماً في قطيعتي　　ولو كنت ذا حزمٍ لهدمت ما تبني
كأني بكم والليت أفضل قولكـم　　ألا ليتنـا كنـا إذا الليـت لا يغني

قال: فأطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه، حتى رحمته من كثرة بكائه، ثم قال: يا بني تلوم أهل الري يقولون: يوسف زنديق، هذا أنا من صلاة الغداة اقرأ في المصحف لم تقطر من عيني قطرة، وقد قامت القيامة عليَّ لهذين البيتين. فإذا القلوب وإن كانت محترقة في حب الله تعالى فإن البيت الغريب يهيج منها ما لا تهيج تلاوة القرآن، وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع، ولكونه مشاكلاً للطبع اقتدر البشر

(رأيتـــــك تبني دائماً في قطيعتي　　ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني)

وفي بعض النسخ: دائباً بالموحدة، وهكذا هو في الرسالة أي مجد او القطيعة المجافاة والمهاجرة والحزم العقل والتهديم مبالغة الهدم أشار به إلى أن العبد يشتغل في أكثر عمره بغير ربه وما خلق له.

(كأني بكم والليت أفضل قولكـم　　ألا ليتنا كنـا إذ الليـت لا يغني)

هذا البيت ثابت في سائر نسخ الكتاب ولم يذكره صاحب الرسالة. **(قال: فأطبق المصحف)** لما سمع هذا القول، **(ولم يزل يبكي حتى ابتل ثوبه ولحيته حتى رحمته)** أي أشفقت عليه **(من كثرة بكائه، ثم)** أراد أن يعرفني أيضاً كمال حاله، وأن زيارته لم تجب حيث **(قال: يا بني تلوم أهل الري)** يعني أهل مدينته إذ **(يقولون: يوسف)** بـن الحسين **(زنديق)** كأنه أشرف على ما يقولون في حقه **(من صلاة الغداة)** أي الفجر، ولفظ الرسالة: ومن وقت الصلاة **(هوذا)** أي أنا **(أقرأ في المصحف)**، ثم **(لم تقطر من عيني قطرة)** دمع، **(وقد قامت علي القيامة)** وجرى عليَّ ما رأيته **(من هذين البيتين)** ولفظ الرسالة بهذا البيت أي بسماعي له، وهذا كله يدل على كماله لأشتغاله بكتاب الله تعالى من وقت الصلاة إلى وقت الاجتماع مع ما رأيت، وأين هذا من الزندقة.

وبالجملة: فالغرض أن العبد لا يلتفت لمدح العوام ولا ذمهم لأنهم يوقعون ذلك بغير أصل، ولو سمع الزائر من كلامهم لفاتته هذه الخيرات. هكذا قرره شارح الرسالة وهو غير مطابق لكلام الشيخ: تلوم أهل الري أي كيف تلومهم على قولهم هو زنديق؟ وقد رأيت من عدم البكاء والاستلذاذ بكلام رب العالمين، وحين سمعت قول المخلوق هاج عندي ما هاج فكأنه يريه أنه ناقص المقام عن رتبة أهل الكمال، وهذا اعتراف منه لعجزه. وإيراد المصنف هذه القصة هنا يدل لما أشرت إليه فتأمل تجده.

(فإذاً القلوب وإن كانت محترقة بحب الله تعالى فإن البيت الغريب يهيج منها ما لا تهيجه تلاوة القرآن وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع) والفته لها، **(ولكونه مشاكلاً**

على نظم الشعر، وأما القرآن؛ فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومنهاجه وهو لذلك معجز لا يدخل في قوّة البشر لعدم مشاكلته لطبعه. وروي أن اسرافيل ـ أستاذ ذي النون المصري ـ دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت في الأرض بأصبعه ويترنم ببيت فقال: هل تحسن أن تترنم بشيء؟ فقال: لا، قال: فأنت بلا قلب ـ إشارة إلى أن من له قلب وعرف طباعه علم أنه تحركه الأبيات والنغمات تحريكاً لا يصادف في غيرها فيتكلف طريق التحريك إما بصوت نفسه أو بغيره ـ وقد ذكرنا حكم المقام الأوّل في فهم المسموع وتنزيله، وحكم المقام الثاني في الوجد الذي يصادف في القلب، فلنذكر الآن أثر الوجد. أعني ما يترشح منه إلى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة وتمزيق ثوب وغيره فنقول:

للطبع اقتدر البشر على نظم الشعر) ووضع أساليبه. (وأما القرآن فنظمه خارج عن أساليب الكلام ومنهاجه، وهو لذلك) أي لأجله (معجز) للبشر (لا يدخل في قوّة البشر لعدم مشاكلته لطبعه).

(وروي أن اسرائيل استاذذي النون المصري) رحمها الله تعالى (دخل عليه رجل فرآه وهو ينكت في الأرض باصبعه ويترنم ببيت فقال) للرجل: (هل يحسن أن تترنم بشيء؟ قال: لا. قال: فأنت بلا قلب) أي ليس لك حس صحيح، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا في مقدمة كتاب العلم عند ذكر الأقوال المنسوبة إلى المصنف (إشارة إلى أن من له قلب وعرف طباعه علم أنه تحركه الابيات والنغمات تحريكاً لا يصادف في غيره) أي لا يوجد، (فيتكلف طريق التحريك إما بصوت نفسه أو غيره). ويقرب من ذلك ما رواه ابن طاهر المقدسي في صفوة التصوّف بسنده إلى المزني قال: مررنا مع الشافعي على دار قوم وجارية تغنيهم:

خليليَّ ما بال المطايا كأنها ... نراها على الأعقاب بالقوم تنكص

فقال الشافعي: ميلوا بنا نسمع، فلما فرغت قال الشافعي للمزني: أيطربك هذا؟ قال: لا. قال: فما لك حس صحيح.

وروى الاستاذ أبو منصور البغدادي في رسالة له في السماع بسنده عن يونس بن عبد الأعلى أن الشافعي استصحبه إلى مجلس فيه قينة تغني قال: فلما فرغت قال: هل استطبت شيئاً؟ قلت: لا فقال: إن صدقت فما لك حس صحيح.

(وقد ذكرنا حكم المقام الأوّل في فهم المسموع وتنزيله) على موارده، (و) كذلك ذكرنا (حكم المقام الثاني في الوجد يصادف في القلب، فلنذكر الآن أثر الوجد أعني ما يترشح منه إلى الظاهر من صعقة وبكاء وحركة وتمزيق وغيره فنقول):

المقام الثالث من السماع:

نذكر فيه آداب السماع ظاهراً وباطناً ما يحمد من آثار الوجد وما يذم. فأما الآداب فهي خمس جمل.

الأول: مراعاة الزمان والمكان والإخوان. قال الجنيد: السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء وإلاّ فلا تسمع: الزمان والمكان والاخوان. ومعناه أن الاشتغال به في وقت حضور طعام أو خصام أو صلاة أو صارف من الصوارف مع اضطراب القلب لا فائدة فيه، فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعي حالة فراغ القلب له، وأما المكان: فقد يكون شارعاً مطروقاً أو موضعاً كريه الصورة أو فيه سبب يشغل القلب فيجتنب ذلك. وأما الاخوان؛ فسببه أنه إذا حضر غير الجنس من منكر السماع متزهد الظاهر مفلس من لطائف القلوب كان مستثقلاً في المجلس واشتغل القلب به. وكذلك إذا حضر متكبر من أهل الدنيا يحتاج إلى مراقبته وإلى مراعاته، أو متكلف متواجد من أهل التصوّف يرائي بالوجد والرقص

المقام الثالث: من السماع:

(نذكر فيه آداب السماع ظاهراً وباطناً وما يحمد من آثار الوجد والندم، فأما الآداب فهي خمسة).

(الأوّل: مراعاة الزمان والمكان والإخوان قال) أبو القاسم **(الجنيد)** قدس سره: **(السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء، وإلاّ فلا يسمع الزمان والمكان والإخوان)** نقله القشيري في الرسالة. **(ومعناه: إن الاشتغال به في وقت حضور طعام أو حطام أو صلاة أو صارف من الصوارف)** أي مانع من الموانع **(مع اضطراب القلب)** مما يشوّشه من الأسباب **(لا فائدة فيه، فهذا معنى مراعاة الزمان فيراعي حال فراغ القلب)** فيتفرغ له، **(والمكان فقد يكون شارعاً مطروقاً)** أي مسلوكاً، **(أو موضعاً كريه الصورة أو فيه سبب يشغل)** القلب **(فيجتنب)** ذلك ليسلم من القبض والتكلف لذلك. **(وأما الإخوان فسببه)** أنه **(إذا حضر غير الجنس)** من الأغيار والأضداد **(ممن ينكر السماع)** وينكر على أهله **(متزهد بالظاهر)** أي يتكلف للزهد **(مفلس)** أي عادم **(من لطائف المعارف)** واقف عند جمود التقليد **(كان مشتغلاً في المجلس واشتغل القلب به، وكذلك إذا حضر)** المجلس **(متكبر من أهل الدنيا)** ممن **(يحتاج)** إلى **(مراقبته وإلى مراعاته أو)** حضر **(متكلف متواجد من أهل التصوّف يرائي بالوجد والرقص وتمزيق الثياب)** أي يفعل ذلك الأفعال بالمراءاة.

وجدت بخط بعض شيوخ اليمن قال: وجدت بخط حافظ الديلم اليمنية أبي الربيع سليمان بن إبراهيم العلوي ما نصه: أنشدنا الإمام الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني

وتمزيق الثياب، فكل ذلك مشوّشات. فترك السماع عند فقد هذه الشروط أولى ففي هذه الشروط نظر للمستمع.

الأدب الثاني: وهو نظر الحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله مريدون يضرهم السماع فلا ينبغي أن يسمع في حضورهم فإن سمع فليشغلهم بشغل آخر، والمريد الذي يستضر بالسماع أحد ثلاثة.

أقلهم درجة: هو الذي لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة، ولم يكن له ذوق السماع، فاشتغاله بالسماع اشتغال بما لا يعنيه، فإنه ليس من أهل اللهو فيلهو ولا من أهل الذوق فيتنعم بذوق السماع، فليشتغل بذكر أو خدمة وإلا فهو تضييع لزمانه.

الثاني: هو الذي له ذوق السماع، ولكن فيه بقية من الحظوظ والالتفات إلى الشهوات

الشهير بابن حجر، وقد قدم زائراً في منزلنا بزبيد يوم السبت رابع عشر شعبان سنة ثمانمائة قال: أنشدنا العماد أحمد بن موسى بن عيسى الكركي الشافعي بقراءتي عليه عن الكمال الأدفوي صاحب الامتاع أنشده لنفسه:

شرط السماع حضور حس دائم ... وخلوّه عن أكثر الفقهاء
اسمع صفاتهم فقد حررتها ... مع أنها تربو عن الاحصاء
ما بين من يبغي العلو تعاظما ... ومخبط ومحسن ومرائي

(فكل ذلك مشوّشات فترك السماع عند فقد هذه الشروط أولى، ففي هذه الشروط نظر للمستمع).

(الأدب الثاني: وهو نظر للحاضرين أن الشيخ إذا كان حوله مريدون) أي مبتدئون في السلوك **(يضرهم السماع)** بأن يزيلهم عما كانوا عليه من الجد في الأعمال، **(فلا ينبغي أن يسمع)** ذلك الشيخ **(في حضورهم فإن سمع)** أي اتفق سماعه بحضرتهم **(فليشغلهم بشغل آخر، والمريد الذي يستضر بالسماع أحد ثلاثة)**.

(أقلهم درجة هو الذي لم يدرك من الطريق إلا الأعمال الظاهرة) فهو مداوم عليها، **(ولم يكن له ذوق السماع فاشتغاله بالسماع)** حينئذ اشتغال بما لا يعنيه فإنه ليس من أهل اللهو فيلهو لأن السماع صورته صورة لهو، **(ولا)** هو **(من أهل الذوق)** الكامل **(فيتنعم بذوق السماع)** فليشتغل من وصفه هذا **(بذكر أو خدمة)** للفقراء، **(وإلاّ فهو تضييع لزمانه)** فيما لا يعنيه.

(والثاني: هو الذي له ذوق السماع ولكن فيه) بعد **(بقية من الحظوظ)** الطبيعية،

والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكساراً تؤمن غوائله فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة، فيقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال.

الثالث: أن يكون قد انكسرت شهوته وأمنت غائلته وانفتحت بصيرته واستولى على قلبه حب الله تعالى، ولكنه لم يحكم ظاهر العلم ولم يعرف أسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل؛ فإذا فتح له باب السماع نزل المسموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز، فيكون ضرره من تلك الخواطر التي هي كفر أعظم من نفع السماع.

قال سهل رحمه الله: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنّة فهو باطل. فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وحب المحمدة والثناء، ولا لمن يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له ويشغله ذلك عن عباداته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه. فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه. قال الجنيد: رأيت

(**والالتفات إلى الشهوات**) النفسية، (**والصفات البشرية ولم ينكسر بعد انكساراً يؤمن من غوائله**) أي مهالكه. (**فربما يهيج السماع منه داعية اللهو والشهوة فيقطع عليه طريقه ويصده عن الاستكمال**) وإليه الإشارة في قول ذي النون المصري رحمه الله تعالى سئل عنه فقال: من أصغى إليه بنفس تزندق. وكذا قول الاستاذ أبي علي الدَّقاق السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم. وقال آخر: من شرط صاحب السماع بشرط الحال الفناء عن أحوال البشرية والتنقي من آثار الحظوظ بظهور أحكام الحقيقة.

(**الثالث: أن تكون قد انكسرت شهوته وأمنت غائلته وانفتحت بصيرته، واستولى على قلبه حب الله تعالى ولكنه لم يحكم ظاهر العلم**) أي لم يتقنه، (**ولم يعرف أسماء الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما يستحيل، فإذا فتح عليه باب السماع نزل المسموع في حق الله تعالى على ما يجوز وما لا يجوز. فيكون ضرره من تلك الخواطر**) المارة عند تنزيله على ما لا يجوز (**التي هي كفر أعظم من نفع السماع**)، وإليه الإشارة بقول من قال شرط صاحب السمـاع بشـرط العلم معرفة الأسامي والصفات التي لله تعالى يصفه بما يليق بجلاله مما سمعه وينفي عنه ما سواه، وإلاَّ وقع في الكفر المحض.

(**قال**) أبو محمد (**سهل**) بن عبد الله التستري: (**كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل**) نقله القشيري في الرسالة، (**فلا يصلح السماع لمثل هذا ولا لمن قلبه بعد ملوث بحب الدنيا وحب المحمدة والثناء ولا لمن يسمع لأجل التلذذ والاستطابة بالطبع فيصير ذلك عادة له، ويشغله ذلك عن عباداته ومراعاة قلبه وينقطع عليه طريقه. فالسماع مزلة قدم يجب حفظ الضعفاء عنه**).

إبليس في النوم فقلت له: هل تظفر من أصحابنا بشيء؟ قال: نعم. في وقتين. وقت السماع ووقت النظر فإني أدخل عليهم به. فقال بعض الشيوخ: لو رأيته أنا لقلت له ما أحمقك من سمع منه إذا سمع ونظر إليه إذا نظر كيف تظفر به؟ فقال الجنيد: صدقت.

الأدب الثالث: أن يكون مصغياً إلى ما يقول القائل، حاضر القلب قليل الالتفات إلى الجوانب، متحرزاً عن النظر إلى وجوه المستمعين وما يظهر عليهم من أحوال الوجد،

قال صاحب العوارف: وحيث تصدى للحرص عليه أقوام قلّت أعمالهم وفسدت أحوالهم صار معلولاً تركن إليه النفوس طلباً للشهوات واستحلاء لمواطن اللهو والغفلات، وينقطع بذلك على المريد طلب المزيد، ويكون بطريقة تضييع الأوقات، وقلة الحظ من العبادات وتكون الرغبة في الأجتماع طلباً لتناول الشهوة واستروحاً إلى الطرب واللهو والعشرة، ولا يخفى أن هذا الاجتماع مردود عند أهل الصدق، فكان يقال: لا يصح السماع إلا لعارف مكين ولا يصلح لمريد مبتدىء. قال الجنيد: إذا رأيت المريد يطلب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة، وقيل: إن الجنيد ترك السماع فقيل له: أما كنت تسمع فلم تمتنع؟ فقال: مع من؟ قيل له: تسمع أنت لنفسك. فقال: ممن؟ لأنهم كانوا لا يسمعون إلاَّ من أهل مع أهل، فلما فقدوا سماع الإخوان تركوا فما اختاروا السماع حيث اختاروه إلا بشروط وقيود وآداب يذكرون به الآخرة ويزداد به طلبهم وتحسن به أحوالهم ويتفق لهم ذلك اتفاقاً في بعض الأحايين، لا أن يجعلوه دأباً وديدناً حتى يتركوا لأجله الأوراد.

(قال) أبو القاسم **(الجنيد)** قدس سره: **(رأيت إبليس في النوم فقلت له: هل تظفر من أصحابنا)** الصوفية **(بشيء قال: نعم. في وقتين: وقت السماع، ووقت النظر فإني أدخل عليهم به، فقال بعض الشيوخ)** حين ذكر له الجنيد ذلك: **(لو رأيته أنا لقلت)** له **(ما أحمقك من سمع منه إذا سمع ونظر إليه إذا نظر كيف تظفر به)**؟ يشير إلى أن من كمل مقامه في السماع، وفي النظر فصار به يسمع وبه ينظر كيف يداخله إبليس. **(قال الجنيد: صدقت)**، ويشبه هذه القصة ما قال القشيري: رأى بعضهم النبي ﷺ في المنام فقال: الغلط في هذا كثير يعني به السماع. سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا بكر النهاوندي يقول: سمعت علياً السائح يقول: سمعت أبا الحارث الادلاسي يقول: رأيت إبليس في المنام وهو على بعض سطوح إدلاس، وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة، وعليهم ثياب نظاف فقال لطائفة منهم: قولوا. فقالوا وغنوا فاستفزعني طيبه حتى هممت أن أطرح نفس من السطح، ثم قال: ارفعوا فرفعوا أطيب ما يكون، ثم قال: يا أبا الحارث ما أصبت شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا.

(الأدب الثالث أن يكون مصغياً) باذنه **(إلى ما يقول القائل حاضر القلب قليل الالتفات إلى الجوانب)** أي الاطراف، **(مشتغلاً بنفسه ومراعاة قلبه)** من أن يخطر به خاطر

مشتغلاً بنفسه ومراعاة قلبه ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سره، متحفظاً عن حركة تشوّش على أصحابه قلوبهم. بل يكون ساكن الظاهر، هادىء الأطراف، متحفظاً عن التنحنح والتثاؤب، ويجلس مطرقاً رأسه كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه، متماسكاً عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراءاة ساكتاً عن النطق في أثناء القول بكل ما عنه بدّ، فإن غلبه الوجد وحركه بغير اختيار فهو معذور فيه غير ملوم. ومهما رجع إليه الاختيار فليعد إلى هدوئه وسكونه. ولا ينبغي أن يستديمه حياء من أن يقال انقطع وجده على القرب ولا أن يتواجد خوفاً من أن يقال هو قاسي القلب عديم الصفاء والرقة.

حكي أن شاباً كان يصحب الجنيد، فكان إذا سمع شيئاً من الذكر يزعق، فقال له

شيطاني فيفسده عليه، **(ومراقبة ما يفتح الله تعالى له من رحمته في سره)** أي باطنه، **(متحفظاً من حركة تشوّش على أصحابه قلوبهم، بل يكون ساكن الظاهر هادىء الأطراف متحفظاً عن التنحنح)** إلا عن غلبة **(و)** عن **(التثاؤب)** فإنه من الشيطان وينبىء عن فتور في الباطن، **(ويجلس مطرقاً رأسه)** إلى الأرض **(كجلوسه في فكر مستغرق لقلبه)** أي كجلوسه في تلك الحالة، فإن الفكر إذا استغرق قلبه سكن باطنه وظاهره **(متماسكاً عن التصفيق والرقص وسائر الحركات على وجه التصنع والتكلف والمراءاة)** للناس، **(ساكتاً عن النطق في اثناء القول بكل ما عنه بد، فإن غلبه الوجد وحركه من غير اختياره)** فقام وتواجد وتكلم أو صرخ، **(فهو فيه معذور غير ملوم)** فيه. **(ومهما رجع إليه الاختيار)** وذهب عنه ذلك **(فليعد إلى هدوئه وسكونه، ولا ينبغي أن يستديمه حياء من أن يقال هو قاسي القلب)** جامد الطبع **(عديم الصفاء والرقة)**.

وقال صاحب العوارف: مبنى التصوّف على الصدق في سائر الأحوال، وهو جدٌّ كله لا ينبغي للصادق أن يتعمد الحضور في مجمع يكون فيه سماع إلا بعد أن يخلص النية لله تعالى، ويتوقع به مزيداً في إرادته وطلبه، ويحذر من ميل النفس لشيء من هواها، ثم يقدم الاستخارة للحضور ويسأل الله تعالى إذا عزم البركة فيه، وإذا حضر يلزم الصدق والوقار بسكون الاطراف. قال أبو بكر الكتاني: يجب على المستمع أن يكون في سماعه غير مستروح إليه يهيج منه السماع وجداً أو شوقاً أو غلبة، فالوارد إذا رد عليه يغنيه عن كل حركة وسكون فيتقي الصادق ادعاء الوجد، ويجتنب الحركة فيه مهما أمكن سيما بحضرة الشيوخ.

(حكي أن شاباً كان يصحب الجنيد وكان) من شأنه **(إذا سمع من الذكر شيئاً يزعق)** ويصيح ويتغير عليه الحال **(فقال له الجنيد يوماً: إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني)** هكذا هو نص الرسالة. قال الشارح: الأولى لا تصحبني أي لأن إخفاء الأحوال عن غير

الجنيد يوماً: إن فعلت ذلك مرة أخرى لم تصحبني، فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق، فحكي أنه اختنق يوماً لشدة ضبطه لنفسه فشهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه.

وروي أن موسى عليه السلام قصّ في بني إسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه أو قميصه فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل له: مزق لي قلبك ولا تمزق ثوبك. قال أبو القاسم النصر اباذي لأبي عمرو بن عبيد أنا أقول: إذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خير لهم من أن يغتابوا؛ فقال أبو عمرو: الرياء في السماع وهو أن ترى من نفسك

الله أفضل لمن قدر عليه، **(فكان بعد ذلك)** إذا سمع شيئاً **(يضبط نفسه)** عن الزعيق، **(حتى)** كان **(يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزعق)** مما يقاسيه في الكتم من الشدة، **(فحكي أنه اختنق يوماً لشدة ضبطه نفسه، فشهق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه)** أورده القشيري في الرسالة فقال: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت عبد الواحد ابن علوان يقول: كان شاب يصحب الجنيد فساقه وفيه: فيوماً من الأيام صاح صيحة فتلفت نفسه أي لغلبة قوّة الحال عليه، فكان ذلك سبب موته. وما قاله الجنيد هو شأنه في القوّة كما سيأتي عنه. وأورده السهروردي في العوارف نحوه.

(وروي أن موسى عليه السلام قصّ في بني إسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه) ولفظ الرسالة: وسئل ابراهيم المارستاني عن الحركة عند السماع فقال: بلغني أن موسى عليه السلام فساقه إلا أنه قال «قميصه» بدل «ثوبه» ولفظ العوارف بعد أن أورد إنكار جماعة من الصحابة والتابعين على أحوال تعتري البعض عند قراءة القرآن من غير غلبة، وهذا القول ليس إنكاراً منهم على الإطلاق إذ يتفق ذلك لبعض الصادقين، ويمكن للتصنع المتوهم في حق الاكثرين قد يكون ذلك في البعض تصنعاً ورياء، ويكون من البعض لقصور علم ومخامرة جهل ممزوج بهوى يلم بأخذ يسير من الوجد، فيتبعه بزيادات يجهل ان ذلك يضر بدينه، وقد لا يجهل أن ذلك من النفس، ولكن النفس تسترق السمع استراقاً خفياً يخرج الوجد عن الحد الذي ينبغي أن يقف عليه، وهذا بيان الصدق.

ونقل أن موسى عليه السلام وعظ قومه فشق رجل منهم قميصه **(فأوحى الله تعالى لموسى عليه السلام قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثوبك)** ولفظ الرسالة: ثيابك ولفظ العوارف، فقيل لموسى: قل لصاحب القميص لا يشق قيمصه ويشرح قلبه.

(قال أبو القاسم) إبراهيم بن محمد **(النصراباذي)** كان عالماً بالحديث كثير الرواية، وصحب الشبلي، وأبا علي الروذباري، والمرتعش، جاور بمكة وبها مات سنة ٣٦٧ ترجمه القشيري في الرسالة **(لأبي عمرو بن نجيد)** جد أبي عبد الرحمن السلمي لأمه، له ذكر في الرسالة في

حالاً ليست فيك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك.

فإن قلت: الأفضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره أو الذي يظهر

مواضع كثيرة. ولفظ الرسالة: سمعت أبا علي الدقاق يقول: اجتمع أبو عمرو بن نجيد والنصراباذي والطبقة في موضع، فقال النصراباذي: (**أنا أقول إذا اجتمع القوم فيكون معهم قوّال يقول خير من أن يغتابوا**) ولفظ الرسالة: إذا اجتمع القوم فواحد يقول شيئاً ويسكت الباقون خير من أن يغتابوا أحداً أي لما قام عنده من أن الغيبة أقبح من الرياء، (**فقال أبو عمر: والرياء في السماع وهو أن ترى من نفسك حالات ليست فيك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك**) ولفظ الرسالة: لأن تغتاب ثلاثين سنة أنجى لك من أن تظهر في السماع ما لست به أي لما قام عنده من أن الرياء أقبح من الغيبة. قال الشارح: وقيل لا مخالفة، فكلام النصراباذي في السماع حقيقة فهو دائر بين حرام ونفل لأن الغيبة حرام والسماع نفل، وترك الحرام مقدم على كل نافلة. وكلام أبي عمرو في السماع المراءى به فهو دائر بين حرامين الرياء والغيبة، ورأى أن الرياء أقبح وأضر والغرض من ذلك التحذير من آفات السماع من قيام وصياح وتكلم وتحرك بغير حق اهـ.

وقال صاحب العوارف: ليس من الصدق إظهار الوجد من غير وجد نازل أو إدعاء الحال من غير حال حاصل، وذلك عين النفاق. قيل: كان النصراباذي كثير الولع بالسماع فعوتب في ذلك فقال: نعم هو خير من أن تقعد وتغتاب. فقال أبو عمرو بن نجيد وغيره من إخوانه: هيهات! يا أبا القاسم زلة في السماع شر من كذا وكذا سنة تغتاب الناس، وذلك أن زلة السماع إشارة إلى الله تعالى، وترويج للحال بصريح الحال وفي ذلك ذنوب متعددة.

منها: أنه يكذب على الله أنه وهب له شيئاً وما وهب له، والكذب على الله من أقبح الزلات.

ومنها: أن يغر على الحاضرين فيحسن به الظن والإغرار خيانة. قال ﷺ «من غشنا فليس منا».

ومنها: أنه إذا كان مبطلاً ويرى بعين الصلاح سوف يظهر منه بعد ذلك ما يفسد عقيدة المعتقد فيه فتفسد عقيدته في غيره ممن يظن به الخير من أمثاله، فيكون متسبباً إلى فساد العقيدة في أهل الصلاح، ويدخل بذلك ضرر على الرجل الحسن الظن من فساد عقيدته، فينقطع عنه مدد الصالحين وتتشعب من هذا آفات كثيرة يقف عليها من يبحث عنها.

ومنها: أن يحوج الحاضرين إلى موافقته في قيامه وقعوده، فيكون متكلفاً للناس بباطله، ويكون في الجمع من يرى بنور الفراسة أنه مبطل ويحمل على نفسه الموافقة للجمع مدارياً، ويكثر شرح الذنوب في ذلك فليتق الله ربه ولا يتحرك إلا إذا صارت حركته كحركة المرتعش الذي لا يجد سبيلاً إلى الإمساك، وكالعاطس الذي لا يقدر أن يرد العطسة، وتكون حركته بمثابة النفس الذي يتنفس تدعوه إلى التنفس داعية الطبع انتهى.

عليه؟ فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان، وتارة يكون مع قوة الوجد ولكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال، وتارة يكون لكون حال الوجد ملازماً ومصاحباً في الأحوال كلها فلا يتبين للسماع مزيد تأثير وهو غاية الكمال، فإن صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود، فهذا لا تغيره طوارق الأحوال ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضي الله عنه: كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا، معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الأحوال، فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديداً في حقنا طارئاً علينا حتى نتأثر به. فإذاً قوّة الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظاهر، وقد يغلب أحدهما على

(فإن قلت: فالأفضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره أو) هو **(الذي)** يحركه السماع **(ويظهر عليه)** أثره؟ **(فاعلم هداك الله تعالى أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من السماع)** إما لجهله بمنزلة السماع، أو لسواد قلبه من إرتكاب المعاصي، أو لجمود طبعه مع الوقوف على الإنكار **(فهو نقصان)** عند أهل العرفان، **(وتارة يكون مع قوّة الوجد في الباطن، ولكن لكمال القوّة على ضبط الجوارح وهو كمال)** ولا يشترط فيه ملازمة تلك القوّة باطنه بدليل قوله، **(وتارة يكون لكون حال الواجد ملازماً ومصاحباً في الأحوال كلها)** أي في سائر أوقاته، **(فلا يتبين مزيد تأثير)** منه **(وهو غاية الكمال)** ونهاية مراتب الرجال. **(فإن صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده)** وإنما يعتريه احياناً **(فمن هو في وجد دائم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود)** والملازم لعين الشهود أتم من ملاحظة الشهود دائماً، **(فهو لا تغيره طوارق الأحوال ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق رضي الله عنه)** حين رأى بعض الأعراب يبكي عند سماع القرآن: **(كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه: قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق ملازمة الوجد في كل الأحوال، فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديداً في حقنا طارئاً علينا حتى نتأثر به)**. وهذا المعنى الذي أورده المصنف وصدره بقوله ولا يبعد هو أقرب للأفهام.

قال صاحب العوارف: الوجد وارد يرد من الحق سبحانه، ومن يريد الله يقنع بما عند الله ومن صار في محل القرب متحققاً به لا يلهيه ولا يحركه ما من عند الله، فالوارد من عند الله مشعر ببعد، والقريب واجد فما يصنع بالوارد والوجد والقلب الواجد به نور والنور الطف من النار الكثيف غير مسلط على اللطيف، فما دام الرجل البالغ مستمراً على عادة استقامته غير منحرف عن وجهة معهودة بنوازع وجوده لا يدركه الوجد بالسماع، فإن دخل عليه فتور أو عاقه قصور بدخول الابتلاء عليه من المبتلي المحسن يتألف من تفاريق صور الابتلاء وجود يدركه الوجد لعود العبد عند الابتلاء إلى حجاب القلب، فمن هو مع الحق إذا زل وقع على القلب، ومن هو مع

الآخر إما لشدة قوّته وإما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظنن أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أتم وجداً من الساكن باضطرابه، بل رب ساكن أتم وجداً من المضطرب. فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال: ﴿وتَرَى الجبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وهي تمرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ الله الذي أتْقَنَ كل شيء﴾ [النمل: ٨٨] إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في الملكوت والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة. وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة: صحبت سهل بن عبدالله ستين سنة فما رأيته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر أو القرآن، فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه: ﴿فاليوم لا يُؤْخَذُ مِنْكُم فِديَةٌ﴾ [الحديد: ١٥] الآية، فرأيته قد ارتعد وكاد

القلب إذا زل وقع على النفس، ثم ذكر جواب سهل التستري للذي سأله عن القوّة فقال: هي أن لا يرد عليه وارد إلا ويبتلعه بقوّة حاله ولا يغيره الوارد. قال: ومن هذا القبيل قول الصديق رضي الله عنه حتى قست القلوب أي تصلبت وأدمنت سماع القرآن وألفت أنواره فما استغربته حتى تتغير والواجد كالمستطرب اهـ.

(**فإذاً قوة الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظاهر**) من الحركة، (**وقد يغلب أحدهما الآخر إما لشدة قوته، وإما لضعف ما يقابله. ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظن أن الذي يضرب نفسه على الأرض**) أي يقع مغشياً عليه (**أتم وجداً من الساكن**) الساكت المطرق برأسه (**باضطرابه**) وانقلاب حاله، (**بل رب ساكن أتم وجداً من المضطرب، فقد كان الجنيد**) قد سره (**يتحرك في السماع في بدايته**) أي في أول سلوكه، (**ثم صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في الملكوت والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة**) لا تتحرك. وقول الجنيد هذا قد ذكره القشيري في الوجد والتواجد قال أبو محمد الجزري: كنت عند الجنيد وعنده جماعة كابن مسروق وغيره، وثَمّ قوال فقاموا والجنيد ساكت، فقلت: يا سيدي مالك في السماع شيء؟ قال الجنيد: ﴿وترى الجبال تحسبها﴾ الآية.

(**وقال أبو الحسن**) كذا في النسخ والصواب أبو الحسين (**محمد بن أحمد وكان بالبصرة**) ولفظ الرسالة: سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول: سمعت علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بالبصرة يقول: سمعت أبي يقول: (**صحبت**) ولفظ الرسالة: خدمت وبين الصحبة والخدمة فرق كبير (**سهل بن عبد الله**) التستري قدس سره (**ستين سنة**) كذا في النسخ، ولفظ العوارف: سنين، ولفظ الرسالة سنين كثيرة (**فما رأيته تغير عند**) سماع (**شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن، فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه**) ولفظ

يسقط، فلما عاد إلى حاله سألته عن ذلك فقال: نعم يا حبيبي قد ضعفنا. وكذلك سمع مرة قوله تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٢٦] فاضطرب فسأله ابن سالم ـ وكان من أصحابه ـ فقال: قد ضعفت. فقيل له: فإن كان هذا من الضعف فما قوّة الحال؟ فقال: أن لا يرد عليه وارد إلاّ وهو يتلقيه بقوة حاله، فلا تغيره الواردات، وإن كانت قوية. وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملازمة الشهود. كما حكي عن سهل رحمه الله تعالى أنه قال: حالتي قبل الصلاة وبعدها واحدة، لأنه كان مراعياً للقلب حاضر الذكر مع الله تعالى في كل حال. فكذلك يكون قبل السماع وبعده، إذ يكون وجده دائماً، وعطشه متصلاً، وشربه مستمراً، بحيث لا يؤثر السماع في زيادته. كما روي أن ممشاذ الدينوري أشرف على جماعة

العوارف: قرىء عنده، ولفظ الرسالة: قرىء بين يديه قوله تعالى: (﴿**فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا**﴾ **فرأيته قد**) تغير و(**ارتعد وكاد يسقط**) على الأرض، (**فلما عاد**) أي رجع (**إلى حاله**) أي حال صحوه (**سألته عن**) سبب (**ذلك فقال: نعم يا حبيبي**) لما كبرنا واستشعرنا قرب الأجل والوقوف بين يدي الله تعالى وأنه لا يؤخذ ممن عليه حق فدية (**ضعفنا**) عن كتم أحوالنا فظهرت. ولفظ الرسالة: فقال يا حبيبي ضعفنا، ولفظ العوارف فقال: نعم لحقني ضعف، (**وكذلك سمع**) سهل مرة أخرى (**قوله تعالى: ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ فاضطرب**) كذا لفظ العوارف، ولفظ الرسالة: وحكى ابن سالم قال: رأيته مرة أخرى قرىء بين يديه ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ فتغير وكاد يسقط، (**فسأله ابن سالم**) عن سببه، (**وكان من أصحابه**) وهو أبو الحسن علي بن سالم البصري من مشايخ صاحب القوت (**فقال: قد ضعفت. فقيل له: فإن كان هذا من الضعف فما قوة الحال؟ فقال: أن لا يرد عليه وارد إلا وهو يبتلعه بقوة حاله، فلا تغيره الواردات وإن كانت قوية**) ولفظ العوارف بعد قوله لقوة حاله ولا يغيره الوارد، ولفظ الرسالة بعد قوله ضعفت، وهذه صفة الأكابر لا يرد عليه وارد وإن كان قوياً وهو أقوى منه.

(**وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملازمة الشهود**)، فمن كان كذلك يطيق على ضبط ظاهره ولا يظهر عليه أثر الوجد، (**كما حكي عن سهل**) بن عبد الله (**رحمه الله تعالى، أنه قال: حالتي في الصلاة وبعدها واحدة**) ولفظ العوارف: حالتي قبل الصلاة كحالتي في الصلاة (**لأنه كان مراعياً للقلب حاضر الذكر مع الله تعالى في كل حال**) أي مستمراً على حالة الشهود، (**فكذلك قبل السماع وبعده**) كذا في سائر النسخ، والأولى قبل السماع وفيه: ويؤيده لفظ العوارف، فهكذا في السماع وقبل السماع (**إذ يكون وجده دائماً وعطشه متصلاً وشربه مستمراً بحيث لا يؤثر السماع في زيادته**) أشار به إلى قول الحصري الذي تقدم ينبغي أن يكون ظمأ دائماً وشرباً دائماً، فكلما زاد شربه زاد ظمؤه.

فيهم قوّال فسكتوا فقال: ارجعوا إلى ما كنتم فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في أذني ما شغل همي ولا شفي بعض ما بي. وقال الجنيد رحمه الله تعالى: لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم. وفضل العلم أتم من فضل الوجد.

فإن قلت: فمثل هذا لم يحضر السماع؟ فاعلم أن من هؤلاء من ترك السماع في كبره وكان لا يحضر إلا نادراً لمساعدة أخ من الإخوان وإدخالاً للسرور على قلبه، وربما حضر ليعرف القوم كمال قوته فيعلمون أنه ليس الكمال بالوجد الظاهر؛ فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف وإن لم يقدروا على الاقتداء به في صيرورته طبعاً لهم، وإن اتفق حضورهم مع غير أبناء جنسهم فيكونون معهم بأبدانهم نائين عنهم بقلوبهم وبواطنهم. كما يجلسون من غير سماع مع غير جنسهم بأسباب عارضة تقتضي الجلوس

(**وكان**) أبو علي (**ممشاذ الدينوري**) رحمه الله تعالى مات سنة ٢٩٩ تقدم ذكره (**أشرف على جماعة فيهم قوال فسكتوا**) للفظ العوارف: ومر ممشاذ بقوم فيهم قوال فلما رأوه امسكوا. ولفظ الرسالة: سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت أحمد بن علي الكرخي الوجيهي يقول: كان جماعة من الصوفية مستجمعين في بيت الحسن القزاز ومعهم قوالون يقولون ويتواجدون فأشرف عليهم ممشاذ الدينوري فسكتوا (**فقال**) لهم: (**ارجعوا إلى ما كنتم عليه**) ولفظ الرسالة والعوارف فيه: (**فلو جمعت ملاهي الدنيا في أذني ما شغل همي ولا شفي بعض مابي**) ومن هذا القبيل قول بعضهم: أنا ردم كله لا ينفذ في قول.

(**وقال الجنيد**) رحمه الله تعالى: (**لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم وفضل العلم أتم من فضل الوجد**) وهكذا نقله صاحب العوارف أيضاً. قال: وبلغنا عن الشيخ حماد أنه كان يقول: البكاء من بقية الوجود وكل هذا يقرب البعض من البعض في المعنى إن عرف الإشارة.

(**فإن قلت: فمثل هذا**) أي الذي تمت له الملازمة في الشهود (**لم يحضر للسماع**) وأي معنى لحضوره إياه وقد استغنى عنه؟ (**فاعلم أن من هؤلاء من ترك السماع في كبره**) عند انتهاء قوته، (**وكان لا يحضر إلا نادراً**) أي قليلاً إما (**لمساعدة أخ من الإخوان، و**) إما (**إدخالاً للسرور على قلبه**) إذ كل من المساعدة وإدخال السرور مطلوب مرغوب إليه، (**وربما حضر**) السماع (**فيعرف القوم كما قوته فيعلمون أنه ليس الكمال بالوجد الظاهر فيتعلمون منه ضبط الظاهر على التكلف**) ثم يرجى لهم أن يصير ذلك طبعاً لهم، (**وإن لم يقدروا**) في مبادئهم على الاقتداء به في صيرورته طبعاً لهم، وإن اتفق حضورهم مع غير ابناء جنسهم وهم جماعة المنكرين والناقصين والمتشغلين بالدنيا، (**فيكونون معهم بأبدانهم نائين**) أي بعيدين (**عنهم بقلوبهم وبواطنهم كما يجلسون في غير سماع مع غير جنسهم بأسباب**

معهم. وبعضهم نقل عنه ترك السماع ويظن أنه كان سبب تركه استغناءه عن السماع بما ذكرناه. وبعضهم كان من الزهاد ولم يكن له حظ روحاني في السماع ولا كان من أهل اللهو، فتركه لئلا يكون مشغولاً بما لا يعنيه، وبعضهم تركه لفقد الإخوان. قيل لبعضهم: لم لا تسمع؟ فقال: ممن ومع من.

الأدب الرابع: أن لا يقوم ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه ولكن إن رقص أو تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المراءاة لأن التباكي استجلاب للحزن، والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط. فكل سرور مباح فيجوز تحريكه، ولو كان ذلك حراماً لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله ﷺ وهم يزفنون. هذا لفظ عائشة رضي الله عنها في بعض الروايات. وقد روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم حجلوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك، وذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم

عارضة تقتضي الجلوس) معهم، **(وبعض من ينقل عنه ترك السماع)** من السادة الصوفية **(ويظن)** به في الظاهر **(أنه)** إنما تركه لأنه **(كرهه)**، وإنما **(كان سبب تركه استغناء عن السماع بما ذكرناه)** آنفاً. **(وبعضهم كان من الزهاد)** الواقفين مع الظاهر، **(ولم يكن له حظ روحاني في السماع، ولا كان هو من أهل اللهو فتركه)** رأساً **(لئلا يكون مشغولاً بما لا يعنيه، وبعضهم تركه لفقد الإخوان)** من سامع ومسمع، **(و)** لذا لما **(قيل لبعضهم)** وهو الجنيد رحمه الله تعالى كما صرح به صاحب العوارف وغيره: **(لم لا تسمع)** الآن وقد كنت تسمع؟ **(قال: ممن ومع من)؟** فهو يشير إلى فقد الإخوان ممن يسمع ويسمع لأنهم ما كانوا يسمعون إلا من أهل ومع أهل، فلما فقدوا سماع الإخوان تركوا.

(الأدب الرابع: أن لا يقوم) في السماع. **(ولا يرفع صوته بالبكاء وهو يقدر على ضبط نفسه، ولكن أن رقص أو تباكي)** أي تكلف البكاء، **(فهو مباح إذا لم يقصد به المراءاة)** للناس الحاضرين، **(لأن التباكي استجلاب للحزن، والرقص سبب في تحريك السرور والنشاط وكل سرور مباح فيجوز تحريكه، ولو كان حراماً لما نظرت عائشة رضي الله عنها إلى الحبشة مع رسول الله ﷺ وهم يرقصون هذا لفظ عائشة)** رضي الله عنها **(في بعض الروايات)** كما تقدم في الباب الذي قبله، **(وقد روي عن جماعة من الصحابة)** رضي الله عنهم **(أنهم حجلوا)** أي رقصوا **(لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك، وذلك في قصة ابنة حمزة)** بن عبد المطلب رضي الله عنه اسمها أمامة على الصحيح وهي التي تزوجها سلمة بن أم سلمة، وقيل: اسمها عمارة وهو غلط فإن عمارة اسم ابن له، **(ولما اختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم)** وذلك في عمرة القضاء، **(فتشاجروا في**

فتشاحوا في تربيتها، فقال ﷺ لعلي: «أنت مني وأنا منك» فحجل علي. وقال لجعفر «أشبهت خَلقي وخُلقي» فحجل وراء حجل علي وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا» فحجل زيد وراء حجل جعفر، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «هي لجعفر لأن خالتها تحته والخالة والدة». وفي رواية أنه قال لعائشة رضي الله عنها: «أتحبين أن تنظري إلى زفن الحبشة» والزفن والحجل هو الرقص. وذلك يكون لفرح أو شوق فحكمه حكم مهيجه، إن كان فرحه محموداً والرقص يزيده ويؤكده فهو محمود، وإن كان مباحاً فهو مباح، وإن كان مذموماً فهو مذموم. نعم لا يليق اعتياد ذلك بمناصب الأكابر وأهل القدوة لأنه في الأكثر يكون عن لهو ولعب، وما له صورة اللعب واللهو في أعين الناس فينبغي أن يجتنبه المقتدي به لئلا يصغر في أعين الناس فيترك الاقتداء به.

تربيتها)وفي نسخة فتشاحوا وكل منهم قال: أنا أحق بها (**فقال ﷺ لعلي: «أنت مني وأنا منك» فحجل علي. وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي فحجل وراء حجل علي، وقال لزيد أنت أخونا ومولانا فحجل زيد وراء حجل جعفر، ثم قال ﷺ: «هي لجعفر لأن خالتها تحته والخالة والدة»**) قال العراقي: رواه أبو داود بإسناد حسن وهو عند البخاري دون ذكر الحجل اهـ.

قلت: وكذلك أخرجه البيهقي في السنن، والخالة: هي أسماء بنت عميس. وفي الصحيحين وغيرهما: «الخالة بمنزلة الأم».

(**وفي بعض الروايات أنه**) ﷺ (**قال لعائشة**) رضي الله عنها: (**«أتحبين أن تنظري إلى زفن الحبشة»**) والذي في صحيح مسلم من حديثها قالت: جاء حبش يزفنون في يوم عيد في المسجد فدعاني النبي ﷺ فوضعت رأسي على منكبه، فجعلت انظر إلى لعبهم حتى كنت أنا الذي انصرف عن النظر إليهن. (**والزفن**) بسكون الفاء، (**والحجل**) محركة (**هو الرقص**). وأصل الحجل مشي المقيد والقيد هو الحجل بالكسر، ومنه قولهم: الغراب يحجل. ولا شك أن مشي المقيد إنما هو وثب واهتزاز وهو الرقص، (**وذلك يكون لفرح أو شوق فحكمه حكم مهيجه فإن كان فرحه محموداً، والرقص يزيده. ويؤكده فهو محمود وإن كان مباحاً فهو مباح وإن كان مذموماً فهو مذموم. نعم لا يليق إعتياد ذلك بمناصب الأكابر وأهل القدوة لأنه في الأكثر يكون عن لهو ولعب وماله صورة في أعين الناس، فينبغي أن يجتنبه المقتدي به لئلا يصغر في أعين الناس فيترك الإقتداء به**) ولذلك قيل: الرقص نقص وهو من أفعال أهل البطالات لا يليق بالعقلاء ولا يناسب أحوال العقلاء، لأنهم ينزهون أنفسهم عن مشابهة السفلة الطغام، وعن مشاكلة الصبيان والنسوان.

ولنذكر ما للعلماء فيه من كلام فذهبت طائفة إلى كراهته منهم القفال حكاه عنه الروياني في

....

البحر، وقال الأستاذ أبو منصور: تكلف الرقص على الإيقاع مكروه، وهؤلاء احتجوا بأنه لعب ولهو وهو مكروه.

وذهبت طائفة إلى إباحته قال الفوراني في كتابه العمدة: الغناء يباح أصله، وكذلك ضرب القضيب والرقص وما أشبه ذلك. وقال إمام الحرمين: ليس بمحرم فإنه حركات على استقامة أو إعوجاج ولكن كثيره يخرم المروءة، وكذلك قال مجلي في الذخائر، والعماد السهروردي، والرافعي، وبه جزم المصنف في الوسيط، وابن أبي الدم، وهؤلاء احتجوا بأمرين السنة والقياس. أما السنة فما تقدم من حديث عائشة قريباً في زفن الحبشة، وحديث علي في حجله، وكذا جعفر وزيد. أما القياس: فكما قال إمام الحرمين: حركات على استقامة أو اعوجاج فهي كسائر الحركات.

وذهبت طائفة إلى تفصيل فقالت: إن كان فيه تثن وتكسر فهو مكروه، وإلا فلا بأس به، وهذا ما نقله ابن أبي الدم عن الشيخ أبي علي بن أبي هريرة، وكذلك نقله الحليمي في منهاجه، وهؤلاء احتجوا بأن فيه التشبيه بالنساء، وقد لعن المتشبه بهن.

وذهبت طائفة إلى أنه إن كان فيه تثن وتكسر فهو حرام وإلا فلا. وهذا أورده الرافعي في الشرح الصغير، وحكاه في الشرح الكبير عن الحليمي، وحكاه الجيلي في المحرر.

وذهب بعضهم إلى التفرقة بين المداومة وغيرها وجعله عند المداومة لا يجوز، وهذا ما أورده الجاجرمي في الكفاية.

وذهب بعضهم إلى التفرقة بين أرباب الأحوال والمواجيد، فيجوز يكره لغيرهم، وهذا ما أورده الأستاذ أبو منصور، وأشار إليه القاضي حسين في تعليقه، وأبو بكر العامري، وهو مقتضى سياق المصنف في هذا الكتاب.

وللصوفية اختلاف في أصحاب المواجيد الذين يغلب عليهم الحال هل هو محمود لهم أم لا؟ وغيرهم ينقسم قيامهم إلى محرم ومكروه ومباح بحسب القصد، وبعضهم يرى أن يقوم غير ذي الحال موافقاً لصاحب الحال كما سيأتي للمصنف، وهل السكون أتم أو الحركة أتم؟ قد تقدم حكمه، وقد اعترض من قال بالكراهة على حديث عائشة بأمور.

منها: أن الحديث محمول على الحركة القريبة من الرقص جمعاً بين الطرق، فإن معظم الطرق ليس فيها إلا لعب الحبشة بالحراب. هذا أو ما هذا معناه ذكره النووي في شرح مسلم عن العلماء.

ومنها: أن الذي فعلته الحبشة أمر يرجع إلى الحرب فهو يرجع إلى أمر ديني ذكره القرطبي، واليسع بن عيسى الغافقي، وتقدم تقرير شيء من ذلك في الباب الأول، وكذلك اعترضوا على حديث علي في الحجل: وقالوا: أليس حجلهم كهذا الرقص، واعترضوا على القياس بأن هذه حركات على ترتيب خاص لعباً ولهواً، فلا تلحق بسائر الحركات. والجواب عن ذلك: إما ما ذكره النووي فالأصل خلافه، وليس بين الأحاديث تعارض ولا مخالفة ليقع الجمع، فإن تلك

وأما تمزيق الثياب، فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن الاختيار، ولا يبعد أن يغلب الوجد بحيث يمزق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه، أو يدري ولكن

الأحاديث فيها ذكر اللعب بالحراب. ومن جملة اللعب الرقص ففي هذه الرواية تبين لبعض ذلك المجمل، فحاصله أنهم رقصوا ولعبوا بحرابهم. وهذه عادة السودان إلى الآن يرقصون ويحذفون حرابهم ويتلقونها.

وأما الحديث الثاني فما فعلوه من جملة الرقص والرقص مختلف، وهل حركتهم إلا نوع مخصوص على ترتيب خاص، وكذلك هذا الرقص. وأما ما قاله اليسع أن في رقصهم تدريباً للحرب، وكذلك القرطبي حيث قال: أنه يرجع إلى أمر ديني، والأحاديث تأباه فإنه إنما كان لعباً ولهواً. وقد قالت عائشة: «فاقدروا الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو» وفي بعض طرق الحديث أن النبي ﷺ قال: «لتعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة» وفي الحديث أن عمر رضي الله عنه قصد أن يحصبهم، وإنما كان كذلك لأنه رأى لهواً ولعباً في المسجد والمساجد تصان عن اللهو واللعب. ونهى عمر عن نهيهم إذ فيه فسحة وليس فيه تمرين ولا يرجع إلى أمر الحرب. وأما كون الحركة على ترتيب خاص، فليس الترتيب من شرطه، ولو كان لم يكن فيه ما يقتضي المنع وكونه لهواً ولعباً تقدم البحث فيه مراراً. وفي رقص الحبشة ولعبهم ما يعرفك أن ليس كل لهو ولعب مكروها. وأما أصحاب الأحوال والمواجيد فلا اعتراض عليهم، فإنهم مغلوبون على الحركة. وفي كلام بعض الشافعية ما يخرجه حيث قال: إذا كانت الحركة باختياره، ولا شك أن الألحان لها تأثير في استجلاب الحركة كما تقدم، وكلما لطف المزاج وخفت الروح وشرفت النفوس حركتها الألحان وهزها الوجد، وكذلك الكلام الحسن والمعنى الدقيق يحرك الجسم، وقد ينتهي إلى أن يصير الإنسان مغلوباً على الحركة.

قال أبو منصور الثعالبي في بعض كتبه: كان أبو الطيب سهل بن أبي سهل الصعلوكي يقول: ما كنت أعرف سبب رقص الصوفية حتى سمعت قول أبي الفتح البستي الكاتب، فكدت أن أرقص طرباً، وعلمت أن الكلام الحسن يرقص وذلك قوله:

يقـولـون ذكـر المرء يحيـا بنسلـه ... وليس لـه ذكـر إذا لم يكـن نسـلُ
فقلـت لهم نسلي بـدائـع حكمتي ... فـإن فـاتنـا نسـل فـانـا بـه نسلـو

ولا شك أن الحركة تخفف الوارد وتضعفه وتحصل به استرواحه، وعلامة المغلوب أن لا يلزم الإيقاع والغالب على الطباع الداخلة الموافقة من غير قصد، وسمى المصنف الحركة الموزونة رقصا وغيرها اضطراباً.

(وأما تمزيق الثياب، فلا رخصة فيه إلا عند خروج الأمر عن الاختيار)، وهو أن يكون مغلوباً في فعله ذلك، **(ولا يبعد أن يغلب الوجد)** على واجده **(بحيث يمزّق ثوبه وهو لا يدري لغلبة سكر الوجد عليه)** فيكون كالمدهوش، **(أو يدري ولكن يكون كالمضطر**

يكون كالمضطر الذي لا يقدر على ضبط نفسه، وتكون صورته صورة المكره إذ يكون له في الحركة أو التمزيق متنفس، فيضطر إليه اضطرار المريض إلى الأنين، ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع أنه فعل اختياري، فليس كل فعل حصوله بالإرادة يقدر الإنسان على تركه، فالتنفس فعل يحصل بالإرادة، ولو كلف الإنسان أن يمسك النفس ساعة لاضطر من باطنه إلى أن يختار التنفس. فكذلك الزعقة وتمزيق الثياب قد يكون كذلك فهذا لا يوصف بالتحريم، فقد ذكر عند السري حديث الوجد الحاد الغالب فقال: نعم يضرب ~~وجهه~~ بالسيف وهو لا يدري. فروجع فيه واستبعد أن ينتهي إلى هذا الحد فأصر عليه ولم يرجع. ومعناه: أنه في بعض الأحوال قد ينتهي إلى هذا الحد في بعض الأشخاص.

الذي لا يقدر على ضبط نفسه) فهو أيضاً مغلوب الاختيار **(ويكون صورته صورة المكره)** والملجأ. **(إذ يكون له في الحركة والتمزيق متنفس فيضطر إليه اضطرار المريض إلى الأنين)** فإنه له متنفساً في ذلك، **(ولو كلف الصبر عنه لم يقدر عليه مع أنه فعل اختياري فليس كل فعل حصوله بالإرادة يقدر الإنسان على تركه، فالتنفس فعل يحصل بالإرادة ولو كلف الإنسان نفسه أن يمسك النفس ساعة لاضطر من باطنه إلى أن يختار التنفس، فكذلك الزعقة وتمزيق الثياب قد يكون كذلك، فهذا لا يوصف بالتحريم)** إذا كان على الوجه الذي قررناه، **(فقد ذكر عند السري)** بن المغلس **(السقطي)** وهو استاذ الجنيد رحمهما الله تعالى **(حديث الوجد الحاد الغالب)** ما حده؟ **(فقال: نعم يضرب وجهه بالسيف وهو لا يدري فروجع فيه واستبعد أن ينتهي)** الوجد **(إلى هذا الحد فأصر عليه ولم يرجع معناه أنه في بعض الأحوال قد ينتهي إلى هذا الحد في بعض الأشخاص)** يعني أن جواب السري خاص، وأشار به إلى أن حد هذا الوجد قد يوجد في بعض.

قال صاحب العوارف: فليتق الله ربه ولا يتحرك إلا إذا صارت حركة كحركة المرتعش الذي لا يجد سبيلاً إلى الأمساك، وكالعاطس الذي لا يقدر أن يرد العطسة، وقد تكون حركته بمثابة النفس الذي يتنفس تدعوه إلى التنفس داعية الطبع، فلهذا قال السري: شرط الواجد في زعقته أن يبلغ إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لا يشعر فيه بوجع، وقد يقع هذا في حق بعض الواجدين نادراً وقد لا يبلغ الواجد هذه الرتبة من الغيبة، ولكن زعقته تخرج كالنفس بنوع إرادة ممزوجة بالاضطرار وهذا الضبط من رعاية الحركات، ورد الزعقات هو في تمزيق الثياب آكد، فإن ذلك يكون إتلاف المال واتفاق للحال اهـ.

وقد وجدت سبباً خفياً لتخريق الثياب عند غلبة الوجد قال القشيري في الرسالة: سمعت محمد ابن الحسين يقول: سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت عبد الله بن عبد الحميد يقول: سئل

فإن قلت : فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فإنهم يمزقونها قطعاً صغاراً ويفرقونها على القوم ويسمونها الخرقة ؟ فاعلم أن ذلك مباح إذا قطع قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات. فإن الكرباس يمزق حتى يخاط منه القميص ، ولا يكون ذلك تضييعاً لأنه تمزيق لغرض. وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن إلا بالقطع الصغار وذلك مقصود ، والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير مقصود مباح. ولكل مـالك أن يقطع كرباسه مائة قطعة ويعطيها لمائة مسكين، ولكن ينبغي أن تكون القطع بحيث يمكن أن ينتفع بها في الرقاع. وإنما منعنا في السماع التمزيق المفسد للثوب الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعاً به فهو تضييع محض لا يجوز بالإختيار .

رويم عن وجه وجود الصوفية عند السماع فقال: يشهدون المعاني التي بعدت عن غيرهم فتشير إليهم إلي إلي ، فيتنعمون بذلك من الفرح، ثم يقع الحجاب فيعود ذلك الفرح بكاء . فمنهم من يخرق ثيابه ، ومنهم من يصيح ، ومنهم من يبكي كل إنسان على قدره.

(فإن قلت: فما تقول في تمزيق الصوفية الثياب الجديدة بعد سكون الوجد والفراغ من السماع فإنهم يمزقونها قطعاً صغاراً ويفرقونها على القوم) الحاضرين في المجلس **(ويسمونها الخرقة فاعلم أن ذلك مباح إذا خرق قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فإن الكرباس)** وهو الثوب الغليظ **(يمزق حتى يخاط منه القميص ولا يكون تضييعاً)** للمال وإسرافاً ، **(لأنه تمزيق لغرض، وكذلك ترقيع الثياب لا يمكن إلا بالقطع الصغار ، وذلك مقصود)** عند أهله **(والتفرقة على الجميع ليعم ذلك الخير)** عليهم **(مقصودة فهو مباح، ولكل مالك أن يقطع كرباسه مائة قطعة ويعطيها لمائة مسكين، ولكن ينبغي أن تكون القطع بحيث يمكن أن ينتفع بها في الرقاع، وإنما منعنا في السماع التمزيق المفسد للثوب الذي يهلك بعضه بحيث لا يبقى منتفعاً به فهو تضييع محض لا يجوز بالاختيار)** حاصل هذا الجواب على ما ذكر صاحب العوارف: أن تفريق الخرقة المجروحة التي مزقها واجد صادق عن غلبة سلبت اختياره كغلبة النفس فيمن يتعمد إمساكه فيتوهم في تفريقها وتمزيقها التبرك بالخرقة لأن الوجد أثر من آثار الفضل الإلهي ، وتمزيق الخرقة أثر من آثار الوجد ، فصارت الخرقة متأثرة بأثر رباني من حقها أن تفدى بالنفوس وتترك على الرؤوس اعزازاً وإكراماً. قال الشاعر :

تفـــــوح أرواح نجد مـــــــن ثيـــــابهم   يـوم القـــدوم لقـــرب العهـــد بـــالـــدار

كان رسول الله ﷺ يستقبل الغيث ويتبرك به ويقول: حديث عهد بربه ، فالخرقة الممزقة حديثة العهد ، فحكم المجروحة أن تفرق على الحاضرين ، وحكم ما يتبعها من الخرق الصحاح أن يحكم فيها الشيخ إن خصص بشيء منها بعض الفقراء فله ذلك ، وإن خرقها خرقاً فله ذلك ، ولا يقال: إن هذا تفريط وسرف ، فإن الخرقة الصغيرة ينتفع بها في مواضعها عند الحاجات كالكبيرة.

....

وروي عن علي رضي الله عنه قال: أهدي لرسول الله ﷺ حلة حرير فأرسل بها إلي فخرجت فيها فقال لي: ما كنت لأكره لنفسي شيئاً أرضاه لك، فشققتها بين النساء خمراً. وفي روايه: أتيته فقلت ما أصنع بها ألبسها؟ قال: لا ولكن اجعلها خرابين الفواطم. أراد فاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وفاطمة بنت حمزة. وفي هذه الرواية أن الهدية كانت حلة ملفوفة بحرير، وهذا وجه في السنة لتمزيق الثوب وجعله خرقاً قال: وحكى أن الفقهاء والصوفية بنيسابور اجتمعوا في دعوة فوقعت الخرقة، وكان شيخ الفقهاء الشيخ أبا محمد الجويني وشيخ الصوفية أبا القاسم القشيري، فقسمت الخرقة على عادتهم، فالتفت الشيخ أبو محمد إلى بعض الفقهاء وقال سراً: هذا سرف وإضاعة للمال، فسمع أبو القاسم القشيري ولم يقل شيئاً حتى فرغت القسمة، ثم استدعى الخادم وقال: انظروا في الجمع من معه سجادة خرق أئتني بها، فجاء بسجادة ثم أحضر رجلاً من أهل الخبرة فقال: هذه السجادة بكم تشترى في المزاد، فقال: بدينار. قال: ولو كانت قطعة واحدة بكم تشتري؟ قال: بنصف دينار، ثم التفت إلى الشيخ أبي محمد وقال: هذا لا يسمى إضاعة المال، ثم قال: والخرقة الممزقة تقسم على جميع الحاضرين من كان من الجنس أو غير الجنس إذا كان حسن الظن بالقوم معتقداً للتبرك بالخرقة.

وروى طارق بن شهاب أن أهل البصرة غزوا نهاوند وأمدهم أهل الكوفة، وعلى أهل الكوفة عمار بن ياسر فظهروا فأراد أهل البصرة أن لا يقسموا لأهل الكوفة من الغنيمة شيئاً فقال رجل من بني تميم لعمار: أيها الأجدع أتريد أن تشاركنا في غنائمنا، فكتب إلى عمر بذلك فكتب عمر أن الغنيمة لمن شهد الوقعة.

وذهب بعضهم إلى أن المجروح من الخرق يقسم على الجميع وما كان من ذلك صحيحاً يعطى القوال، واستدل بما روي عن أبي قتادة قال: لما وضعت الحرب أوزارها يوم حنين، وفرغنا من القوم قال رسول الله ﷺ: «من قتل قتيلاً فله سلبه» وهذا له وجه في الخرقة الصحيحة فأما المجروحة فحكمها إسهام الحاضرين، والقسمة لهم. ولو دخل على الجمع وقت القسمة من لم يكن حاضراً قسم له. روى أبو موسى الأشعري قال: قدمنا على رسول الله ﷺ بعد خيبر بثلاث فأسهم لنا ولم يسهم لأحد ولم يشهد الفتح غيرنا.

فصل

في حكم رمي الخرقة إلى الحادي:

قال صاحب العوارف: لا ينبغي أن يفعل إلا إذا حضرته نية يجتنب فيها التكلف والمراءاة وإذا حسنت النية فلا بأس بذلك، فقد روي أن كعب بن زهير دخل على رسول الله ﷺ المسجد وأنشده أبياته التي أولها.

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

....

حتى انتهى إلى قوله:

إن الرسول لسيف يستضاء به

فقال له رسول الله ﷺ: «من أنت» فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أنا كعب بن زهير، فرمى إليه رسول الله ﷺ بردة كانت عليه، فلما كان زمن معاوية بعث إلى كعب بن زهير أن بعنا بردة رسول الله ﷺ بعشرة آلاف درهم، فوجه إليه: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحد، فلما مات كعب بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألفاً، وأخذ البردة وهي البردة الباقية عند الإمام الناصر لدين الله اليوم أعاد الله بركتها على أيامه الزاهرة.

قلت: ثم انتقلت في الفتنة التتارية إلى ملوكهم من يد ليد إلى أن وصلت إلى ملوك الروم بقونية، فلما نغلب عليها سلاطين آل عثمان خلد الله ملكهم إلى دور الزمان نقلوها إلى القسطنطينية ووضعوها في دار هائلة البناء وهي المعروفة الآن بالخرقة الشريفة، وقد أعدت لها خزنة وحفظة تصرف عليهم الأموال الجمة، وفي كل ثاني عشر من شهر المولد النبوي يفتحونها ويتبركون بها بحضرة السلطان ومن دونه، ويبل طرف الخرقة في الماء فيهدي بذلك إلى الافآق.

ثم قال صاحب العوارف: والخرقة إذا رميت للحادي هي للحادي إذا قصد إعطاؤها إياه، وإن لم يقصد ذلك فقال بعضهم: هي للحادي لأن المحرك هو ومنه صدر الموجب له لرمي الخرقة. وقال بعضهم: هي للجمع والحادي واحد منهم لأن المحرك قول الحادي مع بركة الجمع، فإن بركة الجمع في إحداث الوجد لا تتقاصر عن قول القائل، فيكون الحادي واحداً منهم.

روي أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «من وقف بمكان كذا فله كذا، ومن قتل فله كذا، ومن أسر فله كذا» فتسارع الشبان وأقام الشيوخ والوجوه عند الرايات، فلما فتح الله على المسلمين طلب الشبان أن يجعل ذلك لهم، فقال الشيوخ: كنا ظهراً لكم ورداءً فلا تذهبوا بالغنائم دوننا، فانزل الله تعالى ﴿يسألـونك عن الأنفال﴾ الآية [الأنفال: ١]. فقسم النبي ﷺ بينهم بالسوية، وقيل: إذا كان القوال من القوم يجعل كواحد منهم، وإذا لم يكن من القوم فما كان له قيمة يؤثر به وما كان به من خرق الفقراء يقسم بينهم، وقيل: إذا كان القوال أجيراً فليس له منها شيء، وإن كان متبرعاً يؤثر بذلك، وهذا إذا لم يكن هناك شيخ يحكم، فإما إذا كان هناك شيخ يهاب ويمتثل أمره فالشيخ يحكم في ذلك بما يرى، فقد تختلف الأحوال في ذلك وللشيخ اجتهاده بفعل ما يرى فلا اعتراض لأحد عليه، فإن فداها بعض المحبين أو بعض الحاضرين ورضي القوّال والقوم بما رضوا به وعاد كل واحد إلى خرقته، فلا بأس بذلك، وإذا أصر واحد على الإيثار لما خرج منه لنية له في ذلك يؤثر بخرقته الحادي.

فصل

ومما احتج به المبيحون ما أورده الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي في كتاب صفة أهل

التصوف فقال: أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بسرخس، أخبرنا أبو علي الفضل بن منصور بن نصر الكاغدي السمرقندي إجازة، حدثنا الهيثم بن كليب، حدثنا أبو بكر عمار بن إسحاق، حدثنا سعيد بن عامر عن شعبة، عن صهيب، عن أنس قال: كنا عند رسول الله ﷺ إذ نزل عليه جبريل فقال: يا رسول الله إن فقراء أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء نصف يوم وهو خمسمائة عام، ففرح رسول الله ﷺ فقال: «أفيكم من ينشدنا» فقال بدوي: نعم يا رسول الله فأنشده:

لقد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده علتي وترياقي

فتواجد رسول الله ﷺ وتواجد أصحابه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فلما فرغوا أوى كل واحد إلى مكانه، فقال معاوية بن أبي سفيان: ما أحسن لعبكم يا رسول الله. فقال: «مه يا معاوية ليس بكريم من لم يهتز عند السماع للحبيب» ثم قسم رداء رسول الله ﷺ على من حضر باربعمائة قطعة، ثم قال: وهذا الحديث نص على أن مذهب الصوفية كان معلوماً عندهم معمولاً به بينهم فإنكاره جهل بالمنقول والتمادي على إنكاره بعد هذا ليس له محصول.

وأورده صاحب المعارف هكذا سماعاً من شيخه أبي زرعة طاهر بن أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي عن والده المذكور ثم قال: فهذا الحديث أوردناه مسنداً كما سمعناه ووجدناه، وقد تكلم في صحته أصحاب الحديث، وما وجدنا شيئاً نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وجد أهل هذا الزمان وسماعهم واجتماعهم وهيئتهم إلا هذا، وما أحسنه من حجة للصوفية، وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتهم أن لو صح والله أعلم، ويخالج سري أنه غير صحيح ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه، وما كانوا يعتمدونه على ما بلغنا في هذا الحديث، ويأبى القلب قبوله والله أعلم اهـ.

قلت: وهو حديث باطل لا يحتج به ولا يذكر إلا ليعلم أنه موضوع ويعتبر به، وقد سئل عنه القرطبي فأجاب في رسالة له في السماع عنه بثلاثة أوجه.

أحدها: ان هذا الحديث لا يصح لأن محمد بن طاهر، وإن كان حافظاً فلا يحتج بحديثه لما ذكره السمعاني عن جماعة من شيوخه أنهم تكلموا فيه ونسبوه إلى مذهب الإباحية وعنده مناكير في هذ الكتاب المسمى بصفة أهل التصوّف، وهذا الحديث عنه وله فيه مناكير فإنه روي عن مالك وغيره من أئمة الهدى المتقدمين حكايات عنهم منكرة باطلة قطعاً. وقال محمد بن ناصر محمد ابن طاهر: ليس بثقة ولأن في سند الحديث عمار بن إسحاق ولا يحتج به يرويه عن سعيد بن عامر وهو كثير الغلط ذكر ذلك كله ابن السمعاني في تاريخه. قال: ثم العجب من غلبة الهوى والميل على هذا الرجل. أعني محمد بن طاهر، وذلك أنه لما أكمل سياق الحديث وفرغ منه قال في آخر كلامه: ما أوهم فيه على الضعفاء أنه على شرط الصحيحين، فقال: اعلم أن رجال هذا

....

الاسناد من أبي محمد سعيد بن عامر إلى أنس بن مالك من شرط الكتابين أخرجا بهذا الاسناد غير حديث في الصحيحين. قال الشيخ: ولولا قصد الإبهام والتلبيس لما صدر منه مثل هذا، وإلا فأي منفعة لهذا الكلام إذا كان كل من قبل سعيد ليس على شرط الصحة، ثم أن سعيداً نفسه ليس من شرط الكتابين مع ما ذكره السمعاني في عمار بن إسحاق، ومع ان الفضل بن منصور رواه عن الهيثم بن كليب إجازة ولم يسمعه منه فهو منقطع، فكيف يحتج أحد بمثل هذا لولا غلبة الهوى؟

الثاني: أن الواقف على متن هذا الحديث يعلم على القطع أنه مصنوع موضوع، لأن الشعر الذي فيه لا يناسب شعر العرب ولا يليق بجزالة شعرهم وألفاظهم، وإنما يليق بمخنثي شعراء المولدين يدرك ما ذكرناه بالذوق الضروري من له خبرة بشعر العرب والمولدين، وكذلك ألفاظ متن الحديث لا يليق بكلام رسول الله ﷺ ولا بكلام أصحابه، وكذلك معناه لا يليق بهم للذي تواتر عندنا من أحوال رسول الله ﷺ وأحوال أصحابه في الجد والاجتهاد والوقار والجلالة وحسن الهيبة، وكذلك تمزيق الرداء على أربعمائة قطعة لا يليق بهم، وكيف يفعل هذا رسول الله ﷺ وقد نهى عن إضاعة المال، ثم قسمته على ذلك العدد المعين مستنكر وكل ذلك يبعد الحسّ وتنفر منه النفس.

الثالث: أن هذا الحديث مما تنكره قلوب العلماء وتقشعر منه جلود الفضلاء، وما يكون كذلك فلا يقوله النبي ﷺ ولا نقوله بدليل قوله ﷺ: «إذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه ولا أقول ما ينكر ولا يعرف» هذا آخر سياق القرطبي.

وقد حاول صاحب الامتاع الرد على الوجه الأول والثالث بما هو مذكور في كتابه حاصل ما قال في توثيق ابن طاهر انه ثقة حافظ روى عنه الائمة الحفاظ كشبرويه بن شهردار الديلمي، ومحمد بن أبي علي الحافظ الهمداني، وابن نصر أحمد بن عمر الاصبهاني، وأبي البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، ومحمد بن ناصر السلامي. قال شبرويه: محمد بن طاهر ثقة صدوق حافظ عالم بالصحيح والسقيم حسن المعرفة بالرجال والمتون لازم للأثر بعيد عن الفضول والتعصب خفيف الروح كثير الحج والعمرة. وقال إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ: احفظ من رأيت ابن طاهر، وقال يحي بن عبد الوهاب بن منده: محمد بن طاهر أحد الحفاظ حسن الاعتقاد جميل الطريقة صدوق عالم بالصحيح والسقيم لازم للأثر حج حجات كثيرة على قدميه ذكر ذلك كله ابن النجار في الذيل. وأما ما ذكره القرطبي وغيره: أنه كان يقول بالإباحة فهي مسألة خلاف أيضاً، وهي مسألة النظر إلى الأمرد، والذي ذهب إليه ابن طاهر ذهب إليه كثيرون، وكلام ابن ناصر لا يخلو من تحامل عليه فإنه عابه بأشياء لا يعاب بمثلها. وقال ابن الصلاح إنما حمل من تكلم على ابن طاهر الحسد ووثقه وحسن حاله على حال من تكلم فيه والله أعلم.

الأدب الخامس: موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف، أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقامت له الجماعة فلا بدّ من الموافقة، فذلك من آداب الصحبة. وكذلك إن جرت عادة طائفة بتنحية العمامة على موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته. أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق، فالموافقة في هذه الأمور من حسن الصحبة والعشرة، إذ المخالفة موحشة ولكل قوم رسم، ولا بدّ من مخالقة الناس بأخلاقهم كما ورد في الخبر، لا سيما إذا كانت أخلاقاً فيها حسن العشرة والمجاملة وتطييب القلب بالمساعدة. وقول القائل: إن ذلك بدعة لم يكن في الصحابة، فليس كل ما يحكم بإباحته منقولاً عن الصحابة رضي الله عنهم، وإنما المحذور ارتكاب بدعة تراغم سنّة مأثورة، ولم ينقل النهي عن شيء من هذا.

(الأدب الخامس: موافقة القوم في القيام إذا قام واحد منهم في وجد صادق من غير رياء وتكلف) من نفسه، **(أو قام باختيار من غير إظهار وجد وقام له الجماعة، فلا بدّ له من الموافقة، فذلك من آداب الصحبة)** والعشرة. **(وكذلك إن جرت عادة طائفة بتنحية العمامة)** على الرأس **(على موافقة صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه، فالتمزيق بالموافقة في هذه الأمور من حسن الصحبة والعشرة)** أي معدود من جملة حسن الصحبة **(إذ المخالفة)** في الأحوال الظاهرة **(موحشة، ولكل قوم رسم)** وعادة ومخالفة الرسوم سبب للتناكر، **(ولا بدّ من مخالقة الناس بأخلاقهم كما ورد في الخبر)** قال العراقي: رواه الحاكم من حديث أبي ذر « خالقوا الناس بأخلاقهم » الحديث وقال: صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: ورواه البزار من حديث ثوبان « اصبروا وخالقوا الناس وخالفوهم في أعمالهم ».

(ولا سيا إذا كانت أخلاقاً فيها حسن العشرة) أي المعاشرة **(والمجاملة وتطييب النفس بالمساعدة)** وقال صاحب العوارف: وللمتصوّفة آداب يتعاهدونها ورعايتها احسن الأدب في الصحبة والعشرة، وكثير من السلف لم يكونوا يعتمدون ذلك، ولكن كل ما استحسنوه وتواطأوا عليه، ولا ينكره الشرع ولا وجه للإنكار فيه، فمن ذلك أن احدهم إذا تحرك في السماع ووقعت منه خرقة أو نازلة وجد ورمى عمامته إلى الحادي، فالمستحسن عندهم موافقة الحاضرين له في كشف الرأس إذا كان ذلك متقدماً أو شيخاً وإن كان ذلك من الشبان في حضرة الشيوخ، فليس على الشيوخ موافقة الشبان في ذلك، وينسحب حكم اللشيوخ على بقية الحاضرين في ترك الموافقة للشبان، فإذا سكتوا عن السماع يرد الواجد إلى خرقته ويوافقه الحاضرون برفع العمامة، ثم ردها على الرؤوس في الحال للموافقة.

(وقول القائل: إن ذلك بدعا لم يكن في الصحابة فليس كل ما يحكم بإباحته منقولاً عن الصحابة، وإنما المحذور بدعة تراغم سنّة مأموراً بها، ولم ينقل النهي عن شيء من

والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب، بل كان الصحابة رضي الله عنهم لا يقومون لرسول الله ﷺ في بعض الأحوال كما رواه أنس رضي الله عنه. ولكن إذا لم يثبت فيه نهي عام فلا نرى به بأساً في البلاد التي جرت العادة فيها بإكرام الداخل بالقيام، فإن المقصود منه الاحترام والإكرام وتطييب القلب به. وكذلك سائر أنواع المساعدات إذا قصد بها تطييب القلب واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها، بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التأويل، ومن الأدب أن لا يقوم للرقص مع القوم إن كان يستثقل رقصه، ولا يشوّش عليهم أحوالهم إذ الرقص من غير إظهار التواجد مباح، والمتواجد هو الذي يلوح للجمع منه أثر التكلف. ومن يقوم

هذا) ولفظ العوارف وقول القائل: إن هذه الهيئة من الاجتماع بدعة يقال له: إنما البدعة المحذورة الممنوع منها بدعة تراغم سنّة مأموراً بها وما لم يكن هكذا فلا بأس به.

(والقيام عند الدخول للداخل لم يكن من عادة العرب، بل كان الصحابة) رضي الله عنهم (لا يقومون لرسول الله ﷺ في بعض الأحوال كما رواه أنس) بن مالك (رضي الله عنه) كما تقدم ذلك في كتاب آداب الصحبة، (ولكن إذا لم يثبت فيه نهي عام فلا نرى به بأساً في البلاد التي جرت العادة فيها بإكرام الداخل بالقيام، فإن القصد منه الاحترام والإكرام) ولفظ العوارف: وهذا كالقيام للداخل لم يكن. وكان من عادة العرب ترك ذلك حتى نقل ان رسول الله ﷺ كان يدخل ولا يقام له. وفي البلاد التي هذا القيام عادتهم إذا تعمدوا ذلك لتطييب القلوب والمداراة لا بأس به، لأن تركه يوحش القلوب ويوغر الصدور، فيكون ذلك من قبيل العشرة وحسن الصحبة ويكون ذلك بدعة لا بأس بها لانها لا تزاحم سنّة مأمورة.

(وكذلك سائر أنواع المساعدات إذا قصد بها تطييب القلوب واصطلح عليها جماعة فلا بأس بمساعدتهم عليها، بل الأحسن المساعدة إلا فيما ورد فيه نهي لا يقبل التأويل) بوجه من الوجوه. (ومن الآداب أن لا يقوم) الفقير (للرقص مع القوم إذا كان يستثقل رقصه ويشوّش عليهم أحوالهم إذ الرقص من غير إظهار الوجد مباح، والمتواجد هو الذي يلوح للجمع منه أثر التكلف) وبهذا يظهر الفرق في الوجد والتواجد والوجود، وتقدم شيء في ذلك آنفاً وقال القشيري في الرسالة: التواجد استدعاء الوجد بضرب اختيار وليس لصاحبه كمال الوجد وهو غير مسلم لصاحبه لما يتضمن من التكلف. وقال قوم: إنه مسلم لصاحبه، واستدلوا بالخبر فإن لم تبكوا فتباكوا، واستدلوا بقصة أبي محمد الجريري لما قاله له الجنيد وأنت مالك في السماع شيء. فقال: إذا حضرت موضعاً فيه سماع وهناك محتشم أمسكت على نفسي وجدي، فإذا خلوت تواجدت فأطلق في هذه الحكاية التواجد ولم ينكر عليه الجنيد. وأما الوجد: فهو ما يصادف قلبك ويرد عليك بلا تعمد وتكلف، وأما الوجود فهو بعد الارتقاء عن

عن صدق لا تستثقله الطباع فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب محك للصدق والتكلف.

سئل بعضهم عن الوجد الصحيح فقال: صحته قبول قلوب الحاضرين له إذا كانوا أشكالاً غير أضداد.

فإن قلت: فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنه باطل ولهو ومخالف للدين فلا يراه ذو جدّ في الدين إلا وينكره؟

فاعلم أن الجد لا يزيد على جد رسول الله ﷺ. وقد رأى الحبشة يزفنون في المسجد وما أنكره لما كان في وقت لائق به وهو العيد، ومن شخص لائق به وهم الحبشة. نعم

الوجد، ولا يكون وجود الحق إلاّ بعد خمود البشرية لأنه لا يكون للبشرية بقاء عند ظهور سلطان الحقيقة، وقال أبو علي الدقاق: التواجد يوجب استيعاب العبد، والوجد يوجب استغراق العبد والوجود يوجب استهلاك العبد.

(ومن يقوم عن صدق) وحق **(لا تستثقله الطباع، فقلوب الحاضرين إذا كانوا من أرباب القلوب محك للصدق والتكلف)** فمن قام عن تكلف فقد أوقع نفسه في زلة كبيرة إذ قد يطلع عليه بعض أرباب القلوب من الحاضرين فيرى بنور الفراسة وهو مبطل في قيامه فيوجب عليه موافقته في القيام فيقع به حرج كبير كما تقدمت الإشارة إليه قريباً في تفسير قول أبي عمرو بن نجيد.

(سئل بعضهم عن الوجد الصحيح) ما هو؟ **(فقال: صحته قبول قلوب الواجدين له إذا كانوا اشكالاً غير أضداد)** بأن يؤثر فيهم حاله بما ظهر عليه من إمارة الغلبة والقهر في حركاته وسكناته، فيوقع الله صدقه في قلوبهم فينال كل منهم نصيبه من حاله.

قال القشيري: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا الفرج الشيرازي يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: قال أبو سعيد الخراز: من ادعى أنه مغلوب عند الفهم يعني في السماع وأن الحركات مالكة له فعلامته تحسين المجلس الذي هو فيه بوجده. قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي: فذكرت هذه الحكاية لأبي عثمان المغربي. فقال: هذا أدناه وعلامته الصحيحة أن لا يبقى في المجلس محق إلا أنس به ولا مبطل إلا استوحش منه اهـ فهذا معنى قول المصنف اشكالاً غير أضداد.

(فإن قلت: فما بال الطباع تنفر عن الرقص ويسبق إلى الأوهام أنه باطل ولهو ومخالف للدين فلا يراه ذو جد في الدين الا وينكره) هل لذلك من سبب؟ **(فاعلم أن الجد لا يزيد على جد رسول الله ﷺ، وقد)** ثبت في الأحاديث الصحيحة أنه **(رأى الحبشة يرقصون في المسجد)** ويلعبون، **(فما أنكره لما أن كان في وقت لائق به وهو العيد)** قيل

نفرة الطباع عنه، لأنه يرى غالباً مقروناً باللهو واللعب، واللهو واللعب مباح ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم. وهو مكروه لذوي المناصب لأنه لا يليق بهم، وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذي المنصب فلا يجوز أن يوصف بالتحريم. فمن سأل فقيراً شيئاً فأعطاه رغيفاً كان ذلك طاعة مستحسنة، ولو سأل ملكاً فأعطاه رغيفاً أو رغيفين لكان ذلك منكراً عند الناس كافة، ومكتوباً في تواريخ الأخبار من جملة مساوئه ويعيّر به أعقابه وأشياعه، ومع هذا فلا يجوز أن يقال ما فعله حرام لأنه من حيث أنه أعطى خبزاً للفقير حسن، ومن حيث أنه بالإضافة إلى منصبه كالمنع بالإضافة إلى الفقير مستقبح، فكذلك الرقص وما يجري مجراه من المباحات، ومباحات العوام سيئات الأبرار، وحسنات الأبرار سيئات المقربين، ولكن هذا من حيث الالتفات إلى المناصب. وأما إذا نظر إليه في نفسه وجب الحكم بأنه هو في نفسه لا تحريم فيه والله أعلم، فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد يكون حراماً محضاً، وقد يكون مباحاً، وقد يكون مكروهاً، وقد يكون مستحباً.

هو يوم عيد الفطر، **(ومن شخص لائق به وهو الحبشة)** وهم من عادتهم ذلك. **(نعم نفرة الطباع عنه لأنه يرى غالباً مقروناً للهو واللعب واللهو واللعب مباح، ولكن للعوام من الزنوج والحبشة ومن أشبههم)** ممن هو على طريقتهم **(وهو مكروه لذوي المناصب)** الرفيعة، **(لأنه لا يليق بهم وما كره لكونه غير لائق بمنصب ذي المنصب، فلا يجوز أن يوصف بالتحريم)** وله مثال، **(فمن سأل فقيراً شيئاً فاعطاه رغيفاً كان ذلك طاعة مستحسنة، ولو سأل ملكاً فاعطاه رغيفاً أو رطلاً من الخبز كان ذلك منكراً عند الناس كافة)** وفي نسخة عند الكافة **(ومكتوباً في تواريخ الأخبار من جملة مساوئه)** أي معايبه ومخازيه **(يعير به أعقابه)** أي أولاده **(وأشياعه)** أي أتباعه، **(ومع هذا فلا يجوز ان يقال ما فعله حرام لأنه من حيث أنه أعطي خبزاً للفقير حسن، ومن حيث أنه بالإضافة إلى منصبه كالمنع بالإضافة إلى الفقير مستقبح، فكذلك الرقص وما يجري مجراه من المباحات ومباحات العوام سيئات الأبرار، وحسنات الابرار سيئات المقربين)** وهو من كلام أبي سعيد الخراز كما تقدمت بالإشارة إليه مراراً **(ولكن هذا من حيث الالتفات إلى المناصب، وأما إذا نظر إليه في نفسه وجب الحكم بأنه حق في نفسه لا تحريم فيه والله اعلم)** اتى بهذه الجملة للتبرك، **(فقد خرج من جملة التفصيل السابق أن السماع قد يكون حراماً محضاً، وقد يكون مباحاً، وقد يكون مستحباً، وقد يكون مكروهاً)** تعتوره هذه الأحكام الأربعة.

أما الحرام؛ فهو لأكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة.

وأما المكروه؛ فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين، ولكنه يتخذه عادة له في أكثر الأوقات على سبيل اللهو.

وأما المباح؛ فهو لمن لا حظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن.

وأما المستحب؛ فهو لمن غلب عليه حب الله تعالى ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة، والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله.

(**أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشباب**) المغتلمين في أوائل نشوة الصبوة (**ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا**) حتى أعمت بصائرهم، (**فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومة**) فلمثل هؤلاء يجب الاحتراز عن حضور مجالس السماع. (**وأما المكروه فهو لمن لا ينزله على صورة المخلوقين ولكن يتخده**) عادة لازمة (**في أكثر الأوقات على سبيل اللهو**) فيلتهي به.

(**وأما المباح: فهو لمن لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن**) فيباح له.

(**وأما المستحب: فهو لمن غلب عليه حب الله ولم يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة**)، ونحا قريباً من هذا أبو محمد بن حزم فقال: من نوى بالغناء ترويح القلب ليقوى على الطاعة فهو مطيع، ومن نوى به التقوي على المعصية فهو عاص، وإن لم ينو لا طاعة ولا معصية فهو لغو معفوّ عنه كخروج الإنسان إلى بستانه وقعوده على بابه متفرجاً. قال: ومن أنكره فقد أخطأ.

وقال الاستاذ أبو منصور: إذا سلم من تضييع فرض ولم يترك حفظ حرمة المشايخ فهو محمود، وربما كان السامع له مأجوراً. وقال القرطبي: وربما يندب إليه لكنه خصه بالغناء لتسكين الاطفال ونحوه. وقال الشيخ أبو بكر محمد بن عبد الله العامري البغدادي في مؤلفه في السماع: إنه ينقسم على أقسام وجعل منها قسماً يباح وقسماً يستحب، وجعل من المستحب العرس ونحوه، وقال الحليمي في منهاجه: وإن اتصل الغناء المباح بطريق صحيح. مثل أن يكون برجل وحشة أو علة عارضة لفكره، فأشار عدل من الأطباء بأن يرى المساكن المنزهة، ويغني ليتفرج بذلك وينشرح صدره ارتفع اسم الباطل في هذه الحال، فكان اسم الحق أولى به هذا حكم الغناء قاله الفوراني من الشافعية وغيره.

وقال العز بن عبد السلام لما سأله الشيخ أبو عبد الله بن النعمان عن السماع الذي يعمل في هذا الزمان سماع ما يحرك الأحوال السنية المذكرة للآخرة مندوب إليه، وقال في القواعد: من جلة

....

تقسيم ذكره من كان عنده هوى مباح كعشق زوجته وأمته فسماعه لا بأس به، ومن يدعوه هوى محرم فسماعه حرام، ومن قال: لا أجد في نفسي شيئاً من الأقسام الستة التي ذكرتها، فالسماع مكروه في حقه وليس بمحرم.

ونقل الاستاذ أبو منصور التميمي عن شيخه الإمام أبي بكر بن فورك قال: كل من سمع الغناء والقول على تأويل نطق به القرآن، أو وردت به السنّة، أو على طريق الرغبة إلى الله أو الرهبة منه فهنيئاً له، ومن سمعه على حظ نفسه لا حظ روحة قلبه فليستغفر الله.

وأما الصوفية فقال الجنيد سيد الطائفة قدس سره، الناس في السماع على ثلاثة أضرب: العوام، والزهاد، والعارفون. فأما العوام فحرام عليهم لبقاء نفوسهم، وأما الزهاد فيباح لهم لحصول مجاهداتهم، وأما أصحابنا فيستحب لهم لحياة قلوبهم نقله القاضي حسين في تعليقه والقشيري في الرسالة والسهروردي في العوارف، وذكر صاحب القوت أن السماع حلال وحرام وشبهة، وذكر نحواً مما قال الجنيد، على هذا القدر وقع الاقتصار في شرح كتاب الوجد والسماع.

قال مؤلفه الشيخ أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني: فرغ من تحريره عند أذان العشاء الآخرة من ليلة الأحد لثمان بقين من شوّال من شهور سنة ١١٩٩ حامد الله ومصلياً ومسلماً ومستغفراً وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

(تم الجزء السابع ويليه الجزء الثامن أوله كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

(كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الكتاب التاسع من ربع العادات الثاني من كتب إحياء علوم الدين)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب إلا بحمده، ولا تستمنح النعم إلا بواسطة كرمه

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد الله ناصر كل صابر الحمد لله الذي لا يستفتح بأفضل من اسمه كلام، ولا يستنجح بأحسن من صنعه مرام، الوهاب المنان، متبع الإحسان بالإحسان، الذي لا خير إلا منه، ولا فضل إلا من لدنه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الجميل العوائد، الجزيل الفوائد، أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، سيد البشر، الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر، الوافي عهده، الصادق وعده، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المخصوصين بعلوّ الهمة، والحائزين الفضائل الجمة، صلاة تشرق اشراق البدور، وتتردد تردد أنفاس الصدور، وسلم وكرّم، وشرّف وعظم، وبعد فهذا شرح:

(كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

وهو التاسع من الربع الثاني من كتاب الإحياء للإمام حجة الإسلام بحر العلوم الزاخر، الجامع لأنواع المفاخر، أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، سقى الله ثراه صوب غيث رحمته المتوالي، يشرح ظاهر ألفاظه، ويلوح بالتنبيه على مسارح ألحاظه، ويفسر مدارج تحقيقاته المهمة، ويكشف عن معضلات مباحثه المدلهمة، على وجه رائق يسهل طريق المفاد، ونهج شائق يتوسط للوصول إلى المراد، والله أسأل أن يمدنا بمنائح نفحاته، ويعيد علينا من نوافح بركاته، وهو الموفق لا إله غيره ولا خير إلا خيره.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(بسم الله الرحمن الرحيم)** واستفتح به كتابه تيمنا باسمه الكريم واقتفاء لآثار حبيبه الرسول الكريم، ثم قفاه بقوله:

(الحمد لله) جمعاً بين الآثار ورعاية لسياق الأخبار، وفي كل من الجملتين كلام تقدم بعضه في الكتب السالفة من هذا الكتاب واشتهرت مباحثها بين أولي الألباب **(الذي لا تستفتح الكتب)** جمع كتاب وهو في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيه **(إلا بحمده)** أي ثنائه عليه

ورفده، والصلاة على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبده، وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده.

أما بعد؛ فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوّة واضمحلت الديانة وعمت الفترة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة واستسرى

بما أثنى به على نفسه على لسان أنبيائه ورسله. والاستفتاح الاستبداء استفعال من الفتح الذي هو إزالة الانغلاق والأشكال أي لا تكون مبدوءة إلا بذكره، **(ولا تستمنح النعم)** أي لا تستعطى والاستمناح استفعال من المنح بفتح فسكون وهو العطاء، والنعم بكسر ففتح جمع نعمة **(إلا بواسطة كرمه ومجده)** والكرم إفادة ما ينبغي لا لغرض والمجد سعة الكرم، فمن كان واسعاً في كرمه تستمنح منه الرغائب وجليل العطايا فكان سعة كرمه صارت واسطة للطلب، **(والصلاة)** والسلام **(على سيدنا محمد رسوله وعبده)** أشار به إلى وجهي النبوة فمن حيث الحق وجه العبودية ومن حيث الخلق وجه الرسالة والعبودية أشرف المقامات، ولذا ذكر بها في جملة آي من القرآن، وإليه أشار الشاعر:

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائيا

وذكر الصلاة غير مقرونة بالسلام فيه اختلاف بين العلماء، وقد تقدمت الإشارة إليه في أول كتاب العلم. **(وعلى آله الطيبين وأصحابه الطاهرين من بعده)** طيبهم الله تعالى وطهرهم من كل دنس ورجس حتى صارت صلاحيته لأهليته وقرابته وصحبته.

(أما بعد: فإن الأمر بالمعروف) وهو ما قبله العقل وأقره الشرع ووافقه كرم الطبع، **(والنهي عن المنكر)** وهو ما ليس في رضا الله تعالى من قول أو فعل **(هو القطب الأعظم في الدين)** وأصل القطب هو الخط المستقيم الواصل من جانب الدائرة إلى الجانب الآخر بحيث يكون وسطه واقعاً على المركز، **(وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين)** يقال: بعث له وإليه وابتعث وبعثه أيضاً وابتعثه وجهه، والمهم من الأمور ما قصد إليه ببذل الهمة والغرض من بعثة الأنبياء إصلاح أمور الدنيا وأمور الآخرة، فاصلاح أمور الآخرة بمعرفة الله تعالى وتلقي شرائعه التي شرعها الله لعباده وإصلاح أمور الدنيا بانتظام معايشهم واتفاقهم على كلمة الحق وحسن معاملتهم، وكل ذلك لا يتم إلا بائتمار المعروف بينهم والإنتهاء عن كل ما نهى الله عنه وأنكره، **(ولو طوى بساطه)** وهو كناية عن الإعراض عنه، **(وأهمل)** أي ترك **(علمه وعمله)** أي معرفته بحدوده وأركانه والعمل به **(تعطلت النبوة)** أي شعائرها، **(واضمحلت الديانة)** أي انمحى أثرها **(وعمت الفترة)** أي السكون والهدوّ **(وشاعت الضلالة)** أي ظهرت **(واستسرى الفساد)** أي طار شرره وقوي وفي نسخة انتشر أي ظهر، **(واتسع**

الفساد ، واتسع الخرق وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، وقد كان الذي خفنا أن يكون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه ، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مداهنة الخلق وانمحت عنها مراقبة الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم ، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم ، فمن سعى في تلافي هذه الفترة وسد هذه الثلمة إما متكفلاً بعملها أو متقلداً لتنفيذها مجدداً لهذه السنة الدائرة ناهضاً بأعبائها ومتشمراً في إحيائها كان مستأثراً من بين الخلق بإحياء سنّة أفضى الزمان إلى إماتتها ، ومستبداً بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها ، وها نحن نشرح علمه في أربعة أبواب.

الخرق) على راقعه **(وخربت البلاد)** باختلاف كلمة أهلها ، **(وهلك العباد)** بتعدي القوي على الضعيف **(وإن لم يشعروا بالهلاك)** لانغماسهم في بحر الحيرة **(إلى يوم التناد)** أي القيامة حيث ينادي بعضهم بعضاً ، **(وقد كان)** أي وجد ووقع **(الذي خفنا)** منه **(أن يكون)** فما يسع إلا النطق بكلمة الاسترجاع **(إنا لله وإنا إليه راجعون)** هذا قاله المصنف في رأس الخمسمائة ، فكيف لو أدرك زماننا ونحن على رأس المائتين بعد الألف ولا قوة إلا بالله ، ثم شرع يبين ما حق له به الاسترجاع فقال: **(إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه)** أي انطمس أثر العامل به وكذا العالم بقوانينه وحدوده ، **(وانمحى بالكلية حقيقته ورسمه)** فلم يبق إلا اسمه ، **(واستولت على القلوب مداهنة الخلق)** فيرى أحدهم منكراً يقدر على دفعه فلا يدفعه حفظاً لجانب مرتكبه أو لقلة مبالاته في الدين ، **(وانمحت عنها مراقبة الخالق)** جل جلاله **(واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات)** أي ارسلوا نفوسهم في اتباع ما تميل وتنزع إليه من مستلذات الشهوات من غير داعية الشرع **(استرسال البهائم)** في مراعيها ، **(وعز على بساط الأرض)** أي وجهها أي قل وندر وجود **(مؤمن صادق)** في إيمانه كامل في إحسانه ممن **(لا تأخذه في الله)** أي لأجله **(لومة لائم)** وعذلة عاذل **(فمن سعى في تلافي)** أي تدارك **(هذه الفترة وسد هذه الثلمة)** بالضم أي الخلل الواقع فيه كثلمة الحائط **(إما متكفلاً بعلمها)** بأن يعلم الناس بما أعطاه من بيان قوانينها ورسومها وحدودها إن لم يكن أهلاً للعمل بها ، **(أو متقلداً لتنفيذها)** وإمضائها إن كان قادراً على ذلك **(مجدداً لهذه السنة الدائرة)** أي المندثرة **(ناهضاً)** أي قائماً **(بأعبائها)** أي بإثباتها **(ومتشمراً في إحيائها)** أي مجتهداً **(كان مستأثراً)** أي مخصوصاً **(من بين الخلق)** أي من دونهم **(بإحياء سنة أفضى الزمان)** أي أهله **(إلى اماتتها ومستبداً)** أي مشتغلاً **(بقربة)** أي طاعة **(تتضاءل)** أي تتصاغر **(درجات القرب دون)** البلوغ إلى **(ذروتها)** أي أعلاها ، والمراد بدرجات القرب هي المقامات التي يعطى العبد في سلوكه إلى الله تعالى ، ويخصص بكثير من الصفات التي يصح أن

الباب الأول: في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته.

الباب الثاني: في أركانه وشروطه.

الباب الثالث: في مجاريه وبيان المنكـرات المألوفة في العادات.

الباب الرابع: في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

يوصف الحق بها فكل مقام منها عن درجة وهي أعلى من التي فارقها. **(وها نحن نشرح هلم ذلك في أربعة أبواب) :**

(الباب الأول: في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته) المفهومة من الآيات والأخبار.

(الباب الثاني: في أركانه وشروطه) .

(الباب الثالث: في مجاريه وبيان المنكرات المألوفة في العادات) الجارية بين الناس.

(الباب الرابع: في أمر الأمراء والسلاطين) ومن في معناهم **(بالمعروف ونهيهم عن المنكر) .**

الباب الأول

في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفضيلته والمذمة في إهماله وإضاعته

ويدل على ذلك بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه: الآيات والأخبار والآثار.

أما الآيات: فقوله تعالى: ﴿ولتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخيْر ويأمرون بالمعروفِ وينْهَوْن عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران: ١٠٤] ففي الآية بيان الايجاب، فإن قوله تعالى: ﴿ولتكن﴾ أمر وظاهر الأمر الإيجاب، وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ خص وقال: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين، وأنه إذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين، إذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل

الباب الأول

في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

(و) في بيان (**فضيلته والمذمة في إهماله**) وتركه.

(**فأما الدليل على وجوبه بعد إجماع الأمة عليه وإشارات العقول السليمة إليه**) يريد بالأمة الجماعة يجمعها أمر إما دين أو زمن أو مكان واحد، فإنهم كلهم كالمجمعين عليه وإن لم يصرح به بعضهم والمراد بالعقول السليمة هي الكاملة من أصل الفطرة السالمة من النقص: (**الآيات**) القرآنية (**والأخبار**) النبوية (**والآثار**) المنقولة عن الأصحاب والاتباع ومن بعدهم.

(**أما الآيات: فقوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة**) أي جماعة (**يدعون إلى الخير**) أي يرشدون الناس إلى الخير (**ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** ففي هذه الآية الإيجاب، (**فإن قوله تعالى: ﴿ولتكن﴾ أمر**) وأصله تكون فلما دخلت لام الأمر سقطت الواو (**وظاهره الإيجاب**) كما هو المتبادر من صيغ الأمر المؤكدة باللام، (**وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ خص وقال: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾**) أي لا غيرهم والفلاح كما تقدم هو الظفر وإدراك البغية. فالدنيوي هو إدراك السعادة التي تطيب بها الحياة والأخروي أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وعز بلا ذل، وغنى بلا فقر، وعلم بلا جهل. (**وفيها بيان أنه**) أي الأمر بالمعروف (**فرض كفاية لا فرض عين، وأنه إذا قام به أمة**) أي

قال: ﴿ولتكن منكم أمة﴾ فإذاً مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين، واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين، وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة. وقال تعالى: ﴿ليسوا سواءً من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات اللهِ آناء الليلِ وهم يسجدون* يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمُرون بالمعروفِ ينهَوْن عن المنكرِ ويسارِعُونَ في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾ [آل عمران: ١١٣، ١١٤] فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر، حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقال تعالى: ﴿والْمُؤْمِنون والْمُؤمنات بعضُهُم أولياءُ بعض يأمُرُون بالمعروفِ وينهَوْنَ عَنِ الْمُنْكرِ ويقيمون الصلاة﴾ [التوبة: ٧١] فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية. وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذين كَفَروا من بني إسرائيلَ على لسان داودَ وعيسى ابن مريمَ ذلك بمَا عَصوا وكانوا يعتدونَ* كَانُوا لا يَتَنَاهُونَ عَن مُنْكرٍ فعلُوه لَبِئْسَ ما كَانُوا يفعلون﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩] وهذا غاية التشديد إذ علق استحقاقهم للعنة بتركهم النهي عن المنكر، وقال عز وجل:

جماعة من الناس (**سقط الفرض عن الآخرين**) من الذين لم يقوموا (**إذ لم يقل: كونوا كلكم آمرين بالمعروف بل قال: ﴿ولتكن منكم أمة﴾**) ومن للتبعيض: (**فإذاً مهما قام به واحد**) من القوم (**أو جماعة**) منهم (**سقط الحرج**) والإثم (**عن الآخرين واختص الفلاح**) أي وصفه (**بالقائمين به المباشرين له**) بتنفيذه وإجرائه (**وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون**) فلم يقم به أحد منهم (**عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة**) أي ألبتة (**وقال تعالى: ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾** فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر، حتى أضاف إليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (**وقال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة﴾ فقد نعت** المؤمنين) في هذه الآية (**بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية. وقال تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود**) يعني الزبور (**وعيسى ابن مريم**) يعني في الإنجيل (**ذلك بما عصوا**) رسلهم (**وكانوا يعتدون**) أي يتجاوزون الحدود. ثم بين اعتداءهم فقال: (**كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ وهذا غاية التشديد**) ونهاية التهديد (**إذ علق استحقاقهم للعنة**) التي هي الطرد والإبعاد من رحمة الله

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمعروفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس. وقال تعالى: ﴿فلما نَسُوا ما ذُكِّروا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السوءِ وأخذنا الذين ظَلَمُوا بعذابٍ بئيس بما كانُوا يفسقون﴾ [الأعراف: ١٦٥] فبين أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن السوء ويدل ذلك على الوجوب أيضاً، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إنْ مكنَّاهُم في الأرض أقامُوا الصَّلاة وآتَوا الزَّكاة وأمَرُوا بالمعرُوفِ ونَهَوْا عن الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١] فقرن ذلك بالصلاة والزكاة في نعت الصالحين والمؤمنين، وقال تعالى: ﴿وتعاونوا على البرِّ والتَقْوَى ولا تَعاونُوا على الإثْمِ والعُدْوان﴾ [المائدة: ٢] وهو أمر جزم. ومعنى التعاون الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبل الشر والعدوان بحسب الإمكان، وقال تعالى: ﴿لولاَ ينهاهُمُ الربَّانِيُّونَ والأحْبَارُ عَن

تعالى (**بتركهم النهي عن المنكر**) أخرج الطبراني من حديث أبي موسى الأشعري رفعه قال: «إن من كان قبلكم من بني إسرائيل إذا عمل العامل فيهم الخطيئة فنهاه الناهي تعزيراً فإذا كان من الغد جالسه وواكله وشاربه كأنه لم يره على الخطيئة بالأمس، فلما رأى الله ذلك منهم ضرب بقلوب بعضهم على بعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ﴿ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ والذي نفس محمد بيده لتـأمرنّ بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتأخذن على يد المسيء ولتأطرنه على الحق إطراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم».

(**وقال تعالى**) مخاطباً لهذه الأمة: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**﴾ **وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ بين أنهم كانوا به خير أمة. وقال تعالى:** ﴿**فلما نسوا ما ذكروا به**) وأعرضوا عنه (**أنجينا الذين ينهون عن السوء**) وهو المنكر من الفعل والقول (**وأخذنا الذين ظلموا**) أنفسهم بمخالفتهم لأوامر الحق (**بعذاب بئيس**) أي شديد (**بما كانوا يفسقون**﴾ **فبين**) في هذه الآية (**أنهم استفادوا النجاة بالنهي عن المنكر**) وفي بعض النسخ بالسوء، ويدل ذلك على الوجوب أيضاً وقال تعالى: ﴿**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر**﴾ **فقرن ذلك بالصلاة والزكاة**) وهو من عمد الإسلام (**في نعت الصالحين والمؤمنين. وقال تعالى:** ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾ **وهو أمر جزم، ومعنى التعاون الحث عليه**) أي ليعن بعضكم بعضاً في الخير، (**وتسهيل طرق الخير**) بالمعاونة (**وسد سبل الشر والعدوان**) أي التعدي (**بحسب الإمكان**) أي القدرة. (**وقال تعالى:** ﴿**لولا ينهاهم الربانيون**) أي العلماء المنسوبون إلى العلم الإلهي (**والأحبار عن قولهم الإثم**) أي المنكر (**وأكلهم السحت**) وهو الحرام الصرف الذي

قولهم الإثْمَ وأكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ ما كانُوا يصنعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣] فبيَّـن أنهم أثموا بترك النهي. وقال تعالى: ﴿فلَولاَ كَانَ من القُرُونِ مِنْ قبلكم أولوا بقية ينهَون عَنِ الفسادِ في الأرض﴾ [هود: ١١٦] الآية. فبين انه أهلك جميعهم إلا قليلاً منهم كانوا ينهون عنِ الفساد، وقال تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمنُوا كُونُوا قوّامينَ بالقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ ولَوْ عَلَى أنْفُسِكُم أو الوالديْـنِ والأقْـربينَ﴾ [النسـاء: ١٣٥]، وذلـك هـو الأمـر بالمعروف للوالدين والأقربين، وقال تعالى: ﴿لا خيرَ في كثير مَن نَجْوَاهُم إلاَّ مَنْ أمرَ بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناسِ ومن يفعلْ ذلك ابتغاء مرضاةِ الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ [النساء: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلِحُوا بينهُما﴾ [الحجرات: ٩] الآية. والإصلاح نهي عن البغي وإعادة إلى الطاعة

فيه الرشوة (**لبئس ما كانوا يصنعون﴾**) ومثله قوله تعالى: ﴿سماعون للكذب أكالون للسحت﴾ [المائدة: ٤٢] قال الواحدي: أجمعوا على أن المراد بالسحت هنا الرشوة في الحكم. وقالوا نـزلـت الآية في حكام اليهود كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم. وقال الحسن في هذه الآية: تلك الحكام يسمعون الكذب ممن يكذب في دعواه عندهم ويأتيهم برشوة فيأخذونها ويأكلونها سمعوا كذبه وأكلوا رشوته.

(**فبين أنهم أثموا بترك النهي**) عما كانوا يفعلونه (**وقال تعالى: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض فبين أنه هلك جيعهم**) لسكوتهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (**إلا قليلاً كانوا ينهون عن الفساد في الأرض﴾**) وهو كل منكر شرعاً وعرفاً (**وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط**) أي العدل (**شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾ وذلك هو الأمر بالمعروف للوالدين والأقربين. وقال تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك إبتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾**) فوعد بالأجر العظيم الذي هو الجنة كما في حديث أنس مرفوعاً لمن أمر بالمعروف والإصلاح ومنعهم عن الفساد والاختلاف. وأخرج البيهقي من حديث أبي أيوب مرفوعاً قال: «يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة ترضي الله ورسوله بموضعها؟ قلت: بلى. قال: تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا».

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت قال: كنت جالساً مع محمد بن كعب القرظي فأتاه رجل فقال له القوم: أين كنت؟ فقال: أصلحت بين قوم، فقال محمد بن كعب: أصبت لك مثل أجر المجاهدين، ثم قرأ الآية ﴿لا خير في كثير﴾ إلى آخرها.

(**وقال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما﴾ الآية**) إلى آخرها (**والإصلاح**) في الآية التي قبلها وهنا (**نهي عن البغي**) الذي هو تجاوز الحق إلى الباطل أو ما

فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال: ﴿ فَقَاتِلُوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾ [الحجرات: ٩] وذلك هو النهي عن المنكر.

وأما الأخبار، فمنها ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها: أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية: وتتأوّلونها على خلاف تأويلها ﴿يا أيها الذين آمَنُوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ [المائدة: ١٠٥] وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده ». وروي عن أبي ثعلبة الخشني: أنه سأل رسول الله

يجاوره من الأمور المشتبهات، (**وإعادة إلى الطاعة**) والانقياد، (**فإن لم يفعل فقد أمر الله تعالى بقتاله فقال: ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء**) أي ترجع (**إلى أمر الله﴾ وذلك هو النهي عن المنكر**) فهذه الآيات بمناطيقها تارة وبمفاهيمها أخرى قد دلت على إيجاب الأمر بالمعروف تارة وعلى فضله أخرى.

(**وأما الأخبار**) وهي كثيرة أيضاً (**فمنها ما روي عن أبي بكر**) الصديق (**رضي الله عنه أنه قال في خطبة خطبها**) بعد أن استخلف: (**يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتتأوّلونها على خلاف تأويلها ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده »**) هذا الحديث تقدم ذكره في أول كتاب العزلة مبسوطاً وبين سياقيها تفاوت فإنه سبق له في كتاب العزلة بلفظ: قام أبو بكر خطيباً وقال: يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وهي ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ وإنكم تضعونها غير موضعها وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب » وهذا السياق هو الذي أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والعدني، وابن منيع والحميدي في مسانيدهم، والأربعة وصححه الترمذي وأبو يعلى والكجي في سننهم، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حيان، والدارقطني في الإفراد وابن منده في غرائب شعبه، وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب والضياء في المختارة كلهم من طريق قيس بن أبي حازم. قال: قام أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه فذكره، والذي ساقه المصنف هنا هو أقرب إلى حديث جرير البجلي مرفوعاً فيما أخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد « ما من قوم يكون بين أظهرهم رجل يعمل بالمعاصي أمنع منه وأعز لا يغيرون عليه إلا أوشك أن يعمهم الله منه بعقاب » ولفظ ابن مردويه من طريق أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: خطب أبو بكر الناس فكان في خطبته قال رسول الله ﷺ: « يا أيها الذين آمنوا لا تتكلوا على هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إن الذاعر ليكون في الحي فلا يمنعوه فيعمهم الله بعقاب » وله

ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ فقال: « يا أبا ثعلبة مُر بالمعروف وانهِ عن المنكر فإذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك العوام إن من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم » قيل: بل منهم يا رسول الله قال: « لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون عليه أعواناً ». وسئل ابن مسعود

أيضاً من حديث ابن عباس قال: قعد أبو بكر على منبر رسول الله ﷺ يوم سمي خليفة رسول الله فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم مد يده فوضعها على المجلس الذي كان النبي ﷺ يجلس عليه من منبره، ثم قال: سمعت الحبيب وهو جالس في هذا المجلس يتأول هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ثم فسرها فكان تفسيره لنا أن قال: « نعم ليس من قوم عمل فيهم بمنكر ويفسد فيهم بقبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلا حق على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعاً ثم لا يستجاب لهم ثم أدخل أصبعيه في أذنيه فقال: أن لا أكون سمعته من الحبيب صمتا ».

وأخرج أبو ذر الهروي في الجامع من طريق قيس بن أبي حازم قال: سمعت أبا بكر الصديق وقرأ هذه الآية في المائدة ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم أو ليعمنكم الله بعقاب وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب العزلة.

(وروي عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه) في اسمه أقوال وهو ممن بايع تحت الشجرة منسوب إلى جده حسين بن لاي وذكر في كتاب الحلال والحرام **(أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ فقال: « يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فإذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع العوام إن من ورائكم فتناً كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم » قيل: بل منهم يا رسول الله. قال: « بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون عليه أعواناً »)** قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه اهـ.

قلت: ورواه أيضاً ابن جرير والبغوي في معجمه وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه، والبيهقي في الشعب من طريق أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ قال: « بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه عليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام فإن من ورائكم أيام الصبر الصابر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر

رضي الله عنه عن تفسير هذه الآية فقال: إن هذا ليس زمانها إنها اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا، وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، وقال رسول الله ﷺ:

خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم» وفي رواية للحاكم بعد قوله مؤثرة وأمراً لا بد لك من طلبه فعليك نفسك ودعهم وعوامهم، وفيه أيضاً صبر فيهن كقبض على الجمر.

وقد روي مثل ذلك من حديث معاذ بن جبل أنه قال يا رسول الله: أخبرني عن قول الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ الآية. وقال «يا معاذ مروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيتم شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل امرىء برأيه فعليكم أنفسكم لا يضركم ضلالة غيركم فهو من ورائكم أيام صبر المتمسك فيها بدينه مثل القابض على الجمر فللعامل منهم يومئذ مثل عمل أحدكم اليوم كأجر خمسين منكم» قلت يا رسول الله: خمسين منهم؟ قال: «بل خمسين منكم أنتم» أخرجه ابن مردويه.

(وسئل ابن مسعود) رضي الله عنه **(عن تفسير هذه الآية فقال: إن هذا ليس زمانها إنها اليوم مقبولة ولكن قد أوشك أن يأتي زمانها تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا، وتقولون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم)**.
أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني وأبو الشيخ كلهم من طريق الحسن عنه أنه سأله رجل عن قوله: ﴿عليكم أنفسكم﴾ فقال: أيها الناس إنه ليس بزمانها إنها اليوم مقبولة ولكنه قد أوشك أن يأتي زمان تأمرون بالمعروف فيصنع بكم كذا وكذا أو قال: فلا يقبل منكم، فحينئذ عليكم أنفسكم الآية.

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد عنه في قوله ﴿عليكم أنفسكم﴾ الآية قال: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما لم يكن من دون ذلك السيف والسوط، فإذا كان ذلك كذلك فعليكم أنفسكم. وروى مثله عن الضحاك عن ابن عباس أخرجه ابن جرير من طريق جويبر عنه.

وأخرج عبد بن حميد، ونعيم بن حماد في الفتن، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب من طريق أبي العالية قال: كنا عند ابن مسعود فوقع بين رجلين بعض ما يكون بين الناس حتى قام كل واحد منهما إلى صاحبه فقال رجل من جلساء عبد الله: ألا أقوم فآمرهما بالمعروف وأنهاهما عن المنكر؟ فقال آخر إلى جنبه: عليك بنفسك، فإن الله تعالى يقول ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ فسمعها ابن مسعود فقال: مه لم يجيء تأويل هذه الآية بعد إن القرآن أنزل حيث أنزل فما دامت قلوبكم واحدة وأهواؤكم واحدة ولم تلبسوا شيعاً ولم يذق بعضكم بأس بعض، فمروا وانهوا فإذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعاً وذاق بعضكم بأس بعض فامرؤ ونفسه، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية.

وقد روي بمثل تفسير ابن مسعود عن غيره من الصحابة ومن بعدهم قيل لابن عمر: لو جلست

« لتأمرن بالمعروف وتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » معناه تسقط مهابتهم من أعين الأشرار فلا يخافونهم. وقال ﷺ: « يا أيها

في مثل هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه فإن الله قال ﴿عليكم أنفسكم﴾ فقال: إنها ليست لي ولا لأصحابي لأن رسول الله ﷺ قال: « ألا فليبلغ الشاهد الغائب ». فكنا نحن الشهود وأنتم الغيب، ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا إن قالوا لم يقبل منهم. أخرجه ابن جرير وابن مردويه.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير من طريق قتادة عن رجل قال: كنت في خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة في حلقة فيهم أصحاب النبي ﷺ، فإذا فيهم شيخ حسبت انه قال أبيّ بن كعب فقرأ (**عليكم أنفسكم**) فقال: إنما تأويلها في آخر الزمان.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ من طريق قتادة عن أبي مازن قال: انطلقت على عهد عثمان إلى المدينة فإذا قوم جلوس فقرأ أحدهم (**عليكم أنفسكم**) فقال أكثرهم: لم يجيء تأويل هذه الآية اليوم.

وأخرج ابن جرير عن جبير بن نفير قال: كنت في حلقة فيها أصحاب النبي ﷺ وإني لأصغر القوم نتذاكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقلت: أليس الله يقول ﴿عليكم أنفسكم﴾ فأقبلوا عليّ بلسان واحد فقالوا: أتنزع آية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت، ثم أقبلوا يتحدثون فلما حضر قيامهم قالوا: إنك غلام حدث السن، وإنك انتزعت آية لا تدري ما هي، وعسى أن تدرك ذلك الزمان إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت.

وأخرج ابن مردويه من حديث أبي سعيد الخدري قال: ذكرت هذه الآية عند رسول الله ﷺ فقال نبي الله ﷺ « لم يجيء تأويلها لا يجيء تأويلها حتى يهبط عيسى ابن مريم عليه السلام ». وأخرج ابن أبي حاتم عن مكحول أن رجلاً سأله عن هذه الآية فقال: إن تأويل هذه الآية لم يجيء بعد إذ اهاب الواعظ وأنكر الموعوظ فعليك بنفسك لا يضرك حينئذ من ضل إذا اهتديت ».

(وقال ﷺ « لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم ») قال العراقي: رواه البزار من حديث عمر بن الخطاب، والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف، وللترمذي من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال: « أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » قال: هذا حديث حسن اهـ.

قلت: حديث أبي هريرة أخرجه الخطيب أيضاً، وحديث حذيفة أخرجه كذلك أحمد والبيهقي.

(معناه: تسقط مهابتهم عن أعين الأشرار فلا يخافونهم) ولا يكون لكلامهم وقع في

الناس إن الله يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم ». وقال ﷺ : « ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجي، وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي ». وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: « إن الله تعالى ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقن الله العبد حجته قال رب وثقت بك وفرقت من الناس ». وقال ﷺ : « إياكم والجلوس على الطرقات ». قالوا ما لنا بدّ إنما هي مجالسنا نتحدث فيها . قال: « فإذا أبيتم إلا ذلك فاعطوا الطريق حقها » قالوا : وما حق الطريق؟ قال: « غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ». وقال

قلوبهم. (**وقال ﷺ « يا أيها الناس إن الله تعالى يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجيب لكم »**) قال العراقي: رواه أحمد والبيهقي من حديث عائشة بلفظ « مروا وانهوا » وهو عند ابن ماجه دون عزوه إلى كلام الله تعالى. وفي إسناده لين اهـ.

قلت: لفظ ابن ماجه قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم.

(**وقال ﷺ « ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لجي وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي »**) قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس مقتصراً على الشطر الأوّل من حديث جابر باسناد ضعيف. وأما الشطر الأخير فرواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من رواية يحي بن عطاء مرسلاً أو معضلاً ولا أدري من يحي بن عطاء اهـ.

قلت: لفظ الديلمي « ما أعمال العباد كلهم عند المجاهدين في سبيل الله إلا كمثل خطاف أخذ بمنقاره من ماء البحر » وهكذا رواه أيضاً أبو الشيخ ابن حيان من حديث أنس، وأما يحي بن عطاء فليس له ذكر، ووجد بخط الحافظ ابن حجر في هامش الكتاب لعله يحي عن عطاء. قلت: فلا يكون الحديث معضلاً وينظر من يحي هذا الذي روى عن عطاء.

(**وقال ﷺ « إن الله تعالى ليسأل العبد ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله العبد حجته قال: رب وثقت بك وفرقت من الناس »**) أي خفت منهم. قال العراقي: رواه ابن ماجه باسناد جيد وقد تقدم.

(**وقال ﷺ « إياكم والجلوس على الطرقات. قالوا**) : يا رسول الله (**ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها. قال: فإذا أبيتم ذاك فأعطوا الطريق حقها. قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غض البصر**) أي عن المحارم (**وكف الأذى ورد السلام وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر »**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي سعيد اهـ.

ﷺ : « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكراً لله تعالى ». وقال ﷺ : « إن الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه ». وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ أنه قال: « كيف أنتم إذا طغى نساؤكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم؟ » قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله؟ قال: « نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون ». قالوا : وما أشد منه يا رسول الله؟ قال: « كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر » قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: « نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون ».

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو داود وعند بعضهم « إياكم والجلوس على الطرقات فإن أبيتم إلا المجالس فاعطوا الطريق حقها » الحديث.

(وقال ﷺ « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكراً لله تعالى ») رواه عبد بن حميد والترمذي وقال: غريب، وابن ماجه وابن أبي الدنيا في الصمت، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، وابن المنذر وابن السني والطبراني في الكبير، وابن شاهين في الترغيب في الذكر والعسكري في الأمثال، والحاكم والبيهقي كلهم من طريق محمد بن عبد الله بن يزيد بن حسين قال: دخلت على سفيان الثوري نعوده ومعنا سعيد بن حسان المخزومي فقال له سفيان: أعد عليَّ الحديث الذي كنت حدثتنيه عن أم صالح قال: حدثتني أم صالح بنت صالح عن صفية بنت شيبة عن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ فساقه. فقال محمد بن يزيد : ما أشد هذا الحديث، فقال سفيان: وما شدة هذا الحديث إنما جاءت به امرأة عن امرأة هذا في كتاب الله عز وجل، أما سمعت الله عز وجل يقول ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ [النساء : ١١٤] فهو هذا بعينه الحديث وقد تقدم في كتاب العلم.

(وقال ﷺ « إن الله تعالى لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه ») قال العراقي: رواه أحمد من حديث عدي بن عميرة وفيه من لم يسم، والطبراني من حديث أخيه العرس بن عميرة وفيه من لم أعرفه اهـ.

قلت: ولفظ أحمد : لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يرى المنكر بين ظهرانيهم، وفي آخره: فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة. وأخرجه الخطيب في رواة مالك من طريق ابن مسلمة عن أبيه عن النبي ﷺ مثله.

(وروى أبو أمامة) عدي بن عجلان **(الباهلي)** رضي الله عنه، **(عن النبي ﷺ انه قال: « كيف أنتم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم؟ قالوا : إن ذلك لكائن يا رسول**

قالوا : وما أشد منه ؟ قال : « كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً » قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : « نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون » قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : « كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ » قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : « نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون . يقول الله تعالى بي حلفت لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران » . وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « لا تقفن عند رجل يقتل مظلوماً فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه ، ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوماً فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه » . قال : وقال رسول الله ﷺ : « لا ينبغي لامرىء شهد مقاماً فيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقاً هو له » . وهذا الحديث

الله ؟ قال : نعم . والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر ؟ قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ! قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً ؟ قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون . يقول الله تعالى بي) أي بعظمتي وجلالي **(حلفت لأتيحن)** أي لأقدرن **(لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران »)** قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف دون قوله : إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ، ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة مقتصراً على الأسئلة الثلاثة الأول ، وأجوبتها دون الآخرين وإسناده ضعيف أيضاً اهـ .

قلت : وقد أخرج أبو عثمان الصابوني في المائتين : حدثنا حديثاً عن أنس يشبه سياقه إلا أن المراجعة فيه من سلمان وهو طويل جداً وقد أمليته في جلة الأمالي الشيخونية .

(وعن عكرمة عن ابن عباس) رضي الله عنه **(قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقفن عند رجل يقتل مظلوماً)** أي من غير وجه شرعي **(فإن اللعنة تنزل على من حضر حين لم يدفعوا ، ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوماً فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه »)** قال العراقي : رواه الطبراني بسند ضعيف والبيهقي في شعب الإيمان بسند حسن . **(قال)** ابن عباس : **(وقال رسول الله ﷺ « لا ينبغي لامرىء شهد مقاماً فيه حق إلا تكلم به فإنه لم يقدم أجله ولم يحرمه رزقاً هو له »)** . قال العراقي : رواه البيهقي من حديث ابن عباس بسند الحديث الذي قبله ، وروى الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد « لا يمنعن رجلاً هيبته للناس أن يقول الحق إذا علمه » اهـ .

يدل على أنه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة ولا حضور المواضع التي يشاهد المنكر فيها ولا يقدر على تغييره فإنه قال: « اللعنة تنزل على من حضر » ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذاراً بأنه عاجز. ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة لمشاهدتهم المنكرات في الأسواق والأعياد والمجامع وعجزهم عن التغيير، وهذا يقتضي لزوم الهجر للخلق. ولهذا قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: ما ساح السواح وخلوا دورهم وأولادهم إلا بمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد اندرس، ورأوا أنه لا يقبل ممن تكلم، ورأوا الفتن ولم يؤمنوا أن تعتريهم وأن ينزل العذاب بأولئك القوم فلا يسلمون منه، فرأوا أن مجاورة السباع وأكل البقول خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم، ثم قرأ: ﴿ ففِرُّوا إلى الله إني لَكُم مِنهُ نَذيرٌ مبينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠] قال: ففر قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوة من السر لقلنا ما هم بأفضل من هؤلاء فيما بلغنا أن الملائكة عليهم السلام لتتلقاهم وتصافحهم والسحاب والسباع تمر بأحدهم فيناديها فتجيبه، ويسألها أين أمرت فتخبره. وليس بنبي. وقال أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: « من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها » ومعنى الحديث

(وهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز دخول دور الظلمة والفسقة) أي مساكنهم ومجامعهم **(وحيث يشاهد المنكر ولا يقدر على تغييره)** بيده أو بلسانه **(فإنه قال: « اللعنة تنزل على من حضره » ولا يجوز له مشاهدة المنكر من غير حاجة اعتذار بأنه عاجز)** عن دفعه، **(ولهذا اختار جماعة من السلف العزلة)** عن الناس **(لمشاهدتهم المنكرات في الأسواق والأعياد والمجامع)** والحمامات **(وعجزهم عن التغيير، وهذا يقتضي الهجرة للخلق)** أي مهاجرتهم، **(ولهذا قال عمر بن عبد العزيز)** الأموي رحمه الله تعالى: **(ما ساح السوّاح في الأرض وخلوا دورهم وأولادهم)** أي تركوها بما فيها وتركوا العيال **(إلا لمثل ما نزل بنا حين رأوا الشر قد ظهر والخير قد الدرس، ورأوا أنه لا يقبل ممن تكلم)** أي بالحق، **(ورأوا الفتن ولم يأمنوا أن تغير بهم)** أي على يدهم، **(وأن ينزل العذاب بأولئك القوم فلا يسلمون منه)** لكونهم معهم، **(فرأوا أن مجاورة السباع)** الضارية في الأجمات **(وأكل البقول)** المباحة **(خير من مجاورة هؤلاء في نعيمهم، ثم قرأ)** قوله تعالى: **﴿ ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ﴾ قال: ففر قوم فلولا ما جعل الله جل ثناؤه في النبوة)** من السر **(ما جعل لقلنا ما هم بأفضل من هؤلاء فيا بلغنا أن الملائكة)** عليهم السلام **(لتتلقاهم فتصافحهم والسحاب والسباع يمر بأحدهم فيناديها فتجيبه ويسألها)** أي السحاب: **(أين أمرت؟ فتخبره وليس بنبي)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: « من حضر معصية فكرهها**

أن يحضر لحاجة أو يتفق جريان ذلك بين يديه، فأما الحضور قصداً فممنوع بدليل الحديث الأوّل. وقال ابن مسعود رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: « ما بعث الله عز وجل نبياً إلا وله حواري فيمكث النبي بين أظهرهم ما شاء الله تعالى يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وبسنّة نبيهم فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون، فإذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك إسلام ».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كان أهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم أربعة نفر ينكرون ما يعملون، فقام أحدهم فقال: إنكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم

فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكانه حضرها ») قال العراقي: رواه ابن عدي وفيه يحي بن سليمان. قال البخاري: منكر الحديث، ولأبي داود نحو من حديث العرس بن عميرة اهـ.

قلت: ومن حديث أبي هريرة رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورواه أيضاً البيهقي وضعفه ولفظهم في الموضعين « فكأنما » بدل « فكأنه ».

(ومعنى الحديث أن يحضر لحاجة) داعية **(أو يتفق جريانه بين يديه)** من غير أن يكون له علم بذلك، **(فأما الحضور قصداً فممنوع بدليل الحديث الأوّل. وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « ما بعث الله عز وجل نبياً إلا وله حواري)** أي أنصار. **(فيمكث النبي بين أظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره حتى إذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبأمره وسنّة نبيهم، فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس المنابر ويقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فإذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك إسلام »)** قال العراقي: رواه مسلم نحوه اهـ.

قلت: وكأنه يشير إلى حديث أبي سعيد الخدري رفعه فيما رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي وحسنه، وابن ماجه بلفظ « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » وقد رواه كذلك الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد وابن حبان، ورواه النسائي بلفظ: « من رأى منكراً فغيره بيده فقد برىء ومن لم يستطع ان يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برىء ومن لم يستطع ان يغير بلسانه فغيره بقلبه فقد برىء » وذلك أضعف الإيمان. وسيأتي للمصنف في الباب الثاني.

(وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كان) فيمن مضى **(أهل قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم أربعة نفر ينكرون)** عليهم **(بما يعملون فقام أحدهم فقال: إنكم تعملون كذا**

ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون عن أعمالهم فسبّهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزل، ثم قال: اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسبيتهم فسبوني وقاتلتهم فغلبوني ثم ذهب ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبّهم فسبوه فاعتزل ثم قال: اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسبيتهم فسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني. ثم ذهب ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل ثم قال: اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سبيتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني. ثم ذهب ثم قام الرابع فقال: اللهم إني لو نهيتهم لعصوني ولو سبيتهم لسبوني ولو قاتلتهم لغلبوني ثم ذهب. قال ابن مسعود رضي الله عنه: كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قيل يا رسول الله: أتهلك القرية وفيها الصالحون؟ قال: «نعم» قيل: بِمَ يا رسول الله؟ قال: «بتهاونهم وسكوتهم على معاصي الله تعالى». وقال جابر بن عبدالله، قال رسول الله ﷺ: «أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك من الملائكة أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها فقال يا رب إن فيهم عبدك فلاناً لم يعصك طرفة عين قال: اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمعر فيّ

وكذا) يعني من المعاصي **(فجعل ينهاهم ويخبرهم بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرعوون)** أي لا ينكفون **(عن أعمالهم)** القبيحة، **(فسبّهم)** بلسانه **(فسبّوه وقاتلهم)** بيده **(فغلبوه)** فاعتزل عنهم، **(ثم قال: اللهم إني قد نهيتهم)** عن المعاصي **(فلم يطيعوني وسبيتهم فسبوني وقاتلتهم فغلبوني، ثم ذهب. ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبّوه فاعتزل)** عنهم **(ثم قال: اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسبيتهم فسبوني ولو قاتلتهم غلبوني)** وفي نسخة: لقاتلوني **(ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل)** عنهم **(ثم قال: اللهم إني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سبيتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب، ثم قام الرابع فقال: اللهم إني لو نهيتهم عصوني ولو سبيتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني. قال ابن مسعود)** بعد أن ساق حديثهم: **(كان الرابع أدناهم منزلة وقليل فيكم مثله)** وقد روي عن ابن مسعود في تفسير قوله تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بني اسرائيل﴾ الآية [المائدة: ٧٨]. ما يقارب هذا السياق تقدمت الإشارة إليه، وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه، **(قيل: يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون؟ قال «نعم» قيل: بم يا رسول الله؟ قال «بتهاونهم وسكوتهم على معاصي الله تعالى»)**. قال العراقي: رواه البزار والطبراني بسند ضعيف.

(وقال جابر بن عبدالله) الأنصاري رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ «أوحى الله تبارك وتعالى إلى ملك أن اقلب مدينة كذا وكذا على أهلها. قال)** الراوي **(فقال)** الملك: **(يا رب إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين. قال: اقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم**

ساعة قط ». وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفاً عملهم عمل الأنبياء، قالوا يا رسول الله: كيف؟ قال: لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ». وعن عروة عن أبيه قال: قال موسى ﷺ: يا رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يتسرع إلى هواي كما يتسرع النسر إلى هواه، والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالثدي. والذي يغضب إذا أتيت محارمي كما يغضب النمر لنفسه، فإن النمر إذا غضب لنفسه لم يبال قلّ الناس أم كثروا، وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف. وقال أبو ذر الغفاري، قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: « نعم يا أبا بكر إن لله تعالى مجاهدين في الأرض أفضل من

يتغير في ساعة قط ») وفي نسخة لم يتمعر. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب وضعفه وقال: المحفوظ من قول مالك بن دينار.

(وقالت عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ « عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفاً عملهم عمل الأنبياء. قالوا: يا رسول الله كيف؟ قال: لم يكونوا يغضبون لله عز وجل ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر »). قال العراقي: لم أقف عليه مرفوعاً. وروى ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمر، والصغاني: أوحى الله إلى يوشع بن نون أني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم. قال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي فكانوا يؤاكلوهم ويشاربوهم اهـ.

قلت: وجد بخط الحافظ ابن حجر في هامش الكتاب ما لفظه: هذا ذكره الغزالي في الباب الذي بعد هذا، وأغفل الشيخ التنبيه عليه. قلت: قد ذكر هذه القصة في الآثار كما سيأتي قريباً.

(وعن عروة) بن الزبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي القرشي أبي عبد الله المدني الفقيه **(عن أبيه)** أحد العشرة المبشرة رضي الله عنه **(قال: قال موسى عليه السلام: يا رب أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يتسارع إلى هواي كما يتسارع النسر)** وفي بعض النسخ: النسيم **(إلى هواه، والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي بالثدي)** أي ثدي أمه وفي نسخة بالناس **(والذي يغضب إذا أتيت محارمي كما يغضب النمر لنفسه فإن النمر إذا غضب لنفسه لم يبال قلّ الناس أم كثروا)** رواه الطبراني في الأوسط. **(وهذا يدل على فضيلة الحسبة مع شدة الخوف)** أي كلما كان الخوف على النفس شديداً كانت فضيلة الحسبة أكثر.

(وقال أبو ذر) جندب بن جنادة **(الغفاري)** رضي الله عنه: **(قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله هل من جهاد غير قتال المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ « نعم**

الشهداء أحياء مرزوقين يمشون على الأرض يباهي الله بهم ملائكة السماء وتزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة لرسول الله ﷺ ». فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله ومن هم؟ قال: « هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله » ثم قال: « والذي نفسي بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغر ات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلاثمائة ألف باب منها الياقوت والزمرد الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم ليزوّج بثلاثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت إلى واحدة منهن فنظر إليها تقول له: أتذكر يوم كذا وكذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر؟ كلما نظر إلى واحدة منهن ذكرت له مقاماً أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر ». وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: قلت يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله عز وجل؟ قال: « رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فإن لم يقتله فإن القلم لا يجري عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش ». وقال الحسن البصري

يا أبا بكر إن لله تبارك وتعالى مجاهدين في الأرض أفضل من الشهداء أحياء يرزقون يمشون على الأرض يباهي الله عز وجل بهم الملائكة ويزين لهم الجنة كما تزينت أم سلمة للنبي ﷺ » فقال أبو بكر: يا رسول الله ومن هم؟ قال « هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والمحبون في الله تعالى والمبغضون في الله تعالى» قال: « والذي نفسي بيده إن العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلاثمائة ألف باب منها الياقوت والزمرد الأخضر على كل باب نور وإن الرجل منهم ليزوّج بثلاثمائة ألف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت إلى واحدة منهن فنظر إليها تقول له: أتذكر يوم كذا وكذا أمرت فيه بالمعروف ونهيت عن المنكر؟ كلما التفت إلى واحدة منهن ذكرت له كل مقام أمر فيه بمعروف ونهى فيه عن منكر ») قال العراقي الحديث بطوله لم أقف له على أصل وهو منكر.

(وعن أبي عبيدة بن الجراح) رضي الله عنه وهو أحد العشرة المبشرة **(قلت: يا رسول الله أي الشهداء أكرم على الله تعالى؟ قال « رجل قام إلى والٍ جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله فإن لم يقتله فإن القلم لا يجري عليه بعد ذلك وإن عاش ما عاش »)** قال العراقي: رواه البزار إلى قوله « فقتله ». وهذه الزيادة منكرة، وفيه أبو الحسن غير منسوب لا يعرف اهـ.

قلـت: وأخرج الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي عبيدة بن الجراح مرفوعاً « قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أوّل النهار فقام مائة واثنا عشر رجلاً من عبادهم فأمروهم

رحمه الله: قال رسول الله ﷺ: « أفضل شهداء أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك. فذلك الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر ». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ».

وأما الآثار. فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتنتصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم. وسئل

ونهوهم عن المنكر فقتلوا جيعاً في آخر النهار، فهم الذين ذكرهم الله تعالى ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل﴾ الآيات.

(وقال الحسن البصري) رحمه الله تعالى مرسلاً **(قال رسول الله ﷺ « أفضل شهداء أمتي رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله على ذلك فهو الشهيد منزلته في الجنة بين حمزة وجعفر »)**. قال العراقي: لم أره من حديث الحسن وللحاكم في المستدرك وصحح اسناده من حديث جابر « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله » اهـ.

قلت: وكذلك رواه الخطيب في التاريخ والضياء في المختارة من حديث جابر.

(وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر ») قال العراقي: رواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث جابر بسند ضعيف. وأما حديث عمر فأشار إليه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بقوله: وفي الباب ورواه علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلاً اهـ.

وقد وردت في فضل الأمر بالمعروف أخبار كثيرة توجد مفرقة في كتب الحديث، وقد اعتنى بجمعها جماعة من المحدثين: منهم الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا فأتى بما لا مزيد عليه، فمن أراد الزيادة فعليه بكتاب الأمر بالمعروف له.

(وأما الآثار فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتنتصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم.

وقد أخرجه عبد بن حميد من حديث معاذ مرفوعاً في حديث طويل فيه « والذي نفسي بيده

حذيفة رضي الله عنه عن ميت الاحياء فقال: الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه. وقال مالك بن دينار: كان حبر من أحبار بني إسرائيل يغشى الرجال والنساء منزله يعظهم ويذكرهم بأيام الله عز وجل فرأى بعض بنيه يوماً وقد غمز بعض النساء فقال: مهلاً يا بنيّ مهلاً وسقط من سريره فانقطع نخاعه وأسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه أن أخبر فلاناً الحبر أني لا أخرج من صلبك صديقاً أبداً أما كان من غضبك لي إلا أن قلت مهلاً يا بني مهلاً. وقال حذيفة: يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم، وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من

لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم».

(وسئل حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه **(عن ميت الأحياء. فقال: الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه)**. أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق خلاد بن عبد الرحمن أن أبا الطفيل حدثه أنه سمع حذيفة يقول: يا أيها الناس ألا تسألوني عن ميت الأحياء ثم ساق الحديث. وفيه: فمن الناس ينكر بقلبه ويده ولسانه والحق استكمل، ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه كافاً يده وشعبة من الحق ترك، ومنهم من ينكر بقلبة كافاً يده ولسانه وشعبتين من الحق ترك. ومنهم من لا ينكر بقلبه ولا لسانه فذلك ميت الأحياء.

(وقال) أبو يحي **(مالك بن دينار)** البصري رحمه الله تعالى فيما رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني علي بن مسلم، حدثنا سيار، حدثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت مالكاً يقول: **(كان حبر من أحبار بني إسرائيل يغشى النساء والرجال منزله فيعظهم ويذكرهم بأيام الله عز وجل)** قال: **(فرأى بعض بنيه يوماً وقد غمز بعض النساء فقال: مهلاً يا بني مهلاً)** يا بني **(قال: فسقط عن سريره وانقطع نخاعه واسقطت امرأته وقتل بنوه في الجيش فأوحى الله تعالى إلى نبي زمانه)** ولفظ الحلية إلى نبيهم **(أن أخبر فلاناً الحبر أني لا أخرج من صلبك صديقاً أبداً ما كان من غضبك لي إلا أن قلت مهلاً يا بني مهلاً)** يا بني.

(وقال حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه: **(يأتي على الناس زمان لأن يكون فيهم جيفة حمار أحب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم)**، والذي في الحلية لأبي نعيم من طريق أبي البختري، عن أبي عمر ـ يعني زاذان ـ قال: قال حذيفة: ليأتين عليكم زمان خيركم فيه من لم يأمر بمعروف ولم ينه عن منكر.

(وأوحى الله عز وجل إلى يوشع بن نون) أحد أنبياء بني اسرائيل وهو المراد من قوله

خيارهم وستين ألفاً من شرارهم، فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم. وقال بلال بن سعد: إن المعصية إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أعلنت ولم تغير أضرت بالعامة. وقال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني: كيف منزلتك من قومك؟ قال: حسنة. قال كعب: إن التوراة لتقول غير ذلك. قال: وما تقول؟ قال: تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه. فقال: صدقت التوراة وكذب أبو مسلم. وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يأتي العمال ثم قعد عنهم فقيل له: لو أتيتهم فلعلهم يجدون في أنفسهم. فقال: أرهب إن تكلمت أن يروا أن الذي بي غير الذي بي وإن سكت رهبت أن آثم، وهذا يدل على أن من عجز عن الأمر بالمعروف فعليه أن يبعد عن ذلك الموضع ويستتر عنه حتى لا يجري بمشهد منه. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أوّل

تعالى: وإذ قال موسى لفتاه (**إني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الاخيار؟ قال: انهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم**) رواه ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ عن إبراهيم بن عمرو والصغائي كما ذكره العراقي وسبقت الإشارة إليه قريباً.

(**وقال بلال بن سعد**) بن تميم الأشعري أبو عمر الدمشقي ثقة عابد تقدمت ترجمته: (**إن المعصية إذا أخفيت عن الناس لم تضر إلا صاحبها فإذا أعلنت**) أي ظهرت لهم (**فلم تغير أضرت بالعامة. وقال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني**) الزاهد الشامي اسمه عبدالله بن ثوب رحل إلى النبي ﷺ فم يدركه وعاش إلى زمن يزيد بن معاوية: (**كيف منزلتك من قومك؟ قال: حسنة. قال كعب: إن التوراة**) أي الكتاب الذي أنزل على سيدنا موسى عليه السلام (**لتقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه. قال: صدقت التوراة وكذب أبو مسلم**) يعني نفسه. وأخرج أبو نعيم في الحلية بسنده إلى ابن لهيعة. حدثنا ابن هبيرة أن كعباً كان يقول: إن حكيم هذه الأمة أبو مسلم الخولاني.

(**وكان عبدالله بن عمر**) بن الخطاب رضي الله عنهما (**يأتي العمال**) أي يدخل على ولاة الأمر (**ثم قعد عنهم**) أي ترك الدخول عليهم (**فقيل له: لو أتيتهم فلعلهم يجدون في أنفسهم**) أي لعلهم يجدون تأثيراً لكلامك في أنفسهم. (**قال: ارهب**) أي أخاف (**إن تكلمت أن يروا أن الذي بي غير الذي بي وإن سكت رهبت**) أي خفت (**أن آثم**) أي أقع في الإثم، (**وهذا يدل على ان من عجز عن الأمر بالمعروف**) والنهي عن المنكر (**فعليه أن يبعد عن ذلك الموضع ليستتر عنه حتى لا يجري بمشهد منه**) أي بمحضر منه.

(**وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أوّل ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد**

ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم. فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر فجعل أعلاه أسفله. وقال سهل بن عبدالله رحمه الله: أيما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها وتشوّش الزمان، فهو ممن قد قام لله في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. معناه أنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام بها وأنكر أحوال الغير بقلبه، فقد جاء بما هو الغاية في حقه. وقيل للفضيل: ألا تأمر وتنهي؟ فقال: إن قوماً أمروا ونهوا فكفروا، وذلك انهم لم يصبروا على ما أصيبوا. وقيل للثوري: ألا تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟ فقال: إذا انبثق البحر فمن يقدر أن يسكره فقد ظهر بهذه الأدلة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، وأن فرضه لا يسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به، فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه.

بأيديكم، ثم الجهاد بألسنتكم، ثم الجهاد بقلوبكم فإذا لم يعرف القلب المعروف ولم ينكر المنكر نكس فجعل أعلاه أسفله) والقلب المنكوس لا خير فيه.

(**وقال**) أبو محمد (**سهل بن عبد الله**) التستري رحمه الله تعالى: (**أيما عبد عمل في شيء من دينه بما أمر به أو نهى عنه وتعلق به عند فساد الأمور وتنكرها وتشوّش الزمان**) أي اضطرابه (**فهو ممن قام لله تعالى في زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**) أي تعلقه بدينه والتثبت عليه مما يقوم مقام القيام بالأمر بالمعروف. (**معناه: إنه إذا لم يقدر إلا على نفسه فقام به، وأنكر أحوال الغير بقلبه، فقد جاء بما هو الغاية في حقه. وقيل للفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى: (**ألا تأمر وتنهي؟ فقال: إن قوماً أمروا ونهوا فكفروا وذلك انهم لم يصبروا على ما أصيبوا**) فأداهم ذلك إلى الوقوع في الكفر. (**وقيل للثوري**) سفيان رحمه الله تعالى: (**ألا تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟ فقال: إذا انبثق**) وفي نسخة. انفتق (**البحر**) أي هاج واشتد هيجانه (**فمن يقدر أن يسكنه. فقد ظهر بهذه الأدلة**) من الكتاب والسّنة والأثر (**أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب**) على المسلمين (**وأن فرضه لا يسقط مع القدرة إلا بقيام قائم به فلنذكر الآن شروطه وشروط وجوبه**).

الباب الثاني

في أركان الأمر بالمعروف وشروطه

اعلم أن الأركان في الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة: المحتسب، والمحتسب عليه، والمحتسب فيه، ونفس الاحتساب. فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروط.

الركن الأوّل: المحتسب:

وله شروط وهو أن يكون مكلفاً مسلماً قادراً فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والعاجز، ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مأذونين، ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأة، فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه اطراح ما اطرحناه.

الباب الثاني

في أركان الأمر بالمعروف وشروطه

(اعلم أن الركن في الحسبة التي هي عبارة شاملة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أربعة) اعلم أن الحسبة بالكسر يكون اسماً من الاحتساب بمعنى إدخار الأجر عند الله تعالى لا يرجو ثواب الدنيا، ويكون من الاحتساب بمعنى الاعتداد بالشيء، ويكون من الاحتساب بمعنى حسن التدبير والنظر فيه ومنه قولهم: فلان حسن الحسبة في الأمر نقله الأصمعي، وهو المراد هنا وليس هو من احتساب الأجر، فإن احتساب الأجر فعل الله لا غير حققه صاحب المصباح وغيره. **(المحتسب)** بكسر السين، **(والمحتسب عليه)** بفتحها، **(والمحتسب فيه)** بالفتح أيضاً، **(ونفس الاحتساب، فهذه أربعة أركان ولكل واحد منها شروط)** يأتي بيانها.

(الركن الأول: المحتسب) بكسر السين، **(وله شروط وهو أن يكون مكلفاً)** أي ملزماً ما فيه كلفة أي مشقة، **(مسلماً)** أي متصفاً بالإسلام، **(قادراً فيخرج منه المجنون)** المطبق على عقله **(والصبي)** لأنه لم يتوجه عليهما التكليف **(والكافر)** خرج من قيد الإسلام، **(ويدخل فيه آحاد الرعايا)** من العامة. **(وإن لم يكونوا مأذونين)** من ولاة الأمور، **(ويدخل)** في هذا الشرط **(الفاسق والرقيق والمرأة)** لوجود التكليف والإسلام والقدرة، **(فلنذكر وجه اشتراط ما شرطناه ووجه اطراح ما طرحناه)**.

أما الشرط الأوّل: وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه، فإن غير المكلف لا يلزمه أمر وما ذكرناه أردنا به انه شرط الوجوب، فأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعي إلا العقل حتى أن الصبي المراهق للبلوغ المميز وإن لم يكن مكلفاً فله إنكار المنكر وله أن يريق الخمر ويكسر الملاهي، فإذا فعل ذلك نال به ثواباً ولم يكن لأحد منعه من حيث انه ليس بمكلف، فإن هذه قربة وهو من أهلها كالصلاة والإمامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف، ولذلك أثبتناه للعبد وآحاد الرعية. نعم في المنع بالفعل وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الإيمان كقتل المشرك وإبطال أسبابه وسلب أسلحته، فإن للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يستضرّ به فالمنع من الفسق كالمنع من الكفر.

وأما الشرط الثاني: وهو الإيمان فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا نصرة للدين فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدوّ له.

(أما الشرط الأوّل: وهو التكليف فلا يخفى وجه اشتراطه فإن غير المكلف لا يلزمه أمر) وهذا يرشد إلى أن المراد بالتكليف هو إلزام ما فيه كلفة لا طلب ما فيه كلفة كما قاله الباقلاني، **(وما ذكرناه أردنا به أنه شرط الوجوب)** أي لا يجب عليه إلا إذا وجد فيه ذلك الشرط، **(فاما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعي إلا العقل)** فقط، **(حتى أن الصبي المراهق للبلوغ)** بالسن أو الاحتلام **(المميز وإن لم يكن مكلفاً)** بالعقل **(فله إنكار المنكر في الجملة وله أن يريق الخمر)** من الدنان، **(ويكسر)** آلات **(الملاهي وإذا فعل ذلك نال به)** من الله تعالى **(ثواباً ولم يكن لأحد منعه من حيث انه ليس بمكلف)**. وهذا يدل على أنه إذا منع لوجه آخر فهذا شيء آخر غير داخل في البحث، **(فإن هذه قربة)** إلى الله تعالى **(وهو)** أي المذكور **(من أهلها كالصلاة)** لما ورد في الخبر « مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً **(والإمامة فيها)** أي في الصلاة كالتراويح، **(وسائر القربات)** كذلك **(وليس حكمه حكم الولايات)** العامة **(حتى يشترط فيها التكليف، ولذلك أثبتناه للعبد وآحاد الرعية. نعم في المنع بالفعل وإبطال المنكر)** باراقة وكسر مثلاً **(نوع ولاية وسلطنة؛ ولكنها تستفاد بمجرد الإيمان كقتل المشرك)** الحربي **(وإبطال أسبابه وسلب أسلحته)** إذا تمكن منه، **(فإن للصبي أن يفعل ذلك حيث لا يستضرّ به)** فإذا كان هذا جائزاً فإراقة الخمر وكسر الملاهي جوازه بطريق الأولى، **(فالمنع من الفسق)** وأسبابه **(كالمنع من الكفر)**.

(وأما الشرط الثاني: وهو الإيمان فلا يخفى وجه اشتراطه لأن هذا) أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر **(نصرة للدين)** وإقامة لأركانه، **(فكيف يكون من أهله من هو جاحد)** أي منكر **(للدين وعدوّ له)** هذا لا يتصوّر أصلاً.

وأما الشرط الثالث: وهو العدالة فقد اعتبرها قوم وقالوا: ليس للفاسق أن يحتسب وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد على من يأمر بما لا يفعله مثل قوله تعالى: ﴿أتأمرون النَّاس بالبرِّ وتنسَوْنَ أنفسكم﴾ [البقرة: ٤٤] وقوله تعالى: ﴿كَبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ [الصف: ٣] وبما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مررت ليلة أسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من أنتم؟ فقالوا: كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهي عن الشر ونأتيه». وبما روي أن الله تعالى أوحى إلى عيسى ﷺ: عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني. وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير فرع للاهتداء وكذلك تقويم الغير فرع للاستقامة، والإصلاح زكاة عن نصاب الصلاح، فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره؟

ومتى يستقيم الظل والعود أعوج؟

(**وأما الشرط الثالث: وهو العدالة فقد اعتبرها قوم**) من العلماء (**وقالوا: ليس للفاسق أن يحتسب**) أي ليس بأهل لذلك (**وربما استدلوا فيه بالنكير الوارد**) في الآيات والأخبار (**على من يأمر بما لا يفعله**) هو (**مثل قوله تعالى ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ وقوله تعالى: ﴿كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**) ففيهما وعيد شديد ونكير وتهديد على من يأمر بشيء ولا يأتي به. (**وبما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال «مررت ليلة أسري بي بقوم تقرض**) أي تقطع (**شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من أنتم؟ فقالوا: كنا نأمر بالخيرولا نأتيه وننهي عن الشر ونأتيه»**) وفي رواية: «فقلت لجبريل من هؤلاء؟ قال: خطباء من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون». رواه كذلك الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية، وأيضاً من حديث أنس وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم. (**وبما روي أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام**): يا عيسى (**عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني**) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا الحسين بن محمد بن علي، حدثنا أحمد بن محمد بن معاوية، حدثنا سليمان بن داود القزاز، حدثنا سيار، حدثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام فذكره.

(**وربما استدلوا من طريق القياس بأن هداية الغير**) وإرشاده (**فرع للإهتداء**) فمن لم يكن مهدياً في نفسه كيف يكون هادياً لغيره. (**وكذلك تقويم الغير فرع الاستقامة**) فالمستقيم في نفسه يمكن أن يقوم غيره، (**والاصلاح**) للغير (**زكاة عن نصاب الصلاح**) في النفس (**فمن ليس بصالح في نفسه فكيف يصلح غيره**) هذا كقولهم.

(**ومتى يستقيم الظل والعود أعوج**) هو مصراع بيت من بحر الطويل. والأثر تابع للمؤثر لا محالة.

وكل ما ذكروه خيالات. وإنما الحق أن للفاسق أن يحتسب وبرهانه هو أن نقول: هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوماً عن المعاصي كلها فإن شرط ذلك فهو خرق للإجماع ثم حسم لباب الاحتساب إذ لا عصمة للصحابة فضلاً عمن دونهم، والأنبياء عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا، والقرآن العظيم دال على نسبة آدم عليه السلام إلى المعصية، وكذا جماعة من الأنبياء، ولهذا قال سعيد بن جبير: إن لم يأمر بالمعروف ولم ينهِ عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء، فأعجب مالكاً ذلك من سعيد بن جبير، وإن زعموا أن ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز

(وكل ما ذكروه) من هذا الجنس من الأدلة **(خيالات)** وتخبيطات، **(وإنما الحق)** الصريح **(أن للفاسق أن يحتسب وبرهانه هو أن نقول: هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوماً عن المعاصي كلها)** دقيقها وجليلها؟ **(فإن شرط ذلك فهو خرق للإجماع)** أوّلاً **(ثم حسم لباب الاحتساب)** وسدّ له **(إذ لا عصمة للصحابة)** رضوان الله عليهم وهم أشرف الخلق بعد النبي ﷺ، **(فضلاً عمن دونهم)** في المقام والرتبة **(والأنبياء عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا، والقرآن دال على نسبة آدم عليه السلام إلى المعصية)** كقوله تعالى ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ [طه: ١٢١] **(وكذا جماعة من الأنبياء عليهم السلام)** كداود عليه السلام. وكأخوه يوسف الصديق عليهم السلام على القول بنبوّتهم، وقد عقد القاضي عياض في كتابه الشفاء فصلاً لإثبات عصمتهم، وأنه مذهب أهل السنّة والجماعة، وكذا أبو الحجام البلوي في كتابه ألف باء، وأجابوا عما وقع في القرآن في المواضع التي وقع فيها نسبتهم إلى المعاصي فالأنبياء معصومون والاولياء محفوظون. وقال الراغب: العصمة فيض إلهي يقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر، حتى يصير كمانع له من باطنه وإن لم يكن منعاً محسوساً واياه عني بقوله تعالى ﴿ولقد همت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ [يوسف: ٢٤] وقد روي أن يوسف عليه السلام رأى صورة أبيه وهو عاض على إبهامه فأحجم وليس ذلك بمانع ينافي التكليف كما توهمه بعض المتكلمين، فإن ذلك كان تصوّراً منه وتذكراً لما كان قد حذره منه، وعلى هذا قال ﴿لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ [يوسف: ٢٤] ومن عصمة الله تعالى أن يكرر الوعيد على من يريد عصمته لئلا يغفل ساعة عن مراعاة نفسه اهـ.

وقد تطلق العصمة ويراد بها الحفظ وعليه خرجوا قول أبي الحسن الشاذلي قدس سره في حزبه الصغير: نسألك العصمة في الحركات الخ أي الحفظ من الوقوع في المعاصي، وفيه كلام أوردته في شرحي على الحزب الكبير له فراجعه.

(ولهذا قال سعيد بن جبير) التابعي رحمه الله تعالى: **(إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء)** فإنه ما منا من لا يكون فيه شيء، **(فأعجب مالكاً)** بن أنس الإمام رحمه الله تعالى **(ذلك)** القول **(من سعيد بن جبير)** أي

للابس الحرير أن يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول: وهل لشارب الخمر أن يغزو الكفار ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر؟ فإن قالوا لا خرقوا الإجماع إذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشارب الخمر وظالم الأيتام، ولم يمنعوا من الغزو لا في عصر رسول الله ﷺ ولا بعده، فإن قالوا: نعم، فنقول: شارب الخمر هل له المنع من القتل أم لا؟ فإن قالوا: لا. قلنا: فما الفرق بينه وبين لابس الحرير؟ إذ جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشرب كالشرب بالنسبة إلى لبس الحرير؟ فلا فرق، وإن قالوا نعم وفصلوا الأمر فيه بأن كل مقدم على شيء فلا يمنع عن مثله ولا عما دونه، وإنما يمنع عما فوقه، فهذا تحكم فإنه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل فمن أين يبعد أن يمنع الزاني من الشرب؟ بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب ويقول: يجب عليَّ الانتهاء والنهي، فمن أين يلزمني من العصيان بأحدهما أن أعصي الله تعالى بالثاني؟ وإذا كان النهي واجباً عليّ فمن أين يسقط وجوبه بإقدامي؟ إذ يستحيل أن يقال: يجب النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب، فإذا شرب سقط عنه النهي.

استحسنه. (**وإن زعموا أن ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس الحرير**) وهو محرم (**أن يمنع من الزنا وشرب الخمر**) وهما أيضاً محرمان، (**فنقول: هل لشارب الخمر أن يغزو الكفار ويقاتلهم ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر؟ فإن قالوا: لا**) فقد (**خرقوا الإجماع إذ جنود المسلمين لم تزل مشتملة على البر، والفاجر وشاربي الخمر وظالمي الأيتام و**) مع ذلك (**لم يمنعوا من الغزو**) مع الكفار (**لا في عصر رسول الله ﷺ ولا بعده**) في عصر الخلفاء الراشدين وبعد عصرهم إلى زماننا هذا. (**فإن قالوا: نعم**) له ذلك. (**فنقول: شارب الخمر هل له المنع من القتل أو لا؟ فإن قالوا: لا. قلنا: فما الفرق بينه وبين لابس الحرير إذ جاز له المنع من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة إلى الشرب كالشرب**) كبيرة (**بالنسبة إلى لبس الحرير؟ فلا فرق. وإن قالوا نعم**) له المنع من القتل (**وفصلوا الأمر فيه بأن كل مقدم**) على شيء فلا يمنع غيره (**عن مثله ولا عما دونه، وإنما يمنع عما فوقه فهذا تحكّم**) بلا دليل، (**فإنه كما لا يبعد أن يمنع الشارب من الزنا والقتل، فمن أين يبعد أن يمنع الزاني من الشرب؟ بل من أين يبعد أن يشرب ويمنع غلمانه وخدمه من الشرب ويقول: يجب علي الانتهاء والنهي، فمن أين يلزمني بالعصيان في أحدهما ان أعصي الله بالثاني؟ إذ كان النهي واجباً علي فمن أين يسقط وجوبه بإقدامي**) على الشرب؟ (**إذ يستحيل أن يقال: يجب النهي عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب، فإذا شرب سقط عنه النهي**) ولم يقل به أحد.

فإن قيل: فيلزم على هذا أن يقول القائل الواجب علي الوضوء والصلاة فأنا أتوضأ وإن لم أصل وأتسحر وإن لم أصم لأن المستحب لي السحور والصوم جميعاً، ولكن يقال أحدهما مرتب على الآخر، فكذلك تقويم الغير مرتب على تقويمه نفسه، فليبدأ بنفسه ثم بمن يعول. والجواب أن التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان التسحر مستحباً وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير، وإصلاح الغير لا يراد لإصلاح النفس ولا إصلاح النفس لإصلاح الغير، فالقول بترتب أحدهما على الآخر تحكم.

وأما الوضوء والصلاة فهو لازم فلا جرم أن من توضأ ولم يصل كان مؤدياً أمر الوضوء وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الوضوء والصلاة جميعاً. فليكن من ترك النهي والانتهاء أكثر عقاباً ممن نهى ولم ينته. كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة.

وأما الحسبة فليست شرطاً في الانتهاء والائتمار فلا مشابهة بينهما.

فإن قيل: فيلزم على هذا أن يقال: إذا زنى الرجل بامرأة وهي مكرهة مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها، فأخذ الرجل يحتسب في أثناء الزنا ويقول: أنت

(**فإن قيل: فيلزم على هذا أن يقول القائل: الواجب علي الوضوء والصلاة فأنا أتوضأ وإن لم أصل، و**) كذلك في الصوم والسحور (**فأنا أتسحر وإن لم أصم لأن المستحب لي السحور والصوم جميعاً**) وهذا في التطوّع (**ولكن يقال: أحدهما مرتب على الآخر، فكذلك تقويم الغير**) وإصلاحه (**مرتب على تقويم نفسه**) وإصلاحها، (**فليبدأ**) بنفسه في التقويم (**ثم بمن يعول**) يشير إلى الخبر المشهور في النفقة «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول». (**والجواب**) عن هذا (**إن التسحر**) إنما يراد للصوم (**ولولا الصوم لما كان التسحر محبوباً**) ومطلوباً، (**وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير وإصلاح الغير لا يراد لاصلاح النفس ولا إصلاح النفس**) يراد (**لإصلاح الغير، فالقول بترتب أحدهما على الآخر تحكم**) محض.

(**وأما الوضوء والصلاة فهو لازم. فلا جرم أن من توضأ ولم يصل كان مؤدياً أمر الوضوء**) فقط، (**وكان عقابه أقل من عقاب من ترك الوضوء والصلاة جميعاً، فليكن**) على هذا (**من ترك النهي والانتهاء أكثر عقاباً ممن نهى**) غيره (**ولم ينته**) بنفسه. (**كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل للصلاة فلا حكم له دون الصلاة، فأما الحسبة فليست شرطاً في الانتهاء والائتمار**) فافترقا (**فلا مشابهة بينهما**).

(**فإن قيل: فيلزم على هذا أن يقال إذا زنا الرجل بامرأة وهي مكرهة**) أي أكرهها على الفعل بها (**مستورة الوجه، فكشف وجهها باختيارها فأخذ الرجل يحتسب في أثناء الزنا**

مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم، وها أنا غير محرم لك فاستري وجهك فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستشنعه كل طبع سليم. فالجواب: أن الحق قد يكون شنيعاً، وأن الباطل قد يكون مستحسناً بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الأوهام والخيالات، فإنا نقول قوله لها في تلك الحالة: «لا تكشفي وجهك» واجب أو مباح أو حرام؟ فإن قلتم أنه واجب فهو الغرض لأن الكشف معصية والنهي عن المعصية حق، وإن قلتم أنه مباح فإذاً له أن يقول ما هو مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة؟ وإن قلتم: إنه حرام. فنقول: كان هذا واجباً فمن أين حرم بإقدامه على الزنا؟ ومن الغريب أن يصير الواجب حراماً بسبب ارتكاب حرام آخر.

وأما نفرة الطباع عنه واستنكارها له فهو لسببين:

أحدهما: أنه ترك الأهم واشتغل بما هو مهم، وكما أن الطباع تنفر عن ترك المهم إلى ما لا يعني فتنفر عن ترك الأهم والاشتغال بالمهم كما تنفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الربا، وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة ويشهد بالزور لأن الشهادة بالزور أفحش وأشد من الغيبة التي هي أخبار عن كائن يصدق فيه المخبر، وهذا

ويقول: أنت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير محرم، وما أنا بمحرم لك فاستري وجهك) عني، (**فهذا احتساب شنيع يستنكره قلب كل عاقل ويستشنعه كل طبع سليم؟ والجواب**) عن هذا (**أن الحق قد يكون شنيعاً**) مستقبحاً، (**وأن الباطل قد يكون مستحسناً بالطباع والمتبع الدليل دون نفرة الأوهام والخيالات؟ فإنا نقول قوله لها في تلك الحالة «لا تكشفي وجهك»**) أو استري وجهك (**واجب أو مباح أو حرام**) لا يخلو من أحد الثلاثة؟ (**فإن قلتم إنه واجب فهو الغرض**) المطلوب (**لأن الكشف معصية والنهي عن المعصية حق، وإن قلتم إنه مباح فما معنى قولكم ليس للفاسق الحسبة؟ وإن قلتم انه حرام فنقول: كان هذا واجباً فمن أين حرم باقدامه على الزنا. ومن الغريب أن يصير الواجب حراماً بسبب الحرام وأما نفرة الطباع عنه واستنكارها فهو لشيئين**).

(**أحدهما ترك الأهم**) أي أشده اهتماماً له (**واشتغل بما هو مهم**) فلذلك نفرت عنه الطباع، (**وكما أن الطباع تنفر عن ترك المهم إلى ما لا يعني**) أي ما لا يعتنى به (**فتنفر عن ترك الأهم والاشتغال بالمهم**) وفرق بين المهم والأهم كما أنه فرق بين المهم وبين غير المهم، (**كما تنفر عمن يتحرج عن تناول طعام مغصوب وهو مواظب على الربا**) وفي نسخة على: الزنا (**وكما تنفر عمن يتصاون عن الغيبة**) في اخوانه، (**ويشهد بالزور لأن الشهادة بالزور أشد وأفحش من الغيبة التي هي اخبار عن كائن يصدق فيه المخبر، وهذا الاستبعاد في**

الاستبعاد في النفوس لا يدل على أن ترك الغيبة ليس بواجب، وأنه لو اغتاب أو أكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته، فكذلك ضرره في الآخرة من معصيته أكثر من ضرره من معصية غيره، فاشتغاله عن الأقل بالأكثر مستنكر في الطبع من حيث أنه ترك الأكثر لا من حيث أنه أتى بالأقل، فمن غصب فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس نفرت عنه الطباع ويرى مسيئاً، إذ قد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر، ولكن المنكر تركه لطلب الفرس بطلب اللجام فاشتد الإنكار عليه لتركه الأهم بما دونه، فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه، وهذا لا يدل على أن حسبته من حيث أنها حسبة مستنكرة.

الثاني: أن الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يتعظ أوّلاً. ونحن نقول: من علم أن قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ، إذ لا فائدة في وعظه فالفسق يؤثر في إسقاط فائدة كلامه، ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام، فأما إذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر، وتمام القهر أن يكون بالفعل والحجة جميعاً، وإذا كان فاسقاً فإن قهر بالفعل فقد قهر بالحجة إذ يتوجه عليه أن يقال له: فأنت لم تقدم عليه فتنفر الطباع عن قهره بالفعل مع كونه

النفوس لا يدل على أن ترك الغيبة ليس بواجب، وأنه لو اغتاب) رجلاً **(أو أكل لقمة من حرام لم تزد بذلك عقوبته، فكذلك ضرره في الآخرة من معصيته أكثر من ضرره من معصية غيره. فاشتغالة بالأقل عن الأكثر مستنكر بالطبع من حيث أنه ترك الاكثر لا من حيث أنه أتى بالأقل، فمن سرق فرسه ولجام فرسه فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس)** ولم يطلبها **(نفرت منه الطباع)** وأنكرته **(ويرى مسيئاً)** في فعله، **(وقد صدر منه طلب اللجام وهو غير منكر ولكن المنكر تركه لطلب الفرس بطلب اللجام، فاشتد الإنكار عليه لتركه الأهم بما دونه، فكذلك حسبة الفاسق تستبعد من هذا الوجه، وهذا لا يدل على أن حسبته من حيث انها حسبة مستنكرة)**.

(الثاني: أن الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ) والنصيحة: **(وتارة بالقهر ولا ينجع وعظ من لا يتعظ أوّلاً)** أي لا ينفع، **(ونحن نقول: من علم أن قوله لا يقبل في الحسبة لعلم الناس بفسقه فليس عليه الحسبة بالوعظ)** اللساني، **(إذ لا فائدة في وعظه)** ذلك، **(فالفسق يؤثر في إسقاط فائدة كلامه)** أي لا يكون لكلامه فائدة مع وجود الفسق، **(ثم إذا سقطت فائدة كلامه سقط وجوب الكلام)** فلم يكن واجباً عليه، **(فأما إذا كانت الحسبة بالمنع فالمراد منه القهر وتمام القهر أن يكون بالفعل والحجة جميعاً، وإذا كان)** المحتسب **(فاسقاً فإن قهر بالفعل فقد قهر بالحجة إذ يتوجه عليه أن يقال: فإنت لم تقدم عليه فتنفر الطباع**

مقهوراً بالحجة، وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقاً، كما أن من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل أباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقاً، فخرج من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لأنه لا يتعظ، وإذا لم يكن عليه ذلك وعلم أنه يفضي إلى تطويل اللسان في عرضه بالإنكار فنقول: ليس له ذلك أيضاً. فرجع الكلام إلى أن أحد نوعي الاحتساب وهو الوعظي قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه، وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حرج على الفاسق في إراقة الخمور وكسر الملاهي وغيرها إذا قدر وهذا غاية الإنصاف والكشف في المسألة، وأما الآيات التي استدلوا بها فهو إنكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث أمرهم، ولكن أمرهم دل على قوّة علمهم وعقاب العالم أشد لأنه لا عذر له مع قوّة علمه. وقوله تعالى: ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾ [الصف: ٢] المراد به الوعد الكاذب. وقوله عز وجل: ﴿وتنسون أنفسكم﴾ [البقرة: ٤٤] إنكار من حيث أنهم نسوا أنفسهم لا من حيث أنهم أمروا غيرهم، ولكن ذكر أمر الغير استدلالاً به على علمهم وتأكيداً للحجة عليهم. وقوله: « يا ابن مريم عظ نفسك » الحديث هو في الحسبة بالوعظ. وقـد

عن قهره بالفعل مع كونه مقهوراً بالحجة، وذلك لا يخرج الفعل عن كونه حقاً، كما أن من يذب الظالم) أي يدفعه (**عن آحاد المسلمين ويهمل أباه)** أي يتركه (**وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه للمسلم عن كونه حقاً)** في حد نفسه، (**فخرج من هذا أن الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف بفسقه لأنه لا يتعظ)** أي لا ينجع فيه وعظه لما عرفه منه (**وإذا لم يكن عليه ذلك وعلم أنه يفضي إلى تطويل اللسان في عرضه بالإنكار فنقول: ليس له ذلك أيضاً. فرجع الكلام إلى أن أحد نوعي الاحتساب وهو الوعظي قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه، وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حجر على الفاسق في اراقة الخمور وكسر)** آلات (**الملاهي وغيرها إذا قدر)** على ذلك، (**وهذا غاية الانصاف والكشف في)** هذه (**المسألة)** وليس وراء ذلك تحقيق، (**وأما الآيات التي استدلوا بها فهي إنكار عليهم من حيث تركهم المعروف لا من حيث أمرهم، ولكن أمرهم دل على قوّة علمهم وعقاب العالم أشد)** لما في الخبر: « ويل للجاهل مرة وللعالم سبع مرات » (**لأنه لا عذر له مع قوّة علمه وقوله تعالى ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾ المراد به الوعد الكاذب)** يعد بلسانه أن يفعل شيئاً فلا يفعل. (**وقوله تعالى ﴿وتنسون أنفسكم﴾ إنكار)** عليهم (**من حيث أنهم نسوا أنفسهم لا من حيث انهم أمروا غيرهم، ولكن ذكر أمر الغير استدلالاً به على علمهم وتأكيداً للحجة عليهم. وقوله تعالى)** في خطابه لعيسى عليه السلام: (**يا ابن مريم عظ نفسك الحديث)** الخ. (**هو في الحسبة بالوعظ. وقد سلمنا ان**

سلمنا أن وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه ثم قوله: « فاستحي مني » لا يدل على تحريم وعظ الغير، بل معناه استحي مني فلا تترك الأهم وتشتغل بالمهم كما يقال: احفظ أباك ثم جارك وإلاّ فاستحي.

فإن قيل: فليجز للكافر الذمي أن يحتسب على المسلم إذا رآه يزني لأن قوله لا تزن حق في نفسه، فمحال أن يكون حراماً عليه، بل ينبغي أن يكون مباحاً أو واجباً؟

قلنا: الكافر إن منع المسلم بفعله فهو تسلط عليه فيمنع من حيث أنه تسلط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً، وأما مجرد قوله: « لا تزن » فليس بمحرم عليه من حيث أنه نهي عن الزنا ولكن من حيث أنه إظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه إذلال للمتحكم عليه. والفاسق يستحق الإذلال، ولكن لا من الكافر الذي هو أولى بالذل منه، فهذا وجه منعنا إياه من الحسبة وإلا فلسنا نقول: إن الكافر يعاقب بسبب قوله لا تزن من حيث أنه نهي، بل نقول: إنه إذا لم يقل لا تزن يعاقب عليه إن رأينا خطاب الكافر بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات ولا يليق بغرضنا الآن.

الشرط الرابع: كونه مأذوناً من جهة الإمام والوالي، فقد شرط قوم هذا الشرط

وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه، ثم قوله فاستحي مني لا يدل على تحريم وعظ الغير بل معناه استحي مني فلا تترك الأهم وتشتغل بالمهم، كما يقال: احفظ أباك ثم جارك وإلا فاستحي) فحفظ أبيه هو الأهم وحفظ الجار هو المهم.

(فإن قيل فليجز للكافر الذمي أن يحتسب على المسلم إذ رآه يزني لأن قوله: لا تزن حق في نفسه فمحال أن يكون حراماً بل ينبغي أن يكون مباحاً أو واجباً؟)

(قلنا) في الجواب عنه: **(الكافر إن منع المسلم بفعله فهو تسليط عليه فيمنعه من حيث أنه تسليط عليه وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً)** أي بالتسلط عليه، **(وأما مجرد قوله: « لا تزن »)** أيها المسلم **(فليس بمحرم عليه من حيث أنه نهي عن الزنا، ولكن من حيث أنه إظهار دالة الاحتكام على المسلم وفيه إذلال للمحتكم عليه والفاسق يستحق الإذلال، ولكن لا من الكافر الذي هو أولى بالذل منه)** لكفره. **(فهذا وجه منعنا إياه من الحسبة وإلاّ فلسنا نقول: إن الكافر يعاقب بسبب قوله « لا تزن »)** يا مسلم **(من حيث أنه نهي، بل نقول: إذا لم يقل لا تزن يعاقب إن رأينا خطاب الكفار بفروع الدين)** وهي مسألة مشهورة في الأصول، وقد أشرنا إليها في كتاب « الحلال والحرام ». **(وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات)** أي الكتب المصنفة في الفقه **(ولا يليق)** تطويله **(بغرضنا الآن)**.

(الشرط الرابع: كونه مأذوناً من جهة الإمام والوالي) من طرفه، **(فقد شرط قوم هذا**

ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة، وهذا الاشتراط فاسد فإن الآيات والأخبار التي أوردناها تدل على أن كل من رأى منكراً فسكت عليه عصى إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه على العموم، فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لا أصل له، والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا: لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام المعصوم وهو الإمام الحق عندهم. وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا، بل جوابهم أن يقال لهم: إذا جاؤوا إلى القضاة طالبين لحقوقهم في دمائهم وأموالهم إن نصرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدي من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف، وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق، لأن الإمام الحق بعد لم يخرج.

فإن قيل: في الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه، ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقاً فينبغي أن لا يثبت لآحاد الرعية إلا بتفويض من الوالي وصاحب الأمر؟ فنقول: أما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام، والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم، وأما آحاد المسلمين

الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة، وهذا الاشتراط فاسد لأن الآيات القرآنية والاخبار) النبوية (**التي رويناها**) منها ما تقدم ومنها ما سيأتي (**تدل**) بظاهرها (**على أن كل من رأى منكراً فسكت عنه عصى الله عز وجل أينما رآه وكيفما رآه على**) وجه (**العموم**) والشمول، (**فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام**) له (**تحكم لا أصل له، والعجب أن**) طائفة (**الروافض**) قد (**زادوا على هذا فقالوا: لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام المعصوم وهو الإمام الحق عندهم**) ويعنون به المهدي المنتظر وقد شرطوا العصمة للأئمة الاثني عشر، وجعلوا إجماع آل البيت حجة كما هو مذكور في كتب الأصول في بحث الإجماع. (**وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا**) أي يخاطبوا (**بل جوابهم أن يقال لهم: إذا جاؤوا إلى القضاة طالبين لحقوقهم في دمائهم وأموالهم: أن نصرتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوقكم من أيدي من ظلمكم نهي عن المنكر، وطلبكم لحقكم من جملة المعروف، وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لأن الإمام الحق بعد لم يخرج**) وأنتم تنتظرونه ما صبروا حتى يخرج.

(**فإن قيل: الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه، ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقاً فينبغي أن لا يثبت لأحد الرعية إلا بتفويض من الوالي وصاحب الأمر**) وهو المطلوب، (**فنقول**) في الجواب: (**أما الكافر فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام، والكافر ذليل فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم،**

فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحوج إلى تفويض كعز التعليم والتعريف إذ لا خلاف في أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل ومقدم على المنكر بجهله لا يحتاج إلى إذن الوالي وفيه عز الإرشاد وعلى المعرف ذل التجهيل، وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك النهي.

وشرح القول في هذا أن الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتي.

أولها: التعريف.

والثاني: الوعظ بالكلام اللطيف.

والثالث: السب والتعنيف. ولست أعني بالسب الفحش بل أن يقول يا جاهل يا أحمق ألا تخاف الله وما يجري هذا المجرى.

والرابع: المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهي وإراقة الخمر واختطاف الثوب الحرير من لابسه واستلاب الثوب المغصوب منه ورده على صاحبه.

والخامس: التخويف والتهديد بالضرب ومباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه

وأما آحاد المسلمين **فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحوج إلى تفويض)** من والٍ **(كعز التعليم والتعريف إذ لا خلاف في أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل)** عن المنكر **(ومقدم على المنكر بجهله لا يحتاج إلى إذن الوالي، وفيه عز الإرشاد وعلى المعرف ذل التجهيل، وذلك يكفي فيه مجرد الدين، فكذلك النهي)** يقاس عليه.

(وشرح القول في هذا أن فعل الحسبة له خمس مراتب كما سيأتي بيانه).

(الأول: التعريف) بأن يعرف من كان جاهلاً.

(والثانية: الوعظ) والنصح **(بالكلام اللطيف)** اللين.

(والثالثة: السب والتعنيف ولست أعني بالسب الفحش) في القول **(بل)** يكفيه **(أن يقول)** له **(يا جاهل يا أحمق)** يا بليد **(ألا تخاف من الله عز وجل وما يجري هذا المجرى).**

(والرابعة: المنع بالقهر بطريق المباشرة) بالفعل **(ككسر)** آلات **(الملاهي واراقة الخمر)** على الأرض **(واختطاف الثوب الحرير من لا بسه)** وإزالته عنه **(واستلاب الشيء المغصوب منه ورده على صاحبه).**

(والخامسة: التخويف) والتحذير **(والتهديد بالضرب)** بأن يقول: لاضربنك أو لأوجعنك

كالمواظب على الغيبة والقذف، فإن سلب لسانه غير ممكن، ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب، وهذا قد يحوج إلى استعانة وجمع أعوان من الجانبين ويجر ذلك إلى قتال وسائر المراتب، لا يخفى وجه استغنائها عن إذن الإمام، إلا المرتبة الخامسة فإن فيها نظراً ـ سيأتي ـ أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى إذن الإمام، وأما التجهيل والتمحيق والنسبة إلى الفسق وقلة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق، بل أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر كما ورد في الحديث، فإذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته فكيف يحتاج إلى إذنه، وكذلك كسر الملاهي وإراقة الخمور، فإنه تعاطي ما يعرف كونه حقاً من غير اجتهاد فلم يفتقر إلى الإمام. وأما جمع الأعوان وشهر الأسلحة فذلك قد يجر إلى فتنة عامة ففيه نظر ـ سيأتي ـ واستمرار عادات السلف على الحسبة على الوفاة قاطع بإجماعهم على الاستغناء عن التفويض، بل كل من أمر بمعروف فإن كان الوالي راضياً به فذاك، وإن كان ساخطاً

ضرباً (**أو بمباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه**) من المنكر (**كالمواظب على الغيبة والقذف**) في المحصنات، (**فإن سلت**) أي نزع وفي بعض النسخ: سلب بالباء الموحدة (**لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا قد يحوج إلى استعانة**) بالغير (**وجمع أعوان من الجانبين وينجر إلى**) خصام و(**قتال وسائر المراتب لا يخفى وجه استغنائها عن اذن الإمام إلا المرتبة الخامسة**) المذكورة، (**فإن فيها نظراً سيأتي**) بيانه. (**أما التعريف والوعظ فكيف يحتاج إلى إذن الإمام**) لما تقدم بيانه. (**وأما التجهيل والتحميق والنسبة إلى الفسق وقلة الخوف**) والمبالاة (**من الله تعالى وما يجري ذلك فهو كلام صدق، والصدق مستحق بل أفضل الدرجات كلمة حق عند إمام جائر. كما ورد في الحديث**) يشير إلى ما رواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً: «أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر» أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه. وقال الترمذي: حديث حسن قاله العراقي:

قالت: وقد رواه كذلك أحمد وابن ماجه أيضاً، والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة، ورواه أحمد أيضاً والنسائي والبيهقي أيضاً من حديث طارق بن شهاب.

(**فإذا جاز الحكم على الإمام على مراغمته**) أي رغماً على أنفه، (**فكيف يحتاج إلى اذنه**) وتفويضه؟ (**وكذلك كسر**) آلات (**الملاهي وإراقة الخمور مما يعرف كونه حقاً من غير اجتهاد فلم يفتقر إلى الإمام**) أي إذنه. (**فأما جمع الأعوان وشهر الأسلحة فذلك قد ينجر إلى فتنة عامة ففيه نظر سيأتي**) بيانه (**واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة**) والأئمة (**قاطع بإجماعهم على الاستغناء عن التفويض**) والإذن، (**بل كل من أمر بمعروف فإن كان الوالي راضياً به فذاك، وإن كان ساخطاً له فسخطه له منكر يجب الإنكار عليه،**)

له فسخطه له منكر يجب الإنكار عليه، فكيف يحتاج إلى إذنه في الإنكار عليه، ويدل على ذلك عادة السلف في الإنكار على الأئمة.

كما روي أن مروان بن الحكم خطب قبل صلاة العيد فقال له رجل: إنما الخطبة بعد الصلاة. فقال له مروان: ترك ذلك يا فلان. فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه. قال لنا رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فلينكره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج إلى إذنهم؟ وروي أن المهدي لما قدم مكة لبث بها ما شاء الله فلما أخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبدالله بن مرزوق فلببه بردائه ثم هزه وقال له: انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد حتى إذا صار عنده حلت بينه وبينه؟ وقد قال الله تعالى: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ [الحج: ٢٥] من جعل لك هذا؟ فنظر في وجهه وكان يعرفه لأنه من مواليهم فقال: أعبدالله بن مرزوق؟ قال: نعم، فأخذ فجيء به إلى بغداد فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه في

فكيف يحتاج إلى إذنه في الإنكار عليه، ويدل على ذلك عادة السلف في الإنكار على الأئمة) في عصرهم.

(كما روي أن مروان بن الحكم) بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي رابع خلفائهم، قام بالأمر سنة أربع وستين، فبقي أربعة أشهر ومات، ثم تولى بعده عبد الله بن الزبير بمكة **(خطب قبل صلاة العيد، فقال له رجل: إنما الخطبة بعد الصلاة. فقال مروان: ترك ذلك يا أبا فلان، فقال أبو سعيد)** الخدري رضي الله عنه وكان حاضراً هناك: **(أما هذا)** الرجل **(فقد قضى ما عليه)** من الحق. **(قال لنا رسول الله ﷺ: « من رأى منكراً فلينكره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»)** رواه الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان وقد تقدم قريباً، **(فلقد كانوا فهموا من هذه العمومات دخول السلاطين تحته، فكيف يحتاج إلى إذنهم؟ وروي أن المهدي)** محمد بن عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس **(لما قدم مكة)** في أيام خلافته **(لبث ما شاء الله فلما أخذ في الطواف نحى الناس)** أي طردهم **(عن البيت، فوثب عبدالله بن مرزوق)** وفي بعض النسخ مسروق وهو من موالي بني العباس **(فلببه بردائه)** أي جعله في عنقه، **(ثم)** جمعه و**(هزه وقال له: انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت أحق ممن أتاه من البعد)** أو القرب؟ قال الله تعالى: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ **(حتى إذا صار عنده حلت بينه وبينه ومن جعل لك هذا؟ فنظر)** المهدي **(في وجهه وكان يعرفه لأنه من مواليهم، فقال: أعبدالله بن مرزوق؟ قال: نعم فأخذ)** في الحال **(فجيء به الى بغداد**

العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب وضموا إليه فرساً عضوضاً سيء الخلق ليعقره الفرس فلين الله تعالى له الفرس قال: ثم صيروه إلى بيت وأغلق عليه، وأخذ المهدي المفتاح عنده، فإذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل فأُوذن به المهدي فقال له: من أخرجك؟ فقال: الذي حبسني فضج المهدي وصاح وقال: ما تخاف أن أقتلك؟ فرفع عبدالله إليه رأسه يضحك وهو يقول: لو كنت تملك حياة أو موتاً فما زال محبوساً حتى مات المهدي ثم خلوا عنه فرجع إلى مكة. قال: وكان قد جعل على نفسه نذرا إن خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحرها.

وروي عن حبان بن عبد الله قال: تنزه هارون الرشيد بالدوين ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر فقال له هارون: قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها قال: فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها، فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: ليس هذا عودي، فقال للخادم: جئنا بعودها. قال: فجاء بالعود فوافق شيخاً يلقط النوى فقال:

فكره أن يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه في العامة) فتنكره قلوبهم، **(فجعله في اصطبل الدواب ليسوس الدواب)** ويخدمها، **(وضموا إليه فرساً عضوضاً)** تعض من قربها **(سيء الخلق ليعقره الفرس)** فيكفي المؤونة، **(فلين الله له الفرس المذكور)** أي ذلله له. **(قال: ثم صيره إلى بيت وأخذ المهدي المفتاح عنده فإذا هو قد خرج بعد ثلاث إلى البستان يأكل البقل فأوذن به)** أي أعلم به **(المهدي فقال: من أخرجك؟ فقال: الذي حبسني. قال: فضج المهدي وصاح وقال: ما أخاف شيئاً إلا أن أقتلك)** كذا في بعض النسخ، وفي أخرى بحذف: «إلا» وفي بعضها: وقال اما تخاف أن أقتلك. **(فرفع عبد الله إليه رأسه يضحك وهو يقول: لو كنت تملك حياة أو موتاً)** أي لكنت تفعل ذلك، **(فما زال محبوساً حتى مات المهدي ثم خلوا عنه)** أي تركوه، **(فرجع إلى مكة قال: وكان قد جعل على نفسه نذراً إن خلصه الله من أيديهم أن ينحر مائة بدنة)** أي ناقة، **(فكان يعمل في ذلك حتى نحرها)** ووفى بنذره أخرجه ابن أبي الدنيا في أخبار الخلفاء.

(وروي عن حبان بن عبد الله) هكذا في النسخ بكسر الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة المشددة، وفي بعضها بفتح الحاء وتشديد التحتية. قال الذهبي في الديوان: حيان بن عبد الله أبو حبلة الدارمي قال الفلاس: كذاب **(قال: تنزه هارون الرشيد بالدوين)** كأمير اسم موضع منتزه بالعراق وفي نسخة بغير نون، وفي أخرى بالدومتين مثنى دومة، **(ومعه رجل من بني هاشم وهو سليمان بن أبي جعفر)** يكنى أبا أيوب وهو في النسب عم هارون **(فقال)** له **(هارون: قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها. قال: فجاءت فغنت فلم يحمد غناءها. فقال: ما شأنك؟ فقالت: ليس هذا عودي. فقال للخادم: جئنا بعودها. قال: فجاء بالعود**

الطريق يا شيخ، فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه من الخادم فضرب به الأرض فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربع فقال: احتفظ بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين. فقال له صاحب الربع: ليس ببغداد أعبد من هذا، فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين، فقال له: اسمع ما أقول لك، ثم دخل على هارون فقال: إني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع رأسه فرأى العود، فأخذه فضرب به الأرض فكسره فاستشاط هارون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر: ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين؟ ابعث إلى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمى به في الدجلة. فقال: لا. ولكن نبعث إليه ونناظره أوّلاً فجاء الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين. فقال: نعم. قال: اركب. قال: لا. فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر، فقيل لهارون: قد جاء الشيخ. فقال للندماء: أي شيء ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ أو نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر؟ فقالوا له: نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أصلح، فقاموا إلى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفي كمه الكيس الذي فيه النوى، فقال له الخادم: أخرج هذا من كمك وادخل على أمير المؤمنين. فقال: من هذا عشائي الليلة، قال: نحن نعشيك. قال: لا حاجة لي في عشائكم. فقال هارون للخادم:

فوافق) الخادم **(شيخاً يلقط النوى)** من الأرض، **(فقال)** الخادم: **(الطريق يا شيخ)** أي نح عن الطريق، **(فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه فضرب به الأرض)** فانكسر، **(فأخذه الخادم فذهب به إلى صاحب الربع)** أي المنزل، **(فقال: احتفظ بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين)** أي مطلوبه، **(فقال له صاحب الربع: ليس ببغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين؟ فقال له: هو ما أقول لك، فدخل على هارون فقال: إني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له: الطريق فرفع رأسه فرأى العود فضرب به الأرض، فاستشاط هارون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر: ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين؟ ابعث إلى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمى به في الدجلة. فقال: لا ولكن نبعث إليه نناظره أولاً)** أي فإن رأيناه على الحق لم نقتله، **(فجاء الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين. فقال: نعم. قال: اركب قال: لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر، فقيل لهارون قد جاء الشيخ. فقال للندماء أي شيء ترون نرفع ما قدّامنا من المنكر حتى يدخل الشيخ أو نقوم إلى مجلس ليس فيه منكر؟ فقالوا: بل نقوم إلى مجلس ليس فيه منكر أصلح، فقاموا إلى مجلس آخر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفي كمه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم أخرج هذا وادخل على أمير المؤمنين. قال: من هذا عشائي الليلة إن شاء الله تعالى. قال: نحن نعشيك. قال لا حاجة لي في عشائك. فقال هارون له: أي شيء تريد منه؟**

أي شيء تريد منه؟ قال: في كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين. فقال: دعه لا يطرحه، قال: فدخل وسلم وجلس فقال له هارون: يا شيخ ما حملك على ما صنعت؟ قال: وأي شيء صنعت؟ وجعل هارون يستحي أن يقول كسرت عودي، فلما أكثر عليه قال: إني سمعت أباك وأجدادك يقرأون هذه الآية على المنبر: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ [النحل: ٩٠]، وأنا رأيت منكراً فغيرته. فقال: فغيره فوالله ما قال إلا هذا، فلما خرج أعطى الخليفة رجلاً بدرة وقال: اتبع الشيخ فإن رأيته يقول قلت لأمير المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيئاً وإن رأيته لا يكلم أحداً فأعطه البدرة، فلما خرج من القصر إذ هو بنواة في الأرض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم أحداً فقال له: يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدرة. فقال: قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها، ويروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التي يعالج قلعها من الأرض. وهو يقول:

أرى الدنيا لمن هي في يديه ... هموماً كلما كثرت لديهِ
تهين المكرمين لها بصغر ... وتكرم كل من هانت عليهِ

قال: في كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين. فقال: دعه لا يطرحه. قال: فدخل فسلم وجلس، فقال له هارون يا شيخ ما حملك على ما صنعت؟ قال: وأي شيء صنعت وجعل هارون يستحي أن يقول: كسرت عودي) أي استحياء من إضافة العود إليه، وكان يمكنه أن يقول لأي شيء كسرت عود امرأة أو عود فلانة أو عود جماعة، (**فلما أكثر عليه. قال: إني سمعت أباك وأجدادك يقرأون هذه الآية على المنبر: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ ورأيت منكراً فغيرته، قال: فغيره فوالله ما قال إلا هذا**) لأنه غلبت عليه هيبة الحق فلم ينطق إلا بخير، وهذه كرامة للشيخ المذكور وأمر بخروجه، (**فلما خرج أعطى لرجل بدرة**) أي صرة فيها دراهم (**فقال: اتبع الشيخ فإن رأيته يقول قلت لأمير المؤمنين**) كذا (**وقال لي**) كذا فلا تعطه شيئاً وإن رأيته يكلم أحداً فاعطه البدرة، فلما خرج من القصر إذا هو بنواة في الأرض قد غاصت فجعل يعالجها) حتى أخرجها، (**ولم يكلم أحداً فقال له: يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدرة. قال: قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها. ويروى**) في هذه القصة (**أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على نواة يعالج قلعها من الأرض وهو يقول:**

أرى الدنيا لمن هي في يديهِ ... هموماً كلما كثرت لديهِ
تهين المكرمين لها بصغر ... وتكرم كل من هانت عليهِ

إذا استغنيت عن شيء فدعه … وخذ ما أنت محتاج إليهِ

وعن سفيان الثوري رحمه الله قال: حج المهدي في سنة ست وستين ومائة فرأيته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون يميناً وشمالاً بالسياط فوقفت فقلت: يا حسن الوجه حدثنا أيمن عن وائل عن قدامة بن عبدالله الكلابي قال: رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك وها أنت يخبط الناس

إذا استغنيت عن شيء فدعه … وخذ ما أنت محتاج إليهِ)

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا محمد بن عمران، حدثنا أبو حاتم عن عمرو بن خالد: سمعت مسلم بن ميمون الخواص يقول:

أرى الدنيا لمن هي في يديه … عذاباً كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر … وتكرم كل من هانت عليه
فدع عنك الفضول تعش حميداً … وخذ ما كنت محتاجاً إليه

(وعن سفيان) بن سعيد **(الثوري رحمه الله تعالى قال: حج المهدي)** محمد بن أبي جعفر المنصور العباسي **(في سنة ست وستين ومائة)** من الهجرة. قال العراقي: هذا ليس بصحيح، فإن الثوري توفي سنة إحدى وستين اهـ.

قلت: وهو كما قال ففي طبقات ابن سعد: واجتمعوا على أنه أي سفيان توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة.

(فرأيته يرمي جمرة العقبة والناس يخبطون) أي يضربون **(يميناً وشمالاً بالسياط)** ليتسع المحل ويتمكن من الرمي، **(فوقفت وقلت: يا حسن الوجه حدثنا أيمن بن نابل)** [1] الحبشي أبو عمران المكي نزيل عسقلان مولى أبي بكر الصديق. قال الفضل بن موسى: قال لي سفيان الثوري: يا فضل هل لك في لقاء أبي عمران؟ فإنه ثقة فلقيته، فإذا حبشي طوال ذو مشافر مكفوف. وقال ابن معين: شيخ ثقة. وقال عباس الدوري: كان شيخاً عابداً فاضلاً يحدث عنه بزهد وفضل. وقال النسائي: لا بأس به. وقال يعقوب بن شيبة: صدوق إلى الضعف ما هو. وقال الدارقطني: ليس بالقوي خالف الناس ولو لم يكن إلا حديث التشهد، وخالفه الليث بن سعد وعمرو بن الحرث، وزكريا بن خالد عن أبي الزبير. وقال ابن عدي: وأرجو أن أحاديثه لا بأس بها صالحة، روى له البخاري متابعة والترمذي والنسائي وابن ماجه **(عن قدامة بن عبد الله)** بن عمار بن معاوية العامري **(الكلابي)** يكنى أبا عبد الله صحابي شهد حجة الوداع. وله رواية قليلة، وكان بنجد روى له الترمذي والنسائي وابن ماجه **(قال: رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمرة يوم النحر على جمل لا ضرب ولا طرد ولا جلد ولا إليك إليك)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن صحيح والنسائي وابن ماجه اهـ.

---

(١) في كتاب الإحياء: «حدثنا أيمن عن وائل» بدلاً من «أيمن بن نابل».

بين يديك يميناً وشمالاً . فقال لرجل : من هذا ؟ قال : سفيان الثوري . فقال : يا سفيان لو كان المنصور ما احتملك على هذا ؟ فقال : لو أخبرك المنصور بما لقي لقصرت عما أنت فيه . قال : فقيل له إنه قال لك يا حسن الوجه ولم يقل لك يا أمير المؤمنين . فقال : اطلبوه فطلب سفيان فاختفى ، وقد روي عن المأمون أنه بلغه أن رجلاً محتسباً يمشي في الناس

(وها أنت يخبط الناس بين يديك يميناً وشمالاً فقال) المهدي **(لرجل : من هذا ؟ فقال :)** هو **(سفيان الثوري ، فقال لسفيان :لو كان المنصور)** يعني أباه أبا جعفر حياً **(ما احتملك على هذا . فقلت : لو أخبرك المنصور بما لقي)** من الله **(لأقصـرت عما أنت فيه . قال : فقيل له إنه قال لك : يا حسن الوجه ، ولم يقل لك يا أمير المؤمنين ، فقال : اطلبوه فطلب سفيان فاختفى)** هكذا أورد المصنف هذه القصة تبعاً لغيره ، وقد عرفت أن سفيان توفي قبل هذه المدة بخمس سنوات ، ولكن ثبت أنه اختفى من المهدي حين طلبه ، وأنه كان ذلك بسبب أمره بالمعروف عليه ، فقد أخرج أبو نعيم في الحلية بسنده إلى الحسن بن شجاع قال : قال أبو نعيم قدم المهدي مكة وسفيان الثوري بها فدعاه فقال له سفيان : احذر هذا كاتباً كان بجنبه قال : وقال له سفيان اتق الله واعلم أن عمر بن الخطاب حج فانفق ستة عشر ديناراً قال : وحدثه بحديث أيمن فقال : حدثني أبو عمران ولم يذكر أيمن ، فقيل : كيف لم يذكر أيمن قال : لعله يدعي فيفزع الرجل ، قلت : فبان بهذا أن للقصة المذكورة أصلاً ، وإنما الغلط جاء من التاريخ وكانت تولية المهدي سنة ثمان وخمسين ، فلعل حقه سنة ستين فتأمل ذلك .

وأخرج أبو نعيم أيضاً من طريق سفيان بن عيينة قال : قال سفيان الثوري دخلت على المهدي فرأيت ما قد هيأه للحج . فقلت : ما هذا ؟ حج عمر بن الخطاب فانفق ستة عشر ديناراً . ومن طريق الفريابي عن سفيان الثوري قال : دخلت على المهدي فقلت بلغني أن عمر بن الخطاب أنفق في حجه اثني عشر ديناراً ، وأنت فيما أنت فيه مغضب . وقال : تريد أن أكون في مثل الذي أنت فيه ؟ قال : قلت فإن لم تكن في مثل الذي أنا فيه ففي دون ما أنت فيه . ومن طريق أبي أحمد الزبيري قال : كنت بمسجد الخيف مع سفيان الثوري والمنادي ينادي : من جاء بسفيان فله عشرة آلاف . ومن طريق ابن مهدي عن سفيان قال طلبت أيام المهدي فهربت فأتيت اليمن فكنت أنزل في حي ثم ذكر باقي القصة . ومن طريق محمد بن مسعود عن سفيان قال : أدخلت على المهدي بمنى فلما سلمت عليه بالإمرة قال لي : أيها الرجل طلبناك فاعجزتنا والحمد لله الذي جاء بك فارفع إلينا حاجتك ، فقلت : قد ملأت الأرض ظلماً وجوراً فاتق الله ، وليكن منك في ذلك غير . قال : فطأطأ رأسه ثم رفعه وقال : ارفع إلينا حاجتك . قال : قلت أبناء المهاجرين ومن معهم بإحسان بالباب ، فاتق الله وتوصل إليهم حقوقهم قال : فطأطأ رأسه ، فقال : أيها الرجل ارفع إلينا حاجتك . قلت : وما أرفع حدثني إسماعيل بن أبي خالد قال : حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لخازنه كم أنفقت ؟ قال : بضعة عشر ديناراً وأرى ههنا أموراً لا تطيقها الجبال .

يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مأموراً من عنده بذلك فأمر بأن يدخل عليه، فلما صار بين يديه قال له: إنه بلغني انك رأيت نفسك أهلاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن نأمرك، وكان المأمون جالساً على كرسي ينظر في كتاب أو قصة فأغفله فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر به فقال له المحتسب: ارفع قدمك عن أسماء الله تعالى ثم قل ما شئت، فلم يفهم المأمون مراده. فقال: ماذا تقول؟ حتى أعاده ثلاثاً فلم يفهم، فقال: أما رفعت أو أذنت لي حتى أرفع، فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه وقبّله وخجل ثم عـاد وقال: لم تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك إلينا ـ أهل البيت ـ ونحن الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ [الحج: ٤١] فقال: صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن غير أنا أعوانك وأولياؤك فيه ولا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله تعالى وسنّة رسول الله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف﴾ [التوبة: ٧١] الآية. وقال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وقد

(**وقد روي عن المأمون**) عبد الله بن هارون العباسي (**أنه بلغه أن رجلاً محتسباً يمشي في الناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولم يكن مأموراً من عنده بذلك فأمر بأن يدخل عليه فلما صار بين يديه قال له: إنه بلغني أنك رأيت نفسك أهلاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن نأمرك، وكان المأمون جالساً على كرسي ينظر في كتاب أو قصة**) رفعت إليه، (**فأغفله**) أي الكتاب الذي كان ينظر فيه (**فوقع منه فصار تحت قدمه من حيث لم يشعر فقال**) ذلك الرجل (**المحتسب:إرفع قدمك عن اسم الله تعالى ثم قل ما شئت**) أن تقول، (**فلم يفهم المأمون مراده**) لكونه كان غافلاً. (**فقال: ماذا تقول؟ حتى أعاده ثلاثاً فلم يفهم**) مراده، (**فقال:أما رفعت**) اسم الله تعالى (**أو أذنت لي حتى أرفع، فنظر المأمون تحت قدمه فرأى الكتاب فأخذه فقبله**) احتراماً له (**وخجل**) من ذلك، (**ثم عاد**) إلى الكلام (**وقال:لـمَ تأمر بالمعروف وقد جعل الله ذلك إلينا أهل البيت ونحن الذين قال الله تعالى فيهم**) في كتابه العزيز: (**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ فقال**) الرجل: (**صدقت يا أمير المؤمنين أنت كما وصفت نفسك من السلطان والتمكن**) في الأرض بالخلافة (**غير أنا أعوانك**) أي أنصارك (**وأولياؤك فيه لا ينكر ذلك إلا من جهل كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. قال الله تعالى**) في كتابه العزيز: (﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء** بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ الآية. **وقال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»**) قال

مكنت في الأرض وهذا كتاب الله وسنّة رسوله ، فإن انقدت لهما شكرت لمن أعانك لحرمتها وإن استكبرت عنهما ولم تنقد لما لزمك منهما فإن الذي إليه أمرك وبيده عزك وذلك قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً فقل الآن ما شئت ، فأعجب المأمون بكلامه وسرّبه وقال : مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف فامضِ على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا ، فاستمر الرجل على ذلك . ففي سياق هذه الحكايات بيـان الدليـل على الاستغنـاء عـن الإذن .

فإن قيل : أفتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد والعبد على المولى والزوجة على الزوج والتلميذ على الأستاذ والرعية على الوالي مطلقاً كما يثبت للوالد على الولد والسيد على العبد والزوج على الزوجة والأستاذ على التلميذ ، والسلطان على الرعية أو بينهما فرق ؟ فاعلم أن الذي نراه انه يثبت أصل الولاية ولكن بينهما فرق في التفصيل ، ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول: قد رتبنا للحسبة خمس مراتب ، وللولد الحسبة بالرتبتين الأوليين وهما التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف ، وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد ولا بمباشرة الضرب وهما الرتبتان الأخريان ، وهل له الحسبة بالرتبة الثالثة حيث تؤدي إلى أذى الوالد وسخطه ؟ هذا فيه نظر ، وهو بأن يكسر مثلاً عوده ويريق

العراقي : متفق عليه من حديث أبي موسى ، وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة **(وقد مكنت في الأرض وهذا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فإن انقدت لهما شكرت لمن أعانك)** عليهما **(لحرمتها ، وإن استكبرت عنهما ولم تنقد لما ألزمك منهما فإن الذي إليه أمرك وبيده عزك ، وذلك)** وهو الله جل جلاله **(قد شرط أنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً فقل الآن ما شئت ، فأعجب المأمون بكلامه)** ورضي له **(وسرّبه وقال : مثلك يجوز له أن يأمر بالمعروف)** وينهي عن المنكر ، **(فامض على ما كنت عليه بأمرنا وعن رأينا)** وإذننا ، **(فاستمر الرجل على ذلك . ففي سياق هذه الحكـايـات بيـان الدليـل على الاستغنـاء عـن الأذن)** ممن له ولاية أمر .

(فإن قلت : أفتثبت ولاية الحسبة للولد على الوالد ، والعبد على السيد ، والزوجة على الزوج ، والتلميذ على الأستاذ ، والرعية على الوالي مطلقاً كما يثبت للوالد على الولد ، والسيد على العبد ، والزوج على الزوجة ، والأستاذ على التلميذ ، والسلطان على الرعية أو بينهما فرق ؟ فاعلم أن الذي نراه أنه يثبت أصل الولاية ، ولكن بينهما فرق في التفصيل ، ولنفرض ذلك في الولد مع الوالد فنقول : قد رتبنا) فيما سبق **(للحسبة خمس مراتب ، وللولد الحسبة بالرتبتين الأوليين وهو التعريف ثم الوعظ والنصح باللطف)** ولين القول ، **(وليس له الحسبة بالسب والتعنيف والتهديد)** والزجر ، **(ولا بمباشرة الضرب)** بالفعل **(وهما الرتبتان الأخريان ، وهل له الحسبة بالرتبة الخامسة حيث يؤدي إلى أذى الوالد**

خمره ويحل الخيوط عن ثيابه المنسوجة من الحرير ويرد إلى الملاك ما يجده في بيته من المال الحرام الذي غصبه أو سرقه أو أخذه عن إدرار رزق من ضريبة المسلمين إذا كان صاحبه معيناً ـ ويبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة في خشب بيته، ويكسر أواني الذهب والفضة، فإن فعله في هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب والسب ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه إلا أن فعل الولد حق وسخط الأب منشؤه حبه للباطل وللحرام. والأظهر في القياس أنه يثبت للولد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك ولا يبعد أن ينظر فيه إلى قبح المنكر وإلى مقدار الأذى والسخط، فإن كان المنكر فاحشاً وسخطه عليه قريباً كإراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر، وإن كان المنكر قريباً والسخط شديداً كما لو كانت له آنية من بلور أو زجاج على صورة حيوان وفي كسرها خسران مال كثير، فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجري هذه المعصية مجرى الخمر وغيره، فهذا كله مجال النظر.

فإن قيل: ومن أين قلتم ليس له الحسبة بالتعنيف والضرب والإرهاق إلى ترك الباطل

وسخطه) عليه؟ **(هذا فيه نظر)** ووجه النظر أن رضا الوالد مطلوب على كل حال، فهل يقدم على الاحتساب والاحتساب أيضاً مأمور به؟ فهل يقدم عليه، ولو أدى ذلك إلى السخط فصار الأمر ملتبساً ثم بين ما به يتأذى ويسخط؟ فقال: **(وهو بأن يكسر مثلاً عوده)** الذي يضرب به للغناء، **(ويريق خمره ويحل الخيوط من ثيابه المنسوجة من الحرير، ويرد إلى الملاك ما يجده في بيته)** وتحت حوزته **(من المال الحرام الذي غصبه)** من إنسان **(أو سرقة)** من حرز مثله، **(أو أخذه عن إدرار ورزق من ضريبة المسلمين إذا كان صاحبه معيناً)** لا مجهولاً، **(أو يبطل الصور المنقوشة على حيطانه والمنقورة في خشب بيته ويكسر أواني الذهب والفضة فإن فعله في هذه الأمور ليس يتعلق بذات الأب بخلاف الضرب)** باليد **(والسب)** باللسان، **(ولكن الوالد يتأذى به ويسخط بسببه إلا أن فعل الولد ذلك حق وسخط الأب منشؤه حبه للباطل والحرام والأظهر في القياس أنه يثبت للوالد ذلك بل يلزمه أن يفعل ذلك)** وهو أقيس القولين، **(ولا يبعد أن ينظر فيه إلى قبح المنكر وإلى مقدار الأذى والسخط)** فإن كلاً منهما يختلف قلة وكثرة وخفة وثقلاً، **(فإن كان المنكر فاحشاً وسخطه عليه قريباً كاراقة خمر من لا يشتد غضبه فذلك ظاهر، فإن كان المنكر قريباً والسخط شديداً كما لو كانت له آنية من بلور أو زجاج على صورة حيوان وفي كسرها خسران مال كثير، فهذا مما يشتد فيه الغضب وليس تجري هذه المعصية مجرى الخمر وغيره فهذا كله مجال النظر)** أي محل جولان النظر فيه.

(فإن قيل: ومن أين قلتم ليس له) أي للولد **(الحسبة بالتعنيف والضرب والإرهاق إلى**

والأمر بالمعروف في الكتاب والسنّة ورد عاماً من غير تخصيص؟ وأما النهي عن التأفيف والإيذاء فقد ورد وهو خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات فنقول: قد ورد في حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستثناء من العموم إذ لا خلاف في أن الجلاد ليس له أن يقتل أباه في الزنا حداً ولا له أن يباشر إقامة الحد عليه، بل لا يباشر قتل أبيه الكافر، بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه في مقابلته.

وقد ورد في ذلك أخبار وثبت بعضها بالإجماع فإذا لم يجز له إيذاؤه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له إيذاؤه بعقوبة هي منع عن جناية مستقبلة متوقعة بل أولى. وهذا الترتيب أيضاً ينبغي أن يجري في العبد والزوجة مع السيد والزوج، فهما قريبان من الولد في لزوم الحق وإن كان ملك اليمين آكد من ملك النكاح، ولكن في الخبر أنه « لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ». وهذا يدل على تأكيد الحق

ترك الباطل والأمر بالمعروف في الكتاب والسنة ورد عاماً) أي بصيغة العموم **(من غير تخصيص)** لشخص دون شخص، **(وأما النهي عن التأفيف والإيذاء)** في قوله تعالى: ﴿ولا تقل لهما أفٍّ﴾ وقوله تعالى: ﴿ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً﴾ [الإسراء: ٢٣] **(فقد ورد وهو)** مسلم لكنه **(خاص فيما لا يتعلق بارتكاب المنكرات)** فلا يقاس ذلك على هذا **(فنقول: قد ورد في حق الأب على الخصوص ما يوجب الاستثناء في العموم إذ لا خلاف)** بين العلماء **(في أن الجلاد ليس له أن يقتل أباه حداً)** وفي نسخة بالزنا **(ولا أن يباشر إقامة الحد عليه بل لا يباشر قتل أبيه الكافر، بل لو قطع يده لم يلزمه قصاص ولم يكن له أن يؤذيه في مقابلة)** كل ذلك لهيبة الأب. **(وقد ورد في ذلك أخبار وثبت بعضها بالإجماع)**. قال العراقي لم أجد فيه إلا حديث: « لا يقاد الوالد بالولد » رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمر قال الترمذي فيه اضطراب اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وابن الجارود والدارقطني وقال: سنده ضعيف ورواه الدارقطني أيضاً في الإفراد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. قال البيهقي في المعرفة: وإسناده صحيح، وروى الحاكم والبيهقي من حديث عمر بلفظ: « لا يقاد مملوك من مالكه ولا ولد من والده ».

(فإذا لم يكن له إيذاؤه بعقوبة هي حق على جناية سابقة فلا يجوز له إيذاؤه بعقوبة هي منع جناية مستقبلة متوقعة بل أولى، وهذا الترتيب أيضاً ينبغي أن يجري في العبد والزوجة مع السيد والزوج فهما قريبان من الوالد في لزوم الحق وإن كان ملك اليمين آكد من ملك النكاح ولكن ورد في الخبر أنه « لو جاز السجود لمخلوق لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ») تقدم في النكاح. **(وهذا يدل على تأكيد الحق أيضاً)** وحديث عمر الذي تقدم قريباً لا يقاد مملوك من مالكه كذلك صريح في لزوم حق السيد على العبد، **(وأما الرعية مع**

أيضاً. وأما الرعية مع السلطان فالأمر فيها أشد من الولد فليس لها معه إلا التعريف والنصح، فأما الرتبة الثالثة ففيها نظر من حيث أن الهجوم على أخذ الأموال من خزانته وردها إلى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير وكسر آنية الخمور في بيته يكاد يفضي إلى خرق هيبته وإسقاط حشمته، وذلك محذور ورد النهي عنه، كما ورد النهي عن السكوت على المنكر فقد تعارض فيه أيضاً محذوران والأمر فيه موكول إلى اجتهاد منشؤه النظر في تفاحش المنكر ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه، وذلك مما لا يمكن ضبطه. وأما التلميذ والاستاذ فالأمر فيما بينهما أخف لأن المحترم هو الأستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه فله أن يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه. وروي أنه سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده؟ فقال: يعظه ما لم يغضب فإن غضب سكت عنه.

السلطان فالأمر فيه أشد من الوالد فليس معه إلا التعريف والنصح) اللطيف، **(فأما الرتبة الثالثة ففيه نظر من حيث أن الهجوم على أخذ الأموال)** المغصوبة **(من خزائنه وردها إلى الملاك وعلى تحليل الخيوط من ثيابه الحرير وكسر الخمور في بيته يكاد يفضي إلى خرق)** حجاب **(هيبته وإسقاط حشمته)** من أعين الرعية **(وذلك محذور ورد النهي عنه)** وفي ذلك قوله ﷺ «من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ بيده فليخل به فإن قبلها قبلها وإلاّ كان أدى الذي عليه والذي له». رواه الحاكم في المستدرك من حديث عياض بن غنم الأشعري، وقال: صحيح الإسناد، وتعقب وقد رواه أيضاً الطبراني في الكبير، ورواه البيهقي عن عياض بن غنم، وهشام بن حكيم معاً، ومن ذلك قوله ﷺ «من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله» رواه الترمذي عن أبي بكرة وحسنه، ورواه الطبراني في الكبير بزيادة «ومن أكرم سلطان الله في الأرض أكرمه الله عز وجل». وعند أحمد والبخاري والروياني والبيهقي «من أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة ومن أهان سلطان الله في الدنيا أهانه الله يوم القيامة». **(كما ورد النهي عن السكوت عن المنكر)** في أخبار تقدم ذكرها، **(فقد تعارض فيه أيضاً محذوران والأمر فيه موكول إلى اجتهاد منشؤه النظر في تفاحش المنكر)** وعدمه، **(ومقدار ما يسقط من حشمته بسبب الهجوم عليه وذلك مما لا يمكن ضبطه)** لاختلافه بحسب المواقع والأحوال والأشخاص والأزمان. **(وأما التلميذ والاستاذ، فالأمر فيما بينهما أخف لأن المحترم هو الاستاذ المفيد للعلم من حيث الدين ولا حرمة لعالم لا يعمل بعلمه، فله أن يعامله بموجب علمه الذي تعلمه منه)** ليكون عاملاً بعلمه. **(وروي أنه سئل الحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(عن الولد كيف يحتسب على والده فقال: يعظه)** بلطف **(ما لم يغضب)** عليه **(فإن غضب سكت عنه)** دفعاً لمحذور المخالفة.

الشرط الخامس: كونه قادراً ولا يخفى أن العاجز ليس عليه حسبة إلا بقلبه إذ كل من أحب الله يكره معاصيه وينكرها. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: جاهدوا الكفار بأيديكم فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا في وجوههم فافعلوا. واعلم أنه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروهاً يناله، فذلك في معنى العجز وكذلك إذا لم يخف مكروهاً، ولكن علم أن إنكاره لا ينفع فليلتفت إلى معنيين، أحدهما عدم إفادة الإنكار امتناعاً، والآخر: خوف مكروه. ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال.

أحدها: أن يجتمع المعنيان بأن يعلم أنه لا ينفع كلامه ويضرب إن تكلم فلا تجب عليه الحسبة بل ربما تحرم في بعض المواضع. نعم يلزمه أن لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج إلا لحاجة مهمة أو واجب، ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة إلا إذا كان يرهق إلى الفساد أو يحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات؛ فتلزمه الهجرة إن قدر عليها فإن الإكراه لا يكون عذراً في حق من يقدر على الهرب من الإكراه.

(**الشرط الخامس: كونه قادراً**) غير عاجز (**ولا يخفى أن العاجز**) عن الاحتساب (**ليس عليه حسبة إلا بقلبه**) وذلك أضعف المراتب، (**إذ كل من أحب الله فيكره معاصيه وينكرها**) على كل حال، (**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**جاهدوا الكفار بأيديكم**) إن استطعتم (**فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا في وجوههم فافعلوا**). والإكفهرار: إظهار صورة الغضب في الوجه. (**واعلم أنه لا يقف سقوط الوجوب على العجز الحسي الذي هو عدم القوّة في الظاهر، بل يلتحق ما يخاف عليه مكروهاً يناله في الحال والمآل، فذلك في معنى العجز**) ولو كان قوياً. (**وكذلك إذا لم يخف مكروهاً**) يناله، (**ولكن علم أن إنكاره لا ينفع فليلتفت إلى معنيين أحدهما عدم إفادة الإنكار امتناعاً والآخر مكروهاً يناله ويحصل من اعتبار المعنيين أربعة أحوال**).

(**أحدها: أن يجتمع المعنيان بأن يعلم أنه لا ينفع كلامه**) ولا يؤثر فيهم (**ويضرب**) في الحال (**إن تكلم فلا تجب عليه الحسبة**) حينئذ، (**بل ربما تحرم في بعض المواضع نعم يلزمه أن لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد**) ذلك المنكر، (**ولا يخرج إلا لحاجة مهمة**) ضرورية: (**أو**) لأداء (**واجب**) كصلاة جمعة، (**ولا تلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة**) منها رأساً. (**إلا إذا كان يرهق إلى الفساد**) في دينه، (**أو يحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة**) حينئذ (**إن قدر عليها فإن الإكراه لا يكون عذراً في حق من يقدر على الهرب من الإكراه**) فإن القادر على الهروب من الالجاء إلى مكروه ساقط لعذر.

الحالة الثانية: أن ينتفي المعنيان جميعاً بأن يعلم أن المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الإنكار وهذه هي القدرة المطلقة.

الحالة الثالثة: أن يعلم أنه لا يفيد إنكاره لكنه لا يخاف مكروهاً فلا تجب عليه الحسبة لعدم فائدتها، ولكن تستحب لإظهار شعائر الإسلام وتذكير الناس بأمر الدين.

الحالة الرابعة: عكس هذه وهو أن يعلم أنه يصاب بمكروه، ولكن يبطل المنكر بفعله كما يقدر على أن يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها، ويريق الخمر أو يضرب العود الذي في يده ضربة مختلفة فيكسره في الحال، ويتعطل عليه هذا المنكر ولكن يعلم أنه يرجع إليه فيضرب رأسه، فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب. ويدل عليه الخبر الذي أوردناه في فضل «كلمة حق عند إمام جائر» ولا شك في أن ذلك مظنة الخوف ويدل عليه أيضاً ما روي عن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه قال: سمعت من بعض الخلفاء كلاماً فأردت أن أنكر عليه وعلمت أني أقتل، ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملأ من الناس فخشيت أن يعتريني التزين للخلق فأقتل من غير إخلاص في الفعل.

(الثانية: أن ينتفي المعنيان بأن يعلم أن المنكر يزول بقوله وفعله ولا يقدر له على مكروه فيجب عليه الإنكار) حينئذ، **(وهذه هي القدرة المطلقة)** عن القيود.

(الثالثة: أن يعلم أنه لا يفيد إنكاره لكنه لا يخاف مكروهاً) يناله، **(فلا تجب الحسبة)** في هذه الحالة **(لعدم فائدتها، ولكن يستحب لإظهار شعار الإسلام وتذكير الناس بأمر الدين)**.

(الرابعة: عكس هذه ،وهو أن يعلم أنه يصاب بمكروه، ولكن يبطل المنكر بفعله كمن يقدر على أن يرمي زجاجة الفاسق بحجر فيكسرها ويريق الخمر أو يضرب العود) للغناء **(الذي في يده ضربة مختطفة فيكسره في الحال ويتعطل عليه هذا المنكر، ولكنه يعلم)** ويتحقق **(أنه يرجع إليه فيضرب رأسه)** أو جسده، **(فهذا ليس بواجب وليس بحرام بل هو مستحب، ويدل عليه الخبر الذي أوردناه)** آنفاً **(في قول كلمة حق عند إمام جائر)** وإنه أفضل الصدقات، **(ولا يشك في أن ذلك مظنة الخوف)** من الإتلاف، **(ويدل عليه ما روي عن أبي سليمان الداراني)** رحمه الله تعالى **(أنه قال: سمعت من بعض الخلفاء)** يعني من بني أمية **(كلاماً)** فيه موضع الإنكار، **(فأردت أن أنكر)** عليه ذلك **(وعلمت أني أقتل)** إن تكلمت، **(ولكن كان في ملأ من الناس فخشيت أن يعتريني التزين للخلق فأقتل من غير إخلاص في الفعل)** نقله صاحب القوت.

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: ﴿ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التَّهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] قلنا: لا خلاف في أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنه يقتل، وهذا ربما يظن أنه مخالف لموجب الآية وليس كذلك، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس التهلكة ذلك، بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى أي من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه. وقال البراء بن عازب: التهلكة هو أن يذنب الذنب ثم يقول لا يتاب عليّ. وقال عبيدة: هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيراً حتى يهلك. وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضاً له ذلك في الحسبة، ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز، فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة. وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه يقاتل إلى أن يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم

(**فإن قيل فما معنى قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التّهلكة﴾**) أي الهلاك وهذا الذي ذكرته إلقاء إلى الهلاك؟ (**قلنا: لا خلاف في أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار يقاتل، وإن علم أنه يقتل وهذا ربما يظن أنه مخالفة لموجب الآية وليس كذلك، فقد قال ابن عباس**) رضي الله عنهما: (**ليس التهلكة ذلك**) وهو أن يرمي المجاهد نفسه في صف الكفار ويقاتل كما تظنون، (**بل**) المراد به (**ترك النفقة في طاعة الله تعالى أي من لم يفعل ذلك فقد أهلك نفسه**) هكذا هو في سائر النسخ وما أراه إلا تصحيفاً، فإن المروي عن ابن عباس قال: ليس التهلكة أن يقاتل الرجل في سبيل الله ولكن ترك النفقة في سبيل الله. هكذا أخرجه الطبراني وابن جرير وابن المنذر من طريق سعيد بن جبير عنه، وروي مثله عن حذيفة بلفظ: ولكن الامساك عن النفقة في سبيل الله أخرجه سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر. وأخرجه البخاري وقال: نزلت في النفقة. وأخرجه لبن جرير عن عكرمة قال: نزلت في النفقات في سبيل الله. فقول المصنف ترك النفقة إما غلط من النساخ أو تصحيف فتأمل.

(**وقال البراء بن عازب**) الأنصاري رضي الله عنهما (**هو أن يذنب**) العبد (**الذنب ثم يقول: لا يتاب عليّ**) أي لا تقبل توبتي أخرجه الفريابي، وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والحاكم وصحح بلفظ: هو الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفر الله لي، وروي مثله عن النعمان بن بشير أخرجه ابن مردويه وابن المنذر والطبراني والواحدي بسند صحيح. (**وقال عبيدة**) بن عمرو السلماني المرادي، أبو عمرو الكوفي تابعي كبير مخضرم فقيه ثبت كان شريح إذا أشكل عليه شيء سأله، مات قبل السبعين وهو بفتح العين المهملة وكسر الموحدة (**هو أن يذنب ثم لا يعمل بعده خيراً حتى يهلك**) أخرجه ابن جرير عنه مرسلاً، (**وإذا جاز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضاً ذلك في الحسبة**) إذ كل منها جهاد، (**ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز، فذلك حرام داخل تحت عموم آية التهلكة**) فإنه ألقى بيده إلى هلاك نفسه، (**وإنما جاز له الإقدام**) على صفهم (**إذا علم أنه يقاتل إلى أن**

جرأته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة في سبيل الله فتنكسر بذلك شوكتهم، فكذلك يجوز للمحتسب بل يستحب له أن يعرض نفسه للضرب والقتل إذا كان لحسبته تأثير في رفع المنكر أو في كسر جاه الفاسق أو في تقوية قلوب أهل الدين، وأما إن رأى فاسقاً متغلباً وعنده سيف وبيده قدح، وعلم أنه لو نكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته فهذا مما لا أرى للحسبة فيه وجهاً وهو عين الهلاك، فإن المطلوب أن يؤثر في الدين أثراً ويفديه بنفسه. فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثر فلا وجه له بل ينبغي أن يكون حراماً. وإنما يستحب له الإنكار إذا قدر على إبطال المنكر أو ظهر لفعله فائدة، وذلك بشرط أن يقتصر المكروه عليه. فإن علم أنه يضرب معه غيره من أصحابه أو أقاربه أو رفقائه فلا تجوز له الحسبة بل تحرم لأنه عجز عن دفع المنكر إلا بأن يفضي ذلك إلى منكر آخر، وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم أنه لو احتسب لبطل ذلك المنكر، ولكن كان ذلك سبباً لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الإنكار على الأظهر، لأن المقصود عدم مناكير الشرع مطلقاً لا من زيد أو عمرو، وذلك بأن يكون مثلاً مع الإنسان شراب حلال ـ نجس بسبب وقوع نجاسة

يقتل أو علم انه يكسر) بهجومه **(قلب الكفار لمشاهدتهم جرأته)** وقوّة قلبه **(واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة)** بهم **(وحبهم للشهادة في سبيل الله)** تعالى، **(فتنكسر به)** شوكتهم فيكون سبباً لفشلهم ورعبهم، **(فكذلك يجوز للمحتسب)** أن يفعل مثله، **(بل يستحب)** له **(أن يعرض نفسه للضرر أو القتل إذا كان لحسبته تأثير في رفع المنكر)** من أصله، **(أو كسر جاه الفاسق أو تقوية قلوب أهل الدين، فأما إن رأى فاسقاً متغلباً وحده وعنده سيف)** أو خنجر أو سكين **(وبيده قدح)** خمر **(وعلم)** منه **(أنه لو أنكر عليه لشرب القدح وضرب رقبته)** بالسيف أو جرحه بالخنجر أو السكين. **(فهذا مما لا أرى للحسبة فيه وجهاً وهو عين الهلاك، فإن المفهوم أن يؤثر في الدين أثراً يفديه بنفسه، فأما تعريض النفس للهلاك من غير أثر)** ظاهر **(فلا وجه له، بل ينبغي أن يكون حراماً، وإنما يستحب إذا قدر على دفع المنكر أو ظهر لفعله فائدة)** تعود على المسلمين، **(وذلك بشرط أن يقتصر المكروه عليه)** أي على نفسه **(فإن علم أنه يضرب معه من أصحابه أو أقاربه أو رفقائه)** ممن ينتمي إليه بالمحبة، **(فلا يجوز له الحسبة، بل تحرم لأنه عجز عن دفع المنكر إلاّ بأن يفضي إلى منكر آخر وليس ذلك من القدرة في شيء بل لو علم أنه لو احتسب لبطل ذلك المنكر، ولكن كان ذلك سبباً لمنكر آخر يتعاطاه غير المحتسب عليه فلا يحل له الإنكار على الأظهر)** من القولين، **(لأن المقصود عدم مناكير الشرع مطلقاً لا من زيد أو عمرو، وذلك بأن يكون مثلاً مع الإنسان شراب حلال نجس بسبب وقوع نجاسة فيه، وعلم**

فيه ـ وعلم أنه لو أراقه لشرب صاحبه الخمر أو شرب أولاده الخمر لإعوازهم الشراب الحلال فلا معنى لإراقة ذلك. ويحتمل أن يقال إنه يريق ذلك فيكون هو مبطلاً لمنكر. وأما شرب الخمر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه من ذلك المنكر، وقد ذهب إلى هذا ذاهبون. وليس ببعيد، فإن هذه مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم إلا بظن، ولا يبعد أن يفرق بين درجات المنكر المغير والمنكر الذي تفضي إليه الحسبة والتغيير، فإنه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها وعلم أنه لو منعه من ذلك لذبح إنساناً وأكله فلا معنى لهذه الحسبة. نعم لو كان منعه عن ذبح إنسان أو قطع طرفه يحمله على أخذ ماله فذلك له وجه. فهذه دقائق واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله ولهذه الدقائق نقول: العامي ينبغي له أن لا يحتسب إلا في الجليات المعلومة كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة، فأما ما يعلم كونه معصية بالإضافة إلى ما يطيف به من الأفعال ويفتقر إلى اجتهاد فالعامي إن خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه، وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالي، إذ ربما ينتدب لها من ليس أهلاً لها لقصور معرفته أو قصور ديانته فيؤدي ذلك إلى وجوه من الخلل وسيأتي كشف الغطاء عن ذلك إن شاء الله.

أنه لو أراقه لشرب صاحبه الخمر أو شرب أولاده الخمر لإعوازهم الشرب الحلال) أي احتياجهم إليه **(فلا معنى لإراقة ذلك، ويحتمل)** في هذه الحالة **(أن يقال انه يريق ذلك فيكون هو مبطلاً لمنكر. وأما شرب الآخر فهو الملوم فيه والمحتسب غير قادر على منعه عن ذلك المنكر، وقد ذهب إلى هذا ذاهبون وليس ببعيد)** عن المدرك **(فإن هذه مسائل فقهية لا يمكن فيها الحكم إلا بظن ولا يبعد أن يفرق بين درجات المنكر المغير والمنكر الذي تفضي إليه الحسبة والتغيير فإنه إذا كان يذبح شاة لغيره ليأكلها)** وفي نسخة: حتى يأكلها، **(وعلم أنه لو منع منها لذبح إنساناً وأكله فلا معنى لهذه الحسبة نعم لو كان منعه عن ذبح إنسان أو قطع طرفه يحمله على أخذ ماله فذلك وجه)** إذ هو اخف مما لو منعه لذبح انساناً أو قطع طرفه. **(فهذه دقائق)** من المسائل **(واقعة في محل الاجتهاد وعلى المحتسب اتباع اجتهاده في ذلك كله. ولهذه الدقائق نقول للعامي: ينبغي أن لا يحتسب إلا في الجليات المعلومة)** أي الواضحة من المناكر، **(كشرب الخمر والزنا وترك الصلاة فأما ما يعلم كونه معصية بالإضافة إلى ما يطيف به من الأفعال ويفتقر فيه إلى اجتهاد، فالعامي: إن خاض فيه كان ما يفسده أكثر مما يصلحه وعن هذا يتأكد ظن من لا يثبت ولاية الحسبة إلا بتعيين الوالي)** لأمور المسلمين، **(إذ ربما ينتدب له من ليس أهلاً له لقصور معرفته)** في العلم **(أو قصور ديانته فيؤدي إلى وجوه)** شتى **(من الخلل، وسيأتي كشف الغطاء عن ذلك)** قريباً.

فإن قيل: وحيث أطلقتم العلم بأن يصيبه مكروه أو أنه لا تفيد حسبته، فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه؟ قلنا: الظن الغالب في هذه الأبواب في معنى العلم وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن، والعلم إذ يرجح العلم اليقيني على الظن ويفرق بين العلم والظن في مواضع أخر، وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعاً أنه لا يفيد، فإن كان غالب ظنه أنه لا يفيد ولكن يحتمل أن يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروهاً فقد اختلفوا في وجوبه، والأظهر وجوبه إذ لا ضرر فيه وجدواه متوقعة، وعموم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقتضي الوجوب بكل حال ونحن إنما نستثني عنه بطريق التخصيص ما إذا علم أنه لا فائدة فيه إما بالإجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الأمر ليس يراد لعينه بل للمأمور، فإذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه، فأما إذا لم يكن يأس فينبغي أن لا يسقط الوجوب.

فإن قيل: فالمكروه الذي تتوقع إصابته إن لم يكن متيقناً ولا معلوماً بغالب الظن، ولكن كان مشكوكاً فيه، أو كان غالب ظنه أنه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل أن يصاب بمكروه، فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب إلا عند اليقين بأنه لا

(**فإن قيل: وحيث أطلقتم العلم**) وفي نسخة القول (**بأن يصيبه مكروه**) من حسبته (**أو أنه لا تفيد حسبته، فلو كان بدل العلم ظن فما حكمه؟ قلنا: الظن الغالب في هذه الأبواب في معنى العلم**) وفي حكمه (**وإنما يظهر الفرق عند تعارض الظن والعلم إذ يرجح العلم اليقيني على الظن**) عند التعارض. (**ويفرق بين العلم والظن في موضع آخر وهو أنه يسقط وجوب الحسبة عنه حيث علم قطعاً أنه لا يفيد فإن كان غالب ظنه أنه لا يفيد، ولكن يحتمل أن يفيد وهو مع ذلك لا يتوقع مكروهاً فقد اختلفوا في وجوبه**) فقيل لا يجب، وقيل: يجب. (**والأظهر**) من القولين (**وجوبه إذ لا ضرر فيه وجدواه متوقع**) أي نفعه لوجود الاحتمال (**وعمومات الأمر بالمعروف**) والنهي عن المنكر في الآيات والأخبار (**تقتضي الوجوب بكل حال، ونحن إنما نستثني عنه بطريق التخصيص. أما إذا علم أنه لا فائدة فيه إما بالاجماع أو بقياس ظاهر وهو أن الأمر**) بالمعروف (**ليس يراد لعينه بل للمأمور، فإذا علم اليأس عنه فلا فائدة فيه، فأما إذا لم يكن يأس فينبغي أن لا يسقط الوجوب**) لاحتمال الجدوى.

(**فإن قيل: فالمكروه الذي تتوقع إصابته إن لم يكن متيقناً معلوماً بغالب الظن، ولكن كان مشكوكاً فيه**) أي في إصابته. (**أو كان غالب ظنه أنه لا يصاب بمكروه ولكن احتمل انه يصاب بمكروه، فهذا الاحتمال هل يسقط الوجوب حتى لا يجب إلا عند اليقين بأنه لا**

يصيبه مكروه أم يجب في كل حال إلا إذا غلب على ظنه أنه يصاب بمكروه؟ قلنا: إن غلب على الظن أنه يصاب لم يجب، وإن غلب أنه لا يصاب وجب، ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب، فإن ذلك ممكن في كل حسبة، وإن شك فيه من غير رجحان فهذا محل النظر، فيحتمل أن يقال الأصل الوجوب بحكم العمومات وإنما يسقط بمكروه، والمكروه هو الذي يظن أو يعلم حتى يكون متوقعاً، وهذا هو الأظهر. ويحتمل أن يقال: انه إنما يجب عليه إذا علم أنه لا ضرر فيه عليه أو ظن أنه لا ضرر عليه، والأوّل أصح نظراً إلى قضية العمومات الموجبة للأمر بالمعروف.

فإن قيل: فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجرأة، فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريباً حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه، والمتهوّر الشجاع يبعد وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن الأمل حتى أنه لا يصدق به إلا بعد وقوعه، فعلى ماذا التعويل؟ قلنا: التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج، فإن الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوّة وتفريط. والتهوّر إفراط في القوّة وخروج عن الاعتدال

يصيبه مكروه أم يجب في كل حال إلا إذا غلب على ظنه أنه يصاب بمكروه) فلا يجب؟ **(قلنا: إن غلب على الظن أنه يصاب)** بمكروه **(لم يجب وإن غلب أنه لا يصاب وجب)** عملاً بغلبة الظن في الموضعين **(ومجرد التجويز لا يسقط الوجوب، فإن ذلك ممكن في كل حسبة وإن شك فيه من غير رجحان، فهذا محل النظر)** للفقيه. **(فيحتمل أن يقال الأصل الوجوب بحكم العمومات)** القرآنية والحديثية، **(وإنما يسقط بمكروه، والمكروه هو الذي يظن أو يعلم حتى يكون متوقعاً، وهذا هو الاظهر. ويحتمل أن يقال إنه إنما يجب عليه إذا علم أنه لا ضرر فيه عليه أو ظن أنه لا ضرر عليه)** في الحال والمآل، **(والأول أصح نظراً إلى قضية العمومات الموجبة للأمر بالمعروف.**

فإن قيل: فالتوقع للمكروه يختلف بالجبن والجـرأة فالجبان الضعيف القلب يرى البعيد قريباً حتى كأنه يشاهده) بعينه حاضراً **(ويرتاع منه)** أي يخاف، **(والمتهوّر الشجاع يبتعد وقوع المكروه بحكم ما جبل عليه من حسن الأمل حتى أنه لا يصدق به إلا بعد وقوعه، فعلى ماذا التعويل)** والاعتماد؟ وهذا الذي ذكره في الشجاع صحيح. وأما الذي يرى البعيد قريباً فقد يكون ذلك عن جبن وخلع وضعف قلب فهو مسلم أيضاً، ولكن قد يصدر ذلك عن كثرة التجارب ومتانة الرأي وصدقه فلا يحكم لصاحبه أنه جبان فليتأمل في ذلك؟ **(قلنا: التعويل على اعتدال الطبع وسلامة العقل والمزاج فإن الجبن مرض وهو ضعف في القلب سببه قصور في القوّة)** الغريزية **(وتفريط)** وفسره الراغب بأنه هيئة حاصلة للقوّة الغضبية بها يحجم عن مباشرة ما ينبغي، **(والتهوّر إفراط في القوّة وخروج عن الاعتدال بالزيادة)** وقال

بالزيادة وكلاهما نقصان، وإنما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة. وكل واحد من الجبن والتهوّر يصدر تارة عن نقصان العقل وتارة عن خلل في المزاج بتفريط أو افراط، فإن من اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجرأة؟ فقد لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جرأته جهله، وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالماً بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه، ولكن يعمل الشر البعيد في تخذيله وتحليل قوّته في الإقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات إلى الطرفين. وعلى الجبان أن يتكلف إزالة الجبن بإزالة علته وعلته جهل أو ضعف، ويزول الجهل بالتجربة، ويزول الضعف بممارسة الفعل المخوف منه تكلفاً حتى يصير معتاداً إذ المبتدىء في المناظرة والوعظ مثلاً قد يجبن عنه طبعه لضعفه، فإذا مارس واعتاد فارقه الضعف، فإن صار ذلك ضرورياً غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن بعض الواجبات، ولذلك قد نقول على رأي: لا يجب ركوب البحر لأجل حجة الإسلام على من يغلب عليه الجبن في ركوب البحر ويجب على من لا

الراغب: هيئة حاصلة للقوّة الغضبية بها يقدم على أمور لا تنبغي وكلاهما نقصان. **(وإنما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة)** وهي هيئة حاصلة للقوّة الغضبية بين التهوّر والجبن بها يقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها، **(وكل واحد من الجبن والتهوّر قد يصدر تارة عن نقصان العقل، وتارة عن خلل في المزاج بتفريط وإفراط، فمن اعتدل مزاجه في صفة الجبن والجرأة فقد لا يتفطن لمدارك الشر فيكون سبب جرأته)** وإقدامه **(جهله، وقد لا يتفطن لمدارك دفع الشر فيكون سبب جبنه جهله وقد يكون عالماً بحكم التجربة والممارسة بمداخل الشر ودوافعه، ولكن يعمل الشر البعيد في تخذيله)** وتضعيفه **(وتحليل قوّته في الإقدام بسبب ضعف قلبه ما يفعله الشر القريب في حق الشجاع المعتدل الطبع فلا التفات إلى الطرفين)** فإنهما تفريط وإفراط، **(وعلى الجبان أن يتكلف إزالة الجبن بإزالة علته وعلته جهل أو ضعف ويزول الجهل بالتجربة ويزول الضعف بممارسته الفعل المخوف منه تكلفاً حتى يصير)** طبعاً **(معتاداً إذ المبتدىء في الوعظ والمناظرة مثلاً قد يجبن عنه طبعه لضعفه، فإذا مارس واعتاد فارقه الضعف)** وهذا مشاهد في سائر الصنائع العملية، **(فإن صار ذلك ضرورياً غير قابل للزوال بحكم استيلاء الضعف على القلب فحكم ذلك الضعيف يتبع حاله فيعذر كما يعذر المريض في التقاعد عن الواجبات، ولذلك قد نقول على رأي: لا يجب ركوب البحر لأجل)** أداء **(حجة الإسلام على من يغلب عليه الجبن في ركوب البحر)** بحيث يغشى عليه وتغلب عليه الصفراء، **(ويجب على من لا يعظم خوفه منه)**

يعظم خوفه منه فكذلك الأمر في وجوب الحسبة.

فإن قيل: المكروه المتوقع ما حده؟ فإن الإنسان قد يكره كلمة وقد يكره ضربة وقد يكره طول لسان المحتسب عليه في حقه بالغيبة، وما من شخص يؤمر بالمعروف إلا ويتوقع منه نوع من الأذى وقد يكون منه أن يسعى به إلى سلطان أو يقدح فيه في مجلس يتضرر بقدحه فيه، فما حدّ المكروه الذي يسقط الوجوب به؟ قلنا: هذا أيضاً فيه نظر غامض وصورته منتشرة ومجاريه كثيرة، ولكنا نجتهد في ضم نشره وحصر أقسامه.

فنقول: المكروه نقيض المطلوب ومطالب الخلق في الدنيا ترجع إلى أربعة أمور: أما في النفس فالعلم، وأما في البدن فالصحة والسلامة، وأما في المال فالثروة، وأما في قلوب الناس فقيام الجاه؟ فإذاً المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه. ومعنى الجاه ملك قلوب الناس، كما أن معنى الثروة ملك الدراهم لأن قلوب الناس وسيلة إلى الأغراض كما أن ملك الدراهم وسيلة إلى بلوغ الأغراض ـ وسيأتي تحقيق معنى الجاه وسبب ميل الطبع

وهذا إذا لم يكن طريقه إلى مكة إلا من البحر وإلا فالبرّ يقدم. (**فكذلك الأمر في وجوب الحسبة**).

(**فإن قيل: فالمكروه المتوقع ما حدَّه؟ فإن الإنسان قد يكره كلمة**) يسمعها، (**وقد يكره ضربة، وقد يكره طول لسان المحتسب في حقه بالتعنيف بالغيبة، وما من شخص يؤمر بالمعروف إلا ويتوقع منه نوع من الأذى وقد** يكـون مـنه **أن يكره السعاية إلى السلطان أو يقدح فيه في مجلس من يتضرر بقدحه، فما حدّ المكروه الذي يسقط الوجوب به؟ قلنا: هذا أيضاً فيه نظر غامض**) أي دقيق (**وصورة منتشرة ومجاريه كثيرة ولكنا نجتهد في ضم نشره وحصر أقسامه، فنقول: المكروه نقيض المطلوب** ومطـالب **الخلق في الدنيا ترجع إلى أربعة أمور: إما في النفس فالعلم**) لأن الإنسان لم يتميز عن البهائم إلا بالعقل ولم يشرف إلا بالعلم، ومن شرف العلم أن كل حياة انفكت منه فهي غير معتد بها بل ليست في حكم الموجودة فإن الحياة الحيوانية لا تحصل ما لم يقارنها الإحساس فيلتذ بما يوافقه ويطلبه ويتألم مما يخالفه فيهرب منه، وذلك أحسن المعارف، وحاجة الإنسان إلى العلم أكثر من حاجته إلى المال لان العلم نافع لا محالة ونفعه دائم في الدنيا والآخرة. (**وأما في البدن فالصحة والسلامة**) من الأمراض الطارئة والأسقام العارضة، (**وأما في المال فالثروة**) أي الكثرة، (**وأما في قلـوب الناس، فقيام الجاه فإذاً المطلوب العلم والصحة والثروة والجاه. ومعنى الجاه ملك قلوب الناس**) وتسخيرها، (**كما أن معنى الثروة ملك الدراهم**) وجعلها في حوزته (**لأن قلوب الناس وسيلة إلى**) بلوغ (**الاغراض كما أن ملك الدراهم وسيلة**) إلى ذلك، (**وسيأتي تحقيق**

إليه في ربع المهلكات ـ وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الإنسان لنفسه ولأقاربه والمختصين به. ويكره في هذه الأربعة أمران، أحدهما: زوال ما هو حاصل موجود، والآخر امتناع ما هو منتظر مفقود، أعني اندفاع ما يتوقع وجوده فلا ضرر إلا في فوات حاصل وزواله أو تعويق منتظر، فإن المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكن حصوله كأنه حاصل وفوات إمكانه كأنه فوات حصوله. فرجع المكروه إلى قسمين:

أحدهما: خوف امتناع المنتظر وهذا لا ينبغي أن يكون مرخصاً في ترك الأمر بالمعروف أصلاً.

معنى الجاه وسبب ميل الطبع إليه في ربع المهلكات) إن شاء الله تعالى، **(وكل واحدة من هذه الأربعة يطلبها الإنسان لنفسه وأقاربه والمختصين به)** وملخص القول فيه أن النعم الموهوبة والمكتسبة مع كثرتها تنحصر في خمسة أنواع.

الأول: السعادة الاخروية وهي أعلاها وأشرفها وهي أربعة أشياء بقاء بلا فناء، وقدرة بلا عجز، وعلم بلا جهل، وغنى بلا فقر. ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا باكتساب الفضائل النفسية واستعمالها، وأصول ذلك أربعة أشياء: العقل وكماله العلم، والعفة وكمالها الورع، والشجاعة وكمالها المجاهدة، والعدالة وكمالها الانصاف، ويكمل ذلك بالفضائل البدنية وهي أربعة أشياء: الصحة والقوّة والجمال وطول العمر، وبالفضائل المطيفة بالانسان وهي أربعة أشياء: المال والأهل والعز وكرم العشيرة، ولا سبيل إلى تحصيل ذلك إلا بتوفيق الله عز وجل، وذلك بأربعة أشياء: هدايته ورشده وتسديده وتأييده، فجميع ذلك خمسة أنواع هي عشرون ضرباً ليس للإنسان مدخل في اكتسابها إلا فيما هو نفسي فقط، واعلم أن كل ما أعان على خير وسعادة فهو خير وسعادة والأشياء التي هي معينة ونافعة في بلوغ السعادة الأخروية متفاوتة الأحوال. فمنها: ما هو نافع في جميع الأحوال وعلى كل وجه، ومنها: ما هو نافع في حال دون حال وعلى وجه دون وجه، وربما يكون ضره أكثر من نفعه، فحق الإنسان أن يعرفها بحقائقها حتى لا يقع الخطأ عليه في اختياره الوضيع على الرفيع وتقديمه الخسيس على النفيس.

(ويكره في هذه الأربعة أمران، أحدهما: زوال ما هو حاصل موجود، والآخر: امتناع ما هو منتظر مفقود أعني اندفاع ما يتوقع وجوده) كما قال الشاعر:

كل يحاول حيلـــة يـــرجـــو بها ... دفـــع المضرة واجتلاب المنفعـــة
والمرء يغلـــط في تصرف حـــالـــه ... فلـربما اختـــار العنـــاء على الدعـــة

(ولا ضرر إلا في فوات حاصل وزواله أو تعويق منتظر، فإن المنتظر عبارة عن الممكن حصوله والممكـن حصوله كأنه حاصل وفوات إمكانه كأنه فوات حصوله، فرجع المكروه إلى قسمين).

(أحدهما: خوف امتناع المنتظر) حصوله، **(وهذا لا ينبغي أن يكون مرخصاً في ترك**

ولنذكر مثاله في المطالب الأربعة، أما العلم فمثاله تركه الحسبة على من يختص باستاذه خوفاً من أن يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه، وأما الصحة فتركه الإنكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلاً وهو لابس حريراً خوفاً من أن يتأخر عنه فتمتنع بسببه صحته المنتظرة. وأما المال: فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع إدراره في المستقبل ويترك مؤاساته. وأما الجاه فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاهاً في المستقبل خيفة من أن لا يحصل له الجاه أو خيفة من أن يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية.

وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة لأن هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضرراً مجاز، وإنما الضرر الحقيقي فوات حاصل ولا يستثنى من هذا شيء إلا ما تدعو إليه الحاجة ويكون في فواته محذور يزيد على محذور السكوت على المنكر، كما إذا كان محتاجاً إلى الطبيب لمرض ناجز والصحة منتظرة من معالجة الطبيب، ويعلم أن في تأخره شدة الضنى به وطول المرض وقد يفضي إلى الموت، وأعني بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء والعدول إلى التيمم، فإذا انتهى إلى هذا الحد لم يبعد أن يرخص

الأمر بالمعروف أصلاً. ولنذكر مثاله في المطالب الأربعة. أما العلم فمثاله تركه الحسبة على من يختص باستاذه) ممن ينتمي إليه تحصيلاً للعلم منه أو خدمة أو محبة **(خوفاً من أن يقبح حاله عنده فيمتنع من تعليمه)** أو خدمته. **(وأما الصحة فتركه الانكار على الطبيب الذي يدخل عليه مثلاً وهو لابس حرير)** أو راكب على مركب فضة أو ذهب **(خوفاً من أن يتأخر عنه فيمتنع بسببه صحته المنتظرة)** بسبب معالجته. **(وأما المال فتركه الحسبة على السلطان وأصحابه وعلى من يواسيه من ماله خيفة من أن يقطع إدراره في المستقبل ويترك مواساته. وأما الجاه: فتركه الحسبة على من يتوقع منه نصرة وجاها)** في قضاء حاجاته **(في المستقبل خيفة من أن لا يحصل له الجاه أو خيفة من أن يقبح حاله عند السلطان الذي يتوقع منه ولاية.**

وهذا كله لا يسقط وجوب الحسبة، فإن هذه زيادات امتنعت وتسمية امتناع حصول الزيادات ضرراً مجاز، وإنما الضرر الحقيقي فوات حاصل) أصلي **(ولا يستثنى عن هذا شيء إلا ما تتحقق إليه الحاجة ويكون في فواتها محذور يزيد على محذور السكوت)** لو سكت **(على المنكر كما إذا كان محتاجاً إلى الطبيب لمرض ناجز)** قد حلّ به الحال، **(والصحة منتظرة من معالجة الطبيب)** إن عالجه، **(ويعلم أن في تأخره شدة الضنى به وطول المرض)** وامتداد زمنه، **(وقد يفضي إلى الموت)** إن ترك المعالجة. **(وأعني بالعلم الظن الذي يجوز بمثله ترك استعمال الماء)** في الوضوء والغسل **(والعدول إلى التيمم)** كما سبقت

في ترك الحسبة ، وأما في العلم فمثل أن يكون جاهلاً بمهات دينه ولم يجد إلاّ معلماً واحداً ولا قدرة له على الرحلة إلى غيره ، وعلم أن المحتسب عليه قادر عن أن يسد عليه طريق الوصول إليه لكون العالم مطيعاً له أو مستمعاً لقوله ، فإذاً الصبر على الجهل بمهات الدين محذور والسكوت على المنكر محذور ، ولا يبعد أن يرجح أحدهما ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة الى العلم لتعلقه بمهات الدين . وأما في المال فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ، ولو احتسب عليه قطع رزقه وافتقر في تحصيله إلى طلب إدرار حرام أو مات جوعاً . فهذا أيضاً إذا اشتد الأمر فيه لم يبعد أن يرخص له في السكوت . وأما الجاه فهو أن يؤذيه شرير ولا يجد سبيلاً إلى دفع شره إلا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص يلبس الحرير أو يشرب الخمر ، ولو احتسب عليه لم يكن واسطة ووسيلة له فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم بسببه أذى الشرير .

فهذه الأمور كلها إذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها ولكن الأمر فيها منوط

الإشارة إليه في كتاب سر الطهارة وفي كتاب آداب السفر . **(فإذا انتهى إلى هذا الحد لم يبعد أن يرخص في ترك الحسبة ، وأما في العلم : فمثل أن يكون جاهلاً بمهات دينه ولم يجد إلا معلماً واحداً)** في البلد الذي هو فيه ، **(ولا قدرة له على الرحلة إلى غيره)** اما العجز حسي أو معنوي ، **(وعلم أن المحتسب عليه قادر على أن يسد عليه طريق الوصول إليه لكون العالم مطيعاً له أو مستمعاً لقوله ، فإذا الصبر على الجهل بمهات الدين محذور ، والسكوت على المنكر محذور ، فلا يبعد أن يرجح أحدهما)** على الآخر **(ويختلف ذلك بتفاحش المنكر وبشدة الحاجة إلى العلم لتعلقه بمهات الدين)** فإن نظر إلى التفاحش رجح جانب الإنكار وإن نظر إلى الجهل بالدين ولا سبيل لإزالته رجح جانبه على الانكار . **(وأما في المال : فكمن يعجز عن الكسب والسؤال وليس هو قوي النفس في التوكل ولا منفق عليه سوى شخص واحد ولو احتسب عليه قطع رزقه)** وإدراره عنه ، **(وافتقر في تحصيله إلى طلب إدرار حرام)** من مواضع الشبهة **(أو مات جوعاً ، فهذا أيضاً إذا اشتد الأمر فيه لم يبعد أن يرخص في السكوت)** عن الحسبة . **(وأما الجاه فهو أن يؤذيه شرير)** الرجل الكثير الشر **(ولا يجد سبيلاً إلى دفع شره)** وأذاه عنه **(إلا بجاه يكتسبه من سلطان ولا يقدر على التوصل إليه إلا بواسطة شخص يلبس الحرير أو يشرب الخمر ، ولو احتسب عليه)** وأنكر فعله **(لم يكن واسطة ووسيلة له)** عند السلطان : **(فيمتنع عليه حصول الجاه ويدوم عليه أذى الشرير)** .

فهذه أمور كلها إذا ظهرت وقويت لم يبعد استثناؤها) عن الضرر الحقيقي ، **(ولكن الأمر**

باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه ويزن أحد المحذورين بالآخر، ويرجح بنظر الدين لا بموجب الهوى والطبع، فإن رجح بموجب الدين سمى سكوته مداراة وإن رجح بموجب الهوى سمى سكوته مداهنة وهذا أمر باطن لا يطلع عليه إلا بنظر دقيق، ولكن الناقد بصير فحق على كل متدين فيه أن يراقب قلبه ويعلم أن الله مطلع على باعثه وصارفه إنه الدين أو الهوى وستجد كل نفس ما عملت من سوء أو خير محضراً عند الله ولو في فلتة خاطر أو لفتة ناظر من غير ظلم وجور فما الله بظلام للعبيد.

وأما القسم الثاني؛ وهو فوات الحاصل: فهو مكروه ومعتبر في جواز السكوت في الأمور الأربعة إلا العلم، فإن فواته غير مخوف إلا بتقصير منه وإلاّ فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره، وإن قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال. وهذا أحد أسباب شرف العلم فإنه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له أبد الآباد. وأما الصحة والسلامة ففواتها بالضرب فكل من علم أنه يضرب ضرباً مؤلماً يتأذى به في

فيها منوط باجتهاد المحتسب حتى يستفتي فيها قلبه) عند الاشتباه، (**ويزن أحد المحذورين بالآخر ويرجح بنظر الدين لا بمجرد الهوى والطبع**) النفسيين، (**فإن رجح بموجب الدين سمي سكوته مداراة**) وهي الملاينة والملاطفة، (**وإن رجح بموجب الهوى سمي سكوته مداهنة**) ولذا كانت المداراة محمودة ومنه قول الشاعر:

كـــان لا يـــدري مـــداراة الورى ومـــداراة الورى أمـــر مهـــم

والمداهنة مذمومة لما فيها من قلة المبالاة بالدين وترجيح لجانب الهوى، (**وهو أمر باطن لا يطلع عليه إلا بنظر دقيق**) وتأمل بتحقيق، (**ولكن الناقد بصير**) مطلع، (**فحق كل متدين فيه أن يراقب قلبه ويعلم أن الله تعالى مطلع على باعثه وصارفه إنه الدين أو الهوى**) أي أيهما، (**وستجد كل نفس ما عملت من سوء أو خير محضراً عند الله ولو في فلتة خاطر أو لفتة ناظر من غير ظلم ولا جور فما الله بظلام للعبيد**) جل جلاله وعم نواله.

(**أما القسم الثاني: وهو فوات الحاصل فهو مكروه ومعتبر في جواز السكوت في الأمور الأربعة**) المذكورة (**إلا العلم، فإن فواته غير مخوف إلا بتقصير منه**) يكون سبباً لفواته وليس ذلك بمحال، (**وإلا فلا يقدر أحد على سلب العلم من غيره، وإن قدر على سلب الصحة والسلامة والثروة والمال**) كذا في النسخ والأولى والجاه بدل قوله والمال. (**وهذا أحد أسباب شرف العلم فإنه يدوم في الدنيا ويدوم ثوابه في الآخرة فلا انقطاع له أبد الآباد**)؟ فإن أشرف المقتنيات ما إذا حصل لم يغب ولم يحتج في فضله إلى حفظة وأعوان فكان نافعاً عاجلاً وآجلاً ومطلقاً وفي كل حال وكل زمان وكل مكان، وذلك هو العلم. وقد تقدمت الإشارة لذلك في شرح حديث كميل بن زياد عن علي في كتاب العلم. (**وأما الصحة والسلامة ففواتها بالضرب،**

الحسبة لم تلزمه الحسبة وإن كان يستحب له ذلك - كما سبق - وإذا فهم هذا في الإيلام بالضرب فهو في الجرح والقطع والقتل أظهر. وأما الثروة فهو بأن يعلم أنه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه، فهذا أيضاً يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب إذ لا بأس بأن لا يفدي دينه بدنياه ولكل واحد من الضرب والنهب حدّ في القلة لا يكترث به كالحبة في المال واللطمة الخفيف ألمها في الضرب وحد في الكثرة يتعين اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد، وعلى المتدين أن يجتهد في ذلك ويرجح جانب الدين ما أمكن. وأما الجاه ففواته بأن يضرب ضرباً غير مؤلم أو يسب على ملأ من الناس أو يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد أو يسوّد وجهه ويطاف به، وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح في الجاه ومؤلم للقلب. وهذا له درجات فالصواب أن يقسم إلى ما يعبر عنه بسقوط المروءة، كالطواف به في البلد حاسراً حافياً فهذا يرخص له في السكوت لأن المروءة مأمور بحفظها في الشرع، وهذا مؤلم للقلب ألماً يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجة.

الثانية: ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة، فإن الخروج في ثياب فاخرة تجمل،

فكل من علم أنه يضرب ضرباً مؤلماً يتأذى به في الحسبة لم تلزمه الحسبة وإن كان يستحب له ذلك كما سبق) قريباً. (**وإذا فهم هذا في الإيلام بالضرب فهو في الجروح وفي القطع والقتل أظهر، وأما الثروة فهو بأن يعلم أنه تنهب داره ويخرب بيته وتسلب ثيابه، فهذا أيضاً يسقط عنه الوجوب ويبقى الاستحباب إذ لا بأس بأن يفدي دينه بدنياه**) وفي بعض النسخ: بأن يقوي دينه بدنياه، (**ولكل واحد من الضرب والنهب حد في القلة لا يكترث به**) أي لا يعتبر (**كالحبة من المال**) إذا أخذت (**واللطمة الخفيف ألمها في الضرب وحد في الكثرة يتيقن اعتباره ووسط يقع في محل الاشتباه والاجتهاد، وعلى المتدين أن يجتهد فيه ويرجح جانب الدين ما أمكن**) له ذلك (**وأما الجاه ففواته بأن يضرب ضرباً غير مؤلم أو يسب على ملأ من الناس**) أي بمحضر منهم (**أو يطرح منديله في رقبته ويدار به في البلد أو يسود وجهه**) بالفحم (**ويطاف به**) أو يركب على جمل ويدار به مع المناداة عليه، (**وكل ذلك من غير ضرب مؤلم للبدن وهو قادح في الجاه ومؤلم للقلب وهذا له درجات فالصواب أن يقسم إلى ما يعبر عنه بسقوط المروءة كالطواف به في البلد حاسراً حافياً**) أي مكشوف الرأس من غير نعل في رجله، (**فهذا يرخص في السكوت**) عن الحسبة (**لأن المروءة مأمور بحفظها في الشرع وهذا مؤلم للقلب ألماً يزيد على ألم ضربات متعددة وعلى فوات دريهمات قليلة فهذه درجة**).

(**الثانية: ما يعبر عنه بالجاه المحض وعلو الرتبة، فإن الخروج في ثياب فاخرة تجمل،**

وكذلك الركوب للخيول. فلو علم أنه لو احتسب لكلف المشي في السوق في ثياب لا يعتاد هو مثلها. أو كلف المشي راجلاً وعادته الركوب. فهذا من جملة المزايا. وليست المواظبة على حفظها محمودة. وحفظ المروءة محمود فلا ينبغي أن يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر. وفي معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان إما في حضرته بالتجهيل والتحميق والنسبة إلى الرياء والبهتان. وأما في غيبته بأنواع الغيبة فهذا لا يسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه التي ليس إليها كبير حاجة، ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتياب فاسق أو شتمه وتعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلاً إذ لا تنفك الحسبة عنه إلا إذا كان المنكر هو الغيبة، وعلم انه لو أنكر لم يسكت عن المغتاب ولكن أضافه إليه وأدخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لأنها سبب زيادة المعصية، وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه الحسبة لأن غيبته أيضاً معصية في حق المغتاب، ولكن يستحب له ذلك ليفدي عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الإيثار، وقد دلت العمومات على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها فلا يقابله إلا ما عظم في الدين خطره، والمال والنفس والمروءة قد ظهر في الشرع خطرها، فأما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل وطلب

وكذا الركوب للخيول، فلو علم أنه لو احتسب كلف المشي في السوق في ثياب) بذلة **(لا يعتاد هو مثلها أو كلف المشي راجلاً وعادته الركوب، فهذا من جملة المزايا)** الزائدة **(وليست المواظبة على حفظها محمودة وحفظ المروءة محمود، فلا ينبغي أن يسقط وجوب الحسبة بمثل هذا القدر، وفي معنى هذا ما لو خاف أن يتعرض له باللسان إما في حضرته بالتجهيل)** والتبليد **(والتحميق)** أي نسبته إلى الجهل والبلادة والحمق **(والنسبة إلى الرياء والنفاق)** وفي نسخة: البهتان **(وأما في غيبته بأنواع الغيبة، فهذا لا يسقط الوجوب إذ ليس فيه إلا زوال فضلات الجاه التي ليس إليها كبير حاجة)** أي احتياج، **(ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتياب فاسق أو شتمه أو تعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلاً إذ لا ينفك الحسبة عنه)** ولا بد من مثن عليك وقادح **(إلا إذا كان المنكر هو الغيبة وعلم أنه لو أنكر لم يسكت عن المغتاب، ولكن أضافه إليه وأدخله معه في الغيبة فتحرم هذه الحسبة لأنها سبب لزيادة المعصية، وإن علم أنه يترك تلك الغيبة ويقتصر على غيبته فلا تجب عليه)** الحسبة، **(لأن غيبته أيضاً معصية في حق المغتاب، ولكن يستحب له ذلك ليفدي عرض المذكور بعرض نفسه على سبيل الإيثار، وقد دلت العمومات)** في الآي والأخبار **(على تأكد وجوب الحسبة وعظم الخطر في السكوت عنها)** وعدم المداهنة فيها، **(فلا يقابله إلا ما عظم في الدين خطره والمال والنفس والمروءة قد**

ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له. وأما امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره في حق أولاده وأقاربه فهو في حقه دونه لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره، ومن وجه الدين هو فوقه لأن له أن يسامح في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره، فإذاً ينبغي أن يمتنع فإنه إن كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب فليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يفضي إلى منكر، وإن كان يفوت لا بطريق المعصية فهو إيذاء للمسلم أيضاً وليس له ذلك إلا برضاهم. فإذا كان يؤدي ذلك إلى أذى قومه فليتركه وذلك كالزاهد الذي له أقارب أغنياء فإنه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان ولكنه يقصد أقاربه انتقاماً منه بواسطتهم، فإذا كان يتعدى الأذى من حسبته إلى أقاربه وجيرانه فليتركها، فإن إيذاء المسلمين محذور، كما أن السكوت على المنكر محذور، نعم إن كان لا ينالهم أذى في مال أو نفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر، ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض.

فإن قيل: فلو قصد الإنسان قطع طرف من نفسه وكان لا يمتنع عنه إلا بقتال ربما

ظهر في الشرع خطرها فأما مزايا الجاه والحشمة ودرجات التجمل) بالثياب والركوب **(وطلب ثناء الخلق فكل ذلك لا خطر له)** في الشرع. **(وأما امتناعه لخوف شيء من هذه المكاره في حق أولاده وأقاربه فهو في حقه دونه لأن تأذيه بأمر نفسه أشد من تأذيه بأمر غيره، ومن وجه الدين هو فوقه لأن له أن يسامح في حقوق نفسه وليس له المسامحة في حق غيره، فإذاً ينبغي أن يمتنع فإنه إن كان ما يفوت من حقوقهم يفوت على طريق المعصية كالضرب والنهب، فليس له هذه الحسبة لأنه دفع منكر يفضي إلى منكر)** آخر. **(وإن كان يفوت لا بطريق المعصية فهو إيذاء لمسلم أيضاً وليس له إلا برضاهم، فإذا كان يؤدي ذلك إلى أذى قومه)** من عشيرته وقبيلته **(فليتركه وذلك كالزاهد)** في الدنيا **(الذي له أقارب أغنياء فإنه لا يخاف على ماله إن احتسب على السلطان، ولكنه يقصد أقاربه انتقاماً منه بواسطتهم، فإن كان يتعدى الأذى من حسبته إلى أقاربه وجيرانه فليتركها، فإن إيذاء المسلمين محذور كما أن السكوت عن المنكر محذور)** والأرجح ترك إيذاء المسلمين. **(نعم إن كان لا ينالهم الأذى في مال ونفس ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب، فهذا فيه نظر)** هل يجوز السكوت أم لا؟ **(ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدحه في العرض)** كما تقدم.

(فإن قيل: فلو قصد الإنسان قطع طرف من) أعضاء **(نفسه وكان لا يمتنع عنه إلا**

يؤدي إلى قتله فهل يقاتله عليه؟ فإن قلتم: يقاتل، فهو محال لأنه إهلاك نفس خوفاً من إهلاك طرف وفي إهلاك النفس إهلاك الطرف أيضاً؟ قلنا: يمنعه عنه ويقاتله إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه، بل الغرض حسم سبيل المنكر والمعصية، وقتله في الحسبة ليس بمعصية وقطع طرف نفسه معصية، وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله فإنه جائز لا على معنى أنَّا نفدي درهماً من مال مسلم بروح مسلم فإن ذلك محال ولكن قصده لأخذ مال المسلمين معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية، وإنما المقصود دفع المعاصي.

فإن قيل: فلو علمنا أنه لو خلا بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي أن نقتله في الحال حسماً لباب المعصية؟ قلنا: ذلك لا يعلم يقيناً ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية، ولكنا إذا رأيناه في حال مباشرة القطع دفعناه، فإن قاتلنا قاتلناه ولم نبال بما يأتي على روحه.

فإذاً المعصية لها ثلاثة أحوال:

احداها: أن تكون متصرمة، فالعقوبة على ما تصرم منها حد أو تعزير وهو إلى الولاة لا إلى الآحاد.

بقتال ربما يؤدي إلى قتله فهل له أن (**يقاتله عليه؟ فإن قلتم: يقاتل، فهو محال لأنه إهلاك نفس خوفاً من إهلاك طرف وفي إهلاك النفس إهلاك الطرف أيضاً؟ قلنا**) في الجواب: (**يمنعه عنه**) أي عن قطع طرف (**ويقاتله**) عليه (**إذ ليس غرضنا حفظ نفسه وطرفه بل الغرض حسم سبيل المنكرات والمعاصي وقتله في الحسبة ليس بمعصية وقطعه طرف نفسه معصية، وذلك كدفع الصائل على مال مسلم بما يأتي على قتله**) ويجر إليه، (**فإنه جائز**) شرعاً (**لا على معنى أنا نفدي درهماً من مال مسلم بروح مسلم فإن ذلك محال ولكن قصده لأخذ مال المسلم معصية وقتله في الدفع عن المعصية ليس بمعصية، وإنما المقصود دفع المعاصي**) فليتفطن لهذا.

(**فإن قيل: فلو علمنا أنه لو خلي بنفسه لقطع طرف نفسه فينبغي أن نقتله في الحال حسماً لباب المعصية**) لئلا يتأتى منه ذلك؟ (**قلنا: ذلك لا يعلم يقيناً ولا يجوز سفك دمه بتوهم معصية ولكنا إذا رأيناه في حال مباشرة القطع دفعناه، فإن قاتلنا**) على الدفع (**قاتلناه ولم نبال بما يأتي على روحه، فإذاً المعصية لها ثلاثة أحوال**).

(**أحدها: أن تكون متصرمة فالعقوبة على ما تصرم منها حد أو تعزير، وهو إلى الولاة**) للأحكام (**لا للآحاد**) من الرعية.

الثانية: أن تكون المعصية راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وإمساكه العود والخمر، فإبطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم تؤد إلى معصية أفحش منها أو مثلها، وذلك يثبت للآحاد والرعية.

الثالثة: أن يكون المنكر متوقعاً كالذي يستعد بكنس المجلس وتزيينه وجمع الرياحين لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر، فهذا مشكوك فيه، إذ ربما يعوق عنه عائق فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب إلا بطريق الوعظ والنصح، فأما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة، وقد أقدم على السبب المؤدي إليها ولم يبق لحصول المعصية إلا ما ليس له فيه إلا الانتظار، وذلك كوقوف الأحداث على أبواب حمامات النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج، فإنهم وإن لم يضيقوا الطريق لسعته فتجوز الحسبة عليهم بإقامتهم من الموضع ومنعهم عن الوقوف بالتعنيف والضرب، وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف في نفسه معصية، وإن كان مقصد العاصي وراءه كما أن الخلوة بالأجنبية في نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية، وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعني بالمظنة ما يتعرض الإنسان به لوقوع المعصية غالباً بحيث لا يقدر على

(**الثانية: أن تكون راهنة وصاحبها مباشر لها كلبسه الحرير وإمساكه العود**) للغناء (**والخمر**) للشرب، (**فإبطال هذه المعصية واجب بكل ما يمكن ما لم تؤد إلى معصية أفحش منها أو مثلها**) في الفحش (**وذلك يثبت للآحاد والرعية**) وفي نسخة من الرعية.

(**الثالثة: أن يكون المنكر متوقعاً**) في المستقبل (**كالذي يستعد لكنس المجلس وتزيينه**) بالفرش وجمع الرياحين (**لشرب الخمر وبعد لم يحضر الخمر، فهذا مشكوك فيه إذ ربما يعوق عنه عائق**) أي يمنع عنه مانع (**فلا يثبت للآحاد سلطنة على العازم على الشرب إلا بطريق الوعظ والنصح**) ولين الكلام، (**فإما بالتعنيف والضرب فلا يجوز للآحاد ولا للسلطان إلا إذا كانت تلك المعصية علمت منه بالعادة المستمرة**) وأنه من شأنه ذلك (**وقد أقدم على السبب الذي يؤدي إليه ولم يبق لحصول المعصية إلا ما ليس له فيه إلا الإنتظار وذلك كوقوف الأحداث**) أي الشباب المغتلمين (**على أبواب حمام النساء للنظر إليهن عند الدخول والخروج فإنهم، وإن لم يضيقوا الطريق**) على المارة (**لسعته فيجوز الحسبة عليهم بإقامتهم من المواضع**) المذكورة (**ومنعهم من الوقوف**) فيها (**بالتعنيف والضرب، وكان تحقيق هذا إذا بحث عنه يرجع إلى أن هذا الوقوف في نفسه معصية، وإن كان مقصد العاصي وراءه كما أن الخلوة**) بالأجنبية (**في نفسها معصية لأنها مظنة وقوع المعصية وتحصيل مظنة المعصية معصية ونعني بالمظنة ما يتعرض الإنسان بها لوقوع المعصية غالباً**

الانكفاف عنها، فإذاً هو على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظرة.

(الركن الثاني: للحسبة ما فيه الحسبة):

وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكراً بغير اجتهاد، فهذه أربعة شروط فلنبحث عنها.

(الأوّل: كونه منكراً)، ونعني به أن يكون محذور الوقوع في الشرع وعدلنا عن لفظ المعصية إلى هذا، لأن المنكر أعم من المعصية، إذ من رأى صبياً أو مجنوناً يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره ويمنعه، وكذا إن رأى مجنوناً يزني بمجنونة أم بهيمة فعليه أن يمنعه منه. وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس بل لو صادف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه، وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون إذ معصية لا عاصي بها محال، فلفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية، وقد أدرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة فلا تختص الحسبة بالكبائر، بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر للنسوة الأجنبيات كل ذلك من الصغائر ويجب النهي عنها وفي

بحيث لا يقدر على الانكفاف عنها) والمعنى أنها من شأنها أن تحمله على المعصية ولو لم تكن المعصية موجودة في الراهنة، وهكذا القياس في كل مفعلة كالمجبنة والمبخلة وأشباهها، **فإذاً هو** على التحقيق حسبة على معصية راهنة لا على معصية منتظره.

الركن الثاني للحسبة ما فيه الحسبة:

(وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكراً بغير اجتهاد فهذه أربعة شروط فلنبحث عنها).

(الأول: كونه منكراً ونعني به أن يكون محذور الوقوع في الشرع) أي أنكره الشرع وحذر من الوقوع فيه **(وعدلنا من لفظ المعصية إلى هذا لأن المنكر أعم من المعصية إذ من رأى صبياً أو مجنوناً يشرب الخمر، فعليه أن يريق خمره ويمنعه)** من الشرب، **(وكذا إن رأى مجنوناً يزني بمجنونة أو بهيمة، فعليه أن يمنعه منه وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس، بل لو صادف هذا المنكر في خلوة وجب المنع منه، وهذا لا يسمى معصية في حق المجنون إذ معصية لا عاصي بها محال، فلفظ المنكر أدل عليه وأعم من لفظ المعصية)** ولذلك اخترناه هنا **(وقد أدرجنا في عموم هذا الصغيرة والكبيرة)** من المعاصي **(فلا تختص الحسبة بالكبيرة)** وفي نسخة بالكبائر **(بل كشف العورة في الحمام والخلوة بالأجنبية واتباع النظر إلى النسوة الأجنبيات كل ذلك)** معدود **(من الصغائر،**

الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سيأتي في كتاب التوبة.

الشرط الثاني: أن يكون موجوداً في الحال، وهو احترازاً أيضاً عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر، فإن ذلك ليس إلى الآحاد وقد انقرض المنكر واحتراز عما سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله أنه عازم على الشرب في ليلته، فلا حسبة عليه إلا بالوعظ، وإن أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه أيضاً فإن فيه إساءة ظن بالمسلم، وربما صدق في قوله. وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق، وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة، وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجري مجراه.

الشرط الثالث: أن يكون المنكر ظاهراً للمحتسب بغير تجسس، فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه، وقد نهى الله تعالى عنه، وقصة عمر وعبد الرحمن بن عوف فيه مشهورة ـ وقد أوردناها في كتاب آداب الصحبة ـ وكذلك ما روي أن عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة فأنكر

ويجب النهي عنها وفي الفرق بين الصغيرة والكبيرة نظر سيأتي) بيانه **(في كتاب التوبة)** إن شاء الله تعالى.

(الشرط الثاني: أن يكون موجوداً في الحال وهو احتراز عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فإن ذلك ليس إلى الآحاد) من الرعية، **(وقد انقرض المنكر)** بل ذلك إلى الولاة كما تقدم **(واحتراز)** أيضاً **(عما سيوجد في ثاني الحال كمن يعلم بقرينة حاله أنه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة عليه إلا بالوعظ)** والنصحة، **(فإن أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه أيضاً فإن فيه إساءة ظن بالمسلم)** وهو لا يجوز، **(وربما صدق في قوله وربما لا يقدم)** على ما عزم عليه **(لعائق)** أي مانع، **(وليتنبه للدقيقة التي ذكرناها)** آنفاً **(وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء)** أو على ممرهن إلى الحمام ذهاباً وإياباً **(وما يجري مجراه)**.

(الشرط الثالث: أن يكون المنكر ظاهراً للمحتسب بغير تجسس) وتفتيش، **(فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابه لا يجوز أن يتجسس عليه، وقد نهى الله تعالى عنه)** بقوله: ﴿ولا تجسسوا﴾ **(وقصة عمر)** بن الخطاب **(وعبد الرحمن بن عوف)** رضي الله عنهما **(فيه مشهورة)** أخرجها عبد الرزاق في المصنف وعبد بن حميد، والخرائطي في مكارم الأخلاق من طريق المسور بن مخرمة، **(وقد أوردناها في كتاب آداب الصحبة)** والمعاشرة، **(وكذلك ما روي أن عمر)** رضي الله عنه **(تسلق دار رجل)** أي تسور الحائط ولم يدخل من الباب، **(فرآه**

عليه، فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فأنت قد عصيته من ثلاثة أوجه. فقال: وما هي؟ فقال قد قال الله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ [الحجرات: ١٢] وقد تجسست. وقال تعالى: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ [البقرة: ١٨٩] وقد تسوّرت من السطح. وقال: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ [النور: ٢٧] وما سلمت. فتركه عمر وشرط عليه التوبة، ولذلك شاور عمر الصحابة رضي الله عنهم وهو على المنبر وسألهم عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكراً فهل له إقامة الحد فيه؟ فأشار علي رضي الله عنه بأن ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد. وقد أوردنا هذه الأخبار في بيان حق المسلم من كتاب آداب الصحبة فلا نعيدها.

فإن قلت: فما حد الظهور والاستتار؟ فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية إلا أن يظهر في الدار ظهوراً يعرفه من

على حالة مكروهة فأنكر) عليه **(فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت أنا قد عصيت الله)** تعالى **(مرة واحدة فقد عصيته من ثلاثة أوجه فقال: وما هي؟ فقال: قد قال الله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ وقد تجسست. وقال)** تعالى: **(﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ وقد تسورت من السطح وقال)** تعالى: **(﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ وما سلمت فتركه عمر)** رضي الله عن **(وشرط عليه التوبة)** أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من طريق ثور الكندي، ولفظه: إن عمر بن الخطاب كان يعس بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتغني فتسور عليه فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال: يا عدوّ الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته؟ فقال: وأنت يا أمير المؤمنين. لا تعجل عليّ أن أكوت عصيت الله واحدة فقد عصيت الله في ثلاثة. قال: ﴿ولا تجسسوا﴾ وقد تجسست. وقال: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ وقد تسورت عليّ ودخلت علي بغير إذن. وقال الله: ﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ قال عمر: فهل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم فعفا عنه وخرج وتركه وقد تقدم في كتاب الصحبة.

(ولذلك شاور) عمر رضي الله عنه **(الصحابة)** وهو **(على المنبر وسألهم عن الإمام إذا شاهد بنفسه منكراً فهل له إقامة الحد)** على مرتكبه؟ **(فأشار علي رضي الله عنه بأن ذلك منوط بعدلين فلا يكفي فيه واحد)** وسكت عمر ورجع إلى قوله: **(وقد أوردنا هذه الأخبار في بيان حق المسلم)** على المسلم **(من كتاب)** آداب **(الصحبة فلا نعيدها)** ثانية.

(فإن قلت: فما حد الظهور والاستتار؟ فاعلم أن من أغلق باب داره وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية) فإنه هو التجسس المنهي عنه. قال مجاهد: لا تجسسوا يعني خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

هو خارج الدار كأصوات المزامير والأوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي وكذا إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعها أهل الشوارع فهذا إظهار موجب للحسبة. فإذاً إنما يدرك مع تخلل الحيطان صوت أو رائحة، فإذا فاحت روائح الخمر فإن احتمل أن يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يجوز قصدها بالإراقة. وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتعاطيهم الشرب فهذا محتمل. والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي فإذا رؤي فاسق وتحت ذيله شيء لم يجز أن يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة. فإن فسقه لا يدل على أن الذي معه خمر. إذ الفاسق محتاج أيضاً إلى الخل وغيره، فلا يجوز أن يستدل بإخفائه وأنه لو كان حلالاً لما أخفاه لأن الأغراض في الإخفاء مما تكثر. وإن كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر. والظاهر أن له الاحتساب لأن هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في أمثال هذه الأمور. وكذلك العود ربما يعرف بشكله إذا كان الثوب الساتر له رقيقاً. فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور بل هو مكشوف، وقد أمرنا بأن نستر ما

(إلا أن يظهر في الدار ظهوراً يعرفه من هو خارج الدار كأصوات المزامير والأوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار، فمن سمع ذلك فله الدخول) في الدار **(وكسرها)** أي المزامير والأوتار، **(وكذلك إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعه أهل الشوارع)** أي الطرق المسلوكة **(فهذا إظهار موجب للحسبة فإذاً إنما يدرك مع تخلل الحيطان صوت أو رائحة فإذا فاحت رائحة الخمر فإن احتمل أن يكون ذلك من الخمور المحترمة فلا يقصد بالاراقة، وإن علم بقرينة الحال أنها فاحت لتعاطيهم الشرب، فهذا محتمل والظاهر جواز الحسبة وقد تستر قارورة الخمر)** وفي بعض النسخ أواني الخمر وظروفه **(في الكم وتحت الذيل وكذلك الملاهي)** أي آلاتها. **(فإذا رؤي فاسق وتحت ذيله شيء فلا يجوز أن يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة)** تدل عليه، **(فإن فسقه لا يدل على أن الذي معه خمر إذ الفاسق محتاج إلى الخل وغيره فلا يجوز أن يستدل بإخفائه وأنه لو كان حلالاً)** وفي نسخة خلا **(لما أخفاه لأن الإغراض في الإخفاء مما تكثر)** وتختلف، **(وإن كانت الرائحة فائحة فهذا محل النظر، والظاهر أن له الاحتساب لأن هذه علامة تفيد الظن والظن كالعلم في أمثال هذه الأمور)** فوجوده كاف، **(وكذلك العود)** المطرب **(ربما يعرف بشكله)** فإنه غريب في الآلات **(إذا كان الثوب الساتر له رقيقاً)** شفافاً **(فدلالة الشكل كدلالة الرائحة والصوت وما ظهرت دلالته فهو غير مستور، بل هو مكشوف. وقد أمرنا بأن نستر ما ستره الله وننكر على من أبدى لنا**

ستر الله وننكر على من أبدى لنا صفحته. والابداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع، وتارة بحاسة الشم، وتارة بحاسة البصر. وتارة بحاسة اللمس، ولا يمكن أن نخصص ذلك بحاسة البصر بل المراد العلم وهذه الحواس أيضاً تفيد العلم فإذاً إنما يجوز أن يكسر ما تحت الثوب إذا علم أنه خمر. وليس له أن يقول: أرني لأعلم ما فيه، فإن هذا تجسس. ومعنى التجسس طلب الإمارات المعرفة فالإمارة المعرفة إن حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فأما طلب الإمارة المعرفة فلا رخصة فيه أصلاً.

الشرط الرابع: أن يكون كونه منكراً معلوماً بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه. فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله الضب والضبع ومتروك التسمية. ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الأرحام وجلوسه في دار أخذها بشفعة الجوار إلى غير ذلك من مجاري الاجتهاد. نعم لو رأى الشافعي شافعياً يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطأ زوجته فهذا في محل النظر، والأظهر أن له الحسبة والإنكار إذ لم يذهب أحد من المحصلين إلى

صفحته) رواه البخاري من قول عمر رضي الله عنه. وأخرج عبد بن حميد وابن أبي شيبة وأبو داود وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن زيد بن وهب قال: أتى ابن مسعود برجل فقيل: هذا فلان تقطر لحيته خمراً. فقال عبد الله: إنا نهينا عن التجسس، ولكن أن يظهر لنا شيء نأخذ به.

(والإبداء له درجات فتارة يبدو لنا بحاسة السمع، وتارة بحاسة البصر، وتارة بحاسة اللمس، ولا يمكن تخصيص ذلك بحاسة البصر، بل المراد العلم وهذه الحواس أيضاً تفيد العلم) إفادة البصر إياه، **(فإذاً إنما يجوز أن يكسر ما تحت الثوب إذا علم أنه خمر وليس له أن يقول: أرني لأعلم ما فيه فإن هذا تجسس)** وهو منهي عنه، **(ومعنى التجسس طلب الإمارات المعرفة)** عنه، **(فالإمارة المعرفة إن حصلت وأورثت المعرفة جاز العمل بمقتضاها فأما طلب الإمارة المعرفة فلا رخصة فيه أصلاً)** إذ هو داخل في معنى التجسس.

(الشرط الرابع: أن يكون كونه منكراً معلوماً) للناس **(بغير اجتهاد ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه، فليس للحنفي)** المذهب **(أن ينكر على الشافعي)** المذهب **(أكله الضب والضبع)** وهما حيوانان معروفان تقدم الكلام عليهما **(و)** كذا أكله **(متروك التسمية)** عمداً **(ولا على الشافعي)** المذهب **(أن ينكر على الحنفي)** المذهب **(شربه النبيذ الذي ليس بمسكر و)** كذا **(تناوله ميراث ذوي الأرحام، و)** كذا **(جلوسه في دار أخذها بشفعة الجوار إلى غير ذلك من مجاري الاجتهاد)** مما هو معلوم من مذهبيهما. **(نعم لو رأى الشافعي شافعياً يشرب النبيذ وينكح بلا ولي ويطأ زوجته، فهذا في محل النظر وإلا ظهر أن**

أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره، ولا أن الذي أدى اجتهاده في التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب أطيبها عنده، بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل، فإذاً مخالفته للمقلد متفق على كونه منكراً بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة إلا أنه يلزم من هذا أمر أغمض منه، وهو انه يجوز للحنفي أن يعترض على الشافعي إذا نكح بغير ولي بأن يقول له: الفعل في نفسه حق ولكن لا في حقك فأنت مبطل بالإقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك إن كانت صواباً عند الله، وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي إذا شاركه في أكل الضب ومتروك التسمية وغيره ويقول له: إما أن تعتقد أن الشافعي أولى بالاتباع ثم تقدم عليه، أو لا تعتقد ذلك فلا تقدم عليه لأنه على خلاف معتقدك. ثم ينجر هذا إلى أمر آخر من المحسوسات وهو أن يجامع الأصم مثلاً امرأة على قصد الزنا وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوّجه أبوه إياها في صغره ولكنه ليس يدري وعجز عن تعريفه ذلك لصممه أو لكونه غير عارف بلغته، فهو في الإقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص ومعاقب عليه في الدار الآخرة. فينبغي أن

له الحسبة والإنكار) عليه في ذلك. **(إذ لم يذهب من المحصلين)** للعلم **(أحد إلى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره)** إلا أن وافق اجتهاده، **(ولا أن الذي أدى اجتهاده الى التقليد إلى شخص رآه أفضل العلماء)** واعتقد فيه ذلك **(أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقد)** ويختار **(من المذاهب أطيبها عنده)** وأوفقها لرأيه، **(بل على كل مقلد)** بكسر اللام **(اتباع مقلده)** بفتح اللام **(في كل تفصيل)** من مسائل مذهبه، **(فإذاً مخالفته)** أي المقلد **(للمقلد في)** مسألة من المسائل **(متفق على كونه منكراً بين المحصلين)** من أهل العلم **(وهو عاص بالمخالفة)** له **(إلا أنه يلزم من هذا أمر)** هو أغمض منه، **(وهو أن يجوز للحنفي أن يعترض على الشافعي إذا)** رآه قد **(نكح بغير ولي بأن يقول له الفعل في نفسه حق، ولكن لا في حقك فأنت مبطل بالإقدام عليه مع اعتقادك أن الصواب مذهب الشافعي ومخالفة ما هو صواب عندك معصية في حقك وإن لم يكن صواباً عند الله)** تعالى، **(وكذلك الشافعي يحتسب على الحنفي إذا شاركه في أكل الضب)** والضبع **(ومتروك التسمية)** عمداً. **(وغيره ويقول له: إما أن تعتقد أن الشافعي أولى بالاتباع ثم تقدم عليه أو)** لا تعتقد ذلك و**(لا تقدم عليه)** لأنه **(على خلاف معتقدك، ثم ينجر هذا إلى أمر آخر في المحسوسات وهو أن يجامع أصم مثلاً)** وهو فاقد حاسة السمع **(امرأة على قصد الزنا، وعلم المحتسب أن هذه امرأته زوّجه إياها أبوه منه في صغره ولكنه ليس يدري، وعجز عن تعريفه ذلك لصممه أو لكونه غير عارف بلغته، فهو في الاقدام مع اعتقاده أنها أجنبية عاص)** لله تعالى ومؤاخذ به **(ومعاقب عليه في الدار الآخرة**

يمنعها عنه مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث أنه حلال في علم الله قريب من حيث أنه حرام عليه بحكم غلطه وجهله، ولا شك في أنه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلاً من مشيئة أو غضب أو غيره وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك، ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن فإذا رآه يجامعها فعليه المنع - أعني باللسان - لأن ذلك زنا إلا أن الزاني غير عالم به والمحتسب عالم بأنها طلقت منه ثلاثاً، وكونهما غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكراً ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون. وقد بينا أنه يمنع منه فإذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وإن لم يكن منكراً عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل، فيلزم من عكس هذا أن يقال: ما ليس بمنكر عند الله وإنما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه، وهذا هو الأظهر والعلم عند الله. فتحصل من هذا أن الحنفي لا يعترض على الشافعي في النكاح بلا ولي وأن الشافعي يعترض على الشافعي فيه لكون المعترض عليه منكراً باتفاق المحتسب والمحتسب عليه. وهذه مسائل فقهية دقيقة والاحتمالات فيها متعارضة، وإنما أفتينا فيها بحسب ما ترجح عندنا في الحال ولسنا نقطع بخطأ ترجيح المخالف فيها أن رأى أنه لا

فينبغي أن يمنعه منه مع أنها زوجته وهو بعيد من حيث أنه حلال في علم الله) تعالى (**قريب من حيث أنه حرام عليه بحكم غلطه وجهله، ولا شك في أنه لو علق طلاق زوجته على صفة في قلب المحتسب مثلاً من مشيئة أو غضب أو غيره، وقد وجدت الصفة في قلبه وعجز عن تعريف الزوجين ذلك، ولكن علم وقوع الطلاق في الباطن**) لوجود الصفة، (**فإذا رآه يجامعها فعليه المنع من ذلك أعني باللسان**) لا باليد، (**لأن ذلك زنا إلا أن الزاني غير عالم به**) لعدم وجود الصفة عنده، (**والمحتسب عالم بأنها طلقت منه ثلاثاً**) أي طلاقاً بائناً (**وكونهما**) أي الزوجين (**غير عاصيين لجهلهما بوجود الصفة لا يخرج الفعل عن كونه منكراً**) في نفسه، (**ولا يتقاعد ذلك عن زنا المجنون**) بامرأة أجنبية. (**وقد بينا أنه يمنع منه، فإذا كان يمنع مما هو منكر عند الله وإن لم يكن منكراً عند الفاعل ولا هو عاص به لعذر الجهل فيلزم من عكس هذا أن يقال ما ليس بمنكر عند الله**) تعالى، (**وإنما هو منكر عند الفاعل لجهله لا يمنع منه وهذا هو الأظهر**) من الأقوال (**والعلم عند الله**)، (**فتحصل من هذا أن الحنفي لا يعترض على الشافعي في النكاح بلا ولي، وإن الشافعي يعترض على الشافعي فيه لكون المعترض عليه منكراً باتفاق المحتسب والمحتسب عليه، وهذه مسائل فقهية دقيقة**) المدرك (**والاحتمالات فيها متعارضة**) وإطلاق القول بالترجيح فيها عسر، (**وإنما أفتينا فيها بحسب ما ترجح عندنا في الحال ولسنا نقطع بخطأ المخالف فيها أن رأى**) واعتقد

يجري الاحتساب إلا في معلوم على القطع. وقد ذهب إليه ذاهبون وقالوا: لا حسبة إلا في مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراماً، ولكن الأشبه عندنا أن الاجتهاد يؤثر في حق المجتهدين، إذ يبعد غاية البعد أن يجتهد في القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده في جهة بالدلالات الظنية ثم يستدبرها ولا يمنع منه لأجل ظن غيره أن الاستدبار هو الصواب. ورأي من يرى أنه يجوز لكل مقلد أن يختار من المذاهب ما أراد غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب إليه أصلاً، فهذا مذهب لا يثبت وإن ثبت فلا يعتد به.

فإن قلت: إذا كان لا يعترض على الحنفي في النكاح بلا ولي لأنه يرى أنه حق، فينبغي أن لا يعترض على المعتزلي في قوله: ان الله لا يرى وقوله: إن الخير من الله والشر ليس من الله؟ وقوله: كلام الله مخلوق؟ ولا على الحشوي في قوله: إن الله تعالى جسم وله صورة وأنه مستقر على العرش، بل لا ينبغي أن يعترض على الفلسفي في قوله: الأجساد لا تبعث وإنما تبعث النفوس، لأن هؤلاء أيضاً أدى اجتهادهم إلى ما قالوه وهم يظنون أن ذلك هو الحق.

(**أنه لا يجري الاحتساب إلا في معلوم على القطع وقد ذهب إليه ذاهبون**) من العلماء (**وقالوا: لا حسبة إلا في مثل الخمر والحرير**) لاتفاقهم على حرمة كل منها (**وما يقطع بكونه حراماً**) ولم يختلف فيه فهذا مذهب جماعة من العلماء، (**ولكن الأشبه عندنا**) معاشر الشافعية (**أن الاجتهاد يؤثر في حق المجتهد إذ يبعد غاية البعد أن يجتهد في القبلة ويعترف بظهور القبلة عنده في جهة**) معلومة معينة (**بالدلالات الظنية، ثم يستدبرها ولا يمنع عنه لأجل ظن غيره أن الاستدبار هو الصواب**)، وأما (**رأي من يرى أنه يجوز لكل مقلد أن يختار من المذاهب ما أراد**) بهوى نفسه، فإنه (**غير معتد به ولعله لا يصح ذهاب ذاهب إليه أصلاً، فهذا مذهب لا يثبت**) عند أهل المعرفة (**وإن ثبت فلا يعتد به**) عند أهل العلم.

(**فإن قلت: إذا كان لا يعترض على الحنفي في النكاح بغير ولي لأنه يرى أنه حق فينبغي أن لا يعترض على المعتزلي في قوله: إن الله لا يرى، وقوله: إن الخير من الله والشر ليس من الله، وقوله: في كلام الله مخلوق**) وغير ذلك من الأقوال التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة، (**وعلى الحشوي في قوله أن الله جسم وله صورة وأنه مستقر على العرش، بل لا ينبغي أن يعترض على الفلسفي في قوله: الأجساد لا تبعث، وإنما تبعث النفوس لأن هؤلاء أيضاً أدى اجتهادهم إلى ما قالوه وهم يظنون أن ذلك هو الحق**) ومن يخالفهم على الباطل واستدلوا على ذلك بآيات وأخبار ما عدا الفلسفي فإنما استدلالهم بالعقل فقط.

فإن قلت: بطلان مذهب هؤلاء ظاهر فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح أيضاً ظاهر، وكما ثبت بظواهر النصوص أن الله تعالى يرى والمعتزلي ينكرها بالتأويل، فكذلك ثبت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفي كمسألة النكاح بلا ولي ومسألة شفعة الجوار ونظائرهما؟ فاعلم أن المسائل تنقسم إلى ما يتصور أن يقال فيه كل مجتهد مصيب. وهي أحكام الأفعال في الحل والحرمة، وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهدين فيه إذ لا يعلم خطأهم قطعاً بل ظناً، وإلى ما لا يتصور أن يكون المصيب فيه إلا واحداً كمسألة الرؤية والقدر وقدم الكلام ونفي الصورة والجسمية والاستقرار عن الله تعالى، فهذا مما يعلم خطأ المخطىء فيه قطعاً ولا يبقى لخطئه الذي هو جهل محض وجه، فإذاً البدع كلها ينبغي أن تحسم أبوابها وتنكر

(فإن قلت: بطلان مذهب هؤلاء ظاهر، فبطلان مذهب من يخالف نص الحديث الصحيح) يشير إلى حديث لا نكاح إلا بولي، وقد تقدم الكلام عليه، وكذا من يخالف نص الآية كقوله: ﴿ولا تأكلوا ما لم يذكر اسم الله عليه﴾ [الأنعام: ١٢١] **(أيضاً ظاهر، وكما ثبت بظواهر النصوص أن الله تعالى يرى. والمعتزلي ينكرها بالتأويل، فكذلك ثبتت بظواهر النصوص مسائل خالف فيها الحنفي، كمسألة النكاح بلا ولي، ومسألة شفعة الجوار ونظائرها فاعلم أن المسائل تنقسم الى ما يتصور أن يقال فيها كل مجتهد مصيب وهي أحكام الأفعال في الحل والحرمة، وذلك هو الذي لا يعترض على المجتهدين فيه إذ لا يعلم خطأهم قطعاً بل ظناً)**. اعلم أنه اختلف العلماء في أن كل مجتهد مصيب أم المصيب واحد، ومعناه أن كل من حكم بحكم واقعة فهل هو حكم بما أمره الله أم لا؟ والخلاف مبني على أن لكل واقعة حكماً متعيناً في نفس الأمر أم لا: بل يتعين باجتهاد المكلف واختياره، فإن كان لم يكن المصيب إلا واحداً وإن لم يكن كلهم مصيباً، وعلى أن لكل حكم دليلاً قطعياً أم ظنيا فإن كان عليه دليل ظني فلا يكون المصيب إلا واحداً، وإن كان قطعياً كان الكل مصيباً لامتناع الخطأ في القطعي. والمختار عند الشافعي أن لكل واقعة حكماً متعيناً في نفسه، وعليه دليل ظني فيلزم أن لا يكون الكل مصيباً بل المصيب واحد، وله أجران أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، والمخطىء له أجر الاجتهاد فقط ولا يكون آثماً بحيث الخطأ فيه، وهذا القول أعني كل مجتهد مصيب منقول عن الأشعري والقاضي وجمهور المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة، ولهم في ذلك تفصيل واختلاف محله كتب الأصول.

(وإلى ما لا يتصور أن يكون المصيب فيه إلا واحداً كمسألة الرؤية والقدر، وقدم الكلام، ونفي الصورة، والجسمية والاستقرار. فهذا مما يعلم خطأ المخطىء فيه قطعاً فلا يبقى لخطئه الذي هو جهل محض عبرة) أشار بهذا القسم إلى ما عرف عندهم أنه ليس كل

على المبتدعين بدعهم وإن اعتقدوا أنها الحق، كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق لأن خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ في مظان الاجتهاد.

فإن قلت: فمهما اعترضت على القدري في قوله الشر ليس من الله، اعترض عليك القدري أيضاً في قولك الشر من الله، وكذلك في قولك: إن الله يرى، وفي سائر المسائل إذ المبتدع محق عند نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع، وكل يدعي أنه محق وينكر كونه مبتدعاً فكيف يتم الاحتساب؟ فاعلم أنا لأجل هذا التعارض نقول: ينظر إلى البلدة التي فيها أظهرت تلك البدعة فإن كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير إذن السلطان، وإن انقسم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل السنَّة وكان في الاعتراض تحريك فتنة بالمقاتلة فليس للآحاد الحسبة في المذاهب إلا بنصب السلطان، فإذا رأى السلطان الرأي الحق ونصره، وأذن لواحد أن يزجر المبتدعة عن إظهار البدعة كان له ذلك وليس لغيره، فإن ما يكون بإذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة

مجتهد في العقليات مصيباً بل الحق فيها واحد، فمن أصابه أصاب ومن فقده أخطأ وقال العنبري والجاحظ: كل مجتهد فيها مصيب أي لا إثم عليه، وهما محجوجان بالإجماع كما نقله الآمدي.

(**فإذاً البدع كلها ينبغي أن تحسم أبوابها وتنكر على المبتدعين بدعهم، وإن اعتقدوا أنها الحق**) عندهم (**كما يرد على اليهود والنصارى كفرهم، وإن كانوا يعتقدون أن ذلك حق**) عندهم (**لأن خطأهم معلوم على القطع بخلاف الخطأ في مظان الاجتهاد**) فإنما يعلم ظنا.

(**فإن قلت: فها اعترضت على القدري في قوله: الشر ليس من الله اعترض عليك القدري أيضاً في قولك الشر من الله، وكذلك في قولك: إن الله يرى، وفي سائر المسائل**) المختلف فيها. (**إذ المبتدع محق في نفسه والمحق مبتدع عند المبتدع وكل يدعي أنه محق وينكر كونه مبتدعاً، فكيف يتم الاحتساب؟ فاعلم أننا لأجل هذا التعارض نقول ننظر إلى البلاد التي فيها أظهرت تلك البدعة فإن كانت البدعة غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه بغير إذن السلطان**) لقيام شوكة السنة، (**وإن انقسم أهل البلد إلى أهل البدعة وأهل السنة**) كما هو في غالب بلدان العجم (**وكان في الاعتراض تحريك فتنة**) وإثارة شر (**بالمقابلة فليس للآحاد الحسبة في المذاهب إلا بنصب من السلطان، فإذا رأى السلطان الرأي الحق ونصره وأذن لواحد أن يزجر المبتدعة**) عن إظهار البدعة (**كان له ذلك وليس لغيره**) من الآحاد من غير إذن، (**فإن ما يكون بإذن السلطان لا يتقابل وما يكون من جهة**

الآحاد فيتقابل الأمر فيه. وعلى الجملة فالحسبة في البدعة أهم من الحسبة في كل المنكرات، ولكن ينبغي أن يراعى فيها هذا التفصيل الذي ذكرناه كيلا يتقابل الأمر فيها ولا ينجر إلى تحريك الفتنة، بل لو أذن السلطان مطلقاً في منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق أو أن الله لا يرى أو أنه مستقر على العرش مماس له أو غير ذلك من البدع لتسلط الآحاد على المنع منه ولم يتقابل الأمر فيه، وإنما يتقابل عند عدم إذن السلطان فقط.

(الركن الثالث: المحتسب عليه): وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكراً، وأقل ما يكفي في ذلك أن يكون إنساناً، ولا يشترط كونه مكلفاً إذ بينا أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه، وإن كان قبل البلوغ لا يشترط كونه مميزاً إذ بينا أن المجنون لو كان يزني بمجنونة أو يأتي بهيمة لوجب منعه منه. نعم من الأفعال ما لا يكون منكراً في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره. ولكنا لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل فإن ذلك أيضاً مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح وغرضنا لإشارة إلى الصفة التي بها يتهيأ توجه أصل الإنكار عليه لا ما بها يتهيأ للتفاصيل.

الآحاد فيتقابل الأمر فيه. وعلى الجملة فالحسبة في البدع أهم من الحسبة في كل المنكرات) سواها، **(ولكن ينبغي أن يراعى فيها هذا التفصيل الذي ذكرناه كيلا يتقابل الأمر فيه ولا ينجر إلى تحريك الفتنة)** وإثارة الفساد، **(بل لو أذن السلطان مطلقاً في منع كل من يصرح بأن القرآن مخلوق، أو أن الله لا يرى أو أنه مستقر على العرش مماس له أو غير ذلك من البدع تسلط الآحاد على المنع منه)** من عند أنفسهم **(ولم يتقابل الأمر فيه، وإنما يتقابل عند عدم إذن السلطان فقط).**

الركن الثالث المحتسب عليه:

(وشرطه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكراً، وأقل ما يكفي في ذلك أن يكون إنساناً. ولا يشترط كونه مكلفاً إذ بينا آنفاً أن الصبي إذا شرب الخمر منع منه واحتسب عليه، وإن كان قبل البلوغ. ولا يشترط كونه مميزاً إذ بينا كذلك، أن المجنون لو كان يزني بمجنونة أو يأتي بهيمة لوجب منعه من ذلك) لأنه في الجملة منكر في حق كل من الصبي والمجنون ولو لم يميز ولم يعقل، **(نعم من الأفعال ما لا يكون منكراً في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره، ولكن لسنا نلتفت إلى اختلاف التفاصيل، فإن ذلك أيضاً مما يختلف فيه المقيم والمسافر والمريض والصحيح، وغرضنا الإشارة إلى الصفة التي بها توجه أصل الإنكار عليه لا ما بها يتهيأ للتفاصيل.**

فإن قلت: فاكتف بكونه حيواناً ولا تشترط كونه إنساناً، فإن البهيمة لو كانت تفسد زرعاً لإنسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة؟ فاعلم أن تسمية ذلك حسبة لا وجه لها إذ الحسبة عبارة عن المنع عن منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر ومنع المجنون عن الزنا وإتيان البهيمة لحق الله وكذا منع الصبي عن شرب الخمر. والإنسان إذا أتلف زرع غيره منع منه لحقين، أحدهما حق الله تعالى فإن فعله معصية. والثاني: حق المتلف عليه فهما علتان تنفصل إحداهما عن الأخرى، فلو قطع طرف غيره بإذنه فقد وجدت المعصية وسقط حق المجني عليه بإذنه فتثبت الحسبة والمنع بإحدى العلتين. والبهيمة إذا أتلفت فقد عدمت المعصية ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين، ولكن فيه دقيقة وهو أنا لسنا نقصد بإخراج البهيمة منع البهيمة، بل حفظ مال المسلم، إذ البهيمة لو أكلت ميتة أو شربت من إناء فيه خمر أو ماء مشوب بخمر لم نمنعها منه بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والميتات، ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه بغير تعب وجب ذلك علينا حفظاً للمال بل لو وقعت جرة لإنسان من علو وتحتها قارورة لغيره فتدفع الجرة لحفظ القارورة لا لمنع الجرة من السقوط، فإنا لا

فإن قلت: فاكتف بكونه حيواناً ولا تشترط كونه إنساناً فإن البهيمة لو كانت تفسد زرعاً لإنسان لكنا نمنعها منه كما نمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة) فيعد ذلك أيضاً من المحتسب عليه؟ **(فاعلم أن تسمية ذلك حسبة لا وجه له إذ الحسبة عبارة عن المنع من منكر لحق الله صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر)** وملابسته **(ومنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة لحق الله، وكذا منع الصبي عن شرب الخمر)** إنما هو رعاية لحق الله، **(والإنسان إذا أتلف زرع غيره منع منه لحقين: أحدهما لحق الله تعالى فإن فعله معصية)** إذ قد نهي عن إتلاف مال الغير، **(والثاني: حق المتلف عليه فهما علتان)** مستقلتان **(تنفصل إحداهما عن الاخرى)** أي قد توجد إحداهما ولا توجد الأخرى، **(فلو قطع طرف غيره بإذنه فقد وجدت المعصية)** وهي مخالفة أمر الله تعالى **(وسقط حق المجني عليه بإذنه)** أي بسبب إذنه **(فيثبت الحسبة والمنع بإحدى العلتين والبهيمة إذا أتلفت)** زرع الغير **(فقد عدمت المعصية، ولكن يثبت المنع بإحدى العلتين)** وهو إتلاف مال الغير **(ولكن فيه دقيقة وهو إنا لسنا نقصد بإخراج البهيمة منع البهيمة، بل)** نقصد **(حفظ مال المسلم)** وهو أكيد **(إذ البهيمة لو أكلت منه أو شربت من إناء فيه خمر أو ماء مشوب بخمر لم نمنعها منه بل يجوز إطعام كلاب الصيد الجيف والميتات)** ولا محذور فيه، **(ولكن مال المسلم إذا تعرض للضياع وقدرنا على حفظه من غير تعب)** ولا مشقة ظاهرة **(وجب ذلك علينا حفظاً للمال، بل لو وقعت جرة لإنسان من علو وتحته)** أي العلو **(قارورة)** زجاج **(لغيره فندفع الجرة لحفظ القارورة)** لانه مال

نقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة، ونمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة وشرب الخمر، وكذا الصبي لا صيانة للبهيمة المأتية أو الخمر المشروب، بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيهاً له من حيث أنه إنسان محترم، فهذه لطائف دقيقة لا يتفطن لها إلا المحققون، فلا ينبغي أن يغفل عنها ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر، إذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير وغير ذلك. وسنتعرض لما نشير إليه في الباب الثالث.

فإن قلت: فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان، فهل يجب عليه إخراجها؟ وكل من رأى مالاً لمسلم أشرف على الضياع هل يجب عليه حفظه؟ فإن قلتم: إن ذلك واجب فهذا تكليف شطط يؤدي إلى أن يصير الإنسان مسخراً لغيره طول عمره. وإن قلتم: لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير؟ فنقول: هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز فيه أن نقول مهما قدر على حفظه من الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقصان في جاهه وجب عليه ذلك، فذلك القدر واجب في حقوق المسلم، بل هو أقل درجات

مسلم (**لا لمنع الجرة من السقوط لأنا لا نقصد منع الجرة وحراستها من أن تصير كاسرة للقارورة ونمنع المجنون من الزنا وإتيان البهيمة وشرب الخمر، وكذا الصبي لا صيانة للبهيمة المأتية**) أي التي فعل بها (**أو الخمر المشروب، بل صيانة للمجنون عن شرب الخمر وتنزيهاً له من حيث هو إنسان محترم، فهذه لطائف دقيقة**) المدرك (**لا يتفطن لها إلا المحققون، فلا ينبغي أن يغفل عنها**) فإنها من المهمات، (**ثم فيما يجب تنزيه الصبي والمجنون عنه نظر إذ قد يتردد في منعهما من لبس الحرير، وفي غير ذلك وسنتعرض لما نشير إليه في الباب الثالث**) قريباً إن شاء الله تعالى.

(**فإن قلت: فكل من رأى بهائم قد استرسلت في زرع إنسان**) فرعته، (**فهل يجب عليه إخراجها**) من ذلك الزرع؟ (**وكل من رأى مالاً لمسلم أشرف على الضياع**) والتلف (**هل يجب عليه حفظه**) أم لا؟ (**فإن قلتم: إن ذلك واجب، فهذا تكليف شطط**) وجور (**يؤدي إلى أن يصير الإنسان مسخراً لغيره**) أي مذللاً (**طول عمره، وإن قلتم: لا يجب فلم يجب الاحتساب على من يغصب مال غيره وليس له سبب سوى مراعاة مال الغير**) وحفظه؟ (**فنقول**) في الجواب: (**هذا بحث دقيق غامض والقول الوجيز**) أي المختصر (**فيه أن نقول: مهما قدر**) الإنسان (**على حفظه عن الضياع من غير أن يناله تعب في بدنه أو خسران في ماله أو نقص في جاهه**) بسبب كلام الناس فيه (**وجبت عليه ذلك، فذلك القدر واجب في حقوق**

الحقوق والأدلة الموجبة لحقوق المسلمين كثيرة، وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالإيجاب من رد السلام، فإن الأذى في هذا أكثر من الأذى في ترك رد السلام، بل لا خلاف في أن مال الإنسان إذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق إليه وجب عليه ذلك وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر على الدافع فيه، فأما إن كان عليه تعب أو ضرر في مال أو جاه لم يلزمه ذلك لأن حقه مرعي في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه أن يفدي غيره بنفسه. نعم الإيثار مستحب وتجشم المصاعب لأجل المسلمين قربة، فأما إيجابها فلا. فإذاً إن كان يتعب بإخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه السعي في ذلك ولكن إذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع من نومه أو بإعلامه يلزمه ذلك، فإهمال تعريفه وتنبيهه كإهماله تعريف القاضي بالشهادة، وذلك لا رخصة فيه ولا يمكن أن يراعى فيه الأقل والأكثر حتى يقال: إن كان لا يضيع من منفعته في مدة اشتغاله بإخراج البهائم إلا قدر درهم مثلاً وصاحب الزرع يفوته مال كثير فيترجح جانبه لأن الدرهم الذي له هو يستحق حفظه

المسلم) وفي نسخة في حقوق المسلمين بعضهم على بعض، **(بل هو أقل درجات الحقوق والأدلة الموجبة لحقوق المسلم)** على المسلم **(كثيرة، وهذا أقل درجاتها وهو أولى بالإيجاب من رد السلام لأن الأذى في هذا أكثر من الأذى في ترك رد السلام)** إذ تترتب عليه فائدة تفضي إلى أخيه المسلم، **(بل لا خلاف في أن مال الإنسان إذا كان يضيع بظلم ظالم)** بأن غصبه أو أنكره، **(وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق إليه وجب عليه ذلك)** أي أداء الشهادة، **(وعصى بكتمان الشهادة ففي معنى ترك الشهادة ترك كل دفع)** عن مال أخيه بحيث **(لا ضرر على الدافع فيه)** ولا تعب، **(فأما إن كان عليه تعب وضرر في مال أو جاه لم يكن يلزمه ذلك لأن حقه مرعى في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه أن يفدي غيره بنفسه. نعم الإيثار مستحب)** أثنى الله عليه في كتابه **(وتجشم المصاعب)** أي تحمل المشقات **(لأجل المسلمين قربة)** إلى الله تعالى، **(فاما إيجابها فلا فإذاً إن كان يتعب بإخراج البهائم عن الزرع لم يلزمه)** السعي في ذلك إذ لم يكلف الله نفساً إلا وسعها. **(ولكن إذا كان لا يتعب بتنبيه صاحب الزرع)** من نومه **(وهو نائم)** أو بإعلامه وهو غافل **(يلزمه ذلك، فإهمال تعريفه بالتنبيه)** أو الإعلام **(كإهماله تعريف القاضي بالشهادة وذلك لا رخصة فيه)** بل يأثم تاركها. **(ولا يمكن أن يرعى فيه الأقل والأكثر حتى يقال إن كان لا يضيع من منفعته في مدة اشتغاله بإخراج البهائم)** من الزرع **(إلا قدر درهم مثلاً، وصاحب الزرع يفوته مال كثير)** إن أبقيت تلك البهائم، **(فيرجح جانبه لأن الدرهم الذي هو له هو يستحق حفظه كما يستحق صاحب الألف حفظ الألف، فلا سبيل للمصير إلى ذلك، فأما**

كما يستحق صاحب الألف حفظ الألف، ولا سبيل للمصير إلى ذلك، فأما إذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب أو قتل عبد مملوك للغير، فهذا يجب المنع منه، وإن كان فيه تعب ما، لأن المقصود حق الشرع والغرض دفع المعصية، وعلى الإنسان أن يتعب نفسه في دفع المعاصي كما عليه أن يتعب نفسه في ترك المعاصي. والمعاصي كلها في تركها تعب وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس وهي غاية التعب. ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل فيه كما ذكرنا من درجات المحذورات التي يخالفها المحتسب.

وقد اختلف الفقهاء في مسألتين: تقربان من غرضنا، إحداهما: أن الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة؟ والملتقط مانع من الضياع وساع في الحفظ؟ والحق فيه عندنا أن يفصل ويقال: إن كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها، أو تترك كما لو كان في مسجد أو رباط يتعين من يدخله وكلهم أمناء فلا يلزمه الالتقاط، وإن كانت في مضيعة، نظر. فإن كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت

إذا كان فوات المال بطريق هو معصية كالغصب أو قتل عبد مملوك للغير، فهذا يجب المنع وإن كان فيه تعب ما) أي نوع تعب، (**لأن المقصود)** الذي يتعب لحصوله (**حق الشرع والغرض دفع المعصية وعلى الإنسان أن يتعب نفسه في ترك المعاصي)** مهما استطاع (**كما عليه أن يتعب نفسه في ترك المعاصي والمعاصي كلها)** من حيث هي هي (**في تركها تعب)** ومشقة ومخالفة الهوى والنفس، (**وإنما الطاعة كلها ترجع إلى مخالفة النفس)** وهي الأصل الأصيل (**وهي غاية التعب)** لأنه في مخالفته إياها كالمجاهد للعدو (**ثم لا يلزمه احتمال كل ضرر بل التفصيل كما ذكرناه من درجات المحذورات التي يخالفها المحتسب.**

وقد اختلف الفقهاء في مسألتين تقربان من غرضنا. إحداهما: أن الالتقاط هل هو واجب واللقطة ضائعة) وهي كرطبة اسم الذي يجده ملقى فيأخذه؟ قال الأزهري: وهذا قول جميع أهل اللغة وحذاق النحويين. وقال الليث: هي بالسكون ولم أسمعه لغيره، واقتصر ابن فارس والفارابي على فتح القاف ومنهم من يعد السكون من لحن العوام، (**والملتقط مانع)** لها (**من الضياع)** والتلف (**وساع في الحفظ)** لها على صاحبها (**والحق فيه عندنا أن يفصل ويقال: إن كانت اللقطة في موضع لو تركها فيه لم تضع بل يلتقطها من يعرفها أو تترك كما لو كان في مسجد أو رباط)** للصوفية (**يتعين من يدخله وكلهم أمناء فلا يلزمه الالتقاط، وإن كان مضيعة)** مفعلة وهي المفازة المنقطعة. وقال ابن جني: هو الموضع الذي يضيع فيه الإنسان. قال الشاعر:

وهو مقيم بدار مضيعة ... شعاره في أموره الكسل

ومنه يقال: ضاع يضيع ضياعاً إذا هلك، وفيه لغة أخرى وهي مضيعة على وزن معيشة.

بهيمة وتحتاج إلى علف واصطبل فلا يلزمه ذلك، لأنه إنما يجب الالتقاط لحق المالك. وحقه بسبب كونه إنساناً محترماً، والملتقط أيضاً إنسان وله حق في أن لا يتعب لأجل غيره كما لا يتعب غيره لأجله. فإن كانت ذهباً أو ثوباً أو شيئاً لا ضرر عليه فيه إلا مجرد تعب التعريف، فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين. فقائل يقول: التعريف والقيام بشرطه فيه تعب فلا سبيل إلى إلزامه ذلك إلا أن يتبرع فيلتزم طلباً للثواب. وقائل يقول: إن هذا القدر من التعب مستصغر بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين، فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فإنه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى إلا أن يتبرع به، فإذا كان مجلس القاضي في جواره لزمه الحضور وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعباً في غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة، وإن كان في الطرف الآخر من البلد وأحوج إلى الحضور في الهاجرة وشدة الحر، فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر، فإن الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا

(نظر، فإن كان عليه تعب في حفظها كما لو كانت بهيمة وتحتاج إلى علف واصطبل) وحبال تربط بها، **(فلا يلزمه ذلك لأنه إنما يجب الالتقاط لحق المالك وحقه بسبب كونه إنساناً محترماً، والملتقط أيضاً إنسان وله حق في أن لا يتعب لأجل غيره كما لا يتعب غيره لأجله، وإن كان)** الملتقط **(ذهباً)** في كيس أو في طرف منديل **(أو ثوباً)** مرمياً **(أو شيئاً لا ضرر عليه فيه إلا مجرد تعب التعريف)** سنة، **(فهذا ينبغي أن يكون في محل الوجهين فقائل يقول: التعريف والقيامة بشرطه)** على ما هو مذكور في محله **(سنة تعب، فلا سبيل إلى الزامه ذلك إلا أن يتبرع)** من عند نفسه، **(فيلتزم طالباً للثواب وقائل يقول: إن هذا القدر من التعب مستصغر)** أي قليل **(بالإضافة إلى مراعاة حقوق المسلمين)** فإنها مؤكدة **(فينزل هذا منزلة تعب الشاهد في حضور مجلس الحكم فإنه لا يلزمه السفر إلى بلدة أخرى)** لأجل أداء الشهادة لما فيه من المشقة **(إلا أن يتبرع بذلك)** وفي نسخة إلا أن تبرع به، **(وإذا كان مجلس القاضي في جداره)** أو قريباً منه **(لزمه، وكان التعب بهذه الخطوات لا يعد تعباً في غرض إقامة الشهادة وأداء الأمانة وإن كان في الطرف الآخر من البلد)** وكان البلد متسعاً **(وأحوج إليه في الهاجرة)** أي وسط النهار **(وعند شدة الحر)** بدون الهاجرة وذلك في البلاد التي يشتد فيها الحر كالحجاز واليمن والحبشة. **(فهذا قد يقع في محل الاجتهاد والنظر)** فإن كان في البلاد الباردة وطلب منه المشي إلى آخر البلد يلزمه لعدم التعب، وإن أحوج إليه في وقت نزول الثلج والبرد الكثير أو المطر الكثير، أو كان الطريق فيها وحل كثير لم يلزمه وينظر مع ذلك إن كان الشاهد راكباً على دابة ولم يحصل له التعب يلزمه، **(فإذاً الضرر الذي ينال الساعي في حفظ حق الغير له طرف في القلة لا يشك في أنه لا يبالي به، وطرف في**

يشك في أنه لا يبالي به، وطرف في الكثرة لا يشك في أنه لا يلزم احتماله، ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون أبداً في محل الشبهة والنظر، وهي من الشبهات المزمنة التي ليس في مقدور البشر إزالتها، إذ لا علة تفرق بين أجزائها المتقاربة، ولكن المتقي ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه، فهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل.

(الركن الرابع: نفس الاحتساب):

وله درجات وآداب: أما الدرجات، فأوّلها التعرف، ثم التعريف، ثم النهي، ثم الوعظ والنصح، ثم السب والتعنيف، ثم التغيير باليد، ثم التهديد بالضرب، ثم إيقاع الضرب. وتحقيقه، ثم شهر السلاح ثم الاستظهار فيه بالأعوان وجمع الجنود.

(أما الدرجة الأولى): وهي التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه وهو التجسس الذي ذكرناه، لا ينبغي أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر، ولا أن يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار، ولا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجري في داره. نعم لو أخبره

الكثرة لا يشك في أن لا يلزم احتماله، ووسط يتجاذبه الطرفان ويكون أبداً في محل الشبهة والنظر وهي من الشبهات المزمنة) وهي التي دام اشتباهها زماناً طويلاً يقال: مرض مزمن وهو الدائم الملازم الذي أعيت عنه الأطباء **(التي ليس في مقدور البشر إزالتها إذ لا علة تفرق بين أجزائها المتقاربة، ولكن المتقي ينظر فيها لنفسه ويدع ما يريبه)** أي يوقعه في الريبة **(إلى ما لا يريبه)** عملاً بقوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». **(فهذا نهاية الكشف عن هذا الأصل)** ولم يذكر المصنف المسألة الثانية التي تقرب من الغرض.

الركن الرابع: نفس الاحتساب:

(وله درجات وآداب أما الدرجات فأولها التعرف، ثم التعريف، ثم النهي، ثم الوعظ والنصح، ثم السب والتعنيف، ثم التغيير باليد، ثم التهديد بالضرب، ثم إيقاع الضرب وتحقيقه، ثم شهر السلاح) أي إبرازه من بيته **(ثم الاستظهار)** أي طلب التقوية **(فيه بالأعوان وجمع الجنود)**.

(أما الدرجة الأولى: وهو التعرف ونعني به طلب المعرفة بجريان المنكر وذلك منهي عنه، وهو) بعينه **(التجسس الذي ذكرناه فلا ينبغي أن يسترق السمع على دار غيره ليسمع صوت الأوتار)** والمزامير والجلاجل، **(ولا أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر، ولا أن يمس ما في ثوبه ليعرف شكل المزمار، ولا أن يستخبر من جيرانه)** اللاصقين لداره **(ليخبروه بما يجري في داره)** فكل ذلك تتبع للعورات، **(وقد ورد فيه وعيد شديد كما تقدم في آداب**

عدلان ابتداء من غير استخبار بأن فلاناً يشرب الخمر في داره أو بأن في داره خمراً أعده للشرب فله إذ ذاك أن يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان، ويكون تخطى ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع المنكر ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه، وإن أخبره عدلان أو عدل واحد. وبالجملة كل من تقبل روايته لا شهادتـه، ففي جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال. والأولى أن يمتنع لأن له حقاً في أن لا يتخطى داره بغير إذنه ولا يسقط حق المسلم عما ثبت عليه إلا بشاهدين، فهذا أولى ما يجعل مرداً فيه. وقد قيل أنه كان نقش خاتم لقمان: الستر لما عاينت أحسن من إذاعة ما ظننت.

(الدرجة الثانية) : التعريف فإن المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله، وإذا عرف أنه منكر تركه كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود، فيعلم أن ذلك لجهله بأن هذه ليست بصلاة ولو رضي بأن لا يكون مصلياً لترك أصل الصلاة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف، وذلك لأن في ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحمق والتجهيل إيذاء،

الصحبة). نعم لو أخبره عدلان ابتداء من غير استخبار **(بأن فلان يشرب الخمر أو في داره خمر أعده للشرب، فله إذ ذاك أن يدخل داره ولا يلزمه الاستئذان)** ففيه شروط. الاول: أن يكون ذلك من غير استخبار، والثاني: أن يكون المخبر عدلين لا عدلاً واحداً. والثالث: كون الاخبار وقع على شربه حالاً لا على شربه في الماضي وإذا أخبر أن الخمر في الدار فشرط فيه أن يكون قد أعده للشرب فخرج ما إذا لم يكن كذلك، بل كانت أمانة لذمي عنده، فإذا وجدت هذه الشروط فله الدخول من غير استئذان، **(ويكون تخطى ملكه بالدخول للتوصل إلى دفع المنكر ككسر رأسه بالضرب للمنع مهما احتاج إليه، وإن أخبره عدلان أو عدل واحد وبالجملة)** المراد به **(من تقبل روايته دون شهادته ففي جواز الهجوم على داره بقولهم فيه نظر واحتمال، والأولى أن يمتنع)** عن الهجوم **(لأن له حقاً في أن لا يتخطى داره بغير إذنه)** وفي تخطيه إسقاط لحقه، **(ولا يسقط حق المسلم على ما ثبت عليه حقه)** شرعاً **(إلا بشاهدين فهذا أولى ما يجعل مرداً فيه)** أي يرد عليه ففي كل منهما إسقاط الحق، **(وقد قيل: إنه كان نقش خاتم لقمان)** عليه السلام **(الستر لما عاينت)** أي شاهدت بعينك **(أحسن من إذاعة)** أي إفشاء **(ما ظننت)** ففهم منه أن الستر على المسلم فيما عاينه منه أولى بكل حال.

(الدرجة الثانية: التعريف. فإن المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهله) أي بسبب جهله، **(وإذا عرف أنه منكر تركه كالسوادي)** أي المنسوب إلى سواد البلد أي ريفه، والمراد به الفلاح **(يصلي ولا يحسن الركوع والسجود فيعلم أن ذلك لجهله بأن هذا ليس بصلاة، ولو رضي بأن لا يكون مصلياً لترك أصل الصلاة فيجب تعريفه باللطف)** واللين **(من غير عنف)** وزجر، **(وذلك لأن في ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحمق والتجهيل إيذاء،**

وقلما يرضى الإنسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمور، لا سيما بالشرع. ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب إذا نبه على الخطأ والجهل؟ وكيف يجتهد في مجاحدة الحق بعد معرفته خيفة من أن تنكشف عورة جهله؟ والطباع أحرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية لأن الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع إلى صورة البدن والنفس أشرف من البدن، وقبحها أشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم عليه لأنه خلقة لم يدخل تحت اختياره حصوله، ولا في اختياره إزالته وتحسينه، والجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم فلذلك يعظم تألم الإنسان بظهور جهله، ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره، وإذا كان التعريف كشفاً للعورة مؤذياً للقلب فلا بدّ وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق فنقول له: إن الإنسان لا يولد عالماً ولقد كنا جاهلين بأمور الصلاة فعلمنا العلماء، ولعل قريتك خالية عن أهل العلم أو عالمها مقصر في شرح الصلاة وإيضاحها إنما شرط الصلاة الطمأنينة في الركوع والسجود، وهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء فإن إيذاء المسلم حرام محذور، كما أن تقريره على المنكر محذور،

وقلما يرضى الإنسان أن ينسب إلى الجهل بالأمور لا سيما بالشرع، ولذلك ترى الذي يغلب عليه الغضب كيف يغضب إذا نبه على الخطأ والجهل) ويتغير مزاجه، **(وكيف يجتهد في مجاحدة الحق)** أي مناكرته بعد معرفته **(خيفة أن تنكشف عورة جهله)** بين الناس **(والطباع أحرص على ستر عورة الجهل منها على ستر العورة الحقيقية)** وهي السوأتان، **(لأن الجهل قبح في صورة النفس وسواد في وجهه وصاحبه ملوم عليه وقبح السوأتين يرجع إلى صورة البدن والنفس أشرف من البدن)** إذ هو كالمطية للنفس، **(وقبحها أشد من قبح البدن ثم هو غير ملوم لأنه خلقة ولم يدخل)** وفي بعض النسخ لأنه خلقة لم يدخل **(تحت اختياره حصوله ولا تحت اختياره إزالته وتحسينه والجهل قبح يمكن إزالته وتبديله بحسن العلم، فلذلك يعظم تألم الإنسان بظهور جهله)** ويكثر تأسفه وتندمه **(ويعظم ابتهاجه في نفسه بعلمه ثم لذته عند ظهور جمال علمه لغيره)** لا سيما إذا انتفع به، **(وإذا كان التعريف كشفاً للعورة)** الباطنة **(مؤذياً للقلب فلا بد وأن يعالج دفع أذاه بلطف الرفق)** ولين الكلام **(فنقول:)** له في تعريفه **(أن الإنسان لا يولد عالماً)** وإنما العلم بالتعلم، **(ولقد كنا أيضاً)** مثلك **(جاهلين بأمور الصلاة فعلمنا العلماء)** وأرشدونا، **(ولعل قريتك خالية من أهل العلم أو عالمها مقصر في شرح الصلاة وإيضاحها إنما شرط الصلاة الطمأنينة في الركوع والسجود)** وعدم الالتفات والعبث بالشيء، **(فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف)** له **(من غير إيذاء، فإن إيذاء المسلم حرام محذور كما أن تقريره على المنكر محذور، وليس من العقلاء من يغسل**

وليس من العقلاء من يغسل الدم بالدم أو بالبول ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الإيذاء للمسلم مع الاستغناء عنه فقد غسل الدم بالبول على التحقيق. وأما إذا وقفت على خطأ في غير أمر الدين فلا ينبغي أن ترده عليه فإنه يستفيد منك علماً ويصير لك عدوّاً إلا إذا علمت أنه يغتنم العلم وذلك عزيز جداً.

(الدرجة الثالثة): النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكراً أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه منكراً كالذي يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين، أو ما يجري مجراه. فينبغي أن يوعظ ويخوف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد في ذلك وتحكى له سيرة السلف وعادة المتقين وكل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب، بل ينظر إليه نظر المترحم عليه ويرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه إذ المسلمون كنفس واحدة، وههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها فإنها مهلكة وهي أن العالم يرى ـ عند التعريف ـ عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل، فربما يقصد بالتعريف الإذلال وإظهار التمييز بشرف العلم،

الدم بالدم أو بالبول)، وإنما يغسل بما يطهره كالماء. (**ومن اجتنب محذور السكوت على المنكر واستبدل عنه محذور الإيذاء للمسلم مع الاستغناء عنه، فقد غسل الدم بالبول على التحقيق، وأما إذا وقعت على خطأ**) منه (**في غير أمر الدين فلا ينبغي أن ترده عليه فإنه يستفيد منك علماً ويصير لك عدواً**) بردك عليه، (**إلا إذا علمت أنه يغتنم العلم**) ولا يحقد في باطنه عداوة لك (**وذلك عزيز جداً**).

(**الدرجة الثالثة: النهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى، وذلك فيمن يقدم على الأمر وهو عالم بكونه منكراً أو فيمن أصرَّ عليه**) وواظب (**بعد أن عرف كونه منكراً كالذي يواظب على الشرب أو على الظلم أو على اغتياب المسلمين أو ما يجري مجراه، فينبغي أن يوعظ**) وينصح (**ويخوّف بالله تعالى وتورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد فيها**) أي في كل ما ذكر من الشرب والظلم والاغتياب، (**ويحكى له سيرة السلف**) الصالحين (**وعادة المتقين**) في أثناء حكايات وأمثال ومناسبات، (**وكل ذلك بشفقة ولطف من غير غضب وعنف بل ينظر إليه نظر المترحم عليه ويرى إقدامه على المعصية**) مع الإصرار عليها (**مصيبة على نفسه إذا المسلمون كنفس واحدة**) فإذا روعي هذا القدر مع التعريف كان سبباً لقبول قوله والانحياز إليه. (**وههنا آفة عظيمة ينبغي أن يتوقاها**) ويستحفظ منها (**فإنها مهلكة**) أي تحمله على الهلاك، (**وهو أن العالم يرى عند التعنيف عز نفسه بالعلم وذل غيره بالجهل، فربما يقصد بالتعريف الاذلال واظهار التمييز**) على الغير (**بشرف العلم وإذلال**

وإذلال صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل ، فإن كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه . ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه وهو غاية الجهل . وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة وغرور للشيطان يتدلى بحبله كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه وفتح بصيرته بنور هدايته ، فإن في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين . أحدهما : من جهة دالة العلم ، والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة ، وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية الداعية إلى الشرك الخفي وله محك ومعيار ينبغي أن يمتحن المحتسب به نفسه ، وهو أن يكون امتناع ذلك الإنسان عن المنكر بنفسه أو باحتساب غيره أحب إليه من امتناعه باحتسابه ، فإن كانت الحسبة شاقة عليه ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفي بغيره فليحتسب ، فإن باعثه هو الدين ، وإن كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره أحب إليه من اتعاظه بوعظ غيره ، فما هو إلا متبع هوى نفسه ومتوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله تعالى فيه وليحتسب أولاً على نفسه . وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى عليه السلام : يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني . وقيل لداود

صاحبه بالنسبة إلى خسة الجهل ، فإن كان الباعث هذا فهذا المنكر أقبح في نفسه من المنكر الذي يعترض عليه ، ومثال هذا المحتسب مثال من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه وهو غاية الجهل) ونهاية الحماقة . **(وهذه مزلة عظيمة وغائلة هائلة)** أي مخوفة **(وغرور الشيطان يتدلى بحبله كل إنسان إلا من عرفه الله عيوب نفسه)** المستكنة فيها ، **(وفتح بصيرته بنور هدايته)** فاستبصر ولم يتبع سبيل الغرور ، **(فإن في الاحتكام على الغير لذة للنفس عظيمة من وجهين . أحدهما من جهة دالة العلم)** فإن النفس تبتهج بلذة العلم وتفرح به ، **(والآخر من جهة دالة الاحتكام والسلطنة ، وذلك يرجع إلى الرياء وطلب الجاه وهو الشهوة الخفية المتداعية إلى الشرك الخفي)** الذي هو أخفى من دبيب النمل ، **(وله محك ومعيار ينبغي أن يمتحن المحتسب به نفسه)** ليدرك وزنها **(وهو أن يكون امتناع ذلك الإنسان عن المنكر بنفسه)** بإعانة الله وتوفيقه ، **(أو باحتساب غيره)** من إخوانه **(أحب إليه من امتناعه باحتسابه)** فليمتحن نفسه بذلك ، **(فإن كانت الحسبة شاقة ثقيلة على نفسه وهو يود أن يكفي بغيره فليحتسب فإن باعثه هو الدين)** والأجر على قدر المشقة ، **(فإن كان اتعاظ ذلك العاصي بوعظه وانزجاره بزجره أحب إليه من اتعاظه بوعظ غيره فما هو إلا متبع هوى نفسه)** ومتدل بحبل غرور للشيطان ، **(فيتوسل إلى إظهار جاه نفسه بواسطة حسبته فليتق الله)** وليراقبه ، فإنه ناقد بصير مطلع على السرائر ، **(وليحتسب أولاً على نفسه)** ثم على غيره ، **(وعند هذا يقال له ما قيل لعيسى عليه السلام: يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس**

الطائي رحمه الله: أرأيت رجلاً دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر؟ فقال: أخاف عليه السوط. قال: إنه يقوى عليه، قال: أخاف عليه السيف. قال: إنه يقوى عليه. قال: أخاف عليه الداء الدفين وهو العجب.

(الدرجة الرابعة) : السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن وذلك يعدل إليه عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادىء الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح، وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام ﴿أفّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ [الأنبياء : ٦٧] ولسنا نعني بالسب والفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ولا الكذب بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله: يا فاسق يا أحمق يا جاهل ألا تخاف الله، وكقوله: يا سوادي يا غبي وما يجري هذا المجرى، فإن كل فاسق فهو أحمق وجاهل ولولا حمقه لما عصى الله تعالى، بل كل من ليس بكيّس فهو أحمق، والكيِّس من شهد له رسول الله ﷺ بالكياسة حيث قال: « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع

وإلاَّ فاستحى مني) أخرجه صاحب الحلية في ترجمة مالك بن دينار، وقد تقدم قريباً. **(وقيل لداود)** بن نصير **(الطائي رحمه الله تعالى: أرأيت رجلاً دخل على هؤلاء الأمراء فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر؟ فقال: أخاف عليه السوط)** أي الضرب به. **(قال: إنه يقوى)**. قال: أخاف عليه السيف. **(قال: إنه يقوى. قال: أخاف عليه الداء الدفين)** أي المكتوم في القلب وهو **(العجب)** أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد قال: حدثنا أحمد بن موسى الأنصاري، حدثنا محمد بن أبي داود: سمعت سندوية الغسال قال: قيل لداود الطائي فذكره.

(الدرجة الرابعة: السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن، وذلك يعدل إليه عند العجز عن المنع باللطف) أي إذا رآه لم يمتنع بلطيف القول ولينه عدل إلى تعنيفه بالقول الخشن، (و) كذلك **(عند ظهور مبادىء الإصرار)** على المعصية **(والاستهزاء بالوعظ والنصح، وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام: ﴿أفّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾)** وذلك بعد أن نصحهم باللطف فأبوا إلا الإصرار على الكفر فقال ما قال. **(ولسنا نعني بالسب الفحش بما فيه نسبة إلى الزنا ومقدماته ولا الكذب، بل أن يخاطبه بما فيه مما لا يعد من جملة الفحش كقوله: يا فاسق يا أحمق يا جاهل ألا تخاف الله. يا سوادي يا غبي وما يجري هذا المجرى)** من الألفاظ الدالة على ما فيه من الأوصاف القبيحة، **(ولولا حمقه ما عصى الله تعالى، بل كل من ليس بكيس فهو أحمق والكيس)** على وزن سيد **(من شهد له رسول الله ﷺ بالكياسة حيث قال: « الكيس من دان نفسه)** أي أذلها واستعبدها يعني جعل نفسه مطيعة منقادة لأوامر ربها، **(وعمل لما بعد الموت)** قبل نزوله ليصير على نور من ربه، **(والأحمق)**

نفسه هواها وتمنى على الله ».

ولهذه الرتبة أدبان: أحدهما أن لا يقدم عليها إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف، والثاني أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج إليه، بل يقتصر على قدر الحاجة فإن علم أن خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره فلا ينبغي أن يطلقه، بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له والإزراء بمحله لأجل معصيته، وإن علم أنه لو تكلم ضرب ولو اكفهر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه ولم يكفه الإنكار بالقلب بل يلزمه أن يقطب وجهه ويظهر الإنكار له.

(**الدرجة الخامسة**): التغيير باليد، وذلك ككسر الملاهي وإراقة الخمر وخلع

كذا في النسخ وفي رواية العاجز، وفي أخرى بلفظ الفاجر بالفاء (**من أتبع نفسه هواها**) فلم يكفها عن الشهوات ولم يمنعها من مقارفة المنكرات، (**وتمني على الله**) زاد في رواية الأماني بتشديد الياء جمع أمنية أي فهو مع تقصيره في طاعة ربه واتباع شهوات نفسه لا يعتذر ولا يرجع، بل يتمنى على الله العفو والجنة مع الإصرار وترك التوبة والاستغفار.

قال الطيبي: قوبل الكيس بالعاجز والمقابل الحقيقي للكيس السفيه الرأي وللعاجز القادر ايذاناً بأن الكيس هو القادر، وأن العاجز هو السفيه. قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث شداد بن أوس اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والحاكم في الإيمان والعسكري والقضاعي كلهم من حديث ابن المبارك عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني عن ضمرة بن حبيب عن شداد. قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري قال الذهبي: لا والله أبو بكر واهٍ اهـ.

وقال ابن طاهر: مدار الحديث عليه وهو ضعيف جداً قال العسكري: هذا الحديث فيه رد على المرجئة واثبات للوعيد. وقال سعيد بن جبير: الاغترار بالله المقام على الذنب ورجاء المغفرة.

(**ولهذا الرتبة أدبان. أحدهما: أن لا يقدم عليه إلا عند الضرورة والعجز عن اللطف، والثاني أن لا ينطق إلا بالصدق ولا يسترسل فيه فيطلق لسانه الطويل لما لا يحتاج إليه بل يقتصر على قدر الحاجة**) مما يناسب الحال والوقت والشخص فلا بدّ من مراعاة ذلك، (**فإن علم ان خطابه بهذه الكلمات الزاجرة ليست تزجره**) ولا تمنعه (**فلا ينبغي أن يطلقه بل يقتصر على إظهار الغضب والاستحقار له والازراء بمحله لأجل معصيته، وإن علم أنه لو تكلم ضرب**) في الحال، (**ولو اكفهّر وأظهر الكراهة بوجهه لم يضرب لزمه**) ذلك (**ولم يكفه الإنكار بالقلب بل يلزمه أن يقطب**) أي يعبس (**وجهه ويظهر له الانكار**).

(**الدرجة الخامسة: التغيير باليد وذلك ككسر**) آلات (**الملاهي والصور وإراقة الخمر**

الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس على مال الغير، وإخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله وإخراجه من المسجد إذا كان جالساً وهو جنب وما يجري مجراه ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض، فأما معاصي اللسان والقلب فلا يقدر على مباشرة تغييرها، وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة.

وفي هذه الدرجة أدبان:

أحدهما: أن لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك، فإذا أمكنه أن يكلفه المشي في الخروج عن الأرض المغصوبة والمسجد فلا ينبغي أن يدفعه أو يجره، وإذا قدر على أن يكلفه إراقة الخمر وكسر الملاهي وحل دروز ثوب الحرير فلا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه، فإن في الوقوف على حد الكسر نوع عسر، فإذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه في فعله.

الثاني: أن يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج إليه وهو أن لا يأخذ بلحيته في

وخلع الحرير عن رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه)، وفي الأخير خلاف لأبي حنيفة فإنه أجازه لما فيه من الاستهانة فلا يكون منكراً، **(ودفعه عن الجلوس على مال الغير، وإخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله، وإخراجه من المسجد إذا كان جالساً وهو جنب)** إن علم ذلك منه، **(وما يجري مجراه ويتصوّر ذلك في بعض المعاصي دون بعض. فأما معاصي اللسان والقلب فلا يقدم على مباشرة تغييرها، وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة، وفي هذه الدرجة أدبان)**.

(أحدهما: أن لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ذلك فإذا أمكنه أن يكلفه المشي) على رجليه **(في الخروج عن الأرض المغصوبة والمسجد)** وهو جنب، **(فلا ينبغي أن يأخذه ويجره)** على الأرض، **(وإذا قدر على أن يكلفه إراقة الخمر وكسر الملاهي)** والصور **(وحل دروز الثوب الحرير)** وهي العقود التي تربط بها مواضع من الثوب على البدن وهي في بلاد العجم بمنزلة الازرار في هذه البلاد، **(فلا ينبغي أن يباشر بنفسه)** فإن لم يقدر فعليه المباشرة، **(فإذاً في الوقوف على حد الكسر نوع عسر)** ومشقة، **(فإذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتولاه من لا حجر عليه)** أي من لا منع **(في فعله)**.

(الثاني: أن يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج إليه، وهو أن لا يأخذ بلحيته

الإخراج ولا برجله إذا قدر على جره بيده، فإن زيادة الأذى فيه مستغنى عنه، وأن لا يمزق ثوب الحرير بل يحل دروزه فقط، ولا يحرق الملاهي والصليب الذي أظهره النصارى بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر. وحدّ الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج في استئناف إصلاحه إلى تعب يساوي تعب الاستئناف من الخشب ابتداء. وفي إراقة الخمور يتوقى كسر الأواني إن وجد إليه سبيلاً، فإن لم يقدر عليها إلا بأن يرمي ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر إذ صار حائلاً بينه وبين الوصول إلى إراقة الخمر، ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالجرح والضرب لنتوصل إلى إراقة الخمر، فإذاً لا تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه، ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤوس ولو اشتغل بإراقتها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعوه فله كسرها، فهذا عذر، وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ولكن كان يضيع فيه زمانه وتتعطل عليه اشغاله، فله أن يكسرها فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله لأجل ظروف الخمر، وحيث كانت الإراقة متيسرة بلا كسر فكسره لزمه الضمان.

في **الإخراج ولا برجله إذا قدر على جره بيده فإن)** فيها زيادة الاذى في حق المسلم، و **(زيادة الأذى فيه مستغنى عنه وأن لا يمزق الثوب الحرير)** الذي على رأسه أو بدنه، **(بل يحل دروزه فقط ولا يحرق الملاهي والصليب الذي أظهره النصارى، بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر، وحدّ الكسر أن يصير إلى حالة يحتاج في استئناف إصلاحه إلى تعب يساوي تعب الاستئناف من الخشب ابتداء)**. وأما الحرق ففيه ضياع للمال، **(وفي إراقة الخمور يتوقى كسر الأواني)** التي فيها الخمر **(إن وجد إليه سبيلاً، فإن لم يقدر عليها إلا بأن يرمي ظروفها بحجر، فله ذلك وسقطت قيمة الظرف وتقومه بسبب الخمر)** أي تبطل قيمة الظروف، وإن كانت مثمنة بسبب ما فيها. **(إذ صار الظرف حائلاً بينه وبين الوصول إلى إراقة الخمر، ولو ستر الخمر ببدنه لكنا نقصد بدنه بالضرب والجرح ليتوصل إلى إراقة الخمر، فلا تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه، ولو كان الخمر في قوارير ضيقة الرؤوس)** لا يهراق الخمر إلا في مدة، **(ولو اشتغل بإراقتها طال الزمان وأدركه الفساق ومنعوه)** من الإراقة **(فله كسرها)** عاجلاً. **(فهذا عذر وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم، ولكن كان يضيع فيه زمانه وتتعطل عليه أشغاله، فله أن يكسر فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله لأجل ظروف الخمر وحيث تكون الإراقة متيسرة)** أي مسهلة **(بلا كسر، فإذا كسر)** وفي نسخة: متيسرة كالكسر فكسر **(لزمه الضمان)** فإنه اتلاف مال.

فإن قلت: فهلا جاز الكسر لأجل الزجر؟ وهلا جاز الجر بالرجل في الإخراج عن الأرض المغصوبة ليكون ذلك أبلغ في الزجر؟ فاعلم أن الزجر إنما يكون عن المستقبل، والعقوبة تكون على الماضي، والدفع عن الحاضر الراهن. وليس إلى آحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام المنكر، فما زاد على قدر الإعدام فهو إما عقوبة على جريمة سابقة أو زجر عن لاحق. وذلك إلى الولاة لا إلى الرعية. نعم الوالي له أن يفعل ذلك إذا رأى المصلحة فيه وأقول: له أن يأمر بكسر الظروف التي فيها الخمور زجراً. وقد فعل ذلك في زمن رسول الله ﷺ تأكيداً للزجر، ولم يثبت نسخه ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والفطام شديدة. فإذا رأى الوالي باجتهاده مثل تلك الحاجة جاز له مثل ذلك. وإذا كان هذا منوطاً بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لآحاد الرعية.

فإن قلت: فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي بإتلاف أموالهم وتخريب دورهم التي فيها يشربون ويعصون وإحراق أموالهم التي بها يتوصلون إلى المعاصي؟ فاعلم أن ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجاً عن سنن المصالح ولكنا لا نبتدع المصالح بل نتبع

(فإن قلت: فهلا جاز الكسر لأجل الزجر؟ وهلا جاز الجر بالرجل في الإخراج عن الأرض المغصوبة ليكون ذلك أبلغ في الزجر؟ فاعلم أن الزجر إنما يكون عن المستقبل) لئلا يقع في المعصية ثانياً والعقوبة تكون عن المعاصي والدفع عن الحاضر الراهن في الحال، **(وليس إلى آحاد الرعية إلا الدفع وهو إعدام المنكر فما زاد على قدر الإعدام فهو إما عقوبة على جريمة سابقة أو زجر عن)** جرم **(لاحق وذلك)** موكول **(إلى الولاة)** للأمور **(لا إلى الرعية)** كما سبق. **(نعم الوالي له أن يفعل ذلك إذا رأى المصلحة فيه)** وتكون المصلحة دينية، **(فأقول له أن يأمر بكسر الظروف التي فيها الخمور زجراً)** وتأديباً، **(وقد فعل ذلك في زمن رسول الله ﷺ تأكيداً للزجر)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي طلحة أنه قال: يا نبي الله اشتريت خمر الأيتام في حجري قال: «اهرق الخمر واكسر الدنان» وفيه ليث ابن أبي سليم والأصح رواية المروي عن السدي عن يحي بن عباد عن أنس أن أبا طلحة كان عنده قاله الترمذي. **(ولم يثبت نسخه، ولكن كانت الحاجة إلى الزجر والفطام شديدة)** لقرب عهدهم بتحريم الخمر، **(فإذا رأى الوالي باجتهاده مثل تلك الحالة جاز له مثل ذلك، وإن كان هذا منوطاً بنوع اجتهاد دقيق لم يكن ذلك لآحاد الرعية)** لقصورهم من ذلك.

(فإن قلت: فليجز للسلطان زجر الناس عن المعاصي بإتلاف أموالهم وتخريب دورهم التي بها يشربون) المسكرات **(ويعصون)** الله تعالى، **(وإحراق أموالهم التي بها يتوصلون إلى)** تلك **(المعاصي: فاعلم أن ذلك لو ورد الشرع به لم يكن خارجاً عن سنن المصالح)** الشرعية، **(ولكنا لا نبتدع المصالح)** ابتداعاً **(بل نتبع فيها)** اتباعاً، **(وكسر ظروف الخمر**

فيها. وكسر ظروف الخمر قد ثبت عند شدة الحاجة، وتركه بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخاً بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها. وإنما جوزنا ذلك للإمام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه، بل نقول لو أريقت الخمور أولاً فلا يجوز كسر الأواني بعدها وإنما جاز كسرها تبعاً للخمر، فإذا خلت عنها فهو إتلاف مال إلا أن تكون ضارية بالخمر لا تصلح إلا لها.

فكأن الفعل المنقول عن العصر الأوّل كان مقروناً بمعنيين؛ أحدهما: شدة الحاجة إلى الزجر، والآخر: تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها. وهما معنيان مؤثران لا سبيل إلى حذفهما. ومعنى ثالث: وهو صدوره عن رأي صاحب الأمر لعلمه بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضاً مؤثر فلا سبيل إلى إلغائه. فهذه تصرفات دقيقة فقهية يحتاج المحتسب لا محالة إلى معرفتها.

(الدرجة السادسة) : التهديد والتخويف؛ كقوله: دع عنك هذا أو لأكسرن رأسك أو لأضربن رقبتك أو لآمرن بك وما أشبهه، وهذا ينبغي أن يقدم على تحقيق

قد ثبت) بالخبر المتقدم عند شدة الحاجة **(وتركها بعد ذلك لعدم شدة الحاجة لا يكون نسخاً)** للحكم **(بل الحكم يزول بزوال العلة ويعود بعودها)**. فإن عادت العلة عاد الحكم وإن زالت زال فالحكم من أصله ثابت، **(فإنما جوزنا ذلك للإمام بحكم الاتباع ومنعنا آحاد الرعية منه لخفاء وجه الاجتهاد فيه)** فلا يدركونه، **(بل نقول: لو أريقت الخمور أولاً فلا يجوز كسر الإناء بعدها)** أي بعد الإراقة، **(بل جاز كسرها تبعاً للخمر. فإذا خلت عنها)** فكسرت فهو إتلاف مال **(إلا أن تكون)** تلك الظروف **(ضارية)** أي متعوّدة **(بالخمر لا تصلح)** لشيء **(إلا لها)** ولو وضع فيها شيء آخر لفسد ولم ينتفع به.

(فكأن الفعل المنقول عن العصر الأول) من جواز كسرها **(كان مقروناً بمعنيين. أحدهما: شدة الحاجة إلى الزجر، والآخر: تبعية الظروف للخمر التي هي مشغولة بها، وهما معنيان مؤثران لا سبيل إلى حذفهما)** وهما موجودان في قوله ﷺ لأبي طلحة في الحديث السابق «اهرق الخمر واكسر الدنان». **(ومعنى ثالث وهو صدوره عن رأي صاحب الأمر لعلمه بشدة الحاجة إلى الزجر وهو أيضاً مؤثر فلا سبيل إلى الغائه)** أي تركه. **(وهذا المعنى أيضاً موجود في حديث أبي طلحة فهذه تصرفات دقيقة)** المدارك **(فقهية يحتاج المحتسب لا محالة إلى معرفتها)** ليكون على بصيرة تامة في احتسابه.

(الدرجة السادسة: التهديد والتخويف كقوله: دع عنك هذا) أي اتركه **(أو لأكسرن رأسك)** أو الذي فيه عيناك **(أو لأضربن رقبتك أو لآمرن بك)** فيفعل بك كذا وكذا لأمور

الضرب اذا أمكن تقديمه. والأدب في هذه الرتبة أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه، كقوله لأنهبن دارك أو لأضربن ولدك أو لأسبين زوجتك وما يجري مجراه، بل ذلك إن قاله عن عزم فهو حرام، وإن قاله عن غير عزم فهو كذب. نعم إذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه إلى حد معلوم يقتضيه الحال، وله أن يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن إذا علم أن ذلك يقمعه ويردعه. وليس ذلك من الكذب المحذور بل المبالغة في مثل ذلك معتادة وهو معنى مبالغة الرجل في إصلاحه بين شخصين وتألفه بين الضرتين، وذلك مما قد رخص فيه للحاجة وهذا في معناه، فإن القصد به إصلاح ذلك الشخص. وإلى هذا المعنى أشار بعض الناس أنه لا يقبح من الله أن يتوعد بما لا يفعل لأن الخلف في الوعيد كرم، وإنما يقبح أن يعد بما لا يفعل، وهذا غير مرضي عندنا فإن الكلام القديم لا يتطرق إليه الخلف وعداً كان أو وعيداً، وإنما يتصوّر هذا في حق العباد، وهو كذلك إذ الخلف في الوعيد ليس بحرام.

يعددها عليه، **(وذلك ينبغي أن يقدم على تحقيق الضرب إذا أمكن تقديمه)** فإنه يفيد به المنع عما هو فيه والانزجار، **(والأدب في هذه الرتبة أن لا يهدده بوعيد لا يجوز له تحقيقه كقوله: لأنهبن دارك أو لأضربن ولدك أو لأسبين زوجتك وما يجري مجراه، بل ذلك إن قاله عن عزم)** جازم **(فهو حرام)** لأن كلاً من الضرب والنهب والسبي لا يجوز له، **(وإن قاله عن غير عزم فهو كذب)** وهو محذور إلا ما استثني. **(نعم إذا تعرض لوعيده بالضرب والاستخفاف فله العزم عليه)** ولكن **(إلى حد معلوم يقتضيه الحال)** والوقت والمصلحة، **(وله أن يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه الباطن)** في القلب **(إذا علم أن ذلك مما يقمعه ويردعه)** أي يزجره، **(وليس ذلك من الكذب المحذور)** الممنوع، **(بل المبالغة في مثل ذلك معتادة وهو معنى مبالغة الرجل)** في كلامه **(في إصلاحه بين شخصين)** متخاصمين **(وتأليفه بين الضرتين)** وبين المرأة وزوجها، والضرة: امرأة زوجها. والجمع ضرات على القياس وسمع ضرائر. **(وذلك مما رخص فيه للحاجة وهذا)** الذي نحن فيه **(في معناه)** أي مقاس عليه، **(فإن القصد به إصلاح ذلك الشخص)** بخلوصه عن المعاصي. **(وإلى هذا المعنى أشار بعض الناس)** من المتكلمين **(أنه لا يقبح من الله أن يتوعد بما لا يفعل)** مراعاة للاصلح **(لأن الخلف في الوعيد كرم، وإنما يقبح أن يعد بما لا يفعل)** وإليه أشار الشاعر بقوله:

فإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

(وهذا غير مرضي عندنا) معشر أهل السنّة والجماعة، **(فإن الكلام القديم لا يتطرق إليه الخلف وعداً كان أو وعيداً، وإنما يتصور هذا في حق العباد وهو كذلك إذ الخلف في**

(**الدرجة السابعة**) : مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح ، وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع ، فإذا اندفع المنكر فينبغي أن يكف. والقاضي قد يرهق من ثبت عليه الحق إلى الاداء بالحبس ، فإن أصر المحبوس وعلم القاضي قدرته على أداء الحق وكونه معانداً فله أن يلزمه الأداء بالضرب على التدريج كما يحتاج إليه. وكذلك المحتسب يراعي التدريج فإن احتاج إلى شهر سلاح وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله أن يتعاطى ذلك ما لم تثر فتنة كما لو قبض فاسق مثلاً على امرأة أو كان يضرب بمزمار معه وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جدار مانع فيأخذ قوسه ويقول له: خل عنها أو لأرمينك. فإن لم يخل عنها فله أن يرمي ، وينبغي أن لا يقصد المقتل بل الساق والفخذ وما أشبهه ويراعي فيه التدريج. وكذلك يسل السيف ويقول: اترك هذا المنكر أو لأضربنك. فكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن. ولا فرق في ذلك بين ما

الوعد ليس بحرام) ولا يكون قادحاً إلا إذا عزم عليه مقارناً موعده. أما إذا كان عازماً ثم عرض له مانع أو بدا له رأي ، فهذا لا يكون قادحاً. ونقل أبو البقاء الأحدي في شرح البخاري عن العلماء : أنه يستحب الوفاء بالوعد بالهبة وغيرها استحباباً مؤكداً ويكره إخلافه كراهة تنزيه لا تحريم ، ويستحب إخلاف الوعيد إذا كان المتوعد به جائزاً ولا يترتب على تركه مفسدة.

(**الدرجة السابعة: مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه شهر سلاح، وذلك جائز للآحاد بشرط الضرورة**) أي المشقة (**والاقتصار على قدر الحاجة في الدفع، فإذا اندفع المنكر فينبغي أن يكف**) أي يمتنع. (**والقاضي قد يرهق من ثبت عليه الحق**) شرعاً (**إلى الأداء**) لصاحبه (**بالحبس فإن أصر المحبوس وعلم القاضي قدرته على أداء الحق وكونه معانداً**) في دفع الحق (**فله أن يلزمه الأداء بالضرب**) المؤلم (**على التدريج كما يحتاج إليه**) وفي نسخة: إذا احتاج إليه ، (**وكذلك المحتسب يرعى التدريج فإن احتاج إلى شهر سلاح ، وكان يقدر على دفع المنكر بشهر السلاح وبالجرح فله أن يتعاطى ذلك ما لم تثر فتنة كما لو قبض فاسق مثلاً على امرأة**) يريد الفعل بها ، (**أو على مزمار وهو يضرب به وبينه وبين المحتسب نهر حائل أو جرار مانع فيأخذ قوسه**) ويضع فيها السهم (**ويقول: خل عنها**) أو عنه (**أو لأرمينك**) بهذا السهم، (**فإن لم يخل عنها**) وأصرَّ على فعله (**فله أن يرمي**) عليه بسهم، (**وينبغي أن لا يقصد**) برميه (**المقتل**) كالعنق والبطن وغيرهما ، (**بل الساق والفخذ وترعى فيه التدريج، وكذلك يسل السيف ويقول: اترك هذا المنكر أو لأضربنك**) بهذا السيف، (**وكل ذلك دفع للمنكر ودفعه واجب بكل ممكن ولا فرق في**

يتعلق بخاص حق الله وما يتعلق بالآدميين.

وقالت المعتزلة: ما لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه إلا بالكلام أو بالضرب ولكن للإمام لا للآحاد.

(الدرجة الثامنة) : أن لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه إلى أعوان يشهرون السلاح. وربما يستمد الفاسق أيضاً بأعوانه ويؤدي ذلك إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا. فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه إلى إذن الإمام فقال قائلون: لا يستقل آحاد الرعية بذلك لأنه يؤدي إلى تحريك الفتن وهيجان الفساد وخراب البلاد.

وقال آخرون: لا يحتاج إلى الإذن ـ وهو الأقيس ـ لأنه إذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف وأوائل درجاته تجر إلى ثوان والثواني إلى ثوالث. وقد ينتهي لا محالة إلى التضارب. والتضارب يدعو إلى التعاون فلا ينبغي أن يبالي بلوازم الأمر بالمعروف، ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله ودفع معاصيه. ونحن نجوز للآحاد من الغزاة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار قمعاً لأهل الكفر. فكذلك قمع أهل الفساد

ذلك بين ما يتعلق بخاص حق الله تعالى **(وبين ما يتعلق بالآدميين)**. هذا مذهب أهل السنة.

(وقالت المعتزلة: ما لا يتعلق بالآدميين فلا حسبة فيه إلا بالكلام) اللطيف **(أو بالضرب)** باليد أما شهر السلاح فلا، **(ولكن ذلك للامام لا للآحاد)** من الرعية.

(الدرجة الثامنة: أن لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه إلى) مساعدة **(أعوان يشهرون السلاح، وربما يستمد الفاسق أيضاً بأعوانه)** ويشهرون السلاح **(ويؤدي)** ذلك **(إلى أن يتقابل الصفان ويتقاتلا)** كما وقع ذلك كثيراً في بلاد خراسان بين أهل السّنة والشيعة فالقتال أبداً بينهما يستمر. **(فهذا قد ظهر الاختلاف في احتياجه إلى إذن الإمام فقال قائلون: لا يستقل آحاد الرعية بذلك لأنه يؤدي إلى تحريك الفتن)** وإثارة المحن **(وهيجان الفساد وخراب البلاد)**، وقد عم الخراب بسبب هذه الفتن في كثير من بلاد خراسان حتى صار المنكر معروفاً والمعروف منكراً. **(وقال آخرون لا يحتاج إلى الإذن)** من الإمام **(وهو الأقيس، لأنه إذا جاز للآحاد الأمر بالمعروف)** حسبما عرف **(وأوائل درجاته تجر إلى ثوان والثواني)** تجر **(إلى ثوالث، وقد ينتهي لا محالة إلى التضارب)** في التدافع **(والتضارب يدعو إلى التعاون، فلا ينبغي أن يبالي بلوازم الأمر بالمعروف. ومنتهاه تجنيد الجنود)** وحشد العساكر **(في)** رضا الله تعالى **(ودفع معاصيه)** بكل ممكن. كيف **(ونحن نجوز للآحاد من الغزاة أن يجتمعوا ويقاتلوا من أرادوا من فرق الكفار قمعاً لأهل الكفر)** والفساد،

جائز لأن الكافر لا بأس بقتله والمسلم إن قتل فهو شهيد. فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه لا بأس بقتله. والمحتسب المحق إن قتل مظلوماً فهو شهيد. وعلى الجملة فانتهاء الأمر إلى هذا من النوادر في الحسبة. فلا يغير به قانون القيـاس بل يقال: كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع ذلك بيده وبسلاحه وبنفسه وبأعوانه. فالمسألة إذاً محتملة - كما ذكرناه - فهذه درجات الحسبة فلنذكر آدابها والله الموفق.

بيان آداب المحتسب:

قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات. ونذكر الآن جملها ومصادرها، فنقول: جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب: العلم. والورع. وحسن الخلق.

أما العلم. فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع فيه.

والورع: ليردعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه. بل ربما يعلم أنه

وإطفاء لفتنتهم حتى تكون كلمة الله هي العليا. (**فكذلك قمع أهل الفساد جائز لأن الكافر لا بأس بقتله والمسلم إن قتل**) في مناضلته عن الإسلام فهو شهيد، (**فكذلك الفاسق المناضل عن فسقه**) ومعاصيه (**لا بأس بقتله**) قياساً على الكافر (**والمحتسب المحق**) المناضل عن الدين (**إن قتل مظلوماً فهو شهيد**) وهو قياس صحيح، (**وعلى الجملة فانتهاء الأمر إلى هذا من النوادر في الحسبة**) وإنما يكون ذلك غالباً عن العصبيات الجاهلية، (**فلا يغير به قانون القياس، بل يقال: كل من قدر على دفع منكر فله أن يدفع بيده**) إن أمكنه وبلسانه (**وبسلاحه وبنفسه وبأعوانه**) وأنصاره. (**فالمسألة إذاً محتملة كما ذكرناه. فهذه درجات الاحتساب فلنذكر آدابها والله الموفق**).

بيان آداب المحتسب:

اعلم أنا (**قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات. ولنذكر الآن جملها ومصادرها**) وما تنشأ منها، (**فنقول: جميع آداب المحتسب مصدرها ثلاث صفات في المحتسب: العلم، والورع، وحسن الخلق**).

(**أما العلم: فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها ومواقعها**) وذكر المواقع ثانياً تكرار، (**وليقتصر على حد الشرع فيها**).

(**والورع**): معطوف على قوله (**و**) العلم (**لينزعه**) أي ليمنعه وفي نسخة: ليردعه (**عن**

مسرف في الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعاً ولكن يحمله عليه غرض من الأغراض. وليكن كلامه ووعظه مقبولاً فإن الفاسق يهزأ به إذا احتسب ويورث ذلك جرأة عليه.

وأما حسن الخلق: فليتمكن به من اللطف والرفق وهو أصل الباب وأساسه. والعلم والورع لا يكفيان فيه، فإن الغضب إذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق. وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب. وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله. وإلاَّ فإذا أصيب عرضه أو ماله أو نفسه بشتم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه. بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم.

فهذه الصفات الثلاث بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع المنكرات. وإن فقدت لم يندفع المنكر. بل ربما كانت الحسبة أيضاً منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها، ودلّ

مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم أنه مسرف في الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعاً، ولكن يحمله عليه) أي على الإسراف **(غرض من الاغراض)** فإذا لم يكن الورع لم يمتنع عنه **(وليكون)** معطوف على قوله لينزعه. أي إنما شرطنا الورع في المحتسب ليكون **(كلامه ووعظه مقبولاً)** عندهم، **(فإن الفاسق يهزأ به إذا احتسب)** ويضحك عليه، **(ويورث ذلك جرأة عليه)**.

(وأما حسن الخُلق: فليتمكن به من الرفق واللطف، وهو أصل الباب وأساسه، والعمل والورع لا يكفي فيه) من غير حسن الخلق، **(فإن الغضب إذا هاج)** ضرره وأثر في الجسم في الحال **(لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه)** ودفعه **(ما لم يكن في الطبع قبوله بحسن الخلق. وعلى التحقيق فلا يتم الورع إلا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب)**، ومهما قدر على ضبطهما رجى له حسن الخلق فإن سوء الخلق إنما يطرأ من سوء ملكته لهما وبذلك يتم الورع، **(وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله. وإلاَّ فإذا أصيب عرضه أو نفسه بشتم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله واشتغل بنفسه)** ولم يملكها عن الانتقام. **(بل ربما يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه والاسم)**.

(فهذه الصفات الثلاث بها) إذا اجتمعت **(تصير الحسبة من القربات)** إلى الله تعالى **(وبها تندفع المنكرات. فإن فقدت لم يندفع المنكر. وربما كانت الحسبة أيضاً منكرة لمجاوزة حد الشرع فيها)** فلا بد من العلم ليعرف المجاوزة في الحدود ولا بد من الورع ليحمله على العمل بما علمه، ولا بد من حسن الخلق ليملك به نفسه، **(ودل على هذه الآداب قوله**

على هذه الآداب قوله ﷺ : « لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه ». وهذا يدل على أنه لا يشترط أن يكون فقيهاً مطلقاً بل فيما يأمر به وينهى عنه وكذا الحلم. قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: إذا كنت ممن يأمر بالمعروف فكن من آخذ الناس به وإلاَّ هلكت وقد قيل:

ﷺ : **« لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يأمر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه »**) قال العراقي: لم أجده هكذا، وللبيهقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: « من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف » اهـ.

قلت: ورواه كذلك الديلمي في مسند الفردوس بلفظ: « أمره ذلك بمعروف »وفيه سلم بن ميمون الخواص أورده الذهبي في الضعفاء رواه عن زافر وقال ابن عدي: لا يتابع على حديثه رواه عن المثير بن صباح قال النسائي: متروك عن عمرو بن شعيب مختلف فيه، وقد روى الديلمي أيضاً من حديث أبان عن أنس مرفوعاً بلفظ هو أقرب لسياق المصنف: « لا ينبغي للرجل أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى تكون فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى عالم فيما يأمر عالم فيما ينهى عدل فيما يأمر عدل فيما ينهى ».

وفي القوت: حدثنا عن أبي الربيع الصوفي قال: دخلت على سفيان بالبصرة فقلت: يا أبا عبد الله إني أكون مع هؤلاء المحتسبة فندخل على المخنثين ونتسلق عليهم الحيطان فقال: أليس لهم أبواب؟ قلت: بلى، ولكن ندخل عليهم كيلا يفروا، فأنكر ذلك إنكاراً شديداً وعاب أفعالنا. فقال واحد من أدخل هذا؟ فقلت: إنما دخلت على الطبيب أخبره بدائي، فانتفض سفيان وقال: إنما هلكنا إذ نحن سقمى فسمينا أطباء، ثم قال: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من فيه ثلاث خصال. فساقها، وفيه رفيق وعدل وعالم.

(**وهذا يدل على أنه لا يشترط أن يكون فقيهاً مطلقاً فيما يأمر به وينهى عنه، وكذا الحلم**) لا يشترط فيه أن يكون فيه على الإطلاق، بل فيما يأمر به وينهى عنه والخصال المذكورة عند المصنف العلم والورع وحسن الخلق. وفي حديث أنس: « الرفق والعلم والعدالة » فالرفق يرجع إلى حسن الخلق، لأنه ثمرته، والورع يرجع إلى العدالة: وحديث ابن عمرو: « فليكن أمره بمعروف » أي برفق ولين والرفق احدى الصفات الثلاث.

(**قال الحسن البصري**) رحمه الله تعالى: (**إذا كنت ممن يأمر الناس بالمعروف فكن من آخذ الناس به**) أي أكثرهم أخذاً بالمعروف، (**وإلا هلكت**) وذلك لأنه يدخل تحت الوعيد في قوله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ [البقرة: ٤٤] (**وقد قيل**) في معنى ذلك:

لا تلُم المرءَ على فِعْلـــــهِ وأنــت منســوبٌ إلى مثلــهِ
مَــنْ ذَمَّ شَيْئــاً وأتــى مثلــه فــإنما يُــزْرى على عقلــهِ

ولسنا نعني بهذا أن الأمر بالمعروف يصير ممنوعاً بالفسق ولكن يسقط أثره عن القلوب بظهور فسقه للناس. فقد روي عن أنس رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله. فقال ﷺ: «بل مُرُوا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله، وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله». وأوصى بعض السلف بنيه فقال: إن أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر

(لا تلم المرء على فعلــه وأنــت منســوب إلى مثلــه
مــن ذم شيئــاً وأتــى مثلــه فــإنما يــزرى على عقلــه)

(ولأبي العتاهية) إسماعيل بن القاسم بن سويد الشاعر المشهور، وأبو العتاهية لقبه وكنيته أبو إسحاق أو كنيته لا لقبه فيه خلاف أوردته في شرحي على القاموس فراجعه.

تــدل على التقــوى وأنــت مقصر أيـا مـن يـداوي النـاس وهـو سقيم
وإن امــرأً لم يجعــل البر كنــزه ولـو كــانــت الدنيــا لــه لعــديم

وفي هذا الباب كلام كثير للشعراء **(ولسنا نعني بهذا أن الآمر يصير ممنوعاً)** عن الأمر بالمعروف **(بالفسق)** أي لأجله وبسببه، **(ولكن يسقط أثره عن القلوب)** ووقعه فيها **(بظهور فسقه للناس)** فيكون ضحكة لهم. **(وقد روي عن أنس)** بن مالك رضي الله عنه **(قال: قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهي عن المنكر حتى نجتنبه كله. فقال ﷺ: «بل مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله، وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله»)** قال العراقي: رواه الطبراني في المعجم الصغير والأوسط وفيه عبد القدوس بن حبيب أجمعوا على تركه اهـ.

قلت: والراوي عنه ابنه عبد السلام بن عبد القدوس ضعيف أيضاً. والمعنى أنه يجب ترك المنكر وإنكاره فلا يسقط بترك أحدهما وجوب الآخر، ولهذا قيل للحسن: فلان لا يعظ ويقول: احلف أن أقول ما لا أفعل. قال: وأينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذا فلم يأمر أحداً بمعروف ولم ينه عن منكر، ولو توقف الأمر والنهي على الاجتناب لرفع الأمر بالمعروف وتعطل النهي عن المنكر وانسد باب النصيحة التي حث الشارع عليها.

(وأوصى بعض السلف بنيه وقال: إذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف) وينهى عن المنكر **(فليوطن نفسه على الصبر)** أي على الأذى ليثبتها عليه والمراد به الصبر على مكروه يسمعه ممن

وليثق بالثواب من الله فمن وثق بالثواب من الله لم يجد مس الأذى. فإذاً من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر. ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف. فقال حاكياً عن لقمان: ﴿يا بنيَّ أقمِ الصَّلاة وأمُر بالمعروفِ وانهَ عن المنكرِ واصبرْ على ما أصابك﴾ [لقمان: ١٧].

ومن الآداب، تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق حتى تزول عنه المداهنة، فقد روي عن بعض المشايخ أنه كان له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئاً من الغدد لسنوره فرأى على القصاب منكراً، فدخل الدار أوّلاً وأخرج السنور، ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب: لا أعطيتك بعد هذا

يحتسب عليه، (**وليثق بالثواب من الله**) عز وجل (**فمن وثق بالثواب من الله**) عز وجل (**لم يجد مس الأذى**) والمكروه.

قلت: المراد ببعض السلف هنا عمرو بن حبيب الخطمي وكانت له صحبة، فإنه أوصى بنيه وقال: يا بني إياكم ومجالسة السفهاء فإن مجالستهم داء إنه من يحلم على السفيه يسر بحلمه، ومن يصبر على ما يكره يدرك ما يحب، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف الخ. هكذا أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والخطيب في التلخيص عن أبي جعفر الخطمي عن جده عمرو بن حبيب.

(**فإذاً من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر**) على الأذى، (**ولذلك قرن الله تعالى الصبر بالأمر بالمعروف**) والنهي عن المنكر (**فقال**) في كتابه العزيز (**حاكياً عن لقمان**) عليه السلام: (**﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك**) إن ذلك من عزم الأمور﴾ أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير في قوله: ﴿وأمر بالمعروف﴾ يعني التوحيد ﴿وانه عن المنكر﴾ يعني الشرك ﴿واصبر على ما أصابك﴾ في أمرهما يقول: إذا أمرت بمعروف أو نهيت عن منكر وأصابك في ذلك أذى وشدة فاصبر عليه إن ذلك يعني هذا الصبر على الأذى فيهما من عزم الأمور أي من جد الأمور التي أمر الله بها.

(**ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه**) والعلائق هي الزوائد التي تتعلق إليها النفوس وتألفها وتنفرد بها فيكثر خوفه على انقطاعها عنه (**وقطع الطمع عن الخلائق**) مما في أيديهم أو يكتسب بواسطة جاههم (**حتى تزول عنه المداهنة**) معهم، (**فقد روي عن بعض المشايخ أنه كان له سنور**) من أسماء الهر، (**وكان يأخذ من قصاب**) أي جزار (**كل يوم شيئاً من الغدد**) جمع غدة بالضم (**لسنوره فرأى على القصاب منكراً فدخل الدار أولاً وأخرج السنور، ثم جاء واحتسب على القصاب**) وأنكر عليه ذلك المنكر، (**فقال له القصاب: لا أعطيك**

شيئاً لسنورك ، فقال : ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور وقطع الطمع منك . وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لم يقدر على الحسبة ومن طمع في أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم تتيسر له الحسبة . قال كعب الأحبار لأبي مسلم الخولاني : كيف منزلتك بين قومك ؟ قال : حسنة ، قال : ان التوراة تقول ، إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه . فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم .

ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون إذ وعظه واعظ وعنف له في القول فقال : يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق فقال تعالى : ﴿فقولا لَهُ قولاً ليِّناً لعله يتذكَّر أو يخشى﴾ [طه : ٤٤] فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم . فقد روى أبو أمامة : أن غلاماً شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله أتأذن لي في الزنا ؟ فصاح الناس به ، فقال النبي ﷺ : « قربوه أدن »

بعد هذا شيئاً لسنورك . فقال : ما احتسبت عليك إلا بعد إخراج السنور وقطع الطمع عنك وهو كما قال فمن لم يقطع الطمع من الخلق لا يقدر على الحسبة) لخوف المداهنة ، **(ومن طمع أن تكون قلوب الناس عليه طيبة وألسنتهم بالثناء عليه مطلقة لم يتيسر له الحسبة)** فإنه يستحي أن يقابلهم بما يكرهون فتمقته قلوبهم . **(قال كعب)** الأحبار **(لأبي مسلم الخولاني)** رحمهما الله تعالى : **(كيف منزلتك بين قومك ؟ قال : حسنة . قال : إن التوراة تقول إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه . فقال أبو مسلم : صدقت التوراة وكذب أبو مسلم)** وهذا القول قد تقدم للمصنف قريباً .

(ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون) عبد الله بن هارون العباسي **(إذ وعظه واعظ)** حين دخل عليه وعنف **(له في القول)** أي أغلظ **(فقال : يا رجل ارفق)** في وعظك **(فقد بعث الله من هو خير منك)** يعني موسى عليه السلام مع أخيه هارون عليه السلام **(إلى من هو شر مني)** يعني فرعون مصر ، **(وأمره بالرفق فقال : ﴿فقولا**) الخطاب له ولأخيه **(له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾)** وقد روي عن ابن عباس في تفسير قوله : ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ أي كنياه أي لا تنطقوا باسمه . أخرجه عبد بن حمد وابن المنذر ، وعن علي مثل ذلك أخرجه ابن أبي حاتم ، وروي عن الحسن أنه قال : أي اعوز إليه قولاً له إن لك ربا ولك معاداً وإن بين يديك جنة وناراً . **(فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالأنبياء صلوات الله عليهم)** وسلامه **(وقد روى أبو أمامة)** عدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه : **(إن غلاماً شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله أتأذن لي)** وفي نسخة ائذن لي **(في الزنا ؟ فصاح الناس به)** إذ رأوا ما يخالف الأدب **(فقال النبي ﷺ « قربوه)** أي اتركوه **(أدن)** مني يا

فدنا حتى جلس بين يديه، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «أتحبه لأمك؟» فقال: لاجعلني الله فداك، قال: «كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم أتحبه لابنتك»؟ قال: لاجعلني الله فداك، قال: «كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم أتحبه لأختك». وزاد ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحد: لاجعلني الله فداك، وهو ﷺ يقول: «كذلك الناس لا يحبونه» وقالا جميعاً في حديثيهما أعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: «اللهم طهِّر قلبه واغفر ذنبه وحصِّن فرجه» فلم يكن شيء أبغض إليه منه ـ يعني من الزنا ـ.

وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله: إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال الفضيل: ما أخذ منهم إلا دون حقه، ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان: يا أبا علي إن لم نكن من الصالحين فإنا لنحب الصالحين. وقال حماد بن سلمة: إن صلة بن أشيم مرّ عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال: دعوني أنا أكفيكم،

غلام» (**فدنا حتى جلس بين يديه، فقال النبي ﷺ: «أتحبه لأمك»؟ فقال: لا. جعلني الله فداك. قال: «كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم أتحبه لابنتك» قال: لا جعلني الله فداك. قال: «كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم أتحبه لأختك». وزاد ابن عوف**) أي عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة رضي الله عنهم (**أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل واحد: لا جعلني الله فداك، وهو ﷺ يقول: «كذلك الناس لا يحبونه» وقالا جميعاً في حديثيهما أعني ابن عوف والراوي الآخر**) وهو أبو أمامة (**فوضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: «اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه» فلم يكن شيء أبغض إليه منه يعني من الزنا**) قال العراقي: رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح.

(**وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان**) أي عطاياه. (**فقال الفضيل:**) إن له حقاً في بيت مال المسلمين (**ما أخذ منهم إلا دون حقه، ثم خلا به**) الفضيل (**وعذله**) أي لامه (**ووبخه**) أي قال له مثلك من يأخذ من جوائزهم. (**فقال سفيان: يا أبا علي إن لم نكن من الصالحين فإنا لنحب الصالحين**) ففيه دليل على أنه ينبغي أن يكون النصح بلين وفي خلوة عن الناس.

(**وقال حماد بن سلمة**) بن دينار البصري الخراز. قال ابن معين ثقة، وقال شهاب بن المعمر البلخي: كان حماد يعد من الأبدال، وعلامة الأبدال أن لا يولد لهم. تزوج سبعين امرأة فلم يولد له توفي سنة ١٧٧. روى له الجماعة والصواب حماد بن زيد كما هو نص الحلية: (**أن صلة بن اشيم**) أبا الصهباء العدوي رحمه الله تعالى من تابعي البصريين ومشاهيرهم لقي عدة من الصحابة وروى عن ابن عباس وغيره، (**مر عليه رجل أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة،**

فقال: يا ابن أخي إن لي إليك حاجة قال: وما حاجتك يا عم؟ قال: أحب أن ترفع من ازارك. فقال: نعم وكرامة، فرفع ازاره فقال لأصحابه: لو أخذتموه بشدة لقال: لا ولا كرامة وشتمكم. وقال محمد بن زكريا الغلابي: شهدت عبدالله بن محمد ابن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله، وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه، فنظر إليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس: تنحّوا عن ابن أخي، ثم قال: إليَّ يا ابن أخي فاستحى الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه، ثم قال له: امض معي، فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه: بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به فلما أفاق ذكر له ما جرى فاستحيا منه وبكى وهمّ

فقال: دعوني أنا أكفيكم فقال له: يا ابن أخي لي إليك حاجة. قال: وما حاجتك يا عم؟ قال: أحب أن ترفع من إزارك. فقال: نعم وكرامة فرفع إزاره فقال لأصحابه: لو أخذتموه بشدة لقال لا ولا كرامة وشتمكم) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا يوسف بن يعقوب النجيري، حدثنا الحسن بن المثنى، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا ثابت أن صلة وأصحابه مر بهم فتى يجر ثوبه فهم أصحاب صلة أن يأخذوه بـألسنتهم أخذاً شديداً. فقال صلة: دعوني اكفيكم أمره، فقال: يا ابن أخي إن لي إليك حاجة. قال: وما حاجتك؟ قال: أحب أن ترفع إزارك. قال: نعم ونعم عين فرفع إزاره، فقال صلة لأصحابه: هذا كان أمثل لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم.

(**وقال**) أبو بكر (**محمد بن زكريا**) بن دينار البصري (**الغلابي**) منسوب إلى غلاب ككتاب أحد أجداده كما قاله ابن الأثير عروبي عن عبدالله بن رجاء الغداني، وعنه سليمان بن أحمد الطبراني وغيره. وقال الذهبي في الضعفاء قال الدارقطني: هو بصري يضع الحديث: (**شهدت عبدالله بن محمد**) هكذا في النسخ، وصوابه: عبيد الله بن محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر التيمي القرشي وقيل له (**ابن عائشة**) والعائشي والعيشي نسبة إلى عائشة بنت طلحة لانه من ذريتها ثقة جواد مات سنة ثمان وعشرين ومائة، روى له أبو داود والترمذي والنسائي (**ليلة، وقد خرج من المسجد بعد**) صلاة (**المغرب يريد منزله،وإذا في طريقه غلام من قريش سكران وقد قبض على امرأة فجذبها فاستغاثت بالناس فاجتمع الناس عليه يضربونه، فنظر إليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس: تنحوا عن ابن أخي، ثم قال: إلي يا ابن أخي فاستحيا الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه ثم قال له: امض معي فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار وقال لبعض غلمانه: بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به، فلما أفاق**) من سكره (**ذكر له ما جرى**

بالانصراف، فقال الغلام: قد أمر أن تأتيه؛ فأدخله عليه فقال له: أما استحييت لنفسك؟ أما استحييت لشرفك؟ أما ترى من ولدك؟ فاتق الله وانزع عما أنت فيه فبكى الغلام منكساً رأسه ثم رفع رأسه وقال: عاهدت الله تعالى عهداً يسألني عنه يوم القيامة أني لا أعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه وأنا تائب، فقال: إدن مني، فقبّل رأسه وقال: أحسنت يا بني فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث. وكان ذلك لبركة رفقه ثم قال: إن الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكراً فعليكم بالرفق في جميع أموركم تنالون به ما تطلبون. وعن الفتح بن شخرف قال: تعلق رجل بامرأة وتعرض لها وبيده سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره، وكان الرجل شديد البدن، فبينا الناس كذلك والمرأة تصيح في يده إذ مرَّ بشر بن الحرث فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل على الأرض، ومشى بشر فدنوا من الرجل وهو يترشح عرقاً كثيراً ومضت المرأة لحالها فسألوا ما حالك؟ فقال: ما أدري! ولكني حاكني شيخ وقال لي: إن الله عز وجل ناظر إليك وإلى ما تعمل،

فاستحيا وبكى وهم بالانصراف، فقال الغلام) الموكل به: **(قد أمر)** رب المنزل **(أن تأتيه فأدخله عليه، فقال له: أما استحييت لنفسك؟ أما استحييت لشرفك؛ أما ترى من ولدك** من أشياخ قريش **فاتق الله وانزع عما أنت فيه)** من المعصية، **(فبكى الغلام منكساً رأسه ثم رفع رأسه وقال: عاهدت الله)** عز وجل **(عهداً يسألني عنه يوم القيامة أني لا أعود لشرب النبيذ)** المسكر **(ولا لشيء مما كنت فيه وأنا تائب)** إلى الله تعالى. **(فقال: ادن مني فقبل رأسه وقال: أحسنت يا بني)** إذ تبت إلى الله تعالى، **(فكان الغلام بعد ذلك يلزمه)** في مجالسه **(ويكتب الحديث)** وحسن حاله، **(فكان ذلك ببركة رفقه)** معه، **(ثم قال)** ابن عائشة: **(إن الناس يأمرون بالمعروف)** وينهون عن المنكر **(ويكون معروفهم منكراً، فعليكم بالرفق في جميع أموركم تنالون به ما تطلبون)** وقد جاء في حديث مرفوع عن عائشة: «عليكم بالرفق فإنه ما كان في شيء إلا زانه». رواه مسلم. وعند ابن لال من حديث معاذ: «عليك بالرفق والعفو في غير ترك الحق».

(وعن الفتح بن شخرف) تقدمت ترجمته في كتاب العلم **(قال: تعلق رجل بامرأة وتعرض لها وبيده سكين لا يدنو منه أحد إلا عقره)** أي ضربه بذلك السكين، **(وكان الرجل شديد اليدين)** أي صاحب قوة، **(فبينا كذلك والمرأة تصيح في يده)** وفي نسخة من شدة يده **(إذ مر بشر بن الحرث)** الحافي رحمه الله تعالى، **(فدنا منه وحك كتفه بكتف الرجل فوقع الرجل إلى الأرض ومضى بشر فدنوا من الرجل و)** إذا هو **(يترشح عرقاً)** كثيراً، **(ومضت المرأة لحالها فسألوه ما حالك؟ فقال: ما أدري، ولكن حاكني شيخ وقال**

فضعفت لقوله قدماي وهبته هيبة شديدة ولا أدري من ذلك الرجل؟ فقالوا له: هو بشر بن الحرث، فقال: واسوأتاه كيف ينظر إلي بعد اليوم؟ وحمّ الرجل من يومه ومات يوم السابع، فهكذا كانت عادة أهل الدين في الحسبة. وقد نقلنا فيها آثاراً وأخباراً في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصحبة فلا نطول بالإعادة فهذا تمام النظر في درجات الحسبة وآدابها، والله الموفق بكرمه والحمد لله على جميع نعمه.

لي: إن الله ناظر إليك وإلى ما تعمل، فضعفت لقوله قدمي وهبته هيبة شديدة ولا أدري من ذلك الرجل. فقالوا له: ذلك بشر بن الحرث. فقال: واسوأتاه فكيف ينظر إلي بعد اليوم؟ وحم الرجل من يومه) من شدة هيبته وخجله **(ومات يوم السابع)** رحمه الله تعالى. **(فهكذا كانت عادة أهل الدين في الحسبة وقد نقلنا فيه آثاراً وأخباراً في باب البغض في الله والحب في الله من كتاب آداب الصحبة، فلا نطول بالإعادة فهذا تمام النظر في درجات الاحتساب وآدابه، والله الموفق.**

الباب الثالث

في المنكرات المألوفة في العادات

فنشير إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها إذ لا مطمع في حصرها واستقصائها فمن ذلك:

(منكرات المساجد) :

اعلم أن المنكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة، فإذا قلنا: هذا منكر مكروه. فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام، إذا لم يعلم الفاعل أنه مكروه فيجب ذكره له لأن الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه إلى من لا يعرفه. وإذا قلنا منكر محظور أو قلنا منكر مطلقاً فنريد به المحظور ويكون السكوت عليه مع القدرة محظوراً.

الباب الثالث

في المنكرات المألوفة في العادات

أي قد ألفتها العادات وهي من المنكرات **(فنشير إلى جمل منها ليستدل على أمثالها)** وأشباهها ونظائرها **(إذ لا مطمع في حصرها واستقصائها فمن ذلك)** .

منكرات المساجد:

أضيفت إليها لكونها تقع فيها:

(اعلم أن المنكرات تنقسم إلى مكروهة وإلى محظورة، فإذا قلنا هذا منكر مكروه، فاعلم أن المنع منه مستحب والسكوت عليه مكروه وليس بحرام إذا لم يعلم الداعل أنه مكروه فيجب ذكره له، فإن للكراهة حكماً في الشرع يجب تبليغه إلى من لا يعرفه، وإذا قلنا منكر محظور أو قلنا منكر مطلقاً) بغير قيد **(فنريد به المحظور)**، وهو المسمى عند أصحاب أبي حنيفة بكراهة التحريم تراد من لفظ المكروه إذا كان مطلقاً، **(ويكون السكوت عليه مع القدرة محظوراً)** .

فمما يشاهد كثيراً في المساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة في الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث، فيجب النهي عنه إلا عند الحنفي الذي يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة، إذ لا ينفع النهي معه. ومن رأى مسيئاً في صلاته فسكت عليه فهو شريكه ـ هكذا ورد به الأثر ـ وفي الخبر ما يدل عليه، إذ ورد في الغيبة أن المستمع شريك القائل، وكذلك كل ما يقدح في صحة الصلاة من نجاسة على ثوبه لا يراها، أو انحراف عن القبلة بسبب ظلام أو عمى فكل ذلك تجب الحسبة فيه.

ومنها: قراءة القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح. فإن كان المعتكف في المسجد يضيع أكثر أوقاته في أمثال ذلك ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به، فإن هذا أفضل له من ذكره وتطوعه، لأن هذا فرض وهي قربة تتعدى فائدتها، فهي أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها. وإن كان ذلك يمنعه عن الوراقة مثلاً أو عن الكسب الذي هو طعمته، فإن كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا، وإن احتاج إلى الكسب لقوت يومه فهو عذر له

(**فمما يشاهد كثيراً في المساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة في الركوع والسجود وهو منكر مبطل للصلاة بنص الحديث**) المروي عن وائل بن حجر على ما تقدم ذكره في كتاب الصلاة، (**فيجب النهي عنه إلا للحنفي**) المذهب (**الذي يعتقد أن ذلك لا يمنع صحة الصلاة**) وفي خلاف مشهور في مذهب أبي حنيفة والقول المفتى به عن أبي يوسف وجوب التعديل في الأركان، (**إذا لا ينفع النهي معه**) فإنه لا يقبل ذلك ولا يعده منكراً (**ومن رأى مسيئاً في صلاته فسكت عليه فهو شريكه**) في الحرمة. (**هكذا ورد الأثر**) عن بعض الصحابة. (**وفي الخبر**) النبوي (**ما يدل عليه إذ ورد في الغيبة أن المستمع شريك القائل**) ولفظ الحديث: « المغتاب والمستمع شريكان في الإثم » وقد تقدم في الصوم، (**وكذلك كل ما يقدح**) في صحة الصلاة (**من نجاسة على ثوبه**) أو بدنه أو موضع الصلاة (**لا يراها أو انحراف عن**) سمت (**القبلة بسبب ظلام أو عمى**) البصر، (**فكل ذلك تجب الحسبة فيه**) ويجب إرشاده بذلك.

(**ومنها: قراءة القرآن باللحن**) أي بالخطأ (**يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح**) وتكراره له حتى يعرفه (**فإن كان المعتكف في المساجد**) في أكثر الأحوال (**يضيع أكثر أوقاته في أمثال ذلك**) من النهي عن التلحين في القراءة وتلقين الصحيح، (**ويشتغل به عن التطوع والذكر فليشتغل به فإن هذا أفضل من ذكره وتطوعه لأن هذا فرض**) إذ لا يتم الفرض إلا به (**وهي**) مع ذلك (**قربة تتعدى فائدتها**) للغير (**فهي أفضل من نافلة تقتصر عليه فائدتها**) ولا تتعدى، (**وإن كان ذلك يمنعه من الوراقة**) مثلاً (**و**) عن (**الكسب الذي هو طعمته فإن كان معه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا، وإن احتاج إليه**) أي

فيسقط الوجوب عنه لعجزه، والذي يكثر اللحن في القرآن إن كان قادراً على التعلم فليمتنع من القراءة قبل التعلم فإنه عاص به، وإن كان لا يطاوعه اللسان فإن كان أكثر ما يقرأه لحناً، فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها، وإن كان الأكثر صحيحاً وليس يقدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ، ولكن ينبغي أن يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره. ولمنعه سراً منه أيضاً وجه، ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له أنس بالقراءة وحرص عليها فلست أرى به بأساً والله أعلم.

ومنها: تراسل المؤذنين في الأذان وتطويلهم بمد كلماته وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الحيعلتين، أو انفراد كل واحد منهم بأذان ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر، بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات. فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها. فإن صدرت عن معرفة فيستحب المنع منها والحسبة فيها. وكذلك إذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي أن

إلى الكسب (**لقوت يومه فهو عذر له فيسقط** الوجوب عنه لعجزه) وكذا إذا كان دخله لا يفي بخرجه ولو اشتغل بالحسبة لفاته دخل يومه يسقط الوجوب عنه، (**والذي يكثر اللحن في القرآن إن كان قادراً على التعلم فليمتنع عن القراءة قبل التعلم فهو عاص به، وإن كان لا يطاوعه اللسان فإن كان أكثر ما يقرأه لحناً فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها**) بالشدات والمدات، (**وإن كان الأكثر صحيحاً وليس يقدر على التسوية فلا بأس به أن يقرأ ولكن ينبغي أن يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره**) ممن في طرف المسجد، (**ولمنعه سراً منه، أيضاً وجه، ولكن إذا كان ذلك منتهى قدرته**) وغاية جهده، (**وكان له انس بالقراءة وحرص عليها فلست أرى بذلك بأساً والله أعلم**) وذلك لأنه قد بذل مجهوده وأنسه بالقراءة وشرفه عليها كاف في المقام فلا يمنع منها.

(**ومنها: تراسل المؤذنين في الأذان وتطويلهم في كلماته**) ومنه قولهم: لا تراسل في الأذان إذ لا متابعة فيه، والمعنى لا اجتماع فيه، وهو أن يجتمعوا على الأذان يبتدىء هذا ويمد صوته فيقبض ويسكت ويأخذ غيره في مد الصوت ويرجع الأول، وهكذا إلى أن ينتهي وهو منهي عنه، (**وانحرافهم عن صوب القبلة بجميع الصدر في الحيعلتين أو انفراد واحد بأذان، ولكن من غير توقف إلى انقطاع أذان الآخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب الأذان لتداخل الأصوات فكل ذلك منكرات مكروهة يجب تعريفها**) إياهم وإرشادهم إلى ما يسن في الأذان وآدابه، (**وإن صدرت عن معرفة**) أي بعدها (**فيستحب المنع منها والحسبة فيها، وكذلك إذا كان للمسجد مؤذن واحد وهو يؤذن قبل الصبح فينبغي أن يمنع منه فذلك**)

يمنع من الأذان بعد الصبح، فذلك مشوّش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعوّل على أذانه في صلاة وترك سحور، أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح.

ومن المكروهات أيضاً، تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الفجر في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متقاربة، إما من واحد أو جماعة، فإنه لا فائدة فيه، إذا لم يبق في المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينبه غيره فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنَّة الصحابة والسلف.

ومنها: أن يكون الخطيب لابساً لثوب أسود يغلب عليه الإبريسم، أو ممسكاً لسيف مذهب فهو فاسق والإنكار عليه واجب، وأما مجرد السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض. ومن قال انه مكروه وبدعة أراد به أنه لم يكن معهوداً في العصر الأوّل، ولكن إذا لم يرد فيه نهي فلا ينبغي أن يسمى بدعة ومكروهاً ولكنه ترك للأحب.

مشوش للصوم والصلاة على الناس إلا إذا عرف أنه يؤذن قبل الصبح حتى لا يعول على أذانه في صلاة وترك سحور) للصائم، **(أو كان معه مؤذن آخر معروف الصوت يؤذن مع الصبح)** كما يعمل ذلك في شهر رمضان، وقد كان له ﷺ مؤذنان: أحدهما يؤذن قبل الصبح لينبه النائم ويرجع القائم وهو بلال، والثاني لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت وهو ابن أم مكتوم.

(ومن المكروهات أيضاً تكثير الأذان مرة بعد أخرى بعد طلوع الصبح في مسجد واحد في أوقات متعاقبة متقاربة إما من واحدأوجماعة فإنه لا فائدة فيه إذا لم يبق في المسجد نائم ولم يكن الصوت مما يخرج عن المسجد حتى ينتبه غيره) ولا أخال ذلك معمولاً به في غالب الأقطار، ولعل ذلك كان موجوداً في زمان المصنف في ديار خراسان، **(فكل ذلك من المكروهات المخالفة لسنة الصحابة والسلف)**.

(ومنها: أن يكون الخطيب لابساً لثوب أسود يغلب عليه الإبرسيم) وهو الحرير الخام، **(أو ممسكاً)** بيده **(لسيف مذهب فهو فاسق والإنكار عليه واجب، وأما مجرد)** لبس **(السواد فليس بمكروه ولكنه ليس بمحبوب إذ أحب الثياب إلى الله تعالى البيض)** كما ورد به الخبر. **(ومن قال أنه مكروه وبدعة أراد به أنه لم يكن معهوداً في العصر الأول)** بل الذي أحدث لبس السواد أبو مسلم الخراساني في دولة المنصور، **(ولكنه إذا لم يرد فيه نهي فلا ينبغي أن يسمى بدعة ومكروهاً، ولكنه ترك للأحب)**.

ومنها : كلام القصّاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة. فالقاص إن كان يكذب في أخباره فهو فاسق والإنكار عليه واجب، وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجوز حضور مجلسه إلا على قصد إظهار الرد عليه؛ إما للكافة إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواليه فإن لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة. قال الله تعالى لنبيه: ﴿فأعْرِضْ عنهم حتّى يخُوضُوا في حديث غيرهِ﴾ [الأنعام : ٦٨] ومهما كان كلامه مائلاً إلى الإرجاء وتجرئة الناس على المعاصي، وكان الناس يزدادون بكلامه جرأة وبعفو الله وبرحمته وثوقاً يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر، ويجب منعه عنه لأن فساد ذلك عظيم، بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فإنهم إلى الخوف أحوج وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء كما قال عمر رضي الله عنه: لو نادى مناد يوم القيامة، ليدخل النار كل الناس إلاّ رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل، ولو نادى مناد: ليدخل الجنة كل الناس إلاّ رجلاً واحداً، لخفت أن أكون أنا ذلك الرجل، ومهما كان الواعظ شاباً متزيناً للنساء في ثيابه وهيئته كثير الاشعار والإشارات والحركات وقد

(**ومنها :**) أي ومن منكرات المساجد (**كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة**) مما ليس في سيرة السلف، (**فالقاص إن كان يكذب في أخباره**) للحاضرين (**فهو فسق والإنكار عليه واجب**) لئلا يعتمد على ما يذكره، (**وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه ولا يجب حضور مجلسه إلا على قصد إظهار الرد عليه**) في بدعته، (**إما للكافة**) أي جميع من حضر المجلس (**إن قدر عليه أو لبعض الحاضرين حواليه**) ممن يقرب منه، (**فإن لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة**) ولا إقرارها (**قال الله تعالى لنبيه**) ﷺ : (﴿**فأعرض عنهم**) أي من المشركين وكانوا يخوضون في الشرك (**حتى يخوضوا في حديث غيره**﴾ **ومهما كان كلامه مائلاً إلى الارجاء وتجرئة الناس على المعاصي**) أي حملهم على ارتكابها، (**وكان الناس يزدادون بكلامه جرأة وبعفو الله ورحمته وثوقاً**) واعتماداً (**يزيد بسببه رجاؤهم على خوفهم فهو منكر ويجب منعه عنه لأن فساد ذلك عظيم**) خصوصاً للعامة الذين لم يستحكموا عقائدهم، (**بل لو رجح خوفهم على رجائهم فذلك أليق وأقرب بطباع الخلق فإنهم إلى الخوف أحوج**) من الرجاء، (**وإنما العدل تعديل الخوف والرجاء، كما قال عمر رضي الله عنه**) فيما رواه الإسماعيلي في مناقبه، (**ولو نادى منادٍ يوم القيامة ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل، ولو نادى منادٍ ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لخفت أن أكون أنا ذلك الرجل**) نقله صاحب القوت، (**ومهما كان الواعظ شاباً متزيناً للنساء في ثيابه وهيئته**) بأن يكحل عينيه ويمشط لحيته ويصقل خديه وهو مع ذلك (**كثير الأشعار**) المناسبة للمجلس (**والإشارات**) بعينه (**والحركات**) يميناً وشمالاً، (**وقد**

حضر مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه، فإن الفساد فيه أكثر من الصلاح، ويتبين ذلك منه بقرائن أحواله، بل لا ينبغي أن يسلم الوعظ إلا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين، وإلاَّ فلا يزداد الناس به إلا تمادياً في الضلال. ويجب أن يضرب بين الرجال والنساء حائل يمنع من النظر فإن ذلك أيضاً مظنة الفساد، والعادات تشهد لهذه المنكرات، ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلوات ومجالس الذكر إذا خيفت الفتنة بهن فقد منعتهن عائشة رضي الله عنها فقيل لها: إن رسول الله ﷺ ما منعهن من الجماعات، فقالت: لو علم رسول الله ﷺ ما أحدثن بعده لمنعهن. وأما اجتياز المرأة في المسجد مستترة فلا تمنع منه إلا أن الأولى أن لا تتخذ المسجد مجازاً أصلاً. وقراءة القراء بين يدي الوعاظ مع التمديد والألحان على وجه يغيّر نظم القرآن، ويجاوز حدّ الترتيل منكر مكروه شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف.

ومنها: الحلق يوم الجمعة لبيع الأدوية والأطعمة والتعويذات، وكقيام السؤال

حضر مجلسه النساء، فهذا منكر يجب المنع منه، فإن الفساد فيه أكثر من الصلاح) فإن الشيطان يجد إذ ذاك سبيلاً لوضع فخوخه ومصايده، **(ويبين ذلك منه بقرائن أحواله، بل لا ينبغي أن يسلم الوعظ)** على العامة **(إلا لمن ظاهره الورع وهيئته السكينة والوقار وزيه زي الصالحين، وإلا فلا يزداد الناس به إلا تمادياً في الضلال)** واستطالة في الشهوات. **(ويجب أن يضرب بين النساء والرجال حائل)** أي مانع **(يمنع من النظر)** من الطرفين، **(فإن ذلك أيضاً مظنة الفساد)** بل أصل البلاء من النظر، **(والعادات تشهد لهذه المنكرات ويجب منع النساء من حضور المساجد للصلاة)** مع الأئمة، **(ولمجالس الذكر)** والوعظ **(إذا خيف الفتنة بهن إذ)** وفي نسخة: فقد **(منعتهن)** عن المساجد **(عائشة رضي الله عنها فقيل لها أن رسول الله ﷺ ما منعهن من الجماعات)** أي من حضورها؟ **(فقالت: لو علم رسول الله ﷺ ما أحدثن بعده لمنعهن)** المساجد. أخرجه البخاري ومسلم وخصوصاً إذا خرجت المرأة إلى المسجد متزينة معطرة مكحلة فهي في حكم الزانية كما ورد في الخبر. **(فأما اجتياز المرأة بالمسجد متسترة)** بثيابها من رأسها إلى قدمها **(فلا يمنع منه)** لأمن الفتنة ولكونها مجتازة لا مستقرة **(إلا أن الأولى أن لا يتخذ المسجد مجازاً)** للسلوك فيه **(أصلاً)** وما جاز منه فعلى قدر الضرورة بأن يكون المسجد له بابان. ولها حاجة داعية إلى الباب الثاني، فلا بأس بمرورها فيه تارة، **(وقراءة القرآن بين يدي الوعاظ)** على الأرض أو على الكراسي **(مع التمديد)** المفرط وهو تمطيط الحروف حتى تتجاوز عن مخارجها الأصلية **(والألحان)** الغنائية **(على وجه يغير نظم القرآن ويجاوز حد الترتيل)** المأمور به **(منكر)** قبيح **(مكروه شديد الكراهة أنكره جماعة من السلف)** منهم أحمد بن حنبل كما في القوت.

(ومنها: الحلق) أي اتخاذها **(يوم الجمعة)** وهي جمع حلقة **(لبيع الأدوية)** والعقاقير

وقراءتهم القرآن وإنشادهم الأشعار وما يجري مجراه، فهذه الأشياء منها ما هو محرم لكونه تلبيساً وكذباً، كالكذابين من طرقية الأطباء وكأهل الشعبذة والتلبيسات وكذا أرباب التعويذات في الأغلب يتوصلون إلى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوادية فهذا حرام في المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه. بل كل بيع فيه كذب وتلبيس وإخفاء عيب على المشتري فهو حرام.

ومنها: ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة، فهذا في المسجد أيضاً لا يحرم إلا بعارض وهو أن يضيق المحل على المصلين ويشوّش عليهم صلاتهم، فإن لم يكن شيء من ذلك فليس بحرام والأولى تركه ولكن شرط إباحته أن يجري في أوقات نادرة وأيام معدودة، فإن اتخذ المسجد دكاناً على الدوام حرم ذلك ومنع منه. فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فإن كثر صار صغيرة. كما أن من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار فإن كان القليل من هذا لو فتح بابه لخيف منه أن ينجر إلى الكثير فليمنع منه، وليكن هذا المنع إلى الوالي أو إلى القيم بمصالح المسجد من

(والأطعمة) والفواكه **(والتعويذات)** والمصنوعات من الحلي والخرز، **(وكقيام السؤال)** في وسط الصفوف أو على الأبواب، **(وقراءتهم)** القرآن **(ونشيدهم الأشعار وما يجري مجراه. فهذه الأشياء منها ما هو حرام)** وفي نسخة: محرم **(لكونه تلبيساً أو كذباً)** وتمويهاً **(كالكذابين من طرقية الاطباء وكأهل الشعبذة والتلبيسات وكذا أرباب التعويذات في الأغلب يتوصلون إلى بيعها بالتلبيس على الصبيان والسوادية)** والنساء، **(فهذا حرام في المسجد وخارج المسجد ويجب المنع منه)** وخصوصاً في المسجد فإنه لم يبن لذلك، **(بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب)** من عيوبه **(على المشتري فهو حرام)** وقد تقدم ذلك في كتاب تدبير المعاش.

(ومنها: ما هو مباح خارج المسجد كالخياطة وبيع الأدوية والكتب والأطعمة) والفواكه، **(فهذا في المسجد أيضاً لا يحرم إلا بعارض وذلك بأن يضيق المكان على المصلين)** ويزاحمهم، **(ويشوش عليهم صلاتهم فإن لم يكن شيء من ذلك فليس بحرام والأولى تركه)** فإن المساجد لم تبن لذلك، **(ولكن شرط إباحته أن يجري في أوقات نادرة وأيام معدودة)** لا على الدوام، **(فإن اتخذ المسجد مكاناً على الدوام حرم ذلك ومنع منه فمن المباحات ما يباح بشرط القلة فإن كثر صار صغيرة كما أن من الذنوب ما يكون صغيرة بشرط عدم الإصرار)** وقد تقدم الكلام عليه في الكتاب الذي قبله، **(فإن كان القليل من هذا لو فتح بابه لخيف أن ينجر إلى الكثير فليمنع منه)** سداً للذريعة، **(ولكن هذا المنع)** موكول **(إلى الوالي)** للأمر في ذلك البلد، **(أو إلى القيم بمصالح المسجد من قبل الوالي فإنه**

قبل الوالي لأنه لا يدرك ذلك بالاجتهاد . وليس للآحاد المنع مما هو مباح في نفسه لخوفه أن ذلك يكثر .

ومنها : دخول المجانين والصبيان والسكارى في المسجد ، ولا بأس بدخول الصبي المسجد إذا لم يلعب ، ولا يحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت على لعبه إلا إذا اتخذ المسجد ملعباً وصار ذلك معتاداً فيجب المنع منه ، فهذا مما يحل قليله دون كثيره ، ودليل حل قليله ما روي في الصحيحين : « أن رسول الله ﷺ وقف لأجل عائشة رضي الله عنها حتى نظرت إلى الحبشة يزفنون ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد في المسجد » ولا شك في أن الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعباً لمنعوا منه ، ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكراً حتى نظر إليه ، بل أمرهم به رسول الله ﷺ لتبصرهم عائشة تطييباً لقلبها إذ قال : « دونكم ، يا بني أرفدة » كما نقلناه في كتاب السماع . وأما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد إلا أن يخشى تلويثهم له ، أو شتمهم أو نطقهم بما هو فحش ، أو تعاطيهم لما هو منكر في صورته ككشف العورة وغيره . وأما المجنون الهادىء الساكن

يدرك ذلك بالاجتهاد وليس للآحاد المنع مما هو مباح في نفسه لخوف ان ذلك يكثر) .

(**ومنها : دخول المجانين والصبيان والسكارى في المسجد**) فإن هؤلاء مسلوبو الاختيار لا يتحفظون على أنفسهم فليجتنب دخولهم فيه (**ولا بأس بدخول الصبي المسجد إذا لم يلعب**) وأمن مع ذلك من التلويث ، (**ولا يحرم عليه اللعب في المسجد ولا السكوت عليه**) أي على لعبه (**إلا إذا اتخذ المسجد ملعباً وصار ذلك معتاداً فيجب المنع ، فهذا يحل قليله دون كثيره ، ودليل حل قليله دون كثيره ما روي في الصحيحين**) للبخاري ومسلم (**« أن رسول الله ﷺ وقف لأجل عائشة رضي الله عنها حتى نظرت إلى الحبشة**) وهم (**يزفنون**) أي يرقصون (**ويلعبون بالدرق والحراب يوم العيد**) أي عيد فطر (**في المسجد »**) تقدم في كتاب السماع والوجد مفصلاً . (**ولا شك في أن الحبشة لو اتخذوا المسجد ملعباً لمنعوا منه**) صيانة للمسجد ، (**ولم ير ذلك على الندرة والقلة منكراً حتى نظر إليه**) بنفسه تعلماً للأمة وتنبيهاً لهم بأن في هذا الدين فسحة ، (**بل أمرهم به ﷺ لتنظر عائشة**) رضي الله عنها (**تطييباً لقلبها**) لصغر سنها (**إذ قال « دونكم يا بني أرفدة »**) وهم الحبشة (**كما نقلناه في كتاب السماع**) والوجد وذكرنا هناك ما يتعلق به . (**وأما المجانين فلا بأس بدخولهم المسجد إلا أن يخشى تلويثهم له**) بنحو مخاط أو بول أو غير ذلك (**أو شتمهم ونطقهم بما هو فحش أو تعاطيهم لما هو منكر**) وفي نسخة لأمر هو منكر . (**في صورته ككشف العورة وغيرها**) فإن هذا من شأنهم في الأغلب ، فإن خشي شيء من ذلك وجب المنع . (**فأما المجنون الهادىء الساكن الذي**

الذي قد علم بالعادة سكونه وسكوته فلا يجب إخراجه من المسجد . والسكران في معنى المجنون ، فإن خيف منه القذف ـ أعني القيء ـ أو الإيذاء باللسان وجب إخراجه . وكذا لو كان مضطرب العقل فإنه يخاف ذلك منه ، وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة منه تفوح فهو منكر مكروه شديد الكراهة . وكيف لا ومن أكل الثوم والبصل فقد نهاه رسول الله ﷺ عن حضور المساجد ؛ ولكن يحمل ذلك على الكراهة والأمر في الخمر أشد .

فإن قال قائل : ينبغي أن يضرب السكران ويخرج من المسجد زجراً . قلنا : لا ، بل ينبغي أن يلزم القعود في المسجد ويدعى إليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلاً ، فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الآحاد بل هو إلى الولاة . وذلك عند إقراره أو شهادة شاهدين ، فأما لمجرد الرائحة فلا . نعم إذا كان يمشي بين الناس متمايلاً بحيث

قد علم بعادته سكونه وسكوته فلا يجب إخراجه من المسجد) لزوال العلة **(والسكران في معنى المجنون فإن خيف منه القذف أعني القيء والإيذاء باللسان وجب اخراجه . وكذا لو كان مضطرب العقل فإنه يخاف ذلك منه)** لعدم ثبات عقله ، **(وإن كان قد شرب ولم يسكر والرائحة تفوح)** منه **(فهو منكر مكروه شديد الكراهة)** فيجب أن يمنع من الدخول ، **(وكيف لا ومن أكل الثوم فقد نهاه رسول الله ﷺ عن حضور المسجد) فقد** روى البخاري ومسلم وابن حبان من حديث جابر « من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الأنس » وروى أحمد ومسلم من حديث أبي سعيد « من أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيئاً فلا يقربنا في المسجد » وروى عبد الرزاق والطبراني من حديث العلاء بن خباب بمثل رواية الشيخين عن جابر إلى قوله « فلا يقربن مسجدنا وزاد يعني الثوم » ورواه أحمد والطبراني أيضاً من حديث معقل بن يسار بلفظ « فلا يقربن مصلانا » وزاد الطبراني من حديث المغيرة إلا عن عذر وقد روي أيضاً مثل هذا في حق البصل والكراث والفجل ، **(لكن يحمل ذلك على الكراهة والأمر في الخمر أشد)** من الثوم والبصل .

(فإن قال قائل : ينبغي أن يضرب السكران ويخرج من المسجد زجراً) له . **(قلنا : لا)** يضرب ولا يزجر **(بل ينبغي أن يلزم القعود في المسجد ويدعى إليه ويؤمر بترك الشرب مهما كان في الحال عاقلاً)** يعني ما يقال له ، **(فأما ضربه للزجر فليس ذلك إلى الآحاد)** من الرعية ، **(بل هو)** موكول **(إلى الولاة وذلك عند إقراره)** بنفسه **(أو شهادة شاهدين ، فأما مجرد الرائحة فلا)** لجواز أن يكون أكل العنب المحمض في الخل فإنه إذا تجشأ تشم منه رائحة تشبه رائحة النبيذ المسكر . **(نعم إذا كان يمشي بين الناس متمايلاً)** يميناً وشمالاً **(بحيث يعرف**

يعرف سكره فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد منعاً له عن إظهار أثر السكر، فإن إظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها، وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها، فإن كان مستتراً مخفياً لأثره فلا يجوز أن يتجسس عليه. والرائحة قد تفوح من غير شرب، بالجلوس في موضع الخمر وبوصوله إلى الفم دون الابتلاع، فلا ينبغي أن يعول عليه.

(منكرات الأسواق):

من المنكرات المعتادة في الأسواق الكذب في المرابحة، وإخفاء العيب. فمن قال: اشتريت هذه السلعة مثلاً بعشرة وأربح فيها كذا وكان كاذباً فهو فاسق. وعلى من عرف ذلك أن يخبر المشتري بكذبه، فإن سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكاً له في الخيانة وعصى بسكوته. وكذا إذا علم به عيباً فيلزمه أن ينبه المشتري عليه وإلا كان

سكره) بقرينة أحواله، **(فيجوز ضربه في المسجد وغير المسجد)** وفي إقامة الحدود في المساجد اختلاف بين العلماء **(منعاً من إظهار أثر السكر، فإن اظهار أثر الفاحشة فاحشة والمعاصي يجب تركها وبعد الفعل يجب سترها وستر آثارها فإن كان مستتراً مخفياً)** لحاله **(لأثره، فلا يجوز أن يتجسس عليه)** كما تقدم. **(والرائحة قد تفوح)** وتظهر **(من غير شرب إما بالجلوس في موضع)** فتعبق في ثيابه **(و) (اما بوصوله إلى الفم دون الابتلاع فلا ينبغي أن يعوّل عليه)** اعلم أن إقامة حد الشرب بمجرد الرائحة هو مذهب مالك، وحكي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستدل عليه بفعل ابن مسعود فيما أخرجه الشيخان والنسائي من طريق الأعمش عن إبراهيم عن علقمة أن ابن مسعود قرأ سورة يوسف بحمص فقال رجل: ما هكذا أنزلت فدنا منه عبد الله فوجد منه رائحة الخمر فقال: أتكذب بالحق وتشرب الرجس لا أدعك حتى أجلدك حداً. قال: فضربه الحد وقال: والله لهكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ وهو رواية عن أحمد إذا لم يدع شبهة. وذهب أبو حنيفة والثوري والشافعي وأحمد في المشهور عنه إلى أنه لا يجب الحد بذلك، وحملوا هذا الحديث على أن الرجل اعترف بشرب الخمر بلا عذر ومجرد الريح لا يدل على شيء لاحتمال النسيان والاشتباه والاكراه، والله أعلم.

منكرات الأسواق:

اعلم أن **(من المنكرات المعتادة في الأسواق الكذب في المرابحة وإخفاء العيب)** في السلع، **(فمن قال اشتريت هذه السلعة مثلاً بعشرة وأربح فيها درهماً وكان كاذباً)** وفي نسخة وقد بعته بربح درهم وهو كاذب **(فهو فاسق. وعلى من عرف ذلك أن يخبر المشتري بكذبه فإن سكت مراعاة لقلب البائع كان شريكاً له في الخيانة وعصى)** الله عز وجل **(بسكوته)** فإنه يعد ذلك من المداهنة، **(وكذا إذا علم به عيباً)** أي شيئاً من عيب **(يلزمه**

راضياً بضياع مال أخيه المسلم وهو حرام، وكذا التفاوت في الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه أو رفعه إلى الوالي حتى يغيره.

ومنها: ترك الإيجاب والقبول والاكتفاء في المعاطاة. ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه. وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس يجب الإنكار فيها فإنها مفسدة للعقود. وكذا في الربويات كلها وهي غالبة. وكذا سائر التصرفات الفاسدة.

ومنها: بيع الملاهي وبيع أشكال الحيوانات المصورة في أيام العيد لأجل الصبيان، فتلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهي، وكذلك بيع الأواني المتخذة من الذهب والفضة، وكذلك بيع ثياب الحرير، وقلانس الذهب والحرير، أعني التي لا تصلح إلا للرجال، أو يعلم بعادة البلد أنه لا يلبسه إلا الرجال، فكل ذلك منكر محظور وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة المقصورة الذي يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها ويزعم

أن ينبه المشتري عليه) أي على ذلك العيب، **(وإلاَّ كان راضياً بضياع مال أخيه)** المسلم **(وهو حرام، وكذلك التفاوت في الذراع والمكيال والميزان يجب على كل من عرفه تغييره بنفسه)** إن قدر **(أو دفعه إلى الوالي حتى يغيره)** فيثاب على ذلك.

(ومنها: ترك) الصيغتين **(الإيجاب والقبول)** في البيع والشراء **(والاكتفاء بالمعاطاة)** فيه على ما عرف حكمه في كتاب تدبير المعاش، **(ولكن ذلك في محل الاجتهاد فلا ينكر إلا على من اعتقد وجوبه)** فيجب على الشافعي أن ينكر على الشافعي إذا رآه كذلك، ولا يجب عليه أن ينكر على الحنفي لأنه يرى جوازه، **(وكذا في الشروط الفاسدة المعتادة بين الناس)** على ما تقدم ذكرها في البيوع **(يجب الإنكار فيها فإنها مفسدة للعقود)** أو مبطلة على رأي، فإن الحنفي يفرق بين الشروط المفسدة وبين المبطلة على ما تقدم بحثه في البيوع، **(وكذا في الربويات كلها وهي غالبة)** في الاسواق، **(وكذا سائر التصرفات الفاسدة)** فإنه يجب الانكار فيها.

(ومنها: بيع الملاهي) أي آلاتها كالعود والقانون والطنبور والربابة، **(وبيع أشكال الحيوانات المصوّرة في أيام العيد لأجل الصبيان)** أي لعبهم بها، **(فلذلك يجب كسرها والمنع من بيعها كالملاهي)** بخلاف ما إذا كانت صور القصور والأشجار، **(وكذلك بيع الأواني المتخذة من الذهب والفضة)** سواء كانت صحوناً أو أباريق أو قماقم أو مباخر أو ظروفاً أو أغطية، **(وكذلك بيع ثياب الحرير وقلانس الذهب والحرير. أعني التي لا تصلح إلا للرجال ويعلم بعادة البلد أنه لا يشتريه إلا الرجال فكل ذلك منكر محظور)** يجب المنع **(عنه، وكذلك من يعتاد بيع الثياب المبتذلة)** المستعملة **(المقصورة)** المغسولة **(التي يلبس على الناس بقصارتها وابتذالها واستعمالها، ويزعم انها جديدة)** يوهمهم بذلك ولا سيما إذا

أنها جديدة فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب. وكذلك تلبيس انخراق الثوب بالرفو وما يؤدي إلى الالتباس. وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية إلى التلبيسات وذلك يطول إحصاؤه. فليقس بما ذكرناه ما لم نذكره.

(منكرات الشوارع) :

فمن المنكرات المعتادة فيها: وضع الأسطوانات، وبناء الدكات متصلة بالأبنية المملوكة، وغرس الأشجار، وإخراج الرواشن والأجنحة، ووضع الخشب وأحمال الحبوب والأطعمة على الطرق، فكل ذلك منكر إن كان يؤدي إلى تضييق الطرق واستضرار المارة، وإن لم يؤد إلى ضرر أصلاً لسعة الطريق فلا يمنع منه. نعم يجوز وضع

نشيت وصقلت، (**فهذا الفعل حرام والمنع منه واجب وكذلك تلبيس انخراق الثياب بالرفو**) الذي لا يتبين (**وما يؤدي إلى الالتباس**) فإنه حرام، وقد سئل عنه الإمام أحمد قال فأجاب كذلك نقله صاحب القوت، ولفظه: قال أبو بكر المروزي سألت أبا عبد الله رفاء يرفو الوسائط والإنماط للتجار، وهم يبيعون ولا يخبرون بالرفو. قال: يعمل العمل الذي يتبين لا الخفي الذي لا يتبين إلا لمن يثق به، (**وكذلك جميع أنواع العقود المؤدية إلى التلبيسات وذلك**) كثير (**يطول إحصاؤه فليقس بما ذكرناه ما لم نذكره**) وجملة من ذلك ذكرها ابن الحاج في المدخل.

منكرات الشوارع:

وهي الطرق العامة شرعت لسلوك الناس ومرورهم فيها لحاجاتهم. (**فمن المعتاد فيها وضع الاسطوانات**) جمع اسطوانة وهي الأعمدة سواء كانت من حجر أو خشب، أو بناء (**وبناء الدكات**) جمع دكة وهي الموضع المرتفع المبني من طين وآجر أو حجر أو خشب، وفي نسخة الدكاك وفي بعض النسخ الدكاكين (**متصلة بالأبنية المملوكة**) للغير، (**و**) كذا (**غرس الأشجار و**) كذا (**إخراج القوابيل**) جمع قابول هو الساباط. قال صاحب المصباح: هكذا استعمله الغزالي، وتبعه الرافعي ولم أظفر بنقل فيه اهـ.

قلت: ما أنكره صاحب المصباح يمكن توجيهه على كلام العرب، فإنهم يقولون: انزل بقبل هذا الجبل محركة أي سفحه ومرتفعه من أصله كالسند، وقد أشرت إليه في شرحي على القاموس وفي بعض النسخ الرواشن.

(**والأجنحة**) جمع جناح وهو على التشبيه بجناح الطير الذي هو بمنزلة اليد من الإنسان. (**ووضع الخشب و**) وضع (**أحمال الحبوب والأطعمة**) والبقول (**على الطرق، فكل ذلك منكر إن كان يؤدي إلى تضييق الطرق واستضرار المارة**) بها، (**وإن لم يؤد إلى ضرر أصلاً لسعة الطريق فلا يمنع منه**) لزوال العلة. (**نعم يجوز وضع الحطب وأحمال الأطعمة**)

الحطب وأحمال الأطعمة في الطريق في القدر الذي ينقل إلى البيوت، فإن ذلك يشترك في الحاجة إليه الكافة ولا يمكن المنع منه. وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين منكر يجب المنع منه إلا بقدر حاجة النزول والركوب. وهذا لأن الشوارع مشتركة المنفعة وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة، والمرعي هو الحاجة التي تراد الشوارع لأجلها في العادة دون سائر الحاجات.

ومنها: سوق الدواب وعليها الشوك بحيث يمزق ثياب الناس فذلك منكر إن أمكن شدّها وضمها بحيث لا تمزق، أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع، وإلاَّ فلا منع إذ حاجة أهل البلد تمس إلى ذلك. نعم لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مدة النقل. وكذلك تحميل الدواب من الأحمال ما لا تطيقه منكر يجب منع الملاك منه. وكذلك ذبح القصاب إذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت ويلوّث الطريق بالدم فإنه منكر يمنع منه، بل حقه أن يتخذ في دكانه مذبحاً فإن في ذلك تضييقاً بالطريق وإضراراً بالناس بسبب ترشيش النجاسة، وبسبب استقذار الطباع للقاذورات، وكذلك طرح

والثياب (**في الطريق في القدر الذي ينقل إلى البيوت**) في كل يوم من دقيق وأرز وحنطة وفول وشعير وخضراوات، (**فإن ذلك يشترك في الحاجة إليه الكافة**) من الناس، (**ولا يمكن المنع منه، وكذلك ربط الدواب على الطريق بحيث يضيق الطريق**) على المارة (**وينجس المجتازين**) بالبول والروث (**منكر يجب المنع منه إلا بقدر حاجة النزول والركوب**) ويلتحق بذلك تسيير الدواب فيها إن لم يكن داخل البيت واسعاً، (**وهذا لأن الشوارع مشتركة المنفعة وليس لأحد أن يختص بها إلا بقدر الحاجة**) الداعية، (**والمرعى هو الحاجة التي تراد الشوارع لأجلها دون سائر الحاجات**) في العادة، فلا ينبغي لأحد من المارة أن يضايق أحداً منهم في المرور لأن كلاً منهم له حق فيها على وجه الاشتراك.

(**ومنها: سوق الدواب وعليها الشوك بحيث تمزق الثياب، فذلك منكر إن أمكن شدّها وضمها بحيث لا تمزق الثياب، أو أمكن العدول بها إلى موضع واسع**) أو طريق خال من الناس ولا ولي للولاة أن يأمروا بتلك الأحمال أن يدخلوا بها ليلاً أو في وقت الهاجرة حيث يقيل الناس أو في أوّل النهار قبل طلوع الشمس (**وإلاَّ فلا منع إذ حاجة أهل البلد تمس إليه**) لافرانهم. (**نعم لا تترك ملقاة على الشوارع إلا بقدر مدة النقل**) إلى البيوت، (**وكذلك تحميل الدواب من الأحمال ما لا تطيقها منكر يجب منع الملاك منه**) ويؤمر بتخفيفها، (**وكذلك القصاب إذا كان يذبح في الطريق حذاء باب الحانوت**) أي في مقابلته، (**ويلوث الطريق بالدم**) والفرث (**منكر يجب المنع منه، بل حقه أن يتخذ في مكانه مذبحاً**) أي موضعاً معدّاً للذبح، (**فإن ذلك تضييق**) على المارة (**وإضرار بسبب ترشيش النجاسة**

القمامة على جواد الطرق، وتبديد قشور البطيخ. أو رش الماء بحيث يخشى منه التزلق والتعثر كل ذلك من المنكرات، وكذلك إرسال المياه من الميازيب المخرجة من الحائط في الطريق الضيقة فإن ذلك ينجس الثياب، أو يضيق الطريق، فلا يمنع منه في الطرق الواسعة إذ العدول عنه ممكن فأما ترك مياه المطر والأوحال والثلوج في الطرق من غير كسح فذلك منكر، ولكن ليس يختص به شخص معين، إلا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحد، والماء الذي يجتمع على الطريق من ميزاب معين، فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق، وإن كان من المطر فذلك حسبة عامة فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها، وليس للآحاد فيها إلا الوعظ فقط، وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذي الناس فيجب منعه منه، وإن كان لا يؤذي إلا بتنجيس الطريق وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه، وإن كان تضييق الطريق ببسطه ذراعيه فيمنع منه، بل يمنع صاحبه من أن ينام على الطريق أو يقعد قعوداً يضيق الطريق، فكلبه أولى بالمنع.

وإضرار **بسبب استقذار الطباع للقاذورات، وكذلك طرح القمامة)** وفي نسخة الكناسة وفي معناها الحيوان الميت من هرة أو دجاجة أو غيرهما **(على جوادّ الطريق)** وفي نسخة جوانب الطريق، **(وتبديد قشور البطيخ أو رش الماء بحيث يخشى منه التزلق)** للأقدام **(والتعثر)** بالأذيال. **(كل ذلك من المنكرات)** وفي كل ذلك ما ذكر من التضييق والأضرار، **(وكذلك إرسال الماء من المزاريب)** وهي مسايل المياه من السطوح **(المخرجة من الحائط في الطرق الضيقة، فإن ذلك ينجس الثياب أو يضيق الطريق فلا يمنع منه في الطريق الواسعة إذ العدول عنه)** إلى ممر آخر **(ممكن، فأما ترك مياه الطرق والأوحال)** عقيب الأمطار **(و)** ترك **(الثلوج في الطرق)** في البلاد الشمالية **(من غير كسح)** وكنس **(فذلك منكر، ولكن ليس يختص به شخص معين)** بل على العامة **(إلا الثلج الذي يختص بطرحه على الطريق واحداً والماء الذي يجتمع على الطريق من مزراب معين، فعلى صاحبه على الخصوص كسح الطريق وإن كان من المطر فذلك حسبة عامة، فعلى الولاة تكليف الناس القيام بها وليس للآحاد فيها إلا الوعظ)**، ويلحق بهذا كسح ما زاد في الطرق على وجه الأرض كل سنة بسبب مشي الناس لتساوي الطريق ويرفع ما نشر، وهذا كذلك حسبة عامة يكلف كل إنسان ما حاذى منزله له أو دكانه كما هو معروف في شوارع القاهرة. **(وكذلك إذا كان له كلب عقور على باب داره يؤذي الناس)** ويعقرهم **(فيجب منعه منه، وإن كان لا يؤذي إلا بتنجيس الطريق، وكان يمكن الاحتراز عن نجاسته لم يمنع منه، وإن كان يضيق الطريق ببسط ذراعيه فيمنع منه بل يمنع صاحبه أن ينام على الطريق أو يقعد قعوداً يضيق الطريق فكلبه أولى بالمنع)** لأن الشوارع إنما جعلت مشتركة المنافع لعامة الناس.

(منكرات الحمامات) :

منهـا : الصور التي تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر ، فإن كان الموضع مرتفعاً لا تصل إليه يده فلا يجوز له الدخول إلا لضرورة فليعدل إلى حمام آخر . فإن مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه أن يشوّه وجهها ويبطل به صورتها ولا يمنع من صور الأشجار وسائر النقوش سوى صورة الحيوان .

ومنهـا : كشف العورات والنظر إليها . ومن جملتها كشف الدلاك عن الفخذ وما تحت السرة لتنحية الوسخ بل من جملتها إدخال اليد تحت الإزار فإن مس عورة الغير حرام كالنظر إليها .

ومنهـا : الانبطاح على الوجه بين يدي الدلاك لتغميز الأفخاذ والأعجاز فهذا مكروه إن كان مع حائل، ولكن لا يكون محظوراً إذا لم يخش من حركة الشهوة .

منكرات الحمامات:

وهي كثيرة. **(منها: الصور التي تكون على باب الحمام أو داخل الحمام يجب إزالتها على كل من يدخلها إن قدر)** فإنه منكر ، **(فإن كان الموضع مرتفعاً لا تصل إليه يده فلا يجوز له الدخول إلا لضرورة فليعدل إلى حمام آخر)** ليس فيه ذلك ، **(فإن مشاهدة المنكر غير جائزة ويكفيه أن يشوّه وجهها ويبطل به صورتها)** قال صاحب القوت: حدثت عن أحمد بن عبد الخالق قال: حدثنا أبو بكر المروزي قال: سألت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل: الرجل يكتري البيت يرى فيه التصاوير ترى أنه يحكه؟ قال: نعم. قلت: فإذا دخلت حماماً فرأيت فيه صورة ترى أن أحك الرأس؟ قال: نعم. وقال أحمد بن عبد الخالق: حدثنا أحمد بن الحجاج قال: قلت لأبي عبد الله أليس الصورة إذا كان يد أو رجل، فقال عكرمة: يقول كل شيء له رأس فهو صورة. **(ولا يمنع من تصوير الأشجار وسائر النقوش سوى الحيوانات)** وفي نسخة: سوى صورة الحيوان.

(ومنـها: كشف العورات والنظر إليها) قصداً، **(ومـن جملتهـا كشـف الدلاك عـن الفخذ وما تحت السرة في تنحية الوسخ)** بالكيس، **(بل من جملتها إدخال اليد تحت الإزار فإن مسّ عورة الغير حرام كالنظر إليها)** .

(ومنها: الانبطاح على الوجه) والبطن **(بين يدي الدلاك ليتعاطى غمس الأفخاذ والأعجاز)** وسائر البدن، **(فهذا مكروه وإن كان مع حائل)** كالكيس ونحوه، **(ولكن لا يكون محظوراً إذا لم يخش من حركة الشهوة)** من الطرفين، وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب

وكذلك كشف العورة للحجام الذمي من الفواحش. فإن المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنها للذمية في الحمام فكيف يجوز كشف العورات للرجال؟

ومنها: غمس اليد والأواني النجسة في المياه القليلة، وغسل الإزار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل، فإنه منجس للماء، إلا على مذهب مالك فلا يجوز الإنكار فيه على المالكية، ويجوز على الحنفية والشافعية وإن اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك إلا بطريق الالتماس واللطف؛ وهو أن يقول له: إنا نحتاج أن نغسل اليد أوّلاً ثم نغمسها في الماء، وأما أنت فمستغن عن إيذائي وتفويت الطهارة عليّ، وما يجري مجرى هذا، فإن مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر.

ومنها: أن يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملساء مزلقة يزلق عليها الغافلون فهذا منكر، ويجب قلعه وإزالته وينكر على الحمامي إهماله فإنه يفضي إلى

سر الطهارة، (**وكذلك كشف العورة للحجام والفصاد الذمي، فإن المرأة لا يجوز لها أن تكشف بدنها للذميات في الحمام، فكيف يجوز كشف العورة للرجل**)؟ وهذه العبارة من قوله: وكذلك كشف العورة إلى هنا موجودة في بعض النسخ ساقطة من أكثرها.

(**ومنها: غمس الأيدي و**) إدخال الأواني النجسة في المياه القليلة التي في حياض الحمامات، (**وغسل الإزار والطاس النجس في الحوض وماؤه قليل، فإنه منجس للماء إلا على مذهب مالك**) رحمه الله تعالى فإنه عنده طهور لا ينجسه، شيء. (**ولا يجوز الإنكار فيه على المالكية**) إن جمع بينه وبينهم فيه، (**ويجوز على الحنفية والشافعية**) فإنهم يقولون بتنجيس ذلك الماء القليل، (**وإن اجتمع مالكي وشافعي في الحمام فليس للشافعي منع المالكي من ذلك إلا بطريق الالتماس واللطف، وهو أن يقول: إنا نحتاج أن نغسل اليد أوّلاً ثم نغمسها**) أو نغسل الطاس أوّلاً ثم نغمسه (**في الماء. وأما أنت فمستغن عن ايذائي وتفويت الطهارة عليّ**) هذا إذا كان المالكي عارفاً بالخلاف والوفاق، فإذا نبه على مثل هذا يتنبه ويرجع إلى ما هو موافق عليه، وأما إذا كان غير عارف بمذهب الغير فهذا التنبيه والارشاد لا يوضح له المقام بل ربما يتصلب لتأييد مذهبه فيرجع الأمر إلى خصومة ويفوت أصل المقصود. (**هذا وما يجري مجراه من ألفاظ اللطف والرفق فإن مظان الاجتهاد لا يمكن الحسبة فيها بالقهر**) لأنه يؤدي إلى ضرر.

(**ومنها: أن يكون في مداخل بيوت الحمام ومجاري مياهها حجارة ملس مزلقة**) للأقدام لكثرة استعمالها (**يتزلق بها الغافلون فهو منكر يجب قلعه وإزالته**) وإثبات ما ليس فيه تزليق، والأولى حفرها ونقشها. (**وينكر على الحمامي إهماله فإنه يؤدي إلى السقطة وقد تؤدي**

السقطة؛ وقد تؤدي السقطة إلى انكسار عضو أو انخلاعه، وكذلك ترك السدر والصابون المزلق على أرض الحمام منكر، ومن فعل ذلك وخرج وتركه فزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه، وكان ذلك في موضع لا يظهر فيه بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان متردد بين الذي تركه وبين الحمامي، إذ حقه تنظيف الحمام، والوجه إيجاب الضمان على تاركه في اليوم الأول، وعلى الحمامي في اليوم الثاني إذ عادة تنظيف الحمام كل يوم معتادة، والرجوع في مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات فليعتبر بها. وفي الحمام أمور أخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلتنظر هناك.

(منكرات الضيافة):

فمنها: فرش الحرير للرجال فهو حرام. وكذلك تبخير البخور في مجمرة فضة أو ذهب، أو الشراب أو استعمال ماء الورد في أواني الفضة أو ما رؤوسها من فضة.

ومنها: إسدال الستور وعليها الصور.

إلى انكسار عضو) من الأعضاء **(وانخلاعه)** أو رهله، **(وكذلك ترك السدر والصابون المزلق)** للأقدام **(على أرض الحمام منكر ومن فعل ذلك)** أو تركه ولم ينظفه باتباع ماء عليه، **(وخرج فتزلق به إنسان وانكسر عضو من أعضائه، وكان ذلك في موضع لا يظهر بحيث يتعذر الاحتراز عنه فالضمان مردد بين الذي تركه)** وخرج، **(وبين الحمامي إذ على الحمامي)** وفي نسخة: إذ حقه **(تنظيف الحمام والوجه)** في المسألة **(إيجاب الضمان على تاركه في اليوم الأول، وعلى الحمامي في اليوم الثاني إذ إعادة تنظيف الحمام كل يوم معتاد والرجوع في مواقيت إعادة التنظيف إلى العادات فليعتبر بها وفي الحمام أمور أخر مكروهة ذكرناها في كتاب الطهارة فلتنظر هناك)** وفي نسخة فلا نطول بإعادتها.

منكرات الضيافة:

(فمنها: فرش الحرير للرجال فهو حرام) قال صاحب القوت: حدثت عن أحمد بن عبد الخالق قال: حدثنا أبو بكر المروزي قال: سألت ابا عبد الله عن الرجل يدعى فيرى فرش ديباج أترى أن يقعد عليه أو يقعد في بيت آخر؟ قال: يخرج. قد خرج أبو أيوب وحذيفة، وقد روي عن ابن مسعود قلت: فترى أن يأمرهم؟ قال: نعم. فيقول هذا لا يجوز، **(وكذلك تبخير البخور في مجمرة فضة أو ذهب أو الشرب)** منها **(أو استعمال ماء الورد)** منها **(أو مما رأسه منها، وكذلك تعليق الستور وعليها الصور)** قال صاحب القوت بسنده المذكور إلى أبي بكر المروزي قال: سألت أبا عبد الله عن الرجل يدعى إلى الوليمة من أي شيء يخرج؟ فقال: خرج

ومنهـا: سماع الأوتار أو سماع القينات.

ومنهـا: اجتماع النساء على السطوح للنظر إلى الرجال مهما كان في الرجال شباب يخاف الفتنة منهم، فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره. ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج، ولم يجز له الجلوس فلا رخصة له في الجلوس في مشاهدة المنكرات. وأما الصور التي على النمارق والزرابي المفروشة فليس منكراً، وكذا على الأطباق والقصـاع، لا الأواني المتخذة على شكل الصور، فقد تكون رؤوس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه. وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف، وقد خرج أحمد بن حنبل عن الضيافة بسببها. ومهما كان الطعام حراماً، أو كان الموضع مغصوباً أو كانت الثياب المفروشة حراماً فهو من أشد المنكرات، فإن كان فيها من

أبو أيوب حين دعاه ابن عمر. فرأى البيت قد ستر ودعـي حذيفة فخرج وإنما رأى شيئاً من زي الأعاجم.

قلـت: فإن لم يكن البيت مستوراً ورأى شيئاً من فضة فقال: ما كان يستعمل يعجبني أن يخرج قال: قلت لأبي عبد الله فالرجل يدعى ويرى المكحلة رأسها مفضض قال: هذا يستعمل فأخرج منه إنما رخص في الضبة أو نحوها فهو أسهل. قال وقلت لأبي عبد الله إن رجلاً دعا قوماً فجيء بطست فضة أو إبريـق فكسره فأعجب أبا عبد الله كسره. قال وقلت لأبي عبد الله: الرجل يدعى فيرى عليه التصاوير. قال: لا ينظر إليه. قلت: فقد نظرت إليه. قال: إن أمكنك خلعته خلعته.

(**ومنها: سماع الأوتار أو سماع القينات**) فإنه منكر مسقط لوجوب الدعوة.

(**ومنها: اجتماع النساء على السطوح**) وفي الرواشن المشرفة على مقاعد الرجال (**للنظر إلى الرجال مهما كان في الرجال شباب يخاف الفتنة بينهم، فكل ذلك محظور منكر يجب تغييره**) بلسانه ثم بيده، (**ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج**) عن ذلك المجلس (**ولم يجز له الجلوس**) فيه (**فلا رخصة في الجلوس في مشاهدة المنكرات، وأما الصور**) المنسوجة (**على النمارق والزرابي المفروشة فليس منكراً وكذا على الأطباق والقصاع**) وأواني الشرب (**لا الأواني المتخذة على شكل الصور، فقد تكون رؤوس بعض المجامر على شكل طير فذلك حرام يجب كسر مقدار الصورة منه. وفي المكحلة الصغيرة من الفضة خلاف**) بين العلماء، (**وقد خرج أحمد بن حنبل**) رحمه الله تعالى (**عن الضيافة بسببها**) قال صاحب القوت: حدثت عن أحمد بن عبد الخالق، حدثنا أبو بكر المروزي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: دعانا رجل من أصحابنا قبل المحنة وكنا نختلف إلى عناق فإذا مكحلة فضة فخرجت فاتبعني جاعة فنزل بصاحب البيت أمر عظيم، (**ومهما كان الطعام**) المدعو إليه (**حراماً فهي من أشد المنكرات فإن كان فيهم من يتعاطى شرب الخمر وحده، فلا يجوز الحضور إذ**)

يتعاطى شرب الخمر وحده فلا يجوز الحضور، إذ لا يحل حضور مجالس الشرب وإن كان مع ترك الشرب ولا يجوز مجالسة الفاسق في حالة مباشرته للفسق، وإنما النظر في مجالسته بعد ذلك، وأنه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله، وكذلك إن كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة. فإن كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر. والصحيح أن ذلك منكر ويجب نزعه عنه إن كان مميزاً لعموم قوله عليه الصلاة والسلام: «هذان حرام على ذكور أمتي» وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر ـ لا لكونه مكلفاً ولكن لأنه يأنس به، فإذا بلغ عسر عليه الصبر عنه ـ فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه إذا اعتاده، فيكون ذلك بذراً للفساد يبذر في صدره، فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ. أما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى التحريم في حقه ولا يخلو عن احتمال والعلم عند الله فيه، والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز، نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير إسراف. ولا أرى رخصة في

لا يحل حضور مجالس الشرب) وإن كان **(مع ترك الشرب)** لأنه في حكم الراضي به، **(ولا يجوز مجالسة الفاسق في حال مباشرته للفسق)** اتفاقاً **(وإنما في مجالسته بعده)** أي بعد صدور المباشرة منه، **(وأنه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته كما ذكرناه في باب الحب والبغض في الله)** فليطلب من هناك؟ **(وكذلك إن كان فيهم من يلبس الحرير أو خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة)** داعية، **(فإن كان الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر، والصحيح إن ذلك منكر يجب إخراجه منه)** ونزعه **(إن كان)** الصبي **(مميزاً لعموم قوله ﷺ: «هذان)** يعني الحرير والذهب **(حرامان على ذكور أمتي)** حل لأناثها». رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث علي، وقد تقدم في الباب الرابع من آداب الأكل. **(وكما يجب منع الصبي من شرب الخمر لا لكونه مكلفاً ولكن لأنه يأنس به)** ويألفه ويعتاد عليه، **(فإذا بلغ عسر عليه الصبر عنه)** لأنه يصير طبيعة له فلا يكاد يفارقه، **(فكذلك شهوة التزين بالحرير تغلب عليه إذا اعتاده فيكون ذلك بذراً للفساد يبذر في صدره فتنبت منه شجرة من الشهوة راسخة يعسر قلعها بعد البلوغ)**، وكذلك سائر المنهيات ينبغي أن يجنب عنها الصبيان نظرا للضراوة والاعتياد. **(أما الصبي الذي لا يميز فيضعف معنى التحريم فيه)** أي في حقه، **(ولا يخلو عن احتمال والعلم فيه عند الله تعالى)** ومذهب أبي حنيفة وأصحابه المنع مطلقاً سواء كان مميزاً أولاً، **(والمجنون في معنى الصبي الذي لا يميز)** أي فيضعف معنى التحريم فيه. **(نعم يحل التزين بالذهب والحرير للنساء من غير إسراف)** بل بالاقتصار على القدر المحتاج إليه، **(ولا أرى رخصة في تثقيب**

تثقيب أذن الصبية لأجل تعليق حلق الذهب فيها، فإن هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص فلا يجوز إلا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان، والتزين بالحلق غير مهم بل في التقريط بتعليقه على الاذن وفي المخانق والأسورة كفاية عنه. فهذا وإن كان معتاداً فهو حرام والمنع منه واجب، والاستئجار عليه غير صحيح، والأجرة المأخوذة عليه حرام، إلا أن يثبت من جهة النقل فيه رخصة، ولم يبلغنا إلى الآن فيه رخصة.

ومنها: أن يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته، فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرد، فإن كان لا يقدر عليه لم يجز، فإن كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع إظهار الكراهة عليه والإعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله. وإن كان فيها مضحك بالحكايات وأنواع النوادر فإن كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الإنكار عليه، وإن كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح ـ أعني ما يقل منه ـ فأما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح. وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصد به التلبيس فليس من جملة المنكرات،

أذن الصبية لأجل حلق الذهب) ولا تثقيب الأنف لأجله كما يفعله أهل الحجاز، (**فإن هذا جرح مؤلم ومثله موجب للقصاص، فلا يجوز**) التثقيب (**إلا لحاجة مهمة كالفصد والحجامة والختان**) والخفاض، (**والتزين بالحلق غير مهم**) في الشرع (**بل في التقريط بتعليقه على الأذن**) من فوق (**وفي المخانق**) وهي القلائد التي تعلق في العنق، (**وفي الأسورة كفاية عنه، فهذا وإن كان معتاداً**) في النساء (**فهو حرام والمنع منه واجب والاستئجار عليه غير صحيح والاجرة المأخوذة عليه حرام إلا أن يثبت من جهة النقل فيه رخصة ولم يبلغنا إلى الآن فيه رخصة**). والمشهور أن السيدة سارة أم إسحاق عليه السلام لما غضبت على هاجر أم إسماعيل عليه السلام حلفت لتقطعن من أطرافها فثقبت أذنها وأنفها وخفضتها لأجل اليمين فبقي ذلك سنّة ولم يثبت أن النبي ﷺ نهى عنه فهذا وجه الرخصة.

(**ومنها: أن يكون في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته**) ويحمل الناس عليها (**فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه على عزم الرّد فإن كان لا يقدر عليه**) أي على الرد عليه لضعفه في الاحتجاج (**لم يجز**) الحضور، (**وإن كان المبتدع لا يتكلم ببدعته فيجوز الحضور مع إظهار الكراهة عليه والاعراض عنه كما ذكرناه في باب البغض في الله وإن كان فيها مضحك**) يأتي (**بالحكايات في أنواع النوادر**) بحسب المناسبات، (**فإن كان يضحك بالفحش والكذب لم يجز الحضور وعند الحضور يجب الإنكار**) عليه، (**وإن كان ذلك بمزح لا كذب فيه ولا فحش فهو مباح أعني ما يقل منه**) ويندر، (**فأما اتخاذه صنعة وعادة فليس بمباح وكل كذب لا يخفى أنه كذب ولا يقصد منه التلبيس**) على الناس،

كقول الإنسان مثلاً: طلبتك اليوم مائة مرة، وأعدت عليك الكلام ألف مرة، وما يجري مجراه مما يعلم أنه ليس يقصد به التحقيق فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد الشهادة به. وسيأتي حد المزاح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات.

ومنها: الإسراف في الطعام والبناء فهو منكر، بل في المال منكران: أحدهما: الإضاعة. والآخر: الإسراف.

فالإضاعة: تفويت مال بلا فائدة يعتدّ بها كإحراق الثوب وتمزيقه، وهدم البناء من غير غرض، وإلقاء المال في البحر، وفي معناه صرف المال إلى النائحة والمطرب. وفي أنواع الفساد لأنها فوائد محرمة شرعاً فصارت كالمعدومة.

وأما الإسراف: فقد يطلق لإرادة صرف المال إلى النائحة والمطرب والمنكرات، وقد يطلق على الصرف إلى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة.

والمبالغة تختلف بالإضافة إلى الأحوال فنقول: من لم يملك إلا مائة دينار مثلاً ومعه عياله وأولاده ولا معيشة لهم سواه فأنفق الجميع في وليمة فهو مسرف يجب منعه منه

(فليس من جملة المنكرات كقول الانسان مثلاً: قد طلبتك اليوم مائة مرة وأعدت الكلام عليك الف مرة وما يجري مجراه مما يعلم أنه ليس يقصد به التحقيق)، وإنما هو من باب المبالغة الجارية على الألسن، **(فذلك لا يقدح في العدالة ولا ترد الشهادة به، وسيأتي حد المزاح المباح والكذب المباح في كتاب آفات اللسان من ربع المهلكات)** إن شاء الله تعالى.

(ومنها الاسراف في الطعام والبناء فإنه منكر وفي المال منكران. أحدهما: الإضاعة والآخر الإسراف.

فالاضاعة: تفويت مال بلا فائدة يعتدّ بها كإحراق الثوب) في النار **(وتمزيقه، وهدم البناء من غير غرض، وإلقاء المال في البحر)** بلا موجب، **(وفي معناه صرف المال إلى النائحة)** في الموت **(و)** إلى **(المطرب)** في الأفراح **(و)** كذا صرفه **(في أنواع الفساد لأنها فوائد محرمة شرعاً فصارت كالمعدومة)** حكماً.

(وأما الاسراف: فإنه يطلق تارة لإرادة صرف المال إلى النائحة والمطرب والمنكرات، وقد يطلق على الصرف إلى المباحات في جنسها ولكن مع المبالغة) والكثرة.

(والمبالغة تختلف بالإضافة إلى الأحوال) والأشخاص **(فنقول: من لم يملك إلا مائة دينار ومعه عياله وأولاده ولا معيشة لهم سواه فأنفق الجميع في وليمة)** لأصحابه **(فهو**

قال تعالى: ﴿ولا تَبْسُطْها كلَّ البسْطِ فتقْعُدَ ملوماً محسوراً﴾ [الإسراء: ٢٩] نزل هذا في رجل بالمدينة قسم جميع ماله ولم يبق شيئاً لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء. وقال تعالى: ﴿ولا تُبَذِّر تبذيراً ★ إن المبذِّرين كانوا إخوانَ الشياطين﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧] وكذلك قال عز وجل: ﴿والذين إذا أنْفَقُوا لم يُسْرِفُوا ولم يَقْتُرُوا﴾ [الفرقان: ٦٧] فمن يسرف هذا الإسراف ينكر عليه، ويجب على القاضي أن يحجر عليه، إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوّة في التوكل صادقة؛ فله أن ينفق جميع ماله في أبواب البر. ومن له عيال أو كان عاجزاً عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله. وكذلك لو صرف جميع ماله إلى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو أيضاً إسراف محرم، وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام لأن التزيين من الأغراض الصحيحة، ولم تزل المساجد تزين وتنقش أبوابها وسقوفها مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة، فكذا الدور، وكذلك القول في التجمل بالثياب والأطعمة فذلك مباح في جنسه، ويصير إسرافاً باعتبار حال الرجل وثروته، وأمثال هذه المنكرات كثير

مسرف يجب منعه منه قال الله تعالى) خطاباً لحبيبه ﷺ: (**ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً)** يلوم نفسه على ما فات من ماله (**محسوراً)** ذهب ماله كله. قيل: (**أنزل هذا في رجل كان في المدينة قسم جميع أمواله ولم يبق شيئاً لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء)** وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: هذا في النفقة يقول لا تجعلها مغلولة لا تبسطها بخير ولا تبسطها كل البسط يعني التبذير. (**وقال تعالى: ﴿ولا تبذّر تبذيراً ★ إن المبذّرين كانوا إخوان الشياطين﴾ وكذلك قال عز وجلّ: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾)** وأخرج ابن عدي والبيهقي عن أبي الدرداء رفعه « من فقهك رفقك في معيشتك » وأخرج البيهقي عن ابن عمر رفعه « الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة » وأخرج أحمد في الزهد عن يونس بن عمير قال: كان يقال الاقتصاد في المعيشة يلقي عنك نصف المعيشة. (**فمن يسرف هذا الإسراف ينكر عليه، ويجب على القاضي أن يحجر عليه إلا إذا كان الرجل وحده وكان له قوّة في التوكل صادقة، فله أن ينفق جميع ماله في أبواب البر)** والخير، (**ومن له عيال وكان عاجزاً عن التوكل فليس له أن يتصدق بجميع ماله)** بل يبقي شيئاً لعياله، (**وكذلك لو صرف جميع ماله إلى نقوش حيطانه وتزيين بنيانه فهو إسراف محرم وفعل ذلك ممن له مال كثير ليس بحرام، لأن التزين من الأغراض الصحيحة ولم تزل المساجد تزين وتنقش أبوابها وسقوفها، مع أن نقش الباب والسقف لا فائدة فيه إلا مجرد الزينة، فكذا الدور وكذلك القول في التجمل بالثياب والأطعمة، فذلك مباح في جنسه ويصير إسرافاً باعتبار حال الرجل وثروته)** أي كثرة ماله، (**وأمثال**

لا يمكـن حصرهـا ، فقس بهذه المنكـرات المجـامـع . ومجالس القضـاة ودواويـن السلاطين ومدارس الفقهاء ورباطات الصوفية وخانات الأسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو محظور ، واستقصاء جميع المنكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر منها .

(المنكرات العامة) :

اعلم أن كل قاعد في بيته ـ أينما كان ـ فليس خالياً في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف ، فأكثر الناس جاهلون بـالشرع في شروط الصلاة في البلاد فكيـف في القـرى والبـوادي ؟ ومنهـم الأعـراب والأكراد والتركمانية وسائر أصناف الخلق وواجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم ، وكذا في كل قرية . وواجب على كل فقيه ـ فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ـ أن يخرج إلى من يجاور بلده من أهل السواد ، ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم ، ويستصحب مع نفسه زاداً يأكله ولا يأكل من أطعمتهم فإن أكثرها مغصوب ، فإن قام بهذا الأمر واحد سقط الحرج عن الآخرين وإلاَّ عم الحرج الكافة أجمعين .

هذا كثيرة **لا يمكن حصرها)** في موضع واحد **(فقس بهذه منكرات المجامع)** وهي مواضع تجتمع فيها الناس. **(ومجالس القضاة ودواوين السلاطين ومدارس الفقهاء ، ورباطات الصوفية وخانات الأسواق فلا تخلو بقعة عن منكر مكروه أو محظور ، واستقصاء جميع المنكرات يستدعي استيعاب جميع تفاصيل الشرع أصولها وفروعها فلنقتصر على هذا القدر)** منها .

المنكرات العامة:

(اعلم أن كل قاعد في بيته أينما كان فليس خالياً في هذا الزمان عن منكر من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف ، فأكثر الناس جاهلون بالشرع في شروط الصلاة في البلاد) الحاضرة **(فكيف في القرى والبوادي)** النائية ، **(ومنهم الأعراب والأكراد والتركمان وسائر أصناف الخلق)** وبعضهم كالهمج ، **(وواجب أن يكون في كل مسجد ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم)** ويصحح عقائدهم ، **(وكذا في كل قرية وواجب على كل فقيه فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفـايـة أن يخرج إلى من يجاوز بلده من أهل السواد)** أي الريف . **(ومن العرب والأكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرائض شرعهم)** مما أوجب الله عليهم ، **(ويستصحب مع نفسه زاداً يأكله ولا يأكل أطعمتهم ، فإن أكثرها مغصوبة)** من حقوق الناس ، **(فإن قام به واحد سقط الحرج** عن الآخرين وإلاَّ عمّ الحرج الكافة) وشملهم **(أجمعين)** .

أما العالم فلتقصيره في الخروج. وأما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم.

وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره وإلاّ فهو شريك في الإثم. ومعلوم أن الإنسان لا يولد عالماً بالشرع، وإنما يجب التبليغ على أهل العلم، فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها. ولعمري الإثم على الفقهاء أشدّ لأن قدرتهم فيه أظهر وهو بصناعتهم أليق، لأن المحترفين لو تركوا حرفتهم لبطلت المعايش فهم قد تقلدوا أمراً لا بد منه في صلاح الخلق. وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله ﷺ فإن العلماء هم ورثة الأنبياء. وليس للإنسان أن يقعد في بيته ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة، بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم وكذا النهي. وكل من تيقن أن في السوق منكراً يجري على الدوام أو في وقت بعينه وهو قادر على تغييره فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالقعود في البيت، بل يلزمه الخروج فإن كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو محترز عن مشاهدته ويقدر على البعض لزمه الخروج، لأن خروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر

(**أما العالم فلتقصيره في الخروج، وأما الجاهل فلتقصيره في ترك التعلم. وكل عامي عرف شروط الصلاة فعليه أن يعرف غيره**) بما تعلمه، (**وإلاّ فهو شريك في الإثم. ومعلوم ان الإنسان لا يولد**) من بطن أمه (**عالماً**) بالشرع، (**وإنما**) العلم بالتعلم ومن هنا (**يجب التبليغ على أهل العلم، فكل من تعلم مسألة واحدة فهو من أهل العلم بها**) ووجب عليه تبليغه إياها لغيره، (**ولعمري الإثم على الفقهاء أشد لأن قدرتهم فيه أظهر وهو بضاعتهم أليق**) وأنسب، (**لأن المحترفين لو تركوا حرفتهم**) التي هم بازائها (**لبطلت المعايش**) في الناس لاحتياج بعضهم إلى بعض فيها، (**فهم قد تقلدوا أمراً لا بد منه في صلاح الخلق**) من جهة المعاش، (**وشأن الفقيه وحرفته تبليغ ما بلغه عن رسول الله ﷺ**) بواسطة شيوخه الذين تلقى عنهم ذلك، (**فإن العلماء هم ورثة الأنبياء**) ورثوا منهم علماً ولم يورثوا ديناراً ولا درهماً وقد تقدم الكلام في كتاب العلم. (**وليس للإنسان منهم أن يقعد في بيته**) معتزلاً عنهم (**ولا يخرج إلى المسجد لأنه يرى الناس لا يحسنون الصلاة، بل إذا علم ذلك وجب عليه الخروج للتعليم والنهي**) ولا يسعه التأخر عن ذلك. (**وكذلك كل من رأى منكراً**) من مناكر الشرع (**على الدوام**) وفي بعض النسخ، وكذلك كل من تيقن أن في السوق منكرا يجري على الدوام (**أو في وقت بعينه وهو قادر على تغييره**) باليد أو باللسان، (**فلا يجوز له أن يسقط ذلك عن نفسه بالقعود في البيت بل يلزمه الخروج، فإن كان لا يقدر على تغيير الجميع وهو يحترز عن مشاهدته ويقدر على**) تغيير (**البعض لزمه الخروج لأن خروجه إذا كان لأجل تغيير ما يقدر عليه فلا يضره مشاهدة ما لا يقدر عليه**) أي

عليه، وإنما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر من غير غرض صحيح، فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات، ثم يعلم ذلك أهل بيته، ثم يتعدى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه، ثم إلى أهل محلته، ثم إلى أهل بلده، ثم إلى أهل السواد المكتنف ببلده، ثم إلى أهل البوادي من الأكراد والعرب وغيرهم، وهكذا إلى أقصى العالم، فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد، وإلاَّ حرج به على كل قادر عليه قريباً كان أو بعيداً، ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه، وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله على تجزئة الأوقات في التفريعات النادرة والتعمق في دقائق العلوم التي هي من فروض الكفايات ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه.

على تغييره، (**وإنما يمنع الحضور لمشاهدة المنكر**) إذا كان (**من غير غرض صحيح، فحق على كل مسلم أن يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرائض وترك المحرمات**) الشرعية، (**ثم يعلم ذلك أهل بيته**) زوجته وولده وخادمه، (**ثم يتعدى عند الفراغ منهم إلى جيرانه**) ممن يعاشره ويجتمع عليه طرفي النهار، (**ثم إلى أهل محلته**) ممن يخالطوه ويخالطهم، (**ثم إلى أهل بلده**) عموماً، (**ثم إلى السواد**) أي الريف (**المكتنف لبلده**) أي المحيط به، (**ثم إلى البوادي من الأكراد والعرب**) والتركمان (**وغيرهم**) من الأجلاف. (**وهكذا إلى أقصى العالم فإن قام به الأدنى سقط عن الأبعد**) لأنه فرض كفاية (**والا حرج به كل قادر عليه**) قريباً كان أو بعيداً، (**ولا يسقط الحرج**) عنه (**ما دام يبقى على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه وهو قادر أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلمه فرضه، وهذا شغل شاغل لمن يهمه أمر دينه يشغله عن تجزئة الأوقات**) وتقسيمها (**في التفريعات النادرة والتعمق في دقائق العلوم التي هي فروض الكفايات، ولا يتقدم على هذا إلا فرض عين أو فرض كفاية هو أهم منه، والله أعلم**).

الباب الرابع

في أمر الأمراء والسلاطين بالمعروف ونهيهم عن المنكر

قد ذكرنا درجات الأمر بالمعروف وأن أوّله التعريف، وثانيه الوعظ، وثالثه التخشين في القول، ورابعه المنع بالقهر في الحمل على الحق بالضرب والعقوبة. والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الأوليان وهما: التعريف والوعظ. وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان، فإن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر، ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر، وأما التخشين في القول كقوله: يا ظالم يا من لا يخاف الله وما يجري مجراه، فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدّى شرها إلى غيره لم يجز، وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه. فلقد كان من عادة السلف التعرض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهجة والتعرض لأنواع العذاب لعلمهم بأن ذلك شهادة. قال رسول الله ﷺ: « خير الشهداء حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى

الباب الرابع

في أمر الأمراء والسلاطين

ومن في معناهم (**بالمعروف ونهيهم عن المنكر**).

اعلم أنا (**قد ذكرنا**) آنفاً (**درجات الأمر بالمعروف وأن أوّله التعريف**) بعد التعرف، (**وثانيه الوعظ**) والنصح، (**وثالثه التخشين في القول**) من غير فحش، (**ورابعه المنع بالقهر والحمل على الحق بالضرب والعقوبة، والجائز من جملة ذلك مع السلاطين الرتبتان الاولتان وهما التعريف والوعظ. وأما المنع بالقهر فليس ذلك لآحاد الرعية مع السلطان، فإن ذلك يحرك الفتنة ويهيج الشر ويكون ما يتولد منه من المحذور أكثر**) مما قبله، (**وأما التخشين في القول كقوله: يا ظالم يا من لا تخاف الله**) أو يا من لا يستحي من الله (**وما يجري مجراه**) من الكلمات الخشنة، (**فذلك إن كان يحرك فتنة يتعدى شرها إلى غيره لم يجز، وإن كان لا يخاف إلا على نفسه فهو جائز بل مندوب إليه**) ومثاب عليه، (**فلقد كان من عادة السلف**) الصالحين (**التعرض للأخطار والتصريح بالإنكار من غير مبالاة بهلاك المهجة**) وهي دم القلب، (**والتعرض لأنواع العذاب**) من الحبس والتنكيل والضرب (**لعلمهم بأن ذلك شهادة**) في سبيل الله تعالى. (**قال رسول الله ﷺ: « خير**

إمام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك ». وقال ﷺ : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ». ووصف النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: « قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ما له من صديق »، ولما علم

الشهداء) أي من هذه الأمة **(حمزة بن عبد المطلب ثم رجل قام إلى إمام)** جائر **(فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك »)** أي لأجل أمره ونهيه. قال العراقي: رواه الحاكم من حديث جابر وقال: صحيح الاسناد وتقدم في الباب قبله اهـ.

قلت: ولكن بلفظ « سيد الشهداء » وقد تعقبه الذهبي بأن فيه حفيداً العطار لا يدري من هو اهـ.

وقد رواه كذلك الديلمي والضياء المقدسي وقد روي نحوه عن ابن عباس عند الطبراني بسند ضعيف، وقد روى الحاكم أيضاً هذا الحديث مقتصراً على الجملة الأولى بلفظ « سيد الشهداء عند الله يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب » وقال فيه أيضاً صحيح الاسناد وتعقبه الذهبي بأن فيه الفضل بن صدقة أبا حماد قال النسائي متروك.

(وقال ﷺ : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ») تقدم في الباب قبله انه رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد، وتفصيل الكلام فيه أن أبا داود رواه في الملاحم من سننه من طريق محمد بن حجادة عن عطية العوفي عن أبي سعيد مرفوعاً بلفظ « أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر أو أمير جائر » ورواه الترمذي في الفتن من جامعه من هذا الوجه بلفظ « إن من أعظم الجهاد » وذكره بدون أو أمير جائر وقال: إنه حسن غريب وهو عند ابن ماجه في الفتن أيضاً باللفظ الأوّل بدون أو أمير جائر، وأخرجه كذلك من طريق حماد بن سلمة عن أبي غالب عن أبي أمامة قال: عرض لرسول الله ﷺ رجل عند الجمرة الأولى فقال: يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ فسكت عنه، فلما رمى الجمرة الثانية سأله فسكت عنه، فلما رمى جمرة العقبة ووضع رجله في الغرز ليركب قال: اين السائل؟ قال: أنا يا رسول الله قال: « كلمة حق عند سلطان جائر » وقد علم من ذلك ان الذي أورده المصنف هو سياق حديث أبي أمامة بعينه لا حديث أبي سعيد كما يفهم من تخريج الحافظ العراقي أخرجه البيهقي في الشعب. قال: وله شاهد مرسل باسناد جيد، ثم ساق ما أخرجه النسائي في البيعة من سننه من طريق علقمة بن مرثد عن طارق بن شهاب قال: سئل رسول الله ﷺ أي الجهاد أفضل؟ قال: « كلمة عدل عند امام جائر » وطارق له رواية فقط فلذلك كان حديثه مرسلاً والله أعلم.

(ووصف النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: « قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم وتركه قوله الحق ما له من صديق ») قال العراقي: رواه الترمذي بسند ضعيف مقتصراً على آخر الحديث من حديث علي « رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مراً تركه الحق وماله من صديق » وأما أوّل الحديث فرواه الطبراني أن عمر قال لكعب الاحبار: كيف تجد

المتصلبون في الدين أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر، وأن صاحب ذلك إذا قتل فهو شهيد كما وردت به الأخبار، قدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الهلاك محتملين أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى ومحتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله. وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف، وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام، ونقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الإنكار عليهم.

فمنهـا: ما روي من إنكار أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أكابر قريش حين

نعتي في التوراة: قال: أجد نعتك قرناً من حديد. قال: وما قرن من حديد؟ قال: أمير شديد لا تأخذه في الله لومة لائم اهـ.

قلت: أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا سليمان بن أحمد يعني الطبراني، حدثنا عبد الرحمن بن حاتم، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا عثمان بن كثير، عن محمد بن مهاجر، عن العباس ابن سالم، حدثني عمر بن ربيعة، عن مغيث الأوزاعي، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل إلى كعب فقال له: يا كعب كيف تجد نعتي في التوراة؟ قال: خليفة قرن من حديد لا يخاف في الله لومة لائم.

وحدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا غندر عن الأعمش، عن أبي صالح قال: قال كعب لعمر: إنا نجدك شهيداً إنا نجدك إماماً عادلاً ونجدك لا تخاف في الله لومة لائم. قال: هذا لا أخاف في الله لومة لائم فأنى لي بالشهادة.

(ولما علم المتصلبون في الدين) أي الأشداء فيه **(أن أفضل الكلام كلمة حق عند سلطان جائر، وأن صاحب ذلك)** الكلام **(إذا قتل)** لأجل كلامه **(فهو شهيد)** ويبعث في زمرة الشهداء عند الله في يوم القيامة **(كما وردت به الأخبار)** التي تقدم ذكر بعضها **(قدموا على ذلك موطنين أنفسهم على الهلاك ومحتملين على أنواع العذاب وصابرين عليه في ذات الله تعالى محتسبين لما يبذلونه من مهجهم عند الله تعالى)** لا يبالون في الله لومة لائم، ولا يلتفتون إلى كثرتهم وتواطئهم ولا يكترثون لممانعتهم ولمقاطعتهم متكلين على من هو منشئهم وكافيهم مستنصرين بمن هو قاصمهم وشانئهم، **(وطريق وعظ السلاطين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ما نقل عن علماء السلف، وقد أوردنا جملة من ذلك في باب الدخول على السلاطين في كتاب الحلال والحرام)** فأغنانا عن الإعادة، **(ونقتصر الآن على حكايات تعرف وجه الوعظ وكيفية الإنكار عليهم)**.

(فمنها: ما روي من انكار أبي بكر الصديق رضي الله عنه على أكابر قريش)

قصدوا رسول الله ﷺ بالسوء. وذلك ما روي عن عروة رضي الله عنه قال: قلت لعبدالله بن عمرو ما أكثر ما رأيت قريشاً نالت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته، فقال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل. سفّه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا، ولقد صبرنا منه على أمر عظيم ـ أو كما قالوا ـ فبينما هم في ذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرّ بهم غمزوه ببعض القول قال، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ ثم مضى، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك في وجهه عليه الصلاة والسلام ثم مضى، فمرّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها حتى وقف ثم قال: «أتسمعون يا معشر قريش: أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح» قال: فأطرق القوم حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى ان أشدهم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول، حتى انه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشداً فوالله ما كنت جهولاً قال: فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال

صناديدهم (**حين قصدوا رسول الله ﷺ بالسوء**) والمكر (**وذلك ما روي عن عروة**) بن الزبير (**قال: قلت لعبد الله بن عمرو**) بن العاص رضي الله عنهما (**ما أكثر ما رأيت قريشاً نالت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهر من عداوته فقال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر**) أي في حجر الكعبة (**فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل سفّه أحلامنا**) أي عقولنا أي نسبها إلى السفه (**وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا ولقد صبرنا منه على عظيم أو كما قالوا**) خوفاً من زيادة في الكلام أو نقص، (**فبينما هم في ذلك**) الكلام (**إذ طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرّ بهم غمزوه ببعض القول، قال**) الراوي: (**فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ**) أي تغير وجهه الشريف بما غمزوه (**ثم مضى**) طائفاً (**فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها حتى وقف، ثم قال: أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح**) أي بالقتل. (**قال**) الراوي: (**فأطرق القوم**) أي طأطأوا رؤوسهم إلى الأرض حتى (**ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع**) وهو مثل لشدة الإطراق، (**حتى أن أشدهم فيه وقيعه ليرفؤه**) أي يسكنه (**بأحسن ما يجد من القول**) وألينه، (**حتى أنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم راشداً فوالله ما كنت جهولاً، فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا**)

بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا؟ أنت الذي تقول كذا؟ لما كان قد بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم، قال: فيقول رسول الله ﷺ: «نعم أنا الذي أقول ذلك» قال: فلقد رأيت منهم رجلاً أخذ بمجامع ردائه قال: وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول ـ وهو يبكي ـ ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ قال: ثم انصرفوا عنه وإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه.

وفي رواية أخرى عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟

معهم فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى إذا بادأكم) أي فاتحكم وواجهكم (**بما كنتم تكرهون تركتموه، فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا لما بلغهم من عيب آلهتهم ودينهم. قال: فيقول رسول الله ﷺ «نعم أنا الذي أقول ذلك» قال)** الراوي: (**فلقد رأيت منهم رجلاً أخذ بمجامع ردائه)** أي ولببه (**قال: وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه دونه يقول وهو يبكي: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ثم انصرفوا عنه فإن ذلك لأشدَّ ما رأيت قريشاً بلغت منه قط)** قال العراقي: رواه البخاري مختصراً، وأورده ابن حبان بتمامه اهـ.

(**وفي رواية أخرى، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط)** أحدأشراف قريش (**فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فجاء أبو بكر)** رضي الله عنه (**فأخذ بمنكبه)** أي عقبة (**ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم)**؟ رواه البخاري في الصحيح.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق الحميدي، حدثنا سفيان بن عيينة: حدثنا الوليد بن كثير عن ابن تدرس، عن أسماء بنت أبي بكر أتى الصريخ إلى أبي بكر فقيل له: أدرك صاحبك، فخرج من عندنا وإن له غدائر فدخل المسجد وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم. قال: فلهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي

وروي أن معاوية رضي الله عنه حبس العطاء فقام إليه أبو مسلم الخولاني فقال له: يا معاوية إنه ليس من كدّك ولا من كدّ أبيك ولا من كد أمك. قال: فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم: مكانكم! وغاب عن أعينهم ساعة ثم خرج عليهم وقد اغتسل فقال: إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليغتسل» وإني دخلت فاغتسلت وصدق أبو مسلم انه ليس من كدّي ولا من كدّ أبي فهلموا إلى عطائكم.

وروي عن ضبة بن محصن العنزي قال: كان علينا أبو موسى الأشعري أميراً بالبصرة فكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ وأنشأ يدعو لعمر رضي الله عنه قال: فغاظني ذلك منه، فقمت إليه فقلت له: أين أنت من صاحبه تفضله عليه؟

بكر، فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا جاء معه وهو يقول: تباركت ذا الجلال والإكرام.

(**وروي أن معاوية**) بن أبي سفيان (**رضي الله عنه حبس العطاء**) عن أهله مرة وكان على المنبر، (**فقام إليه أبو مسلم الخولاني**) عبد الله بن ثوب بن خيار تابعي من أهل الشام نزلها في أيام معاوية وكان صاحب كرامات، (**فقال له: يا معاوية إنه**) أي المال (**ليس من كدك ولا من كدّ أبيك ولا من كدّ أمك. قال**) الراوي: (**فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال لهم: مكانكم**) أي لا تفارقوا (**ثم**) غاب عنهم، ثم (**خرج عليهم**) وصعد المنبر (**فقال: إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «الغضب من الشيطان**) لأنه ناشىء عن وسوسته واغوائه فأسند إليه لذلك (**والشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء**) وفي رواية وإنما يطفىء النار، (**فإذا غضب أحدكم فليغتسل» وإني دخلت**) المنزل (**فاغتسلت. وصدق أبو مسلم أنه ليس من كدي ولا كدّ أبي فهلموا إلى عطائكم غداً إن شاء الله تعالى**) قال العراقي: هذا الحديث بقصته رواه أبو نعيم في الحلية وفيه من لا أعرفه اهـ. قلت: وكذلك رواه ابن عساكر في التاريخ.

(**وروي عن ضبة بن محصن العنزي**) بسكون النون البصري ذكره ابن حبان في كتاب الثقات، روى له مسلم، وأبو داود، والترمذي حديثاً واحداً (**قال: كان علينا أبو موسى**) عبد الله بن قيس (**الأشعري**) رضي الله عنه (**أميراً بالبصرة**) ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، (**وكان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، وأنشأ**) بعد ذلك (**يدعو لعمر**) بن الخطاب رضي الله عنه (**قال: فغاظني**) أو أغضبني (**ذلك، فقمت إليه فقلت له: أين أنت عن صاحبه**) يعني أبا بكر رضي الله عنه؟ (**تفضله عليه فصنع ذلك**

فصنع ذلك جمعاً ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول: إن ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي. فكتب إليه عمر: أن أشخصه إليَّ قال: فأشخصني إليه فقدمت فضربت عليه الباب فخرج إليّ فقال: من أنت؟ فقلت: أنا ضبة، فقال لي: لا مرحباً ولا أهلاً. قلت: أما المرحب فمن الله، وأما الأهل فلا أهل لي ولا مال، فبماذا استحللت يا عمر إشخاصي من مصري بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيته؟ فقال: ما الذي شجر بينك وبين عاملي؟ قال: قلت الآن أخبرك به. إنه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم أنشأ يدعو لك فغاظني ذلك منه فقمت إليه فقلت له: أين أنت من صاحبه تفضله عليه؟ فصنع ذلك جمعاً ثم كتب إليك يشكوني. قال: فاندفع عمر رضي الله عنه باكياً وهو يقول: أنت والله أوفق منه وأرشد، فهل أنت غافر لي ذنبي يغفر الله لك؟ قال: قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين. قال: ثم اندفع باكياً وهو يقول: والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه؟ قلت: نعم، قال:

أما الليلة؛ فإن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج من مكة هارباً من المشركين خرج ليلاً فتبعه أبو بكر، فجعل يمشي مرة أمامه ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن يساره،

جمعاً، ثم كتب إلى عمر يشكوني يقول) في شكواه: **(إن ضبة بن محصن العنزي يتعرض لي في خطبتي، فكتب إليه عمر)** رضي الله عنه **(أن اشخص به إلي)** أي وجهه إلي **(فاشخصني إليه فقدمت فدققت عليه الباب فخرج إليّ فقال: من أنت؟ فقلت: أنا ضبة بن محصن العنزي. قال فقال: فلا مرحباً ولا أهلاً. قلت: أما الرحب فمن الله، وأما الأهل فلا أهل ولا مال فبماذا استحللت اشخاصي من بصرتي)** وفي نسخة من البصرة **(بلا ذنب أذنبته ولا شيء أتيته. قال: فما الذي شجر بينك وبين عاملي قال: قلت الآن أخبرك به انه كان إذا خطبنا حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، ثم أنشأ يدعو لك فغاظني ذلك منه فقمت إليه فقلت له: أين أنت عن صاحبه تفضله عليه فصنع ذلك جمعاً. ثم كتب إليك يشكوني قال: فاندفع عمر رضي الله عنه باكياً وهو يقول: أنت والله أوفق منه وأرشد، فهل أنت غافر لي ذنبي غفر الله لك قال: قلت غفر الله لك يا أمير المؤمنين. قال: ثم اندفع باكياً وهو يقول: والله لليلة من أبي بكر ويوم خير من عمر وآل عمر، فهل لك أن أحدثك بليلته ويومه؟ قلت: نعم. قال:**

أما الليلة: فإن رسول الله ﷺ لما أراد الخروج من مكة هارباً من المشركين خرج ليلاً فتبعه أبو بكر وجعل يمشِي مرة أمامه ومرة خلفه، ومرة عن يمينه ومرة عن يساره، فقال

فقال رسول الله ﷺ: « ما هذا يا أبا بكر؟ ما أعرف هذا من أفعالك » فقال: يا رسول الله، أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك، لآمن عليك، قال: فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت؛ فلما رأى أبو بكر أنها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتدّ به حتى أتى فم الغار فأنزله، ثم قال: والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك، قال: فدخل فلم ير فيه شيئاً فحمله فأدخله وكان في الغار خرق فيه حيات وأفاع، فألقمه أبو بكر قدمه مخافة أن يخرج منه شيء إلى رسول الله ﷺ فيؤذيه، وجعلن يضربن أبا بكر في قدمه وجعلت دموعه تنحدر على خديه من ألم ما يجد ورسول الله ﷺ يقول له: « يا أبا بكر لا تحزن ان الله معنا » فأنزل الله سكينته عليه والطمأنينة لأبي بكر فهذه ليلته.

وأما يومه، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب فقال بعضهم: نصلي ولا نزكي فأتيته لا آلوه نصحاً فقلت: يا خليفة رسول الله ﷺ تألف الناس وأرفق بهم. فقال لي: أجبار في الجاهلية خوّار في الإسلام؟ فبماذا أتألفهم؟ قبض رسول الله ﷺ وارتفع الوحي، فوالله لو منعوني عقالاً كانوا يعطونه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، قال:

رسول الله ﷺ: « ما هذا يا أبا بكر؟ ما أعرف هذا من أفعالك» فقال: يا رسول الله اذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك. قال: فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه حتى حفيت، فلما رأى أبو بكر) رضي الله عنه **(أنها قد حفيت حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار)** الذي في جبل ثور، **(فأنزله فقال: والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله فإن كان فيه شيء نزل بي قبلك قال: فدخل فلم يجد به شيئاً فحمله وأدخله في الغار، وكان في الغار، خرق فيه حيات وأفاع فألقمه أبو بكر)** رضي الله عنه **(قدمه مخافة أن يخرج منهن شيء إلى رسول الله ﷺ فيؤذيه وجعلن)** أي الحيات والأفاعي **(يضربن أبا بكر في قدمه وجعلت دموعه تنحدر)** أي تسيل **(على خديه من ألم ما يجده، ورسوله ﷺ يقول: « يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا » فأنزل الله عليه سكينته أي الطمأنينة لأبي بكر. فهذه ليلته.**

وأما يومه، فلما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب) وهم ثمان قبائل منهم، **(فقال بعضهم: نصلي ولا نزكي فأتيته لا آلوه نصحاً)** أي أقصر في نصيحته، **(فقلت: يا خليفة رسول الله تألف الناس)** أي خذهم بالإلفة **(وارفق بهم. فقال: أجبار في الجاهلية)** أي شديد الأسر **(خوار في الإسلام)** أي ضعيف فارغ؟ **(فبماذا أتألفهم؟ قبض رسول الله ﷺ وارتفع الوحي)** أي انقطع نزوله **(فوالله لو منعوني عقالاً كانوا يعطونه رسول الله ﷺ**

فقاتلنا عليه فكان والله رشيد الأمر. فهذا يومه. ثم كتب إلى أبي موسى يلومه.

وعن الأصمعي قال: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان ـ وهو جالس

لقاتلتهم عليه)، والعقال بالكسر قيل المراد به الحبل الذي تعقل به الناقة، وإنما ضرب مثلاً لتقليل ما عساهم أن يمنعوه لأنهم كانوا يخرجون الإبل إلى الساعي ويعقلونها بالعقل حتى يأخذها كذلك، وقيل: المراد به نفس الصدقة فكأنه قال: لو منعوني شيئاً من الصدقة ومنه يقال دفعت عقال عام **(قال: فقاتلنا عليه، فكان والله رشيد الأمر فهذا يومه، ثم كتب إلى أبي موسى)** الأشعري **(يلومه)** فيما فعله.

قال العراقي: رواه البيهقي هكذا بطوله في دلائل النبوة بإسناد ضعيف، وقصة الهجرة رواها البخاري من حديث عائشة بغير هذا السياق، واتفق عليها الشيخان من حديث أبي بكر بلفظ آخر، ولهما من حديثه قال: قلت يا رسول الله: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» وأما قتاله لأهل الردة ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر كيف نقاتل الناس الحديث اهـ.

قلت: وأما حديث سد الخرق بقدمه فأخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث عطاء بن أبي ميمونة عن أنس قال: لما كان ليلة الغار قال أبو بكر: يا رسول الله دعني لأدخل قبلك فإن كان وجيئة أو شيء كانت بي قبلك. قال: «ادخل» فدخل أبو بكر فجعل يلتمس بيديه، فكلما رأى حجراً قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الحجر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع. قال: فبقي حجر فوضع عقبه عليه، ثم أدخل رسول الله ﷺ فلما أصبح قال له النبي ﷺ: «أين ثوبك يا أبا بكر» فأخبره بالذي صنع، فرفع النبي ﷺ يده فقال: «اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم القيامة» فأوحى الله إليه أن الله تعالى قد استجاب لك.

(وعن الأصمعي) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع الأصمعي الباهلي البصري صاحب النحو واللغة والأخبار والغريب والملح والنوادر. كان أحمد وابن معين يثنيان على الأصمعي في السنة. وقال الشافعي: ما عبر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الأصمعي. قال ابن معين: هو ثقة، وقال أبو داود: صدوق توفي سنة ثلاث عشرة ومائتين بالبصرة، روى له مسلم في مقدمة كتابه، وأبو داود في تفسير أسنان الإبل من السنن والترمذي في حديث أم زرع **(قال: دخل عطاء بن أبي رباح)** واسمه أسلم القرشي الفهري أبو محمد المكي مولى آل أبي خيثم عامل عمر بن الخطاب على مكة. قال ابن المديني: أبوه مولى حبيبة بنت ميسرة بن أبي خيثم، وانتهت إليه الفتوى في زمانه بمكة، وكان أعور أشل أفطس أعرج أسود ثم عمي بعد. توفي سنة ١١٤ روى له الجماعة، **(على عبد الملك بن مروان)** بن الحكم الأموي **(وهو جالس على**

على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته ـ فلما بصر به قام إليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال له: يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال: يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمار، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم. فقال له: أجل أفعل، ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال: يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت؟ فقال: ما لي إلى مخلوق حاجة. ثم خرج فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف!

وقد روي أن الوليد بن عبد الملك قال لحاجبه يوماً: قف على الباب فإذا مرّ بك رجل فأدخله عليَّ ليحدثني. فوقف الحاجب على الباب مدة فمرّ به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه فقال له: يا شيخ أدخل إلى أمير المؤمنين، فإنه أمر بذلك، فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز فلما دنا عطاء من الوليد قال: السلام عليك يا وليد! قال: فغضب الوليد على حاجبه وقال له: ويلك أمرتك أن تدخل إليَّ رجلاً

سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في) أيام **(خلافته، فلما بصر به قام إليه)** بسلم عليه **(وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه، وقال: يا أبا محمد ما حاجتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار: فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم. فقال له: افعل ثم نهض وقام فقبض عليه عبد الملك فقال: يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك؟ فقال: مالي إلى مخلوق حاجة ثم خرج. فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف هذا وأبيك الشرف)** مكذا أخرجه المزني في تهذيب الكمال في ترجمة عطاء إلا أنه قال في الأخير هذا وأبيك السؤدد بدل الشرف.

(وروي أن الوليد بن عبد الملك) بن مروان الأموي **(قال لحاجبه يوماً قف على الباب فإذا مر بك رجل عليه سمت حسن فأدخله علي ليحدثني، فوقف الحاجب على الباب مدة فمر به عطاء بن أبي رباح وهو لا يعرفه، فقال له: يا شيخ ادخل على أمير المؤمنين فإنه أمر بذلك، فدخل عطاء على الوليد وعنده عمر بن عبد العزيز)** ابن عمه، **(فلما دنا عطاء من الوليد قال: السلام عليك يا وليد! قال: فغضب الوليد على حاجبه فقال له:**

يحدثني ويسامرني فأدخلت إليَّ رجلاً لم يرض أن يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي. فقال له حاجبه: ما مرّ بي أحد غيره، ثم قال لعطاء: اجلس ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه به عطاء أن قال له: بلغنا أن في جهنم وادياً يقال له هبهب أعده الله لكل إمام جائر في حكمه فصعق الوليد من قوله، وكان جالساً بين يدي عتبة باب المجلس فوقع على قفاه إلى جوف المجلس مغشياً عليه، فقال عمر لعطاء: قتلت أمير المؤمنين، فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال له: يا عمر إن الأمر جد فجد، ثم قام عطاء وانصرف فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال: مكثت سنة أجد ألم غمزته في ذراعي.

وكان ابن أبي شميلة يوصف بالعقل والأدب، فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك: تكلم، قال: بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام تكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله؟ فبكى عبد الملك ثم قال: يرحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة

ويلك أمرتك أن تدخل إلي رجلاً يحدثني ويسامرني فأدخلت إليّ رجلاً لم يرض أن يسميني بالاسم الذي اختاره الله لي) وهو أمير المؤمنين، (**فقال له حاجبه: ما مر بي أحد غيره، ثم قال لعطاء: اجلس)** فجلس، (**ثم أقبل عليه يحدثه فكان فيما حدثه عطاء أن قال: بلغنا أن في جهنم وادياً يقال له: « هبهب » أعده الله لكل إمام جائر في حكمه)** ولفظ ابن الأثير في النهاية يسكنه الجبارون، (**فصعق الوليد من قوله، وكان جالساً بين يدي عتبة باب المجلس فوقع إلى قفاه إلى جوف المجلس مغشياً عليه، فقال عمر)** بن عبد العزيز لعطاء: (**قتلت أمير المؤمنين، فقبض عطاء على ذراع عمر بن عبد العزيز فغمزه غمزة شديدة وقال: يا عمر إن الأمر جد فجد)** أي اجتهاد، (**ثم قام عطاء وانصرف)** قال الراوي: (**فبلغنا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: مكثت سنة أجد ألم غمزته في ذراعي)** أخرجه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء.

(**وكان ابن أبي شميلة يوصف بالعقل والأدب)** وكان من فصحاء زمانه (**فدخل على عبد الملك بن مروان فقال له: تكلم. فقال: بم أتكلم وقد علمت أن كل كلام تكلم به المتكلم عليه وبال إلا ما كان لله. فبكى عبد الملك)** لقوله (**ثم قال: رحمك الله لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون)** أي يعظ بعضهم بعضاً ويوصي بعضهم بعضاً. (**فقال: يا أمير المؤمنين إن الناس في القيامة لا ينجون من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلا من**

الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه، فبكى عبد الملك ثم قال: لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالاً نصب عيني ما عشت.

ويروى عن ابن عائشة أن الحجّاج دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه، ودخل الحسن البصري رحمه الله آخر من دخل، فقال الحجاج: مرحباً بأبي سعيد إليّ إليّ ثم عاد بكرسي فوضع إلى جنب سريره فقعد عليه، فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنال منه ونلنا منه مقاربة له وفرقاً من شره. والحسن ساكت عاض على إبهامه، فقال: يا أبا سعيد ما لي أراك ساكتاً؟ قال: ما عسيت أن أقول؟ قال: أخبرني برأيك في أبي تراب، قال: سمعت الله جل ذكره يقول: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ [البقرة: ١٤٣] فعلي ممن هدى الله من أهل الإيمان؟ فأقول: ابن عم النبي عليه السلام وختنه على ابنته وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ولا يحول بينه وبينها. وأقول: إن كانت لعلي هناة فالله

أرضى الله بسخط نفسه، فبكى عبد الملك ثم قال: لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالاً نصب عيني ما دمت حياً) وهذا قد أورده المصنف في كتاب الحلال والحرام.

(ويروى عن ابن عائشة) وهو عبيد الله بن محمد التيمي القرشي تقدم ذكره قريباً **(أن الحجاج)** بن يوسف **(دعا بفقهاء البصرة وفقهاء الكوفة فدخلنا عليه)** وفي نسخة فدخلوا عليه **(ودخل الحسن)** بن يسار **(البصري آخر من دخل، فقال الحجاج)** له: **(مرحباً بأبي سعيد إلي إلي ثم دعا بكرسي فوضع إلى جنب سريره فقعد عليه، فجعل الحجاج يذاكرنا ويسألنا إذ ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنال منه)** أي تكلم فيه بسوء، **(ونلنا منه مقاربة له)** أي تقرباً إليه بموافقته في رأيه، **(وفرقاً)** أي خوفاً **(من شره، والحسن ساكت عاض على إبهامه، فقال)** الحجاج: **(يا أبا سعيد مالي أراك ساكتاً؟ قال: ما عسيت أن أقول. قال: أخبرني برأيك في أبي تراب)** هي كنية علي رضي الله عنه كناه بها النبي ﷺ. **(قال: سمعت الله جل ذكره يقول: ﴿وما جعلنا القبلةالتي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ فعليّ ممن هدى الله من أهل الإيمان؟ فأقول: ابن عم رسول الله وختنه على ابنته)** فاطمة الزهراء رضي الله عنها، **(وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها)** أي يمنعها **(عليه، ولا أن يحول بينه وبينها. فأقول: إن كانت لعلي)** رضي الله عنه

حسبه والله ما أجد فيه قولاً أعدل من هذا . فبسر وجه الحجاج وتغيّر وقام عن السرير مغضباً فدخل بيتاً خلفه وخرجنا . قال عامر الشعبي : فأخذت بيد الحسن فقلت : يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره، فقال: إليك عني يا عامر ، يقول الناس: عامر الشعبي عالم أهل الكوفة أتيت شيطاناً من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه . ويحك يا عامر هلا اتقيت إن سئلت فصدقت أو سكت فسلمت ؟ قال عامر : يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها . قال الحسن : فذاك أعظم من الحجة عليك وأشد في التبعة . قال : وبعث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه قال : أنت الذي تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ؟ قال : نعم . قال : ما حملك على هذا ؟ قال : ما أخذ الله على العلماء من المواثيق ﴿ليبيننه للناس ولا يكتمونه﴾ قال : يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك .

وحكي أن حطيطاً الزيات جيء به إلى الحجاج فلما دخل عليه قال : أنت حطيط ؟ قال : نعم سل عما بدا لك فإني عاهدت الله ـ عند المقام ـ على ثلاث خصال : إن سئلت

(هناة فالله حسيبه والله ما أجد فيه قولاً أعدل من هذا . فبسر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضباً فدخل بيتاً خلفه وخرجنا : قال عامر) بن شراحيل (الشعبي) وكان من جلة من حضر ذلك المجلس ، (فأخذت بيد الحسن فقلت : يا أبا سعيد) لقد (أغضبت الأمير وأوغرت صدره) أي أدخلت فيه وغراً وهو شدة الحر (قال) الحسن : (إليك عني يا عامر يقول الناس عامر الشعبي عالم أهل الكوفة) وفي نسخة فقيه أهل الكوفة ، (أتيت شيطاناً من شياطين الإنس تكلمه بهواه وتقاربه في رأيه ويحك يا عامر هلا اتقيت إن سئلت فصدقت ، وإن سكت فسلمت . قال عامر : يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها . قال الحسن : فذاك أعظم في الحجة عليك وأشد في التبعة . قال) ابن عائشة في رواية أخرى : (وبعث الحجاج إلى الحسن فلما دخل عليه . قال : أنت تقول قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ؟ قال) الحسن : (نعم) أنا قلت (قال) الحجاج : (ما حملك على هذا) القول ؟ (قال : ما أخذ الله على العلماء من المواثيق) والعهود ﴿ليبيننه للناس ولا يكتمونه﴾ قال) الحجاج : (يا حسن أمسك عليك لسانك وإياك أن يبلغني عنك ما أكره فأفرق بين رأسك وجسدك) وسيأتي للمصنف بأبسط من ذلك في أواخر كتاب ذم الجاه وحب المال ، وأتم مما هنا فراجعه .

(وروي أن حطيطاً الزيات) وكان من القوالين بالحق لا يخاف في الله لومة لائم (جيء به إلى الحجاج) بن يوسف (فلما دخل) عليه (قال : أنت حطيط ؟ قال : نعم سل عما بدا لك فإني عاهدت الله على المقام) وفي نسخة عند المقام (على ثلاث خصال : إن سئلت لأصدقن ، وإن

لأصدقن، وإن أبتليت لأصبرنّ، وإن عوفيت لأشكرنّ. قال: فما تقول فيَّ؟ قال: فأقول إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة؛ قال: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟ قال: أقول إنه أعظم جرماً منك وإنما أنت خطيئة من خطاياه. قال: فقال الحجاج ضعوا عليه العذاب. قال: فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئاً. قال: فقيل للحجاج إنه في آخر رمق فقال: أخرجوه فارموا به في السوق. قال جعفر: فأتيته أنا وصاحب له فقلنا له: حطيط ألك حاجة؟ قال: شربة ماء فأتوه بشربة ثم مات ـ وكان ابن ثمان عشرة سنة رحمة الله عليه.

وروي أن عمر بن هبيرة دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها فجعل يسألهم وجعل يكلم عامر الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده منه علماً، ثم أقبل على الحسن البصري فسأله ثم قال: هما هذان، هذا رجل أهل الكوفة ـ يعني الشعبي ـ وهذا رجل أهل البصرة ـ يعني الحسن ـ فأمر الحاجب فأخرج الناس وخلا بالشعبي والحسن، فأقبل على الشعبي فقال: يا أبا عمرو إني أمين أمير المؤمنين

ابتليت لأصبرن، وإن عوفيت لأشكرن. قال فما تقول فيَّ؟ قال: أقول إنك من أعداء الله في الأرض تنتهك المحارم وتقتل بالظنة) بالكسر أي التهمة الباطلة. (**قال: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؟ قال: أقول أنه أعظم جرماً منك، وإنما أنت خطيئة من خطاياه. قال فقال الحجاج)** لأتباعه: (**ضعوا عليه العذاب)** فعذبوه بأنواع العذاب. (**قال)** الراوي: (**فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم جعلوه على لحمه ثم شدوه بالحبال ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئاً. قال: فقيل للحجاج أنه في آخر رمق. قال: أخرجوه)** من الحبس (**فارموا به في السوق)** إهانة له. (**قال جعفر)** راويه: (**فأتيته أنا وصاحب له فقلنا: حطيط ألك حاجة؟ قال: شربة ماء فأتوه بشربة)** فشرب، (**ثم مات. وكان ابن ثمان عشرة سنة رحمه الله تعالى)** أخرجه ابن أبي الدنيا.

(**وروي أن عمر بن هبيرة)** والي العراق من قبل بني أمية وتقدم ذكره في مناقب أبي حنيفة من كتاب العلم (**دعا بفقهاء أهل البصرة وأهل الكوفة وأهل المدينة وأهل الشام وقرائها، فجعل يسألهم وجعل يكلم عامراً الشعبي فجعل لا يسأله عن شيء إلا وجد عنده فيه علماً، ثم أقبل على الحسن البصري فسأله فقال: هما هذان. هذا رجل أهل الكوفة يعني الشعبي، وهذا رجل أهل البصرة يعني الحسن، وأمر الحاجب فأخرج الناس وخلى الشعبي والحسن، فأقبل على الشعبي فقال: يا أبا عمرو** إني **أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها**

على العراق وعامله عليها ورجل مأمور على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم مع النصيحة لهم، وقد يبلغني عن العصابة من أهل الديار الأمر أجد عليهم فيه فأقبض طائفة من عطائهم فاضعه في بيت المال ومن نيتي أن أرده عليهم فيبلغ أمير المؤمنين إني قد قبضته على ذلك النحو فيكتب إليّ أن لا ترده فلا أستطيع ردّ أمره ولا إنفاذ كتابه، وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة. فهل علي في هذا تبعة وفي أشباهه من الأمور والنية فيها على ما ذكرت؟ قال الشعبي: فقلت أصلح الله الأمير إنما السلطان والد يخطىء ويصيب. قال: فسّر بقولي وأعجب به ورأيت البشر في وجهه وقال: فلله الحمد، ثم أقبل على الحسن فقال: ما تقول يا أبا سعيد؟ قال: قد سمعت قول الأمير يقول إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليها ورجل مأمون على الطاعة ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم، وحق الرعية لازم لك وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة وإني سمعت عبد الرحمن بن سمرة القرشي صاحب رسول الله ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «من استرعى رعية فلم يحطها

ورجل مأمور على الطاعة، وقد ابتليت بالرعية ولزمني حقهم، فأنا أحب حفظهم وتعهد ما يصلحهم من النصيحة لهم، وقد يبلغني عن العصابة) أي الجماعة من الرجال (**من أهل الديار الأمر**) الذي أكره (**أجد عليهم فيه**) لأجل ما يبلغني عنهم مما أكره، (**فأقبض طائفة**) أي جزءاً (**من عطائهم فأضعه في بيت المال**) تأديباً لهم (**ومن نيتي أن أرد عليهم**) عطاءهم، (**فيبلغ أمير المؤمنين أني قد قبضته على ذلك من النحو فيكتب إلي**) أن (**لا ترده**) إليهم (**فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه، وإنما أنا رجل مأمور على الطاعة فهل علي في هذا تبعة وفي أشباهه من الأمور**) التي تقع لي (**والنية فيها على ما ذكرت؟ قال الشعبي: فقلت أصلح الله الأمير إنما السلطان والد**) وأنت بمنزلة ولده والوالد (**يخطىء**) على ولده (**ويصيب: قال: فسر بقولي وأعجب به، ورأيت البشر في وجهه. قال: فلله الحمد، ثم أقبل على الحسن فقال: ما تقول يا أبا سعيد؟ قال: قد سمعت قول الأمير يقول: إنه أمين أمير المؤمنين على العراق وعامله عليه ورجل**) مأمون (**على الطاعة**) والانقياد لأوامره (**ابتليت بالرعية ولزمني حقهم والنصيحة لهم والتعهد لما يصلحهم وحق الرعية لازم لك، وحق عليك أن تحوطهم بالنصيحة وإني سمعت عبد الرحمن بن سمرة**) بن حبيب بن عبد شمس (**القرشي**) العبشمي يكنى أبا سعيد (**صاحب رسول الله ﷺ**) أسلم يوم الفتح وغزا خراسان في زمن عثمان، وهو الذي افتتح سجستان وكابل، ورجع إلى البصرة ونزلها، وبها مات سنة خمسين وصلى عليه زياد بن أبي سفيان روى له الجماعة (**يقول: قال رسول الله ﷺ: «من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة»**) قال العراقي: رواه البغوي في معجم

بالنصيحة حرم الله عليه الجنة » ويقول: إني ربما قبضت من عطائهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا إلى طاعتهم فيبلغ أمير المؤمنين إني قبضتها على ذلك النحو فيكتب إليَّ أن لا ترده فلا أستطيع ردّ أمره ولا أستطيع إنفاذ كتابه، وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين، والله أحق أن يطاع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فاعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقاً لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفاً لكتاب الله فانبذه، يا ابن هبيرة اتق الله فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك. يا ابن هبيرة إن الله ليمنعك من يزيد وأن يزيد لا يمنعك من الله، وأن أمر الله فوق كل أمر وأنه لا طاعة في معصية الله، وإني أحذرك بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين. فقال ابن هبيرة: اربع على ظلعك أيها الشيخ واعرض عن ذكر أمير المؤمنين، فإن أمير المؤمنين صاحب العلم

الصحابة بإسناد لين، وقد اتفق عليه الشيخان بنحو من رواية الحسن بن معقل بن يسار اهـ.

قلت: وروى عبد الرزاق في المصنف، وأحمد، والطبراني، وابن عساكر من حديث معقل بن يسار بلفظ: « من استرعى رعية فلم يحطهم بنصيحة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة مائة عام » وعند الخطيب عنه بلفظ: « من استرعى رعية فغشها لقي ربه وهو عليه غضبان » وعنده أيضاً من حديث ابن سمرة بلفظ: « أيما راع استرعى رعية فلم يحطها بالأمانة والنصيحة ضاقت عليه رحمة الله التي وسعت كل شيء » ويروى أيضاً عن الحسن مرسلاً بلفظ: « من استرعاه الله رعية فمات وهو غاش لها أدخله الله النار » هكذا رواه الشيرازي في الألقاب.

(وتقول: إني ربما قبضت من عطاياهم إرادة صلاحهم واستصلاحهم وأن يرجعوا إلى طاعتهم، فيبلغ أمير المؤمنين إني قبضتها على ذلك النحو فيكتب إلي أن لا ترده فلا أستطيع رد أمره ولا إنفاذ كتابه، وحق الله ألزم من حق أمير المؤمنين، والله أحق أن يطاع ولا طاعة في معصية الله عز وجل. فاعرض كتاب أمير المؤمنين على كتاب الله عز وجل فإن وجدته موافقاً لكتاب الله فخذ به وإن وجدته مخالفاً لكتاب الله فانبذه) أي ارمه. **(يا ابن هبيرة اتق الله فإنه يوشك أن يأتيك رسول من رب العالمين يزيلك من سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك وتقدم على ربك وتنزل على عملك. يا ابن هبيرة إن الله يمنعك من يزيد وأن يزيد لا يمنعك من الله، وإن أمر الله فوق كل أمر وأنه لا طاعة في معصية الله وإني أحذرك بأس الله الذي لا يرده عن القوم المجرمين: فقال ابن هبيرة)** للحسن: **(اربع على ظلعك أيها الشيخ، واعرض عن ذكر أمير المؤمنين فإن أمير المؤمنين صاحب العلم وصاحب الحكم وصاحب الفضل، وإنما**

وصاحب الحكم وصاحب الفضل، وإنما ولاه الله تعالى ما ولاه من أمر هذه الأمة لعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته. فقال الحسن: يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد. يا ابن هبيرة إنك إن تلق من ينصح لك في دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلاً يغرك ويمنيك، فقام ابن هبيرة؛ وقد بسر وجهه وتغير لونه. قال الشعبي: فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته. فقال: إليك عني يا عامر. قال: فخرجت إلى الحسن التحف والطرف وكانت له المنزلة واستخف بنا وجفينا، فكان أهلاً لما أدى إليه وكنا أهلاً أن يفعل ذلك بنا. فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربي بين المقارف. وما شهدنا مشهداً إلا برز علينا. وقال لله عز وجل وقلنا مقاربة لهم. قال عامر الشعبي: وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطاناً بعد هذا المجلس فأحابيه. ودخل محمد بن

ولاه الله تعالى ولاية أمر هذه الأمة لعلمه به وما يعلمه من فضله ونيته، فقال الحسن: يا ابن هبيرة الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب والله بالمرصاد. يا ابن هبيرة إنك إن تلق من ينصح لك في دينك ويحملك على أمر آخرتك خير من أن تلقى رجلاً يغرك ويمنيك، فقام ابن هبيرة وقد بسر وجهه وتغير لونه. قال الشعبي: فقلت يا أبا سعيد أغضبت الأمير وأوغرت صدره وحرمتنا معروفه وصلته. فقال: إليك عنّي يا عامر. قال: فخرجت إلى الحسن التحف والطرف) من الهدايا **(وكانت له المنزلة)** العالية **(واستخف بنا وجفينا، فكان أهلاً لما أدى إليه، وكنا أهلاً أن يفعل بنا ذلك، فما رأيت مثل الحسن فيمن رأيت من العلماء إلا مثل الفرس العربي)** الجيد **(بين المقاريف)** جمع مقرف كمحسن الذي أصوله ردية. **(وما شهدنا مشهداً إلا برز علينا)** أي ظهر. **(وقال)** ما قال **(لله عز وجل، وقلنا)** ما قلنا **(مقاربة لهم)** أي تقربا لخاطرهم. **(قال الشعبي: وأنا أعاهد الله أن لا أشهد سلطاناً بعد هذا المجلس فأحابيه)**.

وقد روى هذه القصة المزني في تهذيب الكمال في ترجمة الحسن من طريق علقمة بن مرثد قال: لما ولي عمر بن هبيرة العراق أرسل إلى الحسن والشعبي فأمر لهما ببيت فكانا فيه شهراً أو نحوه، فجاء عمر فسلم ثم جلس معظماً لهما فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب إلي كتباً أعرف أن في إنفاذها الهلكة فإن أطعته عصيت الله وإن عصيته أطعت الله، فهل تريان لي في متابعتي إياه فرجاً؟ فقال الحسن: يا أبا عمرو أجب الأمير فتكلم الشعبي فانحط في حبل ابن هبيرة. فقال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فقال: أيها الأمير قد سمعت ما قال الشعبي. قال: ما تقول أنت؟ قال: أقول يا عمر بن هبيرة يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله فظاً غليظاً لا يعصي الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك. يا عمر بن هبيرة إن تتق الله يعصمك من يزيد بن

واسع على بلال بن أبي بردة فقال له: ما تقول في القدر؟ فقال: جيرانك أهل القبور فتفكر فيهم، فإن فيهم شغلاً عن القدر.

وعن الشافعي رضي الله عنه قال: حدثني عمي محمد بن علي قال: إني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور وفيه ابن أبي ذؤيب وكان والي المدينة الحسن بن زيد

عبد الملك ولن يعصمك يزيد من الله. يا عمر بن هبيرة لا تأمن أن ينظر الله عز وجل إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بنظرة مقت فيغلق بها باب المغفرة دونك. يا عمر بن هبيرة لقد أدركت ناساً من صدر هذه الأمة كانوا والله عن الدنيا وهي مقبلة أشد إدباراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة. يا عمر بن هبيرة إني أخوفك مقاماً خوفك الله تعالى، فقال ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد. يا عمر بن هبيرة إن تك مع الله في طاعته كفاك بائقة يزيد وأني لك مع يزيد على معاصي الله وكلك الله إليه. قال: فبكى عمر وقام بعبرته، فلما كان من الغد أرسل إليهم بإذنهما وجوائزهما فأكثر منها للحسن، وكان في جائزة الشعبي بعض إقتار فخرج الشعبي إلى المسجد فقال: يا أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله عز وجل على خلقه فليفعل، فوالذي نفسي بيده ما علم الحسن منه شيئاً فجهلته، ولكن أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه.

(ودخل) أبو عبد الله **(محمد بن واسع)** تقدم ذكره **(على بلال بن أبي بردة)** بن موسى الأشعري قاضي البصرة وأميرها، روى له البخاري في الأحكام تعليقاً، وروى له الترمذي حديثاً واحداً **(فقال له: ما تقول في القدر؟ قال جيرانك أهل القبور فتفكر فيهم فإن فيهم شغلاً عن القدر)** وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا عبد الله بن صالح البخاري، حدثنا سليمان بن أبي شيخ، حدثنا عتبة بن المنهال البصري قال: قال بلال بن أبي بردة لمحمد بن واسع: ما تقول في القضاء والقدر؟ قال: أيها الأمير إن الله عز وجل لا يسأل يوم القيامة عباده عن قضائه وقدره إنما يسألهم عن أعمالهم.

(وقال الإمام) أبو عبد الله محمد بن إدريس بن عثمان بن شافع **(الشافعي رضي الله عنه حدثني عمي محمد بن علي)** بن شافع المطلبي، روى عن ابن عم أبيه عبد الله بن علي بن السائب والزهري. وعنه سبط إبراهيم بن محمد الشافعي، والإمام محمد بن إدريس الشافعي ووثقه، ويونس ابن محمد المؤدب، روى له أبو داود والنسائي وهو المراد في الحكاية التي رواها المزني قال: سمعت الشافعي يقول: رأيت علي بن أبي طالب في النوم فسلم علي وصافحني وخلع خاتمه فجعله في اصبعي قال: وكان لي عم ففسرها لي فقال: أما مصافحتك لعلي فأمان من العذاب، وأما خلع خاتمه وجعله في أصبعك فيبلغ اسمك ما بلغ اسم علي في الشرق والغرب **(قال: إني لحاضر مجلس أمير المؤمنين أبي جعفر)** المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الخليفة، **(وفيه ابن أبي ذؤيب)** هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحرث بن أبي ذؤيب، واسمه هشام بن شعبة بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حنبل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي

قال: فأتى الغفاريون فشكوا إلى أبي جعفر شيئاً من أمر الحسن بن زيد، فقال الحسن: يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال: فسأله، فقال: ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب؟ فقال: أشهد أنهم أهل تحطم في أعراض الناس كثيرو الأذى لهم، فقال أبو جعفر: قد سمعتم، فقال الغفاريون: يا أمير المؤمنين سله عن الحسن بن زيد، فقال: يا ابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن زيد؟ فقال: أشهد عليه أنه يحكم بغير الحق ويتبع هواه، فقال: قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح؟ فقال: يا أمير المؤمنين اسأله عن نفسك. فقال: ما تقول فيّ؟ قال: تعفيني يا أمير المؤمنين. قال: أسألك بالله، ألا أخبرتني. قال: تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك؟ قال: والله لتخبرني، قال: أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله، وأشهد أن الظلم ببابك فاش. قال: فجاء أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ثم قال

العامري. أبو الحرث المدني، روى عن الزهري، ونافع مولى ابن عمر وسعيد المقبري، والطبقة روى عنه آدم بن أبي إياس، وأسد بن موسى، وحجاج الأعور، وشبابة، وعبد الله بن وهب، وأبو نعيم الفضل بن دكين، ووكيع، ويحيى القطان وغيرهم. وكان يشبه سعيد بن المسيب. قال أحمد: هو ثقة صدوق. وقال الشافعي: ما فاتني أحد فأسفت عليه ما أسفت على الليث وابن أبي ذؤيب، وقال النسائي: هو ثقة. وقال الواقدي: كان من رجال الدهر صواماً وقوالاً بالحق مات بالكوفة منصرفاً من بغداد سنة ١٥٩ روى له الجماعة (**قال: وكان والي المدينة**) من قبل أبي جعفر (**الحسن بن زيد**) بن الحسن بن علي بن أبي طالب روى عن أبيه وعكرمة، وعنه مالك وزيد بن الحباب ولي المدينة وهو والد الست نفيسة رضي الله عنها توفي سنة ١٦٨. (**قال: فأتى الغفاريون**) وهم قبيلة أبي ذر الغفاري، (**فشكوا إلى أبي جعفر شيئاً من أمر الحسن بن زيد، فقال الحسن: يا أمير المؤمنين سل عنهم ابن أبي ذؤيب قال: فسأله**) عنهم (**فقال: ما تقول فيهم يا ابن أبي ذؤيب؟ فقال: أشهد أنهم أهل تحطم في أعراض الناس**) أي يقعون فيها (**كثيرو الأذى لهم، فقال أبو جعفر**) للغفاريين: (**قد سمعتم**) ما قال فيكم ابن أبي ذؤيب (**فقال الغفاريون: سله عن الحسن بن زيد. فقال: يا ابن أبي ذؤيب ما تقول في الحسن بن زيد؟ فقال: أشهد عليه أنه يحكم بغير الحق ويتبع هواه. فقال: قد سمعت يا حسن ما قال فيك ابن أبي ذؤيب وهو الشيخ الصالح. فقال: يا أمير المؤمنين سله عن نفسك. فقال: ما تقول في قال: تعفيني يا أمير المؤمنين. قال: أسألك بالله إلا أخبرتني. قال: تسألني بالله كأنك لا تعرف نفسك. قال: والله لتخبرني. قال: أشهد أنك أخذت هذا المال من غير حقه فجعلته في غير أهله، وأشهد أن الظلم ببابك فاش**) أي ظاهر. (**قال: فحبا أبو جعفر من موضعه حتى وضع يده في قفا ابن أبي ذؤيب فقبض عليه ثم قال له: أما والله لولا أني جالس**)

له: أما والله لولا أني جالس ههنا لأخذت فارس والروم والديلم والترك بهذا المكان منك! قال: فقال ابن أبي ذؤيب: يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر فأخذا الحق وقسما بالسوية وأخذا بأقفاء فارس والروم وأصغرا آنافهم، قال: فخلى أبو جعفر قفاه وخلى سبيله وقال: والله لولا أني أعلم أنك صادق لقتلتك. فقال ابن أبي ذؤيب: والله يا أمير المؤمنين إني لأنصح لك من ابنك المهدي، قال: فبلغنا ان ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له: يا أبا الحرث لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار، ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي، فقال: يغفر الله لك يا أبا عبدالله كلنا مهدي كلنا كان في المهد.

ههنا لأخذت فارس والروم والديلم منك بهذا المكان. قال، فقال ابن أبي ذؤيب: يا أمير المؤمنين قد ولي أبو بكر وعمر) رضي الله عنهما **(فأخذا الحق وقسما بالسوية واخذا بأقفاء فارس والروم وأصغرا)** أي أذلا **(آنافهم)** جمع أنف **(قال: فخلى أبو جعفر قفاه وخلا سبيله. وقال: والله لولا أني أعلم أنك صادق لقتلتك. فقال ابن أبي ذؤيب: والله يا أمير المؤمنين إني لأنصح لك من ابنك المهدي. قال: فبلغنا أن ابن أبي ذؤيب لما انصرف من مجلس المنصور لقيه سفيان الثوري فقال له: يا أبا الحرث لقد سرني ما خاطبت به هذا الجبار، ولكن ساءني قولك له ابنك المهدي. فقال: يغفر الله لك أبا عبد الله. كلنا مهدي كلنا كان في المهد)** فالياء فيه للنسبة لا أنها اصلية.

وفي التهذيب للمزني بسنده إلى أبي بكر المروزي قال: قيل لأحمد من أعلم مالك أو ابن أبي ذؤيب؟ فقال: ابن أبي ذؤيب في هذا أكبر من مالك. وابن أبي ذؤيب أصلح في بدنه، وأروع ورعاً وأقوم بالحق من مالك عند السلاطين، وقد دخل ابن أبي ذؤيب على أبي جعفر فلم يهله أن قال له الحق. قال: الظلم فاش ببابك وأبو جعفر قال. وقال حماد بن خالد: ما كان ابن أبي ذؤيب ومالك في موضع عند سلطان إلا تكلم ابن أبي ذؤيب بالحق والأمر والنهي ومالك ساكت، وإنما كان يقال ابن أبي ذؤيب، وسعد بن إبراهيم أصحاب أمر ونهي، فقيل له: ما تقول في حديثه؟ قال: كان ثقة في حديثه صدوقاً رجلاً صالحاً ورعاً. وقال يعقوب بن سفيان الفارسي: ابن أبي ذؤيب قرشي ومالك يماني. وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: حججت سنة حج أبو جعفر وأنا ابن إحدى وعشرين سنة، ومعه ابن أبي ذؤيب ومالك فدعا ابن أبي ذؤيب فاقعده معه على دار الندرة عند غروب الشمس فقال له: ما تقول في الحسن بن زيد بن الحسن بن فاطمة؟ قال: إنه ليتحرى العدل. فقال له: ما تقول في مرتين أو ثلاثاً. فقال: ورب هذه البنية إنك جائر، فأخذ الربيع بلحيته فقال له أبو جعفر: كف عنه يا ابن اللخناء وأمر له بثلاثمائة دينار. وقال محمد بن القاسم بن خلاد، قال ابن أبي ذؤيب للمنصور: يا أمير المؤمنين قد هلك الناس فلو أعنتهم مما في يديك من الفيء قال: ويلك لولا ما سددت من الثغور وبعثت من الجيوش لكنت تؤتى في منزلك وتذبح.

وعن الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو قال: بعث إليَّ أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته، فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة ردّ عليّ واستجلسني ثم قال لي: ما الذي أبطأ بك عنا يا أوزاعي؟ قال: قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين؟ قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم. قال: فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئاً مما أقول لك. قال: وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك له؟ قال: قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به. قال: فصاح بي الربيع وأهوى بيده إلى السيف فانتهره المنصور وقال: هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت في الكلام، فقلت: يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال: قال رسول

فقال ابن أبي ذؤيب: فقد سد الثغور وجيش الجيوش وفتح الفتوح، وأعطى الناس أعطياتهم من هو خير منك. قال: ومن هو خير مني ويلك؟ قال: عمر بن الخطاب، فنكس المنصور رأسه والسيف بيد المسيب والعمود بيد مالك بن الهيثم فلم يعرض له، والتفت إلى محمد بن إبراهيم فقال: هذا الشيخ خير أهل الحجاز. وقال أيضاً: لما حج المهدي دخل مسجد النبي ﷺ فلم يبق أحد إلا قام إلا ابن أبي ذؤيب، فقال المسيب بن زهير: قم هذا أمير المؤمنين، فقال: ابن أبي ذؤيب: إنما يقوم الناس لرب العالمين. فقال المهدي: دعه فلقد قامت كل شعرة في رأسي.

(و) روي (**عن الاوزاعي عبد الرحمن بن عمرو**) بن أبي عمرو إمام أهل الشام في زمانه في الفقه والحديث، وكان يسكن دمشق خارج باب الغراديس بمحلة الأوزاع، ثم تحوّل إلى بيروت فسكنها مرابطاً إلى أن مات بها سنة ١٥٧ من آخر خلافة أبي جعفر المنصور، وكان قد جمع العبادة والورع بالحق. (**قال: بعث إليّ أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل**) أي ساحل بيروت (**فأتيته فلما وصلت إليه**) وسلمت عليه بالخلافة ردّ عليَّ السلام (**واستجلسني**) أي طلب مني الجلوس، (**ثم قال لي: ما الذي أبطأ بك عني يا أوزاعي؟ قال: قلت وما الذي يريد أمير المؤمنين؟ قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم، فقلت: فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئاً مما أقول لك. قال: وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك له. قال: قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به. قال: فصاح بي الربيع**) يعني حاجبه (**وأهوى بيده إلى السيف، فانتهره المنصور وقال: هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة، فطابت نفسي وانبسطت في الكلام، فقلت يا أمير المؤمنين: حدثني مكحول**) هو ابن مسلم الشامي أبو عبد الله فقيه الشام، وكانت داره بدمشق عند طرق سوق الأحد، ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من تابعي أهل الشام، رأى أبا أمامة الباهلي وأنساً وسمع واثلة، وغيره مات سنة ١١٣. روى له مسلم والأربعة (**عن عطية بن بشر**) المازني صحابي، وهو أخو عبد الله بن بشر، روى عنه مكحول وسليم بن عامر روى له أبو داود وابن ماجه (**قال: قال رسول الله ﷺ «أيما**

الله ﷺ : « أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثماً ويزداد الله بها سخطاً عليه » يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال: قال رسول الله ﷺ : « أيما وال مات غاشاً لرعيته حرم الله عليه الجنة » . يا أمير المؤمنين من كره الحق فقد كره الله إن الله هو الحق المبين إن الذي لين قلوب أمتكم لكم حين ولاّكم أموركم لقرابتكم من رسول الله ﷺ ، وقد كان بهم رؤوفاً رحيماً مؤاسياً لهم بنفسه في ذات يده محموداً عند الله وعند الناس. فحقيق بك أن تقوم له فيهم بالحق ، وأن تكون بالقسط له فيهم قائماً ولعوراتهم ساتراً لا تغلق عليك دونهم الأبواب ولا تقيم دونهم الحجاب. تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس بما أصابهم من سوء . يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم ـ أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم ـ وكل له

عبد جاءته من الله موعظة) وهي التذكير بالعواقب **(في دينه فإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر)** زاده الله من تلك النعم **(وإلاّ كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثماً ويزداد الله عليه بها سخطاً »)** قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء وفيه أحمد بن عبيد بن ناصح اهـ.

قلت : ورواه كذلك أبو نعيم في الحلية ، وابن عساكر في التاريخ ، والبيهقي في الشعب ، وقد وقع في نسخ الجامع الصغير للجلال السيوطي عن عطية بن قيس وهو غلط . والصواب عطية بن بشر كما ذكرنا ولم يتنبه لها الشارح.

(يا أمير المؤمنين! حدثني مكحول عن عطية بن بشر) رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ « أيما والٍ بات غاشاً لرعيته حرم الله عليه الجنة »)** قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء وابن عدي في الكامل في ترجمة أحمد بن عبيد اهـ.

قلت : وكذلك رواه البيهقي في الشعب ، وأبو نعيم في الحلية ، وابن عساكر في التاريخ . وروى ابن عساكر من حديث معقل بن يسار « أيما راع غش رعيته فهو في النار » .

(يا أمير المؤمنين! من كره الحق فقد كره الله إن الله هو الحق المبين إن الذي ليّن قلوب أمتكم لكم حين ولاّكم أمورهم لقرابتكم من نبيكم ﷺ ، فقد كان بهم رؤوفاً رحيماً مؤاسياً بنفسه لهم في ذات يده محموداً عند الله وعند الناس، لحقيق أن تقوم له فيهم بالحق، وأن تكون بالقسط) أي العدل **(له فيهم قائماً ولعوراتهم ساتراً لا يغلق عليك دونهم الأبواب، ولا تقيم دونهم الحجاب تبتهج بالنعمة عندهم وتبتئس)** أي تحزن **(بما أصابهم من سوء . يا أمير المؤمنين قد كنت في شغل شاغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم ـ أحمرهم وأسودهم مسلمهم وكافرهم ـ وكل له عليك نصيب من العدل**

عليك نصيب من العدل، فكيف بك إذا انبعث منهم فئام وراء فئام وليس منهم أحد إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه. يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم قال: كانت بيد رسول الله ﷺ جريدة يستاك بها ويروّع بها المنافقين، فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له: يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعباً؟ فكيف بمن شقق أبشارهم وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغيبهم الخوف منه؟ يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن زياد عن حارثة عن حبيب بن مسلمة أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابياً لم يتعمده، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك جباراً ولا متكبراً. فدعا النبي ﷺ الاعرابي، فقال: « اقتص مني ». فقال الاعرابي: قد

فكيف بك إذا انبعث منهم فئام) بكسر الفاء أي جماعة **(وراء فئام)** أي وراء جماعة **(ليس منهم أحد إلا يشكو بلية أدخلتها عليه أو ظلامة سقتها إليه)**.

(يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عروة بن رويم) اللخمي الأزدي أبو القاسم. روى عن أبي ادريس الخولاني وعدة وله مقاطيع ويرسل كثيراً، وعنه الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، وخلق وثق، وفي موته أقوال الصحيح أنه سنة ١٣٥. روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه **(قال: كانت بيد رسول الله ﷺ جريدة يستاك بها ويروّع بها)** أي يخوّف **(المنافقين، فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: يا محمد ما هذه الجريدة التي كسرت بها قلوب أمتك وملأت قلوبهم رعباً)** أي خوفاً. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء وهو مرسل، وعروة ذكره ابن حبان في ثقات التابعين اهـ. قلت: وكذلك رواه البيهقي في الشعب، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في التاريخ **(فكيف بمن شقق أبشارهم)** أي جلودهم **(وسفك دماءهم وخرب ديارهم وأجلاهم عن بلادهم وغشيهم الخوف منه)**.

(يا أمير المؤمنين: حدثني مكحول عن زياد بن جارية) بالجيم التميمي الدمشقي ويقال: زيد، ويقال يزيد يقال له صحبة وثقة النسائي، روى له عن حبيب بن مسلمة، وعنه مكحول وعطية بن قيس، روى له أبو داود وابن ماجه. قال الذهبي: أنكر تأخير الجمعة إلى العصر، فأدخل الخضراء وذبح وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك **(عن حبيب بن مسلمة)** بن مالك بن وهب القرشي الفهري المكي مختلف في صحبته نزل الشام، والراجح ثبوت صحبته، لكنه كان صغيراً وله ذكر في الصحيح في حديث ابن عمرو مع معاوية. روى عن النبي ﷺ، وأبي ذر، وعنه زياد بن جارية وابن مليكة. قيل: شهد اليرموك أميراً روى له أبو داود وابن ماجه مات بأرمينية أميراً عليها لمعاوية سنة ١٤٢. **(أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص في خدشة خدش)** وفي نسخة في خدشة خدشه **(اعرابياً لم يتعمده)** أي لم يقصد خدشه عمداً **(فأتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك جباراً ولا متكبراً فدعا النبي ﷺ الأعرابي فقال:**

أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبداً ولو أتيت على نفسي فدعا له بخير. يا أمير المؤمنين رض نفسك لنفسك وخذ لها الأمان من ربك وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله ﷺ: « لقيد قوس أحدكم من الجنة خير له من الدنيا وما فيها ». يا أمير المؤمنين إن الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك. يا أمير المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ [الكهف: ٤٩] قال: الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك، فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن؟ يا أمير المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لو ماتت سخلة على شاطىء الفرات

« اقتص مني » فقال الاعرابي: قد أحللتك بأبي أنت وأمي وما كنت لأفعل ذلك أبداً ولو أتيت على نفسي فدعا له بخير). قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء، وروى أبو داود والنسائي من حديث عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ اقتص من نفسه، وللحاكم من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه: طعن رسول الله ﷺ في خاصرة أسيد بن حضير فقال: « أوجعتني » قال: « اقتص » الحديث قال: صحيح الاسناد اهـ. قلت: ورواه كذلك من سياق ابن أبي الدنيا البيهقي في الشعب، وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر في التاريخ.

(يا أمير المؤمنين: رض نفسك لنفسك، وخذ لها الأمان من ربك، وارغب في جنة عرضها السموات والأرض التي يقول فيها رسول الله ﷺ « لقيد قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء من رواية الاوزاعي معضلاً لم يذكر إسناده، ورواه البخاري من حديث أنس بلفظ لقب اهـ.

قلت: وجدت بخط الحافظ السخاوي على طرة هذا الكتاب: بل الراوي شك هل قال قاب أو قيد اهـ.

ولفظ الحلية هنا لقاب، وروى أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً « لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض ».

(يا أمير المؤمنين! إن الملك لو بقي لمن قبلك لم يصل إليك وكذا لا يبقى لك كما لم يبق لغيرك. يا أمير المؤمنين: أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك) عبد الله بن عباس: ﴿يا ويلتنا **(ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ قال: الصغيرة التبسم، والكبيرة الضحك)** هكذا أخرجه ابن مردويه، وأخرج ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة، وابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية قال: الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمنين، والكبيرة القهقهة بذلك. **(فكيف بما عملته الأيدي وحصدته الألسن. يا أمير المؤمنين بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لو ماتت سخلة)** قال: تطلق على الذكر والأنثى من أولاد الضأن

ضائعة لخشيت أن أسأل عنها . فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك ؟ يا أمير المؤمنين أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ [ص : ٢٦] قال الله تعالى في الزبور : يا داود إذا قعد الخصمان بين يديك فكان لك في أحدهما هوى فلا تتمنين في نفسك أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه فأمحوك عن نبوّتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة . يا داود إنما جعلت رسلي إلى عبادي رعاء كرعاء الإبل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا الهزيل على الكلأ والماء . يا أمير المؤمنين إنك قد بليت بأمر لو عرض على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه . يا أمير المؤمنين حدثني يزيد بن

والمعز ساعة تولد والجمع سخال (**على شاطىء الفرات**) بالعراق (**لخشيت أن أسال عنها**) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا أبو شعيب الحراني ، حدثنا يحيى بن عبد الله البابلي ، حدثنا الاوزاعي ، حدثني داود بن علي قال : قال عمر : لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة لظننت أن الله تعالى سائلي عنها يوم القيامة . (**فكيف بمن حرم عدلك وهو على بساطك**) .

(**يا أمير المؤمنين : أتدري ما جاء في تأويل هذه الآية عن جدك**) عبد الله بن عباس : ﴿**يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**﴾ **قال : يا داود إذا أقعد الخصمان بين يديك فكان لك في أحدهما هـوى**) أي ميـل نفس (**فلا تميلن نفسك**) وفي نسخة فلا تتمنى في نفسك (**أن يكون الحق له فيفلح على صاحبه**) أي يفوز ويظفر ، (**فأمحوك من**) ديوان (**نبوّتي ثم لا تكون خليفتي ولا كرامة . يا داود إنما جعلت رسلي إلى عبادي رعاء**) بالكسر جمع راعي (**كرعاء الإبل لعلمهم بالرعاية ورفقهم بالسياسة ليجبروا الكسير ويدلوا**) أي يرشدوا (**الهزيل**) أي الضعيف (**على الكلأ والماء**) .

(**يا أمير المؤمنين! إنك بليت بأمر لو عرض على السموات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه**) وهي الولاية على الناس ، فإنها أمانة يقلدها الإنسان في عنقه فهو مسؤول عنها يوم القيامة .

(**يا أمير المؤمنين! حدثني يزيد بن يزيد بن جابر**) الازدي الشامي الدمشقي أخو عبد الرحمن بن يزيد . قال ابن معين والنسائي : ثقة وقال أبو داود : هـو من ثقات الثقات أجازه الوليد بخمسين ألف دينار وذكر للقضاء فإذا هو أكبر من القضاء ، وذكره أبن حبان في كتاب الثقات ، وكان من خيار عباد الله وهو من أمثل أصحاب مكحول . قال الهيثم بن عدي : مات في خلافة ابي العباس قال : ولا أظنه إلا قد ادرك أبا جعفر وقال خليفة وغيره : مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة . وقال ابن سعد : سنة أربع روى له مسلم حديثاً واحداً وأبو داود والترمذي وابن ماجه ، (**عن عبد**

جابر عن عبد الرحمن بن عمرة الأنصاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل رجلاً من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيماً. فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله؟ قال: لا. قال: وكيف ذلك؟ قال: إنه بلغني أن رسول الله ﷺ قال: « ما من وال يلي شيئاً من أمور الناس إلا أتي به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه لا يفكها إلا عدله فيوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ثم يعاد فيحاسب فإن كان محسناً نجا بإحسانه وإن كان مسيئاً انخرق به ذلك الجسر فيهوي به في النار سبعين خريفاً » فقال له عمر رضي الله عنه: ممن سمعت هذا؟ قال: من أبي ذر وسلمان، فأرسل إليهما عمر فسألهما. فقالا: نعم سمعنا من رسول الله ﷺ. فقال عمر: واعمراه من يتولاها بما فيها. فقال أبو ذر رضي الله عنه: من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض.

الرحمن بن عمرة الأنصاري) كذا في النسخ وتبعه العراقي سهواً. والصواب عن عبد الرحمن بن أبي عمرة كذا هو في نسخ الحلية وهو الأنصاري البخاري المدني القاضي واسم أبي عمرة عمرو بن محصن. قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وروى له الجماعة. وقال الذهبي في الكاشف: روى عن عثمان وعبادة، وعن شريك بن أبي نمر وعبد الرحمن ابن أبي الموالي **(أن عمر بن الخطاب)** رضي الله عنه **(استعمل رجلاً من الأنصار على الصدقة فرآه بعد أيام مقيماً فقال له: ما منعك من الخروج إلى عملك؟ أما علمت أن لك مثل أجر المجاهد في سبيل الله؟ قال: لا. قال: وكيف ذلك؟ قال: إنه بلغني أن رسول الله ﷺ قال: « ما من والٍ يلي شيئاً من أمور الناس إلا أتي به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه فيوقف على جسر من النار)** يحتمل أنه أراد به الصراط، ويحتمل غيره والواقف به بعض الملائكة أو الزبانية **(ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه، ثم يعاد ليحاسب فإن كان محسناً نجا بإحسانه وإن كان مسيئاً انخرق به ذلك الجسر فيهوي به في النار سبعين خريفاً »)** لأنه لما خرق حرمة من قلده الله أمره من عباده واستهان بهم وخان فيما جعل أميناً عليه ناسب أن ينخرق به الجسر والجزاء من جنس العمل وهذا وعيد شديد وتهديد ليس عليه مزيد، **(فقال له عمر: ممن سمعت هذا؟ قال: من أبي ذر وسلمان)** رضي الله عنهما، **(فأرسل إليهما عمر فسألهما. فقالا: نعم سمعناه من رسول الله ﷺ، فقال عمر: واعمراه من يتولاها بما فيها. فقال أبو ذر: من سلت الله أنفه وألصق خده بالأرض)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء من هذا الوجه، ورواه الطبراني من رواية سويد بن عبد العزيز عن سفيان ابن الحكم عن أبي وائل: أن عمر استعمل بشر بن عاصم فذكره أخصر منه، وأن بشراً سمعه من النبي ﷺ ولم يذكر فيه سلمان اهـ.

قال: فأخذ المنديل فوضعه على وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني، ثم قلت: يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس النبي ﷺ إمارة مكة أو الطائف أو اليمن، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: «يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها» نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وأخبره انه لا يغني عنه من الله شيئاً إذ أوحى الله إليه: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فقال: «يا عباس ويا صفية عمة النبي ويا فاطمة بنت محمد إني لست أغني عنكم من الله شيئاً ان لي عملي ولكم عملكم»، وقد قال عمر بن

قلت: ومن الوجه الذي رواه ابن أبي الدنيا رواه البيهقي في الشعب، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في التاريخ. وأما حديث بشر بن عاصم فرواه ابن عساكر في التاريخ مرفوعاً بلفظ «أيما والٍ ولي من أمور المسلمين شيئاً وقف به على جسر جهنم فيهتز به الجسر حتى يزول كل عضو منه» وفي أمالي أبي القاسم بن بشر أن من حديث علي «أيما والٍ ولي أمر أمتي بعدي أقيم على الصراط ونشرت الملائكة صحيفته فإن كان عادلاً نجاه الله بعدله وإن كان جائراً انتفض به الصراط انتفاضة تزايل بين مفاصله حتى يكون بين عضوين من أعضائه مسيرة مائة عام ثم يتخرق الصراط فأوّل ما يتقى به أنفه وحرّ وجهه».

(قال فأخذ) أبو جعفر **(المنديل فوضعه في وجهه ثم بكى وانتحب حتى أبكاني، ثم قلت: يا أمير المؤمنين قد سأل جدك العباس)** بن عبد المطلب رضي الله عنه **(النبي ﷺ إمارته على مكة والطائف أو اليمن، فقال له النبي ﷺ: «يا عباس يا عم النبي نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها»)** قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء هكذا معضلاً بغير إسناد، ورواه البيهقي من حديث جابر متصلاً، ومن رواية ابن المنكدر مرسلاً. وقال: هذا هو المحفوظ مرسل اهـ.

قلت ورواه هكذا معضلاً البيهقي في الشعب، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في التاريخ، ورواه ابن سعد كذلك عن محمد بن المنكدر مرسلاً، وكذلك عن الضحاك بن حمزة مرسلاً، وأما المعضل فمن رواية ابن المنكدر عن جابر.

(نصيحة منه لعمه وشفقة عليه وأخبره أنه لا يغني عنه من الله شيئاً إذ أوحى الله إليه ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ فقال) ﷺ: **(«يا عباس ويا صفية عمة النبي ويا فاطمة ابنة محمد إني لست أغني عنكم من الله شيئاً لي عملي ولكم عملكم»)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا هكذا معضلاً، ورواه البخاري من حديث أبي هريرة متصلاً دون قوله «لي عملي ولكم عملكم». اهـ.

قلت: ورواه معضلاً كذاك في الشعب، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في التاريخ، ورواه

الخطاب رضي الله عنه: لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل أريب العقد لا يطلع منه على عورة ولا يخاف منه على حرة ولا تأخذه في الله لومة لائم. وقال: الأمراء أربعة فأمير قوي ظلف نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة، وأمير فيه ضعف ظلف نفسه وأرتع عماله لضعفه فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله، وأمير ظلف عماله وأرتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «شر الرعاة الحطمة فهو الهالك وحده» وأمير أرتع نفسه وعماله فهلكوا جميعاً. وقد بلغني يا أمير

أحمد وابن سعد والطبراني من طريق علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده قال: يا رسول الله علمني شيئاً ينفعني الله به. قال: «يا عباس أنت عمي وإني لا أغني عنك من الله شيئاً ولكن سل ربك العفو والعافية».

وروى البيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ «يا فاطمة بنت محمد اشتري نفسك من النار فإني لا أملك لك شيئاً. يا صفية بنت عبد المطلب يا صفية عمة رسول الله اشتري نفسك من النار ولو بشق تمرة. يا عائشة لا يرجع من عندك سائل ولو بظلف محرق».

وروى البزار من طريق سماك بن حذيفة عن أبيه رفعه قال: «يا فاطمة بنت رسول الله اعملي لله خيراً فإني لا أغني عنك من الله شيئاً يوم القيامة، يا عباس يا عم رسول الله اعمل لله خيراً فإني لا أغني عنك من الله شيئاً يوم القيامة» الحديث. وقال البزار: لا نعلم لحذيفة ابناً يقال له سماك إلا في هذا الاسناد، وروى الترمذي من حديث عائشة وقال حسن غريب بلفظ «يا صفية بنت عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد، يا بني عبد المطلب إني لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم».

(**وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا يقيم أمر الناس إلا حصيف العقل**) أي محكمه (**أريب العقد**) أي شديده (**لا يطلع منه على عورة**) أي قبيحة (**ولا يخنو على حرة**) هكذا في النسخ وفي بعضها ولا يخف منه على حرمة وفي أخرى ولا يحنو، (**ولا تأخذه في الله لومة لائم، وقال**) أيضاً: (**الامراء أربعة: فأمير قوي ظلف**) أي منع (**نفسه وعماله فذلك كالمجاهد في سبيل الله يد الله باسطة عليه بالرحمة، وأمير فيه ضعف ظلف نفسه**) أي منعها (**وارتع عماله**) أي خلاهم يرتعون (**لضعفه فهو على شفا هلاك إلا أن يرحمه الله**) تعالى، (**وأمير ظلف عماله**) أي منعهم من الرتع (**وارتع نفسه فذلك الحطمة الذي قال رسول الله ﷺ «شر الرعاء رعاء الحطمة فهو الهالك وحده». وأمير ارتع نفسه وعماله فهلكوا جميعاً**) قال العراقي: هكذا رواه ابن أبي الدنيا عن الاوزاعي معضلاً. ورواه مسلم من حديث عائذ بن عمر والمزني متصلاً اهـ.

قلت: ورواه معضلاً كذلك البيهقي، وأبو نعيم، وابن عساكر. ورواه متصلاً أيضاً أحمد، وأبو عوانة، وابن حبان، والطبراني في الكبير.

المؤمنين أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: «أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة، فقال له: يا جبريل صف لي النار فقال: إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا يطفأ لهبها والذي بعثك بالحق لو أن ثوباً من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعاً، ولو أن ذنوباً من شرابها صبّ في مياه الأرض جميعاً لقتل من ذاقه، ولو أن ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله وضع على جبال الأرض جميعاً لذابت وما استقلت، ولو أن رجلاً ادخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه، فبكى النبي ﷺ وبكى جبريل عليه السلام لبكائه فقال: أتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً ولم بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه؟» قال: أخاف أن أبتلى بما ابتلي به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء: يا جبريل ويا محمد إن الله قد آمنكما أن تعصياه فيعذبكما وفضل

(**وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: «أتيتك حين أمر الله بمنافخ النار**) وفي نسخة بمنافيخ وفي نسخة العراقي بمسالح النار، (**فوضعت على النار تسعر**) أي تسجر وتقاد (**ليوم القيامة**) أي لأجله (**فقال: يا جبريل صف لي النار! فقال: إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اصفرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء جمرها ولا يطفأ لهيبها**) كذا في النسخ وفي بعضها لا يضيء لهبها ولا جمرها، وفي أخرى ولا يطفأ جمرها ولا لهبها (**والذي بعثك بالحق لو أن ثوباً من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعاً، ولو أن ذنوباً**) أي دلواً (**من شرابها صب في مياه الأرض جميعاً لقتل من ذاقه، ولو أن ذراعاً من السلسلة التي ذكرها الله**) عز وجل (**وضع على جبال الأرض لذابت وما استقلت**) أي ما احتملت، (**ولو أن رجلاً دخل النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشوّه خلقه وعظمه» فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبريل لبكائه. فقال: أتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟ ولم بكيت يا جبريل أنت وأنت الروح الامين أمين الله على وحيه» قال: «أخاف أن أبتلي بما ابتلى به هاروت وماروت فهو الذي منعني من اتكالي على منزلتي عند ربي. فأكون قد أمنت مكره، فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد إن الله قد آمنكما أن تعصياه فيعذبكما وفضل محمد على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر ملائكة السماء»**) قال العراقي: رواه

محمد على سائر الأنبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة » ، وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اللهم إن كنت تعلم أني أبالي إذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين. يا أمير المؤمنين ان أشد الشدة القيام لله بحقه وإن أكرم الكرم عند الله التقوى، وإنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه. فهذه نصيحتي إليك والسلام عليك. ثم نهضت فقال لي: إلى أين؟ فقلت: إلى الولد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله، فقال: قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك إياي بمثل هذا فإنك المقبول القول غير المتهم في النصيحة. قلت: افعل إن شاء الله. قال محمد بن مصعب: فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال: أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا، وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك.

بطوله ابن أبي الدنيا في أخبار الخلفاء هكذا معضلاً بغير اسناد اهـ. قلت: وكذلك البيهقي وأبو نعيم، وابن عساكر.

(وقد بلغني يا أمير المؤمنين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اللهم إن كنت تعلم، أني أبالي إذا قعد الخصمان بين يدي على من مال الحق من قريب أو بعيد فلا تمهلني طرفة عين. يا أمير المؤمنين: إن أشد الشدة القيام لله بحقه، وإن أكرم الكرم عند الله تعالى التقوى، وإنه من طلب العز بطاعة الله رفعه الله وأعزه ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه) فقد روى ابن لال والخرائطي من مساوىء الأخلاق من حديث عائشة « من التمس محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده من الناس ذاماً. **(فهذه نصيحتي والسلام عليك ثم نهضت)** أي تحركت للقيام، **(فقال)** أبو جعفر: **(إلى أين؟ فقلت إلى الولد)** كذا في النسخ ولفظ الحلية إلى البار **(والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله تعالى قال: قد أذنت لك وشكرت لك نصيحتك وقبلتها بقبولها والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل فلا تخلني من مطالعتك إياي بمثل هذا)** وفي نسخة بمثلها **(فإنك المقبول القول غير المتهم في النصيحة. قلت: افعل إن شاء الله تعالى. قال محمد بن مصعب)** بن صدقة القرقساي بقافين ومهملة وهو راوي هذا الحديث عن الاوزاعي، وقد روى أيضاً عن أبي بكر بن أبي مريم، وروى عنه يعقوب الدورقي والرمادي والحرث فيه ضعف مات سنة ثمان ومائتين روى له الترمذي وابن ماجه، **(فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله. وقال: أنا في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض من الدنيا، وعرف)** أبو جعفر **(المنصور مذهبه فلم يجد عليه في ذلك)** وفي الحلية في ردّه.

قال العراقي: قصة الاوزاعي هذه مع المنصور وموعظته له وفيه عشرة

وعن ابن المهاجر قال: قدم أمير المؤمنين المنصور مكة شرفها الله حاجاً فكان يخرج من دار الندوة إلى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به، فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة ليصلي بالناس، فخرج ذات ليلة حين أسحر فبينا هو يطوف إذ سمع رجلاً عند الملتزم وهو يقول: اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع، فأسرع المنصور في مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فأتاه الرسول وقال له: أجب أمير المؤمنين فصلّى ركعتين واستلم

أحاديث مرفوعة وهي بجملتها. رواها ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء ورويناها في مشيخة الخفاف ومشيخة ابن طبرزد وفي إسنادها أحمد بن عبيد بن ناصح. قال ابن عدي: يحدث بمناكير وهو عندي من أهل الصدق اهـ.

قلت: وقد أورد هذه القصة بتمامها البيهقي في الشعب، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر في التاريخ كلاهما في ترجمة الاوزاعي. ولفظ الحلية: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن يزيد الحوطي فيما أرى، حدثنا محمد بن مصعب القرقساي ح.

وحدثنا عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطي واللفظ له، حدثنا محمد بن محمد بن سليمان ومحمد بن مخلد قالا: حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح، عن محمد بن مصعب القرقساي، عن الاوزاعي قال: بعث إلى أبو جعفر أمير المؤمنين فساقها إلى آخرها كسياق المصنف حرفاً بحرف.

(**وعن ابن المهاجر**) هو محمد بن مهاجر بن أبي مسلم الأنصاري الشامي مولى أسماء بنت يزيد الأشهلية قال أحمد وابن معين وأبو داود: ثقة وله أحاديث كبار حسان. وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال: كان متقناً روى عن نافع وربيعة بن يزيد وعنه أبو مسهر والوحاظي، مات سنة سبعين ومائة، روى له الجماعة إلا البخاري (**قال: قدم أمير المؤمنين**) أبو جعفر (**المنصور**) عبدالله بن محمد بن علي (**مكة حاجاً فكان يخرج من دار الندوة**) أي محل نزول الخلفاء وهو الموضع الذي كانت قريش تتشاور فيه (**إلى الطواف بالبيت في آخر الليل يطوف ويصلي ولا يعلم به، فإذا طلع الفجر رجع إلى دار الندوة وجاء المؤذنون فسلموا عليه**) واعلموه بالوقت (**وأقيمت الصلاة ليصلي بالناس**) إماماً (**فخرج ذات ليلة حين أسحر**) أي دخل في السحر، (**فبينا هو يطوف إذ سمع رجلاً عند الملتزم وهو يقول: اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع، فأسرع المنصور في مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله، ثم خرج فجلس ناحية من المسجد وأرسل إليه فدعاه فأتاه الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين فصلّى ركعتين واستلم**

الركن وأقبل مع الرسول فسلّم عليه، فقال له المنصور: ما هذا الذي سمعتك تقوله من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني وأقلقني؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي أنبأتك بالأمور من أصولها وإلا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل، فقال له: أنت آمن على نفسك. فقال: الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الأرض أنت. فقال: ويحك! وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في يدي والحلو والحامض في قبضتي؟ قال: وهل دخل أحداً من الطمـع ما دخلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر وأبواباً من الحديد وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها منهم، وبعثت عمالك في جمع الأموال وجبايتها واتخذت وزراء وأعواناً ظلمة إن نسيت لم يذكروك وإن ذكرت لم يعينوك، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح، وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم ولم تأمر بإيصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف ولا الفقير ولا أحد إلا وله في هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفر الذين

الركن، وأقبل مع الرسول فسلّم عليه فقال له المنصور: ما هذا الذي سمعتك تقوله) في الملتزم (**من ظهور البغي والفساد في الأرض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع والظلم فوالله لقد حشوت**) أي ملأت (**مسامعي ما أمرضني وأقلقني**) أي أورثني المرض والقلق؟ (**فقال: يا أمير المؤمنين إن أمنتني على نفسي أنبأتك بالأمور من أصولها، وإلاّ اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل. فقال له: امنتك على نفسك**) لا تخف فيما تقوله. (**فقال: الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق وإصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الأرض أنت**) يا أمير المؤمنين، (**فقال: وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء**) أي الذهب والفضة (**في يدي والحلو والحامض في قبضتي**) أي ملكي؟ (**قال: وهل دخل أحداً من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين إن الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم**) أي جعلك راعياً لهم (**فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر**) يعني الأبنية، (**وأبواباً من الحديد وحجبة**) عليها (**معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها**) أي في تلك البيوت (**عنهم، وبعثت عمالك في جمع الأموال وجبايتها، واتخذت وزراء وأعواناً ظلمة إن نسيت لم يذكروك وإن أحسنت لم يعينوك**) فهم وزراء سوء، (**وقوّيتهم على ظلم الناس بالأموال والكراع والسلاح وأمرت بأن لا يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان نفر سميتهم، ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ولا الضعيف القدر ولا أحد**) من هؤلاء (**إلا ولهم في هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفر**

استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يحجبوا عنك، تجبى الأموال ولا تقسمها قالوا: هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا؟ فائتمروا على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمـراً إلا أقصوه حتى تسقط منزلته ويصغر قدره، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم، وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليتقوا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية، فامتلأت بلاد الله بالطمع بغياً وفساداً وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل، فإن جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول إليك، وإن أراد رفع صوته أو قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك ووقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم، فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته وإن كانت للمتظلم به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفاً منهم، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه، فإذا جهد وأخرج وظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضرباً مبرحاً ليكون نكالاً لغيره وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير، فما بقاء الإسلام وأهله

الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم) أي اخترتهم **(على رعيتك وأمرتهم أن لا يحجبوا عنك تجبى الأموال)** من مواضعها **(ولا تقسمها)** على أربابها. **(قالوا هذا قد خان الله)** في مال الله، **(فما لنا أن لا نخونه وقد سخر لنا. فائتمروا)** أي تشاوروا **(على أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس إلا ما أرادوا، وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمراً)** من الأمور **(إلا أقصوه)** أي أبعدوه **(حتى تسقط منزلته ويصغر قدره، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم)** أي خافوهم، **(وكان أوّل من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليقووا به على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة)** أي المال الكثير **(من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية، فامتلأت بلاد الله بالطمع بغياً وفساداً وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطـانك وأنت غافل فإن جاء متظلم)** يشكو ظلامته **(حيل بينه وبين الدخول إليك)** أي منع، **(وإن أرادوا رفع قصة إليك عند ظهورك)** للناس **(وجدوك قد نهيت عن ذلك، وأوقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم)** وهو صاحب ديوان المظالم، **(فإن جاء ذلك الرجل المتظلم فبلغ بطانتك سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته، وإن كانت للمتظلم به حرمة وإجابة لم يمكنه مما يريد خوفاً منهم، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث وهو يدفعه ويعتل عليه)** بعلل كثيرة، **(فإذا جهد وأخرج وظهرت)** أنت **(صرخ بين يديك فيضرب ضرباً مبرحاً ليكون نكالاً لغيره)** وعبرة لمن يعتبر، **(وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغيّر فما بقاء الإسلام وأهله على هذا؟ ولقد كانت بنو أمية)** قبلك،

على هذا ، ولقد كانت بنو أمية وكانت العرب لا ينتهي إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته إليهم فينصف ، ولقد كان الرجل يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي : يا أهل الإسلام فيبتدرونه مالك مالك فيرفعون مظلمته إلى سلطانهم فينتصف ، ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين وبها ملك فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له وزراؤه : ما لك تبكي لا بكت عيناك ؟ فقال : أما أني لست أبكي على المصيبة التي نزلت بي ، ولكن أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته . ثم قال : أما إن كان قد ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب نادوا في الناس ألا لا يلبس ثوباً أحمر إلا مظلوم . فكان يركب الفيل ويطوف طرفي النهار هل يرى مظلوماً فينصفه . هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وأنت مؤمن بالله وابن عم نبي الله لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك فإنك لا تجمع الأموال إلا لواحد من ثلاثة ، إن قلت أجمعها لولدي فقد أراك الله عبراً في الطفل الصغير يسقط من بطن أمه وما له على الأرض مال وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست الذي تعطي بل الله يعطي من يشاء ، وإن قلت أجمع المال لأشيد سلطاني فقد أراك الله عبراً فيمن كان

(وكانت العرب لا ينتهي إليهم المظلوم إلا رفعت ظلامته فينصف) ويؤخذ بيده ، **(ولقد كان الرجل يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم فينادي : يا أهل الإسلام فيبتدرونه)** ويقولون : **(ما لك ما لك ؟ فيرفعون مظلمته إلى سلطانهم فينتصف له)** أي يأخذ له الإنصاف ، **(ولقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى أرض الصين)** وهي أقصى بلاد الهند ، **(وبها ملك)** كافر **(فقدمتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم)** أي ثقل سمعه **(حتى لا يسمع شيئاً فجعل يبكي فقال له وزراؤه : مالك تبكي لا بكت عيناك ؟ فقال : أما إني لست أبكي على المصيبة)** يعني ذهاب السمع **(لم نزلت بي ، ولكن المظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته . اما إن كان ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب نادوا في الناس أن لا يلبس ثوباً أحمر إلا مظلوم فكان يركب الفيل)** الحيوان المعروف **(في طرفي النهار هل يرى مظلوماً فينصفه . هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله قد غلبت رأفته بالمشركين ورقته على شح نفسه في ملكه وأنت)** بحمد الله تعالى **(مؤمن بالله وابن عم نبي الله)** ﷺ . **(لا تغلبك رأفتك بالمسلمين ورقتك على شح نفسك فإنك لا تجمع المال إلا لواحد من ثلاثة . إن قلت أجمعها لولدي فقد أراك الله عبراً في الطفل يسقط من بطن أمه وماله على الأرض مال وما من مال إلا ودونه نفس شحيحة تحويه)** أي تضمه ، **(فما يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس إليه ولست الذي تعطي بل الله يعطي ، وإن قلت أجمع المال لأشيد سلطاني فقد أراك الله عبراً**

قبلك ما أغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد أبيك ما كنتم فيه من قلة الجدة والضعف حين أراد الله بكم ما أراد، وإن قلت أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح. يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك من رعيتك بأشد من القتل؟ قال: لا. قال: فكيف تصنع بالملك الذي خوّلك الله وما أنت عليه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل، ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الأليم وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك فماذا تقول إذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك إلى الحساب هل يغني عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شححت عليه من ملك الدنيا؟ فبكى المنصور بكاء شديداً حتى نحب وارتفع صوته ثم قال: يا ليتني لم أخلق ولم أك شيئاً ثم قال: كيف احتيالي فيما خوّلت فيه ولم أرَ من الناس إلا خائناً؟ قال: يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الأعلام المرشدين. قال: ومن هم؟ قال: العلماء. قال: قد فروا مني. قال: هربوا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمالك، ولكن افتح الأبواب وسهل الحجاب وانتصر للمظلوم من الظالم وامنع المظالم وخذ الشيء مما حلّ وطاب واقسمه

فيمن كان قبلك ما اغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة، وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع وما ضرك وولد أبيك ما كنتم فيه من قلة الجدة) أي المال (**والضعف حين أراد الله بكم ما أراد. وإن قلت أجمع المال لطلب غاية هي أجسم**) أي أعظم (**من الغاية التي أنت فيها فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة لا تدرك إلا بالعمل الصالح.**)

(**يا أمير المؤمنين هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل؟ قال: لا. قال: فكيف تصنع بالملك الذي خوّلك الله وما أنت عليه من ملك الدنيا وهو تعالى لا يعاقب من عصاه بالقتل، ولكن يعاقب من عصاه بالخلود في العذاب الأليم، وهو الذي يرى منك ما عقد عليه قلبك وأضمرته جوارحك، فماذا ترى إذا انتزع الملك الحق المبين ملك الدنيا من يدك ودعاك إلى الحساب؟ هل يغني عنك عنده شيء مما كنت فيه مما شححت عليه**) أي بخلت (**من ملك الدنيا**) ؟ قال: (**فبكى المنصور بكاء شديداً حتى انتحب وارتفع صوته ثم قال: يا ليتني لم أخلق ولم أك شيئاً، ثم قال**) له: (**كيف احتيالي فيا خولت فيه ولم أر من الناس إلا خائناً؟ قال: يا أمير المؤمنين عليك بالأئمة الاعلام المرشدين. قال: من هم؟ قال: العلماء. قال: قد فروا مني. قال: هربوا منك مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقتك من قبل عمّالك، ولكن افتح الباب، وسهّل الحجاب، وانتصر للمظلوم من الظالم، وامنع المظالم، وخذ الشيء**

بالحق والعدل، وأنا ضامن على أن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك. فقال المنصور: اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل. وجاء المؤذنون فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم ثم قال للحرسي: عليك بالرجل إن لم تأتني به لأضربن عنقك واغتاظ عليه غيظاً شديداً، فخرج الحرسي يطلب الرجل فبينا هو يطوف فإذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب فقعد حتى صلّى ثم قال: يا ذا الرجل أما تتقي الله؟ قال: بلى. قال: أما تعرفه؟ قال: بلى. قال: فانطلق معي إلى الأمير فقد آلى أن يقتلني إن لم آته بك. قال: ليس لي إلى ذلك من سبيل. قال: يقتلني. قال: لا. قال: كيف؟ قال: تحسن تقرأ، قال: لا، فأخرج من مزود كان معه رقاً مكتوباً فيه شيء فقال: خذه فاجعله في جيبك فإن فيه دعاء الفرج. قال: وما دعاء الفرج؟ قال: لا يرزقه إلا الشهداء. قلت: رحمك الله قد أحسنت إليَّ فإن رأيت أن تخبرني ما هذا الدعاء وما فضله؟ قال: من دعا به مساء وصباحاً هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه وأعطي أمله وأعين على عدوه وكتب عند الله صديقاً ولا يموت إلا شهيداً. تقول: «اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك، وكانت وساوس

مما حل وطاب واقسمه بالحق والعدل) أي السوية. **(وأنا ضامن من هرب منك أن يأتيك فيعاونك على صلاح أمرك ورعيتك. فقال المنصور: اللهم وفقني أن أعمل بما قال هذا الرجل)**. فبينما هم في هذا **(وجاء المؤذنون)** يؤذنونه بالصلاة **(فسلموا عليه وأقيمت الصلاة فخرج فصلى بهم، ثم قال للحرسي: عليك بالرجل إن لم تأتني به لأضربن عنقك واغتاظ عليه غيظاً شديداً، فخرج الحرسي يطلب الرجل، فبينا هو يطوف فإذا هو بالرجل يصلي في بعض الشعاب)** من تلك الجبال المطيفة بمكة **(فقعد حتى صلّى، ثم قال: يا ذا الرجل أما تتقي الله؟ قال: بلى. قال: أما تعرفه؟ قال: بلى قال: فانطلق معي فقد آلى)** أي حلف **(أن يقتلني إن لم آته بك. قال: ليس إلى ذلك سبيل. قال: يقتلني. قال: لا. قال: كيف؟ قال: تحسن تقرأ؟ قال: لا)** أحسن القراءة **(فأخرج من مزود)** بالكسر مثل الجراب يوضع فيه الزاد **(كان معه رقاً فيه مكتوب شيئاً. فقال: خذه فاجعله في جيبك فإن فيه دعاء الفرج. قال: وما دعاء الفرج؟ قال: لا يرزقه إلا الشهداء. قلت: رحمك الله قد أحسنت إليَّ فإن رأيت أن تخبرني ما هذا الدعاء وما فضله. قال: من دعا به مساء وصباحاً هدمت ذنوبه ودام سروره ومحيت خطاياه واستجيب دعاؤه وبسط له في رزقه وأعطي أمله وأعين على عدوّه وكتب عند الله صديقاً ولا يموت إلا شهيداً. تقول: اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء، وعلوت بقدرتك على العظماء، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما**

الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك. اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجاً ومخرجاً. اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمناً وأسألك مستأنساً وأنك المحسن إليّ وأنا المسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك تتودّد إليّ بنعمك وأتبغض إليك بالمعاصي، ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك فعد بفضلك وإحسانك عليّ إنك أنت التوّاب الرحيم. قال: فأخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي همّ غير أمير المؤمنين فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إلي وتبسم ثم قال: ويلك تحسن السحر؟ فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمري مع الشيخ، فقال: هات الرق الذي أعطاك ثم جعل يبكي وقال: قد نجوت وأمر بنسخه وأعطاني عشرة آلاف درهم ثم قال: أتعرفه؟ قلت: لا. قال: ذلك الخضر عليه السلام.

فوق عرشك، وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك، وعلانية القول كالسر في علمك، وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك. إجعل لي من كل همّ أمسيت فيه فرجاً ومخرجاً) وفي بعض النسخ بعد فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً. **(اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمناً وأسألك مستأنساً وإنك المحسن إليّ وإني المسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك تتودّد إليّ بنعمك وأتبغض إليك بالمعاصي، ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك، فعد بفضلك وإحسانك علي انك أنت التوّاب الرحيم)** ولا بأس أن يزيد بعد ذلك وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. وقد أورده الشهاب البوني في كتابه شمس المعارف في ذكر خواص اسمه اللطيف وزاد بعده أنك قلت وقولك الحق الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز. **(قال)** الحرسي: **(فأخذته فصيرته في جيبي ثم لم يكن لي هم غير أمير المؤمنين، فدخلت فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إليّ وتبسم ثم قال: ويلك تحسن السحر! فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ثم قصصت عليه أمري مع الشيخ. فقال: هات الرق الذي أعطاك ثم جعل يبكي وقال: قد نجوت وأمر بنسخه وأعطاني عشرة آلاف درهم، ثم قال: أتعرفه؟ قلت: لا. قال: ذلك الخضر عليه السلام)**.

وقد أورد الحافظ ابن حجر في الإصابة هذه القصة في ترجمة الخضر عليه السلام مختصرة جداً وفيه: أن أبا جعفر المنصور سمع رجلاً يقول في الطواف: أشكو إليك ظهور البغي والفساد فدعاه ووعظه وبالغ ثم خرج فقال: اطلبوه فلم يجدوه فقال: ذلك الخضر.

وفي كتاب الدعاء للطبراني قصة أخرى من طريق محمد بن المهاجر الذي ساق المصنف هذه

وعن أبي عمران الجوني قال: لما ولي هارون الرشيد الخلافة زاره العلماء فهنوه بما صار إليه من أمر الخلافة ففتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية، وكان قبل ذلك يجالس العلماء والزهاد وكان يظهر النسك والتقشف وكان مؤاخياً لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري قديماً فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق هارون إلى زيارته ليخلو به ويحدثه

القصة عنه فقال: حدثنا يحي بن محمد الحمَّار، حدثنا المعلى بن حرمي، عن محمد بن المهاجر البصري، حدثني أبو عبدالله بن التوأم الرقاشي أن سليمان بن عبد الملك أخاف رجلاً وطلبه ليقتله، فهرب الرجل فجعلت رسله تختلف إلى منزل ذلك الرجل يطلبونه فلم يظفر به، فجعل الرجل لا يأتي بلدة إلا قيل له كنت تطلب ههنا. فلما طال عليه الأمر عزم أن يأتي بلدة لا حكم لسليمان فيها فذكر قصة طويلة، فبينا هو في صحراء ليس فيها شجر ولا ماء إذا هو برجل يصلي قال: فخفته ثم رجعت إلى نفسي فقلت: والله ما هي راحلة ولا دابة. قال: فقصدت نحوه فركع وسجد ثم التفت إليَّ فقال: لعل هذا الطاغي أخافك. قلت: أجل. قال: فما منعك من السبع؟ قلت: يرحمك الله وما السبع؟ قال: قل سبحان الواحد الذي ليس غيره إله، سبحان القديم الذي لا بادىء له، سبحان الدائم الذي لا نفاد له، سبحان الذي كل يوم هو في شان، سبحان الذي يحي ويميت، سبحان الذي خلق ما نرى وما لا نرى، سبحان الذي علم كل شيء بغير تعليم، ثم قال: قلها. فقلتها وحفظتها، والتفت فلم أر الرجل. قال: وألقى الله في قلبي الأمن ورجعت راجعاً من طريقي أريد أهلي. فقلت: لآتين باب سليمان بن عبد الملك، فأتيت بابه فإذا هو يوم إذنه وهو يأذن للناس، فدخلت وإنه لعلى فرشه فما عدا أن رآني فاستوى على فراشه، ثم أومأ إليَّ فما زال يدنيني حتى قعدت معه على الفراش، ثم قال: سحرتني وساحر أيضاً مع ما بلغني عنك. فقلت: يا أمير المؤمنين ما أنا بساحر ولا أعرف السحر ولا سحرتك. قال: فكيف؟ فما ظننت أنه يتم ملكي إلا بقتلك. فلما رأيتك لم أستقر حتى دعوتك فأقعدتك معي على فراشي ثم قال: أصدقني أمرك فأخبرته. قال: تقول أبو سليمان الخضر والله الذي لا إله إلا هو علمكها اكتبوا له أمانة وأحسنوا جائزته واحملوه إلى أهله.

(**وعن أبي عمران الجوني**) ويقال الجويني الحافظ متأخر سكن بغداد وهو ثقة وليس هو أبا عمران عبد الملك بن حبيب الجويني فإنه قديم الوفاة قبل زمان سفيان وهارون مات سنة ثمان وعشرين ومائة فليتنبه لذلك. (**قال: لما ولي هارون الرشيد الخلافة**) وذلك في سنة سبعين ومائة، وتوفي سفيان سنة إحدى وستين ومائة. ففي سياق هذه الحكاية نظر ولعلها وقعت لأبيه المهدي فإنه تولى الخلافة سنة ثمان وخمسين والثوري حي فلينظر ذلك. (**زاره العلماء فهنوه بما صار إليه وفيه وفتح بيوت الأموال وأقبل يجيزهم بالجوائز السنية**) أي العطايا الواسعة، (**وكان قبل ذلك**) أي قبل أن يلي الخلافة (**يجالس العلماء والزهاد، وكان يظهر النسك والتعفف، وكان مؤاخياً لسفيان بن سعيد بن المنذر الثوري قديماً**). اعلم أن ولادة هارون في سنة تسع

فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار إليه فاشتد ذلك على هارون فكتب إليه كتاباً يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى أخيه سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد: يا أخي قد علمت أن الله تبارك وتعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله، واعلم أني قد واخيتك مؤاخاة لم أصرم بها حبلك ولم أقطع منها ودك وإني منطو لك على أفضل المحبة والإرادة، ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله لأتيتك ولو حبواً لما أجد لك في قلبي من المحبة. واعلم يا أبا عبدالله إنه ما بقي من إخواني وإخوانك أحد إلا وقد زارني وهنأني بما صرت إليه، وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية ما فرحت به نفسي وقرت به عيني، وإني استبطأتك فلم تأتني وقد كتبت إليك كتاباً شوقاً مني إليك شديداً، وقد علمت يا أبا عبدالله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل. فلما كتب

وأربعين ومائة، فكان عمره إذ مات سفيان ثلاث عشرة سنة إلا شهراً. وقوله: قديماً يدل على أن هذه المؤاخاة كانت قبل الخلافة مدة، فلا نقول إلا أنه قبل الخلافة بخمس سنين، فكيف يؤاخي سفيان وهو ابن ثمان سنين وهو محجور عليه في دار الخلافة، وسفيان ليس له اختلاف إلى دار الخلافة، بل مشرد من بلد إلى بلد خوفاً من أبيه المهدي وجده المنصور، فمن تأمل هذه التواريخ وجد الحكاية مفتعلة إلا أن يكون ذلك للمهدي أو للمنصور فيسلم، (**فهجره سفيان ولم يزره فاشتاق إليه هارون ليخلو به ويحدثه**) على عادته (**فلم يزره ولم يعبأ بموضعه ولا بما صار إليه، فاشتدّ ذلك على هارون فكتب إليه كتاباً يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم: من عبدالله هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى أخيه**) في الله ورسوله (**سفيان بن سعيد بن المنذر أما بعد، يا أخي قد علمت أن الله تعالى واخى بين المؤمنين وجعل ذلك فيه وله، واعلم أني واخيتك مؤاخاة لم أصرم منها حبلك ولم أقطع عنها ودّك**) وصرم الحبل كناية عن قطع الودّ ثم بينه بقوله: (**وإني منطو لك على أفضل المحبة والإرادة، ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله**) يعني الخلافة (**لأتيتك ولو حبواً**) على الركب (**لما أجد لك في قلبي من المحبة. واعلم يا أبا عبدالله إنه ما بقي من إخواني وإخوانك أحد إلا وقد زارني وهنأني بما صرت إليه**) من أمر الخلافة إما في اخوانه فمسلم، وإما في اخوان سفيان ففيه مجازفة لأنهم من أهل الآخرة ليس لهم هم في تهنئة أمير ولا دخول في مثل هذه الأحوال فما زاره إلاّ من كان مثله في الحرص على الدنيا والتكالب، (**وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم من الجوائز السنية**). نعم فتح وأعطى ولكن لأرباب الملاهي والقيان واشتغل بحظ النفس ولذة الهوى، (**ما فرحت به نفسي وقرت به عيني**) وكان قرّة عينه في الشرب والسماع (**وإني استبطأتك**) أي انتظرت بطؤك عني، (**فلم تأتني وقد كتبت كتاباً شوقاً مني إليك شديداً، وقد علمت يا أبا عبدالله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فإذا ورد عليك كتابي فالعجل العجل**) أي أسرع إلينا والتكرار

الكتاب التفتِ إلى من عنده فإذا كلهم يعرفون سفيان الثوري وخشونته فقال: علي برجل من الباب، فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني فقال: يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور، ثم سل عن سفيان الثوري فإذا رأيته فألق كتابي هذا إليه وع بسمعك وقلبك جميع ما يقول فأحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرني به، فأخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد إليها ثم سأل عن سفيان فقيل له هو في المسجد. قال: فأقبلت إلى المسجد فلما رآني قام قائماً وقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير. قال عباد: فوقعت الكلمة في قلبي فخرجت فلما رآني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت صلاة، فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت فإذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته، فسلمت فما رفع أحد إليّ رأسه وردوا السلام عليّ برؤوس الأصابع، فبقيت واقفاً فما منهم أحد يعرض عليَّ الجلوس وقد علاني من هيبتهم الرعدة ومددت عيني إليهم فقلت: إن المصلي هو سفيان فرميت بالكتاب إليه، فلما رأى الكتاب ارتعد

للتأكيد، **(فلما كتب الكتاب التفت إلى من عنده)** من الأصحاب والخدم **(فإذا كلهم يعرفون سفيان وخشونته فقال: علي برجل من الباب)** أي من خدمة الباب **(فأدخل عليه رجل يقال له عباد الطالقاني، فقال: يا عباد خذ كتابي هذا فانطلق به إلى الكوفة فإذا دخلتها فسل عن قبيلة بني ثور، ثم أسأل عن سفيان الثوري فإذا رأيته فالق كتابي هذا إليه، وعِ بسمعك وقلبك جميع ما يقول)** أي احفظ **(فاحص عليه دقيق أمره وجليله لتخبرني به، فأخذ عباد الكتاب وانطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبيلة فأرشد إليها، ثم سأل عن سفيان فقيل له: هو في المسجد. قال: عباد: فأقبلت إلى المسجد فلما رآني قام قائماً. وقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير. قال عباد: فوقعت الكلمة من قلبي)** موقعاً عظيماً، **(فخرجت فلما رآني نزلت بباب المسجد قام يصلي ولم يكن وقت الصلاة قال: فربطت فرسي بباب المسجد ودخلت، فإذا جلساؤه قعود قد نكسوا رؤوسهم كأنهم لصوص)** من شدّة الخوف والخجل كأنهم **(قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته فسلمت فما رفع أحد إليَّ رأسه وردّوا السلام عليَّ برؤوسهم)** وفي نسخة: برؤوس الأصابع الإشارة بالسلام بالرأس أو باليد بدعة حدثت بعد العصر الأوّل، وكيف يجوز لأصحاب سفيان أن يتركوا ردّ السلام باللسان هذا بعيد عن مثلهم، **(فبقيت واقفاً فما منهم أحد يعرض عليَّ الجلوس، وقد علاني من هيبتهم الرعدة وقد مددت عيني إليهم فقلت: إن المصلي هو سفيان)** أي عرفته بالفراسة، **(فرميت**

وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كمه ولفها بعباءته وأخذه فقلبه بيده ثم رماه إلى من كان خلفه وقال: يأخذه بعضكم يقرؤه فإني أستغفر الله أن أمس شيئاً مسه ظالم بيده. قال عباد: فأخذه بعضهم فحلّه كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضّه وقرأه وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب، فلما فرغ من قراءته قال: اقلبوه واكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه. فقيل له: يا أبا عبدالله إنه خليفة فلو كتبت إليه في قرطاس نقي؟ فقال: اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به، ولا يبقى شيء مسّه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا فقيل له: ما نكتب؟ فقال: اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم، من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري إلى العبد المغرور بالآمال هارون الرشيد الذي سلب حلاوة الإيمان. أما بعد؛ فإني قد كتبت إليك أعرفك إني قد صرمت حبلك وقطعت ودّك وقليت موضعك فإنك قد جعلتني شاهداً عليك بإقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين فأنفقته في غير حقه وأنفذته في غير حكمه، ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عني حتى كتبت إليّ تشهدني على نفسك. أما

بالكتاب إليه، فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد عنه كأنه حية عرضت له في محرابه، فركع وسجد وسلم وأدخل يده في كمه ولفها بعباءته وأخذه فقلبه بيده) وفي نسخة يقلبه بيده (ثم دحاه) أي رماه (إلى من كان خلفه) من أصحابه (وقال: يأخذه بعضكم يقرؤه فإني أستغفر الله أن أمس شيئاً مسه ظالم بيده. قال عباد: فأخذه بعضهم فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه ثم فضّه) أي كسر خاتمه (وقرأه، وأقبل سفيان يتبسم تبسم المتعجب فلما فرغ من قراءته قال: اقلبوه واكتبوا للظالم في ظهر كتابه فقيل له: يا أبا عبد الله إنه خليفة) في الأرض، (فلو كتبت إليه في قرطاس نقي) أي خالص عن الكتابة (فقال: اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به) أي ناراً، (ولا يبقى شيء مسه الظالم عندنا فيفسد علينا ديننا، فقيل له: ما نكتب؟ فقال: اكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم؛ من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري إلى العبد المغرور بالآمال هارون الذي سلب حلاوة الإيمان أما بعد؛ فإني كتبت إليك اعرّفك أني قد صرمت حبلك وقطعت ودّك وقليت موضعك) أي ابغضته والمراد بالموضع توليته للخلافة، (وأنك قد جعلتني شاهداً عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت عليه من مال بيت المسلمين فأنفقته في غير حقه وانفذته) أي أهلكته (في غير حكمه، ثم لم ترض بما فعلت وأنت ناء) أي بعيد (حتى كتبت إليَّ تشهدني على نفسك. اما أني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين شهدوا قراءة كتابك، وسنؤدي

إني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين شهدوا قراءة كتابك وسنؤدي الشهادة عليك غداً بين يدي الله تعالى. يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل؟ أم رضي بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والأيتام؟ أم هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشدّ يا هارون مئزرك وأعد للمسألة جواباً وللبلاء جلباباً واعلم أنك ستقف بين يدي الحكم العدل فقد رزئت في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الأخيار ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً وللظالمين إماماً. يا هارون قعدت على السرير ولبست الحرير وأسبلت ستراً دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين ثم أقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون، يشربون الخمور ويضربون من يشربها ويزنون ويحدون الزاني، ويسرقون ويقطعون السارق؟ أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس؟ فكيف بك يا هارون غداً إذا نادى المنادي من قبل الله تعالى: ﴿أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ [الصافات: ٢٢] أين الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكها إلا عدلك وإنصافك والظالمون حولك وأنت لهم سابق وإمام إلى النار،

الشهادة عليك غداً بين يدي الله تعالى. يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم. هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل، أم رضي بذلك حملة القرآن وأهل العلم والأرامل والايتام)؟ وهؤلاء المذكورون هم أهل الحقوق في بيوت أموال المسلمين. (**هل رضي بذلك خلق من رعيتك فشدّ يا هارون مئزرك وأعد للمسألة جواباً وللبلاء جلباباً، واعلم انك ستقف بين يدي الحكم العدل**) وتسأل (**فقد رزئت في نفسك**) أي أصبت (**إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيذ القرآن ومجالسة الأخيار، ورضيت لنفسك أن تكون ظالماً وللظالمين إماماً، يا هارون قعدت على السرير ولبست الوثير**) أي اللين (**وأسبلت ستراً دون بابك وتشبهت بالحجبة برب العالمين، ثم اقعدت أجنادك الظلمة دون حجابك وسترك يظلمون الناس ولا ينصفون يشربون الخمور ويضربون من يشربها ويزنون ويحدّون الزاني ويسرقون ويقطعون السارق. أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس؟ فكيف بك يا هارون غداً إذا نادى المنادي من قبل الله تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ أين الظلمة وأعوان الظلمة فقدمت بين يدي الله تعالى ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكها إلا عدلك وإنصافك، والظالمون حولك وأنت لهم سائق وإمام إلى النار،**

كأني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق ووردت المشاق وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك زيادة على سيئاتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة، فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها. واعلم أني قد نصحتك وما أبقيت لك في النصح غاية، فاتق الله يا هارون واحفظ محمداً ﷺ في أمته وأحسن الخلافة عليهم، واعلم أن هذا الأمر لو بقي لغيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحداً بعد واحد، فمنهم من تزوّد زاداً نفعه، ومنهم من خسر دنياه وآخرته، وإني أحسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته فإياك إياك أن تكتب لي كتاباً بعد هذا فلا أجيبك عنه والسلام.

قال عباد: فألقى إليّ الكتاب منشوراً غير مطوي ولا مختوم، فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة وقد وقعت الموعظة من قلبي فناديت: يا أهل الكوفة فأجابوني فقلت لهم: يا قوم من يشتري رجلاً هرب من الله إلى الله؟ فأقبلوا إليَّ بالدنانير والدراهم فقلت: لا حاجة لي في المال ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية، قال: فأتيت بذلك ونزعت ما كان عليّ من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أقود البرذون وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافياً راجلاً فهزأ بي من

وقد اخذت بضيق الخناق ووردت المشاق) أي المتاعب، **(وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك وسيئات غيرك في ميزانك زيادة على سيئآتك بلاء على بلاء وظلمة فوق ظلمة، فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها. واعلم أني قد نصحتك وما ابقيت لك في النصح غاية، فاتق الله يا هارون في رعيتك واحفظ محمداً ﷺ في أمته وأحسن الخلافة عليهم. واعلم أن هذا الأمر لو بقي لغيرك لم يصل إليك وهو صائر إلى غيرك، وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحداً بعد واحد، فمنهم من تزوّد زاداً نفعه)** في عاقبته، **(ومنهم من خسر دنياه وآخرته وإني احسبك يا هارون ممن خسر دنياه وآخرته، فإياك وإياك أن تكتب إلي كتاباً بعد هذا)** تطلب فيه اللقاء والنصح، **(فلا اجيبك عنه والسلام)**

(قال عباد: فألقى إليّ الكتاب منشوراً غير مطوي ولا مختوم فأخذته وأقبلت إلى سوق الكوفة، وقد وقعت الموعظة من قلبي فناديت: يا أهل الكوفة فأجابوني فقلت لهم: يا قوم من يشتري رجلاً هرب من الله إلى الله فأقبلوا إلي بالدنانير والدراهم فقلت: لا حاجة لي في المال، ولكن جبة صوف خشنة وعباءة قطوانية) مما تعمل بالبصرة **(قال: فأتيت بذلك ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت ألبسه مع أمير المؤمنين وأقبلت أقود البرذون)** وهو الحصان الرومي **(وعليه السلاح الذي كنت أحمله حتى أتيت باب أمير المؤمنين هارون حافياً راجلاً فهزأ**

كان على باب الخليفة. ثم استؤذن لي فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائماً وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول: انتفع الرسول وخاب المرسل. ما لي وللدنيا ما لي وللملك يزول عني سريعاً، ثم ألقيت الكتاب إليه منشوراً كما دفع إليّ. فأقبل هارون يقرأه ودموعه تتحدر من عينيه ويقرأ ويشهق، فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره. فقال هارون: اتركونا يا عبيد الدنيا المغرور من غررتموه والشقي من أهلكتموه، وإن سفيان أمة وحده فاتركوا سفيان وشأنه. ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب هارون يقرأه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله. فرحم الله عبداً نظـر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غداً من عمله فإنه عليه يحاسب وبه يجازى والله ولي التوفيق.

وعن عبدالله بن مهران قال: حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياماً ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به إذ أقبلت هوادج هارون فكف الصبيان عن الولوع به، فلما جاء

بي من كان على باب الخليفة فاستؤذن لي فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك الحالة قام وقعد ثم قام قائماً وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ويقول: انتفع الرسول وخاب المرسل ما لي وللدنيا) ما لي (**والملك يزول عن سريعاً، ثم القيت الكتاب إليه منشوراً كما دفع إلي، فأقبل هارون يقرؤه ودموعه تنحدر من عينيه ويقرأ ويشهق فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين لقد اجترأ عليك سفيان فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه السجن كنت تجعله عبرة لغيره، فقال هارون: اتركونا يا عبيد الدنيا، المغرور من غررتموه والشقي من أهلكتموه، وأن سفيان أمة وحده)** أي لا يشبهه أحد في وصفه، **(فاتركوا سفيان وشأنه ثم لم يزل كتاب سفيان إلى جنب هارون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله تعالى)** سنة ثلاث وتسعين ومائة، **(فرحم الله عبداً نظر لنفسه واتقى الله فيما يقدم عليه غداً من عمله فإنه عليه يحاسب وبه يجازى، والله ولي التوفيق).**

(وعن عبدالله بن مهران قال: حج) هارون **(الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أياماً، ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس)** يتفرجون **(وخرج بهلول)** المجنون هو بهلول بن عمرو الصيرفي كذا في تعجيل المنفعة للحافظ ابن حجر قال: وذكره الخطيب في رواة مالك فقال: بهلول بن عمرو بفتح العين، قلت: وفي المغني للذهبي هو بهلول بن عبيد روى عن مالك وأرخ ابن الجوزي وفاته في سنة ١٩٢، **(فيمن خرج)** من النظارة **(فجلس بالكناسة والصبيان)** حوله **(يؤذونه ويولعون به إذ أقبلت هوادج هارون فكف الصبيان عن الولوع به، فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته:**

هارون نادى بأعلى صوته: يا أمير المؤمنين فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه فقال: لبيك يا بهلول. فقال: يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبدالله العامري قال: رأيت النبي ﷺ منصرفاً عن عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك وتواضعك في سفرك. هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك. قال: فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الأرض ثم قال: يا بهلول زدنا رحمك الله. قال: نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالاً وجمالاً فأنفق من ماله وعف في جماله كنت في خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار. قال: أحسنت يا بهلول ودفع له جائزة. فقال: اردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها. قال: يا بهلول فإن كان عليك دين قضيناه. قال: يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالدين لا يجوز. قال: يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك أو يقيمك. قال: فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال: يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينساني قال: فأسبل هارون السجاف ومضى.

يا أمير المؤمنين فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه فقال: لبيك يا بهلول) لبيك يا بهلول. **(فقال: يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبدالله العامري)** تقدم ذكرهما قريباً في قصة سفيان مع المهدي **(قال: رأيت النبي ﷺ منصرفاً من عرفة على ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك)** رواه الترمذي وصححه النسائي وابن ماجه دون قوله: «منصرفاً من عرفة» وإنما قالوا يرمي الجمرة وهو الصواب، وقد تقدم في الباب الثاني. **(وتواضعك في سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك. قال: فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الأرض ثم قال: يا بهلول زدنا رحمك الله. قال: نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالاً وجمالاً فأنفق من ماله وعف في جماله كتب في خالص ديوان الله مع الأبرار قال: احسنت يا بهلول ودفع إليه الجائزة قال: اردد الجائزة إلى من أخذتها منه فلا حاجة لي فيها. قال: يا بهلول فإن كان عليك دين قضيناه. قال: يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالدين لا يجوز. قال: يا بهلول فنجري عليك ما يقوتك أو يقيمك. قال: فرفع رأسه إلى السماء ثم قال: يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينساني. قال: فأسبل هارون السجاف ومضى).**

ولفظ ابن الجوزي في المنتظم في حوادث سنة ثمان وثمانين ومائة: أن الرشيد حج فيها فكانت آخر حجة حجها ثم ساق بسند له إلى محمد بن الحسن الحراني عن أحمد بن عبدالله القزويني، عن الفضل ابن الربيع قال: حججت مع الرشيد فمررنا بالكوفة فإذا بهلول يهذي. قلت: اسكت فهذا أمير

وعن أبي العباس الهاشمي عن صالح بن المأمون قال: دخلت على الحرث المحاسبي رحمه الله فقلت له: يا أبا عبدالله هل حاسبت نفسك؟ فقال: كان هذا مرة، قلت له فاليوم؟ قال: أكتم حالي إني لأقرأ آية من كتاب الله تعالى فأضن بها أن تسمعها نفسي ولولا أن يغلبني فيها فرح ما أعلنت بها. ولقد كنت ليلة قاعداً في محرابي فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم عليّ ثم قعد بين يدي فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا واحد من السياحين أقصد المتعبدين في محاريبهم ولا أرى لك اجتهاداً فأي شيء عملك قال: قلت له كتمان المصائب واستجلاب الفوائد. قال: فصاح وقال: ما علمت أن أحداً بين جنبي المشرق والمغرب هذه صفته. قال الحرث: فأردت أن أزيد عليه فقلت له: أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم فمن أين تعرفهم؟ قال: فصاح صيحة غشي عليه منها فمكث عندي يومين لا يعقل، ثم أفاق وقد أحدث في ثيابه فعلمت إزالة عقله، فأخرجت له ثوباً جديداً وقلت

المؤمنين فسكت، فلما حاذاه قال: يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبدالله العامري قال: رأيت النبي ﷺ بمنى على جمل وتحته رحل رث ولم يكن ثمّ ضرب ولا طرد ولا إليك إليك ثم أنشده:

فهب أن قد ملكت الأرض طرا	ودان لك العباد فكان ماذا
أليس غداً مصيرك جوف قبر	ويحثو الترب هذا ثم هذا

(**وعن أبي العباس الهاشمي من ولد صالح بن المأمون**) العباسي (**قال: دخلت على الحرث**) بن أسد (**المحاسبي رحمه الله تعالى فقلت له: يا أبا عبد الله هل حاسبت نفسك؟ فقال: كان هذا مرة. قلت له: فاليوم؟ قال: أكاتم حالي إني لأقرأ آية من كتاب الله فأضن بها**) أي أبخل (**أن تسمعها نفسي، ولولا أن يغلبني فيها فرح ما أعلنت بها، ولقد كنت ليلة**) من الليالي (**قاعداً في محرابي، فإذا أنا بفتى حسن الوجه طيب الرائحة فسلم علي ثم قعد بين يدي فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا واحد من السياحين أقصد المتعبدين في محاريبهم ولا أرى لك اجتهاداً فأي شيء عملك؟ قال: قلت كتمان المصائب**) عن الغير، (**واستجلاب الفوائد**) من السير. (**قال: فصاح وقال: ما علمت أحداً بين جنبي المشرق والمغرب هذه صنعته. قال الحرث: فاردت أن أزيد عليه، فقلت له: أما علمت أن أهل القلوب يخفون أحوالهم ويكتمون أسرارهم ويسألون الله كتمان ذلك عليهم، فمن أين تعرفهم؟ قال: فصاح صيحة غشي عليه**) منها، (**فمكث عندي يومين لا يعقل، ثم أفاق وقد أحدث في ثيابه، فعلمت إزالة عقله فأخرجت له ثوباً جديداً وقلت: إن هذا لكفني**

له: هذا كفني قد آثرتك به فاغتسل وأعد صلاتك. فقال: هات الماء فاغتسل وصلى، ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له: أين تريد؟ فقال لي: قم معي فلم يزل يمشي حتى دخل على المأمون فسلم عليه وقال: يا ظالم أنا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم أستغفر الله من تقصيري فيك أما تتقي الله تعالى فيما قد ملكك؟ وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب، فأقبل عليه المأمون وقال: من أنت؟ قال: أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي فلم أجد لنفسي فيه حظاً فتعلقت بموعظتك لعلي ألحقهم. قال: فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفاً في ذلك الثوب ومنادٍ ينادي: من ولي هذا فليأخذه. قال الحرث: فاختبأت عنه فأخذه أقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا أعلمهم بحاله. فأقمت في مسجد بالمقابر محزوناً على الفتى فغلبتني عيناي، فإذا هو بين وصائف لم أرَ أحسن منهن وهو يقول: يا حارث أنت والله من الكاتمين الذين يخفون أحوالهم ويطيعون ربهم. قلت: وما فعلوا؟ قال: الساعة يلقونك فنظرت إلى جماعة ركبان فقلت: من أنتم؟ قالوا: الكاتمون أحوالهم حرك هذا الفتى كلامك له فلم يكن في قلبه مما وصفت شيء فخرج للأمر والنهي وإن الله تعالى أنزله معنا وغضب لعبده.

قد آثرتك به فاغتسل) وألبس هذا الثوب **(وأعد صلواتك)** التي ذهبت عليك، **(فقال: هات الماء)** فأتيته الماء **(فاغتسل وصلى ثم التحف بالثوب وخرج فقلت له: أين تريد؟ فقال: قم معي فلم يزل يمشي حتى دخل على المأمون)** وهو يومئذ خليفة **(فسلم عليه فقال: يا ظالم أنا ظالم إن لم أقل لك يا ظالم. استغفر الله من تقصير فيك، أما تتقي الله تعالى فيما قد ملكك. وتكلم بكلام كثير ثم أقبل يريد الخروج وأنا جالس بالباب، فأقبل عليه المأمون وقال: من أنت؟ قال: أنا رجل من السياحين فكرت فيما عمل الصديقون قبلي، فلم أجد لنفسي حظاً فتعلقت بموعظتك لعلي ألحقهم)** يعني به الشهادة على قول الحق. **(قال: فأمر بضرب عنقه فأخرج وأنا قاعد على الباب ملفوفاً في ذلك الثوب ومناد ينادي: من ولي هذا فليأخذه، قال الحرث: فاختبأت عنه فأخذه أقوام غرباء فدفنوه وكنت معهم لا أعلمهم بحاله)** قال: **(فأقمت في مسجد بالمقابر محزوناً على الفتى فغلبتني عيناي فإذا هو بين وصائف)** أي الجواري **(لم أر أحسن منهن وهو يقول: يا حارث أتيت والله الكاتمين، الذين يخفون أحوالهم ويطيعون ربهم قلت: وما فعلوا؟ قال: الساعة يلقونك، فنظرت إلى جماعة ركبان فقلت: من أنتم؟ قالوا)**: الكاتمون أحوالهم **(حرك هذا)** الفتى **(كلامك له فلم يكن في قلبه)** مما وصفت شيء **(فخرج للأمر والنهي، وإن الله تعالى أنزله معنا وغضب لعبده)**.

وعن أحمد بن إبراهيم المقري قال: كان أبو الحسين النوري رجلاً قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج إليه، وكان إذا رأى منكراً غيره ولو كان فيه تلفه، فنزل ذات يوم إلى مشرعة تعرف بمشرعة الفحامين يتطهر للصلاة إذ رأى زورقاً فيه ثلاثون دناً مكتوب عليها بالقار «لطف» فقرأه وأنكره لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئاً يعبر عنه «بلطف» فقال للملاح: إيش في هذه الدنان؟ قال: وايش عليك امض في شغلك. فلما سمع النوري من الملاح هذا القول ازداد تعطشاً إلى معرفته فقال له: أحب أن تخبرني إيش في هذه الدنان. قال: وايش عليك أنت والله صوفي فضولي، هذا خمر للمعتضد يريد أن يتمم به مجلسه؟ فقال النوري: وهذا خمر؟ قال: نعم. قال: أحب أن تعطيني ذلك المدري فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه: أعطه حتى انظر ما يصنع فلما صارت المدري في يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرها دناً دناً حتى أتى على آخرها إلا دناً واحداً والملاح يستغيث إلى أن ركب صاحب الجسر وهو يومئذ

(**وعن أحمد بن إبراهيم المقري قال: كان أبو الحسين**) أحمد بن محمد (**النوري**) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته (**رجلاً قليل الفضول**) في الكلام (**لا يسأل**) أحداً (**عما لا يعنيه**) أي لا يهمه (**ولا يفتش عما لا يحتاج إليه، وكان إذا رأى منكراً غيَّره ولو كان فيه تلفه**) أي هلاكه، (**فنزل ذات يوم إلى مشرعة**) أي مورد من موارد الدجلة (**تعرف بمشرعة الفحامين**) يتطهر للصلاة (**إذ رأى زورقاً**) أي سفينة صغيرة (**وفيه ثلاثون دناً مكتوب عليها بالقار**) وهو الزفت الذي تطلى به السفن: (**«لطف» فقرأه وأنكره لأنه لم يعرف في التجارات ولا في البيوع شيئاً يعبر عنه: «بلطف». فقال للملاح**) وهو خادم السفينة: (**إيش**) أي أي شيء (**في هذه الدنان؟ قال: وإيش عليك امض في شغلك. فلما سمع النوري من الملاح هذا القول إزداد تعطشاً**) أي شوقاً (**إلى معرفته. فقال له: أحب أن تخبرني إيش في هذه الدنان. قال: وإيش عليك أنت والله صوفي فضولي**) تتكلم فيما لا يعنيك. (**هذا خمر للمعتضد**) بالله أبي العباس أحمد بن الموفق أبي محمد طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد، وهو السادس عشر من الخلفاء بويع له سنة خمس وأربعين ومائتين ومات سنة تسع وثمانين ومائتين عن سبع وأربعين سنة (**يريد أن يتمم به مجلسه. فقال النوري**) للملاح: (**وهذا خمر؟ قال: نعم. قال: أحب أن تعطيني ذلك المدري**) وهو بالكسر المجداف (**فاغتاظ الملاح عليه وقال لغلامه: اعطه المدري حتى انظر ما يصنع فلما صار المدري في يده صعد إلى الزورق ولم يزل يكسرها**) أي تلك الدنان (**حتى أتى على آخرها إلا دناً واحداً والملاح يستغيث**) ويصيح (**إلى أن ركب صاحب الجسر**) وهو الحاكم المولى من طرف الخليفة، (**وهو يومئذ ابن بشر أفلح**) كذا في النسخ، وفي بعضها مؤنس الأفلح، وفي أخرى يونس،

ابن بشر أفلح فقبض على النوري وأشخصه إلى حضرة المعتضد، وكان المعتضد سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس في أنه سيقتله. قال أبو الحسين: فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه، فلما رآني قال: من أنت؟ قلت: محتسب. قال: ومن ولاك الحسبة؟ قلت: الذي ولاك الإمامة ولاني الحسبة يا أمير المؤمنين. قال: فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إليّ وقال: ما الذي حملك على ما صنعت؟ فقلت: شفقة مني عليك إذ بسطت يدي إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه. قال: فأطرق مفكراً في كلامي ثم رفع رأسه إليّ وقال: كيف تخلّص هذا الدن الواحد من جملة الدنان فقلت في تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين إن أذن؟ فقال: هات أخبرني، فقلت: يا أمير المؤمنين إني أقدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الإجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدن فاستشعرت نفسي كبراً على أني أقدمت على مثلك فمنعت ولو أقدمت عليه بالحال الأوّل وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال. فقال المعتضد: اذهب فقد اطلقنا يدك غيّر ما أحببت أن تغيره من المنكر. قال أبو الحسين: فقلت يا أمير المؤمنين بغض إليّ التغيير لأني كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير عن شرطي، فقال

(فقبض على النوري وأشخصه إلى حضرة المعتضد، وكان المعتضد) صعباً **(سيفه قبل كلامه ولم يشك الناس أنه سيقتله. قال أبو الحسين)** النوري: **(فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي من حديد وبيده عمود يقلبه، فلما رآني قال: من أنت؟ قلت: محتسب. قال: من ولاك الحسبة؟ قلت: الذي ولاك الإمامة ولاني الحسبة يا أمير المؤمنين. قال: فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إليَّ وقال: ما الذي حملك على ما صنعت؟ فقلت: شفقة مني عليك إذ بسطت يدي إلى صرف مكروه عنك فقصرت عنه)** وفي نسخة: قد قصرت عنه **(قال: فأطرق مفكراً في كلامي ثم رفع رأسه إليَّ وقال: كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان؟ قلت: في تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمين إن أذن لي. قال: هات اخبرني. فقلت: يا أمير المؤمنين إني أقدمت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد جلال الحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني، فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدن فعجزت)** وفي بعض النسخ: فاستشعرت **(نفسي كبراً على أني أقدمت على مثلك فمنعت، ولو أقدمت عليه بالحال الأولى وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها ولم أبال. فقال المعتضد: اذهب فقد أطلقنا يدك)** وأذنا لك **(غيّر ما أحببت أن تغيره من المنكر قال أبو الحسين)** النوري: **(فقلت يا أمير المؤمنين بغض التغيير إلي لأني كنت أغير عن الله تعالى وأنا الآن أغير شرطياً. فقال المعتضد: ما حاجتك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين تأمر**

المعتضد: ما حاجتك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين تأمر بإخراجي سالماً فأمر له بذلك. وخرج إلى البصرة فكان أكثر أيامه بها خوفاً من أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد فأقام بالبصرة إلى أن توفي المعتضد ثم رجع إلى بغداد.

بإخراجي) من المدينة (**سالماً**) في نفسي (**فأمر له بذلك وخرج إلى البصرة، فكان أكثر أيامه بها خوفاً أن يسأله أحد حاجة يسألها المعتضد**) أي خوفاً من كثرة الشفاعات فإنه إذا فتح بابها سده عسر (**فأقام بالبصرة إلى أن توفي المعتضد**) سنة ٢٨٩، (**ثم رجع النوري إلى بغداد**) ولم يزل بها إلى أن مات سنة ٢٩٥ رحمه الله تعالى.

اعلم أن مواعظ الخلفاء والملوك كثيرة قد ذكر المصنف بعضها في كتاب الحلال والحرام، كقصة سليمان بن عبد الملك مع أبي حازم حين دخل المدينة وغيرها، وقد جمع منها حافظ الدنيا أبو بكر ابن أبي الدنيا في كتاب مستقل سماه مواعظ الخلفاء، وكذلك ابن الجوزي في كتاب سماه المصباح المضيء، ومن طالع كتاب الحلية لأبي نعيم الحافظ وجد منها شيئاً كثيراً، وقد انتخبت بعض حكايات من منهاج القاصدين لابن الجوزي.

فمنها: قال سعيد بن عامر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني موصيك بكلمات من جوامع الإسلام ومعالمه. اخش الله في الناس ولا تخش الناس في الله، ولا يخالف قولك فعلك فإن خير القول ما صدقه الفعل، وأحب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك، ولا تخف في الله لومة لائم. قال عمر: ومن يستطيع ذلك يا سعيد؟ قال: من ركب في عنقه مثل الذي ركب في عنقك.

ومنها: قال قتادة خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه الجارود، فإذا امرأة بارزة على ظهر الطريق فسلم عليها فردت عليه أو سلمت عليه فرد السلام. فقالت: هيه يا عمر أعرفك وأنت تسمى عميراً في سوق عكاظ تصارع الصبيان فلم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعية، واعلم أنه من خاف الموت خشي الفوت، فبكى عمر. فقال الجارود: هيه قد اجترأت على أمير المؤمنين وأبكيته. فقال عمر: دعها أما تعرف هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سماواته، فعمر والله أحرى أن يستمع كلامها.

ومنها: دخل فتى من الأزد على معاوية فقال: اتق الله يا معاوية، واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لا تزداد من الدنيا إلا بعداً ومن الآخرة إلا قرباً وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علم لا تجوزه، فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك أن يلحقك الطالب وأنا وما نحن فيه وأنت زائل والذي صائرون إليه باق إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

ومنها: قال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم: عظني. فقال: انضجع ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ فيه الآن، وما تكره أن يكون فيك فدعه الآن.

فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين لكنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ورضوا بحكم الله تعالى إلى أن يرزقهم الشهادة، فلما أخلصوا لله النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فليّنها وأزال قساوتها. وأما الآن فقيدت الاطماع ألسن العلماء فسكتوا وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم فلم ينجحوا ولو صدقوا وقصدوا حق العلم لأفلحوا. ففساد الرعايا بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه، ومن

ومنها: وقال محمد بن كعب القرظي لعمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين إنما الدنيا سوق من الأسواق منها خرج الناس بما يضرهم وما ينفعهم، وكم من قوم غرهم منها مثل الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم، فخرجوا منها ملومين لم يأخذوا منها لما أحبوا من الآخرة عدة ولا لما كرهوا جنة، واقتسم ما أجمعوا من لم يحمدهم وصاروا إلى من لا يعذرهم، فنحن محقون يا أمير المؤمنين أن ننظر إلى تلك الأحوال التي نغبطهم بها فنخلفهم فيها وإلى الأعمال التي نتخوف عليهم فيها فنكف عنها، فاتق الله وافتح الأبواب وسهل الحجاب وانصر المظلوم ورد الظالم. ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله عز وجل: إذ رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.

(فهذه كانت سيرة العلماء وعادتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلة مبالاتهم بسطوة السلاطين) إيثاراً لإقامة حق الله تعالى لأنهم اتكلوا على فضل الله تعالى أن يحرسهم ويحوطهم من سطوتهم، **(ورضوا بحكم الله تعالى أن يرزقهم الشهادة)** في سبيله ولأجله، **(فلما أخلصوا لله)** وفي بعض النسخ: فيه **(النية أثر كلامهم في القلوب القاسية فلينها وأزال قساوتها)** فإن الكلام إذا خرج من القلب وقع على القلب، وكان محمد بن واسع بجنبه واعظ يعظهم فقال يوماً: مالي أراكم لا تبكون ولا تخشعون ولا تتعظون؟ فقال محمد: يا فلان أما إنهم إنما أتوا من قبلك أي لم تعظ نفسك أولاً ولم تهذبها، فكيف يؤثر كلامك فيهم؟ ولقد كانت الملوك والأمراء من قبل يعرفون حق العلم وفضله فيصبرون على بعض هؤلاء المواعظ. **(وأما الآن)** فالذي أراه الهرب منهم والحذر من الدخول عليهم، **(فقد قيدت الأطماع)** الدنيوية **(ألسن العلماء)** فأخرستها، **(فسكتوا)** وصمّت آذانهم فلم يسمعوا. **(وإن تكلموا لم تساعد أقوالهم أحوالهم)** للمباينة بينها، **(فلم ينجحوا)** أي لم يفلحوا، **(ولو صدقوا الله وقصدوا حق العلم لأفلحوا)** وفازوا. **(ففساد الرعية بفساد الملوك)** أي اختلال أحوال الرعية بظلم الملوك وجورهم وأخذ الأموال منهم عدواناً، **(وفساد الملوك بفساد العلماء)** فإنهم إذا جاروا على الرعية لم يمنعهم عن ذلك إلا العلماء لما أخذ الله عليهم ذلك ولهيبة العلم وجلالته تذعن لقولهم الملوك ولذا قيل:

إن الأكابر يحكمون على الورى ... وعلى الأكابر تحكم العلماءُ

استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل، **فكيف على الملوك والأكابر؟** والله المستعان على كل حال.

تم كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحمد الله وعونه وحسن توفيقه:

(**وفساد العلماء باستيلاء حب المال والجاه**) فما من أحد منهم إلا ويطلب لنفسه الثروة والسعة في المعيشة وكذلك يطلب الجاه عند الملوك لقضاء حاجته، (**ومن استولى عليه حب الدنيا**) من المال والجاه (**لم يقدر على الحسبة على الأراذل**) والعامة لعدم هيبته على قلوبهم، (**فكيف على الملوك والأكابر والله المستعان على كل حال**) يعني أن الهروب منهم الآن أولى، وأنه إن قدر له لقاؤهم اقتنع بلطف الموعظة حسب لسببين. أحدهما: يتعلق بالمحتسب وهو سوء قصده وميله إلى الدنيا والرياء فلا يخلص له احتسابه، والثاني: يتعلق بالمحتسب له فإن حب الدنيا قد شغل الأكثرين عن ذكر الآخرة، وتعظيمهم الدنيا أنساهم تعظيم العلماء، وليس للمؤمن إن يذل نفسه. وهذا آخر الكلام في شرح كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات.

قال المؤلف: فرغت من تسويده في آخر ساعة من نهار الثلاثاء تاسع ذي القعدةسنة١١٩٩، وكتب الفقير أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله زلله وبلغه أمله حامد الله ومصلياً ومسلماً ومستغفراً وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوّة

وهو الكتاب العاشر من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً الله ناصر كل صابر، الحمد لله مفيض المواهب على الإطلاق، مولى الرغائب بالأغداق، الذي لا خير إلا من يديه، ولا فضل إلا من لديه، أحمده سبحانه حمداً استمطر به سحاب كرمه الغيداق، وأستغفره من ذنوب أحاطت إحاطة الرباق وعمت عموم الاستغراق، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله وضع الآجال وقسم الأرزاق، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، صاحب النجيب والبراق، والطرف الكحيل والخد الأسيل، والثغر البرّاق، الذي بعثه لتتميم مكارم الأخلاق، وهدى به السبيل فلا يحيد عنه غير أهل الشقاق والنفاق، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وورثته وحزبه، وسلم ما تحركت الأغصان بالأوراق، وهبت الرياح بالعشي والإشراق، وبعد فهذا شرح:

كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

وهو العاشر من الربع الثاني من كتاب الإحياء لحجة الإسلام، مجدد دين الملك العلام، الإمام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله سره، وأفاض علينا بره، سلكت شعابه، ورضت صعابه، وخضت لججه، وأثبت حججه، حتى وضح السبيل، وصفا السلسبيل وراق الزلال، وامتدت الظلال، وعمرت ربوعه، وانبطت نبوعه، وبانت مساربه، وحليت مشاربه، وإلى الله أرغب في حسن التوفيق لمراضيه ومحابه، وأن يلحقني بالمنعم عليهم من صديقيه وأحبابه، إنه بكل فضل جدير، وعلى ما يشاء قدير.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **بسم الله الرحمن الرحيم** اقتداء بالقرآن واستفتاحاً باسمه الذي هو فاتحة كل عنوان واتباعاً لخبر سيد ولد عدنان ﷺ ما دارت الأزمان.

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه، وأدب نبيه محمداً ﷺ فأحسن تأديبه، وزكى أوصافه وأخلاقه ثم اتخذه صفيه وحبيبه، ووفق للاقتداء به من أراد تهذيبه، وحرم عن التخلق بأخلاقه من أراد تخييبه، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم كثيراً.

أما بعد: فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والأعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشح المعارف وسرائر القلوب وهي مغارس

(الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه) أي جعل كل شيء في مرتبته وهو المعبر عنه بالإحسان أشار به إلى قوله تعالى: ﴿الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ [الفرقان: ٢] أي حده بحده الذي يوجد من حسن وقبح ونفع وضر وغيرهما حسبما اقتضت حكمته، **(وأدب نبيه ﷺ)** بأن أعطاه رياضة النفس وحلاه بأحسن الأخلاق.

أخرج العسكري في الأمثال من طريق النسائي عن أبي عمارة عن علي رضي الله عنه قال: قدم بنو نهد بن زيد على النبي ﷺ فقالوا: أتيناك من غوراء تهامة وذكر خطبتهم وما أجابهم النبي. قال: فقلنا يا نبي الله نحن بنو أب واحد ونشأنا في بلد واحد وإنك لتكلم العرب بلسان ما نفهم أكثره، فقال: « إن الله عز وجل أدبني فأحسن تأديبي ونشأت في بني سعد بن بكر ». والسدي ضعيف.

هذا: وفي أدب الإملاء لأبي سعيد بن السمعاني من حديث ابن مسعود رفعه: « إن الله أدبني فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الاخلاق » وسنده منقطع، وفي الدلائل لثابت السرقسطي أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله ما رأيت أنعم منك فمن أدبك؟ قال: « أدبني ربي ونشأت في بني سعد ».

(وزكى أوصافه) الدالة على ذاته أي نماها **(وأخلاقه)** الباطنة أي طهرها بحيث صدرت عنها الأفعال الحسنة بسهولة، **(ثم اتخذه صفيه)** أي مختاره من خلقه **(وحبيبه)** وخليله **(ووفق للاقتداء به)** أي اتباع طريقته **(من أراد تهذيبه)** أي هدايته وخلوصه من الردى **(وحرم التخلق بأخلاقه)** أي منع عنه **(من أراد)** أي سبق في إرادته الأزلية **(تخييبه)** أي تخسيره وإضلاله واكتفي عن جملة الصلاة بما تقدم له في أوله من ذكره في الفقرة الثانية بقوله ﷺ.

(أما بعد: فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن) عنوان كل شيء بالضم ما يستدل به عليه ويضمر، والمعنى أن البواطن يستدل عليها بالظواهر فإن كانت جارية على وفق الاستقامة فالظواهر تتبعها، **(وحركات الجوارح)** الظاهرة **(ثمرات الخواطر)** الباطنة إن حسناً فحسناً وإن سيئاً فسيئاً **(والأعمال نتيجة الاخلاق)** فإن الخلق بالضم عبارة عن هيئة راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً

الأفعال ومنابعها وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساوئها. ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية. ولقد كنت عزمت على أن أختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها استخراجها من جميع هذه الكتب، ثم رأيت كل كتاب من ربع العبادات قد أتى على جملة من الآداب فاستثقلت تكريرها وإعادتها، فإن طلب الإعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة المعادات فرأيت أن أقتصر في هذا الكتاب على ذكر آداب رسول الله ﷺ وأخلاقه المأثورة عنه بالإسناد فأسردها مجموعة فصلاً فصلاً محذوفة الأسانيد ليجتمع فيه من الآداب تجديد الإيمان وتأكيد بمشاهدة أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلاهم رتبة وأجلهم قدراً، فكيف مجموعها؟ ثم أضيف إلى

وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلقاً حسناً أو الأفعال القبيحة سميت الأفعال خلقاً سيئاً، فالأعمال كلها إنما هي نتائج للأخلاق تختلف باختلافها، (**والآداب رشح المعارف**) أي أن الآداب في الظاهر إنما ترشح عن بحر المعارف، فإن وجدت المعارف رشحت منها رشحاً تبعث صاحبها على الكمال في الآداب (**وسرائر القلوب**) أي ما تسره القلوب وتضمره وتكنه (**هي مغارس الأفعال وينابعها**) أي هي محل ظهورها ومنشؤها، (**وأنوار**) تلك (**السرائر هي التي تشرق على الظواهر**) أي تلوح عنها أنوارها (**فتزينها وتحليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساوئها ومن لم يخشع قلبه**) بجلال الله وعظمته (**لم تخشع جوارحه**). روى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة أنه ﷺ رأى رجلاً يعبث في صلاته فقال: « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » (**ومن لم يكن صدره مشكاة للأنوار الإلهية**) والمشكاة بالكسر كوة في الحائط يوضع فيها المصباح، (**لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية، ولقد كنت عزمت على أن أختم ربع العادات من هذا الكتاب بكتاب جامع لآداب المعيشة لئلا يشق على طالبها**) استخراجها من جميع هذه الكتب المذكورة) والآتية، (**ثم رأيت كل كتاب من ربع العبادات وربع العادات قد أتى على جملة من الآداب**) مفرقة في مواضع منها، (**فاستثقلت تكريرها وإعادتها**) ثانياً، (**فإن طلب الإعادة ثقيل والنفوس مجبولة على معاداة**) أي مجافاة (**المعادات**) المكررات فالأول مصدر عاداه يعاديه معاداة وهاؤه مربوطة، والثانية: جمع سالم للمعاد وهو الذي أعيد ثانياً في الذكر وتاؤه مطوّلة وبينهما جناس، (**فرأيت أن أقتصر في هذا الكتاب على آداب رسول الله ﷺ وأخلاقه**) الشريفة (**المأثورة عنه**) أي المنقولة (**بالإسناد**) عن فلان عن فلان (**فأسردها مجموعة فصلاً فصلاً محذوفة الإسناد**) وفي نسخة الأسانيد (**ليجتمع فيه مع الآداب تجديد الإيمان**) وتطريته (**وتأكيده بمشاهدة أخلاقه الكريمة التي شهد آحادها على القطع**) والجزم (**بأنه أكرم خلق الله تعالى وأعلاهم رتبة**

ذكر أخلاقه ذكر خلقته ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الأخبار ليكون ذلك معرباً عن مكارم الأخلاق والشيم ومنتزعاً عن آذان الجاحدين لنبوّته صمام الصمم والله تعالى ولي التوفيق للاقتداء بسيد المرسلين في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه دليل المتحيرين ومجيب دعوة المضطرين. ولنذكر فيه أولاً بيان تأديب الله تعالى إياه بالقرآن، ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه، ثم بيان جملة من آدابه وأخلاقه، ثم بيان كلامه وضحكه، ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام، ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس، ثم بيان عفوه مع القدرة، ثم بيان إغضائه عما كان يكره، ثم بيان سخاوته وجوده، ثم بيان شجاعته وبأسه، ثم بيان تواضعه، ثم بيان صورته وخلقته، ثم بيان جوامع معجزاته وآياته ﷺ.

وأجلهم قدراً) وأفضلهم مقاماً، **(فكيف مجموعها؟ ثم أضيف إلى ذكر أخلاقه)** الباطنة **(ذكر خلقته)** الظاهرة **(ثم ذكر معجزاته التي صحت بها الأخبار)** ودلت عليها الآثار ونقلتها الثقات من الأخيار **(ليكون ذلك معرباً)** أي مبيناً **(عن)** وفي بعض النسخ معرفاً **(مكارم الأخلاق والشيم)** جمع الشيمة بالكسر وهي الغريزة والطبيعة والجبلة وهي التي خلق الإنسان عليها **(ومنتزعاً عن آذان الجاحدين)** أي المنكرين **(لنبوته)** ﷺ **(صمام الصمم)** الصمام بالكسر ما يسد به فم القارورة ونحوها، وهو ما يجعل في فمها سداداً والصمم بطلان حاسة السمع وبينهما جناس، **(والله تعالى ولي التوفيق)** وهو الهداية والإرشاد **(للاقتداء بسيد المرسلين)** ﷺ **(في الأخلاق والأحوال وسائر معالم الدين فإنه)** جل وعز **(دليل المتحيرين)** أي مرشدهم من حيرتهم إلى ما يخلصهم منها **(ومجيب دعوة المضطرين)** أي الملجئين إلى المشقة والهلاك، وفيه أن العبد وإن علت منزلته فهو دائم الاضطرار لأن الاضطرار تعطيه حقيقة العبد إذ هو ممكن وكل ممكن مضطر إلى ممد يمده، وكما أن الحق هو الغني المطلق فالعبد مضطر إليه أبداً، ومن اتسعت أنواره لم يتوقف اضطراره وقد عتب الله قوماً اضطروا إليه عند وجود أسباب ألجأتهم إلى الاضطرار، فلما زالت زال اضطرارهم.

(ولنذكر أولاً بيان تأديب الله تعالى إياه بالقرآن، ثم بيان جوامع من محاسن أخلاقه) التي جبل عليها، **(ثم بيان جملة من آدابه)** الظاهرة **(وأخلاقه)** الباطنة، **(ثم بيان كلامه وضحكه، ثم بيان أخلاقه وآدابه في الطعام، ثم بيان أخلاقه وآدابه في اللباس، ثم بيان عفوه)** عن الجاني **(مع القدرة)** على الانتقام منه، **(ثم بيان إغضائه)** أي مسامحته **(عما كان يكره، ثم بيان سخاوته وجوده، ثم بيان شجاعته وبأسه)** في الحروب، **(ثم بيان تواضعه، ثم بيان صورته وخلقته)** الظاهرة، **(ثم بيان جوامع معجزاته وآياته)** الباهرة **(ﷺ)** إجمالاً وتفصيلاً.

بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمداً ﷺ بالقرآن:

كان رسول الله ﷺ كثير الضراعة والابتهال دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق فكان يقول في دعائه: « اللهم حسن خلقي وخُلقي »

بيان تأديب الله تعالى حبيبه وصفيه محمداً ﷺ بالقرآن:

اعلم أنه **(كان رسول الله ﷺ كثير الضراعة والابتهال)** الضراعة بالفتح لمم من التضرع والابتهال هو التضرع إلى الله تعالى، وهو إظهار الضراعة أي الذل بين يدي الله تعالى **(دائم السؤال من الله تعالى أن يزينه بمحاسن الآداب)** الظاهرة **(ومكارم الأخلاق فكان يقول في دعائه: « اللهم حسن خلقي وخلقي »)** الأول: يفتح فسكون، والثاني بضمتين واحد الأخلاق أي لا تقوى على تحمل أثقال الخلق والخلق بمحض العبودية والرضا بالقدر ومشاهدة الربوبية. وقال الطيبي: ويحتمل أن يراد به طلب الكمال وإتمام النعمة عليه بإكمال دينه، وفيه إشارة إلى ما سيأتي من قول عائشة: كان خلقه القرآن وأن يكون قد طلب المزيد والثبات على ما كان.

قال العراقي: رواه أحمد من حديث ابن مسعود، ومن حديث عائشة ولفظها: « اللهم أحسنت خلقي فأحسن خلقي » وإسنادهما جيد وحديث ابن مسعود رواه ابن حبان اهـ.

قلت: ووهم من زعم أنه أبو مسعود ولفظه: ولفظ أحمد: كان رسول الله ﷺ إذا نظر إلى المرآة قال: « اللهم أحسنت » الخ وفي رواية: « اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي » وفي أخرى « فأحسن خلقي » وتمسك بهذا الحديث من قال إن حسن الخلق غريزي لا مكتسب، والمختار أن أصول الأخلاق غرائز التفاوت في الثمرات وهو الذي به التكليف، وروى ابن السنى في عمل اليوم والليلة من حديث أنس رفعه: « كان إذا نظر وجهه في المرآة قال: الحمد لله الذي سوى خلقي فعدله، وكرم صورة وجهي فحسنها وجعلني من المسلمين » وروى أبو يعلى والطبراني من حديث ابن عباس رفعه: « كان إذا نظر في المرآة قال: الحمد لله الذي حسن خلقي وخلقي وزان مني ما شان من غيري ».

(و) كان ﷺ **(يقول: « اللهم جنبني منكرات الأخلاق »)** قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك. وقال الترمذي اللهم إني أعوذ بك اهـ.

قلت: وقطبة بن مالك هو عم زياد بن علاقة روى عنه زياد، ولفظ الترمذي وكذا الطبراني في الكبير: « اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء » ولفظ الحاكم: « اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء » ومنكرات الأخلاق كحقد وبخل وحسد وجبن ونحوها. ومنكرات الأعمال الكبائر من نحو قتل وزنا وشرب وسرقة ونحوها. ومنكرات الأهواء الزيغ والانهماك في الشهوات أي المستلذات والمستحسنات عند النفس لأنه شغل

ويقول: « اللهم جنبني منكرات الأخلاق » فاستجاب الله تعالى دعاءه وفاء بقوله عز وجل: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر: ٦٠] فأنزل عليه القرآن وأدبه به فكان خُلُقه القرآن.

قال سعد بن هشام: دخلت على عائشة رضي الله عنها وعن أبيها فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن.

عن الطاعة يؤدي إلى الأشر والبطر. ومنكرات الأدواء من نحو جذام وبرص وسل واستسقاء وذات جنب. فهذه كلها نوائب الدهر فهو يقول: أعوذ بك من نوائب الدهر، وعطف العمل على الخلق، والهوى على العمل، والداء عليه وإن كان الكل على الأول من باب الترقي في الدعاء إلى ما يعم نفعه. وقال الطيبي: والإضافة إلى المعرفتين الأوليين إضافة الصفة إلى الموصوف. قال الحكيم الترمذي: وإنما استعاذ من هذه الأربع لأن ابن آدم لا ينفك عنها في منقلبه ليلاً ولا نهاراً. ومنها ما يعظم الخطب فيه حتى يصير منكراً غير متعارف فيما بينهم، فذلك الذي يشار إليه بالأصابع في ذلك، ومنه يعظم الوبال وذكر هذا مع عصمته تعليم لأمته.

(فاستجاب الله دعاءه وفاء بقوله عز وجل ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ فأنزل عليه القرآن وأدبه) وتقدم ما يتعلق بهذه الآية في كتاب الأوراد والأدعية، **(فكان خلقه القرآن)**.

(قال سعد بن هشام) بن عامر الأنصاري المدني ابن عم أنس بن مالك، روى عن أبيه وعائشة. وعنه زرارة بن أوفى والحسن وحميد بن هلال. قال النسائي: ثقة. وذكر البخاري أنه قتل بأرض مكران على أحسن أحواله، روى له البخاري حديثاً واحداً والباقون: **(دخلت على عائشة رضي الله عنها فسألتها عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن)** أي ما دل عليه القرآن من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده إلى غير ذلك. وقال القاضي: أي خلقه كان جميع ما فصل في القرآن فإن كل ما استحسنه وأثنى عليه ودعا إليه فقد تحلى به، وكل ما استهجنه ونهى عنه تجنبه وتخلى عنه، فكان القرآن بيان خلقه. وقال في الديباج: معناه العمل به والوقوف عند حدوده والتأدب بآدابه والاعتبار بأمثاله وقصصه وتدبره وحسن تلاوته. وقال السهروردي في العوارف: فيه رمز غامض وإيماء خفي إلى الأخلاق الربانية، فاحتشم الراوي الحضرة الإلهية أن يقول: كان متخلّقاً بأخلاق الله تعالى فعبر الراوي عن المعنى بقوله: كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وستراً للحال بلطف المقال، وذا من وفور العقل وكمال الأدب، وبذلك عرف أن كمالات خلقه لا تتناهى كما أن معاني القرآن لا تتناهى وأن التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر اهـ.

قال العراقي: رواه مسلم ووهم الحاكم في قوله إنهما لم يخرجاه اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد وأبو داود.

وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقوله: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ [النحل: ٩٠]، وقوله: ﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ [لقمان: ١٧] وقوله: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ [الشورى: ٤٣] وقوله: ﴿فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾ [المائدة: ١٣]، وقوله: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ [النور: ٢٢]، وقوله: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ [فصلت: ٣٤]، وقوله: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقوله: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن إثمٌ ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ [الحجرات: ١٢] ولما كسرت رباعيته وشج يوم أُحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقول: « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم » فأنزل الله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ [آل عمران: ١٢٨] تأديباً له على ذلك.

(وإنما أدبه القرآن بمثل قوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ وقوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾ وقوله تعالى: ﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ وقوله تعالى: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ وقوله تعالى: ﴿فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾ وقوله تعالى: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ وقوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ وقوله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ وقوله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾) وأمثال ذلك. وهي كثيرة وفي أدب الإملاء لابن السمعاني من حديث ابن مسعود رفعه: « أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ الآية ». وأخرج القشيري نحوه في التحبير.

(ولما كسرت رباعيته) وهو على وزن ثمانية السن التي بين الثنية والناب والجمع رباعيات بالتخفيف أيضاً **(وشج)** وجهه **(يوم أحد فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يمسحه)** ولفظ أنس: وجعل يمسح وجهه **(ويقول: « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم » فأنزل الله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾)** أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أنس وذكره البخاري تعليقاً اهـ.

وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا تحصر وهو عليه السلام المقصود الأوّل بالتأديب والتهذيب ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فإنه أدب بالقرآن وأدب الخلق به، ولذلك قال ﷺ: « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ثم رغب الخلق في محاسن الأخلاق بما أوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق فلا نعيده، ثم لما أكمل الله تعالى خلقه أثنى عليه فقال تعالى: ﴿وإنك لعلى خُلُق عظيم﴾ [القلم: ٤] فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم امتنانه، ثم انظر إلى عميم لطفه وعظيم فضله كيف أعطى ثم أثنى فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم أضاف

قلت: وكذلك رواه ابن إسحاق في سيرته من طريق حميد عن أنس، ورواه أحمد والترمذي والنسائي من طرق عن حميد به. وعند ابن عائذ من طريق الاوزاعي قال: بلغنا أن النبي ﷺ لما جرح يوم أحد أخذ شيئاً فجعل ينشف دمه وقال: « لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء » ثم قال: « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ». وفي المواهب اللدنية: جرح وجهه عبد الله بن قميئة، وعتبة بن أبي وقاص أخو سعد، وهو الذي كسر رباعيته. وروى ابن هشام من حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته، وان ابن قميئة جرح وجنته، فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته وفي رواية: وهشموا البيضة على رأسه. وعند الطبراني من حديث أبي أمامة قال: رمى عبد الله بن قميئة رسول الله ﷺ فشج وجهه وكسر رباعيته فقال: خذها وأنا ابن قميئة، فقال ﷺ، وهو يمسح الدم عن وجهه: « أقمأك الله » فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل يقطمه حتى قطعه قطعة قطعة. وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: ضرب وجه النبي ﷺ يومئذ بالسيف سبعين ضربة وقاه الله تعالى شرها كلها. قال في فتح الباري: وهذا مرسل قوي، ويحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة **(تأديباً له على ذلك)**.

(وأمثال هذه التأديبات في القرآن لا تنحصر، وهو ﷺ المقصود الأول بالتأديب والتهذيب، ثم منه يشرق النور على كافة الخلق فإنه أدب بالقرآن فتأدب به وأدب الخلق به، ولذلك قال) ﷺ: **(« بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »)** قال العراقي: رواه أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وقد تقدم في آداب الصحبة.

قلت: رواه مالك في الموطأ بلاغاً عن النبي ﷺ بلفظ: « إنما بعثت » وقال ابن عبد البر: هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة مرفوعاً. منها ما أخرجه أحمد ني مسنده، والخرائطي في أول مكارم الأخلاق من طريق محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: « صالح الأخلاق » ورجاله رجال الصحيح، وللطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن جابر مرفوعاً بلفظ: « إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال ».

(ثم رغب الخلق في محاسن الأخلاق) وفي بعض النسخ في حسن الخلق **(بما أوردناه في كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق)** وسيأتي إن شاء الله تعالى قريباً **(فلا نعيده هنا ثم لما**

إليه ذلك فقال: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ ثم بيّن رسول الله ﷺ للخلق ان الله يحب مكارم الأخلاق ويبغض سفسافها. قال علي رضي الله عنه: يا عجباً لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخشى عقاباً لقد كان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق، فإنها مما تدل على سبيل النجاة. فقال له رجل: أسمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم وما هو خير منه لما أتي بسبايا طيء

أكمل الله خلقه أثنى عليه فقال: ﴿وإنك لعلى خلقٍ عظيم﴾ فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم امتنانه) وأعم إحسانه، **(ثم انظر إلى عميم فضله كيف أعطى ثم أثنى، فهو الذي زينه بالخلق الكريم ثم أضاف إليه ذلك فقال: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾)** وقد أشار السهروردي إلى ذلك في العوارف فقال: وما انطوى عليه من جميل الأخلاق لم يكن باكتساب ورياضة، وإنما كان في أصل خلقته بالجود الإلهي والإمداد الرحماني الذي لم تزل تشرق أنواره من قلبه إلى أن وصل لأعظم غاية وأتم نهاية. **(ثم بين رسول الله ﷺ للخلق أن الله يحب مكارم الأخلاق)** وفي لفظ معالي الأخلاق **(ويبغض سفسافها)** وفي لفظ ويكره، وفي آخر: إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها والسفساف بالفتح ما يطير من غبار الدقيق والتراب إذا نشر، والمراد حقيرها ورديئها أي من اتصف من عبيده بالأخلاق الزكية أحبه ومن تخلق بالأوصاف الردية كرهه، وقد خلق سبحانه لكل من القسمين أهلاً لما أن بني آدم تابعون للتربة التي خلقهم منها، فالتربة الطيبة نفوسها علية كريمة مطبوعة على الجود والسعة واللين والرفق لا كزازة ولا يبوسة فيها، والتربة الخبيثة نفوسها التي خلقت منها مطبوعة على الصعوبة والشح والحقد وما أشبه. وقد علم مما تقرر أن العبد إنما يكون في صفات الإنسانية التي فارق بهاغيره من الحيوانات والنبات والجماد بارتقائه عن صفاتها إلى معالي الأمور وأشرافها التي هي صفات الملائكة، فحينئذ ترتفع همته إلى العالم الرضواني وتنساق إلى الملأ الروحاني.

قال العراقي: رواه البيهقي من حديث سهل بن سعد متصلاً ومن رواية طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلاً ورجالها ثقات اهـ.

قلت: ولفظ معالي الأخلاق رواه الطبراني في الكبير باللفظ الأخير من حديث الحسين بن علي ابن أبي طالب، وفيه خالد بن إلياس ضعيف.

(وقال علي) بن أبي طالب **(رضي الله عنه: يا عجباً لرجل مسلم يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً فلو كان لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً لقد كان ينبغي له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق، فإنها مما تدل على سبيل النجاة. فقال له رجل: أسمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: نعم، وما هو خير منه لما أتي سبايا طيء)** القبيلة المعروفة، وكان ذلك في ربيع الأول سنة تسع من الهجرة في سرية علي رضي الله عنه إلى القلس بفتح القاف وسكون اللام وهو اسم صنم لطيء، وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً، وعند ابن سعد مائتي رجل فهدمه وغنم سبياً ونعماً وشيئاً **(وقعت جارية في**

وقعت جارية في السبي فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني بنت سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط، أنا ابنة حاتم الطائي. فقال ﷺ: «يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق» فقام أبو بردة بن نيار فقال: يا رسول الله، الله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال: «والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن

السبي) وهي سفانة بنت حاتم الطائي أخت عدي بن حاتم **(فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني بنت سيد قومي)** تعني به حاتم بن عدي بن الحشرج فإنه كان ساد قومه بالجود والسخاء والمروءة وحسن الخلق كما قالت: **(وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني)** أي الأسير **(ويشبع الجائع ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط)** وأخباره في ذلك مشهورة. **(أنا ابنة حاتم الطائي، فقال)** ﷺ: **«(يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه)** أي لأنه مات في الجاهلية قبل البعثة **(خلوا عنها)** أي لأنها كانت مربوطة بحبل خوفاً من الفرار **(فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق وإن الله يحب مكارم الأخلاق»)** فأطلقوها فأسلمت وكان ذلك سبب إسلام أخيها عدي. وعند ابن سعد أن الذي كان سباها خالد بن الوليد. **(فقام أبو بردة)** هانىء **(بن نيار)** بكسر النون بعدها تحتيه خفيفة ابن عمرو بن عبيد بن كلاب بن غنم بن هبيرة البلوي حليف الأنصار صحابي وهو خال البراء بن عازب، وقيل عمه شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها. ويقال في اسمه الحرث بن عمرو، وقيل مالك بن هبيرة. مات سنة إحدى وأربعين وقيل بعدها روى له الجماعة. **(فقال: يا رسول الله الله يحب مكارم الأخلاق؟ فقال: «والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا حسن الأخلاق»)** قال العراقي: الحديث المرفوع منه رواه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول بسند ضعيف اهـ.

قلت: روى القصة بطولها وفيها الحديث المذكور الخرائطي في مكارم الأخلاق قال الحافظ في الإصابة: وفي سنده من لا يعرف. وقال محمد بن إسحاق في المغازي أصابت خيل رسول الله ﷺ ابنة حاتم في سبايا طيء فقدم بها على رسول الله ﷺ فجعلت في حضيرة بباب المسجد فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة فقالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد، فقال: «ومن وافدك». قالت: عدي بن حاتم. قال: «الفار من الله ورسوله» ومضى حتى مر ثلاثاً. قالت: فأشار إلى رجل من خلفه أن قومي فكلميه. فقلت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي منّ الله عليك. قال: «قد فعلت فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك فآذنيني» فسألت عن الرجل الذي أشار إلي فقيل علي بن أبي طالب وقدم ركب من بلى فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: قدم رهط من قومي. قالت: فكساني رسول الله ﷺ وحملني وأعطاني نفقة فخرجت

الأخلاق». وعن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: «إن الله حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال». ومن ذلك حسن المعاشرة، وكرم الصنيعة، ولين الجانب، وبذل المعروف، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وعيادة المريض المسلم براً كان أو فاجراً، وتشييع جنازة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت ـ مسلماً كان أو كافراً ـ وتوقير ذي الشيبة المسلم، وإجابة الطعام، والدعاء عليه والعفو والإصلاح بين النَاس، والجود والكرم والسماحة، والابتداء بالسلام، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، واجتناب ما حرمه الإسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف كلها وكل ذي وتر وكل ذي دخل والغيبة والكذب والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة، وسوء ذات البين، وقطيعة الأرحام، وسوء الخلق والتكبر والفخر والاحتيال والاستطالة والبذخ والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم. قال أنس رضي الله عنه: فلا

حتى قدمت على أخي فقال: ما ترين هذا الرجل، قلت أرى أن تلحق به، قال الحافظ في الإصابة. قال ابن الأثير: كذا رواه يونس ولم يسم سفانة وسماها غيره، ورواه عبد العزيز بن أبي رواد بنحوه. وزاد: وكانت أسلمت وحسن إسلامها. وأخرجه أبو نعيم من طريقه وأخرج قصته الطبراني وسماها.

(وعن معاذ بن جبل) رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ قال: «إن الله حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال» ومن ذلك)** أي من محاسن الأعمال **(حسن المعاشرة)** مع الناس، **(وكرم الصنيعة)** أي حسنها، **(ولين الجانب)** وهو كناية عن التواضع، **(وبذل المعروف)** وهو اسم عام جامع للخير كله وبذله اعطاؤه وقيل المراد به القرض، **(وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وعيادة المريض المسلم براً كان أو فاجراً، وتشييع جنازة المسلم)** أي المشي خلفها حتى تدفن **(وحسن الجوار لمن جاورت مسلماً كان أو كافراً، وتوقير ذي الشيبة المسلم)** أي تعظيمه، **(وإجابة)** الداعي لدعوة **(الطعام والدعاء عليه والعفو)** عمن اجترأ عليه **(والإصلاح بين الناس، والجود والكرم والسماحة، والابتداء بالسلام، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، واجتناب ما حرمه الإسلام من اللهو والباطل والغناء والمعازف)** وفي بعض النسخ واذهب الإسلام اللهو والباطل والغناء والمعازف **(كلها)** وتقدم الكلام على المعازف في الكتاب الذي قبله واختلافهم فيها **(وكل ذي وتر وكل ذي دخل)** وهما بفتح فسكون التاء وكسر دال دخل لبني تميم وفتحها لأهل الحجاز وفيه خلاف أوردته في شرحي على القاموس، **(والغيبة والكذب والبخل والشح والجفاء والمكر والخديعة والنميمة، وسوء ذات البين، وقطيعة الأرحام، وسوء الخلق والتكبر والفخر والاحتيال والاستطالة والمدح والفحش والتفحش والحقد والحسد والطيرة والبغي والعدوان والظلم)** قال العراقي: الحديث بطوله لم اقف له على أصل ويغني عنه حديث معاذ الآتي بعده بحديث.

يدع نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها ولم يدع غشاً ـ أو قال عيباً، أو قال شيناً ـ إلا حذرناه ونهانا عنه. ويكفي من ذلك كله هذه الآية ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الآية. وقال معاذ: أوصاني رسول الله ﷺ فقال: «يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح، وأنهاك أن تسب حكيماً أو تكذّب صادقاً أو تطيع آثماً أو تعصي إماماً عادلاً أو تفسد أرضاً، وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر، وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية». فهكذا

(قال أنس) بن مالك (رضي الله عنه: فلم يدع) ﷺ (نصيحة جميلة إلا وقد دعانا إليها وأمرنا بها، ولم يدع غماً أو قال عيباً ولاشيناً إلا حذرناه ونهانا عنه، ويكفي من ذلك كله هذه الآية ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ الآية) قال العراقي: لم أقف له على إسناد وهو صحيح من حيث الواقع اهـ.

قلت: والذي يظهر لي من سياق المصنف أن الحديث المتقدم هو من رواية أنس عن معاذ فتأمل. وأخرج ابن النجار في تاريخه من طريق الحرث العطلي عن أبيه قال: مر علي بن أبي طالب بقوم يتحدثون فقال: فيم أنتم؟ قالوا: نتذاكر المروءة فقال: أوما كفاكم الله عز وجل ذاك في كتابه إذ يقول: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ فالعدل الإنصاف والإحسان التفضل فما بقي بعد هذا. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال: ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويعظمونه ويحبونه إلا أمر الله به، وليس من خلق سيء كانوا يتعايرونه بينهم إلا نهى الله عنه، وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذامها.

(وقال معاذ) بن جبل رضي الله عنه: (أوصاني رسول الله ﷺ فقال: «يا معاذ أوصيك باتقاء الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وأنهاك أن تسب حكيماً أو تكذب صادقاً أو تطيع آثماً أو تعصي إماماً عادلاً أو تفسد أرضاً وأوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر، وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية») قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد وتقدم في آداب الصحبة اهـ.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، ثنا أبو بكر بن أبي عاصم، ثنا يعقوب بن حميد، ثنا إبراهيم بن عيينة، عن إسماعيل بن رافع، عن ثعلبة بن صالح، عن رجل من أهل الشام، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معاذ انطلق وارحل راحلتك ثم

أدب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب.

بيان جلة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار:

فقال: كان ﷺ أحلم الناس، وأشجع الناس، وأعدل الناس، وأعف النـاس. لم تمس

ائتني أبعثك إلى اليمن، فانطلقت فرحلت راحلتي ثم جئت فوقفت بباب المسجد حتى أذن رسول الله ﷺ، فأخذ بيدي ثم مضى معي فقال: يا معاذ إني أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، ووفاء العهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، ورحمة اليتيم وحفظ الجار، وكظم الغيظ، وخفض الجناح، وبذل السلام، ولين الكلام، ولزوم الإيمان، والتفقه في القرآن وحب الآخرة، والجزع من الحساب، وقصر الأمل، وحسن العمل وأنهاك أن تشتم مسلماً أو تكذب صادقاً أو تصدق كاذباً، أو تعصي إماماً عادلاً. يا معاذ اذكرالله عند كل حجر وشجر واحدث مع كل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية».

رواه ابن عمر نحوه أخبرناه الحسن بن منصور الحمصي في كتابه، ثنا الحسن بن معروف، ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، ثنا أبي عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: لما أراد النبي ﷺ أن يبعث معاذاً إلى اليمن ركب معاذ ورسول الله ﷺ يمشي إلى جانبه يوصيه فقال: «يا معاذ أوصيك وصية الأخ الشفيق أوصيك بتقوى الله» وذكر نحوه. وزاد: «وعد المريض واسرع في حوائج الأرامل والضعفاء وجالس الفقراء والمساكين وانصف الناس من نفسك وقل الحق ولا تخف في الله لومة لائم».

قلت: وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريـق ركـن، عـن عبـد الله الدمشقـي، عـن مكحول الشامي عن معاذ فذكره بطوله مع زيادة قال: والمتهم به ركن. قال ابن معين: ليس بشيء. وقال النسائي، والدارقطني: متروك، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. قلت: والذي ساقه أبو نعيم ليس فيه ركن. (**فهكذا أدب عباد الله ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب**.

بيان جلة من محاسن أخلاقه التي جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار:

(**فقال: كان ﷺ أحلم الناس**) قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله ﷺ من رواية عبد الرحمن بن إبزي: «كان رسول الله ﷺ من أحلم الناس» الحديث وهو مرسل، وروى أبو حاتم وابن حبان من حديث عبد الله بن سلام في قصة إسلام زيد بن سعنة من أحبار اليهود، وقول زيد لعمر بن الخطاب: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً فقد اختبرهما الحديث اهـ.

قلت: روى هذه القصة أيضـاً الطبراني، والحاكم، وابـن حبـان، والبيهقـي، وأبـو الشيـخ في

الأخلاق كلهم من الوليد بن مسلم عن محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه، عن جده عن عبد الله بن سلام قال: قال زيد بن سعنة: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا خصلتين يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله فابتعت منه تمراً إلى أجل فأعطيته الثمن، فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع ثوبه ونظرت إليه بوجه غليظ، ثم قلت له: ألا تقضيني يا محمد حقي فوالله إنكم يا بني عبد المطلب مطل؟ فقال عمر: أي عدو الله أتقول لرسول الله ما أسمع؟ فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربتك بسيفي رأسك ورسول الله ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم، ثم قال: أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي. اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً مكان ما رعته ففعل، فقلت: يا عمر كل علامات النبوة كنت قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنين لم أخبرهما فذكرهما، ثم قال: أشهدك. إني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، ورجال الإسناد موثقون، وقد صرح الوليد فيه بالتحديث ومداره على محمد بن السري الراوي له عن الوليد، وثقة ابن معين ولينه أبو حاتم. وقال ابن عدي: محمد كثير الغلط. قال الحافظ في الإصابة: وقد وجدت لقصته شاهداً من وجه آخر لكن لم يسم فيه. قال ابن سعد: حدثنا يزيد، ثنا جرير بن حازم، حدثني من سمع الزهري يحدث أن يهودياً قال: فما كان بقي من نعت محمد في التوراة إلا رأيته إلا الحلم فذكر القصة. وقال الواسطي لما سئل لأي شيء كان رسول الله ﷺ أحلم الخلق؟ قال لأنه خلق روحه أولاً فوقع له صحة التمكين والإستقرار.

(و) كان ﷺ **(أشجع الناس)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس اهـ.

قلت: ولفظهما: «كان ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس» والاقتصار على هذه الثلاثة من جوامع الكلم فإنها أمهات الأخلاق إذ لا يخلو كل إنسان من ثلاثة قوى الغضبية وكمالها الشجاعة، والشهوية وكمالها الجود، والعقلية وكمالها النطق بالحكمة.

(و) كان ﷺ **(أعدل الناس)** قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل من حديث علي بن أبي طالب في الحديث الطويل في صفته ﷺ لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، وفيه: قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء الحديث وفيه من لم يسم اهـ.

قلت: وفي هذا الحديث قبل جملة لا يقصر معتدل الأمر غير مختلف، والمعنى أن جميع أقواله وأفعاله على غاية الاستواء والاعتدال، وهي مع ذلك محفوظة عن أن يصدر منه فيها أمور متخالفة المحامل متناقضة الاواخر والأوائل، وقوله: لا يقصر عن الحق من التقصير والقصور أي في سائر أحواله حتى يستوفيه لصاحبه، وإن علم منه شحاً فيه ولا يعطى فيه رخصة ولا تهاوناً ولا يجاوزه أي فلا يأخذ أكثر منه، وهذا شأن العدل، ومنهم من فسر الجملتين بقوله: أي لا إفراط فيه ولا

يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه، وكان أسخى

تفريط فيه، وهذا هو معنى العدل إذ هو الأمر المتوسط بينهما. ومعنى أعدل الناس أي أكثرهم عدلاً.

(و) كان ﷺ (**أعف الناس**) أي أكثرهم عفة وهي بالكسر حصول حالة للنفس يمتنع بها عن غلبة الشهوة ولذلك قال: (**لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه**). قال العراقي: رواه الشيخان من حديث عائشة «ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا يد إمرأة يملكها» اهـ.

قلت: أخرجه البخاري عن محمود بن غيلان، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري عن عائشة. وأخرجه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق بلفظ قال معمر: فأخبرني ابن طاوس عن أبيه قال: «ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها». وأخرجه البخاري تعليقاً ومسلم والنسائي وابن ماجه من طريق يونس بن يزيد عن الزهري، وفيه قالت عائشة: «ولا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط غير أنه يبايعهن بالكلام» قالت عائشة: «ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط إلاّ بما أمره الله عز وجل وما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن قد بايعتكن كلاماً» هذا لفظ مسلم. وأخرجه مسلم وأبو داود من طريق مالك عن الزهري «ما مس رسول الله ﷺ بيده امرأة قط إلا أن يأخذ عليها فإذا أخذ عليها فأعطته قال اذهبي فقد بايعتك». والمفهوم من الأخبار انه ﷺ لم تمس يده قط يد امرأة غير زوجاته وما ملكت يمينه لا في مبايعة ولا في غيرها، وإذا هو لم يفعل ذلك مع عصمته وانتفاء الريبة في حقه فغيره أولى بذلك، والظاهر أنه كان يمتنع من ذلك لتحريمه عليه، فإنه لم يعد جوازه من خصائصه. وقد قال الفقهاء من أصحاب الشافعي وغيرهم: أنه يحرم مس الأجنبية ولو في غير عورتها كالوجه وإن اختلفوا في جواز النظر حيث لا شهوة ولا خوف فتنة، فتحريم المس آكد من تحريم النظر، ومحل التحريم ما إذا لم تدع إلى ذلك ضرورة وإلا فقد أجازوه، ودخل فيما لا يملكه المحارم، وذلك على سبيل التورع، وليس ذلك ممتنعاً في حقه ﷺ وإن اقتضت عبارة النووي في الروضة امتناعه حيث قال: ويحرم مس كل ما جاز النظر إليه من المحارم، وحكى الأسنوي في المهمات الجواز وإليه يشير قول المصنف أو تكون ذات محرم منه، والذي ذكره الرافعي وغيره أنه لا يجوز للرجل مس بطن أمه ولا ظهرها ولا أن يغمز ساقها ولا رجلها ولا أن يقبل وجهها وقد يكون لفظ الحديث من العموم المخصوص أو يدعي دخول المحارم فيما لا يملك مسه لأن المراد بملكه الاستمتاع به وهو بعيد.

(و) كان ﷺ (**أسخى الناس**) أي أكثرهم سخاء. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس «فضلت على الناس بأربع بالسخاء والشجاعة» الحديث ورجاله ثقات. وقال صاحب الميزان: أنه منكر وفي الصحيحين من حديثه «كان ﷺ أجود الناس» واتفقا عليه من حديث ابن عباس وقد تقدم في الزكاة اهـ.

الناس، لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأوِ إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك في سبيل الله، لا يسأل شيئاً إلا

قلت: حديث أنس تقدم قريباً وفي حديث آخر سنده ضعيف «أنا أجود بني آدم» وهو بلا ريب أجودهم مطلقاً كما أنه أكملهم في سائر الأوصاف ولأن جوده لله تعالى في إظهار دينه، بل كان بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه وهداية عباده وإيصال النفع إليهم بكل طريق من إطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم، وكان جوده ﷺ كله لله تعالى وفي ابتغاء مرضاته.

(لا يبيت عنده دينار ولا درهم قط فإن فضل) أي بقي شيء **(ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل)** أي أتاه فجأة **(لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه)** قال العراقي: رواه أبو داود من حديث بلال في حديث طويل فيه أهدى صاحب فدك لرسول الله ﷺ أربع قلائص، وكانت عليهن كسوة وطعام وبيع بلال لذلك ووفى دينه ورسول الله ﷺ قاعد في المسجد وحده وفيه قال: فضل شيء؟ قلت: نعم ديناران. قال: أنظر أن تريحني منهما فلست بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منهما، فلم يأتنا أحد فبات في المسجد حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني، حتى إذا كان في آخر النهار جاءه راكبان، فانطلقت بهما فكسوتهما وأطعمتهما حتى إذ صلّى العتمة دعاني قلت: ما فعل الذي قبلك؟ فقال: قد أراحك الله منه فكبّر وحمد الله شفقة من أن يدركه الموت وعنده ذلك، ثم اتبعه حتى جاء أزواجه. الحديث.

وللبخاري من حديث عقبة بن الحرث ذكرت وأنا في الصلاة تبراً فكرهت أن يمسي ويبيت عندنا فأمرت بقسمته. ولابن عبيد في غريبه من حديث الحسن بن محمد مرسلاً. كان لا يقيل مال عنده ولا يبيته.

(ولم يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ويوضع باقي ذلك في سبيل الله) قال العراقي: متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب، وقد تقدم في الزكاة اهـ.

ولا تعارض بينه وبين ما روي عنه أنه ﷺ كان لا يدخر قوت غد» رواه أبو داود والترمذي فإن معناه لنفسه وإما لعياله، فقد كان يدخر لهم قوت سنة على أنه مع ذلك كان تنوبه أشياء يخرج منها ما ادخر لهم، فلا تنافي بين ادخاره ومضى الزمن الطويل عليه وليس عنده شيء له ولا لهم، ويشير إلى ذلك سياق المصنف فيما بعد حيث قال.

(ولا يسأل شيئاً إلا أعطاه) قال العراقي: رواه الطيالسي والدارمي من حديث سهل بن سعد وللبخاري من حديثه أن الرجل الذي سأله الشملة فقال له القوم سألته إياها وقد علمت انه

أعطاه، ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم يأته شيء، وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله، ويقطع اللحم معهن،

لا يرد سائلاً الحديث. ولمسلم من حديث أنس «ما سئل على الإسلام شيئاً إلا أعطاه» وفي الصحيحين من حديث جابر «ما سئل شيئاً قط فقال لا» اهـ.

قلت: ورواه الحاكم من حديث أنس بلفظ «لا يسأل شيئاً إلا أعطاه أو سكت» ولله در القائل حيث يقول يمدحه ﷺ:

ما قال لا قط إلا في تشهده ... لولا التشهد كانت لاؤه نعمُ

وروى أحمد من حديث ابن أسيد الساعدي كان لا يمنع شيئاً يسأله. وكان ﷺ يؤثر على نفسه وأولاده فيعطي عطاء تعجز عنه الملوك. كما سيأتي للمصنف تفصيله. ومن ذلك مما لم يذكره جاءته امرأة يوم حنين أنشدته شعراً تذكره أيام رضاعه في هوازن فردّ عليهم ما قيمته خمسمائة ألف ألف. قال ابن دحية: وهذا نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله.

(ثم يعود على قوت عامه) الذي ادخره لعياله **(فيؤثر منه)** على نفسه وعياله **(حتى لربما احتاج قبل انقضاء العام إن لم ياته شيء)** قال العراقي: هذا معلوم ويدل عليه ما رواه الترمذي، وابن ماجه، والنسائي من حديث ابن عباس «أنه ﷺ توفي ودرعه مرهونة بعشرين صاعاً من طعام أخذه لأهله». وقال ابن ماجه: بثلاثين صاعاً من شعير وإسناده جيد. وللبخاري من حديث عائشة «توفي ودرعه مرهونة عند يهودي» اهـ.

قلت: هذا اليهودي هو أبو الشحم والجمع بين الروايتين أنه أخذ منه أوّلاً عشرين ثم عشرة ثم رهنه إياها على الجميع، فمن روى العشرين لم يحفظ العشرة الأخرى، ومن روى الثلاثين حفظها على أن روايتها أصح وأشهر. فكانت أولى بالاعتبار. وهذا يدل على غاية تواضعه ﷺ. إذ لو سأل مياسير أصحابه في رهن درعه لرهنوها على أكثر من ذلك، فإذا ترك سؤالهم وسأل يهودياً ولم يبال بأن منصبه الشريف يأبى أن يسأل مثل يهودي في ذلك، فدل على غاية تواضعه وعدم نظره لحقوق مرتبته، وفيه دليل على ضيق عيشه ﷺ، لكن عن اختيار لا عن اضطرار لأن الله تعالى فتح عليه في أواخر عمره من الأموال ما لا يحصى، وأخرجها كلها في سبيل الله وصبر هو وأهل بيته على مر الفقر والضيق والحاجة التامة.

(وكان) ﷺ **(يخصف النعل)** أي يصلحها بترقيع وخرز، **(ويرقع الثوب)** أي يضع لما وهى منه رقعة أخرى يخيطها به، **(ويخدم في مهنة أهله)** المهنة بالكسر وأنكرها الأصمعي وقال: الكلام بالفتح يقال: هو في مهنة أهله أي في خدمتهم، وخرج في ثياب مهنته أي في ثياب خدمته التي يلبسها في أشغاله وتصرفاته. قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة «كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته» ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو الشيخ بلفظ «ويرقع الثوب». وللبخاري من حديث عائشة كان يكون في مهنة أهله اهـ.

وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد، ويجيب دعوة العبد والحر، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافىء عليها، ويأكلها ولا يأكل الصدقة،

قلت: وروى الترمذي في الشمائل كان يفلي ثوبه أي يلقط ما فيه من القمل ونحوه، وظاهر ذلك أن نحو القمل كان يؤذي بدنه الشريف إلا أن يقال لا يلزم من التفلية وجوده بالفعل. ونقل ابن سبع أنه لم يكن القمل يؤذيه تعظيماً له. وروى أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة «كان يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه».

(ويقطع اللحم معهن) قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلاً فأمسكت وقطع رسول الله ﷺ، أو قالت فأمسكه رسول الله ﷺ وقطعنا. وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر في أثناء حديث وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا حز له رسول الله ﷺ من سواد بطنها.

(وكان) ﷺ (من أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد) قال العراقي: رواه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها» اهـ.

قلت: ورواه كذلك الترمذي في الشمائل، والعذراء: البكر لأن عذرتها وهي جلدة بكارتها باقية. والخدر بالكسر ستر يجعل لها في جنب البيت تكون فيه وحدها حتى عن النساء وهي فيه أشد حياء منها خارجه إذ الخلوة مظنة وقوع الفعل بها، فعلم أن المراد الحالة التي تعتريها عند دخول أحد عليها فيه لا التي تكون عليها حين انفرادها أو اجتماعها بمثلها فيه، وفيه شأن عظيم في حيائه ﷺ وأن الحياء من الأوصاف المحمودة المطلوبة المرغب فيها، وقد جمع له ﷺ الغريزي والمكتسب الذي هو مناط التكليف، فكان في الغريزي أشد حياء من البكر في خدرها، ومن ذلك ما روي أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد.

(و) كان ﷺ (يجيب دعوة العبد والحر) قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أنس «كان يجيب دعوة المملوك» قال الحاكم: صحيح الإسناد.

قلت: بل ضعيفه، وللدارقطني في غرائب مالك، والخطيب في أسماء رواة مالك من حديث أبي هريرة «كان يجيب دعوة العبد إلى أي طعام دعي، ويقول: لو دعيت إلى كراع لأجبت» وهذا بعمومه دال على إجابة دعوة الحر. وهذه القطعة الأخيرة عند البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم، وروى ابن سعد من رواية حمزة بن عبد الله بن عتبة كان لا يدعوه أحمر ولا أسود من الناس إلا أجابه الحديث وهو مرسل اهـ.

(و) كان ﷺ (يقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافىء عليها) قال العراقي: روى البخاري من حديث عائشة قالت «كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها»

ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه، وينفذ الحق وإن

وأما ذكر جرعة اللبن وفخذ الأرنب ففي الصحيحين من حديث أم الفضل أنها أرسلت بقدح من اللبن إلى النبي ﷺ وهو واقف بعرفة فشربه، ولأحمد من حديث عائشة أهدت أم سلمة لرسول الله ﷺ اهـ.

قلت: والذي رواه البخاري من جهة قبول الهدية والإثابة عليها رواه كذلك أحمد وأبو داود والترمذي في السنن، وفي الشمائل ومعنى يثيب عليها أي يجازي عليها فيسن التأسي به ﷺ، ولكن محل ندب القبول حيث لا شبهة قوية فيها وندب الإثابة حيث لم يظن المهدى إليه أن المهدي إنما أهدى له حياء لا في مقابل، فأما إذا ظن أن الباعث عليه إنما هو الإثابة فلا يجوز له إلا أن أثابه بقدر ما في ظنه مما تدل عليه قرائن حاله، وقد تقدم البحث في ذلك في باب هدايا الامراء.

(و) كان ﷺ **(يأكلها)** أي الهدية **(ولا يأكل الصدقة)** رواه الشيخان من حديث أبي هريرة وقد تقدم ورواه أحمد والطبراني من حديث سلمان، ورواه ابن سعد من حديث عائشة.

(و) كان ﷺ **(لا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين)** هكذا في النسخ، وفي نسخة العراقي: لا يستكبر أن يمشي مع المسكين. وقال: رواه النسائي والحاكم من حديث عبد الله بن أبي أوفى بسند صحيح، وقد تقدم في الباب الثاني من آداب الصحبة، ورواه الحاكم أيضاً من حديث أبي سعيد، وقال: صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: ولفظ النسائي «كان لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين» وبهذا يظهر أن الذي في سياق المصنف من ذكر الأمة تحريف من النساخ، والصواب الأرملة، ثم وجدت في البخاري أن كانت الأمة لتأخذ بيده ﷺ فتنطلق به حيث شاءت، وعند أحمد فتنطلق به في حاجتها، وعنده أيضاً كانت الوليدة من ولائد أهل المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله ﷺ فما ينزع يده من يدها حتى تذهب حيث شاءت.

(و) كان ﷺ **(يغضب لربه عز وجل ولا يغضب لنفسه)** قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل في حديث هند بن أبي هالة وفيه: وكان لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وفيه من لم يسم اهـ.

قلت: ومعناه لا تغضبه العوارض المتعلقة بها الناشئة عن غلبة الهوى والنفس واستيلاء الشيطان على القلب بتزيين زخارفها الزائلة الفانية عنده، حتى يؤثرها على الكمالات الباقية، وكيف تغضبه وهو ما كان خلق لها أي للتمتع بلذاتها وشهواتها. وقوله: لم يقم لغضبه أي لم يقاومه شيء لأنه إنما يغضب للحق وهو لا قدرة للباطل على مقاومته، وقوله: لا ينتصر لها أي لأنه ليس فيه حظ من حظوظها وشهواتها، وإنما تمحضت حظوظه وأغراضه وارادته لله فهو قائم بها ممتثل لما أمره به فيها.

عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه. عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى وقال: أنا لا أنتصر بمشرك، ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلاً بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وان بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوّون به، وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع. يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم

(**وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه**) أشار به إلى قصة أبي جندل بن سهل بن عمرو وهي عند البخاري في قصة الحديبية، وذكرها في الشروط مطوّلة كذا وجد بخط الحافظ ابن حجر في طرة كتاب شيخه وقد أغفله العراقي (**عرض عليه**) ﷺ (**الانتصار بالمشركين على المشركين، وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى وقال: إنّا لا ننتصر بمشرك**) وفي نسخة إنا لا ننتصر بالمشركين أو قال بمشرك. قال العراقي: رواه مسلم من حديث عائشة خرج رسول الله ﷺ قبل بدر، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان تذكر منه جرأة ونجدة ففرح به أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه، فلما أدركه قال: جئت لأنفعك وأصيب معك قال له: تؤمن بالله ورسوله؟ فقال: لا. قال: فارجع فلن نستعين بمشرك الحديث اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه بلفظ « إنا لا نستعين بمشرك » ورواه أحمد أيضاً والبخاري في التاريخ من حديث خبيب بن سياف بلفظ « إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين ». وروى البيهقي من حديث أبي حميد الساعدي قال: خرج رسول الله ﷺ يوم أحد حتى جاوز ثنية الوداع إذا كتيبة خشناء قال: « من هؤلاء »؟ قال: عبد الله بن أبيّ في ستمائة من مواليه بني قينقاع. قال « وقد أسلموا »؟ قالوا: لا. قال: « فليرجعوا إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين ».

(**ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلاً بين اليهود فلم يحف**) أي لم يجر (**عليهم ولا زاد على مر الحق**) أي لم يتجاوز عن الحق الذي هو مر (**بل وداه**) أي القتيل من عنده (**بمائة ناقة، وأن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوّون به**) قال العراقي: متفق عليه من حديث سهل بن أبي حثمة ورافع بن خديج، والرجل الذي وجده مقتولاً هو عبد الله بن سهل الأنصاري.

(**وكان**) ﷺ (**يعصب الحجر على بطنه من الجوع**) قال العراقي متفق عليه من حديث جابر في قصة حفر الخندق، وفيه: فإذا رسول الله ﷺ قد شدّ على بطنه حجراً. وأغرب ابن حبان فقال في صحيحه: إنما هو الحجزة بضم الحاء وآخره زاي جمع حجزة وليس بمتابع على ذلك. ويرد عليه ما رواه الترمذي من حديث أبي طلحة: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين ورجاله كلهم ثقات اهـ.

حلال وإن وجد تمراً دون خبز أكله، وإن وجد شواء أكله وإن وجد خبز بر أو شعير

قلت: وقد استشكل بما في الصحيحين أنه ﷺ قال «لا تواصلوا». قالوا: إنك تواصل. قال: «إني لست كأحدكم إني أطعم وأسقى» وفي رواية «يطعمني ربي ويسقيني» وبهذا تمسك ابن حبان في حكمه ببطلان الأحاديث الواردة بأنه ﷺ كان يجوع ويشد الحجر على بطنه من الجوع. قال: وإنما هو الحجز بالزاي وهو طرف الإزار. وما يغني الحجر عن الجوع ويجاب بأن هذا خاص بالمواصلة، فكان إذا واصل يعطى قوة المطاعم والمشارب، أو يطعم ويسقى حقيقة على الخلاف في ذلك، وأما في غير حالة المواصلة فلم يرد فيه ذلك، فوجب الجمع بين الأحاديث بحمل الأحاديث الناصة على جوعه على غير حالة المواصلة.

وروى ابن أبي الدنيا أصاب النبي ﷺ جوع يوماً فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه، ثم قال: «ألا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة» الحديث. وفي الصحيح من حديث جابر «إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية فقالوا للنبي ﷺ: هذه كدية عرضت في الخندق، فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً الحديث وقد رواه أيضاً أحمد والنسائي فقد علم بما تقرر أن الصواب صحة الأحاديث، وقد ردّ الضياء المقدسي قول ابن حبان المتقدم في رسالة عدَّ فيها أوهاه، وعد ذلك من جلتها، وحكمة شد الحجر أنه يسكن بعض ألم الجوع لأن البطن إذا خلا ضعف صاحبه عن القيام بتقوس ظهره، فاحتيج لربط الحجر لشده وإقامة صلبه، ومما أكرم الله تعالى به نبيه ﷺ أنه مع تألمه بالجوع ليضاعف له الأجر حفظ قوّته ونضارة جسمه حتى أنه من رآه لا يظن به جوعاً. بل كان جسمه الشريف مع ذلك يرى أشد نضارة ورونقاً من أجسام المترفهين بنعيم الدنيا.

(يأكل ما حضر) به **(ولا يرد ما وجد)** وفي كتاب الشمائل لأبي الحسن بن الضحاك بن المقري من رواية الأوزاعي قال: قال رسول الله ﷺ «ما أبالي ما رددت به» عني الجوع وهذا معضل قاله العراقي.

قلت: وقد رواه ابن المبارك في الزهد، عن الاوزاعي كذلك.

(ولا يتورّع من مطعم حلال) ففي الترمذي من حديث أم هانىء قالت: دخل عليَّ النبي ﷺ فقال: «أعندك شيء» قلت: لا إلا خبز يابس وخل، فقال: «هاتي» الحديث. ولمسلم من حديث جابر أن النبي ﷺ سأل أهله الأدم فقالوا: ما عندنا إلا خل فدعا به. الحديث.

(وإن وجد تمراً دون خبز أكله) روى مسلم والترمذي من حديث أنس قال: رأيته مقعياً يأكل تمراً. وروى أبو داود من حديث أنس قال: «كان يؤتى بالتمر فيه دود فيفتشه يخرج السوس منه».

(وإن وجد شواء أكله) روى الترمذي في السنن وصححه. وكذا في الشمائل من حديث أم سلمة أنها خرجت إليه جنباً مشوياً فأكل منه. الحديث.

أكله وإن وجد حلواً أو عسلاً أكله، وإن وجد لبناً دون خبز اكتفى به، وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكله، لا يأكل متكئاً ولا على خوان، منديله باطن قدميه، لم يشبع من

(وإن وجد خبز بر أو شعير أكله) وروى الشيخان من حديث عائشة « ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز بر حتى مضى لسبيله » لفظ مسلم وفي رواية له « ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين » وللطبراني في الكبير من حديث ابن عباس « كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير » وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث ابن عباس « كان أكثر خبزهم الشعير » وروى الترمذي في الشمائل « كان يدعى إلى خبز الشعير والاهالة السنخة ».

(وان وجد حلواً أو عسلاً أكله) وروى الشيخان والأربعة من حديث عائشة « كان يحب الحلواء والعسل والحلواء يمد ويقصر كل ما فيه حلاوة فالعسل تخصيص بعد تعميم ». وقال الخطابي الحلواء يختص بما دخلته الصنعة. وقال ابن سيده: هي ما عولج من الطعام بحلو وقد تطلق على الفاكهة. وقال الثعالبي في فقه اللغة: إن حلواءه ﷺ التي كان يحبها هي المجيع وهي تمر يعجن بلبن. وقال الخطابي: لم تكن محبته ﷺ للحلواء على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزع النفس، وإنما كان ينال منها إذا حضرت نيلاً صالحاً فيعلم بذلك انها تعجبه.

(وإن وجد لبناً دون خبز اكتفى به) وروى الشيخان من حديث ابن عباس « أن النبي ﷺ شرب لبناً فدعا بماء فمضمض ».

(وإن وجد بطيخاً أو رطباً أكله) روى الحاكم من حديث أنس قال: « كان يأكل الرطب ويلقي النوى في الطبق » وروى النسائي من حديث عائشة قالت: « كان يأكل الرطب بالبطيخ » وإسناده صحيح ولفظ الترمذي « كان يأكل البطيخ بالرطب » وهكذا رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد والطبراني من حديث عبد الله بن جعفر وزاد أبو داود والبيهقي في حديث عائشة، ويقول: « يكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا » وروى الطبراني في الأوسط والحاكم وأبو نعيم في الطب من حديث أنس قال « كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فيأكل الرطب بالبطيخ وكانا أحب الفاكهة إليه ».

(لا يأكل متكئاً) تقدم في الباب الأوّل من كتاب آداب الأكل، وروى أحمد من حديث ابن عمر « وكان لا يأكل متكئاً ولا يطأ عقبه رجلان » (ولا يأكل على خوان) تقدم أيضاً في الباب المذكور وهو بالكسر ويضم المائدة عليها طعام معرب يعتاد بعض المترفهين والمتكبرين الأكل عليه احترازاً عن خفض رؤوسهم فالأكل عليه بدعة لكنها جائزة.

(منديله باطن قدمه) قال العراقي: لا أعرفه من فعله، وإنما المعروف فيه ما رواه ابن ماجه من حديث جابر: كنا زمن رسول الله ﷺ قليلاً ما نجد الطعام، فإذا وجدناه لم تكن لنا مناديل

خبز بر ثلاثة أيام متوالية، حتى لقي الله تعالى إيثاراً على نفسه لا فقراً ولا بخلاً يجيب الوليمة ويعود المرضى، ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس، أشد الناس

إلا أكفنا وسواعدنا وقد تقدم في الطهارة (**لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله عز وجل**) رواه الشيخان من حديث عائشة «ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز بر حتى مضى لسبيله» وقد تقدم قريباً. (**إيثاراً**) منه للغير (**على نفسه لا فقراً وبخلاً**) لأن الله تعالى فتح عليه في أواخر عمره من الأموال ما لا يحصى. وأخرجها كلها في سبيل الله وصبر هو وأهل بيته على الفقر والضيق والحاجة التامة. (**يجيب الوليمة**) وهي طعام العرس وتقدم قوله «لو دعيت إلى كراع لأجبت» وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس أن كان الرجل من أهل العوالي ليدعو رسول الله ﷺ بنصف الليل على خبز الشعير فيجيب وإسناده ضعيف وقد تقدم قريباً. (**ويعود المرضى**) حتى لقد عاد غلاماً يهودياً كان يخدمه وعاد عمه وهو مشرك وعرض عليهما الإسلام فاسلم الأول وقصته في البخاري، وروى أبو داود من حديث عائشة كان يعود المريض وهو معتكف، (**ويشهد الجنائز**) روى الترمذي وابن ماجه وضعفه والحاكم وصححه من حديث أنس قال: كان يعود المريض ويشهد الجنائز، ورواه الحاكم من حديث سهل بن حنيف وقال: صحيح الإسناد. وفي الصحيحين وغيرهما عدة أحاديث من عيادته للمرضى وشهوده للجنائز. منها: حديث جابر عندهما قال: مرضت فأتاني النبي ﷺ يعودني، وأبو بكر رضي الله عنه وهما ماشيان. الحديث، وقد أخرجه الشيخ أبو داود.

(**ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس**) قال العراقي: رواه الترمذي والحاكم من حديث عائشة «كان رسول الله ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة: ٦٧] فأخرج رأسه من القبة فقال: انصرفوا فقد عصمني الله». قال الترمذي: غريب. وقال الحاكم صحيح الإسناد (**أشد الناس تواضعاً**) اعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع وهو التذلل والتخشع إلا إذا أدام تجلي نور الشهود في قلبه لأنه حينئذ يذيب النفس ويصفيها عن غش الكبر والعجب فتلين وتطمئن للحق والحق يمحو آثارها ويسكن وهجها ونسيان حقها والذهول عن النظر إلى قدرها، ولما كان الحظ الأوفر من ذلك لنبينا ﷺ كان أشد الناس تواضعاً وحسبك شاهداً على ذلك أن الله سبحانه خيره بين أن يكون ملكاً نبياً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً، ومن ثم لم يأكل متكئاً بعد، وقال: «آكل كما يأكل العبد حتى فارق الدنيا» ولم يقل لشيء فعله أنس خادمه أف قط وما ضرب أحداً من عبيده وإمائه وهذا أمر لا يتسع له الطبع البشري لولا التأييد الإلهي.

قال العراقي: روى أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري في صفته ﷺ متواضع في غير ذلة وسنده ضعيف، وفي الأحاديث الصحيحة الدالة على شدة تواضعه غنية عنه. منها: عند النسائي من حديث ابن أبي أوفى كان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين. الحديث وقد تقدم اهـ.

تواضعاً وأسكنهم في غير كبر، وأبلغهم في غير تطويل، وأحسنهم بشراً، لا يهوله شيء

قلت: ومنها ما روي عن عائشة ما كان أحسن خلقاً منه ما دعاه أحد من أصحابه إلا قال «لبيك» وكان يركب الحمار ويردف خلفه. وفي مختصر السيرة للطبري أنه كان ركب حماراً عرياً إلى قباء، ومعه أبو هريرة فقال: أحملك. فقال: ماشئت يا رسول الله، فقال اركب فوثب ليركب فلم يقدر فاستمسك به ﷺ فوقعا جميعاً، ثم ركب وقال له مثل ذلك ففعل فوقعا جميعاً، ثم ركب فقال له مثل ذلك فقال: لا والذي بعثك بالحق ما رميتك ثالثاً، وإنه كان في سفر فأمر أصحابه بإصلاح شاة فقال رجل عليّ ذبحها، وقال آخر عليّ سلخها، وقال آخر عليّ طبخها. فقال ﷺ «علي جمع الحطب» فقالوا: يا رسول الله نكفيك العمل. فقال «قد علمت أنكم تكفوني ولكن أكره ان أتميز عليكم وإن الله تعالى يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه» اهـ.

وروى ابن عساكر القصة الأخيرة مختصرة، وروى أيضاً أنه ﷺ كان في الطواف فانقطع شسع نعله فقال بعض أصحابه: ناولني أصلحه لك. فقال: «هذه اثرة ولا أحب الأثرة» وفي الشفاء انه ﷺ خدم وفد النجاشي فقال له أصحابه: نكفيك. فقال: انهم كانوا لأصحابنا مكرمين وأنا أحب ان أكافئهم» فكل هذه الأخبار دالة على شدة تواضعه ﷺ.

(وأسكنهم) أي أكثرهم سكوناً (في غير كبر) قال العراقي: روى أبو داود، وابن ماجه من حديث البراء، فجلس وجلسنا كأن على رؤوسنا الطير ولأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير، وفي الشمائل للترمذي أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا، وفي الشمائل لأبي الحسن بن الضحاك من حديث أبي سعيد الخدري دائب الإطراق وسنده ضعيف أي دائم السكون، وقوله: كأنما على رؤوسهم الطير كناية عن كونهم عند كلامه ﷺ على غاية تامة من السكوت والإطراق وعدم الحركة والالتفات، أو عن كونهم مهابين مدهوشين في هيئته أن كلامه عليه أبهة الوحي وجلالة الرسالة، وأصل ذلك أن سليمان عليه السلام كان إذا أمر الطير بأن تظلل أصحابه غضوا أبصارهم ولم يتكلموا حتى يسألهم مهابة أو عن كونهم متلذذين بكلامه، وأصل ذلك أن الغراب يقع على رأس البعير يلقط عنه صغار القردان فيسكن سكون راحة ولذة ولا يحرك رأسه خوفاً من طيرانه عنه، وهذه الحالة لهم إنما هي من تخلقهم بأخلاقه ﷺ إذ كان ﷺ لكمال استغراقه بالمشاهدة في سكون دائم وإطراق ملازم.

(وأبلغهم) أي أكثرهم بلاغة في الكلام (من غير تطويل) قال العراقي: روى الشيخان من حديث عائشة كان يحدث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه ولهما من حديثها لم يكن يسرد الحديث كسردكم علقه البخاري ووصله مسلم زاد الترمذي: ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس إليه. وله في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة يتكلم بجوامع الكلم فصل لا فضول ولا تقصير.

(وأحسنهم بشراً) قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل من حديث علي بن أبي طالب:

من أمور الدنيا ، ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانياً ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس ، وخاتمه فضة ، يلبسه في خنصره الأيمن والأيسر ، يردف خلفه

« كان ﷺ دائم البشر سهل الخلق » . الحديث . وله في الجامع من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء : « ما رأيت أحداً كان أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ : » وقال : غريب . قلت : وفيه ابن لهيعة .

(لا يهوله شيء من أمور الدنيا) يقال : هاله الشيء إذا راعه وأعجبه . قال العراقي : روى أحمد من حديث عائشة : « ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا ولا أعجبه أحد قط إلا دو تقى » وفي لفظ له : « ما أعجب النبي ﷺ ولا أعجبه شيء من الدنيا إلا أن يكون منها ذو تقى » وفيه ابن لهيعة .

(ويلبس ما وجد) من غير قيد **(فمرة)** يلبس **(شملة ، ومرة برد حبرة يمانية ، ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس)** قال العراقي : روى البخاري من حديث سهل بن سعد : جاءت امرأة ببردة . قال سهل : « هل تدرون ما البردة ؟ هي الشملة منسوج في حاشيتها ، وفيه فخرج علينا وأنها لإزاره » . الحديث . ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ صلّى في شملة قد عقد عليها » فيه الأحوص بن حكيم مختلف فيه ، وللشيخين من حديث أنس : « كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ أن يلبسها الحبرة » ولهما من حديث المغيرة وعليه جبة من صوف ضيقة الكمين .

(وخاتمه فضة) متفق عليه من حديث أنس اتخذ خاتماً من فضة **(يلبسه في خنصره الأيمن)** رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أنس : « أن رسول الله ﷺ لبس خاتم فضة في يمينه » وللبخاري من حديثه فإني لأرى بريقه في خنصره ولان التختم فيه نوع تشريف وزينة واليمين بهما أولى وأحق ، وبه قال أبو حنيفة والشافعي **(و)** تارة في خنصره **(الأيسر)** لبيان الجواز . روى مسلم وأحمد عن أنس : « كان خاتمه ﷺ في هذه » وأشار لخنصر يساره . ورواه أبو داود من حديث عمر : « كان ﷺ يتختم في يساره » وهو مذهب مالك ورواية عن أحمد ، وقد انتصر بعضهم لافضلية التختم في اليسار حتى قال بعض الحفاظ : التختم بها مروي عن عامة الصحابة والتابعين . والجواب : إن حديث التختم في اليمين رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه . وقال الترمذي : قال محمد يعني البخاري هذا أصح شيء عن النبي ﷺ في هذا الباب ، وإذا كان حديثه أصح ، وكان هو الموافق للمعروف من حاله ﷺ أنه كان يؤثر اليمين بكل ما فيه تكريم وزينة فلا محيد عن اعتماد أفضلية التختم في اليمين .

(يردف خلفه عبده) أردف ﷺ أسامة بن زيد من عرفة كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ، ومن حديث أسامة ، وأردفه مرة أخرى على حمار ، وهو في الصحيحين أيضاً من حديث ابن عباس ، ومن حديث أسامة وهو مولاه وابن مولاه **(أو غيره)** أردف الفضل بن

عبده أو غيره، يركب ما أمكنه مرة فرساً ومرة بعيراً ومرة بغلة شهباء ومرة حماراً ومرة يمشي راجلاً حافياً بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في أقصى المدينة، يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة، ويجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين، ويكرم أهل الفضل

عباس من المزدلفة، وهو في الصحيحين أيضاً من حديث أسامة، ومن حديث ابن عباس، والفضل بن عباس، وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة قاله العراقي، وروى أبو داود وغيره أن قيس بن سعد صحبه راكباً حمار أبيه فقال له: اركب فأبى، فقال له: اما أن تركب واما أن تنصرف، وفي رواية اركب أمامي، فصاحب الدابة أولى بمقدمها. وتقدم ركوب أبي هريرة خلفه على حمار عري وهو متوجه إلى قباء عن السيرة الطبرية قريباً.

(**يركب ما أمكنه مرة فرساً**) روى الشيخان من حديث أنس ركوبه ﷺ فرساً لأبي طلحة ولمسلم من حديث سمرة ركوبه الفرس عرياً حين انصرف من جنازة ابن الدحداح، ولمسلم من حديث سهل بن سعد كان للنبي ﷺ فرس يقال لها اللخيف، (**ومرة بعيراً**) روى الشيخان من حديث البراء ومن حديث ابن عباس: « طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعير » (**ومرة بغلة شهباء**) روى الشيخان من حديث البراء: « رأيت النبي ﷺ على بغلته البيضاء يوم حنين » (**ومرة حماراً**) روى الشيخان من حديث أسامة: « أنه ﷺ ركب على حمار أكاف ».الحديث، (**ومرة راجلاً**) أي ماشياً على الرجل وروى الشيخان من حديث ابن عمر: « كان يأتي قباء راكباً وماشياً » (**ومرة حافياً**) أي بلا نعل، (**ومرة بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى في أقصى المدينة**) روى مسلم من حديث ابن عمر في عيادته ﷺ لسعد بن عبادة فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نمشي في السباخ، (**يحب الطيب**) وفي نسخة زيادة: والرائحة الطيبة، (**ويكره الرائحة الرديئة**) وفي نسخة الروائح الرديئة.

اعلم أنه ﷺ كان طيب الرائحة دائماً وإن لم يمس طيباً، ومن ثم قال أنس: ما شممت ريحاً قط ولا مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله ﷺ، وروى أبو يعلى والبزار بسند صحيح: « أنه ﷺ كان إذا مر من طريق وجد منه رائحة المسك » وقال: « مر رسول الله ﷺ من هذا الطريق، ومع ذلك كان يحب الطيب والروائح الطيبة ». روى النسائي والطبراني والخطيب من حديث أنس: « حبب إليّ النساء والطيب » ورواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح على شرط مسلم، وروى أبو داود والحاكم من حديث عائشة: « أنها صنعت لرسول الله ﷺ جبة من صوف فلبسها فلما عرف وجد ريح الصوف فخلعها وكان تعجبه الريح الطيبة » لفظ الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولابن عدي من حديث عائشة: « كان يكره أن يوجد منه إلا ريح طيبة ».

(**ويجالس الفقراء**) روى أبو داود من حديث أبي سعيد جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين أن بعضهم ليستتر ببعض من العري وفيه « فجلس رسول الله ﷺ وسطنا ليعدل بنفسه

في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، لا يجفو على أحد يقبل معذرة المعتذر إليه، يمزح ولا يقول إلا حقاً،

فينا » الحديث. ولابن ماجه من حديث خباب: « وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا » الحديث في نزول قوله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾ [الأنعام: ٥٢] الآية وإسنادها حسن، **(ويؤاكل المساكين)** روى البخاري من حديث أبي هريرة قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها، فإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، **(ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم)** روى الترمذي في الشمائل من حديث علي الطويل في صفته ﷺ، وكان من سيرته إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين، وفيه ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم. الحديث. وللطبراني من حديث جرير في قصة إسلامه فالقى إلي كساء ثم أقبل على أصحابه ثم قال: « إذا أتاكم كريم قوم فاكرموه » ورواه الحاكم من حديث معبد بن خالد الأنصاري نحوه وقال: صحيح الإسناد.

(ويصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم) روى الحاكم من حديث ابن عباس: « كان يجل العباس إجلال الوالد والوالدة » وله من حديث سعد بن أبي وقاص: « أنه أخرج عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن علياً فقال: ما أنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله عز وجل أخرجكم وأسكنه ». قال في الأول صحيح الإسناد وسكت في الثاني، وفيه مسلم الملائي وهو ضعيف. قال العراقي: فآثر علياً لفضله بتقدم إسلامه وشهوده بدراً والله أعلم.

قلت: ووجدت بخط الحافظ ابن حجر ما نصه: في مسند أحمد ما يدل على أن إبقاء باب علي لكونه لم يكن له باب غيره اهـ.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد: « لا يبقى في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر ».

(لا يجفو على أحد) روى أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي في اليوم والليلة من حديث أنس: « قلما يواجه رجلاً بشيء يكرهه » وفيه ضعف وللشيخين من حديث أبي هريرة أن رجلاً استأذن عليه وسلم فقال: « بئس أخو العشيرة فلما دخل ألان له القول ». الحديث. **(ويقبل معذرة المعتذر إليه)** متفق عليه من حديث كعب بن مالك في قصة الثلاثة الذين خلفوا وفيه: « طفق المخلفون يعتذرون إليه فقبل منهم علانيتهم ». الحديث **(يمزح)** أحياناً **(ولا يقول إلا حقاً)** رواه أحمد من حديث أبي هريرة وهو عند الترمذي بلفظ قالوا: إنك تداعبنا. قال: « إني لا أقول إلا حقاً » وقال: حسن قاله العراقي.

اعلم أنه ﷺ كان مع أصحابه وأهله وغيرهم على غاية من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق حتى يظن كل أحد من أصحابه أنه أحبهم إليه، وهذا ميدان ليس فيه إلا واجب أو

يضحك من غير قهقهة، يرى اللعب المباح فلا ينكره، يسابق أهله، وترفع الأصوات

مستحب، ولو لم يكن من مباسطته لهم إلا الاستضاءة بنور هدايته والاقتداء به في ذلك وتألفهم حتى يزول ما عندهم من هيبته فيقدرون على الاجتماع به والأخذ عنه. كان ذلك هو الغاية العظمى في الكمال. والحاصل أن المداعبة لا تنافي الكمال بل هي من توابعه ومتماته إذا كانت جارية على القانون الشرعي بأن يكون على وفق الصدق والحق. ويقصد تألف قلوب الضعفاء وجبرهم وإدخال السرور والرفق عليهم والمنهي عنه من المزاح إنما هو الإفراط فيه والدوام عليه لأنه يورث كثرة الضحك وقسوة القلب والإعراض عن ذكر الله تعالى، وعن التفكر في مهمات الدين، بل ربما يؤول كثيراً إلى إيذاء وحقد وسقوط المهابة والوقار ومزاحه ﷺ من جميع هذه الأمور يقع منه على جهة الندرة لمصلحة تامة من مؤانسته بعض أصحابه فهو بهذا القصد سنة وما قال بعضهم إلا ظهر أنه مباح لا غير فضعيف إذ الأصل في أفعاله ﷺ وجوب أو ندب للتأسي به فيها إلا الدليل يمنع من ذلك، ولا دليل هنا يمنع منه فتعين الندب كما هو مقتضى كلام الفقهاء والأصوليين هذا. وقد ألقى الله سبحانه عليه المهابة ولم يؤثر فيه مزاحه ولا مداعبته، فقد قام رجل بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال: «هوّن عليك فإني لست بملك ولا جبار إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة» فنطق الرجل بحاجته.

وروى مسلم من حديث عمرو بن العاص صحبت رسول الله ﷺ ما ملأت عيني منه قط حياء وتعظيماً له ولو قيل لي صفه لما قدرت فإذا كان هذا حاله وهو من أجلاء أصحابه فما ظنك بغيرهم ومن ثم لولا مزيد تألفه ومباسطته لهم لما قدر أحد منهم أن يجتمع به هيبة وخوفاً منه سيما عقب ما كان يتجلى عليه من مواهب القرب وعوائد الفضل، لكن كان لا يخرج إليهم بعد ركعتي الفجر إلا بعد الكلام مع عائشة أو الاضطجاع بالأرض، إذ لو خرج إليهم على حالته التي تجلى بها من القرب في مناجاته وسماع كلام ربه وغير ذلك مما يكل اللسان عن وصف بعضه لما استطاع بشر أن يلقاه، فكان يتحدث معها أو يضطجع بالأرض ليستأنس بجنسه أو بجنس أصل خلقه وهي الأرض ثم يخرج إليهم بحالة يقدرون على مشاهدتها رفقاً بهم ورحمة لهم.

(ويضحك من غير قهقهة) روى الشيخان من حديث عائشة: «ما رأيت رسول الله ﷺ قط مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى لهواته إنما كان يتبسم» وللترمذي من حديث عبد الله بن الحرث ابن جزء «ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسماً» وقال: صحيح غريب ولفظه في الشمائل: لا يضحك إلا تبسماً وله في الشمائل أيضاً من حديث هند بن أبي هالة «جل ضحكه التبسم» وقوله إلا تبسماً جعله من الضحك مجاز إذ هو مبدؤه فهو كجعل السنة من النوم. ومعنى قوله: فتبسم ضاحكاً من قولها أي شارعاً في الضحك إذ هو انبساط الوجه، حتى تظهر الأسنان من السرور، ثم إن كان بصوت وكان بحيث يسمع من بعيد فهو القهقهة، وإلا فالضحك وإن كان بلا صوت فهو التبسم.

عليه فيصبر، وكان له لقاح وغنم يتقوّت هو وأهله من ألبانها، وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس، ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بدّ

وروى الترمذي في الشمائل من حديث أبي ذر في حديث ساقه وفيه: «ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه» قيل المراد منه المبالغة في كونه ضحك فوق ما كان يصدر عنه، وفيه دليل على أن الضحك في مواطن التعجب لا يكره ولا يخرم المروءة إذا لم يجاوز الحد المعتاد ولا ينافي هذا ما مر من حديث عائشة لأنها إنما نفت رؤيتها. وأبو ذر أخبر بما شاهده والمثبت مقدم على النافي، والحاصل من مجموع الأحاديث أنه ﷺ كان في أغلب أحواله لا يزيد على التبسم، وربما زاد على ذلك فضحك. والمكروه من ذلك الإكثار منه أو الإفراط فيه لأنه يذهب الوقار.

(يرى اللعب المباح فلا ينكره) روى الشيخان من حديث عائشة في لعب الحبشة بين يديه في المسجد وقال لهم: «دونكم يا بني أرفدة» وقد تقدم في كتاب السماع. **(ويسابق أهله)** رواه أبو داود والنسائي في الكبر وابن ماجه من حديث عائشة في الباب الثالث من كتاب النكاح، **(ترفع الأصوات عليه)** هكذا في النسخ، وعند العراقي عنده **(فيصبر)** قال العراقي: روى البخاري من حديث عبد الله بن الزبير قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ [الحجرات: ١] اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن المنذر وابن مردويه، وروى البخاري وابن المنذر أيضاً، والطبراني عن ابن أبي مليكة. قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب من بني تميم فساقه. وأخرجه الترمذي من هذا الطريق قال: وحدثني عبد الله بن الزبير به وأخرجه ابن جرير مثله.

(وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها) روى محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات من حديث أم سلمة: «كان عيشنا مع رسول الله ﷺ اللبن - أو قالت أكثر عيشنا - كانت لرسول الله ﷺ بالغابة». الحديث وفي رواية له: «كانت لنا اعنز سبع فكان الراعي يبلغ بهن مرة الجمد ومرة أحد أو يروح بهن علينا، وكانت لرسول الله ﷺ لقاح بذي الجدر فيثوب إلينا ألبانها بالليل». الحديث وفي إسنادهما محمد بن عمر الواقدي ضعيف في الحديث وفي الصحيحين من حديث سلمة بن الأكوع: «كانت لقاح رسول الله ﷺ ترعى بذي قرد». الحديث. ولأبي داود من حديث لقيط بن صبرة: «لنا غنم مائة لا نريد أن تزيد فإن ولد الراعي بهمة ذبحنا مكانها شاة» الحديث.

(وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس) روى محمد بن سعد في الطبقات من حديث سلمى قالت: «كان خدم النبي ﷺ أنا وخضرة ورضوى وميمونة بنت سعد

له منه من صلاح نفسه، يخرج إلى بساتين أصحابه، لا يحتقر مسكيناً لفقره وزمانته ولا يهاب ملكاً لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستوياً، قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، نشأ في بلاد الجهل والصحاري في فقر، وفي رعاية الغنم يتيماً لا أب له ولا أم، فعلمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة

أعتقهن كلهن» وإسناده ضعيف. وروي أيضاً أن أبا بكر بن حزم كتب إلى عمر بن عبد العزيز بأسماء خدم رسول الله ﷺ فذكر بركة أم أيمن، وزيد بن حارثة، وأبا كبشة، وآنسة، وشقران، وسفينة وثوبان، ورباحاً ويساراً وأبا رافع وأبا مويهبة ورافعاً اعتقهم كلهم وفضالة ومدعماً وكركرة. وروى أبو بكر بن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد ضعيف: «كان ﷺ يأكل مع خادمه» ولمسلم من حديث أبي اليسر «أطعموهم مما تطعمون وألبسوهم مما تلبسون». الحديث.

(لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد له منه لصلاح نفسه) روى الترمذي في الشمائل من حديث علي: «كان إذا آوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءاً لله وجزءاً لأهله وجزءاً لنفسه، ثم جزءاً جزأه بينه وبين الناس فرد ذلك بالخاصة على العامة». الحديث.

(يخرج إلى بساتين أصحابه) تقدم في الباب الثالث من آداب الأكل خروجه ﷺ إلى بستان أبي الهيثم بن التيهان وأبي أيوب الأنصاري وغيرهما.

(لا يحقر مسكيناً لفقره وزمانته ولا يهاب ملكاً لملكه يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحداً) روى البخاري من حديث سهل بن سعد: «مر رجل على رسول الله ﷺ فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا حري إن خطب أن ينكح». الحديث. وفيه: «فمر رجل من فقراء المسلمين فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا حري أن خطب إن لا ينكح». الحديث. وفيه: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا» ولمسلم من حديث أنس: «أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل».

(قد جمع الله له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمي) منسوب إلى بطن الأم (لا يكتب ولا يقرأ) تقدم الكلام فيه في كتاب العلم. (نشأ في بلاد الجهل والصحاري في فقر وفي رعاية الغنم يتيماً لا أب له ولا أم) إذ كانا قد توفيا من قبل أن يكبر، (فعلمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه الفوز والنجاة في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول) هذا كله معروف معلوم، فروى الترمذي في الشمائل من حديث علي في صفته: «وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه». الحديث. وفيه فسألته عن سيرته في جلسائه فقال: «كان دائم البشر

والخلاص في الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول. وفقنا الله لطاعته في أمره والتأسي به في فعله آمين يا رب العالمين.

بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه:

مما رواه أبو البختري قالوا: ما شتم رسول الله ﷺ أحداً من المؤمنين بشتيمة إلا

سهل الخلق لين الجانب». الحديث وفيه: «كان لا يخزن لسانه إلا فيما يعنيه وفيه قد ترك نفسه من ثلاث من المراء والإكثار وما لا يعنيه». الحديث وقد تقدم بعضه. وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾ [العنكبوت: ٤٨] الآية قال: كان نبي الله ﷺ أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وقد تقدم في العلم وللبخاري من حديث ابن عباس: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام: ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم﴾ [الأنعام: ١٤٠] ولأحمد وابن حبان من حديث أم سلمة في قصة هجرة الحبشة أن جعفراً قال للنجاشي: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة الحديث. ولأحمد من حديث أبيّ بن كعب: إني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر، فإذا كلام فوق رأسي. الحديث. وللبخاري من حديث أبي هريرة كنت أرعاها أي الغنم على قراريط لأهل مكة، ولأبي يعلى وابن حبان من حديث حليمة إنما كنا نرجو كرامة الرضاعة من والد المولود وكان يتيماً.

تتمة:

قال الحليمي في شعب الإيمان من تعظيمه ﷺ أن لا يوصف بما هو عند الناس من أوصاف الضعة فلا يقال كان فقيراً، ومن ثم أنكر بعضهم إطلاق الزهد في حقه، ولقد قيل لمحمد بن واسع: فلان زاهد. فقال: وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها. ونقل السبكي عن الشفاء، وأقره أن فقهاء الأندلس أفتوا بقتل من استخف بحقه ﷺ، فسماه أثناء مناظرته باليتيم، وزعم أن زهده لم يكن قصداً ولو قدر على الطيبات لأكلها. وذكر البدر الزركشي عن بعض الفقهاء أنه ﷺ لم يكن فقيراً من المال قط ولا حاله حال فقير، بل كان أغنى الناس بالله تعالى قد كفى أمر دنياه في نفسه وعياله، وكان يقول في قوله: «اللهم أحيني مسكيناً» المراد به استكانة القلب لا المسكنة الشرعية، وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف ذلك. (**وفقنا الله لطاعته في أمره والتأسي به في فعله آمين**) أي استجب (**رب العالمين**).

بيان جملة أخرى من أخلاقه:

الزكية وشمائله السنية (**وآدابه**) المرضية. (**مما رواه أبو البختري**) سعيد بن فيروز الطائي مولاهم. قال ابن معين: ثبت، وقال أبو زرعة وأبو حاتم وابن معين أيضاً ثقة. زاد أبو حاتم صدوق. قال ابن معين: لم يسمع من علي شيئاً. وقال أبو داود: لم يسمع من أبي سعيد، وقال هلال

جعل لها كفارة ورحمة، وما لعن امرأة قط ولا خادماً بلعنة، وقيل له وهو في القتال: لو لعنتهم يا رسول الله فقال: « إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعاناً » وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له، وما ضرب بيده أحداً قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله تعالى، وما انتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله، وما خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك. وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا

ابن خباب: كان من أفاضل أهل الكوفة. قال أبو نعيم مات في الجماجم سنة ثلاث وثمانين روى له الجماعة **(قالوا: ما شتم رسول الله ﷺ أحداً من المؤمنين بشتيمة إلا جعل لها كفارة ورحمة)** وفي نسخة العراقي إلا جعلها الله. وقال: متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فأي المؤمنين شتمته لعنته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة. وفي رواية فاجعلها زكاة ورحمة وفي رواية فاجعلها له كفارة وقربة وفي رواية فاجعل ذلك له كفارة يوم القيامة.

(وما لعن امرأة قط ولا خادماً بلعنة) قال العراقي: المعروف ما ضرب مكان لعن كما هو متفق عليه من حديث عائشة، وللبخاري من حديث أنس: « لم يكن فحاشاً ولا لعاناً » وسيأتي الحديث الذي بعده فيه هذا المعنى، **(وقيل له وهو في القتال: لو لعنتهم يا رسول الله؟ قال: « إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعاناً »)** رواه مسلم من حديث أبي هريرة، وروى البخاري في التاريخ بلفظ: « إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً. **(وكان إذا سئل أن يدعو على أحد مسلم أو كافر عام أو خاص عدل عن الدعاء عليه ودعا له)** روى الشيخان من حديث أبي هريرة قالوا: يا رسول الله إن دوساً قد كفرت وأبت فادع عليها، فقيل: هلكت دوس. فقال: « اللهم اهدِ دوساً وأتِ بهم » ولما أذاه المشركون يوم أحد وكسروا رباعيته وشجوا وجهه وشق ذلك على أصحابه فقالوا: لو دعيت عليهم؟ فقال: « إني لم أبعث لعاناً ولكن بعثت داعياً ورحمة اللهم اغفر لقومي أو أهد قومي فإنهم لا يعلمون ».

(وما ضرب بيده أحداً قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله وما انتقم من شيء صنع إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله) رواه الترمذي في الشمائل من حديث علي: « ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد ولا ضرب خادماً ولا امرأة وما رأيته منتصراً من مظلمة ظلمها ما لم تنتهك محارم الله ». وفي المتفق عليه من حديث عائشة نحو ذلك. وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة. وروى الحاكم: « ما لعن رسول الله ﷺ مسلماً بذكر أي بصريح اسمه وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يضرب في سبيل الله ولا سئل شيئاً قط فمنعه إلا أن يسأل مأثماً ولا انتقم لنفسه من شيء إلا أن تنتهك حرمات الله تعالى فيكون لله فينتقم ».

(وما خُيِّر بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس من ذلك). أي إما بأن يخيره الله تعالى فيما فيه عقوبتان فيختار الأخف أو

قام معه في حاجته. وقال أنس رضي الله عنه: والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه «لم فعلته؟» ولا لامني نساؤه إلا قال: «دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر» قالوا: وما عاب رسول الله ﷺ مضجعاً، إن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له

في قتال الكفار وأخذ الجزية فيختار أخذها أو في حق أمته في المجاهدة في العبادة والاقتصاد فيختار الاقتصاد، وإما بأن يخيره المنافقون أو الكفار فعلى هذا قوله إلا أن يكون فيه اثم الخ. رواه البخاري والترمذي في الشمائل والطبراني من حديث عائشة، ولفظ البخاري: «ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه» ولفظ الترمذي: «مأثماً» ولفظ الطبراني: «ما لم يكن لله فيه سخط».

(وما كان يأتيه أحد حر أو عبد أو أمة إلا قام معه في حاجته) روى البخاري تعليقاً من حديث أنس: إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت، ووصله ابن ماجه وقال: وما ينزع يده من يدها حتى تذهب حيث شاءت من المدينة في حاجتها. وقد تقدم قريباً. وتقدم أيضاً حديث ابن أبـي أوفى: ولا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين حتى يقضي لها حاجتها.

(وقال أنس) خادمه رضي الله عنه **(والذي بعثه بالحق ما قال لي في شيء قط كرهه لم فعلته ولا لامني أحد من أهله إلا قال: «دعوه إنما كان هذا بكتاب وقدر»)** روى الشيخان من حديثه: ما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته، وروى أبو الشيخ في كتاب الأخلاق من حديث له قال فيه، ولا أمرني فتوانيت فيه فعاتبني عليه فإن عاتبني أحد من أهله قال: «دعوه فلو قدر شيء كان» وفي رواية له: كذا قضى.

(قالوا: وما عاب رسول الله ﷺ مضجعاً أن فرشوا له اضطجع وإن لم يفرش له اضطجع على الأرض) قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ، والمعروف ما عاب طعاماً ويؤخذ من عموم حديث علي بن أبي طالب: «ليس بفظ» إلى أن قال: «ولا عياب» رواه الترمذي في الشمائل والطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة. وروى ابن أبي عاصم في كتاب السنة من حديث أنس: «ما عاب عليَّ شيئاً قط». وفي الصحيحين من حديث ابن عمر اضطجاعه على حصير، وللترمذي وصححه من حديث ابن مسعود: «نام على حصير فقام وقد أثر في جنبه». الحديث اهـ.

قلت: وقد رواه الطبراني عنه بأبسط من ذلك وهو أنه دخل عليه في غرفة كأنها بيت حام. أي لشدة حرها وهو نائم على حصير أثر في جنبه فبكى فقال: ما يبكيك يا عبد الله؟ قال يا رسول الله كسرى وقيصر ينامون على الديباج والحرير وأنت نائم على هذا الحصير، وقد أثر بجنبك! فقال: فلا تبك يا عبد الله فإن لهم الدنيا ولنا الآخرة. وصح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه معه ﷺ نظير ذلك، لكن بزيادة لم يكن عليه غير إزار وأنه كان مضطجعاً على خصفة وأن بعضه لعلى التراب.

اضطجع على الأرض، وقد وصفه الله تعالى في التوراة قبل أن يبعثه في السطر الأوّل فقال: محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه بالشام، يأتزر على وسطه هو ومن معه رعاة للقرآن والعلم يتوضأ على أطرافه. وكذلك نعته في الإنجيل.

(**وقد وصفه الله تعالى في التوراة**) الذي أنزل على موسى عليه السلام (**قبل أن يبعثه**) بمدة طويلة (**في السطر الأول فقال: محمد رسول الله عبدي المختار**) أي اخترته من بين عبادي (**لا فظ ولا غليظ ولا صخاب**)من الصخب بالصاد والسين والخاء محركة هو الضجر واضطراب الأصوات للخصام (**في الأسواق**) أي لأنه ليس مما ينافس في الدنيا وجمعها حتى يحضر الأسواق لذلك. فذكرها إنما هو لكونها محل ارتفاع الأصوات لذلك لا لإثبات الصخب في غيرها أو لأنه إذا انتفى فيها انتفى في غيرها بالأولى، والمراد بالمبالغة هنا أصل الفعل.

(**ولا يجزي بالسيئة السيئة**) ولما كان ذلك موهماً أنه ترك الجزاء عجزاً فاستدركه بقوله: (**ولكن يعفو**) أي بباطنه (**ويصفح**) يعرض بظاهرة امتثالاً لقوله تعالى ﴿فاعف عنهم واصفح إنَّ الله يحب المحسنين﴾ [المائدة: ١٣] (**مولده بمكة وهجرته بطابة**) وهو من أسماء المدينة المنوّرة (**وملكه بالشام**) المراد به الإقليم (**يأتزر على وسطه**) أي يستعمل الإزار كما هو من عادة العرب (**هو ومن معه**) من أصحابه، (**رعاة للقرآن والعلم**) أي حملة لهما وحفظة يرعونهما حق الرعاية بالفهم والحفظ والعمل بما فيه، (**يتوضأ على أطرافه**) أي يغسل أطرافه عند الوضوء.

أخرج البيهقي في الدلائل من حديث فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو فقلت له: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة فقال: أجل « والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿يا أيها النبي إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥] وحرزاًللأميين أنت عندي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخب بالأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر » الحديث. وفي لفظ له « ولا صخاب في الأسواق » وفيه « ولكن يعفو ويصفح » رواه البخاري عن محمد بن سنان عن فليح. ورواه البيهقي نحو ذلك من حديث عبدالله بن سلام، وكعب الأحبار وفيه « ولكن يعفو ويغفر ويتجاوز ».

ومن طريق محمد بن ثابت بن شرحبيل عن أم الدرداء أنها سألت كعباً عن صفته ﷺ في التوراة فقال: « نجده محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق » الحديث. ورواه من طريق المسيب عن نافع عن كعب قال الله عز وجل لمحمد ﷺ عبدي المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح. وأخرجه البيهقي من طريق عمر بن الحكم بن رافع بن سنان عن بعض عمومته وآبائه أنه كانت

وكان من خلقه أن يبدأ من لقيه بالسلام، ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ، وكان إذا لقي أحداً من أصحابه بدأه بالمصافحة، ثم أخذ بيده فشابكه ثم شدّ قبضته عليها، وكان لا يقوم ولا

عندهم ورقة يتوارثونها عن الجاهلية حتى جاء الله بالاسلام وفيها لامة تأتي في آخر الزمان يبلون أطرافهم ويتزرون على أوساطهم. الحديث.

(وكذلك نعته في الإنجيل) من جهة بعثته ومهاجرته وما خصه الله من أوصافه. أخرج البيهقي في الدلائل من طريق العيزار بن حريث عن عائشة قالت «إن رسول الله ﷺ مكتوب في الانجيل لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها بل يعفو ويصفح» وقد ذكر ذلك صاحب الشفاء وغيره وأوسع شراحه الكلام فيه، وروى الترمذي في الشمائل من حديث عائشة «لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً في الأسواق ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح».

(وكان من خلقه) ﷺ **(أن يبدأ من لقيه بالسلام)** رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام، وكذلك روى الطبراني والبيهقي. وفي لفظ. «ويبتدر» بدل «يبدأ».

(ومن قاومه) وفي بعض النسخ فاوضه **(لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف)** رواه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في دلائل النبوّة من حديث علي، ولابن ماجه من حديث أنس «كان إذا لقي الرجل فكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو المنصرف» ورواه الترمذي نحوه، وقال: غريب.

قلت: ورواه ابن سعد في الطبقات من حديث أنس بلفظ «كان إذا لقيه أحد من أصحابه فقام قام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه».

(وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ) رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أنس الذي قبله: «كان إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع» وقال غريب قاله العراقي.

قلت: ورواه ابن سعد في الطبقات بلفظ «وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده ناوله إياها ثم لم ينزعها منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها منه».

(وكان) ﷺ **(إذا لقي أحداً من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ يده فشابكه ثم شدّ قبضته)** ووى أبو داود من حديث أبي ذر: «وسأله رجل من عنزة هل كان رسول الله ﷺ يصافحكم إذا لقيتموه؟ قال: ما لقيته قط إلا صافحني». الحديث وفيه: الرجل الذي من عنزة ولم يسم. وسماه البيهقي في الأدب عبد الله، ورويناه في علوم الحديث للحاكم من حديث أبي هريرة

يجلس إلا على ذكر الله، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال: « ألك حاجة؟ » فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته، وكان أكثر جلوسه أن

قال: « شبك بيدي أبو القاسم ﷺ » وهو عند مسلم بلفظ « أخذ رسول الله ﷺ بيدي، قاله العراقي.

قلت: وقد وقع لنا مسلسلاً بالمشابكة من طريق أبي العباس جعفر بن محمد المستغفري قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن عبد العزيز المكي « وشبك بيدي ».

أخبرنا أبو الحسن محمد بن طالب « وشبك بيدي » قال: حدثنا أبو عمر عبد العزيز بن الحسن ابن بكر بن عبد الله بن الشرود الصغاني « وشبك بيده » قال: شبك بيدي أبي، وقال: أبي شبك بيدي أبي، وقال: شبك بيدي ابراهيم بن أبي يحي قال: شبك بيدي صفوان بن سليم قال: شبك بيدي أيوب بن خالد قال: شبك بيدي عبد الله بن رافع قال: شبك بيدي أبو هريرة قال: شبك بيدي أبو القاسم ﷺ وقال: خلق الله سبحانه وتعالى الأرض يوم السبت والجبال يوم الأحد والشجر يوم الأثنين، والمكروه يوم الثلاثاء، والنور يوم الأربعاء، والدواب يوم الخميس، وآدم يوم الجمعة.

وقد روي عن عبد العزيز بن الحسن بن بكر جماعة على المتابعة محمد بن أحمد بن سعيد الفامي، ومحمد بن إبراهيم بن زوزان الحارثي، وأبو بكر محمد بن الحسن بن إبراهيم بن فيل الأنطاكي، ومحمد بن محمد بن عبدالله بن حمزة البغدادي، ومحمد بن محمد مهدي القشيري، وأحمد بن علي بن الحسن المقري، وخيثمة بن سليمان الاطرابلسي. وآخرون. ورواه كذلك عن بكر بن عبدالله بن الشرود أيوب بن سالم، وعن إبراهيم بن أبي يحي محمد بن همام. وأصل الحديث مخرج في صحيح مسلم كما أشار إليه العراقي رواه من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريح، عن إسماعيل بن ابراقية، عن أيوب بن خالد. وقول المصنف بدأه بالمصافحة أي بعد السلام لما روى الطبراني في الكبير من حديث جندب « كان إذا لقي أصحابه لم يصافحهم حتى يسلم عليهم » وقوله: ثم شد قبضته. قال بعض الشيوخ: أراد بذلك زيادة المحبة وتأكيدها، وقد وقع لنا كذلك مسلسلاً في بعض طرق المصافحة.

(وكان) ﷺ (**لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله تعالى**) روى الترمذي في الشمائل من حديث علي في حديثه الطويل في صفته وقال علي: ذكر بالتكبير، ويفهم من عموم حديث « كان يذكر الله على كل أحيانه ». (**وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه فقال: « ألك حاجة »؟ فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: ولكن روى أحمد في مسنده عن رجل من الصحابة قال: كان مما يقول للخادم « ألك حاجة » وهذا يدل إذا جاءه الخادم ووجده في الصلاة كان يخفف ويقبل عليه بالسؤال عن الحاجة ،

ينصب ساقيه جميعاً ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة، ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه، لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس، وما رؤي قط مادًّا رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعاً لا ضيق فيه، وكان أكثر ما يجلس مستقبل القبلة، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست

وهو من جلة مكارم الأخلاق إذ لا يأتيه في ذلك الوقت إلا لحاجة فإذا طول في الصلاة فقد أوقعه في الانتظار.

(وكان) ﷺ (أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعاً ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة) روى أبو داود والترمذي في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري «كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجلس احتبى بيده» وإسناده ضعيف، وللبخاري من حديث ابن عمر «رأيت رسول الله ﷺ بفناء الكعبة محتبياً بيده» قاله العراقي.

قلت: وحديث أبي سعيد رواه أيضاً البيهقي وفيه «احتبى بيديه». ورواه البزار وزاد: «ونصب ركبتيه» وفي بعض نسخ أبي داود إذا جلس في المسجد. وقول العراقي. وإسناده ضعيف أشار به إلى أنهم رووه من طريق عبد الله بن إبراهيم الغفاري عن إسحاق الأنصاري عن ربيح بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده عن ابي سعيد. قال أبو داود الغفاري: منكر الحديث. وقال الذهبي في المهذب: أنه ليس بثقة. وقال الصدر المناوي في ربيح عن أحمد: أنه غير معروف، ثم الاحتباء هو جمع الساقين إلى البطن مع الظهر باليدين عوضاً عن جمعهما بالثوب. وفي بعض الأخبار أن الاحتباء حيطان العرب، فإذا أرادوا الاستناد احتبوا لأن الاحتباء يمنعهم من السقوط ويصير لهم كالجدار.

(ولم يكن يعرف مجلسه من مجالس أصحابه) روى أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي ذر «كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل» الحديث. **(لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس)** رواه الترمذي في الشمائل في حديث علي الطويل.

(وما رؤي) ﷺ (قط مادّاً رجليه بين أصحابه حتى يضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعاً لا ضيق فيه) قال العراقي: رواه الدارقطني في غرائب مالك من حديث أنس وقال: باطل. والترمذي وابن ماجه لم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له زاد ابن ماجه قط وسنده ضعيف.

(وكان) ﷺ (أكثر ما يجلس مستقبل القبلة) وكان يحث أصحابه بذلك ويقول «أكرم المجالس ما استقبل به القبلة» كما رواه الطبراني في الأوسط وابن عدي من حديث ابن عمر.
(وكان) ﷺ (يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا

بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلسه عليه، وكان يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل، وما استصفاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه، حتى يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف محاسنه وتوجهه للجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة، قال الله تعالى: ﴿ فبما رحمةٍ من اللهِ لِنْتَ لَهُم ولو كنتَ فظًّا غليظَ القلبِ لانفضُّوا من حولك﴾ [آل عمران: ١٥٩] ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم واستمالة لقلوبهم، ويكني من لم تكن له كنية

رضاع يجلسه عليه) إكراماً له وتأليفاً لقلبه. روى الحاكم وصحح إسناده من حديث أنس دخل جرير بن عبد الله على النبي ﷺ وفيه فأخذ بردته فألقاها إليه فقال « اجلس عليها يا جرير » الحديث. وفيه « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » وقد تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة، وللطبراني في الكبير من حديث جرير فألقى إليَّ كساءه. ولأبي نعيم في الحلية فبسط إليَّ رداءه وأما من بينه وبينه قرابة فروى الخرائطي في مكارم الأخلاق عن محمد بن عمير بن وهب خال النبي ﷺ أن عميراً يعني أباه جاء والنبي ﷺ قاعد فبسط له رداءه فقال: اجلس على ردائك يا رسول الله؟ قال: « نعم فإنما الخال والد ». وإسناده ضعيف. ويروى عن القاسم عن عائشة أن الأسود بن وهب خال النبي ﷺ استأذن عليه فقال: « يا خال أدخل » فبسط رداءه، وكذا وقع لأمه وأخيه وأبيه من الرضاعة كما هو مذكور في السير..

(وكان) ﷺ **(يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تكون تحته)** وهي المفرشة لا المخدة، **(فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل)** أي يقبل تقدم في الثالث من آداب الصحبة. **(وما استصفاه أحد إلا ظن انه أكرم الناس عليه حتى يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه، حتى كان مجلسه وسمعه وحديثه ولطيف مجلسه وتوجهه للمجالس إليه ومجلسه مع ذلك مجلس حياء وتواضع وأمانة)** رواه الترمذي في الشمائل في حديث علي الطويل وفيه: « ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه » وفيه « ومجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة ».

(قال) الله **(تعالى)** ممتناً عليه في كتابه العزيز: **﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك﴾** فحلاه بحسن الاخلاق ثم امتن عليه بذلك. يقال: رجل فظ غليظ القلب أي شديد، وقد فظ فظاظة إذا غلظ حتى يهاب في غير موضعه والانفضاض التفرق.

(ولقد كان) ﷺ **(يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم واستمالة لقلوبهم)** ففي الصحيحين في قصة الغار من حديث ابي بكر: « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما » ولأبي يعلى الموصلي من حديث سعد بن أبي وقاص فقال: « من هذا أبو إسحاق ». فقلت: نعم. **(ويكني من**

فكان يدعى بما كناه به، ويكني أيضاً النساء اللاتي لهن الأولاد واللاتي لم يلدن يبتدىء لهن الكنى، ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم، وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضا، وكان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس، ولم تكن ترفع في مجلسه الأصوات، وكان إذا قام من مجلسه قال: « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا

لم تكن له كنية) بأكبر أولاده وتارة وإن لم يولد له، **(فكان يدعى بما كناه به)** تبركاً بكنيته الشريفة. روى الحاكم من حديث ابن عباس أنه قال لعمر: يا أبا حفص أبصرت وجه عم رسول الله ﷺ؟ قال عمر: إنه لأوّل يوم كناني فيه بأبي حفص وقال: صحيح على شرط مسلم. وفي الصحيح أنه قال لعلي: يا أبا تراب، وللحاكم من حديث رفاعة بن مالك أن أبا حسن وجد مغصاً في بطنه الحديث يريد علياً، وله أيضاً من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ كناه أبا عبد الرحمن ولم يولد له. وروى الترمذي من حديث أنس قال: كناني رسول الله ﷺ ببقلة كنت أجتنيها يعني أبا حمزة. قال: حديث غريب، ولابن ماجه أن عمر قال لصهيب: ما لك تكتني وليس لك ولد؟ قال: كناني رسول الله ﷺ بأبي يحي، وللطبراني من حديث أبي بكرة تدليت ببكرة من الطائف، فقال النبي ﷺ « فأنت أبو بكرة ».

(وكان) ﷺ (يكني أيضاً النساء اللاتي لهنّ الأولاد، واللاتي لم يلدن يبتدىء لهنّ الكنى) روى الحاكم من حديث أم أيمن في قصة شربها بول النبي ﷺ، فقال: « يا أم أيمن قومي إلى تلك الفخارة » الحديث ولابن ماجه من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ كل أزواجك كنيت غيري قال: « فأنت أم عبد الله » وفيه مولى الزبير لم يسم، ورواه أبو داود بإسناد صحيح نحوه، وللبخاري من حديث أم خالد أن النبي ﷺ قال لها « يا أم خالد هذا سناه » وكانت صغيرة. **(ويكني الصبيان فيستلين به قلوبهم)** ففي الصحيحين من حديث أنس أن النبي ﷺ قال لأخ له صغير: « يا أبا عمير ما فعل النغير ».

(وكان) ﷺ (أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً) هذا من المعلوم، ويدل على ذلك إخباره ﷺ « أن بني آدم خيرهم بطيء الغضب سريع الفيء ». ورواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري وقال: حديث حسن وهو ﷺ خير بني آدم وسيدهم، وكان ﷺ لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها. رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة وقد تقدم.

(وكان) ﷺ (أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس) هذا من المعلوم، وروينا في الجزء الأوّل من فوائد أبي الدحداح من حديث علي في صفة النبي ﷺ « كان أرحم الناس بالناس » الحديث بطوله. **(ولم يكن ترفع في مجلسه الاصوات)** لأنهم كانوا على غاية الخضوع والتأدّب والإطراق كأنما على رؤوسهم الطير. رواه الترمذي في الشمائل في حديث علي الطويل. **(وكان) ﷺ (إذا قام من مجلسه قال: « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله**

إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » ثم يقول: « علمنيهن جبريل عليه السلام ».

بيان كلامه وضحكه ﷺ :

كان ﷺ أفصح الناس منطقاً وأحلاهم كلاماً ويقول:

أنا أفصح العرب، وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد ﷺ ، وكان نزر الكلام

إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» ثم يقول « علمنيهن جبريل عليه السلام») أخبرناه عمر ابن أحمد بن عقيل عن أحمد بن محمد عن زين العابدين بن عبد القادر الطبري عن أبيه أخبرني جدي يحيى ابن مكرم ، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن ، أخبرنا الشهاب الحجازي ، أخبرنا أبو الفضل العراقي ، أخبرنا عمّر بن عبد العزيز ، أخبرنا أحمد بن محمد الحلبي ، أخبرنا يوسف بن الخليل ، أخبرنا الحافظ أبو طاهر السلفي ، أخبرنا الحسن بن أحمد ، أخبرنا أبو نعيم الحافظ ، حدثنا عبدالله بن جعفر ، ثنا إسماعيل بن عبدالله ، ثنا سعيد بن الحكم ، ثنا خلاد بن سليمان ، حدثني خالد بن أبي عمران ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما جلس رسول الله ﷺ مجلساً ولا تلا قرآناً ولا صلّى إلا ختم ذلك بكلمات. فقلت: يا رسول الله أراك ما تجلس مجلساً ولا تتلو قرآناً ولا تصلي صلاة إلا ختمت بهؤلاء الكلمات؟ قال: « نعم من قال خيراً كن طابعاً له على ذلك الخير، ومن قال شراً كانت كفارة له سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك » أخرجه النسائي في اليوم والليلة، عن محمد بن إسماعيل بن عسكر، عن سعيد بن الحكم به، فوقع لنا بدلاً له عالياً. وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك من حديث رافع بن خديج، وقد تقدم في الأذكار والدعوات.

بيان كلامه وضحكه ﷺ :

(كان ﷺ أفصح الناس منطقاً وأحلاهم كلاماً ويقول: « انا أفصح العرب ») روى أبو الحسن الضحاك في الشمائل وابن الجوزي في الوفاء بإسناد ضعيف من حديث بريدة: كان رسول الله ﷺ من أفصح العرب وكان يتكلم بكلام لا يدرون ما هو حتى يخبرهم. وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي سعيد الخدري: « أنا أعرب العرب » وإسناده ضعيف، وللحاكم من حديث عمر قال قلت يا رسول الله « ما بالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا » الحديث. وفيه علي بن الحسين بن واقد مختلف فيه، وفي كتاب الرعد والمطر لأبن أبي الدنيا في حديث مرسل أن أعرابياً قال للنبي ﷺ ما رأيت الذي هو أفصح منك. **(وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد ﷺ)** روى الحاكم من حديث ابن عباس وصححه « كلام أهل الجنة عربي » وروى الطبراني في الأوسط من طريق شبل بن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده عن أبي هريرة رفعه « أنا عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي » وسنده ضعيف.

(وكان) ﷺ (نزر الكلام) أي قليله عند الحاجة إليه سيأتي بعد هذا من حديث عائشة،

سمح المقالة إذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخـرزات نظمن. قالت عائشة رضي الله عنها: كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا كان كلامه نزراً وأنتم تنثرون الكلام نثراً. قالوا: وكان أوجز الناس كلاماً وبذاك جاءه جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد، وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كأنه يتبع بعضه بعضاً بين كلامه

(سمح المقالة إذا نطق ليس بمهذار) وهو الرجل الكثير الكلام، **(وكان كلامه كخرزات النظم)** روى الطبراني من حديث أم معبد، وكان منطقه خرزات نظم ينحدرن حلواً لمنطق لا نزر ولا هذر وقد تقدم. وفي الصحيحين من حديث عائشة: كان يحدثنا حديثاً لوعدَّه العاد لأحصاه.

(قالت عائشة رضي الله عنها « كان لا يسرد الكلام كسردكم هذا ») رواه البخاري ومسلم. **(« كان كلامه نزراً وأنتم تنثرون الكلام نثراً »)** رواه الخلعي في فوائده من حديث عائشة بإسناد منقطع، **(قالوا: وكان)** ﷺ **(أوجز الناس كلاماً، وبذلك جاءه جبريل عليه السلام وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد)** من المعاني، **(وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير يتبع بعضه بعضاً بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه)** قال العراقي روى عبد بن حميد من حديث عمر بسند منقطع، والدارقطني من حديث ابن عباس بإسناد جيد « أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصاراً » وشطره الأول متفق عليه. قال البخاري: بلغني في جوامع الكلم أن الله جمع له الأمور الكثيرة في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك، وللحاكم من حديث عمر المتقدم كانت لغة إسماعيل قد درست فجاء بها جبريل فحفظنيها. وروى الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة: كان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « بعثت بجوامع الكلم » ولأبي داود من حديث جابر « كان في كلامه ﷺ ترتيل أو ترسيل » وفيه شيخ لم يسم، وله وللترمذي من حديث عائشة « كان كلام النبي ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كل من سمعه » وقال الترمذي « يحفظه كل من جلس إليه » وقال النسائي في اليوم والليلة « يحفظه من سمعه » وإسناده حسن اهـ.

قلت: روى العسكري في الأمثال من طريق سليمان بن عبد الله النوفلي، عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي ﷺ قال: « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً » وهو مرسل في سنده من لم يعرف، وللديلمي بلا سند من حديث ابن عباس مثله بلفظ « أعطيت ». والحديث بدل الكلم. وعند البيهقي في الشعب من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة أن عمر مرّ برجل يقرأ كتاباً من التوراة فذكر الحديث، وفيه فقال ﷺ « إنما بعثت فاتحاً وخاتماً وأعطيت جوامع الكلم وفواتحه واختصر لي الحديث اختصاراً » وللطبراني من طريق أبي الدرداء قال: جاء عمر وذكره، ولأبي يعلى من طريق خالد بن عرفطة قال: كنت عند عمر فجاءه رجل فذكره وفيه قوله ﷺ: « يا أيها الناس قد أوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر لي اختصاراً » وأصل الحديث من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة بلفظ « أعطيت فواتح » وفي لفظ « مفاتيح » وفي آخر « جوامع

توقف يحفظه سامعه ويعيه، وكان جهير الصوت أحسن الناس نغمة. وكان طويل السكون لا يتكلم في غير حاجة، ولا يقول المنكر ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق، ويعرض عمن تكلم بغير جميل، ويكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره وكان إذا سكت

الكلم ونصرت بالرعب» ومن حديث سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن كلاهما عن أبي هريرة بلفظ «أعطيت جوامع الكلم» وفي لفظ «بعثت بجوامع الكلم» ومن طريق أبي موسى مولى أبي هريرة عن مولاه بلفظ «أوتيت جوامع الكلم» ومن طريق العلاء عن أبيه عن أبي هريرة بلفظ «أعطيت» ومن حديث عطاء بن السائب عن أبي جعفر عن أبيه عن علي في حديث «أعطيت خمساً» ففيه «وأعطيت جوامع الكلم» وفي حديث أبي موسى الأشعري «أعطيت فواتح الكلم وخواتمه» ونص البخاري في الصحيح فيما رواه عن ابن شهاب قال: بلغني في جوامع الكلم أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمم في الواحد والأمرين ونحو ذلك. وحاصله أنه ﷺ كان يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ الكثير المعاني. وقال سليمان بن عبد الله النوفلي: كان يتكلم بالكلام القليل يجمع فيه المعاني الكثيرة، وقال غيره: يعني القرآن بقرينة قوله بعثت والقرآن هو الغاية في إيجاز اللفظ واتساع المعاني، وقال آخر القرآن وغيره مما أوتيه في منطقه فبان به من غيره بالإيجاز والإبلاغ والسداد، ودليل هذا كان يعلمنا جوامع الكلم وفواتحه.

(وكان) ﷺ **(جهير الصوت)** قال العراقي: روى الترمذي والنسائي في الكبرى من حديث صفوان بن عسال قال: «كنا مع النبي ﷺ في سفر بينما نحن عنده إذ ناداه أعرابي بصوت له جهوري: يا محمد فأجابه رسول الله ﷺ عن نحو من صوته هاؤم» الحديث وقال أحمد في مسنده: وأجابه نحواً مما تكلم به. الحديث فقد يؤخذ منه أنه ﷺ كان جهوري الصوت ولم يكن يرفعه دائماً، وقد يقال لم يكن جهوري الصوت، وإنما رفع صوته رفقاً بالاعرابي حتى لا يكون صوته أرفع من صوته وهو الظاهر. **(أحسن الناس نغمة)** روى الشيخان من حديث البراء: ما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه.

(وكان) ﷺ **(طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة)** وبذلك وصف أبدال هذه الأمة لا يتكلمون إلا عن ضرورة. رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة. **(ولا يقول المنكر)** من القول وحاشاه من ذلك، **(ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق)** روى أبو داود من حديث عبدالله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش. وقالوا تكتب كل شيء ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ باصبعه إلى فيه وقال: «أكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق». ورواه الحاكم وصححه. **(ويعرض عمن تكلم بغير جميل)** روى الترمذي في الشمائل في حديث علي الطويل يتغافل عما لا يشتهي الحديث، **(ويكنى عما اضطره الكلام إليه مما يكره)** فمن ذلك قوله ﷺ لامرأة رفاعة: «حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك» رواه

تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث ويعظ بالجد والنصيحة. ويقول: « لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فإنه أنزل على وجوه » وكان أكثر الناس تبسماً وضحكاً في وجوه أصحابه وتعجباً مما تحدثوا به وخلطاً لنفسه بهم، ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه،

البخاري من حديث عائشة، ومن ذلك ما اتفقا عليه من حديثها في المرأة التي سألته عن الاغتسال من الحيض « خذي فرصة ممسكة فتطهري بها » الحديث.

(وكان) ﷺ (**إذا سكت تكلم جلساؤه**) كذا في سائر النسخ، وبخط الحافظ ابن حجر إذا جلس، (**ولا يتنازع عنده في الحديث**) أي لا يتخاصم فيه. رواه الترمذي في الشمائل في حديث علي الطويل « إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير فإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث ». أي ذلك من عظيم أدبهم في حضرته ﷺ، وخضوعهم بين يديه وإجلالهم له وهيبته عندهم وتوقيرهم له لشهودهم عليّ شأنه وكمال مرتبته وتخلقهم بأخلاقه ﷺ، (**ويعظ بالجد والنصيحة**) روى مسلم من حديث جابر « كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم » الحديث، (**ويقول « لا تضربوا القرآن بعضه ببعض »**) روى الطبراني من حديث عبد الله بن عمر، وباسناد حسن أن القرآن يصدق بعضه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض، وفي روايه للهروي في ذم الكلام: إن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، وفي رواية له: « أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض » (**« فإنه نزل على وجوه »**) ففي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب: أن هذا القرآن أنزل على سبعة احرف.

(وكان) ﷺ (**أكثر الناس تبسماً وضحكاً في وجود أصحابه وتعجباً مما حدثوا به وخلطاً لنفسه بهم**) روى الترمذي من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ. وفي الصحيحين من حديث جرير ولا رآني إلا تبسم، وللترمذي في الشمائل من حديث علي يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه. ولمسلم من حديث جابر بن سمرة كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم، (**ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه**) أي أضراسه. وقيل: أربع آخر الاسنان كل منهم يسمى ضرس العقل لأنه لا ينبت إلا بعد البلوغ، وقيل: أنيابه، وقيل: ضواحكه وفي القاموس هي أقصى الأسنان أو الأنياب أو التي على الأنياب أو الأضراس. قيل: ضحكه وإلى أن يبدو آخر أسنانه بعيد من شيمته. فلذا قيل: المراد المبالغة في كون ضحكه هذا فوق ما كان يصدر، ويؤيده قول الجوهري حتى بدت نواجذه إذا استغرب منه، قد جاء ذلك في المتفق عليه من حديث ابن مسعود في قصة آخر من يخرج من النار، وفي قصة الحبر الذي قال: إن الله يضع السموات على اصبع، ومن حديث أبي هريرة في قصة المجامع في رمضان وغير ذلك، وفي كل ذلك دليل على أن الضحك في مواطن التعجب سيما ما هو في مثل تعجبه ﷺ لا يكره ولا يخرم المروءة إذا لم يجاوز به الحد المعتاد، وقد تقدم الكلام عليه قريباً.

وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيراً له قالوا : ولقد جاءه اعرابي يوماً وهو عليه الصلاة والسلام متغير اللون ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا : لا تفعل يا اعرابي فإنا ننكر لونه فقال : دعوني فوالذي بعثه بالحق نبياً لا أدعه حتى يتبسم ، فقال : يا رسول الله بلغنا أن المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعاً أفترى لي بأبي أنت وأمي أن أكف عن ثريده تعففاً وتنزهاً حتى أهلك هزالاً أم أضرب في ثريده حتى إذا تضلعت شبعاً آمنت بالله وكفرت به ؟ قالوا : فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال : « لا بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين » قالوا : وكان من أكثر الناس تبسماً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة أو يخطب بخطبة عظة ،

(وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيراً له) رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة في أثناء حديثه الطويل « جلّ ضحكه التبسم » . **(قالوا : وقد جاءه أعرابي)** أي من سكان البادية **(يوماً وهو ﷺ متغير)** لونه **(ينكره أصحابه فأراد أن يسأله)** في شيء **(فقالوا : لا تفعل يا أعرابي ، فإنا ننكر لونه . فقال : دعوني فوالذي بعثه بالحق نبياً لا أدعه حتى يبتسم ، فقال يا رسول الله : بلغنا أن المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعاً . أفترى لي بأبي وأمي أن أكف عن ثريده تعففاً وتنزهاً حتى أهلك هزالاً أم أضرب)** اليد **(في ثريده حتى إذا تضلعت شبعاً)** أي امتلأت **(آمنت بالله)** وحده **(وكفرت به)** يعني الدجال ؟ **(قالوا : فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قال : « لا بل يغنيك الله بما أغنى به المؤمنين »)** . قال العراقي : وهو حديث منكر لم أقف له على أصل ، ويرده قوله ﷺ في المتفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة حين سأله أنهم يقولون أنه معه جبل خبز ونهر ماء . قال : « هو أهون على الله من ذلك » وفي رواية لمسلم يقولون معه جبال من خبز ولحم الحديث . نعم في حديث حذيفة وأبي مسعود المتفق عليهما « أن معه ماء وناراً » الحديث **(قالوا : وكان)** ﷺ **(من أكثر الناس تبسماً)** رواه الترمذي من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء : ما رأيت أحداً أكثر تبسماً منه ، وقد تقدم قريباً ، **(وأطيبهم نفساً)** روى الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة : « كان من أضحك الناس وأطيبهم نفساً » ولا ينافيه ما تقدم من أنه كان لا يضحك إلا تبسماً لأن التبسم كان أغلب أحواله ، أوكل راو روى بحسب ما شاهد ، أو أوّلاً كان لا يضحك ، ثم صار آخراً لا يضحك إلا تبسماً . وروى ابن عساكر من حديث أنس « كان من أفكه الناس » . **(ما لم ينزل عليه قرآن أو تذكر الساعة أن يخطب بخطبة عظة)** . روى الطبراني في مكارم الأخلاق من حديث جابر : « كان إذا نزل عليه الوحي قلت نذير قوم فإذا سرى عنه فأكثر الناس ضحكاً » وفيه ابن أبي ليلى وهو سيء الحفظ ، ولأحمد من حديث علي أو الزبير كان يخطب فيذكر بأيام الله حتى يعرف ذلك في وجهه وكأنه نذير قوم يصبحهم الأمر غدوة ، وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يبتسم ضاحكاً حتى يرتفع عنه ، وفيه عبد الله بن سلمة مختلف فيه ،

وكان إذا سرّ ورضي فهو أحسن الناس رضاً فإن وعظ وعظ بجد وإن غضب ـ وليس يغضب إلا لله ـ لم يقم لغضبه شيء، وكذلك كان في أموره كلها، وكان إذا نزل به الأمر فوّض الأمر إلى الله، وتبرأ من الحول والقوّة واستنزل الهدى فيقول: «اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه وأرني المنكر منكراً وارزقني اجتنابه واعذني من أن يشتبه علي فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعاً لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

ورواه يعلى من حديث الزبير من غير شك، وللحاكم من حديث جابر: «كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه» وهو عند مسلم «كان إذا خطب».

(وكان) ﷺ (إذا سر ورضي فهو أحسن الناس رضا) في الصحيحين في حديث كعب بن مالك قال: وهو ينزف وجهه من السرور، وفيه: وكان إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه. الحديث. وروى أبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديث ابن عمر: «كان رسول الله ﷺ يعرف رضاه وغضبه بوجهه كان إذا رضي كأنما يلاعط الجدر وجهه» وإسناده ضعيف والمراد به المرآة توضع في الشمس فيرى ضوءها على الجدار، **(وإن وعظ وعظ بجد)** أي من غير تهاون، **(وإن غضب ولم يكن يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء وكذلك كان في أموره كلها)** روى مسلم من حديث جابر: «كان إذا خطب أحمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه» الحديث. وللترمذي في الشمائل في حديث هند بن أبي هالة: لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها. وقد تقدم.

(وكان ﷺ إذا نزل به الأمر فوض الأمر إلى الله) تعالى **(وتبرأ من الحول والقوة)** إلى حول الله وقوته، **(واستنزل الهدى فيقول: «اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه وأرني المنكر منكراً وأرزقني اجتنابه، وأعذني من أن يشتبه علي فأتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعاً لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»)** قال العراقي: لم أقف لأوله على أصل، وروى المستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة: كان النبي ﷺ يدعو فيقول: «اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فاعطنا منها ما يرضيك عنا» وفيه ولهان بن خبير ضعفه الأزدي، وأن لمسلم من حديث عائشة فيما كان يفتتح به صلاته من الليل: «اهدني لما اختلف فيه» إلى آخر الحديث.

بيان أخلاقه وآدابه في الطعام:

كان ﷺ يأكل ما وجد، وكان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف، والضفف ما كثرت عليه الأيدي، وكان إذا وضعت المائدة قال: «بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة». وكان كثيراً إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي إلاَّ أن الركبة تكون فوق الركبة والقدم فوق القدم ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد». وكان لا يأكل الحار

بيان أخلاقه وآدابه في الطعام:

(كان ﷺ يأكل ما وجد) تقدم قريباً، **(وكان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف والضفف)** محركة **(ما كثرت عليه الأيدي)** قال العراقي: رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط وابن عدي في الكامل من حديث جابر بإسناد حسن: «أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي» ولأبي يعلى من حديث أنس: «لم يجتمع له غداء وعشاء خبز ولحم إلا على ضفف» وإسناده جيد اهـ.

قلت: وحديث جابر رواه أيضاً ابن حبان والبيهقي والضياء.

(وكان) ﷺ (إذا وضعت المائدة قال: «بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة») قال العراقي: أما التسمية فرواها النسائي من رواية من خدم النبي ﷺ ثمان سنين أنه سمع رسول الله ﷺ إذا قرب إليه طعاماً قال: «بسم الله» الحديث وإسناده صالح، وأما بقية الحديث فلم أجده.

(وكان) ﷺ (كثيراً إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجمع المصلي) في حال صلاته **(إلا أن الركبة تكون فوق الركبة، والقدم فوق القدم ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد»)** قال العراقي: رواه عبد الرزاق في المصنف من رواية أيوب معضلاً أن النبي ﷺ كان إذا أكل احتفز وقال: «آكل كما يأكل العبد» الحديث. وروى ابن الضحاك في الشمائل من حديث أنس بسند ضعيف كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال: «إنما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد وأفعل كما يفعل العبد». وروى أبو الشيخ في الأخلاق بسند جيد من حديث أبي بن كعب أن النبي ﷺ كان يجثو على ركبتيه وكان لا يتكىء أورده في صفة أكل رسول الله ﷺ، وللبزار من حديث ابن عمر: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد» ولأبي يعلى من حديث عائشة: «آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» وإسنادهما ضعيف اهـ.

قلت: ويروى بسند حسن أهديت للنبي ﷺ شاة فجثا على ركبتيه يأكل فقال له أعرابي ما هذه الجلسة؟ فقال: «إن الله جعلني كريماً ولم يجعلني جباراً عنيداً» وإنما فعل ذلك رسول الله

ويقول: « إنه غير ذي بركة وإن الله لم يطعمنا ناراً فأبردوه » وكان يأكل مما يليه،

ﷺ تواضعاً لله تعالى، ومن ثم قال: « إنما أنا عبد » الخ. وفي خبر مرسل أو معضل عن الزهري أتى النبي ﷺ ملك لم يأته قبلها فقال إن الله يخيرك بين أن تكون عبداً نبياً أو نبياً ملكاً، فنظر إلى جبريل كالمستشير له، فأومأ إليه أن تواضع. فقال: « لا بل عبداً نبياً » قال: فما أكل متكئاً ووصله النسائي قال: ما رؤي النبي ﷺ يأكل متكئاً قط. والسنة أن يجلس جاثياً عى ركبتيه وظهور قدميه، أو ينصب رجله اليمنى ويجلس على اليسرى. قال ابن القيم: ويذكر عنه ﷺ أنه كان يجلس للأكل متوركاً على ركبتيه، ويضع ظهر اليمنى على بطن قدمه اليسرى تواضعاً لله عز وجل وأدباً بين يديه. قال: وهذه الهيئة أنفع الهيئات للأكل وأفضلها لأن الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله تعالى عليه.

(وكان) ﷺ (لا يأكل) الطعام (الحار ويقول: « إنه غير ذي بركة وإن الله تعالى لم يطعمنا ناراً فأبردوه ») قال العراقي: روى البيهقي من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح أتي النبي ﷺ يوماً بطعام سخن فقال: « ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم » ولأحمد بإسناد جيد، والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث خولة بنت قيس، وقدمت له حريرة فوضع يده فيها فوجد حرها فنفضها لفظ الطبراني والبيهقي. وقال أحمد: فأحرقت أصابعه فقال حسن، وللطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة: « أبردوا الطعام فإن الطعام الحار غير ذي بركة ». وله فيه وفي الصغير من حديثه أتي بصحفة تفور فرفع يده منها وقال: « إن الله لم يطعمنا ناراً » وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: حديث الطبراني في الأوسط رواه من طريق هشام بن عمار، حدثنا عبد الله بن أبي زيد البكري، عن ابن أبي ذؤيب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة وحديثه فيه وفي الصغير معاً رواه من طريق هشام عن البكري المذكور قال: حدثنا يعقوب بن محمد بن طحلاء المدني، حدثنا بلال ابن أبي هريرة عن أبيه فساقه. وفي لفظ فأشرع يده فيها ثم رفع يده وقال: لم يرو عن بلال إلا يعقوب ولا عنه إلا عبد الله تفرد به هشام وبلال قليل الرواية عن أبيه اهـ.

والبكري ضعفه أبو حاتم. ولابن ماجه من طريق علي بن مسهر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ: « أتي يوماً بطعام سخن فأكل منه فلما فرغ قال: الحمد لله ما دخل » وساقه كسياق البيهقي وروى الديلمي من طريق عبد الصمد بن سليمان، عن قزعة بن سويد، عن عبد الله ابن دينار، عن ابن عمر مرفوعاً: « أبردوا بالطعام فإن الحار لا بركة فيه ». ولأبي نعيم في الحلية من طريق يوسف بن أسباط عن صفوان بن سليم عن أنس قال: « كان رسول الله ﷺ يكره الكي والطعام الحار ويقول: عليكم بالبارد فإنه ذو بركة ألا وأن الحار لا بركة له ». وللطبراني في الكبير بسند فيه من لم يسم عن جويرية أن النبي ﷺ كان يكره الطعام حتى يذهب فوره ودخانه. وأما حديث خولة فرواه كذلك ابن منده في معرفة الصحابة كلهم من طريق معاذ بن رفاعة بن رافع

ويأكل بأصابعه الثلاث، وربما استعان بالرابعة، ولم يكن يأكل باصبعين ويقول: « إن

عنها وفيه بعد قوله فقبضها وقال: « يا خولة لا نصبر على حر ولا برد » الحديث لفظ البيهقي والطبراني.

(وكان) ﷺ (يأكل مما يليه) قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث عائشة وفي إسناده رجل لم يسم وسماه في رواية له، وكذلك البيهقي في روايته في الشعب عبيد بن القاسم نسيب سفيان الثوري. وقال البيهقي: تفرد به عبيد هذا وقد رماه ابن معين بالكذب، ولأبي الشيخ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه اهـ.

قلت: وروى البخاري في التاريخ عن جعفر بن أبي الحكم مرسلاً كان إذا أكل لم تعد أصابعه ما بين يديه. ورواه أبو نعيم في المعرفة عن الحكم بن رافع بن يسار، ورواه الطبراني في الكبير عن الحكم بن عمرو الغفاري، وروى الخطيب من حديث عائشة: كان إذا أتي بطعام أكل مما يليه، وإذا أتي بالتمر جالت يده ثم أن الأكل مما يلي الآكل على الندب على الأصح، وقيل: على الوجوب لأنه من إلحاق الضرر بالغير ومزيد الشره والنهمة. وانتصر له السبكي ونص عليه الشافعي في الرسالة ومواضع من الأم ومحل الكراهة أو الحرمة إن لم يعلم رضا من يأكل معه، وإلا فلا لما ثبت أنه ﷺ كان يتتبع الدباء من حوالي القصعة كما سيأتي لأنه علم أن أحداً لا يكره ذلك ولا يستقذره، ومن أجاب بأنه كان يأكل وحده مردود بأن أنساً كان يأكل معه، على أن قضية كلام الأصحاب أن الأكل مما يليه سنة وإن كان وحده. ويفهم من خبر عائشة السابق التفصيل في الطعام والتمر، وفيما إذا كان الطعام لوناً واحداً فلا يتعدى الأكل مما يليه، وإذا كان أكثر يتعداه ولا ضرر في نحو التمر ولا تقذر وبحث بعضهم التعميم غفلة عن المعنى وعن السنة والله أعلم.

(ويأكل بأصابعه الثلاث) الإبهام والسبابة والوسطى. قال العراقي: رواه مسلم من حديث كعب بن مالك اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي في الشمائل ولفظهم جميعاً: كان يأكل بثلاث أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها. ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ: « رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث بالإبهام والتي تليها والوسطى ثم رأيته يلعق أصابعه الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى ثم التي تليها ثم الإبهام ». (وربما استعان بالرابعة) قال العراقي: رويناه في الغيلانيات من حديث عامر بن ربيعة وفيه القاسم بن عبد الله العمري هالك، وفي مصنف ابن أبي شيبة من رواية الزهري مرسلاً: « كان النبي ﷺ يأكل بالخمس » اهـ.

قلت: حديث عامر بن ربيعة رواه أيضاً الطبراني في الكبير ولفظه: « كان يأكل بثلاث أصابع ويستعين بالرابعة » وأما مرسل الزهري فمحمول على المائع وذلك لأن الاقتصار على الثلاث محله إن كفت والا فكما في المائع زاد بحسب الحاجة.

(ولم يكن) ﷺ (يأكل باصبعين ويقول: « إن ذلك أكلة الشياطين ») قال العراقي:

ذلك أكلة الشيطان » . وجاءه عثمان بن عفان رضي الله عنه بفالوذج فأكل منه وقال: « ما هذا يا أبا عبدالله » قال: بأبي أنت وأمي نجعل السمن والعسل في البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة إذا طحنت فنقليه على السمن والعسل في البرمة، ثم نسوطه حتى ينضج فيأتي كما ترى، فقال رسول الله ﷺ : « إن هذا الطعام طيب » . وكان يأكل

رواه الدارقطني في الإفراد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف: « لا تأكل باصبع فإنه أكل الملوك ولا تأكل باصبعين فإنه أكل الشياطين » الحديث اهـ.

قلت: ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بلفظ: « لا تأكلوا بهاتين » وأشار بالإبهام والمشيرة « كلوا بثلاث فإنها سنة ولا تأكلوا بالخمس فإنها أكلة الأعراب » .

(و) يروى أنه ﷺ (**جاءه عثمان بن عفان**) رضي الله عنه (**بفالوذج**) وهو اسم أعجمي لنوع من الحلواء (**فأكل منه وقال: « ما هذا يا أبا عبد الله »**) قال ابن عبد البر يكنى أبا عبد الله وأبا عمرو كنيتان مشهورتان وأبو عمرو أشهرهما. قيل: إنه ولدت له رقية بنت رسول الله ﷺ ابناً فسماه عبد الله واكتنى به ومات ثم ولد له عمرو فاكتنى به إلى أن مات. قال: وقد قيل أنه كان يكنى أبا ليلى (**قال: بأبي أنت وأمي نجعل السمن والعسل في البرمة**) وهي بالضم قدر من فخار (**ونضعها على النار حتى نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة**) أي لبابها (**إذا طحنت فنقليه على السمن والعسل ثم نسوطه**) أي نحركه بالسوط (**حتى ينضج**) أي يستوي (**فيأتي كما ترى فقال ﷺ : « إن هذا طعام طيب »**) قال العراقي: المعروف أن الذي صنعه عثمان الخبيص. رواه البيهقي في الشعب من حديث ليث بن أبي سليم قال: أول من خبص الخبيص عثمان بن عفان قدمت عليه عير تحمل النقي والعسل الحديث. وقال: هذا منقطع. وروى الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن سلام أقبل عثمان ومعه راحلة وعليها غرارتان وفيه فإذا دقيق وسمن وعسل وفيه ثم قال لأصحابه: كلوا هذا الذي تسميه فارس الخبيص. وأما خبر الفالوذج فرواه ابن ماجه بإسناد ضعيف من حديث ابن عباس قال: أول ما سمعنا بالفالوذج أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: إن أمتك تفتح عليهم الأرض ويفاض عليهم من الدنيا حتى أنهم ليأكلون الفالوذج. قال النبي ﷺ : « وما الفالوذج » قال: يخلطون السمن والعسل جميعاً. قال ابن الجوزي في الموضوعات هذا حديث باطل لا أصل له اهـ.

قلت: أخرجه ابن الجوزي من طريق ابن أبي الدنيا قال: حدثني إبراهيم بن سعد الجوهري، ثنا أبو اليمان، عن إسماعيل بن عياش، عن محمد بن طلحة، عن عثمان بن يحي عن ابن عباس فذكره. وفي رواية أخرى بزيادة فشهق النبي ﷺ شهقة. قال: وهذا حديث باطل لا أصل له، ومحمد بن طلحة قد ضعفه يحي بن معين، وعثمان بن يحي الحضرمي. قال الأزدي: لا يكتب حديثه عن ابن عباس، وقال النسائي إسماعيل بن عياش ضعيف. قلت: وهذا القدر الذي ذكره لا يوجب أن يكون الحديث باطلا لا أصل له. كيف وقد أخرجه ابن ماجه. وغاية ما يقال أن إسماعيل بن

خبز الشعير غير منخول، وكان يأكل القثاء بالرطب، وبالملح، وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب، وكان يأكل البطيخ بالخبز وبالسكر، وربما أكله بالرطب،

عياش إذا روى عن غير الشاميين فلا يحتج بحديثه، وفرق بين أن يقال ضعيف وأن يقال باطل، والعجب من الحافظ العراقي كيف سكت عن التعقب عليه.

(وكان) ﷺ (يأكل خبز الشعير غير منخول) من نخالته وفي هذا تركه ﷺ التكلف والاعتناء بشأن الطعام فإنه لا يعتني به إلا أهل البطالة والغفلة. قال العراقي: رواه البخاري من حديث سهل بن سعد اهـ.

قلت: ورواه مسلم والترمذي نحوه.

(وكان) ﷺ (يأكل القثاء بالرطب) قال الكرماني: الباء للمصاحبة أو للملاصقة وإنما يفعل ذلك لأن الرطب حار رطب في الثانية يقوي المعدة الباردة لكنه سريع التعفن مورث للسدد، والقثاء بارد رطب في الثانية منعش للقوى ملطف للحرارة ففي كل منهما إصلاح للآخر. قال العراقي: متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والأربعة إلا النسائي ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ: «رأيت النبي ﷺ في يمينه قثاء وفي شماله رطب وهو يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة» وسنده ضعيف.

(و) كان ﷺ يأكل القثاء (بالملح) لكونه يدفع ضرره قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحي بن هاشم كذبه ابن معين وغيره. ورواه ابن عدي وفيه عباد بن كثير متروك. (وكان) ﷺ (أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب) البطيخ معروف وبتقديم الطاء على الباء لغة فيه، وهل المراد به الأصفر أو الأخضر، مختلف فيه، كان يأكل هذا بهذا رفعاً لضرر كل منهما بالآخر قال العراقي: روى أبو نعيم في الطب النبوي من رواية أمية بن زيد العبسي أن النبي ﷺ يحب من الفاكهة العنب والبطيخ. وروى ابن عدي من حديث عائشة: «فإن خير الفاكهة العنب» وسنده ضعيف اهـ.

قلت: وقد روى ابن عدي هذا الحديث الذي ساقه المصنف بهذا اللفظ في ترجمة عباد بن كثير الثقفي وهو ضعيف وساقه أيضاً الذهبي في ميزانه في ترجمته ونقل تضعيفه عن جماعة وكذلك أبو عمر النوقاني في كتاب البطيخ من حديث أبي هريرة.

(وكان) ﷺ (يأكل البطيخ بالخبز) قال العراقي: لم أره وإنما وجدت أكله العنب بالخبز في حديث عائشة عن ابن عدي بسند ضعيف. (و) يأكل تارة (بالسكر) قال العراقي: ان أريد بالسكر نوع من التمر والرطب مشهور. فهو الحديث الآتي بعده، وإن أريد بالسكر الذي هو بطبرزد فلم أر له أصلاً في حديث منكر معضل رواه أبو عمر النوقاني في كتاب البطيخ من رواية محمد بن علي بن الحسين أن النبي ﷺ أكل بطيخاً بسكر، وفيه موسى بن إبراهيم المروزي كذبه يحي بن معين اهـ.

ويستعين باليدين جميعاً، وأكل يوماً الرطب في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ

قلت: قال في المصباح: السكر نوع من الرطب شديد الحلاوة. قال أبو حاتم في كتاب النخلة: نخل السكر الواحدة سكرة. وقال الأزهري: التمر نخل السكر وهو معروف عند أهل البحرين: فإن كان المراد بالسكر هنا هو الطبرزدي فيتعين أن يكون المراد بالبطيخ هو الأصفر، فإنه الذي يؤكل به مع احتمال إرادة الأخضر إلا أن ابن حجر ذكر في شرح الشمائل أن النبي ﷺ لم ير السكر وما ورد بأنه حضر ملاك بعض الأنصار فنثر على العروس بالسكر واللوز فلا أصل له.

(وربما أكله بالرطب) قال العراقي: رواه الترمذي والنسائي من حديث عائشة وحسنه الترمذي، ولابن ماجه من حديث سهل بن سعد كان يأكل الرطب بالبطيخ وهو عند الدارمي بلفظ: «البطيخ بالرطب» وروى أبو الشيخ وابن عدي في الكامل والطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب من حديث أنس: «كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره ويأكل الرطب بالبطيخ وكانا أحب الفاكهة إليه» فيه يوسف بن عطية الصفار مجمع على ضعفه. وروى ابن عدي من حديث عائشة: «كان أحب الفاكهة إلى رسول الله ﷺ الرطب والبطيخ» وهو ضعيف أيضاً اهـ.

قلت: ورواه الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر بلفظ: «كان يأكل البطيخ بالرطب» وروى الطيالسي من حديث جابر بسند حسن: «كان يأكل الخبز بالرطب ويقول هما الأطيبان» وهذا يؤيد قول من قال: إن المراد بالبطيخ هو الأصفر. وروى أبو داود والبيهقي من حديث عائشة: «كان يأكل البطيخ بالرطب ويقول يكسر حر هذا ببرد هذا وبرد هذا بحر هذا» قال ابن القيم: في البطيخ عدة أحاديث لا يصح منها شيء غير هذا الحديث الواحد.

(ويستعين باليدين جميعاً) قال العراقي رواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر. قال: آخر ما رأيت رسول الله ﷺ في إحدى يديه رطبات وفي الأخرى قثاء يأكل من هذه ويعض من هذه، وتقدم حديث أنس في أكله بيديه قبل هذا بثلاثة أحاديث اهـ.

قلت: وتقدم أيضاً أكله القثاء بالرطب بيديه من رواية الطبراني في الأوسط بنحوه، قال العراقي: ولا يلزم من هذا لوثبت أكله بشماله فلعله كان يأخذ بيده اليمنى من الشمال رطبة رطبة فيأكلها مع ما في يمينه فلا مانع من ذلك.

(وأكل) ﷺ (يوماً رطباً كان في يمينه وكان يحفظ النوى في يساره فمرت به شاة أشار إليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة) قال العراقي: هذه القصة رويناها في فوائد أبي بكر الشافعي من حديث أنس بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: وروى الحاكم في الأطعمة من حديث أنس كان يأكل الرطب ويلقي النوى على الطبق. وقال: صحيح على شرطهما وأقره الذهبي.

وانصرفت الشاة، وكان ربما أكل العنب خرطاً يرى رؤاله على لحيته كخرز اللؤلؤ، وكان أكثر طعامه الماء والتمر، وكان يجمع اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين، وكان أحب الطعام إليه اللحم ويقول: «هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل». وكان يأكل الثريد باللحم والقرع. وكان يحب

(وربما أكل العنب خرطاً) يقال: خرط العنقود وأخرطه إذا وضعه في فمه وأخذ حبه وخرج عرجونه عارياً. وفي رواية ذكرها ابن الأثير خرصاً بالصاد بدل الطاء أي من غير عدد، **(يرى رؤاله على لحيته كحدر اللؤلؤ وهو)** أي الرؤال بالضم **(الماء الذي يتقطر منه)** قال العراقي: رواه ابن عدي في الكامل من حديث العباس والعقيلي في الضعفاء من حديث ابن عباس هكذا مختصراً وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: وكذا رواه الطبراني في الكبير هو والعقيلي من طريق داود بن عبد الجبار، عن ابن الجارود، عن حبيب بن يسار، عن ابن عباس رفعه: «كان يأكل العنب خرطاً» قال العقيلي: داود ليس بثقة ولا يتابع عليه، وأخرجه البيهقي في الشعب من طريقين ثم قال: ليس فيه إسناد قوي، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ولم يصب بل هو ضعيف.

(وكان أكثر طعامه) ﷺ **(التمر والماء)** قال العراقي: روى البخاري من حديث عائشة توفي رسول الله ﷺ وقد شبعنا من الأسودين التمر والماء.

(وكان) ﷺ **(يتمجع اللبن بالتمر ويسميهما الأطيبين)** قال العراقي: روى أحمد من رواية إسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال: دخلت على رجل وهو يتمجع لبناً بتمر وقال: ادن فإن رسول الله ﷺ سماهما الأطيبين. ورجاله ثقات وإبهام الصحابي لا يضر اهـ. قلت: المجيع كامير تمر يعجن بلبن وقد جاء ذكره في فقه اللغة للثعالبي وأنه ﷺ كان يحبه وتقدم من حديث جابر كان يأكل الخربز بالرطب ويقول: هما الأطيبان.

(وكان أحب الطعام إليه) ﷺ **(اللحم ويقول: هو يزيد في السمع وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة، ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل)** قال العراقي: رواه أبو الشيخ من رواية ابن سمعان قال: سمعت من علمائنا يقولون، كان أحب الطعام إلى رسول الله ﷺ اللحم الحديث وللترمذي في الشمائل من حديث جابر: أتانا النبي ﷺ في منزلنا فذبحنا له شاة فقال: «كأنهم علموا أنا نحب اللحم». وإسناده صحيح. ولابن ماجه من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف «سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم» اهـ.

قلت: قصة جابر وقعت في غزوة الخندق، وسيأتي ذكرها عند ذكر المعجزات وهي طويلة أشار إليها الترمذي في الشمائل بقوله. وفي الحديث قصة. وقال الزهري: أكل اللحم يزيد سبعين قوة. وقال الشافعي: أكله يزيد في العقل، وعن علي رضي الله عنه يصفي اللون ويحسن الخلق ومن

القرع ويقول: « إنها شجرة أخي يونس عليه السلام ». قالت عائشة رضي الله عنها وكان يقول: « يا عائشة إذا طبختم قدرا فأكثروا فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين ». وكان يأكل لحم الطير الذي يصاد، وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له ويؤتى به فيأكله، وكان إذا أكل اللحم لم يطأطىء رأسه إليه ويرفعه إلى فيه رفعاً ثم ينتهشه انتهاشاً

تركه أربعين صباحاً ساء خلقه. وروى أبو نعيم في الطب من حديث علي: « سيد طعام الدنيا والآخرة اللحم». ورواه البيهقي من حديث بريرة بزيادة: « وسيد الشراب». الحديث بطوله. وروى الحاكم في تاريخه من حديث صهيب بزيادة ثم الأرز.

(وكان ﷺ يأكل الثريد باللحم والقرع) رواه مسلم من حديث أنس، وروى أبو داود والحاكم من حديث ابن عباس « كان أحب الطعام إليه الثريد من الخبز والثريد في الحيس».
(وكان) ﷺ **(يحب القرع)** وهو الدباء **(ويقول إنها شجرة أخي يونس عليه السلام)** قال العراقي: روى النسائي وابن ماجه من حديث أنس كان النبي ﷺ يحب القرع، وقال النسائي: الدباء وهو عند مسلم بلفظ يعجبه، وروى ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي هريرة في قصة يونس فلفظته في أصل حجرة وهي الدباء اهـ.

قلت: وروى الترمذي في الشمائل من حديث أنس: « كان يتتبع الدباء من حوالي القصعة» وعند أحمد كما عند مسلم « كان يعجبه القرع» وقوله تعالى: ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ [الصافات: ١٤٦] قالوا: هي الدباء.

(قالت عائشة رضي الله عنها كان) ﷺ **(يقول: « يا عائشة إذا طبختم قدراً فاكثروا فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين)** قال العراقي: رويناه في فوائد أبي بكر الشافعي من حديثها ولا يصح. **(وكان** ﷺ **(يأكل لحم الطير الذي يصاد)** قال العراقي: روى الترمذي من حديث الحسن قال: كان عند النبي ﷺ طير فقال: « اللهم آتني بأحب الخلق إليك يأكل معي هذا الطير» فجاء علي فأكل معه. قال: حديث غريب. قلت: وله طرق كلها ضعيفة. وروى أبو داود والترمذي واستغربه من حديث سفينة قال: أكلت مع النبي ﷺ لحم حبارى.

(وكان لا يتبعه ولا يصيده ويحب أن يصاد له فيؤتى به فيأكله) قال العراقي: هذا هو الظاهر من أحواله، فقد قال: « من تبع الصيد غفل» رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن عباس وقال الترمذي: حسن غريب، وأما حديث صفوان بن أمية عند الطبراني قد كانت قبلي لله رسل كلهم يصطاد أو يطلب الصيد وهو ضعيف جداً.

(وكان) ﷺ **(إذا أكل اللحم لم يطأطىء رأسه إليه ورفعه إلى فيه رفعاً ثم ينتهسه انتهاساً)** روى أبو داود من حديث صفوان بن أمية قال: كنت آكل مع النبي ﷺ فآخذ اللحم من العظم فقال: « ادن العظم من فيك فإنه أهنأ وأمرأ» وللترمذي من حديثه: « انهس اللحم نهساً

وكان يأكل الخبز والسمن، وكان يحب من الشاة الذراع والكتف، ومن القدر الدباء، ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة، ودعا في العجوة بالبركة وقال: « هي من الجنة وشفاء من السم والسحر »، وكان يحب من البقول الهندباء والباذروج والبقلة الحمقاء التي

فإنه أهنأ وأمرأ » وهووالذي قبله منقطع وللشيخين من حديث أبي هريرة: « فتناول الذراع فنهس منها نهسة » الحديث قاله العراقي والنهس: والإنتهاس الأخذ بمقدم الأسنان.

(وكان) ﷺ **(يأكل الخبز والسمن)** متفق عليه من حديث أنس في قصة طويلة فيها فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة فآدمته الحديث، وفيه: ثم أكل النبي ﷺ. وفي رواية ابن ماجه وضعت فيها شيئاً من سمن ولا يصح ولأبي داود وابن ماجه من حديث ابن عمر وددت أن غدى خبزة بيضاء من برة سمراء مبلغة بسمن. قال أبو داود: منكر.

(وكان) ﷺ **(يحب من الشاة الذراع والكتف)** روى الشيخان من حديث أبي هريرة قال: وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكانت أحب الشاة إليه. الحديث. وروى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب اللحم إلى رسول الله ﷺ الكتف، وإسناده ضعيف. ومن حديث أبي هريرة لم يكن يعجبه من الشاة إلا الكتف وتقدم. قاله العراقي.

قلت: وروى أحمد وأبو داود وابن السني وأبو نعيم كلاهما في الطب من حديث ابن مسعود كان أحب الفراق إليه ذراعي الشاة. وحديث ابن عباس المذكور رواه أيضاً أبو نعيم في الطب. وروى أبو داود أيضاً من حديث ابن مسعود بلفظ: كان يعجبه الذراع، ولابن السني وأبي نعيم في الطب من حديث أبي هريرة: كان يعجبه الذراعان والكتف.

(ومن القدير) أي المطبوخ في القدر **(الدباء)** تقدم حديث أنس قبل هذا بستة أحاديث كان يحب الدباء، ولأبي الشيخ من حديث أنس: كان أعجب الطعام إليه الدباء **(ومن الصباغ الخل)** روى أبو الشيخ من حديث ابن عباس كان أحب الصباغ إلى رسول الله ﷺ الخل وإسناده ضعيف قاله العراقي. قلت: ورواه كذلك أبو نعيم في الطب والمراد به ما يصبغ الخبز فيكون إداماً له وقد ورد نعم الإدام الخل.

(ومن التمر العجوة) روى أبو الشيخ من حديث ابن عباس بسند ضعيف كان أحب التمر إلى رسول الله ﷺ العجوة قاله العراقي. قلت: وكذا رواه أبو نعيم في الطب، والمراد بالعجوة عجوة المدينة وهي أجود التمر وألينه وألذه. **(ودعا)** ﷺ **(في العجوة بالبركة وقال: « هي من الجنة »)** يريد المبالغة في الاختصاص بالمنفعة والبركة فكأنها منها. **(وشفاء من السم والسحر)** قالَ العراقي: روى البزار والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن الاسود قال: كنا

يقال لها الرجلة، وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول، وكان لا يأكل من الشاة سبعاً:

عند رسول الله ﷺ في وفد سدوس فأهدينا له تمراً وفيه حتى ذكرنا له تمراً فقلنا له هذا الجذامي، فقال: بارك الله في الجذامي، وفي حديقة خرج هذا منها الحديث. قال أبو موسى المدني: قيل هو تمر أحمر، وللترمذي النسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة العجوة من الجنة وهي شفاء من السم. وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص من تصبّح بسبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر اهـ.

قلت: وروى أبو نعيم في الطب بسند ضعيف من حديث بريدة العجوة من فاكهة الجنة، وروى أحمد وابن ماجه والحاكم والديلمي من حديث رافع بن عمر، والمزني: العجوة والصخرة والشجرة من الجنة، ولابن النجار من حديث ابن عباس «العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم» الحديث. وأما حديث أبي هريرة الذي أورده العراقي فقد رواه أيضاً أحمد، ويروى عن أبي سعيد الخدري وجابر، رواه كذلك أحمد والنسائي وابن ماجه وابن منيع والديلمي، وعندهم كلهم زيادة. والكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين. قال الزمخشري: العجوة تمر بالمدينة من غرس رسول الله ﷺ. وقال الحليمي: معنى كونها من الجنة أن فيها شبهاً من ثمار الجنة في الطبع، فلذلك صارت شفاء من السم. وقال السمهودي: لم يزل أطباق الناس على التبرك بالعجوة وهو النوع المعروف الذي يأثره الخلف عن السلف بالمدينة ولا يرتابون في ذلك. وأما حديث «من تصبح كل يوم» الخ فقد رواه كذلك أحمد وأبو داود كلهم من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه.

(وكان) ﷺ **(يحب من البقول الهندبا والباذروج)** هو الريحان القرنفلي وهو الضيمران **(والبقلة الحمقاء التي يقال لها الرجلة)**. قال العراقي: روى أبو نعيم في الطب من حديث ابن عباس عليكم بالهندباء فإنه ما من يوم إلاّ وهو يقطر عليه قطرة من قطر الجنة، وله من حديث الحسن بن علي وأنس بن مالك نحوه وكلها ضعيفة اهـ. قلت: في سند حديث ابن عباس عمرو ابن أبي سلمة ضعفه ابن معين وغيره. قال العراقي: وأما الباذروج فلم أجد فيه حديثاً. وأما الرجلة: فروى أبو نعيم في الطب من رواية ثوير قال: مرَّ النبي ﷺ بالرجلة وفي رجله قرحة فداواها فبرئت فقال رسول الله ﷺ «بارك الله فيك انبتي حيث شئت أنت شفاء من سبعين داء». أدناها الصداع وهو مرسل ضعيف.

(وكان) ﷺ **(يكره الكليتين)** تثنية كلية وهي من الاحشاء معروفة، والكلوة بالواو لغة لأهل اليمن وهما بضم الأوّل. قالوا: ولا تكسر. وقال الازهري: الكليتين للإنسان ولكل حيوان وهما منبت زرع الولد **(لمكانهما من البول)** أي لقربهما منه فتعافهما النفس، ومع ذلك يحل أكلهما وإنما قال لمكانهما من البول لأنهما كما في التهذيب لحمتان حمراوان لاصقتان بعظم الصلب عند الخاصرتين فهما مجاوران لتكوّن البول أو تجمعه. قال العراقي: رويناه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الشخير من حديث ابن عباس بسند ضعيف فيه أبو سعيد الحسن بن علي العدولي أحد الكذابين اهـ. قلت: وكذلك رواه ابن السني في كتاب الطب النبوي.

الذكر والانثيين والمثانة والمرارة والغدد والحياء والدم ويكره ذلك، وكان لا يأكل الثوم

(ولا يأكل من الشاء) جمع شاة والشاة الواحدة من الغنم للذكر والأنثى **(سبعاً)** مع كونها حلالاً **(الذكر والأنثيين)** أي الخصيتين **(والمثانة)** وهي مجمع البول **(والمرارة)** وهي ما في جوف الحيوان فيها ماء أخضر. قال الليث: المرارة لكل ذي روح إلا البعير فلا مرارة له، **(والغدد)** جمع غدة بالضم وهي لحم يحدث من داء بين الجلد واللحم يتحرك بالتحريك **(والحياء)** ممدود الفرج من ذوات الخف والظلف قاله ابن الأثير، **(والدم)** غير المسفوح لأن الطبخ السليم يعاف هذه الأشياء وليس كل حلال تطيب النفس لأكله، **(ويكره ذلك)** قال الخطابي: الدم حرام إجماعاً وعامة المذكورات معه مكروهة لا محرمة، وقد يجوز أن يفرق بين القرائن التي جمعها نظم واحد بدليل يقوم على بعضها فيحكم له بخلاف حكم صواحباتها وردّه أبو شامة بأنه لم يرد بالدم هنا ما فهمه الخطابي، فإن الدم المحرم بالإجاع قد انفصل من الشاة وخلت منه عروقها، فكيف يقول الراوي: كان يكره من الشاء يعني بعد ذبحها سبعاً، والسبع موجودة فيها وأيضاً فمنصبه ﷺ يجل عن أن يوصف بأنه كره شيئاً هو منصوص على تحريمه على الناس كافة، وكان اكثرهم يكرهه قبل تحريمه ولا يقدم على أكله الا الجفاة في شظف من العيش وجهد من القلة، وإنما وجه هذا الحديث المنقطع الضعيف أنه كره من الشاة ما كان من أجزائها دماً منعقد مما يحل أكله لكونه دماً غير مسفوح. كما في خبر أحل لنا ميتتان ودمان فكأنه أشار بالكراهة إلى الطحال والكبد مما ثبت أنه أكله والله أعلم.

قال العراقي: رواه ابن عدي ومن طريقه البيهقي من حديث ابن عباس باسناد ضعيف، ورواه البيهقي من رواية مجاهد مرسلاً اهـ. قلت: رواه ابن عدي من طريق فهد بن نسر، عن عمر بن موسى بن وجيه، عن مجاهد عن ابن عباس ثم قال البيهقي: بعد أن أخرجه من طريقه وعمر ضعيف ووصله لا يصح اهـ.

وقال ابن القطان: عمر بن موسى متروك وقد جزم عبد الحق بتضعيفه وتبعه العراقي، وأما مرسل مجاهد فأخرجه البيهقي عن سفيان عن الأوزاعي عن واصل بن أبي جيلة عنه، ورواه أبو حنيفة الإمام عن واصل بن أبي جيلة، ورواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف.

(وكان) ﷺ **(لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث)** قال العراقي: رواه مالك في الموطأ عن الزهري عن سليمان بن يسار مرسلاً وهو عند الدارقطني في غرائب مالك عن الزهري عن أنس. وفي الصحيحين من حديث جابر أتى ببدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحاً الحديث. وفيه فإني أناجي من لا تناجي ولمسلم من حديث أبي أيوب في قصة بعثه إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه. وقال: لكني أكرهه من أجل ريحه اهـ.

قلت: ويقاس على هؤلاء الفجل وكل بقلة كريهة. وروى أبو داود في سننه من حديث عائشة

ولا البصل ولا الكراث، وما ذم طعاماً قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يبغضه إلى غيره، وكان يعاف الضب والطحال ولا يحرمها، وكان يلعق بأصابعه الصحفة ويقول: آخر الطعام أكثر بركة، وكان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمرّ،

آخر طعام أكله ﷺ فيه بصل، ولا ينافي في ما تقدم من الأخبار لأن محله في النيء على أن الأصح نيء هذه مكروه عليه وليس بمحرم، وروى أبو نعيم في الحلية. والخطيب في التاريخ عن أنس: كان لا يأكل الثوم ولا البصل ولا الكراث من أجل أن الملائكة تأتيه وإنه يكلم جبريل.

(وما ذم) ﷺ **(طعاماً قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه)** وهذا قد تقدم بلفظ: ما عاب والذم والعيب مترادفان، **(وإن عافه لم يبغضه إلى غيره)** ففي الصحيحين من حديث ابن عمر في قصة الضب فقال: «كلوا فإنه ليس بحرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قومي». **(وكان)** ﷺ **(يعاف الضب والطحال ولا يحرمها)** أما الضب ففي الصحيحين من حديث ابن عباس «لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه» ولها من حديث ابن عمر «لست بآكله ولا محرمه» وأما الطحال فروى ابن ماجه من حديث ابن عمر «أحلت لنا ميتتان ودمان. وفيه: وأما الدمان فالكبد والطحال» وللبيهقي موقوفاً على زيد بن ثابت إني لا آكل الطحال وما بي إليه حاجة إلا ليعلم أهلي انه لا بأس به اهـ.

قلت: وروى ابن صصري في أماليه كان لا يأكل الجراد ولا الكلوتين ولا الضب من غير أن يحرمها.

(وكان) ﷺ **(يلعق الصحفة)** التي فيها الطعام **(ويقول: آخر الطعام أكثر بركة)** قال العراقي: روى البيهقي في الشعب من حديث جابر في حديث قال فيه ولا يرفع القصعة حتى يلعقها أو يلعقها، فإن آخر الطعام فيه البركة. ولمسلم من حديث أنس: أمرنا ان نسلت الصحفة. قال «إن أحدكم لا يدري في أي طعامه يبارك له فيه» اهـ.

قلت: وفي بعض روايات مسلم من حديث جابر «فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة» وأما حديث جابر الذي رواه البيهقي، فقد رواه أيضاً ابن حبان بلفظ «ولا ترفع الصحفة حتى تلعقها فإن في آخر الطعام البركة». وروى أحمد والترمذي وابن ماجه والبغوي والدارمي وابن أبي خيثمة وابن السكن وابن شاهين وابن قانع والدارقطني من حديث قبيشة الخير الهذلي مرفوعاً «من أكل في قصعة ولحسها استغفرت له». قال الترمذي والدارقطني غريب، وأورده بعضهم تستغفر القصعة للاحسها.

(وكان) ﷺ **(يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث كعب بن مالك دون قوله حتى تحمر. فلم أقف له على أصل اهـ. قلت: والمعنى يبالغ في لعقها وكأنه أخذ ذلك من رواية الترمذي في الشمائل كان يلعق أصابعه ثلاثاً أي يلعق كل اصبع ثلاث مرات.

وكان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول: إنه لا يدرى في أي الطعام البركة، وإذا فرغ قال: « الحمد لله اللهم لك الحمد أطعمت فأشبعت وسقيت

(وكان) ﷺ (لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه واحدة واحدة ويقول: لا يدري في أي الأصابع البركة) قال العراقي: روى مسلم من حديث كعب بن مالك: أن النبي ﷺ كان لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعقها. وله من حديث جابر « فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة» وللبيهقي في الشعب من حديثه « لا يمسح أحدكم يده بالمنديل حتى يلعق يده فإن الرجل لا يدري في أي طعامه يبارك له » اهـ.

قلت: روي في هذا عن ابن عباس وجابر وأبي هريرة وزيد بن ثابت وأنس، فلفظ حديث ابن عباس « إذا أكل أحدكم طعاماً فلا يمسح يده بالمنديل حتى يلعقها أو يلعقها » رواه كذلك أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه. وحديث جابر مثله بزيادة « فإنه لا يدري في أي طعامه البركة ». رواه كذلك أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه. وأما حديث أبي هريرة فلفظه « إذا أكل أحدكم طعاماً فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة» رواه كذلك أحمد ومسلم والترمذي، ورواه كذلك الطبراني في الكبير عن زيد بن ثابت، ورواه كذلك الطبراني في الأوسط عن أنس. قال ابن حجر في شرح الشمائل الأكمل أن يلعق كل اصبع ثلاثاً متوالية لاستقلال كل فناسب كمال تنظيفها قبل الانتقال إلى البقية، فيبدأ بالوسطى لكونها أكثر تلويثاً إذ هي أطول فيبقى فيها من الطعام أكثر من غيرها، ولأنها لطولها أوّل ما ينزل الطعام ثم بالسبابة ثم بالابهام لما روى الطبراني في الأوسط رأيت رسول الله ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى، ثم التي تليها ثم الابهام. وعند مسلم: إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه لأنه لا يدري في أي طعامه البركة. وفي هذه الأخبار الرد على من كره اللعق استقذار، ومن ثم قال الخطابي: عاب قوم افسد عقولهم الترفه لعق الأصابع، وزعموا أنه مستقبح كأنهم لم يعلموا أن الطعام الذي لعق بالأصابع والصحفة جزء مما أكلوه فإذا لم يستقذر كله فلا يستقذر بعضه، وليس فيه أكثر من مصها بباطن الشفة ولا يشك عاقل أن لا بأس بذلك، وقد يدخل الإنسان اصبعه في فيه فيدلكه ولم يستقذر ذلك أحد اهـ. ملخصاً.

ويؤيده ان الاستقذار إنما يتوهم في اللعق أثناء الأكل لأنه يعيدها في الطعام وعليها آثار ريقه، وهذا غير سنة. واعلم أن الكلام فيمن استقذر ذلك من حيث هو لا مع نسبته للنبي ﷺ وإلا خشي عليه الكفر إذ من استقذر شيئاً من أحواله ﷺ مع علمه بنسبته إليه كفر، ثم قوله: أو يلعقها غيره أي ممن لا يتقذره من نحو ولد وخادم وزوجة يحبونه ويتلذذون بذلك منه فإن في ذلك بركة.

(و) كان ﷺ **(إذا فرغ)** من الطعام **(قال: «اللهم لك الحمد»)** لأن الطعام نعمة

فأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه». وكان إذا أكل الخبز

والحمد عقيب النعم يقيدها ويؤذن باستمرارها وزيادتها، فلذلك أتى ﷺ بتلك الصفات البليغة تحريضاً لأمته على التأسي به في ذلك فقال: (**«أطعمت واشبعت وسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور**) أي غير مجحود بفضله ونعمته (**ولا مودّع**) بتشديد الدال مع فتحها أي غير متروك ومع كسرها أي حال كوني غير تارك له ومعرض عنه فمآل الروايتين واحد وهو دوام الحمد واستمراره (**ولا مستغنى عنه»**) بفتح النون قيل عطف تفسير إذ المتروك المستغنى عنه وفيه نظر، بل فيه فائدة لم تستفد من سابقه هنا وهي إنه لا استغناء لأحد عن الحمد لوجوبه ان من تركه لفظاً يأثم به على أنه إن أتى به في مقابلة النعمة أثيب عليه ثواب المندوب. قال العراقي: رواه الطبراني من حديث الحرب بن الحرث بسند ضعيف اهـ.

قلت: هو صحابي أزدي، والحديث المذكور من رواية محمد بن أبي قيس عن عبد الأعلى عنه، ورواه أحمد عن رجل من بني سليم له صحبة ولفظه: كان إذا فرغ من طعامه قال «اللهم لك الحمد أطعمت وسقيت وأشبعت وأرويت فلك الحمد غير مكفور ولا مودّع ولا مستغنى عنك» قال الحافظ ابن حجر: وفيه عبد الله بن عامر الأسلمي فيه ضعف من قبل حفظه وسائر رجاله ثقات.

قال العراقي: وللبخاري من حديث أبي أمامة كان إذا فرغ من طعامه قال «الحمد لله الذي كفانا وآوانا غير مكفي ولا مكفور» وقال مرة «الحمد لله ربنا غير مكفي ولا مودّع ولا مستغنى عنه ربنا» اهـ.

قلت: وروى الجماعة إلا مسلماً من حديث أبي أمامة كان إذا رفع مائدته قال «الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولا مودّع ولا مستغنى عنه ربنا» وفي رواية الترمذي وابن ماجه وإحدى روايات النسائي «الحمد لله حمداً» وفي لفظ للنسائي «اللهم لك الحمد حمداً» وعن أبي سعيد الخدري ان النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين» رواه الأربعة واللفظ لأبي داود وابن ماجه ولفظ الترمذي كان النبي ﷺ إذا أكل أو شرب قال فذكر نحوه. وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل أو شرب قال: «الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوّغه وجعل له مخرجاً» رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، وعن أبي هريرة قال: دعانا رجل من الانصار من أهل قباء يعني النبي ﷺ فانطلقنا معه فلما طعم وغسل يده أو يديه قال: «الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم من علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا وكل بلاء حسن أبلانا الحمد لله غير مودّع ولا مكافي ولا مكفور ولا مستغنى عنه. الحمد لله الذي أطعم من الطعام وأسقى من الشراب وكسا من العرى وهدى من الضلالة وبصر من العمى وفضل على كثير ممن خلق تفضيلاً الحمد لله رب العالمين» رواه النسائي واللفظ له. والحاكم وابن حبان في صحيحهما. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، وروى ابن أبي شيبة من مرسل سعيد بن جبير أنه ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال «اللهم أشبعت وأرويت فهنيتنا ورزقتنا فاكثرت

واللحم خاصة غسل يديه غسلاً جيداً ثم يمسح بفضل الماء على وجهه، وكان يشرب في ثلاث دفعات وله فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تحميدات، وكان يمص الماء

وأطبت فزدنا». وروى الحاكم من حديث أبي الهيثم بن التيهان فإذا شبعتم فقولوا «الحمد لله الذي هو أشبعنا وأروانا وأنعم علينا وأفضل».

(وكان) ﷺ (إذا أكل الخبز واللحم خاصة غسل يديه غسلاً جيداً) قال العراقي روى أبو يعلى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف «من أكل من هذه اللحوم شيئاً فليغسل يده من ريح وضره لا يؤذي من حذاءه» اهـ.

قلت: ورواه ابن عدي في الكامل بلفظ «إذا أكل أحدكم طعاماً فليغسل يده من وضر اللحم» واسناده ضعيف أيضاً وعليه يحمل ما رواه أحمد والطحاوي والطبراني وابن عساكر من حديث سهل ابن الحنظلية رفعه «من أكل لحماً فليتوضأ أي فليغسل يده من وضره أي زهومته ودسمه، وتقدم قريباً حديث أبي هريرة دعانا رجل من الأنصار وفيه فلما طعم وغسل يده أو يديه، **(ثم يمسح بفضل الماء على وجهه)**.

(وكان) ﷺ (يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي أواخرها ثلاث تحميدات) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورجاله ثقات، ولمسلم من حديث أنس: «كان إذا شرب تنفس ثلاثاً» اهـ.

قلت: وروى ابن السني من حديث نوفل بن معاوية كان يشرب بثلاثة أنفاس يسمي الله في أوّله ويحمد الله في آخره، وروى أيضاً الطبراني من حديث ابن مسعود كان إذا شرب تنفس في الإناء ثلاثاً يسمي عند كل نفس ويشكر عند آخرهنَّ. قال النووي: ضعيف وهذا يدل على أنه إنما يشكر مرة واحدة بعد فراغ الثلاث، وفي الغيلانيات من حديث ابن مسعود: كان إذا شرب تنفس في الإناء ثلاثاً يحمد على كل نفس ويشكر عند آخرهنَّ، وروى أحمد والشيخان والأربعة من حديث أنس: «كان إذا شرب تنفس ثلاثاً ويقول هو أهنأ وامرأ وأبرأ» وروى الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس «كان إذا شرب تنفس مرتين» أي في أثناء الشرب فيكون قد شرب ثلاث مرات وسكت عن التنفس الأخير لكونه من ضرورة الواقع فلا تعارض بينه وبين ما قبله من الثلاث.

(وكان) ﷺ (يمص) الماء **(مصاً)** قال العراقي: روى البغوي والطبراني وابن عدي وابن قانع وابن منده وأبو نعيم في الصحابة من حديث بهز كان يستاك عرضاً ويشرب مصاً اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن السني وأبو نعيم في الطب وكلهم من طريق بشير بن كثير عن يحيى بن سعيد، عن ابن المسيب، عن بهز وهو القشيري. قال البغوي: وليس له إلاّ هذا الحديث وهو منكر، وفي الإصابة ورواه بعضهم عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه فقيل: إن ابن المسيب سمعه

مصاً ولا يعب عباً، وكان يدفع فضل سؤره إلى من على يمينه، فإن كان من على يساره أجلّ رتبة قال للذي على يمينه: « السنّة أن تعطي فإن أحببت آثرتهم »، وربما كان يشرب

منه فأرسله الراوي عنه فظنه بعضهم صحابياً، ولكن روي في بعض طرقه عن جد بهز وهو معاوية فسقط لفظ جد من الراوي، وبالجملة فاسناده مضطرب ليس بالقائم، ورواه أيضاً في السنن عن ربيعة بن أكثم، وكذا العقيلي كلاهما من طريق علي بن ربيعة عن ابن المسيب عنه وهو أيضاً ضعيف.

(ولا يعب عباً) قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أم سلمة: كان لا يعب ولأبي الشيخ من حديث ميمونة لا يعب ولا يلهث وكلها ضعيفة. اهـ.

قلـت: لفظ حديث أم سلمة عند الطبراني كان يبدأ بالشراب إذا كان صائماً، وكان لا يعب فيشرب مرتين أو ثلاثاً وفيه يحي الحماني وهو ضعيف، وروى سعيد بن منصور وابن السني، وأبو نعيم في الطب والبيهقي في الشعب من مرسل ابن أبي حسين « إذا شرب أحدكم فليمص مصاً ولا يعب عباً فإن الكباد من العب ». وروى الديلمي من حديث علي « إذا شربتم الماء فاشربوه مصاً ولا تشربوه عباً فإن العب يورث الكباد » وروى أبو داود في مراسيله عن عطاء بن أبي رباح « إذا شربتم فاشربوا مصاً وإذا استكتم فاستاكوا عرضاً.

(وربما كان) ﷺ **(يشرب بنفس واحد حتى يفرغ)** قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف، وللحاكم من حديث أبي قتادة وصححه « إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد » ولعل تأويل هذين الحديثين على ترك التنفس في الإناء والله أعلم.

(وكان) ﷺ **(لا يتنفس في الإناء)** أي في جوفه **(بل ينحرف عنه)** لأنه يغير الماء إما لتغير الفم بالمأكول وإما لترك السواك وإما لأن النفس يصعد ببخار المعدة. قال العراقي: روى الحاكم من حديث أبي هريرة « لا يتنفس أحدكم في الإناء إذا شرب منه ولكن إذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم يتنفس » قال: حديث صحيح الإسناد اهـ.

قلـت: وروى ابن ماجه والطبراني من حديث ابن عباس « كان لا ينفخ في طعام ولا شراب ولا يتنفس في الإناء » وأما ما روي عن ابن مسعود: كان إذا شرب تنفس في الإناء ثلاثاً فمعناه أن يشرب ثم يزيله عن فمه ويتنفس ثم يشرب ثم يفعل كذلك ثم يشرب ثم يفعل كذلك.

(وكان) ﷺ **(يدفع فضل سؤره)** أي ما بقي من الشراب **(إلى من على يمينه)** قال العراقي: متفق عليه من حديث انس اهـ. قلت: ومن ثم قال ﷺ « الايمن فالايمن أو الأيمـنون فالأيمنون » واستفيد منه تقديم الأيمن ندباً ولو صغيراً مفضولاً.

(فإن كان من على يساره أجل رتبة قال للذي على يمينه « السّنة أن تعطي فإن أحببت آثرتهم ») قال العراقي: متفق عليه من حديث سهل بن سعد اهـ. قلت: وروي عن ابن عباس

بنفس واحد حتى يفرغ، وكان لا يتنفس في الاناء بل ينحرف عنه، وأتي بإناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال: « شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد »، ثم قال ﷺ: « لا أحرمه ولكني أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غداً وأحب التواضع فإن من تواضع لله رفعه الله »، وكان في بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاماً ولا يتشهاه عليهم إن أطعموه أكل وما أعطوه قبل وما سقوه شرب، وكان ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه أو يشرب.

قال: « دخلت مع رسول الله ﷺ أنا وخالد بن الوليد على ميمونة فجاءتنا بإناء من لبن، فشرب رسول الله ﷺ وأنا عن يمينه وخالد عن شماله. فقال لي: الشربة لك فإن شئت آثرت بها خالداً، فقال: ما كنت أوثر على سؤرك أحداً » الحديث. رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه. وقال الترمذي: واللفظ له هذا حديث حسن وروى النسائي هذا القدر المذكور.

(وأتي) ﷺ (بإناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال: « شربتان في شربة وإدامان في إناء واحد » ثم قال ﷺ « لا أحرمه ولكني أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غداً وأحب التواضع فإن من تواضع لله رفعه ») قال العراقي: رواه البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله شربتان في شربة الخ وسنده ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك في الأطعمة من حديث أنس قال: « أتي النبي ﷺ بقعب فيه لبن وعسل فأبى أن يشربه وقال: إدامان في إناء لا آكله ولا أحرمه » قال الحاكم: صحيح ورده الذهبي في التلخيص وقال: بل منكر واهٍ. وقال الهيتمي: عقب عزوه للحاكم فيه عبد الكبير بن شعيب لم أعرفه وبقية رجاله ثقات. وقال الحافظ بن حجر في طريق الطبراني راو مجهول. وأما قوله « من تواضع لله رفعه » فرواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة، ورواه ابن النجار بزيادة، ومن اقتصد أغناه الله. وروى ابن منده وأبو عبيد من حديث أوس بن خولى بزيادة ومن تكبر وضعه الله. وروى أبو الشيخ من حديث معاذ بلفظ « من تواضع تخشعاً لله رفعه الله » وروى تمام وابن عساكر من حديث ابن عمر في أثناء حديث « إني قد أوحي إليّ ان تواضعوا ولا يبغي أحد على أحد فمن رفع نفسه وضعه الله ومن وضع نفسه رفعه الله » الحديث.

(وكان) ﷺ (في بيته أشد حياء من العاتق) يقال: عتقت المرأة خرجت عن خدمة أبويها وعن أن يملكها زوج فهي عاتق بلاهاء. روى الشيخان والترمذي من حديث أبي سعيد « كان أشد حياء من العذراء في خدرها » وقد تقدم. **(لا يسألهم طعاماً)** يعتنيه **(ولا يتشهاه عليهم إن أطعموه أكل وما أعطوه)** وفي بعض النسخ: وما أطعموه **(قبل وما سقوه شرب)** والمراد بعدم سؤاله إياهم طعاماً يتشهاه لنفسه، وأما مطلق السؤال فقد ثبت. قال العراقي: روى مسلم من حديث عائشة أنه قال لها ذات يوم هل عندكم شيء؟ قالت: فقلت ما عندنا شيء. الحديث. وفيه فلما رجع قلت أهديت لنا هدية قال: ما هو؟ قلت: حيس. قال: هاتيه، وفي رواية

بيان آدابه وأخلاقه في اللباس:

كان ﷺ يلبس من الثياب ما وجد من إزار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير

قربيه، وفي رواية للنسائي أصبح عندكم شيء تطعمينيه، ولأبي داود هل عندكم طعام، وللترمذي أعندك غداء. وفي الصحيحين من حديث عائشة فدعا بطعام فأتي بخبز وأدم من أدم البيت، فقال: ألم أر برمة على النار فيها لحم؟ الحديث. وفي رواية لمسلم «لو صنعتم لنا من هذا اللحم» الحديث. فليس في قصة بريرة إلا الاستفهام والعرض والحكمة فيه بيان الحكم لا التشهي والله أعلم.

وللشيخين من حديث أم الفضل أنها أرسلت إليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره فشربه، ولأبي داود من حديث أم هانىء فجاءت الوليدة بإناء فيه شراب فناولته فشرب منه، وإسناده حسن.

(وكان) ﷺ (ربما قام فأخذ ما يأكل أو يشرب بنفسه) قال العراقي: روى أبو داود من حديث أم المنذر بنت قيس: دخل عليَّ رسول الله ﷺ ومعه عليّ وعليٌّ ناقةٌ ولنا دوال معلقة، فقام رسول الله ﷺ فأكل منها الحديث. واسناده حسن، وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث كبشة دخل علي رسول الله ﷺ فشرب من في قربة معلقة قائماً الحديث.

بيان آدابه وأخلاقه ﷺ في اللباس:

(كان ﷺ يلبس من الثياب ما وجد من ازار أو رداء أو قميص أو جبة أو غير ذلك) قال العراقي: روى الشيخان من حديث عائشة أنها أخرجت إزاراً مما يصنع باليمن وكساء من هذه الملبدة فقالت: في هذا قبض النبي ﷺ، وفي رواية إزاراً غليظاً. ولهما من حديث أنس: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية» الحديث لفظ مسلم. وقال البخاري «برد نجراني» ولابن ماجه بسند ضعيف من حديث ابن عباس «كان رسول الله ﷺ يلبس قميصاً قصير اليدين والطول» ولأبي داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث أم سلمة «كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص» ولأبي داود من حديث أسماء بنت يزيد كانت يد كم رسول الله ﷺ إلى الرسغ وفيه شهر بن حوشب مختلف فيه وتقدم قبل ذلك حديث الجبة والشملة والحبرة اهـ.

قلت: ومن ذلك ما رواه الشيخان، وأبو داود، والنسائي من حديث أنس «كان أحب الثياب إليه الحبرة» ولفظ حديث ابن عباس عند ابن ماجه «كان يلبس قميصاً فوق الكعبين مستوى الكمين بأطراف أصابعه، وقد أخرجه كذلك ابن عساكر في التاريخ، وروى الحاكم من حديثه «كان قميصه فوق الكعبين وكان كمه مع الأصابع» وروى ابن سعد من مرسل يزيد بن أبي حبيب كان يرخي الازار من بين يديه ويرفعه من ورائه.

ذلك، وكان يعجبه الثياب الخضر، وكان أكثر لباسه البياض ويقول: « ألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم »، وكان يلبس القباء المحشوّ للحرب وغير الحرب، وكان له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه، وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الازار فوق ذلك إلى نصف الساق، وكان قميصه مشدود الإزار وربما حل

(وكان) ﷺ **(يعجبه الثياب الخضر)** أغفله العراقي وقد روى أبو الشيخ، وأبو نعيم في الطب من حديث أنس « كان أحب الألوان إليه الخضرة » أي من الثياب وغيرها لأن الخضرة من ثياب الجنة. قال ابن بطال: وكفى به شرفاً موجباً للمحبة، ورواه كذلك البزار، وأخرج ابن عدي والبيهقي عن قتادة قال: خرجنا مع أنس إلى أرض فقيل: ما أحسن هذه الخضرة؟ فقال أنس: كنا نتحدث أن أحب الألوان إلى النبي ﷺ الخضرة.

(وكان) ﷺ **(أكثر لباسه البياض ويقول « البسوها وكفنوا بها موتاكم »)** قال العراقي: رواه ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عباس « خير ثيابكم البيض فألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم » قال الحاكم: صحيح الإسناد، وله ولأصحاب السنن من حديث سمرة « عليكم بهذه الثياب البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم » لفظ الحاكم. وقال: صحيح على شرط الشيخين، وقال الترمذي حسن صحيح اهـ.

قلت: حديث ابن عباس أخرجه أيضاً الطبراني بتقديم وتأخير وزيادة، وخير إكحالكم الإثمد ينبت الشعر ويجلو البصر، وحديث سمرة أخرجه كذلك أحمد وابن سعد والروياني والطبراني والبيهقي والضياء بزيادة فإنها من خير ثيابكم.

(وكان ﷺ **يلبس القباء المحشو)** بالقطن أو الصوف **(وغير المحشو)** قال العراقي: روى الشيخان من حديث المسور بن مخرمة « أن النبي ﷺ قدمت عليه أقبية من ديباج مزررة بالذهب » الحديث، وليس في طرق الحديث لبسها إلا في طريق علقها البخاري قال: فخرج وعليه قباء من ديباج مزرر بالذهب الحديث، ولمسلم من حديث جابر: « لبس النبي ﷺ يوماً قباء ديباج أهدي له ثم نزعه » الحديث.

(وكان) ﷺ **(له قباء سندس فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه)** قال العراقي: روى أحمد من حديث أنس أن أكيدردومـة أهدي إلى النبي ﷺ جبة سندس أو ديباج قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها، والحديث في الصحيحين وليس فيه أنه لبسها وقال فيه وكان ينهى عن الحرير وعند الترمذي وصححه والنسائي أنه لبسها، ولكنه قال: بجبة ديباج منسوجة فيها الذهب.

(وكانت ثيابه) ﷺ **(كلها مشمرة وفوق الكعبين ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق)** قال العراقي: روى أبو الفضل محمد بن طاهر في كتاب صفوة التصوف من حديث عبد الله بن بسر كانت ثياب رسول الله ﷺ إزاره فوق الكعبين وقميصه فوق ذلك ورداؤه فوق

الإزار في الصلاة وغيرها ، وكانت له ملحفة مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها

ذلك وإسناده ضعيف ، وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس : « كان يلبس قميصاً فوق الكعبين » الحديث . وهو عند ابن ماجه بلفظ قميصاً قصير اليدين والطول وسندهما ضعيف ، وللترمذي في الشمائل من رواية الأشعث قال : سمعت عمتي تحدث عن عمها فذكر النبي ﷺ وفيه فإذا إزاره إلى نصف ساقيه ، ورواه النسائي وسمى الصحابي عبيد بن خالد واسم عمة الأشعث رهم بنت الأسود ولا تعرف اهـ .

قلت : عبيد بن خالد السلمي البهيزي ، وقيل : عبيدة ، وقيل عبدة شهد صفين مع علي قال له النبي ﷺ : « لو رفعت إزارك كان أبقى وأنقى » قاله شيبان النحوي عن أشعث بن أبي الشعثاء عن عمته عن عتيك قال : خليفة كنيته أبو عبد الله من ساكني الكوفة أدرك زمن الحجاج وقال ابن أبي حاتم : اسمه عبيدة .

(وكان) ﷺ (قميصه مشدود الازرار وربما حل الازرار في الصلاة وغيرها) قال العراقي : رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي في الشمائل من رواية معاوية بن قرة بن إياس قال : أتيت النبي ﷺ في رهط من مزينة فبايعناه وأن قميصه لمطلق الازرار ، وللبيهقي من رواية زيد بن أسلم قال : رأيت ابن عمر يصلي محلول أزراره فسألته عن ذلك فقال : رأيت رسول الله ﷺ يفعله . وفي العلل للترمذي أنه سأل البخاري عن هذا الحديث فقال : أنا أتقي هذا الشيخ كان حديثه موضوع يعني زهير بن محمد راوية عن زيد بن أسلم . قلت : تابعه عليه الوليد بن مسلم عن زيد رواه ابن خزيمة في صحيحه اهـ .

قلت : وجدت بخط الشمس الداودي كذا في الأصل ، والوليد لم يلحق زيد بن أسلم وإنما رواه عن زهير بن محمد أيضاً كذا في أصل ابن خزيمة في كتاب الصلاة اهـ . وبخط الشمس الشامي تحته ، وكذا أخرجه ابن حبان والحاكم من الوجه الذي أخرجه عنه ابن خزيمة ، وكذا أخرجه البيهقي والحاكم وكذا في مسند البزار وغيره اهـ .

قال العراقي : وللطبراني من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف دخلت على رسول الله ﷺ وهو يصلي محتبياً محلل الازرار .

(وكانت له) ﷺ **(ملحفة)** بكسر الميم الملاءة تلتحف بها المرأة **(مصبوغة بالزعفران وربما صلى بالناس فيها وحدها)** قال العراقي : روى أبو داود والترمذي من حديث قيلة بنت مخرمة قالت : رأيت النبي ﷺ وعليه أسمال ملاءتين كانتا بزعفران . قال الترمذي : لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن حسان . قلت : ورواته موثقون ولأبي داود من حديث قيس بن سعد فاغتسل ثم ناوله أبي سعد ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس فاشتمل بها لحديث ورجاله ثقات اهـ .

قلت : وروى الخطيب في تاريخه في ترجمة نوح القوسي من حديث أنس : « كان له ملحفة مصبوغة بالورس والزعفران يدور بها على نسائه فإذا كانت ليلة هذه رشتها بالماء ، وإذا كانت ليلة هذه

وحدها، وربما لبس الكساء وحده ما عليه غيره، وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول: «إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد» وكان له ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة، وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين كتفيه، وربما أَمَّ به الناس على الجنائز، وربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتحفاً به مخالفاً بين طرفيه ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ، وكان ربما صلى بالليل في الإزار ويرتدي

رشتها بالماء» وسنده ضعيف. والورس: نبت أصفر يزرع باليمن يصبغ به، أو المراد صنف من الكركم أو يشبهه وفيه حل لبس المزعفر والمورس وفيه اختلاف عند العلماء.

(وربما لبس) ﷺ **(الكساء وحده ما عليه غيره)** قال العراقي: رواه ابن ماجه وابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت أن النبي ﷺ صلى في بني عبد الأشهل وعليه كساء متلفف به الحديث. وفي رواية البزار في كساء. **(وكان له)** ﷺ **(كساء ملبد يلبسه)** قال العراقي: روى الشيخان من رواية أبي بردة قال: أخرجت إلينا عائشة كساء ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت: في هذين قبض رسول الله ﷺ وقد تقدم. **(ويقول: «إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبيد»)** رواه البخاري من حديث عمر: «إنما أنا عبد» ولعبد الرزاق في المصنف من رواية أيوب السختياني مرفوعاً معضلاً «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» وتقدم من حديث أنس وابن عمر وعائشة متصلاً قاله العراقي. قلت: وروى تمام وابن عساكر من حديث ابن عمر: «من لبس الصوف وانتعل بمخصوف» الحديث وفيه «أنا عبد بن عبد آكل أكلة العبد وأجلس جلسة العبد» الحديث.

(وكان له) ﷺ **(ثوبان لجمعته خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة)** قال العراقي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف زاد فإذا انصرف طويناهما إلى مثله ويرده حديث عائشة عند ابن ماجه ما رأيته يسب أحداً ولا يطوى له ثوب اهـ.

قلت: ويمكن الجمع بينهما بأن يستثني أي غير ثوبي الجمعة، وسيأتي أنه كان له برد أخضر للجمعة خاصة.

(وربما لبس) ﷺ **(الإزار الواحد ليس عليه غيره يعقد طرفيه بين كتفيه)** قال العراقي: روى الشيخان من حديث عمر في حديث اعتزاله أهله، فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره، وللبخاري من رواية محمد بن المنكدر صلى بنا جابر في إزار قد عقده من قبل قفاه وثيابه موضوعة على المشجب، وفي رواية له وهو يصلي في ثوب ملتحفاً به ورداؤه موضوع وفيه: رأيت النبي ﷺ يصلي هكذا. **(وربما أم به الناس على الجنائز)** قال العراقي: لم أقف عليه، **(وربما صلى في بيته في الإزار الواحد ملتحفاً به مخالفاً بين طرفيه)** يدل له حديث جابر السابق قبله، **(ويكون ذلك الإزار الذي جامع فيه يومئذ)** قال العراقي: روى أبو يعلى بإسناد حسن من حديث معاوية قال: دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ فرأيت النبي ﷺ يصلي في ثوب واحد،

ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك، ولقد كان له كساء أسود فوهبه فقالت له أم سلمة: بأبي أنت وأمي ما فعل ذلك الكساء الأسود؟ فقال: «كسوته» فقالت: ما رأيت شيئاً قط كان أحسن من بياضك على سواده، وقال أنس: وربما رأيته يصلي بنا الظهر في شملة عاقداً بين طرفيها، وكان يتختم، وربما خرج

فقلت: يا أم حبيبة أيصلي النبي ﷺ في الثوب الواحد؟ قالت: نعم، وهو الذي كان فيه ما كان يعني الجماع. ورواه الطبراني في الأوسط.

(وكان) ﷺ (ربما صلى بالليل في الإزار ويرتدي ببعض الثوب مما يلي هدبه ويلقي البقية على بعض نسائه فيصلي كذلك) قال العراقي: روى أبو داود من حديث عائشة: «أن النبي ﷺ صلى في ثوب بعضه علي» ولمسلم كان يصلي من الليل وأنا إلى جنبه وأنا حائض وعلى مرط وعليه بعضه إلى جنبه، وللطبراني في الأوسط من حديث أبي عبد الرحمن حاضن عائشة: رأيت النبي ﷺ وعائشة يصليان في ثوب واحد نصفه على النبي ﷺ ونصفه على عائشة وسنده ضعيف.

(ولقد كان له) ﷺ **(كساء أسود فوهبه)** لآخر **(فقالت له أم سلمة)** رضي الله عنها: **(بأبي أنت وأمي)** يا رسول الله **(ما فعل ذلك الكساء الأسود؟ قال: «كسوته» فقالت: ما رأيت شيئاً قط كان أحسن من بياضك على سواده)** قال العراقي: لم أقف عليه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة: خرج النبي ﷺ وعليه مرط مرجل أسود، ولأبي داود والنسائي صنعت للنبي ﷺ بردة سوداء من صوف فلبسها .الحديث. وزاد فيه ابن سعد في الطبقات فذكرت بياض النبي ﷺ وسوادها ورواه الحاكم بلفظ: «جبة» وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(وقال أنس) رضي الله عنه: **(ربما رأيته)** ﷺ **(يصلي بنا الظهر في شملة عاقداً بين طرفيها)** قال العراقي: رواه البزار وأبو يعلى بلفظ «صلى في ثوب واحد قد خالف بين طرفيه» وللبزار «خرج في مرضه الذي مات فيه مرتدياً بثوب قطن فصلى بالناس» وإسنادهما صحيح، ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت: «صلى في شملة قد عقد عليها» وفي كامل ابن عدي قد عقد عليها هكذا، وأشار سفيان إلى قفاه وفي خبر الغطريف فعقدها في عنقه ما عليه غيرها وإسناده ضعيف.

(وكان) ﷺ **(يتختم)** رواه الشيخان من حديث ابن عمر وأنس قاله العراقي، ولفظهما كان يتختم في يمينه، وكذلك رواه الترمذي عن ابن عمر، ورواه مسلم والنسائي عن أنس، ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر، وروى ابن عدي عن ابن عمر بزيادة ثم حوله في يساره، وكذلك رواه ابن عساكر عن عائشة، وروى مسلم عن أنس: «كان يتختم في يساره» وكذلك رواه أبو داود عن ابن عمر، وعند الطبراني من حديث عبد الله بن جعفر: «كان

وفي خاتمه الخيط المربوط يتذكر به الشيء، وكان يختم به على الكتب ويقول: الخاتم على الكتاب خير من التهمة، وكان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير عمامة، وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها، وربما لم تكن العمامة فيشد

يتختم بالفضة» **(وربما خرج)** ﷺ **(وفي خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء)** قال العراقي: رواه ابن عدي من حديث واثلة بسند ضعيف كان إذا أراد الحاجة أوثق في خاتمه خيطاً وزاد الحرث بن أبي أسامة في مسنده من حديث ابن عمر ليذكره به وسنده ضعيف اهـ.

قلت: حديث ابن عمر هذا أخرجه أبو يعلى من طريق سالم بن عبد الأعلى بن الفيض، عن نافع عنه أن النبي ﷺ كان إذا أشفق من الحاجة أن ينساها ربط في اصبعه خيطاً ليذكرها، وكذا هو في رابع الخلعيات وسالم ضعيف جداً. وقال الدارقطني في الافراد أنه تفرد به ورواه ابن سعد في الطبقات والحكيم الترمذي في النوادر بلفظ: «كان إذا أشفق من الحاجة ينساها ربط في خنصره أو خاتمه الخيط» ويروى عن رافع بن خديج قال: رأيت في يد النبي ﷺ خيطاً فقلت: ما هذا قال: «استذكر به» رواه الدارقطني في الافراد وقال: تفرد به غياث بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن الحرث عن عياش بن أبي ربيعة عن سعيد المقبري عنه.

(وكان) ﷺ **(يختم به على الكتب)** روى الشيخان من حديث أنس: «لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم قالوا أنهم لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة» الحديث وللنسائي والترمذي في الشمائل من حديث ابن عمر: «اتخذ خاتماً من فضة فكان يختم به ولا يلبسه» وسنده صحيح. **(ويقول: الخاتم على الكتاب خير من التهمة)** قال العراقي: لم أقف له على أصل.

(وكان) ﷺ **(يلبس القلانس)** جمع قلنسوة فعنلوة بفتح العين وسكون النون **(تحت العمائم)** جمع عمامة **(و)** تارة يلبسها **(بغير عمامة)** والظاهر أنه كان يفعل ذلك في بيته، وأما إذا ظهر للناس فالظاهر أنه كان لا يخرج إلا بعمامة فوق القلنسوة، **(وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه ثم يصلي إليها)** الظاهر أنه كان يفعل ذلك عند عدم تيسر ما يستتر به أو بياناً للجواز. قال العراقي: رواه الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر: «كان رسول الله ﷺ يلبس قلنسوة بيضاء» ولأبي الشيخ من حديث ابن عباس: «كان لرسول الله ﷺ ثلاث قلانس قلنسوة بيضاء مضربة وقلنسوة برد حبرة وقلنسوة ذات آذان يلبسها في السفر وربما وضعها بين يديه إذا صلى» وإسنادهما ضعيف، ولأبي داود والترمذي من حديث ركانة فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس. قال الترمذي: غريب وليس إسناده بالقائم اهـ.

قلت: وحديث ابن عباس أخرجه أيضاً الروياني وابن عساكر بلفظ: «كان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير العمائم ويلبس العمائم بغير قلانس وكان يلبس القلانس اليمانية وهي البيض المضربة ويلبس ذوات الآذان في الحرب، وكان ربما نزع قلنسوته فجعلها سترته بين يديه وهو

العصابة على رأسه وعلى جبهته، وكانت له عمامة تسمى: السحاب، فوهبها من علي فربما طلع علي فيها فيقول ﷺ: «أتاكم علي في السحاب» وكان إذا لبس ثوباً لبسه من قبل ميامنه، ويقول: «الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس» وإذا

يصلي» وحديث ابن عمر الذي أورده أولاً تفرد به عبد الله بن خراش وهو ضعيف وقال العراقي في شرح الترمذي: أجود إسناد في القلانس ما رواه أبو الشيخ عن عائشة: «كان يلبس القلانس في السفر ذوات الآذان وفي الحضر المضمرة» يعني الشامية.

(وربما لم تكن العمامة فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته) قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن عباس صعد النبي ﷺ المنبر قد عصب رأسه بعصابة دسماء الحديث. **(وكانت له)** ﷺ **(عمامة تسمى السحاب فوهبها من علي)** رضي الله عنه، **(فربما طلع علي فيها فيقول** ﷺ: **«أتاكم علي في السحاب»)** قال العراقي: رواه ابن عدي، وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده وهو مرسل ضعيف جداً ولأبي نعيم في دلائل النبوة من حديث عمر في أثناء حديث عمامته السحاب الحديث اهـ.

قلت: ومن هنا اشتبه على الرافضة، فزعموا أن المراد بالسحاب التي في السماء فقالوا: هو حي ورفع في السحاب وهذا من ضلالهم وجهلهم بالسنة.

(وكان) ﷺ **(إذا لبس ثوباً)** أي إذا أراد لبسه **(يلبسه من قبل ميامنه)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة ورجاله رجال الصحيح وقد اختلف في رفعه اهـ.

قلت: الميامن جمع ميمنة والمراد بها هنا جهة اليمين. وقال الهروي: أي كان يخرج يده اليمنى من الثوب، وقال الطيبي: بميامنه أي بجانب يمينه أي فيندب التيامن في اللبس، ولفظ الترمذي: كان إذا لبس قميصاً بدأ بميامنه ورواه أيضاً النسائي في الزينة بنحوه **(ويقول: «الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس»)** قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب، وابن ماجه، والحاكم وصححه من حديث عمر بن الخطاب اهـ.

قلت: ورووه من حديث أبي أمامة قال: لبس عمر بن الخطاب ثوباً جديداً فقال: «الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل فيه في حياتي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لبس ثوباً جديداً فقال الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي ثم عمد إلى الثوب الذي أخلق فتصدق به كان في كنف الله وفي حفظ الله وفي ستر الله حياً وميتاً». هذا لفظ الترمذي ففي الإسناد رواية صحابي عن صحابي، وقد رواه كذلك أبو بكر بن أبي شيبة وابن السني في عمل يوم وليلة، والطبراني في الدعاء كلهم من حديث عمر، وروى ابن السني من حديث معاذ بن أنس رفعه: «من لبس ثوباً فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

نزع ثوبه أخرجه من مياسره، وكان إذا لبس جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً ثم يقول: « ما من مسلم يكسو مسلماً من سمل ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حياً وميتاً ». وكان له فراش من أدم حشوه ليف طوله ذراعان أو نحوه

(وإذا نزع ثوبه خرج من مياسره) جمع ميسرة ضد الميمنة. قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر كان إذا لبس شيئاً من الثياب بدأ بالأيمن وإذا نزع بدأ بالأيسر، وله من حديث أنس: كان إذا ارتدى أو ترجل أو انتعل بدأ بيمينه، وإذا خلع بدأ بيساره وسندهما ضعيف وهو في الانتعال في الصحيحين من حديث أبي هريرة من قوله لا من فعله اهـ.

قلت: فيندب التياسر في النزع كما يندب التيامن في اللبس، ومعنى خرج من مياسره أي أخرج اليد اليسرى من الثوب.

(وكان له) ﷺ (ثوب لجمعته خاصة سوى ثيابه لغير الجمعة) قال العراقي: تقدم قريباً بلفظ ثوبين اهـ.

قلت: روى البيهقي من حديث جابر كان له برد يلبسه في العيدين والجمعة، وفي رواية أخضر، وفي رواية كان يلبس برده الأحمر في العيدين والجمعة ورواه ابن خزيمة في صحيحه من غير ذكر الأحمر وأخذ منه الإمام الرافعي أنه يسن للإمام يوم الجمعة أن يزيد في حسن الهيئة واللباس ويتعمم ويرتدي، وروى الخطيب من حديث أنس: كان إذا استجد ثوباً لبسه يوم الجمعة.

(وكان) ﷺ (إذا لبس) ثوباً **(جديداً أعطى خلق ثيابه مسكيناً ثم يقول: « ما من مسلم يكسو مسلماً من سمل ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حياً وميتاً »)** قال العراقي: رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب من حديث عمر قال: رأيت رسول الله ﷺ دعا بثيابه فلبسها، فلما بلغ تراقيه قال: « الحمد لله الذي كساني ما أتجمل به في حياتي وأواري به عورتي » ثم قال: « ما من مسلم يلبس ثوباً جديداً » الحديث دون ذكر تصدقه ﷺ بثيابه. قال البيهقي: إسناده غير قوي وهو عند الترمذي وابن ماجه دون ذكر لبس النبي ﷺ لثيابه وهو أصح وقد تقدم اهـ.

قلت: روى الترمذي وقال: حسن غريب من حديث ابن عباس: « ما من مسلم كسا مسلماً ثوباً إلا كان في حفظ الله ما دام عليه منه خرقة » وهو عند ابن النجار « من كسا مسلماً ثوباً كان في حفظ من الله عز وجل ما بقي عليه منه خرقة » ورواه الحاكم وتعقب وأبو الشيخ بلفظ: « من كسا مسلماً ثوباً لم يزل في ستر الله ما دام عليه منه خيط أو سلك ».

(وكان له) ﷺ (فراش من أدم) أي جلد مدبوغ وهو محركة جمع أدمة أو أديم **(حشوه ليف)** أي من ليف النخل، لأنه الكثير بل المعروف عندهم، والضمير للأدم باعتبار لفظه: وإن

وعرضه ذراع وشبر أو نحوه، وكانت له عباءة تفرش له حيثما تنقل تثنى طاقين تحته، وكان ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره، وكان من خُلُقه تسمية دوابه وسلاحه

كان معناه جمعاً فالجملة صفة لأدم خلافاً لمن منع ذلك وجعلها حالية من الفراش وهو متفق عليه من حديث عائشة قاله العراقي. قلت: وورواه الترمذي في الشمائل.

وروى أحمد والأربعة إلا النسائي: كانت وسادته التي ينام عليها من أدم وحشوه ليف **(طوله ذراعان أو نحوه وعرضه ذراع وشبر أو نحوه)** قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث أم سلمة: كان فراش النبي ﷺ نحو ما يوضع للإنسان في قبره وفيه من لم يسم اهـ.

قلت: رواه أبو داود في اللباس في سننه عن بعض آل أم سلمة، وهذا الذي أشار إليه الشيخ أن فيه من لم يسم ولفظه: كان فراشه نحواً مما يوضع للإنسان في قبره، وكان المسجد عند رأسه، وقد رواه أيضاً ابن ماجه في الصلاة فيمكن أن يؤخذ التحديد الذي ذكره المصنف من هذا الحديث.

(وكانت له) ﷺ **(عباءة تفرش له حيثما تنقل تثني طاقتين تحته)** قال العراقي: رواه ابن سعد في الطبقات، وأبو الشيخ من حديث عائشة: دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية الحديث، ولابن سعد عنها أنها كانت تفرش للنبي ﷺ عباءة باثنين الحديث، وكلاهما لا يصح للترمذي في الشمائل من حديث حفصة وسئلت ما كان فراشه قالت مسح نثنيه ثنيتين فينام عليه الحديث وهو منقطع اهـ.

قلت: وقصة الأنصارية رواها البخاري عن عائشة أن أنصارية دخلت علي فرأت فراشه ﷺ قطيفة مثنية فبعثت لها بفراش حشوه صوف، فدخل عليها ﷺ فقال: «ما هذا»؟ فذكرت له القصة. فقال: «رديه فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة».

(وكان) ﷺ **(ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره)** قال العراقي: متفق عليه من حديث عمر في قصة إعتزال النبي ﷺ نساءه اهـ.

قلت: وذلك أنه دخل عليه في مشربة وكان مضطجعاً على خصفة وأن بعضه لعلى التراب الحديث. وعن ابن مسعود أنه ﷺ نام على حصير فقام وقد أثر في جنبه، وعند الطبري «أنه دخل عليه في غرفة وهو نائم على حصير قد أثر في جنبه فبكى» الحديث. وعند ابن حبان في صحيحه أن أبا بكر وعمر دخلا عليه، فإذا هو نائم على سرير له مزمل بالبردى عليه كساء أسود حشوه بالبردى، فلما رآهما استوى جالساً فنظراه فإذا أثر السرير في جنبه الحديث.

(وكان من خلقه) ﷺ **(تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه)** أغفله العراقي: وقد روى الروياني وابن عساكر من حديث ابن عباس: كان يلبس القلانس تحت العمائم الحديث، وفي آخره وكان من خلقه أن يسمي سلاحه ودوابه ومتاعه أي كما كان يسمي قميصه ورداءه وعمامته.

ومتاعه، وكان اسم رايته: العقاب. واسم سيفه الذي يشهد به الحروب: ذو الفقار. وكان له سيف يقال له: المخذم. وآخر يقال له: الرسوب، وآخر يقال له: القضيب.

(وكان اسم رايته العقاب) رواه ابن عدي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف: كانت راية رسول الله ﷺ سوداء تسمى العقاب، ورواه أبو الشيخ من حديث الحسن مرسلاً قاله العراقي.

قلت: وكذلك رواه ابن سعد في الطبقات، وروى الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث ابن عباس: « كانت رايته سوداء ولواؤه أبيض » قال الطيبي: أي غالب لونها أسود بحيث نرى من بعيد سوداء لأن لونها أسود خالص، وسكت عنه الحاكم ولم يصححه لأن فيه يزيد بن حبان مضعف، وقيل: بل هو مجهول الحال وساقه ابن عدي من مناكير حبان بن عبيد الله. نعم رواه الترمذي في العلل عن البراء من طريق آخر بلفظ: « كانت سوداء مربعة من نمرة » ثم قال: سألت عنه محمداً يعني البخاري فقال: حديث حسن اهـ.

ورواه الطبراني باللفظ المذكور من هذا الوجه وزاد: « مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله » وفي سنن أبي داود أنها كانت صفراء.

تنبيه:

الراية: العلم الكبير واللواء العلم الصغير. فالراية هي التي يتولاها صاحب الحرب ويقاتل عليها وإليها تميل المقاتلة، واللواء علامة كبكبة الأمير تدور معه حيث دار. وقال ابن العربي: اللواء ما يعقد في طرف الرمح ويكون عليه، والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح.

(واسم سيفه الذي) كان **(يشهد به الحروب ذوالفقار)** قال ابن القيم: تنفله من بدر وهو الذي أرى فيه الرؤيا ودخل به يوم فتح مكة، وكانت أسيافه سبعة وهذا ألزمها. وقال الزمخشري: سمي ذا الفقار لأنه كانت في إحدى شفرتيه خروز شبهت بفقار الظهر، وكان هذا السيف لمنبه بن الحجاج، أو منبه بن وهب، أو العاص بن منبه، أو الحجاج بن علاط أو غيرهم، ثم صار عند الخلفاء العباسيين. قال العراقي: روى أبو الشيخ من حديث علي بن أبي طالب كان اسم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار، وللترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس أنه ﷺ تنفل سيفه ذا الفقاريوم بدر، وللحاكم من حديث علي في أثناء حديث وسيفه ذو الفقار وهو ضعيف اهـ.

وقال الأصمعي: دخلت على الرشيد فقال: أريكم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار؟ قلنا: نعم فجاء به فما رأيت سيفاً أحسن منه إذا نصب لم ير فيه شيء وإذا بطح عد فيه سبع فقر وإذا صفيحته يمانية يحار الطرف فيه من حسنه. وقال قاسم في الدلائل: إن ذلك كان يرى في رونقه شبيهاً بفقار الحية، فإذا التمس لم يوجد وله ذكر في حديث ابن عباس الطويل وسيأتي ذكره.

(وكان له) ﷺ **(سيف يقال له المخذم)** كمنبر، **(وآخر يقال له رسوب، وآخر يقال له القضيب)** قال العراقي: روى ابن سعد في الطبقات من رواية مروان بن أبي سعيد بن

وكانت قبضة سيفه محلاة بالفضة.

وكان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة، وكان اسم قوسه . الكتوم.

المعلى مرسلاً قال: أصاب رسول الله ﷺ من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف: سيف قلعي، وسيف يدعى بتاراً، وسيف يدعى الحتف. وكان عنده بعد ذلك المخذم ورسوب أصابهما من القلس، وفي سنده الواقدي، وذكر ابن أبي خيثمة في تاريخه أنه يقال أنه ﷺ قدم المدينة ومعه سيفان يقال لأحدهما القضيب شهد به بدراً اهـ.

قلت: اختلفوا في عدد سيوفه ﷺ فقيل: خمسة وهو قول عبد الملك بن عمير، وقيل سبعة نقله صاحب رأس مال النديم، وتقدم أيضاً عن ابن القيم. وقيل: تسعة ذكره عبد الباسط البلقيني، والمخذم ورسوب أحد السيوف التي أهدت بلقيس لسليمان عليه السلام ثم آل إلى الحرث بن شمر الغساني، وفي مفاهيم الاشراف للبلاذري في سرية علي رضي الله عنه لما توجه إلى هدم القلس بضم القاف وسكون اللام اسم صنم لطيء كان مقلداً بسيفين أهداهما إليه الحرث بن أبي شمر المخذم ورسوب وفيهما يقول علقمة بن عبدة:

مظاهر سربالي حديد عليهما عقيلاً سيوف مخذم ورسوب

فأتى بهما رسول الله ﷺ، والقضيب في اللغة هو اللطيف من السيوف. **(وكان قبيعة سيفه)** ﷺ **(من الفضة)** القبيعة بالقاف كسفينة ما على طرف مقبض السيف. قال العراقي: روى أبو داود والترمذي وقال: حسن والنسائي وقال منكر من حديث أنس: كان قبيعة سيف رسول الله ﷺ فضة اهـ.

قلت: ولفظ الشمائل من فضة وفي حديث ابن عباس الآتي ذكره كان له سيف محلى قائمته من فضة ونصله من فضة وفيه حلق من فضة، وكان يسمى ذا الفقار الحديث. وأراد بالنصل الحديدة التي في أسفل قرابه. قال ابن حجر في شرح الشمائل: فيه حل تحلية آلة الحرب بها للرجل إما بالذهب فيحرم فيهما للنساء ووقع لمن لا فقه عنده في التضبيب والتمويه بالذهب ما لا يرضي فاحذره، والحاصل أن الذهب لا يحل للرجال مطلقاً لا استعمالاً ولا اتخاذاً ولا تضبيباً ولا تمويهاً لا لآلة حرب ولا لغيرها، وكذا الفضة إلا في التضبيب والخاتم وتحلية آلة الحرب، وما وقع في بعض العبارات من حل المموه وحرمته أخرى محمول على تفصيل علم من مجموع كلامهم، وهو أنه ان حصل شيء بالعرض على النار من ذلك المموه حرمت استدامته كابتدائه، وإن لم يحصل منه شيء حرم الابتداء فقط، أما نفس التمويه الذي هو الفعل والإعانة عليه والتسبب فيه فحرام مطلقاً، ويأتي هذا التفصيل في تمويه الرجل الخاتم وآلة الحرب بالذهب، فتفطن لذلك لتأمن من العثار الواقع فيه بعض الشراح ممن لا يتقن المسائل الفقهية التي هي أحق بالإتقان من سفاسف الحكمة ومقدمات البرهان.

(وكان) ﷺ **(يلبس المنطقة)** بكسر الميم **(من الأدم)** محركة الجلد المدبوغ أو الأحمر أو

وجعبته الكافور ، وكان اسم ناقته : القصوى ، وهي التي يقال لها : العضباء ، واسم بغلته : الدلدل . وكان اسم حماره يعفور ، واسم شاته التي يشرب لبنها عينة ، وكان له مطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب منها ، فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا

مطلقاً أقوال (**فيها ثلاث : حلق من الفضة**) قال العراقي : لم أقف له على أصل ولابن سعد في الطبقات وأبي الشيخ من رواية علي بن الحسين مرسلاً : كان في درع النبي ﷺ حلقتان من فضة عند موضع الثدي وحلقتان خلف ظهره من فضة . (**وكان اسم قوسه**) ﷺ (**الكتوم و**) اسم (**جعبته الكافور**) قال العراقي : لم أجد له أصلاً . وفي حديث ابن عباس عند الطبراني إنه كان له قوس يسمى : « السداد » وكانت له كنانة تسمى « الجمع » وقال ابن أبي خيثمة في تاريخه : أخذ رسول الله ﷺ يوم أحد من سلاح بني قينقاع ثلاثة قسي قوس اسمها الروحاء ، وقوس شوحط تدعى البيضاء ، وقوس صفراء تدعى الصفراء من نبع اهـ .

قلت : يقال قوس كتوم أي لا ترن إذا قبضت أو التي لا شق فيها أو التي لا صدع في نبعها وأنشد الجوهري لأوس :

كتوم طلاع الكف لا دون ملئها ولا عجسها في موضع الكف أفضلا

وأما الكافور فهو وعاء كل شيء من النبات ، (**وكان اسم ناقته**) ﷺ (**القصوى وهي التي يقال لها العضباء ، واسم بغلته الدلدل ، وكان اسم حماره يعفور واسم شاته التي يشرب لبنها عينة**) قال العراقي : بعضه مذكور في حديث ابن عباس أي الآتي ذكره . وروى البخاري من حديث أنس : « كان للنبي ﷺ ناقة يقال لها العضباء » ولمسلم من حديث جابر في حجة الوداع ثم ركب القصوى ، وللحاكم من حديث علي : « ناقته القصوى وبغلته دلدل وحماره عفير » الحديث . ورويناه في فوائد أبي الدحداح فقال : « حماره يعفور » وفيه « شاته بركة » . وللبخاري من حديث معاذ : « كنت أردف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير » ولابن سعد في الطبقات من رواية إبراهيم ابن عبدالله من ولد عتبة بن غزوان : « كانت منائح رسول الله ﷺ من الغنم سبع عجوة وزمزم وشقباء وبركة ودرسة وأطلال وأطراف » وفي سنده الواقدي ، وله من رواية مكحول مرسلاً كانت له شاة تسمى قمراً اهـ .

قلت : حديث الحاكم الذي أخرجه عن علي قد أخرجه أيضاً البيهقي ولفظه : « كان فرسه يقال له المرتجز وناقته القصوى وبغلته الدلدل وحماره عفير ودرعه ذات الفضول وسيفه ذو الفقار » وروى أحمد من حديث علي والطبراني في الكبير والأوسط من حديث ابن مسعود بسند حسن : « كان له حمار اسمه عفير » .

(**وكانت له**) ﷺ (**مطهرة من فخار يتوضأ فيها ويشرب منها فيرسل الناس أولادهم الصغار الذين قد عقلوا ، فيدخلون على رسول الله ﷺ فلا يدفعون عنه ، فإذا وجدوا في**

فيدخلون على رسول الله ﷺ فلا يدفعون عنه، فإذا وجدوا في المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم يبتغون بذلك البركة.

المطهرة ماء شربوا منه ومسحوا على وجوههم وأجسادهم يبتغون بذلك البركة) قال العراقي: لم أقف له على أصل اهـ.

ولنذكر حديث ابن عباس الموعود بذكره وهو جامع لما تقدم مع زيادة ساقه العراقي فقال: روى الطبراني من حديث ابن عباس: «كان لرسول الله ﷺ سيف قائمته من فضة وقبيعته من فضة وكان يسمى ذا الفقار، وكان له قوس يسمى السداد، وكانت له كنانة تسمى الجمع، وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول، وكانت له حربة تسمى النبعة، وكانت له مجن تسمى الذفن، وكان له ترس أبيض يسمى الموجز، وكان له فرس أدهم يسمى السكب، وكان له سرج يسمى الداج الموجز، وكانت له بغلة شهباء يقال لها دلدل، وكانت له ناقة تسمى القصوى، وكان له حمار يسمى يعفور، وكان له بساط يسمى الكز، وكانت له عنزة تسمى النمر، وكانت له ركوة تسمى الصادر، وكانت له مرآة تسمى المدله، وكان له مقراض يسمى الجامع، وكان له قضيب شوحط يسمى الممشوق». وفيه علي بن عذرة الدمشقي نسب إلى وضع الحديث اهـ.

قلت: ورواه من طريق عثمان بن عبد الرحمن، عن علي بن عذرة، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء وعمرو بن دينار كلاهما عن ابن عباس. وعلي بن عذرة قال الهيثمي متروك، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقال: عبد الملك وعلي وعثمان متروكون، ونوزع في عبد الملك فإن الجماعة سوى البخاري رووا له. وفي بعض ألفاظ هذا الحديث: «كان له سيف محلّى قائمته من فضة ونصله من فضة» وفيه «حلق من فضة» وفيه: «وكان له قوس يسمى ذا السداد» قال ابن القيم: كانت له ست قسي هذا أحدها وفيه: «وكان له كنانة تسمى ذا الجمع» وهو بضم الجيم وسكون الميم. والكنانة جعبة السهام، والدرع المسماة ذات الفضول هي التي رهنها عند أبي الشحم اليهودي، وكان له سبعة دروع هذه أحدها. والنبعاء بتقديم النون على الموحدة ممدودة كذا في بعض ألفاظه. قال ابن القيم: وكانت له حربة أخرى كبيرة تدعى البيضاء، والمجن: بالكسر الذي يتستر به في الحرب وهو الترس. والذفن: بفتح الذال وسكون الفاء وفي بعض النسخ بالقاف بدل الفاء، وليس في بعض رواياته ذكر الترس بل زاد بعده: وكان له فرس أشقر يقال له المرتجز. والسكب: المذكور كان أغر محجلاً طلق اليمين وهو أول فرس غزا عليه قاله النووي في التهذيب. ودلدل: كقنفذ أهداها له يوحنا ملك إيلة. وظاهر البخاري أنه أهداها له في غزوة حنين، وقد كانت هذه البغلة عند رسول الله ﷺ قبل ذلك. قال القاضي: ولم يرد أنه كانت له بغلة غيرها نقله النووي عنه، وتعقبه الجلال البلقيني فإن البغلة التي كان عليها يوم حنين غير هذه. ففي مسلم: أنه كان على بغلة بيضاء أهداها له الجذامي قال: وفيما قاله القاضي نظر، فقد قيل: كان له دلدل، وفضة والتي أهداها ابن العلماء والإيلية، وأخرى أهداها له كسرى، وأخرى من دومة الجندل، وأخرى من النجاشي كذا في سيرة مغلطاي. وقال ابن القيم: كان له من البغال دلدل وكانت شهباء

بيان عفوه ﷺ مع القدرة:

كان ﷺ أحلم الناس، وأرغبهم في العفو مع القدرة حتى أتي بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين أصحابه فقام رجل من أهل البادية فقال: يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل فما أراك تعدل، فقال: « ويحك فمن يعدل عليك بعدي » فلما ولى قال: « ردوه

أهداها له المقوقس، وأخرى اسمها فضة أهداها له فروة الجذائي، وأخرى شهباء أهداها له صاحب إيلة، وأخرى أهداها له صاحب دومة الجندل. وقوله: القصوى هي التي قطع طرف أذنها، فإذا جاوز القطع فهي العضباء. قال ابن الأثير: ولم تكن ناقته ﷺ كذلك، بل هو لقب لها. وجاء في خبر أن له ناقة تسمى العضباء، وأخرى تسمى الجدعاء، فيحتمل أن كل واحدة صفة ناقة مفردة، ويحتمل كون الكل صفة ناقة واحدة فيسمي كل واحد منها بما تخيل فيها. وقوله: يعفور أو عفير هو بضم العين المهملة تصغير أعفر أخرجوه عن بناء أصله كسويد تصغير أسود من العفرة بالضم وهي حمرة يخالطها بياض ذكره جمع، ووهموا عياضاً في ضبطه بإعجام الغين. قال الحافظ ابن حجر: وهو غير الذي يقال له يعفور، وزعم ابن عبدوس أنهما واحد رده الدمياطي فقال: عفير اهداه له المقوقس، ويعفور أهداه له فروة بن عمرو، وقيل: بالعكس. قال الواقدي: نفق يعفور منصرف رسول الله ﷺ من حجة الوداع، وقيل: طرح نفسه في بئر يوم موته ﷺ. وقوله: وكان له بساط كذا في نسخ الطبراني، ووقع في بعض النسخ بدله فسطاط وهو تصحيف. والكز: بالزاي المعجمة هكذا ضبطه بعض قوله: وكانت له عنزة هو بالتحريك أي حربة. وقوله: تسمى الصادر سميت به لأنه يصدر عنها بالري ذكره ابن الأثير. وقوله: قضيب شوحط أي غصن مقطوع من شوحط وهو من أشجار الجبال تعمل منها القسي والسهام. قيل: هو الذي كان الخلفاء يتداولونه. وروى البخاري من حديث سهل بن سعد قال: « كان للنبي ﷺ في حائطنا فرس يقال له اللحيف » وروى البيهقي عنه بلفظ: « كان له فرس يقال له الظرب وآخر يقال له اللزاز » وجملة أفراسه ﷺ سبعة متفق عليها جمعها ابن جماعة في بيت فقال:

والخيل سكب لحيف ظرب لزاز   مرتجز ورد لها أسرار

وقيل: كانت له أفراس خمسة عشر، والله أعلم.

بيان عفوه ﷺ مع القدرة:

(**كان ﷺ أحلم الناس**) أي أكثرهم حلماً وقد تقدم، (و) كان (**أرغبهم في العفو مع القدرة**) على الانتقام، (**حتى أتي بقلائد من ذهب وفضة**) أي القلائد المصنوعة منها وهو الحلى، (**فقسمها بين أصحابه**) بما أراه الله تعالى، (**فقام رجل من أهل البادية**) أي من الأعراب الجفاة (**فقال: يا محمد والله لئن أمرك الله أن تعدل**) في القسمة (**فما أراك تعدل**) حيث أعطى بعضاً وترك بعضاً أو أكثر لبعض وأقل لآخرين (**فقال**) ﷺ: (**« ويحك فمن يعدل عليك بعدي » فلما ولى**) الأعرابي (**قال: « ردوه علي رويداً**) أي من غير استعجال فحمل عليه

علي رويداً ». وروى جابر أنه ﷺ كان يقبض للناس يوم خيبر من فضة في ثوب بلال فقال له رجل: يا رسول الله اعدل فقال له رسول الله ﷺ: « ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل فقد خبت إذاً وخسرت إن كنت لا أعدل »، فقام عمر فقال: ألا أضرب عنقه فإنه منافق؟ فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، وكان ﷺ في حرب فرأوا من المسلمين غرّة فجاء رجل حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ فقال: « الله ». قال: فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله ﷺ بالسيف وقال: من يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذ قال: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله. فقال: لا . غير أني لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فجاء أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس، وروى أنس: أن يهودية أتت

وعفا عنه مع غلظة كلامه وأمر برده على امهال لئلا يرتاع. قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر بإسناد جيد اهـ. قلت: ورواه الحاكم من حديث ابن عمرو وفيه زيادة في آخره.

(**وروى جابر**) بن عبد الله رضي الله عنه (**أنه ﷺ كان يقبض**) مبنياً للفاعل أي يعطى. وفي بعض النسخ كان يفيض من الإفاضة (**للناس يوم حنين**[1] **من فضة في ثوب بلال فقال له رجل: يا نبي الله أعدل، فقال رسول الله ﷺ: « ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل فقد خبت إذاً وخسرت إن كنت لا أعدل » فقام عمر**) رضي الله عنه (**فقال: ألا أضرب عنقه فإنه منافق؟ فقال: معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي**) رواه مسلم في صحيحه قاله العراقي: قلت: ورواه أيضاً أحمد والبخاري والطبراني في الكبير بزيادة « إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ».

(**وكان ﷺ في حرب فرأوا من المسلمين غرة**) أي غفلة (**فجاء رجل**) منهم (**حتى قام على رسول الله ﷺ**) وهو قائل تحت شجرة في قائلة وسيفه معلق بها وقد تفرق عنه أصحابه (**بالسيف**) أي بسيفه ﷺ الذي كان معلقاً بالشجرة فاخترطه وانتبه ﷺ من نومه فرآه واقفاً على رأسه وبيده السيف (**فقال: من يمنعك مني**)؟ أي أنا قاتلك به الآن. (**فقال**) ﷺ: (« **الله**) عز وجل يمنعني منك » (**قال**) الراوي: (**فسقط السيف من يده**) واندهش في نفسه، (**فأخذ رسول الله ﷺ السيف**) من الأرض (**وقال: « من يمنعك**) الآن » (**فقال: كن خير آخذ. قال: « قل أشهد أن لا إله إلا الله » فقال: لا**) أقول لك (**غير أني لا أقاتلك ولا أكون معك**) أي في نصرتك، (**ولا أكون مع قوم يقاتلونك**) أي لا أكون عوناً لك ولا عليك، (**فخلى سبيله**) أي تركه حتى ذهب، (**فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس**)

---

(١) ورد في الإحياء: « خيبر » بدلاً من « حنين ».

النبي ﷺ بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها إلى النبي ﷺ فسألها عن ذلك فقالت: أردت قتلك، فقال: «ما كان الله ليسلطك على ذلك»، قالوا: أفلا نقتلها؟ فقال:

قال العراقي: متفق عليه من حديث جابر بنحوه وهو في مسند أحمد أقرب إلى لفظ المصنف، وسمي الرجل غورث بن الحرث اهـ.

قلت: أخرجه أحمد وكذا مسدد بن سرهد في مسنديهما عن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سليمان بن قيس عن جابر بطوله وفيه بعد قوله: كن خير آخذ. قال: لا أو تسلم. قال: لا ولكن أعاهدك أني لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله، فجاء إلى أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس.

وأما البخاري فقد أخرجه من ثلاث طرق: إحداها موصولة، والأخرى معلقة، والأخرى مختصرة جداً. أما الموصولة من طريق الزهري عن سنان بن أبي سنان عن جابر أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد فذكر الحديث وفيه: «إذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئناه فإذا عنده اعرابي جالس فقال: إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده مصلت فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: «الله» فها هو ذا جالس» ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ. ولم يسم في هذه الرواية. وأما المعلقة: فقال البخاري عقب هذه قال أبان: حدثنا يحيى عن أبي سلمة عن جابر قال: «كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع» فذكر الحديث بمعناه وفيه: «أن أصحاب رسول الله ﷺ تهددوه» وليس فيه تسمية أيضاً. وأما المختصرة فقال قال مسدد عن أبي عوانة عن أبي بشر اسم الرجل غورث بن الحرث.

(وروى أنس) رضي الله عنه: **(ان يهودية أتت إلى النبي ﷺ بشاة مسمومة ليأكل منها فجيء بها إلى النبي ﷺ فسألها عن ذلك فقالت: أردت قتلك. فقال: «ما كان الله ليسلطك على ذلك» قالوا: أفلا نقتلها فقال: «لا»)**. قال العراقي: رواه مسلم وهو عند البخاري من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وروى الحاكم في المستدرك وصححه من حديث أبي سعيد الخدري أن يهودية أهدت شاة إلى رسول الله ﷺ سميطاً فلما بسط القوم أيديهم قال لهم النبي ﷺ: «كفوا أيديكم فإن عضواً من أعضائها يخبرني أنها مسمومة» قال: فأرسل إلى صاحبتها: «أسممت طعامك هذا»؟ قالت: نعم أحببت إن كنت كاذباً أريح الناس منك، وإن كنت صادقاً علمت أن الله سيطلعك عليه. فقال رسول الله ﷺ: «اذكروا اسم الله وكلوا» فأكلنا فلم يضر أحداً منا شيء، قال صاحب سلاح المؤمن: اسم هذه اليهودية زينب بنت الحرث امرأة سلام بـن مشكم، وكان بشر بن البراء ابن معرور ممن أكل من الشاة فمات منها، وذلك عام خيبر. قال: وقوى شيخنا الدمياطي القول بأن رسول الله ﷺ قتل اليهودية به.

« لا »، وسحره رجل من اليهود فأخبره جبريل عليه أفضل الصلاة والسلام بذلك حتى استخرجه وحل العقد فوجد لذلك خفة وما ذكر ذلك لليهودي ولا أظهره عليه قط، وقال علي رضي الله عنه: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ

(**وسحره**) ﷺ (**رجل من اليهود فاخبره جبريل**) عليه السلام (**بذلك حتى استخرجه**) من بئر ذروان (**وحل عقده فوجد لذلك خفة ولا ذكر ذلك لليهودي ولا أظهره عليه قط**) قال العراقي: رواه النسائي بإسناد صحيح من حديث زيد بن أرقم، وقصة سحره في الصحيحين من حديث عائشة بلفظ آخر اهـ.

قلت: اسم ذلك اليهودي لبيد بن الأعصم وقد روى حديث سحره من طرق، وتقدم بعضها في كتاب العلم. أما حديث زيد بن أرقم فأخرجه أيضاً عبد بن حميد في مسنده قال: سحر النبي ﷺ رجل من اليهود، فاشتكى فأتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين وقال: إن رجلاً من اليهود سحرك، والسحر في بئر فلان فأرسل علياً فجاء به فأمره أن يحل العقد ويقرأ آية فجعل يقرأ أو يحل حتى قام النبي ﷺ كأنما نشط من عقال.

وأما حديث عائشة أيضاً فأخرجه ابن مردويه والبيهقي في الدلائل قالت: كان لرسول الله ﷺ غلام يهودي يخدمه يقال له لبيد بن الأعصم فلم تزل به يهود حتى سحر النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يذوب ولا يدري ما وجعه، فبينا رسول الله ﷺ ذات ليلة قائم إذ أتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي هو عند رأسه للذي عند رجليه: ما وجعه؟ قال: مطبوب. قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: بم طبه؟ قال: بمشط ومشاطة وجف طلعة ذكر بذي أروان وهي تحت راعوفة البئر، فلما أصبح رسول الله ﷺ غداً ومعه أصحابه إلى البئر فنزل رجل فاستخرج جف طلعة من تحت الراعوفة فإذا فيها مشط رسول الله ﷺ ومن مشاطة رأسه، وإذا تمثال من شمع تمثال رسول الله ﷺ، وإذا فيها مغروزة وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة · الحديث. ففيه فقيل يا رسول الله لو قتلت اليهودي؟ فقال: « قد عافاني الله وما وراءه من عذاب الله أشد ». وأخرج ابن مردويه من حديث ابن عباس نحوه، ومن حديث أنس مختصراً.

(**وقال علي كرم الله وجهه: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد**) بن الأسود (**فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ**) موضع بين الحرمين (**فإن بها ظعينة**) في المصباح يقال: للمرأة ظعينة فعيلة بمعنى مفعولة لأن زوجها يظعن بها أي يرتحل. ويقال: الظعينة الهودج سواء كان فيه امرأة أم لا. ويقال: الظعينة في الأصل وصف للمرأة في هودجها ثم سميت بهذا الاسم، وإن كانت في بيتها لأنها تصير مظعونة وهي هنا امرأة من مزينة. قال ابن إسحاق: بلغني أنها كانت مولاة لبني عبد المطلب، وجعل لها جعلاً على أن تبلغه قريشاً فجعلته في رأسها ثم فتلت عليه قرنها وخرجت به (**معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا**) تعادي بنا خيلنا (**حتى أتينا روضة**

فقلنا أخرجي الكتاب فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لننزعن الثياب، فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمراً من أمر رسول الله ﷺ فقال: يا حاطب ما هذا؟ قال: يا رسول الله لا تعجل عليّ إني كنت امرأ ملصقاً في قومي وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب منهم أن اتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعل ذلك كفراً ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام ولا ارتداداً عن ديني، فقال رسول الله ﷺ: «إنه صدقكم». فقال عمر رضي الله عنه: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ: «إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، وقسم رسول الله

خاخ) فإذا نحن بها (**فقلنا: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتنزعن الثياب فأخرجته من عقاصها**) أي من شعرها المعقوص. وفي رواية: من حجزتها (**فأتينا به**) أي بالكتاب (**النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة**) واسم أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي، وكان حاطب حليف بني أسد بن عبد العزى (**إلى أناس من المشركين**) بمكة (**يخبرهم أمراً من أمور رسول الله ﷺ**) أي ببعض أمره بتجهيزه إليهم (**فقال: يا حاطب ما هذا؟ فقال: يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقاً في قومي**) أي لكونه من بني لخم وأنا حالف ببني أسد، (**وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهلهم فأحببت إذ فاتني ذلك منهم من النسب أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي**) ولا يؤذونهم: (**ولم أفعل ذلك كفراً ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ولا ارتداداً عن ديني فقال رسول الله ﷺ: «صدقكم حاطب» فقال عمر**) رضي الله عنه: (**دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ: «إنه شهد بدر أو ما يدريك لعل الله عز وجل قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**) قال العراقي: متفق عليه اهـ.

قلت: هو عندهما من طريق ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن حسن بن محمد عن عبيد الله بن أبي رافع قال: سمعت علياً يقول وأخرجاه أيضاً من حديث أبي عبد الرحمن السلمي عن علي، وأنه فيه نزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة: ١] الآية. قال سفيان: فلا أدري إذاك في الحديث أم قولاً من عمرو بن دينار، ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس عن عمر فذكر يعني حديث علي وفيه فقال: «يا حاطب ما دعاك إلى ما صنعت» فقال: يا رسول الله كان أهلي فيهم فكتبت كتاباً لا يضر الله ولا رسوله.

وروى ابن شاهين والماوردي والطبراني وسمويه من طريق الزهري عن عروة عن عبد الرحمن

ﷺ قسمة فقال رجل من الأنصار: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله؟ فذكر ذلك للنبي ﷺ فاحمرَّ وجهه وقال: رحم الله أخي موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر، وكان ﷺ يقول: لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر.

ابن حاطب بن أبي بلتعة قال: وحاطب رجل من أهل اليمن وكان حليفاً للزبير، وكان قد شهد بدراً، وكان بنوه واخوته بمكة فكتب حاطب من المدينة إلى كفار قريش ينتصح لهم فذكر الحديث نحو حديث علي وفي آخره فقال حاطب: والله ما أذنبت في الله منذ أسلمت، ولكنني كنت امرأ غريباً ولي بمكة بنون وإخوة الحديث وزاد في آخره فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة: ١] الآيات. ورواه ابن شاهين من حديث ابن عمر بإسناد قوي.

(وقسم ﷺ قسمة فقال رجل من الأنصار: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله: فذكر ذلك للنبي ﷺ فاحمر وجهه وقال: «رحم الله أخي موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر») قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن مسعود اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد وتمامه: لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثلها، وأعطى إناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسمة فقال رجل ما قال وفيه: فقلت، والله لأخبرن رسول الله ﷺ فأتيته فأخبرته فقال ﷺ ما قال. وقوله: قد أوذي بأكثر من هذا فصبر أي: آذاه قومه بأشد مما أوذيت به من تشديد فرعون وقومه وابائه عليه وقصده إهلاكه، بل ومن تعنت من آمن معه من بني إسرائيل حتى رموه بالأدرة واتهموه بقتل أخيه هارون عليهما السلام لما مات معه في التيه ولما سلك بهم البحر. قالوا: إن صحبنا لا نراهم، فقال: سيروا فإنهم على طريق كطريقكم. قالوا: لا نرضى حتى نراهم. فقال: اللهم أعني على أخلاقهم السيئة ففتحت لهم كوّات في الماء فتراءوا وتسامعوا إلى غير ذلك من تعنتاتهم معه عليه السلام وكلامه ﷺ ذلك شفقة عليهم ونصحاً في الدين لا تهديداً وتثريباً.

(وكان ﷺ يقول: «لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر») قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي من حديث ابن مسعود. وقال: غريب من هذا الوجه اهـ. قلت: ورواه كذلك أحمد والبيهقي.

بيان إغضائه ﷺ عما كان يكرهه:

كان رسول الله ﷺ رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه ورضاه، وكان إذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته الكريمة، وكان لا يشافه أحداً بما يكرهه. دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئاً حتى خرج فقال لبعض القوم: لو قلتم لهذا أن يدع هذه، يعني: الصفرة. وبال اعرابي في المسجد بحضرته فهمّ به

بيان اغضائه ﷺ عما كان يكرهه:

(**كان ﷺ رقيق البشرة**) محركة ظاهر الجلد وهو علامة اعتدال المزاج ويكنى به عن الحياء أيضاً (**لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه**) الشريف (**غضبه ورضاه**) قال العراقي: روى أبو الشيخ من حديث ابن عمر «كان رسول الله ﷺ يعرف رضاه وغضبه بوجهه» الحديث. وقد تقدم.

(**وكان**) ﷺ (**إذا اشتد وجده**) أي غضبه يقال: وجد عليه وجداً وموجدة إذا غضب عليه (**أكثر من مس لحيته**) قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث عائشة رضي الله عنها بإسناد حسن. (**وكان**) ﷺ (**لا يشافه أحداً بما يكرهه**) لئلا يشوش عليه، وذلك لكثرة حيائه وسعة صدره وسببه أنه (**دخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهها فلم يقل له شيئاً**) أي في وجهه (**حتى خرج**) من عنده (**فقال لبعض القوم: لو قلتم لهذا**) لو للشرط فالجزاء محذوف أي لكان أحسن أي لأنه فيه نوع تشبه بالنساء وهو من غير قصد التشبيه بهن مكروه أو للتمني (**أن يدع هذه يعني: الصفرة**) الظاهر أن ذلك الأثر لم يكن محرماً وإلا لم يؤخر أمره ﷺ بتركه إلى مفارقته للمجلس، فزعم بعضهم أن غضبه ﷺ عند انتهاك المحارم لا ينافي تفويضه لغيره الأمر بإزالتها وإن أدى إلى تأخيرها غفلة عن كلام الأئمة في بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه يجب على القادر إزالة المنكر فوراً بلسانه أو يده، ولا يجوز له أن يستنيب غيره في ذلك إذا أدت استنابته إلى تأخير ذلك المنكر ولو لحظة، وهو ﷺ سمع كلام هذا الرجل ثم ولم يأمرهم أن يقولوا له أزل هذا إلا بعد قيامه من المجلس فأخر الإزالة إلى انقضاء المجلس وهذا لا يقوله إلا جاهل بالفقه وقواعده، فتعين ما ذكرته من أن ذلك الأثر الذي كان عليه لم يكن محرماً ويؤيد ذلك أنه ﷺ لما رأى على عمرو بن العاص ثوبين معصفرين أمره فوراً بإزالتها.

فإن قلت: لم أمر هنا عمراً وثم أنابهم في ذلك؟ قلت: لما تقرر أن عمراً عليه محرم بخلاف ذلك الرجل وبفرض تحريم المعصفر الذي قال به كثيرون، فوجهه أن عمراً عليه محرم يفرح بذلك ويبادر إلى امتثاله، وذلك الرجل لعله قريب عهد بالإسلام فخشي عليه إن واجهه بأمره بإزالة ما عليه ففوضه لغيره لا على وجه الإلزام به. وهذا أيضاً مما يصرح بأنه لم يكن محرماً. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي في اليوم والليلة من حديث أنس بإسناد ضعيف اهـ.

الصحابة فقال ﷺ: «لا تزرموه» أي لا تقطعوا عليه البول ثم قال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء» وفي رواية: «قربوا ولا تنفروا». وجاءه أعرابي يوماً يطلب منه شيئاً فأعطاه ﷺ ثم قال له: «أحسنت إليك». قال الأعرابي: لا، ولا أجلت، قال: فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئاً ثم قال: «أحسنت إليك»؟ قال: نعم. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال له النبي ﷺ: «إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك» قال: نعم، فلما كان الغد أو العشي جاء فقال النبي ﷺ: «إن هذا الأعرابي، قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك»؟ فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال ﷺ: «إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً فناداهم صاحب

قلت: وكذلك رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وفي رواية للطيالسي وأحمد والنسائي: «لو أمرتم هذا أن يغسل عنه هذه الصفرة» ورواه كذلك البخاري والبيهقي من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ.

(وبال اعرابي في المسجد بحضرته فهم به الأصحاب) أي قصدوا منعه عن ذلك **(فقال ﷺ: «لا تزرموه»)** بضم التاء الفوقية وسكون الزاي **(أي لا تقطعوا عليه البول)** فإنه يضر البائل قال ذلك شفقة عليه، **(ثم قال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء»)** أي الغائط **(وفي رواية: «قربوا ولا تنفروا»)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس اهـ. قلت [1].

(وجاء اعرابي يطلب منه شيئاً فأعطاه رسول الله ﷺ ثم قال له: «أحسنت إليك») يخبر بذلك باطنه، **(فقال الاعرابي: لا. ولا أجلت. قال: فغضب المسلمون لذلك وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا)** أي امتنعوا عنه **(ثم قام ودخل منزله وأرسل إلى الاعرابي وزاده شيئاً ثم قال: «أحسنت إليك» فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً فقال له النبي ﷺ: «إنك قلت ما قلت)** آنفاً **(وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك» قال: نعم، فلما كان من الغد أو من العشي جاء، فقال النبي ﷺ: «إن هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي بذلك» فقال الأعرابي: نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً. فقال ﷺ: «إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فأتبعها الناس فلم يزيدوها**

---

(١) بياض في الأصل.

الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها وأعلم فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فردها هوناً هوناً حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار ».

بيان سخاوته وجوده ﷺ :

كان ﷺ أجود الناس وأسخاهم، وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئاً، وكان علي رضي الله عنه إذا وصف النبي ﷺ قال: كان أجود الناس كفاً وأوسع الناس

إلا نفوراً فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها وأعلم، فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض) أي مما يقم من وجهها من حشيش وتبن **(فردها هوي هوي)** هكذا بضم الهاء وسكون الواو والياء فيهما كذا في بعض النسخ وهو اسم صوت لدعاء الناقة وفي بعض النسخ هونا هونا حتى جاءت **(واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها)** راكباً، **(وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار »)** قال العراقي: رواه البزار وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

بيان سخائه ﷺ وجوده:

(كان ﷺ أجود الناس وأسخاهم) أي أكثرهم جوداً وسخاء وهما مترادفان. وقال بعضهم: الجود صفة هي مبدأ إفادة ما ينبغي لا لغرض، والسخاء إعطاء ما ينبغي روى الشيخان من حديث أنس: « كان ﷺ أحسن الناس وأجود الناس » قاله العراقي: قلت: وكذلك رواه الترمذي وابن ماجه.

(وكان) ﷺ (في شهر رمضان كالريح المرسلة) بفتح السين أي المطلقة **(لا يمسك شيئاً)** قال العراقي: روى الشيخان من حديث ابن عباس: « كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في شهر رمضان » وفيه: « فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة » اهـ.

قلت: وكذلك رواه الترمذي في الشمائل وعبر بالمرسلة إشارة إلى دوام هبوبها بالرحمة، وإلى عموم النفع بجوده ﷺ تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه. ورواه كذلك أحمد بزيادة: لا يسأل شيئاً إلا اعطاه، وسبب أجوديته إتيان جبريل له كل ليلة من رمضان كما في الصحيحين، وإنما كان إتيانه سبباً لذلك لأنه رسول ربه إليه وأمين حضرته والمتولي لقسمة مواهبه، وذلك موجب نهاية الأجودية، وأيضاً إذا جاء جبريل وعرض عليه القرآن تجدد تخلقه بأخلاق ربه، وأفيض عليه غاية جوده ونهاية قربه، فحينئذ يزداد جوده ويتسع وجوده.

(وكان علي رضي الله عنه إذا وصف النبي ﷺ قال: كان أجود الناس كفاً وأجرأ الناس صدراً) وفي بعض النسخ أوسع بدل أجرأ. ولفظ الشمائل أجود الناس صدراً أي قلباً

صدراً وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة، من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله، وما سئل عن شيء قط على الإسلام إلا أعطاه، وإن رجلاً أتاه فسأله فأعطاه غنماً سدت ما بين جبلين فرجع إلى قومه وقال: أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة. وما سئل شيئاً قط فقال لا، وحمل إليه

تسمية الشيء باسم محله أو مجاوره أي جوده ﷺ بالسجية والطبع لا بالتكلف، وقيل: من الجودة أي أحسنهم قلباً لسلامته من كل غش ودنس. كيف وقد صح أن جبريل شقه واستخرج منه علقة. وقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست ذهب بماء زمزم، **(وأصدق الناس لهجة)** بفتحتين أو بفتح فسكون أي لساناً أي كان لسانه ﷺ أصدق الألسنة. إذ هو أفصح الخلق وأعذبهم كلاماً وأسرعهم اداء وأحلاهم منطقاً. كان حسن كلامه يأخذ بمجامع القلوب، **(وأوفاهم بذمة)** وفي نسخة: ذمة، **(وألينهم عريكة)** أي طبيعة فهو مع الناس على غاية من السلامة والمطاوعة وقلة الخوف والنفور، **(وأكرمهم عشيرة)** وفي نسخة عشرة أي اختلاطاً وصحبة وعلى الأوّل هنا أكرمهم قبيلة أي قوماً من جهة أبيه وأمه. **(من رآه بديهة)** أي فجأة عن غير قصد **(هابه)** أي أخذته الهيبة لما كان يظهر عليه من عظيم الجلالة والمهابة والوقار، **(ومن خالطه معرفة أحبه)** لكمال حسن معاشرته وباهر عظيم تألفه. **(يقول ناعته)** أي واصفه **(لم أر قبله ولا بعده مثله** ﷺ **)** للزوم هذا الوصف له وظهوره عند من له أدنى بصيرة فلما لم يخف كان كل واصف ملزوماً بأن هذا القول يصدر عنه، وإن لم يصدر عنه التصريح به غفلة وذهولاً، فالرؤية هنا علمية أي لم أعلم به مماثلاً في وصف من أوصاف الكمال، وأما ما ثبت من وجوه شبهه ﷺ عمن ذكروهم وهم اثنا عشر أو أكثر، فإن المراد به الشبه في البعض، وإلاّ فجملة محاسنه منزهة عن الشريك كما أفاده صاحب البردة رحمه الله تعالى. قال العراقي رواه الترمذي وقال: ليس إسناده بمتصل.

قلت: ولفظه: أجود الناس صدراً وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة والباقي سواء.

(وما سئل) ﷺ **(قط على الإسلام)** شيئاً من متاع الدنيا **(إلا أعطاه)** وجاد به أو وعده أو سكت، **(فإن رجلاً أتاه فسأله فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه وقال: يا قوم اسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة)** وفي لفظ: الفقر. رواه مسلم من حديث أنس قاله العراقي.

قلت: رواه من طريق عاصم بن النفر عن خالد بن الحرث، حدثنا حميد بن موسى، عن موسى بن أنس، عن أبيه. ورواه البيهقي في الدلائل من طريق محمد بن أبي يعقوب الكرماني، عن خالد بن الحرث وتمامه عند مسلم. وأعطى صفوان بن أمية يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة حتى صار أحب الناس إليه بعدما كان أبغضهم إليه، فكان ذلك سبباً لحسن إسلامه. وروى مسلم

تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها فقسمها فما ردّ سائلاً حتى فرغ منها، وجاءه رجل فسأله فقال: «ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه». فقال عمر: يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبي ﷺ ذلك فقال

والترمذي من طريق سعيد بن المسيب عن صفوان بن أمية قال: والله لقد أعطاني النبي ﷺ وأنه لأبغض الناس إليّ فما زال يعطيني حتى أنه لأحب الناس إليّ.

(وما سئل) ﷺ **(شيئاً فقال: لا.)** قال العراقي متفق عليه من حديث جابر اهـ.

قلت: وروى ابن سعد في الطبقات من مرسل محمد بن الحنفية كان لا يكاد يقول لشيء لا فإذا هو سئل فأراد أن يفعل قال نعم، وإذا لم يرد أن يفعل سكت. ومن هنا قال الشاعر:

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعمُ

وقد تقدم شيء من ذلك في أوّل الباب.

(وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها يقسمها فما ردّ سائلاً حتى فرغ منها). هكذا رواه الترمذي، وقال العراقي: روى أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث الحسن مرسلاً أن رسول الله ﷺ قدم عليه مال من البحرين ثمانون ألفاً لم يقدم عليه مال أكثر منه لم يسأله أحد يومئذ إلا أعطاه، ولم يمنع سائلاً ولم يعط ساكناً فقال له العباس: الحديث. وللبخاري تعليقاً من حديث أنس: أتي النبي ﷺ بمال من البحرين وكان أكثر مال أتي به رسول الله ﷺ الحديث. وفيه: فما كان يرى أحداً إلا أعطاه إذ جاءه العباس الحديث. ووصله عمر بن محمد البحيري في صحيحه اهـ.

قلت: ولفظ البخاري: وقال إبراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أتي بمال من البحرين فأمر بصبه في المسجد، وكان أكثر مال أتي به، فخرج إلى المسجد ولم يلتفت، فلما قضى الصلاة جاء يجلس إليه فما كان يرى أحداً إلا أعطاه إذ جاءه إنسان فسأله فقال: خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطيع، فقال: يا رسول الله مر بعضهم يرفعه لي. قال: لا. قال: ارفعه أنت عليّ قال: لا. فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يستطع. فقال كالأول فقال له لا. فنثر منه ثم احتمله فأتبعه ﷺ بصره حتى غاب عجباً من حرصه فما قام ﷺ وثم منها درهم. قال ابن دحية: هذا على امتداد قامة العباس وطوله في الناس إذا كان ممن يقل من الأرض فيما الجمل إذا برك يحمله فما يدري قدر ما حمل من تلك الدراهم النقرة على كاهله اهـ.

وفي خبر مرسل أنه كان مائة ألف ألف رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن حميد بن هلال.

(وجاءه رجل فسأله) شيئاً من متاع الدنيا **(فقال: «ما عندي شيء ولكن ابتع عليّ)** بتقديم الموحدة على المثناة الفوقية أي اشتر شيئاً بثمن الذمة علي أداؤه **(فإذا جاء شيء قضيناه» فقال عمر)** رضي الله عنه: **(يا رسول الله ما كلفك الله ما لا تقدر عليه، فكره النبي** ﷺ

الرجل: أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالاً، فتبسم النبي ﷺ وعرف السرور في وجهه، ولما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ وقال: «أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً».

ذلك، فقال الرجل: انفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً) أي شيئاً من الفقر، **(فتبسم النبي ﷺ وعرف السرور في وجهه)** قال العراقي رواه الترمذي في الشمائل من حديث عمر، وفيه موسى بن أبي علقمة الفردي لم يرو عنه غير ابنه ما روى. اهـ.

قلـت: وفيه عنده فقال عمر: يا رسول الله قد أعطيته فما كلفك الله ما لا تقدر عليه، ومعنى قوله أعطيته أي شيئاً مرة أخرى قبل هذه أو الميسور من القول وهو قولك ما عندي شيء فاكتف بذلك ولا تجعل في ذمتك شيئاً وفيه فكره النبي ﷺ قول عمر أي من حيث التزامه قنوط السائل وحرمانه لا بمخالفة الشرع، وفيه فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفق الخ وفي اخره بهذا أمرت اي بالانفاق وعدم الخوف لا بما قال عمر كما أفاده تقديم الظرف المفيد للقصر. أي قصر القلب ردّ الاعتقاد عمر، وأفاد ﷺ بذكره أمره بالإنفاق في هذه الحالة أي أنه مأمور به في كل حال دعت المصلحة إليه لاستيلاف أو نحوه لأنه يمكنه بقرض أو نحوه، فإن عجز فبعدة إذ هي انفاق لا أنها التزام للنفقة.

تنبيه:

الحديث المشهور على الألسنة أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً. وفي لفظ يا بلال وفي لفظ ولا تخافن. رواه الطبراني والبزار من حديث ابن مسعود، ورواه العسكري في الأمثال من حديث عائشة، وأخرجه الطبراني أيضاً من حديث أبي هريرة، وكذلك رواه البيهقي في الشعب متصلاً ومن مرسل ابن سيرين، وما يحكى عن كثيرين في لفظه أنفق بلالاً ويتكلمون في توجيه بكونه نهياً عن المنع فليس له أصل نبه عليه الحافظ السخاوي.

(ولما قفل) ﷺ **(من حنين جاءت الأعـراب يسـألـونـه حتى اضطـروه إلى شجـرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ وقال: «اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه)** هي من أشجار البادية **(نعماً)** أي إبلاً **(لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً »)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث جبير بن مطعم.

قلـت: ولفظه بينما أنا مع النبي ﷺ ومعه الناس مقبلة من حنين علقت برسول الله ﷺ الأعراب حتى اضطروه إلى سمرة فذكروه. وفيه «ولا كذوباً» بدل «كذاباً». ورواه البيهقي في الدلائل من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ المصنف.

بيان شجاعته ﷺ :

كان ﷺ أنجد الناس وأشجعهم ، قال علي رضي الله عنه : لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشدّ الناس يومئذ بأساً ، وقال أيضاً : كنا إذا احمرّ البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدوّ منه ، وقيل : كان ﷺ قليل الكلام قليل الحديث فإذا أمر الناس بالقتال تشمر وكان من أشدّ الناس بأساً ، وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدوّ ، وقال عمران بن حصين : ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة إلا كان أوّل من يضرب ، وقالوا : كان قوي البطش ، ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته فجعل يقول :

بيان شجاعته ﷺ :

(كان ﷺ أنجد الناس وأشجعهم) قال العراقي : رواه الدارمي من حديث ابن عمر بسند صحيح : ما رأيت أجلد ولا أجود ولا أشجع ولا أرضى من رسول الله ﷺ . وللشيخين من حديث أنس : كان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس.

(قال علي رضي الله عنه: لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقرب إلى العدوّ، وكان أشد الناس بأساً يومئذ) قال العراقي : رواه أبو الشيخ في الأخلاق بإسناد جيد . **(وقال)** رضي الله عنه **(أيضاً: كنا إذا احمرّ البأس)** أي أشتد الكرب في الحرب **(ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله ﷺ : فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه)** قال العراقي : رواه النسائي بإسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث البراء .

(وقيل: كان رسول الله ﷺ قليل الكلام قليل الحديث، فإذا أمر الناس بالقتال تشمر) قال العراقي : رواه أبو الشيخ من حديث سعد بن عياض الثمالي مرسلاً اهـ.

قلت : وروى أحمد من طريق سماك قال: قلت لجابر بن سمرة : أكنت تجالس النبي ﷺ ؟ قال : نعم. وكان طويل الصمت قليل الضحك. رجاله رجال الصحيح غير شريك وهو ثقة وسعد ابن‌عياض المذكور تابعي يروي عن ابن مسعود وعنه أبو إسحاق السبيعي وثق ، روى له داود والنسائي كذا في الكاشف.

(وكان) ﷺ **(من أشد الناس بأساً)** رواه أبو الشيخ من حديث علي في قصة بدر وقد تقدم قريباً . **(وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدوّ)** قال العراقي : رواه مسلم من حديث البراء كنا والله إذا حمي البأس نتقي به وأن الشجاع منا الذي يحاذي به. **(وقال عمران بن حصين)** رضي الله عنه **(ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة)** طائفة من الجيش مجتمعة **(إلا كان أوّل من يضرب)** قال العراقي : رواه أبو الشيخ وفيه من لم أعرفه . **(قالوا : وكان)** ﷺ **(قوي البطش)** قال العراقي : رواه أبو الشيخ من رواية أبي جعفر معضلاً اهـ.

أنــــــا النبي لا كـــــــذب أنــا ابــن عبــد المطلـــب

فما رؤي يومئذ أحد كان أشد منه.

قلـت: ورواه ابن سعد عن محمد بن علي مرسلاً بلفظ: كان شديد البطش. قال الشارح: ومع ذلك فلم تكن الرحمة منزوعة عن بطشه لتخلقه بأخلاق الله تعالى وهو سبحانه ليس له وعيد وبطش شديد ليس فيه شيء من الرحمة واللطف. وقال العراقي: وللطبراني من حديث عبد الله بن عمرو وأعطيت قوة أربعين في البطش والجماع وسنده ضعيف.

(ولما غشيته المشركون) يوم حنين **(نزل)** عن بغلته **(فجعل يقول)**:

(أنـــــا النبي لا كـــــذب أنــا ابــن عبــد المطلـــب)

قال العراقي: متفق عليه من حديث البراء اهـ.

قلـت: ومعنى قوله: أنا النبي لا كذب أي حقاً فلا أفرق ولا أزول أي صفة النبوّة يستحيل معها الكذب، فكأنه قال: أنا النبي والنبي لا يكذب لست بكاذب فيما أقول حتى انهزم، بل أنا متيقن ان ما وعدني الله تعالى من النصر حق فلا يجوز علي الفرار. أنا ابن عبد المطلب فيه دليل لجواز قول الإنسان في الحرب أنا فلان بن فلان ومنه قول علي رضي الله عنه:

أنا الذي سمتني أمي حيدره.

وقول سلمة: أنا ابن الأكوع، والمنهي عنه قول ذلك على وجه الافتخار كما كانت الجاهلية تفعله وانتسب لجده عبد المطلب دون أبيه عبد الله لأنه توفي شاباً في حياة أبيه عبد المطلب فلم يشتهر كاشتهار أبيه، وكان عبد المطلب سيد قريش وسيد أهل مكة، ومن ثم نسب إليه ﷺ في نحو قول ضمام: أيكم ابن عبد المطلب؟ **(فما رؤي يومئذ أحد أشد منه ﷺ)** لأنه لما استقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة، وذلك في غبش الصبح، وخرجت الكتائب من مضيق الوادي فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم مولية، وتبعهم أهل مكة والناس ولم يثبت معه ﷺ إلا عمه العباس، وأبو سفيان بن الحرث، وأبو بكر، وعمر، وأسامة في إناس من أهل بيته وأصحابه. قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل إلى العدو لأنـه كان يتقدم في نحوهم، وأبو سفيان آخذ بركابه.

ومما يدل على شجاعته ﷺ وكونه أشدهم بأساً ركوبه يومئذ على بغلته البيضاء وهي دلدل كما في رواية مسلم مع عدم صلاحيتها للحرب كراً وفراً، ومن ثم لم يسهم لها ومع العادة إنما هي من مراكب الطمأنينة، ومع أن الملائكة الذين قاتلوا معه في ذلك اليوم لم يكونوا إلا على الخيل لا غير، ومع انه كانت له أفراس متعدّدة في مواطن الحرب وهذا هو النهاية القصوى في الشجاعة والثبات، وفيه إعلام بأن سبب نصرته مدده السماوي والتأييد الإلهي الخارق للعادة، وبأنه ظاهر المكانة والمكان ليرجع إليه المسلمون وتطمئن قلوبهم بمشاهدة جميل ذاته وجليل آياته، كركضه بها في نحر

بيان تواضعه ﷺ :

كان ﷺ أشد الناس تواضعاً في علو منصبه، قال ابن عباس رضي الله عنهما : رأيته يرمي الجمرة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك، وكان يركب الحمار موكفاً عليه قطيفة وكان مع ذلك يستردف، وكان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك، ويخصف النعل ويرقع الثوب وكان يصنع في بيته مع أهله في حاجتهم،

العدو مع فرار الناس عنه ولم يبق معه إلا أكابر أصحابه وكنز وله عنها إلى الأرض مبالغة في الثبات والشجاعة ومساواة في مثل هذا المقام للماشين من أصحابه، والله أعلم.

بيان تواضعه ﷺ :

(كان ﷺ أشد الناس تواضعاً على علو منصبه) قال العراقي: روى أبو الحسن بن الضحاك في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري في حديث طويل في صفته قال: فيه تواضع في غير مذلة. **(قال ابن عامر)** كذا في النسخ الصحيحة ووقع في بعضها ابن عباس وهو غلط: **(رأيته)** ﷺ **(يرمي الجمرة)** أي جمرة العقبة **(على ناقة صهباء لا طرد ولا ضرب ولا إليك إليك)** قال العراقي: رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث قدامة بن عبد الله بن عمار. قال الترمذي: حسن صحيح. وفي كتاب أبي الشيخ قدامة بن عبد الله بن عامر كما ذكره المصنف اهـ.

قلت: تقدم هذا الحديث في الكتاب الذي قبله من رواية سفيان الثوري عن أيمن بن نائل نزيل عسقلان عن قدامة، وكذا من رواية البهلول عن أيمن بن نائل في قصة الرشيد وهو قدامة بن عبد الله بن عمار بن معاوية العامري الكلابي له صحبة وله أحاديث. وقال ابن السكن: كان يسكن بنجد ولم يهاجر لقي النبي ﷺ في حجة الوداع، وروى عبد الرزاق عن أيمن بن نائل هذا الحديث، ونسبه فيه إلى جده فقال قدامة بن عمار، وبه يظهر أن المصنف تبع نسخة أبي الشيخ في قوله ابن عامر.

(وكان) ﷺ **(يركب الحمار موكفاً)** أي مشدوداً عليه بالأكاف **(عليه قطيفة)** وهي دثار له خمل **(وكان مع ذلك يستردف)** رواه الشيخان من حديث أسامة بن زيد، وتارة يركبه عرياً ليس عليه شيء كما رواه ابن سعد من حديث حمزة بن عبد الله بن عتبة مرسلاً، وهذا يدل على غاية التواضع ونهاية الخضوع.

(وكان) ﷺ **(يعود المريض)** ولو كان في آخر المدينة راكباً وماشياً **(ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك)** وفي لفظ العبد إلى أي حاجة دعاه إليها قرب محلها أو بعد، رواه الترمذي وضعفه، وابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث أنس وتقدم مقطعاً. ولفظ الحاكم: كان يردف خلفه ويضع طعامه على الأرض ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار. **(ويخصف**

وكان أصحابه لا يقومون له لما عرفوا من كراهته لذلك، وكان يمر على الصبيان فيسلم عليهم، وأتي ﷺ برجل فأرعد من هيبته فقال له: هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد، وكان يجلس بين أصحابه مختلطاً بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو؟ حتى يسأل عنه حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلساً يعرفه الغريب فبنوا له دكاناً من طين فكان يجلس عليه، وقالت له عائشة رضي الله عنها: كُلْ

النعل) أي يخرزها بيده **(ويرقع الثوب)** أي يخيطه أو يحط له رقعة. روى ابن عساكر من حديث أبي أيوب: كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف، **(ويصنع في بيته مع أهله في حاجتهم)** روى أحمد من حديث عائشة: كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم، وقد تقدم في أوائل آداب المعيشة.

(وكان أصحابه) ﷺ **(لا يقومون له)** إذا أقبل عليهم **(لما عرفوا من كراهته لذلك)** أي لأجل المعلوم المستقر عندهم وهو كراهته تواضعاً وشفقة عليهم وإسقاطاً لبعض حقوقه المعينة عليهم، فاختاروا إرادته على إرادتهم ولا يعارض ذلك قوله ﷺ للأنصار «قوموا لسيدكم» أي سعد بن معاذ لأن هذا حق للغير، فاعطاه ﷺ له وأمرهم بفعله بخلاف قيامهم له ﷺ، فإنه حق لنفسه فتركه تواضعاً. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أنس، وتقدم في آداب الصحبة.

قلت: لفظ الترمذي في الشمائل: وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك.

(وكان) ﷺ **(يمر على الصبيان)** وهم يلعبون **(فيسلم عليهم)** فيردون عليه. رواه الترمذي من حديث أنس وتقدم في آداب الصحبة، وروى البخاري بلفظ: «إنه ﷺ مرَّ على صبيان فسلم عليهم» وروى النسائي من حديثه «كان يزور الانصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم».

(وأتي النبي ﷺ برجل فأرعد من هيبته) أي انتفض جسمه من مهابته ﷺ عند وقوع بصره عليه إذ قد تقدم من وصفه إنه من رآه بديهة هابه، **(فقال «هوّن عليك فلست بملك)** كملوك الأرض يهاب منهم **(إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل من القديد»)** وهو اللحم اليابس وكانت قريش تقدد اللحم وترفعه لوقت الحاجة، قال العراقي: رواه الحاكم من حديث جرير وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(وكان) ﷺ **(يجلس بين أصحابه)** حالة كونه **(مختلطاً بهم كأنه أحدهم فيأتي الغريب)** من الخارج **(فلا يدري أيهم هو)** ﷺ **(حتى يسأل عنه)** فكان يقول: أيكم ابن عبد المطلب، أو أيكم رسول الله؟ فكانوا يقولون هذا الأبيض المتكيء **(حتى طلبوا إليه أن يجلس مجلساً)** مرتفعاً **(يعرفه الغريب)** فسكت ﷺ موافقاً لما رأوه، **(فبنوا له دكاناً من طين فكان يجلس عليه)** في المصباح الدكان يطلق على الحانوت وعلى الدكة التي يقعد عليها. قال

ـ جعلني الله فداك ـ متكئاً فإنه أهون عليك . قال : فأصغى رأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال : بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ، وكان لا يأكل على خوان ولا في سكرجة حتى لحق بالله تعالى ، وكان لا يدعوه أحد من أصحابه

الاصمعي : إذا مالت النخلة بني تحتها من قبل الميل بناء كالدكان فتمسكها بإذن الله تعالى أي دكة مرتفعة . وقال الفارابي : الطلل ما شخص من آثار الدار كالدكان ونحوه ، وأما وزنه فقال السرقسطي : النون زائدة عند سيبويه ، وكذلك قال الأخفش وهي مأخوذة من قولهم أكمة دكاء أي منبسطة . وقال ابن القطاع ، وجاعة : هي أصلية مأخوذة من دكنت المتاع إذ نضدته ووزنه على الزيادة فعلان وعلى الأصالة فعال حكى القولين الأزهري وغيره ، فإن جعلت الدكان بمعنى الحانوت ففيه التذكير والتأنيث ، ووقع في كلام المصنف في كتب الفروع حانوت أو دكان فاعترض بعضهم عليه وقال : الصواب حذف إحدى اللفظتين فإن الحانوت هي الدكان ولا وجه لهذا الاعتراض لما تقدم من أن الدكان يطلق على الحانوت وعلى الدكة والله اعلم .

قال العراقي : رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة وأبي ذر وقد تقدم .

(وقالت عائشة رضي الله عنها) لرسول الله **(كل جعلني الله فداءك متكئاً فإنه أهون عليك . قال : فأصغى برأسه حتى كاد أن تصيب جبهته الأرض ثم قال : بل آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد)** قال العراقي : رواه أبو الشيخ من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عنها بسند ضعيف .

قلت : ورواه أيضاً ابن سعد في الطبقات ، وأبو يعلى نحوه وهذا أورده على منهج التربية لأمته ، فإنه المربي الأكبر فأخباره عن نفسه بذلك في ضمنه الإرشاد لهم إلى مثل ذلك الفعل ، وأما هو في حد ذاته فيخالف جميع العباد في العبادة والعادة تمكن للأكل أو لم يتمكن إذ لو لم يكن مستحضر المرائي ربه من إقباله في سائر حالاته لما حسن منه هذا القول .

(وكان) ﷺ **(لا يأكل على خوان)** بالكسر ويضم هو المائدة ما لم يكن عليها طعام وهو مما يعتاد بعض المتكبرين والمترفهين الأكل عليه احترازاً عن خفض رؤوسهم ، فالأكل عليه بدعة إلا انها جائزة ، **(ولا في سكرجة)** بضم أحرفه الثلاثة مع تشديد الراء ، وقيل : الصواب فتح رائه لأنه معرب عن مفتوحها وهي اناء صغير يجعل فيه ما يشهى ويهضم من الموائد حول الاطعمة ، **(حتى لحق بالله عز وجل)** قال العراقي : رواه البخاري من حديث وتقدم في آداب الأكل .

قلت : ورواه كذلك الترمذي في الشمائل .

(وكان) ﷺ **(لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال « لبيك »)** قال العراقي : رواه أبو نعيم في الدلائل من حديث عائشة وفيه حسن بن علوان متهم بالكذب وللطبراني في الكبير بإسناد جيد من حديث محمد بن طالب في أثناء حديث أن أمه قالت يا رسول الله فقال : « يا لبيك وسعديك » الحديث اهـ .

وغيرهم إلا قال: لبيك، وكان إذا جلس مع الناس إن تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم وإن تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم، وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقاً بهم وتواضعاً لهم، وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحياناً ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيبتسم هو إذا ضحكوا ولا يزجرهم إلا عن حرام.

بيان صورته وخلقته ﷺ:

قلت: لفظ أبي نعيم في الدلائل ما كان أحسن خلقاً منه ما دعاه أحد من أصحابه إلا قال «لبيك». وقد أخرج حديث محمد بن حاطب أيضاً أحمد والبغوي. وفيه أن أمه قالت يا رسول الله هذا محمد ابن حاطب وهو أوّل من سمى بك الحديث، وليس في سياقه ما زاده الطبراني.

(وكان) ﷺ **(إذا جلس مع الناس ان تكلموا في معنى الآخرة أخذ معهم)** أي في الحديث **(وان تحدثوا في طعام أو شراب تحدث معهم، وإن تكلموا في الدنيا تحدث معهم رفقاً بهم وتواضعاً لهم)** قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل من حديث زيد بن ثابت دون ذكر الشراب، وفيه سليمان بن خارجة تفرد عنه الوليد بن أبي الوليد ذكره ابن حبان في الثقات.

قلت: وأخرجه البيهقي في الدلائل من هذا الوجه سليمان بن خارجة عن خارجة بن زيد أن نفراً دخلوا على أبيه زيد بن ثابت فقالوا: حدثنا عن بعض أخلاق رسول الله ﷺ. فقال: كنت جاره فكان إذا نزل الوحي عليه بعث إليّ فأتيه فاكتب الوحي، وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا بكل هذا نحدثكم عنه.

(وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحياناً) فيسمعهم **(ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية ويضحكون فيبتسم هو إذا ضحكوا)** ولا يزيد على ذلك، **(ولا يزجرهم إلا عن حرام)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة دون قوله: ولا يزجرهم إلا عن حرام قلت: رواه مسلم عن يحي بن يحي: حدثنا أبو خيثمة عن سماك بن حرب قلت لجابر بن سمرة: أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم كثيراً كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام. وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم، ورواه البيهقي في الدلائل من رواية شريك وقيس عن سماك عن جابر بن سمرة بلفظ: قال نعم كان طويل الصمت قليل الضحك وكان أصحابه ربما تناشدوا عنه الشعر والشيء من أمورهم فيضحكون وربما يتبسم.

بيان صورته ﷺ وخلقته:

الظاهرة، وإنما قدم الكلام على خلقه ﷺ إذ هو أولى بالتقديم من حيث أن الكلام فيه أظهر وأتم إذ هو الطبع والسجية وحقيقة الصورة الباطنة من النفس وأوصافها ومعانيها المختصة بها ثم عقبه بذكر ما يتعلق بخلقه الظاهر لكونه تابعاً للباطن وعنواناً عليه. واعلم أن من تمام الإيمان به

....

ﷺ اعتقاد أنه لم يجتمع في بدن آدمي من المحاسن الظاهرة ما اجتمع في بدنه ﷺ وسر ذلك ان المحاسن الظاهرة آيات على المحاسن الباطنة، والأخلاق الزكية. ولا أكمل منه ﷺ ولا مساو له في هذا المدلول، فكذلك الدال. ومن ثم نقل القرطبي عن بعضهم أنه لم يظهر تمام حسنه ﷺ وإلاّ لما طاقت أعين الصحابة النظر إليه، ثم اعلم أن الكلام على خلقه ﷺ يستدعي الكلام على ابتداء وجوده فاحتيج إلى ذكره، وإن أغفله المصنف رحمه الله تعالى وملخصه: أنه صح في مسلم انه قال:

إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء، ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب أن محمداً خاتم النبيين، وصح أيضاً أني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وأن آدم لمنجدل في طينته أي لطريح ملقى قبل نفخ الروح فيه، وصح أيضاً يا رسول الله متى كنت نبياً؟ فقال: وآدم بين الروح والجسد، وروي كتبت من الكتابة. وروى الترمذي وحسنه يا رسول الله متى وجبت لك النبوّة؟ فقال: وآدم بين الروح والجسد، ومعنى وجوب النبوّة وكتابتها ثبوتها وظهورها في الخارج أي للملائكة وروحه ﷺ في عالم الأرواح إعلاماً بعظيم شرفه وتميزه عن بقية الانبياء عليهم السلام، وخص الإظهار بحالة كون آدم بين الروح والجسد لأنـه أوان دخول الأرواح إلى عالم الاجساد والتمايز حينئذ أتم وأظهر، فاختص ﷺ بزيادة إظهار شرفه حينئذ ليتميز على غيره تميزاً أظهر وأتم.

وأجاب المصنف في بعض كتبه عن وصف نفسه بالنبوّة قبل وجود ذاته وخبر أنا أوّل الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً بأن المراد بالخلق هنا التقدير لا الايجاد. فإنه قبل أن تحمل به أمه لم يكن مخلوقاً موجوداً، ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود، فقوله: كنت نبياً أي في التقدير قبل تمام خلقه آدم إذ لم ينشأ إلا لينتزع من ذريته محمد ﷺ، وتحقيقه ان للدار في ذهن المهندسين وجوداً ذهنياً سبباً للوجود الخارجي وسابقاً عليه، فالله تعالى يقدر ثم يوجد على وفق التقدير ثانياً اهـ.

وذهب السبكي إلى ما هو أحسن وأبين، وهو أنه جاء أن الأرواح خلقت قبل الأجساد والإشارة، فكنت نبياً إلى روحه الشريفة أو حقيقة من حقائقه ولا يعلمها إلا الله، ومن حباه بالاطلاع عليها ثم إن الله تعالى يؤتي كل حقيقة منها ما شاء في أي وقت شاء، فحقيقته ﷺ قد تكون من قبل خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف بأن خلقها متهيئة له وأفاضه عليه من ذلك الوقت فصار نبياً، وكتب اسمه على العرش ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده، فحقيقته موجود من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها، فحينئذ فإيتاؤه النبوة والحكمة وسائر أوصاف حقيقته وكمالاته معجل لا تأخير فيه، وإنما المتأخر تكونه وتنقله في الأصلاب والأرحام الطاهرة إلى أن ظهر ﷺ، ومن فسر بعلم الله أنه سيصير نبياً لم يصل لهذا المعنى لأن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء، فالوصف بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي أن يفهم منه أنه أمر ثابت له، وإلا لم يختص بأنه نبي حينئذ إذ الأنبياء كلهم كذلك بالنسبة لعلمه تعالى وقال العماد ابن كثير في تفسير قوله تعالى:

كان من صفة رسول الله ﷺ أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، بل كان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب

﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين﴾ [آل عمران: ٨١] الآية إن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ إن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك، وأخذ السبكي من الآيه أنه على تقدير مجيئه في زمانهم مرسل إليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من آدم إلى يوم القيامة، وتكون الأنبياء والأمم كلهم من أمته فقوله: « وبعثت إلى الناس كافة » يتناول من قبل زمانه أيضاً وبه يتبين معنى قوله: « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد » وكذا حكمة كون الأنبياء تحت لوائه في الآخرة وصلاته بهم ليلة الإسراء، فأول الأشياء على الإطلاق النور المحمدي، ثم الماء، ثم العرش، ثم القلم. ولما خلق الله آدم جعل ذلك النور في ظهره، فكان يلمع في جبينه، ولما توفي كان ولده شيث وصيه فوصى ولده بما وصاه به أبوه أن لا يوضع هذا النور إلا في المطهرات من النساء ولم يزل العمل بهذه الوصية إلى أن وصل ذلك النور إلى عبد الله مطهراً من سفاح الجاهلية كما أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك في عدة أحاديث، ثم زوج عبد المطلب ابنه عبد الله بآمنة بنت وهب وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، فدخل بها وحملت بمحمد ﷺ فظهر في حمله ومولده عجائب لما يؤول إليه أمر ظهوره ورسالته، وقد صح أن أمه ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاء له قصور الشام وولد مختوناً في قول عام الفيل، وحكى الاتفاق عليه والمشهور أنه بعده بخمسين يوماً، وقيل: بأربعين، وقيل بعشر سنين، وقيل غير ذلك، ثم الجمهور على أنه ولد في شهر ربيع الأول فقيل ثانيه وقيل ثامنه، وانتصر له كثيرون من المحدثين وقيل عاشره وقيل ثاني عشره وهو المشهور، وقيل غير ذلك وذلك في يوم الإثنين كما صح في مسلم عقب الفجر كما في رواية ضعيفة ومدة حمله تسعة أشهر أو عشرة أو ثمانية أو سبعة أو ستة أقوال بمكة بمولده المشهور الآن وهو الأصح، وقيل بالشعب، وقيل بالروم: ثم أرضعته حليمة السعدية، والمشهور موت أبيه بعد حمله بشهرين، وقيل: وهو في المهد وماتت أمه ودفنت بالأبواء، وقيل بالحجون بعد أربع سنين أو خمس أوست أو سبع أو تسع أو اثنتي عشرة وشهراً أو وعشرة أيام أقوال، ومات جده كافله عبد المطلب وله ثمان سنين أو تسع أو عشر أو ست أقوال ثم كفله عمه شقيق أبيه أبو طالب، وتزوج خديجة وهي بنت أربعين، وهدمت قريش الكعبة وعمره خمس وثلاثين سنة، لما بلغ أربعين سنة أو وأربعين يوماً أو وشهرين بعثه الله رحمة للعالمين يوم الإثنين لخبر مسلم في رمضان، وقيل ربيع فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين، فهذا ما يتعلق بمولده ﷺ على وجه الاختصار.

(كان من صفة رسول الله ﷺ في قامته) الشريفة **(أنه لم يكن بالطويل البائن)** بالهمز وهم من جعله بالياء أي المفرط طولاً مع اضطراب **(ولا بالقصير المتردد)** الذي يتردد بعض خلقه على بعض ففيه نفي الطول المفرط والقصر المفرط، **(بل كان ينسب إلى الربعة)** بفتح فسكون وقد يحرك وتأنيثه باعتبار النفس، ولذلك استوى فيه المذكر والمؤنث إذ يقال في جمع كل

إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولها، فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب هو عليه السلام إلى الربعة، ويقول ﷺ: جعل الخير كله في الربعة.

وأما لونه فقد كان أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض والأزهر هو الأبيض الناصع الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان، ونعته عمه أبو طالب فقال:

منها ربعات بالسكون والتحريك شاذ. روى الشيخان والخرائطي من حديث البراء: «كان أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ليس بالطويل البائن ولا بالقصير» الحديث. وروى البيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة: «كان ربعة إلى الطول مائل» الحديث. وعند المنذري في الزهريات من حديثه: كان ربعة وهو إلى الطول أقرب وإسناده حسن، وعند البيهقي من حديث علي: وهو إلى الطول أقرب، وعنده أيضاً من حديث عائشة: كان ينسب إلى الربعة وفي زوائد المسند لعبد الله بن أحمد ليس بالذاهب طولاً وفوق الربعة، ولا تنافي بين الأخبار لأنه أمر نسبي، فمن وصفه بالربعة أراد الأمر التقريبي ولم يرد التحديد، ومن ثم قال ابن أبي هالة: كان أطول من المربوع وأقصر من المشذب وهو البائن الطول في نحافة. رواه الترمذي في الشمائل والطبراني والبيهقي: وروى الترمذي أيضاً في الشمائل ليس بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد، وذلك (**إذا مشى وحده ومع ذلك فلم يماشه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولها فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ونسب هو ﷺ إلى الربعة**) رواه ابن أبي خيثمة في التاريخ والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر من حديث عائشة، وفي خصائص ابن سبع كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من المجالس، (**ويقول ﷺ: «جعل الخير كله في الربعة»**) يعني المعتدل القامة رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق، والديلمي من حديث عائشة، ويروى عن الحسن بن علي أن الله جعل البهاء والهوج في الطوال. قال السخاوي: وما اشتهر على الألسنة ما خلا قصير من حكمة لم أقف عليه.

(**وأما لونه**) ﷺ (**فقد كان أزهر اللون**) أي مشرقه نيره. قال في الروض الزهرة لغة إشراق في اللون أي لون كان من بياض أو غيره وسيأتي للمصنف تفسيره بعد ذلك، (**ولم يكن بالآدم**) بالمد أي لم يكن شديد السمرة، وإنما يخالط بياضه الحمرة لكنها حمرة بصفاء فيصدق عليه أنه أزهر، (**ولا الشديد البياض**) وهو المعبر عنه بالأمهق رواه البخاري والترمذي من حديث أنس بلفظ: «أزهر اللون ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم» الحديث. ورواه الترمذي في الشمائل عن هند بن أبي هالة «أزهر اللون واسع الجبين» الحديث. (**والأزهر**) في اللغة: (**هو الأبيض الناصع**) أي الخالص الصافي (**الذي لا تشوبه صفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان**) والاسم الزهرة بالضم. قال ابن السكيت: هو البياض وزاد غيره النير، وتقدم عن السهيلي في الروض نقلاً

وأبيض يستسقى الغمام بـوجهـه ثمال اليتامـى عصمـة للأرامـلِ

ونعته بعضهم بأنه مشرب بحمرة فقالوا: إنما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر

عن أبي حنيفة هو الإشراق في أي لون كان وقال شمر الأزهر هو الأبيض العتيق البياض النير الحسن وهو أحسن البياض كان له بريقاً ونوراً يزهر كما يزهر النجم والسراج. وروى مسلم وأبو داود والترمذي في الشمائل من حديث أبي الطفيل: كان أبيض مليحاً مقصداً، وفي رواية لمسلم كان أبيض مليح الوجه، وللترمذي في الشمائل من حديث أبي هريرة: كان أبيض كأنما صيغ من فضة، وفي رواية لأحمد فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة، وروى البزار ويعقوب بن سفيان من طريق سعيد بن المسيب عن أبي هريرة كان شديد البياض، وللطبراني من حديث أبي الطفيل: ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعرة، **(ونعته عمه)** شقيق أبيه **(أبو طالب)** عبد مناف بن عبد المطلب والد علي رضي الله عنه، واخوته الحرث وجعفر وعقيل **(فقال)** في قصيدة طويلة:

(وأبيـض يستسقـي الغمام بـوجهـه ثمال اليتامـى عصمـة للأرامـل)

ذكره ابن إسحاق في السيرة وفي المسند عن عائشة أنها تمثلت بهذا البيت، وأبو بكر يقضي فقال أبو بكر: ذاك رسول الله ﷺ وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه، وللبخاري تعليقاً من حديث ابن عمر ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه رسول الله ﷺ يستسقي الغمام، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب فأنشده وقد وصله ابن ماجه بإسناد صحيح، **(ونعته بعضهم بأنه)** ﷺ **(مشرب)** بتخفيف الراء وتشديدها **(بحمرة)** وقد روى بالوجهين والإشراب مداخلة نافذة سائغة كالشراب وهو الماء الداخل كلية الجسم للطافته ونفوذه، ومن قال بالتشديد أراد به التكثير والمبالغة في شدة البياض للحمرة، وبه فسر كان أزهر اللون كما عند مسلم عن أنس، وهذا القول نقله صاحب المصباح عن بعضهم، وروى البيهقي في الدلائل من حديث علي: «كان أبيض مشرباً بياضه بحمرة» الحديث. ورواه الترمذي كذلك، والبيهقي أيضاً من حديثه: «كان أبيض مشرباً بحمرة ضخم الهامة» الحديث. ثم اعلم أن البياض إذا كان مشرباً بالحمرة فإن العرب تطلق عليه بالأسمر ويقولون: السمرة هي الحمرة التي تخالط البياض وعليه يحمل ما رواه أحمد والبزار وابن منده أنه ﷺ كان أسمر. قال الحافظ: وسنده صحيح صححه ابن حبان، وروى البيهقي في الدلائل كان أبيض بياضه إلى السمرة وفي لفظ لأحمد بسند حسن أسمر إلى البياض. ويروى عن ابن عباس كان جسمه ولحمه أحمر إلى البياض، فثبت بمجموع الروايات أن المراد بالسمرة حمرة تخالط البياض وبالبياض المثبت في روايات معظم الصحابة ما يخالط الحمرة وإن وصف في رواية بأنه شديد الوضح وفي أخرى سندها قوي شديد البياض لا مكان حمل شدته على الأمر النسبي، فلا ينافي كونه مشرباً بها وبالمنفى ما لا تخالطه هي وهو الذي تكرهه العرب وتسميه أمهق، وما روى البخاري والبيهقي في الدلائل من حديث أنس: «أزهر اللون أمهق ليس بأبيض ولا آدم» الحديث فمحمول على أن المراد بالأمهق الأخضر اللون الذي ليس بياضه في الغاية الأحمرية والأسمرية، فقد نقل عن رؤبة بن العجاج أن المهق خضرة الماء كما قاله الحافظ ابن حجر،

للشمس والرياح كالوجه والرقبة، والأزهر الصافي عن الحمرة ما تحت الثياب منه. وكان

فما توهم القاضي أن رواية ليس بالأبيض ولا بالآدم غير صواب مردود، بل معناها صحيح كما تقرر وهذا الذي قررناه في الجمع بين الأخبار حسن.

وقد أشار المصنف إلى الجمع بتقرير آخر بقوله: **(فقال)** أي هذا البعض الذي نعته بأنه مشرب بحمرة بعد ثبوت روايات كان أبيض شديد البياض، وفي بعض النسخ فقيل وفي أخرى فقالوا: **(إنما كان المشرب منه بالحمرة ما ظهر للشمس والرياح كالوجه والرقبة، والأزهر الصافي من الحمرة ما تحت الثياب منه)** وهذا القول نقله البيهقي في الدلائل فقال: يقال إن المشرب منه بحمرة وإلى السمرة ما ضحا منه للشمس والريح، وأما ما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر، وهذا القول قد رده ابن حجر في شرح الشمائل فإن أنساً لملازمته له وقربه منه لا يخفى عليه أمره حتى يصفه بغير صفته الأصلية الملازمة له فتعين حمل السمرة في روايته على الحمرة التي تخالط البياض: كما مر على أنه ثبت في عنقه الشريف أنه أبيض كأنما صيغ من فضة مع أن العنق بارز، ورد ذلك أيضاً بأن تأثير الشمس فيه ينافي ما ورد أنه كان يظلله سحابة وهو غفلة لأنه إذ ذاك كان إرهاصاً ومتقدماً على النبوة، وأما بعدها فلم يحفظ ذلك كيف وأبو بكر قد ظلل عليه بثوبه لما وصل المدينة، وصح أنه ظلل بثوب وهو يرمي الجمرات في حجة الوداع.

تنبيه:

قالوا: يكفر من قال: كان النبي ﷺ أسود لأن وصفه بغير صفته نفي له وتكذيب به، ومنه يؤخذ أن كل صفة علم ثبوتها له بالتواتر كان نفيها كفراً للعلة المذكورة، وقول بعضهم لا بد في الكفر من أن يصفه بصفة تشعر بنقصه كالأسود هنا، فإن السواد لون مفضول فيه نظر لأن العلة كما علمت ليست من النقص بل ما ذكر، فالوجه أنه لا فرق.

فإن قلت: لونه ﷺ أشرف الألوان ولون أهل الجنة كذلك فلم لم تكن ألوانهم البياض المشرب بالحمرة بل بالصفرة كما قال جمهور المفسرين في قوله تعالى: ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ [الصافات: ٤٩] شبههن ببيض النعام المكنون في عشها ولونها بياض به صفرة حسنة؟ قلت: اللون واحد وإنما اختلف فيما شيب به، وحكمته والله أعلم أن الشوب بالحمرة ينشأ على الدم وصفائه واعتدال جريانه في البدن وعروقه وهو من الفضلات الجيدة التي تنشأ من أغذية هذه الدار فناسب الشوب فيها. وأما الشوب بالصفرة التي تورث البياض صفاء وصقالة فلا ينشأ عادة عن غذاء من أغذية هذه الدار، فناسب أن يختص الشوب به في تلك الدار فظهر أن الشوب في كل من الدارين بما يناسبها.

فإن قلت: من عادة العرب مدح النساء بالبياض المشرب بصفرة كما وقع في لامية امرىء القيس وهذا يدل على أنه فاضل في ألوان أهل الدنيا أيضاً؟ قلت: لا نزاع في أنه فاضل، وإنما النزاع في أنه أفضل الألوان في هذه الدار وليس كذلك، بل أفضلها المشرب بحمرة لما تقرر أن لونه ﷺ أفضل الألوان.

عرقه ﷺ في وجهه كاللؤلؤ أطيب من المسك الأذفر.

وأما شعره فقد كان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط وكان إذا مشطه بالمشط يأتي كأنه حبك الرمل. وقيل: كان شعره يضرب منكبيه وأكثر الرواية أنه

(وكان عرقه ﷺ) العرق محركة ما يترشح من الجلد **(في وجهه كاللؤلؤ)** في الصفاء والبياض. روى مسلم في المناقب من حديث أنس: « كان أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ » الحديث. وروى البيهقي من حديث عائشة كان يخصف نعله وكنت أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتلألأ نوراً. وروي أيضاً من حديث علي: كان عرقه اللؤلؤ، **(أطيب من المسك الأذفر)** أي شديد الرائحة. رواه البيهقي من حديث علي: ولريح عرقه أطيب من المسك الأذفر. وفي سنده رجل مجهول. وروى مسلم من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال: دخل علينا النبي ﷺ فنام عندنا فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق، فاستيقظ النبي ﷺ فقال: يا أم سليم ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرق نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب. ورواه أيضاً من طريق أبي قلابة عن أنس عن أم سليم أن النبي ﷺ كان يأتيها فيقيل عندها فتبسط له نطعاً، فيقيل عليه، وكان كثير العرق، فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير، فقال النبي ﷺ: « يا أم سليم ما هذا » قالت: عرقك أذوف به طيبي.

(وأما شعره فقد كان) ﷺ **(رجل الشعرة حسنها)** بسكون الجيم وكسرها **(ليس بالسبط)** بسكون الباء وكسرها **(ولا الجعد القطط)** بفتح الطاء الأولى وكسرها أي شعره ﷺ ليس بنهاية في الجعودة وهو تكسره الشديد ولا في السبوطة وهي عدم إنكساره أصلاً، بل كان وسطاً بينهما. رواه مسلم والبيهقي في الدلائل من طريق علي بن حجر عن إسماعيل بن جعفر عن ربيعة عن أنس. ورواه البخاري ومسلم أيضاً من طريق مالك وغيره عن ربيعة وروى البخاري عن مسلم بن إبراهيم وعمرو بن علي كلاهما عن وهب بن جرير عن أبيه عن أنس قال: شعره بين الشعرين لا سبط ولا جعد بين أذنيه وعاتقه. ورواه البيهقي في الدلائل من طريق مسلم بن إبراهيم وفي رواية لمسلم من طريق قتادة عن أنس كان شعراً رجلاً ليس بالجعد ولا بالسبط بين أذنه وعاتقه، وروى الترمذي في الشمائل من حديث أبي هريرة: كان أبيض كأنما صيغ من فضة رجل الشعر.

(وكان) ﷺ **(إذا مشطه بالمشط)** أي سرحه به **(يأتي كأنه حبك الرمل)** بضم الحاء المهلمة والباء الموحدة وهي طرائق الرمل، وهذا يؤيد من فسر الرجل بالمتكسر قليلاً ولا ينافي ذلك ما تقدم من الروايات لأن الرجولة أمر نسبي فحيث أثبتت أريد بها الأمر الوسط بين السبوطة والجعودة وحيث نفيت أريد بها السبوطة. **(وقيل: كان شعره)** ﷺ **(يضرب منكبيه)** مثنى منكب كمجلس وهو مجتمع رأس العضو والكتف. وروى الشيخان من حديث أنس كان شعره يضرب منكبيه أخرجاه من طريق حبان عن همام عن أنس، رواه البخاري من طريق أبي غسان عن

كان إلى شحمة أذنيه، وربما جعله غدائر أربعاً تخرج كل أذن من بين غديرتين. وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ. وكان شيبه في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة، ما زاد على ذلك. وكان ﷺ أحسن الناس وجهاً وأنورهم، لم يصفه واصف إلا

إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء بلفظ: «إن جمته تضرب قريباً من منكبيه» ورواه كذلك البيهقي في الدلائل، ورواه مسلم من طريق أبي كريب عن وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن البراء بلفظ: «له شعر يضرب منكبيه» الحديث **(وأكثر الرواية أنه كان إلى شحمة أذنيه)** روى الشيخان من حديث البراء: يبلغ شعره شحمة أذنيه، أخرجاه من طريق شعبة عن أبي إسحاق عن البراء. وروى البيهقي في الدلائل من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس: كان شعر رسول الله ﷺ إلى شحمة أذنيه، وروى مسلم من طريق حميد عن أنس: كان شعره إلى أنصاف أذنيه ولفظ الترمذي في الشمائل عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه أي تكاثفها ينتهي إلى شحمة أذنيه، وتقدم عن الصحيحين في حديث أنس أنه كان بين أذنيه وعاتقه، وفي أخرى عند الترمذي وغيره فوق الجمة ودون الوفرة. وفي رواية: إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، وفي أخرى كان إلى أذنيه وفي أخرى إلى كتفيه، والجمع بين هذه الروايات أن مما يلي الأذن هو الذي يبلغ شحمتها وما خلفها هو الذي يضرب منكبيه، أو بأن ذلك لاختلاف الأوقات، فكان إذا ترك تقصيرها بلغ المنكب وإذا قصرها كانت إلى الأذن أو شحمتها أو نصفها، فكانت تطول وتقصر بحسب ذلك. **(وربما جعله غدائر أربعاً يخرج كل أذن بين غديرتين)** قال العراقي: روى أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أم هانىء: قدم مكة وله أربع غدائر اهـ.

قلت: ورواه البيهقي في الدلائل من طريق سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قالت أم هانىء قدم رسول الله ﷺ مكة قدمة وله أربع غدائر تعني ضفائر، والغديرة والضفيرة هي الذؤابة. ولفظ الترمذي في الشمائل: قدم مكة قدمة وشعره إلى انصاف أذنيه وله أربع غدائر، والظاهر أنها عنيت قدومه مكة عام الفتح لأنه حينئذ اغتسل وصلى الضحى في بيتها وقدماته إلى مكة أربع متفق عليها في عمرة القضاء والفتح، ولما رجع من حنين دخلها حين اعتماره من الجعرانة وفي حجة الوداع.

(وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ) أي تضيء وتتنور من وبيص الطيب، **(وكان شيبه)** ﷺ **(في الرأس واللحية سبع عشرة شعرة ما زاد على ذلك)** رواه البيهقي في الدلائل من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قيل له: هل كان شاب رسول الله ﷺ؟ فقال: ما شانه الله تعالى بالشيب ما كان في رأسه إلا سبع عشرة أو ثمان عشرة شعرة. هكذا هو في نسخة الدلائل عندي، وفي لفظ له: عنده ما كان في رأسه ولحيته ولم أره في الدلائل. وروى البخاري من طريق الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن ربيعة عن أنس توفي

شبهه بالقمر ليلة البدر، وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته، وكانوا

رسول الله ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، ورواه هو ومسلم أيضاً من طريق مالك عن ربيعة، وروى الترمذي في الشمائل من حديث ابن عمر إنما كان شيبه ﷺ نحواً من عشرين شعرة بيضاء ولا منافاة بين الروايتين لأن الأربع عشرة دون العشرين لأنها أكثر من نصفها، ومن زعم أنه دلالة لنحو الشيء على القرب منه فقد وهم، ويجمع بين هذه الأخبار وبين ما قال المصنف بأنه اختلف لاختلاف الأوقات أو بأن الأول اخبار عن عده، والثاني اخبار عن الواقع فهو لم يعد إلا أربع عشرة، وأما في الواقع فكان سبع عشرة أو ثمان عشرة ونفي الشيب في رواية أنس المراد به نفي كثرته لا أصله، وسبب قلة شيبه أن النساء يكرهنه غالباً، ومن كره من النبي ﷺ شيئاً كفر، وأما خبر ان الشيب وقار ونور فيجاب عنه بأنه وإن كان كذلك لكنه شين عند النساء غالباً. أو أن المراد بالشيب المنفي فيما من الشين عند من كرهه لا مطلقاً لتجتمع الروايتان، وأما أمره ﷺ لهم لما رأوا أبا قحافة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً بتغييره وكرهه، ولذلك قال: غيروا الشيب فلا يدل على أنه شين مطلقاً بل بالنسبة لمن مر وفي تغييره مصلحة بالنسبة إلى الجهاد وإرهاب الكفار، وبالنسبة لوقوع الإلفة بين الزوجين، والجمع بين الأحاديث ما أمكن أسهل من دعوى النسخ وإن أيدها منع الأكثرين للتغيير، والله أعلم.

(**وكان ﷺ أحسن الناس وجهاً وأنورهم**) روى الشيخان من حديث البراء: «كان أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقاً» الحديث. ولهما وللترمذي وابن ماجه من حديث أنس: «كان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس» وقد تقدم وروى مسلم من حديث ابن الطفيل: «كان أبيض مليح الوجه» وروى الترمذي في الشمائل من حديث أبي هريرة: «كان أبيض كأنما صيغ من فضة» الحديث وقد تقدم وفي حديث هند بن أبي هالة عند الترمذي والبيهقي والطبراني أنور المتجرد وقوله: كأنما صيغ من فضة أي باعتبار ما يعلو بياضه من النور والإضاءة (**لم يصفه واصف إلا شبهه بالقر**) وإنما اختير على الشمس لأنه يتمكن من النظر إليه ويؤنس من شاهده من غير أذى يتولد عنه بخلاف الشمس لأنها تغشى البصر وتؤذي وقال: (**ليلة البدر**) لأن القمر فيها في نهاية إضاءته وكماله، ورواه البيهقي في الدلائل من حديث أبي إسحاق الهمداني عن امرأة من همداني سماها قالت: حججت مع رسول الله ﷺ مرات على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه بردان أحمران الحديث. وفيه قال أبو إسحاق: فقلت لها شبّهيه، فقالت: كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ، وروى البخاري من حديث كعب بن مالك لما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه وكان إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه. وروى البيهقي من طريق أبي إسحاق عن جابر بن سمرة قال: رأيت رسول الله ﷺ في ليلة أضحيان وعليه حلة حمراء، فجعلت، اماثل بينه وبين القمر. ورواه من حديث جابر بن سمرة بلفظ: فجعلت انظر إليه وإلى القمر. فلهو كان أحسن في عيني من القمر، وروى البخاري من طريق زهير عن أبي إسحاق قال: سأل رجل البراء أليس كان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا. كان مثل

يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه حيث يقول:

أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

وكان ﷺ واسع الجبهة أزج الحاجبين سابغهما، وكان ابلج ما بين الحاجبين كأن ما بينهما الفضة المخلصة، وكانت عيناه نجلاوين أدعجهما وكان في عينيه تمزج من حمرة،

القمر. ورواه مسلم بلفظ: لا بل مثل الشمس والقمر مستديراً وفي الشمائل للترمذي من حديث هند ابن أبي هالة فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ ليلة البدر، وروى البيهقي من طريق أبي عبيدة بن محمد ابن عمار بن ياسر قال: قلت للربيع بنت معوذ: صفي لي رسول الله ﷺ. قالت: لو رأيته لقلت الشمس طالعة، وفي رواية: يا بني لو رأيته رأيت الشمس طالعة ورواه من طريق أبي يونس مولى أبي هريرة عن أبي هريرة قال: ما رأيت شيئاً أحسن من النبي ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه الحديث، ثم أن تشبيه بعض صفاته بنحو القمر والشمس إنما جرى على عادة العرب والشعراء أو على سبيل التقريب والتمثيل وإلا فلا شيء يعادل شيئاً من أوصافه ﷺ إذ هي أعلى وأجل من كل مخلوق، **(وكان يرى رضاه وغضبه في وجهه لصفاء بشرته)** تقدم في أول الباب، **(وكانوا يقولون هو كما وصفه صاحبه أبو بكر)** رضي الله عنه **(حين يقول:**

(أميناً مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلامُ)

وفي بعض النسخ أمين بالرفع وزايله فارقه فالبدر أضوأ ما يكون إذ ذاك، وفي بعض النسخ الطلام بكسر الطاء المهملة وليس له وجه.

(وكان ﷺ واسع الجبهة) أي واضحها. قال الخليل: هي مستوى ما بين الحاجبين إلى الناصية وقال الأصمعي: هي موضع السجود والجمع جباه **(أزج الحاجبين)** أي مقوسهما مع كثرة شعرهما وطول في طرفه وامتداده أو دقيقهما مع طول **(سابغهما)** أي كاملهما، **(وكان أبلج ما بين الحاجبين كان ما بينهما الفضة المخلصة)** أي كان بين حاجبيه بلجة أي فرجة بيضاء دقيقة لا تتبين إلا لمتأمل فهو غير أقرن في الواقع، وإن كان أقرن بحسب الظاهر عند من لم يتأمله لأنهما سبغا حتى كادا يتلقيان قال الأصمعي: كانت العرب تكره القرن، وتستحب البلج والبلج هو أن ينقطع الحاجبان فيكون ما بينهما نقياً، روى البيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة كان مفاص أهدب الأشفار وروى الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة: «كان واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب» الحديث. وروى البيهقي من طريق حرب بن شريح صاحب الخلقان قال: حدثني رجل من بلعدوية قال: حدثني جدي قال: انطلقت إلى المدينة فذكر الحديث في رؤيته رسول الله ﷺ قال: فإذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة. الحديث. وروي من حديث أبي هريرة: «كان أحسن الناس صفة وأجلها» الحديث وفيه:

وكان أهدب الأشفار حتى تكاد تلتبس من كثرتها، وكان أقنى العرنين ـ أي مستوي

« أسيل الجبين شديد سواد الشعر » الحديث. وفي بعض الروايات كان صلت الجبين وكلها تؤول إلى معنى واحد.

(وكانت عيناه) ﷺ **(نجلاوين)** أي واسعتين **(ادعجها)** أي شديد سواد حدقتها. روى البيهقي من طريق عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده قال: قيل لعلي انعت لنا رسول الله ﷺ فقال: كان أبيض مشرباً بياضه حمرة وكان أسود الحدقة أحدب الأشفار، وروي من طريق إبراهيم بن محمد من ولد علي قال: كان علي إذا نعت رسول الله ﷺ قال: كان في الوجه تدوير أبيض مشرب أدعج العينين أهدب الأشفار، ولأبي بكر بن أبي شيبة من حديث جابر بن سمرة قال: كنت إذا نظرت إلى رسول الله ﷺ قلت: « أكحل العينين وليس بأكحل » الحديث.

(وكان في عينيه تمزج من حمرة) روى البيهقي من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد ابن علي عن أبيه قال: « كان رسول الله ﷺ عظيم العينين أهدب الأشفار مشرب العين بحمرة » وروى مسلم من طريق غندر عن شعبة عن سماك عن جابر بن سمرة قال: « كان ضليع الفم أشكل العينين منهوس العقبين » ورواه الحاكم بلفظ: « كان أشكل العينين ضليع الفم » ورواه أبو داود فقال: « أشهل العينين » قال أبو عبيد: الشكلة كهيئة الحمرة تكون في بياض العين والشهلة غير الشكلة وهي حمرة في سواد العين.

(وكان) ﷺ **(أهدب الأشفار)** جمع شفر بالضم وهو حرف الجفن الذي ينبت عليه الهدب قال ابن قتيبة: والعامة تجعل أشفار العين الشعر وهو غلط، وإنما الأشفار حروف العين التي ينبت عليها الشعر **(حتى تكاد تلتبس من كثرتها)** روي ذلك من حديث علي بألفاظ مختلفة ففي لفظ عظيم العينين أهدب الأشفار، وفي لفظ أسود الحدقة أهدب الأشفار، وفي لفظ أدعج العين أهدب الأشفار، وفي لفظ أغر أبلج أهدب الأشفار. ومن حديث أبي هريرة: « كان أهدب أشفار العينين » وفي لفظ: كان مفاض الجبين أهدب الأشفار، وفي لفظ أكحل العينين أهدب الأشفار. كل هذه الألفاظ عند البيهقي في الدلائل.

(وكان) ﷺ **(أقنى العرنين)** بكسر العين المهملة أول الأنف حيث يكون فيه شمم، وأوله هو ما تحت مجتمع الحاجبين، والقنى في الأنف طوله ورقة ارنبته مع حدب في وسطه يعني **(مستوى الأنف)** أي من غير حدب، وفي رواية أقنى الأنف أي سائل مرتفع وسطه روى الترمذي في الشمائل والبيهقي في الدلائل والطبراني من حديث هند بن أبي هالة في حديثه الطويل: « أقنى العرنين له نور يحسبه من لم يتأمله اشم » الحديث. وروى البيهقي من حديث رجل من بلعدوية عن جده وله صحبة. فساق الحديث وفيه: فإذا رجل حسن الوجه عظيم الجبهة دقيق الأنف رقيق الحاجبين. الحديث.

الأنف ـ وكان مفلج الأسنان ـ أي متفرقها ـ وكان إذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق إذا تلألأ، وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم، وكان سهل الخدين صلتهما ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم، كث اللحية، وكان يعفي لحيته ويأخذ من

(وكان) ﷺ (مفلج الأسنان أي مفرجها) هذا أحد الوجوه في تفسير المفلج وقيل: فلجها تفريق الثنايا والرباعيات فقط، رواه مسلم والترمذي في الشمائل من حديث جابر بن سمرة « ضليع الفم أشنب مفلج الاسنان » الحديث. وفي رواية لابن سعد « مبلج الثنايا » بالموحدة، ولابن عساكر براق الثنايا وروى البيهقي من حديث ابن عساكر: كان أفلج الثنيتين، وكان إذا تكلم رؤى كالنور بين ثناياه.

(وكان) ﷺ: (إذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا) أي ضوء **(البرق إذا تلألأ) في** ظلمة الليل. روى البيهقي من حديث عائشة: وكان يتبسم عن مثل البرد المنحدر من متون الغمام، فإذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق إذا تلألأ. وروي من حديث أبي هريرة. وإذا ضحك يتلألأ، وفي حديث هند: ويفتر عن مثل حب الغمام.

(وكان من أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم) رواه البيهقي في الدلائل من حديث عائشة على ما سيأتي ذكره، وعند مسلم والترمذي من حديث جابر: ضليع الفم أي واسعه والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم. وقال بعضهم: الضليع المهزول الذابل. وهو في صفة فم النبي ﷺ وبدل شفتيه ورقتهما وحسنهما.

(وكان) ﷺ (سهل الخدين صلتهما) أي سائلهما من غير ارتفاع وجنتيه وذلك أحلى عند العرب. رواه الترمذي في الشمائل، والبيهقي، والطبراني من حديث هند بن أبي هالة. وروى البزار والبيهقي كان أسيل الخدين وأصلت الخدين أسيلهما هو المستوى الذي لا يفوت بعض لحم بعضه بعضاً كما سيأتي ذلك عند ذكر حديث عائشة: **(ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم)** أي لم يكن شديد تدوير الوجه، والمكلثم هو المدوّر الوجه يقول: فليس كذلك، ولكنه مسنون. رواه الترمذي في الشمائل والبيهقي في الدلائل من حديث علي: « لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم، وكان في وجهه تدوير » الحديث. والمطهم هو المنتفخ الوجه، وقيل: الفاحش السمن، وقيل النحيف الجسم وهو من الأضداد **(كث اللحية)** أي الكثير نبات الشعر الملتفها. رواه البيهقي من حديث عائشة. ورواه من طريق محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه، ورواه من طريق نافع بن جبير عنه كان ضخم الهامة عظيم اللحية، وفي لفظ له ضخم الرأس واللحية، ومن حديث أبي هريرة كان أسود اللحية حسن الشعر، ومن طريق أبي ضمضم عن رجل من الصحابة لم يسم كان مرجلاً مربوعاً حسن السبكة. قال: كانت اللحية تدعى في أوّل الاسلام سبكة، ورواه الطبراني في الكبير وسماه العداء بن خالد.

شاربه، وكان أحسن عباد الله عنقاً لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر، ما ظهر من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة مشرب ذهباً يتلألأ في بياض الفضة وفي حمرة الذهب، وكان ﷺ عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضاً كالمرآة في استوائها وكالقمر في بياضه موصول ما بين لبته وسرته بشعر منقاد كالقصيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره، وكانت له عكن ثلاث يغطي الإزار منها واحدة ويظهر اثنتان،

(وكان) ﷺ **(يعفي لحيته ويأخذ شاربه)** ويأمر ذلك. روى ابن عدي والبيهقي في السنن من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « احفوا الشوارب واعفوا اللحى » ورواه أيضاً الطحاوي من حديث أنس بزيادة « ولا تشبهوا باليهود ».

(وكان) ﷺ **(أحسن الناس عنقاً لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح، فكأنه إبريق فضة مشرب ذهباً يتلألأ في بياض الفضة وفي حمرة الذهب)** وما غيبت الثياب من عنقه وما تحته فكأنه القمر ليلة البدر. هكذا رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي ذكره، وروى الترمذي في الشمائل والبيهقي في الدلائل من حديث هند ابن أبي هالة « دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة » الحديث. ولفظ البيهقي من حديث علي « كان عنقه ابريق فضة ».

(وكان ﷺ عريض الصدر لا يعدو لحم بعض بدنه بعضاً كالمرآة في استوائها وكالقمر في بياضه) رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي ذكره بلفظ « وكان عريض الصدر ممسوحه كأنه المرآة في سموتها واستوائها لا يعدو بعض لحمه بعضاً على بياض القمر ليلة البدر » وفي سنده نظر. وروي من حديث هند بن أبي هالة « عريض الصدر » وفي لفظ « فسيح الصدر » وروى الترمذي في الشمائل بعيد ما بين المنكبين. قال الشارح: أي عريض أعلى الظهر وهو مستلزم لعرض الصدر، ومن ثم وقع عند ابن سعد في الطبقات رحيب الصدر، **(موصول ما بين لبته)** وهي الفقرة التي فوق الصدر، **(وسرته)** متعلق بموصول **(بشعر كالقضيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعر غيره)** رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي ذكره، وروى الترمذي في الشمائل والطبراني والبيهقي من حديث هند بن أبي هالة « موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك » الحديث. وروى البيهقي من حديث رجل من بلعدوية عن جده وله صحبة بلفظ: « وإذاً من لون نحره إلى سرته كالخيط الممدود شعره »، الحديث. وفي حديث علي بلفظ « وكان في صدره مسربة » وفي لفظ له كان دقيق المسربة وفي لفظ آخر له « من لبته إلى سرته شعر يجري كالقضيب ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره ». واختلف هل كان لإبطيه ﷺ شعر ؟ فزعم القرطبي أنه لم يكن وقد رده أبو زرعة العراقي بأن ذلك لم يثبت بوجه من الوجوه، والخصائص لا تثبت بالاحتمال ولا يلزم من ذكر أنس وغيره بياض إبطيه أن لا يكون له شعر، فإنه إذا نتف بقي المكان أبيض وإن بقي فيه أثر.

وكان عظيم المنكبين أشعرهما ضخم الكراديس ـ أي رؤوس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين ـ وكان واسع الظهر، ما بين كتفيه خاتم النبوّة وهو مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس، وكان

(وكانت له عكن ثلاث يغطي الإزار منها واحدة وتظهر اثنتان) العكنة بالضم طية من طيات البطن والجمع عكن رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي ذكره إلا أنه قال: يغطي الازار منها اثنتين وتظهر منها واحدة، ومنهم من قال: واحدة وتظهر اثنتان، ثم قال: تلك العكن أبيض من القباطي المطواة وألين مساً.

(وكان) ﷺ **(عظيم المنكبين)** رواه البيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ « عظيم مشاش المنكبين » وروى الترمذي في الشمائل، والبيهقي من حديث علي « جليل المشاش والكتد ». قال أبو عبيد: الجليل المشاش العظيم رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين، **(أشعرهما)** رواه الترمذي في الشمائل والطبراني والبيهقي من حديث هند بن أبي هالة أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر أي أشعر هذه الثلاثة، **(ضخم الكراديس أي رؤوس العظام من المنكبين والمرفقين والوركين)** رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الاتي، ولفظه: والكراديس عظام المنكبين والمرفقين والوركين والركبتين، ورواه أيضاً من حديث علي ضخم الكراديس طويل المسربة، ورواه الترمذي في الشمائل من حديثه جليل المشاش والكتف أو قال: الكتد، وفي لفظ: جليل المشاش والكتد بلا شك، ورواه أيضاً من حديث هند بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس.

(وكان) ﷺ **(واسع الظهر)** وبه فسر بعيد ما بين المنكبين أي عريض أعلى الظهر كما تقدم، وقد روي بعيد ما بين المنكبين في عدة أحاديث، روى الشيخان من حديث البراء: « كان مربوعاً بعيد ما بين المنكبين » الحديث. وروى البيهقي من حديث أبي هريرة كان بعيد ما بين المنكبين، وفي لفظ لمسلم له شعر يضرب منكبيه بعيد ما بين المنكبين **(ما بين كتفيه خاتم النبوّة)** بفتح التاء وكسرها والمراد به هنا الأثر الحاصل له بين كتفيه لمشابهته للخاتم الذي يختم به وهو الطابع وإضافته للنبوّة للدلالة عليها. قيل: أو لكونه ختماً عليها بحفظها وما فيها أو ختم عليها لإتمامها كما تتم الأشياء ثم يختم عليها، ويحتمل أنه من قبيل خاتم فضة كان ذلك الخاتم أيضاً من نبوّته وفي ذلك كله تكلف لا يخفى، **(وهو مما يلي منكبه الأيمن)** فالبينية المذكورة تقريبية هذا قول، والصحيح أنه كان عند أعلى كتفه الأيسر قاله السهيلي، وقد وقع التصريح به عند مسلم قال: حدثنا حامد بن عمر البكراوي، وأبو كامل الجحدري قالا: حدثنا حماد بن زيد عن عاصم الأحول عن عبد الله بن سرجس قال: رأيت النبي ﷺ وأكلت معه خبزاً ولحماً وساق الحديث. وفيه: « ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوّة بين كتفيه عند نغض كتفه اليسرى ». الحديث. **(فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس)** هكذا رواه ابن أبي خيثمة في تاريخه إلا أنه قال: متركبات بدل متواليات، وفي تحديد خاتم النبوّة أقوال كثيرة نذكرها فمنها: جمع عليه خيلان كأنها الثآليل السود عند نغض كتفه. رواه مسلم من حديث

....

عبدالله بن سرجس بالسند المتقدم قريباً وقيل مثل زر الحجلة رواه البخاري من حديث السائب بن يزيد وزاد وينم مسكاً، ورواه مسلم بلا زيادة وقيل: « كبيضة الحمام » رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة، وقيل « مثل السلعة » رواه البيهقي من حديث معاوية بن قرة عن أبيه، وقيل « شعر مجتمع » رواه الحاكم في المستدرك، وقيل « مثل التفاحة » رواه الترمذي في الشمائل والبيهقي في الدلائل من حديث إياد بن لقيط، وقيل: مثل بعرة البعير رواه أيضاً من حديث أبي رمثة عن أبيه، وقيل مثل السلعة. رواه أيضاً من حديثه عن أبيه، وقيل: لحمة ناتئة رواه أيضاً من حديث أبي سعيد، وقيل بضعة ناشزة رواه الترمذي في الشمائل، وقيل: كالبندقة رواه ابن عساكر في التاريخ زاد الحاكم في تاريخ نيسابور مكتوب فيه باللحم محمد رسول الله، وقيل كالمحجمة الضخمة. رواه البيهقي من حديث التنوخي رسول هرقل، وللسهيلي في الروض كاثر المحجم النابضة على اللحم، وقيل: شامة خضراء محتفزة في اللحم رواه ابن أبي خيثمة في التاريخ، وقيل: ثلاث شعرات مجتمعات نقله القاضي، وقيل: كبيضة حمام مكتوب بباطنها الله وحده لا شريك له، وبظاهرها توجه حديث كنت فإنك منصور، رواه الحكم الترمذي في نوادر الاصول، و قيل: كان نوراً يتلألأ. رواه ابن عائذ، وقيل: غرزة كغرزة الحمام أي قرطمته وقرطمتاه بكسر القاف نقطتان على أصل نقاره، وقيل: كتية صغيرة تضرب إلى الدهمة. روي ذلك عن عائشة. قال الحافظ في فتح الباري: ورواية كاثر المحجم أو كشامة خضراء أو سوداء مكتوب فيها محمد رسول الله أوسر فإنك منصور لم يثبت منها شيء وتصحيح ابن حبان ذلك وهم. وقال الهيثمي: إن راوي كتابة محمد رسول الله هنا اختلط عليه بخاتمه الذي كان يختم به، وقال بعض العلماء: وليست هذه الروايات مختلفة حقيقة بل كان شبه بما ستح به له. وتلك الألفاظ كلها مؤداها واحد وهو قطعة لحم، ومن قال: شعر فلان الشعر حوله متراكب عليه كما في الرواية الأخرى. وقال القرطبي: الأحاديث الثابتة تدل على ان خاتم النبوّة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر إذ قلّل جعل كبيضة الحمام وإذا أكثر جعل كجمع اليد. وقال القاضي رواية جمع الكف تخالف بيض الحمام، وزر الحجلة. فتتأوّل على وفق الروايات الكثيرة أي كهيئة الجمع، لكنه أصغر منه على قدر بيضة الحمامة. واختلفوا هل ولد به أو وضع عند ولادته قولان، لكن في حديث البزار وغيره بيان وقت وضعه، وكيف وضع ومن وضعه هو قلت يا رسول الله كيف علمت أنك نبي وبم علمت حتى استغنيت؟ قال: « أتاني ملكان وأنا ببطحاء مكة فقال أحدهما شق بطنه فشق بطني فأخرج قلبي فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحها، فقال أحدهما لصاحبه: اغسل بطنه غسل الإناء واغسل قلبه غسل الملاء، ثم قال أحدهما لصاحبه: خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن ووليا عني وكأني أرى الامر معاينة ». وقال أبو نعيم في الدلائل: لما ولد أخرج الملك صرة من حرير أبيض فيها خاتم فضرب على كتفيه كالبيضة. وأخرج الحاكم عن وهب بن منبه لم يبعث الله نبياً إلا وعليه شامات النبوّة في يده اليمنى إلا نبينا ﷺ فإن شامات نبينا بين كتفيه وعليه فوضع الخاتم بين كتفيه بازاء قلبه مما اختص به على سائر الانبياء ﷺ.

عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سائل الأطراف كأن أصابعه قضبان الفضة، كفه ألين من الخز، كأن كفه كف عطار طيباً ـ مسها بطيب أو لم يمسها ـ يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من

(وكان) ﷺ (**عبل العضدين والذراعين**) أي ضخمها روى البيهقي من حديث أبي هريرة كان شبح الذراعين بعيد ما بين المنكبين. الحديث. أي عريضها، وفي حديث هند بن أبي هالة: ضخم الكتد وهو محركة مجتمع الكتفين والظهر (**طويل الزندين**) أي عظيمها إذالزند موصل عظم الذراع وهما زندان الكوع والكرسوع (**رحب الراحتين**) أي واسعها حساً ومعنى، والراحة باطن الكف (**سائل الأطراف**) بالسين المهملة أي ممتدها وهي الأصابع امتداداً معتدلاً بين الافراط والتفريط. ويروى بالشين المعجمة أي مرتفعها. رواه الترمذي في الشمائل، والطبراني، والبيهقي من حديث هند بن أبي هالة طويل الزندين رحب الراحة سائل الاطراف أو شائل الأطراف (**كأن أصابعه**) ﷺ (**قضبان الفضة**) في امتدادها وصفاء لونها رواه البيهقي من حديث عائشة الآتي اسناده، (**كفه**) ﷺ (**ألين من الخز. كان كفه كف عطار طيباً مسها بطيب أو لم يمسها**) قال البخاري: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن انس قال: «ما مسست بيدي ديباجاً ولا حريراً ولا شيئاً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط أطيب من ريح رسول الله ﷺ».

وقال مسلم: حدثنا قتيبة بن سعيد وزهير بن حرب قالا: حدثنا هاشم عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: «ما شممت شيئاً قط مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله ﷺ، ولا مسست شيئاً قط حريراً ولا ديباجاً ألين مساً من رسول الله ﷺ».

وقال مسلم: حدثنا عمرو بن حماد، ثنا أسباط بن نصر، عن سماك، عن جابر بن سمرة قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى ثم رجع إلى أهله وخرجت معه، فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً. قال: وأما أنا فمسح خدي. قال: فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جونة عطار.

وأخرج البيهقي من طريق جابر بن زيد بن الأسود عن أبيه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو بمنى فقلت: يا رسول الله ناولني يدك فناولنيها فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك، وقد وقع في حديث مسلسل بالمصافحة من طريق أبي القاسم عبدان بن حميد بن عبدان المنجي عن عمرو بن سعيد عن أحمد بن دهقان عن خلف بن تميم عن أبي هرمز عن أنس قال: «صافحت بكفي هذه كف رسول الله ﷺ فما مسست خزاً ولا حريراً ألين من كفه ﷺ» وله طرق ذكرتها في التعليقة الجليل على مسلسلات ابن عقيل، وفي بعض ألفاظه «فما مسست خزاً ولا قزاً» وقد أوسع الكلام فيه الحافظ أبو بكر بن عدي في الخامس من مسلسلاته.

(**يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها**) أي ريح يده الشريفة، (**ويضع يده على رأس**

بين الصبيان بريحها على رأسه، وكان عبل ما تحت الإزار من الفخذين والساق، وكان معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان لحمه متماسكاً يكاد يكون على الخلق الأوّل لم يضره السمن.

وأما مشيه ﷺ فكان يمشي كأنما يتقلع من صخر ويتحدر من صبب يخطو تكفياً ويمشي الهوينا بغير تبختر ـ والهوينا تقارب الخطا ـ وكان عليه الصلاة والسلام يقول: «أنا أشبه الناس بآدم

الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها على رأسه) رواه البيهقي من حديث عائشة بالسند الآتي، وأورده ابن دحية في المستوفى بلفظ «وكان ﷺ إذا صافح أحداً فيظل يومه يجد ريحها» والباقي سواء.

(وكان) ﷺ (عبل ما تحت الإزار من الفخذ والساق) أي ضخمها رواه البيهقي كذلك إلا أنه قال من الفخذين والساق.

(وكان) ﷺ (معتدل الخلق في السمن) رواه البيهقي كذلك ولم يقل في السمن، وقد رواه الترمذي في الشمائل هكذا من حديث هند بن أبي هالة، والمراد به اعتدال خلقه في جميع أوصاف ذاته لأن الله تعالى حماه خلقاً وشريعة وأمة من غائلتي الإفراط والتفريط، **(بدن في آخر زمانه وكان لحمه)** مع ذلك **(متماسكاً يكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السن)** أي الطعن في العمر. وفي نسخة لم يضره السمن رواه البيهقي كذلك بلفظ: بدن في آخر زمانه وكان بذلك البدن متماسكاً وكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السن، وروى الترمذي في الشمائل والطبراني من حديث هند بن أبي هالة بادن متماسك أي ضخم البدن لا مطلقاً بل بالنسبة لما مرَّ من كونه جليل المشاش والكتد، ولما كان إطلاق البادن يوهم الإفراط في السمن المستدعي لرخاوة البدن وعدم استمساكه وهو مذمرم اتفاقاً استدرك ونفى ذلك فقال: متماسك أي يمسك بعضه بعضاً لما اشتمل عليه من الاعتدال التام وبلوغ الغاية في تناسب الاعضاء والتركيب.

(وأما مشيه ﷺ فكان) ﷺ (يمشي فكأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب) محركة أي انحدار **(يخطو تكفياً)** بالفاء والهمز أي مائلاً إلى سنن المشي **(الهوينا بغير تبختر والهوينا تقارب الخطا)** أي يمشي بقوّة رواه البيهقي بلفظ: وإذا مشى فكأنما يتقلع في صخر وينحدر في صبب يخطو تكفياً ويمشي الهوينا بغير عثر. والهوينا تقارب الخطا والمشي على الهينة. وروى الترمذي في الشمائل والطبراني والبيهقي من حديث هند بن أبي هالة: «وإذا زال تقلعاً ويخطو تكفياً ويمشي هوناً ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب».الحديث. وروى مسلم من حديث أنس: إذا مشى تكفأ. وروى البيهقي من حديث أبي هريرة: وما رأيت أحداً أسرع في مشيه منه كأن الأرض تطوى له إنا لنجتهد وأنه غير مكترث. وفي لفظ آخر له: يطأ بقدمه جميعاً إذا أقبل أقبل جميعاً وإذا أدبر أدبر جميعاً. ومن حديث علي: «إذا مشى تكفى تكفؤاً كأنما ينحط من صبب» الحديث. وفي لفظ آخر له: وكان يتكفأ في مشيته كأنما يمشي من صبب، وفي لفظ آخر: إذا مشى

ﷺ وكان أبي ابراهيم ﷺ أشبه الناس بي خلقاً وخُلُقاً »، وكان يقول: « إن لي عند

تكفأ كأنما يمشي في صعد، وفي لفظ آخر: وكان إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب، وفي لفظ آخر: إذا مشى يمشي قلعاً كأنما ينحدر من صبب، وفي لفظ آخر له: إذا مشى كأنما ينحدر من صبب، وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر. ومن حديث أنس: وكان يتوكأ إذا مشى، وقوله في حديث علي يمشي قلعاً ضبط بالفتح وهو مصدر بمعنى الفاعل أي قالعاً لرجله من الأرض وبالضم إما مصدر أو اسم بمعنى الفتح أو بفتح فكسر، وهو بمعنى رواية كأنما ينحط من صبب إذ الانحدار من الصبب والتقلع من الأرض متقاربان، والمعنى انه يستعمل التثبت ولا يتبين منه حينئذ استعجال ومبادرة شديدة. وقوله: ويمشي هوناً نعت لمصدر محذوف أي مشياً هوناً أو حال أي هيناً في تؤدة وسكينة وحسن سمت ووقار وحلم لا يضرب بقدميه ولا يخفق بنعليه أشراً وبطراً، ومن ثم قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ [الفرقان: ٦٣]، أي بالطاعة والعفاف والتواضع وقال الحسن: حلماً إن جهل عليهم لم يجهلوا. قال بعض المفسرين: وذهبت طائفة إلى أن هوناً مرتبط بقوله (**يمشون على الأرض**) أي أن المشي هو الهون ويشبه أن يتأوّل هذه على أن يكون أخلاق ذلك الماشي هوناً مناسبة لمشيه فيرجع الأمر إلى نحو ما مرَّ فالثناء عليهم ليس من حيث صفة المشي فقط إذ رب ماش هوناً رويداً وهو ذئب أطلس. وقال الزهري: سرعة المشي تذهب بهاء الوجه يريد الاسراع غير الخفيف لأنه يخل بالوقار، والخير في الأمر الوسط وسرعة مشيه ﷺ كما في قوله ذريع المشية أي واسع الخطوة كانت برفق وتثبت دون عجلة وهوج وإسراع عمر رضي الله عنه جبلة لا تكلف والله أعلم. ولله در الأبوصيري رحمه الله تعالى حيث يقول في مدحه ﷺ:

سيد ضحكه التبسم والمشـ ي الهوينا ونومه الإغفاء

(**وكان ﷺ يقول: « أنا أشبه الناس بآدم ﷺ وكان أبي إبراهيم أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً »**) رواه البيهقي كذلك وإلى هنا تم الحديث الذي ساقه المصنف من أوله وهو من قوله بيان صورته وخلقته، ولنذكر أوّلاً سياق العراقي ثم نتبعه سياق البيهقي في الدلائل.

وقال العراقي قوله: « كان من صفة رسول الله ﷺ أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد » الحديث بطوله رواه أبو نعيم في دلائل النبوّة من حديث عائشة بزيادة ونقصان دون شعر أبي طالب، ودون قوله: وربما جعل شعره على أذنيه فتبدو سوالفه تتلألأ، ودون قوله وكان واسع الجبهة إلى قوله وكان سهل الخدين، وفيه صبيح بن عبد الله الفرغاني منكر الحديث قاله الخطيب اهـ.

قلت: قد أورد البيهقي في الدلائل الحديث المذكور بتمامه كسياق المصنف وفيه زيادات من طريق هذا الرجل ولم أجد له ذكراً في كتب الضعفاء والمتروكين، وهذا نص البيهقي في الدلائل قال:

وقد روى صبيح بن عبد الله الفرغاني وليس بالمعروف حديثاً آخر في صفة النبي ﷺ، وأدرج

....

فيه تفسير بعض ألفاظه ولم يبين. قال: تفسيره فيما سمعنا إلا أنه يوافق جملة ما روينا في الأحاديث الصحيحة والمشهورة فرويناه، والاعتماد على ما مضى أخبرناه أبو عبد الله الحافظ قال: أخبرناه أبو عبد الله محمد بن يوسف المؤذن قال: حدثنا محمد بن عمران النسوي، ثنا أحمد بن زهير، ثنا صبيح ابن عبدالله الفرغاني، ثنا عبد العزيز بن عبد الصمد، ثنا جعفر بن محمد، عن أبيه وهشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: «كان من صفة رسول الله ﷺ في قامته أنه لم يكن بالطويل البائن ولا المشذب الذاهب المشذب الطويل نفسه إلاّ أنه المخفف ولم يكن ﷺ بالقصير المتردّد وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله ﷺ وربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما، فإذا فارقاه نسب رسول الله ﷺ إلى الربعة ويقول نسب الخير كله إلى الربعة، وكان لونه ليس بالأبيض الأمهق الشديد البياض الذي يضرب بياضه الشهبة ولم يكن بالآدم وكان أزهر اللون والأزهر الأبيض الناصع البياض الذي لا تشوبه حمرة ولا صفرة ولا شيء من الألوان» وكان ابن عمر كثيراً ما ينشد في مسجد رسول الله ﷺ نعت عمه أبي طالب، إياه في لونه حيث يقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل

ويقول: كل من سمعه هكذا كان النبي ﷺ وقد نعته بعض من نعته بأنه كان مشرب حمرة وقد صدق من نعته بذلك، ولكن إنما كان المشرب منه حمرة ما ضحى للشمس والرياح، فقد كان بياضه من ذلك قد أشرب حمرة وما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر لا يشك فيه أحد، فمن وصفه بأنه أبيض أزهر فعنى ما تحت الثياب فقد أصاب، ومن نعت ما ضحى للشمس والرياح، بأنه أزهر مشرب حمرة فقد أصاب ولونه الذي لا يشك فيه الابيض وإنما الحمرة من قبل الشمس والرياح، وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ أطيب من المسك الاذفر، وكان رجل الشعر حسناً ليس بالسبط ولا الجعد القطط كان إذا مشطه بالمشط كأنه حبك الرمل أو كأنه المبثوث الذي يكون في القدر إذا سفتها الرياح، فإذا مكث لم يرجل أخذ بعضه بعضاً وتحلق حتى يكون متحلقاً كالخواتم. كان أوّل مرة قد سدل ناصيته بين عينيه كما تسدل نواصي الخيل ثم جاءه جبريل عليه السلام بالفرق ففرق فكان شعره فوق حاجبيه، ومنهم من قال: كان يضرب شعره منكبيه وأكثر ذلك إذا كان إلى شحمة أذنيه، وكان ﷺ ربما جعله غدائر أربعاً يخرج الاذن اليمنى من بين غديرتين يكتنفانها، ويخرج الأذن اليسرى من بين غديرتين يكتنفانها، وتخرج الاذنان ببياضهما من بين تلك الغدائر كأنها توقد الكواكب الدرية من سواد شعره، وكان أكثر شيبه في الرأس في فودي رأسه والفودان: حرفا الفرق، وكان أكثر شيبه في لحيته فوق الذقن، وكان يشبه كأنه خيوط الفضة يتلألأ من بين ظهر سواد الشعر الذي معه، وإذا مس ذلك الشيب الصفرة كان كثيراً ما يفعل صار كأنه خيوط الذهب يتلألأ بين ظهر سواد الشعر الذي معه، وكان أحسن الناس وجهاً وأنورهم لوناً لم يصف واصف قط بلغتنا عنه إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر، ولقد كان يقول: من كان يقول منهم لربما

نظرنا إلى القمر ليلة البدر. فيقول: هو أحسن في أعيننا من القمر أزهر اللون نير الوجه يتلألأ تلألؤ القمر يعرف رضاه وغضبه في سروره بوجهه. كان إذا رضي أو سرَّ فكان وجهه المرآة، وكأنما الدر يلاحك وجهه، وإذا غضب تلون وجهه واحمرت عيناه. قال: وكانوا يقولون هو ﷺ كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

أمين مصطفى للخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

ويقولون: كذلك كان وكان ابن عمر كثيراً ما ينشد قول زهير بن أبي سلمى يقول لهرم بن سنان:

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المضيء ليلة البدر

فيقول عمر: ومن سمع ذلك كان النبي ﷺ كذلك ولم يكن كذلك غيره، وكذلك قالت عمته عاتكة بنت عبد المطلب بعد ما سار من مكة مهاجراً فجزعت عليه بنو هاشم فانبعثت تقول:

أعيني جودا بالدموع السواجم على المرتضى كالبدر من بني هاشمِ
على المرتضى للبر والعدل والتقى وللدين والدنيا بهيج المعالمِ
على الصادق الميمون ذي الحلم والنهي وللفضل والداعي لخير التراحمِ

تشبههبالبدر ونعتته بهذا النعت، ووقعت في النفوس لما ألقى الله تعالى منه في الصدور، وقد نعتته وإنها لعلى دين قومها، وكان ﷺ أجلى الجبين إذا طلع جبينه من بين الشعر أو أطلع في فلق الصبح أو عند طفل الليل أو طلع بوجهه على الناس تراءى جبينه كأنه ضوء السراج المتوقد يتلألأ، وكانوا يقولون: هو ﷺ كما قال شاعره حسان بن ثابت:

متى يبد في الداج البهيم جبينه يلح مثل مصباح الدجى المتوقدِ
فمن كان أو من قد يكون كأحمد نظام لحق أو نكال لملحدِ

وكان النبي ﷺ واسع الجبهة أزج الحاجبين سابغهما. والأزج الحاجبين هما الحاجبان المتوسطان اللذان لا تعدو شعرة منها شعرة في النبات والإستواء من غير فرق بينهما، وكان أبلج ما بين الحاجبين حتى كان ما بينهما الفضة المخلصة: بينهما عرق يدره الغضب لا يرى ذلك العرق إلا أن يدره الغضب. والأبلج النقي ما بين الحاجبين من الشعر، وكانت عيناه ﷺ نجلاوين ادعجهما والعين النجلاء الواسعة الحسنة، والدعج شدة سواد الحدقة لا يكون الدعج في شيء إلا في سواد الحدق، وكان في عينيه تمزج من حمرة، وكان أهدب الأشفار حتى تلتبس من كثرتها، أقنى العرنين، والعرنين المستوي الأنف من أوله إلى آخره، وهو الأشم كان أفلج الأسنان أشنبها قال: والشنب أن تكون الأسنان متفرقة فيها طرائق مثل تقرض المشط إلا أنها حديدة الأطراف، وهو الأثر الذي يكون أسفل الأسنان كأنه ماء يقطر في تفتحه ذلك وطرائقه، وكان يتبسم على مثل

....

البرد والمنحدر من متون الغمام، فإذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق إذا تلألأ، وكان أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم، سهل الخدين صلتهما. قال: والصلت الخد الأسيل الخد المستوي الذي لا يفوت بعض لحمه بعضه بعضاً، ليس بالطويل الوجه، ولا بالمكلثم كث اللحية والكث الكثير منابت الشعر، وكانت عنفقته بارزة بفنيكيه حول العنفقة كأنها بياض اللؤلؤ في أسفل عنفقته شعر منقاد حتى يقع انقيادها على شعر اللحية حتى يكون كأنه منها، والفنيكان هما مواضع الطعام حول العنفقة من جانبيها جميعاً، وكان أحسن عباد الله عنقاً لا ينسب الى الطول ولا إلى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح كأنه ابريق فضة يثوب ذهباً يتلألأ في بياض الفضة وحمرة الذهب وما غيبت الثياب من عنقه ما تحتها، فكأنه القمر ليلة البدر، وكان عريض الصدر ممسوحه كأنه المرآة في شدتها واستوائها لا يعدو بعض لحمه بعضاً على بياض القمر ليلة البدر موصول ما بين لبته إلى سرته، وشعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره ولا بطنه شعرة غيره، وكان له ﷺ عكن ثلاث يغطي الإزار منها واحدة وتظهر اثنتان، ومنهم من قال: يغطي الإزار منها اثنتين وتظهر واحدة. تلك العكن أبيض من القباطي المطواة، وألين مساً، وكان عظيم المنكبين أشعرهما ضخم الكراديس، والكراديس عظام المنكبين والمرافقين والركبتين والوركين، وكان جليل الكتد قال: والكتد مجتمع الكتفين والظهر واسع الظهر بين كتفيه خاتم النبوة وهو ما يلي منكبه الأيمن وفيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنهن من عرف فرس، ومنهم من قال كانت شامة النبوة بأسفل كتفه خضراء منحفرة في اللحم قليلاً، وكان طويل مسربة الظهر والمسربة الفقار الذي في الظهر من أعلاه إلى أسفله، وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين، والزندان العظمان اللذان في ظاهر الساعدين، وكان نعم الأوصال ضبط العصب شثن الكف، رحب الراحة، سائل الأطراف كأن أصابعه قضبان فضة، كفه ألين من الخز وكان كفه كف عطار طيباً مسها بطيب أو لم يمسها يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضعها على رأس الصبي، فيعرف من بين الصبيان من ريحها على رأسه وكان عبل ما تحت الازار من الفخذين والساق شثن القدم غليظهما ليس لهما خمص. منهم من قال كان في قدمه شيء من خمص يطوء الأرض بجميع قدميه معتدل الخلق بدن في آخر زمانه، وكان بذلك البدن متماسكاً وكاد يكون على الخلق الأول لم يضره السن، وكان فخماً مفخماً في جسده كله إذا التفت التفت جميعاً وإذا أدبر أدبر جميعاً. وكان ﷺ فيه شيء من الصرر والصرر الرجل الذي كأنه يلمح الشيء ببعض وجهه وإذا مشى فكأنه يتقلع من صخر وينحدر في صبب يخطو تكفياً ويمشي الهوينا بغير عثر. والهوينا تقارب الخطا والمشي على الهينة فيذر القوم إذا سارع إلى خير أو مشى إليه، ويسوقهم إذا لم يسارع إلى شيء بمشية الهوينا وترفعه فيها. وكان ﷺ يقول: «أنا أشبه الناس بأبي آدم عليه السلام وكان إبراهيم خليل الرحمن أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً» صلى الله عليه وعلى جميع أنبياء الله.

وأخبرناه عالياً القاضي أبو عمر محمد بن الحسين قال: حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب، ثنا محمد ابن عبدة المصيصي من كتابه، حدثنا صبيح بن عبد الله القرشي أبو محمد قال: حدثنا عبد العزيز

ابن عبد الصمد العمي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه وهشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان من صفة رسول الله ﷺ أنه لم يكن بالطويل البائن ولا بالمشذب الذاهب قال: وساق الحديث في صفته ﷺ بهذا.

فصل

قد سبقت الإشارة إلى حديث هند بن أبي هالة وهو أجمع حديث في شمائله ﷺ الظاهرة والباطنة، وقد أخرجه الترمذي في الشمائل، والبغوي والطبراني، والبيهقي في الدلائل من طرق عن الحسن بن علي عنه، ووقع لنا بعلوّ في نسخة أبي علي بن شاذان من طريق أهل البيت أخرجها البغوي أيضاً، وأخرجه ابن منده من طريق يعقوب التميمي عن ابن عباس أنه قال لهند بن أبي هالة: صف لي النبي ﷺ، فأحببت أن أورده هنا من طريق البيهقي، ثم اتبعه بحديث أم معبد الخزاعية فإنه ذكر فيه ما لم يذكره غيرها من غرائب الصفات فأقول:

أخبرنا بكتاب دلائل النبوة للبيهقي المسند عمر بن أحمد بن عقيل الحسيني قراءة عليه من أوله وإجازة لسائره قال: أخبرنا كذلك حافظ الحجاز عبد الله بن سالم البصري قال: أخبرنا كذلك الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء قال: أخبرنا كذلك النور علي بن يحيى الزيات قال: أخبرنا كذلك المسند يوسف بن زكريا الأنصاري قال: أخبرنا الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي سماعاً عليه قال: أخبرنا الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر سماعاً عليه قال: أخبرنا السراج عمر بن رسلان البلقيني سماعاً عليه لجميعه، أخبرنا الحجاج يوسف الزكي المزني إجازة، أخبرنا الرشيد محمد بن أبي بكر العامري سماعاً، أخبرنا أبو القاسم بن الحرستاني سماعاً، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي إجازة، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي سماعاً قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ لفظاً وقراءة عليه قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العقيقي صاحب كتاب النسب ببغداد قال: حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو محمد بالمدينة سنة ٢٩٤ قال: حدثني علي بن جعفر بن محمد عن أبي محمد بن علي عن علي بن الحسين قال: قال الحسين بن علي سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ﷺ وكان وصافاً أرجو أن يصف لي شيئاً أتعلق به حينئذ.

قال البيهقي: وأخبرنا أبو الحسين بن المفضل القطان ببغداد، أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، حدثنا يعقوب بن سفيان النسوي، ثنا سعيد بن حماد الأنصاري المصري وأبو غسان مالك بن اسماعيل النهدي قالا: حدثنا جميع بن عمير بن عبد الرحمن العجلي قال: حدثني رجل بمكة عن ابن لأبي هالة التميمي عن الحسن بن علي قال: سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافاً عن حلية رسول الله ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به فقال:

....

كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر إن انفرقت عقيقته فرق. وفي رواية العلوي عقيصته وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الجواجب، سوابغ في غير قرن بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين. وفي رواية العلوي أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن متماسك سواء البطن والصدر عريض الصدر. وفي رواية العلوي: فسيح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين رحب الراحة. وفي رواية العلوي: رحب الجبهة سبط القصب شثن الكفين والقدمين لم يذكر العلوي القدمين، سائل الأطراف خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال زال قلعاً يخطو تكفياً ويمشي هوناً ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت معاً. وفي رواية العلوي جميعاً خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه يبتدر، وفي رواية العلوي: يبدأ من لقي بالسلام.

قلت: صف لي منطقه. قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة وفي رواية العلوي: الفكر ليست له راحة لا يتكلم في غير حاجة طويل السكتة وفي رواية العلوي السكوت يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم وفي رواية العلوي الكلام فصل لا فضول ولا تقصير رمث ليس بالجافي ولا بالمهين يعظم النعمة وإن دقت لا يذم منها شيئاً لا يذم ذواقاً ولا يمدحه. وفي رواية العلوي لم يكن ذواقاً ولا مدحة، لا يقوم لغضبه إذا تعرض الحق شيء حتى ينتصر له، وفي الرواية الأخرى لا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها. إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها يضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى. وفي رواية العلوي فيضرب بإبهامه اليمنى باطن راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، وجل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام قال: فكتمتها الحسين بن علي زماناً ثم حدثته فوجدته قد سبقني إليه فسأله عما سألته عنه ووجدته قد سأل أباه عن مدخله ومجلسه ومخرجه وشكله فلم يدع منه شيئاً فذكر الحديث بطوله وهو مذكور في الشمائل للترمذي مع اختلاف ألفاظ في سياقه نبه عليه البيهقي.

وأما حديث أم معبد الخزاعية، فقد رواه البغوي، وابن شاهين، وابن السكن، والطبراني، وابن منده، والبيهقي وغيرهم من طريق حرام بن هشام بن حبيش عن أبيه عن جده حبيش بن خالد بن سعد بن منقد بن ربيعة بن حرام الخزاعي، ويقال له حبيش الأشعري، وهو لقب والده خالد وهو أخو أم معبد، واسمها عاتكة بنت خالد ولهما صحبة. وأورده ابن السكن من حديث أم

....

معبد نفسها، فقال حرام بن هشام بن حبيش بن خالد: سمعت أبي يحدث عن أم معبد وهي عمته فساق القصة.

وأنقله هنا من كتاب الدلائل للبيهقي فإنه ساق الحديث بطوله فبالسند المتقدم إليه قال: أخبرنا أبو نصر عمر بن عبد العزيز بن عمر بن قتادة من أصل كتابه قال: أخبرنا أبو عمرو محمد ابن جعفر بن محمد بن مطر قال: حدثنا أبو زيد عبد الواحد بن يوسف بن أيوب بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الخزاعي الكعبي بقديد املاء، قال: حدثني عمي سليمان بن الحكم عن جدي أيوب بن الحكم الخزاعي، عن حرام بن هشام، عن أبيه، عن جده حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ ح.

وحدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السليمي أخبرنا أبو عمرو بن مطر، حدثنا محمد بن محمد ابن سليمان بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الخزاعي بقديد يعرف بأبي عبد الله بن أبي هشام الخزاعي قال: حدثنا أبي محمد بن سليمان، ثنا عمي أيوب بن الحكم عن حرام بن هشام عن أبيه عن جده حبيش بن خالد قتيل البطحاء يوم فتح مكة أن رسول الله ﷺ ح.

وأخبرنا أبو نصر بن قتادة، أخبرنا أبو عمرو بن مطر، حدثنا أبو جعفر محمد بن موسى بن عيسى الحلواني، حدثنا مكرم بن محرز بن مهدي، حدثني أبي عن حرام بن هشام بن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده حبيش بن خالد، وهو أخو عاتكة بنت خالد أن رسول الله ﷺ حين خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ودليلهما الليثي عبد الله بن الأريقط مروا على خيمة أم معبد الخزاعية، وكانت برزة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحماً وتمراً ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وكان القوم مرملين مسنتين فقالت: والله لو كان عندنا شاة ما أعوزناكم نحرها، فنظر النبي ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال: أبها من لبن. وقال أبو زيد هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهدّ من ذلك. قال: أتاذني لي أن أحلبها. قالت: بأبي وأمي، إن رأيت بها حلباً فاحلبها، فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت ودعا بإناء يربض الرهط فحلب فيه ثجاً حتى علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا ثم شرب آخرهم ﷺ، ثم أراضوا ثم حلب فيه ثانياً بعد بدا حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها، ثم بايعها وارتحلوا عنها، فقلما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً تساوك هزلاً ضحاخهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاء عازب حيال ولا حلوب في البيت؟ فقالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا. قال: صفيه لي. قالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه نجلة ولم تزره صعلة، وسيم قسيم في عينيه دعج، وفي اشفاره عطف وفي صوته مهل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، أزج أقرن إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم

سما وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هدر كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن ربعة، لا بأس من طول ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين فهو أنظر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً له رفقاء يحضون به إن قال انصتوا لقوله وإن أمر تبادروا إلى أمره محفود محشود لا عابس ولا معتد ﷺ . فقال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك فأصبح صوت بمكة عالياً يسمعون الصوت ولا يدرون من قائله، وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين قالا خيمتي أم معبدِ
هما نزلاها بالهدى واهتدت بهم ... فقد فاز من أمسى رفيق محمدِ
فيال قصي ما زوى الله عنكم ... به من فعال لا تجاري وسؤددِ
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصدِ
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها ... فإنكم ان تسألوا الشاة تشهدِ
دعاها بشاة حائل فتحلبت ... له بصريح درت الشاة مزبدِ
خفى درها رهناً لديها بحالب ... يرددها في مصدر ثم موردِ

فلما سمع حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله ﷺ شبب بها يجاوب الهاتف وهو يقول:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم ... وقد سر من يسري إليه ويغتدِ
ترحل عن قوم فضلت عقولهم ... وحل على قوم بنور مجردِ
هداهم به بعد الضلالة ربهم ... وأرشدهم من يتبع الحق يرشدِ
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا ... عمايتهم هاد به كل مهتدِ
وقد نزلت منه على أهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم بأسعدِ
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله في كل مسجدِ
وإن قال في يوم مقالة غائب ... فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغدِ
ليهن أبا بكر سعادة جده ... بصحبته من يسعد الله يسعدِ
ليهن بني كعب مقام فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرصد

هذا لفظ حديث أبي نصر بن قتادة.

وحدثنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن عمرو الاحمسي، ثنا الحسين بن حميد بن الربيع الخباز، ثنا سليمان بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن ثابت بن يسار الخزاعي، ثنا أخي أيوب بن الحكم بن سالم بن محمد الخزاعي جميعاً عن حرام بن هشام فذكره نحوه بنقصان بيتين من شعر حسان في آخره، وقد ذكرهما في موضع آخر.

ورواه يعقوبُ بن سفيان النسوي عن مكرم بن محرز دون الأشعار، أخبرنا أبو الحسين بن

ربي عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد، وأنا الحاشر يحشر الله العباد على قدمي، وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفى قفيت الناس جميعاً وأنا قثم»، قال أبو البختري والقثم: الكامل الجامع، والله أعلم.

الفضل، أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا أبو القاسم مكرم بن محرز بن المهدي فذكره.

وحدثنا أبو عبد الله الحافظ املاء أخبرنا أبو زكريا يحي بن محمد العنبري، وعبد الله بن محمد الدورقي، ومخلد بن جعفر. قال الأول: حدثنا الحسين بن محمد بن زياد وجعفر بن محمد بن سوار، وقال الثاني: حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة الإمام، وقال الثالث: حدثنا محمد بن جرير قالوا كلهم: ثنا مكرم بن محرز والله أعلم.

وقد وجدت حديثاً آخر في صفته ﷺ أخرجه البيهقي في الدلائل وبالسند المتقدم إليه قال: أخبرنا أبو الحسين بن الفضل أخبرنا عبد الله بن جعفر، ثنا يعقوب بن سفيان، ثنا فيض البجلي، ثنا سالم بن سكين، عن مقاتل بن حبان قال: أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم: جد في أمري ولا تهزل واسمع وأطع يا ابن الطاهر البكر البتول إني خلقتك من غير فحل، فجعلتك آية للعالمين، فإياي فاعبد وعلي فتوكل فسر لأهل سوران بالسريانية بلغ من بين يديك إني أنا الله الحي القيوم الذي لا أزول صدقوا النبي الامي العربي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين المفروق الحاجبين الانجل العينين الأهدب الأشفار الأدعج العينين الأقنى الأنف الواضح الجبين الكث اللحية عرقه في وجهه، كأنه اللؤلؤ ريح المسك ينضح منه كأن عنقه ابريق فضة، وكان الذهب يجري في تراقيه له شعرات من لبته إلى سرته تجري كالقضيب ليس على صدره ولا على بطنه شعر غيره شثن الكف والقدم، إذا جامع الناس عمرهم، وإذا مشى كأنما يتقلع من الصخر وينحدر في صبب ذا النسل القليل وكأنه أراد الذكور من صلبه، ولنعد إلى شرح كلام المصنف قال.

(وكان ﷺ يقول: إن لي عند ربي عشرة أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد، وأنا الحاشر يحشر العباد على قدمي، وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفي قفيت الناس جميعاً وأنا قثم» قال أبو البختري والقثم: الكامل الجامع) اعلم أن الأسماء جمع اسم وهو كلمة وضعت بإزاء شيء متى أطلقت فهم منها إذ هي إما معرفة أو مخصصة. قيل: والاسم عين المسمى لقوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى: ١] وقوله تعالى: ﴿بغلام اسمه يحي﴾ [مريم: ٧] ثم قال يا يحي فنادى الاسم ورد بأنه يلزم عليه أن من قال النار احترق لسانه والعسل ذاق حلاوته

....

وهو بديهي البطلان، ولا حجة في الآيتين لأن « سبح » بمعنى اذكر أو على حقيقته وأريد بتنزيه الاسم نفسه إذ أسماؤه تعالى توقيفية فيجب تنزيهها عن أن يخترع له تعالى ما لم يصح عنه أو عن رسوله لقصور من عداهما عن أن يحيط بما يناسب جلاله العلي ومعنى النداء يا أيها الغلام المسمى يحيى، فالصواب أنه غيره كما عرف من الحد. وقد تقدم بحث ذلك في شرح كتاب قواعد العقائد من هذا الكتاب هذا إن أريد اللفظ وهو الذي الكلام فيه ومنه: وعلم آدم الأسماء كلها فإن أريد به الذات فعينه ومنه ما تعبدون من دونه إلا أسماء أو الصفة كما يقول الأشعري انقسم عنده اقسامها فإن رجع للذات كالله فعينه أو للفعل كالخالق فغيره، أو لصفة الذات كالتعليم فليس عينه إذ علمه تعالى زائد على ذاته ولا غيره لعدم انفكاكه عنه من الجانبين بناء على أن الغيرين موجودان يجوز الانفكاك بينهما، ثم ان أسماء سيدنا رسول الله ﷺ قد تعرض جماعة لتعدادها، فمنهم من بلغها تسعة وتسعين موافقة لتعداد أسمائه تعالى الحسنى الواردة في الحديث، فقال القاضي عياض: خصه الله تعالى أن سماه بنحو من ثلاثين اسماً من أسمائه الحسنى، وقال ابن دحية في المستوفى: إذا فحص عنها من الكتب المتقدمة والقرآن والسنة بلغت ثلاثمائة وبلغها بعض الصوفية إلى ألف كأسمائه تعالى، وقد جمعها البدر البلقيني في مجلد حافل، وكذا ابن دحية في المستوفى، والمراد حينئذ ما يشمل الأوصاف، فإذا اشتق له من كل وصف من أوصافه المختصة به أو الغالبة عليه أو المشتركة بينه وبين الأنبياء بلغت ذلك العدد بزيادة، وقد وصلها جماعة كالقاضي عياض، وابن العربي، وابن سيد الناس إلى أربعمائة. فأول ذلك الأسماء على الإطلاق محمد وهو علم منقول من اسم مفعول المضعف سمي به نبينا ﷺ لكثرة خصاله المحمودة. روى البيهقي من طريق أبي بكر الحميدي قال: حدثنا سفيان، ثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « ألا تعجبون كيف يصرف الله عز وجل عني شتم قريش ولعنهم يسبون مذمماً ويلعنون مذمماً وأنا محمد ». وروى البخاري في الصحيح عن علي بن عبد الله عن سفيان، وقد سماه به جده عبد المطلب بإلهام من الله تعالى له بذلك رجاء أن يحمده أهل السماء وأهل الأرض، وقد حقق الله رجاءه وأنزل الله تصديقه في القرآن فقال: ﴿محمد رسول الله﴾ [الفتح: ٢٩] الاسم الثاني أحمد وابتدأ بهذين الاسمين لانبائهما عن كمال الحمد المنبىء على كمال ذاته، والراجع إليه سائر أوصافه إذ صيغة التفعيل منبئة عن التضعيف والتكثير إلى ما لا نهاية له وصيغة أفعل منبئة عن الوصول لغاية ليس وراءها منتهى. إذ معناه أحمد الحامدين لربه لأنه يفتح عليه يوم القيامة بمحامد لم يفتح بها على أحد قبله فيحمد ربه بها، ولذلك يعقد له لواء الحمد ثم لم يكن محمداً حتى كان أحمد حمد ربه فنباه وشرفه، ولذلك تقدم في قول موسى عليه السلام: اللهم اجعلني من أمة محمد، وقول عيسى عليه السلام اسمه أحمد قدمه على محمد، لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له، فلما وجد وبعث كان محمداً بالفعل فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد، وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بتلك المحامد التي لم يفتح بها على أحد قبله فيكون أحمد الحامدين لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فتقدم أحمد ذكراً أو وجوداً أو دنياً وأخرى هذا حاصل كلام السهيلي. وجرى عليه القاضي في

....

الشفاء وغيره، وهو أظهر من دعوى ابن القيم في أحمد أنه قيل فيه أنه بمعنى مفعول أي أنه أولى الناس بأن يحمد فهو بمعنى محمد، وإن تفاوتا في أن محمداً أكثر خصاله يحمد عليها وأحمد هو الذي يحمد أفضل مما يحمد غيره ولو أريد أنه أكثر حمداً لربه لكان الأولى به الحماد.

ومن مزاياهما مساواتهما الجلالة حروفاً ومن مزايا الأول موافقته لمحمود من أسمائه، ومن ثم قال حسان رضي الله عنه:

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمدُ

وورد عند أبي نعيم لأنه سمي بهذا الاسم قبل الخلق بألفي عام وهذا إن صح يعكر على ما مر عن السهيلي في تأخره عن أحمد وجوداً وورد عن كعب أن اسم محمد مكتوب على ساق العرش، وفي السموات السبع، وفي قصور الجنة وغرفها وعلى نحور الحور وعلى قصب آجام أهل الجنة وورق طوبى وسدرة المنتهى، وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة. قيل: ووجد مكتوباً على ورد بالهند وعلى جنب سمكة وأذن أخرى. قال ابن قتيبة: ومن إعلام نبوته انه لم يسم به أحد قبله صيانة لهذا الاسم كما صين يحيى عن ذلك وخشية من وقوع لبس. نعم لما قرب زمانه وبشر أهل الكتاب بقربه سمى قوم أولادهم بذلك رجاء أن يكون هو وغفلوا عن أنه تعالى أعلم حيث يجعل رسالاته وأشهرهم خمسة عشر.

الاسم الثالث: الماحي. وقوله: «يمحو الله بي الكفر» أي من مكة والمدينة وسائر بلاد العرب وغيرها مما زوى له ﷺ، ووعد أن يبلغه ملك أمته، أو المراد أن يمحوه بمعنى يدحضه ويظهر عليه بالحجة والغلبة. قال الله تعالى: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ [الفتح: ٢٨] أو أنه يمحو سيئات من اتبعه أي آمن فيمحو عنه ذنب كفره وسائر ما عمله فيه قال تعالى: ﴿قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ [الأنفال: ٣٨] قال ﷺ: «الإسلام يهدم ما قبله» وخص ﷺ بهذا لأنه لم يمح الكفر بأحد مثل ما محي به ﷺ إذ بعث وقد عم الكفر الأرض وأكثرهم لا يعرفون ربا ولا معاداً، بل منهم من يعبد الحجر أو الكواكب أو النار فمحى ذلك به ﷺ وظهر دينه على كل دين وبلغ مبلغ الجديدين وسار مسار القمرين.

الاسم الرابع: العاقب. وهو الذي يخلف من كان قبله في الخير ومنه عقب الرجل ولده، ويفسر أيضاً بالذي ليس بعده أحد أي من الأنبياء والرسل لأن العاقب وهو الآخر وهو عقب الأنبياء أي آخرهم ﷺ.

الاسم الخامس: الحاشر. وقوله على قدمي بتخفيف الياء على الإفراد وتشديد على التثنية وفي رواية على عقبي أي على أثري وزمان نبوتي ورسالتي إذ لا نبي بعده، أو يقدمهم وهم خلفه أو على أثره في المحشر إذ هو أول من تنشق الأرض عنه ﷺ.

الاسم السادس: رسول الرحمة أي التراحم بينهم الحاصل ببركته ﷺ قال تعالى ﴿فألف بين قلوبكم﴾ [آل عمران: ١٠٣] ﴿رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] أو المراد أنه تعالى جعل ذاته نفسها

....

رحمة. قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ومن ثم أخبر عن نفسه أنه رحمة مهداة. رواه البيهقي بلفظ: « إنما أنا رحمة مهداة » فحينئذ تعلق به الخلق مؤمنهم وكافرهم.

الاسم السابع: رسول التوبة أي أن قبول التوبة بشروطها من جملة ما حققه الله تعالى ببركته على هذه الأمة.

الاسم الثامن: رسول الملاحم جمع ملحمة وهي الحرب لاشتباك الناس فيها كاشتباك السدى باللحمة ولكثرة لحوم القتلى فيها، ولم يجاهد نبي قط وأمته ما جاهد ﷺ وأمته. كيف وهم يقاتلون الأعور الدجال ومن معه من اليهود وغيرهم، وفي القاموس سمي نبي الملاحم لأنه سبب لالتحامهم واجتماعهم.

الإسم التاسع: المقفى. أي التابع للأنبياء عليهم السلام فكان آخرهم يقال قفوت وقفيت إذا تبعت وقافة كل شيء آخره.

الاسم العاشر: قثم وقد فسره أبو البختري بأنه الكامل الجامع يقال: قثم له من المال أعطاه قطعة جيدة واسم الفاعل قثم مثل عمر على غير قياس، وبه سمي وهو معدول عن قاثم تقديراً، ولهذا لا ينصرف للعلمية والعدل التقديري، وحيث فرغنا مما يتعلق بالعبارة فلنذكر التخريج.

قال العراقي لفظ المصنف رواه ابن عدي في الكامل من حديث علي وجابر وأسامة بن زيد وابن عباس وعائشة بإسناد ضعيف، وله ولأبي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل: لي عند ربي عشرة أسماء. قال أبو الطفيل: حفظت منها ثمانية فذكرها بزيادة ونقص، وذكر سيف بن وهب أن أبا جعفر قال: إن الاسمين طه ويس وإسناده ضعيف وفي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم: لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر وأنا الماحي وأنا العاقب، ولمسلم من حديث أبي موسى والمقفى ونبي التوبة ونبي الرحمة ولأحمد من حديث حذيفة ونبي الملاحم وسنده صحيح اهـ.

قلت: رواه البخاري عن أبي اليمان أخبرني شعيب عن الزهري، أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد ». ورواه مسلم عن عبد بن حميد عن أبي اليمان، ورواه البخاري أيضاً من طريق مالك عن الزهري، ومسلم أيضاً من طريق ابن عيينة، وعقيل عن الزهري. وعند مسلم من رواية عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري: وأنا العاقب. قال قلت للزهري وما العاقب؟ قال: الذي ليس بعده نبي. قال البيهقي: ويحتمل أن يكون تفسير العاقب من قول الزهري كما عرفت وهذا قد رده ابن دحية في المستوفى وأطال فيه، وأثبت أنه من تفسيره ﷺ كما بينته روايات غيره. وفي لفظ لمسلم الذي ليس بعده أحد. ورواه البيهقي من طريق محمد بن ميسرة عن الزهري وفيه: وأنا العاقب يعني الخاتم. ومن طريق جعفر بن أبي وحشية عن نافع عن جبير عن سلم عن أبيه رفعه « أنا محمد وأنا أحمد

....

وأنا الحاشر والماحي والخاتم والعاقب ». وروى البخاري في تاريخه الصغير والأوسط والحاكم وصححه وأبو نعيم والبيهقي وابن سعد كلهم من طريق عقبة بن مسلم عن نافع بن جبير أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك: أتحصي أسماء رسول الله ﷺ كما كان أبوك يعدها؟ قال: نعم هي ستة: محمد وأحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماح، فأما الحاشر فبعث مع الساعة نذيراً لكم بين يدي عذاب شديد، وأما عاقب فإنه عقب الأنبياء، وأما ماح فإن الله تعالى محا به سيئات من اتبعه.

وروى البيهقي من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال: كان رسول الله ﷺ سمى لنا نفسه أسماء فقال « أنا محمد وأحمد والحاشر والمقفى ونبي التوبة والملحمة ». ورواه أبو داود الطيالسي عن المسعودي عن عمرو بن مرة بلفظ: سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه اسماء منها ما حفظنا ثم ذكرهن. رواه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم عن جرير عن الأعمش، وذكر النقاش في تفسيره أنه ﷺ قال لي في القرآن سبعة أسماء محمد وأحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله. وقال أبو محمد مكي بن أبي طالب في كتاب الهداية عن النبي ﷺ قال لي عند ربي عشرة أسماء فذكر أن منها طه ويس وإسناده في ذلك ضعيف جداً. وقول العراقي ولأبي نعيم في الدلائل من حديث أبي الطفيل إلى قوله ضعيف.

قلت: أورده ابن دحية في المستوفى عن شيخه أبي طاهر السلفي عن أبي علي الحسن بن حمزة عن أبي الحسين بن خشيش عن أبي جعفر بن رحيم عن عبد الله التمار عن محمد بن عمران بن أبي ليلى، عن إسماعيل بن يحيى التيمي، عن سيف بن وهب قال: سمعت أبا الطفيل قال: قال رسول الله ﷺ « لي عشرة أسماء عند ربي عز وجل » قال أبو الطفيل حفظت ثمانية ونسيت اثنين « أنا محمد وأحمد والفاتح والخاتم وأبو القاسم والحاشر والعاقب والماحي » قال: فحدثت بهذا الحديث أبا جعفر فقال: يا سيف ألا أخبرك بالاسمين؟ قلت: بلى. قال « يس وطه ». قال ابن دحية: هذا السند لا يساوي شيئاً يدور على وضاع وضعيف. قال أحمد: سيف بن وهب ضعيف الحديث. وقال يحيى كان هالكاً من الهالكين. وقال النسائي: ليس بثقة، وإسماعيل بن يحيى التيمي يروي الموضوعات عن الثقات لا تحل الرواية عنه قاله أبو حاتم. وقال الدارقطني: كذاب متروك. وقال الأزدي: ركن من أركان الكذب لا تحل الرواية عنه. وأما قثم فذكره ابن فارس اللغوي في كتابه المنبىء في أسماء النبي ﷺ وهو في خمسة أوراق، وأسند أبو إسحاق الحربي في غريب الحديث له فيه حديثاً ونصه قال: قال رسول الله ﷺ « أتاني ملك الموت فقال أنت قثم وخلقك قيم ونفسك مطمئنة ». قال: قثم أي مجتمع الخلق القثوم الجموع وخلقك قيم أي مستقيم. قال ابن دحية: فالقثم من معنيين: أحدهما القثم وهو الإعطاء سمي بذلك لأنه كان أجود بالخير من الريح المرسلة يعطي فلا يبخل ويمنح ولا يمنع. الثاني: أنه من القثم وهو الجمع يقال للرجل الجموع للخير قثوم وقثم. رواه ابن فارس عن الخليل بن أحمد وإنما سمي به لأنه جمع المناقب كلها ولم تكن فضيلة ولاخلة جليلة إلا وقد كان لها جامعاً،

بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه:

اعلم ان من شاهد أحواله ﷺ وأصغى إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه وأفعاله وأحواله وعاداته وسجاياه وسياسته لأصناف الخلق، وهدايته إلى ضبطهم، وتألفه أصناف الخلق، وقوده إياهم إلى طاعته مع ما يحكى من عجائب أجوبته في مضائق

وقد تسمى به لبركته أهل بيته منهم قثم بن العباس وهو أصغر من أخيه عبد الله، وكان سنه يوم توفي رسول الله ﷺ إحدى عشرة سنة ذكره أحمد بن كامل بن شجرة في تاريخه، وكان قثم يشبه النبي ﷺ استشهد بسمرقند ولا عقب له، وكان خرج إليها مع سعيد بن عثمان بن عفان في أيام معاوية، ومنهم قثم بن العباس بن عبيد الله بن عباس، وكان قد ولي اليمامة من قبل المنصور.

تنبيه:

الحصر الذي أفاده تقديم الجار والمجرور في رواية الشيخين، وكذا الترمذي والنسائي إضافي لا حقيقي، والمعنى أسماء خمسة اختص بها لم يسم بها أحد قبلي إذ هي مشهورة في الأمم الماضية أو موجودة في الكتب المتقدمة، وإنما قلنا إنه حصر إضافي لورود الروايات بزيادة على ذلك منها ما تقدم، ومنها أنه تعالى سماه في القرآن رسولاً نبياً أمياً وسماه شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وسماه رؤوفاً رحيماً، وسماه مذكراً ونعمة وهادياً، وسماه عبداً ﷺ.

بيان معجزاته وآياته الدالة على صدقه:

اعلم أن كبار الائمة يسمون معجزات الأنبياء دلائل النبوّة وآيات النبوّة ولم يرد أيضاً في القرآن لفظ المعجزة بل ولا في السنّة أيضاً، وإنما فيهما لفظ الآية والبينة والبرهان، وأما لفظ المعجزة إذا أطلق فإنه لا يدل على كون ذلك آية إلا إذا فسر المراد به وذكرت شرائطه، وقد كان كثير من أهل الكلام لا يسمى معجزاً إلا ما كان للأنبياء فقط، ومن أثبت للأولياء خوارق عادات سماها كرامات، والسلف كانوا يسمون هذا وهذا معجزاً كالإمام أحمد وغيره بخلاف ما كان آية وبرهاناً على نبوّة النبي، فإن هذا يجب اختصاصه به وقد يسمون الكرامات آيات لكونها تدل على نبوّة من اتبعه ذلك الولي، فإن الدليل مستلزم للمدلول يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان للولي آية وبرهاناً فإذا عرفت ذلك فاعلم أن المعجزة هي الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي الدال على صدق الأنبياء عليهم السلام سميت بذلك لعجز البشر عن الاتيان بمثلها.

(**اعلم أن من شاهد أحواله** ﷺ) بعينه (**أو أصغى إلى سماع أخباره المشتملة على أخلاقه**)الشريفة التي جبل عليها (**وأفعاله**) الحميدة (**وأحواله**) الزكية (**وعاداته**) المنيفة (**وسجاياه**) المطهرة (**وسياسته لأصناف الخلق**) أحرهم وأسودهم (**وهدايته إلى ضبطهم**) على القانون الإلهي (**وتألفه أصناف الخلق**) مع اختلاف طبائعهم (**وقوده إياهم إلى طاعته مع ما يحكى**) من طرق صحيحة (**من عجائب أجوبته في مضايق الأسئلة**) أي مشكلاتها حتى

الأسئلة، وبدائع تدبيراته في مصالح الخلق، ومحاسن إشاراته في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء والعقلاء عن إدراك أوائل دقائقها في طول أعمارهم، لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة تقوم بها القوة البشرية، بل لا يتصوّر ذلك إلا بالاستمداد من تأييد سماوي وقوّة إلهية، وأن ذلك كله لا يتصوّر لكذاب ولا ملبس، بل كانت شمائله وأحواله شواهد قاطعة بصدقه حتى ان العربي القح كان يراه فيقول: والله ما هذا وجه كذاب فكان يشهد له بالصدق بمجرد شمائله، فكيف من شاهد أخلاقه ومارس أحواله في جميع مصادره وموارده؟ وإنما أوردنا بعض أخلاقه لتعرف محاسن الأخلاق وليتنبه لصدقه عليه الصلاة والسلام وعلوّ منصبه ومكانته العظيمة عند الله، إذ آتاه الله جميع ذلك وهو رجل أمي لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين أظهر الجهال من الأعراب يتيماً ضعيفاً مستضعفاً،

يتحير فيها الحاضرون، (و) من (**بدائع تدبيراته في مصالح الخلق**) بوضع كل شيء في محله، (و) من (**محاسن إشاراته**) اللائحة من جواهر منطوقاته (**في تفصيل ظاهر الشرع الذي يعجز الفقهاء**) المحققون (**والعقلاء**) المدققون (**عن إدراك أوائل دقائقها**) فضلاً عن بواطنها (**في طول أعمارهم**) وهم مكبون على مطالعتها واستخراج غوامضها (**لم يبق له ريب ولا شك في أن ذلك لم يكن مكتسباً بحيلة**) أي صدق في تدبير الأمور بنوع لطف (**تقوم بها القوة البشرية**) في استعدادها، (**بل لا يتصور ذلك إلا بالاستمداد**) والاستجلاب (**من تأييد سماوي**) أي من فوق وهي الموهبة الربانية (**وقوة إلهية**) تنقض العادات ويعجز عن بلوغ شأوها جنس البشر ولا يقدر عليها إلا من له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين، (**وان ذلك كله لا يتصور لكذاب**) عهد منه كثرة الكذب (**ولا ملبس**) أي مخلط في حاله (**بل كانت شمائله**) أي خصاله الشريفة (**وأحواله**) المنيفة (**شواهد قاطعة تصدقه**) أي تدل على صدقه، (**حتى أن العربي القح**) بالضم أي الخالص في العربية (**كان يراه**) مفاجأة (**فيقول: والله ما هذا وجه كذاب**) كما وقع ذلك لكثير منهم وكان سبباً لايمانهم. (**فكان يشهد له بالصدق**) والكمال والأمانة (**بمجرد**) رؤية (**شمائله**) الظاهرة في وجهه الشريف ولونه وطلعته وقامته وحركته وسكونه، (**فكيف بمن شاهد أحواله ومارس أخلاقه**) أي زاولها (**في جميع مصادره وموارده**) في حضر وسفر ويقظة ونوم ومشي وجلوس وأكل وشرب ولبس وغير ذلك، (**وإنما أوردنا بعض أخلاقه**) ﷺ (**لتعرف محاسن الأخلاق**) التي جبل عليها (**وليتنبه لصدقه** ﷺ **وعلو منصبه**) ورفعة مقامه (**ومكانته العظيمة عند الله**) عز وجل (**إذ آتاه الله جميع ذلك**) وحلاه به ظاهراً وباطناً (**وهو رجل أمي**) منسوب إلى بطن أمه في سذاجته وقد وصف كذلك في القرآن وقبله في التوراة والإنجيل ثم بينه بقوله: (**لم يمارس العلم ولم يطالع الكتب ولم يسافر قط في طلب علم ولم يزل بين أظهر الجهال من الأعراب يتيماً**) من أبويه (**ضعيفاً مستضعفاً**) لم

فمن أين حصل له محاسن الأخلاق والآداب ومعرفة مصالح الفقه مثلاً فقط دون غيره من العلوم فضلاً عن معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه وغير ذلك من خواص النبوّة لولا صريح الوحي؟ ومن أين لقوّة البشر الاستقلال بذلك؟ فلو لم يكن له إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية. وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب فيه محصل، فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الأخبار واشتملت عليه الكتب الصحيحة إشارة إلى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل.

فقد خرق الله العادة على يده غير مرة؛ إذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية،

يكن عنده ما يستميل به القلوب من مال فيطمع فيه ولا قوّة يتقهر بها الرجال ولا أعوان على الرأي الذي أظهره والدين الذي دعا إليه، وكانوا يجتمعون على عبادة الأصنام وتعظيم الأزلام مقيمين على عصبية الجاهلية والتقادم والتباغي وسفك الدماء وشن الغارات لا يجمعهم ألفة دين ولا يمنعهم من سوء أعمالهم نظر في عاقبة ولا خوف عقوبة ولا أثمة. (**فمن أين حصل له**) ﷺ (**محاسن الأخلاق**) وجميل الشيم (**و**) معالي (**الآداب ومعرفة مصالح الفقه**) في الدين (**مثلاً فقط دون غيره من العلوم فضلاً عن معرفته بالله**) تعالى حق المعرفة (**وملائكته وكتبه**) ورسله، (**وغير ذلك من خواص النبوّة لولا صريح الوحي**) المنزل من السماء؟ (**ومن أين للبشر الاستقلال بذلك**) فإن قواه تعجز عن حمل مثل ذلك ثم بعد تلك المعاداة منهم والمخالفات لم يزل بهم بحسن سياسته حتى ألف بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الآراء وتباصرت القلوب وترادفت الأيدي، فصاروا إلفاً واحداً في نصرته وهجروا بلادهم وأوطانهم في محبته وبذلوا مهجهم في نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في إعزاز كلمته بلا أموال أفاضها عليهم ولا عرض في العاجل أطمعهم في نيل يرجونه، فهل يلتئم مثل هذه الأمور أو يتفق مجموعها لأحد هذا سبيله من قبيل الاختيار العقلي والتدبير الفكري؟ (**فلو لم يكن له**) ﷺ (**إلا هذه الأمور الظاهرة لكان فيه كفاية**) ومقنع، (**وقد ظهر من آياته ومعجزاته ما لا يستريب**) أي لا يشك (**فيه محصل، فلنذكر من جملتها ما استفاضت به الأخبار**) أي اشتهرت (**واشتملت عليه الكتب الصحاح**) والحسان (**إشارة إلى مجامعها من غير تطويل بحكاية التفصيل**) والاشتغال بذكر الإسناد والتخريج، (**فقد خرق الله العادة على يده غير مرة إذ شق له القمر بمكة لما سألته قريش آية**) على صدقه.

اعلم أن معجزاته ﷺ كثيرة وهي أخص الشمائل وأكملها وأشرفها وأعمها القرآن، وسيأتي الكلام عليه في آخر الباب، وأما غيره فمنه ما وقع التحدي به وهو طلب المعارضة والمقابلة ومنه ما وقع بدون طلب ولا ينافي تسميته معجزة إذ التحدي شرط فيها لأنا نقول هو شرط فيها من حيث الجملة لا في كل من جزئياتها، وبهذا يرد ما أورد على مشترط ذلك كالباقلاني مما شنع به جمع عليه وأطالوا وهي إما قبل نبوّته كقصة الفيل والنور الذي أخرج معه حتى أضاء له قصور

....

الشام وأسواقها، وحتى رؤيت أعناق الإبل ببصرى ومسح الطائر لفؤاد أمه حتى لم تجد ألماً لولادته والطواف به في الآفاق وخمود نار فارس وسقوط شرافات إيوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة وما سمع من الهواتف الصارخة بنعوته وأوصافه وانتكاس الأصنام وخرورها لوجهها من غير واقع لها في أمكنتها إلى سائر ما نقل من العجائب في أيام ولادته وأيام حضانته وبعدها إلى أن نباه الله تعالى كاظلال الغمام أي في السفر وشق الصدر، وهذا القسم لا يسمى معجزة حقيقة لتقدمه على التحدي جملة وتفصيلاً وإنما يسمى ارهاصاً أي تأسيساً للنبوّة وهذا ما عليه أهل السنة. وقال المعتزلة: لا يجوز تقدم المعجزة على الإرسال وبما قررته يعلم أن الخلاف لفظي، وأما بعد موته وهو غير محصور إذ كل خارق وقع لخواص أمته إنما هو في الحقيقة له إذ هو السبب فيه، وأما من حين نبوّته إلى حين وفاته وهذا هو الذي الكلام فيه فمنه انشقاق القمر الذي أشار إليه المصنف، والدليل على وقوعه ظاهر الآية، وأجمع عليه أهل السّنة وهو من أمهات معجزاته ﷺ وخواصها إذ ليس في معجزات الأنبياء ما يقاربه لأنه ظهر في الملكوت الأعلى خارجاً عن طباع هذا العالم، فلا حيلة في الوصول إليه. وقد حقق التاج السبكي أن انشقاقه متواتر.

قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عباس وأنس اهـ.

قلت: أما حديث ابن مسعود فلفظه: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة على الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ «اشهدوا». رواه كذلك عبد بن حميد والشيخان والترمذي وابن جرير وابن مردويه من طريق أبي معمر عن ابن مسعود.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل من طريق مسروق عن ابن مسعود قال: «انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش: هذا سحر ابن أبي كبشة، فقالوا: انتظروا ما يأتيكم به السفار فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم، فجاء السفار فسألوهم فقالوا: نعم قد رأيناه».

وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل من طريق الأسود عن ابن مسعود قال: «رأيت القمر على الجبل وقد انشق فأبصرت الجبل من بين فرجتي القمر».

وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل من طريق علقمة عن ابن مسعود قال: «كنا مع النبي ﷺ بمنى فانشق القمر حتى صار فرقتين فتوارت فرقة خلف الجبل، فقال النبي ﷺ اشهدوا».

وأما حديث ابن عباس فلفظه: «انشق القمر في زمان النبي ﷺ. هكذا أخرجه الشيخان وابن مردوية والبيهقي في الدلائل.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس قال: «خرج المشركون على عهد رسول الله ﷺ منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والعاص بن

وأطعم النفر الكثير في منزل جابر، وفي منزل أبي طلحة ويوم الخندق، ومرة أطعم ثمانين

هشام والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والنضر بن الحرث فقالوا للنبي ﷺ: إن كنت صادقاً فاشقق القمر فرقتين نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان، فقال لهم النبي ﷺ: إن فعلت تؤمنوا؟ قالوا: نعم. وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما سألوا فأمسى القمر قد مثل نصفاً على أبي قبيس ونصفاً على قعيقعان ورسول الله ﷺ ينادي يا أبا سلمة بن عبد الأسود، والأرقم بن أبي الأرقم اشهدوا».

وأما حديث أنس فلفظه «إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء ما بينهما». هكذا رواه الشيخان وابن جرير وأخرج عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد ومسلم وابن جرير وابن المنذر والترمذي وابن مردويه والبيهقي في الدلائل بلفظ: «سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة فرقتين فنزلت ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر: ١]». الآية وقد رواه أيضاً عبد الله بن عمر وحذيفة بن اليمان وعلي وجبير بن مطعم وغيرهم. قال ابن حجر في شرح الشمائل: وقد أنكر جمهور الفلاسفة ذلك لإنكارهم الخرق والالتئام في الأجرام العلوية، وهؤلاء كفار وتقرير بطلان مذهبهم في الأصول، وأنكره أيضاً بعض الملاحدة محتجين بأنه لو وقع لم يخف على أحد من أهل الأرض ولم يختص أهل مكة ورد بأنه وقع ليلاً لحظة وقت الغفلة والنوم فلا مانع من خفائه على من بعد عن تلك الأقاليم، وليس هو دون الكسوف الذي يظهر بمحل دون آخر على أنه لولا اخبار المنجمين قبل وقوعه لربما خفي على أكثر أهل الأرض وحكمة عدم بلوغ معجزة من معجزاته غير القرآن تواتره أن ينظر ذلك في الأمم السابقة أعقب هلاك من كذب بها وهو ﷺ رحمة عامة، فكانت معجزته غير عامة لئلا يعاجل المكذبون بما عوجل به من سبقهم. وحكى البدر الزركشي عن شيخه العماد بن كثير أن ما حكي أن القمر دخل من جيبه ﷺ وخرج من كمه فليس له أصل.

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**أطعم النفر الكثير في منزل جابر**) بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه. قال العراقي: متفق عليه من حديثه اهـ.

قلت: وهو أن جابراً في غزوة الخندق قال: انكفأت إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء فإني رأيت بالنبي ﷺ جوعاً شديداً، فأخرجت جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن أي شاة سمينة فذبحتها أي أنا وطحنت أي زوجتي الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئته ﷺ وأخبرته الخبر سراً وقلت له: تعالى أنت ونفر معك فصاح بأهل الخندق أن جابراً صنع سوراً بالضم وسكون الواو فارسية أي طعاماً يدعو إليه الناس فحيهلا بكم، فقال ﷺ «لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجيء» فجاء فأخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: ادع خابزة لتخبز معك واقدحي أي اغرفي من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف، فاقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط ويسمع غطيطها كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو. رواه الشيخان فأخرجه البخاري عن عمر بن علي، حدثنا أبو عاصم، حدثنا

....

حنظلة بن أبي سفيان قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لما حفر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً فأتيت زوجتي، ورواه مسلم عن حجاج بن الشاعر عن أبي عاصم، ورواه البيهقي في الدلائل من طريق عباس بن محمد الدوري عن أبي عاصم.

(و) من معجزاته ﷺ انه أطعم النفر الكثير في **(منزل أبي طلحة)** زيد بن سهل الأنصاري البدري رضي الله عنه المتوفى سنة أربع وثلاثين من الهجرة. قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس اهـ.

قلت: رواه مسلم من طريق حرملة، والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل من طريق هارون بن معروف واللفظ له كلاهما عن ابن وهب قال: أخبرني أسامة أن يعقوب بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري حدثه أنه سمع أنس بن مالك قال: جئت رسول الله ﷺ يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه يحدثهم، وقد عصب بطنه بعصابة. قال أسامة: وأنا أشك على حجر فقلت لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله ﷺ؟ قال: من الجوع، فذهبت إلى أبي طلحة وهو زوج أم سليم بنت ملحان، فقلت: يا أبتاه قد رأيت رسول الله ﷺ قد عصب بطنه بعصابة، فسألت بعض أصحابه فقال: من الجوع، فدخل أبو طلحة على أمي فقال: هل من شيء؟ فقالت: نعم عندي كسر من خبز وتمرات، فإن جاءنا رسول الله ﷺ أشبعناه، وإن جاء معه بأحد قلّ عنهم، فقال لي أبو طلحة: إذهب يا أنس فقم قريباً من رسول الله ﷺ، فإذا قام فدعه حتى يتفرق أصحابه ثم اتبعه حتى إذا قام على عتبة بابه، فقل أبي يدعوك. ففعلت ذلك، فلما قلت أن أبي يدعوك قال لأصحابه: يا هؤلاء تعالوا ثم أخذ بيدي فشدها ثم أقبل بأصحابه حتى إذا دنونا من بيتنا أرسل يدي، فدخلت وأنا حزين لكثرة من جاء به، فقلت: يا ابتاه قد قلت لرسول الله ﷺ الذي قلت لي فدعا أصحابه فقد جاءك بهم، فخرج أبو طلحة إليهم فقال: يا رسول الله إنما أرسلت أنساً يدعوك وحدك ولم يكن عندي ما يشبع من أرى، فقال رسول الله ﷺ «ادخل فإن الله عز وجل سيبارك فيما عندك» فدخل رسول الله ﷺ. فقال: «اجمعوا ما عندكم ثم قربوه» وجلس من معه بالسكة فقربنا ما كان عندنا من كسر وتمر فجعلناه على حصيرنا فدعا فيه بالبركة فقال «يدخل عليه ثمانية» فأدخلت عليه ثمانية فجعل كف فوق الطعام فقال: «كلوا وسموا الله تعالى» فأكلوا من بين أصابعه حتى شبعوا، ثم أمرني ان أدخل عليه ثمانية، وقام الأولون ففعلت فدخلوا فأكلوا حتى شبعوا، ثم أمرني فأدخلت عليه ثمانية فما زال كذلك حتى دخل عليه ثمانون رجلاً كلهم يأكل حتى يشبع، ثم دعاني ودعا أبي أبا طلحة فقال: «كلوا» فأكلنا حتى شبعنا ثم رفع يده فقال «يا أم سليم أين هذا من طعامك حين قدمتيه». قالت بأبي وأمي أنت لولا أني رأيتهم يأكلون لقلت ما نقص من طعامنا شيء. وسيأتي قريباً عند قوله: ومرة أكثر من ثمانين ما يشبه هذه القصة، وفيه أنه أدخلهم عشرة عشرة ودل ظاهر مغايرة المصنف بينهما على تعداد القصة، وهو الذي استظهره الحافظ ابن حجر في فتح الباري.

(و) من معجزاته ﷺ أن أطعم **(يوم الخندق مرة ثمانين)** رجلاً. هكذا في سائر النسخ،

من أربعة أمداد شعير وعناق، وهو من أولاد المعز فوق العتود، ومرة أكثر من ثمانين

والصواب ثمانمائة كما يدل له سياق القصة الآتي ذكرها **(من أربعة أمداد شعيراً)** وهي صاع فإن المد بالضم رطل وثلث بالبغدادي عند أهل الحجاز فهو ربع صاع، لأن الصاع خمسة أرطال وثلث كما تقدم ذلك في كتاب الزكاة **(وعناق وهو)** أي العناق كسحاب الانثى **(من أولاد المعز)** قبل استكمالها الحول وهي **(فوق العتود)** والعتود من أولاد المعز ما أتى عليه الحول. قال العراقي: رواه الاسماعيلي في صحيحه ومن طريقه البيهقي في الدلائل من حديث جابر وفيه انهم كانوا مائة أو ثلاثمائة، وهو عند البخاري دون ذكر العدد وفي رواية لأبي نعيم وهم ألف اهـ.

قلت: قال البيهقي في الدلائل: أخبرنا أبو عمر ومحمد بن عبد الله الأديب، أخبرنا أبو بكر الاسماعيلي، أخبرنا أبو يعلى، أخبرنا أبو خيثمة، أخبرنا وكيع، أخبرنا عبد الواحد بن أيمن ح.

قال الاسماعيلي: وأخبرني الحسن هو ابن سفيان، أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة، أخبرنا المحاربي هو عبد الرحمن بن محمد عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال: قلت لجابر بن عبد الله، حدثني بحديث رسول الله ﷺ أرويه عنك فقال جابر: كنا مع رسول الله ﷺ يوم الخندق نحفر فيه، فلبثنا ثلاثة أيام لا نطعم شيئاً ولا نقدر عليه فعرضت في الخندق كدية فجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: هذه كدية قد عرضت في الخندق فرشينا فعرضت عليها الماء، فقام رسول الله ﷺ وبطنه معصوب بحجر، فأخذ المعول والمسحاة ثم سمى ثلاثاً فعادت كثيباً أهيل، فلما رأيت ذلك من رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ائذن لي فأذن لي فجئت امرأتي فقلت: ثكلتك أمك إني قد رأيت برسول الله ﷺ شيئاً لا أصبر عليه فما عندك؟ قالت: عندي صاع من شعير وعناق فطحنا الشعير وذبحنا العناق وأصلحناها وجعلناها في البرُمة وعجنت الشعير، ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ فلبثت ساعة ثم استأذنته الثانية فأذن لي فجئت إلى رسول الله ﷺ فساررته فقلت: إن عندنا طعيماً لنا فإن رأيت ان تقوم معي أنت ورجل معك فعلت. فقال: وما هو وكم هو؟ قلت: صاع من شعير وعناق. قال: ارجع إلى أهلك فقل لها لا تنزع البرمة من الأثافي ولا تخرج الخبز من التنور حتى آتي، ثم قال للناس: قوموا إلى بيت جابر قال: فاستحييت حياء لا يعلمه إلا الله، فقلت لامرأتي: ثكلتك أمك قد جاء رسول الله ﷺ وأصحابه أجمعون، فقالت: أكان رسول الله ﷺ سألك عن الطعام؟ فقلت: نعم. قالت: الله ورسوله أعلم قد أخبرته بما كان عندك فذهب عني بعض ما كنت أجد. قلت: لقد صدقت. فجاء رسول الله ﷺ فدخل ثم قال لأصحابه: لا تضاغطوا ثم تبرك على التنور وعلى البرمة فجعلنا نأخذ من التنور الخبز ونأخذ اللحم من البرمة فنثرد ونغرف ونقنل إليهم. وقال رسول الله ﷺ: ليجلس على الصحفة ثلاثة وقيل سبعة أو ثمانية، فلما أكلوا كشفنا عن البرمة والتنور وجعلنا نأخذ من التنور الخبز واللحم من البرمة، وإذا هما قد عادا إلى أملأ مما كانا فنثرد ونغرف ونقرب إليهم، فلم نزل نفعل ذلك كلما فتحنا التنور وكشفنا عن البرمة وجدناهما أملأ ما كانا حتى شبع المسلمون منها. وبقيت طائفة من الطعام. فقال رسول الله ﷺ: إن الناس قد أصابتهم مخمصة فكلوا واطعموا فلم نزل يومنا نأكل ونطعم. قال: وأخبرني انهم كانوا ثمانمائة أو ثلاثمائة. ورواه البخاري في الصحيح عن خلاد بن يحيى، عن عبد

رجلاً من أقراص شعير حملها أنس في يده، ومرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت

الواحد بن أيمن إلا أنه لم يذكر العدد في آخره، ويروى أنهم كانوا ثلاثمائة من غير شك.

قال البيهقي في الدلائل: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا: أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار، أخبرنا يونس بن بكير، عن هشام بن سعد، عن أبي الزبير قال: أخبرني جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ ثلاثمائة رجل نحفر الخندق، فرأيت رسول الله ﷺ أخذ حجراً فجعله بين بطنه وإزاره يقيم بطنه من الجوع، فلما رأيت ذلك قلت: يا رسول الله ائذن لي فإن لي حاجة في أهلي فأتيت المرأة فقلت قد رأيت من رسول الله ﷺ أمراً غاظني فهل عندك من شيء؟ قالت: هذه العناق فاطبخها وهذا صاع من شعير فاطحنه فطحنته وذبحت العناق وقلت: اطبخي حتى آتي رسول الله ﷺ فاستتبعه فانطلقت إليه، فقالت: يا رسول الله إني قد ذبحت عناقاً وطحنت صاعاً من شعير فانطلق معي، فنادى رسول الله ﷺ في القوم ألا أجيبوا جابر بن عبد الله. قال: فرجعت على المرأة فقلت: قد افتضحت جاءك رسول الله ﷺ ومن معه، فقالت: بلغته وبينت له؟ فقلت: نعم. فقالت: ارجع إليه وبيّن له فأتيته فقلت: يا رسول الله إنما هي عناق وصاع من شعير. قال: فارجع ولا تحركن شيئاً من التنور ولا من القدر حتى آتيها واستعر صحافاً، فدخل رسول الله ﷺ فدعا الله عز وجل على القدر والتنور، ثم قال: اخرجي واثردي ثم اقعدهم عشرة فادخلهم فأكلوا وهم ثلاثمائة وأكلنا وأهدينا لجيراننا. فلما خرج رسول الله ﷺ ذهب ذلك.

وأما ما رواه أبو نعيم في الدلائل وفيه انهم كانو ألفاً فقد تقدم من رواية حنظلة بن أبي سفيان عن جابر، ورواه البخاري ومسلم والبيهقي، ودل سياقهم على تعدد القصة ولذلك غاير بينهما المصنف فتأمل.

(و) من معجزاته ﷺ أنه أطعم (**مرة أكثر من ثمانين رجلاً من أقراص شعير حملها أنس**) بن مالك رضي الله عنه (**في يده**) قال العراقي. رواه مسلم من حديث أنس وفيه: حتى فعل ذلك بثمانين رجلاً، ثم أكل النبي ﷺ بعد ذلك وأهل البيت وتركوا سؤراً. وفي رواية لأبي نعيم في الدلائل حتى أكل منه بضع وثمانون رجلاً وهو متفق عليه بلفظ «والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً» اهـ.

قلت: لفظ الشيخين من حديث أنس قال: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء، فقالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خماراً فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ثم ارسلتني إلى رسول الله ﷺ فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد أي الموضع الذي أعدّه للصلاة فيه في محاصرة الأحزاب يوم الخندق، ومعه الناس فسلمت عليه، فقال لي رسول الله ﷺ: أرسلك أبو طلحة؟ قلت: نعم. قال: لطعام. قلت: نعم، فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم،

بشر في يدها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم، ونبع الماء من بين أصابعه

فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه، فقال رسول الله ﷺ: هلمي يا أم سليم ما عندك فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة فآدمته، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: ائذن لعشرة ثم لعشرة فأكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً. وفي رواية لمسلم أنه قال: ائذن لعشرة فدخلوا، فقال: كلوا وسموا الله فأكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلاً، ثم أكل النبي ﷺ وأهل البيت وتركوا سؤراً بالضم مهموزاً أي بقية. وفي رواية للبخاري أدخل عليّ عشرة حتى عدّ أربعين، ثم أكل النبي ﷺ فجعلت أنظر هل نقص منها شيء. وفي رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أنس أنه لما انتهى إلى الباب قال لهم: اقعدوا ثم دخل، وفي رواية عمرو بن عبد الله عن أنس فقال أبو طلحة: إنما هو قرص فقال: إن الله سيبارك فيه، وفي رواية مبارك بن فضالة عن أنس فقال: هل من سمن؟ فقال أبو طلحة: قد كان في العكة شيء فجاء بها فجعلا يعصرانها حتى خرج ثم مسح رسول الله ﷺ القرص فانتفخ وقال: بسم الله فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتى رأيت القرص في الجفنة يتسع، وفي رواية النضر بن أنس عن أبيه فجئت بها ففتح رباطها، ثم قال: بسم الله اللهم أعظم فيها البركة والحكمة في إدخالهم عشرة عشرة إن تلك القصعة لم تكن تسع أن يجلس عليها أكثر من ذلك. وفي قول المصنف أكثر من ثمانين إشارة إلى رواية مسلم المتقدمة، وهو أنهم لما فرغوا من الأكل وكانوا ثمانين أكل ﷺ وأهل البيت، والمراد بهم أم سليم وأبو طلحة وأنس، فهؤلاء أربعة ولا بد في البيت من صبيان وبنات ونسوة لم تذكر أسماؤهم فصح قول المصنف أنهم أكثر من ثمانين فتأمل.

(و) من معجزاته ﷺ أنه أطعم **(مرة أهل الجيش من تمر يسير ساقته بنت بشر)** كذا في النسخ بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة وفي بعضها بضم الموحدة وسكون المهملة وكلاهما غلط، والصواب بنت بشير كأمير **(في يديها فأكلوا كلهم حتى شبعوا من ذلك وفضل لهم)**. قال العراقي: رواه البيهقي في دلائل النبوّة من طريق ابن إسحاق، حدثنا سعيد بن يسار، عن ابنة بشير بن سعد وإسناده جيد اهـ.

قلت: هكذا هو في كتاب العراقي: حدثنا سعيد بن يسار، والذي في الدلائل للبيهقي سعيد ابن ميناء وهو غير سعيد بن يسار فإن سعيد بن ميناء يكنى أبا الوليد، روى له الشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجه وسعيد بن يسار يكنى أبا الحباب روى له الجماعة.

قال البيهقي في الدلائل: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا محمد بن يعقوب، أخبرنا أحمد بن عبد الجبار، أخبرنا يونس عن ابن إسحاق، حدثني سعيد بن ميناء عن ابنة بشير بن سعيد قالت: بعثتني أمي بتمر في طرف ثوبي إلى أبي وخالي وهم يحفرون الخندق، فمررت على رسول الله ﷺ فناداني فأتيته فأخذ التمر مني في كفيه وبسط ثوباً فنثره عليه فتساقط في جوانبه، ثم أمر بأهل

....

الخندق فاجتمعوا وأكلوا حتى صدروا عنه اهـ. كذا في نسخة الدلائل بشير بن سعيد وعليها سماع العراقي على المحب الخلاطي، والذي يظهر بشير بن سعد كما ذكره العراقي وهو بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي والد النعمان وأمه عمرة بنت رواحة أخت عبدالله بن رواحة صحابية. وهذه المعجزات الخمس التي ذكرها المصنف بعد انشقاق القمر تتعلق بتكثير الطعام القليل ببركته ودعائه.

ومن هذا الباب أيضاً ما رواه مسلم من حديث أبي هريرة قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقال عمر: يا رسول الله ادعهم بفضل ازوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة. فقال: نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شيء يسير فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملؤه. قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة الحديث.

ومن ذلك ما روى البخاري ومسلم من حديث أنس قال: كان رسول الله ﷺ عروساً بزينب فعمدت أي أم سليم إلى تمر وسمن وأقط فصنعت حيساً فجعلته في تور، فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ فقل: بعثت بهذا إليك أمي وهي تقرئك السلام. فقال رسول الله ﷺ: ضعه، ثم قال: اذهب فادع لي فلاناً وفلاناً رجالاً سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمي ومن لقيت، فرجعت، فإذا البيت غاص بأهله. قيل لأنس: كم كانوا؟ قال: زهاء ثلاثمائة، فرأيت النبي ﷺ وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله، ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول لهم: اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه. قال: فأكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة حتى أكلوا كلهم. قال لي: يا أنس ارفع فرفعته فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت.

ومن ذلك ما رواه مسلم من حديث جابر قال: ان أم مالك كانت تهدي للنبي ﷺ في عكة لها سمناً فيأتيها بنوها فيسألون الأدم وليس عندهم شيء، فتعمد إلى التي كانت تهدي فيها للنبي ﷺ فتجد فيها سمناً فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته، فأتت النبي ﷺ. قال: أعصرتيها؟ قالت: نعم. قال: لو تركتيها ما زال قائماً.

ومن ذلك ما رواه مسلم عنه أيضاً أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستطعمه فأطعمه شطر وسق من شعير، فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فأتي النبي ﷺ فأخبره فقال: لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم. قال النووي في شرح مسلم: والحكمة في ذهاب بركة السمن حين عصرت العكة وإعدام بركة الشعير حين كاله أن عصرها وكيله مضاد للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى ويتضمن الأخذ بالحول والقوّة وتكلف الإحاطة بأسرار حكم الله تعالى وفضله فعوقب فاعله بزواله.

ومن ذلك ما أخرج الدارمي وابن أبي شيبة والترمذي من حديث سمرة بن جندب قال: كنا مع النبي ﷺ نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل ويقوم عشرة ويقعد عشرة. قلنا: فما كانت

عليه السلام فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش، وتوضأوا من قدح صغير ضاق عن

تمد؟ قال: من أي شيء تعجب ما كانت تمد إلا من ههنا، وأشار بيده إلى السماء. ورواه أيضاً الحاكم وصححه وأبو نعم والبيهقي كلاهما في الدلائل.

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر قال: كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة، وأنه عجن صاع وصنعت شاة فشوى سواد بطنها. قال: وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حزّ له حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل من القصعتين فحملته على البعير.

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه ابن أبي شيبة، والطبراني، وأبو نعيم في الدلائل من حديث أبي هريرة قال: أمرني رسول الله ﷺ ان أدعو أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم، فوضعت بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع.

ومن ذلك أيضاً ما ذكره صاحب الشفاء من حديث علي بن أبي طالب قال: جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وكانوا أربعين منهم قوم يأكلون الجذعة ويشربون الفرق، فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا منه وبقي كأنه لم يشرب منه.

(و) من معجزاته ﷺ أن **(نبع الماء)** الطهور **(من بين أصابعه)** وهو أشرف المياه. قال القرطبي: قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكررت منه ﷺ في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي ولم يسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا ﷺ حيث نبع من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه. وقد نقل ابن عبد البر عن المزني أنه قال: نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا فتفجرت منه المياه لأن خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم اهـ.

(فشرب أهل العسكر كلهم وهم عطاش) روى ابن شاهين من حديث أنس قال: كنت مع النبي ﷺ في غزوة تبوك فقال المسلمون: يا رسول الله عطشت دوابنا وابلنا فقال: هل من فضلة ماء؟ فجاء رجل في شن بشيء فقال: هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته في الماء. قال: فرأيتها تخلل عيوناً بين أصابعه. قال: فسقينا إبلنا ودوابنا وتزوّدنا. فقال: اكتفيتم؟ فقالوا: نعم اكتفينا يا رسول الله، فرفع يده فارتفع الماء.

وروى أحمد من حديث جابر قال: اشتكى أصحاب رسول الله ﷺ إليه العطش فدعا بعس فصب فيه شيئاً من الماء ووضع رسول الله ﷺ فيه يده، وقال: استقوا فاستقى الناس فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابعه.

ورواه البيهقي في الدلائل بلفظ: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصابنا عطش فجهشنا إلى

أن تبسط عليه السلام يده فيه، وأهرق عليه الصلاة والسلام وضوءه في عين تبوك ولا

رسول الله ﷺ قال: فوضع يده في تور من ماء بين يديه قال: فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كأنه العيون. قال: خذوا بسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة ألف لكفانا. قلت لجابر: كم كنتم؟ قال: ألفاً وخمسمائة. وأخرجه ابن شاهين أيضاً وفيه: فأصابنا عطش بالحديبية الحديث.

وأخرج البخاري من حديث علقمة عن ابن مسعود: بينما نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله ﷺ: اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابعه.

(وتوضأ في قدح صغير ضاق أن يبسط ﷺ يده فيه) قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس في ذكر الوضوء فقط، ولأبي نعيم من حديثه خرج إلى فناء فأتي من بعض بيوتهم بقدح صغير وفيه، ثم قال: هلم إلى الشرب. قال أنس: بصر عيني ينبع الماء من بين أصابعه، ولم يرد القدح حتى رووا منه وإسناده جيد، وللبزار واللفظ له والطبراني في الكبير من حديث ابن عباس: كان في سفر فشكا أصحابه العطش فقال: ائتوني بماء فأتوه بإناء فيه ماء فوضع يده في الماء فجعل الماء يفور من بين أصابعه وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: حديث أنس في الصحيحين قال: رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله ﷺ بوضوء فوضع يده في ذلك الإناء فأمر الناس أن يتوضأوا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم. وفي لفظ للبخاري: كانوا ثمانين رجلاً وفي لفظ له: فجعل الماء ينبع من بين أصابعه وأطراف أصابعه حتى توضأ القوم. قال: فقلنا لأنس كم كنتم؟ قال: كنا ثلاثمائة.

وفي الصحيحين من حديث جابر قال: عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضأ منها وجهش الناس نحوه فقال: مالكم؟ قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا ما نشربه إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا فقلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة.

وأخرج البيهقي من طريق عثمان بن أبي شيبة عن جرير عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن جابر بلفظ: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ وقد حضرت صلاة العصر وليس معنا ماء غير فضله، فجعل في إناء فأتى به رسول الله ﷺ قال: فأدخل يده فيه وفرج أصابعه وقال: حي هلا أهل الوضوء والبركة من الله قال: فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه. قال: فتوضأ الناس وشربوا. قال: فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه وعلمت أنه بركة. قال قلت لجابر كم كنتم يومئذ؟ قال: ألفاً وأربعمائة. ورواه البخاري عن قتيبة بن سعيد عن جرير.

وأخرج أحمد والبيهقي من طريق الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر قال: غزونا مع رسول الله ﷺ ونحن يومئذ بضع عشرة مائة، فحضرت الصلاة فقال هل في القوم من طهور؟

ماء فيها، ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء؛ فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك

فجاء رجل يسعى بأداوة فيها شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره، فصبه رسول الله ﷺ في قدح ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح. قال: فركب الناس ذلك القدح وقالوا: تمسحوا تمسحوا فلما سمعهم يقولون ذلك. قال: على رسلكم؟ قال: فوضع كفه في الماء والقدح وقال: سبحان الله! ثم قال: أسبغوا الوضوء فوالذي ابتلاني ببصري لقد رأيت عيون الماء تخرج من بين أصابع رسول الله ﷺ ولم يرفعها حتى توضأوا أجمعون.

وقال الإسماعيلي في الصحيح: أخبرنا أبو يعلى، ثنا أبو الربيع، ثنا حماد بن زيد، ثنا ثابت عن أنس أن النبي ﷺ دعا بماء فأتي بقدح رحراح، فجعل القوم يتوضأون فحزرت ما بين السبعين إلى الثمانين. قال: فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه. ورواه مسلم عن أبي الربيع.

ولفظ البخاري عن مسدد عن حماد عن ثابت دعا بإناء من ماء فأتي بقدح رحراح فيه شيء من ماء فوضع أصابعه فيه. قال أنس: فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه قال: فحزرت من توضأ منه ما بين السبعين إلى الثمانين.

وأما حديث أنس الذي ذكره العراقي من عند أبي نعيم، فقد أخره أيضاً البيهقي في الدلائل من طريق إسماعيل بن أويس عن أخيه عن سليمان بن بلال عن عبيدالله بن عمر عن ثابت عن أنس قال: خرج النبي ﷺ إلى قباء فأتي من بعض بيوتهم بقدح صغير قال: فأدخل النبي ﷺ يده فلم يسعه القدح فأدخل أصابعه الأربع ولم يستطع أن يدخل إبهامه ثم قال إلى القوم: هلموا إلى الشراب الحديث.

اعلم أن ظاهر هذه الروايات دل على أن الماء كان ينبع من بين أصابعه بالنسبة لي رؤية الرائي وهو في نفس الأمر للبركة الحاصلة فيه يفور ويكثر وكفه ﷺ في الإناء، فيراه الرائي نابعاً من بين يديه، وظاهر كلام القرطبي أنه ينبع من نفس اللحم الكائن في الأصابع، وبه صرح النووي في شرح مسلم وهو الصحيح، وكلاهما معجزة له ﷺ، وإنما فعل ذلك ولم يخرجه من غير ملامسة ماء ولا وضع إناء تأدباً مع الله تعالى إذ هو المنفرد بابداع المعدومات وإيجادها من غير أصل والله أعلم.

(و) من معجزاته ﷺ أنه (أهـرق) بفتح الهمزة والهاء أصله اراق (**وضوءه**) بالفتح هو الماء الذي يتوضأ به (**في عين تبوك**) وهو موضع بالشام (**ومرة أخرى في بئر الحديبية فجاشتا بالماء فشرب من عين تبوك أهل الجيش وهم ألوف حتى رووا وشرب من بئر الحديبية ألف وخمسمائة ولم يكن فيها قبل ذلك ماء**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث معاذ بقصة عين تبوك، ومن حديث سلمة بن الأكوع بقصة عين الحديبية، وفيه فإما دعا وإما بصق فيها فجاشت الحديث.

وللبخاري من حديث البراء أنه توضأ وصبه فيها. وفي الحديثين معاً أنهم كانوا أربع عشرة مائة

....

وكذلك عندهما من حديث جابر، ولهما من حديثه أيضاً ألف وخمسمائة، ولمسلم من حديث ابن أبي أوفى ألف وثلاثمائة اهـ.

قلـت: لفظ حديث معاذ عند مسلم أن رسول الله ﷺ قال لهم: إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار، فمن جاءها فلا يمس من مـائها شيئاً حتى آتي قال: فجئناها وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء ماء فسألهما رسول الله ﷺ هل مسستما من مائها شيئاً؟ قالا: نعم فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شن ثم غسل ﷺ به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس، ثم قال: يا معاذ يوشك أن طالت بك حياة ان ترى ماءها قد ملأ جنانا وعمراناً. ورواه عياض في الشفاء بنحوه من طريق مالك في الموطأ وزاد فقال: قال في حديث ابن إسحاق فانخرق من الماء ماء له حس كحس الصواعق.

وأما قصة الحديبية فرواها البخاري من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهم نزلوا بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتربضه الناس تربضاً فلم يلبثه الناس حتى نزحوه، وشكى إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه.

وحديث سلمة بن الأكوع أخرجه مسلم من طريق عكرمة بن عمار عن أياس بن سلمة بن الأكوع قال: أخبرني أبي قال: قدمنا مع رسول الله ﷺ الحديبية، ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة ما ترويها. قال: فقعد رسول الله ﷺ على جانبها فإما دعا وإما بزق فجاشت فسقينا واستقينا.

وحديث البراء رواه البخاري من طريق عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء كنا مع النبي ﷺ يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فما ترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء منها فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبّه فيها فتركها غير بعيد، ثم انها أصدرتنا نحن وركابنا. وأخرجه أيضاً من حديث زهير بن معاوية عن أبي إسحاق وفي لفظ له فدعي بدلو فنزع منها ثم أخذ منه بفيه فمجّه فيها ودعا الله فكثر ماؤها حتى صدرنا وركائبنا ونحن أربع عشرة مائة.

وفي مغازي أبي الأسود من رواية ابن لهيعة ودعـا بدلو من ماء فتوضأ في الدلو ومضمض فاه ثم مج فيه وأمر أن يصب في البئر ونزع سهماً من كنانته، فألقاه في البئر ودعا الله تبارك وتعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس مع شفتها. وكذا روى الواقدي من طريق أوس بن خولي وهذه القصة غير القصة التي سبقت في ذكر نبع الماء من بين أصابعه ﷺ مما رواه البخاري في المغازي من حديث جابر، وجمع ابن حبان بينهما بأن ذلك وقع في وقعتين. قال بعضهم في تقرير هذا القول حديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند إرادة

ماء ، وأمر عليه الصلاة والسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزوّد أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه كربضة البعير ـ وهو موضع بروكه ـ فزودهم كلهم منه وبقي منه بحسبه ، ورمى الجيش بقبضة من تراب فعميت عيونهم ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى :

الوضوء وحديث البراء كان لإرادة ما هو أعم من ذلك ، ويحتمل أن يكون الماء لما تفجّر من أصابعه ويده في الركوةوتوضأوا كلهم وشربوا أمر حينئذ بصب الماء الذي بقي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها ، والله أعلم .

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(أمر عمر بن الخطاب)** رضي الله عنه **(أن يزود أربعمائة راكب من تمر كان في اجتماعه)** وهيئته **(كربضة البعير وهو)** بفتح الراء وسكون الموحدة والضاد المعجمة **(موضع بروكه فزودهم كلهم منه وبقي بحسبه)** قال العراقي : رواه أحمد من حديث النعمان بن مقرن وحديث ركين بن سعيد بإسنادين صحيحين ، وأصل حديث ركين عند أبي داود من غير بيان لعددهم اهـ .

قلت : النعمان وركين مزنيان . وأخرج أحمد من طريق سالم بن الجعد عن النعمان بن مقرن قال : قدمنا على رسول الله ﷺ في أربعة من مزينة ، ورجاله ثقات ، لكنه منقطع فإن النعمان استشهد في خلافة عمر فلم يدركه سالم . وقال الحافظ في الإصابة : ركين بن سعيد له حديث واحد تفرد أبو إسحاق السبيعي بروايته عنه ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ، وأبو داود ، والدارقطني في الإلزامات .

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(رمى الجيش بقبضة من تراب)** الأرض وقال : شاهت الوجوه أي قبحت **(فعميت عيونهم)** وذلك يوم بدر لما التقى الجمعان فلم يبق مشرك ، وكانوا ألفاً أو إلاَّ خمسين إلا ودخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا من ذلك على الأصح وأنه ﷺ فعل نظيره في يوم حنين ،وهو الذي أراد المصنف هنا ، وقد أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ولفظه : بقبضة من تراب الأرض كما هو عند المصنف ، وعند غيره انه ﷺ تناول حصيات من الأرض ، ثم قال : شاهت الوجوه ورمى بها في وجوه المشركين والجمع بينهما أنه يحتمل أنه رمى بذامرة وبالآخر أخرى ، أو انه أخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصى وتراب .

وروى أحمد وأبو داود والدارمي من حديث أبي عبد الرحمن الفهري أنه ﷺ اقتحم عن فرسه فأخذ كفا من تراب قال : فأخبرني الذي كان أدنى إليه مني أنه ضرب وجوههم وقال : شاهت الوجه فهزمهم الله تعالى ، قال يعلى بن حطان : راويه عن أبي همام ، عن أبي عبد الرحمن الفهري ، فحدثني أبناؤهم وهم عن آبائهم أنهم قالوا لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه تراباً . وروى أحمد والحاكم من حديث ابن مسعود ، فحادت به بغلته ﷺ فمال السرج ، فقلت : ارتفع رفعك الله فقال : ناولني كفاً من تراب فضرب وجوههم وامتلأت أعينهم تراباً .

﴿ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ [الأنفال :١٧] وأبطل الله تعالى الكهانة بمبعثه ﷺ فعدمت وكانت ظاهرة موجودة ،وحنّ الجذع الذي كان يخطب إليه لما عمل له المنبر حتى سمع منه جميع أصحابه مثل صوت الإبل فضمه إليه فسكن ، ودعا اليهود إلى تمني الموت

(ونزل بذلك القرآن في قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾) رواه ابن مردويه في تفسيره من حديث جابر وابن عباس. قال ابن حجر في شرح الشمائل: وقد ضلت جماعة في فهم هذه الآية حيث جعلوها أصلاً في أبطال نسبة الأفعال إلى العباد ولم يبالوا بما يلزم على ذلك من أن يقال: وما صليت إذ صليت ولكن الله صلى، وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى، والمراد أن تلك الرمية لما لم تبلغ ذلك المبلغ عادة بين الله تعالى أن من نبيه المبدأ ومنه تعالى الغاية وهو لإيصال.

(و) من معجزاته ﷺ **(أبطل الله الكهانة بمبعثه ﷺ فعدمت، وكانت)** قبل **(ظاهرة موجودة)** قال العراقي: رواه الخرائطي من حديث مرداس بن قيس الأوسي قال: حضرت النبي ﷺ وذكرت عند الكهانة وما كان من تغيرها عند مخرجه الحديث.

ولأبي نعيم في الدلائل من حديث ابن عباس في استراق الجن السمع فيلقونه من أوليائهم، فلما بعث سيدنا محمد ﷺ زجروا بالنجوم، وأصله عند البخاري بهذا السياق اهـ.

قلت: مرداس بن قيس هذا ذكره أبو موسى في الذيل، والحديث الذي ذكره الخرائطي فإنه أخرجه في كتاب الهواتف له من طريق عيسى بن يزيد بن صالح بن كيسان عمن حدثه عن مرداس ابن قيس قال: حضرت النبي ﷺ وذكره إلى قوله عند مخرجه، ثم قال، فقلت يا رسول الله عندنا شيء من ذلك أخبرك به فذكر قصة طويلة فيها أن كاهنهم كان يصبب كثيراً ثم أخطأ مرة بعد مرة ثم قال: يا معشر دوس حرست السماء وخرج الأنبياء وأنه مات عقب ذلك. قال الحافظ في الإصابة: وعيسى أظنه ابن داب وهو كذاب، وفي السند أيضاً عبد الله بن محمد البلوي كذاب.

وأخرج البيهقي في الدلائل عن الزهري قال: إن الله حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم وانقطعت الكهنة فلا كهانة. وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع﴾ [الجن: ٩] قال: حرستها به السماء حين بعث النبي ﷺ لكيلا يسترق السمع، فأنكرت الجن ذلك، فكان كل من استمع منهم قذف. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: كانت الجن قبل أن يبعث النبي ﷺ يستمعون من السماء، فلما بعث حرست فلم يستطيعوا أن يستمعوا.

(و) من معجزاته ﷺ أن **(حنّ الجذع)** بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ساق النخلة **(الذي كان يخطب إليه)** أي مستنداً إليه في حال خطبته **(لما عمل له ﷺ المنبر)** وحنينه شوقه وانعطافه الدال عليها صوته المسموع **(حتى سمع منه جميع أصحابه)** الحاضرين إذ ذاك **(مثل صوت الإبل فضمه إليه)** بعد نزوله من المنبر **(فسكن)**. قال التاج السبكي: وحنينه

....

متواتر لأنه ورد عن جماعة من الصحابة إلى نحو العشرين من طرق صحيحة كثيرة تفيد القطع بوقوعه وبينها ، ثم قال: ورب متواتر عند قوم غير متواتر عند آخرين ، وتبعه بعض الحفاظ قال: فقد نقل هو وانشقاق القمر نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم، وجرى في الشفاء أنه متواتر. قال البيهقي قصة حنينه من الأمور الظاهرة التي نقلها الخلف عن السلف، وعن الشافعي رضي الله عنه أن حنينه أعظم في المعجزات من إحياء الموتى. قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن عمر وجابر اهـ.

أما حديث جابر فرواه البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس، حدثني أخي عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد، أخبرني حفص عن عبيد الله بن أنس بن مالك أنه سمع جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يقول: كان المسجد في زمن رسول الله ﷺ مسقوفاً على جذوع من نخل، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر فكان عليه فسمعت لذلك صوتاً كصوت العشار حتى جاءه النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكن.

وأخرجه ابن سعد في الطبقات فقال: أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي أويس، حدثني سليمان ابن بلال فذكره. وقال ابن سعد أيضاً أخبرنا يعقوب بن أبي إبراهيم بن سعد الزهري، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب: حدثني من سمع جابر بن عبد الله يقول إن رسول الله ﷺ كان يقوم إلى جذع نخلة منصوب في المسجد حتى إذا بدا له أن يتخذ المنبر. شاور ذوي الرأي من المسلمين فرأوا أن يتخذه فاتخذه رسول الله ﷺ، فلما كان يوم الجمعة أقبل رسول الله ﷺ حتى جلس على المنبر، فلما فقده الجذع حن حنيناً أفزع الناس، فقام رسول الله ﷺ عن مجلسه حتى انتهى إليه فقام إليه ومسه، فهدأ فلم يسمع له حنين بعد ذلك اليوم.

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا العلاء بن سلمة البصري، حدثنا شيبة أبو قلابة عن سعيد الجريري، عن أبي بصرة، عن جابر أن النبي ﷺ كان يخطب إلى جذع نخلة فقيل: يا رسول الله أنه قد كثر الناس وتأتيك الوفود من الآفاق فلو أمرت بصنعة شيء تشخص عليه الحديث، وفيه فلما صنعه صعده رسول الله ﷺ فحن جذع النخلة التي كان يقوم عليها حنين الناقة فسمع أهل المسجد صوتها شوقاً إلى رسول الله ﷺ، فنزل فالتزمها. وقال: والذي نفسي بيده لو تركتها لحنت إلى يوم القيامة.

قال الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي في كتابه عرف العنبر في وصف المنبر بعد أن أخرجه من كتاب اليتيمة للحافظ أبي موسى المديني من طريق الطبراني المتقدم ما نصه: كذا في هذه الرواية عن أبي بصرة عن جابر، والأشبه عن أبي بصرة عن أبي سعيد قال عبد بن حميد في مسنده: أخبرنا علي ابن عاصم عن الجريري عن أبي بصرة العبدي، حدثني أبو سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جذع نخلة، وذكر الحديث بطوله.

....

وقد روي عن جابر أيضاً من غير هذا الوجه. قال أبو بكر بن المقري في فوائده: أخبرنا أبو يعلى، حدثنا مسروق بن المرزبان، حدثنا ابن أبي زائدة، عن أبيه عن أبي إسحاق عن سعيد يعني ابن أبي كريب عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ يقوم إلى خشبة يتوكأ عليها يخطب كل جمعة حتى أتاه رجل من الروم فقال: إن شئت فعلت لك شيئاً إذا قعدت عليه كنت كأنك قائم. قال: نعم قال: فجعل له المنبر، فلما جلس عليه حنت الخشبة حنين الناقة على ولدها حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليها، فلما أن كان من الغد رأيت قد حولت، فقلت: ما هذا؟ قال: جاء النبي ﷺ وأبو بكر وعمر فحولوها. تفرد به يحي بن زكريا بن أبي زائدة عن أبيه قاله أبو القاسم الحافظ.

وأما حديث ابن عمر فقد أخرج له البخاري معلقاً من طريق أبي حفص عمر بن العلاء سمعت نافعاً يحدث عن ابن عمر قال: كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه قال: وقال عبد الحميد: أخبرنا عثمان بن عمر، أخبرنا معاذ بن العلاء عن نافع بهذا ورواه أبو عاصم عن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ هكذا علقه، وقد وصله غيره من طريق سعد بن عمرو، ثنا أبو عاصم، ثنا ابن أبي رواد، حدثني نافع عن عبد الله بن عمر أن تميماً الداري رضي الله عنه. قال لرسول الله ﷺ لما أسن وثقل: ألا أتخذ لك منبراً يحمل، أو قال يجمع عظامك أو كلمة تشبهها فاتخذ له مرقاتين أو ثلاثة يجلس عليها. قال: فصعد النبي ﷺ فحن جذع كان في المسجد كان النبي ﷺ إذا خطب يستند إليه فنزل رسول الله ﷺ فاحتضنه وقال شيئاً لا أدري ما هو، ثم صعد المنبر وكان أساطين المسجد جذوعاً وسقائفه جريداً أخرجه أبو داود في سننه عن الحسن بن علي، ثنا أبو عاصم فذكره مختصراً إلى قوله: «مرقاتين» دون ما بعده.

وحديث عثمان بن عمر رواه أبو القاسم البغوي، عن الحسن بن محمد وأحمد بن منصور كلاهما عن عثمان بن عمر، أخبرنا معاذ بن العلاء، عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع نخلة، فلما اتخذ المنبر حن الجذع حتى أتاه فالتزمه تابعهم عمرو بن علي الفلاس وسليم بن خلاد، عن عثمان بن عمر بن فارس، وتابعه يحي بن محمد بن السكن، وبدل بن المجن عن معاذ بن العلاء.

وقال أحمد في مسنده: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا خلف يعني ابن خليفة عن أبي خباب عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال: «كان جذع نخلة في المسجد يسند رسول الله ﷺ ظهره إليه إذا كان يوم الجمعة أو حدث أمر يريد أن يكلم الناس فقالوا: ألا نجعل لك يا رسول الله شيئاً كقدر قيامك؟ قال: لا عليكم الا تفعلوا فصنعوا له منبراً ثلاث مراق. قال: فجلس عليه. قال: فخار الجذع كما تخور البقرة جزعاً على رسول الله ﷺ فالتزمه ومسحه حتى سكن» أبو خباب يحي بن أبي حية الكوفي ضعفه القطان وأحمد وابن معين توفي سنة ١٥٦ وأبوه اسمه حية تابعي كوفي محله الصدق فيما قاله أبو حاتم الرازي، وقد روى حديث حنين الجذع آخرون منهم سهل بن سعد، وأبي

....

ابن كعب، وأنس بن مالك، وأبو سعيد الخدري، وعائشة، وأبو هريرة، وابن عباس، وبريرة، وأم سلمة، والمطلب بن أبي وداعة رضي الله عنهم.

أما حديث سهل بن سعد فأخرجه محمد بن سعد في الطبقات قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي أويس المدني، حدثني سليمان بن بلال عن سعد بن سعيد بن قيس عن عباس بن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إذا خطب إلى خشبة ذات فرضتين. قال: أراها من دوم كانت في مصلاه، وكان يتكىء إليها، وساق الحديث في عمل المنبر، ثم قال: فقام عليه النبي ﷺ فحنت الخشبة، فقال النبي ﷺ: « ألا تعجبون لحنين هذه الخشبة » فأقبل الناس وفرقوا من حنينها حتى كثر بكاؤهم، فنزل النبي ﷺ حتى أتاها فوضع يده عليها فسكنت فأمر النبي ﷺ بها فدفنت تحت منبره أو جعلت في السقف. ورواه أبو إسماعيل الترمذي عن أبي بشر سليمان بن بلال، حدثني أبو بكر بن أبي أويس عن سليمان بن بلال فذكره. ورواه أبو إسماعيل الترمذي أيضاً عن يحيى بن عبد الله بن بكير عن ابن لهيعة عن عمارة بن غزية أنه سمع عباس بن سهل بن سعد الساعدي يحدث عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يخطب إذا خطب على خشبة ذات فرضتين كانت في المسجد، فلما زاد الناس فذكر الحديث في عمل المنبر وفيه فما هو إلا أن قعد عليه رسول الله ﷺ فتكلم ففقدته الخشبة فخارت كما يخور الثور لها حنين. قال: فجعل العباس بن سهل يمد يديه كنحو ما رأى أباه يمد يديه يحكي حنين الخشبة حتى تفزع الناس وكثر البكاء مما رأوها، فقال رسول الله ﷺ: « سبحان الله ألا ترون هذه الخشبة انزعوها واجعلوها تحت المنبر ».

وأما حديث أبي بن كعب فأخرجه أبو القاسم البغوي عن عيسى بن سالم ثنا عبدالله بن عمرو، عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن أبي بن كعب، عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي إلى جذع وكان المسجد عريشاً وكان يخطب إلى ذلك الجذع فقال رجال من أصحابه: يا رسول الله نجعل لك شيئاً تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس ويسمع الناس خطبتك؟ فقال: نعم. فصنع له ثلاث درجات فقام عليها كما كان يقوم فأصغى عليه الجذع فقال له: اسكن ثم التفت فقال: إن تشأ أغرسك في الجنة فيأكل منك الصالحون، وإن تشأ أن نعيدك رطباً كما كنت فاختار الآخرة على الدنيا. فلما قبض النبي ﷺ دفع إلى أبي حتى أكلته الأرضة. تابعه عبد الله بن أحمد بن حنبل فقال في زوائد المسند: حدثني عيسى بن سالم أبو سعيد الشاشي في سنة ٢٥١ فذكره بطوله.

ورواه محمد بن سعد في الطبقات فقال: أخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي، ثنا عبيد الله بن عمرو، عن ابن عقيل، عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه فذكره بنحوه وفيه: فأراد رسول الله ﷺ أن يقوم على المنبر فمر إليه فخار الجذع حتى تصدع وانشق، فنزل رسول الله ﷺ فمسحه بيده حتى سكن ثم رجع إلى المنبر وكان إذا صلى إلى ذلك الجذع، فلما هدم وغير أخذ ذلك الجذع أبي بن كعب فكان عنده في داره حتى بلي وأكلته الأرضة وعاد رفاتاً. وأخرج ابن ماجه بنحوه عن

....

إسماعيل بن عبد الله الرقي عن عبيد الله بن عمرو ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن سعيد ابن أبي الربيع السمان، عن سعيد بن سلمة بن أبي الحسام عن ابن عقيل فذكره بطوله.

وأما حديث أنس بن مالك، فأخرجه أحمد في مسند فقال: ثنا هاشم أنا المبارك عن الحسن عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره إلى خشبة فلما كثر الناس قال: ابنوا منبراً فبنوا له فتحول من الخشبة إلى المنبر قال: فأخبرني أنس أنه سمع الخشبة تحنّ حنين الواله. قال: فما زالت تحن حتى نزل رسول الله ﷺ عن المنبر فمشى إليها فاحتضنها فسكنت. وأخرجه عن شيبان بن فروخ عن مبارك بن فضالة عن الحسن عن أنس فذكره مثله، وفي آخره: فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال: يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول ﷺ شوقاً لمكانه من لقيه، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه. تابعهما عبد الله بن المبارك عن المبارك بن فضالة بطوله ورواه أبو يعلى الموصلي عن شيبان بن فروخ، حدثنا همام، عن قتادة، عن الحسن عن أنس بنحوه وفيه: فصعد النبي ﷺ المنبر حنت الجذعة حنين الناقة إلى ولدها حتى نزل رسول الله ﷺ عن المنبر واحتضنها فسكن حنينها، فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث قال: ابن آدم هذه جذعة تحنّ شوقاً إلى رسول الله ﷺ فأنتم أحق بالبكاء إليه. تابعه أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان الباغندي عن شيبان بن فروخ.

ومن طريق حديث أنس ما قال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ثنا محمد بن يسار، ثنا عمر بن يونس، ثنا عكرمة بن عمار، ثنا إسحاق بن أبي طلحة، ثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يقوم يوم الجمعة فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد فيخطب، فجاء رومي فقال: ألا أصنع لك شيئاً تقعد وكأنك قائم فصنع له منبراً له درجتان ويقعد على الثالثة، فلما قعد نبي الله ﷺ خار الجذع خوار الثور حتى ارتج المسجد لخواره حزناً على رسول الله ﷺ، ونزل إليه رسول الله ﷺ من المنبر فالتزمه وهو يخور، فلما التزمه رسول الله ﷺ سكت ثم قال: والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه ما زال هكذا حتى تقوم الساعة حزناً على رسول الله ﷺ فأمر به رسول الله ﷺ فدفن، يعني الجذع. أخرجه الترمذي عن محمود بن غيلان عن عمر بن يونس به.

وأما حديث أبي سعيد الخدري فقد أخرجه عبد بن حميد في مسنده، وتقدم في أثناء سياق حديث جابر.

وأما حديث عائشة فأخرجه الطبراني بإسناد ضعيف أن النبي ﷺ كان يخطب إلى جذع فمر رومي فقال: لو دعاني محمد لجعلت له ما هو أرفق من هذا، فدعاه رسول الله ﷺ فجعل له المنبر أربع مراق الحديث. وأخرجه البيهقي كذلك وفي آخره: أنه خير الجذع بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة.

وأما حديث أبي هريرة فأخرجه محمد بن سعد في الطبقات عن محمد بن عمر الواقدي، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد المجيد بن سهيل، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: كان

وأخبرهم بأنهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه، وهذا مذكور في سورة يقرأ بها في جميع جوامع الإسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة - جهراً - تعظيماً للآية التي فيها.

وأخبر عليه السلام بالغيوب وأنذر عثمان بأن تصيبه بلوى بعدها الجنة، وبأن عماراً

رسول الله ﷺ يوم الجمعة يخطب إلى جذع في المسجد قائماً فقال: إن القيام قد شق عليَّ فقال له تميم الداري: ألا أعمل لك منبراً كما رأيت يصنع بالشام فساق الحديث. وفيه: فجاء رسول الله ﷺ فقام عليه، وقال: منبري هذا على ترعة من ترع الجنة وذكر بقية الحديث.

وأما حديث بريرة فأخرجه الدارمي، وفيه: أن النبي ﷺ قال له: إن شئت أن أردك إلى الحائط الذي كنت فيه فذكر الحديث، وفيه فاصغى له النبي ﷺ يسمع ما يقول، فقال: بل تغرسني في الجنة الحديث.

وأما حديث أم سلمة فأخرجه أبو نعيم في الدلائل. واعلم أن القصة واحدة فما وقع في ألفاظها فما ظاهره التغاير إنما هو من الرواة وعند التحقيق والتأمل يرجع لمعنى واحد، والله أعلم.

(و) من معجزاته ﷺ أن (**دعا طائفة اليهود إلى تمني الموت وأخبرهم بأنهم لا يتمنونه فحيل بينهم وبين النطق بذلك وعجزوا عنه**) قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن عباس: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا» الحديث وللبيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس: «لا يقولها رجل منهم إلا غص بريقه فمات مكانه فأبوا أن يفعلوا» الحديث وإسناده ضعيف.

(**وهذا مذكور في سورة**) من سور القرآن وهي سورة الجمعة وهو قوله تعالى: ﴿ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ [الجمعة: ٧] (**يقرأ بها في جميع جوامع الإسلام من شرق الأرض إلى غربها يوم الجمعة جهراً**) على ملأ من الناس (**تعظيماً للآية التي فيها**) وهي المذكورة آنفاً. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم﴾ [الجمعة: ٧] قال إن سوء العمل يكره الموت شديداً. وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال: عرفوا أن محمداً نبي الله وقالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه.

(و) من معجزاته أنه (**أخبر ﷺ بالغيوب**) جمع غيب وهو كل ما غاب عن الحس ولم يكن عليه علم يهتدي به العقل فيحصل به العلم، (و) جملة ذلك (**أنذر أن عثمان**) بن عفان (**رضي الله عنه تصيبه بلوى بعدها الجنة**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري اهـ.

قلت: أخرجاه من طريق أبي عثمان النهدي عن أبي موسى قال: كنت مع رسول الله ﷺ في حائط من تلك الحوائط إذ جاء رجل فاستفتح الباب فقال: افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فإذا هو عثمان فأخبرته، فقال: والله المستعان.

تقتله الفئة الباغية، وإن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين، وأخبر عليه

ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن معمر أن رسول الله ﷺ كان في حش من حشان المدينة فاستأذن رجل خفيض الصوت فقال رسول الله ﷺ: «أئذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه» فأذنت له وبشرته فإذا هو عثمان فقرب يحمد الله حتى جلس وروي أيضاً من طريق قتادة عن أبي الحجاج عن أبي موسى قال: جاء رجل فاستأذن مرة فقال: «أئذن له وبشره بالجنة في بلوى» فقال عثمان: أسأل الله صبراً.

(و) من جملة ذلك أنذر (**بأن عماراً**) هو ابن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس العنسي يكن أبا اليقظان وأمه سمية بنت خياط، وكانت أمة لأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي، وكان أبو ياسر قدم من اليمن إلى مكة، فحالف أبا حذيفة وزوجه مولاته سمية فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة، وكان سلمة بن الأزرق أخاه لأمه أسلم بمكة قديماً هو وأبوه وكانوا ممن يعذب في الله فمر بهم النبي ﷺ وهم يعذبون، فقال: «صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة». (**تقتله الفئة الباغية**) قال القاضي في شرح المصابيح يريد به معاوية وقومه اهـ.

وأما قول بعضهم المراد أهل مكة الذين عذبوه أول الإسلام فقد تعقبوه بالرد. قال القرطبي: وهذا الحديث من أثبت الأحاديث ولما لم يقدر معاوية على إنكاره قال: إنما قتله من أخرجه، فأجابه علي بأن رسول الله ﷺ إذاً قتل حمزة حين أخرجه. قال ابن دحية: وهذا إلزام مفحم لاجواب عنه وحجة لا اعتراض عليها. وقال الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتاب الإمامة أجمع فقهاء الحجاز والعراق وأهل الحديث والرأي والمتكلمون وسائر أهل العلم أن علياً رضي الله عنه مصيب في قتاله لأهل صفين وأهل الجمل، وأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له لكنهم لا يكفرون. وبمثل هذا قال الإمام أبو منصور الماتريـدي في كتاب الفرق. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي قتادة وأم سلمة والبخاري من حديث أبي سعيد اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد وابن حبان في الصحيح، ولفظهم: كنا نحمل في بناء المسجد لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقوله: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار» قال السيوطي في الخصائص: هذا متواتر رواه من الصحابة بضعة عشر، ويروى: «ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية» رواه هكذا أبو يعلى والبزار والحاكم عن حذيفة وابن مسعود معاً. ورواه أبو يعلى أيضاً من حديث أبي هريرة، ورواه ابن عساكر من حديث أم سلمة، ورواه الخطيب من حديث عمرو بن العاص، ويروى: «عمار تقتله الفئة الباغية» رواه هكذا أبو نعيم في الحلية والخطيب من حديث أبي قتادة، ورواه الطبراني أيضاً لكن بزيادة الناكبة عن الحق، ويروى من حديث أبي أيوب: «تقتل عماراً الفئة الباغية». وأخرج ابن سعد في الطبقات من طريق عمارة بن خزيمة بن ثابت قال: شهد خزيمة الجمل وهو لا يسل سيفاً وشهد صفين وقال: أنا لا أضل أبداً حتى يقتل عمار فانظر من يقتل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتله الفئة الباغية» قال: فلما قتل عمار قال خزيمة: قد بانت لي الضلالة، ثم اقترب فقاتل حتى

الصلاة والسلام عن رجل قاتل في سبيل الله انه من أهل النار، فظهر ذلك بأن ذلك

قتل وكان الذي قتل عماراً أبا خاوية المزني طعنه برمح فسقط، وكان يومئذ يقاتل في محفة فقتل يومئذ وهو ابن أربع وتسعين سنة ودفن هنالك.

تنبيه:

وجد بخط الحافظ ابن رجب الحنبلي ما نصه: ليس في أكثر نسخ البخاري من حديث أبي سعيد: «تقتله الفئة الباغية». وإنما وجد في بعض النسخ، ووجد بخط الحافظ ابن حجر تحته قلت: وليس هو في روايتنا. والله أعلم.

(و) من جلة ذلك أنه ﷺ أخبر (**أن**) ابنه (**الحسن**) أبا محمد عليه السلام (**يصلح الله به**) أي بسبب عزله لنفسه عن الخلافة (**بين فئتين عظيمتين من المسلمين**) وكان كذلك فإنه رضي الله عنه لما بويع له بعد أبيه وصار هو الإمام الحق مدة أشهر تكملة للثلاثين سنة التي أخبر النبي ﷺ أنها مدة الخلافة بعده يكون ملكاً عضوضاً، ثم سار إلى معاوية بأربعين ألفاً بايعوه على الموت فلما تراءى الجمعان على أنه لا يغلب أحدهما حتى يقتل الفريق الآخر، فنزل له عن الخلافة لا لقلة ولا لذلة بل رحمة للأمة، واشترط على معاوية شروطاً التزمها. وقال ابن بطال وغيره: ولم يوف له بشيء منها وصار معاوية من يومئذ خليفة، ولما خيف من طول عمر الحسن أرسل يزيد إلى زوجته جعدة إن هي سمته تزوجها ففعلت فأرسلت تستخبر فقال: إنا لم نرضك له فنرضاك لنا وفيه منقبة للحسن رضي الله عنه ورد على الخوارج الزاعمين كفر علي وشيعته ومعاوية ومن معه لقوله من المسلمين. قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي بكر اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني كلهم من حديث الحسن عن أبي بكرة، وفي سماع الحسن منه اختلاف، والأصح أنه سمع ولفظهم جميعاً: «أن ابني هذا سيد» وفي رواية: «لسيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين».

(و) من ذلك أنه ﷺ (**أخبر عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار فظهر ذلك بأن قتل ذلك الرجل نفسه**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة وسهل بن سعد اهـ.

قلت: أمّا حديث أبي هريرة فأخرجه البخاري عن أبي اليمان عن شعيب بن أبي حمزة عن ابن المسيب عن الزهري عن أبي هريرة. وأخرجه البيهقي في الدلائل من طريق عثمان بن سعيد، وعلي ابن محمد بن عيسى واللفظ لهما كلاهما عن أبي اليمان ولفظهما. قال أبو هريرة: شهدنا عشاء مع رسول الله ﷺ خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعي بالإسلام: «إن هذا من أهل النار» فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثر به الجراح فأثبتته فجاء رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله رأيت الذي ذكرت أنه من أهل النار قد والله قاتل في سبيل الله أشد القتال وكثرت به الجراح، فقال رسول الله ﷺ: «أما أنه من أهل النار» فكان بعض الناس ارتاب، فبينا هو كذلك وجد الرجل ألم الجراح هوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها سهماً فانتحر

الرجل قتل نفسه وهذه كلها أشياء الهية لا تعرف البتة بشيء من وجوه تقدمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكشف ولا بخط ولا بزجر، لكن بإعلام الله تعالى له ووحيه إليه.

بها، فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله صدق الله حديثك قد انتحر فلان فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال قم فأذن لا يدخل الجنة إلا مؤمن وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» قال البخاري تابعه معمر عن الزهري. قال البيهقي: ومن ذلك الوجه وقال يونس عن الزهري حنين وفي آخر هذا الحديث كالدلالة على أن الرجل استحل قتل نفسه أو علم رسول الله ﷺ منه نفاقاً.

وأما حديث سهل بن سعد: فرواه البخاري عن عبد الله بن مسلمة عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن سهل بن سعد، وأخرجه هو ومسلم من طريق يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم، وأخرجه الإسماعيلي في الصحيح، وفي طريقه البيهقي في الدلائل عن الحسن بن سفيان والقاسم قالا: حدثنا محمد بن الصباح واللفظ له قال: حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ولفظه: أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا فمال كل قوم إلى عسكرهم، وفي المسلمين رجل لا يدع للمشركين شاذة ولا فاذة إلا أتبعها يضربها بسيفه فقيل: يا رسول الله ما أجزى أحد اليوم ما أجزى فلان. فقال: «أما أنه من أهل النار» فقال رجل: والله لا يموت على هذه الحال أبداً فاتبعه كلما أسرع أسرع، وإذا أبطأ أبطأ معه حتى جرح فاشتدت جراحته واستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أشهد أنك لرسول الله. قال: «وما ذاك» فأخبره بالذي كان من أمره، فقال النبي ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار، وإنه يعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وإنه من أهل الجنة».

قلت: واختلف في اسم هذا الرجل فقيل: هو قزمان بن الحرث حليف بني مظفر، قال ابن قتيبة في المعارف: هو الذي قتل نفسه وكان منافقاً وفيه قال النبي ﷺ: «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» وقال غيره: إن هذا الرجل قتل نفسه يوم أحد، وقيل أنه صرح بالكفر. وذكر ابن إسحاق والواقدي قصته أنه كان شجاعاً معروفاً في حروبهم وأنه لما أصابته الجراح قيل له: هنيئاً لك يا أبا الغيداق بالجنة. قال: والله ما قتلنا إلا على الاحساب وأنه قتل نفسه وبمجموع ما ذكرنا يظهر أن القصة تعددت، والله أعلم.

(وهذه كلها أشياء لا تعرف البتة بشيء من وجوه تقدمت المعرفة بها لا بنجوم ولا بكتف ولا بخط ولا بزجر) كما كانت أهل الجاهلية تفعله، فكان بعضهم ينظر في النجوم وما في أحكامها من التسديس والتثليث والتربيع والمقابلة، ومنهم من ينظر في الكتف فيخبر عن حوادث كونية، ومنهم من يخط على الرمل خطوطاً فيخبر به عن غائب، ومنهم من يزجر الطيـور والسوانح والبوارح فيخبر بها عن أمور ستقع، وكل ذلك حرمها الشارع وأبطل الاشتغال بها. **(لكن بإعلام الله تعالى له)** وتعريفه إياه **(ووحيه إليه)**.

واتبعه سراقة بن مالك فساخت قدما فرسه في الأرض، وأتبعه دخان حتى استغاثه فدعا له فانطلق الفرس، وأنذره بأن سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى، فكان كذلك. وأخبر بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله، وخرج على

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**اتبعه**) حال مهاجرته إلى المدينة (**سراقة**) بن مالك (**بن جعشم**) بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكناني المدلجي، وقد ينسب إلى جده كما عند المصنف يكني أبا سفيان كان ينزل قديداً، (**فساخت**) أي غارت (**فرسه في الأرض واتبعه دخان**) أي غبار من الأرض أي مع يبوسة الأرض ولا تسوخ قوائم الفرس في العادة إلا إذا كانت الأرض ندية (**حتى استغاثه**) وأنه لا يدل عليه، (**فدعا له فانطلقت الفرس**) وكتب له أمانا وأسلم يوم الفتح. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي بكر الصديق اهـ.

قلت وروى البخاري هذه القصة من طريق البراء بن عازب عن أبي بكر الصديق، وفي هذه القصة يقول سراقة مخاطباً لابي جهل:

أباحكم والله لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

(**وأنذره**) ﷺ (**بأن سيوضع في ذراعيه سوارا كسرى فكان ذلك**) رواه ابن عيينة عن إسرائيل أبي موسى عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال لسراقة بن مالك: «كيف بك إذا لبست سواري كسرى» قال: فلما أتى عمر بسواري كسرى ومنطقته وتاجه دعا سراقة فألبسه، وكان رجلاً أذب كثير شعر الساعدين فقال له: «أرفع يديك وقل الحمد لله الذي سلبهما كسرى ابن هرمز وألبسهما سراقة الأعرابي» روى ذلك عنه ابن أخيه عبد الرحمن بن مالك بن جعشم، وروى عنه أيضاً ابن عباس وجابر وسعيد بن المسيب وطاوس قال ابن عمر: مات سراقة في حلافة عثمان سنة أربع وعشرين.

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**أخبر بمقتل الأسود العنسي**) بفتح العين المهملة وسكون النون أي قبيلة من اليمن (**الكذاب**) لكونه كان ادعى النبوة باليمن، وكان قد أهمه ﷺ أمره (**ليلة قتله وهو بصنعاء اليمن وأخبر بمن قتله**) قال العراقي: هو مذكور في السير، والذي قتله هو فيروز الديلمي، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحي إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي، فكان أحدهما العنسي صاحب صنعاء الحديث اهـ.

قلت: أخرج سيف في الفتوح من طريق ابن عمر أن النبي ﷺ بشرهم بموت الأسود العنسي قبل أن يموت. وقال لهم قتله فيروز الديلمي، وفيروز هذا وفد على رسول الله ﷺ، وروي عنه أحاديث، ثم رجع إلى اليمن وأعان على قتل الأسود. وأخرج الجوزجاني من طريق حمزة عن يحيى

مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه، وشكا إليه البعير بحضرة

ابن أبي عمر والشيباني عن أبيه عن عبد الله بن الديلمي عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ برأس الأسود العنسي الكذاب.

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**خرج على مائة من قريش ينتظرونه فوضع التراب على رؤوسهم ولم يروه**) قال العراقي: رواه ابن مردويه بسند ضعيف من حديث ابن عباس وليس فيه أنهم كانوا مائة، وكذلك رواه ابن إسحاق من حديث محمد بن كعب القرظي مرسلاً اهـ.

قلت: ولفظ السيرة: ثم أجتمع رأي قريش على قتله ﷺ وتفرقوا على ذلك، وفيه: ثم خرج ﷺ وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤوسهم كلهم تراباً كان في يده وهو يتلو قوله تعالى ﴿يس﴾ إلى قوله ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ [يس: ١، ٩].

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**شكا إليه البعير بحضرة أصحابه وتذلل له**) قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عبد الله بن جعفر في أثناء حديث وفيه: فإنه شكا إلي تجيعه وتدئبه، وأول الحديث رواه مسلم دون قصة البعير اهـ.

قلت: حديث عبد الله بن جعفر أخرجه ابن شاهين في الدلائل. قال: أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسر إليَّ حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس. قال: وكان ما استتر به النبي ﷺ لحاجته هدف أو حائش نخل، فدخل حائط رجل من الأنصار، فإذا جمل فلما رأى النبي ﷺ حن فذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح جرانه فسكن، ثم قال: من رب هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هذا لي يا رسول الله فقال: الا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا إلى إنك تجيعه وتدئبه وهو حديث صحيح. ورواه أبو داود عن موسى ابن إسماعيل عن مهدي بن ميمون وقد رويت هذه القصة من وجه آخر. روى أحمد والبغوي في شرح السنة من حديث يعلى بن مرة الثقفي: بينا نحن نسير مع النبي ﷺ إذ مرَّ بنا بعير يسقى عليه، فلما رآه البعير جرجر فوضع جرانه. فوقف عليه النبي ﷺ فقال: «اين صاحب البعير» فجاءه، فقال «بعنيه» فقال. بل نهبه لك يا رسول الله وإنه لأهل بيت ما لهم معيشة غيره، فقال: «أما إذا ذكرت هذا من أمره فإنه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه». وقد روى في قصة سجود الجمل له روى أحمد والنسائي من حديث أنس قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسقون عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وأن الانصار جاؤوا إلى النبي ﷺ فقالوا: إنه كان لنا جمل نسقي عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره، وقد عطش النخل والزرع فقال رسول الله ﷺ لأصحابه «قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى رسول الله ﷺ نحوه، فقالت الانصار: يا رسول الله قد صار مثل الكلب وإنا نخاف عليك صولته. فقال رسول الله ﷺ: «ليس عليَّ منه بأس» فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خرَّ ساجداً بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله في العمل الحديث.

أصحابه وتذلل له ، وقال لنفر من أصحابه مجتمعين : « أحدكم في النار ضرسه مثل أحد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتداً » . وقال لآخرين منهم : آخركم موتا في النار ؛ فسقط آخرهم موتاً في النار فاحترق فيها فمات ، ودعا شجرتين فأتتاه

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(قال لنفر من أصحابه)** كانوا **(مجتمعين :أحدكم ضرسه في النار مثل)** جبل **(أحد فماتوا كلهم على استقامة وارتد منهم واحد فقتل مرتداً)** قال العراقي : ذكره الدارقطني في المؤتلف والمختلف من حديث أبي هريرة بغير إسناد في ترجمة الرجال ابن عنفوت وهو الذي ارتد وهو بالجيم . وذكره عبد الغني بالحاء المهملة وسبقه لذلك الواقدي والمدائني ، والأول أصح وأكثر كما ذكره الدارقطني ، وابن ماكولا ووصله الطبراني من حديث رافع بن خديج بلفظ : أحد هؤلاء النفر في النار ، وفيه الواقدي عن عبد الله بن نوح متروك اهـ .

قلت : وعنفوت بنون وفاء ذكر ابن أبي حاتم انه قدم في وفد بني حنيفة وكانوا بضعة عشر رجلاً فأسلموا . سمعت أبي يقول ذلك قال الحافظ ، ولكنه ارتد وقتل على الكفر ، فروى سيف بن عمر في الفتوح عن مخلد بن قيس البجلي قال : خرج فرات بن حبان والرجال بن عنفوت وأبو هريرة من عند رسول الله ﷺ فقال : « لضرس أحدهم في النار أعظم من أحد وأن معهم لقفا عادر فبلغهم ذلك إلى أن بلغ أبا هريرة ، وفراتاً قتل الرجال فخرا ساجدين .

وروى الواقدي عن رافع بن خديج قال : كان في الرجال ابن عنفوت من الخشوع ، ولزوم قراءة القرآن والخير فيما يرى النبي ﷺ شيء عجيب ، فخرج علينا يوماً والرجال معنا جالس فقال : أحد هؤلاء النفر في النار قال : رافع فنظرت فإذا هم أبو هريرة ، وأبو روى والطفيل بن عمرو ، والرجال ، فجعلت أنظر وأتعجب ، فلما ارتدت بنو حنيفة سألت ما فعل الرجال قالوا : افتتن شهد لمسيلمة أن رسول ﷺ أشركه في الأمر ، فقلت : ما قال رسول الله ﷺ هو الحق . قالوا : وكان الرجال يقول كبشان انتطحا فأحبها إلينا كبشنا يعني مسيلمة ورسول الله ﷺ .

(و)من معجزاته ﷺ أنه **(قال لآخرين منهم)** أي من الصحابة : **(آخركم موتاً في النار فسقط آخرهم موتاً في نار ، فاحترق فيها فمات)** قال العراقي : رواه الطبراني والبيهقي في الدلائل من حديث أبي محذورة ، وفي رواية البيهقي : آخرهم موتاً سمرة بن جندب ولم يذكر انه احترق ، ورواه من حديث أبي هريرة نحوه ورواته ثقات . وقال ابن عبد البر : إنه سقط في قدر مملوءة ماء حاراً فمات . وروى ذلك باسناد متصل إلا أن فيه داود بن المجبر وقد ضعفه الجمهور اهـ .

قلت : لفظ ابن عبد البر بعد قوله : فمات ، فكان ذلك تصديقاً لقول رسول الله ﷺ له ولأبي هريرة ولأبي محذورة آخركم موتاً في النار . وقال المزي في التهذيب : كانت وفاته بالبصرة سنة ثمان وخمسين سقط في قدر مملوءة ماء حاراً كان يتعالج بالقعود عليها من كزاز شديد أصابه فسقط في القدر الحارة فمات تصديقاً لقول رسول الله ﷺ له ولأبي هريرة ، وثالث معهما آخركم موتاً في النار .

واجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا. وكان عليه الصلاة والسلام نحو الربعة فإذا مشى مع الطوال طالهم، ودعا عليه السلام النصارى إلى المباهلة فامتنعوا فعرفهم ﷺ أنهم إن فعلوا ذلك هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا، وأتاه عامر بن الطفيل بن مالك واربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم عازمين على قتله عليه السلام، فحيل بينهما وبين ذلك ودعا

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(دعا شجرتين فاتتاه فاجتمعتا ثم أمرهما فافترقتا)** قال العراقي: رواه أحمد من حديث يعلى بن مرة بسند صحيح اهـ.

قلت: ورواه أحمد من طريق أبي سفيان بن طلحة بن نافع وهو تابعي عن يعلى بن مرة قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة، فقال له: ما لك؟ فقال رسول الله ﷺ «فعل بي هؤلاء وفعلوا» فقال له جبريل: أتحب أن أريك آية؟ فقال: نعم. قال: فنظر إلى شجرة من وراء الوادي فقال: إدع إلى تلك الشجرة فدعاها. قال: فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه، فقال: مرها فلترجع إلى مكانها فأمرها فرجعت إلى مكانها. فقال رسول الله ﷺ «حسبي حسبي» ورواه الدارمي من حديث أنس.

وأخرج الترمذي وصححه من حديث ابن عباس قال: جاء اعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: بم أعرف انك نبي الله؟ قال: إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة تشهد أني رسول الله؟ قال: نعم فدعاه رسول الله ﷺ فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي ﷺ ثم قال: ارفع فعاد. فأسلم الأعرابي.

وقد روى مسلم من حديث جابر بنحوه قال: سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيح فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته بأداوة من ماء فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به فإذا شجرتان في شاطيء الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي عليَّ بإذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده ثم فعل بالأخرى كذلك حتى إذا كان بالنصف قال التئما عليَّ بإذن الله تعالى فالتأمتا.

(و) من معجزاته ﷺ إنه **(دعا)** طائفة **(النصارى إلى المباهلة)** أي الملاعنة **(فامتنعوا)** عن ذلك، **(وأخبر)** ﷺ **(انهم إن فعلوا)** ذلك **(هلكوا فعلموا صحة قوله فامتنعوا)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن عباس في أثناء حديث: ولو خرج الذين يباهون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً.

(وأتاه عامر بن الطفيل) بن مالك بن جعفر الكلابي **(وأربد بن قيس وهما فارسا العرب وفاتكاهم)** والفتك: هو الأخذ بقوة وبطش **(عازمين)** أي قاصدين **(على قتله ﷺ فحيل**

عليها فهلك عامر بغدة وهلك إربد بصاعقة أحرقته ، وأخبر عليه السلام انه يقتل أبي بن خلف الجمحي فخدشه يوم أُحُد خدشاً لطيفاً فكانت منيته فيه .

وأطعم عليه الصلاة والسلام السم فمات الذي أكله معه وعاش هو ﷺ بعده أربع سنين ، وكلمه الذراع المسموم .

بينها وبين ذلك فدعا ﷺ عليها فهلك عامر بغدة، وهلك أربد بصاعقة أحرقته) قال العراقي : رواه الطبراني في الأكبر والأوسط من حديث ابن عباس بطوله بسند فيه لين اهـ .

قلـت : عامر بن الطفيل رئيس بني عامر في الجاهلية وقصة قدومه على النبي ﷺ مشهورة فإنه قدم على النبي ﷺ وهو ابن ثمانين سنة فقال له : أبايعك على أن لي كذا وكذا وذكر شروطاً ، فامتنع النبي ﷺ ودعا عليه فأصابته غدة ، فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية .

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**أخبر أنه يقتل أبي بن خلف**) بن ربيعة بن حذافة بن جهم (**الجمحي**) القرشي وكان قد حضر مع المشركين يوم أحد وهو أخو أمية والمغيرة وعامر وأحيحة ، (**فخدشه خدشاً لطيفاً فكانت منيته**) قال العراقي : رواه البيهقي في الدلائل من رواية سعيد بن المسيب ، ومن رواية عروة بن الزبير مرسلاً اهـ .

قلـت : والذي في الدلائل إنه لما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبيّ بن خلف وهو يقول : أين محمد لانجوت إن نجا ؟ فقالوا : يا رسول الله يعطف عليه رجل منا . فقال ﷺ : دعوه فلما دنا تناول النبي ﷺ الحربة من الحرث بن الصمت ، فلما أخذها ﷺ انتفض بها انتفاضاً تطايروا عنه تطاير الشعرات عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله ﷺ فطعنه طعنة وقع بها عن ظهر فرسه ولم يخرج له دم فكسر ضلعاً من أضلاعه ، فلما رجع إلى قريش قال قتلني والله محمد . أليس قد كان قال بمكة : أنا أقتلك . فوالله لو بصق عليَّ لقتلني فمات عدوّ الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة . ورواه أيضاً أبو نعيم في الدلائل ولم يذكر فكسر ضلعاً من أضلاعه . قال الواقدي : وكان ابن عمر يقول : فمات أبي بن خلف ببطن رابغ ، فإني لأسير ببطن رابغ بعد هوى من الليل إذ نار تأرجح لي فهبتها ، وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتن بها يصيح العطش ، وإذا رجل يقول لا تسقه ، فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ هذا أبيّ بن خلف ، ورواه البيهقي أيضاً .

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**أطعم السم فمات الذي أكله معه وعاش هو ﷺ أربع سنين ، وكلمه الذراع المسموم**) قال العراقي : رواه أبو داود من حديث جابر ، وفي رواية مرسلة أن الذي مات بشر بن البراء . وفي الصحيحين من حديث أنس أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها الحديث ، وفيه : فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله ﷺ اهـ .

قلـت : حديث أنس رواه البخاري عن عبد الله بن عبد الوهاب الجمحي ، حدثنا خالد بن الحرث ، ثنا شعبة ، عن هشام بن زيد ، عن أنس . ورواه مسلم عن يحي بن حبيب بن عربي عن خالد بن الحرث وقد تقدم ذكره في أول هذا الكتاب عند عفوه ﷺ .

....

وأما حديث جابر فلفظه: أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله ﷺ فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ «ارفعوا أيديكم» وارسل رسول الله ﷺ إلى اليهودية فدعاها فقال لها: أسممت هذه الشاة؟ قالت له اليهودية: من أخبرك؟ قال: أخبرتني هذه في يدي الذراع. قالت: نعم. قال: فما أردت إلى ذلك. قالت: قلت إن كان نبياً فلن يضره، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه فعفا عنها رسول الله ﷺ ولم يعاقبها. وتوفي بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة حجمة أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضة من الأنصار. هكذا رواه أبو داود في سننه عن سليمان بن داود المهري، ثنا ابن وهب، أخبرنا عن ابن شهاب قال: كان جابر بن عبد الله يحدث فساق الحديث. وقول العراقي في رواية مرسلة الخ يشير إلى ما رواه أبو داود أيضاً. فقال: ثنا وهب بن بقية، أخبرنا خالد عن محمد بن عمر، وعن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية نحو حديث جابر. قال: فمات بشر بن البراء بن معرور فأرسل إلى اليهودية: ما حملك على الذي صنعت؟ فذكر نحو حديث جابر، وأمر بها رسول الله ﷺ فقتلت، ولم يذكر أمر الحجامة.

قال البيهقي في الدلائل: ورويناه عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة، ويحتمل إنه لم يقتلها في الابتداء ثم لما مات بشر أمر بقتلها. وأخرج البيهقي أيضاً من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: لما فتح رسول الله ﷺ خيبر وقتل من قتل منهم أهدت زينب بنت الحرث اليهودية وهي ابنة أخي مرهب لصفية شاة مصلية وسمتها وأكثرت في الكتف والذراع لأنه بلغها أنه أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ على صفية ومعه بشر ابن البراء بن معرور وأخو بني سلمة، فقدمت إليهم الشاة المصلية، فتناول رسول الله ﷺ الكتف وانتهش منها، وتناول بشر بن البراء عظماً فانتهش منه، فلما استرط رسول الله ﷺ لقمته استرط بشر بن البراء ما في فيه! فقال رسول الله ﷺ «ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة إن قد نعيت فيها» فقال بشر بن البراء: والذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي التي أكلت فما منعني أن ألفظها إلا أني أعظمت أن أنغصك طعامك، فلما أسغت ما في فيك لم أكن لأرغب بنفسي عن نفسك، ورجوت أن لا تكون استرطتها وفيها نعي فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه مثل الطيلسان وماطله وجعه حتى كان لا يتحول إلا ما حول. قال: وفي رواية ابن فليح، قال الزهري: قال جابر وبقي رسول الله ﷺ بعده ثلاث سنين كان وجعه الذي توفي فيه، فقال: «ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر عداء حتى كان هذا أوان انقطع الابهر مني» فتوفي رسول الله ﷺ شهيداً هذا لفظ حديث موسى بن عقبة.

ورواه البيهقي أيضاً من طريق معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: أن امرأة يهودية أهدت إلى النبي ﷺ شاة مصلية بخيبر فقال: «ما هذا؟» فقالت: هدية وحذرت أن

وأخبر عليه الصلاة والسلام يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلاً رجلاً، فلم يتعدّ واحد منهم ذلك الموضع، وأنذر عليه الصلاة والسلام بأن طوائف من أمته يغزون في البحر فكان كذلك، وزويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها

تقول من الصدقة فلا يأكل ثم ساق الحديث. وفي آخره «فاحتجم النبي ﷺ على كاهله وأمر أصحابه فاحتجموا فمات بعضهم. قال الزهري: فأسلمت فتركها النبي ﷺ، وأما الناس فيقولون قتلها النبي ﷺ.

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**أخبر يوم بدر بمصارع صناديد قريش ووقفهم على مصارعهم رجلاً رجلاً فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب اهـ.

قلت: رواه مسلم عن شيبان، وغيره عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: تراءينا الهلال فما من الناس أحد يزعم أنه رآه غيري فقلت لعمر: يا أمير المؤمنين اما تراه وجعلت أريه إياه، فلما أعيا أن يراه قال: فأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن يوم بدر فقال: إن رسول الله ﷺ ليخبرنا عن مصارع القوم بالأمس هذا مصرع فلان إن شاء الله غداً. هذا مصرع فلان إن شاء الله غداً. فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا تلك الحدود، وجعلوا يصرعون عليها، ثم القوا في القليب الحديث. ورواه أبو داود والطيالسي عن سليمان بن المغيرة.

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**انذر أن طوائف من أمته يغزون في البحر فكان كذلك**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أم حرام اهـ.

قلت: رواه البخاري من طريق الموطأ لمالك عن إسحاق بن أبي طلحة عن أنس أن النبي ﷺ كان إذا ذهب يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه فدخل عليها فأطعمته وجلست تفلي رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك الحديث في شهداء البحر، وفي آخره: قال فركبت ام حرام البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فماتت. وفي بعض طرقه في البخاري عن أنس عن أم حرام بنت ملحان، وكانت خالته أن رسول الله ﷺ نام في بيتها فاستيقظ وهو يضحك. وقال: عرض عليَّ أناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسَرَّة. قالت: فقلت يا رسول الله إن يجعلني منهم. قال: إنك منهم ثم نام فاستيقظ وهو يضحك، فقلت: يا رسول الله ما يضحكك؟ قال: عرض عليَّ ناس من أمتي يركبون ظهر البحر الأخضر كالملوك على الأسَرَّة قلت: يا رسول الله أدع ان يجعلني منهم. قال: أنت من الأوّلين. قال: فتزوّجها عبادة ابن الصامت، فأخرجها معه فلما جاز البحر ركبت دابة فصرعتها فقتلتها. قال ابن الأثير: وكانت تلك الغزوة غزوة قبرس فدفنت فيها، وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان، وكان معه أبو ذر وأبو الدرداء وغيرهما من الصحابة وذلك في سنة سبع وعشرين.

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**زويت له الأرض فأري مشارقها ومغاربها وأخبر بأن ملك**

وأخبر بأن ملك أمته سيبلغ ما زوي له منها ، فكان كذلك فقد بلغ ملكهم من أوّل المشرق: من بلاد الترك إلى آخر المغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال ـ كما أخبر ﷺ سواء بسواء ـ وأخبر فاطمة ابنته رضي الله عنها بأنها أوّل أهله لحاقاً به ، فكان كذلك . وأخبر نساءه بأن أطولهن يداً أسرعهن لحاقاً به ، فكانت زينب بنت جحش الأسدية أطولهن يداً بالصدقة وأوّلهن لحوقاً به رضي الله عنها .

أمته سيبلغ ما زوي منها فكان ذلك كما أخبر ، فقد بلغ ملكهم من أوّل المشرق من بلاد الترك إلى آخر المغرب من بلاد الاندلس) بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الدال وضم اللام إقليم المغرب ، **(وبلاد البربر ولم يتسعوا في الجنوب ولا في الشمال)** . قال العراقي : رواه مسلم من حديث ثوبان .

(و) من معجزاته ﷺ **(أخبر فاطمة ابنته رضوان الله عليها)** وهي الزهراء تكنى بأم أبيها . ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد أبيها ﷺ وهي أصغر البنات **(بإنها أول أهله لحاقاً به فكان كذلك)** فإنها توفيت بعده بستة أشهر رواه البخاري في الصحيح عن عائشة . قال الواقدي : وهو المثبت . وروى الحميدي عن سفيان عن عمرو بن دينار وأنها بقيت بعده ثلاثة أيام ، وقال غيره ، أربعة أشهر ، وقيل : شهرين وعند الدولابي في الذرية الطاهرة خمسة وتسعون يوماً . قال العراقي : متفق عليه من حديث عائشة وفاطمة أيضاً اهـ .

قلت : أخرجاه من طريق مسروق عن عائشة « أقبلت فاطمة تمشي كأن مشية رسول الله ﷺ فقال : مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه ثم أسرَّ إليها حديثاً فبكت ثم أسرَّ إليها حديثاً فضحكت ، فقلت : ما رأيت كاليوم أقرب فرحاً من حزن فسألتها عما قال فقالت : ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سرّه ، فلما قبض سألتها فأخبرتني أنه قال : إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة وأنه عارضني العام مرتين ، وما أراه إلا وقد حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحوقاً بي ونعم السلف انا لك فبكيت ، فقال : ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين ؟ فضحكت » .

وأخرجه أبو يعلى من حديث أم سلمة قالت « جاءت فاطمة إلى النبي ﷺ فسألتها عنه فقالت أخبرني انه مقبوض في هذه السنة فبكيت ، فقال : ما يسرك أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم فضحكت » .

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(أخبر نساءه بأن أطولهن يداً أسرعهن لحاقاً به فكانت زينب بنت جحش)** بن رياب بن يعمر **(الأسدية)** أخت عبد الله وحمنة وأم حبيبة بني جحش أمهم أميمة عمة النبي ﷺ **(أطولهنّ يداً بالصدقة وأوّلهن لحاقاً به)** قال العراقي : رواه مسلم من حديث عائشة وفي الصحيحين أن سودة كانت أولهن لحوقاً به . قال ابن الجوزي : وهذا غلط من الرواة بلا شك اهـ .

ومسح ضرع شاة حائل لا لبن لها فدرّت، وكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود رضي الله عنه. وفعل ذلك مرة أخرى في خيمة أم معبد الخزاعية. وندرت عين بعض أصحابه

قلت: وفي الصحيحين واللفظ لمسلم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً» قال فكن يتطاولن أيتهن أطول يداً. قالت: وكانت أطولنا يداً زينب لأنها كانت تعمل بيديها وتتصدق، ومن طريق يحي بن سعيد عن عمرة عن عائشة نحوه وفيه قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش، وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا فعرفنا حينئذ أن النبي ﷺ إنما أراد طول اليد بالصدقة، وكانت زينب امرأة صناع باليدين، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق في سبيل الله.

وروى ابن سعد بسند فيه الواقدي عن القاسم بن محمد قال: قالت زينب حين حضرتها الوفاة إني قد اعددت كفني وإن عمر سيبعث إليَّ بكفن فتصدقوا بأحدهما وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوي فافعلوا. ومن وجه آخر عن عمرة قالت: بعث عمر بخمسة أثواب فكفنت منها وتصدقت عنها أختي حمنة بكفنها الذي كانت أعدته. قالت عمرة: فسمعت عائشة تقول لقد ذهبت حميدة سعيدة مفزع اليتامي والأرامل، وأخرج أيضاً بسند فيه الواقدي عن محمد بن كعب كان عطاء زينب بنت جحش اثني عشر ألفاً لم تأخذه إلا عاماً واحداً فجعلت تقول: اللهم لا يدركني هذا المال قابلاً فإنه فتنة ثم قسمته في أهل الحاجة، فبلغ عمر فقال: هذه امرأة يراد بها خيراً فوقف عليها وأرسل السلام وقال: بلغني ما فرقت فأرسل بألف درهم يستبقيها فسلكت به ذلك المسلك. قال الواقدي: ماتت سنة عشرين. وأخرج الطبراني من طريق الشعبي أن عبد الرحمن بن ابزى أخبره أنه صلّى مع عمر على زينب بنت جحش وكانت أوّل نساء النبي ﷺ ماتت بعده.

(و) من معجزاته ﷺ أنه (**مسح ضرع شاة حائل**) يقال حالت الشاة وكذا الناقة والمرأة وكل أنثى حيالاً بالكسر لم تحمل فهي حائل (**لا لبن لها فدرت**) اللبن، (**فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعود**) قال العراقي: رواه أحمد من حديث ابن مسعود باسناد جيد اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الطبراني في المعجم الصغير من حديثه كنت في غنم لآل عقبة بن أبي معيط فجاء رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر فقال رسول الله ﷺ «هل عندك لبن»؟ قلت: نعم لكن مؤتمن عليها. قال: «فهل عندك من شاة لم ينزع عليها الفحل». قلت: نعم. فأتيته بشاة فمسح النبي ﷺ مكان الضرع بيده وهو يدعو وما كان لها ضرع فإذا ضرع حافل مملوء لبناً فأتيت النبي ﷺ بصخرة منقعرة فأحلبت الشاة فسقى أبا بكر ثم سقاني ثم شرب، ثم قال للضرع: «اقلص» فرجع كما كان، فلما رأيت هذا قلت: يا رسول الله علمني فمسح رأسي وقال «بارك الله فيك فإنك غلام معلم».

(**وفعل ذلك**) ﷺ (**مرة أخرى في خيمة أم معبد**) عاتكة بنت خلف (**الخزاعية**)

تقدم حديث أم معبد هذه في ذكر حليته الشريفة، وأشرت هناك أنه قد رويت هذه القصة أيضاً من حديث أبي معبد وهو زوجها فلنسقها هنا:

أخرج البيهقي في الدلائل من طريق الحسن بن مكرم قال: حدثني أبو أحمد بشر بن محمد السكري، ثنا عبد الملك بن وهب المذحجي، ثنا الحر بن الصباح، عن أبي معبد الخزاعي أن رسول الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الرحمن بن أريقط الليثي، فمروا بخيمة أم معبد، وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتبي وتجلس بفناء الخيمة فتطعم وتسقي فسألوها هل معها لحم أو لبن يشترونه منها، فلم يجدوا عندها شيئاً من ذلك. فقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى، وإذا القوم مرملون مسنتون، فنظر رسول الله ﷺ وإذا شاة في كسر خيمتها فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال: فهل لها من لبن؟ قالت: بأبي وأمي هي أجهد من ذلك. قال: تأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: إن كان بها حلب فاحلبها. قال: فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسحها وذكر اسم الله تعالى ومسح ضرعها وذكر اسم الله تعالى ودعا باناء لها بربض الرهط، فتفاجت ودرت واجترت فحلب فيها ثجاً حتى علاه الثمال فسقاها وسقى أصحابه فشربوا عللاً بعد نهل حتى أراضوا وشرب آخرهم. وقال: «ساقي القوم آخرهم» ثم حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره عندها ثم ارتحلوا الحديث.

وأخرج البيهقي أيضاً من طريق محمد بن عمران بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وأسد بن موسى كلاهما عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: حدثنا عبد الرحمن الأصبهاني قال: سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي بكر رضي الله عنه قال: خرجت مع رسول الله ﷺ من مكة فانتهينا إلى حي من أحياء العرب فنظر رسول الله ﷺ إلى بيت متنحياً فقصد إليه، فلما نزلنا لم يكن فيه إلاّ امرأة فقالت: يا عبد الله إنما أنا امرأة وليس معي أحد فعليكما بعظيم الحي إن أردتم القرى. قال: فلم يجبها وذلك عند المساء، فجاء ابن لها بأعنز له يسوقها فقالت له: يا بني انطلق بهذا العنز والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما: تقول لكما أمي إذبحا هذه وكلا واطعمانا، فلما جاء قال له النبي ﷺ انطلق بالشفرة وجئني بالقدح. قال: إنها قد عزفت وليس لها لبن. قال: انطلق فانطلق فجاء بقدح فمسح النبي ﷺ ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح، ثم قال: انطلق به إلى أمك فشربت حتى رويت ثم جاء به فقال: انطلق بهذه وجئني بأخرى ففعل بها كذلك، ثم سقى أبا بكر ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك، ثم شرب النبي ﷺ قال: فبتنا ليلتنا ثم انطلقنا، وكانت تسميه المبارك وكثرت غنمها حتى جلبت جلباً إلى المدينة، فمر أبو بكر رضي الله عنه فرآه ابنها فعرفه فقال: يا أمه إن هذا الرجل الذي كان مع المبارك، فقامت إليه فقالت: يا عبد الله من الرجل الذي كان معك؟ قال: وما تدرين من هو؟ قالت: لا. قال: هو النبي ﷺ. قالت: فادخلني عليه قال: فادخلها عليه واهدت إليه شيئاً من أقط ومتاع الأعراب قال: فكساها وأعطاها. قال: ولا أعلمه إلا قال أسلمت.

فسقطت فردّها عليه السلام بيده فكانت أصح عينيه وأحسنها . وتفل في عين علي رضي

قال البيهقي : وهذه القصة وإن كانت تنقص على ما روينا في قصة أم معبد وتزيد في بعضها فهي قريبة منها ، ويشبه أن تكونا واحدة . وقد ذكر ابن إسحاق من قصة أم معبد شيئاً يدل على أنها وهذه القصة واحدة والله أعلم .

ثم ساق من طريق ابن إسحاق قال : فنزل رسول الله ﷺ بخيمة أم معبد فأرادوا القرى قالت : والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل ، فدعا رسول الله ﷺ ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله عز وجل وحلب في العس حتى ارغى ، وقال : اشربي يا أم معبد . فقالت : أشرب أنت فأنت أحق به فردّه عليها فشربت ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فشربه ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامراً ثم تروح وطلبت قريش رسول الله ﷺ حتى بلغوا أم معبد فسألوها عنه فقالوا : رأيت محمداً أن حليتـه كذا فوصفوه لها . فقالت : ما أدري ما تقولون قد ضافني حالب الحائل . قالت قريش : فذاك الذي نريد . قال البيهقي : فيحتمل أن يكون أوّلاً رأى التي في كسر الخيمة كما روينا في الحديث أبي معبد ثم رجع ابنها بأعنز كما روينا في حديث ابن أبي ليلى ، ثم لما أتى زوجها وصفته له والله أعلم .

وذكر البيهقي قصة أخرى تناسب في الباب أخرجها من طريق إياد بن لقيط عن قيس بن النعمان قال : لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفيين مرّا بعبد يرعى غنماً فاستقيـاه اللبن فقال : ما عندي شاة تحلب غير أن ههنا عناقاً حملت أوّل الشتاء ، وقد أخرجت وما بقي لها لبن ، فقال : ادع بها فدعا بها فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت قال : وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعي ثم حلب فشرب ، فقال الراعي : بالله من أنت ؟ فو الله ما رأيت مثلك قط . قال : أو تراك تكتم عليّ حتى أخبرك ؟ قال : نعم قال : فإني محمد رسول الله ﷺ . فقال : أنت الذي تزعم قريش انه صابيء : قال : إنهم ليقولون ذلك . قال : فأشهد أنك نبي وأشهد أن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي وأنا متبعك . فقال : إنك لا تستطيع ذلك يومك فإذا بلغك إني قد ظهرت فأتنا .

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(ندرت عين بعض أصحابه فسقطت فردّها فكانت أصح عينيه وأحسنها)** قال العراقي رواه أبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوّة من حديث قتادة بن النعمان وهو الذي سقطت عينه ففي رواية البيهقي انه كان ببدر ، وفي رواية أبي نعيم أنه بأحد وفي اسناده اضطراب ، وكذا رواه البيهقي من حديث أبي سعيد الخدري اهـ .

قلـت : قال البيهقي في الدلائل : في اثناء سياق غزوة بدر ، أخبرنا أبو سعد الماليني ، أخبرنا أبو أحمد بن عدي الحافظ ، ثنا أبو يعلى ، ثنا يحيى الحماني ، ثنا عبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل ، عن عاصم بن عمر بـن قتادة عن أبيه ، عن قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته

الله عنه وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية، وكانوا يسمعون تسبيح الطعام

على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا رسول الله ﷺ فقال: «لا» فدعا به فغمز حدقته براحته فكان لا يدري أي عينيه أصيبت.

قلت: ويحي الحماني ضعيف ولم ينبه عليه العراقي. وفي المواهب للقسطلاني وأصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته فأتى بها رسول الله فقال: يا رسول الله إن لي امرأة أحبها وأخشى إن رأتني تقذرني فأخذها رسول الله ﷺ بيده وردها إلى موضعها وقال: «اللهم اكسه جمالاً» فكانت أحسن عينيه وأحدّهما نظراً وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى، وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من أنت؟ فقال:

أبونا الذي سالت على الخدّ عينه فردّت بكف المصطفى أيما ردّ
فعادت كما كانت لأوّل أمرها فيا حسن ما عين ويا حسن ما خدّ

فوصله عمر وأحسن جائزته. قال السهيلي ورواه محمد بن أبي عثمان عن مالك بن أنس، عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة، عن أبيه، عن أبي سعيد، عن أخيه قتادة بن النعمان قال: أصيبت عيناي يوم أحد فسقطتا على وجنتي فأتيت بهما النبي ﷺ فأعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان. قال الدارقطني. هذا حديث غريب عن مالك تفردّ به عمار بن نصر وهو ثقة. ورواه الدارقطني عن إبراهيم الحربي عن عمار بن نصر. وأخرج الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الدلائل عن قتادة قال: كنت يوم أحد أنقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله ﷺ فكان آخرها سهماً ندرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت إلى رسول الله ﷺ، فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال «اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظراً».

(و) من معجزاته ﷺ انه (**تفل في عين علي كرّم الله وجهه وهو أرمد يوم خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية**) قال العراقي: متفق عليه من حديث علي ومن حديث سهل بن سعد أيضاً اهـ.

قلت: حديث سهل بن سعد رواه الشيخان، وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الدلائل كلهم من طريق قتيبة بن سعيد قال: حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبي حازم عن سهل بن سعد أنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر «لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. فقال: «أين علي بن أبي طالب». فقال: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال «فارسلوا إليه» فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه فدعا له فبرىء حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك أن يكون

....

لك من حمر النعم» قال أبو نعيم في الحلية بعد سياقه الحديث رواه سعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة، وسلمة بن الأكوع نحوه في المحبة.

ولحديث سلمة طرق فمن أغربها ما حدثنا أبو بكر بن خلاد ثم ساق سنده إلى محمد بن إسحاق، حدثنا ابن بريدة بن سفيان الاسلمي عن أبيه عن سلمة بن الأكوع قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر بن أمية إلى حصون خيبر يقاتل فقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد، ثم بعث عمر الغد فقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد، ثم بعث عمر الغد فقاتل فرجع ولم يكن فتح وقد جهد، فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرّار» قال سلمة: فدعا بعلي وهو أرمد فتفل في عينه فقال: «هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله على يدك» الحديث. وقال: غريب من حديث ابن بريدة عن أبيه فيه زيادات ألفاظ لم يتابع عليها، وصحيحه من حديث يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع.

قلت: ورواه البيهقي من هذا الوجه إلا انه قال: حدثنا ابن بريدة بن سفيان عن فروة الأسلمي، عن أبيه عن سلمة هكذا هو في نسخة الدلائل، وعليها سماع الحافظ العراقي وفيه زيادات كما أشار إليه أبو نعيم.

وأخرج البيهقي أيضاً من طريق الحسين بن واقد المروزي عن عبد الله بن بريدة قال: أخبرنا أبي قال: لما كان يوم خيبر أخذ اللواء أبو بكر فرجع ولم يفتح له فساق الحديث نحوه: وفيه «لأدفعن لواءنا غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لن يرجع حتى يفتح له» الحديث. وفيه «فدعا علي بن أبي طالب وهو يشتكي عينه فمسحها ثم دفع إليه اللواء ففتح» الحديث.

وأخرج أيضاً من طريق المسيب بن مسلم الأزدي قال: حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة فيلبث اليوم واليومين لا يخرج، ولما نزل خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس، وأن أبا بكر أخذ راية رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالاً أشد من الأوّل ثم رجع، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: «لأعطينها غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يأخذها عنوة وليس ثم علي فتطاولت لها قريش ورجا كل رجل منهم أن يكون صاحب ذلك فأصبح وجاء عليّ على بعير له حتى أناخ قريباً وهو أرمد قد عصب عينه بشقة برد قطري، فقال رسول الله ﷺ: مالك؟ قال: رمدت بعدك. قال: ادن مني فتفل في عينيه فما وجعها حتى مضى لسبيله». الحديث.

وروى الشيخان عن قتيبة بن سعيد عن حاتم بن إسماعيل عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع قال: كان علي قد تخلف عن النبي ﷺ في خيبر وكان رمداً فقال: أنا أتخلف عن النبي ﷺ فخرج علي فلحق بالنبي ﷺ فلما كان مساء الليلة التي فتح الله في صباحها قال ﷺ «لأعطين الراية غداً ـ أو قال ـ ليأخذن الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ـ أو قال ـ يفتح الله عليه» فإذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا: هذا علي فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ففتح الله عليه.

....

وهكذا رواه الحسن بن سفيان في مسنده عن قتيبة بن سعيد. ومن طريقه أبو بكر الإسماعيلي في المستخرج.

وأخرج البيهقي من طريق عكرمة بن عمار عن اياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه فذكر حديثاً طويلاً وفيه قال: فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي يدعوه وهو أرمد، فقال: « لأعطين » الحديث. وفيه قال: فجئت به أقوده قال فبصق رسول الله ﷺ في عينيه فبرىء فأعطاه الراية الحديث. وقد أخرجه مسلم في الصحيح، وأخرج أبو داود والطيالسي، والطبراني من حديث علي قال « فما رمدت ولا صدعت منذ دفع إليّ ﷺ الراية يوم خيبر » وعند الحاكم من حديث علي قال: « فوضع رسول الله ﷺ رأسي في حجره ثم بصق في راحته فدلك بها عيني ». وعند الطبراني « فما اشتكيتها حتى الساعة ». وأخرج البيهقي من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب « أن رسول الله ﷺ قام يوم خيبر فوعظ الناس فلما فرغ من موعظته دعا عليّ بن أبي طالب وهو أرمد فبصق في عينيه ودعا له بالشفاء » الحديث وقد وقع مثل ذلك لرفاعة بن رافع بن مالك قال: لما كان يوم بدر رميت بسهم ففقئت عيني فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لي فما آذاني منها شيء رواه البيهقي في الدلائل، ولفديك نفث في عينيه وكانا مبيضتين لا يبصر بهما شيئاً وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط في الإبرة وأنه لابن ثمانين سنة، وأن عينيه لمبيضتان. ورواه ابن أبي شيبة والبغوي وأبو نعيم والبيهقي والطبراني.

(و) من معجزاته ﷺ أنهم **(كانوا يسمعون تسبيح الطعام بين يديه ﷺ)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن مسعود.

قلت: التسبيح من قبيل الألفاظ الدالة على معنى التنزيه واللفظ يوجد حقيقة ممن قام به اللفظ فيكون في غير من قام به مجازاً، فالطعام والحصى والشجر ونحو ذلك كل منها يتكلم باعتبار خلق الكلام فيه حقيقة، وهذا من قبيل خرق العادة وفي سماعهم التسبيح تصريح بكرامة الصحابة بسماع هذا التسبيح وفهمه، وذلك ببركته ﷺ.

قال البخاري: حدثنا محمد بن المثنى ثنا أبو أحمد الزبيري، ثنا اسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: إنكم تعدون الآيات عذاباً وكنا نعدها بركة على عهد رسول الله ﷺ. قد كنا نأكل مع النبي ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام. الحديث، ورواه أبو بكر الإسماعيلي في المستخرج عن الحسن بن سفيان عن محمد بن بشار عن أبي أحمد، ورواه البيهقي في الدلائل من طريقه، وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: مرض النبي ﷺ فأتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب فأكل منه النبي ﷺ فسبح. رواه عياض في الشفاء، ونقله عنه الحافظ في الفتح، ومن ذلك تسبيح الحصى في كفه ﷺ، روي من حديث أبي ذر قال: « تناول النبي ﷺ سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنيناً ثم وضعهن في يد أبي بكر فسبحن، ثم وضعهن في يد عمر

بين يديه ﷺ، وأصيبت رجل بعض أصحابه ﷺ فمسحها بيده فبرأت من حينها،

فسبحن، ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن» أخرجه البزار والطبراني في الاوسط. وفي رواية الطبراني« فسمع تسبيحهن من في الحلقة ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا».

قال البيهقي في الدلائل: كذا رواه صالح بن أبي الاخضر ولم يكن بالحافظ عن الزهري، عن سويد بن يزيد السلمي عن أبي ذر، والمحفوظ: ما رواه شعيب عن أبي حمزة عن الزهري.

قلت: يشير إلى ما أخرجه محمد بن يحيى الذهلي في الزهريات أخبرنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن أبي حمزة عن الزهري قال: ذكر الوليد بن سويد أن رجلاً من بني سليم كبير السن كان ممن أدرك أبا ذر بالربذة عن أبي ذر قال: هجرت يوماً من الأيام فإذا النبي ﷺ قد خرج من بيته، فسألت عنه الخادم فأخبرني أنه ببيت عائشة فأتيته وهو جالس وليس عنده أحد من الناس، وكأني أراه في وحي فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ثم قال: ما حاجتك؟ قلت: الله ورسوله فأمرني أن أجلس فجلست إلى جنبه لا أسأله عن شيء ولا يذكره لي فمكثت غير كثير، فجاء أبوبكر يمشي مسرعاً فسلم فردّ عليه السلام، ثم قال: ما جاء بك؟ قال: جاء بي الله ورسوله، فأشار بيده أن اجلس فجلس إلى ربوة مقابل النبي ﷺ، ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله ﷺ مثل ذلك وجلس إلى جنب أبي بكر، ثم جاء عثمان كذلك وجلس إلى جنب عمر، ثم قبض رسول الله ﷺ على حصيات سبع أو تسع أو ما قرب من ذلك فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله ﷺ، ثم ناولهن أبا بكر وجاوزني فسبحن في كفه، ثم أخذهن منه فوضعهن على الأرض فخرسن وصرن حصى، ثم ناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن، ثم ناولهن عثمان فسبحن في كفه كنحو ما سبق في كف أبي بكر وعمر، ثم أخذهن فوضعهن في الأرض فخرسن، وليس لحديث تسبيح الحصى إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها، لكنه مشهور عند الناس.

(و) من معجزاته ﷺ انه **(أصيبت رجل بعض أصحابه فمسحها بيده فبرئت من حينها)** قال العراقي: رواه البخاري في قصة قتل أبي رافع اهـ.

قلت: قال البخاري، حدثنا يوسف بن موسى، ثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا اسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار وأمَّر عليهم عبد الله بن فلان، وكان أبورافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانهم فإني منطلق فمتلطف للبوّاب فلعلي أدخل. قال: فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البوّاب: يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأقاليد

وقل زاد جيش كان معه عليه السلام فدعا بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جداً فدعا فيه بالبركة، ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء في العسكر إلا ملىء من ذلك، وحكى

على ودّ. قال: فقمت إلى الأقاليد ففتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في علالي، فلما أن ذهب عنه أهل سمرة صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقته عليّ من داخل قلت: إن القوم قد نذروا بي لم يخلصوا إليّ حتى أقتله فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت. قلت: يا أبا رافع. قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغني شيئاً فصاح. فقال: فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع. قال: لامك الويل إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف. قال: فاضربه ضربة أثخنته ولم أقتله ثم وضعت صدر السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعلمت أني قد قتلته فجعلت أفتح الأبواب باباً فباباً حتى انتهيت إلى درجة فوضعت رجلي وأنا لا أرى إلا إني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست عند الباب فقلت: لا أبرح الليلة حتى أعلم أقتلته، فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال: أنعي أبا رافع فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء النجاء قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي ﷺ وحدثناه فقال: ابسط رجلك فبسطتها فمسحها فكأني لم أشكها قط.

ورواه الحسن بن سفيان في مسنده عن إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا عبيد الله بن موسى وعند الإسماعيلي في المستخرج، ورواه الإسماعيلي أيضاً عن المنيعي أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة عن عبيد الله بن موسى. وقال موسى بن عقبة، قال ابن شهاب، قال ابن كعب: فقدموا على رسول الله ﷺ وهو على المنبر فقال: أفلحت الوجوه. قالوا: أفلح وجهك يا رسول الله. قال: أقتلتموه؟ قالوا: نعم قال: ناولوني السيف فسله، فقال: أجل هذا طعامه في ذباب السيف.

وأخرج البخاري عن أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي عن شريح بن سلمة عن إبراهيم بن يوسف بن إسحاق عن أبيه عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء، قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع عبد الله بن عتيك، وعبد الله بن عتبة في أناس معهم فساق الحديث نحو سياق حديث عبيد الله بن موسى إلا أنه ليس فيه فقال: ابسط رجلك الخ. وقد رواه البيهقي في الدلائل من طريق محمد بن الحسن الخثعمي عن أحمد بن عثمان.

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(قلّ زاد جيش كان معه ﷺ فدعا بجميع ما بقي واجتمع شيء يسير جداً فدعا فيه بالبركة ثم أمرهم فأخذوا فلم يبق وعاء في العسكر إلا ملئ من ذلك)** قال العراقي: متفق عليه من حديث سلمة بن الأكوع اهـ.

قلت: وروى مسلم من حديث أبي هريرة قال: لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقال عمر: يا رسول الله ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة، فقال: نعم ودعا بنطع فبسط ثم دعا بفضلِ أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على

الحكم بن العاص بن وائل مشيته عليه السلام مستهزئاً فقال ﷺ : كذلك فكن . فلم يزل يرتعش حتى مات ، وخطب عليه السلام امرأة فقال له أبوها : إن بها برصاً امتناعاً من خطبته واعتذاراً ـ ولم يكن بها برص فقال عليه السلام : فلتكن كذلك ، فبرصت وهي

النطع شيء يسير ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم قال : « خذوا في أوعيتكم » فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه . قال : فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة ؛ فقال رسول الله ﷺ : « اشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيحجز عن الجنة » . وقد تقدم صدر هذه القصة عند ذكر تكثير الطعام .

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(حكى الحكم بن العاصي)** بن أمية بن عبد شمس . كذا في النسخ وصوابه الحكم بن أبي العاصي ، وهو أبو مروان ، وعم عثمان بن عفان **(مشيته ﷺ مستهزئاً به فقال ﷺ : « كذلك فكن » لم يزل يرتعش حتى مات)** قال العراقي : رواه البيهقي في الدلائل من حديث هند ابن خديجة باسناد جيد ، والحاكم في المستدرك من حديث عبد الرحمن ابن أبي بكر نحوه ولم يسم الحكم وقال : صحيح الاسناد اهـ .

قلت : أورد ابن منده في معجم الصحابة في ترجمة هند بن هند بن هند من طريق حسان بن عبد الله الواسطي عن السري بن يحيى عن مالك بن دينار حدثني هند ابن خديجة زوج النبي ﷺ قال : مرَّ النبي ﷺ بالحكم أبي مروان فجعل يغمز بالنبي ﷺ ويشير بأصبعه حتى التفت النبي ﷺ فقال : « اجعله ورعاً » يعني ارتعاشاً قال فرجف مكانه . وهكذا أخرجه أبو حاتم الرازي وعبد الله بن أحمد في زيادات الزهد من هذا الوجه ، ومالك بن دينار لم يدرك هند بن أبي هالة ، وإنما أدرك ابنه فكأنما نسبه لجده ، وقد ذكر ابن أبي حاتم عن أبيه أن رواية هند بن هند عن أبيه مرسلة وجرى أبو عمر على ظاهره فذكر هذا الحديث لهند بن أبي هالة .

وروى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر قال : كان الحكم بن أبي العاصي يجلس عند النبي ﷺ ، فإذا تكلم اختلج فبصر به النبي ﷺ فقال : « كن كذلك » فما زال يختلج حتى مات . في إسناده نظر ، وأخرجه البيهقي من هذا الوجه وفيه ضرار بن صرد وهو منسوب للرفض ، وبه تعلم أن قول العراقي بإسناد جيد فيه نظر . وأخرج البيهقي أيضاً من طريق مالك بن دينار حدثني هند ابن خديجة زوج النبي ﷺ فساقه مثل سياق ابن منده ، وأبي حاتم الرازي ، وقد نفى رسول الله ﷺ الحكم المذكور إلى الطائف ، وذكر أبو عمر في النسب قولاً في سبب نفيه إنه كان يحكيه في مشيته ، وقيل : لأنه كان يشيع بسر رسول الله ﷺ ، وقيل غير ذلك . ومات الحكم في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين .

(و) من معجزاته ﷺ أنه **(خطب امرأة)** من أبيها **(فقال أبوها : إن بها برصاً امتناعاً من خطبته واعتذاراً ولم يكن بها برص فقال ﷺ « فلتكن كذلك » فبرصت وهي أم**

أم شبيب بن البرصاء الشاعر : إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته ﷺ ، وإنما اقتصرنا على

شبيب بن البرصاء الشاعر) قال العراقي : هذه المرأة ذكرها ابن الجوزي في التلقيح ، وسماها جرة بنت الحرث بن عوف المزني ، وتبعه على ذلك الدمياطي في جزء له في نساء النبي ﷺ ولم يصح ذلك اهـ .

قلت : وقيل اسمها أمامة ، وقيل : قرصافة وهو الأكثر وهي ابنة الحرث بن عوف بن علي بن حارثة المزني وأبوها من فرسان الجاهلية ، وكان قد بقي عليه شيء من دمائهم ، فلما أسلم أهدره النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ خطب إليه ابنته فقال : لا أرضاها لك ان بها سوءاً ولم يكن بها فرجع فوجدها قد برصت ، فتزوّجها ابن عمها يزيد بن حمزة المزني فولدت له شبيباً ، فعرف بابن البرصاء ، واسم البرصاء قرصافة ذكر ذلك الرشاطي .

وذكر العراقي في تخريجه قبل هذه المعجزة معجزة أخرى ، وهذا لفظه : ويد طلحة لما زاد ما كان بها من شلل أصابها يوم أُحد حتى مسحها بيده . قال : رواه النسائي من حديث جابر لما كان يوم أُحد وفيه فقاتل طلحة حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال : حسن وليس فيها مسحها ، وللبخاري من حديث قيس رأيت يد طلحة شلاء وقربها النبي ﷺ هذا آخر كلامه ولم أجد ذلك في نسخ الاحيـاء الموجودة عندي **(إلى غير ذلك من آياته ومعجزاته صلوات الله عليه وسلامه وإنما اقتصرنا على المستفيض)** المشهور .

ومن غرر معجزاته ﷺ ردّ الشمس له . أخرجه الحافظ أبو جعفر الطحاوي في مشكل الآثار ، وابن منده ، وابن شاهين ، والطبراني في الكبير بإسناد حسن من حديث أسماء بنت عميس أن رسول الله ﷺ صلّى الظهر بالصهباء ، ثم أرسل علياً في حاجة فرجع وقد صلى النبي ﷺ العصر ، فوضع ﷺ رأسه في حجر عليّ فنام ولم يحركه حتى غابت الشمس ، فقال ﷺ « اللهم إن عبدك علياً احتبس بنفسه على نبيه فردّ عليه الشمس حتى وقفت على الجبال وعلى الأرض ونام عليّ فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس وذلك بالصهباء » . وفي لفظ آخر : كان ﷺ إذا نزل عليه الوحي يغشى عليه فأنزل الله عليه يوماً وهو في حجر علي فقال له النبي ﷺ : « صليت العصر يا علي » قال : لا يا رسول الله فدعا الله فردّ عليه الشمس حتى صلى العصر . قالت أسماء : فرأيت الشمس طلعت بعدما غابت حين ردّت حتى صلى العصر ، وقد صحح الحديث الطحاوي ونقله عنه القاضي عياض في الشفاء وأقره على تصحيحه . وقال : اختلف في حبسها هنا ، فقيل : ردت على أدراجها ، وقيل وقفت ولم ترد ، وقيل المراد بطء حركتها . قال : وكل ذلك من معجزات النبوّة اهـ .

وقال الطحاوي : إن أحمد بن صالح كان يقول : لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوّة ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ، وكأنه تبع قول إمامه أحمد ، فيما نقل عنه الحافظ ابن حجر في تخريج الرافعي أنه لا أصل له . وتبعه ابن تيمية فذكر في

....

الجزء الذي رد فيه على الروافض انه موضوع. وقال ابن الجوزي: في سنده أحمد بن داود متروك الحديث كذاب كما قاله الدارقطني، وقال ابن حبان: كان يضع الحديث، ثم قال ابن الجوزي: وهذا حديث باطل، ومن تغفل واضعه أنه نظر إلى صورة فضيلة ولم يلمح عدم الفائدة فيها، وأن صلاة العصر بغيبوبية الشمس تصير قضاء، ورجوع الشمس لا يعيدها أداء.

قلت: وهذا تحامل من ابن الجوزي وقد رد عليه الحافظان السخاوي والسيوطي وحاله في ادراج الاحاديث الصحيحة في حيز الموضوعات معلوم عند الائمة، وقد رد عليه وعابه كثيرون من أهل عصره ومن بعدهم كما نقله الحافظ العراقي في أوائل نكته على ابن الصلاح فلا نطيل بذكره، وهذا الحديث صححه غير واحد من الحفاظ حتى قال السيوطي إن تعدد طرقه شاهد على صحته، فلا عبرة بقول ابن الجوزي، وقوله ولم يلمح عدم الفائدة فيها. أجيب بأنه بل فيه فائدة وهو عود الوقت بعودها. وقوله: ورجوع الشمس لا يعيدها أداء أجاب عنه ابن حجر في شرح الإرشاد بأنه لو غربت الشمس ثم عادت عاد الوقت أيضاً لهذا الحديث.

وقال الشهاب في شرح الشفاء إنكار ابن الجوزي فائدة ردها مع القضاء لا وجه له فإنها فائتة بعذر مانع من الأداء وهو عدم تشويشه على النبي ﷺ، وهذه فضيلة فلما عادت حاز فضيلة الأداء أيضاً. وقال غيره: دل ثبوت الحديث على أن الصلاة وقعت أداء، وبذلك صرح القرطبي في التذكرة قال: فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً وأنه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه ذكره في باب ما يذكر الموت والآخرة في أوائل التذكرة، ووجهه أن الشمس لما عادت كأنها لم تغب والله أعلم اهـ.

وروى الطبراني في الأوسط من حديث جابر بإسناد حسن أن رسول الله ﷺ أمر الشمس فتأخرت ساعة، وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي في روايته عن ابن إسحاق كما ذكره القاضي عياض: لما أسري بالنبي ﷺ وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء؟ قال: يوم الأربعاء: فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجيء، فدعا رسول الله ﷺ فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس ولا يعارضه ما في الصحيح، ان الشمس لم تحبس لأحد إلا ليوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة بأن يقال إن المعنى لم تحبس على أحد من الأنبياء غيره إلا ليوشع.

ومن غرر معجزاته ﷺ تسليم الحجر عليه بمكة روى مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: قال ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لاعرفه الآن» وقد اختلف فيه فقيل: هو الحجر الأسود، وقيل: بل الذي بزقاق المرفق المشهور بمكة، ومما يقويه ما ذكره الإمام أبو عبد الله محمد بن رشيد بالضم في رحلته مما ذكره في شفاء الغرام عن علم الدين أحمد بن أبي بكر ابن خليل، أخبرني عمي سليمان، أخبرني محمد بن إسماعيل بن أبي الضيف، أخبرني أبو حفص الميانشي، قال: أخبرني كل من لقيته بمكة أن هذا الحجر هو الذي كلّم النبي ﷺ، وروى الترمذي والدارمي والحاكم وصححه عن علي بن أبي طالب قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في

....

بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر إلاّ قال: السلام عليك يا رسول الله. وروى الترمذي وأبو نعيم في الدلائل من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمرّ بحجر ولا شجر إلا قال السلام عليك يا رسول الله. وروى البيهقي في الدلائل من حديث جابر قال: لم يكن النبي ﷺ يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له.

ومن غرر معجزاته ﷺ تأمير أسكفة الباب وحوائطه على دعائه ثلاثاً، وهو ما رواه أبو نعيم في الدلائل من حديث أبي أسيد الساعدي. قال: قال رسول الله ﷺ للعباس بن عبد المطلب: « لا تبرح منزلك أنت وبنوك غداً حتى آتيكم فإن لي فيكم حاجة فانتظروه حتى جاء بعد ما أضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم. فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. قال: كيف أصبحتم؟ قالوا: أصبحنا بخير نحمد الله تعالى فقال لهم: تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم إلى بعض حتى إذا أمكنوه اشتمل عليهم بملاءة فقال: يا رب هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه. قال: فامنت أسكفة الباب وحوائط البيت، فقالت: آمين آمين. ورواه ابن مابه مختصراً.

ومن غرر معجزاته ﷺ كلامه للجبل وكلام الجبل له. روى أحمد والبخاري والترمذي وأبو حاتم من حديث أنس قال: صعد النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان أحداً فرجف بهم، فضربه النبي ﷺ برجله وقال: « أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان ». قال ابن المنير: قيل: الحكمة في ذلك إنه لما رجف أراد رسول الله ﷺ أن يبني أن هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل بقوم موسى لما حرفوا الكلم، وأن تلك رجفة الغضب وهذه هزة الطرب، ولهذا نص على مقام النبوة والصديقية والشهادة التي توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه فأقر الجبل بذلك واستقر، ومن ثم صح أحد جبل يحبنا ونحبه. قال الخطابي: كنى به أهل المدينة وأجراه البغوي على ظاهره وهو الأصح إذ لا بعد في محبة الجمادات للأنبياء والأولياء، ومن ثم سمع حنين الجذع لما فارقه. وأخرجه الترمذي والنسائي والدارقطني أن هذه القصة بعينها وقعت في ثبير مكة. وأخرجها مسلم من حديث أبي هريرة أنه كان ذلك بحراء، لكن بزيادة علي وطلحة والزبير ولفظه: اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد وهؤلاء الثلاثة شهداء أيضاً. وفي رواية له وسعد بن أبي وقاص ولم يذكر علياً وانفرد مسلم بذلك، وأخرجه الترمذي في مناقب عثمان، ولم يذكر سعداً وقال: اهدأ مكان اسكن، وقال: حديث صحيح. وأخرج أيضاً عن سعيد بن زيد، وذكر أنه كان عليه العشرة إلا أبا عبيدة، وقال أثبت حراء. وكذا رواه أبو الحسن الخلعي في فوائده، ولم يذكر أبا عبيدة، وهذا الاختلاف محمول على أنها قضايا تكررت قاله الطبراني وغيره.

ومن غرر معجزاته ﷺ تسليم الشجر له وسجوده له. روى البغوي في شرح السنة من حديث يعلى بن مرة الثقفي، سرنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا منزلاً، فنام النبي ﷺ، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ثم رجعت إلى مكانها، فلما استيقظ رسول الله ﷺ ذكرت له. فقال: هي

....

شجرة استأذنت ربها في أن تسلم علي فأذن لها. وتقدم حديث بريدة نحوه من كتاب الشفاء، وفيه: حتى وقعت بين يدي رسول الله ﷺ فقالت: السلام عليك يا رسول الله. الحديث، وفيه فقال الأعرابي: ائذن لي أن اسجد لك الحديث: ولله درّ الأبوصيري حيث يقول:

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة ... تمشي إليه على ساق بلا قدمِ
كأنما سطرت سطراً لما كتبت ... فروعها من بديع الخط في اللقمِ

ومن غرر معجزاته ﷺ كلام الحيوانات وطاعتها له.

فمنها: سجود الجمل وقد تقدم.

ومنها: سجود الغنم رواه أبو محمد عبد الله بن حامد الفقيه في كتابه دلائل النبوة بإسناد ضعيف من حديث أنس قال: دخل رسول الله ﷺ حائطاً للأنصار ومعه أبو بكر وعمر ورجل من الأنصار، وفي الحائط غنم فسجدت له، فقال أبو بكر: يا رسول الله نحن أحق بالسجود لك من هذه الغنم؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يجسد لأحد إلا لله.

ومنها: كلام الذئب رواه جماعة من الصحابة أبو هريرة وأنس وابن عمر وأبو سعيد الخدري، فحديث أبي سعيد رواه أحمد بإسناد جيد بلفظ: «عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه وقال: ألا تتقي الله تنزع مني رزقاً ساقه الله إلي. فقال: يا عجباً ذئب يتكلم! فقال له الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بن عبد الله بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق. قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياهم ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسول الله ﷺ فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للأعرابي: أخبرهم فأخبرهم.

وأما حديث ابن عمر فأخرجه أبو سعيد الماليني والبيهقي، وأما حديث أنس فأخرجه أبو نعيم في الدلائل، وأما حديث أبي هريرة فرواه سعيد بن منصور في سننه قال: جاء الذئب فاقعى بين يدي رسول الله ﷺ، وجعل يبصبص بذنبه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيئاً» قالوا: والله لا نفعل وأخذ رجل من القوم حجراً رماه به فأدبر الذئب وله عواء، فقال رسول الله ﷺ: «الذئب وما الذئب». وروى البغوي في شرح السنة، وأحمد وأبو نعيم بسند صحيح عن أبي هريرة أيضاً قال: جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه. قال: فصعد الذئب على تل فاقعى فاستنفر وقال عمدت إلى رزق رزقنيه الله أخذته ثم انتزعته مني فقال الرجل: تالله إن رأيت كاليوم ذئب يتكلم فقال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم. قال: وكان الرجل يهودياً فجاء إلى النبي ﷺ فأخبره وأسلم، فصدقه النبي ﷺ قال القاضي عياض: وفي بعض الطرق عن أبي هريرة فقال الذئب: أنت أعجب مني واقف على غنمك وتركت نبياً لم يبعث الله قط أعظم منه قدراً قد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك

....

وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود الله. قال الراعي: من لي بغنمي؟ قال الذئب: أنا أرعاها حتى ترجع فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى، وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي ﷺ يقاتل، فقال له النبي ﷺ: عد إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك، وذبح للذئب شاة منها. وقد روى ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظبياً، فدخل الظبي الحرم وانصرف الذئب فتعجبا من ذلك، فقال الذئب: أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار، فقال أبو سفيان، واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفاً.

ومنها: كلامه الحمار أخرج ابن عساكر عن أبي منصور قال: لما فتح رسول الله ﷺ خيبر أصاب حماراً فكلم رسول الله ﷺ الحمار فقال له رسول الله ﷺ: ما اسمك؟ فقال: يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدي ستين حماراً لا يركبه إلا نبي، وقد كنت أتوقعك لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الأنبياء غيرك قد كنت قبلك لرجل يهودي، وقد كنت أتعثر به عمداً، وكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي ﷺ: « فأنت يعفور، فكان رسول الله ﷺ يبعثه إلى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجب رسول الله ﷺ، فلما قبض رسول الله ﷺ جاء إلى بئر لأبي الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعاً على رسول الله ﷺ. ورواه أبو نعيم بنحوه من حديث معاذ بن جبل، لكن الحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات، وفي معجزاته ﷺ ما هو أعظم من كلام الحمار وغيره.

ومنها كلام الضب رواه البيهقي في أحاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال المزني: لا يصح إسناداً ولا متناً وذكره القاضي عياض في الشفاء، وقد روي من حديث عمر أن رسول الله ﷺ كان في محفل من أصحابه إذ جاء اعرابي من بني سليم قد صاد ضباً جعله في كمه ليذهب به إلى رحله فيشويه ويأكله، فلما رأى الجماعة قال: من هذا؟ قالوا: نبي الله، فأخرج الضب من كمه وقال: واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: « يا ضب » فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعاً لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال: « من تعبد » قال: الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه. قال: « فمن أنا »؟ قال: رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك، فأسلم الأعرابي الحديث بطوله وهو مذكور في الشفاء وما انصف من أدخله في الموضوعات.

ومنها: كلام الغزالة رواه البيهقي من طرق وضعفه جماعة من الأئمة لكن طرقه يقوي بعضها بعضاً وذكره القاضي في الشفاء، ورواه أبو نعيم في الدلائل بإسناد فيه مجاهيل عن حبيب بن محصن عن أم سلمة قالت: بينما النبي ﷺ في صحراء من الأرض إذ هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث مرات، فالتفت فإذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي متجندل في شملة نائم في الشمس. فقال: ما

....

حاجتك؟ قالت: صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع. قال: وتفعلين؟ فقالت: عذّبني الله عذاب العشار إن لم أعد فاطلقها، فذهبت ورجعت وأوثقها النبي ﷺ فأنتبه الأعرابي وقال: يا رسول الله ألك حاجة؟ قال: تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحاً وهي تضرب برجليها الأرض وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وكذا رواه الطبراني بنحوه وساق الحافظ المنذري حديثه في الترغيب والترهيب من باب الزكاة، وقول ابن كثير فيما نقله السخاوي عنه أنه لا أصل له مردود، وقد أورد الحافظ ابن‌حجرله في تخريج أحاديث المختصر طرقاً بعضها يقوي بعضاً.

ومن غرر معجزاته ﷺ اطاعة السحاب له. روى الشيخان من حديث أنس قال: أصاب الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة قام اعرابي، فقال: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا، فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة، فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى أريت المطر يتحادر على لحيته، فمطرنا يومنا كذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك كالاعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه، فقال: اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة، وسال الوادي قناة شهراً ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجود، وفي رواية: «اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر» فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس. وأخرج البيهقي في الدلائل من حديث ابن عباس أنه قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا عن ساعة العسرة. فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيض شديد فنزلنا منزلاً أصابنا عطش حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى إذا كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر: يا رسول الله ﷺ إن الله قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا. قال: أتحبون ذلك؟ قال: نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فاسكبت فملأوا ما معهم من آنية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوز العسكر.

ومن غرر معجزاته ﷺ إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان وشهادتهم له بالنبوة وإبراء ذوي العاهات. أخرج البيهقي في الدلائل أن رجلاً قال للنبي ﷺ: لا أؤمن بك حتى تحيي لي ابنتي، فجاء لقبرها فقال: «يا فلانة قالت لبيك وسعديك» فقال ﷺ: «أي تحبين أن ترجعي إلى الدنيا»؟ فقالت لا والله يا رسول الله إني وجدت الله خيراً من أبوي، ووجدت الآخرة خيراً لي من الدنيا. وحديث آحياء أمه حتى آمنت به رواه جماعة وصححه بعض الحفاظ وإن قال ابن كثير منكر جداً. وروى ابن عدي وابن أبي الدنيا، والبيهقي وأبو نعيم أن عجوزاً عمياء مات ولدها، فلما عزيت به قالت: اللهم إن كنت تعلم إني هاجرت إليك وإلى نبيك رجاء أن تعينني على كل شدة فلا تحملني على هذه المصيبة، فكشف الثوب عن وجهه وطعم وطعموا وروى ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت أن يزيد بن حارثة بينا هو يمشي إذ خرّ فتوفي فجيء به إلى بيته، فلما كان بين المغرب والعشاء سمعوا على لسانه محمد رسول الله النبي الأمي خاتم النبيين لا نبي بعده كان

المستفيض. ومن يستريب في انخراق العادة على يده ويزعم أن آحاد هذه الوقائع لم تنقل تواتراً بل المتواتر هو القرآن فقط كمن يستريب في شجاعة علي رضي الله عنه، وسخاوة حاتم الطائي، ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة، ولكن مجموع الوقائع يورث علماً

ذلك في الكتاب الأول، ثم قال: صدق صدق ثم قال: هذا رسول الله السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

وأخرج أبو نعيم أن جابراً ذبح شاة وطبخها فجاء بها للنبي الله عليه وسلم فأكل هو وأصحابه ونهاهم عن كسر العظام ثم جمعه ووضع يده عليه ثم تكلم بكلام، فإذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها.

وأخرج البيهقي أنه ﷺ جيء له بغلام يوم ولد فقال: من أنا؟ قال رسول الله ﷺ. قال: صدقت بارك الله فيك ثم لم يتكلم بعد حتى شب، فكان يسمى مبارك اليمامة.

ومن غرر معجزاته ﷺ أن انقطع يوم أحد سيف عبد الله بن جحش فأعطاه ﷺ عرجوناً فصار في يده سيفاً فقاتل به، وكان يسمى العرجون ولم يزل يتوارثونه حتى بيع من بغا التركي من أمراء المعتصم في بغداد بمائتي درهم، ومن ذلك ما نقل ابن إسحاق أنه قاتل عكاشة بن محصن الأسدي يوم بدر بسيفه حتى انقطع، فأعطاه رسول الله ﷺ جزلاً من خشب فقال له: قاتل به فهزه فعاد في يده سيفاً طويل القامة شديد المتن ابيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين، وكان يسمى «العون» ولم يزل يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل وهو عنده، ومن ذلك ما ذكر عياض عن ابن وهب أن عكرمة بن أبي جهل ضرب يد معاذ بن عمرو فتعلقت بجلدة فبصق ﷺ عليها فلصقت. قال ابن إسحاق ثم عاش حتى كان زمن عثمان. ومن ذلك ما رواه البيهقي في الدلائل من طريق ابن شهاب أن عبد الله بن أنيس أصابه المشير بن رزام اليهودي من وجهه بمخرش فشجه مأمومة فبصق رسول الله ﷺ فيها فلم تقح ولم تؤذه حتى مات، وهذا نزر من كثير. ومعجزاته ﷺ أكثر من أن تحصى أو تعد، فإنك أن تأملتها وجدتها شاملة للعلوي والسفلي والصامت والناطق والساكن والمتحرك والمائع والجامد والسابق واللاحق والغائب والحاضر والباطن والظاهر والعاجل والآجل إلى غير ذلك مما لو أعيد لطال.

(**ومن يستريب في انخراق العادات على يده**) ﷺ (**ويزعم أن آحاد هذه الوقائع**) ظنية (**لم ينقل تواترا وإنما المتواتر هو القرآن كمن يستريب في شجاعة علي**) رضي الله عنه (**وسخاوة حاتم ومعلوم أن آحاد وقائعهم غير متواترة، ولكن مجموع**) تلك (**الوقائع**) سواء مما وقع التحدي به أو وقع دالاً على صدقه من غير تحدٍّ فإنه (**يورث علماً ضرورياً**) ويفيد قطعاً بأنه ظهر على يديه ﷺ من خوارق العادات شيء كثير ما أن كثيراً من المعجزات النبوية قد اشتهر. ورواه العدد الكثير والجم الغفير، وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار والعناية بالسير والأخبار، وإن لم يصل عند غيرهم إلى هذه المرتبة لعدم عنايتهم بذلك، فلو أدعى مدع أن غالب هذه الوقائع يفيد القطع النظري لما كان مستبعداً، وذلك لأنه لا مرية. إن رواة الأخبار في

ضرورياً ثم لا يتمارى في تواتر القرآن وهي المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق، وليس لنبي معجزة باقية سواه ﷺ، إذ تحدى بها رسول الله ﷺ بلغاء الخلق وفصحاء العرب

كل طبقة قد حدثوا بهذه الأخبار في الجملة ولا يحفظ عن أحد من أصحابه مخالفة الراوي فيما حكاه من ذلك ولا إنكار عليه فيما هنالك، فيكون الساكن منهم كالناطق لأن مجموعهم محفوظ عن الأغضاء على الباطل، وعلى تقدير أنه يوجد من بعضهم إنكار أو طعن على بعض من روى شيئاً من ذلك، فإنما هو من جهة توقف في صدق أو تهمته بكذب أو توقف في ضبطه أو نسبة إلى سوء الحفظ أو جواز الغلط، ولا يوجد أحد منهم طعن في المروي كما وجد منهم في غير هذا الفن من الأحكام وحروف القرآن ونحو ذلك، والله أعلم.

(ثم لا يتماري في تواتر القرآن وهو المعجزة الكبرى الباقية بين الخلق وليس لنبي معجزة باقية سواه ﷺ). اعلم أن وجوه إعجاز القرآن لا تنحصر، ولكن قرر فيه بعضهم على ستة أوجه.

أحدها: أن وجه إعجازه هو الإيجاز والبلاغة مثل قوله: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ [البقرة: ١٧٩] فجمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة أحرف معاني كلام كثير، وحكى أبو عبيد إن اعرابياً سمع رجلاً يقرأ ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ [الحجر: ٩٤] فسجد وقال: سجدت لفصاحة هذا الكلام، وسمع الآخر رجلاً يقرأ ﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً﴾ [يوسف: ٨٠] فقال: أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ [القصص: ٧] فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.

والثاني: أن إعجازه هو الوصف الذي صار به خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر والرجز والسجع فلا يدخل في شيء منها ولا يختلط بها مع كون ألفاظه وحروفه جنس كلام العرب ومستعملة في نظمهم ونثرهم، ولذلك تحيرت عقولهم وتدلهت أحلامهم ولم يمتدوا إلى مثله في جنس كلامهم.

الثالث: أن وجه إعجازه وهو أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه، بل الإكباب على تلاوته تزيده حلاوة وتوجب له محبة وطلاوة، ولا يزال غضاً رطباً وغير من الكلام، ولو بلغ في الحسن والبلاغة يمل من ترديده ويعادي إذا أعيد.

الرابع: أن وجه إعجازه هو ما فيه من الأخبار بما كان مما علموه ومما لم يعلموه، فإذا سئلوا عنه عرفوا صحته وتحققوا صدقه.

الخامس: أن وجه إعجازه هو ما فيه من علم الغيب والإخبار بما يكون فيوجد على صدقه وصحته.

السادس: أن وجه إعجازه هو كونه جامعاً لعلوم كثيرة لم يتعاط العرب الكلام فيها ولا يحيط

وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم. وكان ينادي بين أظهرهم: أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله ان شكوا فيه، وقال لهم: ﴿ قُل لئِنِ اجتمعَتِ الأنُس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثلِهِ ولو كان بعضهُم لبعض ظهيراً ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال ذلك تعجيزاً لهم فعجزوا عن ذلك وصرفوا عنه حتى عرضوا أنفسهم للقتل ونساءهم وذراريهم للسبي، وما استطاعوا أن يعارضوا ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه، ثم انتشر ذلك بعده في اقطار العالم شرقاً

بها من علماء الأمم واحد منهم، ولا يشتمل عليها كتاب. فهذه ستة أوجه يصح أن يكون كل واحد منها إعجازاً فإذا جمعها القرآن فليس اختصاص أحدها بأن يكون معجزاً بأولى من غيره فيكون الإعجاز بجميعها.

(**إذ تحدى بها رسول الله ﷺ بلغاء الخلق وفصحاء العرب وجزيرة العرب حينئذ مملوءة بالآلاف منهم والفصاحة صنعتهم وبها منافستهم ومباهاتهم**) أي مفاخرتهم مع توفر دواعيهم، (**وكان ينادي بين أظهرهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله إن شكوا، وقال لهم ﴿لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾** أي معيناً ومساعداً. (**وقال ذلك تعجيزاً لهم فعجزوا عن ذلك**) أي عن الإتيان بشيء منه (**وصرفوا عنه**) ونكلوا. قال بعض العلماء: إن الذي أورده ﷺ على العرب من الكلام الذي أعجزهم عن الإتيان بمثله أعجب في الآية وأوضح في الدلالة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص لأنه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمتقدمين في اللسان بكلام مفهوم المعنى عندهم، وكان عجزهم عنه أعجب من عجز من شاهد المسيح عند إحياء الموتى لأنهم لم يكونوا يطمعون فيه، ولا في إبراء الأكمه والأبرص ولا يتعاطون علمه، وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة، فدل على أن العجز عنه إنما كان ليصير علماً على رسالته وصحة نبوته، وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح، وقال أبو سليمان الخطابي: وقد كان النبي ﷺ من عقلاء الرجال عند أهل زمانه، بل هو أعقل خلق الله تعالى على الإطلاق، وقد قطع القول فيما أخبر به عن ربه بأنهم لا يأتون بمثل ما تحداهم به، فقال: فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فلولا علمه بأن ذلك من عند الله علام الغيوب، وأنه لا يقع فيما أخبر عنه خلف وإلا لم يأذن له عقله أن يقطع القول في شيء بأنه لا يكون وهو يكون اهـ.

وهذا أحسن ما يقال في هذا المجال وأبدعه وأكمله، فإنه نادى عليهم بالعجز قبل المعارضة وبالتقصير قبل بلوغ الغرض في المناقضة صارخاً بهم على رؤوس الأشهاد فلم يستطع أحد منهم الإلمام به مع توفر الدواعي وتظاهر الاجتهاد، (**حتى عرضوا أنفسهم**) الأبية ورضيت هممهم السرية (**للقتل**) وسفك الدماء (**و**) عرضوا (**نساءهم وذراريهم للسبي**) والهتك (**وما استطاعوا أن يعارضوا**) شيئاً منه، (**ولا أن يقدحوا في جزالته وحسنه**) وقد ورد من

....

الأخبار في قراءة النبي ﷺ بعض ما نزل عليه على المشركين الذين كانوا من أهل الفصاحة والبلاغة وإقرارهم بإعجازه جمل كثيرة.

فمنها ما ورد عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثت إن عتبة بن ربيعة قال: ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المجلس: يا معشر قريش ألا أقدم إلى هذا فأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل بعضها منا ويكف عنا. قالوا: بلى يا أبا الوليد، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فيما قاله عتبة وفيما عرض عليه من المال وغير ذلك، فلما فرغ قال رسول الله ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني. قال: افعل فقال ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم حم★ تنزيل من الرحمن الرحيم» حتى بلغ ﴿قرآناً عربياً﴾ [فصلت: ١ - ٤] فمضى رسول الله ﷺ يقرأها عليه فلما سمعها عتبة انصت لها وألقى بيديه خلف ظهره معتمداً عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد فيها، ثم قال: سمعت يا أبا الوليد؟ قال: سمعت. قال: فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: يحلف بالله لقد جاءكم عتبة بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال إني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط. والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة. يا معشر قريش أطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ، وقد أجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة. قرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم★ تنزيل من الرحمن الرحيم★ حتى بلغ ﴿فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ [فصلت: ١ - ١٣] فلسكت فمه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب رواه البيهقي.

وروى مسلم والبيهقي في الدلائل من حديث إسلام أبي ذر ووصف أخاه أنيساً فقال: والله ما سمعت بأشعر من أخي أنيس لقد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية أنا أحدهم، وإنه انطلق إلى مكة وجاء إلى أبي ذر بخبر النبي ﷺ فقلت: وما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، وقد وضعته على إقرار الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان أحد بعدي إنه شعر وإنه لصادق وإنهم لكاذبون.

وروى ابن إسحاق في السيرة والبيهقي في الدلائل عن عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة، وكان زعيم قريش في الفصاحة أنه قال للنبي ﷺ: اقرأ علي فقرأ عليه ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل: ٩٠] إلى آخر الآية. قال: أعد فأعاد، فقال: والله إن له لتلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر الحديث.

وأخرج أبو نعيم من طريق إسحاق حدثني إسحاق بن يسار عن رجل من بني سلمة قال: لما أسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه: أخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل، فقرأ عليه

وغرباً قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر، وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة فلم يقدر أحد على معارضته.

فأعظم بغباوة من ينظر في أحواله، ثم في أقواله، ثم في أفعاله، ثم في أخلاقه، ثم في معجزاته، ثم في استمرار شرعه إلى الآن ثم في انتشاره في اقطار العالم، ثم في إذعان ملوك

الحمد لله رب العالمين إلى قوله: ﴿الصراط المستقيم﴾ فقال: ما أحسن هذا وأجله وكل كلامه مثل هذا. قال: يا أبت وأحسن من هذا.

(ثم انتشر ذلك بعده في أقطار العالم شرقاً وغرباً قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر وقد انقرض اليوم قريب من خمسمائة سنة) فإن تأليفه لهذا الكتاب كان قبل دخول القرن السادس وهذا على أن المراد بالقرن مائة سنة ومنهم من قال القرن خمس وسبعون على ما نقله صاحب القوت، **(فلم يقدر أحد على معارضته)** بل قد رام قوم من أهل الزيغ والإلحاد أوتوا طرفاً من البلاغة وحظاً من البيان أن يصنعوا شيئاً يعارضون به القرآن، فلما وجدوه مكان النجم من يد المتناول مالوا إلى السور القصار كسورة الكوثر والنصر وأشباههما لوقوع الشبهة على الجهال لقلة عدد حروفه لأن العجز إنما يقع في التأليف والاتصال، وممن رام ذلك من العرب بالتشبيه بالسور القصار مسيلمة الكذاب فقال: يا ضفدع نقي كم تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين، فلما سمع أبو بكر رضي الله عنه هذا قال: إنه لكلام لم يخرج من آل أي من ربوبية. وقال أيضاً في معارضة والنازعات والبادرات زرعاً والحاصدات حصداً والذاريات قمحاً والطاحنات طحناً والحافرات حفراً والثاردات ثرداً واللاقمات لقماً لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر، وقال أيضاً: ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف وأحشا. وقال أيضاً: الفيل وما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل وإن ذلك من خلق ربنا لقليل وغير ذلك من الهذيان ففيها مع قلة الحروف من السخافة ما لا خفاء به على من لا يعلم فضلاً عمن يعلم.

وحكي عن يحيى بن حكيم الغزالي وكان بليغ في زمانه أنه قد رام شيئاً من هذا فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على مناولها فاعترته منه خشية ورقة حملته على التوبة والإنابة.

وحكى أيضاً أن ابن المقفع وكان أفصح أهل وقته طلب ذلك ورامه ونظم كلاماً فجعله مفصلاً وسماه سوراً فاجتاز يوماً بصبي يقرأ في المكتب قوله تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر﴾ الآية [هود : ٤٤] فرجع ومحا ما عمل وقال: أشهد أن هذا لا يعارض أبداً وما هو من كلام البشر.

(فاعظم بغباوة) أي جهل **(من ينظر)** بعين البصيرة **(في أحواله)** ﷺ **(ثم في أقواله ثم في أفعاله ثم في أخلاقه)** وسجاياته وشمائله **(ثم في معجزاته)** الكثيرة المشهورة، **(ثم في استمرار**

الأرض له في عصره وبعد عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه.

وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه واتبعه في كل ما ورد وصدر، فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به في الأخلاق والأفعال والأحوال والأقوال بمنه وسعة جوده.

تم كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوّة بحمد الله وعونه ومنه وكرمه، ويتلوه كتاب شرح عجائب القلب من ربع المهلكات إن شاء الله تعالى.

شرعه إلى الآن ثم في انتشاره) وظهوره **(في أقطار العالم)** شرقاً وغرباً، **(ثم في إذعان ملوك الأرض له)** مع ما جبلوا عليه من الترفع وعدم لين الجانب **(في عصره)** ﷺ، **(وبعد عصره مع ضعفه)** أي قلة شوكته **(ويتمه)** وأميته، **(ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه)** فيما يقول.

(وما أعظم توفيق من آمن به وصدقه) فيما جاء به **(واتبعه)** أي سيرته وطريقته **(في كل ما ورد وصدر)** وفي كل صفو وكدر. **(فنسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء به)** والتأسي بطريقته **(في الأخلاق)** الموهوب به ربه **(والأفعال والأحوال والأقوال بمنه)** تعالى وكرمه **(وسعة جوده)** وفضله **(إنه)** تعالى **(سميع)** النداء **(مجيب)** لمن دعا. وهذا آخر كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوّة تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه نصف الكتاب:

حمــــدت الله ربـــي إذ هـــداني ... لما أبـديـت مـع عجـزي وضعفــي
ومـــن لي بـــالخطـــا فـأرد عنــــه ... ومـــن لي بـــالقبـــول ولـــو بحرفِ

فرغ من تحرير هذا مسوّده العبد العاجز أبو الفيض محمد مرتضي بن محمد الحسيني غفر الله زلله وأصلح خلله وتقبل عمله وبلغه أمله في ليلة الثلاثاء ثالث ساعة منها سلخ ذي القعدة الحرام ختام سنة ١١٩٩ حامد الله ومصلياً ومسلماً ومستغفراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ويتلوه شرح عجائب القلب.

كتاب عجائب القلب وهو الأوّل
من ربع المهلكات

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

الحمد لله الذي نوّر قلوب أوليائه فأشرقت بنور اليقين، وملأها من معرفته ومحبته فهاموا في عجائبها ووردوا من مناهلها أصفى معين، وأورثهم التفكر والتأمل في غرائب مصنوعاته الدالة على قيوميته وأشهدهم معارج التمكين، وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ديان يوم الدين، شهادة اخلاص ويقين، لا قلادة تقليد وتلقين، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله السيد الامين خاتم زمرة الأنبياء والمرسلين، الذي جاء بالدين القويم والهدى الواضح المبين، وأيد بالمعجزات الظاهرة البراهين صلى الله عليه وعلى آله الاكرمين الاطهرين، وأصحابه السادة المتقين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد فهذا شرح.

كتاب عجائب القلب

وهو الأوّل من الربع الثالث الموسوم بالمهلكات صنفه الإمام الأوحد الرباني، والقطب الكامل الصمداني، حجة الإسلام، علم الائمة الاعلام، السالك سبيل الحق السوي العالي، أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، تغمده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جنته، كشفت فيه عن مخدرات ألفاظه ومعانيه، وبينت غوامضه المستكنة في مدارج مبانيه، على وجه يحصل به معانيه ما يبتغيه، من مثالثه ومثانيه، وقد وفق الله جلت نعماؤه وتقدست أسماؤه إلى شرح النصف الأوّل من هذا الكتاب، وأرشد الآن إلى خدمة نصفه الباقي بلا ارتياب، باذلاً في كل جهد الاستطاعة، معترفاً بقلة البضاعة، والتقصير عن شاو أهل البراعة، والعجز عن كثير من مقتضيات الصناعة، سائلاً من الله الكريم أن يفتح علي وعلى من عني بخدمته أو مطالعته باب الفهم وان يرشدنا إلى الصواب المخلص من الوهم، وان يجعل لنا في مقاصد الخيرات أوفر سهم، ضارعاً إليه في الإمداد بالتوفيق والسداد وهو الكافي الكفيل وهو حسبي ونعم الوكيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تتحير دون إدراك جلاله القلوب والخواطر، وتدهش في مبادىء إشراق أنواره الأحداق والنواظر، المطلع على خفيات السرائر، العالم بمكنونات الضمائر، المستغني في تدبير مملكته عن المشاور والموازر، مقلب القلوب وغفار الذنوب، وساتر العيوب، ومفرج الكروب، والصلاة على سيد المرسلين، وجامع شمل الدين، وقاطع

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**بسم الله الرحمن الرحيم**) تيمناً باسمه الكريم واقتداء بالكتاب العظيم.

(**الحمد لله الذي تتحير دون إدراك جلاله**) أي عظمته (**القلوب والخواطر**) جمع خاطر وهو من الصفات في الغالب اسم لما يتحرك في القلب من رأي أو معنى وقد يسمى محله باسم ذلك، والادراك هو بلوغ أقصى غاية الشيء واحاطته بكماله، والمعنى لا تطيق القلوب والخواطر الواردة عليها الإحاطة لعظم قدره وفخامة شأنه فتقف دونها وقوف المتحير الذي لا يهتدي للصواب لإشكال الامر عليه، (**وتدهش**) وهو من باب علم وأصل الدهشة ذهاب العقل اما حياء أو خوفاً (**في مبادىء**) أي اوائل (**إشراق**) أي اضاءة (**أنواره**) أي أنوار وارداته التي ترد على القلب (**الأحداق والنواظر**) الأحداق جمع حدقة محركة وهي من العين سوادها، والنواظر: جمع الناظر وهو السواد الأصغر من العين الذي يبصر به الانسان، أشار المصنف بهاتين الجملتين إلى أن نهاية معرفة العارفين بالله تعالى عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة في انهم لا يمكنهم معرفته، وانه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالى، وأنه لا يحيط مخلوق من ملاحظة ذاته إلا بالحيرة والدهشة وقد خص الحيرة بالقلوب والدهش بالنواظر إشارة إلى أن كلاً من المسلكين بابها مسدود على السالك بها، وإنما يكون الاتساع في معرفة أسمائه وصفاته. وقد تقدم البحث في ذلك عن قوله ﷺ «لا أحصي ثناء عليك» (**المطّلع**) بتشديد الطاء وكسر اللام أي المشرف (**على خفيات الأسرار**) أي خواطر النفس، (**العالم بمكنونات الضمائر**) أي ما تكنه وتخفيه، (**المستغني**) لقيامه بنفسه (**في تدبير ملكه**) في عالمي الغيب والشهادة (**عن المشاور**) أي من يشاور معه (**والمؤازر**) من يعينه ويحمل عنه وزره أي ثقله ومؤنته لأنه تعالى واجب الوجود بنفسه لا تعلق له بغيره لا في ذاته ولا في صفاته بل هو منزه عن العلاقة عن الأغيار مستغن عن المشاورة والمعاضدة بالانصار، (**مقلب القلوب**) أي مصرفها كيف يشاء (**وغفّار الذنوب**) حقيرها وجليها، (**وستار العيوب**) يستعمل العيب اسماً ويجمع على العيوب وهو كل ما يعاب الإنسان على فعله ويلام، (**ومفرج الكروب**) أي كاشفها وأصل الكرب الغم والضيق، (**والصلاة**) الكاملة التامة (**على**) سيدنا ومولانا محمد (**سيد المرسلين**) أي رئيسهم وأفضلهم، (**وجامع شمل الدين**) أي جامع ما تفرق من أمره لأنه بعث والناس في

دوائر الملحدين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وسلم كثيراً.

أما بعد؛ فشرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره وفي الآخرة عدّته وذخره، وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه، فالقلب هو العالم بالله، وهو المتقرب إلى الله وهو العامل لله، وهو الساعي إلى الله، وهو المكاشف بما عند الله، ولديه، وإنما الجوارح أتباع وخدم وآلات يستخدمها القلب ويستعملها استعمال المالك للعبد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة، فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلم من غير

جاهلية جهلاً قد تناسوا أمور الدين ورغبوا إلى عبادة الكواكب والأصنام فهداهم بنور رسالته وأخذ بنواصيهم إلى دين الحق، **(وقاطع دابر الملحدين)** أي الطاعنين في الدين والمجادلين أي المحاربين فيه من طوائف اليهود والنصارى والمشركين فلم يبق منهم أحد إلا وقد دخل في الدين والحق بزمرة الموحدين. قيل: والملحدون بعد زمانه ﷺ هم الباطنية الذين أحالوا الشريعة وتأوّلوا بما يخالف العربية التي نزل بها القرآن وبين الجمع والقطع حسن المقابلة، **(وعلى آله الطيبين الطاهرين)** وهم أهله وذوو قرابته، ويطلق أيضاً على الاتباع لطريقته فدخل فيهم أصحابه، وذهب الكسائي إلى منع آل إلى الضمير فلا يقال آله بل أهله، ونقله البطليوسي في كتابه الاقتضاب وهو أوّل من قال ذلك، وتبعه النحاس والزبيدي وليس بصحيح إذ لا قياس يعضده ولا سماع يؤيده قاله صاحب المصباح، وحكم إفراد الصلاة عن السلام تقدم البحث فيه في أوّل كتاب العلم.

(أما بعد: فشرف الإنسان وفضيلته التي فاق بها جملة من أصناف الخلق) إنما هو **(باستعداده)** أي طلب تأهبه بالقوّة القريبة أو البعيدة **(لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله)** أي زينته **(وكماله وفخره وفي الآخرة)** هي **(عدته)** أي يعتد بها **(وذخره)** وقد دندن العارفون بالله حول هذه المعرفة، فروي عن مالك بن دينار أنه قال: خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا فيها أطيب شيء فيها. قالوا: وما هو يا أبا يحيى؟ قال: معرفة الله عز وجل، رواه أبو نعيم في الحلية من طريق سالم والخواص، وقيل لذي النون المصري رحمه الله تعالى وقد أشرف على الموت: ماذا تشتهي؟ فقال: أن أعرفه قبل ان أموت ولو بلحظة. **(وإنما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب)** الذي هو لطيفة ربانية على ما سيأتي بيانه قريباً للمصنف، **(هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي إلى الله وهو المتقرب إليه وهو المكاشف بما عند الله ولديه، وإنما الجوارح)** الظاهرة في الحقيقة **(اتباع وخدم وآلات)** أي بمنزلة هؤلاء **(يستخدمها القلب ويستعملها استعمال الملك للعبيد)** فهم لا يخالفونه **(و)** يستخدمها **(استخدام الراعي للرعية و)** استخدام **(الصانع للآلة، فالقلب هو المقبول عند الله)** إذ هو محل نظره **(إذ سلم من غير الله)** بأن يصان من تطرق خيال السوي إليه، **(وهو**

الله، وهو المحجوب عن الله إذا صار مستغرقاً بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو الذي يسعد بالقرب من الله، فيفلح إذا زكاه، وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى، وإنما الذي ينتشر على الجوارح من أنواره، وهو العاصي المتمرد على الله تعالى، وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره، وبإظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساوئه، إذ كل إناء ينضح بما فيه وهو الذي إذا عرفه الإنسان فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه، وهو الذي إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه، وإذا جهل نفسه فقد جهل ربه، ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم، وقد حيل بينهم وبين أنفسهم فإن الله يحول بين المرء وقلبه. وحيلولته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن وأنه كيف يهوي مرة إلى أسفل السافلين

المحجوب عن الله إذا صار مستغرقاً بغير الله) ومن المعلوم ان المستطرق في شيء ينصرف نظره عن سواه فلا يتوارد الاشتغالان على مورد واحد بحسب الكمال، **(وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب و)** هو **(المعاقب وهو الذي يسعد)** ويبقى **(بالقرب من الله تعالى فيفلح إذا زكاه)** أي طهره من دنس الأغيار، **(وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنسه ودساه)** أي اخفاه والأصل دسسه أشار بذلك إلى قوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها ★ وقد خاب من دساها﴾ [الشمس: ٩، ١٠] **(وهو المطيع)** المتخاشع **(بالحقيقة لله، وإنما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنواره وتجلياته وارداته، وهو العاصي المتمرد على الله، وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش)** والمعاصي **(آثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساوئه إذ كل إناء يترشح بما فيه)** وهو من الأقوال المشهورة على الألسنة، ويروى: كل إناء بما فيه يطفح، **(وهو الذي إذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه عرف ربه)** معرفة تليق بمقام العارف. وهذا القول يحكي عن يحي بن معاذ الرازي يعني من قوله كذا قاله أبو المظفر بن السمعاني، وكذا قال النووي أنه لا يعرف مرفوعاً. وقيل في تأويله من عرف نفسه بالحدوث عرفه ربه بالبقاء، ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء، **(وهو الذي إذا جهله الإنسان فقد جهل نفسه، وإذا جهل نفسه جهل ربه، ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل)** ضرورة إذ منشأ أصل المعرفة هو القلب فمن لم يعرفه لم يذق أصل المعرفة فلا يهتدي لمعرفة غيره بطريق الأولى، **(وأكثر الخلق)** إذا تأملت حالهم **(جاهلون بقلوبهم وأنفسهم وحيل بينهم وبين أنفسهم)** فحجبوا عن إدراك سرها **(و)** إليه الإشارة بقول الله تعالى: **﴿واعلموا (ان الله يحولُ بين المرء وقلبه﴾ [الأنفال: ٢٤] وحيلولته بأن يمنعه من مشاهدته ومراقبته ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن)** تقدم الكلام عليه في قواعد العقائد، ومن ذلك تقلبه في اليوم سبع مرات كما رواه البيهقي من حديث

وينخفض إلى أفق الشياطين، وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم الملائكة المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه: ﴿ نَسُوا الله فأنساهم أنفسهم أولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُون ﴾ [الحشر: ١٩] فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين.

وإذ فرغنا من الشطر الأول من هذا الكتاب من النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر، ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن، فلا بدّ أن نقدم عليه كتابين: كتاباً في شرح عجائب صفات القلب وأخلاقه، وكتاباً في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه، ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات.

فلنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الأفهام،

أبي عبيدة بن الجراح، (**وأنه كيف يهوي مرة إلى أسفل السافلين وينخفض إلى أفق الشياطين، وكيف يرتفع**) مرة (**أخرى إلى أعلى عليين ويرتقي إلى عالم الملائكة المقرّبين**) وانخفاضه وارتفاعه إنما هو بالاتصاف بما لكل من الدرجتين من الأوصاف الذميمة والحميدة، فإذا استولى عليه الشهوة والغضب التحق بأفق الشياطين وإن ملكهما حتى صفا التحق بأفق الملائكة المقرّبين، (**ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه فهو ممن قال الله تعالى فيه**) أي في حقه: ﴿ نسوا الله فنسيهم ﴾ ولما كانت تلك المراقبة عين الفكر جعل تركها نسياناً فهذا معنى قوله ﴿ نسوا الله ﴾ وأما نسيان الله لهم فهو ترك نظر الرحمة عليهم وأشد من ذلك قوله تعالى: ﴿ **نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون** ﴾ سماهم فساقاً إذا نسوا الله بعدم مراقبتهم قلوبهم، (**فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه أصل الدين وأساس طريق السالكين**) إلى محجة الطريق وهذا طريقة سلوك شيخه أبي علي الروذباري أحد أصول طريقة مشايخنا النقشبندية، فإن المراقبة عندهم مع نفي الخواطر أحد الأصول الثلاثة التي عليها مدار سلوكهم، (**وإذ قد فرغنا من الشطر الأوّل**) أي النصف الأوّل (**من هذا الكتاب من النظر فيا يجري على الجوارح**) لسالك (**من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر**) لتعلقه بعالم الملك، (**ووعدنا أن نشرح في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن**) لتعلقه بعالم الملكوت، (**فلا بد أن نقدّم عليه كتابين: كتاباً في شرح صفات القلب وأخلاقه، وكتاباً في كيفية رياضة القلب وتهذيب أخلاقه، ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات**) كل منهما في ربع. (**فنذكر الآن من شرح عجائب القلب بطريق ضرب الأمثال ما يقرب من الافهام**) بسهولة، (**فإن التصريح**

فإن التصريح بعجائبه وأسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الأفهام.

بيان معنى النفس، والروح، والقلب، والعقل، وما هو المراد بهذه الأسامي:

اعلم أن هذه الأسماء الأربعة تستعمل في هذه الأبواب. ويقل في فحول العلماء من يحيط بهذه الأسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها، وأكثر الأغاليط منشؤها الجهل بمعنى هذه الأسامي واشتراكها بين مسميات مختلفة، ونحن نشرح في معنى هذه الأسامي ما يتعلق بغرضنا.

اللفظ الأوّل: لفظ القلب وهو يطلق لمعنيين.

أحدهما: اللحم الصنوبري المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه. ولسنا نقصد

بعجائبه وأسراره الداخلة في جلة عالم الملكوت مما يكل عن دركه أكثر الأفهام) لعدم المامها بهذا العلم **(وبالله التوفيق)** ومنه أستمد العون.

بيان معنى النفس، والروح، والقلب، والعقل، وما هو المراد بهذه الأسامي:

إذا ذكرت **(اعلم ان هذه أربعة أسام تستعمل في هذه الأبواب ويقل في فحول العلماء)** أي أكابرها **(من يحيط بمعرفة هذه الأسامي واختلاف معانيها وحدود مسمياتها)** فكل واحد منهم سلك فيها مسالك مختلفة **(وأكثر الأغاليط)** جمع أغلوطة أو جمع غلط على غير قياس **(منشأها الجهل بمعرفة هذه الأسامي وباشتراكها بين مسميات مختلفة، ونحن نشرح من معاني هذه الأسامي ما يتعلق بغرضنا)** في هذا الكتاب.

(فمن ذلك لفظ القلب: وهو يطلق لمعنيين) أي بازاء معنيين:

(أحدهما: اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص، وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود وهو منبع الروح ومعدنه) وتحقيقه في كتب التشريح للأطباء. قالوا: هو جسم مخروطي كهيئة الصنوبرة المعكوسة قاعدته في وسط الصدر وبها تتصل الرباطات الحافظة للقلب على وضعه ورأسه المخروط أسفل إلى اليسار وهو أحمر رماني مركب من اللحم والعصب والغضروف والشرايين النابتة منه، والأجوف الواصل إليه من الكبد والروح الحيواني والدم الغذائي والشرياني والغشاء الصلبي الذي هو غلافه، وإنما خلق في وسط الصدر لأنه مبدأ الحياة لشرفه يجب أن يكون في أحرز المواضع وأكرمها وأحرزها تنوّر الصدر إذ للعظام المحيطة به سور حصين، والأغشية والعضلات وقاء قوي والرئة المكتنفة بالقلب فراش

الآن شرح شكله وكيفيته إذ يتعلق به غرض الأطباء ولا يتعلق به الأغراض الدينية. وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت، ونحن إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فإنه قطعة لحم لا قدر له وهو من عالم الملك والشهادة إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلاً عن الآدميين.

والمعنى الثاني: هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني، وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته فإن تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالأجسام والأوصاف

وطيء وهي تمنع من أن تلقاه عظام الصدر من قدام، وله بطنان: أحدهما الأيمن وهو مملوء بالروح الكثير والدم القليل وهو منبت الشرايين من طرف القاعدة كأنه قاعدة لجميع القلب، وكذا غشاؤه أصلب من سائر الأغشية لأنه عضو شريف ومعدن الروح الحيواني ومنبع الحرارة الغريزية التي هي الحرارة المجففة، وهو أوّل عضو يتحرك من الحيوان. وآخر عضو يسكن منه وغشاؤه محيط إلا أنه لم يلتزق به بالكلية فيه سعة وفائدة ذلك أن لا ينعصر القلب إذا تحرك حركة الانبساط، وتجاويفه ثلاثة في الحقيقة إثنان كبيران والثلث صغير كائن بين الاثنين وهو كمنفذ بينهما، وقاعدة التجويف الأيمن انزل قليلاً ليكون طريق الغذاء قصيراً وهو أكبر ليسع ما يدخر فيه من الغذاء أكثر، ولحم جانب اليسار أصلب لأن الروح فيه أكثر من الدم ودمه رقيق لصلابة لحمه يمنع من ترشح الدم وتحلل الروح، وقد نبت في طرف القاعدة قطعتان من اللحم الغليظ على شكل أذنين. احداهما يمنة والاخرى يسرة مما ينفذ النسيم تتواتران إذا انبسط وتسترخيان إذا انقبض هذا ما ذكره الأطباء فيما يتعلق بتشريح القلب.

(**ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته فلا تتعلق به الأغراض الدينية وإنما يتعلق بذلك غرض الأطباء**) لاعوازهم إلى معرفة ذلك لأجل معالجة ما يعرض عليه، (**وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت، ونحن إذا أطلقنا القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك**) ولم نقصده، (**فإنه قطعة لحم لا قدر لها وهو من عالم الملك**) بالضم (**والشهادة**) من المحسوسات الطبيعية (**إذ تدركه البهائم بحاسة البصر فضلاً عن الآدميين**).

(**والمعنى الثاني**) للقلب: (**هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني**) الصنوبري المودع في الجانب الأيسر من الصدر (**تعلق**) معنوي، (**وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان**) الكمالية ويسميها الحكيم النفس الناطقة والروح باطنه والنفس الحيوانية مركبه (**وهي المدرك العالم العارف من الإنسان وهو المخاطب والمطالب والمعاتب**) فالمضغة اللحمية من عالم الخلق وهذه اللطيفة من عالم الأمر، (**ولهذه اللطيفة علاقة مع القلب الجسداني وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته، وتعلقها به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام و**) تعلق

بالموصوفات، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما نتوفاه لمعنيين.

أحدهما: أنه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا من هذا الكتاب إلا علوم المعاملة.

والثاني: أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح وذلك مما لم يتكلم فيه رسول الله ﷺ، فليس لغيره أن يتكلم فيه والمقصود أنا إذا أطلقنا لفظ القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة، وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاتها، وعلم المعاملة يفتقر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر إلى ذكر حقيقتها.

اللفظ الثاني: الروح وهو أيضاً يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين:

أحدهما: جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني فينشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع

(الأوصاف بالموصوفات أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان) وقد اختلفوا في ذلك وطوّلوا البحث فيه **(وشرح ذلك)** بكشف الغطاء عنه **(مما نتوقاه)** ونتحرج عنه **(لمعنيين)**.

(أحدهما: انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب إلا علوم المعاملة) فلو استطردنا فيه القول خرجنا عن المقصود المهم.

(والثاني: أن تحقيقه يستدعي إفشاء سر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله ﷺ) قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود عن الروح، وفيه: فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم، فعلمت أنه يوحى إليه الحديث وقد تقدم، **(فليس لغيره أن يتكلم فيه)** تأدباً مع رسول الله ﷺ. **(والمقصود انا إذا أطلقنا القلب في هذا الكتاب أردنا به هذه اللطيفة)** الربانية، **(وغرضنا ذكر أوصافها وأحوالها لا ذكر حقيقتها في ذاته، وعلم المعاملة يفتقر إلى معرفة صفاتها وأحوالها ولا يفتقر إلى ذكر حقيقتها)** فلذا أضربنا عنه.

(اللفظ الثاني: الروح وهو أيضاً يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين).

(أحدهما: جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني) قابل لقوّة الحس والحركة التي تنبعث من القلب، **(وينتشر بواسطة العروق الضوارب)** بسريانه في تجاويفها **(إلى سائر أجزاء البدن)** وأراد بالعروق الضوارب الشرايين ومنبتها هو التجويف الأيسر من القلب، ويخرج عن هذا التجويف شريانان. أحدهما: صغير غير متضاعف ويسمى الوريدي، والثاني كبير جداً ويسمى الأبهر، والوريدي يدخل في الرئة وينقسم فيها فلذلك خلق رقيقاً غير مضاعف، وسائر الشرايين

والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت، فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به، والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان، والروح مثالها السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه والأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح أرادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب وليس شرحه من غرضنا إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان، فأما غرض أطباء الدين المعالجين للقلب حتى ينساق إلى جوار رب العالمين، فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلاً.

خلقت صلبة مضاعفة لأنها تحوي جسماً لطيفاً وهو الروح الحيواني ودما حاراً وهي دائمة الحركة بسطاً وقبضاً، فلم يؤمن أن تنشق أو يترشح منها الروح إن جعلت طبقة واحد، والأبهر حين طلوعه تتشعب منه شعبتان. احداهما: وهي أصغرهما تصير إلى التجويف الأيمن من تجويفي القلب، والثانية: تستدير حول القلب ثم تدخل إليه وتتفرق فيه، (**وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة والحس والسمع والبصر والشم منه على أعضائه يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت**) أي أطرافه، (**فإنه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان. والروح مثاله السراج، وسريان الروح وحركته في الباطن مثاله حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه، والأطباء إذا أطلقوا الروح أرادوا به. هذا المعنى وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب**) واستطرد الشهاب السهروردي في العوارف: هذا البحث مختصراً وقال: وهذه الروح لسائر الحيوانات ومنه تفيض قوى الحواس وهو الذي قوامه باجراء سنّة الله تعالى بالغذاء غالباً ويتعرف بعلم الطب فيه باعتدال مزاج الاخلاط اهـ.

وذكر الحكماء ان الروح جسم لطيف بخاري يتولد من الدم الوارد على القلب في البطن الأيسر منه. قالوا: وفائدة وجوده في البدن أن يكون حاملا للقوى حتى تنتقل وتجول في البدن بتوسطه لأن القوى لكونها من الأعراض لا تنتقل بدون المحال، ولذلك صار أصنافها كاصنافها، فإن الروح إذا تولد في القلب يسمى روحاً حيوانياً لكونه حاملاً للقوة الحيوانية فتنتقل في الشرايين إلى الأعضاء فيفيدها الحياة وجزء صالح في هذا الروح يصعد إلى الدماغ فيغيره إلى مزاج آخر يصير به روحاً نفسانياً أي روحاً صالحاً لأن يكون مركباً للقوى النفسانية فيصدر أفعالها عنه وجزء ليس بكثير في المقدار من هذا الروح أي الحيواني يصير إلى جانب الكبد فيغيرّه تغييراً يصير به روحاً طبيعياً أي روحاً يستعد لقبول القوى الطبيعية فيصدر أفعالها عنه، (**وليس من غرضنا شرحه إذ المتعلق به غرض الأطباء الذين يعالجون الأبدان**) عن أمراضها الظاهرة، (**فأما غرض أطباء الدين الذين يعالجون القلوب**) عن أمراضها الباطنة (**حتى تنساق**) بحسن سيرها (**إلى جوار رب العالمين**) جل جلاله، (**فليس يتعلق بشرح هذه الروح أصلاً**).

المعنى الثاني: هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان وهو الذي شرحناه في أحد معاني القلب وهو الذي أراده الله تعالى بقوله: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء: ٨٥] وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته.

(**المعنى الثاني: هو اللطيفة**)الربانية (**العالمة المدركة من الإنسان وهو الذي شرحناه في أحد معني القلب**) اعلم أنه قد يجعل اسماً للنفس لكون النفس بعض الروح فهو كتسمية النوع باسم الجنس نحو تسمية الانسان بالحيوان، وقد يجعل اسماً لهذه اللطيفة وهي الجزء الذي تحصل به الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار، (**وهو الذي أراده الله تعالى بقوله: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾**) وهذه اللطيفة هي الراكبة على الروح الحيواني نازل من عالم الأمر، (**وهو أمر عجيب رباني يعجز أكثر العقول والأفهام عن درك كنه حقيقته**) قد تكون مجردة وقد تكون منطبعة في البدن، وقال صاحب العوارف: وحيث أمسك رسول الله ﷺ عن الإخبار عن الروح وماهيته بإذن الله تعالى ووحيه وهو ﷺ معدن العلم وينبوع الحكمة كيف يسوغ لغيره الخوض فيه؟ والإشارة إليه لا جرم لما تقاضت النفس الإنسانية المطلعة إلى الفضول المتشوفة إلى المعقول المتحركة بوضعها إلى كل ما أمر فيه بالسكوت فيه والمتشوفة بحرصها إلى كل تحقيق وكل تمويه وأطلقت عنان النظر في مسارح الفكر وخاضت غمرات ماهية الروح تاهت في التيه وتنوّعت آراؤها فيه، ولم يوجد الاختلاف من أرباب النقل والعقل في شيء كالاختلاف في ماهية الروح، ولو لزمت النفوس حدّها معترفة بعجزها كان ذلك أجدر بها وأولى، فأما أقاويل من ليس مستمسكاً بالشرائع فننزه الكتاب عن ذكرها لأنها أقوال أبرزتها العقول التي ضلت عن الرشاد وطبعت على الفساد ولم يصبها نور الاهتداء ببركة متابعة الانبياء فهم كما قال الله تعالى فيهم: ﴿كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾ [الكهف: ١٠١] ﴿قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب﴾ [فصلت: ٥] فلما حجبوا عن الأنبياء لم يسمعوا وحيث لم يسمعوا لم يهتدوا فأصروا على الجهالات وحجبوا بالعقول عن المأمول والعقل حجة الله تعالى يهدي قوماً ويضل به آخرين، فلم ننقل أقوالهم في الروح واختلافهم فيه، وإنما المتمسكون بالشرائع تكلموا في الروح، فقوم منهم بطريق الاستدلال والنظر، وقوم منهم بلسان الذوق والوجد لا باستعمال الفكر حتى تكلم في ذلك مشايخ الصوفية أيضاً. وكان الأولى الإمساك عن ذلك والتأدب بأدب النبي ﷺ، وقد قال الجنيد: الروح شيء استأثر الله بعلمه ولا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود، ولكن نجعل للصادقين لأقوالهم محملاً، ويجوز أن يكون كلامهم في ذلك بمثابة التأويل لكلام الله تعالى والآيات المنزلة حيث حرم تفسيره وجوز تأويله إذ لا يسع القول في التفسير إلا نقلاً، وأما التأويل فتمتد العقول إليه بالباع الطويل وهو ذكر ما تحتمل الآية من المعنى من غير القطع بذلك، وإذا كان الأمر كذلك فللقول فيه وجه ومحل. قال أبو عبد الباجي: الروح جسم يلطف عن الحس ويكبر عن اللمس ولا يعبر عنه بأكثر من موجود، وهو وإن منع عن العبارة فقد حكم بأنه جسم. وقال

....

ابن عطاء: خلق الله الأرواح قبل الأجساد لقوله تعالى: ﴿ولقد خلقناكم﴾ [الأعراف: ١١] يعني الأرواح ثم صوّرناكم يعني الأجساد. وقال بعضهم: الروح لطيف قائم في كثيف كالبصر جوهر لطيف قائم في كثيف، وفي هذا القول نظر. وقال بعضهم: الروح عبارة والقائم بالاشياء هو الحق وهذا فيه نظر أيضاً إلاَّ أن يحمل على معنى الاحياء، فقد قال بعضهم: الأحياء صفة المحيي كالتخليق صفة الخالق وقال: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ [الإسراء: ٨٥] وأمره كلامه وكلامه ليس بمخلوق أي صار الحي حياً بقوله: كن حياً، وعلى هذا لا يكون الروح معنى في الجسد، فمن الأقوال ما يدل على أن قائله يعتقد قدم الروح ومن الأقوال ما يدل على أن قائله يعتقد حدوثه، ثم إن الناس مختلفون في الروح الذي سئل رسول الله ﷺ عنه فقال قوم، هو جبريل، ونقل عن علي رضي الله عنه انه قال: هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، ولكل وجه منه سبعون ألف لسان، ولكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله بتلك اللغات كلها ويخلق من كل تسبيحة ملك يطير مع الملائكة. وروي عن ابن عباس أن الروح خلق من خلق الله تعالى صوّرهم الله على صورة بني آدم، وما نزل من السماء ملك إلا ومعه أحد من الروح. وقال أبو صالح: الروح كهيئة الانسان وليسوا بناس، وقال مجاهد: الروح على صورة بني آدم لهم أيد وأرجل ورؤوس يأكلون الطعام وليسوا بملائكة، وقال سعيد بن جبير: لم يخلق الله خلقاً أعظم من الروح غير العرش، ولو شاء أن يبتلع السموات والأرضين السبع في لقمة لفعل صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين، يقوم يوم القيامة عن يمين العرش والملائكة معه في صف واحد، وهو ممن يشفع لأهل التوحيد، ولولا ان بينه وبين الملائكة ستراً من نور احترق أهل السموات من نوره، فهذه الأقاويل لا تكون إلا نقلاً وسماعاً بلغهم عن رسول الله ﷺ في ذلك، وإذا كان الروح المسؤول عنه شيئاً من ذلك فهو غير الروح الذي في الجسد فعلى هذا يسوغ القول في هذا الروح، ولا يكون الكلام فيه ممنوعاً. وقال بعضهم: الروح لطيفة من الله تسري إلى أماكن معروفة لا يعبر عنه بأكثر من موجود بإيجاد غيره وقال بعضهم الروح لم يخرج من «كن» لأنه لو خرج من «كن» كان عليه الذل قيل: فمن أي شيء خرج؟ قال: من بين جلاله وجماله سبحانه وتعالى بملاحظة الإشارة خصها بسلامه وحياها بكلامه، فهي معتقة من ذل «كن». وسئل أبو سعيد الخراز عن الروح أمخلوقة هي؟ قال: نعم ولولا ذلك ما أقرت بالربوبية حيث قالوا: بلى. والروح هي التي قام بها البدن واستحق اسم الحياة بالروح ثبت العقل بالروح الحجة، ولو لم تكن الروح كان العقل معطلاً لا حجة عليه ولا له، وقيل: إنها جوهر مخلوق ولكنها ألطف المخلوقات وأصفى الجواهر وأبهرها، وبها ترى المغيبات وبها يكون الكشف لأصل الحقائق، وإذا حجبت الروح عن مراعاة السر أساءت الجوارح الأدب، ولذلك صارت الروح بين تجل واستتار وقابض ونازع، وقيل: الدنيا والآخرة عند الأرواح سواء، وقيل: الروح تجول في البرزخ وتبصر أحوال الدنيا والملائكة تتحدث في السماء من أحوال الآدميين، وأرواح تحت العرش وأرواح طيارة إلى الجنان، وإلى حيث شاءت على أقدارهم من السعي إلى الله أيام الحياة.

وروى سعيد بن المسيب عن سلمان قال: أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يردها الله إلى أجسادها، وقيل: إذا ورد على الأرواح ميت من الأحياء التقوا وتحدثوا وتساءلوا وكل الله بها ملائكة تعرض عليها أعمال الأحياء، حتى إذا عرض على الأموات ما يعاقب به الأحياء في الدنيا من الذنوب كان عذر الله ظاهراً عند الأمو ت، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى.

وقد ورد مرفوعاً تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله عز وجل وتعرض على الأنبياء والآباء والامهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً وإشراقاً فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم».

وفي خبر آخر «إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى فإن كان حسناً استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا». وهذه الأخبار والأقوال تدل على أنها أعيان في الجسد وليست بمعان واعراض. وقال بعضهم: الروح خلق من نور العزة وإبليس خلق من نار العزة، ولهذا قال ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ [الأعراف: ١٢] ولم يدر أن النور خير من النار. وقال بعضهم: قرن الله العلم بالروح فهي للطافتها تنمو بالعلم كما ينمو البدن بالغذاء، وهذا في علم الله لأن علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك، والمختار عند أكثر متكلمي الإسلام أن الإنسانية والحيوانية عرضان خلقا في الإنسان والموت يهدمها وأن الروح هي الحياة بعينها صار البدن بوجودها حياً وبالاعادة إليه في القيامة يصير حياً. وذهب بعضهم إلى أنه جسم لطيف اشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر وهو اختيار أبي المعالي الجويني وكثير منهم مال إلى أنه عرض إلا أنه ردهم عن ذلك الأخبار الدالة على أنه جسم لما ورد فيه من العروج والهبوط والتردد في البرزخ فحيث وصف بأوصاف دل على أنه جسم لأن العرض لا يوصف بأوصاف إذ الوصف معنى، والمعنى لا يقوم بالمعنى، وأصر بعضهم على أنه عرض.

سئل ابن عباس قيل له: أين تذهب الأرواح عند مفارقة الأبدان؟ فقال: أين يذهب ضوء المصباح عند فناء الادهان؟ قيل له: فأين تذهب الأجسام إذا بليت؟ قال: أين يذهب لحمها إذا مرضت؟ وقال بعض من يتهم بالعلوم المردودة المفهومة المذمومة وينسب إلى الإسلام: الروح تنفصل عن البدن في جسم لطيف، وقال بعضهم: إنها إذا فارقت البدن تحل معها القوّة الوهمية بتوسط النطقية، فتكون حينئذ مطالعة للمعاني المحسوسات لأن تجرده من هيئات البدن عند المفارقة غير ممكن، وهي عند الموت شاعرة بالموت وبعد الموت متخيلة نفسها مقبورة وتتصوّر جميع ما كانت تعتقده حال الحياة وتحس بالثواب والعقاب في القبر. وقال بعضهم: أسلم المقالات أن يقال الروح شيء مخلوق أجرى الله تعالى العادة أن يحي البدن ما دام متصلاً بها وأنه أشرف من الجسد يذوق الموت بمفارقة الجسد كما أن الجسد بمفارقته يذوق الموت، فإن الكيفية والماهية يتعاشى العقل فيها كما يتعاشى البصر في شعاع الشمس، ولما رأى المتكلمون أنه يقال لهم الموجودات محصورة قديم وجسم وجوهر وعرض، فالروح أيهم من هؤلاء؟ فاختار قوم منهم أنه جسم لطيف كما ذكرنا،

اللفظ الثالث: النفس وهو أيضاً مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان.

أحدهما: أنه يراد به المعنى الجامع لقوّة الغضب والشهوة في الإنسان على ما سيأتي شرحه، وهذا الاستعمال هو الغالب على أهل التصوّف لأنهم يريدون بالنفس الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون: لا بدّ من مجاهدة النفس وكسرها وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام: « أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك ».

المعنى الثاني: هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس

واختار قوم إنه قديم لأنه أمر والأمر كلام الله والكلام قديم، فما أحسن الإمساك عن القول فيما هذا سبيله، وكلام الشيخ أبي طالب المكي في كتابه يدل على أنه يميل إلى أن الأرواح أعيان في الجسد وهكذا في النفوس، والله أعلم.

(اللفظ الثالث: النفس وهو أيضاً مشترك بين معان ويتعلق بغرضنا منه معنيان).

(أحدهما: أنه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الإنسان على ما سيأتي بيانه، وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفيه فهم يريدون بالنفس) حيث أطلقوا **(الأصل الجامع للصفات المذمومة من الإنسان فيقولون لا بدّ)** للسالك **(من مجاهدة النفس وكسرها)** أي كسر حدتها حتى تزول عنها تلك الصفات، **(وإليه الاشارة بقوله ﷺ « أعدى عدوّك)** أي أكثرهم عداوة لك **(نفسك التي بين جنبيك »)** قال العراقي: رواه البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين اهـ.

قلت: عرف أبوه بغرار أبو نوح.

وقال الدارقطني: محمد هذا يضع الحديث، وقال ابن عدي: هو ممن يتهم بالوضع اهـ.

وأما أبوه فمن خرج له البخاري ووثقه جماعة من الائمة والحفاظ ولم أر فيه جرحاً. ووجدت بخط الحافظ ابن حجر ما نصه: وللحديث طرق أخرى غير هذه من حديث أنس وغيره، وقد روى الديلمي من حديث ابن مالك الأشعري مرفوعاً « اعدى عدوك زوجتك التي تضاجعك وما ملكت يمينك ».

(المعنى الثاني: هي اللطيفة التي ذكرناها التي هي الإنسان بالحقيقة وهي نفس الإنسان وذاته) قال ابن الكمال في رسالة في النفس ان المراد بالنفس ما يشير إليه كل أحد بقوله « أنا » وقد اختلف أهل العلم في أن المشار إليه بهذا اللفظ هو هذا البدن المشاهد المحسوس أو غيره، أما الأول فقد ظن أكثر الناس وكثير من المتكلمين أن الإنسان هو هذا البدن وكل أحد، فإنما يشير إليه بقوله: « أنا » وهذا باطل والقائلون بأنه غير هذا البدن المحسوس اختلفوا فمنهم من قال انه جسم، ومنهم من قال إنه جسماني، ومنهم من قال جوهر روحاني وهو مذهب الحكماء الإلهيين،

الإنسان وذاته. ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها. فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة: قال الله تعالى في مثلها: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ★ ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ [الفجر: ٢٧ ، ٢٨] والنفس بالمعنى الأوّل لا يتصوّر رجوعها إلى الله تعالى فإنها مبعدة عن الله وهي من حزب الشيطان، وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها

ووافقتهم في ذلك جماعة من أرباب المكاشفة، ثم ذكر لصحة مذهبهم دلائل وبراهين لم أطوّل بذكرها. وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير: إنهم قالوا لا يجوز أن يكون الإنسان عبارة عن هذا الهيكل المحسوس لأن أجزاءه أبداً في المحو والذبول والزيادة والنقصان والاستكمال والذوبان، ولا شك أن الإنسان من حيث هو هو أمر باق من أول عمره إلى آخره وغير الباقي، فالمشار إليه عند كل أحد بقوله: أنا وجب أن يكون مغايراً لهذا الهكيل، ثم أطال الكلام في ذكر ما يشير إليه كل أحد بقوله «أنا» واختلاف الأقوال فيه بما لم نطول بذكره.

ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: **(ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسن اختلاف أحوالها فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسببه معارضة الشهوات سميت)** هذه **(النفس المطمئنة)** ومنهم من قال في وصفها: إنما هي تنورت بنور القلوب حتى إذا انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة ورفعت حجب الكثائف الخلقية حتى شهدت اللطائف الخفية وعرفت سريان أسرار الربوبية في مظاهر أطوار العبودية فرجعت في كل حال إلى الله وتلقت كل واقعة من الله، ورأت آيات الانفس والآفاق من الله، فهي راضية في كل مشهد بالله مرضية في كل حضرة لله. **(قال الله تعالى ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ★ ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾)** وصاحب هذه هو عارف الوقت المحفوظ بالمحو من السلب وبالقبول من المقت قد أخمد ببرد الرضا حرارة الانتقام وبلوعة الشوق نقاقر المهانة والأحجام، وبمحض التسليم أمن من قواطع القرب وبسلامة الذوق فارق الملل من الشرب، **(والنفس بالمعنى الأوّل)** الذي هو الجامع لقوّة الغضب والشهوة من الإنسان تسمى المستكبرة، وهي أصعب النفوس المتلوّنة قياداً وأبعدها حضوراً وأعظمها عناداً وأشدها نفوراً تصول صولة أهل الدولة والرياش وتتهافت على الرذائل تهافت الفراش، وتقول بلسان الدعاوي: أنا الشمس والقمر فإذا بدا ما فيها من المساويء عسعس الغيهب واعتكر.

(لا يتصوّر رجوعها إلى الله فإنها مبعدة من) حضرة **(الله وهي من حزب الشيطان)** إلا أن صاحبها إذا لوحظ بعين الإمداد وجذبته العناية بأزمة السداد أهزل من أنفتها ما كان سميناً وحقر من افتخارها ما كان ثميناً وأفردها من الرياضة في جبل صعب المسالك بعيد الذرى والمدارك ليس لعشاق الرئاسة له من سبيل ولا للهمم الدنية عليه تعويل، **(وإذا لم يتم سكونها)**

سميت النفس اللوّامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه. قال الله تعالى: ﴿ولاأقسم بالنفس اللوّامة﴾[القيامة: ٢] وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء. قال الله تعالى إخباراً عن يوسف عليه السلام أو امرأة العزيز ﴿وما أبرىء نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء﴾ [يوسف: ٥٣] وقد يجوز أن يقال المراد بالأمارة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فإذا النفس بالمعنى

تحت الأمر (**ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوّامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها**) فهي تنوّرت بنور القلب قدر ما تنبهت من سنة الغفلة كلما صدرت منها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية نفتها بلوم وتتوب عنها، لا يزال شأنها الملل في كل علم وعمل كلما حصلت على مطلوب نشأ لها حظ وأمل، فهي أبداً في شكاية ووجل وكآبة أنشأتها الرغبة في الفائت والضجر مما حصل. (**قال تعالى**): ﴿**لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوّامة**﴾ وصاحب هذه إن وقف بالذل والخضوع على باب مولاه فتح له وآواه وأحضره حضرة مناجاته أو منحه رؤياه وأجلسه على موائد مدده وهداه وأورده مشاهد رضاه في تقواه، (**وإن تركت الاعتراض وأذعنت**) ومالت إلى الطبيعة البدنية (**وأطاعت لمقتضى الشهوات**) الحسية (**ودواعي الشيطان**) وجذبت القلب إلى الجهة السفلية (**سميت النفس الأمارة بالسوء**) لانفعالها بالخواطر المارة هي سقط رأس القرينين، وبجمع لجيوش الوصل والبين أن تغلب عليها القرين الجاني وهو القوى الشهواني غرس فيها من رذائل الاخلاق أشجار الزقوم وأجرى منها من نقائص الأعمال بحار اليحموم، وألبسها من المجانسة الخلقية تارة جلد كلب، وتارة جلد حمار، وبنى قصر تقصيرها على شفا جرف هار وإن تبوأها القرين الروحاني وهو نور البيان الإنساني أرغد غداء قلبها من طيب ثمر المعاني، وروق شراب أعضائها من العمل الرضواني، وألبسها من تسبيح الفضائل الخلقية حللاً سندسية واستبرقية وجعلها حرماً آمناً لمن فزع من جهله وذنوبه تجبي إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدن علام غيوبه أشجار كلمة طيبة لا تخبط ولا تقطع، وطائر وارادته لا ينفر ولا يروع.

(**قال تعالى ﴿وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء**) إلاّ ما رحم ربي﴾ وصاحب هذه إن -عم -لك في منهاج الحذر من غوائلها وتدرع باليقظة من سهام دسائسها عن أن تقع في مقاتلها كلما أحس رأى أنه مقصر، فكيف به إذا وجب عليه أن يستغفر. هكذا ذكر الله تعالى النفس في كلامه القديم بثلاثة أوصاف وهي نفس واحدة ولها صفات متغايرة، فالسكينة مزيد الإيمان وبها تحصل الطمأنينة ويرتقي القلب إلى مقام الروح وتتوجه النفس إلى مقام القلب وفي ذلك طمأنينتها فهي إذاً المطمئنة، وإذا انزعجت عن مقار جبلاتها متطلعة إلى مقار الطمأنينة فهي اللوّامة، فإذا قامت في محلها لا يغشاها نور المعرفة والعلم فهي الامّارة بالسوء فالنفس والروح يتطاردان فتارة تملك القلب دواعي الروح وتارة تملكه دواعي النفس. (**وقد يجوز أن يقال: المراد بالأمارة**

الأوّل مذمومة غاية الذم، وبالمعنى الثاني محمودة لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات.

بالسوء هي النفس بالمعنى الأوّل) الذي هو الجامع لقوة الغضب والشهوة من الإنسان، **(فإذا النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم، وبالمعنى الثاني محمودة لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وبسائر المعلومات)**. ثم اعلم أن النفوس الممنوحة بالتمكين فروش العقول المجردة من غلبات التلوين وهي ست كالجهات لتصور التجليات في الحضرات العلميات والنفوس المحجوبة بحجاب التعين الموقوفة عند النفوذ من أقطار الكيان في رحلة التلون فروش العقول النظرية بالقيود الخبرية والحدود الفكرية قد حجبت عن شهود حقائق القدس بقياس الغيوب على شواهد الحس وهي على عدد الحواس الخمس فهن إحدى عشرة نفساً، فذكر المصنف منها أربعة: المطمئنة، والمستكبرة، واللوّامة، والأمّارة. ونحن نشير إلى باقيها فنقول:

الخامسة: هي النفس الدساسة المتلونة في الأخلاق المعكوسة ولذتها الإرضاع من شيمة الطباع ووادقها الأكياف والأشكال ودستها في مرتبة الوهم والخيال، وإليها الإشارة بقوله تعالى ﴿وقد خاب من دساها﴾ [الشمس: ١٠] وصاحبها لا حياة له إلا برضاع ثدي الذكر والاعتزال والفطام عن خلط أهل المراء وخبط أهل الجدال حتى يعود إليها روح الفطرة وتذهب عنها فترة الغمرة.

السادسة: هي النفس المشتراة من الملكية البشرية الممنوحة بالمكنة من المملكة السرية جاهدت فغنمت وشاهدت فنعمت وقتلت بصفاء الزهد شيطانها وقبلت بوفاء العهد سلطانها، وإليها الإشارة بقوله تعالى ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ وصاحب هذه إمام وصل الفتح لواحق سيادته بسوابق إرادته وقطع العزم علائقه الحسية في حقائق الجهال فأكمل لذاته وأتاه مدد السمع والبصر ولروح بانجاز عداته.

السابعة: النفس السوّالة الدساسة القتالة تزخرف المهالك الفواتك بجلاء الفضائل والمناسك، وإليها الإشارة في قصة السامري فإنها فعلت به الذي فعلت وسقته السم في العسل وهي مستدرجة بعلوم النظر محجوبة عن المؤثر بالاثر محبوسة السمع والبصر في سجن القياس والفكر لا دواء لأمراضها إلا إذلالها بين معظمها في البرايا وتنقيصها، وإن أتت بكل المزايا وشج رأس رئاستها بالذل والخمول وملّ مواسك افكها بالرد وعدم القبول.

الثامنة: النفس الزاكية قد أشرقت شمس حقيقتها الفعلية فقد أنور فاعلها ضحاها وتلألأ قمر قبولها الفطري، فتمت كلمتها بظهور معناها وهجم نهار توحيدها على ظلم صور الأسباب فجلاّها، وسكنت إلى الله بخمود حركات الحظوظ فلم تزل آمنات الإيجاد بمحو المنازعة تغشاها، وإليها الإشارة بقوله ﴿قد أفلح من زكاها﴾ [الشمس: ٩] وصاحب هذه ملهم البصيرة طاهر

الظاهرة والسريرة رفع عنه المصوّر حجاب الصور ، فشهد الله في كل مشهد مولاه ونصيره قد أنعم بالتوفيق والسكينة خشونة الطباع والأخلاق ، وامتزج مزاجه بنفحات الرحمة فطابت بأنفاس معارفه وعوارفه جميع الآفاق .

التاسعة: النفس الذاكرة بلسان شهود المسمى في معرفة أسمائه الشريفة وإليها الإشارة بقوله: ﴿واذكر ربّك في نفسك تضرعاً وخيفة﴾ [الأعراف: ٢٠٥] قد حررت نيران خوفها ورجاها وجاوزت الاطراف ففازت من الوسطية بمنتهى شهدت معناها فرأت بلوغ مناها وعلمت أن لا حول ولا قوة إلا بمولاها فخرجت عن تخيل حيلها وقواها ، وخشعت الأصوات لواهيها ، فسمعت كلام مناجيها وحميت من هواها كما حميت من مهاويها فنشقت أنفاس الرحمة من جميع نواحيها ، وصاحب هذه هو الذاكر على الحقيقة والعيان المحفوظ من الغفلة والنسيان الموهوب أفضل ما يعطى السائلون من الأماني والأمان ظاهره بالجلال في الشرع مضبوط وباطنه بالجمال في الجمع مبسوط . ثبت أصل شجرته وطال فرع سدرته ، كلما هزت فكرته بيد الرياضة جذع عبرته تساقط عليه من روض الرضا جنى ثمرته واستغرقته لذة ذوقة عن زهارة زهر خضرته ، ولم يدع له استقبال قبلة القبول أرباً دون محبوبه يرتضيه ولا طلباً غيره يفرح بتقاضيه تلاصق توجهه التوحيدي في كل مقام بلسان الدهش والاصطلام . تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام .

العاشرة: هي النفس المملوكة بأصل الوضع ذات المكنة في عوالم السمع هي التي اصطنعت في النفس العلمية وصنعت على عينها الحكمية تولدت على قوى التلقي والإلهام على صورة ما تجلى به عليها ذو الجلال والإكرام ، فلما شبت على صورة الأصل قيل لقوّامها من خلف حجاب الوصل؟ لا تخف نجوت من الفصل ولما دعيت لكشف القناع في حضرة السماع قدس من خشاش الشواغل واديها وخلع مرام صدقها نفعل الكيف والدين عند طرق ناديها تنزيهاً واجلالاً لمقعد صدق مناديها وسترت ببرقع الصعد والدك خفي وجوه الغيرية وباديها ، فقال لها : قد بلغت المنى إني أنا ، وقيل لصاحبها إني اصطفيتك فخذ ما آتيتك حين جاهد في الله حق جهاده بخروجه لمراد الله عن مراده وأناله الله منالاً فوق الأمل وأقامه مقاماً لا يبلغ بالعمل وإليها الإشارة بقوله: رب إني لا املك إلا نفسي صاحبها كل أيامه طيب وطرب وسائر لياليه قرب وقرب ، وجميع أحواله دنو وأدب في عجزه معروف بالقوة الباهرة ، وفي فقرة موصوف باسباغ النعم الباطنية والظاهرة .

الحادية عشر: النفس العلمية أم حضرة الكمالات وكتاب التفصيل والإجمالات صحيفة المعاني اللاهوتية المحمولة على عرش الكلمات الناسوتية هي التي تعرف جلابيب النسب والإضافات وألبست خلع أستار الصفات العليات ، وكشف دونها حجاب حضرة الذات فتحجبت بنور عز الوحدة عن غواشي أعين الشتات ، وصاحب هذه في كل زمان واحد الأعيان وروح الأكوان ومسير البيان عن علم الرحمن .

اللفظ الرابع: العقل وهو أيضاً مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها معنيان.

أحدهما: أنه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب.

والثاني: أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب. أعني تلك اللطيفة، ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه، والعلم صفة حالة فيه، والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم، وقد يطلق ويراد به محل الإدراك. أعني المدرك وهو المراد بقوله ﷺ: «أوّل ما خلق الله العقل» فإن العلم عرض لا يتصوّر أن يكون أوّل مخلوق بل لا بدّ وأن يكون المحل مخلوقاً قبله أو معه، لأنه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر أنه قال له تعالى: أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ... الحديث.

(اللفظ الرابع: العقل وهو أيضاً مشترك لمعان مختلفة ذكرناها في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملتها) أي من جملة تلك المعاني المذكورة **(معنيان)**.

(أحدهما: أنه قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب) وقد ورد في أخبار داود أنه سأل ابنه سليمان عليهما السلام: أين موضع العقل منك؟ قال: القلب لأنه قالب الروح والروح قالب الحياة.

(والثاني: أنه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب) لأنه كذلك، و **(أعني)** بالقلب هنا **(تلك اللطيفة)** لا المضغة. **(ونحن نعلم أن كل عالم فله في نفسه وجود هو أصل قائم بنفسه، والعلم صفة حالة فيه، والصفة غير الموصوف، والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم، وقد يطلق ويراد به محل الإدراك أعني المدرك وهو المراد بقوله ﷺ «أوّل ما خلق الله العقل)** رواه داود بن المجد في كتاب العقل عن صالح المري عن الحسن مرسلاً مرفوعاً، وابن المجد كذاب وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم، **(فإن العلم عرض لا يتصوّر أن يكون أوّل مخلوق بل لا بدَّ أن يكون المحل مخلوقاً قبله أو معه، ولأنه لا يمكن الخطاب معه)** ولذا قال الحافظ ابن حجر: الوارد في أوّل ما خلق الله حديث أوّل ما خلق الله القلم وهو أثبت من حديث العقل. **(وفي الخبر أنه قال له: «أقبل فأقبل، وقال له: أدبر فأدبر» الحديث)** أخرجه عبدالله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد عن علي بن مسلم، عن يسار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي، حدثنا مالك بن دينار، عن الحسن البصري مرفوعاً مرسلاً لما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر. قال «ما خلقت

فإذاً قد انكشف لك أن معاني هذه الأسماء موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم ، فهذه أربعة معان يطلق عليها الألفاظ الأربعة ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان والألفاظ الأربعة بجملتها تتوارد عليها . فالمعانى خمسة والألفاظ أربعة. وكل لفظ أطلق لمعنيين. وأكثر العلماء قد التبس عليهم اختلاف هذه الألفاظ وتواردها ، فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون: هذا خاطر العقل وهذا خاطر الروح ، وهذا خاطر القلب ، وهذا خاطر النفس ، وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء ولأجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الأسامي وحيث ورد في القرآن والسنّة لفظ القلب ، فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء ، وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب علاقة خاصة فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأوّل بالقلب وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها .

خلقاً أحب إليّ منك بك آخذ وبك أعطي » ويسار بن حاتم ضعفه غير واحد ، وقال القواريري : إنه لم يكن له عقل وقد تقدم الكلام فيه في كتاب العلم مفصلاً .

(فإذاً قد انكشف لك أن معاني هذه الأسامي موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعلوم. وهذه أربعة معان تطلق عليها الألفاظ الأربعة) النفس والروح والقلب والعقل، **(وكل لفظ أطلق لمعنيين)** على ما ذكر آنفاً **(وأكثر العلماء قد التبس عليه اختلاف هذه الألفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون: هذا خاطر العقل، وهذا خاطر الروح، وهذا خاطر النفس، وهذا خاطر القلب وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه الأسماء)** والأصل خاطران: ملكي وشيطاني فمن الملكي خاطر الروح والعقل والقلب، ومن الشيطاني خاطر النفس. وخاطر العقل أصله تارة من خاطر الملك وتارة من خاطر النفس وليس من العقل خاطر على الاستقلال، وسيأتي الكلام على ذلك في محله إن إن شاء الله تعالى. **(فلأجل كشف الغطاء عن ذلك قدمنا شرح هذه الأسامي)** ليكون المطالع لكلامنا على بصيرة ولا يخلط اصطلاحاً باصطلاح، **(وحيث ورد في القرآن والسنّة لفظ القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرف حقيقة الأشياء وقد يكنى عنه بالقلب الذي)** هو **(في الصدر لأن بين تلك اللطيفة وبين جسم القلب)** الذي هو عبارة عن المضغة **(علاقة خاصة)** كما تقدم، **(فإنها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له ولكنها تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الأول بالقلب)** ثم بسائر البدن، **(وكأنه محلها ومملكتها وعالمها ومطيتها)** . قال صاحب العوارف، بعد كلام طويل ساقه في تكوّن القلب من الروح والنفس في عالم الأمر كتكوّن الذرية من آدم وحواء في عالم الخلق ما نصه: والعقل جوهر

ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال: القلب هو العرش والصدر هو الكرسي، ولا يظن به أنه يرى أنه عرش الله وكرسيه فإن ذلك محال بل أراد به أنه مملكته، والمجرى الأوّل لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى، ولا يستقيم هذه التشبيه أيضاً إلا من بعض الوجوه وشرح ذلك أيضاً لا يليق بغرضنا فلنجاوزه.

الروح العلوي ولسانه والدال عليه وتدبيره للقلب المؤيد والنفس الزاكية تدبير الوالد البار والزوجة الصالحة، وتدبيره للقلب المنكوس والنفس الامارة تدبير الوالد للولد العاق والزوجة السيئة فمنكر من وجه ومنجذب إلى تدبيرهما من وجه إذ لا بدَّ له منهما وقول القائلين واختلافهم في محل العقل، فمن قائل أن محله الدماغ، ومن قائل أن محله القلب كلام الغائبين عن درك حقيقة ذلك واختلافهم في ذلك لعدم استقرار العقل على نسق واحد وانجذابه إلى البار تارة، وإلى العاق تارة أخرى، والقلب والدماغ نسبة إلى البار والعاق فإذا رأى تدبير العاق قيل مسكنه في الدماغ، وإذا رأى له تدبير البار قيل مسكنه القلب، ثم أطال في ذلك بما يأتي بعضه في محله.

(ولذلك شبه) أبو محمد **(سهل)** بن عبد الله **(التستري)** رحمه الله تعالى: **(القلب بالعرش والصدر بالكرسي، فقال: القلب هو العرش والصدر هو الكرسي)** فيما نقله عنه صاحب القوت وكذا قال غيره: الروح ثلاثة أجزاء سلطانية وروحانية وجسمانية، فموضع السلطان في القلب، وموضع الروحانية في الصدر، وموضع الجسمانية بين الدم واللحم، وقيل: بين العظام والروح. **(ولا تظن به أنه يرى أنه عرش الله)** المعهود **(وكرسيه)** المشهود، **(فإن ذلك محال بل أراد به أنه مملكته)** ومحل سلطنته، **(والمجرى الأوّل لتدبيره وتصرفه)** ثم منه ينصرف إلى سائر أجزاء البدن، **(فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى، ولا يستقيم هذا التشبيه أيضاً إلاَّ من بعض الوجوه)** ويقرب من ذلك قول من قال منهم القلب عرش الله الأعظم، **(وشرح ذلك أيضاً لا يليق بغرضنا)** إذ هو عالم الملكوت **(فلنتجاوزه)** إلى غيره.

تنبيه:

وجد في كلام القوم السرّ فمنهم من جعله بعد القلب وقبل الروح، ومنهم من جعله بعد الروح، وأعلى منه وألطف وقالوا: هو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة، والقلب محل المعرفة، ولم يقع لهذا اللفظ ذكر في كتاب الله ولا في السنّة إلا في حديث موضوع لا أصل له بلفظ: وفي القلب فؤاد، وفي الفؤاد ضمير، وفي الضمير سر، وفي السر أنا. وإنما المذكور في كلام الله الروح والنفس والقلب والفؤاد والعقل. قال صاحب العوارف الذي سموه سراً ليس بشيء مستقل بنفسه له وجود كالروح والنفس، وإنما لما صفت النفس وتزكت انطلقت الروح من وثاق ظلمة النفس

بيان جنود القلب:

قال الله تعالى: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ [المدثر: ٣١] فلله سبحانه في القلوب والأرواح وغيرها من العوالم جنود مجندة لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو، ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب فهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان: جند يرى بالأبصار وجند لا يرى إلا بالبصائر، وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والأعوان، فهذا معنى الجند. فأما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والأذن واللسان وسائر الأعضاء الظاهرة والباطنة فإن جميعها خادمة للقلب ومسخرة له فهو المتصرف فيها والمردد لها، وقد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافاً ولا عليه تمرداً فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت، وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت، وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم، وكذا سائر الأعضاء وتسخير

وأخذت في العروج إلى إدراك القلب وانتزاع القلب عند ذلك من مستقرة متطلعاً إلى الروح، فاكتسب وصفاً زائداً على وصفه فانعجم على الواجدين ذلك الوصف، حيث رأوه أصفى من القلب فسموه سراً، والذين زعموا أنه ألطف من الروح روح متصفة بوصفه أخص مما عهدوه والذين سموه قبل الروح سراً هو قلب اتصف بوصف غير ما عهدوه.

بيان جنود القلب:

(**قال تعالى ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾**) قال قتادة: من كثرتهم. أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وعن ابن جرير مثله. أخرجه ابن المنذر، وفي حديث أبي سعيد الخدري صاحب سماء الدنيا ملك اسمه إسماعيل وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك منهم جنده مائة ألف، وتلا هذه الآية. أخرجه الطبراني في الأوسط.(**فلله سبحانه وتعالى في القلوب والأرواح وغيرها من العوالم**) الملكوتية (**جنود مجندة**) أي كثيرة مجتمعة (**لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها إلا هو**) جل جلاله. (**ونحن الآن نشير إلى بعض جنود القلب وهو الذي يتعلق بغرضنا**) في الكتاب، (**وله**) أي للقلب (**جندان: جند يرى بالأبصار، وجند لا يرى إلا بالبصائر وهو**) أي القلب (**في حكم الملك**) المتصرف في رعايته، (**والجنود في حكم الخدم والأعوان**) والاتباع. (**وهذا معنى الجند فأما جنده المشاهد بالعين فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وسائر الاعضاء الظاهرة والباطنة فإن جميعها خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها**) لأنها بمنزلة الرعية له، (**وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافاً ولا عليه تمرداً**) وعصياناً، (**فإذا أمر** العين بالانفتاح **انفتحت، وإذا أمر الرجل بالحركة تحركت وإذا أمر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم**) كل ذلك بسرعة، (**وكذا سائر الأعضاء وتسخر الأعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه**

الأعضاء والحواس للقلب يشبه من وجه تسخير الملائكة لله تعالى، فإنهم مجبولون على الطاعة لا يستطيعون له خلافاً بل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وإنما يفترقان في شيء وهو أن الملائكة عليهم السلام عالمة بطاعتها وامتثالها والأجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها للقلب، وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب والزاد لسفره الذي لأجله خلق وهو السفر إلى الله سبحانه وقطع المنازل في لقائه فلأجله خلقت القلوب. قال الله تعالى: ﴿وما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] وإنما مركبه البدن وزاده العلم، وإنما الأسباب التي توصله إلى الزاد وتمكنه من التزوّد منه هو العمل الصالح وليس يمكن العبد أن يصل إلى الله سبحانه ما لم يسكن البدن ولم يجاوز الدنيا، فإن المنزل الأدنى لا بدّ من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى، فالدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى، وإنما سميت دنيا لأنها أدنى المنزلتين فاضطر إلى أن يتزوّد من هذا

تسخر الملائكة لله تعالى فإنهم جبلوا على الطاعة) والانقياد (**لا يستطيعون له خلافاً لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**) به كما هو معلوم من شأنهم، (**وإنما يفترقان في شيء وهو أن الملائكة عالمة بطاعتها وامتثالها والأجفان تطيع القلب في الانفتاح والانطباق على سبيل التسخر ولا خبر لها من نفسها ومن طاعتها القلب، وإنما افتقر القلب إلى هذه الجنود من حيث افتقاره**) واحتياجه (**إلى المركب والزاد لسفره الذي لأجله خلق وهو السفر إلى الله تعالى وقطع المنازل إلى لقائه**) ومشاهدته، (**فلأجله خلقت القلوب قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والأنس إلاّ ليعبدون﴾**) والمراد بالعبادة هنا المعرفة ولا تتم المعرفة إلاّ بالسفر إلى الله، (**وإنما مركبه البدن وإنما زاده**) الذي يتزوّده من دنياه (**العلم**) النافع، (**وإنما الأسباب التي توصله إلى الزاد وتمكنه من التزوّد منه العمل الصالح**) فالعمل الصالح، وإن كان فرعاً للعلم النافع في الحقيقة لكنه صار بمنزلة الأصل في استقرار العلم به كما قيل: هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل، ونقل صاحب الذريعة عن علي رضي الله عنه قال: الناس سفر والدنيا دار ممر لا دار مقر، وبطن أمه مبدؤ سفره والآخرة مقصده، وزمان حياته مقدار مسافته، وسنوه منازله وشهوره فراسخه، وأيامه أمياله، وأنفاسه خطاه يسار به سير السفينة براكبها. كما قال الشاعر:

رأيت أخا الدنيا وإن كان حاضراً ... أخا سفر يسري به وهو لا يدري

(**وليس يمكن أن يصل العبد إلى الله تعالى ما لم يسكن البدن**) ويتزود من العلم والعمل، (**ولا**) يصل ما (**لم يجاوز الدنيا**) بسفره منها، (**فإن المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى والدنيا مزرعة الآخرة**) قد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم. (**وهي منزل من منازل الهدى، وإنما سميت دنيا**) وهي تأنيث الأدنى (**لأنها أدنى المنزلتين**) من الدنو

العالم، فالبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه، وإنما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره، وأن يدفع عنه ما ينافيه من أسباب الهلاك فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين: باطن وهو الشهوة، وظاهر وهو اليد والأعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج إليه وخلقت الأعضاء التي هي آلات الشهوات وافتقر لأجل دفع المهلكات إلى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء. وظاهر وهو اليد والرجل الذي بهما يعمل بمقتضى الغضب. وكل ذلك بأمور، فالجوارح من البدن كالأسلحة وغيرها ثم المحتاج إلى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء وإلفه، فافتقر للمعرفة إلى جندين: باطن وهو إدرك السمع والبصر والشم واللمس والذوق، وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة. وقد أشرنا إلى طرف يسير منها في كتاب الشكر فليقتنع به.

بمعنى القرب، وأقصى المنزلتين وهي الآخرة ومنهم من جعله تأنيث الأدنأ بالهمز من الدناءة وهي الخساسة، (**فاضطر إلى أن يتزود من هذا العالم والبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهد البدن وحفظه، وإنما يتحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء وغيره**) كالشرب واللبس والنسيم، (**وبأن يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من أسباب الهلاك**) من الجوع المفرط والعطش المفرط وتخفيف اللباس في الشتاء وشم الروائح الكريهة واستعمال ما يضر من المسكرات والسموم وغير ذلك، (**فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن وهو الشهوة**) وهي الإرادة النفسية، (**وظاهر وهو اليد والأعضاء الجالبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج إليه**) من قبول الأغذية، (**وخلقت الأعضاء التي به آلات الشهوة وافتقر لأجل دفع المهلكات إلى جندين: باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء**) واصله من ثوران دم القلب تنبعث منه الحرارة فتنتشر في الأعضاء فيكون سبباً لحماية عرضه وانتقامه. (**وظاهر وهو اليد والرجل الذي يعمل**) من الحركات (**بمقتضى الغضب، وكمل ذلك بأمور خارجة عن البدن كالأسلحة وغيرها**) تقوية لها، (**ثم المحتاج إلى الغذاء إذا لم يعرف الغذاء لا تنفعه شهوة الغذاء وآلته، فافتقر للمعرفة إلى جندين: باطن وهو إدراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس، وظاهر: وهو العين والأذن والأنف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة إليها ووجه الحكمة فيها يطول ذكره**) لكثرة الكلام فيه وفي متعلقاته، (**ولا تحويه مجلدات كثيرة. وقد أشرنا إلى طرف يسير منه في كتاب الشكر**) كما سيأتي (**فليقنع به**).

فجملة جنود القلب تحصرها ثلاثة أصناف: صنف باعث ومستحث إما إلى جلب النافع الموافق كالشهوة وإما إلى دفع الضار المنافي كالغضب، وقد يعبر عن هذا الباعث بالإرادة. والثاني: هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار، والثالث:

(فجملة جنود القلب يحصرها ثلاثة أصناف).

الأول: (صنف باعث) ومحرك **(ومستحث إما إلى جلب الموافق النافع كالشهوة وإما إلى دفع الضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالإرادة)** إذ هي القوة المركبة من الشهوة والحاجة والأمل.

(و) الصنف (الثاني: هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد) من جلب نافع أو دفع ضار **(ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة)** إذ هي إظهار الشيء من غير سبب ظاهر، **(وهي جنود مبثوثة)** أي منتشرة **(في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار)** أما الأوتار جمع وتر محركة وهو عضو عصباني ينبت من طرق العضل فيلاقي الأعضاء المتحركة وهو مؤلف في الأكثر من العصب النافذ في العضلة البارز منها في الجهة الأخرى، ومن الرباط الذي هو عضو عصباني المرائي والملمس من جهة البياض واللزونة، وقد تتألف من أوتار عضلات كثيرة موضوعة على الساق كوتر العنق. وأما العضلات محركة عضلة كقصبة وقصبات فهو اسم لجملة العصب والرباط إذا استدقت وتشظت شظايا دقاقاً وحشى الخلل الواقع بينها لحماً وغشي غشاء ومنفعة العضل أن الإنسان إذا أراد أن يصرف عضواً من آخر حرك فتشنجت وزاد في عرضها ونقص من طولها، وإذا أراد التبعيد حركها فاسترخت وزاد في طولها ونقص من عرضها فحصل المقصود، والعضل الذي يحرك عضواً كبيراً كالعضل الذي في الفخذ المحرك وينبت منه إما وتر، وإما أوتار متصل بالعضو الذي يحركه، وربما تعاونت عدة عضلات على تحريك عضو واحد والذي يحرك عضواً صغيراً يكون صغيراً كالعضلات المحركة للأجفان العليا، فإنها صغار جداً وليس لها أوتار، وكل عضو يتحرك حركة إرادية فإنه له عضلة بها تكون حركته فإن كان يتحرك إلى جهات مضادة كانت له عضلات متضادة الوضع يجذبه كل منها إلى ناحيتها عند كون تلك الحركة ويمسك المضادة لها عن فعلها، وإن اعملت المتضادتان في الوضع في وقت واحد انشق العضو أو تمدد وقام مستقيماً لا يتحرك. مثال ذلك أن الكف إذا مدها العضل الموضوع في باطن الساعد انثنى، وإن مده العضل الموضوع في ظهره انحنى وانقلب إلى خلف، وإن مداها جميعاً استوى وقام بينهما، وجملة ما للبدن من الحركات الإرادية حركة جلدة الجبهة، وحركة العينين والخدين وطرفي الأنفين والشفتين واللسان، وحركة الحنجرة والفك، وحركة الرأس والعنق، وحركة الكتف وحركة مفصل العضد مع الساعد، وحركة مفصل الساعد مع الرسغ، وحركة الاصابع. وكل واحد من مفاصلها وحركة الأعضاء التي في الحلق، وحركة الصدر للتنفس،

هو المدرك المتعرف للأشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس وهي مبثوثة في أعضاء معينة يعبر عن هذا بالعلم والإدراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من الشحم واللحم والعصب والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود، فإن قوة البطش إنما هي بالأصابع، وقوّة البصر

وحركة القضيب، وحركة المثانة في منعها خروج البول، وحركة المعاء المستقيم في منعها خروج الثفل، وحركة مراق البطن، وحركة مفصل الورك والفخذ، وحركة مفصل الفخذ والساق، وحركة مفصل الساق والقدم، وجملة ما ذكر جالينوس من عضلات البدن خمسمائة وتسع وعشرون أو سبع وعشرون عضلة منها: تسع للوجه، وأربع وعشرون للعينين، واثنتا عشرة لتحريك الفك الأسفل، وثلاث وعشرون لتحريك الرأس والعنق، واثنتان وثلاثون لحركة الحلق والحنجرة، وتسع لتحريك اللسان، وأربع عشرة للكتفين، وست وعشرون للعضدين، وثمان لعضل المرفقين، وأربع وثلاثون للساعدين، وست وثلاثون في الكتفين، ومائة وسبع لحركة الصدر، وثمان وأربعون لتحريك الصلب، وثمان موضوعة على البطن أربع للانثيين وواحدة لعنق المثانة، وأربع يحرك الذكر، وأربع يحيط بالدبر، وست وعشرون لعضل الورك. وقيل: أربع وعشرون لمفصل الركبتين وحركة الساق، وثمان وعشرون لحركة القدم، وبعض حركات الأصابع. وثمان وخمسون أو ثنتان وخمسون موضوعة في القدم، ولبيان ذلك تفصيلاً تطويل لا يسعه هذا الموضع، وإنما أشرنا بجمل منها لئلا يخلو الكتاب منه.

(**والثالث: هو المدرك المتعرف للأشياء كالجواسيس**) جمع جاسوس وهو الذي يتجسس الأخبار ويستخبر عنها (**وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق وغيرها**) كاللمس، (**وهي مبثوثة في أعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والإدراك**) أما العلم فمعروف، وأما الإدراك فهو إحاطة الشيء بكامله وهذا هو الإدراك الكامل، وقد يكون ناقصاً إذا لم يكن كذلك،ولكل من هذه القوى إدراكات مخصوصة يأتي إن شاء الله ذكرها، (**ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الأعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي أعدت آلات لهذه الجنود**) أما اللحم فهو حشو خلل الأعضاء وقوتها التي يندعم بها، وهذا الحد تندرج فيه أنواع اللحم.

أحدها: اللحم الذي في العضل وهو أكثر ما في البدن.

الثاني: اللحم المفرد وهو لحم الفخذين ولحم ظاهر الصلب وباطنه ولحم الأسنان وإنما احتيج إليه ليقوي أصول الأسنان ويمنع من التزعزع، وهذا هو المسمى باللحم على الإطلاق.

والثالث: اللحم الفردي كلحم الأسنان ولحم الثدي ولحم الندة التي تحت اللسان وغير ذلك.

والرابع: السمين وهو ما يعلو على اللحم الأحمر، ولأنواع اللحم مطلقاً منافع مذكورة في محالها.

إنما هي بالعين. وكذا سائر القوى. ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة أعني الأعضاء فإنها من عالم الملك والشهادة وإنما نتكلم الآن فيما أيدت به من جنود لم تروها. وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ما قد أسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس وإلى ما أسكن منازل باطنة: وهي

وأما الشحم فهو جسم أبيض لين في الغاية أكثر لينا من السمين مثل الإلية في ذوات الأربع.

وأما العصب: فهو عضو أبيض لين الانعطاف صلب الانفصال منبته الدماغ أو النخاع وفائدته أن يتم به للأعضاء الحس والحركة.

وأما الدم: فهو رزق البدن الأقرب إليه المحوط فيه.

وأما العظم: فهو عضو مفرد وهو الذي أي جزء محسوس أخذت منه كان مشاركاً للكل في الطبع والمزاج، ولذلك يسمى متشابه الأعضاء وقد خلق صلباً لأنه أساس البدن ودعامة الحركات.

(فإن قوة البطش إنما هي بالأصابع وقوة البصر إنما تدرك الشيء بالعين وكذا سائر القوى، ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة أعني الأعضاء من عالم الملك والشهادة) وهي ظاهرة لكل متأمل، **(وإنما نتكلم الآن فيما أيد به)** القلب **(من جنود لم تروها)** وهي الباطنة **(وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم إلى ما أسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس)** وتحقيق هذا المقام يستدعي إلى بسط كلام حاصله: إن منفعة الأعصاب منها ما هي بالذات، ومنها ما هي بالعرض، والذي بالذات إفادة لدماغ بتوسطها لسائر الأعضاء حساً وحركة، والذي بالعرض فمن ذلك تشديد اللحم وتقوية البدن والأعصاب مبدؤها الدماغ والنخاع، فإن الدماغ لما لم يحتمل أن يكون منبتاً لجميع أعصاب الحس والحركة إن لو نبت الجميع منه وهو مخلوق على مقداره إلا أن يبقى منها ما يبقى صغيراً لا يليق بنوع الإنسان ولو خلق كبيراً ليبقى بعد خروج الأعصاب منه قدر طبق بالنوع للزم منه آفات مذكورة في محالها، فلذلك اقتضت الحكمة الإلهية، أن يخلق جسماً على طبيعة الدماغ متصلاً به كالنهر الكبير الجاري من ينبوع عين وهو النخاع، وهو جعله خليفة له في ذلك، وحظي بخرز الظهر والسناس كما حظي الدماغ بالقحف، وأخرجه منه الأعصاب في مقابلة عضو عضو من الأعضاء كالجداول والسواقي التي تأخذ من النهر الكبير لتصل قوة الحس والحركة من الدماغ إلى الأعضاء بتوسط الأعصاب والنخاعية، فمبدأ الأعصاب هو النخاع ثم أنه يصلب كلما بعد حتى يصير عصباً تام النوع، وجميع الأعصاب الدماغية والنخاعية أزواج فرد من كل نبت من اليمين، وآخر من اليسار سوى عصب واحد فإنه فرد لا زوج له، وهو آخر النخاعيات، فما نبت من الدماغ نفسه سبعة أزواج بها حس الحواس الخمسة، وحس بعض الأعضاء كما سيأتي بيانه، وإن كان حس اللمس منها عاماً في جميع الجسد واللحم، وإنما جعل هذه الأعصاب مبدأ الحواس الخمس دون النخاعيات لأنها يجب أن تكون ألين من النخاعيات لدرك الحواس أسرع، وتؤدي ما

تدرك إلى القوى الباطنة كذلك وكان لينها مناسباً للين الدماغ بخلاف النخاعيات فإنها لما كان الاعتماد في الحركات إليها احتاجت إلى فضل صلابة لا يناسب ما ذكرنا، وأيضاً لما كانت الحواس في الرأس كان المناسب أن تكون الأعصاب الدماغية مبدأ لها لئلا تبعد المسافة بين المبدأ والمقصود فيلزم ما مرت الإشارة إليه من الآفات.

الزوج الأول من الأزواج السبعة الدماغية عصبتان مجوفتان منشأهما من زائدي مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي اللتين تصيران إلى المنخرين، وبهما تكون حاسة الشم، وقد فارقتا لين الدماغ قليلاً، ولم تلحقهما صلابة العصب، وأخذ كل منهما أي من العصبتين إلى خلاف جهة منشأه فإذا بعدتا من منشأهما قليلاً اتصلتا وأفضى ثقب كل منهما إلى الأخرى، ويسمى ذلك مجمع النور، وإنما جمعا ههنا لئلا يرى الشيء الواحد شيئين، ولتكون للزوج السائلة إلى الحدقتين غير محجوبة من السيلان إلى الآخر إذا عرضت له آفة، ولذلك يصير كل واحدة من الحدقتين أقوى إبصاراً إذا غمضت الأخرى، وأصفى منها لو لحظت، والأخرى لا تلحظ ولكن يستدعي كل عصبة بالأخرى ويستند إليها ويصير كأنها نبتت من قرب الحدقة ثم يفترقان، وهما بعد داخل القحف فيصير شكلها هكذا + ثم يخرجان من القحف، وذكر جالينوس أنهما إذا التقتا في موضع التقاطع الصليبي انطعف النابت يميناً إلى الحدقة اليمنى، والنابت يساراً إلى الحدقة اليسرى ثم يستدير كل منهما حول الرطوبة الزجاجية ويحتوي عليها بعد أن يصيرا عريضتين ويتسع ويغلظ شفتاهما فيوصلا إلى العينين خاصة البصر.

الزوج الثاني: منشأهما خلف الزوج الأول يتفرقان في عضل العين فيوصل إليها قوة الحركة.

الزوج الثالث: منشأهما منشأ الزوج الثاني وعند طلوعهما من القحف ينقسمان أربعة أجزاء الثالث منها يخرج من الثقب الذي في العين، ثم ينقسم ثلاثة أقسام، الثالث منها ينحدر في الوجنة، ثم ينقسم إلى قسمين الثاني منها يتفرق في طرف الأنف والشفة العليا وفي الجلدة التي على الوجه، ورابع الأجزاء المشار إليها أولاً ينحدر في اللحي الأعلى فيتفرق أكثره في طبقة اللسان ويوصل إليها حاسة الذوق.

الزوج الرابع: منشأهما منشأ الزوج الثالث: يتفرق في الطبقة المغشية لا على الحنك فيوصل إليها حساً خالصاً فقط.

الزوج الخامس: هما مضاعفان كأنهما زوجان أحدهما زوج به حس السمع ومنشأه خاصة من مقدم خلف منشأ الرابع ومدخله من ثقب المسامع، وإذا صار فيه غشاه، والثاني زوج يخرج من الثقب الذي في العظم الحجري المعروف بالأعمى ثم يختلطان بالزوج الثالث، ويتصل أكثرهما بالعضلة العريضة التي تحرك الخد من غير أن يتحرك معه اللحي.

الزوج السادس: مخرجها من الثقبين اللذين في منتهى الدرز اللامي ويخرج من كل منها ثلاثة أعصاب أول يصير إلى أصل اللسان ليعين الزوج السابع في تحريك اللسان، والثاني ينحدر إلى

تجاويف الدماغ وهي أيضاً خمسة، فإن الإنسان بعد رؤية الشيء يغمض عينيه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال. ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ، ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك إلى البعض، ثم يتذكر ما قد نسيه ويعود إليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات، ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ. **ولولا خلق الله قوة الحفظ والفكر** والذكر والتخيل لكان الدماغ يخلو عنه كما تخلو اليد والرِجل عنه، فكذلك القوى أيضاً جنود باطنة وأماكنها أيضاً باطنة، فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث

الصدر فيثقب ويتفرق منها شعب تصير إلى فم المعدة وبذلك صار بين المعدة والدماغ مشاركة بسببها يحصل الغثيان عند شم الروائح الكريهة ويحس ببرد الماء بين الحاجبين إذا شرب.

الزوج السابع: منشأهما مؤخر الدماغ ثم ينقسم ويتفرق أكثره في عضل اللسان، فهذه الأزواج السبعة التي ذكرناها وهي حس الحواس الخمس منبتها في الدماغ، وأما ما ينبت من النخاع فأحد وثلاثون زوجاً وفرد، ولكل منها أعمال في أعضاء الحس لبعض الأعضاء على الفصيل الذي ذكره أهل التشريح.

(**وإلى ما أسكن المنازل الباطنة وهي تجاويف الدماغ**) الثلاثة على ما يجيء بيانها (**وهي أيضاً خمسة**) وأشار إلى وجه الحصر بقوله: (**فإن الإنسان بعد رؤية الشيء**) بعينه (**يغمض عينه**) الباصرة (**فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال**) وتسمى هذه القوة بالمتخيلة ومن شأنها أن تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة الحادة بحيث يشاهد معاً الحس المشترك، كلما التفت إليه فهي خزانة للحسّ المشترك ومحله البطن الأول من الدماغ، (**ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ**) وتسمى هذه بالقوة الحافظة ومن شأنها ضبط الصور المدركة وهي تأكد العقول واستحكامه في العقل، (**ثم يتفكر فيما يحفظه فيركب بعض ذلك إلى بعض**)وهذه هي القوة المتفكرة ومن شأنها إطراق العلم للمعلوم، (**ثم يتذكر ما نسيه**) ويعود إليه وهذه هي القوة المتذكرة ومن شأنها استحضار ما تقتنيه من المعرفة، (**ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك بين المحسوسات**) وهذه هي المسماة بالحس المشترك، (**ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ**) وهي المسماة بالحواس الخمسة الباطنة، (**فلولا خلق الله قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه كما يخلو عنه اليد والرجل، فتلك القوى أيضاً جنود باطنة وأماكنها أيضاً باطنة**).

قال الراغب في الذريعة: قد جعل الله تعالى للإنسان خمس قوى يدل على وجودها فيه ما يظهر من تأثيراتها. قوة الغذاء وبها يظهر النشوّ والتربية والولادة، وقوة الحس وبها الإحساس واللذة والألم، وقوة التخيل وبها تتصور أعيان الأشياء بعد غيبوبتها عن الحس، وقوة النزوع وبها يكون الطلب للموافق والهرب من المخالف والرضا والغضب والإيثار والكراهة، وقوة التفكر وبها يكون

....

النظر والعلم والحكمة والدراية والتدبير والمهنة والرأي والمشورة. فأما القوى المدركة منها فخمس: الحواس والخيال والتفكر والعقل والحفظ. فأما الحواس فلكل واحد منها إدراك مخصوص فللمس عشر إدراكات الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة، والصلابة والرخاوة والثقل والخفة، وللذوق سبع الحلاوة والمرارة والملوحة والحموضة والحرافة والعفوصة والعذوبة، وللشم اثنان الطيب والنتن، وللسمع اثنان الصوت الخفيف والصوت الثقيل، وللبصر إحدى عشرة النور والظلمة واللون والجسم وسطحه وشكله ووصفه وإبعاده وحركاته وسكناته واعداده، فأدون هذه الإدراكات اللمس، ثم الذوق ثم الشم فالنفس لا تكاد تستعين بها إلا فيما يعود نفعه إلى صلاح الجسم، وأرفع الإدراكات العقل ثم الفكر ثم التخيل ثم الحس، إلا أن العقل والفكر يدركان الأشياء الروحانية، فأما السمع والبصر فمتوسطان، فإنهما يخدمان النفس والجسم وخدمتهما للنفس أكثر ويدركان الأشياء الجسمانية والتخيل متوسط بين العقل والفكر وبين السمع والبصر فيأخذ تارة من السمع والبصر ويسلم إلى العقل والفكر، وذلك في حال اليقظة، ويأخذ تارة من العقل والفكر ويسلم إلى السمع والبصر وذلك في حال النوم. وفي شرح الشفاء للخفاجي عند ذكره الحواس الخمس الباطنة قد أنكرها قوم وأثبتها الحكماء على أنهم في إثبات أماكنها في حيص بيص اهـ ملخصاً.

قلت: وتحقيق الكلام فيه أن القوى المدركة خمس في الظاهر، وخمس في الباطن. فالخمس الظاهرة قوة البصر وموضعها عند التقاطع الصلبي بين العصبتين الآتيتين إلى العينين من شأنها إدراك الألوان والأضواء والأشكال والمقادير والحركات وقوة السمع، وموضعها العصب المفروش على الصماخ من شأنها إدراك الأصوات وقوة الشم وموضعها الزائدتان من الدماغ الشبيهتان بحلمتي الثدي من شأنها إدراك الرائحة المتصعدة مع الهواء المستنشق المتكيف بها، وقوة الذوق وموضعها العصب المفروش على اللسان من شأنها إدراك الطعوم بتكيف الرطوبة اللعابية التي في الفم وقوة اللمس وموضعها الجلد، وأكثر اللحم من شأنها إدراك الملموسات في حرها وبردها ورطوبتها ويبوستها وخشونتها وصلابتها وملاستها ولينها وخفتها وثقلها. وأما الخمس الباطنة فمنها مدركة للصور المحسوسة بالإدراك الظاهر عند حضور المحسوسات وحال غيبتها وهي الحس المشترك المدرك لما يدركه الحواس الخمس الظاهرة وموضعه مقدم البطن المقدم من الدماغ وخزانته الخيال إذ فيه، تجتمع صور المحسوسات بعد غيبتها من الحواس الظاهرة فتحفظ تلك الصور وموضعه مؤخر البطن المقدم، ومنها مدركة للمعاني الجزئية التي ليست بمحسوسة القائمة بتلك الصور المحسوسة كصداقة زيد وعداوة عمرو، وهي الوهم وموضعها البطن الأوسط وخزانته الحافظة، وموضعها البطن المؤخر ومنها متصرفة وهي القوة التي تحلل الصور وتركبها وتحلل المعاني وتركبها، فتارة تفصل الصورة عن الصورة والمعنى عن المعنى والصورة عن المعنى، وتارة تركب الصورة بها وبالمعنى وتارة تركب المعنى بها. وبالصورة وهي إن استعملت في الأمور الجزئية تسمى متخيلة، ومحل هذه القوة الدودة التي في وسط الدماغ، والدليل على اختصاص هذه القوى بهذه المواضع اختلال فعلها بخلل هذه المواضع، فإن الفعل إذا اختص بالموضع أورث الآفة في فعل القوة

المختصة بذلك الموضع هذا على رأي الفلاسفة. وأما الأطباء فإنهم لما لم يعرفوا إلاّ حدوث الآفة في التخيل والفكر والذكر بعروض الفساد للتجاويف الثلاثة ولم يثبتوا إلا هذه القوى الثلاث: فالحس المشترك والخيال عندهم واحد وموضعها البطن المقدم من الدماغ، وكذلك المتصرفة والوهم واحد عندهم وموضعها البطن الأوسط وموضع الحافظة عندهم البطن المؤخر، فلكل بطن ن بطون الدماغ قوة واحدة عندهم كذا ذكره شراح الموجز. ونزيدك بياناً في تشريح الدماغ وما فيه من التجاويف.

فاعلم أن الدماغ جوهر رخو متخلخل أبيض اللون مركب من المخ والشريانات والأوردة وهو مجلل بالغشاء اللين الرقيق المسمى بأم الدماغ والسمحاق، والغشاء الصلب الثخين الذي يلاقي القحف وهيئته شبيهة بمثلث قاعدته من جانب مقدم الرأس وزاويته التي يحيط بها الساقان من جانب المؤخر واحد الغشاءين، وهذا اللطيف مماس لجوهر الدماغ ومخالط له في مواضع والآخر مماس للقحف، وللدماغ أيضاً في أمكنة منه وجميع الدماغ منصف في طوله من مقدمه إلى مؤخره تنصيفاً نافذاً في حجبه ومخه وبطوله وليس الدماغ مصمتاً بل له تجاويف مملوءة أرواحاً يفضي بعضها إلى بعض يسمى بطون الدماغ وهي ثلاثة. والتجويف الأول أعظم والوسطاني أصغر منه بالتدريج، والمؤخر أصغر كذلك، وهو منبت النخاع فكان النخاع ذنب الدماغ. وأما فضلات الدماغ فأكثرها يندفع في المجريين الأول عند الحد المشترك بين التجويف الأول والأوسط، والثاني عند الحد المشترك بين التجويف الأوسط والأخير، وبالدماغ يكون الحس والحركة للأعضاء. أما الحس فبواسطة العصب اللين وأما الحركة فبواسطة العصب الصلب، ولما كان أكثر الأعصاب الحسية ينبت من مقدمه والصلبة من مؤخره جعل مقدمه ألين من مؤخره ولذا جعل التخيل في مقدم الدماغ لاحتياجه إلى سرعة انطباع الأشياء فيه، ولا يتم ذلك. إلا باللين وجعل الحافظة في مؤخره لاحتياجها إلى جودة الإمساك الذي لا يتم إلا باعتدال من اليبس إذا الرطب السيال لا ثبات له، وجعل الفكرة في الوسط لاحتياجها إلى اعتدال بين الرطوبة واليبوسة والوسط كذلك.

ووجدت بخط بعض المقيدين قال وجدت بخط الحافظ ابن حجر ما لفظه: وقع في حال قراءتي مختصر ابن الحاجب الأصولي على شيخنا إمام الأئمة عز الدين بن جماعة مفخر هذا العصر في الكلام على الفكر بعد تقريره وتحريره ما أخبرنا أنه تلقنه عن شيخه العلامة جار الله أنه تلقنه عن شيخه الشارح العلامة قطب الدين بن الشيرازي، أنه أفاده في تشريح الدماغ ما مختصره جاءتني كيفية من حفظني بعد قراءتي المجلس أن في الرأس دائرة مفرطحة صورتها هكذا:

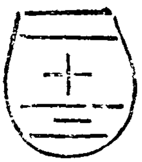

وأن الخط الأول وهو في مؤخر الرأس للحس المشترك، وأن الخط الذي يليه خط خزانة الخيال، وأن الخط الطويل الذي يليه وهو في وسط الرأس للحفظ، وأن الخط الصغير الذي يليه خزانة الوهم، وأن الخط الأخير المقصر وهو في مقدم الرأس، وأن الخط الصغير المستطيل للفكر، وأنه يسمى الدودة وإنما

يدركه فهم الضعفاء بضرب الأمثلة يطول. ومقصود مثل هذا الكتاب أن ينتفع به الأقوياء والفحول من العلماء، ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الأمثلة ليقرب ذلك من أفهامهم.

سمي بذلك لكونه ينقبض تارة وينبسط حال الفكر، وإن من أراد مداواة حفظه ينبغي له أن يحلق وسط رأسه، وإن فسد تصوره ينبغي له حلق مقدم رأسه إلى آخر كلامه المحرر في ذلك فولد لي الفكر إن نظمت فيما يتعلق بخط التصور هذين البيتين، وما عنيت أحداً وأنشدته إياهما فاستحسنها إجادة فضله، فلما كان عند انفصالي من المجلس سألني أن أكتبها ولا أهملها، فامتثلت أمره وعلقت هذه الأجوبة اللطيفة في هذه التذكرة، وهذان البيتان المشار إليهما أولاً:

لنا صديق دعواه غايتها ... لم يدن منها سوى معلمه
يحتاج في حال الخطاب إلى ... تحليقه الرأس من مقدمه

جعلت ذلك كناية عن فساد تصوره بناء على ما تقدم من ذلك التشريح وقلت أيضاً:

لا تصبحن جهولاً ... وكن عليك بنفسك
فإن فعلت وإلا ... فاحلق مقدم رأسك

اهـ ما وجدته.

قلت: وقوله في خط الفكر أنه يسمى الدودة الذي ذكره أهل التشريح ما نصه: وللتجويف الأول يعني من الدماغ مجرى آخر وهو الزائدتان ينبتان من بطنيه المقدمين، وأكثر فضلات هذا التجويف يندفع في هذا المجرى إلى الأنف والدروز والانعطافات التي في الدماغ جعلت كقطع الجوشن المنسوج بعضه ببعض، ويسمى قاعدة سقف التجويف الأوسط، وأجزاؤه التي في جانبيه أعني جانبي التجويف بالدودة لطول قليل في خلقتها مواز لطول الدماغ، ولأجل حركة انقباضها وانبساطها فبالانبساط يطول وبالانقباض يقصر وينبسط عرضاً كالدودة المتحركة، ولأجل هذه الحركة يجعل في هذه القاعدة ورز بل هي قطعة واحدة لتكون أقوى في الحركة اهـ.

(**فهذه هي أقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء يطول**) لأنه يحتاج إلى بسط مقدمات يخرج فيها عن القصد، (**ومقصود هذا الكتاب أن ينتفع به الأقوياء والفحول من العلماء**) الذي يفهمون المقصود بأدنى عناية، (**ولكن نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الأمثلة ليقرب ذلك من أفهامهم**) ويسهل عليهم إدراكه فنقول:

بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة:

اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقياداً تاماً فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد، وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه، وحقه أن يستعين بهذا الجند فإنه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين، فإنهما قد يلتحقان بحزب الشيطان، فإن ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقيناً وخسر خسراناً مبيناً، وذلك حالة أكثر الخلق فإن عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة. وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم

بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة:

(اعلم أن جندي الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقياداً تاماً فيعينه ذلك) الانقياد **(منهما على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقته في السفر الذي هو بصدده، وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد)** فيغلبان عليه **(حتى يملكانه ويستعبدانه)** بجذبهما له إلى موافقته لما يصدر منهما، **(وفيه هلاكه)** الأبدي **(وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد)** وهي أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وقدرة بلا عجز، وعلم بلا جهل، وغنى بلا فقر، وأصعب هذين الجندين جند الشهوة وقمعها أصعب لأنها أقدم القوى وجوداً في الإنسان وأشدها به تشبثاً وأكثرها منه تمكناً فإنها تولد معه وتوجد فيه، فإن لم يغلبها غلبته وضرته وصرفته عن طريق الآخرة كما أشار إليه المصنف.

فإن قيل: فإذا كانت الشهوة بهذه المثابة في الإضرار فأي حكمة اقتضت أن يبلى بها؟ قلت: الشهوة إنما تكون مذمومة إذا كانت مفرطة وأهملها صاحبها حتى ملكت القوى فأما إذا أدبت فهي المبلغة إلى السعادة حتى لو تصورت مرتفعة لم يمكن الوصول إلى الآخرة، وذلك لأن العبادة التي هي سبب الوصلة إلى الآخرة لا تتم إلا بحفظ البدن ولا سبيل إلى حفظه إلا بتناول الأغذية، ولا يمكن ذلك إلا بالشهوة فإذاً الشهوة محتاج إليها ومرغوب فيها فتأمل.

(وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر كما سيأتي شرحه، وحقه) أي السالك **(أن يستعين بهذا الجند فإنه حزب الله على الجندين الآخرين)** المذكورين، **(فإنهما يلتحقان بحزب الشيطان، فإن ترك الاستعانة)** بحزب الله **(وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقيناً وخسر خسراناً مبيناً، وذلك حال أكثر الخلق)** في كل زمان **(فإن عقولهم صارت مسخرة)** أي مذللة تابعة **(لشهواتهم في استنباط الحيل)** والخداع **(لقضاء الشهوة)** حتى يعطي لنفسه منإها منها. **(وكان ينبغي أن تكون الشهوة مسخرة لعقولهم)** تابعة لها **(فما**

فيما يفتقر العقل إليه، ونحن نقرب ذلك إلى فهمك بثلاثة أمثلة.

المثال الأوّل: أن نقول مثل نفس الإنسان في بدنه أعني بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك في مدينته ومملكته فإن البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها وجوارحها وقواها بمنزلة الصناع والعملة والقوّة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح والوزير العاقل. والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة إلى المدينة، والغضب والحمية له كصاحب الشرطة، والعبد الجالب للميرة كذاب مكار خداع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في آرائه وتدبيراته، حتى أنه لا يخلو من منازعته ومعارضته ساعة كما أن الوالي في مملكته إذا كان مستغنياً في تدبيراته بوزيره ومستشيراً له ومعرضاً عن إشارة هذا العبد الخبيث مستدلاً بإشارته في أن الصواب في نقيض رأيه وأدب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمراً له مسلطاً من جهته على هذا العبد الخبيث وأتباعه وأنصاره حتى يكون العبد مسوساً لا سائساً، ومأموراً مدبراً لا أميراً مدبراً، استقام أمر بلده وانتظم

يفتقر العقل إليه، ونحن نقرب هذا إلى قلبك بثلاثة أمثال) وما لها في منازعة الهوى للعقل.

(المثال أول: أن نقول مثل نفس الإنسان في بدنه، واعني بالنفس المعنى الثاني) أي **(اللطيفة المذكورة كمثل وال في مدينته ومملكته)** أي موضع ملكه وحكمه ما سوى مدينته، **(فإن البدن مملكة النفس وعالمها ومستقرها ومدينتها)** لها فيه الحكم النافذ **(وقواه)** الباطنة **(وجوارحه)** الظاهرة **(بمنزلة الصناع والعملة)** المستخدمة **(والقوة العقلية المفكرة له كالمشير)** العالم الناصح **(والوزير)** الفطن **(العقل والشهوة له)** وفيه **(كعبد سوء يجلب الطعام والميرة إلى المدينة)** والميرة بالكسر اسم للطعام وغيره وقد مارهم ميرا أتاهم بالميرة، **(والغضب والحمية له كصاحب الشرطة)** وهو عون الوالي. **(والعبد الجالب للميرة كذاب مكار)** كثير الكذب والمكر **(مخادع خبيث)** صاحب حيل وخبث طبع وخداع **(يتمثل)** للوالي **(بصورة الناصح)** في الظاهر **(وتحت نصحه الشر الهائل)** أي العظيم المخوف، **(والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح)** ومعارضته **(في كل تدبير يدبره)** لا يغفل عنه **(حتى لا يخلو من منازعته ومعارضته في آرائه ساعة،فكما أن الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته بوزيره)** الناصح له حالة كونه **(معرضاً عن إشارة هذا العبد الخبيث)** المكار **(بل مستدلاً بإشارته على أن الصواب في نقيض رأيه)** ومخالفته فيما يقول، **(وأدب صاحب شرطته وأسلسه)** أي جعله سلساً منقاداً **(لوزيره وجعله مؤتمراً له ومسلطاً من جهته على هذا العبد الخبيث)** أي سلطة عليه **(و)** على **(اتباعه وأنصاره حتى يكون)** هذا **(العبد مسوساً)** أي داخلاً تحت السياسة **(لا سائساً ومأموراً مدبراً لا آمراً مدبراً استقام أمر بلده،**

العدل بسببه. فكذا النفس متى استعانت بالعقل وأدبت حمية الغضب وسلطتها على الشهوة واستعانت بإحداهما على الأخرى تارة بأن تقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها، وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواها وحسنت أخلاقها، ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿واتَّبَعَ هواهُ فمثَلُهُ كمَثَلِ الكَلب إنْ تحمِلْ عليه يَلهَثْ أو تتركه يلهث﴾ [الأعراف: ١٧٦] وقال عز وجل فيمن نهى النفس عن الهوى ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ★ فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] وسيأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس إن شاء الله تعالى.

المثال الثاني: اعلم أن البدن كالمدينة والعقل. أعني المدرك من الإنسان كملك مدبر

وانتظم العبد بسببه فكذلك النفس) أيضاً **(متى استعانت بالعقل)** وائتمرت بأوامره **(وأدبت الحمية الغضبية وسلطتها على الشهوة واستعانت بإحداهما على الأخرى تارة بأن يقلل مرتبة الغضب وغلوائه)** أي حدته **(بمخالفة الشهوة واستدراجها، وتارة بقمع الشهوة وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواه وحسنت أخلاقه، ومن عدل عن هذه الطريقة)** فسد أمره وانخرم نظامه، و**(كان كمن قال الله تعالى فيه)** محذراً غاية الحذر في ذم من اتبع الهوى **(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾ وقال تعالى)** ﴿أخلد إلى الأرض **(واتبع هواه فمثله كمثل الكلب﴾)** وقال تعالى: ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ [ص: ٢٦] **(وقال لمن نهى النفس عن الهوى)** وخالفها مادحاً له: **﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ★ فإن الجنة هي المأوى﴾)** قال ﷺ: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك» كما تقدم للمصنف قريبا أشارة إلى الهوى والعقل، وإن كان أشرف القوى وبه صار الإنسان خليفة الله تعالى في العالم، فليس دأبه إلا الإشارة إلى الصواب كطبيب يشير إلى المريض بما يرى فيه برءه، فإن قبل منه المريض وإلاّ سكت عنه، ولذلك جعل له الحمية لتكون نائبة عنه في المدافعة والممانعة، ولهذا لا تتبين فضيلة العقل لمن لا حمية له وبهذا النظر قيل المهين من لا سفيه له، وقال الشاعر:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له ... وتتقي مربض المستأسد الحامي

(وسيأتي) بيان **(كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس)** قريباً إن شاء الله تعالى.

(المثال الثاني: أن) الإنسان من حيث ما جعله الله عالماً صغيراً وجعل **(البدن كالمدينة)** في هيئته **(والعقل: أعني المدرك من الإنسان كملك)** فيها **(مدبر لها وقواه المدركة من الحواس**

لما وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده وأعوانه وأعضاؤه كرعيته، والنفس الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدوّ ينازعه في مملكته ويسعى في إهلاك رعيته، فصار بدنه كرباط وثغر، ونفسه كمقيم فيه مرابط فإن هو جاهد عدوّه وهزمه وقهره على ما يجب حمد أثره إذا عاد إلى الحضرة كما قال تعالى: ﴿والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً﴾ [النساء : ٩٥] وإن ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره فانتقم منه عند الله تعالى فيقال له يوم القيامة: يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم تأوِ الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر. وإلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله ﷺ : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ».

الظاهرة والباطنة) من الفكرة والخيال والحواس **(كجنوده وأعوانه وأعضاؤه كرعيته)** وخدمه **(والنفس الأمارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو)** له **(ينازعه في مملكته)** ويعارضه **(ويسعى في إهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر)** تجاه العدو **(ونفسه كمقيم فيه مرابط، فإن جاهد عدوه فهزمه)** فأسره **(وقهره على ما يجب)** وكما يجب **(حمد أثره إذا عاد إلى الحضرة)** أي دار مملكته، **(كما قال تعالى: ﴿فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة)** وكلا وعد الله الحسنى﴾ [النساء : ٩٥] فدفاع الهوى أعظم ثواب وجهاد كما ورد في الخبر وقد سئل أي الجهاد أفضل؟ فقال: « جهادك هواك » **(وإن ضيع ثغره وأهمل رعيته ذم أثره)** إذا عاد إليه كما ورد في الخبر: « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ». **(وانتقم منه عند لقاء الله تعالى فيقال له يوم القيامة: يا راعي السوء أكلت اللحم وشربت اللبن ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً اهـ.

قلت: ولفظ الراغب في الذريعة إن الله تعالى يقول للكافر يوم القيامة: يا راعي السوء الخ. وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة مالك بن دينار فقال: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا محمد بن إبراهيم بن شبيب، حدثنا سليمان بن أيوب، حدثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: قرأت في بعض الكتب يجاء براعي السوء يوم القيامة فيقال: يا راعي شربت اللبن وأكلت اللحم ولم ترد الضالة ولم تجبر الكسير ولم ترعها حق رعايتها اليوم ننتقم لهم منك.

(وإلى هذه المجاهدة الإشارة بقوله ﷺ : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ») قال العراقي: رواه البيهقي من حديث جابر وقال: هذا إسناد فيه ضعف اهـ.

قلت: وسيأتي قريباً للمصنف في الكتاب الذي بعده بلفظ: « مرحباً بكم رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ».

المثال الثالث: مثل العقل مثال فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقاً وفرسه مروضاً وكلبه مؤدباً معلماً كان جديراً بالنجاح، ومتى كان هو في نفسه أخرق وكان الفرس جموحاً والكلب عقوراً فلا فرسه ينبعث تحته منقاداً ولا كلبه يسترسل بإشارته مطيعاً، فهو خليق بأن يعطب فضلاً عن أن ينال ما طلب، وإنما خرق الفارس مثل جهل الإنسان وقلة حكمته وكلال بصيرته، وجماح الفرس مثل غلبة الشهوة خصوصاً شهوة البطن والفرج، وعقر الكلب مثل غلبة الغضب واستيلائه. نسأل الله حسن التوفيق بلطفه.

بيان خاصية قلب الإنسان:

اعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمي، إذ

(**المثال الثالث: مثل العقل مثل فارس متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه، فمتى كان الفارس حاذقاً**) أي ماهر في فروسيته (**وفرسه مروضاً**) أي قد ريضت بالتعليم في الإقدام والإحجام، (**وكلبه مؤدباً معلماً**) بأخذ الصيد، (**كان جديراً بالنجح**) أي إدراك حاجته من الصيد، (**ومتى كان هو في نفسه أخرق**) هو الذي لا يحسن العمل، (**وكان الفرس جموحاً**) صعباً أو حروناً (**والكلب عقوراً**) يعقر الصيد لنفسه، (**فلا فرسه ينبعث تحته منقاداً**) لجماحه، (**ولا كلبه يسترسل بإشارته**) ويستكين معه، (**مطيعاً فهو خليق**) أي لائق (**بأن يعطب**) أي يهلك (**فضلاً من أن ينال ما طلب، وإنما خرق الفارس مثال لجهل الإنسان وقلة حكمته وكلال بصيرته**) عن إدراك الأمور (**وجماح الفرس مثال لغلبة الشهوة خصوصاً شهوة البطن والفرج، وعقر الكلب مثال لغلبة الغضب واستيلائه**) فهذه الأمثلة الثلاثة وقد وجدت لذلك مثالاً رابعاً ذكره الراغب في الذريعة. قال: مثل النفس في البدن مثل المجاهد بعث إلى ثغر لكي يرعى أحواله وعقله خليفة مولاه ضم إليه ليسدده ويرشده ويشهد له وعليه فيما يفعله إذا عاد إلى حضرة الملك وبدنه بمنزلة فرس دفع إليه ليركبه وشهوته كسائس حثيث ضم إليه ليفتقد فرسه، ولا قدر لهذا السائس عند المولى، والقرآن بمنزلة كتاب أتاه من مولاه وقد ضمن كل ما يحتاج إليه عاجلاً وآجلاً، فيقبح أن ينسى هذا الوالي مولاه ويهمل خليفته فلا يراجعه فيما يبرمه وما ينقضه ويصرف همه كله إلى تفقد فرسه وسياسته ويقيم سائس فرسه مقام خليفة ربه، فالحاصل إن للإنسان مع هواه ثلاثة أحوال. الأولى: أن يغلبه الهوى فيهلكه وهذا حال أكثر الناس. الثانية: أن يغالبه فيقهرها تارة وتقهره أخرى وهكذا حال المتوسطين. الثالثة: أن يغلب هواه وهذا حال الأنبياء وكثير من صفوة الأولياء.

بيان خاصية قلب الإنسان:

(**أعلم أن جملة ما ذكرناه قد أنعم الله به على سائر الحيوانات سوى الآدمي إذ للحيوانات**

للحيوان الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة أيضاً، حتى ان الشاة ترى الذئب بعينها فتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه، فذلك هو الإدراك الباطن. فلنذكر ما يختص به قلب الإنسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب من الله تعالى وهو راجع إلى علم وإرادة.

أما العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية والأخروية والحقائق العقلية فإن هذه أمور وراء المحسوسات ولا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل، إذ يحكم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يتصوّر أن يكون في مكانين في حالة واحدة، وهذا حكم منه على كل شخص ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس. وإذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر.

وأما الإرادة فإنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق إلى جهة المصلحة وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها. وذلك غير إرادة الشهوة وإرادة

الشهوة والغضب) وذلك لأن الشهوة أقدم القوى وجوداً وأشدها تثبتاً وأكثرها تمكناً، فإنها تولد مع الإنسان وتوجد فيه وفي الحيوان الذي هو جنسه بل النبات الذي هو جنس جنسه ثم توجد فيه قوة الحمية، **(والحواس الظاهرة والباطنة أيضاً حتى أن الشاة ترى الذئب بعينها وتعلم عداوته بقلبها فتهرب منه فذلك إدراك الباطن)** لكن ذكر الراغب أن القوة المفكرة للإنسان خاصة لا للحيوان، **(فلنذكر ما يختص به قلب الإنسان ولأجله عظم شرفه واستأهل القرب)** أي صار أهلاً لـ[لقـ]رب **(من الله تعالى وهو)** أي ذلك الاختصاص **(راجع إلى علم وإرادة)**.

(أما العلم: فهو العلم بالأمور الدينية والأخروية) أي ما يتعلق بالدين والآخرة **(والحقائق العقلية، فإن هذه أمور وراء المحسوسات)** بالأبصار **(ولا يشارك فيها الحيوانات، بل العلوم الكلية الضرورية)** التي لا يتوقف إدراكها على نظر واستدلال **(من خواص العقل: إذ يحكم الإنسان بأن الفرس الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة، وهذا حكم منه على كل فرس. ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأفراس فحكمه على جميع الأفراس زائد على ما أدركه الحس)** فهو من الأمور المعقولة، **(وإذا فهمت هذا في هذا العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر)** فهذا هو العلم بقسميه.

(وأما الإرادة: فهو أنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق إلى وجه المصلحة وإلى تعاطي أسبابها) التي توصله إليها، **(وإرادة لها. وذلك غير**

الحيوانات بل يكون على ضد الشهوة فإن الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعقل يريدها ويطلبها ويبذل المال فيها، والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة في حين المرض، والعاقل يجد في نفسه زاجراً عنها وليس ذلك زاجراً الشهوة ولو خلق الله العقل المعرف بعواقب الأمور ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعاً على التحقيق.

فإذاً قلب الإنسان اختص بعلم وإرادة ينفك عنها سائر الحيوان، بل ينفك عنها الصبي في أوّل الفطرة، وإنما يحدث ذلك فيه بعد البلوغ. وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فإنها موجودة في حق الصبي.

ثم الصبي في حصول هذه العلوم فيه له درجتان.

إحداهما: أن يشتمل قلبه على سائر العلوم الضرورية الأولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة، فتكون العلوم النظرية فيها غير حاصلة إلا انها صارت ممكنه قريبة الإمكان والحصول، ويكون حاله بالإضافة إلى العلوم كحال الكاتب

إرادة الشهوة وغير إرادة الحيوانات، بل تكون على ضد الشهوة فإن الشهوة) بمقتضى جبلتها (**تنفر عن الفصد والحجامة**) لما فيهما من الألم الحاصل المنافي لمزاجها، (**والعاقل يريدها ويطلبها ويبذل المال عليها والشهوة تميل إلى لذائذ الأطعمة في**) أيام (**المرض**) ولذائذ الفواكه، كذلك شرب المياه الباردة (**والعاقل يجد في نفسه زاجراً عنها**) بأن يدرك أن عواقبها مضرة، (**فليس ذلك زجر الشهوة**) فإنها لا ترى إلا ما يستلذ ظاهراً (**ولو خلق الله العقل المعرف لعواقب الأمور، ولم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعاً على التحقيق**، فإذاً **اختص قلب الإنسان بعلوم وإرادات ينفك عنها سائر الحيوانات**) وبها يتميز عنها، (**بل ينفك عنها الصبي في أول الفطرة، وإنما يحدث ذلك فيه**) آخراً، وذلك (**عند البلوغ. وأما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة والباطنة فإنها موجودة في حال الصبا**) قبل أن يتميز (**ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان**).

(**إحداها: أن يشتمل قلبه على جملة العلوم الضرورية الأولية التي تدرك بالبداهة في أول الأمر كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز الجائزات الظاهرة، فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة**) في الحالة الراهنة (**إلا أنها صارت ممكنة قريبة الإمكان والحصول، وتكون حاله بالإضافة إلى العلوم كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم**

الذي لا يعرف من الكتابة إلا الدواة والقلم والحروف المفردة دون المركبة فإنه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد .

الثانية : أن يتحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر فتكون كالمخزونة عنده ، فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب ، وإن لم يكن مباشراً للكتابة بقدرته عليها وهذه هي غاية درجة الإنسانية ، ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى يتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها إذ تحصل لبعض القلوب بإلهام الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة ، ولبعضهم بتعلم واكتساب وقد يكون سريع الحصول وقد يكون بطيء الحصول . وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والأنبياء والأولياء ، فدرجات الترقي فيه غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه لا نهاية لها وأقصى الرتب رتبة النبي الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف ، بل بكشف إلهي في أسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قرباً بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة ، ومراقي هذه الدرجة هي

والحروف المفردة دون المركبة) مع بعضها المفيدة للمعاني ، **(فإنه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد)** .

(الدرجة الثانية : أن تحصل له العلوم المكتسبة بالتجارب والفكر وتكون كالمخزونة عنده فإذا شاء رجع إليها وحاله حال الحاذق بالكتابة إذ يقال له كاتب، وإن لم يكن مباشراً للكتابة) في الحال ، ولكن **(لقدرته عليها . وهذه هي غاية درجة الإنسانية)** وهي من خواصها ، **(ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى بتفاوت الخلق فيها بكثرة المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها إذ تحصل)** تلك العلوم **(لبعض القلوب بالهام إلهي على سبيل المبادأة والمكاشفة)** من غير تعلم سابق ، **(ولبعضها بتعلم واكتساب)** بجهد ومشقة . **(ثم قد يكون ذلك سريع الحصول)** في أدنى زمن ، **(وقد يكون بطيء الحصول)** بعد مدة **(وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والأولياء والأنبياء)** وهم على هذا الترتيب في المقامات ، **(ودرجات الرقي)** وفي بعض النسخ : الترقي **(فيه غير محصورة)** بحد أو عدد ، **(إذ معلومات الله لا نهاية لها)** كما أن كمالاته لا نهاية لها ، **(وأقصى الرتب رتبة النبي)** ثم الولي **(الذي تنكشف له كل الحقائق أو أكثرها من غير اكتساب وتكلف)** تعلم ، **(بل بكشف إلهي في أسرع وقت)** إما وحياً أو إلهاماً **(وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قرباً بالمعنى والحقيقة والصفة لا بالمكان والمسافة)** تعالى الله عن ذلك .

وقرره المصنف في المقصد الأسنى بوجه آخر فقال : أما الإنسان فدرجته متوسطة بين

منازل السائرين إلى الله تعالى، ولا حصر لتلك المنازل. وإنما يعرف كل سالك منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل، فأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علماً، لكن قد يصدق به إيماناً بالغيب، كما انا نؤمن بالنبوّة والنبي ونصدق بوجوده، ولكن لا يعرف حقيقة النبوّة إلا النبي، وكما لا يعرف الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما يفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية، فكذلك لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ [فاطر: ٢] وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود

الدرجتين، فكأنه مركب من بهيمية وملكية، والأغلب عليه في بداية أمره البهيمية إذ ليس له أولاً من الإدراك إلا الحواس التي يحتاج في الإدراك بها إلى طلب القرب من المحسوس بالسعي والحركة إلى أن يشرق عليه في الآخرة نور العقل المتصرف في ملكوت السموات والأرض من غير حاجة إلى حركة بالبدن وطلب قرب أو مماسة مع المدرك له، بل يدرك الأمور المقدسة عن قبول القرب والبعد بالمكان، وكذلك المتولي عليه أولاً شهوته وغضبه وبحسب مقتضاهما انبعاثه إلى أن يظهر فيه الرغبة في طلب الكمال والنظر للعاقبة وعصيان مقتضى الشهوة والغضب، فإن غلب الشهوة والغضب حتى ملكهما وضعفا عن تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبهاً من الملائكة. وكذلك إن فطم نفسه من الجمود والخيالات والمحسوسات وأنس بالإدراك عن أمور تجل عن أن ينالها حس أو خيال أخذ شبهاً آخر من الملائكة، ومهما اقتدى بالملائكة في هاتين الخاصيتين كان أبعد عن البهيمية وأقرب من الملائكة والملك قريب من الله تعالى والقريب من القريب قريب اهـ.

(ومراقي هذه الدرجات هي منازل السائرين إلى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل) لكثرتها، **(وإنما يعرف كل سالك المنزل الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه)** وفي نسخة ما وراءه **(من المنازل)** التي تعدى عنها لسلوكه فيها **(وأما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علماً)** إذ لم يصل إليها بعد ولم يسلكها، **(لكن قد يصدق به)** في قلبه **(إيماناً بالغيب كما أنا نؤمن بالنبوة وبالنبي ونصدق بوجوده، ولكن لا يعرف حقيقة النبوة إلا النبي)** .

قال المصنف في المقصد الأسنى: يستحيل أن يعرف النبي غير النبي، وأما من لا نبوة له أصلاً فلا يعرف من النبوة إلا اسمها، وإنها خاصيته موجودة لإنسان بها يفارق من ليس نبياً، ولكن لا يعرف ماهية تلك الخاصية إلا النبي خاصة، فأما من ليس بنبي فلا يعرفها البتة ولا يفهمها إلا بالتشبيه بصفات نفسه اهـ.

(وكما لا يعرف الجنين) الذي في بطن الأم **(حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية)** الأولية **(ولا المميز حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية فلا يعرف عاقل ما انفتح على أولياء الله وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته)** قال تعالى: **(﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ وهذه الرحمة)** المفتوح بابها لخاصة **(مبذولة**

والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد، ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال ﷺ: «إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها»، والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة ـ كما سيأتي بيانه ـ وإلى هذا الجود الإشارة بقوله ﷺ: «ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: هل من داع فاستجيب له» وبقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل «لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي. وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً». وبقوله تعالى: «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً»، كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علوّاً كبيراً، ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب، فإن القلوب كالأواني فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها

بحكم الجود والكرم) الواسعين **(من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد)** ولا ممنوع، **(ولكن إنما تظهر)** آثارها **(في القلوب المتعرضة لنفحات الله)** أي عطاياه، **(كما قال ﷺ: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات)** أي تجليات مقربات يصيب بها من يشاء من عباده **(ألا فتعرضوا لها)** لعله أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً» رواه الطبراني في الكبير عن محمد بن مسلمة، وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الصلاة. **(والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة كما سيأتي بيانه)** ومع تطهير القلب يكون الطلب منه تعالى في كل وقت قياماً وقعوداً وعلى الجنب ووقت التصرف في أشغال الدنيا فإن العبد لا يدري بنا أي وقت يكون فتح خزائن المنى، **(وإلى هذا الجود الإشارة بقوله ﷺ: «ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا يقول: هل من داع فاستجيب له»)** رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فاستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له». وقد تقدم في كتاب الأذكار والدعوات، **(وبقوله)** ﷺ **(حكاية عن ربه عز وجل: «لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً. إلا أن صاحب الفردوس ذكره من حديث أبي الدرداء ولم يذكر له ولده في مسند الفردوس إسناداً اهـ.

(وبقوله) ﷺ **(«من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً)** رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة **(كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن البخل والمنع علواً كبيراً، ولكن)** حجابها عنها **(بخبث)** نفس **(وكدورة)** خاطر **(وشغل من جهة القلوب، فإن القلوب كالاواني فما دامت ممتلئة ماء لا يدخلها الهواء)** لاشتغال المكان، **(فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله)**

المعرفة بجلال الله وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء». ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الإنسان العلم والحكمة.

وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله فبه كمال الإنسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال، فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الإنسان وخاصيته التي لأجله خلق، وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة، فيكون الفرس مخلوقاً لأجل تلك الخاصية، فإن تعطلت منه نزل إلى حضيض رتبة الحمار وكذلك الإنسان يشارك الحمار والفرس في أمور ويفارقهما في أمور هي خاصيته، وتلك الخاصية من صفات الملائكة

وعظمته، **(وإليه الإشارة بقوله ﷺ: « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء »)** رواه أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه، وقد تقدم في الصيام. **(ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الإنسان العلم والحكمة)** وبهما يفضل.

(وأشرف أنواع العلم هو العلم بالله وصفاته وأفعاله) على ما ينبغي بذلك **(فبه كمال الإنسان)** وفضله، **(وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الكمال والجلال)** وإليه الإشارة بقوله: ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة﴾ **(فالبدن مركب للنفس، والنفس محل للعلم، والعلم هو مقصود الإنسان)** وأقصى رغبته، **(وخاصيته التي لأجلها خلق)** قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] **(وكما أن الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكرّ والفر)** أي الحمل على العدو والفرار عنه عند المطالبة **(وحسن الهيئة فيكون الفرس مخلوقاً لأجل تلك الخاصية، فإن تعطلت منه نزل إلى حضيض رتبة الحمار)** فيكونان سواء في الرتبة، **(فكذلك الإنسان يشارك الحمار والفرس في أمور، يفارقه في أمور هي خاصيته، وتلك الخاصية من صفات الملائكة المقربين من الله تعالى)**.

وفي الذريعة: كل ما أوجد لفعل ما فشرفه بتمام ذلك الفعل منه ودناءته بفقدان ذلك الفعل منه كالفرس للعدو. والسيف للقطع، والعمل المختص به في القتال، ومتى لم يوجد فيه المعنى الذي لأجله أوجد كان ناقصاً، فأما أن يطرح طرحاً. وإما أن يرد إلى منزل النوع الذي هو دونه كالفرس إذا لم يصلح للعدو اتخذ حمولة أو أعد أكولة فمن لم يصلح لخلافة الله ولا لعبادته ولا لاستعمال أرضه فالبهيمة خير منه. وقال في المقصد الأسنى: إن الموجودات منقسمة بين كاملة وناقصة، فالكامل أشرف من الناقص، ومهما تفاوتت درجات الكمال واقتصر منتهى الكمال على واحد حتى لم يكن الكمال المطلق إلا له ولم يكن للموجودات الأخر كمال مطلق، بل كانت لها كمالات متفاوتة بإضافة، فأكملها أقرب لا محالة إلى الذي له الكمال المطلق أعني قرباً بالمرتبة

المقربين من رب العالمين. والإنسان على رتبة بين البهائم والملائكة، فإن الإنسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان، ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط، وإنما خاصيته معرفة حقائق الأشياء.

فمن استعمل جميع أعضائه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل، فقد تشبه بالملائكة، فحقيق بأن يلحق بهم وجدير بأن يسمى ملكاً وربانياً كما أخبر الله تعالى عن صواحبات يوسف عليه السلام بقوله: ﴿ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم﴾ [يوسف: ٣١].

ومن صرف همته إلى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فقد انحط إلى

والدرجة لا بالمكان، ثم الموجودات منقسمة بين حية وميتة، وتعلم أن الحي أشرف وأكمل من الميت، وأن درجات الأحياء ثلاث درجات درجة الملائكة ودرجة الإنس ودرجة البهائم فأما درجة البهائم فهي أسفل في نفس الحياة التي بها شرفها لأن الحي هو الدراك الفعال وفي إدراك البهيمة نقص، وفي فعلها نقص. أما إدراكها فنقصانه أنه مقصور على الحواس وإدراك الحس قاصر لأنه لا يدرك الأشياء إلا بمماسة أو قرب منها، فالحس معزول من الإدراك إن لم يكن مماسة ولا قرب، فإن اللمس والذوق يحتاجان إلى المماسة والسمع والبصر والشم يحتاجون إلى القرب، وكل موجود لا يتصور فيه مماسة وقرب فالحس معزول من إدراكه في هذه الحالة. وأما فعلها فهو أنه مقصور على مقتضى الشهوة والغضب لا باعث لها سواهما، وليس لها عقل يدعو إلى أفعال مخالفة لمقتضى الشهوة والغضب، وأما الملك فدرجته أعلى الدرجات لأنه عبارة عن موجود لا يؤثر القرب والبعد في إدراكه بل لا يقتصر إدراكه على ما يتصور فيه القرب والبعد إذ القرب والبعد يتصور على الأجسام والأجسام أخص أقسام الموجودات، ثم هو مقدس عن الشهوة والغضب، فليست أفعاله بمقتضاهما بل داعية إلى الأفعال أمر هو أجل منهما وهو طلب القرب الى الله تعالى.

(و) أما (**الإنسان**) فهو (**على رتبة بين البهائم والملائكة**) ودرجته متوسطة بين الدرجتين، (**فإن الإنسان من حيث**) ما (**يتغذى وينسل فنبات، ومن حيث**) ما (**يحس ويتحرك بالإختيار فحيوان، ومن حيث صورته**) التخطيطية (**وقامته فكالصورة المنقوشة على الحائط، وإنما**) فضيلته بالنطق وقواه ومقتضاه و(**خاصيته معرفة حقائق الأشياء**) بتلك القوى، ولهذا قيل: ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة أو صورة ممثلة فالإنسان يضارع الملك بقوة العلم والنطق والفهم، وضارع البهائم بقوة الغذاء والنكاح، (**فمن استعمل جميع أعضائه وقواه**) وصرف همته كلها (**على وجه الاستعانة بها على العلم**) النافع (**والعمل**) المحكم (**فقد تشبه بالملائكة، فحقيق بأن يلحق بهم**) أي بأفقهم، (**وجدير بأن يسمى ملكاً وربانياً كما قال تعالى: ﴿إن هذا إلا ملك كريم﴾**) يعني به يوسف عليه السلام، (**ومن صرف همته**) كلها (**إلى**) رتبة القوة الشهوية في (**اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الأنعام فقد انحط**)

حضيض أفق البهائم فيصير إما غمراً كثور ، وإما شرهاً كخنزير ، وإما ضرعاً ككلب أو سنور أو حقوداً كجمل ، أو متكبراً كنمر . أو ذا روغان كثعلب أو يجمع ذلك كله كشيطان مريد .

إلى حضيض افق البهائم فيصير إما غمراً) بضم الغين وسكون الميم هو الجاهل البليد المحض **(كثور)** ويضرب به المثل في البلادة حتى قالوا : وما عليّ إذا لم تفهم البقر . **(واما شرهاً)** أي حريصاً **(كخنزير ، وإما ضرعاً)** أي متملقاً **(ككلب أو حقوداً كجمل أو متكبراً كنمر أو ذا روغان)** محركة أي حيلة **(كثعلب)** وفيه قال الشاعر :

يعطيك من طرب اللسان حلاوة ... ويروغ عنك كما يروغ الثعلب

وهذه خواص للحيوانات المذكورة حتى قالوا : أبلد من الثور ، وأشره من خنزير ، وأضرع من كلب ، وأحقد من جمل ، وأروغ من ثعلب ، **(أو يجمع ذلك كله)** فيكون **(كشيطان مريد)** أي متمرد ، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾ [المائدة : ٦٠] ولكون كثير من صورته صورة الإنسان وليس هو في الحقيقة إلا كبعض الحيوان قال الله تعالى في الذين لا يعقلون عن الله : ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل﴾ [الفرقان : ٤٤] وقال : ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ [الأنفال : ٢٢] وقال تعالى : ﴿إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾ [الأنفال : ٥٥] يبين أن الذين كفروا ولم يستعملوا القوة التي جعلها الله تعالى لهم هم شر من الدواب . وقال تعالى : ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذين ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء﴾ [البقرة : ١٧١] أي مثل واعظ الكافرين كمثل ناعق الأغنام تنبيها أنهم فيما يقال لهم كالبهائم وبهذا النظر عبر الشاعر عن بعض من ذمه فقال :

اللؤم من وبر ووالده ... واللؤم أكبر من وبر وما ولدا

ولم يقل ومن ولدا تنبيهاً أنه لا يستحق أن يقال « من » لكونه بهيمة وعلى هذا المعنى قال المتنبي :

تخطى إذا جئت في استفهامها بمن

ولما ذكرنا لم يكن بين بعض هذه الأنواع وبضعها من التفاوت ما بين إنسان وإنسان فإنك قد ترى واحداً كعشرة بل واحداً كمائة وعشرة أخرى هدر دون واحد كما قال الشاعر :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتت ... لدى المجد حتى الألف منهم كواحد

بل قد ترى واحدا بعشرة آلاف ، وترى عشرة آلاف دون واحد ، وقال الراغب في الذريعة : الإنسان لما ركب تركيباً بين بهيمة وملك فشبهه بالبهيمة بما فيه من الشهوات البدنية من المأكل والمشرب والمنكح ، وشبهه بالملك بما فيه من القوى الروحانية من الحكمة والعدال والحور ، فصاروا واسطة بين جوهرين وضيع ورفيع . ولهذا قال تعالى : ﴿وهديناه النجدين﴾ [البلد : ١٠] والنجدان من وجه العقل والهدى ، ومن وجه الآخرة والدنيا . ومن وجه الإيمان والكفر ، ومن وجه

وما من عضو من الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى كما سيأتي بيان طرف منه في كتاب الشكر ، فمن استعمله فيه فقد فاز ، ومن عدل عنه فقد خسر وخاب.

وجملة السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده، والدار الآخرة مستقره، والدنيا منزله، والبدن مركبه، والأعضاء خدمه، فيستقر هو - أعني المدرك من الإنسان - في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك، ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده إذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده، ويجري القوة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه، ويجري اللسان مجرى ترجمانه، ويجري الأعضاء المتحركة مجرى كتابه، ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل

الهدى والضلال، ومن وجه موالاة الله تعالى وموالاة الشيطان، ومن وجه النور والظلمة، ومن وجه الحياة والموت، فمن وفقه الله تعالى للهدى وأعطاه قوة لبلوغ الهدى فراعى نفسه وزكاها فقد أفلح، ومن حرم التوفيق فأحرم نفسه ودساها فقد خاب وخسر.

(وما من عضو من الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى) فإن الخيال يتصوّر المحسوس فتبقى فيه صورته الروحانية فينتقش بها تنقش الشمع بصورة الختم، ثم يأخذه الفكر فيميز بعضه من بعض بنور العقل فيبحث عن خواصها ومنافعها ومضارها، ثم يؤديه إلى القوة الحافظة فإن أراد ابرازه قولاً سلط عليه القوى الناطقة فتعبر عنه باللسان، وإن أراد ابرازه فعلاً سلط عليه القوى العاملة فتوجده بالجوارح، **(كما سيأتي بيان طرقه منه في كتاب الشكر)** إن شاء الله تعالى **(فمن استعمله فيه)** أي في طريق الوصول إلى الله تعالى **(فقد فاز)** وأفلح، **(ومن عدل عنه فقد خاب وخسر)** وإليه الإشارة بقوله: ﴿قد أفلح من زكاها ★ وقد خاب من دساها﴾ [الشمس: ٩ ، ١٠] وقد أشار المصنف إلى ضرب مثل لهذه القوى يعرف منه تصور تأثيرها فقال:

(وجمله السعادة في ذلك أن يجعل لقاء الله تعالى مقصده، والدار الآخرة مستقره، والدنيا طريقه، والبدن مركبه، والأعضاء خدمه، فيستقر هو - أعني المدرك من الإنسان - في القلب الذي هو وسط مملكته) أو القوى المفكرة أسكنها وسط الدماغ **(كالملك)** يسكن وسط المملكة، **(ويجري القوة الخيالية المودعة في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده إذ تجتمع أخبار المحسوسات عنده)** فيبلغها الملك، **(ويجري القوّة الحافظة التي مسكنها مؤخر الدماغ مجرى خازنه)** الذي يجمع ما دخل ويحفظه **(ويجري اللسان)** وهي القوة الناطقة **(مجرى ترجمانه)** الذي يترجم له عن الغير، **(ويجري الأعضاء المتحركة)** وهي القوّة العاملة **(مجرى**

واحد منها بأخبار صقع من الأصقاع؛ فيوكل العين بعالم الألوان، والسمع بعالم الأصوات، والشم بعالم الروائح، وكذلك سائرها فإنها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد، ويسلمها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة، ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس الملك منها ما يحتاج إليه في تدبير مملكته وإتمام سفره الذي هو بصدده، وقمع عدوّه الذي هو مبتلى به، ودفع قواطع الطريق عليه فإذا فعل ذلك كان موفقاً سعيداً شاكراً نعمة الله وإذا عطل هذه الجملة أو استعملها لكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة، أو في عمارة طريقه دون منزله إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره، ووطنه ومستقره الآخرة؛ كان مخذولاً شقياً كافراً بنعمة الله تعالى مضيعاً لجنود الله تعالى ناصراً لأعداء الله مخذلاً لحزب الله فيستحق المقت والإبعاد في المنقلب والمعاد. نعوذ بالله من ذلك.

كتابه) الذين يكتبون له ويردون منه، **(ويجري الحواس الخمس)** الظاهرية **(مجرى جواسيسه)** الذين يتجسسون له الأخبار ومجرى أصحاب الأخبار الصادقي اللهجات فيما يرفعونه من الأخبار، **(فيوكل كل واحد بأخبار صقع من الأصقاع)** من مملكته، **(فيوكل العين بعالم الألوان، و)** يوكل **(السمع بعالم الأصوات، و)** يوكل **(الشم بعالم الأراييح، وكذلك سائرها فإنها أصحاب أخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويؤدونها إلى القوّة الخيالية التي هي كصاحب البريد، ويسلمها صاحب البريد إلى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن)** بعد أن يسقط منه ما يراه حشواً ويرفع الباقي صافياً فيعرضه **(على الملك فيقتبس منها ما يحتاج إليه)** مما ينفعه ويضره **(في تدبير مملكته وإتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوّه الذي هو مبتلي به)** وهي الشهوة لأنها شديدة التثبت به وكثيرة التمكن منه، وقد اقتضت الحكمة بابتلائه بها **(ودفع قواطع الطريق عليه)** أي دفع ما يعوقه عن طريق الآخرة ويثبطه عنها، ثم بعد اطلاعه عليها يسلمها للخازن ثانياً إلى وقت حاجته فحينئذ يتقدم باخراجها، **(فإذا فعل ذلك)** وقهر ذلك العدو أمن من القواطع، **(وكان موفقاً سعيداً شاكراً لنعمة الله تعالى)** بل يصير المعيار بائناً، **(وإذا عطل هذه الجملة)** بأن لم يستعملها كما ذكر **(أو استعملها، ولكن في مراعاة أعدائه وهي الشهوة والغضب وسائر الحظوظ العاجلة، وفي عمارة طريقه دون منزله إذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الآخرة)**، وإليه الإشارة بما رواه الديلمي من حديث ابن عمر «الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها». **(كان مخذولاً شقياً كافراً لنعمة الله مضيعاً لجنود الله)** التي هي الأعضاء والجوارح والحواس، **(ناصراً لأعداء الله مخذلاً لحزب الله فيستحق المقت والإبعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك)**، وكما أن للملك أفعالاً يستعين فيها بغيره وأفعالاً ينفرد فيها بنفسه والأفعال ـ التي يتولاها بنفسه أشرف مما يفوّضها ـ إلى غيره، كذلك للقوّة المفكرة أفعال تفوّضها إلى غيرها، وأفعال تختص هي

وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأحبار حيث قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: الإنسان عيناه هاد وأذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب منه ملك، فإذا طاب الملك طابت جنوده، فقالت: هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول. وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب: إن لله تعالى في أرضه آنية وهي القلوب فأحبها إليه تعالى أرقها وأصفاها في اليقين وأرقها على الإخوان وهو إشارة إلى

بها وهي الرؤية والفكر والاعتبار والقياس والفراسة، فبهذه الأشياء تدبير الأمور واستخراج الغوامض، وتحصيل التجربة واستنباط المجهول بتوسط المعلوم والإطلاع على الأسرار.

(**وإلى المثال الذي ضربناه أشار كعب الأحبار**) رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته في كتاب العلم (**وقال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: الإنسان عيناه هاد**) وفي لفظ هاديتان، (**وأذناه قمع**) وفي لفظ قمعان، (**ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك، فإذا طلب الملك طابت جنوده. قالت**) عائشة رضي الله عنها: (**هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقول**). قال العراقي: رواه أبو نعيم في الطب النبوي، والطبراني في مسند الشاميين، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة نحوه، وله ولأحمد من حديث أبي ذر «أما الأذنان فقمع، وأما العين فمقرة لما يدعى القلب» ولا يصح منه شيء اهـ.

قلت: أخرجه الطبراني في مسند الشاميين من طريق كعب قال: أتيت عائشة فقلت: هل سمعت رسول الله ﷺ ينعت الإنسان فانظري هل يوافق نعتي نعت رسول الله ﷺ؟ فقالت: انعت. فقال: عيناه هادٍ فساقه وزاد بعد قوله بريد وكبده رحمة ورئته نفس وطحاله ضحك وكليته مكر والقلب ملك الحديث. فقالت: سمعت رسول الله ﷺ ينعت الإنسان هكذا.

وقول العراقي: وللبيهقي في الشعب الخ يشير إلى ما رواه من كلام أبي هريرة لا من حديثه، ولفظه: «القلب ملك وله جنود فإذا صلح الملك صلحت جنوده، وإذا فسد الملك فسدت جنوده والأذنان قمع والعينان مسلحة واللسان ترجمان واليدان جناحان والرجلان بريد والكبد رحمة والطحال ضحك والكليتان مكر والرئة نفس» هكذا رواه. ثم قال: قال أحمد هكذا جاء موقوفاً ومعناه في القلب جاء في حديث النعمان بن بشير مرفوعاً اهـ. وهذه في الميزان من المناكير.

وقول العراقي رواه أبو نعيم في الطب ظاهر أنه من حديث عائشة وليس كذلك، وإنما أخرجه فيه من حديث أبي سعيد الخدري، وكذلك أخرجه أيضاً أبو الشيخ في كتاب العظمة، وابن عدي في الكامل، ورواه الحكيم الترمذي من حديث عائشة ولفظهم جميعاً: «العينان دليلان والأذنان قمعان واللسان ترجمان واليدان جناحان والكبد رحمة والطحال ضحك والرئة نفس والكليتان مكر والقلب ملك فإذا صلح الملك صلحت رعيته وإذا فسد الملك فسدت رعيته».

(**وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب: إن لله تعالى في أرضه آنية**) جمع إناء وهو وعاء الشيء (**وهي القلوب فأحبها إليه أرقها وأصفاها وأصلبها**) هكذا في القوت من قول

قوله تعالى: ﴿أشِدَّاءُ على الكفّار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كمشكاةٍ فيها مصباح﴾ [النور: ٣٥] قال أبي بن كعب رضي الله عنه: معناه مثل نور المؤمن

علي، وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي عنبه الخولاني مرفوعاً « إن لله تعالى آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها » وأبو عنبة قيل له صحبة، وقيل بل ولد في عهده ﷺ ولم يره، وإنما صحب معاذ بن جبل ونزل دمشق. قال البيهقي: إسناده حسن، وقال شيخه العراقي: فيه بقية بن الوليد وهو مدلس لكنه صرح بالتحديث فيه. قال صاحب القوت: **(ثم فسره)** أي علي رضي الله عنه **(فقال: أصلبها في الدين وأصفاها في اليقين وأرقها على الإخوان)** إلى هنا نص القوت، **(وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾)** قال صاحب القوت: فمثل القلوب مثل الأواني في تفاوت وجوهرها أرقها وأصفاها أعلاها يصلح للوجه والملك والطيب وأكثفها وأدناها يصلح للأدناس، وما بين ذلك يصلح لما بينهما. ومثلها أيضاً مثل الموازين الطيار اللطيف المعيار يصلح لوزن الذهب والكثيف الجافي يصلح للقت وما بينهما يصلح لما بينهما فيوزن بكل ميزان ما يصلح له، كما يلقي في كل إناء ما يليق به كذلك الحكمة والحكم في الملكوت الباطن كالحكمة والحكم في الملك الظاهر بتعديل الظاهر الباطن اهـ.

وقال بعض شراح الحديث عند قوله: « ألينها وأرقها » أي فإن القلب إذا لان ورق انجلى وصار كالمرآة الصقيلة، فإذا أشرقت عليه أنوار الملكوت أضاء الصدر وامتلأ من شعاعها فأبصرت عينا الفؤاد باطن أمر الله في خلقه، فيؤديه ذلك إلى ملاحظة نور الله فإذا لاحظه فذلك قلب استكمل الزينة والبهاء بما رزق من الصفاء، فصار محل نظر الله من بين خلقه فكلما نظر إلى قلبه زاد به فرحاً وله حباً وعزاً واكتنفه بالرحمة وأزاحه من الزحمة وملأه من أنوار العلوم اهـ.

وأشار إليه **(قوله تعالى ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ قال أبيّ بن كعب)** رضي الله عنه في تفسيره **(معناه: مثل نور المؤمن وقلبه. وقوله: ﴿أو كظلمات في بحر لجيّ﴾ مثل قلب المنافق)** ولفظ القوت فسره أبي بن كعب قال: مثل نور المؤمن وكذلك كان يقرؤه قال: فقلب المؤمن هو المشكاة فيها مصباح كلامه نور، وعمله نور، ويتقلب في نور، ثم قال في قوله تعالى: ﴿أو كظلمات في بحر لجيّ﴾ قال: قلب المنافق فكلامه ظلمة وعمله ظلمة يتقلب في ظلمة اهـ.

قلت: أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه عن أبي بن كعب ﴿الله نور السموات مثل نوره﴾ قال: هو المؤمن الذي قد جعل الإيمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله فقال **(الله نور السموات والأرض)** فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال: ﴿مثل نور من آمن به﴾ فكان أبي بن كعب يقرؤها مثل نور من آمن به فهو المؤمن جعل الإيمان والقرآن في صدره كمشكاة. قال: فصدر المؤمن المشكاة فيها مصباح المصباح النور، وهو القرآن والإيمان الذي جعل في صدره والزجاجة قلبه فقلبه مما استنار فيه القرآن والإيمان، فكأنها كوكب درّي أي مضيء والشجرة المباركة أصله المبارك الإخلاص لله وحده

وقلبه وقوله تعالى: ﴿أو كظلماتٍ في بحر لجيّ﴾ [النور: ٤٠] مثل قلب المنافق. وقال زيد ابن أسلم في قوله تعالى ﴿في لوح محفوظ﴾ [البروج: ٢٢] وهو قلب المؤمن. وقال سهل: مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي، فهذه أمثلة القلب.

وعبادته. قال: فمثله كمثل شجرة التف بها الشجر فهي خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس على أي حال كانت لا إذا طلعت ولا إذا غربت، فكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يضله شيء من الفتن وقد ابتلي فيثبته الله فهو بين أربع خلال: إن قال صدق، وإن حكم عدل، وإن أعطى شكر، وان ابتلي صبر. فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي بين قبور الأموات ﴿نور على نور﴾ ومصيره إلى نور فهو يتقلب في خمسة من النور، فكلامه وعمله نور، ومدخله نور، ومصيره إلى نور يوم القيامة إلى الجنة، ثم ضرب مثل الكافر فقال: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب﴾ [النور: ٣٩] الآية. قال: وكذلك الكافر يأتي يوم القيامة وهو يحسب أن له عند الله خيراً فلا يجده ويدخله الله النار. قال: وضرب مثلاً آخر للكافر فقال: ﴿أو كظلمات في بحر لجي﴾ الآية. فهو يتقلب في خمس من الظلم فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة إلى الظلمات إلى النار، فكذلك ميت الأحياء يمشي في الناس لا يدري ماذا له وماذا عليه.

وأخرج أبو عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: هي في قراءة أبي ابن كعب **(مثل نور من آمن به)** وفي لفظ له **(مثل نور المؤمن)** أخرجه عبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف عن الشعبي عنه، وقد روي مثله عن ابن عباس قال **(مثل نوره الذي أعطاه المؤمن كمشكاة)** وقال في قوله **(نور على نور)** فذلك مثل قلب المؤمن نور على نور، وقال في قوله **(أو كظلمات في بحر لجي)** ذلك مثل قلب الكافر ظلمة على ظلمة أخرجه الفرياني.

وأخرج ابن أبي حاتم عنه قال: مثل نوره هي خطأ من الكاتب هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة قال: مثل نور المؤمنين وفي لفظ له، مثل نوره مثل هواه في قلب المؤمن هكذا أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات.

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة قال **(أو كظلمات في بحر لجي)** اللجي العميق القصير أي مثل عمل الكافر في ضلالات ليس له مخرج ولا منفذ أعمى فيها لا يبصر.

(وقال زيد بن أسلم) العدوي مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. أبو عبد الله ويقال أبو أسامة المدني ثقة عالم مات سنة ست وثلاثين، روى الجماعة له **(﴿في لوح محفوظ﴾ هو قلب المؤمن)** نقله صاحب القوت. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة قال: في لوح محفوظ في صدور المؤمنين. **(وقال سهل)** التستري رحمه الله تعالى: **(مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي)** نقله صاحب القوت وقد تقدم قريباً **(فهذه أمثلة القلب)**.

بيان مجامع أوصاف القلب وأمثلته:

اعلم ان الانسان قد اصطحب في خلقته وتركيبه أربع شوائب، فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهي: الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية، فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس بالضرب والشتم، ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق وغيره، ومن حيث أنه في نفسه أمر رباني كما قال الله تعالى: ﴿قل الرُّوح من أمر ربي﴾[الاسراء:٨٥] فإنه يدعي لنفسه الربوبية، ويحب الاستيلاء، والاستعلاء، والتخصص، والاستبداد بالأمور كلها والتفرد بالرئاسة، والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع، ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها، بل يدعي لنفسه العلم، والمعرفة والإحاطة بحقائق الأمور ويفرح إذا نسب إلى العلم، ويحزن إذا نسب إلى الجهل، والإحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية، وفي الانسان حرص على ذلك. ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة

بيان مجامع أوصاف القلب وأمثاله:

(**اعلم أن الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته**) الأصلية (**أربع شوائب**) جمع شائبة وهي العلقة والشبهة وأصله من شابه بمعنى خلطه، (**فلذلك اجتمعت عليه أربعة أنواع من الأوصاف**) المختلفة (**وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية، فهو من حيث سلط عليه الغضب**) والتهوّر (**يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهيج على الناس بالضرب والشتم**) كما أن السباع تهجم على الناس بالعض والقطع، (**ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشره والحرص والشبق**) محركة شدة الغلمة (**وغيره**) أي غير ما ذكر من الأوصاف التي تعزى للبهائم، (**ومن حيث انه هو في نفسه أمر رباني كما قال تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ فإنه يدعي لنفسه الربوبية**) والأنانية (**ويحب الاستيلاء والاستعلاء**) على الغير (**والتخصص والاستبداد**) أي الاستقلال (**بالأمور كلها والتفرد بالربانية**) أي الملكية والسيادة (**والإنسلال عن رتبة العبودية**) أي الخلوص منها (**و**) من (**التواضع**) أي خفض المقام (**ويشتهي الاطلاع على العلوم**) والمعارف (**كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والإحاطة بحقائق الأمور**) كما ينبغي، (**ويفرح إذا نسب إلى العلم**) والكمال (**ويحزن إذا قذف بالجهل**) أو النقص أي اتهم به، (**والإحاطة بجميع الحقائق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلائق من أوصاف الربوبية**) ومن خواصها. (**وفي الإنسان حرص على**) حصول (**ذلك**) له (**ومن حيث يختص من البهائم بالتمييز**) والفطانة وقوّة النطق والإدراك (**مع مشاركته لمعاني الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار شريراً**)

حصلت فيه شيطانية فصار شريراً يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر، ويتوصل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخداع، ويظهر الشر في معرض الخير، وهذه أخلاق الشياطين.

وكل إنسان فيه شوب من هذه الأصول الاربعة ـ أعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية ـ وكل ذلك مجموع في القلب، فكأن المجموع في إهاب الانسان: خنزير وكلب وشيطان وحكيم.

فالخنزير هو الشهوة فإنه لم يكن الخنزير مذموماً للونه وشكله وصورته، بل لجشعه وكلبه وحرصه.

والكلب هو الغضب فإن السبع الضاري والكلب العقور ليس كلباً وسبعاً باعتبار الصورة واللون والشكل، بل روح معنى السبعية الضراوة والعدوان والعقر، في باطن الإنسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه. فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والمنكر والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والإيذاء.

أي كثير الشر معروفاً به (**يستعمل**) تلك القوى التي تميز بها عن الحيوانات في غير مواضع استعمالها فصار يجري (**التمييز في استنباط وجوه الشرور يتوصل**) به وبها (**إلى**) جملة (**الاغراض**) الفاسدة من حيث المآل (**بالمكر والخداع والحيلة، يظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين**) قطعاً، (**وكل انسان فيه شوب من هذه الأصول الأربعة أعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب**) يتوارد عليه بعضها ويختلف باختلاف الأحوال، وقد يكون منها فيه كلها وقد يكون بعضها. (**وكان المجموع في إهاب الانسان**) أي جلده (**خنزير وكلب وشيطان وحكيم**).

(**فالخنزير: هو الشهوة فإنه لم يكن الخنزير مذموماً للونه وشكله وصورته، بل لجشعه وكلبه وحرصه**). الجشع: محركة شدة الحرص، والكلب محركة العداوة والحرص أيضاً.

(**والكلب هو الغضب فإن السبع الضاري**) أي اللهج بالعقر (**والكلب العقور**) الذي من شأنه يعقر الناس (**ليس كلباً وسبعاً باعتبار الصورة واللون والشكل، بل روح معنى السبعية الضراوة**) وهو الاجتراء والولع والصيد (**والعدوان**) أي التعدي على الصيد، (**والعقر وفي باطن الإنسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه**) أي غلمته، (**فالخنزير يدعو بالشره إلى الفحشاء والمنكر، والسبع يدعو بالغضب إلى الظلم والايذاء**).

والشيطان لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري أحدهما بالآخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه.

والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح، وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكلب مقهورا تحت سياسته، فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم، وإن عجز عن قهرها قهروه واستخدموه، فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائماً في عبادة كلب وخنزير.

وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر همتهم البطن والفرج ومنافسة الأعداء، والعجب منه أن ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة، ولو كشف الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة حاله كما يمثل للمكاشفين إما في النوم أو في اليقظة

(**والشيطان**) موكل بهذه الأوصاف (**لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري أحدهما بالآخر**) أي يولع بهما، وفي نسخة يقوّي بدل يغري (**ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه**) في أصل الطبيعة.

(**والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبيسه**) وخداعه (**ببصيرته النافذة**) في الأمور (**ونوره المشرق الواضح، وأن يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه إذ بالغضب تكسر سورة الشهوة**) أي فورانها (**وتدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهوراً تحت سياسته**) وأمره وتدبيره، (**فإن فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم**) السالم من الاعوجاج، (**وإن عجز عن قهرها قهروه**) وغلبوه (**واستخدموه**) واستلينوه (**فلا يزال**) لأجل ذلك (**في استنباط الحيل**) بأنواعها (**وتدقيق الفكر**) وصرف الهمم (**ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائماً في عبادة كلب أو خنزير.**)

وهذا حال أكثر الناس مهما كان أكثر هممهم البطن والفرج) بأن يعطي كل منهما حظه الخاص به، (**ومنافسة الأعداء**) ومفاخرتهم. (**والعجب منه أنه ينكر على عبدة الأصنام عبادتهم للحجارة**) المنحوتة بأيديهم وهو أسوأ حالاً منهم بكثير. (**ولو كشف**) له (**الغطاء عنه وكوشف بحقيقة حاله**) بأن يمثل له حقيقة حاله (**كما يمثل للمكاشفين إما في النوم أو**

لرأى نفسه ماثلاً بين يدي خنزير ساجداً له مرة راكعاً أخرى ومنتظراً لإشارته وأمره. فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهوته انبعث على الفور في خدمته وإحضار شهوته، أو رأى نفسه ماثلاً بين يدي كلبٍ عقور عابداً له مطيعاً سامعاً لما يقتضيه ويلتمسه مدققاً بالفكر في حيل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فإنه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتها فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده، ولينظر بعين البصيرة فلا يرى إن أنصف نفسه إلا ساعياً طول النهار في عبادة هؤلاء، وهذا غاية الظلم إذ جعل المالك مملوكاً والرب مربوباً والسيد عبداً والقاهر مقهوراً، إذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء وقد سخره لخدمة هؤلاء الثلاثة فلا جرم ينتشر إلى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاثة صفات تتراكم عليه حتى يصير طابعاً وريناً مهلكاً للقلب ومميتاً له، أما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير

اليقظة **لرأى نفسه ماثلاً بين يدي خنزير ساجداً له مرة وراكعاً أخرى ومنتظراً لإشارته و**) واقفاً عند (**أمره**) ونهيه، (**فمهما هاج الخنزير لطلب شيء من شهوته انبعث على الفور في خدمته واحضار شهوته أو رأى نفسه ماثلاً بين يدي كلب عقور عابداً له مطيعاً لما يقتضيه ويلتمسه مدققاً للفكر في حيل الوصول إلى طاعته وهو بذلك ساع**) جد (**في مسرة شيطانه، فإنه الذي يهيج الخنزير ويثير الكلب ويبعثهما على استخدامه، فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتها**) أي بواسطتها فكيف ينكر من هو مثل هذا على عبدة الأصنام مع إقرارهم بأنهم إنما يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى، وعابد الخنزير والكلب أسوأ حالاً منهم لفواتهم تلك النية (**فليراقب كل عبد حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقعوده وقيامه**) وسائر أحواله (**ولينظر بعين البصيرة**) النافذة (**فلا يرى ان أنصف نفسه إلاَّ ساعياً طول النهار في عبادة هؤلاء**) مسخراً لخدمتهم، (**وهذا غاية الظلم إذ جعل المالك مملوكاً والرب مربوباً والسيد عبداً والقاهر مقهوراً إذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر والاستيلاء**) لأنه جوهر الروح العلوي ولسانه والدال عليه، (**وقد سخره لخدمة هؤلاء**) وذلله لها، (**فلا جرم ينتشر إلى قلبه من طاعة هؤلاء الثلاث صفات تتراكم عليه**) وتتزاحم (**حتى تصير طابعاً وريناً مهلكاً للقلب ومميتاً له**) وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿بل طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ [التوبة: ٩٣][1] وقوله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم﴾ [المطففين: ١٤] (**أما طاعة خنزير الشهوة فتصدر منها صفة الوقاحة**) أي قلة الحياء (**والخبث**) وهو الوصف الجامع لكل ما يضاد الطيب (**والتبذير**) وهو تفريق المال على وجه الإسراف (**أو التقتير**) وهو

---

(١) وتصويب الآية: « وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ».

والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها. وأما طاعة كلب الغضب فتنتشر منها إلى القلب صفة التهوّر والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها. وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجربزة والتلبيس والتضريب والغش والخب والخنا وامثالها، ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية: لاستقر بالقلب من الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والإحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوّة العلم والبصيرة، واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله، ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب، ولانتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة ورده إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدوء والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف والمساعدة وأمثالها، ويحصل فيه من ضبط قوّة الغضب وقهرها وردها إلى حد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة

تقليل النفقة (**والرياء والهتكة**) محركة كشف الستر (والمجانة) أي الهزل والسخرية (**والعبث**) محركة وهو عمل ما لا فائدة فيه (**والحرص والجشع**) هو محركة أشد الحرص والحرص طلب الاستغراق فيما فيه الحظ، (**والملق**) محركة اسم من التملق (**والحسد**) وهو تمني زوال نعمة الغير عنه (**والشماتة**) وهي الفرح بمصيبة الغير (**وغيرها**) من الأوصاف الذميمة. (**وأما طاعة كلب الغضب فينتشر منها إلى القلب صفة التهوّر**) وهو الإقدام على أمور لا تنبغي (**والبذالة**) وهي الامتهان وعدم التصاون (**والبذخ**) محركة التكبر (**والصلف**) محركة العجب (**والاستشاطة**) وهو الاحتراق غضباً (**والتكبر والعجب والاستهزاء والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها**) من الأوصاف الذميمة، (**وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيتحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجربزة**) بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الموحدة وآخره زاي وهو بمعنى الخداع (**وأمثالها**) من الأوصاف الذميمة. (**ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصفة الربانية العلم والحكمة والإحاطة بحقائق الأشياء ومعرفة الأمور على ما هي عليه والاستيلاء على الكل بقوّة العلم و**) نور (**البصيرة، واستحقاق التقدم على الخلق بكمال العلم وجلاله ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة وردّه إلى حد الاعتدال صفات شريفة**) تضاد تلك الصفات المذكورة (**مثل العفة والقناعة والهدوّ**) وهو السكون والطمأنينة (**والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف**) وهو بالفتح ذكاء القلب والكياسة (**والمساعدة**) للإخوان على الخير (**وأمثالها**) من الصفات الحميدة، (**ويحصل فيه من ضبط قوّة الغضب وقهرها وردها إلى**

وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها.

فالقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الأمور المؤثرة فيه، وهذه الآثار على التواصل واصلة إلى القلب. أما الآثار المحمودة التي ذكرناها فإنها تزيد مرآة القلب جلاء وإشراقاً ونوراً وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب في الدين، وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً في قلبه» وبقوله ﷺ «من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ». وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ .[الرعد: ٢٨].

حد الواجب صفة الشجاعة والكرم) وهما يتلازمان غالباً، **(والمنجدة)** بالفتح شدة الشجاعة **(وضبط النفس)** عن الوقوع في رذيلة **(والصبر)** على المكاره **(والحلم والاحتمال والعفو والثبات)** في الأمر، **(والنبل)** بالضم رفعة المقام إلى المطالب **(وغيرها)** من الصفات الحميدة.

(والقلب في حكم مرآة وقد اكتنفته هذه الأمور المؤثرة فيه، وهذه الآثار على التوالي) أي التتابع **(واصلة إلى القلب)** لا ينفك عنها. **(أما الآثار المحمودة التي ذكرناها فإنها تزيد مرآة القلب جلاء واشراقاً ونوراً وضياء حتى يتلألأ فيه جلية الحق وتكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب في الدين وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله ﷺ: « إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً)** أي ناصحاً ومذكراً للعواقب **(من قلبه »)** قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة واسناده جيد اهـ.

قلت: رواه ابن لال في مكارم الاخلاق ومن طريقه أورده الديلمي ولفظه: «جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه» ولفظ القوت وفي الخبر: إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له زاجراً من نفسه وواعظاً من قلبه.

قلت: وأخرجه أبو نعيم في الحلية من قول ابن سيرين بزيادة يأمره وينهاه، **(وبقوله)** ﷺ: **(« من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ »)** هكذا هو في القوت، وقال العراقي لم أجد له أصلاً.

قلت: أخرجه أحمد في الزهد عن أبي الجلد قال: قرأت في الحكمة من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ ومن انصف الناس من نفسه زاده الله بذلك عزاً والذل في طاعة الله أقرب من التعزز بالمعصية.

(وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر) وهو المشار إليه بقوله ﷺ «البر ما اطمأن إليه القلب وسكنت إليه النفس» فهذا وصف قلب كاشف بالذكر ونعت نفس ساكنة بمزيد السكينة كما وصف من قلوب المؤمنين في صريح الكلام، وفي دليل الخطاب إما صريحه فإنه **(قال تعالى)** ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله **ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾ أي تسكن إليه، ولولا أن

وأما الآثار المذمومة فإنها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوباً عن الله تعالى، وهو الطبع وهو الرين. قال الله تعالى: ﴿كلاَّ بل رانَ على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [المطففين: ١٤] وقال عز وجل: ﴿أن لو نشاءُ أصبناهُم بذنوبهم ونطبعُ على قلوبهم فهُم لا يسمعون﴾ [الأعراف: ١٠٠] فربط عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال تعالى: ﴿واتَّقوا الله واسمعوا﴾ [المائدة: ١٠٨] ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستهين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها. فإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك: ﴿الَّذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفّار

الذكر استقر فيه ما اطمأن إليه. وقال الله تعالى: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادُوا إيماناً مع إيمانهم﴾ [الفتح: ٤] أما دليل الخطاب الذي يشهد بالتدبر فقوله تعالى في صفة قلوب المحجوبين ﴿كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ [الكهف: ١٠١] ومثله ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ ففي تدبر معناه أن عبادة المحسنين له سامعين منه ناظرين إلى غيبة مكاشفين بذكره.

(وأما الآثار المذمومة فإنها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسود ويظلم ويصير بالكلية محجوباً عن الله تعالى وهو الطبع والرين قال الله تعالى ﴿كلاَّبل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ وقال تعالى) في ذكر القلوب المقفلة بالذنوب **(﴿أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ فربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى فقال)** تعالى: **(واتقوا الله واسمعوا)** وقال تعالى في فض الطابع بالتوبة وفي مفتاح القفل بالتقوى: **﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾** وقال ﷺ في محل القلب «التقوى ههنا» وأشار إلى القلب **(ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصوراً عليها، وإذا قرع سمعه الآخرة وما فيها من الأخطار)** أي الشدائد **(دخل من إذن وخرج من الأخرى)** ولم يلق له بالاً **(ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك)** عما فرط فيه **(أولئك ﴿الذين يئسوا من الآخرة﴾)** كما قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولَّوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة **(كما يئس الكفار من أصحاب القبور)﴾** [الممتحنة: ١٣] أي كما يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، **(وهذا هو معنى اسوداد**

من أصحاب القبور ﴾ [الممتحنة : ١٣] وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنّة.

قال ميمون بن مهران : إذا أذنب العبد ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع وتاب صقل، وإن عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه فهو الران، وقد قال النبي ﷺ : « قلب

القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنّة) . أما القرآن فقوله تعالى : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ والرين صدأ يعلو الشيء الجلي. وأما السنّة فأشار إليه المصنف بقوله :

(**قال ميمون بن مهران**) هو الخبر ذو الثقة كاتب عمر بن عبد العزيز تابعي وقد تقدمت ترجمته ولفظ القوت : وروينا عن جعفر بن برقان. قال : سمعت ميمون بن مهران يقول : (**إذا أذنب العبد**) ولفظ القوت : إن العبد إذا أذنب (**ذنباً نكت في قلبه**) بذلك الذنب (**نكتة سوداء**) فإن تاب محيت من قلبه فترى قلب المؤمن مجلياً مثل المرآة ما يأتيه الشيطان إلا أبصره، وأما الذي يتتابع في الذنوب كلما أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء فلا يزال ينكت في قلبه حتى يسود قلبه فلا يبصر الشيطان من حيث يأتيه. هذا لفظ ميمون بن مهران عند صاحب القوت، وأما قول المصنف : فإن هو نزع الخ هو بقية حديث مرفوع. قال صاحب القوت : وقد روى أبو صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء (**فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل**) قلبه (**وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الرين** ») كذا في النسخ، والصواب : فهو الران الذي ذكره الله : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ .

قلت : وقد رواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والترمذي والحاكم وصححاه والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن حبان وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب وأما قول ميمون بن مهران فهو كالمبين لهذا الحديث. وقد روى حذيفة في تفسير هذه الآية نحوه. أخرجه الفريابي والبيهقي في الشعب.

ويروى عن ابن عمر مرفوعاً قال : أعمال السوء ذنب على ذنب حتى مات قلبه واسودّ. وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن والحاكم وصححه وتعقب. وقال مجاهد : أي اثبتت على قلبه الخطايا حتى غيرته. أخرجه عبد بن حميد. وقال ابن عباس : ران أي طبع أخرجه ابن جرير. وقال مجاهد : الرين اليسر من الطبع والطبع اليسر من الإقفال والاقفال أشد ذلك كله. أخرجه ابن جرير.

وأخرج عبد بن حميد من طريق خليد بن الحكم قال قال رسول الله ﷺ « أربع خصال تفسد القلوب مجاراة الأحمق فإن جاريته كنت مثله وإن سكت عنه سلمت منه وكثرة الذنوب مفسدة القلوب، وقد قال تعالى : ﴿ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ والخلوة بالنساء والاستماع منهن والعمل برأيهن ومجالسة الموتى. قيل : وما الموتى ؟ قال غني قد أبطره غناه ».

المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس ». فطاعة الله سبحانه بمخالفة الشهوات مصقلة للقلب، ومعاصيه مسوّدات له فمن أقبل على المعاصي اسوّد قلبه، ومن أتبع السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم قلبه، ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح، فإنها لا تخلو عن كدورة. وقد قال ﷺ: « القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر، وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق »، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب. ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه حكم له بها؟ وفي رواية: ذهبت به. قال الله

(وقد قال ﷺ « قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس ») ولفظ القوت، وقد أخبر النبي ﷺ « أن قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر في تقسيمه القلوب » اهـ. وهو بعض الحديث الذي يأتي ذكره بعد.

(فطاعة الله تعالى بمخالفة الشهوات مصقلات للقلب ومعاصيه مسوّدات له، فمن أقبل على المعاصي أسوّد قلبه) ثلثه أو ربعه أو نصفه فإن داوم عليه اسودّ كله، **(ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره فهو كالمرآة يتنفس فيها ثم تمسح ويتنفس ثم تمسح فإنها)** تجلى لكنها **(لا تخلو عن كدورة، وقد قال ﷺ « القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر)** أي يلمع **(فذلك قلب المؤمن، وقلب أسود منكوس)** أي مقلوب أعلاه أسفله وأسفله أعلاه **(فذلك قلب الكافر، وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق، وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق » فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد. فأي المادتين غلبت عليه حكم له بها. وفي رواية ذهبت به)** الخ. قال العراقي: رواه أحمد والطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد الخدري اهـ.

قلت: وقال صاحب القوت: وروينا عن أبي سعيد الخدري وأبي كبشة الانماري وبعضه أيضاً عن حذيفة عن رسول الله ﷺ ثم ساق الحديث كسياق المصنف مع ذكر الرواية الثانية. ورواه صاحب العوارف من حديث حذيفة وسياقه كسياق المصنف.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن عبد الرحمن، حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا محمد ابن حميد، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري عن حذيفة قال: « القلوب أربعة قلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح فذلك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن، وقلب فيه نفاق وإيمان فمثل الايمان كشجرة يمدّها ماء طيب ومثل النفاق كمثل القرحة يمدها قيح ودم فايهما غلب عليه غلب ».

تعالى: ﴿ إن الذين إذا اتَّقوا إذا مسَّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ [الأعراف: ٢٠١] فأخبر أن جلاء القلب وأبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا ، فالتقوى باب الذكر ، والذكر باب الكشف ، والكشف باب الفوز الأكبر ، وهو الفوز بلقاء الله تعالى .

بيان مثال القلب بالاضافة إلى العلوم خاصة:

اعلم أن محل العلم هو القلب؛ أعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح وهي المطاعة المخدومة من جميع الأعضاء ، وهي بالإضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالإضافة إلى صور المتلوّنات؛ فكما أن للمتلون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها ،

وقال في ترجمة أبي البختري حدثنا سلمان بن أحمد ، حدثنا موسى بن عيسى بن المنذر الحمصي ، حدثنا أحمد بن خالد الواهبي ، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن ليث بن أبي سليم ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري الطائي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ « القلوب أربعة فقلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وذلك قلب المؤمن وسراجه فيه نوره » فساقه. ثم قال: غريب من حديث عمرو تفرد به شيبان عن ليث وحدث به الإمام أحمد بن أبي النضر عن شيبان بمثله ، ورواه جرير عن الأعمش فخالف ليثاً فقال عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة وأرسله .

(وقد قال الله تعالى ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ فاخبر أن جلاء القلب وأبصاره يحصل بالذكر) ولفظ القوت: إن جلاء القلب الذكر به يبصر القلب **(وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر ، والذكر باب الكشف ، والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى)** ولفظ القوت: وإن باب الذكر ، والذكر باب الكشف ، والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى. ولفظ القوت: وإن باب الذكر التقوى به يذكر العبد ، فالتقوى باب الآخرة كما أن الهوى باب الدنيا وأمر الله تعالى بالذكر وأخبر أنه مفتاح التقوى لأنه سبب الاجتناب وهو الاتقاء وهو الورع ، فقال تعالى ﴿ وأذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ [البقرة: ٦٣] وأخبر تعالى أنه أظهر البيان للتقوى في قوله عز وجل: ﴿ كذلك يبين الله آياته للناس لعَلَّهم يتقون﴾ [البقرة: ١٨٧] .

بيان أمثال القلب بالإضافة إلى العلوم خاصة:

(اعلم أن محل العلم هو القلب أعني) به **(اللطيفة)** النورانية **(المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع الأعضاء)** لا المضغة الصنوبرية **(وهي بالإضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالإضافة إلى صور المتلوّنات، فكما أن للمتلوّن صورة، ومثال تلك**

كذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها ، وكما أن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور . فكذلك ههنا ثلاثة أمور : القلب ، وحقائق الأشياء ، وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه .

فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الأشياء ، والمعلوم عبارة عن حقائق الاشياء . والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة .

وكما أن القبض مثلاً يستدعي (قابضاً) كاليد (ومقبوضاً) كالسيف ، ووصولاً بين السيف واليد ـ بحصول السيف في اليد ـ ويسمى (قبضاً) فكذلك وصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علماً ، وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجوداً ولم يكن العلم حاصلاً لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب ، كما أن السيف موجود واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلاً لعدم وقوع السيف في اليد ، نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب ، فمن علم النار لم

الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها ، فكذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورته فتنطبع في مرآة القلب وتتضح فيها ، وكما ان المرآة غير وصور الأشخاص) في نفسها **(غير ، وحصول مثالها في** المرآة **غير فهي ثلاثة أمور ، فكذلك هنا ثلاثة أمور : القلب)** بمنزلة المرآة **(وحقائق الاشياء)** بنزلة صور الأشخاص ، **(وحصول نفس الحقائق في القلب وحضورها فيه)** بمنزلة حصول مثال تلك الصور .

(فالعالم) بكسر اللام **(عبارة عن القلب الذي يحل فيه مثال حقائق الأشياء ، والمعلوم عبارة عن حقائق الأشياء ، والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة) فهي** ثلاثة عالم ومعلوم وعلم ثم زاده وضوحاً بمثال آخر فقال :

(كما أن القبض يستدعي (قابضاً) كاليد (ومقبوضاً) كالسيف ووصولاً بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى (قبضاً) فكذلك وصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علماً ، وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجوداً ولم يكن العلم حاصلاً لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كما كان السيف موجوداً واليد موجودة ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلاً) بعد **(لعدم وقوع السيف في اليد)** ، ولقائل أن يقول : إن هذا تشبيه المعقول بالمحسوس ، وليس بين المشبه والمشبه به مناسبة تامة فلم يتفقا فأشار إلى ذلك بقوله : **(نعم القبض عبارة عن حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب ، فمن علم النار لم**

تحصل عين النار في قلبه، ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها، فتمثيله بالمرآة أولى لأن عين الإنسان لا تحصل في المرآة وإنما يحصل مثال مطابق له، وكذلك حصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علماً.

وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصور لخمسة أمور.

أحدها: نقصان صورتها كجوهر الحديد قبل أن يدور ويشكل ويصقل.

والثاني: لخبثه وصدئه وكدورته وإن كان تام الشكل.

والثالث: لكونه معدولاً به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة.

والرابع: لحجاب مرسل بين المرآة والصورة.

والخامس: للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذي بها شطر الصورة وجهتها.

يحصل عين النار في قلبه، ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابق لصورتها) بأنها جسم محرق، (**فتمثيله بالمرآة أولى لأن عين الإنسان لا تحصل في المرآة، وإنما يحصل مثال مطابق له، وكذلك حصول مطابق لحقيقة المعلوم في القلب يسمى علماً)**.

(**وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصور)** أي صور الأشخاص (**لخمسة أمور)**:

(**أحدها: نقصان صورتها لجوهر الحديد قبل أن يدوّر ويشكل ويصقل)** يعني به مرآة الهندوان.

(**والثاني: لخبثه وصدئه وكدورته)** فإن من شأن الحديد ذلك (**وإن كان تام الشكل)** وهذان منتفيان في مرآة الزجاج إذا لصق بظهره الزئبق، فإنه حينئذ لا يحتاج إلى تدويرها وصقلها ولا يركبها الصدأ أو الكدر.

(**والثالث: لكونه معدولا به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة)**.

(**والرابع: لحجاب المرسل بين المرآة والصورة)**.

(**والخامس: للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذي بها)** أي يقابل (**شطر الصورة وجهتها)**.

فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيها حقيقة الحق في الأمور كلها، وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة.

أولها: نقصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا ينجلي له المعلومات لنقصانه.

والثاني: لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فإن ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه لظلمته وتراكمه وإليه الإشارة بقوله ﷺ: « من قارف ذنباً فارقه عقل لا يعود إليه أبداً » أي حصل في قلبه كدورة لا يزول أثرها إذ غايته أن يتبعه بحسنة يمحوه بها، فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لازداد لا محالة إشراق القلب، فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نوراً، فهذا خسران مبين ونقصان لا حيلة له. فليست المرآة التي تتدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق؟ فالإقبال على طاعة الله والإعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت:

(فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن تتجلى فيها حقيقة الحق في الأمور كلها، وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الاسباب الخمسة).

(أولها: نقصان في ذاته كقلب الصبي فإنه لا تتجلّى له المعلومات لنقصانه).

(والثاني: لكدورة المعاصي والخبث الذي تراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات فإن ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه) فإن الحق نور والشهوة ظلمة وهما ضدان، **(وإليه الإشارة بقوله ﷺ « من قارف ذنباً)** أي أصاب وارتكب **(فارقه عقل لا يعود إليه أبداً »)** قال العراقي لم أر له أصلاً اهـ. **(أي حصل في قلبه كدورة لا يزول أثرها ابداً إذ غايته أن يتبعه بحسنة يمحوه بها، فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لزاد لا محالة إشراق القلب، فلما تقدمت السيئة سقطت فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة، ولم يزدد بها نوراً وهذا خسران ونقصان لا حيلة له).**

أخرج الديلمي من طريق محمد بن سومة، عن الحرث، عن علي مرفوعاً « من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شراً فهو ملعون، ومن لم يكن على الزيادة فهو في النقصان فالموت خير له » وإسناده ضعيف.

(فليس المرآة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق، والإقبال على طاعة الله والإعراض عن مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه، ولذلك قال تعالى﴿ والذين جاهدوا فينا ﴾) أي نفوسهم وعدوّهم الذي يأمرهم

٦٩] وقال ﷺ : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » .

الثالث: أن يكون معدولاً به عن جهة الحقيقة المطلوبة فإن قلب المطيع الصالح وإن كان صافياً فإنه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس محاذياً بمرآته شطر المطلوب، بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية الالهية، فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وخفايا عيوب النفس إن كان متفكراً فيها، أو مصالح المعيشة إن كان متفكراً فيها. وإذا كان تقييد الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعاً عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف الهم إلى الشهوات

بالفحشاء والتفكر فصابروه وغلبوا نفوسهم بإماتتها (**لنهدينهم سبلنا**) أي لنطرقنهم إلى مكاشفات العلوم ولنوصلنهم إلى أقرب الطريق إلينا بحسن مجاهدتهم فينا، ثم ختم الأمر بقوله ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ . (**وقال ﷺ « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم »**) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس، وقد تقدم في كتاب العلم. وأورده صاحب القوت ثم قال: أي من معرفة الأختبار والاختيار والابتلاء والاجتباء والتعريف والتأديب والمثوبة والعقوبة والقبض والبسط والحل والعقد والجمع والتفرقة إلى غير ذلك من علوم المعارف بعد حسن التفقه عن معرفة المنقص والمزيد بصفاء القلب وصحة المواجيد. وفسر بعض العلماء قوله تعالى ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ فقال: هم الذين يعملون بما يعلمون. قال: يوفقهم ويهديهم إلى ما لا يعلمون حتى يكونوا علماء حكماء ولأجل هذه المناسبة أورد المصنف هذا الحديث عقب الآية.

وقال بعض السلف: هذه الآية نزلت في المتعبدين المنقطعين إلى الله عز وجل المستوحشين من الناس، فيسوق الله إليهم من يعلمهم أو يلهمهم التوفيق والعصمة. وقال بعض التابعين: من عمل بعُشر ما يعلم علمه الله ما يجهل ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة، ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار.

(**الثالث: أن يكون معدولاً به عن جهة الحقيقة المطلوبة فإن القلب المطيع الصالح وإن كان صائباً فإنه ليس يتضح فيه جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق**) أي ليس بصدده، (**وليس يحاذي بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم**) مستغرق الفكر (**بتفصيل الطاعات البدنية**) إن كان فارغ البال، (**أو بتهيؤ أسباب المعيشة**) له ولأهله، (**ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الخفية**) أسرارها (**الإلهية، فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال وحقائق عيوب النفس إن كان متفكراً فيه أو مصالح المعيشة إن كان متفكراً فيها، وإذا كان تقييداً لهم بالأعمال وتفصيل الطاعات**) التي تقرب إلى الله (**مانعاً عن إنكشاف جلية الحق فما ظنك في صرف الهم إلى شهوات الدنيا**

الدنيوية ولذاتها وعلائقها ، فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي .

الرابع : الحجاب فإن المطيع ، القاهر لشهواته المتجرد الفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوباً عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظن ، فإن ذلك يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد ، وهذا أيضاً حجاب عظيم به حجب أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب ، بل أكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجاباً بينهم وبين درك الحقائق .

الخامس : الجهل بالجهة التي يقع منها العثور على المطلوب ، فإن طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيباً مخصوصاً يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتتجلى حقيقة المطلوب لقلبه ، فإن العلوم المطلوبة التي ليست فطرية لا تقتنص

ولذاتها وعلائقها : فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي) ؟ والحاصل أن تعلق القلب بغير الله ولو كان في الطاعات الموصلة إليه مانع عن حصول انكشاف الحقائق كما هي لعدم التفاته إليه .

(**الرابع : الحجاب فإن المطيع القاهر لشهواته)** بمجاهدة نفسه (**المتجرد للفكر في حقيقة من الحقائق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوباً عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد)** والتلقي ، (**والقبول بحسن الظن يحول ذلك بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقنه)** أوّلاً (**من ظاهر التقليد . وهذا أيضاً حجاب عظيم به حجب أكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب)** المتبوعة حتى صارت قلوبهم بذلك التقليد مصمتة لا تسمع غير ما تقلده منذ صباوته (**بل أكثر الصالحين)** من عباده (**المتفكرين في ملكوت السموات والأرض لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصارت حجاباً بينهم وبين درك الحقائق)** على ما هي عليها ، وقد تقدم البحث عن ذلك في كتاب العلم .

(**الخامس : الجهل بالجهة التي منها يقع العثور)** أي الاطلاع (**على المطلوب فإن طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم بالمجهول إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتى إذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيباً مخصوصاً يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب فتنجلي حقيقة المطلوب)** وتنكشف . (**لقلبه فإن العلوم المطلوبة التي ليست فطرية)** أي مما يمكن حصوله من أصل الفطرة (**لا تقتنص إلا بشبكة العلوم الحاصلة)**

إلا بشبكة العلوم الحاصلة، بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج الفحل والأنثى. ثم كما أن من أراد أن يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبعير وإنسان بل من أصل مخصوص من الخيل الذكر والأنثى، وذلك إذا وقع بينهما ازدواج مخصوص. فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما بالعلم المستفاد المطلوب، فالجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم. ومثاله ما ذكرناه من الجهل بالجهة التي الصورة فيها، بل مثاله أن يريد الإنسان أن يرى قفاه مثلاً بالمرآة فإنه إذا رفع المرآة بازاء وجهه لم يكن قد حاذى بها شطر القفا فلا يظهر فيها القفا، وإن رفعها وراء القفا وحاذاه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا، وهذه في مقابلتها بحيث يبصرها ويراعي مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا في المرآة المحاذية للقفا، ثم تنطبع صورة هذه المرآة في المرآة الأخرى التي في مقابلة العين، ثم تدرك العين صورة القفا، فكذلك في اقتناص الىلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه في المرآة يعز على بسيط الأرض من يهتدي إلى كيفية الحيلة

عنده، (**بل كل علم لا يحصل إلا عن علمين سابقين يأتلفان ويزدوجان على وجه مخصوص، فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل من النتاج من ازدواج الفحل والأنثى، ثم**) أي هناك (**كما من أراد أن يستنتج رمكة**) محركة وهي الأنثى من البراذين (**لم يمكنه ذلك من حمار وبقرة وإنسان، بل من أصل مخصوص هو الفرس الذكر والانثى، وذلك إذا وقع بينهما ازداوج مخصوص، فكذلك كل علم فله أصلان مخصوصان وبينهما طريق**) خاص (**في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب والجهل بتلك الأصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم**) للأكثرين. (**ومثاله: ما ذكرناه من الجهل الجهة التي الصورة فيها بل مثاله أن يريد الإنسان مثلاً أن يرى قفاه في المرآة فإنه إن رفع المرآة بإزاء وجهه**) أي في مقابلته (**لم يكن قد حاذى بها**) أي قابل (**شطر القفا**) أي في جهته، (**فلا يظهر فيها القفا**) لعدم المقابلة، (**وإن رفعها وراء القفا وبازائه كان قد عدل بالمرآة عن عينه فلا يرى المرآة ولا صورة القفا فيها**) فإن العين هي التي تبصر، (**فيحتاج إلى مرآة أخرى ينصبها وراء القفا، وهذه**) المرآة (**في مقابلته بحيث يبصرها ويرعى مناسبة بين وضع المرآتين حتى تنطبع صورة القفا في المرآة المحاذية ثم تنطبع صورة هذه في المرآة الأخرى التي في مقابلة العين ثم تدرك العين صورة القفا، فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات أعجب مما ذكرناه في المرآة ويعز على بسيط الأرض**)

في تلك الازورارات. فهذه هي الأسباب المانعة للقلوب من معرفة حقائق الأمور. وإلاَّ فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف وإليه الإشارة بقوله عز وجل: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ على السَّمَوَاتِ والأَرْضِ والجبال فأبينَ أن يَحْمِلْنَها وأشْفَقنَ مِنْهَا وحملها الإنسان ﴾ [الأحزاب: ٧٢] إشارة إلى أن له خاصية تميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صار مطيقاً لحمل أمانة الله تعالى، وتلك الأمانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الأمانة ومطيق لها في الأصل، ولكن يثبطه عن النهوض بأعبائها والوصول إلى تحقيقها الأسباب التي ذكرناها، ولذلك قال ﷺ: « كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهوّدانه وينصرانه

أي يندر وجود (**من يهتدي إلى كيفية الحيلة في تلك الازورارات**) والتحريفات. (**فهذه هي الاسباب المانعة للقلوب عن معرفة حقائق الأمور وإلاَّ فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف**) إذ هو عبارة عن تلك اللطيفة وهو جوهر لطيف (**فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف**) وهي الصلوح لمعرفة الحقائق، (**وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان**) إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ ففيه (**إشارة إلى أن له خاصية تميز بها عن السموات والأرض والجبال بها صار مطيقاً**) أي قادراً (**لحمل أمانة الله تعالى، وتلك الامانة**) اختلف فيها على أقوال: منها (**هي المعرفة**) للحقائق كما هي، (**والتوحيد**) لله تعالى العاري عن الحلول والاتحاد والإيجاد، (**وقلب كل آدمي مستعد لحمل الأمانة ومطيق لها في الأصل**) أي في أصل فطرته. (**ولكن يثبطه**) أي يؤخره (**عن النهوض**) أي القيام (**باعبائها**) أي أثقالها (**والوصول إلى تحقيقها الأسباب**) المانعة التي ذكرناها، (**ولذلك قال** ﷺ « **كل مولود**) من بني آدم (**يولد على الفطرة**) اللام للعهد والمعهود. فطرة الله التي فطر الناس عليها أي الخلقة التي خلق الناس عليها من الاستعداد لقبول الدين والتهيؤ للتمييز بين الخطأ والصواب، (**وإنما أبواه**) والداه هما اللذان (**يهوّدانه**) **أي يصيرانه** يهودياً بأن يدخلاه في دين اليهودية المحرف المبدل (**وينصرانه**) أي يصيرانه نصرانياً (**ويمجسانه** ») **أي يدخلانه في دين** المجوسية، كذلك بأن يصدّاه عما ولد عليه ويزينان له الملة المبدلة والنحل الزائغة ولا ينافيه لا تبديل لخلق الله، لأن المراد به لا ينبغي أن تبدل تلك الفطرة التي من شأنها أن لا تبدل أو هو خبر بمعنى النهي. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: رواه البخاري بلفظ المصنف إلا أنه قال: « فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه » وزاد « كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء ».

ولفظ مسلم « كل إنسان تلده أمه على الفطرة فابواه بعد يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه فإن كانا مسلمين فمسلم » الحديث. وقد رواه الترمذي وقال: حسن صحيح بلفظ: « كل مولود يولد

ويمجسانه » وقول رسول الله ﷺ : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت.

وإليه الإشارة بما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله، يا رسول الله أين الله في الأرض أو في السماء ؟ قال: « في قلوب عباده المؤمنين ». وفي الخبر: « قال الله تعالى لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن الليّن الوادع ». وفي

على الملة فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه ويشركانه » قيل: يا رسول الله فإن هلك قبل ذلك ؟ قال« الله أعلم بما كانوا عاملين ».

وفي الباب عن الأسود بن سريع وعن جابر وعن أنس، فحديث أنس أخرجه أبو يعلى والبغوي والباوردي والطبراني في الكبير والبيهقي بلفظ « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهوّادنه أو ينصرانه أو يمجسانه ».

وحديث جابر أخرجه أحمد والضياء في المختارة بلفظ أبي يعلى إلا أنه قال بعد قوله « لسانه فإذا عبّر عنه لسانه اما شاكراً أو كفوراً.

وأما حديث أنس، فأخرجه الحكيم والترمذي في نوادر الأصول بلفظ « كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم فإنما يولد على الفطرة على الإسلام كلهم، ولكن الشياطين أتتهم فاحتالتهم عن دينهم فهوّدتهم ونصرتهم ومجستهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ».

(وقول رسول الله ﷺ « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء ») تقدم قريباً في كتاب الصوم. **(إشارة إلى بعض هذه الأسباب التي هي الحجاب بين القلب وبين الملكوت)** وقد تقدم الكلام على ذلك في كتاب الصوم.

(وإليه الإشارة بما روي عن ابن عمر) رضي الله عنهما **(قال: قيل يا رسول الله: أين الله في الأرض [أو في السماء ؟] قال: « في قلوب عباده المؤمنين »)** هكذا هو في القوت. وقال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ، وللطبراني من حديث أبي عنبة الخولاني مرفوعاً « أن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين » الحديث وقد تقدم قريباً.

(وفي الخبر « قال الله تعالى: لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) وفي لفظ زيادة **(اللين الوادع »)** أي الساكن المطمئن هكذا هو في القوت والرسالة للقشيري، والمشهور: « ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن » وقال العراقي: لم أجد له أصلاً وفي حديث أبي عنبة قبله عند الطبراني بعد قوله: وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها اهـ.

الخبر أنه قيل يا رسول الله من خير الناس ؟ فقال : « كل مؤمن مخموم القلب » فقيل : وما مخموم القلب ؟ فقال : « هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا غل ولا

قلت : وسبقه ابن تيمية الحافظ فقال : هو مذكور في الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ ومعناه : وسع قلبه الإيمان بي ومحبتي ومعرفتي وإلا فمن قال : إن الله يحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده اهـ .

وفي المقاصد للحافظ السخاوي ما نصه : ورأيت بخط الزركشي سمعت بعض أهل العلم يقول : هذا باطل وهو من وضع بعض الملاحدة ، وأكثر ما يرويه المتكلم على رؤوس العوام علي بن وفا لمقاصد يقصدها ويقول عنه الوجد والرقص طوفوا ببيت ربكم اهـ .

قلت : وهذا من الزركشي تحامل على الصوفية الذين هم من خواص خلق الله تعالى ويعني بالمتكلم المذكور القطب أبا الحسن علي بن وفا الشاذلي قدس سره جد السادة الوفائية ، وناهيك به جلالة وقدراً قد خصه الله بالفيوضات والكشوفات ما لو فتح للزركشي عين قلبه لرأى جلية الحق وتحققت له الحقائق ، ولكنه محجوب بما تلقفه من مشايخه مجبول على ربقة التقليد ، وإن كان هو علم من ربه وما كنت أرى له أن يتكلم بما قال كيف وقد أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد بسنده عن وهب بن منبه قال : إن الله فتح السموات لحزقيل حتى نظر إلى العرش فقال حزقيل : سبحانك ما أعظمك يا رب ! فقال الله : إن السموات والأرض ضعفن عن أن يسعنني ووسعني قلب المؤمن الوادع اللين . وإلى هذا أشار ابن تيمية بقوله . مذكور في الإسرائيليات ويشهد لصحة معناه حديث أبي عنبة الخولاني المار ذكره قريباً عن الطبراني ، وهذا القدر يكفي للصوفي ولا يعترض عليه إذا عزاه إلى حضرة الرسالة والإنصاف من أوصاف المؤمنين ولا اعتراض على قول القطب عند الوجد : طوفوا ببيت ربكم فإن القلب بيت الرب ، وليس يعني به هذه المضغة الصنوبرية بل اللطيفة النورانية تأمل .

(وفي الخبر أنه قيل لرسول الله ﷺ من خير الناس؟ فقال « كل مؤمن مخموم القلب » فقيل وما مخموم القلب؟ فقال « هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد ») هكذا أورده صاحب القوت ، وقال العراقي : رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر باسناد جيد اهـ .

قلت : لفظ ابن ماجه « خير الناس ذو القلب المخموم واللسان الصادق » . قيل قد عرفنا اللسان الصادق فما القلب المخموم ؟ قال « هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد » قيل : فمن على أثره ؟ قال « الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة » قيل : فمن على أثره ؟ قال « مؤمن في خلق حسن » وقد رواه كذلك الحكيم الترمذي في النوادر والطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب ، ورواه أحمد في الزهد عن أسد بن وداعة مرسلاً .

حسد». ولذلك قال عمر رضي الله عنه: رأى قلبي ربي إذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى، ومن ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والأرض، أما جملتها فأكثر سعة من السموات والارض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكناف فهو متناه على الجملة، وأما عالم الملكوت وهي الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوصة بإدراك البصائر فلا نهاية له، نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله لا نهاية له. وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحد تسمى الحضرة الربوبية، لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله، ومملكته وعبيده من أفعاله، فما يتجلى

(ولذلك قال عمر) بن الخطاب رضي الله عنه: **(رأى قلبي ربي إذ كان قد رفع الحجاب)** بينه وبين قلبه **(بالتقوى)** ومزيد الإيمان وقوته بما أورثه سعة المشاهدة، **(ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه)** فالملك عالم الشهادة والملكوت عالم الباطن، **(فيرى)** بعين بصيرته **(جنة عرض بعضها السموات والأرض أما جملتها فأكثر سعة من السموات والأرض لأن السموات والأرض عبارة عن عالم الملك والشهادة، وهو وإن كان واسع الأطراف متباعد الأكناف)** أي النواحي **(فهو متناه على الجملة، وأما عالم الملكوت وهو الأسرار الغائبة عن مشاهدة الأبصار المخصوص بإدراك البصائر)** لاختصاصه بأرواح النفوس، **(فلا نهاية له)** لسعته، وعالم الشهادة بالنسبة إلى عالم الملكوت كالقشرة بالنسبة إلى اللب، وكالصورة والقالب بالنسبة إلى الروح، وكالظلمة بالنسبة إلى النور، وكالسفل بالنسبة إلى العلو ولذلك يسمى عالم الملكوت العالم العلوي والعالم الروحاني والعالم النوراني وفي مقابلته العالم السفلي والجسماني والظلماني. **(نعم الذي يلوح للقلب منه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالإضافة إلى علم الله لا نهاية له)** كما لا نهاية لمعلوماته، **(وجملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية)** وحضرة الإلهية غير حضرة الملك وغير حضرة الربوبية، ولذلك أمر بالعياذ بجميع هذه الحضرات فقال: ﴿قل أعوذ برب الناس ★ ملك الناس★ إله الناس﴾ [الناس: ١ - ٣] وتمييز حضرة الملك من حضرة الربوبية يستدعي شرحاً طويلاً، ولكل من حضرات الإلهية الخمس عوالم فحضرة الشهادة عالمها عالم الملك وحضرة الغيب المضاف عالمها عالم الملكوت، وعالم الملك مظهر عالم الملكوت ولا يكون العبد ملكوتياً إلا وتبدل في حقه الأرض غير الأرض والسموات، ويصير كل ما هو داخل تحت الحس والخيال أرضه، ومن جملتها السموات وكل ما ارتفع عن الحس سماؤه وهذا هو المعراج الأوّل لكل سالك ابتدأ سفره إلى قرب الحضرة الربوبية، **(لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات إذ ليس في الوجود شيء سوى الله وأفعاله ومملكته وعبيده من أفعاله)**. وفي بعض النسخ:

من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق، ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه ﴿قد أفلح من زكّاها﴾ [الشمس : ٩] ومراد تزكيته حصول أنوار الإيمان فيه أعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى: ﴿فمن يُرد الله أن يهديه يَشْرَحْ صَدرهُ للإسلام﴾ [الأنعام : ١٢٥] وبقوله :﴿أفمَن شرَح اللهُ صدرُه للإسلام فهو على نور من ربّه﴾ [الزمر : ٢٢] .

نعم هذا التجلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب .

ومملكته من عبيده وأفعاله. وقد اتفق العارفون على ذلك فهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق وأفعاله، لكن منهم من كان له هذا الحال عرفاناً علمياً، ومنهم من صار له ذلك ذوقاً حالياً وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة واستوفيت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه، ولم يبق منهم متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضاً فلم يكن عندهم إلا الله، **(فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم)** من العارفين **(وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بسبب سعة معرفته)** واتساع باعه في اليقين، **(وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله)** وفي ذلك يتفاوتون على قدر مقاماتهم وسعة معرفتهم، **(وإنما مراد الطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه)** قال الله تعالى: **(﴿قد أفلح من زكاها﴾)** أي النفس وبتزكية النفس يحصل تزكية القلب وفي بعض النسخ، وقد أفلح من زكاه أي القلب، **(ومراد تزكيته حصول أنوار الإيمان فيه. أعني إشراق نور المعرفة)** بالله فيترقى من الحضيض إلى أوج الحقيقة، فيرى بالمشاهدة العيانية ان ليس في الوجود إلا الله وإن كل شيء هالك إلا وجهه، ونصيب كل عبد من ذلك حسب قسمه من اليقين وقسمه من اليقين عن قربه من القريب جل وعلا وقربه على حسب قرب الله تعالى من قلبه بقدر علمه بالله واتساعه فيه على نحو مكانه من نور الإيمان ومزيد إيمانه على قدر إحسان الله إليه وإحسانه إليه على قدر عنايته به وإيثاره له، **(وهو المراد بقوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾)** فالنور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر فظهرت له العلامات الدالة عليه من الإنابة والاستعداد للموت وغيرها كما سيأتي **(وبقوله)** تعالى: **﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾** فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله. **(نعم هذا التجلي وهذا الإيمان له ثلاث مراتب)**.

اعلم أن التجلي يستدعي رفع الحجاب ومعرفة الحجاب وسببه وما يقابله، فرفع الحجاب هو الانكشاف الحاصل للقلب بنور الايمان، وأما الحجاب فهو انتكاس القلب وانغلاقه وسببه الظلمة، وأما ما يقابله فهو نور الإيمان ويندرج فيه نور العلم ونور الذوق والله سبحانه وتعالى يتجلى في ذاته بذاته لذاته ويكون الحجاب في الإضافة إلى محجوب لا محالة، فالمحجوبون على أقسام ومراتب،

المرتبة الأولى: إيمان العوام وهو إيمان التقليد المحض.

والثانية: إيمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال ودرجته قريبة من درجة إيمان العوام.

كما أن المؤمنين على أقسام ومراتب، فمنهم من يحجب بمجرد الظلمة، ومنهم من يحجب بالنور المحض، ومنهم من يحجب بنور مقرون بظلمة، ولكل هؤلاء أصناف لا يحصون كثرة. وأما الإيمان بالله فهو التصديق الجازم بوجوده أوّلاً، ثم بتقديسه عن سمات الحوادث ثانياً، وبوحدانيته ثالثاً، وبصفاته رابعاً. وهذا التصديق له مراتب ذكر المصنف منها ثلاثة. وهي في الحقيقة تسعة، فإن كل مرتبة من المراتب الثلاثة منقسمة إلى ثلاثة، واقتصر المصنف هنا على ثلاثة إذ هي الأصول، وذكر في آخر كتابه (**الجام العوام**) ستة وهي أقسام المرتبتين، وأما المرتبة الثالثة فذكرها بأقسامها في كتابه مشكاة الأنوار وقد تبع هنا صاحب القوت حيث ذكر المراتب ثلاثة، ونحن نذكر أن شاء الله تعالى خلاصة ذلك كله قال:

(**المرتبة الأولى: إيمان العوام: وهو إيمان التقليد المحض**) وفيها ثلاث مراتب.

الأولى: منها التصديق بوجود السماع ممن حسن فيه الاعتقاد بسبب كثرة ثناء الخلق فإن من حسن اعتقاده قد يخبر عن شيء فيسبق إليه اعتقاد جازم وتصديق بما أخبر عنه بحيث لا يبقى مجال لغيره في قلبه ومستنده حسن اعتقاده فيه، وهذا كاعتقاد الصبيان في آبائهم ومعلميهم فإنهم يسمعون الاعتقادات ويصدقون ويستمرون عليه من غير حاجة إلى دليل ومحاجة.

المرتبة الثانية: من المرتبة الأولى التصديق الذي يسبقه إليه العلم عند سماع الشيء مع قرائن الأحوال لا يفيد القطع منه المحقق، ولكن يلقى في حق العوام اعتقاداً جازماً لا يخالجه ريب ولا يطالب دليلاً.

المرتبة الثالثة: من المرتبة الأولى أن يسمع القول فيناسب طبعه وأخلاقه فيبادر الى التصديق بمجرد موافقته لطبعه لا من حسن اعتقاد في قائله ولا من قرينة تشهد له لكن لمناسبة ما في طبعه. وهذه أضعف التصديقات وأدنى الدرجات لأنه ما قبله استند إلى دليل مّا، وإن كان ضعيفاً من قرينة أو حسن اعتقاد في المخبر فهي أمارات يظنها العامي أدلة فتعمل في حقه عمل الأدلة.

(**والثانية: إيمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال**) وفيها أيضاً ثلاث مراتب.

الأولى: وهو أقصاها ما يحصل بالبرهان المستقصى المستوفي بشروطه المحرر بأصوله ومقدماته درجة درجة كلمة كلمة حتى لا يبقى مجال احتمال وممكن التباس، وذلك هو الغاية القصوى.

الثانية: أن يحصل بالأدلة الرسمية الكلامية المبنية على أمور مسلمة مصدق بها لاشتهارها بين أكابر العلماء وشناعة انكارها ونفرة النفوس عن ابداء المزيد فيها، وهذا الجنس أيضاً يفيد في بعض الأمور في حق بعض الناس تصديقاً جازماً بحيث لا يتغير صاحبه بامكان خلافه أصلاً.

والثالثة: إيمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين.

الثالثة: أن يحصل التصديق بالأدلة الخطابية التي جرت العادة باستعمالها في المحاورات والمخاطبات الجارية في العادات، وذلك يفيد في حق الأكثر تصديقاً ببادىء الرأي وسابق الفهم إذا لم يكن الباطن مشحوناً بتعصب ورسوخ اعتقاد على خلاف مقتضى الدليل.

(والثالثة: إيمان العارفين وهو المشاهد بنور اليقين) وفيها أيضاً ثلاث مراتب.

الأولى: إيمانهم بان كل ما سواه إذا اعتبرت ذاته فهو من حيث ذاته لا وجود له بل وجوده مستعار من غيره ولا قوام لوجوده المستعار بنفسه بل بغيره، ونسبة المستعار إلى المستعير مجاز محض، فإذا انكشف للعبد هذه الحقيقة بنور اليقين علم أنه ملك لمالكه على التفرد لا شريك له فيه أصلاً.

الثانية: ترقوا من حضيض المجاز إلى أوج الحقيقة واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العينية أن ليس في الوجود إلا الله، وأن كل شيء هالك إلا وجهه لا أنه يصيرها لكافي وقت من الأوقات، بل هو هالك أزلاً وأبداً لا يتصوّر إلا كذلك، وان كل شيء سواه إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عمد محض، وإذا اعتبرت من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأوّل رؤي موجوداً لا في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجده فيكون الموجود وجه الله فقط، ولكل شيء وجهان: وجه إلى نفسه ووجه إلى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله موجود، فإذاً لا موجود إلا الله ووجهه، فإذاً كل شيء هالك إلا وجهه أزلاً وأبداً. ولم يفتقر هؤلاء لقيام القيامة ليسمعوا نداء الباري ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ [غافر: ١٦] بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبداً ولم يفهموا من معنى قوله: الله أكبر أنه أكبر من غيره حاشا الله إذ ليس في الوجود معه غيره حتى يكون أكبر منه، بل ليس لغيره رتبة المعية، بل رتبة التبعية بل ليس لغيره وجود إلا من الوجه الذي يليه، فالوجود وجهه فقط، فمحال أن يكون أكبر من وجهه بل معناه أكبر من أن يقال أكبر بمعنى الإضافة والمقايسة، وأكبر من أن يدرك غيره كنه كبريائه نبياً كان أو ملكاً بل لا يعرف كنه معرفته إلا الله تعالى.

الثالثة: بعدما عرجوا إلى سماء الحقيقة اتفقوا انهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق، لكن منهم من كان له هذا الحال عرفاناً علمياً، ومنهم من صار له ذلك ذوقاً حالياً وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة واستوفيت فيها عقولهم، فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لا لذكر غير الله ولا لذكر أنفسهم أيضاً، فلم يكن عندهم إلا الله فسكروا سكرا وقع دون سلطان عقولهم، فقال أحدهم: أنا الحق، وقال الآخر: سبحاني ما أعظم شأني وقال آخر: ما في الجبة إلا الله، وكلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكى، فلما خف عنهم سكرهم وردّوا إلى سلطان العقل الذي هو ميزان الله في الأرض عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل يشبه الاتحاد. وهذه الحالة إذا غلبت سميت بالإضافة إلى صاحب الحالة فناء بل فناء الفناء لأنه فني عن

ونبين لك هذه المراتب بمثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلاً في الدار له ثلاث درجات.

الأولى: أن يخبرك من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول، فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن بخبره بمجرد السماع، وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد، وهو

نفسه وفني عن فنائه، فإنه ليس يشعر بنفسه في تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه ولو شعر بعدم شعوره كان قد يشعر بنفسه، وتسمى هذه الحال بالنسبة إلى المستغرق به بلسان المجاز اتحادا وبلسان الحقيقة توحيداً.

وقال صاحب القوت: كل قلب اجتمع فيه ثلاث معان لم تفارقه خواطر اليقين، ولكن يضعف الخاطر ويخفى لضعف المعاني ودقتها ويقوى اليقين ويظهر بقوتها لأن هذه الثلاث مكان اليقين. أحدها: الإيمان وموضعه من اليقين مكان حجر النار، والثاني: العلم ومكانه موضع الزناد، والثالث: العقل وهو مكان الحراق، فإذا اجتمعت هذه الأسباب قدح خاطر اليقين في القلب، ومثل القلب في قوّته بقوّة مدده وفي صفائه بجودة عدده مثل المصباح في القنديل الماء مكان العقل منه، والزيت موضع العلم به هو روح المصباح وبمدده يكون ظهور اليقين، والفتيلة مكان الإيمان منه هو أصله وقوامه الذي يظهر بها، فعلى قدر قوّة الفتيلة وجودة جوهرها يقوى اليقين وهو مثل الإيمان في قوّته بالورع وكماله بالخوف، وعلى مقدار صفاء الزيت ورقته واتساعه تضيء النار التي من اليقين وهو مثل العلم في مدد الزهد وفقد الهواء فصار العلم مكاناً للتوحيد فتمكن الموحد في التوحيد على قدر المكان فكلما اتسع القلب بالعلم بالله تعالى وزهد في الدنيا إزداد إيماناً وعلا لأنه يرى في علوه ما لا يراه غيره ويعلم في اتساعه ما لا يعلمه سواه، فليكثر المؤمن به فيكون ذلك مزيد ايمانه وقوّته، ثم يشهد كل ما أمر به فيكون بذلك يقينه وسعة مشاهدته وكلما قصر علم القلب بالله سبحانه وتعالى بمعاني صفاته وأحكام ملكوته قلّت المؤمنات فقلّ إيمان هذا العبد، ثم أشهد ما آمن به من وراء حجاب لما غلب عليه من حب الأسباب وسمع الكلام من خلف يعجزه عن المسارعة إلى البر فيضعف بذلك ايمانه ويختل مشاهدته ولا يتحقق فليس من علم من قدر الله تعالى وصفاته وأحكامه وآياته مائة ألف معنى، ثم شهدها كلها من قرب عن كشف مثل من علم منها عشرة معان، ثم شهدها من بعد عن حجاب وهما مؤمنان معاً لكن بين إيمانهما في القرب والعلو والزيادة والنقصان كما بين العشرة إلى مائة ألف، فيكون إيمان قلب المسلم معشار عشر إيمان قلب الموقن، والمعشار هو عشر العشر جزء من مائة جزء، ويكون ايمان قلب الموقن فيما بين ذلك من الزيادة على العشر والنقصان عن مائة ألف على قدر قسمه.

(وتتبين لك هذه المراتب بمثال وهو أن تصديقك بكون زيد مثلاً في الدار له ثلاث درجات.

الأولى: أن يخبرك به من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا تتهمه في القول فإن قلبك يسكن إليه ويطمئن به بمجرد السماع وهذا هو الإيمان بمجرد التقليد) فإن من حسن اعتقاده في

مثل إيمان العوام فإنهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وإرادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسل وصدقهم وما جاؤوا به، وكما سمعوا به قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا إليه، ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لهم لحسن ظنهم بآبائهم وأمهاتهم ومعلميهم، وهذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين وليسوا من المقربين، لأنه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين، إذا الخطأ ممكن فيما سمع من الآحاد بل من الأعداد فيما يتعلق بالاعتقادات، فقلوب اليهود والنصارى أيضاً مطمئنة بما يسمعونه من آبائهم وأمهاتهم إلا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم ألقي إليهم الخطأ، والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألقي إليهم كلمة الحق.

انسان قد يخبر عن شيء كموت شخص وقدوم غائب وغيره فيسبق إليه اعتقاد جازم وتصديق بما أخبر عنه بحيث لا يبقى مجال لغيره في قلبه ومستنده حسن اعتقاده فيه، فالمجرب بالصدق والورع والتقوى مثل الصديق رضي الله عنه إذ قال: قال رسول الله ﷺ: «فكم من مصدق به جزما وقابل له قولاً مطلقاً». (**وهو مثل إيمان العوام فإنهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من آبائهم وأمهاتهم**) ومشايخهم (**وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسول وصدقه و**) صدق (**ما جاء به، وكما سمعوه**) بادروا الى التصديق (**وقبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا إليه، ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه**) ولم يخالجهم ريب وشك ولا مستند لقبولهم ذلك إلا (**لحسن ظنهم**) واعتقادهم (**بآبائهم وأمهاتهم أو معلميهم**) وقد يستمرون على ذلك من غير حاجة إلى دليل ومحاجة. (**وهذا الإيمان سبب النجاة**) من عذاب الله (**في الآخرة وأهله من أوائل رتب أصحاب اليمين**) المشار إليهم في قوله تعالى ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾ [الواقعة: ٢٧] الآية. (**وليسوا من المقربين لأنه ليس فيه كشف بصيرة وانشراح صدر بنور اليقين إذ الخطأ ممكن فيما يسمع من الآحاد، بل من الاعداد فيما يتعلق بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى أيضاً مطمئنة بما سمعوه من آبائهم إلا أنهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لأنهم ألقي إليهم الخطأ، والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن ألقي إليهم كلمة الحق**) وإنما قلنا إن هذا الإيمان سبب النجاة في الآخرة لأن أكثر الناس آمنوا في الصبا وكان تصديقهم مجرد التقليد للآباء والمعلمين بحسن ظنهم بهم وكثرة ثنائهم على أنفسهم وثناء غيرهم عليهم وتشديدهم النكير بين أيديهم على مخالفيهم، وحكايات أنواع النكال النازل لمن لا يعتقد اعتقادهم، وقولهم: إن فلاناً اليهودي مسخ في قبره كلباً وفلاناً النصراني انقلب خنزيراً أو حكايات ومنامات، وأحوال من هذا الجنس تنغرس به في نفوس الصبيان النفرة عنه والميل إلى ضده حتى ينزع الشك بالكلية من قلبه، والتعلم في الصغر كالنقش على الحجر ما لم يقع تشويش عليه فلا يزال ذلك في نفسه، فإذا بلغ استمر اعتقاده الجازم وتصديقه المحكم الذي لا يخالجه فيه

ريب، ولذلك ترى أولاد النصارى والروافض والمسلمين كلهم لا يبلغون إلا على عقائد آبائهم واعتقاداتهم في الحق والباطل جازمة، ولو قطعوا إرباً إرباً لما زادوا أبداً عنها ولم يسمعوا عليها دليلاً لا حقيقياً ولا رسمياً، وكذلك ترى العبيد والإماء يسبون من المعترك ولا يعرفون الإسلام، فإذا وقعوا في أيدي المسلمين مدة ورأوا ميلهم إلى الإسلام مالوا معهم واعتقدوا اعتقادهم وتخلقوا بأخلاقهم، كل ذلك بمجرد التقليد والتشبيه بالغير فالطباع مجبولة على التشبيه، لاسيما طباع الصبيان والشباب، فبهذا يعرف أن التصديق الجازم غير موقوف على البحث وتحرير الأدلة.

فصل

ولعلك تقول: لا أنكر وصول التصديق الجازم إلى قلوب العوام بهذه الأسباب، ولكن ليس ذلك من المعرفة في شيء وقد كلف الناس المعرفة الحقيقية دون اعتقاد هو من جنس الجهل لا يتميز فيه الباطل عن الحق، فالجواب ان هذا غلط ممن ذهب إليه بل سعادة الخلق أن يعتقدوا الشيء بما هو عليه اعتقاداً جازماً لتنتقش قلوبهم بالصورة الموافقة الحقيقة الحق، حتى اذا ماتوا انكشف لهم الغطاء فشاهدوا الأمور على ما اعتقدوها ولم يفتضحوا ولم يحترقوا بنار الخزي والخجلة أوّلاً، وبنار جهنم ثانياً، وصورة الحق إذا انتقش به قلبه فلا نظر إلى السبب المفيد له أهو دليل حقيقي أم رسمي أم اقناعي أو قبول عن الاعتقاد في قائله أو قبول لمجرد التقليد من غير تسبب، فليس المطلوب الدليل المفيد بل الفائدة وهي حقيقة الحق على ما هو عليه، فمن اعتقد حقيقة الحق في الله تعالى وفي صفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر على ما هو عليه فهو سعيد، وإن لم يكن ذلك لدليل محرر كلامي، فلم يكلف الله تعا لى عباده إلا ذلك، وذلك معلوم على الضرورة بجملة أخبار متواترة عن رسول الله ﷺ في تـوارد الأعـراب عليـه وعـرض الإيمان عليهـم، وقـولهم ذلـك وانصرافهم إلى رعاية الإبل والمواشي من غير تكليفه إياهم الفكر في المعجزة ووجه دلالتها والفكر في حدوث العالم واثبات الصانع في أدلة الوحدانية وسائر الصفات، بل الاجلاف من العرب أكثرهم لو كلفوا لم يفهموه ولم يدركوه بعد طول المدة، بل كان الواحد منهم يحلفه فيقول: آلله الله ارسلك رسولاً فيقول والله الله أرسلني رسولاً فكان يصدقه بيمينه وينصرف، ويقول الآخر: إذا قدم عليه ونظره والله ما هذا وجه كذاب، وأمثال ذلك مما لا يحصى. بل كان أسلم في غير غزوة واحدة في عصر أصحابه آلاف لا يفهم أكثرهم أدلة الكلام والتوحيد، ومن كان يفهمه فإنه يحتاج إلى أنه يترك صناعته ويختلف إلى تعليمه مدة مديدة ولم ينقل قط شيء من ذلك فعلم علماً ضرورياً إن الله لم يكلف الخلق إلا الإيمان والتصديق الجازم بما قاله كيفما حصل التصديق، نعم لا ينكر أن للعارف درجة على المقلد، ولكن المقلد في الحق مؤمن، كما ان العارف مؤمن.

فإن قيل: بم يميز المقلد بين نفسه وبين اليهودي المقلد؟ قلنا: المقلد لا يعرف التقليد ولا يعرف انه مقلد بل يعتقد في نفسه أنه محق عارف فلا يشك في معتقده ولا يحتاج مع نفسه إلى التمييز كقطعه بأن خصمه مبطل وهو محق، ولعله أيضاً مستظهر بقرائن أو أدلة ظاهرة، وإن كانت غير

الرتبة الثانية: أن تسمع كلام زيد وصوته من داخل الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع، فإنك إذا قيل لك إنه في الدار ثم سمعت صوته ازددت بـه يقيناً لأن الأصوات تدل على الشكل والصورة عند من يسمع الصوت في حال مشاهدة الصورة، فيحكم قلبه بأن هذا صوت ذلك الشخص؟ وهذا إيمان ممزوج بدليل والخطأ أيضاً ممكن أن يتطرق إليه، إذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يجعل للتهمة موضعاً ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضاً.

الرتبة الثالثة: أن تدخل الدار فتنظر إليه بعينك وتشاهده؛ وهذه هي المعرفة الحقيقيـة

قوية ويرى نفسه مخصوصاً بها ومتميزاً بسببها عن خصومه، وإن كان اليهودي يعتقد في نفسه مثل ذلك فلا يشوّش ذلك على المحق اعتقاده كما أن العارف الناظر يزعم أنه يميز نفسه عن اليهودي بالدليل ودعواه ذلك لا يشكك الناظر العارف، فكذلك لا يشكك المقلد القاطع ويكفيه الإيمان أن لا يشككه في اعتقاده معارضة المبطل كلامه بكلامه، فهل رأيت عامياً قط اغتم وحزن من حيث يعسر عليه الفرق بين تقليده وتقليد اليهودي، بل لا يخطر ذلك ببال العوام، وإن يخطر بالهم أو شوفهوا به ضحكوا من قائله وقالوا: ما هذا الهذيان، وكان بين الحق والباطل مساواة حتى يحتاج إلى فارق يفرق أنه على الباطل وأنا على الحق وأنا متيقن لذلك غير شاك فيه، وكيف أطلب الفرق حتى يكون الفرق معلوماً قطعاً من غير طلب، فهذه حالة المقلدين من الفرقتين. وهذا إشكال لا يقع ليهودي مبطل لقطعه لمذهبه مع نفسه، فكيف يقع للمقلد المسلم الذي وافق اعتقاده ما هو الحق عند الله تعالى، وظهر بهذا على القطع أن اعتقاداتهم جازمة وإن الشرع لم يكلفهم إلا ذلك والله أعلم.

(**الرتبة الثانية: أن يسمع كلام زيد**) مثلاً (**وصوته من الدار ولكن من وراء جدار فيستدل به على كونه في الدار فيكون إيمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار أقوى من تصديقك بمجرد السماع، فإنك إذا قيل لك أنه في الدار ثم سمعت صوته أزددت به يقيناً، لأن الصوت يدل على الشكل والصورة عند من سمع الصوت في حالة مشاهدة الصورة، فقلبه يحكم بأن هذا صوت ذلك الشخص، فهذا إيمان ممزوج بدليل**) وهو يفيد في بعض الأمور، وفي حق الناس تصديقاً جازماً بحيث لا يتغير صاحبه بإمكان خلافه أصلاً. (**والخطأ أيضاً ممكن أن يتطرق إليه إذ الصوت قد يشبه الصوت، وقد يمكن التكلف بطريق المحاكاة إلا أن ذلك قد لا يخطر ببال السامع لأنه ليس يجعل للتهمة موضعاً ولا يقدر في هذا التلبيس والمحاكاة غرضاً.**

الرتبة الثالثة: أن تدخل الدار فتنظر إليه بعينك وتشاهده، فهذه هي المعرفة الحقيقية

والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في إيمانهم إيمان العوام والمتكلمين، ويتميزون بمزية بينة يستحيل معها إمكان الخطأ. نعم وهم أيضاً يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف.

(والمشاهدة اليقينية وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لأنهم يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في إيمانهم إيمان العوام والمتكلمين)، أما انطواء إيمان العوام فظاهر، وأما إيمان المتكلمين فلأنه حاصل لهم بالبرهان المستوفي بشروطه المحررة بأصوله ومقدماته حتى لا يبقى مجال احتمال وممكن التباس، **(ويتميزون)** يعني أهل المشاهدة اليقينية **(بمزية يستحيل معها إمكان الخطأ)** لقوّة معرفتهم، وأصل سياق هذا المثال لصاحب القوت وقد أخذه المصنف وزاده تحريراً وبياناً وهذا لفظه مثال ذلك فيما تعقله مثل رجل قال لك: إن عندي فلاناً فقد حصل لك علم أنه عنده غير أن هذا العلم غير يقين لأنه يجوز أن يكون قد اشتبه عليه، أو يكون قد كان عندي ثم خرج وليس هو الآن عندي وهذا مثل إيمان المسلم هو علم خبر لا خبر، ثم إنك تأتي إليّ لتراه فتسمع كلامه من وراء حجاب وقد علمت الآن أنه عندي لأنك سمعت كلامه، واستدللت على كونه إلا أن هذا العلم أيضاً غير تحقيق لأن الأصوات تشتبه والاجرام تتفاوت، ولو قلت لك لم يكن عندي، وإنما كان ذلك غيره أشبه صوته لشككت فيه لاحتمال ذلك ولم يكن عندك يقين تدفع به قولي ولا شهادة تنكر بها عليّ. وهذا مثل لإيمان عموم المؤمنين فهو إيمان خبر. لعمري وفيه يقين استدلال ممتزج بظن غير ان مشاهدة العارفين قد يدخل عليهم التخييل والتشبيه فلا يدفعونه بشهادة يقين، انك تدخل عليَّ بعد أن قيل لك هو عندي أو بعد أن سمعت كلامه فتشهده جالساً لا حجاب بينك وبينه، فهذا هو يقين المعرفة. وهذه شهادة المؤمن وعندها انتفى كل شك وتحقيق خبر العلم، وهذا إيمان المؤمنين الذي قد اندرج فيه عموم المؤمنين عن علم الخبر المحتمل ومن سمع الكلام من وراء الحجاب المشتبه واسم الإيمان واقع على جيعهم، ولكن الأوّل علم أنه عندي بما قيل فصدق، والثاني علم بما سمع فاستدل ولم يشهد فيقطع، والثالث عاين فقطع. وقد شهد رسول الله ﷺ بالمزيد فقال «ليس الخبر كالمعاينة وليس المخبر كالمعاين» ثم زاد صاحب القوت على هذا فقال: ومثل آخر في تفاوت المؤمنين في حقيقة الكمال ودخولهم في الاسم والمعنى مثل صلاة رباعية أقيمت، فجاء رجل فأدرك الركعة الثانية، ثم جاء آخر فأدرك الثالثة، ثم جاء آخر فأدرك الرابعة وكلهم قد صلوا، وقد أدرك الصلاة في جماعة ونال فضلها لقوله ﷺ: «من أدرك من الصلاة ركعة فقد أدرك الصلاة» وليس من أدرك الركعة الأولى في كمال الصلاة وأدرك حقيقتها كمن أدرك الثانية أو الثالثة أو الرابعة، ولا يكون أيضاً من أدرك التكبير للإحرام في الفضل كمن لم يدرك شيئاً من القيام وهما مدركان معاً، فكذلك المؤمنون في كمال الإيمان وحقائقه لا يستوون وإن استووا بالدخول في الاسم والمعنى. **(نعم وهم)** أي أهل المرتبة الثالثة **(أيضاً يتفاوتون بمقادير المعلوم وبدرجات الكشف)**.

أما درجات العلوم فمثاله أن يبصر زيداً في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت إشراق الشمس فيكمل له إدراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أو في وقت عشية فيتمثل له في صورته ما يستيقن معه أنه هو، ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته، ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للأمور الإلهية.

وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيداً وعمراً وبكراً وغير ذلك وآخر لا يرى إلا زيداً فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة. فهذا حال القلب بالإضافة الى العلوم والله تعالى اعلم بالصواب.

بيان حال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والاخروية:

اعلم أن القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق، ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم إلى عقلية وإلى شرعية. والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة. والمكتسبة إلى دنيوية وأخروية.

(**أما الدرجات**) الكشفية (**فمثاله أن يبصر زيداً في الدار من قرب وفي صحن الدار في وقت إشراق الشمس فيكمل له إدراكه والآخر يدركه في بيت أو من بعد أو في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يستيقن معه إنه هو، ولكن يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته، ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للأمور الإلهية**) وقد أشار إلى هذا صاحب القوت بقوله: ومثل ذلك أيضاً أن ترى الشيء بالنهار فتعرفه معرفة عين وتعرف مكانه بنظر لا تخطئه، ثم إنك تحتاج إليه ليلاً فلست تعرف مكانه، رأي عين، وإنما تقصده بمعرفة استدلال عليه وبحسن ظن أنه موجود أو بعرف معهود أنه لا يتحوّل، وكذلك الأدلة التي هي للغائبات وسقوطها مع الشهادات وبمعناها رؤية الشيء بنور القمر فإنه يشبح ويلوح المشكلات ورؤيته في ضياء الشمس، فإنها تكشف الأمور على ما هو به فهو مثل لنور اليقين إلى نور الإيمان.

(**وأما مقادير العلوم فهو بأن يرى في الدار زيداً وعمراً وبكراً وغير ذلك وآخر لا يرى إلا زيداً فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذه حالة القلب بالإضافة إلى العلوم**).

بيان حال القلب بالإضافة إلى أقسام العلوم العقلية والدينية والدنيوية والأخروية:

(**اعلم أن القلب بغريزته**) أي بطبيعته الفطرية (**مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق**) تقريره آنفاً، (**ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم إلى عقلية وشرعية .والعقلية تنقسم إلى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم إلى دنيوية وأخروية**.

أما العقلية: فنعني بها ما تقضي بها غريزة العقل ولا توجد بالتقليد والسماع، وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدري من أين حصلت وكيف حصلت؟ كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين والشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً موجوداً معدوماً معاً؛ فإن هذه علوم يجد الإنسان نفسه منذ الصبا مفطوراً عليها ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا مِن أي حصل له؟ أعني أنه لا يدري له سبباً قريباً وإلاَّ فليس يخفي عليه أن الله هو الذي خلقه وهداه، وإلى علوم مكتسبة: وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلاً.

قال علي رضي الله عنه:

رأيت العقل عقلين فمطبوعُ ومسموعُ
ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

أما العقلية فنعني بها ما تقضي به غريزة العقل ولا يؤخذ بالتقليد والسماع وهي تنقسم إلى ضرورية لا يدري من أين تحصل ولا كيف حصلت كعلم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين، و) أن **(الشيء الواحد لا يكون حادثاً قديماً)** ولا يكون **(موجوداً معدوماً معاً)** أي في حالة واحدة، وكذلك القول الواحد لا يكون صادقاً وكذباً إذا ثبت للشيء جوازه ثبت لمثله، وإن الأخص إذا كان موجوداً كان الأعم واجب الوجود، فإذا وجد السواد فقد وجد اللون، وإذا وجد أنسان فقد وجد حيوان، وأما عكسه فلا يلزم في العقل إذ لا يلزم من وجود اللون وجود السواد ولا من وجود الحيوان وجود الإنسان إلى غير ذلك من القضايا الضرورية، **(فإن هذه العلوم يجد الإنسان نفسه منذ الصبا)** أي من مبتدأ حال عبادته **(مفطوراً عليها)** أي مخلوقاً معها **(ولا يدري متى حصل له هذا العلم ولا من أين حصل)** وإنما هو شيء قد عرفه بداهة **(أعني أنه لا يدري فيه سبباً قريباً وإلا فليس يخفي أن الله تعالى هو الذي خلقه وإلى مكتسبة وهي المستفادة بالتعليم والاستدلال)** ففيها ما لا يقارن العقل في كل حال إذا عرض عليه بل يحتاج إلى أن يهز أعطافه ويستوري زناده وينبه عليه بالتنبيه كالنظريات، **(وكلا القسمين قد يسمى عقلاً)** ويسمى الأول بالعقل الفطري والبديهي والمطبوع والضروري، والثاني بالعقل المكتسب والمسموع والمستفاد والنظري.

(قال علي كرم الله وجهه) فيما نسب إليه.

(العقل عقلان مطبوع ومسموع
وما ينفع مسموع إذا لم يكن مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع)

والأول هو المراد بقوله ﷺ لعلي: « ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل »، والثاني هو المراد بقوله ﷺ لعلي رضي الله عنه« إذا تقرب الناس إلى الله تعالى بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك » إذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة. ولكن مثل علي رضي الله عنه هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين، فالقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه جارية مجرى قوّة البصر في العين، وقوّة الأبصار لطيفة تفقد في العمى وتوجد في البصر وإن كان قد غمض عينيه أو جن عليه الليل، والعلم الحاصل منه في القلب جار مجرى قوّة إدراك البصر في العين ورؤيته لأعيان الاشياء. وتأخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبا إلى أوان التمييز أو البلوغ يضاهي تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات. والقلم الذي سطر الله به العلوم على صفحات

هكذا نقله صاحب القوت وتقدم في كتاب العلم.

(**والأول هو المراد بقوله ﷺ: « ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل »**) رواه الحكيم الترمذي في النوادر بإسناد ضعيف، وقد تقدم في العلم، (**والثاني هو المراد بقوله ﷺ لعلي كرم الله وجهه: « إذا تقرب الناس إلى الله بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك »**) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث علي بإسناد ضعيف وقد تقدم في العلم، (**إذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن مثل علي**) رضي الله عنه (**هو الذي يقدر على التقرب**) إلى الله تعالى (**باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال القرب من رب العالمين**) فما كل علم يقرب إلى الله (**والقلب جار مجرى العين وغريزة العقل جارية مجرى قوة البصر في العين وقوة الأبصار لطيفة تفقد بالعمى وتوجد في البصير، وإن كان قد غمض عينيه أو جن عليه الليل والعلم الحاصل فيه جار مجرى إدراك البصر ورؤيته لأعيان الأشياء**) اعلم أن نور البصر موسوم بأنواع من النقصان فإنه يبصر غيره، ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد منه ولا ما قرب، ولا يبصر ما هو وراء حجاب ويبصر من الأشياء ظاهرها دون باطنها ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها، ويبصر أشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له، ويغلط كثيراً في العبارة فيرى الكبير صغيراً ويرى البعيد قريباً والساكن متحركاً والمتحرك ساكناً، فهذه سبع نقائص لا تفارق العين الظاهرة، وإن كان في الأعين عين منزهة عن هذه النقائص كلها. فاعلم أن في الإنسان عيناً هذه صفة كمالها وهي التي يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الإنساني، فهو أولى بأن يسمى نوراً من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقائص السبع.

(**وتأخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبا إلى أوان التمييز أو البلوغ يضاهي تأخر الرؤية عن البصر إلى أوان إشراق الشمس وفيضان نورها على المبصرات، والقلم الذي به**

القلوب يجري مجرى قرص الشمس. وإنما لم يحصل العلم في قلب الصبي قبل التمييز لأن لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نفس العلم. والقلم عبارة عن خلق من خلق الله تعالى جعله سبباً لحصول نقش العلوم في قلوب البشر. قال الله تعالى: ﴿الذي علّم بالقلم* علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ [العلق: ٤، ٥] وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه كما لا يشبه وصفه وصف خلقه، فليس قلمه من قصب ولا خشب كما أنه تعالى ليس من جوهر ولا عرض؟ فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه إلا أنه لا مناسبة بينهما في الشرف؛ فإن البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المدركة وهي كالفارس والبدن كالفرس، وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لأحد الضررين إلى الآخر، ولموازنة البصيرة الباطنة للبصر الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال: ﴿ما كَذَبَ الفؤاد ما رأى﴾ [النجم: ١١] سمى ادراك الفؤاد رؤية. وكذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيمَ ملكُوت السموات والأرض﴾ [الأنعام: ٧٥] وما أراد به الرؤية الظاهرة فإن ذلك غير مخصوص بإبراهيم عليه السلام حتى يعرض في معرض الامتنان، ولذلك سمي ضد

سطر الله العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس، وإنما لم يحصل العلم بقلب الصبي قبل أوان التمييز لأن لوح قلبه لم يتهيأ بعد لقبول نقش العلم) ولكن الإستعداد موجود (**والقلم عبارة عن خلق من خلائق الله تعالى جعله سبباً لحصول نقش العلوم في قلوب البشر قال الله تعالى: ﴿علم بالقلم* علم الإنسان ما لم يعلم﴾**) وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قال: القلم نعمة عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش، وقال: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ أي الخط. (**وقلم الله لا يشبه قلم خلقه كما أن وصفه لا يشبه وصف خلقه، فليس قلمه من قصب ولا خشب كما أنه ليس ذاته من جوهر ولا عرض**) وأخرج ابن أبي شيبة، وابن المنذر عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين وخلق النون وهي الدواة وخلق اللوح فكتب فيه، ثم خلق السموات فكتب ما يكون من حينئذ في الدنيا إلى أن تكون الساعة من خلق مخلوق أو عمل معمول بر وفجور وكل رزق حلال أو حرام رطب أو يابس. (**فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصر الظاهر صحيحة من هذه الوجوه إلا أنه لا مناسبة بينهما في الشرف**) فإن البصر الظاهر موسوم بأنواع من النقصان وهي السبع التي تقدم ذكرها قريباً، والبصيرة الباطنة منزهة عنها وأيضاً (**فإن البصيرة الباطنة**) هي عبارة عن (**عين النفس التي هي اللطيفة المذكورة**) وهي التي يعبر عنها بالعقل وبالروح كما تقدم (**وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس، بل لا نسبة لأحد الضررين إلى الآخر، ولموازنة بصيرة الباطن الظاهر سماه الله تعالى باسمه فقال ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ سمي إدراك الفؤاد رؤية وكذلك قوله: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ وما أراد به الرؤية الظاهرة**) وهي البصيرة، (**فإن**

إدراكه عمى، فقال تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبْصَارُ ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ [الحج: ٤٦] وقال تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً﴾ [الإسراء: ٧٢] فهذا بيان العلم العقلي.

أما العلوم الدينية: فهي المأخوذة بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ وفهم معانيها بعد السماع، وبه كمال صفة القلب وسلامته عن الأدواء والأمراض، فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وإن كان محتاجاً إليها، كما أن العقل غير كافٍ في استدامة صحة أسباب البدن بل يحتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير بطريق التعلم من الأطباء، إذ مجرد العقل لا يهتدي إليه ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه إلا بالعقل، فلا غنى بالعقل عن السماع ولا غنى بالسماع عن العقل. فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنّة مغرور، فإياك أن

ذلك غير مخصوص بإبراهيم صلوات الله عليه) وسلامه **(حتى يذكر في معرض الامتنان)** وإنما المراد به الرؤية القلبية، **(ولذلك سمي ضد إدراكه عمى فقال تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ وقال)** تعالى: **(ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً)** وعمى البصيرة هو الحجب عن انكشاف جلية الحق، **(فهذا بيان العلم العقلي)**.

(أما العلوم الدينية فهي المأخوذة) المستفادة **(بطريق التقليد من الأنبياء صلوات الله عليهم)** وسلامه، **(وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله)** عز وجل **(وسنة رسول الله ﷺ وفهم معانيها)** على قدر الاستعداد **(بعد السماع، وبه كمال صفات القلب)** إذ به يحصل التنوير والجلاء، **(وبه سلامته عن الأدواء)** جمع داء **(والأمراض)** عطف تفسير أو مرادف، **(فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وإن كان)** القلب **(محتاجاً إليها، كما أن العقل غير كاف في استدامة أسباب صحة البدن بل يحتاج إلى معرفة خواص الأدوية والعقاقير)** جمع عقار وهو النبات، وكأنه أراد بالأدوية المركبة وبالعقاقير المفردة **(بطريق التعلم من الأطباء لا بالمطالعة في الكتب إذ مجرد العقل لا يهدي إليه)** كما أن مجرد المطالعة لا يكفي. **(ولكن لا يمكن فهمه بعد سماعه)** وتلقيه **(إلا بالعقل فلا غنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل، فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور)** بيانه أن العقول وإن كانت مبصرة فليست المبصرات كلها عندها على مرتبة واحدة، بل بعضها يكون عندها كأنها حاضرة كالعلوم الضرورية، وبعضها مما يحتاج إلى نظر واستدلال وتنبيه، وإنما ينبهه كلام الحكمة فعند إشراق نور

تكون من أحد الفريقين وكن جامعاً بين الأصلين، فإن العلوم العقلية كالأغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء، فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المستفادة من الشريعة وهي لطائف العبادات والأعمال التي ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب، فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادة الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض

الحكمة يصير العقل مبصراً بالفعل بعد أن كان مبصراً بالقوة، وأعظم الحكم كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ، فتكون منزلتها عند عين العقل منزله نور الشمس عند العين الظاهرة إذ به يتم الابصار فأحرى أن يسمى القرآن والسنة نوراً كما يسمى نور الشمس نوراً، ولذلك قال المصنف عن أنوار القرآن والسنة.

(**فإياك أن تكون من الفريقين**) المفرط والمفرط (**وكن جامعاً بين الأصلين**) العقل والنقل، (**فإن العلوم العقلية كالأغذية**) أي بمنزلتها في احتياج نحو البدن إليها (**والعلوم الشرعة كالأدوية**) أي بمنزلتها في احتياج استدامة صحة البدن إليها، (**والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء، فكذلك أمراض القلب لا يمكن علاجها إلا بأدوية مستفادة من الشريعة وهي لطائف العبادات والأعمال التي ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم**) وسلامه (**لإصلاح القلوب**) وهي بمنزلة الأدوية الظاهرة التي يركبها الأطباء لإصلاح الأبدان، (**فمن لا يداوي قلبه المريض**) المملوء بأوجاع المعاصي ورياح الشهوات (**بمعالجات العبادات الشرعية**) المركبة على أحسن قانون (**واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء**) فلا تتم له الصحة مطلقاً، ويمكن تقرير السياق بوجه آخر أقرب مما قرره المصنف فنقول: المعقولات تجري مجرى الأدوية الجالبة للصحة والشرعيات تجري مجرى الأغذية الحافظة للصحة، وكما أن الجسم متى كان مريضاً لم ينتفع بالأغذية بل يستضر بها، كذلك متى كان مريض النفس كما قال تعالى: ﴿في قلوبهم مرض﴾ [البقرة: ١٠] لم ينتفع بسماع القرآن الذي هو موضوع الشرعيات، بل صار ذلك ضاراً له مضرة الغذاء للمريض فتشبيه الشرعيات بالأغذية التي لا يستغني عنها بدن الإنسان أولى من تشبهها بالأدوية التي لا يحتاج إليها في كل وقت، والقصد تعذر إدراك العلوم النبوية على من لم يتهذب في الأمور العقلية، وأيضاً فالقلب بمنزلة مزرعة للمعتقدات والاعتقاد فيه بمنزلة البذر إن خيراً وإن شراً. وكلام الله تعالى بمنزلة الماء الذي يسقيه، فكما أن الماء إذا سقى الأرض يختلف نباته بحسب بذوره، فكذا القرآن إذا ورد على الاعتقادات الراسخة في القلوب تختلف تأثيراته، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ الآية [الرعد: ٤] وقوله تعالى: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته﴾ [الأعراف: ٥٨] الآية. وأيضاً فالجهل بالمعقولات جار مجري ستر مرخي على البصر وغشاء على القلب ووقر في الأذن والقرآن لا يدرك خفياته إلا من كشف غطاؤه ورفع غشاؤه وأزيل وقره، ولهذا قال تعالى: ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً

بالغذاء. وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه، بل هذا القائل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما. فيظن أنه تناقض في الدين، فيتحير به فينسل من الدين انسلال الشعرة من العجين. وإنما ذلك لأن عجزه في نفسه خيل إليه نقصاً في الدين وهيهات وإنما مثاله مثال الأعمى الذي دخل دار قوم فتعثر فيها بأواني الدار فقال لهم: ما بال هذه الأواني تركت على الطريق لم لا ترد إلى مواضعها؟ فقالوا له: تلك الأواني في مواضعها! وإنما أنت لست تهتدي للطريق لعماك فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك على عماك وإنما تحيلها على تقصير غيرك؟ فهذه نسبة العلوم الدينية إلى العلوم العقلية.

والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخروية. فالدنيوية: كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات. والأخروية: كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله ـ كما فصلناه في كتاب العلم ـ وهما علمان متنافيان ـ أعني

مستوراً﴾ [الإسراء: ٤٥] وأيضاً فالمعقولات كالحياة التي بها الأبصار والأسماع، والقرآن كالمدرك بالسمع والبصر، وكما أنه من المحال أن يسمع ويبصر الميت قبل أن يجعل الله فيه الروح ويجعل له السمع والبصر، كذلك من المحال أن يدرك من لم يحصل المعقولات حقائق الشرعيات.

(**وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية**) ومصادمة لها، (**وأن الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر من عمى في عين البصيرة**) وهو أشد من العمى في عين البصر، (**نعوذ بالله من ذلك بل ربما هذا القائل**) أي المجوز لذلك (**ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعية للبعض، فيعجز عن الجمع بينهما فيظن أنه تناقض في الدين فيتحير به**) تحير الضب إذا ضل عن حجره، (**وينسل عن**) ربقة (**الدين انسلال الشعرة من العجين**) وهو لا يدري كيف انفصل، (**وإنما ذلك لأن عجزه في نفسه خيل إليه نقصاً في الدين**) ومصادمة في علومه، (**وهيهات وإنما مثاله الأعمى الذي دخل داراً فتعثر فيها بأواني الدار**) أي زلت قدمه بها، (**فقال: ما بال هذه الأواني تركت على الطريق**) أي على الممر؟ (**لم لا ترد إلى مواضعها؟ فقيل له: تلك الأواني**) موضوعة (**في مواضعها**) اللائقة بها، (**وإنما أنت لست تهتدي إلى الطريق لعماك؟ فالعجب منك أنك لا تحيل عثرتك**) أي زلة قدمك (**على عماك وتحيله على تقصير غيرك، فهذه نسبة العلوم الدينية إلى**) العلوم (**العقلية**).

(**والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيوية وأخروية. فالدنيوية كالطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات**) فإن ثمراتها منوطة بالدنيا ولا تعلق لها بالآخرة إلا من وجوه بعيدة، (**والأخروية كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم بالله وصفاته وأفعاله**)

أن من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الأكثر ـ ولذلك ضرب علي رضي الله عنه للدنيا والآخرة ثلاثة أمثلة فقال: هما ككفتي الميزان، وكالمشرق والمغرب، وكالضرتين إذا أرضيت احداهما أسخطت الأخرى.

ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا وفي علم الطب والحساب والهندسة والفلسفة جهالاً في أمور الآخرة. والأكياس في دقائق علوم الآخرة جهالاً في أكثر علوم الدنيا، لأن قوّة العقل لا تفي بالأمرين جميعاً في الغالب فيكون أحدهما مانعاً من الكمال في الثاني، ولذلك قال ﷺ: « إن أكثر أهل الجنة البله » أي البله في أمور الدنيا.

ويندرج في ذلك علم المباني الخمس وغير ذلك، **(كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان)** أي علم الدنيا ينافي علم الآخرة وعلم الآخرة ينافي علم الدنيا، ثم ذكر وجه المنافاة بقوله: **(أعني أن من صرف عنايته)** وبذل همته **(إلى)** تحصيل **(أحدهما حتى تعمق فيه)** أي دخل في عمقه وهو كناية عن نهاية الاشتغال به **(قصرت بصيرته عن الآخر)** فلا يمكنه أن يهتدي إليه، وهذا **(على الأكثر)** فيما جرب **(ولذلك ضرب علي كرم الله وجهه للدنيا والآخرة أمثلة ثلاثة فقال: هما ككفتي الميزان)** إن رجحت إحداهما خفت الأخرى، **(وكالمشرق والمغرب)** وإليه أشار القائل:

سارت مشرقة وسرت مغرباً ... شتان بين مشرق ومغرب

(وكالضرتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى) ولم يبق بعد هذه الأمثلة مثال يليق لها فسائر ما قيل فيهما من الأمثلة راجع إلى هذه الثلاثة، وهذه الأمثلة الثلاثة ذكرها الشريف الموسوي في نهج البلاغة ونقله الراغب في الذريعة.

(ولذلك ترى الأكياس في أمور الدنيا) الفطنين فيها **(وفي)** علومها مثل **(علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالاً في أمور الآخرة)** وما أقبح هذا **(و)** ترى الأكياس **(في دقائق علوم الآخرة جهالاً في الأكثر)** أي في الأغلب **(بعلوم الدنيا)** وما أحسن هذا وذلك **(لأن قوة العقل لا تفي بالأمرين جميعاً في الغالب، فيكون أحدهما مانعاً من الكمال في الثاني، ولذلك قال ﷺ: « أكثر أهل الجنة البله »)** بضم فسكون جمع الابله **(أي البله في أمور الدنيا)** قد أغفلوها فجهلوا حذق التصرف فيها وأقبلوا على آخرتهم فشغلوا فاستحقوا أن يكونوا أكثر أهلها، وقيل: هم الغافلون عن الشر المطبوعون على الخير أو الذين خلوا عن الدهاء والمكر وغلبت عليهم سلامة الصدر وهم عقلاء. قال الزبرقان: خير أولادنا الأبله المغفول.

قال العراقي: رواه البزار من حديث أنس وضعفه، وصححه القرطبي في التذكرة وليس كذلك، فقد قال ابن عدي: أنه منكر اهـ.

وقال الحسن في بعض مواعظه: لقد أدركنا أقواماً لو رأيتموهم لقلتم مجانين، ولو أدركوكم لقالوا شياطين. فمهما سمعت أمراً غريباً من أمور الدين جحده أهل الكياسة في سائر العلوم، فلا يغرنك جحودهم عن قبولها إ من المحال أن يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب، فكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة، ولذلك قال تعالى: ﴿إن الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لقاءَنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾[يونس: ٧٠] الآية وقال تعالى: ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهُمْ عن الآخرة هم غافلون﴾ [الروم: ٧] وقال عز وجل: ﴿فأعرض عمَّن تولَّى عن ذِكْرنا ولم يُرْد إلاَّ الحياة الدنيا ٭ ذلك مبلغهم من العِلْم﴾ [النجم: ٢٩] فالجمع بين كمال الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر إلا لمن رسخه الله لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الإلهية التي تتسع لجميع الأمور ولا تضيق عنها. فأما قلوب سائر الخلق فإنها إذا استقلت بأمر الدنيا انصرفت عن الآخرة وقصرت عن الاستكمال فيها.

قلت: وسبقه ابن الجوزي فقال ما نصه: حديث لا يصح. قال ابن عدي: حديث منكر، وقال الدارقطني: تفرد به سلامة عن عقيل وهو ضعيف اهـ كلام ابن الجوزي.

وقال الهيثمي فيه سلامة بن روح وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه أحمد بن صالح وغيره.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(أدركنا أقواماً لو رأيتموهم لقلتم)** أنهم **(مجانين)** أي لغفلتهم عن أمور الدنيا، **(ولو رأوكم لقالوا)** إنكم **(شياطين)** أي لما فيكم من الدهاء والمكر والخداع في تحصيل المعايش، وهذا الكلام نقله صاحب القوت، وسيأتي تمامه في آخر كتاب الزهد، والمراد بأولئك الأقوام أصحاب رسول الله ﷺ وعلية التابعين، **(فمهما سمعت أمراً غريباً من أمور الدين)** قد **(جحده أهل الكياسة في سائر العلوم)** وظنوه مناقضاً **(فلا يغرنك جحودهم عن قبوله)** فلكل عمل رجال، **(إذ من المحال أن يظفر سالك طريق الشرق بما يوجد في الغرب)** فإنما أورثهم ذلك الجحود جهلهم بعلوم الدين، **(وكذلك يجري أمر الدنيا والآخرة، ولذلك قال)** الله **(تعالى: ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ وقال تعالى: ﴿فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا٭ ذلك مبلغهم من العلم﴾ فالجمع بين كمال الأستبصار في مصالح الدنيا لا يكاد يتيسر)** ويسهل **(إلا لمن رشحه الله)** وهيأه بالخلافة العظمى **(لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء)** عليهم السلام، **(المؤيدون بروح القدس المستمدون من القوة الإلهية)** تفاض عليهم **(التي تتسع لجميع الأمور)** الدنيوية والأخروية على الكمال، **(ولا تضيق عنها. وأما قلوب سائر الخلق فإنها إذا اشغلت بأمر انصرفت عن الآخرى وقصرت عن الاستكمال فيه)**

بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف الحق وطريق النظار:

اعلم أن العلوم التي ليست ضرورية ـ وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال ـ تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري، وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم. فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى إلهاماً، والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتباراً واستبصاراً. ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد من العبد ينقسم إلى ما لا يدري العبد أنه كيف حصل له ومن أين حصل؟ وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفاد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب. والأول: يسمى إلهاماً ونفثاً في الروع، والثاني: يسمى وحياً وتختص به الأنبياء. والأول يختص به الأوليا والاصفياء والذي قبله ـ وهو المكتسب بطريق

ولكن لنوابهم وورثتهم في ذلك نصيب ومراتبهم في ذلك مختلفة باختلاف الأشخاص والأحوال.

بيان الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريق:

السادة (**الصوفية في استكشاف**) جلية (**الحق وطريق النظار**).

(**اعلم أن**) نفس الإنسان معدن الحكمة والعلوم وهي مركوزة فيها بالفطرة محولة لها بالقوة كالنار في الحجر والنخل في النواة، والذهب في الحجارة وكالماء تحت الأرض، لكن كما أن من الماء ما يجري من غير فعل بشري ومنه ما يعاين تحت الأرض ولكن لا يتوصل إليه إلا بدلو ورشاء ومنه ما هو كامن يحتاج في استنباطه إلى حفر وتعب شديد، فإن عني به أدرك وإلا بقي غير منتفع به، ثم أن (**العلوم**) ضرورية ومكتسبة فالضرورية قد تقدم الكلام فيها، و(**التي ليست ضرورية وإنما تحصل في القلب في بعض الأحوال**) من غير فعل بشري (**يختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري**) يطمئن له الصدر، (**وتارة تكتسب بطريق الاستدلال والتعلم**) فمنه ما يوجد بأدنى تعلم ومنه ما يصعب وجوده، (**فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل**) بل بطريق الفيض (**يسمى إلهاماً**) ويختص بما من الله والملأ الأعلى، (**والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتباراً واستبصاراً**) وفيه قياس ما غاب على ما ظهر بدليل، (**ثم الواقع في القلب من غير تمحل**) أي تكلف (**وحيلة واجتهاد من العبد ينقسم إلى ما لا يدري أنه كيف حصل ومن أين حصل وإلى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفيد ذلك العلم، وهو شهادة الملك الملقي في القلب، والأول يسمى إلهاماً ونفثا في الروع**) بالضم الخاطر والقلب والنفث فيه هو الإلقاء، ومنه الحديث: « إن روح القدس نفث في روعي » الحديث (**والثاني: يسمى وحياً ويختص به الأنبياء، والأول يختص به الأولياء، والذي قبله وهو المكتسب بطريق الاستدلال يختص به العلماء**) وأنواع الوحي ستة:

الاستدلال ـ يختص به العلماء. وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق ـ في الأشياء كلها، وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة ـ التي سبق ذكرها ـ فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة. وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها، والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد

أحدها: أنه كان يأتيه كصلصلة الجرس.

الثاني: يتمثل له الملك رجلاً فيكلمه.

الثالث:الرؤيا المنامية.

الرابع: الإلقاء في القلب.

الخامس: يأتيه جبريل في صورته الأصلية له ستمائة جناح كل جناح يسد الأفق.

السادس: يكلمه الله كما كلّمه ليلة الإسراء وهو أعلى درجاته هكذا ذكره شراح البخاري فالإلقاء في القلب هو النفث في الروع، وقد جعلوه من أقسام الوحي وسياق المصنف يؤذن باختصاصه للأولياء ووافقه في ذلك الشيخ الأكبر قدس سره قال في الفتوحات: العلوم ثلاث مراتب: علم العقل وهو كل علم ضرورة أو عقب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل.

الثاني: علم الأحوال ولا سبيل له إلا بالذوق فلا يمكن عاقل وجدانه ولا إقامة دليل على معرفته كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والوجد والشوق، فهذه دلائل لا يعلمها إلا من يتصف بها ويذوقها.

الثالث: علم الأسرار وهو فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروع يختص به النبي والولي وهو نوعان: والعالم به يعلم العلوم كلها ويسترقها وليس أصحاب تلك العلوم كذلك اهـ.

(وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تتجلى فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها، وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى به إلى يوم القيامة وتجلي حقائق العلوم من مرآة اللوح) المحفوظ **(في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها)** فحقائق العلوم كلها منقوشة في اللوح المحفوظ بقلم القدرة وما يتجلى منها على مرآة القلب إنما هو بمقابلة مرآته لمرآة اللوح فتنطبع فيه تلك الحقائق فما في القلب من النور إنما هو من نور اللوح وهو في عالم الملكوت على الترتيب وفي عالم الشهادة أيضاً، ومعرفته بضرب مثال بأن تفرض ضوء القمر داخلاً في كوة بيت واقعاً على مرآة منصوبة على حائط ومنعكساً منها إلى حائط آخر في مقابلتها ثم منعطفاً منها إلى الأرض بحيث تستنير منه الأرض فأنت تعلم أن ما على الأرض من النور تابع لما على الحائط وما على الحائط تابع لما على المرآة وما على المرآة تابع للقمر، وما في

وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه. وكذلك قد تهب رياح الألطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ، ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل. وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فيه ينكشف الغطاء، وينكشف أيضاً في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى، فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف، وأخرى على التوالي إلى حدّ ما. ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الإلهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب، فإن ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم، فإن العلم إنما يحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وما كَانَ لِبشَرٍ أن يكَلِّمَه

القمر تابع لما في الشمس إذ منها يشرق النور على القمر. وهذه الأنوار الأربعة مرتبة بعضها أعلى من بعض وأكمل من بعض، فالنور الأول هو الذي أفاض على اللوح فانتقشت فيه الحقائق كلها، ثم أفيض النور من مرآته إلى القلب بحكم المقابلة فانطبعت فيه أنوار تلك الحقائق وأشرق ثم افيض منه على كل مرآة قلب قوبلت بتلك المرآة، ثم انه قد يعتري الحجاب بين المرآتين فيكون مانعاً من حصول التجلي، وإليه أشار المصنف بقوله:

(والحجاب تارة يزال باليد وأخرى يزال بهبوب ريح تحركه، فكذلك قد تهب رياح الألطاف) الإلهية **(فتكشف الحجب عن عين القلوب)** فتعود على استعدادها الأول في قبول التجلي **(فيتجلى فيها على بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ)** بحكم التقابل، **(ويكون ذلك تارة عند المنام فيظهر به ما سيكون في المستقبل)** وهو المعنى بقوله ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة». **(وإنما ارتفاع الحجاب)** أي كمال التجرد **(بالموت)** أي بعده، **(وبه)** يتجرد العقل عن النوازع الخيالية والوهمية و**(ينكشف الغطاء)** وتتجلى الأسرار ويصادف كل أحد ما قدم من خير أو شر محضراً وعندها يقال: ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ [ق: ٢٢] وإنما الغطاء غطاء الخيال والوهم **(وفي اليقظة أيضاً ينقشع الحجاب)** أي يزول **(بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب)** وهو عالم الملكوت **(شيء من غرائب العلم)** الذي هو كهيئة المكنون وهو المعنى بقوله ﷺ: «إن يكن في هذه الأمة محدث فهو عمر» ويكون ذلك **(تارة كالبرق الخاطف و)** أخرى **(على التوالي)** أي التتابع **(إلى حد ما ودوامه في غاية الندور)** أي القلة **(فلم يفارق الإلهام الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه، ولكن يفارقه في جهة زوال الحجاب، وإن ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الإلهام في شيء من ذلك، بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم، فإن العلوم إنما تحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة)** إفاضة من الله تعالى، وحاصله: أن الطريق التي تستفاد منها العلوم أضرب. **الأول:** المستفاد من بديهة العقل

الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾ [الشورى : ٥١] .

فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوّف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية . فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الأقاويل والأدلة المذكورة ، بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى ، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم ، وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر وانكشف له سر الملكوت ، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية فليس على العبد إلا الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام

ومصادمة الحس . **الثاني :** المستفاد من جهة النظر إما بمقدمات عقلية أو محسوسة . **الثالث :** المستفاد بخبر الناس إما بسماع أو قراءة . **الرابع :** ما كان عن الوحي إما بلسان ملك مرئي وإما بسماع كلامه من غير مصادفة عين وإما بالقاء في روع في حال يقظة وإما بالمنام ، (**وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً**) ففيه حصر المعلومات التي أشرنا إليها .

(**فإذا عرفت هذا فاعلم أن ميل أهل التصوّف إلى العلوم الإلهامية**) وهي التي تفاض على الإنسان بغير فعل بشري (**دون التعليمية**) التي تتحصل باكتساب وتعلم ، (**فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم**) على الوجه المعهود (**وتحصيل ما صنفه المصنفون**) ورعاية ما رتبوه ، (**والبحث على الأقاويل والأدلة المذكورة**) في كتبهم على الوجه الذي أوردوه ، (**بل قالوا الطريق**) الموصل إلى الله تعالى وراء ذلك وهو (**تقديم المجاهدة**) للنفس الأمّارة (**بمحو الصفات المذمومة**) عن لوح القلب والانخلاع عن التحلي بها (**وقطع العلائق**) الظاهرية والباطنية (**كلها والإقبال بكنه الهمة**) أي خالصها (**على الله تعالى ، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل بتنويره**) وإشرافه (**بأنوار العلم**) وإفاضتها عليه ، (**وإذا تولى الله أمر القلب فاضت الرحمة وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر**) بالهداية والتوفيق ، (**وانكشف له سر الملكوت**) وتبدل في حقه الأرض غير الأرض والسموات ، وصار كل ما هو داخل تحت الحس والخيال أرضه ، ومن جملتها السموات وكل ما ارتفع عن الحس سماؤه ، وهذا هو المعراج الأوّل لكل سالك ابتداء سفره إلى قرب حضرة الربوبية ، (**وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة وتلألأ فيه حقائق الأمور الإلهية**) لصفاء مرآة قلبه بالنور الإلهي ، (**فليس على المريد**) السالك في طريق الحق (**إلا الاستعداد بالتصفية المجردة**) عن مكدرات القلب ، (**وإحضار الهمة**) في سلوكه (**مع الإرادة الصادقة**) التي لا

والترصد بدوام الانتظار بما يفتحه الله تعالى من الرحمة.

فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا والتبرىء من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى. فمن كان لله كان الله له. وزعموا أن الطريق في ذلك أولاً بانقطاع علائق الدنيا بالكلية وتفريغ القلب منها وبقطع الهمة على الأهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه بل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيها وجود كل شيء وعدمه، ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب، ويجلس فارغ القلب مجموع الهم، ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره، بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى، فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلاً بلسانه: الله الله على الدوام مع حضور القلب حتى ينتهي إلى حالة يترك

يشوبها نقص (**والتعطش التام**) للحصول والوصول (**والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله**) تعالى عليه (**من الرحمة**) العامة، (**إذ الأنبياء انكشفت لهم الأمور وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدارسة**) المعهودة (**للكتب**) المعلومة، (**بل بالزهد في الدنيا**) والتقلل منها (**والتبرىء عن علائقها**) الحسية والمعنوية (**وتفريغ القلب من شواغلها**) الشاغلة (**والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى. فمن كان لله كان الله له. وزعموا**) وصدقوا فيما زعموا (**أن الطريق في ذلك أولاً أن يقطع علائق الدنيا بالكلية فيفرغ قلبه منها**) وفي نسخة: عنها (**ويقطع همه عن الأهل والمال والولد والوطن**) فإنها شواغل مشغلة بل (**وعن العلم والولاية**) للمناصب (**والجاه**) عند الولاة، (**بل يصير قلبه إلى حالة يستوي فيه وجود كل ذلك وعدمه**). وهذه أوّل درجة من درجات السلوك وفي هذا المقام تكون بدايته في السلوك نهاية غيره من السالكين في غير هذا الطريق، (**ثم**) بعد تمكنه من ذلك (**يخلو بنفسه في زاوية**) من زوايا بيته إن أمكنه أو في زاوية من زوايا مسجد قريب من بيته إن علم سلامة حاله وشرط ذلك الخلوة عن الناس، فإن لم يمكنه فليسبل على رأسه مثل الطيلسان يمنعه من التطلع إلى يمين وشمال، فقد قالوا: إنه الخلوة الصغرى (**مع الاقتصار على الفرائض**) الخمس (**والرواتب**) التي قبلها وبعدها (**ويجلس فارغ القلب**) عن وسواس أو خيال أو هم (**مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسيره**) ووجوهه وإعرابه (**ولا بكتب حديث**) ولا بسماعه (**وغيره**) كالاشتغال بالأذكار والأوراد، (**بل يجتهد أن لا يخطر بباله شيء سوى الله فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة قائلاً بلسانه**) مراقباً بقلبه (**الله الله على الدوام مع حضور القلب**) وهو ذكر من غلب عليه الجذب، قبل السلوك وهو اختيار طائفة منهم، أو يقول لا إله إلا الله، وهو ذكر من غلب عليه السلوك قبل الجذب، واختاره طائفة منهم وكلاهما موصلان لكن حضور القلب شرط على كل حال ولم يزل كذلك، (**حتى ينتهي الحال إلى حالة يترك تحريك اللسان**

تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه، ثم يصبر عليه إلى أن يمحي أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظباً على الذكر، ثم يواظب عليه إلى أن يمحي عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة، ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضراً فيه كأنه لازم له لا يفارقه وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس، وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى، بل هو بما فعله صار متعرضاً لنفحات رحمة الله فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق؛ وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته فلم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا تلمع لوامع الحق في قلبه، ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت؛ ثم يعود وقد يتأخر، وإن عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفاً؛ وإن ثبت وقد يطول ثباته وقد لا يطول، وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد. ومنازل أولياء الله تعالى فيه لا تحصى؛ كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم. وقد رجع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء، ثم استعداد وانتظار فقط.

ويرى كأن الكلمة جارية على اللسان ثم يصبر عليه إلى أن تنمحي عن القلب صورة اللفظ وصروفه وهيأة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضراً فيه كأنه لازم لا يفارقه) في حال من الأحوال **(وله اختيار إلى أن ينتهي إلى هذا الحد)** بجهده **(واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوساوس)** ونفي الخطرات النفسية والشيطانية، **(وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله)** تعالى، **(بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمة)** الإلهية **(فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من رحمته)** من عنده **(كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذا الطريق)** فيلحق مع المنعم عليهم، **(وعند ذلك إذا صدقت إرادته وصفت همته وحسنت مواظبته)** لهذا العمل **(ولم تجاذبه شهواته)** وعلائقه **(ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا فتلمع لوامع الحق في قلبه)** وتتجلى له أسرار الملكوت **(ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم)** مع المواظبة **(يعود وقد يتأخر)** هذا التجلي، **(وإن عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفاً وإن ثبت فقد يطول ثباته)** زماناً **(وقد لا يطول وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق، وقد يقتصر على فن واحد ومنازل أولياء الله فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت خلقهم وأخلاقهم وقد رجع)** مآل **(هذا الطريق إلى تطهير محض)** أي تطهير القلب من خبائث الأشغال **(من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار)** لرحمة الله **(فقط)** وهذا هو طريق شيخ المصنف الإمام أبي علي الفارمدي الطوسي، وله في هذا الطريق نسبتان.

أحداهما: وهي طريقة الخدمة والصحبة والاستقامة عن الشيخ أبي القاسم الكركاني وهو عن

الشيخ أبي عثمان المغربي عن الشيخ أبي علي الكاتب، عن الشيخ أبي علي الروذباري، عن سيد الطائفة أبي القاسم الجنيد، عن خاله السري السقطي، عن معروف الكرخي، عن داود بن نصير الطائي، عن أبي محمد حبيب العجمي، عن الحسن البصري رضي الله عنه، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، عن النبي ﷺ.

والثانية: وهي المشهورة تلقاها عن روحانية الإمام أبي يزيد البسطامي وهي كنسبة أويس من النبي ﷺ، وأبو يزيد تلقاها من روحانية الإمام جعفر الصادق، وهو عن جده لأمه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عن أبي محمد سلمان الفارسي رضي الله عنه، وهو عن أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد وصلتنا هذه الطريقة بواسطة القطب أبي يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني، وكان في عصر المصنف عن أبي علي الفارمدي المشار إليه، وقد عرفت سلسلته بالنقشبندية باسم أحد رؤساء هذه الطريقة القطب بهاء الدين محمد بن محمد الحسيني البخاري المعروف بنقشبند بأخذه لها عن شيخه السيد أمير كلال البخاري عن الخواجه محمد بابا السماسي، عن علي الراميتني المشهور بفريزان، عن الخواجه محمود النغنوي، عن الخواجة محمد عارف الديوكرى، عن الخواجة عبد الخالق الفجدواني عنه. وقد اتفقوا على أن طريقتهم دوام العبودية وهي عبارة عن دوام الحضور مع الحق سبحانه بلا مزاحمة شعور بالغير مع الذهول عن صفة الحضور بوجود الحق سبحانه، ولا يحصل ذلك بغير تصرف الجذبة الإلهية ولا سبب في طريق الجذبة أقوى من صحبة الشيخ الذي سلوكه بطريق الجذبة. وقالوا أيضاً إن طريق الوصول إلى الله تعالى إما أن يكون بمحض الصحبة أو بالذكر أو بالمراقبة، وأثر الذكر في النفي والاثبات إنك في زمان النفي ينتفي عنك وجود البشرية، وفي زمان الإثبات يظهر عليك أثر من آثار تصرفات الجذبات الإلهية، والأثر يتفاوت بحسب الاستعدادات، فبعضهم أوّل ما يحصل له الغيبة عما سوى الله، وبعضهم أوّل ما يحصل له الشكر والغيبة، وبعد ذلك يتحقق له وجود العدم وبعده يتشرف بالفناء.

قال الشيخ عبد الله الأنصاري أحد رجال هذه الطريقة في تفسير هذه الآية ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ [الكهف: ٢٤] أي إذا نسيت غيره، ثم نسيت نفسك، ثم نسيت ذكرك في ذكرك، ثم نسيت في ذكر الحق إياك كل ذكرك وأعلى الدرجات وأتمها الفناء. أعني لا يبقى للسالك خبر عما سوى الله. ومقصود هذه الطائفة مشاهدة الحق كأنك تراه وملكة الحضور يسمونها مشاهدة وتكون بالقلب، وأما الرؤية فإنها تكون بعين الرأس والفرق بين الرؤية والمشاهدة أنك في الرؤية لا تقدر أن تبعدها من نفسك وفي المشاهدة أنت بالخيار، فهذا ما يتعلق بالذكر. وأما التوجه والمراقبة فهو أسهل الطرق وأقربها للوصول إلى الله تعالى وهو عبارة عن ملاحظة ذلك المعنى المقدس الذي بغير كنه ولا مثال المفهوم من الاسم المبارك وهو الله بغير واسطة عبارة عربية أو فارسية أو غيرهما وحفظه بعد الفهم في الخيال والتوجه بجميع القوى والمدارك إلى القلب الصنوبري والمداومة على ذلك، والتكلف في ملازمته حتى تذهب الكلفة من البين، ويصير هذا الأمر ملكة

وأما النظار وذوو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وإمكانه وإفضاءه إلى هذا المقصد على الندور فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء ، ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطأوا

فإن عسر ذلك فليتخيله بصورة نور بسيط محيط بجميع الموجودات العلمية والعينية وليجعله في مقابلة البصيرة ومع حفظ ذلك فليتوجه إلى القلب الصنوبري بجميع القوى والمدارك إلى أن تقوى البصيرة وتذهب الصورة ، ويترتب على ذلك ظهور المقصود . وهذا أقرب من طريق الذكر وأقرب للخدمة الإلهية من غيرها ، ولذلك اقتصر عليها المصنف. ومنها يكون الوصول إلى الوزارة والتصرف في الملك والملكوت ، وبها يمكن الإشراف على الخواطر والنظر إلى الغير بالموهبة وتنوير باطنه ومن ملكتها يحصل دوام الجمعية ودوام قبول القول ، وهذا المعنى يسمى جمعاً وقبولاً وأما الطريق الرابطة بالشيخ فإنها تفيد فائدة الذكر ، وصحبته تنتج صحبة المذكور ، فينبغي أن يحفظ ذلك الأثر الذي يشاهد من صحبته بقدر الإمكان ، فإن حصل فتور راجع مصاحبته حتى يرجع ذلك الأثر ، وهكذا يفعل مرة بعد أخرى حتى تصير تلك الكيفية ملكة ، وقد يحصل من صحبته محبة وانجذاب فتحفظ صورته في الخيال ويتوجه به إلى القلب الصنوبري حتى تحصل الغيبة والفناء عن النفس ، وقد زاد الخواجة عبد الخالق الفجدواني أحد رجال الطريقة المتقدم ذكره مراعاة حبس النفس في أثناء الذكر والمراقبة وجعله من مباني هذه الطريقة ، وأنه ينبغي الاجتهاد على حفظ ما بين النفسين حتى لا يدخل بغفلة ولا يخرج بغفلة. وقال: إن هذا تلقاه عن الخضر عليه السلام ، فإنه ظهر له في ابتداء سلوكه فعلمه حبس النفس ، وأنه مما يوصل إلى المطلوب في أقرب زمن فلم يمكنه ذلك ، فأمره بأن يغوص في الماء ويفعل ذلك فغاص في الماء وفعله حتى حصله وصار ذلك لمن بعده سنّة متبوعة حتى لا يكاد أهل هذا الطريق يتركونه سواء في الذكر أو في المراقبة وهي زيادة حسنة. قالوا : وإن وقف في أثناء الذكر أو المراقبة تفرق الخاطر فإن كان متعلقاً بالأعمال كمثل الميل إلى شراء فرس ونحوه مما هو مباح شرعاً فليبادر لفعله أو يخرجه من قلبه حتى تكون تلك الحضرة كعدوّ يبذل جهده في دفعه ، والمقصود مراعاة الوقت فليس شيء أعز من الوقت وإذا فاته لا يتدارك. قالوا : وخطور الأغيار تكون عن رؤية الألوان والاشكال المختلفة ومن مطالعة الكتب ومن الصحبة المفرقة ، فينبغي للسالك أن يكون أياماً بغير ملاحظة الأغيار في صحبة شيخ كامل ليحصل له ملكة الحضور ببركته في الجمعية ، ثم يحصل الرضا والتسليم وهما نهاية العبودية والعبادة وكمال الإسلام في التسليم والتفويض هذا خلاصة ما ذكروه ، ولهم في ذلك لطائف عبارات وعجائب إشارات قد أشرنا إليها في مؤلفات مختصرة كتبناها في صور إجازات ، وفيما ذكرناه مقنع للطالب الراغب والله أعلم.

ولنرجع إلى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى : (**وأما النظار وذوو الاعتبار**) من العلماء (**فلم ينكروا وجود هذه الطريق وإمكانه وإفضاءه إلى المقصد**) يقع (**على الندور**) والقلة (**فإنه أكثر أحوال الأنبياء والأولياء**) لما فيه من لوامع النهايات ، (**ولكن استوعروا هذا الطريق**) أي استصعبوه (**واستبطأوا ثمرته**) ونتيجته (**واستبعدوا اجتماع شروطه**) التي

ثمرته واستبعدوا استجماع شروطه، وزعموا أن محو العلائق إلى ذلك الحد كالمتعذر وإن حصل في حال فثباته أبعد منه، إذ أدنى وسواس وخاطر يشوّش القلب، وقال رسول الله ﷺ: « قلب المؤمن أشد تقلباً من القدر في غليانها ». وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » وفي أثناء هذه المجاهدة قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن، وإذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم نشبت بالقلب خيالات فاسدة تطمئن النفس إليها مدة طويلة إلى أن يزول وينقضي العمر قبل النجاح فيها، فكم من صوفي سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو

شرطوها، **(وزعموا ان محو العلائق إلى ذلك الحد)** الذي حددوه **(كالمتعذر)** على الإنسان، **(وإن حصل في حالة فثباته أبعد منه إذ أدنى وسواس و)** أقل **(خاطر يشوش القلب)** وهم قالوا إن نفي الخواطر الثلاثة لازم للمريد أعني النفسية والشيطانية والملكية، وأنه لا بدّ من إثبات الخاطر الحقاني ومعرفة الخواطر وتمييزها عسر، ولا تتم معرفة ذلك وتمييزها إلا لمن تحلى بالتقوى والزهد وأكل الحلال الطيب دائماً وأنّى يتيسر ذلك لكل أحد في كل وقت، وأنه يلزم المريد دائماً مراقبة خواطره ولا يترك خاطر الغير يمر بباله وكل ذلك صعب المنال قريب المحال. **(قال رسول الله ﷺ « قلب المؤمن أشد قلباً من القدر في غليانها »)** قال العراقي: رواه أحمد والحاكم وصححه من حديث المقداد بن الأسود اهـ.

قلت: ولفظ القوت: القدر إذا استجمعت في غليانها، وسيأتي قريباً في آخر هذا الكتاب.

(وقال) ﷺ **(« قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن »)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر اهـ.

قلت: ولفظ مسلم « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء ». وكذلك رواه أحمد، قال النووي: فيه المذهبان التفويض أو التأويل على المجاز التمثيلي كما يقال فلان في قبضتي لا يراد به أنه حال في كفه، بل المراد تحت قدرتي. فالمعنى أنه سبحانه يتصرف في قلوب عباده وغيرها كيف يشاء لا يمتنع عليه فيها شيء ولا يفوته ما أراده كما لا يمتنع على الإنسان ما كان بين أصبعيه فخاطب العرب بما يفهمونه ومثله بالمعاني الحسية تأكيداً له في نفوسهم. **(وفي أثناء هذه المجاهدة فقد يفسد المزاج)** بطروّ أمراض ويختلط العقل بحصول وسواس **(ويمرض القلب)** بعلل خارجة، **(وإذا لم تتقدم رياضة النفس وتهذيبها بحقائق العلوم)** الظاهرة **(تشبث بالقلب خيالات فاسدة)** وأوهام باطلة **(تطمئن النفس إليها مدة طويلة)** من الزمان **(إلى أن تزول)** عنها **(والعمر)** لا يفي لذلك، بل قد **(ينقضي دون النجاح فيها)** والدرك لمطلوبه منها، فكم من صوفي في سلك هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنة وأكثر وأقل، وكل ذلك لعدم تهذيبه في العلوم. **(ولو كان قد اتقن في العلم من**

كان قد أتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال، فالاشتغال بطريق التعلم أوثق وأقرب إلى الغرض وزعموا أن ذلك يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه. وزعم أن النبي ﷺ لم يتعلم ذلك وصار فقيهاً بالوحي والإلهام من غير تكرير وتعليق، فأنا أيضاً ربما انتهت بي الرياضة والمواظبة إليه، ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره، بل هو كمن يترك طريق الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز، فإن ذلك ممكن ولكنه بعيد جداً، فكذلك هذا. وقالوا: لا بد أوّلاً من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة.

قبل لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال) وقد يجاب عن ذلك بأن تلك الخيالات الفاسدة التي تتشبث بالقلب إنما منشؤها تلك العلوم التي تعلمها وظن في نفسه أنها معارف موصلة وفي الحقيقة هي القواطع عن الطريق وهي التي لا تفي الأعمار في تحصيلها. وأما السالك الذي بصدد تصفية قلبه من الكدورات الوهمية، فهو على هدى من ربه إن اعتل بدنه أو فسد مزاجه فحصل له بذلك تفرقة خاطر فهو معذور عند الله، وإن مات فقد وقع أجره على الله. وحقيق أن يقال هو عاشق إن مات ليلة وصاله لا يلام، ثم قالوا: **(والاشتغال بطريق التعليم أوثق وأقرب إلى الغرض)** وهو صحيح في نفسه ولكن كم من مشتغل في طريق التعلم قد جرّه علم إلى علم آخر فلم يتبع علماً فعلماً ولا كتاباً فكتاباً حتى يأتيه الأجل وهو لم يتم العمل به بل جذبه إلى الخوض فيما لا يعنيه، وأما من اشتغل بتعلم ما يهتدي به مقتصراً على الواجب منه، ثم اهتدى إلى السلوك فهذا أقل من قليل وأهل الطريق منهم. **(وزعموا أن ذلك يضاهي ما لو ترك الإنسان تعلم الفقه، وزعم أنه ﷺ لم يتعلم)** بالدراسة، **(ولكن صار فقيهاً بالوحي)** النازل من السماء **(والإلهام)** الملقى في روعه **(من غير تكرار)** لمسائل علمية **(وتعليق بكتابة فأنا أيضاً ربّما انتهي بالرياضة إليه)** ويحصل لي الفتوح بالفقه في الدين، **(ومن ظنّ ذلك فقد ظلم نفسه)** وضيع عمره فيما لا يعني بل هو كمن ترك طريق الكسب والحراثة بالأرض **(رجاء العثور على كنز من الكنوز)** يفتح له فيأخذ منه ما يستغني به، **(فإن ذلك ممكن)** في العقل **(وهو بعيد جداً فكذلك هذه)** وهذان المثالان صحيحان، ولكن ليس في السالكين طريق الحق من يخطر بباله شيء من ذلك وحاشاهم من ذلك. نعم من المتشبه بهم في الطريق أو المتشبع بما ليس له قد يمكن أن يقع منه، ولكن لا كلام مع هؤلاء والصادقون في سلوكهم على خلاف ذلك فلا ينسب الزعم المذكور إليهم **(فقالوا: لا بدّ أوّلاً من تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه، ثم لا بأس بعد ذلك بالانتظار لما لم ينكشف لسائر العلماء فعساه ينكشف بالمجاهدة بعد ذلك)** وهذا مسلم، ولكن تحصيل ما حصله العلماء وفهم ما قالوه إن كان المراد به على وجه الإحاطة والكمال فالأعمار لا تفي بذلك لاختلاف أقوالهم وأقواتهم ومعارفهم، فإذا اشتغل بتمييز أقوالهم وتوجيهها

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس:

اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس، لأن القلب أيضاً خارج عن إدراك الحس وما ليس مدركاً بالحواس تضعف الأفهام عن دركه الا بمثال محسوس. ونحن نقرب ذلك إلى الأفهام الضعيفة بمثالين:

أحدهما: أنه لو فرضنا حوضاً محفوراً في الأرض احتمل أن يساق إليه الماء من فوقه بأنهار تفتح فيه، ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي، فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر. فذلك القلب مثل الحوض، والعلم مثل الماء، وتكون الحواس الخمس مثل الأنهار. وقد يمكن أن تساق العلوم إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلىء علماً، ويمكن أن تسد هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر

إلى أحسن المحامل والجمع بينها على أحسن الوجوه، وهو في هذه متى يتفرغ لتصفية القلب عن الغير وهو قد مـلأه بالغير. وهذه الوجوه والمناقضات متى انتقشت في لوح القلب خصوصاً من زمن الصغر فإن إزالتها عسيرة جداً فكيف ينكشف له ما لم ينكشف لغيره وهو بعد مشحون القلب ولا تتم المجاهدة: إلاَّ بتخليته عن ذلك كله. فتأمل فيما أشرت إليك ولا تعجل في ردّه ولا عليك أن تتأنى في فهمه فإن المواهب لا حرج عليها.

بيان الفرق بين المقامين بمثال محسوس:

(**اعلم أن عجائب القلب خارجة عن مدركات الحواس**) الظاهرة (**لأن القلب أيضاً خارج عن إدراك الحس وما ليس مدركاً بالحواس**) الظاهرة (**تضعف الأفهام عن دركه إلا بمثال محسوس**) في الخارج، (**ونحن نقرب ذلك إلى أفهام الضعفاء بمثالين**).

(**أحدهما: أنا لو فرضنا حوضاً**) وهو مجمع الماء (**محفوراً في الأرض احتمل أن يساق الماء إليه من فوقه بأنهار تفتح إليه**) من نواحيه، (**ويحتمل أن يحفر أسفل الحوض ويرفع منه التراب إلى أن يقرب من مستقر الماء الصافي**) من الكدر، (**فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى**) من الماء الذي يأتي من فوق بواسطة الأنهار (**وأدوم**) أي أثبت في الدوام، (**وقد يكون أغزر وأكثر، فكذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء**) الوارد عليه، (**والحواس الخمسة**) الظاهرة (**مثل الأنهار ويمكن أن تساق العلوم**) المختلفة الأنواع (**إلى القلب بواسطة أنهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات**) في عالم الملك (**حتى يمتلىء علماً**) جماً (**ويمكن أن تسد عنه هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغض البصر**) ومنع السمع من أن

ويعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تنفجر ينابيع العلم من داخله.

فإن قلت: فكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه؟ فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة بل القدر الذي يمكن ذكره أن حقائق الأشياء مسطورة في اللوح المحفوظ، بل في قلوب الملائكة المقربين، فكما أن المهندس يصوّر أبنية الدار في بياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة، فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح

يتطرق إليه شيء من الأخبار **(ويعمد إلى عمق القلب)** أي باطنه **(بتطهيره)** من الوساوس والارجاس **(ورفع طبقات الحجب عنه حتى يتفجر ينبوع العلم)** الإلهي **(من داخله)** فيستغني عن مدد المعارف من فوق.

(فإن قلت: وكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه) والأرض من شأنها إذا حفرت نبع منها الماء لكونه موجوداً في عروقها الباطنة، وعند الاستنباط يحصل له الظهور، وكيف يتصوّر هذا في القلب وليس فيه من المعارف ما هو كامن فيه حتى إذا صفا عن كدورات ظهرت تلك المعارف ظهور الماء من الأرض، **(فاعلم أن هذا من عجائب أسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعاملة)** لأنه من وراء طور العقل، **(والقدر الذي لا يمكن ذكره)** الآن هو **(أن حقائق الأشياء)** بأسرها **(مسطورة)** بالقلم الأعلى **(في اللوح المحفوظ)** عنده، **(بل)** أزيد على ذلك وأقول هي مسطورة أيضاً **(في قلوب الملائكة المقربين)** وبيان ذلك أن الأنوار السمائية التي تقتبس منها الأنوار الأرضية مرتبة بحيث يقتبس بعضها من بعض، فالأقرب من المنبع الأول أعلى رتبة وهكذا ترتيب في عالم الشهادة ولا يفهم ذلك إلا بمثال وهو أن يفرض ضوء القمر داخلاً في كوة بيت واقعاً على مرآة منصوبة على حائط ومنعكساً منها إلى حائط آخر في مقابلتها ثم منعطفاً منها إلى الأرض بحيث تستنير منه الأرض، فأنت تعلم أن ما على الأرض من النور تابع لما على الحائط وما على الحائط تابع لما على المرآة وما على المرآة تابع للقمر وما في القمر تابع لما في الشمس. إذ منها يشرق النور على القمر، وهذه الأنوار الأربعة مرتبة بعضها أعلى من بعض وأكمل من بعض، ولكل واحد مقام معلوم ودرجة خاصة لا تتعداه، فاعلم أنه قد انكشف لأرباب البصائر أن الأنوار الملكوتية إنما وجدت على ترتيب كذلك، وأن القرب هو الأقرب إلى النور الأقصى فلا يبعد أن يكون ما في اللوح منتقشاً في قلوب المقربين من الملائكة لقرب درجاتهم من حضرة الربوبية التي هي منبع الأنوار والأسرار، **(وكما أن المهندس)** وهو مقدر مجاري القنى والآثار **(يسطر صورة أبنية الدار في بياض)** أوّلاً فيجعلها نسخة وهو الوجود الذهني، **(ثم يخرجها إلى الوجود)** الخارجي **(على وفق تلك النسخة، فكذلك فاطر السموات والأرض)** أي مبدعها بلا مثال سابق **(كتب نسخة العالم)** وهو ما سوى الله **(من أوله إلى**

المحفوظ، ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة، والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحس والخيال، فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها، ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدهما وينظر إليهما، ثم يتأدى من خياله أثر إلى القلب فيحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال، والحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال، والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجاً من خيال الانسان وقلبه، والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ.

فكأن للعالم أربع درجات في الوجود: وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني، ويتبعه وجوده الحقيقي، ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي ـ أعني وجود صورته في الخيال ـ ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي ـ أعني وجود صورته في القلب.

آخره في اللوح المحفوظ) كما قال تعالى ﴿بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ [البقرة: ١١٧] فالابداع أول مراتب الكتبة، وقوله: إيجاده وابداعه وكتبته‌قوله فإذا صدر الإبداع عن أمره يكون قولاً فإذا وصل إلى المحل وظهر المبدع يكون كتابة وحروف المكتوب أشخاص الاملاك، وكلمات المكتوبات أجسام الأفلاك، فالعالم إذاً كتابة من الله عز وجل لا حقيقة قوله لأن قوله إظهار كلامه وكلامه صفة ذاته وصفاته قديمة وكلامه قديم وقوله قديم، والعالم ليس بقديم فهو محدث، والكتابة أمر ظهر من القول وهي حادثة والعالم مع أنه مكتوب بخط صنع الإله عن يد قدرته حادث مبدع محدود متناه، فإذا أول مرتبة من مراتب كتاب الله عز وجل الإبداع، (**ثم أخرجه إلى الوجود على وفق تلك النسخة والعالم الذي خرج إلى الوجود بصورته تتأدى منه صورة أخرى إلى الحواس والخيال، فإن من ينظر إلى السماء والأرض ثم يغض بصره يرى صورة السماء والأرض في خياله حتى كأنه ينظر إليها ولو انعدمت السماء والأرض وبقي هو في نفسه لوجد صورة السماء والأرض في نفسه كأنه يشاهدها وينظر إليها ثم يتأدّى من خياله أثر في القلب فتحصل فيه حقائق الأشياء التي دخلت في الحس والخيال، فالحاصل في القلب موافق للعالم الحاصل في الخيال، والحاصل في الخيال موافق للعالم الموجود في نفسه خارجاً عن خيال الإنسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجودة في اللوح المحفوظ، فكان للعالم أربع درجات في الوجود: وجود في اللوح المحفوظ وهو سابق على وجوده الجسماني، ويتبعه وجوده الحقيقي، ويتبع وجوده الحقيقي وجوده الخيالي ـ أعني وجود صورته في الخيال ـ**)أي العلم بصورته وحقيقته، (**ويتبع وجوده الخيالي وجوده العقلي ـ أعني وجود صورته في القلب ـ**) فاطلاق الوجود

وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية . والروحانية بعضها أشد روحانية من البعض ؟ وهذا اللطف من الحكمة الإلهية ، إذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث ينطبع فيها صورة العالم والسموات والأرض على اتساع أكنافها ، ثم يسري من وجودها في الحس وجود إلى الخيال ، ثم منه وجود في القلب فإنك أبداً لا تدرك إلا ما هو واصل إليك ، فلو لم يجعل للعالم كله مثالاً في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك ، فسبحان من دبّر هذه العجائب في القلوب والأبصار ثم أعمى عن دركها القلوب والأبصار ، حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها وبعجائبها .

على ما في الذهن والخيال لا على الحقيقة ، لكن على معنى أنه صورة محاكية لذلك الوجود الحقيقي ، كما أن ما يرى في المرآة يسمى إنساناً لا بالحقيقة ، لكن على معنى أنه صورة محاكية للإنسان الحقيقي ، وكذلك كل شيء فله في الوجود أربع مراتب : وجود في الأعيان ، ووجود في الاذهان ، ووجود في اللسان ، ووجود في البياض المكتوب عليه .

(وبعض هذه الوجودات روحانية وبعضها جسمانية) ، فالوجود الأوّل والثاني جسمانيان ، والثالث والرابع روحانيان ، **(والروحانيات بعضها أشد روحانية من بعض)** كالوجود العقلي أصفى روحانية من الوجود الخيالي ، **(وهذا لطف من الحكمة الإلهية إذ جعل حدقتك على صغر حجمها بحيث تنطبع فيها صورة العالم و)** من جلته **(السموات والأرض على اتساع أكنافها)** أي جوانبها ، **(ثم سرى من وجوده في الحس وجوده في الخيال ، ثم منه وجود في القلب)** وهذا الوجود أقوى ، وإنما يحجب منه ما يحجب بسبب صفات بين مقارنة له تضاهي لحجاب العين عن نفسه عند تغميض الأجفان ، **(فإنك أبداً لا تدرك إلا ما هو واصل إليك فلو لم يجعل للعالم كله مكاناً في ذاتك لما كان لك خبر مما يباين ذاتك ، فسبحان من دبَّر هذه العجائب في القلوب والأبصار ، ثم أعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صارت قلوب أكثر الخلق جاهلة بأنفسها)** ومن جملة هذه العجائب الصورة الإنسانية مرتبة بموجب المشاكلة التي بين عالمي الملك والملكوت على صورة الرحمن وفرق بين أن يقال على صورة الرحمن وبين أن يقال على صورة الله لأن الرحمة الإلهية هي التي صورت الحضرة الإلهية بهذه الصورة ، ثم أنعم على آدم فأعطاه صورة مختصرة جامعة لجميع أصناف ما في العالم لأن كل ما في العالم هو نسخة من العالم مختصرة ، وصورة آدم أعني هذه الصورة المكتوبة بخط الله فهو الخط الإلهي المنزه من أن يكون رقم حروف ، ولولا هذه الرحمة لعجز الآدمي عن معرفة ربه إذ لا يعرف ربه إلا من عرف نفسه ، فلما كان هذا من آثار الرحمة صار على صورة الرحمن لا على صورة الله ، فإن حضرة الإلهية غير حضرة الرحمة ، ولولا هذا المعنى لكان قوله : إن الله خلق آدم على صورة الرحمن كما هو لفظ الصحيح غير منظوم لفظاً ، وهذا الانموذج يهديك إلى أن غالب الخلق قد جهلت أنفسها كما جهلت الآفاق وهذا وأمثاله بحر لا ساحل له .

ولنرجع إلى الغرض المقصود فنقول: القلب قد يتصوّر أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ، كما أن العين يتصوّر أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها. فمهما ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه فاستغنى عنه الاقتباس من داخل الحواس، فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض. ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك حجاباً له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع ذلك من التفجر في الأرض، وكما أن من نظر إلى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظراً إلى نفس الشمس، فإذاً للقلب بابان: باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة، وباب مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة. وعالم الشهادة

(فلنرجع إلى المقصود فنقول: القلب يتصور أن تحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة من الحواس وتارة من اللوح المحفوظ، كما يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس، ويحكي صورتها فمهما ارتفع الحجاب) للعارض بسبب صفات بين مقارنه له **(بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه)**

بحقائقها الأصلية، **(وتفجر إليه العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من مداخل الحواس، فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض)** مستغنياً به عن وصوله من الجداول، **(ومهما أقبل على الخيالات الحاصلة المحسوسات كان ذلك حجاباً له عن مطالعة اللوح المحفوظ)** وإنما حجابه حيث يحجب من نفسه لنفسه بسبب تلك الصفات، **(كما أن الماء إذ اجتمع من الأنهار في الحوض منع ذلك، عن التفجر من الأرض)** لاستغنائه به، **(فكما أن من نظر إلى الماء الذي يحكي صورته الشمس لا يكون ناظراً إلى نفس الشمس)**، وبيان ذلك إجمالاً إن العالم الملكوتي عالم غيب والعالم الحسي عالم شهادة وهو مرقاة إلى العالم العقلي، ولو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لانسدّ طريق الترقي إلى حضرة الربوبية والقرب من الله تعالى، فلن يقرب من الله أحد ما لم يطأ بحبوحة حظيرة القدس والعالم المرتفع عن الحس والخيال هو الذي نعنيه بعالم القدس، ثم جعلت الرحمة الإلهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شيء من هذا العالم إلا وهو مثال شيء من ذلك العالم، ولا بدّ من نوع مماثلة ومطابقة بينهما. فإن كان في تلك الموجودات ما هو ثابت لا يتغير وعظيم يستصغر، ومنه تنفجر إلى أودية القلوب البشرية مياه المعارف ونفائس المكاشفات فمثاله الطور وإن كان ثمّ موجودات تتلقى تلك النفائس بعد إتصالها بالقلوب البشرية تجري من قلب إلى قلب، فهذه القلوب أيضاً ومفتتح الوادي قلوب الأنبياء والأولياء والعلماء ثم من بعدهم، **(فإن للقلب بابين: باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة، وباب**

والملك أيضاً يحاكي عالم الملكوت نوعاً من المحاكاة. فأما انفتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك؛ وأما انفتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعة اللوح المحفوظ فتعلمه علماً يقيناً بالتأمل من عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل أو كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس، وإنما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى، وقال ﷺ: «سبق المفرّدون» قيل:

مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الشهادة والملك وعالم الشهادة والملك أيضاً يحاكي عالم الملكوت نوعاً من المحاكاة) لأنه على موازنته، فما من شيء من عالم الملك إلا وهو مثال شيء من عالم الملكوت كما ذكرنا، وربما كان الشيء الواحد مثالاً لأشياء من عالم الملكوت، وربما كان للشيء الواحد من عالم الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الملك، وإنما يكون مثالاً إذا ماثله نوعاً من المماثلة وطابقه نوعاً من المطابقة واستيفاء ذلك عسير الضبط، وقد أشرنا إلى بعضها قريباً وعلم التفسير يعرفك منهاج ضرب المثال لأن الرؤيا جزء من النبوّة أما ترى أن الشمس في الرؤيا تعبيرها السلطان لما بينهما من المشاركة والمماثلة في معنى روحاني وهو الاستيلاء على الكافة مع فيضان الأنوار على الجميع والقمر تعبيره الوزير لإفاضة الشمس نورها بواسطة القمر على العالم عند غيبتها كما يفيض السلطان آثاره بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة السلطان، وإن من يرى أن بيده خاتماً يختم به أفواه الرجال وفروج النساء فإنه يعبر به أنه مؤذن يؤذن قبل الصبح في رمضان، ومن رأى أنه يصب الزيت في الزيتون تعبيره أنه يطؤ جارية هي أمه وهو لا يعرف وغير ذلك مما يزيد أنساً بهذا الجنس.

(فاما انفتاح باب القلب إلى الاقتباس من الحواس فلا يخفي عليك) فإن غالب العلوم كذلك، **(وأما انفتاح بابه الداخل إلى عالم الملكوت ومطالعته اللوح المحفوظ فتعلمه علماً يقينياً بالتأمل في عجائب الرؤيا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل، أو كان في غير الماضي من غير اقتباس)** في ذلك **(من جهة الحواس)** الظاهرة، **(وإنما ينفتح ذلك الباب لمن أفرد ذكر الله تعالى: قال النبي ﷺ «سبق المفردون»)** روي بتشديد الراء وتخفيفها والتخفيف هو الذي جنح إليه الحكيم الترمذي كما سيأتي كلامه وإياه تبع المصنف. وقال النووي في الاذكار، والمشهور الذي قاله الجمهور التشديد اهـ.

وقال الحافظ: والراء مفتوحة وقيل مكسورة. ويقال: فرد الرجل مشدداً ومخففاً وتفرد وأفرد الكل بمعنى اهـ.

وقال غيره فرد بالتشديد إذا اعتزل وتخلى للعبادة فكأنه أفرد نفسه بالتبتل إلى الله تعالى والمعنى سبقوا بنيل الزلفى والعروج إلى الدرجات العلى.

ومن هم المفردون يا رسول الله ؟ قال : « المتنزهون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافاً » ، ثم قال في وصفهم إخباراً عن الله تعالى فقال : « ثم أقبل بوجهي عليهم أترى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه ، ثم قال تعالى : أوّل ما أعطيهم أن أقذف النور في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم » . ومدخل هذه

(**قيل: ومن هم؟ قال:**) « هم (**المستهترون بذكر الله »**) وفي رواية المستهرون في ذكر الله وعلى الاول فالمراد الذين أولعوا به . يقال : اهتر بفلان واستهتر فهو مستهتر أي مولع به لا يتحدث بغيره ولا يفعل سواه . وقال الحكيم الترمذي : المستهر هو الذي نطق من ربه يشبه كلامه كلام من لم يستعلمه عقله لأن العقل يخرج الكلام على اللسان بتدبير وتؤدة ، وهذا المهتر إنما نطقه كأنما يجري على لسانه حتى يشبه الهذيان في بعض الأحيان عند العامة وهو في الباطن مع الله من الأصفياء الناطقين اهـ .

(« **وضع الذكر**) عنهم (**أوزارهم**) أي أثقالهم من ذنوبهم التي أثقلتهم (**فوردوا القيامة خفافاً**) فيسبقون لأنهم جعلوا أنفسهم افراداً ممتازة بذكر الله عمن لم يذكر الله أو جعلوا ربهم فرداً بالذكر وتركوا ذكر ما سواه وهو حقيقة التفريد ههنا . وقال الحكيم الترمذي : المفرد هنا من افرد قلبه للواحد في وحدانيته ولازم الباب حتى رفع له الحجاب ، وأوصله إلى قربه فكان بين يدي ربه وعبارة القوت ، فأما العارفون المواجهون بعين اليقين المكاشفون بعلم الصديقين ، فإنهم مسيرون محولون سابقون مستهرون ، وقد وضعت الأذكار عنهم الأوزار كما جاء في الخبر « سيروا سبق المفردون » والمفردون أيضاً بالفتح فهم مفردون لله تعالى بما أفردهم الله عز وجل قيل : من المفردون؟ قال « المستهترون بذكر الله وضع الذكر أوزارهم فوردوا القيامة خفافاً » فلما أفردهم ممن سواهم له أفردوه عما سواه به تعالى بذكرهم فاستولى عليهم ذكره فاصطلم قلوبهم نوره تعالى ، فاندرج ذكرهم في ذكره ، وكان هو الذاكر بهم وكانوا هم المكان لمجاري قدرته فلا يوزن مقدار هذا الذكر ولا تكتب كيفية هذا البر فلو وضعت السموات والأرض في كفة لرجح ذكره تعالى بهما .

(**ثم قال**) ﷺ (**في وصفهم « أقبل عليهم بوجهي أترى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه؟ ثم قال: أوّل ما أعطيهم أن أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم »**) ولفظ القوت : وهم الذين قال لهم فترى من واجهته بوجهي يعلم أحد أي شيء أريد أن أعطيه لو كانت السموات والأرضون في موازينهم لاستقللتها بهم أول ما أعطيهم أن أقذف من نوري فيخبرون عني كما أخبر عنهم . قال : وهذا هو ظاهر أوصافهم وأوّل عطائهم اهـ .

قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي هريرة مقتصراً على أول الحديث ، وقال فيه : « وما المفردون؟ قال : الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » . ورواه الحاكم قال « الذين يستهترون في ذكر الله » وقال : صحيح على شرط الشيخين وزاد فيه الترمذي « يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة

الأخبار هو الباب الباطن فإذا الفرق بين علوم الأولياء والأنبياء وبين علوم العلماء والحكماء هذا وهو أن علومهم تتأتى من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت، وعلم الحكمة يتأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك، وعجائب عالم القلب

خفافاً. وقال: حديث حسن غريب، ورواه هكذا الطبراني في المعجم الكبير من حديث أبي الدرداء دون الزيادة التي ذكرها المصنف في آخره وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: رواه مسلم عن أمية بن بسطام، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا روح بن القاسم، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يسير في طريق مكة فمرَّ على جبل يقال له جمدان فقال « هذا جمدان سيروا سبق المفردون » قالوا: يا رسول الله وما المفردون؟ قال: « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات ». وأخرجه ابن حبان في مسنده والفريابي في كتاب الذكر والتسبيح كلاهما عن الحسن بن سفيان عن أمية بن بسطام، وأخرجه كذلك أحمد في مسنده، ولفظ حديث أبي الدرداء عند الطبراني « سبق المفردون » قالوا: وما المفردون؟ قال: « هم المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافاً » وسنده ضعيف لضعف شيخه. فيه عبد الله بن سعيد بن أبي مريم قاله الهيتمي.

وقال إسحاق بن راهويه في مسنده، حدثنا إسحاق بن سليمان، سمعت موسى بن عبيدة يحدث عن أبي عبد الله القراظ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنا نسير مع رسول الله ﷺ بالرق من جمدان فقال: « يا معاذ أين السابقون؟ فقلت: مضوا وتخلف أناس. فقال: « إن السابقين الذين يهترون بذكر الله عز وجل من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله ». وموسى ضعيف لكن يقوى بحديث أبي هريرة السابق ذكره.

تنبيه:

قال البيضاوي: وإنما قالوا وما المفردون ولم يقولوا من هم لأنهم أرادوا تفسير اللفظ، وبيان ما هو المراد منه لا تعيين المتصفين به وتعريف أشخاصهم، فسأل في الجواب عن بيان اللفظ إلى حقيقة ما يقتضيه توفيقاً للسائل بالبيان المعنوي على المعنى اللغوي إيجازاً، فاكتفى فيه بالإشارة المعنوية إلى ما استبهم عليه من الكناية اللفظية اهـ.

(ومدخل هذه الأخبار هو الباب الباطن) ونقل صاحب القوت عن سهل التستري قال: للقلب تجويفان. أحدهما: باطن فيه السمع والبصر وكان يسمى هذا قلب القلب، والتجويف الآخر ظاهر القلب وفيه العقل، ومثل العقل في القلب مثل النظر في العين هو صقال لموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذي في سواد العين. **(فإذا الفرق بين علوم الأنبياء والأولياء وبين علوم الحكماء والعلماء هذا وهو أن علومهم تأتي من داخل القلب من الباب المنفتح إلى عالم الملكوت، وعلم الحكماء يأتي من أبواب الحواس المفتوحة إلى عالم الملك)** وشتان بين

وتردده بين عالمي الشهادة والغيب لا يمكن أن يستقصي في علم المعاملة. فهذا مثال يعلّمك الفرق بين مدخل العالمين.

المثال الثاني: يعرفك الفرق بين العملين، أعني عمل العلماء وعمل الأولياء، فإن العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب، وأولياء الصوفية يعملون في جلاء القلوب وتطهيرها وتصفيتها وتصقيلها فقط، فقد حكي أن أهل الصين وأهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صفة لينقش أهل الصين منها جانباً وأهل الروم جانباً ويُرخى بينهما حجاب يمنع إطلاع كل فريق على الآخر، ففعل ذلك فجمع أهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر، ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه، فلما فرغ أهل الروم ادعى أهل الصين أنهم قد فرغوا أيضاً فعجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ، فقيل: وكيف فرغتم من غير صبغ؟ فقالوا: ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا وإذا بجانبهم يتلألأ منه عجائب الصنائع الرومية مع

العلمين، **(وعجائب عالم القلب وتردده بين عالمي الشهادة والغيب)** أي الملك والملكوت **(لا يمكن أن يستقصي في علم المعاملة)** لصعوبتها على أفهام الضعفاء ولكثرتها. **(فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العلمين)** وأيها أعلى درجة.

(المثال الثاني: يعرفك الفرق بين العملين أعني عمل العلماء وعمل الأولياء، فإن العلماء يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها إلى القلب) بمبلغ جهدهم. **(وأما الصوفية فيعلمون في جلاء القلب وتطهيره وتصفيته)** عن الكدورات **(وتصقيله)** بالذكر **(فقط، وقد حكي أن أهل الصين)** إقليم معروف، وقد قيل: الحكمة نزلت على ثلاثة أعضاء: أدمغة اليونان، وأيادي أهل الصين، وألسنة العرب. **(وأهل الروم تباهوا)** أي تفاخروا **(بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور)** فقال كل منهم نحن أحسن في هذه الصناعة، **(فاستقر رأي الملك على أن يسلم إليهم صفة)** وهي بالضم من البيت معروفة والجمع صفف **(لينقش أهل الصين منها جانباً وأهل الروم جانباً ويرخى بينهم حجاب يمنع اطلاع كل فريق على الآخر ففعل ذلك، وجمع أهل الروم من الاصباغ الغريبة ما لا ينحصر)** واعتنوا غاية الاعتناء، **(ودخل أهل الصين من غير صبغ وأقبلوا يجلون جانبهم ويصقلونه)** بالمصاقل، **(فلما فرغ أهل الروم)** من عملهم **(ادعى أهل الصين أنهم أيضاً قد فرغوا)** من العمل، **(فتعجب الملك من قولهم وأنهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل لهم كيف فرغتم من غير صبغ؟ فقالوا: ما عليكم منا ارفعوا الحجاب فرفعوه، فإذا جانبهم وقد تلألأت فيه عجائب الصنائع الرومية مع زيادة إشراق وبريق)** أي لمعان **(إذ كان قد**

زيادة إشراق وبريق، إذ كان قد صار كالمرآة المجلوة لكثرة التصقيل فازداد حسن جانبهم بمزيد التصقيل، فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى يتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الإشراق كفعل أهل الصين، وعناية الحكماء والعلماء والاكتساب ونقش العلوم وتحصيل نقدها في القلب كفعل أهل الروم، فكيفما كان الأمر فقلب المؤمن لا يُموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاؤه لا يتكدر وإليه أشار الحسن رحمه الله عليه بقوله: التراب لا يأكل محل الإيمان بل يكون وسيلة وقربة إلى الله تعالى.

وأما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نفس العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لأحد إلا بالعلم والمعرفة، وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غنى إلا بالمال، فصاحب الدرهم غني وصاحب الخزائن المترعة غني، وتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والايمان كما تتفاوت درجات الاغنياء بحسب قلة المال وكثرته، فالمعارف أنوار لا يسعى المؤمنون إلى لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم. قال الله

صار كالمرآة المجلوّة لكثرة التصقيل) والجلاء، **(فازداد حسن جانبهم بمزيد الصفاء فكذلك عناية الأولياء بتطهير القلب وجلائه وتزكيته وصفائه حتى تتلألأ فيه جلية الحق بنهاية الإشراق)** والإضاءة، **(كفعل أهل الصين)** لما صقلوا الصنعة ظهرت فيها النقوش الظاهرية، وهم لما صقلوا صنعة القلب ظهرت فيها صور المعلومات الباطنية، **(وعناية العلماء والحكماء باكتساب نفس العلوم وتحصيل نقشها في القلب)** وشتان بينهما. **(وكيفما كان الأمر فقلب المؤمن لا يموت)** حين يموت القلوب **(وعلمه عند الموت لا ينمحي)** والمراد بالعلم ما يتعلق بمعرفة الله تعالى **(وصفاؤه لا يتكدر، وإليه أشار الحسن)** البصري رحمه الله تعالى بقوله: **(التراب لا يأكل محل الإيمان)** كما نقله صاحب القوت، ومعلوم أن محل الإيمان والتقوى القلب. كما ورد في الخبر إلا أن التقوى ههنا وأشار إلى القلب، **(ويكون)** العلم **(وسيلة القرب له إلى الله تعالى.**

أما ما حصله من نفس العلم أو ما حصله من الصفاء والاستعداد لقبول نقش العلم فلا غنى به عنه ولا سعادة لأحد إلا بالعلم) بالله، **(والمعرفة الصارفة عنان قلبه إليه)** ولفظ القوت: ولا يصل العبد إلى مشاهدة علم التوحيد إلا بعلم المعرفة وهو نور اليقين. وقال في موضع آخر: فحقيقة العلم إنما هو بين العلم واليقين، وهذا هو علم المعرفة المخصوص به المقربون. **(وبعض السعادات أشرف من بعض كما أنه لا غنى إلا بالمال، فصاحب الدراهم غني وصاحب الخزائن المترعة)** أي الملآنة **(غني، وتتفاوت درجات السعداء بحسب تفاوت المعرفة والإيمان كما تتفاوت درجات الأغنياء بحسب قلة المال وكثرته والمعارف)** الإلهية

تعالى: ﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ [الحديد: ١٢] وقد روي في الخبر: « إن بعضهم يعطي نوراً مثل الجبل وبعضهم أصغر حتى يكون آخرهم رجلاً يعطي نوراً على إبهام قدميه فيضيء مرة وينطفىء أخرى فإذا أضاء قدّم قدمه فمشى، وإذا طفىء قام، ومرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب، ومنهم من يمر كالفرس إذا اشتد في ميدانه، والذي أعطي نوراً على ابهام قدمه يحبو حبواً على وجهه ويديه ورجليه يجرّ يداً ويعلق أخرى ويصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتى يخلص » الحديث. فبهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان، ولو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح، فهذا أيضاً يضاهي قول القائل: لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها

(**أنوار**) لأنها حصلت من أشعة النور الإلهي، (**ولا يسعى المؤمنون**) يوم القيامة (**إلى لقاء الله تعالى إلا بأنوارهم. قال**) الله (**تعالى: ﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ وقد ورد في الخبر « إن بعضهم**) أي المؤمنين (**يعطى نوراً مثل الجبل وبعضهم يعطى أصغر**) منه (**حتى يكون رجل يعطى نوره على إبهام قدمه فيضيء مرة وينطفيء أخرى، فإذا أضاء قدم قدمه فمشى، وإذا طفيء قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم، فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق**) الخاطف، (**ومنهم**) من يمر (**كالسحاب، ومنهم**) من يمر (**كانقضاض الكوكب**) وهو سقوطه يشير إلى السرعة، (**ومنهم من يمر كشد الفرس**) أي عدوه، (**والذي أعطى نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخر منه يد**) أي تسقط (**وتعلق أخرى وتخر رجل وتعلق أخرى وتصيب جوانبه النار، قال: ولا يزال كذلك حتى يخلص » الحديث**) قال العراقي: رواه الطبراني والحاكم من حديث ابن مسعود، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: وكذا أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه بلفظ « يؤتون نورهم على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره على إبهامه ينطفيء مرة ويقيد أخرى ». وأخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود ﴿يسعى نورهم بين أيديهم﴾ قال: على الصراط. ورواه الحسن كذلك وزاد « حتى يدخلوا الجنة » أخرجه ابن أبي شيبة. وعن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: « إن من المؤمنين من لا يضيء له نور إلا موضع قدميه والناس منازل بأعمالهم ».

(**فبهذا يظهر تفاوت الناس في الإيمان ولو وزن إيمان أبي بكر**) رضي الله عنه (**بإيمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح**) وإليه الإشارة بقوله في الخبر: « ما سبقكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ولكن بشيء وقر في صدره » وقد تقدم في كتاب العلم. (**وهذا**

لرجح، فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم نوره كنور الشمع. وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم، وإيمان الأنبياء كالشمس، وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها ولا ينكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين. ولذلك جاء في الخبر: «أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة». كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان، وأن هذه المقادير من الإيمان لا تمنع دخول النار، وفي مفهومه ان من إيمانه يزيد على مثقال فإنه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر باخراجه أوّلاً وأن من

يضاهي قول القائل: لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح، فإيمان آحاد العوام نوره مثل نور السراج، وبعضهم نوره كنور الشمعة، وإيمان الصديقين نوره كنور النجوم والقمر، وإيمان الانبياء) نوره كنور **(الشمس)** على هذا الترتيب، ومنبع النور الأكمل من هؤلاء الأنوار هو الشمس، ومن نورها تفاض على سائر الأنوار، **(وكما ينكشف في نور الشمس صورة الآفاق مع اتساع أقطارها، ولا ينكشف في نور السراج إلا زاوية ضيقة من البيت، فكذلك يتفاوت انشراح الصدر بالمعارف وإنكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين،** فالموقنون من المؤمنين أعلى إيماناً والعالمون من الموقنين أرفع مقاماً، فالمؤمنون في كمال الإيمان وحقائقه لا يستوون وإن استووا بالدخول في الاسم والمعنى وكذلك تفاوتهم في الآخرة. **(ولذلك جاء في الخبر «أنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من قلبه مثقال ذرة من إيمان ونصف مثقال من إيمان وربع مثقال)** من إيمان **(وذرة)** من إيمان». وهكذا هو في القوت. وقال العراقي: متفق عليه من حديث أبي سعيد وليس فيه قوله «ربع مثقال» اهـ.

قلت: وأخرج الطيالسي وأحمد والشيخان. وقال الترمذي: حسن صحيح، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان كلهم من حديث أنس «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة».

وأخرج الترمذي وقال: حسن صحيح من حديث أبي سعيد «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان».

(وكل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وأن هذه المقادير من الإيمان لا تمنع دخول النار) ولفظ القوت: فقد حصلوا متفاوتين في الايمان ما بين الذرة إلى المثقال، وكلهم قد دخل النار إلا أنهم على مقامات فيها. **(وفي مفهومه أن من إيمانه يزيد على مثقال فإنه لا يدخل النار إذ لو دخل لأمر باخراجه أوّلاً وأن من في قلبه مثقال ذرة)** من الإيمان **(لا**

في قلبه مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وإن دخلها . وكذلك قوله ﷺ : « ليس شيء خيراً من ألف مثله إلا الانسان المؤمن » إشارة إلى تفضيل قلب العارف بالله تعالى الموقن ، فإنه خير من ألف قلب من العوام . وقد قال تعالى : ﴿وأنتُم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران : ١٣٩] تفضيلاً للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف

يستحق الخلود في النار وإن دخلها) ولفظ القوت : وفيه دليل على أن من كان في قلبه مثقال من إيمان لم يمنعه ذلك من دخول النار لعظيم ما اقترف من الأوزار ، وإن كان في قلبه وزن ذرة من الإيمان لم يحق عليه الخلود في دار الهوان لتعلقه بيسير الإيقان وإن من زاد إيمانه على وزنة مثقال لم يكن للنار عليه سلطان وكان من الابرار ، وإن من نقص إيمانه عن ذرة لم يخرج من النار وإن كانت سماه وكان اسمه في الظاهر في المؤمنين لأنه من المنافقين في علم الله تعالى الفجار ، وقد قال الله تبارك وتعالى في وصفهم : ﴿وإنَّ الفجّار لفي جحيم﴾ [الإنفطار : ١٤] ثم قال : وما هم عنها بغائبين ثم صار المثقال والذرة في الجنة على تفاوت درجات ، وكان الزائد إيمانه على مثقال في أعلى عليين على هؤلاء ، وارتفع أهل الدرجات العلى على أعلى عليين ارتفاع الكوكب الدري في أفق السماء ، وكلهم قد اجتمع في الجنة على تفاوت مقامات .

(وكذلك قوله ﷺ « ليس شيء خيراً من ألف مثله إلا الإنسان أو المؤمن ») هكذا هو في القوت . وقال العراقي : رواه الطبراني من حديث سلمان بلفظ « الإنسان » ولأحمد من حديث ابن عمر « لا نعلم شيئاً خيراً من مائة مثله إلا الرجل المؤمن » وإسنادهما حسن اهـ .

قلت : حديث سلمان أخرجه أيضاً كذلك الضياء في المختارة بلفظ « ليس شيء خيراً » وهو هكذا أيضاً في بعض نسخ الكتاب ، واختلف قول الهيتمي فيه فقال : مرة مداره على اسامة بن زيد ابن أسلم وهو ضعيف جداً . وقال مرة في موضع آخر رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن يوسف وهو ثقة .

وأما حديث ابن عمر فقد أخرجه أيضاً الطبراني في الأوسط **(أشار إلى تفضيل قلب العارف المؤمن وأنه خير من ألف من عوام الناس)** أي العارف الموقن قد يبلغ بقوّة إيمانه وإيقانه إلى ثبوت في الدين وقيام بمصالح الإسلام والمسلمين بعلم يكسبه أو مال يبذله أو شجاعة يسد بها مسدّ ألف ، ولفظ القوت : فلعمري أن قلب المؤمن خير من ألف قلب مسلم لأن إيمانه فوق إيمان مائة مؤمن وعلمه بالله تعالى أضعاف علم مسلم ، ويقال : إن واحداً من الأبدال الثلاثمائة قيمته قيمة ثلاثمائة من مؤمن ، وقال بعض علمائنا : يعطي الله عز وجل بعض المؤمنين من الايمان بوزن جبل أحد ويعطي بعضهم ذرة .

(وقد قال) الله سبحانه و **(تعالى : ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ تفضيلاً للمؤمن على المسلم)** لأنه وصف المؤمنين بالعلوّ ولا نهاية لعلوّ الايمان فصار علوّ كل مؤمن على قدر إيمانه ، **(والمراد به المؤمن العارف دون المقلد)** الذي لم تتمكن المعرفة في قلبه فهو بعد أسير

دون المقلد . وقال عز وجل : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة : ١١] فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم ، ويدل على ذلك أن اسم المؤمن يقع عن المقلد وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف .

وفسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى : ﴿والذين أوتوا العلم درجات﴾ فقال : يرفع الله العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض . وقال ﷺ : « أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الالباب » ، وقال ﷺ : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » وفي رواية : « كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » . فبهذه الشواهد يتضح لك تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت

ربقة التقليد ، (**وقال تعالى**) في رفع العلماء على المؤمنين (**﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ فاراد هنا بالذين آمنوا الذين صدقوا**) تقليداً (**من غير علم**) صحيح (**وميزهم عن الذين أوتوا العلم**) فانكشفت بصائرهم فصدقوا وتحققوا (**ويدل ذلك على أن اسم المؤمن يقع على المقلد ، وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف**) كما تقدم الكلام عليه قريباً .

(**وفسر ابن عباس**) رضي الله عنه (**قوله تعالى: ﴿والذين أوتوا العلم درجات﴾ فقال: يرفع العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين ما بين السماء والأرض**) ولفظ القوت قال ابن عباس: الذين أوتوا العلم درجات فوق المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض اهـ .

قلت: وقد روي ذلك مرفوعاً إلى النبي ﷺ بلفظ « فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس السريع المضمر مائة عام » . رواه ابن عدي في الكامل ، وابن عبد البر في كتاب العلم وسنده ضعيف . ورواه أبو يعلى من حديث عبد الرحمن بن عوف بسند لا بأس به ، ولفظه « فضل العالم على العابد سبعين درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » .

(**وقال ﷺ « أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب »**) هكذا هو في القوت . وقال العراقي: تقدم دون هذه الزيادة ، ولم أجد لهذه الزيادة أصلاً وهي مدرجة من كلام أحمد بن أبي الحواري .

(**وقال ﷺ « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي »**) رواه الترمذي من حديث أبي أمامة وصححه ، وقد تقدم في كتاب العلم إلا أن لفظه « كفضلي على أدناكم » . (**وفي رواية « كفضل القمر على سائر الكواكب »**) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه ، وأبو نعيم في الحلية من حديث معاذ بزيادة « ليلة البدر بعد القمر » وقد تقدم أيضاً في

قلوبهم ومعارفهم، ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن إذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران، والمحروم يرى فوق درجته درجات عظيمة فيكون نظره إليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم إلى الغني الذي يملك الأرض من المشرق إلى المغرب، وكل واحد منهما غني ولكن ما أعظم الفرق بينهما وما أعظم الغبن على من يخسر حظه من ذلك. ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ [الاسراء : ٢١].

بيان شواهد الشرع على صحة طريق أهل التصوّف في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد :

اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري، فقد صار عارفاً بصحة الطريق، ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فان درجة المعرفة فيه عزيزة جداً، ويشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات.

كتاب العلم. (**فبهذه الشواهد يتضح تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم**) فالموقنون من المؤمنين أعلى إيماناً والعالمون من الموقنين أرفع مقاماً (**ولهذا كان يوم القيامة يوم التغابن**) أي يسمى بذلك قال الله تعالى ﴿ذلك يوم التغابن﴾ [التغابن : ٩] (**إذ المحروم من رحمة الله عظيم الغبن والخسران**) والتغابن تفاعل من الغبن وهو الخسارة في أصل المال، (**والمرحوم**) برحمته (**يرى فوق درجته درجات عظيمة**) يتأسف لفواتها، (**فيكون نظره إليها كنظر الغني الذي يملك عشرة دراهم إلى الغني الذي يملك الأرض من المشرق إلى المغرب وكل واحد منهما غني**) في حد ذاته، (**ولكن ما أعظم الفرق بينهما، وما أعظم الغبن على من يخسر حظه ذلك**) قال الله تعالى: (**﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾**).

بيان شواهد الشرع من الكتاب والسنّة:

(**على صحة طريق التصوّف في اكتساب المعرفة**) بالله (**لا من**) طريق (**التعليم ولا من الطريق المعتاد**) المألوف عند الناس.

(**اعلم أنه من انكشف له ولو الشيء اليسير**) أي القليل (**بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري**) كيف وقع وما سببه، (**فقد صار عارفاً بصحة الطريق، ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي أن يؤمن به**) أي يصدقه بقلبه وهذا أقل الدرجات، (**فإن درجة المعرفة فيه عزيزة جداً وتشهد لذلك شواهد الشرع والتجارب والحكايات**).

أما الشواهد : فقوله تعالى : ﴿والذين جاهَدوا فينا لنهدينّهم سبلنا﴾ [العنكبوت : ٦٩] فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام . وقال ﷺ : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار » . وقال الله تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ [الطلاق : ٢] من الإشكالات والشبه ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق : ٣] يعلمه علماً من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة . وقال

(وأما الشواهد : فقوله تعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾) أي جاهدوا نفوسهم وبأموالهم وجاهدواعدوهم إذ يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فصابروه وغلبوه ، فباعوا النفوس والأموال فاعتقوا من رق الهوى ونجوا من الحساب والأهوال ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ أي لنصرفهم إلى مكاشفات العلوم ، ولنسمعنهم غرائـب الفهوم ، ولنوصلهم إلى أقرب الطريق إلينا بحسن مجاهدتهم فينا ، ثم ختم الأمر بقوله تعالى : ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ هذا مقام مشاهدة الصفات ، فكان المجاهد فيه معهم أولاً بالتوفيق فيه صبروا له بالتأييد ، وكان المحسن منهم آخر اليوم فيه أحسنوا إلى نفوسهم غداً . وقال بعض العلماء في تفسير هذه الآية : الذين يعملون بما يعلمون يوفقهم ويهديهم إلى ما لا يعلمون ، وقال بعض السلف : نزلت هذه الآية في المتعبدين المنقطعين إلى الله عز وجل المستوحشين من الناس فيسوق الله إليهم من يعلمهم أو يلهمهم التوفيق والعصمة ، **(فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام . قال ﷺ « من عمل بما علم ورثه الله ما لم يعلم »)** تقدم في كتاب العلم . قال صاحب القوت : الحياء من الاختيار والاختبار والابتلاء والاجتباء والتعريف والتأييد والمثوبة والعقوبة والقبض والبسط والحل والعقد والجمع والتفرقة إلى غير ذلك من علوم المعارف بعد حسن التفقه عن معرفة النقص والمزيد بصفاء القلب وصحة المواجيد . وقال بعض التابعين : من عمل بعشر ما يعلم علمه الله تعالى ما يجهل ، **(ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار)** هذا نص القوت فهو من قول بعض التابعين ، وسياق المصنف يقتضي انه بقية الحديث السابق ، ولذا قال العراقي : صدر الحديث تقدم في العلم وهذه الزيادة لم أرها اهـ .

والذي يظهر لي أنه سقط كلام من النساخ . ثم قال صاحب القوت ، نقلاً عن بعضهم : كلما ازداد العبد عبادة واجتهاداً ازداد القلب قوّة ونشاطاً وكلما ملَّ العبد وفتر ازداد القلب ضعفاً ووهناً .

(وقال الله تعالى ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ قيل) في تأويله : **(يجعل له مخرجاً من الإشكالات)** الخيالية **(والشبه)** الوهمية **(و)** يرزقه من حيث لا يحتسب أي **(يعلمه علما من غير تعلم)** أي بالشاهد الصحيح والعلم الصريح ، وقيل : معناه يجعل

تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ [الأنفال: ٢٩] قيل: نوراً يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات، ولذلك كان ﷺ يكثر في دعائه من سؤال النور فقال عليه الصلاة والسلام: «اللهم اعطني نوراً وزدني نوراً واجعل لي في قلبي نوراً وفي قبري نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً حتى قال في شعري وفي بشري وفي لحمي ودمي وعظامي». وسئل ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ [الزمر: ٢٢] ما هذا الشرح؟ فقال: «هو التوسعة ان النور إذا

له مخرجاً من كل أمر ضاق على الناس ويرزقه من حيث لا يحتسب أي يعلمه من غير تعليم بشر ويعطفه من غير تجربة. (**وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ قيل: نوراً يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات**) هكذا نقله صاحب القوت إلا أنه قال: تفرقون به بين الحق وتعرفون به المشكلات، (**ولذلك كان ﷺ يكثر في دعائه من سؤال النور**) لأنه كما قال صاحب القوت هو جند القلب كما أن الظلمة جند النفس، فإذا أراد الله أن ينصر عبداً أمدّه بجنود الأنوار وقطع عنه مدد الظلم والأغيار (**فقال «اللهم اعطني نوراً**) من أنوارك استضيء به (**وزدني نوراً واجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً» حتى قال «وفي شعري وبشري ولحمي ودمي وعظامي»**) قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن عباس اهـ.

قلت: ورواه الترمذي في السنن، ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة، والطبراني في الكبير، والبيهقي في الدعوات من طريق داود بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده. قال: بعثني العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته ممسياً وهو في بيت خالتي ميمونة فقام فصلى من الليل، فلما صلّى الركعتين قبل الفجر قال: «اللهم إني أسألك» الخ وساق الحديث الطويل، وفيه «اللهم اجعل لي نوراً في قلبي، ونوراً في قبري، ونوراً في يدي، ونوراً من تحتي، ونوراً في سمعي، ونوراً في بصري، ونوراً في شعري، ونوراً في بشري، ونوراً في لحمي، ونوراً في دمي، ونوراً في عظامي. اللهم أعظم لي نوراً واعطني نوراً واجعل لي نوراً» الحديث وقد تقدم بتمامه مع الكلام عليه في كتاب ترتيب الأوراد.

(**وسئل ﷺ عن قوله تعالى ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾**) هكذا في سائر النسخ، والذي في القوت. وسئل عن معنى قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ [الانعام: ١٢٥] (**ما هذا الشرح؟ قال: هو التوسعة إن النور إذا قذف في القلب اتسع له الصدر وانشرح**) ولفظ القوت: فقال: هو النور يقذف به في القلب فينشرح له الصدر وينفسح، وقال العراقي: رواه الحاكم في المستدرك من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ، وأبن مردويه، والبيهقي في

قذف به في القلب اتسع له الصدر وانشرح » . وقال ﷺ لابن عباس : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » وقال عليّ رضي الله عنه : ما عندنا شيء أسره النبي ﷺ إلينا إلا أن يؤتي الله تعالى عبداً فهماً في كتابه وليس هذا بالتعلم ، وقيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ﴾ [البقرة : ٢٦٩] انه الفهم في كتاب الله تعالى . وقال تعالى : ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ [الأنبياء : ٧٩] خص ما انكشف باسم الفهم . وكان أبو الدرداء يقول : المؤمن من ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم . وقال بعض السلف : ظن المؤمن كهانة .

الشعب من طرق ، وأخرجه ابن مردويه عن محمد بن كعب القرظي قال : نزلت هذه الآية ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ فقلنا يا رسول الله : كيف انشراح صدره ؟ قال : « إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح » قلنا : فما علامة ذلك يا رسول الله ؟ قال : « الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت » وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديث ابن عمر نحوه ، ثم أخرجه عن أبي جعفر المدايني رفعه نحوه .

(**وقال ﷺ لابن عباس**) رضي الله عنه (**« اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل »**) قال العراقي : أخرجه بهذه الزيادة أحمد وابن حبان والحاكم وصححه وقد تقدم في العلم اهـ .

قلت : وقال صاحب القوت : ومن خواطر النفس ما يرد بشيء لا تظهر دلائله في الظاهر لخفائه وغموض شواهده فليس يعلم إلا بباطن العلم وغامض الفهم والغوص على لطائف معاني التبيين وباطن الاستنباط من فهم التنزيل وتعليم التأويل كما قال ﷺ لابن عباس الخ .

(**وقال علي رضي الله عنه ما عندنا شيء أسره النبي ﷺ إلينا إلا أن يؤتي الله تعالى عبداً فهما في كتابه**) كذا في القوت ، وقد تقدم في آداب تلاوة القرآن ، وفيه رد على الشيعة حيث أنهم يدعون أن النبي ﷺ أسر إليه بالخلافة وبأسرار غيرها كما هو شأن الأوصياء ، (**وليس هذا بالتعليم**) والدراسة بل هو كشف رباني : (**و**) كما (**قيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء**) ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ [البقرة : ٢٦٩] (**أنه الفهم في كتاب الله تعالى**) كذا في القوت (**وقال تعالى : ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ خص ما انكشف له باسم الفهم**) ولفظ القوت : فخصه بفهم منه فقه قلبه به زاده فوق الحكم والعلم الذي شركه أبوه فزاد على فتياه .

(**وكان أبو الدرداء**) رضي الله عنه (**يقول : المؤمن ينظر بنور الله من وراء ستر رقيق والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم**) كذا في القوت إلا أنه قال : المؤمن ينظر إلى الغيب والباقي سواء ، (**وقال بعض السلف : ظن المؤمن كهانة**) أي كأنه سحر في نفاذه وصحة وقوعه كذا في القوت .

وقال ﷺ : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله تعالى ». وإليه يشير قوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ [الحجر : ٧٥] . وقوله تعالى : ﴿ قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾ [البقرة : ١١٨] وروى الحسن عن رسول الله ﷺ انه قال : « العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع » . وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو ؟ فقال : هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكاً ولا بشراً ، وقد قال ﷺ : « إن من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم » وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث ﴾ [الحج : ٥٢] يعني الصديقين والمحدث : هو الملهم ، والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة .

(**وقال ﷺ : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**) عز وجل » رواه الترمذي من حديث أبي سعيد ، وقد تقدم . والمعنى بنور الله أي باليقين ، وفي لفظ آخر : « اتقوا فراسة العلماء » فكأنه مفسر له (**وإليه يشير قوله تعالى : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾**) أي للمتفرسين ، كما ورد . وهذا كان من طريق السلف من الصحابة والتابعين إذا سئلوا وفقوا وألهموا الصواب لقربهم من حسن التوفيق وسلوكهم حقيقة محجة الطريق فخاطر اليقين إذا ورد على قلب موقن اضطرته مشاهدته إلى القيام به وإن خفي على غيره وحكم عليه بيانه وبرهانه بصحة دليله وإن التبس على ما سواه ، (**و**) من ذلك (**قوله تعالى**) في تخصيص الموقنين : (**قد بينا الآيات لقوم يوقنون**) ﴿ هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ﴾ [الجاثية : ٢٠] .

(**وروى الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال : « العلم علمان فعلم باطن في القلب وذلك هو النافع »**) تقدم في كتاب العلم ، والمراد بالحسن البصري كما صرح به صاحب القوت فالحديث مرسل . (**وسئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو ؟ فقال : هو سر من أسرار الله يقذفه الله في قلوب أحبائه لم يطلع عليه ملكاً ولا بشراً**) نقله صاحب القوت إلا أنه قال : سئل بعض أهل المعرفة ، (**وقد قال ﷺ : « إن من أمتي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم »**) قال العراقي رواه البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر » ورواه مسلم من حديث عائشة .

(**وقرأ ابن عباس ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث ﴾ يعني الصديقين**) نقله صاحب القوت ، (**والمحدث**) كمعظم (**هو الملهم والملهم**) هو (**الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل**) الذي هو قلب القلب ، وفيه باب إلى الملكوت الأعلى (**لا من جهة المحسوسات الخارجة**) وهو باب القلب .

والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف، وذلك علم من غير تعلم. وقال الله تعالى: ﴿وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون﴾ [يونس: ٦٠] خصصها بهم. وقال تعالى: ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾[آل عمران: ١٣٨]وكان أبو يزيد وغيره يقول: ليس العالم الذي يحفظ من كتاب، فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس. وهذا هو العلم الرباني، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ [الكهف: ٦٥] مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علماً لدنيا بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج، فهذه شواهد النقل ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن الحصر.

وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضاً خارج عن الحصر وظهر ذلك على

(والقرآن مصرح بأن التقوى مصباح الهداية والكشف وذلك بغير تعلم، قال الله تعالى) في نعت المتقين: **(وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون﴾ خصصها بهم، وقال)** تعالى: **(هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)** وقال تعالى في فضل العلماء ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتو العلم﴾ [العنكبوت: ٤٩] وقال تعالى: ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ [الأنعام: ٩٧] وقال تعالى: ﴿ولنبينه لقوم يعلمون﴾ [الأنعام: ١٠٥] فحقيقة العلم إنما هي بين التقوى واليقين، وهذا عن علم المعرفة المخصوص به المقربون وهب لهم الآيات وخصهم بالبيان والدلالات بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء، **(و)** قد **(كان أبو يزيد)** البسطامي قدس سره **(وغيره)** من العارفين **(يقول)** ولفظ القوت يقولون: **(ليس العالم الذي يحفظ من كتاب الله)** تبارك وتعالى **(فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً إنما العالم الذي يأخذ علمه عن ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس، وهذا)** لعمري لا ينسى علمه وهو ذاكر أبداً لا يحتاج إلى كتاب، و**(هو العالم الرباني)** علمه منسوب إلى الرب قد أفيض عليه بلا اكتساب، وهذا هو وصف الأبدال من المؤمنين ليسوا واقفين مع حفظ إنما هم قائمون بحافظ، **(وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾)** أي من عندنا. «ولدن» ظرف مكان بمعنى عند إلا أنه لا يستعمل إلآ في الحاضر، **(مع أن كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسائط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علماً لدنيا)** بل علماً انفعالياً لكونه أخذ من الغير، **(بل اللدني الذي ينفتح في سر القلب)** أي باطنه المسمى بقلب القلب **(من غير سبب مألوف من خارج)** كتعلم ودراسة، **(فهذه شواهد النقل)** من الكتاب والسنة، **(ولو جمع كل ما ورد فيه من الآيات والأخبار والآثار لخرج عن)** حد **(الحصر)** والاستقصاء.

(وأما مشاهدة ذلك بالتجارب فذلك أيضاً خارج عن الحصر وظهر ذلك عن الصحابة)

الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وقال أبو بكر الصـديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها عند موته: إنما هما أخواك وأختاك وكانت زوجته حاملاً فولدت بنتاً فكان قد عرف قبل الولادة انها بنت، وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته، يا سارية الجبل إذ انكشف له أن العدوّ قد أشرف عليـه فحـذره لمعـرفتـه ذلـك ثم بلـوغ صـوتـه إليـه من جملة الكرامات العظيمة، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلت على عثمان

رضوان الله عليهم (و) عن التابعين (ومن بعدهم) من أتباعهم وغيرهم. **(قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها عند موته: إنما هما اختاك وكانت زوجته حاملاً)** لم تلد بعد **(فولدت بنتاً وكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت)** فهذه كرامة له أكرمه الله بها. قال الحافظ فتح الدين اليعمري المعروف بابن سيد الناس في كتابه المقامات العلية في الكرامات الجلية بسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: لما حضر أبي أبا بكر الوفاة جلس ثم تشهد، ثم قال: أما بعد فإن أحب الناس غنى إليَّ بعدي أنت، وإن أعز الناس فقراً إلي بعدي أنت، وإني كنت نحلتك جداد عشرين وسقاً من مالي فوددت والله إنك كنت حزتيه وأخذتيه، فإنما هو أخواك وأختاك. قال: قلت هذا أخواي فمن اختاي؟ فقال: ذو بطن ابنة خارجة فإني أظنها جارية فكان كذلك. **(وقال عمر رضي الله عنه في أثناء خطبته في يوم جمعة يا سارية الجبل)** الجبل **(إذ انكشف له)** أي وقع في روعه **(العدوّ قد أشرف إليهم)** وذلك في الجيش الذي أرسله مع أسامة إلى فارس فلاقى العدو وهم في بطن واد وقد هموا بالهزيمة وبالقرب منهم جبل، **(فحذره لمعرفته)** ذلك ورفع به صوته فألقاه الله في سمع سارية، فانحاز الناس إلى الجبل وقاتلوا العدو من جانب واحد ففتح الله عليهم، **(ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة)**، وقد أخرج هذه القصة الواقدي عن أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر، وأخرجها سيف في الفتوح مطولة عن أبي عثمان، وأبي عمرو بن العلاء، عن رجل من بني مازن فذكرها، وهي عند البيهقي في الدلائل، واللالكائي في شرح السنة،والـديـرعاقـولي في فوائده، وابن الأعرابي في كرامات الأولياء من طريق ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن أبي عجلان عن نافع عن ابن عمر قال: وجه عمر جيشاً وولى عليهم رجلاً يدعى «سارية» فبينا عمر يخطب جعل ينادي: يا سارية الجبل ثلاثاً، ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال: يا أمير المؤمنين هزمنا فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتاً ينادي يا سارية الجبل ثلاثاً فاسندنا ظهرنا إلى الجبل فهزمهم الله. قال: فقيل لعمرانك كنت تصيح هكذا. وكذا ذكره حرملة في جمعه بحديث ابن وهب بإسناد حسن.

ولابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر عن أبيه أنه كان يخطب يوم الجمعة فعرض في خطبته أن قال: يا سارية الجبل من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم إلى بعض، فقال لهم علي: ليخرجن مما قال. فلما فرغ سألوه فقال: وقع في ظني أن المشركين هزموا إخواننا وأنهم يمرون بجبل وإن عدلو إليه قاتلوا من وجه واحد، وإن جاوزوه هلكوا فخرج مني ما

رضي الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريقي فنظرت إليها شزراً وتأملت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت: يدخل عليّ أحدكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه. أما علمت ان زنا العينين النظر؟ لتتوبنّ أو لأعزرنك، فقلت أوحي بعد النبي؟ فقال لا، ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة. وعن أبي سعيد الخراز قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان فقلت في نفسي: هذا وأشباهه كل على الناس فناداني وقال: ﴿والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ [البقرة: ٢٣٥] فاستغفرت الله في سري فناداني وقال: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ [الشورى: ٢٥] ثم غاب عني ولم أره.

وقال زكريا بن داود: دخل أبو العباس بن مسروق على أبي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال لم يعرف له سبب يعيش به، قال: فلما قمت قلت في نفسي: من أين يأكل هذا الرجل؟ قال: فصاح بي يا أبا العباس ردّ هذه الهمة الدنية فإن لله تعالى ألطافاً

تزعمون أنكم سمعتموه، وقال: فجاء البشير بعد شهر وذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم. قال: فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا. وقد أفرد لطرقه القطب الحلبي الحافظ جزءاً.

(وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلت على عثمان رضي الله عنه وكنت قد لقيت امرأة في طريقي فنظرت إليها شزراً) أي من مؤخر العين **(فتأملت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه لما دخلت: يدخل علي أحدكم وآثار الزنا ظاهرة على عينيه. أما علمت ان زنا العينين النظر لتتوبن)** إلى الله تعالى **(أو لأعزرنك. فقلت: أوحي بعد النبي؟ فقال: لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة)** وأما قوله: زنا العينين النظر فهو حديث مرفوع أخرجه ابن سعد في الطبقات والطبراني في الكبير عن علقمة بن الحويرث وروى الحافظ أبو الفتح اليعمري بسنده إلى زيد بن وهب قال: جاء وفد من البصرة فيهم رأس من الخوارج يقال له: جعدة ابن بعجة فخطب وحمد الله، ثم قال: يا علي اتق الله فإنك ميت، فقال علي: بل مقتول قتلاً تصاب هذه فخطب هذه عهد معهود وقضاء مقضي وقد خاب من افترى وكان كما ذكر.

(وعن أبي سعيد) أحمد بن محمد **(الخراز)** البغدادي صحب ذا النون المصري والبناجي والبسري وبشراً والسري توفي سنة ٢٧٧ **(قال: دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان فقلت في نفسي هذا وأشباهه كل على الناس)** أي عولة عليهم **(فناداني)** إذ أشرف على خاطري **(وقال ﴿والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ فاستغفرت الله في سري)** أي في باطني، **(فناداني)** إذ أشرف على خاطري ثانيا **(وقال: وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ثم غاب عني ولم أره)** فهذا الإشراف على الخاطر إنما هو مشاهدة اليقين. **(وقال زكريا بن داود: دخل أبو العباس)** أحمد **(بن مسروق)** الطوسي توفي ببغداد سنة ٢٩٥ صحب الحرث المحاسبي والسري **(على أبي الفضل الهاشمي وهو عليل)** أي مريض يعوده، **(وكان ذا عيال ولم نعرف له سبباً)** أي ظاهراً لرزقه **(قال: فلما قمت قلت في نفسي من أين يأكل هذا الرجل؟**

خفية. وقال أحمد النقيب: دخلت على الشبلي فقال مفتوناً: يا أحمد! فقلت: ما الخبر؟ قال: كنت جالساً فجرى بخاطري أنك بخيل، فقلت: ما أنا بخيل فعاد مني خاطري وقال: بل أنت بخيل، فقلت: ما فتح اليوم عليّ بشيء إلا دفعته إلى أوّل فقير يلقاني. قال: فما استتم الخاطر حتى دخل عليّ صاحب لمؤنس الخادم ومعه خمسون ديناراً فقال: اجعلها في مصالحك. قال: وقمت فاخذتها وخرجت وإذا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق رأسه فتقدمت إليه وناولته الدنانير، وقال اعطها المزين. فقلت: إن جملتها كذا وكذا قال: أوليس قد قلنا لك إنك بخيل؟ قال: فناولتها المزين. فقال المزين: قد عقدنا لما جلس هذا الفقير بين أيدينا أن لا نأخذ عليه أجراً. قال: فرميت بها في دجلة وقلت: ما أعزك أحد إلا أذله الله عز وجل. وقال حمزة بن عبد الله العلوي: دخلت على أبي الخير

قال) فاشرفه الله على خاطري **(فصاح بي: يا أبا العباس رد هذه الهمة الدنية)** أي الخسيسة، **(فإن لله تعالى ألطافاً خفية، وقال أحمد النقيب: دخلت على)** أبي بكر **(الشبلي يوماً فقال مفتوناً: يا أحمد فقلت: ما الخبر؟ قال: كنت جالساً فجرى بخاطري أنك بخيل، فقلت: ما أنا ببخيل فقاومني خاطري)** أي عاودني ثانياً **(فقال: بل أنت بخيل، فقلت: ما فتح اليوم عليّ بشيء)** أي من الفتوح **(إلا دفعته إلى أول فقير يلقاني. قال: فما استتم الخاطر حتى دخل علي صاحب لمؤنس الخادم)** أحد خدام الخليفة **(ومعه خمسون ديناراً فقال: اجعلها في مصالحك)** أي اصرفها في نفقتك **(قال: فأخذتها وخرجت فإذا بفقير مكفوف)** البصر **(بين يدي مزين)** أي حلاق **(يحلق رأسه فتقدمت إليه وناولته الدنانير فقال اعطها المزين، فقلت: إن جملتها كذا وكذا)** ديناراً. **(قال: أو ليس قلنا لك بخيل؟ قال: فناولتها المزين)** كما أمر **(فقال)** المزين بعد أن أبي من أخذها: **(قد عقدنا لما جلس الفقير بين أيدينا أن لا نأخذ عليه أجراً قال: فرميت بها في دجلة.)** أي النهر المعروف،**(وقلت: ما أعزك أحد إلا أذله الله عز وجل)** ففيها أن إشراف الشبلي صحيح، وقد أيده إشراف الولي المكفوف.

وفي الرسالة القشيرية سياق حكاية تشبه هذه. قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد القواس ببغداد قال: حدثنا محمد بن عطية قال: حدثنا عبد الكبير بن أحمد قال: سمعت أبا بكر الصائغ قال: سمعت أبا جعفر الحداد أستاذ الجنيد قال كنت بمكة فطال شعري ولم يكن معي قطعة آخذ بها شعري، فتقدمت إلى مزين توسمت فيه الخير وقلت: تأخذ شعري لله تعالى؟ فقال: نعم وكرامة، وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا فصرفه وأجلسني وحلق شعري ثم دفع إليّ قرطاساً فيه دراهم وقال: استعن بها على بعض حوائجك، فأخذتها واعقدت أن أدفع إليه أول شيء يفتح عليّ. قال: فدخلت المسجد فاستقبلني بعض إخواني وقال: جاء بعض إخوانك بصرة من البصرة من بعض إخوانك فيها ثلاثمائة دينار. قال: فأخذت

التيناني واعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا آكل في داره طعاماً، فلما خرجت من عنده إذا به قد لحقني وقد حمل طبقاً فيه طعام وقال: يا فتى كُلْ فقد خرجت الساعة من اعتقادك، وكان أبو الخير التيناني هذا مشهوراً بالكرامات وقال ابراهيم الرقي: قصدته مسلماً عليه فحضرت صلاة المغرب فلم يكد يقرأ الفاتحة مستوياً فقلت في نفسي ضاعت سفرتي، فلما سلم خرجت إلى الطهارة فقصدني سبع فعدت إلى أبي الخير وقلت: قصدني سبع فخرج وصاح به، وقال: ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى الأسد فتطهرت فلما رجعت قال لي: اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد واشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الأسد.

الصرة وجئت بها إلى المزين وقلت: هذه ثلاثمائة دينار تصرفه في بعض أمورك. فقال لي: يا شيخ ألا تستحي تقول أحلق شعري لله تعالى ثم آخذ عليه شيئاً انصرف عافاك الله تعالى.

(**وقال**) القشيري في الرسالة أيضاً سمعت محمد بن أحمد التميمي يقول: سمعت عبد الله بن علي الصوفي يقول: سمعت (**حمزة بن عبد الله العلوي**) يقول: (**دخلت على أبي الخير التيناني**) يعرف بالأقطع مغربي الأصل سكن تينان بكسر المثناة الفوقية وسكون الياء التحتية كأنه جمع تين قرية من قرى الموصل، (**و**) كنت (**اعتقدت في نفسي أن أسلم عليه ولا آكل**) عنده (**في داره طعاماً فلما خرجت من عنده**) ومشيت قدراً يسيراً (**إذا به**) خلفي (**قد لحقني وقد حمل طبقاً فيه طعام وقال: يا فتى كل**) هذا (**فقد خرجت الساعة من اعتقادك**) فاشرفه الله على خاطره أولاً وعند خروجه عنه ثانياً. قال القشيري: (**وكان أبو الخير التيناني هذا مشهوراً بالكرامات**) والفراسة الحادة، وكان كبير الشأن مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة. (**قال إبراهيم**) بن داود (**الرقي**) من كبار مشايخ الشام من أقران الجنيد، وقد عمَّر إلى سنة ست وعشرين وثلاثمائة (**قصدته**) يعني أبا الخير التيناني (**مسلماً عليه، فحضرت صلاة المغرب**) فصلّى إماماً (**فلم يكن يقرأ سورة الفاتحة مستوياً**) أي مستقيماً (**فقلت في نفسي ضاعت سفرتي، فلما سلم**) وسلمت (**خرجت إلى الطهارة**) أي إلى موضعها كنى به عن إراقة الماء، (**فقصدني سبع**) أراد أن يبطش بي (**فعدت إلى أبي الخير وقلت: قصدني الأسد، فخرج**) أبو الخير (**وصاح به**) أي عليه (**وقال: ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني فتنحى الأسد فتطهرت، فلما**) فرغت (**ورجعت قال لي: اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الأسد واشتغلنا بتقويم الباطن**) أي القلب (**فخافنا الأسد**) نقله القشيري في الرسالة.

ونقل أيضاً أنه حج سفيان الثوري مع شيبان الراعي فعرض لهما سبع فقال سفيان لشيبان: أما ترى هذا السبع؟ فقال: لا تخف. وأخذ شيبان أذنيه فعركهما فبصبص وحرك أذنيه فقال سفيان: ما هذه الشهرة؟ فقال: لولا مخافة الشهرة لما وضعت زادي إلا على ظهره حتى آتي مكة، ونقل هو وصاحب الحلية أنه كان إبراهيم بن أدهم في رفقة فعرض لهم السبع فقالوا: يا أبا إسحاق قد

وما حكي من تفرس المشايخ وأخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه. ومن أنكر الأصل أنكر التفصيل، والدليل القاطع الذي لا يقدر أحد على حجده أمران:

أحدهما: عجائب الرؤيا الصادقة فإنه ينكشف بها الغيب، وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضاً في اليقظة، فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس وعدم اشتغالها بالمحسوسات، فكم من مستيقظ غائص لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه.

الثاني: اخبار رسول الله ﷺ عن الغيب وأمور في المستقبل كما اشتمل عليه القرآن؛ وإذا جاز ذلك للنبي ﷺ جاز لغيره إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور

عرض لنا السبع، فجاء إبراهيم وقال: يا أسد إن كنت أمرت فينا فامض وإلا فارجع، فرجع الأسد ومضوا. ونقلاً عن حامد الأسود قال: كنت مع إبراهيم الخواص في البرية فبينما نحن عند شجرة وجاء السبع فصعدت الشجرة إلى الصباح لا يأخذني النوم، ونام الخواص والسبع يشم من رأسه إلى قدمه ثم مضى، فلما كان الليلة الثانية بتنا في مسجد في قرية فوقعت بقة على وجهه فضربته فأنَّ أنة، فصاح فقلت هذا عجب البارحة لم تجزع من الأسد والليلة تصيح من البقة. فقال: أما البارحة فتلك حالة كنت فيها مع الله تعالى، وأما الليلة فهذه حالة أنا فيها مع نفسي.

(**وما حكي من تفرس المشايخ وأخبارهم عن اعتقادات الناس و**) عن (**ضمائرهم يخرج عن الحصر**) لكثرته (**بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر عليه السلام**) عياناً (**والسؤال له، ومن سماع صوت الهاتف**) من الغيب، (**ومن فنون الكرامات**) التي أكرم الله تعالى أصفياءه بها (**خارج عن الحصر**) أيضاً لكثرته، (**والحكاية لا تنفع الجاحد**) أي المنكر (**ما لم يشاهد ذلك من نفسه**) فيكون ذلك برهاناً له، (**ومن أنكر الأصل أنكر التفصيل**) في فروعه (**والدليل القاطع الذي لا يقدر أحد على جحده**) أي إنكاره (**أمران**):

(**أحدهما: عجائب الرؤيا الصادقة**) في المنام (**فإنه ينكشف بها الغيب**) أي ما غاب عن الحس، (**وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أيضاً في اليقظة فلم يفارق النوم اليقظة إلا في ركود الحواس**) وخمودها (**وعدم اشتغالها بالمحسوسات، فكم من مستيقظ غائص**) في بحر خيال (**لا يسمع ولا يبصر لاشتغاله بنفسه**) حتى أنه يمر عليه الإنسان فيسلم عليه فلا يحس به.

(**والثاني: إخبار رسول الله ﷺ عن الغيب**) من أحوال الأنبياء وأخبارهم الجنة والنار (**و**) عن (**أمور**) تقع (**في المستقبل**) كأحوال البرزخ والحشر والنشر وأحوال أمته وما يؤول إليه أمرها (**كما اشتمل عليه القرآن**) والسنة، (**وإذا جاز ذلك للنبي جاز لغيره إذ النبي**

وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل باصلاح الخلق، وهذا لا يسمى نبياً بل يسمى ولياً، فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة أن يقر بأن القلب له بابان: باب إلى خارج وهو الحواس، وباب إلى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام، والنفث في الروع والوحي، فإذا أقرّبهما جميعاً لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الأسباب المألوفة، بل يجوز أن تكون المجاهدة سبيلاً إليه فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت وأما السبب في انكشاف الأمر في المنام بالمثال المحوج إلى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للانبياء والاولياء بصور مختلفة وذلك أيضاً من

عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق) بهدايتهم وإرشادهم، لما فيه مصلحتهم، (**فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق)** بل بإصلاح نفسه، (**وهذا لا يسمى نبياً بل يسمى ولياً »)** .

قال القشيري في الرسالة: ظهور الكرامات على الأولياء جائز، والدليل على جوازه أنه أمر موهوم حدوثه في العقل لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول، فوجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده فإذا وجب كونه مقدورالله سبحانه فلا شيء يمنع جواز حصوله وظهور الكرامات على من صدق بمن ظهرت عليه في أحواله فلم يكن صادقاً فظهور مثله عليه لا يجوز، والذي يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إيانا حتى نفرق بين من كان صادقاً في أحواله، وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم ولا يكون ذلك إلا باختصاص الولي بما لا يوجد مع المفتري في دعواه، وذلك الأمر هي الكرامة، ولا بد من أن تكون الكرامة فعلاً ناقضاً للعادة في أيام التكليف ظاهراً على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله اهـ.

(**فمن آمن بالأنبياء وصدق بالرؤيا الصحيحة لزمه لا محالة بأن يقرّ بأن القلب له بابان: باب إلى خارج وهو الحواس، وباب إلى الملكوت من داخل القلب وهو باب الإلهام والنفث في الروع والوحي)** فالأخير خاص بالأنبياء والإلهام والنفث عام فيهم، وفي الأولياء، ومنه من جعلها من أقسام الوحي، وقد تقدم الكلام عليه قريباً. (**فإذا أقر بها)** أي بالأمرين المذكورين (**جميعاً)** من غير إنكار ولا نقص (**لم يمكنه أن يحصر العلوم في التعليم ومباشرة الأسباب المألوفة)** في الدارسة، (**بل يجوز أن تكون المجاهدة)** في نفسه التي هي أعدى عدوه (**سبيلاً إليه)** كما يرشد إليه قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] (**فهذا ما ينبه على حقيقة ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم الشهادة وعالم الملكوت، وأما السبب في انكشاف الأمر في المنام بالمثال المحوج إلى التعبير وكذلك تمثل الملائكة للأنبياء والأولياء بصور مختلفة، فذلك أيضاً من أسرار عجائب القلب ولا يليق**

أسرار عجائب القلب ولا يليق ذلك إلا بعلم المكاشفة، فلنقتصر على ما ذكرناه فإنه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف منها فقد قال بعض المكاشفين: ظهر لي الملك فسألني أن أملي عليه شيئاً من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد وقال: ما نكتب لك عملاً ونحن نحب أن نصعد لك بعمل نتقرب به إلى الله عز وجل فقلت: ألستما تكتبان الفرائض؟ قالا: بلى. قلت: فيكفيكما ذلك. وهذه إشارة إلى أن الكرام الكاتبين لا يطلّعون على أسرار القلب، وإنما يطلعون على الأعمال الظاهرة. وقال بعض العارفين: سألت بعض الأبدال عن مسألة من مشاهدة اليقين فالتفت إلى شماله فقال: ما تقول رحمك الله؟ ثم التفت إلى يمينه فقال ما تقول رحمك الله، ثم أطرق إلى صدره وقال

ذلك إلا بعلم المكاشفة فلنقتصر على ما ذكرناه فإنه كاف للاستحثاث على المجاهدة وطلب الكشف فيها).

قال القشيري في الرسالة: الرؤيا نوع من الكرامات وتحقيق الرؤيا خواطر ترد على القلب، وأحوال تتصور في الوهم إذا لم يستغرق النوم جميع الاستشعار فيتوهم الإنسان عند اليقظة أنه كان رؤية في الحقيقة، وإنما كان ذلك تصوراً وأوهاماً تقررت في قلوبهم حين زال عنهم الإحساس الظاهر تجردت تلك الأوهام من المعلومات بالحس والضرورة، فقويت تلك الحالة عند صاحبها، فإذا استيقظ ضعفت تلك الأحوال التي تصوّرها بالإضافة إلى حال إحساسه بالمشاهدات وحصول العلوم الضرورية، ومثاله كالذي يكون في ضوء السراج عند اشتداد الظلمة، فإذا طلعت الشمس عليه غلب ضوء الشمس ضوء السراج فيتقاصر ضوء السراج بالإضافة إلى ضوء الشمس، فمثال حال النوم كمن هو في ضوء السراج، ومثال المتيقظ كمن تعالى عليه النهار، وأن المتيقظ يتذكر ما كان متصوراً في حال نومه، ثم إن تلك الأحاديث والخواطر التي كانت ترد على قلبه في حال نومه مرة تكون من قبل الشيطان، ومرة من هواجس النفس، ومرة بخواطر الملك، ومرة تكون تعريفاً من الله تعالى بخلق تلك الأحوال في قلبه ابتداء، وفي الخبر« أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً ».

(فقد قال بعض المكاشفين: ظهر لي الملك فسألني أن أملي عليه شيئاً من ذكري الخفي عن مشاهدتي من التوحيد، وقال ما نكتب لك عملاً ونحن نحب أن نصعد لك بعمل نتقرب به إلى الله تعالى فقلت: ألستما تكتبان الفرائض؟ قالا: بلى. فقلت: فيكفيكما ذلك) هكذا نقله صاحب القوت، **(وهذا إشارة إلى أن الكرام الكاتبين لا يطلعون على أسرار القلب، وإنما يطلعون على الأعمال الظاهرة)** وقال بعض العارفين: بل يطلعون على بعض أعمال القلب بقرائن خارجة فإن المؤمن إذ ذكر الله في قلبه فاحت منه رائحة طيبة إلى فمه فيشمّونها الملائكة فيدركون بها إذا ذكر الله تعالى، فيكتبون ذلك في صحيفة حسناته. **(وقال بعض العارفين: سألت بعض الأبدال عن مسألة من)** ولفظ القوت: وحدثنا بعض العلماء قال: سألت بعض الأبدال عن علم **(مشاهدة اليقين فالتفت إلى شماله فقال: ما تقول رحمك الله؟ ثم التفت إلى**

ما تقول رحمك الله؟ ثم أجاب بأغرب جواب سمعته فسألته عن التفاته فقال: لم يكن عندي في المسألة جواب عتيد فسألت صاحب الشمال فقال: لا أدري: فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال: لا أدري فنظرت إلى قلبي وسألته فحدثني بما أجبتك فإذا هو أعلم منهما وكان هذا هو معنى قوله عليه السلام «إن في أمتي محدثين وإن عمر منهم».

وفي الأثر أنّ الله تعالى يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه. وقال أبو سليمان الداراني رحمة الله عليه: القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها أبواب مغلقة فأي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من أبواب القلب إلى جهة الملكوت والملأ الأعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة والورع والإعراض عن شهوات الدنيا، ولذلك كتب عمر رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فإنهم ينجلي لهم أمور صادقة. وقال بعض

يمينه فقال: ما تقول رحمك الله؛ ثم أطرق إلى صدره وقال: ما تقول رحمك الله؟ ثم أجاب بأغرب جواب سمعته) قط وأعلاه، **(فسألته عن التفاته)** ولفظ القوت: فقلت رأيتك التفت عن شمالك ويمينك ثم أقبلت على صدرك فما ذلك؟ **(فقال: لم يكن عندي في المسألة)** التي سألتني عنها **(جواب)** ولفظ القوت: علم **(عتيد)** أي حاضر، **(فسألت صاحب الشمال)** فظننت أن عنده منها علماً. **(فقال: لا أدري، فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه. فقال: لا أدري، فنظرت إلى قلبي وسألته فحدثني بما أجبتك، فإذا هو أعلم منهما)** هكذا نقله صاحب القوت. **(وكان هذا هو معنى قوله ﷺ: «إن في أمتي محدّثين وإن عمر منهم»)** تقدم الكلام عليه قريباً. وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله نقلاً عن ولد الشيخ أبي الحسن الشاذلي قال: دخلت على والدي فسمعته يقول: والله لقد يسألوني عن المسألة لا يكون لها عندي جواب، فإذا الجواب مسطر في الزاوية في الحصيرة أو الحائط.

(وفي الأثر) عن بعض التابعين **(أن الله تعالى يقول: أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته)** أي بيدي، **(وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه، وقال أبو سليمان)** عبد الرحمن بن عطية **(الداراني رحمه الله تعالى: القلب بمنزلة القبة المضروبة)** بالعمد والأطناب والأوتاد **(حولها أبواب مغلقة فأي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من أبواب القلب إلى جهة من جهات الملكوت والملأ الأعلى، وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة)** للنفس **(والورع)** عن المحرمات **(والاعراض عن شهوات الدنيا)** وملاذها، **(ولذلك كتب عمر رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد)** وهم الذي ولاهم على عساكر الإسلام الموجهين لقتال الأعداء، وكان لا يولي أميراً إلا من كانت له صحبة: **(احفظوا ما تسمعون من المطيعين)** لله تعالى، **(فإنهم تتجلى لهم أمور صادقة)** نقله صاحب القوت،

العلماء: يد الله على أفواه الحكماء لا ينطقون إلا بما هيأ الله لهم من الحق، وقال آخر: لو شئت لقلت ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره.

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها:

اعلم أن القلب كما ذكرناه في مثال قبة مضروبة لها أبواب تنصب إليه الأحوال من كل باب. ومثاله أيضاً مثال هدف تنصب إليه السهام من الجوانب أو هو مثال مرآة منصوبة تجتاز عليها أصناف الصور المختلفة، فتتراءى فيها صورة بعد صورة ولا تخلو عنها، أو مثال حوض تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة إليه، وإنما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال، أما من الظاهر فالحواس الخمس وأما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الانسان، فإنه إذا أدرك بالحواس شيئاً حصل منه أثر في القلب وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل

(وقال بعض العلماء: يد الله على أفواه الحكماء ولا ينقطعون إلا بما هيأ الله لهم من الحق) نقله صاحب القوت.

قلت: أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند من طريق عبد الله بن زيد قال: قال لقمان: « إلاّ أن يد الله » فذكره.

(وقال آخر) منهم: **(لو شئت لقلت إنّ الله تعالى يطلع الخاشعين)** لله تعالى **(على بعض سره)** نقله صاحب القوت.

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وغلبتها:

(اعلم أن القلب كما ذكرناه) عن أبي سليمان الداراني **(في مثال قبة مضروبة لها)** من حواليها أبواب مغلقة **(تنصب إليه الأحوال من كل باب)** على اختلافها في ورودها عليه، **(ومثاله أيضاً: مثال هدف)** محركة هو الغرض الذي يرمي عليه بالسهام **(تنصب إليه السهام من الجوانب)** والأطراف المحاذية له **(أو هو مثال مرآة)** كبيرة مصقولة **(منصوبة)** على موضع عال حيث يمر الناس وغيرهم **(يجتاز)** أي يمر **(عليها أصناف الصور المختلفة فتتراءى فيها صورة بعد صورة فلا تخلو عنها أو)** هو **(مثال حوض)** لها **(تنصب فيه مياه مختلفة من أنهار)** أو مساق أو جداول **(مفتوحة إليه، وإنما مداخل هذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال أما من الظاهر فبالحواس الخمس)** الظاهرة، **(وأما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الإنسان)** أي من أصل خلقته، **(فإنه إذا أدرك بالحواس شيئاً)** من مسموع أو مبصر أو مذوق أو ملموس أو مشموم **(حصل منه أثر في القلب)** ظاهر ينفعل له، **(وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل)** للأطعمة

وبسبب قوّة في المزاج حصل منها في القلب أثر، وإن كف عن الإحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من شيء إلى شيء، وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر. والمقصود أن القلب في التغير والتأثر دائماً من هذه الأسباب، وأخص الآثار الحاصلة في القلب هو الخواطر، وأعني بالخواطر ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار. وعني به إدراكاته علوماً إما على سبيل التجدد وإما على سبيل التذكر فإنها تسمى خواطر من حيث أنها تخطر بعد ان كان القلب غافلاً عنها، والخواطر هي المحركات للإرادات فإن النية والعزم والإرادة انما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ الأفعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني إلى ما يضر في العاقبة، وإلى ما يدعوا إلى الخير أعني إلى ما ينفع في الدار الآخرة. فهما خاطران مختلفان فافتقرا إلى اسمين مختلفين، فالخاطر المحمود يسمى إلهاماً والخاطر المذموم أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواساً، ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر حادثة ثم أن كل حادث فلا بد له من محدث، ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف

المقوية للشهوة (**وبسبب قوّة في المزاج**) وقوّته بسبب قربه من الاعتدال الحقيقي، وذلك في سن الوقوف وسن الشباب (**حصل منها في القلب أثر وإن كف عن الإحساس في الخيالات الحاصلة في النفس تبقى**) مركوزة فيها، (**وينتقل الخيال من شيء إلى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر. والمقصود أن القلب في التغير والتأثر دائماً من هذه الأسباب، وأخص الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر، وأعني بالخواطر ما يحصل فيه من الأفكار والأذكار وأعني به**) أي بما يحصل فيه مما ذكر (**إدراكاته علوماً. أما على سبيل التجدد وأما على سبيل التذكر، فإنها تسمى خواطر من حيث أنها تخطر**) فيه (**بعد أن كان القلب غافلاً عنها والخواطر هي المحركات للإرادات، فإن النية والعزم والإرادة إنما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة، فمبدأ الافعال الخواطر، ثم الخاطر يحرك الرغبة، والرغبة تحرك العزم، والنية تحرك الأعضاء، والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر. أعني إلى ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى الخير. أعني إلى ما ينفع في الدار الآخرة فهما خاطران مختلفان، فافتقرا إلى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى إلهاماً**) وهو ما يلقى في الروع بطريق الفيض، (**والخاطر المذموم أعني الداعي إلى الشر يسمى وسواساً**) من الوسوسة وهي الخطرة الردية، (**ثم إنك تعلم أن هذه الخواطر**) بأنواعها (**حادثة، ثم ان كل حادث فلا بدَّ له من محدث**) ضرورة. (**ومهما اختلفت الحوادث دل ذلك على اختلاف الأسباب. هذا ما عرف من سنّة الله تعالى في ترتيب المسببات على**

الأسباب، هذا ما عرف من سنّة الله تعالى في ترتيب المسببات على الأسباب، فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستنارة.

وكذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً، وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً، واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقاً، والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلاً، فإن المعاني المختلفة تفتقر إلى أسامي مختلفة، والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير، وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف، وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر فالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابل الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ومن كل شيء

الأسباب، فمهما استنارت حيطان البيت بنور النار، وأظلم سقفه واسودّ بالدخان علمت أن سبب السواد غير سبب الاستنارة، كذلك لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان، فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً والسبب الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً، واللطف الذي به يتهيأ القلب لقبول الهام الخير يسمى توفيقاً، والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلاناً، فإن المعاني المختلفة تفتقر إلى أسام مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شأنه إفاضة الخير، وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالخير والأمر بالمعروف وقد خلقه وسخره لذلك والشيطان عبارة عن خلق) خلقه الله تعالى **(شأنه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر)** لقوله تعالى ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ [البقرة: ٢٦٨] **(والوسوسة في مقابلة الإلهام، والشيطان في مقابلة الملك، والتوفيق في مقابلة الخذلان)** فكل منها زوج للآخر مقابل له منها ما هي أدوات الظاهر، ومنها ما هي اعراض الباطن، وهي حواس الجسم والقلب، فأدوات الجسم هي الصفات الظاهرة وأعراض القلب هي المعاني الباطنة قد عدلها سبحانه بحكمته وسوّاها على مشيته وقومها اتقاناً. بصنعته أوّلها النفس والروح وهما مكانان للالقاء والعدوّ والملك وهما شخصان يلقيان الفجور والتقوى، ومنها عرضان متمسكان في مكانين وهما العقل والهوى عن حكمين من مشيئة حاكم وهما التوفيق والإغواء، ومنها نوران ساطعان في القلب عن تخصيص من رحمة راحم وهما العلم والإيمان، فهذه أدوات القلب وحواسه ومعانيه الفائتة وآلاته والقلب وسط هذه الأدوات كالملك، وهذه جنوده تؤدي إليه أو كالمرآة المجلوة وهذه الآلة حوله تظهر فيراها وتقدح فيه فيجدها، **(وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾)** وقوله تعالى

خلقنا زوجين﴾ [الذاريات : ٤٩] فإن الموجودات كلها متقابلة مزدوجة إلا الله تعالى فإنه فرد لا مقابل له بل هو الواحد الحق الخالق للأزواج كلها ، فالقلب متجاذب بين الشيطان

﴿الذي خلقك فسوّاك فعدلك﴾ [الإنفطار : ٧] وقوله تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين : ٤] (**فإن الموجودات كلها متقابلة مزدوجة**) مسوّاة معدولة مقوّمة (**إلا الله تعالى، فإنه لا مقابل له**) كما أنه لا شريك له، (**بل هو الواحد الحق**) المطلق (**الخالق للأزواج كلها**) .

وقد قسم صاحب القوت وفسر أسماءها بما يقرب من تقدير المصنف فقال: ما وقع في القلب من عمل الخير فهو إلهام، وما وقع من عمل الشر فهو وسواس، وما وقع في القلب من المخاوف فهو إيجاس، وما كان من تقدير الخير وأمله فهو نية، وما كان من تدبير المباحات والطمع فيها وترجيها فهو أمل وأمنية، وما كان من تذكر أمر الآخرة والوعد والوعيد فهو تذكر وتفكر، وما كان من معاينة الغيب بعين اليقين فهو مشاهدة، وما كان من تحدث النفس بمعاشها فهو هم، وما كان من خواطر العادات ونوازع الشهوات فهو لمم ويسمى جميع ذلك خواطر لأنه خطور همة نفس أو خطور عدوّ بحدس أو خطرة ملك بهمس، ثم ان ترتيب الخواطر المنشأة من خزائن الغيب القادحة في القلب على ستة معان وهي حدود الشيء المظهر. ثلاثة منها معفوّة، وثلاثة مطالب بها. فأوّل ذلك الهمة وهو ما يبدو من وسوسة النفس بالشيء يجده العبد بالحس كالبرق فإن صرفها بالذكر امتحت وإن تركها بالغفلة صارت خواطر وهو خطور العدوّ بالتزيين، وإن نفى الخاطر ذهب وإن دنا منه فصار وسوسة، وهذه محادثة النفس للعدوّ واصغاؤها إليه وإن نفى العبد هذه الوسوسة بذكر الله عز وجل خنس العدوّ وضعفت النفس. وهذه الثلاثة معفوّة رحمة من الله سبحانه غير مؤاخذ بها العبد وإن مرح العدوّ والنفس في محادثة العدوّ وطاولت النفس للعدوّ بالإصغاء والمحادثة قويت الوسوسة. فصارت نية، فإن أبدل العبد هذه النية بنية خير أو استغفر منها وتاب وإلا قويت فصارت عقداً، فإن حلّ هذا العقد بالتوبة وهو الإصرار والأقوى فصار عزماً وهو القصد، وهذه الثلاث من أعمال القلب مأخوذ بها العبد ومسؤول عنها فإن تداركه الله تعالى بعد العزم وإلا تمكن العزم فصار طلباً وسعياً وظهور العمل على الجوارح من خزانة الغيب والملكوت فصار من أعمال الجسم في خزانة الملك والشهادة، فهذه المعاني توجد من أعمال البر والإثم. فما كان منها من البرهمة ونية وعزما كان محسوباً للعبد في باب النيات مكتوباً له في ديوان الإرادات له به حسنات، وما كان منها من الشرنية وعقداً وعزماً، فعلى العبد فيه مؤاخذة من باب أعمال القلوب ونيات السوء وعقود المعاصي وليس مجانس للعدوّ ومؤاخ له إلا النفس جمع بينهما في الوسوسة. قال الله تعالى ﴿الوسواس الخناس﴾ [الناس: ٤] وقال تعالى ﴿ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ [ق: ١٦] وكل شيء خلقه الله تعالى فله مثل وضد، فمثل النفس الشيطان وضدها الروح، وأعمال الجوارح من النوعين الطاعة والمعصية أعظم في الأجر والوزر معاً إلا ما لا يتأتى أن يعلمه بظاهر الجسم من شهادة التوحيد أو وجود شك وكفر واعتقاد بدعة والله اعلم.

والملك ، وقد قال ﷺ : « في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وليحمد الله ، ولمة من العدو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ [البقرة : ٢٦٨] الآية وقال الحسن إنما هما همان يجولان في القلب : هم من الله تعالى وهم من العدو ، فرحم الله عبداً وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه وما كان من عدوّه جاهد .

ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله ﷺ : « قلب المؤمن بين أصبعين

(فالقلب متجاذب بين الشيطان والملك، وقد قال ﷺ : « في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدوّ ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير ») قال صاحب القوت: هو من قول ابن مسعود وقد رويناه من طريق مسنداً . وقال العراقي: رواه الترمذي والنسائي في الكبير من حديث ابن مسعود اهـ.

قلـت: ورواه كذلك ابن حبان، وقال الترمذي بعد أن رواه عن هناد: حدثنا أبو الأحوص، عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. هو حسن غريب لا نعلمه مرفوعاً إلا من حديث أبي الأحوص، ولفظهم « إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق » فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله على ذلك ومن وجد الأخرى فليتعوّذ بالله من الشيطان ثم قرأ ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء** ﴾ والرواية الصحيحة إيعاد في الموضعين وهو وإن كان مختصاً بالشر عرفاً إلا أنه استعمله في الخير للازدواج والأمن من الاشتباه بذكر الخير بعده، واللمة بالفتح القرب والإصابة فعلة من الالمام، ونسبة لمة الملك إلى الله تعالى فيها تنويه بشأن الخير وإنارة بذكره.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(إنما هما همّان يجولان في القلب همّ من الله تعالى، وهمّ من العدو فرحم الله عبداً وقف عند همه فما كان من الله تعالى أمضاه، وما كان من عدوّه جاهده)** . نقله صاحب القوت والتمييز بين اللمتين لا يهتدي إليه أكثر الناس، وإنما يتشوّف إلى معرفتها وتمييز الخواطر طالب مريد يتشوف إلى ذلك كتشوّف العطشان إلى الماء لما يعلم من وقع ذلك وخطره وصلاحه وفساده، ويكون ذلك عبداً مراداً بالخطوة بصفو اليقين ومنح الموقنين وأكثر التشوّف إلى ذلك للمقربين ومن أخذ به في طريقهم، ومن أخذ في طريق الأبرار قد يتشوّف إلى ذلك بعض التشوّف لأن التشوّف إليه يكون على قدر الهمة والطلب والإرادة والحظ من الله الكريم، ومن هو في مقام عامة المسلمين والمؤمنين لا يتطلع إلى معرفة اللمتين ولا يهتم بتمييز الخواطر.

(ولتجاذب القلب بين هذين التسلطين قال رسول الله ﷺ « قلب المؤمن بين أصبعين

من أصابع الرحمن » فالله يتعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم وعصب منقسمة بالأنامل ولكن روح الأصبع سرعة التقلب والقدرة على التحريك والتغيير ، فإنك لا تريد أصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد كما أنك تتعاطى الأفعال بأصابعك ، والله تعالى يفعل ما يفعل باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب ، كما أن أصابعك مسخرة لك في تقليب الاجسام مثلاً . والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحاً متساوياً ليس يترجح أحدهما على الآخر ، وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفتها ، فإن اتبع الإنسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه ، وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص

من أصابع الرحمن ») رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر وقد تقدم قريباً . (**فالله يتعالى عن أن يكون له أصبع مركبة من لحم وعظم ودم منقسمة بالأنامل، ولكن روح الأصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير، فإنك لا تريد أصبعك لشخصه بل لفعله في التقليب والترديد كما أنك تتعاطى الأفعال باصابعك**) وجميع الألفاظ الموهومة في الأخبار يكفي في دفع ايهامها قرينة واحدة وهي معرفة الله ومعرفة أنه ليس بجسم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . (**والله تعالى إنما يفعل ما يفعله باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته في تقليب القلوب**) أي جرها إلى خير أو شر ، (**كما أن أصابعك مسخرة لك في تقليب الأجسام مثلاً والقلب بأصل الفطرة صالح القبول آثار الملك ولقبول آثار الشيطان صلاحاً متساوياً**) بطرفيه (**ليس يترجح أحدهما على الآخر ، وإنما يترجح أحد الجانبين باتباع الهوى والإكباب على الشهوات**) أي الملازمة عليها (**والإعراض عنها ومخالفتها فإن اتبع الإنسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسليط الشيطان بواسطة الهوى وصار القلب عش الشيطان**) أي مأواه (**ومعدنه**) أي محل إقامته (**لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه، وإن جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه**) بأن تنصل عنها واسترذلها (**وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم**) .

اعلم أن المستولي على الإنسان أوّلاً شهوته وغضبه وبحسب مقتضاهما انبعاثه إلى أن يظهر فيه الرغبة في طلب الكمال والنظر للعاقبة وعصيان مقتضى الشهوة والغضب ، فإن غلب الشهوة والغضب حتى ملكهما وضعفا عن تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبهاً من الملائكة ، وكذلك إن فطم نفسه عن الجحود والخيالات والمحسوسات وأنس بالإدراك أخذ شبهاً آخر من الملائكة فإن خاصية الحياة

وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة. ولذلك قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وله شيطان» قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمر إلا بخير». وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يأمر إلا بالخير. ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالاً فوسوس. ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألهم، والتطارد بين جندي

الإدراك والفعل إليهما يتطرق النقصان والكمال، ومهما اقتدى بالملائكة في هاتين الخاصيتين كان أقرب من الملائكة. (**ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلى غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة من الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة، ولذلك قال ﷺ «ما منكم من أحد إلا وله**) وفي رواية معه (**شيطان» . قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا إلا ان الله تعالى أعانني عليه فأسلم**) بلفظ الماضي من الإسلام أو بلفظ المضارع من السلامة وقد روي بالوجهين (**فلا يأمر إلا بخير»**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث ابن مسعود اهـ.

قلت: هذا لفظ مسلم من حديث عائشة، ورواه كذلك الطبراني في الكبير من حديث أسامة ابن شريك وليس فيه، فلا يأمر إلا بخير». وأما لفظ حديث ابن مسعود عند مسلم «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال «وإياي إلا أن الله عز وجل أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير» وكذلك رواه أحمد. ويروى ذلك أيضاً عن شريك بن طارق بلفظ «ما منكم من أحد إلا وله شيطان» قالوا: ولك يا رسول الله؟ قال «ولي ولكن الله أعانني عليه فأسلم» رواه ابن حبان والبغوي والطبراني. وقال البغوي: ولا أعلم لشريك بن طارق غيره، ويروى أيضاً عن المغيرة بن شعبة بلفظ «ما من أحد إلا جعل معه قرين من الجن» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير» رواه الطبراني.

(**وإنما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف إلا بواسطة الشهوة فمن أعانه الله على شهوته حتى صارت لا تنبسط إلا حيث ينبغي وإلى الحد الذي ينبغي فشهوته لا تدعو إلى الشر، فالشيطان المتدرع بها لا يأمر إلا بالخير**) لتضييق طرقه فلا يقدر على التسلط. (**ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالاً**) أي محل جولان (**فوسوس**) ودبر شغله، (**ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان وضاق مجاله**) ولم يقدر على إقامته، (**وأقبل الملك وألهم الخير**) وفي نسخة فألهم الملك وأقبل (**والتطارد بين جندي**

الملائكة والشياطين في معركة القلب دائم إلى أن ينفتح القلب لأحدهما فيستوطن ويستمكن، ويكون اجتياز الثاني اختلاساً. وأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها فامتلأت بالوساوس الداعية إلى إيثار العاجلة واطراح الآخرة. ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى. ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة: وقال جابر ابن عبيدة العدوي: شكوت إلى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال: إنما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فإن كان فيه شيء عالجوه وإلاَّ مضوا وتركوه. يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال الله تعالى: ﴿ إنَّ عبادي ليس لَكَ عليهم سلطانٌ﴾ [الحجر: ٤٢] فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد

الملائكة والشيطان في معركة القلب دائم) لا ينقطع بين غالب ومغلوب **(إلى أن ينفتح القلب لأحدهما فيتمكن)** فيه **(ويستوطن)** أي يتخذه محل إقامة. وفي بعض النسخ فيستوطن ويتمكن، **(ويكون اجتياز الثاني اختلاساً)** يختلسه، **(فأكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين وتملكتها)** وفي نسخة ملكوها **(فامتلأت بالوساوس الداعية إلى ايثار)** الحياة **(العاجلة)** الفانية **(واطراح الآخرة)** الباقية **(ومبدأ استيلائها)** أي تلك الجنود **(اتباع الشهوات والهوى، ولا يمكن فتحها بعد ذلك إلا بتخلية القلب من قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة)** ومحل ظهورهم.

(قال جرير[1] **بن عبيدة العدوي شكوت إلى العلاء بن زياد)** بن مطر العدوي البصري أحد العباد كنيته أبو نصر ثقة روى له البخاري معلقاً، وأبو داود في المراسيل، والنسائي، وابن ماجه. مات سنة أربع وتسعين ومائة، **(ما أجد في صدري من الوسوسة فقال: إنما مثل ذلك مثل البيت الذي تمرّ به اللصوص، فإن كان فيه شيء عالجوه وإلا مضوا وتركوه)**.

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا أبي، حدثنا عبد الصمد، حدثنا جرير بن عبيدة العدوي، عن أبيه قال: قلت للعلاء بن زياد: إذا صليت وحدي لم أعقل صلاتي. قال: ابشر هذا علم الخير. أما رأيت أن اللصوص إذا مرّوا بالبيت الخرب لم يلووا عليه وإذا مروا بالبيت الذي فيه المتاع زاولوه حتى يصيبوا منه شيئاً وقد ظهر من هذا السياق أنه سقط على المصنف عن أبيه، وللعلاء بن زياد ترجمة حسنة في الحلية.

(يعني أن القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان، ولذلك قال) الله **(تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾)** أي تسلط وتمليك لأنهم قد أخلوا قلوبهم عن الشهوات ومقتضياتها، **(فكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى)** وذليله ومسخره **(لا عبد الله، ولذلك**

---

(١) ورد في الإحياء: « جابر » بدلاً من « جرير ».

الله، ولذلك سلط الله عليه الشيطان. وقال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الجاثية: ٢٣] هو إشارة إلى أن من الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الهوى لا عبد الله، ولذلك قال عمرو بن العاص للنبي ﷺ. يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال « ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوّذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثاً » قال: ففعلت ذلك فاذهبه الله عني ».

وفي الخبر « ان للوضوء شيطاناً يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه »، ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ما سوى ما يوسوس به، لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم منه ما كان فيه من قبل، ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق فيه فيجوز أيضاً أن يكون مجالاً للشيطان، وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال. ولا يعالج الشيء إلا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرىء عن الحول والقوّة، وهو معنى قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. وذلك لا يقدر عليه إلا المتقون

سلط) الله **(عليه الشيطان)** ووكل به **(قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ أي أن الهوى إلهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله، وقال عمرو بن العاصي)** كذا في النسخ، والصواب عثمان بن أبي العاصي، وهو أبو عبد الله الثقفي الطائفي أخو الحكم بن أبي العاص. ولهما صحبة قدم على النبي ﷺ في وفد ثقيف، واستعمله النبي ﷺ على الكوفة، ثم أقره أبو بكر وعمر مات سنة إحدى وخمسين روى له الجماعة سوى البخاري وقد تقدم ذكره في كتاب الصلاة **(للنبي ﷺ يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال « ذلك شيطان يقال له خنزب »)**بكسر الخاء المعجمة وسكون النون وكسر الزاي **(فإذا أحسسته فتعوّذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً قال: ففعلت ذلك فاذهبه الله عني)** قال العراقي: رواه مسلم من حديثه، **(وفي الخبر: « إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه »)** قال العراقي: رواه ابن ماجه والترمذي من حديث أبي بن كعب وقال: غريب وليس إسناده بالقوي عند أهل الحديث.

(ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ما سوى ما يوسوس به لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انعدم ما كان فيه من قبل ولكن كل شيء سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به، فيجوز أيضاً أن يكون مجالاً للشيطان وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه ويعلم أنه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشيء إلا بضده) ليكون مخرجاً ومبطلاً أثره، **(وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله تعالى بالاستعاذة والتبرىء من الحول والقوّة وهو معنى قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وذلك لا**

الغالب عليهم ذكر الله تعالى، وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفلتات على سبيل الخلسة. قال الله تعالى: ﴿ إنَّ الذين اتقوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشيطان تذكَّروا فإذا هُمْ مبصرون﴾ ﴿الأعراف: ٢٠١] وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى: ﴿ من شر الوسواس الخناس﴾ [الناس: ٤] قال: هو منبسط على القلب، فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض، وإذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار، ولتضادهما قال الله تعالى: ﴿ استحَوَذَ عليهم الشيطانُ فأنساهُم ذكرَ الله﴾ [المجادلة: ١٩] وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: « إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فإن هو ذكر الله تعالى خنس وإن نسي الله تعالى التقم قلبه ». وقال ابن

يقدر عليه إلا المتقون) الخاشعون **(الغالب عليهم ذكر الله تعالى)** في سائر أوقاتهم، **(وإنما الشيطان يطوف عليهم في أوقات الفلتات)** والغفلات **(على سبيل الخلسة)** والمخاتلة. **(قال الله تعالى ﴿ إنَّ الذين اتقوا إذا مسَّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾)** فاخبر أن جلاء القلب الذكر به يبصر القلب وإن باب الذكر التقوى به يذكر العبد، فالتقوى باب الآخرة كما أن الهوى باب الدنيا. **(وقال مجاهد في معنى قول الله تعالى ﴿من شر الوسواس الخناس﴾ قال: هو منبسط على القلب، فإذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض وإذا غفل)** عن ذكر الله تعالى **(انبسط على قلبه)** هكذا نقله صاحب القوت، ويروى عن ابن عباس قال: الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس وإذا ذكر الله خنس. أخرجه ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن مردويه. ويروى عنه أيضاً أنه قال: « ما من مولود يولد إلا على قلبه الوسواس فإن ذكر الله تعالى خنس وإذا غفل عن ذكر الله وسوس فذلك قوله الوسواس الخناس ». أخرجه ابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي والضياء في المختارة.

(فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النار والظلام) أحدهما ينسخ الثاني، **(وبين الليل والنهار)** فإذا جاء الليل ذهب النهار وبالعكس، فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره وآخر بضده، ومنهم من يكون زمنه نهاراً كله وآخر ضده **(ولتضادهما قال الله تعالى ﴿استحوذ عليهم الشيطان)** أي غلب عليهم واستمالهم إلى ما يريده من الشهوات **(فأنساهم ذكر الله)** أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ **(وقال أنس)** رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ « إن الشيطان واضع خرطومه)** وهو من الفيل أنفه وفي لفظ خطمه أي فمه أو أنفه والخطم من الدابة مقدم أنفها وفمها **(على قلب ابن آدم فإن هو)** وفي لفظ فإذا **(ذكر الله تعالى خنس)** أي انقبض وتأخر **(وإن نسي الله التقم قلبه »)** فذلك الوسواس الخناس فبعد الشيطان من الإنسان على قدر ملازمته للذكر والناس في

وضاح في حديث ذكره: إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال: « بابي وجه من لا يفلح ».

وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه فسلطنة الشيطان أيضاً سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه، ولذلك قال ﷺ: « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ». وذلك لأن الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات. ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال الله تعالى إخباراً عن إبليس ﴿ لاقعدنّ لهم صراطك المستقيم* ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧] قال ﷺ: « إن الشيطان قعد لابن آدم بطريق فقعد له بطريق الإسلام فقال: أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه وأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال:

ذلك متفاوتون. قال العراقي: رواه ابن ابي الدنيا في مكائد الشيطان، وأبو يعلى الموصلي، وابن عدي في الكامل وضعفه اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن شاهين في الترغيب في الذكر، والبيهقي في الشعب، وفي سند أبي يعلى وابن عدي عدي بن أبي عمارة وهو ضعيف، وفي الترغيب لابن شاهين أيضاً عن أنس مرفوعاً بلفظ « إن للوسواس خطماً كخطم الطائر فإذا غفل ابن آدم وضع ذلك المنقار في أذن القلب يوسوس فإذا ذكر الله خنس فذلك الوسواس الخناس ». وأخرج أبو بكر بن أبي داود في كتاب ذم الوسوسة عن معاوية في قوله (**الوسواس الخناس**) قال: مثل الشيطان كمثل عرس واضع فمه على فم القلب فيوسوس إليه فإذا ذكر الله خنس وإن سكت عاد إليه فهو الوسواس الخناس.

(**وقال ابن وضاح في حديث ذكره: إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان وجهه بيده وقال: بابي وجه من لا يفلح**) وفي نسخة: وجه لا يفلح قال العراقي: لم أجد له أصلاً. (**وكما أن الشهوات ممتزجة بلحم ابن آدم ودمه**) من أهل الفطرة الإنسانية (**فسلطنة الشيطان أيضاً سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه، ولذلك قال ﷺ: « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع »**) رواه أحمد والشيخان وأبو داود من حديث أنس، ورواه الشيخان وأبو داود أيضاً وابن ماجه من حديث صفية وقد تقدم في الصوم. (**وذلك لأن الجوع يكسر**) سورة (**الشهوات ومجرى الشيطان الشهوات**) فأمر بتضييقه بالجوع بكسر ما يتولد منه. (**ولأجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال تعالى** اخباراً عن إبليس ﴿ **لاقعدن لهم صراطك المستقيم* ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم** ﴾ **وقال ﷺ « إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه فقعد له بطريق الإسلام**) أولاً (**فقال: أتسلم وتترك دينك ودين آبائك فعصاه**) أي خالفه ولم يسمع قوله (**وأسلم، ثم**) لما أيس منه من طريق الإسلام (**قعد له بطريق الهجرة فقال**) له: (**أتهاجر أتدع**

أتهاجر أتدع أرضك وسماءك؛ فعصاه وهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: أتجاهد وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك، فعصاه وجاهد». وقال رسول الله ﷺ: «فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة» فذكر رسول الله ﷺ معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة: فإذاً الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصوّر أن ينفك عنه آدمي وإنما يختلفون بعصيانه ومتابعته، ولذلك قال عليه [الصلاة] والسلام: «ما من أحد إلا وله شيطان».

فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد هذا نظر من لم ينظر في ذات الشيطان أنه جسم لطيف أو ليس بجسم. وإن كان جسماً فكيف يدخل بدن الإنسان ما هو جسم؟ فهذا الآن غير محتاج إليه في علم المعاملة. بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى ازالتها ودفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عين

أرضك وسماءك) وتذهب في بلاد الغربة؛ **(فعصاه)** وخالفه **(وهاجر)** فراراً لدينه، **(ثم)** لما أيس منه من طريق الهجرة **(قعد له بطريق الجهاد. فقال)** له: **(اتجاهد وهو)** أي الجهاد **(تلف النفس والمال فتقاتل)** العدوّ **(فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك. فعصاه)** ولم يسمع كلامه **(وجاهد)** رغماً عليه. **(قال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة»)** قال العراقي: رواه النسائي من حديث سبرة بن أبي فاكه بإسناد صحيح، **(فقد ذكر ﷺ معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد أنه يقتل وينكح نساؤه)** ويقسم ماله **(وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد)** ويثبطه عنه. **(وهذه الخواطر معلومة. فإذاً الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر إلى اسم يعرفه فإنه سببه الشيطان ولا يتصوّر أن ينفك عنه آدمي)** ما دام حياً، **(وإنما يختلفون بعصيانه ومتابعته)** فتارة يتابعه وتارة يخالفه، **(ولذلك قال ﷺ «ما من أحد إلا وله شيطان»)** كما تقدم قريباً.

(فقد اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والإلهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان) وكل منهما في مقابلة الآخر، **(فبعد هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان أنه)** هل **(هو جسم لطيف أو ليس بجسم، وإن كان جسماً فكيف يدخل بدن الإنسان ما هو جسم؟ فهذا الآن غير محتاج إليه في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذا مثال من دخلت في ثيابه حية وهو محتاج إلى إزالتها)** عنه **(ودفع ضررها، فاشتغل بالبحث عن لونها وشكلها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل)** بصاحبه **(فمصادمة الخواطر**

الجهل فمصادمة الخواطر الباعثة عن الشر قد علمت، ودل ذلك على أنه عن سبب لا محالة، وعلم أن الداعي إلى الشر المحذور في المستقبل عدوّ قد عرف العدوّ لا محالة، فينبغي أن يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّ إنما يدْعُو حزبه ليكونُوا من أصحاب السعير﴾ [فاطر: ٦] وقال تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألاّ تعبدُوا الشيطان إنه لكم عدوّ مبين﴾ [يس: ٦٠] فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدوّ عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه. نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه ليدفعه عن نفسه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات وذلك كاف للعالمين. فاما معرفة ذاته وصفاته وحقيقته ـ نعوذ بالله منه ـ وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين المتغلغلين في علوم المكاشفات فلا يحتاج في علم المعاملة إلى معرفته. نعم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعاً أنه داع إلى الشر فلا يخفي كونه وسوسة، وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه إلهاماً، وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان؟ فإن من مكايد الشيطان أن يعرض الشر في معرض الخير، والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به

الباعثة على الشر قد علمت، ودل ذلك على أنه عن سبب لا محالة. وعلم أن الداعي إلى الشر المحذور في المستقبل عدوّ) قوي مخاتل، **(فقد عرفه العبد فينبغي أن يشتغل بمجاهدته)** بتضييق الطرف عليه وسد مجاريه، **(وقد عرف الله سبحانه وتعالى)** عباده **(عداوته في مواضع كثيرة من كتابه ليؤمن به)** أي يصدق بوجوده **(ويحترز عنه فقال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه﴾)** الآية. **(وقال تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدوّ مبين﴾)** وقال تعالى مخبراً عنه: ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ الآية. وقال تعالى مخبراً عنه كذلك ﴿ولاضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم﴾ الآية. [النساء: ١١٩]. **(فينبغي للعبد أن يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسؤال عن أصله ونسبه ومسكنه)** بل بمخالفته وعصيانه، **(نعم ينبغي أن يسأل عن سلاحه لدفعه)** فإن معرفة ذلك أكيدة، **(وسلاح الشيطان الهوى والشهوات)** وما ينشأ عنهما **(وذلك كاف للعالمين فأما معرفة صفة ذاته وحقيقته وحقيقة الملائكة فذلك ميدان العارفين)** من أهل اليقين **(المتغلغلين في علوم المكاشفات)** الغائصين في بحارها **(فلا يحتاج في علم المعاملة إلى معرفته. نعم ينبغي أن يعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعاً أنه داع إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة، وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه إلهاماً وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو)** من **(لمة الشيطان فإن من)** جملة **(مكائد الشيطان)** ومصائده وفخوخه **(أن يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك صعب)** إلا على

يهلكون فإن الشيطان لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح فيصوّر الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ: أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار؟ أما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة؟ فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الخلق إلى الصراط المستقيم؟ ولا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطيف الحيل إلى أن يشتغل بوعظ الناس، ثم يدعوه بعد ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له: إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق، ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الاتباع والعلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك؛ فيتكلم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول، فيهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بمكان، وهو من الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «إنَّ الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم»

العارفين بمكائده من المتقين من أهل اليقين، **(وأكثر العباد به يهلكون)** لعدم تمييزهم بينهما وهو مقام عامة المسلمين والمؤمنين، **(فإن الشيطان لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح فيصور الشر)** ويلقيه **(بصورة الخير)** فيشبه عليهم بذلك، **(كما يقال للعالم)** الماهر **(بطريق الوعظ)** للعامة: **(أما تنظر للخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار)** وكادوا أن يتساقطوا فيها **(أما لك رحمة على عباد الله تنقذهم)** أي تخلصهم **(من العطب)** أي الهلاك **(بنصحك ووعظك، وقد أنعم الله عليك بقلب بصير)** للمعاني **(ولسان ذلق)** أي فصيح، **(ولهجة مقبولة؟ فكيف تكفر نعمة الله تعالى وتتعرض لسخطه)** وغضبه **(وتسكت عن إشاعة العلم)** وإفادته، **(ودعوة الخلق إلى الصراط المستقيم؟ ولا يزال يقرر ذلك)** وأمثاله **(ويستجره بلطيف الحيل)** ويستميله إلى ما يلقيه في خياله **(إلى أن يشتغل بوعظ الناس مدة، ثم يدعوه بعد ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير، ويقول له: إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولا يهتدوا إلى الحق)**، وإنما تجلب خواطرهم بتأثير كلامك فيهم إذا تزينت لهم بحسن الزي وأظهرت الفصاحة والبلاغة **(ولا يزال يقرر ذلك عنده)** ويحسنه له **(وهو في أثنائه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الاتباع)** والحشم والخدم، **(و)** بكثرة **(العلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك فيتكلم)** على العامة، **(وهو يظن أن قصده الخير، وإنما قصده الجاه والقبول فيهلك بسببه وهو يظن)** في نفسه **(أنه عند الله بمكان)** عظيم، **(وهو ممن قال فيهم رسول الله ﷺ: «إن الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا**

و« إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ولذلك روي أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى ابن مريم ﷺ فقال له: قل لا إله إلا الله. فقال: كلمة حق ولا أقولها بقولك لإن له أيضاً تحت الخير تلبيسات، وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة.

وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور في آخر هذا الربع، ولعلنا إن أمهل الزمان صنفنا فيه كتاباً على الخصوص نسميه (تلبيس إبليس) فإنه قد انتشر الآن تلبيسة في البلاد والعباد لاسيا في المذاهب والاعتقادات. حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها. كل ذلك إذعـاناً لتلبيسات الشيطان ومكائده.

فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه مـن لمة الملـك أو لمة الشيطـان وأن يمعن النظر فيه بعين البصيرة لا بهوى من الطبع، ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى والبصيرة

خلاق لهم ») رواه النسائي من حديث أنس بإسناد جيد، (**و**) قال (**« إن الله**) ل(**يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر »**) متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في كتاب العلم، (**ولذلك روي أن إبليس جاء لعيسى عليه السلام فقال له: قل لا إله إلا الله. فقال**) عيسى: (**كلمة حق ولا أقولها بقولك، لأن له أيضاً تحت الخير تلبيسات**) ومخادعات. (**وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى وبها تهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق مما يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة**) الظاهرة للناس، فقد استمالهم بتلك الخدع واستولى على قلوبهم فعميت بها أبصارهم.

(**وسنذكر جملة من مكائد الشيطان في كتاب الغرور من هذا الربع**) إن شاء الله تعالى، (**ولعلنا إن أمهل الزمان**) وامتد الأجل (**صنفنا كتـابـاً على الخصـوص نسميـه تلـبيس إبليـس**) وقد قلده جماعة ممن أتى بعده فألف كتاباً سماه كذلك منهم ابن الجوزي، (**فإنه قد اشتهر الآن تلبيسه في البلاد والعباد لاسيا في المذاهب والاعتقادات**) فركبوا كل صعب وذلـول وتعصبوا ونبذوا الحق وراء ظهورهم وخدعهم إبليس بما تلقفوه وجمدوا عليه، (**حتى لم يبق من الخيرات إلا رسمها**) وهذا إذ ذاك وأما الآن فلم يبق منها الا إسمها (**كل ذلك إذعانـاً**) أي انقياداً (**لتلبيسات الشيطان**) وتأويلاته (**ومكائده**) ومصايده وفخوخه فحق على العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان، (**وإن يمعن النظر فيه بنور البصيرة**) المؤيدة باليقين (**لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور التقوى**) إذ هو مفتاح الكشوفات (**والبصيرة**) النافذة (**وغزارة العلم**) أي وفرته، وهو العلم بالله وهو مكان التوحيد وتمكن

وغزارة العلم كما قال تعالى: ﴿ إنَّ الذين اتقوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشيطان تذكروا﴾ [الأعراف: ٢٠١] أي رجعوا إلى نور العلم ﴿فإذا هُمْ مبصرون﴾ [الأعراف: ٢٠١] أي ينكشف لهم الإشكال فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الإذعان بتلبيسه بمتابعة الهوى فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر. وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ [الزمر: ٤٧] قيل هي أعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات. وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكائد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد، وقد أهمله الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق الاحتراز عنه. ولا ينجي من كثرة الوسواس إلا سدّ أبواب الخواطر. وأبوابها الحواس الخمس، وأبوابها من داخل الشهوات وعلائق الدنيا. والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن الأهل والمال يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع

الموحد فيه على قدر المكان، (**كما قال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا﴾ أي رجعوا إلى نور العلم ﴿فإذاهم مبصرون﴾ أي ينكشف لهم الأشكال**). وينجلي لهم الإبهام، (**فأما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه إلى الاذعان**) والإنقياد لتلبيسه (**بمتابعة الهوى**) والميل النفسي (**فيكثر فيه غلطه ويتعجل فيه هلاكه وهو لا يشعر، وفي مثلهم قال سبحانه وتعالى: ﴿وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ قيل: هي أعمال ظنوها حسنات فإذا هي سيئات**) وذلك حين تعرض صحائفهم وهو زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله تعالى: فلا تعلم نفس ما أخفي لهم في الوعد (**وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكائد الشيطان، وذلك فرض عين على كل عبد**) وإليه ذهب عبد الرحيم بن يحي الأرموي، ومن تبعه من الشاميين إذ قالوا في شرح حديث طلب العلم فريضة قالوا: إنما عني به طلب معرفة علم الإخلاص، ومعرفة آفات النفوس ووساوسها ومعرفة مكائد العدوّ وخدعه ومكره وغدره وما يصلح الأعمال وما يفسدها فريضة كله من حيث كان الإخلاص فريضة، ومن حيث اعلم بعداوة إبليس ثم أمر بمعاداته كما تقدم ذلك في أول كتاب العلم مفصلاً، (**وقد أهمله الخلق**) برة (**واشتغلوا بعلوم تستجر إليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته**) التي اعلموا بها، (**و**) تنسيهم (**طريق الاحتراز عنه**) وقد أمروا به (**ولا ينجي من كثرة الوسواس إلا سد أبواب الخواطر**) النفسية والشيطانية (**وأبوابها**) من خارج هي (**الحواس الخمس**)، فإنها التي يرد على القلب ما يرد من الخواطر الرديئة (**وأبوابها من داخل**) هي (**الشهوات وعلائق الدنيا**) لأن الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس واتساع النفس باتباع الشهوات وعلائق الدنيا هي محال الشهوات، (**والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس**) الخمس من ظاهر فلا يقع تفرقه على القلب، (**والتجرد عن الأهل والمال**) والحشم والاتباع والجاه

ذلك مداخل باطنه في التخيلات الجارية في القلب وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى، ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بدّ من مجاهدته، وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان ما دام حياً. نعم يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد، ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه، فإنه ما دام حياً فأبواب الشيطان مفتوحة إلى قلبه لا تنغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشر. وغيرها ـ كما سيأتي شرحها ـ ومهما كان الباب مفتوحاً والعدو غير غافل لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة.

قال رجل للحسن يا أبا سعيد أينام الشيطان؟ فتبسم وقال: لو نام لاسترحنا. فإذاً لا خلاص للمؤمن منه. نعم له سبيل إلى دفعه وتضعيف قوّته. قال ﷺ: «إن المؤمن

(**يقلل مداخل الوسواس من الباطن**) إذ ما ذكر هو الذي كان سبباً لدخول الوسوسة في القلب فإذا انسلخ عنه حفظ في حاله، (**وتبقى مع ذلك مداخل باطنة من التخيلات الجارية في القلب**) لا يقوي الإنسان على دفعها عنه لانفعاله بها، (**وذلك لا يدفع إلا بشغل القلب بذكر الله تعالى**) مع المراقبة عليه، (**ثم إنه لا يزال يجاذب القلب وينازعه**) بواسطة النفس لما بينهما من المناغاة والمحادثة والتأليف فتتسلط عليه النفس فتنطلق في شيء بهواها من القول والفعل فيتأثر القلب لذلك، (**و**) حينئذ (**يلهيه عن ذكر الله تعالى فلا بد من مجاهدته**) بأن يعود من مواطن مطالبات النفس ويقبل على ذكر الله ومحل مناجاته فيستنير القلب ويقبل على النفس معاتباً لها على متابعتها لهواها فتذل لذلك، (**وهذه مجاهدة لا آخر لها إلا الموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان ما دام حياً**) فهو كالغريم الملازم الذي لا ينفك. (**نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره بالجهاد، ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه**) وقد روى أحمد وأبو يعلى والحاكم من حديث أبي سعيد: إن الشيطان قال وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب وعزتي وجلالي أغفر لهم ما استغفروني، (**فإنه ما دام حياً فأبواب الشر مفتوحة إلى قلبه لا تنغلق، وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيرها كما سيأتي شرحها**) في محالها، (**ومهما كان الباب مفتوحاً والعدوّ غير غافل**) بل يخشى منه الهجوم من هذا الباب (**لم يدفع إلا بالحراسة والمجاهدة**).

(**قال رجل للحسن**) البصري: (**يا أبا سعيد أينام الشيطان؟ فتبسم وقال: لو نام استرحنا**) أشار إلى أنه هجام على قلب المؤمن غير غافل من مكايدته، (**فإذاً لا خلاص للمؤمن منه**) بوجه من الوجوه. (**نعم له سبيل إلى دفعه**) ومقاومته وكسر سورته (**وتضعيف قوته. قال ﷺ: «إن المؤمن**) الكامل (**ينضي**) وفي لفظ لينضي أي يهزل ويضعف (**شيطانه**) لكثرة

ينضي شيطانه كما ينضي أحدكم بعيره في سفره » وقال ابن مسعود : شيطان المؤمن مهزول. وقال قيس بن الحجاج: قال لي شيطاني، دخلت فيك وأنا مثل الجزور وأنا الآن مثل العصفور ، قلت : ولم ذاك؟ قال: تذيبني بذكر الله تعالى. فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سدّ أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة ، أعني الأبواب الظاهرة والطرق الجلية التي تفضي إلى المعاصي الظاهرة، وإنما يتعثرون في طرقه الغامضة فإنهـم لا يهتدون إليها فيحرسونها كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ، والمشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة، وباب الملائكة باب واحد، وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة فالعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة مظلمة فلا يكاد يعلم الطريق إلا بعين بصيرة وطلوع شمس مشرقة. والعين

إذلالـه وجعـله أسيراً تحت قهره وتصرفه ومن أعز سلطان الله أعزه الله وسلطه على عدوّه وحكم عكسه عكس حكمه (**كما ينضي أحدكم بعيره في سفره »**) لأن البعير يتجشم في سفره أثقال حمولته فيصير نضواً لذلك. رواه أحمد من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة قاله العراقي.

قلت ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول.

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**شيطان المؤمن مهزول**) وذلك لأنه يتجشم أثقال غيظه منه لما يراه من الطاعة والوفاء لله فيقف منه هزيلاً ضعيفاً ذليلاً بمزجر الكلب عنه. (**وقال قيس بن الحجاج**) الكلاعي المصري صدوق مات سنة تسع وعشرين ومائتين، روى له الترمذي وابن ماجه. (**قال لي شيطاني: دخلت فيك وأنا مثل الجزور**) وهي الناقة السمينة (**وأنا الآن مثل العصفور**) أي في غاية من النحافة والهزل. (**قلت: لم**) ذلك؟ (**قال: تذيبني بذكر الله تعالى. فأهل التقوى لا يتعذر عليهم سد أبواب الشيطان وحفظها بالحراسة. أعني الأبواب الظاهرة والطرق الجلية**) أي الظاهرة (**التي تفضي إلى المعاصي الظاهرة**) أي توصل إليها لأن بالتقوى وجود خالص الذكر وبه ينفتح بابه ولا يزال العبد يتقي حتى يحمي الجوارح من المكاره ثم يحميها من الفضول، وما لا يعنيه فتصير أقواله وأفعاله ضرورة، ثم ينتقل تقواه إلى باطنه ويظهر الباطن ويقيده عن المكاره، ثم عن الفضول ثم عن حديث النفس. (**وإنما يتعثرون في طرقه الغامضة**) الخفية (**لأنهم لا يهتدون إليها فيحرسونها كما أشرنا إليه في غرور العلماء والوعاظ**) فيما سيأتي إن شاء الله تعالى. (**والمشكل أن الأبواب المفتوحة إلى القلب للشيطان كثيرة وباب الملائكة باب واحد**) من هذه الأبواب، (**وقد التبس ذلك الباب الواحد بهذه الأبواب الكثيرة**) فلا يكاد يهتدي له (**والعبد فيها كالمسافر الذي يبقى في بادية كثيرة الطرق**) كثيرة المفارق (**غامضة المسالك في ليلة مظلمة، فلا يكاد يعلم الطريق**) ولا يهتدي إلى مفرق يكون سلوكه (**إلا بعين بصيرة**) تدرك التمييز بين تلك الطرق، (**أو طلوع شمس مشرقة**)

البصيرة ههنا هي القلب المصفى بالتقوى، والشمس المشرقة هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ مما يهدي إلى غوامض طرقه، وإلا فطرقه كثيرة وغامضة. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً وقال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطاً عن يمين الخط وعن شماله ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم تلا: ﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] لتلك الخطوط فبين ﷺ كثرة طرقه. وقد ذكرنا مثالاً للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة، فلنذكر مثالاً لطريقه الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الآدمي إلى سلوكه. وذلك كما روي

تنسخ تلك الظلمات، (**والعين البصيرة ههنا القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقة هو العلم الغزير**) أي الكثير (**المستفاد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله**) ﷺ (**فيهما يهتدي إلى غوامض طرقه، وإلاّ فطرقه كثيرة غامضة**) والمراد بالعلم هنا هو علم المعرفة المخصوص به المقربون.

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**خط لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً وقال: «هذا سبيل الله**) مستقيماً (**ثم خط خطوطاً عن يمين**) ذلك (**الخط و**) عن (**شماله قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم قال: «﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل**) فتفرق بكم عن سبيله﴾ أي (**لتلك الخطوط»**) التي عن يمينه وشماله (**فبين ﷺ كثرة طرقه**) قال العراقي: رواه النسائي في الكبير والحاكم، وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: وكذلك أخرجه عبد الرحمن وأحمد والبزار وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه وسياقهم جميعاً كسياق المصنف.

وأخرج عبد الرزاق، وابن جرير، وابن مردويه، عن ابن مسعود أن رجلاً سأله ما الصراط المستقيم؟ قال: تركنا محمد ﷺ في أدناه وطرفه الجنة وعن يمينه جواد وعن شماله جواد، وثم رجال يدعون من مرّ بهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به إلى النار، ومن أخذ على الصراط المستقيم انتهى به إلى الجنة ثم قرأ ابن مسعود ﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾ الآية.

وأخرج أحمد وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فخط هكذا أمامه فقال: «هذا سبيل الله وخطين عن يمينه وخطين عن شماله وقال هذا سبيل الشيطان ثم وضع يده في الخط الأوسط وتلا ﴿وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾ الآية.

(**وقد ذكرنا مثالاً للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يخدع به العلماء والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهرة**) فضلاً عن غيرهم، (**فلنذكر مثالاً لطريقه الواضح الذي لا يخفى إلا أن يضطر الآدمي إلى سلوكه، وذلك كما روي عن النبي ﷺ أنه**

عن النبي ﷺ انه قال: « كان راهب في بني اسرائيل فعمد الشيطان إلى جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب، فأتوا بها إليه فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها، فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان فزين له مقاربتها ولم يزل به حتى واقعها فحملت منه، فوسوس إليه وقال: الآن تفتضح يأتيك أهلها فاقتلها فإن سألوك فقل ماتت، فقتلها ودفنها، فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها، فأتاه أهلها فسألوه عنها فقال: ماتت، فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان فقال: أنا الذي خنقتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فأطعني تنج وأخلصك منهم قال: بماذا؟ قال: اسجد لي سجدتين، فسجد له سجدتين فقال له الشيطان: إني بريء منك. فهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما

قال: « كان راهب في بني إسرائيل ») أي عابد في صومعته (**فعمد الشيطان إلى جارية فخنقها**) أي لسبها وصرعها وكانت جميلة (**وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب**) أي هو يرقي عليها فيتطبب لها (**فأتوا بها إليه**) وعرضوا حالها عليه، (**فأبى أن يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها، فلما كانت عنده ليعالجها أتاه الشيطان**) من باب الشهوة (**فزين له مقاربتها**) أي ألقى في قلبه أن يجامعها (**فلم يزل به**) يخالجه ويستميله (**حتى واقعها فحملت منه، فوسوس إليه وقال: الآن تفتضح ويأتيك أهلها**) فيرون بها الحمل فيفضحونك وتسقط من مقامك عندهم، (**فاقتلها فإن سألوك فقل ماتت**) ولم يزل يسول له حتى أطاعه (**فقتلها ودفنها فأتى الشيطان أهلها فوسوس إليهم وألقى في قلوبهم أنه أحبلها ثم قتلها ودفنها، فأتاه أهلها فسألوه عنها . فقال: ماتت فأخذوه ليقتلوه بها فأتاه الشيطان، فقال: أنا الذي أخذتها وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها فاطعني تنج واسجد لي سجدتين فسجد له سجدتين، فهو الذي قال الله تعالى فيه ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك﴾**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان، وابن مردويه في تفسيره من حديث عبيد بن رفاعة مرسلاً وللحاكم نحوه موقوفاً على علي بن أبي طالب وقال: صحيح الإسناد ووصله قطين في مسنده من حديث علي اهـ.

قلت: ومرسل عبيد بن رفاعة وهو الزرقي أخرجه أيضاً البيهقي في الشعب وقالوا فيه يبلغ به النبي ﷺ.

وأخرج ابن المنذر والخرائطي في اعتلال القلوب من طريق عدي بن ثابت عن ابن عباس من قوله نحوه قال: كان راهب في بني إسرائيل متعبداً زماناً حتى كان يؤتى بالمجانين فيقرأ عليهم ويعوذهم حتى يبرؤا فأتى بامرأة في شرف قد عرض لها الجنون، فجاء بها أخواتها إليه ليعوذها وساق القصة. وفيها فاسجد لي سجدة واحدة فسجد له وكفر فقتل على ذلك الحال.

كفر قال إني بريء منك﴾ [الحشر : ١٦] . فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبائر ، وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمر هين ، وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض إلى البعض بحيث لا يجد محيصاً : فنعوذ بالله من

وأما موقوف علي عند الحاكم ، فقد أخرجه أيضاً عبد بن حميد وابن راهويه ، وأحمد في الزهد ، وعبد الرزاق والبخاري في التاريخ ، وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب بلفظ إن رجلاً كان يتعبد في صومعة وإن امرأة كانت لها أخوة فعرض لها شيء فأتوه بها فزينت له نفسه فوقع عليها إلى آخر القصة . وفي آخرها : فاسجد لي سجدة أنجيك فسجد له .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال : كان راهب من بني إسرائيل يعبد الله فيحسن عبادته وكان يؤتى من كل أرض فيسأل عن الفقه وكان عالماً وأن ثلاثة أخوة لهم أخت حسناء من أحسن الناس وأنهم أرادوا أن يسافروا وكبر عليهم أن يدعوها ضائعة ، فعمدوا إلى الراهب فقالوا : إنا نريد السفر وإنا لا نجد أحداً أوثق في أنفسنا ولا آمن عندنا منك . فإن رأيت جعلنا أختنا عندك فإنها شديدة الوجع ، فإن ماتت فلم عليها وإن عاشت فاصلح إليها حتى نرجع ، فقال : أكفيكم إن شاء الله تعالى ، فقام عليها فداواها حتى عاد إليها حسنها وإنه اطلع عليها فوجدها منصعة ولم يزل به الشيطان حتى وقع عليها فحملت ، ثم ندمه الشيطان فزين له قتلها وقال : إن لم تفعل افتضحت فلم تكن لك معذرة فلم يزل به حتى قتلها ، فلما قدم أخوتها سألوه ما فعلت قال : ماتت فدفنتها . قالوا : أحسنت فجعلوا يرون في المنام ويخبرون أن الراهب قتلها ، وأنها تحت شجرة كذا وكذا ، وأنهم عمدوا إلى الشجرة فوجدوها قد قتلت فعمدوا إليه فأخذوه . وقال الشيطان : أنا الذي زينت لك الزنا وزينت لك قتلها . فهل لك أن أنجيك وتطيعني ؟ قال : نعم قال : فاسجد لي سجدة واحدة فسجد له ، ثم قتل .

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود في هذه الآية قال : كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة اخوة وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب فنزل الراهب ففجر بها فاتاه الشيطان فقال اقتلها فقتلها ثم ساق القصة . وفيها : فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فاتوه فانزلوه . وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن طاوس نحوه .

(**فانظر الآن إلى حيله واضطراره الراهب إلى هذه الكبائر**) من الزنا والقتل والسجود لغير الله تعالى ، (**وكل ذلك في طاعته له في قبول الجارية للمعالجة وهو أمر هيّن، وربما يظن صاحبه أنه خير وحسنة فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى، فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج الأمر بعد ذلك عن اختياره ويجره البعض إلى البعض بحيث لا يجد محيصاً**) عنه ،

---

(١) لم يستوف الشارح في هذه الصحيفة والتي بعدها المتن بتمامه اهـ مصححه .

تضييع أوائل الأمور وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه».

بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب:

اعلم أن مثال القلب مثال حصن والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه، ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه، ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يدري أبوابه، فحماية القلب من وسواس الشيطان واجبة وهو فرض عين على كل عبد مكلف، وما لا يتوصل إلى الواجب إلاَّ به فهو أيضاً واجب، ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة. ومداخل الشيطان وأبوابه صفات العبد وهي كثيرة، ولكنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان.

فمن أبوابه العظيمة: الغضب والشهوة؛ فإن الغضب هو غول العقل وإذا ضعف جند

(فنعوذ بالله من تضييع أوائل الأمور) ومن ضيع الأصول حرم الوصول، **(وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه»)** متفق عليه من حديث النعمان بن بشير «من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه» لفظ البخاري.

بيان تفصيل مداخل الشيطان إلى القلب:

(اعلم أن مثال القلب مثال حصن) منيع وله أبواب **(والشيطان)** كأنه **(عدوّ يريد أن يدخل الحصن فيملكه ويستولي عليه، ولا يقدر على حفظ الحصن من العدوّ إلا بحراسة أبواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه)** أي الثقب والكسر، **(ولا يقدر على حراسة أبوابه من لا يعرف أبوابه، فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجب)** وأمره أكيد، **(وهو فرض عين على كل مكلف)** كما ذهب إليه عبد الرحيم بن يحيى الأرموي ومن تبعه وقد تقدم قريباً، **(وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو أيضاً واجب ولا يتوصل إلى دفع الشيطان إلا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخله واجبة ومداخل الشيطان وأبوابه)** التي يدخل بها على القلب **(صفات العبد)** فإنها بمنزلة الأبواب والمداخل بالنسبة إليه، **(وهي كثيرة. ولكنا نشير إلى الأبواب العظيمة الجارية مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان)** وأصل الدرب المضيق بين الجبلين.

(فمن أبوابه العظيمة: الغضب والشهوة فإن الغضب هو غول العقل) أي يتغول به

العقل هجم جند الشيطان. ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة، فقد روي أن موسى عليه السلام لقيه إبليس فقال له: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليماً وأنا خلق من خلق الله أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي أن يتوب عليّ قال موسى: نعم فلما صعد موسى الجبل وكلم ربه عز وجل وأراد النزول قال له ربه: أدّ الأمانة، فقال موسى: يا رب عبدك إبليس يريد أن تتوب عليه، فأوحى الله تعالى إلى موسى: يا موسى قد قضيت حاجتك مُرْهُ أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه، فلقي موسى إبليس فقال له: قد قضيت حاجتك أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك، فغضب واستكبر وقال: لم أسجد له حياً أأسجد له ميتاً؟ ثم قال: يا موسى إن لك عليَّ حقاً بما شفعت لي إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهن: اذكرني حين تغضب فإن روحي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم، واذكرني إذا غضبت فإنه إذا غضب الإنسان نفخت في أنفه فما يدري ما يصنع، واذكرني حين تلقى الزحف فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فاذكره زوجته وولده وأهله حتى يولي، وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم فإني رسولها إليك ورسولك إليها فلا أزال حتى أفتنك بها وافتنها بك. فقد أشار بهذا إلى الشهوة والغضب والحرص فإن الفرار من الزحف حرص على الدنيا، وامتناعه من السجود لآدم ميتاً هو

العقل، (**وإذا ضعف جند القلب هجم جند الشيطان**) وجند العقل هو العلم بالله، وجند الشيطان الجهل والطمع وحب الدنيا. (**ومهما غضب الإنسان لعب الشيطان به كما يلعب الصبي بالكرة**) يدحرجه كيف يشاء كما يفعل الصبي بالكرة، (**كما روي**) في الإسرائيليات (**إن موسى عليه السلام لقيه إبليس فقال له: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليماً، وأنا خلق من خلق الله أذنبت**) وعصيت، (**وأريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربي أن يتوب عليّ**) أي يقبل توبتي. (**فقال**) له (**موسى: نعم فدعا موسى ربه عز وجل فأوحى الله تعالى إلى موسى يا موسى: قد قضيت حاجتك مره أن يسجد لقبر آدم حتى يتاب عليه فلقي موسى إبليس فقال: قد أمرت أن تسجد لقبر آدم حتى يتاب عليك، فغضب**) إبليس (**واستكبر وقال: لم أسجد له حياً أأسجد له ميتاً؟ ثم قال: يا موسى إن لك علي حقاً لما شفعت لي إلى ربك فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيهن: اذكرني حين تغضب فإن روحي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم، واذكرني حين تلقى الزحف**) أي صف الكفار، (**فإني آتي ابن آدم حين يلقي الزحف فاذكره زوجته وولده وأهله حتى يولي**) ظهره، (**وإياك أن تجلس إلى امرأة ليست بذات محرم، فأنا رسولها إليك ورسولك إليها فقد أشار**) إبليس (**بهذا إلى الشهوة والغضب والحرص، فإن الفرار من الزحف حرص**

الحسد وهو أعظم مداخله، وقد ذكر أن بعض الأولياء قال لإبليس: أرني كيف تغلب ابن آدم؟ فقال: آخذه عند الغضب وعند الهوى، وقد حكي أن إبليس ظهر لراهب فقال له الراهب: أي أخلاق بني آدم أعون لك؟ قال، الحدة فإن العبد إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة. وقيل: إن الشيطان يقول: كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه؟

ومن أبوابه العظيمة: الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصاً على كل شيء أعماه حرصه وأصمّه إذ قال ﷺ: «حبك للشيء يعمي ويصم» ونور البصيرة هو الذي

على الدنيا وامتناعه من السجود لآدم ميتاً هو الحسد وهو أعظم مداخله) كما سيأتي في عدم سجوده لآدم ميتاً أيضاً أنفة وعجب وكبر، وكل هؤلاء من مداخله في بني آدم كما سيأتي ذلك كله. **(وقد ذكر)** في بعض الكتب **(أن بعض الأولياء قال لإبليس: أرني كيف تغلب ابن آدم؟ فقال: آخذه عند الغضب وعند الهوى)** أي ميل النفس إلى أمر دنيوي، **(فقد حكي أن إبليس ظهر لراهب)** من رهبان بني إسرائيل **(فقال له الراهب: أي أخلاق بني آدم أعون لك)** أي أكثر عوناً لك في ملكه والدخول عليه؟ **(قال: الحدة)** وهي التسرع في الغضب، **(فإن العبد إذا كان حديداً)** في غضبه **(قلبناه كما تقلب الصبيان الكرة، وقيل: إن الشيطان يقول: كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه)**؟ وابن آدم لا يخلو من تينك الحالتين وهو فيهما ملازم له يعده ويمنيه ويراه من حيث لا يراه، فكيف يغلبه؟

(ومن أبوابه العظيمة الحسد والحرص، فمهما كان الحرص على كل شيء أعماه حرصه وأصمه. إذ قال ﷺ: «حبك الشيء يعمي ويصم») رواه أبو داود من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف قاله العراقي.

قلت: وكذلك رواه العسكري في الأمثال كلاهما من طريق بقية بن الوليد، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، عن خالد بن محمد الثقفي، عن بلال بن أبي الدرداء عن أبيه مرفوعاً. ولم ينفرد بقية فقد تبعه أبو حيدة شريح بن يزيد ومحمد بن حرب كما عند العسكري، ويحيى البابلي كما عند القضاعي في مسنده، وعصام بن خالد ومحمد بن مصعب كما عند أحمد في مسنده، وابن أبي مريم ضعيف لا سيما وقد رواه أحمد عن أبي اليمان عن ابن أبي مريم فوقفه، والأول أكثر. وقد بالغ الصغاني فحكم عليه بالوضع وتعقبه العراقي بأن ابن أبي مريم لم يتهمه أحد بالكذب، وإنما هو ضعيف ويكفي سكوت أبي داود وعليه فليس بموضوع ولا شديد الضعف بل هو حسن.

والمعنى أن من الحب ما يعمي عن طريق الرشد، ويصم عن استماع الحق، وأن الرجل إذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له داع من عقل أو دين أصمه حبه عن العدل وأعماه عن الرشد قاله العسكري، وقيل: معناه يعمي ويصم عن الآخرة، وفائدته النهي عن حب ما لا ينبغي الإغراق في حبه.

يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر ، فحينئذ يجد الشيطان فرصة فيحسن عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكراً وفاحشاً ، فقد روي أن نوحاً عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى فرأى في السفينة شيخاً لم يعرفه فقال له نوح : ما أدخلك ؟ فقال : دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك ، فقال له نوح : اخرج منها يا عدوّ الله فإنك لعين ، فقال له إبليس : خمس أهلك بهن الناس سأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين ، فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين ، فقال له نوح : ما الاثنتان ؟فقال : هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما.أهلك الناس ، الحرص والحسد ، فبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً وأما الحرص فإنه أبيح لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فأصبت حاجتي منه بالحرص .

ومن أبوابه العظيمة : الشبع من الطعام وإن كان حلالاً صافياً ؛ فإن الشبع يقوي الشهوات والشهوات أسلحة الشيطان . فقد روي أن إبليس ظهر ليحي بن زكريا عليهما

(ونور البصيرة هو الذي يعرف مداخل الشيطان فإذا غطاه الحسد والحرص لم يبصر فحينئذ يجد الشيطان فرصة) أي اختلاساً حذراً من فواته ، **(فيحسن)** أي يزين **(عند الحريص كل ما يوصله إلى شهوته وإن كان منكراً أو فاحشاً)** لكنه موافق لما تشتهيه نفسه ، **(فقد روي أن نوحاً عليه السلام لما ركب السفينة حمل فيها من كل زوجين اثنين كما أمره الله تعالى ، فرأى في السفينة شيخاً لم يعرفه ، فقال : ما أدخلك؟ فقال : دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معي وأبدانهم معك . فقال له نوح)** عليه السلام وقد عرفه : **(أخرج منها يا عدو الله فإنك لعين)** أي مبعد عن رحمة الله ، **(فقال له إبليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين ، فأوحى الله تعالى إلى نوح لا حاجة لك بالثلاث فليحدثك بالاثنتين . فقال : ما الاثنتان؟ فقال : هما اللتان لا تكذباني هما اللتان لا تخلفاني بهما أهلك الناس جميعاً . الحرص والحسد ، فبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً)** يشير إلى ما صنعه من أبائه للسجود لآدم حسداً منه عليه ، **(وأما الحرص فإنه أبيح لآدم الجنة كلها إلا الشجرة فاصبت حاجتي منه بالحرص)** يشير إلى ما وقع منه من القربان إلى الشجرة المنهي عن أكلها ، وإنما ذلك حرصاً على طول بقائه بتمنية الشيطان واغرائه له .

(ومن أبوابه العظيمة : الشبع من الطعام وإن كان حلالاً صافياً) لا شبهة فيه ، **(فإن الشبع يقوّي الشهوات والشهوات مسلحة الشيطان)** جمع سلاح ، **(فقد روي أن أبليس ظهر ليحي بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء)** جمع معلاق ما يعلق به اللحم

السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له: يا ابليس ما هذه المعاليق؟ قال: هذه الشهوات التي أصبت بها ابن آدم فقال: فهل لي فيها من شيء قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر، قال: فهل غير ذلك؟ قال: لا. قال لله علي أن لا أملأ بطني من الطعام أبداً. فقال له إبليس: ولله علي أن لا انصح مسلماً أبداً. ويقال في كثرة الأكل ست خصال مذمومة؛ أولها: أن يذهب خوف الله من قلبه. الثاني: أن يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن انهم كلهم شباع. والثالث: أنه يثقل عن الطاعة. والرابع: أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة. والخامس: أنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس. والسادس: أنه يهيج فيه الأمراض.

ومن أبوابه: حب التزين من الأثاث والثياب والدار، فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالباً على قلب الإنسان باض فيه وفرخ، فلا يزال يدعوه إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها ويدعوه إلى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره، وإذا أوقعه في ذلك فقد استغنى أن يعود إليه ثانية، فإن بعض ذلك يجره إلى البعض فلا يزال يؤدبه من شيء إلى شيء إلى أن يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى ويخشى من ذلك سوء العاقبة بالكفر نعوذ بالله منه.

وغيره، وما يعلق بالزاملة أيضاً نحو القمقمة والمطهرة والقربة. (**فقال له: يا إبليس ما هذه المعاليق؟ قال: هذه الشهوات التي أصيب بها ابن آدم. قال: فهل فيها من شيء؟ قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر. قال: فهل غير ذلك؟ قال: لا. قال لله عليّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً فقال له إبليس: ولله عليَّ أن لا أنصح مسلماً أبداً**).

(**ومن أبوابه**) التي يدخل منها (**حب التزين من الأثاث**) أي أمتعة الدار (**والثياب**) وهي ما يلبسها (**والدار**) التي يسكنها (**فإن الشيطان إذا رأى ذلك غالباً على قلب الإنسان باض فيه وفرخ**) وهو كناية عن استدامة اللبث والإقامة فيه، (**فلا يزال يدعوه**) أولاً (**إلى عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع أبنيتها**) وكثرة مرافقها (**ويدعوه**) ثانياً (**إلى التزين بالثياب**) الفاخرة (**والدواب**) الفارهة (**ويستسخره فيها طول عمره، وإذا أوثقه فيها فقد استغنى أن يعود إليه**) مرة (**ثانية فإن بعض ذلك يجر إلى البعض**) ويمده (**فلا يزال يؤديه من شيء إلى شيء**) مثله (**إلى أن يساق إليه أجله**) المحتوم (**فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى**) النفسي (**ويخشى**) عليه (**من ذلك سوء العاقبة بالكفر. نعوذ بالله منه**) وهذا مشاهد الآن في أكثر الناس.

ومن أبوابه العظيمة: الطمع في الناس لأنه إذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحبب إليه التصنع والتزين لمن طمع فيه بأنواع الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك. وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقد روى صفوان بن سليم أن إبليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له: يا ابن حنظلة احفظ عني شيئاً أعلمك به فقال: لا حاجة لي به. قال: انظر فإن كان خيراً أخذت وإن كان شراً رددت، يا ابن حنظلة لا تسأل أحداً غير الله سؤال رغبة، وانظر كيف تكون إذا غضبت، فإني أملكك إذا غضبت.

ومن أبوابه العظيمة: العجلة وترك التثبت في الأمور، وقال ﷺ: «العجلة من

(ومن أبوابه العظيمة الطمع) في الناس، **(فإذا غلب الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحسن إليه)** أي يزين في عينه **(التصنع والتزين)** أي إظهار الصنع والزينة **(لمن طمع فيه)** أي في ماله أو جاهه **(بأنوع)** من **(الرياء والتلبيس حتى يصير المطموع فيه كأنه معبوده، فلا يزال يتفكر في حيلة التودد والتحبب إليه، ويدخل كل مدخل للوصول إلى ذلك)** صعب ذلك المدخل أو هان، **(وأقل أحواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة له بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد روى صفوان بـن سلمة)** كذا في النسخ، والصواب ابن سليم كما في نسخة صحيحة، وهو أبو عبد الله المدني الفقيه وهو من موالي بني زهرة. قال ابن سعد: ثقة كثير الحديث عابد، وقال أحمد: هذا رجل يستسقي بحديثه، وينزل القطر من السماء بذكره، وقال مالك: كانت ترم رجلاه من قيام الليل وتظهر فيه عروق خضر. قيل: إنه حلف أن لا يضع جنبه على الأرض فمكث على ذلك أربعين عاماً ومات وإنه لجالس سنة ١٣٣ روى له الجماعة. **(أن إبليس تمثل لعبد الله بن حنظلة)** بن أبي عامر الراهب الأنصاري، له رواية، وأبوه حنظلة غسيل الملائكة قتل يوم أحد واستشهد عبد الله يوم الحرة في ذي الحجة سنة ١٧٣. وكان أمير الانصار بها روى له أبو داود. **(فقال: يا ابن حنظلة احفظ عني شيئاً أعلمكه. فقال: لا حاجة لي به. قال: انظر فإن كان خيراً أخذت، وإن كان شراً رددت. يا ابن حنظلة: لا تسأل أحداً غير الله سؤال رغبة، وانظر كيف تكون إذا غضبت)** يعني كف نفسك عن إنزال حاجتها لغير الله تعالى واحفظها عند الغضب.

(ومن أبوابه العظيمة: العجلة) أي الإسراع، **(وترك التثبت في الأمور. قال ﷺ «العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالى»)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث سهل بن سعد بلفظ «الاناة» وقال حسن اهـ.

الشيطان والتأني من الله تعالى » وقال عز وجل : ﴿ خُلِقَ الإنسانُ من عَجَل ﴾ [الأنبياء : ٣٧] وقال تعالى : ﴿ وكان الإنسانُ عجولاً ﴾ [الاسراء : ١١] وقال لنبيه ﷺ : ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضي إليك وحيُهُ ﴾ [طه : ١١٤] وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة والمعرفة ، والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتمهل ، والعجلة تمنع من ذلك ، وعند الاستعجال يروّج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري . فقد روي أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا : أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها ، فقال : هذا حادث قد حدث ، مكانكم ! فطار حتى أتى خافقي الأرض فلم يجد شيئاً ، ثم وجد عيسى عليه

قلت : لفظ الترمذي « الأناة من الله والعجلة من الشيطان » وهكذا رواه العسكري في الأمثال كلاهما من طريق عبد المهيمن بن عباس بن سهل الساعدي عن أبيه عن جده مرفوعاً به . وقال الترمذي حسن غريب وقد تكلم بعضهم في عبد المهيمن وضعفه من قبل حفظه .

وروى أبو بكر بن أبي شيبة وأبو يعلى عنه وابن منيع والحرث بن أبي أسامة كلهم في مسانيدهم من طريق سنان بن سعد عن أنس مرفوعاً بلفظ « التأني من الله والعجلة من الشيطان » . وأخرجه البيهقي في السنن كذلك فسمى الراوي عن أنس سعد بن سنان وهو ضعيف ، وقيل : لم يسمع من أنس .

وروى العسكري من طريق سهل بن أسلم عن الحسن رفعه مرسلاً « التبين من الله والعجلة من الشيطان فبينوا » قال . والتبين عند أهل اللغة مثل التثبت في الأمور والتأني وقد تقدم في كتاب العلم عند قصة حاتم الأصم ما استثنى من العجلة واستحب فيه الإسراع .

(وقال) الله **(تعالى ﴿ خلق الإنسان من عجل ﴾ وقال تعالى ﴿ وكان الإنسان عجولاً ﴾ وقال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضي إليك وحيه ﴾)** وذلك حين كان ﷺ يتلقف القرآن من جبريل عليه السلام فيتسارع إلى أخذه خوفاً من نسيان شيء منه ، فأمر بعدم العجلة فيه وضمن له بأن يحفظه ويجمعه في صدره ، **(وهذا لأن الأعمال ينبغي أن تكون بعد التبصرة والمعرفة والتبصرة تحتاج إلى تأمل وتمهل ، والعجلة تمنع من ذلك)** . فقد روى البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس رفعه « إذا تأنيت اصبت أو كدت وإذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطيء » وقد قيل في ذلك :

قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

(وعند الاستعجال يروّج الشيطان شره على الإنسان من حيث لا يدري فقد روي أنه لما ولد عيسى عليه السلام أتت الشياطين إبليس) أي رئيسهم . **(فقالوا : أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها . فقال: هذا حادث قد حدث)** الزموا **(مكانكم)** حتى آتيكم بخبره ، **(فطار حتى أتى خافقي الأرض)** أي جانبيه ، **(فلم يجد شيئاً ثم وجد عيسى عليه السلام قد**

السلام قد ولد وإذا الملائكة حافين به ، فرجع إليهم فقال : إن نبياً قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلاَّ هذا ، فأيسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة .

ومن أبوابه العظيمة : الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار ؛ فإن كل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب . فلو وجد مائة دينار مثلاً على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى ، وقد كان قبل وجود المائة مستغنياً ، فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنياً وقد صار محتاجاً إلى تسعمائة ليشتري داراً يعمرها وليشتري جارية وليشتري أثاث البيت ويشتري الثياب الفاخرة ، وكل شيء من ذلك يستدعي شيئاً آخر يليق به . وذلك لا آخر له فيقع في هاوية آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواها .

ولد ، وإذا بالملائكة حافين به) أي مجتمعين حواليه ، **(فرجع إليهم فقال: إن نبياً قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا فأيسوا)** أي اقطعوا طمعكم **(من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة، ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة)** أي فلم يكن لكم مدخل فيهم إلا من هذا الباب فقط ، وقد حماه الله تعالى من حضور الشيطان عند ولادته والطعن في خاصرته كما ثبت ذلك في الأخبار الصحيحة ، فقد روى أحمد وابن أبي شيبة ومسلم من حديث أبي هريرة « مامن مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه » . وعند ابن جرير « ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى ابن مريم ومريم » .

(ومن أبوابه العظيمة: الدراهم والدنانير وسائر أصناف الأموال من العروض والدواب والعقار ، فكل ما يزيد على قدر القوت والحاجة فهو مستقر الشيطان فإن من معه قوته فهو فارغ القلب) عن همّ المعيشة ، **(فلو وجد مائة دينار مثلاً على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات تحتاج كل شهوة منها إلى مائة دينار أخرى . فلا يكفيه ما وجد بل يحتاج إلى تسعمائة أخرى، وقد كان قبل وجود المائة مستغنياً فالآن لما وجد مائة ظن أنه صار بها غنياً وقد صار محتاجاً إلى تسعمائة ليشتري)** من بعضها **(داراً يعمرها ويشتري)** من البعض **(جارية)** يتسراها ، **(ويشتري)** من البعض **(أثاث البيت)** من فرش وذخيرة ، **(ويشتري)** من البعض **(الثياب الفاخرة)** لنفسه ، **(وكل شيء من ذلك يستدعي شيئاً آخر يليق به)** مما لا يفي به ذلك المال ، **(وذلك لا آخر له فيقع في هاوية)** إحدى دركات النار **(آخرها عمق جهنم فلا آخر لها سواها)** .

قال ثابت البناني لما بعث رسول الله ﷺ قال إبليس لشياطينه: لقد حدث أمر فانظروا ما هو فانطلقوا حتى أعيوا ثم جاؤوه وقالوا: ما ندري؟ قال أنا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء وقال: قد بعث الله محمداً ﷺ قال: فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فينصرفون خائبين ويقولون: ما صحبنا قوماً قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحى ذلك، فقال لهم إبليس: رويداً بهم عسى الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا.

وروي أن عيسى عليه الصلاة والسلام توسد يوماً حجراً فمرّ به إبليس فقال: يا عيسى رغبت في الدنيا؟ فاخذه عيسى ﷺ فرمى به من تحت رأسه وقال: هذا لك مع الدنيا، وعلى الحقيقة من يملك حجراً يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن

(**قال ثابت**) بن أسلم (**البناني**) أب محمد البصري المتوفي سنة بضع وعشرين عن ست وثمانين، روى له الجماعة: (**لما بعث رسول الله ﷺ قال إبليس لشياطينه**) وهم جنده وعساكره. (**لقد حدث أمر**) من قبل رجمهم بالكواكب ومنعهم عن استراق السمع، (**فانظروا ما هو فانطلقوا**) ينظرون (**حتى أعيوا**) أي عجزوا (**ثم جاؤوه وقالوا: ما ندري**) الذي حدث. (**قال: أنا آتيكم بالخبر، فذهب ثم جاء وقال: قد بعث الله محمداً ﷺ قال: فجعل يرسل شياطينه إلى أصحاب النبي ﷺ فينصرفون خائبين ويقولون: ما صحبنا قوماً قط مثل هؤلاء نصيب منهم**) بالوسوسة والقاء الشهوات، (**ثم يقومون إلى صلاتهم فيمحى ذلك فقال لهم: رويداً بهم عسى الله أن يفتح لهم بالدنيا فنصيب منهم حاجتنا**) أي تكثر مداخلنا فيهم فنملكهم بذلك. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان هكذا مرسلاً اهـ.

قلت: وقد أخرج بعض هذه القصة ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وصححه والنسائي وابن جرير والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معاً في دلائل النبوّة عن ابن عباس قال: كان الشياطين لهم مقاعد في السماء يستمعون فيها الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً، فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم ترمى بها قبل ذلك. فقال لهم إبليس: ما هذا إلا لأمر حدث في الأرض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلي نخلة فأتوه فأخبروه، فقالوا: هذا الحدث الذي حدث في الأرض.

وأخرج الواقدي وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عمر وقال: لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله ﷺ منعت الشياطين من السماء ورموا بالشهب. وأخرجا عن أبي بن كعب قال: لم يرم بنجم منذ رفع عيسى حتى تنبأ رسول الله ﷺ رمى بها.

(**وروي أن عيسى عليه السلام توسد يوماً حجراً**) أي جعله وسادة له (**فمرّ به إبليس فقال: يا عيسى رغبت في الدنيا فأخذه عليه السلام فرمى به من تحت رأسه وقال: هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقة من يملك حجراً يتوسد به عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن أن**

أن يكون عدّة للشيطان عليه. فان القائم بالليل مثلاً للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر، يمكن أن يتوسده فلا يزال يدعوه إلى النوم وإلى أن يتوسده، ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر ذلك بباله ولا يتحرك رغبته إلى النوم. هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيرة والفرش الوطيئة والمتنزهات الطيبة فمتى ينشط لعبادة الله تعالى؟

ومن أبوابه العظيمة: البخل وخوف الفقر: فإن ذلك هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو إلى الادخار والكنز والعذاب الأليم وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن العزيز. قال خيثمة بن عبد الرحمن: إن الشيطان يقول: ما غلبني ابن آدم غلبة فلن يغلبني على ثلاث» أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه. وإنفاقه في غير حقه. ومنعه من حقه. وقال سفيان: ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء.

يكون عدة للشيطان عليه، فإن القائم بالليل مثلاً للصلاة مهما كان بالقرب منه حجر يمكن أن يتوسده) ويتكيء عليه، **(فلا يزال يدعوه إلى النوم وإلى أن يتوسده، ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر بباله ذلك، ولا يتحرك رغبته في النوم هذا في حجر، فكيف)** حال **(من يملك المخاد الوثيرة)** أي اللينة المحشوة بالقطن والصوف أو الريش، **(والفرش اللينة)** المحشوّة، **(والمتنزهات الطيبة، فمتى ينشط لعبادة الله تعالى)** هيهات! وذلك قد جرت به العادة ومعاداتها أصعب ما يكون.

(ومن أبوابه العظيمة: البخل وخوف الفقر) في الحال والمستقبل، **(فإن ذلك هو الذي يمنع)** الإنسان **(من الانفاق)** في سبيل الله **(و)** من **(التصدق)** على المستحقين، **(ويدعو إلى الادخار والكنز والعذاب الأليم)** أي الموجع، **(وهو الموعود للمكاثرين كما نطق به القرآن)** وهو قوله تعالى ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ [التوبة: ٣٤].

(وقال خيثمة بن عبد الرحمن) بن أبي سبرة يزيد بن مالك الجعفي لأبيه ولجده صحبة. قال ابن معين والنسائي: ثقة. وقال العجلي: كان رجلاً صالحاً. وكان سخياً. قال: ورؤي على إبراهيم النخعي قباء فقيل له: من أين لك هذا؟ فقال: كسانيه خيثمة. مات بعد سنة ثمانين روى له الجماعة **(أن الشيطان يقول: ما غلبني ابن آدم غلبة فلن يغلبني على ثلاث)** خصال: **(أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه وإنفاقه في غير حقه ومنعه من حقه)** أي يأخذ من حيث لا يستحق أخذه، وينفق على من لا يستحقه، ويمنع عمن يستحقه. **(وقال سفيان)** الثوري: **(ليس للشيطان سلاح)** يقاتل به ابن آدم **(مثل خوف الفقر، فإذا قبل ذلك منه أخذ في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه ظن السوء)** وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ [البقرة: ٢٦٨].

ومن آفات البخل، الحرص على ملازمة الأسواق لجمع المال، والأسواق هي معشش الشياطين وقال أبو أمامة إن رسول الله ﷺ قال: «إن ابليس لما نزل إلى الارض قال: يا رب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيماً فاجعل لي بيتاً. قال: الحمام، قال: اجعل لي مجلساً. قال: الأسواق ومجامع الطرق. قال: اجعل لي طعاماً. قال: طعامك ما لم يذكر اسم الله عليه، قال: اجعل لي شراباً. قال: كل مسكر، قال: اجعل لي مؤذناً قال: المزامير، قال: اجعل لي قرآناً. قال: الشعر، قال: اجعل لي كتاباً. قال الوشم، قال: اجعل لي حديثاً. قال الكذب، قال: اجعل لي مصائد قال: النساء».

ومن أبوابه العظيمة: التعصب للمذاهب والأهواء والحقد على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار، وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعاً فإن الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية، فإذا خيل إليه

(ومن آفات البخل الحرص على ملازمة الأسواق لجمع الأموال) وكذا المسافرة إلى بلاد بعيدة وركوب الأخطار لذلك. **(والأسواق هي معشش الشياطين)** أي مجمعهم الذي يلازمونه ويركزون فيها راياتهم. **(وروى أبو أمامة)** الباهلي رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ قال «إن إبليس لما نزل إلى الأرض قال: يا رب أنزلتني إلى الأرض وجعلتني رجيماً)** أي مرجوماً مطروداً **(فاجعل لي بيتاً)** آخر. **قال: الحمام)** فهو يسكن فيه دائماً إذ هو محل كشف العورات. **(قال: اجعل لي مجلساً)** أجلس فيه. **(قال: الاسواق ومجامع الطرق)** فهي محل انتشارهم. **(قال: اجعل لي طعاماً. قال: ما لم يذكر اسم الله عليه. قال: اجعل لي شراباً. قال: كل مسكر. قال: اجعل لي مؤذناً. قال: المزامير. قال: اجعل لي قرآناً. قال: الشعر. قال: اجعل لي كتاباً قال الوشم)** وهو غرز الجلد بالإبرة ثم يذر عليه النؤر وهو دخان الشحم حتى يخضر، وقد وشمت المرأة يدها وشماً إذا فعلت ذلك وهو من فعل الجاهلية، وقد بقي عادة في عوام الريف. **(وقال: اجعل لي حديثاً. قال: الكذب. قال: اجعل لي مكائد. قال: النساء»)** فهن حبائل الشيطان، كما رواه أبو نعيم في الحلية من حديث عبد الرحمن بن عابس بلفظ «الشباب شعبة من الجنون. والنساء حبالة الشيطان» ورواه ابن لال من حديث ابن مسعود، وأكثر الروايات «حبائل الشيطان» بلفظ الجمع. قال العراقي: حديث أبي أمامة هذا رواه الطبراني في الكبير وإسناده ضعيف جداً. ورواه بنحوه من حديث ابن عباس باسناد ضعيف أيضاً.

(ومن أبوابه العظيمة التعصب للمذاهب والأهواء) المختلفة **(والحقد)** أي اضمار العداوة **(على الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار، وذلك مما يهلك العباد والفساق جميعاً، فالطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصهم صفة مجبولة في الطبع من الصفات السبعية)** البهيمية، **(فإذا خيل إليه الشيطان)** أي ألقى في خياله **(أن ذلك هو الحق**

الشيطان أن ذلك هو الحق وكان موافقاً لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته، وهو بذلك فرحان مسرور يظن أنه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشياطين، فترى الواحد منهم يتعصب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول والكذب ومتعاط لأنواع الفساد، ولو رآه أبو بكر لكان أول عدوّ له إذ موالي أبي بكر من أخذ سبيله وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه، وكان من سيرته رضي الله عنه أن يضع حصاة في فمه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فأنى لهذا الفضولي أن يدعي ولاءه وحبه ولا يسير بسيرته؟ وترى فضولياً آخر يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي وسيرته أنه لبس في خلافته ثوباً اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرسغ، وترى الفاسق لابساً لثياب الحرير ومتجملاً بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب علي رضي الله عنه ويدعيه وهو أوّل خصمائه يوم القيامة، وليت شعري

وكان موافقاً لطبعه غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همه وهو بذلك فرحان مسرور يظن) في نفسه **(أنه يسعى في الدين وهو ساع في اتباع الشيطان، فترى الواحد منهم يتعصب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه)** أي في محبته وتفضيله على غيره من الصحابة **(وهو آكل الحرام ومطلق اللسان بالفضول)** والهذيان **(والكذب ومتعاط لأنواع الفساد، ولو رآه أبو بكر)** رضي الله عنه **(لكان أول عدوّه)** أي أول من يعاديه وينكر عليه **(إذ موالي أبي بكر)** رضي الله عنه **(من أخذ سبيله)** وسلك منهاجه. **(وسار بسيرته وحفظ ما بين لحييه)** أي من أكل الحرام والكلام فيما لا يعني. **(وكان من سيرته رضي الله عنه أن يضع حصاة في فمه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه)**، ومن سيرته أيضاً أنه كان لا يأكل الا من حلّ ولا يستقر في جوفه ما فيه شبهة **(فأنّى لهذا الفضولي أن يدعي ولاءه وحبه)** وهو يـأكـل الحرام ويتكلم بما لا يعني، **(وترى فضولياً آخر يتعصب لعلي)** رضي الله عنه ويذهب إلى حبه وتفضيله على غيره، **(وكان من زهد علي)** رضي الله عنه **(وسيرته أن لبس في خلافته ثوباً اشتراه بثلاثة دراهم وقطع رأس الكمين إلى الرسغ)**.

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا عبد الله بـن مطيع، حدثنا هشيم عن إسماعيل بن سالم، عن أبي سعيد الأزدي قال: رأيت علياً أتى السوق وقال: من عنده قميص صالح بثلاثة دراهم؟ فقال رجل: عندي فجاء به فأعجبه فقال: لعله خير من ذلك. قال: لا. ذلك ثمنه. قال: فرأيت علياً يقرض رباط الدراهم من ثوبه فأعطاه فلبسه وإذا هو بفضل من أطراف أصابعه فأمر به فقطع ما فضل من أطراف أصابعه.

(وترى الفاسق لابساً لثياب الحرير ومتجملاً بأموال اكتسبها من حرام وهو يتعاطى حب علي) رضي الله عنه **(ويدعيه، وهو أوّل خصمائه يوم القيامة. وليت شعري من أخذ**

من أخذ ولداً عزيزاً لإنسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاءه فكيف يكون حاله عنده؟ ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم، من الأهل والولد بل من أنفسهم والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به إلى عدوّ الله إبليس وعدوّ أوليائه فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند الصحابة وعند أولياء الله تعالى؟ لا بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في أمة رسول الله ﷺ لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم. ثم إن الشيطان يخيل إليهم أن من مات محباً لأبي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله، ويخيل إلى الآخر أنه إذا مات محباً لعلي لم يكن عليه خوف، وهذا رسول الله ﷺ يقول لفاطمة رضي الله عنها وهي بضعة منه «اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئاً» وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء. وهكذا حكم المتعصبين للشافعي

ولداً عزيزاً لإنسان هو قرة عينه وحياة قلبه فأخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب أبيه وولاءه، فكيف يكون حاله عنده) ؟ أيقربه عنده ويصدق حبه له أم يبعده ويبغضه؟ **(ومعلوم أن الدين والشرع كانا أحب)** الأشياء **(إلى أبي بكر وعلي)** رضي الله عنهما، بل **(و)** إلى **(سائر الصحابة رضي الله عنهم من الأهل والولد بل من أنفسهم)** كما هو ظاهر لمن سبر أخبارهم وعرف سيرتهم، **(والمقتحمون لمعاصي الشرع هم الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون به إلى عدو الله إبليس وعدو أوليائه، فترى كيف يكون حالهم يوم القيامة عند)** لقاء **(الصحابة وعند)** لقاء **(أولياء الله تعالى؟ بل لو كشف الغطاء وعرف هؤلاء ما تحبه الصحابة في أمة رسول الله ﷺ لاستحيوا أن يجروا على اللسان ذكرهم مع قبح أفعالهم)** وسوء سيرتهم، **(ثم الشيطان يخيل إليهم أن من مات محباً لأبي بكر وعمر)** رضي الله عنهما **(فالنار لا تحوم حوله)** أي لا تقربه، **(ويخيل إلى الآخر أنه إذا مات محباً لعلي)** رضي الله عنه **(لم يكن عليه خوف، وهذا رسول الله ﷺ يقول لفاطمة رضي الله عنها وهي بضعة منه)** كما رواه الشيخان وأحمد والحاكم من حديث المسور بن مخرمة «فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها» وعند البخاري في التاريخ «فمن أغضبها فقد أغضبني يا فاطمة **(اعملي)** لله خيراً **(فإني لا أغني عنك من الله شيئاً)** يوم القيامة». قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه أيضاً البيهقي في السنن بلفظ «يا فاطمة بنت محمد اشتري نفسك من النار فإني لا أملك لك شيئاً» رواه البزار من حديث سماك بن حذيفة عن أبيه بلفظ «يا فاطمة بنت رسول الله اعملي خيراً فإني لا أغني عنك من الله شيئاً».

(وهذا مثال أوردناه من جملة الأهواء، وهكذا حكم المتعصبين للشافعي وأبي حنيفة

وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من الائمة فكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له: كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان، وكان الحديث باللسان لأجل العمل لا لأجل الهذيان؛ فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته وذهبت فيه إلى الله تعالى، ثم ادعيت مذهبي كاذباً؟ وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم، وقد سلمت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتعصب، فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكائد الشيطان فيه، بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا وأهلكوا فالله تعالى يتوب علينا وعليهم. وقال الحسن: بلغنا أن إبليس قال: سوّلت لأمة محمد ﷺ المعاصي فقصموا ظهري بالاستغفار فسوّلت لهم ذنوباً لا يستغفرون الله تعالى منها وهي الأهواء. وقد صدق الملعون فإنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون منها؟

ومالك وأحمد وغيرهم من الأئمة) المتبوعين رضي الله عنهم، **(فكل من ادعى مذهب إمام وهو ليس يسير بسيرته)** المعهودة عنه من زهد في الدنيا وتقوى من الله وإخلاص في العمل، **(فذلك الإمام هو خصمه يوم القيامة إذ يقول له: كان مذهبي العمل)** بالعلم الذي تلقفته **(دون الحديث باللسان، و)** إنما **(كان الحديث باللسان لأجل العمل)** به **(لا لأجل الهذيان)** والتعصبات، **(فما بالك خالفتني في العمل والسيرة التي هي مذهبي ومسلكي الذي سلكته، وذهبت إليه)** وحثيت عليه **(ثم ادعيت مذهبي كاذباً. وهذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان قد أهلك به أكثر العالم، وقد سلمت المدارس لأقوام قل من الله خوفهم وضعفت في الدين بصيرتهم وقويت في الدنيا رغبتهم)** واطماعهم، **(واشتد على الاستتباع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستتباع وإقامة الجاه إلا بالتعصب)** لمذاهبهم واعتقاداتهم، **(فحبسوا ذلك في صدورهم ولم ينبهوهم على مكائد الشيطان)** وخدعه **(فيه، بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكائده بهم فاستمر الناس عليه ونسوا أمهات دينهم فقد هلكوا)** بانفسهم **(وأهلكوا)** غيرهم، **(والله تعالى يتوب علينا وعليهم)**.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(بلغنا أن إبليس قال: سوّلت لأمة محمد المعاصي)** أي زينتها في أعينهم **(فقطعوا ظهري بالاستغفار فسوّلت لهم ذنوباً لا يستغفرون الله منها وهي الأهواء)** أي اتباع ما تهواه نفوسهم فظنوها عبادة لا ذنوباً. **(وقد صدق الملعون فإنهم لا يعلمون أن ذلك من الأسباب التي تجر إلى المعاصي فكيف يستغفرون**

ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات. قال عبد الله بن مسعود: جلس قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون ـ وليس إياهم يريد ـ فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم، وذلك مراد الشيطان منهم.

ومن أبوابه: حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله تعالى وصفاته وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم حتى يشككهم في أصل الدين، أو يخيل إليهم في الله تعالى خيالات يتعالى الله عنها يصير بها كافراً أو مبتدعاً وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره، يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة وأنه انكشف له ذلك بذكائه وزيادة عقله فأشدّ الناس حماقة أقواهم اعتقاداً في عقل نفسه وأثبت الناس عقلاً

منها)؟ وكل ما جر إلى المعصية فهو معصية، ولو علموا أنه سبب للمعصية لتابوا منه، ولكن الشيطان أعمى بصائرهم عن فهم ذلك.

(ومن عظيم حيل الشيطان أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات. قال عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه: **(جلس قوم يذكرون الله تعالى فاتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع)** لقوّة حالهم في الذكر، **(فأتى رفقة أخرى)** بالقرب من ذلك المجلس **(يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس إياهم يريد)** وإنما يريد تفرقة أولئك القوم الذين يذكرون الله، **(فقام الذين يذكرون الله فاشتغلوا يفصلون بينهم)** ويصالحونهم **(فتفرقوا عن مجلسهم)** وتركوا ذكر الله تعالى، **(وذلك مراد الشيطان منهم)** وقد ناله، ويرشح له ما رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث جابر: إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون ولكن هو في التحريش بينهم أي يسعى في إغراء بعضهم على بعض وحملهم على الفتن والحروب والشحناء، وهذا من دقائق دسائسه.

(ومن أبوابه) العظيمة: **(حمل العوام الذين لم يمارسوا العلم)** ولم يزاولوا فيه بالتعلم والدراسة والانكباب على تحصيله على الهيئة المعهودة **(ولم يتبحرّوا فيه)** بالغوص على مشكلاته **(على التفكير في ذات الله تعالى وصفاته، وفي أمور لا يبلغها حدّ عقولهم حتى يشككهم)** أي يوقعهم في الشك **(في أصل الدين أو يخيل إليهم)** في أثناء تقريره **(في الله تعالى خيالات)** وظنونات **(يتعالى الله عنها)** ويجل شأنه عن نسبتها إليه **(يصير بها كافراً أو مبتدعاً وهو به فرح مسرور مبتهج بما وقع في صدره)** وأوقر في لبه **(يظن ذلك هو المعرفة والبصيرة، وإنه انكشف له بذكائه وزيادة عقله فأشد الناس حماقة أقواهم اعتقاداً في عقل نفسه)** أي

أشدهم إتهاماً لنفسه وأكثر سؤالاً من العلماء . قالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول : من خلقك ؟ فيقول : الله تبارك وتعالى . فيقول : فمن خلق الله ؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه » والنبي ﷺ لم يأمر بالبحث في علاج هذا الوسواس فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء . وإنما حق العوام أن يؤمنوا ويسلموا ويشتغلوا بعبادتهم ومعايشهم ويتركوا العلم للعلماء ، فالعامي لو يزني ويسرق كان خيراً لـه مـن أن يتكلم في العلم فـإنـه مـن تكلم في

اعجاباً به ، (**وأثبت الناس عقلاً أشدهم إتهاماً لنفسه وأكثرهم سؤالاً من العلماء . قالت عائشة رضي الله عنها ، قال رسول الله ﷺ « إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلقك؟ فيقول: الله تبارك وتعالى . فيقول: فمن خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله**) أي فليقل أخالف عدوّ الله المعاند وأومن بالله وبما جاء به رسول الله (**فإن ذلك يذهب عنه »**) لأن الشبه منها ما يدفع بالإعراض عنها ، ومنها ما يندفع بقلعه من أصله بتطلب البراهين والنظر في الأدلة مع امداد الحق بالمعونة والوسوسة لا تعطي ثبوت الخواطر واستقرارها ، فلذا أحالهم على الأعراض عنها . قال العراقي : رواه أحمد والبزار وأبو يعلى في مسانيدهم ورجاله ثقات وهو متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ .

قلت : ورواه كذلك من حديث عائشة ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان ، ولفظ مسلم من حديث أبي هريرة « يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق السماء من خلق الأرض؟ فيقول: الله . فيقول: من خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله ورسله » ولفظ البخاري « يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا من خلق كذا حتى يقول ربك فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته » . ورواه مسلم أيضاً وروى الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن عمرو « إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلق السماء ؟ فيقول: الله . فيقول: من خلق الأرض؟ فيقول: الله . فيقول: من خلق الله ، فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل آمنت بالله ورسوله » ورجاله رجال الصحيح خلا أحمد بن محمد بن نافع الطحان شيخ الطبراني ، ورواه أيضاً في الأوسط بلفظ « من خلق السموات وفيه حتى يقول فمن خلق الله » ورواه هكذا أحمد وعبد بـن حميد والطبراني في الكبير أيضاً من حديث خزيمة ابن ثابت .

(**فالنبي ﷺ لم يأمره بالبحث عن علاج هذا الوسواس**) من الشيطان ، (**فإن هذا وسواس يجده عوام الناس دون العلماء**) منهم العارفين بنور البصيرة وقد استقر الإيمان في قلوبهم فلا يتزلزلون ، (**وإنما حق العوام أن يؤمنوا**) أي يصدقوا بقلوبهم (**ويسلموا**) أي ينقادوا لأمور الدين (**ويشتغلوا بعبادتهم**) الظاهـرة (**ومعـايشهـم بينهـم ويتركـوا العلم**) والغوص في معانيه (**للعلماء**) الصادقين ، (**فالعامي لو يزني ويسرق كان خيراً له من أن يتكلم**

الله وفي دينه من غير اتقان العلم وقع في الكفر من حيث لا يدري، كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكائد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد، والمذاهب لا تحصر وإنما أردنا بما أوردناه المثال.

ومن أبوابه، سوء الظن بالمسلمين. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن انَّ بعضَ الظَّن إثمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] فمن يحكم بشر على غيره بالظن بعثه الشيطان على أن يطوّل فيه اللسان بالغيبة فيهلك أو يقصر في القيام بحقوقه أو يتوانى في إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيراً منه. وكل ذلك من المهلكات ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم، فقال ﷺ: «اتقوا مواضع التهم» حتى احترز هو ﷺ من ذلك.

في العلم فإنه من تكلم في الله وفي دينه من غير اتقان العلم) وذلك بمعرفة حججه وبراهينه مع مساعدة تأييداً لله تعالى وشهود نور اليقين (**وقع في الكفر من حيث لا يدري، كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة**) ومن ذلك قول سهل التستري افشاء سر الربوبية كفر فإن العوام إذا ورد على اسماعهم ما تنبو عنه طباعهم لم يقبلوه وصاروا أعداء ما جهلوه، فالأولى أن لا يخاطبوا بمثل ذلك صيانة لهم عن الزيغ والوقوع في الكفر، (**ومكايد الشيطان فيما يتعلق بالعقائد والمذاهب**) والأهواء والآراء (**لا تحصر وإنما أردنا بما أوردناه المثال**) لينبه على ما وراءه.

(**ومن أبوابه**) العظيمة (**سوء الظن بالمسلمين قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن﴾**) قال ابن عباس: نهى الله المؤمن أن يظن بالمؤمن سوءاً أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب، وروى الشيخان من حديث أبي هريرة: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث». وأخرج ابن مردويه من حديث عائشة مرفوعاً من أساء بأخيه الظن فقد أساء بربه أن الله تعالى يقول اجتنبوا كثيراً من الظن». (**فمن يحكم بشر على غيره بالظن**) والظن يخطىء ويصيب (**بعثه الشيطان**) أي حمله (**على أن يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك، أو**) حمله على أن (**يقصر في القيام بحقوقه**) الواجبة عليه، (**أو يتوانى**) أي يتهاون (**في إكرامه وينظر إليه بعين الاحتقار، ويرى نفسه خيراً منه، وكل ذلك من المهلكات**) وأصله الذي نشأت منه سوء الظن فليجتنبه ليسلم من المهالك، (**ولأجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم، فقال ﷺ: «اتقوا مواضع التهم»**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: أخرج الزبير بن بكار في الوفقيات عن عمر بن الخطاب قال: من تعرض للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن، وأخرج البيهقي في الشعب عن سعيد بن المسيب قال: كتب لي بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ من عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه.

(**حتى احترز هو ﷺ من ذلك. روي عن علي بن حسين**) بن علي بن أبي طالب الهاشمي زين العابدين ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور، قال ابن عيينة عن الزهري: ما رأت قريشاً أفضل منه

وروي عن علي بن حسين أن صفية بنت حيي بن أخطب أخبرته أن النبي ﷺ كان معتكفاً في المسجد قالت: فأتيته فتحدثت عنده فلما أمسيت انصرفت فقام يمشي معي فمرّ به رجلان من الأنصار فسلما ثم انصرفا فناداهما وقال: « إنها صفية بنت حييّ » فقالا: يا رسول الله ما نظن بك إلا خيراً، فقال: « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من الجسد وإني خشيت أن يدخل عليكما ». فانظر كيف أشفق ﷺ على دينهما فحرسهما؟ وكيف أشفق على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول: مثلي لا يظن به إلا الخير اعجاباً منه بنفسه، فإن أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة، بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم، ولذلك قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكن عين السخط تبدي المساويا

فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار. فإن الأشرار لا يظنون بالناس

توفي سنة ثلاث وتسعين من الهجرة (**أن صفية بنت حيّي**) بن أخطب الإسرائيلية أم المؤمنين تزوجها النبي ﷺ بعد خيبر وماتت في خلافة معاوية على الصحيح (**أتته**) زائرة (**وقت الصبح، وكان معتكفاً في المسجد فتحدثت عنده ثم انصرفت**) وانطلق معها يشيعها إلى دارها، (**فمر به رجلان من الأنصار فسلما**) عليه (**ثم انصرفا فناداهما وقال**) لهما: (**إنها صفية بنت حيّي فقالا:**) يا سبحان الله (**يا رسول الله لا نظن بك إلا خيراً. قال: « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في الجسد وإني خشيت أن يدخل عليكما »**) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه من حديث صفية، ورواه أيضاً أحمد والشيخان وأبو داود من حديث أنس، وقد تقدم في الصوم. (**فانظر كيف أشفق ﷺ على دينهما فحرسهما**) عن مرور ذلك الوهم في قلبهما، (**وكيف أشفق**) ﷺ (**على أمته فعلمهم طريق الاحتراز من التهم حتى لا يتساهل العالم الورع**) المتقي (**المعروف بالدين**) والصلاح (**في أحواله، فيقول: مثلي لا يظن به إلا خير إعجاباً منه بنفسه فإن أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة، بل بعين الرضا بعضهم، وبعين السخط بعضهم. قال الشاعر:**)

(**وعين الرضا عن كل عيب كليلة**) أي غاضة (**ولكن عين السخط تبدي المساويا**).

وذلك لأن الإنسان إذا غلب الحب على قلبه ولم يكن له داع من عقل أو دين أصمه حبه عن العدل وأعماه عن المرشد وقال بعضهم في ذلك:

وعين أخي الرضا عن ذاك تعمى.

(**فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لا يظنون بالناس**

كلهم إلا الشر. فمهما رأيت انساناً يسيء الظن بالناس طالباً للعيوب فاعلم أنه خبيث في الباطن وأن ذلك خبثه يترشح منه، وإنما رأى غيره من حيث هو فإن المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب، والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق، فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب ولو أردت استقصاء جميعها لم أقدر عليه وفي هذا القدر ما ينبه على غيره فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله.

فإن قلت: فما العلاج في دفع الشيطان، وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى وقول الإنسان لا حول ولا قوّة إلا بالله؟ فاعلم أن علاج القلب في ذلك سدّ هذه المداخل بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك مما يطول ذكره. وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد ـ على ما سيأتي شرحه ـ نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لأن حقيقة

كلهم إلا الشر، فمهما رأيت إنساناً يسيء الظن بالناس طالباً للعيوب، فاعلم أنه خبيث في الباطن، وإن ذلك) أي سوء ظنه **(خبثه يترشح منه، وإنما رأى غيره من حيث هو)** والإناء يرشح بما فيه، **(فإن المؤمن يطلب المعاذير)** أخرج أحمد في الزهد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً وفي الوفقيات للزبير بن بكار مثله بزيادة: وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك، **(والمنافق يطلب العيوب)** ويتتبع العثرات، **(والمؤمن سليم الصدر)** من الغل والحقد في حق كافة الخلق. **(فهذه بعض مداخل الشيطان إلى القلب، ولو أردت استقصاء جميعه)** على سبيل الإحاطة **(لم تقدر عليه، وفي هذا القدر)** الذي ذكر **(ما ينبه على غيره، فليس في الآدمي صفة مذمومة إلا وهي سلاح الشيطان)** يقاتل به المؤمن، **(ومدخل من مداخله)** إلى القلب.

(فإن قلت: فما العلاج في دفع الشيطان) عن حمى القلب، **(وهل يكفي في ذلك ذكر الله تعالى)** بأي وجه كان، **(وقول الإنسان لا حول ولا قوة إلا بالله)** وغير ذلك من الأذكار الواردة في السنة؟ **(فاعلم أن علاج القلب في ذلك)** أولاً **(سد هذه المداخل)** التي هي عبارة عن أبواب هي تلك الأوصاف المذكورة **(بتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة)**، فإذا سلم القلب من دخوله عليه من هذه الأبواب فقد طهر، فالكلام كله على التجنب عن هذه الصفات مهما أمكن وذلك مما يطول ذكره، **(وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج صفات المهلكات، وتحتاج كل صفة إلى كتاب منفرد كما سيأتي)** إن شاء الله تعالى، **(نعم إذا قطعت من القلب أصول هذه الصفات)** وسدت مداخله منها **(كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار)** وتمكن بالكلية، **(ويمنعه من الاجتياز ذكر الله**

الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة، وإلاَّ فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ إنَّ الذين اتقوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشّيطان تذكَّرُوا فإذا هُمْ مُبصِرُون ﴾ [الأعراف: ٢٠١] خصص بذلك المتقي، فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك، فإن لم يكن بين يديك خبز أو لحم فإنه ينزجر بأن تقول له اخسأ، فمجرد الصوت يدفعه، فإن كان بين يديك لحم وهو جائع فإنه يهجم على اللحم ولا يندفع بمجرد الكلام، فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر، فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان من سويداء القلب. وأما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فإنه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر، فإذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ [النحل: ٩٨] وسائر الأخبار والآيات الواردة في الذكر.

قال أبو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فإذا شيطان الكافر دهين سمين

تعالى لأن حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب إلا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة) وذلك بعد التنصل عن العلائق وصدق التوبة والانابة (إلا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال الله تعالى: ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾) فإنه (خصص بذلك المتقي) فقال: إن الذين اتقوا فعلم من ذلك إن عمارة القلب بالتقوى شرط في تأثير الذكر ودفع سورة الشيطان، (فمثل الشيطان كمثل كلب جائع يقرب منك، فإن لم يكن بين يديك خبز أو لحم ينزجر بأن تقول له: اخسأ) أي تأخر (فمجرد الصوت يدفعه فإن كان بين يديك لحم) أو خبز (وهو جائع فإنه يهجم على اللحم) أو الخبز (ولا يندفع بمجرد الكلام) الزاجر، (فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر بمجرد الذكر) ولا يحتاج في دفعه إلى معالجة، (فأما الشهوة إذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر إلى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدائه) أي داخله (فيستقر الشيطان في سويداء القلب) فيحتاج إلى معالجة شديدة لإخراجه عنه. (وأما قلوب المتقين الخالية عن الهوى والصفات المذمومة فإنه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر، فإذا عاد إلى الذكر خنس الشيطان) أي تأخر وانقبض (ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾) أي اطلب اللجأ إلى الله تعالى من شره، (وسائر الأخبار والآيات الواردة في الذكر).

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: (التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر، فإذا شيطان

كاسٍ ، وشيطان المؤمن مهزول أشعث أغبر عار ، فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن : مالك مهزول؟ قال: أنا مع رجل إذا أكل سمى الله فأظل جائعاً وإذا شرب سمى الله فأظل عطشاناً ، وإذا لبس سمى الله فأظل عرياناً ، وإذا دهن سمي الله فأظل شعثاً ، فقال : لكني مع رجل لا يفعل شيئاً من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه . وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح : اللهم إنك سلطت علينا عدواً بصيراً بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم ، اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير . قال: فتمثل له إبليس يوماً في طريق المسجد فقال له: يا ابن واسع هل تعرفني ؟ قال: ومن أنت ؟ قال : أنا إبليس ، فقال: وما تريد ؟ قال: أريد أن لا تعلم أحداً هذه الاستعـاذة ولا

الكافر دهين سمين) أي مدهون مسرح الشعر وافر اللحم ، **(وشيطان المؤمن مهزول)** أي نحيف البدن **(أشعث أغبر عار)** الجسد ، **(فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن : مالك مهزول؟ قال : أنا مع رجل إذا أكل سمي)** الله تعالى على أكله **(فأظل جائعاً ، وإذا شرب سمي)** الله تعالى على شربه **(فأظل عطشاناً ، وإذا لبس سمي)** الله تعالى عند لبسه **(فأظل عرياناً ، وإذا ادهن سمي)** الله تعالى عن إدهانه **(فأظل شعثاً)** متفلاً ، **(فقال)** شيطان الكافر : **(لكني مع رجل لا يفعل شيئاً من ذلك فأنا أشاركه في طعامه وشرابه ولباسه)** وإدهانه ، فقد روى مسلم من حديث جابر : « أن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان » الحديث. وروى الترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة: « إن الشيطان حساس لحاس من الطعام فاحذروه على أنفسكم » الحديث . ودل أثر أبي هريرة السابق إن الشيطان يأكل ويشرب ويلبس ويشم حقيقة ، وقد شنع ابن العربي في شرح الترمذي على من قال: إن أكله إنما هو الشم فقط بل الصحيح أنه يشم ويأكل وله لذة في الشم كلذته في اللقمة كلذتنا في كل طعمة .

(وكان) أبو عبد الله **(محمد بن واسع)** البصري العابد **(يقول: كل يوم بعد صلاة الصبح)** هذه الاستعاذة **(اللهم إنك سلطت علينا عدواً بصيراً بعيوبنا)** يعني به الشيطان **(يرانا هو وقبيله)** أي جماعته **(من حيث لا نراهم)** لكونهم يجرون مجاري الدم ، **(اللهم فأيسه منا)** أي أجعله مأيوساً منا **(كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك ، وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين رحمتك إنك على كل شيء قدير . قال)** الراوي : **(فتمثل له إبليس يوماً في طريق المسجد . فقال: يا ابن واسع هل تعرفني؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا إبليس قال وما تريد ؟ قال: أريد أن لا تعلم أحداً هذه الاستعاذة . قال: والله ما**

أتعرض لك قال: والله لا أمنعها ممن أرادها فاصنع ما شئت. وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان شيطان يأتي النبي ﷺ بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوّذ فلا يذهب فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال له: قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير. يا رحمن، فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه، وقال الحسن: نبئت أن جبرائيل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال إن عفريتاً من الجن يكيدك فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، وقال ﷺ: «لقد أتاني الشيطان فنازعني ثم نازعني فأخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما أرسلته حتى وجدت من برد ماء لسانه على يدي، ولولا دعوة

أمنعها ممن أرادها فاصنع ما شئت) وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمته من طريق سلام بن أبي مطيع قال: كان محمد بن واسع إذا صلى المغرب يلتزق بالقبلة يصلي، فقال: حدثني خياط كان يقرب منه قال: كان يقول في دعائه: أستغفرك من كل مقام سوء ومخرج سوء وعمل سوء وقول سوء ونية سوء أستغفرك منه فاغفر لي وأتوب إليك منه، فتب علي وألقي إليك بالسلام قبل أن يكون لزاماً.

(وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى) الأنصاري تابعي وهو والد محمد وأبوه أبو ليلى له صحبة، واختلف في اسمه على أقوال شهد أحداً وما بعدها وعاش إلى خلافة علي. **(قال: كان شيطان يأتي النبي ﷺ بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي فيقرأ ويتعوذ فلا يذهب، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شر ما يلج وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل وطوارق النهار إلا طارقاً يطرق بخير. يا رحمن. فقال: ذلك فطفئت شعلته وخرّ على وجهه)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان هكذا مرسلاً، ولمالك في الموطأ نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلاً، ووصله ابن عبد البر في التمهيد من رواية يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش الشامي، عن ابن مسعود. ورواه أحمد والبزار من حديث عبد الرحمن بن خنيس وقيل: كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين فذكر نحوه. سئل أبو زرعة عن عبد الرحمن هل له صحبة؟ فقال: لا أعرفه.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(نبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: إن عفريتاً من الجن يكيدك، فإذا أويت إلى فراشك فأقرأ آية الكرسي)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان هكذا مرسلاً. **(وقال ﷺ: لقد أتاني الشيطان فنازعني)** أي في الصلاة **(ثم نازعني فاخذت بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما أرسلته حتى**

أخي سليمان عليه السلام لأصبح طريحاً في المسجد ». وقال ﷺ : « ما سلك عمر فجاً إلاّ سلك الشيطان فجاً غير الذي سلكه عمر »، وهذا لأن القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالاً وكنت كمن يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشغولة بغليظ الأطعمة ويطمع أن ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة، والذكر: الدواء والتقوى احتماء وهي تخلي القلب عن الشهوات فإذا

وجدت برد ماء لسانه على يدي، ولولا دعوة أخي سليمان عليه السلام لأصبح طريحاً.) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا من رواية الشعبي مرسلاً هكذا، وللبخاري من حديث أبي هريرة: إن عفريتاً من الجن تفلت عليّ البارحة أو كلمة نحوها ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه » الحديث. وللنسائي في الكبير من حديث عائشة: « كان يصلي فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه قال: وجدت برد لسانه على يدي » وإسناده جيد اهـ.

قلت: وللبخاري أيضاً: « إن الشيطان عرض لي فشد علي ليقطع الصلاة علي فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه، فذكرت قول سليمان ﴿رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ [ص: ٣٥] فرده الله خاسئاً ». ورواه مسلم أيضاً نحوه. وفي لفظ له: « فشد علي بشهاب من نار ليجعله في وجهي » وفي لفظ آخر « عرض لي في صورة هر ».

(وقال ﷺ : « ما سلك الشيطان فجاً) أي طريقاً **(سلكه عمر »)** كذا في النسخ، وفي بعض النسخ: « ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجا غير فجه » قال العراقي: متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ: « ابن الخطاب ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً » الحديث اهـ.

قلت: وروى الدارقطني في الإفراد وابن منده، وابن عساكر من حديث حفصة: « ما لقي الشيطان عمر منذ أسلم إلا خر لوجهه » ورواه الحكيم والطبراني وأبو نعيم من طريق الاوزاعي عن سديسة مولاة حفصة، ولا يعلم للاوزاعي سماع من أحد من الصحابة، ورواه الطبراني في الأوسط فقال: عن الأوزاعي عن سالم عن سديسة وهو الصواب. وروى الحكيم في النوادر عن عمر ما لقي الشيطان قط عمر في فج فسمع صوته إلا أخذ في غيره، وروى أحمد والترمذي وابن حبان من حديث بريدة: « أن الشيطان ليفرق منك يا عمر ».

(وهذا لأن القلوب كانت مطهرة من مرعى الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في أن يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالاً وكنت كمن يطمع أن يشرب دواء قبل الاحتماء) من المغلظات، **(والمعدة مشغولة بغليظ الأطعمة)** ورديئها، **(ويطمع أن ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة)** لا يستويان **(فالذكر)** بمنزلة **(الدواء والتقوى)** بمنزلة **(الاحتماء وهي تخلي القلب**

نزل الذكر قلباً فارغاً عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء في المعدة الخالية عن الأطعمة. قال الله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ [ق: ٣٧] وقال تعالى: ﴿كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾ [الحج: ٤] ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه، وإن ذكر الله بلسانه وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقاً بأن الذكر يطرد الشيطان. ولم تفهم أن أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط نقلها علماء الدين فانظر إلى نفسك، فليس الخبر كالعيان، وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة، فراقب قلبك إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب العالمين وجواب المعاندين، وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تذكر ما قد نسيته من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت؟ فالصلاة محك القلوب فبها يظهر محاسنها ومساوئها، فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس، كما أن الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر، فإن أردت الخلاص من

عن الشهوات، فإنه إذا نزل الذكر قلباً فارغاً عن غير الذكر اندفع الشيطان، كما تندفع العلة بنزول الدواء في المعدة الخالية عن الأطعمة قال الله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ وقال) تعالى (**﴿كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾ ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مواليه)** ومصادقه، (**وإن ذكر الله بلسانه)** فإنه لا يمنع موالاته، (**وإن كنت تقول الحديث قد ورد مطلقاً إن الذكر يطرد الشيطان)** يشير إلى ما تقدم، فإن ذكر الله خنس (**ولم تفهم أن أكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط)** معروفة (**نقلها علماء الدين، فانظر إلى نفسك فليس الخبر كالعيان)** بالكسر أي كالمعاينة فهو حديث وقد تقدم الكلام عليه، (**وتأمل أن منتهى ذكرك وعبادتك الصلاة)** إذ هي أعظم القربات إلى الله تعالى، (**فراقب قلبك)** وتأمل (**إذا كنت في صلاتك كيف يجاذبه الشيطان إلى الأسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين، وكيف يمر بك في أودية الدنيا ومهالكها، حتى إنك لا تذكر ما نسيت من فضول الدنيا إلا في صلاتك ولا يزدحم الشيطان على قلبك إلا إذا صليت)** فليسوّله بأنواع التسويلات ويشتته في أودية لا آخر لها حتى لا يدري تارة كم صلى. (**فالصلاة محك القلوب فبها تظهر محاسنها ومساوئها)** فإن كانت مطهرة عن الشهوات ظهرت محاسنها في الصلاة بالإقبال على الله بكنه الهمة وإلقاء الوسواس وراء ظهره، وإلا فبعكس ذلك، (**فالصلاة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا ينطرد عنك الشيطان)** ولا ينزجر بالذكر، (**بل ربما يزيد عليك الضرر، فإن أردت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى)** أولاً. (**ثم أردفه بدواء الذكر وقد فر**

الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر يفر الشيطان منك كما فرّ من عمر رضي الله عنه. ولذلك قال وهب بن منبه: اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر أي أنت مطيع له. وقال بعضهم: يا عجباً لمن يعصي المحسن بعد معرفته بإحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه. وكما ان الله تعالى قال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ [غافر: ٦٠] وأنت تدعوه ولا يستجيب لك، فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الذكر والدعاء.

قيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ وقد قال تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾؟ قال: لأن قلوبكم ميتة. قيل: وما الذي أماتها؟ قال: ثمان خصال؛ عرفتم حق الله ولم تقوموا بحقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده، وقلتم نحب رسول الله ﷺ ولم تعملوا بسنته، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له، وقال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّاً﴾ [فاطر: ٦] فواطأتموه على المعاصي، وقلتم نخاف النار وارهقتم أبدانكم فيها، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، وإذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم

الشيطان منك كما فر من ظل عمر رضي الله عنه) وهذا حال من انتهى به سلوكه وأشرقت عليه أنوار التوفيق، فلبس لامة الصدق وتحلى بأسلحة العزل، ودخل في حومة الحرب بين باعث الدين وداعي الهوى، فكانت الغلبة لداعي الدين وفرت جيوش الشياطين. ولذا قال أبو حازم: الشيطان حتى يهاب فوالله لقد أطيع فما نفع، وعصي فما ضر، وقال بعضهم: لولا أن الحق سبحانه أمرنا بالاستعاذة منه ما استعذت منه لحقارته وهذا شأن المتقين. **(ولذلك قال وهب بن منبه)** رحمه الله تعالى: **(اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر أي أنت مطيع له. وقال بعضهم: واعجباً لمن يعصي المحسن)** المطلق **(بعد معرفته بإحسانه)** وإصابته منه **(ويطيع اللعين)** المسيء **(بعد معرفته بطغيانه)** وعداوته، **(وكما أن الله تعالى قال)** في كتابه العزيز **(﴿ادعوني أستجب لكم﴾ وأنت تدعوه ولا يستجيب لك. فكذلك تذكر الله ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروطه الذكر والدعاء)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(قيل لإبراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى **(ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا وقد قال الله تعالى: ﴿ادعوني استجب لكم﴾ قال: لأن قلوبكم ميتة. قيل: وما الذي أماتها؟ قال: ثمان خصال: عرفتم الله ولم تقوموا بحقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا بحدوده، وقلتم نحب رسول الله ﷺ ولم تعملوا بسنته، وقلتم نخشى الموت ولم تستعدوا له وقال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوّاً﴾ فواطأتموه)** أي وافقتموه **(على المعاصي، وقلتم نخاف النار وأرهقتم أبدانكم فيها، وقلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، وإذا قمتم من فرشكم رميتم**

وافترشتم عيوب الناس أمامكم فأسخطتم ربكم، فكيف يستجيب لكم؟

فإن قلت: فالداعي إلى المعاصي المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون؟ فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدوّ ولا تسأل عن صفته. كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن المبقلة، ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار في شواهد الاخبار: أنهم جنود مجندة. وإن لكل نوع من المعاصي شيطاناً يخصه ويدعو إليه، فأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه، وهو أن اختلاف المسببات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه في نور النـار وسواد الدخان.

وأما الأخبار فقد قال مجاهد: لإبليس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد منهم

عيوبكم وراء ظهوركم وافترشتم عيوب الناس أمامكم فاسخطتم ربكم فكيف يستجيب لكم) ؟ أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين، حدثنا أبو يعلى أحمد بـن محمد بن يعقوب، حدثنا أبو أحمد محمد بن مهدي بن قدامة، حدثنا أبو ياسر عمار بن عبد المجيد، حدثنا أحمد بن عبد الله الحرمامي قال: سمعت حاتماً الأصم يقول: قال شقيق بن إبراهيم دخل إبراهيم في أسواق البصرة فاجتمع إليه الناس فقالوا: يا أبا إسحاق إن الله يقول في كتابه: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ ونحن ندعوه بعد دهر فلا يستجيب لنا. قال إبراهيم: يا أهل البصرة ماتت قلوبكم في عشرة أشياء. أولها: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه، والثاني: قرأتم كتاب الله فلم تعملوا به، والثالث: ادعيتم حب رسول الله ﷺ وتركتم العمل بسنته، والرابع: ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه، والخامس: قلتم نحب الجنة فلم تعملوا لها، والسادس: قلتم نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها، والسابع: قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له، والثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم، والتاسع: أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها، والعاشر: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم.

(**فإن قلت: فالداعي إلى المعصية المختلفة شيطان واحد أو شياطين مختلفون؟ فاعلم أنه لا حاجة لك إلى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو**) حيث عرفته باخبار الصادق المصدوق وثبتت لك عداوته، (**ولا تسأل عن صفته**) فإنه مما لا يعنيك، ومن أمثالهم الدالة على ذلك يقولون: (**كل البقل من حيث يؤتى ولا تسأل عن المبقلة**) أي منبته، ومن ذلك أيضاً قولهم: خذ الهدية ولا تسأل عن جالبها (**ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الأخبار أنهم جنود مجندة**) أي كثيرة، (**وأن لكل نوع من المعاصي شيطاناً يخصه ويدعو إليه. وأما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر الذي ذكرناه**) آنفاً (**وهو أن اختلاف المسببات يدل على اختلاف الأسباب كما ذكرناه في نور النـار وسواد الدخان.**

وأما الأخبار فقد قال مجاهد) بن جبر المكي التابعي في تفسير قوله تعالى: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء﴾ [الكهف: ٥٠] الآية أن (**لإبليـس خمسة من الأولاد قد جعل كل واحد**

على شيء من أمره: ثبر، والأعور، ومسوط، وداسم، وزلنبور. فأما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية، وأما الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به ويزينه. وأما مسوط: فهو صاحب الكذب، وأما داسم فإنه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميهم بالعيب عنده ويغضبه عليهم، وأما زلنبور فهو صاحب السوق، فبسببه لا يزالون متظلمين. وشيطان الصلاة يسمى خنزب، وشيطان الوضوء يسمى الولهان. وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة.

منهم على شيء من أمر، فذكر زلنبور) وقد تقدم ذكره وضبطه في كتاب الحلال والحرام، **(والأعور، ومسوط)** كمنبر كأنه مفعل من السوط، **(وداسم. وثبور)** وفي لفظ ثبر، **(فأما ثبور فهو صاحب المصائب الذي يأمر)** ابن آدم **(بالثبور)** والويل. **(وشق الجيوب ولطم الخدود، ودعوى الجاهلية. وأما الأعور فإنه صاحب الزنا يأمر به ويزينه)** في أنفسهم، **(وأما مسوط: فهو صاحب الكذب)** يزينه لهم، **(وأما داسم: فإنه يدخل مع الرجل إلى أهله يرميهم بالعيب عنده ويغضبه عليهم، وأما زلنبور فهو صاحب السوق فبسببه لا يزالون متظلمين)** أخرجه ابن أبي الدنيا في مكائدالشيطان، وأبو الشيخ عن مجاهد لفظه: باض إبليس خمس بيضات: زلنبور، وداسم، وثبر، ومسوط، والأعور. أما الأعور فصاحب الزنا، وأما ثبر فصاحب المصائب، وأما مسوط فصاحب أخبار الكذب يلقيها على أفواه الناس ولا يجدون لها أصلاً، وأما داسم فصاحب البيوت إذا دخل الرجل بيته ولم يسم دخل معه، وإذا أكل ولم يسم أكل معه ويريه من متاع البيت وإلا يحضر موضعه، وأما زلنبور فصاحب الأسواق يضع رأسه في كل سوق بين السماء والأرض.

وأخرج ابن أبي‌الدنيا وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: ولد إبليس خمسة: ثبر، والأعور، وزلنبور، ومسوط، وداسم، فمسوط صاحب الصخب، والأعور وداسم لا أدري ما يعملان، وثبر صاحب المصائب، وزلنبور الذي بين الناس. ويبصر الرجل عيوب أهله.

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى: ﴿أفتتخذونه وذريته﴾ قال: هم أولاده يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وهم أكثر عدداً. وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان قال: باض إبليس خمس بيضات وذريته من ذلك.

(وشيطان الصلاة يسمى خنزب) رواه مسلم من حديث عثمان بن أبي العاصي، وقد تقدم قريباً. **(وشيطان الوضوء يسمى الولهان)** رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث أبي بن كعب بلفظ إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء وقد تقدم، **(وقد ورد في ذلك أخبار كثيرة)** كما ذكرناها. ومن ذلك ما روى الحكيم في النوادر عن عبد الرحمن بن أبي سلمة مرسلاً: وكل بالنفوس شيطان يقال له اللهو فهو يخيل إليها ويتراءى لها إذا عرج بها، فإذا انتهت إلى السماء فما رأت فهوالرؤيا التي تصدق، ومنهم جماعة سلطهم على الحجاج والمجاهدين.

وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملائكة كثرة وقد ذكرنا في كتاب الشكر السر في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به. وقد قال أبو أمامة الباهلي، قال رسول الله ﷺ: «وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك، للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الذباب عن قصعة العسل في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغرفاه ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين».

وقال أيوب بن يونس بن يزيد: بلغنا أنه يولد مع أبناء الأنس من أبناء الجن ثم

روى الطبراني من حديث ابن عباس: أن لإبليس مردة من الشياطين يقول لهم: عليكم بالحجاج والمجاهدين فاضلوهم عن السبيل، ومنهم جماعة سلطهم على المصلين، روى الشيخان وأبو يعلى من حديث أبي سعيد أن الشيطان ليأتي أحدكم وهو في صلاته فيأخذ بشعرة من دبره فيمدها فيرى أنه أحدث فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً.

(وكما أن الشياطين فيهم كثرة فكذلك الملائكة) فيهم كثرة، **(وقد ذكرنا في كتاب الشكر)** على ما سيأتي السر **(في كثرة الملائكة واختصاص كل واحد منهم بعمل منفرد به)** أي يخصه دون غيره، **(وقد قال أبو أمامة الباهلي)** رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: «وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه)** أي يدفعون عنه **(ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب الذباب)** أي يطرد ويدفع **(عن قصعة العسل في يوم صائف)** أي حار فإنه يكثر فيه الذباب ويعسر دفعها **(وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغرفاه)** أي فاتح، **(وما لو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين»)** قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان، والطبراني في المعجم الكبير بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: وكذا رواه ابن قانع، والبزار، والصابوني في المائتين، ولفظهم جميعاً: «وكل بالمؤمن ستون وثلاثمائة ملك يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك للبصر تسعة أملاك يذبون عنه كما تذبون عن قصعة العسل من الذباب في اليوم الصائف وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل جبل وسهل كهم باسط يديه فاغرفاه وما لو وكل العبد فيه إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين».

وروى الطبراني في الكبير وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه من حديث أبي أمامة: «وكل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم ولولا ذلك ما أتت على كل شيء إلا أحرقته» وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة وكل بالركن اليماني سبعون ملكاً الحديث.

(وقال أيوب بن يزيد) بن زيد روى عن التابعين. قال الرازي: مجهول كذا في المغني للذهبي: **(بلغنا أنه يولد مع أبناء الإنس من ابناء الجن ثم ينشأون معهم)** ونحو ذلك ما روي عن قتادة أنهم

ينشأون معهم، وروى جابر بن عبد الله أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال: يا رب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة إن لم تعني عليه لا أقوى عليه. قال: لا يولد لك ولد إلا وكّل به ملك، قال: يا رب زدني. قال: اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا إلى ما أزيد. قال: رب زدني قال: باب التوبة مفتوح ما دام الروح في الجسد. قال ابليس: يا رب هذا العبد الذي كرمته علي ان لا تعني عليه لا أقوى عليه؟ قال: لا يولد له ولد إلا ولد لك ولد. قال: يا رب زدني. قال: تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتاً، قال: رب زدني. قال: ﴿أجلِبْ عليهم بخيلك ورجِلِك﴾ إلى قوله ﴿غروراً﴾ [الاسراء: ٦٤] عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله الجن ثلاث أصناف: صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وصنف عليهم الثواب والعقاب. وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أصناف: صنف كالبهائم كما قال تعالى: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ [الأعراف: ١٧٩] وصنف أجسامهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين،

يتوالدون كما يتوالد بنو آدم. وعن سفيان أنه يجتمع مع كل مؤمن واحد أكثر من ربيعة ومضر. **(وقال جابر بن عبدالله)** رضي الله عنه: **(إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قال: يا رب هذا الذي جعلت بيني وبينه عداوة ألا تعنني عليه لأقوى عليه؟ قال: لا يولد لك ولد إلا وكل به ملك)** يحفظه من شره **(قال: يا رب زدني. قال: أجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشراً إلا ما أزيد. قال: رب زدني. قال: باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح قال إبليس: يا رب هذا العبد الذي كرمته علي ألا تعينني عليه لأقوى عليه. قال: لا يولد له ولد إلا ولد لك. قال: رب زدني. قال: تجري منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتاً قال: رب زدني قال: ﴿اجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾)** وشاركهم في الأموال والأولاد **(إلى قوله: ﴿غروراً﴾)** ومن هنا كان منه الإضلال والتمنية والاحتناك وغير ذلك وكل منها أجيب دعاؤه في صاحبه.

(وعن أبي الدرداء) رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله الجن ثلاثة أصناف: صنف حيات وعقارب وخشاش الأرض)** أي وحشراتها أي على هيآتهم وصورهم ومن ثم ندب الأنذار قبل القتل، **(وصنف كالريح في الهواء)** وهذان الصنفان لا حساب عليهم ولا عقاب كما يشير إليه قوله. **(وصنف عليهم الثواب والعقاب)** أي مكلفون ولهم وعليهم، **(وخلق الله الإنس ثلاث أصناف: فصنف كالبهائم كما قال الله تعالى: ﴿لهم قلوب لا يعقلون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ وصنف أجسامهم أجسام بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين)** أي مثلها في الخبث

وصنف في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ». وقال وهيب بن الورد : بلغنا أن إبليس تمثل ليحي بن زكريا عليهما السلام وقال: إني أريد أن أنصحك. قال: لا حاجة لي في نصحك، ولكن اخبرني عن بني آدم. قال: هم عندنا ثلاثة أصناف: أما صنف منهم وهم أشد الأصناف علينا نقبل على أحدهم حتى نفتنه ونتمكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه، ثم نعود عليه فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عناء. وأما الصنف الآخر في أيدينا

والشر، **(وصنف في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله)** يعني في ظل عرشه فلا يصيبهم وهج الحر في ذلك الموقف الأعظم حين يصيب الناس ويلجمهم العرق الجاماً.

قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان، وابن حبان في الضعفاء في ترجمة يزيد بن سنان، وضعفه وللحاكم نحوه مختصراً في الجن فقط: الجن ثلاثة أصناف من حديث أبي ثعلبة الخشني وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحكيم في النوادر، وأبو الشيخ في العظمة، وابن مردويه في التفسير، والديلمي في مسند الفردوس، ويزيد بن سنان الرهاوي أحد رواته ضعفه ابن معين وغيره وتركه النسائي ثم ساق له في الميزان مناكير هذا منها.

وأما حديث أبي ثعلبة الخشني فرواه كذلك الطبراني في الكبير والبيهقي في الأسماء والصفات، وأبو نعيم في الحلية، والديلمي في مسند الفردوس ولفظهم جميعاً: « الجن ثلاثة أصناف فصنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف حيات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون ». قال الحكيم الترمذي: والصنف الثاني هم الذين ورد النهي عن قتلهم وهم ذوات البيوت فإن تلك في صور الحيات وهم من الجن وهم سكان البيوت.

(قال وهيب بن الورد) المكي قيل اسمه عبد الوهاب ووهيب لقب له. روى له مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي وقد تقدمت ترجمته في كتاب الحج: **(بلغنا أن إبليس تمثل ليحي بن زكريا عليهما السلام وقال: إني أريد أن أنصحك. قال: لا حاجة لي في نصحك، ولكن اخبرني عن بني آدم. قال: هم عندنا ثلاثة أصناف: أما صنف؛ فهم أشد الأصناف علينا نقبل على أحدهم حتى نفتنه ونتمكن منه فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شيء أدركنا منه ثم نعود إليه)** بالافتتان والتمكن منه، **(فيعود)** إلى الاستغفار والتوبة، **(فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه)** ما نريده من **(حاجتنا، فنحن منه في عناء)** أي مشقة.

(وأما الصنف الآخر فهم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نتلقفهم كيف نشاء) فقد كفونا أنفسهم.

بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نقلبهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم، وأما الصنف الثالث فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء.

فإن قلت: فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض. وإذا رأى صورة فهل هي صورته الحقيقية أو هو مثال يمثل له به؟ فإن كان على صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين؟ فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما لا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهد إلا بأنوار النبوّة فما رأى النبي ﷺ جبرائيل عليه أفضل الصلاة والسلام في صورته إلا مرتين؟ وذلك أنه سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالبقيع وظهر له بحراء فسدّ الأفق من المشرق إلى المغرب، ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وإنما كان يراه في صورة الآدمي غالباً، فكان يراه في صورة

(وأما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثني محمد ابن يزيد بن خنيس عن وهيب بن الورد قال: بلغنا أن الخبيث إبليس تبدى ليحيي بن زكريا فقال: إني أريد أن أنصحك. فقال: كذبت أنت لا تنصحني، ولكن اخبرني عن بني آدم ثم ساقه كسياق المصنف وزاد في آخره، فقال له يحي عند ذلك: فهل قدرت مني على شيء؟ قال: مرة واحدة فإنك قدمت طعاماً تأكله فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت أكثر مما تريد فنمت تلك الليلة ولم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها. قال: فقال له يحي: لا جرم لا شبعت من طعام أبداً حتى أموت. فقال له الخبيث: لا جرم لا نصحت آدمياً بعدك.

(فإن قلت: فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض، وإذا رأى صورته هل هي على صورته الحقيقية) فإذا كانت على صورته الحقيقية، **(فكيف يرى في صور مختلفة، وكيف يرى في وقت واحد في مكانين)** مختلفين **(وعلى صورتين)** مختلفتين، **(حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم أن الملك والشيطان لهما صورتان هي حقيقة صورتهما لا ترى بالمشاهدة)** بعين البصر **(بل بأنوار النبوّة فما رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام في صورته)** الحقيقية **(إلا مرتين، وذلك أنه سأله أن يريه نفسه على صورته فواعده بالبقيع وظهر له، فسدّ الأفق من المشرق إلى المغرب، ورآه مرة أخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهي)** قال العراقي: رواه الشيخان من حديث عائشة، وسئلت: هل رأى محمد ربه؟ وفيه ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين اهـ.

قلت: وأخرج عبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن الشعبي قال: لقي ابن عباس كعباً بعرفة فسأله عن شيء فكبّر حتى جاوبته الجبال، فقال ابن عباس: إنا

دحية الكلبي، وكان رجلاً حسن الوجه. والأكثر أنه يكاشف أهل المكاشفة، من أرباب

نبو هاشم نزعم أو نقول أن محمداً قد رأى ربه مرتين. فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى صلى الله عليهما وسلم، فرآه محمد مرتين، وكلم موسى مرتين. قال مسروق: فدخلت على عائشة فقلت: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد تكلمت بشيء وقف له شعري. قلت: رويداً، ثم قرأت ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [النجم: ١٨] قالت: أين يذهب بك إنما هو جبريل، من أخبرك أن محمداً رأى ربه أو كتم شيئاً مما أمر به أو يعلم الخمس التي قال الله: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ [لقمان: ٣٤] الآية. فقد أعظم الفرية، ولكنه رأى جبريل لم يره في صورته إلا مرتين مرة عند سدرة المنتهى، ومرة عند اجياد له ستمائة جناح قد سد الأفق.

وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن ابن مسعود قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته عند سدرة المنتهي له ستمائة جناح كل جناح منها سد الأفق تتأثر من أجنحته التهاويل الدر والياقوت ما لا يعلمه إلا الله عز وجل.

وأخرج أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ في العظمة، عن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل في صورته إلا مرتين: أمّا واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته فأراه صورته فسدّ الأفق، وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد.

وأخرج أحمد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي معاً في الدلائل، عن ابن مسعود قال: رأى النبي ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل الدر والياقوت ما الله به عليم.

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: « رأيت جبريل عند سدرة المنتهى له ستمائة جناح ينفض من ريشه التهاويل الدر والياقوت ».

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل عن عائشة قالت: « كان أول شأن رسول الله ﷺ أنه رأى في منامه جبريل بأجياد ثم خرج لبعض حاجته فصرخ به جبريل يا محمد فنظر يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً ثلاث، ثم رفع بصره فإذا هو ثاني رجليه إحدى رجليه على الأخرى على أفق السماء ».

وأخرج عبد بن حميد عن مرة الهمداني قال: لم يأته جبريل عليه السلام في صورته إلا مرتين فرآه في خضر يتعلق به الدر.

(وإنما كان يراه في صورة الآدمي غالباً) أي في أكثر الأوقات. قال العراقي: روى الشيخان من حديث عائشة في قوله: ﴿ثم دنا فتدلى﴾ [النجم: ٨] قالت: ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل.

(فكان يراه في صورة دحية الكلبي، وكان) دحية **(رجلاً حسن الوجه)** هو دحية بن

القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه، ويسمع كلامه بإذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته، كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين، وإنما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في المنام فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام، كما روي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم، فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه، ورأى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر بين منكبه وأذنه له خرطوم طويل دقيق قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه، فإذا ذكر الله تعالى خنس. ومثل

خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي صحابي مشهور شهد أحداً، نزل دمشق بقرية المزن، وتوفي في خلافة معاوية وهو بفتح الدال وكسرها معاً ومعناه الرئيس. قال العراقي: روى الشيخان من حديث أسامة بن زيد: أن جبريل أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يحدث ثم قام، قال النبي ﷺ لأم سلمة: «من هذا». قالت: دحية الحديث اهـ.

قلت: وأخرج عبد بن حميد عن ابن عمر أن جبريل كان يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي.

وأخرج أبو الشيخ في العظمة» والبيهقي في الدلائل عن شريح بن عبيد قال: لما صعد النبي ﷺ إلى السماء ثم ساق الحديث وفيه: «فرأيته يعني جبريل في خلقه الذي خلق عليه منظوم أجنحته بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت فخيل إلي أن ما بين عينيه قد سد الأفقين وكنت لا أراه قبل ذلك إلا على صور مختلفة وأكثر ما كنت أراه على صورة دحية الكلبي وكنت أحياناً لا أراه قبل ذلك إلا كما يرى الرجل صاحبه وراء الغربال».

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث أنس: «يأتيني جبريل على صورة دحية الكلبي».

(والأكثر أنه يكاشف أهل المكاشفة من أرباب القلوب بمثال صورته فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه بأذنه فيقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف في المنام لأكثر الصالحين، وإنما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى إلى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في المنام، فيرى في اليقظة ما يراه غيره في المنام كما روي عن عمر بن عبد العزيز) الأموي رحمه الله تعالى **(أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم، فرأى في النوم جسد رجل شبه البلور)** بكسر الموحدة وفتح اللام المشددة حجر شفاف **(يرى داخله من خارجه، ورأى الشيطان في صورة ضفدع)** حيوان مائي معروف **(قاعد على منكبه وأذنه)** من طرف اليسار **(له خرطوم)** وهو من الحيوان مقدم فمه وأنفه، **(طويل دقيق)** كما يكون للبعوض، **(قد أدخله من منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه، فإذا ذكر الله تعالى خنس)** انقبض وتأخر فهذا رؤيا منام.

هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة فقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها وكانت الجيفة مثال الدنيا، وهذا يجري مجرى مشاهد صورته الحقيقية. فإن القلب لا بدّ وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل به عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر.

وقد بينا أن القلب له وجهان: وجه إلى عالم الغيب وهو مدخل الإلهام والوحي، ووجه إلى عالم الشهادة. فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل من النظر إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس، فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى حتى يرى شخصاً جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر، لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبيس. أما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن سر القلوب فلا تكون إلا محاكية للصفة وموافقة لها لأن الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة وموافقة لها. فلا

(ومثل هذا قد يشاهد بعينه في اليقظة، فقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها. وكانت الجيفة مثال الدنيا) وذلك لرداءتها وخستها. وكذا قال الشافعي في تمثيلها:

وما هي إلاّ جيفة مستحيلة ... عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابها

(وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية، فإن القلب لا بد وأن تظهر فيه حقيقة من الوجه الذي يقابل عالم الملكوت) وعالم الملكوت تنجلي فيه حقائق الأشياء لمقابلتها اللوح الذي رسمت فيه تلك الحقائق بقلم القدرة. **(وعند ذلك يشرق أثره على وجهه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لأن أحدهما متصل بالآخر)** وبينهما ارتباط كما تقدم.

(وقد بينا أن القلب له وجهان: وجه إلى عالم الغيب وهو مدخل الإلهام والوحي) للأنبياء والأولياء، **(ووجه إلى عالم الشهادة. فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي عالم الشهادة لا تكون إلا صورة متخيلة لأن عالم الشهادة كله متخيلات إلا أن الخيال تارة يحصل من الباطن إلى ظاهر عالم الشهادة بالحس، فيجوز أن لا تكون الصورة على وفق المعنى)** أي ما رآه في الظاهر مخالف لما هو في الباطن **(حتى يرى شخصاً جميل الصورة)** في ظاهره، **(وهو خبيث الباطن قبيح السر لأن عالم الشهادة عالم كثير التلبيس)** والتخليط. **(أما الصورة التي تحصل في الخيال من إشراق عالم الملكوت على باطن القلوب)** من الوجه الذي يليه **(فلا تكون إلا محاكية للصفة)** بعينها **(وموافقة لها)** من غير اختلاف **(لأن**

جرم لا يرى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيرها . ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ، ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على مثال خبيث وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر ، وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير . وهذه أسرار عجيبة من أسرار عجائب القلب ، ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة . وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب ، وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم ، وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى ـ هو مثال المعنى لا عين المعنى ـ إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم .

الصورة في عالم الملكوت تابعة للصفة ، فلا جرم لا يرى المعنى القبيح إلا بصورة قبيحة فيرى الشيطان في صورة كلب) تارة **(و)** صورة **(ضفدع)** مرة أخرى **(و)** صورة **(خنزير وغيره)** من الصور الخبيثة ، **(ويرى الملك في صورة جميلة فتكون تلك الصورة عنوان المعاني ومحاكية لها بالصدق ، ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على مثال خبيث)** لخبثهما **(وتدل الشاة على إنسان سليم الصدر)** منقاد للأمر كثير النفع ، **(وهكذا جميع أبواب الرؤيا والتعبير)** كما هو معروف عند أهله . **(وهذه أسرار عجيبة من عجائب أسرار القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة ، وإنما المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب ، وكذلك الملك تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم ، وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى ، إلا أنه يشاهد بالمعنى مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم) .**

قال الشيخ الأكبر قدس سره في الفتوحات للجن التشكل في الصور كالملائكة وأخذ الله بأبصارنا عنهم ، فلا يراهم إلا بعضنا بكشف إلهي ، ولما كانوا من عالم اللطف قبلوا التشكيل فيما يريدونه من الصور الحسية ، فالصورة الأصلية التي ينسب إليها الروحاني إنما هو أول صورة أوجده الله تعالى عليها ، ثم تختلف عليه الصور بحسب ما يريد أن يدخل فيها ولو كشف الله عن أبصارنا حتى نراها بصورة القوة المصورة التي وكلها الله بالتصوير في خيال المتخيل لرأيت مع الإنسان ألف صورة مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً وكما وقع التناسل في البشر بالقاء الماء في الرحم ، فكان التوالد في النوع البشري وقع التناسل في الجان بالقاء الهوى في رحم الأنثى ، فكانت الذرية والتوالد وهم محصورون في اثني عشر قبيلة أصولاً ثم يتفرعون إلى أفخاذ وتقع بينهم حروب والزوابع من حربهم ، ثم قال : هذا العالم الروحاني إذا تشكل وظهر في صورة حسنة يقيده البصر بحيث لا يقدر أن يخرج عن تلك الصورة ما دام البصر ناظراً إليه بالخاصة من الإنسان ، فإذا قيده ولم يبرح ناظراً وليس ثم ما يتوارى فيه أظهر له ذلك الروحاني صورة جعلها عليه كالستر ، ثم خيل له مشي تلك الصورة إلى

بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به:

اعلم أن هذا أمر غامض وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلا على سماسرة العلماء بالشرع، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «عفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها ما لم تتكلم به أو تعمل به». وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: «ان الله تعالى يقول للحفظة إذا همّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا همّ بحسنة لم يعملها فأكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشراً» وقد خرجه

جهة مخصوصة فيتبعها بصره، فإذا تبعها خرج الروحاني عن تقييده فغاب عنه وبمغيبه تزول تلك الصورة عن النظر، فإنها للروحاني كالنور مع السراج المنتشر في الزوايا نوره فإذا غاب جسم السراج فقد النور، وهذا من الأسرار الإلهية وليست الصورة غير الروحاني بل عينه ولو كانت بألف مكان وأشكال مختلفة، وإذا قتلت صورة من تلك الصور انتقل ذلك الروحاني من الحياة الدنيا إلى البرزخ كما ننتقل نحن بالموت ولا يبقى له في الدنيا حديث مثلنا سواء، والفرق بين الجن والملائكة وإن اشتركوا في الروحانية أن الجن غذاؤهم من الأجسام الطبيعية بخلاف الملائكة.

بيان ما يؤاخذ به العبد من وساوس القلوب وهمّها وخواطرها وقصودها وما يعفي عنها ولا يؤاخذ به:

(**اعلم أن هذا أمر غامض**) أي خفي يحتاج إلى تفصيل (**وقد ورد فيه أخبار وآيات متعارضة**) مع بعضها (**يلتبس طريق الجمع بينها إلا على سماسرة العلماء**) أي نقادهم وأذكيائهم، (**فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «عفي لأمتي»**) أي أمة الإجابة (**عما حدثت به نفوسها»**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة: «أن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها» الحديث اهـ.

قلت: لفظ البخاري: «أن الله تجاوز لي عن أمتي عما حدثت به أنفسها» وتمامه «ما لم تتكلم به أو تعمل» وفي رواية للبخاري: «عما وسوست به» وفي رواية لمسلم: «ما حدثت به أنفسها» وفي رواية للبخاري صدورها بدل أنفسها. وفي رواية لمسلم «ما لم يتكلموا به أو يعملوا به» وأنفسها بالرفع على الفاعلية، ويروى بالنصب على المفعولية. ورواه كذلك أئمة السنن الأربعة، ورواه أيضاً الطبراني في الكبير من حديث عمران بن حصين، وفيه المسعودي وقد اختلط وبقية رجاله رجال الصحيح.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه، (**قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يقول للحفظة: إذا همّ عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا همّ بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فإن عملها فاكتبوها عشراً» أخرجه مسلم**) واللفظ له (**و**) كذا

البخاري ومسلم في الصحيحين وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة. وفي لفظ آخر «من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن همّ بحسنة فعملها كتبت له إلى سبعمائة ضعف، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت». وفي لفظ آخر «وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها» وكل ذلك يدل على

(**البخاري**) كلاهما (**في الصحيحين**) وإنما قدم مسلماً في الذكر نظراً إلى أن سياق اللفظ له، وإلا فالبخاري مقدم في الذكر لتقدمه في الفضل وفي الزمان، وربما من يجهل ما ذكرناه اعترض على المصنف في تقديمه مسلماً على صاحبه ونسبه لمخالفة الاصطلاح، (**وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة**) قال عياض، قال أبو جعفر الطبري: فيه دليل على أن الحفظة يكتبون أعمال القلوب وعقدها خلافاً لمن قال أنها لا تكتب إلا الأعمال الظاهرة، وحكى النووي ذلك عن أبي جعفر الطحاوي، وذكر بعضهم أن الملك يعلم ذلك برائحة طيبة تفوح من الإنسان بخلاف ما إذا هم بالسيئة فإنه تفوح منه رائحة خبيثة والله أعلم.

(**وفي لفظ آخر**) من سياق هذا الحديث (**«من هم بحسنة فلم يعملها كتب له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له إلى سبعمائة ضعف، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له وإن عملها كتبت»**) رواه الشيخان من حديث ابن عباس رفعه فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة».

ورواه أحمد في مسنده بلفظ: «من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له بعشر أمثالها إلى سبعمائة وسبع أمثالها، ومن هم بسيئة لم تكتب عليه فإن لم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة فإن لم يعملها لم تكتب عليه».

(**وفي لفظ آخر**) عن همام عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى**: إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يفعل فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشر أمثالها، (**وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها**) فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها» رواه مسلم، عن محمد بن رافع، عن عبد الرزاق ومعنى تحدث المراد بذلك حدث بذلك نفسه ولا يتوقف ذلك على تحدثه بلسانه، وقد دل على ذلك ما تقدم من الرواية وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، والظاهر أن المراد إذا منعه من ذلك عذر ولا تكتب الحسنة بمجرد الهم مع الانكفاف عن الفعل بلا عذر، ويحتمل حمله على إطلاقه وإن مجرد الهم بالخير قربة وإن لم يمنع منه مانع، (**وكل ذلك يدل على العفو**) وهل تكتب له الملائكة الهم بالحسنة أو فعل الحسنة فيه نظر واحتمال، وظاهر لفظ الحديث يقتضي كتابة نفس الحسنة، وقوله: فاكتبوها عشراً أي عشر حسنات، قيل: المراد أنه يكتب له عشر حسنات مضمومة إلى الحسنة المكتوبة على الهم، أو يكمل له عشر حسنات أو ينتظر الملك بكتابة الهم، فإن حققه كتب عشراً وإن لم يحققه كتب واحدة فيه

العفو، فأما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه: ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ [البقرة: ٢٨٤] وقوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلاً﴾ [الاسراء: ٣٦] فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه. وقوله تعالى: ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ [البقرة: ٢٨٣] وقوله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في

احتمال، ويحتاج إلى نقل صريح، وقوله: إلى سبعمائة ضعف فيه أن التضعيف قد ينتهي إلى سبعمائة ضعف، وهذا جود واسع وكرم محض، وحديث ابن عباس المتقدم صريح في أن التضعيف لا يقف على سبعمائة، بل قد يزيده عليها لمن أراد الله تعالى زيادته له وهو أحد القولين في قوله تعالى: ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ [البقرة: ٢٦١] أي زيادة عن المذكور، والقول الثاني أن المراد والله يضاعف لمن يشاء هذا التضعيف والأول أصح. وقال النووي: المذهب الصحيح المختار عند العلماء أن التضعيف لا يقف على سبعمائة، (**فأما ما يدل على المؤاخذة فقوله سبحانه: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله**) فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ (**وقال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا﴾ فدل على أن عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفي عنه. وقال**) تعالى: (**﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾**) فدل على أن القلب يأثم بكتمان الشهادة. أخرج ابن جرير عن السدي في قوله: ﴿آثم قلبه﴾ قال: فاجر قلبه، وكتمان الشهادة من أكبر الكبائر كما رواه ابن جرير عن ابن عباس. (**وقال**) تعالى: (**﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾**) فدل على أن القلب مؤاخذ به، فهذه أربع آيات دلت على مؤاخذة عمل القلب، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾ [النور: ١٩] وقوله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾ [الحجرات: ١٢] والآيات في هذا كثيرة وقد تظاهرت نصوص الشرع وإجماع العلماء على تحريم الحسد واحتقار المسلمين وإرادة المكروه وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها. وفي الآية الأولى خلاف هل هي محكمة أو منسوخة، فروي عن الربيع بن أنس قال: إنها محكمة لم ينسخها شيء يعرف الله يوم القيامة أنك أخفيت في صدرك كذا وكذا ولا يؤاخذك أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم. وروي ذلك عن ابن عباس أيضاً قال: ذلك سر أمرك وعلانيته يحاسبكم الله به، وإنها لم تنسخ. ولكن الله إذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول إني أخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم تطلع عليه ملائكتي، فأما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم وهو قوله: ﴿يحاسبكم الله﴾ [البقرة: ٢٨٤] وأما أهل الشك والريب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب، وهو قوله: ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ [البقرة: ٢٢٥] أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر عن ابن عباس، وقيل: بل هي منسوخة نسختها ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦] الآية أخرجه أحمد ومسلم وابن جرير عن ابن عباس، وأخرجه الترمذي عن علي،

أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ [البقرة : ٢٢٥] والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الإحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح .

فنقول : أوّل ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلاً صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها لرآها .

والثاني : هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الأوّل ونسميه ميل الطبع ويسمى الأوّل حديث النفس .

والثالث : حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فإنه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقاداً ، وهو يتبع الخاطر والميل .

واخرجه سعيد بن منصور عن ابن مسعود ، وأخرجه ابن جرير من طريق قتادة ، عن عائشة ، وقيل : نزلت هذه الآية في الشهادة . أخرجه سعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر عن ابن عباس .

(والحق عندنا في هذه المسألة لا يوقف عليه ما لم تقع الإحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدأ ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح) .

(فنقول : أول ما يرد على القلب الخاطر) وهو اسم لما يتحرك في القلب من رأي أو سعي ثم سمي محله باسم ذلك وهو من الصفات الغالبة وأصل تركيبه يدل على الاضطراب والحركة . ذكره المطرزي . **(كما لو حضر له مثلاً صورة امرأة وأنها وراء ظهره في الطريق لو التفت إليها لرآها) .**

(والثاني : هيجان الرغبة إلى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع ، وهذا يتولد من الخاطر الأول ونسميه ميل الطبع ويسمى الأول حديث النفس) .

(والثالث : حكم القلب بأن هذا ينبغي أن يفعل أن ينبغي أن ينظر إليها فإن الطبع إذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف) أي الموانع **(فإنه قد يمنعه حياء أو خوف من الالتفات)** إليها ، **(وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقاداً وهو يتبع الخاطر والميل)** وذكر صاحب العوارف أن خاطر العقل تارة من خاطر الملك ، وتارة من خاطر النفس ، وليس من العقل خاطر على الاستقلال لأن العقل كما ذكرنا غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم ويتهيأ بها الانجذاب إلى دواعي النفس تارة ، وإلى دواعي الروح تارة ، وإلى دواعي الملك تارة ، وإلى دواعي الشيطان تارة .

الرابع: تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هماً بالفعل ونية وقصداً، وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف، ولكن إذا أصغى القلب إلى الخاطر الأوّل حتى طالت مجاذبته للنفس تأكد هذا الهم وصار ارادة مجزومة، فإذا انجزمت الإرادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل، وربما يفعل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت إليه، وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل.

فههنا أربعة أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة: الخاطر وهو حديث النفس، ثم الميل، ثم الاعتقاد، ثم الهم.

فنقول: أما الخاطر فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار، وكذلك الميل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان أيضاً تحت الاختيار، وهما المرادان بقوله ﷺ: «عفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها»، فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل، فأما الهم والعزم فلا يسمى حديث النفس بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون حيث قال للنبي ﷺ: يا رسول الله نفسي

(الرابع: تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه، وهذا نسميه هماً بالفعل ونية وقصداً، وهذا الهم قد يكون له مبدأ ضعيف ولكن إذا أصغى القلب) أي مال **(إلى الخاطر الأول حتى طالت مجاذبته للنفس)** ومحادثته لها بحسب أصل الامتزاج **(تأكد هذا الهم وصار إرادة مجزومة)** هذا إذا كانت مجاذبة القلب للنفس من باب موافقته لها فيما تنطلق في شيء تهواه من القول والفعل، فأما إذا كانت من باب المعاتبة لها وذلك عند عود العبد من مواطن مطالبات النفس والاعتماد على ذكر الله تعالى فهو يلومها فيما صدر منها من القول والفعل، فلا تتأكد حينئذ الهمة المذكورة ولا تصير إرادة مجزومة فتأمل. **(فإذا انجذبت الإرادة فربما يندفع بعد الجزم فيترك العمل، وربما يغفل بعارض فلا يعمل بها ولا يلتفت وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل.**

فههنا أربعة أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس، ثم الميل، ثم الإعتقاد، ثم الهم.

(فنقول: أما الخاطر فلا يؤاخذ به لأنه لا يدخل تحت الاختيار) ولا يمكن دفعه، **(وكذلك الميل وهيجان الشهوة لأنهما لا يدخلان أيضاً تحت الاختيار، وهما المرادان بقوله ﷺ «عفى لأمتي عما حدثت به أنفسها»)** تقدم قريباً **(فحديث النفس عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعها عزم على الفعل، فأما العزم والهم فلا يسمى حديث نفس، بل حديث النفس كما روي عن عثمان بن مظعون)** بن حبيب بن وهب الجمحي يكنى أبا

تحدثني أن أطلق خولة، قال: « مهلاً إن من سنتي النكاح ». قال: نفسي تحدثني أن أجب نفسي، قال: « مهلاً خصاء أمتي دؤب الصيام ». قال: نفسي تحدثني أن أترهب، قال « مهلاً رهبانية أمتي الجهاد والحج ». قال: نفسي تحدثني أن أترك اللحم. قال « مهلاً فإني أحبه ولو أصبته لأكلته ولو سألت الله لأطعمنيه ». فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس، ولذلك شاور رسول الله ﷺ إذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل.

السائب أحد السابقين رضي الله عنه، **(حيث قال: يا رسول الله نفسي تحدثني أن أطلق خولة)** ويقال لها خويلة بنت حكيم بن أمية السلمي وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ. **(قال: « مهلاً إن من سنتي النكاح » قال: نفسي تحدثني أن أجب نفسي)** أي أقطع آلة الشهوة مني. **(قال: « مهلاً خصاء أمتي دؤب الصيام »)** أي ملازمته فإنه يقطع الشهوة. **(قال: نفسي تحدثني أن أترهب بنفسي)** أي اعتزل الناس وأكون كالراهب في الصومعة. **(قال « مهلاً رهبانية أمتي الجهاد والحج » . قال: نفسي تحدثني أن أترك اللحم)** أي أكله فإنه يحرك الشهوة. **(قال « مهلاً فإني أحبه ولو أصبته)** أي وجدته **(لأكلته ولو سألت الله لاطعمنيه »)** قال العراقي: رواه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من رواية علي بن زيد عن سعيد بن المسيب مرسلاً نحوه، وفيه القاضي عبيد الله العمري كذبه أحمد وابن معين، وللدارمي من حديث سعد بن أبي وقاص لما كان من أمر عثمان بن مظعون الذي كان من ترك النساء بعث إليه رسول الله ﷺ فقال: « يا عثمان إني لم أومر بالرهبانية » الحديث وفيه « فمن رغب عن سنتي فليس مني » وهو عند مسلم بلفظ: « رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا » وللبغوي والطبراني في معجمي الصحابة بإسناد حسن من حديث عثمان بن مظعون أنه قال: يا رسول الله إني رجل يشق علي هذه العزبة في المغازي فتأذن لي يا رسول الله في الخصاء فاختصي. قال « لا ولكن عليك يا ابن مظعون بالصيام فإنه مجفرة » ولأحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث عبد الله بن عمر « خصاء أمتي الصيام والقيام » وله من حديث سعيد بن العاصي بإسناد فيه ضعيف أن عثمان ابن مظعون قال: يا رسول الله ائذن لي في الاختصاء. فقال له رسول الله ﷺ « إن الله قد أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة والتكبير على كل شرف » الحديث. ولابن ماجه من حديث عائشة بسند ضعيف النكاح « من سنتي » ولأحمد وأبي يعلى من حديث أنس « لكل نبي » وقال أبو يعلى « لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله » وفيه زيد العمى وهو ضعيف، ولأبي داود من حديث أبي أمامة « إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله » وإسناده جيد.

(فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس، ولذلك شاور) عثمان **(رسول الله ﷺ)** واستأذنه **(إذ لم يكن معه عزم وهم بالفعل)**، فهذان الحالان لا يؤاخذ بهما العبد وهو مجمع عليه فيما لا يستقر من الخواطر ولا يقترن به عزم.

وأما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا تردد بين أن يكون اضطراراً أو اختياراً والأحوال تختلف فيه، فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به.

وأما الرابع: وهو الهم بالفعل فإنه مؤاخذ به إلا أنه إن لم يفعل نظر، فإن كان قد تركه خوفاً من الله تعالى وندماً على همه كتبت له حسنة لأن همه سيئته وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم على وفق الطبع مما يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى، والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوّة عظيمة فجده في مخالفة الطبع وهو العمل لله تعالى والعمل لله تعالى أشد من جده في موافقة الشيطان بموافقة الطبع فكتب له حسنة لأنه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل، وإن تعوق الفعل بعائق أو تركه بعذر لا خوفاً من الله تعالى كتبت عليه سيئة فإن همه فعل من القلب اختياري.

(وأما الثالث: وهو الاعتقاد وحكم القلب بأنه ينبغي أن يفعل فهذا مردد بين أن يكون اضطراراً أو اختياراً والأحوال تختلف فيه، فالاختياري منه يؤاخذ به، والاضطراري لا يؤاخذ به.

(وأما الرابع: وهو الهم بالفعل فإنه مؤاخذ به) قال الماوردي: مذهب القاضي أبي بكر بن الطيب أن من عزم على المعصية بقلبه ووطن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه، ويحمل ما وقع في هذه الأحاديث وأمثالها على أن ذلك فيمن لم يوطن نفسه على المعصية، وإنما مرَّ ذلك بفكره من غير استقرار ويسمى هذا هماً ويفرق بين الهم والعزم. هذا مذهب القاضي أبي بكر وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين، وأخذوا بظاهر الأحاديث وقال القاضي عياض: عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب إليه القاضي أبو بكر للأحاديث الدالة على المؤاخذة باعمال القلوب، **(إلا أنه إن لم يفعل نظر فإن تركه خوفاً من الله تعالى وندماً على همه كتبت له حسنة لأن همه)** بذلك الفعل **(سيئة وامتناعه)** عنه **(ومجاهدته نفسه)** في تركه **(حسنة، والهم على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله تعالى، والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوّة عظيمة فجدّه في مخالفة الطبع وهو العمل لله أشد من جدّه في موافقة الشيطان بموافقة الطبع، فكتبت له حسنة لأنه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه بالفعل، وأن تعوّق الفعل لعائق أو تركه لعذر لا خوفاً من الله كتبت له سيئة، فإن همه فعل من القلب اختياري)** وقال القاضي عياض بعد أن صوّب ما ذهب إليه القاضي أبو بكر ونقله عن عامة أهل العلم ما لفظه: لكنهم قالوا إن هذا العزم يكتب سيئة وليست السيئة التي هم بها لكونه لم يعملها وقطعه عنها قاطع غير خوف الله تعالى والأمانة، لكن نفس الإصرار والعزم معصية فتكتب معصية، فإذا عملها كتبت معصية ثانية، فأما الهم الذي لا يكتب فهو الخواطر التي

والدليل على هذا التفصيل ما روي في الصحيح مفصلاً في لفظ الحديث. قال رسول الله ﷺ: «قالت الملائكة عليهم السلام رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به، فقال: ارقبوه فإن هو عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جرائي». وحيث قال: فإن لم يعملها أراد به تركها لله. فأما إذا عزم على

لا توطن النفس عليها ولا يصحبها عقد ولا نية عزم اهـ. قال النووي: هو ظاهر حسن لا مزيد عليه.

(**والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح**) لمسلم (**مفصلاً في لفظ الحديث**) رواه عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن همام عن أبي هريرة قال: (**قال رسول الله ﷺ «قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر**) به (**فقال: ارقبوه فإن عملها فاكتبوها**) له (**بمثلها وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جرائي»**) بفتح الجيم وتشديد الراء يقصر ويمد أي من أجلي. يقال: فعلته من جراك ومن جرائك ومن جريرتك أي من أجلك، (**وحيث قال لم يعملها أراد به تركها لله**). وعند البخاري فإن تركها من أجلي فاكتبوها حسنة زيادة على قوله أيضاً في لفظ: فإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها ما لم يعملها لأنه لا يلزم من مغفرتها كتابة حسنة بسبب تركها، وهو مقيد في الحديث بأن يكون تركها من أجل الله، وعليه يدل ما عند مسلم. إنما تركها من جرائي فإن التعليل بذلك دال على تصوير المسألة به، ووجهه أن تركه لها لخوف الله تعالى ومجاهدته نفسه الأمارة بالسوء في ذلك وعصيانه هواه حسنة.

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس «ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة» فلم يقيد ذلك بأن يكون لأجل الله تعالى، فقد يمسك به على كتابتها حسنة، وإن لم يتركها لخوف الله تعالى. وقد حكى القاضي عياض عن بعض المتكلمين أنه ذكر في ذلك خلافاً وعلل كتابتها حسنة بأنه إنما حمله على تركها الحياء. قال القاضي عياض: وهذا ضعيف لا وجه له. قال الولي العراقي: والظاهر حمل هذا المطلق على ذلك المقيد فهو الذي يقتضيه الدليل وتساعده القاعدة والله أعلم.

وقال الخطابي: إذا لم يعملها تاركاً لها مع القدرة عليها لا إذا همّ بها فلم يعملها مع العجز عنها وعدم القدرة عليها، ولا يسمى الإنسان تاركاً للشيء الذي لا يتوهم قدرته عليه، وقوله عند مسلم: فاكتبوها بمثلها، وعند البخاري فأنا أكتبها له بمثلها أي إن جازيته على ذلك، وقد يتجاوز الله عنه فلا يؤاخذه بها. وفي لفظ مسلم في حديث ابن عباس «كتبها الله سيئة واحدة أو محاها الله» وعنده أيضاً من حديث أبي ذر «ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر» وعند البخاري معلقاً من حديث أبي سعيد الخدري «وكل سيئة يعملها له بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها» ووصله النسائي في سننه، وكذلك وصله الدارقطني في غرائب مالك من تسعة طرق.

فاحشة فتعذرت عليه بسبب أو غفلة فكيف تكتب له حسنة، وقد قال ﷺ: « إنما يحشر الناس على نياتهم ». ونحن نعلم أن من عزم ليلاً على أن يصبح ليقتل مسلماً أو يزني بأمرأة فمات تلك الليلة مات مصراً ويحشر على نيته، وقد همّ بسيئة ولم يعملها.

والدليل القاطع فيه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » فقيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: « لأنه أراد قتل صاحبه ». وهذا نص في أنه صار بمجرد الإرادة من أهل النار مع أنه قتل مظلوماً، فكيف يظن أن الله لا يؤاخذ بالنية والهم، بل كل هم دخل تحت اختيار العبد فهو مؤاخذ به إلا أن يكفره بحسنة، ونقض العزم بالندم حسنة، فلذلك كتبت له

(فاما إذا عزم على فاحشة وتعذرت عليه بسبب) من الأسباب **(أو بغفلة، فكيف تكتب له حسنة، وقد قال ﷺ « إنما يحشر الناس على نياتهم »)** قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث جابر دون قوله: « إنما » وله من حديث أبي هريرة « إنما يبعث الناس على نياتهم » وإسناده حسن، ولمسلم من حديث عائشة « يبعثهم الله على نياتهم » وله من حديث أم سلمة: « يبعثون على نياتهم ». **(ونحن نعلم أن من عزم ليلاً على أن يصبح ويقتل مسلماً أو يزني بامرأة فمات تلك الليلة مات مصرّاً)** على المعصية، **(ويحشر على نيته وقدهّم بسيئة ولم يعملها، والدليل القاطع فيه ما روي عن رسول الله ﷺ انه قال: « إذا التقى المسلمان بسيفيهما)** فقتل أحدهما صاحبه **(فالقاتل والمقتول في النار » فقيل: يا رسول الله هذا القاتل)** يستحق النار **(فما بال المقتول)** أي فما ذنبه؟ **(قال)** ﷺ **(« لأنه أراد قتل صاحبه »)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي بكرة اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو داود، والنسائي، ورواه ابن ماجه من حديث أبي موسى ولفظهم جميعاً قال « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه أي إذا التقيا بآلة القتال يتقاتلان بها سيفاً كان أو غيره وإنما خص السيف لأنه أعظم آلته وأكثرها استعمالاً فكل منهما ظالم متعد ».

(وهذا نص في أنه صار من أهل النار بمجرد الإرادة مع أنه قتل مظلوماً) ولا يلزم من كونهما في النار كونهما في رتبة واحدة، فالقاتل يعذب على القتال والقتل، والمقتول يعذب على القتال فقط وأفاد قوله حريصاً أن العازم على المعصية يأثم، وأن كلاً منهما كان قصد القتل لا الدفع عن نفسه، فلو قصد أحدهما الدفع فلم يندفع إلا بقتله فقتل هدر المقتول لا القاتل، ثم هذه المقاتلة يشترط فيها أن يكون عدواناً بغير تأويل سائغ ولا شبهة، فإما إذا كان بتأويل كقتال علي وطلحة فلا، فإن كلاً لديانته وفرط صيانته كان يرى أن الإمامة متعينة عليه لا يسوغ له تركها، **(فكيف يظن أن الله لا يؤاخذ بالنية والهم، وكل ما دخل تحت اختيار العبد فهو مأخوذ به إلا أن يكفره بحسنة ونقض العزم بالندم حسنة)**. وقد روى أحمد والبخاري في التاريخ

حسنة، فأما فوت المراد بعائق فليس بحسنة، وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت اختيار فالمؤاخذة به تكليف ما لا يطاق، ولذلك لما نزل قوله تعالى: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ [البقرة: ٢٨٤] جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله ﷺ وقالوا: كلفنا ما لا نطيق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال ﷺ: « لعلكم تقولون كما قالت اليهود سمعنا وعصينا قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا » فأنزل الله الفرج بعد سنة بقوله: ﴿لا يكلّف الله نفساً إلاَّ وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦] فظهر به أن كل ما لا يدخل تحت الوسع من

وابن ماجه والحاكم من حديث ابن مسعود « الندم توبة (**فلذلك كتبت حسنة، فأما فوات المراد بعائق**) من العوائق (**فليس بحسنة، وأما الخواطر وحديث النفس وهيجان الرغبة، فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمؤاخذة به تكليف لما لا يطاق، ولذلك لما نزل قوله تعالى**) ﴿لله ما في السموات وما في الأرض (**وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله**) فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ (**جاء ناس من الصحابة إلى رسول الله ﷺ**) ثم جثوا على الركب (**فقالوا**): يا رسول الله (**كلفنا**) من الأعمال (**ما**) نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية، و (**لا نطيق أن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك، فقال ﷺ « لعلكم تقولون**) وفي رواية: أتريدون أن تقولوا (**كما قالت بنو إسرائيل**) وفي لفظ: كما قال أهل الكتاب من قبلكم، (**سمعنا وعصينا**) بل (**قولوا ﴿سمعنا وأطعنا**) غفرانك ربّنا وإليك المصير﴾ [البقرة: ٢٨٥] فاقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم، (**فأنزل الله الفرج بقوله ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾**) إلى آخرها. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة وابن عباس نحوه اهـ.

قلت: وسياق المصنف أشبه بسياق أبي هريرة مع الزيادات التي سقتها في أثنائه دون قوله: إن أحدنا ليحدث إلى قوله بذلك، وقد رواه كذلك أحمد وابن جرير وابن حاتم وابن المنذر، وأما لفظ حديث ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم﴾ الآية دخل في قلوبهم منها شيء لم يدخل من شيء، فقالوا للنبي ﷺ فقال: « قولوا سمعنا وأطعنا وأسلمنا » فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ الآية [البقرة: ٢٨٥] ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ قال قد فعلت ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾ قال: قد فعلت ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ قال: قد فعلت ﴿واعف عنا واغفر لنا وارحمنا﴾ الآية [البقرة: ٢٨٦] قال: قد فعلت. هكذا رواه أحمد ومسلم والترمذي والحاكم وابن جرير وابن المنذر من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وأخرج عبد الرزاق وأحمد وابن جرير وابن المنذر بسند صحيح عن مجاهد قال: دخلت على

أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به، فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس. وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بدّ وان يغلط وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلب من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلب، بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً؟ أي ما يدخل تحت الاختيار، فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ به فإن اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذاً به لأنه مختار فكذا خواطر القلب تجري

ابن عباس فقال: إن هذه الآية لما انزلت غمت أصحاب رسول الله ﷺ غماً شديداً وغاظتهم غيظاً شديداً وقالوا: يا رسول الله هلكنا إن كنا نؤاخذ بما تكلمنا وبما نعمل، فأما قلوبنا فليست بأيدينا. فقال لهم رسول الله ﷺ: «قولوا سمعنا وأطعنا» قال: فنسختها هذه الآية ﴿آمن الرسول﴾ إلى ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ فتجوّز لهم عن حديث النفس وأخذوا بالأعمال.

وأخرج أبو داود في ناسخه وابن جرير بسند صحيح عن سعيد بن مرجانة إنه بينما هو جالس مع عبد الله بن عمر تلا هذه الآية ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ الآية فقال: والله لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه. قال ابن مرجانة: فقمت حتى أتيت ابن عباس فذكرت له ما قال ابن عمر. فقال ابن عباس: يغفر الله لأبي عبد الرحمن العمري لقد وجد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وجد عبد الله بن عمر، فأنزل الله بعدها ﴿لا يكلف الله نفساً﴾ الآية آخر السورة. قال ابن عباس: فكانت هذه الوسوسة لا طاقة للمسلمين بها وصار الأمر إلى أن قضى الله أن للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت من القول والعمل.

وقد روي نحو ذلك من حديث علي وابن مسعود وغيرهما، وعند الفريابي وابن المنذر عن محمد ابن كعب القرظي قال: لما نزلت هذه الآية اشتد على المسلمين فقالوا: يا رسول الله أنؤاخذ بما تحدث به أنفسنا ولم تعمله جوارحنا؟ قال: «نعم فاسمعوا وأطيعوا واطلبوا إلى ربكم فذلك قوله ﴿آمن الرسول﴾ الآية». فوضع الله عنهم حديث النفس إلا ما عملت الجوارح لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر، وفي الآية أقوال أخر ذكرناها قريباً.

(فظهر به ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الذي لا يؤاخذ به، فهذا هو كشف الغطاء عن هذا الالتباس وكل من يظن أن كل ما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الأقسام الثلاثة فلا بدّ وان يغلط) في ظنه ويخطيء في فهمه، **(وكيف لا يؤاخذ بأعمال القلوب والكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وجملة الخبائث من أعمال القلوب)** وعزمها، وقد تظاهرت نصوص الشرع وأقوال العلماء على تحريمها، **(بل السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلاً. أي مما يدخل تحت الاختيار، فلو وقع البصر بغير اختيار على غير ذي محرم لم يؤاخذ بها)** وهذا معنى قولهم النظرة الأولى لك، **(فإذا اتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذاً بها لأنه مختار)** ولولا اختياره لما نظر إليها ثانياً،

هذا المجرى، بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل. قال رسول الله ﷺ: « التقوى ههنا وأشار إلى القلب ». وقال الله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ الله لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ [الحج: ٣٧] وقال ﷺ: « الاثم حوّاز القلوب » وقال « البر ما اطمأن إليه قلب وإن أفتوك وأفتوك » حتى إنا نقول إذا حكم القلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطئاً فيه صار مثاباً عليه، بل من قد ظن أنه تطهر فعليه أن يصلي، فإن صلّى ثم تذكر أنه لم يتوضأ كان له ثواب بفعله. فإن تذكر ثم تركه كان معاقباً عليه. ومن وجد على فراشه امرأة فظن انها زوجته لم يعص بوطئها وإن كانت أجنبية فإن ظن انها أجنبية ثم وطئها عصى بوطئها وإن كانت زوجته. وكل ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح.

بيان أن الوسواس هل يتصوّر أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا ؟

وهذا معنى قولهم والثانية عليك، (**فكذا خواطر القلب تجري هذا المجرى بل القلب أولى بمؤاخذته لأنه الأصل. قال** ﷺ **« التقوى ههنا وأشار إلى القلب »**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقال إلى صدره، (**وقال تعالى ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التّقوى منكم﴾ وقال** ﷺ) فيما رواه ابن مسعود ما حاك في صدرك فدعه (**« الاثم حوّاز القلوب »**) بتشديد الواو وبتشديد الزاي وجهان يعني ما يؤثر فيها فيحزها أو يحوزها لرقتها وصفائها ولينها ولطفها وقد تقدم في كتاب العلم مفصلاً. (**وقال**) ﷺ (**« البر ما اطمأن إليه القلب**) وسكنت إليه النفس (**وإن أفتوك وأفتوك »**) رواه الطبراني من حديث أبي ثعلبة ولأحمد نحوه من حديث وابصة بلفظ « وإن أفتاك الناس وأفتوك » وقد تقدما في كتاب العلم. فهذا وصف قلب مكاشف بالذكر ونعت نفس ساكنة بمزيد السكينة والبر، ولفظ حديث وابصة « استفت قلبك وإن أفتاك المفتون » أي ان المفتين يعلمون معنى التأويل والرخصة من علمهم العلانية، وأنت على علم فوقهم مطالب بالتحقيق والعزيمة على علمك السر، (**حتى إنا نقول: إذا حكم قلب المفتي بايجاب شيء وكان مخطئاً صار مثاباً على فعله**) نظراً لحكم القلب، (**بل من ظن أنه متطهر فعليه أن يصلي ثم تذكر كان له ثواب بفعله وإن ترك ثم تذكر كان معاقباً، ومن وجد على فراشه امرأة فظن أنها زوجته**) فوطئها (**لم يعص بوطئها وإن كانت أجنبية في الحقيقة، وإن ظن أنها أجنبية فوطئها عصى وإن كانت زوجته كل ذلك نظراً إلى القلب دون الجوارح**). فالقلوب تؤاخذ بأعمالها وعزومها كما أن الجوارح تؤاخذ بأعمالها.

بيان أن الوسواس هل يتصوّر أن ينقطع بالكلية عند الذكر أم لا :

وفي بعض النسخ ينقلع بدل ينقطع.

اعلم أن العلماء المراقبين للقلوب الناظرين في صفاتها وعجائبها اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق:

فقالت فرقة: الوسوسة تنقطع بذكر الله عز وجل لأنه عليه السلام قال: «فإذا ذكر الله خنس» والخنس هو السكون فكأنه يسكت.

وقالت فرقة: لا ينعدم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر لأن القلب إذا صار مستوعباً بالذكر كان محجوباً عن التأثر بالوسوسة كالمشغول بهمه فإنه قد يتكلم ولا يفهم وإن كان الصوت يمر على سمعه.

وقالت فرقة: لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضاً ولكن تسقط غلبتها للقلب فكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف.

وقالت فرقة: ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر في لحظة ويتعاقبان في أزمنة متقاربة يُظن لتقاربها انها متساوقة وهي كالكرة التي عليها نقط متفرقة، فإنك إذا أدرتها

(**اعلم أن العلماء المراقبين للقلوب**) المحافظين عليها (**الناظرين في صفاتها وعجائبها**) ومالها من الأحوال الغريبة (**اختلفوا في هذه المسألة على خمس فرق**).

(**فقالت فرقة: الوسوسة تنقطع بذكر الله تعالى لأنه قال ﷺ**) «إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم (**فإذا ذكر الله خنس»**) رواه ابن أبي الدنيا وابن عدي من حديث أنس وقد تقدم قريباً. (**والخنوس**) وفي بعض النسخ: والخنس (**هو السكوت**) المفهوم من الانقباض والتأخر ويستعمل لازماً ومتعدياً يقال خنسته فانخنس أي زويته فانزوى، (**فكأنه يسكت**) عن وسوسته فلا يتحرك بل يتطلب فرصة للغفلة عن الذكر فيعود إلى الوسوسة.

(**وقالت فرقة**) منهم (**لا ينعدم أصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له أثر**) يظهر عليه (**لأن القلب إذا صار مستوعباً بالذكر**) أي مستغرقاً به (**كان محجوباً عن التأثر** بالوسوسة) فهو (**كالمشغول بهمه، فإنه قد يكلم ولا يفهم وإن كان الصوت يمر على سمعه**) وعلى هذا المعنى يحملون الخنوس في الحديث.

(**وقالت فرقة**) منهم: (**لا تسقط الوسوسة ولا أثرها أيضاً، ولكن تسقط غلبته للقلب**) أي لا يكون القلب مغلوباً للاثر عند الذكر، وفي بعض النسخ غلبتها أي الوسوسة، (**وكأنه يوسوس من بعد وعلى ضعف**).

(**وقالت فرقة**) منهم: (**ينعدم عند الذكر في لحظة**) أي حال الذكر ينعدم (**وينعدم الذكر بها في لحظة ويتعاقبان**) على القلب (**في أزمنة متقاربة يظن لتقاربها أنها متساوية وهو كالكرة التي عليها نقط متفرقة، فإنها إذا أديرت بسرعة رأيت النقط دوائر لسرعة**

بسرعة رأيت النقط دوائر بسرعة تواصلها بالحركة، واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر، ولا وجه له إلا هذا.

وقالت فرقة: الوسوسة والذكر يتساوقان في الدوام على القلب تساوقاً لا ينقطع، وكما أن الإنسان قد يرى بعينيه شيئين في حالة واحدة، فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين، فقد قال ﷺ: «ما من عبد إلا وله أربعة أعين: عينان في رأسه يبصر بهما أمر دنياه، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر دينه» وإلى هذا ذهب المحاسبي. والصحيح عندنا أن كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الإحاطة باصناف الوسواس، وإنما نظر كل واحد منهم إلى صنف واحد من الوسواس فاخبر عنه.

والوسواس أصناف:

الأول: أن يكون من جهة التلبيس بالحق، فإن الشيطان قد يلبس بالحق فيقول

تواصلها بالحركة، واستدل هؤلاء بأن الخنس قد ورد) في الحديث بأنه عند الذكر يحصل له ذلك، **(ونحن نشاهد الوسوسة مع الذكر)** في حال واحد **(ولا وجه له إلا هذا)** وإلى هذا ذهب صاحب القوت، فإنه قال: وهذان المعنيان من ظهور الخير والشر والطاعة والمعصية بهذه الأسباب يوجدان في طرفة عين، فتصير أجزاء العبد جزأ واحداً ومفصلاته تعود بالمراد منه وصلاً واحداً كالبرقة في السرعة بتقلب القدرة على المشيئة إذا قال له: كن فيكون.

(وقالت فرقة) منهم: **(إن الوسوسة والذكر يتساوقان في القلب على الدوام تساوقاً لا ينقطع، وكما أن الإنسان قد يرى في حالة واحدة بعينه شيئين مختلفين، فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين، وقد قال رسول الله ﷺ «ما من عبد إلا وله أربعة أعين عينان في رأسه يبصر بهما أمر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما أمر دينه»)** قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بلفظ الآخرة مكان دينه، وفيه الحسن بن محمد الهروي الشماخي الحافظ كذبه الحاكم والآفة منه اهـ.

قلت: ولفظ الديلمي «ما من عبد إلا وفي وجهه عينان يبصر بهما أمر الدنيا» ثم ساق الحديث. وفي آخره «فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح الله عينيه اللتين في قلبه فابصر بهما، وإذا أراد غير ذلك تركه على ما فيه ثم قرأ ﴿أم على قلوب أقفالها﴾» [محمد: ٢٤] **(وإلى هذا ذهب)** الحرث بن أسد **(المحاسبي)** رحمه الله تعالى وأشار إليه في الرعاية. **(والصحيح عندنا في هذا أن كل هذه المذاهب صحيحة)** ولها وجوه ومخارج، **(ولكن كلها قاصرة عن الإحاطة بأصناف الوسواس، وإنما نظر كل واحد من الوسواس، فأخبر عنه والوسواس أصناف.**

الأول: أن يكون من جهة التلبيس بالحق، فإن الشيطان قد يلبس الحق) ويغطيه

للإنسان لا تترك التنعم باللذات فإن العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم، فعند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال لنفسه: الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار أشد منه، ولا بدّ من أحدهما، فإذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجدد إيمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب إذ لا يستطيع أن يقول له: النار أيسر من الصبر على المعاصي ولا يمكنه أن يقول المعصية لا تفضي إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله عز وجل يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه، وكذلك يوسوس إليه بالعجب بعمله فيقول: أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما أعظم مكانك عند الله تعالى: فيتذكر العبد حينئذ أن معرفته وقلبه وأعضاءه التي بها عمله وعلمه كل ذلك من خلق الله تعالى، فمن أين يعجب به فيخنس الشيطان؟ إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله فإن المعرفة والإيمان يدفعه، فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين المستبصرين بنور الإيمان والمعرفة.

الصنف الثاني: أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وهيجانها، وهذا ينقسم إلى ما يعلم العبد يقيناً أنه معصية وإلى ما يظنه بغالب الظن، فإن علمه يقيناً خنس الشيطان عن

(**فيقول للإنسان: لا تترك التنعم**) في الدنيا (**واللذات**) بمتاعها. وفي بعض النسخ التنعم باللذات (**فإن العمر طويل**) والأجل المحتوم بعيد (**والصبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم**) وإذا وسوس له بذلك، (**فعند هذا إذا ذكر العبد عظيم حق الله وعظيم عقابه وثوابه وقال: الصبر عن الشهوات شديد، ولكن الصبر على النار أشد منه. ولا بدّ من أحدهما فإذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد إيمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب**) وتأخر وانقبض (**إذ لا يستطيع أن يقول: ليس النار أشد من الصبر عن المعاصي، ولا يمكنه أن يقول: المعصية لا تفضي إلى النار فإن إيمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه، وكذلك يوسوس إليه بالعجب في عمله ويقول: أي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبد الله كما تعبده، فما أعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد** أن معرفته) وقدرته (**وقلبه وأعضاءه التي بها علمه وعمله كل ذلك من خلق الله، فمن أين يعجب به فيخنس الشيطان**) ويتأخر؟ (**إذ لا يمكنه أن يقول ليس هذا من الله لأن المعرفة والإيمان**) كل منهما (**يدفعه، فهذا نوع من الوسواس ينقطع بالكلية عن العارفين**) بالله (**بنور الإيمان والمعرفة**) فهذا وجه من قال إنه ينقطع بالكلية.

(**الصنف الثاني: أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهيجها**) وإثارتها، (**وهذا ينقسم إلى ما يعلم العبد يقيناً أنه معصية وإلى ما يظنه بغالب الظن، فإن علمه يقيناً خنس الشيطان**

تهييج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن التهييج، وإن كان مظنوناً فربما يبقى مؤثراً بحيث يحتاج إلى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة، ولكنها مدفوعة غير غالبة.

الصنف الثالث: أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكر الأحوال الغالبة والتذكر في غير الصلاة مثلاً، فإذا أقبل على الذكر تصوّر أن يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة، ويتصوّر أن يتساوقا جميعاً حتى يكون الفهم مشتملاً على فهم معنى القراءة وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب. وبعيد جداً أن يندفع هذا الخنس بالكلية بحيث لا يخطر، ولكنه ليس محالاً إذ قال عليه السلام «من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من أمر الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه» فلولا أنه متصوّر لما ذكره إلا أنه لا يتصوّر ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فإنا قد نرى المستوعب القلب بعدوّ تأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوّه بحيث لا يخطر بباله غير حديث عدوه، وكذلك المستغرق في الحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه، ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز بين يديه أحد لكان كأنه لا يراه، وإذا تصوّر

عن تهييج يؤثر في تحريك الشهوة ولم يخنس عن) أصل (**التهييج، وإن كان مظنوناً فربما يبقى مؤثراً بحيث يحتاج إلى مجاهدة**) ومعالجة شديدة (**في دفعه، فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة**) وهذا وجه من مال إلى قول الفرقة الثانية.

(**الصنف الثالث: أن تكون وسوسة بمجرد الخواطر وتذكير الأحوال الغائبة والتفكير في غير الصلاة مثلاً فإذا أقبل على الذكر تصوّر أن يندفع ساعة ويعود**) أخرى، (**فيندفع ويعود فيتعاقب الذكر والوسوسة**) معاً على القلب، (**ويتصوّر أن يتساوقا جميعاً حتى يكون الفهم مشتملاً على فهم معنى القراءة، وعلى تلك الخواطر كأنهما في موضعين من القلب وبعيد جداً أن يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر ولكنه ليس محالا إذ قال** ﷺ **«من صلّى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه»**) تقدم في كتاب الصلاة، (**فلولا أنه متصوّر لما ذكره إلا أنه لا يتصور ذلك إلا في قلب استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر**) المغلوب على عقله، (**فإنا قد نرى المستوعب القلب بعدوّ وتأذى به قد يتفكر بمقدار ركعتين وركعات في مجادلة عدوّه بحيث لا يخطر بباله غيره، وكذا المستغرق بالحب قد يتفكر في محادثة محبوبه بقلبه فيغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير حديث محبوبه**) لاستغراقه فيه، (**ولو كلمه غيره لم يسمع**) أي لم يعر له سمعاً (**ولو اجتاز**) أي مرّ (**واحد بين يديه كان**) في حال (**كأنه لا يراه، وإذا تصوّر هذا**

هذا في خوف من عدوّ وعند الحرص على مال وجاه، فكيف لا يتصوّر من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر». وإذا تأملت جملة هذه الاقسام وأصناف الوسواس علمت أن لكل مذهب من المذاهب وجهاً، ولكن في محل مخصوص.

وبالجملة، فالخلاص من الشيطان في لحظة أو ساعة غير بعيد ولكن الخلاص منه عمراً طويلاً بعيد جداً، ومحال في الوجود ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله ﷺ. فقد روي أنه نظر إلى علم ثوبه في الصلاة فلما سلّم رمى بذلك الثوب وقال: «شغلني عن الصلاة» وقال: «اذهبوا به إلى أبي جهم وائتوني بأنبجانيته» وكان في يده خاتم من ذهب فنظر إليه وهو على المنبر ثم رمى به وقال «نظرة إليه ونظرة إليكم» وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر إلى خاتم الذهب وعلم الثوب ـ وكان ذلك قبل تحريم الذهب ـ فلذلك لبسه ثم رمى به ـ فلا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها إلا بالرمي والمفارقة فما دام يملك شيئاً وراء حاجته ولو ديناراً واحداً لا يدعه الشيطان في صلاته من

من خوف عدوّ. وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصوّر من خوف النار والحرص على الجنة، ولكن ذلك عزيز) قليل الوجود **(لضعف الإيمان بالله واليوم الآخر، فإذا تأملت جلة هذه الأقسام وأصناف الوساوس علمت أن لكل مذهب من المذاهب)** للفرق المتقدمة **(وجهاً)** وجيهاً، **ولكن في محل مخصوص)**.

(وبالجملة، فالخلاص من الشيطان في لحظة) واحدة **(أو ساعة)** واحدة **(غير بعيد، ولكن الخلاص منه عمراً طويلاً)** وزماناً طويلاً وزماناً مديداً **(بعيد أو محال في الوجود)** لا يكاد يتيسر، **(ولو تخلص أحد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله ﷺ، وقد روي أنه ﷺ نظر إلى علم ثوبه في الصلاة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال: «شغلني عن الصلاة»)** تقدم في كتاب الصلاة، **(وكان)** ﷺ **(في يده خاتم من ذهب فنظر إليه وهو على المنبر** فرماه **وقال: «نظرة إليه ونظرة إليكم»)** رواه النسائي من حديث ابن عباس، وقد تقدم أيضاً في الصلاة، **(وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر إلى خاتم الذهب وطراز الثوب، وكان ذلك قبل تحريم الذهب، فلذلك لبسه ثم رماه)** وهو بإجماع العلماء من السلف والخلف إلا ما كان من ابن حزم الظاهري فإنه جوز لبس خاتم الذهب للرجال وهو ضعيف لمخالفته النصوص، **(ولا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها إلا بالرمي والمفارقة)** فيكون سبباً للخلوص والإخلاص، **(فما دام يملك شيئاً وراء حاجته**

الوسوسة في الفكر في ديناره، وأنه كيف يحفظه فبماذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أحد؟ أو كيف يظهره حتى يتباهى به؟ إلى غير ذلك من الوساوس. فمن أنشب مخالبه في الدنيا وطمع في أن يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل وظن أن الذباب لا يقطع عليه فهو محال، فالدنيا باب عظيم لوسوسة الشيطان وليس له باب واحد بل أبواب كثيرة. قال حكيم من الحكماء: الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فإن امتنع أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة، فإن أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فإن أبى شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرجه عن العلم فإن أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابراً عفيفاً فتميل قلوبهم إليه، فيعجب بنفسه وبه يهلكه. وعند ذلك تشتد الحاجة فإنها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة.

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات:

اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب إليه الآثار

ولو ديناراً واحداً فلا يخليه الشيطان في صلاته عن الفكر في ديناره كيف يحفظه وفيما ذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به أو كيف يظهره حتى يتباهى به) بين أقرانه **(إلى غير ذلك من الوساوس)** وهذا أصعب ما يكون، **(فمن أنشب مخالبه في الدنيا)** ورتع فيها **(وطمع أن يتخلص عن الشيطان كان)** مثله **(كمن انغمس في العسل)** في الصيف، **(وظن أن الذباب لا يقع عليه وهو محال. فالدنيا باب عظيم لوساوس الشيطان وليس له باب واحد)** حتى يحترز عنه، **(بل أبواب)** كثيرة وبعضها أصعب من بعض. **(قال حكيم من الحكماء)** العارفين: **(الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فإن امتنع)** منها **(أتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعته)** ويحسن له إياها، **(فإن أبى أمره بالتحرج والشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فإن أبى)** من ذلك **(شككه في وضوئه وصلاته حتى يخرج عن العلم فإن أبى خفف عليه أعمال البر حتى يراه الناس صابراً عفيفاً فتميل قلوبهم إليه ويعجب بنفسه وبه يهلكه. وعنده يشتد لحاجة فإنها آخر درجة ويعلم أنه لو جاوزها أفلت منه إلى الجنة)** فآخر أعماله إذا عجز عن ابن آدم إيقاعه في العجب وهو سوس الأعمال وبه يتم الهلاك، فإن سلم منه نجا بعمله أعاذنا الله منه، وقد يستأنس لهذا القول بما مر آنفاً من الحديث: « إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الإسلام » الخ فراجعه.

بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب في التغير والثبات:

(اعلم أن القلب كما ذكرناه تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب إليه الآثار

والأحوال من الأبواب التي وصفناها، فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب، فإذا أصابه شيء يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير صفته، فإن نزل به الشيطان فدعاه إلى الهوى نزل به الملك وصرفه عنه، وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره، وإن جذبه ملك إلى خير جذبه آخر إلى غيره، فتارة يكون متنازعاً بين ملكين وتارة بين شيطانين، وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملاً

والأحوال) المختلفة **(من الأبواب التي وصفناها فكأنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب، فإذا أصابه شيء يتأثر به أصابه من جانب آخر ما يضاده فتتغير وصفه، فإن نزل الشيطان به فدعاه إلى الهوى نزل الملك به وصرفه عنه، وإن جذبه شيطان إلى شر جذبه شيطان آخر إلى غيره، وإن جذبه ملك إلى خير جذبه آخر إلى غيره، فتارة يكون متنازعاً بين ملكين، وتارة بين شيطانين، وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملاً)** فالخواطر الواردة على القلب أربعة: خاطر ملكي، وخاطر شيطاني وهما الأصلان المفهومان من حديث اللمتين المتقدم ذكره قريباً، وخاطر روحي وخاطر نفسي وهما الفرعان. وفي كلام بعضهم أن حركة النفس والروح هما الموجبتان للمتين. والصحيح أن اللمتين تتقدمان على حركة الروح والنفس، فحركة الروح من لمة الملك والهمة العالية من حركة الروح، وهذه الحركة من الروح ببركة لمة الملك، وحركة النفس من لمة الشيطان، ومن حركة النفس الهمة الدنيئة وهي شؤم لمة الشيطان، فإذا وردت اللمتان ظهرت الحركتان وظهر سر العطاء والابتلاء من معط كريم ومبتل حكيم، وقد تكون هاتان اللمتان متداركتين وينمحي أثر أحدهما بالآخر كما تقدم بيانه قريباً. والمتفطن المتيقظ ينفتح عليه بمطالعة وجود هذه الآثار في ذاته من باب أنس ويبقى أبداً مفتقداً حاله مطالعاً آثار اللمتين، وذكروا خاطرين آخرين: خاطر العقل وخاطر اليقين، فخاطر العقل متوسط بين الخواطر الأربعة يكون مع النفس والعدو لوجود التمييز وإثبات الحجة على العبد ليدخل العبد في الشيء بوجود عقلي. إذ لو فقد العقل سقط العتاب والعقاب، وقد يكون مع الملك والروح ليوقع الفعل مختاراً ويستوجب به الثواب. وقد تقدمت الإشارة إلى أنه ليس من العقل خاطر على الاستقلال، وإنما أصله تارة من خاطر الملك وتارة من خاطر النفس، وأما خاطر اليقين فهو روح الإيمان ومزيد اليقين وحاصله راجع إلى ما يرد من الحق سبحانه.

وقال صاحب القوت جل الخواطر ستة: هي حدود القلب وقوادحه من ورائها خزائن القلب وملكوت القدرة وهي جنود الله تعالى، والقلب خزانة من خزائن الملكوت وقد أودعه قبله من لطائف الرغبوت والرهبوت وشعشع فيه من أنوار العصمة والجبروت، فأول التفصيل خاطر النفس وخاطر العدو، وهذان لا يعدمهما عموم المؤمنين وهما مذمومان محكوم لهما بالسواء لا يردان إلا بالهوى وصد العلم وخاطر الروح وخاطر الملك، وهذان لا يعدمهما خصوص المؤمنين وهما محمودان لا يردان إلا بحق، وبما دل عليه العلم وخاطر العقل متوسط بين هذه الأربعة يصلح للمذمومين

وإليه الاشارة بقوله تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾ [الأنعام: ١١٠] ولاطلاع رسول الله ﷺ على عجيب صنع الله تعالى في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول: « لا ومقلب القلوب ». وكان كثيراً ما يقول: « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ». قالوا: أو تخاف يا رسول الله؟ قال: « وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء ». وفي لفظ آخر: « إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن

فيكون حجة على العبد لمكان تمييز العقل وتقسيم المعقول، ويصلح أيضاً أن يكون للممدوحين فيكون شاهداً للملك ومؤيد الخاطر الروح. والخاطر السادس: هو خاطر اليقين وهو روح الإيمان ومزيد العلم يردان إليه ويصدران عنه، وهذا الخاطر مخصوص لخصوص لا يجده إلا الموقنون وهم الشهداء والصديقون لا يرد إلا بحق، وإن خفي وروده ودق ولا يقدح إلا بعلم اختيار المراد مختار، وإن لطفت أدلته وبطن وجه الاستدلال به، ولكن ليس يخفى هذا الخاطر على مقصود به مراد له وهم الذي وصفهم الله تعالى بالذكرى فقال: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ [ق: ٣٧] أي من تولى الله تعالى حفظ قلبه، وسائر ما ذكرناه من الخواطر لا يعدمه المؤمنون، والقلب خزانة الله تعالى من خزائن الغيب وهذه المعاني جنود الله تعالى مقيمة حول القلب يخفي منها ما يشاء ويظهر، ويبدىء منها ما يريد ويعيد، ويبسط القلب بما يشاء منها ويقبضه فيما يشاء عنها، ثم قال: وقد أجمل الله تعالى ذكر تقليب الكون بمشيئته في قوله: ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ [النور: ٤٤] والمعنى بما فيهما لأنهما ظرفان للأشياء معبر عنها فهما كقوله عز وجل: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾ [سبأ: ٣٣] والمعنى مكركم في الليل والنهار فعبر بهما عن مكرهم لأنهما مكانان لمكرهم.

(**وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾ ولاطلاع رسول الله ﷺ على عظيم صنع الله في عجائب القلب وتقليبه**) لما رأى من سرعة نفاذ القدرة بالمراد في المقلبات مما لم يشهده سواه (**كان يحلف به فيقول: « لا ومقلب القلوب »**) رواه البخاري من حديث ابن عمر، (**وكان كثيراً ما يقول**) في دعائه (**« يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قالوا: وتخاف يا رسول الله؟ قال: « وما يؤمنني والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف شاء »**) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أنس وحسنه، والحاكم من حديث جابر. وقال: صحيح على شرط مسلم، ولمسلم من حديث عبد الله بن عمر: « واللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ». (**وفي لفظ**) حديث (**آخر: « إن شاء أن يقيمه اقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه »**) قال العراقي: رواه النسائي في الكبير، وابن ماجه، والحاكم وصححه على شرط الشيخين من حديث النواس بن سمعان: « ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه » وللنسائي في الكبير بإسناد جيد من حديث عائشة نحوه اهـ.

قلت: لفظ حديث النواس عند الجماعة « ما من قلب إلا وهو معلق بين أصبعين » والباقي

يزيغه أزاغه » . وضرب له ﷺ ثلاثة أمثلة فقال « مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة » . وقال عليه السلام : « مثل القلب في تقلبه كالقدر إذا استجمعت غلياناً » . وقال « مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة تقلبها الرياح ظهراً لبطن » . وهذه التقلبات

سواء . وفي آخره : « والميزان بيد الرحمن يرفع أقواماً ويخفض آخرين إلى يوم القيامة » وكذلك رواه أحمد والطبراني في الكبير . وأما لفظ حديث عائشة « ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه » فكذلك رواه ابن عساكر وابن النجار في تاريخيهما .

(وضرب له) رسول الله **(ﷺ ثلاثة أمثال فقال : « مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة »)** قال العراقي : رواه الحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط مسلم ، والبيهقي في الشعب من حديث أبي عبيدة عامر بن الجراح اهـ .

قلت : وكذلك رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص ولفظهم : « إن قلب ابن آدم مثل العصفور فيتقلب في اليوم تسع مرات » .

قال العراقي : ورواه البغوي في معجمه من حديث أبي عبيدة غير منسوبوقال لا أدري له صحبة أم لا .

(وقال) ﷺ (« مثل القلب في تقلبه كالقدر إذا استجمعت غلياناً ») ولفظ القوت : إذا استجمعت في غليانها وتقدم للمصنف قريباً بلفظ : « قلب المؤمن أشد تقلباً من القدر في غليانها » . وقال العراقي : رواه أحمد والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري من حديث المقداد ابن الأسود اهـ .

قلت : ولفظها : « لقلب ابن آدم أشد انقلاباً من القدر إذا استجمعت غلياناً » .

(وقال) ﷺ : (« مثل القلب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الرياح ظهراً لبطن ») قال العراقي : رواه الطبراني في الكبير ، والبيهقي في الشعب من حديث أبي موسى الأشعري بإسناد حسن ، وللبزار نحوه من حديث أنس بسند ضعيف اهـ .

قلت : لفظ حديث أبي موسى عند الطبراني : « مثل هذا القلب مثل ريشة بفلاة من الأرض » والباقي سواء ، ولفظه عند البيهقي : « مثل القلب كمثل ريشة » والباقي كسياق المصنف ، وكذلك رواه ابن النجـار في التاريخ ، ورواه ابن ماجة بلفظ : « مثل القلب مثل الريشة تقلبها الرياح بفلاة » وأما لفظ حديث أنس عند البزار : « مثل المؤمن كريشة بفلاة تقلبها الرياح مرة وتفيئها أخرى » . وهذه الأمثلة الثلاثة أوردها صاحب القوت ثم قال : فالقلب مكان للتقليب بما فيه من خزائن الغيب كالليل والنهار مكانان للأحكام بالتصريف من اختلاف الأزمان في الأوقات والإيمان بتقليب القلوب ، وبأن المقلب سبحانه يحول بين القلب وصاحبه واجب والكون بأسره عند

وعجائب صنع الله تعالى في تقليبها من حيث لا تهتدي إليه المعرفة لا يعرفها إلا المراقبون والمراعون لأحوالهم مع الله تعالى.

والقلوب في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلاثة:

قلب عمر بالتقوى وزكا بالرياضة وطهر عن خبائث الأخلاق تنقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل إلى التفكر فيما خطر له ليعرف دقائق الخير فيه، ويطلع على أسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لا بدّ من فعله فيستحثه عليه ويدعوه إلى العلم به وينظر الملك إلى القلب فيجده طيباً في جوهره طاهراً بتقواه مستنيراً بضياء العقل معموراً بأنوار المعرفة فيراه صالحاً أن يكون

الموحدين في القدر بالقليب كمثل ريشة في ريح عاصف تقلبه القدرة على مشيئة القادر تعالى، وليس في القدرة ترتيب ولا مسافة ولا بعد، ولا يحتاج إلى زمان ولا مكان، فما ظهر من الملك وثبت للعيون بمكان وزمان فلأجل الحكمة والصنع والاتقان وما خفي من الملكوت وتقلب ببصائر القلوب فبلطف القدرة وقهر السلطان ونصيب كل عبد من مشاهدة القدرة بقدر نصيبه من التوحيد حسب قسمه من اليقين.

(وهذه التقليبات وعجيب صنع الله في تقليبها من حيث لا يهتدي إليه لا يعرفه إلا المراقبون لقلوبهم والمراعون لأحوالهم مع الله تعالى).

(والقلوب في الثبات على الخير والشر والترديد بينهما ثلاثة):

أحدها: **(قلب عمر بالتقوى وزكي بالرياضة وطهر عن خبائث الأخلاق)** والترتيب في هذا المقام غير مراعي، فإن التطهير عن الخبائث هو أول ما يكون ثم التزكية بالرياضة ثانياً، فالذي ينتج عنهما عمارة القلب بالتقوى فهو آخر المراتب جعله أولاً أو يكون المراد بعمارته بالتقوى الاتقاء من الشرك المضاد للتوحيد، ثم التزكية بالرياضة هو أعمال الجوارح ثم التطهير عن الخبائث هو انشراحه بنور اليقين حسبما قسم له. **(تنقدح فيه خواطر الخير)** وهي التي ترد من الله تعالى بواسطة الملائكة **(من خزائن الغيب ومداخل الملكوت)** الأعلى، **(فينصرف العقل إلى التفكر فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على أسرار فوائده، فينكشف له بنور البصيرة وجهه)** ويتبين له أمره **(فيحكم بأنه لا بد من فعله ويستحث عليه ويدعو إلى العمل به)** وهذا القلب هو المتطلع إلى الروح العلوي الميال إليه وهو القلب المؤيد الذي ورد فيه أنه أجرد فيه سراج يزهر، **(فينظر الملك إلى)** هذا القلب **(فيجده طيباً في جوهره)** أي في تكونه في أصل خلقته عند سكون الروح إلى النفس **(طاهراً بتقواه مستنيراً بضياء العقل معموراً بأنواع المعرفة)** مغموراً بأنوار اليقين، **(فيراه صالحاً لأن يكون مستقراً له**

له مستقراً ومهبطاً ، فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه إلى خيرات أخرى حتى ينجر الخير إلى الخير ، وكذلك على الدوام ولا يتناهى إمداده بالترغيب بالخير وتيسير الأمر عليه . وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ فأما من أعطى واتقى ★ وصدق بالحسنى ★ فسنيسره لليسرى ﴾ [الليل : ٥ ـ ٧] وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ، فلا

ومبهطاً) لتنزلاته ، **(فعند ذلك يمده بجنود)** معنوية **(لا ترى وبهداية إلى خيرات أخرى)** تتراءى **(حتى ينجر الخير إلى الخير و)** هلم جرا ، **(كذلك على الدوام لا يتناهى إمداده بالترغيب في الخير)** في كل لحظة **(ويتسير الأمر عليه)** في كل حركة وسكون ولفظ القوت : وإن أراد الله تعالى إظهار خير وإلهام تقوى من خزائن الملكوت حرس الروح بخفي اللطف فتحرك بأمره تعالى فقدح من جوهرها نوراً ساطعاً في القلب فظهرت همة عالية وهمة الخير ترد بأحد ثلاثة معان لا تحصى فروعها ، لأن همة كل عبد في الخير مبلغ علمه ومنتهى مقامه ، فأحد الأصول مسارعة إلى أمر بفرض أو ندب لفضل يكون عن عمل حال العبد أو علم يكون مظنة له أظهر عليه من مكاشفة غيب من ملك أو ملكوت ، والمعنى الثالث تحمل مباح من تصرف فيما يعني بما يعود صلاحه عليه أو استراحة للنفس بما أبيح له يكون نفعه لغيره أو ترويحات من الأفكار القلبية تكون حملاً لكربه وتخفيفاً لثقله . فهذه مرافق للعبد وفي كلها رضاه تعالى ، فامضاؤها أفضل للعبد وبعضها أفضل من بعض ، فإذا أراد الله إظهار خير من خزانة الروح حركها فسطعت نوراً في القلب ، فاثرت فينظر الملك القلب فيرى ما أحدث الله فيه فيظهر مكانه فيتمكن ، والملك مجبول على الهداية مطبوع على حب الطاعة فيلقي الإلهام وهو حضوره على القلب بقدح خواطره يأمر بتنفيذ ذلك ويحسنه له ويحثه عليه وهذا هو الهام التقوى والرشد ، وينظر الملك إلى اليقين فيشهد للملك بذلك ، فيطمئن العقل ويسكن إلى شهادة اليقين فيصير مع الملك فينشرح الصدر لطمأنينة العقل فتظهر أدلة العلم لانشراح الصدر ، فيقوى سلطان اليقين لصفاء الإيمان وتندرج ظلمة الهوى في أنوار اليقين ، وتنطفىء شعلة الشهوة لظهور نور الإيمان وزينة الحياء فتضعف صفات النفس بسقوط الشهوة ، ويقوى القلب لضعف النفس ويزيد الإيمان بقوة اليقين وظهور أدلة العلم ، فتغلب الهداية لمزيد الإيمان وسعة الحياء فتظهر الطاعة لغلبة الحق : ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [يوسف : ٢١] **(وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ فأما من أعطى واتقى ★ وصدّق بالحسنى ★ فسنيسره لليسرى﴾)** فالإعطاء إشارة إلى تزكية العمل ، والاتقاء هو عمارة القلب بالتقوى والتصديق بالحسنى . **(وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكاة الربوبية)** ، فالقلب بمنزلة القنديل وعلى قدر رقته ولطيف جوهره وصفائه عن كدره وحسن طهارته عن الأكدار تكون العلوم الحسنة فيه والأنوار ، وجوهر الزجاجة يحتاج إلى صفاء الماء ، كما أن صفاء الماء يحتاج إلى صفاء الجوهر ، ومعيارهما يكون القلب والعقل ووقود النار يحتاج إلى قوة الفتيلة فموضعها في القوة يكون العلم بالله تعالى واليقين ، **(حتى لا يخفي فيه الشرك الخفي الذي**

يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكائد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف القول غروراً فلا يلتفت إليه. وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معموراً بالمنجيات ـ التي سنذكرها ـ من الشكر والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك. وهو القلب الذي أقبل الله عز وجل بوجهه عليه وهو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى: ﴿ألاَ بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد: ٢٨] وبقوله عز وجل: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ [الفجر: ٢٧].

القلب الثاني: القلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالاخلاق المذمومة والخبائث المفتوح فيه أبواب الشياطين، المسدود عنه أبواب الملائكة. ومبدأ الشرفية أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه

هو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء) روى الحكيم الترمذي في النوادر من حديث ابن عباس: « الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل على الصفا » وروى الحاكم، وأبو نعيم في الحلية: « الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء » الحديث. قال صاحب القوت: وهذا لا يعدمه المؤمنون إلا الصديقون. **(ولا يخفى على هذا النور خافية)** بل ينكشف له حقائق الأشياء، **(ولا يروج عليه شيء من مكائد الشيطان بل يقف الشيطان)** من بعيد **(ويوحي زخرف القول غروراً ولا يلتفت إليه)** وليس عليه سبيل، **(وهذا القلب بعد طهارته من)** الصفات **(المهلكات)** وأعظمها الجهل والطمع وحب الدنيا **(يصير على القرب معموراً بالمنجيات التي سنذكرها)** بعد **(من الصبر والشكر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحبة والرضا والشوق والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك)** مما سيأتي ذكره في الربع الأخير، **(وهو القلب الذي أقبل الله عليه بوجهه)** فسلبه عن أن يكون فيه مستكن لغيره **(وهو القلب المطمئن المراد بقول الله تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾)** أي تسكن لجلال تجلياته وتنشرح، وهو المراد من حديث حذيفة أن قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر في تقسيمه القلوب على ما تقدم، **(والمراد بقوله: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة)** ارجعي﴾ وهذا مخرج على أن القلب يتكون من سكون النفس إلى النفس كما تقدم.

(القلب الثاني: القلب المخذول) الموصوف بالخذلان المضاد للتوفيق **(المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالأخلاق الذميمة)** مثل الجهل والطمع وحب الدنيا وغيرها **(المفتحة فيه أبواب الشياطين المسدودة عنه أبواب الملائكة، ومبدأ الشرفية أن ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس فيه)** وكل قلب اجتمع فيه ثلاثة معان لم تفارقه خواطر الهوى وهي الجهل والطمع وحب الدنيا ثم يضعف خاطر الهوى ويقوى على قدر ضعف هذه الثلاثة وقوتها ويظهر خاطر الهوى في القلب على قدر تمكن هذه الثلاثة من النفس وخفائها، **(فينظر القلب إلى حاكم العقل**

الصواب فيه ، فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فتستولي النفس وتساعد عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته ، فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزين والغرور والأماني ، ويوحي بذلك زخرفاً من القول غروراً فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ، ويخبو نور اليقين لخوف الآخرة إذ يتصاعد عن الهوى دخان مظلم إلى القلب يملأ جوانبه حتى تنطفيء أنواره ، فيصير العقل كالعين التي ملأ الدخان أجفانها فلا يقدر على أن ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار ، ولو بصره واعظ وأسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم وصم عن السمع وهاجت الشهوة فيه وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى فظهرت المعصية إلى عالم الشهادة من عالم الغيب بقضاء من الله تعالى

ليستفتي منه) إذا رد إليه الفتوى بإذن الشارع ، **(ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى وأنس به واستمر على استنباط الحيل في موافقة الهوى ومساعدته فتسول النفس)** وتزين **(وتساعد عليه)** وذلك لأن بين القلب والنفس مناغاة ومحادثات وتردداً وتآلفاً فيكون أنسه بالهوى إنما هو بتسويل النفس له من قول أو فعل ، فيواقعها أحياناً فتروم عليه النفس من نواحيه وتحسن له تلك الموافقة ، **(فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل)** أي تأخره **(عن مدافعته ، فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى)** في جوانبه **(فيقبل عليه)** حينئذ عن قرب **(بالتزين والغرور والأماني)** الكاذبة ويخدعه بها **(ويوحي بذلك زخرفاً من القول غروراً ، فيضعف سلطان الإيمان بالوعد والوعيد ويخبو نور اليقين بخوف الآخرة إذ يتصاعد من الهوى)** عند التمكن **(دخان مظلم إلى القلب يملأ جوانبه)** فيحجب البصيرة **(حتى تنطفيء أنواره ، فيصير العقل)** فيه **(كالعين التي ملأ الدخان أجفانها فلا تقدر على أن تنظر)** إلى شيء ، **(وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب)** إذا استولت عليه أعمت بصيرته **(حتى لا يبقى للقلب إمكان التوقف والاستبصار)** في جليات الحقائق ، **(ولو)** فرض أنه **(بصره واعظ وأسمعه ما هو الحق فيه)** وأفهمه بحسن تقريره **(عمي عن الفهم وصم عن السمع ، وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى ، وظهرت المعصية إلى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله وقدر)** .

ولفظ القوت : وإذا أراد الله بعبد هلكة وكان قد حكم بوقوع الشر نظر القلب بعد الهمة بهوى النفس إلى العقل ، فراجع العقل النفس فسولت وطوعت ، فسكن العقل واطمأنّ إلى تسويل النفس وطوعها فانشرح الصدر بالهوى لسكون العقل ، وانتشر الهوى في القلب لشرح الصدر وتوسعته ،

وقدره، وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً* أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤] وبقوله عز وجل: ﴿لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون﴾ [يس: ٧] وبقوله تعالى: ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ [يس: ١٠] ورب قلب هذا حاله بالاضافة إلى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الأشياء، ولكنه إذا رأى وجهاً حسناً لم يملك عينه وقلبه وطاش عقله وسقط إمساك قلبه أو كالذي لا يملك نفسه فيما فيه الجاه والرئاسة والكبر، ولا يبقى معه مسكة للتثبت عند ظهور أسبابه، أو كالذي لا يملك نفسه عند الغضب مهما استحقر وذكر عيب من عيوبه، أو كالذي لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه المروءة والتقوى، فكل ذلك لتصاعد دخان الهوى إلى القلب حتى يظلم وتنطفىء منه أنواره فينطفىء نور الحياة والمروءة والإيمان، ويسعى في تحصيل مراد الشيطان.

القلب الثالث: قلب تبدو فيه خواطر الهوى فتدعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان

فقوي سلطان العدوّ لاتساع مكانه، وأقبل بتزيينه وغروره وأمانيه ووعده يوحي بذلك زخرفاً من القول غروراً، فضعف سلطان الإيمان لقوة سلطان العدوّ، وخبا نور اليقين لآثار ظلمة الهوى فقويت صفات النفس لضعف القلب، واشتعلت نيران الشهوة لخمود نور الإيمان فغلب الهوى لقوة الشهوة فأحرقت العلم والإيمان فارتفع الحياء واستتر الإيمان بالشهوة، فظهرت المعصية لغلبة الهوى وارتفاع الحياء.

(وإلى مثل هذا القلب الإشارة بقوله تعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً* أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾) وبقوله تعالى: (**﴿لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون﴾ وبقوله**) تعالى: **﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾**[1] وهذا هو القلب المنكوس الذي ذكر في حديث حذيفة عند تقسيم القلوب، وهو الميال إلى النفس، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ [يوسف: ٥٣].

(القلب الثالث: قلب تبدو فيه خواطر الهوى فيدعوه إلى الشر فيلحقه خاطر الإيمان فيدعوه إلى الخير) وهذا هو القلب المتردد بينهما وبحسب غلبة ميله يكون حكم السعادة

---

(١) الكلام الذي ورد في المتن بعد هذه الآية من قوله: «ورب قلب...» حتى «القلب الثالث» لم يرد في الشرح.

فيدعوه إلى الخير ، فتنبعث النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل إلى خاطر الخير ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر ، وقلة اكتراثها بالعواقب ، فتميل النفس إلى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل فيقوي داعي الهوى ويقول : ما هذا التحرج البارد ، ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك ؟ وهل ترى أحداً من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه ؟ أفتترك لهم ملاذ الدنيا يتمتعون بها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروماً شقياً متعوباً يضحك عليك أهل الزمان ؟ أفتريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان ، وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا ؟ أما ترى العالم الفلاني ليس يحترز من مثل ذلك ولو كان ذلك شراً لامتنع منه فتميل النفس إلى الشيطان وتنقلب إليه ، فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول : هل هلك إلا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة أفتقنع بلذة يسيرة وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد ؟ أم تستثقل ألم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل ألم النار ؟ أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم واتباعهم هواهم

والشقاوة ، كما أشار إليه المصنف بقوله : (**فتنبعث النفس بشهوتها إلى نصرة خاطر الشر فتقوي الشهوة ويحسن التمتع**) والتلذذ (**والتنعم فينبعث العقل إلى خاطر الشر ، ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها إلى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب**) وهذا هو معاقبة القلب للنفس حين تكدره منها فيما انطلقت فيه بهواها ، وذلك يكون عند عود العبد من مواطن مطالبات النفس والإقبال على الذكر والمراقبة ، (**فتميل النفس إلى نصح العقل**) وتضعف قوتها وهذا الميل منها إليه بموجب الإلفة التي جعل الله بينهما إن كان تكونه منها عند سكونها مع الروح ، (**فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوي داعي الهوى ويقول : ما هذا التحرج البارد**) والتكلف الذي لا معنى له ، (**ولم تمتنع عن هواك فتؤذي نفسك وهل ترى أحداً من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه فترك ملاذ الدنيا لهم يتمتعون فيها وتحجر على نفسك حتى تبقى محروماً شقياً متعوباً يضحك عليك أهل الزمان؟ أتريد أن يزيد منصبك على فلان وفلان**) ويسميهم بأسمائهم (**وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا**) من التمتع بالملاذ ؟ (**أما ترى العالم الفلاني ليس يحترز عن فعل ذلك ولو كان ذلك شراً لامتنع عنه؟**) أتريد أن تكون أفضل منه ، (**فتميل النفس إلى الشيطان وتنقلب إليه**) بمقتضى جبلتها الأصلية وتلقي نصح القلب إلى ورائها ، (**فيحمل الملك على الشيطان ويقول : هل هلك إلا من اتبع لذة الحال**) في العاجل (**ونسي العاقبة أفتقنع بلذة يسيرة**) قريبة الزوال ، (**وتترك لذة الجنة ونعيمها أبد الآباد**) لا تنقطع (**أم تستثقل ألم الصبر عن شهوة**) زائلة أي تعده ثقيلاً عليك (**ولا تستثقل ألم النار**) التي من

ومساعدتهم الشيطان مع أن عذاب النار لا يخففه عنك معصية غيرك؟ أرأيت لو كنت في يوم صائف شديد الحر ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أو تطلب لنفسك الخلاص؟ فكيف تخالف الناس خوفاً من حر الشمس ولا تخالفهم خوفاً من حر النار؟ فعند ذلك تتمثل النفس إلى قول الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذباً بين الحزبين إلى أن يغلب على القلب ما هو أولى به، فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب إلى جنسه من أحزاب الشيطان معرضاً عن حزب الله تعالى وأوليائه، ومساعداً لحزب الشيطان وأعدائه، وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى. وإن كان الأغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان وتحريضه إياه على العاجلة وتهوينه أمر الآخرة بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه، فقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ـ أي بين تجاذب هذين الجندين وهو الغالب ـ أعني التقليب والانتقال من

عذب بها لم يفلح. (**أتغتر بغفلة الناس عن أنفسهم وإتباعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان؟ مع أن عذاب النار لا يخف عنك بمعصية غيرك. أرأيت لو كنت في**) زمان (**صيف ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد**) مظلل (**أكنت مساعداً للناس أو تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفاً من حرّ الشمس ولا تخالفهم خوفاً من حر النار، فعند ذلك تميل النفس إلى قول الملك: فلا يزال**) متردداً (**بين الجندين متجاذباً بين الحزبين إلى أن يغلب على القلب من هو أولى به، فإن كانت الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها**) من الجهل والطمع وحب الدنيا وغيرها، (**غلب الشيطان**) وكانت تلك الصفات جنداً له ومداخل إلى القلب، (**ومال القلب**) بحكم الغلبة (**إلى جنسه من أحزاب الشياطين معرضاً عن حزب الله تعالى، وأوليائه** ومساعداً **لحزب الشيطان وأعدائه، وجرى**) بسبب ذلك (**على أعضائه بسابق**) القضاء (**والقدر ما هو سبب بعده عن**) حضرة (**الله تعالى، وإن كان الاغلب على القلب الصفات الملكية**) التي تقدمت الإشارة إليها (**لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان**) أي لم يمل (**وتحريضه إياه على العاجلة**) أي الدنيا (**وتهوينه أمر الآجلة**) أي الآخرة، (**بل مال إلى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه، وقول رسول الله** ﷺ: « **قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن** ») كما تقدم ذكره (**أي بين تجاذب هذين الحزبين**) المفهوم من قوله في تفسيره إن المراد به تحت قبضة قهره وقدرته، (**و**) هذا (**هو الغالب أعني التقلب والانتقال من حزب إلى حزب**) حتى بالغوا في ذلك وقالوا:

وما سمي الإنسان إلا لأنسه ... وما القلب إلا أنه يتقلب

حزب إلى حزب، أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو مع حزب الشيطان فنادر من الجانبين. وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب إلى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فإنه من خزائن الملكوت وهي أيضاً إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء فمن خلق للجنة يسرت له أسباب الطاعات ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعاصي، وسلط عليه أقران السوء وألقي في قلبه حكم الشيطان فإنه بأنوع الحكم يغرّ الحمقى بقوله: إن الله رحيم فلا تبال وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم، وإن العمر طويل فاصبر حتى تتوب غداً ﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان

فالتقلب والانتقال من شأن القلب هذا هو الأصل.

(أما الثبات على الدوام مع حزب الملائكة أو حزب الشياطين فنادر من الجانبين) قليل الوقوع. واعلم أن أعمال العباد لا تخلو عن ثلاثة أنواع: فرض ونفل ومعصية. فالفرض: بأمر الله تعالى ومحبته ومشيئته تجتمع هذه المعاني الثلاث في الفرائض، والنفل: بأمر الله تعالى إلا أنه لم يوجبه ولم يعاقب على تركه ولكن بمحبته تعالى، والمعصية: بمشيئته إلا أنه قد كرهها إذا لم يأمر بها ولم يندب إليها، ولكن بمشيئته إذ لا يخرج شيء عن إرادته كما لا يخرج شيء عن علمه والإرادة والمشيئة اسمان لمعنى واحد قد دخل كل شيء فيها كما دخل كل شيء في العلم. قال تعالى ﴿فعال لما يريد﴾ [هود: ١٠٧] فهو عالم بما أراده، كذلك هو مريد لما علمه أظهرت ارادته سابق علمه وكشف علمه الغيب ظهور ارادته الشهادة، فالغيب علمه، والشهادة معلومة. فكيف يخالف المعلوم العلم وهو إجراء ما ينفذ ارادته سابق علمه في معلومات خلقه، وهذا فرض التوحيد. فخرجت النوافل عن الأمر وخرجت المعاصي عن المحبة في تفصيل الأحكام ولم تخرج معصية عن مشيئته، فإذا عرفت ذلك فاعلم أن **(هذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزائن الغيب إلى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب، فإنه من خزائن الملكوت وهي إذا ظهرت كانت علامات)** وأمارات **(تعرف أرباب القلوب سابق القضاء، فمن خلق للجنة يسرت له الطاعة وأسبابها، ومن خلق للنار يسرت له أسباب المعصية وسلط عليه أقران السوء وألقي في قلبه حكم الشيطان)** وإذا كانت الأشياء بعلمه جاريات جعل تسليط العدوّ بسلطانه كشفاً وإظهاراً لما أخفاه من سابق علمه كما جعل أفعال العباد الظاهرة كشفاً وإظهاراً لارداته الباطنة، وورد في بعض الأخبار سبق العلم وجف القلم وقضى القضاء وتم القدر بالسعادة من الله عز وجل لأهل طاعته، وبالشقاء من الله تعالى لأهل معصيته. كذا نقله صاحب القوت. وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » **(فإنه)** أي الشيطان **(بأنواع الحكم يغر الحمقى)** أي يوقعهم في الغرور **(كقوله: إن الله)** غفور **(رحيم فلا تبال)** مما صنعت **(فإن الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم، وإن العمر طويل)** والأجل بعيد **(فاصبر)** اليوم واعمل خلاصك فيه **(حتى تتوب غداً)**. ولفظ القوت والخاطر بعد الهمة هو ظهور العدوّ على

إلا غروراً﴾ [النساء: ١٢٠] يعدهم التوبة ويمنيهم المغفرة فيهلكهم بإذن الله تعالى بهذه الحيل، وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحق. وكل ذلك بقضاء من الله وقدر ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعّد في السماء﴾[الأنعام: ١٢٥] ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾ [آل عمران: ١٦٠] فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه. خلق

القلب يزين الهمة وعلى العبد يرجى ويقسم له في أهله ويمنيه التوبة حتى يهوّن عليه المعصية ويعده بعدها المغفرة حتى يجرئه على الخطيئة، وهذا هو الوعد بالغرور وبعد الهلاك والثبور، كما قال تعالى: (﴿**يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً**﴾ **يعدهم: أي بالتوبة ويمنيهم أي بالمغفرة فيهلكهم الله**) تعالى (**بهذه الحيل وما يجري مجراها، فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحقائق وكل ذلك بقضاء الله وقدره**). ولفظ القوت: وهذا كله تصديق ظن العدوّ بالعبد واتباع العبد له بالهوى عن مقام البعد وكشف لعلم الله تعالى بإظهار الحكم وانفاذ المشيئة، وهو الابتداء بالأسباب فصار العدوّ سبباً، وقد قال الله تعالى: ﴿ولقد صدق عليهم ابليس ظنَّه فأتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين﴾ [سبأ: ٢٠] ثم أحكم ذلك بسابق علمه فقد قال تعالى: ﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ يعني بحوله وقوّته ولا بقهره ومشيئته إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك. وهذه الأوصاف المذمومة العبد مبتلى بها على تضادد تلك الصفات المحمودة التي هي من المنعم بها ولكل وجهة هو موليها ومكان الهوى من القلب على قدر تزين العبد له وتسلطه عليه، ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام**﴾ بأن يقذف في قلبه النور فينشرح له الصدر ﴿**ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعد في السماء**﴾ قيل: معنى يشرح يوسع قلبه للتوحيد والايمان به، وقوله (**ضيقاً حرجاً**) أي شاكاً (**كأنما يصّعد في السماء**) أي كما أن ابن آدم لا يستطيع أن يبلغ السماء كذلك لا يقدر أن يدخل التوحيد والإيمان قلبه حتى يدخله الله تعالى في قلبه. كل ذلك روي عن ابن عباس أخرجه عبد بن حميد. وقيل: ضيقاً حرجا أي ملتبساً رواه أبو الشيخ عن قتادة.

ويروى ان عمر بن الخطاب قرأ يوماً بين يدي أصحاب رسول الله ﷺ ضيقاً حرجاً بفتح الراء، فقالوا: يا أمير المؤمنين (**حرجاً**) بكسر الراء. فقال: ابغوا لي رجلاً من كنانة فأتوه به، فقال له عمر: يا فتى ما الحرجة فيكم؟ قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء، فقال له عمر: كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن النذر. ﴿**إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده**﴾ ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف إلا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله﴾ [يونس: ١٠٧] (**فهو الهادي والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد**) فإذا كان

الجنة وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالطاعة، وخلق النار وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالمعاصي، وعرف الخلق علامة أهل الجنة وأهل النار فقال: ﴿إن الأبرار لفي نعيم★ وإن الفجار لفي جحيم﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤] ثم قال تعالى فيما روي عن نبيه ﷺ: «هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي» فتعالى الله الملك الحق ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ [الأنبياء: ٢٣] ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب فإن استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة، وإنما ذكرنا منه ما يحتاج إليه لمعرفة

الهادي هو المضل فمن يهدي، وقد قال الله تعالى: ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾ [النحل: ٣٧] أي فإن الله تعالى من شأنه أن أحداً لا يهدي من أضله، ومن كان أضله الله تعالى في سابق علمه فكيف يهديه الآن؟ فإذا كان المعطي هو المانع فمن يعطي؟ ولو كان الخير كله في قلب عبد ما قدر أن يوصل إلى قلبه من قلبه ذرة ولا قدر أن ينفع نفسه بنفسه خردلة لأن قلبه وإن كان جارحة فهو خزانته وله فيه ما لا يعلم هو فهو لا يطلع على ما في قلبه، فكيف به أن يملك ما فيه فيصرفه بما يحب فإذا كان المالك عزيزاً واجباً، وكان كل شيء بيده لم يوصل إلى ما عنده بقوّة ولا حيلة، فليس الطريق إليه إلا الصدق والإخلاص والذل والافتقار.

(لا رادّ لحكمه ولا معقب لقضائه خلق الجنة وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالطاعة) ويسّر لهم أسبابها، **(وخلق النار وخلق لها أهلاً فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة أهل النار و)** علامة **(أهل الجنة فقال: ﴿إن الابرار لفي نعيم★ وإن الفجار لفي جحيم﴾ ثم قال تعالى: فيما يروى عنه نبينا ﷺ «هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي»)** قال العراقي: رواه أحمد وابن حبان من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي، وقال ابن عبد البر في الاستيعاب انه مضطرب الإسناد اهـ.

قلت: وأخرج البزار والطبراني وابن عساكر من حديث أبي الدرداء «خلق الله آدم فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم اللبن ثم ضرب كفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم اللحم فقال للذين على يمينه هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقال للذين على يساره هؤلاء في النار ولا أبالي».

(فتعالى الله الملك الحق) لا إله إلا هو كل ذلك من خالق النفس ومسوّيها وجبار القلوب ومقلبها حكمة منه وعدلاً لمن شاء ومنّة وفضلاً لمن أحب، كما قال تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك﴾ [الأنعام: ١١٥] أي الهداية والإضلال صدقاً لأوليائه ما وعدهم من الثواب وعدلاً على أعدائه ما أعدلهم من العقاب، ثم قال تعالى: **(﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجائب القلب، فإن استقصاءه لا يليق بعلم المعاملة، وإنما ذكرنا منه**

أغوار علوم المعاملة وأسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزي، بالقشر عن اللباب، بل يتشوّق إلى معرفة دقائق حقائق الأسباب، وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع إن شاء الله تعالى والله ولي التوفيق.

تم كتاب عجائب القلب ولله الحمد والمنة، ويتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق، والحمد لله وحده وصلى الله على كل عبد مصطفى.

ما يحتاج إليه لمعرفة أغوار علوم المعاملة وأسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر) بل يتطلع إلى ما وراءها من الأسرار، **(ولا يجتزىء)** أي لا يكتفي **(بالقشور عن اللباب بل يتشوّق إلى معرفة دقائق الأسباب، وفيما ذكرنا كفاية له ومقنع إن شاء الله تعالى)**. وهذا آخر كتاب عجائب القلب وقد ألحقت به فصولاً مما يناسب ذكره في هذا الباب هي كالمتمات له، وذلك مما اقتطفته من كتابي قوت القلوب، وعوارف المعارف وغيرهما مما تيسر لي الوقوف عليه، وقد أعزو ما نقلته من غيرها.

فصل

كون خاطر العقل تارة مع النفس والعدوّ، وتارة مع الروح والملك فيه حكمة من الله تعالى لصنعته واتقان لصنعه ليدخل العبد في الخير والشر بوجود معقول وصحة شهود وتمييز، فتكون عاقبة ذلك من الجزاء أو العقاب عائداً له وإليه. إذ جعل سبحانه هذا الجسم مكاناً لجواز أحكامه ومحلاً لنفاذ مشيئته في مباني حكمته، كذلك جعل العقل مطية للخير والشر يجري معهما في خزانة الجسم إذ لو كان مكاناً للتكليف وموضعاً للتصريف وسبباً للتعريف العائد من معاني ذلك على صورة العبد من لذة نعيم أو عذاب أليم، فلم يكن العقل غائباً فيكون العبد عن الفعل ذاهباً، ولم تكن الشهوة عازبة فتكون النفس مفقودة إذ في ذلك تضعيف لحجة الله ووهن لبرهانه، لأن الفعل شاهد الحجة والشهود في النفس والنية في القلب طريق المحجة، وذلك أصل عود جزاء الأمر والنهي، فالعقل مطبوع على التمييز مجبول على التحسين والتقبيح، والنفس مجبولة على الشهوة ومطبوعة على الأمر بالهوى، وهذا نصيبها من إعطائه وهواه لهما إلى رشاده وإغوائه وحظهما من الكتاب وقسمها من ولي الأسباب، كما قال تعالى في أحكام ما ذكرناه تكملة لما أخبرنا عما سبق في عمله: ﴿أعطى كلَّ شيء خَلقه ثم هدى﴾ [طه: ٥٠] وقال تعالى: ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ [الأعراف: ٣٧] وقال تعالى: ﴿كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾ [الحج: ٤].

فصل

كل قلب اجتمع فيه ثلاثة معان لم تفارقه خواطر اليقين، ولكن يضعف الخاطر ويخفى لضعف المعاني ودقتها، ويقوى اليقين ويظهر بقوتها لأن هذه الثلاث مكان اليقين. **أحدها:** الإيمان

وموضعه من اليقين حجر النار. **الثاني:** العلم ومكانه موضع الزناد. **والثالث:** العقل وهو مكان الحراق، فإذا اجتمعت هذه الأسباب قدح خاطر اليقين في القلب، ومثل القلب في قوته بقوة مراده وفي صفائه بجودة عدّوه مثل المصباح في القنديل. الماء مكان العقل منه والزيت موضع العلم به وروح المباح، وبمدده يكون ظهور اليقين، والفتيلة مكان الإيمان منه هو أصله واقوامه الذي يظهر به، فعلى قدر قوّة الفتيلة وجودة جوهرها يقوى اليقين، وهو مثل الإيمان في قوّته بالورع وكماله بالخوف، وعلى مقدار صفاء الزيت ورقته واتساعه تضيء النار التي هي اليقين، وهو مثل العلم في مداده بالزهد وفقد الهوى، فصار العلم مكاناً للتوحيد فتمكن الموحد في التوحيد على قدر المكان، فكلما اتسع القلب بالعلم بالله تعالى وزهد في الدنيا ازداد إيماناً وعلا، ثم يشهد كل ما أمر به فيكون بذلك يقينه وسعة مشاهدته، وكلما قصر علم القلب بالله وبمعاني صفاته وأحكام ملكوته قلّ إيمانه، ثم اشهد ما أمر به من وراء حجاب لما غابت عليه قدحت الاسباب وسمع الكلام من خلف ستر لعجزه عن المسارعة إلى البر فيضعف بذلك إيمانه وتختل مشاهدته ولا يتحقق.

فصل

كل قلب اجتمع فيه ثلاثة معان لم تفارقه خواطر الهوى، وهو: الجهل والطمع وحب الدنيا، ثم يضعف خاطر الهوى ويقوى على قدر ضعف هذه الثلاثة وقوّتها، ويظهر الهوى في القلب ويخفى على قدر تمكن هذه الثلاثة من النفس وخفائها على مثل ما ذكرناه من تمكن خواطر اليقين وضعفها لوجود مكانها، وهو العلم والإيمان والعقل، وفي القلب يظهر سلطان ذلك أجمع فأي جند كانت المشيئة معه غلب.

فصل

من خواطر النفس ما يرد بشيء لا تظهر دلائله في الظاهر لخفائه وغموض شواهده، فليس يعلم إلا بباطن العلم وغامض الفهم والغوص على لطائف معاني التبيين وباطن الاستنباط من فهم التنزيل وتعليم التأويل، فأهل اليقين العارفون بأحكام الله الباطنة يعلمون تفصيل خواطر اليقين ومقتضاها من حيث أشهدوا مطلعها من الغيب، وبحيث عرفوا موجبها من الوصف بنور الله الثاقب وقربه الحاضر وسلطانه النافذ.

فصل

وليس يكاد علم اليقين يقدح من معدن العقل، لأن علوم العقل مخلوقات ولا يكاد ينتجه الفكر ولا يخرجه التدبر، فما أنتجته الافكار واستخرجته الفطن من الخواطر والعلوم، فلتلك علوم العقل وهي كشوف المؤمنين ومحمودات لأهل الدين، فأما خاطر اليقين فإنه يظهر من عين اليقين يُبَادأ به العبد مبادأة وتتبعه مفاجأة وله مخصوص به مراد مقصود به محبوب متولى به مطلوب لا

يجده إلا عارف أو خائف أو محب، ومن سوى هؤلاء فبحاله محجوب، وبعباداته مطلوب وإلى مقامه ناظر، وفي طريقه بمعقوله سائر، فأما العارفون المواجهون بعين اليقين الكاشفون بعلم الصديقين، فإنهم مسيرون محمولون سابقون مستهترون ظاهر أوصافهم الإصلاح، وأوّل عطائهم اندراج ذكرهم في ذكره ومشاهدتهم وصف التحقيق بعين اليقين إلى عين اليقين، فأوّل نصيبهم من مطلوبهم علم اليقين، وهو صفاء المعرفة بالله عز وجل، وآخر علم الايمان أوّل علم اليقين وهو مشاهدة وصف، وهذه وجهة التوحيد ولا آخر لأوّل عين اليقين، ولا انقطاع لآخر نصيبهم من مشاهدتهم، وظاهر التوحيد توحيد الله سبحانه في كل شيء وتوحيده لكل شيء ومشاهدة إيجاده قبل كل شيء، ولا نهاية لعلم التوحيد، ولا غاية لمزيد عطاء الموحدين، ولكن لهم نهايات يوقفون تحتها وغايات يصدرون عنها، فجعل أماكن لمزيدهم ويزدادون في وسعها ويمدون بعلوم يطلبون بها ما يكاشفون به لما وراءها أبد الأبد بلا آخر ولا أمد ولا يصل العبد إلى مشاهدة علوم التوحيد إلا بعلم المعرفة، وهو نور اليقين ولا يعطى نور اليقين حتى يمخض الجوارح بأعمال الصالحات كما يمخض الزق باللبن حتى تظهر الزبدة وهو علم اليقين، فليست هذه الزبدة غاية الطالبين ولا بغية الصديقين لأن وراءها صفوها وخالصها، ثم تذاب هذه الزبدة حتى يخلص سمنها وهو صفوها ونهايتها، وهذا مثل لعين اليقين بعد علمه وبعد مشاهدته الوجه بمرآة القرب وهي نوره، فحينئذ لا يفارقه وجوده وحضوره فيرجع العبد من خواطر اليقين إلى مشاهدة الصفات بعد ذوق علوم الخواطر يتجوهر نور شعاع وجه الذات، وهذا مقام الاحسان.

فصل

قال بعض العارفين: لي قلب إذا عصيته عصيت الله تعالى يعني أنه لا يقدح فيه إلا طاعة ولا يعتريه إلا حق، فقد صار رسول الله تعالى إليه، فإذا عصاه فقد عصى المرسل بمعنى الخبر: الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، وبقوله ﷺ: «المؤمن ينظر بنور الله تعالى فمن نظر بنور الله تعالى كان على بصيرة من الله تعالى وكان علمه بنوره طاعة له». وقال بعض العارفين: منذ عشرين سنة ما سكن قلبي إلى نفسي ساعة وما ساكنته طرفة عين.

فصل

خاطر اليقين والروح والملك من خزائن السموات، وخواطر العقل والنفس والعدو من خزائن الأرض، كما قيل: النفس ترابية خلقت من الأرض فهي تميل إلى التراب، والروح روحاني خلقت من الملكوت فهي ترتاح إلى العلو، والقلب خزانة من خزائن الملكوت مثله كالمرآة تقدح فيه هذه الخواطر عن أواسطها من خزائن الغيب، فتؤثر في القلب فيتلألأ فيه التأثير، فمنها ما يقع في سمع القلب فيكون فهماً، ومنها ما يقع في بصر القلب فيكون كلاماً وهو الذوق، ومنها ما يقع في شم القلب فيكون علماً وهو العقل، وهذا أقلها لبثاً وأيسرها عناء وما وقع في باطن القلب فيكون

علماً وحسه فخرق شغافه ووصل إلى سويدائه كان وجداً ، وهذا هو الحال عن مقام مشاهدة ، ومن هذا قوله ﷺ : « أسألك ايماناً يباشر قلبي » وقال بعض العارفين : إذا كان الإيمان في ظاهر القلب كان العبد محباً للآخرة وللدنيا ، وكان مرة مع الله ومرة مع نفسه ، فإذا دخل الإيمان إلى باطن القلب أبغض الدنيا وهجر هواه ، فإذا كانت هذه الخواطر من أواسط الهداة وهي الملك والروح كانت تقوى وهدى ورشداً ، وكانت من خزائن الخير ومفتاح الرحمة قدحت في قلب العبد نوراً وطيباً أدركته الحفظة وهم أملاك اليمين فأثبتوها حسنات؟ وإن كانت الخواطر عن أواسط الغواة وهم العدوّ والنفوس كانت فجوراً وضلالاً وهم من خزائن الشر ومغالق الأعراض قدحت في القلب ظلمة ونتناً أدرك ذلك الحفظة من أملاك الشمال فكتبوها سيئات ، فهذه منقادة لأمره وهو تعالى قادر على كل شيء ، بيده كل شيء ، حكيم في كل شيء ، والعبد ضعيف عاجز جاهل ساكن لا يقدر على شيء ، قد ابتلي بالأسباب ووقع عليه الحجاب وجعل مكاناً للأحكام بالعقاب والثواب ، فالأسباب أواسط البلاء والعبد موضع الابتلاء ، والله هو المبلي المريد المبديء المعيد ، وينشئكم فيما لا تعلمون وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً ، وليس يشهد العبد إلا ما أشهد ، فكذلك تفاوت العباد في المشاهدة ولا يستبين له إلا ما أبين له وأريد به ، فعن ذلك اختلفوا في الأدلة ، فإذا أراد الله سبحانه إظهار شيء من خزائن الغيب حرك النفس بلطيف القدرة ، فتحركت بإذنه فقدح من جوهرها بحركتها ظلمة نكتت في القلب همة سوء ، فينظر العدو إلى القلب وهو مراصد ينتظر ، والقلوب له مبسوطة ، والنفوس لديه منشورة يرى ما فيها مما كان من عمله المبتلى به المصرف فيه ، فإذا رأى همة قد قدحت من النفس فأثرت ظلمة في القلب ظهر مكانه فقوي بذلك سلطانه . والهمة ترد على أحد ثلاثة معان : أحدها : هوى وهو عاجل حظ النفس وأمنيته وهذا عن الجهل الغريزي ، ودعوى حركة أو سكون وهو آفة العقل ومحنة القلب ، فأي هذه الثلاث قدح في القلب فهو وسوسة نفس وحضور عدد منسوب إليها محكوم عليه بالذم ليست تصدر إلا بأحد ثلاثة أصول : بجهل ، أو غفلة ، أو طلب فضول دنيا وهي مما لا تعني ومضافات إلى الدنيا وأعمالها ، فالأصل مجاهدة النفس والعدو عن إمضائها وحبس الجوارح عن السعي فيها ان كن من فضول الدنيا المباحات ، فإن كن هذه الثلاث وردن بمحرمات فعرض عليه كف الجوارح عن السعي فيها ، فإن أمرح قلبه في ذكرها أو نشر خطواته في طلبها كن حجاباً بين قلبه وبين اليقين ، وإن كن وردن بمباحات ففضل له نفيها عن قلبه كيلا يكون قلبه موطناً للفضلات وأصلهن الابتلاء من الله تعالى والتقليب والامتحان منه في التصريف ، فإن أراد الله تعالى سعادة هذا العبد بعد أن أشفى على الهلاك والبعد بتسليط العدوّ عليه وتسويل النفس له نظر القلب عند الابتلاء بهوى النفس بنور إيمانه إلى الله تعالى ، وأسر الالتجاء إليه وأخفى التوكل عليه عائذاً لائذاً به واضطر مخلصاً له ، فهناك توكل عليه فكان حسيبه ، ووقى مكر عدوّه وجعل له مخرجاً ونجاه من شره ، فينظر إليه تعالى إلى القلب نظرة تخمد النفس وتمتحي الهمة وتخيف العدوّ لسقوط مكانه ويذهب لخنوسه شر سلطانه فيصفو

القلب من التأثير بنور السراج المنير، فيخاف العبد مقام الرب لصفاء القلب فيفزع من الخطيئة ويهرب أو يستغفر منها ويتوب ويظهر عليه شعار تقواه.

فصل

وقد تختلف اللمتان. فربما تقدمت إليه لمة العدوّ بالأمر بالشر، ويقدح بعدها لمة الملك نصرة للعبد وتثبيتاً على الخير وعناية من الرب فينهى عن ذلك، فعلى العبد أن يعصي الخاطر الأوّل ويتبع الثاني، وقد يتقدم الهام الملك بالخير ثم يقدح بعده خاطر العدوّ بالنهي عنه، والإملاء بالتأخير عنه محنة من الله تعالى للعبد لينظر كيف يعمل، فعليه أن يطيع الخاطر الأوّل ويعصى الثاني، ثم ترقى الخاطر من إلهام ووسوسة، وقد يتفاوت ذلك لقوّة وضعف لتفاوت الأحكام والارادة من الحاكم، ومن قبل تقدير القدرة وغرائب الأحكام بالمشيئة لأن له في خزانة الخير خزائن شر إذا شاء، وله في خزانة الشر خزائن خير إذا أحب لمن يحب لئلا يسكن إلى سواه، فإذا شهد العارف ذلك لم يقطع بخير ولا يدل به أبداً لأنه لا يأمن من مكر الله بتقليب خزائن الشر من خزانة الخير إذ غلبه ابداه، ولم ييأس من شر عليه أبداً لأنه يرجو تقليب خزائن الخير من حيث خزائن الشر، فيكون بين الخوف والرجاء ولا يدرك ذلك إلا بدقائق العلوم ولطائف الفهوم وصفاء الانوار من تعليم الرحيم الجبار، فما كان العبد يجد بعد خطرة الشر خطرة خير تنهاه عنها فهو منظور إليه متدارك، وهذا هو الواعظ القائم في القلب والزاجر المؤيد العقل، وقد تترادف خواطر الشر عن النفس والهوى فلا يعتقبها خاطر خير من الملك، وهذا علامة البعد ونهاية قسوة القلب. وقد يتتابع خاطر الخير من الروح والملك، ويعافي العبد من خاطر الهوى والنفس، وهذه علامة القرب وهو حال المقربين، وقد ترد خواطر العدو ووساوسه بالخير ابتلاء من الله تعالى لعبده وحيلة من العدو ومكراً من النفس يريد العدو بذلك الشر أو يخرجه آخراً إلى إثم، أو ليقطعه بذلك عن واجب يشغله به عن الأفضل في الحال، فيكون ظاهره براً وباطنه إثماً، ويكون أوّله خيراً وآخره شراً، وبغية العدو من ذلك باطنه وآخره، وشهوة النفس من ذلك هواها ومناها قد لبسا ظاهره بالخير وموّها أوّله بالبر تحسيناً، وهذا من أدق ما يبتلى به العاملون، ولا يعرف بواطنه وسرائره إلا العالمون، فأما خاطر الملك فلا يرد إلا بخير صريح وبر محض على كل حال إذا ورد لأن الخداع والحيلة ليسا من وصف الملائكة، ولكن قد تنقطع خواطر الملك من القلب إذا اشتدت قسوته ودامت معصيته من المبعدين فيخلي بين القلب وبين نوازع العدو اللعين ويتخلى العدو بهوى النفس فيستحوذ ويقترن بالعبد، نعوذ بالله من أبعاده ولا يزال العبد مع إلهام الملك في مقام الإيمان، فإذا دفع إلى مقامات اليقين تولاه الله تعالى بواسطة أنوار الروح، فكان الروح مكان لقاء الحق سبحانه حتى يرد عليه من الله تعالى من السرائر ما لا يطلع عليه الملك، ولا يكون ذلك حتى تفني خواطر النفس بالهوى فلا تبقى منها باقية وتقوى النفس فتدرج في الروح فلا تظهر منها داعية، ثم يتولاه الله بنور اليقين فيسطع له نور اليقين من خزانة الغيب بمكاشفة الجبروت، فيشهد العبد شهادة الحق بالحق معاينة

الغيب بفقد كونه ووجد كينونيته، وما لا يصلح بعد ذلك كشفه إلا لأهله أو لمن سأل عنه، وهذا يكون في مقام التوحيد وهو أنصبة المقربين.

فصل

كل عمل وإن قل لا بد له من ثلاثة معان قد استأثر الله تعالى بتوليها. أولها: التوفيق وهو الاتفاق أن يجمع بينك وبين الشيء والثاني: القوة وهو اسم لثبات الحركة التي هي أول الفعل، والثالث: الصبر وهو تمام الفعل الذي به يتم، وقد رد الله تعالى هذه الأصول التي يظهر عنها كل عمل إليه تعالى فقال: ﴿وما توفيقي إلا بالله﴾[هود: ٩٨] وقال: ﴿ما شاء الله لا قوّة إلا بالله﴾ [الكهف: ٣٩] وقال ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ [النحل: ١٢٧].

فصل

قد قرن الله القلب بالإيمان والبعث والأمر بها في قوله تعالى: ﴿واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه إليه تحشرون﴾ [الأنفال: ٢٤] قال ابن عباس: يحول بين المؤمن والكافر وبين الكافر والايمان، وقيل: بين العبد وبين الاستجابة لله والرسول، وقيل: بين المؤمن وسوء الخاتمة وبين الكافر وحسن الخاتمة، وقيل: بين المؤمن وان يلقيه في كبيرة يهلك فيها وبين المنافق وإن يوفقه لطاعة ينجو بها. وهذه مخاوف للمؤمنين بتحقيق الوعيد.

فصل

نصيب كل عبد من مشاهدة القدرة بقدر نصيبه من التوحيد ونصيبه منه حسب قسمه من اليقين وقسمه منه عن قربه من القريب، وقربه منه بقدر علمه به تعالى، واتساعه في العلم به على نحو مكانه من نور الإيمان ومزيد إيمانه على قدر إحسانه إليه، وإحسانه إليه على قدر عنايته به، وإيثاره له علم الله من وراء ذلك، وذلك سر القدر المحجوب المخترق، ونصيب كل عبد من الجهل على قدر نصيبه من الغفلة، ونصيبه من الغفلة على حسب حبه للدنيا، وحبه للدنيا على قدر قوّة الهوى، وقوّته في الهوى على قدر غلبة سلطان النفس ونشر صفاتها عليه، وقوّة صفات النفس على قدر ضعف اليقين، وضعف يقينه من كثافة الحجاب وبعد البعد بينه وبين الله تعالى، والحجاب والبعد ميراثه الكبر والقسوة، والقسوة تورث الانهاك في المعاصي، وإدمان المعاصي عن الإعراض، والمقت والاعراض عن قلة عناية المولى بعبده وسوء نظره إليه، ومن وراء ذلك سر القدر المحجوب الذي به عن الخلق استأثر.

فصل

قد حجب العقل المكيد عن النظر إلى المبديء المعيد بما أظهر له من صورته وحركته فسترة ذلك عن الأول المصوّر القادر المحرك، فادعى عن نظره إلى حركته وسكونه التي هي حجة له عن

المحرك الغيب ادعاء الحركة والسكون بنفسه، لوقوف نظره على نفسه إذ كان مشهوداً في عمى عن النظر إلى الشاهد المحرك المسكن لبعد مقامه، لأنه غيب من وراء الحركة، والغيب لا يشهد إلا بالغيب وهو واليقين، كما لا تدرك الشهادة إلا بشهادة وهي العين، فمن عمي بصره لم ير من الملك شيئاً كذلك من حجب قلبه لم ير من الملكوت شيئاً فلعدم اليقين عمى عن الشهادة، ولإيقاع الحجة أدرك بالمعقول الشهادة، ولو كان من أولي الابصار لاعتبر الحركة الغيبية بالمتحرك الشاهد، فكما ان الحركة عيب في الجسم ظهر عنها التحرك، فأظهر تعالى المتحرك وأخفى الحركة فيه، وأظهر الصنعة وأخفى الصنع فيه لتفصيل حكمته، كذلك الصانع ذو الصنعة الأولى والحاكم الأعلى ذو الحكم الأغلب غيّب عن الحركة التي أخفاها هو من ورائها بلطائف القدرة، فشهد المعقول ما أشهد مما ظهر له ووجهه به لأنه معقول عليه محددو له وعمي عما غيبت عنه لفقد اليقين منه، فعندها ادعى الحركة والسكون للشاهد فحجبه ذلك عن الشهيد، وشهد الموحد شهادة التوحيد، فوحد لما كوشف له الملكوت بنور اليقين فأفرد.

فصل

الخلق محجوبون بثلاثة حجب بعضها أكثف من بعض. أحدها: أواسط وأسباب معترضة، وشهوات حادثة، وعادات صادرة، فالاسباب توقفهم عليها، والشهوات تجذبهم إليها، والعادات تردهم فيها فأي هذه الحجب ظهر في قلبه وبعضها أشد من بعض فهي مكان للعدو وأوسع من مكان، فتمكن سلطانه على قدر سعة مكانه قويت النفس بتزيين العدوّ وسوّلت بتأميله، فملكت العبد ملكاً أشد من ملك، فإذا ملكت النفس العبد كان مملوكها وأسيرها وكانت بالهوى أسيره، فاستهواه الشيطان حينئذ بالغواية والاضلال واستحوذ عليه بمعاني المشاركة في الأولاد والأموال، فشغله بذلك عن الله تعالى وأنساه ذكره، وهذا هو الاقتران الذي ذمه الله تعالى في قوله: ﴿ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً﴾ [النساء: ٣٨] هو فوق النزغ والهمز.

فصل

ما كان من لائح يلوح في القلب من معصية ثم ينقلب ولا يلبث، فهذا نزغ من قبل العدوّ، وما كان في القلب من هوى ثابت أو حال مزعج دائم لابث، فهذا من قبل النفس الأمّارة بطبعها أو مطالبة منها بسوء عادتها، وما ورد على العبد من همة بمعصية ووجد العبد فيه كراهتها، فالورود من قبل العدو، والكراهة من قبل الإيمان وماوجده العبد وجداً فهوى أو معصية، ثم ورد عليه المنع من ذلك فالوجد من النفس والوارد بالمنع من الملك، وما وجده العبد من ذكر في عاقبة دنيا أو تدبير الحال ونظر إلى معبود، فهذا من قبل العقل، وما وجد من خوف أو حياء أو ورع أو زهد أو من شأن الآخرة، فهذا من الإيمان، وما شهده القلب من تعظيم أو هيبة أو إجلال أو قرب،

فهذا من اليقين وهو مزيد الإيمان، وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه، وكل هذه الفصول لخصتها من كتاب القوت.

فصل

إذا كان شأن العبد تمييز خواطر النفس في مقام تخلصه من لمات الشيطان تكثر لديه خواطر الحق وخواطر الملك، وتصير الخواطر الأربعة في حقه ثلاثة، ويسقط خاطر الشيطان إلا نادراً لضيق مكانه من النفس، لأن الشيطان يدخل بطريق اتساع النفس، واتساع النفس باتباع الهوى والإخلاد إلى الأرض، ومن ضايق النفس على التمييز بين الحظ والحق ضاقت نفسه وسقط محل الشيطان إلا نادراً لدخول الابتلاء عليه.

فصل

من المرادين بمقام المقربين من إذا صار قلبه سماء مزيناً بزينة كواكب الذكر يصير قلبه سماوياً فيرتقي ويعرج بباطنه ومعناه وحقيقته في طبقات السموات، وكلما ترقى تتضاءل النفس المطمئنة وتبعد عنه خواطرها حتى يتجاوز السموات بعروج باطنه، كما كان ذلك لرسول الله ﷺ بظاهره وقالبه، فإذا استكمل العروج تنقطع عنه خواطر اليقين لتستره بأنوار القرب وبعد النفس عنه، وعند ذلك تنقطع عنه خواطر الحق أيضاً لأن الخاطر رسول والرسالة إلى من بعد وهذا قريب، وهذا الذي وصفناه نازل به ولا يدوم، بل يعود في هبوطه إلى منازل مطالبات النفس وخواطره، فتعود إليه خواطر الحق وخواطر الملك، وذلك أن الخواطر تستدعي وجوداً. وما أشرنا إليه حالة الفناء فلا خاطر فيه وخاطر الحق إبقاء لمكان القرب وخاطر النفس بعد لبعد النفس وخاطر الملك تخلف عنه كتخلف جبريل عليه السلام في ليلة المعراج عن رسول الله ﷺ حيث قال: لو دنوت أنملة لاحترقت.

فصل

وسبب اشتباه الخواطر أربعة أشياء لا خامس لها: إما ضعف اليقين، أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها، أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى، أو محبة الدنيا وجاهها ومالها وطلب الرفعة والمنزلة عند الناس، فمن عصم عن هذه الأربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومن ابتلى بها لا يعلمها ولا يتطلبها. وانكشاف بعض الخواطر دون البعض لوجود بعض هذه الأربعة دون البعض، وأقوم الناس بتمييز الخواطر أقومهم بمعرفة النفس ومعرفة النفس عسر المنال لا يكاد يتيسر إلا بعد الاستقصاء في الزهد والتقوى واتفق المشايخ على أن من كان أكله من الحرام لا يفرق بين الإلهام والوسوسة. وقال أبو علي الدقاق: من كان قوته معلوماً لا يفرق بين الإلهام والوسوسة، وهذا لا يصح على الإطلاق الا بقيد، وذلك أن من المعلوم ما يقيمه الحق تعالى لعبد

سبق إليه الإذن في الأخذ منه والتقوّت، ومثل هذا المعلوم لا يحجب عن تمييز الخواطر إنما يقال ذلك في حق من دخل في معلوم باختيار منه وإيثار لأنه يحجب لموضع اختياره، والذي أشرنا إليه منسلخ عن إرادته ولا يحجبه المعلوم.

فصل

فرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان وقالوا: إن النفس تطالب وتلمح فلا تزال كذلك حتى تصل إلى مرادها، والشيطان إذا دعا ولم يجب يوسوس بأخرى إذ لا غرض له في تخصيص بل مراده الإغواء كيف أمكن.

فصل

تكلم الشيوخ في الخاطرين إذا كانا من الحق أيهما يتبع؟ قال الجنيد: الخاطر الاوّل لأنه إذا بقي رجع صاحبه إلى التأمل وهذا بشرط العلم. وقال ابن عطاء: الثاني لأنه ازداد قوّة بالأوّل. وقال أبو عبد الله بن خفيف: هما سواء لأنهما من الحق فلا مزية لأحدهما على الآخر.

فصل

قالوا: الواردات أعم من الخواطر، لأن الخواطر تختص بنوع خطاب أو مطالبة، والواردات تكون تارة خواطر وتارة تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط.

فصل

من قصر عن دقائق الزهد وتطلع إلى تمييز الخواطر يزن الخواطر أوّلاً بميزان الشرع، فما كان من ذلك فضلاً أو فرضاً يمضيه، وما كان من ذلك محرماً أو مكروهاً يتقيه، فإذا استوى الخاطران في نظر العلم ينفذ أقربهما إلى مخالفة هوى النفس، فإن النفس قد يكون لها هوى كامناً في أحدهما، والغالب من شأن النفس الاعوجاج والركون إلى الدون، وقد يلم الخاطر بنشاط النفس والعبد يظن أنه بنهوض القلب وقد يكون من القلب نفاق لسكونه إلى النفس، ولا يدرك نفاق الخواطر المتولدة منه إلا الراسخون، وأكثر ما تدخل الآفات على أرباب القلوب والآخذين من اليقين واليقظة، والحال فهم من هذا القبيل. وذلك لقلة العلم بالنفس والقلب وبقاء بنصيب الهوى فيهم، وينبغي أن يعلم العبد أنه مهما بقي عليه أثر من الهوى وإن دق قد يبقى عليه بحسبه بقية من اشتباه الخواطر، ثم قد يغلط في تمييز الخواطر من حرم قليل العلم ولا يؤاخذ بذلك ما لم تكن عليه من الشرع مطالبة. وقد لا يسامح بذلك بعض الغالطين لما كوشفوا به من دقيق الخطأ في التمييز، ثم استعجالهم مع علمهم وقلة التثبت.. وهذه الفصول لخصتها من كتاب العوارف.

....

فصل

قال المصنف في مشكاة الأنوار: مراتب الأرواح البشرية النورانية وهي خمسة.

الأوّل: الروح الحساس وهو أصل الروح الحيواني، وأوله إذ به يصير الحيوان حيواناً وهو موجود للصبي الرضيع.

الثاني: الروح الخيالي وهو الذي يتكسب ما أوردته الحواس ويحفظه مخزوناً عنده ليعرضه على الروح العقلي الذي فوقه عند الحاجة إليه، وهذا لا يوجد للصبي الرضيع في بداية نشوه، فلذلك يولع بالشيء ليأخذه، فإذا غيب عنه ينساه ولاتنازعه نفسه إليه إلى أن يكبر قليلاً فيصير بحيث إذا غيب عنه بكى وطلبه، وذلك لبقاء صورته محفوظة في خياله، وهذا قد يوجد لبعض الحيوانات دون بعض.

الثالث: الروح العقلي الذي يدرك المعاني الخارجة عن الحس والخيال، ولا يوجد للبهائم ولا للصبيان، ومدركاته المعارف الضرورية الكلية.

الرابع: الروح الفكري وهو الذي يأخذ العلوم العقلية المحضة فيوقع بينها تأليفات وازدواجات ويستنتج منها معارف شريفة.

الخامس: الروح القدسي النبوي الذي به يختص الأنبياء وبعض الأولياء وفيه تتجلى لوائح الغيب وأحكام الآخرة، وجملة من معارف ملكوت السموات والأرض، وإليه الإشارة بقوله ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى: ٥٢] فالروح الحساس أوفق مثال له في عالم الشهادة المشكاة، والروح الخيالي أوفق مثال له الزجاجة، والروح العقلي أوفق مثال له المصباح، والروح الفكري أوفق مثال له الشجرة، والروح القدسي أوفق مثال له الزيت، وإذا كانت هذه الأنوار مرتبة بعضها على بعض فالحسي هو الأوّل وهو كالتوطئة للخيالي إذ لا يتصوّر الخيالي إلا موضوعاً بعده، والفكري والعقلي بعدهما فبالحري أن تكون الزجاجة كالمحل للمصباح، والمشكاة كالمحل للزجاجة، فيكون المصباح في الزجاجة والزجاجة في مشكاة، وإذا كانت هذه كلها أنواراً بعضها فوق بعض فبالحري أن تكون نوراً على نور وهذا مثل قلب المؤمن.

فصل

ومثال قلب الكافر هو المشار إليه بقوله تعالى ﴿أو كظلمات في بحر لُجّي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض﴾ [النور: ٤٠] الآية. فالبحر اللجي هو الدنيا بما فيها من الشهوات المردية والكدورات المعمية، والموج الأول موج الشهوات الداعية إلى الصفات البهيمية والاشتغال باللذات الحسية، فبالحري أن يكون هذا الموج مظلماً لأن حب الشيء يعمي

ويصم، والموج الثاني موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والحقد والحسد والمباهاة والتكاثر، وبالحري أن يكون مظلماً لأن الغضب غول العقل، وبالحري أن يكون هو الموج الأعلى لأن الغضب في الأكثر مستول على الشهوات حتى إذا هاج أذهل عن الشهوات وأغفل عن اللذات، فإن الشهوة لا تقاوم الغضب الهائج أصلاً. أما السحاب: فهو الاعتقادات الخبيثة والظنون الكاذبة والخيالات الفاسدة التي صارت حجباً بين الكافر وبين الإيمان، ومعرفة الحق والاستضاءة بنور شمس القرآن والعقل، فإن خاصية السحاب أن يحجب إشراق نور الشمس، وإذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحري أن تكون ظلمات بعضها فوق بعض، وإذا كانت الظلمات تحجب عن معرفة الأشياء القريبة فضلاً عن البعيدة، فلذلك يحجب الكفار عن معرفة أحوال عجائب النبي ﷺ مع قرب تناوله وظهوره بأدنى تأمل، فبالحري أن يعبر عنه بأنه إن أخرج يده لم يكد يراها. وإذا كان منبع الأنوار كلها من النور الأول الحق، فبالحري ان يعتقد كل موحد أن ﴿من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ [النور : ٤٠].

فصل

ولنختم هذا الكتاب بكلام الامام قطب الأقطاب أبي الحسن الشاذلي قدس الله سره قال في كتاب جمع من كلامه على أسرار الطريق ما نصه: قرأت سورة الإخلاص والمعوّذتين ذات ليلة، فلما انتهيت إلى قوله ﴿من شر الوسواس الخناس﴾ رأيت بعد ذلك يقال لي: شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين جنبيك يذكرك أعمالك السيئة وينسيك ألطافه الحسنة، ويكثر لديك ذات الشمال، ويقلل عندك ذات اليمين ليعدل بك عن حسن الظن بالله تعالى وكرمه إلى سوء الظن بالله ورسوله، فاحذرك هذا الباب فقد أخذ منه خلق كثير من العباد والزهاد وأهل الورع والاجتهاد، وفيه أيضاً قال رحمه الله تعالى: إذا كثر عليك الخواطر والوسواس فقل: سبحان الملك الخلاق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز. وقال رحمه الله تعالى: إن أردت أن تسلم من الوسواس فلا تدبر لغد ولا لبعد غد، وبه ختمت شرح كتاب عجائب القلب والفكر منقسم والخاطر متشعب، والهم إلى الضرورات الدنيوية منصرف، وأسأل الله العفو مما طغى به القلم أو زلت به القدم، فان خوض غمرة الأسرار الإلهية خطير، واستكشاف الأنوار العلوية من وراء الحجب عسير غير يسير، والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق
ومعالجة أمراض القلب وهو الكتاب الثاني من ربع المهلكات
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً الله ناصر كل صابر) .

الحمد لله الذي دبر أمور الكائنات بلطيف صنعه وعظيم قدرته أحسن تدبير ، وأبدع المخلوقات بسابق إرادته الأزلية من غير سبق مثال فصوّرها أتم تصوير ، وخص النوع الإنساني منها بما زينه من حسن صورته وبديع شكله في أعدل تقويم وأقوم تركيب وأبدع تقدير ، ثم حرس سواده عن الفساد بما ألهم به من تهذيب الأخلاق الباطنة وصانه عن شوائب النقص والتقصير ، وحبس مراده على السداد فأجراه على حسن التشكل حسبما جرى به قلم التقدير ، أحمده حمد من رأى آيات قدرته الباهرة وشاهد شواهد فردانيته القاهرة وعرف مواضع التقديم والتأخير ، وأشكره شكر من اعترف لفضائل كرمه وإحسانه واغترف من بحار جوده وامتنانه ، واستفتح به باب المزيد من الفتح الغزير والخير الكثير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جل عن شبيه ونظير ، واستغنى بوحدانيته عن الشريك والمشير والوزير ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده الهادي البشير ، ورسوله السراج المنير ، الذي بعثه وطرق الإيمان قد عفت آثارها ، وخبت أنوارها ، والعلم قد درست ربوعه ، وانقطعت نبوعه ، فأحياه احياء الأرض بالوابل المطير ، ﷺ وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الفاضلين ، وسلم تسليماً ما لاح البدر المنير ، وناح الحمام المطوّق بالهدير ، وبعد فهذا شرح :

كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق ومعالجة أمراض القلب

وهو الكتاب الثاني من الربع الثالث الموسوم بالمهلكات من كتاب الإمام ، علم الائمة الاعلام ، حجة الإسلام ، أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي بل الله بالرحمة ثراه ، وأجزل من المغفرة قراه ، اختصرت فيه الكلام اختصاراً ، واقتصرت على ما أورده منه اقتصاراً ، إيثاراً للتخفيف لا رغبة في التطفيف ، على أني ما أوردته لا يخلو من فائدة تلفى ، وحكمة تثبيت ولا تنفى وإشارات موقظة تقرب إلى الله زلفى ، ومنبهات تذكر الناسي ، وتلين القلب القاسي ، ولطائف غريبة تلعب

الحمد لله الذي صرف الأمور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره وزين صورة الإنسان بحسن تقويمه وتقديره، وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره، وفوّض تحسين الأخلاق إلى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه على تهذيبها بتخويفه وتحذيره، وسهل على خواص عباده تهذيب الأخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل صعبه وعسيره. والصلاة والسلام على محمد عبد الله ونبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح أنوار النبوّة من بين أساريره، ويستشرف حقيقة الحق

بالألباب، وتشوّق إلى منازل الأحباب، وإلى الله الرغبة في الإعانة، فيما يسهل به طريق الكشف والإبانة، وأن يوردنا من مناهل التوفيق الصافية أحلاها، وأن يولينا من أنواع الإحسان أعلاها، إنه بكل فضل جدير، وعلى ما يشاء قدير.

قال المؤلف رحمه الله تعالى في مفتتح كتابه:

(**بسم الله الرحمن الرحيم**) : تيمنا بالذكر الحكيم واقتداء بالكتاب الكريم والنبي العظيم ثم أردفه بقوله:

(**الحمد لله**) جمعاً بين الحديثين وحوزاً للفضيلتين (**الذي صرف الأمور**) أي حوّلها وقلبها (**بتدبيره**) أي حسن صنعه، وأصل التدبير النظر في دبر الأمور أي عواقبها، (**وعدل**) أي سوّى (**ترتيب الخلق**) فعل بمعنى مفعول أي جعل كل شيء منه في مرتبته التي تليق به، (**فأحسن في تصويره**) أي إقامة صورته (**وزين صورة الإنسان**) من بين خلقه (**بحسن تقويمه**) أي تعديله (**وتقديره**) أي تحديده بحده الذي يوجد وأصل صورة الشيء ما به يحصل الشيء بالفعل، (**وحرسه من الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره**) فجعله على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضته حكمته الأزلية، (**وفوّض تحسين الأخلاق**) وتسويتها (**إلى اجتهاد العبد وتشميره**) هو الاجتهاد مع السرعة وفيه الخفة ومنه يقال شمر في العبادة إذ اجتهد وبالغ، وفيه أن الأخلاق ليست غرائز، وسيأتي الكلام عليه، (**واستحثه**) أي حرضه (**على تهذيبها**) أي تخليصها من مساوئها (**بتخويفه وتحذيره**) وذلك على لسان رسوله ﷺ، (**وسهّل على خواص عباده**) وهم الذين اختصهم بموالاته ومحبته واصطفاهم لقربه (**تهذيب الاخلاق**) أي تصفيتها بان الهمهم طريق المجاهدة فيها عناية منه عليهم (**بتوفيقه**) إياهم (**وتيسيره**) لهم، (**وامتن عليهم بتسهيل عسيره**) أي ما عسر منه بالإضافة إلى غيرهم، (**والصلاة**) الكاملة (**على**) سيدنا (**محمد عبد الله**) وهو أشرف أسمائه ﷺ. (**ونبيه**) المرسل منه (**وحبيبه**) المختص به (**وصفيه**) أي مختاره من بين أنبيائه الكرام عليهم السلام، (**وبشيره ونذيره**) بما أعدّ لأمته من الثواب والعقاب (**الذي يلوح**) أي يظهر (**نور النبوّة**) المضيء (**من**) خلل (**أساريره**) أي خطوط جبهته، فمن وقع عليه بصره ولاحت له أنوار وجهه أسرع إلى الإيمان بما جاء به وصدقه كما قال الشاعر:

من مخايله وتباشيره، وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الإسلام من ظلمة الكفر ودياجيره، وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره.

أما بعد: فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين، والأخلاق السيئة هي

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تغنيك عن خبره

(وتشتف) أي تظهر **(حقيقة الحق)** أي تعين ذاته ونسبته **(من مخايله)** جمع مخيلة وهي المظنة **(وتباشيره)** أي مما يظهر من ظاهره. يقال: هذا يستشف ما وراءه أي يبصر أشار بذلك إلى أن ما يعرف به صحة النبوّة إما عقلية وإما حسية فالاولى: يعرفها أولو البصائر من الصديقين ومن يجري مجراهم، والثانية: يدركها أولو الأبصار من العامة، وحق النبي أن يكون من أكرم تربة في العالم حيث يكون عقل أربابها أوفر، وأن يكون من عنصر كريم، وأن تكون عليه أنوار تروق من رآها وأخلاق تلذ من ابتلاها، وأن يكون كلامه ذا حجة وبيان يشفي سامعه إذا كان متخصصاً بنور العقل. وهذه الأحوال إذا حصلت لا يحتاج ذو البصيرة معها إلى معجزة ولا يطلبها كما لا يطلب الأنبياء من الملائكة فيما يخبرونهم حجة، فنبينا ﷺ أكرم الأنبياء أصلاً وأحسنهم في هذه الأوصاف تحققاً فما وقع بصر أحد عليه إلا وأقر بتصديقه وعلم أنه على الحق من غير تلعثم، **(وعلى آله وأصحابه الذين طهروا وجه الإسلام عن ظلم الكفر ودياجيره)** جمع ديجور، وهو شدة السواد يقال: ليل ديجور أي مظلم، **(وحسموا)** أي قطعوا **(مادة الباطل)** أي أصله الذي ينشأ منه، والباطل هو ما لا ثبات له من المقال والفعال عند الفحص، وهو ضد الحق. **(فلم يتدنسوا بقليله ولا بكثيره)** أي لم يتعلقوا به قليلاً كان أو كثيراً بل، صاروا سبباً لحقه وإزالته، وإذا جاء الحق بطل الباطل.

(أما بعد: فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين). اعلم أن الخُلُق بضمتين هيئة راسخة تصدر عنها الأفعال بيسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلقاً حسناً، وليس الخلق عبارة عن الفعل، فربّ شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد مال أو لمانع ولا يسمى خلقاً ما لم يثبت ذلك في نفسه، وكونه صفته ﷺ يأتي بيانه في بيان فضيلته، **(وأفضل أعمال الصديقين)** بعد الإيمان بالله كما سيأتي ذلك في الاخبار، **(وهو على التحقيق شطر الدين)** أي نصفه، كما روى الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث أنس «حسن الخلق نصف الدين» وتقريره أن حسن الخلق يؤدي إلى صفاء القلب وطهارته، فإذا صفا وطهر عظم النور وانشرح الصدر به، فكان هو الجزء الأعظم في إدراك أسرار أحكام الدين فهو نصف بهذا الاعتبار، **(وهو ثمرة مجاهدة المتقين)** أي نتيجتها **(و)** أيضاً ثمرة **(رياضة المتعبدين)** لما أن في المجاهدة ورياضة النفس تهذيب أخلاق فثمرتها آخراً بتبديل أوصافها من القبح إلى الحسن، والقلب إذا طهر من الرين

السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين، وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، كما أن الاخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة إلى القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن، والاخلاق الخبيثة أمراض القلوب وأسقام النفوس إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد، وأين منه المرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد؟ ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان وليس في مرضها إلا فوت الحياة الفانية فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب وفي مرضها فوت حياة باقية أولى، وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب إذ لا يخلو قلب من القلوب

وصفت الأخلاق من الدنس والكدر نال العبد المعرفة الموصلة له إلى ربه، **(والاخلاق السيئة)** وهي الأفعال الردية التي تصدر عن الهيئة بحيث ينكرها العقل والشرع **(هي السموم القاتلة)** لصاحبها أي بمنزلتها، **(والمهلكات الدامغة)** أي الكاسرة لدماغه فلا حياة معها **(والمخازي الفاضحة)** جمع خزي بالكسر على غير قياس وهو الذل والهوان والانكسار والفضيحة العيب وفضحه كشف عيبه، **(والرذائل)** جمع رذيلة وهي صفة مرذولة أي ردية غير جيدة **(الواضحة)** أي الظاهرة، **(والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين)** أي من قربه **(المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين)** فإنه أصل كل خبث وفساد، وهو يحب الخبائث ومن جملتها سوء الأخلاق فمن كان متصفاً بما صار في سلك الشيطان والشيطان مطرود من رحمة الله، فبالحري أن يكون الذي في سلكه مطروداً مثله **(وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله)** تفسير للحطمة التي من شأنها أنها تحطم كل ما يطرح فيها، **(الموقدة)** التي أوقدها الله تعالى وما أوقده لا يقدر أن يطفئه غيره **(التي تطلع على الأفئدة)** أي تعلو أوساط القلوب وتشمل عليها وتخصيصها بالذكر، لأن الفؤاد ألطف ما في البدن وأشده تألماً أو لأنه منشأ الأعمال القبيحة والعقائد الزائغة، **(كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن)** فإن من اتصف بها فقد شابه الملائكة وقرب إليهم، والملائكة مقربون عند الله تعالى وقريب القريب قريب، **(فالأخلاق الخبيثة أمراض القلوب واسقام النفوس)** لأنها بمنزلة السمومات، ومن زاول السمومات واستعملها لم يخل من مرض في القلب وسقم في النفس، **(إلا أنه مرض يفوت حياة الأبد)** وهي البقاء بالله **(وأين منه المرض الذي لا يفوت إلا حياة الجسد)** شتّان ما بينهما، **(ومهما اشتدت عناية الأطباء بضبط قوانين العلاج للأبدان)** في بقاء صحتها على ما كانت عليه، **(وليس في مرضها إلا فوت حياة فانية)** زائلة، **(فالعناية بضبط قوانين العلاج لأمراض القلوب)** في إزالتها **(وفيها قرب حياة باقية)** للأبد **(أولى، وهذا النوع من الطب واجب تعلمه على كل ذي لب)** وهذا هو طب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أرسلهم الله تعالى لتعليم الأمم، كيف يجعلون القلب في كور المجاهدة وكيف يطهرون

عن اسقام لو أهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت ، فيحتاج العبد إلى تأنق في معرفة عللها وأسبابها ثم إلى تشمير في علاجها وإصلاحها فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى : ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ [الشمس : ٩] وإهمالها هو المراد بقوله : ﴿ وقد خاب من دساها ﴾ [الشمس : ١٠] ونحن نشير في هذا الكتاب إلى جمل من أمراض القلوب وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الأمراض ، فإن ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربع ، وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها . ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالاً له ليقرب من الأفهام دركه ويتضح ذلك بيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الأخلاق للتغير بالرياضة ، ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ، ثم بيان الطرق التي بها يعرف تفصيل الطرق إلى تهذيب الأخلاق ورياضة النفوس ، ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلب ، ثم بيان الطرق التي بها يعرف الإنسان عيوب نفسه ، ثم بيان شواهد النقل على أن طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ، ثم بيان علامات حسن الخلق ، ثم بيان

القلب من الأخلاق المذمومة وكيف يوردونه طريق الصفاء ، **(إذ لا يخلو قلب من القلوب من أسقام لو أهملت)** أي ترك علاجها **(تراكمت)** تلك الأسقام عليه ، **(وترادفت العلل)** بعضها وراء بعض ، **(وتظاهرت)** أي غلبت **(فيحتاج العبد)** الموفق **(إلى تأنق)** وتدبر **(في معرفة عللها)** من أين نشأت ، **(وأسبابها)** من أين حدثت ، **(ثم إلى تشمر)** أي اجتهاد بالغ **(في معالجتها وإصلاحها)** بإزالة وجود أسبابها ثم بتعديلها وردّها إلى الصحة الفطرية ، **(فمعالجتها هو المراد بقوله تعالى ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾)** أي أنماها بالعلم والعمل والمراد به الحث على تكميل النفس **(وإهمالها)** أي تركها حيث ترتع في الملاذ والشهوات **(هو المراد بقوله تعالى ﴿ وقد خاب من دسّاها ﴾)** أي نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق .

(ونحن في هذا الكتاب نشير إلى جمل أمراض القلوب) التي تعتريها من أسباب مختلفة ، **(وكيفية القول في معالجتها على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الأمراض فإن ذلك يأتي في بقية الكتب من هذا الربع)** وهو الثالث ، **(وغرضنا الآن النظر الكلي في تهذيب الأخلاق وتمهيد منهاجها ، ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالاً له ليقرب من الأفهام دركه)** أي إدراكه وفهمه ، **(ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخُلُق)** من الآيات والاخبار ، **(ثم بيان حقيقة حسن الخلق ، ثم بيان قبول الأخلاق للتغيير بالرياضة)** والتمرين ، **(ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ، ثم بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ، ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلوب ، ثم بيان الطريق الذي به يتعرف الإنسان عيوب نفسه ، ثم بيان شواهد النقل)** الدالة **(على أن طريق المعالجة**

الطريق في رياضة الصبيان في أوّل النشو، ثم بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة، فهي أحد عشر فصلاً يجمع مقاصدها هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق:

قال الله تعالى لنبيه وحبيبه مثنياً عليه ومظهراً نعمته لديه ﴿وإنك لعلى خُلُق عظيم﴾ [القلم: ٤] وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ خلقه القرآن، وسأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: ١٩٩] ثم قال ﷺ: «هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك». وقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم

للقلوب) إنما هو **(بترك الشهوات لا غير، ثم بيان علامات حسن الخلق، ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشوء)** حتى يكبروا، **(ثم بيان شروط الإرادة ومقدمات المجاهدة فهي أحد عشر فصلاً تجمع مقاصد الكتاب إن شاء الله تعالى)**.

بيان فضيلة حسن الخلق ومذمة سوء الخلق

(قال الله سبحانه) وتعالى في كتابه العزيز مخاطباً **(لنبيه وحبيبه)** ﷺ **(مثنياً عليه ومظهراً نعمته لديه)** أي عنده: **(وإنك لعلى خلق عظيم)** إذ تحتمل من قومك ما لا يتحمله أمثالك. **(وقالت عائشة رضي الله عنها: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن)** أخرجه ابو بكر ابن أبي شيبة، وعبد ابن حميد، ومسلم، وأبن المنذر، والحاكم، وابن مردويه عن سعد بن هشام قال: أتيت عائشة رضي الله عنها فقلت: يا أم المؤمنين اخبريني بخُلق رسول الله ﷺ. قالت: «كان خلقه القرآن. أما تقرأ القرآن ﴿انك لعلى خلق عظيم﴾» وقد تقدم في كتاب أخلاق النبوّة.

(وقوله عز وجل) مخاطباً لنبيه ﷺ: **(﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ ثم قال ﷺ)** في تأويله **(«وهو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك)** أي منعك **(وتعفو عمن ظلمك»)** قال العراقي: رواه ابن مردويه في تفسير من حديث جابر، وقيس بن سعد بن عبادة، وأنس بأسانيد حسان اهـ.

قلت: أما حديث جابر عنده فلفظه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ قال النبي ﷺ: «يا جبريل ما تأويل هذه الآية»؟ قال: حتى أسأل فصعد ثم نزل فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تصفح عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك» فقال ﷺ: «ألا أدلكم على أشرف أخلاق الدنيا والآخرة» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك». وقد رواه أيضاً أبو بكر بن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق عن إبراهيم النخعي، ورواه أيضاً ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن الشعبي.

الأخلاق». وقال ﷺ: «أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق». وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ من بين يديه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ قال: «حسن الخلق» فأتاه من قبل يمينه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ قال: «حسن الخلق» ثم أتاه من قبل شماله فقال: «ما الدين؟ فقال: «حسن الخلق». ثم أتاه من ورائه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ فالتفت إليه وقال: «أما تفقه؟ هو أن لا تغضب»، وقيل يـا رسـول

وأما حديث قيس بن سعد بـن عبادة فلفظه عند ابن مردويه قال: لما نظر رسول الله ﷺ إلى حمزة بن عبد المطلب قال: «والله لأمثلن بسبعين منهم» فجاء جبريل بهذه الآية، فقال يا جبريل: ما هذا؟ قال: لا أدري، ثم عاد فقال: إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك.

وأما لفظ حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ «إن مكارم الأخلاق عند الله أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك، ثم تلا النبي ﷺ ﴿خذ العفو وأمر العرف وأعرض عن الجاهلين﴾» وقد روي ذلك عن معاذ مرفوعاً قال: «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك و صفح عمن شتمك».

(وقال ﷺ «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق») رواه أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم في آداب الصحبة.

(وقال ﷺ «أثقل ما يوضع في الميزان خُلُق حسن») قال العراقي: رواه ابو داود والترمذي وصححه من حديث أبي الدرداء اهـ.

قلـت: وكذلك روا ابن حبان في الصحيح ومداره على شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن عطاء الكيخاراني، عن أم الدرد ، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ، وقد حدّثه عن شعبة جماعة محمد بن كثير، وشعيب بن محرز، وأبو عمر الحوضي، وبشر بن عمر الزهراني، وعفان، ويزيد بن هارون، ورواه عيسى بن يونس عن شعبة عن الحكم بن عتيبة عن القاسم، وهو خطأ فيما ذكره الخطيب البغدادي في كتاب المزيد، ورواه سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم الد داء عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ. وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الوهاب بن الضحاك، حدثنا إسماعيل بن عباس عن صفوان بـن عمر عن يزيد بن ميسرة عن أم الدرداء عن أبي الدرداء فذكره مرفوعاً بنحوه، وقد أخرج طرقه الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي في كتابه منهاج السلامة في ميزان القيامة واستوفاها فليراجع من هناك.

(وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ من بين يديه فقال: يا رسول الله ما الدين؟ فقال «حسن الخلق» ثم أتاه من قبل يمينه فقال ما الدين؟ قال «حسن الخلق» ثم أتاه من قبل شماله فقال: ما الدين؟ قال «حسن الخلق» ثم أتاه من ورائه فقال: ما الدين؟ فالتفت إليه وقال

الله ما الشؤم؟ قال: « سوء الخلق ». وقال رجل لرسول الله ﷺ: أوصني. فقال « اتق الله حيث كنت ». قال: زدني. قال: « اتبع السيئة الحسنة تمحها ». قال: زدني. قال:

« اما تفقه هو أن لا تغضب ») قال العراقي: رواه محمد بن نصر المروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة من رواية أبي العلاء بن الشخير مرسلاً.

(وقيل: يا رسول الله ما الشؤم) ؟ بالضم وسكون الهمزة، وقد تسهل فتصير واواً. **(قال: « سوء الخلق »)** أي يوجد فيه ما يناسب الشؤم ويشاكله أو أنه يتولد منه. قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة: « الشؤم سوء الخلق » ولأبي داود من حديث رافع بن مكيث: « سوء الخلق شؤم » وكلاهما لا يصح اهـ.

قلت: وكذلك رواه الطبراني في الأوسط والعسكري في الأمثال، وأبو نعيم في الحلية كلهم من حديث عائشة وقد ضعفه المنذري. وقال الهيثمي: فيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف. ورواه أيضاً الدارقطني في الأفراد والطبراني في الأوسط كذلك من حديث جابر. قيل: يا رسول الله ما الشؤم؟ فذكره. فهو الموافق لسياق المصنف هنا. وقال الهيثمي: وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي ضعيف، وأما سوء الخلق شؤم. فقد رواه الدارقطني في الإفراد من حديث ابن عمر. ورواه الخطيب من حديث عائشة بزيادة: « وشراركم أسوأكم خلقاً » ورواه ابن منده من حديث أم سعد ابنة الربيع الأنصاري عن أبيها بزيادة وطاعة النساء ندامة وحسن الملكة نماء.

وأما حديث رافع بن مكيث فلفظه عند أبي داود « وحسن الملكة يمن وسوء الخلق شؤم » رواه في الأدب من طريق بقية عن عثمان بن زفر، عن محمد بن خالد بن رافع، عن رافع بن مكيث وهو جهني شهد الحديبية، وقيل: هو تابعي وحديثه مرسل. وذكره ابن حبان في ثقات التابعين وبقية فيه كلام معروف، ولهذا قال العراقي: وكلاهما لا يصح ورواه أحمد والطبراني في الكبير بزيادة: « والبر زيادة في العمر والصدقة تمنع ميتة السوء » وفيه رجل لم يسم.

(وقال رجل لرسول الله ﷺ: أوصني فقال: « اتق الله) بامتثال أمره وتجنب نهيه **(حيث كنت »)** أي في كل زمان ومكان رآك الناس أولاً فإن الله مطلع عليك وفي بعض الروايات: حيثما كنت وما زائدة. **(قال)** الرجل: **(زدني. قال: « اتبع السيئة)** الصادرة منك صغيرة أو كبيرة **(الحسنة)** وهي بالنسبة للكبيرة التوبة منها **(تمحها »)** من صحيفة الكاتبين، وذلك لأن المرض يعالج بضده كالبياض يزال بالسواد وعكسه إن الحسنات يذهبن السيئات، وظاهر قوله تمحها إنها تزال حقيقة من الصحيفة، وقيل: عبر به عن ترك المؤاخذة، ثم أن هذا قد خص من عمومه السيئة المتعلقة بالآدمي كغيبته إن وصلت إليه فلا يمحوها إلا الاستحلال مع بيان جهة الظلامة إن أمكن ولم يترتب عليه مفسدة وإلا فالمرجو كفاية الاستغفار والدعاء **(قال: زدني. قال: « خالط الناس)** أي عاشرهم، وفي رواية الجماعة: « خالق الناس » أي تكلف معاشرتهم

« خالق الناس بخلق حسن ». وسئل عليه السلام. أي الأعمال أفضل؟ قال: « خلق حسن » وقال ﷺ « ما حسن الله خلق عبد وخلقه فيطعمه النار ». وقال الفضيل: قيل لرسول الله ﷺ: إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها. قال: « لا خير فيها هي من أهل النار ». وقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول « أوّل ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الإيمان قال: اللهم قوّني فقواه بحسن الخلق والسخاء، ولما خلق الله الكفر قال: اللهم قوّني فقوّاه بالبخل

(**بخلق حسن**) أي بالمجاملة من نحو طلاقة وجه وخفض جانب وتلطف في سياستهم مع تباين طباعهم وجمعه بعضهم بقوله هو أن تفعل معهم ما تحب أن يفعلوه معك فتجتمع القلوب وتنفق الكلمة، وتنتظم الأحوال، وذلك جماع الخير وملاك الأمر. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي ذر وقال حسن صحيح اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والحاكم هو والبيهقي، وقال الحاكم على شرطهما. وأقره الذهبي واعترض هون فيه يوسف بن يعقوب القاضي. قال الذهبي: مجهول ورواه أيضاً أحمد والترمذي والبيهقي من حديث معاذ، وقال الذهبي في المذهب إسناده حسن، ورواه الطبراني وابن عساكر في التاريخ من حديث أنس.

(**وسئل ﷺ**) أي الأعمال أفضل؟ (**قال: « خلق حسن »**) والمراد به بعد الإيمان بالله، وقد روى الطبراني في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة: « أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس ».

(**وقال ﷺ: « ما حسن الله خلق عبد**) وفي نسخة امرىء وفي أخرى رجل (**وخلقه فتطعمه النار »**) أبداً رواه الطبراني في الأوسط وابن عدي والبيهقي وابن عساكر من حديث أبي هريرة، ورواه الخطيب من حديث أنس وقد تقدم في آداب الصحبة.

(**وقال الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى (**قيل لرسول الله ﷺ: إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها. قال: « لا خير فيها هي من أهل النار »**) رواه أحمد والحاكم وصحح إسناده من حديث أبي هريرة دون قوله: « سيئة الخلق » وقد تقدم في آداب الصحبة.

(**وقال أبو الدرداء**) رضي الله عنه (**سمعت رسول الله ﷺ يقول: « أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الإيمان قال: اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخاء، ولما خلق الله الكفر قال: اللهم قوّني فقوّاه بالبخل وسوء الخلق »**) قال العراقي: لم أقف له على أصل هكذا ولأبي داود والترمذي من حديث أبي الدرداء: « ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق » وقال غريب وقال في بعض طرقه حسن صحيح اهـ.

وسوء الخلق ». وقال ﷺ : « إن الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينوا دينكم بهما ». وقال عليه السلام : « حسن الخلق خلق الله

قلت : وبهذا اللفظ ما من شيء الخ أخرجه كذلك أحمد ، ولفظ الترمذي : « ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق » الحديث.

ورواه عنبسة الوراق فقال : حدثنا أبو عامر العقدي ، حدثنا أبو إبراهيم بن نافع الصائغ ، عن الحسن بن مسلم ، عن خاله عطاء بن نافع ، أنهم دخلوا على أم الدرداء فاخبرتهم أنها سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : « إن أثقل أو قال أفضل شيء في الميزان يوم القيامة الخلق الحسن » وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق محمد بن عصام بن يزيد عن أبيه عن سفيان عن إبراهيم بن نافع عن الحسن بن مسلم عن خاله يعني عطاء الكيخاراني ، عن أم الدرداء عن النبي ﷺ بنحوه غريب من حديثه عن إبراهيم تفرد به عصام بن يزيد قاله أبو نعيم.

وأخرجه أيضاً من طريق محمد بن عبد الله الحضرمي ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأحمد بن أسد قالا : حدثنا شريك عن خلف بن حوشب عن ميمون مهران قال : قلت لأم الدرداء ، سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ؟ قالت : سمعته يقول : أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن » وهكذا أخرجه الطبراني في الكبير.

(وقال ﷺ : « ان الله استخلص هذا الدين) يعني دين الإسلام **(لنفسه)** وناهيك به تفخيم مرتبة دين الإسلام فهو حقيق بالاتباع لعلو رتبته عند الله تعالى في الدارين **(ولا يصلح لدينكم إلا السخاء)** بالمد وهو الكرم فإنه لا قوام لشيء من الطاعات إلا به **(وحسن الخلق ألا)** بالتخفيف حرف تنبيه **(فزينوا دينكم بهما »)** زاد في رواية ما صحبتموه ، فالسخاء السماح بالمال ، وحسن الخلق السماح بالنفس ، فمن سمح بهما أصغت إليه القلوب ومالت إليه النفوس. وقال الزمخشري : معناه أن مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه الله بسماح وسهولة فيعيش عيشاً رافقاً كما قال تعالى : ﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾ [النمل : ٩٧] والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى ازدياد من الدنيا ، مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق ، فعيشه ضنك وحاله مظلمة اهـ.

وقال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول : الإسلام بني اسمه على السماحة والجود لأن الإسلام تسليم النفس والمال لحقوق الله ، وإذا جاء البخل فقد ذهب بذل النفس والمال ، ومن بخل بالمال فهو بالنفس أبخل ، ومن جاد بالنفس فهو بالمال أجود ، فلذلك كان البخل يمحق الإسلام ويبطله ويدرس الإيمان ويعكسه ، لأن البخل سوء ظن بالله وفيه منع لحقوقه ، ولذلك جاء في خبر : « ما محق الإسلام محق البخل شيء قط » اهـ.

قال العراقي : رواه الدارقطني في كتاب المستجاد ، والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد فيه لين اهـ.

الاعظم» وقيل: يا رسول الله: أي المؤمنين أفضل إيماناً؟ قال: «أحسنهم خلقاً» وقال ﷺ: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق». وقال

قلت: ورواه أيضاً الطبراني في الكبير من حديث عمران بن الحصين قال الهيثمي: فيه عمرو بن الحصين العقيلي وهو متروك.

(وقال ﷺ: «حسن الخلق خلق الله الأعظم») أي هو أعظم الأخلاق السبعة عشر التي خزنها الله تعالى لعباده في خزائن جوده. قال الحكيم في النوادر: وجميع محاسن الأخلاق تؤول إلى الكرم والجود والسخاء، ومن أراد الله به خيراً منحه حسن الخلق. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه في الكبير. وقال المنذري: سنده ضعيف جداً وقال الهيثمي: فيه عمرو بن الحصين العقيلي وهو متروك.

(وقيل يا رسول الله: أي المؤمنين أفضل إيماناً؟ قال: «أحسنهم خلقاً») قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وتقدم في النكاح بلفظ: «أكمل المؤمنين» والطبراني من حديث أبي أمامة: «أفضلكم إيماناً أحسنكم خلقاً» اهـ.

قلت: وروى ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عمر: «أفضل المؤمنين أحسنهم خلقاً».

(وقال ﷺ: «إنكم لن تسعوا الناس) بفتح السين أي لن تطيقوا أن تعينوهم (بأموالكم) وفي رواية: إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، والمعنى لا يمكنكم ذلك (فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق») وفي رواية: ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق أي لا تتسع أموالكم لعطائهم فوسعوا أخلاقكم لصحبتهم. وقال العسكري في الأمثال نقلاً عن الصولي: لو وزن هذا الكلام بأحسن كلام الناس كلهم لرجح عليه. قال: وقد كان ابن عباد كريم الوعد كثير البذل سريعاً إلى فعل الخير، فطمس ذلك سوء خلقه فما ترى له حامداً. وقال الحراني: السعة المزيد على الكفاية من نحوها إلى أن ينبسط إلى ما وراء امتداداً ورحمة وعلماً، ولا تقع السعة إلا مع إحاطة العلم والقدرة وكمال الحلم والإفاضة في وجود الكفايات ظاهراً وباطناً عموماً وخصوصاً، وذلك ليس إلا لله. أما المخلوق فلم يكد يصل إلى حظ من السعة إما ظاهراً فلا يقع منه ولا يكاد، وإما باطناً بخصوص حسن الخلق فعساه يكاد اهـ.

قال العراقي: رواه البزار وأبو يعلى والطبراني في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وبعض طرق البزار رجاله ثقات اهـ.

قلت: وكذلك رواه الطبراني والحاكم، وأبو نعيم في الحلية والبيهقي: تفرد به عبد الله بن سعيد المقبري. عن أبيه وروي من وجه آخر ضعيف عن عائشة اهـ.

وعبد الله بن سعيد قال البخاري: تركوه، وقال العلائي: إسناد حديث أبي يعلى حسن، وعزاه

أيضاً ﷺ: « سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » وعن جرير بن عبد الله

الحافظ في الفتح إلى البزار وحده، وقال: سنده حسن، وقال المنذري: رواه أبو يعلى والبزار من طرق أحدها حسن.

(وقال) ﷺ (أيضاً: « سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل ») أي يعود عليه بالإحباط. وقال القشيري: أراد أن البذيء يفعل الخير إذا قرنه بسوء الخلق أفسد عمله وأحبط أجره كالمتصدق إذ أتبعه بالمن والأذى. قال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس، وأبي هريرة أيضاً وضعفها اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الحرث بن أبي أسامة في مسنده، والحاكم في الكنى والألقاب، وأبو نعيم والديلمي من حديث ابن عمر.

تنبيه:

حاول بعضهم استيعاب مساوىء الأخلاق فقال: هي الإنتقاد على أهل الله واعتقاد كمال النفس، والاستنكاف من التعلم والاتعاظ، والتماس عيوب الناس، وإظهار الفرح وإفشاؤه، وإكثار الضحك، وإظهار المعصية، والايذاء والاستهزاء والإعانة على الباطل، والانتقام للنفس، وإثارة الفتن والاختيال والاستماع لحديث قوم وهم له كارهون، والاستطالة والأمن من مكر الله والإصرار على الذنب مع رجاء المغفرة، واستعظام ما يعطيه، وإظهار الفقر مع الكفاية والبغي والبهتان والبخل والشح والبطالة والتجسس والتبذير والتعميق والتملق والتذلل للأغنياء لغناهم، والتعبير والتحقير وتزكية النفس والتجبر والتبختر والتكلف والتعرض للتهم والتكلم بالمنهي، والتشدق وتضييع الوقت بما لا يعني، والتكذيب والتسفيه والتنابز بالألقاب والتعييس والتفريط والتسويف في الأجل والتمني المذموم والتخلق بزي الصالحين زوراً وتناول الرخص بالتأويلات، والتساهل في تدارك الغيرة، والتهور والتدبير للنفس والجهل، وجحد الحق والجدال والجفاء والجور والجبن والحرص والحقد والحسد والحمق وحب الدنيا وحب الرئاسة والجاه والشهوة والحزن الدائم والخديعة والخبثة والخيانة وخلف الوعد والخيلاء والدخول فيما لا يعني، والذم والذل والرياء والركون إلى الأغيار، ورؤية الفضل على الأقران، وسوء الظن والسعاية والشماتة والشره والشرك الخفي، وصحبة الأشرار والصلف وطول الأمل والطمع والطيرة وطاعة النساء وطلب العوض على الطاعة والظلم والعجلة والعجب والعداوة في غير الدين، والغضب والغرور والغفلة والغدر والفسق والفرح المذموم والقسوة وقطع الرحم والكفر وكفران النعمة والعشير والكسل وكثرة النوم واللؤم والمداهنة والملاحاة ومجالسة الأغنياء لغناهم والمزح المفرط والنفاق والنية الفاسدة وهجر المسلم، وهتك الستر، والوقوع في العرض والوقوع في غلبة الدين، واليأس من الرحمة. فهذه كلها أخلاق خبيثة مذمومة عند الله تعالى[1].

---

(١) مجموع هذه الأخلاق ١١٦ هكذا رقم لها المؤلف اهـ مصححه.

قال: قال رسول الله ﷺ: « إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك ». وعن البراء بن عازب قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً. وعن أبي مسعود البدري قال: كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: « اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي ». وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يكثر الدعاء فيقول: « اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق » وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال « كرم المؤمن دينه وحسبه حسن خلقه ومروءته عقله ». وعن أسامة

(وعن جرير بن عبد الله) البجلي رضي الله عنه **(قال: قال ﷺ إنك امرؤ قد حسن الله خلقك فحسن خلقك)** وكان جرير من أحسن الناس خلقاً قد أعطى شطر الحسن في جسمه. قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، وأبو العباس الدغولي في كتاب الآداب وفيه ضعف. **(وعن البراء بن عازب)** رضي الله عنهما **(قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً)** قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بإسناد حسن اهـ.

قلت: وقد تقدم في أخلاق النبوة من رواية البيهقي عنه بزيادة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، وروى مسلم وأبو داود من حديث أنس: « كان أحسن الناس خلقاً » وفي الصحيحين من حديث أنس: « كان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس » وعند البيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة: « كان أحسن الناس صفة وأجملها » الحديث.

(وعن أبي مسعود) عقبة بن عامر الأنصاري **(البدري)** لنزوله بدراً لا لشهوده وقعتها. **(كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: « اللهم حسنت خلقي)** بفتح فسكون **(فحسن خلقي »)** بضمتين. قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق هكذا من رواية عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي مسعود البدري، وإنما هو ابن مسعود أي عبد الله هكذا رواه ابن حبان في صحيحه، ورواه أحمد من حديث عائشة اهـ.

(وعن عبد الله بن عمرو) رضي الله عنهما **(قال: كان رسول الله ﷺ يكثر الدعاء فيقول: « اللهم إني أسألك الصحة والعافية وحسن الخلق »)** قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بإسناد فيه لين اهـ.

قلت: ورواه الطبراني في الكبير بلفظ: « اللهم إني أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق والرضا بالقدر » ورواه البزار في مسنده بلفظ: « العصمة » بدل « الصحة » في الإسناد ابن أنعم الأفريقي وهو ضعيف.

(وعن أبي هريرة) رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ قال: « كرم المؤمن دينه)** أي به يكرم ظاهراً وباطناً قولاً وفعلاً **(وحسبه)** محركة **(حسن خلقه »)** وفي رواية وحسبه خلقه أي ليس شرفه بشرف آبائه بل بشرف أخلاقه. وقال الأزهري: أراد أن الحسب يحصل للرجل بكرم

ابن شريك قال: شهدت الأعاريب يسألون النبي ﷺ يقولون: ما خير ما أعطي العبد؟ قال: «خلق حسن» وقال ﷺ: «إن أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً». وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاث من لم تكن فيه أو واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله. تقوى تحجزه عن معاصي الله. أو حلم يكف به السفيه أو خلق يعيش به بين الناس». وكان من دعائه ﷺ في

أخلاقه وإن لم يكن له نسب، وإذا كان حسيب الآباء فهو أكرم له (**ومروءته عقله**) لأنه به يتميز عن الحيوانات وبه يعقل نفسه من كل خلق دنيء ويكفها عن شهواتها الردية وطباعها الدنية، ويؤدي إلى كل ذي حق حقه من حق الحق فليس المراد بالمروءة ما في العرف من جمال الحال والاتساع في المال بذلاً وإظهاراً، فليس كل عاقل يكون له مال يتوسع فيه بذلاً وعطاء.

وقال العراقي: رواه ابن حبان والحاكم وصححه على شرط مسلم والبيهقي **قلت**: فيه مسلم بن خالد الزنجي وقد تكلم فيه.

قال البيهقي: وروي من وجهين آخرين ضعيفين ثم رواه موقوفاً على عمر وقال إسناده صحيح اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد ورد الذهبي على الحاكم حين صححه بأن فيه مسلم بن خالد. قال البخاري: منكر الحديث. وقال الرازي: لا يحتج به، ورواه العسكري في الأمثال بلفظ: «كرم الرجل تقواه» وقد أخذ أبو العتاهية معنى الحديث فقال:

كرم الفتى التقوى وقوته ... محض اليقين ودينه حسبه
والأرض طينته وكل بني ... حواء فيها واحد نسبه

(**وعن أسامة بن شريك**) الثعلبي صحابي تفرد بالرواية عنه زياد بن علاقة على الصحيح، روى له الأربعة أئمة السنن (**قال: شهدت الأعاريب**) جمع الأعراب وهم سكان البادية (**يسألون النبي ﷺ يقولون: ما خير ما أعطي العبد؟ قال: «خلق حسن»**) رواه ابن ماجه وقد تقدم في آداب الصحبة. (**وقال ﷺ: «إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**) رواه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أبي هريرة: «إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقاً» وقد تقدم الحديثان في آداب الصحبة.

(**عن ابن عباس**) رضي الله عنهما (**قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث**) أي ثلاث خصال (**من لم تكن**) أي لم توجد (**فيه**) خصلة (**واحدة منهن فلا تعتدن**) أي لا تعبأن وفي نسخة فلا تعتدون (**بشيء من عمله تقوى تحجزه**) أي تمنعه (**عن معاصي الله**) عز وجل (**أو حلم يكف به السفيه**) إذا سفه عليه (**أو خلق**) بضمتين (**يعيش به بين الناس»**) قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بإسناد ضعيف، ورواه الطبراني في الكبير وفي مكارم الأخلاق من حديث أم سلمة بإسناد حسن اهـ.

افتتاح الصلاة. « اللهم اهدني لأحسن الأخلاق ولا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت » وقال أنس: بينما نحن مع رسول الله ﷺ يوماً إذ قال: « إن حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد ». وقال عليه الصلاة والسلام: « من سعادة المرء حسن الخلق ». وقال ﷺ: « اليمن حسن الخلق » وقال عليه السلام لأبي ذر. « يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق ». وعن أنس

قلت: لكن شيخ الطبراني إبراهيم بن محمد ضعفه الذهبي كذا قال الهيثمي، ورواه البيهقي في الشعب عن الحسن البصري مرسلاً بلفظ: « ثلاث خلال من لم تكن فيه واحدة منهن كان الكلب خيراً منه ورع يحجزه عن محارم الله عز وجل، أو حلم يرد به جهل الجاهل، أو حسن خلق يعيش به في الناس ».

(وكان من دعائه ﷺ في افتتاح الصلاة: « اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت ») رواه مسلم من حديث علي، وقد تقدم في كتاب الصلاة. **(وقال أنس)** رضي الله عنه **(بينما نحن مع رسول الله ﷺ يوماً إذ قال: « إن حسن الخلق ليذيب الخطيئة)** أي يمحو أثرها وهو يقطع خبرها **(كما تذيب الشمس الجليد »)** وهو الماء الجامد من شدة البرد لأن منافع المعروف لا تكون إلا من حسن الخلق والصنائع حسنات والحسنات يذهبن السيئات. قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف، ورواه الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس وضعفه، وكذا رواه من حديث أبي هريرة وضعفه أيضاً اهـ.

قلت: ورواه ابن عدي أيضاً من حديث ابن عباس: ولفظه والبيهقي: « حسن الخلق يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد ».

(وقال ﷺ: « من سعادة المرء حسن الخلق ») أي فإنه يبلغ به خير الدنيا والآخرة. قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف اهـ.

قلت: وكذا رواه القضاعي في مسند الشهاب وفيه الحسن بن سفيان. قال أبو حاتم صدوق تغير وقال البخاري: لم يصح حديثه عن هشام بن عمار، وعند البيهقي والقضاعي زيادة ومن شقاوته سوء الخلق وعندهما أيضاً من سعادة ابن آدم ولفظ الخرائطي كما للمصنف ورواه الخرائطي من حديث سعد بلفظ: « من سعادة ابن آدم حسن الخلق ومن شقاوة ابن آدم سوء الخلق » وروى الخرائطي أيضاً وابن عساكر من حديث جابر « من شقوة ابن آدم سوء الخلق ».

(وقال ﷺ: « اليمن حسن الخلق ») أي البركة والخير الإلهي فيه. قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عائشة بسند ضعيف. **(وقال ﷺ لأبي ذر)** الغفاري

قال: قالت أم حبيبة لرسول الله ﷺ: أرأيت المرأة يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلون الجنة لأيهما هي تكون؟ قال: «تكون لأحسنهما خلقاً كان عندها في الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة. وقال ﷺ: «ان المسلم المسدد ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم مرتبته». وفي رواية: «درجة الظمآن في الهواجر». وقال عبد الرحمن بن سمرة: كنا عند النبي ﷺ فقال: «إني رأيت البارحة

رضي الله عنه («يا أبا ذر لا عقل كالتدبير) أي النظر في عواقب الأمور (ولا حسب كحسن الخلق») قال العراقي: رواه ابن ماجه وابن حبان من حديث أبي ذر اهـ.

قلت: ولفظها: لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق، وقد رواه البيهقي كذلك في الشعب وفيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، قال أبو حاتم غير ثقة، ورواه أبو الحسين القدوري في جزئه، وابن عساكر، وابن النجار من حديث أنس بلفظ: «لا عقل كالتدبير في رضا الله ولا ورع كالكف عن محارم الله ولا حسب كحسب الخلق» وفيه صخر الحاجبي وهو صخر بن محمد المنقري أورده في الميزان في ترجمته، ونقل عن ابن طاهر أنه قال: إنه كذاب، وقال ابن عدي: حدّث بالبواطيل، وساق له منها هذا الحديث.

(وعن أنس) رضي الله عنه (قال: قالت أم حبيبة) رملة بنت أبي سفيان إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنها: (يا رسول الله أرأيت المرأة يكون لها زوجان في الدنيا) يتزوجها واحد بعد واحد (فتموت) هي (ويموتان ويدخلون الجنة لأيهما تكون هي؟ قال: «لأحسنهما خلقاً كان عندها في الدنيا يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة») قال العراقي: رواه البزار والطبراني في الكبير والخرائطي في مكارم الأخلاق بإسناد ضعيف.

(وقال ﷺ: «إن المسلم المسدد) أي الموفق (ليدرك درجة الصائم القائم بحسن خلقه وكرم ضريبته») أي طبيعته (وفي رواية أخرى:) «ليدرك (درجة الظمآن في الهواجر») قال العراقي: رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بالرواية الأولى، ومن حديث أبي هريرة بالرواية الثانية وفيهما ابن لهيعة اهـ.

قلت: وروى الترمذي والطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء وأن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة وهو قطعة من حديث: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق». وقد تقدم قريباً.

(وقال عبد الرحمن بن سمرة) بن حبيب بن عبد شمس العبشمي رضي الله عنه. قال أبو سعيد من مسلمة الفتح افتتح سجستان ثم سكن البصرة ومات بها سنة خمسين أو بعدها، روى له الأربعة. (كنا عند النبي ﷺ فقال: «إني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمتي جاثياً

عجباً رأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله تعالى ». وقال أنس، قال النبي ﷺ: « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف في العبادة ». وروي أن عمر رضي الله عنه استأذن على النبي ﷺ وعنده نساء من نساء قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر رضي الله عنه تبادرن الحجاب، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر رضي الله عنه: مم تضحك بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ فقال: « عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب » فقال عمر: أنت كنت أحق أن يهبنك يا رسول الله، ثم أقبل عليهن عمر فقال: يا عدوّات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ. قلن: نعم أنت أغلظ وأفظ من رسول الله ﷺ. فقال ﷺ: « إيهاً يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك ». وقال ﷺ: « سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة

على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن خلقه فأدخله على الله) عز وجل ». قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بسند ضعيف. **(وقال أنس)** رضي الله عنه. **(قال النبي ﷺ: « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وأنه ضعيف العبادة »)** قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وأبو الشيخ في كتاب طبقات الأصبهانيين بإسناد جيد.

(وروي أن عمر) رضي الله عنه **(استأذن على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر تبادرن الحجاب، ودخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: مم تضحك بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ فقال ﷺ: « عجبت لهؤلاء اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب » قال عمر)** رضي الله عنه: **(فأنت كنت أحق أن يهبن)** أي يخفن **(يا رسول الله، ثم أقبل عليهن عمر)** رضي الله عنه **(فقال)** يخاطبهن **(أي عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن: نعم أنت أفظ من رسول الله ﷺ وأغلظ)** وأفعل التفضيل هنا ليس على بابه، والمقصود منه نفي الفظاظة والغلظة عن رسول الله ﷺ، **(فقال رسول الله ﷺ: « إيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك غير فجك »)** رواه البخاري ومسلم وتقدم في الكتاب الذي قبله ما رواه الحكيم عن عمر: « ما لقي الشيطان قط عمر في فج فسمع صوته إلا أخذ في غيره ».

(وقال ﷺ: « سوء الخلق ذنب لا يغفر وسوء الظن خطيئة تفوح ») أي تنتج الشرور.

تفوح ». وقال عليه السلام: « إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم ».

الآثار: قال ابن لقمان الحكيم لأبيه: يا أبت أي الخصال من الإنسان خير؟ قال: الدين. قال: فإذا كانت اثنتين؟ قال: الدين والمال. قال: فإذا كانت ثلاثاً: قال: الدين والمال والحياء. قال: فإذا كانت أربعاً؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق. قال: فإذا كانت خمساً. قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء. قال: فإذا كانت ستاً. قال: يا بني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال فهو نقيّ تقي ولله وليّ ومن الشيطان بريء وقال الحسن: من ساء خلقه عذب نفسه، وقال أنس بن مالك إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد ويبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم وهو عابد وقال يحي بن معاذ في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق وقال وهب بن منبه:

قال العراقي: رواه الطبراني في الصغير من حديث عائشة: « ما من سيء إلا له توبة إلا صاحب سوء الخلق فإنه لا يتوب من ذنب إلا عاد في شر منه، وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: وبسياق المصنف أخرجه الخرائطي في مساوي الأخلاق من حديث أنس.

(**وقال ﷺ: « إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم »**) قال العراقي: رواه الطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق، وأبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين من حديث أنس بإسناد جيد وهو بعض الحديث الذي قبله بحديثين.

(**الآثار: قال ابن لقمان الحكيم لأبيه: يا أبت أي الخصال من الإنسان خير؟ قال: الدين. قال: فإذا كانتا اثنتين؟ قال: الدين والمال**) أي لأنه نعم العون له على الدين. (**قال: فإذا كانت ثلاثاً؟ قال: الدين والمال والحياء. قال: فإذا كانت أربعا؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق. قال: فإذا كانت خمساً؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء**) وهو بذل الموجود على من يستحق. (**قال: فإذا كانت ستاً؟ قال: يا بني إذا اجتمعت فيه الخمس خصال**) المذكورة (**فهو تقي نقي لله ولي ومن الشيطان بريّ**) فهذه الخمس خصال قد جمعت مكارم الأخلاق.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**من ساء خلقه عذب نفسه**) أي أتعبها بسوء خلقه. (**وقال أنس بن مالك**) رضي الله عنه: (**إن العبد ليبلغ بحسن خلقه أعلى درجة في الجنة وهو غير عابد، ويبلغ بسوء خلقه أسفل دركة في جهنم وهو عابد**) وصله أبو الشيخ الأصبهاني في طبقات الأصبهانيين بنحوه، وتقدم قريباً وهو كذلك موصولاً عند الخرائطي في مكارم الأخلاق. (**وقال يحي بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالى: (**في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق**) والسعة فيها هو المشار إليه بالحديث الذي تقدم: « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم » وكنوز الأرزاق هي إفاضات الخير من خزائن الرحمة الإلهية، وعليه يدل ما

مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طيناً. وقال الفضيل: لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إليَّ من أن يصحبني عابد سيء الخلق.

وصحب ابن المبارك رجل سيء الخلق في سفر فكان يحتمل منه ويداريه، فلما فارقه بكى فقيل له في ذلك فقال: بكيته رحمة له، فارقته وخلقه معه لم يفارقه. وقال الجنيد: أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه، الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق وهو كمال الإيمان. وقال الكتاني: التصوّف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوّف. وقال عمر رضي الله عنه، خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال. وقال يحي بن معاذ: سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق

رواه أبو الشيخ من حديث أبي موسى الأشعري الخلق الحسن زمام من رحمة الله. والزمام بيد الملك، والملك يجره إلى الخير، والخير يجره إلى الجنة. **(وقال وهب بن منبه)** رحمه الله تعالى **(مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طيناً)** أخرجه البيهقي في الشعب، **(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابد سيء الخلق)** أخرجه البيهقي في الشعب، وكان إبراهيم بن أدهم يقول: إن الرجل ليدرك بحسن خلقه ما لا يدركه بماله لأن المال عليه فيه زكاة وصلة أرحام وخلقه ليس عليه فيه شيء.

(وصحب) عبد الله **(بن المبارك)** رحمه الله تعالى **(رجل سيء الخلق في سفره، فكان يحتمل منه)** أي مما يصدر من سوء خلقه **(ويداريه، فلما أن فارقه بكى فقيل له في ذلك. فقال: أترحم عليه فارقته وخلقه معه لم يفارقه)**. فهذا من باب التذمم للصاحب في السفر وهو من جملة مكارم الأخلاق.

(وقال) سيد الطائفة أبو القاسم **(الجنيد)** رحمه الله تعالى: **(أربع)** خصال **(ترفع العبد إلى أعالي الدرجات وإن قلّ علمه وعمله، الحلم والتواضع، والسخاء، وحسن الخلق. وهو كمال الإيمان)** أي بهن كماله وكلهن من مكارم الأخلاق.

(وقال) القشيري سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت حسين بن أحمد بن جعفر يقول: سمعت أبا بكر **(الكتاني)** رحمه الله تعالى يقول: **(التصوّف خلق)** من الأخلاق الشريفة، **(فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوّف)**. وأورده صاحب العوارف عن أبي زرعة، عن أبي بكر بن خلف السلمي.

(وقال عمر رضي الله عنه: خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال) وهذا قد وصله العسكري في الأمثال من حديث ثوبان: خالطوا الناس بأخلاقكم وخالفوهم في أعمالكم.

(وقال يحي بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى **(سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة السيئات. وسئل ابن عباس)** رضي الله عنه: **(ما**

حسنة لا تضر معها كثرة السيئات. وسئل ابن عباس: ما الكرم؟ فقال: هو مابين الله في كتابه العزيز: ﴿إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] قيل: فما الحسب؟ قال: أحسنكم خلقاً أفضلكم حسباً. وقال: لكل بنيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق. وقال عطاء: ما ارتفع من ارتفع إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله إلا المصطفى ﷺ فأقرب الخلق إلى الله عز وجل السالكون آثاره بحسن الخلق.

بيان حقيقة حسن الخلق وسوء الخلق:

اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ما هو وما تعرضوا لحقيقته،

الكرم؟ قال: ما بين الله في كتابه ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾) أشار بذلك ان الكرم هو التقوى لا بذل المال. (**قيل له: وما الحسب؟ قال أحسنكم خلقاً أفضلكم حسباً**) أشار بذلك إلى أن الحسب ليس من الآباء بل هوحسن الخلق، ويدل لذلك الحديث المتقدم: «كرم المرء تقواه وحسبه حسن خلقه». (**وقيل: لكل بنيان أساس**) يقوم عليه، (**وأساس الإيمان حسن الخلق**) وإليه يشير الحديث المتقدم حسن الخلق نصف الإيمان.

(**وقال**) أبو العباس أحمد (**بن عطاء ما ارتفع من ارتفع**) إلى الدرجات العالية (**إلا بالخلق الحسن ولم ينل أحد كماله**) أي كمال الخلق (**إلا المصطفى ﷺ**) لقوله تعالى ﴿إنك لعلى خلق عظيم﴾ (**وأقرب الخلق إلى الله السالكون آثاره بحسن الخلق**)، ولكل مجتهد في سلوكه من نصيب على قدر مقامه واستعداده ومما يناسب ذكره هنا ما أورده البيهقي في الشعب عن علي رضي الله عنه قال: التوفيق خير قائد وحسن الخلق خير قرين، والعقل خير صاحب والأدب خير ميراث ولا وحشة أشد من العجب.

تنبيه:

المراد بالخلق الحسن في هذه الأخبار والآثار ما يشمل الأمور المعنوية الصادرة عن الملكة النفسانية بسهولة من غير روية، وقد جاء في بعض تلك الأخبار والآثار تسمية بعض ما يصدر عنها من خلال الكمالات التي ليست ملكات أخلاقاً ولا مانع من إطلاق الخلق عليها مجازاً يصدر عن تلك الملكة باعتبار كونه أثرها وسبباً عنها، سيما مع شيوع إطلاق السبب على المسبب وعكسه واسم الاثر على المؤثر وعكسه، ولذلك تراهم يسمون كل خصلة جميلة صادرة عن الملكة خلقاً إما على المجاز أو الحقيقة العرفية أو الشرعية، والاسم الجامع للشعب الإيمانية والكمالات القلبية هو الخلق الحسن وتمام الكلام عليه في الذي يليه من تحقيق المصنف رحمه الله تعالى الذي ليس فوقه تحقيق قال رحمه الله تعالى:

بيان حقيقة حسن الخلق:

(اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة الخلق الحسن، وإنه ما هو وما تعرضوا لحقيقته

وإنما تعرضوا لثمرته ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضراً في ذهنه ولم يصرفوا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب، وذلك كقول الحسن: حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى. وقال الواسطي: هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى. وقال شاه الكرماني: هو كف الأذى واحتمال المؤن. وقال بعضهم: هو أن يكون من الناس قريباً وفيما بينهم غريباً. وقال الواسطي مرة: هو ارضاء الخلق في السراء والضراء. وقال أبو عثمان: هو الرضا عن الله تعالى وسئل سهل التستري عن حسن الخلق فقال:

وإنما تعرضوا لثمرته). اعلم ما أورده المصنف في كتاب المعارف العقلية: إن المطالب الأصلية أربعة: الأوّل مطلب هل وهو السؤال عن وجود الشيء الثاني: مطلب ما وهو السؤال عن ماهية الشيء، والثالث: مطلب أي وهو السؤال عن فصل الشيء الذي يفصله عن المشاركة له في الجنس. والرابع: مطلب لم وهو طلب العلة اما مطلب هل فعلى وجهين أحدهما سؤال عن أصل الوجود، والثاني: سؤال عن وجود حال الشيء، وأما مطلب ما فأيضاً على وجهين: أحدهما سؤال المتكلم عن تفسير لفظه، والثاني: مطلب حقيقة الشيء في نفسه فهو بالمعنى الأوّل متقدم على مطلب هل، فإن من لا يفهم الشيء لا يسأل عن وجوده، وبالمعنى الثاني متأخر عن مطلب هل لأن ما لا يعلم وجوده لا يطلب ماهيته، فإذا عرفت ذلك ظهر لك أن ما ذكروه في تحديد الخلق الحسن إنما هو تعرض لثمرته الحاصلة منه لا بيان أصله وحقيقته في نفسه.

(**ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته، بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له**) في باله (**وكان حاضراً في ذهنه**) عند القائه (**ولم يصرفوا العناية**) والاهتمام (**إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب**) والإحاطة، (**وذلك كقول الحسن**) البصري رحمه الله تعالى حين سئل عن (**حسن الخلق**) فقال: هو (**بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى**).

(**وقال**) أبو بكر محمد بن موسى (**الواسطي**) رحمه الله تعالى، أصله من فرغانة صحب الجنيد والنوري أقام بالري وبها مات سنة ٣٢١: (**هو أن لا يخاصم**) أحداً (**ولا يُخاصم**) أي لا يخاصمه أحد هكذا أورده في معنى قوله تعالى ﴿إنك لعلى خلق عظيم﴾ وذلك (**من شدة معرفته**) ﷺ (**بالله تعالى، وقال**) أبو الفوارس (**شاه**) بن شجاع (**الكرماني**) رحمه الله تعالى: (**هو كف الأذى واحتمال المؤن**) أي المشقات. (**وقال بعضهم: هو أن يكون من الناس قريباً**) أي يحسن خلطتهم ويتقرب إليهم ويداريهم، (**وفيما بينهم غريباً**) أي يكون غريب الشأن بينهم أي يكون بجهة مع الله تعالى، وهذا يقرب من قولهم أن يكون كائناً بائناً. (**وقال الواسطي مرة**) وقد سئل عنه فقال: (**هو ارضاء الخلق في السراء والضراء**) أي يكون على حالة واحدة في مخالطة الخلق ويعطي لكل وقت حكمه، (**وقال أبو عثمان**) المغربي

أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه. وقال مرة: أن لا يتهم الحق في الرزق ويثق به ويسكن إلى الوفاء بما ضمن فيطيعه ولا يعصيه في جميع الأمور فيما بينه وبينه وفيما بينه وبين الناس. وقال علي رضي الله عنه: حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسعة على العيال. وقال الحسين بن منصور: هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق. وقال أبو سعيد الخراز: هو أن لا يكون لك هم غير الله تعالى. فهذا وأمثاله كثير وهو تعرض لثمرات حسن الخلق

رحمه الله تعالى: (**هو الرضا عن الله عز وجل**) في كل ما أقامه فيه وعليه وبه، فلا يعترض عليه في شيء من أحواله. (**وسئل**) أبو محمد (**سهل**) التستري رحمه الله تعالى (**عن الخلق**) ما هو؟ (**فقال: أدناه الاحتمال**) لمخالطه، (**وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة**) على العامة. (**وقال مرة: هو أن لا تتهم مولاك في الرزق**) فإنه قد ضمنه لك (**وتثق به**) وتعتمد عليه (**وتسكن**) بباطنك (**إلى الوفاء بما ضمن**) لك، (**وتطيع مولاك ولا تعصيه في جميع الأمور فيما بينك وبينه وفيما بينك وبين الخلق**) أي فإن تم لك هذا المقام تم لك الخلق الحسن المشار إليه بالمدح.

(**وقال علي كرم الله وجهه: حسن الخلق في ثلاث**) خصال: (**اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسيع على العيال**) أي بأن لا يقتر عليهم بل يوسع عليهم بماله إن كان وإلاّ فببسط الوجه.

(**وقال الحسين بن منصور**) الحلاج أبو المغيث رحمه الله تعالى: (**هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق**) ولفظ العوارف قال الحسين في قوله تعالى ﴿وإنك لعلى خُلُق عظيم﴾ لأنه لم يؤثر فيه جفاء الخلق مع مطالعه الحق. (**وقال**) أبو سعيد (**الخراز**) رحمه الله تعالى: هو (**أن لا تكون لك همة غير الله**) وبه أجاب الجنيد حين سئل عن قوله تعالى ﴿إنك لعلى خلق عظيم﴾ قال: لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى. وقال الواسطي: لأنه جاد بالكونين عوضاً عن الحق وقيل لأنه عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه، (**فهذا وأمثاله كثير**) مشحون به كتب القوم، كقول الجنيد: حسن الخلق أربعة أشياء: السخاء، والأنفة، والنصيحة، والشفقة وقال أبو سعيد القرشي: الخلق العظيم: الجود والكرم والصفح والعفو والإحسان، وقيل: هو لباس التقوى، والتخلق بأخلاق الله تعالى إذ لم يبق عنده للأعراض خطر. وقال ابن المبارك: حسن الخلق هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى. وكل قد تكلم إما بما أفاض الله عليه في وقته وألقى في روعه أو أخبر بما هو متحقق في ذلك أو نظر إلى سائله فأجاب بما يطابق حاله حين سؤاله. (**وهو**) إذا تأملت (**تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه**) وحقيقته، (**ثم ليس محيطاً بجميع الثمرات أيضاً**) والعذر لهم في ذلك أن الأخلاق لها ثمرات كثيرة ومكارمها غير محصورة وإحاطتها في جملة واحدة متعسرة ولها مراتب عليا وسفلى، وبينهما أوساط. وكل قد أشار إلى

لا لنفسه، ثم ليس هو محيطاً بجميع الثمرات أيضاً. وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الأقاويل المختلفة.

فنقول: الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معاً يقال: فلان حسن الخلق والخُلق ـ أي حسن الباطن والظاهر ـ فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق الصورة الباطنة، وذلك لإن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة، فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عظم الله أمره باضافته إليه إذ قال تعالى: ﴿إني خالقٌ بشراً من طين* فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [ص: ٧١، ٧٢] فنبه على أن الجسد منسوب إلى الطين والروح إلى رب العالمين. والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد، فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر

مرتبة من مراتبها بحسب الاقتضاء كما في خبر عائشة عند البيهقي مكارم الأخلاق عشرة ثم ذكرها فكأنه أشار إلى أعاليها ولم يرد بذلك الإحاطة لها، (**وكشف الغطاء عن الحقيقة أولى من نقل الأقاويل المختلفة**).

(**فنقول: الخلق**) بفتح فسكون (**والخُلُق**) بضمتين (**عبارتان مستعملتان معاً يقال: فلان حسن الخَلْق والخُلُق أي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخَلق**) بالفتح (**الصورة الظاهرة**) إذ هو في اللغة بمعنى التقدير المستقيم، (**وبالخُلُق الصورة الباطنة، وذلك لأن الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصر**) الظاهرة، (**ومن روح ونفس مدرك بالبصيرة**) الباطنة (**ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة**) وقد يكون القبح في الصورة الظاهرة والجمال في الصورة الباطنة وبالعكس، فما أقبح بالمرء أن يكون حسن جسمه باعتبار قبح نفسه، كما قال حكيم لجاهل: صبيح الوجه اما البيت فحسن واما ساكنه فرديء، ودخل حكيم على رجل فرأى داراً مشيدة وفرشاً مبسوطة، ورأى صاحبها خلواً من الفضيلة فبصق في وجهه فقال له: ما هذا السفه أيها الحكيم؟ فقال: بل هذه حكمة إنالبصاق ليرمي إلى أخس مكان في الدار ولم أر في دارك أخس منك، فنبه بذلك على دناءة الجهل وإن قبحه لا يزول بادخار القيتات. (**والنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر، ولذلك عظم الله أمره بالإضافة إلى نفسه فقال ﴿إني خالق بشراً من طين* فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي**) فقعوا له ساجدين﴾ (**فنبه به على أن الجسد منسوب إلى الطين، والروح منسوب إلى الله تعالى**) لأنه أضاف إلى نفسه، (**والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد**) إذ المراد بكل منهما اللطيفة الربّانية(**فالخلق**) بضمتين (**عبارة عن هيئة**) وهي الحالة التي (**للنفس راسخة**) أي ثابتة فيها (**تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى**) استعمال (**فكر**

الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً، وإنما قلنا: إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وإنما اشترطنا ان تصدر الافعال بسهولة من غير روية لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم.

فههنا أربعة أمور:

أحدها: فعل الجميل والقبيح، **والثاني:** القدرة عليهما. **والثالث:** المعرفة بهما. **والرابع:** هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليها أحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح.

وليس الخلق عبارة عن الفعل فربّ شخص خلقه السخاء ولا يبذل إمالفقد المال أو لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث أو لرياء وليس هو عبارة عن القوّة

وروية) فعلية من الرؤية بالفكر وبالعقل، **(فإن كانت الهيئة بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً)** بسهولة **(سميت الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها أفعالاً قبيحة)** مذمومة عقلاً وشرعاً **(سميت الهيئة التي هي المصدر)** لتلك الأفعال **(خلقاً سيئاً وإنما قلنا إنها هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على المنذور)** والقلة **(لحالة عارضة)** من خارج **(لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ)** واستقرار، **(وإنما شرطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية)** وفكر **(لأن من تكلف بذل المال أو)** تكلف **(السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم)** لعدم صدروهما منه بسهولة.

(فههنا أربعة أمور: أحدها: فعل الجميل أو القبيح، والثاني: القدرة عليها، والثالث: المعرفة بها، والرابع: هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين ويتيسر عليهاأحد الأمرين إما الحسن وإما القبيح وليس الخلق عبارة عن) ذلك **(الفعل)** الصادر عن الهيئة، **(فربَّ شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال)** أي كونه غير موجود عنده، **(أو لمانع)** آخر مع وجوده عنده. **(وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل)** المال **(لباعث)** قائم في النفس نحو حياء من الناس **(أو لرياء وسمعة وليس هو)** أي الخلق **(عبارة عن القوّة)** أي القدرة على

لأن نسبة القوّة إلى الإمساك والإعطـاء بل إلى الضدين واحد، وكل انسان خلق بالفطرة قادراً على الإعطاء والإمساك، وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع، وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل. فالخلق إذاً عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة، وكما أن حسن الصورة

ذلك الفعل الصادر عن الهيئة (**لأن نسبة القوّة إلى الامساك والإعطاء بل**) نسبتها (**إلى الضدين واحدة، وكل إنسان خلق بالفطرة**) الأصلية (**قادراً على الإعطاء أو الإمساك وذلك لا يوجب خلق البخل**) بالنسبة إلى قوّة الإمساك (**ولا خلق السخاء**) بالنسبة إلى قوّة الإعطاء (**وليس هو**) أي الخلق (**عبارة عن المعرفة بذلك الفعل**) الصادر عن الهيئة، (**فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح جميعاً على وجه واحد، بل هو عبارة عن المعنى الرابع، وهو الهيئة التي بها تستعد النفس**) وتتهيأ، (**لأن يصدر منها الامساك أو البذل. فالخلق إذاً عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة**) هذا هو الأصل واختلف في اشتقاقه وأخذه، فقيل: هو من قولهم فلان خليق بكذا، وصاحب هذا القول يجعله اسماً للحالة المكتسبة التي يصير الإنسان بها خليقاً أن يفعل شيئاً دون شيء كمن هو خليق بالغضب لحدة مزاجه، ولهذا خص كل حيوان بخلق في أصل خلقته كالشجاعة للأسد، والجبن للأرنب، والمكر للثعلب، أو من الخلاقة أي الملاسة فكأنه اسم لما مرن عليه الإنسان من قولهم: العادة طبيعة ثانية ويجعل مرة اسماً للفعل الصادر عنه باسمه، وعلى ذلك أسماء أنواعها نحو العفة والعدالة والشجاعة، فإن ذلك يقال للهيئة والفعل جميعاً وربما تسمى الهيئة باسم، والفعل الصادر عنها باسم كالسخاء والجود، فإن السخاء اسم للهيئة التي عليها الإنسان، والجود اسم للفعل الصادر عنها، وإن كان قد يسمى كل واحد باسم الآخر، وانظر ماقدمنا فيه قريباً في التنبيه هذا ما يتعلق بالخلق، والفرق بينه وبين الطبع والسجية والعادة، فالطبع أصله من طبع السيف وهو اتخاذ الصورة المخصوصة في الحديد، وكذلك الطبيعة اعتباراً بطبع السيف، والضريبة اعتبار بضرب الدراهم، وقد تقدم ذكرها في الحديث كرم الضريبة والنحيتة اعتبار بالنحت، والنجيرة اعتبار بنجر الخشبة، والغريزة لما غرز عليه، وكل ذلك اسم للقوّة التي لا سبيل إلى تغيرها، والشيمة اسم للحالة التي عليها الغريزة اعتباراً بالشامة التي هي أصل الخلقة، والسجية اسم لما سجى عليه الإنسان من قولهم عين ساجية أي فاترة خلقة، وأكثر ما يستعمل ذلك فيما لا يمكن تغيره، وأما العادة فاسم لتكرير الفعل والانفعال من عاد يعود وبها يكمل الخلق، وليس للعادة فعل إلا تسهيل خروج ما هو بالقوّة في الإنسان إلى الفعل: فإما أن يجذب السجية إلى خلاف ما خلقت عليه فمحال، فالسجية اسم لفعل الخالق، والعادة فعل للمخلوق ولا يبطل فعل المخلوق فعل الخالق، لكن ربما تقوى العادة قوّة محكمة حتى تعد سجية وبهذا النظر قيل العادة طبيعة ثانية.

الظاهرة مطلقاً لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخدّ بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر، فكذلك في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق، فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوّة العلم وقوّة الغضب وقوّة الشهوة وقوّة العدل بين هذه القوى الثلاث.

أما قوّة العلم، فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الأفعال، فإذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة والحكمة رأس الأخلاق الحسنة وهي التي قال الله فيها: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وأما قوّة الغضب، فحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة، وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها أن تكون تحت إشارة الحكمة. أعني اشارة العقل والشرع.

(**وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقاً لا يتم بحسن العينين**) فقط (**دون**) حسن (**الأنف والخد، بل لا بدَّ من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر، فكذلك في الباطن أربعة أركان: لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق،فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهي**) القوى الأربعة: (**قوّة العلم، وقوّة الغضب، وقوّة الشهوة**) هذه الثلاثة أصول الأركان، (**و**) الرابعة هي (**قوّة العدل بين هذه القوى الثلاث**)، ولا يحصل للإنسان طهارة النفس إلا باصلاح تلك القوى الثلاث، (**أمّا قوّة العلم فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق، وهو التمييز بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الجميل والقبيح في الأفعال**). وإصلاح هذه القوّة بالتعلم بشروطه وآدابه المذكورة في كتاب العلم، (**وإذا انصلحت هذه القوّة حصل منها ثمرة الحكمة**) التي هي إصابة الحق بالعلم والعمل، (**والحكمة رأس الأخلاق الحسنة**) أي أعلاها (**وهي التي قال**) الله (**تعالى فيها ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾**) أشار بذلك إلى أن الحكمة جماع الخير كله. وروي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ [لقمان: ١٢] قال: يعني العقل والفهم والفطنة من غير نبوّة أخرجه ابن مردويه، وأما قوّة الغضب فحسنها في أن يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة وإصلاحها بإسلاسها حتى يحصل الحلم وهو كف النفس عن قضاء وطر الغضب، وتحصل الشجاعة وهو كف النفس عن الخوف والحرص المذمومين، (**وكذلك الشهوة حسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة. أعني إشارة الدين والعقل**) وإصلاحها بالعفة حتى تسلس للجود والمواساة المحمودة بقدر الطاقة.

وأما قوّة العدل: فهو ضبط الشهوة والغضب تحت اشارة العقل والشرع.

فالعقل مثاله مثال الناصح المشير، وقوّة العدل هي القدرة ومثالها مثال المنفذ الممضي لإشارة العقل، والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة ومثاله مثال كلب الصيد، فإنه يحتاج إلى ان يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان شهوة النفس، والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فإنه تارة يكون مروّضاً مؤدباً وتارة يكون جموحاً. فمن استوت فيه هذه الخصال واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقاً ومن اعتدل فيه بعضها دون البعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة، كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون بعض، وحسن القوّة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة، وحسن قوّة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة، فإن مالت قوّة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة تسمى تهوّراً وإن مالت إلى الضعف والنقصان

(وأما قوّة العدل فهو في ضبط قوّة الغضب والشهوة تحت إشارة العقل والشرع).

(فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوّة العدل هي القدرة ومنزلها منزلة المنفذ) للأمر **(الممضي لإشارة العقل، والغضب هو الذي تنفذ فيه الإشارة)** المذكورة **(ومثال الغضب)** في الظاهر **(مثال كلب الصيد)** أي المتخذ له، **(فإنه يحتاج إلى أن يؤدب)** ويعلم **(حتى يكون استرساله)** للصيد **(وتوقفه)** عنه **(بحسب الإشارة لا بحسب هيجان النفس ومثال الشهوة)** في الظاهرة **(مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد، فإنه تارة يكون مروّضاً مؤدباً)** يكون إقدامه وإحجامه تحت الإشارة، **(وتارة يكون جموحاً)** رافعاً رأسه حيث يريد غير مطيع لصاحبه، **(فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقاً وفيه جماع المكارم وهو الممدوح بما تقدم من الآيات والأخبار ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة)** فهو حسن مقصور **(كالذي يحسن بعض أعضاء وجهه دون بعض)** فإنه لا يقال فيه إنه حسن الوجه مطلقاً، **(وحسن القوّة الغضبية واعتدالها يعبر عنه بالشجاعة)** وهي إن اعتبرت في النفس فصرامة القلب على الأهوال وربط الجأش وإن اعتبرت بالفعل فالإقدام على موضع الفرصة **(وحسن قوّة الشهوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة)** بالكسر وهي حصول حالة للنفس يمتنع بها عن غلبة الشهوة وأصلها تناول الشيء القليل الجاري مجرى العفافة والعفة بالضم البقية من الشيء، **(فإن مالت قوّة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة سمي ذلك تهوّراً)** وهو الثبات المذموم في الأمور العملية، **(وإن مالت إلى الضعف والنقصان سمي ذلك جبناً)** وهو الإحجام عن مباشرة ما ينبغي **(وخوراً)** محركة وهو الضعيف عن مباشرة ما ينبغي. اعلم أن الشجاعة تتولد من الفزع والغضب إذا كانا متوسطين، فإن الغضب قد يكون لمن يحتدم سريعاً من أشياء صغيرة، وقد يكون مفرطاً لا يغضب من الاجتراء على حرمه وشتم أبيه، وقد يكون متوسطاً على ما يجب من وقت ما يجب بقدر ما يجب، وكذلك

تسمى جبناً وخوراً وإن مالت قوّة الشهوة إلى طرف الزيادة تسمى شرها ، وإن مالت إلى النقصان تسمى جموداً .

والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان ، والعدل إذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضد واحد ومقابل وهو الجور .

وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة خبثاً وجربزة ، ويسمى تفريطها بلهاً والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة .

الفزع يكون منه فيتولد منه الجبن الهالع ، ومفرطاً فيتولد منه الوقاحة والغمارة كمن لا يفزع من شتم آبائه وتضييع حرمه وأصدقائه ، وقد يكون متوسطاً كما يجب وقدر ما يجب ، **(وإن مالت قوّة الشهوة إلى طرف الزيادة سمي شرهاً)** بالتحريك وهو شدة الحرص إلى الشيء ، **(وإن مالت إلى النقصان سمي جموداً)** . اعلم أن العفة لا تتعلق إلا بالقوى الشهوية ، ولا تتعلق القوّة الشهوية إلا بالملاذ الحيوانية وهي المعلقة بالغارين ، وهما البطن والفرج دون الألوان الحسنة والألحان الطيبة والاشكال المنتظمة فهي إذاً ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية وهي حالة متوسطة بين إفراط وتفريط .

(والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة) بل أس الفضائل من القناعة والزهد وغنى النفس والسخاء وعدمها يعفي على جميع المحاسن ويعري عن لبوس المحامد ، ومن يتسم العفة قامت العفة له بحجة ما سواها من الفضائل وسهلت له سبيل الوصول إلى المحاسن ، **(والطرفان)** الإفراط والتفريط **(رذيلتان مذمومتان)** قد تنشأ عنهما رذائل كثيرة كما سيأتي بيانها ، **(والعدل إذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان ، بل له ضد واحد وهو الجور)** . نعم قد يتصوّر أن يكون للعدل طرفان متغايران باعتبار كماله ونقصانه ، وباعتبار ظهوره في وصفه الحقيقي ، وفي غير وصفه بأن يسمى عدلاً بالإضافة وهو جور في الحقيقة ، وذلك كقولهم : المساواة في الظلم عدل ، وهذا يتصوّر فيما إذا انتشر الجور وصار كل من يأتي من الولاة يزيد جوراً على الجور السابق فيأتي رجل فيبطل تلك الزيادة ويقيم الناس على القانون السابق ، فذلك القانون السابق ولو كان في حد نفسه جوراً إلا أنه بالإضافة لما يصدر من الناس من الزيادة هو عدل في الجملة ، ولكن ليس لطرفيه اسم خاص يتميز به عن ضده ، ومما يدلك على الاختلاف مراتب العدل أنه ليس عدل عمر ابن عبد العزيز رحمه الله كعدل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كما أنه ليس عدل السلطان نور الدين الشهيد رحمه الله كعدل عمر بن عبد العزيز ، وكل منهم عادلون في أزمنتهم .

(وأما الحكمة فيسمى إفراطها عند الاستعمال في الأغراض الفاسدة) التي لا يبيحها الشرع **(خبثاً)** بالكسر **(وجربزة)** بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الموحدة وهي الشطارة ، **(ويسمى تفريطها بلهاً)** محركة وهو ضعف العقل ، **(والوسط هو الذي يخص باسم الحكمة)** .

فإذاً أمهات الأخلاق وأصولها أربعة: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل. ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية. ونعني بالعدل حالة للنفس وقوّة بها تسوس الغضب والشهوة ويحملها على مقتضى الحكمة ويضبطها في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها. ونعني بالشجاعة كون قوّة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها، ونعني بالعفة تأدب قوّة الشهوة بتأديب العقل والشرع.

فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الاخلاق الجميلة كلها.

إذ من اعتدال قوّة العقل يحصل حسن التدبيـر وجودة الذهن وثقابة الرأي وإصابة

(فإذاً أمهات الأخلاق وأصولها أربعة: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدل. ونعني بالحكمة حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية) وهي المسماة بهيئة القوّة العقلية العلمية، **(ونعني بالعدل حالة للنفس وقوّة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملها مع مقتضى الحكمة وتضبطها في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها)** أي الحكمة لا على حسب مقتضى النفس، **(ونعني بالشجاعة كون قوّة الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها)** سواء اعتبرت في النفس أو في العقل، **(ونعني بالعفة تأدب قوّة الشهوة بتأديب العقل والشرع)**. وهذه الأربعة التي هي أمهات الاخلاق تسمى فضائل نفسية، وبعضها يلازم بعضاً، فإن العقل المعبر عنه بالحكمة إذا أشرف عقل صاحبه عن الأقدام على ما يورثه مذمة ويحمله على الإقدام على المخاوف التي تورثه محمدة، وعلى أن يسمح بفضلات ما في يده لمن يحتاج إليه، وأن يبذل لكل ذي حق وذلك هو العفة والشجاعة والجود والعدالة. وكذلك إذا كان عدلاً يحمله عدله على ترك ما لا يجوز لـه تناوله، وإن لا يحجم عما يلزمه الإقدام عليه، وأن لا يبخل بفضلات في يده، وإذا كان شجاعاً لا تقهره شهوته على تناول ما لا يجوز تناوله وعلى ظلم غيره، ولا يخاف الفقر فيبخل، وبهذا النظر جعل بعض الشعراء الشجاعة سماحة والسماحة شجاعة فقال:

أيقنـت أن مـــن السماح شجــاعـــة تـدمـي وإن مـن الشجـاعـة جـودا

وجعل النبي ﷺ دفع الشهوة جهاداً، فقال «جهادك هواك» وجعلت العفة جوداً فقيل: الجود جودان جود بما في يدك وجود بما في يد غيرك وهو أعظمها. وهذه الفضائل إذا حصلت حصل بها الإنسانية والحرية والكرم، وعنها يتأصل الإسلام والإيمان والتقوى والإخلاص، وقد أشار المصنف إلى ما تصدر عنه الأخلاق الجميلة من اعتدال هذه الاصول الأربعة فقال:

(إذ من اعتدال قوّة العقل يصدر حسن التدبير) وهو النظر لعواقب الأمور واشتقاقه يقتضي ذلك لأنه تأمل دبر الأمر، وعليه حث حيث قال الشاعر:

ومـن تـــرك العـــواقـــب مهملات فـــاكثر سعيـــه أبـــداً تبـــار

الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس، ومن افراطها تصدر الجربزة والمكر والخداع والدهاء، ومن تفريطها يصدر البله والغمارة والحمق والجنون ـ وأعني بالغمارة قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل فقد يكون الإنسان غمراً في شيء دون شيء، والفرق بين الحمق والجنون أن الأحمق مقصوده صحيح، ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له رؤية صحيحة في سلوك الطريق الموصل إلى الغرض، وأما المجنون فإنه يختار ما لا ينبغي أن يختار فيكون أصل اختياره وايثاره فاسداً.

أما خلق الشجاعة فيصدر منه الكرم والنجدة والشهامة وكسر النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتودد وأمثالها. وهي أخلاق محمودة. وأما افراطها وهو

(**وثقابة الرأي**) أي نفوذه في إصابة الصواب، (**وإصابة الظن**) في الأمور بضرب من الإمارة، (**والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس**)، ويصدر عنه أيضاً: جودة الفهم، وجودة الخاطر، وجودة الخيال، والذكاء والفراسة وجودة الحفظ والبلاغة والفصاحة، وكلها من توابع قلة العقل، والضابط في ذلك أن العقل متى تقوى تولد من حسن نظره جودة الفكر، وجودة الذكر. ومن حسن فعله الفطنة وجزالة الرأي وتولد من اجتماع أربعتها جودة الفهم وجودة الحفظ. (**ومن افراطها تصدر الجربزة**) والخبء (**والمكر والخداع والدهاء**) والنكر وغير ذلك، (**ومن تفريطها يصدر البله والغفلة والغمارة والحمق والجنون، وأعني بالغمارة قلة التجربة في الأمور مع سلامة التخيل**) والمتصف به يقال له الغمر بالضم، وهو الذي لم يدرك شيئاً ولم يجرب. قال قطرب في مثلثه:

إن دموعي غمر — وليس عندي غمر
أي هذا الغمر — اقصر عن التعتب

قال شارحه:

بالفتح ماء كثرا — بالكسر حقد سترا
بالضم شخص ما درى — شيئاً ولم يجرب

(**وقد يكون الإنسان غمراً في شيء دون شيء، والفرق بين الحمق والجنون أن الأحمق**) وهو الذي فقد جوهر عقله (**مقصوده صحيح، ولكن سلوكه للطريق فاسد**) لفساد عقله، (**فلا تكون له رؤية صحيحة في طريق الوصول إلى الغرض، وأما المجنون فإنه يختار ما لا ينبغي أن يختار فيكون أصل ايثاره واختياره فاسداً**) لاستتار عقله.

(**وأما خلق الشجاعة فيصدر عنه الكرم**) والسماحة (**والنجدة**) وهو عدم الجزع من المخاوف (**والشهامة**) وهو الحرص على ما يوجب الذكر الجميل من العظائم، (**وكبر النفس**) أي كبر همتها والكبير الهمة هو الذي لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه، (**والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتؤدة وأمثالها وهي محمودة**) والضابط فيه أن الشجاعة متى

التهوّر فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب. وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة وصغر النفس والانقباض عن تناول الحق الواجب.

وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع واللطافة والمساعدة والظرف وقلة الطمع. وأما ميلها إلى الافراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشره والوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك.

تقوّت تولد منها الجود في حال النعمة والصبر في حال المحنة والصبر يزيل الجزع ويورث الشهامة المختصة بالرجولية، كما قال الشاعر:

خلقنا رجالاً للتصبر والأسى ... وتلك الغواني للبكا والمآتمِ

(**وأما افراطها هو التهور فيصدر منه الصلف**) محركة (**والبزخ**) بالتحريك أيضاً كلاهما بمعنى التكبر (**والاستشاطة**) وهي السرعة إلى الغضب (**والتكبر والعجب**) بالضم رؤية النفس بالفضيلة وكلّها أخلاق مذمومة. (**وأما تفريطها فتصدر منه المهانة والذلة والجزع**) محركة هو حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه (**والخساسة وصغر النفس**) أي ذلها أي صغرهمتها، (**والانقباض عن تناول الحق الواجب**) وهو الحياء المذموم وهذه كذلك أخلاق مذمومة.

(**وأما خلق العفة**) المتعلقة بضبط القلب عن التطلع للشهوات البدنية، (**فيصدر عنه السخاء والحياء والصبر والمسامحة والقناعة والورع والطلاقة والمساعدة والظرف وقلة الطمع**) وغنى النفس. وهذه محاسن الفضائل وكلها محمودة والعفة هي المسهلة إليها، والضابط فيه أن العفة إذا تقوت تولد منها لقناعة والقناعة تمنع من الطمع في مال الغير فتولد الأمانة، (**وأما ميلها إلى الإفراط أو التفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحة**) وهي قلة الحياء وصلابة الوجه (**والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والملق والحسد والشماتة والتذلل للأغنياء**) لأجل غناهم (**واستحقار الفقراء**) لأجل فقرهم، (**وغير ذلك**) والضابط الكلي في ذلك أن تمام العفة يتعلق بحفظ الجوارح، فمن عدم عفة القلب يكون منه التمني والظن اللذان هما رأس كل رذيلة لأن من تمنى ما في يد غيره حسده وأدى حسده إلى المعاداة، وإذا عاداه نازعه بما قبله، ومن أساء الظن عادى وبغى، ولذلك نهى الله تعالى عنهما جميعاً فقال: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ [النساء: ٣٢] وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن أن بعض الظن إثم﴾ [الحجرات: ١٢] فأمر فيهما بقطع شجرتين يتفرع عنهما جل الرذائل والمآثم، ولا يكون الإنسان تام العفة حتى يكون عفيف اليد واللسان والسمع والبصر، فمن عدمها في اللسان يصدر السخرية والتجسس والغيبة والهمز والنميمة والتنابز بالألقاب، ومن عدمها

فامهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة: وهي الحكمة، والشجاعة، والعفة والعدل، والباقي فروعها.

ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله ﷺ والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه، فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله ﷺ، وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به في جميع الأفعال. ومن انفك عن هذه الأخلاق كلها واتصف باضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فإنه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد، فينبغي أن يبعد كما أن الأوّل قريب من الملك المقرب فينبغي أن يقتدي به ويتقرب إليه، فإن رسول الله ﷺ لم يبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق، كما قال.

في السمع يصدر الأصغاء إلى المسموعات القبيحة وهما وعفة الجوارح كلها أن لا يطلقها صاحبها في شيء مما يختص كل واحد منها إلا فيما سوغ فيه العقل والشرع دون الشهوة والهوى ولم يذكر العدالة، وهي من الأمهات، وقد تقدم أنه ليست ثمرة زيادة ونقصان، ولكنها إذا تقوت تولد الرحمة والرحمة من الاشفاق ومن أن يفوت ذا حق حقه فهي تولد الحلم والحلم يقتضي العفو.

(**فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة**) النفسية (**وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل، والباقي**) مما يذكر منها (**فروعها**) التي تتفرع عنها، وتتفرع أيضاً من الفروع فروع أخرى، وكلها داخلة تحت المحمدة، (**ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا**) سيدنا (**رسول الله ﷺ**) فقد كان ﷺ أحكم الناس وأعقلهم وأشجعهم وأعفهم وأعدلهم، كما ثبت ذلك كله في الأخبار الصحيحة الماضية في كتاب أخلاق النبوة، (**والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه، فكل من قرب في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله ﷺ**) لأن القريب من القريب قريب، (**وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به في جميع الأفعال**) والأقوال والأحوال، (**ومن انفك عن جلة هذه الأخلاق كلها، واتصف باضدادها استحق أن يخرج من بين العباد والبلاد، فإنه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد**) عن الحضرة الإلهية، (**فينبغي أن يبعد**) من وصفه هذا (**كما أن الأول قرب من الملك المقرب**) والقرب من الملك هو الاتصاف أوصافه الخاصة به، (**فينبغي أن يقتدي به ويتقرب إليه ولم يبعث رسول الله ﷺ إلا ليتمم محاسن الأخلاق كما قال ﷺ**) فيما رواه مالك في الموطأ بلاغاً «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وقد روي موصولاً من حديث أبي هريرة بلفظ: «صالح الأخلاق» رواه البخاري في الأدب والحاكم والبيهقي. وعند الطبراني في

وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ [الحجرات: ١٥] فالإيمان بالله وبرسوله من غير ارتياب هي قوّة اليقين وهي ثمرة العقل ومنتهى الحكمة، والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة، والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوّة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال. فقد وصف الله تعالى الصحابة فقال: ﴿أشدّاء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] إشارة إلى أن للشدة موضعاً وللرحمة موضعاً فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال، فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه.

بيان قبول الاخلاق للتغيير بطريق الرياضة:

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق فلم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث

الأوسط من حديث جابر: «إن الله بعثني بتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأعمال» وقد تقدم الكلام عليه في آداب الصحبة.

(**وقد أشار القرآن إلى هذه الأخلاق في**) جملة (**أوصاف المؤمنين فقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ فالإيمان بالله ورسوله من غير ارتياب**) ولا تلعثم (**هو قوة اليقين، وهو ثمرة العقل، ومنتهى الحكمة، والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة، والمجاهدة بالنفس هي الشجاعة التي ترجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال**)، فقد جمعت هذه الآية أمهات الأخلاق الأربعة. (**وقد وصف الله**) عز وجل (**الصحابة**) رضوان الله عليهم (**فقال:**) ﴿والذين معه (**أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ إشارة إلى أن للشدة موضعاً وللرحمة موضعاً وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال**) بل في استعمال كل وصف بما يليق به من الحال، (**فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه وبيان أركانه وثمراته وفروعه**) المتشعبة منه والله الموفق.

بيان قبول الأخلاق للتغيير بطريق الرياضة:

(**اعلم أن من غلبت البطالة عليه**) ربما (**استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس**) وتطهيرها. (**وتهذيب الأخلاق ولم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه**)

دخلته، فزعم أن الاخلاق لا يتصوّر تغييرها فإن الطباع لا تتغير، واستدل فيه بأمرين:

أحدهما: أن الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو صورة الظاهر، فالخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فالقصير لا يقدر أن يجعل نفسه طويلاً ولا الطويل يقدر أن يجعل نفسه قصيراً ولا القبيح يقدر على تحسين صورته، فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى.

والثاني: أنهم قالوا: حسن الخلق بقمع الشهوة والغضب. وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج، والطبع فإنه قط لا ينقطع عن الآدمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة، فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده.

فنقول: لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصاياوالمواعظ والتأديبات ولما

وخبث دخلته) بكسر الدال أي باطن أمره، **(فزعم فيما قرره أن الأخلاق لا يتصور تغيرها)** عما جبل عليها إن خيراً وإن شراً **(وإن الطباع)** غرائز **(لا تتغير واستدل فيه بأمرين)**:

(أحدهما: أن الخلق) بالضم **(هو صورة الباطن كما أن الخلق)** بالفتح هو **(صورة الظاهر، والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها)** عما هي عليه، **(فالطويل لا يمكنه أن يجعل نفسه قصيراً ولا القصير يقدر على أن يجعل نفسه طويلاً، ولا القبيح)** الصورة **(يقدر على تحسين صورته وكذلك القبيح الباطن يجري هذا المجرى)** وربما تعلقوا بقوله ﷺ: « من آتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً فليشكر الله تعالى » نقله الراغب في الذريعة والذي عند البيهقي وابن عساكر من حديث ابن عباس: « من آتاه الله وجهاً حسناً واسماً حسناً وجعله في موضع غير شأن له فهو من صفوة الله من خلقه ». وبما رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود: « فرغ إلى ابن آدم من أربع الخلق والخلق والرزق والأجل » ورواه أيضاً ابن عساكر من حديث أنس بلفظ: « فرغ الله من أربع » قالوا ومحال أن يقدر المخلوق على تغيير فعل الخالق، وربما تعلقوا بقول الشاعر:

وما هذه الأخلاق إلا غرائز فمنهن محمود ومنها مذمم
ولن يستطيع الدهر تغيير خلقه بنصح ولا يستطيعه متكرم

(والثاني: أنهم قالوا: حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة، وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا أن ذلك من مقتضى المزاج والطبع وأنه قد لا ينقلع الآدمي) بحال، **(فاشتغاله به تضييع زمان بغير فائدة فإن المطلوب هو قطع التفات القلب إلى الحظوظ العاجلة)** واللذات الحاضرة، **(وذلك محال وجوده)**.

(فنقول) لهذا الزاعم **(لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير)** كما تقول **(لبطل)** فائدة **(الوصايا والمواعظ والتأديبات)** والوعد والوعيد والأمر والنهي، ولما جوّز العقل أن يقال للعبد

قال رسول الله ﷺ: « حسنوا أخلاقكم ». وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن إذ ينقل البازي من الاستيحاش إلى الانس، والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتخلية، والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد، وكل ذلك تغيير للأخلاق.

والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول: الموجودات منقسمة إلى ما لا مدخل للآدمي واختياره في أصله وتفصيله كالسماء والكواكب، بل أعضاء البدن داخلاً وخارجاً وسائر أجزاء الحيوانات. وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله وإلى ما وجد وجوداً ناقصاً وجعل فيه قوّة لقبول الكمال بعد أن وجد شرطه. وشرطه قد يرتبط باختيار العبد، فإن النواة ليست بتفاح ولا نخل إلا أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير نخلة إذا انضاف التربية إليها ولا تصير تفاحاً أصلاً ولا بالتربية. فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض الأحوال دون بعض، فكذلك

لم فعلت ولم تركت، (و) لو لم يكن كذلك (لما قال ﷺ: «حسنوا أخلاقكم») فلو لم يمكن لما أمر بتحسين الأخلاق. قال العراقي: رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث معاذ «يا معاذ حسن خلقك للناس» منقطع ورجاله ثقات اهـ.

قلت وروى أحمد من حديثه: «يا معاذ اتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» وقد تقدم قريباً (**وكيف ينكر هذا في حق الآدمي**) أم كيف يمتنع، (**وتغيير خلق البهيمة ممكن**) مشاهد (**إذ ينقل الصيد**) كالأسد والفهد والنمر والذئب (**من التوحش إلى الأنس**) بالعادة (**والكلب من الأكل إلى التأدب والإمساك**) بالتعليم، (**والفرس من الجماح إلى السلاسة**) بالترويض، (**وكل ذلك تغيير للأخلاق**) بلا شك.

(**والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول: الموجودات منقسمة إلى ما لا مدخل للآدمي واختياره في أصله وتفصيله كالسماء والأرض والكواكب، بل أعضاء البدن داخلاً خارجاً وسائر أجزاء الحيوانات. وبالجملة: كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله، وإلى ما وجد وجوداً ناقصاً وجعل فيه قوة قبول الكمال بعده إن وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد**) وحاصل هذه العبارة إن الله تعالى خلق الأشياء على ضربين: أحدهما: بالفعل ولم يجعل للعبد فيه عملاً كالسماء والأرض، والثاني: خلقه خلقة ما وجعل فيه قوة ورشح الإنسان لإكماله وتغيير حاله وإن لم يرشحه لتغيير ذاته كالنواة التي فيها قوة النخل. (**فإن النواة ليس بتفاح ولا نخل أنها خلقت خلقة يمكن أن تصير**) بعون الله تعالى (**نخلاً إن انضاف إليها التربية**) ويمكن أن يفسدها إفساداً (**ولا تصير تفاحاً أصلاً ولا بالتربية**) لأنه ليس فيها قوة التفاح، (**فإذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتى تقبل بعض**

الغضب والشهوة لو أردنا قمعها وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلا ولو أردنا سلاستها وقودها بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه. وقد أمرنا بذلك وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا إلى الله تعالى. نعم الجبلات مختلفة بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان:

أحدهما: قوّة الغريزة في أصل الجبلة وامتداد مدة الوجود، **فإن** قوة الشهوة والغضب والتكبر موجودة في الإنسان، ولكن أصعبها أمراً وأعصاها على التغيير قوّة الشهوة، فإنها أقدم وجوداً إذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة، ثم بعد سبع سنين ربما يخلق الغضب، وبعد ذلك يخلق له قوّة التمييز.

والسبب الثاني: أن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له، وباعتقاد كونه حسناً ومرضياً. والناس فيه على أربع مراتب.

الأحوال دون بعض، فكذلك) خلق الإنسان يجري هذا المجرى في أنه لا سبيل للإنسان إلى تغيير القوة التي هي السجية وجعل له سبيلاً إلى إسلاسها. ألا ترى **(الغضب والشهوة لو أردنا قمعها وقهرهما بالكلية حتى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلاً، ولو أردنا إسلاسها وقودها بالرياضة والمجاهدة قدرنا عليه، وقد أمرنا بذلك)** ووعدنا بالأجر عليه، **(وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا إلى الله تعالى)** ولهذا قال تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها﴾ [الشمس: ٩، ١٠] **(نعم الجبلات مختلفة فبعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول)** وبعضها في الوسط وكل لا ينفك من أثر قبول، وإن قل، قال الراغب: وأرى أن من منع من تغيير الخلق، فإنه اعتبر القوة نفسها وهذا صحيح، فإن النوى محال أن ينبت منه الإنسان تفاحاً. ومن أجاز تغييره فإنه اعتبر إخراج ما في القوة إلى الوجود وإفساده بإهماله نحو النوى، فإنه يمكن أن يتفقد فيجعل نخلاً وإن يترك مهملاً حتى يعفن وهذا صحيح أيضاً، فاختلافهما بسبب اختلاف نظرهما والله أعلم.

ثم ذكر المصنف أسباب اختلاف الجبلات فقال: **(ولاختلافها سببان)**.

(أحدهما: قوة الغريزة في أصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فإن قوة الشهوة والغضب والتفكر موجودة في الإنسان ولكن أصعبها أمراً وأعصاها على التغيير قوة الشهوة فإنها أقدم القوى) الشهوية **(وجوداً)** في الإنسان وأشدها به تشبثاً وأكثرها منه تمكناً، **(إذ الصبي في مبدأ الفطرة تخلق له الشهوة)** وتولد معه بل، وفي الحيوان الذي هو جنسه بل في النبات الذي هو جنس جنسه، **(ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب)** أي قوته **(وبعد ذلك)** آخراً **(تخلق له قوة)** الفكر والنطق و**(التمييز)**.

(والسبب الثاني: أن الخلق قد يتأكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له) والانقياد إليه **(وباعتقاد كونه حسناً ومرضياً، والناس فيه على أربع مراتب)**.

الأولى: وهو الانسان المغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح، بل بقي كما فطر عليه خالياً عن جميع الاعتقادات، ولم تستتم شهوته أيضاً باتباع اللذات. فهذا سريع القبول للعلاج جداً فلا يحتاج إلا إلى معلم ومرشد وإلى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان.

والثانية: أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعوّد العمل الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقياداً لشهواته، وإعراضاً عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه، ولكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ قد تضاعفت الوظيفة عليه إذ عليه قدر ما رسخ في نفسه أوّلاً من كثرة الاعتياد للفساد، والآخر أن يغرس في نفسه صفة الاعتياد للصلاح ولكنه بالجملة محل قابل للروضة إن انتهض لها بجد وتشمير وحزم.

والثالثة: أن يعتقد في الاخلاق القبيحة انها الواجبة المستحسنة وانها حق وجميل

(المرتبة الأول: وهو الإنسان الغُفْل) بضم الغين وسكون الفاء **(الذي لا يميز بين الحق والباطل)** من الاعتقاد **(والجميل والقبيح)** من الأفعال، **(بل بقي كما فطر عليه)** أي جبل عليه **(خالياً عن جميع الاعتقادات)** الصحيحة والفاسدة كالأعراب وأهل السواد، **(ولم تتشمر أيضاً شهوته باتباع اللذات، فهذا)** الذي وصفه ذكر **(سريع القبول للعلاج جداً فلا يحتاج)** في مزاولته **(إلا إلى تعليم مرشد)** كامل يهديه إلى طريق الخير فيهتدي سريعاً. ومن هنا قال القطب الشعراوي: لقد أرشدت كذا وكذا من أهل السواد إلى الله تعالى، فوصلوا واجتهدت في إرشاد من يتهم بطلب العلم، فلم ينجع إلا في اثنين أو ثلاثة وما ذاك إلا أن لوح قلوب أولئك لم ينتقش فيه شيء من الاعتقادات فقبلوه سريعاً. وهؤلاء قد نقش في لوح قلوبهم بعض الاعتقادات فلم يسرعوا للقبول، **(وإلى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة فيحسن خلقه في أقرب زمان)**.

(المرتبة الثانية: أن يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل الصالح فزين له سوء عمله فتعاطاه) وتناوله **(انقياداً لشهوته وإعراضاً عن صواب رأيه لاستيلاء الشهوة عليه)** فاعمت بصيرته، **(لكن علم تقصيره في عمله فأمره أصعب من الأول إذ تضاعفت الوظيفة عليه إذ عليه)** أولاً **(قلع ما رسخ في نفسه من التعود للفساد)** وذلك يستدعي مجاهدة لصعوبة القلع، **(والآخر أن يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح)** وهذا بأدنى مزاولة، **(ولكنه في الجملة محل قابل للرياضة أن انتهض لها بجد وحزم وتشمر)** وساعدته مع ذلك العناية الإلهية.

(المرتبة الثالثة: أن يعتقد في الأخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة وأنها حق وجميل

وتربى عليها. فهذا تكاد تمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه إلا على الندور، وذلك لتضاعف أسباب الضلال.

والرابعة: أن يكون مع النشوء على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلال النفوس ويباهي به ويظن أن ذلك يرفع قدره وهذا هو أصعب المراتب. وفي مثله قيل: ومن العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب. والأول من هؤلاء جاهل فقط، والثاني جاهل وضال، والثالث: جاهل وضال وفاسق، والرابع: جاهل وضال وفاسق وشرير. وأما الخيال الآخر الذي استدلوا به وهو قولهم: إن الآدمي

وتربى على ذلك) ولم يدخل عليها ما يخالفه إلى أن كبر عليه ورسخ اعتقاده ذلك في نفسه رسوخاً تاماً (**فهذا تكاد تمتنع معالجته**) ويعسر برؤه (**ولا يرجى صلاحه إلا على الندور**) والقلة، (**وذلك لتضاعف أسباب الضلال**)، وهؤلاء كأهل البدع والضلالات من المعتزلة والروافض، فإنهم استحسنوا ما تلقفوه من آبائهم وشيوخهم تقرير الاعتقادات الفاسدة فرسخت في قلوبهم من حين نشئهم إلى أن كبروا عليها فلو تليت عليهم أساطير الأولين ببراهين واضحة لم تكد طباعهم تميل إلى سماعها، وقد استحوذ الشيطان عليهم وحسن لهم ما اعتقدوه فلم ينجع فيهم طريق الإرشاد وأبطأت غرائزهم عن القبول.

(**المرتبة الرابعة: أن يكون مع وقوع نشئه على الرأي الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويتباهى به**) بين أقرانه (**ويظن أن ذلك يرفع من قدره**) ويعلي من شأنه، (**وهذا هو أصعب المراتب**) الأربعة (**وفي مثله قيل: من التعذيب تهذيب الذيب**) إذ هو مجبول على الشر والفساد، فتهذيب أخلاقه بالأصلاح تعذيب نفس وتضييع وقت بلا فائدة وقالوا في ذلك:

إذا كان الطباع طباع سوء فليس بنافع فيه الأديب

(**والأول من هؤلاء جاهل فقط، والثاني جاهل وضال فقط**) وهما يرشدان سواء كان المرشد شيخاً أو باعثاً من نفسه، (**والثالث: جاهل وضال وفاسق، والرابع: جاهل وضال وفاسق وشرير**) وهما لا يقبلان الإرشاد، واعلم أن كمال الإنسان في الفضيلة بأربع درجات: اثنتين في الاعتقاد وهما أن يعتقد من براهين واضحة وأدلة قاطعة لا عن شبهات واهية واقناعات متداعية، واثنتين في الفعل وهما أن يترك العادات السيئة فيجعلها بحيث يبغضها فبتجنب الرذيلة يتوصل إلى الفضيلة وأن يتعود العادات الحسنة فيجعلها بحيث يؤثرها ويتنعم بها، وكما أنه يكمل بأربع درجات فإنه ينتكس باربع درجات: درجتين في الاعتقاد وهما أن لا يعتقد من العلوم الحقية فيبقى منها غفلاً وأن يعتقد عن تقليد اعتقاداً فاسداً فيتلطخ به، ودرجتين في العمل وهما أن لا يتعود العادة الجملية رأساً وأن يتعود العادة القبيحة.

ما دام حياً فلا تنقطع عنه الشهوة والغضب وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق، فهذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها. وهيهات! فإن الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة، فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل، ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك، ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يحمله ذلك على إمساك المال. وليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط،

(**وأما الخيال الآخر وهو أن الآدمي ما دام حياً فلا ينقلع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وسائر هذه الأخلاق، فهذا غلط**) منشؤه التخيل الفاسد، وقد (**وقع**) ذلك (**لطائفة**) من المتسمين بالعلم (**ظنوا أن المقصود من المجاهدة**) النفسية (**قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها**)، وإن الإنسان لا يصير خارجاً عن جملة البهائم وأسر الهوى إلا باماتتها وإلا ضرته وغرته وصرفته من طريق الخير وهذا لا بأس به، (**و**) لكن (**هيهات! فإن الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة**) ولحكمة اقتضت أن يبلى بها الإنسان، (**ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان**) بيان ذلك الشهوة لو تصورت مرتفعة لم يمكن الوصول إلى الآخرة، وذلك ان الوصول إلى الآخرة بالعبادة ولا سبيل إلى العبادة إلا بالحياة الدنيوية ولا سبيل إلى الحياة الدنيوية إلا بحفظ البدن ولا سبيل إلى حفظه إلا بإعادة ما يتحلل منه، ولا يمكن إعادة ذلك إلا بتناول الأغذية ولا يمكن تناول الأغذية إلا بالشهوة فإذا الشهوة محتاج اليها مرغوب فيها وتقتضي الحكمة الإلهية بايجادها وتزيينها كما قال تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين﴾ الآية [آل عمران: ١٤] ثم تناول الأغذية بالشهوة تصدر شهوة الوقاع، (**ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل**) ولا يمكن الوقاع بلا شهوة، فإذاً الشهوة مرغوب فيها لأجل ذلك أيضاً. (**ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه**) ويستبيح حريمه، لكن مثلها كمثل عدوّ تخشى مضرته من وجه وترجى منفعته من وجه، ومع عداوته لا يستغني عن الاستعانة به، فحق العاقل أن يأخذ نفعه، ولا يسكن إليه ولا يعتمد عليه بقدر ما ينتفع به، وما أصدق في ذلك قول المتنبي إذا تصور في وصف الشهوة وإن قصدها فما أجود ما أرادها:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى … عدواً له ما من صداقته بدّ

وأيضاً فهذه الشهوة هي المشوقة لجميع الناس من لذات الجنة، إذ ليس كل الناس يعرف اللذات المعقولة، ولو توهمناها مرتفعة لما تشوقوا إلى ما وعدوا به من قول النبي ﷺ: « فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ». (**ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يحمل ذلك على إمساك المال، وليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها إلى**) مرتبة (**الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط**

والمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بأن يخلو عن التهوّر وعن الجبن جميعاً. وبالجملة أن يكون في نفسه قوياً ومع قوّته منقاداً للعقل، ولذلك قال الله تعالى: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد. وكيف يقصد قلع الشهوة والغضب بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عن ذلك. إذ قال ﷺ: « إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر » وكان إذا تكلم بين يديه بما يكرهه يغضب حتى تحمر وجنتاه، ولكن لا يقول إلا حقاً فكان عليه السلام لا يخرجه غضبه عن الحق. وقال تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ [آل عمران: ١٣٤] ولم يقل والفاقدين الغيظ. فردّ الغضب والشهوة إلى حد الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منها العقل ولا يغلبه بل يكون العقل هو الضابط لها، والغالب عليها ممكن وهو المراد بتغيير الخلق فإنه ربما تستولي الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها فيقدم على الانبساط إلى الفحش. وبالرياضة

والتفريط) وهو خير الأمور وأعدلها، **(فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية، وذلك بأن يخلو عن التهور وعن الجبن جميعاً)** وهما الطرفان الرذيلان، **(وبالجملة أن يكون في نفسه قوياً ومع قوته يكون منقاداً للعقل)** فلا يقدم على شيء يخالفه العقل، **(ولذلك قال)** الله **(تعالى)** في صفة الصحابة **(﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾)** فإنه وصفهم **(بالشدة وإنما تصدر الشدة عن الغضب، ولو بطل الغضب)** عدمت الشدة الثابتة بنص القرآن، وفي انعدامها انعدام الغضب، ولو بطل الغضب **(لامتنع جهاد الكفار)** المأمور به، **(وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والأنبياء)** عليهم السلام مع عصمتهم **(لم ينفكوا عن ذلك. قال رسول الله ﷺ: « إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر »)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أنس، وله من حديث أبي هريرة: « إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر ». **(وكان ﷺ يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب حتى تحمر وجنتاه، ولكن لا يقول إلا حقاً فكان الغضب لا يخرجه عن الحق)** قال العراقي: رواه الشيخان من حديث عبد الله بن الزبير في قصة شراج الحرة فقال: إن كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله ﷺ، ولهما من حديث أبي سعيد الخدري: وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه، ولهما من حديث عائشة: ما انتقم رسول الله لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، ولمسلم وما نيل منه شيء فينتقم من صاحبه الحديث.

(وقال تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ ولم يقل والفاقدين الغيظ) والكظم: ستر الغيظ، **(فرد الشهوة والغضب إلى الاعتدال بحيث لا يقهر واحد منها العقل ولا يغلبه، بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه ممكن)** متيسر، **(وهو المراد بتغيير الخلق، فإنه ربما تستولي الشهوة على الإنسان بحيث لا يقوى عقله على الفواحش، وبالرياضة تعود إلى**

تعود إلى حد الاعتدال، فدل أن ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها، والذي يدل على أن المطلوب هو الوسط في الاخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق محمود شرعاً وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير، وقد أثنى الله تعالى عليه فقال: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ [الفرقان: ٦٧] قال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ [الاسراء: ٢٩] وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود. قال الله تعالى: ﴿ كلوا واشربوا ولا تُسْرِفُوا إنّه لا يُحبّ المسرفين﴾ [الأعراف: ٣١] وقال في الغضب: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] وقال ﷺ « خير الأمور أوساطها ».

حد الاعتدال، فدل أن ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل عليه دلالة بينة لا شك معها، والذي يدل على أن المطلوب الوسط في الأخلاق دون الطرفين أن السخاء خلق مطلوب شرعاً، وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير، وقد أثنى الله تعالى عليه فقال ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا﴾) أي لم يجاوزوا حد الكرم **(ولم يقتروا)** أي ولم يضيقوا تضييق الشحيح، وقيل: الإسراف هو الإنفاق في المحارم والتقتير منع الواجب **(وكان بين ذلك قواماً)** أي وسطاً وعدلاً سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما **(وقال تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾)** تمثيلاً لمنع الشحيح، وإسراف المبذر نهي عنهما أمراً بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم ﴿فتقعد ملوماً محسوراً﴾ أي فتصير ملوماً عند الله وعند الناس بالإسراف وسوء التدبير، ومحسوراً أي نادماً أو منقطعاً بك لا شيء عندك، **(وكذلك المطلوب في شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والخمود. قال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ وقال في الغضب ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ وقال رسول الله ﷺ: « خير الأمور أوسطها »)** قال العراقي: رواه البيهقي في شعب الإيمان من رواية مطرف بن عبد الله معضلاً، ورواه الحافظ أبو بكر محمد بن علي بن ياسر الجياني في الأربعين العلوية من طريق أهل البيت من حديث علي ولا يصح اهـ.

قلت: ورواه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد بسند مجهول عن علي مرفوعاً وهو عند ابن جرير في التفسير من قول مطرف بن عبد الله ويزيد بن مرة الجعفي، وللديلمي بلا سند، عن ابن عباس مرفوعاً: « خير الأعمال أوسطها » في حديث أوله: « دوموا على أداء الفرائض » للعسكري من طريق معاوية بن صالح عن الأوزاعي قال: « ما من أمر أمر الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين لا يبالي أيهما أصاب الغلو أو التقصير » ولأبي يعلى بسند رجاله ثقات عن وهب بن منبه. قال: إن لكل شيء طرفين ووسطاً فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر، وإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان، فعليكم بالأوساط من الأشياء، وأنشد بعضهم:

عليك بأوساط الأمور فإنها ... نجاة ولا تركب ذلولاً ولا صعبا

وهذا له سر وتحقيق. وهو أن السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم. قال الله تعالى: ﴿إلاَّ من أتى الله بقلب سليم﴾ [الشعراء: ٨٩] والبخل من عوارض الدنيا والتبذير أيضاً من عوارض الدنيا. وشرط القلب أن يكون سليماً منهما أن لا يكون ملتفتاً إلى المال ولا يكون حريصاً على إنفاقه، ولا على إمساكه فإن الحريص على الانفاق مصروف القلب إلى الانفاق، كما أن الحريص على الامساك مصروف القلب إلى الامساك، فكان كمال القلب أن يصفو عن الوصفين جميعاً. وإذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الأشبه لعدم الوصفين. وأبعد عن الطرفين وهو الوسط، فإن الفاتر لا حار ولا بارد بل هو وسط بينهما، فكأنه خال عن الوصفين، فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهوّر والعفة بين الشره والجمود وكذلك سائر الاخلاق فكلا طرفي الأمور ذميم هذا هو المطلوب وهو ممكن. نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد أن يقبح عنده الغضب رأساً ويذم امساك المال رأساً ولا يرخص له في شيء منه، لأنه لو رخص له في أدنى شيء اتخذ ذلك عذراً في استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر المرخص

وأنشدنا شيخنا المرحوم أبو الحسن علي بن موسى الحسيني لبعضهم:

حب التناهي غلط خير الأمور الوسط

(وهذا له سر وتحقيق، وهو أن العادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم. قال تعالى: ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾) أي من الغش والكدر والنفاق أو من العوارض، **(والبخل من عوارض الدنيا والجود أيضاً من عوارض الدنيا، وشرط القلب أن يكون سلياً بينهما أي لا يكون ملتفتاً إلى المال، فلا يكون حريصاً على إمساكه ولا حريصاً على إنفاقه، فإن الحريص على الإنفاق مصروف القلب إلى الإنفاق، كما أن الحريص على الإمساك مصروف القلب إليه، وكان كمال القلب في أن يصفو عن الوصفين جميعاً)** فإن كلا الوصفين مرضاة للشياطين تنشأ عنهما الغفلة، وإذا صفا القلب كذلك صار محلاً للمعرفة وتنزل أنوار التوحيد، **(وإذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الأشبه بعدم الوصفين، وأبعد عن الطرفين وهو الوسط فإن الفاتر)** ذكروا في حده أنه **(لا حار ولا بارد، وهو وسط بينهما، فكأنه خال عن الوصفين، فكذلك السخاء بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور، والعفة بين الشره والخمود، وكذلك سائر الأخلاق فكلا طرفي قصد الأمور ذميم، فهذا هو المطلوب وهو ممكن جداً نعم يجب على الشيخ المرشد للمريد)** السالك على يديه **(أن يقبح عنده الغضب رأساً، ويذم إمساك المال رأساً، ولا يرخص في شيء من ذلك)** ولا يريه طريق الاعتدال في ذلك، **(لأنه لو رخص)** له **(في شيء منه اتخذ ذلك عذراً في استبقاء بخله وغضبه، وظن أنه القدر المرخص فيه، وإذا قصد قلع الأصل**

فيه، فإذا قصد قطع الأصل وبالغ فيه ولم يتيسر له إلا كسر سورته بحيث يعود إلى الاعتدال، فالصواب له أن يقصد قلع الأصل حتى يتيسر له القدر المقصود، فلا يكشف هذا السر للمريد فإنه موضع غرور الحمقى إذ يظن بنفسه أن غضبه بحق وإن امساكه بحق.

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة:

قد عرفت أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوّة العقل وكمال الحكمة. وإلى اعتدال قوّة الغضب والشهوة، وكونها للعقل مطيعة وللشرع أيضاً، وهذا الاعتدال يحصل على وجهين:

أحدهما: بجود إلهي وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب، بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير عالماً بغير تعليم ومؤدّباً بغير تأديب، كعيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام، وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين. ولا يبعد أن يكون في الطبع

وبالغ فيه لم يتيسر له إلا كسر سورته) وقمع قوته **(بحيث يعود إلى الاعتدال، فالصواب له أن)** لا يرخص له في شيء من ذلك رأساً، بل **(يطلب قلع الأصل حتى يتيسر له القدر المقصود، فلا يكشف هذا السر للمريد، فإنه موضع غرور الحمقى إذ يظن بنفسه أن غضبه بحق، وإن إمساكه بحق)** فيفتر بذلك فيقع في النقصان، والله الموفق.

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق:

(على الجملة قد عرفت أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوّة العقل بكمال الحكمة. وإلى اعتدال قوّة الغضب والشهوة، وكونها مطيعة للعقل والشرع، وهذا الاعتدال) في هذه القوى **(يحصل على وجهين)**. أراد المصنف بهذه الجملة بيان سبب اختلاف الناس في أخلاقهم، وأن الفضائل النفسية إما نظري أو عملي وكل منهما يحصل على وجهين:

(أحدهما: بجود إلهي) وفيض رباني **(وكمال فطري بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل والشرع فيصير بغير معلم)** من البشر **(عالماً وبغير مؤدب أديباً)** كاملاً، وذلك **(كعيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا)** عليهما السلام، **(وكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين)** الذين حصل لهم من المعارف من غير ممارسة ما لم يحصل للحكماء. ونقل الراغب عن بعض الحكماء قال: إن ذلك قد يحصل لغير الأنبياء أيضاً في الفينة بعد الفينة، **(ولا يبعد أن يكون في الطبع**

والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي خلق صادق اللهجة سخياً جريئاً، وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتياد ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق، وربما يحصل بالتعلم.

والوجه الثاني: اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة وأعني به حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب. فمن أراد مثلاً أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال، فلا يزال يطالب نفسه ويواظب عليه تكلفاً مجاهداً نفسه فيه حتى يصير ذلك طبعاً له ويتيسر عليه فيصير به جواداً، وكذلك من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقاً له وطبعاً فيتيسر عليه. وجميع الأخلاق المحمودة شرعاً تحصل بهذا الطريق، وغايته أن يصير الفعل الصادر منه لذيذاً فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال الذي

والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبي يخلق صادق اللهجة وسخياً جريئاً) أي شجاعاً **(وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالتعوّد)** والتدرب، **(ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق، وربما يحصل بالتعلم)** وبالعادة فمن صار فاضلاً طبعاً وعادة وتعلماً فهو كامل الفضيلة، ومن كان رذلاً شكثاً بثلاثتها فهو كامل الرذيلة، وما كان بالتعلم فيحتاج فيه إلى زمان وتدرب وممارسة ويتقوّى الإنسان فيه درجة فدرجة، وذلك بحسب اختلاف الطباع في الذكاء والبلادة.

(والوجه الثاني لاكتساب هذه الاخلاق المجاهدة والرياضه وأعني بها حمل النفس على الاعمال التي يقبضها الفعل المطلوب) أي حق الإنسان في كل فضيلة أن يكتسبها خلقاً ويجعل نفسه ذات هيئة مستعدة لذلك سواء أمكنه أن يبرز ذلك فعلاً أم لم يمكنه، **(فمن أراد مثلاً أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال)** وإن لم يكن ذا مال، **(فلا يزال يواظب عليه مكلفاً مجاهداً لنفسه فيه حتى يصير ذلك طبعاً ويتيسر عليه فيصير نفسه جواداً)** وقد قيل لبعض الحكماء هل من جود يعم به الورى؟ قال: نعم أن تحسن خلقك وتنوي الخير لكل واحد وسبق حديث «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم باخلاقكم». وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة والحكمة والعدل، فليكن على هيئة الشجعان والحكماء والعدول، وإن لم يعرض له مقام تظهر فيه نجدته ولا معاملة بينه وبين غيره تبرز فيه عدالته، **(وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وغلب عليه التكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها يجاهد نفسه)** وهواه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقاً وطبعاً فيتيسر عليه ويسهل، **(وجميع الأخلاق المحمودة شرعاً تحصل بهذا الطريق وغايتها)** وكمالها **(أن يصير الفعل الصادر منه لذيذاً)** ويستطيبه وإن كان ثقيلاً، **(فالسخي هو الذي يستلذ بذل المال)** على وجوهه **(دون الذي يبذله عن كراهة نفس**

يبذله دون الذي يبذله عن كراهة، والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس، ما لم تتعوّد النفس جميع العادات الحسنة وما لم تترك جميع الأفعال السيئة، وما لم تواظب عليها مواظبة من يشتاق إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها، كما قال ﷺ: « وجعلت قرة عيني في الصلاة ». ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به. نعم المواظبة عليها بالمجاهدة خير، ولكن بالإضافة إلى تركها لا بالإضافة إلى فعلها عن طوع ولذلك قال الله تعالى: ﴿وإنها لكبيرةٌ إلاَّ عَلى الخَاشِعِين﴾ [البقرة: ٤٥] وقال ﷺ: « اعبد الله في الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير »

والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن تترسخ الأخلاق الدينية في النفس) ترسخاً كاملاً **(ما لم يتعوّد جميع العادات الحسنة، وما لم يترك جميع العادات السيئة وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق معها إلى الأفعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها)**. قد تقدم أن الإنسان يكمل في الفضيلة بأربع درجات: اثنتين في الاعتقاد، واثنتين في الفعل. فاللتان في الفعل هما أن يترك العادات السيئة فيجعلها بحيث يبغضها فيتجنب الرذيلة ويتوصل إلى الفضيلة، وإن يتعوّد العادات الحسنة فيجعلها بحيث يؤثرها ويتنعم بها، **(كما قال** ﷺ **)** حبب إليَّ النساء والطيب، **(« وجعلت قرة عيني في الصلاة »)**. هكذا رواه الطبراني في الأوسط وفي الصغير من حديث أنس، وراوه الخطيب في التاريخ مقتصراً على الجملة الأخيرة وهو عند النسائي بهذا اللفظ وبلفظ « وجعل » وقد رواه كذلك أحمد وأبو يعلى وأبو عوانة والبيهقي كما تقدم ذلك مفصلاً. **(ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهة واستثقال فهو النقصان ولا ينال كمال السعادة به)**، وبيان ذلك أن كل فعل فمحتاج إلى إيجاده وتجويده وترتيبه دنيوياً كان أو أخروياً، لكن متى كان أخروياً يحتاج فيه مع ذلك إلى أمور لا يتم ولا يكمل إلا بها، وهو أنه يجب أن يتعاطاها قصداً إلى المكرمة، وأن يتحراه بخلوص الطوية وأن يقصد به جلب منفعة دنيوية أو دفع مضرة، فإنه يكون بفعله ذلك تاجراً ويجب عند بعض المحققين أن لا يطلب منفعة أخروية أيضاً فقد قيل: من عبد الله بعوض فهو لئيم، ومن فعل ذلك بانشراح صدر فهو أولى ممن يفعله بمجاهدة نفس واستكراه. **(نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير، ولكن بالإضافة إلى تركه لا بالإضافة إلى فعله عن طوع)** وإنشراح صدر، **(ولذا قال تعالى)** ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ أي بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس، وبالصلاة فإنها جامعة لأنواع العبادات النفسانية والبدنية **(وأنها)** أي الاستعانة بهما أو الصلاة وتخصيصها برد الضمير إليها تعظماً لشأنها **(لكبيرة)** أي لثقيلة شاقة **(الاّ على الخاشعين)** أي المخبتين، وإنما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم، فإن نفوسهم مرتاضة مرتضاة بأمثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لأجله مشاقها وتستلذ بسببه متاعبها. **(وقال** ﷺ

ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان. بل ينبغي أن يكون ذلك على الدوام وفي جملة العمر، وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل، ولذلك لما سئل ﷺ عن السعادة فقال «طول العمر في طاعة الله تعالى» ولذلك كره الانبياء والأولياء الموت فإن الدنيا مزرعة الآخرة. وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والاخلاق

«اعبد الله في الرضا) وفي لفظ: ان استطعت أن تعمل لله في الرضا باليقين فاعمل (فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير») عزاه العراقي إلى المعجم الكبير للطبراني، ولم يذكر صحابياً وقولهم الحق مر فهو باعتبار من لم يهذب نفسه ولم يزل مرضه كما قال المتنبي:

ومن يك ذا فم مرّ مريضٍ   يجد مراً به الماء الزلالا

(ثم لا يكفي في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة وكراهة المعصية في زمان دون زمان، بل ينبغي أن يكون كذلك على الدوام، وفي جملة العمر. وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل)، ولولا طول العمر لفلّ حظ الإنسان من السعادات الدنيوية التي لولاها لما نيلت السعادات الاخروية، **(ولذلك لما سئل رسول الله ﷺ عن السعادة)** ما هي؟ **(فقال «طول العمر في طاعة الله»)** قال العراقي: رواه القضاعي في مسند الشهاب، وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف، وللترمذي من حديث أبي بكرة وصححه: أي الناس خير؟ قال «من طال عمره وحسن عمله» اهـ.

قلت: حديث أبي بكرة رواه كذلك أحمد وابن زنجويه والطبراني والحاكم والبيهقي بزيادة «وشر الناس من طال عمره وساء عمله» وقد روي ذلك عن عبد الله بن بسر بلفظ «خير الناس من طال عمره وحسن عمله» رواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والترمذي وقال: حسن غريب، والطبراني والبيهقي والضياء وفي لفظ له «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله». ورواه كذلك الطبراني وفيه بقية وقد عنعنه، وعن جابر بلفظ «إن من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة». رواه الحاكم، ورواه أيضاً بلفظ «خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً». وعن أبي هريرة بلفظ «خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أخلاقاً» رواه أحمد والبزار وفي معناه ما رواه الديلمي بسند فيه متروك من حديث أبي هريرة «إذ أراد الله بقوم خيراً مدّ لهم في العمر وألهمهم الشكر.

(ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت، فإن الدنيا مزرعة الآخرة) أي محل حرث الآخرة وهو لا يتم إلا بطول البقاء لحصول كثرة الأعمال، فهذا من كراهتهم للموت لا ما يسبق إلى الأذهان، **(وكلما كانت العبادات أكثر بطول العمر كان الثواب أجزل)** أي أوفر، **(وكانت النفس أزكى وأطهر و)** كانت **(الأخلاق أقوى وأرسخ)** لكثرة المواظبة بتمرينها،

أقوى وأرسخ، وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب، وإنما يتأكد تأثيرها بكثرة المواظبة على العبادات. وغاية هذه الأخلاق أن ينقطع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون شيء أحب إليه من لقاء الله تعالى عز وجل، فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه وغضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى، وذلك بأن يكون موزوناً بميزان الشرع والعقل، ثم يكون بعد ذلك فرحاً مستلذا له، ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة إلى حد تصير هي قرة العين. ومصير العبادات لذيذة فإن العادة تقتضي في النفس عجائب أغرب من ذلك؛ فإنا قد نرى الملوك والمنعمين في أحزان دائمة، ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من الفرح واللذة بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير قمار، مع أن القمار ربما سلبه ماله وخرب بيته وتركه مفلساً ومع ذلك فهو يحبه ويلتذ به، وذلك لطول إلفه له وصرف نفسه إليه مدة. وكذلك اللاعب بالحمام قد يقف طول النهار في

(وإنما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وإنما يتأكد آثارها بكثرة المواظبة على العبادات) وكثرة المواظبة عليها تستدعي صحة البدن التي هي المقصود الأعظم من الحياة وصحة البدن عبارة عن اعتدال القوى الأربع التي هي الجاذبة والممسكة والهاضمة والدافعة في أجزاء البدن الأربعة، وهي العظام والعصب واللحم والجلد، فقد ظهر بذلك أن الفضائل الأخروية محتاجة إلى الفضائل النفسية، كما أن الفضائل النفسية محتاجة إلى الفضائل البدنية. **(وغاية هذه الأخلاق)** وكمالها **(أن ينقلع عن النفس حب الدنيا ويرسخ فيها حب الله)**، عز وجل، **(فلا يكون شيء أحب إليه من الله ومن لقائه فلا يستعمل جميع ماله إلا على الوجه الذي يوصله إليه و)** يكون **(غضبه وشهوته من المسخرات له فلا يستعملها إلا على الوجه الذي يوصله إلى الله تعالى وذلك بأن يكون موزوناً بميزان الشرع والعقل، ثم يكون مع ذلك فرحاً به)** ومبتهجاً **(وملتذاً)** ومستطيباً. **(ولا ينبغي أن يستبعد مصير الصلاة قرة عين)** الإنسان **(ومصير العبادات لذيذة)** له، **(فإن العادة تقتضي في النفس عجائب أعجب من ذلك فإنا نرى الملوك والمتنعمين)** من أهل الرفاهية **(في أحزان دائمة)** متوالية **(ونرى المقامر)** الذي يلعب بالقمار **(المفلس)** الذي ليس عنده مال **(قد يغلب عليه من اللذة والفرح بقماره وما هو فيه ما يستنكر معه فرح الناس بغير القمار)** ويستعجب **(مع أن القمار ربما سلب ماله وخرب داره وتركه مفلساً)** لا شيء له، **(ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به، وذلك لطول إلفه له ورده نفسه إليه مدة)** حتى صار ممتزجاً بلحمه ودمه، ولحبه له سبب آخر غير الفته له هو كونه يسوّل له الشيطان طول أمانيه بأن يكون غالباً على رفيقه فيسلب ماله ويخرب داره فهو لم يزل كذلك ولم ينل من آماله شيئاً. ولولا هذه الأمنية لما ردّ نفسه إليه بعد إفلاسه فطول الإلفة في خصوص القمار

حر الشمس قائماً على رجليه وهو لا يحس بألمها لفرحه بالطيور وحركاتها وطيرانها وتحليقها في جوّ السماء ، بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على السياط ، وعلى أن يتقدم به للصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوّته في الصبر على ذلك ، حتى يرى ذلك فخرا لنفسه ، ويقطع الواحد منهم إرباً إرباً على أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره فيصـرّ على الإنكار ولا يبالي بالعقوبات فرحاً بما يعتقده كمالاً وشجاعة ورجولية ، فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال قرة عينه وسبب افتخاره ، بل لا حالة أخس وأقبح من حال المخنث في تشبهه بالإناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء فترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين ، حتى يجري بين الحجامين والكناسين التفاخر والمباهاة كما يجري بين الملوك والعلماء . فكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك في المخالطين

سبب ناقص ، وأما كون أرباب النعم دائماً في حزن فله أسباب كثيرة. إما لكبر هممهم ، وإما لكثرة وظائفهم المتعلقة بهم ، وإما خوف زوال تلك النعم عنهم ، أو خوف نقص بأيديهم فتتشوّش لذلك أذهانهم وتتشتت أفكارهم فتراهم لا يقرّ لهم قرار ، كلما زادت عليهم النعم زادوا شغلاً وطالت أمانيه وكثرت مساعيه ودواعيه .

(**وكذلك اللاعب بالحمام**) الذي يربى في البيوت (**قد يقف طول نهاره في حر الشمس قائماً على رجليه وهو لا يحس بألمه لفرحه بالطيور وحركتها وطيرانها وتحليقها في جوّ السماء**) وغاية حظه أن يجلب به حمام غيره بأن يؤلفه إلى مأواه ويستجلب ماليس له ، (**بل ترى الفاجر العيار**) الشاطر الذي يختلس أموال الناس بلطف حيلة ومكر (**يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع والصبر على**) ضرب (**السياط وعلى تقديمه إلى الصلب والشنق ، وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر على ذلك**) فإنه (**يرى ذلك فخراً لنفسه حتى يقطع الواحد منهم آراباً**) أي أعضاء (**على أن يقر بما تعاطاه أو تعاطاه غيره بعلم منه فيصبر على الإنكار ولا يبالي بالعقوبات**) النازلة عليه (**فرحاً بما يعتقده كمالاً وشجاعة ورجولية ، فقد صارت أحواله مع ما فيها من النكال**) والعذاب (**قرة عينه وسبب افتخاره**) بين أقرانه حتى يشار إليه بالبنان ، (**بل لا حالة أخس وأقبح من حالة المخنث**) بكسر النون المشددة وقيل بفتحها (**في تشبهه بالإناث في نتف الشعر**) عن وجهه (**ووشم الوجه**) أي تزيينه بالوشم ، (**ومخالطة النساء**) والتشبه بكلامهن ، (**وترى المخنث في فرح بحاله وافتخار بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين**) والزبالين (**التفاخر والمباهاة كما تجري بين الملوك والعلماء**) وغيرهم ، (**ولكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد على الدوام مدة مديدة ومشاهدة ذلك من المخالطين والمعارف ، فإذا كانت النفس**

والمعارف. فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى القبائح، فكيف لا تستلذ الحق لو ردت إليه مدة والتزمت المواظبة عليه؟ بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل إلى أكل الطين فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة، فأما ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل إلى الطعام والشراب فإنه مقتضى طبع القلب فإنه أمر رباني، وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب من ذاته وعارض على طبعه، وإنما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله عز وجل ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض قد حلّ به كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سببان لحياتها، فكل قلب مال إلى حب شيء سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله، إلا إذا كان أحب ذلك الشيء لكونه معيناً له على حب الله تعالى وعلى دينه، فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض.

فإذاً قد عرفت بهذا قطعاً أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعاً انتهاء، وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح ـ أعني النفس والبدن ـ فإن كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على

بالعادة تستلذ الباطل) وتسطيبه وتميل إلى القبائح، **(فكيف لا تستلذ الحق)** وتستطيبه **(لوردت إليه مدة والزمت المواظبة عليه، بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة)** الفاضحة **(خارج عن الطبع يضاهي الميل إلى أكل الطين، فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة)** مع كمال ضرره للبدن، **(فأما ميلها إلى الحكمة)** وعلومها **(وحب الله ومعرفته وعبادته فهو كالميل إلى الطعام والشراب، فهو مقتضى طبع القلب فإنه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوات غريب من ذاته وعارض على طبعه)** بمقتضى العادة، **(وإنما غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى، ولكن انصرف عن مقتضى طبعه بمرض حل به)** منعه عن ذلك الغذاء، **(كما قد يحل المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب)** بسقوط شهوتها عنها **(وهما سبب حياتها)** وقوام بقائها. وفي نسخة: وهما سببان لحياته **(فكل قلب مال إلى حب شيء)** من أمور الدنيا **(سوى حب الله تعالى فلا ينفك عن مرض)** باطني **(بقدر ميله إلا إذا أحب ذلك الشيء لكونه معيناً له على حب الله وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض)** فإنه حينئذ يكون من جملة أسباب الحب في الله.

(فإذاً قد عرفت بهذا قطعاً أن هذه الأخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة) والمجاهدة **(وهي تكلف الأفعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعاً انتهاء)** أي في آخر الأمر، **(وهذا من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح أعني النفس والبدن، فإن كل صفة**

الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة، وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب، والامر فيه دور، ويعرف ذلك بمثال: وهو أن من أراد أن يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية ـ حتى يصير كاتباً بالطبع ـ فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة يحاكي الخط الحسن، فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفاً، ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه، فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفاً، فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً، ولكن الأول بتكلف إلا أن ارتفع منه أثر إلى القلب ثم انخفض من القلب إلى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن بالطبع.

وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء، وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس، وكذلك من أراد أن يصير سخياً عفيف النفس حليماً متواضعاً فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً حتى يصير ذلك طبعاً له، فلا علاج له إلا ذلك، وكما أن طالب فقه النفس لا ييأس من

تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى تتحرك لا محالة على وفقها) أي على موافقة تلك الصفة، (وكل فعل يجري على الجوارح فإنه يرتفع منه أثر إلى القلب) يتأثر به ويعرف منه ذلك (والأمر فيه دور ويعرف ذلك بمثال، وهو أن من أراد أن يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية حتى يصير كاتباً بالطبع فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة وهو حكاية الخط الحسن، فإن فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال يواظب عليه) بالإدمان والتدرب (حتى يصير ذلك صفة راسخة في نفسه) متمكنة (فيصدر منه بالآخرة الخط الحسن طبعاً كما كان يصدر في الابتداء تكلفاً) بمشقة (فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً، ولكن الأوّل متكلف إلا أنه ارتفع منه أثر إلى النفس، ثم انخفض من النفس أثر إلى الجارحة فصار يكتب الخط الحسن طبعاً) فهذا مثال الدور الذي بين عمل القلب والجوارح، (وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس) بمعرفة ماله وعليها (فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء وهو التكرار للفقه) بالدارسة والمطالعة (حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير) بذلك (فقيه النفس، فكذلك من أراد أن يصير سخياً عفيفاً حليماً متواضعاً، فيلزمه أن يتعاطى أفعال هؤلاء تكلفاً) أوّلاً (حتى يصير له ذلك بالعادة طبعاً ولا علاج له إلا ذلك)، وقد ظهر بالسياق المتقدم أنه فرق بين الطبع والتطبع والصنع والتصنع والخلق والتخلق فالتفعل معه أشتغال، ويحتاج إلى تنشيط من خارج والفعل معه استخفاف

نيل هذه الرتبة بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة، فكـذلـك طـالـب تـزكيـة النفس وتكميلها وتحليتها بالأعمال الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم. وهو معنى قولنا إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها، ثم تتداعى قليلاً قليلاً حتى تأنس النفس الكسل وتهجر التحصيل رأساً فيفوتها فضيلة الفقه. وكذلك صغائر المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة. وكما أن تكرار ليلة لا يحس تأثيره في فقه النفس بل

وارتياح، ولا يحتاج إلى تعب من خارج، فمن لم يكن معه نفس الفعل حاصلاً احتاج إلى تحصيله بمزاولة التعب من خارج حتى يحصله لنفسه ويحوزه لها ليلحق بدرجة أهل الكمال، فتعاطي أفعال من يريد أن يكون مثلهم هو التشبه بأفعالهم وأخلاقهم، وهذا قد يكون محموداً وقد يكون مذموماً فالمحمود منه ما كان على سبيل الارتياض والتدرب يتحراه صاحبه سراً وجهراً على الوجه الذي ينبغي وبالمقدار الذي ينبغي وإياه قصد الشاعر:

ولن تستطيع الخلق حتى تخلقا

بل ورد في الخبر إنما العلم بالتعلم والمذموم منه ما كـان على سبيـل المراءاة ولا يتحـرّاه صـاحبـه إلا حيث يقصد أن يذكر به، ويسمى ذلك رياء وتصنعاً وتشبعاً كما هو ظاهر في حال من يريد أن يكون خطه حسناً ليقال أنه كاتب حاذق، وأن يكون فقيهاً يرجع إليه الناس في الفتيا فيحوز به الجاه والمال، ولن ينفك من كان حاله كذلك من اضطراب يدل على تشبعه، كما في كتاب كليلة الطبع المتكلف كلما زدته تثقيفاً زادك تعنيفاً، وعلى ذلك قال الشاعر:

فـاسرع مفعـول فعلـت تغيراً تكلـف شيء في طبـاعـك ضـده

وإياه قصد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: من تخلق للناس بغير ما فيه فضحه الله تعالى، وحال المتشبع كالجرح يندمل على فساد فلا بدَّ وأن ينبعث وإن كان بعد حين قال الشاعر:

فـإن الجرح يبقـر بعـد حين إذا كـان البنـاء على فسـادِ

(**وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس من هذه المرتبة بتعطيل ليلة**) من الدراسة والمطالعة (**ولا ينالها بتكرار ليلة، فكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالأخلاق الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرمها بعصيان يوم، وهو معنى قولنا: إن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة**) بالضم اسم من التعطيل (**في يوم واحد تدعو إلى مثلها، ثم تتداعى قليلاً قليلاً حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل رأساً فتفوتها فضيلة الفقه فكذلك صغائر المعاصي**) فإنها (**يجر بعضها إلى بعض حتى يفوت أصل السعادة**) الذي هو الفوز بالمطلوب (**بهدم أصل الإيمان عند الخاتمة**) أعاذنا الله من ذلك. (**كما أن تكرار ليلة**)

يظهر فقه النفس شيئاً فشيئاً على التدريج - مثل نموّ البدن وارتفاع القامة - فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس تأثيرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال، ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة فإن الجملة الكثيرة منها مؤثرة، وإنما اجتمعت الجملة من الآحاد، فلكل واحد منها تأثير، فما من طاعة إلا ولها أثر وإن خفي، فله ثواب لا محالة فإن الثواب بإزاء الأثر وكذلك المعصية. وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي يسوّف نفسه يوماً فيوماً إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه. فكذا من يستهين صغائر المعاصي ويسوّف نفسه بالتوبة على التوالي إلى أن يختطفه الموت بغتة أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه وتتعذر عليه التوبة، إذ القليل يدعو إلى الكثير فيصير القلب مقيداً بسلاسل شهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها. وهو المعنى بانسداد باب التوبة وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وجَعَلْنَا من بَيْن أيديهِمْ سَدّاً ومِنْ خَلْفِهِم سداً﴾ [يس: ٩]

واحدة (**لا يحس بأثرها في تفقيه النفس**) أي جعلها فقيهة، (**بل يظهر فقه النفس شيئاً فشيئاً على التدرج**) والترتيب (**مثل نموّ البدن وارتفاع القامة**) فإنه لا يحس بها إلا تدريجاً، (**فكذلك الطاعة الواحدة لا يحس بأثرها في تزكية النفس وتطهيرها في الحال**) وإنما يحس به فيا بعد، (**ولكن لا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعات فإن الجملة الكثيرة منها مؤثرة، وإنما اجتمعت الجملة من الآحاد فلكل واحد تأثير**) وهكذا كل متعاط لفعل من الأفعال النفسية فإنه يتقوى فيه بحسب الازدياد منه إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فباحتمال صغار الأمور يمكن احتمال كبارها وباحتمال كبارها يستحق الحمد، (**فما من طاعة إلا ولها أثر، وإن خفي فلها لا محالة ثواب لأن الثواب بازاء الأثر، وكذا المعصية. وكم من فقه يستهين بتعطيل يوم وليلة وهكذا على التوالي فيسوّف نفسه يوماً يوماً**) يقول: سوف أقرأ بعد يوم ثم يأتي عليه ذلك اليوم فيؤخره إلى يوم آخر فهذا هو التسويف (**إلى أن يخرج طبعه عن قبول الفقه، فكذا من يستهين بصغائر المعاصي ويسوّف نفسه بالتوبة على التوالي يوماً يوماً إلى أن يختطفه الموت بغتة**) أي فجأة (**أو تتراكم ظلمة الذنوب على قلبه**) تراكم السحب على عين الشمس (**وتتعذر عليه التوبة إذ القليل يدعو إلى الكثير**) ويجره إليه (**ويصير القلب مقيداً بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعنى**) أي المقصود المشار إليه (**بانسداد باب التوبة**) لصعوبة انفتاحه جعل كأنه مسدود. وقيل لحكيم: ألا تعظ فلاناً؟ فقال: ذلك على قلبه قفل ضاع مفتاحه فلا سبيل إلى معالجة فتحه، (**وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾ الآية**) قرىء بفتح السين فيهما وبالضم، وقيل: بالفتح ما كان من فعل الناس، وبالضم ما كان بخلق الله. وقيل: بالفتح ما يسد البصر وبالضم ما يسد البصيرة. ويؤيده قوله بعد: ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ نبه عليه الخفاجي في تذكرته. (**ولذلك قال**

الآية ولذلك قال علي رضي الله عنه: ان الإيمان ليبدو في القلب نكتة بيضاء، كلما ازداد الإيمان ازداد ذلك البياض، فإذا استكمل العبد الإيمان ابيضّ القلب كله. وإن النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد، فإذا استكمل النفاق اسودّ القلب كله.

فإذا عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة، وتارة تكون باعتياد الأفعال الجميلة، وتارة بمشاهدة أرباب الفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح، إذ الطبع يسرق من الطبع الشر والخير جميعاً. فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتى صار ذا فضيلة طبعاً واعتياداً وتعلماً فهو في غاية الفضيلة، ومن كان رذلاً بالطبع واتفق له قرناء السوء فتعلم منهم ويسرت له أسباب الشر حتى اعتادها فهو في غاية البعد من الله عز وجل، وبين الرتبتين من اختلفت فيه هذه الجهات،

علي كرم الله وجهه: إن الإيمان يبدو في القلب لمعة) وفي نسخة: نكتة **(بيضاء، فكلما ازداد الإيمان ازداد ذلك البياض، فإذا استكمل العبد الإيمان ابيضّ القلب كله، وإن النفاق ليبدو في القلب نكتة سوداء فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد، فإذا استكمل النفاق اسودّ القلب كله)**.

وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم﴾ [المطففين: ١٤] قال: يعمل الذنب فيحيط بالقلب فكلما عمل ارتفعت حتى يغشى القلب.

وأخرج ابن جرير عنه قال: كانوا يرون أن القلب مثل الكف فيذنب الذنب فينقبض منه، ثم يذنب الذنب فينقبض حتى يختم عليه، ويسمع الخير فلا يجد له مساغاً.

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن قال: الذنب على الذنب ثم الذنب على الذنب حتى يغمر القلب فيموت.

(فإذاً قد عرفت أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة) الأصلية، **(وتارة)** تكون **(باعتياد الأفعال الجميلة، وتارة)** تكون **(بمشاهدة أرباب الافعال الجميلة ومصاحبتهم)** في أكثر الأوقات، **(وهم قرناء الخير واخوان الصلاح)** من أهل العلم بالله والعمل. **(إذ الطبع)** السليم الساذج **(يسترق من الطبع)** المقارن به **(الشر والخير جميعاً)** ومن هنا قول العامة: الطبع السليم سرّاق. وقولهم أيضاً: من عاشر القوم أربعين يوماً صار منهم، **(فمن تظاهرت في حقه الجهات حتى صار ذا فضيلة طبعاً واعتياداً وتعلماً)** في الدرجات الأربعة اعتقاداً وعملاً، **(فهو في غاية الفضيلة)** وممن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه، **(ومن كان رذلاً بالطبع واتفق له)** معاشرة **(الأقران السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتى تعوّده، فهو في غاية)** الانتكاس في الدرجات الاربعة اعتقاداً وعملاً، وأورثت رذيلته هذه نهاية **(البعد من الله تعالى)** فهو من الذين وصفهم الله تعالى بقوله ﴿أولئك

ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحالته ﴿فمن يَعَمَلْ مثقالَ ذرَّةٍ خيراً يره* ومَنْ يَعَمْلَ مثقالَ ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] ﴿وما ظَلَمَهُم اللهُ ولكنَ كانوا أنفسهم يظلمون﴾ [النحل: ٣٣].

بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الاخلاق:

قد عرفت من قبل ان الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس، والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها. كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له، والميل عن الاعتدال مرض فيه فلنتخذ البدن مثالاً. فنقول:

مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها، مثال البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها

الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ ثم قال: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ (**وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات**) ولم تتظاهر عليه، (**ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحاله ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**) أي يرى جزاءه إن خيراً فخيراً وإن شراً فشر (**﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾**) ظلموا أنفسهم بالاعتياد على العادات القبيحة فرسخت فيها بمعاشرة قرناء السوء فأظلمت قلوبهم وعميت بصائرهم، فصاروا أحقّاء بالبعد عن حضرة الحق، ثم للإنسان مع كل فضيلة ورذيلة ثلاثة أحوال: إما أن يكون في ابتدائها فيقال: عو عبدها وابنها ولذا قال بعضهم: من لم يخدم العلم لم يرعه، والثاني: أن يتوسطها فيقال: أخوها وصاحبها. والثالث: أن ينتهي فيها بقدر وسعه ويتصرف فيها كما أراد فيقال: هو سيدها وربها. وغاية الفاضل في الفضيلة أن تقع منه الفضائل أبداً من غير فكر ولا روية لغلبة قواها عليه وبعدما ينافيها منه وغاية الرذل في الرذيلة أن تقع منه الرذائل بغلبة قواها عليه، ولهذا حدّ الخلق بأنه حال للإنسان داعية إلى الفعل من غير فكر ولا رواية، والله الموفق.

بيان تفصيل الطريق إلى تهذيب الأخلاق:

(**قد عرفت من قبل أن الاعتدال في الاخلاق هو صحة في النفس، والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها، كما ان الاعتدال بين مزاج البدن هو صحة له**) بأن تعتدل القوى الأربعة في أجزاء البدن، (**والميل عن الاعتدال مرض فيه**) بان تخالف إحدى القوى، (**فليتخذ البدن مثالاً**) لذلك (**فنقول: مثال النفس في علاجها بمحو الرذائل والأخلاق الرديئة عنها**) بالرياضة والمجاهدة (**وكسب الفضائل والأخلاق الجميلة لها مثال البدن،**)

إليه. وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وإنما تعتري المعدة المضرة بعوارض الاغذية والأهوية والأحوال، فكذلك كل مولود يولد معتدلاً صحيح الفطرة، وإنما أبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه ـ أي بالاعتياد والتعليم تكتسب الرذائل ـ وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال؛ وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم. وكما أن البدن إن كان صحيحاً فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة، وإن كان مريضاً فشأنه جلب الصحة إليه؛ فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة، فينبغي أن تسعى لحفظها وجلب مزيد قوّة إليها واكتساب زيادة صفائها، وإن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها. وكما ان العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج إلا بضدها فإن كانت من حرارة فبالبرودة، وإن كانت من برودة فبالحرارة، فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها. فيعالج مرض الجهل بالتعلم، ومرض البخل بالتسخي، ومرض الكبر بالتواضع، ومرض الشره

وعلاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة له وجلبها إليه) باستعمال ما يناسبه، (فكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال، وإنما تعتري العلة المغيرة له بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال) المختلفة، (فكذلك كل مولود يولد معتدلاً صحيحاً على الفطرة) الإسلامية، (وإنما أبواه يهوّدانه وينصرانه ويمجسانه) كما ورد في الخبر وتقدم ذكره قريباً. (أي) يغيرانه إلى الأديان المختلفة و(بالتعوّد والتعلم تكتسب الرذائل، فكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً وإنما يكمل ويقوى بالنشوّ والتربية بالغذاء) على التدريج، (فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال) مستعدة له، (وإنما تكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق) بالرياضة (والتغذية) بالعلم النافع، (وكما ان البدن ان كان صحيحاً فشأن الطبيب) الحاذق (تمهيد القانون الحافظ للصحة، وإن كان مريضاً فشأنه جلب الصحة إليه فكذا النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق، فينبغي أن تسعى لحفظها وحفظ صفتها وجلب مزيد قوة إليها واكتساب زيادة صفاء لها) بالقانون الالهي، (وإن كانت عديمة الكمال والصفاء، فينبغي أن تسعى لجلب ذلك إليها) بالعلاج الموافق وإن كانت مشحونة بالاخلاق السيئة فينبغي أن تسعى لما يزيلها منها. (وكما أن العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج إلا بضدها) في الغالب (إن كانت من حرارة فالبرودة، وإن كانت من برودة فبالحرارة. فكذا الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم) فإن العلم والجهل متضادان متى دخل أحدهما ارتحل الآخر، (ومرض البخل بالتسخي) أي بذل المال في حقوقه، (ومرض الكبر بالتواضع، ومرض الشره بالكف

بالكف عن المشتهى تكلفاً. وكما أنه لا بدّ من الاحتمال لمرارة الدواء وشدة الصبر على المشتهيات لعلاج الأبدان المريضة، فكذلك لا بدّ من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب بل أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبد الآباد. وكما أن كل مبرد لا يصلح لعلة سببها الحرارة إلا إذا كانت على حد مخصوص - ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بدّ له من معيار يعرف به مقدار النافع منه فإنه إن لم يحفظ معياره زاد الفساد - فكذلك النقائض التي تعالج بها الأخلاق لا بدّ لها من معيار. وكما أن معيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى أن الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة، فإن كانت من حرارة فيعرف درجتها أهي ضعيفة أم قوية؟ فإذا عرف ذلك التفت إلى أحوال البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله ثم يعالج بحسبها.

فكذلك الشيخ المتبوع الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي

عن المشتهى) ولو **(تكلفاً، فكما انه لا بدّ من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات)** النفسية **(لعلاج الأبدان المريضة)** حتي يصح الدواء، **(فكذلك لا بدّ من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب)** حتى ينجع، **(بل)** هذا **(أولى فإن مرض البدن يخلص منه بالموت)** فإنه لا يحس به بعده، **(ومرض القلب والعياذ بالله عذاب أليم يدوم بعد الموت أبد الآباد)** فهو لا ينفك عنه بحال، **(وكما أن كل مبرد لا يكفي لعلة سببها الحرارة إلا إذا كان على حد مخصوص ويختلف ذلك بالشدة والضعف والدوام وعدمه وبالكثرة والقلة ولا بدّ له من معيار يعرف به مقدار النافع معه)** من الضار، **(فإن لم تحفظ معياره زاد الفساد)** ورجع العلاج إلى عكسه، **(فكذلك النقيض الذي تعالج به الأخلاق لا بدّ له من عيار يعرف)** به الحد المخصوص، **(وكما أن عيار الدواء مأخوذ من عيار العلة حتى أن الطبيب لا يعالج ما لم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة)** وذلك بتشخيص النبض أو القارورة، **(وإن كانت من حرارة)** مثلاً **(فيعرف درجتها أهي ضعيفة أم قوية)** ثم يعرف سببها أمن داخل أم من خارج، **(فإذا عرف ذلك التفت معه إلى أحوال البدن)** من جهة ضعفه وقوته واعتداله، **(وأحوال الزمان)** شديد البرد أو الحر أو معتدل **(وصناعة المريض)** أهي خسيسة أم شريفة **(وسنّه)** هل هو في الشبوبية أو في الكهولة أو الشيوخة **(وسائر أحواله)** كسؤاله هل هو غريب أو من أهل البلد، **(ثم يعالج بحسبها)** كل ذلك بالتحري والاجتهاد حتى لا يخالف عليه المرض من طريق آخر.

(فكذلك الشيخ المتبوع) المعتقد **(الذي يطب نفوس المريدين ويعالج قلوب**

أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وفي طريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم. وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم، فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم. بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني على ذلك رياضته. فإن كان المريد مبتدئاً جاهلاً بحدود الشرع فيعلمه أولاً الطهارة والصلاة وظواهر العبادات، وإن كان مشغولاً بمال حرام أو مقارفاً لمعصية فيأمره أولاً بتركها، فإذا تزين ظاهره بالعبادات وطهر عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لأخلاقه وأمراض قلبه، فإن رأى معه مالاً فاضلاً على قدر ضرورته أخذ منه وصرفه إلى الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت إليه، وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره أن يخرج إلى الأسواق للكدية والسؤال، فإن عزة النفس والرئاسة لا تنكسر إلا بالذل ولا ذل أعظم من ذل السؤال فيكلفه

المسترشدين ينبغي أن لا يهجم عليه بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمراضهم) وسائر أحوالهم، (وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل أكثرهم، فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة أهلكهم وأمات قلوبهم) ولم ينجع فيهم الارشاد، (بل ينبغي أن ينظر في مرض المريد وفي حاله وفي سنّه ومزاجه وما تحتمله بنيته من الرياضة ويبني عليه رياضته) فربّ قوى البدن في عنفوان الشبوبية يحتمل من الرياضة ما لا يحتمله ضعيف البدن نحيفه، وكذا الشيخ الفاني، (فإن كان المريد مبتدئاً جاهلاً بحدود الشرع فيعلمه أوّلاً) أمور دينه. مثل: (الطهارة والصلاة وظواهر العبادات) بوجه يوصل إلى ذهنه فإذا ترشح بمعرفة ذلك ينقله إلى ما يناسب له، (وإن كان) مع معرفته لظواهر العبادات (مشغولاً بمال حرام) وصل إليه من تجارة فاسدة أو من ميراث بشبهة، (أو مقارناً لمعصية) ظاهرة أو باطنة (فيأمره أوّلاً بترك ذلك) رأساً، (فإذا تزين بالعبادات ظاهره وطهرت عن المعاصي الظاهرة جوارحه نظر بقرائن الأحوال إلى باطنه ليتفطن لاخلاقه وأمراض قلبه، فإن رأى معه مالاً فاضلاً عن قدر ضرورته) إن كان منفرداً، وإلاّ فعن قدر ضرورة عياله ان كان ذا عيال (أخذه منه وصرفه في الخيرات) أو أمره بان يصرفه إلى جهات الخيرات (وفرغ قلبه منه) فإنه أكبر شاغل لنفسه (حتى لا يلتفت إليه) ولا يتعلق به قلبه، (وإن رأى الرعونة والكبر وعزة النفس غالبة عليه فيأمره بأن يخرج إلى السوق للكدية) أي الاستجداء (والسؤال) من الناس وذلك في وقت مخصوص، (فإن عز الرئاسة لا يكسر إلا بالذل ولا ذل أعظم من السؤال) ولا أثقل منه وهو أحد الثلاثة التي تورث الذل، والاثنان الدَّين والبنت قالوا: ثلاثة تورث الذل. الدَّين ولو

المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعز نفسه، فإن الكبر من الأمراض المهلكة وكذلك الرعونة، وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلاً إلى ذلك فرحاً به ملتفتاً إليه استخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوّش عليه رعونته في النظافة. فإن الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات النظيفة والسجادات الملوّنة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار، فلا فرق بين أن يعبد الانسان نفسه أو يعبد صنماً فمهما عبد غير الله تعالى فقد حجب عن الله، ومن راعى في ثوبه شيئاً سوى كونه حلالاً وطاهراً مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه.

ومن لطائف الرياضة إذا كان المريد لا يسخو بترك الرعونة رأساً أو بترك صفة أخرى ولم يسمح بضدها دفعة؛ فينبغي أن ينقله من الخلق المذموم إلى خلق مذموم آخر

درهماً، والبنت ولو مريم، والسؤال ولو أين الطريق، (**فيكلفه المواظبة على ذلك مدة حتى ينكسر كبره وعزه**) وأنفته، (**فإن الكبر من الأمراض المهلكة، وكذا الرعونة**) في النفس ولا ينفع السلوك للمريد مع ملابستها. (**وإن رأى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب ورأى قلبه مائلاً إلى ذلك فرحاً به ملتفتاً إليه فيستخدمه في تعهد بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان حتى تتشوّش عليه رعونته في النظافة**)، ولما كان الأمر كذلك وغلبت هذه النفوس على المريدين رتب بعض مشايخ الطريق كل مريد في خدمة معينة في زاوية الشيخ. فمنهم من يتعاهد خدمة بيت الماء، ومنهم من يتعاهد اخراج الماء من البئر لملء الميضأة، ومنهم من يتعاهد صب الماء على أيدي الفقراء، ومنهم من يتعاهد لكنس المحل ورشه، ومنه من يتعاهد لخدمة المريدين في الزاوية، ومنهم من يتعاهد خدمة المطبخ واصلاح ما تيسر من طعام، ومنهم من يتعاهد للكدية فما فتح له منها يفرق على أهل الزاوية. فهذه الوظائف ما رتبوها إلا لتمرين النفوس الصعبة وتهذيب الاخلاق، (**فإن الذي ينظفون ثيابهم ويزينوها ويطلبون المرقعات الرفيعة والسجادات الملونة لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار**) لأجل زوجها ليس لها همة إلا في ذلك، (**ولا فرق بين أن يعبد الانسان نفسه أو يعبد صنماً**) فمن تعلق بشيء والتفت إليه بقلبه فقد صار عابداً له، (**فمهما عبد غير الله فقد صار محجوباً عن الله، ومن راعى في ثوبه شيئاً غير كونه حلالاً أو طاهراً مراعاة يلتفت إليها قلبه فهو مشغول بنفسه**) محجوب عن ربه.

(**ومن لطائف الرياضة أن النفس إذا كانت لا تسخو**) أي لا تسمح (**بترك الرعونة رأساً أو بترك صفة أخرى ولم تسمح بضدها دفعة، فينبغي أن تنتقل من الخلق المذموم إلى**

أخف منه، كالذي يغسل الدم بالبول، ثم يغسل البول بالماء إذا كان لا يزيل الدم. كما يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه، ثم ينقل، من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب، ثم ينقل من ذلك بالترغيب في الرئاسة وطلب الجاه، ثم ينقل من الجاه بالترغيب في الآخرة، فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينقل إلى جاه أخف منه، وكذلك سائر الصفات. وكذلك إذا رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام ثم يكلفه أن يهيء الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره وهو لا يأكل منها حتى يقوي بذلك نفسه فيتعوّد الصبر وينكسر شرهه. وكذلك إذا رآه شاباً متشوّقاً إلى النكاح وهو عاجـز عن الطول فيأمره بالصوم، وربما لا تسكن شهوته بذلك فيأمره أن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء. ويمنعه اللحم والأدم رأساً حتى تذل نفسه وتنكسر شهوته. فلا علاج في مبدأ الإرادة انفع من الجوع. وإن رأى الغضب غالباً عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق، ويلزمه خدمة من ساء خلقه حتى يمرن نفسه على الاحتمال معه.

مذموم آخر **أخف منه)** في الذم، وهذا **(كالذي يغسل الدم بالبول)** أوّلاً، **(ثم يغسل البول بالماء إذا كان الماء لا يزيل الدم)** وقد حصل التطهير ولكن بهذا النقل، **(ولذلك يرغب الصبي في المكتب باللعب بالكرة والصولجان وما أشبهه)** من الملاعب، **(ثم ينقل من اللعب إلى الزينة وفاخر الثياب، ثم ينقل من ذلك إلى الترغيب في الرئاسة وطلب الجاه)** وكل ذلك من المذام الشرعية، **(ثم ينقل عن ذلك بالترغيب في الآخرة)** تدريجاً ولو كلف من أول وهلة بالترغيب في أمور الآخرة لم يتيسر عليه، **(فكذلك من لم تسمح نفسه بترك الجاه)** والرياسة **(دفعة فلينقل إلى جاه أخف منه)** ثم ينقل إلى تركه رأساً، **(وكذلك سائر الصفات وكذلك إن رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم وتقليل الطعام أوّلاً، ثم كلفه أن يهيء الأطعمة اللذيذة ويقدمها إلى غيره ولا يأكل هو منها حتى تقوى بذلك نفسه فيتعود الصبر وينكسر شرهه، وكذلك اذا رآه شاباً متشوقاً إلى النكاح)** شبقاً كثير الشهوة **(وهو عاجز عن النكاح فيأمره بالصوم)** لما ورد في الخبر: «من استطاع منكم الباءة فليتزوّج ومن لم يجد فعليه بالصوم فإنه له وجاء». **(وربما لا يسكن ذلك شهوته فيأمره بأن يفطر ليلة على الماء دون الخبز، وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم والأدم رأساً حتى تتذلل نفسه وتنكسر شهوته فلا علاج في مبادىء الإرادة أنفع من الجوع)** لأنه قاطع كل شهوة، **(وإن رأى الغضب غالباً عليه ألزمه الحلم والسكوت وسلط عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق)** وشراسة **(ويأمره بخدمة من ساء خلقه وبمراعاته حتى تمرن نفسه على الاحتمال)**.

كما حكي عن بعضهم أنه كان يعوِّد نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب ، فكان يستأجر من يشتمه من ملأ من الناس ويكلف نفسه الصبر ، ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل . وبعضهم كان يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب ، فأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج . وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على نصبة واحدة وبعض الشيوخ في ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع . وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به في البحر ؛ إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل .

فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب . وليس غرضنا ذكر دواء كل مرض ـ فإن ذلك ـ سيأتي في بقية الكتب ـ وإنما غرضنا الآن التنبيه على ان الطريق الكليّ فيه سلوك مسالك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل إليه ، وقد جمع الله ذلك كله في كتابه

(**فقد كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستأجر من يشتمه على ملا من الناس**) وبين يدي من يعظمه ، (**ويكلف نفسه الحلم والصبر**) على ذلك ، (**ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان يضرب به المثل**) في الحلم . وقد ورد في الأخبار « إنما الحلم بالتحلم » . (**وكان بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب وأراد أن يحصل لنفسه خلق الشجاعة ، فكان يركب البحر في الشتاء عند اضطراب الأمواج**) ليسكن روعه عن الاضطراب ويتعوّد عليه ، (**وعباد الهند**) من البراهمة والجوكية (**يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول ليله على نصبة واحدة**) ، ومنهم من اختار أن يقف على رجل واحدة طول ليله ، ومنهم من يعوّد نفسه على حبس أنفاسه ساعات متعددة ، (**وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كان تكسل نفسه عن القيام ، فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح بالقيام على الرجل عن طوع**) ، ولهم في ذلك مجاهدات غريبة تستغرب وقصدهم بذلك إماتة النفوس وتعويدها على الطاعات بانشراح وسماح ، (**وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه في البحر إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود ورياء البذل**) ، وقد اعترض على المصنف في تقرير هذه الحكايات عنهم وتسليمها لهم بأن ذلك تضييع للمال ومخالف للشرع ، وقد أشرنا بجواب ذلك في مقدمة كتاب العلم فراجعه .

(**فهذه الأمثلة تعلمك طريق معالجة القلوب ، فليس غرضنا**) هنا (**ذكر دواء كل مرض**) بالخصوص ، (**فإن ذلك سيأتي في بقية الكتب**) إن شاء الله تعالى ، (**وإنما الغرض الآن التنبيه على أن الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل**

العزيز في كلمة واحدة فقال تعالى: ﴿وأمَّا من خَافَ مقام ربِّه ونَهى النفس عن الهوى★ فإن الجنّة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠ ، ٤١] والأصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم فإذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسبابها ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى واختباراً. فينبغي أن يصبر ويستمر، فإنه إن عوّد نفسه ترك العزم ألفت ذلك ففسدت وإذا اتفق منه نقض عزم، فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه ـ كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المحاسبة والمراقبة ـ وإذا لم يخوّف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة فتفسد بها الرياضة بالكلية.

بيان علامات أمراض القلوب وعلامات عودها إلى الصحة:

اعلم أن كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به، وإنما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر منه مع نوع من الاضطراب: فمرض اليد أن يتعذر عليها البطش. ومرض العين أن يتعذر عليها الإبصار. وكذلك مرض القلب أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لأجله؟ وهو العلم والحكمة

إليه، **وقد جمع الله تعالى جميع ذلك في كلمة واحدة فقال تعالى: ﴿وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ★ فإن الجنة هي المأوى﴾ والأصل المهم في المجاهدة بالوفاء بالعزم**) أي بأن يفي بما عزم عليه ولا ينقضه، (**فإذا عزم على ترك شهوة فقد تتيسر أسبابها ويكون ذلك من الله ابتلاء واختباراً**) أي امتحاناً له ليعلم هل يفي أم لا. (**فينبغي أن يصبر**) على ما عزم عليه (**ويستمر فإنه ان عوّد نفسه نقض العزم ألفت ذلك**) وأنست به، (**وفسدت، وإذا اتفق منه نقض عزم، فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه**) مما يناسب حاله ويطيق عليه، (**كما ذكرناه في معاقبة النفس في كتاب المحاسبة والمراقبة**) كما سيأتي إن شاء الله تعالى، (**وإذا لم يخوّف نفسه بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وفسدت بها الرياضة بالكلية**) ولم يحصل له من رياضته ثمرة غير اتعاب البدن وتضييع الوقت.

بيان علامات مرض القلب وعلامات عوده إلى الصحة:

(**اعلم أنه كما كل عضو من أعضاء البدن خلق لفعل خاص به، وإنما مرضه أن يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه أصلاً أو يصدر مع نوع من الاضطراب**) والاختلال، (**فمرض اليد أن يتعذر عليه البطش**)، ومرض الرجل أن يتعذر عليه المشي، ومرض الأذن أن يتعذر عليه السماع، (**ومرض العين أن يتعذر عليه الإبصار**)، وقس على ذلك باقي الاعضاء؛ (**فكذلك مرض القلب هو أن يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لأجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ به وإيثار ذلك على كل**

والمعرفة وحب الله تعالى وعبادته والتلذذ بذكره وإيثاره ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه. قال الله تعالى: ﴿وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] ففي كل عضو فائدة وفائدة القلب الحكمة والمعرفة. وخاصية النفس التي للآدمي ما يتميز بها عن البهائم، فإنه لم يتميز عنها بالقوّة على الأكل والوقاع والابصار أو غيرها؟ بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه. وأصل الأشياء وموجودها ومخترعها هو الله عز وجل الذي جعلها أشياء. فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئاً. وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات. كما قال الله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤُكم وأبناؤُكم واخوانكم وأزواجُكم﴾ إلى قوله: ﴿أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيلِهِ فتربَّصُوا حتى يأتي الله بأمره﴾ [التوبة: ٢٤] فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض، كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء أو سقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة. فهذه علامات المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله، إلا أن من الأمراض ما لا يعرفها صاحبها، ومرض

شهوة سواه، والاستعانة بجميع الشهوات والأعضاء عليه) لأنه بيت الايمان بالله ويرشح له ما ورد في خبر: القلب بيت الرب، وإن لم يكن له أصل في المرفوع كما قاله الحافظ السخاوي لكن معناه صحيح. **(قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾)** قيل: معناه ليعرفوا أن معرفة الله تعالى روح كل عبادة. **(وفائدة القلب الحكمة والمعرفة)** فإذا خلا عنهما فهو المنكوس الذي قيل فيه ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ [محمد: ٢٤] **(وخاصية النفس التي للآدمي ما تتميز به عن البهائم ولم يتميّز عنها بالقوّة على الأكل والوقاع والإبصار وغير ذلك)** فقد تشاركه البهائم فيها، **(بل بمعرفة الأشياء على ما هي عليه. وأصل الأشياء وموجدها ومخترعها الذي جعلها أشياء هو الله تعالى، فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله تعالى فكأنه لم يعرف شيئاً)** ويحكم على فساد عقله وانتكاس قلبه عن درجة الكمال، ولكل شيء عن التحقيق علامة بها يعرف ذلك الشيء **(وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله أحبه)** وأحب لقاءه، **(وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات)**، فمن آثر على محبته شيئاً من ذلك فهو مدع في الحب كذاب **(كما قال تعالى: ﴿قل إن كان آباؤُكم وأبناؤُكم واخوانُكم وأزواجُكم﴾ إلى قوله: ﴿أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربّصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض، كما أن كل معدة صار الطين أحب إليها من الخبز والماء وسقطت شهوتها عن الخبز والماء، فهي مريضة. فهذه علامة المرض وبهذا يعرف أن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء الله)** والحكم للغالب، **(إلا أن من الأمراض ما**

القلب مما لا يعرفه صاحبه، فلذلك يغفل عنه. وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فإن دواءه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح. فإن وجد من نفسه قوّة الصبر عليه لم يجد طبيباً حاذقاً يعالجه، فإن الأطباء هم العلماء وقد استولى عليهم المرض، فالطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاجه. فلهذا صار الداء عضالاً والمرض مزمنا واندرس هذا العلم، وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها، وأقبل الخلق على حب الدنيا، وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراءاة فهذه علامات أصول الأمراض.

وأما علامات عودها إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في العلة التي يعالجها، فإن كان يعالج داء البخل فهو المهلك المبعد عن الله عز وجل وإنما علاجه ببذل المال وانفاقه، ولكنه قد يبذل المال إلى حد يصير به مبذراً فيكون التبذير أيضاً داء، فكان كمن يعالج البرودة بالحرارة حتى تغلب الحرارة فهو أيضاً داء، بل المطلوب الاعتدال بين

لا يعرفه صاحبه) ولا يهتدي إليه **(ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه)** لأنه غير محسوس بالإبصار فمعرفة مرضه عسر، **(فلذلك يغفل عنه وإن علمه صاحبه)** بضرب من التوفيق **(صعب عليه الصبر مرارة دوائه، فإن دواءه مخالفة الشهوات وهو)** بمنزلة نزع **(الروح)** من الجسد، **(وإن وجد من نفسه قوّة الصبر عليه لم يجد طبيباً حاذقاً يعالجه، فإن الأطباء هم العلماء . وقد استولى المرض عليهم والطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاجه)** إذ يقال له:

يــا أيّهــا الرجـــل المعلم غيره ... هلاً لنفســك كـــان ذا التعليمُ

وقالوا:

ومن عجب الدنيا طبيب مصفـر ... وأعمشُ كحـال وأعمـى منجـم

وفيهم قيل:

عليل يداوي الناس وهو عليل

(فلهذا صار الداء عضالاً) صعباً **(والمرض مزمناً)** راسخاً **(واندرس هذا العلم مرة واحدة، وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر مرضها)** واشتغلوا بإصلاح الظاهر، **(وأقبل الخلق على حب الدنيا)** واقتنائها، **(وعلى أعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات ومراءات . فهذه علامة أصل المرض)**.

(وأما علامة عوده إلى الصحة بعد المعالجة فهو أن ينظر في العلة التي يعالجها، فإن كان يعالج داء البخل وهو المهلك المبعد عن الله تعالى) كما ورد في الخبر: « وأي داء أدوأ من البخل » **(فإنما علاجه ببذل المال وإنفاقه)** في وجوهه، **(ولكنه قد يبذل المال إلى حد يصير)** به **(مبذراً فيكون التبذير أيضاً داء، ويكون كن يعالج البرودة بالحرارة)** على أنها

الحرارة والبرودة. وكذلك المطلوب الاعتدال بين التبذير والتقتير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين، فإن أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور، فإن كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالغالب عليه ذلك الخلق الموجب له، مثل أن يكون إمساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه. فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة على البذل، فإن صار البذل على غير المستحق ألذ عندك وأخف عليك من الإمساك بالحق فقد غلب عليك التبذير فارجع إلى المواظبة على الإمساك، فلا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسير الأفعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى المال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إمساكه، بل يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة محتاج أو بذلـه لحاجة محتاج، ولا يترجح عندك البذل على الإمساك فكل قلب صار كذلك فقد أتى الله سليماً عن هذا المقام خاصة. ويجب أن يكون سليماً عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا، حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير

ضدان وإنما يعالج المرض بما يضاده، **(حتى تغلب الحرارة وهو أيضاً داء، بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة)** بحيث لا يغلب أحدهما على الثاني. **(فكذلك المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد من الطرفين)**. قال ابن الوردي:

بين تبــذيــر وبخل رتبــة وكلا هــذيــن إن زاد قتــل

(فإن أردت أن تعرف الوسط فانظر إلى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور، فإن كان أسهل عليك وألذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل أن يكون إمساك المال وجمعه ألذ عندك وأيسر عليك من بذله لمستحقه، فاعلم أن الغالب عليك خلق البخل) وقد عرفته منك، **(فزد في المواظبة على البذل)** والإنفاق **(فإن صار البذل للمستحق ألذ عندك وأخف عليك من الإمساك بحق، فقد غلب عليك التبذير)** وهو أيضاً خلق مذموم. قال الله تعالى: ﴿إن المبذّرين كانُوا إخوانَ الشياطين﴾ [الإسراء: ٢٧] **(فارجع إلى المواظبة على الامساك ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك بتيسر الأفعال وتعسرها، حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل إلى بذله ولا إلى إمساكه، بل يصير عندك كالماء)** المعد للشرب وغيره، **(فلا تطلب فيه إلا إمساكه لحاجة محتاج أو بذله لحاجة محتاج ولا يترجح عندك البذل على الإمساك، فكل قلب صار كذلك فقد جاء الله سليماً عن هذا المقام خاصة)**. يشير إلى قوله تعالى: ﴿إلاّ من أتى الله بقلب سليم﴾ [الشعراء: ٨٩] **(ويجب أن يكون سليماً عن سائر الأخلاق حتى لا تكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا**

ملتفتة إليها ولا متشوّقة إلى أسبابها، فعند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله المقربين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو أدق من الشعر وأحدّ من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة، وقلما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم - أعني الوسط - حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقاً بالجانب الذي مال إليه، ولذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وإن كان مثل البرق. قال الله تعالى: ﴿وإن منكم إلاّ واردُها كان على ربِّكَ حتماً مقضياً★ثم ننجّي الذين اتقوا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢] أي الذين كان قربهم إلى الصراط المستقيم أكثر من بعدهم عنه. ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله: ﴿اهدنا الصراط

حتى ترتحل النفس عن الدنيا منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة إليها ولا متشوّقة إلى أسبابها).

فمن سرّه أن لا يجد ما يسوءه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقْدا

(**فعند ذلك ترجع إلى ربها رجوع النفس المطمئنة راضية**) عن الله (**مرضية**) عند الله (**داخلة في زمرة عباد الله**) من النبيين والصديقين والشهداء (**والصالحين وحسن أولئك رفيقاً**) كما قال تعالى، ﴿يا أيتها النفس المطمئنة★ ارجعي إلى ربك راضية مرضية★ فادخلي في عبادي★ وادخلي جنّتي﴾ [الفجر: ٢٧، ٣٠].

(**ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض**) والدقة، (**بل هو أدق من الشعر وأحدّ من السيف، فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا الصراط في الآخرة**) الذي من وصفه أدق من الشعر وأحدّ من السيف، (**وقلما ينفك العبد عن ميل**) مّا (**عن الصراط المستقيم. أعني الوسط حتى لا يميل إلى أحد الجانبين فيكون قلبه متعلقاً بالجانب الذي مال إليه، فلذلك لا ينفك عن عذاب مّا واجتياز على النار وإن كان**) ذلك (**مثل البرق**) الخاطف كما ورد ذلك في الخبر. (**وقال تعالى: ﴿وان منكم إلاّ واردها﴾** أي مجتاز عليها كما فسر به الورود في قوله ﴿**كان على ربك حتماً مقضياً★ ثم تنجي الذين اتقوا﴾ أي الذين كان قربهم إلى الصراط**) المستقيم (**أكثر من بعدهم عنه**) ﴿ونذر الظالمين فيها جثياً﴾ وهم الذين ظلموا أنفسهم ومالوا عن الصراط إلى أحد حديه نتركهم حول النار جثياً على ركبهم، (**ولأجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد أن يدعو الله تعالى في كل يوم وليلة**) في صلاته (**سبع عشرة مرة في قوله**) في سورة الفاتحة

المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦] إذ وجب قراءة الفاتحة في كل ركعة.

فقد روي أن بعضهم رأى رسول الله ﷺ في المنام فقال: قد قلت يا رسول الله شيبتني هود، فلم قلت ذلك؟ فقال عليه السلام: لقوله تعالى: ﴿فاستقِمْ كما أمرت﴾ [هود: ١١٢] فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض، ولكن ينبغي أن يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقتها. فكل من أراد النجاة فلا نجاة له إلا بالعمل الصالح، ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه، وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب فنسأل الله الكريم أن يجعلنا من المتقين.

بيان الطريق الذي يعرف به الإنسان عيوب نفسه:

اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه، فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه، فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج، ولكن أكثر الخلق جاهلون

(**﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إذا وجبت الفاتحة في كل ركعة**) وهي اثنان للصبح، وأربع للظهر، وأربع للعصر، وثلاث للمغرب، وأربع للعشاء مجموع ذلك سبع عشرة ركعة.

(**ورأى بعضهم رسول الله ﷺ في المنام فقال له: قد قلت يا رسول الله شيبتني سورة هود فلم قلت ذلك؟ قال: لقوله تعالى**) فيها: **﴿فاستقم كما أمرت﴾** وهذا اللفظ قد رواه ابن مردويه من حديث أنس بزيادة: واخواتها الواقعة، والقارعة، والحاقة، والشمس إذا كوّرت، وسأل سائل. وقد تقدم الكلام على هذا الحديث. (**فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض**) والدقة، (**ولكن ينبغي أن يجتهد الإنسان في**) تحصيل مرتبة (**القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقة الاستقامة التي**) هي الوفاء بكل العهود ولزوم الصراط المستقيم برعاية خط الوسط في كل أمر ديني أو دنيوي (**فكل من اراد النجاة فلا نجاة إلا بالعمل الصالح ولا تصدر الأعمال الصالحة إلا عن الأخلاق الحسنة**) إذ ترشح منها آثار حسنة على الجوارح فتصدر منها الأعمال على وفقها، (**فليتفقد كل عبد صفاته وأخلاقه**) الباطنة، (**وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد منها على الترتيب**) مقدماً منها الأحق فالأحق والله الموفق.

بيان الطريق الذي به يتعرف الانسان عيوب نفسه:

(**اعلم أن الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً بصره**) أي جعله بصيراً (**بعيوب نفسه**) وشغله عن عيوب غيره، فقد أخرج الرافعي في تاريخ قزوين من حديث ابن عباس « إذا أردت أن تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوب نفسك » (**فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه، وإذا عرف العيوب أمكنه العلاج**)، كما أن المرض إذا علم أصله يتيسر عليه علاجه بأهون سبب، (**ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى**) جمع قذاة وهي ما يقع في العين

بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه. فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق.

الأول: أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته. وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه، فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه. وهذا قد عزَّ في هذا الزمان وجوده.

والثاني: أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً فينصبه رقيباً على نفسه ليلاحظ

والماء والشراب من نحو تراب وتبن ووسخ (**في عين أخيه**) المؤمن، (**ولا يرى الجذع في عين نفسه**).

أخرج ابن المبارك في الزهد، والعسكري في الأمثال من حديث أبي هريرة «يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع» أو قال «الجذل في عينيه» والجذع: بالكسر واحد جذوع النخل، والجذل: بالكسر وبالفتح أصل الشجرة يقطع وقد يجعل العود جذلاً. وقد رواه أيضاً القضاعي في مسند الشهاب، وأبو نعيم في الحلية دون قوله أو قال الجذل، وهذا مثل ضرب لمن يرى الصغير من عيوب الناس ويعيرهم به، وفيه من العيوب بالنسبة إليه كنسبة الجذع إلى القذاة، وذلك من أقبح القبائح. ولله در القائل:

أرى كل انسان يرى عيب غيره ... ويعمى عن العيب الذي هو فيه
فلا خير فيمن لا يرى عيب نفسه ... ويعمى عن العيب الذي بأخيهِ

(**فمن أراد أن يقف على عيب نفسه، فله أربع طرق**)

(**الأولى: أن يجلس بين يدي شيخ**) كامل في ذاته مهذب بآداب الشريعة (**بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات**) كأنه ينظر إليها من وراء ستر خفي (**ويحكمه على نفسه**) أي يجعله حاكماً على نفسه ونفسه محكوماً عليها فيما يأمر به وينهاه، (**ويتبع إشارته في مجاهدته**) فلا يخالفه فيما يشير له إليه، (**وهذا شأن المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه**) وهو علامة فلاحه (**فيعرفه شيخه وأستاذه عيب نفسه**) إما بالتصريح بأن يقول له عيبك كذا أو خلقك كذا، وإما بالكناية باختلاف أحوال المريد، (**ويعرفه طريق علاجه. فهذا قد عز في هذا الزمان وجوده**) وإن وجد شيخ على هذه الصفة لم يوجد من يرشده من المريدين الصادقين، وإن وجد مريد صادق لم يوجد شيخ كامل بالأوصاف المذكورة فهذا سبب عزة الأمر.

(**الطريقة الثانية: أن يطلب صديقاً**) موافقاً (**صدوقاً**) في قوله (**بصيراً**) بعيوبه مطلعاً على خفايا أحواله (**متديناً**) في نفسه (**وينصبه رقيباً على نفسه**) ناظراً على حركاته وسكناته

أحواله وأفعاله، فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه، فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين.

كان عمر رضي الله عنه يقول: رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي. وكان يسأل سلمان عن عيوبه، فلما قدم عليه قال له: ما الذي بلغك عني مما تكرهه؟ فاستعفى فألح عليه فقال: بلغني انك جمعت بين إدامين على مائدة، وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل، وقال: وهل بلغك غير هذا؟ قال: لا. فقال: أما هذان فقد كفيتها. وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين، فهل ترى عليّ شيئاً من آثار النفاق؟ فهو على جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه رضي الله عنه.

فكل من كان أوفر عقلاً وأعلى منصباً كان أقل إعجاباً وأعظم اتهاماً لنفسه، إلا أن هذا أيضاً قد عز فقل في الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب، أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب. فلا تخلو في أصدقائك عن حسود أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيباً، أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك.

(**ليلاحظ**) بعين بصيرته (**أحواله وأفعاله**) الصادرة عنه، (**فما يكرهه من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه**) ويرشده إلى ما يناسب حاله، (**فهكذا كان يفعل الأكابر من أئمة الدين**).

(**كان عمر رضي الله عنه يقول: رحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبي**) رواه الإسماعيلي والذهبي في مناقب عمر، (**وكان يسأل سلمان**) رضي الله عنهما (**عن عيوبه لما قدم عليه**) أي من المدائن (**وقال: ما الذي بلغك عني مما كرهته؟ فاستعفى**) أي طلب أن يسكت عن ذلك، (**فألح عليه**) في أن يقوله (**فقال: سمعت أنك جمعت بين ادامين على مائدة، وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل، فقال: هل بلغك غير هذا؟ فقال: لا. فقال: أما هذان فقد كفيتها**) رواه الإسماعيلي والذهبي في مناقب عمر. (**وكان يسأل حذيفة**) بن اليمان رضي الله عنهما (**ويقول: أنت صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين: فهل ترى علي شيئاً من آثار النفاق**)؟ فيقول: لا يا أمير المؤمنين (**فهو**) رضي الله عنه (**على جلالة قدره وعلو منصبه**) في الدين (**هكذا كانت تهمته لنفسه**).

(**وكل من كان أوفر عقلاً وأعلى منصباً كان أقل إعجاباً وأعظم اتهاماً لنفسه إلا أن هذا أيضاً قد عز**) وقلّ (**فيقل في الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب**) فيه (**فلا تخلو في أصدقائك عن حسود**) عليك في نعمتك (**أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيباً أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك**).

ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له: لم لا تخالط الناس؟ فقال: وماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي؟ فكانت شهوة ذوي الدين أن يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم، وقد آل الامر في أمثالنا إلى ان أبغض الخلق إلينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا. ويكاد هذا أن يكون مفصحاً عن ضعف الإيمان فإن الأخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة. فلو نبهنا منبه على أن تحت ثوبنا عقرباً لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بإزالة العقرب وإبعادها وقتلها. وإنما نكايتها على البدن ويدوم ألمها يوماً فما دونه، ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب ويخشى أن تدوم بعد الموت أبداً أو آلافاً من السنين. ثم إنا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بإزالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول له: وأنت أيضاً تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه، ويشبه أن يكون ذلك من قساوة القلب التي أثمرتها كثرة الذنوب. وأصل كل ذلك ضعف الإيمان. فنسأل الله عز وجل أن يلهمنا رشدنا ويبصرنا بعيوبنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوئنا بمنه وفضله.

الطريق الثالث: أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه، فإن عين السخط

(ولهذا كان داود) بن نصير **(الطائي)** رحمه الله تعالى **(قد اعتزل عن الناس، فقيل له: لم لا تخالط الناس؟ فقال: ماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي)** نقله صاحب القوت، **(فقد كان شهوة ذوي الدين أن** يتنبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم، **وقد آل الأمر في أمثالنا أن أبغض الخلق إلينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا)** ويعددها علينا، **(وكاد يكون هذا مفصحاً عن ضعف الإيمان، فإن الأخلاق السيئة)** في الإنسان **(حيات وعقارب لداغة. ولو نبهنا منبه على أن تحت ثوب أحدنا عقرباً)** أو حية **(لتقلد منه منة)** وجميلاً **(وفرح بذلك واشتغل بإبعاد العقرب)** أو الحية **(وقتلها، وإنما نكايتها على البدن ولا يدوم ألمها إلا يوماً فما دونه)** وإن زاد فلا يزيد على يوم وليلة. **(ونكاية الأخلاق الرديئة على صميم القلب)** أي باطنه **(ويخشى أن تدوم بعد الموت أبداً وآلافاً من السنين)** إلى ما شاء الله، **(ثم إنَّا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بإزالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله فنقول: وأنت أيضاً تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه، ويشبه أن يكون هذا من قساوة القلب التي ثمرتها كثرة الذنوب)** وفي حديث أبي الخير اليزني: أربع خصال تفسد القلوب فساقه، وفيه: «وكثرة الذنوب مفسدة للقلوب» أخرجه عبد بن حميد في تفسيره، **(وأصل كل ذلك ضعف الإيمان. فنسأل الله تعالى أن يعرفنا رشدنا ويبصرنا بعيوب أنفسنا ويشغلنا بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوئنا بمنه وفضله)** اللهم آمين.

(الطريقة الثالثة: أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه، فإن عين السخط

تبدي المساوىء. ولعل انتفاع الإنسان بعدوّ مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه، إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدوّ وحمل ما يقوله على الحسد، ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساوئه لا بدّ وأن تنتشر على ألسنتهم.

الطريق الرابع: أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموماً فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها إليه، فإن المؤمن مرآة المؤمن، فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى، فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله وعن أعظم منه أو عن شيء منه، فليتفقد نفسه ويطهرها على كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديباً، فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب.

قيل لعيسى عليه السلام: من أدبك؟ قال: ما أدبني أحد، رأيت جهل الجاهل شيناً

تبدي المساويء)أي تظهرها كما أن عين الرضا تكل عن كل عيب، (**ولعل انتفاع الإنسان بعدوّ مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه، إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدوّ وحمل ما يقوله**) له وفيه (**على الحسد**) المحض، (**ولكن البصير**) الناقد لأحواله (**لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه، فإن مساوئه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم**) ويبلغ ذلك عنهم، فيتنبه لما يقولون فيه ويتدارك لما فرط منه بمعالجة تلك العيوب وإزالتها عن نفسه مهما أمكن ولكل مجتهد نصيب.

(**الطريقة الرابعة: أن يخالط الناس فكل ما يراه مذموماً فيما بين الخلق فيطالب نفسه به وينسب نفسه إليه، فإن المؤمن مرآة المؤمن**) كما رواه الطبراني في الأوسط والضياء من حديث أنس، (**فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه، ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر**) وهو بكسر القاف من يقارن في علم أو غيره. واحد الأقران كحمل وأحمال (**عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره، وناهيك بهذا تأديباً**) أي إليه المنتهي فيه كأنه ينهاك عن غيره، (**فلو ترك الناس كلهم ما يكرهون من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب**) رأساً.

(**قيل لعيسى ابن مريم**) عليه السلام: (**من أدبك؟ فقال: ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فجانبته**) فهذا أدب يحصل من النفس عند المخالطة. وذكر الخطيب في تاريخه في ترجمة شريك النخعي بسنده إلى يحي بن يزيد قال: مر شريك بالمستنير بن عمرو النخعي فجلس إليه

فاجتنبته. وهذا كله حيل من فقد شيخاً عارفاً ذكياً بصيراً بعيوب النفس مشفقاً ناصحاً في الدين فارغاً من تهذيب نفسه مشتغلاً بتهذيب عباد الله تعالى ناصحاً لهم، فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده.

بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة أمراض القلوب ترك الشهوات وأن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات:

اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين، فإن عجزت عن ذلك فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد، فإن للإيمان درجة كما أن للعلم درجة، والعلم يحصل بعد الإيمان وهو وراءه قال الله تعالى: ﴿يرفعُ الله

فقال: يا أبا عبد الله من أدبك؟ قال: أدبتني نفسي ثم ساق قصة خروجه من بخاري وطلبه العلم بالكوفة، وما انتهى إليه أمره، فقال المستنير لولده: سمعتم قول ابن عمكم وقد أكثرت عليكم في الأدب فلا أراكم تفلحون، فليؤدب كل رجل منكم فمن أحسن فلها ومن أساء فعليها. وقيل لبعضهم: من أين تعلمت الحلم؟ قال: من جيراني وقيل لآخر: من أين تعلمت الأدب؟ قال من أهل السوق رأيت جهلهم فتجنبته. (**وهذا كله حيل من فقد شيخاً عارفاً ذكياً بصيراً بعيوب الناس مشفقاً ناصحاً في الدين فارغاً عن تهذيب نفسه**) مقبلاً (**مشغولاً بتهذيب عباد الله نصحا لهم**) وابتغاء لمرضاة الله تعالى، (**فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب**) لأمراضه (**فليلازمه، فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده**) وإن لم يوجد فليتنبه للطرق الثلاث إما بتأدب من صديقه أو من عدوّه أو من خليطه ولا أقل من ذلك، فقد روى الديلمي بإسناد جيد من حديث أم سلمة: «إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه» والله الموفق.

بيان شواهد النقل من أرباب البصائر وشواهد الشرع على أن الطريق في معالجة أمراض القلوب بترك الشهوات) وقطع علائقها (**وإن مادة أمراضها هي اتباع الشهوات:**

(**اعلم أن ما ذكرناه إن تأملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشف لك علل القلوب وأمراضها وأدويتها بنور العلم واليقين، وإن عجزت عن ذلك**) ولم يمكنك الاعتبار (**فلا ينبغي أن يفوتك التصديق والإيمان على سبيل التلقي والتقليد لمن يستحق التقليد**) أي هو أهل لأن يقلد لكمال إيمانه وورعه وعلمه وتنوير باطنه، (**فإن للإيمان درجة، كما أن للعلم درجة والعلم**) بالله النافع إنما (**يحصل بعد الإيمان وهو وراءه، قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين**

الذين آمَنُوا مِنْكم والّذين أوتُوا العلمَ درجات﴾ [المجادلة : ١١] فمن صدّق بان مخالفة الشهوات هي الطريق إلى الله عز وجل ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا، وإذا اطلع على ما ذكرناه من أعوان الشهوات فهو من الذين أوتوا العلم وكلاً وعد الله الحسنى.

والذي يقتضي الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنّة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصر. قال الله تعالى: ﴿ونَهَى النفسَ عن الهوى★ فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات : ٤٠ ، ٤١] وقال تعالى: ﴿أولئك الذين امتحنَ الله قلوبَهُم للتقوى﴾ [الحجرات : ٣] قيل: نزع منها محبة الشهوات. وقال ﷺ : « المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان يضله ونفس تنازعه » فبيّن أن النفس عدوّ منازع يجب عليه مجاهدتها.

آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) ففيه بيان تفاوت الدرجات، وأن العلم بعد الإيمان، **(فمن صدق بأن مخالفة الشهوات هو الطريق إلى الله)** تعالى **(ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين آمنوا)** وهو على درجة، **(فإذا طلع على ما ذكرناه من أغوار الشهوات وأسرارها فهو من الذين أوتوا العلم)** وهو على درجة **(وكلا وعد الله الحسنى)** أي الجنة.

(والذي يقتضي الإيمان بهذا الأمر في القرآن والسنة وأقاويل العلماء أكثر من أن يحصى. قال الله تعالى) ﴿فأما من خاف مقام ربه **(ونهي النفس عن الهوى★ فإن الجنة هي المأوى﴾ وقال تعالى)** ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله **(أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى)** لهم مغفرة وأجر عظيم﴾ **(قيل: نزع)** الله **(عنها محبة الشهوات)**، وكتب مجاهد إلى عمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها فكتب عمر: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها أولئك الذي امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم. أخرجه أحمد في الزهد.

وعن قتادة في قوله: ﴿امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾ قال: أخلص الله قلوبهم فيما أحب. أخرجه الفريابي وعبد بن حميد، وابن جرير، والبيهقي في الشعب.

وروى الحكيم عن مكحول رفعه: « نفس ابن آدم شابة ولو التفت ترقوتاه من الكبر إلا من امتحن الله قلبه للتقوى وقليل ما هم ».

(وقال رسول الله ﷺ : « المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقتله، وشيطان يضله، ونفس تنازعه ») قال العراقي: رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس بسند ضعيف، **(فبيَّن أن النفس عدوّ منازع تجب مجاهدته)** لأنه أكبر الأعداء.

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات، فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنّي محجوبة، وقال عيسى عليه السلام: طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره، وقال نبينا ﷺ لقوم قدموا من الجهاد «مرحباً بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قيل يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: «جهاد النفس»، وقال ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله عز وجل» وقال ﷺ: «كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله تعالى إذ تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضاً إلا أن يغفر الله تعالى ويستر». وقال سفيان الثوري: ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نفسي مرة لي ومرة عليّ، وكان أبو العباس الموصلي يقول لنفسه: يا نفس لا في الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الآخرة العباد تجتهدين كأني بك بين الجنة والنار تحبسين، يا نفس ألا تستحين! وقال الحسن: ما

(ويروى) في الإسرائيليات **(أن الله عز وجل أوحى إلى داود)** عليه السلام فقال: **(يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات)** أي الأكل بالشهوات، **(فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة)** أي بصائرها. نقله القشيري في الرسالة. **(وقال عيسى عليه السلام: طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود غائب لم يره)** يعني به أعد الله لتاركها من نعيم الجنان. **(وقال ﷺ لقوم قدموا من الجهاد: «مرحباً بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» فقالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «جهاد النفس»)** قال العراقي: رواه البيهقي في الزهد، وقد تقدم في شرح عجائب القلب. **(وقال ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل»)** قال العراقي: رواه الترمذي في أثناء حديث وصححه، وابن ماجه من حديث فضالة بن عبيد اهـ.

قلت: وكذلك أخرجه ابن حبان في الصحيح، وفي لفظ ابن ماجه: «والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب».

(وقال ﷺ: «كف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها في معصية الله إذ تخاصمك يوم القيامة فيلعن بعضك بعضاً إلا أن يغفر الله تعالى لك ويستر») وقال العراقي: لم أجده بهذا السياق. **(وقال سفيان الثوري)** رحمه الله تعالى: **(ما عالجت شيئاً أشد علي من نفسي مرة لي ومرة عليّ)** أخرجه أبو نعيم في الحلية، **(وكان أبو العباس الموصلي)** رحمه الله تعالى **(يقول)** مخاطباً لنفسه: **(يا نفس لا في الدنيا مع أبناء الملوك تتنعمين، ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين، كأني بك بين الجنة والنار تحبسين. يا نفس ألا تستحيين؟ وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(ما الدابة الجموح)** وهي التي تستعصي راكبها حتى تغلبه **(بأحوج إلى اللجام الشديد)** القوي **(من نفسك)** وإليه أشار صاحب البردة:

الدابة الجموح بأحوج إلى اللجام الشديد من نفسك. وقال يحي بن معاذ الرازي: جاهد نفسك بأسياف الرياضة. والرياضة على أربعة أوجه: القوت من الطعام، والغمض من المنام، والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوة، ومن قلة المنام صفو الإرادة، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الأذى، وإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام، وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع عن الظلم والانتقام، فتأمن من بوائقها من بين سائر الأنام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها، فتصير عند ذلك نظيفة ونورية خفيفة روحانية فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان. وقال أيضاً: أعداء الإنسان ثلاثة: دنياه

من لي بـرد جماح مـن غـوايتها كما يـرد جماح الخيـل بـاللجـم

(**وقال يحي بن معاذ الرازي**) رحمه الله تعالى: (**جاهد النفس بأسياف الرياضة**) وقال القشيري في الرسالة: اعلم أن مخالفة النفس رأس العبادة، وقد سئل المشايخ عن الإسلام فقالوا: ذبح النفس بسيوف المخالفة. ثم قال يحي بن معاذ: (**والرياضة على أربعة أوجه: القوت من الطعام**) أي القدر القليل منه، (**والغمض من المنام**) أي الخفيف منه، (**والحاجة من الكلام**) أي القدر المحتاج منه، (**وحمل الأذى من جميع الأنام**) وهذه الثلاثة الأول من أوصاف الأبدال، فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة، ولا ينامون إلا عن غلبة، ولا يتكلمون إلا عن حاجة، (**فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات، ومن قلة المنام صفو الإرادات، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات، وعن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات**) قال: (**وليس على العبد شيء أشد من الحلم عند الجفا والصبر على الأذى، فإذا تحركت من النفس إرادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيوف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع من الذل والانتقام فتأمن من بوائقها في سائر الأيام**) أي دواهيها ومصائبها، (**ويصفيها من ظلمة شهوات فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورية خفيفة**) لأن ثقلها إنما كان مما يعتريها من مؤن الشهوات، فإذا طهرت خفت وتروضت، (**فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطاعات كالفرس الفاره**) النشيط (**في الميدان، وكالملك المتنزه في البستان**) هذا كله كلام يحي بن معاذ الرازي (**وقال أيضاً: أعداء الإنسان ثلاثة: دنياه، وشيطانه، ونفسه. فاحترس**

وشيطانه ونفسه، فاحترس من الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان بمخالفته، ومن النفس بترك الشهوات.

وقال بعض الحكماء: من استولت عليه النفس صار أسيراً في حب شهواتها، محصوراً في سجن هواها، مقهوراً مغلولاً زمامه في يدها تجره حيث شاءت فتمنع قلبه من الفوائد. وقال جعفر بن حميد: أجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم لا يدرك إلا بترك النعيم. وقال أبو يحي الوراق: من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات. وقال وهيب بن الورد: ما زاد على الخبز فهو شهوة. وقال أيضاً: من أحب شهوات الدنيا فليتهيأ للذل.

ويروى أن امرأة العزيز قالت ليوسف عليه السلام ـ بعد أن ملك خزائن الأرض وقعدت له على رابية الطريق في يوم موكبه وكان يركب في زهاء اثني عشر ألفاً من عظماء مملكته ـ سبحان من جعل الملوك عبيداً بالمعصية وجعل العبيد ملوكاً بطاعتهم له إن الحرص والشهوة صيّرا الملوك عبيداً وذلك جزاء المفسدين، وإن الصبر والتقوى صيّـرا العبيد ملوكاً. فقال يوسف: كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿إنه من يتّق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [يوسف: ٩٠].

من الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان بمخالفته) فيما يأمر وينهي، **(ومن النفس بترك الشهوات)**.

(وقال بعض الحكماء: من استولت عليه النفس) أي غلبت عليه وقهرته **(صار أسيراً في حب شهواتها محصوراً)** أي محبوساً **(في سجن هواها ومنعت قلبه الفوائد)** الحاصلة له من منازلات الملائكة بالرحمة. **(وقال جعفر بن محمد)** وهو الصادق وفي بعض النسخ جعفر بن حميد: **(اجمعت العلماء والحكماء على أن النعيم)** الأخروي **(لا يدرك إلا بترك النعيم)** الدنيوي. وقال أبو يحي الوراق: **(من أرضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات. وقال وهب)** بن منبه[1]: **(ما زيد على الخبز فهو شهوة. وقال وهيب بن الورد)** المكي: **(من أراد شهوات الدنيا فليتهيأ للذل)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(ويروى أن امرأة العزيز) واسمها زليخا **(قالت ليوسف عليه السلام بعد ما ملك خزائن الأرض: يا يوسف إن الحرص والشهوة صيرا الملوك عبيداً، وأن الصبر والتقوى صير العبيد ملوكاً، فقال يوسف)** عليه السلام: **(قال الله عز وجل: ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾)**.

---

(١) ورد في الإحياء: «وهيب بن الورد» بدلاً من «وهب بن منبه».

وقال الجنيد: أرقت ليلة فقمت إلى وردي فلم أجد الحلاوة التي كنت أجدها، فأردت أن أنام فلم أقدر، فجلست فلم أطق الجلوس، فخرجت فإذا رجل ملتف في عباءة مطروح على الطريق، فلما أحس بي قال: يا أبا القاسم إليّ الساعة، فقلت: يا سيدي من غير موعد؟ فقال: بلى سألت الله عز وجل أن يحرك لي قلبك، فقلت: قد فعل فما حاجتك؟ قال: فمتى يصير داء النفس دواءها؟ فقلت: إذا خالفت النفس هواها، فأقبل على نفسه فقال: اسمعي فقد أجبتك بهذا سبع مرات فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنيد ها قد سمعتيه، ثم انصرف وما عرفته. وقال يزيد الرقاشي: إليكم عني الماء البارد في الدنيا لعلي لا أحرمه في الآخرة. وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: متى أتكلم؟ قال: إذا اشتهيت الصمت، قال: متى أصمت؟ قال: إذا اشتهيت الكلام. وقال علي رضي الله عنه: من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا. وكان مالك بن

(**وقال**) القشيري في الرسالة: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت إبراهيم بن مقسم ببغداد يقول: سمعت ابن عطاء يقول: قال: (**الجنيد**) رحمه الله تعالى: (**أرقت**) بكسر الراء أي سهرت (**ليلة فقمت إلى وردي**) من الصلاة، (**فلم أجد الحلاوة التي كنت أجدها**) من قبل أي التلذذ بالمناجاة فتحيرت في سببه، (**فأردت أن أنام فلم أقدر**) عليه وأنا على هذه الحال، (**فقعدت**) لأذكر الله في غير صلاة (**فلم أطق القعود**) ففتحت الباب (**فخرجت**) أنتظر الفرج، (**فإذا رجل ملتف في عباءة**) بالمد كساء من صوف (**مطروح على الطريق فلما أحس بي**) رفع رأسه و(**قال: يا أبا القاسم إليّ الساعة**) أي لم لم تخرج من حين تحيرت؟ وهذا منه مكاشفة بحالة الجنيد، (**فقلت**) له: (**يا سيدي**) جئتني (**عن غير موعد بوقت فقال: بلى**) جئتك بموعد، فإني (**قد سألت محرك القلوب أن يحرك لي قلبك**) أي فالوقت الذي طلبتك فيه منه هو أول ما حركك فهو الموعد، (**فقلت: قد فعل ذلك**) أي حركني لك (**فما حاجتك؟ فقال: متى يصير داء النفس دواءها؟ فقلت: إذا خالفت النفس هواها فأقبل على نفسه وقال: اسمعي قد أجبتك بهذا**) الجواب (**سبع مرات فأبيت أن تسمعيه**) أي تقبليه (**إلا من الجنيد**) فقد سمعت ذلك منه (**فانصرف وما عرفته**)، فعلم من هذه القصة أن الدواء النافع للنفس مخالفة هواها بما يرضي مولاها. (**وقال يزيد**) بن أبان (**الرقاشي**) بتخفيف القاف أبو عمرو البصري القاص، زاهد ضعيف، مات قبل العشرين بعد المائة: (**إليكم عني الماء البارد في الدنيا لعلي لا أحرمه في الآخرة**) لما علم أن نفسه تشتهي الماء البارد منعها منه حسماً لشهوتها (**وقال رجل لعمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى (**متى أتكلم؟ قال: إذا اشتهيت الصمت. فقال: فمتى أصمت قال إذا اشتهيت الكلام**) أي خالف نفسك في هواها، فإذا أطمأنت إلى الكلام فخالفها بما يضاده وهو السكوت وبالعكس. (**وقال علي كرم الله وجهه: من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا**) لأن الجنة حفت بالمكاره، كما أن النار حفت بالشهوات، (**وكان مالك بن دينار**)

دينار يطوف في السوق فإذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه: اصبري فوالله ما أمنعك إلا من كرامتك عليّ.

فإذاً قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات، فالإيمان بهذا واجب. وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك لا يدرك إلا بما قدمناه. وحاصل الرياضة وسرها أن لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة، فيكون مقتصراً من الأكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة، فإنه لو تمتع بشيء منه أنس به وألفه، فإذا مات تمنى الرجوع إلى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع

البصري رحمه الله تعالى (**يطوف في السوق، فإذا رأى الشيء يشتهيه قال لنفسه: اصبري فوالله ما أمنعك**) عنه (**إلا من كرامتك عليّ**) وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: أشد الجهاد جهاد الهوى من منع نفسه هواها، فقد استراح من الدنيا وبلاها، وكان محفوظاً ومعافى من أذاها.

وقد أورد القشيري في الرسالة في باب مخالفة النفس وذكر عيوبها ما يحسن إيراده هنا قال: قال ذو النون المصري: مفتاح العبادة الفكر وعلامة الإصابة مخالفة النفس والهوى ومخالفتها ترك شهواتها. وقال ابن عطاء: النفس مجبولة على سوء الأدب، والعبد مأمور بملازمة الأدب، فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة، والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة، فمن أطلق عنانها فهو شريكها معها في فسادها. وقال أبو حفص الحداد: من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أيامه كان مغروراً ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد أهلكها. وقال أبو بكر الطبستاني: النعمة العظمى الخروج عن النفس لأن النفس أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى: وقال سهل: ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة النفس والهوى، وسئل ابن عطاء عن أقرب شيء إلى مقت الله تعالى. فقال: رؤية النفس وأحوالها وأشد من ذلك مطالعة الأعواض على أفعالها. وقال محمد بن عبد الله: آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه.

(**فإذاً قد اتفق العلماء والحكماء على أن لا طريق إلى سعادة الآخرة**) التي هي بقاء بلا فناء (**إلا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات، فالإيمان بهذا واجب، وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف مما قدمناه. وحاصل الرياضة وسرّها أن لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة**) والاحتياج، (**فيكون مقتصراً من الأكل**) والشرب (**والنكاح والمسكن**) والمركب، (**وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة**) الداعية فقط، (**فإنه لو تمتع بشيء منه أنس به**) طبعاً وعادة (**وألفه، فإذا ما تمنى الرجوع إلى الدنيا ولا يتمنى الرجوع إلى الدنيا إلا من لاحظ له في الآخرة**) إلا ما

إلى الدنيا إلا من لا حظ له في الآخرة بحال، ولا خلاص منه إلا بأن يكون القلب مشغولاً بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه والانقطاع إليه، ولا قوّة على ذلك إلا بالله، ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الذكر والفكر فقط. فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه والناس فيه أربعة.

الأول: رجل مستغرق قلبه بذكر الله فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين، ولا ينتهي إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة.

الثاني: رجل استغرقت الدنيا قلبه ولم يبق لله تعالى ذكر في قلبه إلا من حيث حديث النفس، حيث يذكره باللسان لا بالقلب فهذا من الهالكين.

والثالث: رجل اشتغل بالدنيا والدين، ولكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد له من ورود النار إلا أن ينجو منها سريعاً بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه.

والرابع: رجل اشتغل بهما جميعاً، لكن الدنيا أغلب على قلبه فهذا يطول مقامه في

استثني في الأحاديث الواردة كالشهيد وأضرابه، فإنهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا لا لأجل الدنيا بل لما يرون من حظ الآخرة المترتب على ذلك العمل الذي فارقوا عليه. **(ولا خلاص عن ذلك إلا بأن يكون القلب مشغولاً بمعرفة الله وحبه والتفكر فيه ويقتصر من الدنيا على ما يدفع عوائق الفكرة والذكر فقط)** ويراعي فيه حال كل إنسان بحسب ما يقتضيه وقته، **(فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه، فالناس فيه أربعة)**.

(الأول: رجل استغرق ذكر الله قلبه فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات المعيشة) التي لا بد منها، **(فهو من الصديقين)** وهذا الاستغراق يكون بالذكر القلبي والمراقبة الدائمة حتى يمتزج باطن القلب بالذكر فلا يجد مساغاً فيه لغيره، **(ولا ينتهي إلى هذه الرتبة إلا بالرياضة الطويلة)** والمجاهدة الشاقة، **(والصبر عن الشهوات مدة مديدة)** حتى تتمرن النفس على ذلك.

(والثاني: رجل استغرقت الدنيا قلبه) واستولت عليه من سائر نواحيه، **(فلم تبق لله ذكراً في قلبه إلا من حيث حديث النفس حيث يذكره باللسان)** ولا يجاوز قلبه فجميع عباداته عادات ومراءاة. **(وهذا من الهالكين)** في أودية الغفلة والضلال.

(والثالث: رجل اشتغل بالدين والدنيا جميعاً لكن الغالب على قلبه هو الدين، فهذا بدّ له من ورود النار إلا أنه ينجو منها سريعاً بقدر غلبة ذكر الله على قلبه.

والرابع: رجل يشتغل بهما جميعاً، لكن الدنيا أغلب على قلبه، فهذا يطول مقامه في

النار لكن يخرج منها لا محالة لقوّة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده، وإن كان ذكر الدنيا أغلب على قلبه: اللهم إنا نعوذ بك من خزيك فإنك أنت المعاذ.

وربما يقول القائل ان التنعم بالمباح مباح، فكيف يكون التنعم سبب البعد من الله عز وجل؟ وهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة وسبب احباط كل حسنة. والمباح الخارج عن قدر الحاجة أيضاً من الدنيا وهو سبب البعد ـ وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا ـ وقد قال إبراهيم الخوّاص: كنت مرة في جبل اللكام فرأيت رماناً فاشتهيته فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركتها، فرأيت رجلاً مطروحاً وقد اجتمعت عليه الزنابير فقلت: السلام عليك، فقال: وعليك السلام يا إبراهيم، فقلت: كيف عرفتني؟ فقال: من عرف الله عز وجل لم يخف عليه شيء، فقلت: أرى لك حالاً مع الله عز وجل فلو سألته أن يحميك من هذه الزنابير؟ فقال: وأرى لك حالاً

النار، ولكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله في قلبه وتمكنه من صميم فؤاده، وإن كان ذكر الدنيا أغلب عليه) ويؤيده ما تقدم في الخبر: «أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردلة من الإيمان».

(وربما يقول القائل: إن التنعم بالمباح مباح، فكيف يكون سبب البعد من الله) تعالى؟ **(فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة)** كما رواه البيهقي في الشعب بإسناد حسن إلى الحسن البصري مرسلاً مرفوعاً. وأورده الديلمي في الفردوس وتبعه ولده بلا إسناد عن علي مرفوعاً، وهو عند البيهقي أيضاً في الزهد، وأبي نعيم في الحلية في ترجمة الثوري من قول عيسى ابن مريم عليه السلام، وعند ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان من قول مالك بن دينار، وعند ابن يونس في ترجمة سعد بن مسعود التجيبي من تاريخ مصر له من كلام سعد هذا. **(والمباح الخارج عن قدر الحاجة من الدنيا أيضاً وهو سبب البعد، وسيأتي ذكره في كتاب ذم الدنيا)** إن شاء الله تعالى. **(وقد قال)** القشيري في الرسالة: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت **(إبراهيم الخواص)** يقول: **(كنت في جبل اللكام)** كغراب جبل بالشام أعلى الجبال وأشمخها وهو مأوى العباد والصالحين، **(فرأيت رماناً)** أي شجراً عليه رمان وكنت عزمت على تركه لله تعالى **(فاشتهيته)** لما مررت به، فدنوت **(فأخذت منه رمانة واحدة فشققها فوجدتها حامضة)** فلم آكل منها شيئاً أدب بذلك لمخالفة عزمه، **(فمضيت وتركت الرمان، فرأيت رجلاً مطروحاً)** على الأرض **(قد اجتمع عليه الزنابير)** أي الدبر تقع على جراحاته، **(فقلت: السلام عليك. فقال: وعليك السلام يا إبراهيم، فقلت)** له: **(كيف عرفتني؟ فقال: من عرف الله لا يخفى عليه شيء)** بأن ييسر الله له كل ما يريده تارة بالسؤال وتارة بغيره، **(فقلت)** له: **(أرى لك حالاً مع الله)** تعالى،

مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك من شهوة الرمان فإن لدغ الرمان يجد الانسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا ، فتركته ومضيت . وقال السري : أنا منذ أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغمس خبزة في دبس فما اطعمتها .

فإذاً لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الآخرة ما لم يمنع نفسه عن التنعم بالمباح ، فإن النفس إذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات ، فمن أراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه أن يلزمه السكوت ؛ إلا عن ذكر الله وإلا عن المهمات في الدين ،

(**فلو سألته أن يحميك من هذه** الزنابير) ويقيك من أذاها كان خيراً لك . (**فقال:**) وأنا أيضاً (**أرى لك حالاً مع الله**) تعالى (**فلو سألته أن يحميك شهوة الرمان**) كان خيراً لك ، (**فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنانير يجد ألمه في الدنيا**) وألم الدنيا أهون من ألم الآخرة ، (**فتركته ومضيت**) لشأني خشية أن أشتغل به فيفسد به علي توكلي دل كلام المطروح الأول على أنه من العارفين، وكلامه الثاني أنه من المكاشفين ، ودل سياق القصة على أن شهوة الرمان وإن كان مباحاً أكله فهي من جملة الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة وأي خطيئة أعظم من بقاء الألم إلى آخر الأبد .

(**وقال**) القشيري أيضاً : سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت أبا العباس البغدادي يقول : سمعت جعفر بن نصير يقول : سمعت الجنيد يقول : سمعت (**السري**) السقطي يقول : (**منذ**) ثلاثين أو (**أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغمس خبزاً في دبس فما أطعمتها**) ذلك ، وإنما ذكر هذا لمن يقتدى به من أصحابه بكمال مجاهدته لنفسه وتعظيمه لربه ومخالفته لما تركه لوجهه .

وروى أبو نعيم في ترجمة مالك بن دينار من الحلية قال: قال مالك بن دينار لرجل من أصحابه: إني لأشتهي رغيفاً بلبن رائب . قال: فانطلق فجاء به . قال: فجعل له على الرغيف ، فجعل مالك يقلبه وينظر إليه ثم قال: اشتهيتك منذ أربعين سنة فغلبتك حتى كان اليوم تريد أن تغلبني إليك عني وأبى أن يأكله .

ومن طريق المنذر أبي يحي قال: رأيت مالك بن دينار ومعه كراع من هذه الأكارع التي قد طبخت . قال: فهو يشمه ساعة فساعة . قال: ثم مرّ على شيخ مسكين على ظهر الطريق يتصدق بقال: هاه يا شيخ فناوله إياه ثم مسح يده بالجدار ، ثم وضع كساءه على رأسه وذهب ، فلقيت صديقاً له فقلت: رأيت من مالك كذا وكذا . قال: أنا أخبرك كان يشتهيه منذ زمان فاشتراه ، فلم تطب نفسه أن يأكله فتصدق به .

(**فإذاً لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الله ما لم يمنع النفس من التنعم بالمباح فإن النفس إذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات**) ولم تزل به حتى توقعه فيها ، (**فمن أراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه أن يلزمه السكوت**) أبداً (**إلا عن المهات**)

حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم إلا بحق فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة. ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر إلى ما لا يحل، وكذلك سائر الشهوات، لأن الذي يشتهي به الحلال هو بعينه الذي يشتهي به الحرام، فالشهوة واحدة وقد وجب على العبد منعها من الحرام فإن لم يعوّدها الاقتصار على قدر الضرورة من الشهوات غلبته. فهذه إحدى آفات المباحات ووراءها آفات عظيمة أعظم من هذه، وهو أن النفس تفرح بالتنعم في الدنيا وتركن إليها وتطمئن إليها أشراً وبطراً حتى تصير ثملة كالسكران الذي لا يفيق من سكره. وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل يسري بالعروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال يوم القيامة، وهذا هو موت القلب. قال الله تعالى: ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾ [يونس: ٧] وقال تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاعٌ﴾ [الرعد: ٢٦] وقال تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد﴾ [الحديد: ٢٠] الآية. وكل ذلك ذم لها فنسأل الله السلامة.

فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمؤاتاة الدنيا فوجدوها

الضرورية، (**حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم إلا بحق**) في حق عن حق، (**فيكون سكوته عبادة وكلامه عبادة**) إذا كانا بحق. (**ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تتحفظ من النظر إلى مالا يحل**) من المحظورات، (**وكذلك سائر الشهوات لأن الذي يشتهي به الحلال هو بعينه الذي يشتهي به الحرام، فالشهوة واحدة. وقد وجب على العبد منعها عن الحرام، فإن لم تتعود الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة**) فاستولت عليه. (**فهذه إحدى آفات المباحات، ووراء هذا آفة أعظم من هذه، وهو أن النفس تفرح بالتنعم بالدنيا وتركن إليها وتطمئن بها**) وينشرح صدره لزخارفها (**أشراً**) أي فرحاً (**وبطراً حتى تصير ممتلئة بها كالسكران الذي لا يفيق من سكره، وذلك الفرح بالدنيا**) بهذا الحد (**سم قاتل يسري في العروق**) ويمتلىء به البدن (**فيخرج من القلب الخوف**) من الله تعالى (**والحزن الذي قال مالك بن دينار: القلب العاري منه خراب كالدار**) التي لا ساكن بها، (**وذكر الموت وأهوال القيامة وهذا هو موت القلب**) أعاذنا الله من ذلك، (**قال الله**) تعالى: (**وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلاَّ متاع﴾ وقال تعالى: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهو وزينة وتفاخر﴾ إلى قوله ﴿إلاَّ متاع الغرور﴾**) وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الباب.

(**فأولو الحزم**) والبصيرة المنوّرة (**من أرباب القلوب جربوا قلوبهم في حالة الفرح**

قاسية نفرة بعيدة التأثر عن ذكر الله واليوم الآخر، وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الذكر. فعلموا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد من أسباب الفرح والبطر، ففطموها عن ملاذها وعوّدوها الصبر عن شهواتها - حلالها وحرامها - وعلموا أن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وهو نوع عذاب، فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب. فخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك الدائم في الدنيا والآخرة بالخلاص من أثر الشهوات ورقها والأنس بذكر الله عز وجل والاشتغال بطاعته. وفعلوا بها ما يفعل بالبازي إذا قصد تأديبه ونقله من التوثب والاستيحاش إلى الانقياد والتأديب؛ فإنه يحبس أوّلاً في بيت مظلم وتخاط عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جوّ الهواء، وينسى ما قد كان ألفه من طبع الاسترسال، ثم يرفق به باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه إلفاً إذا دعاه أجابه، ومهما سمع صوته رجع إليه. فكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره إلا

بمؤاتاة الدنيا) وموافقتها **(فوجدوها قاسية بطرة بعيدة)** بطيئة **(من التأثر بذكر الله)** تعالى **(واليوم الآخر، وجربوها في حال الحزن فوجدوها لينة)** هينة **(رقيقة صافية قابلة لأثر الذكر، فعلموا أن النجاة في الحزن الدائم والتباعد عن أسباب البطر والفرح)** وأن الهلاك الدائم في أسباب الفرح، **(ففطموها عن ملاذها)** ومتنعماتها **(وعوّدوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها)** ولله دار القائل:

إن لله عبـــاداً فطنـــا طلقوا الدنيـا وخـافـوا الفتنـا
نظـروا فيهـا فلما علمـوا انها ليسـت لحي وطنـا
جعلـوهـا لجةً واتخذوا صالـح الأعمال فيهـا سفنـا

(وعلموا أن حلالها حساب وهو نوع عذاب، فمن نوقش الحساب في عرصات القيامة فقد عذب). وقد روى الشيخان من حديث عائشة « من نوقش الحساب عذب » وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن الزبير من نوقش المحاسبة هلك، **(فخلعوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية)** الحقيقية **(والملك في الدنيا والآخرة بالخلاص عن أسر الشهوات ورقها والإنس بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته)** على الدوام. **(وفعلوا بها ما يفعل بالبازي)** الذي يُتخذ للصيد **(إذا قصد تأديبه)** وتهذيبه، **(ونقله عن توثبه وتوحشه)** كما هو من طبعه **(إلى الانقياد)** والامتثال للصائد **(والتأدب)** عند الإرسال والدعاء، **(فإنه يحبس أوّلاً في بيت وتخاط عيناه)** بأن يجعل عليهما حجاب كالأقماع **(حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جوّ الهواء وينسى ما كان قد ألفه من طبع الاسترسال ثم يرفق به باللحم)** قليلاً قليلاً على التدريج، **(حتى يأنس بصاحبه ويألفه إلفاً إذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع إليه)** ولو كان بعيداً. **(وكذلك النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره إلا إذا فطمت عن عاداتها)**

إذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أولاً ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات، ثم عوّدت الثناء والذكر والدعاء ثانياً في الخلوة حتى يغلب عليها الانس بذكر الله عز وجل عوضاً عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات، وذلك يثقل على المريد في البداية ثم يتنعم به في النهاية، كالصبي يفطم عن الثدي وهو شديد عليه إذا كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام، ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلاً عن اللبن، ولكن إذا منع اللبن رأساً يوماً فيوماً وعظم تعبه في الصبر عليه وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفاً. ثم يصير له طبعاً. فلو ردّ بعد ذلك إلى الثدي لم يرجع إليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويألف الطعام. وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهراً، وتمنع عن السراح الذي ألفته بالسلاسل والقيود أولاً، ثم تأنس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد. فكذلك تؤدّب النفس كما يؤدّب الطير والدواب، وتأديبها بأن تمنع من النظر والأنس والفرح بنعم الدنيا بل بكل ما يزايلها بالموت، إذ قيل له أحبب ما أحببت فإنك مفارقه. فإذا علم أن من أحب شيئاً يلزمه فراقه ويشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا

المألوفة (**بالخلوة والعزلة أوّلاً لتحفظ السمع والبصر عن المألوفات**) العادية، (**ثم عوّدت الثناء**) والتحميد والتقديس (**والذكر**) باللسان والقلب معاً (**والدعاء**) والتضرع والابتهال (**ثانياً في الخلوة**) وعلى حين الغفلة عن الناس حتى يغلب عليها الانس والاطمئنان (**بذكر الله**) تعالى (**عوضاً عن الإنس بالدنيا وسائر الشهوات، وذلك يثقل على المريد في البداية**) أي في أوّل دخوله في السلوك، (**ثم يتنعم به**) ويستلذه (**في النهاية**) أي عند انتهاء أمره في السلوك (**كالصبي**) الرضيع الذي (**يفطم عن الثدي وهو**) أي الفطم (**شديد عليه**) جداً (**إذا كان**) قد ألفه (**لا يصبر عنه ساعة**) فلذلك تراه (**يشتد بكاؤه وجزعه عند الفطام**) ويهزل جسده ويصفر لونه (**ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلاً عن اللبن، ولكنه إذا منع اللبن رأساً يوماً بعد يوم وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفاً**) وهلم جرّاً (**ثم يصير طبعاً فيما بعد، فلو ردّ إلى الثدي**) ثانياً (**لم يرجع إليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن**) أي يكرهه (**ويألف الطعام، وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهراً**) عليها (**وتمنع عن الانسراح**) والاسترسال (**الذي ألفته بالسلاسل والقيود أوّلاً، ثم تأنس به بحيث تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد**) ولا سلسلة. (**فكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطيور والدواب وتأديبها بأن تمنع عن الأشر والبطر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما تزايله**) أي تفارقه (**بالموت فيقال لها: أحبب ما أحببت فإنك مفارقه**) روى الترمذي والبيهقي من حديث أبي هريرة «أحبب حبيبك هوناً مّا عسى أن يكون بغيضك يوماً مّا» الحديث. (**فإذا علم أنه من أحب شيئاً يلزمه فراقه**) بالموت

يفارقه وهو ذكر الله تعالى، فإن ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه. وكل ذلك يتم بالصبر أوّلاً أياماً قلائل فإن العمر قليل بالإضافة إلى مدة حياة الآخرة. وما من عاقل إلا وهو راض باحتمال المشقة في سفره وتعلم صناعة وغيرها شهراً ليتنعم به سنة أو دهراً. وكل العمر بالإضافة إلى الابد أقل من الشهر بالإضافة إلى عمر الدنيا. فلا بدّ من الصبر والمجاهدة. فعند الصباح يحمد القوم السرى وتذهب عنهم عمايات الكرى، كما قاله علي رضي الله عنه.

وطريق المجاهدة والرياضة لكل إنسان تختلف بحسب اختلاف أحواله. والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا، فالذي يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول في الوعظ أو بالعز في القضاء والولاية أو بكثرة الاتباع في التدريس والإفادة، فينبغي أن يترك أولاً ما به فرحه، فإنه إن منع عن شيء من ذلك فقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن بها، وذلك مهلك في حقه. ثم إذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله تعالى والفكر فيه، وليترصد لما يبدو في نفسه من شهوة

(**ويشقى لا محالة لفراقه شغل قلبه بحب ما لا يفارقه**) أبداً (**وهو ذكر الله تعالى، فإن ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أياماً قلائل فالعمر قليل بالإضافة إلى مدة حياة الآخرة**) فإنها أبدية (**وما من عاقل إلا وهو راض باحتمال المشقة**) والتعب (**في سفره وتعلم صناعته وغير ذلك شهراً يتنعم به سنة، فكل العمر بالإضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالاضافة إلى عمر الدنيا، فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى**) وهو سير الليل، فمن أسهر ليله سارياً إلى مقصوده فإذا أصبح ورأى نفسه قد قطع مفاوز لم يكن يمكن قطعها في النهار يحمد نفسه على حسن اجتهاده لنيله مقصوده، بخلاف من آثر الكسل واختار الراحة والنوم يندم إذا أصبح عليه النهار وهذا مثل مشهور.

(**وطريق الرياضة والمجاهدة بكل إنسان يختلف بحسب اختلاف أحواله والأصل فيه أن يترك كل واحد ما به فرحه من أسباب الدنيا. فالذي يفرح بالمال أو بالجاه أو بالقبول في الوعظ**) على العامة (**أوبالعز في القضاء والولاية**) للأعمال (**أو بكثرة الأتباع**) من الطلبة (**في التدريس والإفادة**) أو بكثرة المريدين في مشيخة الزاوية، (**فينبغي أن يترك أوّلاً ما به فرحه وابتهاجه فإنه إن منع عن شيء من ذلك وقيل له ثوابك في الآخرة لم ينقص بالمنع فكره ذلك وتألم به، فهو ممن فرح بالحياة الدنيا واطمأن إليها، وذلك مهلك في حقه، ثم إذا ترك أسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل إلا بذكر الله والفكر فيه**) ويحفظ هذه الكيفية حتى يرسخ فيه الذكر ولترصد لما يبدر في نفسه من شهوة

ووسواس حتى يقمع مادّته مهما ظهر، فإن لكل وسوسة سبباً ولا تزول إلا بقطع ذلك السبب والعلاقة. وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر إلا الموت.

بيان علامات حسن الخلق:

اعلم أن كل انسان جاهل بعيوب نفسه، فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما يظن بنفسه أنه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة، فلا بدّ من إيضاح علامة حسن الخلق. فإن حسن الخلق هو الإيمان، وسوء الخلق هو النفاق، وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق. فلنورد جملة من ذلك لتعلم آية حسن الخلق. قال الله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون﴾ إلى قوله: ﴿أولئك هم الوارثون﴾ [المؤمنون: ١ - ١٠] وقال عز وجل: ﴿التائبون العابدون الحامدون﴾ إلى قوله ﴿وبشر المؤمنين﴾ [التوبة: ١١٢] وقال عز وجل: ﴿إنّما المؤمنون الّذين إذ ذُكر اللهُ وجلتْ قلوبُهُم﴾ إلى قوله: ﴿أولئك هُمُ المؤمنون

ووسواس) وخطرة. (**حتى يقمع مادته مهما ظهر، فإن لكل وسوسة**) ظهرت في القلب (**سبباً** إما ظاهراً وإما خفياً **ولا تزول**) عنه (**إلا بقطع**) ذلك (**السبب والعلاقة**) كما تقدم ذلك في الكتاب الذي قبله: (**وليلازم ذلك بقية العمر**) على هذا المنوال، (**فليس للجهاد آخر إلا الموت والسلام**) إلا أنه قد يقع لها المجاهد الذاكر في أثناء اشتغاله أنوار ووقائع وأحوال، فينبغي له الإعراض عنها والاشتغال بالمقصود الحقيقي ولله در القائل:

فـال لي حسـن كـل شيء تجلى ... بي تملى فقلـت قصـدي وراكـا

والله الموفق.

بيان علامات حسن الخلق:

(**اعلم أن كل إنسان فهو جاهل بعيب نفسه، فإذا جاهد نفسه أدنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي**) وهي الظاهرة (**ربما ظن بنفسه أنه قد هذّب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة**) وتم له الأمر في السلوك. (**فلا بدّ من إيضاح علامة حسن الخلق فإن حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق، وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين**) جميعا في كتابه العزيز (**وهي**) أي تلك الصفات (**بجملتها ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق، فنورد جملة من ذلك لتعلم به حسن الخلق فقد قال الله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ إلى قوله ﴿أولئك هم الوارثون﴾ وقال**) تعالى: (**﴿التائبون العابدون﴾ إلى قوله ﴿وبشر المؤمنين﴾ وقال**) تعالى: (**﴿الذين إذا ذكر الله وجلت**

حقاً﴾ [الأنفال: ٢ ، ٣] قال تعالى: ﴿وعبادُ الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبَهُم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ [الفرقان: ٦٣] إلى آخر السورة. فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق، وفقد جميعها علامة سوء الخلق، ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده. وقد وصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال: « المؤمن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه » وقال عليه السلام: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وقال

قلوبهم﴾ إلى قوله ﴿**أولئك هم المؤمنون حقاً**﴾ **وكذلك قال**) تعالى: (﴿**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً**﴾ **إلى آخر السورة**). فهذه الأوصاف المذكورة للمؤمنين وعباده الصالحين، (**فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات**) هل يجد فيها من هذه الأوصاف شيئاً إما كلها أو بعضها، (**فوجود هذه الصفات علامة حسن الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض، فليشتغل بتحصيل ما فقده**) بالرياضة والتكلف (**وحفظ ما وجده**) عن التغير والتبدل، (**ووصف رسول الله ﷺ المؤمن بصفات كثيرة وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال**) « المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم » وقال « المؤمن يألف ويؤلف » وقال « المؤمن أخو المؤمن يكن عليه ضيعته ويحوطه من ورائه ولا يدع نصيحته على كل حال » وقال « المؤمن يغار » وقال « المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم » وقال « المؤمن يسير المؤنة » وقال « المؤمن كيس فطن » وقال « المؤمن هين لين حتى تخاله من اللين أحمق » وقال « المؤمن واه راقع » وقال « المؤمن إن ماشيته نفعك وإن شاورته نفعك وإن شاركته نفعك وكل شيء من أمره منفعة » وقال « المؤمن كالجمل الدنف إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ » وقال « يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد في الرأس » وقال: (« **المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه** ») هو في الصحيحين من حديث أنس بلفظ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ». ورواه كذلك ابن المبارك والطيالسي وعبد بن حميد والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي، وزاد الخرائطي في مكارم الأخلاق « من الخير ». وقد رواه ابن عساكر من حديث يزيد القشيري بزيادة « والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ولا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره شره ».

(**وقال**) ﷺ: (« **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه** ») متفق عليه من حديث أبي شريح الخزاعي، ومن حديث أبي هريرة. ورواه أيضاً الطبراني من حديث ابن عمر، ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بزيادة قالوا: وما كرامة الضيف؟ قال « ثلاثة أيام فما جلس بعد ذلك فهو صدقة ».

ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » وقال: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » وذكر أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال ﷺ: « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً » وقال ﷺ: « إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة ». وقال: « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن » وقال « لا يحل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه » وقال عليه السلام « لا يحل

(وقال) ﷺ: **(« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره »)** متفق عليه من حديثها أيضاً وهو بعض الحديث الذي قبله، ورواه أبو نعيم في الحلية والضياء من حديث أبي سعيد بلفظ « فلا يؤذ جاره » وكذلك رواه الخطيب من حديث أبي شريح مقتصراً على هذه القطعة وعند ابن النجار من حديث علي « لا يؤمن بالله من لم يكرم جاره ».

(وقال) ﷺ: **(« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت »)** متفق عليه من حديثها أيضاً وهو بعض الحديث الذي قبله، وقد رواه الطبراني مع الذي قبله فقط من حديث ابن عباس، ومع الجملة الأولى فقط من حديث ابن عمر بزيادة « فليتق الله قبل كل منهما ».

(وذكر) ﷺ **(أن صفات المؤمنين هي حسن الخلق فقال « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً »)** وفي لفظ: خلقاً. رواه أحمد وأبو داود والبيهقي والحاكم من حديث أبي هريرة وقد تقدم غير مرة. **(وقال** ﷺ **« إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فإنه يلقي الحكمة)** قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي خلاد بلفظ « إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهداً في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقي الحكمة » وقد تقدم.

قلت: وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب، وروياه أيضاً من حديث أبي هريرة وسنده ضعيف.

(وقال ﷺ**: « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن »)** أي كامل لأن من لا يرى للحسنة فائدة ولا للمعصية آفة، فذلك يكون من استحكام الغفلة على قلبه فإيمانه ناقص، بل يدل ذلك على استهانته بالدين قال العراقي: رواه أحمد والطبراني والحاكم وصححه على شرطهما من حديث أبي موسى، ورواه الطبراني والحاكم وصححه على شرطهما من حديث أبي أمامة اهـ.

قلت: رواه كذلك النسائي في الكبرى، والخطيب من حديث جابر بن سمرة أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقال: قال رسول الله ﷺ « من سرته » إلى آخره. وفي إسناد الطبراني إلى أبي موسى بن عتيك وهو ضعيف جداً.

(وقال ﷺ**: « لا يحل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه »)** قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق وفي البر والصلة مرسلاً وقد تقدم. **(وقال** ﷺ **« لا يحل لمسلم أن**

لمسلم أن يروّع مسلماً » وقال ﷺ : « إنما يتجالس المتجالسان بامانة الله عز وجل فلا يحل لأحدهما أن يفشي على أخيه ما يكرهه ».

وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان، قليل الكلام كثير العمل، قليل الزلل قليل الفضول، براً وصولاً وقوراً صبوراً شكوراً، راضياً حليماً رفيقاً عفيفاً شفيقاً، لا لعاناً ولا سباباً ولانماماً ولا مغتاباً ولا عجولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً، بشاشاً هشاشاً يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب في الله فهذا هو حسن الخلق.

يروع مسلماً) أي يفزعه وإن كان هازلاً كإشارته بسيف أو حديدة أو أفعى أو أخذ متاعه فيفزع لفقده لما فيه من إدخال الأذى والضرر عليه. قال العراقي: رواه أبو داود من رواية عبد الرحمن ابن أبي ليلى. قال: حدثنا رجال من الصحابة فذكره مرفوعاً، وفي أوله قصة. وواه الطبراني في الكبير والأوسط من حديث النعمان بن بشير والبزار من حديث ابن عمر واسناده ضعيف اهـ.

قلت: ورواه من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى أيضاً أحمد والبغوي والبيهقي، وعندهم عن أصحاب محمد أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ففزعه فذكره رسول الله ﷺ، وحديث ابن عمر رواه أيضاً الدارقطني في الأفراد، ورواه ابن المبارك في الزهد من حديث أبي هريرة. وبخط الحافظ ابن حجر على هامش المغني، ورواه إسحاق بن راهويه من حديث أبي هريرة وأبو نعيم في تاريخه من حديث أنس.

(وقال ﷺ « إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله) تعالى **(فلا يحل لأحدهما أن يفشي على أخيه ما يكره »)** من إفشائه فيه حفظ المسلم سر أخيه وتأكد الاحتياط لحفظ الأسرار، ولا سيما عن الأشرار، رواه ابن لال وأبو الشيخ من حديث ابن مسعود بسند ضعيف، ورواه البيهقي في الشعب مرسلاً وقال: هذا مرسل جيد، وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة.

(وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: أن يكون كثير الحياء) من الله ومن الناس **(قليل الأذى)** لجاره ولصاحبه **(كثير الصلاح)** في عمله وشأنه **(صدوق اللسان)** في جميع أقواله، **(قليل الكلام)** في محاوراته، **(كثير العمل)** بجوارحه، **(قليل الزلل)** في حركاته وسكناته، **(قليل الفضول)** في منطقه ومأكله وملبسه ومشربه، **(براً)** بوالديه وأشياخه وأصحابه، **(وصولاً)** لذي رحمه وجيرانه، **(وقوراً)** في مجلسه، **(صبوراً)** على الطاعة وقصد المعيشة، **(شكوراً)** لنعمة الله تعالى ولمن وصلته على يديه، **(حليماً)** عند غضبه، **(رفيقاً)** بعياله وبمن يخالله، **(شفيقاً)** عن المساكين **(لا)** هو **(لعّان)** كثير اللعن **(ولا سبّاب)** كثير الشتم **(ولا نمّام)** بين اثنين **(ولا مغتاب)** لإخوانه، **(ولا عجول)** في أموره، **(ولا حقود)** على أحد، **(ولا بخيل)** بماله، **(ولا حسود)** إن رأى نعمة على غيره. **(هشاش بشاش)** أي منطلق الوجه واللسان **(يحب في الله)** ورسوله، **(ويبغض في الله)** ورسوله، **(ويرضى في الله ويغضب في الله، فهذا هو حسن الخلق)**.

وسئل رسول الله ﷺ عن علامة المؤمن والمنافق فقال: « إن المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة، والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة »، وقال حاتم الأصم: المؤمن مشغول بالفكر والعبر، والمنافق مشغول بالحرص والأمل، والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله، والمنافق راج كل أحد إلا الله، والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله، والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله، والمؤمن يقدم ماله دون دينه، والمنافق يقدم دينه دون ماله، والمؤمن يحسن ويبكي، والمنافق يسيء ويضحك، والمؤمن يحب الخلوة والوحدة، والمنافق يحب الخلطة والملأ، والمؤمن يزرع ويخشى الفساد، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد، والمؤمن يأمر وينهي للسياسة فيصلح، والمنافق يأمر وينهي للرئاسة فيفسد.

(**وسئل رسول الله ﷺ عن علامة المؤمن والمنافق فقال: « إن المؤمن همته في الصلاة والصيام والعبادة وإن المنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة »**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً. قلت: ويشهد له قوله تعالى: ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوىً لهم﴾ [محمد: ١٢].

(**وقال حاتم**) بن عنوان (**الأصم**) رحمه الله تعالى تلميذ شقيق البلخي تقدمت ترجمته في كتاب العلم: (**المؤمن مشغول بالفكر**) أي بالتفكر في نفسه (**والصبر**) أي ما يعتبر به (**والمنافق مشغول بالحرص**) على حوز شهواته (**والأمل**) أي طوله، (**والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله**) أي آيس مما في أيدي الناس، (**والمنافق راج كل أحد إلا من الله، والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله، والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه**) إذ الدين عظيم عنده مهاب لديه فيهون بماله ولا يهون بدينه، (**والمنافق يقدم دينه دون ماله**) لأنه لا مهابة للدين عنده، (**والمؤمن يحسن عمله ويبكي**) خوفاً أن لا يقبل، (**والمنفق يسيء**) عمله ويضحك لغفلته عن الخاتمة، (**والمؤمن يحبّ الوحدة والخلوة**) عن الناس لسلامة دينه وحاله، (**والمنافق يحب الخلطة والملأ**) من الناس فيأنس بهم، (**والمؤمن يزرع ويخشى الفساد**) أي يثبت العمل كما ينبغي ويخشى عاقبة أمره، (**والمنافق يقلع**) ما زرعه قبل بلوغه (**ويرجو الحصاد**) وأنى له ذلك، (**والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح**) أمور العامة، (**والمنافق يأمر وينهى للرئاسة**) أي لأجل تحصيلها (**فيفسد**) حالهم وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن الحسين قال: سمعت أبا علي سعيد بن أحمد البلخي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن الليث يقول: سمعت حامداً اللفاف يقول: سمعت حاتماً يقول: النافق ما أخذ من الدنيا أخذ بحرص ويمنع بالشك وينفق بالرياء، والمؤمن يأخذ بالخوف ويمسك بالشدة وينفق لله خالصاً في الطاعة. وقال في ترجمة شقيق من طريق حاتم الأصم قال: سمعت شقيقاً يقول: مثل المؤمن كمثل رجل غرس نخلة وهو يخاف أن تحمل شوكاً، ومثل المنافق مثل رجل زرع شوكاً وهو يطمع أن يحصد ثمراً هيهات هيهات كل من عمل حسناً فإن الله لا يجزيه إلا حسناً.

وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفاء، ومن شكا من سوء خلق غيره دل ذلك على سوء خلقه، فإن حسن الخلق احتمال الأذى، فقد روي أن رسول الله ﷺ كان يوماً يمشي ومعه أنس فأدركه اعرابي فجذبه جذباً شديداً وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية، قال أنس رضي الله عنه: حتى نظرت إلى عنق رسول الله ﷺ قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه، فقال: يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ وضحك، ثم أمر باعطائه، ولما أكثرت قريش ايذاءه وضربه قال «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» قيل: إن هذا يوم أُحد فلذلك أنزل الله تعالى فيه: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم: ٤].

ويحكى أن إبراهيم بن أدهم خرج يوماً إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال: أنت عبد؟ قال: نعم، فقال له: أين العمران؟ فاشار إلى المقبرة، فقال الجندي إنما أردت العمران؟ فقال: هو المقبرة، فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورده إلى

وقال أيضاً «المؤمن مشغول بخصلتين والمنافق مشغول بخصلتين. المؤمن بالصبر والتفكر والمنافق بالحرص والأمل.

(**وأولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الأذى واحتمال الجفا**) كما كان عليه ﷺ من صبره على أذى قريش واحتماله لجفاهم، (**ومن شكى من سوء خلق غيره فيدل ذلك على سوء خلقه**) لأن شكايته دلت على عدم احتماله (**لأن حسن الخلق**) هو (**احتمال الأذى، فقد روي أن رسول الله ﷺ كان يمشي ومعه أنس**) بن مالك رضي الله عنه (**فأدركه إعرابي**) من جفاة العرب (**فجذبه**) بردائه (**جذباً شديداً وكان عليه**) ﷺ (**برد نجراني**) منسوب إلى نجران بلد من بلاد همدان باليمن. قال البكري: سمي باسم أبيها نجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان (**غليظ الحاشية. قال أنس: حتى نظرت إلى عنق رسول الله ﷺ قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه، ثم قال**) الاعرابي: (**يا محمد هب لي من مال الله الذي عندك**) فإنك لا تعطيني من مالك ولا مال أبيك، (**فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك ثم أمر**) له (**بعطائه**) رواه البخاري ومسلم من حديث أنس، (**ولما أكثرت قريش ضربه وإيذاءه قال «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» فلذلك قال الله تعالى**) مخاطباً له: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** رواه ابن حبان والبيهقي في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد. وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه ﷺ عن نبي من الأنبياء ضربه قومه.

(**وحكي عن إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى (**أنه خرج إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندي**) منسوب إلى الجند أي العسكر (**فقال له: أنت عبد؟ فقال: نعم. قال: أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة**) أي محلة الموتى (**فقال الرجل: إنما أردت العمران، فقال: هو**

البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر ؟ فأخبرهم الجندي ما قال له فقالوا ، هذا إبراهيم ابن أدهم ! فنزل الجندي عن فرسه وقبّل يديه ورجليه وجعل يعتذر إليه ، فقيل بعد ذلك له : لم قلت أنا عبد ؟ فقال : إنه لم يسألني : عبد من أنت بل قال : أنت عبد ؟ فقلت : نعم ، لأني عبد الله ، فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك ؟ فقال : علمت أنني أؤجر على ما نالني منه فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر .

ودعي أبو عثمان الحيري إلى دعوة - وكان الداعي قد أراد تجربته - فلما بلغ منزله قال له : ليس لي وجه فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانياً فقال : يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان ، ثم دعاه الثالثة وقال : ارجع على ما يوجب الوقت فرجع ، فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى فرجع أبو عثمان ، ثم جاءه الرابعة فردّه حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتغير من ذلك ، فاكب على رجليه وقال : يا أستاذ إنما أردت أن أختبرك فما أحسن خلقك ؟ فقال : إن الذي رأيت مني هو خلق الكلب إن الكلب إذا دعي أجاب ، وإذا زجر انزجر .

المقبرة، فغاظه ذلك) أي أغضبه (**فضرب رأسه بالسوط فشجه)** وسال منه دم (**وردّه إلى البلد فاستقبله أصحابه، فقالوا : ما هذا ؟ فأخبرهم الجندي . فقالوا : هذا إبراهيم بن أدهم فنزل الجندي عن دابته فقبّل يديه ورجليه وجعل يعتذر إليه فقيل له: لم قلت أنا عبد ؟ قال: إنه لم يسألني أنت عبد من؟ بل قال لي: أنت عبد . فقلت: نعم لأني عبد الله فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة، فقيل له: إنه ظلمك فكيف سألت الله له الجنة فقال: علمت أني أؤجر على هذا فلم أحب أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر)** .

(**ودعي أبو عثمان)** سعد بن إسماعيل (**الحيري)** المقيم بنيسابور صحب شاه الكرماني ويحي ابن معاذ الرازي. ثم ورد نيسابور مع شاه الكرماني على أبي حفص الحداد ، وأقام عنده، وتخرج به وزوجه أبو جعفر ابنته مات سنة ٢٩٨ (**إلى دعوة)** بنيسابور ، (**وكان الداعي)** له (**يريد تجربته)** أي امتحانه ، (**فلما بلغ منزله قال له: ليس لي وجه هذا فرجع أبو عثمان، فلما ذهب غير بعيد جاءه ثانياً فقال: ترجع على ما يوجب الوقت، فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى، فرجع أبو عثمان ثم جاءه الثالثة حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لم يتغير)** هكذا في نسخ الكتاب ، وفي بعضها : وحكي أن بعض تلامذة أبي عثمان الحيري دعاه إلى دعوة، وكان قد أراد تجربته فلما بلغ المنزل قال له : يا أستاذ ارجع فرجع أبو عثمان ثم دعاه الثانية فقال ارجع بما يوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال ارجع فرجع حتى عامله بذلك مرات وهو لا يتغير فاكبّ على رجليه ، (**فقال)** : يا استاذ (**إنما أردت أن اختبرك فما احسن خلقك: فقال أبو عثمان: الذي رأيت مني هو خلق كلب)** وذلك (**لأن الكلب إذا دعي أجاب وإذا زجر**

وروي عنه أيضاً أنه اجتاز يوماً في سكة فطرحت عليه إجانة رماد فنزل عن دابته فسجد سجدة الشكر ثم جعل ينفض الرماد عن ثيابه ولم يقل شيئاً، فقيل: ألا زبرتهم؟ فقال: إن من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب انتهى.

وروي أن علي بن موسى الرضا رحمة الله عليه كان لونه يميل إلى السواد - إذ كانت أمه سوداء - وكان بنيسابور حمام على باب داره، وكان إذا أراد دخول الحمام فرغه له الحمامي، فدخل ذات يوم فأغلق الحمامي الباب ومضى في بعض حوائجه، فتقدم رجل رستاقي إلى باب الحمام ففتحه ودخل فنزع ثيابه ودخل فرأى علي بن موسى الرضا فظن أنه بعض خدم الحمام، فقال له: قم واحمل إليّ الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره به، فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى الرضا فخاف وهرب وخلاها، فلما خرج علي بن موسى سأل عن الحمامي فقيل له: إنه خاف مما جرى فهرب. قال: لا ينبغي له أن يهرب إنما الذنب لمن وضع ماءه عند أمة سوداء.

انزجر) وهذا فيه هضم جانب النفس وعدم الاعجاب بما عمله والارشاد للداعي بما فيه الصلاح له.

(**وروي ان أبا عثمان**) هذا (**اجتاز**) أي مرّ يوماً (**بسكة**) من سكك نيسابور (**فطرحت عليه إجانة رماد**) من فوق بيت من البيوت المطلة على السكة، (**فنزل عن دابته وجعل ينفض ذلك عن ثيابه ولم يقل شيأ فقيل**) له: (**ألا زبرتهم**) أي زجرتهم؟ (**فقال: إن من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز له أن يغضب**) وهذا غاية من سعة الخلق.

(**وروي أن**) أبا الحسن (**علي بن موسى**) بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب يلقب (**الرضا**) بكسر الراء وفتح المعجمة صدوق. روى له ابن ماجه مات سنة ثلاث ومائتين ولم يكمل الخمسين ووالده يلقب الكاظم وجده الصادق. (**كان يميل لونه إلى السواد إذ كانت أمه سوداء**) أم ولد يقال لها أم البنين نوبية اسمها خيزران أو مسكن أو شهدة والأوّل أصح. (**وكان له بنيسابور على باب داره حمام، وكان إذا دخل الحمام فرغ له الحمام**) أي أخلي له (**فدخل ذات يوم فأطبق باب الحمام ومر الحمامي إلى قضاء بعض حوائجه فتقدم إنسان رستاقي**) أي من سواد البلد (**إلى باب الحمام**) ففتحه (**ودخل ونزع ثيابه، فدخل الحمام فرأى علي بن موسى الرضا، فظن انه بعض خدام الحمام فقال له: قم فاحمل إلي الماء فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يأمره، فرجع الحمامي فرأى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى، فخاف وهرب وخلاها، فلما خرج علي بن موسى وسأل عن الحمامي، فقيل: إنه خاف مما جرى فهرب. فقال: لا ينبغي أن يهرب إنما الذنب لمن وضع**)

وروي أن أبا عبد الله الخياط كان يجلس على دكانه، وكان له حريف مجوسي يستعمله في الخياطة فكان إذا خاط له شيئاً حمل إليه دراهم زائفة، فكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه، فاتفق يوماً أن أبا عبد الله قام لبعض حاجته، فأتى المجوسي فلم يجده فدفع إلى تلميذه الأجرة واسترجع ما قد خاطه فكان درهماً زائفاً، فلما نظر إليه التلميذ عرف أنه زائف فردّه عليه، فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال: بئس ما عملت. هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ سنة وأنا أصبر عليه وآخذ الدراهم منه وألقيها في البئر لئلا يغرّ بها مسلماً.

وقال يوسف بن أسباط: علامة حسن الخلق عشر خصال، قلة الخلاف، وحسن الإنصاف، وترك طلب العثرات، وتحسين ما يبدو من السيئات، والتماس المعذرة، واحتمال الأذى، والرجوع بالملامة على النفس، والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره، وطلاقة الوجه للصغير والكبير، ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه.

ماءه عند أمة سوداء). فهذا من كمال حسن خلقه حيث لم يعاقب الحمامي ولم يغضب عليه، وامتثل الرستاقي في أوامره.

(وروي ان أبا عبد الله الخياط) أحد رجال الله الصالحين **(كان يقعد على دكانه وله حريف مجوسي)** أي صاحب **(يستعمله في الخياطة وكان إذا خاط لذلك المجوسي حمل إليه دراهم زيوفاً)** أي رديئة. **(وكان أبو عبد الله يأخذها منه ولا يخبره بذلك ولا يردها عليه، فاتفق يوماً)** وفي نسخة فقضى من القضاء **(أن عبد الله قام يوماً من الحانوت لبعض حاجته فتقدم المجوسي إلى تلميذه واسترجع ما خاطه ودفع إليه درهماً زائفاً)** وفي بعض النسخ: فأتى المجوسي فلم يجده فدفع إلى تلميذه الأجرة واسترجع ما قد خاطه، فكان درهماً زائفاً، **(فلما نظر فيه التلميذ)** وعرف أنه زائف **(رده عليه، فلما عاد أبو عبد الله أخبره بذلك فقال)** له: **(بئس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ مدة)** وفي نسخة منذ سنة، **(وأنا أصبر عليه فآخذ الدراهم)** منه **(وألقيها في البئر كيلا يغرّ بها مسلماً)** وفي نسخة فآخذ منه الدرهم وألقيه في البئر لئلا يغر به مسلماً.

(وقال يوسف بن اسباط) رحمه الله تعالى تقدم ذكره مراراً **(علامة حسن الخلق عشرة أشياء قلة الخلاف)** أي مع الأصحاب **(وحسن الإنصاف)** أي من نفسه **(وترك طلب العثرات)** من إخوانه **(وتحسين ما يبدو من السيئات)** أي حملها على أحسن مواضعها **(والتماس المعذرة)** لهم، **(واحتمال الأذى)** منهم **(والرجوع باللائمة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون معرفة عيوب غيره وطلاقه الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه وفوقه)** أي: فإذا وجدت هذه الأوصاف دلت على حسن الخلق.

وسئل سهل عن حسن الخلق فقال: أدناه احتمال الأذى، وترك المكافاة، والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه، وقيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم. قيل: وما بلغ من حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ أتته جارية له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له صغير فمات، فدهشت الجارية فقال لها: لا روع عليك أنت حرة لوجه الله تعالى. وقيل: إن أويساً القرني كان إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فكان يقول لهم: يا إخوتاه إن كان ولا بدّ فارموني بالصغار حتى لا تدموا ساقي فتمنعوني عن الصلاة. وشتم رجل الأحنف بن قيس وهو لا يجيبه وكان يتبعه فلما قرب من الحي وقف وقال: إن كان قد بقي في نفسك شيء فقله كي لا يسمعك بعض سفهاء الحي فيؤذوك.

وروي أن علياً كرم الله وجهه دعا غلاماً فلم يجبه فدعاه ثانياً وثالثاً فلم يجبه، فقام

(**وسئل**) أبو محمد (**سهل**) التستري رحمه الله تعالى (**عن حسن الخلق**) ما هو؟ (**فقال**): هو على مراتب (**أدناه احتمال الأذى وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه، وقيل للأحنف بن قيس**) بن معاوية التميمي البصري، وهو لقب له. واسمه الضحاك وقيل صخر، وكان مشهوراً بالحلم مات سنة سبع وستين بالكوفة، روى له الجماعة: (**ممن تعلمت حسن الخلق؟ فقال: من قيس بن عاصم**) بن سنان بن خالد المنقري التيمي الصحابي رضي الله عنه مشهور بالحلم نزل البصرة. (**قيل وما بلغ من خلقه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ جاءت خادمة له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية، فقال: لا روعة عليك أنت حرة لوجه الله تعالى، وقيل: كان أويس**) بن عامر (**القرني**) بالتحريك نسبة إلى قبيلة من مراد وهو سيد التابعين في قول (**إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة فيقول: يا اخوتاه إن كان ولا بدّ فارموني بالصغار**) منها (**كيلا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلاة**) فهذا كمال ملاطفته بهم وهو دليل حسن الخلق.

(**وشتم رجل الأحنف بن قيس وكان يتبعه، فلما قرب من الحي وقف وقال: إن بقي في قلبك شيء فقله كيلا يسمعك بعض سفهاء الحي فيجيبك**). وقال أبو بكر بن الأنباري: أخبرني أبي عن أحمد بن عبيد قال: بينا الأحنف في الجامع بالبصرة إذا رجل قد لطمه فأمسك الأحنف يده على عينه وقال: ما شأنك؟ فقال: اجتعلت جعلاً على أن ألطم سيد بني تميم. فقال: لست سيدهم إنما سيدهم جارية بن قدامة، وكان جارية في المسجد. فذهب الرجل فلطمه. قال: فأخرج جارية من خفه سكيناً فقطع يده وناوله. فقال له الرجل: ما أنت قطعت يدي إنما قطعها الأحنف بن قيس أوردها المزي في ترجمة جارية بن قدامة.

(**وروي أن علياً كرم الله وجهه دعا**) يوماً (**غلاماً له فلم يجبه فدعاه ثانياً وثالثاً فلم**

إليه فرآه مضطجعاً فقال: أما تسمع يا غلام؟ قال: بلى، قال: فما حملك على ترك اجابتي؟ قال أمنت عقوبتك فتكاسلت، فقال: امض فانت حر لوجه الله تعالى.

وقالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله: يا مرائي، فقال: يا هذه وجدت اسمي الذي أضله أهل البصرة. وكان ليحي بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له: لم تمسكه؟ فقال: لأتعلم الحلم عليه.

فهذه نفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت أخلاقها، ونقيت من الغش والغل والحقد بواطنها فأثمرت الرضا بكل ما قدره الله تعالى وهو منتهى حسن الخلق. فإن من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه، فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي أن يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق، بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق فإنها درجة رفيعة لا ينـالها إلا المقربون والصديقون.

بيان الطريق في رياضة الصبيان في أوّل نشوهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم:

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند

يجبه، **فقام إليه فرآه مضطجعاً. فقال: أما تسمع يا غلام؟ فقال: بلى**) سمعت (**قال: فما حملك على ترك جوابي؟ قال: آمنت عقوبتك فتكاسلت**) عن القيام لندائك، (**فقال امض فانت حر لوجه الله**) تعالى (**ففيه كظم الغيظ**) والإحسان التام إليه بالعتق وهما من جملة حسن الخلق (**وقالت امرأة لمالك بن دينار**) البصري رحمه الله تعالى (**يا مرائي فقال يا هذه وجدت اسمي الذي اضله أهل البصرة**) فهذا فيه احتمال لاذاها وصبر على جفاها واتهام نفسه بهواها وهو دليل حسن الخلق (**وكان ليحي بن زياد الحارثي غلام سوء فقيل له لم تمسك هذا الغلام قال لأتعلـم عليه الحلم فهذه النفوس قد ذللت بالرياضة**) والمجاهدة (**فاعتدلت أخلاقها ونقيت من الغش والغل بواطنها**) وطهرت من عاداتها الردية سرائرها (**فأثمرت الرضا بكل ما قدّره الله**) عز وجل (**وهذا منتهى حسن الخلق فإن من يكره فعل الله ولا يرضى به فهو غاية سوء خلقه فهؤلاء ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات**) ولم يظهر منها شيء على ظاهره (**فلا ينبغي أن يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي أن يشتغل بالرياضة والمجاهدة**) على الدوام (**إلى أن يبلغ درجة حسن الخلق**) وكل يعطى على قدر اجتهاده ونصيبه الذي كتب له (**فإنها درجة رفيعة لا ينالها إلا المقربون والصديـقون**) ومن سلك سلوكهم والله الموفق.

بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول النشـو ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم

(**اعلم أن الصبي أمانة**) من الله تعالى (**عند والديه**) لأنه نعمة أنعم بها والداه (**وقلبه**

والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عوّد الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عوّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيّم عليه والوالي له. وقد قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ [التحريم: ٦] ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوّده التنعم، ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الابد، بل ينبغي أن

الطاهر) عن كل كدر **(جوهرة نفيسة)** ثمينة **(ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش)** كما أن كل جوهر ساذج مستعد لقبول كل نقش وصورة **(ومائل إلى كل ما يمال به)** خيراً أو شراً **(فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه)** بأن يثبت مثل ذلك في صحائف أعمالهما، **(وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه)** كيف لا، **(وقد قال الله تعالى)** في كتابه العزيز ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم﴾ أي احفظوها: ﴿وأهليكم ناراً﴾ والأصل في الأهل القرابة، وقد يطلق على الاتباع والجمع الأهلون. **(ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا)** بأن تصيبه **(فبأن يصونه من نار الآخرة أولى وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق)** ومكارمها وصالحها، **(ويحفظه من القرناء السوء ولا يعوده التنعم ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية)** أي سعة العيش **(فيضيع عمره في طلبها إذا كبر)** على تلك العادة، **(ويهلك هلاك الأبد، بل ينبغي أن يراقبه من أوّل أمره)** وحيث قال من أول أمره فهو منسحب على الأولية من حيث ولادته إلى أن يفطم، فلزم بيان ما يحتاج إليه في أثناء ذلك، فنقول: إذا ولد المولود يجب أن يبدأ كل شيء بقطع السرة وهو جسم كالمصران متصل بسرته منه، ويكون القطع فوق أربع أصابع، وإنما وجب قطع هذا الجسم لأنه لو بقي على طوله لتعفن وتضرر الصبي برائحته، وربما وصلت عفونته إلى السرة. وإنما جعل القطع فوق أربع أصابع لأنه لو كان أقل من ذلك لتألم المولود به تألماً شديداً، ثم بعد شدها يتبادر إلى تمليح البدن لتصلب بشرته ويقوى جلده، فإن كان ذكراً ينبغي أن يكثر الملح لأنه أحوج إلى صلابة البدن ليكون صبوراً على ما يلقاه من المشقات بخلاف الأنثى ولا يملح أنفه ولا فمه، ثم تغسله القابلة بماء فاتر وتنقي منخريه دائماً بأصابع مقلمة الأظفار ويدعدع دبره لينفتح ثم في وقت القماط يشكل كل عضو على أحسن شكله بغمز لطيف ثم يعمم أو يقلنس بقلنسوة لطيفة منهدمة على رأسه، وينوم في محل معتدل مائل إلى الظلمة حفظاً لروحه الباصرة، ويغطي المهد بخرقة اسمانجونية: والطفل يبكي إما لوجع يناله، أو حر أو برد أو جوع، أو من قمل وبراغيث وبق يؤذيه، فإن كان شيء من ذلك فالواجب أن يبادر إلى دفعه.

يراقبه من أوّل أمره فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشوء الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث. ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي

وأما كيفية ارضاعه فإنه يجب أن يرضع ما أمكن بلبن أمه فإنه أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم أعني طمث أمه فإنه بعينه هو المستحيل لبناً لأشتراك الرحم والثدي في الوريد الغاذي لهما، ووقت الحمل يتوجه دم الطمث بالكلية إلى الرحم لغذاء الجنين وبعد انفصاله إلى الثديين لغذائه أيضاً وهو أقبل لذلك وآلف، حتى أنه صح بالتجربة أن إلقامه حلمة أمه عظيم النفع جداً في دفع ما يؤذيه لأنه يلهيه ويشغله عما يؤذيه، ومن الواجب مع ذلك أن يلزم الطفل على شيئين نافعين لتقوية مزاجه: أحدهما بالتحريك اللطيف، والآخر الموسيقى والتلحين الذي جرت به العادة لتنويم الأطفال، فالتحريك سبب انتعاش الحرارة الغريزية، والتلحين يوقف على استعداد للرياضة. وإن منع من إرضاعه لبن والدته مانع من ضعفها أو فساد لبنها أو ميلها إلى الترفه، فينبغي أن يختار له مرضعة. وإليه أشار المصنف بقوله:

(**فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة**) يكون سنّها ما بين خمس وعشرين سنة إلى خمس وثلاثين سنة، فإن هذا هو سن الشباب والصحة، وتكون حسنة اللون لأن ذلك تابع لاعتدال مزاجها، وتكون ناعمة البشرة قوية العنق واسعة الصدر متوسطة في السمن والهزال لحمانية لا شحمانية (**صالحة**) حسنة الأخلاق محمودتها بطيئة الانفعالات النفسانية الرديئة من الغضب والغم والجبن وغير ذلك، فإن جميع ذلك يفسد المزاج، وتكون (**متدينة**) ملازمة على أمور دينها من كل ما يجب عليها. (**تأكل الحلال فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشو الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث**)، والطفل يعدى بالرضاع، ولذلك ورد النهي عن استرضاع المجنونة، ثم إذا جعلت ثناياه تظهر نقل إلى الغذاء الذي هو أقوى من غير أن يعطى شيئاً صلب المضغ.

وبالجملة فتدبير الأطفال هو التركيب بمشاكلة مزاجهم لذلك والحاجة إليه في تغذيته ونموّه، والرياضة المعتدلة في الكيف الكثيرة في الكم الطبيعي لهم، وكان الطبيعة تتقاضاهم بها، وذلك لاحتياجهم إليه لدفع الفضول المجتمعة، ولا سيما إذا جاوزوا الطفولة إلى الصبي، ثم إذا فطم نقل إلى ما هو من جنس الأحشاء واللحوم الخفيفة، ويجب أن يكون الفطام بالتدريج لا دفعة واحدة والمدة الطبيعية للرضاع سنتان لأنها مدة نبات أكثر أسنانه وتصلب أعضائه، حتى يقبل غير اللبن من الأغذية، وإذا أخذ ينهض ويتحرك فلا ينبغي أن يمكن من الحركات العنيفة، وإذا جعلت الأنياب تتفطر منعوا أكل صلب المضغ، والغرض المقدم في معالجة أمراض الصبيان هو تدبير المرضعة لأن من خواص الأطفال أن يكون علاجهم بوجهين: أحدهما: بتدبير أنفسهم، وثانيهما بتدبير مرضعتهم وهو مقدم بالفضيلة على تدبيرهم، فإذا انتقلوا إلى سن الصبا يجب أن تكون العناية مصروفة إلى مراعاة أخلاق الصبي، وذلك بأن يحفظ كيلا يحدث له غضب أو خوف شديد

أن يحسن مراقبته، وأوّل ذلك ظهور أوائل الحياء، فإنه إذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه، حتى يرى بعض الأشياء قبحاً ومخالفاً للبعض فصار يستحي من شيء دون شيء، وهذه هدية من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ، فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه، وأوّل ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه، وأن يقول عليه بسم الله عند أخذه، وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وأن يحدق النظر إليه ولا إلى من يأكل، وأن لا يسرع في الأكل، وأن يجيد المضغ، وأن لا يوالي بين اللقم، ولا يلطخ يده ولا ثوبه، وان يعوّد الخبز القفار في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم حتماً، ويقبح عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل

أو غم شديد، وذلك بأن يتأمل كل وقت ما الذي يشتهيه ويحن إليه فيقرب إليه، وما الذي يكرهه فيُنحّى عن وجهه. وفي ذلك منفعتان. احداهما: في نفسه بأن ينشأ من الطفولة حسن الأخلاق ويصير ذلك ملكة له لازمة، والثانية لبدنه فإنه كما أن الأخلاق الرديئة تابعة لأنواع سوء المزاج، فكذلك إذا حدثت من العادة استتبعت المزاج المناسب، فإن الغضب يسخن جداً والغم يجفف جداً والتبليد يرخي القوى النفسانية ويميل المزاج إلى البلغمية. (**ومهما بدا فيه مخايل التمييز**) وهو إذا دخل في ست أو سبع، (**فينبغي أن يحسن مراقبته، وأول ذلك ظهور أوائل الحياء**) فيه، (**فإذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الأفعال**) وذلك عند رؤية من يحتشم منه، (**فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه حتى رأى بعض الأشياء قبحاً ومخالفاً للبعض فصار يستحي من شيء دون شيء. وهذه**) الحالة إذا تيسرت فيه (**هدية من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الأخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ**) وهذه الحالة كالدلالة عليه، (**فالصبي المستحي لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحيائه وتمييزه، فأوّل ما يغلب عليه من الصفات**) الخبيثة (**شره الطعام**) أي الحرص عليه، (**فينبغي أن يؤدب فيه**) على أدب الشرع (**مثل أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه ويقول: بسم الله عند أخذه ويأكل مما يليه**) منفرداً أو مع جماعة (**ولا يبادر إلى الطعام قبل غيره**) بل يصبر عن مد اليد حتى يمد غيره، (**ولا يحدق إلى الطعام**) أي لا يطيل بحدقته إليه (**ولا إلى من يأكل، ولا يسرع في الأكل ويمضغ الطعام مضغاً جيداً**) بأسنانه (**ولا يوالي**) أي لا يتابع (**بين اللقم**) فإن كل ذلك من أمارات الشره ودناءة النفس والهمة، فينبغي أن يجنب من ذلك، (**ولا يلطخ يده**) بالطعام غير أصابعه الثلاثة، (**ولا ثوبه**) بأن يتساقط عليه شيء منه فإن كلاً منهما يدلان على الدناءة (**ويعود الخبز القفار**) أي اليابس وحده (**في بعض الأوقات حتى لا يصير بحيث يرى الأدم**) معه (**حتماً**) لازماً، (**ويقبح عنده كثرة الأكل**

بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل، وان يحبب إليه الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان، وأن يحبب إليه من الثياب البيض دون الملوّن والابـريسم ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين، وأن الرجال يستنكفون منه ويكرر ذلك عليه، ومهما رأى على صبي ثوباً من ابريسم أو ملوّن فينبغي أن يستنكره ويذمه، ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عوّدوا التنعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة، وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه، فإن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوه خرج في الأغلب رديء الأخلاق كذاباً حسوداً سروقاً نماماً لحوحاً ذا فضول وضحك وكياد ومجانة، وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين، ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله، ويحفظ من مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف ورقة الطبع، فإن

بأن يشبه من يكثر الأكل بالبهائم) فإنه بتمييزه يدرك أن التشبه بالبهائم مسترذل، **(ثم بأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل الأكل)** فتراه أبداً يميل إلى الممدوح ويهرب من المذموم، **(ويحبب إليه الإيثار بالطعام)** للغير **(وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن أي طعام كان)** وعدم الميل إلى اللين منه، **(ويحبّب إليه من الثياب)** في اللبس **(البيض دون الملوّن)** بالألوان المختلفة **(و)** دون ثياب **(الإبريسم)** والخز، **(ويقرر عنده أن ذلك شأن النساء والمخنثين)** المتشبهين بالنساء، **(وأن الرجال يستنكفون منه)** ويعرضون عنه **(ويكرر عليه ذلك)** حتى يرسخ في ذهنه. **(ومهما رأى على صبي ثوباً من ابريسم أو ملوّن فينبغي أن يستنكر)** منه **(ويذم)** ذلك ويأمره بخلعه، **(ويحفظ الصبي عن)** معاشرة **(الصبيان الذين عوّدوا التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة)** فإن ذلك يحمله على أن يتكلف أبويه بمثل لبسهم **(و)** يحفظ أيضاً **(عن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه فيه، فإن الصبي إذا أهمل في ابتداء نشوه خرج في الأكثر رديء الأخلاق كذاباً حسوداً سروقاً نماماً لجوجاً ذا فضول)** في الكلام **(وضحك وكياد)** أي مكايدة **(ومجانة)** أي صاحب مجون وهو الهزل من الكلام، **(وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب)** والتعليم، **(ثم ينبغي أن يشتغل في المكتب)** عند المؤدب **(بتعلم القرآن)** أوّلاً بترتيبه المعهود في بلده من تقديم حروف الهجاء إفراداً ثم تركيباً، **(وبأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم)** ثانياً **(لينغرس حب الصالحين في قلبه)** فينشأ عليه **(ويحفظ من قراءة الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله)** وحكاياتهم وما جرى لهم، فإن ذلك يحمله على التشبه بهم تكلفاً، **(ويحفظ أيضاً عن مخالطة**

ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد.

ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس، فإن خالف ذلك في بعض الأحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له أنه يتصوّر أن يتجاسر أحد على مثله، ولاسيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه، فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة، فعند ذلك إن عاد ثانياً فينبغي أن يعاتب سراً ويعظم الأمر فيه ويقال: إياك ان تعود بعد ذلك لمثل هذا، وأن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظاً هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا احياناً، والأم تخوّفه بالأب وتزجره عن القبائح، وينبغي أن يمنع عن النوم نهاراً فإنه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلاً ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التنعم، بل يعوّد الخشونة في المفرش والملبس

الأدباء الذين يزعمون) أنهم شعراء و **(أن ذلك من الظرف ورقة الطبع، فإن ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد)** ويعسر إزالته بعد.

(ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود) يرتضى، **(فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس)** فإن ذلك يحبّبه إلى الفعل الجميل ويبثه في مركوزة عقله، **(فإن خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له أنه يتصوّر أن يتجاسر أحد على مثله، ولا سيا إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه، فإن إظهار ذلك ربما يفيد جسارة)** عليه، **(حتى لا يبالي بالمكاشفة بعد ذلك)** بين الناس، **(فإن عاد ثانياً فينبغي أن يعاتب سراً ويعظم الأمر فيه ويقال له: إياك أن يطلع عليك في مثل هذا فتفتضح بين الناس، ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهوّن عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه)** لكونه يتعوّد على ذلك، **(وليكن الأب حافظاً هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحياناً)** لتكون هيبته في قلبه دائماً **(وينبغي للأم أن تخوّفه بالأب وتزجره عن القبائح)** إذ الصبي يهاب الأب أكثر من الأم لكثرة شفقتها عليه طبعاً. **(وينبغي أن يمنع النوم نهاراً فإنه يورث الكسل و)** الفتور في الأعضاء **(ولا يمنع منه ليلاً)** إذ السهر في حقه مضر، **(ولكن يمنع الفرش الوطيئة)** اللينة **(حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسخف بدنه)** أي لا يرق **(فلا يصبر عن التنعم)** فيما بعد، **(بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم)** حتى لا يبالي بما تيسر

والمطعم، وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفية فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح، فإذا تعوّد ترك فعل القبيح ويعوّد في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل، ويعوّد أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يده بل يضمها إلى صدره، ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والداه أو بشيء من مطاعمه وملابسه أو لوحه ودواته، بل يعوّد التواضع والإكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم، ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئاً بدا له حشمة إن كان من أولاد المحتشمين، بل يعلم أن الرفعة في الاعطاء لا في الأخذ، وأن الاخذ لؤم وخسة ودناءة، وان كان من أولاد الفقراء، فيعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من دأب الكلب، فإنه يبصبص في انتظار لقمة والطمع فيها.

وبالجملة يقبح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيها ويحذر منها أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب، فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيها أضر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكابر أيضاً، وينبغي أن يعوّد أن لا يبصق في مجلسه ولا

منها. **(وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفية فإنه لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح فإذا ترك)** على ذلك **(تعوّد فعل القبيح)**، وهان عليه ارتكابه **(ويعوّد في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل)**، ولا تجتمع الفضلات في المعدة، ولا تنحبس الأبخرة في الأعضاء والعروق، **(ويعود أن لا يكشف أطرافه)** بين يدي أحد **(ولا يسرع المشي)** بل يكون على وقار **(ولا يرخي يديه)** ولا يلعب بها، **(بل يضمها إلى صدره)** فإنه أقرب إلى الأدب، **(ويمنع من أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والداه من مال أو متاع أو شيء من مطاعمه وملابسه أو لوحه ودواته)** فإن هذا مما يورث العجب فيه، **(ويعوّد التواضع والإكرام لكل من عاشره)** وصاحبه **(والتلطف في الكلام معهم)** مع غض البصر، **(ويمنع أن يأخذ من الصبيان شيئاً بدا له** حشمة) ورئاسة **(إن كان من أولاد المحتشمين)** أي الرؤساء ذوي الثروة والأمر، **(بل يعلم أن الرفعة في العطاء)** للغير **(لا في الأخذ)** من الغير، **(وأن الأخذ لؤم وخسة)** ودناءة، **(وإن كان من أولاد الفقراء، فيعلم أن الأخذ والطمع مهانة ومذلة وأن ذلك من دأب الكلب)** الذي هو أخس الحيوانات، **(فإنه يتبصبص في انتظار لقمة)**.

(وبالجملة يقبح إلى الصبيان حب) النقدين **(الذهب والفضة والطمع فيها ويحذر منها أكثر من التحذير من الحيات والعقارب، فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيها أكثر من آفة السموم على الصبيان، بل على الأكابر أيضاً وينبغي أن يعوّد أن لا يبزق في مجلسه**

يمتخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلاً على رجل، ولا يضع كفه تحت ذقنه، ولا يعمد رأسه بساعده، فإن ذلك دليل الكسل. ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه فعل أبناء اللئام، ويمنع اليمين رأساً - صادقاً كان أو كاذباً - حتى لا يعتاد ذلك في الصغر، ويمنع أن يبتدىء بالكلام، ويعوّد أن لا يتكلم إلا جواباً وبقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو أكبر منه سناً، وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان، ويجلس بين يديه، ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب، ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فإن ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء. وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء وينبغي إذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال، وأن كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان. وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وارهاقه إلى التعلم دائماً يميت قلبه

(ولا يمتخط ولا يتثاءب بحضرة غيره) فإن غلب عليه فليكظمه **(ولا يستدبر غيره)** في المجلس **(ولا يضع رجلاً على رجل، ولا يضرب كفه تحت ذقنه، ولا يعمد رأسه بساعده، فإن ذلك دليل الكسل)** وهو مذموم، **(ويعلم كيفية الجلوس)** كيف يجلس وهو أن يكون جلوسه أبداً على ركبتيه كما يجلس في الصلاة ولا يرفع إحدى ركبتيه ولا متربعاً ولا متوركاً، **(وينبغي أن يمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة)** وقلة الحياء، **(وأنه عادة أبناء اللئام ويمنع اليمين)** أي الحلف **(رأساً)** أي مطلقاً **(صدقاً وكذباً حتى لا يتعوّده في الصغر، ويمنع من أن يبتديء بالكلام)** وإنما يكون الابتداء من الغير. **(ويعود أن لا يتكلم إلا جواباً)** للكلام، **(و)** أن يكون مختصراً **(بقدر السؤال، وأن يحسن الاستماع)** للكلام **(مهما تكلم غيره ممن هو أكبر سناً منه)** ولو بقليل، **(وأن يقوم لمن هو فوقه)** في السن والفضل، **(ويوسع له المكان ويجلس بين يديه)** متواضعاً، **(ويمنع من لغو الكلام وفحشه)** وسقطه، **(ومن اللعن والسب)** والهزل. **(ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء من ذلك فإن ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء)** فيتأثر فيه، **(وأصل تأديب الصبيان الحفظ من القرناء السوء)** فإن ضررهم أكثر، **(وينبغي إذا ضربه المعلم)** أحياناً على قصد التأديب **(أن لا يكثر الصراخ والشغب)** أي رفع الصوت **(ولا يستشفع بأحد)** ولا يحلفه ولا يكثر عليه اللجاج، **(بل يصبر ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال، وأن كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان، وينبغي أن يؤذن له بعد الفراغ من المكتب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب، فإن منع الصبي)** من اللعب **(وإرهاقه إلى**

ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً. وينبغي أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سناً من قريب وأجنبي، وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم، وأن يترك اللعب بين أيديهم، ومهما بلغ سن التمييز فينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان، ويجنب لبس الحرير والديباج والذهب، ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع.

ويخوّف من السرقة وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش، وكل ما يغلب على الصبيان، فإذا وقع نشوه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرّف أسرار هذه الأمور فيذكر له أن الأطعمة أدوية، وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله عز وجل، وأن الدنيا كلها لا أصل لها إذ لا بقاء لها، وأن الموت يقطع نعيمها وأنها دار ممر لا دار مقر، وأن الآخرة دار مقر لا دار ممر، وأن الموت منتظر في كل ساعة، وأن الكيّس العاقل من تزوّد في الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى

التعلم دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاءه) ويبلد فهمه **(وينغص العيش عليه، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً)** إما بالهروب، وبإظهار المرض أو غير ذلك. **(وينبغي أن يعلم طاعة والديه)** والبرّ بهما **(و)** طاعة **(معلمه ومؤدبه)** والبرّ به، **(وكل من هو أكبر سناً منه من قريب وأجنبي** وأن **ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم)** والمهابة، **(وأن يترك اللعب بين أيديهم)** توقيراً لهم. **(ومهما بلغ سن التمييز ينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة)** من الأحداث **(والصلاة)** فقد روى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث عبدالله بن عمرو «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع». وروى أبو داود والطبراني من حديث سبرة الجهني بنحوه. وروى الدارقطني من حديث أنس «مروهم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لثلاث عشرة» **(ويؤمر بالصوم في بعض الأيام من شهر رمضان)** ليتعوّد عليه، **(ويجنب لبس الحرير والذهب)** ويعلم أنه من حلية النساء. **(ويعلم كل ما يحتاج إليه)** مثله **(من حدود الشرع، ويخوّف من السرقة)** خاصة فإن طبع الصبيان يميل إليها كثير **(و)** من **(أكل الحرام ومن الكذب)** في القول **(و)** من **(الخيانة والغش وكل ما يغلب على الصبيان)** من الاخلاق الرديئة، **(فإذا وقع نشوه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور)** تفصيلاً **(فيذكر له أن الأطعمة أدوية، وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على عبادة الله)** تعالى، **(وأن الدنيا كلها)** خيال **(لا أصل لها لأنها لا بقاء لها وأن الموت يقطع نعيمها)** ويكدر صفوها، **(وأنها)** أي الدنيا **(دار ممر)** ومقلعة **(لا دار مقر، وأن الموت ينتظر في كل ساعة، وأن الكيّس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة)** فيجعلها كالقنطرة يعبر عليها ولا يعمرها، ويأخذ

ويتسع نعيمه في الجنان، فإذا كان النشوء صالحاً كان هذا الكلام عند البلوغ واقعاً مؤثراً ناجعاً يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر، وإن وقع النشو بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس، فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعى فإن الصبي بجوهره خلق قابلاً للخير والشر جميعاً، وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين.

قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

قال سهل بن عبد الله التستري: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فانظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك، الله معي الله ناظر إليَّ الله شاهدي. فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال: قل في كل

الأعمال الصالحة الواقعة بمنزلة الزاد الذي يبلغه في سفره منها للآخرة (**حتى تعظم عند الله درجته وتتسع في الجنان نعمته، فإذا كان النشو صالحاً كان هذا الكلام عند البلوغ واقعاً**) في قلبه (**مؤثراً ناجعاً يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر**) فلا يكاد يمتحي منه، (**وإن وقع النشو بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة**) وقلة الحياء (**وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس**) فإنه لا يؤثر فيه شيئاً، (**فاوائل الأمور هي التي ينبغي ان تراعى**) وتحافظ، (**فإن الصبي خلق بجوهره قابلاً للخير والشر جميعاً، وإنما أبواه يميلان إلى أحد الجانبين**).

(**قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»**) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

(**قال**) أبو محمد (**سهل بن عبد الله التستري**) رحمه الله تعالى: (**كنت ابن ثلاث سنين وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار**) البصري، قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب: هو مقبول من العاشرة أورده للتمييز بينه وبين محمد بن سوار الأزدي الكوفي من رجال أبي داود، نقله القشيري في الرسالة قال: وكان يقوم الليل فربما كان يقول: يا سهل اذهب فنم فقد شغلت قلبي (**فقال لي خالي يوماً**) ولفظ القشيري: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد يقول: سمعت عبد الله بن عبد الحميد يقول: سمعت عبيد الله بن لؤلؤ يقول: سمعت عمر بن واصل البصري يحكي عن سهل بن عبد الله قال قال لي خالي يوماً، (**ألا تذكر الله الذي خلقك؟ قلت: كيف أذكره فقال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك به بلسانك الله معي الله ناظر إلي الله شاهدي فقلت ذلك**

ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلته فوقع في قلبي حلاوته فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري، ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل من كان الله معه وناظراً إليه وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية. فكنت أخلو بنفسي فبعثوا بي إلى المكتب فقلت: إني لأخشى أن يتفرق عليَّ همي ولكن شارطوا المعلم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع، فمضيت إلى الكتاب فتعلمت القرآن وحفظته، وأنا ابن ست سنين أو سبع سنين، وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة، فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة. فسألت أهلي أن يبعثوني إلى أهل البصرة لأسأل عنها، فأتيت البصرة فسألت علماءها فلم يشف أحد عني شيئاً. فخرجت إلى عبادان إلى رجل يعرف بأبي حبيب حمزة

ليالي) وإنما خصه به عند تقلبه في ثيابه، فإنه وقت الخلوّ عن الأشغال وخصه أن يقوله بقلبه لأنه هو المفيد، **(ثم أعلمته)** بما قلت **(فقال: قل في كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك)** وفيه الترقي بالتدريج **(ثم أعلمته)** حالي **(فقال: قل في كل ليلة إحدى عشرة مرة)** وفيه أن أوتار الأعداد لها سر خاص وإلى هذا التدريج أشار مشايخ هذه الطريق لاسيما النقشبندية فإنهم يأمرون المريد بالذكر القلبي أولاً ثلاث مرات، ثم سبعاً، ثم منهم من ينقله إلى تسع، ومنهم من يرقيه إلى إحدى عشرة، فإن لم يجد فتحاً فليعد إلى الحالة الأولى. **(فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته)** فصرت ألازمه في كل ليلة هكذا. **(فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة)** يشير إلى أنه يحصل له به حياة القلب والمعرفة، وقلب العارف لا يموت لم يزل حياً في قبره لا ينقطع عنه المدد **(فلم أزل على ذلك سنتين فوجدت له حلاوة في سري)** أي في باطني **(ثم قال لي خالي: يا سهل من كان الله معه وهو ناظر إليه ويشاهده كيف يعصيه)** أي كيف يعصيه وهو معه ورقيب عليه **(إياك والمعصية فكنت أخلو)** أي حبب إليّ الخلوة عن الناس **(فبعثوني إلى المكتب)** لأقرأ القرآن **(فقلت: إني لأخشى أن يتفرق علي همي)** خشي من حصول التفرقة في الذكر، **(ولكن شارطوا المعلم أني أذهب إليه ساعة)** معلومة من النهار **(فأتعلم ثم أرجع فمضيت إلى الكتاب وحفظت القرآن وأنا ابن ست سنين أو سبع، وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير)** إلى أن بلغت **(اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسألة)** في الدين دقيقة الظاهر أنها من أحوال القلوب والمعاملات مع الله تعالى، **(وأنا ابن ثلاث عشرة سنة فسألت أهلي أن يبعثوا بي إلى البصرة)** أي بلد خاله **(أسأل عنها)** فأجابوني إلى ذلك **(فجئت إلى البصرة وسألت علماءها)** عن تلك المسألة **(فلم يشف أحد عني شيئاً)** أي لم يأتوا بجوابها على النهج الذي يشفي به غليلي **(فخرجت)** منها **(إلى عبادان)** وهي جزيرة قرب البصرة **(إلى رجل)** بها من الصالحين

ابن أبي عبدالله العباداني فسألته عنها فاجابني، فأقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتأدب بآدابه، ثم رجعت إلى تستر، فجعلت قوتي اقتصاداً على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فأفطر عند السحر على أوقية كل ليلة بحتاً بغير ملح ولا أدم، فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة، ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم خمساً ثم سبعاً ثم خمساً وعشرين ليلة، فكنت على ذلك عشرين سنة، ثم خرجت أسيح في الأرض سنين، ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله ما شاء الله تعالى. قال أحمد: فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى.

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة:

(**يعرف بأبي حبيب حمزة بن عبدالله العباداني فسألته عنها فأجابني فاقمت عنده مدة أنتفع بكلامه وأتادّب بآدابه ثم رجعت منها إلى تستر**) من أعمال الأهواز من كور فارس، (**فجعلت قوتي اقتصاداً على أن يشتري لي بدرهم من الشعير الفرق**) محركة وهو مكيال يقال أنه يسع ستة عشر رطلاً هكذا ذكروه، (**فيطحن ويخبز لي فافطر عند السحر كل ليلة على أوقية واحدة بحتاً**) أي خالصاً (**بغير ملح ولا آدام فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة**) اعلم أنه بحساب كل أوقية في يوم يتحصل ثلاثون رطلاً وكسر في السنة، فإذا كان كل رطل باثني عشر أوقية لا يطابق ما تقدم من قول أهل اللغة أن الفرق مكيال يسع ستة عشر رطلاً. وقيل: الفرق ستة وثلاثون رطلاً. وقيل: ثمانون رطلاً وعلى كل حال لا ينطبق فتأمل ذلك. ووجدت في بعض نسخ الرسالة من الشعير الغرق بالغين صفة للشعير وهو الذي قد أصابه البلل من الأرض وهو رخيص الثمن فإن صحت هذه النسخة فالمعنى واضح، (**ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليال ثم أفطر ليلة ثم أطوي خمساً**) ثم أفطر ليلة (**ثم**) أطوي (**سبعاً**) وأفطر ليلة (**ثم خمساً وعشرين ليلة**) وقد تيسر له ذلك بالتدريج، (**وكنت على ذلك عشرين سنة ثم خرجت أسيح في الأرض سنين ثم رجعت إلى تستر وكنت أقوم الليل كله**). وقد أورد هذه الحكاية القشيري في الرسالة والمقصود من سردها هنا أن أوائل الأمور إذا روعيت تتبعها المناهي ألا ترى إلى سهل كيف صان نفسه وأدبها في أول نشوها بالزهد والتقليل والجوع والعزلة حتى نال ما نال والله الموفق.

بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة:

ولنقدم قبل الخوض في شرح كلام المصنف تحقيق معنى الإرادة والمريد. قال القشيري في الرسالة: الإرادة بدوّ طريق السالكين وهي اسم لاوّل منزلة القاصدين إلى الله تعالى، وإنما سميت هذه الصفة إرادة لأن الإرادة مقدمة كل أمر فما لم يرد العبد شيئاً لم يفعله، فلما كان هذا أول الأمر لمن سلك طريق الله تعالى سمي إرادة تشبيهاً بالقصد في الأمور الذي هو مقدماتها، والمريد

واعلم ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريداً حرث الآخرة مشتاقاً إليها سالكاً سبلها مستهيناً بنعيم الدنيا ولذاتها ، فإن من كانت عنده خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة ، ومن ليس مريداً حرث الآخرة ولا طالباً للقاء الله تعالى فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر .

ولست أعني بالإيمان حديث النفس وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق وإخلاص ، فإن ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخرزة إلا أنه لا

على موجب الاشتقاق من له إرادة ، كما أن العالم من له علم لأنه من الأسماء المشتقة ولكن المريد في عرف هذه الطائفة من لا إرادة له ، فمن لم يتجرد عن إرادته لا يكون مريداً كما أن من لا إرادة له على موجب الاشتقاق لا يكون مريداً وتكلم الناس في معنى الإرادة ، فكل عبر على ما لاح لقلبه فأكثر المشايخ قالوا : الإرادة ترك ما عليه العادة وعادة الناس في الغالب التعريج على أوطان الغفلة ، والركون إلى اتباع الشهوة والاخلاد إلى ما دعت إليه المنية ، والمريد منسلخ عن هذه الجملة فصار خروجه امارة على صحة الإرادة فسميت تلك الحالة إرادة وهي خروج عن العادة فإذا ترك العادة امارة الإرادة فأما حقيقتها فهي نهوض القلب في طلب الحق سبحانه ، ولهذا يقال : أنها لوعة تهون كل روعة . وسمعت الأستاذ أبا علي يقول : الإرادة لوعة في الفؤاد لدغة في القلب غرام في الضمير انزعاج في الباطن بنيران تتأجج في القلوب ، وفرقوا بين المريد والمراد فقالوا : المريد هو المبتدىء ، والمراد هو المنتهى ، وقيل : المريد هو الذي نصب بعين التعب وألقى في مقاساة المشاق ، والمراد هو الذي لقي بالأمر من غير مشقة فالمريد متعن والمراد مرفوق به مرفه وسنة الله تعالى في القاصدين مختلفة ، فأكثرهم يوفقون للمجاهدات ثم يصلونه بعد مقاساة اللتيا والتي إلى سني المعالي ، وكثير منهم يكاشفون في الابتداء بجليل المعاني ويصلون إلى ما لم يصل إليه كثير من أصحاب الرياضات إلا أن أكثرهم يرددون والمجاهدات بعد هذه الارفاق ليستوفي منهم ما فاتهم من أحكام أهل الرياضة . هذا حاصل ما أورده القشيري ، ثم نعود إلى شرح كلام المصنف . قال رحمه الله تعالى .

(اعلم أن من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة يقين أصبح بالضرورة مريداً حرث الآخرة) يشير إلى قوله تعالى : ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾ [الشورى : ٢٠] واستدل بهذه الآية على أصل الإرادة **(مشتاقاً إليها سالكاً سبلها مستهيناً بنعيم الدنيا ولذاتها ، فإن من كان معه خرزة فرأى جوهرة نفيسة)** ثمينة **(لم تبق له رغبة في الخرزة)** إذ لا قيمة لها **(وقويت إرادته في بيعها بالجوهرة ، فمن ليس مريداً حرث الآخرة ولا طالباً للقاء الله)** تعالى **(فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر . ولست أعني بالإيمان حديث القلب وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق وإخلاص ، فإن ذلك يضاهي قول من صدق بأن الجوهرة خير من الخرزة إلا أنه لا يدري من الجوهر إلا لفظه)** فقط ، **(فأما حقيقته فلا ،**

يدري من الجوهرة إلا لفظها، وأما حقيقتها فلا. ومثل هذا المصدق إذا ألف الخرزة قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه إلى الجوهر، فإذاً المانع من الوصول عدم السلوك، والمانع من السلوك عدم الإرادة، والمانع من الإرادة عدم الإيمان، وسبب عدم الإيمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله تعالى الهادين إلى طريقه والمنبهين عن حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم، فإن تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق لجهله، فإن طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين إلى الهوى عادلين عن نهج الطريق، فصار ضعف الإرادة والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سبباً لخلو طريق الله تعالى عن السالكين فيه، ومهما كان المطلوب محجوباً والدليل مفقوداً والهوى غالباً والطالب غافلاً امتنع الوصول وتعطلت الطرق لا محالة، فإن تنبه متنبه من نفسه أو من تنبيه غيره وانبعث له إرادة في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي أن يعلم ان له شروطاً لا بدّ من تقديمها في بداية الإرادة، وله معتصم لا بدّ من التمسك به وله حصن لا بدمن التحصن

ومثل هذا المصدق إذا ألف الخرزة) وأنس بها (**قد لا يتركها ولا يعظم اشتياقه إلى الجوهرة. فإذاً المانع من الوصول إلى الله عدم السلوك**) في طريق الله، (**والمانع من السلوك عدم الإرادة**) التي هي التجرد لله في السلوك إلى كمال التوحيد، (**والمانع من الإرادة عدم الإيمان**) بالله واليوم الآخر، (**وسبب عدم الإيمان**) بالله واليوم الآخر (**عدم الهداية**) لسبيله، (**و**) عدم (**المذكرين والعلماء بالله الهادين**) للناس (**إلى طريقه**)، وعدم (**المنبهين على حقارة الدنيا وعظم أمر الآخرة ودوامها**) وفناء الدنيا (**فالخلق**) كلهم (**غافلون**) سكارى (**قد انهمكوا في شهواتهم**) ولذاتهم النفسانية (**وغاصوا في**) بحار (**رقدتهم**) وغفلتهم، (**وليس يوجد في علماء الدين من ينبههم من هذه**) الرقدة، (**فإن تنبه منهم متنبه**) بمساعدة التوفيق الإلهي (**عجز عن سلوك الطرائق لجهله**) عن السلوك، (**فإن طلب الطريق من العلماء**) الموجودين في عصره (**وجدهم مائلين إلى الهوى عادلين عن نهج الطريق، فصار ضعف الإرادة**) من السالك (**والجهل بالطريق**) لعدم المسلك، (**ونطق العلماء بالهوى سبباً**) قوياً (**لخلو طريق الله تعالى عن السالكين**) فعظمت المصيبة وكبرت الطامة وأظلمت القلوب، (**ومهما كان المطلوب**) الذي هو الوصول (**محجوباً والدليل**) الذي يرشد إليه (**مفقوداً والهوى**) في الأدلة الموجودين (**غالباً والطالب**) غراً (**غافلاً امتنع الوصول**) إلى الله تعالى، (**وتعطلت الطرق لا محالة فإن تنبه متنبه من نفسه**) بسابق التوفيق (**أو من تنبيه غيره وانبعثت له**) من ذلك التنبيه (**إرادة في حرث الآخرة وتجارتها، فينبغي أن يعلم أن له شروطاً لا بد من تقديمها**) في بداية (**الإرادة**) فإن لم يراعها لم تصح الإرادة (**وله معتصم لا

به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه، وعليه وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك الطريق.

أما الشروط التي لا بدّ من تقديمها في الارادة فهي رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فإن حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق. قال الله تعالى: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ [يس: ٩].

والسد بين المريد وبين الحق أربعة: المال والجاه والتقليد والمعصية، وإنما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل، وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه بالتواضع وإيثار الخمول والهرب من أسباب الذكر وتعاطي أعمال تنفر

بد من التمسك به) والاعتصام بحبله **(وله حصن لا بد من التحصن به)** والالتجاء إليه، **(ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه وله)** في إرادته **(وظائف)** معلومة **(لا بد له من ملازمتها في وقت سلوك الطريق. أمّا الشروط التي لا بد من تقديمها في الإرادة، فهو رفع السد والحجاب الذي بينه وبين الحق فإن حرمان الخلق عن)** الوصول إلى **(الحق سببه تراكم الحجب)** وتكاثفها، **(ووقوع السد على الطريق)** الموصل له. **(قال)** الله **(تعالى: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ والسد بين المريد وبين الحق أربعة أمور: أحدها المال، و)** الثاني **(الجاه، و)** الثالث **(التقليد)**، والرابع **(المعصية. وإنما يرتفع حجاب المال بأن يفرقه)** حيث يفرقه **(ويخرجه عن)** حوزة **(ملكه حتى لا يبقى إلا قدر ضرورته)** المحوجة له **(فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى، وإنما يرتفع حجاب الجاه بالبعد عن موضع الجاه وبالتواضع وإيثار الخمول)** وهو الخفاء عن الناس، **(والهرب من أسباب الذكر)** والشهرة **(وتعاطي أعمال)** خسيسة **(تنفر قلوب الخلق)** عن الميل إليه. ونص القشيري في الرسالة: وإذا أراد الخروج عن العلائق فأولها الخروج عن المال فإن ذلك الذي يميل به عن الحق ولم يوجد مريد دخل في هذا الأمر ومعه علاقة من الدنيا إلا جرته تلك العلاقة عن قريب إلى ما منه خرج، فإذا خرج عن المال فالواجب عليه الخروج من الجاه فإن ملاحظة الجاه مقطعة عظيمة وما لم يستو عند المريد قبول الخلق وردهم لا يجيء منه شيء بل أضر الأشياء له ملاحظة الناس إياه بعين الإيثار والتبرك به لإفلاس الناس من هذا الحديث وهو بعد لم يصحح الإرادة فكيف أن يتبرك به؟ فخروجهم من المال واجب عليهم كخروجهم من الجاه، فإذا خرج عن ماله وجاهه تمت الإرادة وقد اقتصر القشيري على هذين، ويجب على المريد بعد تخلصه من حب المال والجاه أن يتخلص من حب الرئاسة في كونه زهد في

قلوب الخلق عنه. وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب، وأن يصدق بمعنى قوله: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» تصديق إيمان ويحرص في تحقيق صدق بأن يرفع كل معبود له سوى الله تعالى ـ وأعظم معبود له الهوى ـ حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقّفه تقليداً، فينبغي أن يطالب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فإن غلب عليه التعصب لمعتقده ولم يبق في نفسه متسع لغيره صار ذلك قيداً له وحجاباً. إذ ليس من شرط المريد الانتماء إلى مذهب معين

الدنيا. فيكون قد زهد في أمر دنيوي واستعوض عنه ما هو أفضل منه في دينه، فإن الزهاد جاههم أكمل من جاه أبناء الدنيا فإنهم يذلون للزهاد ويتبركون بهم، فمتى شربت نفس المريد من هذا جرعة خشي عليه التلف منها فإن فيها من اللذة ما يدعو لطيبها. ثم قال القشيري: وإذا خطر ببال المريد أن له في الدنيا والآخرة قدراً أو قيمة أو على بسيط الأرض أحد دونه لم يصح له في الإرادة قدم لأنه يجب أن يجتهدوا ليعرف ربه لا ليحصل لنفسه قدراً، وفرق بين من يريد الله وبين من يريده جاه نفسه إما في عاجله أو آجله، ثم قال المصنف:

(وإنما يرتفع حجاب التقليد بأن يترك التعصب للمذاهب) المتبوعة، **(وأن يصدق بمعنى قوله: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» تصديق إيمان)** لا تصديق حديث نفس **(ويحرص في تحقيق صدقه بأن يرفع كل معبود له سوى الله)** هذا حال المريد في ابتداء أمره، فإنه هكذا يلاحظ هذا المعنى، وأما المتوسط فإنه يلاحظ رفع كل مقصود له سوى الله تعالى، كما أن المنتهي يلاحظ رفع كل موجود سوى الله، ولذا قال بعضهم: مال لم ينته السير إلى الله تكون ملاحظة لا موجود إلا الله كفراً. ونقل عن الشيخ بهاء الدين نقشبند قدس سره في معنى الكلمة الطيبة نفي الإلهية الطبيعية وإثبات المعبود بحق، ومعنى الجملة الثانية أنك أدخلت نفسك في مقام فاتبعوني، **(فأعظم معبود له الهوى)** ويدل له قوله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم﴾ [الجاثية: ٢٣] **(حتى إذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الأمر في معنى اعتقاده الذي تلقفه)** من الأفواه **(تقليداً فينبغي أن يطلب كشف ذلك من المجاهدة)** العملية **(لا من المجادلة)** اللسانية **(فإن غلب عليه التعصب لعقيدة من العقائد ولم يبق في قلبه متسع لغيرها صار ذلك قيداً له وحجاباً)** مانعاً **(إذ ليس من شرط المريد الانتماء إلى مذهب معين أصلاً)** وقال القشيري في الرسالة: أول قدم للمريد أن يكون على الصدق ليصح له البناء على أصل صحيح فتجب البداية بتصحيح اعتقاده بينه وبين الله تعالى صاف عن الظنون والشبه خال من الضلال والبدع صادر عن البراهين والحجج ويقبح للمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب أهل هذه الطريقة المختلفين سوى طريقة الصوفية. والناس إما أصحاب النقل والأثر، وإما أرباب العقل والفكر. وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة فالذي للناس غيب فهو لهم ظهور، والذي للخلق من المعارف مقصود فهو لهم من الحق موجود فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال، وهم كما قال القائل:

أصلاً، وأما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم، فإن لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي الظاهرة وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد أن يقف على أسرار القـرآن وتفسيره وهو بعد لم يتعلم لغة العرب، فإن ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها أوّلاً ثم الترقي منها إلى أسرار معانيه، فكذلك لا بد من

لي بـــــوجهـــــك مشرق وظلامــــه في النـــاس ســـارِ
والنـــاس في ســـدف الظلا م ونحن في ضـــوء النهـــارِ

(**وأما المعصية فهي حجاب ولا يرفعها إلا التوبة**) النصوح (**والخروج من المظالم**) التي عليه (**وتصميم العزم على ترك العود**) إلى تلك المظالم، (**وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم**) لأهلها (**وإرضاء الخصوم**) بأي وجه كان، وهذه هي أركان التوبة كما سيأتي بيانها.

قال القشيري في الرسالة: إذا أنكر المريد بقلبه من سوء مايصنعه وأبصر ما هو عليه من قبيح الأفعال سنح في قلبه إرادة التوبة والإقلاع عن قبيح المعاملة فيمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمة والأخذ في جملة الرجعي والتأهب لأسباب التوبة، فأول ذلك هجران إخوان السوء فإنهم هم الذين يحملونه على رد هذا القصد، ويشوشون عليه صحة هذا العزم، ولا يتم ذلك إلا بالمواظبة على المشاهد التي تزيد رغبته في التوبة، وتوفر دواعيه على إتمام ما عزم عليه مما يقوي خوفه ورجاءه فعند ذلك تنحل عن قلبه عقدة الإصرار على ما هو عليه من قبيح الأفعال، فيقف عن تعاطي المحظورات ويكبح لجام نفسه عن متابعة الشهوات، فيفارق الزلة في الحال، ويبرم العزيمة على أن يعود إلى مثلها في الاستقبال فإن مضى على موجب قصده ونفذ بمقتضى عزمه فهو الموفق صدقاً، وإن نقض التوبة مرة أو مرات وتحمله إرادته على تجديدها فقد يكون مثل هذا كثيراً، فلا ينبغي قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء فإن لكل أجل كتاباً ولا يتم له شيء من هذا إلا بعد فراغه من إرضاء خصومه والخروج عما لزمه من مظالمه فإن أول منزلة في التوبة إرضاء الخصوم بما أمكنه فإن اتسع ذات يده لإيصال حقوقهم إليهم أو سمحت نفوسهم بإحلاله والبراءة عنه، وإلا فالعزم بقلبه على أنه يخرج من حقوقهم عند الإمكان والرجوع إلى الله تعالى بصدق الابتهال والدعاء لهم، (**فإن من لم يصحح التوبة**) من قلبه (**ولم يهجر المعاصي الظاهرة**) والزلات المكشوفة للناس، (**وأراد أن يقف على أسرار الدين بالمكاشفة**) الغيبية (**كان كمن يريد أن يقف على أسرار القرآن وتفسيره**) لما فيه من الغرائب، (**وهو لم يتعلم لغة العرب بعد**) ولم يتقنها فأنى له ذلك، (**فإن ترجمة غريب القرآن لا بد من تقديمها أولاً**) وقد صنف فيه من المتقدمين أبو إسحاق الحربي، وأبو إسحاق الزجاج، وأبـو عبيـد القـاسم بـن سلام، ثم تلاهـم أبـو منصـور الأزهري، وأبو عبيد الهروي وغيرهم، (**ثم الترقي منها إلى أسرار معانيه، فكذلك لا بد من**

تصحيح ظاهر الشريعة أوّلاً وآخراً ثم الترقي إلى أغوارها وأسرارها.

فإذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحاً للصلاة فيحتاج إلى إمام يقتدي به، فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل، فإن سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة، فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فإنها تجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطىء النهر بالقائد بحيث يفوّض أمره إليه بالكلية، ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا

تصحيح ظاهر الشريعة أولاً وآخراً ثم) يكون (**الترقي منها إلى أسرارها**) وبواطنها (**وأغوارها، فإذا قدم هذه الشروط الأربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحاً للصلاة، فيحتاج إلى إمام يقتدي به، فكذلك المريد**) في سلوك طريق الحق (**يحتاج إلى شيخ**) بصير (**وأستاذ**) كامل (**يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل فإن سبل الدين غامض**) أي دقيق خفي، (**وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهذبه**) ويؤدبه ويريه طريق الحق (**قاده الشيطان لا محالة إلى طرقه، فمن سلك البوادي المهلكة**) والمفاوز المضلة (**بنفسه من غير خفير**) أي دليل يرشد (**فقد خاطر بنفسه**) أي رماها في خطر (**وأهلكها**) أي تسبب لهلاكها. ونص القشيري في الرسالة: ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فإن من لم يكن له إستاذ لا يفلح أبداً، وهذا أبو زيد يقول: من لم يكن له استاذ فإمامه الشيطان سمعت أبا علي الدقاق يقول: العبادة بلا علم كالبنيان على السرقين اهـ.

ووقع في بعض كتب الصوفية من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان، (**ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فإنها تجف على القرب وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر**)

وقال القشيري في الرسالة: وفي آخر الكتاب في باب وصايا المريدين: سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول: الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق ولكن لا تثمر، كذلك المريد إذا لم يكن له استاذ يأخذ عنه طريقته نفساً فنفساً فهو عابد هواه لا يجد نفاذاً. وقال في باب الإرادة سمعت أبا علي يقول: الشجر إذا نبت بنفسه ولم يستنبته أحد يورق ولكن لا يثمر، كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يتخرج به لا يجيء منه شيء.

(**فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شط البحر بالقائد بحيث يفوض إليه أمره بالكلية ولا يخالفه**) أصلاً (**في ورد ولا صدر ولا يبقى في**

يبقى في متابعته شيئاً ولا يـذر وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب، فإذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور: الخلوة، والصمت، والجوع، والسهر. وهذا تحصن من القواطع، فإن مقصود المريد إصلاح قلبه ليشاهد به ربه ويصلح لقربه.

وأما الجوع فإنه ينقص دم القلب ويبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد في ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة، كما أن قساوته سبب الحجاب. ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك العدوّ فإن مجاريه العروق الممتلئة الشهوات. وقال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين جوّعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم. وقال سهل بن عبدالله التستري: ما صار الأبدال ابدالاً إلا بأربع خصال: باخماص البطون، والسهر، والصمت، والاعتزال

متابعته شيئاً ولا يـذر) أي ولا يترك **(ويعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب)**، وعبارة القشيري في الرسالة: وإن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه، فإن الخلاف شر للمريد في ابتداء أمره عظيم الضرر لأن ابتداء حاله دليل على جميع عمره، ومن شرطه أن لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه، **(فإذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهي أربعة أمور: الخلوة والصمت والجوع والسهر، وهذا يحصن من القواطع فإن مقصود المريد إصلاح قلبه ليشاهد ربه ويصلح لقربه)** وعبارة الرسالة: لأنه يجب على المريد أن يجتهد ليعرف ربه لا ليحصل لنفسه قدراً وفرق بين من يريد الله تعالى وبين من يريد جاه نفسه.

(أما الجوع فإنه ينقص دم القلب) لأنه لا يكون إلا من غذاء فإذا بطل الغذاء نقص الدم **(فيبيضه)** بأن يقل احراره **(وفي بياضه نوره)** وجلاؤه، ومن هنا قال يحي بن معاذ الرازي: الجوع نور والشبع نار والشهوة مثل الحطب يتولد منه الاحراق ولا تنطفىء ناره حتى تحرق صاحبها، **(و)** الجوع أيضاً **(يذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب الحجاب)** عن المكاشفات، **(ومهما نقص دم القلب ضاق منه سلك مسلك العدوّ)** اللعين، **(فإن مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات)** كما في الخبر: « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » الحديث وقد تقدم في كتاب الصوم. **(قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم)** وفيه إشارة إلى أن الجوع يصفي الفؤاد فيكون محلاً لإشراق الأنوار الإلهية **(قال)** أبو محمد **(سهل)** التستري رحمه الله تعالى: **(ما صار الأبدال أبدالاً إلا بأربع خصال: اخماص البطون، والسهر، والصمت، والاعتزال**

عن الناس. ففائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر يشهد له التجربة. وسيأتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين.

وأما السهر؛ فإنه يجلو القلب ويصفيه وينوّره فيضاف ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع فيصير القلب كالكوكب الدري والمرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها، فتتم بذلك رغبته في الدنيا وإقباله على الآخرة. والسهر أيضاً نتيجة الجوع فإن السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته إلا إذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لأسرار الغيب. فقد قيل في صفة الأبدال: إن أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة. وقال إبراهيم الخوّاص رحمه الله: أجمع رأي سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء.

عن الناس) نقله القشيري في الرسالة. **(ففائدة الجوع في تنوير القلب أمر ظاهر تشهد له التجربة، وسيأتي بيان وجه التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين)** وهو الكتاب الذي يليه.

(وأما السهر فإنه يجلو القلب ويصفيه) عن الكدورات **(وينوره فينضاف ذلك إلى الصفاء الذي حصل من الجوع ويصير القلب)** بمضاعفة الصفاء فيه **(كالكوكب الدري)** المضيء المتلألىء **(والمرآة المجلوة)** يبيض بعضه بنور الإسلام وبعضه بنور الإيمان وكله بنور الإحسان والإيقان، فإذا ابيضّ القلب انعكس نوره على النفس، **(فيلوح فيه جمال الحق)** أي أشعة أنواره بأن تنجلي فيه، **(ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها، فتتم بذلك رغبته عن الدنيا)** واعراضه عنها **(وإقباله على الآخرة)** وللقلب وجه إلى النفس ووجه إلى الروح، وللنفس وجه إلى القلب ووجه إلى الطبع والغريزة، والقلب إذا لم يبيض كله لم يتوجه إلى الروح بكله، ويكون ذا وجهين وجه إلى الروح ووجه إلى النفس، فإذا ابيض توجه إلى الروح بكله فيتدارك مدد الروح ويزداد إشراقاً وتنوراً، وكلما انجذب القلب إلى الروح انجذبت النفس إلى القلب، وكلما انجذبت توجهت بوجهها الذي يليه وتنور النفس لتوجهها إلى القلب بوجهها الذي يلي القلب، **(والسهر أيضاً نتيجة الجوع)** وثمرته **(فإن السهر مع الشبع غير ممكن)** لأن الشبع يرخي العروق والأعصاب ويجر إلى النوم، **(والنوم يقسي القلب ويميته إلا إذا كان بقدر الضرورة)** فإنه لا بد منه وهو سبعون درجة بين الليل والنهار، **(فيكون سبب المكاشفة لأسرار الغيب، فقد قيل في صفة الأبدال أن أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة)** نقله صاحب القوت وصاحب الرسالة وصاحب العوارف، **(وقال أبو إسحاق إبراهيم ابن أحمد الخواص)** من أقران الجنيد مات بالري سنة ٢٩١ رحمه الله تعالى: **(اجتمع رأي سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء)** نقله القشيري وصاحب القوت، وذلك إن الإكثار من الماء يرخي العروق لامتلائها به فيكون سبباً للفتور في الأعضاء والكسل فيغلب النوم.

وأما الصمت؛ فإنه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعامه وشرابه وتدبير أمره، فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة، فإن الكلام يشغل القلب وشره القلوب إلى الكلام عظيم، فإنه يستروح إليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر فيستريح إليه، فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى.

وأما الخلوة: ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فإنها دهليز القلب، والقلب في حكم حوض تنصب إليه مياه كريهة كدرة قذرة من أنهار الحواس، ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها لينفجر أصل الحوض فيخرج منه الماء النظيف الطاهر، وكيف يصح له أن ينزح الماء من الحوض والأنهار مفتوحة إليه فيتجدد في كل حال أكثر مما ينقص، فلا بد من ضبط الحواس إلا عن قدر الضرورة وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم، وإن لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو ازار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد

(**وإما الصمت**) وهو قلة الكلام، (**فإنه يسهل العزلة**) عن الناس فإنه إذا لم يجد عنده أحداً لا يتكلم، (**ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعام وشراب أو تدبير أمر**) من أموره، (**فينبغي أن لا يتكلم إلا بقدر الضرورة**) وهذا معنى قولهم كلام الأبدال عن ضرورة، (**فإن الكلام يشغل القلب**) عن مراقبة المذكور (**وشره القلب إلى الكلام عظيم، فإنه يستروح إليه**) ويستحيله، (**ويستثقل التجرد للذكر والفكر**) لما فيه من المشقة (**ويستريح إليه**) أي إلى الكلام، (**فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى**) كما سيأتي بيان ذلك.

(**وأما الخلوة، ففائدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر**) عن تطرق شيء إليهما، (**فإنها دهليز القلب في حكم حوض انصبت إليه مياه كدرة**) متغيرة (**قذرة من أنهار الحواس**) الظاهرة(**ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه**) والإخلاء منها (**ومن الطين الحاصل منها لينحفر أسفل الحوض فينفجر منه الماء اللطيف الطاهر**) لا كدر ولا قذر ولا يحصل الانفجار إلا بنزح تلك المياه عنه، (**فكيف يصح أن ينزح الماء من الحوض والأنهار مفتحة إليه فيتجدد في كل حالة أكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس**) من تطرق شيء منها إلى القلب (**إلا عن قدر الضرورة وليس**) يتم (**ذلك إلا بالخلوة في مكان مظلم**) لأنه يحفظ حاسة البصر من تبددها، (**فإن لم يكن مظلم فيلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار**) بأن يلقيه على رأسه فيتقنع به وهذه هي الخلوة الصغرى وهي مانعة عن تبدد حاسة البصر إلى المرئيات ولو لم يكن في خلوة (**ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد**

جلال الحضرة الربوبية. أما ترى أن نداء رسول الله ﷺ بلغه وهو على مثل هذه الصفة فقيل له: ﴿يا أيها المزمل ـ يا أيها المدثر﴾.

فهذه الأربعة جنة وحصن بها تدفع عنه القواطع وتمنع العوارض القاطعة للطريق، فإذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق وإنما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى إلا صفات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا. وبعض تلك العقبات أعظم من بعض والترتيب في قطعها أن يشتغل بالأسهل فالأسهل، وهي تلك الصفات

جلال الحضرة الربوبية) لجمع حواسه. **(أما ترى ان نداء رسول الله ﷺ بلغه وهو على الصفة فقيل له: ﴿يا أيها المزمل﴾ ﴿يا أيها المدثر﴾)** قال العراقي: متفق عليه من حديث جابر: «جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني» الحديث وفيه فأتيت خديجة فقلت: «دثروني وصبوا عليّ ماء بارداً» قال: «فنزلت يا أيها المدثر» وفي رواية فقال: «زملوني زملوني» ولهما من حديث عائشة فقال: «زملوني زملوني» فزملوه حتى ذهب عنه الروع اهـ.

قلت: لفظ حديث جابر أخرجاه من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله عن أول ما نزل من القرآن فقال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه رعباً فرجعت، فقلت دثروني فدثروني فنزلت ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر﴾ إلى قوله ﴿والرجز فاهجر﴾» وكذلك رواه عبد الرزاق والطيالسي وأحمد وعبد بن حميد والترمذي وابن الضريس وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وابن الانباري في المصاحف، ويروى عن إبراهيم النخعي قال: كان ﷺ متدثراً في قرطق يعني شملة صغيرة الخمل أخرجه سعيد بن منصور. وأخرج البزار والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الدلائل عن جابر قال: اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا: سموا هذا الرجل اسماً تصدّوا الناس عنه، فقالوا: كاهن. قالوا: ليس بكاهن. قالوا: مجنون. قالوا: ليس بمجنون. قالوا: ساحر. قالوا: ليس ساحر. قالوا: يفرق بين الحبيب وحبيبه، فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل فقال: يا أيها المزمل يا أيها المدثر.

(فهذه الأربعة جنة وحصن تدفع) عنه القواطع وتمنع **(عنه العوارض القاطعة للطريق فإذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق، وإنما سلوكه بقطع العقبات)** محركة هي الثنايا في الجبال **(ولا عقبة في طريق الله إلا صفات القلب التي سببها الالتفات إلى الدنيا وبعض تلك العقبات أعظم من بعض والتركيب)** الكلي **(في قطعها أن يشتغل بالأسهل فالأسهل يكون**

أعني أسرار العلائق التي قطعها في أول الإرادة وآثارها أعني المال والجاه وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوّف إلى المعاصي، فلا بد أن يخلي الباطن عن آثارها كما أخلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة، وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الأحوال، فرب شخص قد كفي أكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة. وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوات ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد - كما سبق ذكره - فإذا كفي ذلك أو ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة تشغله بعد ذلك يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الأوراد الظاهرة، بل يقتصر على الفرائض والرواتب، ويكون ورده ورداً واحداً. وهو لباب الأوراد وثمرتها أعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره، ولا يشغله ما دام قلبه ملتفتاً إلى علائقه.

قال الشبلي للحصري: إن كان يخطر بقلبك من الجمعة التي تأتيني فيها إلى الجمعة

أعون له في القطع وهي تلك الصفات **أعني أسرار العلائق التي قطعها في أوّل**) دخوله في (**الإرادة وآثارها**) أي الصفات (**أعني آثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات إلى الخلق والتشوّف إلى المعاصي فلا بدّ وأن يخلي الباطن عن آثارها كما أخلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة**) وتتضاعف المشقات، (**وتختلف ذلك باختلاف الأحوال**) والأشخاص، (**فرب شخص قد كفي أكثر الصفات**) فيقل التفاته إلى الدنيا (**فلا تطول عليه المجاهدة**) وقد يسلب تلك الصفات بأجمعها فلا تكون له همة سوى الله تعالى فلا يحتاج إلى مجاهدة، وأصحاب هذا المقام بعد وصولهم إلى الله تعالى قد يشتاقون إلى المجاهدة والرياضة تكميلاً للمقامات (**وقد ذكرنا أن طريق المجاهدة مضادة الشهوة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره، فإذا كفي ذلك أو ضعف بالمجاهدة**) والرياضة (**ولم يبق في قلبه علقة**) أي علاقة حسية ولا معنوية لأن بناء هذا الطريق على فراغ القلب (**شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الأوراد الظاهرة**) من نوافل الصلاة وغيرها، (**بل يقتصر على الفرائض والرواتب**). قال القشيري في الرسالة: وليس من آداب المريد كثرة الأوراد في الظاهر فإن القوم في مكابدة خواطرهم ومعالجة أخلاقهم ونفي الغفلة عن قلوبهم لا في تكثير أعمال البر،: والذي لا بدّ لهم منه إقامة الفرائض والسنن الراتبة، فأما الزيادة من الصلوات النافلة فاستدامة الذكر بالقلب أتم لهم. (**ويكون ورده ورداً واحداً وهو لباب الاوراد**) وخلاصتها (**وثمرتها أعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو عن ذكر غيره ولا يشغله به ما دام قلبه ملتفتاً إلى علائقه**) وشواغله. قال القشيري في الرسالة: وما لم يتجرد المريد عن كل علاقة لا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئاً من الأذكار، بل يجب أن يقدم على ذلك التجربة.

(**قال**) أبو بكر (**الشبلي للحصري**) هو أبو الحسن علي بن إبراهيم البصري سكن بغداد

الأخرى شيء غير الله تعالى فحرام عليك أن تأتيني. وهذا التجرد لا يحصل إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له إلا هم واحد. فإذا كان كذلك ألزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال، فإن أصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكراً من الأذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلاً: الله الله. أو سبحان الله سبحان الله. أو ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة اللسان وتكون الكلمة كأنها جارية على اللسان من غير تحريك، ثم لا يزال يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب، ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفـظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ عن كل ما سواه لأن القلب إذا اشغل بشيء خلا عن غيره ـ أي شيء

مات بها سنة ٣٧١ إن **(كان يخطر على قلبك)** ولفظ الرسالة: وكان الشبلي يقول للحصري في ابتداء أمره: إن خطر ببالك **(من الجمعة إلى الجمعة)** الثانية **(التي تأتيني)** وفي نسخة تأتينا وفي أخرى تأتي **(غير الله)** تعالى أي إذا سكن قلبك إلى غير الله **(فحرام عليك أن تأتيني)** ولفظ الرسالة ان تحضرني أي فلا تصحبني، وفائدة قوله من الجمعة إلى الجمعة تعليمه دوام ودّه لما خطر له من ذلك فإنه إذا دام الود قوي القلب بما دام عليه، **(وهذا التجرد لا يمكن إلا مع صدق الإرادة واستيلاء حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له إلا هم واحد)** وتقدم عن الأستاذ أبي علي أنه قال: الإرادة لوعة في الفؤاد لدغة في القلب غرام في الضمير انزعاج في الباطن، فهذه كلها صفات العاشق وبتمامها يتم صدق الارادة. **(فإذا صار كذلك ألزمه الشيخ زاوية)** من زوايا البيت **(ينفرد بها)** بنفسه **(ويوكل من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال، فإن أصل طريق الدين القوت الحلال)** وكل مريد لم يراع ذلك لا يجيء منه شيء في الطريق. **(وعند ذلك يلقنه ذكراً من الأذكار حتى يشتغل به لسانه وقلبه)** معاً **(فيجلس ويقول مثلاً: الله الله أو سبحان الله أو ما يراه الشيخ من الكلمات)** المناسبة لحاله في سلوكه، فمن غلب عليه الجذب فهذا ذكره ومن غلب عليه السلوك فالمناسب له النفي والاثبات كما تقدمت الإشارة إليه، **(ولا يزال)** المريد **(يواظب عليه حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب، ثم لا يزال كذلك حتى تنمحي عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازماً للقلب حاضراً معه غالباً عليه)**. ولفظ الرسالة: فإذا جربه شيخه فيجب أن يلقنه ذكراً من الأذكار على ما يراه شيخه فيأمره أن يذكر ذلك الاسم بلسانه ثم يأمره أن يسوّي قلبه مع لسانه فيقول اثبت على استدامة هذا الذكر كأنك مع ربك أبداً بقلبك ولا يجري على لسانك غير هذا الأمر ما أمكنك، **(قد فرغ القلب)** أي أخلاه **(عن كل ما سواه لأن القلب إذا شغل بشيء خلا عن غيره أي شيء كان)** لأنه ليس له إلا وجهة

كان ـ فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره، وعند ذلك يلزمه أن يراقب وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما قد مضى من أحواله وأحوال غيره، فإنه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان أيضاً نقصاناً، فليجتهد في دفع ذلك، ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وأنها: ما هي؟ وما معنى قولنا الله؟ ولأي معنى كان إلهاً وكان معبوداً؟ ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة، ومهما كان كارهاً لذلك ومتشمراً لإماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة إلى ما يعلم قطعاً أن الله تعالى منزه عنه. ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه أن لا يبالي به ويفزع إلى ذكر الله تعالى ويبتهل إليه ليدفعه عنه، كما قال تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ [الأعراف: ٢٠٠] وقال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ [الأعراف: ٢٠١]

واحدة، (**فإذا شغل بذكر الله**) تعالى (**وهو المقصود**) الأعظم (**خلا لا محالة عن غيره وعند ذلك**) أي بعد تفريغ القلب عن السوي وإثبات ذكر الله فيه (**يلزمه**) أي المريد (**أن يراقب**) أي يحافظ (**وساوس القلب والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه**) أي في القلب (**مما مضى من أحواله وأحوال غيره، فإنه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر**) والفكر (**في تلك اللحظة وكان ذلك نقصاناً**) لحاله. وعبارة الرسالة: ثم يأمره بإيثار الخلوة والعزلة ويجعل اجتهاده في هذه الحالة لا محالة نفي الخواطر الدنية والهواجس الشاغلة عن القلب، (**فليجتهد في دفع ذلك**) عن قلبه. (**ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس إلى هذه الكلمة**) التي لقّنها له شيخه (**جاءته الوساوس من هذه الكلمة وأنها ما هي**) أي ما حقيقتها وإنه يقبح بالمريد الذاكر أن لا يتحقق حقيقة ما يذكره (**وما معنى قولنا الله**) هل هو مبتدأ خبره محذوف أو بالعكس، وما المحذوف الذي يقدر هنا، (**ولأي معنى كان إلهاً معبوداً؟ ويعتريه عند ذلك خواطر**) مختلفة (**تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر**) صراح (**أو بدعة**) مذمومة. (**ومهما كان كارهاً لذلك ومشمراً لإماطته**) أي إزالته (**عن القلب لم يضره ذلك والخواطر منقسمة إلى ما يعلم قطعاً أن الله**) تعالى (**منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه أن لا يبالي به**) ولا يهتم له (**ويفزع إلى ذكر الله**) تعالى (**ويبتهل إليه**) ويتضرع بباطنه (**ليدفعه عنه، كما قال الله تعالى ﴿وإما ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم* إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾**)

وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يعرض ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من فترة أو نشاط أو التفات إلى علقة أو صدق في ارادة، فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه، وان يستره عن غيره فلا يطلع عليه أحداً، ثم إن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فلو علم أنه لو تركه وأمره بالفكر تنبه من نفسه على حقيقة الحق فينبغي أن يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته، وإن

وعبارة الرسالة: واعلم أنه يكون للمريدين على الخصوص بلايا من هذا الباب وذلك أنهم إذا دخلوا في مواضع ذكرهم أو كانوا في مجالس سماع أو غير ذلك فيهجس في نفوسهم ويخطر ببالهم أشياء منكرة يتحققون أن الله منزه عن ذلك، وليس تعتريهم شبهة في أن ذلك باطل، ولكن يدوم فيشتد تأذيتهم به حتى يبلغ ذلك حداً يكون أصعب شتم وأقبح قول وأشنع خاطر لا يمكن للمريد، اجراء ذلك على اللسان ولا ابداؤه لأحد، وهذا أشد شيء يقع لهم. فالواجب عند هذا ترك مبالاتهم بتلك الخؤاطر واستدامة الذكر والابتهال إلى الله تعالى واستدفاع ذلك، وتلك الخواطر ليست من وساوس الشيطان، وإنما هي من هواجس النفس فإذا قابلها العبد بترك المبالاة لها ينقطع ذلك عنه اهـ. كلام القشيري.

وأنت ترى أنه جعل ما يجري على قلب المريد بما ذكر من هواجس النفس لا من وساوس الشيطان والمصنف جعله من الوساوس والأمر في ذلك سهل قريب، وقد تقدم للمصنف ذكر حديث «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فإذا كان ذلك فليستعذ بالله ولينته». وجاء بعض الصحابة إلى النبي ﷺ فقالوا: تقع في نفوسنا أمور يوّد أحدنا أن يخر من السماء فتخطفه الطير ولا يقع له ذلك. فقال: «أوجدتموه». قالوا: نعم. قال: «ذلك صريح الايمان». يعني ردهم لذلك أوتألمهم وتمنيهم الموت مما وقع لهم لأنفس الوسوسة. وحاصله أنه إذا ضاق على المريد شيء من ذلك التجأ إلى الله فيه واستعاذ به وأعرض عن الفكرة فيه فإن الله يزيله عن قلبه ويقوي يقينه والله الموفق.

(وإلى ما يشك فيه فينبغي أن يعرض ذلك عن شيخه، بل كل ما يجد في قلبه من الأحوال من فترة) في الإرادة أو في السلوك **(أو نشاط)** فيها **(أو التفات إلى علقة)** دنيوية أو أخروية **(أو صدق في إرادة فينبغي أن يظهر ذلك لشيخه ويسره)** أي يكتمه **(من غيره فلا يطلع عليه أحداً)**، وعبارة الرسالة ثم يجب عليه حفظ سره حتى عن زره إلا عن شيخه، ولو كتم نفساً من أنفاسه عن شيخه فقد خانه في حق صحبته اهـ. وذلك لأن الشيخ قد ترك شغله مع مولاه في خاصته وعاهد الله على أن يفرغ قلبه في إصلاح هذا المريدِ فحقه أن لا يكتم عنه شيئاً ليفعل به ما يراه إصلاحاً له.

(ثم أن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته فإن علم أنه لو تركه أو أمره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي أن يحيله على الفكر ويأمره بملازمته حتى يقذف

علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده إلى الاعتقاد القاطع بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر ودليل قريب من فهمه وينبغي أن يتأنق الشيخ ويتلطف به، فإن هذه مهالك الطريق ومواضع أخطارها، فكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة، وذلك هو الهلاك العظيم. ومن تجرد للذكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الافكار فإنه قد ركب سفينة الخطر، فإن سلم كان من ملوك الدين، وإن أخطأ كان من الهالكين. ولذلك قال ﷺ: «عليكم بدين العجائز» وهو تلقي أصل الإيمان وظاهر

في قلبه من النور ما) ينشرح به صدره، و **(ينكشف له به حقيقته، وإن علم أن ذلك مما لا يقوى عليه مثله ردّه إلى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ)** ونصيحة. **(وذكر دليل قريب من فهمه)**.

ونص القشيري: واعلم أن المريد قلما يخلو في أوان خلوته في ابتداء إرادته من الوساوس في الاعتقاد، لا سيما إن كان في المريد كياسة قلب وقلما مريد لا تستقبله هذه الحالة في ابتداء إرادته، وهذه من الامتحانات التي تستقبل المريد، فالواجب على شيخه إن رأى فيه كياسة أن يحيله على الحجج العقلية، فإن بالعلم يتخلص لا محالة المعترف فيما يعتريه من الوسواس، وإن تفرس شيخه فيه القوة والثبات في الطريقة أمره بالصبر واستدامة الذكر حتى تسطع في قلبه أنوار القبول وتطلع في سره شموس الوصول وعن قريب يكون ذلك، ولكن لا يكون هذا إلا لأفراد المريدين، فإن الغالب أن تكون معالجتهم بالرد إلى النظر وتأمل الآيات بشرط تحصيل علم الأصول على قدر الحاجة الداعية للمريدين.

(وينبغي أن يتأنق ويتلطف به، فإن هذه مهالك الطريق ومواقع اخطارها، وكم من مريد اشتغل بالرياضة) وسلك سبيل المجاهدة **(فغلب عليه خيالفاسدلم يقو على كشفه)** وإزالته عن قلبه **(فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة وذلك هو الهلاك العظيم)** قال القشيري في الرسالة: وقفة المريد شر من فترته، والفرق بين الفترة والوقفة أن الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها، والوقفة سكون عن السر باستحلاء حالة الكسل، وكل مريد وقف في ابتداء ارادته لا يجيء منه شيء. **(ومن تجرد للفكر ودفع العلائق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن أمثال هذه الأفكار، فكأنه قد ركب سفينة الخطر، فإن سلم كان من ملوك الدين، وإن أخطأ كان من الهالكين، ولذلك قال ﷺ «عليكم بدين العجائز»)** قال العراقي: قال ابن طاهر في كتاب التذكرة: هذا اللفظ تداوله العامة ولم أقف له على أصل يرجع إليه من رواية صحيحة ولا سقيمة، حتى رأيت حديثاً لمحمد بن عبد الرحمن بن البيلماني عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ «إذا كان في آخر الزمان واختلفت الأهواء فعليكم بدين أهل البادية والنساء» وابن البيلماني له عن أبيه عن ابن عمر نسخة كان يتهم بوضعها اهـ. وهذا اللفظ من هذا الوجه رواه ابن حبان في الضعفاء في ترجمة ابن البيلماني، والله أعلم اهـ.

الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير، فإن الخطر في العدول عن ذلك كثير. ولذلك قيل: يجب على الشيخ أن يتفرس في المريد، فإن لم يكن ذكياً فطناً متمكناً من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر، بل يرده إلى الأعمال الظاهرة والأوراد المتواترة

قلت: ورواه من هذا الوجه أيضاً الديلمي في مسند الفردوس، وأورده الذهبي في الميزان في ترجمة محمد بن الحرث عن ابن البيلماني. ثم قال: ومن عجائبه هذا الحديث، وعبارة ابن حبان في الضعفاء في ترجمته حدث عن أبيه نسخة شبيهة بمائتي حديث كلها موضوعة لا يجوز الإحتجاج به ولا ذكره إلا على وجه التعجب اهـ.

ونظراً إلى ظاهر سياقه مشى غالب الحفاظ على أنه موضوع وفيه نظر. قال السخاوي: وعند رزين في جامعه مما أضافه لعمر بن عبد العزيز ينميه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «تركتم على الواضحة ليلها كنهارها كونوا على دين الأعراب والغلمان والكتاب» اهـ.

وقد أشار المصنف إلى معناه فقال: **(وهو تلقي أصل الإيمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال بأعمال الخير)** قال ابن الأثير في جامع الأصول بعد إيراده ما سبق عن رزين، أراد بقوله دين الأعراب والغلمان والوقوف عند قبول ظاهر الشريعة واتباعها من غير تفتيش عن الشبه وتنقير عن أقوال أهل الزيغ والأهواء ومثله قوله عليكم بدين العجائز اهـ. وهذا السياق يدل على أن الحديث له أصل اهـ.

قلت: ومنهم من يزيد بعد قوله العجائز الماء والمحراب ولم أجد له أصلاً وكأنه تفسير لمعناه.

(فإن الخطر في العدول عن ذلك كثير) فمن لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل أهلها بعضهم بعضاً كان أمره أهون، فمن سمع منها وهو جاثم لا يشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل، ولهذا كان الفخر الرازي فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر مع تبحره في الأصول يقول: من التزم دين العجائز فهو الفائز. وقال ابن السمعاني في الذيل عن الهمداني: سمعت أبا المعالي يعني إمام الحرمين يقول: قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفاً ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهى أهل الإسلام عنه وكل ذلك في طلب الحق وهرباً من التقليد، والآن فقد رجعت من العمل إلى كلمة الحق عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطفه وأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على أهل الحق وكلمة الإخلاص لا إله إلا الله فالويل لابن الجويني.

(ولهذا يجب على الشيخ أن يتفرس في المريد) أي ينظر إليه بنور الإيمان وفراسته، **(فإن لم يكن ذكياً فطناً متمكناً من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر)** لأنه مثله ترد عليه في أثناء ذكره وفكره شبه ووساوس ربما تتمكن من قلبه، وليس عنده التمكن في أصل الاعتقاد فيضره ذلك ولا يجيء منه في الطريق شيء: **(بل يرده إلى الأعمال الظاهرة)** كصلاة الليل وصلاة الضحى والإشراق والأوابين ومتابعة الصيام والاوراد المتواترة وأفضلها القرآن، **(ويشغله بخدمة**

أو يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم، فإن العاجز عن الجهاد في صف القتال ينبغي أن يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم، وإن كان لا يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرة من العجب والرياء والفرح بما ينكشف له من الأحوال، وما يبدو من أوائل الكرامات. ومهما التفت إلى شيء من ذلك وشغلت به نفسه كان ذلك فتوراً في طريقه ووقوفاً. بل ينبغي أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار، ولو أفيضت عليه ويدوم على ذلك ورأس ماله الانقطاع عن الخلق إلى الحق والخلوة.

قال بعض السياحين: قلت لبعض الأبدال المنقطعين عن الخلق: كيف الطريق إلى التحقيق؟ فقال: أن تكون في الدنيا كأنك عابر طريق. وقال مرة: قلت له دلني على عمل أجد قلبي فيه مع الله تعالى على الدوام. فقال لي: لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة. قلت: لا بدّ لي من ذلك. قال: فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة. قلت: لا

المتجردين للفكر) والذكر من كنس خلاويهم وملء أباريقهم **(لتشمله بركتهم)** ويعمه إمدادهم **(فإن العاجز عن المجاهدة في صف القتال ينبغي أن يسقي القوم)** ويعينهم في أمورهم **(ويتعهد دوابهم)** بالربط والسقي والتعليق ويداوي جرحاهم **(ليحشر يوم القيامة في زمرتهم وتعمه بركتهم، وإن كان لا يبلغ درجتهم)** والأعمال بالنيات، **(ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد تقطعه قواطع كثيرة)** وتصيبه بلايا **(من العجب والرياء والفرح بما ينكشف)** له **(من الأحوال)** السنية **(وما يبدو من أوائل الكرامات)** وهي ما يكرمه الله تعالى به، **(ومهما التفت إلى شيء من ذلك وشغل به نفسه كان ذلك فتوراً في طريقه)** وهو الإعراض عن الإرادة والسلوك والترك لما هو فيه **(أو وقوفاً)** وهو السكون عن السير باستلذاذ حالة الكسل، والثاني أشد من الأوّل لأن من استلذ حالة لم ينتقل عنها لمحبته لها بخلاف صاحب الوقوف فإنه يرجى له الرجوع إلى ما كان عليه، فإذا حصل للمريد الوقوف في أوائله لا يجيء منه شيء لأنه يفتقد كمال نفسه واستحسان حاله فيبعد منه الانتقال إلى ما هو أعلى، **(بل ينبغي أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا ترويه البحار ولو أفيض عليه ويداوم عليه)** مداومة العاشق المستهتر الذي لا يسمع دون محبوبه عذل المفند فيه **(ورأس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة)** عنهم حتى تجتمع له حواسه.

(قال بعض) هذه الطائفة من **(السائحين)** في الأرض. **(قلت لبعض الأبدال المنقطعين عن الخلق: كيف الطريق إلى التحقيق)** والوصول إلى الحق؟ قال: لا تنظر إلى الخلق. **(وقال: مرة قلت له دلني على عمل أعمله أجد فيه قلبي مع الله تعالى في كل وقت على الدوام)** أي من غير أن يرد عليه ما يمنعه عنه، **(فقال لي: لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة)** أي يورث ظلمة في القلب فيكون سبب الحجاب بينك وبين الله تعالى. **(قلت: لا بدّ لي من ذلك)**

بدّ لي من ذلك. قال: فلا تعاملهم فإن معاملتهم وحشة. قلت: أنا بين أظهرهم لا بدّ لي من معاملتهم. قال: فلا تسكن إليهم، فإن السكون إليهم هلكة. قال: قلت هذه العلة قال: يا هذا أتنظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد أن تجد قلبك مع الله تعالى على الدوام؟ هذا ما لا يكون أبداً.

فإذاً منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام، ولا يمكن ذلك إلا بأن يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره إلا بطول المجاهدة، فإذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلاً، وإذا انكشف للمريد شيء من ذلك فأعظم

أي من النظر اليهم. **(قال)** : فإذا نظرت إليهم **(فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة)** أي يورث القسوة والغلظة في القلب فهو أيضاً حجاب، **(قلت: لا بدّ لي من ذلك)** أي من سماع كلامهم ولا أستغني عن ذلك. **(قال)** : فإذا سمعت كلامهم **(فلا تعاملهم فإن معاملتهم وحشة)** أي يورث الوحشة والتنافر في القلوب وهو أيضاً حجاب. **(قلت: أنا بين أظهرهم لا بدّ لي من معاملتهم)** فكيف أفعل؟ **(قال: فلا تسكن إليهم)** بقلبك، **(فإن السكون إليهم)** بالقلب **(هلكة)** أي هلاك أبدي. **(قال: قلت هذه هي العلة)** كذا في النسخ والذي في القوت قلت هذه العلة **(قال: يا هذا تنظر إلى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين، وتريد أن تجد قلبك مع الله عز وجل على الدوام هذا ما لا يكون أبداً)** أورده صاحب القوت.

(فإذاً منتهى الرياضة أن يجد قلبه مع الله أبداً) بحيث لا يتخلل في هذا الوجدان شيء يخالفه، **(ولا يمكن ذلك إلا بأن يخلو من غيره)** فلا يكون لخطوره فيه مساغ **(ولا يخلو عن غيره إلا بطول المجاهدة)** ولا تتم المجاهدة إلا بمخالفة النفس، فحينئذ تحصل له مباديء الهداية المفهومة من قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] فإذا تمت له الهداية ارتقى إلى مقام الإحسان الذي فسر في الحديث «أن تعبد ربك كأنك تراه» وإليه الإشارة بقوله: ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ [العنكبوت: ٦٩] أي بمعية الشهود والانكشاف، **(فإذا حصل قلبه مع الله)** عند دخوله في حظيرة الإحسان **(انكشف له جلال الحضرة الربوبية)** الجامعة للحضرات الأربعة **(وتجلّى له الحق)** من وراء حجاب من الحجب الاسمائية، **(وظهر من لطائف رحمة الله تعالى ما لا يجوز أن يوصف بل لا يحيط به الوصف أصلاً)** وأراد بذلك التجلي الصفاتي الذي مبدؤه صفة من الصفات من حيث تعينها وامتيازها عن الذات، ودلّ على ذلك قوله وظهر الخ وذلك لأن التجلي الذي مبدؤه الذات من غير اعتبار صفة من الصفات معها لا يتحصل إلا بواسطة الأسماء والصفات إذ لا يتجلى الحق من حيث ذاته على الموجودات إلا من وراء حجاب من الحجب الاسمائية، وأصل التجلي ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، وإنما جمع

القواطع عليه أن يتكلم به وعظاً ونصحاً ويتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراءها لذة، فتدعوه تلك اللذة إلى أن يتفكر في كيفية إيراد تلك المعاني وتحسين الألفاظ المعبرة عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات وشواهد القرآن والأخبار وتحسين صنعة الكلام لتميل إليه القلوب والأسماع، فربما يخيل إليه الشيطان أن هذا إحياء منك لقلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى، وإنما أنت واسطة بين الله تعالى وبين الخلق تدعو عباده إليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر في أقرانه من يكون أحسن كلاماً منه وأجزل لفظاً وأقدر على استجلاب قلوب العوام، فإنه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة إن كان محركه كيد القبول، وإن كان محركه هو الحق حرصاً على دعوة عباد الله تعالى إلى صراطه المستقيم فيعظم به فرحه ويقول: الحمد لله الذي عضدني وأيدني بمن وازرني على اصلاح عباده، كالذي وجب عليه مثلاً أن يحمل ميتاً ليدفنه إذ وجده ضائعاً وتعين عليه ذلك شرعاً، فجاء من أعانه عليه فإنه يفرح به ولا يحسد من يعينه والغافلون موتى القلوب، والوعاظ هم المنبهون

الغيوب باعتبار تعدد أمور التجلي فإن لكل اسم إلهي بحسب حيطته ووجوهه تجليات متنوّعة **(وإذا انكشف للمريد شيء من ذلك فأعظم القواطع عليه أن يتكلم به وعظاً ونصحاً)** أي بطريقهما **(ويتصدى للتذكير)** على ملأ من الناس **(فتجد النفس فيه لذة)** غريبة **(ليس وراءها لذة، فتدعوه تلك اللذة إلى أن يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الألفاظ المعبرة عنها)** بأنواع البلاغة والجزالة **(وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات)** المناسبة لها **(وشواهد القرآن والأخبار)** لكل معنى من تلك المعاني. **(وتحسين صورة الكلام)** بالألحان **(لتميل إليه القلوب والاسماع)** وترغب إليه وهذا حسن في الجملة إذا كان من غير قصد مع حسن النية **(و)** لكن **(الشيطان ربما يخيل إليه أن هذا منك إحياء لقلوب الموتى الغافلين عن الله عز وجل، وإنما أنت واسطة بين الله وبين الخلق لدعوة عباده إليه)** وهذا مقام شريف **(وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة)** فإذا خيل له ذلك واستقر في قلبه حصل له الركون والسكون وهو عين الهلاك إن لم يأخذ الله بيده **(ويتضح كيد الشيطان بأن يظهر في أقرانه)** وذوي عصره **(من يكون أحسن كلاماً)** منه **(وأجزل لفظاً وأقوى على جلب القلوب العوام، فإنه يتحرك في باطنه لا محالة عقرب الحسد)** ويدب فيه **(إن كان محركه لذة القبول)** بين العامة **(وإن كان محركه هو الحق حرصاً على دعوة عباد الله إلى صراطه المستقيم فيعظم فرحه بذلك)** وينشرح صدره، **(فيقول: الحمد لله الذي عضدني وأيدني)** أي قوّاني **(بمن يؤازرني)** ويعينني **(على إصلاح عباده)** فهذا هو التمييز بين المحركين، **(كالذي وجب عليه)** وجوب كفاية **(مثلاً أن يحمل ميتاً)** أي يجهزه بالغسل والتكفين **(ليدفنه إذا وجد ضائعاً وتعين عليه ذلك شرعاً فجاء من أعانه عليه، فإنه يفرح به ولا يحسده معينه)**

والمحيون لهم، ففي كثرتهم استرواح وتناصر، فينبغي أن يعظم الفرح بذلك وهذا عزيز الوجود جداً فينبغي أن يكون المريد على حذر منه فإنه أعظم حبائل الشيطان في قطع الطريق على من انفتحت له أوائل الطريق؛ فإن ايثار الحياة الدنيا طبع غالب على الانسان، ولذلك قال الله تعالى: ﴿بل تُؤثرون الحياة الدنيا﴾ [الأعلى: ١٦] ثم بين ان الشر قديم في الطباع، وأن ذلك مذكور في الكتب السالفة فقال: ﴿إنَّ هذا لفي الصحف الأولى★ صحف إبراهيم وموسى﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩] فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته في

ولا يخطر ذلك بباله (**والغافلون**) عن طريق الحق (**موتى**) أي بمنزلة الأموات وإن كانوا أحياء في الظاهر، (**والوعاظ هم المنبهون**) لهم عن رقدة الغفلة (**والمحيون لهم**) من موتة القلوب، (**ففي كثرتهم استرواح وتناصر**) وتعاون، (**فينبغي أن يعظم الفرح بذلك**) ويكثر السرور به. (**وهذا عزيز الوجود جداً**) لاستحواذ الشيطان على قلوب أكثر الخلق، (**فينبغي أن يكون المريد على حذر منه فإنه أعظم حبائل الشيطان**) وأكبر مصائده وفخوخه (**في قطع الطريق على من انفتح له أوائل الطريق**). قال القشيري: أضر الاشياء بالمريد استئناسه بما يلقى إليه في سره من تقريبات الحق سبحانه ومنته عليه بأن خصصتك بهذا وأفردتك عن أشكالك فإنه لو قال بترك هذا فعن قريب يستخطف عن ذلك بما يبدو له من مكاشفات الحقيقة اهـ.

(**فإن إيثار الحياة الدنيا طبع غالب على الإنسان**) قد جبل عليه، (**ولذلك قال تعالى ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير﴾**) أي يختارونها على الآخرة فلا يفعلون ما يسعدهم في الآخرة ولو علموا علماً يقيناً فناءها وبقاء الآخرة لما آثروها، (**ثم بيّن أن الشر قديم في الطباع وأن ذلك مذكور في الكتب السالفة**) أي الماضية (**فقال: ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى★ صحف إبراهيم وموسى﴾**) بدل من الصحف الأولى.

قال السدي: إن هذه السورة نزلت في صحف إبراهيم وموسى مثل ما نزلت على النبي ﷺ أخرجه ابن أبي حاتم. وقال أبو العالية: قصة هذه السورة في الصحف الأولى اخرجه ابن جرير. وقال الحسن أي في كتب الله كلها أخرجه ابن أبي حاتم، وفي حديث أبي ذر من تخريج عبد بن حميد وابن مـردويه وابن عساكر قلت: يا رسول الله هل أنزل الله عليك بشيء مما كان في صحف ابراهيم وموسى؟ قال: «يا أبا ذر نعم ﴿قد أفلح من تزكى★ وذكر اسم ربه فصلّى★بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾» وفي هذا الحديث إن الله تعالى أنزل على ابراهيم عشر صحائف وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف، وقد آثر المصنف ختم هذا الكتاب بما ختم الله به هذه السورة لما فيها من تزكية النفس من الأدناس، وذكر الله تعالى والصلاة والتنبيه على إيثار الآخرة وترك شهوات الدنيا ولذاتها، وأن الآخرة هي دار البقاء وفي كل ذلك تهذيب للنفوس وهو معظم مقصود الكتاب، ولذلك قال: (**فهذا منهاج رياضة المريد وترتيبه في التدريج إلى**

التدريج إلى لقاء الله تعالى. فأما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي. فإن أغلب الصفات على الإنسان بطنه وفرجه ولسانه ـ أعني به الشهوات المتعلقة بها ـ ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات، ثم مهما أحب الانسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما أحب الدنيا، ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه، وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرئاسة، وإذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا رأساً وتمسك من الدين بما فيه الرئاسة وغلب عليه الغرور.

فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين أن نستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب إن شاء الله تعالى: كتاب في كسر شهوة البطن والفرج، وكتاب في آفات اللسان، وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد، وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها، وكتاب في كسر حب المال وذم البخل، وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه، وكتاب في ذم الكبر والعجب،

لقاء الله تعالى أما تفصيل الرياضة في كل صفة فسيأتي بيانه فإن أغلب الصفات على الإنسان بطنه وفرجه ولسانه أعني به الشهوات المتعلقة بها) اعلم أن النفس كما تقدم مجبولة على صحبة العاجل وإيثاره على الآجل، ولها قوّتان جالبة ودافعة فالجالبة الشهوة وأعظمها ما تعلق بالبطن والفرج واللسان، وأما الدافعة فأشار لها بقوله: **(ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات)** وله ثمرات مذمومة يأتي بيانها، **(ثم مهما أحب الإنسان شهوة البطن والفرج وأنس بها)** بحيث استولت على قلبه **(أحب الدنيا)** وآثرها لنفسه، وهكذا شأن المحب للشيء يؤثره على غيره **(لا يتمكن منها إلا بالمال والجاه)** وهما ركنان عظيمان، **(وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرئاسة)** والعلو وأصناف الشهوة العقلية وظهر من سياق المصنف أن ظهور هذه الأوصاف في المريدين نتائج القوّة الجالبة وهو ظاهر، ولكن هذه القوّة بنفسها لا تحدث هذه الأصناف إلا بمحاورتها العقل فإنه الذي يكسبها محبةتلك الأصناف لما تقدم أن العقل له وجهان وجه إلى النفس ووجه إلى الروح، كما أن بمجاورة النفس الشيطان تحدث صفات أخر كالمكر والحيلة والخداع وأصناف ذلك، وهذه هي الأصول الأربعة وما عدا ذلك فروع تتشعب منها فتأمل. **(وإذا ظهر ذلك ولم تسمح نفسه بترك الدين رأساً تمسك من الدين بما فيه الرئاسة وغلب عليه الغرور)**.

(فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين) أعني شرح عجائب القلب ورياضة النفس **(أن تستكمل ربع المهلكات بثمانية كتب)** فيكون المجموع عشرة كتب ثم سردها فقال: **(كتاب في كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج، وكتاب في كسر الغضب والحقد والحسد، وكتاب في كسر شره الكلام)** أي حدته وسورته، **(وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها)** وتلبيسات الشيطان فيها، **(وكتاب في ذم الرياء وحب الجاه، وكتاب في كسر حب**

وكتاب في مواقع الغرور . وبذكر هذه المهلكات وتعليم طرق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات إن شاء الله تعالى ، فإن ما ذكرناه في الكتاب الأوّل هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات ، وما ذكرناه في الكتاب الثاني هو إشارة كلية إلى طريق تهذيب الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب . أما تفصيلها فإنه يأتي في هذه الكتب إن شاء الله تعالى .

تم كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب كسر الشهوتين ، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

المال وذم البخل ، وكتاب في ذم الكبر والعجب ، وكتاب في مواقع الغرور ، وبذكر هذه المهلكات وتعليم طريق المعالجة فيها يتم غرضنا من هذا الربع) الذي هو الثالث **(إن شاء الله تعالى ، فإن ما ذكرناه في الكتاب الأوّل)** من هذه الكتب العشرة **(هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب الثاني)** الذي بعده **(هو إشارة كلية إلى تهذيب طريق الأخلاق ومعالجة أمراض القلوب أما تفصيلها فإنما يأتي في هذه الكتب إن شاء الله تعالى)** وهذا آخر كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق ، وقد عن لي أن أختمه بفوائد نافعة تتعلق بآداب المريدين مما اقتطفتها من كتب القوم وجعلتها في فصول هي مهمة ولهذا الكتاب تتمة .

فصل

إذا أحكم بينه وبين الله عقده فيجب ان يحصل من علم الشريعة إما بالتحقيق وإما بالسؤال من الائمة ما يؤدي به فرضه ، وإن اختلفت عليه فتاوى الفقهاء يأخذ بالأحوط ويقصد أبداً الخروج عن الخلاف ، وهل يجوز له تقليد المفضول؟ فقيل : نعم . ورجّحه ابن الحاجب ، وقيل : لا . والمختار عند التاج السبكي جوازه لمن اعتقده أفضل من غيره أو مساوياً له بخلاف من اعتقد مفضولاً ولا يتبع الرخص في المذاهب بأن يأخذ من كل منها ما هو الأسهل فيما يقع من المسائل ، فإن الرخص في الشريعة للمستضعفين وأصحاب الحوائج والأشغال . وهذه الطائفة ليس لهم شغل سوى القيام بحقه سبحانه ، ولهذا قيل : إذا انحط الفقير عن درجة الحقيقة إلى رخصة الشريعة فقد فسخ عقده مع الله ونقض عهده فيما بينه وبين الله ، فالمحمود ملازمته من الأفضل ما يجد من نفسه القدرة على الدوام عليه وإن كان فيه بعض مشقة .

فصل

إذا وقعت للمريد مخالفة فيما أشار إليه شيخه فيجب عليه أن يقر له بما وقع له بين يديه ، ثم

يستسلم لما يحكم عليه به شيخه عقوبة له على مخالفته وجنايته إما بسفر بكلفة أو أمر ما يراه صلاحاً في حقه ووظيفته معه كالعليل مع الطبيب لا يخرج عما يأمره به من الأدوية والأغذية والحمية ولا ينبغي لنشيوخ التجاوز عن زلات المريدين لأن ذلك تضييع لحقوق الله المطلوبة من الطرفين.

فصل

إذا شهد قلب الشيخ للمريد بصحة العزم، فيشترط عليه أن يرضى بما يستقبله في هذه الطريقة من فنون تصاريف القضاء فيأخذ عليه العهد بأن لا ينصرف عن هذه الطريقة بما يستقبله من الضرر والذل والفقر والأسقام والآلام، وأن يجنح بقلبه إلى السهولة، وأن لا يترخص عند هجوم الفاقات وحصول الضرورات، وأن لا يؤثر الدعة، وأن لا يستشعر الكسل.

فصل

يأمر الشيخ المريد أن يكون أبداً في الظاهر على الطهارة وأن لا يكون نومه إلا غلبة وأن يقلل من غذائه بالتدريج شيئاً بعد شيء حتى يقوى على ذلك، ولا يأمره أن يترك عادته بمرة، فإن ذلك يغير مزاجه وأحواله ففي الخبر: إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

فصل

لا يذكر المريد لشيخه كل ما يهجس في خاطره بل يزيله باستدامة الذكر على بساط الصدق أو المراقبة، فإن لم يندفع به المرة بعد المرة عرض ذلك على شيخه في محل خلوته وما يقع لكثير من المنتسبين لهذه العصابة من شكاية الخواطر بمعنى ذكر الانسان شيخه جميع ما يرد عليه وما يخطر في نفسه من أي شيء كان، فهذا أمر ما عهد عند أئمة هذا الشأن بل ربما يكون هذا باعثاً لإبليس على الولع بالقلب ووازعاً يغير الباطن ويهيئه للخواطر فيعوّد ذلك بنقيض المقصود.

فصل

ومن آداب المريد بل من حاله أن يلازم موضع إرادته وهو الخلوة وأن لا يسافر قبل أن يقبل الطريق وقبل الوصول بالقلب إلى الرب سبحانه، فإن السفر للمريد في غير وقته سم قاتل، ولا يصل أحد منهم إلى ما كان يرجى له إذا سافر في وقته لأنه إذا سافر بغير إذنه فظاهر، وإن سافر بإذنه دل على أنه عنده لم يصلح لهذا الشأن، وقد امتحنه فلم يره أهلاً لما رغب فيه فاعرض عنه وتركه. نعم إن تمكن في حاله وصار يأنس بربه في خلوته كان سفره زيادة في تحقيق أحواله بكل حال لما في بعده عن الأوطان حينئذ من التوكل والرضا بما يجريه الله تعالى.

فصل

إذا أراد الله بمريد خيراً ثبته وقوّاه في أوّل إرادته، وإذا أراد به شراً ردّه إلى ما خرج منه من

حرفته أو حالته، وإذا أراد الله بمريد محنة وابتلاء شرده في مطارح غربته، هذا إذا كان المريد يصلح للوصول، فأما إذا كان شاباً طريقته الخدمة في الظاهر بالنفس للفقراء وزيارة الصالحين والاقتداء بأعمالهم وهو أدونهم في هذه الطريقة رتبة، فهو وأمثاله يكتفون بالترسم في الظاهر فينقطعون في الأسفار وغاية نصيبهم في هذه الطريقة حجب يحصلونها وزيارات لمواضع يرتحلون إليها ولقاء الشيوخ بظاهر سلام، فيشاهدون الظواهر ويكتفون بما في هذا الباب من السير، فهؤلاء الواجب عليهم دوام السفر حتى لا تؤديهم الدعة إلى ارتكاب محظور، فإن الشاب إذا وجد الراحة والدعة تعرض للفتنة بميل نفسه إلى الشهوات.

فصل

إذا توسط المريد جمع الفقراء والأصحاب في بدايته فهو مضر له جداً فإن امتحن بذلك بأن دعته الضرورة للخلطة، فليكن سبيله احترام الشيوخ والخدمة للأصحاب والقيام بما فيه راحة فقير، والجهد في أن لا يستوحش منه قلب شيخ، ويجب أن يكون في صحبته مع الفقراء أبداً خصمتهم على نفسه ولا يكون خصم نفسه عليهم، فيقبل عذرهم ولا يقبل عذر نفسه لما يعرف من سوء أدبه وأن يرى لكل واحد عليه حقاً واجباً ولا يرى لنفسه واجباً ولا مندوباً على أحد لئلا يطلب المكافاة عليه، وأن لا يخالف أحداً. وإن علم أن الحق معه يسكت لئلا يخجل من بحث معه ويظهر الوفاق لكل أحد فيما يجوز فيه الوفاق، وكل مريد يكون فيه ضحك ولجاج ومماراة فإنه لا يجيء منه شيء، وإذا كان في جمع من الفقراء إما في سفر أو حضر، فينبغي أن لا يخالفهم في الظاهر لا في أكل ولا شرب ولا صوم ولا سكون ولا حركة بل يخالفهم بسره وقلبه فيحفظ قلبه مع الله تعالى، وإذا أشير إليه بالأكل مثلاً يأكل لقمة أو لقمتين ولا يعطي النفس شهوتها.

فصل

رأس مال المريد الاحتمال على كل أحد بطيبة النفس وتلقي ما يستقبله بالرضا والصبر على الضر والفقر وترك السؤال والمعارضة في القليل والكثير فيما هو حظ له، ومن لم يصبر على ذلك فليدخل السوق فإن من اشتهى ما يشتهيه الناس، فالواجب أن يحصل شهوته من حيث يحصلها الناس من كدّ اليمين وعرق الجبين.

فصل

إذا التزم مريد استدامة الذكر وآثر الخلوة فإن وجد في خلوته ما لم يجده قلبه إما في النوم أو في اليقظة أو بينهما من خطاب يسمعه أو معنى يشاهده مما يكون نقضاً للعادة، فينبغي أن لا يشتغل بذلك البتة ولا يسكن إليه، ولا ينبغي له أن ينظر حصول أمثال ذلك، فإن هذه كلها شواغل عن الحق سبحانه ولا بدّ له في هذه الأحوال من وصف ذلك لشيخه إن لم يندفع بالذكر حتى يصير

قلبه فارغاً من ذلك ويجب على شيخه أن يحفظ عليه سره ويكتم عن غيره أمره ويصغر ذلك في عينه ويأمره بالإعراض عنه، فإن ذلك كله اختبارات له والمساكنة إليها مكر. فليحذر المريد عن ذلك وعن ملاحظتها وليجعل همته فوق ذلك.

فصل

ومن أحكام المريد إذا لم يجد من يتأدب به في موضعه أن يهاجر إلى من هو منصوب في وقته لإرشاد المريد، ثم يقيم عليه ولا يبرح سدته إلى وقت الاذن.

فصل

تقديم معرفة رب البيت على زيارة البيت واجب، فلولا معرفة رب البيت ما وجبت زيارة البيت، وأما الشباب الذي يخرجون إلى الحج من هؤلاء من غير إشارة الشيوخ، فإنما هي بدلالات نشاط النفس فهم مترسمون بهذه الطريقة وليس سفرهم مبنياً على أصل، والذي يدل على ذلك أنه لا يزداد سفرهم بهذا الوجه إلا وتزداد تفرقة قلوبهم، ولو أنهم ارتحلوا من عند أنفسهم بخطوة لكان أحظى من ألف سفرة.

فصل

من شرط المريد إذا زار شيخاً أن يدخل إليه بالحرمة والأدب وينظر إليه بالحشمة، فإن أهّله الشيخ لشيء من الخدمة عدّ ذلك من جزيل النعمة فليغتنمه فإنه أتاه على وجه الفتح من الله تعالى.

فصل

ولا ينبغي للمريد أن يعتقد في المشايخ العصمة وإن كانوا محفوظين لأن ذلك يخالف الواقع ولأنه يؤدي إلى نفرته منهم وعدم انتفاعه بهم إذا صدر منهم الذنب، والفرق بين العصمة والحفظ أن العصمة تمنع من جواز وقوع الذنب والحفظ لا يمنع منه، لكن الله تعالى يحفظ من يشاء ويترك من يشاء لأن الأولياء لا يقدح زللهم في قواعد الدين بخلاف الانبياء، فإن المعجزة دلت على عصمتهم فيما يخبرون به عن الله تعالى وفيما يفعلونه بياناً للتكاليف، بل الواجب عليه أن يذرهم وأحوالهم ليحسن بهم الظن فيما يراه حقاً ويمسك عما يراه خطأ، فإن أراد أن يزيله من صدره فليسألهم عنه وليورده على وجه السؤال لا على وجه الاعتراض. وكذا إذا أجابوه بجواب لا يسعه فإما سلم له وهو الأسلم وإما سأل قائلاً أحب التصدق علي ببيانه وهو مطمئن القلب سالم من أدنى تردد ما لم يكن ذلك في مبادىء إرادته فلا يسوغ له أدباً أن يسأل لا باشارة ولا غيرها، بل يكون على أعدل الاستسلام ويراعي مع الله حده فيما يتوجه عليه من الأمر والنهي والعلم بأحكام الله كافية في التفرقة بين ما هو محمود وبين ما هو معلول.

....

فصل

وكل مريد بقي في قلبه شيء من عروض الدنيا له مقدار وخطر فاسم الإرادة له مجاز وإذا بقي في قلبه اختيار فيما يخرج عنه من معلومه الدنيوي فيريد أن يخص به نوعاً من أنواع البر أو شخصاً دون شخص فهو متكلف في حاله وبالخطر أن يعود إلى الدنيا لأن قصد المريد في خوف الخروج منها لا السعي في أعمال البر وقبيح بالمريد أن يخرج من معلومه من رأس ماله وقنيته ثم يكون أسير حرفة، وينبغي أن يستوي عنده وجود ذلك وعدمه حتى لا ينافر لأجله فقيراً ولا يضايق به أحداً ويكون الأولى به تعوّد الصبر حتى يكون فقره وصبره رأس ماله فيكون كما قيل:

إذا افتقروا عضّوا على الفقر ضنة وان أيسروا عادوا سراعا إلى الفقر

فصل

قبول قلوب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ومن رده قلب شيخ فلا محالة أنه يرى غب ذلك ولو بعد حين ومن خزل بترك حرمة الشيوخ، فقد أظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطىء.

فصل

ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الأحداث، ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فباجماع الشيوخ ذلك عبد أهانه الله وخذله بل عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامة أهله، فليحذر المريد من مجالستهم فإن اليسير منه فتح باب الخذلان وبدوّ حال الهجران.

فصل

ومن آفات المريد ما يتداخل النفس من خفي الحسد للإخوان والتأثر مما يعود الله به أشكاله من هذه الطريقة وحرمانه إياه ذلك، وليعلم أن الأمور قسم، وإنما يتخلص العبد عن هذا باكتفائه بوجود الحق، وقد نبه عن مقتضى جوده ونعمه فكل من رأيت أيها المريد قدم الحق سبحانه رتبته فاحمل أنت غاشيته فإن الظرفاء من القاصدين على ذلك استمرت سنتهم.

فصل

من حق المريد إذا اتفق وقوعه في جمع إيثار الكل بالكل فيقدم الشبعان الجائع على نفسه ويتلمذ لكل من أظهر عليه التشيخ، وإن كان هو أعلم منه ولا يصل إلى ذلك إلا بتبرئة عن حوله وقوّته وتوصله إلى ذلك بطول الحق ومنته.

فصل

من تبرك بمريد فقد جار عليه لأنه يضره لقلة قوّته فالواجب على المريد ترك تربية الجاه عند من قال بتركه واثباته.

فصل

إن ابتلي المريد بجاه أو بعلوم أو صحبة حدث أو ميل إلى امرأة أو سكون إلى معلوم وليس هناك شيخ يدله على حيلة يتخلص بها من ذلك، فعند ذلك حل له السفر والتحوّل عن ذلك الموضع لئلا يشوّش على نفسه تلك الحالة، ولا شيء أضر على قلوب المريدين من حصول الجاه لهم قبل خمود بشريتهم.

فصل

ومن آداب المريد أن لا يسبق عمله في هذه الطريقة منازلته بأن لا يتكلم في المقامات العالية بمحض العلم حتى يبلغها، فإنه إذا تعلم سير هذه الطريقة وتكلف الوقوف على معرفة مسائلهم وأحوالهم قبل تحققه بها بالمنازلة والمعاملة بعد وصوله إلى هذه المعاني ولهذا قالوا: إذا حدث العارف في معارف فجهلوه فإن الاخبار عن المنازل دون المعارف ومن غلب علمه منازلته فهو صاحب علم لا صاحب سلوك.

فصل

ومن آداب المريدين أن لا يتعرضوا للتصدر للتعليم والتدريس، وأن يكون لهم مريد أو تلميذ فإن المريد إذا صار مراداً قبل خمود بشريته وسقوط آفته فهو محجوب عن الحقيقة لا تنفع أحدا إشارته ولا تعليمه.

فصل

إذا خدم المريد الفقراء فخواطر الفقراء رسلهم إليه، فلا ينبغي أن يخالف المريد ما حكم به باطنه عليه من الخلوص في الخدمة وبذل الوسع والطاقة.

فصل

من شأن المريد إذا كانت طريقته خدمة الفقراء الصبر على جفاء القوم معه، وأن يعتقد أنه يبذل روحه في خدمتهم ثم لا يحمدون له أثراً فيعتذر إليهم من تقصيره ويقر بالجناية على نفسه تطييباً لقلوبهم وإن علم انه بريء الساحة.

فصل

من شأن المريد دوام المجاهدة في ترك الشهوات فإن من وافق شهوته عدم صفوته وأقبح الخصال بالمريد رجوعه إلى شهوة تركها لله تعالى.

فصل

من شأن المريد حفظ عهوده مع الله تعالى، فإن نقض العهد في طريق الإرادة كالردة عن الدين لأهل الظاهر ولا يعاهد الله تعالى على شيء باختياره ما أمكنه فإن في لوازم الشرع ما يستوفي منه كل وسع.

فصل

من شأن المريد قصر الامل فإن الفقير ابن وقته فإذا كان له تدبير في المستقبل وتطلع لغير ما هو فيه من الوقت وأمل فيما يستأنفه لا يجيء منه شيء.

فصل

ومن شان المريد أن لا يكون له معلوم وإن قلّ لاسيما إذا كان بين الفقراء فإن ظلمة المعلوم تطفىء نور الوقت.

فصل

ومن شأن المريد التباعد عن أبناء الدنيا فإن صحبتهم سم مجرب لا ينتفعون به وهو ينقص بهم. قال الله تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ [الكهف: ٢٨] الآية. وإن الزهاد يخرجون المال من الكيّس تقرباً إلى الله تعالى، وأهل الصفا يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققاً بالله عز وجل.

فصل

ومن آداب المريد مع شيخه اعتقاده أنه لا أكمل منه من حيث علمه في البشر بزمانه وحفظ حرمته حسب الإمكان، فلا يجهر له بالقول كجهر الإنسان لصاحبه، ولا يرفع صوته على صوته وعدم محادثة من بجانبه في حضرته إلا في أمر يلزم به الشرع، بل يكون موجه الفكر والظاهر لما يرد في حضرته وأن لا يضحك في حضرته إلا تبسماً من مقتض، وأن لا يكون في مجالسته له إلا على طهارة وعدم مسابقته قوله إلا أن ينتهي في كلامه، وأن يكون جلوسه بين يديه كهيئة المتشهد في الصلاة كان على رأسه الطير غاض الطرف يسارق وجهه النظر، وأن لا يخاصم أحداً من أتباعه احتراماً لحق شيخه، وأن يراعي منصبه في حرمه وآل بيته وأن يراعيه في غيبته كمراعاته في الحضور في جميع الأحوال والأقوال والأفعال، وأن يحفظ متعلقاته عن الجرأة عليها، فلا يلبس ثوبه ولا نعله ولا يركب دابته ولا يجلس على سجادته ولا يشرب من الإناء الذي أعد له ونحو ذلك، وإنما يحاسب نفسه على ما فتح له من صحبته فإن وجد تأخراً نسب التقصير إلى نفسه، وأن يكون أحب إليه من ولده ووالده وماله والناس أجمعين.

....

فصل

قال الشيخ الأكبر قدّس سره في التدبيرات الإلهية في المملكة الإنسانية، ينبغي للمريد أن لا يكثر الحركة فإنها تفرقة، ولهذا منعناه من السفر إلا في طلب شيخ يرشده، فإذا خرج إلى المساجد أو إلى ضرورة فلا يلتفت يميناً ولا شمالاً وليجعل بصره حيث يجعل قدميه مخافة النظرة الأولى ويكون مشتغلاً بالذكر في مشيه ويرد السلام على من يسلم عليه، ولا يقف مع أحد ولا يقل لأحد كيف حالك، وليحذر من هذا فإنه صعب عندنا ويزيل من طريقه كل ما يجده من أذى من حجر أو شوك أو عذرة ولا يجد رقعة في الأرض إلا يرفعها في كوّة ولا يتركها تدنس بالأرجل ويرشد الضال ويعين الضعيف ويحمل عنه الثقل هذا كله واجب عليه، وإياك والسعي في مشيك، ولكن بالتأني من غير عجب، فإنه أوفر لهمتك فإذا كنت حاملاً شيئاً فأردت الراحة فتعدل عن طريق الناس ولا تضيق عليهم وإياك وحضور مجالس السماع، فإن أشار عليك شيخك بحضورها فاحضر معهم ولا تسمع واشتغل بالذكر فإن سماعك من ذكرك أولى من سماعك من الشعر، ولاسيا والقوّال قلما ينشد إلا في باب المحبة والشوق والنفس تهتز عند ذلك وتورث الدعوى عندك، فإن انشد القوال في الموت وما يردك إلى الخوف والقبض والحزن والبكاء في ذكر جهنم أو ذهاب العمر أو الموت وكرباته والحساب والقصاص ومواقف القيامة، فاصغ إلى ذلك فيما جاء فإن عليك حالاً يغنيك عن إحساسك وإذا قمت فليس قيامك لك، وإنما أقامك واردك فمتى ما رجعت عنه إلى احساسك فاقعد من حينك وارجع إلى هيئة اعتدالك فإن الحركة في السماع انحراف عن مجرى الاعتدال وتتنوّع بحسب القصد، وإن اضطررت الى الصحبة ولا بدّ فصاحب العباد والمجتهدين من أهل المعاملة حتى تجد الشيخ، فإن لم تجدهم في المدن فاطلبهم بالسواحل والمساجد الخربة فإنهم يطرقونها وقمم الجبال وبطون الأودية، وإذا عزمت على أن تكون منهم فإياك أن يدخل عليك وقت الصلاة إلا وأنت في المسجد والمفرط من المريدين من يصلي والصلاة تقام، فإن جئت المسجد والصلاة تقام فقد فرطت غاية التفريط ولست منهم، وأما أن تفوتك تكبيرة الإحرام أو ركعة مع الإمام فلا يتكلم على هذا، فإن هذا من حكم العامة فتب إلى الله تعالى واستأنف، وإياك وملازمة مسجد واحد ولا صف واحد ولا موضع واحد في المسجد.

وبهذا ختمت شرح هذا الكتاب بحمد الله تعالى، وحسن توفيقه وأسأله الإعانة على اتمام ما بقي منه. كان ذلك على يد مسوده أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني لطف الله به بعد العشاء من ليلة الأحد ثالث محرم الحرام افتتاح سنة ١٢٠٠ أرانا الله خيرها وكفانا ضرها حامداً لله مصلياً مسلماً.

(تم الجزء الثامن ويليه إن شاء الله الجزء التاسع
وأوله كتاب كسر الشهوتين)

كتاب كسر الشهوتين
وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً الله ناصر كل صابر

الحمد لله المثيب لمن واظب على طاعاته، وزجر نفسه عن معاصيه وكسر عن شهواته، المقبل على من أقبل إليه بأنواع قرباته، الهادي لمن اعتصم به سبيل الرشد والتوفيق بعناياته، أحمده سبحانه وتعالى حمداً أستفتح به أبواب هباته، وأشكره شكراً أستجلب به المزيد من صوب سحائب رحماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعرب عن صميم المخلص في طوياته، وتقرب مقلدها من حظائر قدسه وحضراته وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله صفوة كائناته وخلاصة خلاصاته صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ووارثيه وهداته، وسلم تسليماً، وعظم تعظيماً وبعد فهذا شرح

كتاب كسر الشهوتين

شهوة البطن وشهوة الفرج وهو الكتاب الثالث من الربع الثالث من كتاب الإحياء، للإمام حجة الإسلام. قطب الائمة الاعلام، أبي حامد الغزالي سقى الله بعهاد الرحمة ثراه، وأجزل في جنة الفردوس قراه، تتبعت فيه تفصيل ما أجمله، وبيان ما أهمله، وضم ما أبداه ونشره، ونظم ما بدّده ونثره بوجه يفيد للمطالع مضامنه، ويبرز للمراجع مكامنه، ويبين للطالب مقاصده، ويقيد للراغب أوابده، ويعلي للراقي مصاعده، ويقرب للشائق معاهده، ويهيج للناظر مشاهده، سلكت فيه طريق الايجاز في البيان، ونبهت فيه على فوائد شريفة هي جواهر حسان والله أسأل الاعانة والتوفيق، والابانة عن وجه التحقيق، لا إله غيره ولا خير إلا خيره وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال المصنف رحمه الله تعالى في مفتتح كتابه:

الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريائه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتسبيح والتنزيه ، القائم بالعدل فيما يبرمه ويقضيه ، المتطوّل بالفضل فيما ينعم به ويسديه ، المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه ، المنعم عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي

بسم الله الرحمن الرحيم

(**بسم الله الرحمن الرحيم**) استفتاحاً لهذا الباب بمفتاح هو مفتتح كل كتاب وعنوان كل خطاب ، ثم أردفه بجملة الحمد ليجمع بين الذكرين ويعمل بمقتضى الخبرين فقال :

(**الحمد لله**) وهو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال وهذا له تعالى خاصة (**المنفرد بالجلال**) أي المتناهي في عظم القدر (**في كبريائه**) أي عظمته (**وتعاليه**) أي رفعته وهو تفاعل من العلو بمعنى الفوقية المطلقة في الرتبة ومعنى تفرده به فيهما أن لا يحيط به وصف الواصفين ، بل علم العارفين (**المستحق**) أي المستوجب (**للتحميد**) أي لأنه يحمد وحده لنفسه أزلاً ويحمده عباده له أبداً فهو المحمود المثنى عليه (**والتقديس**) هو التنزيه من كل وصف يدركه حس أو يتصور خيال أو يسبق إليه وهم أو يختلج به ضمير أو يفضي إليه فكر ، (**والتسبيح**) هو التقديس والتنزيه . يقال : سبحت الله أي نزهته عما يقول الظالمون الجاحدون (**والتنزيه**) يقال : نزهت الله عن السوء أي برأته منه وفي ذكر التقديس والتنزيه بعد ذكره المتعالي الذي هو تفاعل من العلو وفيه نوع مبالغة إشارة إلى أنه العلي المطلق الذي له الفوقية لا بالإضافة وبحسب الوجوب لا بحسب الوجود الذي يقارنه إمكان نقيضه وهو منزه عن العلو بالإضافة إلى بعض الموجودات والإضافة إلى الوجود ، (**القائم بالعدل**) أي السواء (**فيما يبرمه**) أي يحكمه (**ويقضيه**) أي يقدره من أفعاله قد خلق أقسام الموجودات جسمانيها وروحانيها ناقصها وكاملها وأعطى كل شيء خلقه وهو بذلك جواد ورتبه في موضعه اللائق به ولا يفهم صفة قيامه بالعدل إلا من أحاط علماً بأفعال الله تعالى من ملكوت السموات إلى منتهى الثرى ، حتى إذا لم ير في خلق الرحمن من تفاوت ثم رجع فما رأى من فطور ثم رجع كرة أخرى ، فانقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسير قد بهره جلال الحضرة الربوبية وحيره اعتدالها وانتظامها ، فحينئذ يعلق بفهمه شيء من هذه الصفة (**المتطول بالفضل**) هو ابتداء إحسان بلا علة وتطول به من (**فيما ينعم به ويسديه**) أي يوصله يقال أسدى إليه معروفاً إذا اتخذه عنده ، (**المتكفل**) تفعل من الكفل وهو حياطة الشيء بجميع جهاته حتى يصير عليه كالفلك الدائر ، (**بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه**) أي جهاته إذ ركبه من متعاديات متضادات إذ لا بدّ له من حرارة غريزية لو بطلت لبطلت حياته ، ولا بدّ له من رطوبة تكون غذاء لبدنه كالدم وما يجري مجراه ، ولا بد من يبوسة بها يتماسك أعضاؤه وخصوصاً ما صلب منها كالعظام ولا بد من برودة تكسر سورة الحرارة حتى تعتدل ولا تحلل الرطوبات الباطنة بسرعة فهذه متعاديات متنازعات وقد جمع الله هذه في إهابه ولولا حفظه إياها لتنافرت وتباعدت وبطل امتزاجها واضمحل تركيبها وبطل المعنى الذي صارت به مستعدة بقوة التركيب والمزاج وحفظ الله

بأمانيه، فهو الذي يرشده ويهديه، وهو الذي يميته ويحييه، وإذا مرض فهو يشفيه، وإذا ضعف فهو يقوّيه وهو الذي يوفقه للطاعة ويرتضيه، وهو الذي يطعمه ويسقيه ويحفظه من الهـلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه، ويمكنه من القناعة بقليل القوت ويقريه حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به شهوة النفس التي تعاديه، فيدفع شرها ثم يعبد ربه ويتقيه. هذا بعد أن يوسع عليه ما يلتذ به

تعالى بتعديل قواها مرة وبإمداد القلوب ثانياً **(المنعم عليه بما يزيد على مقاصده بل بما يفي بأمانيه)** جمع أمنية وهي تقدير الوقوع فيما يترامي إليه الأمل، **(فهو الأصل الذي يرشده)** بتوفيقه **(ويهديه)** إلى سبيل الخير والرشد عناية الهية تعين الإنسان عند توجهه في أمور فتقربه لما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده، وأكثر ما يكون ذلك من الباطن نحو قوله تعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾ الآية [الأنبياء: ٥١] وللهداية ثلاث منازل في الدنيا: الأول تعريف الخير والشر، والثاني: ما يمد به حالاً فحالاً بحسب استزادته من العلم والعمل الصالح، والثالث: نور الولاية التي هي في أفق نور النبوة بتحري هذه المنازل الثلاث يتوصل إلى الهداية للجنة، **(وهو الذي يميته)** بعد خلقه **(ويحييه)** ثانياً بعد موته، **(وإذا مرض)** بطرئان العلة في تركيب صورته **(فهو)** الذي **(يشفيه)** أي يزيل عنه تلك العلة **(وإذا ضعف)** عن حمل ما حمل **(فهو)** الذي **(يقويه)** ويدفع عنه ذلك الضعف، **(وهو الذي يوفقه للطاعة)** أي يلهمه إياها إلهاماً ويسهل له سبلها **(ويرتضيه)** أي يجعله مرضياً، **(وهو الذي يطعمه ويسقيه)** أشار بهذه الفقر إلى قوله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾ [الشعراء: ٨١] ﴿والذي هو يطعمني ويسقين★ وإذا مرضت فهو يشفين﴾ الآية [الشعراء: ٧٩، ٨٠] **(ويحفظه من الهلاك ويحميه)** بصيانة بعض المتعاديات والمتضادات بعضها عن بعض **(ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه)** أي يوقعه في الردي وذلك لأن إمداد القلوب إنما تم بخلق الأطعمة والأدوية وخلق الآلات المصلحة لها وخلق المعرفة الهادية إلى استعمالها حفظاً لبدنه من المتضادات وهذه هي الأسباب التي تحفظ الإنسان من الهلاك الداخل، **(ويمكنه من القناعة)** أي الاكتفاء **(بقليل القوت ويقويه)** أي يحفظ عليه قوته **(حتى تضيق به)** أي بالقناعة بالقوت اليسير **(مجاري الشيطان)** أي مداخله **(الذي يناويه)** أي يعاديه، وذلك لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم كما في الخبر، فإذا أقل القوت ضاقت العروق ولم يتـولـد دم كثير إذ إنما يتحصـل بسبـب الغذاء الكثير فلا يرد على القلب من تلك المجاري دم فيفيض ويصفو ويشرق نوره **(ويكسر به سطوة النفس التي تعاديه)** فإن الشهوات إنما تنبعث من امتلاء العروق بالدم الحاصل من كثرة الأغذية، فإذا قل الغذاء قل الدم فقلت سطوة النفس الأمارة بالسوء، **(فيدفع شرها)** بتلك الرياضة **(ثم يعبد ربه)** بجمع همته **(ويتقيه)** وتمام التقوى لا يكون إلا بعد مخالفة الهوى ومعاداة النفس وكسر سورتها **(هذا بعد أن يوسع عليه بأنواع النعم وأصناف)** الافضال **(ما**

ويشتهيه، ويكثر عليه ما يهيج بواعثه ويؤكد دواعيه كل ذلك يمتحنه به ويبتليه، فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وينتحيه، وكيف يحفظ أوامره وينتهي عن نواهيه، ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه، والصلاة على محمد عبده النبيه، ورسوله الوجيه، صلاة تزلفه وتحظيه، وترفع منزلته وتعليه وعلى الابرار عترته وأقربيه، والأخيار من صحابته وتابعيه.

أما بعد: فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم عليه السلام وحوّاء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار، إذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهواتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات، إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوحات ثم تتبع شهوة الطعام، والنكاح شدة الرغبة في الجاه والمال اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات، ثم يتبع

يلتذ به ويشتهيه ويكثر عليه ما يهيج بواعثه) أي يحركها **(وجل دواعيه كل ذلك ليمتحنه به ويبتليه)** فإذا قهر تلك الشهوات ودفعها صار بذلك حراً تقياً بل يصير إلهياً ربانياً فتقل حاجاته ويصير محسناً في معاملاته، فإن لم يمكنه إماتتها صار ملحقاً بالبهائم. قال تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ [هود: ٧] **(فينظر كيف يؤثره)** أي يختاره **(على ما يهواه)** ويستلذه **(وينتحيه)** أي يقصده بميل النفس إليه، **(وكيف يحفظ أوامره)** فيأتمر بها **(و)** كيف **(ينتهي عن نواهيه ومناهيه)** أي منهياته مما نهى الله عن ارتكابها **(و)** كيف **(يواظب)** أي يداوم **(على طاعته و)** كيف **(ينزجر عن معاصيه والصلاة)** مع السلام **(على سيدنا محمد عبده)** ونبيه **(النبيه)** من نبه نباهة إذا شرف **(ورسوله الوجيه)** من وجه وجاهة إذا كان له حظ وروية، **(صلاة تزلفه)** أي تقربه إليه **(وتحظيه)** أي ترفع منزلته عنده، **(وترفع محله)** في أعلى عليين، **(وتعليه)** على مقامات إخوانه، **(وعلى الأبرار من عترته)** أي نسله **(وأقربيه)** هم الأدنون في النسب، **(والأخيار من صحابته وتابعيه)** أي تابعي طريقته وسنته.

(أما بعد: فأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها أخرج آدم وحواء عليهما السلام من دار القرار) التي هي الجنة **(إلى دار الذل والافتقار)** التي هي الأرض. **(إذ نهيا عن)** أكل **(الشجرة)** هي الحنطة او الكرمة أو التينة أو شجرة من أكل منها أحدث، والأولى أن لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه قاله البيضاوي **(فغلبتهما شهوتهما)** بوسوسة إبليس ألقى في خاطرهما، **(حتى أكلا منها فبدت لهما سوآتهما)** أي انكشفت عوراتهما وأخرجا مما كانا فيه من الكرامة والنعيم، والقصة مشهورة في القرآن، **(والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبع الآفات إذ تتبعه شهوة الفرج وشدة الشبق)** محركة أي الهيجان **(إلى المنكوحات، ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة)** والميل **(في الجاه**

استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضروب المنافسات والمحاسدات، ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء، ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء، ثم يفضي ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء، وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء، ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لأذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإيثار العاجلة على العقبى، ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا، وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيراً منها، ووجب إيضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيباً فيها، وكذلك شرح شهوة الفرج فإنها تابعة لها. ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائده، ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتأخير، ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس، ثم بيان الرياضة في ترك الشهوة، ثم القول في شهوة الفرج، ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج

والمال اللذين هما الوسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات، ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات) وأصل الرعونة إفراطاً لجهالة أو الوقوف مع حظ النفس ومقتضى طباعها. **(وضروبات المنافسات والمحاسدات ثم تتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء، ثم يتداعى ذلك إلى)** ارتكاب **(الحقد والحسد والعداوة والبغضاء، ثم يفضي بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء)** وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وترك سياستها وإهمال **(ما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء)** أي البطر الحاصل منها. **(ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان التي يدخل منها لأذعنت لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان)** على الله عز وجل، **(ولم ينجر به ذلك إلى الانهماك في الدنيا وإيثار العاجلة على الآجلة)** وقد ذم الله تعالى هذا الإيثار فقال: ﴿تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ [الأعلى: ١٦] **(ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا)** والتكالب هو التواثب، **(وإذا عظمت آفة شهوة البطن إلى هذا الحد وجب شرح غوائلها وآفاتها تحذيراً)** عنها، **(ووجب إيضاح طريق هذه المجاهدة والتنبيه على فضلها ترغيباً وكذلك شرح شهوة الفرج فإنها تابعة لها)** أي لشهوة البطن.

(ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول نجمعها، وهو: بيان فضيلة الجوع) وما فيها من الأخبار والآثار، **(ثم فوائده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالقليل من الطعام والتأخير، ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته باختلاف أحوال الناس، ثم بيان الرياء في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج، ثم بيان ما على المريد في ترك التزوج**

وفعله، ثم بيـان فضيلة من يخالف شهوة البطن والفرج والعين.

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع:

قال رسول الله ﷺ: «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلـك كـأجـر المجاهد في سبيل الله وإنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش» وقال ابن عباس: قال النبي ﷺ: «لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه» وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال: «من قل مطعمه وضحكه ورضي بما يستر به عورته». وقال النبي ﷺ: «سيـد الأعمال الجوع وذل النفس ولبـاس الصـوف» وقـال أبـو سعيـد الخدري:

وفعله، ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة البطن والفرج والعين) فهي ثمانية فصول:

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع:

ولنذكر أولاً مناسبة إيراد المصنف هذا الكتاب عقيب كتاب رياضة النفس فنقول: لما كان ختام هذا الكتاب المتقدم في الكلام على الإرادة والمريد، ولا بد للمريد من خصال سبع: الصدق في الإرادة وعلامته إعداد العدة ولا بد له من التسبب إلى الطاعة، وعلامة ذلك هجر قرناء السوء ولا بد له من المعرفة بحال نفسه، وعلامة ذلك انكشاف آفات النفس، ولا بد له من مجالسة عالم بالله، وعلامة ذلك إيثاره على ما سواه ولا بد له من توبة نصوح، فبذلك يجد حلاوة الطاعة ويثبت على المداومة وعلامة التوبة قطع أسباب الهوى والزهد فيما كانت النفس راغبة فيه، ولا بدّ من طعمة حلال وعلامة ذلك المطالبة عنه، وحلول العلم فيه يكون بسبب مباح وافق فيه حكم الشرع، ولا بد له من قرين صالح يؤازره على حاله وعلامته معاونته على البر والتقوى ونهيه إياه عن الإثم والعدوان، فهذه الخصال السبع قوة الإرادة لا قوام لها إلا بها ويستعين على هذه السبع بأربع هن أساس بنيانه وبها قوة أركانه. أولها الجوع، ثم السهر، ثم الصمت، ثم الخلوة فهذه الأربعة سجن النفس وضيقها وتقييدها بهن تضعف صفاتها وعليهن تحسن معاملاتها فلهذا أعقبه بهذا الكتاب ليكون كالتتمة لتلك الخصال التي ذكرها وابتدأ بما ورد في فضل الجوع فقال:

(قال رسول الله ﷺ: «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله، وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش») قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **(وقال ابن عباس)** رضي الله عنهما، **(قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه»)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **(وقيل: يا رسول الله أي الناس أفضل؟ قال: «من قل مطعمه وضحكه ورضي)** من اللباس **(بما يستر عورته»)** قال العراقي: لم أجـد لـه أصلاً. **(وقـال رسـول الله ﷺ: «سيـد الأعمال الجوع وذل النفس لبـاس الصوف»)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **(وقال أبو سعيد الخدري)** رضي الله عنه، **(قال**

قال رسول الله ﷺ : « البسوا وكلوا واشربوا في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوّة » وقال الحسن: قال النبي ﷺ : « الفكر نصف العبادة ، وقلة الطعام هي العبادة » وقال الحسن أيضاً : قال رسول الله ﷺ : « أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعاً وتفكراً في الله سبحانه ، وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيامة كل نؤوم أكول شروب ». وفي الخبر : « أن النبي ﷺ كان يجوع من غير عوز » أي مختاراً لذلك وقال ﷺ : « إن الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل مطعمه ومشربه في الدنيا يقول الله تعالى أنظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من أكلة يدعها إلا أبدلته بها درجات في الجنة »، وقال ﷺ : « لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب ، فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء » وقال ﷺ : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وإن كان لا بد فاعلاً فثلث

رسول الله ﷺ : « البسوا واشربوا وكلوا في انصاف البطون فإنه جزء من النبوة ») قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: وسيأتي للمصنف نحوه قريباً من حديث الحسين عن أبي هريرة.

(وقال الحسن البصري) رحمه الله تعالى مرسلاً ، **(قال النبي ﷺ : « التفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة »)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: وروى أبو نعيم في الحلية من طريق سالم بن أبي الجعد قال: قيل لأم الدرداء : ما كان أفضل عمل أبي الدرداء ؟ فقالت: التفكر.

(وقال النبي ﷺ : « أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعاً وتفكراً وأبغضكم عند الله عز وجل يوم القيام كل نؤوم أكول شروب ») أي كثير النوم كثير الأكل كثير الشرب قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **(وفي الخبر: « أن النبي ﷺ كان يجوع من غير عوز » أي مختاراً له)** ولفظ القوت: وفي حديث عائشة. قالت: كان رسول الله ﷺ وأصحابه يجوعون من غير عوز أي مختارين لذلك قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة. قالت: لو شئنا أن نشبع لشبعنا ، ولكن محمداً ﷺ كان يؤثر على نفسه ، وإسناده معضل.

(وقال ﷺ : « إن الله تعالى يباهي الملائكة بمن قلّ مطعمه ومشربه يقول الله تعالى: انظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما اشهدوا يا ملائكتي ما من أكلة يدعها إلا أبدلته بها درجات في الجنة ») رواه ابن عدي في الكامل، وقد تقدم في الصيام. **(وقال ﷺ : « لا تميتوا القلب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء »)** . قال العراقي: لم أقف له على أصل. **(وقال ﷺ : ما ملأ آدمي وعاء**

لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »، وفي حديث أسامة بن زيد وحديث أبي هريرة الطويل ذكر فضيلة الجوع اذ قال فيه: « إن أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا، الأحفياء الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا، تعرفهم بقاع الأرض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل، افترش الناس الفرش الوثيرة وافترشوا الجباه والركب، ضيع الناس فعل النبيّين وأخلاقهم وحفظوها هم، تبكي الأرض إذا فقدتهم ويسخط الجبار على كل بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثاً غبراً يراهم الناس فيظنون أن بهم داء وما بهم داء، ويقال قد خولطوا فذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر الله الذي أذهب عنهم الدنيا، فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول. عقلوا حين ذهبت عقول الناس، لهم الشرف في الآخرة، يا أسامة إذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان لأهل تلك البلدة ولا يعذب الله قوماً هم فيهم. الأرض بهم فرحة والجبار عنهم راض. اتخذهم

شراً من بطنه. حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وإن كان لا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ») رواه الترمذي من طريق المقدام وقد تقدم في الصيام.

(**وفي حديث أسامة بن زيد وأبي هريرة**) رضي الله عنهما الطويل (**ذكر فضيلة الجوع إذ قال فيه: « إن أقرب الناس من الله عز وجل من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا الأحفياء**) بالحاء المهلمة وبالمعجمة (**الأتقياء الذين إن شهدوا لم يعرفوا**) أي لخفائهم بين الناس (**وإن غابوا لم يفتقدوا**) أي لم يطلبوا (**تعرفهم بقاع الأرض وتحف بهم الملائكة**) ولفظ القوت: ملائكة السماء (**نعم الناس بالدنيا**) أي بلذائذها (**ونعموا بطاعة الله عز وجل فرش الناس الفرش**) اللينة (**وافترشوا الحياة والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وهم حفظوها تبكي الأرض إذا فقدتهم ويسخط الجبار**) جل وعز (**على كل بلدة ليس فيها منهم أحد لم يتكالبوا**) أي لم يتواثبوا (**على الدنيا تكالب الكلاب**) أي تواثبها على الجيف وهي أمتعة الدنيا، (**أكلوا العلق**) جمع علقة بالضم هو اليسير من الطعام، (**ولبسوا الخرق**) أي البالي من الثياب، (**شعثاً رؤوسهم غبراً**) وجوههم، (**يراهم الناس فيظنون أن بهم داء**) أي علة (**وما بهم داء، ويقال: إنهم قد خولطوا وذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم**) ولا خولطوا، (**ولكن نظر القوم بقلوبهم إلى أمر**) جد (**أذهب عنهم**) حب الدنيا، (**فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول**) أي على هيئة من لا عقل له (**عقلوا حين ذهبت عقول الناس لهم الشرف**) أي الرتبة العالية (**في الآخرة إذا رأيتهم في بلدة فاعلم أنهم أمان لتلك البلدة ولا يعذب الله أبداً قوماً هم فيهم الأرض بهم فرحة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك إخواناً**

لنفسك إخواناً عسى أن تنجو بهم وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فافعل. فإنك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين. وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار». روى الحسن عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «البسوا الصوف وشمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء». وقال عيسى عليه السلام: «يا معشر الحواريين أجيعوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل». وروي ذلك أيضاً عن نبينا ﷺ رواه طاوس. وقيل مكتوب في التوراة: إن الله

عسى أن تنجو بهم، وإن استطعت أن يأتيك الموت وبطنك جائع وكبدك ظمآن فإنك بذلك تدرك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة ويصلي عليك الجبار») هكذا رواه صاحب القوت. قال العراقي: الحديث بطوله رواه أحمد في الزهد في حديث سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ وأقبل على أسامة فذكره مع تقديم وتأخير، ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الموضوعات وفيه حبان بن عبد الله بن جبلة أحد الكذابين، وفيه من لا يعرف وهو منقطع أيضاً ورواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده من هذا الوجه اهـ.

قلت: وقد روي بعضه من حديث معاذ أخرج أبو نعيم في الحلية من طريق أبي قلابة، عن عبد الله بن عمر قال: «مر عمر بن الخطاب بمعاذ وهو يبكي فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أحب العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإن شهدوا لم يعرفوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم».

(وروى الحسن) البصري رحمه الله تعالى **(عن أبي هريرة)** رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ قال: «البسوا الصوف وشمروا وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا في ملكوت السماء»)** قال العراقي: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف. **(وقال عيسى عليه السلام: «يا معشر الحواريين أجيعوا أكبادكم)** ولفظ القوت: وفي خبر عن عيسى عليه السلام قال: «يا معشر الحواريين جوعوا بطونكم وعطشوا أكبادكم» **(وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل»)** يعني بحقيقة الزهد وصفاء القلب فالجوع مفتاح الزهد وباب الآخرة، وفيه ذل النفس واستكانتها وضعفها وانكسارها وفي ذلك حياة القلب وصلاحه. وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق موسى بن سعيد عن مالك بن دينار قال: بلغني أن عيسى عليه السلام قال لأصحابه: «اجيعوا أنفسكم وأظمئوها وأعروها وانصبوها لعل قلوبكم أن تعرف الله عز وجل».

(وروي ذلك عن نبينا ﷺ أيضاً رواه طاوس) مرسلاً قال العراقي: لم أجده.

قلت: ورواه عبد الرحيم بن يحي الأسود في كتاب الإخلاص هكذا عن طاوس عن النبي ﷺ إنه قال كذا في القوت.

ليبغض الحبر السمين لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل وذلك قبيح خصوصاً بالحبر . ولأجل ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله تعالى يبغض القارىء السمين من الشبع وفي خبر مرسل : « إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش » ، وفي الخبر : « إن الأكل على الشبع يورث البرص » وقال ﷺ : « المؤمن يأكل في معي واحد والمنافق يأكل في سبعة أمعاء » أي يأكل سبعة أضعاف ما

(وقيل: مكتوب في التوراة أن الله عز وجل يبغض الحبر السمين) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق سيار : حدثنا جعفر ، سمعت مالك بن دينار يقول قرأت في الحكمة أن الله يبغض كل حبر سمين ، ورواه البيهقي في الشعب من طريق محمد بن ذكوان ، عن رجل عن كعب من قوله : إن الله يبغض أهل البيت اللحمين والحبر السمين. قال البيهقي في تأويل الجملة الزائدة أنهم هم الذين يكثرون أكل اللحم قال: وقرانه بالجملة الأخرى كالدلالة على ذلك ، وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف ، فخاصم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : « أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين » وكان حبراً سميناً . فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء فأنزل الله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية [الأنعام : ٩١] . وهكذا أخرجه الواحدي في أسباب النزول ، وأخرجه الطبري في تفسيره من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير ، وعزاه أيضاً للحسن البصري ، وعند أبي نعيم في الطب النبوي من طريق بشر الأعور قال: قال عمر : إياكم والبطنة الحديث وفي آخره: وإن الله ليبغض الحبر السمين ، **(لأن السمن يدل على الغفلة وكثرة الأكل وذلك قبيح)** مطلقاً **(خصوصاً بالحبر)** وهو العالم. ونقل البيهقي عن الشافعي أنه قال: يعدو العاقل من إحدى حالتين: إما أن يهتم لآخرته ومعاده أو لدنياه ومعاشه ، والشحم مع الهم لا ينعقد فإذا خلا عن المعنيين صار في حد البهائم يعقد الشحم ، **(ولأجله قال ابن مسعود)** رضي الله عنه : **(إن الله يبغض القارىء السمين)** ورواه صاحب القوت كذلك وفي موضع آخر في كتابه ، **(ليمقت الحبر السمين)** وعزاه أبو الليث السمرقندي في بستانه لأبي أمامة الباهلي مرفوعاً قال السخاوي : وما أعلمه مرفوعاً .

(وفي خبر مرسل: إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش ») قال العراقي: تقدم في الصيام دون الزيادة التي في آخره ، وذكر المصنف هنا أنه مرسل ، والمرسل. رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان من حديث علي بن الحسين دون الزيادة أيضاً **(وفي الخبر « إن الأكل على الشبع يورث البرص »)** نقله صاحب القوت وقال قد يروى في خبر ثم ساقه قال العراقي لم أجد له أصلاً . **(وقال عليه الصلاة والسلام: « المؤمن يأكل في معي واحد)** بكسر الميم وبالعين المهملة مقصور فيه لغة أخرى معي بالكسر والسكون بعدها ياء حكاها صاحب المحكم والجمع الأمعاء وهي المصارين **(والكافر)** وفي نسخة المنافق بدل الكافر

....

(يأكل في سبعة أمعاء) قال العراقي: متفق عليه من حديث عمر وحديث أبي هريرة اهـ.

قلت: رواه البخاري من طريق مالك عن أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة بلفظ: « يأكل المسلم في معي واحد والكافر في سبعة أمعاء ».

وأخرجه مسلم والترمذي والنسائي من طريق مالك عن سهل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ضافه ضيف وهو كافر فذكر قصته، وفي آخرها: « المؤمن يشرب في معي واحد والكافر يشرب في سبعة امعاء ». وأخرجه أيضاً من رواية العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مقتصراً على الحديث دون القصة.

وأخرجه البخاري والنسائي وابن ماجه من رواية عدي بن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة أن رجلاً كان يأكل أكلاً كثيراً فأسلم فكان يأكل أكلاً قليلاً، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: « إن المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء » واختلف في المراد بهذا الحديث على أقوال.

أحدها: قال ابن عبد البر الإشارة فيه إلى كافر بعينه لا إلى جنس الكفار، ولا سبيل إلى حمله على العموم لأن المشاهدة تدفعه. ألا ترى أنه قد يوجد كافر أقل من مؤمن ويسلم الكافر فلا ينقص أكله ولا يزيد، وفي حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه على أبي هريرة ما يدل على أنه في رجل بعينه، ولذلك جعله مالك في موطئه بعده مفسراً له وهذا عموم، والمراد به الخصوص فكأنه قال: هذا إذا كان كافراً كان يأكل في سبعة أمعاء، فلما آمن عوفي وبورك له في نفسه، فكفاه جزء من سبعة أجزاء ما كان يكفيه إذ كان كافراً خصوصاً فكأنه قال هذا الكافر وهذا المؤمن اهـ.

وسبقه إلى ذلك الطحاوي فقال: هذا الكافر مخصوص حكاه عنه ابن طاهر في مبهماته، ثم اختلف في تعيين الكافر الذي أسلم، وكان ورود الحديث على أقوال.

أحدها: أنه جهجاه الغفاري رواه أبو يعلى والبزار والطبراني قال ابن بشكوال: وهو الأكثر قال العراقي: في شرح الترمذي أنه لا يصح لأن مدار حديثه على موسى بن عبيدة الترمذي وهو ضعيف.

الثاني: أنه أبو بصرة الغفاري رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح وجزم به الخطيب في مبهماته.

الثالث: أنه أبو غزوان رواه الطبراني بإسناد صحيح.

الرابع: أنه فضلة بن عمرو رواه أحمد والبزار بإسناد رجاله ثقات قال العراقي وهذه قصة أخرى وليس هو المبهم في حديث أبي هريرة.

الخامس: أنه ثمامة بن أثال.

السادس: أنه بصرة بن أبي بصرة الغفاري حكاهما القاضي عياض والنووي، وحكى ابن

يأكل المؤمن أو تكون شهوته سبعة أضعاف شهوته. وذكر المعي كناية عن الشهوات لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذه المعي. وليس المعنى زيادة عدد معي المنافق على معي المؤمن.

بشكوال كونه ثمامة بن أثال عن أبي إسحاق وصدر به المازري كلامه وقال العراقي: لم أجد في طرق الحديث ما يدل على هذين القولين.

الثاني: من الأقوال أن هذا مثل ضرب للمؤمن وزهده في الدنيا وللكافر وحرصه عليها، وإليه أشار المصنف بقوله: **(أي يأكل سبعة أضعاف ما يأكل المؤمن)** وكان المؤمن لزهده في الدنيا وتقلله منها يأكل في معي واحد، فليس المراد حقيقة الامعاء ولا حقيقة الأكل، وإنما المراد الإتساع في الدنيا والتقلل منها، فكأنه عبر بالأكل عن أخذ الدنيا وبالأمعاء عن أسباب ذلك والعرب ترفع في ذكر ضعف الشيء وأضعافه إلى سبعة.

وهذا هو القول الثالث **(أو تكون شهوته)** أي الكافر **(سبعة أضعاف شهوته)** أي المؤمن لأنه غير واقف مع المقصد الشرعي وإنما هو تابع لشهوة نفسه مسترسل فيها غير خائف من تبعة الحرام وورطته بخلاف المؤمن فإن الغالب من حاله قلة الأكل لعلمه أن مقصود الشرع من الأكل ما يسد الجوع ويمسك الرمق ويقوي على عبادة الله تعالى، وخوفه من حساب الزيادة على ذلك، فصار أكله إذا نسب لأكل الكافر كأنه سبعة.

وهذا هو القول الرابع **(ويكون المعنى)** على هذا القول **(كناية عن الشهوة لأن الشهوة هي التي تقبل الطعام وتأخذه كما يأخذ المعي، وليس المعني زيادة عدد أمعاء المنافق على أمعاء المؤمن)**، وهذا القول اختيار سهل التستري رحمه الله تعالى كأنه قال: المنافق يأكل في سبعة أمعاء شره وطمع وشهوة وحرص ورغبة وغفلة وعادة، فهو يأكل بهذه المعاني، والمؤمن يأكل بمعنى الفاقة والزهد، ولكن ليس ذلك أمراً مطرداً في حق كل مسلم وكافر، فقد يكون في المؤمنين من يأكل كثيراً بحسب العادة أو لعارض، ويكون في الكفار من يعتاد قلة الأكل إما لمراعاة الصحة كالأطباء أو للتقلل كالرهبان أو لضعف المعدة، وحينئذ فهذا خرج مخرج الغالب والسبع على سبيل التقريب دون التحديد.

القول الخامس: أن هذا تحضيض للمؤمنين على قلة الأكل إذا علموا أن هذه صفة المؤمن الكامل الإيمان وتنفير من كثرة الأكل إذا علموا أن هذه من صفة الكفار، فإن نفس المؤمن تنفر من الاتصاف بصفة الكافر، وهذا كما قال تعالى: ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾.

القول السادس: أن المراد به أن المؤمن يسمي الله تعالى عند طعامه بلا يشركه الشيطان فيه فيقل أكله لذلك والكافر لا يسمي الله فيشاركه الشيطان فيه، وفي صحيح مسلم: « إن الشيطان ليستحل الطعام إن لم يذكر اسم الله عليه ».

وروى الحسن عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم» فقلت: كيف نديم قرع باب الجنة؟ قال: «بالجوع والظمأ». وروي ان أبا جحيفة تجشأ في مجلس رسول الله ﷺ فقال له: «اقصر من جشائك فإن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا». وكانت عائشة

القول السابع: أن المراد المؤمن هنا تام الإيمان المعرض عن الشهوات المقتصر على سد خلته، والمراد بالكافر المتعدي في طغيانه المنهمك على الدنيا الشديد الإعراض عن الآخرة فاريد مؤمن بوصف مخصوص وكافر بوصف مخصوص.

القول الثامن: قال النووي: المختار أن معناه بعض المؤمنين يأكل في معي واحد، وأن أكثر الكفار يأكلون في سبعة أمعاء، ولا يلزم أن كل واحد من السبعة مثل معي المؤمن.

تنبيه:

اختلف في المراد بالأمعاء السبعة، فحكى القاضي عياض عن أهل الطب والتشريح أن أمعاء الإنسان سبعة: المعدة، ثم ثلاثة أمعاء بعدها متصلة بها البواب والصائم والرقيق، وهي كلها رقاق، ثم ثلاثة غلاظ الأعور والقولون والمستقيم وطرفه الدبر قال: فيكون على هذا موافقاً لما قاله ﷺ أن الكافر المذكور وإن كان بعينه أو بعض الكفار أو من يأكل منهم بشرهه وجشعه ولا يذكر اسم الله تعالى على أكله لا يشبعه إلا ملء أمعائه السبعة كالأنعام، أو آكلة الخضر. والمؤمن المقتصد في أكله يشبعه ملء معي واحد. قال: وقيل المراد بالسبعة صفات سبعة: الحرص، والشره وبعد الأمل، والطمع، وسوء الطبع، والحسد، وحب السمن قال: وقيل شهوات الطعام على سبعة. شهوة الطبع، وشهوة النفس، وشهوة العين، وشهوة الفم، وشهوة الأذن، وشهوة الأنف، وشهوة الجوع وهي الضرورية التي بها يأكل المؤمن، وأما الكافر فإنه يأكل بجميع شهواته. وحكى القاضي أبو بكر بن العربي قريباً من هذا القول عن بعض مشايخ الزهد فذكر الحواس الخمس والحاجة والشهوة.

(وروى) الحسن البصري **(عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم» قلت: وكيف نديم قرع باب الجنة؟ قال: «بالجوع والظمأ»)** كذا في القوت قال العراقي: لم أقف له على أصل.

(وروي أن أبا جحيفة) وهب بن عبد الله السوائي رضي الله عنه، توفي رسول الله ﷺ وهو مراهق. **(تجشأ في مجلس رسول الله ﷺ فقال له: «اقتصر من جشائك فإن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا»)** ولفظ القوت. وفي حديث أبي جحيفة لما تجشأ عند رسول الله ﷺ من ثريد ولحم قال: كنت أكلته فقال له: «اكفف عنا جشاءك فأن أطولكم شبعاً في الدنيا أكثركم جوعاً في الآخرة» فقال: والله ما تملأت طعاماً منذ يومئذ إلى يومي هذا، وأرجوا أن يعصمني الله عز وجل فيما بقي اهـ.

رضي الله عنها تقول: إن رسول الله ﷺ لم يمتلىء قط شبعاً، وربما بكيت رحمة له مما أرى به الجوع فامسح بطنه بيدي وأقول: نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوّيك ويمنعك من الجوع؟ فيقول: «يا عائشة إخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غداً دونهم فالصبر أياماً يسيرة أحب إليَّ من أن لا ينقص حظي غداً في الآخرة وما من شيء أحب إليّ من اللحوق بأصحابي وإخواني» قالت عائشة: فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه. وعن أنس قال: جاءت فاطمة رضوان الله عليها بكسرة خبز إلى رسول الله ﷺ فقال: «ما هذه الكسرة». قالت: قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك منه بهذه الكسرة. فقال رسول الله ﷺ: «أما أنه أوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام»

قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث أبي جحيفة، وأصله عند الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر تجشأ رجل الحديث لم يذكر أبا جحيفة اهـ.

قلت: وأخرجه البزار أيضاً من حديث أبي جحيفة بلفظ: إن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة. قال الحافظ ابن حجر: وسنده ضعيف، وحديث ابن عمر عن ابن ماجه في سنده مقال.

(وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: إن رسول الله ﷺ لم يمتلىء قط شبعاً، وربما بكيت رحمة له مما أرى به من الجوع فامسح بطنه بيدي وأقول: نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوّتك ويمنعك من الجوع فيقول: «يا عائشة اخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فاجدني أستحي أن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غداً دونهم فالصبر أياماً يسيرة أحب إليّ من أن ينقص حظي غداً في الآخرة، وما من شيء أحب إليّ من اللحوق بأصحابي واخواني» قالت: فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله إليه). قال العراقي: لم أجده. قلت: وهو أشبه بمخاطبة عمر رضي الله عنه مع ابنته حفصة حين لامت عليه في خشونة العيش. أورده الذهبي في نعم السمر في سيرة عمر.

(وعن أنس) رضي الله عنه **(قال جاءت فاطمة رضي الله عنها بكسرة خبز إلى رسول الله ﷺ فقال: «ما هذه الكسرة» قالت: قرص خبزته لم تطلب نفسي حتى آتيك بهذه الكسرة. فقال: «أما أنه أوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام»)** قال العراقي: رواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده بسند ضعيف اهـ.

قلت: أخرجه القشيري في الرسالة فقال: أخبرنا علي بن أحمد الاهوازي، أخبرنا أحمد بن

وقال أبو هريرة: ما أشبع النبي ﷺ أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا . وقال ﷺ : « إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وان أبغض الناس إلى الله المتخمون الملأى وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة » .

وأما الآثار : فقد قال عمر رضي الله عنه : إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة نتن في المات. وقال شقيق البلخي : العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلاتها المجاعة. وقال لقمان لابنه : يابني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن

عبيد الصفار ، حدثنا عبد الله بن أيوب ، حدثنا أبو الوليد الطيالسي ، حدثنا أبو هاشم صاحب الزعفراني ، حدثنا محمد بن عبد الله ، عن أنس بن مالك أنه حدثه قال : جاءت فاطمة رضي الله عنها بكسرة خبز فساقه . قال : وفي بعض الروايات جاءت فاطمة بقرص شعير .

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه : (**ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا**) رواه مسلم وقد تقدم . (**وقال ﷺ « إن أهل الجوع في الدنيا هم أهل الشبع في الآخرة وان أبغض الناس إلى الله تعالى المتخمون الملآى**) أي الذين يملأون بطونهم من الطعام حتى يتخمون والتخمة فساد الطعام في المعدة . (**وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة »**) قال العراقي : رواه الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس بسند ضعيف اهـ .

قلت : لفظ الطبراني : « إن أهل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع غداً في الآخرة » قال المنذري : إسناده حسن ، وقال الهيتمي فيه يحي بن سليمان القرشي فيه مقال .

وأخرج ابن ماجه والحاكم من حديث سلمان بلفظ « إن أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم يوم القيامة جوعاً قال الحافظ ابن حجر في سنده لين ، وقد أخرجه ابن ماجه أيضاً من حديث ابن عمر بنحوه ، وقد تقدم عند ذكر حديث أبي جحيفة ، وتقدم عن كعب ان الله يبغض أهل البيت اللحميين أخرجه البيهقي في الشعب وهم المكثرون في أكل اللحم حتى يتحموا .

(**وأما الآثار ، فقد قال عمر رضي الله عنه : إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة نتن في المات**) أخرجه أبو نعيم في كتاب الطب النبوي من طريق بشر الأعور قال : قال عمر بن الخطاب : إياكم والبطنة في الطعام والشراب فإنها مفسدة للجسد مورثة للفشل مكسلة عن الصلاة ، وعليكم بالقصد فيها فإنه أصلح للجسد وأبعد من السرف ، وقد روي عن عمرو بن العاص وغيره من الصحابة البطنة تذهب بالفطنة . (**وقال شقيق البلخي**) رحمه الله تعالى : (**العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلتها المجاعة**) يشير بذلك إلى أن الخلوة والجوع ركنان عظيمان لأساس العبادة ولا تتم إلا بهما وفيهما سجن النفس وضيقها ، ويتبع الخلوة الصمت ويتبع الجوع السهر فهي أركان أربعة . (**وقال لقمان لابنه**) وهو يعظه : (**يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة**

العبادة. وكان الفضيل بن عياض يقول لنفسه: أي شيء تخافين؟ أتخافين أن تجوعي؟ لا تخافي ذلك، أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد ﷺ وأصحابه. وكان كهمس يقول: إلهي أجعتني وأعريتني. وفي ظلم الليالي بلا مصباح أجلستني فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني؟ وكان فتح الموصلي إذا اشتد مرضه وجوعه يقول: إلهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل بأوليائك فبأي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به عليَّ؟ وقال مالك بن دينار: قلت لمحمد بن واسع: يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس، فقال لي: يا أبا يحي طوبى لمن أمسى وأصبح جائعاً وهو عن الله راض. وكان الفضيل بن عياض يقول: إلهي أجعتني وأجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح، وإنما تفعل ذلك بأوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك؟ وقال يحي بن معاذ: جوع الراغبين منبهة، وجوع التائبين تجربة، وجوع المجتهدين كرامة، وجوع الصابرين سياسة، وجوع الزاهدين حكمة، وفي التوراة اتق الله وإذا شبعت فاذكر الجياع. وقل أبو سليمان:

وقعدت الأعضاء عن العبادة)، أي تكاسلت، **(وكان الفضيل بن عياض)** رحمه الله تعالى **(يقول)** مخاطباً لنفسه: **(أي شيء تخافين أتخافين أن تجوعي؟ لا تخافي ذلك، أنت أهون على الله من ذلك إنما يجوع محمد ﷺ وأصحابه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية، **(وكان كهمس)** بن الحسن العابد معاصر للحسن البصري روى عن جماهير التابعين **(يقول: إلهي أجعتني وأعريتني، وفي ظلم الليالي أجلستني، فبأي وسيلة بلغتني ما بلغتني)؟** نقله صاحب القوت **(وكان فتح)** بن شخرف **(الموصلي)** رحمه الله تعالى **(إذا اشتد مرضه وجوعه يقول: إلهي ابتليتني بالمرض والجوع، وكذلك تفعل بأوليائك فبأي عمل أؤدي شكر ما أنعمت به عليَّ)؟** نقله صاحب القوت، **(وقال)** أبو يحي **(مالك بن دينار)** البصري رحمه الله تعالى، **(قلت لمحمد بن واسع)** البصري: **(يا أبا عبد الله طوبى لمن كانت له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس، فقال: يا أبا يحي طوبى لمن أصبح جائعاً وأمسى جائعاً وهو عن ربه راض)** نقله صاحب القوت، **(وكان الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى **(يقول: إلهي أجعتني وأجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح، وإنما تفعل هذا بأوليائك، فبأي منزلة نلت هذا منك)** نقله صاحب القوت: **(وقال يحي بن معاذ)** الرازي رحمه الله تعالى: **(جوع الراغبين منبهة)** أي مما يحمل على النباهة أي الشرف والرفعة، **(وجوع التابعين تجربة)** بتعود أنفسهم إياه واستئناسهم به، **(وجوع المجتهدين)** في العبادة **(كرامة)** يكرمهم الله تعالى بها ليشغلهم بمناجاته، **(وجوع الصابرين سياسة، وجوع الزاهدين حكمة)** أخرجه القشيري في الرسالة بلفظ: الجوع للمريدين رياضة وللتائبين تجربة وللعارفين مكرمة، وقد علم من هذا أن الجوع لا يستغني عنه مريد متفرغ للطاعة ولا تائب عن الذنب ولا زاهد قد أعرضه عن الدنيا ولا عارف كمل شغله بالمولى. **(وفي التوراة: اتق الله، وإذا شبعت فاذكر الجياع، وقال أبو**

لأن أترك لقمة من عشائي أحب إلي من قيام ليلة إلى الصبح. وقال أيضاً: الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه إلا من أحبه. وكان سهل بن عبدالله التستري يطوي نيفاً وعشرين يوماً ولا يأكل، وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم، وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال: لا يوافي القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي ﷺ في أكله. وقال: لم ير الأكياس شيئاً أنفع من الجوع للدين والدنيا. وقال: لا أعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل. وقال: وضعت الحكمة والعلم في الجوع ووضعت المعصية والجهل في الشبع. وقال: ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال، وقد

سليمان) عبد الرحمن بن أحمد بن عطية (الداراني) رحمة الله تعالى: (**لأن أترك لقمة من عشائي أحب إليّ من قيام ليلة إلى الصبح**) أخرجه القشيري في الرسالة، فقال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سعيد الرازي يقول: سمعت العباس يقول: قال أحمد بن الحواري، قال أبو سليمان الداراني، لأن أترك من عشائي لقمة أحب إلي من أن أقوم الليل إلى آخره أي ان حال العبد مع الجوع في عبادته بعض الليل أقرب إلى الخشوع من قيامه وهو شبعان كل الليل. (**وقال**) الداراني أيضاً (**الجوع عند الله في خزانة لا يعطيه إلا لمن أحبه**) نقله صاحب القوت، (**وكان**) أبو محمد (**سهل**) بن عبد الله (**التستري**) رحمه الله تعالى (**يطوي نيفاً وعشرين ليلة لا يأكل**) وعبارة القوت، وقيل: كان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام إلا في خمسة عشر يوماً فإذا دخل شهر رمضان كان لا يأكل حتى يرى الهلال، وكان يفطر كل ليلة على الماء القراح، (**وكان يكفيه لطعامه في السنة درهم**) واحد يشتري له به الشعير فيطحن ويقرص، وكان يأكل كل يوم منه أوقية كما تقدم ذلك قريباً، (**وكان يعظم**) أن (**الجوع ويبالغ فيه حتى قال: لا يوافي القيامة عمل بر أفضل من ترك فضول الطعام اقتداء بالنبي ﷺ في أكله**) والمراد بفضول الطعام ما زاد عن إقامة الصلب لعبادة الله تعالى. (**وقال**) أيضاً (**لم ير الأكياس**) أي العقلاء (**شيئاً أنفع من الجوع في الدنيا والدين، وقال**) أيضاً: (**لا أعلم شيئاً أضر على طلاب الآخرة من الأكل**) أي لما زاد عن الحاجة. (**وقال**) أيضاً. (**وضعت الحكمة والعلم في الجوع ووضعت المعصية والجهل في الشبع**) لأن العبد إذا شبع تحركت شهواته، وإذا جاع ذل وفترت همته عن كثير من الأمور الدنيوية وتفرغ القلب للاجتهاد في الطاعات وناله العلم والحكمة، قال القشيري في الرسالة: أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبيد الله، حدثنا علي بن الحسن الارجاني، حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الاصطخري بمكة. قال: قال سهل بن عبد الله: لما خلق الله الدنيا جعل في الشبع المعصية والجهل، وجعل في الجوع العلم والحكمة.

(**وقال**) أيضاً (**ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال، وقد قال في**

جاء في الحديث: « ثلث للطعام فمن زاد عليه فإنما يأكل من حسناته ». وسئل عن الزيادة فقال: لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل، ويكون إذا جاع ليلة سأل الله أن يجعلها ليلتين، فإذا كان ذلك وجد الزيادة. وقال: ما صار الأبدال ابدالاً إلا باخماص البطون والسهر والصمت والخلوة. وقال رأس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجـوع، ورأس كل فجور بينهما الشبع. وقال: من جوّع نفسه انقطعت عنه الوساوس. وقال: إقبال الله عز وجل على العبد بالجوع والسقم والبلاء إلا من شاء الله. وقال: اعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والسهر والجهد. وقال: ما مرّ على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روي فسلم من المعصية ـ وإن شكر الله تعالى ـ فكيف الشبع من الطعام؟ وسئل حكيم: بأي قيد أقيد نفسي؟ قال: قيدها بالجوع والعطش، وذللها بإخمال الذكر وترك العز، وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة، واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها، وانج من آفاتها بدوام سوء

الحديث) الذي تقدم ذكره قريباً (« ثلث للطعام ») وثلث للشراب وثلث للنفس (فمن زاد عليه فإنما يأكل من حسناته» وسئل) سهل (عن الزيادة) ما علامتها؟ (فقال: لا يجد الزيادة حتى يكون الترك أحب إليه من الأكل ويكون إذا جاع ليلة سأل أن يجعلها ليلتين فإذا كان ذلك وجد الزيادة وقال) سهل أيضاً (ما صار الأبدال أبدالاً إلا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة). وهي الأركان التي أسست عليها الإرادة. ولفظ القوت، وقال سهل رحمه الله تعالى: اجتمع الخير كله في هذه الأربع خصال، وبها صار الأبدال أبدالاً اخماص البطون والصمت والسهر والاعتزال عن الناس. (وقال) أيضاً: (رأس كل بر نزل من السماء إلى الأرض الجوع ورأس كل فجور بينهما الشبع، وقال) أيضاً: (من جوّع نفسه انقطعت عنه الوساوس) أي لأن الشيطان تضيق مجاريه إلى القلب فلا يقدر على أن يوسوس. (وقال) أيضاً: (إقبال الله على العبد بالجوع والسقم والبلاء نعمة من الله تعالى) عليه إذ لولا أنه اختاره لما بلاه. (وقال) أيضاً: (اعلموا أن هذا زمان لا ينال أحد فيه النجاة إلا بذبح نفسه) الامارة بالسوء (وقتلها بالجوع والسهر والجهد) في طاعات الله عز وجل. (وقال) أيضاً: (ما على وجه الأرض أحد شرب من هذا الماء حتى روي، فسلم من المعصية وإن شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام) هذه الأقوال كلها لسهل رحمه الله تعالى وزاد صاحب القوت فقال: وقال سهل من لم يصبر على الجوع والضر لم يتحقق هذا الامر.

(وسئل حكيم) من الحكماء (بأي قيد تقيد النفس) وفي بعض النسخ أقيد النفس. (قال: قيدها بالجوع والعطش، وذللها بإخماد العز وترك الذكر وصغرها بوضعها تحت أرجل أبناء الآخرة واكسرها بترك زي الأغنياء) أي هيئتهم (وانج من آفاتها بدوام ظن السوء

الظن بها، واصحبها بخلاف هواها. وكان عبد الوحد بن زيد يقسم بالله تعالى أن الله تعالى ما صافى أحداً إلا بالجوع ولا مشوا على الماء إلا به، ولا طويت لهم الأرض إلا بالجوع، ولا تولاهم الله تعالى إلا بالجوع. وقال أبو طالب المكي: مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوّف ذو الأوتار إنما حسن صوته لخفته ورقته، ولأنه أجوف غير ممتلىء، وكذلك الجوف إذا خلا كان أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام، وقال أبو بكر ابن عبد الله المزني: ثلاثة يحبهم الله تعالى، رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة.

وروي أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحاً لم يأكل فخطر بباله الخبز فانقطع عن المناجاة، فإذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكي على فقد المناجاة، وإذا شيخ قد أظله فقال له عيسى: بارك الله فيك يا ولي الله أدع الله تعالى لي فإني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني، فقال الشيخ: اللهم إن كنت تعلم أن الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي بل كان إذا خطر لي شيء أكلته من غير فكر

بها واصحبها بخلاف هواها) أي بمخالفة ما تهواه، (وكان عبد الواحد بن زيد) البصري رحمه الله تعالى (يقسم بالله تعالى ما صافى الله تعالى أحد إلا بالجوع، ولا مشوا على الهواء والماء ولا طويت لهم الأرض، ولا والاهم الله تعالى إلا بالجوع). وكان يعد الأخلاق الشريفة السنية المحمودة ويحلف أنهم ما نالوها إلا بالجوع رواه صاحب القوت فقال: حدثني محمد الجهضمي، عن أحمد بن شاكر قال: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: سمعت الثقات من العلماء يقولون: عن عبد الواحد بن زيد فذكره، وقال في موضع آخر، وكان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله ما تحوّل الصديقون إلا بالجوع والسهر. (وقال أبو طالب المكي) رحمه الله تعالى في كتابه القوت (مثل البطن مثل المزهر) بكسر الميم (وهو العود المجوّف ذو الاوتار إنما حسن صوته لخفته ورقته، ولأنه أجوف غير ممتلىء) ولو كان ثقيلاً جاسياً ممتلئاً لم يكن له صوت، (وكذلك الجوف إذا خلا عن الطعام والشراب كان) أرق للقلب و(أعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام، وقال بكر بن عبد الله المزني) البصري رحمه الله تعالى (ثلاثة يحبهم الله تعالى: رجل قليل النوم قليل الأكل قليل الراحة) أي في عبادة الله تعالى لأنها لا تحصل إلا بجهد ومشقة.

(وروي أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحاً لم يأكل) شيئاً (فخطر بباله) في أثناء مناجاته (الخبز فانقطع عن) أنس (المناجاة، فإذا رغيف موضوع بين يديه فجلس يبكي لفقد) أنس (المناجاة وإذا بشيخ قد أظلّه) أي أشرف عليه، (فقال له عيسى: يا ولي الله أدع الله لي فإني كنت في حالة) المناجاة (فخطر ببالي الخبز فانقطعت عني) تلك الحالة، (فقال الشيخ: اللهم إن كنت تعلم أن الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر

وخاطر. وروى أن موسى عليه السلام لما قربه الله عز وجل نجياً كان قد ترك الأكل أربعين يوماً ـ ثلاثين ثم عشرا ـ على ما ورد به القرآن لأنه أمسك بغير تبييت يوماً فزيد عشرة لأجل ذلك.

بيان فوائد الجوع وآفات الشبع:

قال رسول الله ﷺ: «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الاجر في ذلك». ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو، وما سببه؟ وليس فيه إلا إيلام المعـدة ومقاساة الأذى! فإن كان كذلك فينبغي أن يعظم الأجر في كل ما يتأذى به الإنسان من ضربه لنفسه وقطعه للحمه وتناوله الأشياء المكروهة وما يجري مجراه؟ فاعلم أن هذا يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وظن أن منفعته لكراهة الدواء ومرارته،

لي، **وروي أن موسى عليه السلام لما قربه)** الله **(نجيا)** أي في مقام المناجاة **(كان قد ترك الأكل أربعين يوماً)**.

وفي القوت: روينا عن أبي سعيد الخراز قال: قال جماعة من الحكماء إن الله تعالى لا يكلم أحداً وفي بطنة شيء من الـ[illegible]نيا، فهذا يدل على أمره لموسى عليه السلام بترك الأكل ليلقاه خالياً من الدنيا وبنفس ساكنة عن المنازعة إلى شيء من الملك وروح روحانية قد أحياها الحي بحياته، فعند ذلك صلح هذا الشخص لمخاطبته قبلاً بلا ترجمان. وروي عن مكحول قال: ثلاث خصال يحبها الله عز وجل قلة الأكل، وقلة الـ[illegible]ـم، وقلة الكلام. وكان بعض السلف يقول: أدنى أحوال المؤمن قلة الأكل والنوم وأفضل أحوال المنافق كثرة الأكل والنوم. وقال القشيري في الرسالة. قال يحي ابن معاذ: لو أن الجوع يباع في السوق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره، وقال أيضاً الجوع نور والشبع نار والشهوة مثل الحطب يتولد منه الإحراق ولا تنطفىء ناره حتى تحرق صاحبها. وكان سهل التستري إذا جاع قوي وإذا أكل ضعف. وقال أبو عثمان المغربي: الربـاني لا يأكل أربعين يوماً والصمداني لا يأكل ثمانين يوماً.

بيان آفات الشبع وفوائد الجوع:

(قال رسول الله ﷺ جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك) كأجر المجاهد في سبيل الله» تقدم هذا الحديث قريباً. قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **(ولعلك تقول هذا الفضل العظيم للجوع من أين هو وما سببه وليس فيه إلا إيلام المعـدة)** بتخليتها عن الطعام والشراب **(ومقاساة الأذى، فإن كان كذلك فينبغي أن يعظم الأجر في كل ما يتأذى به الإنسان** مـ**ن ضربه لنفسه وقطعه للحمه وتناوله للأشياء المكروهة وما يجري مجراه. فاعلم ان** هذا **يضاهي قول من شرب دواء فانتفع به وظن أن منفعته لمرارة الدواء**

فأخذ يتناول كل ما يكرهه من المذاق وهو غلط، بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه مراً وإنما يقف على تلك الخاصية الأطباء، فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع إلا سماسرة العلماء، ومن جوّع نفسه مصدقاً لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع به وان لم يعرف علة المنفعة، كما أن من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه نافعاً.

ولكنا نشرح لك ذلك إن أردت أن ترتقي من درجة الإيمان إلى درجة العلم. قال الله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: ١١] فنقول في الجوع عشر فوائد.

الفائدة الأولى: صفاء القلب وإيقاد القريحة وانفاذ البصيرة، فإن الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار، وعن سرعة الإدراك، بل الصبي إذا أكثر الأكل بطل وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والإدراك. وقال أبو سليمان الداراني: عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي: وقال ﷺ: «أحيوا

أو كراهته، **فأخذ يتناول كل ما يكرهه من المذاق وهو غلط**) نشأ من غفلة، (**بل نفعه في خاصية من الدواء**) قائمة به (**وليس لكونه مراً**) أو كريهاً، (**وإنما يقف على تلك الخاصية الأطباء**) الحذاق، (**وكذلك لا يقف على علة نفع الجوع إلا سماسرة العلماء**) ونقادهم، (**ومن جوّع نفسه مصدقاً لما جاء في الشرع من مدح الجوع**) وذم الشبع (**انتفع به، وإن لم يعرف علة المنفعة. كما أن من شرب الدواء انتفع به وإن لم يعلم وجه كونه نافعاً، ولكنا نشرح ذلك إن أردت أن ترتقي من درجة الإيمان إلى درجة العلم**) المضاعفة بسبعين درجة كما في الخبر، وتقدم في كتاب العلم، قال الله تعالى: (﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾ **فنقول: في الجوع عشر فوائد**).

(**الفائدة الأولى: صفاء القلب**) وهو بياضه الذي يحصل من قلة امداد الدم الواصل من العروق (**وإيقاد القريحة**) أي تنوّرها، والقريحة هي الطبيعة من حيث صدور العلم عنها (**وانفاذ البصيرة**) أي امضاؤها، (**فإن الشبع يورث البلادة**) والجمود (**ويعمي القلب**) بتراكم الحجب عليه (**ويكثر البخار في الدماغ**) بصعوده من المعدة إليه، (**فيثقل القلب بسببه عن الجريان في**) ميدان (**الأفكار وعن سرعة الإدراك**) لما يلقي إليه، (**بل الصبي إذا أكثر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والإدراك**) لما يلقى إليه كما هو مشاهد. (**قال أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى: (**عليك بالجوع فإنه مذلة للنفس ورقة للقلب وهو يورث العلم السماوي**) أراد به العلم الذي يأتي من فوق من غير اكتساب، (**وقال** ﷺ «**احيوا**

قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق ». ويقال: مثل الجوع مثل الرعد، ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالمطر. وقال النبي ﷺ « من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه ». وقال ابن عباس: قال النبي ﷺ: « من شبع ونام قسا قلبه » ثم قال « لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع ». وقال الشبلي: ما جعت لله يوماً إلا رأيت في قلبي باباً مفتوحاً من الحكمة، والعبرة ما رأيتها قط. وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل إلى المعرفة والاستبصار بحقائق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه، والمعرفة باب من أبواب الجنة، فبالحري أن تكون ملازمة الجوع قرعاً لباب الجنة، ولهذا قال لقمان لابنه: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة. وقال أبو يزيد البسطامي: الجوع سحاب فإذا جاع العبد أمطر

قلوبكم بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق ») قال العراقي: لم أجد له أصلاً. قلت: لكن مقابل الجملة الأولى قد رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة « كثرة الضحك تميت القلب » وعند ابن ماجه « لا تكثروا الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلوب » وسيأتي في الكتاب الذي يليه.

(وقال: مثل الجوع مثل الرعد، ومثل القناعة مثل السحاب والحكمة كالمطر) الأشبه أن هذا من كلام أبي سليمان الداراني وليس بحديث. (وقال النبي ﷺ « من أجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه ») قال العراقي: لم أجد له أصلاً. (وقال ابن عباس رضي الله عنهما، قال النبي ﷺ « من شبع ونام قسا قلبه ») أي غلظ واشتد ثم (قال) ﷺ: (« لكل شيء زكاة وزكاة البدن الجوع ») قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة « لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم » وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك البيهقي، ورواه أيضاً الطبراني وابن عدي والبيهقي أيضاً من حديث سهل بن سعد، وأما الجملة الأولى من الحديث فلم أقف لها على أصل.

(وقال) أبو بكر (الشبلي) رحمه الله تعالى (ما جعت لله يوماً إلا رأيت في قلبي باباً من الحكمة) أي العلم الإلهي، (والعبرة) أي الاعتبار (ما رأيتها قط) قبل ذلك (وليس يخفى أن غاية المقصود من العبادات الفكر الموصل إلى) مقام (المعرفة) في الله، (والاستبصار بحقائق الحق) كما هي (والشبع يمنع) ذلك لما فيه من تبليد الفكر، (والجوع يفتح بابه والمعرفة باب من أبواب الجنة، فبالحري أن يكون ملازمة الجوع قرعاً لباب الجنة) المشار إليه في الخبر السابق أديموا قرع باب الجنة. (ولهذا قال لقمان لابنه: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة) وقد تقدم قريباً.

(وقال أبو يزيد) البسطامي رحمه الله تعالى: (الجوع سحاب فإذا جاع العبد أمطر القلب

القلب الحكمة. وقال النبي ﷺ: « نور الحكمة الجوع، والتباعد من الله عز وجل الشبع، والقربة إلى الله عز وجل حب المساكين، والدنو منهم. لا تشبعوا فتطفئوا نـور الحكمـة مـن قلوبكم ومن بات في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح ».

الفائدة الثانية: رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لإدراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر، فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجاباً من قسوة القلب، وقد يرق في بعض الأحوال فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة، وخلوّ المعدة هو السبب الأظهر فيه. وقال أبو سليمان الداراني: أحلى ما تكون إليّ العبادة إذا التصق ظهري ببطني وقال الجنيد: يجعل أحدهم بينه وبين صدره مخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة. وقال أبو سليمان: إذا

الحكمة) أي كما يمطر السحاب الماء، (**وقال النبي ﷺ: « نور الحكمة الجوع، والتباعد من الله تعالى الشبع، والقربة إلى الله عز وجل حب المساكين، والدنوّ منهم، ولا تشبعوا فينطفىء نور الحكمة من قلوبكم ومن بات يصلي في خفة من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح »**) قال العراقي ذكره أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وكتب عليه أنه مسند وهي علامة ما رواه بإسناده اهـ.

قلـت: ورواه أيضاً ابن عساكر في التاريخ بلفظ: « نور الحكمة الجوع، ورأس الدين ترك الدنيا، والقربة إلى الله حب المساكين والدنوّ منهم، والبعد من الله الذي قوى به على المعاصي الشبع فلا تشبعوا بطونكم فيطفأ نور الحكمة من صدوركم فإن الحكمة تسطع في القلب مثل السراج ».

(**الفائدة الثانية: رقة القلب وصفاؤه الذي يتهيـأ بـه لإدراك لـذة المنـاجـاة والتـأثـر بالذكر**) أي انتقاشه فيه، (**فكم من ذكـر يجـري على اللسان مع حضور القلب**) لما يذكر وفهم معانيه، (**لكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر**) منه لفوات موجب الاستعداد الذي هو الرقة والصفاء الحاصلان من الجوع (**حتى كان بينه**) أي بين القلب (**وبينه**) أي بين أثر الذكر (**حجاباً من قساوة القلب**) وهو حجاب معنوي (**وقد يرق في بعض الأحوال**) والأحيان (**فيعظم تأثره بالذكر وتلذذه بالمناجاة**) فيكون لما فيه وقع عظيم (**وخلو المعدة**) عن الطعام والشراب (**هو السبب الأظهر فيه**) أي في رقته. (**وقال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى: (**أحلى ما تكون لي العبادة إذا التصق ظهري ببطني**) هو إشارة إلى ما ذكر من وجدان التلذذ في تلك الحالة والتصاق الظهر بالبطن كناية عن قلة الأكل. (**وقال الجنيد**) رحمه الله تعالى: (**يجعل أحدهم بينه وبين صدره مخلاة من الطعام ويريد أن يجد حلاوة المناجاة**). نقله صاحب القوت بلفظ: يقوم أحدهم في صلاة فيجعل بينه وبين الله زنبيل طعام، ويريد أن يجد حلاوة المناجاة أو يسمع فهم الخطاب. (**وقال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى: (**إذا جاع**

جاع القلب وعطش صفا ورق وإذا شبع عمي وغلظ، فإذا تأثر القلب بلذة المناجاة أمر وراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة فهي فائدة ثانية.

الفائدة الثالثة: الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى، فلا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تـذل بالجوع، فعنده تسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها إذا ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقيمة طعام فاتتها وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره، وإنما سعادته في أن يكون دائماً مشاهداً نفسه بعين الذل والعجز، ومولاه بعين العز والقدرة والقهر. فليكن دائماً جائعاً مضطراً إلى مولاه مشاهداً للاضطرار بالذوق، ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي ﷺ قال: «لا بل أجوع يوماً وأشبع يوماً فإذا جعت صبرت وتضرعت وإذا شبعت شكرت» أو كما قال. فالبطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع. والـذل والانكسار

القلب وعطش صفا ورق وإذا شبع عمي وغاظ) فغلط القلب وعماه إنما يكون من الشبع، (فإذا تأثر القلب بلذة المناجاة أمرووراء تيسير الفكر واقتناص المعرفة) فهي فائدة ثانية.

(الفائدة الثالثة: الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذي هو مبدأ الطغيان) والتعدي عن الحدود (والغفلة عن الله تعالى، فلا تنكسر النفس ولا تذل بشيء كما تذل بالجوع) فإن فيه إماتتها واستكانتها وضعفها وفي ذلك حياة القلب، (فعنده) تطمئن (وتسكن لربها وتخشع له وتقف على عجزها وذلها) وافتقارها (إذا ضعفت منتها) بضم الميم أي قوّتها، (وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها وما لم يشاهد ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه وقهره) وبه فسر الخبر: من عرف نفسه فقد عرف ربه أي من عرف نفسه بالذل والافتقار عرف ربه بالعز والاقتهار، (وإنما سعادته في أن يكون دائماً مشاهداً نفسه بعين الذل والعجز) والانكسار، (و) مراقباً (ربه بعين العز والقدرة والقهر) من أراد الرقي إلى هذا المقام، (فليكن دائماً جائعاً مضطراً إلى مولاه مشاهداً للاضطرار بالذوق) بنور عرفاني يقذفه الحق في قلبه، (ولأجل ذلك لما عرضت الدنيا وخزائنها على النبي ﷺ قال: «لا بل أجوع يوماً وأشبع يوماً فإذا جعت صبرت وإذا شبعت شكرت» أو كما قال) رواه أحمد والترمذي وحسنه وابن سعد والطبراني والبيهقي من حديث أبي امامة بلفظ: عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يا رب ولكني أشبع يوماً وأجوع يوماً فإذا جعت تضرعت إليك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك» وقد تقدم الكلام على هذا الحديث، (فالبطن والفرج باب من أبواب النار وأصله الشبع، والذل

باب من أبواب الجنة واصله الجوع. ومن أغلق باباً من أبواب النار فقد فتح باباً من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالمشرق والمغرب، فالقرب من أحدهما بُعد من الآخر.

الفائدة الرابعة: أن لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء فإن الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة، فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة، ومن جوعه جوع أهل النار حتى انهم ليجوعون فيطعمون الضريع والزقوم ويسقون الغساق والمهل، فلا ينبغي أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها فإنه هو الذي يهيج الخوف، فمن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء، وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع، فإن فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة، وهذا أحد الأسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل، ولذلك قيل ليوسف عليه

والانكسار باب من أبواب الجنة وأصله الجوع، ومن أغلق) على نفسه (باباً من أبواب النار فقد فتح) لها (باباً من أبواب الجنة بالضرورة لأنهما متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من أحدهما بُعد عن الآخر) كما هو شأن المتقابلين.

(الفائدة الرابعة: أن لا ينسى بلاء الله وعذابه) وامتحانه (ولا ينسى أهل البلاء) والامتحان، (فإن الشبعان ينسى الجائع والجوع) وفي المشهور على ألسنة العامة الشبعان يفت للجيعان فتاً بطيئاً، (والعبد الفطن) المتبصر بنور الإيمان (لا يشاهد بلاء من غيره إلا ويتذكر بلاء الآخرة فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة) حين تدنو الشمس من الرؤوس ويلجمهم العرق، (ومن جوعه جوع أهل النار حتى أنهم ليجوعون) فيها (فيطعمون الضريع) الذي لا يسمن ولا يغني من الجوع وهو يبيس الشبرق (والزقوم) والغسلين، (ويسقون) فيها من عين آنية (الغساق والمهل) وكل ذلك مذكور في القرآن، (فلا ينبغي أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها وشدائدها فإنه الذي يهيج الخوف) ويثيره في قلبه (فمن لم يكن في ذلة) بين أبناء جنسه (ولا علة) في بدنه (ولا قلة) في ماله وجاهه (نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه) خياله، (ولم يغلب على قلبه فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء) في نفسه (أو مشاهدة بلاء) من غيره، (وأولى ما يقاسيه من البلاء الجوع فإن فيه فوائد جمة) أي كثيرة (سوى تذكر عذاب الآخرة، وهذا أحد الأسباب الذي اقتضى اختصاص البلاء بالأنبياء والأولياء والأمثل فالامثل) كما ورد في الخبر «نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل» يعني أقرب شبهاً بنا فالأقرب فرفع

السلام: لم تجوع وفي يديك خزائن الأرض؟ فقال: أخاف أن أشبع فانسى الجائع. فذكر الجائعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع فإن ذلك يدعو إلى الرحمة والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل، والشبعان في غفلة عن ألم الجائع.

الفائدة الخامسة: وهي من أكبر الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى، ومادة القوى والشهوات لا محالة الأطعمة فتقليلها يضعف كل شهوة وقوّة، وإنما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه والشقاوة في أن تملكه نفسه، وكما أنك لا تملك الدابة الجموح إلا بضعف الجوع، فإذا شبعت قويت وشردت وجمحت، فكذلك النفس كما قيل لبعضهم: ما بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهدّ؟ فقال: لأنه سريع المرح فاحش الأشر

أهل البلاء إليه ووصف نفسه به وجعلهم الأمثل فالأمثل منه، فمن كان به ﷺ أمثل كان هو الأفضل، (**ولذلك لما قيل ليوسف عليه السلام: لم تجوع وفي يديك**) أي في قبضتك وملكك (**خزائن الأرض**) من الذخائر وغيرها، (**فقال: أخاف أن أشبع فانسى الجائع**) نقله صاحب القوت، (**فذكر الجائعين والمحتاجين إحدى فوائد الجوع، فإن ذلك يدعو إلى الرحمة**) والبر (**والإطعام والشفقة على خلق الله عز وجل**) تعظيماً لأمره تعالى، (**والشبعان في غفلة من ألم الجائع**) لا يدري عنه ولا يذكره على لسانه ولا يخطر حاله في قلبه.

(**الفائدة الخامسة: وهي من أكبر الفوائد**) وأجمعها (**كسر شهوات**) باعثة على (**المعاصي كلها**) جليلها وحقيرها (**والاستيلاء**) أي الغلبة (**على النفس الأمارة بالسوء**) بقمع حدتها (**فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الأطعمة**) الواصلة آثارها إليها (**فتقليلها يضعف كل شهوة وقوّة**) ويبطل عملها، (**وإنما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه**) فيصرفها في الخير كيف يشاء، كما أن الشقاوة كلها في أن تملكه نفسه فتحمله في المعاصي حيث شاءت، (**وكما انك لا تملك الدابة الجموح**) الصعبة المراس (**إلا بضعف الجوع**) أي إذا أضعفتها بقلة العلف: (**فإذا شبعت قويت وشردت**) عنك (**وجمحت**) عليك، (**فكذلك النفس**) هي بمنزلة مطيتك إن أشبعتها قويت عليك وان أضعفتها بالجوع لأنت وانقادت، ولله در البوصيري حيث قال:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

وقال غيره:

فإنك مهما تعط فرجك سؤله ... وبطنك نالا منتهى الذم أجمعا

(**كما قيل لبعضهم: ما بالك مع كبرك**) أي طعنك في السن (**لا تتعاهد بدنك**) بأن تراعيه من جهة المأكل والمشرب والاستحمام؟ (**فقال**): لا أتعاهده (**لأنه سريع المرح**) أي

فأخاف أن يجمح بي فيورطني، فلأن أحمله على الشدائد أحب إليّ من أن يحملني على الفواحش. وقال ذو النون: ما شبعت قط إلا عصيت أو هممت بمعصية. وقالت عائشة رضي الله عنها: أوّل بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ الشبع.

إن القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا، وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد، ولذلك قيل: الجوع خزانة من خزائن الله تعالى وأقل ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام، فإن الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها، فيمنعه الجوع من كل ذلك وإذا شبع افتقر إلى فاكهة فيتفكه لا محالة بأعراض الناس ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.

وأما شهوة الفرج فلا تخفى غائلتها والجوع يكفي شرها، وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه وإن منعته التقوى فلا يملك عينه فالعين تزني كما أن الفرج يزني فإن ملك عينه بغضّ الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب

النشاط (**فاحش الأشر فأخاف أن يجمح بي فيورطني**) أي يوقعني في ورطة المعاصي (**فلأن أحمله على الشدائد أحب إليَّ من أن يحملني على الفواحش**) فيهلكني. (**وقال ذو النون**) المصري رحمه الله تعالى: (**ما شبعت قط إلا عصيت**) بالفعل (**أو هممت بمعصية**) نقله صاحب القوت، (**وقالت عائشة رضي الله عنها: أول بدعة أحدثت بعد رسول الله ﷺ الشبع إن القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى الدنيا**) ولفظ القوت، وقال بعض الصحابة: أول بدعة الخ وفيه جمحت بهم شهواتهم، (**وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزانة الفوائد**) باعتبار جمعها وضم ما انتشر من الفوائد، كما أن الخزانة تجمع أصناف الأموال النفيسة، (**ولذلك قيل: الجوع خزانة من خزائن الله تعالى**) قد جمع الله فيها كل خير، (**وأول ما يندفع بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فإن الجائع لا تتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص من آفات اللسان**) كلها (**كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها**) مما سيأتي ذكرها في الكتاب الذي يليه، (**فيمنعه الجوع من كل ذلك**) ويقطع مادته، (**وإذا شبع افتقر إلى فاكهة**) أي تاقت نفسه إليها(**فيتفكه لا محالة باعراض الناس، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم**) ووجوهم (**إلا حصائد ألسنتهم**) كما في حديث معاذ، وسيأتي. (**وأما شهوة الفرج فلا تخفى غائلتها والجوع يكفي شرها**) فلا تنبعث، (**وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه وإن منعه التقوى**) عن ذلك (**فلا يملك عينه، فالعين تزني كما أن الفرج يزني**) ففي الخبر «زنا العينين النظر» (**فإن ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له من الأفكار الردية وحديث النفس بأسباب الشهوة ما تتشوش به مناجاته**) وتختل، (**وربما عرض له**

الشهوة ما تتشوّش به مناجاته، وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة.

وإنما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالاً وإلاَّ فجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوّة الحاصلة بالشبع. قال حكيم: كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت سنة لا يخلط به شيئاً من الشهوات ويأكل في نصف بطنه رفع الله عنه مؤنة النساء.

الفائدة السادسة: دفع النوم ودوام السهر، فإن من شبع شرب كثيراً ومن كثر شربه كثر نومه، ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام: معاشر المريدين لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فتخسروا كثيراً. وأجمع رأي سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة الشرب، وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب، والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى. وفي النوم فواتها ومهما غلب النوم فإن تهجد لم

ذلك في أثناء الصلاة) التي هي معراج المؤمن ومحل مناجاته، **(وإنما ذكرنا آفة اللسان والفرج مثالاً وإلاَّ فجميع معاصي الأعضاء السبعة سببها القوة الحاصلة بالشبع. قال حكيم)** من الحكماء: **(كل مريد صبر على السياسة فصبر على الخبز البحت)** أي الخالص وحده **(سنة)** كاملة لا يتخللها ما يضاد **(لا يخلط به شيئاً من الشهوات)** من أنواع الادامات، **(ويأكل في نصف بطنه)** أي من غير شبع، وإنما هو بقدر سد الرمق **(رفع الله عنه مؤنة النساء)** أي فحينئذ تموت شهوته ولا يريدهن حراماً أو حلالاً.

(الفائدة السادسة: دفع النوم ودوام السهر فإن من شبع) من الطعام **(شرب كثيراً)** فإن حرارة الطعام في المعدة تستدعي ذلك **(ومن كثر شربه)** ارتخت عروقه **(وكثر نومه)** وخدت أعضاؤه، **(ولأجل ذلك كان بعض الشيوخ يقول عند حضور الطعام: معاشر المريدين لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتخسروا كثيراً)** ولفظ القوت، وقيل: كان شباب في بني إسرائيل يتعبدون، وكانوا إذا حضر عشاؤهم قام فيهم عالمهم، فقال: يا معشر المريدين الخ. **(وأجمع رأي سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة الشرب)** نقله صاحب القوت، **(وفي كثرة النوم ضياع العمر)** قال بعض الناس لفيلسوف من الحكماء؟ صف لي شيئاً أستعمله حتى أكون أنام النهار، فقال: يا هذا ما أضعف عقلك إن نصف عمرك نوم والنوم من الموت تريد أن تجعل ثلاثة أرباعه نوماً وربعه حياة. قال: وكيف؟ قال: أنت إذا عشت أربعين سنة فإنما هي عشرون سنة أفتريد أن تجعلها عشر سنين **(و)** في كثرة النوم **(فوت التهجد)** وهو صلاة آخر الليل **(وبلادة الطبع وقساوة القلب)** وطول الغفلة ونقصان الفطنة. وفي هذه الأشياء الفوت، وفي الفوت الحسرة بعد الموت، **(والعمر أنفس الجواهر)** وأغلاها **(وهو رأس مال العبد فيه يتجر)** وبه يربح، **(والنوم موت)** مجازي **(فتكثيره ينقص من**

يجد حلاوة العبادة، ثم المتعزب إذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك أيضاً من التهجد ويحوجه إلى الغسل إما بالماء البارد فيتأذى به أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد، ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فإن فيه أخطاراً ذكرناها في كتاب الطهارة، وكل ذلك أثر الشبع، وقد قال أبو سليمان الداراني: الاحتلام عقوبة. وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال، فالنوم منبع الآفات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له.

الفائدة السابعة: تيسير المواظبة على العبادة فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل، وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه، ثم يحتاج إلى غسل اليد والخلال، ثم يكثر تردداه إلى بيت الماء لكثرة شربه، والأوقات المصروفة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه. قال

العمر) كما تقدم ذلك من قول الحكيم، **(ثم فضيلة التهجد لا تخفى)** قد أثنى الله على المتهجدين في كتابه ووردت به الأخبار والآثار على ما تقدم في كتاب ترتيب الأوراد، **(وفي النوم فواتها)** أي تلك الفضيلة **(ومهما غلب النوم، فإن)** وفقه الله للقيام **(وتهجد لم يجد حلاوة العبادة)** لما عنده من شواغل الغلبة **(ثم المتعزّب)** من المريدين **(إذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك أيضاً من التهجد ويحوجه إلى الغسل بالماء البارد فيتأذى به فلا يجد حلاوة العبادة أيضاً أو يحتاج إلى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل)** فإنهم ما يفتحونه إلا قرب الفجر **(فيفوته الوتر إن كان قد أخره إلى التهجد ثم يحتاج إلى مؤنة الحمام)** أي كلفته، وربما لا يوجد عنده من أجرته، **(وربما تقع عينه على عورة من دخل الحمام فإن فيه أخطاراً كثيرة ذكرناها في كتاب الطهارة، وكل ذلك أثر الشبع، وقد قال أبو سليمان الداراني)** رحمه الله تعالى: **(الاحتلام عقوبة)** نقله صاحب القوت **(وإنما قال ذلك لأنه يمنع من عبادات كثيرة)** ويعيق عنها **(لتعذر الغسل في كل حال، فالنوم)** إذاً **(منبع الآفات والشبع مجلبة له)** أي يحمله على الجلب له **(والجوع مقطعة له)** أي يحمله على قطعه.

(الفائدة السابعة: تيسير المواظبة على العبادة) أي تسهيل المداومة عليها، **(فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بأكل وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه)** واحتاج إلى آلات لذلك، **(ثم يحتاج إلى غسل اليدو)** استعمال **(الخلال)** في أسنانه ليخرج فضول الطعام منها، **(ثم يكثر تردداه إلى بيت الماء لكثرة شربه)** وامتلاء معدته، **(والأوقات المصروفة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه)** وعظم أجره، **(وقال السري)** السقطي رحمه الله تعالى **(رأيت لعلي)** بن ابراهيم

السري: رأيت مع علي الجرجاني سويقاً يستف منه فقلت: ما حملك على هذا؟ قال: إني حسبت ما بين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة، فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه في المضغ، وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي أن يستوفي منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها، وذلك يصرفه إلى ذكر الله وطاعته. ومن جملة ما يتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد، فإنه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء واراقته. ومن جملته الصوم فإنه يتيسر لمن تعوّد الجوع فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة، وإنما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ [الروم: ٧] وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشبع فقال: من شبع دخل

(الجرجاني سويقاً يستف منه فقلت) له: (وما دعاك إلى هذا؟ فقال: إني حسبت ما بين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز أربعين سنة) أي كيلا يضيع وقته بالمضغ، وقد وقع مثل ذلك لداود الطائي، فقد أخرج أبو نعيم في الحلية من طريق إسماعيل بن الريان قال: قيل لداود الطائي اما تشتهي الخبز؟ قال: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية. ومن طريق عامر بن إسماعيل الأخمس قال: قلت لداود الطائي بلغني انك تأكل الخبز اليابس تطلب به الخشونة فقال: سبحان الله كيف وقد ميزت بين أكل الخبز اليابس وبين اللين، فإذا هو قراءة مائتي آية، ولكن ليس من محرقة بما يبس على، (فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه في المضغ) ومحافظة الوقت عندهم أمر أكيد، (وكل نفس من) أنفاس (العمر جوهرة نفيسة لا قيمة له)، ولذلك قالوا: تضييع الوقت يورث المقت، (فينبغي أن يستوفي منها خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها، وذلك يصرفه إلى ذكر الله تعالى وطاعته) ولا يدعه يذهب مجاناً. (ومن جملة ما يتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فإنه يحتاج إلى الخروج) منه كل ساعة (لكثرة شرب الماء وإراقته) ضرورة. (ومن جملته الصوم، فإنه يتيسر لمن تعوّد الجوع) ويسهل عليه، (فالصوم ودوام الاعتكاف) في المسجد (ودوام الطهارة وصرف أوقات شغل الأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة) لا يحصى مقدارها إلا الذي وفقه الله لها، (وإنما يستحقرها الغافلون الذين لا يعرفون قدر الدين لكن) هم كما قال الله تعالى فيهم، ﴿رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ وقد أشار أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى (إلى ست آفات في الشبع فقال: من شبع دخل عليه ست آفات) الأولى: (فقد حلاوة

عليه ست آفات: فقد حلاوة المناجاة وتعذر حفظ الحكمة، وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع، وثقل العبادة، وزيادة الشهوات، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد، والشباع يدورون حول المزابل.

الفائدة الثامنة: يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض، فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق، ثم المرض يمنع من العبادات ويشوّش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج إلى الفصد والحجامة والدواء والطبيب، وكل ذلك يحتاج إلى مؤن ونفقات لا يخلو الإنسان منها بعد التعب عن أنواع من المعاصي واقتحام الشهوات، وفي الجوع ما يمنع ذلك كله.

حكي أن الرشيد جمع أربعة أطباء هندي، ورومي، وعراقي، وسوادي، وقال: ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه. فقال الهندي: الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الهليلج الأسود. وقال العراقي: هو حب الرشاد الأبيض؟ وقال الرومي: هو

المناجاة، و) الثانية: (**تعذر حفظ الحكمة الإلهية، و**) الثالثة: (**حرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع، و**) الرابعة: (**ثقل العبادة**) على البدن، (و) الخامسة: (**زيادة الشهوات، و**) السادسة: (**أن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد**) للاعتكاف والعبادة (**والشباع يدورون حول المزابل وبيوت الماء لإخلاء المعدة**).

(**الفائدة الثامنة: يستفيد**) المريد (**من قلة الأكل صحة البدن**) واستقامته (**ودفع الأمراض**) عنه (**فإن سببها**) أي الأمراض (**كثرة الأكل وحصول فضلة الأخلاط في المعدة والعروق**) كما قال الشاعر:

فإن الداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب

(**ثم المرض يمنع من العبادات**) أي من أدائها على الوجه المشروع، (**ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج إلى الفصد والحجامة**) عند تبوّغ الدم، (**والدواء والطبيب، وكل ذلك يحتاج إلى مؤن ونفقات**) فمنها ما يصرف إلى الأدوية، ومنها ما يصرف إلى الطبيب الذي يصفها (**لا يخلو الإنسان منها بعد**) تحمل (**التعب من أنواع المعاصي واقتحام الشهوات وارتكاب الاخطار، وفي الجوع ما يمنع ذلك كله**) بلا مشقة.

(**وحكي**) في أخبار الخلفاء (**أن**) هارون (**الرشيد**) أيام خلافته (**جمع أربعة أطباء هندي ورومي وعراقي وسوادي**) أي من سواد العراق وكل منهم ماهر في فنه، (**وقال**) لهم: (**ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه، فقال**) الطبيب (**الهندي: الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الهليلج الأسود**) المعروف بالكابلي، (**وقال**) الطبيب (**الرومي: هو عندي**

عندي الماء الحار. وقال السوادي: وكان أعلمهم الهليلج يعفص المعدة وهذا داء، وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء، والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء. قال: فما عندك؟ فقال: الدواء الذي لا داء معه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه، وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه. فقال: صدقت. وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي ﷺ: « ثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس ». فتعجب منه وقال: ما سمعت كلاماً في قلة الطعام أحكم من هذا، وإنه لكلام حكيم. وقال ﷺ: « البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعوّدوا كل جسم ما اعتاد » واظن تعجب الطبيب جرى من هذا

حب الرشاد الأبيض، وقال) الطبيب (**العراقي: هو عندي الماء الحار، فقال**) الطبيب (**السوادي وكان أعلمهم: الأهليلج**) فيه أنه (**يعفص المعدة**) لما فيه من العفوصة والقبض (**وهذا داء، وحب الرشاد**) الأبيض فيه أنه (**يزلق المعدة**) ولفظ القوت: يرتق المعدة (**وهذا داء، والماء الحار**) فيه أنه (**يرخي المعدة وهذا داء، فقال**) الرشيد: (**ما عندك؟ فقال: الدواء الذي لا داء معه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه، وأن ترفع يدك**) عنه (**وأنت تشتهيه فقال: صدقت**) نقله صاحب القوت، وهو في كتاب أخبار الخلفاء لابن أبي الدنيا، (**وذكر لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبي ﷺ « ثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس »**) وقد تقدم بلفظ « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وإن كان لا بدّ فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس » (**فتعجب منه**) الحكيم واستحسنه (**وقال: ما سمعت كلاماً في قلة الطعام أحكم من هذا وإنه لكلام حكيم**)، ثم قال: **جهدت الأطباء من الفلاسفة أن** يقولوا مثل هذا في التقلل من الأكل فلم يهتدوا إليه، فاكثر ما قالوا: **لا تقعد على طعام حتى تشتهيه وأن** ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه، ومنهم من قال: تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع، وبعضهم يقول: لا تأكل إلا بعد جوع مفرط ولا تشبع شديداً، وإن كان مرادهم هذا المعنى الذي ذكره نبيكم ﷺ هكذا أورده صاحب القوت، وقد نبه ﷺ في الخبر السابق « المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء » إنه لا يستحب للإنسان إلا الأكل في سبع بطنه، وهو ما ذكره في هذا الخبر من اللقيمات، وذلك دون عشر لقم لأن الجمع بالألف والتاء لما دون العشرة ثم رخص لمن غلب عليه النهم أن يبلغ إلى ثلث بطنه، فحصل من ذلك أن أكل المؤمن في اليوم ينبغي أن يكون في سبع بطنه أو ثلث بطنه.

(**وقال ﷺ « البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وعوّدوا كل جسد ما اعتاد »**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً اهـ.

قلت: رواه الخلال من حديث عائشة بلفظ: الازم دواء والمعدة بيت الداء وعودوا بدنا ما اعتاد. وقيل: الحمية رأس الدواء من كلام الحرث بن كلدة طبيب العرب، وروى ابن أبي الدنيا

الخبر لا من ذاك. وقال ابن سالم: من أكل خبز الحنطة بحتاً بأدب لم يعتل إلا علة الموت. قيل: وما الأدب؟ قال: تأكل بعد الجوع، وترفع قبل الشبع. وقال بعض أفاضل الاطباء في ذم الاستكثار: إن أنفع ما أدخل الرجل بطنه الرمان، وأضر ما أدخل معدته طلح،

في كتاب الصمت من طريق وهب بن منبه قال: أجمعت الأطباء على أن رأس الطب الحمية، وأجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت.

وبخط الحافظ ابن حجر الجملة الأولى من الحديث لها أصل من حديث أوّله أصل كل داء البردة والبردة محركة هي التخمة قاله الجوهري وهو حديث ضعيف رواه ابن عدي في الكامل، وأبو نعيم في الطب النبوي اهـ. ما وجد بخطه.

قلت: هذا الحديث أعني أصل كل داء البردة رواه أيضاً المستغفري في الطب النبوي، والدارقطني في العلل كلهم من طريق تمام بن نجيح عن الحسن البصري عن أنس رفعه بهذا، وتمام ضعفه الدارقطني وغيره، ووثقه ابن معين وغيره ولأبي نعيم أيضاً من حديث ابن المبارك عن السائب بن عبد الله عن علي بن زحر عن ابن عباس مرفوعاً مثله. ومن طريق عمرو بن الحرث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رفعه «أصل كل داء من البردة» ومفرداتها ضعيفة وقد ذكر الدارقطني عقب حديث أنس ما لفظه: وقد رواه عباد بن منصور عن الحسن من قوله وهو أشبه بالصواب وجعله الزمخشري في الفائق من كلام ابن مسعود.

(**وأظن تعجب الطبيب**) المذكور إنما (**جرى من**) سماع (**هذا الخبر لا من ذاك**) فقد قال ابن زكريا المتطبب: ما ترك ﷺ في الطب شيئاً إلا أتى به في هذه الكلمات الثلاثة نقله الراغب في الذريعة. (**وقال**) أبو الحسن علي (**بن سالم**) البصري شيخ صاحب القوت (**من أكل خبز الحنطة بحتاً**) أي وحده بلا أدام (**بأدب لم يعتل إلا علة الموت. قيل: وما الأدب؟ قال: يأكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع**) نقله صاحب القوت. قال: والأصل في هذا أن العلل داخلة على الأجسام من اختلاف نبات الأرض، وأن المعدة مركبة على طبائع أربعة: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة. وكذلك منابت الأرض على هذه الطبائع، فإذا أكثر من اختلاف منابتها أمالت الحرارة والبرودة من النبات غرائز الطبائع من الرطوبة واليبوسة، فزاد بعض على بعض وقوي وضعف عن مثله، فكانت الأمراض من ذلك لأن كل مأكول من نبات الأرض يعمل في وصف من معاني الجسم وأن الحنطة مخالفة لسائر نبات الأرض لأنها معتدلة في الطبائع الأربع كاعتدال الماء في سائر الأشربة. وقال بعض الأطباء: كل من الخبز بحتاً فإنه لا يضرك. وقال غيره: أكل الخبز يابساً وحده خير من أكله مع الأدم الضار (**وقال بعض أفاضل الأطباء في ذم الاستكثار**) من الأكل: (**أنفع ما أدخل الرجل بطنه الرمان**) فإنه بأسره جيد الكيموس قليل الغذاء وفي جميع أصنافه حتى الحامض جلاء مع القبض، (**وأضر ما أدخل معدته الملح**) لأنه يحرق الدم ويضعف البصر ويضر الدماغ والرئة ويقلل المني ويورث الجرب والحكة.

ولأن يقلل من طلح خير له من أن يستكثر من الرمان. وفي الحديث: « **صوموا تصحوا** » ففي الصوم الجوع وتقليل الطعام صحة الأجسام من الأسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما.

الفائدة التاسعة: خفة المؤنة فإن من تعوّد قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير، والذي تعوّد الشبع صار بطنه غريماً ملازماً آخذاً بمخنقه في كل يوم فيقول: ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي أو من الحلال فيذل، وربما يحتاج إلى أن يمد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية الذل والقماءة. والمؤمن خفيف المؤنة. وقال بعض الحكماء: إني لأقضي عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح لقلبي. وقال آخر: إذا أردت أن أستقرض من غيري لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسي

(**ولأن يقلل من الملح خير له من أن يستكثر من الرمان**) فإن القليل من المضر بما لا يضر، والكثير من النافع ربما يضر. ولفظ القوت: المالح في الموضعين. (**وفي الحديث « صوموا تصحوا »**) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الطب النبوي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف اهـ.

قلت: هكذا رواه أبو نعيم مقتصراً في كتابه المذكور، ورواه في موضع آخر منه بلفظ: « أغزوا تغنموا وسافروا تصحوا » ورواه أحمد بلفظ « سافروا تربحوا وصوموا تصحوا وغزوا تغنموا » وهو عند الطبراني بلفظ « اغزوا تغنموا وصوموا تصحوا وسافروا تستغنوا » ورواه ابن بخيت في جزئه بلفظ « سافروا تربحوا وصوموا تصحوا واغزوا تغنموا ».

(**وفي الصوم الجوع**) ومن هنا اشتهر على السنة العامة. جوعوا تصحوا ومعناه صحيح لكنه ليس بحديث. (**وفي تقليل الطعام صحة الأجسام من الأسقام**) والأمراض، (**وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما**).

(**الفائدة التاسعة: خفة المؤنة**) للمريد، (**فإن من تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير**) أي قليل (**والذي تعوّد بالشبع صار بطنه غريماً ملازماً له آخذاً بمخنقه في كل يوم**) وهو كناية عن تملكه منه بالكلية كما يتمكن الآخذ بمخنق الإنسان وهو موضع خنقه (**فيقول: ماذا تأكل اليوم فيحتاج أن يدخل المداخل**) من حيث اتفق (**فيكتسب من الحرام فيعصي**) الله تعالى، (**أو من الحلال فيذل ويتعب**) وقد نهى عن إذلال المؤمن نفسه، (**وربما احتاج إلى أن يمد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية الذل والقماءة**) أي الحقارة (**والمؤمن**) من شأنه أن يكون (**خفيف المؤنة. وقال بعض الحكماء: إني لاقضي عامة حوائجي بالترك**) فإذا تركتها قضيتها (**فيكون ذلك أروح لقلبي**) وفي نسخة لنفسي، فإن الاضطراب إنما يحصل بالتطلع. (**وقال آخر إذا أردت أن أستقرض من غيري لشهوة**)

فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان إبراهيم بـن أدهم رحمه الله يسأل أصحابه عن سعر المأكولات، فيقال: إنها غالية. فيقول: أرخصوها بالترك. وقال سهل رحمه الله: الأكول مذموم في ثلاثة أحوال: إن كان من أهل العبادة فيكسل، وإن كان مكتسباً فلا يسلم من الآفات، وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله تعالى من نفسه.

وبالجملة: سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا، وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج، وسبب شهوة الفرج شهوة البطن، وفي تقليل الأكل ما يحسم هـذه الأحـوال كلهـا ومي أبواب النار، وفي حسمها فتح أبواب الجنة، كما قال ﷺ: «أديموا قرع باب الجنة بالجوع» فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات أيضاً وصار حراً واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله عز وجل وتجارة الآخرة فيكون من الذين: ﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [النور: ٣٧] وإنما لا تلهيهم لاستغنائهم عنها بالقناعة، وأما المحتاج فتلهيه لا محالة.

أقضيها (أو زيادة) أدخرها (**استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهو خير غريم لي**) فيصير الترك حينئذ والمنع للنفس. هكذا عادة كما كان الأكل والأخذ عادة كذا في القوت. (**وكان إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى (**يسأل أصحابه عن سعر المأكولات فيقال: إنها غالية فيقول ارخصوها بالترك**) وكان ينشد:

فــإذا غلا شيء عليَّ تــركتـــه　　فيكون أرخـص مـا يكـون إذا غلا

أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**وقال سهل**) التستري رحمه الله تعالى (**الاكول مذموم في ثلاثة أحوال إن كان من أهل العبادة فيكسل**) ويضعف، (**وإن كان مكتسباً فلا يسلم من الآفات، وإن كان ممن يدخل عليه شيء**) من الفيض من غير كسب (**فلا ينصف الله تعالى من نفسه**).

(**وبالجملة: سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا**) وتواثبهم عليها (**وسبب حرصهم على الدنيا البطن والفرج وسبب شهوة الفرج البطن**) لأنه هو الذي يجرها (**وفي تقليل الأكل ما يحسم هذه الأبواب كلها**) ويسدها (**وهي أبواب النار، وفي حسمها فتح أبواب الجنة كما قال ﷺ «أديموا قرع باب الجنة بالجوع»**) تقدم هذا الحديث وان العراقي قال: لم أقف له على أصل، (**فمن قنع برغيف في كل يوم قنع في سائر الشهوات أيضاً وصار حراً**) غير مستعبد ولا مستذل، (**واستغنى عن الناس واستراح من التعب**) والمشقة (**وتخلى لعبادة الله**) عز وجل آناء الليل وأطراف النهار (**وتجارة الآخـرة**) مـن العبـادة والزهـد والقنـاعـة، (**فيكون من الذين قال**) الله في حقهم: ﴿رجال(**لا تلهيهم**)أي لا تشغلهم (**تجارة ولا بيع عن ذكر الله**﴾ **وإنما لا تلهيهم تلك لاستغنائهم عنها بالقناعة**) ولو اتجروا. (**وأما المحتاج فتلهيه لا محالة**).

الفائدة العاشرة: أن يتمكن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى والمساكين، فيكون يوم القيامة في ظل صدقته كما ورد به الخبر: فما يأكله كان خزانته الكنيف وما يتصدق به كان خزانته فضل الله تعالى، فليس للعبد من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى. فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع، وكان الحسن رحمة الله عليه إذا تلا قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢] قال: عرضها على السموات السبع الطباق الطرائق التي زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه وتعالى: هل تحملين الأمانة بما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت. فقالت: لا. ثم عرضها كذلك على الأرض فأبت، ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها: هل تحملين الأمانة بما فيها؟ قالت: وما فيها؟ فذكر الجزاء والعقوبة. فقالت: لا. ثم عرضها

(**الفائدة العاشرة: أن يتمكن المريد من الايثار**) على إخوانه بما فضل من المال، (**والصدقة بما فضل**) من الأطعمة (**على اليتامى والمساكين، فيكون يوم القيامة في ظل صدقته كما ورد الخبر به**)، وهو ما رواه الحاكم من حديث عقبة بن عمرو، كل امرىء في ظل صدقته وقد تقدم في كتاب الزكاة، (**وما يأكله فخزانته الكنيف**) أي بيت الماء، (**وما يتصدق به فخزانته فضل الله تعالى فليس للعبد من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى**). وروى أحمد، وعبد بن حميد، ومسلم من حديث أبي هريرة يقول العبد: مالي مالي وإنما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو اعطى فأقنى» وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس، وروى ابن المبارك والطيالسي وسعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذي والنسائي وابن حبان من حديث ابن الشخير يقول ابن آدم: مالي مالي وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا اكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت.

(**فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع. وكان الحسن**) البصري (**رحمه الله تعالى إذا تلا قوله تعالى**) وهما الآيتان من آخر سورة الأحزاب: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السمٰوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ إلى آخر السورة. (**قال: عرضها الله على السموات السبع الطباق و**) السبع (**الطرائق التي زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها سبحانه تعالى: هل تحملين هذه الأمانة بما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت. فقالت: لا ثم عرضها على الأرض كذلك فأبت، ثم عرضها على الجبال الشم الشوامخ**) أي المرتفعة إلى السماء (**الصلاب الصعاب فقال لها: هل تحملين الأمانة بما فيها؟ قالت: وما فيها؟ فذكر**

على الانسان فحملها إنه كان ظلوماً لنفسه جهولاً بأمر ربه، فقد رأيناهم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آلافاً فماذا صنعوا فيها؟ وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وأسمنوا براذينهم وأهزلوا دينهم وأتعبوا أنفسهم بالغدوّ والرواح إلى باب السلطان يتعرضون للبلاء وهم من الله في عافية يقول أحدهم: تبيعني أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا، يتكىء على شماله ويأكل من غير ماله، حديثه سخرة وماله حرام، حتى إذا أخذته الكظة ونزلت به البطنة قال: يا غلام ائتني بشيء أهضم به طعامي يا لكع اطعامك تهضم إنما دينك تهضم. أين الفقير أين الأرملة أين المسكين أين اليتيم الذي أمرك الله تعالى بهم؟ فهذا اشارة إلى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام إلى الفقير ليدخر به الأجر، فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه. ونظر رسول الله ﷺ إلى رجل سمين البطن فأومأ إلى بطنه باصبعه وقال: «لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً

الجزاء والعقوبة على الاحسان والإساءة. فقالت: لا. ثم عرضها على الإنسان) المراد به آدم عليه السلام **(فحملها إنه كان ظلوماً لنفسه جهولاً بامر ربه، فقد رأيناهم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فاصابوا آلافا فماذا صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم وسمنوا براذينهم)** وهي خيل الروم، **(وأهزلوا دينهم وأتعبوا أنفسهم بالغدوّ والرواح إلى باب السلطان)** يتعرضون بالبلاء لأن أبواب السلطان فيها فتن كمبارك الابل كما ورد في الخبر، **(وهم من الله في عافية يقول أحدهم ابغوني كذا وكذا وائتوني بكذا وكذا يتكىء على شماله ويأكل من غير ماله)** من غضب وظلم **(خدمته)** الذين يحفون به **(مسخرة)** أي أذلاء **(وماله)** الذي جمعه **(حرام حتى إذا أخذته الكظة)** وهو بالكسر ثقل المعدة بالطعام، **(ونزلت به البطنة)** وهي التخمة **(قال: يا غلام ائتني بشيء يهضم طعامي)** ثم خطابه وقال: **(يا لكع)** أي يا أحمق **(اطعامك تهضم)** أي الذي تريد هضمه هو طعامك **(وإنما دينك تهضم)** أي بل تهضم دينك. **(أين الفقير أين الارملة)** هي المنقطعة التي مات أهلها. **(أين المسكين أين اليتيم الذي أمرك الله بهم؟ وهذه إشارة إلى هذه الفائدة وهي أن ما يصرف من فاضل الطعام إلى الفقير ليدخر به فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه)**، فإن الحسن رحمه الله تعالى في آخر كلامه حذر وأنذر عن ترك إطعام الفقراء والمساكين، وأما ما سبق من تفسيره للآية فقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الانباري في كتاب الأضداد عن ابن عباس نحوه، وأخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الانباري عن ابن جريج نحوه، وأخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد نحوه، وأخرج ابن جرير عن قتادة نحوه.

(ونظر رسول الله ﷺ إلى سمين البطن فأومأ) أي أشار **(إلى بطنه بأصبعه وقال «لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك»** أي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك**)** قال

لك » أي لو قدمته لآخرتك وآثرت به غيرك. وعن الحسن قال: والله لقد أدركت أقواماً كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكله فيقول: والله لا أجعل هذا كله لبطني حتى أجعل بعضه لله.

فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها، فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة، ولأجل هذا قال بعض السلف: الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد، والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة، بل ذلك صريح في الأخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة، فإذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك رتبة المقلدين في الإيمان والله أعلم بالصواب.

العراقي: رواه أحمد والحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب من حديث جعدة الجشمي وإسناده جيد اهـ.

قلت: هو جعدة بن خالد بن الصمة الجشمي، وسماه ابن قانع جعدة بن معاوية حديثه في الجعديات، ورواه أيضاً الطيالسي وأبو يعلى والباوردي والضياء بلفظ: فطعن بطنه بأصبعه وقال « لو كان بعض هذا في غير هذا لكان خيراً لك ».

(وعن الحسن) البصري رحمه الله تعالى، **(قال: والله لقد أدركت أقواماً إن كان الرجل منهم ليمشي وعنده من الطعام ما يكفيه، ولو شاء لأكله فيقول: والله لا أجعل هذا كله لبطني حتى أجعل بعضه لله)** فيتصدق منه.

(فهذه عشر فوائد للجوع تتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تتناهى فوائدها) لكثرتها، **(فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة)** تجمعها **(ولأجل هذا قال بعض السلف: الجوع مفتاح الآخرة، وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة)** قال القشيري في الرسالة: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمد بن علي العلوي يقول: سمعت علي بن إبراهيم القاضي بدمشق يقول: سمعت محمد بن علي بن خلف يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا عثمان الداراني يقول: مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع اهـ.

وأما قوله: الجوع باب الزهد والشبع باب الرغبة فقد ذكره صاحب القوت في أثناء كلام، **(بل ذلك صريح في الأخبار، التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوائد تدرك معاني تلك الأخبار إدراك علم وبصيرة وترتقي من رتبة إدراك الإيمان فإذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كانت لك مرتبة المقلدين في الإيمان، والله أعلم)**

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن:

اعلم أن على المريد في بطنه ومأكوله أربع وظائف.

الأولى: أن لا يأكل إلا حلالاً فإن العبادة مع أكل الحرام كالبناء على أمواج البحار ، وقد ذكرنا ما تجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام ، وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة ، وتقدير وقته في الابطاء والسرعة ، وتعيين الجنس المأكول في تناول المشتهيات وتركها .

أما الوظيفة الأولى: في تقليل الطعام فسبيل الرياضة فيه التدريج ، فمن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته ، فينبغي أن يتدرج إليه قليلاً قليلاً ، وذلك بأن ينقص قليلاً قليلاً من طعامه المعتاد ، فإن كان يأكل رغيفين مثلاً وأراد أن يرد نفسه إلى رغيف واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف ، وهو أن ينقص جزءاً من ثمانية وعشرين جزءاً أو جزءاً من ثلاثين جزءاً ، فيرجع إلى رغيف في شهر ، ولا يستضر به ولا يظهره أثره. فإن شاء فعل ذلك بالوزن ، وإن

بيان طريق الرياضة في كسر شهوة البطن:

(**اعلم أن على المريد في بطنه ومأكوله أربع وظائف**) الوظيفة

(**الأولى: أن لا يأكل إلا حلالاً فالعبادة مع أكل الحرام**) لا تثبت فهي (**كالبناء على أمواج البحار**) أو على شفا جرف هار (**وقد ذكرنا ما تجب مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام**) فاستغنينا عن ذكره هنا (**وتبقى ثلاث وظائف خاصة بالأكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الإبطاء والسرعة وتعيين الجنس المأكول في تناول المشتهيات وتركها** .

(**أما الوظيفة الأولى:**) من هذه الوظائف الثلاث (**في تقليل الطعام وسبيل الرياضة فيه التدريج ، فمن اعتاد الأكل الكثير وانتقل دفعة واحدة إلى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف**) حاله (**وعظمت مشقته** ، واشتدت بليته **فينبغي أن يتدرج إليه قليلاً قليلاً ، وذلك بأن ينقص قليلاً قليلاً من طعامه المعتاد**) عليه ، (**فإن كان يأكل**) كل يوم (**رغيفين مثلاً وأراد أن يرد نفسه إلى رغيف واحد فينقص في كل يوم ربع سبع رغيف ، وهو أن ينقص جزءاً من ثمانية وعشرين جزءاً أو جزءاً من ثلاثين جزءاً فيرجع إلى رغيف في شهر**) برياضة وتمهل (**ولا يستضربه ولا يظهر أثره**) أي أثر النقصان (**عليه ، فإن شاء فعل ذلك بالوزن**) بأن يعيره بعود رطب وينقص كل ليلة بقدر نشاف العود ، (**وإن شاء بالمشاهدة**

شاء بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالأمس، ثم هذا فيه أربع درجات

أقصاها: أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة الصديقين، وهو اختيار سهل التستري رحمة الله عليه إذ قال: إن الله استعبد الخلق بثلاث، بالحياة والعقل والقوة، فإن خاف العبد على اثنتين منها وهي الحياة والعقل أكل وأفطر إن كان صائماً، وتكلف الطلب إن كان فقيراً، وإن لم يخف عليهما بل على القوّة قال: فينبغي أن لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعداً، ورأى أن صلاته قاعداً مع ضعف الجوع أفضل من صلاته قائماً مع كثرة الأكل وسئل سهل عن بدايته وما كان يقتات به. فقال: كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم، كنت آخذ بدرهم دبساً، وبدرهم دقيق الأرز، وبدرهم سمناً وأخلط الجميع وأسوّي منه ثلاثمائة وستين أكرة آخذ في كل ليلة أكرة أفطر عليها فقيل له: فالساعة كيف تأكل؟ قال: بغير حد ولا توقيت. ويحكى

فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما أكله بالأمس وهذا فيه أربع درجات).

(**أقصاها: أن يرد نفسه إلى قدر القوام الذي لا يبقى دونه**) والمراد بالقوام الضرورة من القوت وهو ما سدّ الجوعة وأعان على أداء الفرائض (**وهو اختيار أبي محمد سهل**) بن عبد الله (**التستري**) رحمه الله تعالى (**إذ قال: إن الله استعبد الخلق بثلاث: بالحياة والعقل والقوة فإن خاف العبد على اثنتين منها وهي الحياة والعقل أكل وأفطر إن كان صائماً وتكلف الطلب إن كان فقيراً وإن لم يخف عليهما بل على القوة قال: فينبغي أن لا يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعداً ورأى أن صلاته قاعداً مع الجوع أفضل من صلاته قائماً مع كثرة الأكل**) فعلم من هذا أن المحافظة على العقل مقدمة على محافظة القوة فإن لم يصلح عقل المريد بالخبز البحت فلا بأس أن يأتدم ببعض الأدهان، وقد كان سهل رحمه الله تعالى يقول للمتقللين من أهل عبادان: احفظوا عقولكم وتعاهدوها بالأدهان والدسم فإنه ما كان ولي الله ناقص العقل. (**وسئل سهل**) رحمه الله تعالى (**عن بدايته وما كان يقتات به**) ولفظ القوت: وقد حدثني الحسن بن يحيى البستي عن أحمد بن مسروق قال: لقيت سهل بن عبد الله فلما دخلت عليه بش بي وقبلني وكان له فيّ إرادة، ولذلك قلت له: أحب أن تصف لي بدايتك وما كنت تتقوت به، (**فقال: كان قوتي في كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبساً وبدرهم دقيق الأرز وبدرهم سمناً وأخلط الجميع وأسوي منه بنادق ثلاثمائة وستين أكرة آخذ كل ليلة أكرة أفطر عليها، فقيل له: فالساعة**) ولفظ القوت: فقلت له الساعة (**كيف**) تعمل؟ (**قال: آكل بغير حد ولا توقيت**) وفيه إشارة إلى أن العارف إذا بلغ درجة الصديقين سقط عنه الحد والتوقيت في الأقوات، ثم أنه تقدم للمصنف قريباً أن سهلاً كان في بدايته وهو في تستر يشتري له الفرق من

عن الرهابين أنهم قد يردون أنفسهم إلى مقدار درهم من الطعام.

الدرجة الثانية: أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة إلى نصف مد وهو رغيف وشيء مما يكون الأربعة منه مناً. ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين - كما ذكر النبي ﷺ - وهو فوق اللقيمات لأن هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو

الشعير بدرهم ويعمل منه ثلاثمائة وستين رغيفاً فيفطر كل ليلة على رغيف وذكر صاحب القوت أيضاً في موضع آخر من كتابه ما لفظه: وحدثونا عن سهل أنه سئل كيف كان في بدايته فاخبر بضروب من الرياضات: منها كان يقتات ورق النبق مدة، ومنها أنه أكل دقاق التبن ثلاث سنين، ثم ذكر أنه اقتات ثلاثة دراهم في ثلاث سنين، قيل: وما هو؟ قال: كنت أشتري في كل سنة بدانقين تمراً وأربعة دوانق كسباً ثم أعجنها عجنة واحدة ثم أخبزها ثلاثمائة وستين كبة أفطر كل ليلة على كبة. قال: فقلت له فكيف أنت في وقتك هذا؟ قال: آكل بلا حد ولا توقيت اهـ ولعل باعتبار الأوقات والأحوال.

(وحكي عن بعض الرهابين) جمع رهبان جمع راهب وهو عابد الدير **(إنهم قد يردون أنفسهم إلى قدر درهم من الطعام)** وهذا كما فعل سهل رحمه الله تعالى في الرواية الثانية.

(الدرجة الثانية: أن يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة إلى نصف مد) والمد هو رطل وثلث بالبغدادي عند أهل الحجاز فهو ربع صاع لأن الصاع خمسة أرطال وثلث. وعند أهل العراق المد رطلان كما في المصباح، **(وهو رغيف وشيء)** إذا كان كل رغيف نصف رطل وشيئاً **(مما يكون الأربعة منه مناً)** بالتشديد وهو لغة تميم وهو ما يوزن به رطلان لكن يزيد ثلثين ونصف ثلث إذ نصف المد هو نصف رطل ونصف الثلث فتأمل. **(ويشبه أن يكون هذا مقدار ثلث البطن في حق الأكثرين كما ذكر النبي ﷺ)** ثلث للطعام وثلث الشراب وثلث للنفس، **(وهو فوق اللقيمات)** لأنه ﷺ قال: « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن » فدل على أن ما نقص من ملء البطن فهو خير، ثم قال: « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه » ثم ترقى فقال: « وإن كان ولا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس ». فعلم من ذلك أنه رتبة فوق رتبة اللقيمات **(لأن هذه الصيغة في الجمع)** بالألف والتاء **(للقلة وهو لما دون العشرة)** من العدد، وفيه أيضاً مع التقليل التصغير لأن لقيمة تصغير لقمة وفي القوت معنى الحديث فثلث للطعام أن يأكل شبعه المعتاد فيصير ثلث الشبع قوام الجسم باعتياد ثان، كما كان ملء البطن من الشبع هو العادة الأولى، وثلث الشبع هو ثمان أواق. فهذا على معنى الخبر الآخر: طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وفي هذا خمسة أوجه. قال بعض علمائنا البصريين: طعام الواحد شبعاً يكفي الاثنين قوتاً، وطعام الاثنين شبعاً يكفي الأربعة قوتاً، ومنهم من قال: طعام المسلم يكفي مؤمنين وطعام مسلمين يكفي أربعة من خصوص المؤمنين، ويجوز أن يكون طعام الواحد من المنافقين يكفي المسلمين على معنى قوله ﷺ: « المؤمن يأكل في معي واحد والمنافق في سبعة أمعاء »

لما دون العشرة، وقد كان ذلك عادة عمر رضي الله عنه إذ كان يأكل سبع لقم أو تسع لقم.

الدرجة الثالثة: أن يردها إلى مقدار المد وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين، ويكاد ينتهي إلى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر. وفي بعض الألفاظ « ثلث للذكر » بدل قوله « للنفس ».

الدرجة الرابعة: أن يزيد على المدّ إلى المنّ ويشبه أن يكون ما وراء المن إسرافاً مخالفاً لقوله تعالى: ﴿ولا تسرفوا﴾ [الأعراف: ٣١] أعني في حق الأكثرين، فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به. وههنا طريق خامس

ويصلح أن يكون معناه طعام الواحد من الصناع المتصرفين في المعايش يكفي اثنين ممن هو قاعد لا يتصرف، ويصلح أيضاً طعام واحد من المفطرين يكفي طعام صائمين، وفي الخبر: إنَّ عمر حين قال لابن مسعود وأبي موسى رضي الله عنهم في قصة المرتد الذي قتلاه قبل أن يستتيباه ويحكم ألا طينتم عليه بيتاً وألقيتم إليه كل يوم رغيفاً ثلاثة أيام، فلعله أن يتوب أو يرجع إلى الإسلام. اللهم إني أبرأ ولم أعلم ولم أرض إذ بلغني فدل بهذا أن في رغيف كفاية كل يوم وثلاثة أرغفة عندنا بالحجاز رطل لأن الرطل المكي عدد ستة أقراص منذ ذلك إلى يومنا هذا فيكون رغيفان ثماني أواق. فهذه كما قلناه أن ثمان أواق ثلث الشبع لقوله: ثلث طعام بعد قوله لقيمات جمع لما دون العشرة، (**وكان ذلك عادة عمر رضي الله عنه**) فما ذكرنا مواطىء لفعله (**أي**) روي أنه (**كان يأكل سبع لقم أو تسع**) لقم.

(**الدرجة الثالثة**): أن يردها بالرياضة والتدريج (**إلى مقدار المد**) وهو رطل وثلث بالبغدادي عند أهل الحجاز كما تقدم، (**وهو رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الأكثرين، ويكاد ينتهي إلى ثلثي البطن ويبقى ثلث للشراب ولا يبقى شيء للذكر، و**) جاء (**في بعض الألفاظ**) من الحديث المذكور: (**ثلث للذكر بدل قوله للنفس**) هكذا، أورده صاحب القوت قال: فدل أيضاً على أن ملء البطن يمنع من الذكر وما منع من الذكر فهو شر. قال الله تعالى: ﴿والله خير وأبقى﴾ ورواية هذا اللفظ أغفلها العراقي.

(**الدرجة الرابعة: أن يزيد في المد حتى يبلغ إلى المن وهو ما يكال به رطلان ويشبه أن يكون ما وراء المن اسرافاً مخالفاً لقوله تعالى**) ﴿كلوا واشربوا (**ولا تسرفوا**) إنه لا يحب المسرفين﴾ [الأعراف: ٣١] (**أعني في حق الأكثرين**) وفي القوت: أكل أربعة أرغفة كل يوم سرف ورغيفين قتر وثلاثة أرغفة قوام حسن. وهذا أعدل الأقوات، (**فإن مقدار الحاجة إلى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به**) فإن الشاب الجلد تدعوه نفسه إلى الطعام أكثر من الشيخ الفاني، وكذلك الرجل السمين اللحيم ليس له صبر على الجوع بخلاف

لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط، وهو أن يأكل إذا صدق جوعه ويقبض يده وهو على شهوة صادقة بعد، ولكن الأغلب أن من لم يقدر لنفسه رغيفاً أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق، ويشتبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة.

وقد ذكر للجوع الصادق علامات إحداها: أن لا تطلب النفس الأدم بل تأكل الخبز وحده بشهوة أي خبز كان، فمهما طلبت نفسه خبزاً بعينه أو طلبت أدماً فليس ذلك بالجوع الصادق. وقد قيل: من علامته أن يبصق فلا يقع الذباب عليه أي لم يبق فيه دهنية ولا دسوسة فيدل ذلك على خلوّ المعدة، ومعرفة ذلك غامض. فالصواب للمريد

النحيف الهزيل، وكذلك الأعمال والصنائع تختلف فمنها ما هو داع إلى كثرة الحاجة إلى الطعام **(وههنا طريق خامس لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط)** واشتباه على أكثر الناس، **(وهو أن يأكل إذا صدق جوعه)** واشتهت إلى الطعام نفسه وترامت عليه **(ويقبض يده)** عن الطعام **(وهو على شهوة صادقة بعد، ولكن الأغلب إن من لم يقدر لنفسه رغيفاً أو رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه عليه ذلك بالشهوة الكاذبة)** والفرق بين الصادقة منها والكاذبة أن الصادقة ما يختل البدن بدونه والكاذبة ما لا يختل بدونه.

(وقد ذكر للجوع الصادق علامات. إحداها: إن لا تطلب النفس الأدم مع الخبز بل يأكل الخبز وحده بشهوة أي خبز كان، فمهما طلبت نفسه خبزاً بعينه أو أدماً فليس ذلك بالجوع الصادق) اعلم أن للجوع حداً من الأوقات وحداً في الأقوات، فحد الجوع الأول من الوقت إلى مثله كالبعد أربعة وعشرون ساعة، وحده الآخر اثنتان وسبعون ساعة، وأما في الأقوات فحده الأول أن لا تطلب النفس الأدام، فإذا طلبت فليس جائعاً. فهذا حده الأول، وحده الثاني أن لا تطلب الخبز ولا تميز بينه وبين غيره، فمتى تاقت النفس إلى الخبز بعينه فليس جائعاً لأن لها شهوة في التخير، ومتى لم تميز بين خبز وغيره فهذا هو الجوع الصادق وهو الفاقة والحاجة إلى الطعام الذي جعله الله غذاء للأجسام وهذا يكون في آخر الحدين من الأوقات بعد الثلاث إلى سبع وخمس، ويكون طلب العبد عند هذا الجوع القوام من العيش والضرورة من القوت وهو ما سد الجوعة وأعان على أداء الفرائض وهذا حال الصديقين.

(وقد قيل من علامته) ولفظ القوت: وقد سمعت بعض هذه الطائفة يقول: حد الجوع **(أن يبصق)** العبد **(فلا يقع الذباب عليه)** أي على بزاقه **(أي لا يبقى فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة)** ولفظ القوت: فإن لم يقع على بزاقه ذباب فقد خلت معدته عن الطعام يريد أن بزاقه قد خلا من الدسومة والدهنية وصار صافياً. مثل: الماء فلا يسقط عليه الذباب مع لطف حاسته التي ركبت فيه وخفي إدراكه لما يقع عليه وقد ذكره صاحب العوارف أيضاً هكذا، **(ومعرفة ذلك غامض)** أي خفي، **(فالصواب للمريد أن يقدر مع نفسه**

أن يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها، فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوته.

وعلى الجملة؛ فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والأشخاص. نعم: قد كان قوت جماعة من الصحابة صاعاً من حنطة في كل جمعة فإذا أكلوا التمر اقتاتوا منه صاعاً ونصفاً، وصاع الحنطة أربعة أمداد، فيكون كل يوم قريباً من نصف مد ـ وهو ما ذكرنا أنه قدر ثلث البطن ـ واحتيج في التمر إلى زيادة لسقوط النوى منه، وقد كان أبو ذر رضي الله عنه يقول: طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله ﷺ. والله لا أزيد عليه شيئاً حتى ألقاه فإني سمعته يقول: «أقربكم مني مجلساً يوم القيامة وأحبكم إليّ من مات على ما هو عليه اليوم». وكان يقول في إنكاره على بعض

القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فإذا انتهى إليه وقف وإن بقيت شهوته، وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لأنه يختلف بأختلاف الأحوال والأشخاص) كما ذكرنا (**نعم وقد كان قوت جماعة**) من الصحابة رضوان الله عليهم (**صاع من حنطة في كل جمعة، فإذا أكلوا التمر اقتاتوا صاعاً ونصفاً**) نقله صاحب القوت، (**وصاع الحنطة أربعة أمداد فيكون كل يوم قريباً من نصف مد وهو ما ذكرنا أنه قدر ثلث البطن، واحتيج في التمر إلى زيادة لسقوط النوى منه، وقد كان أبو ذر**) الغفاري (**رضي الله عنه يقول: طعامي في كل جمعةصاع من شعير على عهد رسول الله ﷺ لا أزيد عليه شيئاً حتى ألقاه، فإني سمعته يقول: «أقربكم مني منزلاً يوم القيامة وأحبكم إلي من مات على ما هو عليه اليوم»**) هكذا أورده صاحب القوت. قال العراقي: رواه أحمد في كتاب الزهد، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية دون قوله: «وأحبكم إلي» اهـ.

قلت :أما قوله:: كان قوتي الخ فقد أخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية دون قوله: «من شعير» وهذا لفظه: حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا يوسف بن موسى بن عبد الله المروزي، حدثنا عبد الله بن حنيف، حدثنا يوسف بن أسباط، حدثنا سفيان الثوري أراه عن حبيب بن حسان، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: كان قوتي على عهد رسول الله ﷺ صاعاً فلا أزيد عليه حتى ألقاه، وقال أيضاً: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا أبي، حدثنا أبو معاوية الضرير، حدثنا الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل له: ألا تتخذ ضيعة كما اتخذ فلان وفلان؟ قال: وما أصنع بأن أكون أميراً وإنما يكفيني كل يوم شربة من ماء أو لبن وفي الجمعة قفيز من قمح. قلت: والقفيز مكيال وهو ثمانية مكاكيك، والمكوك صاعان ونصف وهو أيضاً ثلاث كيلجات، والكيلجة منّ وسبعة أثمان منّ.

الصحابة: قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل، وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادامين واختلف عليكم بألوان الطعام، وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر، ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ، وقد كان قوت أهل الصفة مداً من تمر بين اثنين في كل يوم، والمد: رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن رحمة الله عليه يقول: المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء، والمنافق مثل السبع الضاري بلعاً بلعاً وسرطاً سرطاً لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضله وجهوا هذه

وأما الحديث المرفوع فقد قال أبو نعيم: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد بن عمر وقال: سمعت عراك بن مالك يقول: قال أبو ذرّ: إني لأقربكم مجلساً من رسول الله ﷺ يوم القيامة، وذلك أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة من خرج من الدنيا كهيئة ما تركته فيها والله ما منكم من أحد إلا وقد تشبث بشيء منها غيري ».

(**وكان**) رضي الله عنه (**يقول في**) بعض (**إنكاره على بعض الصحابة قد غيرتم**) أي السنة (**نخل لكم الشعير**) أي دقيقه (**ولم يكن ينخل**) بل ينفخ فما طار منه بالنفخ وما لم يطر أبقي، (**وخبزتم المرقق**) أي الخبز الرقاق، (**وجمعتم بين أدمين، واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا أحدكم في ثوب وراح في آخر، ولم تكونوا هكذا على عهد رسول الله ﷺ**) نقله صاحب القوت، وإنكار أبي ذر رضي الله عنه على أهل عصره وأمره إياهم بالمعروف والصدع بالحق مشهور، فإنه كان يقول ولا يبالي في الله لومة لائم، فلما لم يمكنه وضج منه الناس أمره عثمان رضي الله عنه بالخروج إلى الربذة فخرج إليها حتى مات بها رضي الله عنه، (**وقد كان قوت أهل الصفة**) وهم جماعة من فقراء الصحابة لم يكن لهم موضع يأوون إليه فكانوا يأوون إلى صفة المسجد (**مداً من تمر بين اثنين في كل يوم**) نقله صاحب القوت. قال العراقي: رواه الحاكم وصحح إسناده من حديث طلحة النصري اهـ.

قلت: هو طلحة بن عمرو النصري بالنون له صحبة روى عنه حرب بن أبي الأسود.

(**والمد رطل وثلث**) بالبغدادي عند أهل الحجاز كذا في القوت، (**ويسقط منه النوى، وكان الحسن**) البصري رحمه الله تعالى (**يقول: المؤمن مثل الغنيمة**) تصغير غنم ولفظ القوت مثل العنيزة (**يكفيه الكف من الحشف**) وهو محرك التمر الرديء (**والقبضة من السويق والجرعة من الماء، والمنافق مثل السبع الضاري**) أي اللهج بأكل اللحم (**بلعاً بلعاً**) أي يبلع في حلقومه بلعاً كثيراً (**وسرطاً سرطاً**) أي يزدرد في حلقه إزدراداً كثيراً (**لا يطوي بطنه على الجوع لجاره**) أي لأجل جاره بأن يأخذ من طعامه فيعطيه، (**ولا يؤثر أخاه**) المؤمن (**بفضله**) أي ما فضل منه من الطعام (**وجهوا هذه الفضول أمامكم**) كذا نقله صاحب القوت. (**وقال**) أبو محمد (**سهل**) التستري رحمه الله تعالى: (**لو كانت الدنيا دماً عبيطاً**)

الفضول أمامكم. وقال سهل: لو كانت الدنيا دماً عبيطاً لكان قوت المؤمن منها حلالاً لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط.

الوظيفة الثانية: في وقت الأكل ومقدار تأخيره وفيه أيضاً أربع درجات.

الدرجة العليا: أن يطوي ثلاثة أيام فما فوقها وفي المريدين من رد الرياضة إلى الطيّ لا إلى المقدار حتى انتهى بعضهم إلى ثلاثين يوماً وأربعين يوماً، وانتهى إليه جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم: محمد بن عمرو القرني، وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم،

بالعين المهملة أي طرياً خالصاً لا خلطة فيه (**لكان قوت المؤمن منه حلالاً**) نقله صاحب القوت قال: وظن بعضهم أن هذا من كلامه ﷺ، وهو خطأ إنما هو من كلام إمامنا سهل التستري، (**لأن أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط**) وقال الحافظ السخاوي في المقاصد: هذا الكلام لا يعرف له إسناده ولكن معناه صحيح فإن الله لم يحرم على المؤمن ما يضطر إليه من غير معصية. وفي القوت: وقد سئل سهل رحمه الله تعالى عن قوت المؤمن. قال: قوته الله. قال: سألت عن قوامه، فقال: الذكر. قال: إنما سألت عن غذائه. قال غذاؤه العلم. قال: سألت عن طعمة الجسم. قال: مالك وللجسم دع الجسم إلى من تولاه قديماً يتولاه الآن. وكان رحمه الله تعالى يقول: القوت للمؤمنين والقوام للصالحين والضرورة للصديقين.

(**الوظيفة الثانية: في وقت الأكل ومقدار تأخيره وفيه أربع درجات**).

(**الدرجة العليا: أن يطوي ثلاثة أيام فما فوقها سبعة وعشرة وخمسة عشر**) يوماً. وصاحب هذه الدرجة لا يعرض للأقوات ولكن يعمل في زيادة الأوقات فيؤخر أكله وقتاً بعد وقت حتى ينتهي إلى أكثر طاقة النفس لحمل الجوع بضعف الجسم عن الفرض أو خشية اضطراب العقل، فمن أراد هذه الطريق اخر فطره كل ليلة إلى نصف سبع الليل، وقد يكون قد طوى ليلة في نصف شهر، وهذا طريق من أراد الطي المذكور لأنه يعمل في تجوعه على مزيد الأيام ولا يعمل في نقصان الطعام فلا يؤثر ذلك نقصاً في عقله ولا ضعفاً عن أداء فرضه إذا كان على صحة قصد وبحسن نية وصدق عقد، فإنه يعان على ذلك ويحفظ فيه ويكون طعمه إذا أكل عند كل وقت يزيد فيه وينقص ضرورة عن غير تعمل لنقصانه لأن معناه يضيق لا محالة، فكلما زاد جوعه نقص أكله على هذا إلى أن ينتهي في الجوع وينتهي في قلة الطعم ولا تنال فضيلة الجوع التي وردت في الأخبار السابقة إلا بالطيّ وإليه الإشارة بقول المصنف: (**وفي المريد من رد الرياضة إلى الطي لا إلى المقدار حتى انتهى إلى ثلاثين يوماً وأربعين**) يوماً (**أيضاً وانتهى إليه**) أي إلى ثلاثين وأربعين (**جماعة من العلماء يكثر عددهم**) ولفظ القوت: وممن اشتهر بالطي وكثرة التقلل عنه بذلك الخمسة عشر يوماً إلى العشرين إلى شهر جماعة من العلماء يكثر عددهم، (**منهم محمد بن عمرو العرني**) هكذا في النسخ بضم العين المهملة، وفتح الراء وكسر النون وفي بعض نسخ القوت العوفي وفي تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر محمد بن عمرو بن حجاج الغزي صدوق مات سنة

وإبراهيم التيمي وحجاج بن فرافصة، وحفص العابد المصيصي، والمسلم بن سعيد، وزهير، وسليمان الخوّاص، وسهل بن عبدالله التستري، وابراهيم بن أحمد الخوّاص، وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة أيام، وكان عبدالله بن الزبير يطوي سبعة أيام، وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوي سبعاً. وروي أن الثوري وإبراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثاً ثلاثاً كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة. قال بعض العلماء: من طوى لله أربعين يوماً ظهرت

ثمانين ومائتين ورسم عليه بعلامة الدال على أنه من رجال أبي داود. ولم يذكره الذهبي في الكاشف، (**وعبد الرحمن بن إبراهيم**) بن عمرو بن ميمون القرشي أبو سعيد الدمشقي لقبه (**دحيم**) مصغراً ويعرف أيضاً بابن اليتيم مولى آل عثمان بن عفان قاضي الأردن وفلسطين، قدم بغداد سنة اثنتي عشرة ومائتين، فحدث بها وكان ينتحل في الفقه مذهب الأوزاعي، وقدم مصر فكتب بها وكتب عنه وهو ثقة حافظ ثبت، ولد في شوّال سنة ١٧٠ وتوفي بالرملة سنة ٢٤٥ روى عنه البخاري، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه. (**وإبراهيم**) بن يزيد بن شريك (**التيمي**) تيم الرباب أبو أسماء الكوفي كان من العباد ثقة صالح الحديث. قال الأعمش: سمعت إبراهيم التيمي يقول: إني لأمكث ثلاثين يوما لا آكل قتله الحجاج ولم يبلغ أربعين سنة روى له الجماعة. (**وحجاج بن فرافصة**) بضم الفاء الأولى وكسر الثانية بعدها صاد مهملة الباهلي المصري صدوق عابد، روى له أبو داود والنسائي. وقال القشيري في الرسالة: سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول: حدثنا محمد بن بشير، حدثنا الحسين بن منصور. حدثنا داود بن معاذ سمعت مجاهداً يقول: كان الحجاج بن فرافصة معنا بالشام فمكث خمسين ليلة لا يشرب الماء ولا يشبع من شيء يأكله (**وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعد**) وفي بعض النسخ بن سعيد، (**وزهير**) بن نعيم البابي السلولي، أبو عبد الرحمن السجستاني نزيل البصرة عابد مات بعد المائتين روى له داود في كتاب المسائل له، (**وسليمان الخواص**) وأبو محمد (**سهل بن عبد الله التستري**) وقد تقدم عنه ما يدل على ذلك، (**و**) أبو إسحاق (**إبراهيم بن أحمد الخواص**) من أقران الجنيد مات بالري سنة ٢٩١ هكذا سرد هؤلاء الأربعة صاحب القوت، ثم قال: (**وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة أيام، وكان عبد الله بن الزبير**) رضي الله تعالى عنه (**يطوي سبعة أيام، وكان أبو الجوزاء**) أوس بن عبد الله الربعي محركة ثقة من قراء أهل البصرة روى له الجماعة (**يطوي سبعاً، وكان صاحب ابن عباس**) وقد تكلم في سماعه عن عائشة، (**وروي أن**) سفيان (**الثوري وإبراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثاً ثلاثاً**) زاد صاحب القوت: وقد رأينا من كان يطوي تسعاً وخمساً وكثيراً ممن كان يطوي ثلاثاً. (**كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الآخرة**).

قال السهروردي في العوارف: واشتهر حال جدنا محمد بن عبد الله المعروف بعمرويه، وكان صاحب أحمد الأسود الدينوري أنه كان يطوي أربعين يوماً وأقصى ما بلغ في هذا المعنى من الطي

له قدرة من الملكوت أي كوشف ببعض الأسرار الإلهية ، وقد حكي أن بعض أهل هذه الطائفة مرّ براهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور ، فكلمه

رجل أدركنا زمانه وما رأيته كان بأبهر يقال له زاهد خليفة كان يأكل في كل شهر لوزة ولم يسمع أن أحداً بلغ في هذه الأمة بالطي والتدريج إلى هذا الحد ، فكان في أول مرة على ما حكى ينقص القوت بنشاف العود ثم يطوي حتى انتهى إلى اللوزة في الأربعين ، فقد يسلك في هذه الطريق جمع من الصادقين وقد يسلك غير الصادق هذا الوجود هوى مستكن في باطنه يهون عليه ترك الأكل إذا كان له استحلاء نظر الخلق ، وهذا عين النفاق نعوذ بالله من ذلك . والصادق ربما يقدر على الطي إذا لم يعلم بحاله أحد ، وربما يضعف إذا علم بأنه يطوي فإن صدق في الطي ونظره إلى من يطوي لأجله يهون عليه الطي ، فإذا علم به أحد تضعف عزيمته في ذلك . وهذه علامة الصادق ، فمها أحس في نفسه أن يحب أن يرى بعين التقلل ، فليتهم نفسه ، فإن فيه شائبة نفاق . ومن يطوي لله خالصاً يعوضه الله تعالى فرحاً في باطنه ينسيه الطعام ، وقد لا ينسى الطعام لامتلاء قلبه بالأنوار يقوي جاذب الروح الروحاني فيجذبه إلى مركزه ومستقره من العالم الروحاني ويقفو بذلك عن أرض الشهوة النفسانية ، ومن آثر جاذب الروح إذا تخلف عنه جاذب النفس عند كمال طمأنيتها وانعكاس أنوار الروح عليها بواسطة القلب المستنير بأقل من جاذب المغناطيس للحديد إذ المغناطيس يجذب الحديد لروح في الحديد مشاكل للمغناطيس يجذبه بنسبته الجنسية الخاصة ، فإذا تجنس النفس بعكس نور الروح الواصل إليها بواسطة القلب يصير في النفس روح استمدها القلب من الروح وأداها إلى النفس فيجذب الروح النفس بجنسية الروح الحادث فيه فيزدري الأطعمة الدنيوية والشهوات الحيوانية ، ويتحقق بمعنى قول رسول الله ﷺ أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولا يقدر على ما ذكرناه إلا عبد تصير أعماله وأقواله وسائر أحواله ضرورة ، فيتناول من الطعام أيضاً ضرورة ولو تكلم مثلاً بكلمة من غير ضرورة التهب فيه نار الجوع التهاب الحلفاء بالنار ، لأن النفس الراقدة تستيقظ بكل ما يوقظها ، وإذا استيقظت نزعت إلى هواها ، فالعبد المراد بهذا إذا فطن بسياسة النفس ورزق العلم سهل عليه الطي ، وتداركته المعونة من الله تعالى لاسيما إن كوشف بشيء من المنح الإلهية ، وقد حكى لي فقير أنه اشتد به الجوع وكان لا يطلب ولا يتسبب قال : فلما انتهى جوعي إلى الغاية بعد أيام فتح علي بتفاحة . قال : فتناولت التفاحة وقصدت أكلها ، فلما كسرتها كوشفت بحوراء نظرت إليها عقب كسر التفاحة ، فحدث عندي من الفرح بذلك ما استغنيت به عن الطعام أياماً .

(**وقال بعض العلماء**) ولفظ القوت : وقد كان بعض العلماء يقول والمراد به سهل التستري كما صرح به صاحب العوارف : (**من طوى لله أربعين يوماً**) أي من الطعام (**ظهرت له قدرة من الملكوت أي كوشف ببعض الأسرار الإلهية**) وكان يقول أيضاً لا يبلغ العبد حقيقة الزهد الذي لا شوبة فيه إلا بمشاهدة قدرة من غيب الملكوت نقله صاحب القوت والعوارف ، (**وقد حكى أن بعض أهل هذه الطائفة**) من الصوفية (**مر براهب**) في دير له ، (**فذاكره بحاله**

في ذلك كلاماً كثيراً إلى أن قال في الراهب: إن المسيح كان يطوي أربعين يوماً وإن ذلك معجزة لا تكون إلا لنبي أو صديق، فقال له الصوفي، فإن طويت خمسين يوماً تترك ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام وتعلم انه حق. وأنك على باطل؟ قال: نعم فجلس لا يبرح إلا حيث يراه حتى طوى خمسين يوماً ثم قال: وأزيدك أيضاً فطوى إلى تمام الستين، فتعجب الراهب منه وقال: ما كنت أظن أن أحداً يجاوز المسيح؟ فكان ذلك سبب اسلامه. وهذه درجة عظيمة قلّ من يبلغها إلا مكاشف محول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وأنساه جوعته وحاجته.

وطمع في إسلامه وترك ما هو عليه من الغرور، فكلمه في ذلك كلاماً كثيراً إلى أن قال له الراهب: إن المسيح كان يطوي أربعين يوماً وأن ذلك معجزة لا تكون إلا لنبي أو صديق) ولفظ القوت: وإنما نعتقد إعجاز هذا وأنه لا يكون إلا لنبي، **(فقال له الصوفي: إن طويت خمسين يوماً تركت ما أنت عليه وتدخل في دين الإسلام وتعلم أنه حق)** ولفظ القوت: إن ما نحن عليه حق **(وإنك على باطل قال: نعم فجلس لا يبرح إلا بحيث يراه حتى طوى خمسين يوماً)** ولفظ القوت فقعد عنده لا يبرح ولا يذهب إلا حيث يراه الراهب إلى أن طوى خمسين يوماً. **(ثم قال: وأزيدك أيضاً فطوى إلى تمام الستين)** يوماً **(فتعجب الراهب)** منه واعتقد فضله وفضل دينه، **(وقال: ما كنت أظن أن أحداً يجاوز المسيح)** عليه السلام. أي فعله في الطي ولكن هذه أمة تشبه بالأنبياء في العلم والفضل، **(فكان ذلك سبب إسلامه)** نقله صاحب القوت. قال وبعضهم يقول لا يوقن العبد يقيناً ثابتاً يحكم عليه بالاستقامة فيه ولبسة حال لازمة، وعلم نافذ في الملكوت إلا بمشاهدة قدرة من قدرة الغيب برأي عين تظهر له بشهادة دائمة يقوم بها وتضطره، فعند هذا يعرف من الله تعالى وصفه المخصوص القيوم به، ويصح لعبد مراده بهذا الطريق المنهج له طي أربعين في سنة وأربعة أشهر على ما نزلنا من تأخير الأوقات وقتاً بعد وقت حتى تندرج الليالي في الأيام، وتدخل الأيام في الليالي فتكون الأربعون بمنزلة يوم واحد وليلة واحدة وهذا طريق المقربين.

وقد أشار المصنف لهذا فقال: **(وهذه درجة عظيمة قلما يبلغها إلا)** مراد به **(كاشف له)** بشهادة **(محول)** فيه قد **(شغل بمشاهدة ما)** شغله عن نفسه و **(قطعه عن طبعه وعادته، واستوفى نفسه في لذته وأنساه جوعته وحاجته)** وكشف له حقيقته ومرجوعه. قال صاحب القوت: وقد عرفنا من كان فعل ذلك وظهرت له آيات من الملكوت وكشف له عن معاني قدرة الجبروت تجلّى الله عز وجل بها وفيها كيف شاء. وقال صاحب العوارف، قيل لسهل التستري رحمه الله تعالى: هذا الذي يأكل في كل أربعين أو أكثر أكلة واحدة أين يذهب لهب الجوع؟ قال: يطفئه النور، وقد سألت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لي كلاماً بعبارة دلت على إنه يجد فرحاً بربه ينطفيء معه لهب الجوع، وهذا في الخلق واقع إن الشخص يطرقه فرح، وقد كان جائعاً فيذهب

الدرجة الثانية: أن يطوي يومين إلى ثلاثة وليس ذلك خارجاً عن العادة بل هو قريب يمكن الوصول إليه بالجد والمجاهدة.

الدرجة الثالثة: وهي أدناها أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة، وهذا هو الأقل وما جاوز ذلك إسراف ومداومة للشبع، حتى لا يكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو بعيد من السنّة، فقد روى أبو سعيد الخدريّ رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ كان إذا تغدى لم يتعش، وإذا تعشى لم يتغد. وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة.

عنه الجوع، وهكذا في طرق الخوف يقع ذلك. ثم قال صاحب العوارف: واعلم أن هذا المعنى من الطي والتقلل لو أنه عين الفضيلة ما فات أحداً من الأنبياء، ولكان رسول الله ﷺ يبلغ من ذلك إلى أقصى غاية، ولا شك أن لذلك فضيلة لا تنكر، ولكنه لا تنحصر مواهب الحق تعالى في ذلك فقد يكون من يأكل كل يوم أفضل ممن يطوي أربعين يوماً، وقد يكون من لا يكاشف بشيء من معاني القدرة أفضل ممن يكاشف بها إذا كاشف الله تعالى بصرف المعرفة، فالقدرة أثر من القادر، ومن أهل لقرب القادر لا يستغرب ولا يستنكر شيئاً من القدرة ويرى القدرة تنجلي له من سجف أجزاء عالم الحكمة.

(**الدرجة الثانية: أن يطوي يومين إلى ثلاثة**) أيام (**وليس ذلك خارجاً عن العادة بل هو قريب، لكن لا وصول إليه إلا بالجد والمجاهدة**) ومراعاة التدريج بالوجه الذي ذكر آنفاً.

(**الدرجة الثالثة: وهي أدناها أن يقتصر في اليوم والليلة على أكلة واحدة وهذا هو الأكل وما جاوز ذلك**) فهو (**إسراف ومداومة للشبع حتى لا تكون له حالة الجوع**)، فإذا جعل العبد شبعه بين جوعتين كان جوعه أكثر من شبعه وسلم من خبر أبي جحيفة ومن كانت له جوعة بعد كل شبعة اعتدل جوعه وشبعه، ومن أكل في كل يوم مرتين فقد تابع الشبع وتحمو بخبر أبي جحيفة وشبعه حينئذ أكثر من جوعه، (**وذلك فعل المترفين وهو بعيد عن السنّة**) وقد كانوا يعدونه سرفاً هكذا نقله صاحب القوت، ولكن قال القشيري في الرسالة: سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول: سمعت علي بن الحسن الأرجاني يقول: سمعت أبا محمد الاصطخري يقول: سمعت سهل بن عبد الله وقد قيل له الرجل يأكل في اليوم أكلة، فقال: أكل الصديقين. قال: فأكلتين؟ قال: أكل المؤمنين. قال: فثلاثة؟ قال: قل لأهلك يبنوا لك معلفاً فهذا بظاهره يدل على الأكلتين في يوم من عمل المؤمنين وهم تحت الصديقين، فليتأمل في الجمع بين الكلامين، (**فقد روى أبو سعيد**) مالك بن سنان (**الخدري**) الأنصاري رضي الله عنه (**أن النبي ﷺ كان إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد**) هكذا نقله صاحب القوت. وقال العراقي: لم أجد له أصلاً في المرفوع، ورواه البيهقي في الشعب من فعل أبي جحيفة اهـ.

قلت: بل أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عطاء بن أبي رباح، حدثنا محمد بن عمر بن مسلم

وقال النبيّ ﷺ لعائشة: « إياك والسرف فإن أكلتين في يوم من السرف، وأكلة واحدة في كل يومين اقتار، وأكلة في كل يوم قوام بين ذلك ». وهو المحمود في كتاب الله عز وجل.

ومن اقتصر في اليوم على أكلة واحدة فيستحب له أن يأكلها سحراً قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام، وخلوّ القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم، وسكون النفس إلى المعلوم

وأحمد بن السندي قالا: حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، حدثنا أيوب بن حبان، حدثنا الوضين بن عطاء، عن عطاء بن أبي رباح قال: دعي أبو سعيد الخدري إلى وليمة وأنا معه فرأى صفرة وخضرة، فقال: أما تعلمون أن رسول الله ﷺ كان إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد، (**وكان السلف يأكلون في كل يوم أكلة**) نقله صاحب القوت. (**وقال النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها « إياك والسرف فإن أكلتين في كل يوم من السرف »**) كذا في القوت. قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة وقال: في إسناده ضعف (**وأكلة واحدة في كل يومين اقتار، وأكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمود في كتاب الله عز وجل**) يشير إلى قوله تعالى: ﴿والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ [الفرقان: ٦٧] ولفظ القوت بعد إيراده هذه الآية، فكان الاكلتين في يوم من الإسراف، وأكلة في يومين من الاقتار، وأكلة في يوم قوام بين ذلك. وأقول على هذا أن أكل أربعة أرغفة سرف، ورغيفين قتر، وثلاثة أرغفة قوام حسن، وهذا أعدل الأقوات، ولا يعجبني أكل أربعة أرغفة في مقام واحد لأني لا آمن الازدياد فيصير ذلك معتاداً فإن كان عن جوع شديد أو عدة لسفر أو عدم فلا بأس، وقد كان للصحابة أكلتان وشربتان. فالاكلتان الوجبة والغبوق فالوجبة من الوقت إلى الوقت، والغبوق أن يشرب مذقة لبن أو يأكل كف تمر عند النوم أو بعد عتمة أو يكون عند الظهيرة، وقد يكون سحراً. والشربتان العلل والنهل، فالنهل الشربة الأولى من اللبن بمنزلة الوجبة والعلل الشربة الثانية بمثابة الغبوق من نقيع تمر أو زبيب أو لبن يقوم مقام الأكلتين فهي تمام الري والأولى علالة للنفس من العطش فسمى عللاً، وكان من أخلاق السلف ترك الشبع اختياراً لأنفسهم لخفة الجسم أو مؤاساة الفقراء أو مساواة لهم في الحال لئلا يتفضلوا عليهم في حالهم.

(**ومن اقتصر في كل يوم على أكلة واحدة**) وكان صائماً (**فيستحب له أن**) يعمل في تأخير الافطار على رياضة و (**يأكلها**) أي تلك الأكلة (**سحراً**) أي في وقت السحر ولا يجاوزه، وهو (**قبل طلوع الفجر فيكون أكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له**) بذلك خمسة أشياء: (**جوع النهار للصيام**) أي لأجله، والأولى بالصيام، (**وجوع الليل للقيام، وخلو القلب لفراغ المعدة، ورقة الفكر**) أي صفائه، (**واجتماع الهم**) بخلو القلب، (**وسكون**

فلا تنازعه قبل وقته. وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال: ما قام رسول الله ﷺ قيامكم هذا قط، وإن كان ليقوم حتى تورم قدماه، وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد أخر الفطر إلى السحر. وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يواصل إلى السحر فإن كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب إلى الطعام وكان ذلك يشغله عن حضور القلب في التهجد فأولى أن يقسم طعامه نصفين، فإن كان رغيفين مثلاً أكل رغيفاً عند الفطر ورغيفاً عند السحر لتسكن نفسه ويخف

النفس إلى المعلوم فلا تنازعه قبل وقته) فإن النفس إذا علمت أنها ستأكل رغيفاً في السحر اطمأنت بالليل ولم تنازع وهذا أوسط الطرقات، وأحبها إليَّ وهو طريق السائرين كذا في القوت. قال: ومن لم يكن له معلوم فلا بأس أن يأكل شبعه ثم يتربص حتى ينتهي جوعه، وترك المعلوم في الطعام طريق صوفية البغداديين، والوقوف مع المعلوم طريقة البصريين، ولما قدم صوفية أهل البصرة على أبي القاسم الجنيد بعد وفاة أبي محمد سهل قال لهم: كيف تعملون في الصوم؟ فقالوا: نصوم بالنهار، فإذا أمسينا قمنا إلى قفافنا. فقال: آه آه لو كنتم تصومون بلا قفاف كان أتم لحالكم أي لا تسكنون إلى معلوم، فقالوا: لا نقوى على هذا. قال صاحب القوت: ولعمري أن طريق البغداديين بترك المعلوم من المطعوم أعلى وهو طريق المتوكلين الأقوياء، وطريق البصريين بالمعلوم والتوقيت أسلم من آفات النفوس، وأقطع للتشرف والتطلع، وهو طريق المريدين والعاملين.

(**وفي حديث عاصم بن كليب**) بن شهاب بن المجنون الجرمي الكوفي صدوق مات سنة بضع وثلاثين ومائة روى له البخاري تعليقاً ومسلم والاربعة، (**عن أبيه**) تابعي صدوق روى له البخاري في كتاب رفع اليدين والأربعة أصحاب السن، (**عن أبي هريرة**) رضي الله عنه (**قال: ما قام رسول الله ﷺ قيامكم هذا قط وإن كان ليقوم حتى تزلع قدماه**) أي تتورم وتتشقق، (**وما وصل وصالكم هذا قط غير أنه قد أخر الفطر إلى السحر**) كذا هو في القوت قال العراقي: رواه النسائي مختصراً كان يصلي حتى تزلع قدماه وإسناده جيد اهـ.

قلت: وروى الجماعة سوى أبي داود من حديث المغيرة: كان يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه.

(**وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يواصل إلى السحر**) كذا في القوت قال العراقي: لم أجده من حديث عائشة، لكن رواه أحمد من حديث علي، ولا يصح. ورواه الطبراني من حديث جابر، لكنه لم يصح من فعله وإنما هو من قوله «فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر» ورواه البخاري من حديث أبي سعيد، وأما هو فكان يواصل وهو من خصائصه، (**فإن كان يلتفت قلب الصائم بعد المغرب إلى الإفطار وكان ذلك يشغله عن حضور القلب**) في التهجد، (**فالأولى أن يقسم طعامه نصفين إن كان رغيفين مثلاً أكل**

بدنه عند التهجد ولا يشتد بالنهار جوعه لأجل التسحر، فيستعين بالرغيف الأوّل على التهجد، وبالثاني على الصوم. ومن كان يصوم يوماً ويفطر يوماً فلا بأس أن يأكل كل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر. فهذه الطرق في مواقيت الأكل وتباعده وتقاربه.

رغيفاً عند الفطر ورغيفاً عند السحر لتسكن النفس) عن الالتفات والاضطراب، **(ويخف بدنه عند التهجد)** وإحياء الليل بالذكر، **(ولا يشتد بالنهار جوعه لأجل التسحر فيستعين بالرغيف الأول على التهجد، وبالثاني على الصوم)** وقد استحسنه صاحب القوت وأشار إليه صاحب العوارف، **(ومن كان)** من عادته أنه **(يصوم يوماً ويفطر يوماً)** وهو أعدل طرقات الصيام، **(فلا بأس أن يأكل يوم الفطر وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر)** فإن لم يفعل فليأكل يوم فطره نصف أكله بالأمس فكأنه صائم فإن لم يفعل اضطرب جسمه وداخله الفتور في حاله كذا في القوت، **(فهذه هي الطريق في مواقيت الأكل وتباعده وتقاربه)** وبقيت عليه طريق أخرى في المريد الذي لا يصوم ولا يقتصر على أكلة واحدة في اليوم والليلة ويريد قوام جسده للطاعة، فالمستحب إن كان ذا معلوم أن لا يزيد على رغيفين في اليوم والليلة وليجعل بينهما وقتاً طويلاً مرة وقصيراً أخرى على حسب الحاجة. وتوقان النفس إلى الغذاء لا على طريق العادة والشهوة. والرغيف ست وثلاثون لقمة يكون قوام النفس في كل ساعة ثلاث لقمات فإذا أراد أن يأكل الرغيف على هذا التقسيم فليجرع بعد كل ثلاث لقم جرعة ماء فذلك اثنتا عشرة جرعة في تضاعيف ست وثلاثين لقمة ففي ذلك قوام الجسد وصلاحه في يوم وليلة على هذا الترتيب وفيه بلاغ للعابدين.

تنبيه:

أما أكل العادات والتنقل في الشهوات والأكل حتى يشبع، فهذا عند العلماء مكروه وآكله عندهم بمنزلة البهائم، وأما الاكل على شبع والامتلاء حتى يتخم فهذا فسق عند بعض العلماء وقد قاله بعض العارفين ويروى أنه قيل لأبي بكرة إنّ ابنك أكل البارحة حتى بشم فقال: لو مات ما صليت عليه.

تنبيه:

ذكر بعض العلماء أن مراتب الشبع تنحصر في سبعة: **الأول:** ما تقوم به الحياة. **الثاني:** أن يزيد حتى يصوم ويصلي من قيام وهذان واجبان. **الثالث:** أن يزيد حتى يقدر على أداء النوافل. **الرابع:** أن يزيد حتى يقدر على الكسب وهذان مندوبان. **الخامس:** أن يملأ الثلث وهذا جائز. **السادس:** أن يزيد عليه وبه يثقل البدن ويكثر النوم وهذا مكروه. **السابع:** أن يزيد حتى يتضرر وهي البطنة المنهي عنها. وهذا حرام. قال الحافظ ابن حجر بعد أن نقله: ويمكن دخول الثالث في الرابع والاوّل في الثاني.

الوظيفة الثالثة: في نوع الطعام وترك الأدام وأعلى الطعام مخ البرّ فإن نخل فهو غاية الترفه وأوسطه شعير منخول، وأدناه شعير لم ينخل، وأعلى الأدم اللحم والحلاوة، وأدناه الملح والخل، وأوسطه المزوّرات بالأدهان من غير لحم، وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع من الأدام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فإن كان لذيذ يشتهيه الإنسان فأكله اقتضى ذلك بطراً في نفسه وقسوة في قلبه وأنساً له بلذات الدنيا حتى يألفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجناً له. وإذا منع نفسه عن شهواتها وضيق عليها وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجناً عليه ومضيقاً له فاشتهت نفسه الإفـلات منها، فيكون الموت إطلاقها. وإليه الاشارة بقول

(**الوظيفة الثالثة: في نوع الطعام وترك الأدام**) وهو أي الطعام على ثلاث مراتب، (**وأعلى الطعام مخ البر**) أي لبابه الذي يتحصل بعد نخل دقيقة بالمنخل الحرير بعد المنقلة، (**فإن نخل**) كذلك (**فهو غاية الترفه**) وخبزه يعرف بالسميد أولاً ينخل مطلقاً وخبزه هو المعروف بالخشكار وفيه مرتبة تليها، وذلك أن ينخل بالمنخل الغير المانع وهي ملحقة بالأولى لما فيه من الترفه أيضاً. (**وأوسطه شعير منخول**) كما ذكرنا، (**وأدناه شعير لم ينخل**) وإنما يعجن بما فيه من النخالة سواء نفخ فطار منه ما طار أو لم ينفخ، (**وأعلى الأدم اللحم**) وقد وردت فيه أخبار تؤذن بعلوه ففي حديث بريدة عند البيهقي في الشعب: «سيد الأدام في الدنيا والآخرة اللحم» (**والحلاوة**) وهي المركبة من سمن وعسل ولها أنواع تقدم ذكرها في كتاب الأطعمة، (**وأدناه الملح والخل**) أي كل منهما بانفراد عن الآخر، (**وأوسطه المزوّرات**) وهي الأطعمة التي لا يكون فيها شيء من اللحوم بخلاف المزفرات وإنما اتخذت (**بالأدهان**) والأدهان كسائر السمون وما يعصر من قلوب الأشجار كاللوز والفستق والجوز وكالزيت ودهن السمسم (**من غير لحم**) أي من غير أن يكون فيها شيء من لحم كما ذكرناه. وفي القوت: فإن كان لا بدّ من فاكهة مع الخبز الذي هو قوت النفس، فكما أطعم الله الفقراء في الكفارة وهو التوسط في الأدام الذي أمر به وأحبه للفقراء من الخبز واللبن لأن أعلى الأدام اللحم والحلواء، وأدناه الملح والخل فلم يأمر تعالى بأعلاه لأنه يشق على الأغنياء ولم يأمر بأدناه لأنه يشق على الفقراء وتوسط الأمر بينهما، فقال: من أوسط ما تطعمون أهليكم، فهو ما ذكرناه على ذلك. (**وعادة سالكي طريق الآخرة الامتناع من الآدام على الدوام، بل الامتناع من الشهوات مطلقاً فإن كل لذيذ يشتهيه الإنسان**) وتدعو إليه نفسه وتطالبه به، (**وأكله اقتضى ذلك بطراً في نفسه**) من جهة متابعته للشهوة (**وقسوة في قلبه وأنساً له بلذات الدنيا حتى يألفها**) ويأنس بها، (**ويكره الموت ولقاء الله تعالى**) لا محالة لأن الفطم عن المألوف صعب، (**وتصير الدنيا جنة في حقه ويكون الموت سجناً له**) ومضيقاً (**وإذا منع نفسه شهواتها وضيق عليها وحرمها**) أي منعها (**فاشتهت نفسه الانفلات منها سريعاً فيكون الموت إطلاقها**) من ذلك المضيق والحبس، وقد روى مسلم

يحي بن معاذ حيث قال: معاشر الصديقين جوّعوا أنفسكم لوليمة الفردوس، فإن شهوات الطعام على قدر تجويع النفس، فكل ما ذكرناه من آفات الشبع فإنه يجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا نطوّل باعادته، فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال ﷺ: «شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة» وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يعص، ومن دوام عليه أيضاً فلا يعصي بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتألف اللذات وتسعى في طلبها فيجرها ذلك إلى المعاصي فهم شرار الأمة. لأن مخ الحنطة يقودهم إلى اقتحام أمور، تلك الأمور معاص. وقال ﷺ: «شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم» وإنما همتهم ألوان الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون في

من حديث أبي هريرة «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» ورواه البزار والعسكري والقضاعي من حديث ابن عمر مثله، وروى أبو نعيم من حديث ابن عمر مرفوعاً «يا أبا ذر الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره، يا أبا ذر إن الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره والمؤمن من لم يجزع من دنياه» الحديث. وروى أحمد من حديث عبد الله بن عمر «والدنيا سجن المؤمن وسنته فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة». (**وإليه الإشارة بقول يحي بن معاذ**) الرازي الواعظ رحمه الله تعالى (**حيث قال: معاشر الصديقين جوّعوا أنفسكم لوليمة الفردوس فإن شهوة الطعام على قدر تجويع النفس**) نقله صاحب القوت ففيه إشارة إلى أن من يؤثر الآخرة ولذتها وطعامها ينهي نفسه عن لذة الدنيا ويكفها عن شهواتها وكلما زادت رياضة النفس بالتجويع زادت شهوتها إلى الطعام، (**فكل ما ذكرناه من آفات الشبع**) فيما تقدم، (**فإنها تجري في كل الشهوات وتناول اللذات فلا نطوّل باعادته، فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات من المباحات ويعظم الخطر في تناولها، حتى قال ﷺ «شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة»**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً. (**وهذا**) إن صح وروده (**ليس بتحريم**) لمخ الحنطة، (**بل هو مباح على معنى أن من أكله مرة أو مرتين لم يعص**) الله تعالى، (**ومن دوام عليها أيضاً فلا يعصى**) الله تعالى (**بتناوله ولكن تتربى نفسه بالنعيم فتأنس بالدنيا وتألف اللذات وتسعى في طلبها**) على قدر الجهد، (**فيجرها ذلك إلى المعاصي فهم شرار الأمة**) بهذا المعنى، (**لأن مخ القمح**) مع المداومة عليه (**يقودهم إلى اقتحام**) أي ارتكاب (**أمور تلك الأمور معاص**) لله تعالى. (**وقال ﷺ «شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم وبنيت عليه أجسامهم» وإنما همتهم أنواع الطعام وأنواع اللباس ويتشدقون في الكلام**) أي يتوسعون فيه من غير تحرز ولا احتياط. قال العراقي: رواه ابن عدي في الكامل من طريق البيهقي في الشعب من حديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وروي من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلاً. قال الدارقطني في العلل: إنه أشبه بالصواب، ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة بإسناد لا بأس به اهـ.

الكلام ، وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام اذكر أنك ساكن القبر فإن ذلك يمنعك من كثير الشهوات ، وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الأطعمة وتمرين النفس عليها ، ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ، ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة ، حتى روي أن وهب بن منبه قال : التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر : من أين ؟ قال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله . وقال الآخر : أمرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد ، فهذا تنبيه على أن تيسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير ، ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بعسل وقال : اعزلوا

قلت : وكذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة وابن عساكر كلهم من طريق عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، ولفظ حديثهم : « شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون أنواع الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام » وقال البيهقي بعد أن أورده تفرد به علي بن ثابت عن عبد الحميد الأنصاري اهـ .

وعلي بن ثابت ساقه الذهبي في الضعفاء وقال : ضعفه الأزدي قال : وعبد الحميد ضعفه القطان وهو ثقة اهـ .

وجزم المنذري بضعفه وقد روي هذا الحديث أيضاً عن عبد الله بن جعفر وعن ابن عباس ، فحديث عبدالله بن جعفر لفظه « شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذوا به يأكلون من الطعام ألواناً ويلبسون من الثياب ألواناً ويركبون من الدواب ألواناً يتشدقون في الكلام » رواه الحاكم في المستدرك ، والبيهقي في الشعب ، وقال الحاكم : صحيح . وتعقبه الذهبي بأن فيه أصرم بن حوشب وهو ضعيف . وأما لفظ حديث ابن عباس « شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم وغدوا فيه الذين يأكلون طيب الطعام ويلبسون لين الثياب هم شرار أمتي حقاً حقاً » رواه الديلمي في مسند الفردوس .

(**وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام**) يا موسى (**اذكر أنك ساكن القبر فإن ذلك يمنعك من كثير الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الأطعمة وتمرين النفس عليها ، ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة ، ورأوا منع الله تعالى منه غاية السعادة**) ومن هنا قول العامة ومن العصمة أن لا تجد ، (**حتى روي أن وهب بن منبه**) اليماني رحمه الله تعالى قال : (**التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر : من أين**) مجيئك هذا ؟ (**قال : أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي لعنه الله**) تعالى . (**وقال الآخر : أمرت بإهراق زيت اشتهاه فلان العابد**) فقد ادخر الله له في الآخرة كل ذلك ذكره صاحب القوت ، (**وهذا**) فيه (**تنبيه على أن تيسير أسباب الشهوات ليس من علامات الخير**) فلا يفرح بمثله وقد انقطع بمثله كثيرون يرون الشهوات تساق إليهم فيعدونها منة عظيمة فيكون سبب إخلادهم في النقص ، (**ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه عن شربة ماء بارد بعسل وقال:**

عني حسابها . فلا عبادة لله تعالى أعظم من مخالفة النفس في الشهوات وترك اللذات ـ كما أوردناه في كتاب رياضة النفس ـ وقد روى نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضاً فاشتهى سمكة طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ، ثم وجدت بعد كذا وكذا ، فاشتريت له بدرهم ونصف فشويت وحملت إليه على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام : لفها برغيفها وادفعها إليه . فقال له الغلام : أصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدتها اشتريتها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها . فقال : لفها وادفعها إليه ، ثم قال الغلام للسائل : هل لك أن تأخذ درهماً وتتركها ؟ قال : نعم . فأعطاه درهماً وأخذها وأتى بها فوضعها بين يديه وقال : قد أعطيته درهماً وأخذتها منه . فقال : لفها وادفعها إليه ولا تأخذ منه الدرهم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أيما امرىء اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له » . وقال ﷺ : « إذا

اعزلوا عني حسابها) رواه جعفر بن سليمان حدثنا حوشب عن الحسن قال : أتى عمر بشربة عسل فذاقها فإذا ماء وعسل ، فقال : اعزلوا عني حسابها اعزلوا عني مؤنتها ، وروى سليمان بن المغيرة عن ثابت قال : اشتهى عمر الشراب فأتي بشربة من عسل فجعل يدير الإناء في يده ويقول : لا أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى مرارتها ثم وضعها إلى رجل من القوم فشربها وإنما قال ذلك لأنه علم أنه حلال وفي الحلال حساب ، وفي الحساب نوع عذاب فمن حوسب نوقش . وقد أشار إلى ذلك أبو سعيد الخراز حين نوع الجوع فقال : ومنهم من وجد الشيء الصافي فتركه زهداً فيه من مخافة طول الحساب والوقوف والسؤال ، (**فلا عبادة لله أعظم من مخالفة الشهوات وترك اللذات**) وإن كانت مباحة ، (**كما أوردناه في كتاب رياضة النفس، وقد روى نافع عن ابن عمر**) رضي الله عنه (**إنه كان مريضاً فاشتهى سمكة طرية ، فالتمست له بالمدينة فلم توجد**) أي لبعدها عن البحر ، (**فوجدت بعد كذا وكذا**) يوماً (**فاشتريت**) له (**بدرهم ونصف فشويت**) على النار (**وحملت إليه على رغيف**) ليأكل ، (**فقام سائل على الباب فقال**) ابن عمر (**للغلام**) و هو نافع : (**لفها برغيفها وادفعها إليه**) أي إلى السائل ، (**فقال له الغلام : أصلحك الله قد اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها فلما وجدناها اشتريناها بدرهم ونصف نحن نعطيه ثمنها . فقال : لفها وادفعها إليه ، ثم قال**) أي الغلام (**له**) للسائل : (**هل لك أن تأخذ درهماً وتتركها ؟ قال**) السائل : (**نعم فأعطاه درهماً وأخذها وأتى بها ثانياً فوضعها بين يديه وقال : قد أعطيته درهماً وأخذتها منه فقال لفها وادفعها إليه ولا تأخذ منه الدرهم ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « أيما امرىء اشتهى شهوة فردّ شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له »**) قال العراقي : رواه أبو الشيخ بن حبان في الثواب بإسناد ضعيف جداً ورواه ابن الجوزي في الموضوعات . (**وقال ﷺ « إذ استدّ**) بالسين المهملة وفي نسخة العراقي « إذا

سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الماء القراح فعلى الدنيا وأهلها الدمار » وأشار إلى أن المقصود رد ألم الجوع والعطش ودفع ضررهما دون التنعم بلذات الدنيا ، وبلغ عمر رضي الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان يأكل أنواع الطعام فقال عمر لمولى له : إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمني فدخل عليه فقـرب عشاؤه فأتوه بثريد لحم فأكل معه عمر ، ثم قرب الشواء وبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال : الله الله يا يزيد بن أبي سفيان أطعام بعد طعام ؟ والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن

سددت » (**كلب الجوع**) بتحريك اللام وهو الحرص على الأكل الكثير (**برغيف وكوز من الماء القراح**) الذي لا يشوبه شيء وفي غالب النسخ بدون ذكر القراح (**فعلى الدنيا وأهلها الدمار** ») أي الهلاك (**أشار**) ﷺ (**إلى أن المقصود**) من الأكل (**ردّ كلب الجوع**) أي شدته (**ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا**) قال العراقي : رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف اهـ .

قلـت : ورواه ابن عدي والبيهقي ولكن لفظ الحديث عندهم « يا أبا هريرة إذا اشتد كلب الجوع فعليك برغيف وجر من ماء القراح وقل على الدنيا وأهلها الدمار » وفي إسناده الحسين بن عبد الغفار الازدي . قال الذهبي : متهم ، وقال الدارقطني : متروك ، وفيه أيضاً أبو يحيي الوقار وقال الذهبي : كذوب وفيه أيضاً الماضي بن محمد . قال الذهبي : مصري مجهول ، وقال أبو حاتم : الحديث الذي رواه باطل وليس المراد من قوله : فعلى الدنيا وأهلها الدمار الدعاء عليهم بالهلاك ، بل انزالهم منزلة الهالكين ، فإن من هلك لا يقدر على شيء وكذلك الدنيا وأهلها والقصد الحث على التقنع باليسير والزهد في الدنيا والاعراض عن شهواتها .

(**وبلغ عمر رضي الله عنه أن يزيد بن أبي سفيان**) بن حرب الأموي أخو معاوية أسلم يوم الفتح وكان أفضل بني أمية أمَّرَهُ عمر على دمشق حتى مات بها سنة تسع عشرة (**يأكل أنواع الطعام، فقال عمر لمولى له**) يقال له يرفأ : (**إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فاعلمني فأعلمه فدخل عليه فقرب عشاءه فأتوه بثريد ولحم فأكل معه عمر ثم قرب الشواء**) أي اللحم المشوي (**فبسط يزيد يده وكف عمر يده وقال: الله الله يا يزيد بن أبي سفيان أطعام بعد طعام؟ والذي نفسي بيده لئن خالفتم عن سننهم ليخالفن بكم عن طريقهم**) رواه إسماعيل بن عياش، حدثني يحي الطويل عن نافع عن ابن عمر قال: بلغ عمر أن يزيد بن أبي سفيان يأكل ألوان الطعام فقـال ليرفأ : إذا حضر طعامه فاعلمني فساقه، وفيه والذي نفس محمد بيده إن خالفتم عن سنته ليخالفن بكم عن طريقه فأشار عمر إلى أنهم كانوا يكتفون بطعام واحد ولون واحد ولا يزيدون، فمن خالف نهجهم الذي سلكوه خولف به عن طريقهم والخير كل الخير في إتباع السلف.

طريقهم. وعن يسار بن عمير قال: ما نخلت لعمر دقيقاً قط إلا وأنا له عاص. وروي أن عتبة الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم يأكله ويقول: كسرة وملح حتى يتهيأ في الآخرة الشواء والطعام الطيب: وكان يأخذ الكوز فيغرف به من جب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له: يا عتبة لو أعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء: فيقول لها: يا أم فلان قد شردت عني كلب الجوع.

قال شقيق بن إبراهيم: لقيت إبراهيم بن أدهم بمكة في سوق الليل ـ عند مولد النبي ﷺ ـ يبكي وهو جالس بناحية من الطريق فعدلت إليه وقعدت عنده وقلت: ايش هذا البكاء يا أبا إسحاق؟ فقال: خير فعاودته مرة واثنتين وثلاثاً. فقال: يا شقيق استر عليّ. فقلت: يا أخي قل ما شئت. فقال لي: اشتهت نفسي منذ ثلاثين سنة سكباجاً فمنعتها جهدي حتى إذا كان البارحة كنت جالساً وقد غلبني النعاس إذا أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج. قال: فاجتمعت بهمتي عنه فقربه. وقال: يا إبراهيم كُلْ فقلت ما آكل ما قد تركته لله عز وجل، فقال له: قد أطعمك الله كُلْ؛ فما كان لي جواب إلاَّ أني بكيت، فقال لي: كُلْ رحمك الله، فقلت: قد أمرنا أن

(وعن يسار بن عمير) مولى عمر ثقة نزل الكوفة ليس له في الكتب الستة شيء، وإنما ذكره الحافظ في التهذيب للتمييز بينه وبين يسار مولى ابن عمر (**قال: ما نخلت لعمر دقيقاً قط إلا وأنا له عاص**) رواه الأعمش عن شقيق عنه أي لم يكن يأمرني بنخله فإذا نخلته خالفت أمره وكنت عاصياً له، (**وروي ان عتبة**) بن أبان (**الغلام**) رحمه الله تعالى (**كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم يأكله ويقول كسرة وملح حتى يتهيأ لي في الآخرة الشواء والطعام الطيب، وكان يأخذ الكوز فيغرف به من حب**) بضم الحاء وهو دَن الماء (**كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له: يا عتبة لو أعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء. فيقول لها: يا أم فلان قد سددت عني كلب الجوع**) أي شدته. أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو محمد بن حبان، حدثنا أحمد بن الحسن، حدثنا أحمد الدورقي، حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن ابن مهدي، حدثني أبي عن بكر قال: كان عتبة يأخذ دقيقه فيبله بالماء ويعجنه ويضعه في الشمس حتى يجف فإذا كان الليل جاء فأخذه وأكل منه لقماً. قال ثم يأخذ الكوز فيغرف من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له: يا عتبة لو أعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الماء. فيقول لها: يا أم فلان قد سددت عني كلب الجوع.

وحدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا جعفر بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثنا محمد بن الحسين، وحدثنا عبد الله بن الفرج العابد قال: كان عتبة يعجن دقيقه في الشمس ثم يأكله ويقول: كسرة وملح حتى يتهيأ في الدار الأخرى الشواء والطعام الطيب.

لا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم، فقال: كل عافاك الله فإنما أعطيته، فقيل لي: يا خضر اذهب بهذا واطعمه نفس إبراهيم بن أدهم فقد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منعها، اعلم يا إبراهيم أني سمعت الملائكة يقولون: من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يعط، فقلت: إن كان كذلك فها أنا بين يديك لأجل العقد مع الله تعالى، ثم التفت فإذا أنا بفتى آخر ناوله شيئاً وقال: يا خضر لقمه أنت، فلم يزل يلقمني حتى نعست فانتبهت وحلاوته في فمي، قال شقيق: فقلت أرني كفك، فاخذت بكفه فقبلتها وقلت: يا من يطعم الجياع الشهوات إذا صححوا المنع، يا من يقدح في الضمير اليقين، يا من يشفي قلوبهم من محبته، أترى لشقيق عبدك حالاً؟ ثم رفعت يد إبراهيم إلى السماء وقلت: بقدر هذا الكف عندك وبقدر صاحبه بالجود الذي وجد منك جد على عبدك الفقير إلى فضلك وإحسانك ورحمتك وإن لم يستحق ذلك؛ قال: فقام إبراهيم ومشى حتى أدركنا البيت [١].

وروي عن مالك بن دينار أنه بقي أربعين سنة يشتهي لبناً فلم يأكله. وأهدي إليه يوماً رطب فقال لأصحابه: كلوا فما ذقته منذ أربعين سنة. وقال أحمد بن أبي الحواري: اشتهى أبو سليمان الداراني رغيفاً حاراً بملح فجئت به إليه فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكي وقال: عجلت إلى شهوتي بعد إطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فأقلني! قال أحمد: فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى. وقال مالك بن ضيغم: مررت

(**وروي عن**) أبي يحيى (**مالك بن دينار**) البصري رحمه الله تعالى (**أنه بقي أربعين سنة يشتهي لبناً فلم يأكله**) أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق عثمان بن إبراهيم الحميري جليس مالك بن دينار عن مالك أنه قال لرجل من أصحابه: إني لأشتهي رغيفاً ليناً بلبن رائب. قال: فانطلق فجاء به. قال: فجعل له على الرغيف فجعل مالك يقلبه وينظر إليه ثم قال: اشتهيتك منذ أربعين سنة فغلبتك حتى كان اليوم تريد أن تغلبني إليك عني وأبى أن يأكله. (**وأهدي إليه رطب فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ أربعين سنة**) نقله صاحب القوت (**وقال أحمد بن أبي الحواري**) رحمه الله تعالى: (**اشتهى أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى (**رغيفاً حاراً بملح فجئت به إليه فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل يبكي وقال: عجلت إلى شهوتي بعد إطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فأقلني! قال أحمد: فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى**) رواه العباس بن حمزة عن أحمد بن أبي الحواري، وقد وقع مثل ذلك لداود الطائي من طريق محمد بن بشير قال: دخلت على داود الطائي المسجد فصليت معه المغرب، ثم أخذ بيدي

---

(١) من قوله: «قال شقيق بن إبراهيم» إلى قوله: «حتى أدركنا البيت» لم يرد في سياق الشرح.

بالبصرة في السوق فنظرت إلى البقل فقالت لي نفسي: لو أطعمتني الليلة من هذا فأقسمت أن لا أطعمها إياه أربعين ليلة، ومكث مالك بن دينار بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بسرة قط وقال: يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم. وقال طلقت الدنيا، منذ خمسين سنة، اشتهت نفسي لبناً منذ أربعين سنة طعاماً فوالله لا أطعمها حتى ألحق بالله تعالى. وقال حماد بن أبي حنيفة: أتيت داود الطائي والباب مغلق عليه فسمعته يقول: نفسي اشتهيت جزراً فاطعمتك جزراً، ثم اشتهيت تمراً فآليت ان لا

فدخلت معه البيت فقام إلى دنّ له كبير فأخذ منه رغيفاً يابساً فغمسه في الماء، ثم قال: ادن فكُل. قلت: بارك الله لك فافطر، فقلت له: يا أبا سليمان لو أخذت شيئاً من ملح. قال: فسكت ساعة ثم قال: إن نفسي تنازعني ملحاً ولا ذاق داود ملحاً في الدنيا حتى مات رحمه الله تعالى.

(وقال مالك بن ضيغم مررت على سوق بالبصرة فنظرت إلى البقل فقالت لي نفسي: لو أطعمتني الليلة من هذا) البقل، **(فأقسمت بالله أن لا أطعمها إياه أربعين سنة)** أراد بذلك مخالفتها وكسر شهوتها لتتأدب وتكف عن النزوع، **(ومكث مالك بن دينار)** رحمه الله تعالى **(بالبصرة خمسين سنة ما أكل رطبة لأهل البصرة ولا بسرة. وقال: يا أهل البصرة عشت فيكم خمسين سنة ما أكلت لكم رطبة ولا بسرة ما نقص مني ولا زاد فيكم وقال)** أيضاً **(طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي منذ أربعين سنة طعاماً فوالله لا أطعمتها حتى الحق بالله عز وجل)** ذكره ابن حبان في كتاب المصاحف. وقال: كان يكتب المصاحف بالأجرة ويتقوّت بأجرته، وكان يجانب الإباحات جهده ولا يأكل شيئاً من الطيبات، وكان من المتعبدة الصبر والمتقشفة الخشن، فقد روى أبو نعيم في الحلية عن أحمد بن جعفر عن عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبو معمر، حدثنا أبي، عن جدي قال: كنت عند مالك بن دينار، فأخذ جلد ساعده فقال: ما أكلت العام رطبة ولا عنبة ولا بطيخة فجعل يعدد كذا وكذا: ألست مالك بن دينار.

وأخرج أيضاً من طريق الهيثم بن معاوية، حدثني شيخ لي قال: كان رجل من الأغنياء بالبصرة وكانت له آنية نفيسة الجمال فساق القصة في عرضه إياها على مالك؟ وفيه فقال: مالك عجباً لك يا فلان أو ما تعلم أني قد طلقت الدنيا ثلاثاً. ومن طريق الحجاج بن نصير، حدثني المنذر أبو يحيى قال: رأيت مالكاً ومعه كراع من هذه الأكارع التي قد طبخت قال: فهو يشمه ساعة فساعة. قال: ثم مرّ على شيخ مسكين على ظهر الطريق يتصدق فقال: هاه يا شيخ فناوله إياه ثم مسح يده بالجدار ثم وضع كساءه على رأسه وذهب فلقيت صديقاً له فقلت له: رأيت من مالك كذا وكذا، فقال: أنا أخبرك كان يشتهيه منذ زمان فاشتراه فلم تطب نفسه أن يأكله فتصدق به.

(وقال حماد بن أبي حنيفة) النعمان بن ثابت الفقيه روى عن أبيه ضعفه ابن عدي **(أتيت داود)** بن نصير الطائي رحمه الله تعالى أزوره **(والباب مغلق عليه فسمعته يقول، اشتهيت**

تأكليه أبداً ، فسلمت ودخلت فإذا هو وحده . ومرّ أبو حازم يوماً في السوق فرأى الفاكهة فاشتهاها ، فقال لابنه : اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب إلى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة ، فلما اشتراها وأتى بها إليه قال لنفسه : قد خدعتيني حتى نظرت واشتهيت وغلبتيني حتى اشتريت ، والله لاذقتيه فبعث بها إلى يتامى من الفقراء .

وعن موسى الأشج انه قال : نفسي تشتهي ملحاً جريشاً منذ عشرين سنة . وعن أحمد ابن خليفة قال : نفسي تشتهي منذ عشرين سنة ما طلبت مني إلا الماء حتى تروى فما

جزراً فأطعمتك جزراً ثم اشتهيت تمراً فآليت أن لا تأكليه فسلمت ودخلت فإذا هو وحده) أخرجه أبو نعيم في الحية فقال : حدثنا إبراهيم بن عبد الله ، حدثنا محمد بن إسحاق.

وحدثنا أبو محمد بن حبان ، حدثنا أحمد بن علي بن الجارود قال : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثني عبيد الله بن عبد الكريم ، عن حماد بن أبي حنيفة فساقه . وفيه : آليت أن لا تأكليه أبداً فاستأذنت وسلمت ودخلت فإذا هو يعاتب نفسه .

وأخرج من طريق الوليد بن عقبة قال : حدثني جار لداود الطائي طال : سمعت داود يعاتب نفسه : اشتهيت البارد وتمراً فاطعمتك وأسقيتك لا ذاق داود تمرة ما دام في دار الدنيا . قال : فما ذاقها حتى مات .

وأخرج من طريق إسماعيل بن حسان قال : جئت إلى باب داود الطائي أريد أن أدخل عليه فسمعته يخاطب نفسه ، فظننت ان عنده انساناً يكلمه فأطلت الوقوف بالباب ، ثم استأذنت فقال : ادخل فدخلت ، فقال : ما بدا لك من الاستئذان قال : قلت سمعتك تتكلم فظننت ان عندك إنساناً تخاصمه . قال : لا ، ولكن أخاصم نفسي وأعطيت الله عهداً أن لا آكل الجزر والتمر حتى ألقاه .

(ومر أبو حازم) سلمة بن دينار الأعرج التابعي الثقة العابد **(يوماً في السوق فرأى الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه : اشتر لنا من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب إلى الفاكهة التي لا)** هي **(مقطوعة ولا ممنوعة ، فلما اشتراها وأتى بها إليه قال لنفسه : قد خدعتيني حتى نظرت واشتهيت وغلبتيني حتى اشتريت والله لاذقتيه فبعث بها إلى يتامى من الفقراء)** بالمدينة .

(وعن موسى بن الأشج) رحمه الله تعالى **(أنه قال : نفسي تشتهي ملحاً جريشاً منذ عشرين سنة)** فما أطعمتها إياه **(وعن أحمد بن خليفة)** رحمه الله تعالى **(قال نفسي تشتهي منذ عشرين سنة ما طلبت مني إلا الماء حتى تروي فما رويتها)** فمثل هذ التشديدات في ترك المباحات أرادوا بذلك كبحاً لها ومخالفة لشهواتها رجاء أن يسلم لهم حالهم مع الله تعالى . **(وروي أن**

آرويتها. وروي ان عتبة الغلام اشتهى لحماً سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال: استحييت من نفسي أن أدافعها منذ سبع سنين - سنة بعد سنة - فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها وتركتها على رغيف فلقيت صبياً فقلت، ألست أنت ابن فلان وقد مات أبوك؟ قال: بلى، فناولته إياها قالوا: وأقبل يبكي ويقرأ ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ [الإنسان: ٨] ثم لم يذقه بعد ذلك. ومكث يشتهي تمراً سنين، فلما كان ذات يوم اشترى تمراً بقيراط ورفعه إلى الليل ليفطر عليه قال: فهبت ريح شديدة حتى أظلمت الدنيا ففزع الناس، فأقبل عتبة على نفسه يقول: هذا لجرأتي عليك وشرائي التمر بالقيراط، ثم قال لنفسه: ما أظن أخذ الناس إلا بذنبك؟ على أن لا

عتبة) بن أبان **(الغلام)** رحمه الله تعالى **(اشتهى لحماً سبع سنين، فلما كان بعد ذلك قال: استحييت من نفسي أن أدافعها سنة بعد سنة فاشتريت قطعة لحم على خبز وشويتها وتركتها على رغيف، فلقيت صبياً فقلت)** له: **(ألست ابن فلان وقد مات أبوك؟ قال: بلى فناولته إياها. قالوا: وأقبل يبكي ويقرأ)** قوله تعالى: (**﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ ثم لم يذقه بعد ذلك)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا جعفر بن أحمد بن فارس، حدثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثنا أحمد بن عمر الأنباري، حدثنا أحمد بن حاتم أبو عبد الله البصري، حدثنا أحمد بن عطاء بن عبد الله اليربوعي قال: نازعت عتبة الغلام نفسه لحماً. فقال لها: اندفعي عني إلى قابل فما زال يدافعها سبع سنين حتى إذا كان في السابعة أخذ دانقاً ونصف فلاس، فأتى بها صديقاً له من أصحاب عبد الواحد بن زيد فقال: يا أخي ان نفسي تنازعني لحماً منذ سبع سنين وقد استحييت منها كم أعدها وأخلفها فخذلي رغيفين وقطعة من لحم بهذا الدانق ونصف، فلما أتاه به إذ هو بصبي قال: يا فلان ألست أنت ابن فلان وقد مات أبوك؟ قال: بلى قال: فجعل يبكي ويمسح رأسه وقال: قرة عيني من الدنيا أن تصير شهوتي في بطن هذا اليتيم، فناوله ما كان معه ثم قرأ ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾.

(ومكث) عتبة الغلام **(يشتهي تمراً سنين ثم اشترى تمراً بقيراط ورفعه إلى الليل ليفطر عليه. قال: فهبت ريح شديدة حتى أظلمت الدنيا ففزع الناس فأقبل عتبة على نفسه يقول: هذه)** الريح التي هبت. **(من جرأتي عليك وشرائي التمر بالقيراط، ثم قال لنفسه: ما أظن أخذ الناس إلا بذنبك عليّ أن لا تذوقيه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا جعفر بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثني خالد بن خداش، حدثنا عبد القادر بن عبد الرحيم قال: هاجت ريح بالبصرة حمراء ففزع الناس لها. قال: فجعل عتبة يبكي ويقول: واجرأتي عليك وشرائي التمر بالقراريط.

تذوقيه. واشترى داود الطائي بنصف فلس بقلاً وبفلس خلاً، وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه: ويلك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة، ثم لم يأكل بعد إلا قفاراً، وقال عتبة الغلام يوماً لعبد الواحد بن زيد: إن فلاناً يصف من نفسه منزلة ما أعرفها من نفسي فقال: لأنك تأكل مع خبزك تمراً وهو لا يزيد على الخبز شيئاً قال: فإن أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة؟ قال: نعم، وغيرها، فأخذ يبكي فقال له بعض أصحابه: لا أبكى الله عينك أعلى التمر تبكي؟ فقال عبد الواحد: دعه؛ فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك، وهو إذا ترك شيئاً لم يعاوده. وقال جعفر بن نصر: امرني الجنيد أن اشتري له التين الوزيري، فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور فوضعها في فمه

حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء، حدثنا أحمد الدورقي، حدثنا ابراهيم بن عبد الرحيم بن مهدي، حدثنا عبد السلام الزهراني، حدثنا أبو نعامة الزهراني قال: كان عتبة يفتل الشريط في بيت مع أصحاب له فهاجت ريح فأتيته وهو لا يدري، فقلت: يا عتبة أما ترى ما في السماء؟ قال: فطرح الشريط فقام فقال: يا عتبة تجترىء على ربك وتشتري التمر بالقراريط، وكان اشترى يومئذ بقيراط.

حدثنا أحمد بن سواد، حدثنا جعفر بن أحمد، حدثنا ابراهيم بن عبدالله الختلي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الثقفي البصري، حدثنا رياح القيسي قال: صحبت عتبة الغلام وقد اشترى تمراً بقيراط، فلما كان عند المغرب هاجت ريح فقال عتبة: إنما أشتهي التمر منذ سنة لم آكله حتى إذا أخذت شهوتي أردت أن تأخذني عندها لا آكلها فتصدق بها.

(**واشترى داود**) بن نصير (**الطائي**) رحمه الله تعالى (**بنصف فلس بقلاً وبفلس خلاً وأقبل ليلته كلها يقول لنفسه: ويلك يا داود ما أطول حسابك يوم القيامة، ثم لم يأكل بعده إلا قفاراً**) أي خبزاً يابساً وحده، (**وقال عتبة**) بن أبان (**الغلام يوماً لعبد الواحد بن زيد**) رحمها الله تعالى: (**إن فلاناً يصف من نفسه**) ولفظ القوت من قلبه (**منزلة ما أعرفها من نفسي**) ولفظ القوت: لا أعرفها ولم يذكر من نفسي: (**قالا: لأنك تأكل مع خبزك تمراً وهو لا يريد على الخبز شيئاً**) ولفظ القوت: إن فلاناً لا يأكل التمر وأنت تأكله. (**قال: فإن أنا تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة، قال: نعم وغيرها فأخذ يبكي قال له بعض أصحابه: لا أبكى الله عينك أعلى التمر تبكي؟ فقال عبد الواحد: دعه فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك، وإذا ترك شيئاً لم يعاوده**) ولفظ القوت: وهو إذا ترك شيئاً لم يعاود فيه أبداً.

(**وقال**) أبو محمد (**جعفر**) بن محمد بن نصير الخلدي البغدادي صحب الجنيد وانتمى إليه وصحب النوري ورويماً وسمنوناً مات ببغداد سنة ٣٤٨ (**أمرني الجنيد أن أشتري له التين فلما اشتريته أخذ واحدة عند الفطور فوضعها في فمه ثم ألقاها وجعل يبكي ثم قال: احمله**

ثم ألقاها وجعل يبكي، ثم قال: احمله فقلت له في ذلك فقال: هتف بي هاتف أما تستحي؟ تركته من أجلي ثم تعود إليـــه! وقال صالح المري: قلت لعطاء السلمي إني متكلف لك شيئاً فلا ترد عليَّ كرامتي، فقال: افعل ما تريد، قال: فبعثت إليه مع ابني شربة من سويق قد لتته بسمن وعسل، فقلت: لا تبرح حتى يشربها، فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردّها ولم يشربها، فعاتبته ولمته على ذلك وقلت: سبحان الله رددت عليَّ كرامتي! فلما رأى وجدي لذلك قال: لا يسوءك هذا؛ إني قد شربتها أوّل مرة وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم أقدر على ذلك، كلما أردت ذلك ذكرت قوله تعالى: ﴿يتجرَّعُهُ ولا يكادُ يسيغُهُ﴾ [إبراهيم: ١٧] الآية. قال صالح: فبكيت وقلت في نفسي: أنا في واد وأنت في واد آخر. وقال السري السقطي: نفسي منذ ثلاثين

فقلت له في ذلك فقال: هتف في قلبي هاتف أما تستحي تركته من أجلي ثم تعود إليه) أورده القشيري في الرسالة بلفظ: وقال جعفر بن نصير دفع إلى الجنيد درهماً وقال اشتر به التين الوزيري فاشتريته، فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فمه وألقاها وبكى وقال: أحمله فقلت له في ذلك. فقال: هتف بي هاتف في قلبي: أما تستحي شهوة تركتها من أجلي منذ ثلاثين سنة ثم تعود إليها.

(**وقال صالح**) بن بشير (**المري**) تقدم ذكره في كتاب العلم (**قلت لعطاء السلمي**) من رجال الحلية وقد تقدم ذكره أيضاً (**إني متكلف لك شيئاً فلا ترد عليّ كرامتي. فقال: افعل ما تريد فبعثت إليه مع ابني شربة من سويق قد لتته بسمن وعسل، فقلت: لا تبرح حتى يشربها، فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولمته على ذلك وقلت: سبحان الله رددت عليّ كرامتي، فلما رأى وجدي لذلك قال لا يسوءك هذا إني شربتها أوّل مرة، وقد راودت نفسي في المرة الثانية على شربها فلم أقدر كلما أردت ذلك تذكرت قوله تعالى: ﴿يتجرعه ولا يكاد يسيغه﴾ الآية قال صالح: فبكيت وقلت في نفسي أنا في واد وأنت في واد**) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثنا عمرو بن محمد بن رزين وعبد الله بن سليمان يزيد أحدهما على صاحبه عن صالح المري قال: كان عطاء السلمي قد أضر بنفسه حتى ضعف. قال: فقلت له، إنك قد أضررت بنفسك وأنا متكلف لك شيئاً فلا ترد عليّ كرامتي، قال افعل. قال: فاشتريت سويقاً من أجود ما وجدت وسمناً. قال: فجعلت له شربة فلتتها وحليتها فأرسلتها مع ابني وكوزاً من ماء فقلت، لا تبرح حتى يشربها. قال: فرجع فقال قد شربها، فلما كان من الغد جعلت له نحوها، ثم سرحت بها مع ابني فرجع بها لم يشربها. قال: فأتيته فلمته وقلت له: سبحان الله رددت علي كرامتي إن هذا مما يعينك ويقوّيك على الصلاة وعلى ذكر الله تعالى. قال: فلما رآني قد وجدت من ذلك قال: يا أبا بشر لا يسوءك الله قد شربت أوّل ما بعثت بها، فلما كان الغد زاولت نفسي على أن أسيغها فما قدرت على ذلك إذا أردت أن أشربه ذكرت هذه الآية ﴿يتجرّعه

سنة تطالبني أن أغمس جزرة في دبس فما أطعمتها . وقال أبو بكر الجلاء : أعرف رجلاً تقول له نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة أيام وأطعمني بعد ذلك شهوة أشتهيها ، فيقول لها : لا أريد أن تطوي عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة . وروي أن عابداً دعا بعض إخوانه فقرَّب إليه رغفاناً فجعل أخوه يقلب الأرغفة ليختار أجودها فقال له العابد : مه أي شيء تصنع ! أما علمت أن في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانع ، حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الأرض والرياح والأرض والبهائم وبنو آدم حتى صار إليك ، ثم أنت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به .

وفي الخبر : « لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعاً أولهم ميكائيل عليه السلام الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة ، ثم الملائكة التي تزجي

ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان﴾ الآية فبكى صالح عند هذا وقلت في نفسي ألا أراني في واد وأنت في آخر .

(وقال السري السقطي) رحمه الله تعالى (نفسي منذ ثلاثين سنة تطالبني أن أغمس جزرة في دبس فما أطعتها) أخرجه القشيري في الرسالة سماعاً عن أبي عبد الرحمن السلمي عن ابن العباس البغدادي ، عن جعفر بن نصير عن الجنيد قال : سمعت السري يقول : فساقه إلا أنه قال : منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة ، وقد تقدم .

(وقال أبو بكر بن الجلاء) رحمه الله تعالى وهو من مشايخ صاحب القوت ومن معاصريه : (أعرف رجلاً تقول له نفسه أنا أصبر لك عن طيّ عشرة أيام واطعمني بعد ذلك شهوة أشتهيها فيقول لها : لا أريد أن تطوي عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة) التي اشتهيتها . أورده صاحب القوت وقال : سمعت أبا بكر بن الجلاء يقول : أنا أعرف إنساناً فساقه .

(وروي) عن وهب بن منبه وغيره (أن عابداً دعا بعض إخوانه فقرب إليه رغفاناً) جمع رغيف ككثيب وكثبان (فجعل أخوه) أي العابد (يقلب) بعض (الأرغفة) جمع آخر لرغيف كحمير وأحمرة (ليختار أجودها) أي أحسنها (فقال له العابد : مه) أي كف عن هذا التقليب (أي شيء تصنع ، أما علمت أن في الرغيف الذي رغبت عنه) ولم تقنع به (كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا صانع) وظهرت كذا وكذا صنعة ؟ (حتى استدار) أي صار مستديراً (من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الأرض والرياح والأرض) التي أنبتت (والبهائم وبني آدم حتى صار إليك ثم أنت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به) هكذا أورده صاحب القوت من رواية وهب بن منبه قال (وقال) الآخر زيادة (وفي الخبر « لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعاً) ولفظ القوت ثلاثمائة وستون بين صانع وصنعة (أولهم ميكائيل) عليه السلام يقال ان اسمه عبد الرزاق وكنيته

السحاب والشمس والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض، وآخرهم الخباز ﴿وإن تعدّوا نِعمَةَ الله لا تحصُوها﴾ [النحل: ١٨] » وقال بعضهم: أتيت قاسماً الجوعي فسألته عن الزهد أي شيء هو؟ فقال: أي شيء سمعت فيه؟ فعددت أقوالاً فسكت فقلت: وأي شيء تقول أنت؟ فقال: اعلم أن البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد، وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وكان بشر بن الحرث قد اعتّل مرة فأتى عبد

أبو الفتوح (**الذي يكيل الماء من خزائن الرحمة**) أي من تحت العرش، (**ثم الملائكة التي تزجر السحاب**) أي تسوقه (**والشمس والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض وآخرهم الخباز ﴿وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها﴾** »). قال العراقي: هذا الحديث لم أجد له أصلاً.

قلت: رواه صاحب القوت عن وهب بن منبه باللفظ الأوّل، وعن غيره باللفظ الثاني والقصة واحدة وهي قصة دعاء العابد لبعض إخوانه وقد صرح صاحب القوت بذلك وميز بين السياقين حيث قال، وقال الآخر زيادة في الخبر: أي في هذا الخبر الذي ساقه وأراد به هذه القصة، ولم يرد صاحب القوت بقوله في الخبر أنه مرفوع إلى نبينا ﷺ، فمن هنا جاء الاشتباه والحق أن سياق المصنف مشعر بأنه في الخبر النبوي، ولكن حيث وجدنا أصل الكلام الذي هو مأخذ المصنف في كتابه هذا استرحنا فهو خبر إسرائيلي من قول ذلك العابد الذي دعا مخاطباً به أخاه، وهذا موضع شديد الالتباس وناهيك بالمصنّف مع جلالة قدره كيف يغفل عن ذلك ويزيد في كلامه لبساً حتى يظن من جاء بعده أنه كلام نبوي ولكن مراجعة الأصول الصحيحة تمنع من الوقوع في الغلط والله أعلم.

(**وقال بعضهم**) ولفظ القوت: وحدثونا عن بعض هذه الطائفة قال: (**أتيت قاسماً الجوعي**) هو القاسم بن عثمان الدمشقي قال ابن السمعاني في الانساب: ولعله كان يبقى جائعاً كثيراً فلقب بالجوعي، له كرامات، وروي عن أبي اليمان الحكيم بن نافع، وعنه محمد بن المعافي العابد، (**فسألته عن الزهد أي شيء هو؟ فقال**) لي (**أي شيء سمعت فيه فعددت أقوالاً**) قيلت فيه، (**فسكت**) ولفظ القوت: فقلت قالوا الزهد قصر الأمل فقال: حسن وايش سمعت أيضاً؟ فقلت: قالوا الزهد ترك الإدخار. فقال: حسن حتى عدد عليه أقوالاً، قال: فسكت، (**فقلت أي شيء تقول فيه أنت؟ فقال: اعلم أن البطن دنيا العبد فبقدر ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبقدر ما يملكه بطنه تملكه الدنيا**) زاد صاحب القوت: وعلى هذا المعنى كان شيخنا ابن سالم يقول: إذا أعطيت البطن حظه من الشبع طلبت كل جارحة حظها من اللهو فجمحت بذلك النفس إلى الهلكة، وإذا منعت البطن حظه قصرت كل جارحة عن حظها فاستقام القلب لذلك واعتدل.

(**وكان**) أبو نصر (**بشر بن الحرث**) الحافي رحمه الله تعالى (**قد اعتل مرة فأتى عبد**

الرحمن الطبيب يسأله عن شيء يوافقه من المأكولات؟ فقال: تسألني فإذا وصفت لك لم تقبل مني، قال: صف لي حتى أسمع، قال: تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلاً وتأكل بعد ذلك اسفيذباجا، فقال له بشر: هل تعلم شيئاً أقل من السكنجبين يقوم مقامه، قال: لا، قال: أنا أعرف. قال: ما هو؟ قال: الهندبا بالخل، ثم قال: أتعرف شيئاً أقل من السفرجل يقوم مقامه؟ قال: لا. قال: أنا أعرف، قال: ما هو؟ قال: الخرنوب الشامي، قال: فتعرف شيئاً أقل من الأسفيذباج يقوم مقامه؟ قال: لا. قال: أنا أعرف، ماء الحمص بسمن البقر في معناه، فقال له عبد الرحمن: أنت أعلم مني بالطب؟ فلم تسألني؟

فقد عرفت بهذا أن هؤلاء امتنعوا من الشهوات ومن الشبع من الأقوات، وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها، وفي بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلم يرخصوا لأنفسهم إلا في قدر الضرورة، والشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان: الملح شهوة لأنه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة. وهذا هو النهاية. فمن لم يقدر على ذلك فينبغي أن لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات، فكفى بالمرء

الرحمن المتطبب يسأله عن شيء يوافقه من المأكولات، **فقال**) له عبد الرحمن: (**تسألني فإذا وصفت لك لم تقبل مني قال**) له بشر: (**صف لي حتى أسمع**) فقال: تحتاج ان تستعمل ثلاثة أشياء فإن فيهن صلاح جسمك. (**قال: تشرب سكنجبينا**) وهو المعمول بالخل والعسل، (**وتمص سفرجلا، وتأكل بعد ذلك اسفيدباجا**) وهو الشورباج ويعرف بالمسلوقة فإنه يقوّي الجسد ويرطبه، (**فقال**) له بشر: (**هل تعلم شيئاً أقل**) ثمناً (**من السكنجبين يقوم مقامه؟ قال لا، قال انا أعرف، قال ما هو؟ قال الهندبا بالخل**) ثم قال: (**أتعرف شيئاً أقل**) ثمناً (**من السفرجل يقوم مقامه؟ قال: لا. قال: أنا أعرف. قال: ما هو؟ قال: الخرنوب الشامي**) ثم قال: (**أتعرف شيئاً أقل**) ثمناً (**من الاسفيدباجة يقوم مقامها، قال:**) أما هذا (**لا، قال: أنا أعرف. قال: ما هو؟ قال: ماء الحمص بسمن البقر في معناها، فقال له عبد الرحمن: أنت أعلم مني بالطب فلم تسألني**) هكذا أورده صاحب القوت، (**فقد عرفت بهذا أن هؤلاء**) الطائفة إنما (**امتنعوا من أكل الشهوات ومن الشبع من الأقوات، وكان امتناعهم للفوائد التي ذكرناها**) آنفاً وأنه كان **ذلك في بعض الأوقات لأنهم كانوا لا يصفو لهم الحلال فلا يرخصوا لأنفسهم إلا في قدر الضرورة**) ورعاً. (و) معلوم أن (**الشهوات ليست من الضرورات حتى قال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى: (**الملح شهوة، لأنه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة**) ولفظ القوت وكانوا يقولون ما زاد على الخبز فهو شهوة حتى الملح، (**وهذا هو النهاية فمن لم يقدر على ذلك**) بل زاد على الخبز (**فينبغي أن لا يغفل عن نفسه**) ولا يهملها في عاداتها (**ولا ينهمك في الشهوات**) بل يقتصر على الخبز على شهوة واحدة ملحاً أو أداماً آخر، ومن جمع بين ادام كثيرة فقد انهمك في الشهوات، (**فكفى بالمرء إسرافاً أن**

سرافاً أن يأكل كل ما يشتهيه، ويفعل كل ما يهواه فينبغي أن لا يواظب على أكل اللحم وقال علي كرم الله وجهه: من ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه ومن داوم عليه أربعين يوماً قسا قلبه وقيل: إن للمداومة على اللحم ضراوة كضراوة الخمر. ومهما كان جائعاً وتاقت نفسه إلى الجماع فلا ينبغي أن يأكل ويجامع، فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه، وربما طلبت النفس الأكل لينشط في الجماع ويستحب أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل أو يجلس فيذكر الله تعالى فإنه أقرب إلى الشكر. وفي الحديث: «أذيبوا طعامكم بالذكر والصلاة ولا تناموا عليه

يأكل من كل ما يشتهيه ويفعل كل ما يهواه) فقد روى ابن ماجه وابن أبي الدنيا في كتاب الجوع، والبيهقي في الشعب من حديث أنس أن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت، وفي لفظ «إن من الإسراف» وسنده ضعيف فيه بقية، وحاله معروف. عن يوسف بن أبي كثير ضعيف، عن نوح بن ذكوان منكر الحديث، عن الحسن عن أنس. ولذا أورده ابن الجوزي في الموضوعات وتعقب بأن له شواهد بعضها أمثل من بعض، وبعضها حسن، وبعضها من تصحيح الحاكم فالسرف على كل حال في الأكل، والفعل مذموم، ومن أسرف في ماله أسرف في دينه ومن فعل ذلك خالف طريق السلف، **(فينبغي)** للمتقشف من المريدين **(أن لا يواظب على أكل اللحم)** أو الدسم بل يقتصر عليها في الشهر مرتين، فإن أكله أربعاً فلا بأس به قد كان السلف يفعلون كذلك، كذا في القوت. **(قال علي كرّم الله وجهه «من ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه ومن داوم عليه أربعين يوماً قسا قلبه»)** كذا في القوت، **(وإن المداومة على اللحم لها ضراوة)** أي لهج بالانسان **(كضراوة الخمر)** فإن من ضرى بها لا يقدر على تركها إلا بمشقة، فكذلك اللحم فينبغي لأجل ذلك عدم الملازمة عليه لئلا تعتاده النفس فيكون فطمها صعباً، ونظر إلى أن ترك اللحم مما يسيء الخلق ويخل بجوهر العقل. كان سهل التستري رحمه الله تعالى يقول للمتقللين من أهل عبادان: احفظوا عقولكم وتعاهدوها بالأدهان والدسم فإنه ما كان ولي لله ناقص العقل.

(ومهما كان) المريد **(جائعاً وتاقت نفسه إلى الجماع فلا ينبغي أن يأكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين)** ويجمع لها بين حظين، بل يقتصر عل الجماع دون الأكل وإذا جمع بينهما فهي تطلبها فربما طلبت النفس الجماع للتعفف وهي تريد الأكل، **(وربما طلبت النفس الأكل لتنشط في الجماع)** وفي الجمع بين شهوتين تقوية للنفس وإجراء عادة لها. **(ويستحب)** للمريد إذا أكل **(أن لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور)** والكسل **(ويقسو قلبه لذلك)** و**(لكن ليصل أو يجلس يذكر الله تعالى)** بأي ذكر ألهمه الله تعالى في وقته، **(فإنه أقرب إلى الشكر)** لنعمة الله عز وجل. **(وفي الحديث «اذيبوا طعامكم)** أي اهضموه **(بالصلاة والذكر)** وفي لفظ بذكر الله والصلاة **(ولا تناموا عليه)** قبل انهضامه عن أعالي المعدة

فتقسو قلوبكم». وأقل ذلك أن يصلي أربع ركعات أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءاً من القرآن عقيب أكله. فقد كان سفيان الثوري إذا شبع ليلة أحياها وإذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر، وكان يقول: أشبع الزنجي وكدّه ومرة يقول: أشبع الحمار وكدّه. ومهما اشتهى شيئاً من الطعام وطيبات الفواكه فينبغي أن يترك الخبز ويأكلها بدلاً منه لتكون قوتاً، ولا يكون تفكهاً لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة.

نظر سهل إلى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له: ابدأ بالتمر فإن قامت كفايتك به

(فتقسو) منصوب بفتحة على الواو ولأنه جواب النهي (قلوبكم») أي تغلظ وتشتد وتكتسب ظلمة وحجاباً. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، وابن السني في اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف اهـ.

قلت: رواه عبد الرحمن بن مبارك عن بزيع عن هشام عن عروة عن عائشة، ومن هذا الطريق أخرجه الطبراني في الأوسط وابن السني، وكذا أبو نعيم في الطب، والبيهقي وقد روي أيضاً من طريق أبي الأشعث، عن أصرم بن حوشب، عن عبدالله الشيباني، عن هشام. ومن هذه الطريق أخرجه ابن السني وقد تكلم في الحديث من جهة بزيع، وأصرم بن حوشب. وكثر فيهما الكلام. وحكم ابن الجوزي بوضعه وقال: بزيع متروك وأصرم كذاب، وقد تعقبه الحافظ السيوطي في اللآلىء المصنوعة وغاية ما يقال فيه إنه ضعيف ولذا اقتصر عليه العراقي.

(**وأقل ذلك أن يصلي أربع ركعات**) بتسليمتين (**أو يسبح مائة تسبيحة أو يقرأ جزءاً من القرآن عقب كل أكلة**) كذا في القوت فإن وجد نشاطاً أطال في صلاته إما بإطالة القراءة في الركعات أو زاد على عدد الركعات، فإن لحركة الاعضاء قياماً وقعوداً سراً بليغاً في إذابة الطعام، وكذا إن زاد على التسبيح بالتهليل والتكبير فحسن ليجمع الباقيات الصالحات. وكان بعض مشايخنا يأمر للمريد بعد أكله أن يراقب بالجلالة ويستمر عليه لحظات. قال: فإنه يمري الطعام في الحال، (**فقد كان سفيان الثوري**) رحمه الله تعالى (**إذا شبع في ليلة أحياها**) بالقيام، (**وإذا شبع في يوم واصله بالصلاة والذكر، وكان**) يتمثل و(**يقول: اشبع الزنجي**) أي العبد الأسود (**وكده**) أي اتعبه في الخدمة (**ومرة يقول: أشبع الحمار وكده**) وكان إذا جاع كأنه يتراخى في ذلك كذا في القوت وأصله عند أبي نعيم في الحلية، (**ومهما اشتهى**) المريد (**شيئاً من الطعام وطيبات الفواكه فينبغي أن يترك الخبز ويأكلها بدلاً منه**) أي يجعل ما اشتهاه بدلاً من الخبز ويقطع به جوعه (**ليكون**) ذلك له (**قوتاً**) عند الحاجة إلى طعم، (**ولا يكون تفكهاً لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة**) فإنه أسرع للملكه لأنه إذا شبع من الطيبات غير الخبز شبعة أو شبعتين كان أقرب إلى تركه وانقطاع شهوته.

(**نظر**) أبو محمد (**سهل**) التستري رحمه الله تعالى (**إلى**) أبي الحسن علي بن (**سالم**) البصري

وإلا أخذت من الخبز بقدر حاجتك: ومهما وجد طعاماً لطيفاً وغليظاً فليقدم اللطيف فإنه لا يشتهي الغليظ بعده، ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضاً للطافته. وكان بعضهم يقول لأصحابه: لا تأكلوا الشهوات فإن أكلتموها فلا تطلبوها فإن طلبتموها فلا تحبوها، وطلب بعض أنواع الخبز شهوة. قال عبد الله بن عمر رحمة الله عليهما: ما تأتينا من العراق فاكهة أحب إلينا من الخبز فرأى ذلك الخبز فاكهة.

وعلى الجملة: لا سبيل إلى اهمال النفس في الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال

شيخ صاحب القوت رحمهما الله تعالى (**وفي يده خبز وتمر فقال له: ابدأ بالتمر فإن قامت كفايتك به وإلا أخذت من الخبز بعده حاجتك**) وقال: ان التمر مبارك والخبز مشؤم يعني انه كان سبب إخراج آدم عليه السلام من الجنة، وأما بركة التمر فإن الله تعالى ضرب النخلة مثلاً لكلمة التوحيد في قوله: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ [إبراهيم: ٢٤] وهي النخلة وليس في الثمار أحلى من الرطب، ولذلك شبه رسول الله ﷺ المؤمن في حلاوته ولينه وقوّته وثبات أصله بالنخلة. فقال: لا يسقط ورقها مثلها كمثل المؤمن يقول سهل رحمه الله تعالى: إذا استغنيت عن الخبز بغيره من الطعم كان خيراً لك يريد أن لا تقف نفسك مع عادة فتنازعك إليها. نقله صاحب القوت. قال: وقد ذكرت هذه الحكاية لأبي بكر الجلاء فأعجبته وقال: هذا كلام الحكماء وكان ذلك يلائم حاله، (**ومهما وجد**) المريد (**طعاماً**) ذو لونين (**لطيفاً وغليظاً**) بالإضافة إلى أحدهما (**فليقدم اللطيف فلعل كفايته تتم به**) فإنه لا يشتهي الغليظ بعده فيستريح منه، (**ولو قدم الغليظ لأكل اللطيف أيضاً للطافته**) فإنما قدم أهل الدنيا غليظ الألوان على الرقيق ليتسعوا في الأكل وتتفتق شهواتهم فيكون لكل لون لطيف مكان آخر، وشبه بعضهم المعدة بمنزلة جراب ملآنة جوزاً حتى لم يبق فيه فضل للجوز فجئت بسمسم فصببته عليه، فأخذ لنفسه موضعاً في خلال الجوز فوسع الجراب السمسم للطفه مع الجوز، فكذلك المعدة إذا ألقيت فيها طعاماً رقيقاً لطيفاً بعد طعام خشن غليظ أخذته الشهوات في أماكنها فتمكن فيها بعد الشبع مما قبله، والعرب تعيب ذلك ولا تفعله إذ من سنتها أن تبتدىء باللحم قبل الثريد. قال رجل من العرب لبعض الأنباط: أنت من الذي يبتدئون بالثريد قال الشواء فذمّ أهل العراق بذلك هذا إذا استوى اللونان في الحكم ولم يكن للمريد في ترك الأفضل منهما نية فأما إن كان ترك الشهوات قد قدمت إليه وكان على عقد نية وقوّة عزمه فلا بأس بأكل الأدون (**وكان بعضهم يقول لأصحابه: لا تأكلوا الشهوات فإن أكلتموها فلا تطلبوها فإن طلبتموها فلا تحبوها**) نقله صاحب القوت، (**وطلب بعض أنواع الخبز شهوة**) حتى قال بعضهم: الخبز من أكبر الشهوات. (**قال عبد الله بن عمر**) رضي الله عنهما: (**ما تأتينا من العراق فاكهة أحب إلينا من الخبز**) رواه صاحب القوت، (**فرأى ذلك الخبز**) المخصوص (**فاكهة**) بالإضافة إلى غيره.

(**وعلى الجملة لا سبيل إلى إهمال النفس في الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال**)

فبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى أن يقال له يوم القيامة ﴿أذهبتُم طيِّباتكُم في حياتكُمُ الدّنيا واستمتعتُم بها﴾ [الأحقاف: ٢٠] وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدار الآخرة بشهواته.

قال بعض أهل البصرة: نازعتني نفسي خبز أرز وسمكاً فمنعتها، فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة، فلما مات قال بعضهم: رأيته في المنام فقلت ماذا فعل الله بك؟ قال: لا أحسن أن أصف ما تلقاني به ربي من النعم والكرامات، وكان أول شيء استقبلني به خبز أرز وسمكاً. وقال كل اليوم شهوتك هنيئاً بغير حساب. وقد قال تعالى: ﴿كُلُوا واشربوا هنيئاً بما أسلفْتُم في الأيام الخالية﴾ [الحاقة: ٢٤] وكانوا قد

فإنه يخشى منه على المريد أن يتخذه عادة ولا يأمن من تألم قلبه وتوقان نفسه إليه ومنازعتها إياه، لاسيما إذا كان مبتدئاً في السلوك غراً لا يعرف خبء النفس ودواهيها ولا يفطن لمكرها وآفتها، فإن ترك ذلك أفضل فليتركها حينئذ لأجل الله تعالى خوفاً أن يشتهيه فيحرص على مثله ويدخل مداخل السوء من أجله ويبيع دينه فيه أو خشية تمكن العادة منه فتتعذر عليه التوبة لدخوله في الشبهات عند اعتياد الشهوات لأن العادة جند من جنود الله تعالى يقهر العلم لأجله تعذرت الاستقامة، ولولا العادة لكنا تائبين، ولولا الابتلاء لكان التائبون مستقيمين فليترك حينئذ أكل الطيبات إذا صارت شهوات وخشي منها مطالبة العادات ودواعي النفس بالآفات، ناوياً بذلك صلاح قلبه وتسكين نفسه ليملك بذلك نفسه قبل أن تملكه وتفطم عادتها قبل أن تهلكه ويغلب بالترك طبعه وهواه قبل أن يكونا بالشهوة يغلباه، (**فبقدر ما يستوفي العبد من شهوته يخشى أن يقال يوم القيامة ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع في الدار الآخرة بشهواته**) وقد كان هذا طريق طائفة من السلف إلى الله تعالى، ثم انقرضوا فانمحى طريقهم وخلف من بعدهم خلف من العلماء اتبعوا الشهوات ولم يتغالوا في هذه المقامات ولا سلك بهم هذه الطرقات فلم يتكلموا في طرق الشهوات، فلذلك درس هذا الطريق وعفا أثره لفقد سالكه وعدم كاشفه، فمن عمل به وسلكه فقد أظهره ومن أظهره فقد أحيا أهله.

(**قال**) صاحب القوت: حدثني (**بعض**) علمائنا عن بعض المريدين من (**أهل البصرة**) قال: (**نازعتني نفسي خَبزاً**) ولفظ القوت خبز أرز (**وسمكاً فمنعتها فقويت مطالبتها واشتدت مجاهدتي**) لها (**عشرين سنة. قال: فلما مات رآه بعضهم في المنام قال**) ولفظ القوت قال: فمات فرأيته في النوم فقلت: (**ماذا فعل الله بك؟ فقال: لا أحسن أن أصف لك ما تلقاني به ربي من النعم والكرامات**) ولفظ لقوت من النعيم والكرامة، (**وكان أول شيء استقبلني به خبز**) أرز (**وسمكاً وقال: كل اليوم شهوتك هنيئاً بغير حساب**) إلى هنا آخر القصة.

(**وقد قال**) الله (**تعالى: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية**) أي الماضية

أسلفوا ترك الشهوات. ولذلك قال أبو سليمان ترك شهوة من الشهوات انفع للقلب من صيام سنة وقيامها وفقنا الله لما يرضيه.

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه:

اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق: الوسط، إذ خير الأمور أوساطها وكلا طرفي قصد الأمور ذميم. وما أوردناه في فضائل الجوع ربما يومىء إلى أن الإفراط فيه مطلوب وهيهات، لكن من أسرار حكمة الشريعة أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى وكان فيه فساد جـاء الشرع بالمبالغة في المنع منه، على وجه يومىء عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الإمكان. والعالم يدرك أن المقصود الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع حتى

(و) كأنهم كانوا **(قد أسلفوا ترك الشهوات)** لما تركوها وقدموا الجوع والعطش في خلو أيامهم فاستقبلهم بالأكل والشرب، ويقال لكل عمل جزاء في الآخرة من جنسه وبمعناه **(ولذلك قال أبو سليمان)** الداراني رحمه الله تعالى: **(ترك شهوة من الشهوات أنفع للعبد من صيام سنة وقيامها)** لفظ القوت: ترك شهوة من شهوات النفس انفع للقلب من صيام سنة وقيامها وهو الذي قال: لأن أترك لقمة من عشائي أحب إلي من قيام ليلة ذلك وقد تقدم قريباً. وكان رحمه الله تعالى شديد الأمر في الجوع وكان قد ترك أكل الشهوات وأكل الخبز أيضاً ثلاثين سنة كما نقله صاحب القوت.

بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته واختلاف أحوال الناس فيه:

(اعلم أن المطلوب الأقصى في جميع الأمور والأخلاق الوسط إذ خير الأمور أوسطها) كما ورد في الخبر وتقدم الكلام عليه **(وكلا طرفي قصد الأمور ذميم)** قال صاحب القوت، قال وهب بن منبه: لكل شيء وسط وطرفان، فإذا أمسكت أحد الطرفين مال الآخر وإن أمسكت الوسط اعتدل الطرفان.

قلت: أخرجه صاحب الحلية من طريق عبد الصمد بن معقل عن عمه وهب وزاد ثم قال: عليكم بالأوسط من الأشياء **(وما أوردناه في فضائل الجوع فربما يومىء)** أي يشير **(إلى أن الإفراط مطلوب وهيهات فمن أسرار حكمة الشريعة)** الخفية، **(أن كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الأقصى)** أي الأبعد **(وكان فيه فساد)** إما حالاً أو مآلا **(جاء الشرع بالمبالغة في المنع منه)** والزجر عنه **(على وجه يومىء عند الجاهل)** بالأسرار **(إلى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الإمكان والعالم)** الكامل في معرفته **(يدرك)** من ذلك **(أن المقصود)** هو **(الوسط لأن الطبع إذا طلب غاية الشبع، فالشرع ينبغي أن يمدح غاية الجوع**

يكون الطبع باعثاً والشرع مانعاً فيتقاومان ويحصل الاعتدال، فإن من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية، فإنه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضاً ما يدل على إساءته كما أن الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار، ثم لما علم النبي ﷺ من حال بعضهم أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه، فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلاً فإن مقصود الآكل بقاء الحياة وقوة العبادة، وثقل المعدة يمنع من العبادة وألم الجوع أيضاً يشغل القلب ويمنع منها. فالمقصود أن يأكل أكلاً لا يبقى للمأكول فيه أثر ليكون متشبهاً بالملائكة فإنهم مقدسون عن ثقل الطعام وألم الجوع، وغاية الإنسان الاقتداء بهم، وإذا لم يكن للإنسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال.

ومثال طلب الآدمي البعد عن هذه الأطراف المتقابلة بالرجوع إلى الوسط مثال نملة ألقيت في وسط حلقة محمية على النار مطروحة على الأرض، فإن النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها. فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز

حتى **يكون الطبع باعثاً والشرع مانعاً فيتقاومان ويحصل الاعتدال، فإن من يقدر على قمع الطبع بالكلية بعيد فيعلم أنه لا ينتهي إلى الغاية فإنه إن أسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع أيضاً ما يدل على إساءته كما أن الشرع بالغ في الثناء على قيام الليل وصيام النهار، ثم لما علم النبي ﷺ من حال بعضهم**) وهو عبدالله بن عمرو بن العاصي (**أنه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه**) كما هو في الصحيحين ومرّ في كتاب صلاة الليل. (**فإذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالإضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا تثقل المعدة و**) بحيث (**لا يحس بألم الجوع، بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه الجوع أصلاً فإن مقصود الأكل بقاء** رمق **الحياة وقوة العبادة**) بأن يكون أداؤه للفرائض من قيام، (**وثقل المعدة يمنع من العبادة**) أي من القيام اليها (**وألم الجوع أيضاً يشغل القلب ويمنع منه**) فكلاهما من المشوشات، (**فالمقصود أن يأكل أكلاً لا يبقى للمأكول فيه أثر**) لا في ظاهره ولا باطنه (**ليكون متشبهاً بالملائكة**) عليهم السلام، (**فإنهم**) عباد مكرمون (**مقدسون من ثقل الطعام وألم الجوع وغاية الإنسان**) في فضله (**الاقتداء بهم**) واللحوق بزمرتهم، (**وإذا لم يكن للإنسان خلاص من الشبع والجوع فأبعد الأحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب الآدمي البعد عن هذه الأطراف المتقابلة بالرجوع إلى الوسط مثال نملة ألقيت في وسط حلقة محمية بالنار مطروحة على الأرض، فإن النملة تهرب من حرارة الحلقة وهي محيطة بها لا تقدر على الخروج منها**

الذي هو الوسط، فلو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقة المحيطة، فكذلك الشهوات محيطة بالإنسان إحاطة تلك الحلقة بالنملة، والملائكة خارجون عن تلك الحلقة، ولا مطمع للإنسان في الخروج وهو يريد أن يتشبه بالملائكة في الخلاص، فأشبه أحواله بهم البعد، وأبعد المواضع عن الأطراف الوسط، فصار الوسط مطلوباً في جميع هذه الأحوال المتقابلة. وعنه عبر بقوله ﷺ: «خير الأمور أوساطها» وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كُلُوا واشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١] ومهما لم يحس الإنسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته، ولكن هذا بعد اعتدال الطبع.

أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جموحاً متشوّقة إلى الشهوات مائلة إلى الإفراط

فلا تزال تهرب) في كل ناحية منها (حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط، فلو ماتت ماتت على الوسط لأن الوسط هو أبعد المواضع عن الحرارة التي في الحلقةالمحيطة، فكذلك الشهوات محيطة بالإنسان إحاطة تلك الحلقة بالنملة والملائكة خارجون عن تلك الحلقة ولا مطمع للإنسان في الخروج) منها إذ هي خلقت معه فلا تفارقه، (وهو) مع ذلك (يريد أن يتشبه بالملائكة) بخروجه عن الصفات البهيمية: (في الخلاص) منها (فأشبه أحواله بهم البعد) عن الشهوات، (وأبعد المواضع عن الأطراف الوسط فصار الوسط مطلوباً في جميع هذه الأخلاق المقابلة وعنه عبر بقوله ﷺ: «خير الأمور أوسطها») قال العراقي رواه البيهقي في الشعب مرسلاً وقد تقدم.

قلت: أخرجه من قول مطرف، وكذلك رواه ابن جرير في التفسير أيضاً، ويروى من قول يزيد بن مرة الجعفي رواه ابن جرير أيضاً وروي ذلك عن علي مرفوعاً بسند فيه مجاهيل، ورواه السمعاني في الذيل، وأبو بكر الجياني في الأربعين، ويروى أيضاً عن ابن عباس أخرجه الديلمي بلا سند وقد تقدم الكلام على ذلك مفصلاً.

(وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾) وكذا قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ الآية [الإسراء: ٢٩] وكذا قوله تعالى: ﴿لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ [الفرقان: ٦٧] وقال تعالى: ﴿أنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك﴾ [البقرة: ٦٨] (ومهما لم يحس الإنسان بجوع ولا شبع تيسرت له العبادة والفكر) والمراقبة ونحوها (وخف في نفسه وقوى على العمل في خفته) وفي بعض النسخ وقوي بالعمل على خفته، (ولكن هذا بعد اعتدال الطبع).

(أما في بداية الأمر إذا كانت النفس جوحة) رافعة رأسها (متشوقة إلى الشهوات

فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في إيلامها بالجوع، كما يبالغ في إيلام الدابة التي ليست مروضة بالجوع والضرب وغيره إلى أن تعتدل، فإذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلامها، ولأجل هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو في نفسه فيأمر بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه الفواكه والشهوات، وقد لا يمتنع هو منها، لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التعذيب. ولما كان أغلب أحوال النفس الشره والشهوة والجماح والامتناع عن العبادة، كان الأصلح لها الجوع الذي تحس بألمه في أكثر الأحوال لتنكسر نفسه.

والمقصود أن تنكسر حتى تعتدل فترد بعد ذلك في الغذاء أيضاً إلى الاعتدال وإنما يمتنع من ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة إما صديق وإما مغرور أحمق.

أما الصديق فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق، وأما المغرور: فلظنه بنفسه أنه الصديق المستغني عن تأديب نفسه الظان بها خيراً وهذا غرور عظيم وهو الأغلب، فإن النفس قلما تتأدب تأدباً كاملاً، وكثيراً ما

مائلة إلى الافراط فالاعتدال لا ينفعها بل لا بد من المبالغة في إيلامها) أي إتعابها (**بالجوع كما يبالغ في إيلام الدابة التي ليست مروضة**) أي منقادة مهذبة (**بالجوع والضرب وغيرهما إلى أن تعتدل**) وهذا مشاهد، (**فإذا ارتاضت واستوت ورجعت إلى الاعتدال ترك تعذيبها وإيلامها**) وأطلق لها الإكرام، (**ولأجل هذا السر يأمر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه هو في نفسه فيأمره بالجوع**) والصبر عليه (**وهو**) بنفسه (**لا يجوع ويمنعه**) تناول (**الفواكه والشهوات**) ويحذره منها (**وهو لا يمتنع منها**) بل يتناولها، (**لأنه قد فرغ من تأديب نفسه فاستغنى عن التأديب**) إذ صارت مذللة في العبادة، (**ولما كان الأغلب على النفس الشره والشهوة والجماح والامتناع عن العبادة**) بالتكاسل (**كان الأصلح لها الجوع الذي تحس بألمه في أكثر الأحوال لتنكسر**)، فالامتناع عن العبادة ثمرة الكسل والكسل ثمرة امتلاء المعدة، وكذا الجماع إنما يحركه باعث الشهوة والشهوة تنبعث عن الطعام وقس عليها بقية الأوصاف الذميمة والجوع مقطعة للكل. (**والمقصود أن تنكسر**) النفس (**حتى تعتدل فترد بعد ذلك أيضاً في الغذاء إلى الاعتدال، وإنما يمتنع من ملازمة الجوع من سالكي طريق الآخرة**) رجلان: (**إما صديق**) قد بلغ الغاية القصوى في مرتبة صدقه في العبادة، (**وإما مغرور أحمق**).

(**أما الصديق: فلاستقامة نفسه على الصراط المستقيم واستغنائه عن أن يساق بسياط الجوع إلى الحق**) فهو لا يلازم الجوع ولا حد له في أكله ولا توقيت، (**وأما المغرور: فلظنه بنفسه أنه الصديق المستغني عن تأديب نفسه**) وترويضها (**الظان بها خيراً وهذا غرور**

تغتر فتنظر إلى الصديق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض ينظر إلى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحة فيهلك، والذي يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ـ ليس مقصوداً في نفسه ـ وإنما هو مجاهدة نفس متنائية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال أن رسول الله ﷺ لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم، وكان يدخل على أهله فيقول: «هل عندكم من شيء»؟ فإن قالوا: نعم. أكل وإن قالوا لا. قال: «إني إذاً صائم» وكان يقدم إليه الشيء فيقول: «أما أني قد كنت أردت الصوم ثم يأكل». وخرج ﷺ يوماً وقال: «إني صائم» فقالت له عائشة رضي الله عنها قد أهدي إلينا حيس فقال: «كنت أردت الصوم ولكن قرّبيه».

عظيم) وقع في الناس (وهو الأغلب) على أحوالهم، (فإن النفس قلما تتأدب تأدباً كاملاً وكثيراً ما تغتر فتنظر إلى الصديق ومسامحته) نفسه في ذلك، (فيسامح نفسه فيكون حاله كالمرض ينظر إلى من قد صح من مرضه فيتناول ما يتناوله) الصحيح (ويظن بنفسه الصحة فيهلك، والذي يدل على أن تقدير الطعام بمقدار يسير في وقت مخصوص ونوع مخصوص ليس مقصوداً في نفسه وإنما هو) لأجل (مجاهدة نفس) جوحة (متنائية عن الحق غير بالغة رتبة الكمال) فهي رياضة المريدين وطريق المجاهدين (أن رسول الله ﷺ لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه) ولا تجزئة ولا تقسيم.

(قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم) رواه البخاري ومسلم، (وكان) ﷺ (يدخل على أهله فيقول: «هل عندكم من شيء». فإن قالوا نعم أكل، وإن قالوا لا قال: «إني إذاً لصائم») قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث عائشة وهو عند مسلم بنحوه كما سيأتي. (وكان) ﷺ (يقدم إليه الشيء فيقول: «إما أني قد أردت الصوم ثم يأكل») قال العراقي: رواه البيهقي من حديث عائشة بلفظ: «وإني قد كنت فرضت الصوم» وقال: إسناده صحيح وعند مسلم: «قد كنت أصبحت صائماً» (وخرج ﷺ يوماً وقال: «إني صائم» فقالت عائشة رضي الله عنها: قد أهدي لنا حيس) وهو تمر ينزع نواه ويدق مع إقط ويعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد وربما جعل معه السويق، (فقال: «كنت أردت الصوم ولكن قربيه») قال العراقي: رواه مسلم بلفظ: «قد كنت أصبحت صائماً وفي رواية له: «أدنيه فلقد أصبحت صائماً فأكل» وفي لفظ للبيهقي: «إني كنت أريد الصوم ولكن قربيه» اهـ.

قال صاحب القوت: الأفضل لمن عقد لله تعالى صوماً إن يتمه فإن فسخه لغير الله عوقب على

ولذلك حكي عن سهل أنه قيل له: كيف كنت في بدايتك؟ فأخبر بضروب من الرياضات، منها أنه كان يقتات ورق النبق مدة، ومنها أنه أكل دقاق التين مدة ثلاث سنين ثم ذكرانه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين فقيل له: فكيف أنت في وقتك هذا؟ فقال: آكل بلا حد ولا توقيت، وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت: أني آكل كثيراً بل أني لا أقدر بمقدار واحد ما آكله. وقد كان معروف الكرخي يهدى إليه طيبات الطعام فيأكل، فقيل له: إن أخاك بشراً لا يأكل مثل هذا. فقال: إن أخي بشراً قبضه الورع وأنا بسطتني المعرفة، ثم قال: إنما أنا ضيف في دار مولاي فإذا أطعمني أكلت وإذا جوّعني صبرت، ما لي والاعتراض والتمييز؟ ودفع إبراهيم بن أدهم إلى بعض إخوانه دراهم

ذلك من عقوبات القلوب أو عقوبات الجوارح في طرقات الآخرة فتلك عقوبة ترك فضائل الأعمال قال بشر بن الحرث رحمه الله تعالى: إن فلاناً الغني يصوم الدهر، فقال المسكين ترك حاله ودخل حال غيره إنما حاله أن يطعم الجياع ويكسو العراة ويؤاسي المحتاجين، فهذا أفضل له من صيامه الدهر ثم قال بشر: عبادة الغني كروضة على مزبلة وعبادة الفقير كعقد الجوهر في جيد الحسناء. ودخل سفيان الثوري رحمه الله تعالى يوماً على أبي إسحاق الفزاري فقدم إليه قصعة فيها خبيص فقال: لولا أني صائم لأكلت معك. قال الفزاري: دخل علي أخوك إبراهيم بن أدهم فقعد في موضعك هذا فقدمت إليه خبيصاً في هذه القصعة فأكل، فلما أراد الانصراف قال: أما أني كنت صائماً إلا أني أحببت أن آكل معك أسرك بذلك، فوضع الثوري يده فجعل يأكل وتأدب بإبراهيم.

(**ولذلك حكي عن سهل**) التستري رحمه الله تعالى (**أنه قيل له: كيف كنت في بدايتك**) أي ابتداء حالك في السلوك (**فأخبر بضروب من الرياضات**) وأنواع من المجاهدات. (**منها: أنه كان يقتات ورق النبق مدة، ومنها أنه أكل دقاق التين**) وهو ما تكسر منه (**مدة ثلاث سنين، ثم ذكر أنه اقتات بثلاثة دراهم في ثلاث سنين**) قيل: وما هو؟ قال: كنت اشتري في كل سنة بدانقين تمراً وأربعة دوانيق كسباً ثم أعجنها عجنة ثم أجزئها ثلاثمائة وستين كبة أفطر في كل ليلة على كبة قال (**فقيل له فكيف أنت في وقتك هذا؟ قال: آكل بلا حد ولا توقيت**) نقله صاحب القوت وقد تقدم له، وللمصنف قريباً نحو هذه وكذا أورده القشيري في الرسالة في ترجمة سهل. (**وليس المراد بقوله بلا حد ولا توقيت أني آكل كثيراً بل**) المراد (**أني لا أقدر بمقدار واحد ما آكله، وقد كان**) أبو محفوظ (**معروف**) بن فيروز (**الكرخي**) رحمه الله تعالى (**يهدى إليه طيب الطعام فيأكل فقيل له: إن أخاك بشر**) بن الحرث الحافي (**لا يأكل مثل هذا. فقال: إن أخي بشراً قبضه الورع، وأنا بسطتني المعرفة، ثم قال: إنما أنا ضيف في دار مولاي، فإذا أطعمني أكلت، وإذا جوعني صبرت مالي والإعتراض والتمييز**) وفي نسخة التخير هكذا أورده صاحب القوت. (**ودفع إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله

وقال: خذ لنا بهذه الدراهم زبداً وعسلاً وخبزاً حواري، فقيل: يا أبا إسحاق بهذا كله؟ قال: ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاماً كثيراً ودعا إليه نفراً يسيراً فيهم الأوزاعي والثوري فقال له الثوري: يا أبا إسحاق أما تخاف أن يكون هذا سرافاً؟ فقال: ليس في الطعام إسراف إنما الإسراف في اللباس والأثاث.

فالذي أخذ العلم من السماع والنقل تقليداً يرى هذا من إبراهيم بن أدهم ويسمع عن مالك بن دينار أنه قال: ما دخل بيتي الملح منذ عشرين سنة، وعن سري السقطي أنه منذ أربعين سنة يشتهي أن يغمس جزرة في دبس فما فعل. فيراه متناقضاً فيتحير ويقطع بأن أحدهما مخطىء والبصير بأسرار العلم يعلم إن كل ذلك حق ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال، ثم هذه الأحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط أو غبي مغرور، فيقول المحتاط: ما أنا من جملة العارفين حتى اسامح نفسي فليس نفسي اطوع من نفس سري السقطي ومالك بن دينار، وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدي بهم والمغرور

تعالى (**إلى بعض إخوانه دراهم فقال: خذ لنا بهذه زبداً وعسلاً وخبزاً حوري فقيل له: يا أبا إسحاق هذا كله**) كأنه استكثره (**قال: ويحك إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدمنا صبرنا صبر الرجال**) نقله صاحب القوت وأصله في الحلية لأبي نعيم، (**وأصلح إبراهيم**) بن أدهم (**مرة طعاماً كثيراً ودعا إليه نفراً يسيراً فيهم**) أبو عمرو (**الاوزاعي و**) سفيان (**الثوري فقال له الثوري: يا أبا إسحاق أما تخاف أن يكون هذا إسرافاً؟ فقال: ليس في الطعام إسراف إنما الإسراف في اللباس والأثاث**) نقله صاحب القوت وأصله في الحلية لأبي نعيم، (**فالذي أخذ العلم من السماع والنقل تقليداً**) محضاً (**يرى هذا**) الصنيع (**من إبراهيم بن أدهم ويسمع عن مالك بن دينار**) أبي يحيى البصري (**أنه قال: ما دخل بيتي الملح منذ عشرين سنة**) أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**وعن**) السري (**السقطي**) رحمه الله تعالى (**أنه منذ أربعين سنة يشتهي أن يغمس جزرة في دبس فما فعل**) أخرجه القشيري في الرسالة بالشك منذ ثلاثين سنة أو أربعين ورواية صاحب القوت منذ ثلاثين من غير شك، (**فيراه متناقضاً**) مع بعضه (**فيتحير**) عند الوقوف عليه، (**ويقطع بأن أحدهما مخطىء**) لا محالة (**والبصير**) العارف الناقد (**بأسرار العلم يعلم أن ذلك حق، ولكن بالإضافة إلى اختلاف الأحوال**) والأشخاص (**ثم هذه الأحوال المختلفة يسمعها فطن محتاط**) لدينه (**أو غبي مغرور**) بحاله وعلمه، (**فيقول المحتاط: ما أنا من جملة العارفين حتى أسامح نفسي**) ما سامح به أولئك القوم، (**فليس نفسي أطوع من نفسِ سري السقطي ومالك بن دينار**) رحمها الله تعالى ومن يكون مثلهما. (**وهؤلاء من الممتنعين عن الشهوات فيقتدي بهم**، والمغرور **يقول: ما نفسي**

يقول: ما نفسي بأعصى علي من نفس معروف الكرخي وإبراهيم بن أدهم، فاقتدي بهم وارفع التقدير في مأكولي، فأنا أيضاً ضيف في دار مولاي فمالي وللاعتراض؟ ثم أنه لو قصر أحد في حقه وتوقيره أو في ماله وجاهه بطريقة واحدة قامت القيامة عليه، واشتغل بالاعتراض. وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى، بل رفع التقدير في الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم إلا لمن ينظر من مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله علامة في استرساله وانقباضه، ولا يكون ذلك إلا بعد خروج النفس عن طاعة الهوى والعادة بالكلية حتى يكون أكله إذا أكل على نية كما يكون إمساكه بنية، فيكون عاملاً لله في أكله وإفطاره، فينبغي أن يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فإنه كان يرى رسول الله ﷺ يحب العسل ويأكله ثم لم يقس نفسه عليه بل لما عرضت عليه شربة باردة

بأعصى علي من نفس معروف الكرخي، وإبراهيم بن أدهم) رحمها الله تعالى **(فاقتدي بهم وارفع التقدير في مأكولي أنا ضيف في دار مولاي فما لي وللاعتراض ثم أنه لو قصر أحد في حقه وتوقيره وفي ماله وجاهه)** بل وحاشيته **(بطريقة واحدة قامت القيامة عليه واشتغل بالاعتراض)** ولم يبق في المجال شيئاً **(وهذا مجال رحب)** أي واسع **(للشيطان مع الحمقى)** قلائل العقول، **(بل رفع التقدير)** والتوقيت **(في الطعام والصيام وأكل الشهوات لا يسلم إلا لمن ينظر في مشكاة الولاية والنبوة فيكون بينه وبين الله تعالى علامة في استرساله وانقباضه)** قال صاحب القوت: بعد أن أورد الأحاديث المتقدمة في الصيام والأكل وكان بينه ﷺ وبين الله تعالى علامة في صومه وفطره، وكان الوجود علامة فطره ويكون مراداً به وكان العدم علامة صومه يكون معه مراداً به. قال: وعلى هذا المعنى تصريف قلوب العارفين ومن هذه المشكاة تضيء بصائر الشاهدين ولا يوكلون إلى حال ولا يوقفون مع مقام، **(ولا يكون ذلك)** ولا يتم **(إلا بعد)** تمام ثلاث خصال: إحداها: **(خروج النفس عن مسامحة الهوى و)** توقانها **(إلى العادة بالكلية)**، والثانية: حسن النية **(حتى يكون أكله إذا أكل على نية كما يكون امتناعه)** من الأكل **(بنيه)** فيستوي فطره وصومه إذا كان العامل فيهما واحداً **(فيكون عاملاً لله في أكله وإفطاره)**. والثالثة: أن يحفظ الجوارح الست بحسن الرعاية وهن السمع والبصر واللسان والقلب واليد والرجل، ويكون مفطراً بالبطن والفرج فيكون ما حفظ أكثر وأبلغ وأحب إلى الله تعالى، ويكون أفضل ممن صام بجارحتين وإن لم يكن ممن أصبح صائماً ثم أفطر بهذه الأوصاف الثلاث دخلت عليه الشهوة الخفية فيما روي عنه ﷺ أنه لما قال: «أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية» فقيل: ما الشهوة الخفية؟ فقال: «أن يصبح أحدكم صائماً ثم يعرض له الطعام يشتهيه فيفطر لأجله». **(فينبغي أن يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فإنه كان يرى رسول الله ﷺ يحب العسل ويأكله)** قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة: كان يحب الحلواء والعسل الحديث. وفيه قصة شربه للعسل عند بعض نسائه، **(ثم لم يقس نفسه بذلك بل لما عرضت عليه شربة باردة**

ممزوجة بعسل جعل يدير الإناء في يده ويقول: أشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها. اعزلوا عني حسابها وتركها.

وهذه الأسرار لا يجوز لشيخ أن يكاشف بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه إلى الاعتدال، فإنه يقصر لا محالة عما يدعوه إليه، فينبغي أن يدعوه إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغني عن الرياضة فإن الشطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي إليه كل ساعة: أنك عارف كامل، وما الذي فاتك من المعرفة والكمال، بل كان من عادة إبراهيم الخوّاص أن يخوض مع المريد في كل رياضة كان يأمره بها كي لا يخطر بباله أن الشيخ لم يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته، والقوي إذا اشتغل بالرياضة وإصلاح الغير لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبهاً بهم وتلطفاً في سياقتهم إلى السعادة وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء، وإذا كان حد الاعتدال خفياً في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي أن لا يترك في كل حال ولذلك أدب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله إذ دخل عليه فوجده يأكل لحماً مأدوماً

ممزوجة بعسل جعل يدير الإناء في يده ويقول: اشربها وتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها، وتركها)، وقد علم أنه كان حلالاً فامتنع من شربه خوفاً من الحساب وقد تقدم ذلك قريباً.

(**وهذه الأسرار**) الخفية (**لا يجوز لشيخ من شيوخ الطريقة أن يكاشف بها مريده، بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه إلى الاعتدال فإنه يقصر لا محالة عما يدعوه إليه فينبغي أن يدعوه إلى غاية الجوع حتى يتيسر له الاعتدال**) فيما بعد، (**ولا يذكر له أن العارف الكامل يستغني عن الرياضة**) وتهذيب الأخلاق، (**فإن الشيطان يجد لذلك من قلبه متعلقاً فيلقي إليه كل ساعة إنك عارف كامل، وما الذي فاتك من المعرفة والكمال**) فيقع المريد في غرور عظيم ولا يجيء منه شيء في الطريق، (**بل كان عادة**) أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد (**الخواص**) رحمه الله تعالى من أقران الجنيد مات بالري سنة ٢٩١ (**أن يخوض مع المريد في كل رياضة يأمره بها كي لا يخطر بباله أن الشيخ لم**) أي لأي شيء (**يأمره بما لم يفعل فينفره ذلك من رياضته**) فكان يفعل ذلك الشيخ دفعاً لنفوره قطعاً لما يخطر في باله، (**والقوي** الشديد **إذا شغل بالرياضة وإصلاح الغير لزمه النزول إلى حد الضعفاء تشبهاً بهم وتلطفاً في**) حسن (**سياقهم إلى السعادة، وهذا ابتلاء عظيم للأنبياء والأولياء**) ومن على قدمهم، وقد خفي ذلك على كثيرين فلم يحيطوا به علماً (**وإذا كان حد الاعتدال خفياً في حق كل شخص فالحزم والاحتياط ينبغي أن لا يترك في كل حال**) حتى يقع على حد الاعتدال فيتمسك به ويستقيم عليه، (**ولذلك أدب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده يأكل**

بسمن فعلاهُ بالدرة قال: لا أم لك كُلْ يوماً خبزاً ولحماً، ويوماً خبزاً ولبناً، ويوماً خبزاً وسمناً، ويوماً خبزاً وزيتاً، ويوماً خبزاً وملحاً، ويوماً خبزاً قفاراً. وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم والشهوات فافراط وإسراف ومهاجرة اللحم بالكلية إقتار وهذا قوام بين ذلك والله تعالى أعلم.

بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك كل الشهوات أو قلل الطعام:

اعلم أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما أعظم من أكل الشهوات.

إحداهما: أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة. وهذا هو الشرك الخفي. سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له: هل تعلم به بأساً؟ قال: يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة. وهذه آفة عظيمة بل حق العبد إذا

لحماً مأدوماً بسمن) أي مطبوخاً به (**فعلاه بالدرة**) أي السوط، (**وقال: لا أم لك**) لا تفعل هكذا (**كل يوماً خبزاً ولحماً**) وهما أعلى الطعام والادم (**ويوماً خبزاً ولبناً، ويوماً خبزاً وسمناً، ويوماً خبزاً وزيتاً**) وهؤلاء الثلاثة من أعلى الطعام وأوسط الأدم (**ويوماً خبزاً وملحاً**) وهما من أعلى الطعام وأدنى الأدام (**ويوماً خبزاً قفاراً**) أي وحده بلا أدام (**وهذا هو الاعتدال فأما المواظبة على اللحم**) في كل يوم (**و**) على (**الشهوات**) كالفواكه وغيرها (**فإفراط وإسراف**) منهي عنهما (**ومهاجرة اللحم بالكلية إقتار**) وهو أيضاً منهي عنه، (**وهذا قوام بين ذلك**) قال الله تعالى: ﴿وكان بين ذلك قواماً﴾ [الفرقان: ٦٧] والله أعلم.

بيان آفة الرياء المتطرق إلى من ترك أكل الشهوات أو قلل الطعام:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أنه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما**) في الحقيقة (**أعظم من أكل الشهوات**) فينبغي للمريد أن يتعاهد نفسه من طروّهما.

(**إحداهما: أن لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد أن يعرف بأنه يشتهيها فيخفي الشهوة ويأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة**) وليس هذا من طريق الموقنين ولا مسلك الصادقين، (**وهذا هو الشرك الخفي**) كذا في سائر نسخ الكتاب والأولى، وهذا من الشهوة الخفية وهي التي جاء في الخبر «أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية» فالرياء بالمعاملات وخفي الشهوة أن يشتهي أن يعرف ويوصف بترك الشهوات كما هو في سياق القوت، وليس فيه ذكر للشرك الخفي وإن كان بحسب المعنى صحيحاً (**سئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له: هل تعلم به بأساً؟ قال:**) لا إلا في شيء واحد مكروه (**يأكل في الخلوة ما لا يأكل مع الجماعة**) فاعله بذلك كذا في القوت قال ولعمري انه موضع علة لأن الصادقين من كانوا يأكلون في الجماعة ما لا يأكلون في الخلوة فهذا ضد حالهم (**وهذه**

ابتلي بشهوات وأحبها أن يظهرها فإن هذا صدق الحال وهو بدل عن فوات المجاهدات بالأعمال، فإن إخفاء النقص وإظهار ضده من الكمال هو نقصانان متضاعفان، والكذب مع الإخفاء كذبان فيكون مستحقاً لمقتين ولا يرضى منه إلا بتوبتين صادقتين. ولذلك شدد أمر المنافقين فقال تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ [النساء: ١٤٥] لأن الكافر كفر وأظهر وهذا كفر وستر، فكان ستره لكفره كفراً آخر لأنه استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إلى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي، ولا يبتلون بالرياء والغش والإخفاء، بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطاً لمنزلته من قلوب الخلق

آفة عظيمة بل حق العبد إذا ابتلي بالشهوات) أي بأكلها (وأحبها أن يظهرها) ولا يخفيها وليشترها بنفسه ولا يسترها (فإن هذا) من (صدق الحال) وهو طريق السلف، (وبدل عن فوات المجاهدات بالأعمال) قالوا: إن فاتته المجاهدة في الأعمال فلا يفوتنه الصدق في الحال وإن لم يكن صديقاً فليصدق في كذبه فإن الصدق في الكذب أصل الصدقين، (فإن إخفاء) الكذب و(النقص وإظهار ضده من) الإخلاص (والكمال) هما (نقصانان متضاعفان والكذب مع الإخفاء) هما (كذبان) لأنه نقص، وأظهر حال الكاملين واعتل وأبدى شعار المعصومين فكذب من طريقين (فيك مستحقاً لمقتين) أي للمقت من وجهين، (فلا يرضى منه إلا بتوبتين، ولذلك شدد الله) تعالى (أمر المنافقين) فغضب عليهم ومقتهم مقتين ثم لم يرض منهم إلا بتوبتين واشترط عليهم شرطين (فقال تعالى: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾) يعني أسفل من الكفار (لأن الكافر كفر وأخلص) في كفره (وأظهره) فسوّى بين ظاهره وباطنه (وهذا) أي المنافق (كفر) وأشرك في إيمانه (فستر) فخالف بين ظاهره وباطنه، (فكان ستره الكفر كفراً آخر لأنه استخف بنظر الله تعالى إلى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحا الكفر عن ظاهره) فزاد الله في هوانه وشدد في توبته بما وكده في شرطه فقال: ﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله﴾ [النساء: ١٤٦] وهذا مما لا يمتحن به عالم بالله تعالى ولا غافل عن الله تعالى ولله الحمد. (والعارفون) قد (يبتلون بالشهوات) أي بأكلها (بل المعاصي) والذنوب لما تجري عليهم (ولا يبتلون بالرياء) أي رياء المخلوقين (والغش والإخفاء) وليس للسلف في هذا الباب إلا طريقان أحدهما: ما أشار إليه المصنف بقوله: (وكما العارف أن يترك الشهوات لله تعالى) ويجاهد النفس (في الله تعالى) والعارفون في طريق هذه المجاهدة على قسمين: فمنهم من كان يخفيه لأنه أسلم له، ومنهم من كان يظهره لأنه مؤمن قوي نيته في ذلك القدوة والتأسي، وإلى هذا القسم أشار المصنف بقوله: (ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطاً لمنزلته من قلوب الخلق) وطريق آخر: كان فيه طائفة من العلماء والعاملين فكانوا يأكلون الطيبات ويتسعون في المآكل إذا وجدوها إلا أنهم كانوا يظهرون

وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها في البيت وهو فيها من الزاهدين، وإنما يقصد به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوشون عليه حاله.

فنهاية الزهد: الزهد في الزهد بإظهار ضدّه وهذا عمل الصديقين فإنه جمع بين صدقين كما أن الأول جمع بين كذبين. وهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميه، فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطي جهراً فيأخذ ويرد سراً ليكسر نفسه بالذل جهراً وبالفقر

ذلك ويكشفون نفوسهم به، فإن فاتك الطريق الأقرب الأعلى فاسلك الطريق الأسلم الأوسط، فأما أن يكون عبد يأكل بالشهوات في السر ويخفيها في العلانية أو يظهر شعار ضدها من الترك لها والزهد فيها فليس هذا طريق الموقنين ولا مسلك الصادقين. وهذا قد عرج عن طريق المسالك وسلك سبيل المهالك فإياك أن تترك محجة الطريق فتقع في حيرة المضيق.

روي أن عابداً من بني إسرائيل انتهى من سياحته إلى أرض لقوم رأى في وسطها طريقاً مستطرقاً تسلك فيه السابلة فقال: هذه أرض لقوم كيف أسلكها شق عليه أن يجاوز الأرض فيبعد عليه طريقه فتفكر وقال: هذا طريق مسلوك لا بأس علي أن أسلكه فسلكه، فلما خرج من تلك الأرض عوقب على ذلك ونسي ذنبه فجعل يستكشف فقيل له: لأنك سلكت عليَّ على غير طريق ودخلت حرث قوم بغير إذنهم فقال: يا رب معذرة إليك إني رأيته قد جعل طريقاً فأوحى الله إليه أو كل ما اتخذ الظالمون طريقاً جعلته إلي سبيلاً فمن سلك طريق ظالم بغرور لم يكن في ذلك معذوراً وأوقعه في الحيرة والغرور، فهلك وأهلك من اقتدى به. وهذا طريق متصنع جاهل متطرق بذلك إلى الدنيا يتسوق عند الناس بترك الشهوات مظلم التوحيد في الوحدة ضعيف اليقين في غيبته عن العيون، (**وقد كان بعضهم**) من الصادقين من السلف (**يشتري الشهوات بنفسه**) ويعلقها في البيت ويظهر للناس شعار الزاهدين (**وهو فيها**) عند الله (**من الزاهدين**) لا يأكلها (**وإنما يقصد بذلك**) إسقاط منزلته من قلوب الجاهلين و(**التلبيس**) أي الإخفاء (**لحاله**) عن الناظرين (**ليصرف نفسه قلوب الغافلين**) ويشتري بالمعاملات لتنقطع عنه المقالات (**حتى لا يتشوش حاله**) لأن هذا مقام من زهد في الأشياء وأخفى زهده، (**فنهاية**) الخفاء (**الزهد الزهد في الزهد بإظهار ضده**) واستشعار المزهود فيه ثم لا يتناول ولا يتمتع به، فيكون هذا أشد من المجاهدة. (**وهذا عمل الصديقين**) وحال الصادقين وطريق الأقوياء من أهل الإرادات، (**فإنه جمع بين صدقين كما أن الأول جمع بين كذبين، وهذا قد حمل على النفس ثقلين**) ثقل المنع من الحظ وثقل سقوط المنزلة عند الخلق فعدمت النفس لذة المتعة به وفقدت إثبات المنزلة بتركه (**وجرعها كأس الصبر مرتين مرة بشربه ومرة برميه**) وقذفه، (**فلا جرم أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي طريق من يعطي جهراً**) وعلانية (**فيأخذ، ويرد سراً**) وخفية (**ليكسر نفسه في الأخذ بالذل جهراً**) إذ فيه سقوط الجاه

سراً . فمن فاته هذا فلا ينبغي أن يفوته إظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه . ولا ينبغي أن يغره قول الشيطان : إنك إذا أظهرت اقتدى بك غيرك فاستره إصلاحاً لغيرك ، فإنه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره ، فهذا إنما يقصد الرياء المجرد ويروّجه الشيطان عليه في معرض إصلاح غيره ، فلذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه وإن علم أن من أطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل أو لا ينزجر باعتقاده أنه تارك للشهوات .

الآفة الثانية: أن يقدر على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به فيشتهر بالتعفف عن الشهوات ، فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة الأكل وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه ، وتلك هي الشهوة الخفية فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة آكد من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى له . قال أبو سليمان : إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركاً لها فأصب منها شيئاً يسيراً ولا تعط نفسك مناها ، فتكون

بظهور الرغبة (وبالفقر) والزهد (سراً) فلا هو متع نفسه بالجاه مع الرد ولا هو أنالها حظها بتناوله مع الأخذ ، وهذا من أشد شيء على النفس وهو طريق علماء الزهاد ، ومن أخرجه سلكه إلى مقام الصديقية ، وهذان طريقان قد درسا وعفا أثرهما في هذا الزمان وما قبله بكثير لا يسلكه إلا من عرفه الفرد بعد الفرد والسابلة من القراء على طرقات التصنع والتزين برآء ، (**فمن فاته هذا**) الطريق الأقرب الأسهل (**فلا ينبغي أن يفوته إظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه**) فإنه أيضاً محجة الطريق ، ومن لم يسلكها وقع في حيرة المضيق ، (**فلا ينبغي أن يغره قول الشيطان إنك إن أظهرت**) ذلك للناس (**اقتدى بك غيرك فاستره إصلاحاً لغيره**) وهذا غرور ، (**فأنه لو قصد إصلاح غيره لكان إصلاح نفسه أهم عليه من غيره**) ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ، (**فهذا إنما يقصد الرياء المجرد ويروجه الشيطان عليه**) ويزينه له (**في معرض إصلاح غيره ، فلذلك ثقل عليه ظهور ذلك منه ، وإن علم أن من اطلع عليه ليس يقتدي به في الفعل ولا ينزجر باعتقاده أنه تارك للشهوات .**

(**الآفة الثانية : أن يقدم على ترك الشهوات لكنه يفرح أن يعرف به**) بين الناس (**فيشتهر بالتعفف عن الشهوات**) أي ترك كل شهوة لأجل الشهرة ثم اشتهى أن يعرف بتركها فهذا شهوة الشهوات (**فقد خالف شهوة ضعيفة وهي الأكل وأطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه**) فقد وقع في أعظم مما كره ومتعته بشهوة النظر إليه والمدح له أكبر من متعته بترك شهوته المأكولة (**وذلك هي الشهوة الخفية**) التي جاء في الخبر أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية ، وفسروها بأن يشتهي أن يعرف ويوصف بترك الشهوات ، (**فمهما أحس بذلك من نفسه فكسر هذه الشهوة آكد من كسر شهوة الطعام فليأكل فهو أولى. قال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى : (**إذا قدمت إليك شهوة وقد كنت تاركاً لها فاصب منها شيئاً**

قد أسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت عليها إذ لم تعطها شهوتها. وقال جعفر بن محمد الصادق: إذا قدمت إلى شهوة نظرت إلى نفسي فإن هي أظهرت شهوتها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها، وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيئاً، وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية.

وبالجملة، من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان كمن هرب من عقرب وفزع إلى حية، لأن شهوة الرياء أضر كثيراً من شهوة الطعام والله ولي التوفيق.

يسيراً ولا تعط نفسك) منها **(** مناها، فتكون قد أسقطت عن نفسك الشهوة و **)** تكون قد **(** نقصت عليها **)** إذ لم تبلغ **(** شهوتها **)** قال صاحب القوت، فإن فعل هذا فحسن لأن أبا سليمان خاف عليه ما ذكرناه قبيل من أن يظهر ترك الشهوة فيصير منعه باعتقاد فضله من ترك الشهوات أبلغ من أكل الشهوات، أو أن يأكلها فتشرف عليها نفسه ببلوغ شهوته التي كان تركها لعلة الإخلاص كما تقول العامة بعلة الصبي تشبع الدابة فإن بقي يقينه وغاب الخلق عن عينه تركها وقلبه مطمئن بالإيمان لأنه لم يعتل بالنظر فيتداوى بالتناول للبعض فأما إن كان قد اعتقد ترك شهوة لمعنى دخل عليه منها يخرجه من الورع أو بعزم على المجاهدة ثم أتى بها، فهذا اختبار من الله له لينظر كيف يعمل بالوفاء بالعقد فاحب إلي أن لا ينال منها شيئاً وليتعلل وليدافع عن نفسه بالمعاريض والمعاني حتى لا يفطن به أنه تركها للمجاهدة فيكون قد فعل الوصفين معاً الوفاء بالعقد في تركها والتورية بلطيف الحيلة عن الفطنة له في قصده، وهذا طريق المريدين وصفات المتقين وهو الطريق الأدنى الذي ذكرناه أولاً فإن ظهر قرب الله تعالى منه وغلبه نظره إليه أغناه عن الحيلة والاحتيال لقربه وشهادة ذي الجلال والإكرام وهو الطريق الأعلى الذي ذكرناه آخراً وهذا للموقنين.

(وقال جعفر بن محمد **)** بن علي بن الحسين **(** الصادق **)** رحمه الله تعالى **(** إذا قدمت إليّ الشهوة نظرت إلى نفسي فإن هي أظهرت شهوتها **)** لها **(** أطعمتها منها، وكان ذلك أفضل من منعها وإن أخفت شهوتها وأظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيئاً **)** نقله صاحب القوت وقال: وتفسير ذلك أن إظهار النفس للشهوة أن لا تبالي أن تعرف بأكل الشهوات وأن تحب أن يظهر على ذلك من يعرف من أهل الديانات وإخفاء النفس للشهوة أن تشتهي وتحب أن يعلمها أنها تحب وتشتهي وتكره أن تعرف بأنها ممن تشتهيها، **(** وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية **)** التي هي شهوة الشهوات.

(وبالجملة: من ترك شهوة الطعام ووقع في شهوة الرياء كان **)** في المثال **(** كمن هرب من عقرب وفزع إلى حية لأن شهوة الرياء أضر من شهوة الطعام **)** كما تقدم.

القول في شهوة الفرج: اعلم أن شهوة الوقاع سلطت على الإنسان لفائدتين:

إحداهما: أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة. فإن لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد، كما أن النار وآلامها أعظم آلام الجسد. والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة، فإن ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق.

الفائدة الثانية: بقاء النسل ودوام الوجود فهذه فائدتها. ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم ترد إلى حد الاعتدال. وقد قيل في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦] معناه شدة الغلمة، وعن ابن عباس: في قوله تعالى ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [العلق: ٣] قال: هو

القول في شهوة الفرج:

(**اعلم**) أيدك الله (**أن شهوة الوقاع**) أي المجامعة بين الرجل وزوجته (**سلطت على الإنسان لفائدتين**):

(**أحداهما: أن يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة**) إذ ليس كل الناس يعرف اللذات المعقولة ولو توهمناها مرتفعة لما تشوّقوا إلى لذات الجنة، (**فإن لذة الوقاع**) هي لذة ساعة (**لو دامت لكانت أقوى لذات الأجساد**) كلها (**كما أن النار وألمها أعظم آلام الجسد والترغيب والترهيب يسوق الناس إلى سعادتهم وليس ذلك إلا بألم محسوس ولذة محسوسة مدركة، فإن ما لا يدرك بالذوق لا يعظم إليه الشوق**) ولا تحصل فيه الرغبة.

(**الفائدة الثانية: بقاء النسل ودوام الوجود**) ونظام العالم، (**فهذه فائدتها**) فلولا الشهوة ما كان الوقاع، ولولا الوقاع ما كان النسل فالله سبحانه جعلها سبباً لهذا الإيجاد، ولذلك قال ﷺ «تناكحوا تكثروا» وقال «خير النساء الولود الودود وشرها العقيم» وقال «تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم» وقال «سوداء ولود خير من حسناء عقيم» ولقصد النسل حظر إتيان المرأة في محاشها وكره العزل تأكيداً للمقصود من النكاح، (**ولكن فيها من الآفات ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط**) على القانون (**وتقهر وترد إلى حدّ الاعتدال**) الذي هو خير الأمور، (**وقد قيل في تأويل قوله تعالى ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ معناه الغلمة**) قال صاحب القوت: رويناه عن قتادة. قلت: وأخرج ابن أبي حاتم عن مكحول ما لا طاقة لنا به قال: العزبة والإنعاظ والغلمة. وأخرج السدي قال: من التغليظ والإغلال إلى الغلمة.

(**وعن أبن عباس**) رضي الله عنهما (**في قوله تعالى ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ قال: هو قيام الذكر**) قال صاحب القوت: رويناه عن ابن عباس.

قيام الذكر. وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله ﷺ إلا أنه قال في تفسيره: الذكر إذا دخل.

وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله، وكان ﷺ يقول في دعائه: «أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وهني ومنيّي». وقال عليه السلام: «النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطة على الرجال».

قلت: والمشهور عن ابن عباس في تفسيره قال: الليل إذا أقبل هكذا أخرجه ابن جرير وابن المنذر، وروي عنه أيضاً الغاسق الظلمة. والوقب: شدة سواده إذا دخل في كل شيء أخرجه الطستي في فوائده، وروي عن مجاهد قال: يعني الليل إذا دخل. هكذا رواه ابن جرير وابن المنذر، وإن صح ما قاله المصنف فهو نقل غريب عن ابن عباس، وقوله: هو قيام الذكر كأنه تفسير للوقوب والغاسق هو الذكر وهو في غريب اللغة.

(وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله ﷺ إلا أنه قال في تفسيره الذكر إذا دخل) هكذا ذكره صاحب القوت.

قلت: وهذا أغرب من الأوّل ولغرابة القولين نقلهما صاحب القاموس في كتابه وأسندهما للمصنف وهو إنما تبع صاحب القوت وكأنه لعدم اشتهار كتابه بين أيدي الناس تنوسي وجعل. كان الغزالي هو الذي أبدى هذين القولين وقد ذكرت في شرحي عليه كلاماً يحتاج إلى مراجعته. وكان شيخنا المرحوم أبو عبد الله بن الطيب رحمه الله تعالى ينكر هذا جداً ويدلك على هذا قول العراقي في تخريجه حديث ابن عباس موقوفاً ومسنداً لا أصل له، **(وقد قيل إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله)** هو قول فياض بن نجيح نقله عنه صاحب القوت وزاد في موضع آخر فقال، وقال بعضهم: ثلث دينه. **(وكان ﷺ يقول في دعائه «أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيّي»)** تقدم الكلام عليه في كتاب الدعوات. **(وقال ﷺ «النساء حبائل الشيطان»)** قال العراقي: رواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث زيد بن خالد الجهني بإسناد فيه جهالة اهـ.

قلت: الحبائل جمع حبالة بالكسر هو ما يصاد به من أي شيء كان. وروى أبو نعيم من حديث عبد الرحمن بن عابس، وابن لال من حديث ابن مسعود، والديلمي من حديث عبد الله بن عامر، وعقبة بن عامر، والتيمي في ترغيبه من حديث زيد بن خالد كلهم بلفظ «الشباب شعبة من الجنون والنساء حبالة الشيطان» هكذا روى عندهم بالإفراد والرواية بالجمع أكثر نبه عليه الحافظ السخاوي رضي الله تعالى عنه.

قلت: وقد رواه أيضاً الخرائطي في اعتلال القلوب والقضاعي في مسند الشهاب من حديث زيد بن خالد.

(ولولا هذه الشهوة) قد ركبت في الرجال **(لما كان للنساء سلطة على الرجال)** قال

روي أن موسى عليه السلام كان جالساً في بعض مجالسه إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلون فيه ألواناً ، فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ، ثم أتاه فقال : السلام عليك يا موسى ، فقال له موسى من أنت ؟ فقال : أنا إبليس ، فقال : لا حياك الله ما جاء بك ؟ قال : جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانتك منه ، قال : فما الذي رأيت عليك ؟ قال : برنس اختطف به قلوب بني آدم قال : فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه قال : إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه ، واحذرك ثلاثاً : لا تخل بامرأة لا تحل لك فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها وأفتنها به ، ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به ، ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فإنه

صاحب القوت : وقد حدثت عن ابن البراء عن عبد المنعم بن إدريس قال : حدثنا أبي عن وهب ابن منبه أنه وجد في التوراة خلق آدم عليه السلام حين خلقه الله عز وجل وابتدعه فقال : إني خلقت آدم وركبت جسده في أربعة أشياء ، ثم ذكر الحديث بطوله في ذكر الطبائع الأربعة ، ثم قال : وقد تغلب الحرارة على بعض المريدين من قبيل قوّة المزاج وحدة الشباب فيظهر الطبع بتبيغ المني على العزاب كما تقوى الحرارة بتبيغ الدم لأن أصل المني هو الدم يتصاعد في خرزات الصلب ، وهناك مسكنه فتنضجه الحرارة فيستحيل أبيض فإذا امتلأ منه خرزات الصلب وهو الفقار طلب الخروج من مسلكه فقويت الصفة لذلك ، فهذا حين هيجان الإنسان للنكاح فلا يصح لمثل هذا أن يأكل الحرارات من الأطعمة وليطفيء ذلك بأكل المبردات والأشياء القاطعة وليتجنب أكل كل حار يابس أو بارد رطب فإنه يهيج الطبع ويقوي العضو ، وقد روينا أن أزواج رسول الله ﷺ إنهن كن يأكلن الخل والبرودات بعد وفاة رسول الله ﷺ يقطعن به الشهوة .

(وروي أن موسى عليه السلام كان جالساً) ذات يوم (إذ أقبل إليه إبليس وعليه برنس يتلوّن فيه ألواناً) مختلفة (فلما دنا منه قلع) ذلك البرنس (فوضعه ثم أتاه فقال : السلام عليك فقال له موسى) عليه السلام : (من أنت ؟ فقال : أنا ابليس ، فقال : لا حياك الله ما جاء بك ؟ قال : جئت لأسلم عليك لمنزلتك من الله) تعالى (ومكانك منه . قال) له موسى عليه السلام : (فما الذي رأيت عليك) يعني البرنس الذي قلعه ؟ (قال : إني أختطف به قلوب بني آدم قال) له موسى عليه السلام : (فما الذي إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه) أي غلبته وملكته ؟ (قال : إذا أعجبته نفسه) أي رضي عنها (واستكثر عمله ونسي ذنوبه) قال : (وأحذرك) يا موسى (ثلاثاً) . الأولى : (لا تخل بامرأة لا تحل لك فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أفتنه بها ، و) الثانية : (لا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به ، و) الثالثة : (لا تخرجن صدقة إلا أمضيتها)

ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بها. ثم ولى وهو يقول: يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم.

وعن سعيد بن المسيب قال: ما بعث الله نبيا فيما خلا إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه النساء ولا شيء أخوف عندي منه، وما بالمدينة بيت أدخله إلا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح. وقال بعضهم: إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندي انت سهمي الذي أرمي به فلا أخطىء وأنت موضع سري وأنت رسولي في حاجتي، فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب.

وأعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة أيضاً لها إفراط وتفريط واعتدال.

بالفعل، (**فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابي حتى أحول بينه وبين الوفاء بها ثم ولّى**) إبليس (**وهو يقول: يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني آدم**) وهذه الخصال التي أشار إليها إبليس قد حذر منها نبينا ﷺ كما هو في الأخبار الواردة في ذلك لا سيما الأولى منها. ففي حديث بريدة عند الطبراني: لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، وعنده وعند البيهقي من حديث ابن عباس: لا يخلونّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ولا تسافر امرأة إلا مع محرم ولا يدخل عليها رجل إلا مع محرم، وعند البيهقي أيضاً: لا يدخل رجل على امرأة إلا ومعها محرم من دخل فليعلم أن الله معه. وعند ابن سعد من مرسل الحسن: لا تحدثن من الرجال إلا محرماً. وعند البزار من حديث جابر: لا تدخلوا على هؤلاء المغيبات فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، والأخبار في التحذير عن الخلوة مع النساء الاجنبيات كثيرة.

(**وعن سعيد بن المسيب**) القرشي المدني التابعي رحمه الله تعالى (**قال: ما بعث الله نبياً فيما خلا**) أي مضى (**إلا لم ييأس إبليس أن يهلكه بالنساء**) أي ما عدا نبينا ﷺ فإن الله سبحانه قد أعانه عليه، فأسلم فلم يكن له عليه سبيل، وقد روى نحو ذلك البزار من حديث جابر. (**ولا شيء أخوف عندي منهن**) أي من طائفة النساء. قال ذلك وسنه ثمانون كما سيأتي قريباً. (**وما بالمدينة بيت أدخله إلا بيتي وبيت ابنتي**) وهي التي زوجها عبد الله بن أبي وداعة كما سيذكر المصنف قصتها قريباً (**اغتسل فيه يوم الجمعة ثم أروح وقال بعضهم: إن الشيطان يقول للمرأة: أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطيء**) غرضي (**وأنت موضع سري وأنت رسولي في حاجتي**) وقد صدق في قوله، (**فنصف جنده الشهوة**) بها يقاتل المؤمنين، (**ونصف جنده**) الآخر (**الغضب**) فإذا اجتمعا في رجل فقد كمل عنده جند الشيطان.

(**وأعظم الشهوات شهوة النساء**) ولذا كانت لذة وقاعهن أعظم اللذات لو دامت ولكثرة استحواذهن على قلوب الرجال بمقتضى الشهوات كن من سهام إبليس التي لا تخطيء المرامي أبداً،

فالإفراط: ما يقهر العقل حتى يصرف همه الرجال إلى الاستمتاع بالنساء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش، وقد ينتهي إفراطها بطائفة إلى أمرين شنيعين.

أحدهما: إن يتنلولوا ما يقوي شهواتهم على الاستكثار من الوقاع كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوي المعدة لتعظم شهوة الطعام ـ وما مثال ذلك إلا كمن ابتلى بسباع

فيحملن الرجال ما لا يطيقون ويقعون في المحظور لأجلهن، وإذا كن رسلاً في حاجة لا ترد شفاعتهن، وتقضي حاجتهن. وكل ذلك لما فيهن من مخايل الفتن فهن شر غالب لمن غلب، (**وهذه الشهوة أيضاً لها**) ثلاث مراتب (**إفراط وتفريط واعتدال. فالإفراط**) وهي المرتبة الأولى (**ما يقهر العقل حتى تصرف همة الرجل إلى الاستمتاع بالنساء**) المنكوحات (**والجواري**) بملك اليمين ويشتغل بهن، (**فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو**) ما (**يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش**) التي حرم الله ما ظهر منها وما بطن، وذلك على ضربين.

أحدهما: تعاطيه في المحرث ولكن لا على الوجه الذي يجب وقد عظم الله أمره فقرنه مرة بالشرك فقط فقال ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ [النور: ٣] ومرة قرنه بالشرك وقتل النفس المحرمة فقال ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ [الفرقان: ٦٨] وسمى ذلك سفاحاً من حيث أن المجتمعين عليه لاغرض لها سوى سفح الماء للشهوة كمن ضيع ماء في غير حرثه.

والثاني: تعاطيه في غير المحرث كاللواطة وهي أعظم من الزنا لأن الزنا وضع البذر في المحرث على غير الوجه المأثور، فهو كمن زرع في أرض غيره أو على غير الوجه الذي يجوز أن يزرع فيها. وفي اللواطة مع ذلك تضييع فمتعاطيها كمن قال الله تعالى فيه ﴿ويهلك الحرث والنسل﴾ [البقرة: ٢٠٥] ولهذا وصف قوم لوط بالإسراف فقال: ﴿أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾ [النمل: ٥٥] (**حتى ينتهي افراطها بطائفة إلى أمرين شنيعين**).

(**أحدهما: أن يتناولوا ما يقوي شهواتهم على الاستكثار من الوقاع**) من غير ضعف وفتور، (**كما قد يتناول بعض الناس أدوية تقوي المعدة لتعظم شهوة الطعام**) وكل منهما شنيع. قال صاحب القوت: وحدثونا في أخبار الملوك أن ملك الهند أهدى إلى المنصور تحفاً منها أنه وجه إليه بفيلسوف طبيب قال: فانزله المنصور وأحسن إليه، فلما دخل إليه قال الفيلسوف: قد جئتك يا أمير المؤمنين بثلاث خصال: تتنافس الملوك فيها لا نصنعها إلا لهم. قال: وما هي؟ قال: اخضب لحيتك بسواد لا تنصل أبداً ولا تتغير عن حالها. قال: وما الخصلة الثانية؟ قال: أعالجك بعلاج تتسع به في المآكل فتأكل أي شيء شئت لا تتخم ولا يؤذيك الطعام. قال: وما الثالثة؟ قال: أقوي صلبك بتقوية تنشط بها إلى الجماع فتجامع ما شئت لا تمل من ذلك ولا يضعف بصرك ولا تنقص من قوتك. قال: فأطرق المنصور ثم رفع رأسه إليه فقال: قد كنت أظن أنك أعقل مما أنت.

ضارية وحيات عادية فتنام عنه في بعض الأوقات فيحتال لإنارتها وتهييجها ثم يشتغل بإصلاحها وعلاجها ، فإن شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الإنسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص.

فإن قلت: فقد روي في غريب الحديث أن رسول الله ﷺ قال: « شكوت إلى جبرائيل ضعف الوقاع فأمرني بأكل الهريسة » . فاعلم أنه ﷺ كان تحته تسع نسوة ووجب عليه تحصينهن بالإمتاع وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن فكان طلبه القوة لهذا لا للتمتع.

والأمر الثاني: أنه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال إلى العشق وهو غاية الجهل

أما ما ذكرت من السواد فلا حاجة لي به لأن ذلك غرور وزور ، والشيب هيبة ووقار ولم أكن لأغيّر نوراً جعله الله في وجهي بظلمة السواد ، وأما ما ذكرت من الأكل فوالله ما أنا بشره ومالي في الاستكثار من الطعام حاجة لأنه يثقل الجسم ويشغل عن النوائب وأقل شيء فيه كثرة الأختلاف إلا الخلاء ، فأرى ما أكره وأسمع ما لا أحب. وأما ما ذكرت من النساء ، فإن النكاح شعبة من الجنون ، وما أقبح بخليفة مثلي يجثو بين يدي صبية. ارجع إلى صاحبك مذموماً مدحوراً فلا حاجة لي بما جئت به.

(وما مثل ذلك إلا كمن ابتلي بسباع ضارية وبهائم عادية فتنام عنه في بعض الأوقات فيحتال لإثارتها وتهييجها ثم يشتغل بإصلاحها وعلاجها) وكفى بما يهتاج من باعث الطبيعة على ذلك فهو كمن قال:

كلما أنبت الزمان قناة   ركب المر في القناة سنانا

(فإن شهوة الطعام والوقاع على التحقيق ألم) يحس في الباطن وفي النسخة: آلام **(يريد الإنسان الخلاص منه)** وفي نسخة: منها **(فيدرك لذة بسبب الخلاص)** من تلك الآلام.

(فإن قلت: فقد روي في غريب الحديث أن رسول الله ﷺ قال: شكوت إلى جبريل ضعف الوقاع فأمرني بأكل الهريسة ») قال العراقي: رواه العقيلي في الضعفاء ، والطبراني في الأوسط من حديث حذيفة وقد تقدم وهو موضوع ، **(فاعلم أنه ﷺ كانت تحته تسع نسوة)** تقدم ذكر أسمائهن **(وجب عليه تحصينهن)** بالامتاع فكان يقسم لهن وربما دار عليهن كلهن بغسل واحد كما ورد ، **(وحرم على غيره نكاحهن وإن طلقهن)** كما هو مذكور في خصائصه ﷺ ، **(فكان طلبه القوّة لهذا)** السبب **(لا للتنعيم)** فلا يكون مذموماً بل هو محمود بهذا النظر.

(والأمر الثاني: أنه قد تنتهي هذه الشهوة ببعض الضلال) عن نهج الدين **(إلى)** مرتبة

بما وضع له والوقاع وهو مجاوزة في البهيمية لحد البهائم ثم لأن المتعشق ليس يقنع بإراقة شهوة الوقاع وهي أقبح الشهوات وأجدرها أن يستحيي منه حتى اعتقد أن الشهوة لا تنقضي إلا من محل واحد والبهيمة تقتضي الشهوة أين اتفق فتكتفي به. وهذا لا يكتفي إلا بشخص واحد معين حتى يزداد به ذلاً إلى ذل وعبودية إلى عبودية، وحتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة. وقد خلق ليكون مطاعاً لا ليكون خادماً للشهوة ومحتالاً لأجلها وما العشق إلا سعة إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همّ له. وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترك معاودة النظر والفكر، وإلاّ فإذا استحكم عسر دفعه. فكذلك عشق المال والجاه والعقار والأولاد حتى حب اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فإن هذه الأمور

(**العشق وهو**) نهاية الحماقة و (**غاية الجهل بما وضع له**) أي لأجله (**الوقاع وهو مجاورة في**) الصفة (**البهيمية لحد البهائم**) في عدم ملك النفس وذم الهوى، (**لأن المتعشق ليس يقنع بإراقة شهوة الوقاع**) ولا يرضى بارادة لذة الباه (**وهي**) من (**أقبح الشهوات**) وأسمجها (**وأجدرها بأن يستحي منه حتى اعتقد**) في نفسه (**أن الشهوة لا تقضى إلا من محل واحد، والبهيمة تقضي الشهوة أين اتفق فتكتفي به**) لأنها إذا سقطت الأذى عنها بالسفاد سكنت فصارت إلى الراحة. (**وهذا**) المتعشق (**لا يكتفي إلا بواحد معين**) ثم لا يرضى بذلك، (**حتى يزداد به ذلاً على ذل وعبودية على عبودية**). فالبهيمة أحسن حالاً منه ثم لا يرضى بذلك (**حتى يستسخر**) ويستذل ما هو الأشرف الذي هو (**العقل لخدمة**) ما هو أخس وهو (**الشهوة، وقد خلق**) العقل وأعطي ليقمع به الشهوة القبيحة و (**ليكون مطاعاً**) رئيساً آمراً مخدوماً (**لا ليكون خادماً للشهوة**) وساعياً في صحبتها (**ومحتالاً لأجلها**) فما أخس حال من جعل الخادم مخدوماً والمخدوم خادماً وما مثله إلا كمن انتعل بالمنديل ونشف الوجه بالنعل، (**وما العشق إلا منبع إفراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همّ له**) وتعاطيه حال كل جاهل فارغ سيما إذا نظر إلى أخبار العشق وجالس العشاق، وربما يؤدي العاشق إلى ذبول ودق بل إلى الموت. قال الشاعر:

لو فكّر العاشق في منتهى معشوقه قصر عن حبه

وقال حكيم لتلميذ له هوى جارية: هل تشك في أن لا بدّ أن تفارقها يوماً ما؟ قال: لا. قال: فاجعل تلك المرارة المتجرعة في ذلك اليوم في يومك هذا وارتج ما بينهما من الخوف المنتظر وصعوب معالجة ذلك بعد الاستحكام وانضمام الإلف إليه، وقيل لبعض الحكماء: ما العشق؟ فقال: جنون لا يؤجر صاحبه عليه. وسئل اخر عنه فقال: مرض نفس فارغة فأشاروا كلهم إلى معنى واحد، (**وإنما يجب الاحتراز عن أوائله بترك معاودة النظر و**) اجالة (**الفكر**) فيه، (**وإلاّ فإذا استحكم**) غرسه في القلب (**عسر دفعه، وكذلك عشق المال والجاه والعقار والأولاد**) وما في معناها (**حتى حب اللعب بالطيور**) كالحمام وغيره (**والعود**) وما في معناه (**والنرد** شير

قد تستولي على طائفة بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة.

ومثال من يكسر سورة العشق في أول انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها إلى باب لتدخله وما أهون منعها بصرف عنانها. ومثال من يعالجها بعد استحكامها مثال من يترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها إلى ورائها. وما أعظم التفاوت بين الأمرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الأمور فاما في أواخرها فلا تقبل العلاج إلا بجهد جهيد يكاد يؤدي إلى نزع الروح.

فإذاً افراط الشهوة أن يغلب العقل إلى هذا الحد وهو مذموم جداً، وتفريطها بالعنة أو بالضعف عن امتاع المنكوحة وهو أيضاً مذموم، وإنما المحمود أن تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انقباضها وانبساطها ومهما أفرطت فكسرها بالجوع والنكاح.

والشطرنج) وما في معناهما، (فإن هذه الأمور قد تستولي على طائفة بحيث تنقص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة) أما نقص الدين عليهم فمن جهات متعددة، وأما نقصان الدنيا فإنه إن كان محترفاً يشتغل بها عن حرفته ويضيع عياله، وإن كان ذا مال فإنه يضيعه فيما يتعلق بتلك الأشياء وهلم جرا إلى أن ينفذ، وأما عدم صبرهم عنها فذلك مشاهد كادت أن تحول بينهم وبين أكلهم.

(ومثال من يكسر سورة العشق في أوّل انبعاثه مثال من يصرف عنان الدابة عند توجهها إلى باب لتدخله) فإنه يمكنه ذلك، (وما أهون منعها بصرف عنانها ومثال من يعالجها بعد استحكامها) ورسوخها (مثال من يترك الدابة) على حالها (حتى تدخل وتجاوز الباب ثم يأخذ بذنبها ويجرها إلى ورائها، وما أعظم التفاوت بين الأمرين في العسر واليسر، فليكن الاحتياط في بدايات الأمور) أي أوائلها (فأما في أواخرها فلا تقبل العلاج إلا بجهد جهيد) وتعب شديد (يكاد يؤدي إلى نزع الروح) من البدن.

(فإذاً إفراط الشهوة أن تغلب العقل إلى هذا الحد وهو مذموم جداً وتفريطها بالعنة) بالضم وهي أن لا يقدر على إتيان النساء أو لا يشتهيهن والاسم عنين ويكون خلقة، ويكون عن سحر (أو بالضعف عن إمتاع المنكوحة) عن سبب عارض كبرد في الصلب أو غيره، (وهو أيضاً مذموم، وإنما المحمود) من الشهوة (أن تكون معتدلة مطيعة بالعقل والشرع في انقباضها وانبساطها). والوقاع الصادر من هذه الشهوة إذا كانت بالوصف المذكور إن تعاطاه العبد على الوجه الذي سنه الشرع، وذلك إما محمود وهو أن يتعاطاه قاصداً به النسل أو مسكنا لنفسه، فالماء إذا اجتمع في مقره يجري مجرى مدة وقيح من جرح يعظم بحسبه الضرر، ويدعو صاحبه إلى ما هو في الشرع محرم، وإما مكروه طباً وإن لم يكن قد كره شرعاً، وذلك أن يتعاطاه فضلاً عما تقدم ذكره، فإنه ينفذ العمر ويستنفد القوى ويوسع أوعية المني ويجلب إليه دماً كثيراً

قال ﷺ: « معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فالصوم له وجاء ».

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله:

اعلم أن المريد في ابتداء أمره ينبغي أن لا يشغل قلبه ونفسه بالتزويج فإن ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة. ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله ﷺ، فإنه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى، فلا تقاس الملائكة بالحدادين. ولذلك قال أبو سليمان الداراني: من تزوج فقد ركن إلى الدنيا. وقال: ما رأيت مريداً تزوّج فثبت على حاله الأوّل. وقيل له مرة: ما

ويزيد شهوة، فأعظم فائدة أن يلحق صاحبه بأفق البهائم والتيوس والثيران وغيرهما مما يوصف بالشبق، (**ومهما افرطت فكسرها بالجوع والنكاح. قال ﷺ « معشر الشباب عليكم بالباءة**) أي النكاح، (**فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** ») أي قطع له وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في كتاب النكاح مفصلاً.

بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن المريد في ابتداء أمره**) في سلوكه (**لا ينبغي أن يشغل قلبه ونفسه بالتزويج فإن ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله تعالى شغل عن الله تعالى**). وقال صاحب القوت: الأفضل للمريد في زماننا هذا ترك التزويج إذا أمن الفتنة وعود العصمة ولم تنازعه نفسه إلى معصية، ولم يرادف خاطر النساء على قلبه حتى يشتت همه أو يقطعه عن حسن الإقبال على الخدمة من مسامرة الفكر ومحادثة النفس بأمر النساء ولم تجمح نفسه إلى محظور وكثرة الخواطر بالشهوات يغير القلب من الخشوع ويدخل عليه النقصان، فمتى لم يبتل العبد بهذه الوساوس، فإن التخلي أفضل لمعان محمودة لأنه يجد لذة الوحدة وحلاوة المعاملة ويقبل على نفسه ويشتغل بحاله فلا يهتم بحال غيره، فيحمل حاله على حاله فيقصر أو يقوم بحكم نفسه أخرى فيعجز ويعالج شيطاناً آخر مع شيطانه، وتنضم نفس أخرى إلى نفسه وله في مجاهدة نفسه ومصابرة هواه وعدوّه أكبر الأشغال. (**ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله ﷺ فإنه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى**) لأشتغاله بمطالعة جمال مولاه، (**فلا تقاس الملائكة بالحدادين**) هم الذين يشتغلون بعمل الحديد فهم بذلك في غاية القذارة أو المراد بهم البوّابون من الحد بمعنى المنع فهم يمنعون الداخل في البيت، (**ولذلك قال أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى: (**من تزوّج**) أو سافر أو طلب الحديث (**فقد ركن إلى الدنيا**) أورده صاحب القوت، وقد تقدم في كتاب العلم. وإنما قال ذلك لأن هذه الأمور مما توجب الركون إلى الدنيا لا محالة. (**وقال**) أيضاً: (**ما رأيت مريداً تزوّج فثبت على حاله الأوّل**) وكأنه

أحوجك إلى امرأة تأنس بها. فقال: لا آنسني الله بها أي أن الانس بها يمنع الأنس بالله تعالى. وقال أيضاً: كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم. فكيف يقاس غير رسول الله ﷺ به، وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يخشى منه في بعض الأحوال أن يسري ذلك إلى قالبه فيهدمه فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة أحياناً ويقول: «كلميني يا عائشة» لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه عنه، فقد كان طبعه الأنس بالله عز وجل، وكان أنسه بالخلق عارضاً رفقاً ببدنه، ثم إنه كان لا يطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم، فإذا ضاق صدره قال: «أرحنا بها يا بلال» حتى يعود إلى ما هو قرة عينه، فالضعيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله ﷺ فشرط المريد العزبة في الابتداء إلى أن يقوى في المعرفة. هذا إذا لم تغلبه

يريد إذا كان في ابتداء سلوكه فإنه ينقطع حينئذ عن مجاهدة النفس، وقد ضمت إليه نفس أخرى فيشتغل بها فلا يكاد يثبت على أدل حاله الذي شرع فيه، (**وقيل له مرة ما أحوجك إلى امرأة تأنس بها! فقال: لا آنسني الله بها إن الانس بها يمنع الإنس بالله تعالى**) أي لا يتفق الإنسان في قلب واحد إما آنس بالله وإما انس بالزوجة. (**وقال إيضاً: كل ما شغلك عن الله تعالى من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤم**). وقال أيضاً: إنما تركوا التزويج لتتفرغ قلوبهم إلى الآخرة. وفي حديث الحسن البصري رحمه الله تعالى إذا أراد الله بعبد خيراً لم يشغله بأهل ولا مال. قال أحمد بن أبي الحواري صاحب أبي سليمان: معنى الحديث أن يكون له ولا يشغلونه لا أن لا يكون له، (**فكيف يقاس غير رسول الله ﷺ به، وقد كان استغراقه بحب الله تعالى بحيث كان يجد احتراقه فيه إلى حد كان يخشى منه في بعض الأحوال**) والأحيان (**أن يسري ذلك**) من قلبه (**إلى قالبه فيهدمه**) أي يغيره عن صحته، (**فلذلك كان يضرب بيده على فخذ عائشة**) رضي الله تعالى عنها (**أحياناً ويقول «كلميني يا عائشة» لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً، (**فقد كان طبعه**) ﷺ (**الأنس بالله عز وجل**) دائماً (**وكان أنسه بالخلق عارضاً**) لاحقاً (**رفقاً ببدنه، ثم أنه**) ﷺ (**كان لا يطيق الصبر مع الخلق إذا جالسهم، فإذا ضاق صدره قال: «أرحنا يا بلال»**) يعني بإقامة الصلاة. وقد تقدم ذكر هذا الحديث في كتاب الصلاة (**حتى يعود إلى ما هو قرة عينه**) يشير إلى قوله «وجعلت قرة عيني في الصلاة» وقد تقدم الكلام عليه أيضاً. (**فالضعيف إذا لاحظ أحواله في مثل هذه الأمور فهو مغرور لأن الأفهام تقصر عن الوقوف على أسرار أفعاله ﷺ**)، فلا ينبغي أن يقيس أحواله ولا أفعاله بأفعاله ولا يوقع نفسه في الغرور فيهلك، (**فشرط المريد العزبة في الابتداء**) ليجتمع له مع مجاهدة نفسه الأنس بالله عز وجل وحده (**إلى أن يقوى في المعرفة**) ويتفرغ قلبه لله تعالى، فيكون ذا أدب ساكن وقلب

الشهوة فإن غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدائم فإن لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلاً، وإن قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة وإلا فمهما لم يحفظ عينه لم يحفظ عليه فكره ويتفرق عليه همه، وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنا العين من كبار الصغائر وهو يؤدي على القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ فرجه. قال عيسى عليه السلام: إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة. وقال سعيد ابن جبير: إنما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة، ولذلك قال لابنه عليه السلام: يا بني امش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف المرأة. وقيل ليحي عليه السلام: ما بدء الزنا؟ قال: النظر والتمني. وقال الفضيل: يقول إبليس هو قوسي القديمة وسهمي الذي لا أخطىء به يعني النظر. وقال رسول الله ﷺ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفاً من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيماناً يجد حلاوته في قلبه».

خائف ونفس مطمئنة، فإذا تزوج حينئذ فلا يشغله عن الله تعالى. (**هذا إذا لم تغلبه الشهوة فإن غلبته فليكسرها بالجوع الطويل**) بأن يتجاوز عن ميعاد أكله فلا يأكل إلا بعد يومين أو بعد ثلاث، (**والصوم الدائم**) خصوصاً في الهواجر، (**فإن لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث لا يقدر على حفظ العين مثلاً إن قدر على حفظ الفرج فالنكاح له أولى لتسكن الشهوة**) وإلاَّ أوقعته في الخطايا، (**وإلاَّ فمهما لم يحفظ عينه لم ينحفظ عليه فكره ويتفرق عليه همه**) ويتشتت باله، (**وربما وقع في بلية لا يطيقها**) بمقتضى عجز البشرية. (**وزنا العين من كبائر الصغائر وهي تؤدي على القرب إلى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج**) وأوّل خطايا الفرج شهوة القلب بمسامرة الفكر وهو معفوّ كما أن النظر الأوّل معفوّ والخطيئة الثانية إنعاظ الفرج عن شهوة القلب، فهذا عمل فإن ظهرت الشهوة من الفرج فهي معصية، (**ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظه دينه**) لأن أصل البلاء كله من النظر.

(**وقال عيسى عليه السلام: إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة. وقال سعيد بن جبير**) رحمه الله تعالى: (**إنما جاءت الفتنة لداود عليه السلام من قبل النظرة**) فإنه لما رأى أوريـاء وجمالها أعجبته وافتتن بها، (**ولذلك قال لابنه**) سليمان (**عليه السلام: يا بني امش خلف الأسد والأسود**) من الحيات (**ولا تمش خلف المرأة. وقيل ليحي**) ابن زكريا (**عليه السلام: ما بدء الزنا؛ قال: النظر والتمني**) فالنظر من العين والتمني من القلب والفرج يصدق أو يكذب. (**وقال الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى (**يقول إبليس: هي قوسي القويمة**) التي أرمي بها (**وسهمي الذي لا يخطىء**) في إصابة غرضي (**يعني النظرة وقال ﷺ «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفاً من الله تعالى أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه»**) تقدم الكلام عليه في كتاب النكاح. (**وقال ﷺ «ما تركت**

وقال ﷺ : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء » وقال ﷺ : « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن أوّل فتنة بني إسرائيل كانت من قبل النساء » وقال تعالى : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ [النور : ٣٠] الآية . وقال عليه السلام : « لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر ، واليدان تزنيان وزناهما البطش ، والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القُبلة ، والقلب يهم أن يتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » .

بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء ») قال العراقي : متفق عليه من حديث أسامة بن زيد اهـ .

قلت : ورواه كذلك أحمد والحميدي ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، والترمذي ، والعوفي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والطبراني وابن قانع كلهم عن أسامة بن زيد ، وقد رواه الترمذي أيضاً والحاكم في الكنى عنه وعن سعيد بن زيد معاً . ورواه ابن النجار من حديث سلمان الفارسي ، وفي لفظ للطبراني : « ما تركت في الناس بعدي فتنة أمرّ على الرجال من النساء » .

(وقال ﷺ : اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من النساء ») قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري .

قلت : وروى الديلمي من حديث معاذ « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن إبليس طلاّع رصاد وما هو بشيء من فخوخه بأوثق بصيده في الأتقياء من النساء » .

(وقال) الله تعالى في كتابه العزيز **﴿قل للمؤمنين يغضُّوا من أبصارهم)** ويحفظوا فروجهم﴾ **(وقال ﷺ : « لكل ابن آدم حظه من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر ، واليدان تزنيان وزناهما البطش ، والرجلان تزنيان وزناهما المشي ، والفم يزني وزناه القُبَل ، والقلب يهم ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه »**) قال العراقي : رواه مسلم والبيهقي واللفظ له من حديث أبي هريرة ، واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس نحوه اهـ .

وفي لفظ للبيهقي « لكل ابن آدم حظه من الزنا ، فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والأذنان زناهما الاستماع ، واليدان تزنيان فزناهما البطش ، والرجلان تزنيان فزناهما المشي ، والفم يزني وزناه القُبل » وهكذا رواه أبو داود أيضاً . وروى أبو الشيخ من حديث أبي هريرة « زنا اللسان الكلام » . وروى ابن سعد والطبراني وأبو نعيم في المعرفة من حديث علقمة بن الحويرث الغفاري « زنا العينين النظر » وروى أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود « العينان تزنيان ، واليدان تزنيان ، والرجلان تزنيان ، والفرج يزني » قال المنذري : سنده صحيح . ورواه كذلك أبو يعلى والبزار . وقد أورد المصنف هذا الحديث إشارة إلى أن أصل زنا الفرج العينان فإنهما له رائدان وإليه داعيان . وقد قالوا : من سرح ناظره أتعب خاطره ، ومن كثرت لحظاته دامت حسراته وضاعت أوقاته . قال الشاعر :

وقالت أم سلمة: استأذن ابن أم مكتوم الأعمى على رسول الله ﷺ وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام: « احتجبا » فقلنا أو ليس بأعمى لا يبصرنا؟ فقال: « وأنتما لا تبصرانه »؟ وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت به العادة في المآتم والولائم فيحرم على الأعمى الخلوة بالنساء، ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديق النظر إليه لغير حاجة، وإنما جوّز للنساء محادثة الرجال والنظر إليهم لأجل عموم الحاجة. وإن قدر على حفظ عينه عن النساء ولم يقدر على حفظها عن الصبيان، فالنكاح أولى به فإن الشر في الصبيان أكثر فإنه لو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالنكاح والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة حرام بل كل من يتأثر بجمال صورة

نظر العيون إلى العيون هو الذي ـ جعل الهلاك إلى الفؤاد سبيلا

• (وقالت أم سلمة) أم المؤمنين ابنة أبي أمية بن المغيرة المخزومية رضي الله عنها. قيل: اسمها هند وأبوها يعرف بزاد الركب من أشراف قريش وأجوادهم هاجرت إلى الحبشة مع أبي سلمة بن عبد الأسد (استأذن ابن أم مكتوم) وهو عبد الله بن قيس بن زائدة القرشي العامري مختلف في اسمه (على رسول الله ﷺ وأنا وميمونة) بنت الحرث الهلالية أم المؤمنين رضي الله عنها (جالستان، فقال رسول الله ﷺ « احتجبا ») أي ادخلا في الحجاب. (قلنا أو ليس بأعمى لا يبصرنا؟ فقال « وأنتما لا تبصرانه »)؟ قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حسن صحيح. (وهذا يدل على أنه لا يجوز للنساء مجالسة العميان كما جرت العادة في المآتم والولائم) أي في أوقات المصائب والأفراح، (فيحرم على الأعمى الخلوة بالنساء) الاجانب صرح بذلك غير واحد من العلماء، (ويحرم على المرأة مجالسة الأعمى وتحديق الظر إليه لغير حاجة) ضرورية، فإنه على كل حال أجنبي، وفيه ما في الرجال وأكثر لأن غض البصر عن المحارم مما يورث قوّة على الجماع، وهؤلاء قد حجبت أبصارهم عن الرؤية فرجعت قوّتها إلى الجماع فلهم فيه حظ أكثر من الذي يبصر، فحينئذ فتنة النساء بهم أكثر فيجب منعهن عن الخلوة بهم ومحادثتهم، فإنهم أشد ضرراً من إبليس. ومن المشهور قوله العامة: ما من فتنة تكون في بيت الإنسان إذا حقق أصلها إما من امرأة أو فقيه أعمى، (وإن قدر) المريد (على حفظ عينه عن الزنا) بأن غضها وسترها ولفها (ولم يقدر على حفظها عن الصبيان المرد فالنكاح أولى به). ومن أحسن أعماله وأرفع أحواله لأن المباح مقام من لا مقام له والرجوع إلى الحلال حال من ليس له حال، وذلك (لأن الشر في الصبيان أكثر) فإن المرأة معها شيطان والأمرد معه شيطانان، (فلو مال قلبه إلى امرأة أمكنه الوصول إلى استباحتها بالنكاح) وإذا مال إلى الأمرد فلا محالة يوقعه في الحرام إذ لا سبيل إلى استباحة الاستمتاع به بحال من الأحوال (والنظر إلى وجه الصبي بالشهوة حرام) باتفاق العلماء، (بل كل من يتأثر قلبه لجمال صورة

الأمرد بحيث يدرك التفرقة بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر إليه.

فإن قلت: كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل والقبيح لا محالة ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة فأقول: لست أعني تفرقة العين فقط بل ينبغي أن يكون إداركه التفرقة كإدراكه التفرقة بين شجرة خضراء وأخرى يابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أزهارها وأنوارها وشجرة تساقطت أوراقها، فإنه يميل إلى إحداهما بعينه وطبعه ولكن ميلاً خالياً عن الشهوة، ولأجل ذلك لا يشتهي ملامسة الأزهار والأنوار وتقبيلها ولا تقبيل الماء الصافي، وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح، ولكنها تفرقة لا شهوة فيها، ويعرف ذلك بميل النفس إلى القرب والملامسة، فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والأثواب المنقشة والسقوف المذهبة فنظره نظر شهوة فهو حرام. وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك إلى المعاطب وهم لا يشعرون.

قال بعض التابعين: ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب الناسك من غلام

الأمرد) أي يقع الأثر فيه من رؤية محاسنه الظاهرة بحيث يحس بما رآه **(وبحيث يدرك تفرقة بينه وبين الملتحي)** أي صاحب اللحية **(لم يحل له النظر)** أصلاً.

(فإن قلت: كل ذي حس يدرك التفرقة بين الجميل) الصورة **(والقبيح)** الصورة **(ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفة)** وهم يدخلون في المحافل هكذا ويراهم الرجال من غير نكير، فما معنى قولك من أدرك التفرقة بين الجميل والقبيح وتأثر بجماله قلبه لم يحل له النظر؟ **(فأقول: لست أعني)** بالتفرقة المذكورة **(تفرقة العين فقط، بل ينبغي ان يكون إدراكه التفرقة كإدراكه التفرقة بين شجرة خضراء ويابسة وبين ماء صاف وماء كدر وبين شجرة عليها أنوارها وأزهارها وبين شجرة تساقطت أوراقها فإنه يميل إلى احداهما بعينه)** الباصرة وطبعه المركوز في جبلته، **(ولكن ميلاً خالياً عن الشهوة ولأجل ذلك لا يشتهي ملامسة الأزهار والأنوار وتقبيلها)** وشمها **(ولا تقبيل الماء الصافي، وكذلك الشيبة الحسنة قد تميل العين إليها وتدرك التفرقة بينها وبين الوجه القبيح، لكنها تفرقة لا شهوة فيها ويعرف ذلك بميل النفس إلى القرب والملامسة، فمهما وجد ذلك الميل بقلبه وأدرك تفرقة بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والأثواب المنقشة)** بأنواع النقوش **(والسقوف المذهبة)** المزخرفة **(فنظره)** حينئذ **(نظر شهوة وهو حرام، وهذا مما يتهاون به الناس)** غالباً **(ويجرهم ذلك إلى المعاطب)** أي المهالك **(وهم لا يشعرون)** بل غافلون أو متغافلون.

(وقال بعض التابعين: ما أنا بأخوف من السبع الضاري على الشاب الناسك) أي العابد

أمرد يجلس إليه وقال سفيان: لو أن رجلاً عبث بغلام بين أصبعين من أصابع رجله يريد الشهوة لكان لواطاً وعن بعض السلف قال: سيكون في هذه الأمة ثلاثة أصناف لوطيون: صنف ينظرون، وصنف يصافحون، وصنف يعملون.

فإذاً آفة النظر إلى الأحداث عظيمة فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع.

وقال بعضهم: غلبت علي شهوتي في بدء إرادتي بما لم أطق فأكثرت الضجيج إلى

(**من غلام أمرد يجلس إليه. وقال سفيان**) الثوري: (**لو أن رجلاً عبث بغلام بين أصبعين من أصابع رجليه يريد**) بذلك (**الشهوة كان لوطياً. وعن بعض السلف قال: سيكون في هذه الأمة ثلاثة أصناف لوطيون: صنف ينظرون**) فقط من قريب أو بعيد، (**وصنف يصافحون، وصنف يعملون**) أخرجه السهروردي في المعارف.

وقال القشيري في آخر الرسالة: ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الأحداث، ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فباجماع الشيوخ ذلك عبد أهانه الله وقلاه، بل عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامة أهله وهب أنه بلغ رتبة الشهداء أليس قد شغل ذلك القلب بمخلوق، وأصعب من ذلك تهوين ذلك على القلب حتى يصير بعد ذلك يسيراً. قال الله عز وجل: ﴿وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾ [النور: ١٥] وهذا الواسطي يقول: وإذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف. سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول سمعت محمد بن أحمد النجار يقول: سمعت أبا عبد الله الحصري يقول: سمعت فتحاً الموصلي يقول: صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يعدون من الأبدال كلهم أوصوني عند فراقي إياهم. وقالوا :اتقوا معاشرة الأحداث ومخالطتهم ومن ارتقى في هذا الباب عن حالة الفسق، وأشار أن ذلك من بلاء الأرواح وأنه لا يضره وما قالوه ومن وساوس القائلين بالشاهد وايراد الحكايات عن الشيوخ بما كان الأولى بهم إسبال الستر على هناتهم وآفاتهم فذلك نظير الشرك وقرين. فليحذر المريد من مجالسة الأحداث ومخالطتهم فإن اليسير منه قبيح وهو فتح باب الخذلان ومداخل الهجران، ونعوذ بالله من قضاء السوء.

(**فإذاً آفة النظر إلى الأحداث عظيمة**) وعاقبته وخيمة (**فمهما عجز المريد عن غض بصره وضبط فكره، فالصواب له أن يكسر شهوته بالنكاح، فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع**) إذا كانت تصيب من شهوتها بعد الجوع الطويل، فذلك أشد باعث لها على حركة الشهوة، فأما إن كان يجوع ولا يأكل إلا خبزاً بحتاً مع ماء ودام على ذلك فإنه يسكن التوقان وقد تقدمت الإشارة إليه.

(**وقال بعضهم: غلبت عليّ شهوتي**) ولفظ القوت: حدثني بعض الفقراء قال: استفحلت عليّ صفتي مرة (**في بدء ارادتي بما لم أطق فأكثرت**) لفظ القوت: فكنت أكثر (**الضجيج إلى**

الله تعالى، فرأيت شخصاً في المنام فقال: مالك ؟ فشكوت إليه فقال: تقدم إليّ فتقدمت إليه فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي فاصبحت وقد زال مابي، فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك فاكثرت الاستغاثة فأتاني شخص في المنام فقال لي: اتحب ان يذهب ما تجده وأضرب عنقك ؟ قلت: نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفاً من نور فضرب به عنقي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك أو أشد منه، فرأيت كأن شخصاً فيما بين جنبي وصدري يخاطبني ويقول: ويحك كم تسأل الله تعالى رفع ما لا يجب رفعه. قال: فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي.

ومهما احتاج المريد إلى النكاح فلا ينبغي أن يترك شرط الإرادة في ابتداء النكاح ودوامه. أما في ابتدائه فبالنية الحسنة وفي دوامه بحسن الخلق وسداد السيرة والقيام بالحقوق الواجبة كما فصلنا جميع ذلك في كتاب آداب النكاح فلا نطوّل بإعادته وعلامة صدق إرادته أن ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية.

قال بعضهم: من تزوّج غنية كان له منها خمس خصال: مغالاة الصداق،

الله تعالى، فرأيت شخصاً في المنام فقال: ما لك؟ فشكوت إليه. فقال تقدم إليَّ فتقدمت) إليه (فوضع يده على صدري، فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي، فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك) أي راجعني بمثله أو أشد منه، (فأكثرت الاستغاثة) إلى الله تعالى، (فأتاني شخص في المنام فقال لي: أتحب أن يذهب ما تجده وأضرب عنقك، قلت: نعم فقال: مد رقبتك فمددتها إليه فجرد سيفاً من نور فضرب به عنقي فأصبحت وقد زال ما بي فبقيت معافى سنة، ثم عاودني ذلك) بمثله أو أشد منه، (فرأيت كأن شخصاً فيما بين جنبي وصدري يخاطبني ويقول: ويحك لم تسأل) ولفظ القوت: كم تسأل (الله تعالى رفع ما لا يجب رفعه؟ قال: فتزوجت فانقطع عني) ذلك (وولد لي) ولفظ القوت بعد قوله فانقطع ذلك عني فكان ذلك سبب ذريته فولد له.

(ومهما احتاج إلى النكاح فلا ينبغي أن يترك شرط الإرادة في ابتداء النكاح ودوامه إما في ابتدائه فبالنية الحسنة) لا يعرض له ما يخالفها، (وفي دوامها بحسن الخلق وسداد السيرة) الباطنة والظاهرة (والقيام بالحقوق والواجبات التي أوجب الله تعالى عليه للمرأة كما فصلناه في كتاب النكاح) في باب حقوق الزوجة على الزوج (فلا نطوّل) الكتاب (باعادته) ثانياً (وعلامة صدق إرادته) مع الله تعالى (أن ينكح فقيرة) أي قليلة المال والأثاث (متدينة) أي ذات حسب ودين ولا يطلب الغنية ولا الجميلة.

(قال بعضهم: من تزوّج غنية كان له منها خمس خصال: مغالاة المهر) أي تطلب مهراً

وتسويف الزفاف، وفوت الخدمة وكثرة النفقة وإذا أراد طلاقها لم يقدر خوفاً على ذهاب مالها. والفقيرة بخلاف ذلك. وقال بعضهم: ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب، وأن تكون فوقه بأربع بالجمال والأدب والورع والخلق وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق.

تزوج بعض المريدين بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت ذلك إلى أبيها وقالت: قد تحيرت في هذا الرجل أنا في منزله منذ سنين ما ذهبت إلى الخلاء قط إلا وحمل الماء قبلي إليه، وتزوج بعضهم امرأة ذات جمال فلما قرب زفافها أصابها الجدري فاشتد حزن أهلها لذلك خوفاً من أن يستقبحها فأراهم الرجل أنه قد أصابه رمد ثم

كثيراً (**وتسويف الزفاف**) أي تأخيره، وربما يواعده أهلها ويخلفون في وعدهم فيكون المريد في حيرة شديدة (**وفوت الخدمة**) فإن الغنية تأبى عن الخدمة وتأنف أن تكنس البيت وتباشر مهماته بيدها (**وكثرة النفقة**) فهذه أربعة، (و) الخامسة (**إذا أراد طلاقها لم يقدر خوفاً على مالها**) من متأخر الصداق، (**والفقيرة بخلاف ذلك**) فإن مؤنتها يسيرة وخدمتها كثيرة. ؛(**وقال بعضهم: ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلاَّ استحقرته**) في عينها (**بالسن**) فتكون أصغر سناً من الرجل (**والطول**) أي تكون أقصر من الرجل في القامة (**والمال**) أي تكون أقل مالاً من الرجل (**والحسب**) أي تكون أقل حسباً من الرجل والحسب شرف الآباء. وفي ضد هؤلاء الأربعة تستحقر الرجل فتقول: أنا أكبر منك، أنا أطول منك، أنا أغنى منك، أنا أشرف منك وكل ذلك مما يشوّش قلب الرجل، وربما أدّى إلى الفراق فإذا وجد في الرجل شيء من ذلك فلا ينبغي أن يفاتحها به فانه يكون سبب الغم بينهما وقد أمرنا بكتم السن لأجل ذلك فإنك إن قلت سني كذا وكان قليلاً استحقرتك وإن قلت إنك كبير استخرفتك، (**وأن تكون فوقه باربع: بالجمال والأدب والخُلُق والورع**) وهذه الأربعة مما توجب ميل الرجل إليها ويطمئن قلبه من ظرفها. وفي القوت: فإن عزم العبد على النكاح فلا يكن همه من النكاح إلا ذات الدين والصلاح والعقل والقناعة، ففي الخبر: عليك بذات الدين فنكاح المرأة للدين والصلاح طرق من الآخرة والرغبة في المرأة الناقصة الخلق الدنية الصورة الكبيرة السن باب من الزهد، والفقيرة خفيفة المؤنة ترضى باليسير والغنية تشتهي عليه الشهوات فيتمرط عليه دينه. (**وعلامة صدق الإرادة في دوام النكاح الخلق**) أي معاشرتها بأحسن الأخلاق وألينها، فقد حكي أنه (**تزوّج بعض المريدين بامرأة فلم يزل يخدمها حتى استحيت المرأة وشكت ذلك إلى أبيها وقالت: قد تحيرت في هذا الرجل أنا في منزلة منذ سنين ما ذهبت إلى الخلاء**) أي بيت الماء (**قط إلا وحمل الماء قبلي إليه**) وهذا من حسن الأخلاق وطيب المعاشرة، (**وتزوّج بعضهم امرأةِ ذات جمال فلما قرب زفافها**) إليه (**أصابها الجدري**) فغير محاسن جسدها (**فاشتد حزن أهلها لذلك خوفاً من أن يستقبحها**) ولا تعجبه، (**فأراهم الرجل**) بعد أن فطن لذلك

أراهم أن بصره قد ذهب حتى زفت إليه، فزال عنهم الحزن فبقيت عنده عشرين سنه ثم توفيت ففتح عينيه حين ذلك، فقيل له في ذلك فقال: تعمدته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا. فقيل له: قد سبقت إخوانك بهذا الخلق.

وتزوّج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها فقيل له: لم لا تطلقها؟ فقال: أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها فيتأذى بها، فإن تزوّج المريد فهكذا ينبغي أن يكون وإن قدر على الترك فهو أولى له إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق، وعلم أن ذلك يشغله عن حاله، كما روي أن محمد بن سليمان الهاشمي كان يملك من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم، فكتب إلى أهل البصرة وعلمائها في امرأة يتزوّجها فاجمعوا كلهم على رابعة العدوية رحمها الله تعالى، فكتب إليها: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد؛ فإن الله تعالى قد ملكني من غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس تمضي الأيام والليالي حتى أتمها مائة ألف، وأنا أصير لك مثلها ومثلها فاجيبيني،

(**أنه قد أصابه رمد**) في عينيه وبقي على ذلك أياماً، (**ثم أراهم أن بصره قد ذهب حتى زفت إليه فزال عنهم الحزن**) القائم بهم، (**فبقيت عنده عشرين سنة**) وهو على تلك الحالة، (**ثم توفيت ففتح عينيه حين ذلك فقيل له في ذلك**) التعاطي (**فقال: تعمدته لأجل أهلها حتى لا يحزنوا، فقيل له: قد سبقت إخوانك بهذا الخلق**) وصدقوا فإن الصبر على مثل هذا أشد ما سمع، وحكي عن بعض الصوفية أنه جعل نفسه أصم مدة عشرين سنة لكون امرأته خرج منها صوت ريح فخجلت فتصامم لكي يذهب عنها الخجل، ولم يزل كذلك حتى ماتت، نقله الشعراني في بعض كتبه.

(**وتزوّج بعض الصوفية امرأة سيئة الخلق فكان يصبر عليها**) ويحتمل سوء خلقها (**فقيل له: لم لا تطلقها**) فتستريح منها؟ (**فقال: أخشى أن يتزوّجها من لا يصبر عليها**) كصبري (**فيتأذى بها**) وهذا من أصعب المجاهدات، (**فإن تزوّج المريد فهكذا ينبغي أن يكون**) في أخلاقه (**وإن قدر على الترك فهو أولى**) لحاله (**إذا لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح**) وبين (**سلوك الطريق**) طريق الآخرة. (**وعلم أن ذلك يشغله عن حاله**) ويحول بينه وبين جمع همته، (**كما روي أن محمد بن سليمان**) بن علي بن عبد الله بن عباس (**الهاشمي**) وكان قد ولي البصرة من قبل ابن أخيه السفاح (**ملك من غلة الدنيا**) أي ارتفاقها (**ثمانين ألف درهم في كل يوم، ثم كتب إلى أهل البصرة وعلمائها في امرأة يتزوّجها فاجمعوا كلهم على**) زاهدة عصرها (**رابعة**) ابنة إسماعيل (**العدوية**) وكانت رحمها الله بارعة الجمال، (**فكتب إليها**) ما نصه: (**بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد؛ فإن الله تعالى قد ملكني في غلة الدنيا ثمانين ألف درهم في كل يوم وليس تمضي الأيام والليالي حتى أتمها مائة ألف وأنا أصير لك مثلها،**

فكتبت إليه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن، والرغبة فيها تورث الهم والحزن. فإذا أتاك كتابي هذا فهيء زادك وقدّم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا تراثك، فصم الدهر وليكن فطرك الموت. وأما أنا فلو أن الله تعالى خوّلني أمثال الذي خوّلك وأضعافه ما سرني أن أشتغل عن الله طرفة عين.

وهذه إشارة إلى أن كل ما يشغل عن الله تعالى فهو نقصان، فلينظر المريد إلى حاله وقلبه فإن وجده في العزوبة فهو الأقرب، وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به، ودواء هذه العلة ثلاثة أمور: الجوع، وغض البصر، والاشتغال بشغل يستولي على القلب فإن لم تنفع هذه الثلاثة فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها فقط. ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح وإلى تزويج البنات. قال سعيد بن المسيب: ما أيس إبليس من أحد

فاجيبيني) أي للنكاح، (فكتبت إليه) ما نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فإن الزهد في الدنيا راحة القلب والبدن، والرغبة فيها تورث الهم والحزن، فإذا أتاك كتابي هذا فهيء زادك وقدم لمعادك) أي لآخرتك، (وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك فيقتسموا مالك وصم الدهر وليكن فطورك الموت، وأما أنا فلو ان الله تعالى خوّلني أمثال الذي خوّلك) أي أعطاك (وأضعافه ما سرني أن أشتغل عن الله طرفة عين) والسلام.

(وهذا إشارة إلى أن كل ما شغل عن الله تعالى فهو نقصان) فإذاً الزواج في حق المريد نقصان لحاله لأنه اشتغال بالزوجة، فلا يصح له أن يشتغل بغير الله تعالى: (فلينظر المريد إلى حاله وقلبه فإن وجده ساكناً في العزبة) غير متطلع إلى الشهوة (فهو أقرب) إلى سلوكه، (وإن عجز عن ذلك فالنكاح أولى به). وسئل سهل رحمه الله تعالى عن النساء فقال: الصبر عنهن خير من الصبر عليهن، والصبر عليهن خير من معالجة النساء. وقال أبو الحسن علي بن سالم البصري وقد سئل عن التزويج فقال: لا يصلح في هذا الوقت إلا لرجل يدركه من الشبق ما يدرك الحمار إذا نظر إلى أتان لم يملك نفسه أن يثب عليها حتى يضرب رأسه وهو لا ينثني، فإذا كان الإنسان على مثل هذا الوصف كان التزويج له أفضل، (ودواء هذه العلة ثلاث) خصال: (الجوع) وهو أكثرها تأثيراً، (وغض البصر) وهي تليها، (والاشتغال بشغل يستولي على القلب) ويغلبه بالكلية فلا تكون له وجهة إلى شيء سوى ما هو فيه، (فإن لم تنفع هذه الثلاث فالنكاح هو الذي يستأصل مادتها) ويقطع شأفتها (فقط) وما بعده دواء يستعان به على دفع هذا المرض، (ولهذا كان السلف يبادرون إلى النكاح) خوفاً من الوقوع في شيء من فتن النفس ويراعون المعالجة قبل حلول المرض، (و) كانوا يبادرون أيضاً (إلى تزويج البنات) والأولاد

إلا وأتاه من قبل النساء وقال سعيد أيضاً وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى ما شيء أخوف عندي من النساء . وعن عبدالله بن أبي وداعة قال : كنت أجالس سعيد بن المسيب فتفقدني أياماً فلما أتيته قال : أين كنت ؟ قلت : توفيت أهلي فاشتغلت بها . فقال : هلا أخبرتنا فشهدناها ؟ قال : ثم أردت أن أقوم فقال : هل استحدثت امرأة ؟ فقلت : يرحمك الله تعالى ومن يزوّجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟ فقال : أنا فقلت : وتفعل ؟ قال : نعم فحمد الله تعالى وصلى على النبي ﷺ وزوّجني على درهمين أو قال ثلاثة قال : فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلي وجعلت أفكر ممن آخذ وممن أستدين ، فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي

ولو قبل البلوغ خشية من الافتتان عليهن وعليهم . (**قال سعيد بن المسيب**) القرشي التابعي رحمه الله تعالى : (**ما أيس إبليس من أحد الاوأتاه من قبل النساء**) أي : فإنهن حبائله بهن يصطاد الرجال ، (**وقال**) سعيد أيضاً : (**وسنه أربع وثمانون سنة ، وقد ذهبت إحدى عينيه ، وكان يعشو بالأخرى ما شيء عندي أخوف من النساء**) .

قلت : قوله أربع وثمانون هكذا وقع في نسخ الكتاب ، والصواب أربع وسبعون فإن الواقدي صرّح بأن وفاته سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك . قال : وهو ابن خمس وسبعين سنة . وفي قول غير الواقدي أنه مات سنة ثلاث وتسعين ، فيكون عاش أربعاً وسبعين سنة . واختلف في ولادته فقيل لسنتين مضتا من خلافة عمر ، وقيل : لأربع سنين ، وأما قوله : وقد ذهبت إحدى عينيه فقد قال أحمد بن عبد الله العجلي في ترجمته : أنه كان أعور وذكره صاحب الشعور في العور .

(**وعن عبدالله بن أبي وداعة**) الحرث بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو القرشي السهمي أخو المطلب بن أبي وداعة أمها أروى بنت الحرث بن عبد المطلب ذكره المرزباني في معجم الشعراء وقال : أدرك الإسلام فأسلم وعمَّر دهراً بعد ذلك . وأورده الحافظ في الإصابة وقال : هذا على الشرط فإنه لم يبق بمكة بعد الفتح من قريش أحد إلا أسلم وشهد حجة الوداع مع النبي ﷺ وذكره الزبير بن بكار في أنساب قريش وقال : أسلم وعاش في الإسلام وليس له عقب . (**قال : كنت أجالس سعيد بن المسيب**) أي اختلف إليه في مجالسه (**ففقدني أياماً فلما أتيته قال : أين كنت ؟ قلت : توفيت اهلي فاشتغلت بها . فقال : هلا أخبرتنا بموتها فشهدناها**) أي جنازتها . (**قال : ثم أردت أن أقوم . فقال : هل استحدثت امرأة**) أخرى ؟ (**فقلت : يرحمك الله ومن يزوّجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟ فقال : أنا فقلت : وتفعل ؟ قال : نعم فحمد الله تعالى وصلى على نبيه ﷺ وزوّجني على الدرهمين أو قال على الثلاثة . قال**) عبد الله : (**فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت**) إلى المنزل ، (**فأسرجت**) أي أوقدت فيه سراجاً

فأسرجت وكنت صائماً فقدمت عشائي لأفطر وكان خبزاً وزيتاً، وإذا بابي يقرع فقلت: من هذا؟ قال: سعيد. قال: فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد قال فخرجت إليه فإذا به سعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له، فقلت يا أبا محمد لو أرسلت إليّ لأتيتك. فقال: لا أنت أحق أن تؤتى. قلت: فما تأمر؟ قال: إنك كنت رجلاً عزباً فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك، وهذه امرأتك وإذا هي قائمة خلفه في طوله، ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب وردّه فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب ثم تقدمت إلى القصعة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه، ثم صعدت السطح فرميت الجيران فجاؤني وقالوا: ما شأنك قلت: ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم، وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا: أو سعيد زوّجك، قلت: نعم قالوا: وهي في الدار؟ قلت: نعم، فنزلوا إليها وبلغ ذلك أمي فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام. قال: فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها فإذا

(**وكنت صائماً فقدمت عشائي لأفطر وكان**) العشاء خبزاً وزيتاً، (**وإذا بابي يُقرع فقلت: من هذا؟ قال: سعيد. قال: فأفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب**) فإنه لم يخطر ببالي، (**وذلك أنه لم ير أربعين سنة إلا بين داره والمسجد. قال: فخرجت إليه وإذا به سعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له**) رأي في أمر ابنته (**فقلت: يا أبا محمد لو أرسلت إليّ لأتيتك فقال: لا. أنت أحق أن تؤتى. قلت: فما تأمر؟ قال: إنك قد كنت رجلاً عزباً فتزوّجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك، وإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب**) إلى جهة الدار (**وردّه**) أي الباب (**فسقطت المرأة**) مما غلب عليها (**من الحياء فاستوثقت من الباب، ثم تقدمت إلى القصعة التي فيها الخبز والزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه**) فتستحقره، (**ثم صعدت السطح فرميت الجيران**) أي بالحصاة (**فجاؤني وقالوا: ما شأنك؟ قلت**) لهم: (**ويحكم زوّجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها الليلة على غفلة. قالوا: وسعيد زوّجك؟ قلت: نعم. قالوا وهي في الدار؟ قلت: نعم. فنزلوا إليها وبلغ ذلك أمي**) وهي أروى بنت الحرث بن عبد المطلب ذكرها ابن سعد في الصحابيات في باب بنات عم النبي ﷺ وقال: أمها غزية بنت قيس بن طريف من بني فهر بن مالك. قال: وولدت لأبي وداعة المطلب وأبا سفيان وأم جميل وأم حكيم والربعة اهـ. ولم يذكر عبد الله وممن صرح بأنها أمه الحافظ في ترجمة عبد الله في الاصابة. (**وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام. قال: فأقمت ثلاثاً ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله**) تعالى، (**وأعلمهم بسنّة رسول**

هي من أجل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله تعالى، وأعلمهم بسنّة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج. قال فمكثت شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه، فلما كان بعد الشهر أتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ولم يكلمني حتى تفرق الناس من المجلس فقال: ما حال ذلك الإنسان؟ فقلت: بخير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو. قال: إن رأبك منه أمر فدونك والعصا فانصرفت إلى منزلي فوجه إليّ بعشرين ألف درهم. قال عبد الله بن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب هذه قد خطبها منه عبد الملك بن مروان لابنه الوليد حين ولاّه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصبّ عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف. فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة في الدين إلى تطفئة نارها بالنكاح رضي الله تعالى عنه ورحمه.

بيان فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين:

اعلم أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستحيا منه ويخشى من اقتحامه وامتناع أكثر الناس عن

الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج قال: فمكثت شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه، فلما كان بعد الشهر أتيته وهو في حلقته فسلمت عليه فردّ عليّ السلام ولم يكلمني) والناس حوله (حتى تفرق الناس من المجلس فقال: وما حال ذلك الانسان) يعني به ابنته؟ (فقلت: بخير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدوّ. وقال: إن رابك أمر) أي من المخالفة لك (فدونك والعصا، فانصرفت الى المنزل فوجه إليّ بعشرين ألف درهم).

(قال عبد الله بن سليمان) أحد رواة هذه القصة، (وكان عبد الملك بن مروان قد خطبها منه لابنه الوليد حين ولاّه العهد) وأن يكون خليفة بعده (فأبى أن يزوّجه) إياها، (فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصبّ عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف) وأشهره بين الناس، (فاستعجال سعيد) رحمه الله تعالى (في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب المبادرة إلى تطفئة نارها بالنكاح) وفيه أنه عصم رحمه حيث لم يزوّجها للوليد لما كان فيه من الظلم.

فضيلة من يخالف شهوة الفرج والعين:

(اعلم) وفقك الله تعالى (أن هذه الشهوة هي أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها عند الهيجان على العقل) فقد يضعف عن مقاومتها إذا ثارت (إلا أن مقتضاها قبيح يستحيا منه ويخشى من اقتحامه) أي ارتكابه والدخول فيه، (وامتناع أكثر الناس عن مقتضاها) لا

مقتضاها. إما لعجز أو لخوف أو لحياء أو لمحافظة على جسمه، وليس في شيء من ذلك ثواب فإنه إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة أن لا يقدر ففي هذه العوائق فائدة وهي دفع الإثم، فإن من ترك الزنا اندفع عنه إثمه بأي سبب كان تركه، وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفاً من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب لا سيما عند صدق الشهوة، وهذه درجة الصديقين. ولذلك قال ﷺ: «من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد». وقال عليه الصلاة والسلام: «سبعة

يخلو (إما) أن يكون (لعجز) ظاهر، (أو لخوف) لاحق، (أو لحياء) عارض، (أو لمحافظة على حشمة) أي مقام نفسه بين الناس. (وليس في شيء من ذلك ثواب فإنه إيثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر) والحظوظ النفسية كلها لا ثواب لها. (نعم من العصمة أن لا يقدر) والمشهور على الألسنة، ومن العصمة أن لا تجد والمراد بالعصمة هنا الحفظ أي فإذا أراد الله حفظ عبده لم يجعله قادراً على الإتيان بشيء من المخالفات، (ففي هذه العوائق فائدة وهي رفع الإثم) إذ لو أقدم عليه لأثم (فمن ترك الزنا اندفع عنه إثمه بأي سبب كان تركه، وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفاً من الله تعالى مع القدرة) عليه (وارتفاع الموانع) عنه حسية ومعنوية، (وتيسر الأسباب لا سيما عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين، ولذلك قال ﷺ: «من عشق) أي من يتصور حل نكاحه لها شرعاً لا كأمرد والعشق كما تقدم هو التفاف الحب بالمحب حتى خالط جميع أجزائه واشتمل عليه اشتمال الصماء (فعف) أي منع نفسه عن إيفاء حظها (فكتم) بأن لم يظهره لأحد (فمات فهو شهيد») وإنما قارب وصفه وصف القتيل في سبيل الله لتركه لذة نفسه، فكما بذل المجاهد مهجته لإعلاء كلمة الله، فهذا جاهد نفسه في مخالفة هواها بمحبته للقديم خوفاً ورهبة وإيثاراً على محبة محدث. قال العراقي: رواه الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس وقال: أنكر على سويد بن سعيد ثم قال أيضاً: يقال إن يحيى لما ذكر هذا الحديث قال: لو كان لي رمح وفرس غزوت سويداً. ورواه الخرائطي من غير طريق سويد بسند فيه نظر اهـ.

قلت: قد كثر الكلام على هذا. ولنذكر أولاً اختلاف ألفاظه، وهذا الذي أورده المصنف هو لفظ حديث ابن عباس أخرجه الحاكم والخطيب في تاريخيهما من طريق نفطويه عن محمد بن داود بن علي الأصبهاني عن أبيه إمام أهل الظاهر عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس به مرفوعاً

وقرأت في مصارع العشاق للشيخ أبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بدمشق قال: حدثنا أبو الحسن علي بن أيوب بن الحسين بن أيوب القمي املاء، حدثنا أبو عبيد الله المرزباني وأبو عمر بن حيويه وأبو بكر بن شاذان قالوا: حدثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي نفطويه قال: دخلت على محمد بن داود الأصبهاني في مرضه الذي

....

مات فيه فقلت له: كيف تجدك؟ فقال: حب من تعلم أورثني ما ترى. فقلت: ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة؟ فقال: الاستمتاع على وجهين: أحدهما: النظر المباح، والثاني: اللذة المحظورة فأما النظر المباح فاورثني ما ترى وأما اللذة المحظورة فإنه منعني منها ما حدثني أبي قال: حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا علي بن مسهر عن أبي يحيي القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة ثم أنشدنا لنفسه:

انظـر إلى السحـر يجري في لـواحظـه ... وانظـر إلى دعـج في طـرفـه السـاجِ
وانظـر إلى شعـرات فـوق عـارضـه ... كـأنهن نمال دب في عـاجِ

وأنشدنا لنفسه:

مـا لهم أنكـروا سـواداً بخد ... يـه ولا ينكـرون ورد الغصـونِ
إن يكـن عيـب خـده بـد والشعـ ... ـر فعيـب العيـون شعـر الجفـونِ

فقلت له: نفيت القياس في الفقه وأثبته في الشعر، فقال: غلبة الهوى وملكة النفوس دعوا إليه قال: ومات في ليلته أو في اليوم الثاني، وبهذا السند إلى القمي قال: حدثنا محمد بن عمران، حدثني محمد بن أحمد بن مخزوم، حدّثني الحسن بن علي الأشناني، وأحمد بن محمد بن مسروق قالا: حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا علي بن مسهر، عن أبي يحيي القتات، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من عشق فظفر فعف فمات مات شهيداً. وقال الحافظ السخاوي: ورواه ابن المرزبان عن أبي بكر الأزرقي، حدثنا سويد به مرفوعاً قال ابن المرزبان: إن شيخه كان حدثه به مرفوعاً فعاتبه فيه فاسقط الرفع ثم صار بعد يرويه موقوفاً، وهو مما أنكره عليه يحيي بن معين حتى قال: ما تقدم من الكلام فيما نقله الحاكم في تاريخه، وكذا أنكره عليه غيره وقد قال أحمد أن سويد ابن سعيد متروك، وقال ابن الجوزي: ومدار الحديث عليه فهو لا يصح لأجله، وأورده في الموضوعات وتبعه في ذلك ابن تيميـة وابن القيم مبالغاً في الإنكار على هذا الحديث. قال السخاوي تبعاً للزركشي: لكن سويداً لم ينفرد به فقد رواه الزبير بن بكار فقال: حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون، عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس به مرفوعاً، وهو سند صحيح. وقد ذكره ابن حزم في معرض الإحتجاج فقال:

فـإن أهلـك هـوى أهلك شهيـداً ... وإن تمنـن بقيـت قـريـر عين
روى هـذا لنـا قـوم ثقـات ... نـأوا بـالصـدق عـن كـذب ومينِ

وقد نظمه أبو الوليد الباجي فقال:

إذا مـات المحـب هـوى وعشقـا ... فتلـك شهـادة يـا صـاح حقـا
رواه لنـا ثقـات عـن ثقـات ... إلى الحبر ابـن عبـاس تـرقـى

قال الحافظ السخاوي: وينظر هل هذه الطريق التي أوردها الخرائطي منها فإن تكن هي، فقد قال العراقي في سندها نظر اهـ.

يظلهم الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وعدّ منهم رجلاً دعته امرأة ذات جمال وحسب إلى نفسها فقال إني أخاف الله رب العالمين. وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ومع رغبتها معروفة، وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز وهو إمام لكل من وفق لمجاهدة في هذه الشهوة العظيمة.

وروي أن سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجهاً، فدخلت عليه امرأة فسألته

قلت: ولعل وجه النظر أن الديلمي أخرجه في مسنده من طريق الزبير فقال: عن عبد الله بن عبد الملك بن الماجشون لا عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون، فإن كان هذا القدر هو المشار إليه بقوله فيه نظر فالأمر سهل والله أعلم. ومن ألفاظ هذا الحديث: «من عشق فعف ثم مات فهو شهيد» رواه الخطيب في ترجمة قطبة بن المفضل من حديث عائشة وهو من رواية أحمد بن محمد بن مسروق عن سويد بن سعيد وسويد قد عرفت حاله، وابن مسروق ضعيف لينه الدارقطني.

ومنها: من عشق فكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة» رواه ابن عساكر من حديث ابن عباس.

ومنها: «من عشق فكتم فصبر فمات فهو شهيد» رواه بعض المذكورين أما الديلمي وأما الخرائطي ونظيره في توالي التعقيب بالفاء قوله تعالى: ﴿فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها﴾ [الشمس: ١٣-١٥] وكذا في النازعات توالى فاآت، وللحديث طرق عند البيهقي أيضاً والله أعلم.

(وقال ﷺ: « سبعة يظلهم الله تحت عرشه يوم لا ظل إلا ظله وعدّ منهم رجلاً دعته امرأة ذات جمال وحسب إلى نفسها فقال: إني أخاف الله رب العالمين ») ولفظ الحديث: « إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » رواه أحمد والشيخان والنسائي من حديث أبي هريرة. ورواه مالك والترمذي من حديث أبي هريرة أو أبي سعيد بالشك. ورواه مسلم أيضاً من حديثهما معاً. وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الزكاة.

(وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا) امرأة العزيز **(مع القدرة)** وتيسير الأسباب **(ومع رغبتها إليه معروفة)** عند الناس، **(وقد أثنى الله تعالى عليه بذلك في كتابه العزيز)** بل السورة بتمامها على ذكر أحواله وكيف عصمه الله تعالى فقهر نفسه وأذل هواه **(وهو)** عليه السلام **(إمام لكل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة)** وله به أسوة وقدرة.

(فقد روي أن سليمان بن يسار) الهلالي مولاهم المدني أحد الفقهاء السبعة المشهورة كنيته أبو

نفسه فامتنع عليها وخرج هارباً من منزله وتركها فيه. قال سليمان: فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكأني أقول له أنت يوسف؟ قال: نعم. أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي لم تهم أشار به إلى قوله تعالى: ﴿ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ [يوسف: ٢٤] وعنه أيضاً ما هو أعجب من هذا وذلك أنه خرج من المدينة حاجاً ومعه رفيق له حتى نزلا بالأبواء، فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق إلى السوق ليبتاع شيئاً وجلس سليمان في الخيمة وكان من أجمل الناس وجهاً وأورعهم فبصرت به اعرابية من قلة الجبل وانحدرت إليه حتى وقفت بين يديه وعليها البرقع والقفازان فأسفرت عن وجه لها كأنه فلقة قمر وقالت: أهنئني فظن أنها تريد طعاماً فقام إلى فضلة السفرة ليعطيها، فقالت: لست أريد هذا إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله؟ فقال: جهزك إلي إبليس ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ في النحيب، فلم يزل

أيوب (وهو أخو عطاء) وعبد الملك وعبد الله ابني يسار (كان من أحسن الناس وجهاً قد خلت عليه امرأة فسألته نفسه فامتنع عليها وخرج هارباً من منزله وتركها فيه) لما قالت له: ادن (قال سليمان: فرأيت تلك الليلة في المنام يوسف عليه السلام وكأني أقول له أنت يوسف؟ قال: أنا يوسف الذي هممت وأنت سليمان الذي لم تهم، وأشار إلى قوله تعالى: ﴿ولقد هممت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه﴾) [يوسف: ٢٤] رواه أبو نعيم في الحلية من طريق مصعب بن عبد الله الزبيري، حدثنا مصعب بن عثمان قال: كان سليمان من أحسن الناس وجهاً فساقه. وأخرجها المزي في التهذيب في ترجمته من طريق مصعب بن عثمان أيضاً:

(وعنه ما هو أعجب من هذا. وذلك) فيما رواه أبو نعيم في الحلية عن جعفر بن محمد بن نصير كتابة، حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا محمد بن بشير الكندي، حدثنا عبد الرحمن بن جرير بن عبيد بن حبيب بن يسار الكلابي، عن أبي حازم (أنه خرج) سليمان بن يسار (من المدينة حاجاً) ومعه رفيق له (حتى نزلا بالأبواء) وهو موضع بين الحرمين (فقام رفيقه وأخذ السفرة) بالضم مائدة من جلد مدبوغ تتخذ للتزود فيها في الأسفار، (وانطلق إلى السوق ليبتاع لهم شيئاً) أي يشتري (وجلس سليمان في الخيمة) وحده (فبصرت به اعرابية من قلة الجبل) أي من رأسه (فانحدرت إليه، فلما رأت جمال وجهه) ووجدته منفرداً (جاء حتى وقفت بين يديه، وكان من أحسن الناس وجهاً وأورعهم، فكشفت) الأعرابية (عن وجهها البرقع) فإذا هو (كأنه فلقة قمر) حسناً وبهاء، (فقالت: أهنئني فظن أنها تريد طعاماً فقام إلى فاضل السفرة ليعطيها. فقالت: لست أريد هذا إنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله. فقال: جهزك الشيطان إليّ ثم وضع رأسه بين ركبتيه) ولفظ الحلية بين كميه (وأخذ في النحيب) أي رفع الصوت بالبكاء، (فلم يزل

يبكي فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها . وجاء رفيقه فرآه وقد انتفخت عيناه من البكاء وانقطع حلقه فقال : ما يبكيك ؟ قال : خير ذكرت صبيتي . قال : لا والله إلا أن لك قصة إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الاعرابية ، فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديداً فقال له سليمان : وأنت ما يبكيك . قال : أنا أحق بالبكاء منك لأني أخشى أن لو كنت مكانك لما صبرت عنها ، فلم يزالا يبكيان . فلما انتهى سليمان إلى مكة فسعى وطاف ثم أتى الحجر فاحتبي بثوبه فاخذته عينه فنام ، وإذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان . رحمك الله من أنت . قال له : أنا يوسف ، قال : يوسف الصديق ؟ قال : نعم . قال : إن في شأنك وشأن امرأة العزيز لعجباً ؟ فقال له يوسف : شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب .

وروي عن عبد الله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم المبيت إلى غار فدخلوا فانحدرت صخرة من الجبل فسدت

يبكي ، فلما رأت ذلك منه سدلت البرقع على وجهها وانصاعت راجعة حتى بلغت أهلها ، وجاء رفيقه) من السوق وقد ابتاع لهم ما يرفقهم ، (فرآه وقد انفتحت) ولفظ الحلية انتفخت (عيناه من البكاء وانقطع حلقه) أي صوته (فقال له : ما يبكيك ؟ قال : خير ذكرت صبيتي بالمدينة . قال : لا والله إن لك قصة إنما عهدك بصبيتك منذ ثلاث أو نحوها فلم يزل به حتى أخبره خبر الاعرابية ، فوضع رفيقه السفرة وجعل يبكي بكاء شديداً فقال له سليمان : وأنت فما يبكيك ؟ قال : أنا أحق بالبكاء منك) قال : ولم ؟ قال : (إني لأخشى لو كنت مكانك لما صبرت عنها فلم يزالا يبكيان ، فلما انتهى سليمان إلى مكة فسعى وطاف) بالبيت (أتى الحجر الأسود) ولفظ القوت وطاف وسعى أتى الحجر ، (فاحتبى بثوبه فأخذته عينه فنام ، وإذا رجل وسيم) أي حسن الوجه جميله (طوال) شرحب (له شارة) أي هيئة (حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمان : رحمك الله من أنت ؟ قال : أنا يوسف) بن يعقوب قال) سليمان : (يوسف الصديق ؟ قال : نعم . قال : إن في شأنك وشأن امرأة العزيز) زليخا (لعجباً) لما قص الله في كتابه (فقال له يوسف : شأنك وشأن صاحبة الأبواء أعجب) يشير إلى ما وقع له من قصة الاعرابية .

(وروي عن عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما قال القشيري في الرسالة : أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الأسفرايني ، أخبرنا أبو عوانة بن إبراهيم بن إسحاق ، حدثنا محمد بن عون ويزيد ابن عبد الصمد الدمشقي وعبد الكريم بن الهيثمي الديرعاقولي وأبو الخطيب بن المتميز المصيصي قالوا : حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهري ، عن سالم عن أبيه (قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أواهم الليل إلى غار فدخلوه) أي ليبيتوا

عليهم الغار فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم. فقال رجل منهم: اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً ومالاً فلبثت والقدح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون حول قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه. وقال الآخر: اللهم إنك تعلم أنه كان لي ابنة عم من أحب الناس إليَّ فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها مائة وعشرين ديناراً على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلته ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة عنهم غير أنهم لا

فيه، (**فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا: إنه**) والله (**لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم**) فإن لذلك أثراً ظاهراً في النجاة. (**فقال رجل منهم: اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت أغبق**) بالضم أي لا أسقي (**قبلهما أهلاً ولا مالاً**) أي لا أقدم في الغبوق عليهما أحداً من الأهل ولا من المال، والمراد بالأهل زوجته وصبيته، والمراد بالمال الناطق (**فنأى بي**) أي بعد (**طلب الشجر**) أي المرعى (**يوماً فلم أرح عليهما**) أي لم أصل إليهما في العشية (**حتى ناما**) بعد أن انتظراني على الميعاد، (**فحلبت لهما غبوقهما**) وهو بالفتح ما يشرب في عشية النهار فجئتهما به (**فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً**) وتحرجت أن أوقظهما، (**فلبثت والقدح في يدي أنتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبيان يتضاغون**) أي يتصايحون بالبكاء من الجوع (**حول قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً**) قليلاً (**لا يستطيعون الخروج منه**) قال رسول الله ﷺ، (**وقال الآخر: اللهم إنك تعلم أنه كانت ابنة عم لي من أحب الناس إلي فاردتها**) وفي نسخة فراودتها (**عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة مجدبة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة وعشرين ديناراً على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت حتى إذ قدرت عليها**) أي تمكنت منها (**قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه**) وهو عقد النكاح، (**فتحرجت**) أي تجنبت الإثم (**من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي من أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها**) إياه. (**اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج**

يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم إني أستأجرت أجراء وأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد فإنه ترك الأجر الذي له وذهب فنميت له أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله اعطني أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق. فقال: يا عبد الله أتهزأ بي؟ فقلت: لا استهزىء بك فخذه فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيئاً اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون».

فهذا فضل من تمكن من قضاء هذه الشهوات فعف وقريب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فإن العين مبدأ الزنا فحفظها مهم وهو عسر من حيث أنه قد يستهان به ولا يعظم الخوف منه، والآفات كلها منه تنشأ. والنظرة الأولى إذا لم تقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة يؤاخذ بها. قال ﷺ: «لك الأولى وعليك الثانية» أي النظرة. وقال العلاء بن

عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة عنهم غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها) قال رسول الله ﷺ: **(وقال الثالث: اللهم إني أستأجرت أجراء)** جمع أجير وهو من يخدم بالأجرة **(وأعطيت أجورهم غير رجل واحد فإنه ترك الأجر الذي له)** وسخطه **(وذهب)** كأنه استقلل **(فثمّرت أجره)** أي نميته **(حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال)** لي: **(يا عبد الله اعطني أجري، فقلت)** له: **(كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال)** لي: **(يا عبد الله أتهزأ بي)** وفي رواية لا تستهزىء بي، **(فقلت)** له: إني **(لا أستهزىء بك فاستاقه وأخذه كله ولم يترك منه شيئاً. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة)** عنهم **(فخرجوا يمشون)** رواه البخاري في الصحيح.

(فهذا فضل من تمكن من الشهوة فعف) نفسه عنها ولم يعطها حظها وأقوى هؤلاء الثلاثة الثاني فإنه ترك شهوته مع تيسرها. وكمال محبته لابنة عمه وبذله لها ما بذله من المال الجزيل. وفي القصة إثبات الكرامة لهم حيث استجاب الله دعاءهم وأزال الصخرة عنهم بقدرته خرقاً للعادة. **(ويقرب منه من تمكن من قضاء شهوة العين فإن العين مبدأ الزنا)** والقلب تابع لها **(فحفظها مهم)** مطلوب **(وهو عسير من حيث أنه قد يستهان به)** ويستحقر أمره، **(ولا يعظم الخوف فيه والآفات كلها تنشأ منه)** وتتولد به، **(والنظرة الأولى)** التي تقع مفاجأة **(إذا لم تقصد)** أي لا تكون مقصودة **(لا يؤاخذ بها والمعاودة)** أي مراجعتها ثانية **(يؤاخذ بها. قال ﷺ: «لك الأولى وعليك الثانية» أي النظرة)** قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي من حديث بريدة قاله لعلي. قال الترمذي: غريب.

(وقال) أبو نصر **(العلاء بن زياد)** بن مطر العدوي البصري العابد المتوفي في سنة ٩٤

زياد: لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يزرع في القلب شهوة وقل ما يخلو الإنسان في ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان، فمهما تخايل إليه الحسن تقاضى الطبع والمعاودة وعنده ينبغي أن يقرر في نفسه أن هذه المعاودة عين الجهل، فإنه إن حقق النظر فاستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول فلا يحصل له إلا التحسر، وإن استقبح لم يلتذ وتألم لأنه قصد الإلتذاذ فقد فعل ما آلمه، فلا يخلو في كلتا حالتيه عن معصية وعن تألم وعن تحسر، ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات فإن اخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوّة ونهاية التوفيق، فقد روي عن أبي بكر بن عبد الله المزني أن قصاباً أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له: لا تفعل لأنا أشد حباً لك منك لي ولكني أخاف الله. قال: فأنت تخافينه وأنا لاأخافه فرجع تائباً فأصابه العطش حتى كاد يهلك، فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال: مالك؟ قال: العطش. قال: تعالى حتى ندعو الله بأن تظلنا سحابة حتى ندخل القرية. قال: مالي

(**لا تتبع النظرة فإن النظر يزرع في القلب شهوة**) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا معتمر عن إسحاق بن سويد، عن العلاء بن زياد: «لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يجعل في القلب شهوة». (**وقلما يخلو الإنسان في ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان فمهما يخيل إليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة، وعنده ينبغي أن يقرر في نفسه أن هذا غاية الجهد فإنه إن حقق النظر فاستحسن ثارت النفس بالشهوة وعجز عن الوصول**) إلى المطلوب، (**فلا يحصل له إلا التحسر وإن استقبح ولم يلتذ**) لأن الاستلذاذ لا يكون إلا مع الاستحسان (**تألم**) في نفسه (**لأنه قصد الالتذاذ فلا يخلو في كل حال عن معصية وعن تألم وعن تحسر. ومهما حفظ العين بهذا الطريق الدفع عن قلبه كثير من الآفات، فإن أخطأت عينه وحفظ الفرج مع التمكن**) والتيسر، (**فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق**) من الله تعالى، (**فقد روي عن بكر بن عبد الله المزني**) فيما رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد بن أبان، حدثنا أبو بكر بن عبيد، حدثني الحسن بن الصباح، حدثنا زيد بن الخيار، حدثنا محمد بن نشيط الهلالي، حدثنا بكر بن عبد الله المزني (**أن قصاباً أولع بجارية لبعض جيرانه فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى فتبعها وراودها عن نفسها فقالت له: لا تفعل فأنا**) ولفظ الحلية لأنا (**أشد حباً لك مني ولكن أخاف الله. قال**) القصاب: (**وأنت تخافينه وأنا لا أخافه؟**) قال: (**فرجع تائباً فأصابه العطش حتى كاد يهلك**) ولفظ الحلية حتى كاد ينقطع عنقه، (**فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل فسأله فقال: مالك؟ قال: العطش. قال:**

من عمل صالح فادعو فادع أنت. قال: أنا أدعو وأمّن أنت على دعائي، فدعا الرسول وأمَّن هو فأظلتهما سحابة حتى انتهيا إلى القرية فأخذ القصاب إلى مكانه فمالت السحابة معه، فقال له الرسول: زعمت أن ليس لك عمل صالح وأنا دعوت وأنت الذي أمنت فأظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني بأمرك فأخبره، فقال الرسول: إن التائب عند الله تعالى بمكان ليس أحد من الناس بمكانه.

وعن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال: كان عندنا بالكوفة شاب متعبد ملازم لمسجد الجامع لا يكاد يفارقه. وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به وطال عليها ذلك، فلما كان ذات يوم وقفت له على الطريق وهو يريد المسجد فقالت له: يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها ثم أعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها، ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له: يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها فاطرق مليا وقال لها: هذا موقف تهمة وأنا أكره للتهمة موضعاً. فقالت له: والله ما وقفت موقفي هذا جهالة بأمرك، ولكن معاذ الله أن يتشوّف العباد إلى مثل هذا مني، والذي حملني على أن لقيتك في مثل هذا الأمر بنفسي

تعالى حتى ندعو وحتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال القصاب: مالي من عمل فأدعو. **قال: فأنا أدعو وأمن أنت**) أي قل آمين (**على دعائي**) قال: (**فدعا الرسول وأمن هو فأظلتهما سحابة حتى انتهيا إلى القرية، فأخذ القصاب إلى مكانه فمالت السحابة معه، فقال له الرسول: زعمت أن ليس لك عمل، وأنا الذي دعوت وأنت الذي أمنت فأظلتنا سحابة ثم تبعتك**) دوني (**لتخبرني بأمرك فاخبره**) بما جرى له مع الجارية، (**فقال الرسول: إن التائب عند الله بمكان ليس أحد من الناس بمكانه**.

و) يحكى (**عن أحمد بن سعيد العابد عن أبيه**) سعيد بن إبراهيم (**قال: كان عندنا بالكوفة شاب متعبد لازم المسجد الجامع لا يكاد يفارقه، وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت إليه امرأة ذات جمال وعقل فشغفت به**) أي احبته حباً شديداً دخل في شغاف قلبها، (**وطال عليها ذلك، فلما كان ذات يوم وقفت له على الطريق وهو يريد المسجد فقالت له: يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها**) ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها، ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو يريد منزله فقالت له: يا فتى اسمع مني كلمات أكلمك بها (**فأطرق**) الفتى (**ملياً**) أي برهة من الزمن (**وقال لها: هذا موقف تهمة وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعاً فقالت له: والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بأمرك ولكن معاذ الله أن يتشوف**) وفي نسخة يتشرف (**العباد إلى مثل هذا مني والذي حملني على أن لقيتك في هذا الأمر بنفسي لمعرفتي أن القليل من هذا**

لمعرفتي أن القليل من هذا عند الناس كثير ، وأنتم معاشر العباد على مثال القوارير أدنى شيء يعيبها ، وجملة ما أقول لك أن جوارحي كلها مشغولة بك فالله في أمري وأمرك . قال : فمضى الشاب إلى منزله وأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله ، وإذا بالمرأة واقفة في موضعها فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله وكان فيه : بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي أيتها المرأة أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم فإذا عاد إلى المعصية مرة أخرى ستره ، فإذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منهاالسموات والأرض والجبال والشجر والدواب ، فمن ذا يطيق غضبه فإن كان ما ذكرت باطلاً فإني أذكرك يوماً تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثو الأمم صولة الجبار العظيم ، وإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي فكيف بإصلاح غيري وإن كان ما ذكرت حقاً فإني أدلك على طبيب هدى يداوي الكلوم المرضة والأوجاع المرمضة ذلك الله رب العالمين فاقصديه بصدق المسألة فإني مشغول عنك بقوله تعالى : ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذا القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع★ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ [غافر : ١٨ ، ١٩] فأين المهرب من هذه الآية ؟ ثم جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق ، فلما

عند الناس كثير ، وأنتم معاشر العباد في مثل القوارير أدنى شيء يعيبها ، وجملة ما أقول لك) وفي نسخة ما أكملك به (**أن جوارحي كلها مشغولة بك فالله في أمري وأمرك . قال :** فمضى الشاب إلى منزله وأراد أن يصلي فلم يعقل كيف يصلي ، فأخذ قرطاساً وكتب كتاباً ثم خرج من منزله ، فإذا بالمرأة واقفة في موضعها فألقى الكتاب إليها ورجع إلى منزله ، فكان فيه) ما نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي أيتها المرأة إن الله عز وجل إذا عصاه العبد ستره فإذا عاد إلى المعصية مرة أخرى ستره) كذلك ، (فإذا لبس منها) وفي نسخة لها (ملابسها) بحيث صار معروفاً بها (غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السموات والأرض والجبال والشجر والدواب ، فمن ذا يطيق غضبه فإن كان ما ذكرت باطلاً فإني أذكرك يوماً تكون السماء فيه كالمهل) أي كالرصاص الذائب ، (وتصير الجبال كالعهن) أي كالصوف المنفوش (وتجثو الأمم) على ركبها (لصولة الجبار العظيم ، وإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي ، فكيف بإصلاح غيري ، وإن كان ما ذكرت حقاً فإني أدلك على طبيب يداوي الكلوم) أي الجراحات (المرضة والأوجاع المرمضة) أي المحرقة (ذلك الله رب العالمين فاقصديه بصدق المسألة فإني متشاغل عنك بقوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ والله يقضي بالحق فاين المهرب من هذه الآية) وهذا آخر ما في

رآها من بعيد أراد الرجوع لمنزله كيلا يراها. فقالت: يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا اليوم أبداً إلا غداً بين يدي الله تعالى، ثم بكت بكاء شديداً وقالت: أسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك، ثم إنها تبعته وقالت: امنن عليّ بموعظة أحملها عنك، وأوصني بوصية أعمل عليها. فقال لها: أوصيك بحفظ نفسك من نفسك وأذكرك قوله تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ [الأنعام: ٦٠] قال: فأطرقت وبكت بكاء شديداً أشد من بكائها الأول، ثم أنها أفاقت ولزمت بيتها وأخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمداً، فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي فيقال له: مم بكاؤك وأنت قد أيأستها من نفسك؟ فيقول: إني قد ذبحت طمعها في أول أمرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله تعالى فأنا أستحيي منه أن استرد ذخيرة أدخرتها عنده تعالى.

الكتاب، (ثم إنها جاءت بعد ذلك بأيام فوقفت له على الطريق) الذي يسلكه العابد إلى المسجد، (فلما رآها من بعيد أراد الرجوع لمنزله لئلا يراها فقالت له: يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقي بعد هذا اليوم إلا بين يدي الله تعالى) غداً (ثم بكت بكاء شديداً وقالت: أسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك، ثم أنها تبعته وقالت: امنن عليّ بموعظة أحملها عنك وأوصني بوصية أعمل عليها. قال: أوصيك بحفظ نفسك من نفسك) المراد بالنفس الأول الذات، وبالثاني الامارة أي حفظ ذاتك من شرها، (واذكرك قوله تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ قال: فاطرقت وبكت بكاء شديداً أشد من بكائها الأول ثم أنها أفاقت) من بكائها ورجعت إلى موضعها، (ولزمت بيتها وأخذت في العبادة) وجدّت فيها، (فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمداً فكان الفتى يذكرها بعد موتها ثم يبكي فيقال له: مم بكاؤك وأنت قد أيستها من نفسك فيقول: إني قد ذبحت طمعي منها في أول أمرها وجعلت قطيعتها ذخيرة لي عند الله، وأنا استحي أن أسترد ذخيرة ادخرتها عنده تعالى) هكذا أخرج هذه القصة الإمام أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج في كتاب مصارع العشاق قال: أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن شكر قال: حدثنا أبو الحسن علي بن عبد الله الهمداني بمكة. حدثنا إبراهيم بن علي، حدثنا محمد بن جعفر الكاتب، عن محمد بن الحسين البرجلاني قال: أخبرني أحمد بن سعيد العابد عن أبيه قال: كان عندنا بالكوفة فساقها إلى آخرها. وفيها بعض زيادات نشير إليها منها بعد قوله ثم أنها أفاقت فقالت:

والله ما حملت أنثى ولا وضعت أنساً كمثلك في مصري وأحيائي

وذكر أبياتاً آخرها قولها

لالبسن لهذا الأمر مدرعة ولا ركنت إلى لذات دنيائي

....

وذكر بعد قوله: ثم لزمت بيتها وأخذت في العبادة. قال: فكانت إذا أجهدها الأمر تدعو بكتابه فتضعه على عينها فيقال لها وهل يغني هذا شيئاً؟ فتقول: وهل لي دواء غيره، وكان إذا جن عليها الليل قامت إلى محرابها فإذا صلت قالت:

يا وارث الأمر هب لي منك مغفرة   وحل عني هوى ذا الهاجر الداني
وانظر إلى خلتي يا مشتكي حزني   بنظرة منك تجلو كل أحزاني

قال: فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمداً ثم قال: وقال لنا الشيخ أبو القاسم الازجي رحمه الله تعالى: ووجدت في نسخة زيادة مسموعة عن الزبيبي شيخنا رحمه الله تعالى قال: ثم أن الجارية لم تلبث أن بليت ببلية في جسمها، فكان الطبيب يقطع من لحمها أرطالاً، فكان الطبيب قد عرف حديثها مع الفتى فكان إذا أراد أن يقطع لحمها يحدثها بحديث الفتى، فما كانت تجد لقطع لحمها ألماً ولا كانت تتاوّه فإذا سكت عن ذكره تأوّهت. قال: فلم تزل كذلك حتى ماتت كمداً رحمة الله عليها.

خاتمة:

قال صاحب القوت: فأما الصوم فليس عندهم هو الجوع المقصود لإسكان النفس وإخماد الطبع، لأن الصوم يصير عادة ويرجع الصائم إلى قوّة طبعه إذا أفطر، فأما إذا كان يصوم ويفطر على الشهوات أو يمتلىء من الأكل. فإن صوم هذا لا يزيده إلا قوة طبع وظهور نفس وتفتق عليه الشهوات ويدخل عليه الفتور عن الطاعات ويجلب عليه الكسل والشبهات، وربما قوي طبعه جملة واحدة وظهرت عليه نفسه بقوّة مجملة إلا أنه لا يجري في نهاره إلا فيما أجريت عادته عليه وجعل حاله فيه من أبواب الدنيا والتنقل في الهوى، وإن كان ظاهر أحواله أسباب الآخرة عنده لقصور علمه فإن حشوها الدنيا فالتقلل وأخذ البلغة من القوت في الأوقات مع الإفطار أصلح لقلب هذا وأدوم لعلمه وأبلغ في آخرته من مثل هذا الصوم، لأن هذا الذي وصفناه عادة أبناء الدنيا المترفهين ليس بصوم أهل الآخرة الزاهدين ولكن بالتقلل والطيّ وترك الشهوات واجتناب الشبهات تنكسر النفس وتذل ويخمد الطبع وتضعف الصفة عن العادة وتقوى إرادة الآخرة ويعمل المريد في سعيها وتخرج حلاوة الدنيا من القلب فيصير العبد من الجوع والطيّ وترك الترهات كأنه زاهد. وقيل لأبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى، وهو أعلى هذه الطائفة إشارة بأي شيء نلت هذه المعرفة؟ قال: ببطن جائع وجسد عار.

وفي الخبر الإسرائيلي أن عيسى عليه السلام ظهر له إبليس فرأى عليه معاليق من ألوان الاصباغ من كل شيء فقال له: ما هذه المعاليق؟ قال: هذه شهوات بني آدم. فقال: فهل لي فيها

شيء ؟ قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر. قال: هل غير ذلك؟ قال: لا. قال: لله علي أن لا أملأ بطني من طعام أبداً. قال إبليس: ولله عليّ أن لا أنصح مسلماً أبداً. وكان أبو سليمان الداراني يقول: إذا عرضت لك حاجة من حوائج الآخرة فامضها قبل أن تأكل، فما من أحد شبع إلا نقص من عمله أو قال تغيّر عقله عما كان عليه وقالوا: إذا كان العبد ناسياً لجوعه ذاكراً لربه فهو يشبه الملائكة، وإذا كان شبعان منهوماً في طلب الشهوات فهو أشبه شيء بالبهائم، ويقال: إن الجوع ملك والشبع مملوك، وأن الجائع عزيز والشبعان ذليل. وقيل: الجوع عز كله والشبع ذل كله. وقال أبو سعيد الخراز: معنى الجوع اسم معلق على الخلق افترقوا في الدخول فيه والعمل به لعلل كثيرة: فمنهم من يجوع ورعاً إذا لم يصب الشيء الصافي، ومنهم من وجد الشيء الصافي فتركه زهداً فيه من مخافة طول الحساب والوقوف والسؤال، ومنهم من استلذ العبادة والنشاط بها والخفة فرأى أن النيل من الطعام والشراب قاطعاً له وشاغلاً عن الخدمة والخلوة، ومنهم من قرب من الله تعالى فلزم قلبه حقيقة الحياء حين علم أن الله مشاهده وكان الحياء مقامه لا غير، فتوهم أن الله يراه وهو يمضغ بين يديه ويأكل ويشرب فيؤديه ذلك إلى الاختلاف إلى الكنيف فيجوع من هذه العين، وهكذا كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه. ومنهم من أدركه السهر عن حاجاته فسلا عن نيل مصلحته حتى يذكر في الغب أو يذكر، ورأى رجل رسول الله ﷺ في المنام فأخذ بجلد ذراعه وجعل يقول: جعت هذا الجوع كله ولم يقل له اترك الجوع، ولو قال له اتركه لعله كان يتركه. قال صاحب القوت: وكان بعض شيوخنا ترك أكل الخبز الحار لأنه كان يشتهيه سنين كثيرة فعوتب في ذلك فقال: لو طمعت نفسي في أكل الخبز عشرين سنة ما أطعتها الساعة. وكان ربما بكى من شدة شهوة نفسه وقوة عزم مجاهدته لاستشعار نفسه صدقه وحسن وفائه فييأس من شهوتها آخر الدهر، فلذلك كان يقع عليه البكاء للإياس من المشتهى.

واعلم أن الشهوات لا حدّ لها وإنما الحد للقوت، فمثل الشهوات مثل الجهل لا حدّ له، ومثل القوت مثل العلم له حد ينتهي إليه، فكم من شهوة دنية منعت رتبة علية. وكان أبو سليمان الداراني يقول: لا تضر الشهوات من لم يتكلفها إنما تضر من حرصها وكان يدعو أصحابه فيقدم إليهم الـ ليبات فيقولون: تنهانا عنها وتقدمها إلينا. قال: لأني أعلم أنكم تشتهونها فتأكلونها عندي خير، ولو جاءني من يزهد ما زدته على الملح، وكان يقول: أكل الطيبات يورث الرضا عن الله تعالى. وقال بعض الخلفاء: شرب ماء بثلج يخلص الشكر لله تعالى، وأوحى الله تعالى إلى بعض أوليائه: أدرك إلي لطف الفطنة وخفي اللطف فإني أحب ذلك. قال: يا رب وما لطف الفطنة؟ قال: إذا وقعت عليك ذبابة فاعلم أني أوقعتها فسلني حتى أرفعها. قال: وما خفي اللطف؟ قال: إذا أتاك فولة مسوّسة فاعلم أني ذكرتك بها فاشكرني عليها، وأوحي إلى بعض الانبياء لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظمة مهديها، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها، وإذا أصابك ضر أو فقر فلا تشكني إلى خلقي، كما إذا صعدت مساوئك إلي لم أشكك إلى ملائكتي.

تم كتاب كسر الشهوتين بحمد الله تعالى وكرمه يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آفات اللسان والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلاته على سيدنا محمد خير خلقه وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء وسلم تسليماً كثيراً.

وبه تم شرح كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج، وذلك في عصر يوم الثلاثاء ثاني عشر محرم الحرام افتتاح سنة ألف ومائتين أرانا الله خيرها وكفانا ضيرها. قال ذلك أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني لطف الله به آمين، والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع مـن ربـع المهلكـات مـن كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الله ناصر كل صابر وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي وفق قلوب أحبائه لموافقة مراسم الحق بإصابة البيان، وفتح بصائر أبصارهم فابصروا حقيقة الحقائق بالمشاهدة والعيان، سبحانه من إله جعل اللسان من الإنسان معبراً عما يكنه باطن الجنان، فهو بمنزلة الترجمان أو الأسير المطلق من قيود الهوان، بل الرئيس المطلق في حلبة الميدان، المرتب على شهادته غاية الطاعة والعصيان، أحمده حمداً أستوجب به الأمان، وأشكره شكراً أستوجب به زيادة الإحسان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقدس ذاته عن مقالات أولي الطغيان وتمجده فيما أبرزه بحكمته من الأكوان، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله سيد ولد عدنان، وخلاصة الخلاصة من نوع الإنسان، المبعوث إلى كافة الإنس والجان، المؤيد بالحجة الباهرة وقواطع البرهان، من أعظمها القرآن الذي أعجز بلغاء كل عصر في كل زمان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الائمة الأعيان، ذوي الفصاحة والبيان، والديانة والمتانة والإيقان والاتقان، وعلى التابعين لهم بإحسان، وسلم تسليماً كثيراً كثيراً أما بعد فهذا شرح:

كتاب آفات اللسان

وهو الكتاب الرابع من الربع الثالث، الموسوم بالمهلكات من كتاب الاحياء للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدس الله روحه في الجنان، ومتعه بالنعيم والحور والولدان، كشفت فيه عن مشكلات حقائقه، وجلوت عرائس التحقيق عن مخدّرات دقائقه، وغصت في بحار معارفه فابرزت منها درراً، ورصعت عليها من نفائس الذخائر فاضحت كلها غرراً، وحققت ما خفي من محاويه، وبينت ما غمض من مطاويه، وعزوت كل قول إلى راويه، سالكاً مسلك الاختصار على الإمكان، سائلاً من الله الكريم اللطف والإحسان، والإعانة لما أنا بصدده، منتظراً لما يفاض عليّ من مواهب مدده، إنه نعم المسؤل وخير ولي وخير مأمول.

قال المصنف رحمه الله تعالى في مفتتح كتابه على عوائده:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدله وألهمه نور الإيمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله. وأفاض على قلبه خزائن العلوم فأكمله، ثم أرسل عليه ستراً من رحمته وأسبله، ثم أمدّه بلسان يترجم به عما حواه القلب وعقله، ويكشف عنه ستره الذي أرسله، وأطلق بالحق مقوله، وأفصح بالشكر عما أولاه وخوّله، من علم حصله ونطق

بسم الله الرحمن الرحيم

(**الحمد لله الذي أحسن خلق الإنسان وعدله**) أي سوّاه في صورته الحاصلة له بأن ركبه من أعضاء مختلفة مثل اليد والرجل والعين واللسان والأنف والأذن فهو تعالى بخلق هذه الأعضاء محسن وبوضعها في مواضعها الخاصة عدل لأنه وضع العين في أوّل المواضع بها من البدن إذ لو خلقها على القفا أو على الرجل أو على اليد أو على قمة الرأس لم يخف ما يتطرق إليها من النقصان والتعرض للآفة، وكذلك خلق اليدين وعلقها من المنكبين، ولو علقها من الرأس أو من الركبتين لم يخف ما يتولد منه من الخلل، وكذلك وضع جميع الحواس على الرأس فإنها جواسيس لتكون مشرفة على جميع البدن، ولو وضعها على الرجل لاختل نظامها قطعاً وشرح ذلك في كل عضو يطول، (**وألهمه نور الإيمان**) بأن أوقع قبول ذلك في قلبه بما انشرح به صدره واطمأن (**فزينه به وجمله**) أي فظهر أثر ذلك النور الذي في القلب على جوارحه الظاهرة فكان زينة وجمالاً، (**وعلمه البيان**) وهو التعبير عما في الضمير وإفهام الغير لما أدركه كتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع، (**فقدمه به**) على سائر خلقه، (**وفضله**) حيث خلقه وخلق له ما يتميز به عن سائر الحيوان. فهذا وجه التقديم والتفضيل، وقد عدّ الله ذلك نعمة فقال في كتابه العزيز ﴿الرحمن ★ علم القرآن ★ خلق الإنسان علمه البيان﴾ [الرحمن: ١ ـ ٣] والجمل الثلاث أخبار مترادفة، وإنما أخلاها عن العاطف لمجيئها على نهج التعديد، (**وأفاض على قلبه خزائن العلوم**) أي العلوم المخزونة التي لا يطلع على أسرارها. ولما جعل القلب خزانة لما يرد من عالم الملكوت ناسب إفاضة تلك العلوم عليها، (**فأكمله**) وكمال كل شيء بحسبه فكمال الإنسان أن يكون قلبه معموراً بمعرفة ربه مستغرقاً في حبه لا يتطرق إليه خيال لسواه، (**ثم أرسل عليه ستراً من رحمته وأسبله**). الإرسال والإسبال مترادفان فإن بمعنى الإرخاء وهو كناية عن عموم رحمته تعالى عليه، ولولا ذلك ما كان التفضيل والإكمال (**ثم أمده بلسان يترجم**) أي يبين ويوضح (**عما حواه القلب**) أي اشتمله (**وعقله**) وفي بعض النسخ وتقبله ،وترجم كلام غيره إذا عبر عنه بلغة غير لغة المتكلم، وإنما قال ذلك لأن الحاصل في القلب معان معقولة والذي يوضحه اللسان إنما هو تعبير بالفاظ تدل على تلك المعاني إما بالمطابقة أو بالتضمن، (**ويكشف عنه**) أي عن القلب والجملة معطوفة على قوله يترجم (**ستره الذي أرسله**) أي أسدله عليه، (**فأطلق بالحمد مقوله**)

سهله، وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله الذي أكرمه وبجله، ونبيه الذي أرسله بكتاب أنزله، وأسمى فضله وبين سبله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله ما كبر الله عبد وهلّله.

(أما بعد:) فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فإنه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة

بالكسر اسم اللسان باعتبار أنه آلة للقول وإطلاقه تمكينه من النطق به، وأراد بالحمد اللغوي وهو الوصف بفضيلة على فضيلة على جهة التعظيم وهو باللسان فقط، **(وأفصح بالشكر عما أولاه وخوّله)** أي أعطاه فالشكر باللسان هو الثناء على المنعم في مقابلة النعمة، ثم بين النعمة بقوله: **(من علم حصله)** باكتساب أو من طريق الفيض كما يلهم به بعض الأصفياء **(ونطق سهله)** وهو الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الآذان. **(وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و)** أشهد **(أن محمداً عبده ورسوله)** قدم أحدهما على الثاني إلى أن العبودية أشرف من الرسالة، ولذا كان عبد الله من أشرف أسمائه ﷺ وإليه أشار الشاعر:

لا تـدعني إلا بيـا عبـدهـا فـإنـه أشرف أسمائيـا

(الذي أكرمه وبجله) أي عظمه ووقره بأن اصطفاه من خلقه وجعله خاتم رسله وجعل طاعته من طاعته ومحبته من محبته، **(ونبيه الذي أرسله)** إلى الناس كافة **(بكتاب أنزله)** من لدنه وهو القرآن، **(وآي فصله)** جمع آية وهي العلامة أي أنزل الكتاب مفصلاً فيه تفصيل كل شيء، وبيان أخبار من مضى، وعلم ما سيأتي وتذكير الضمير نظر الظاهر اللفظ، **(ودين سبله)** المراد بالدين الطاعة للإسلام والإنقياد له والتعبد به وتسبيله تسهيله للواردين عليه كأنه حبسه عليهم لينتفعوا به. **(صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن قبله)** أي من أمة الإجابة **(ما كبر الله عبد وهلله)** فالتكبير قول العبد: الله أكبر كبيراً. والتهليل قوله لا إله إلا الله.

(أما بعد: فإن اللسان) وهي الجارحة المعروفة ذو الصورة التي يميزها البصر **(من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فإنه صغير جرمه)** بالكسر أي جسده. قال أهل التشريح: هو مركب من اللحم والعروق والشريانات والعصب الحساس والغشاء المتصل بغشاء المريء، وقد امتزج بهذا الغشاء قسط صالح من العصب ومنفعة تقليب الطعام على الازدراء، وذلك أن جوهره لحم أبيض رخو مجلل بالغشاء المذكور، وقد التفت به عروق صغار كثيرة فيها دم هو سبب حمرة لونه وتحته عروق وشريانات وأعصاب كثيرة فوق ما يستحقه قدره من العظم، وتحته فوهتان يخرج منهما اللعاب وبهما يبقى في اللسان وما حوله النداوة الطبيعية. واعلم أن لحم اللسان شعبتان كلسان الحية لكن لما جللا بغشاء واحد صارا كأنهما شعبة واحدة ومن قسط كل من الشعبتين من الغشاء درز ظاهر **(عظيم طاعته)** أي انقياده للحق **(وجرمه)** بالضم اكتساب الإثم وبين الجرم والجرم

والعصيان، ثم أنه ما من وجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفي فإن كان ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له. وهذه خاصية لا توجد في سائر الأعضاء فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور، والآذان لا تصل إلى غير الأصوات، واليد لا تصل إلى غير الأجسام، وكذا سائر الأعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد له في الخير مجال رحب وله في الشر ذيل سحب، فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مرخي العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد

جناس. (**إذ لا يتبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان**)، ولذا جعل الإقرار به شرطاً في صحة الإيمان، ففي الخبر: « شهادة أن لا إله إلا الله كلمة جعلها الله بيننا فمن قالها من قلبه فهو مؤمن ومن قالها بلسانه ولم يكن في قلبه كان له مالنا وعليه ما علينا وحسابه على الله ». والشريعة واردة أن يطلق اسم الإيمان على من يظهر ذلك من نفسه من غير محض من قلبه ولا يتحاشى من إطلاق ذلك عليه ما لم يظهر منه ما ينافي الإيمان. وقد تقدم الكلام عليه في باب قواعد العقائد. (وهما) أي الكفر والإيمان (**غاية الطاعة والعصيان**) فيه لف ونشر غير مرتب، (**ثم أنه ما من موجود ومعدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له بإثبات أو نفي، فإن كل ما يتناوله العلم يعرب عنه اللسان**) وفي بعض النسخ يعبر بدل يعرب (**إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناول له**) ولا يخرج إلى الوجود إلا بواسطة تعبير اللسان. (**وهذه خاصية**) خصة الله بها (**لا توجد في سائر الأعضاء**) التي ركب منها الإنسان، (**فإن العين لا تصل إلى غير الألوان والصور**) ولها احد عشر إدراكاً: النور والظلمة واللون والجسم وسطحه وشكله ووضعه وأبعاده وحركاته وسكناته واعداده، (**والأذن لا تصل إلى غير الأصوات**) ولها إدراكان الصوت الخفيف والصوت الثقيل، (**واليد لا تصل إلى غير الاجسام**) ولها عشر إدراكات: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، واللين، والخشونة، والصلابة، والرخاوة، والثقل، والخفة. (**وكذا سائر الاعضاء**) فإن لها ادراكات مخصوصة (**واللسان رحب الميدان**) اي واسعه (**وليس له مردود ولا لمجاله منتهى وحدّ**) لسعة متعلقاته (**له في الخير مجال رحب**) أي ميدان واسع، (**وفي الشر ذيل سحب**) أي مسحوب، (**فمن أطلق عذبة اللسان**) محركة أي طرفه (**وأهمله مرخى العنان**) أي تركه سائباً كالدابة التي أرخى لها عنانها وتذهب وتروح أينما شاءت. (**سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا**) أي طرف (**جرف**) بضمتين وبضم فسكون للتخفيف اسم لما جرفته السيول وأكلته من الأرض (**هار**) أي هائر بمعنى ساقط (**إلى أن يضطره**) أي يلجئه (**إلى البوار**) أي الهَلاك الأبدي (**ولا يكب الناس**) أي لا يسقطهم (**في النار على مناخرهم**) أي أفواهم ووجوههم (**إلا حصائد ألسنتهم**) أي ما حصدوه بمناجل السنتهم كما هو في حديث معاذ وسيأتي ذكره قريباً (**ولا**

ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع إلا فيما يطلقه ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله، وعلم ما يحمد فيه إطلاق اللسان أو بذم غامض عزيز، والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آهاته وغوائله والحذر من مصائده وحبائله، وإنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الإنسان. ونحن بتوفيق الله وحسن تدبيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها وأسبابها وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها. ونورد ما ورد من الأخبار والآثار في ذمها، فنذكر أولاً فضل الصمت، ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعني، ثم آفة فضول الكلام، ثم آفة الخوض في الباطل ثم آفة المراء والجدال، ثم آفه الخصومة، ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه، وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطبة، ثم آفة الفحش والسبّ وبذاءة اللسان، ثم آفة اللعن إما لحيوان أو جماد أو إنسان، ثم آفة الغناء بالشعر، وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده ثم آفة المزاح، ثم آفة السخرية

ينجو من شر اللسان إلاّ من قيده بلجام الشرع، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه) إما (**في الدنيا**) حالاً (**أو في الآخرة**) مآلاً، (**ويكفه**) أي يمنعه (**عن كل ما يخشى غائلته**) أي شره ومصيبته (**في عاجلته**) هي الدنيا (**وآجلته**) هي الآخرة (**وعلم ما يحمد فيه إطلاق اللسان أو يذم غامض**) أي خفي (**عزيز**) واسع الغور، (**والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير**) إلا من يسر الله عليه (**وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان**) أي أكثرها عصياناً عليه، (**فإنه لا تعب في إطلاقه ولا مؤنة في تحريكه، وقد يتساهل الخلق في الاحتراز من آفاته وغوائله**) ودواهيه المترتبة عليه، (**و**) في (**الحذر عن مصائده وحبائله وجهلوا أنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الإنسان**) فبه يملك نواصيهم ويغتالهم (**ونحن بتوفيق الله وحسن تيسيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها**) المعرفة لها (**وأسبابها**) أي التي منها تنشأ (**وغوائلها ونعرف طريق الاحتراز عنها**) أي عن غوائلها. (**ونورد ما ورد من الأخبار والآثار**) الواردة (**في ذمها فنذكر أوّلاً فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعني**) ترغيباً وترهيباً، (**ثم آفة فضول الكلام، ثم آفة الخوض في الباطل، ثم آفة المراء والجدال، ثم آفة الخصومة، ثم آفة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع**) فيه (**والفصاحة والتصنع، وغير ذلك مما جرت به عادة المتفاصحين**) المتكلفين للفصاحة (**المدعين للخطابة، ثم آفة الفحش والسب وبذاءة اللسان، ثم آفة اللعن إما لحيوان أو لجماد أو إنسان، ثم آفة الغناء والشعر، وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده، ثم**) آفة (**المزاح، ثم آفة السخرية والاستهزاء، ثم آفة إفشاء السر، ثم آفة الوعد

والاستهزاء، ثم آفة إفشاء السر، ثم آفة الوعد الكاذب، ثم آفة الكذب في القول واليمين، ثم بيان التعاريض في الكذب، ثم آفة الغيبة، ثم آفة النميمة، ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين فيكلم كل واحد بكلام يوافقه، ثم آفة المدح، ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأصول الدين، ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله عز وجل وعن كلامه وعن الحروف أهي قديمة أو محدثة؟ وهي آخر الآفات. وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة. ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه.

بيان خطر اللسان وفضيلة الصمت:

اعلم أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره إلا بالصمت، فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه، فقال ﷺ: «من صمت نجا» وقال عليه السلام: «الصمت حكم

الكاذب، ثم آفة الكذب في القول واليمين، ثم آفة الغيبة، ثم آفة النميمة، ثم آفة ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين) يأتي هؤلاء بلسان وهؤلاء بلسان على وجه الإفساد، (**فيكلم كل واحد بكلام يوافقه**) ويسكن إليه، (**ثم آفة المدح، ثم آفة الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام، لا سيا فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته، ويرتبط بأصول الدين، ثم آفة سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة أو محدثة وهي آخر الآفات، وما يتعلق بذلك وجملتها عشرون آفة. ونسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه**) آمين.

بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت:

الصمت هو السكون والضم لغة فيه كالصمات بالضم أيضاً وقد صمت صموتاً. قال الطيبي: الصمت أبلغ من السكوت لأنه يستعمل فيما لا قوّة له للمنطق وفيما له قوة النطق.

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره إلا بالصمت، فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه، فقال ﷺ «من صمت نجا»**) أي من سكت عن النطق بالشر نجا من العقاب والعتاب يوم القيامة. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمر وبسند فيه ضعف. وقال: غريب وهو عند الطبراني بسند جيد اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن المبارك وأحمد والدارمي وابن أبي الدنيا في الصمت، والعسكري في الأمثال، والبيهقي وآخرون. ومداره على ابن لهيعة رواه عن يزيد بن عمر وعن أبي عبد الرحمن الجيلي عن عبد الله بن عمرو بن العاصي. وقال النووي في الاذكار بعد ما عزاه للترمذي إسناده ضعيف، وإنما ذكرته لكونه مشهوراً. وقال الترمذي: رواه الطبراني ثقات.

(**وقال ﷺ «الصمت حكم**) بضم فسكون (**وقليل فاعله» أي**) هو (**حكمة وحزم**)

وقليل فاعله » أي حكمة وحزم. وروى عبد الله بن سفيان عن أبيه قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحداً بعدك قال قل. آمنت بالله ثم استقم » قال: « قلت فما أتقي؟ فأومأ بيده إلى لسانه » ، وقال عقبة بن عامر : قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » وقال سهل بن

وفي رواية حكمة ، والحكم أعم من الحكمة فكل حكمة حكم ولا عكس ، فإن الحكيم له أن يقضي على كل شيء بشيء فيقول: هو كذا وليس بكذا . ومنه حديث « إن من الشعر لحكماً » أي قضية صادقة كذا قرره الراغب ، والمعنى أن الصمت شيء نافع من الجهل وقلّ من يستعمله ويمنع نفسه من التسارع إلى النطق بما يشينه لغلبة النفس الامارة وعدم التهذيب لها كالرياضة. قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف بلفظ « حكمة » . ورواه البيهقي في الشعب من حديث أنس بلفظ « حكم » بدل « حكمة » وقال غلط فيه عثمان بن سعيد ، والصحيح رواية ثابت قال: والصحيح عن أنس أن لقمان قاله. ورواه كذلك هو وابن حبان في كتاب روضة العقلاء بسند صحيح إلى أنس اهـ.

قلت : أما قصة لقمان وفيها هذا الخبر سيأتي قريباً في آخر الآفة الأولى ، ونتكلم عليها هناك. وقد رواه أيضاً العسكري في الامثال من حديث أبي الدرداء بزيادة من كثر كلامه فيما لا يعنيه كثرت خطاياه.

(**وروي عن عبد الله بن سفيان**) الثقفي الطائفي وثقه النسائي وروى له (**عن أبيه**) سفيان ابن عبد الله بن ربيعة بن الحرث الثقفي الطائفي صحابي وكان عامل عمر على الطائف. روى له مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه. (**قال: قلت يا رسول الله أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحداً بعدك . قال: قل آمنت بالله ثم استقم . قال: قلت فما اتقي؟فأومأبيده إلى لسانه**) قال العراقي : رواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وهو عند مسلم دون آخر الحديث الذي فيه ذكر اللسان اهـ.

قلت : وكذلك رواه أحمد . وقال النووي: لم يرو مسلم لسفيان غير هذا الحديث اهـ.

وهو أوّل حديث أخرجه الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الصمت فقال: حدثني أبي وعبد الله بن عمر الجشمي قالا : حدثنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان عن أبيه قال: قلت يا رسول الله أخبرني فساقه بتمامه كما في المصنف.

(**وقال عقبة بن عامر**) الجهني رضي الله عنه اختلف في كنيته على سبعة أقوال. أشهرها : إنه أبو حماد ولي امرة مصر لمعاوية ثلاث سنين وبها توفي وكان فقيهاً فاضلاً روى له الجماعة. (**قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك »**) قال العراقي : رواه الترمذي وقال: حسن اهـ.

سعد الساعدي. قال رسول الله ﷺ: «من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة» وقال ﷺ: «من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي الشر كله» القبقب: هو البطن والذبذب: الفرج، واللقلق: اللسان. فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر

قلت: أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الصمت وهو ثاني حديث فيه قال: حدثنا داود ابن عمر والضبي، عن عبد الله بن المبارك، عن يحي بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القلسم، عن أبي امامة قال: قال عقبة بن عامر قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ فساقه سواء كما هنا، وقد تقدم للمصنف من هذا الحديث في كتاب العزلة ووقع في النسخ هناك عن عبد الله ابن عامر، وذكرنا أن ذلك غلط من النساخ، والصواب عن عقبة بن عامر كما هنا.

(وقال سهل بن سعد) بن مالك بن خالد الخزرجي (الساعدي) أبو العباس، وقيل أبو يحيى آخر وعمّر دهراً رضي الله عنه (قال ﷺ «من يتكفل لي ما بين لحييه) وفي رواية ما بين فقميه (ورجليه أتكفل له بالجنة) وفي بعض النسخ: من يتوكل وأتوكل في الموضعين. قال العراقي: رواه البخاري.

قلت: لفظ البخاري من يضمن لي أضمن في الموضعين بدل يتوكل وأتوكل، وكذلك رواه البيهقي. وأما سياق المصنف؛ فقد رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح غريب وابن حبان والحاكم.

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت: حدثنا عبد الله أبو خيثمة، حدثنا عاصم بن عمر بن علي، حدثني أبي عن أبي حازم المدني عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «من يتوكل لي بما بين لحييه ورجليه أتوكل له بالجنة». ورواه العسكري في الأمثال من حديث جابر «من ضمن لي ما بين لحييه ورجليه ضمنت له على الله الجنة».

(وقال ﷺ «من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي الشر كله») قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ «فقد وجبت له الجنة» اهـ.

قلت: سياق المصنف بعينه أخرجه البيهقي من حديث أنس إلا أنه قدم اللقلق على القبقب ثم ذكر الذبذب. (القبقب: هو البطن) من القبقبة وهو صوت يسمع من البطن فكأنها حكاية ذلك الصوت، ويجوز أن يكون كناية عن أكل الحرام وشبهه، (والذبذب: الفرج، واللقلق: اللسان) ولفظ البيهقي: أما لقلقه فاللسان، وقبقبه فالفم وذبذبه فالفرج، وقال: كذا وجدته موصولاً بالحديث. وفي إسناده ضعف وفي سادس المجالسة للدينوري من حديث أبي الأشهب عن أبي رجاء العطاردي قال: كان يقال إذ وقي الرجل شر لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وقي، وله شاهد جيد من حديث أبي هريرة رواه الترمذي وحسنه وابن حبان والحاكم «من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة» وقد رواه ابن أبي الدنيا في الصمت أيضاً وسنده حسن.

الخلق، ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج، وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكبر ما يدخل النار فقال: «الأجوفان: الفم والفرج». فيحتمل أن يكون المراد بالفم آفات اللسان لأنه محله، ويحتمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذه. فقد قال معاذ بن جبل: قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول؟ فقال: «ثكلتك أمك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم». وقال عبد الله الثقفي: قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به فقال: «قل ربي الله ثم استقم» قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليَّ فأخذ بلسانه وقال: «هذا». وروي أن

(فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق، ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان) الآن (لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين) شهوة (البطن و) شهوة (الفرج، وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل) الناس (الجنة فقال: «تقوى الله وحسن الخلق» وسئل عن أكثر ما يدخل) الناس (النار فقال «الاجوفان الفم والفرج») قال العراقي: رواه الترمذي وصححه وابن ماجه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وأخرجه كذلك ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس، أخبرنا عبد الله بن ادريس، أخبرني أبي وعمي عن جدي عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ فساقه كما للمصنف.

(ويحتمل أن يكون المراد بالفم آفة اللسان لأنه محله، ويحتمل أن يكون المراد به البطن لأنه منفذه فقد قال معاذ بن جبل) رضي الله عنه: (قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول فقال: «ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم») قال العراقي: رواه الترمذي وصححه وابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا عبد الله أبو خيثمة وإسحاق بن إسماعيل قالا: حدثنا جرير عن الأعمش عن الحكم بن عتيبة وحبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ بن جبل قال: قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول؟ قال: «ثكلتك أمك يا ابن جبل» فساقه. قال وقال حبيب في هذا الحديث وهل تقول شيئاً إلا وهو لك أو عليك.

(وقال عبد الله الثقفي) هو عبد الله بن سفيان بن عبد الله بن الحرث بن ربيعة الثقفي الطائفي الذي تقدم ذكره قريباً (قلت: يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به فقال: قل ربي الله ثم استقم، فقال: قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسانه وقال: «هذا») قال العراقي: رواه النسائي قال ابن عساكر: وهو خطأ والصواب سفيان بن عبد الله الثقفي كما رواه الترمذي وصححه وابن ماجه وقد تقدم قبل هذا بخمسة أحاديث اهـ.

معاذاً قال: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ فأخرج رسول الله ﷺ لسانه ثم وضع عليه أصبعه. وقال أنس بن مالك. قال ﷺ: «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه» وقال ﷺ: «من سرَّه أن يسلم فليلزم الصمت» وعن سعيد بن جبير مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان أي تقول اتق الله فينا

وقد أخرجه ابن الدنيا في كتاب الصمت على الصواب فقال: حدثنا حمزة بن العباس أخبرنا عبدان بن عثمان، أنبأنا عبد الله، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن ماعز عن سفيان ابن عبدالله الثقفي قال: قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به فساقه وفيه ثم قال: «هذا».

(**وقال أنس بن مالك**) رضي الله عنه (**قال**) رسول الله (ﷺ: **«لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه»**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، والخرائطي في مكارم الأخلاق بسند فيه ضعف اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد والبيهقي وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا عمرو بن محمد الناقد، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا علي بن مسعدة الباهلي، حدثنا قتادة عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ فساقه. وعلي بن مسعدة قال ابن حبان لا يحتج به.

(**وقال** ﷺ: «**من سره أن يسلم**) في الدنيا من أذى الخلق وفي الآخرة من عقاب الخالق (**فليلزم الصمت**) عما لا يعنيه ليسلم من الزلل ويقل حسابه. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، وأبو الشيخ في فضائل الأعمال، والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد فيه ضعف اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا في الصمت، حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، عن عمر بن حفص، عن عثمان بن عبد الرحمن، عن الزهري، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ فساقه ومحمد بن إسماعيل بن أبي فديك قال ابن سعد: ليس بحجة. وقال البيهقي: فيه عثمان ابن عبد الرحمن الوقاصي وهو متروك وقال الذهبي في الضعفاء تركوه. وفي الميزان عن الأزدي عمر ابن حفص الوقاصي منكر الحديث، وقال أبو حاتم: مجهول وله حديث باطل وساق هذا الخبر.

(**وعن سعيد بن جبير**) التابعي رحمه الله تعالى (**مرفوعاً إلى رسول الله** ﷺ **إنه قال: «إذا أصبح ابن آدم**) أي دخل في الصباح (**أصبحت الأعضاء**) جمع عضو بالضم وبالكسر لغة كل عضو وافر بلحمه (**كلها**) تأكيد (**تكفر اللسان»**) قال الزمخشري هو من تكفير الذمي وهو أن يطأ من رأسه ويحني ظهره كالراكع عند تعظيم صاحبه (**تقول**) وفي رواية فتقول أي بلسان الحال (**«اتق الله فينا**) أي خفه في حفظ حقوقنا (**فإنك إن استقمت**) أي اعتدلت

فإنك إن أستقمت استقمنا وإن أعوججت أعوججنا». وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبو بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال: هذا أوردني الموارد إن رسول الله ﷺ قال: «ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته». وعن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي

(استقمنا) أي اعتدلنا (وإن اعوججت) أي ملت عن الاعتدال (اعوججنا ») أي ملنا عنه. قال الطيبي: وهذا لا تناقض بينه وبين خبر « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله » الحديث لأن اللسان ترجمان القلب وخليفته في ظاهر البدن فإذا أسند إليه لأمر فهو مجاز في الحكم. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رفعه، ووقع في الإحياء عن سعيد بن جبير مرفوعاً، وإنما هو عن سعيد بن جبير عن أبي سعيد رفعه ورواه الترمذي موقوفاً عن حماد بن زيد وقال هو أصح اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن خزيمة في صحيحه، والبيهقي كلهم من حديث أبي سعيد ولفظهم بعد قوله: « اتق الله فينا » فإنما نحن بك، وقوله: « تكفر اللسان » كذا وقع في أكثر نسخة الجامعين الكبير والصغير ودرر البحار، والذي في نسخ الترمذي والنهاية: « تكفر للّسان » ومنهم من وقفه على أبي سعيد لا على حماد كما في الجامع الكبير للسيوطي، وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثني عمران بن موسى القزاز، حدثنا حماد بن زيد، عن أبي الصهباء، عن سعيد بن جبير، عن أبي سعيد قال: أراه رفعه قال: « إذا أصبح ابن آدم » فساقه.

(**وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو يمد لسانه بيده فقال له: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال: « هذا أوردني الموارد »**) أي موارد الهلاك (**أن رسول الله ﷺ قال: « ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله تعالى اللسان على حدته »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، وأبو يعلى في مسنده، والدارقطني في العلل، والبيهقي في الشعب من رواية أسلم مولى عمر. وقال الدارقطني: إن المرفوع وهم على الدراوردي ،قال:وروي هذا الحديث عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر ولا علة له اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثني عبد الرحمن بن زياد بن الحكم الطائي، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، عن عبد العزيز بن محمد، عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب اطلع على أبي بكر وهو يمد لسانه فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال: « إن هذا أوردني الموارد » إن رسول الله ﷺ قال: « ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدته » ووقع في رواية أبي يعلى والبيهقي: « إلا وهو يشكو ذرب اللسان » وكذلك رواه النسائي وابن السني والضياء.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني

ويقول: يا لسان قل خيراً تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن أهذا شيء، تقوله، أو شيء سمعته؟ فقال: لا بل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه». وقال ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: «من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى الله قبل الله

مصعب الزبيري، حدثني مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر دخل على أبي بكر وهو يجبذ لسانه فقال عمر: مه غفر الله لك، فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد.

ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن أبي خيثمة حدثنا وكيع عن سفيان الثوري، عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: أخذ أبو بكر الصديق بلسانه في مرضه وقال: هذا أوردني الموارد، وحديث قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الذي أشار إليه الدارقطني أنه لا علة له قد أخرجه أيضاً ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا الفضيل بن عبد الوهاب، وعلي بن الجعد، وأحمد بن عمران الأخنسي قالوا: حدثنا النضر بن إسماعيل عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال: رأيت أبا بكر رحمه الله آخذاً بطرف لسانه وهو يقول: هذا أوردني الموارد.

قلت: النضر بن إسماعيل البجلي أبو المغيرة قال النسائي: ليس بالقوي.

(وعن عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه **(أنه كان على الصفا)** وهو الجبل المشهور بمكة **(يلبي ويقول: يا لسان قل خيراً تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن أهذا شيء تقوله)** أنت من نفسك، **(أو شيء سمعته؟ فقال: لا بل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»)** قال العراقي: رواه الطبراني وابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند حسن اهـ.

قلت: قال المنذري رواة الطبراني رواة الصحيح وإسناد البيهقي حسن. وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثني أبو عمر التميمي، حدثني أبي عن أبي بكر النهشلي، عن الأعمش، عن شقيق، عن ابن مسعود أنه كان على الصفا يلبي ويقول: يا لساني قل خيراً تغنم أو انصت تسلم من قبل أن تندم. قالوا: يا أبا عبد الرحمن هذا شيء تقوله أو سمعته؟ قال: بل سمعت رسول الله ﷺ يقول فساقه. وأبو بكر النهشلي من رجال مسلم تكلم فيه ابن حبان.

(وقال ابن عمر) رضي الله عنهما، **(قال رسول ﷺ: «من كف لسانه)** أي عن التكلم في أعراض المسلمين **(ستر الله عورته)** أي لم يفضحه في الدنيا، **(ومن ملك غضبه)** مع القدرة على الانتصاف **(وقاه الله عذابه)** في الآخرة **(ومن اعتذر إلى الله قبل عذره»)** قال العراقي: رواه ابن الدنيا في الصمت بإسناد حسن اهـ.

قلت: وهذا لفظه حدثنا زهير بن حرب، حدثنا شبابة بن سوار عن المغيرة بن مسلم عن هشام ابن إبراهيم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ فساقه. وهكذا هو لفظه في كتاب الصمت، وأخرجه في كتاب ذم الغضب من حديث أنس بلفظ: «من كف غضبه كف الله عنه عذابه ومن

عذره. وروي أن معاذ بن جبل قال: يا رسول الله أوصني. قال: «أعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله» وأشار بيده إلى لسانه، وعن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بايسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخُلُق».

اعتذر إلى ربه قبل الله منه عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته» وقد رواه كذلك أبو يعلى وابن شاهين والخرائطي في مساوىء الأخلاق والضياء في المختارة.

(وروي أن معاذ بن جبل) رضي الله عنه (قال: يا رسول الله أوصني. قال: «اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله» وأشار بيده إلى لسانه) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، والطبراني في الكبير ورجاله ثقات وفيه انقطاع اهـ.

قلت: وهذا لفظ كتاب الصمت: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا محمد ابن عمرو عن أبي سلمة أن معاذ بن جبل قال: يا رسول الله أوصني. قال: «اعبد الله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله» قال: ما هو؟ قال: «هذا» وأشار بيده إلى لسانه.

وأما لفظ الطبراني في الكبير: «اعبد الله ولا تشرك به شيئاً واعمل لله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى واذكر الله عند كل حجر وشجر وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية» وقد رواه كذلك البيهقي في الشعب، وقد أخرج الطبراني في الكبير أيضاً من حديث أبي الدرداء بلفظ: «اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى وإياك ودعوات المظلوم». الحديث، وأبو نعيم في الحلية من حديث زيد بن أرقم: «أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك واحسب نفسك مع الموتى واتق دعوة المظلوم فإنها مستجابة».

(وعن صفوان بن سليم) المدني أبي عبد الله القرشي من موالي بني زهرة تابعي فقيه. قال ابن سعد: ثقة كثير الحديث عابد، وقال أحمد بن حنبل: هو يستسقي بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره. قال الترمذي: مات سنة أربع وعشرين ومائة. روى له الجماعة (قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن») قالوا: أخبرنا. قال: (الصمت وحسن الخلق) مع الناس» قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا هكذا في كتاب الصمت مرسلاً ورجاله ثقات، ورواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين من حديث أبي ذر، وأبي الدرداء أيضاً مرفوعاً بسند ضعيف اهـ.

قلت: ولفظ كتاب الصمت: حدثنا هاورن بن عبد الله، حدثنا ابن أبي فديك، عن عبد الله بن أبي بكر، عن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ فساقه. وسيأتي حديث أبي ذر في ذكر الآفة الأولى قريباً.

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت » وقال الحسن: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: « رحم الله عبداً تكلم فغنم أو سكت فسلم ». وقيل لعيسى عليه السلام: دلنا على عمل ندخل به الجنة. قال: لا تنطقوا أبداً، قالوا: لا نستطيع ذلك. فقال: فلا تنطقوا إلا بخير. وقال سليمان بن داود

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه، (**قال رسول الله ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت »**) أخرجه البخاري ومسلم وابن أبي الدنيا في الصمت قال: حدثنا إبراهيم ابن أبي المنذر الحزامي، حدثنا سفيان بن حمزة الأسلمي، عن كثير بن زيد، عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة فساقه.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: رحم الله عبداً قال فغنم أو سكت فسلم**)، وهذا من جوامع الكلم لتضمنه الإرشاد إلى خير الدارين فإنه قد تم الإرشاد إلى خير الآخرة في المعاد إذ قوله غنم أي غنم ثواب الله لقوله الخير، ثم عطف عليه الإرشاد إلى خير الدنيا وهو السلامة من شر الناس وقد عدَّه العسكري من الأمثال قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، والبيهقي في الشعب، والخرائطي في مكارم الأخلاق هكذا مرسلاً ورجاله ثقات،ورواه البيهقي في الشعب من حديث أنس بسند فيه ضعف فإنه من رواية إسماعيل بن عياش عن الحجازيين اهـ.

قلت: رواه ابن أبي الدنيا عن عبيد الله بن عمر، حدثنا حزم بن أبي حزم قال: سمعت الحسن يقول: ذكر لنا فساقه، وقد رواه أيضاً العسكري في الأمثال مرسلاً ورواه أيضاً موصولاً عن الحسن عن أنس، ورواه هناد كذلك عن الحسن مرسلاً. وقد رواه أبو الشيخ والديلمي من حديث أبي أمامة الباهلي، ورواه ابن المبارك في الزهد، والخرائطي في مكارم الأخلاق عن خالد بن أبي عمران مرسلاً ورواه ابن أبي الدنيا من طريق ابن المبارك لكن في سنده ابن لهيعة وهو ضعيف وخالد هذا قال الذهبي هو التحبيبي قاضي افريقية فقيه عابد مات سنة ١٣٩ . ويروى مثل ذلك عن ابن عباس قال: يا لسان قل خيراً تغنم أو أسكت عن شر تسلم كذا في كتاب الصمت من رواية إسماعيل بن مسلم عنه.

(**وقيل لعيسى عليه السلام: دلنا على عمل ندخل به الجنة. قال: لا تنطقوا أبداً قالوا: لا نستطيع ذلك. قال: فلا تنطقوا إلا بخير**) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت، حدثنا إسحاق ابن إسماعيل حدثنا سفيان بن عيينة قال: قالوا لعيسى عليه السلام فساقه، وقد روي مثل ذلك عن سلمان الفارسي أنه قال له رجل: أوصني. قال: لا تتكلم. قال: وكيف يصبر رجل على أن لا يتكلم؟ قال: فإن كنت لا تصبر عن الكلام فلا تكلم إلا بخير أو اصمت. رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق عبد العزيز بن أبي رواد عنه.

عليهما السلام : إن كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب . وعن البراء بن عازب قال : جاء اعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : دلني على عمل يدخلني الجنة ، قال : « أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير » . وقال ﷺ : « اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان » . وقال ﷺ : « إن الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم ما يقول » . وقال عليه الصلاة والسلام :

(**وقال سليمان عليه السلام: لو كان الكلام من فضة كان السكوت من ذهب**) قال ابن المبارك : معناه لو كان الكلام بطاعة الله من فضة كان السكوت عن معصيته من ذهب أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا عن الهيثم بن خارجة : حدثنا إسماعيل بن هاشم عن الاوزاعي قال : قال سليمان بن داود عليهما السلام : إن كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب ، وقد روي مثل هذا الكلام عن لقمان قاله لابنه يعظه .

(**وعن البراء**) بن عازب رضي الله عنهما (**قال: جاء اعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يدخلني الجنة . قال: « أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق فكف لسانك إلا من خير »**) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت قال : حدثنا أحمد بن حنبل ، أخبرنا عبد الله بن المبارك ، أنبأنا عيسى بن عبد الرحمن ، حدثني طلحة الأيامي ، حدثني عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء قال : جاء اعرابي إلى النبي ﷺ فقال فساقه .

(**وقال ﷺ : « اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان »**) قال العراقي : رواه الطبراني في الصغير من حديث أبي سعيد وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه وله في المعجم الكبير ولابن حبان في صحيحه نحوه من حديث أبي ذر اهـ .

قلت : وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت من قول أبي سعيد قال : حدثنا الحسن بن حمزة ، أنبأنا عبدان ، أنبأنا عبد الله يعني ابن المبارك أنبأنا إسماعيل بن عياش ، حدثني عقيل بن مدرك أن رجلاً قال لأبي سعيد الخدري : أوصني قال : عليك بالصمت إلا في حق فإنك به تغلب الشيطان ، وهذا إسناد حسن ، وعقيل بن مدرك الخولاني شامي مقبول روى له أبو داود .

(**وقال ﷺ إن الله عند لسان كل قائل**) أي بعلمه (**فليتق الله امرؤ**) وفي رواية عبد (**علم ما يقوله**) ؛ وفي رواية ذكرها المطرزي أن الله وراء لسان كل قائل ، وهذا الحديث أغفله العراقي وكأنه سقط من نسخته وهو ثابت عندنا في سائر النسخ . قال المطرزي : هذا تمثيل . والمعنى أنه تعالى ما يقوله الإنسان ويتفوه به كمن يكون عند الشيء مهيمناً لديه محافظاً عليه . أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق محمد بن إسماعيل العسكري عن صهيب بن محمد بن عباد ، عن مهدي ، عن وهيب بن الورد ، عن محمد بن زهير ، عن ابن عمر مرفوعاً وفيه : « فليتق الله عبد ولينظر ما يقول » قال أبو نعيم : غريب لم نكتبه متصلاً مرفوعاً إلا من حديث وهيب اهـ .

« إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة » . وقال ابن مسعود ، قال رسول الله ﷺ : « الناس ثلاثة : غانم وسالم وشاحب . فالغانم الذي يذكر الله تعالى ، والسالم الساكت ، والشاحب الذي يخوض في الباطل » وقال عليه السلام : « إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه ، وأن لسان المنافق أمام قلبه ، فإذا همّ بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه » وقال عيسى عليه السلام :

ومحمد بن زهير قال الذهبي في الميزان ، قال الأزدي : ساقط وأخرجه أيضاً الحكيم الترمذي ، والبيهقي في الشعب ، والخطيب في التاريخ من حديث ابن عباس .

(وقال ﷺ : « إذا رأيتم المؤمن صموتاً) أي كثير الصمت (فاقربوا منه فإنه يلقن الحكمة ») قال العراقي : رواه ابن ماجه من حديث ابن خلاد بلفظ : « إذا رأيتم الرجل أعطي زهداً في الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه فإنه يلقي الحكمة » وقد تقدم اهـ .

قلت : وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب ، ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف ، وقد تقدم الكلام عليه .

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه : (الناس ثلاثة) إما (غانم) للأجر ، وإما (سالم) من الإثم (و) إما (شاحب) أي هالك آثم ، (فالغانم الذي يذكر الله تعالى ، والسالم الساكت ، والشاحب الذي يخوض في الباطل) قال أبو عبد الله : ويروي : الناس ثلاثة السالم الساكت والغانم الذي يأمر بالخير وينهى عن المنكر ، والشاحب الناطق بالخناء المعين على الظلم . قال العراقي : رواه الطبراني في الكبير ، وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ : الناس ثلاثة . وضعفه ابن عدي ولم أجده من حديث ابن مسعود اهـ .

قلت : رواه الطبراني وأبو يعلى أيضاً من حديث عقبة بن عامر الجهني بلفظ المصنف بدون التفسير ، وفي السند ابن لهيعة وهو ضعيف .

(وقال ﷺ : « إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذ هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه ») قال العراقي : لم أجده مرفوعاً وإنما رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من رواية الحسن البصري قال كانوا يقولون اهـ .

قلت : أخرجه ابن أبي الدنيا عن يعقوب بن إبراهيم العبدي ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن قال : كانوا يقولون لسان الحكيم من وراء قلبه ، فإذا أراد أن يقول رجع إلى قلبه فإن كان له قال وإن كان عليه أمسك ، وإن الجاهل قلبه على طرف لسانه لا يرجع إلى قلبه ما جرى على لسانه تكلم به .

العبادة عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت، وجزء في الفرار من الناس. وقال نبينا ﷺ: «من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به».

(وقال عيسى عليه السلام: العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس) ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق وهيب بن الورد قال: كان يقال الحكمة عشرة أجزاء فتسعة منها في الصمت والعاشرة عزلة الناس. وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق الحسين بن محمد بن يزيد بن خنيس قال: قال وهيب إبن الورد، قال حكيم من الحكماء: العبادة أو قال الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وواحدة في العزلة فأردت من نفسي الصمت على شيء فلم أقدر عليه فصرت إلى العزلة فحصلت لي التسعة.

(وقال نبينا ﷺ: «من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به») لأن السقط ما لا عبرة له ولا نفع فيه فإن كان لغواً لا إثم فيه حوسب على تضييع عمره وكفران النعمة بصرف نعمة اللسان عن الذكر إلى الهذيان، وقلما سلم من الخروج إلى ما يوجب الإثم فتصير النار أولى به من الجنة، لذلك قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف، وقد رواه أبو حاتم بن حبان في روضة العقلاء، والبيهقي في الشعب موقوفاً على عمر بن الخطاب اهـ.

قلت: وكذلك رواه الطبراني في الأوسط، والقضاعي في مسند الشهاب، والعسكري في الأمثال كلهم من حديث ابن عمر، ولفظ العسكري: «من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثر كذبه ومن كثر كذبه كثرت ذنوبه». والباقي سواء، فبعضهم رواه من طريق ابن عجلان، وبعضهم من طريق يحي بن أبي كثير كلاهما عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً. وقال العسكري: أحسبه وهماً وأن الصواب أنه من عمر من قوله. وقول العراقي بسند ضعيف لأن فيه إبراهيم بن الأشعث ذكره ابن حبان في الثقات، وقال فيه يغرب ويخطىء وينفرد ويخالف، ولذا قال ابن الجوزي: حديث لا يصح.

وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثني أحمد بن عبيد التميمي، حدثنا عبيد الله بن محمد التيمي، حدثنا دريد بن مجاشع، عن غالب القطان، عن مالك بن دينار، عن الأحنف بن قيس قال: قال عمر بن الخطاب: «من كثر كلامه كثر سقطه».

ورواه العسكري من هذا الطريق ولفظه قال لي: «يا أحنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قلّ ورعه مات قلبه». وكذا أورده العسكري من طريق معاوية في قصة قال فيها معاوية من كثر كلامه كثر سقطه. وفي الباب عن معاذ وفي تاريخ ابن عساكر من حديث أبي هريرة: «من كثر ضحكه استخف بحقه ومن كثرت دعابته ذهبت جلالته

(الآثار :) كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام ، وكان يشير إلى لسانه ويقول : هذا الذي أوردني الموارد . وقال عبد الله بن مسعود : والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان . وقال ابن

ومن كثر مزاحه ذهب وقاره ومن شرب الماء على الريق ذهب بنصف قوته ومن كثر كلامه كثر سقطه فمن كثر سقطه كثرت خطاياه ومن كثرت خطاياه كانت النار أولى به » . قال ابن عساكر : غريب الإسناد والمتن . وفي الزهد لابن المبارك ومن جهته ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق شفي الأصبحي قال : « من كثر كلامه كثرت خطيئته » .

تنبيه :

قد بقي على المصنف ، ذكر أخبار في فضيلة الصمت ولم يذكرها وهي على شرطه ، فمن ذلك ما رواه أبو يعلى من حديث أنس : « عليك بحسن الخلق وطول الصمت فوالذي نفسي بيده ما تجمل الخلائق بمثلها » وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس : « الصمت سيد الأخلاق ومن مزح استخف به » ومن حديث أبي هريرة : « الصمت أرفع العبادة » وروى أبو الشيخ في الثواب من حديث محرز بن زهير : « الصمت زين للعالم وستر للجاهل » .

وروى ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث أسود بن أصرم المحاربي قال : قلت أوصني يا رسول الله قال : « أتملك يدك ؟ قال : قلت فما أملك إذا لم أملك يدي ؟ قال : أتملك لسانك ؟ قال : فما أملك إذا لم أملك لساني قال فلا تبسط يدك إلا إلى خير ولا تقل بلسانك إلا معروفاً » ومن طريق شهر بن حوشب : حدثني ابن غنم أن معاذاً قال : يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ فأخرج رسول الله ﷺ لسانه ثم وضع عليه أصبعه . ومن طريق سالم بن أبي الجعد قال : قال عيسى عليه السلام : طوبى لمن بكى من خطيئته وخزن لسانه ووسعه بيته . ومن طريق الشعبي قال : قلت لعبد الله ابن عمرو ، وحدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ ودع الكتب ، فإني لا أعبأ بها شيئاً . فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما كره ربه » . ومن طريق ابن الزبير عن جابر أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ أي الأعمال أفضل ؟ فقال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » ومن طريق ابن مراوح الليثي عن أبي ذر رفعه قال : « كف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك » .

(**الآثار : كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام**) وقد اشتهر ذلك عنه ، وحكاه غير واحد من العلماء . (**وكان أبداً يشير إلى لسانه**) ويجبذه تارة بيده ، وإذا سئل عن ذلك (**يقول : « هذا الذي أوردني الموارد »**) تقدم هذا القول من طريق زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر قال له : يا خليفة رسول الله ، ومن رواية قيس بن أبي حازم عن أبي بكر وقد ذكر قريباً .

(**وقال عبد الله بن مسعود**) رضي الله عنه (**والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى**

طاوس: لساني سبع إن أرسلته أكلني. وقال وهب بن منبه: في حكمة آل داود، حق على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه حافظاً للسانه مقبلاً على شأنه. وقال الحسن: ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه. وقال الاوزاعي: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله أما بعد:

طول سجن من لسان) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا جرير وأبو معاوية عن الأعمش، عن يزيد بن حيان، عن عنبس بن عقبة التيمي قال: قال عبد الله بن مسعود: والذي لا إله غيره ما على الأرض شيء أو فقر، وقال أبو معاوية: أحوج إلى طول سجن من لسان.

وحدثنا أحمد بن منيع، حدثنا أبو نصر التمار، حدثنا حماد عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: «ما شيء أحق بطول السجن من اللسان».

وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن الطبراني عن علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو نعيم، عن الأعمش، عن يزيد بن حيان فساقه بلفظ: «والله الذي لا إله إلا هو ما على وجه الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان».

(وقال ابن طاوس) هو عبد الله: **(لساني سبع إن أرسلته أكلني)**. أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا سفيان قال: بعض الماضين: إنما لساني سبع إن أرسلته خفت أن يأكلني.

وحدثني علي بن أبي مريم، عن زيد بن الحباب، حدثنا محمد بن حوشب، سمعت أبا عمران الجوني يقول: إن لسان أحدكم كلب فإذا سلطه على نفسه أكله.

(قال وهب بن منبه) اليماني رحمه الله تعالى **(في حكمة آل داود)** عليه السلام: **(حق على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه حافظاً للسانه مقبلاً على شأنه)**. أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان عن أبي الأغر، عن وهب بن منبه قال في حكمة آل داود حق على العاقل فساقه.

وأخرج ابن حبان في صحيحه وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي ذر رفعه: «كان في صحف إبراهيم عليه السلام وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظ للسانه».

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثني شريح بن يونس، حدثنا علي بن ثابت، عن أبي الأشهب عن الحسن فساقه.

(وقال) أبو عمرو **(الأوزاعي)** الفقيه رحمه الله تعالى **(كتب إلينا عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى برسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول **(أما بعد: فإن من أكثر ذكر**

فإن من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن عدّ كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه. وقال بعضهم: الصمت يجمع للرجل فضلتين: السلامة في دينه، والفهم عن صاحبه. وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار: يا أبا يحي حفظ اللسان أشدّ على الناس من حفظ الدينار والدرهم. وقال يونس بن عبيد: ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله. وقال الحسن: تكلم قوم عند معاوية رحمه الله والأحنف بن قيس ساكت فقال له: مالك يا أبا بحر لا تتكلم؟ فقال له: اخشى الله إن كذبت وأخشاك إن صدقت. قال أبو بكر بن عياش: اجتمع اربعة ملوك؟ ملك الهند

الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن عد كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا خلف بن تميم، عن عبد الله بن محمد الأنصاري: عن الأوزاعي قال: كتب فساقه إلا أنه قال قل كلامه فيما لا ينفعه.

(وقال بعضهم: الصمت يجمع للرجل خصلتين: السلامة والفهم عن صاحبه) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثني محمد بن الحسين قال: سمعت محمد بن عبد الوهاب السكوني يقول: الصمت يجمع للرجل فساقه.

(وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار) البصريان العابدان: **(يا أبا يحي)** وهي كنية مالك ابن دينار **(حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثني علي بن أبي مريم، عن أحمد بن إسحاق الحضرمي، حدثنا جعفر الخراز قال: سمعت محمد بن واسع يقول لمالك بن دينار: يا أبا يحي حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدنانير والدراهم.

(وقال يونس بن عبيد) بن دينار العبدي أبو عبيد البصري ثقة ثبت فاضل ورع مات سنة تسع وثلاثين روى له الجماعة: **(ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله)** أخرجه ابن الدنيا في الصمت فقال: حدثني الحسن بن الصباح، حدثنا حجاج بن محمد، عن سليمان بن المغيرة قال: سمعت يونس بن عبيد يقول فساقه.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(تكلم قوم عند معاوية)** بن أبي سفيان **(والأحنف بن قيس التميمي ساكت فقال له)** معاوية: **(مالك يا أبا بحر)** وهي كنية الأحنف، **(لا تتكلم؟ فقال له: اخشى الله إن كذبت وأخشاك إن صدقت)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثني داود بن عمرو الضبي، حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا ابن عون، عن الحسن قال: كانوا يتكلمون عند معاوية والأحنف ساكت فقالوا: مالك لا تكلم يا أبا بحر؟ قال: أخشى الله إن كذبت وأخشاكم إن صدقت. وحدثني محمد بن الحسين عن عبيد الله بن محمد التيمي قال: قيل للأحنف بن قيس: يوم قطري تكلم. قال: أخاف ورطة لساني.

وملك الصين وكسرى وقيصر ، فقال احدهم : أنا أندم على ما قلت ، ولا أندم على ما لم أقل ، وقال الآخر : إني إذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني ، وقال الثالث : عجبت للمتكلم إن رجعت عليه الكلمة ضرته وإن لم ترجع لم تنفعه . وقال الرابع : أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت . وقيل : أقام المنصور ابن المعتز لم يتكلم بكلمة بعد العشاء الآخرة أربعين سنة ، وقيل : ما تكلم الربيع بن خيثم بكلام الدنيا عشرين سنة وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاساً وقلماً فكل ما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء .

(وقال أبو بكر بن عياش) بياء تحتية مشدددة وشين معجمة ابن سالم الأسدي الكوفي المقري الحناط بالنون مشهور بكنيته ، واختلف في اسمه على أقوال عشرة . كذا في التهذيب للحافظ . وفي الأربعين العشارية للعراقي على ثلاثة عشر قولاً . والصحيح أن اسمه كنيته ، وصححه ابن حبان ، وابن عبد البر ، وابن الصلاح ، والمزي ، والذهبي . وقد احتج به البخاري في صحيحه ، وثقه أحمد وابن معين مات سنة أربع وتسعين قال : **(اجتمع أربعة ملوك)** فرموا رمية واحدة بكلمة واحدة **(ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال أحدهم : إنما أندم على ما قلت ولم أندم على ما لم أقل ، وقال آخر : إذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها وإذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني . وقال الثالث : عجبت للمتكلم إن رجعت عليه الكلمة ضرته وإن لم ترجع لم تنفعه . وقال الرابع : أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت)** . أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال : حدثني همام بن الوليد أبو طالب الهروي قال : سألته فقال : سمعت أبا بكر بن عياش قال : اجتمع أربعة ملوك فساقه .

(وقيل : أقام المنصور بن المعتمر) بن عبد الله السلمي أبو عتاب الكوفي الثقة العابد مات سنة اثنين وثلاثين ومائة . روى له الجماعة **(لم يتكلم بكلمة بعد عشاء الآخرة أربعين سنة)** وصام أربعين سنة صام نهارها وقام ليلها ، وكان يبكي الليل كله فتقول له أمه : يا بني قتلت قتيلاً ؟ فيقول : أنا أعلم بما صنعت بنفسي ، فإذا أصبح كحل عينيه ودهن رأسه وبرق شفتيه وخرج إلى الناس ذكره المزي في التهذيب .

(وقيل : ما تكلم الربيع بن خيثم) بن عائذ الثوري أبو زيد الكوفي الثقة العابد **(بكلام الدنيا أربعين سنة ، وكان إذا أصبح وضع دواة وقرطاساً فكلما تكلم كتبه ثم يحاسب نفسه عند المساء)** وكان من المخبتين الخاشعين مات في ولاية عبد الله بن زياد وروى له الجماعة إلا أبا داود .

تنبيه :

وقد بقي على المصنف ذكر آثار هي على شرطه في الكتاب روى ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من طريق ابن عون ، حدثني عطاء البزار ، عن أنس بن مالك قال : لا يتقي الله رجل أو

فإن قلت: فهذا الفضل الكبير للصمت ما سببه؟ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطا والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض

أحد حق تقاته حتى يخزن من لسانه. ومن طريق حميد بن هلال قال. قال عبد الله بن عمر: دع ما لست منه في شيء ولا تنطق فيما لا يعنيك واخزن لسانك كما تخزن ورقك ومن طريق نسير بن ذعلوق عن بكر بن ماعز عن الربيع بن خيثم قال: قال بكر بن ماعز اخزن عليك لسانك إلا مالك ولا عليك. ومن طريق جرير عن أبن حيان التيمي قال: كان يقول ينبغي للرجل أن يكون أحفظ للسانه منه لموضع قدمه ومن طريق حماد بن زيد قال: بلغني أن محمد بن واسع كان في مجلس فتكلم رجل فأكثر الكلام فقال محمد: ما على أحدهم لو سكت فتوقى وتنقى. ومن طريق جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: لو كلف الناس الصحف لأقول الكلام. ومن طريق سفيان بن عيينة قال: قال وهيب بن الورد: إن الرجل يصمت فيجتمع إليه لبه، ومن طريق أبي الأحوص عن محمد بن النضر الحارثي قال: كان يقال كثرة الكلام تذهب الوقار. ومن طريق خلف بن إسماعيل قال: قال لي رجل من عقلاء الهند: كثرة الكلام تذهب بمروءة الرجل. ومن طريق قبيصة قال: قال داود الطائي لمحمد بن عبد العزيز ذات يوم: أما علمت ان حفظ اللسان أشد الأعمال وأفضلها. قال محمد: بلى. فكيف لنا بذلك. ومن طريق عمران بن يزيد قال: قال علي رضي الله عنه: اللسان قوام البدن، فإذا استقام اللسان استقامت الجوارح، وإذا اضطرب اللسان لم تقم له جارحة. ومن طريق عباد بن الوليد القرشي قال: قال الحسن: اللسان أمير البدن، وإذا جنى على الأعضاء جنت، وإذا عف عفت ومن طريق خيثمة عن عدي بن حاتم قال: أيمن أحدكم واساءته بين لحييه يعني لسانه. ومن طريق الشعبي قال: قلت للهيثم بن أبي الأسود النخعي أي الثلاثة أشعر منك ومن الأعور الشني وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت حيث تقول أنت:

واعلم علماً ليس بالظن أنه ... إذا زال مال المرء فهو ذليل
وإن لسان المرء ما لم تكن له ... حصاة على عوراته لدليل

أم الأعور الشني حيث يقول:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فهل بعد إلا صورة اللحم والدم
وكائن ترى من ساكت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم

أم عبد الرحمن بن حسان حيث يقول:

ترى المرء مخلوقاً وللعين حظها ... وليس بإخفاء الأمور بخابرِ
وذاك كماء البحر لست مسيغه ... ويعجب منه ساجياً كل ناظرِ؟

فقال الهيثم: هيهات الأعور أشعرنا.

(فإن قلت: فهذا الفضل الكثير للصمت ما سببه؟ فاعلم أن سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس

في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات. فهذه آفات كثيرة وهي سباقة إلى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان، والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان فيطلقه بما يحب ويمسكه ويكفه عما لا يحب فإن ذلك من غوامض العلم. كما سيأتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته، هذا مع ما فيه من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة. فقد قال الله تعالى: ﴿ما يلفظُ من قَوْلٍ إلاَّ لديه رقيب عتيد﴾ [ق: ١٨].

ويدلك على فضل لزوم الصمت أمر، وهو أن الكلام أربعة أقسام: قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة.

أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر.

والخوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وإيذاء الخلق وهتك العورات) وغيرها وهي نحو سبع عشرة آفة.

(**فهذه آفات كثيرة وهي سياقة إلى اللسان لا ينفك عنها**) أي عن مجموعها بالقوة في بعضها والضعف في بعضها (**ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان**) بإغراره وتسويله فيقوي ما في الطبع حتى يصير متمكناً منه، (**والخائض فيها قلما يقدر أن يمسك اللسان**) ويزمه (**فيطلقه بما يحب ويكفه عما لا يحب**) فإن ذلك من غوامض العلم كما سيأتي تفصيله، (**ففي الخوض خطر**) وهلاك. (**وفي الصمت سلامة**) من الهلاك، (**فلذلك عظمت فضيلته**) وفضل جانبه، (**هذا مع ما فيه من جمع الهمم**) من التشتت (**ودوام الوقار**) والهيبة بين الناس (**والفراغ للفكر، والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة، فقد قال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾**) أي ما يتكلم بكلمة إلا وعنده مراقب حاضر مهيأ يكتب عليه ما يقوله. وأخرج ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق مجاهد: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ قال: الملكان. وقال إن الكلام ليكتب حتى أن الرجل ليسكت ابنه ابتاع لك كذا وكذا وأفعل لك كذا وكذا فتكتب كذبته، (**ويدلك على لزوم الصمت أمر وهو أن الكلام أربعة أقسام: قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض، وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة.**

أما الذي هو ضرر محض فلا بدّ من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعةلأن منفعته لا تفي بالضرر).

وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران، فلا يبقى إلا القسم الرابع، فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع، وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجاً يخفي دركه فيكون الإنسان به مخاطراً. ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعاً أن ما ذكره ﷺ هو فصل الخطاب حيث قال: « من صمت نجا » فلقد أوتي والله جواهر الحكم قطعاً وجوامع الكلم. ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني إلاّ خواص العلماء وفيما سنذكره من الآفات وعسر الاحتراز عنها ما

(**وأما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان**) والعمر جوهر نفيس (**وهو عين الخسران فلا يبقى إلا القسم الرابع**) وهو الذي فيه نفع محض، (**فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام**) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا علي بن أبي مريم عن خلف بن تميم، حدثنا أبو إسحاق الفزاري قال: كان إبراهيم بن أدهم يطيل السكوت، فإذا تكلم ربما انبسط فأطال ذات يوم السكوت فقلت له: لو تكلمت فقال الكلام على أربعة وجوه، فمن الكلام كلام ترجو منفعته وتخشى عاقبته، فالفضل في هذا السلامة منه، ومن الكلام كلام لا ترجو منفعته ولا تخشى عاقبته فأقل مالك في تركه خفة المؤنة على بدنك ولسانك، ومن الكلام كلام لا ترجو منفعته ولا تأمن عاقبته، فهذا قد كفى العاقل مؤنته، ومن الكلام كلام ترجو منفعته وتأمن عاقبته، فهذا الذي يجب عليك نشره قال خلف: فقلت لأبي إسحاق إبراهيم أراه قد أسقط ثلاثة أرباع الكلام؟ قال نعم اهـ.

(**وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج به ما هو إثم**) عند الله تعالى، وذلك (**من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجاً**) لطيفاً (**يخفى دركه**) لأكثر الناس، (**فيكون الإنسان مخاطراً**) أي مشرفاً على خطر عظيم، (**ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعاً ما ذكره ﷺ هو فصل الخطاب**) في بابه (**حيث قال: « من صمت نجا »**) وقد تقدم الكلام عليه قريباً. (**فقد أوتي**) ﷺ (**جواهر الحكم قطعاً وجوامع الكلم**) كما رواه مسلم من حديث أبي هريرة، وقد تقدم بلفظ: « أوتيت جوامع الكلم » واختصر لي الكلام اختصاراً. (**ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني إلا خواص العلماء**) إذ هي ثمان أحرف، وقد جمع فيها خير الدنيا والآخرة وهو أبلغ من قول القائل: من سكت سلم لأن الصمت أبلغ من السكوت كما تقدمت الإشارة إليه، والنجاة أبلغ من السلامة لأن السلامة قد يقتصر إطلاقها على الخلاص من شر الناس فهو خاص في الدنيا، والنجاة تعم الدنيا والآخرة فكأنه قال: من صمت عما لا يعني وعن الفضول سلم في نفسه من شر الناس ومن شر الشيطان. ومن سلم منهما فقد نجا من تبعات الآخرة. (**وفيما سنذكره من الآفات وعسر**

يعرفك حقيقة ذلك إن شاء الله تعالى. ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدىء بأخفها ونترقى إلى الأغلظ قليلاً، ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فإن النظر فيها أطول وهي عشرون آفة فاعلم ذلك ترشد بعون الله تعالى.

الآفة الأولى: الكلام فيا لا يعنيك:

اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال وغيرها، وتتكلم فيا هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلاً إلا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه، فإنك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك وتستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه، ولو هللت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيراً لك فكم من كلمة يبني بها قصر في الجنة؟ ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فاخذ مكانه مدرة لا

الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك، ونحن الآن نعد آفات اللسان ونبتدىء بأخفها ونترقى إلى الأغلظ) منها (**قليلاً قليلاً، ونؤخر الكلام في الغيبة والكذب والنميمة فإن النظر فيها أطول**) والكلام فيها أكثر (**وهي عشرون آفة، فاعلم ذلك ترشد بِعون الله تعالى**) وحسن توفيقه:

الآفة الأولى الكلام فيا لا يعنيك:

أي لا يهمك. (**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال وغيره، وتتكلم فيا هو مباح لا ضرر عليك فيه**) ولا تخشى عاقبته (**ولا**) ضرر فيه (**على مسلم أصلاً**) لا حالاً ولا مآلاً (**إلا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه، فإنك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك ومستبدل الذي هو أدنى**) أي أخس واحقر (**بالذي هو خير**) وأنفع (**لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر**) أي إلى استعماله فيا هو بصدده (**ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله تعالى**) ومن رشحات كرمه (**عند**) ذلك (**الفكر ما يعظم جدواه**) أي فائدته. (**ولو هللت الله سبحانه وذكرته وسبّحته**) وقدسته وكبرته (**لكان خيراً لك**) أخرج ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق بكر بن ماعز قال: كان الربيع بن خيثم يقول: لا خير في الكلام إلا في تسع تهليل وتكبير وتسبيح وتحميد وسؤالك عن الخير وتعوذك من الشر وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر وقراءتك القرآن (**فكم من كلمة**) يتكلم بها (**يبنى له بها قصر في الجنة**) كما وردت بذلك الأخبار ويغرس له غرس في الجنة (**ومن قدر على أن يأخذ كنزاً من**

ينتفع بها كان خاسراً خسراناً مبيناً . وهذا مثال من ترك ذكر الله واشتغل بمباح لا يعنيه فإنه وإن لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى ، فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فكراً ونظره إلا عبرة ونطقه إلا ذكراً ، هكذا قال النبي ﷺ . بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثواباً في الآخرة فقد ضيع رأس ماله . ولهذا قال النبي ﷺ : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » بل ورد ما هو أشد

الكنوز فأخذ مكانه مدرة) أو خزفة (لا ينتفع بها كان خاسراً خسراناً بيناً وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فإنه وإن لم يأثم) لكون ما اشتغل به مما أبيح له (فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى ، فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فكراً و) لا يكون (نظره إلا عبرة و) لا يكون (نطقه إلا ذكراً . هكذا قال النبي ﷺ) قال العراقي : لم أجد له أصلاً وروى محمد بن زكريا الغلابي أحد الضعفاء عن ابن عباية عن أبيه قال : خطب رسول الله ﷺ فقال : « إن الله أمرني أن يكون نطقي ذكراً وصمتي فكراً ونظري عبرة » . (بل رأس مال العبد أوقاته ، ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثواباً في الآخرة فقد ضيع رأس ماله) وخسر خسراناً مبيناً ، (ولهذا قال ﷺ : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ») رواه أحمد وأبو يعلى والترمذي وقال : غريب وابن ماجه والبيهقي من طريق الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، ورواه ابن أبي الدنيا من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ورواه أحمد والعسكري في الأمثال والطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية وابن عبد البر عن علي بن الحسين عن أبيه به مرفوعاً . ورواه مالك والنسائي وابن أبي الدنيا ، والبيهقي من طريق الزهري ، عن علي بن الحسين مرسلاً . ورواه ابن عساكر عن علي بن الحسين ، عن الحرث بن هشام به مرفوعاً . ورواه العسكري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب به مرفوعاً . ورواه الشيرازي في الألقاب من حديث أبي ذر . ورواه الحاكم في الكنى من حديث أبي بكر ، ورواه الطبراني في الكبير من حديث زيد بن ثابت . وفي الباب عن جماعة . وقال الدارقطني في العلل : يرويه الاوزاعي ، واختلف عنه فرواه محمد بن شعيب والوليد بن يزيد وعمارة بن بشر وإسماعيل بن عبد الله بن سماعة وبشر بن بكر كلهم عن الاوزاعي عن قرة بن عبد الرحمن عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، وخالفهم عمر بن عبد الواحد ، وبقية بن الوليد ، وأبو المغيرة فرووه عن الاوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، ولم يذكروا فيه قرة . ورواه بشر بن إسماعيل الحلبي عن الأوزاعي عن الزهري عن أبي سلمة ، وسليمان بن يسار عن أبي هريرة قاله موسى بن هارون ، وهو ثقة حدث عنه محمد بن يحيى وغيره عن مبشر . وروي عن إسماعيل بن عياش ومحمد بن كثير المصيصي عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة . ورواه عبد الله بن بديل عن الزهري عن سالم ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ . والمحفوظ حديث أبي هريرة ، وحديث علي بن الحسين مرسلاً ، وكذلك هو في الموطأ . ورواه خالد بن عبد الرحمن

من هذا قال أنس: استشهد غلام منا يوم أُحد فوجدنا على بطنه حجراً مربوطاً من الجوع فمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت: هنيئاً لك الجنة يا بني، فقال ﷺ: «وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره»؟ وفي حديث آخر: أن النبي ﷺ

المخزومي، عن مالك، عن الزهري، عن علي بن الحسين، عن أبيه. وخالد ليس بالقوى، وروى عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر العمري وهو ضعيف عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ولا يصح. والصحيح حديث الزهري عن علي بن الحسين مرسلاً، وأما حديث علي فقد يرويه الزهري عن علي بن الحسين واختلف عنه، فرواه أبو همام الدلال عن عبيد الله بن عمر العمري فقال عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي عن رسول الله ﷺ. وخالفه موسى ابن داود فقال عن العمري عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن النبي ﷺ وغيره يرويه عن العمري عن الزهري عن علي بن الحسين مرسلاً وهو الصحيح. واختلف في مالك فرواه خالد بن خداش الخراساني، عن مالك، عن الزهري عن علي بن الحسين مرسلاً، وكذلك رواه أصحاب الزهري عن الزهري. وروي عن جعفر بن محمد، واختلف عنه فرواه موسى بن عمير عن جعفر عن أبيه عن جده عن علي، وخالفه يوسف بن أسباط فرواه عن الثوري عن جعفر عن أبيه عن علي ابن أبي طالب، والصحيح قول من أرسله عن علي بن الحسين عن النبي ﷺ اهـ.

قلت: قال ابن عدي في الكامل بعد أن روي هذا الحديث عن أبي العلاء الكوفي عن هشام بن عمار عن محمد بن شعيب عن الاوزاعي عن قرة ما لفظه. وقد روي عن الاوزاعي عن قرة الزهري بضعة عشر حديثاً، ولقرة أحاديث صالحة رواه عنه رشدين بن سعد، وسويد بن عبد العزيز، وابن وهب والاوزاعي وغيرهم وجلة حديثه عن هؤلاء والله أعلم.

تنبيه:

قال الطيبي: «من» في الحديث تبعيضية، ويجوز كونها بيانية وإنما قال: من حسن إسلام المرء ولم يقل من حسن إيمان المرء لأن الإسلام عبارة عن الأعمال الظاهرة والفعل والترك إنما يتعاقبان عليها وزاد حسن إيمان إلى أنه لا عبرة بصورة الأعمال فعلاً وتركاً إلا أن اتصفت بالحسن بأن توفرت شروط مكملاتها فضلاً عن المصححات، وجعل الترك ترك ما لا يعني من الحسن مبالغة. وفي إفهامه من قبح إسلام المرء أخذه فيما لا يعنيه، والذي لا يعني الفضول كله على تباين أنواعه. وهذا الحديث قالوا: ربع الإسلام، وقيل: نصفه، وقيل: كله.

(**بل ورد ما هو أشد من هذا قال أنس**) بن مالك رضي الله عنه: (**استشهد غلام منا**) أي من الأنصار (**يوم أحد فوجدنا على بطنه حجراً مربوطاً**) أي من الجوع، (**فمسحت أمه عن وجهه التراب وقالت هنيئاً لك يا بني فقال ﷺ: «ما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره»**) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أنس مختصراً. وقال: غريب: ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت بلفظ المصنف بسند ضعيف اهـ.

فقد كعباً فسأل عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى أتاه فلما دخل عليه قال: « ابشر يا كعب » فقالت أمه: هنيئاً لك الجنة يا كعب. فقال ﷺ: « من هذه المتألية على الله ». قال: هي أمي يا رسول الله. قال: « وما يدريك يا أم كعب لعل كعباً قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه ». ومعناه أنه إنما تتهيأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه، وإن كان كلامه مباحاً فلا تتهيأ الجنة له مع المناقشة في الحساب فإنه نوع من العذاب. وعن محمد بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أوّل من يدخل الجنة من هذا الباب رجل من أهل الجنة » فدخل

قلت قال ابن أبي الدنيا: حدثني عبد الرحمن بن صالح الأزدي: حدثنا يحي بن يعلى الأسلمي، عن الأعمش، عن أنس بن مالك قال: استشهد غلام منا يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت: هنيئاً لك يا بني الجنة فساقه، ولعل وجه ضعف هذا السند أن الأعمش لم يثبت سماعه عن أنس له رؤية فقط لا رواية أو لأن يحي بن يعلى الأسلمي ضعفه أبو حاتم وغيره.

(وفي حديث آخر أن النبي ﷺ فقد كعباً) أي ابن عجرة (فسأل عنه فقالوا): هو (مريض فخرج يمشي حتى أتاه) عائداً له، (فلما دخل عليه قال: ابشر يا كعب! فقالت أمه: هنيئاً لك الجنة. فقال ﷺ: « من هذه المتألية على الله قال) كعب (هي أمي يا رسول الله. قال: « وما يدريك يا أم كعب لعل كعباً قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث كعب بن عجرة بإسناد جيد إلا أن الظاهر انقطاعه بين الصحابي وبين من رواه عنه اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن عيسى المصري، حدثنا ضمام بن إسماعيل الإسكندراني، حدثني يزيد بن أبي حبيب وموسى بن وردان بن كعب بن عجرة أن النبي ﷺ فقد كعباً فساقه كما هنا. أما كعب ففي قول الواقدي مات سنة اثنين وخمسين، وأما موسى بن وردان فإنه مات سنة سبع عشرة، وله أربع وسبعون سنة، فكان عمره لما مات كعب نحو أربع عشرة سنة، وعلى هذا يمكن سماعه منه. وأما يزيد بن أبي حبيب فإنه مات سنة ثمان وعشرين ومائة، وبلغ زيادة على خمس وسبعين سنة فكان عمره حين مات كعب نحو أربع سنين فتأمل.

(ومعناه إنما يتهيأ للجنة من لا يحاسب، ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وإن كان كلامه مباحاً فلا تتهيأ الجنة مع المناقشة في الحساب فإنه نوع عذاب) من نوقش في الحساب عذب.

(وعن محمد بن كعب) بن سليم بن أسد القرظي رحمه الله تعالى كنيته أبو حمزة مدني نزل الكوفة، ولد سنة أربعين على الصحيح، مات سنة عشرين ومائة. روى له الجماعة (قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أول من يدخل الجنة من هذا الباب رجل من أهل الجنة » فدخل

عبد الله بن سلام فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فاخبروه بذلك وقالوا: أخبرنا بأوثق عمل في نفسك ترجو به فقال: إني لضعيف وإن أوثق ما أرجو به الله سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني. وقال أبو ذر: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك». وقال مجاهد: سمعت ابن عباس يقول: خمس لهن أحب إلي من الدهم الموقوفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر، ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعاً فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليماً ولا سفيهاً فإن الحليم يقليك والسفيه يؤذيك، واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به، واعفه مما تحب أن يعفيك منه، وعامل أخاك بما

عبد الله بن سلام) رضي الله عنه **(فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا عن أوثق عمل في نفسك ترجو به. فقال إني ضعيف وإن أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلاً وفيه أبو معشر نجيح اختلف فيه اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا، حدثنا علي بن الجعد، أخبرني أبو معشر عن محمد بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ فساقه. وفيه فأخبروه بقول النبي ﷺ، وقالوا: أخبرنا بأوثق عملك وفيه أني لضعيف وفيه لسلامة الصدر، والباقي سواء. وأبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي مولى بني هاشم مشهور بكنيته. روى له أصحاب السنن ضعيف أسن واختلط مات سنة سبعين ومائة. وقد رواه أيضاً أسد بن موسى عن أبي معشر هذا.

(وقال أبو ذر) الغفاري رضي الله عنه **(قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «هو الصمت وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك»)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا بسند منقطع اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا يزيد بن محمد بن خنيس، عن وهيب بن الورد بلغه أن أبا ذر قال: قال رسول الله ﷺ فساقه.

(وقال مجاهد) بن جبير المكي التابعي، **(سمعت ابن عباس يقول: خمس لهن أحب إلي من الدهم الموقفة)** أي من الخيل الدهم التي أوقفت وأُعدت للركوب الأولى **(لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل ولا آمن عليك الوزر)** أي الإثم **(ولا تتكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعاً فإنه رب متكلم في أمر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت)** أي وقع في العنت وهو الشدة والحرج، **(و)** الثانية **(لا تمار حليماً ولا سفيهاً فإن الحليم يقليك)** أي يبغضك بقلبه **(والسفيه يؤذيك)** بلسانه، **(و)** الثالثة: **(اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به واعفه**

تحب أن يعاملك به، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالاحترام. وقيل للقمان الحكيم: ما حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي: أمرأنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا: وما هو؟ قال: السكوت عما لا يعنيني. وقال عمر رضي الله عنه: لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك القوم إلا الأمين، ولا أمين إلا من خشي الله تعالى، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله تعالى.

مما تحب أن يعفيك منه، و) الرابعة: (عامل أخاك بما تحب أن يعاملك به، و) الخامسة: (اعمل عمل رجل يعلم إنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالاحترام) أخرجه ابن أبي الدنيا فقال: حدثني أبو محمد العتكي عبد الرحمن بن صالح، حدثني أبو هارون جليس لأبي بكر بن عياش، عن محرز التميمي، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: سمعته يقول: «خمس لهن أحسن من الدهم الموقفة». فساقه.

(وقيل للقمان الحكيم: ما حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعنيني) أخرجه ابن أبي الدنيا فقال: حدثني علي بن الجعد عن شعبة عن سيار أبي الحكم قال: قيل للقمان فساقه.

(وقال مورق العجلي) هو أبو المعتمر مورق بن مشمرج بن عبد الله البصري ثقة عابد روى له الجماعة (أمر أنا في طلبه منذ عشرين سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه. قالوا: وما هو يا أبا المعتمر؟ قال: السكوت عما لا يعنيني) أخرجه ابن أبي الدنيا فقال: حدثنا محمد بن سعد، حدثنا عفان، عن جعفر بن سليمان، عن المعلى بن زياد قال: قال مورق العجلي فساقه.

(وقال عمر) بن الخطاب (رضي الله عنه: لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك وأحذر صديقك من القوم إلا الأمين ولا أمين إلا من خشي الله تعالى، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله) أخرجه ابن أبي الدنيا بسندين: الأول: قال حدثنا عبد الله بن خيران أخبرنا المسعودي عن وديعة يعني الأنصاري قال: قال عمر بن الخطاب: لا تتعرض لما لا يعنيك فساقه. والثاني: قال حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا حبان بن علي، عن محمد بن عجلان، عن إبراهيم بن مرة، عن عمر بن الخطاب نحوه.

ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن إدريس، عن محمد ابن عجلان، عن إبراهيم بن مرة، عن محمد بن شهاب قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تتعرض فيما لا يعنيك واعتزل عدوك واحتفظ من خليلك إلا الأمين، فإن الأمين من القوم لا يعادله شيء، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تفش إليه سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله وقد تقدم ذلك أيضاً في كتاب آداب الصحبة.

وحدّ الكلام فيما لا يعنيك أن تتكلم بكلام لو سكت عنه لم تأثم ولم تستضر به في حال ولا مال، مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار وما وقع لك من الوقائع، وما استحسنته من الأطعمة والثياب، وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم. فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضر، وإذا بالغت في

تنبيه:

وقد بقي على المصنف ما هو على شرطه. روى ابن أبي الدنيا من طريق زيد بن أسلم أنه دخل على ابن أبي دجانة وهو مريض ووجهه يتهلل فقال: ما من عملي شيء أوثق في نفسي من اثنتين لم أتكلم فيما لا يعنيني، وكان قلبي للمسلمين سليماً.

ومن طريق عمرو بن قيس الملائي إن رجلاً مر بلقمان والناس عنده فقال: ألست عبد بني فلان؟ قال: بلى. قال: الذي كنت ترعى عند جبل كذا وكذا؟ قال: بلى. قال: ما الذي بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث وطول السكوت عما لا يعنيني.

ومن طريق داود بن أبي هند قال: بلغني أن معاوية قال الرجل ما بلغ من حلمك؟ قال: لا يعنيني ما لا يعنيني.

ومن طريق جعفر بن سليمان قال: سمعت سميطاً العيشي يقول: من لزم ما يعنيه أوشك أن يترك ما لا يعنيه.

ومن طريق ثابت الشمالي عن أبي جعفر قال: كفى عيباً أن يبصر العبد من الناس ما يعمى عليه من نفسه وأن يؤذي جليسه فيما لا يعنيه.

وأخرج الخرائطي من حديث ابن مسعود قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله إني مطاع في قومي فما آمرهم؟ قال: «مرهم بإفشاء السلام وقلة الكلام إلا فيما يعنيهم».

وأخرج العقيلي من حديث أبي هريرة: «أكثر الناس ذنوباً أكثرهم كلاماً فيما لا يعنيه» وروى أبو عبيدة عن الحسن قال: من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه. وقال سهل التستري: من تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق. وقال معروف: كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله عز وجل.

(**وحدّ الكلام فيما لا يعنيك**) أي لا تتعلق به عنايتك ولا يكون مقصدك ومطلوبك لأن العناية شدة الأهتمام بالشيء. يقال: عناه يعنيه إذا اهتم به وطلبه (**أن تتكلم بكل ما لو سكت عنه لم تأثم ولم تستضربه في حال**. أو قال **مثاله أن تجلس مع قوم فتذكر لهم أسفارك وما رأيت فيها من جبال وأنهار**) وبلاد، (**وما وقع لك من الوقائع، وما استحسنته من الأطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم معك**) أو مع غيرك. (**فهذه أمور لو سكت عنها لم تأثم ولم تستضر، وإذا بالغت في الاجتهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة أو**

الجهاد حتى لم يمتزج بحكايتك زيادة ولا نقصان، ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة، ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك وأنّى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لا يعنيك فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضاً بالجواب إلى التضييع، هذا إذا كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات فإنك تسأل غيرك عن عبادته مثلاً فتقول له: هل أنت صائم؟ فإن قال نعم، كان مظهراً لعبادته فيدخل عليه الرياء، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات، وإن قال: لا، كان كاذباً، وإن سكت كان مستحقراً لك وتأذيت به، وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه، فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أو للكذب أو للاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع، وكذلك سؤالك عن سائر عباداته. وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحي منه. وسؤالك عما حدّث به غيرك فتقول له: ماذا تقول؟ وفيم أنت؟ وكذلك ترى إنساناً في الطريق فتقول: من أين؟ فربما يمنعه مانع من ذكره، فإن ذكره تأذى به واستحيا، وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب فيه. وكذلك تسأل عن

نقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الأحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء خلقه الله تعالى فأنت مع ذلك كله مضيع زمانك) في تلك الحكايات(وأنّى تسلم من الآفات التي ذكرناها ومن جملتها أن تسأل غيرك عما لا يعنيك) ولا يهمك (فأنت بالسؤال مضيع وقتك وقد ألجأت صاحبك أيضاً بالجواب إلى التضييع) أي تضييع وقته. (هذا إذا كان الشيء مما لا يتطرق إلى السؤال عنه آفة وأكثر الأسئلة فيها آفات) لا يخلو منها، (فإنك تسأل غيرك عن عبادته فتقول له: أنت صائم فإن قال نعم كان مظهراً لعبادته فيدخل عليه الرياء، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات) كما ورد ذلك في بعض الأخبار، (وإن قال لا كان كاذباً) في قوله، (وإن سكت كان مستحقراً لك) في عدم ردّ الجواب، (وتأذيت به وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه) فانظر (فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أو الكذب والاستحقار أو التعب في حيلة الدفع) فهذه أربع آفات بعضها أعظم من بعض، (وكذلك سؤالك عن سائر عباداته وكذلك سؤالك عن سائر المعاصي وعن كل ما تخفيه) عن الناس، (وتستحي منه وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له: ماذا تقول وفيم أنتم؟ وكذلك ترى إنساناً في الطريق فتقول) له: (من أين) وإلى أين؟ (فربما يمنعه مانع من ذكره فإن ذكر تأذى به واستحيا) هذا إن صدق، (وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت

مسألة لا حاجة بك إليها والمسؤول ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لا أدري، **فيجيب عن** غير بصيرة.

ولست أعني بالتكلم فيما لا يعني هذه الأجناس، **فإن هذا يتطرق إليه إثم أو ضرر وإنما مثال ما لا يعني ما روي أن لقمان الحكيم دخل على داود عليه السلام وهو يسرد درعاً ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب ما رأى فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته فأمسك نفسه ولم يسأله، فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال: نعم الدرع للحرب. فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله أي حصل العلم به من غير سؤال فاستغنى عن السؤال وقيل انه كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يعلم ذلك من غير سؤال فهذا وأمثاله من الأسئلة إذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو ما لا يعني وتركه من حسن**

السبب) في ذلك. وقال صاحب القوت: ومن المحدثات المبتدعة قول الرجل لاخيه، إذا لقيه ذاهباً في الطريق: إلى أين تريد، أو من أين جئت؟ فقد كره هذا وليس من السنّة ولا من الأدب، وهو داخل في التحسس والتجسس لأن التحسس في الآثار والتجسس في الأخبار وهذا السؤال عن ذلك يجمعها، وقد لا يحب الرجل أن يعلم أين يذهب ولا من أين جاء، وقد كره ذلك مجاهد وعطاء قال: إذا لقيت أخاك في طريق فلا تسأله من أين جئت ولا أين تذهب، فلعله أن يصدقك فتكره ذلك، ولعله أن يكذبك فتكون حملته على الكذب اهـ.

وكان على هذا القدم شيخنا المرحوم علي بن موسى الحسيني فإنه من شدة ما ينكر على من يسأله إلى أين ربما يرجع من مقصده وتشاءم، **(وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك إليها والمسؤل ربما لم تسمح نفسه بأن يقول لا أدري فيجيب عن غير بصيرة ولا روية)** فيقع في خطأ عظيم.

(ولست أعني بالتكلم فيما لا يعني هذه الأجناس) وأمثالها. **(فإن هذا يتطرق إليه إثم أو ضرر)** في الحال أو في المقال، **(وإنما مثال ما لا يعني ما روي أن لقمان الحكيم كان يختلف إلى داود عليه السلام وهو يسرد درعاً ولم يكن رآها قبل ذلك اليوم فجعل يتعجب مما رأى وأراد أن يسأله عن ذلك والحكمة تمنعه من السؤال، فلما فرغ داود عليه السلام وصبّها عليه وقال: نعم جنة الحرب فقال)** لقمان: **(الصمت حكم وقليل فاعله أردت أن أسألك عنها فكفيتني، وقيل: كان يتردد إليه سنة ويريد أن يعلم ذلك من غير سؤال)** أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب من حديث أنس أن لقمان كان عند داود وهو يسرد الدرع فجعل يفتله هكذا بيده، فجعل لقمان يتعجب ويريد أن يسأله، فلما فرغ منها صبها على نفسه وقال نعم درع الحرب هذه. فقال لقمان: الصمت من الحكمة وقليل فاعله كنت أردت أن أسألك فسكت حتى كفيتني. قال البيهقي: هذا هو الصحيح أنه من كلام لقمان.

(فهذا وأمثاله من الأسئلة ما لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتوريط في رياء وكذب فهو

الإسلام فهذا حدّه.

وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه أو المباسطة بالكلام على سبيل التودد أو تزجية الأوقات بحكايات أحوال لا فائدة فيها.

وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه وإنه مسؤول عن كل كلمة وإن أنفاسه رأس ماله، وأن أنفاسه شبكة يقدر على أن يقتنص بها الحور العين فاهماله ذلك وتضييعه خسران مبين هذا علاجه من حيث العلم. وأما من حيث العمل فالعزلة أو أن يضع حصاة في فيه وإن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديداً جداً.

مما لا يعني وتركه من حسن الإسلام فهذا حدّه)، وإذا حسن الاسلام اقتضى ترك ما لا يعني كله من المحرمات والمشتبهات والمكروهات وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها، فهذا كله لا يعني المسلم إذا كمل إسلامه وبلغ إلى درجة الإحسان، فمن عبد الله عن استحضار قربه ومشاهدته بقلبه وعلى استحضار قرب الله منه وإطلاعه عليه فقد حسن إسلامه ولزم من ذلك أن يترك كل ما لا يعنيه في الإسلام ويشتغل بما يعنيه فيه فإنه يتولد من هذين الاستحياء من الله تعالى.

(وأما سببه الباعث عليه فالحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه، أو بالمباسطة بالكلام على سبيل التودد) والتألف، **(أو تزجية الأوقات)** أي تسويتها **(بحكايات أحوال لا فائدة فيها، وعلاج ذلك كله أن يعلم أن الموت بين يديه)** ولا بدّ له منه على كل حال، **(فإنه مسئول عن كل كلمة)** يتكلم بها **(وأن أنفاسه المعدودة)** هي **(رأس ماله)** من الدنيا، **(وأن لسانه شبكة يقدر أن يقتنص به الحور العين)** والولدان والنعيم، **(فإهماله ذلك وتضييعه خسران)** ونقصان. **(وهذا علاجه من حيث العلم، وأما من حيث العمل فالعزلة)** عن الناس كما قال وهيب بن الورد عن بعض الحكماء: الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وواحد في العزلة، فأردت من نفسي الصمت على شيء فلم أقدر عليه فصرت إلى العزلة فحصلت لي التسعة وقد تقدم ذلك قريباً. **(وأن يضع حصاة في فيه)** كما كان الصديق رضي الله عنه يفعله، وأن يلزم نفسه السكوت بها عن بعض ما يعنيه حتى يعتاد اللسان ترك ما لا يعنيه، **(وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل شديد جداً)** فإنه لا يجد بداً من الكلام إذا كان مع جماعة ويشتد عليه حفظه للسانه، بل ينفلت منه ولا يقدر على ضبطه. وأما إذا اعتزل مسلم من ذلك فإنه لا يجد من يخاطب معه فيرجع إلى نفسه إما بالتفكرّ أو بالذكر أو بالمراقبة، وهذا علاجه من حيث العمل.

الآفة الثانية فضول الكلام:

وهو أيضاً مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة، فإن من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يجسمه ويقرره ويكرره، ومهما تأدّى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول - أي فضل عن الحاجة - وهو أيضاً مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر. قال عطاء بن أبي رباح: إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى وسنّة رسول الله ﷺ أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها، أتنكرون أن عليكم حافظين كراماً كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحيي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه. وعن بعض الصحابة قال: إن الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه أشهى إليّ من الماء البارد إلى

(الآفة الثانية: فضول الكلام)

(وهو أيضاً مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا يعني، والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة، فإن من يعنيه) أي يهمه (أمر) ويكون مقصوداً له (يمكنه أن يذكره بكلام مختصر ويمكنه أن يجنحه) أي يطوّله فيجعل له جناحاً (ويكرره، ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية) منهما (فضول أي فضل عن الحاجة وهو أيضاً مذموم لما سبق وإن لم يكن فيه إثم ولا ضرر) لكونه مباحاً. (قال عطاء بن أبي رباح) القرشي مولاهم المكي ثقة فقيه فاضل كثير الإرسال. مات سنة اربع عشرة على المشهور، روى له الجماعة (إن من قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله) أن تقرأه (أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بدّ لك منها اتنكرون أن عليكم حافظين كراماً كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد. أما يستحيي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم وغيره قالوا: أخبرنا يعلى بن عبيد قال: دخلنا على محمد بن سوقة فقال: أحدثكم بحديث لعله ينفعكم فإنه قد نفعني قال لنا عطاء بن أبي رباح: يا بني اخي إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام فساقه سواء. وأخرجه أبو نعيم في الحلية من هذا الطريق عن عبد الله بن محمد هو ابن أبي الدنيا عن حاجب بن أبي بكر وأحمد ويعقوب الدورقيان قالوا: حدثنا يعلى بن عبيد فساقه، (و) روي (عن بعض الصحابة) رضوان الله عليه. (قال: إن الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه اشهى إليّ من الماء البارد من الظمآن فاترك جوابه خيفة من أن

الظمآن فاترك جوابه خيفة أن يكون فضولاً . وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار اللهم اخزه وما أشبه ذلك .

واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله تعالى . قال الله عز وجل: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ [النساء : ١١٤] وقال ﷺ : « طوبي لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل

يكون فضلاً) أخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس، أنبأنا عبدان، أنبأنا عبدالله بن المبارك، أنبأنا عمر بن بكار، عن عمرو بن الحرث، عن العلاء بن سعد بن مسعود، عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فذكره.

(**وقال مطرف)** بن عبدالله بن الشخير العامري الحرشي أبو عبدالله البصري ثقة عابد فاضل مات سنة خمس وتسعين روى له الجماعة: (**ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قولكم للكلب وللحمار: اللهم أخزه وما أشبه ذلك)** اخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس، أنبأنا عبدالله، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت بن مطرف قال: ليعظم جلال الله في صدوركم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب: اللهم أخزه وللحمار والشاة.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن محمد بن الحسن، حدثنا أبي، حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال: قال مطرف ليعظم جلال الله تعالى إن تذكروه عند الحمار والكلب فيقول أحدكم لكلبه: اخزاك الله وفعل الله بك.

(واعلم أن فضول الكلام لا ينحصر) بضبط، **(بل المهم محصور في كتاب الله تعالى قال الله عز وجل: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾)** قال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا إسحاق بن إسماعيل وسعدويه وغيرهما وهذا لفظ إسحاق بن إسماعيل عن محمد بن يزيد بن خنيس قال: دخلنا على سفيان الثوري نعوده، فدخل عليه سعيد بن حسان فقال له سفيان، الحديث الذي حدثتني عن أم صالح أردده عليَّ، فقال سعيد ابن حسان: حدثتني أم صالح عن صفية بنت شيبة عن أم حبيبة قالت: قال النبي ﷺ « كل كلام ابن آدم هو عليه إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر وذكر الله قال فقال رجل ما أشد هذا الحديث؟ قال: فقال سفيان وأي شيء شدته، أليس الله يقول: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾ [النبأ : ٣٨] أليس الله يقول: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ أليس الله يقول: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾ .

(وقال ﷺ « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله ») قال العراقي:

من ماله » فانظر كيف قلّب الناس الأمر في ذلك فامسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان. وعن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال: قدمت على رسول الله ﷺ في رهط من

رواه البغوي وابن قانع في معجمي الصحابة والبيهقي من حديث ركب المصري، وقال ابن عبد البر: إنه حديث حسن، وقال البغوي: لا أدري سمع من النبي ﷺ أم لا. وقال ابن منده: مجهول لا تعرف له صحبة، ورواه البزار من حديث انس بسند ضعيف اهـ.

قلـت: قال عباس الدوري له صحبة، وقال ابن عبد البر: هو كندي له حديث، روى عنه نصيح العنسي في التواضع اهـ.

وقد أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا مهدي بن حفص، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن مطعم بن المقدام الصغاني، عن عنبسة بن سعيد الكلاعي، عن نصيح العنسي، عن ركب المصري قال: قال رسول الله ﷺ فساقه كسياق المصنف. ولفظ البغوي وابن قانع والبيهقي « طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه في غير مسكنة وأنفق من مال جمعه في غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة ورحم أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن ذل في نفسه وطاب كسبه وحسنت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ». وقد رواه كذلك البخاري في التاريخ، والباوردي وابن شاهين والعسكري، وتمام، وابن عساكر. ورواه أبو محمد الجيزي في تاريخ مصر فقال: حدثني أحمد بن حمزة بن محمد بن هارون البصري، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي، حدثنا آدم بن أبي أياس، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثنا مطعم بن المقدام الصغاني، وعنبسة بن سعيد الكلاعي، عن نصيح فساقه. وفيه: إن ابن عياش رواه عن مطعم وعنبسة، وفي سياق ابن أبي الدنيا مطعم عن عنبسة. وقال الذهبي في المهذب: ركب يجهل ولم تصبح له صحبة ونصيح ضعيف اهـ.

وقال المنذري: رواة أبي نصيح ثقات. وقال الهيتمي بعد ما عزاه للطبراني: نصيح العنسي عن ركب لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. وقال ابن حبان: إن هذا السند لا يعتمد عليه وأن قول ابن عبد البر أنه حسن أراد به الحسن اللغوي أي لفظه حسن.

وأما الحديث الذي أشار إليه العراقي أنه رواه البزار عن أنس بسند ضعيف فلفظه « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنّة ولم يعد عنها إلى البدعة ». وقد رواه كذلك الديلمي في مسند الفردوس.

(**فانظر**) وتأمل (**كيف قلب الناس الأمر فامسكوا فضل المال وأطلقوا فضل اللسان**) فخالفوا كلام المصطفى ﷺ.

(**وعن مطرف بن عبد الله**) تقدمت ترجمته قريباً (**عن أبيه**) وهو عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش، وهو معاوية بن ركب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة الحرشي العامري من مسلمة الفتح عداده في أهل البصرة، روى له الجماعة سوى البخاري (**قال:**

بني عامر فقالوا : أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلاً وأنت أطولنا علينا طولاً ، وأنت الجفنة الغراء وأنت وأنت فقال : « قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان » إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغني عنها . وقال ابن مسعود : أنذركم فضول كلامكم ، حسب امرىء من الكلام ما بلغ به حاجته ، وقال مجاهد : إن الكلام ليكتب حتى أن الرجل ليسكت ابنه فيقول : أبتاع لك كذا وكذا ؟ فيكتب كذاباً . وقال الحسن : يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكّل بها ملكان كريمان يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت وأكثر أو أقلل.

وروي أن سليمان عليه السلام بعث بعض عفاريته وبعث نفراً ينظرون ما يقول

قدمت على رسول الله ﷺ في رهط من بني عامر) بن صعصعة وذلك في عام الفتح (**فقالوا : أنت والدنا وأنت سيدنا وأنت أفضلنا علينا فضلاً وأطولنا علينا طولا وأنت الجفنة الغراء وأنت أنت . فقال : « قولوا قولكم ولا يستهوينكم الشيطان »**) وفي بعض النسخ ولا يستهو منكم الشيطان . قال العراقي : رواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بإسناد صحيح بلفظ آخر ، ورواه ابن أبي الدنيا بلفظ المصنف اهـ .

قلت : قال ابن أبي الدنيا : حدثنا خالد بن خداش ، حدثنا مهدي بن ميمون ، عن غيلان بن جرير ، عن مطرف بن عبد الله ، عن أبيه قال : قدمت فساقه . ولفظ أبي داود والنسائي « قولوا بعض قولكم ولا يستجر منكم الشيطان » . وكذلك رواه أحمد والطبراني في الكبير والضياء في المختارة (**إشارة إلى أن اللسان إذا أطلق بالثناء ولو بالصدق فيخشى أن يستهويه الشيطان إلى الزيادة المستغني عنها . وقال**) عبد الله (**بن مسعود**) رضي الله عنه : (**أنذركم**) أي أخوّفكم (**فضول كلامكم حسب امرىء من الكلام ما بلغ به حاجته**) . أخرجه ابن أبي الدنيا فقال : حدثنا أبي ، أخبرنا ابن علية ، عن ليث أن ابن مسعود قال : أنذرتكم فضول الكلام بحسب ما بلغ حاجته . (**وقال مجاهد**) رحمه الله تعالى : (**إن الكلام ليكتب حتى أن الرجل ليسكت ابنه فيقول**) له جملة ما يسكته به : (**ابتاع**) أي اشتري (**لك كذا وكذا**) من اللعب والمأكولات فيسمع به فيسكت من البكاء (**فيكتب كذاباً**) أخرجه ابن أبي الدنيا فقال : حدثنا أحمد بن جميل المروزي ، أخبرنا المعتمر بن سليمان ، عن ليث ، عن مجاهد قال : إن الكلام ليكتب حتى أن الرجل ليسكت ابنه ابتاع لك كذا وكذا وافعل لك كذا وكذا فتكتب كذبته ، (**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى : (**يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان يكتبان أعمالك فاعمل ما شئت اقلل أو أكثر**) أخرجه ابن أبي الدنيا فقال : حدثنا داود بن عمر والضبي ، حدثنا محمد بن الحسن الأسدي ، حدثنا يزيد بن إبراهيم عن الحسن قال : يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عملك فأمل ما شئت فاكثر أو أقل .

(**وروي أن سليمان عليه السلام**) فيما أخرجه ابن أبي الدنيا فقال : حدثني سويد بن سعيد ،

ويخبرونه فأخبروه بأنه مرّ في السوق فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهز رأسه فسأله سليمان عن ذلك فقال: عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون: ومن الذي أسفل منهم ما أسرع ما يملون. وقال إبراهيم التيمي: إذا أراد المؤمن أن يتكلم نظر فإن كان له تكلم وإلا أمسك، والفاجر إنما لسانه رسلاً رسلاً، وقال لحسن: من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه، ومن ساء خلقه عذب نفسه. وقال عمرو ابن دينار: تكلم رجل عند النبي ﷺ فأكثر فقال له ﷺ: «كم دون لسانك من حجاب»؟ فقال: شفتاي واسناني قال: «أفما كان لك في ذلك ما يرد كلامك». وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستهتر في الكلام ثم قال: ما أوتي رجل شراً من

حدثنا مروان بن معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن طارق بن شهاب قال: (**بعث**) سليمان ابن داود عليهما السلام (**بعض عفاريته وبعث نفراً ينظرون ما يقول ويخبرونه**) قال: (**فاخبروه أنه مرّ في السوق**) ولفظ ابن أبي الدنيا على السوق، (**فرفع رأسه إلى السماء ثم نظر إلى الناس وهزَّ رأسه فسأله سليمان**) عليه السلام (**عن ذلك**) ولفظ ابن أبي الدنيا: لم فعل ذلك؟ (**قال: عجبت من الملائكة على رؤوس الناس ما أسرع ما يكتبون، ومن الذين أسفل منهم ما أسرع ما يملون. وقال إبراهيم**) بن يزيد بن شريك (**التيمي**) الكوفي العباد: (**المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر فإن كان**) كلامه (**له تكلم وإلاّ**) أي وإن لم يكن له بل عليه (**أمسك**) عنه، (**والفاجر إنما لسانه رسلاً رسلاً**) أي كثيراً يتبع بعضه بعضاً أخرجه ابن أبي الدنيا فقال: حدثني علي بن أبي مريم، عن عثمان بن زفر التيمي، حدثنا محمد بن عبد العزيز التيمي قال: ذكر الحسن عن إبراهيم التيمي قال: المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر فإن كان كلامه له تكلم، وإن كان عليه أمسك عنه والفاجر إنما كلامه رسلاً رسلاً.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**من كثر كلامه كثر كذبه، ومن كثر ماله كثرت ذنوبه، ومن ساء خلقه عذب نفسه**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس، أخبرنا عبدان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا وهيب، عن هشام، عن الحسن فساقه إلا أنه قدم الجملة الثانية على الأولى. (**وقال عمرو بن دينار**) المكي التابعي ثقة: (**تكلم رجل عند رسول الله ﷺ فاكثر فقال له ﷺ «كم دون لسانك من باب» فقال: شفتاي وأسناني. قال «أفما كان لك في ذلك ما يرد كلامك»**) هكذا رواه ابن أبي الدنيا مرسلاً فقال: حدثني إسماعيل بن أبي الحرث، حدثنا محمد بن مقاتل، حدثنا ابن المبارك، عن نافع بن عمر عن عمرو بن دينار قال: تكلم رجال فساقه. قال العراقي: ورجاله ثقات.

(**وفي رواية أنه قال ذلك في رجل أثنى عليه فاستخفر في الكلام**) أي بالغ وأطال. ولفظ ابن أبي الدنيا في الصمت: وبلغني عن ابن عائشة عن عبد الأعلى بن عبد الله بن أبي عثمان قال: أثنى رجل على النبي ﷺ فاستخفر في الثناء فقال: «كم بيننا وبين لسانك من حجاب» قال: شفتاي

فضل في لسانه. وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه: إنه ليمنعني من كثير من الكلام خوف المباهاة. وقال بعض الحكماء: إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكتاً فاعجبه السكوت فليتكلم. وقال يزيد بن أبي حبيب: من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع، فإن وجد من يكفيه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزيين وزيادة ونقصان. وقال ابن عمر: إن أحق ما طهر الرجل لسانه. ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة فقال: لو كانت هذه خرساء كان خيراً لها. وقال إبراهيم: يهلك

وأسناني. قال: «أما كان فيها ما يرد فضل قولك عنا منذ اليوم»؟ (ثم قال: «ما أوتي رجل شراً من فضل في لسان») وروى الديلمي من حديث ابن عباس «ما أعطى عبد شراً من طلاقة لسانه».

(وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى: (أنه ليمنعني من كثير من الكلام خوف المباهاة) أخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس، أخبرنا عبدان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا حماد ابن سلمة، عن رجاء أبي المقدام، عن نعيم كاتب عمر بن عبد العزيز قال: قال عمر بن عبد العزيز فساقه.

(وقال بعض الحكماء: إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكتاً فأعجبه السكوت فليتكلم). أخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس، أخبرنا عبدان ابن عثمان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا رشيدين بن سعد، حدثنا الحجاج بن شداد أنه سمع عبيد الله ابن أبي جعفر، وكان أحد الحكماء يقول في بعض قوله: إذا كان المرء يحدث في المجلس فأعجبه الحديث فليسكت وإن كان ساكتاً فأعجبه السكوت فليحدث.

(وقال يزيد بن أبي حبيب) المصري أبو رجاء واسم أبيه سويد ثقة فقيه روى له الجماعة: (من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع فإن وجد من يكفيه فإن في الاستماع سلامة وفي الكلام تزين وزيادة ونقصان). أخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس، أخبرنا عبدان، أخبرنا عبد الله قال: أخبرني رجل من أهل الشام عن يزيد بن أبي حبيب قال: من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع وإن وجد من يكفيه فإن في الاستماع سلامة وزيادة في العلم، والمستمع شريك المتكلم في الكلام إلا من عصم الله، وفي الكلام ترفق وتزين وزيادة ونقصان.

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه: (إن أحق ما طهر الرجل لسانه) أخرجه ابن أبي الدنيا عن إسماعيل بن إسحاق حدثنا أبو أسامة عن سفيان الثوري عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر فساقه.

(ورأى أبو الدرداء) رضي الله عنه (امرأة سليطة) اللسان (فقال لو كانت هذه

الناس خلتان: فضول المال وفضول الكلام، فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني.

الآفة الثالثة: الخوض في الباطل:

وهو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الأغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة، فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام. وأما الكلام فيما لا يعني أو أكثر مما يعني فهو ترك الأولى ولا تحريم فيه. نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل وأكثر الناس يتجالسون للتفرج بالحديث، ولا يعدو كلامهم التفكه بأعراض الناس أو الخوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها لكثرتها وتفننها، فلذلك لا مخلص منها إلا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها

خرساء كان خيراً لها). أخرجه ابن أبي الدنيا عن الفضل بن يعقوب، حدثنا سعيد بن مسلمة، حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: رأى أبو الدرداء امرأة فساقه.

(وقال إبراهيم) يعني النخعي (يهلك الناس خلتان فضول المال وفضول الكلام) أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن عبد الملك، حدثنا حجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، عن حماد، عن إبراهيم قال: يهلك الناس في خلتين: فضول المال وفضول الكلام. (فهذه مذمة فضول الكلام وكثرته وسببه الباعث عليه وعلاجه ما سبق في الكلام فيما لا يعني) والله الموفق.

الآفة الثالثة الخوض في الباطل:

(وهو الكلام في المعاصي كحكاية أحوال النساء) مما يتعلق بهن كان يقول: قالت لي كذا وقلت لها كذا وفعلت كذا وما أشبه ذلك، (ومجالس الخمر) مما يجري فيها من العربدة، (ومقامات الفساق) وما يجري فيها من المخزيات (وتنعم الأغنياء) بمتاع الدنيا (وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة) المخالفة للشرع والعرف؛ (فإن ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام، وأما الكلام فيما لا يعني أو أكثر مما يعني فهو ترك الأولى) لأنه مباح، (ولا تحريم فيه. نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يؤمن عليه الخوض في الباطل) لأنه يستجر إليه وهو لا يدري، (وأكثر الناس) إذا تأملت إنما (يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو) أي لا يجاوز (كلامهم التفكه بأعراض الناس) والتمضمض بها، (أو الخوض في الباطل وأنواع الباطل لا يمكن حصرها) وضبطها (لكثرتها وتفننها) أي تنوّعها، (فلذلك لا مخلص منها إلا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين والدنيا) فقط. (وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو) لا يدري إذ هو (مستحقر بها) غير

صاحبها وهو يستحقرها **فقد قال بلال بن الحرث، قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليها بها سخطه إلى يوم القيامة » . وكان علقمة يقول: كم من كلام منعنيه**

مبال بها ويحسبه هينا وهو عند الله عظيم. (**فقد قال بلال بن الحرث**) بن عاصم أبو عبد الرحمن المزني رضي الله عنه، قدم سنة خمس في وفد مزينة، وكان ينزل الأسعر والأجرد وراء المدينة، وأقطعه رسول الله ﷺ العقيق، وشهد فتح مصر، مات سنة ستين، وله ثمانون سنة. روى عنه ابنه الحرث. روى له أصحاب السنن، (**قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى**) أي مما يرضيه (**ما يظن أن تبلغ ما بلغت**) من رضا الله بها عنه (**يكتب الله**) وفي رواية: فيكتب الله له (**بها رضوانه إلى يوم القيامة**) أي بقية عمره وحتى يلقاه يوم القيامة فيقبض على الإسلام ولا يعذب في قبره ولا يهان في حشره، (**وأن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله**) أي مما يسخطه ويغضبه (**ما يظن أن تبلغ ما بلغت**) من سخط الله (**يكتب**) وفي رواية: فيكتب (**الله**) عليه بها (**سخطه إلى يوم القيامة »**) بأن يختم له بالشقاوة ويصير معذباً في قبره مهاناً في حشره حتى يلقاه يوم القيامة، فمورده النار وبئس الورد المورود.

قال الطيبي: معنى كتبه رضوانه توفيقه لما يرضى الله من الطاعات والمسارعة في الخيرات، فيعيش في الدنيا حميد ، وفي البرزخ يصان من عذاب القبر ويفسح له في قبره ويقال له: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، ويحشر يوم القيامة سعيداً ويظله الله في ظله، ثم يلقى بعد ذلك من الكرامات والنعيم المقيم في الجنة ثم يفوز بلقاء الله تعالى، وعكسه قوله: وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله. قال العراقي: رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم. وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا أبو معاوية، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبيه، عن جده علقمة ابن وقاص، عن بلال بن الحرث المزني، عن النبي ﷺ قال فساقه. (**ثم قال: وكان علقمة**) بن وقاص بن محصن بن كلدة بن عبد ياليل بن طريف بن عتوارة بن مالك بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانه الليثي العتواري المدني. قال النسائي: ثقة. وقال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث، وله دار في المدينة في بني ليث وله بها عقب. وقال المزي: أخطأ من زعم أن له صحبة، ولد في عهد النبي ﷺ، ومات في خلافة عبد الملك روى له الجماعة. (**ويقول: كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحرث**) وأصل ذلك أن علقمة مرَّ برجل من أهل المدينة له شرف وهو جالس بسوق المدينة فقال علقمة: يا فلان. إن لك حرمة وإن لك حقاً وإني رأيتك تدخل على هؤلاء الأمراء فتتكلم عندهم، وإني سمعت بلال بن الحرث يقول فذكره، ثم قال علقمة: أنظر ويحك ما تقول وما تتكلم به، فرب كلام قد منعنيه ما سمعت من بلال.

حديث بلال بن الحرث ، وقال النبي ﷺ : « **إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه** يهوي بها أبعد من الثريا » . وقال أبو هريرة إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها في أعلى الجنة . وقال ﷺ : « **أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل** » وإليه

(**وقال ﷺ « أن الرجل ليتكلم بالكلمة**) الواحدة لأجل أن (**يضحك بها جلساءه يهوي**) أي يسقط (**بها**) أي بسببها (**أبعد من الثريا »**) قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن ، وللشيخين والترمذي « إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار » لفظ الترمذي وقال : حسن غريب اهـ .

قلت : قال ابن أبي الدنيا : حدثنا الحسن بن عيسى ، أنا عبد الله بن المبارك ، أخبرنا الزبير بن سعيد عن صفوان بن سليم ، عن عطاء ،عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ فساقه وفيه « **يضحك منها** » والباقي سواء . وقال أيضاً : حدثنا العباس العنبري ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا جرير بن حازم ، سمعت الحسن يحدث عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يرى أن تبلغ حيث بلغت ترديه في النار أربعين خريفاً » وأما حديث الترمذي فرواه أيضاً ابن ماجه والحاكم ، وعند أحمد من حديث أبي سعيد الخدري « إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً ليضحك بها القوم وإنه ليقع بها أبعد من السماء » .

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه . (**إن الرجل ليتكلم بالكلمة**) الواحدة (**ما يلقى بها بالاً**) أي لا يعبأ بها بل يستحقرها (**يرفعه الله بها في أعلى الجنة**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس ، أخبرنا عبدان بن عثمان ، أخبرنا عبد الله ، أنا مالك بن أنس ، عن عبد الله بن دينار ، عن أبي صالح عن أبي هريرة . قال : إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالاً يهوي بها في جهنم ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقى بها بالاً يرفعه الله بها في أعلى الجنة . هكذا رواه موقوفاً عن أبي هريرة ، والجملة الأولى منه موصولة عند الترمذي ، وابن ماجه والحاكم بلفظ « يهوي بها سبعين خريفاً في النار » كما تقدم .

(**وقال ﷺ : « أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل »**) قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلاً ورجاله ثقات . ورواه الطبراني موقوفاً على ابن مسعود بسند صحيح اهـ .

قلت : قال ابن أبي الدنيا ، حدثنا علي بن الجعد ، أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن قتادة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أعظم الناس خطايا فساقه . وأما موقوف ابن مسعود فقال ابن أبي الدنيا ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن صالح بن خباب ، عن حصين بن عقبة قال : قال عبد الله : إن أكثر الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل .

الإشارة بقوله تعالى: ﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾ [المدثر: ٤٥] وبقوله تعالى: ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم﴾ [النساء: ١٤٠] وقال سلمان: أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم كلاماً في معصية الله وقال ابن سيرين: كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول لهم: توضأوا فإن بعض ما تقولون شر من الحدث، فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيرها، بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة دينية إلى ذكرها، ويدخل فيه أيضاً الخوض في حكاية البدع والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم، وكل ذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل نسأل الله حسن العون بلطفه وكرمه.

الآفة الرابعة: المراء والجدال:

وذلك منهي عنه قال ﷺ: «لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه»

(وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾ [المدثر: ٤٥] وبقوله تعالى: ﴿فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم﴾ وقال سلمان) الفارسي رضي الله عنه: (أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم كلاماً في معصية الله تعالى) أخرجه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إسماعيل، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن شمر بن عطية قال: قال سلمان فساقه (وقال محمد بن سيرين) رحمه الله تعالى: (كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول توضأوا فإن بعض ما تقولون شر من الحدث) أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسن بن الصباح، حدثنا شعيب بن حرب، عن يزيد بن إبراهيم، عن محمد بن سيرين قال: كان رجل فذكره. وقال أيضا: حدثني الحسن بن الصباح، حدثنا شعيب بن حرب، عن إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم قال: الوضوء من الحدث وأذى المسلم. (فهذا هو الخوض في الباطل وهو وراء ما سيأتي من الغيبة والنميمة والفحش وغيره، بل هو الخوض في ذكر محظورات سبق وجودها أو تدبر للتوصل إليها من غير حاجة بينة إلى ذكرها ويدخل فيه أيضاً الخوض في حكاية البدع) والأهواء المختلفة (والمذاهب الفاسدة، وحكاية ما جرى من قتال الصحابة) مع بعضهم (على وجه يوهم الطعن في بعضهم) والغض عن منصبهم، (وذلك باطل والخوض فيه خوض في الباطل) وفي بعض النسخ وكل ذلك باطل والحديث فيه خوض في باطل.

الآفة الرابعة المراء والجدال:

(وذلك منهي عنه. قال ﷺ: «لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم اهـ.

وقال عليه السلام: « ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته ». وقال ﷺ: « من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ». وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « إن أول ما عهد إليَّ ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ». وقال أيضاً: « ما ضل قوم بعد أن هداهم الله إلا أوتوا الجدل ». وقال أيضاً: « لا يستكمل عبد

قلت: وقال الترمذي غريب. وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا ابن أبي شيبة قاسم، حدثنا المحاربي، عن ليث، عن عبد الملك، عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ فذكره.

(وقال ﷺ: « ذروا المراء) أي اتركوه (فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته ») قال العراقي: رواه الطبراني من حديث الدرداء رضي الله عنه، وأبي أمامة، وأنس بن مالك، وواثلة بن الأسقع بسند ضعيف دون قوله: « لا تفهم حكمته » ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا موقوفاً على ابن مسعود، وفيه من لم يسم اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن إسحاق الباهلي، حدثنا سفيان قال: حدثني رجل صالح قال: قال ابن مسعود: « المراء لا تعقل حكمته ولا تؤمن فتنته ».

(وقال ﷺ: « من ترك المراء وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة ») تقدم في كتاب العلم. وأخرج ابن أبي الدنيا عن هارون ابن معروف أنه كان مع رسول الله ﷺ فقال: « وجبت وجبت » فقال أصحابه: ما هذا الذي قلتَ يا رسول الله؟ قال: « من ترك المراء وهو محق بني له في ربض الجنة، ومن ترك الكذب بني له في ربض الجنة، ومن حسن خلقه بني له في ربض الجنة ». وقد صحح أحمد بن صالح هذا الحديث، واثبت لمالك بن أوس رواية. والمشهور أن له رؤية فقط. وقال ابن خزيمة في القلب من سلمة بن وردان شيء. ورواه ابن منده في معجم الصحابة إلا أنه قال مالك بن أوس بن الحدثان عن أبيه، ورواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أنس.

(وعن أم سلمة) أم المؤمنين (رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « إن أول ما عهد إليّ ربي ونهاني عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، والطبراني، والبيهقي بسند ضعيف. وقد رواه أبو داود في المراسيل من حديث عروة بن رويم اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا نصر بن علي الجهضمي، أخبرني أبي عن يحي بن المتوكل، عن إسماعيل بن رافع، عن ابن أم سلمة، عن آم سلمة قالت: فساقه.

(وقال) ﷺ (أيضاً « ما ضل قوم إلا أوتوا الجدل») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي أمامة وصححه وزاد فيه بعد هدى كانوا عليه وتقدم في العلم، وهو عند ابن أبي الدنيا دون هذه الزيادة كما ذكر المصنف اهـ.

حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقاً . وقال أيضاً : « ست من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان : الصيام في الصيف ، وضرب أعداء الله بالسيف ، وتعجيل الصلاة في يوم الدجن ، والصبر على المصيبات وإسباغ الوضوء على المكاره ، وترك المراء وهو صادق » . وقال

قلت : قال ابن أبي الدنيا : حدثنا بشر بن معاذ ، حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق ، حدثنا الحجاج بن دينار ، عن أبي غالب ، عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » ثم قرأ ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾ [الزخرف : ٥٨] .

(وقال) ﷺ عليه وسلم (أيضاً « ست) خصال (من كن فيه بلغ حقيقة الإيمان الصيام في الصيف) يعني في الحر الشديد (وضرب أعداء الله بالسيف) أي قتال الكفار بالسلاح وخص السيف لأنه أعمها استعمالاً (والتعجيل في الصلاة) في (يوم الدجن) أي الغيم والمطر الكثير (والصبر على المصيبات) عند الصدمة الأولى (وإسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق ») قال العراقي : رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي مالك الأشعري بسند ضعيف بلفظ : « ست خصال من الخير » الحديث اهـ .

قلت : الديلمي إنما رواه من حديث أبي سعيد بلفظ : « ست من كن فيه كان مؤمناً حقاً اسباغ الوضوء والمبادرة إلى الصلاة في يوم دجن وكثرة الصوم في شدة الحر وقتل الأعداء بالسيف والصبر على المصيبة وترك المراء وإن كنت محقاً » وفي سنده إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة وهو متروك واهٍ ، وقد رواه ابن نصر أيضاً بهذا السند .

وأما حديث أبي مالك الأشعري فقد أخرجه البيهقي بلفظ : « ست خصال من الخير جهاد أعداء الله بالسيف والصوم في يوم الصيف وحسن الصبر عند المصيبة وترك المراء وأنت محق وحسن الوضوء في أيام الشتاء » رواه من طريق يحيى بن أبي طالب ، عن الحرث الواسطي ، عن بحر بن كنيز ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن زيد بن سلام ، عن أبي سلام ، عن أبي مالك الأشعري ، ثم قال : بحر بن كنيز السقاء ضعيف .

(وقال) ﷺ (أيضاً : « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يذر المراء وإن كان محقاً ») قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند ضعيف وهو عند أحمد بلفظ : « لا يؤمن العبد حتى يترك الكذب في المزاحة والمراء وإن كان صادقاً » اهـ .

قلت : قال ابن أبي الدنيا في الصمت ، حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي ، عن عباد بن العوام ، عن عبد الله بن سعيد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقاً ، ويدع كثيراً من الحديث مخافة الكذب » وقد أخرجه كذلك في كتاب ذم الغيبة له . وأما حديث أحمد فقد أخرجه أيضاً الطبراني في الأوسط بلفظ : « لا يؤمن عبد الإيمان كله » والباقي سواء .

الزبير لابنه: لا تجادل الناس بالقرآن فإنك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنّة. وقال عمر ابن عبد العزيز رحمة الله عليه: من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل. وقال مسلم ابن يسار: إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم وعندها يبتغي الشيطان زلته. وقيل: ما ضل قوم بعد إذ هداهم الله إلا بالجدال. وقال مالك بن أنس رحمة الله عليه: ليس هذا الجدال من الدين في شيء. وقال أيضاً: المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن. وقال لقمان لابنه: يا بني لا تجادل العلماء فيمقتوك. وقال بلال بن سعد: إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً معجباً برأيه فقد تمت خسارته. وقال سفيان: لو خالفت أخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بي إلى السلطان. وقال أيضاً: صاف من شئت ثم أغضبه بالمراء

(**وقال الزبير**) بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب أبو عبد الله القرشي الأسدي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة. قتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل. روى له الجماعة: (**لابنه**) عبد الله بن الزبير كان أول مولود بالإسلام بالمدينة من المهاجرين، وولي الخلافة تسع سنين إلى أن قتل في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين (**لا تجادل الناس بالقرآن فإنك لا تستطيعهم ولكن عليك بالسنة**) فجادلهم بها.

(**وقال عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى: (**من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إبراهيم، حدثنا حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد قال: قال عمر بن عبد العزيز فذكره.

(**وقال مسلم بن يسار**) المصري أبو عثمان الطبنذي، مولى الأنصار، روى له البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والترمذي وابن ماجه: (**إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم وعندها يبغي الشيطان زلته**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن خالد بن خداش، حدثنا حماد بن زيد، عن محمد ابن واسع قال: كان مسلم بن يسار يقول فذكره، وزاد فقال: قال حماد قال لنا محمد: هذا الجدال هذا الجدال.

(**وقيل ما ضل قوم بعد إذ هداهم الله إلا بالجدال**) رواه أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه مرفوعاً وقد ذكر قريباً. (**وقال مالك بن أنس**) رحمه الله: (**ليس هذا الجدال من الدين في شيء، وقال أيضاً: المراء يقسي القلب ويورث الضغائن**) أي الأحقاد. (**وقال لقمان لابنه: لا تجادل العلماء فيمقتوك**) والمقت أشد الغضب، (**وقال بلال بن سعد**) بن تميم الأشعري أبو عمرو الدمشقي ثقة عابد فاضل مات في خلافة هشام: (**إذا رأيت الرجل لجوجاً**) كثير اللجاج في الكلام (**ممارياً معجباً برأيه فقد تمت خسارته**) أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**وقال سفيان**) الثوري رحمه الله تعالى: (**لو خالفت أخي في رمانة فقال هي حلوة وقلت**) بل هي (**حامضة لسعى بي إلى السلطان**) أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**وقال أيضاً صاف من شئت ثم أغضبه**)

فليرمينك بداهية تمنعك العيش. وقال ابن أبي ليلى: لا أماري صاحبي فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه. وقال أبو الدرداء: كفى بك إثماً أن لا تزال ممارياً. وقال ﷺ: «تكفير كل لحاء ركعتان». وقال عمر رضي الله عنه: لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث. لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به. ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه. وقال عيسى عليه السلام: من كثر كذبه ذهب جماله، ومن لاحى الرجل سقطت مروءته، ومن كثر همه سقم جسمه، ومن ساء خلقه عذب نفسه، وقيل لميمون بن مهران: مالك لا تترك أخاك عن قلى؟ قال: لأني لا أشاريه ولا أماريه. وما ورد في ذم المراء والجدال أكثر من أن يحصي.

مرة (**بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك العيش**) أي المعيشة. أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**وقال ابن أبي ليلى**) عبد الرحمن الأنصاري المدني ثم الكوفي، مات بوقعة الجماجم سنة ثلاث وثمانين: (**لا أماري صاحبي فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، أخبرنا شعبة عن الحكم قال: قال عبد الرحمن بن أبي ليلى فذكره. ووقع في نسخة الصمت، وإما أن أبغضه (**وقال أبو الدرداء**) رضي الله عنه: (**كفى بك إثما أن لا تزال ممارياً**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إسماعيل حدثنا جرير، عن برد، عن سليمان بن موسى قال: قال أبو الدرداء فذكره.

(**وقال ﷺ: «يكفر كل لحاء ركعتان»**) واللحاء الملاحاة وهي الملاجة والمماراة. قال العراقي: رواه الطبرني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف.

(**وقال عمر رضي الله عنه: لا تتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ولا تتركه حياء عن طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل عنه**). أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي سلمة يحي بن المغيرة المخزومي، حدثني أخي محمد بن المغيرة، عن عبيد الله بن الحرث الجمحي، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب قال: لا يتعلم العلم لثلاث ولا يترك لثلاث فذكره.

(**وقال عيسى عليه السلام: من كثر كذبه ذهب جماله، ومن لاحى الرجال سقطت مروءته، ومن كثر همه سقم جسمه، ومن ساء خلقه عذب نفسه**). أخرجه ابن أبي الدنيا، عن القاسم بن هاشم، حدثنا حماد بن مالك الدمشقي، حدثنا عبد العزيز بن حصين قال: بلغني أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال: فذكره.

(**وقيل لميمون بن مهران**) الجزري العابد الثقة كاتب عمر بن عبد العزيز: (**مالك لا يفارقك أخوك عن قلى؟ قال: لأني لا أشاريه ولا أماريه**) والمشاراة المخاصمة. أخرجه ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن سعيد، حدثنا موسى بن أيوب، حدثنا ابن بشير، عن علي بن بذيمة. قال:

وحدّ المراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما في اللفظ وإما في المعنى وإما في قصد المتكلم وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض، فكل كلام سمعته فإن كان حقاً فصدق به وإن كان باطلاً أو كذباً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين فاسكت عنه.

والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه بإظهار خلل فيه من جهة النحو أو من جهة اللغة أو من جهة العربية أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم أو تأخير، وذلك يكون تارة من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان، وكيف ما كان فلا وجه لإظهار خلله. وأما في المعنى: فبأن يقول ليس كما تقول، وقد أخطأت فيه من وجه كذا وكذا.

قيل لميمون بن مهران مالك لا يفارقك أخ لك عن قلى فذكره. وأخرجه الطبراني من طريق أبي جعفر النفيلي، وأبو نعيم في الحلية من طريق علي بن حجر كلاهما عن غياث بن بشير به. (**وما ورد في ذم المراء والجدال كثير**) فمن ذلك ما رواه كعب بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من طلب العلم ليجادل به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار» رواه الترمذي وضعفه، وابن أبي الدنيا والطبراني وعن حريث بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجار أخاك ولا تشاره ولا تماره» أخرجه ابن أبي الدنيا. وقال مجاهد: لا تمار أخاك ولا تفاكهه يعني المزاح. وقال لقمان لابنه: يا بني لا تعلم العلم تباهي به العلماء أو تماري به السفهاء أو ترائي به في المجالس. وقال محمد بن واسع: رأيت صفوان ابن محرز في المسجد وقريباً منه ناس يتجادلون فرأيته قام فنفض ثيابه وقال: إنما أنتم حرب، وسمع الربيع بن خثيم رجلاً يلاحي رجلاً فقال مه لا تلفظ إلا بخير ولا تقل لأخيك إلا ما تحب أن تسمعه من غيرك فإن العبد مسؤول عن لفظه محصي عليه ذلك كله أحصاه الله تعالى. وقال إبراهيم ابن مهاجر: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: إذا سمعت المراء فاقصر. (**وحد المراء كل اعتراض في كلام الغير بإظهار خلل فيه**) وركاكة ونقص (**إما في اللفظ**) المسوق (**وإما في المعنى**) المفهوم من ذلك اللفظ، (**وإما في قصد المتكلم**) فيقول: اللفظ والمعنى صحيحان ولكن قصدك غير صحيح، (**وترك المراء بترك الإنكار والإعتراض فكل كلام سمعته فإن كان حقاً فصدق به، وإن كان باطلاً أو كذباً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين فاسكت عنه**) ولا تخض فيه، (**والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظ بإظهار خلل فيه من جهة النحو**) بأن يكون التركيب مخالفاً الأقوال النحاة، (**أو من جهة اللغة**) بأن يكون اللفظ المسوق غير مستعمل عند أهلها، (**أو من جهة العربية، أو من جهة النظم والترتيب بسوء تقديم، أو تأخير، وذلك يكون تارة من قصور المعرفة**) أي تكون معرفة صاحب ذلك الكلام قاصرة، (**وتارة يكون بطغيان اللسان**) وتارة يكون بطغيان القلم وكل ذلك من عوائد البشر، (**وكيفما كان فلا وجه لإظهار خلله. وأما في المعنى فبأن يقول: ليس كما تقول وقد أخطأت فيه**

وأما في قصده فمثل أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق، وإنما أنت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه. وهذا الجنس إن جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدل وهو أيضاً مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لا على وجه العناد والنكادة أو التلطف في التعريف لا في معرض الطعن.

وأما المجادلة فعبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه وآية ذلك أن يكون تنبيهه للحق من جهة أخرى مكروهة عند المجادل بحيث أن يكون هو المظهر له خطاه ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت عنه.

وأما الباعث على هذا فهو الترفع بإظهار العلم والفضل والتهجم على الغير بإظهار نقصه، وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها أما إظهار الفضل فهو من قبل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية، وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى طبع السبعية فإنه يقتضي أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه. وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإنما قوّتها المراء والجدال. فالمواظب على المراء والجدال مقوّ لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حدّ

من وجه كذ وكذ، وأما في قصده فمثل أن يقول: هذا الكلام حق ولكن ليس في قصدك منه الحق إنما أنت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه) مع المتناظرين، (وهذا الجنس إن جرى في مسألة علمية ربما خص باسم الجدل) وقد صنفت فيه كتب (وهو أيضاً مذموم بل الواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لا على صفة العناد والنكارة أو التلطف في التعريض لا في معرض الطعن، وأما المجادلة فعبارة عن قصد إفحام الغير) وإسكاته (وتعجيزه وتنقيصه بقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه، وآية ذلك أن يكون تنبيهه من جهة أخرى مكروهاً عند المجادل بحيث أن يكون هو المظهر له خطأه ليبين به فضل نفسه ونقص صاحبه ولا نجاة من هذا إلا بالسكوت عن كل ما لا يأثم به لو سكت عنه، وأما الباعث على هذا فهو الترفع بإظهار العلم والفضل) لنفسه (والتهجم على الغير بإظهار نقصه، وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها اما إظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء وهي من صفات الربوبية، وأما تنقيص الآخر فهو من مقتضى) الصفة (السبعية فإنه يقتضي أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه، وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان، وإنما قوتها المراء والجدال، فالمواظب على المراء والجدال مقو لهذه الصفات المهلكة وهذا مجاوز حدّ

الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه إيذاء الغير، ولا تنفك المماراة عن الإيذاء وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصوّر له فيثور الشجار بين المتمارين كما يثور الهراش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه بما هو أعظم نكاية وأقوى في إفحامه وإلجامه.

وأما علاجه: فهو بأن يكسر الكبر الباعث على إظهار فضله والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره كما سيأتي ذلك في كتاب ذم الكبر والعجب، وكتاب ذم الغضب فإن علاج كل علة بإماطة سببها وسبب المراء والجدال ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعاً حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه.

روي أن أبا حنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائي: لم آثرت الانزواء؟ قال: «لأجاهد نفسي بترك الجدال فقال احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تتكلم. قال: ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد علي منها ـ وهو كما قال ـ لأن من سمع الخطأ من

الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه إيذاء للغير، فلا تنفك المماراة عن الإيذاء وتهييج الغضب) وإثارته **(وحمل المعترض عليه على أن يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق أو باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور له فيثور الشجار)** أي المخاصمة **(بين المتمارين كما يثور الهراش)** أي المهارشة **(بين الكلبين يقصد كل واحد منهما أن يعض صاحبه بما هو أعظم نكاية وأقوى في** افحامه.

وأما علاجه فهو ان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله) وترفعه على الغير **(والسبعية الباعثة على تنقيص غيره كما سيأتي ذلك في كتاب ذم الكبر والعجب وكتاب الغضب، فإن علاج كل علة بإماطة سببها وسبب المراء ما ذكرناه، ثم المواظبة عليه تجعل عادة)** مألوفة **(وطبعاً)** ملازماً **(حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه)**.

(روي أن أبا حنيفة) الإمام **(رحمه الله تعالى قال لداود بن نصير الطائي)** رحمه الله تعالى وكان يحضر حلقته ثم ترك: **(لم آثرت الانزواء؟ قال: لأجادل نفسي)** بترك **(الجدال. قال: احضر المجالس واستمع ما يقال ولا تتكلم. قال: ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة أشد علي منه)** أخرجه القشيري في الرسالة.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق سفيان بن عيينة قال: كان داود يجالس أبا حنيفة فحدث يوماً إنساناً فقال له أبو حنيفة: يا أبا سليمان طال يدك وطال لسانك. قال: وكان يختلف ولا يتكلم.

ومن طريق أحمد بن أبي الحواري، حدثني بعض أصحابنا أن داود الطائي كان يجالس أبا حنيفة فقال له: يا أبا سليمان إما الأداة فقد أحكمناها. فقال له داود فأي شيء بقي؟ فقال: بقي

غيره وهو قادر على كشفه تعسر عليه عند ذلك جداً، ولذلك قال ﷺ: «من ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتاً في أعلى الجنة» لشدة ذلك على النفس، وأكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فإن المراء طبع فإذا ظن أن له عليه ثواباً اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع عليه ذلك خطأ محض، بل ينبغي للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة، وإذا رأى مبتدعاً تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال، فإن الجدال يخيل إليه أنها حيلة منه في التلبيس، وأن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا، فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد فإذا عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه. وقال ﷺ: «رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه»، وقال هشام بن عروة: كان عليه السلام يردد قوله هذا سبع مرات. وكل من

العمل به. قال فنازعتني نفسي إلى العزلة والوحدة فقلت لها حتى تجلسي معهم فلا تجيبي في مسألة. قال: فكان يجالسهم سنة قبل أن يعتزل. قال: فكانت المسألة تجيء وأنا أشد شهوة للجواب عنها من العطشان إلى الماء فلا أجيبهم فيها فاعتزلهم بعد ومن طريق محمد بن سليمان المصيصي لوين؟ قال: أراد داود الطائي أن يجرب نفسه هل تقوى على العزلة فقعد في مجلس أبي حنيفة سنة فلم يتكلم فاعتزل الناس (**وهو كما قال لأن من سمع الخطأ من غيره وهو قادر على كشفه تعسر عليه الصبر عند ذلك جداً. قال ﷺ: «من ترك المراء وهو محق بني الله له بيتاً في أعلى الجنة»**) تقدم في كتاب العلم (**لشدة ذلك على النفس وأكثر ما يغلب ذلك في المذاهب والعقائد فإن** المراء **طبع، فإذا ظن أن له ثواباً اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع والشرع وذلك خطأ محض، بل ينبغي للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة وإذا رأى مبتدعاً تلطف في نصحه في خلوة**) عن الناس (**لا بطريق الجدال، فإن الجدال يخيل إليه أنها حيلة منه في التلبيس وإن ذلك صنعة يقدر المجادلون من أهل مذهبه على أمثالها لو أرادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتأكد، فإذا عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه. وقال ﷺ: «رحم الله من كف لسانه عن أهل القبلة إلا بأحسن ما يقدر عليه»**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف من حديث هشام بن عروة عن النبي ﷺ مرسلاً. ورواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية هشام عن عائشة بلفظ: «رحم الله امرءاً كف عن أعراض المسلمين» وهو منقطع وضعيف جداً اهـ.

قلت: وزاد الديلمي في الحديث: ولا تحل شفاعتي لطعان ولا للعان. وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا علي بن جعفر، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني رشدين عن العمري عن هشام ابن عروة قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. وزاد فقال (**قال هشام بن عروة**) وهو راوي هذا الحديث: (**كان**) ﷺ (**يردد قوله هذا سبع مرات**) تأكيداً للسامعين، (**وكل من اعتاد**

اعتاد المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزاً وقبولاً قويت فيه هـذه المهلكات. ولا يستطيع عنها نزوعاً إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل. وآحاد هذه الصفات يشق مجاهدتها فكيف بمجموعها؟

الآفة الخامسة: الخصومة:

وهي أيضاً مذمومة وهي وراء الجدال والمراء فالمراء طعن في كلام الغير بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير، وإظهار مزية الكياسة، والجدال عبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها، والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به مال أو حق مقصود، وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضاً. والمراء لا يكون إلا باعتراض على كلام سبق، فقد قالت عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم». وقال أبو هريرة، قال رسول الله ﷺ: «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع». وقال بعضهم: إياك والخصومة فإنها

المجادلة مدة وأثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولاً قويت فيه هذه المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعاً) أي خلاصاً وخروجاً (إذا اجتمع عليه سلطان الغضب والكبر والرياء وحب الجاه والتعزز بالفضل وأحاد هذه الصفات) إذا وجدت (يشق مجاهدتها، فكيف بمجموعها) فهو أشق وأشق، والله الموفق.

الآفة الخامسة الخصومة:

(وهي أيضاً مذمومة وهي وراء الجدال والمراء، فالمراء طعن في الكلام للغير بإظهار خلل فيه من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزيه الكياسة) وصلابة العقل وقوة الفكر، (والجدال عبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها) وردع المخالف بكل ما أمكن، (والخصومة لجاج في الكلام يستوفى به مال أو حق مقصود، وذلك تارة يكون ابتداء، وتارة يكون اعتراضاً والمراء لا يكون إلا باعتراض على كل سبق، فقد قالت عائشة رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم») رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي بلفظ: «أبغض» وبلفظ المصنف أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة: حدثنا وكيع، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة عن عائشة.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه (قال رسول الله ﷺ: «من جادل في خصومة من غير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا، والأصفهاني في الترغيب والترهيب، وفيه رجاء أبو يحي ضعفه الجمهور اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا في كتابيه الصمت وذم الغيبة، حدثنا أزهر بن مروان الرقاشي، حدثنا

تمحق الدين. ويقال: ما خاصم ورع قط في الدين. وقال ابن قتيبة: مرّ بي بشر بن عبد الله بن أبي بكرة فقال: ما يجلسك ههنا قلت: خصومة بيني وبين ابن عم لي. فقال: أن لأبيك عندي يداً وإني أريد أن أجزيك بها وإني والله ما رأيت شيئاً أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة. قال: فقمت لانصرف فقال لي خصمي: مالك؟ قلت: لا أخاصمك: قال: إنك عرفت أن الحق لي، قلت: لا ولكن أكرم نفسي عن هذا. قال: فإني لا أطلب منك شيئاً هو لك.

فإن قلت: فإذا كان للإنسان حق فلا بدّ له من الخصومة في طلبه أو في حفظه مهما

مسكين أبو فاطمة، حدثنا رجاء أبو يحي عن يحي بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. ورجاء هذا هو ابن صبيح الحرشي أبو يحي البصري صاحب السقط بفتح القاف. وروى ابن ماجه والحاكم والرامهرمزي في الأمثال من حديث ابن عمر: من أعان خصومة بظلم لم يزل في سخط الله حتى ينزع.

(**وقال بعضهم: إياك والخصومة فإنها تمحق الدين**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن الحسين العامري، حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، عن الأشجعي، حدثنا الربيع بن الملاح قال: سمعت أبا جعفر يقول: إياكم والخصومة فإنها تمحق الدين. قال: وحدثني من سمعه يقول: وتورث الشنآن وتذهب الاجتهاد. (**ويقال: ما خاصم قط ورع في الدين**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبيه وأحمد بن منيع قالا، حدثنا مروان بن شجاع عن عبد الكريم أبي أمية قال: ما خاصم ورع قط يعني في الدين. (**وقال ابن قتيبة**) هو سالم بن قتيبة وليس هو عبد الله بن مسلم الكاتب الدينوري الشهير بابن قتيبة صاحب التآليف المشهورة كما يتبادر على الأذهان عند الإطلاق: (**مرّ بي بشير ابن عبيد الله بن أبي بكرة**) نفيع بن الحرث بن كلدة الثقفي (**فقال: ما يجلسك ههنا. قلت: خصومة بيني وبين ابن عمي. فقال: إن لأبيك عندي يداً**) أي معروفاً ونعمة (**وإني أريد أن أجزيك بها، وإني والله ما رأيت شيئاً أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة. قال: فقمت لأنصرف. فقال لي خصمي مالك؟ فقلت: لا أخاصمك. قال: إنك عرفت أن الحق لي قلت: لا ولكن أكرم نفسي عن هذا قال فإني لا أطلب**) منه (**شيئاً هو لك**) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثني أبو بكر محمد بن هانيء، حدثني أحمد بن شبويه، حدثني سليمان بن صالح، حدثني عبد الله بن المبارك، عن جويرية ابن أسماء، عن سالم بن قتيبة قال: مرَّ بي بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة فقال: ما يجلسك ههنا؟ فذكره. وزاد في آخره. فمررت بعد ببشير وهو يخاصم فذكرته قوله قال لو كان قدر خصومتك عشر مرار فعلت ولكنه مرغاب أكثر من عشرين ألف ألف.

(**فإن قلت: فإذا كان للإنسان حق**) على آخر (**فلا بد له من الخصومة في طلبه منه**

ظلمه ظالم، فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته؟ فاعلم أن هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم، مثل وكيل القاضي فإنه قبل أن يتعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الخصومة من أي جانب كان، فيخاصم بغير علم ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسلط، أو على قصد الإيذاء، ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في نصرة الحجة وإظهار الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع أنه قد يستحقر ذلك القدر من المال، وفي الناس من يصرح به ويقول: إنما قصدي عناده وكسر عرضه. وإني إن أخذت منه هذا المال ربما رميت به في بئر وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جداً. فأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وإيذاء، ففعله ليس بحرام ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلاً فإن ضبط اللسان في الخصومة على حدّ الاعتدال متعذر والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب، وإذا هاج

أوفى حفظه عنده) مهما (ظلمه ظالم) أو تعدى عليه ذو سطوة (فكيف يكون حكمه وكيف تذم خصومته؟ فاعلم أن هذا الذم) الذي ذكرنا (يتناول الذي يخاصم بالباطل) بأن يخالف الوجه الشرعي في طلبه وحفظه، (والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي، فإنه قبل أن يتعرف أن الحق في أي جانب هو يتوكل في الخصومة من أي جانب يكون فيخاصم بغير علم) ويجادل بغير سند، (ويتناول الذي يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة، بل يظهر اللدد في الخصومة على قدر التسلط) والغلبة، (أو على قصد الإيذاء ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية) من الفحش والبذاء (ليس يحتاج إليها في نصرة الحجة) وإقامتها (وإظهار الحق، ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره) ومغلوبيته، (مع أنه قد يستحقر ذلك القدر من المال) الذي يخاصم لأجله وهذا القصد ربما لا يظهر بل يكون كامناً في قلبه لا يصرح به. (وفي الناس من يصرح به) جهراً ويبرزه من قلبه (ويقول: إنما قصدي عناده وكسر عرضه) وجاهه، (وإني إن أخذت منه هذا المال ربما رميت به في بئر) أو حفرة (ولا أبالي) لاستغنائه عنه (وهذا مقصوده اللجاج) فقط (وهو مذموم جداً. فأما المظلوم الذي ينصر حجته) ويقيم حقه (بطريق الشرع) مسدداً في خصومته (من غير لدد وإسراف) وغلو (وزيادة لجاج على قدر الحاجة ومن غير قصد عناد وإيذاء) ونكاية لأخيه المسلم، (ففعله ليس بحرام) شرعاً، (ولكن الأولى) والأليق (تركه ما وجد إليه سبيلاً) وأمكنه ذلك، (فإن ضبط اللسان في الخصومة على قدر الاعتدال) أي حدي الإفراط والتفريط (متعذر والخصومة) كما تقدم (توغر

الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه، فمن بدأ بالخصومة فقد تعرض لهذه المحذورات، وأقل ما فيه تشويش خاطره حتى أنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه فلا يبقى الأمر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر وكذا المراء والجدال، فينبغي أن لا يفتح بابه إلا لضرورة، وعند الضرورة ينبغي أن يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة، وذلك متعذر جداً، فمن اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الإثم ولا تذم خصومته إلا أنه إن كان مستغنياً عن الخصومة فيما خاصم فيه لأن عنده ما يكفيه فيكون تاركاً للأولى ولا يكون آثماً. نعم أقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب إذ أقل درجات طيب الكلام إظهار الموافقة، ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما تجهيل وإما تكذيب، فإن من جادل غيره أو ماراه أو خاصمه فقد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام. وقد قال ﷺ: «يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام الطعام» وقد قال الله تعالى: ﴿وقولوا

الصدر) أي تملؤه وغرا وهو شدة اللهيب (وتهيج الغضب) وتورث الشنآن والحقد، (وإذا هاج الغضب) غطى على عقله (ونسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين المتخاصمين) واستجره إلى أمور ذميمة (حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه) إذا أصيب بها (ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه) فلا يترك للقول فيه مجالاً، (فمن بدأ بالخصومة) مع أخيه (فقد تعرض لهذه المحذورات) وورط نفسه فيها، (وأقل ما فيه تشويش خاطره) وتفريق همه (حتى أنه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه) لكثرة اشتغاله به فيستغرق أوقاته كلها. (فلا يبقى الأمر على حد الواجب فالخصومة مبدأ كل شر) ومنبع كل قبح، (وكذا المراء والجدال، فينبغي أن لا يفتح بابه) أصلاً لمن أراد سلامة نفسه (إلا لضرورة) داعية (وعند الضرورة) إذا تحققت (ينبغي أن يحفظ اللسان) عن البذاء (والقلب) عن الضغن حتى يخلص (عن تبعات الخصومة) ومذماتها (وذلك متعذر جداً) خصوصاً في هذا الزمان، (فمن اقتصر على الواجب في خصومة) فسلم (من الإثم ولا يد من خصومته إلا أنه إن كان مستغنياً عن الخصومة فيما خاصم فيه لأن عنده ما يكفيه فيكون تاركاً للأولى ولا يكون آثماً) لاقتصاره على الواجب. (نعم أقل ما يفوته في الخصومة والمراء والجدال طيب الكلام) ولينه، (وما ورد فيه من الثواب) العظيم (إذ أقل درجات الكلام إظهار الموافقة) وترك المخالفة (ولا خشونة في الكلام أعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله إما تجهيل) للغير أي نسبته إلى الجهل، (وإما تكذيب) لقوله (فإن من جادل غيره أو ما رأه أو خاصمه فقد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام، وقد قال ﷺ: «يمكنكم من الجنة طيب الكلام وإطعام

للناس حسناً﴾ [البقرة : ٨٣] وقال ابن عباس رضي الله عنهما : من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه السلام وإن كان مجوسياً إن الله تعالى يقول : ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردّوها﴾ [النساء : ٨٦] وقال ابن عباس أيضاً : لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه. وقال أنس قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة لغرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام » وروي أن

الطعام ») قال العراقي : رواه الطبراني في الأوسط من حديث جابر وفيه من لا أعرفه ، وله من حديث هانىء بن شريح بإسناد جيد : « يوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام » اهـ.

قلت : أخرجه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا سفيان سمع محمد بن المنكدر يقول : قال رسول الله ﷺ « يمكنكم من الجنة » الحديث هكذا هو عندي في كتاب الصمت إن لم يكن فيه سقط فيكون الحديث مرسلاً.

وأما حديث أبي شريح فقال ابن أبي الدنيا : حدثنا بشار بن موسى ، أنبأنا يزيد بن المقدام بن شريح قال : حدثني أبي المقدام عن أبيه عن جده هانىء بن شريح قال : قلت للنبي ﷺ أخبرني بشيء يوجب لي الجنة. قال : عليك بحسن الكلام وبذل الطعام.

(**وقد قال الله تعالى ﴿وقولوا للناس حسناً﴾**) قال عطاء : أي للناس كلهم المشرك وغيره ، ورواه ابن أبي الدنيا عن خلف بن هشام ، حدثنا خالد عن عبد الملك عنه ، (**وقال ابن عباس**) رضي الله عنه : (**من سلم عليكم من خلق الله فارددوا عليه السلام ، وإن كان مجوسياً إن الله تعالى يقول ﴿وإذا حييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أو ردوها﴾**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي ، حدثنا حسن بن صالح عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فذكره. وفيه : من سلم عليك بافراد الضمير وكذا في الجواب. فاردد عليه وفيه ذلك لأن الله عز وجل يقول (**وقال**) ابن عباس (**أيضاً : لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن خلف بن هشام ، حدثنا شريك ، عن أبي سنان قال : قلت لسعيد بن جبير المجوسي يوليني في نفسه ويسلم عليَّ أفأرد عليه؟ فقال سعيد : سألت ابن عباس عن نحو من ذلك فقال : لو قال لي فرعون خيراً لرددت عليه.

(**وقال أنس**) رضي الله عنه (**قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام »**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن سويد بن سعيد ، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد ، عن أبيه ، عن أنس وفيه : غرفة بدل غرفاً. وأطاب بدل ألان ، وروي أيضاً من حديث أبي مالك الأشعري بزيادة في آخره وصلى بالليل والناس نيام هكذا. ورواه ابن أبي الدنيا ، وفي أخرى بزيادة وتابع الصيام بعد ألان الكلام ، وهكذا رواه أحمد وابن حبان والبيهقي ، وهو عند الترمذي من حديث علي وقد تقدم هذا الحديث في كتاب آداب الطعام.

عيسى عليه السلام مر به خنزير فقال: مر بسلام، فقيل: يا روح الله أتقول هذا لخنزير؟ فقال: أكره أن أعوّد لساني الشر. وقال نبينا عليه السلام: «الكلمة الطيبة صدقة» وقال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة». وقال ء ر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين. وقال بعض الحكماء: الكلام ا ين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح وقال بعض الحكماء: كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلاً فإنه لعله يعوضك منه ثواب المحسنين هذا كله

(وروي أن عيسى عليه السلام مرّ به خنزير فقال: مر بسلام فقالوا يا روح الله أتقول هذا للخنزير؟ فقال: أكره أن أعوّد لساني الشر) أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسين بن علي ابن يزيد، أنبأنا عبدالله بن مسلمة، حدثنا مالك بن أنس قال: مرّ بعيسى ابن مريم خنزير فذكره.

(وقال نبينا ﷺ «الكلمة الطيبة صدقة») قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا عن الحسن بن عيسى، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال «الكلمة الطيبة صدقة».

(وقال) ﷺ («اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة») متفق عليه من حديث عدي بن حاتم، وقد تقدم. ورواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن مسعود، أنبأنا الفريابي، أنبأنا سفيان عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن خيثمة عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ «اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم يكن شق تمرة فكلمة طيبة».

(وقال عمر رضي الله عنه) كذا في النسخ والصواب وقال ابن عمر: وقد تقدم له في كتاب آداب الأكل وذكره هناك على الصواب. **(البر شيء هين وجه طلق)** أي ذو بشاشة **(وكلام لين)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد الطويل قال: قال ابن عمر: البر شيء هين وجه طلق كلام لين اهـ. وقد نظمه بعضهم فقال:

بني إن البر شيء هين وجـــه طليـــق وكلام لين

ويروى المصراع الثاني المنطلق الطيب والطعم. **(وقال بعض الحكماء: الكلام اللين يغسل الضغائن)** أي الأحقاد **(المستكنة)** أي الثابتة المخفية **(في الجوارح)** كذا في النسخ، والصواب في الجوانح أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي مريم، عن أبي عبد الرحمن بن عائشة قال: قال بعض الحكماء فذكره. **(وقال بعض الحكماء: كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك ترضي به جليسك فلا تكن به عليه بخيلاً، فإنه لعله يعوّضك منه ثواب المحسنين)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي مريم، عن أبي عبد الرحمن بن عائشة قال: قال بعض الحكماء: كل كلام لا

في فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج، فإنه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه.

الآفة السادسة:

التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة وكل ذلك من التصنع المذموم ومن التكلف الممقوت الذي قال فيه ﷺ: «أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف». وقال ﷺ: «إن أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلساً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام».

يوتغ دينك ولا يسخط ربك فذكره، **(هذا كله في فضل الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمراء والجدال واللجاج، فإنه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب)** المنفر للخواطر **(المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر)** المورث للعداوة نسأل الله التوفيق وحسن المعونة.

الآفة السادسة:

(التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات) وهو ما يشبب به الشاعر في قصيدته من غزل وتعريض بالحب وتحسين لها وتزيينها بذكر النساء، **(والمقدمات)** مما يقدم بين يدي الدخول في الغرض من ذكر الأطلال والديار وما سلف له في أيام الصبا والشبوبية، **(وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة)** والشعر، **(وكل ذلك من التصنع المذموم)** في الشرع، **(ومن التكلف الممقوت)** أي المبغوض **(الذي قال فيه النبي ﷺ «أنا واتقياء أمتي برآء من التكلف»)** أغفله العراقي وقال النووي: ليس بثابت اهـ.

وأخرجه الدارقطني في الإفراد من حديث الزبير بن العوّام مرفوعاً «إلا أني بريء من التكلف وصالحو أمتي» وسنده ضعيف، ويشهد لذلك ما رواه البخاري عن أنس عن عمر رضي الله عنهما: نهينا عن التكلف. وروى أحمد والطبراني في معجميه الكبير والأوسط، وأبو نعيم في الحلية عن سلمان رضي الله عنه إنه قال لمن استضافه: لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم.

(وقال ﷺ «إن أبغضكم إلى الله وأبعدكم مني مجلساً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام») قال العراقي: رواه أحمد من حديث أبي ثعلبة، وهو عند الترمذي من حديث جابر وحسنه بلفظ «إن أبغضكم إليَّ» اهـ.

قلت: وروى الديلمي من حديث أبي هريرة «شرار أمتي الثرثارون المتشدقون المتفيهقون وخيار أمتي أحاسنهم أخلاقاً».

وقالت فاطمة رضي الله عنها. قال رسول الله ﷺ: «شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام». وقال ﷺ: «ألا هلك المتنطعون ثلاث مرات». والتنطع هو التعمق والاستقصاء. وقال عمر رضي الله عنه: إن شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان. وجاء عمرو بن سعد بن أبي وقاص إلى أبيه سعد يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد: ما كنت من حاجتك بأبعد منك اليوم إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقر الكلأ بألسنتها» وكأنه أنكر عليه ما قدمه على الكلام

(وقالت فاطمة رضي الله عنها) وهي ابنة رسول الله ﷺ، **(قال رسول الله ﷺ «شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام»)** رواه ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الله بن الحسين عن أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ. قال العراقي: وفيه انقطاع.

قلت: رواه ابن أبي الدنيا عن إسماعيل بن إبراهيم الترجماني، حدثنا علي بن ثابت، عن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري، عن عبد الله بن حسن عن أمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ رفعته فذكره. وهذا السند لا انقطاع فيه وقد تقدم الكلام عليه قريباً.

(وقال ﷺ «ألا هلك المتنطعون» ثلاث مرات). رواه مسلم من حديث ابن مسعود، وقد تقدم في كتاب العلم، وأخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة والقواريري قالا: حدثنا يحي القطان، عن ابن جريج، أخبرني سليمان بن عتيق، عن طلق بن حبيب، عن الأحنف بن قيس، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ فذكره

(والتنطع هو التعمق والاستقصاء) وهو تفعل من النطع وهو ما ظهر من غار الفم الأعلى.

(وقال عمر رضي الله عنه إن شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان) وشقاشق اللسان مستعار من شقاشق البعير، **(وجاء عمر بن سعد بن أبي وقاص)** تقدم له ذكر **(إلى أبيه سعد)** بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة **(يسأله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد: ما كنت من حاجتك بأبعد منها اليوم إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقر الكلأ بألسنتها»)** أي يتشدق الكلام بلسانه كما تتشدق البقر، ووجه الشبه إدارة لسانه حول أسنانه وفمه حال التكلم كما تفعل البقرة بلسانها حال الأكل وخص البقرة من بين البهائم لأن سائرها تأخذ النبات بأسنانها والبقرة لا تحتش إلا بلسانها. قال العراقي: رواه أحمد وفيه من لم يسم ومختصراً بإسناده مسلم من حديث المغيرة بن شعبة وأبي هريرة وأصلها عند البخاري أيضاً اهـ.

قلت: أخرجه ابن أبي الدنيا، عن ابن أبي شيبة، حدثنا حفص بن غياث، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن مصعب بن سعد قال: جاء عمر بن سعد إلى أبيه فسأله حاجة فذكر الحديث كما عند

من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة وهذا أيضاً من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف، وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات إذ قضى رسول الله ﷺ بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني: كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل. مثل ذلك بطل فقال: «أسجعاً كسجع الأعراب». وأنكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بين عليه: بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده، ومقصود الكلام التفهيم للغرض وما وراء ذلك تصنع مذموم لا يدخل في هذا تحسين ألفاظ الخطابة. والتذكير من غير إفراط وإغراب، فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها فلرشاقة اللفظ تأثير فيه فهو لائق به، فأما المحاورات التي تجري لقضاء الحاجات فلا يليق بها السجع والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم، ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه.

المصنف. وأخرجه أيضاً بهذا الإسناد في كتاب ذم الغيبة له، وأخرجه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبن عمر: «وإن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها» وقال الترمذي: حسن غريب.

(**وكأنه أنكر عليه ما قدم على الكلام من التشبيب والمقدمة المصنوعة المتكلفة، وهذا أيضاً من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف، وكذلك التفاصح الخارج عن حد العادة**) مما فيه تغرب وتدقيق وتعمق، (**وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات**) والمخاطبات (**إذ قضى رسول الله ﷺ بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك دمه يطل**) أي يهدر (**فقال**) النبي ﷺ (**«اسجعا كسجع الأعراب»**) رواه أبو داود وقد تقدم في كتاب العلم (**وانكر ذلك لأن أثر التكلف والتصنع بيّن عليه**) ظاهر لديه، (**بل ينبغي أن يقتصر في كل شيء على مقصوده**) الذي هو بصدده، (**ومقصود الكلام**) إنما هو (**التفهم للغرض**) فقط، (**وما وراء تصنع مذموم لا يدخل في هذا تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير**) مما يوردها في وعظه للعامة والخاصة، ولكن (**من غير إفراط وإغراب**) وتعمق (**فإن المقصود منها تحريك القلوب**) وجذبها (**وتشويقها وقبضها**) عن ميل الهوى (**وبسطها**) في مجال الرضا. (**فلرشاقة اللفظ**) وقع عجيب و (**تأثير**) غريب (**فيه فهو لائق به**) ومستثنى مما ذكر، (**فأما المحاورات التي تجري**) بين الناس (**لقضاء الحاجات**) وتيسير الأمور (**فلا يليق بها السجع**) المتكلف (**والتشدق والاشتغال به من التكلف المذموم، ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة**) على الإخوان، (**وكل ذلك يكرهه الشرع ويزجر عنه**) وفي كلام السلف تنبيه عليه لمن تأمل.

الآفة السابعة: الفحش والسب وبذاءة اللسان:

وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللؤم. قال ﷺ: «إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش». ونهى رسول الله ﷺ عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال: «لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء الا أن البذاء لؤم». وقال ﷺ:

الآفة السابعة: (الفحس والسب وبذاءة اللسان).

(وهو مذموم ومنهي عنه ومصدره الخبث واللؤم) في أصل الطبع. **(قال ﷺ: «إياكم والفحش فإن الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش»)** فالفحش اسم لكل ما يكرهه الطبع من رذائل الأعمال الظاهرة كما ينكره العقل ويستخبثه الشرع، فتتفق في حكمه آيات الله الثلاث من الشرع والعقل والطبع والتفحش تكلف ذلك وتعمده. قال العراقي: رواه النسائي في الكبرى في التفسير والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو، ورواه ابن حبان من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن علي بن الجعد، أخبرني المسعودي وقيس بن الربيع، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحرث، عن عبد الله بن مالك، أو عن عبد الله بن مالك، عن عبد الله بن الحرث، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ فذكره بلفظ المصنف. قال: وحدثنا أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا المسعودي، أنبأنا عمرو بن مرة، عن عبد الله بن الحرث، عن أبي كثير الزبيدي، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أن رسول الله ﷺ قال «ألا فاتقوا الله وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش».

(ونهى رسول الله ﷺ عن أن تسب قتلى بدر من المشركين فقال: «لا تسبوا هؤلاء فإنهم لا يخلص إليهم شيء مما تقولون وتؤذون الأحياء ألا أن البذاء لؤم») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلاً ورجاله ثقات، وللنسائي من حديث ابن عباس بإسناد صحيح «لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا أحياءنا» وفي أوّله قصة اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجعد، أخبرني القاسم بن الفضل الحراني، عن محمد ابن علي قال: نهى رسول الله ﷺ أن تسب قتلى بدر من المشركين وقال فذكره بلفظ المصنف.

وأخرج الخرائطي في مساويء الأخلاق من حديث أم سلمة «لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء ألا ان البذاء لؤم» وقد رواه أحمد والترمذي والطبراني من حديث المغيرة بن شعبة دون قوله الا أن البذاء لؤم.

« ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي ». وقال ﷺ : « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ». وقال ﷺ : « أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما بهم من الأذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور : رجل يسيل فوه قيحاً ودماً فيقال له : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول : إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث ». وقال ﷺ لعائشة : « يا عائشة لو

(وقال ﷺ « ليس المؤمن بالطعّان ولا الفاحش ولا البذيء ») فالطعان هو الوقاع في أعراض الناس بنحو ذم أو غيبة ، واللعان الذي يكثر لعن الناس بما يبعدهم من رحمة الله تعالى إما صريحاً أو كناية ، والفاحش ذو الفحش في كلامه وأفعاله ، والبذيء الفاحش من منطقه وإن كان الكلام صدقاً . قال العراقي : رواه الترمذي بإسناد صحيح من حديث ابن مسعود ، وقال : حسن غريب والحاكم وصححه ، وروي موقوفاً . قال الدارقطني في العلل : والموقوف أصح اهـ .

قلت : أخرجه الترمذي في البر ، وإنما قال حسن غريب ولم يصحح لأن فيه محمد بن سابق البغدادي وهو ثقة ، لكنه ضعفه بعضهم . وكذلك رواه البخاري في الأدب المفرد ، وأحمد ، وأبو يعلى ، وابن حبان ، والطبراني ، والبيهقي كلهم من حديث ابن مسعود مرفوعاً . ورواه البيهقي أيضاً من حديث أبي هريرة .

وممن رواه مرفوعاً ابن أبي الدنيا في الصمت قال : حدثنا يحي بن يوسف الرقي ، حدثنا أبو بكر ابن عياش ، عن الحسن بن عمرو ، عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد ، عن أبيه ، عن عبد الله ، عن النبي ﷺ فساقه . وقال أيضاً : حدثنا الحسن بن الصباح ، حدثنا محمد بـن سابق ، عن إسرائيل ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا الفاحش البذي » .

(وقال ﷺ « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها ») الفاحش ذو الفحش في قوله أو فعله لا يدخلها مع الأولين أو قبل تعذيبه وتطهيره بالنار إلا إن عفي عنه . قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا ، وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن عمرو بإسناد فيه لين اهـ .

قلت : قال ابن أبي الدنيا : حدثني عصمة بن الفضل ، حدثنا يحي بن يحي ، حدثنا أبي لهيعة ، عن عياش بن عياش ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : فذكره وكان العراقي أشار بقوله بإسناد فيه لين إلى ابن لهيعة فإن حاله مشهور والكلام فيه كثير .

(وقال ﷺ « أربعة يؤذون أهل النار في النار على ما بهم من الأذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور) أي الهلاك **(رجل يسيل فوه)** أي فمه **(قيحاً ودماً فيقال له ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول : إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة)** أي قبيحة **(خبيثة فيستلذ بها كما يستلذ الرفث »)** وهو الفحش في المنطق أو ما

كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء ». وقال ﷺ : « البذاء والبيان شعبتان من شعب

يكنى عنه من ذكر النكاح. قال العراقي: رواه ابن ابي الدنيا من حديث شفي بن ماتع واختلف في صحبته فذكره أبو نعيم في الصحابة، وذكره البخاري، وابن حبان في التابعين والراوي عنه بشير بن أيوب العجلي وثقه ابن حبان وجهله الذهبي اهـ.

قلـت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا داود بن عمرو الضبي، حدثنا إسماعيل بن عياش، حدثني ثعلبة بن مسلم الخثعمي، عن أيوب بن بشير العجلي، عن شفي بن ماتع أن رسول الله ﷺ قال: « أربعة يؤذون أهل النار » الحديث وفيه فيستلذها ويستلذ الرفث، ثم قال: حدثنا أحمد بن عيسى، حدثنا عبد الله بن وهيب، عن ثابت بن ميمون، عن شعيب بن أبي سعيد قال: يقال من إستلذ من الرفث سال فوه قيحاً ودماً يوم القيامة. وشفي بن ماتع أبو عثمان الأصبحي مات في خلافة هشام ذكر خليفة بن خياط أنه أرسل حديثاً فظن بعضهم أنه صحابي اهـ.

وقد روى له البخاري في خلق أفعال العباد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه في كتاب التفسير، وأيوب بن بشير العجلي شامي صدوق، روى له ابن ماجه في كتاب التفسير، وعبارة الذهبي في ديوان الضعفاء أيوب بن بشير شامي مجهول عن تابعي.

(وقال ﷺ لعائشة) رضي الله عنها **(« يا عائشة لو كان الفحش رجلاً كان رجل سوء »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا من رواية ابن لهيعة عن أبي النضر عن أبي سلمة عنها اهـ.

قلـت: قال حدثني إبراهيم بن سعيد، حدثنا عبيد بن أبي قرة، عن ابن لهيعة، عن أبي النضر، عن أبي سلمة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ « لو كان الفحش رجلاً كان رجل سوء ».

ورواه أيضاً من طريق أخرى ليس فيها ابن لهيعة قال: حدثنا الحكم بن موسى، حدثنا الوليد ابن مسلم عن طلحة بن عمر، وعن عطاء أن النبي ﷺ قال لعائشة « يا عائشة لو كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء » وهذا هو الذي أشار إليه المصنف وأورده.

وأخرج الخرائطي في مساويء الأخلاق من حديث عائشة « لو كان سوء الخلق رجلاً يمشي في النار لكان رجل سوء وإن الله لم يخلقني فحاشا » وعند أبي نعيم بلفظ « لو كان البذاء رجلاً كان رجل سوء » ومما عزاه السيوطي إلى الصمت لابن أبي الدنيا من حديث عائشة ولم أجده فيه « لو كان الفحش خلقاً كان شر خلق الله ».

(وقال ﷺ « البذاء) يروى بكسر الموحدة وبفتحها ممدوداً **(والبيان شعبتان من شعب النفاق »)** قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه على شرط الشيخين من حديث أبي أمامة وتقدم.

قلـت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجعد، أخبرني أبو غسان محمد بن مطرف، عن حسان

النفاق» فيحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه، ويحتمل أيضاً المبالغة في الإيضاح حتى ينتهي إلى حد التكلف، ويحتمل أيضاً البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى، فإن القاء ذلك مجملاً إلى أسماع العوام أولى من المبالغة في بيانه إذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس، فإذا أجملت بادرت القلوب إلى القبول ولم تضطرب ولكن ذكره مقروناً بالبذاء يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الإنسان من بيانه، فإن الأولى في مثله الإغماض والتغافل دون الكشف والبيان. وقال ﷺ: «إن الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الأسواق». وقال جابر بن سمرة: كنت جالساً عند النبي

ابن عطية، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. أما البذاء فهو المفاحشة في القول والفعل. (و) اختلف في تفسير البيان في هذا الخبر فقيل: (**يحتمل أن يراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه**) من الأسرار الإلهية أي لغير أهله، (**ويحتمل أيضاً المبالغة في الإيضاح حتى ينتهي إلى حد التكلف**) المنهي عنه، (**ويحتمل أيضاً البيان في أمور الدين وفي صفات الله تعالى، فإن إلقاء ذلك مجملاً إلى إسماع العوام أولى من المبالغة في بيانه**) وكشفه (**إذ قد يثور**) أي يتحرك (**من غاية البيان**) ونهاية الكشف (**فيه شكوك**) وأوهام (**ووساوس**) وشبهات، (**فإذا أجملت بادرت القلوب إلى قبوله**) وقنعت به (**ولم تضطرب**) ولم تطلب كشف ما وراء ذلك وإليه الإشارة بقول القائل:

ومن منح الجهال علماً أضاعه.

(**ولكن ذكره مقروناً بالبذاءة يشبه أن يكون المراد به المجاهرة بما يستحيي الإنسان من بيانه، فإن الأولى في مثله الإغماض والتغافل دون الكشف والبيان**). والذي يظهر أن المراد بالبيان هنا هو الاحتمال الثاني وهو التعمق في إظهار الفصاحة في النطق وتكلف البلاغة في أساليب الكلام، لأنه يجر إلى أن يرى لنفسه فضلاً على من تقدمه في المقال ومزية عليه في العلم أو الدرجة عند الله لفضل خص به عنهم فيحتقر من تقدمه، وأصل البيان هو جمع الفصاحة في اللفظ والبلاغة في المعنى. وقال الزمخشري: هو إظهار المقصود بأبلغ لفظ وبهذا الذي ذكرت فسروا ما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة: إن الله كره لكم البيان كل البيان فتأمل.

(**وقال ﷺ «إن الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الأسواق»**) أي كثير الصراخ في الشوارع والطرق ومجامع الناس كما يفعله السوقة والدلالون ونحوهم فيكره ذلك. وأما صياح نحو الدلال والمنادي ومنشد الضالة ومعرف اللقطة بقدر الحاجة فلا يكره. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا من حديث جابر بسند ضعيف، وله وللطبراني من حديث أسامة بن زيد «إن الله لا يحب الفاحش المتفحش» وإسناده جيد اهـ.

قلت: لفظ ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا داود بن عمرو الضبي، حدثنا مروان بن معاوية،

ﷺ وأبي أمامي فقال ﷺ : « إن الفحش والتفاحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاماً أحاسنهم أخلاقاً » . وقال إبراهيم بن ميسرة : يقال : يؤتى بالفاحش

حدثنا أبو بكر الفضل بن مبشر الأنصاري ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : قال رسول الله ﷺ « لا يحب الله الفاحش المتفحش الصياح في الأسواق » ورواه كذلك ابن عدي في الكامل وضعفه ، ولعل سبب ضعفه الفضل بن مبشر أبو بكر المدني عن جابر . قال الذهبي في المغني : ضعفه ابن معين والنسائي . وقال أبو زرعة : لين .

وأما حديث أسامة بن زيد ، فقد أورده ابن أبي الدنيا من وجهين : الأول : قال حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا معلى بن منصور ، حدثنا يحي بن زكريا ، حدثني عثمان بن حكيم ، حدثني محمد بن أفلح مولى أبي أيوب عن أسامة بن زيد قال : أما أني أشهد على رسول الله ﷺ سمعته يقول « لا يحب الله الفاحش المتفحش » .

الثاني : قال : حدثنا أبو موسى الهروي ، حدثنا يحي بن زكريا بن أبي زائدة ، حدثنا عثمان بن حكيم ، عن أفلح مولى ابن أيوب ، عن أسامة بن زيد قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن الله عز وجل لا يحب الفاحش المتفحش » وقد روي ذلك أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري . قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ، حدثنا فضيل بن سليمان ، حدثنا عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، عن أبي سعيد رفعه « إن الله لا يحب الفاحش المتفحش » .

(وقال جابر بن سمرة) بن جنادة بن جندب بن حجير بن زباب بن حبيب بن سوآه بن عامر بن صعصعة السوائي أبو عبد الله ، ويقال أبو خالد العامري وأمه خلدة بنت أبي وقاص أخت سعد له صحبة ، وخالف بني زهرة ، ونزل الكوفة وابتنى بها داراً وله بها عقب ومات بها سنة ست وسبعين في ولاية بشر بن مروان ، روى له الجماعة : **(كنت جالساً عند النبي ﷺ وأبي أمامي)** هو سمرة بن جنادة له أيضاً صحبة مات بالكوفة في ولاية عبد الملك بن مروان ، روى له البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي حديث كلهم من قريش يعني الاثني عشر خليفة ، **(فقال ﷺ « إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء وإن أحسن الناس إسلاماً أحاسنهم أخلاقاً »)** قال العراقي : رواه أحمد وابن أبي الدنيا بإسناد صحيح اهـ .

قلت : ورواه كذلك أبو يعلى ، وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا الحسن بن الصباح ، حدثنا أبو أسامة ، عن زكريا بن سياه ، عن عمران بن رياح ، عن علي بن عمارة الثقفي ، عن جابر بن سمرة قال : كنت عند النبي ﷺ قاعداً وأبي أمامي فساقه بلفظ المصنف ، ووقع عند أحمد وأبي يعلى أحسنهم خلقاً . قال الهيتمي : رجاله ثقات ، وقال المنذري إسناد أحمد جيد .

(وقال إبراهيم بن ميسرة) الطائفي نزيل مكة من الموالي . قال أحمد وابن معين والنسائي : ثقة قال محمد بن سعد : مات في خلافة مروان بن محمد . وقال البخاري : مات قريباً من سنة اثنتين

المتفحش يوم القيامة في صورة كلب أو في جوف كلب، وقال الأحنف بن قيس: ألا أخبركم بـأدوأ الداء اللسان البذي والخلق الدنيء. فهذه مذمة الفحش.

فأما حدّه وحقيقته فهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتحاشون عنها بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها. وقال ابن عباس: إن الله حي كريم يعفو ويكنو كنى باللمس عن الجماع، فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة. وهناك

وثلاثين ومائة، روى له الجماعة: (**يقال يؤتى بالفاحش المتفحش يوم القيامة في صورة كلب أو في جوف كلب**) أخرجه ابن أبي الدنيا، عن أحمد بن جميل، أنبانا عبد الله بن المبارك، أنبانا محمد بن مسلم، عن إبراهيم بن ميسرة قال: فذكره.

(**وقال الأحنف بن قيس**) بن معاوية بن حصين التميمي السعدي أبو بحر مخضرم ثقة: (**ألا أخبركم بأدوأ الداء اللسان البذيء والخلق الدنيء**) أي الخسيس. أخرجه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا معمر قال: قال الاحنف بـن قيس: فذكره (**فهذه مذمة الفحش**) وقد روي عن أنس مرفوعاً قال: « ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه » وعن أم الدرداء عن أبي الدرداء يبلغ به النبي ﷺ قال: « إن الله عـز وجـل يبغـض الفـاحش البـذيء » أخرجه ابن أبي الدنيا. وعن أسامة بن زيد رفعه « إن الله تعالى يبغض الفاحش المتفحش ». رواه الإمام أحمد، وفي حديث عائشة « إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش » رواه مسلم وابن أبي الدنيا، وعن ابن مسعود قال « ألأم خلق المؤمن الفحش » وروى المسعودي عن عوف بن عبد الله قال « ألا إن الفحش والبذاء من النفاق » وهن مما يزدن في الدنيا وينقصن في الآخرة وما ينقصن في الآخرة أكثر مما يزدن في الدنيا.

(**فأما حدّه وحقيقته فهو التعبير عن الأمور المستقبحة**) شرعاً وعقلاً وطبعاً بحيث يكرهه الطبع كما ينكره العقل ويستخبثه الشرع (**بالعبارات الصريحة**) الظاهرة التي لا تحتمل التأويل، (**وأكثر ذلك يجري في ألفاظ الوقاع وما يتعلق به فإن لأهل الفساد**) والرعونة من الفساق (**عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه وأهل الصلاح يتحاشون عنها**) وينزهون عنها ألسنتهم وفي نسخة يتحاشون عن التعرض لها، (**بل يكنون عنها ويدلون عليها**) عند ضرورة التكلم بها (**بالرموز**) والكنايات (**فيذكرون ما يقاربها ويتعلق بها . قال ابن عباس**) رضي الله عنهما: (**إن الله عز وجل حي كريم يعف ويكني كنى باللمس عن الجماع**) قال: ﴿أو لامستم النساء﴾ [النساء: ٤٣] قال أبو حنيفة وغيره من الكوفيين: إن اللمس والملامسة من ألفاظ الكنايات، (**فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع**) يقال: مس

عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعيير، وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أفحش من بعض. وربما اختلف ذلك بعادة البلاد وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة، وبينهما درجات يتردد فيها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط أولى من لفظ التغوّط والخراء وغيرهما. فإن هذا أيضاً مما يخفى وكل ما يخفى يستحي منه، فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فإنه فحش، وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك كذا، بل يقال قيل في الحجرة أو من وراء الستر أو قالت أم الأولاد. فالتلطف في هذه الألفاظ محمود والتصريح فيها يفضي إلى الفحش، وكذلك من به عيوب يستحي منها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها

امرأته ولمسها ودخل بها وصحبها إنما يكنون بذلك عن الوقاع والجماع. وفي قوله تعالى: ﴿أو لامستم النساء﴾ هل المراد به لمس بدنها أو كناية عن الوقاع خلاف بين الشافعي وأبي حنيفة تقدم في كتاب أسرار الطهارة، (**وليست بفاحشة وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها**) وأفحشها وأصرحها النيك، (**ويستعمل أكثرها في الشتم والتعيير**) أي التعييب، (**وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أفحش من بعض، وربما اختلف ذلك بعادة البلاد**) فرب لفظ يعاب به في بلد عند محاوراتهم وعند آخرين مستعمل لا يستقبح، (**وأوائلها مكروهة وأواخرها محظورة**) محرمة، (**وبينهما درجات يتردد فيها**) ومن طالع في كتب اللغة ظفر من ذلك شيئاً كثيراً (**وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط**) أو بإراقة الماء عن البول فقط أو عنهما معاً (**أولى من لفظ التغوط والخراءة**) مع أن التغوط أيضاً من الكنايات لأنه يقال: تغوط إذا أتى الغائط وهي الأرض المطمئنة، ولكن لكثرة استعماله فيه صار كالصريح، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ [النساء: ٤٣] وأما الخراءة ككتابة اسم لهيئة الفعل فهو من الصريح. وقد جاء في سنن أبي داود من حديث سلمان: « أن النبي ﷺ كان يعلمنا كل شيء حتى الخراءة » الحديث فخرج مخرج التبكيت للمنافقين الذين كانوا ينكرون مثل ذلك (**وغيرهما**) كأسماء السوأتين، (**فإن هذا أيضاً مما يخفي ويستحيا منه، فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فإنه فحش**) فليحذر منه، (**وكذلك يستحسن في العادة**) الجارية في المحاورات (**الكناية عن النساء فلا يقال قالت زوجتك**) أو امرأتك، (**كذا، بل يقال قيل في الحجرة**) أو في الدار أو في البيت (**أو من وراء الستر**) أو من وراء الحجاب أو الجهة، (**أو قالت أم الأولاد**) أو صاحبة البيت أو صاحبة الحجرة، إلا أنه قد يقال إن لفظ الزوجة من كنايات القرآن قال تعالى: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [البقرة: ٣٥] (**والتلطف في هذه الألفاظ**) مهما أمكن (**محمود**) شرعاً (**والتصريح فيها يفضي إلى الفحش**) المذموم، (**وكذلك من به عيوب يستحي منها**) بين أقرانه، (**فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح لفظها**

كالبرص والقرع والبواسير، بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان. قال العلاء بن هارون: كان عمر ابن عبد العزيز يتحفّظ في منطقه فخرج تحت إبطه خرّاج فأتيناه نسأله لنرى ما يقول. فقلنا: من أين خرج؟ فقال: من باطن اليد. والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم. ومن عادتهم السب. وقال اعرابي لرسول الله ﷺ: أوصني، فقال: «عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيّرك بشيء

كالبرص) وهو محرك بياض يلمع في البدن **(والقرع)** وهو إنحسار الرأس عن الشعر لمرض، **(والبواسير)** وهو مرض معروف وله أنواع، وكذلك العمش والسلاق والعمى والعرج مما هو ظاهر بالبدن إلا أنه يستحيي أن يذكر بذلك صريحاً، **(بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش)** ومما يتأذى به أخوه المسلم وهو حرام، إلا أن يكون ذلك العارض مشتهراً به بحيث لا يستحي من ذكره، فلا بأس كالأعمش وهو سليمان بن مهران الكوفي فإنهم كانوا يقولون: حدثنا الأعمش في حياته ويسمع ذلك ولا يتغير على من يقوله وكذا قولهم: حدثنا الأعرج عن أبي هريرة فهذا وأمثاله لا يدخل في الفحش. **(وجميع ذلك من آفات اللسان)** والخوض فيه مذموم.

(قال العلاء بن هارون: كان عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى **(يتحفظ في منطقه فخرج تحت إبطه خراج)** بالضم أي قرحة شبه الدمل، **(فاتيناه نسأله لنرى ما يقول، فقلنا)** ما هذا الذي تشكوه؟ فقال: خراج فقلنا **(من أين خرج؟ فقال: من باطن اليد)** أخرجه أبو بكر بن أبي الدنيا فقال: حدثني إبراهيم بن سعيد، حدثني موسى بن أيوب، حدثنا ضمرة، عن العلاء بن هارون قال: كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه لا يتكلم بشيء من الخنا فخرج به خراج في إبطه فقالوا: أي شيء عسى أن يقول الآن؟ قالوا يا أبا حفص أين خرج منك هذا الخراج؟ قال: في باطن يدي. قال: وحدثني علي بن أبي مريم، عن مطرف بن مصعب، حدثنا عبد العزيز الماجشون، عن أبي عبيدة قال: ما رأيت رجلاً أشد تحفظاً في منطقه من عمر بن عبد العزيز. وحدثني محمد بن عباد بن موسى العكلي، حدثنا يحي بن سليم، عن أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال: كنا عند عمر بن عبد العزيز فقال رجل لرجل: تحت إبطك، فقال عمر: وما على أحدكم أن يتكلم بأجل ما يقدر عليه. قالوا: وما ذاك؟ قال: لو قال تحت يدك كان أجل. **(والباعث على الفحش إما قصد الإيذاء للمخاطب)** وأكثر ما يوجد ذلك في المخاصمات، **(وإما الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق)** ومجالستهم **(و)** مصاحبة **(أهل الخبث)** والذعارة **(واللؤم، ومن عادتهم السب)** والطعن على اعراض المسلمين.

(وقال اعرابي لرسول الله ﷺ: أوصني فقال: «عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيرك]

يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه فيه يكن وباله عليه وأجره لك، ولا تسبن شيئاً قال: فما سببت شيئاً بعده. وقال عياض بن حماد، قلت يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي من بأس إن أنتصر منه؟ فقال: المتسابان شيطانان يتعاويان ويتهارجان». وقال ﷺ: «سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر». وقال ﷺ: «المستبّان

أي عابك (**بشيء يعلمه فيك فلا تعيره بشيء تعلمه**) أنت (**فيه يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسبن شيئاً. قال**) الاعرابي: (**فما سببت شيئاً بعده**) قال العراقي: رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد من حديث أبي جري الهجيمي قيل اسمه جابر بن سليم، وقيل سليم بن جابر اهـ.

قلت: هو صحابي مشهور روى عنه عقيل بن طلحة وأبو تميمة. وعند أبي داود والبيهقي من حديث جابر بن سليم وهو أبو جري الهجيمي: «لا تسبن أحداً ولا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف، وارفع ازارك إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة وأن الله لا يحب المخيلة وإن امرؤ شتمك وعيَّرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه فإنما وبال ذلك عليه». ورواه أحمد نحوه، ولكن قال: عن رجل من الصحابة ولم يسمه ولفظه «لا تسبن شيئاً ولا تزهدن في المعروف ولو ببسط وجهك إلى أخيك وأنت تكلمه وافرغ من دلوك في إناء المستقي واتزر إلى نصف الساق فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخلية».

(**وقال عياض بن حمار**) بلفظ الحيوان المعروف ابن أبي حمار بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة المجاشعي التميمي نسبه خليفة ابن خياط عداده في أهل البصرة وله صحبة، روى له مسلم حديثاً واحداً والباقون إلا البخاري فإنه لم يرو له في الصحيح ولكن روى له في الأدب المفرد: (**قلت يا رسول الله إن الرجل من قومي يسبني وهو دوني**) أي في الحسب والشرف (**هل علي من بأس إن انتصر منه**) بأن أسبه كما سبني؟ (**فقال**) ﷺ: (**«المستبان**) أي الذي يسب كل منهما الآخر (**شيطانان**) أي بمنزلتهما (**يتعاونان»**) كذا في النسخ والذي في الرواية يتكاذبان (**ويتهاتران**) أي كل منهما يكذب صاحبه وينتقصه من الهتر بالكسر وهو الباطل من القول والسقط من الكلام، وعلى رواية يتعاونان أو يتقاويان ويتقابحان في القول وفيه كما قال المصنف فيما سيأتي أنه لا يجوز مقابلة السب بالسب قال: وكذا سائر المعاصي وإنما القصاص والغرامة على ما ورد به الشرع قال: وقال قوم يجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه عن التعيير بمثله نهي تنزيه، والأفضل تركه لكنه لا يعصي. قال العراقي: رواه داود والطيالسي وأصله عند أحمد اهـ.

قلت: ورواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح.

(**وقال ﷺ: «المستبان ما قالا**) أي أثم ما قالاه من السب والشتم (**فعلى البادىء**) منهما لأنه السبب لتلك المخاصمة فللمسبوب أن ينتصر ويسبه بما ليس بقذف ولا كذب كيا ظالم ولا

ما قالا فعلى البادىء منهما حتى يعتدي المظلوم ». وقال ﷺ: « ملعون من سبّ والديه »

يأثم بالعفو أفضل فإن قيل: إذا لم يأثم المسبوب وبريء البادىء من ظلمه بوقوع التقاص، فكيف صح أن يقدر فيه إثم ما قالا ؟ قلنا إضافته بمعنى في يعني إثم كائن فيما قالاه وإثم الإبتداء على البادىء ويستمر هذا الحكم (**حتى يعتدي المظلوم** ») أي يتعدى الحد في السب فلا يكون الإثم على البادىء فقط، بل عليهما. وقيل: المراد أنه يحصل إثم ما قالا، وللبادىء أكثر من المظلوم حتى يعتدي فيربو إثم المظلوم، وقيل: معناه أنه إذا سبه فرد عليه كان كفافاً فإن زاد بالغضب والتعصب لنفسه كان ظالماً وكان كل منهما فاسقاً. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقال: ما لم يعتد المظلوم اهـ.

قلت: وكذا الترمذي روياه من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ورواه أيضاً أحمد وأبو داود بلفظ المصنف وفي الباب عن أنس وابن مسعود وعبد الله بن الفضل وغيرهم.

(**وقال** ﷺ: « **سباب**) بكسر السين وتخفيف الموحدة (**المسلم**) أي سبه وشتمه يعني التكلم في عرضه بما يعيبه وهو مضاف إلى مفعول (**فسوق**) أي خروج عن طاعة الله ورسوله، ولفظه يقتضي كونه من اثنين لأنه مصدر سابه مسابة. وفسر الراغب السباب بالشتم الوجيع. قال النووي: فيحرم سب المسلم بغير سبب شرعي. قال: ومن الألفاظ المذمومة المستعملة عادة قوله لمن يخاصمه: يا حمار يا كلب ونحو ذلك، فهذا قبيح لأنه كذب وإيذاء بخلاف قوله: يا ظالم ونحوه، فإن ذلك مما يتسامح به لضرورة المخاصمة مع أنه صدق غالباً فما من إنسان إلا وهو ظالم لنفسه ولغيرها وفيه تعظيم حق المسلم والحكم على من سبه بالفسق، وأن الإيمان ينقص ويزيد لأن الساب إذا فسق نقص إيمانه وخرج عن الطاعة فضره ذنبه وفيه رد على المرجئة في قولهم إنه لا يضر مع التوحيد ذنب (**وقتاله**) أي بمحاربته لأجل الإسلام (**كفر** ») حقيقة أو ذكره للتهديد وتعظيم الوعيد أو المراد الكفر اللغوي وهو الجحد لحقه أو هضم أخوة الإيمان. رواه أحمد والشيخان في الإيمان، والترمذي في البر، والنسائي في المحاربة، وابن ماجه من حديث ابن مسعود، ورواه ابن ماجه أيضاً وأبو نعيم في الحلية، والخرائطي في مساوىء الأخلاق من حديث أبي هريرة، ورواه الدارقطني في الافراد من حديث جابر، ورواه ابن ماجه أيضاً من حديث سعد بن أبي وقاص، ورواه الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن مغفل وفيه كثير ابن يحيى وهو ضعيف، ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، والطبراني أيضاً من حديث عمرو بن النعمان بن مقرن. ورواه أحمد والطبراني أيضاً من حديث ابن مسعود بزيادة وحرمة ماله كحرمة دمه. وقال الحافظ في الفتح: لما كان المقام مقام الرد على المرجئة أورد البخاري هذا الحديث في كتاب الإيمان واهتم بذلك وبالغ في الزجر معرضاً يقتضيه ظاهره من تقوية مذهب الخوارج المكفرين بالذنب اعتماداً على ما تقرر من دفعه في محله اهـ.

وفي رواية: « من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه » قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه؟ قال: « يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه ».

الآفة الثامنة اللعن:

اما لحيــوان أو جماد أو إنسان وكل ذلك مذموم. قال رسول الله ﷺ: « المؤمن ليس بلعّان ». وقال ﷺ: « لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم ». وقال حذيفة:

(وقال ﷺ: « ملعون من سب والديه ») قال القرطبي: إنما استحق ساب والديه اللعن لمقابلته نعمة الأبوين بالكفران وانتهائه إلىغاية العقوق والعصيان. كيف وقد قرن الله برهما بعبادته وإن كانا كافرين وبتوحيده وشريعته. قال العراقي: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث ابن عباس بإسناد جيد اهـ.

قلت: ولفظ أحمد: « ملعون من سب أباه ملعون من سب أمه » الحديث وهكذا رواه أبو نعيم في الحلية، ولفظ الطبراني: « ملعون من سب شيئاً من والديه » الحديث، وروى الخرائطي في مساوىء الأخلاق من حديث أبي هريرة: « ملعون من لعن والديه ».

(وفي رواية: « من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه ». قالوا يا رسول الله: كيف يسب الرجل والديه؟ قال: « يسب أبا الرجل فيسب الآخر أباه ») قال العراقي رواه الشيخان من حديث عبد الله بن عمرو اهـ.

قلت: وكذلك رواه الترمذي ولفظهم: « من الكبائر شتم الرجل والديه » قيل: يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: « نعم بسبّ أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه ».

الآفة الثامنة اللعن:

وهو **(إما لحيوان أو جماد أو إنسان وذلك)** كله **(مذموم. قال ﷺ. « المؤمن ليس بلعان »)** قال العراقي: تقدم حديث ابن مسعود: « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان » الحديث قبل هذا بأحد عشر حديثاً، وللترمذي وحسنه من حديث ابن عمر: « لا يكون المؤمن لعاناً » اهـ.

قلت: رواه ابن أبي الدنيا عن بندار بن بشار، حدثنا أبو عامر عن كثير بن زيد، سمعت سالم ابن عبدالله بن عمر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يكون المؤمن لعاناً » قال: وحدثنا عمرو الناقد، حدثنا أبو أحمد الزهري، حدثنا كثير بن زيد، عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: ما سمعت ابن عمر لعن إنساناً قط إلا إنساناً واحداً. وقال قال رسول الله ﷺ: « لا ينبغي للمؤمن ان يكون لعاناً » وقد رواه كذلك الحاكم والبيهقي.

(وقال ﷺ: « لا تلاعنوا) أي لا يلعن بعضكم بعضاً وأصله لا تتلاعنوا فحذف إحدى التاءين تخفيفاً **(بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم »)** وفي رواية: « ولا بالنار » بدل: « ولا بجهنم »

ما تلاعن قوم قط إلا حق عليهم القول وقال عمران بن حصين: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها. فقال ﷺ: « خذوا ما عليها واعروها فإنها ملعونة». قال: فكأني أنظر إلى تلك الناقة تمشي بين الناس لا يتعرض لها أحد. وقال أبو الدرداء: « ما لعن أحد الأرض إلا قالت لعن الله أعصانا لله». وقالت عائشة رضي الله عنها: سمع رسول الله ﷺ أبا بكر وهو يلعن

أي لا يدعو بعضكم على بعض كأن يقول عليه لعنه الله وعليه غضب الله واجعله من أهل النار أو أحرقك الله بنار جهنم.

قال الطيبي: قوله: « لا تلاعنوا » الخ من عموم المجاز لأنه في بعض افراده حقيقة وفي بعضها مجاز وهذا مختص بمعين لجواز اللعن بالوصف الأعم أو الأخص كالمصورين قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي من حديث سمرة بن جندب وقال الترمذي: حسن صحيح اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو يعلى والطبراني والحاكم والضياء في المختارة.

(وقال حذيفة) بن اليمان رضي الله عنه: **(ما تلاعن قوم قط إلا حق عليهم القول)** أي العذاب أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو يحيى الرازي، حدثنا أبو يزيد الخراز، عن عبيدة عن الأعمش، عن أبي ظبيان قال: قال حذيفة فذكره. والظاهر أن المراد بالتلاعن في قوله هذا هو اللعان بين الرجل وامرأته، ولم يقع بعده ﷺ إلا مرة بالأندلس في زمان الأمويين كما نقله المقري في نفح الطيب، وليس المراد به أن يلعن بعضهم بعضاً في محاوراتهم فتأمل ذلك.

(وقال عمران بن حصين) رضي الله عنهما: **(بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها)** أي لسوء سيرها **(فلعنتها فقال رسول الله ﷺ: « خذوا ما عليها)** من الأثقال **(وأعروها)** بقطع الهمزة **(فإنها ملعونة » قال)** عمران رضي الله عنه: **(فكأني انظر إلى تلك الناقة تمشي بين الناس ولا يتعرض لها أحد)** قال العراقي: رواه مسلم.

قلت: قال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو خيثمة، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا أيوب عن أبي قلابة، عن عمران بن حصين قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: « خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة » قال عمران فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد وأخرجه ابن حبان في الصحيح بلفظ: « خذوا متاعكم عنها وأرسلوها فإنها ملعونة ».

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(ما لعن أحد الأرض إلا قالت لعن الله أعصانا لله)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن سعيد، حدثنا موسى عن أيوب، حدثنا بقية عن ابن أبي

بعض رقيقه فالتفت إليه وقال: « يا أبا بكر أصدِّيقين ولعانين كلا ورب الكعبة » . مرتين أو ثلاثاً فأعتق أبو بكر يومئذ رقيقه وأتى النبي ﷺ وقال: لا أعود . وقال رسول الله ﷺ : « إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » . وقال أنس: كان رجل يسير مع رسول الله ﷺ وسلم على بعير فلعن بعيره فقال ﷺ : « يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون » وقال ذلك إنكاراً عليه واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى

مريم ، عن المهاجر عن أبي الدرداء فذكره . وأخرج أيضاً عن عمرو بن قيس قال: إذا ركب الرجل الدابة قالت: اللهم اجعله رفيقاً حلماً فإذا لعنها قالت على أعصانا لله لعنة الله . ومن طريق فضيل ابن عياض قال: كان يقال ما أحد سب شيئاً من الدنيا دابة ولا غيرها فيقول اخزاك الله ولعنك الله إلا قالت أخزى الله أعصانا لله .

(وقالت عائشة رضي الله عنها سمع رسول الله ﷺ أبا بكر) رضي الله عنه **(وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت إليه فقال: « يا أبا بكر ألعانين وصديقين كلا ورب الكعبة »)** قال ذلك **(مرتين أو ثلاثا فأعتق أبو بكر يومئذ بعض رقيقه، وأتى النبي ﷺ وقال: لا أعود)** قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وشيخه بشار بن موسى الخفاف ضعفه الجمهور وكان أحمد حسن الرأي فيه اهـ .

قلت: قال ابن أبي الدنيا ، حدثنا بشار بن موسى ، أنبأنا يزيد بن المقدام بن شريح عن أبيه المقدام عن جده عن عائشة قالت: سمع النبي ﷺ أبا بكر الصديق لعن بعض رقيقه ، فقال له النبي ﷺ : « يا أبا بكر الصديقون لعانون » فاعتق أبو بكر يومئذ بعض رقيقه . وجاء إلى النبي ﷺ فقال: والله لا أعود اهـ .

وبشار بن موسى الخفاف شيباني عجلي بصري نزل بغداد قال صاحب التهذيب: ضعيف كثير الغلط لين الحديث ، روى له ابن ماجة في كتاب التفسير له . وقال الذهبي في المغني: بشار بن موسى الخفاف عن يزيد بن زريع . قال أبو زرعة وغيره: ضعيف . وقال البخاري: منكر الحديث . وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به .

(وقال ﷺ : « إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة ») قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي الدرداء اهـ .

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا عن أبي عمر المقري ، حدثنا ابن أبي مريم ، حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير ، حدثني زيد بن أسلم ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: فذكره .

(وقال أنس) رضي الله عنه: **(كان رجل يسير مع النبي ﷺ على بعير فلعن بعيره فقال له النبي ﷺ : « يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون »)** رواه ابن أبي الدنيا عن إسماعيل ابن إسحاق الأزدي ، حدثنا إسماعيل بن أبي إدريس ، حدثنا أبي ، عن شريك بن عبد الله بن أبي

وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعده من الله عز وجل وهو الكفر والظلم بأن يقول: لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين، وينبغي أن يتبع فيه لفظ الشرع فإن في اللعنة خطراً لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسول الله ﷺ إذا أطلعه الله عليه.

والصفات المقتضية للعن ثلاثة: الكفر، والبدعة، والفسق. وللعن في كل واحدة ثلاث مراتب.

الأولى: اللعن بالوصف الأعم كقولك: لعنة الله على الكافرين والمبتدعين والفسقة.

الثانية: اللعن بأوصاف أخص منه كقولك: لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى القدرية والخوراج والروافض. أو على الزناة والظلمة وآكلي الربا. وكل ذلك جائز،

نمر، عن أنس بن مالك وهو سند جيد، **(وكان ذلك إنكاراً منه)** ﷺ على الرجل المذكور. وأخرج ابن أبي الدنيا من طريق بكر بن خنيس رفعه قال: « علامة أبدال أمتي أنهم لا يلعنون شيئاً أبداً ». ومن طريق يحيى بن أبي كثير قال: دخلت أم الدرداء على جيران لها وهم يلعنون فقالت: كيف تكونون صدّيقين وأنتم لعانون. ومن طريق حكيم بن جابر قال: كان أبو الدرداء مضطجعاً بين أصحابه وقد غطى وجهه فمر عليه قس سمين فقالوا: اللهم العنه ما أغلظ رقبته. فقال أبو الدرداء رضي الله عنه: من ذا الذي لعنتم آنفاً فاخبروه. فقال: لا تلعنوا أحداً فإنه لا ينبغي للعان أن يكون عند الله صديقاً يوم القيامة. **(واللعن عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى، وذلك غير جائز إلا على من اتصف بصفة تبعده عن الله تعالى وهو الكفر والظلم بأن يقول لعنة الله على الظالمين و)** لعنة الله **(على الكافرين وينبغي فيه لفظ الشرع فإن في اللعنة خطر لأنه حكم على الله عز وجل بأنه قد أبعد الملعون)** عن حضرته وطرده عن عموم رحمته، **(وذلك)** أمر **(غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى ويطلع عليه رسوله ﷺ لو أطلعه الله عليه والصفات المقتضية للعن ثلاثة)** أعظمها **(الكفر)** وهو الشرك بالله تعالى، **(والبدعة)** التي تضاد السنة المشروعة، **(والفسق)** وهو الخروج عن طاعة الله ورسوله بالظلم وغيره من المعاصي، **(وللعن في كل واحدة)** من هؤلاء الثلاثة **(ثلاث مراتب)**.

(الأولى: اللعن بالوصف الأعم) وذلك مأذون فيه **(كقولك: لعنة الله على الكافرين)** بالنظر إلى الكفر، **(و)** لعنة الله **(على المبتدعين)** بالنظر إلى البدعة، **(و)** لعنة الله **(على الفسقة)** بالنظر إلى الفسق.

(الثانية: اللعن بأوصاف) هي **(أخص منه)** أي من الوصف الأعم **(كقوله: لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس)** بالنظر إلى الكفر **(و)** لعنة الله **(على القدرية)** وهم المعتزلة **(والخوارج)** وهم فرق شتى، **(والروافض)** وهم كذلك فرق شتى، وهذا بالنظر إلى

ولكن في لعن أوصاف المبتدعة خطر لأن معرفة البدعة غامضة ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع منه العوام لأن ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعاً بين الناس وفساداً .

الثالثة: اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك : زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع ، والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعاً فتجوز لعنته كقولك : فرعون لعنه الله ، وأبو جهل لعنه الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعاً . أما شخص بعينه في زماننا كقولك : زيد لعنه الله وهو يهودي مثلاً فيه خطر فإنه ربما يسلم فيموت مقرباً عند الله تعالى . فكيف يحكم بكونه ملعوناً ؟

فإن قلت : يلعن لكونه كافراً في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلماً في الحال ، وإن كان يتصور أن يرتد ؟ فاعلم أن معنى قولنا رحمه الله أي ثبته الله على الإسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب

البدعة ، (و) لعنة الله (**على الزناة**) من النساء والرجال (**والظلمة وآكلي الربا**) وهذا بالنظر إلى الفسق ، (**وكل ذلك جائز مأذون**) فيه (**ولكن في لعن أصناف المبتدعة خطر لأن معرفة البدعة**) أمر (**غامض**) خفي (**ولم يرد فيه لفظ مأثور فينبغي أن يمنع منه العوام من الناس لأن ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير**) أي يحرك (**نزاعاً بين الناس**) فتنشأ من ذلك مفاسد عظيمة .

(**الثالث: اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع**) وهذا قد اختلف فيه (**والتفصيل**) الرافع للنزاع (**فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعاً**) إما في الكتاب أو في السنة (**فتجوز لعنته كقولك: فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله لأنه قد ثبت أن هؤلاء قد ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعاً**) ولو قال بدل فرعون أبو لهب لكان أولى إذ قد اختلف في إيمان فرعون فأثبته بعض المحققين ونفاه آخرون كما تقدم الكلام فيه فيما سبق ، وأما أبو لهب وأبو جهل فمتفق على كفرهما وموتهما على الكفر . (**أما شخص بعينه في زماننا كقولك: زيد لعنه الله وهو يهودي مثلاً فهذا فيه خطر ، فإنه ربما يسلم فيموت مقرباً عند الله تعالى ، فكيف يحكم بكونه ملعوناً**) ؟ قال ابن حجر المكي : وهذا هو الأليق بقواعد أئمتنا فإنهم صرحوا بأنه لا يجوز لعن شخص بخصومه إلا إن علم موته على الكفر كأبي جهل وأبي لهب . وأما من لم يعلم منه ذلك فلا يجوز لعنه .

(**فإن قلت: يلعن لكونه كافراً في الحال**) أي في حال اللعن (**كما يقال للمسلم: رحمه الله لكونه مسلماً في الحال وإن كان يتصور فيه أن يرتد**) عن دين الإسلام إلى دين الكفر ؟ (**فاعلم أن معنى قولنا**) للمسلم (**رحمه الله أي ثبته على الإسلام الذي هو سبب الرحمة و**)

اللعنة فإن هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر، بل الجائز أن يقال: لعنه الله إن مات على الكفر ولا لعنه الله إن مات على الإسلام، وذلك غيب لا يدري، والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر. وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى، فلعن الأعيان فيه خطر لأن الأعيان تنقلب في الأحوال إلا من أعلم به رسول الله ﷺ فإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر، ولذلك عين قوماً باللعن فكان يقول في دعائه على قريش: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة». وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى أن من لم يعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عنه إذ روي أنه كان يلعن الذي قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهراً فنزل قوله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ [آل عمران: ١٢٨] » يعني أنهم ربما يسلمون فمن أين تعلم أنهم ملعونون؟ وكذلك من بـان لنا موته

ثبته (**على الطاعة**) والانقياد لأوامر الله تعالى فهو دعاء له بذلك، (**ولا يمكن أن يقال: ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة**) والطرد، (**فإن هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر**) إذ من يسأل الكفر لغيره كأنه يرضى له بذلك والرضا بالكفر كفر، (**بل الجائز أن يقال لعنه الله إن مات على الكفر ولا لعنة الله إن مات على الإسلام وذلك غيب لا يدري**) ولا يدرك، (**والمطلق متردد بين الجهتين**) إما جهة الكفر أو جهة الإسلام، (**ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر**) فهو الأسلم، (**وإذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى، فلعن الأعيان فيه خطر لأن الأعيان تنقلب في الأحوال**). قال ابن حجر المكي: الكافر المعين لا يجوز لعنه لأنه هو الطرد عن رحمة الله تعالى المستلزم لليأس منها، وذلك إنما يليق بمن علم موته على الكفر فقط، وإن كان كافراً في الحالة الظاهرة لاحتمال أن يختم له بالحسنى فيموت على الإسلام، ولا يجوز أيضاً لعن فاسق معين، ثم نقل عن ابن الصلاح ما يشهد لهذا (**إلا من رسول الله ﷺ فـإنه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر، ولذلك عين قوماً باللعن، فكان يقول في دعائه على قريش: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة» وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر**) كما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود (**حتى أن من لم تعلم عاقبته كان يلعنه**) ويدعو عليه (**فنهي عنه إذ روي أنه**) ﷺ (**كان يلعن الذي قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهراً، فنزل قوله تعالى: ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾، يعني أنهم ربما يسلمون فمن أين تعلم أنهم ملعونون**) قال العراقي: روى الشيخان من حديث أنس دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحاً الحديث. وفي رواية لهما قنت شهراً يدعو على رعل وذكـوان الحديث، ولهما من حديث أبي هريرة كان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة

على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه إن لم يكن فيه أذى على مسلم، فإن كان لم يجز كما روي أن رسول الله ﷺ سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مرّ به وهو يريد الطائف فقال: هذا قبر رجل كان عاتياً على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص، فغضب ابنه عمرو بن

ويكبر ويرفع رأسه الحديث. وفيه: «اللهم العن لحيان ورعلاً» الحديث وفيه ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ لفظ مسلم اهـ.

قلت: وروى الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في الدلائل من حديث أنس أن هذه الآية نزلت يوم أحد لما كسرت رباعيته وشجّ وجهه، وعند ابن جرير في روايته عن الربيع في آخره، فكف رسول الله ﷺ عن الدعاء عليهم. وروى أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير والبيهقي من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ يوم أحد: «اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان بن أمية» فنزلت هذه الآية قال: «فتيب عليهم كلهم» وروى الترمذي وصححه وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن عمر قال: كان النبي ﷺ يدعو على أربعة نفر فأنزل الله هذه الآية فهداهم للإسلام.

وروى الشيخان وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في السنن من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع: «اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» يجهر بذلك. وكان يقول في بعض صلاة الفجر: «اللهم العن فلاناً وفلاناً لأحياء من احياء العرب» حتى أنزل الله هذه الآية. وفي لفظ: «اللهم العن لحيان ورعلاً وذكوان وعصية عصت الله ورسوله» بلغنا أنه ترك ذلك لما نزلت هذه الآية.

وروى ابن إسحاق في سيرته والنحاس في ناسخه من حديث سالم بن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل من قريش إلى النبي ﷺ فقال: إنك تنهي عن الشيء ثم تحول فحول قفاه للنبي ﷺ وكشف استه فلعنه ودعا عليه، فأنزل الله هذه الآية. قال: ثم أسلم الرجل وحسن إسلامه.

(وكذلك من بان) أي ظهر **(لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه إن لم يكن فيه أذى على مسلم، فإن كان لم يجز كما روي أن رسول الله ﷺ سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مرَّ به وهو يريد الطائف، فقال)** أبو بكر: **(هذا قبر رجل كان عاتياً)** أي متمرداً **(على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص)** بن أمية بن عبد شمس بن مناف، **(فغضب ابنه عمرو بن سعيد)** وهو ابن عمة خالد بن الوليد صحابي كبير من مهاجرة الحبشة قدم عليهم بخيبر هو وأخوه خالد قتل بأجنادين، وقيل باليرموك. وابن أخيه سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص له رؤية وحفيده عمرو بن سعيد بن العاص وهو الأصغر ويعرف بالأشدق. **(وقال: يا رسول**

سعيد وقال: يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبي قحافة. فقال أبو بكر: يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام؟ فقال ﷺ: « اكفف عن أبي بكر فانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال: يا أبا بكر إذا ذكرتم الكفّار فعمموا فإنكم إذا خصصتم غضب الأبناء للآباء »، فكف الناس عن ذلك. وشرب نعيمان الخمر فحدّ مرات في مجلس رسول الله ﷺ فقـال بعض الصحابة: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به. فقال ﷺ: « لا تكن عوناً للشيطان على أخيك ». وفي رواية: « لا تقل هذا فإنه

الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبي قحافة) يعني والد أبي بكر، **(فقال أبو بكر: يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام، فقال ﷺ)** لعمرو بن سعيد **(« اكفف عن أبي بكر » فانصرف)** عنه، **(ثم أقبل)** رسول الله ﷺ **(على أبي بكر فقال « يا أبا بكر إذا ذكرتم الكفار فعمموا)** أي اذكروهم بلفظ العموم **(فإنكم إذا خصصتم غضب الأبناء للآباء » فكف الناس عن ذلك »)**. قال العراقي: رواه أبو داود في المراسيل من رواية علي بن ربيعة قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف، ومعه أبو بكر ومعه ابنا سعيد بن العاصي، فقال أبو بكر: لمن هذا القبر؟ قالوا: قبر سعيد بن العاصي. فقال أبو بكر: لعن الله صاحب هذا القبر، فإنه كان يحادّ الله ورسوله الحديث. وفيه « فإذا سببتم المشركين فسبوهم جميعاً ».

(وشرب نعيمان) بن عمروبن رفاعة النجاري من بني مالك بـن النجار يقال اسمه نعمان فصغر صحابي بدري كان يمزح كثيراً رضي الله عنه **(الخمر فحدّ مرات في مجلس رسول الله ﷺ، فقال بعض الصحابة)** قال الحافظ في الفتح اسمه عمير: **(لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به، فقال ﷺ « لا تكن عوناً للشيطان على أخيك ». وفي رواية « لا تقل هذا فإنه يحب الله ورسوله » فنهاه عن ذلك)**. قال العراقي: رواه ابن عبد البر في الاستيعاب من طريق الزبير بن بكار من رواية محمد بن عمرو بـن حزم مرسلاً. ومحمد هذا ولد في حياته ﷺ وسماه محمداً وكناه أبا عبد الملك اهـ.

قلـت: رواه الزبير بـن بكار في كتاب الفكاهة من طريق أبي طوالة، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال: كان بالمدينة رجل يقال له النعيمان يصيب من الشراب فذكره، ثم قال العراقي: وللبخاري من حديث عمر أن رجلاً على عهد رسول الله ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان قد جلده في الشراب فأتي به يوماً فأمر به فجلد فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ « لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله » وله من حديث أبي هريرة في رجل شرب ولم يسم وفيه « لا تعينوا عليه الشيطان » وفي رواية « لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم » اهـ.

قلـت: ورواه البخاري من طريق وهيب، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عقبة بن الحرث

يحب الله ورسوله » فنهاه عن ذلك. وهذا يدل على أن لعن فاسق بعينه غير جائز. وعلى الجملة ففي لعن الأشخاص خطر فليجتنب، ولا خطر في السكوت عن لعن إبليس مثلاً فضلاً عن غيره.

فإن قيل: هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أوأمر به؟ قلنا: هذا لم يثبت أصلاً

أن النبي ﷺ أتى بالنعيمان أو ابن النعيمان كذا بالشك، والراجح النعيمان بلا شك. وفي لفظ لأحمد: كنت فيمن ضربه وقالا فيه أتى بالنعيمان من غير شك. ورواه بالشك أيضاً محمد بن سعد في الطبقات من طريق معمر عن يزيد بن أسلم مرسلاً، وجزم ابن عبد البران صاحب القصة هو ابن النعيمان وما مرَّ من حديث عمر عند البخاري ربما يشهد له، فإنه قال فيه إن اسمه عبد الله ويلقب حماراً وهذا يقوّي قوله فيكون وقع ذلك له ولابنه ومن يشابه أبان فما ظلم، وحديث أبي هريرة رواه البخاري من طريق محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وحديث ابن عمر عند البخاري فيه قوله «لا تلعنوه» هكذا في سائر روايات البخاري، وعند الكشميهني «ألا لا تلعنوه». وروى أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة قال: أتى رجل قد شرب الخمر، فقال رسول الله ﷺ «اضربوه» فقال بعض القوم أخزاه الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ «لا تقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان ولكن قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه» وروى ابن سعد في الطبقات عن أيوب عن محمد مرسلاً لا تقولوا للنعيمان إلا خيراً فإنه يحب الله ورسوله. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا له بالتوبة ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه. ذكره صاحب الكشاف في سورة غافر وفيه قصة وقد تقدم ذكرها. (**وهذا يدل على أن لعنة فاسق بعينه غير جائزة**) كما أن الفسق لا يخرج الإنسان عن اخوّة الإيمان، (**ففي لعنة الأشخاص خطر فليجتنب**) عنها (**ولا خطر في السكوت عن لعنة إبليس مثلاً**) وهو هو مع قول الله تعالى في حقه ﴿وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾ [ص: ٧٨] فضلاً عن غيره، فالساكت عن لعنه لا يلزمه شيء مع أن الاشتغال به اشتغال فيما لا فائدة فيه، فقد روى ابن أبي الدنيا، عن داود بن عمر، وحدثنا عباد بن العوّام، أخبرنا حصين سمعت مجاهداً يقول: قلما ذكر الشيطان قوم إلا حضرهم، فإذا سمع أحداً يلعنه قال: لقد لعنت ملعناً ولا شيء أقطع لظهره من لا إله إلا الله (**فضلاً عن غيره**).

(**فإن قيل: هل تجوز لعنة يزيد**) بن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس كنيته أبو خالد، ولد في خلافة عثمان، وعهد إليه أبوه بالخلافة فبويع له ببيت المقدس في يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة ستين وشخص إلى دمشق مسرعاً ولم يشهد وفاة أبيه ولا صلى عليه لمقامه في ذلك الوقت ببيت المقدس، وأبى البيعة عبد الله بن الزبير ولاذ بمكة والحسين بن علي ونهض إلى الكوفة (**لأنه قاتل الحسين**) بن علي رضي الله عنه (**أوآمر به**) أي بالقتل؟ (**قلنا هذا لم يثبت أصلاً**) أما كونه لم يقتله بنفسه فهو ظاهر، وأما كونه لم يأمر بقتله فهذا فيه

فلا يجوز أن يقال انه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلاً عن اللعنة لأنه لا تجوز نسبة مسلم

الاختلاف الشائع، وغاية ما ذكر فيه أن يزيد لما قلد عبيد الله بن زياد الكوفة مضافاً إلى ما تقلده من أمر البصرة وسار إليها مسرعاً متنكراً حتى نزل قصر الإمارة بها كتب إليه يزيد قد ابتلى شأنك بالحسين وابتلى بلدك من بين البلدان وأنت من بين العمال، وفي هذا ما يعتق أو يعوب عبد اننا يريد أن الحسين رضي الله عنه إن ملك ردك إلى نسبك ورد مقال معاوية إلى ادعاء أبيك، فكان هذا القول مما حرضه على الحسين رضي الله عنه، وهذا لا يدل على أنه أمره بقتله كما هو ظاهر، ويؤيد ذلك أن في سنة اثنتين وستين بعد قتل الإمام الحسين رضي الله عنه وفد أبو القاسم محمد بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية على يزيد باستدعاء منه، فلما صار إليه اعتذر مما جرى على الحسين رضي الله عنه وقال: لو كنت حاضراً لما جرى ما جرى، فقال له محمد بن علي: لا أحب أن أسمع في أخي إلاَّ خيراً ولا أشك في أنك لو وليت أمره لما جرى ما جرى، ولكن لكل أجل كتاب، وقصة قتله رضي الله عنه مشهورة وحاصلها: إن في سنة إحدى وستين أنفذ عبيد الله بن زياد شبث بن ربعي ليلقى الحسين وحربه من طريق خفان في أثني عشر ألفاً، وعمر بن سعد بن أبي وقاص من طريق الفرات ليأخذ عليه الطريقين في جيش آخر، وقال لعمر: مره أن يرجع إلى المدينة أو إلى مكة أو يسير إلى يزيد فإن أبى فاستأسره فإن أبى فقاتله فأبى الحسين أن يرجع أو يستأسر فقاتلوه فقتل رضي الله عنه سعيداً شهيداً حميداً بمكان يقال له الطف، واختلف في قاتله فقيل سنان بن أنس النخعي، وقيل شمر بن ذي الجوشن الضبابي وكان سنه إذا ذاك رضي الله عنه ستا وخمسين سنة وخمسة أشهر، وحمل رأسه إلى عبيد الله بـن زياد على خشبة، وهو أول رأس حمل على خشبة ودفن جسده الشريف بكربلاء.

وبالجملة **(فإنه لا يجوز أن يقال أنه قتله أو امر بقتله ما لم يثبت)** من طرق صحيحة كما نقله ابن عبد البر في التمهيد عن بعضهم أن يزيد لم يأمرهم بقتله، وإنما أمرهم بطلبه أو بأخذه وحمله إليه، فهم قتلوه من غير حكمة. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ما حاصله: إن جميع ما يذكر في ذلك لم يثبت وإن قتله إنما كان عن رأي عبيد الله بن زياد **(فضلاً عن اللعنة لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة)** كالقتل وغيره **(من غير تحقيق)** أو بصيرة، فحيث لم يثبت ما يقتضي اللعن لا يجوز لعنه وبه أفتى المصنف. قال ابن حجر المكي: وهو الاليق بقواعـد المذهب فلا يجوز لعنه وإن كان فاسقاً خبيثاً. قال: وفي كلام ابن الصلاح ما يشهد لذلك فلا توله ولا تلعنه.

وبالجملة؛ فالرجل من أهل القبلة ليس بكافر لأن الاسباب الموجبة للكفر لم يثبت منها شيء والأصل بقاؤه على إسلامه حتى يعلم بخروجه عنه، وقد نهى النبي ﷺ عن لعن أهل القبلة ومقترف الذنوب والمعاصي لا يكفر وهو مذهب أهل السنة، وقد ذكره الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب وقال فيه إنه ليس أهلاً لأن يروى عنه وليست له رواية تعتمد، ثم اعتذر عن ذكره فقال: إنما ذكرته للتمييز بينه وبين يزيد بن معاوية النخعي الكوفي العابد قال: ثم وجـدت لـه روايـة في مـراسيـل أبي

داود، وقد نبهت عليها في الاستدراك على الأطراف، ومنهم من أثبت مع فسقه كفره نظراً إلى ما فعل بآل بيت رسول الله ﷺ من الإهانة والإذاية واستباحته المدينة في وقعة الحرة، وبما حكي عنه أنه لما طلب المبايعة من الحسين رضي الله عنه فأبى وأراد أن يأمر بقتله تفاؤل بالمصحف، فخرج في أول سطر وخاب كل جبار عنيد فمزق المصحف، ونقل عنه أنه لما بعث عبيد الله برأس الحسين رضي الله عنه إليه ومعه علي بن الحسين وأختاه سكينة وفاطمة أمر بهم فغلوا في قيد وأقبل على ثناياه بمخصرة معه وقال:

نفلق هاماً من رجال أعزة ... علينا وكانوا هم أعق وأظلما

ونقل عنه أيضاً أنه قال:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

وهذا كما ترى تمن أن لو وجد كفار قريش الذين قتلوا ببدر ورأوا إهانته بأهل المدينة وقتلهم واستباحة اعراضهم وهو انتصار للكفر والانتصار للكفر كفر إلى غير ذلك من المخزيات التي تنسب إليه. وقد شحنت كتب التواريخ بذلك وأخباره مستوفاة في تاريخ دمشق لابن عساكر وهو اختيار بعض العراقيين. وإلى هذا ميل الشيخ سعد الدين التفتازاني فإنه ذكر في شرح العقائد بعد أن نقل ما يقتضيه المقام، وأما نحن فلا نتوقف في شأنه فلعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه. انظر هذا الكلام من هذا المحقق مع أنه من كبار أئمة الشافعية، وقواعد مذهبه تقتضي عدم اللعن ولكنه ربى في بلاد العجم وقد امتلأت مسامعهم من الأخبار والحكايات التي أكثرها لا يخلو من مجازفات ثم انها لم تثبت من طرق تفيد اليقين والسكوت فقال ما قال، وخالف مقتضى مذهبه ولم يبال، وإلى مثله الإشارة بقول صاحب بدء الأمالي:

ولم يلعن يزيد بعد موت ... سوى المكثار في الاغراء غالي

فالمكثار هو المبالغ في الكثرة، والاغراء: الإفساد والتحريض عليه، والغالي: المبالغ في التعصب، فمن أجاز لعن يزيد فهو موصوف بهذه الصفات الثلاث، فهذان قولان متقابلان وهناك قول ثالث وهو التوقف في ذلك وتفويض أمره إلى الله تعالى، لأنه العالم بالخفيات والمطلع على مكنونات الضمائر وهواجس السرائر فلا يتعرض لتكفيره، ولعنه أصلاً وإن هذا هو الأحرى والأسلم ومع القطع بإسلامه فإنه فاسق شرير سكير جائر. وقد أخرج الروياني في مسنده من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: «أوّل من يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد». وأخرج أبو يعلى في المسند ونعيم بن حماد في الفتن وابن عساكر من حديث أبي عبيدة «لا يزال أمر أمتي قائماً بالقسط حتى يكون أوّل من يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد». وقد مال إلى التوقف جماعة من العلماء العاملين، وقالوا: الاشتغال بذكر الله تعالى أولى من الاشتغال بلعنه وهو اشتغال بما لا يعني، وقد

إلى كبيرة من غير تحقيق. نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً. وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فإن ذلك ثبت متواتراً، فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق. قال ﷺ: «لا يرمي رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا أرتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك. وقال ﷺ: «ما شهد رجل على رجل بالكفر إلاّ باء به أحدهما إن كان كافراً فهو كما قال. وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه» وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم فإن ظن أنه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئاً لا كافراً. وقال

قال ﷺ «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». وقد ذكر حاصل ذلك الفاضل مصطفى بن إبراهيم التونسي الحنفي في كتابه اقتباس الأنوار وجلب الأخبار في آيات النبي المختار ﷺ، وهذا الكتاب كنت رأيته في سنة سبع وستين ومائة وألف عام قدومي إلى مصر، وكان مصنفه إذ ذاك حياً بتونس رحمه الله تعالى وسبقه إلى ذلك الإمام الحافظ شرف الدين قاسم بن قطلو بغا البكتمري الحنفي فذكر في شرحه على بدء الأماني خلاصة ما أشرت إليه ثم بعد نقله هذه الأقوال حسبما يقتضيه المقام قال: وأما نحن فبريئون من أعداء الله ورسوله وأهل بيته، وممن عادى فرداً من أفراد عوام المسلمين لكونه مسلماً أو لكونه ينسب إلى النبي ﷺ ولو بأدنى نسبة اهـ.

ولا بأس بهذا الكلام على عمومه، فنحن كلنا برآء ممن يحاد الله ورسوله أو يؤذي من ينتسب إلى ذلك المقام العلي ولو بأدنى نسبة أو من ينتسب إلى الإسلام والله الموفق. (**نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم**) وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وكان قد أدرك الجاهلية وهاجر في خلافة عمر، وقرأ على معاذ بن جبل، ثم صار من كبار الخوارج وهو أشنع هذه الأمة (**علياً رضي الله عنه**) وقصة قتله مشهورة. ثم قتله أولاد علي رضي الله عنهم في سنة اربع وأربعين، (**وقتل أبو لؤلؤة**) غلام المغيرة بن شعبة (**عمر رضي الله عنه**) وقصته كذلك مشهورة، (**فإن ذلك ثبت متواتراً**) من طرق كثيرة تفيد اليقين والسكوت، (**فلا يجوز أن يرمي مسلم بفسق أو كفر من غير تحقيق**) وبصيرة ففيه خطر. (**قال ﷺ: «لا يرمي رجل رجلاً بالكفر ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»**) قال العراقي: متفق عليه والسياق للبخاري من حديث أبي ذر مع تقديم ذكر الفسق اهـ.

(**وقال ﷺ «ما شهد رجل على رجل بالكفر إلاباء به أحدهما إن كان كافراً فهو كما قال، وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه»**) قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك النقاش في كتاب القضاة وفيه مندل بن علي وهو ضعيف.

(**وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم فإن ظن أنه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئاً لا كافراً**) ومما يناسب إيراده في هذا المقام ما أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق

فإن قيل: فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الآمر بقتله لعنه الله؟ قلنا: الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة، فإن وحشياً قاتل حمزة عمّ رسول الله ﷺ قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً، ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي إلى رتبة الكفر، فإذاً لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر وليس في السكوت خطر فهو أولى. وإنما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة وإطلاق اللسان بها. والمؤمن ليس بلعّان فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر أو على الأجناس المعروفين بأوصافهم دون الأشخاص المعينين، فالاشتغال بذكر الله أولى فإن لم يكن ففي السكوت سلامة.

إذا مات صاحبكم فدعوه لا تقعوا فيه، وكذا هو عند الطيالسي من طريق عبد الله بن عثمان عن هشام.

وأما حديث عائشة عند النسائي: «لا تذكروا موتاكم إلا بخير» فقد رواه من طريق منصور ابن صفية عن أمه عنها قالت: ذكر عند النبي ﷺ هالك بسوء فقال «لا تذكروا هلكاكم إلا بخير»

(**فإن قيل: فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الآمر بقتله لعنه الله؟ قلنا: الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة**) وقد تقدم أنه لا يجوز لعن أحد إلا إذا تحقق موته على الكفر، فإن تاب قبل موته لم يجز لعنه، (**فإن وحشياً**) بن حرب من سودان مكة (**قاتل حمزة**) سيد الشهداء (**عم رسول الله ﷺ**) يوم أحد (**قتله وهو كافر، ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً**) وأسلم وحسن إسلامه وقتل مسليمة الكذاب في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، (**ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي إلى رتبة الكفر، فإذا لم يقيد بالتوبة**) والإقلاع عن المعاصي (**وأطلق كان فيه خطر**) إذ لعن غير ملعن، (**وليس في السكوت خطر فهو أولى**) وأليق بحال المسلم، (**وإنما**) أوردنا هذا البحث (**لتهاون الناس باللعنة**) وكثرة استعمالها (**وإطلاق اللسان بها**) أي في محاوراتهم، (**والمؤمن**) أي الكامل (**ليس بلعّان**) أي ليس بذي لعن فالصيغة للنسبة كالتمار واللبان أو للمبالغة، فإنه ربما يصدر عن المؤمن في حال من أحوال الغضب أو الغفلة وهو مذموم، وهذا قد تقدم من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعاناً. (**فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر**) وتحقق منه ذلك بإمارات ظاهرة، (**أو على الأجناس المعروفين بأوصاف**) كالكافرين والظالمين وآكلي الربا وشاربي الخمر وقاتلي النفس (**دون الأشخاص المعينين**) فلان وفلان، (**فالاشتغال بذكر الله أولى**) من هذا، (**فإن لم يكن ذكر الله ففي السكوت سلامة**) ونجاة. وقال ابن عبد البر في التمهيد: الأصح هو أن نقول بأن يزيد لو أمر بقتل الحسين أو رضي بذلك، فإنه يجوز اللعن عليه، وإلاّ فلا. وكذا قاتله لا يكفر من غير استحلال اهـ.

وقال مكي بن إبراهيم: كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا: يا ابن عون إنما نذكره لما ارتكب منك. فقال: إنما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا إله إلا الله ولعن الله فلاناً، فلأن يخرج من صحيفتي لا إله إلا الله أحب إلي من أن يخرج منها لعن الله فلاناً. وقال رجل لرسول الله ﷺ: أوصني. فقال: « أوصيك أن لا تكون لعاناً ». وقال ابن عمر: إن أبغض

ولا يخفى ما فيه من التناقض حيث أطلق اللعن على مجرد الأمر بقتله ورضاه وقيد قاتله بغير استحلال، فإن من المعلوم أن القتل أشد من الأمر بالقتل مع أن قتل غير الأنبياء ليس بكفر عند أهل السنّة خلافاً للخوارج وأهل البدعة فلا شك ان السكوت أسلم.

(وقال مكي بن إبراهيم) بن بشير بن فرقد التيمي البلخي أبو السكن ثقة ثبت مات سنة خمس عشرة ومائة وله تسعون سنة. روى عنه البخاري وروى له الباقون: **(كنا عند ابن عون)** وهو أبو عون عبد الله بن عون بن ارطبان المزني مولاهم البصري رأى أنس بن مالك ولم يثبت له منه سماع. وقال ابن مهدي: لم يكن بالعراق أعلم بالسنّة منه مات بالبصرة سنة إحدى وخمسين ومائة روى له الجماعة، **(فذكروا)** عنه **(بلال بن أبي بردة)** بن أبي موسى الأشعري أبو عمرو أمير البصرة وقاضيها أخو سعيد بن أبي بردة وطالت ولايته، فمدحه الشعراء منهم: رؤبة، وذو الرمة، والفرزدق. ذكره البخاري في الأحكام، وروى له الترمذي حديثاً واحداً، **(فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه)** بالسبّ والشتم، **(وابن عون ساكت)** لا يتكلم بشيء **(فقالوا: إنما نذكره)** بالسوء **(لما ارتكبه منك)** وكان قد آذاه، **(فقال: إنما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا إله إلا الله ولعن الله فلاناً فلأن يخرج من صحيفتي لا إله إلا الله أحب إليَّ من أن يخرج منها لعن الله فلاناً)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت قال: حدثني عبد الله بن محمد، سمعت مكي بن إبراهيم قال: كنا عند ابن عون فساق القصة كما هنا سواء.

(وقال رجل لرسول الله ﷺ. أوصني فقال « أوصيك أن لا تكون لعاناً ») أي لا تكن ذا لعن وصيغة المبالغة هنا غير مرادة. قال العراقي: رواه أحمد والطبراني وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني من حديث جرموز الهجيمي، وفيه رجل لم يسم أسقط ذكره ابن أبي عاصم اهـ.

قلت: وكذلك رواه البخاري في التاريخ كلهم من طريق عبيد الله بن هوزة عن رجل من بلهجيم عن جرموز القريعي البصري. قال ابن أبي حاتم وابن السكن له صحبة ونسبه ابن قانع فقال جرموز بن أوس جرير الهجيمي: قال الحافظ ابن حجر: ورأيت في رواية قال ابن هوزة حدثني جرموز فذكره فلعله سمعه منه بواسطة ثم سمعه منه، والرجل المبهم في الرواية الأولى جزم البغوي وابن السكن أنه أبو تميمة الهجيمي.

قلت: أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت عن إبراهيم بن زياد سيان، حدثنا عبد الصمد بن عبد

معاذ : قال لي رسول الله ﷺ : « أنهاك أن تشتم مسلماً أو تعصى إماماً عادلاً والتعرض للاموات أشد » . قال : دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت : ما فعل فلان لعنه الله ؟ قلت : توفي . قالت رحمه الله . قلت : وكيف هذا ؟ قالت : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا » . وقال عليه السلام : « لا تسبوا الأموات

ابن المسيب عن الفضيل بن عمرو، أن رجلاً لعن شيئاً فخرج ابن مسعود من البيت فقال : إذا لعن شيء دارت اللعنة فإن وجدت مساغاً قيل لها : اسلكيه ، فإن لم تجد مساغاً ، قيل لها ارجعي من حيث جئت فخفت أن ترجع ، وأنا في البيت . ومن طريق يزيد بن قوذر عن كعب قال : من لعن شيئاً من غير ذنب لم تزل اللعنة تتردد بين السماء والأرض حتى تلزم ترقوة صاحبها . ومن طريق مزيد بن هلال الضبغي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال : « إن استطعت أن لا تلعن شيئاً فافعل فإن اللعنة إذاخرحت من صاحبها فكان الملعون لها أهلاً أصابته فإن لم يكن لها أهلاً وكان اللاعن لها أهلاً رجعت عليه فإن لم يكن لها أهلاً أصابت يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً فإن استطعت أن لا تلعن أبداً شيئاً فافعل » .

ومن طريق الوليد بن رباح سمعت نمران يذكر عن أم الدرداء قالت : سمعت أبا الدرداء يقول : قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يميناً وشمالاً فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لعن فإن كان لذلك أهلاً وإلا رجعت إلى قائلها » .

(وقال معاذ) بن جبل رضي الله عنه ، **(قال لي رسول الله ﷺ « انهاك أن تشتم مسلماً أو تعصي إماماً عادلاً »)** قال العراقي : رواه أبو نعيم في الحلية في أثناء حديث له طويل تقدم .

قلت : ورواه من طريق إسماعيل بن رافع عن ثعلبة بن صالح عن رجل من أهل الشام عن معاذ قال : قال رسول الله ﷺ « يا معاذ انطلق فارحل راحلتك ثم ائتني أبعثك على اليمن » فذكر الحديث ، وفيه : « وانهاك ان تشتم مسلماً أو تكذب صادقاً أو تصدق كاذباً أو تعصي إماماً عادلاً » الحديث .

(والتعرض للأموات أشد . قال مسروق) بن الاجدع بن مالك الهمداني الوداعي أبو عائشة الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم مات سنة اثنين وستين : **(دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت : ما فعل فلان لعنه الله ؟ قلت : توفي . قالت : رحمه الله . قلت : وكيف هذا ؟ قالت : قال رسول الله ﷺ « لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا »)** قال العراقي : رواه البخاري وذكر المصنف في أوّله قصة لعائشة رضي الله عنها وهو عند ابن المبارك في الزهد والرقائق مع القصة اهـ .

قلت : رواه البخاري من طريق مجاهد وعائشة ، وكذلك رواه أحمد والنسائي لكن بدون تلك

فتؤذوا به الأحياء». وقال عليه السلام: «أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني واصهاري ولا تسبوهم. أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً.

القصة. وفي تاريخ ابن النجار بلفظ «إلى ما كسبوا» وقال ابن أبي الدنيا. حدثنا أبو عبيدة بن عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني أبي، حدثنا إياس الأفطس، حدثنا عطاء بن أبي رباح قال: ذكر رجل عند عائشة فنالت منه، فقالوا: إنه قد مات فترحمت عليه وقالت: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا تذكروا أمواتاكم إلا بخير».

(**وقال ﷺ «لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء»**) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات إلا أن بعضهم أدخل بين المغيرة وبين زياد بن علاقة رجلاً لم يسم اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والطبراني، ورواه الطبراني أيضاً من حديث صخر الغامدي.

(**وقال ﷺ «أيها الناس احفظوني في أصحابي وإخواني وأصهاري ولا تسبوهم أيها الناس إذا مات الميت فاذكروا منه خيراً»**) قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث عياض الأنصاري «احفظوني في أصحابي وأصهاري» وإسناده ضعيف، وللشيخين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة «لا تسبوا أصحابي» ولأبي داود والترمذي وقال غريب من حديث ابن عمر «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئـهم» وللنسائي من حديث عائشة «لا تذكروا موتاكم إلا بخير» وإسناده جيد اهـ.

قلت: حديث عياض تمامه، فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه أوشك أن يأخذه». رواه كذلك البغوي والطبراني وأبو نعيم في المعرفة وابن عساكر.

وأما حديث أبي سعيد وأبي هريرة عند الشيخين فتمامه: «فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وكذلك رواه الطيالسي وأحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان من حديث أبي سعيد. ورواه ابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة. وعند الدارقطني في الأفراد من حديث أبي سعيد «لا تسبوا أصحابي لعن الله من سب أصحابي. فوالذي نفسي بيده» الحديث. وعند ابن النجار من حديثه «لا تسبوا أصحاب محمد فوالله لئن سلكتم طريقهم لقد سبقتم سبقاً بعيداً ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتهم ضلالاً بعيداً.

وأما حديث ابن عمر «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهـم» فرواه أبو داود في الأدب والترمذي في الجنائز من طريق معاوية بن هشام عن عمران بن أنس المكي عن عطاء عن ابن عمر رفعه بهذا، ورواه أيضاً الطبراني وقال: كالترمذي أنه غريب، ورواه الحاكم وقال: إنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وعند أبي داود من طريق وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت:

الناس إلى الله كل طعّان لعان. وقال بعضهم: لعن المؤمن يعدل قتله. وقال حماد بن زيد بعد أن روى هذا لو قلت أنه مرفوع لم أبال؟ وعن أبي قتادة قال: كان يقال: « من لعن مؤمناً فهو مثل أن يقتله » وقد نقل ذلك حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ، ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان مثلاً: لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فإن ذلك مذموم. وفي الخبر: « إن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة ».

الوارث، حدثنا عبد الله بن هوذة القريعي، عن جرموز الهجيمي قال: قلت يا رسول الله أوصني قال « أوصيك أن لا تكون لعاناً ».

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه: **(أبغض الناس إلى الله كل طعان لعان)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، حدثنا أبو هلال الرؤاسي عن قتادة قال: قال ابن عمر: أبغض عباد الله إلى الله كل طعان لعان. **(وقال بعضهم: لعن المؤمن كعدل قتله، وقال حماد بن زيد)** بن درهم الجهضمي أبو إسماعيل البصري ثقة ثبت فقيه مات سنة ست وتسعين وله إحدى وثمانون سنة بعد أن روى هذا **(لو قلت إنه مرفوع)** إلى رسول الله ﷺ **(لم أبال)**. أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت، عن عبد الله بن عمر، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن ثابت بن الضحاك، وكانت له صحبة. قال حماد: ولو قلت إنه مرفوع لم أبال أنه قال لعن المؤمن كعدل قتله، ومن دعاه بالكفر فهو كقتله ومن حلف بملة سوى الإسلام كاذباً فهو كما قال.

(وعن أبي قتادة) الحرث بن ربعي بن بلدمة السلمي بفتحتين المدني شهد أحداً وما بعدها ومات سنة أربع وخمسين **(قال: كان يقال « من لعن مؤمناً فهو مثل أن يقتله » وقد نقل ذلك مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ)**. قال العراقي: روى الشيخان من حديث ثابت بن الضحاك « لعن المؤمن كقتله » اهـ.

قلت: وقد رواه الطبراني في الكبير بزيادة « ومن قذف مؤمناً أو مؤمنة بكفر فهو كقتله » وروي أيضاً « لعن المؤمن كقتله ومن أكفر مسلماً فقد باء به أحدهما » وثابت بن الضحاك بن خليفة أنصاري ممن بايع تحت الشجرة، ورواه الخرائطي في مساويء الأخلاق من حديث عبد الله ابن عامر وابن مسعود بلفظ الشيخين من غير زيادة، وأخرجه ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن عمر، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا إسحاق بن سويد العدوي، عن أبي قتادة قال: كان يقال « من لعن فهو مثل أن يقتله ».

(ويقرب من اللعن على الإنسان بالشر) قال الله تعالى: ﴿ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً﴾ [الإسراء: ١١] **(حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان مثلاً لا صح جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم. وفي الخبر « إن المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه)** أي يماثله في الظلم **(ثم يبقى للظالم عنده فضلة)** أي زيادة **(يوم القيامة »)**

الآفة التاسعة: الغناء والشعر:

وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل فلا نعيده وأما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح إلا أن التجرد له مذموم. وقال رسول الله ﷺ: « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً حتى يراه خير له من أن يمتلىء شعراً ». وعن مسروق أنه سئل عن

أي إن زاد على مثله لقوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ [البقرة: ١٩٤] قال العراقي: هذا الحديث لم أقف له على أصل، وللترمذي من حديث عائشة بسند ضعيف « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » اهـ.

قلت: رواه كذلك ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في ذم الغضب وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس﴾ [الشورى: ٤١] أي ابتداء أو بالتجاوز عن الحد انتهاء.

الآفة التاسعة الغناء:

وهو رفع الصوت بالتطريب والإيقاع **(والشعر، وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغناء وما يحل)** مفصلاً **(فلا نعيده)** ثانياً **(وأما الشعر فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح)** رواه البخاري في الأدب المفرد والطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن عمرو، ورواه أبو يعلى من حديث عائشة بلفظ الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام، وقد تقدم القول في ذلك مفصلاً **(إلا أن التجرد له)** بحيث يهتم له ويعتني به حتى يسب إليه **(مذموم. قال رسول الله ﷺ: « لأن يمتلىء بطن)** وفي لفظ جوف **(أحدكم)** يحتمل أن المراد الجوف كله وما فيه من القلب وغيره وأن يراد القلب خاصة وهو الظاهر لقول الأطباء إذا وصل القلب شيء من قيح حصل الموت **(قيحاً)** أي مدة لا يخالطها دم **(حتى يريه)** بفتح المثناة التحتية من الورى مثل الرمي غير مهموز أي حتى يغلبه حتى يشغله عن ذكر الله حتى يفسده. قال الزمخشري: وري الداء جوفه يريه أفسده، ولفظ البخاري بإسقاط « حتى » وعليه ضبط يريه بإسكان ثالثة. قال ابن الجوزي: وكان جماعة من المبتدئين ينصبون يريه هنا جرياً على العادة في قراءة الحديث الذي فيه حتى وليس هنا ما ينصب، وتعقبه الزركشي بأن الأصيلي رواه بالنصب على بدل الفعل من الفعل **(خير)** له **(من أن يمتلىء شعراً »)** أنشأه أو أنشده لما يؤول إليه أمره من تشاغله عن عبادة ربه، والمراد بالشعر ما يتضمن تشبيباً أو هجاء أو مفاخرة كما هو الغالب في أشعار الجاهليين، وقال بعضهم: قوله شعراً ظاهره العموم في كل شعر لكنه مخصوص بما لم يشتمل على الذكر والزهد والمواعظ والرقائق مما لا إفراط فيه. وقال النووي: هذا الحديث محمول على التجرد للشعر بحيث يغلب عليه فيشغله عن القرآن والذكر. وقال القرطبي: من غلب عليه الشعر لزمه بحكم العادة الأدبية الأوصاف المذمومة وعليه يحمل الحديث، وقول بعضهم عنى به الشعر

بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال: أنا أكره أن يوجد في صحيفتي شعر. وسئل بعضهم عن شيء من الشعر فقال: اجعل مكان هذا ذكراً فإن ذكر الله خير من الشعر. وعلى الجملة فإنشاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره قال

الذي هجي به هو أو غيره رد بأن هجوه كفر كثر أو قل وهجو غيره حرام، وإن قل فلا يكون لتخصيص الذم بالكثير معنى.

قال العراقي: رواه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص، واتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة نحوه، والبخاري من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي سعيد اهـ.

قلت: وعند مسلم زيادة قبل الحديث. قال أبو سعيد: بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ إذ عرض شاعر ينشد فقال: خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان، ثم ذكره. ورواه أحمد من حديث ابن عمر، ومن حديث أبي سعيد ورواه الطيالسي والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص، ورواه الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء ورواه ابن جرير وصححه وأبو عوانه والطحاوي وتمام والضياء من حديث عمر بن الخطاب، ولفظ حديث أبي هريرة عند الشيخين لأن يمتلىء جوف رجل قيحاً حتى يريه خير له من أن يمتلىء شعراً. وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، ورواه أيضاً أحمد وأبو داود وابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص، ورواه الطبراني في الكبير من حديث سلمان، ومن حديث ابن عمر، وروى ابن عدي في الكامل من حديث جابر بلفظ: «لأن يمتلىء جوف الرجل قيحاً أو دماً خير من أن يمتلىء شعراً مما هجيت به» وروى الطبراني في الكبير من حديث عون بن مالك بلفظ: «لأن يمتلىء جوف أحدكم من عانته إلى لهاته قيحاً يتخضخض خير له من أن يمتلىء شعراً» ورواه أيضاً من حديث مالك بن عمير بلفظ: «لأن يمتلىء ما بين لبتك إلى عانتك قيحاً خير من أن يمتلىء شعراً».

(وعن مسروق) بن الأجدع الهمداني التابعي الثقة **(أنه سئل عن بيت من الشعر فكرهه)** أي كره إنشاده **(فقيل له في ذلك. فقال: أنا أكره أن يوجد في صحيفتي شعر)** إذ ليس هو من صالح الأعمال أخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس، أنبأنا عبدان، أخبرنا عبد الله أنبأنا سفيان عن الأعمش، عن أبي الضحى عن مسروق أنه سئل فذكره.

(وسئل بعضهم عن الشعر فقال: اجعل مكان هذا ذكراً فإن ذكر الله خير من الشعر) وكأنه خاف عن التجرد له فيكون شاغلاً عن الذكر. أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي مريم عن حسين الجعفي، حدثنا هلال أبو أيوب الصيرفي قال: سألت طلحة بن مصرف عن شيء من الشعر قال: اجعل مكان هذا ذكراً فإن ذكر الله خير من الشعر، **(وعلى الجملة فإنشاد الشعر)** لنفسه أو لغيره **(ونظمه)** أي انشاؤه **(ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره)** فقد روي أن النبي ﷺ كان ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد، وهو يقول:

هـــــــذا الحمال لا حمال خيبر   هـــذا أبـــر ربنـــا وأطهـــر

ﷺ: « إن من الشعر لحكمة ». نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخله الكذب، وقد أمر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت الأنصاري بهجاء الكفار والتوسع في المدح فإنه وإن كان كذباً فإنه لا يلتحق في التحريم بالكذب. كقول الشاعر:

ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله

فإن هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فإن لم يكن صاحبه سخياً كان كاذباً وإن كان سخياً فالمبالغة من صنعة الشعر فلا يقصد منه أن يعتقد صورته، وقد أنشدت أبيات بين يدي رسول الله ﷺ لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك فلم يمنع منه. قالت عائشة

أخرجه البخاري في قصة الهجرة من رواية عرو مرسلاً. قال الزهري: ولم يبلغنا في الأحاديث أنه ﷺ أنشد بيت شعر تام غير هذا البيت وقد تقدم ذلك. وفي الصحيحين من حديث أنس ارتجازهم وهو ﷺ معهم، وكذا إنشاد حسان كما عند مسلم من حديث عائشة، وإنشاد ابن رواحة كما عند البخاري، وإنشاد النابغة الجعدي كما في معجم البغوي والإستيعاب، وإنشاد بلال وهو محموم بالمدينة كما في الصحيحين من حديث عائشة، وكان الصحابة يتناشدون الأشعار وهو ﷺ يتبسم كما عند الترمذي من حديث جابر بن سمرة، وإنشاد الشريد مائة قافية من قول أمية ابن الصلت في كل ذلك يقول ﷺ: « هيه » كما عند مسلم، وكل ذلك قد تقدم في كتاب السماع فنفس الإنشاد والسماع جائزان بالإجماع كيف، وقد (**قال ﷺ: « إن من الشعر لحكمة »**) تقدم في كتاب العلم (**نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب**) بذكر القامة والخد والصدغ والخال، (**وقد يدخله الكذب**) أحياناً (**وقد أمر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت الأنصاري**) رضي الله عنه (**بهجاء الكفار**) فقد روى الشيخان من حديث البراء أنه ﷺ قال لحسان: « اهجهم وجبريل معك » وفي لفظ: « هاجهم » وروى أبو داود والترمذي والحاكم من حديث عائشة كان ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ أو ينافح، ويقول رسول الله ﷺ: « إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر » قال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح الإسناد وأخرجه البخاري تعليقاً وقد تقدم في كتاب السماع، (**والتوسع في المدح وإن كان كذباً فإنه لا يلتحق في التحريم بالكذب كقول الشاعر**) وهو المتنبي:

(**ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سائله**)

(**فإن هذا عبارة عن الوصف بنهاية السخاء فإن لم يكن صاحبه**) الذي مدح به (**سخياً كان**) القائل (**كاذباً**) في مدحه، (**وإن كان سخياً فله المبالغة في صنعة الشعر ولا يقصد منه أن يعتقد صورته**) وقد قيل: أعذب الشعر أكذبه، (**وقد أنشدت أبيات بين يدي رسول الله ﷺ لو تتبعت لوجد فيها مثل ذلك**) من المبالغات، (**فلم يمنع منه**) فمن ذلك إنشاد كعب بن زهير بين يديه قصيدته اللامية، وفيها من التشبيب والمبالغات ما لا يخفى ولم ينكر عليه

رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يخصف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نوراً. قالت: فبهت فنظر إلي فقال: « مالك بهت »؟ فقلت: يا رسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نوراً ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره. قال: « وما يقول يا عائشة أبو بكر الهذلي » قلت يقول هذين البيتين.

ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيّل
وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

قال فوضع ﷺ ما كان بيده وقلم إليّ وقبل ما بين عيني وقال: « جزاك الله خيراً يا عائشة ما سررت مني كسروري منك ». ولما قسم رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين أمر للعباس بن مرداس بأربع قلائص، فاندفع يشكو في شعر له وفي آخره:

وما كان بدر ولا حابس يسودان مرداس في مجمع

ذلك، من ذلك (**قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يخصف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت**) إليه فجعل جبينه يعرق وجعل (**عرقه يتولد نوراً فبهت فنظر إليّ رسول الله ﷺ وقال « مالك بهت » فقلت يا رسول الله نظرت إليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نوراً ولو رآك أبو كبيرالهذلي**) أحد شعراء هذيل واسمه ثابت بن عبد شمس من بني كعب بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل (**لعلم أنك أحق بشعره. قال**) ﷺ (**« وما يقول أبو كبير الهذلي » قلت يقول:**

(ومبرأ من كل غبر حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل
فإذا نظرت إلى أسرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل)

غبر الحيض: كسكر بقاياه وكانوا يزعمون أن المرأة إذا جومعت في غبر الحيض وأراد الله تعالى بتكوين الولد جاء فاسداً، وداء مغيل: من الغيلة كانوا يزعمون أن المرضع إذا جومعت فسد لبنها، فإذا شربه الرضيع كان فاسداً وأسرة الوجه خطوط ترى في الجبهة والعارض السحاب والمتهلل المترقرق ماء. (**قالت: فوضع ﷺ ما كان بيده**) أي من آلة الخصف، (**وقام إليّ وقبل ما بين عيني**) فرحاً وسروراً (**وقال: « جزاك الله خيراً يا عائشة ما سررت مني كسروري منك »**) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، (**ولما قسم رسول الله ﷺ الغنائم يوم حنين**) بعد الانصراف منه (**أمر**) بإعطائها للمؤلفة قلوبهم فأمر (**للعباس بن مرداس**) السلمي وكان مطاع قومه (**بأربع قلائص**) أي النوق فاستقلها (**فاندفع في شعره يقول**):

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
(وما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع

ومـــا كنـــت دون امـــرىء منهما ومـن تضـع اليـــوم لا يـــرفــع

فقال ﷺ : « اقطعوا عني لسانه » فذهب به أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى اختار مائة من الإبل ثم رجع وهو من أرضى الناس، فقال له ﷺ : « أتقول فيّ الشعر » فجعل يعتذر إليه ويقول: بأبي أنت وأمي إني لأجد للشعر دبيباً على لساني كدبيب النمل، ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا أجد بدّاً من قول الشعر. فتبسم ﷺ وقال: « لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين ».

الآفة العاشرة: المزاح:

وأصله مذموم منهي عنه إلا قدراً يسيراً يستثنى منه. قال ﷺ : « لا تمار أخاك ولا

ومـــا كنـــت دون امـــرىء منهما ومـــن تضـع اليـــوم لا يـــرفــع)
يريد ببدر وحابس أبا عيينة، والأقرع والنهب اسم لما يؤخذ من الغنائم والعبيد بالتصغير اسم فرس له (**فقال ﷺ : « اقطعوا عني لسانه » فذهب به أبو بكر رضي الله عنه حتى اختار مائة من الإبل ثم رجع وهو من أرضى الناس، فقال ﷺ : « اتقول فيّ الشعر » فجعل)** العباس (**يعتذر**) له (**ويقول بأبي أنت وأمي أني لأجد للشعر دبيباً على اللسان كدبيب النمل، ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا أجد بداً من قول الشعر، فتبسم ﷺ وقال: « لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين »**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث رافع بن خديج أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك، فقال عباس بن مرداس:

أتجعـــــل نهبي ونهب العبيــــــد بين عيينـــــــة والأقـــــــرع
ومـــا كـــان بـــدر ولا حـــابس يفـــوقـــان مـــرداس في المجمـــع
ومـــا كنـــت دون امـــرىء منهما ومـــن تخفـض اليـــوم لا يـــرفـــع

قال فأتم له رسول الله ﷺ مائة وزاد في رواية، وأعطى علقمة بن علاثة مائة، وأما زيادة اقطعوا عني لسانه » فليست في شيء من الكتب المشهورة، وذكرها ابن إسحاق في السيرة بغير إسناد اهـ.

قلت: وجدت بخط الحافظ ابن حجر ما نصه: ورواه إسماعيل القاضي من طريق عروة مرسلاً بالقصة، وأنه قال: « يا بلال اذهب فاقطع لسانه » الحديث أخرجه في النوادر له، والله أعلم.

الآفة العاشرة المزاح:

بكسر الميم مصدر مزح أو مازح وبالضم اسم ما يمزح به وهو المطايبة في الكلام باللسان، (**وأصله**) وكذا كثيره (**مذموم**) وكذا فاعله مذموم وهو (**منهي عنه إلا قدراً يسيراً**

تمازحه ». فإن قلت المماراة فيها إيذاء لأن فيها تكذيباً للأخ والصديق أو تجهيلاً له، وأما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيب قلب فلم ينه عنه؟ فاعلم أن المنهي عنه الإفراط فيه أو المداومة عليه. أما المداومة فلأنه اشتغال باللعب والهزل فيه واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة. وأما الإفراط فيه فإنه يورث كثرة الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتورث الضغينة في بعض الأحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الأمور فلا يذم، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: « إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً » إلا أن مثله يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقاً، وأما غيره إذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان، وقد قال رسول الله ﷺ: « إن الرجل ليتكلم بالكلمة

يستثني منه) وهو ما خلا عن الباطل. **(قال ﷺ: « لا تمار أخاك ولا تمازحه »)** رواه الترمذي وابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس وقد تقدم. قال ابن أبي الدنيا: حدثنا القاسم بن أبي شيبة، حدثنا المحاربي، عن ليث، عن عبد الملك، عن عكرمة، عن ابن عباس فساقه.

(فإن قلت: المماراةفيها إيذاء لأن فيها تكذيباً للأخ) المؤمن **(والصديق)** المرافق **(أو تجهيلاً له)** وهي لا تخلو من هذين، فوجه النهي عنها ظاهر. **(وأما المزاح فمطايبة)** في الكلام باللسان **(وفيه انبساط وطيب قلب)** أي سبب لهما **(فلم ينه عنه)** وليس فيه ما ينشأ عنه المكروه شرعاً؟ **(فاعلم أن المنهي عنه)** أحد شيئين: **(الإفراط فيه)** وفي نسخة منه بأن يتجاوز عن الحد، **(أو المداومة عليه)** فيتخذه ديدناً له وصنعة. **(أما المداومة فلأنه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح، ولكن المواظبة عليه مذمومة)** وفي نسخة: مذموم **(وأما الإفراط فيه)** أو منه **(فإنه يورث كثرة الضحك)** لأن الذي يفرط فيه إنما غرضه أن يضحك الناس، **(وكثرة الضحك تميت القلب)** كما ورد في الخبر: « إياك وكثرة الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » والمراد بإماتته غشيان الظلمة عليه الناشئة من الغفلة عن ذكر الله تعالى، **(وتورث الضغينة في بعض الأحوال)** كما قاله عمر بن عبد العزيز وسيأتي **(وتسقط المهابة)** والجلالة **(والوقار)** عن أعين الأبرار كما سيأتي من قول عمر رضي الله عنه، **(فما يخلو من هذه الأمور فلا يذم، كما روي عن النبي ﷺ أنه قال: « إني أمزح ولا أقول إلا حقاً »)** تقدم في كتاب أخلاق النبوة. وقال ابن أبي الدنيا حدثنا سعيد بن سليمان، عن أبي معشر، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله تمزح؟ قال: « نعم ولا أقول إلا حقاً » **(إلا أن مثله)** ﷺ **(يقدر على أن يمزح ولا يقول إلا حقاً)** لكمال مشاهدته لجلال الحق سبحانه، **(وأما غيره إذا فتح باب المزاح)** على نفسه **(كان غرضه أن يضحك الناس كيفما كان)** وإضحاك الناس سبب لإمالة قلوبهم ولا يخفى ما فيه، كيف **(وقد قال ﷺ: « إن الرجل ليتكلم بالكلمة)** الواحدة لأجل أن **(يضحك بها جلساءه)** ومعاشريه **(يهوي)** أي يسقط **(بها**

يضحك بها جلساءه يهوي بها في النار أبعد من الثريا». وقال عمر رضي الله عنه: من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلّ حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ولأن الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة قال ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً». وقال رجل لأخيه: يا أخي هل أتاك أنك وارد النار؟

في النار) أي نار جهنم (**أبعد من الثريا»**) وهو النجم المعروف، وفي لفظ: أبعد من صنعاء، وفي آخر سبعين خريفاً وكل ذلك قد تقدم.

(**وقال عمر**) رضي الله عنه: (**من كثر ضحكه قلت هيبته**) أي وقاره عن أعين الناس، (**ومن مزح استخف به**) أي صار مهيناً. (**ومن أكثر من شيء عرف به**) وأشير إليه به، (**ومن كثر كلامه**) ولو من غير مزاح (**كثر سقطه**) أي سقوطه في الكلام وكذبه، (**ومن كثر سقطه قل حياؤه**) فلا يبالي بما يفعله، (**ومن قل حياؤه قل ورعه**) أي خوفه من جلال هيبة الله تعالى، (**ومن قل ورعه مات قلبه**) قال ابن أبي الدنيا: حدثني أحمد بن عبيد التميمي، حدثنا عبيد الله بن محمد التيمي، حدثنا دريد بن مجاشع، عن غالب القطان، عن مالك بن دينار، عن الأعمش، عن قيس قال: قال عمر بن الخطاب: من مزح استخف به.

وحدثني الحسن بن الصباح، حدثنا محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد، عن موسى بن عقيل أن الأحنف بن قيس كان يقول: من كثر كلامه وضحكه ومزاحه قلت هيبته، ومن أكثر من شيء عرف به.

وروى الطبراني في الأوسط، والقضاعي في مسند الشهاب، والعسكري في الأمثال من حديث ابن عمر: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثر كذبه، ومن كثر كذبه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به وقد تقدم.

وروى ابن عساكر من حديث أبي هريرة: من كثر ضحكه استخف بحقه، ومن كثرت دعابته ذهبت جلالته، ومن كثر مزاحه ذهب وقاره، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت خطاياه، ومن كثرت خطاياه كانت النار أولى به. قال: وهو غريب المتن والإسناد. وقد روى الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف جداً من حديث أنس: الصمت سيد الأخلاق ومن مزح استخف به.

(**ولأن الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة**) وما فيها من الأهوال (**قال ﷺ: «لو علمتم ما أعلم لبكيتم كثيراً**) أي لغلبة الخوف واستيلاء الحزن (**ولضحكتم قليلاً»**) أي لتركتم الضحك أو لم يقع منكم إلا نادراً. قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس وعائشة بلفظ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» اهـ.

قال: نعم. قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال: لا. قال: ففيم الضحك؟ قيل: فما رؤي ضاحكاً حتى مات. وقال يوسف بن أسباط: أقام الحسن ثلاثين سنة لم يضحك، وقيل: أقام عطاء السلمي أربعين سنة لم يضحك. ونظر وهيب بن الورد إلى قوم

قلت: وكذلك رواه أحمد والدارمي والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان كلهم من حديث أنس قال خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت بمثلها قط ثم ذكره، وجاء في رواية: إن تلك كانت خطبة الكسوف ورواه أحمد والبخاري والترمذي من حديث أبي هريرة، ومعنى قوله: «لو تعلمون ما أعلم» أي من عظم انتقام الله من أهل الجرائم وأهوال يوم القيامة وأحوالها ما علمته: «لما ضحكتم أصلاً» إذا القليل بمعنى العدم على ما يقتضيه السياق، ولأن «لو» حرف امتناع لامتناع، وقيل: معناه لو تعلمون ما أعلم مما أعد في الجنة من النعيم وما حفت به من الحجب لسهل عليكم ما كلفتم به، ثم إذا تأملتم ما وراء ذلك من الأمور الخطرات وانكشاف الغطاء يوم العرض لاشتد خوفكم ولبكيتم كثيراً، فالمعنى منع البكاء لامتناع علمكم بالذي أعلم، وفيه من أنواع البديع مقابلة الضحك بالبكاء والقلة بالكثرة ومطابقة كل منها بالآخر وفيه ترجيح الخوف على الرجاء.

وروى الحاكم في الأهوال، وابن عساكر من طريق يوسف بن خباب، عن مجاهد، عن أبي ذر رفعه: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما ساغ لكم الطعام ولا الشراب» قال الحاكم: صحيح على شرطها. وتعقبه الذهبي وقال: بل هو منقطع.

وروى ابن عساكر من حديث أبي الدرداء: «لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاماً على شهوة أبداً ولا شربتم شراباً على شهوة أبداً ولا دخلتم بيتاً تستظلون به ولمررتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتبكون على أنفسكم».

وروي الطبراني والبيهقي والحاكم من حديث أبي الدرداء: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله لا تدرون تنجون أو لا تنجون».

وروى الحاكم من حديث أبي هريرة: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكم قليلاً يظهر النفاق وترتفع الأمانة الحديث وقال: صحيح، وأقره الذهبي.

(وقال رجل لأخيه) وقد رآه يضحك **(أنبئت)** أي أخبرت **(إنك وارد النار؟ قال: نعم)** وذلك في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلاّ واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾ [مريم: ٧١] **(قال: فهل أنبئت أنك صادر عنها؟ قال: لا. قال: ففيم الضحك فما رؤي ضاحكاً حتى مات)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقال يوسف بن اسباط) الشيباني رحمه الله تعالى: **(أقام الحسن البصري رحمه الله تعالى)** **(ثلاثين سنة لم يضحك)** أخرجه أبو نعيم في الحلية، **(وقيل: أقام عطاء السليمي أربعين سنة**

يضحكـون في عيد فطر فقال: إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين؟ وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين؟ وكان عبد الله بن أبي يعلى يقول: أتضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار؟ وقال ابن عباس: من أذنب ذنباً وهو يضحك دخل النار وهو يبكي. وقال محمد بن واسع: إذا رأيت في الجنة رجلاً يبكي ألست تعجب من بكائه؟ قيل: بلى. قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه. فهذه آفة الضحك، والمذموم منه أن يستغرق ضحكاً والمحمود منه

لم يضحك) وكان شديد الخوف. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد ابن الحسين، حدثني أبو عبد الله بن عبيدة قال: سمعت غفيرة تقول: لم يرفع عطاء رأسه إلى السماء ولم يضحك أربعين سنة، فرفع رأسه مرة ففزع فسقط ففتق فتقاً في بطنه.

(ونظر وهيب بن الورد) المكي قيل اسمه عبد الوهاب ووهيب لقب له **(إلى قوم يضحكون في)** يوم **(عيد فطر، فقال: إن كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين)**. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبي حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد، حدثنا محمد بن عبد المجيد التميمي، حدثنا سفيان قال: رأى وهيب قوماً يضحكون يوم الفطر فقال: إن كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان هؤلاء لم يتقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الخائفين.

وحدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثني محمد بن زيد بن خنيس قال: رأيت وهيب بن الورد صلى ذات يوم العيد فلما انصرف الناس جعلوا يمرون به فنظر إليهم شزراً ثم زفر قال: لئن كان هؤلاء القوم أصبحوا مشفقين أنه قد تقبل منهم شهرهم هذا لكان ينبغي لهم أن يكونوا مشاغيل بأداء الشكر عما هم فيه، وإن كانت الأخرى لقد كان ينبغي أن يصبحوا أشغل وأشغل.

(وكان عبد الله بن أبي يعلى) رحمه الله تعالى **(يقول: أتضحك ولعل اكفانك خرجت من عند القصار)** وأنت لا تدري. هكذا هو في سائر النسخ عن عبد الله بن أبي يعلى ولم أجد له ذكراً. وفي نسخة المقاصد للسخاوي قال عبد الله بن ثعلبة: فانظره.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه: **(من أذنب ذنباً وهو يضحك استخفافاً بما اقترفه دخل النار وهو يبكي)** جزاء وفاقاً وقضاء عدلاً. أخرجه أبو نعيم في الحلية عنه مرفوعاً، وفيه عمر بن أيوب المزني. قال الذهبي في الضعفاء: روي عن ضمرة وجماعة خرجه ابن حبان، **(وقال)** أبو عبد الله **(محمد بن واسع)** البصري رحمه الله تعالى: **(إذا رأيت في الجنة رجلاً يبكي ألست تعجب من بكائه؟ قيل: بلى. قال: فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري إلى ماذا يصير هو أعجب منه. فهذه آفة الضحك والمذموم منه أن يستغرق ضحكاً والمحمود)** منه

التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت، وكذلك كان رسول الله ﷺ. قال القاسم مولى معاوية: أقبل أعرابي إلى النبي ﷺ على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنا من النبي ﷺ ليسأله يفر به، فجعل أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون منه، ففعل ذلك مراراً ثم وقصه فقتله فقيل: يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوصه وقد هلك فقال: نعم وأفواهكم ملأى من دمه، وأما إذا أدى المزاح إلى سقوط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه: من مزح استخف به. وقال محمد بن المنكدر: قالت لي أمي يا بني لا تمازح الصبيان فتهون عندهم، وقال سعيد بن العاص لابنه: يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنيء فيجترىء عليك. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: اتقوا

(التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع له صوت، كذلك كان ضحك رسول الله ﷺ) أي التبسم، وقد ذكر في كتاب أخلاق النبوة.

(قال القاسم مولى معاوية) بن أبي سفيان وكأنه القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي مولى خالد ابن يزيد بن معاوية صاحب أبي إمامة يغرب كثيراً. قال الذهبي في الضعفاء، قال أحمد: حدث عنه علي بن مزيد أعاجيب، وما أراها إلا من قبل القاسم، وقد روى له الأربعة قال: **(أقبل اعرابي إلى النبي ﷺ على قلوص صعب فسلم فجعل كلما دنا من النبي ﷺ ليسأله نفر به)** ومنع من القرب، **(وجعل أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون به)** مما صنع به قلوصه **(ففعل ذلك مراراً)** وفي نسخة ثلاث مرات، **(ثم وقصه)** أي ألقاه على رأسه فاندقت عنقه، **(فقتله فقيل: يا رسول الله إن الأعرابي قد صرعه قلوصه وقد هلك)** أي مات **(قال: «نعم وأفواهكم ملأى من دمه»)** يشير إلى ما صنعوا من الضحك عليه. قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق وهو مرسل.

(وأما إذا أدى المزاح إلى سقوط الوقار، فقد قال عمر رضي الله عنه: من مزح استخف به) أخرجه ابن أبي الدنيا وقد تقدم. **(وقال)** أبو عبد الله **(محمد بن المنكدر)** بن عبد الله بن الهدير التيمي المدني ثقة فاضل، روى له الجماعة **(قالت لي أمي)** قال أبو القاسم اللالكائي: كان المنكدر خال عائشة فشكا إليها الحاجة فقالت له: إن لي شيئاً يأتيني ابعث به إليك، فجاءتها عشرة آلاف فبعثت بها إليه، فاشترى جارية من العشرة آلاف فولدت له محمداً وأبا بكر وعمر: **(لا تمازح الصبيان فتهون عندهم)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إسماعيل، حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر قال: قالت لي أمي: لا تمازح الصبيان فتهون عليهم. **(وقال)** أبو عثمان **(سعيد بن العاص)** بن أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي، أحد أشراف قريش وأجوادها **(لابنه)** وهو عمرو بن سعيد ويعرف بالأشدق وقد تقدم ذكره: **(يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنيء فيجترىء عليك)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي صالح المروزي، حدثنا عبد العزيز بن أبي رزمة، عن عبد الله بن المبارك قال:

الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضغينة ويجر إلى القبيح. تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال. وقال عمر رضي الله عنه: أتدرون لم سمي المزاح مزاحاً؟ قالوا: لا. قال: لأنه أزاح صاحبه عن الحق. وقيل: لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح. ويقال: المزاح مسلبة للنهي مقطعة للأصدقاء.

فإن قلت: فقد نقل المزاح عن رسول الله ﷺ وأصحابه فكيف ينهى عنه؟ فأقول: إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وهو أن تمزح ولا تقول إلاَّ حقاً ولا تؤذي قلباً ولا تفرط فيه وتقتصر عليه أحياناً على الندور فلا حرج عليك فيه،

قال سعيد بن العاص لابنه فساقه. وأخرجه الدينوري في المجالسة من طريق أبي عبيدة قال: قال سعيد فذكره.

(**وقال عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى (**اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضغينة ويجر إلى القبيح، تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فإن ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي كريب، حدثنا زكريا بن عدي، عن عبد الله بن المبارك، عن عبد العزيز أبي رواد قال: قال عمر بن عبد العزيز: اتقوا الله وإياكم والمزاح فإنه يورث الضغينة ويجر القبيحة تحدثوا بالقرآن وتجالسوا به والباقي سواء.

(**وقال عمر رضي الله عنه: أتدرون لم سمي المزاح مزاحاً؟ قالوا: لا. قال: لأنه زاح صاحبه عن الحق**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن الحسن، حدثنا أبو صالح حدثني الليث بن سعد أن عمر بن الخطاب قال: هل تدرون فساقه. (**وقيل: لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسين بن عبد الرحمن قال: قال خالد بن صفوان قال كان يقال لكل شيء بذر فساقه. (**ويقال: المزاح مسلبة النهي**) هكذا في النسخ أي العقول (**مقطعة للأصدقاء**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسين بن عبد الرحمن قال: كان يقال المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للصداقة.

(**فإن قلت: فقد نقل المزاح عن رسول الله ﷺ وأصحابه**) الكرام، (**فكيف ينهى عنه؟ فاقول:**) إنه ﷺ كان مع أصحابه وأهله وغيرهم على غاية من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق وإفشاء السلام والبداية على من لقيه، والوقوف على من استوقفه، والمشي مع من أخذ بيده حتى من الولدان والإماء والمزاح بالحق أحياناً وإجابة الداعي ولين الجانب حتى يظن كل أحد من أصحابه أنه أحبهم إليه، وهذا ميدان ليس فيه إلا واجب أو مستحب، ولو لم يكن من مباسطته لهم إلا الاستضاءة بنور هدايته والاقتداء به في ذلك وتألفهم حتى يزول ما عندهم من هيبته فيقدرون على الاجتماع به والأخذ عنه، لكان ذلك هو الغاية العظمى في الكمال وأنت (**وإن قدرت على ما قدر عليه رسول الله ﷺ وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقاً ولا تؤذ قلباً ولا**

ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ وهو كمن يدور نهاره مع الزنوج ينظر إليهم وإلى رقصهم ويتمسك بأن رسول الله ﷺ أذن لعائشة في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد، وهو خطأ إذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالإصرار، ومن المباحات ما يصير صغيرة بالإصرار، فلا ينبغي أن يغفل عن هذا، نعم روى أبو هريرة أنهم قالوا يا رسول الله: إنك تداعبنا. فقال: «إني وإن داعبتكم لا أقول إلا حقاً». وقال عطاء: إن رجلاً سأل ابن عباس أكان رسول الله ﷺ يمزح؟ فقال: نعم. قال: فما كان مزاحه؟ قال: كان

تفرط فيه وتقتصر عليه احياناً على الندور) والقلة، (**فلا حرج عليك ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة**) وصنعة (**يواظب عليه ويفرط فيه، ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ**) ويقول: أنا مقتد به (**وهو كمن يدور نهاره**) اجمع من الزنوج والحبشة (**ينظر اليهم وإلى رقصهم**) ولعبهم (**ويتمسك بأن رسول الله ﷺ أذن لعائشة**) رضي الله عنها (**في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد**) كما تقدم في كتاب السماع يقال: هو يوم عيد فطر، (**وهو خطأ إذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالإصرار**) عليه، فلا ينبغي أن يغفل عن هذا. (**نعم روى أبو هريرة**) رضي الله عنه فيما رواه الترمذي في السنن، وفي الشمائل وحسنه وقال رجاله موثقون (**أنك تداعبنا. قال: «إني وإن داعبتكم لا أقول إلا حقاً**) والمداعبة هي الملاطفة في القول بالمزاح وغيره، وكأنهم قصدوا بذلك إما السؤال عن المداعبة هل هي من خواصه فلا يتأسون به فيها فبين لهم أنها ليست من خواصه وأن جوازها منوط بقول الحق، وأما استبعادهم وقوع المزاح منه ﷺ لجليل مكانته وعظيم مرتبته، فكأنهم سألوه عن حكمته فأجابهم.

قال ابن حجر المكي في شرح الشمائل: وهذا أولى من قول الطيبي فكأنهم أنكروه فردّ عليهم من باب القول بالموجب، فإن المداعبة لا تنافي الكمال بل هي من توابعه ومتماته إذا كانت جارية على القانون الشرعي بأن يكون على وفق الصدق والحق ويقصد تألف قلوب الضعفاء وجبرهم وإدخال السرور عليهم والرفق بهم، والمنهي عنه في الحديث السابق من رواية الترمذي «لا تمار أخاك ولا تمازحه» إنما هو الإفراط فيها والدوام عليها لأنه يورث آفات كثيرة ظاهرة وباطنة من القسوة والغفلة والإيذاء وإيراث الحقد وإسقاط المهابة وغير ذلك، ومزاحه ﷺ سالم من جميع هذه الأمور يقع منه على جهة الندرة لمصلحة تامة من مؤانسة بعض أصحابه، فهو بهذا القصد سنّة، وما قيل أن الأظهر أنه مباح لا غير فضعيف إذ الأصل من أفعاله ﷺ وجوب أو ندب للتأسي به فيها إلا لدليل يمنع من ذلك، ولا دليل هنا يمنع منه فتعين الندب كما هو مقتضى كلام الفقهاء والأصوليين.

(**وقال عطاء**) بن أبي رباح: (**إن رجلاً سأل ابن عباس**) رضي الله عنه (**فقال: كان رسول الله ﷺ يمزح؟ قال: نعم. قال: فما كان مزاحه؟ قال: كان مزاحه أنه ﷺ كسا**

مزاحه أنه ﷺ كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوباً واسعاً فقال لها البسيه واحمدي وجري منه ذيلاً كذيل العروس. وقال أنس: إن النبي ﷺ كان من أفكه الناس مع نسائه. وروي أنه كان كثير التبسم، وعن الحسن قال: أتت عجوز إلى النبي ﷺ فقال لها ﷺ: «لا يدخل الجنة عجوز» فبكت، فقال: «إنك لست بعجوز يومئذ» قال الله تعالى: ﴿إنّا انشأناهن إنشاء★ فجعلناهن أبكاراً﴾ [الواقعة: ٣٦] وقال زيد بن أسلم:

ذات يوم امرأة من نسائه ثوباً واسعاً فقال «البسيه واحمدي» وجرى منه ذيلاً كذيل العروس) قال العراقي: لم أقف عليه.

قلت: والذي روي عن ابن عباس فيما أخرجه الطبراني وابن عساكر أنه سئل هل كان ﷺ يداعب؟ فقال: كان فيه دعابة قليلة.

(وروى انس) رضي الله عنه **(«أن النبي ﷺ كان من أفكه الناس»)** أي أمزحهم إذا خلا بنحو أهله رواه ابن عساكر في التاريخ وقد تقدم في كتاب النبوّة، **(وروى أنه)** ﷺ **(كان كثير التبسم)** تقدم في كتاب أخلاق النبوّة، وروى أحمد والترمذي والحاكم من حديث جابر بن سمرة كان لا يضحك إلا تبسماً وقد تقدم أيضاً.

(وعن الحسن) البصري رحمه الله تعالى **(قال: أتت عجوز)** قيل هي عمته صفية بنت عبد المطلب أم الزبير رضي الله عنها **(إلى النبي ﷺ فقال لها «لا يدخل الجنة عجوز» فبكت. فقال «إنك لست بعجوز يومئذ»)** بل شابة. قيل: كأنه ﷺ فهم أنها تطلب تدخل الجنة على هيأتها وقت موتها فردّ اعتقادها فداعبها. ويحتمل ان لا يكون مداعبة ويكون عدّها مداعبة من فهم الحاضرين، وهذا قد رده ابن حجر في شرح الشمائل فقال فيما قاله أوّلاً نظر إذ لا يحتاج في عدّه مداعبة إلى دعوى أنه ﷺ فهم ذلك، بل إلى لفظ أوهم ذلك واحتماله المذكور ليس في محله، لا سيما وفيه سوء أدب على الصحابة الحاضرين يجعله نفسه فهم أنه غير مداعبة وفهموا المداعبة وهو فهم غير صحيح، وفي ذلك من قلة الأدب ما لا يخفى بل فيه عدم حفظ القواعد الأصولية المصرحة بأن فهم الصحابي مقدم على فهم غيره، لأنه أعرف بمرويه لمشاهدته من القرائن الحالية والمقالية ما لم يشاهده، فوجب تقديم فهمه على فهم غيره. وتأمل مزحه ﷺ تجده لا يخلو من بشرى عظيمة أو فائدة عزيزة أو مصلحة تامة فهو في الحقيقة غاية الجد وليس مزاحاً إلا باعتبار الصورة فقط **(قال الله تعالى ﴿إنّا أنشأناهن انشاء﴾)** أي خلقناهن من غير توسط ولادة **(فجعلناهنّ أبكاراً)** أي كلما جاء الرجل وجدها بكراً يحتمل أن المراد ثم زيناهن حتى وصلن لحد التمتع، ويحتمل وهو الظاهر أنهن خلقن ابتداء كاملات من غير تدريج في التربية والسن، وهذا بناء على ما يصرح به سياق القرائن أن الضمير للحور، وحينئذ فوجه المطابقة بين هذا وما نحن فيه أنه يعلم أن أهل الجنة كلهم أنشأهم الله تعالى خلقاً آخر يناسب الدوام والبقاء، وذلك يستلزم كمال الخلق وتوفر القوى

إن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن زوجي يدعوك. قال: « ومن هو أهو الذي بعينه بياض »؟ قالت: والله ما بعينه بياض! فقال: « بلى إن بعينه بياضاً فقالت: لا والله. فقال ﷺ: « ما من أحد إلا وبعينه بياض » وأراد به البياض المحيط بالحدقة. وجاءت امرأة أخرى فقالت: يا رسول الله احملني على بعير، فقال: « بل نحملك على ابن البعير ». فقالت: ما أصنع به أنه لا يحملني، فقال ﷺ: « ما من بعير إلا وهو ابن بعير » فكان يمزح به. وقال أنس: كان لأبي طلحة ابن يقال له أبو عمير وكان رسول الله ﷺ يأتيهم ويقول: يا أبا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به وهو فرخ

البدنية كلها وانتفاء صفات النقص عنها، ثم قال ﴿عُرباً﴾ أي متحببات إلى أزواجهن بحسن التبعل اتراباً على سن واحد ثلاثة وثلاثين إذ هو كمال أسنان نساء الدنيا.

قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل هكذا مرسلاً، وأسنده ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف.

(**وروى زيد بن أسلم**) أبو عبد الله مولى عمر بن الخطاب ثقة عالم وكان يرسل روى له الجماعة (**أن امرأة يقال لها أم أيمن**) هي بركة الحبشية مولاة رسول الله ﷺ أعتقها وزوجها زيد بن حارثة فهي أم أسامة بن زيد (**جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن زوجي**) عنت به زيد ابن حارثة (**يدعوك. فقال: « ومن هو أهو الذي بعينه بياض »؟ قالت: ما بعينه بياض. فقال « بلى بعينه بياض » فقالت: لا والله. فقال ﷺ « ما من أحد إلا وبعينه بياض ». وأراد البياض المحيط بالحدقة**) لا البياض العارض على الحدقة كما يتبادر إليه الفهم. قال العراقي: رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح، ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله ابن سهم الفهري مع اختلاف.

(**وجاءت امرأة أخرى فقالت يا رسول الله: احملني على بعير. فقال: « بل نحملك على ابن البعير » فقالت: ما أصنع به إنه لا يحملني. فقال ﷺ « وهل بعير إلا وهو ابن بعير » فكان يمزح به**) قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وصححه من حديث أنس بلفظ « أنا حاملوك على ولد الناقة » اهـ.

قلت: وأخرجه الترمذي في الشمائل وفيه أن الذي استحمله رجل فقال له « إني حاملك على ولد الناقة » وفيه هل الإبل إلا النوق.

(**وقال أنس**) رضي الله عنه: (**كان لأبي طلحة**) زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه وهو زوج أم أنس (**ابن يقال له أبو عمير**) وهو أخو أنس لأمه، (**وكان رسول الله ﷺ يأتيهم**) تأنيساً لخاطرهم ويخالطهم (**ويقول**) مداعباً مع الصبي: (**« أبا عمير ما فعل النغير »**) أي ما شأنه وما حاله وهو مصغر النغرة (**لنغير كان يلعب به وهو ولد العصفور**) أو طائر

العصفور. وقالت عائشة رضي الله عنها: خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بدر فقال: «تعالي حتى أسابقك» فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطاً فقمنا عليه واستبقنا فسبقني وقال: «هذه مكان ذي المجاز» وذلك أنه جاء يوماً ونحن بذي المجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء فقال: «اعطينيه» فأبيت وسعيت وسعى في أثري فلم يدركني. وقالت أيضاً: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني، وقال: «هذه بتلك» وقالت أيضاً رضي الله عنها: كان عندي رسول الله ﷺ وسودة بنت زمعة فصنعت خزيرة وجئت به فقلت لسودة: كلي، فقالت: لا أحبه، فقلت: والله لتأكلين أو لألطخن به وجهك فقالت: ما أنا بذائقته فأخذت بيدي من الصحفة شيئاً فلطخت به وجهها ورسول الله ﷺ جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله ركبتيه لتستقيد مني فتناولت من الصحفة شيئاً فمسحت به وجهي وجعل رسول الله ﷺ

شبه العصفور رواه البخاري ومسلم بلفظ «كان ﷺ أحسن الناس خلقاً وكان لي أخ يقال له أبو عمير وكان له نغير يلعب به فمات فدخل عليَّ النبي ﷺ فرآه حزيناً فقال: ما شأنه؟ فقالوا: مات نغيره. فقال: يا أبا عمير ما فعل النغير». وقد تقدم ذلك في كتاب أخلاق النبوّة.

(وقالت عائشة رضي الله عنها: خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة بدر فقال: «تعالي حتى أسابقك» فشددت علي درعي) وفي نسخة فشددت درعي على بطني، **(ثم خططنا خطاً فقمنا عليه واستبقنا فسبقني وقال «هذه مكان ذي المجاز»)** وهو اسم مكان بمكة، **(وذلك إنه جاء يوماً ونحن بذي المجاز وأنا جارية قد بعثني أبي بشيء فقال: «اعطنيه» فأبيت وسعيت وسعى في أثري فلم يدركني)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً ولم تكن عائشة معه في غزوة بدر.

(وقالت) عائشة رضي الله عنها **(أيضاً: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، فلما حلمت اللحم سابقني فسبقني وقال «هذه بتلك»)** رواه النسائي وابن ماجه وقد تقدم في كتاب النكاح.

(وقالت) عائشة رضي الله عنها **(أيضاً: كان عندي رسول الله ﷺ وسودة بنت زمعة)** ابن قيس بن عبد شمس العامرية أم المؤمنين رضي الله عنها، تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة، ولما أسنت وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها، ولها حديث في مسند أحمد، وتوفيت في آخر خلافة عمر رضي الله عنه، **(فصنعت خزيراً وجئت به فقلت لسودة: كلي فقالت: لا أحبه فقلت: والله لتأكلن أو لألطخن وجهك)** به **(فقالت: ما أنا ذائقته. فأخذت بيدي من الصحفة شيئاً منه فلطخت به وجهها ورسول الله ﷺ بيني وبينها فخفض لها ركبته لتستقيد)** منها **(فتناولت من الصحفة شيئاً فمسحت به وجهي وجعل رسول الله ﷺ يضحك)**. قال العراقي: رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح وأبو يعلى بإسناد جيد.

يضحك. وروي أن الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلاً دمياً قبيحاً فلما بايعه النبي ﷺ قال: إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أنزل لك عن إحداهما فتتزوّجها وعائشة جالسة تسمع، فقالت: أهي أحسن أم أنت؟ فقال: بل أنا أحسن منها وأكرم، فضحك رسول الله ﷺ من سؤالها إياه لأنه كان دمياً. وروى علقمة عن أبي سلمة أنه كان ﷺ يدلع لسانه للحسن بن علي عليهما السلام فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال له عيينة بن بدر الفزاري: والله ليكونن لي

(**وروي أن الضحاك بن سفيان**) بن عوف العامري (**الكلابي**) كنيته أبو سعيد، ولاّه رسول الله ﷺ على قومه الذين أسلموا وكان أحد الأبطال يعد بمائة فارس، ولما سار رسول الله ﷺ إلى مكة أمره على بني سليم روى له الأربعة (**كان رجلاً دمياً**) بالدال المهملة أي قصيراً (**قبيحاً**) أي في الصورة، (**فلما بايعه النبي ﷺ قال**) أي سفيان (**إن عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء**) يعني بها عائشة رضي الله عنها، (**وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب أفلا أنزل لك عن احداهما فتتزوجها وعائشة**) رضي الله عنها (**جالسة تسمع، فقالت**) عائشة (**أهن أحسن أم أنت؟ فقال: بل أنا أحسن منهن وأكرم، فضحك رسول الله ﷺ من سؤالها إياه لأنه كان دمياً**) أي حقيراً قصيراً. قال العراقي: رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح من رواية عبد الله بن حسن بن حسن مرسلاً أو معضلاً، وللدارقطني نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف اهـ.

قلت: وروى سعيد بن منصور، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم النخعي قال: جاء عيينة بن حصن إلى النبي ﷺ وعنده عائشة فقال: من هذه وذلك قبل أن ينزل الحجاب؟ فقال «هذه عائشة» فقال: ألا أنزل لك عن أم المؤمنين؟ فغضبت عائشة وقالت: من هذا؟ فقال: هذا الأحمق المطاع يعني في قومه. هكذا رواه مرسلاً ورجاله ثقات.

وأخرجه الطبراني من وجه آخر موصولاً عن جرير أن عيينة بن حصن دخل على النبي ﷺ فقال وعنده عائشة: من هذه الجالسة إلى جنبك؟ قال: عائشة. قال: أفلا أنزل لك عن خير منها يعني امرأة؟ فقال النبي ﷺ «أخرج» فاستأذن فقال إنها يمين عليّ أن لا أستأذن على مضري فقالت عائشة: من هذا؟ فذكره.

(**وروى أبو سلمة**) بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني. قيل: اسمه عبد الله ثقة مكثر مات سنة أربع وتسعين (**عن أبي هريرة**) رضي الله عنه (**أنه ﷺ كان يدلع لسانه للحسن بن علي**) رضي الله عنهما (**فيرى الصبي لسانه فيهش له**) أي يفرح له ويقبل إليه، (**فقال له عيينة ابن بدر الفزاري**) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري من المؤلفة قلوبهم، شهد حنيناً والطائف، وكان أحمق مطاعاً دخل على النبي ﷺ بغير إذن وأساء الأدب، فصبر النبي ﷺ على

الابن قد تزوّج وبقل وجهه وما قبلته قط. فقال ﷺ: « إن من لا يَرحم لا يُرحم ». فأكثر هذه المطايبات منقولة مع النساء والصبيان وكان ذلك منه ﷺ معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل إلى هزل. وقال ﷺ مرة لصهيب وبه رمد وهو يأكل تمراً « أتـأكل التمر وأنت رمد »؟ فقال إنما أكل بالشق الآخر يا رسول الله فتبسم ﷺ قال بعض الرواة حتى نظرت إلى نواجذه. وروي أن خوّات بن جبير الأنصاري كان جالساً

جفوته واعرابيته وقذارته، وكان يتبعه عشرة آلاف قناة كان من الجرارة واسمه حذيفة ولقبه عيينة لشتر عينه. (**والله ليكونن لي الأبن رجلاً قد تزوّج، وقبل وجهه وما قبلته قط، فقال** ﷺ **« إن من لا يرحم لا يرحم »**) قال العراقي: رواه أبو يعلى من هذا الوجه بسند جيد دون ما في آخره من قول عيينة وهو عيينة بـن حصـن بن بدر نسب إلى جده، وحكى الخطيب في المبهات قولين في قائل ذلك. أحدهما إنه عيينة بن حصن، والثاني أنه الاقرع بن حابس، وعند مسلم في رواية الزهري عن سلمة عن أبي هريرة أن الاقرع بن حابس أبصر النبي ﷺ يقبل الحسن فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم فقال رسول الله ﷺ « من لا يرحم لا يُرحم » اهـ.

قلـت: وحديث « من لا يرحم لا يرحم » رواه الشيخان والطبراني من حديث جرير، ورواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة، ورواه الطبراني أيضاً من حديث ابن عمر، ورواه أبو نعيم في الحلية عن الأقرع بن حابس، وهو في الأدب المفرد للبخاري عن الأقرع بن حابس مع القصة التي ذكرها المصنف.

(**فاكثر هذه المطايبات منقولة عن النساء والصبيان، وكان يفعل ذلك** ﷺ **معالجة لضعف قلوبهم**) وتأنيس خواطرهم مع إرشادهم لما فيه مصلحة تامة (**من غير ميل إلى هزل**) أو سخرية إذ كان انبساطه مع الغير سالماً من الإيذاء وبه فارق الهزل والسخرية.

(**وقال** ﷺ **مرة لصهيب**) بن سنان بن خالد الربعي النمر كنيته أبو يحي، وإنما قيل له الرومي لأن الروم سبته وهو صغير فنشأ فيهم ثم ابتاعته كلب وأبيع بمكة، (**وبه رمد وهو يأكل تمراً أتأكل التمر وأنت رمد؟فقال: إنما آكل بالشق الآخر**) وكأنه كان رمداً بإحدى عينيه، وقد صرح الأطباء أن أكل التمر للعين الرمداء مضر، (**فتبسم** ﷺ). قال العراقي: رواه ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب ورجاله ثقات. (**قال بعض الرواة**) لهذا الحديث (**حتى نظرت إلى نواجذه**) أي أضراسه أو أنيابه أو ضواحكه أقوال، والحاصل من مجموع الأحاديث أنه ﷺ كان في أغلب أحواله لا يزيد على التبسم، وربما زاد على ذلك حتى تبدو نواجذه، والمكروه من ذلك إنما هو الاكثار منه والإفراط فيه كما تقدم.

(**وروي أن خوات بن جبير**) بن النعمان بن أمية (**الأنصاري**) الأوسي كنيته أبو عبد الله،

إلى نسوة من بني كعب بطريق فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا عبد الله مالك مع النسوة» فقال: يفتلن ضفيراً لجمل لي شرود. قال: فمضى رسول الله ﷺ لحاجته ثم عاد فقال: «يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد»؟ قال: فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أتفرر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة قال: فرآني في المسجد يوماً أصلي فجلس إليّ فطولت فقال: «لا تطول فإني أنتظرك» فلما سلمت قال: «يا أبا عبد الله ما ترك ذلك الجمل الشراد بعد»؟ قال: فسكت واستحييت فقام وكنت بعد ذلك أتفرر منه حتى لحقني يوماً وهو على حمار وقد جعل رجليه في شق واحد فقال: «يا أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟ فقلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت. قال: «الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله قال: فحسن إسلامه وهداه الله، وكان نعيمان الأنصاري رجلاً مزّاحاً فكان يشرب

وقيل أبو صالح أحد فرسان رسول الله ﷺ شهد بدراً. وقال ابن إسحاق: لم يشهدها وأسهم له، وقيل هو صاحب ذات التحيين امرأة من بني تيم الله كانت تبيع السمن وقصتها مشهورة توفي سنة أربعين وله أربع وسبعون سنة (**كان جالساً إلى نسوة من بني كعب**) وفي بعض النسخ من قريش (**بطريق مكة فطلع عليه رسول الله ﷺ فقال: «أبا عبد الله: مالك مع النسوة»؟ فقال: يفتلن ضفيراً**) أي حبلاً يضفرنه (**لجمل لي شرود**) أي نفور. (**قال: فمضى رسول الله ﷺ لحاجته ثم عاد**) أي رجع عليه (**فقال له: «أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد**) أي النفرة (**بعد» قال: فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أتفرر منه كلما رأيته حياء منه**) أن يكلمني بذلك الكلام، (**حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة قال: فرآني في المسجد يوماً أصلي فجلس إليّ فطولت**) في الصلاة (**فقال «لا تطول فإني أنتظرك» فلما سلمت**) من الصلاة (**قال «أبا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد» فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك أتفرر منه حتى لحقني يوماً وهو على حمار، وقد جعل رجليه في شق واحد فقال: «أبا عبد الله أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد» فقلت: والذي بعثك بالحق ما شرد منذ أسلمت. فقال «الله أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله» قال: فحسن إسلامه وهداه الله**) ببركة دعوة النبي ﷺ. قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير مع اختلاف ورجاله ثقات، وأدخل بعضهم بين زيد وبين خوات ربيعة بن عمرو اهـ.

قلت: وكذلك رواه الإمام البغوي في معجم الصحابة روياه من طريق جرير بن حازم عن زيد بن أسلم أن خوات بن جبير قال: نزلت مع النبي ﷺ بمرّ الظهران قال: فخرجت من خبائي فإذا بنسوة يتحدثن فاعجبني فرجعت إلى خبائي فأخذت حلتي فلبستها وجلست إليهن، وخرج رسول الله ﷺ من قبته، فلما رآني هبته فقلت: يا رسول الله جمل لي شرود فأنا أبتغي له قيداً

الخمر في المدينة فيؤتى به إلى النبي ﷺ فيضربه بنعله ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم، فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة: لعنك الله، قال له النبي ﷺ: «لا تفعل فإنه يحب الله ورسوله» وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها ثم أتي بها النبي ﷺ فيقول: يا رسول الله هذا قد اشتريته لك وأهديته لك فإذا جاء صاحبها يتقاضاه بالثمن جاء به إلى النبي ﷺ وقال، يا رسول الله أعطه ثمن متاعه، فيقول له ﷺ: «أو لم تهده لنا» فيقول: يا رسول الله إنه لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن يأكل منه فيضحك النبي ﷺ ويأمر لصاحبه بثمنه. فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب.

الحديث بطوله. وربيعة بن عمرو المذكور هو الدمشقي أبو الغاز الجرشي مختلف في صحبته قتل يوم مرج راهط سنة أربع وستين.

(**وكان نعيمان**) بن عمرو بن رفاعة النجاري (**الأنصاري**) رضي الله عنه (**رجلاً مزّاحاً**) أي كثير المزح والدعابة (**وكان يشرب**) الخمر (**فيؤتى به إلى النبي ﷺ فيضربه بنعليه ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالهم، فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة: لعنك الله. فقال النبي ﷺ «لا تفعل فإنه يحب الله ورسوله»**) رواه البخاري من حديث عمر نحوه وفيه فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله» وقد تقدم ذلك قريباً في الآفة الثامنة. (**قال: وكان**) نعيمان المذكور (**لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها ثم جاء به إلى النبي ﷺ ويقول: هذا أهديته لك، فإذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه**) وفي نسخة يتقاضاه بالثمن (**جاء به إلى رسول الله ﷺ ويقول: يا رسول الله اعطه ثمن متاعه، فيقول له ﷺ «أو لم تهده لنا» فيقول يا رسول الله إنه والله لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكل منه فيضحك رسول الله ﷺ ويأمر لصاحبه بالثمن**) قال العراقي: رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة. ومن طريق ابن عبد البر من رواية محمد بن عمرو بن حزم مرسلاً اهـ.

قلت: رواه من طريق أبي طوالة عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه، وروى أبو يعلى في مسنده أن رجلاً كان لا يدخل المدينة طرفة إلا اشترى منها فذكره، وقال أيضاً: كان يهدي إليه ﷺ العكة من السمن أو العسل، فإذا طولب بالسمن جاء بصاحبه فيقول للنبي ﷺ: اعطه متاعه فما يزيد ﷺ على أن يتبسم ويأمر به فيعطى.

(**فهذه مطايبات يباح مثلها على الندور**) والقلة (**لا على الدوام، والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب**) المورث للغفلة والقساوة والإعراض عن ذكر الله، وعن التفكر في مهمات الدين وغير ذلك مما سبق ذكر بعضه، والله الموفق.

الآفة الحادية عشر: السخرية والاستهزاء:

وهذا محرم مهما كان مؤذياً كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن﴾ [الحجرات: ١١] ومعني السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء. وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة. قالت عائشة رضي الله عنها: حاكيت إنساناً فقال لي النبي ﷺ: «والله ما أحب أني حاكيت إنساناً ولي كذا وكذا. وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ [الكهف: ٤٩] إن الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك. وهذا إشارة إلى أن الضحك على الناس من جملة الذنوب

الآفة الحادية عشر: السخرية والاستهزاء

(**وهذا محرم مهما كان مؤذياً. قال الله تعالى**) في الزجر عنه (**﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾**) تمامه ﴿**ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن**﴾ قال مجاهد: أي لا يستهزيء قوم من قوم إن يكن رجلاً فقيراً أو غنياً أو يعقل رجل عليه فلا يستهزيء به أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر. وقال مقاتل: هذه الآية نزلت في قوم من بني تميم استهزؤا من بلال وسلمان وعمار وخباب وصهيب وابن مغيرة وسالم مولى أبي حذيفة أخرجه ابن أبي حاتم. (**ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه**) على الملأ، (**وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء**) وهو بجميع أنواعه حرام لأنه إيذاء، (**وإذا كان**) ذلك (**بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة**) لأنها كما سيأتي ذكر العيب على الغيب، (**و**) لكن (**فيه معنى الغيبة. قالت عائشة**) رضي الله عنها: (**حكيت إنساناً فقال النبي ﷺ «ما أحب أني حكيت إنساناً وأن لي كذا وكذا»**) قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وصححه.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، أخبرنا سفيان بن سعيد، عن علي بن الأقمر، عن أبي حذيفة، عن عائشة قالت: فذكره.

(**وقال ابن عباس**) رضي الله عنه (**في قوله**) تعالى: (**﴿يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن، والكبيرة القهقهة بذلك**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن عمران بن أبي ليلى، حدثنا بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس فذكره، (**وهو إشارة إلى أن الضحك على الناس من**)

والكبائر . وعن عبد الله بن زمعة أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال : « علام يضحك أحدكم مما يفعل » وقال ﷺ : « إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتى أن الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فلا يأتيه » . وقال معاذ ابن جبل ، قال النبي ﷺ : « من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله » وكل

جملة (**الجرائم والذنوب**) وفي بعض النسخ من جملة الذنوب الكبائر .

(**وعن عبد الله بن زمعة**) بن الأسود بن المطلب بن أسد القرشي الأسدي ابن أخت أم سلمة أحد الأشراف كان يأذن على النبي ﷺ ، استشهد يوم الدار مع عثمان ، روى له الجماعة ، وعنه عروة وأبو بكر بن عبد الرحمن (**أنه سمع النبي ﷺ يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال : « علام يضحك أحدكم مما يفعل »**) قال العراقي : متفق عليه .

قلت : ورواه ابن أبي الدنيا عن الحسين بن الحسن ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي ﷺ فذكره .

(**وقال ﷺ « إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال**) له (**هلم هلم**) أي تعال تعال ، والقائل لذلك بعض الملائكة (**فيجيء**) ذلك المستهزيء (**بكربه وغمه**) مما أصابه من هول الموقف والحساب ، (**فإذا أتاه أغلق دونه**) ذلك الباب ومنعه من الدخول منه ، (**ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا أتاه اغلق دونه ، فما يزال كذلك حتى ان الرجل يفتح له الباب فيقال هلم هلم فلا يأتيه »**) قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث الحسن مرسلاً ورويناه في ثمانيات النجيب من رواية أبي هدبة أحد الهالكين عن أنس اهـ .

قلت : قال ابن أبي الدنيا حدثني عبد الله بن أبي بدر ، أنبأنا روح بن عبادة عن مبارك عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ فذكره .

(**وقال معاذ بن جبل**) رضي الله عنه (**« من عيَّر أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله »**) قال العراقي : رواه الترمذي دون قوله قد تاب منه ، وقال : حسن غريب وليس إسناده بمتصل قال الترمذي : قال أحمد بن منيع : قالوا من ذنب قد تاب منه اهـ .

قلت : ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت ، وفي ذم الغيبة ، وابن منيع والبغوي والطبراني وغيرهم كلهم عن معاذ به مرفوعاً . قال ابن أبي الدنيا : حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « من عيَّر أخاه بذنب » قال ابن منيع قال أصحابنا « قد تاب منه لم يمت حتى يعمله » ثم قال :

هذا يرجع إلى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغاراً له. وعليه نبه قوله تعالى: ﴿عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ أي لا تستحقره استصغاراً فلعله خير منك.

وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به فأما من جعل نفسه مسخرة وربما فرح من أن يسخر به كانت السخرية في حقه من جلة المزح وقد سبق ما يذم منه وما يمدح، وإنما المحرم استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة بأن يضحك على كلامه إذا تخبط فيه ولم ينتظم، أو على أفعاله إذا كانت مشوشة كالضحك على خطه وعلى صنعته أو على صورته، وخلقته إذا كان قصيراً أو ناقصاً لعيب من

حدثنا خالد بن خداش حدثني صالح المري سمعت الحسن يقول: كانوا يقولون «من رمى أخاه بذنب قد تاب إلى الله منه لم يمت حتى يبتليه الله به» قال البغوي: هو منقطع لأن خالد بن معدان لم يدرك معاذاً، ومحمد بن الحسن بن أبي يزيد قال أبو داود وغيره: كذاب، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات نظراً إلى ما ذكرنا وفيه نظر، فقد رواه الترمذي من هذا الطريق وغاية ما في الباب أنه ضعيف من جهة محمد بن الحسن، وقول الحسن الذي أسنده ابن أبي الدنيا فيه صالح المري وهو ضعيف أيضاً إن سلم منه فهو شاهد جيد لحديث معاذ ونحوه فليجلدها الحد ولا يثرب أي يوبخ ولا يقرع بالزنا بعد الجلد. وحديث ابن مسعود لو سخرت من كلب لخشيت أن أحوّل كلباً، ولابن أبي شيبة عن أبي موسى من قوله نحوه، وعزاه الزمخشري في الحجرات من الكشاف لعمرو ابن شرحبيل بلفظ: «لو رأيت رجلاً يرضع عنزاً فضحكت منه لخشيت أن أصنع مثل ما صنع»، وللبيهقي ما عاب رجل قط رجلاً بعيب إلا ابتلاه الله بذلك العيب، وعن إبراهيم النخعي قال: إني لأرى الشيء فاكرهه فلا يمنعني أن أتكلم فيه إلا مخافة أن ابتلى بمثله، وهذه كلها شواهد لحديث معاذ وبمجموع ذلك كيف يورد في الموضوعات، (**وكل هذا يرجع إلى استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغاراً له**) أي استحقاراً، (**وعليه نبه قوله تعالى ﴿عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ أي لم تسخر به استصغاراً**) لشأنه (**فلعله خير منك**) عند الله تعالى.

(**وهذا إنما يحرم في حق من يتأذى به**) ولو باطناً، (**فأما من جعل نفسه مسخرة**) أي محلاً للسخرية يسخر به، (**وربما فرح من أن يسخر به**) ولا يتأذى بباطنه منه (**كانت السخرية به من جملة المزح**) إذ هو مطايبة اللسان بالكلام بحيث لا يغمه ذلك ولا يتكدر به، فأما إذا آذى فقد خرج من حد المزاح ولحق بالسخرية، (**وقد سبق ما يذم منه وما يحمد، وإنما المحرم**) شرعاً (**استصغار يتأذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة يجري بأن يضحك على كلامه إذا تخبط**) أي زال عن القصد (**فيه ولم ينتظم**) في نفسه أو لم ينتظم أوله مع آخره، وفي بعض النسخ بأن يضحك منه إذا تخبط ولم ينتظم (**أو على أفعاله إذا كانت مشوّشة**) أي مضطربة غير منتظمة (**كالضحك على خطه**) إذا كان رديئاً، (**وعلى صنعته**) إذا كانت دنية (**أو على صورته**) إذا كانت قبيحة (**وخلقته**) إذا كان قصيراً أو

العيوب، فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها.

الآفة الثانية عشرة: إفشاء السر:

وهو منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء. قال النبي ﷺ: «إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة» وقال: «مطلقاً الحديث بينكم أمانة». وقال الحسن إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك. ويروى إن معاوية رضي الله عنه أسر إلى الوليد بن عتبة حديثاً فقال لأبيه: يا أبت إن أمير المؤمنين أسر إليّ حديثاً

طويلاً جداً بحيث يتجاوز عن طول أمثاله، **(أو ناقصاً بعيب من العيوب)** الظاهرة كالعمش والعرج والادرة وداء الفيل وما أشبه ذلك، **(فالضحك من جميع ذلك داخل في السخرية المنهي عنها)** في قوله تعالى ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ [الحجرات: ١١] والله الموفق.

الآفة الثانية عشر إفشاء السر:

أي إظهاره **(وهو منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء. قال رسول الله ﷺ «إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة»)** قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه من حديث جابر وقد تقدم.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا ابن أبي ذئب، أخبرني عبد الرحمن بن عطاء، عن عبد الملك بن جابر بن عتيك، عن جابر بن عبد الله، عن النبي ﷺ قال «إذا حدث» فساقه.

(وقال) ﷺ: **(«مطلق الحديث بينكم أمانة»)** رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله، أنبأنا حيوة بن شريح، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: قال رسول الله ﷺ فذكره هكذا رواه مرسلاً وهو إسناد جيد.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى **(إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك)** رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله، أنبأنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: سمعته يقول إن من الخيانة فذكره، **(ويروى أن معاوية)** بن أبي سفيان رضي الله عنه **(أسر إلى الوليد بن عتبة)** بن أبي سفيان وهو ابن أخي معاوية **(حديثاً فقال)** الوليد **(لأبيه)** عتبة بن أبي سفيان وهو أخو معاوية لأبويه، قال ابن منده: ولد في عهد النبي ﷺ، وولاه عمر الطائف. وأنكره الحافظ ابن حجر في الإصابة وقال: لم أجد بعد التتبع ما يدل على أنه ولد في العهد النبوي وهو محتمل وإنما ولاه الطائف أخوه معاوية، حج بالناس سنة إحدى وأربعين وبعدها، ثم ولاه بمصر الجند بعد عزله عبد الله بن عمرو بن العاصي فمات بالإسكندرية هذا لفظه في الإصابة ورجح تلميذه الحافظ السخاوي إن الموصوف بما ذكر في كلام ابن منده هو عنبسة بن أبي سفيان لا

وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك قال: فلا تحدثني به فإن من كتم سره كان الخيار إليه ومن أفشاه كان الخيار عليه. قال: فقلت يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه؟ فقال: لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السرى. قال: فأتيت معاوية فأخبرته فقال: يا وليد أعتقك أبوك من رق الخطأ فإفشاء السر خيانة. وهو حرام إذا كان فيه إضرار. ولؤم إن لم يكن فيه إضرار. وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب آداب الصحبة فاغنى عن الإعادة.

الآفة الثالثة عشر: الوعد الكاذب:

فإن اللسان سباق إلى الوعد ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفاً،

عتبة، وقد وجدت في كتاب الأنساب لأبي عبيد القاسم بن سلام ما يشهد لما ذكره الحافظ. قال: ومن بني حرب بن أمية معاوية وعتبة ويزيد وعنبسة ومحمد وعمرو وحنظلة بنو أبي سفيان بن حرب، وأم معاوية وعتبة هند بنت عتبة بن ربيعة وأم عنبسة ومحمد عاتكة بنت أبي أزهر الدوسي، وكان معاوية ولّى عنبسة الطائف ثم عزله وولاه عتبة: **(يا أبت إن أمير المؤمنين)** يعني عمه معاوية **(أسر إلي حديثاً وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك. قال: فلا تحدثني به فإن من كتم سره كان الخيار له ومن أفشاه كان الخيار عليه. قال: قلت يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين أبيه قال: لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر. قال)** الوليد: **(فأتيت معاوية فحدثته)** بما جرى **(فقال: يا وليد أعتقك أخي من رق الخطأ)** أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: وحدثني أبي عن بعض أشياخه قال: أسر معاوية إلى الوليد بن عتبة فذكر القصة، ثم قال: وحدثني أبي عن رجل من همدان قال: سمعت اعرابياً يقول لابن عم له: إن سرك من دمك فلا تضعه إلا عند من تثق به. قال: وحدثنا يوسف بن موسى، حدثنا جرير بن حزة الزيات قال: قال علي رضي الله عنه:

لا تفش سرك إلا إليـــك ... فـــإن لكـــل نصيـــح نصيحـــا
فـــإني رأيـــت غـــواة الرجـــال ... لا يتركـــون أديماً صحيحـــا

(فإفشاء السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه اضرار ولؤم) طبع **(إذا لم يكن فيه إضرار، وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب الصحبة)** وفصلناه **(فلا نعيده)** ثانياً، والله الموفق.

الآفة الثالثة عشر الوعد الكاذب:

(فإن اللسان سبّاق إلى الوعد) أي كثير السبق إليه **(ثم النفس ربما لا تسمح بالوفاء فيصير الوعد خلفاً، وذلك من أمارات النفاق)** وعلامته الدالة عليه، **(وقد قال الله تعالى)**

وذلك من أمارات النفاق. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ [المائدة: ١] وقال ﷺ: « العدة عطية ». وقال ﷺ: « الوأي مثل الدين أو أفضل ». والوأي الوعد وقد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل عليه السلام في كتابه العزيز فقال: ﴿إنه كان صادق الوعد﴾ [مريم: ٥٤] قيل: إنه واعد إنساناً في موضع فلم يرجع إليه ذلك

في كتابه العزيز: (﴿**يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**﴾) قال البيضاوي: الوفاء هو القيام بمقتضى العهد، وكذلك الإيفاء والعقد العهد الموثق، وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال، ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله تعالى على عباده وألزمها إياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن إن حملنا الأمر على المشترك بين الوجوب والندب، (**وقال ﷺ: « العدة عطية »**) أي بمنزلتها فلا ينبغي الخلف فيها كما لا ينبغي الرجوع فيها. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث قباث بن أشيم بسند ضعيف، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود، ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت، والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث الحسن مرسلاً وقد تقدم اهـ.

قلت: في سند الطبراني أصبغ بن عبد العزيز الليثي. قال أبو حاتم: مجهول، ورواه الديلمي أيضاً عن ابن مسعود وأصله: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فسأله شيئاً فقال: « ما عندي ما أعطيكه » فقال: تعدني فقال: « العدة عطية » وسياق أبي نعيم في الحلية قال ابن مسعود: إذا وعد أحدكم أخاه فلينجز له فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره، ثم قال: غريب تفرد به إبراهيم الفزاري.

وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن عدي، عن يونس، عن الحسن أن النبي ﷺ قال: « العدة عطية » وقال الخرائطي في مكارم الأخلاق: حدثنا عبد الله ابن الحسين الهاشمي، حدثنا أحمد بن إسحاق الحضرمي، حدثنا وهيب بن خالد، أخبرنا يونس عن الحسن أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئاً فلم تجده عنده فقالت: عدني فقال رسول الله ﷺ: « إن العدة عطية ».

(**وقال**) ﷺ: (**« الوأي مثل الدين أو أفضل » والوأي الوعد**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية ابن لهيعة مرسلاً وقال: الوأي يعني الوعد، ورواه الديلمي من مسند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا إبراهيم أبو إسحاق الطالقاني، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن ابن لهيعة قال رسول الله ﷺ: « الوأي » يعني الوعد مثل الدين أو أفضل.
وقال الفضل بن عباس اللهبي:

إنا أناس من سجيتنا صدق الحديث ووأينا حتم

في أبيات أخر ذكرها ابن أبي الدنيا. (**وقد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل عليه السلام فقال: ﴿إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً﴾ [مريم: ٥٤] فيقال: أنه واعد إنساناً**

الإنسان بل نسي فبقي إسماعيل اثنين وعشرين يوماً في انتظاره. ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة قال: إنه كان خطب إلى ابنتي رجل من قريش وقد كان مني إليه شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق أشهدكم أني قد زوجته ابنتي. وعن عبد الله بن أبي الخنساء قال: بايعت النبي ﷺ قبل أن يبعث وبقيت له بقية فواعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك، فنسيت يومي والغد فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال: يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث انتظرك. وقيل لإبراهيم: الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال:

في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوماً في انتظاره) أخرجه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن إبراهيم، حدثنا حسلم بن إبراهيم، حدثنا كعب بن فروخ الرقاشي، حدثنا يزيد الرقاشي أن إسماعيل نبي الله وعد رجلاً ميعاداً فجلس له إسماعيل اثنين وعشرين يوماً مكانه لا يبرح لميعاده ولها الآخر عن ذلك حتى جاء بعد ذلك.

(ولما حضرت عبد الله بن عمرو) بن العاص رضي الله عنهما **(الوفاة قال: إنه كان خطب إلى ابنتي رجل من قريش وقد كان مني إليه شبه الوعد فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق)** يشير إلى الحديث الذي رواه هو ويأتي قريباً وفيه: وإذا وعد أخلف فخلف الوعد ثلث النفاق **(اشهدوا أني قد زوجته ابنتي)** أخرجه ابن أبي الدنيا، عن أحمد بن إبراهيم، حدثني محمد ابن كثير عن الاوزاعي، عن هارون بن رباب قال: لما حضرت عبد الله بن عمرو الوفاة فذكره، وفيه: اشهدوا أني قد زوجتها إياه.

(وعن عبد الله بن أبي الحمساء) بالمهملتين المفتوحتين بينهما ميم ساكنة العامري، وقيل: هو عبد الله بن أبي الجدعاء قال المزني: والراجح أنه غيره **(قال: بايعت رسول الله ﷺ ببيع قبل أن يبعث فبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد، فأتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال: يا فتى قد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث انتظرك)** قال العراقي: رواه أبو داود واختلف في إسناده، وقال ابن مهدي: ما أظن إبراهيم بن طهمان إلا أخطأ اهـ.

قلت: قال الحافظ في الإصابة في ترجمته له حديث عند أبي داود والبزار من طريق عبد الكريم ابن عبدالله بن شقيق عن أبيه عنه قال: بايعت النبي ﷺ الحديث اهـ.

وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن سنان العوفي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الكريم، عن عبد الله بن شقيق، عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء قال: بايعت النبي ﷺ فذكره.

وقال الخرائطي في مكارم الأخلاق، حدثنا نصر بن داود الخلنجي، حدثنا محمد بن سنان أبو بكر العوفي ح.

ينتظره إلى أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء. وكان رسول الله ﷺ إذا وعد وعداً قال: «عسى» وكان ابن مسعود لا يعد وعداً إلا ويقول: إن شاء الله وهو الأولى.

ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفاء إلا أن يتعذر فإن كان عند الوعد عازماً على أن لا يفي فهذا هو النفاق. وقال أبو هريرة، قال النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد

وحدثنا عباس بن أحمد الدوري، حدثنا معاذ بن هانيء القناد، قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الكريم، عن عبد الله بن شقيق، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي الحمساء رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله ﷺ فذكره.

قلت: وقد وقع هكذا في نسخة الصمت ونسخة مكارم الأخلاق عبد الكريم عن عبد الله بن شقيق عن أبيه. والصواب عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق كما في نسخ سنن أبي داود وعبد الكريم هذا روى عن أبيه مجهول، وأبوه عبد الله بن شقيق العقيلي بالضم البصري ثقة فقيه مات سنة ثمان ومائة.

(وقيل لإبراهيم) النخعي: **(الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال: ينتظره ما بينه وبين أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء)** أخرجه ابن أبي الدنيا، عن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن الصلاح البزار، حدثنا إسماعيل بن زكريا، عن الحسن بن عبيد الله قال: قلت لإبراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد ولا يجيء قال لينتظره والباقي سواء.

(وكان رسول الله ﷺ إذا وعد وعداً قال «عسى») قال العراقي: لم أجد له أصلاً **(وكان)** ابن مسعود رضي الله عنه **(لا يعد وعداً إلا ويقول: إن شاء الله)**. وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو معاوية، حدثنا حجاج عن أبي إسحاق قال: كان أصحاب عبد الله يقولون إذا وعد فقال: إن شاء الله فلم يخلف. وروى الطبراني في الكبير عن ابن مسعود موقوفاً: من حلف على يمين فقال: إن شاء الله فقد استثنى **(وهو الأولى)** أي قول إن شاء الله عند الوعد ووجه الأولوية خروجه عن صورة الكذب.

(ثم إذا فهم مع ذلك الجزم في الوعد) بالهبة وغيرها، **(فلا بد من الوفاء)** استحباباً مؤكداً وقيل وجوباً وهو قول الحسن، واختاره بعض المالكية **(إلا أن يعتذر)** أي يتعسر الوفاء بسبب من الأسباب وإن لم يتعذر كره الأخلاف كراهة تنزيه لا تحريم على قول من قال باستحباب الوفاء، **(فإن كان عند الوعد عازماً على أن لا يفي به، فهذا هو النفاق)** صرح به النووي في شرح مسلم لأنه خالف في الظاهر ما في باطنه.

(قال أبو هريرة) رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه)** أي ثلاث خصال من وجدت فيه **(فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»)** قال العراقي: متفق عليه وقد تقدم اهـ.

أخلف وإذا ائتمن خان ». وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : « أربع من كن فيه كان منافقاً ومن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث

قلت: ولكن ليس بلفظ المصنف، وبهذا اللفظ أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق فقال: حدثنا محمد بن جابر، حدثنا يوسف بن كامل، حدثنا حماد بن أبي سلمة، عن داود بن أبي هند، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وقال إني مسلم إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا وعد أخلف ».

وأما لفظ البخاري ومسلم فقال في الإيمان: حدثنا أبو الربيع، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا نافع، عن مالك بن أبي عامر، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: « آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أئتمن خان ».

وأخرجه كذلك في الوصايا عن أبي الربيع، وفي الشهادات عن قتيبة، وفي الأدب عن أبي سلام، وأخرجه مسلم في الإيمان عن قتيبة، ويحيى بن أيوب كلهم عن إسماعيل بن جعفر. وأخرجه أيضاً الترمذي والنسائي فهذا ما يتعلق بحديث أبي هريرة.

وأخرج رستة في الإيمان، وأبو الشيخ في التوبيخ من حديث أنس: « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وحج واعتمر » وقال: « إني مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ».

وقال الخرائطي: حدثنا حماد بن الحسن بن عنبسة الوراق، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا شعبة، عن منصور قال: سمعت أبا وائل يحدث عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: « ثلاث من كن فيه فهو منافق ومن كانت فيه خصلة منها ففيه خصلة من النفاق إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ».

وأخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي حفص الصيرفي عن أبي داود وهو الطيالسي بلفظ: « آية المنافق ثلاث ».

وقال الخرائطي: حدثنا معدان بن يزيد البزار، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا محمد بن عبد الرحمن، عن محمد بن كعب القرظي أن رسول الله ﷺ قال: « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ». ثم قال تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ [المنافقون: ١] الآية. وقال: ﴿ومنهم من عاهد الله﴾ الآية وقال: ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية.

(وقال عبد الله بن عمرو) بن العاص رضي الله عنهما **(قال رسول الله ﷺ : « أربع من كن فيه كان منافقاً ومن كان فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها)** أي

كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر». وهذا ينزل على من وعد

يتركها (**إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر**») قال العراقي: متفق عليه.

قلت: هذا لفظه عند الخرائطي في مكارم الأخلاق قال: حدثنا عبد الله بن الحسن الهاشمي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا شعبة، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه فهو منافق ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها من إذا حدث» فساقه.

وقال البخاري في الإيمان: حدثنا قبيصة بن عقبة، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن عبد الله ابن مرة، عن مسروق عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر» ثم قال: تابعه شعبة عن الأعمش وقد أوصلها هو في كتاب المظالم، وكذلك أوصلها مسلم. وقد أخرجه أيضاً أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي، وأخرجه ابن أبي الدنيا عن زهير بن حرب، حدثنا وكيع، عن سفيان عن الأعمش بلفظ البخاري. قال النووي: لا منافاة بين الحديثين من ثلاث خصال أو أربع، لأن الشيء الواحد قد تكون له علامات كل واحدة تحصل صفة، قد تكون تلك العلامة شيئاً واحداً، وقد تكون أشياء.

وروى أبو أمامة مرفوعاً: «وإذا غنم غل وإذا أمر عصى وإذا لقي جبن». وقال الطيبي: لا منافاة لأن الشيء الواحد قد تكون له علامات فتارة يذكر بعضها وأخرى جميعها أو أكثر. وقال القرطبي: يحتمل أن النبي ﷺ استجد له من العلم بخصالهم ما لم يكن عنده. قال العيني: الأولى أن يقال إن التخصيص بالعدد لا يدل على الزائد والناقص. وقال الحافظ في الفتح لا تعارض بين الحديثين لأنه لا يلزم من عدد الخصلة المذمومة الدالة على كمال النفاق كونها علامة على النفاق لاحتمال أن تكون العلامات دالات على أصل النفاق، والخصلة الزائدة إذا أضيفت إلى ذلك كمل خلوص النفاق على أن في رواية مسلم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ما يدل على إرادة الحصر، فإن لفظه من علامة المنافق ثلاث وكذا أخرج الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد، وإذا حمل اللفظ الأول على هذا لم يرد السؤال فيكون قد أخبر ببعض العلامات في وقت وبعضها في وقت آخر اهـ.

ووجه الحصر على الأربع أن إظهار خلاف الباطن إما في الماليات فهذا إذا ائتمن، وإما في غيرها فهو إما في حالة الكدورة، فهو إذا خاصم، وإما في حالة الصفاء فهو إما مؤكدة باليمين فهو إذا عاهد وإلا فهو بالنظر إلى المستقبل فهو إذا وعد، وإما بالنظر إلى الحال فهو إذا حدث، قال العيني: ومرجع الأربع إلى ثلاث لأن قوله إذا عاهد غدر داخل في قوله إذا ائتمن خان، وإذا خاصم فجر داخل في قوله إذا حدث كذب اهـ.

وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء فعن له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقاً وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق، ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضاً كما يحترز من حقيقته، ولا ينبغي أن يجعل نفسه محذوراً من غير ضرورة حاجزة فقد روي أن رسول الله ﷺ كان وعد أبا الهيثم أبن التيهان خادماً فأتى بثلاثة من السبي فأعطى اثنين وبقي واحد، فأتت فاطمة رضي الله عنها تطلب منه خادماً وتقول: ألا ترى أثر الرحى بيدي؟ فذكر موعده لأبي الهيثم فجعل يقول: «كيف بموعدي لأبي الهيثم» فآثره به على فاطمة لما كان قد سبق من موعده له مع أنها كانت تدير الرحى بيدها الضعيفة. ولقد كان ﷺ جالساً يقسم غنائم هوازن بحنين

ووجه الحصر على الثلاث هو التنبيه على فساد القول والفعل والنية، فبقوله إذا حدث نبه على فساد القول، وبقوله إذا ائتمن نبه على فساد الفعل، وبقوله إذا وعد نبه على فساد النية وإليه أشار المصنف بقوله:

(**وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر فأما من عزم على الوفاء**) مقارناً بوعده، (**وعنّ له**) أي عرض له (**عذر منعه من الوفاء**) أو بدا له رأي (**لم يكن منافقاً**) أي لم يوجد فيه صفة النفاق، (**وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق**) ويشهد لذلك ما رواه الطبراني بإسناد لا بأس به في حديث طويل من حديث سلمان رضي الله عنه إذا وعد وهو يحدث نفسه أن يخلف وكذا قال في باقي الخصال، وسيأتي للكلام تتمة في آخر هذا السياق من هذه الآفة. (**ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضاً كما يحترز من حقيقته**) التي هي إظهار ما يبطن خلافه، (**ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذوراً من غير ضرورة حاقة**) وفي بعض النسخ حافزة. (**فقد روي أنه ﷺ كان وعد أبا الهيثم**) مالك (**بن التيهان**) بن مالك بن عبيد الأنصاري من سابقي الأنصار توفي سنة عشرين والتيهان بفتح المثناة من فوق وتشديد المثناة التحتية المكسورة (**خادماً فأتى**) ﷺ (**بثلاثة من السبي**) فأعطى اثنين لجماعة (**وبقي واحد، فجاءت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تطلبه منه وهي تقول: ألا ترى أثر الرحا يا رسول الله في يدي فذكر**) ﷺ (**موعده لأبي الهيثم فجعل يقول: «كيف بموعدتي لأبي الهيثم» فآثره به**) أي بالواحد من السبي (**على فاطمة**) رضي الله عنها (**لما سبق من موعده له مع أنها تدير الرحا بيدها الضعيفة**) قال العراقي: تقدم ذكر قصة أبي الهيثم في آداب الأكل، وهي عند الترمذي من حديث أبي هريرة وليس فيها ذكر لفاطمة رضي الله عنها اهـ.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا العباس بن الوليد، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا الجريري، عن أبي الورد، عن ابن

فوقف عليه رجل من الناس فقال: إن لي عندك موعداً يا رسول الله. قال: « صدقت فاحتكم ما شئت » فقال: احتكم ثمانين ضائنة وراعيها، قال: « هي لك ». وقال احتكمت يسيراً ولصاحبة موسى عليه السلام التي دلته على عظام يوسف كانت أحزم منك وأجزل حكماً منك حين حكمها موسى عليه السلام، فقالت: حكمي أن تردني شابة وادخل معك الجنة ». قيل: فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلاً

أعبد قال: قال لي علي يا ابن أعبد ألا أخبرك عني وعن فاطمة بنت محمد كانت أكرم أهله عليه، وكانت زوجتي فجرت بالرحا حتى أثر الرحا بيدها، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دنست ثيابها فأصابها من ذلك، فقدم على رسول الله ﷺ سبي أو خدم فقلت لها: انطلقي إلى رسول الله ﷺ فسليه خادماً يقيك حرّ ما أنت فيه، فأتت أباها حين أمست فقال لها: مالك يا بنية؟ قالت: لا شيء. جئت لأسلم عليك واستحيت أن تسأل شيئاً، فلما رجعت قلت لها ما فعلت فساق الحديث وفيه: فقال ﷺ: « هل أدلكما على خير لكما من حمر النعم تكبيرات وتسبيحات وتحميدات مائة حين تريدان أن تناما » الحديث. وليس فيه أيضاً ذكر لأبي التيهان وابن أعبد قال الذهبي في الضعفاء، قال ابن المديني: ليس بمعروف.

(**ولقد كان رسول الله ﷺ جالساً يقسم غنائم هوازن بحنين**) اسم موضع بين مكة والطائف، وكان قد خرج لقتال هوازن وثقيف فصار إلى حنين، فلما التقى الجمعان انكشف المسلمون ثم أمدهم الله بنصره وعطفوا وقاتلوا المشركين فهزموهم وغنم أموالهم وعيالهم، ثم سار إلى أوطاس فانهزم المشركون إلى الطائف وغنم المسلمون منها أيضاً أموالهم وعيالهم، ثم سار إلى الطائف فقاتلوهم، فلما أهل ذو القعدة ترك القتال لأنه شهر حرام ورحل راجعاً فنزل الجعرانة وقسم غنائم أوطاس وحنين ويقال كانت ستة آلاف سبي، (**فوقف عليه رجل من الناس فقال: إن لي عندك موعداً يا رسول الله. فقال: « صدقت فاحتكم ما شئت »**) أي لك الحكم في طلب ما تريد (**فقال: احتكم ثمانين ضائنة**) الضأن من الغنم فالذكر ضائن والأنثى ضائنة. قال ابن الأنباري: الضأن مؤنثة والجمع أضؤن كافلس وجمع الكثرة ضئين ككريم (**وراعيها**) أي الخادم الذي يرعاها، (**فقال رسول الله ﷺ: « هي لك » ولقد احتكمت يسيراً. ولصاحبة موسى**) عليه السلام وهي العجوز من عجز مصر (**التي دلته على عظام يوسف**) عليه السلام أي جسده الشريف وكان في صندوق من رخام في قعر النيل تتلاطم عليه الأمواج (**كانت أحزم منك**) أي أكثر حزماً، (**وأجزل حكماً حين حكمها موسى**) عليه السلام فإنه لما سأل عن يوسف عليه السلام لم يجد عند أحد علما لتقادم العصر ومرور الأزمنة، وأجمع رأيهم على عجوز كانت من بقايا القبط، وقد أتت عليها سنون فطلبها سيدنا موسى عليه السلام وسألها فقالت: عندي علم من ذلك، فقال أخبرينا ولك ما تريدين، (**فقالت: حكمي أن تردني شابة**) كأحسن ما كنت عليه من الشباب، (**وأدخل معك الجنة**) فاخبرته عن محله فدعا الله تعالى بأن يردها شابة فارتدت في الحال شابة

فقيل: أشح من صاحب الثمانين والراعي، وقد قال رسول الله ﷺ: «ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل وفي نيته أن يفي» وفي لفظ آخر: «إذا وعد الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلا إثم عليه».

ورجع إليها حسنها وجمالها، ودعا الله تعالى أن يجعلها معه في الجنة فاستجيب له ودلته على محله في قعر النيل، فأتى إليه وأشار بعصاه فانفرق البحر وظهر الصندوق، فحمله موسى عليه السلام إلى بيت المقدس فدفنه عند آبائه الكرام عليهم السلام. (**قيل فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلاً يقولونه**) هو (**أشح من صاحب الثمانين والراعي**) يعنون به ذلك الرجل الدنيء الهمة. قال العراقي: رواه ابن حبان والحاكم في المستدرك من حديث أبي موسى مع اختلاف. قال الحاكم: صحيح الإسناد. قلت: فيه نظر.

(**وقد قال النبي ﷺ: «ليس الخلف أن يعد الرجل الرجل ومن نيته أن يفي**) بما وعد به وتمامه، ولكن الخلف ان يعد الرجل ومن نيته ان لا يفي». أخرجه أبو يعلى في مسنده، وابن لال في مكارم الاخلاق، والديلمي من حديث زيد بن أرقم وهو حديث حسن. (**وفي رواية**) في هذا الحديث(**«إذا وعد الرجل**)يعني الإنسان فذكر الرجل طردي (**أخاه**) أي في الإسلام وإن لم يكن من النسب بأن يفعل له شيئاً يسوغ له شرعاً (**وفي نيته**) وفي لفظ ومن نيته (**أن يفي**) له وفيه دليل على أن النية الصالحة يثاب عليها الإنسان وأن تخلف عنها المنوي (**فلم يجد**) ما يفي به (**فلا إثم عليه»**) قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وضعفه من حديث زيد بن أرقم إلا أنهما قالا: فلم يف اهـ.

قلت: لفظ أبي داود في الأدب: «إذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن يفي له فلم يف ولم يجيء للميعاد فلا إثم عليه» ومثله للترمذي في الإيمان إلا أنه قال فلا جناح عليه، وقال: غريب وليس سنده بالقوي قال الذهبي في المهذب: وفيه أبو النعمان يجهل كشيخه أبي الوقاص. وقال الصدر المناوي في تخريج المصابيح: اشتمل سنده على مجهولين.

فإن قلت: الخصال التي ذكرت في الأحاديث السابقة الدالة على النفاق قد توجد أحياناً في المسلم المصدق بقلبه ولسانه مع أن الإجماع حاصل على أنه لا يحكم بكفره ولا بنفاق يجعله في الدرك الأسفل من النار؟ أجيب بأوجه فقيل: معناه إن هذه خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافق في هذه ومتخلق بأخلاقهم لا أنه منافق في الإسلام مبطن الكفر. وقيل: هذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه، فأما من ندر ذلك منه فليس داخلا فيه. وقيل: هذا القول تحذير من اعتياد هذه الخصال خوفاً أن يفضي به إلى النفاق دون من وقعت منه نادرة من غير اختيار أو اعتياد. وقيل: بل الوارد في تلك الأحاديث في حق رجل بعينه منافق إذ لم يكن من عادته ﷺ يواجه أحداً بما يكره، وإنما كان يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا. فهذا مثله أشار بالآية إليه حتى يعرف ذلك الشخص بها. وقيل: المراد به المنافقون الذين كانوا في زمانه ﷺ حدثوا بأنهم آمنوا فكذبوا، وائتمنوا على دينهم فخانوا، ووعدوه في نصرة الدين فأخلفوا وهو قول عطاء بن أبي رباح، وإليه رجع الحسن

الآفة الرابعة عشرة: الكذب في القول واليمين:

وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب. قال إسماعيل بن واسط: سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام أول ثم بكى، وقال: «إياكم والكذب فإنه مع الفجـور وهما في النار».

البصري وهو مذهب ابن عمـر وابن عباس وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم. وقيل: المراد بالنفاق هنانفاق العمل لانفاق الكفر، ومنه قول عمر لحذيفة رضي الله عنهما: هل تعلم في شيئاً من النفاق؟ وقال بعضهم: الألف واللام في المنافق لا يخلو إما أن تكون للجنس أو للعهد، فإن كانت للجنس يكون على سبيل التشبيه والتمثيل لا على الحقيقة، وإن كانت للعهد فيكون من منافق خاص بعينه أو المنافقين الذي كانوا في زمنه ﷺ.

الآفة الرابعة عشر: (الكذب في القول و) في (اليمين).

وهو الإخبار عن الشيء بخلافه سواء فيه العمد والخطا إذ لا واسطة بين الصدق والكذب على مذهب أهل السنة والإثم يتبع العمد وقد كذب يكذب كذباً ككتف، ويجوز التخفيف بكسر الكاف وسكون الذال، **(وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب)** أي من الذنوب القبيحة والعيوب الفاحشة. **(قال إسماعيل بن أوسط)** هكذا في سائر النسخ، والصواب أوسط بن إسماعيل كما نبه عليه العراقي، وهو أوسط بن إسماعيل بن أوسط البجلي شامي ثقة مخضرم، مات سنة تسع وسبعين، روى له البخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن ماجه: **(سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله ﷺ فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام أول ثم بكى وقال: «إياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار»)** قال العراقي: رواه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة، وجعله المصنف من رواية إسماعيل بن أوسط عن أبي بكر وإنما هو أوسط بن إسماعيل بن أوسط وإسناده حسن اهـ.

قلت: وأخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، أنبأنا شعبة، عن يزيد بن ضمير، سمعت سليم بن عامر يحدث عن أوسط بن إسماعيل بـن أوسط سمع أبا بكر الصديق رضي الله عنه يخطب بعد ما قبض رسول الله ﷺ بسنة فقال: قام رسول الله ﷺ عام أول مقامي هذا ثم بكى أبو بكر قال: «عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار».

ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق عن علي بن حرب، حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، حدثنا شعبة. ورواه أيضاً عن الدوري، حدثنا زيد بن الحباب عن معاوية بن أبي صالح، حدثني سليم بن عامر. ورواه كذلك أحمد وابن حبان والحاكم ولفظهم كالنسائي، وابن ماجه من طريق أوسط خطبنا أبو بكر الصديق فقال: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام الأول فقال: «سلوا

وقال أبو أمامة قال رسول الله ﷺ: «إن الكذب باب من أبواب النفاق». وقال الحسن: كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية، والقول والعمل، والمدخل والمخرج، وإن الأصل الذي بني عليه النفاق الكذب. وقال عليه السلام: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب». وقال ابن مسعود، قال

الله المعافاة أو قال العافية فلم يؤت أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية والمعافاة عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله».

ورواه ابن جرير في تهذيب الآثار، وابن مردويه بلفظ: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «سلوا الله العافية فإنه لم يعط أحد أفضل من معافاة بعد يقين وإياكم والريبة فإنه لم يؤت أحد أشد من ريبة بعد كفر وعليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار».

وروى سفيان بن عيينة في الجامع وابن المبارك وهناد وابن أبي الدنيا في الصمت وحسين بن أصرم في الاستقامة وابن مردويه والبيهقي وسنده أصح الأسانيد من طريق قيس بن أبي حازم قال: سمعت أبا بكر يقول «إياكم والكذب فإن الكذب مجانب للإيمان».

(وقال أبو أمامة) صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه **(قال النبي ﷺ «إن الكذب باب من أبواب النفاق»)** قال العراقي: رواه ابن عدي في الكامل بسند ضعيف فيه عمر بن موسى الوجيهي ضعيف جداً ويغني عنه قوله ﷺ «ثلاث من كن فيه فهو منافق» وحديث «أربع من كنّ فيه فهو منافق» قال في كل منهما «وإذا حدث كذب» وهما في الصحيحين وقد تقدما في الآفة التي قبلها.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى **(كان يقال: إن من النفاق اختلاف السر والعلانية و)** اختلاف **(القول والعمل و)** اختلاف **(المدخل والمخرج، وأن الأصل الذي بني عليه النفاق الكذب)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن إبراهيم، حدثنا إسحاق الأزرق، عن عون، عن الحسن قال يعد من النفاق اختلاف القول والعمل واختلاف السر والعلانية والمدخل والمخرج، وأصل النفاق والذي بني عليه النفاق الكذب.

(وقال ﷺ «كبرت خيانة) تأنيثه باعتبار الضمير وهو فاعل معنى **(أن تحدث أخاك)** في الدين وإن لم يكن أخاك في النسب **(حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب»)** لأنه ائتمنك فيما تحدثه فإن كذبته فقد خنت أمانته وخنت أمانة الإيمان فيما أوجب من نصيحة الإخوان.

النبي ﷺ : « لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » ومر رسول الله ﷺ برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما : والله لا أنقصك من كذا وكذا ، ويقول الآخر والله لا أزيدك على كذا وكذا فمرّ بالشاة أحدهما فقال : « أوجب وقد اشتراها أحدهما بالإثم والكفارة » . وقال عليه السلام : « الكذب ينقص الرزق » .

قال الطيبي (١) : أخاك فاعل كبرت وأنت الفعل له باعتبار المعنى لأنه نفس الخيانة وفيه معنى التعجب كما في ﴿ كبر مقتاً عند الله ﴾ [غافر : ٣٥] والمراد خيانة عظيمة منك إذا حدثت أخاك المسلم بحديث هو يعتمد عليك اعتماداً على كل مسلم لا تكذب فيصدقك والحال إنك كاذب . وقال النووي : التورية إطلاق لفظ هو ظاهر في معنى وتريد به معنى آخر يتناوله اللفظ ، لكنه خلاف ظاهره وهو ضرب من التغرير والخداع ، فإن دعت له مصلحة شرعية راجحة لا مندوحة عنها إلا به فلا بأس وإلا كره ، فإن توصل به إلى أخذ باطل أو دفع حق حرم وعليه ينزل هذا الخبر . قال العراقي : رواه البخاري في كتاب الأدب المفرد ، وأبو داود من حديث سفيان بن أسيد ، وضعفه ابن عدي . ورواه أحمد والطبراني من حديث النواس بن سمعان بإسناد جيد اهـ .

قلت : ورواه أيضاً ابن سعد والبغوي وابن قانع والبيهقي عن سفيان بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة الحضرمي . قال البغوي : ولا أعلم لسفيان غيره . ورواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي أيضاً عن النواس بن سمعان ، وقد سكت أبو داود على حديث سفيان فاقتضى كونه حسناً عنده إلا أن النووي في الأذكار قال : هو ضعيف وكأنه تبع فيه ابن عدي فإن فيه بقية ابن الوليد والكلام فيه مشهور ، وكون سند حديث النواس جيداً فيه خلاف أيضاً ، فقد ذكر المنذري أن شيخ أحمد فيه عمر بن هارون فيه خلف وبقية رجاله ثقات . وقال الهيثمي : عمر ضعيف وبقية رجاله ثقات .

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه ، **(قال النبي ﷺ « لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً »)** قال العراقي : متفق عليه .

(ومرَّ رسول الله ﷺ برجلين يتبايعان شاة ويتحالفان يقول أحدهما : والله لا أنقصك من كذا وكذا ، ويقول الآخر : والله لا أزيدك على كذا وكذا فمرَّ بالشاة وقد اشتراها أحدهما فقال « أوجب أحدهما بالإثم والكفارة ») قال العراقي : رواه أبو الفتح الأزدي في كتاب الأسماء المفردة من حديث ناسح الحضرمي ، وهكذا رويناه في أمالي ابن شمعون . وناسح ذكره البخاري هكذا في التاريخ وقال أبو حاتم : هو عبد الله بن ناسح اهـ .

قلت : ذكره الازدي في مفردات أسماء الصحابة ، وذكره البخاري فقال ناسح عن النبي ﷺ

---

(١) قوله أخاك الخ هكذا هو بخط المؤلف ولعل صوابه أن تحدث لأنه هو الفاعل وخيانة تمييز وبه تعلم ما في كلام الشارح السابق اهـ مصححة .

وقال رسول الله ﷺ: « إن التجارهم الفجار » فقيل يا رسول الله أليس قد أحل الله البيع ؟ قال: « نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون » وقال ﷺ: « ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم: المنان بعطيته، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر

وعنه شرحبيل بن شفعة. وأخرج ابن شاهين من طريق الوليد بن مسلم، عن حريز بن عثمان، عن شرحبيل بن شفعة، عن ناسح الحضرمي، عن النبي ﷺ أنه مرَّ برجلين يتبايعان شاة فذكر الحديث. وقال ابن أبي حاتم: أخرجه البخاري في النون وخطاه في ذلك أبي وأبو زرعة وقال: إنما هو عبد الله بن ناسح، وقال الحسن بن سفيان في الصحابة عبد الله بن ناسح الحضرمي الحمصي، واخرج له حديثاً آخر من طريق سعيد بن سنان عن شريح بن نسيب عنه. وقال أبو نعيم: لا تصح له صحبة. قال الحافظ السخاوي: وحديثه المذكور أعني الذي أورده ابن شاهين أخرجه أيضاً الخرائطي في مساويء الأخلاق، وقال الحافظ في الإصابة: ناسح بنون ومهملتين على الراجح، وقيل بمعجمة وجيم، وقيل بمعجمة ثم مهملة حكاها أبو أحمد العسكري.

(**وقال ﷺ « الكذب ينقص الرزق »**) قال العراقي: رواه أبو الشيخ في طبقات الاصبهانيين من حديث أبي هريرة، ورويناه كذلك في مشيخة القاضي أبي بكر وإسناده ضعيف.

(**وقال ﷺ « إن التجار هم الفجار » فقيل: يا رسول الله أليس قد أحل البيع ؟ قال: « نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون »**) قال العراقي: رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد والبيهقي من حديث عبد الرحمن بن شبل اهـ.

قلت: عبد الرحمن بن شبل أوسي أنصاري أحد نقباء الأنصار. قال البخاري: له صحبة. وقال ابن منده: عداده في أهل المدينة، روى عنه تميم بن محمود ويزيد بن عمير وأبو راشد الحبراني وأبو سلام الاسود، ذكره عبد الصمد بن سعيد فيمن نزل حمص من الصحابة. وقال أبو زرعة الدمشقي: نزل الشام. وأخرج الجوزجاني في تاريخه من طريق أبي راشد الحبراني قال: كنا بمسكن مع معاوية فبعث إلى عبد الرحمن بن شبل إنك من فقهاء أصحاب رسول الله ﷺ وقدمائهم فقم في الناس وعظهم. وأخرج أحمد من طريق أبي سلام عن أبي راشد قال: كتب معاوية إلى عبد الرحمن بن شبل أن أعلم الناس بما سمعت فجمعهم فذكر لهم أحاديث منها حديث: « أن التجار هم الفجار » وأخرج له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والنسائي وابن ماجه حديثاً من رواية تميم ابن محمود عنه، وابن ماجه أخرجه من طريق أبي راشد عنه.

(**وقال ﷺ « ثلاثة نفر لا يكلمهم الله »**) تكليم رضا عنهم أو كلاماً يسرهم أو لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية أو ملائكة الرحمة ولما كان لكثرة الجمع مدخل عظيم في مشقة الخزي قال (**« يوم القيامة**) الذي من افتضح في جمعه لم يفز (**ولا ينظر إليهم**) نظر رحمة وعطف ولطف أحدهم (**المنان بعطيته**) من المنة التي هي الاعتداد بالصنيعة وهي إن وقعت في صدقة أحبطت الثواب أو في معروف أبطلت الصنيعة (**و**) الثاني (**المنفق**) كمحدث أي المروّج (**سلعته**) أي

والمسبل إزاره ». وقال ﷺ : « ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة ». وقال أبو ذر : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة يحبهم الله : رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل أو يفتح الله عليه وعلى أصحابه ، ورجل كان له جار سوء يؤذيه فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن ، ورجل كان معه

متاعه (**بالحلف**) بكسر اللام ويروى بسكونها أيضاً (**الفاجر**) أي الكاذب (**و**) الثالث (**المسبل إزاره**) أي الجار له بارخاء طرفيه خيلاء ، وخص الإزار لأنه عامة لباسهم فلغيره من نحو قميص حكمه.

قال الطيبي : جمع الثلاثة في قرن لأن المسبل إزاره المتكبر المترفع بنفسه على الناس ومحتقرهم ، والمنان إنما منّ بعطائه لما رأى من علوه على المعطى له ، والحالف البائع يراعي غبطة نفسه وهضم صاحب الحق ، والحاصل من المجموع احتقار الغير وإيثار نفسه ، ولذلك يجازيه الله باحتقاره له وعدم التفاته إليه كما لوح به قوله « لا يكلمهم ». قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي ذر اهـ.

قلت : ورواه كذلك أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه بلفظ « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » وكررها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، فقال أبو ذر رضي الله عنه : خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال « المسبل إزاره والمنان الذي لا يعطي شيئاً إلا مِنّة والمنفق سلعته بالحلف الفاجر ».

وروى الشيخان من حديث أبي هريرة واللفظ للبخاري « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم رجل حلف على سلعته لقد أعطى بها أكثر مما أعطى ، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع مال رجل مسلم » الحديث.

وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عمر « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة المنان عطاءه والمسبل ازاره خيلاء ومدمن الخمر ».

(**وقال ﷺ « ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة »**) قال العراقي : رواه الترمذي والحاكم وصحح إسناده من حديث عبد الله بن أنيس اهـ.

قلت : وكذلك رواه الخرائطي في مساويء الأخلاق.

(**وقال أبو ذر**) الغفاري رضي الله عنه [قال رسول الله ﷺ] (**« ثلاثة**) من الناس (**يحبهم الله : رجل كان في فئة**) أي جماعة من أصحابه (**فنصب نحره**) أي رقبته للعدوّ (**حتى يقتل أو يفتح الله عليه أو على أصحابه ، ورجل كان له جار سوء يؤذيه**) بقول أو فعل (**فصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت لأحدهما أو ظعن**) أي رحلة ، (**ورجل كان معه**

قوم في سفر أو سرية فأطالوا السرى حتى أعجبهم أن يمسوا الأرض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ أصحابه للرحيل. وثلاثة يشنأهم الله التاجر أو البياع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان». وقال ﷺ: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له

قوم في سفر أو سرية فأطالوا السرى) أي سير الليل (**حتى أعجبهم أن يمسوا الأرض**) وهو كناية عن غلبة النوم (**فنزلوا**) عن دوابهم (**فتنحى**) ذلك الرجل (**يصلي**) وهم نيام (**حتى**) يصبح و (**يوقظ أصحابه للرحيل**) من ذلك المكان. (**وثلاثة من الناس يشنأهم الله**) أي يبغضهم (**التاجر**) الحلاف (**أو**) قال (**البيّاع الحلاف**) أي كثير الحلف على سلعته وفيه إشعار بأن القليل الصدق ليس محلاً للذم، (**والفقير المختال**) أي المتكبر، (**والبخيل المنان**) بعطيته» قال العراقي: رواه أحمد واللفظ له وفيه ابن الأقمس ولا يعرف حاله، ورواه هو والنسائي بلفظ آخر بإسناد جيد، ورواه النسائي من حديث أبي هريرة «أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف» الحديث وإسناده جيد اهـ.

قلت: لفظ أحمد في مسنده «ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنأهم الله الرجل يلقى العدوّ في فئة فينصب لهم نحره حتى يقتل أو يفتح لأصحابه، والقوم يسافرون فيطول سراهم حتى يحبوا أن يمسوا الأرض فينزلون عن دوابهم فيتنحى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم، والرجل يكون له الجار يؤذيه فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما بموت أو ظعن، والذين يشنأهم الله، التاجر الحلاف، والفقير المختال، والبخيل المنان».

وأما حديث النسائي الذي أشار إليه العراقي فلفظه في باب الزكاة من سننه من حديث أبي ذر «ثلاثة يحبهم الله تعالى وثلاثة يبغضهم الله، فأما الذين يحبهم الله فرجل أتى قوماً فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم فمنعوه فتخلف رجل باعقابهم فأعطاه سراً لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به فوضعوا رؤوسهم فقام أحدهم يتملقني ويتلو آياتي، ورجل كان في سرية فلقى العدوّ فهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له. والثلاثة الذين يبغضهم الله الشيخ الزاني، والفقير المختال والغني الظلوم» ورواه كذلك الترمذي في صفة الجنة، وابن حبان، والحاكم في الزكاة والجهاد. وقال الترمذي: حديث صحيح. وقال الحاكم على شرطها. وأقره الذهبي في التلخيص. ورواه ابن عساكر في التاريخ من حديث مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: بلغني عن أبي ذر حديث، فكنت أحب أن ألقاه فلقيته فسألته فذكره. وأما حديث أبي هريرة عند النسائي الذي أشار إليه العراقي فلفظه «أربعة يبغضهم الله البياع الحلاف، والفقير المختال، والشيخ الزاني والإمام الجائر» وهكذا رواه البيهقي أيضاً في السنن.

(**وقال ﷺ «ويل للذي يحدث**) الناس (**فيكذب**) في حديثه (**ليضحك به القوم ويل له ويل له»**) كرره إيذاناً بشدة هلكته وذلك لأن الكذب وحده رأس كل مذموم وجماع كل

ويل له » وقال ﷺ : « رأيت كأنّ رجلاً جاءني فقال لي قم فقمت معه فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده فإذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي أقامني ما هذا ؟ فقال : هذا رجل كذاب يعذب في قبره إلى يوم القيامة » . وعن عبدالله بن جراد قال : سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله هل يزني المؤمن ؟ قال : قد يكون ذلك » قال : يا نبي الله هل يكذب المؤمن ؟ قال : « لا » ثم اتبعها ﷺ بقول الله تعالى : ﴿ إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾ [النحل : ١٠٥] وقال أبو سعيد الخدري سمعت

فضيحة فإذا انضم إليه استجلاب الضحك الذي يميت القلب ويجلب النسيان ويورث الرعونة كان أقبح القبائح. قال العراقي : رواه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده اهـ.

قلت : وكذلك رواه أحمد والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي كلهم عن جد حكيم معاوية بن حيدة القشيري رضي الله عنه.

(**وقال ﷺ « رأيت كأن رجلاً جاءني فقال لي: قم فقمت معه. وإذا أنا برجلين أحدهما نائم والآخر جالس بيد القائم كلوب من حديد**) وهو مثل تنور خشبة في رأسها حديدة (**يلقمه في شدق الجالس**) أي في فمه كما يلقم الجمل (**فيجذبه حتى يبلغ كاهله**) رأس الكتف (**ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده، فإذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي أقامني ما هذا ؟ قال: هذا رجل كذاب يعذب في قبره إلى يوم القيامة »**) رواه البخاري من حديث سمرة بن جندب في حديث طويل.

(**وعن عبد الله بن جراد**) بن المنتفق بن عامر بن عقيل العامري العقيلي هكذا نسبة ابن ماكولا ، وأما يعلى بن الأشدق فقال: حدثني عمي عبد الله بن جراد بن معاوية بن فرح بن خفاجة ابن عمرو بن عقيل. قال البخاري : له صحبة. روى عنه يعلى بن الأشدق أحد الضعفاء وأبو قتادة الشامي راوٍ وثقه حبان (**أنه سأل النبي ﷺ فقال: يا نبي الله هل يزني المؤمن؟ قال « قد يكون من ذلك» قال: يا نبي الله هل يكذب المؤمن؟ فقال « لا » ثم أتبعها رسول الله ﷺ فقال هذه الكلمة ﴿إنما يفتري الكذب على الله الذين لا يؤمنون﴾**) قال العراقي : رواه ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف، ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت مقتصراً على الكذب، وجعل السائل أبا الدرداء اهـ.

قلت : لفظ الصمت حدثنا إسماعيل بن خالد الضرير ، حدثنا يعلى بن الأشدق ، حدثنا عبد الله ابن جراد قال: قال أبو الدرداء : يا رسول الله هل يكذب المؤمن؟ قال: « لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر من حدث فكذب » وروى مالك في الموطأ عن صفوان بن سليم مرسلاً ومعضلاً قيل: يا

رسول الله ﷺ يدعو فيقول في دعائه: «اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب». وقال ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر» وقال عبد الله بن عامر: جاء

رسول الله المؤمن يكون جباناً؟ قال «نعم» قيل يكون بخيلاً؟ قال «نعم» قيل: يكون كذاباً قال «لا».

(**وقال أبو سعيد**) الخدري رضي الله عنه، (**سمعت رسول الله ﷺ يدعو ويقول**) من جملة دعائه (**«اللهم طهر قلبي من النفاق**) أي من إظهار خلاف ما في الباطن وهذا قاله تعليماً لغيره (**وفرجي من الزنا ولساني من الكذب»**) قال العراقي: هكذا وقع في نسخ الإحياء عن أبي سعيد، وإنما هو عن أم معبد كذا رواه الخطيب في التاريخ دون قوله: وفرجي من الزنا، وزاد: «وعملي من الرياء وعيني من الخيانة» وسنده ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحكيم الترمذي في النوادر ولفظها «اللهم طهر قلبي من النفاق وعملي من الرياء ولساني من الكذب وعيني من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» وأم معبد هي عاتكة بنت خالد الخزاعية الكعبية التي نزل عليها النبي ﷺ في الهجرة، وإنما قال كذلك مع أن ذاته الشريفة قد جبلت على الطهارة ابتداء ونزع من قلبه حظ الشيطان وأعين عليه فأسلم تشريفاً من قبيل قولك ﴿وثيابك فطهر﴾ [المدثر: ٤] وتعليماً لأمته.

(**وقال ﷺ «ثلاثة**) من الناس (**لا يكلمهم الله**) كلام رضا (**ولا ينظر إليهم**) نظر رحمة (**ولا يزكيهم**) أي لا يطهرهم من دنس قلوبهم أو لا يثني عليهم (**ولهم**) مع ذلك الأمر المهول (**عذاب أليم**) مؤلم موجع يعرفون به ما جهلوا من عظمته واجترحوا من مخالفته (**شيخ زان**) لاستخفافه بحق الحق وقلة مبالاته ورذالة طبعه إذداعيته قد ضعفت وهمته قد فترت فزناه عناد ومراغمة، (**وملك كذاب**) لأن الكذب يكون غالباً لجلب نفع أو دفع ضر والملك لا يخاف أحداً فيصانعه فهو منه قبيح لفقد الضرورة، (**وعائل**) أي فقير (**مستكبر»**) لأن كبره مع فقد سببه فيه من نحو مال وجاه إنه كونه مطبوعاً عليه مستحكماً فيه فيستحق أليم العذاب وفظيع العقاب، قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وكذلك رواه النسائي وابن أبي الدنيا في الصمت قال: حدثنا سواد بن عبد الله، حدثنا الضحاك بن مخلد، عن ابن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة الشيخ الزاني والإمام الكذاب والعائل المزهو» ورواه أيضاً عن محمد بن عمرو الباهلي: حدثنا أبو زكير يحي بن محمد بن قيس، حدثنا ابن عجلان.

(**وقال**) أبو محمد (**عبد الله بن عامر**) بن ربيعة بن مالك بن عامر العنزي بسكون النون حليف بني عدي ثم الخطاب والد عمر وأبوه من كبار الصحابة. قال الهيثم بن عدي: مات سنة بضع

رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله تعال حتى أعطيك. فقال ﷺ: «وما أردت أن تعطيه» قالت: تمراً. فقال: «أما أنك لو لم تفعلي اكتبت عليك كذبة». وقال ﷺ: «لو أفاء الله علي نعماً عدد هذا الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً» وقال ﷺ وكان متكئاً: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله وعقوق الوالدين». ثم قعد وقال: «ألا وقول

وثمانين، وقال الطبري في الذيل: مات سنة خمس وثمانين: **(جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لألعب فقالت أمي: يا عبد الله تعال أعطك. فقال رسول الله ﷺ: «وما أردت أن تعطيه» فقالت: تمراً فقال «أما أن لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة»)** قال العراقي: رواه أبو داود وفيه من لم يسم، وقال الحاكم: إن عبد الله بن عامر ولد في حياته ﷺ ولم يسمع منه. قلت: له شاهد من حديث أبي هريرة وابن مسعود ورجالها ثقات إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة اهـ.

قلت: وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق فقال: حدثنا أبو بدر الغبري، حدثنا أبو الوليد، حدثنا الليث بن سعد، عن محمد بن عجلان، عن مولى لعبد الله بن عامر بن ربيعة، عن عبد الله بن عامر قال: جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا فساقه كسياق المصنف. ووقع في روايته كأبي داود عن مولى لعبد الله بن عامر، ولذا قال العراقي: فيه من لم يسم وقد سماه غيرهما كما يأتي. وعبد الله بن عامر ذكره الترمذي في الصحابة. وقال أبو حاتم الرازي: رأى النبي ﷺ دخل على أمه وهو صغير، وقال أبو زرعة: أدرك النبي ﷺ. وقال ابن حبان: لما ذكره في الصحابة أتاهم النبي ﷺ في بيتهم وهو غلام وأشاروا كلهم إلى هذا الحديث، وقد أخرجه الضياء والبخاري في التاريخ وابن سعد والطبراني والذهلي من طريق محمد بن عجلان عن زياد مولى عبد الله بن عامر عن عبد الله بن عامر قال: دخل رسول الله ﷺ على أمي وأنا غلام فأدبرت خارجاً فنادتني أمي. يا عبد الله تعال هاك، فقال لها النبي ﷺ «ما تعطيه» قالت: أعطيه تمراً. قال: «أما أنك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة». ورواية البخاري مختصرة جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبي، وذكره العجلي في كبار التابعين. قال الحافظ في الإصابة: جلّ روايته عن الصحابة فروى عن أبيه وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وحارثة بن النعمان وعائشة وجابر، روى عنه الزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري وعاصم بن عبيد الله ومحمد بن زيد بن المهاجر وعبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وآخرون.

(وقال ﷺ «لو أفاء الله علي نعماً») أي ابلاً **(عدد هذا الحصى)** وفي لفظ عدد هذه العضاه **(لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً»)** رواه مسلم وقد تقدم في كتاب أخلاق النبوّة مبسوطاً.

(وقال ﷺ وكان متكئاً) على وسادة **(«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)** جمع كبيرة وهي كل

الزور ». وقال ابن عمر، قال رسول الله ﷺ: « إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء ». وقال أنس قال النبي ﷺ: « تقبلوا إلي بست أتقبل لكم بالجنة ». قالوا: وما هن؟ قال: « إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا وعد فلا

ما ورد فيه وعيد شديد في الكتاب أو السنة وإن لم يكن فيه حد على الأصح؟ **(الإشـراك بالله)** أي الكفر به، **(وعقوق الوالدين)** أو أحدهما وجمعهما لأن عقوق أحدهما يستلزم عقوق الآخر غالباً أو يجر إليه، وضابطه أن يفعل معهما ما يتأذيان به تأذياً ليس بالهين وليس المناط وجود التأذي الكثير، بل أن يكون ذلك من شأنه أن يتأذى منه كثيراً.

فإن قلـت: أكبر الكبائر لا يكون إلا واحداً وهو الشرك، فكيف التعدد ههنا وأيضاً فنحو القتل والزنا أكبر من العقوق فلم حذفا وذكر هو؟ قلت: ادعاء أن الأكبر لا يكون إلا واحداً إنما هو إن أريد الحقيقة أما إن اريد بالأكبر النسبي فهو يكون متعدداً، ولا شك أن الأكبر بالنسبة إلى بقية الكبائر أمور أشار إليها ﷺ بقوله « اتقوا السبع الموبقات » الحديث. وحينئذ فالأكبر ههنا لتعدده في الجواب يراد به الأمر النسبي، وإنما ترك ذكر القتل ونحوه في هذا الحديث لأنه علم من أحاديث أخر أنّ ذلك أكبر الكبائر بعد الشرك على أنه ﷺ كان يراعي في مثل ذلك أحوال الحاضرين كقوله مرة « أفضل الأعمال الصلاة لأوّل وقتها أو لوقتها وأخرى أفضل الأعمال الجهاد وأخرى أفضل الأعمال بر الوالدين » وغير ذلك من نظائر له مما لا يخفى **(ثم قعد)** بعد أن كان متكئاً تنبيهاً على عظيم إثم ما يقوله: **(فقال « ألا وقول الزور »)** وإنما خص بذلك لأنه يترتب عليه الزنا والقتل وغيرهما، فكان أبلغ ضرراً من هذه الحيثية. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي بكرة اهـ.

قلـت: ورواه أيضاً الترمذي في الشمائل، ولفظه: وجلس وكان متكئاً فقال « ألا وشهادة الزور أو وقول الزور » وعند البخاري « ألا وقول الزور وشهادة الزور » فما زال يقولها حتى قلنا ألا ليته سكت. وروى البخاري أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه « أكبر الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وشهادة الزور ».

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه، **(قال النبي ﷺ « إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به »)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن غريب اهـ.

قلـت: ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثني أبو محمد عبدالله بن أيوب المخرمي، حدثنا عبد الرحيم بن هارون أبو هشام الغساني عن عبد العزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر رفعه قال « إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك منه ميلاً أو ميلين مما جاء به ».

(وقال أنس) بن مالك رضي الله عنه، **(قال النبي ﷺ « تقبلوا لي بست)** أي تكفلوا لي بست خصال: **(أتقبل لكم بالجنة)** أي أتكفل لكم بدخولها **(وقالوا: وما هن)** وفي لفظ وما

يخلف، وإذا ائتمن فلا يخن، وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم». وقال ﷺ: «إن للشيطان كحلاً ولعوقاً ونشوقاً: أما لعوقه فالكذب، وأما نشوقه فالغضب،

هي؟ (**قال «إذا حدث أحدكم فلا يكذب**) أي إلا لضرورة أو مصلحة محققة، (**وإذا وعد**) إنساناً بشيء (**فلا يخلف**) وعده (**وإذا ائتمن**) أي جعل أميناً على سر (**فلا يخن**) فيما جعل أميناً عليه، (**وغضوا أبصاركم**) عن النظر إلى ما لا يجوز، (**وكفوا أيديكم**) فلا تبسطوها لما لا يحل، (**واحفظوا فروجكم**) عن الزنا واللواط ومقدماتها والسحاق ونحوه، ومن تكفل بالتزام هذه المذكورات فقد توقى أكثر المحرمات، فهو حري بأن يتكفل له بالجنة. قال العراقي: رواه الحاكم في المستدرك، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وفيه سعد بن سنان ضعفه أحمد والنسائي، ووثقه ابن معين. ورواه الحاكم بنحوه من حديث عبادة بن الصامت وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن أبي شيبة في المصنف، وأبو يعلى، والبيهقي. وسياق المصنف هو سياق الخرائطي في مكارم الأخلاق قال: حدثنا عباس بن محمد، حدثنا يونس بن محمد المؤدب، حدثنا ليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعد بن سنان، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فساقه كما للمصنف سواء. وأما سياق الحاكم والبيهقي فليس فيه قالوا وما هن، وفيه «غضوا أبصاركم» من غير «واو».

وأخرجه ابن أبي الدنيا مختصراً فقال: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا يحي بن إسحاق السيلحيني، حدثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب عن سعد بن سنان عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «إذا حدثتم فلا تكذبوا وإذا ائتمنتم فلا تخونوا» وسعد بن سنان أورده الذهبي في الضعفاء وقال: ضعفوه. وفي الميزان أحاديثه واهية. وقال النسائي: منكر الحديث ثم ساق له مما أنكر عليه هذا الخبر. وقال المنذري: رواته ثقات إلا سعد بن سنان. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير أن ابن سنان لم يسمع من أنس.

وأما حديث عبادة بن الصامت من رواية الحاكم الذي أشار إليه العراقي، فقد أخرجه الخرائطي في مكارم الاخلاق وقال: حدثنا أبو غالب البصري محمد بن أحمد، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا إسماعيل بن جعفر، حدثنا عمرو بن أبي عمر، وعن المطلب بن حنطب، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم» ورواه كذلك أحمد وابن حبان والبيهقي.

(**وقال ﷺ «إن للشيطان كحلاً**) أي شيئاً يجعله في عيني الإنسان لينام (**ولعوقاً**) بالفتح أي شيئاً في فيه ليندلق لسانه بالفحش، (**ونشوقاً**) بالفتح وهو ما ينشقه الإنسان انشاقاً وهو

وأما كحله فالنوم ». وخطب عمر رضي الله عنه يوماً فقال: قام فينا رسول الله ﷺ كقيامي هذا فيكم فقال: « أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد ». وقال النبي ﷺ : « من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين ». وقال ﷺ : « من حلف

جعله في أنفه ويلعقه إياه ويدسم به أذنيه أي يسد يعني: إن وساوسه ما وجدت فيه منفذاً دخلت فيه، **(فأما لعوقه فالكذب)** أي المحرم شرعاً **(وأما نشوقه فالغضب)** أي لغير الله **(وأما كحله فالنوم »)** أي الكثير المفوّت للقيام بوظائف العبادات الفرضية والنفلية كالتهجد. **قال** العراقي: رواه الطبراني وأبو نعيم من حديث أنس بسند ضعيف **وقد تقدم** اهـ.

قلت: ورواه كذلك البيهقي وفيه عاصم بن علي شيخ البخاري **قال: يحي لا شيء، وضعفه** ابن معين. قال الذهبي وذكر له ابن عدي أحاديث مناكير والربيع بن صبيح ضعفه النسائي وقوّاه أبو زرعة ويزيد الرقاشي قال النسائي وغيره: متروك، وروى ابن أبي الدنيا في كتاب مكائد الشيطان، والطبراني في الكبير، والبيهقي أيضاً بسند ضعيف من حديث سمرة بن جندب « إن للشيطان كحلاً ولعوقاً فإذا كحل الإنسان من كحله نامت عيناه عن الذكر، وإذا لعقه من لعوقه ذرب لسانه بالشر ».

(وخطب عمر بن الخطاب) رضي الله عنه **(بالجابية)** لما قدم الشام والجابية موضع قرب دمشق، **(فقال)** في خطبته: **(قام رسول الله ﷺ كمقامي فيكم فقال « أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم)** وهم التابعون لهم بإحسان **(ثم يفشو الكذب)** أي يظهر **(حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يُحلَّف ويشهد)** على الشيء ابتداء **(ولم يستشهد)** أي لم يطلب للشهادة. **قال** العراقي: رواه الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى من رواية ابن عمر عن عمر اهـ. **وخطبته** رضي الله عنه بالجابية طويلة مشهورة قد نقلت من عدة طرق وتواترت.

(وقال ﷺ « من حدث) وفي رواية لابن ماجه من روى **(عني بحديث)** وفي رواية حديثاً ولفظ ابن ماجه من روى عني حديثاً **(وهو)** أي والحال أنه **(يُرى)** بضم ففتح أي يظن وبالفتح أي يعلم **(أنه كذب)** بكسر فسكون أو بفتح فكسر **(فهو أحد الكاذبين »)** بصيغة الجمع باعتبار كثرة النقلة وبالتثنية باعتبار المفتري والناقل عنه. **وقال** النووي: يرى ضبطناه بضم الياء والكاذبين بكسر الباء الموحدة وفتح النون على الجمع. قال: وهذا هو المشهور في اللفظين. وقال عياض: الرواية عندنا الكاذبين على الجمع، وقال الطيبي: وقوله أحد الكاذبين من باب القلم أحد اللسانين والخال أحد الأبوين. قال العراقي: رواه مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب اهـ.

قلت: وكذلك رواه الطيالسي، وأحمد، وابن ماجه، وابن حبان كلهم من حديث سمرة ورواه أيضاً أحمد، وابن ماجه، وابن جرير من حديث علي، ورواه أيضاً أحمد، ومسلم والترمذي، وابن ماجه،

على يمين بإثم ليقتطع بها مال امرىء مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان ».

وابن جرير من حديث المغيرة بن شعبة. وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجعد، أنبأنا شعبة وقيس عن حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ قال: « من حدث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين ».

وحدثنا علي بن الجعد، أنبأنا شعبة عن الحكم قال: سمعت ابن أبي ليلى يحدث عن سمرة بن جندب، عن النبي ﷺ قال: « من روى عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » واستنبط من الحديث أنه ليس لراوي حديث أن يقول قال رسول الله ﷺ إلا إن علم صحته ويقول في الضعيف: روي أو بلغنا فإن روى ما علم أو ظن وضعه ولم يبين حاله اندرج في جملة الكذابين لاعانته المفتري على نشر فريته فيشاركه في الإثم كمن أعان ظالماً، ولهذا بعض التابعين كان يهاب الرفع ويوقف قائلاً الكذب على الصحابي أهون.

(**وقال ﷺ: « من حلف على يمين**) أي محلوف يمين (**بإثم**) وإنما قال على يمين تنزيلاً للحلف منزلة المحلوف إتساعاً (**ليقتطع بها**) أي بسبب اليمين (**مال امرىء مسلم**) قيد اتفاقي لا احترازي، فالذمي كذلك بل حقه أوجب رعاية لإمكان أن يرضي الله المسلم المظلوم يوم الجزاء برفع درجاته فيعفو عن ظالمه والكافر لا يصلح لذلك (**بغير حق**) شرعي بأن يكون كذباً وزورا (**لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان** ») فيعامله معاملة المغضوب عليه فلا ينظر إليه ولا يكلمه أو وهو عليه غضبان أي مريداً لعقوبته، وإذا لقيه وهو يريدها جاز بعد ذلك أن يرفع عنه بشرط أن لا يكون متعلق إرادته عذاب واصب فإن ما تعلق به وصف الإرادة لا بد من وقوعه، وغفران الجرائم أصل من أصول الدين إما بالموازنة أو بالطول المحض والتنوين في غضاب للتهويل وللإشارة إلى عظم هذه الجريمة. قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن مسعود اهـ.

قلت: ولفظهما: « من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرىء مسلم هو فيها فاجر لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان » وهكذا رواه الطيالسي في مسنده، وعبد الرزاق في المصنف، وأحمد، وابو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن الجارود، وابن حبان من حديث الأشعث بن قيس وابن مسعود معاً وذلك أن ابن مسعود لما ذكر ذلك في مجلسه دخل الأشعث فقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن؟ قالوا: كذا وكذا. قال: صدق فيّ نزلت كان بيني وبين رجل مخاصمة فخاصمته إلى النبي ﷺ فقال: « هل لك بينة ». قلت: لا قال: فيمينه » قلت إذاً يحلف، فقال عند ذلك فذكره فنزلت: ﴿ إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ﴾ الآية [آل عمران: ٧٧]. ورواه أحمد والطبراني وأبو نعيم من حديث معقل بن يسار، ورواه الطبراني أيضاً من حديث وائلة بن حجر، وروى الحاكم وحده من حديث الأشعث بن قيس بلفظ: « من حلف على يمين يقتطع بها مال امرىء مسلم وهو فاجر لقي الله تعالى وهو أجذم. ورواه هو والطبراني أيضاً من حديثه بلفظ: « من حلف على يمين صبر ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان. عفا عنه أو عاقبه وروى الشافعي في سننه تخريج الطحاوي والبزار من حديث معبد بن كعب عن

وروي عن النبي ﷺ : « أنه ردّ شهادة رجل في كذبة كذبها » . وقال ﷺ : « كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المسلم إلا الخيانة والكذب » . وقالت عائشة رضي الله عنها : ما كان

أبيه بلفظ : « من حلف على يمين ليقتطع بها مال امريء مسلم لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان » قيل : يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً ؟ قال : وإن كان سواكاً من أراك » . ورواه ابن عساكر من حديث ابن مسعود بهذا اللفظ . وروي عبد الرزاق وأحمد والحاكم والطبراني من حديث عمران بن حصين بلفظ : « من حلف على يمين مصبورة بالله كاذباً متعمداً ليقتطع بها مال امرىء مسلم ، فليتبوأ مقعده من النار » وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي موسى بلفظ : « من حلف على يمين يريد أن يقتطع بها حق أخيه ظالماً لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يزكه وله عذاب أليم » . وروى أحمد ، وعبد بن حميد ، والنسائي ، والطبراني ، والبيهقي من حديث عدي بن عميرة الكندي والطبراني وحده من حديث العرس بن عميرة بلفظ : « من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها حق أخيه لقي الله وهو عليه غضبان » . ورواية حق امرىء أحق بالترجيح من رواية مال امرىء لعمومها وشمولها غير المال كحد قذف ونصيب زوجة في قسم ونحو ذلك وقوله : « وهو فيها فاجر أقام الفجور مقام الكذب ليدل على أنه من أنواعه ورواية لقي الله أجذم ، وكذا فليتبوأ مقعده من النار خرج مخرج الزجر والمبالغة في المنع والمقام يقتضي التأكيد إذ مرتكب هذه الجريمة قد بلغ في الاعتداء الغاية حيث اقتطع حق امرىء لا تعلق له به ، واستخف بحرمة الإسلام ، ومع ذلك فلا يجري على ظاهره وفيه أن اقتطاع الحق يوجب دخول النار إلا أن يبرىء صاحب الحق أو يعفو الحق .

(وروي : « أن النبي ﷺ رد شهادة رجل في كذبة كذبها ») قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية موسى بن شيبة مرسلاً وموسى روى معمر عنه مناكير قاله أحمد بن حنبل اهـ .

قلت : قال ابن أبي الدنيا ، حدثنا أبو حذيفة الفزاري ، حدثنا عبد الرحمن بن مسعود الزجاج الموصلي ، عن معمر ، عن موسى بن شيبة أن النبي ﷺ رد شهادة رجل في كذبة . قال الحافظ في التهذيب : موسى بن شيبة أو ابن أبي شيبة مجهول روى له أبو داود في المراسيل . وقال الذهبي في الكاشف ، قال أحمد : أحاديثه مناكير ، وقال أبو حاتم : صالح . روى عنه الحميدي .

(وقال ﷺ : « على كل خصلة يطبع) أي يمكن أن يطبع وهي رواية الجماعة كما سيأتي (أو) قال (يطوى) وهي رواية حديث أبي مسعود (عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب ») فلا يطبع عليهما وإنما يحصل ذلك بالتطبع ، ولهذا صح سلب الإيمان عنه في قوله : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » ولا معارضة بين استثناء الخصلتين هنا وخبر من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق لأن خلف الوعد داخل في الكذب والفجور من لوازم الخيانة . قال العراقي : رواه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث أبي أمامة . ورواه ابن عدي في مقدمة الكامل من حديث سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبي أمامة أيضاً .

من خلق أشد على أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان رسول الله ﷺ يطلع الرجل من أصحابه على الكذبة فما ينجلي من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث توبة لله عز وجل منها. وقال موسى عليه السلام: يا رب أي عبادك خير لك عملاً؟ قال: من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه. وقال لقمان لابنه: يا بني إياك

ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت من حديث سعد مرفوعاً وموقوفاً والموقوف أشبه بالصواب قاله الدارقطني في العلل اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أبو يعلى في المسند والضياء في المختارة من حديث سعد بلفظ: «كل خلة يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب» رواه البزار من حديثه بلفظ: «يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب» ورواه الدارقطني في الإفراد وابن عدي والبيهقي وابن النجار من حديثه بلفظ: «يطبع المؤمن على كل شيء إلا الخيانة والكذب». ورواه البيقهي من حديث ابن عمر بلفظ: «يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب». ورواه الطبراني كذلك. ورواه أحمد من حديث أبي أمامة: «يطبع الله على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب».

وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا داود بن رشيد، حدثنا علي بن هاشم سمعت الأعمش ذكره عن أبي إسحاق عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «على كل خلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب». وهذا أشبه بسياق المصنف، ثم قال: وحدثنا أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا سفيان وشعبة، عن سلمة بن كهيل، عن مصعب ابن سعد عن سعد قال: «كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب» قال: وأنبأنا أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله، أنبأنا سفيان، عن منصور، عن مالك بن الحارث، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن ابن مسعود قال: «كل الخلال يطوي عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب» قال الحافظ السخاوي في المقاصد: وأمثلها حديث سعد لكن ضعف البيهقي رفعه. وقال الدارقطني: الموقف أشبه بالصواب اهـ. ومع ذلك فهو مما يحكم له بالرفع على الصحيح لكونه مما لا مجال للرأي فيه.

(وقالت عائشة) رضي الله عنها: **(ما كان من خلق أشد عند أصحاب رسول الله ﷺ من الكذب، ولقد كان رسول الله ﷺ يطلع علـى الرجل من أصحابه على الكذبة فما تنحل من صدره حتى يعلم أنه قد أحدث لله عز وجل منها توبة)**. قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة ورجاله ثقات إلا أنه قال عن ابن أبي مليكة أو غيره، وقد رواه أبو الشيخ في طبقات الأصبهانيين فقال: عن ابن أبي مليكة ولم يشك وهو صحيح اهـ.

قلت: وأخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، أنبأنا نصر بن طريف الباهلي، حدثنا إبراهيم ابن ميسرة، عن عبيد بن سعد، عن عائشة قالت: ما كان فذكره.

(وقال موسى عليه السلام: يا رب أي عبادك خير عملاً. قال: من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه) أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن علي بن الحسن بن شقيق المروزي،

والكذب فإنه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه وقال عليه السلام: « في مدح الصدق: أربع إذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن خلق وعفة طعمة ». وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبة بعد وفاة رسول الله ﷺ: قام فينا رسول الله ﷺ مثل مقامي هذا عام أول ثم بكى وقال: « عليكم بالصدق

أنبأنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا الفضيل عن ليث بن أبي سليم، عن عبد الرحمن بن ثردان بن قيس، عن هذيل بن شرحبيل قال: قال موسى عليه السلام: رب أي عبادك فساقه.

(وقال لقمان) لابنه **(يا بني إياك والكذب فإنه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن عبد الله، أنبأنا إسماعيل بن إبراهيم، عن يونس، عن الحسن قال: قال لقمان لابنه فساقه.

(وقال ﷺ: « في مدح الصدق أربع) خصال **(إذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا)** أي لا بأس عليك وقت فوت الدنيا إن حصلت هذه الخلال **(صدق حديث)** أي ضبط اللسان وعفته عن الكذب والبهتان، **(وحفظ أمانة)** بأن يحفظ جوارحه وما ائتمن عليه **(وحسن خليقة)** بأن يكون حسن العشرة مع الناس، **(وعفة طعمة »)** بأن لا يطعم حراماً ولا ما قويت الشبهة فيه ولا يزيد على الكفاية حتى من الحلال ولا يكثر الأكل وأطلق الأمانة لتشيع في جنسها فيراعي أمانة الله في التكاليف وأمانة الخلق في الحفظ والأداء. قال العراقي: رواه الحاكم والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو، وفيه ابن لهيعة اهـ.

قلت: قال الخرائطي: حدثنا علي بن حرب الموصلي، حدثنا زيد بن أبي الزرقاء، حدثنا ابن لهيعة، عن الحرث بن يزيد، عن ابن حجيرة، عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ فذكره مثل سياق المصنف. ورواه كذلك الطبراني في الكبير، ورواه أحمد والطبراني أيضاً، والبيهقي من حديث ابن عمر بلفظ: « صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة مطعم » وفي سند البيهقي شعيب بن يحي. قال ابن أبي حاتم ليس بمعروف، وقال الذهبي بل ثقة عن ابن لهيعة وفيه ضعف. ورواه ابن عدي وابن عساكر من حديث ابن عباس قال الهيثمي: إسناد أحمد والطبراني حسن، وقال المنذري: رواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي بأسانيد حسنة.

(وقال أبو بكر رضي الله عنه في خطبته بعد وفاة رسول الله ﷺ: قام فينا رسول الله ﷺ مقامي هذا عام أول ثم بكى) أبو بكر **(وقال: « عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة »)** وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار » أخرجه ابن أبي الدنيا من طريق أوسط بن إسماعيل البجلي، وقد تقدم الكلام عليه في أول هذه الآفة.

وقد روي نحو ذلك من قول ابن مسعود قال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجعد، أنبأنا شعبة، أخبرني عمرو بن مرة، سمعت مرة الهمداني قال: كان عبد الله يقول: « عليكم بالصدق فإنه يهدي

فإنه مع البر وهما في الجنة ». وقال معاذ : قال لي ﷺ : « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح ».

وأما الآثار فقد قال علي رضي الله عنه : أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب ، وشر

إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ويثبت البر في قلبه فلا يكون للفجور موضع إبرة يستقر فيها ». وقد روي ذلك مرفوعاً.

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقاً ».

تنبيه :

إيراد المصنف هذا هنا وفيما تقدم يوهم أن ذلك الكلام مرفوع إلى النبي ﷺ ، وإنما هو من كلام أبي بكر رضي الله عنه لأن ضمير ثم بكى وقال : يرجع إليه لا إلى رسول الله ﷺ ، فعلى هذا لو ذكره في الآثار كان أليق.

(وقال معاذ) بن جبل رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ لي : « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح »)** قال العراقي : رواه أبو نعيم في الحلية وقد تقدم.

قلت : رواه من طريق إسماعيل بن رافع ، عن ثعلبة بن صالح ، عن رجل من أهل الشام عن معاذ قال : قال رسول الله ﷺ : « يا معاذ انطلق فارحل راحلتك ثم ائتني أبعثك على اليمن » فذكر الحديث وفيه فقال : « يا معاذ أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، ووفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة ، ورحم اليتيم ، وحفظ الجار ، وكظم الغيظ ، وخفض الجناح ، وبذل السلام ، ولين الكلام ، ولزوم الإيمان ، والتفقه في القرآن ، وحب الآخرة والجزع من الحساب ، وقصر الأمل ، وحسن العمل » الحديث بطوله.

وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق مختصراً من طريق عبادة بن نسي عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ قال : لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال لي : « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ، ووفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة ، وحفظ الجار ». ورواه في موضع آخر بمثل سياق المصنف.

(وأما الآثار : فقد قال علي رضي الله عنه : أعظم الخطايا) أي الذنوب الصادرة عن عمد يقال خطىء إذا أذنب متعمداً ذكره الزمخشري **(عند الله اللسان الكذوب)** أي الكثير الكذب لأن اللسان أكثر الأعضاء عملاً ، **(وشر الندامة ندامة يوم القيامة)** ، أخرجه ابن أبي الدنيا عن

الندامة ندامة يوم القيامة. وقال عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه: ما كذبت كذبة منذ شددت عليَّ إزاري. وقال عمر رضي الله عنه: أحبكم إلينا ما لم نركم أحسنكم إسماً فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقاً، فإذا اختبرناكم فأحبكم إلينا أصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة وعن ميمون بن أبي شبيب قال: جلست أكتب كتاباً فأتيت على حرف إن أنا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنوديت من جانب البيت ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [إبراهيم:

عبد العزيز بن بحر، أنبأنا أبو عقيل، عن محمد بن نعيم مولى عمر بن الخطاب، عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن جده علي رضي الله عنه قال: أعظم الخطايا فساقه.

قلت: الجملة الأولى من الاثر قد رويت مرفوعة. أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث طويل، ومن طريقه الديلمي من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: «أعظم الخطايا اللسان الكذوب» وفيه الحسن بن عمارة. قال الذهبي: هو متروك بالاتفاق. وأخرجه ابن عدي في الكامل عن يعقوب بن إسحاق، حدثنا أحمد بن الفرج، عن أيوب بن سويد، عن الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن ابن عباس قال: كان من خطبة رسول الله ﷺ أن أعظم الخطايا اللسان الكذوب. قال ابن عدي: تفرد به أيوب عن الثوري، ثم قال: وحدثنا محمد بن أحمد الوراق، حدثنا موسى بن سهل النسائي، عن أيوب بن سويد، عن المثني بن صباح، عن عمرو بن شعيب، عن طاوس عن ابن عباس، ثم قال: وهذا إنما يرويه أيوب بهذا الإسناد. وأخرجه ابن أبي الدنيا أيضاً من قول عبد الله يعني ابن مسعود قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا سفيان، حدثني عبد الرحمن بن عابس، حدثني ناس من أصحاب عبد الله أنه كان يقول في خطبته: شر الروايا روايا الكذب وأعظم الخطايا اللسان الكذوب.

(وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى **(ما كذبت كذبة منذ شددت علي ازاري)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن إدريس، حدثنا محمد بن خالد النيلي، حدثنا الوليد بن مسلم، عن مالك بن أنس قال: قال عمر بن عبد العزيز فذكره.

(وعن عمر) بن الخطاب **(رضي الله عنه)** قال: **(أحبكم إلينا ما لم نركم أحسنكم أسماء فإذا رأيناكم فأحبكم إلينا أحسنكم خلقاً فإذا اختبرناكم فاحبكم إلينا أصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة)**. أخرجه ابن أبي الدنيا، عن محمد بن إدريس، حدثنا محمود بن خالد، حدثنا أبي، حدثني عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت قال: قال عمر فذكره.

(وعن ميمون بن أبي شبيب) الربعي الكوفي كنيته أبو نصر صدوق كثير الإرسال، مات سنة ثلاث وثلاثين في وقعة الجماجم، روى له البخاري في الأدب المفرد والأربعة **(قال: قعدت أكتب كتاباً فمررت بحرف إن أنا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه، فناداني مناد من جانب البيت ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا**

٢٧] وقال الشعبي: ما أدري أيها أبعد غوراً في النار الكذاب أو البخيل؟ وقال ابن السماك؟ ما أراني أؤجر على ترك الكذب لأني إنما أدعه أنفـة. وقيل لخالد بن صبيح: أيسمى الرجل كاذباً بكذبة واحدة قال: نعم. وقال مالك بن دينار: قرأت في بعض الكتب ما من خطيب إلا وتعرض خطبته على عمله، فإن كان صادقاً صدق وإن كان كاذباً قرضت شفتاه بمقاريض من نار كلما قرضتا نبتتا. وقال مالك بن دينار: الصدق

وفي الآخرة) أخرجه ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن عمر بن محمد القرشي، وعبد الرحمن بن صالح العتكي قالا: حدثنا حسين الجعفي، عن الحسن بن الحر، عن ميمون بن أبي شبيب قال: قعدت فذكره وزاد في آخره قال: وتهيأت للجمعة في زمن الحجاج فجعلت أقول اذهب لا أذهب، فناداني مناد من جانب البيت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾ [الجمعة: ٩] قال: فذهبت.

قلت: ورواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي قال: حدثنا الحسين بن علي الجعفي، عن الحسن بن الحر، عن ميمون بن أبي شبيب قال: جلست مرة أكتب كتاباً قال: فعرض لي شيء إذا أنا كتبته في كتابي زين كتابي وكنت قد كذبت، وإن أنا تركته كان في كتابي بعض القبح وكنت قد صدقت. قال: فقلت مرة أكتبه وقلت مرة لا أكتبه. قال: فاجمع رأيي على تركه، فناداني مناد من جانب البيت ﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾ الآية ثم ذكر القول الثاني بهذا الإسناد.

(وقال) عامر بن شراحيل **(الشعبي)** رحمه الله تعالى: **(ما أدري أيها أبعد غوراً في النار الكذب أو البخل)** أخرجه ابن أبي الدنيا، عن إسحاق بن إبراهيم، أنبأنا جرير عن بيان عن الشعبي فذكره.

(وقال) محمد بن صبيح **(بن السماك)** البغدادي الواعظ **(ما أراني أؤجر)** أي أثاب **(على ترك الكذب لأني إنما أدعه)** أي أتركه **(انفة)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن هارون بن سفيان، حدثنا عبد الله بن صالح العجلي، سمعت ابن السماك يقول فذكره. وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبيه، عن أبي الحسن بن أبان، عن ابن أبي الدنيا بهذا الإسناد.

(وقيل لخالد بن صبيح:) أرأيت **(من يكذب)** كذبة **(واحدة هل يسمى فاسقاً؟ قال: نعم)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن أبي صالح المروزي، سمعت رافع بن أشرس قال: قلت لخالد بن صبيح فذكره.

(وقال) أبو يحي **(مالك بن دينار)** البصري التابعي رحمه الله تعالى: **(قرأت في بعض الكتب ما من خطيب)** يخطب **(إلا عرضت خطبته على عمله فإن كان صادقاً)** بأن كان عمله موافقاً لقوله **(صدق، وإن كان كاذباً قرضت)** أي قطعت **(شفتاه بمقراضين من نار)**

والكذب يعتركـان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه. وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد ابن عبد الملك في شيء فقال له: كذبت فقال عمر: والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه.

وإنما ثناهما لكونهما قطعتان ركبتا بمسار واحد، ولذلك يسمى المقراض الجلمان (**ثم قرضتا نبتتا**) أخرجه ابن أبي الدنيا، عن محمد بن عمرو بن العباس الباهلي، حدثنا مرحوم بن عبد العزيز، سمعت مالك بن دينار يقول: قرأت فذكره. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا الحسين بن محمد بن العباس الزجاج الفقيه الآملي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحدادي وأحمد بن محمد اللآلئي قالا: حدثنا أبو حاتم، حدثنا عباس بن مرحوم، حدثنا أبي قال: سمعت مالك بن دينار يقول: ما من خطيب يخطب فذكره. وليس فيه قرأت في بعض الكتب. وقد روى مالك بن دينار بعض ذلك عن الحسن مرسلاً.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا سيار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك بن دينار عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يخطب خطبة إلا الله سائله عنها يوم القيامة ما أردت بها» قال: فكان مالك إذا حدثني بهذا بكى، ثم يقول: أتحسبون أن عيني تقر بكلامي عليكم، وأنا أعلم أن الله سائلي عنه يوم القيامة ما أردت به أنت الشهيد على قلبي لو أعلم أنه أحب إليك ما أقرأ على إثنين أبداً.

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق المغيرة بن حبيب وصدقة بـن موسى كلاهما عن مالك بن دينار، عن ثمامة عن أنس رفعه: «أتيت ليلة أسري بي إلى السماء فإذا أنا برجال تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هم خطباء من أمتك» هذا لفظ حديث المغيرة، ولفظ حديث صدقة: «أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذي يقولون ولا يفعلون ويقرأون كتاب الله ولا يعملون».

وأخرجه ابن أبي الدنيا عن حمزة بن العباس، حدثنا عبدان، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا حماد بـن سلمة، عن علي بن زيد سمعت أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ فساقه نحوه.

(وقال مالك بـن دينار) رحمه الله تعالى: **(الصدق والكذب يعتـركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن أسد بن عمار التميمي، حدثنا سعيد بن عون البصري، حدثنا جعفر، سمعت مالك بن دينار يقول فذكره.

(وكلم عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى **(الوليد)** بن عبد الملك بن مروان **(في شيء فقال له الوليد: كذبت. فقال عمر: ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن أبي عمر المكي وسفيان بن وكيع قالا: حدثنا ابن عيينة عن رجل قال: قال سفيان عن الماجشون قال: كلم عمر ابـن عبد العزيز فساقه.

بيان ما رخص فيه من الكذب:

وقد بقيت آثار هي على شريطة المصنف، فمن ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أيها الناس إياكم والكذب فإنه مجانب الإيمان. رواه أحمد وابن أبي شيبة عن وكيع، ورواه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إسماعيل عن سفيان كلاهما عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عنه هكذا موقوفاً عليه وروي مرفوعاً، وهكذا رواه يحيى بن عبد الملك وجعفر الأحمر وعمر بن ثابت كلهم عن إسماعيل. قال الدارقطني في العلل: الموقوف أشبه بالصواب، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في خطبته ليس فيما دون الصدق من الحديث خير من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك. رواه الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبي هريرة قال كان عمر فذكره. وقال أيضاً لا تجد المؤمن كذاباً رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق حسان بن عطية عنه. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن المبارز لله تعالى بالمعصية لمن حلف باسمه كاذباً وأن الكذبة لتفطر الصائم. ورواه ابن أبي الدنيا من طريق المسعودي عن رجل من بني أسد قال: قال ابن مسعود فذكره. وقال إبراهيم النخعي كانوا يقولون إن الكذب ليفطر الصائم. ورواه ابن أبي الدنيا من طريق الأعمش عنه. وقال مطرف بن طريف: ما أحب أني كذبت وأن لي الدنيا وما فيها. رواه سفيان الثوري عنه. وقال يزيد بن ميسرة: إن الكذب يسقي باب كل شر كما يسقي الماء أصول الشجر، وقال الحسن البصري الكذب جماع النفاق، وقال شقيق بن سلمة، قال أخي عبد الرحمن بن سلمة: ما كذبت منذ أسلمت إلا أن الرجل يدعوني إلى طعامه فأقول: ما أشتهيه فعسى أن يكتب. وقال الأحنف بن قيس: ما كذبت منذ أسلمت إلا مرة واحدة فإن عمر سألني عن ثوب بكم أخذته فاسقطت ثلثي الثمن. وقال إسماعيل بن عبيد الله المخزومي: أمرني عبد الملك بن مروان أن أجنب بنيه الكذب وإن كان فيه يعني القتل. وقال سفيان بن عيينة: حدثني رجل قال: حدثت سليمان بن علي بحديث، فقال لي: كذبت. قال: فقلت ما يسرني إني كذبت وإن لي ملء بهوك هذا ذهباً. قال: فانكسر عني. وقال الشعبي: من كذب فهو منافق، وقال الأعمش: لقد أدركت قوماً لو لم يتركوا الكذب إلاّ حياء لتركوه. وقال ابن المبارك: أول عقوبة الكاذب من كذبه أنه يرد عليه صدقه. وقال: أبو بكر بن عياش: إذا كذبني الرجل كذبة لم أقبل منه بعدها. وقال رافع بن أشرس كان يقال إن من عقوبة الكذاب أن لا يقبل صدقه قال: وأنا أقول: ومن عقوبة الفاسق المبتدع أن لا تذكر محاسنه. وقال مسروق: ليس شيء أعظم عند الله من الكذب. وقال لقمان لابنه: يا بني من ساء خلقه عذب نفسه ومن كذب ذهب جماله، وكل ذلك في كتاب الصمت.

بيان ما يرخص فيه من الكذب:

قال أبو بكر بن الأنباري الكذب ينقسم إلى خمسة أقسام.

أحدها: تعبير الحاكي ما يسمع بقوله ما لا يعلم نقلاً ورواية، وهذا القسم هو الذي يؤثم ويهضم المروءة.

اعلم أن الكذب ليس حراماً لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب أو على غيره، فإن أقل درجاته أن يعتقد المخبر الشيء على خلاف ما هو عليه فيكون جاهلاً وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة، فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذوناً فيه، وربما كان واجباً.

قال ميمون بن مهران: الكذب في بعض المواطن خير من الصدق أرأيت لو أن رجلاً سعى خلف إنسان بالسيف ليقتله فدخل داراً فانتهى إليك فقال: أرأيت فلاناً ما كنت قائلاً: ألست تقول: لم أره. وما تصدق به وهذا الكذب واجب.

والثاني: هو أن يقول قولاً يشبه الكذب والمتكلم به لا يقصد إلا الحق، ومنه الخبر كذب أبي ثلاث كذبات في قوله: ﴿إني سقيم﴾ [الصافات: ٨٩] وفي قوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ [الأنبياء: ٨٣] وفي قوله: ﴿سارة أختي﴾ فتأويل هذا القول أي قال قولاً يشبه الكذب وهو صادق في الكلمات الثلاث.

والثالث: يقال كذب بمعنى أخطأ.

والرابع: يقال كذب الرجل بمعنى بطل أمله وما رجاه، ومنه قول الشاعر:

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مغالبة ما دام للسيف قائم

أي كذبكم أملكم وبطل تقديركم.

الخامس: يطلق الكذب ويراد به الإغراء ومطالبة المخاطب بلزوم الشيء المذكور، كقول العرب: كذب عليك العسل يريدون كل العسل تلخيصه أخطأ تارك العسل ورافضه، فغلب المضاف إليه على المضاف: قال عمر رضي الله عنه: كذب عليكم الحج معناه الزموا الحج. هذا خلاصة ما ذكره في هذه المسألة والمشار إليه من قبل اعتوار الأحكام الشرعية عليه من الحرمة والإباحة هو القسم الأول منها، وقد أشار إليه المصنف فقال:

(**اعلم أن الكذب ليس حراماً لعينه بل لما فيه من الضرر**) الحاصل (**على المخاطب وعلى غيره**) إما في الحال أو في المآل، (**فإن أقل درجاته أن يعتقد المخبر**) الذي أخبر بالقول (**الشيء على خلاف ما هو به فيكون جاهلاً وقد يتعلق به ضرر غيره، ورب جهل**) بالشيء (**فيه منفعة ومصلحة**) له أو لغيره، (**فالكذب محصل لذلك الجهل فيكون مأذوناً فيه**) نظراً لتلك المنفعة والمصلحة، (**وربما كان**) الكذب (**واجباً**) إذا وقع في تركه ما هو أفحش منه.

(**قال ميمون بن مهران**) الجزري الثقة كاتب عمر بن عبد العزيز: (**إن الكذب في بعض المواطن خير. أرأيت لو أن رجلاً سعى وآخر وراءه بالسيف فدخل داراً فانتهى إليك، فقال: أرأيت فلاناً ما كنت قائلاً؟ ألست تقول لم أره وما تصدق فهذا الكذب واجب**)

فنقول الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل بالصدق والكذب جميعاً، فالكذب فيه حرام وإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المقصد مباحاً واجب إن كان المقصود واجباً، كما أن عصمة دم المسلم واجبة. فمهما كان في الصدق سفك دم امرىء مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجني عليه إلا بكذب فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى إلى ما يستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة فيكون الكذب حراماً في الأصل إلا لضرورة، والذي يدل على الاستثناء ما روي عن أم كلثوم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يرخص في شيء من

أخرجه ابن أبي الدنيا فقال: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا ابن علية، عن سوار بن عبد الله قال: نبئت أن ميمون بن مهران قال وعنده رجل من قراء أهل الشام: إن الكذب في بعض المواطن خير من الصدق، فقال الشامي: لا الصدق في كل موطن خير. قال: أرأيت لو رأيت رجلاً يسعى وآخر يتبعه بالسيف فدخل داراً فانتهى إليك فقال: رأيت الرجل، ما كنت قائلاً؟ قال: كنت أقول لا قال: فهو ذاك.

(**فنقول: الكلام وسيلة إلى المقاصد**) أي يتوصل به إلى تحصيلها سواء كانت دنيوية أو أخروية وسواء كانت محمودة أو مذمومة، (**فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً، فالكذب فيه حرام**) قولاً واحداً (**وإن أمكن التوصل بالكذب دون الصدق فالكذب فيه**) حينئذ (**مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً، وواجب إن كان المقصود واجباً كما أن عصمة دم المسلم**) وكذا عصمة ماله وعرضه (**واجب، فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم**) يريد قتله أو أخذ ماله أو هتك عرضه، وكذا في الستر على عورة أخيه إذا سئل، (**فالكذب فيه واجب**) ويدل على ذلك قول ميمون بن مهران السابق. (**ومهما كان لا يتم مقصود حرب**) مع العدوّ (**أو إصلاح ذات البين**) بين رجلين أو بين رجل وامرأة أو بين طائفتين، (**أو استمالة قلب المجني عليه**) وكذا الحديث مع المرأة (**إلا بكذب فالكذب**) حينئذ (**مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز عنه**) أي عن الكذب (**ما أمكن**) له ذلك (**لأنه إذا فتح باب الكذب فيخشى أن يتداعى**) ويتسبب (**إلى ما يستغنى عنه، وإلى ما لا يقتصر على حد الضرورة، فكان حراماً في الأصل إلا لضرورة**) عارضة، (**فالذي يدل على الاستثناء**) أي الإخراج عن حد الحرمة (**ما روي عن أم كلثوم**) بنت عقبة بن أبي معيط أخت الوليد وأخت عثمان لأمه صلت القبلتين وهاجرت إلى المدينة ماشية عام الحديبية، وفيها نزلت آية الامتحان فتزوّجها زيد بن حارثة ثم الزبير ثم عبد الرحمن بن عوف، فولدت له إبراهيم وحميداً ومات عنها، فتزوّجها عمرو بن العاص فماتت بعد شهر، روى لها البخاري ومسلم

الكذب إلا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الإصلاح، والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها. وقالت أيضاً: قال رسول الله ﷺ «ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو نمى خيراً». وقالت أسماء بنت يزيد، قال رسول الله ﷺ: «كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين مسلمين ليصلح

وأبو داود والترمذي والنسائي (**قالت: ما سمعت رسول الله ﷺ يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث**) مواطن: (**الرجل يقول القول يريد**) به (**الإصلاح**) أي إصلاح ذات البين، (**والرجل يقول القول في الحرب، والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها**) رواه مسلم في صحيحه وقد تقدم. وعند ابن جرير: لا يصلح الكذب إلا في إحدى ثلاث: الرجل يصلح بين الرجلين، وفي الحرب، والرجل يحدث امرأته. ورواه ابن جرير أيضاً من حديث أبي الطفيل بلفظ: رجل كذب امرأته ليستصلح خلقها، ورجل كذب ليصلح بين امرأين مسلمين، ورجل كذب في خديعة حرب، فإن الحرب خدعة. ورواه أبو عوانة من حديث أبي أيوب بلفظ: لا يحل الكذب إلا في ثلاثة: الرجل يكذب امرأته يرضيها بذلك، والرجل يمشي بين رجلين يصلح بينهما، والحرب خدعة.

(**وقالت أم كلثوم**) أيضاً: (**قال رسول الله ﷺ «ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو نمى خيراً»**) بتخفيف الميم وتشديدها أي رفع خيراً: رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي وابن جرير من طريق حميد بن عبد الرحمن عن أم كلثوم ولفظهم «ليس الكذاب بالذي يصلح بين الناس فينمي خيراً ويقول خيراً» وقد تقدم هذا الحديث.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، أنبأنا يونس، عن الزهري، أنبأنا حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن أمه وهي أم كلثوم بنت عقبة أخبرته أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيراً وينمي خيراً» قال ابن شهاب: فلم أسمع يرخص فيما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها.

(**وقالت أسماء بنت يزيد**) بن السكن الأنصارية بنت عمة معاذ روى لها الأربعة (**أن رسول الله ﷺ قال «كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا رجل كذب بين رجلين**) بينهما إحن وفتن (**يصلح بينهما»**) فلا يكتب عليه في ذلك إثم. قال العراقي: رواه أحمد بزيادة فيه وهو عند الترمذي مختصراً وحسّنه اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا عن داود بن عمرو الضبي، حدثنا داود بن عبد الرحمن العطار، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال «أيها الناس ما يحملكم على أن تتابعوا كما تتابع الفراش في النار كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاث خصال: رجل كذب امرأته ليرضيها، ورجل كذب بين امرأين

بينهما » . وروي عن أبي كاهل قال : وقع بين اثنين من أصحاب النبي ﷺ كلام حتى تصارما فلقيت أحدهما فقلت : ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثناء ثم لقيت الآخر فقلت له مثل ذلك حتى اصطلحا قلت : أهلكت نفسي وأصلحت بين هذين ، فأخبرت النبي ﷺ فقال : « يا أبا كاهل أصلح بين الناس » أي ولو بالكذب وقال عطاء بن يسار ، قال رجل للنبي ﷺ : أكذب على أهلي قال : « لا خير في الكذب » قال : أعدها وأقول لها . قال : « لا جناح عليك » .

وروي أن ابن أبي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوّج بهن فطارت له في الناس من ذلك أحدوثة يكرهها فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله. ثم قال لامرأته أنشدك بالله هل تبغضيني ؟

ليصلح بينهما ، ورجل كذب في خديعة الحرب . وأخرجه ابن عدي في الكامل بمثل ذلك . وأخرجه الترمذي وحسنه بلفظ « لا يصلح الكذب إلا في ثلاث : حديث الرجل امرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب يصلح بين الناس » . ورواه ابن جرير وابن النجار بهذا اللفظ من حديث عائشة .

(**وروي عن أبي كاهل**) الأحمس اسمه قيس بن عائذ وقيل عبد الله بن مالك ، روى عن النبي ﷺ ، وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد بواسطة أخيه وبغير واسطة ، وكان إمام الحي ، ومات في زمن المختار . قال الحافظ في الإصابة : وفي الصحابة رجل آخر أبو كاهل غير منسوب له حديث طويل أخرجه أبو أحمد الحاكم . (**قال : وقع بين رجلين من أصحاب النبي ﷺ كلام حتى تصارما**) أي تقاطعا ، (**فلقيت أحدهما فقلت مالك ولفلان وقد سمعته يحسن عليك الثناء ، ولقيت الآخر فقلت**) له (**مثل ذلك حتى اصطلحا ، ثم قلت أهلكت نفسي**) بالكذب (**وأصلحت بين اثنين ، فأخبرت النبي ﷺ فقال : « يا أبا كاهل أصلح بين الناس » ولو يعني بالكذب »**) قال العراقي : رواه الطبراني ولم يصح اهـ .

قلت : ولفظه ولو بكذا وكذا يعني الكذب .

(**وقال عطاء بن يسار**) أبو محمد الهلالي المدني ثقة ، روى له الجماعة (**قال رجل للنبي ﷺ : أكذب أهلي قال « لا خير في الكذب » قال : أعدها**) وعداً (**وأقول لها**) كذا وكذا أمنيها . (**قال « لا جناح عليك »**) وهذا مرسل . قال العراقي : رواه ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار مرسلاً ، وهو في الموطأ عن صفوان بن سليم معضلاً من غير ذكر عطاء بن يسار .

(**ويروى ان ابن أبي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر**) رضي الله عنه (**يخلع النساء اللاتي يتزوّجهن فطار له في الناس من ذلك أحدوثة**) أي سيرة يتناقلونها (**يكرهها**) حين يسمعها ، (**فلما علم بذلك قام بعبد الله بن أرقم**) بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن

قالت: لا تنشدني. قال فإني أنشدك الله. قالت: نعم. فقال لابن الأرقم: أتسمع ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال: إنكم لتحدثون أني أظلم النساء وأخلعهن، فاسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمتها فقال. أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه؟ فقالت: إني أول من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناشدني فتحرجت أن أكذب أفأكذب يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم فاكذبي فإن كانت إحداكن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك فإن أقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب. وعن النواس بن سمعان الكلابي قال: قال رسول الله ﷺ: «ما لي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار؟ كل الكذب يكتب على ابن آدم لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة أو يكون بين الرجلين شحناء فيصلح بينهما أو يحدث امرأته يرضيها». وقال ثوبان:

زهرة الزهري، أسلم عام الفتح، وكتب للنبي ﷺ، ولأبي بكر، وعمر، وولي بيت المال لعمر ولعثمان يسيراً، وكان من خيار عباد الله روى عنه عروة، (**حتى أدخله بيته فقال لامرأته: أنشدك الله**) أي أسألك بالله (**هل تبغضيني؟ قالت: لا تنشدني**) أي لا تحلفني. (**قال: فإني أنشدك بالله. قالت له: نعم**) أبغضك. (**فقال لابن أرقم: أتسمع**) ما قالت؟ (**ثم انطلق إلى عمر**) رضي الله عنه أي هو وزيد بن أرقم (**فقال**) ابن أبي عذرة: (**إنكم لتحدّثون. أني أظلم النساء فأخلعهن فسل ابن أرقم**) ما جرى، (**فسأله عمر فأخبره الخبر فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت وعمتها**) أي مع عمتها (**فقال «أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه؟ فقالت: إني أوّل من تاب وراجع أمر الله تعالى إنه ناشدني**) أي حلفني بالله، (**فتحرجت أن أكذب**) أي خفت أن أقع في الإثم إن كذبت، (**أفأكذب يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم فأكذبي فإن كانت إحداكن**) يا معشر النساء (**لا تحب أحدنا**) معشر الرجال (**فلا تحدثه بذلك فإن أقل البيوت الذي يبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب**) أخرجه الذهبي والإسماعيلي في مناقب عمر.

(**وعن النوّاس بن سمعان**) ابن خالد العامري (**الكلابي**) رضي الله عنه (**قال: ما لي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش**) أي تتساقطون فيه تساقط هذا الحيوان الذي يرمي نفسه (**في النار**) أي على ضوئها (**كل الكذب مكتوب كذباً لا يحل له إلا أن يكذب الرجل في الحرب**) فإنه لا يكتب عليه إثم في ذلك (**فإن الحرب خدعة**) بل قد يجب إذا دعت إليه ضرورة أهل الإسلام، (**أو يكون بين رجلين**) أو قبيلتين أو بين رجل وامرأته (**شحناء**) أي عداوة وإحن (**فيصلح بينهما، أو يحدث امرأته يرضيها**) أي يمنيها ويعدها لترضى، فالكذب في هذه الأحوال غير محرم بل قد يجب. قال العراقي: رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق وفيه انقطاع وضعف اهـ.

الكذب كله إثم إلا ما نفع به مسلماً أو دفع عنه ضرراً. وقال علي رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن النبي ﷺ فلأن أخرّ من السماء أحب إليّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة.

فهذه الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها إذا ارتبط به مقصود صحيح له أو لغيره أما ماله فمثل أن يأخذه ظالم ويسأله عن ماله فله أن ينكره أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله أن ينكر ذلك فيقول: ما زنيت وما سرقت. وقال ﷺ: «من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله»

وقلت: ورواه أيضاً الطبراني وابن السني في اليوم والليلة، والخرائطي في مكارم الأخلاق بنحوه.

(**وقال ثوبان**) رضي الله عنه: (**الكذب كله إثم إلا مانفع به مسلم أو دفع عنه**) به ضر، وقال إياس بن معاوية: الكذب عندي من يكذب فيما لا يضره ولا ينفعه، فاما رجل كذب كذبة يرد عن نفسه بها بلية أو يجر إلى نفسه بها معروفاً فليس عندي بكذاب أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت.

(**وقال علي رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخرّ**) أي اسقط (**من السماء**) إلى الأرض (**أحب إليَّ من أن أكذب عليه**) فإن كذباً عليه ليس ككذب على أحد، (**وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم**) أي في المحاورات (**فالحرب خدعة**) وقد تقدم تحقيق هذه اللفظة في كتاب العلم، وتقدم بيان قول علي رضي الله عنه في كتاب الحلال والحرام.

(**فهذه**) الخصال (**الثلاث ورد فيها صريح الاستثناء وفي معناها ما عداها**) أي لها حكمها في أن يستثنى من التحريم (**إذا ارتبط به غرض مقصود صحيح له أو لغيره**) من إخوانه المسلمين، (**أما ما له فمثل أن يأخذه ظالم**) فيعذبه ويهدده (**ويسأله عن ماله**) أين وضعه، (**فله أن ينكره**) فيقول: لا أدري وليس عندي مال، (**أو يأخذه السلطان ويسأله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى ارتكبها فله ان ينكر ويقول: ما زنيت ولا شربت. قال رسول الله ﷺ «من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات**) جمع قاذورة وهي كل قول أو فعل يستفحش ويستقبح، وقيل: المراد هنا الفاحشة يعني لأن سبب الحديث أنه ذكره لما رجم ماعزاً سميت قاذورة لأن حقها ان تتقذر فوصفت بما يوصف به صاحبها (**فليستتر بستر الله»**) أي لا يخبر بذلك الناس وفي معناه قول العامة: إذا بليتم فاستتروا قال العراقي: رواه الحاكم من حديث ابن عمر «اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله» وإسناده جيد اهـ.

قلت: وتمامه «وليتب إلى الله فإنه من يبدلنا صفحته نقم عليه كتاب الله» قال الحاكم على

وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى، فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلماً وعرضه بلسانه وإن كان كاذباً.

وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره وأن يصلح بين اثنين وأن يصلح بين الضرات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه وإن كانت امرأته لا تطاوعه إلا بوعد لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطيباً لقلبها أو يعتذر إلى إنسان وكان لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد فلا بأس به، ولكن الحد فيه أن الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور، فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط، فإذا علم أن المحذور الذي يحصل بالصدق أشد وقعاً في الشرع من الكذب فله الكذب، وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الأمران بحيث يتردد فيهما، وعند ذلك الميل إلى الصدق أولى لأن الكذب

شرطهما، وتعقبه الذهبي فقال: غريب جداً لكنه قال في المهذب: اسناده جيد، وصححه ابن السكن، وذكره الدارقطني في العلل، وصحح إرساله، وقول ابن عبد البر: لا نعلمه بوجه من الوجوه. قال الحافظ ابن حجر: مراده من حديث مالك، ولما ذكر إمام الحرمين هذا الحديث في النهاية قال: صحيح متفق على صحته فتعجب منه ابن الصلاح، وقال: أوقعه فيه عدم المامه بصناعة الحديث التي يفتقر إليها كل عالم، **(وذلك لأن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى)** بل أعظم من الأولى، **(فللرجل أن يحفظ دمه)** عن السفك **(وماله)** عن السلب **(الذي يؤخذ ظلماً)** وعدواناً **(وعرضه)** عن الهتك **(بلسانه، وإن كان كاذباً)** في قوله.

(وأما عرض غيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره) ولا يقر ولا يفشيه، **(و)** له **(أن يصلح بين اثنين)** متخاصمين **(وأن يصلح بين الضرّات من نسائه)** جمع الضرة على القياس وهي امرأة زوجها، ويجمع أيضاً على الضرائر مثل كريمة وكرائم ولا يكاد يوجد لها نظير **(بأن يظهر لكل واحدة)** منهن **(أنها أحب)** النساء **(إليه)** لتسكن بذلك، **(أو كانت امرأته لا تطيعه إلا بوعد بما لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييباًلقلبها)** وجبراً لخاطرها، **(أو يعتذر إلى إنسان، وكان)** ممن **(لا يطيب قلبه إلا بإنكار ذنب وزيادة تودد)** مع وجود ذنب وقلة ودّ **(فلا بأس به)** أي يباح له ذلك، **(ولكن الحد فيه أن الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور، فينبغي أن يقابل أحدهما بالآخر ويزن بالميزان القسط)** أي العدل، **(فإذا علم المحذور الذي يحصل بالصدق أشدّ وقعاً في الشرع)** بأن يترتب عليه اختلال شيء من أموره الظاهرة وأعظم تأثيراً **(من الكذب فله الكذب)** حينئذ، **(وإن كان ذلك المقصود أهون من مقصود الصدق فيجب الصدق)** مراعاة للأصل ويلغي النظر إلى ذلك المقصود. **(وقد يتقابل الأمر بحيث يتردّد فيه)** أي يستوي طرفاه ولا بدّ من الترجيح، **(وعند ذلك الميل إلى الصدق أولى لأن الكذب)** من أصله قبيح وإنما قلنا إنه

يباح لضرورة أو حاجة مهمة فإن شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم فيرجع إليه، ولأجل غموض إدراك مراتب المقاصد ينبغي أن يحترز الإنسان من الكذب ما أمكنه، وكذلك مهما كانت الحاجة فيستحب له أن يترك اغراضه ويهجر الكذب فأما إذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة لحق الغير والإضرار به وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم، ثم هو لزيادات المال والجاه ولأمور ليس فواتها محذوراً، حتى أن المرأة لتحكي عن زوجها ما تفخر به وتكذب لأجل مراغمة الضرات وذلك حرام. وقالت أسماء سمعت امرأة سألت رسول الله ﷺ قالت: إن لي ضرة وإني أتكثر من زوجي بما لم يفعل أضارها بذلك فهل علي شيء فيه؟ فقال ﷺ «المتشبع بما لم يعط

(مباح لضرورة دعت أو حاجة مهمة) ألمت، **(فإذا شك في كون الحاجة مهمة فالأصل التحريم)** فيه **(فيرجع إليه ولأجل غموض ادراك مراتب المقاصد)** وخفائه، فإنه يختلف بإختلاف الذوات وتفاوت الأوقات والحالات، **(فينبغي أن يحترز الإنسان عن الكذب ما أمكنه)** لأن الصدق أنجى والخلاص فيه أرجى، **(ولذلك)** قالوا: **(مهما كانت الحاجة له)** أي لنفسه خاصة **(فيستحب له ان يترك أغراضه ويهجر الكذب)** ويختار الصدق، **(وأما إذا تعلق بغرض غيره فلا يجوز المسامحة بحق الغير والإضرار به)** لأن حقه آكد والمراعاة فيه مطلوبة والإضرار حرام. **(وأكثر كذب الناس إنما هو لحظوظ أنفسهم)** أي لأجل تحصيلها لها من حيث كانت، **(ثم هو لزيادات المال والجاه)** وتكثير الحشم والخدم والتبسط في أمور الدنيا، **(ولأمور)** أخر **(ليس فواتها محذوراً)** شرعياً، **(حتى أن المرأة لتحكي عن زوجها ما تتفاخر به وتكذب)** في تعبيرها **(لأجل مراغمة الضرات)** وكسر قلبهن، **(وذلك حرام. قالت أسماء)** بنت أبي بكر الصديق زوجة الزبير رضي الله عنهم، وأمها قتيلة بنت عبد العزي من بني عامر بن لؤي أسلمت قديماً بمكة. قال ابن إسحاق بعد سبعة عشر نفساً وهاجرت وهي حامل من الزبير بولده عبد الله، فوضعته بقباء وعاشت إلى أن ولي ابنها الخلافة، ثم إلى أن قتل وماتت بعده بقليل، وكانت تلقب «ذات النطاقين». وروت عن النبي ﷺ عدة أحاديث وهي في الصحيحين، وفي السنن، روى عنها ابناها عبد الله وعروة وأحفادها عباد بن عبد الله وعبد الله بن عروة وفاطمة بنت المنذر بن الزبير وعباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، ومولاها عبد الله بن كيسان، وابن عباس وصفية بنت شيبة وابن أبي مليكة ووهب بن كيسان وغيرهم، وقد بلغت مائة سنة لم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل: **(سمعت امرأة تسأل رسول الله ﷺ قالت: إن لي ضرة)** وهي امرأة زوجها **(وإني أتكثر من زوجي بما لا يفعل)** فأقول أعطاني وكساني كذا وهو كذب **(أضارها بذلك)** أي أطلب مضرتها والمضارة تكون من الجانبين، **(فهل علي فيه شيء؟ فقال «المتشبع)** متفعل من الشبع وصيغة التفعل للتكلف ومعناه المتكلف الإسراف في الأكل وزيادة على الشبع، أو المراد المتشبه بالشبعان وليس به **(بما لم يعط)** وفي رواية للعسكري

كلابس ثوبي زور ». وقال ﷺ: « من تطعم بما لا يطعم أو قال لي وليس له أو أعطيت ولم يعط فهو كلابس ثوبي زور يوم القيامة » ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه، وروايته الحديث الذي لا يثبته إذ غرضه أن يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من أن يقول: لا أدري وهذا حرام ومما يلتحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في المكتب إلا بوعد أو وعيد أو تخويف كاذب كان ذلك مباحاً. نعم روينا في الأخبار أن ذلك يكتب كذباً ولكن الكذب المباح أيضاً قد يكتب ويحاسب عليه ويطالب

بما لم ينل وكلاهما بالبناء للمجهول، (**كلابس ثوبي زور**) أي ذي زور وهو من يزوّر على الناس فيلبس لباس ذوي التقشف وليس هو بذاك، وأضاف الثوبين إلى الزور لأنهما لبسا لأجله، وثنى باعتبار الرداء والإزار يعني أن المتحلي بما ليس له كمن لبس ثوبين من الزور ارتدى بأحدهما واتزر بالآخر. وقيل: المراد بثوبي زور من يصل بكميه كمين ليرى أنه لابس قميصين، أو من يلبس ثوبين لغيره موهماً أنهما له، وكيفما كان فيتحصل منه ان تشبع المرأة على ضرتها بما لم يعطها زوجها حرام، وهذا من بديع التشبيه وبليغه. وقال العراقي: متفق عليه من حديث أسماء اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد، وأبو داود، ورواه مسلم أيضاً من حديث عائشة بهذه القصة. ورواه العسكري في الأمثال من طريق ابن جريج، عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعاً. وفي الباب سفيان بن الحكم الثقفي وجابر.

(**وقال ﷺ « من تطعم بما لم يطعم وقال**) هذا (**لي وليس له وأعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيامة »**) قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ.

قلت: ولكن معناه صحيح، وروى العسكري في الأمثال من طريق أيوب بن سويد، عن الأوزاعي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر مرفوعاً « من تحلى بباطل كان كلابس ثوبي زور » وفي معناه ما رواه الديلمي من حديث ابن عباس « من تزين للناس بما يعلم الله منه غير ذلك شأنه الله عز وجل ».

(**ويدخل في هذا فتوى العالم بما لم يتحققه**) من نفسه (**وروايته الحديث الذي ليس يتثبت فيه**) لعدم تمكنه في صناعته، (**إذ غرضه**) من افتائه وتحديثه (**أن يظهر فضل نفسه**) على غيره، (**فهو لذلك يستنكف من أن يقول لا أدري وهذا حرام**) ويلتحق به الانتصاب للتدريس والإفادة في العلوم الظاهرة أو الباطنة من غير تمكنه من الأهلية، فإنه لعب في الدين وازراء به. قال الشبلي: من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه، وفي المشهور على الألسنة من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

(**ومما يلتحق بالنساء الصبيان فإن الصبي إذا كان لا يرغب في المكتب إلا بوعد**) بشيء (**أو وعيد وتخويف كان ذلك مباحاً**) وإن كان كذباً في نفسه. (**نعم روينا في الأخبار أن ذلك يكتب كذيبة**) تصغير كذبة، فمن ذلك ما روي من حديث ابن مسعود مرفوعاً في أثناء

بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لأنه إنما أبيح بقصد الإصلاح ويتطرق إليه غرور كبير، فإنه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه وإنما يتعلل ظاهراً بالإصلاح فلهذا يكتب وكل من أتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذي كذب لأجله هل هو أهم في الشرع من الصدق أم لا، وذلك غامض جداً والحزم تركه إلا أن يصير واجباً بحيث لا يجوز تركه كما لو أدى إلى سفك دم أو إرتكاب معصية كيف كان.

وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع الأحاديث في فضائل الأعمال وفي التشديد في المعاصي، وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ محض. إذ قال ﷺ: «من كذب

حديث طويل، وأن الكذب لا يصلح منه جدّ ولا هزل ولا يعد أحدكم صبياً ولا ينجز له. ومن حديث أبي هريرة: من قال لصبيه ها أعطيك فلم يعطه شيئاً كتبت كذبة. رواهما ابن أبي الدنيا في الصمت.

(ولكن الكذب المباح أيضاً قد يكتب) في صحيفة أعماله، (ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده) وحسن نيته (فيه ثم يعفى عنه) بمحض فضله، (لأنه إنما أبيح بقصد الإصلاح ويطرق إليه غرور كثير، فإنه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن عنه، وإنما يتعلل ظاهراً بالإصلاح، فلهذا يكتب) ومن ثم شدد فيه فقال ابن مسعود: والذي نفسي بيده ما أحل الله الكذب في جد ولا هزل قط اقرؤا إن شئتم ﴿اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة، ١١٩] وقال الأعمش: ذكرت لإبراهيم حديث أبي الضحى عن مسروق أنه رخص في الكذب في الإصلاح بين الناس فقال: ما كانوا يرخصون في الكذب في جد ولا هزل، وقال عبد الله بن عون: ذكر عند محمد بن سيرين أنه يصلح الكذب في الحرب، فانكر ذلك وقال: ما أعلم الكذب إلا حراماً. (وكل من أتى بكذبة فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم أن المقصود الذي كذب له) أي لأجل تحصيله (هل هو أهم في الشرع من الصدق) وآكد (أم لا وذلك غامض) أي خفي (جداً، فالحزم) كل الحزم (في تركه) من أصله (إلا أن يصير واجباً) عليه (بحيث لا يجوز تركه، كما) إذا كان الصدق (يؤدي إلى سفك دم) أخيه بغير وجه شرعي، (وارتكاب معصية كبيرة يتسبب منها الانحلال عن ربقة الدين كيف كان) وهذا هو التحقيق في هذا المقام.

(وقد ظن ظانون) من الكرامية ومن تبعهم من غيرهم من جهلة المتصوّفة والقصاص (أنه يجوز وضع الأخبار) على رسول الله ﷺ (في) الترغيب مثل: (فضائل الأعمال) من صلاة وصوم في ساعات مخصوصة وأيام مخصوصة، وكذا فضائل القرآن، (وفي) الترهيب مثل (التشديد في المعاصي) والزجر عنها، (وزعموا أن القصد منه صحيح وهو خطأ محض)

عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ». وهذا لا يرتكب إلا لضرورة ولا ضرورة إذ في الصدق مندوحة عن الكذب ففيما ورد من الآيات والأخبار كفاية عن غيرها. وقول القائل: إن ذلك قد تكرر على الأسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه أعظم، فهذا هوس إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله ﷺ وعلى الله تعالى، ويؤدي فتح بابه إلى أمور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا شره أصلاً والكذب على رسول الله ﷺ من الكبائر التي لا يقاومها شيء نسأل الله العفو عنا وعن جميع المسلمين.

وشذوذ عن طريق الاستقامة بل غباوة ظاهرة وجهالة متناهية. قال ابن جماعة وغيره: وهؤلاء أعظم الأصناف ضرراً وأكثرهم خطراً إذ لسان حالهم يقول: الشريعة محتاجة لكذا فنكملها (**إذ قال** ﷺ **« من كذب عليَّ**) أي أخبر عني بشيء خلاف ما هو عليه (**متعمداً**) **أي قاصداً ذلك عن** عمد (**فليتبوّأ**) أي ليتخذ (**مقعده من النار »**) أمر بمعنى الخبر، أو بمعنى التهديد، أو بمعنى التهكم، أو دعاء عليه أي بوأه الله ذلك، أو خبر بلفظ الأمر، ومعناه استوجب ذلك فليوطن نفسه عليه، والمراد أن هذا جزاؤه وقد يغفر له أو الأمر على حقيقته، والمعنى: من كذب فليأمر نفسه بالبواء. قال الحافظ ابن حجر: وأول الوجوه أولاها أخرج هذا الحديث الائمة الستة في كتبهم من طرق متعددة تقدم ذكرها تفصيلاً في كتاب العلم فراجعه. وقال ابن الصلاح: ليس في مرتبته من التواتر غيره وخرج بقوله متعمداً ما إذا كان عن ذهول ونسيان كما وقع لبعض الثقات، فإن هذا ليس بكذب عليه.

(**وهذا لا يترك إلا لضرورة هنا إذ في الصدق مندوحة**) أي متسع (**عن الكذب، ففيما ورد من الآيات والأخبار**) في الترغيب والترهيب (**كفاية**) ومقنع (**عن غيرها**) فلا يصار إليه، (**وقول القائل**) منهم: (**إن ذلك تكرر على الأسماع**) وكثر وروده عليها (**وسقط وقعه**) وملت عنه (**وما هو جديد**) طري لم يسمع، (**فوقعه**) على القلوب (**أعظم. فهذا هوس**) وتخبيط وجهل عظيم (**إذ ليس هذا من الأغراض التي تقاوم محذور الكذب على رسول الله ﷺ وعلى الله تعالى**)، وإذا قيل بذلك على ما زعموا فانه (**يؤدي فتح بابه إلى أمور تشوّش الشريعة**) وتقلبها (**فلا يقاوم خير هذا**) ان فرض أنه خير (**شره أصلاً**)، وإذا فهمت ذلك (**فالكذب على رسول الله ﷺ**) هو كذب على الله تعالى، وإنه (**من الكبائر التي لا يقاومها شيء**) أي هو من أكبر الكبائر، وعليه الإجماع وكون متعمد الكذب عليه يكفر ذهب إليه الشيخ أبو محمد الجويني كما نقله ابن الجوزي والسيوطي وغيرهما، ولكن ضعفه ابنه إمام الحرمين كما تقدم ذلك في كتاب العلم مفصلاً.

وروى أحمد من حديث ابن عمر « من كذب عليَّ فهو في النار » وظاهره ولو مرة قال أحمد:

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض:

قد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب. قال عمر رضي الله عنه: أما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب؟ وروي ذلك عن ابن عباس وغيره وإنما

يفسق وترد شهادته، ورواياته كلها ولو تاب وحسنت توبته تغليظاً عليه، وغالب الكذابين على النبي ﷺ زنادقة أرادوا تبديل الدين. قال حماد: وضعت الزنادقة أربعة عشر ألف حديث والله أعلم، واستشكل هذا الحديث بأن الكذب معصية مطلقاً إلا لمصلحة والمعاصي متوعد عليها بالنار، فما الذي امتاز به عنها الكاذب عليه؟ وأجيب بأن الكذب عليه كبيرة وعلى غيره صغيرة، ولا يلزم أن يكون مقر الكاذبين واحداً، ويدل لذلك ما رواه الطبراني في الكبير وابن مردويه من حديث أبي أمامة «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من بين عيني جهنم» قالوا يا رسول الله نحدث عنك بالحديث يزيد وينقص. قال «ليس ذاك أعنيكم إنما أعني الذي يكذب عليَّ متحدثاً يطلب به شين الإسلام» قالوا: وهل لجهنم عين؟ قال: «نعم أما سمعتموه يقول ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾ فهل تراهم إلا بعينين».

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض:

جمع معراض والمراد به التعريض. قال السعد التفتازاني: التعريض ذكر لفظ محتمل يفهم منه السامع خلاف ما يريده المتكلم. وقال بعض المتأخرين: هو ذكر شيء مقصود بلفظ حقيقي أو مجازي أو كنائي ليدل به على شيء آخر لم يذكر في الكلام نقله المناوي في شرحه، وقيل: هو أن يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيئاً ومراده شيء آخر. كذا في البستان وتحقيقه في قوله تعالى ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به﴾ [البقرة: ٢٣٥] من خطبة النساء وفي المغرب التعريض خلاف التصريح، والفرق بينه وبين الكناية هو أن التعريض يتضمن الكلام دلالة ليس فيها ذكر كقوله: ما أقبح البخل تعريض بأنه بخيل، والكناية ذكر اللزوم وارادة اللازم، كقولك: فلان طويل النجاد كثير الرماد. والنجاد: حمائل السيف، والمعنى أنه طويل القامة ومضياف.

(وقد نقل عن السلف) قولهم: **(إن في المعاريض مندوحة)** أي سعة وغنية وفسحة **(عن الكذب)** وهذا قد روي مرفوعاً أخرجه ابن عدي في الكامل من طريق أبي إبراهيم الترجماني، حدثنا داود بن الزبرقاني، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن زرارة بن أبي أوفى، عن عمران بن الحصين رضي الله عنه مرفوعاً «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب» قال: ولا أعلم رفعه غير داود، ورواه البيهقي وابن السني عنه موقوفاً. قال البيهقي: الصحيح هكذا. ورواه الترجماني عن داود بن الزبرقان، عن أبن أبي عروبة فرفعه. قال الذهبي: داود قد تركه أبو داود وقد رواه كذلك البخاري في الأدب المفرد.

(قال عمر رضي الله عنه) في معنى ذلك **(في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب)** أي يغنيه عنه ويجعله في فسحة منه رواه البيهقي في الشعب من طريق أبي عثمان النهدي عنه بلفظ:

أرادوا بذلك إذ اضطر الإنسان إلى الكذب، فأما إذا لم تكن حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعاً ولكن التعريض أهون ومثال التعريض ما روي أن مطرفاً دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال: ما رفعت جنبي مذ فارقت الأمير إلا ما رفعني الله وقال إبراهيم: إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب فقل الله تعالى ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله: «ما» حرف نفي عند المسمع وعنده للإبهام. وكان معاذ بن جبل عاملاً لعمر رضي الله عنه فلما رجع قالت له امرأته ما جئت به مما يأتي به العمال إلى أهلهم؟ وما كان قد أتاها بشيء فقال كان عندي ضاغط قالت: كنت أميناً عند رسول الله ﷺ. وعند أبي بكر رضي الله عنه فبعث عمر معك

أما أن في المعاريض ما يكفي المسلم من الكذب، ورواه العسكري في الأمثال من طريق محمد بن كثير عن ليث عن مجاهد قال: قال عمران في المعاريض لمندوحة للرجل المسلم الحر عن الكذب.

(وروي ذلك عن ابن عباس وغيره) من الصحابة رضوان الله عليهم منهم: عمران بن حصين، فقد روى ذلك من قوله كما في الأدب المفرد للبخاري، ومنهم من رفعه كما تقدم والموقوف هو الصحيح قاله البيهقي، ومنهم علي بن أبي طالب روي عنه موقوفاً ومرفوعاً، (وإنما أرادوا ذلك إذا اضطر الإنسان إلى الكذب) والجيء إليه، (فأما إذا لم يكن حاجة ولا ضرورة فلا يجوز التعريض ولا التصريح جميعاً، ولكن التعريض أهون) في الجملة. وقال البيهقي بعد أن أورد الحديث المذكور: هذا يجوز فيما يرد به ضرراً ولا يضر الغير، (ومثال المعاريض ما روي أن مطرفاً) هو ابن عبد الله بن الشخير البصري التابعي الثقة العابد تقدم ذكره (دخل على زياد) بن عبيد الله وهو المعروف بابن سمية ولاه يزيد بن معاوية البصرة والكوفة (فاستبطأه) أي عاتبه في بطئه عنه للسلام عليه، (فتعلل) مطرف (بمرض) أي أظهر له أنه كان مريضاً (وقال: ما رفعت جنبي) عن الفراش (منذ فارقت الأمير إلا ما رفعني الله) فإنه يشمل الرفع الاختياري والاضطراري.

(وقال إبراهيم) النخعي: (إذا بلغ الرجل عنك شيء فكرهت أن تكذب فقل إن الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله: «ما» حرف نفي عند المستمع) فيفهم من قوله أنه لم يقله، (وعنده) أي عند القائل (للإبهام) إما موصولة أو إستفهامية وفي كل منهما الإبهام، وكذا لو قال: الله يعلم ما قلته وهو أخصر من الأول. (وكان معاذ) بن جبل رضي الله عنه (عاملاً لعمر) رضي الله عنه على بعض الأعمال (فلما رجع) من عمله (قالت) له (امرأته: ما جئت به ما يأتي به العمال إلى أهليهم) وفي بعض النسخ من عراضة أهليهم، والمراد الهدية والتحفة تعرض على الأهل (ولم يكن جاء به) وفي نسخة: وما كان قد أتاها بشيء فاعتذر إليها، (فقال: كان معي ضاغط) قال ابن فارس في المجمل يقال أرسله ضاغطاً على فلان هو شبه الرقيب يمنعه من الظلم. (قالت) زوجته: (كنت أميناً عند رسول الله ﷺ وأبي

ضاغطاً وقامت بذلك بين نسائها واشتكت عمر فلما بلغه ذلك دعا معاذاً وقال: بعثت معك ضاغطاً. قال: لم أجد ما اعتذر به إليها إلا ذلك فضحك عمر رضي الله عنه وأعطاه شيئاً. فقال: أرضها به ومعنى قوله ضاغطاً يعني رقيباً وأراد به الله تعالى وكان النخعي لا يقول لابنته: أشتري لك سكراً بل يقول: أرأيت لو اشتريت لك سكراً فإنه ربما لا يتفق له ذلك. وكان إبراهيم إذا طلبه من يكره أن يخرج إليه وهو في الدار. قال للجارية: قولي له أطلبه في المسجد ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذباً. وكان الشعبي إذا طلب في المنزل وهو يكرهه خط دائرة وقال للجارية ضعي الأصبع فيها وقولي: ليس ههنا. وهذا كله في موضع الحاجة. فأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا تفهيم

بكر) إذا استعملاك على أعمالهم، (**فبعث معك عمر ضاغطاً**) أنكرت ذلك، (**فقامت بذلك في نسائها واشتكت عمر، فلما سمع عمر**) ذلك (**دعا معاذاً وقال: بعثت معك ضاغطاً. قال: لم أجد ما كعتذر به إليها إلا ذلك فضحك عمر**) وعلم أن هذا من باب التعريض لمصلحة تطييباً لخاطرها، (**وأعطاه شيئاً فقال: أرضها به، وقوله: ضاغطاً يريد به**) معاذ (**ربه تعالى**) أي محاسباً ضابطاً.

(**وكان**) إبراهيم (**النخعي**) رحمه الله تعالى (**لا يقول لابنته اشترى لك سكراً، بل يقول: أرأيت لو اشتريت لك سكراً**) تحرياً من الوقوع في الكذب، (**فإنه ربما لا يتفق له ذلك**) فيكون كذباً. (**وكان إبراهيم**) النخعي إذا طلبه (**في الدار من يكرهه**) أي يكره لقيه وهو في الدار (**قال للجارية: قولي أطلبه في المسجد**) أي مسجد الحي وهو يكون في مسجد بيته، (**ولا تقولي ليس ههنا كيلا يكون كذباً**) وكان بعضهم يقول الخادمة: قل له ما هو هون يريد به الهاون الذي يدق فيه، (**وكان**) عامر بن شراحيل (**الشعبي إذا طلب في البيت وهو يكرهه**) أي يكره أن يخرج إليه (**يخط دائرة ويقول للجارية: ضعي أصبعك فيها وقولي ليس ههنا**) وفي رواية كان يخط بإصبعه دارة في الحائط ويقول قل له ما هو في الدار، ويريد به جمع دارة. ومن ذلك قول سعيد بن جبير حين أراد الحجاج قتله وقد قال له: ما تقول فيّ؟ قال قاسط عادل، فقال الحاضرون. ما أحسن ما قال ظنوا أنه وصفه بالقسط والعدل. قال الحجاج: يا جهلة سماني مشركاً ظالماً ثم تلا ﴿وأما القاسطون﴾ الآية [الجن: ١٥] وقوله: ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ [الأنعام: ١] وقصد رجل باب المأمون فقال: قولوا أحمد النبي بالباب فاستحضره وهدده فقال: أنا أحمد النبي أنت لا تحمده فضحك وقضى حاجته، ومن أحسن المعاريض ما رواه الحسن بن سفيان والديلمي من حديث أبي هريرة قال: ركب رسول الله ﷺ خلف ناقة أبي بكر وقال: «يا أبا بكر ول الناس عني فإنه لا ينبغي لنبي أن يكذب» فجعل الناس يسألونه من أنت؟ قال: باغ يبتغي. قالوا: ومن وراءك؟ قال هادٍ يهديني.

(**وهذا كله في موضع الحاجة فأما في غير موضع الحاجة فلا لأن هذا تفهيم للكذب،**

للكذب، وإن لم يكن اللفظ كذباً فهو مكروه على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال: دخلت مع أبي على عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فخرجت وعلي ثوب، فجعل الناس يقولون: هذا كساكه أمير المؤمنين، فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيراً. فقال لي أبي: يا بني اتق الكذب وما أشبه فنهاه عن ذلك لأن فيه تقريراً لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهذا غرض باطل لا فائدة فيه.

نعم المعاريض تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله ﷺ: «لا يدخل الجنة عجوز» وقوله للأخرى الذي في عين زوجك بياض، وللأخرى نحملك على ولد البعير وما أشبه. وأما الكذب الصريح كما فعله نعيان الأنصاري مع عثمان في قصة

وإن لم يكن اللفظ كذباً فهو مكروه على الجملة، كما روي عن عبد الله بن عتبة) بن عبد الله بن مسعود الهذلي الكوفي والد أبي العميس **(قال: دخلت)** مع أبي عتبة بن عبد الله بن مسعود **(على عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى، **(فخرجت وعلي ثوب)** أي جديد **(فجعل الناس يقولون: هذا كساك أمير المؤمنين)** يعني عمر بن عبد العزيز، **(فكنت أقول جزى الله أمير المؤمنين خيراً، فقال لي يا بني اتق الكذب إياك والكذب وما أشبه)** والذي في كتاب الصمت لابن أبي الدنيا قال: حدثنا المثنى بن معاذ، ثنا سلم بن قتيبة، عن المسعودي، عن عون بن عبد الله قال. كساني أبي حلة فخرجت فيها فقال لي أصحابي: كساك هذه الأمير؟ فأحببت أن يروا أن الأمير كسانيها، فقلت: جزى الله الأمير خيراً كسا الله الأمير من كسوة الجنة، فذكرت ذلك لأبي فقال: يا بني لا تكذب ولا تشبه بالكذب، فالمسعودي هو عبد الرحمن ابن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود، وعون هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود. فالقصة لعون مع أبيه عتبة لا لعتبة مع أبيه عبد الله كما هو في سياق المصنف. **(فنهاه عن ذلك)** أي من التعريض **(لأن فيه تقريراً لهم على ظن كاذب لأجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل ولا فائدة فيه)** ويكفي في تقبيح التقرير على الظن الكاذب ما تقدم من حديث سمرة بن جندب: من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين. **(نعم المعاريض تباح بغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح، كقوله ﷺ: «لا تدخل العجوز الجنة»)** وقد تقدم قريباً **(و)** كقوله: **(«في عين زوجك بياض»)** قاله لأم أيمن وقد تقدم أيضاً **(و)** كقوله **(«نحملك على ولد البعير»)** قاله لامرأة جاءته تستحمله وقد تقدم أيضاً. **(وما أشبهه فأما الكذب الصريح كما فعله نعيان)** بن عمرو **(الأنصاري)** رضي الله عنه **(مع عثمان)** بن عفان رضي الله عنه **(في قصة الضرير)** يعني به مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهري، وهو أبو المسور رضي الله عنهما. قال الواقدي: وكان قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة وكان قد عمي **(إذ قال له: إنه نعيان)** فضربه حتى شجه في وجهه وكان يصلي، وهذه القصة ذكرها الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح قال: حدثني عمي عن جدي قال: كان مخرمة بن

الضرير إذ قال له: إنه نعيان وكما يعتاده الناس بملاعبة الحمقى بتغريرهم بأن امرأة قد رغبت في تزويجك فإن كان فيه ضرر يؤدي إلى إيذاء قلب فهو حرام وإن لم يكن إلا لمطايبته فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكن ينقص ذلك من درجة إيمانه. قال ﷺ: « لا يكمل للمرء الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه » وأما قوله عليه السلام: « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها الناس يهوي بها في النار أبعد من الثريا » أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا

نوفل قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة، فقام في المسجد يريد أن يبول فصاح به الناس المسجد المسجد، فأخذ نعيمان بن عمرو بيده فنحى به ثم أجلسه في ناحية أخرى من المسجد فقال له: بل هنا. قال: فصاح به الناس فقال: ويحكم فمن أتى بي إلى هذ الموضع؟ فقال: إما أن لله عليَّ إن ظفرت به أن أضربه بعصاي هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت، فبلغ ذلك نعيمان فمكث ما شاء الله ثم أتاه يوماً وعثمان قائم يصلي في ناحية المسجد فقال لمخرمة: هل لك في نعيمان؟ قال: نعم فاخذ بيده حتى أوقفه على عثمان، وكان إذا صلى لا يلتفت، فقال: دونك هذا نعيمان فجمع يديه بعصاه فضرب عثمان فشجه فصاحوا به ضربت أمير المؤمنين فذكر بقية القصة.

(وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى) الذين نقص جوهر عقولهم **(بتغريرهم)** أي بإيقاعهم في الغرور والغفلة **(بأن امرأة قد رغبت في تزويجك)** ويصورون لهم كلاماً يصدقونه **(فإن كان فيه ضرر)** ظاهر **(ويؤدي إلى إيذاء قلب)** مسلم **(فهو حرام)** لا يجوز ارتكابه، **(وإن لم يكن إلا مطايبة)** بلين كلام **(فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكنه ينقص من درجة إيمانه)** العليا. **(قال رسول الله ﷺ: « لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه »)** قال العراقي: ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب من حديث أبي مليكة الذماري، وقال: فيه نظر، وللشيخين من حديث أنس: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ». وللدراقطني في المؤتلف والمختلف من حديث أبي هريرة: « لا يؤمن عبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في مزاحه » قال أحمد بن حنبل: منكر اهـ.

قلت: ذكره البخاري في الكنى، وأورد له هذا الحديث من طريق راشد بن سعد عنه، ورواه أبو نعيم في المعرفة بلفظ: «وحتى يخاف الله في مزاحه وكذبه» وحديث أبي هريرة رواه أيضاً أحمد والطبراني في الأوسط بلفظ: « حتى يترك الكذب في المزاحة ويترك المراء وإن كان صادقاً » وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا علي بن الجعد، أنبأنا شعبة عن الحكم قال: قال ابن عمر: « لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وهو محق والكذب في المزاح ». ورواه أبو يعلى من حديث عمر، وقد تقدم الكلام عليه في آفة المراء.

(وأما قوله ﷺ: « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوي بها أبعد من الثريا ») تقدم في الآفة الثالثة مع نظائره، **(أراد به ما فيه غيبة مسلم أو إيذاء قلب دون**

يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقوله: طلبتك كذا وكذا مرة وقلت لك كذا مائة مرة فإنه لا يريد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذباً وإن كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة لا يأثم وإن لم تبلغ مائة وبينهما درجات بتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب، ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال: كل الطعام، فيقول لا أشتهيه ذلك منهي عنه وهو حرام، إن لم يكن فيه غرض صحيح قال مجاهد، قالت أسماء بنت عميس: كنت صاحبة عائشة في الليلة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعي نسوة. قالت: فوالله ما وجدنا عنده قرى إلا قدحاً من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت: فاستحيت الجارية فقلت لا تردي

محض المزاح) وقد تقدمت الإشارة إليه آنفاً. **(ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق)** أي ومن جنس الكذب الملحق به ولا يوجب الفسق بسببه **(ما جرت العادة في المبالغة)** في العدد **(كقوله: قلت لك كذا مائة مرة وطلبتك مائة مرة)** وقد يزاد في المبالغة فيقال: خمسمائة مرة أو ألف مرة **(فإنه لا يراد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة)** بان وقع منه ذلك الفعل مرات، **(فإن لم يكن طلبه إلا مرة واحدة كان كاذباً)** في قوله وكذا في العشرة، **(وإن كان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم وإن لم يبلغ مائة)** أو أكثر، **(وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب)** أي خطر الوقوع فيه، وكذا الاستعارة مرتبة من هذا القسم من الكذب في المبالغة، ولكنها ليست بكذب فإن علماء البيان قد حققوا ذلك بالبرهان، وقالوا: الاستعارة تفارق الكذب من وجهين. أحدهما: البناء على التأويل، وثانيهما: نصب الدليل من القرينة على إرادة خلاف الظاهر نحو: رأيت أسداً في الحمام ولكن عليك الاحتياط في مثل هذا الكلام.

(ومما يعتاد الكذب فيه ويتساهل به أن يقال كل الطعام فيقول: لا أشتهيه، وذلك منهي عنه وهو حرام إن لم يكن فيه غرض صحيح) وهو أن يكون شبعان ولا يرى إدخال الطعام على الطعام، أو يكون الطعام فيه شبهة أو قذارة لا يشتهي لأجل ذلك أو غيره، وقد أخرج ابن أبي الدنيا من طريق شقيق بن سلمة قال: قال لي أخي عبد الرحمن بن سلمة: ما كذبت منذ أسلمت إلا أن الرجل يدعوني إلى طعامه فأقول ما أشتهيه، فعسى أن يكتب.

(قال مجاهد) بن جبر المكي التابعي الثقة **(قالت أسماء بنت عميس)** بن معبد بن الحرث ابن كعب الخثعمية، هاجرت مع جعفر إلى الحبشة، تزوجها أبو بكر الصديق، ثم علي بن أبي طالب، وكانت فاضلة جليلة: **(كنت صاحبة عائشة رضي الله عنها في الليلة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعي نسوة قالت: فوالله ما وجدنا عنده قرى)** أي ضيافة **(إلا قدحاً من لبن)** فشرب منه، **(ثم ناول عائشة رضي الله عنها قالت)** أسماء: **(فاستحيت**

يد رسول الله ﷺ خذي منه قالت: فأخذت منه على حياء فشربت منه، ثم قال: ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه. فقال: لا تجمعن جوعاً وكذباً. قالت: فقلت يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه أيعد ذلك كذباً؟ قال: «إن الكذب ليكتب كذباً حتى تكتب الكذيبة كذيبة» وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب، قال الليث بن سعد: كانت عينا سعيد بن المسيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له: لو مسحت عينيك؟ فيقول وأين قول الطبيب لا تمس عينيك. فأقول لا أفعل وهذه مراقبة أهل الورع. ومن تركه انسل لسانه في الكذب عن حد اختياره فيكذب ولا يشعر. وعن خوات التيمي قال: جاءت أخت الربيع بن خيثم عائدة

الجارية. قالت: فقلت لا تردي يد رسول الله ﷺ خذي منه قالت: فأخذته منه على حياء فشربت منه ثم قال: «ناولي صواحبك») وهن النسوة اللاتي اتين معها (**فقلن: لا نشتهيه**) وأبين أن يأخذنه (**فقال: «لا تجمعن جوعاً وكذباً قالت**) أسماء: (**فقلت يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه أيعد ذلك كذباً؟ فقال: إن الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة**). قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب، فإن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحبشة، لكن في طبقات الأصفهانيين لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس زففنا إلى النبي ﷺ بعض نسائه الحديث. فإذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خيبر فلا مانع من ذلك اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا عثمان بن عمر، حدثنا يونس بن يزيد الإيلي عن أبي شداد عن مجاهد فذكره مثل سياق المصنف، ورواه أحمد وابن ماجه والبيهقي من حديث أسماء بنت عميس قالت: أتى النبي ﷺ بطعام فعرض علينا فقلنا لا نشتهيه فقال: لا تجمعن جوعاً وكذباً.

(**وقد كان أهل الورع**) من السلف (**يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب**) كما مر عن عبد الرحمن بن سلمة. (**وقال**) أبو الحرث (**الليث بن سعد**) بن عبد الرحمن الفهمي المصري ثقة ثبت إمام فقيه مشهور مات في شعبان سنة خمس وسبعين، (**كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه، فيقال له: لو مسحت هذا الرمص**) بخرقة أو نحوها؟ (**فيقول: فأين قولي للطبيب وهو يقول لا تمس عينك فأقول: لا أفعل**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن عيسى بن عبد الله التميمي، أنبأنا يحيى بن بكير المصري، سمعت الليث بن سعد فذكره، وفيه بعد قوله خارج عينيه وصف يحيى بيده إلى المحاجر، (**وهذه مراقبة أهل الورع**) وشدة احتياطهم (**ومن تركه انسل لسانه عن اختياره فيكذب و**) هو (**لا يشعر**) به، (**وعن جواب**) بن عبيد الله (**التيمي**) الكوفي صدوق رمي بالأرجاء، وقد ذكره المصنف في كتاب

لابن له فانكبت عليه فقالت : كيف أنت يا بني ، فجلس الربيع وقال : أرضعتيه ؟ قالت : لا . قال : عليك لو قلت يا ابن أخي فصدقت ؟ ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم ، وربما يكذب في حكاية المنام والإثم فيه عظيم إذ قال عليه السلام : « إن من أعظم الفرية أن يدعى الرجل إلى غير أبيه أو يري عينيه في المنام ما لم ير أو يقول علي ما لم أقل » . وقال عليه السلام : « من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد بينهما أبداً » .

الحلال والحرام وأنه ضعيف عند أهل الحديث وذكر ما يتعلق به هناك فراجعه **(قال : جاءت أخت الربيع بن خيثم)** الثوري الكوفي العابد تقدم ذكره في كتاب : « تلاوة القرآن » **(عائدة)** من العيادة للمريض **(إلى بني له)** تصغير ابن وقد كان مريضاً **(فانكبت عليه فقال : كيف أنت يا بني ؟ قال : فجلس الربيع)** بعد أن كان مضطجعاً **(فقال : أرضعته ؟ قالت : لا . قال : ما عليك لو قلت يا ابن أخي فصدقت)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا محمد ابن عبدالله الأسدي ، حدثنا قيس بن سليم عن جواب التيمي قال : جاءت أخت الربيع فذكره ، وقال أيضاً حدثنا عبد الرحمن بن يونس ، حدثنا يحي بن يمان ، أنبأنا سفيان بن سعيد ، عن أبيه ، عن محارب بن دثار أن امرأة قالت لشتير بن شكل : يا بني قال كذبت لم تلديني أو ما ولدتيني . **(ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يعلمه . قال عيسى عليه السلام : إن من أعظم الذنوب عند الله تعالى أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسن بن عبد العزيز ، حدثنا عمر بن أبي سلمة ، عن سعيد بن عبد العزيز أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال فذكره ، وربما يكذب في حكاية المنام والإثم فيه عظيم .

(قال رسول الله ﷺ : « أن من أعظم الفرى) بكسر الفاء وفتح الراء مقصوراً بوزن القرى ويمد أي من أكذب الكذبات الشنيعة جمع فرية بالكسر **(أن يدعى الرجل إلى غير أبيه)** فيقال : ابن فلان وهو ليس بابنه ، **(أو يري)** بضم أوله وكسر ثانيه **(عينه)** بالإفراد **(في المنام ما لم تر)** لأنه جزء من الوحي فالمخبر عنه بما لم يقع كالمخبر عن الله بما لم يلقه إليه . وقال الطيبي : المراد بإراءته عينه وصفها بما ليس فيها ونسب الكذب إلى الكذبات للمبالغة نحو ليل الليل ، **(أو يقول)** بفتح أوله وضم القاف ، ويروى بفتح التاء الفوقية والقاف وتشديد الواو مفتوحة **(ما لم أقل »)** وجمع الثلاثة في حيز لشدة المناسبة بينها وأنها من أفحش أنواع الافتراء ، فالكذب على النبي ﷺ كذب في أصول الدين وهدم لقاعدة من قواعد المسلمين ، والكذب عليه كذب على الله وما ينطق عن الهوى ، والرؤيا جزء من أجزاء النبوة ، والمنام طرف من الوحي ، فإذا كذب فقد كذب في نوع من الوحي . قال العراقي : رواه البخاري من حديث واثلة بن الأسقع ، وله من حديث ابن عمر من أفرى الفرى أن يري عينيه ما لم تر اهـ .

الآفة الخامسة عشرة: الغيبة والنظر فيها طويل:

فلنذكر أولاً مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] وقال عليه السلام: كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه». والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه

قلت: وحديث ابن عمر رواه أيضاً أحمد ولفظ: «إن من أعظم الفرى» وفيه العباس بن الفضل البصري وهو متروك، وقد روي النسائي نحو رواية البخاري، ورواه البيهقي من حديث واثلة، وروي في معناه عن أوس الثقفي مرفوعاً من كذب على نبيه أو على عينيه أو على والديه فإنه لا يريح ريح الجنة رواه ابن جرير والطبراني وابن عدي والخرائطي في مساوىء الأخلاق وهو ثالث حديث له ولا رابع لها. قال ابن عدي: لا أعلم يرويه غير إسماعيل بن عياش.

(وقال ﷺ: «من كذب في حلمه) بضم فسكون أي في منامه (كلف يوم القيامة أن يعقد شعيرة») أي ولن يقدر على ذلك لصعوبته. قال ابن العربي: وخص الشعير بذلك لما بينهما من نسبة تلبسه بما لم يشعر به. قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن عباس اهـ.

قلت: ورواه أحمد والترمذي، وابن جرير، والحاكم من حديث علي بلفظ: «عقد شعيرة» قال الترمذي: حسن، وقال الحاكم: صحيح وتعقبه ابن القطان بأن فيه عبد الاعلى بن عامر ضعفه أبو زرعة وغيره، وروي من حديث صهيب: «من كذب علي متعمداً كلف يوم القيامة أن يعقد طرفي شعيرة ولن يقدر على ذلك» رواه ابن قانع والحاكم وابن عساكر، وعند أحمد من حديث علي: «من كذب في حلمه متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

الآفة الخامسة عشر الغيبة:

بكسر الغين (**والنظر فيها طويل، فنذكر أولاً مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع**) من الآيات والأخبار، (**وقد نص الله تعالى على ذمها في كتابه**) العزيز (**وشبه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال**) سبحانه (**﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾**) أي لا يذكر بعضكم بعضاً بسوء في غيبة (**﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾**) تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقدر وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة، وتمثيل الاغتياب بآكل اللحم أي لحم الإنسان، وجعل المأكول أخاً وميتاً وتعقيب ذلك بقوله: ﴿فكرهتموه﴾ تقريراً وتحقيقاً لذلك، والمعنى إن صح ذلك أو عرض عليكم هذا قد كرهتموه ولا يمكنكم إنكار كراهته وانتصاب ميتاً على الحال من اللحم أو الأخ قاله البيضاوي.

(**وقال ﷺ: «كل**) مبتدأ (**المسلم**) فيه رد على من زعم أن كلا لا تضاف إلا إلى نكرة

وبين المال والدم. وقال أبو بررة، قال عليه السلام: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضاً وكونوا عباد الله إخواناً». وعن جابر وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا فإن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له

(على المسلم حرام) خبره أي جميع أنواع ما يؤذيه حرام ثم بين ذلك بقوله (دمه) أي اراقة دمه بلا حق (وماله) أي أخذ ماله بنحو غصب (وعرضه) أي هتك عرضه بلا استحقاق، وأدلة تحريم هذه الثلاثة مشهورة معروفة من الدين بالضرورة وجعلها كل المسلم، وحقيقته لشدة اضطراره إليها، فالدم به حياته ومادته المال فهو ماء الحياة والعرض به قيام صورته المعنوية، واقتصر عليها لأن ما سواها فرع عنها وراجع إليها، إذا قامت صورته البدنية والمعنوية فلا حاجة لغيرها وقيامها إنما هو بتلك الثلاثة، ولكون حرمتها هي الأصل والغالب لم يحتج لتقييدها بغير حق، فقوله في رواية إلا بحقها أيضاح وبيان. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: هذا لفظ ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت قال: حدثنا أحمد بن جميل المروزي، أنبأنا عبدالله بن المبارك، أنبأنا داود بن قيس، حدثني أبو سعيد مولى عبدالله بن عامر بن كريز عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ فساقه هكذا. وأما لفظ مسلم: «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» ورواه ابن ماجه في الزهد بلفظ: «كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم» وقد أشار المصنف إلى وجه الاستشهاد به في الباب بقوله.

(والغيبة) هي (تناول العرض) بما يكره (وقد جمع الله بينه وبين الدم والمال) في حيز واحد فصارت حرمته كحرمتها (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضاً وكونوا عباد الله إخواناً) أخرجه ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثنا سفيان بن حمزة عن كثير بن زيد، عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال فذكره. وقال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة وأنس دون قوله: «ولا يغتب بعضكم بعضاً» وقد تقدم في آداب الصحبة اهـ.

قلت: وبدون هذه الزيادة أيضاً رواه ابن أبي شيبة من حديث أبي بكر، وقد تقدم الكلام عليه في آداب الصحبة.

(وعن جابر) بن عبد الله (وأبي سعيد) الخدري رضي الله عنهما (قالا: قال رسول الله ﷺ: «إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا) أي من إثمه (إن الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه») وهيهات أن يغفر له. حكي أن رجلاً اغتاب ابن الجلاء فارسل يستحله فأبي وقال: ليس في صحيفتي حسنة أحسن منها، فكيف أمحوها؟ قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، وابن حبان في الضعفاء، وابن مردويه في التفسير اهـ.

صاحبه». وقال أنس قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسري بي على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم، فقلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم». وقال سليم بن جابر: أتيت النبي عليه الصلاة والسلام فقلت: علمني خيراً انتفع به. فقال: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تصب من دلوك في إناء المستقي وأن تلقى أخاك ببشر حسن وإن أدبر فلا تغتابنه». وقال البراء: خطبنا

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا أيضاً في كتاب ذم الغيبة، وأبو الشيخ الأصبهاني في التوبيخ. ورواه الطبراني عن جابر وحده بلفظ: «الغيبة أشد من الزنا» والباقي سواء وفيه عباد بن كثير وهو متروك. قال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا يحيى بن أيوب، حدثنا أسباط عن أبي رجاء الخراساني، عن عباد بن كثير عن الجريري عن أبي بصرة، عن جابر وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ فساقه كسياق المصنف سواء.

(وقال أنس) رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون)** أي يقطعون **(وجوههم بأظافيرهم)** جمع الأظفار جمع ظفر، **(فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس)** أي كانوا يذكرونهم بما يكرهون، **(ويقعون في أعراضهم)** رواه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثني أبو بكر محمد بن أبي عتاب، حدثنا عبد القدوس أبو المغيرة، عن صفوان بن عمرو، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ فساقه كما للمصنف سواء.

وقال أيضاً حدثنا حسين بن مهدي، حدثنا عبد القدوس أبو المغيرة، حدثنا صفوان بن عمرو السكسكي، حدثني راشد بن سعد، وعبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أنس بن مالك قال: قال رسول ﷺ: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» وقد أخرجه أيضاً في كتاب ذم الغيبة باللفظ الأول. وقال العراقي: رواه أبو داود مسند ومرسلا والمسند أصح.

(وقال سليم بن جابر) أبو جري الهجيمي، وقيل: سليم بن جابر صحابي مشهور كان ينزل البدو وتقدم ذكره قريباً: **(أتيت رسول الله ﷺ فقلت: علمني خيراً ينفعني الله به. قال: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تصب من دلوك في إناء المستقي وأن تلقي أخاك ببشر حسن)** أي بطلاقة وجه وبشاشة **(وإذا أدبر فلا تغتابه»)** أي إذا ولى بظهره فلا تذكره بما يكره. كذا في النسخ، وفي بعضها: «فلا تغتابنه». رواه ابن أبي الدنيا في الصمت فقال: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يزيد بن هارون، عن زياد بن أبي زياد، عن محمد بن سيرين قال: قال سليم بن جابر: أتيت رسول الله ﷺ فساقه. وقال العراقي: رواه أحمد في المسند وابن أبي الدنيا في الصمت، واللفظ له. ولم يقل فيه أحمد الجملة الأخيرة، وفي إسنادهما ضعف.

قلت: وكذلك رواه أبو داود والبيهقي وقد تقدم قريباً، وذكر أيضاً في آداب الصحبة وليس

رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتهن فقال: « يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوارتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته ». وقيل: أوحى الله إلى موسى عليه السلام من مات

في سند أحمد وابن أبي الدنيا من ينظر إلا زياد بن أبي زياد الجصاص أبو محمد الواسطي بصري الأصل ضعيف.

(وقال البراء) بن عازب رضي الله عنه: **(خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق)** أي ذوات الخدور **(في بيوتها)** وهو كناية عن رفع صوته فيها **(فقال)** من جملة ما خطب: **(« يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه)** أي لم يخلص إليه **(لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم)** بكشفها وإظهارها **(فإن من تتبع عورة أخيه)** المسلم **(يتتبع الله عورته ومن يتتبع الله عورته يفضحه)** وهو **(في جوف بيته »)** رواه ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن دينار، حدثنا مصعب بن سلام عن حمزة بن حبيب الزيات، عن أبي إسحاق عن البراء قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكره.

قال العراقي: وفيه مصعب بن سلام مختلف فيه.

قلت: مصعب بن سلام بتشديد اللام التميمي الكوفي. قال الذهبي في الضعفاء، قال ابن حبان: هو كثير الغلط لا يحتج به. وقال الحافظ في تهذيب التهذيب: صدوق له أوهام.

ثم قال العراقي: ورواه أبو داود من حديث أبي برزة بإسناد جيد.

قلت: ورواه الترمذي من هذا الطريق بلفظ: « يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا » الحديث وقال: حسن غريب. ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر، ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس، ووجدت بخط الحافظ ابن حجر رواه الإسماعيلي من حديث ابن عوف، وابن قانع في معجمه في ترجمة سعد مولى رسول الله ﷺ اهـ ما وجدته.

وقد روى نحوه الحكيم الترمذي في النوادر عن جبير بن نفير مرسلاً، وقد أشرت إلى ذلك في كتاب آداب الصحبة.

وأما حديث أبي برزة، فقد أخرجه أيضاً أبو بكر بن أبي الدنيا في الصمت إلا أنه فيه رجل مجهول فقال: حدثنا عبد الرحمن بن صالح، حدثنا حفص بن غياث، عن الأعمش، عن رجل من أهل البصرة عن أبي برزة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: « لا تتبعوا عثرات المسلمين فإنه من يتتبع عثرات المسلمين يتتبع الله عثرته حتى يفضحه في جوف بيته ».

وأخرجه أيضاً من طريق آخر فقال: حدثنا يحي بن عبد الحميد الحماني، وأحمد بن عمران الأخنسي قال: حدثنا أبو بكربن عياش، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله بن جريج، عن أبي

تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار. وقال أنس: أمر رسول الله ﷺ الناس بصوم يوم فقال: «لا يفطرن أحد حتى آذن له» فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول: يا رسول الله ظللت صائماً فائذن لي لأفطر فيأذن له، والرجل يجيء حتى جاء رجل فقال: يا رسول الله فتاتان من أهلك ظلتا صائمتين وأنهما يستحيان أن يأتياك فائذن لهما أن يفطرا فأعرض عنه ﷺ ثم عاوده فأعرض عنه ثم عاوده فقال: «إنهما لم يصوما وكيف يصوم من ظل نهاره يأكل لحم الناس إذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا» فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: «والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار». وفي رواية: أنه لما أعرض عنه جاء بعد ذلك وقال: يا رسول الله: والله إنهما قد ماتتا أو كادتا أن تموتا فقال ﷺ:

برزة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتبعوا عورات المسلمين ولا عثراتهم» فساقه نحوه.

(وأوحى الله تعالى إلى موسى) عليه السلام: يا موسى **(من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار. وقال أنس)** بن مالك رضي الله عنه: **(أمر رسول الله ﷺ الناس بصوم يوم)** من أيام السنة **(وقال: «لا يفطرنّ أحد حتى آذن له» فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجيء فيقول: يا رسول الله ظللت صائماً فائذن لي لأفطر فيأذن له)** فيفطر، **(والرجل والرجل)** يجيء فيستأذن فيأذن له **(حتى جاء رجل فقال: يا رسول الله فتاتان من أهلك)** يعني من قريش **(ظلتا صائمتين وإنهما يستحييان، أن يأتياك فائذن لهما فلتفطرا فأعرض عنه)** بوجهه **(وعاوده)** في الإذن **(فقال: إنهما لم يصوما)** أي في حكم من لم يصم **(وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيئا»)** أي تطلبان إفراغ ما في بطونهما **(فرجع)** الرجل **(إليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منها علقة من دم)** أي قطعة من دم غليظ متجمد، **(فرجع إلى النبي ﷺ فاخبره)** ما رأى **(فقال: «والذي نفس محمد بيده لو بقيتا)** أي العلقتان **(في بطونهما لأكلتهما النار»)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، أنبأنا الربيع بن صبيح، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: أمر النبي ﷺ فذكره. قال العراقي: رواه ابن مردويه في التفسير من هذا الوجه، ويزيد الرقاشي ضعيف.

قلت: وكذلك رواه البيهقي من هذا الوجه، ويزيد بن أبان الرقاشي أبو عمرو البصري القاص زاهد ضعيف، روى له البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه.

(وفي رواية) أخرى **(أنه)** ﷺ **(لما اعرض عنه جاءه بعد ذلك وقال: يا رسول الله**

« ائتوني بهما فجاءتا فدعا رسول الله ﷺ بقدح فقال لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح ، وقال للأخرى قيئي فقاءت كذلك فقال : إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما ، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس » . وقال أنس : خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال : « إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربا عرض الرجل المسلم » وقال جابر : كنا مع رسول الله ﷺ في

انهما والله قد ماتتا أو كادتا أن تموتا . فقال النبي ﷺ « ائتوني بهما » فجاءتاه فدعا رسول الله ﷺ بعس أو) قال **(قدح)** شك من الراوي **(فقال لأحداهما « قيئي » فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح، وقال للأخرى « قيئي » فقاءت كذلك)** أي قيحاً ودماً وصديداً **(فقال)** ﷺ **(« إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما)** وهو الطعام والشراب **(وأفطرتا على ما حرم الله عليهما)** ثم بين ذلك بقوله : **(جلست احداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس »)** أخرجه ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن أبي بدر ، أنبأنا يزيد بن هارون ، أنبأنا سليمان التيمي قال: سمعت رجلاً يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي ، عن عبيد مولى رسول الله ﷺ : أن امرأتين من الانصار صامتا على عهد رسول الله ﷺ فجلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن ههنا امرأتين صامتا وقد كادتا أن تموتا من العطش، فأعرض عنه النبي ﷺ فسكت قال: ثم جاءه بعد ذلك أحسبه قال في الظهيرة، فقال: يا رسول الله إنهما والله لقد ماتتا أو كادتا أن تموتا فساقه كسياق المصنف. قال العراقي: رواه كذلك أحمد من حديث عبيد وفيه رجل لم يسم ، ورواه أبو يعلى في مسنده فاسقط فيه ذكر الرجل.

قلت : ورواه أيضاً ابن مردويه في التفسير وفيه رجل لم يسم ، وقد تقدم ذكر هذه الرواية في كتاب آداب الصحبة ، والتعريف بحال راويه عبيد مولى رسول الله ﷺ .

(وقال أنس) بن مالك رضي الله عنه : **(خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال « إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل »)** قال الطيبي: إنما كان الربا أشد من الزنا لأن فاعله حاول محاربة الشارع بفعله بعقله. قال تعالى ﴿ فائذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ [البقرة: ٢٧٩] أي بحرب عظيم فتحريمه محض تعبد . وأما قبح الزنا فظاهر عقلاً وشرعاً وله روادع وزواجر سوى الشرع ، فآكل الربا يهتك حرمة الله ، والزاني يخرق جلباب الحياء فريحه تهب حيناً ثم تسكن ، ولواؤه يخفق برهة ثم يقر ، **(وأربى الربا عرض الرجل المسلم)** أي الاستطالة فيه بأن يتناول منه أكثر مما يستحقه على ما قيل له ، وأكثر مما رخص له فيه ، ولذلك مثله بالربا وعده من عداده ثم فضله على جميع افراده ، لأنه أكثر مضرة وأشد فساداً ، فإن العرض شرعاً وعقلاً أعز على النفس من المال وأعظم منه

مسير فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال: « أنهما يعذبان وما يعذبان في كبير. أما أحدهما فكان يغتاب الناس، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله فدعا بجريدة رطبة أو جريدتين فكسرهما ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر وقال: أما أنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو ما لم ييبسا ». ولما رجم رسول الله ﷺ ماعزاً في الزنا قال رجل

خطراً، ولذلك أوجب الشارع بالمجاهرة بهتك الأعراض ما لم يوجب بنهب الأموال. أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن علي بن شقيق قال: سمعت أبي حدثنا أبو مجاهد عن ثابت البناني عن أنس ابن مالك قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكره. قال العراقي: سنده ضعيف.

قلت: ليس فيه من وصف بالضعف، وأبو مجاهد سعد الطائي ذكره ابن حبان في الثقات وقال أحمد: إنه لا بأس به ونسبه فتال سعد بن عبيد الطائي الكوفي: روى له البخاري، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وعلي بن شقيق وابنه محمد ما رأيت أحداً وصفهما بضعف ولا غيره. وقال الكمال الدميري: كما وجد بخطه هذا الحديث رويناه في مسند أحمد، وروى ابن عساكر من حديث ابن عباس « من أكل درهماً ربا فهو مثل ثلاث وثلاثين زنية ».

(وقال جابر) بن عبد الله رضي الله عنه: **(كنا مع رسول الله ﷺ في مسير)** أي سفر نسير معه فيه **(فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال « ألا أنهما لا يعذبان في كبيرة)** أي في خصلة ثقيلة عليهما **(أما أحدهما فكان يغتاب الناس وأما الآخر فكان لا يستنزه)** أي لا يتباعد **(من بوله ودعا بجريدة رطبة أو جريدتين)** شك من الرواي **(فكسرهما ثم أمر بكل كسر فغرس على قبر، فقال ﷺ: أما أنه سيهون من عذابهما ما كانتا رطبتين أو)** قال **(ما لم تيبسا »)** شك من الراوي أخرجه ابن أبي الدنيا عن محمد بن علي، حدثنا النضر بن شميل، أنبأنا أبو العوام واسمه عبد العزيز بن ربيع الباهلي، حدثنا أبو الزبير واسمه محمد عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي ﷺ في مسير فساقه إلا أنه قال: لا يعذبان في كبير. وفيه: « وأما الآخر فكان لا يتأذى من بوله » وفيه: ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر، والباقي سواء.

قال العراقي: ورواه أبو العباس الدغولي في كتاب الآداب بإسناد جيد، وهو في الصحيحين من حديث ابن عباس إلا أنه ذكر فيه بدل الغيبة النميمة، وللطيالسي فيه « أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس » ولأحمد والطبراني من حديث أبي بكرة نحوه بإسناد جيد اهـ.

قلت: وأخرجه البخاري في الأدب المفرد من حديث جابر أيضاً وفيه « أنهما لا يعذبان في كبير وبلى أما أحدهما وفيه ما كانتا رطبتين » ولم يشك. وفي بعض ألفاظ هذا الحديث. وأما الآخر « فكان لا يستتر من البول » وفي أخرى « لا يستنزه » وفي أخرى « لا يستبرئ » فهي خمس روايات مع رواية المصنف، ورواية ابن أبي الدنيا.

(ولما رجم رسول الله ﷺ الرجل في الزنا) وهو ماعز بن مالك الاسلمي **(قال رجل**

لصاحبه: هذا أقعص كما يقعص الكلب فمرّ ﷺ وهما معه بجيفة فقال: انهشا منها». فقالا يا رسول الله: ننهش جيفة؟ فقال: «ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه». وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين. وقال أبو هريرة من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة وقيل له: كله ميتاً كما أكلته حياً، فيأكله فيضج ويكلح. وروي مرفوعاً كذلك وروي أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد فمر بهما

لصاحبه: هذا أقعص كما يقعص الكلب) القعص الموت الوحي وقعصة كمنعه قتله مكانه كاقعصه وانقعص مات، **(فمرَّ النبي ﷺ وهما معه بجيفة)** أي ميتة حيوان **(فقال)** لهما **(«انهشا منها»)** والنهش الأكل بمقدم الفم **(فقالا: يا رسول الله ننهش جيفة؟ فقال «ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه»)** قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة بإسناد جيد اهـ.

قلت: وأخرجه أيضاً عبد الرزاق في المصنف، والبخاري في الأدب المفرد، وأبو يعلى، وابن المنذر. والبيهقي في الشعب بسند صحيح ولفظهم «إن ماعزاً لما رجم سمع النبي ﷺ رجلين أحدهما يقول لصاحبه: ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب، فسار النبي ﷺ ثم مرَّ بجيفة حمار فقال: أين فلان وفلان فكلا من جيفة هذا الحمار؟ فقالا: وهل يؤكل هذا؟ قال: فأكلتما من أخيكما آنفاً أشد أكلاً منه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها».

(وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلاقون) مع بعضهم **(بالبشر)** والطلاقة **(ولا يغتابون)** أحداً منهم **(عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال)** وأعلى الأ[illegible]ال، **(ويرون خلافه عادة المنافقين)** وشيمة المطرودين، **(وقال أبو هريرة)** رضي الله عنه: **(من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة، فقيل: كله ميتاً كما أكلته حياً فيأكله ويضج)** أي يصيح ويتململ **(ويكلح)** أي يعبس وجهه. رواه ابن أبي الدنيا هكذا موقوفاً عن يحي بن يوسف الرقي، حدثنا محمد بن سلمة الحراني، عن عمه موسى بن يسار، عن أبي هريرة قال: من أكل فذكره. قال العراقي: رواه محمد بن إسحاق هكذا بالعنعنة.

(وروي مرفوعاً كذلك) إلى رسول الله ﷺ. قال العراقي: رواه ابن مردويه في التفسير اهـ.

قلت: وكذلك أبو يعلى وابن المنذر وعندهم: فإنه ليأكله ويكلح ويضج.

(وروي أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد) الحرام، **(فمرَّ بهما رجل**

رجل كان مخنثاً فترك ذلك فقالا : لقد بقي فيه منه شيء وأقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فحاك في أنفسهما ما قالا فأتيا عطاء فسألاه فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة، وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائمين. وعن مجاهد أنه قال في ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ [الهمزة: ١] الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس. وقال قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث من الغيبة، وثلث من النميمة، وثلث من البول. وقال الحسن: والله للغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الأكلة في الجسد. وقال بعضهم: أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة، ولكن في الكف عن أعراض الناس. وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر

كان مخنثاً) أي كان يتشبه بالنساء **(فترك ذلك فقالا : لقد بقي فيه منه شيء فأقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فجال في أنفسهما)** أي حدثت نفوسهما **(مما قالا فأتيا عطاء)** بن أبي رباح مفتي مكة **(فسألاه: فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وإن كان صائمين أن يقضيا صيام ذلك اليوم)** رواه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إبراهيم، أنبأنا سعيد بن عامر عن الربيع بن صبيح أن رجلين فذكره.

(وعن مجاهد) بن جبر المكي التابعي الثقة **(قال)** في قوله تعالى **(﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ الهمزة الطعان في الناس)** أي في أعراضهم، **(واللمزة الذي يأكل لحوم الناس)** رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن جميل، أنبأنا ابن المبارك، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد. وروي بهذا السند أيضاً عن ابن المبارك، عن أبي مودود، عن يزيد مولى قيس الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس، ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ [الحجرات: ١١] قال: لا يطعن بعضكم على بعض.

(وقال قتادة) بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري: **(ذكرنا لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث: ثلث من الغيبة، وثلث من البول، وثلث من النميمة)** رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن منيع، حدثنا ابن علية، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: ذكر لنا فساقه.

(وقال الحسن البصري) رحمه الله تعالى: **(للغيبة أسرع في دين المؤمن من الأكلة في الجسد)** رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن أبي حاتم الأزدي، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا الربيع ابن صبيح قال: سمعت الحسن يقول: والله للغيبة فذكره.

(وقال بعضهم: أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض الناس) رواه ابن أبي الدنيا عن عيسى بن عبد الله التميمي قال: بلغني عن عتاب بن بشير عن خصاف وخصيف وعبد الكريم بن مالك قالوا: أدركنا السلف فذكره.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه **(إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر**

عيوبك. وقال أبو هريرة: يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه. وكان الحسن يقول: ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا. وقال مالك بن دينار: مرّ عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب، فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب؟ فقال: عليه الصلاة والسلام ما أشد بياض أسنانه كأنه ﷺ نهاهم عن غيبة الكلب، ونبههم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه. وسمع علي بن الحسين

عيوبك) رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن جميل، أنبأنا عبد الله بن المبارك، عن إسرائيل، عن أبي يحيى عن مجاهد، عن ابن عباس قال: إذا أردت فذكره.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(يبصر أحدهم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذل في عينه)** رواه ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن أبي در، أنبأنا كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم قال: سمعت أبا هريرة قال: يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذل في عينه. وروى ذلك أيضاً من قول الحسن. قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن جميل، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا جعفر بن حيان، عن الحسن قال ابن آدم: تبصر القذى في عين أخيك وتدع الجذل معترضاً في عينك، وقد رواه ابن المبارك أيضاً، وكذا العسكري في الأمثال من حديث أبي هريرة مرفوعاً «وينسى الجذع» أو قال «الجذل في عينه» وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة.

(وكان الحسن) البصري رحمه الله تعالى **(يقول: ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا)** رواه ابن أبي الدنيا عن نصر بن طرخان، حدثنا عمران بن خالد الخزاعي قال: كان الحسن يقول: يا ابن آدم إنك لن تصيب فذكره.

(وقال مالك بن دينار) رحمه الله تعالى **(مرَّ عيسى ابن مريم)** عليه السلام **(والحواريون)** معه **(على جيفة كلب فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا؟ فقال عيسى)** عليه السلام: **(ما أشد بياض أسنانه كأنه نهاهم عن الغيبة ونبههم على أنه لا يذكر من شيء من خلق الله إلا أحسنه)** رواه ابن أبي الدنا عن محمد بن عثمان العقيلي، حدثنا ابن عون صاحب القرب، عن مالك ابن دينار قال: مرَّ عيسى ابن مريم عليه السلام فذكره. ورواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني سويد بن سعيد، حدثنا الحكم بن عون، عن مالك بن دينار قال: مرَّ عيسى عليه السلام مع الحواريين على جيفة كلب فساقه وقال في آخره، يعظم ينهاهم عن الغيبة.

رضي الله عنهما رجلاً يغتاب آخر فقال له: إياك والغيبة فإنها آدام كلاب الناس. وقال عمر رضي الله عنه: عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته.

(وسمع علي بن الحسين) بن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى (رجلاً يغتاب آخر فقال: إياك والغيبة فإنها ادام كلاب الناس) رواه ابن أبي الدنيا عن الحسين بن عبد الرحمن قال: سمع علي بن الحسين رجلاً فذكره. قال: وحدثني الحسين بن عبد الرحمن قال: سمع المهلب بن أبي صفرة رجلاً يغتاب رجلاً فقال: اكفف فوالله لا ينقى فوك من سهكها. قال: وحدثنا حسين قال: سمع قتيبة بن مسلم رجلاً يغتاب رجلاً قال: أما والله لقد تلمظت بمضغة طالما لفظتها الكرام.

(وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء) رواه ابن أبي الدنيا عن العباس العنبري، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا محرز وهو أبو رجاء الشامي، عن عمر بن عبد الله، عن عمران بن عبد الرحمن قال: قال عمر بن الخطاب عليكم بذكر الله فساقه. وروي أيضاً عن خالد بن مرداس، حدثنا أبو عقيل، عن حفص بن عثمان قال: كان عمر ابن الخطاب يقول: لا تشغلوا أنفسكم بذكر الناس فإنه بلاء وعليكم بذكر الله فإنه رحمة. وقد روي ذلك أيضاً من قول سلمان. قال ابن أبي الدنيا: حدثني أبو محمد الأزدي حدثنا علي بن يزيد عن صالح المري تال: كتب سلمان إلى أبي الدرداء اما بعد: فإني أوصيك بذكر الله فإنه دواء وأنهاك عن ذكر الناس فإنه داء.

وقد بقيت أخبار وآثار أحببت ايرادها في هذا الباب هي على شريطة المصنف. قال السدي: كان سلمان رضي الله عنه مع رجلين في سفر يخدمهما وينال من طعامهما، وان سلمان قام يوماً فطلبه صاحباه فلم يجداه فضربا الخباء قالا: ما يريد سلمان شيئاً غير هذا أن يجيء إلى طعام معدود وخباء مضروب، فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول الله ﷺ يطلب لهما أداماً، فانطلق فأتاه فقال: يا رسول الله بعثني أصحابي لتؤدمهم إن كان عندك. قال «ما يصنع أصحابك بالأدم قد ائتدموا» فرجع سلمان فأخبرهم فانطلقا فأتيا رسول الله ﷺ فقالا: والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاماً منذ نزلنا. قال: «إنكما قد ائتدمتما سلمان بقولكما فنزلت ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾» [الحجرات: ١٢] أخرجه ابن ابي حاتم. وقال ابن جريج: زعموا أنها نزلت في سلمان أكل ثم رقد فنفخ فذكر رجلان أكله وقاده فنزلت أخرجه ابن المنذر. وقال مقاتل: نزلت في رجل كان يخدم النبي ﷺ أرسل بعض الصحابة إليه يطلب منه أداماً فمنع فقالوا له: إنه بخيل وخيم، فنزلت في ذلك. أخرجه ابن أبي حاتم.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «المؤمن حرام على المؤمن لحمه عليه حرام أن يلطمه» أخرجه ابن مردويه.

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه مرَّ على بغل ميت وهو في نفر من أصحابه فقال: والله

....

لأن يأكل أحدكم من هذا حتى يملأ بطنه خير له من أن يأكل لحم رجل مسلم. أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا في الصمت والخرائطي في مساوىء الأخلاق.

وعن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فارتفعت لنا ريح منتنة فقال « أتدرون ما هذه الريح هذه ريح الذين يغتابون الناس » أخرجه أحمد وابن أبي الدنيا في الصمت.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لا يتوضأ أحدكم من الكلمة الخبيثة يقولها لأخيه ويتوضأ من الطعام الحلال. أخرجه البيهقي. وقال إبراهيم: الوضوء من الحدث وأذى المسلم كذا أخرجه البيهقي.

وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالا: الحدث حدثان حدث من فيك وحدث من نومك. وحدث الفم أشد الكذب والغيبة. أخرجه البيهقي.

وعن عباس رضي الله عنهما: إن رجلين صليا صلاة الظهر والعصر وكانا صائمين فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قال « أعيدا وضوءكما وصلاتكما وامضيا في صومكما واقضيا يوماً آخر مكانه » قالا: لم يا رسول الله؟ قال « قد اغتبتما فلاناً » أخرجه الخرائطي في مساويء الأخلاق، والبيهقي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال « الربا سبعون حوباً أيسرها كنكاح الرجل أمه وأربى الربا عرض الرجل المسلم » رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا.

وقال عبيدة السلماني: اتقوا المفطرين الغيبة والكذب. رواه ابن أبي الدنيا.

وقال خالد الربعي: دخلت المسجد فجلست إلى قوم فذكروا رجلاً فنهيتهم عنه فكفوا ثم جرى بهم الحديث حتى عادوا في ذكره، فدخلت معهم في شيء من أمره، فلما كان الليل رأيت في المنام كان شيئاً أسود طويلاً يشبه الرجل إلا أنه طويل جداً معه طبق خلاف أبيض عليه لحم خنزير فقال: كُل. فقلت: آكل لحم خنزير، والله لا آكله، فأخذ بقفاي وقال لي: كُل وانتهرني انتهارة شديدة ودسه في فمي، فجعلت ألوكه ولا أسيغه، وأفرق أن ألقيه واستيقظت قال: فبمحلوفه لقد مكثت ثلاثين يوماً وثلاثين ليلة ما آكل طعاماً إلا وجدت طعم ذلك اللحم في فمي. أخرجه ابن أبي الدنيا قال: وسمعت ابا يحيى بن أيوب يذكر عن نفسه أنه رأى في المنام صنع به نحو هذا، وأنه وجد طعم الدسم على شفتيه أياماً، وذلك أنه كان يجالس رجلاً يغتاب الناس.

وعن وهب بن منبه أن ذا القرنين قال لبعض الأمم: ما بال كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة؟ قالوا: إنا لا نتخادع ولا يغتب بعضنا بعضاً. رواه ابن أبي الدنيا.

وعن عكرمة رفعه أنه ﷺ لحق قوماً فقال لهم « تخللوا » فقال القوم: يا نبي الله والله ما طعمنا اليوم طعاماً. فقال « والله إني لأرى لحم فلان بين ثناياكم » وكانوا قد اغتابوه. رواه عبد بن حميد.

وقال كعب الأحبار: الغيبة تحبط العمل. رواه ابن أبي الدنيا.

بيان معنى الغيبة وحدودها :

اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته.

أما البدن، فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان.

وأما النسب؛ فبأن تقول أبوه نبطي أو هندي أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال أو شيء مما يكرهه كيفما كان.

وعن شفي بن قانع الأصبحي أن النبي ﷺ قال « أربعة يؤذون أهل النار على مابهم من الأذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور يقول بعض أهل النار لبعض: ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى؟ قال: فرجل معلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاءه، ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه. فيقال للذي يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة ». رواه ابن أبي الدنيا.

وقال عون بن عبد الله: ما أحسب أحداً تفرغ لعيب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه رواه ابن أبي الدنيا.

وقال بكر بن عبد الله المزني: إذا رأيتم الرجل موكلاً بعيوب الناس ناسياً لعيبه فاعلموا أنه قد مكر به. رواه ابن أبي الدنيا.

بيان معنى الغيبة وحدّها:

(**اعلم أن حدّ الغيبة**) على ما ذكره العلماء (**أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه**) وسواء بلغه أو لم يبلغه وأحسن تعاريفها ذكر العيب بظهر الغيب (**سواء ذكرت**) مما يكرهه (**نقصاناً في بدنه أو في نسبه أو في خلقه**) بالضم، (**أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه**) الذي يلبسه (**وفي داره**) التي يسكنها (**ودابته**) التي يركبها.

(**أما البدن؛ فكذكرك العمش**) محركة سوء البصر، (**والحول**) محركة انقلاب الحدقة الى الموق، (**والقرع**) محركة انحسار الشعر عن الرأس من مرض، (**والقصر والطول**) كلاهما في القامة، (**والسوداء والصفراء**) كلاهما من اللون، (**وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه**).

(**وأما النسب؛ فأن يقول: أبوه نبطي**) محركة أي ممن يخدم الأرض بالحراثة، وفي معنى ذلك سوادي أوأكار أوفلاح (**أو هندي**) هذا إذا كان يكره الاعتزاء إلى أحد هذين، وأما قول

وأما الخلق: فبأن تقول هو سيء الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه.

وأما في أفعاله المتعلقة بالدين فكقولك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة، أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من النجاسات أو ليس باراً بوالديه أو لا يضع الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لأعراض الناس.

وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك: إنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لا يرى لأحد على نفسه حقاً أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثير الأكل نؤوم ينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه.

علي رضي الله عنه لما سأله سائل عن نسبه فقال: نحن قوم من نبط كوثى يشير به إلى أن جده سيدنا إبراهيم عليه السلام ولد بكوثى وهي قرية من سواد العراق، فهو لأجل الإرشاد إلى عدم الافتخار بالانساب، **(أو فاسق أو خسيس)** ويعني بهما من يرتكب مذام الأخلاق، **(أو اسكاف)** وهو الذي يخرز النعال والجلود، **(أو زبّال)** وهو الذي يكنس زبالات البيوت، **(أو شيء مما يكرهه كيفما كان)** فالمناط هو الكراهة، وأما من يعتاد شيئاً من ذلك فخراً له فلا يكون إطلاق اللسان مثله على اللسان غيبة له.

(وأما الخلق فأن يقول إنه سيء الخلق) إما في المعاملة أو في المحاورة، **(بخيل)** بماله، **(متكبر)** على أخوانه **(أبي)** أي ممتنع لا يوافق في كثير من الأمور **(شديد الغضب)** في أحواله **(جبان)** بارد الهمة **(عاجز)** في كثير من أموره **(ضعيف القلب)** لا جرأة له **(متهوّر)** أي مفرط في الشجاعة حتى يرمي نفسه في النار، **(وما يجري مجراه)**.

(وأما في أفعاله المتعلقة بالدين فكقولك سارق) أو لص أو نوري أو حرامي أو مختلس، **(أو كذاب أو شارب سكر أو خائن)** الأمانة، **(أو ظالم)** غشوم، **(أو متهاون بالصلاة)** وبالطهارة، **(أو بالزكاة)** فيؤخر الصلاة عن وقتها ويشتغل بغيرها ولا يعطي زكاة ماله أو يقول: هو **(لا يحسن الركوع والسجود)** في صلاته، **(أو لا يحترز عن النجاسات أو ليس باراً بوالديه)** أو باحدهما، **(أو لا يضع الزكاة في مواضعها، أو لا يحسن قسمتها، أو لا يحرس صومه من الرفث)** وهو الكلام القبيح، **(والغيبة والتعرض لأعراض الناس)** بالاستطالة فيها.

(وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك: إنه قليل الأدب يتهاون بالناس) ويسخر بهم **(ولا يرى لأحد حقاً على نفسه ويرى لنفسه حقاً)** عليهم، **(أو أنه كثير الكلام كثير الأكل أو أنه نؤوم)** أي كثير النوم، **(وينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه)**.

وأما في ثوبه فكقولك: إنه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب.

وقال قوم لا غيبة في الدين لأنه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روي أن رسول الله ﷺ ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال: « هي في النار » وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال: « فما خيرها إذاً ». وهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج إليه في غير مجلس الرسول ﷺ، والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله ﷺ في حد الغيبة.

وكل هذا وإن كان صادقاً فيه فهو به مغتاب عاص لربه وآكل لحم أخيه بدليل ما روي أن النبي ﷺ قال: « هل تدرون ما الغيبة »؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « ذكرك أخاك بما يكرهه ». قال أرأيت إن كان في أخي ما أقوله. قال: « إن كان فيه

(**وأما في ثوبه فكقولك: إنه واسع الكم**) كأنه الخرج كبير العمامة كالبرج، (**طويل الذيل**) يجره إلى الأرض، (**وسخ الثياب**) دنس الجيب، (**وقد قال قوم: لا غيبة في الدين**) ولو كان المغتاب يكره ذلك (**لأنه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز**) زجراً له (**بدليل ما روي أنه ذكر لرسول الله ﷺ امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكنها تؤذي جيرانها**) وتلسبهم بلسانها (**فقال « هي في النار »**) قال العراقي: رواه ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة، (**وذكر**) له ﷺ (**امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال « فما خيرها إذاً »**)؟ قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسلاً، ورويناه في أمالي ابن شمعون هكذا، (**وهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام**) الشرعية (**بالسؤال**) والبحث، (**ولم يكن غرضهم**) من سياق قول من الأقوال (**التنقص**) ولا الهضم للجانب، (**ولا يحتاج إليه في غير مجلس رسول الله ﷺ**) أقول: وفيه بحث لأن الصحابة كانوا عارفين بأن أذى الجار والبخل من الصفات الذميمة، (**والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره**) من ورائه (**بما يكرهه فهو مغتاب**)، وقد يقال: إن هذا عام وقد خص منها أحكام فلا حجة فيه ولا الزام فتأمل (**لأنه داخل فيما ذكره رسول الله ﷺ في حد الغيبة**) كما يذكره بـ د هذا.

(**فكل هذا وإن كنت صادقاً فيه فأنت به مغتاب عاص لربك آكل للحم أخيك، بدليل ما روي أن النبي ﷺ قال « هل تدرون ما الغيبة »؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال « ذكرك أخاك**) أي في الإسلام ولو من غير نسب (**بما يكره »**) لو بلغه. (**قيل**) يا رسول

ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته ». وقال معاذ بن جبل: ذكر رجل عند رسول الله ﷺ فقالوا: ما أعجزه: فقال ﷺ: « اغتبتم أخاكم » قالوا يا رسول الله قلنا

الله: **(أرأيت ان كان في أخي ما أقول)** أي وجد فيه **(قال « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته »)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا واللفظ له، وأبو داود والترمذي وصححه، وابن جرير، وابن المنذر وابن مردويه.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا يحي بن أيوب، حدثنا إسماعيل بن جعفر، أخبرني العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « هل تدرون » فساق كسياق المصنف. ورواه أبو داود مختصراً فقال: « الغيبة أن تذكر أخاك بما يكره ».

وأخرج عبد بن حميد والخرائطي في مساويء الأخلاق عن المطلب بن حنطب قال: قال رسول الله ﷺ « إن الغيبة أن تذكر المرء بما فيه ». فقيل: إنما كنا نرى أن نذكره بما ليس فيه قال: « ذلك البهتان ».

وأخرج ابن المنذر عن الضحاك قال: « الغيبة أن تذكر أخاك بما يشينه وتعنيه بما فيه فإن أنت كذبت عليه فذلك البهتان ».

وأخرج عبد بن حميد عن عون بن عبد الله قال: « إذا قلت للرجل ما فيه فقد اغتبته وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهته ».

وأخرج ابن مردويه، عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن الغيبة فأخبرت أنها أصبحت يوم الجمعة وغدا رسول الله ﷺ إلى الصلاة، وأتتها جارتان لها من نساء فاغتابتا وضحكتا برجال ونساء فلم تبرحا على حديثهما من الغيبة حتى أقبل النبي ﷺ منصرفاً من الصلاة، فلما سمعتا صوته سكتتا، فلما قام بباب البيت ألقى طرف ردائه ثم قال « أن اخرجا فاستقيئا ثم تطهرا بالماء فخرجت أم سلمة فقاءت لحماً كثيراً قد أصل فلما رأت كثرة اللحم تذكرت أحدث لحم أكلته فوجدته في أولى جمعتين منتناً فسألها مما قاءت فأخبرته فقال ذاك لحمه طلبت تأكلينه فلا تعودي أنت ولا صاحبتك فيما تكلمتما فيه من الغيبة وأخبرتها صاحبتها أنها قاءت مثل الذي قاءت من اللحم ».

وسئل ابن عمر عن الغيبة فقال: « أن تقول بما فيه والبهتان أن تقول بما ليس فيه ». أخرجه ابن أبي الدنيا.

وقال ابن مسعود « الغيبة أن تذكر من أخيك ما تعلم فيه وإذا قلت ما ليس فيه فذلك البهتان » أخرجه ابن أبي الدنيا.

وقال هشام بن حسان « الغيبة أن تقول للرجل ما هو فيه مما يكره ».

(وقال معاذ بن جبل) رضي الله عنه: **(ذكر رجل عند رسول الله ﷺ فقالوا: ما**

ما فيه. قال: « إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه ». وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها إنها ذكرت عند رسول الله ﷺ امرأة فقالت: إنها قصيرة. فقال ﷺ: « اغتبتيها ». وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة: الغيبة والبهتان والإفك وكل في كتاب الله عز وجل، فالغيبة أن تقول ما فيه، والبهتان أن تقول ما ليس فيه. والإفك أن تقول ما بلغك. وذكر ابن سيرين رجلاً فقال: ذاك الرجل الأسود، ثم قال: أستغفر الله إني أراني قد

أعجزه؟ فقال رسول الله ﷺ « اغتبتم صاحبكم » قالوا: يا رسول الله قلنا ما فيه. قال « إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه ») قال العراقي: رواه الطبراني بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه البيهقي كذلك وهو في كتاب الصمت من حديث عبد الله بن عمرو بهذا اللفظ. رواه عن أحمد بن منيع، حدثنا علي بن عاصم، عن المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: ذكر رجل فساقه.

وأخرج ابن جرير من حديث معاذ بلفظ: كنا مع رسول الله ﷺ فذكر القوم رجلاً فقالوا: ما يأكل إلا ما يطعم ولا يرحل إلا ما رحل وما أضعفه. فقال رسول الله ﷺ « اغتبتم أخاكم » قالوا يا رسول الله وغيبة مما يحدث فيه؟ فقال « بحسبكم أن تحدثوا عن أخيكم بما فيه ».

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا قران بن تمام، عن محمد بن أبي حميد، عن موسى بن وردان عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فقال رجل من القوم: يا رسول الله ما أعجز فلاناً: فقال رسول الله ﷺ « أكلتم لحم أخيكم واغتبتموه ». وأخرجه ابن جرير وابن مردويه والبيهقي بلفظ « إن رجلاً قام من عند النبي ﷺ فرؤي في قيامه عجز فقال بعضهم: ما أعجز فلاناً والباقي سواء.

(وعن حذيفة عن عائشة) رضي الله عنها **(أنها ذكرت امرأة فقالت: إنها قصيرة، فقال النبي ﷺ: « اغتبتيها »)** رواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان عن علي بن الأقمر، عن حذيفة عن عائشة أنها ذكرت فساقه. قال العراقي: رواه أحمد وأصله عند أبي داود والترمذي وصححه بلفظ آخر، ووقع عند المصنف عن أبي حذيفة كما عند أحمد وأبي داود والترمذي واسم أبي حذيفة سلمة بن صهيب اهـ.

قلت: الذي في النسخ الموجودة عندنا حذيفة عن عائشة ومثله في كتاب الصمت.

وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(ذكر الغير ثلاثة: الغيبة والبهتان والإفك، والكل)** مذكور **(في كتاب الله الغيبة أن تقول ما فيه، والإفك أن تقول ما بلغك، والبهتان أن تقول ما ليس فيه)** ولعل الثاني مأخوذ من القصة المعروفة وتعميمه مستفاد من حديث: « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع ».

(وذكر) محمد **(بن سيرين)** رحمه الله تعالى **(رجلاً فقال ذلك الرجل الأسود، ثم قال:**

اغتبته وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور. وقالت عائشة: لا يغتابن أحدكم فإني قلت لامرأة وأنا عند النبي ﷺ إن هذه لطويلة الذيل، فقال لي: « الفظي الفظي » فلفظت مضغة لحم.

بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان:

اعلم ان الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما

لستغفر الله إني أراني قد اغتبته) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن منيع، حدثنا محمد بن مسير أبو سعد، حدثنا جرير بن حازم قال ذكر ابن سيرين رجلاً فساقه. وقال أيضاً: حدثني فضل بن إسحاق، حدثنا أبو قتيبة، حدثني جرير بن حازم قال: ذكر محمد بن سيرين رجلاً فقال: ذاك الأسود، ثم قال: أستغفر الله أستغفر الله اغتبته. وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق جرير بن حازم.

قال ابن أبي الدنيا: وحدثني فضل، حدثنا أبو قتيبة، عن الربيع، عن محمد بن سيرين قال: إذا قلت لأخيك من خلفه ما فيه ما يكره فهي الغيبة، وإذا قلت ما ليس فيه فهو البهتان، وظلمك لأخيك أن تذكره بأقبح ما تعلم منه وتنسى أحسنه.

(وذكر) ابن سيرين **(إبراهيم النخعي)** وكان أعور، **(فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور)** وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا يحي بن أيوب حدثنا مروان بن معاوية عن عمر بن سيف قال: قال الحسن يخشون أن يكون قولنا حميد الطويل غيبة. وقال أيضاً، حدثني فضل بن إسحاق، حدثنا أبو قتيبة قال: سمعت معاوية بن مرة قال: لو قلت للأقطع فلان الأقطع كانت غيبة. قال فذكرت ذلك لأبي إسحاق فقال: صدق.

(وقالت عائشة) رضي الله عنها: **(لا يغتابن منكم أحد أحداً فإني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي ﷺ إن هذه لطويلة الذيل، فقال النبي ﷺ: « الفظي الفظي » فلفظت بضعة من لحم)** رواه ابن أبي الدنيا عن عبيد الله العتكي، حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا المنيد بن القاسم، سمعت غبطة بنت خالد قالت: سمعت عائشة تقول: لا يغتابن منكن أحد أحداً فساقه. وكذلك أخرجه في كتاب ذم الغيبة، والخرائطي في مساوىء الأخلاق وأبن مردويه والبيهقي في الشعب، وفي لفظ بعضهم: لا يغتب بعضكم بعضاً فإني كنت عند رسول الله ﷺ الحديث. وقال العراقي بعد أن عزاه ابن أبي الدنيا وابن مردويه وفي إسناده لمرأة لا أعرفها يشير إلى غبطة بنت خالد، وفي سنن أبي داود غبطة بنت عمرو وهي غير هذه.

بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان:

(اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم) شرعاً، **(لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك)** وعيبه **(وتعريفه بما يكرهه)** إما باطناً أو ظاهراً، وقد يكون يكرهه باطناً ولا يظهره من نفسه لموجب

يكرهه، فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والغمز والهمزة والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام. فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها: دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدي أنها قصيرة. فقال عليه السلام: «اغتبتيها». ومن ذلك المحاكاة كأن يمشي متعارجاً أو كما يمشي فهو غيبة بل هو أشد من الغيبة لأن أعظم في التصوير والتفهيم. ولما رأى ﷺ عائشة حاكت امرأة قال: ما يسرني أني حاكيت إنساناً ولي كذا وكذا. وكذلك الغيبة بالكتابة فإن القلم أحد

فهو داخل فيه، **(فالتعريض به)** أي التلويح **(كالتصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والغمز والرمز والكتابة والحركة، وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام)** فأنواع الغيبة أربعة: أحدها التصريح وهو ظاهر. والثاني: التلويح ويتضمن أربعة أنواع الإشارة والإيماء والرمز والغمز إما بالعين أو بأخذ اليد، والثالث: الكتابة بالقلم أو بالإصبع، والرابع: الحركة وهي المحاكاة.وكلذلك حرام وتتضمن هذه الأنواع فروعاً كثيرة ولكن هذه الأصول وما عداها يرجع إليها وقد يفصلها المصنف في سياقه.

(فمن ذلك) أي من نوع الإشارة **(قول عائشة رضي الله عنه دخلت علينا امرأة)** وعندنا النبي ﷺ، **(فلما ولت)** أي انصرفت مولية بظهرها **(أومـأت)** أي أشرت **(بيدي)** وفي رواية بأبهامي **(أنها قصيرة)** قصر الإبهام، **(فقال ﷺ: «قد اغتبتيها»)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا، وابن مردويه من رواية حسان بن مخارق. وحسان وثقه ابن حبان وباقيهم ثقات اهـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو عبد الرحمن القرشي، حدثنا أبو معاوية قال: ذكر الشيباني عن حسان بن مخارق عن عائشة قالت: دخلت امرأة قصيرة والنبي ﷺ جالس فقلت بابهامي هكذا وأشرت إلى النبي ﷺ إنها قصيرة، فقال النبي ﷺ: «اغتبتيها» هذا لفظ ابن أبي الدنيا، وأما لفظ ابن مردويه في التفسير: أقبلت امرأة قصيرة والنبي ﷺ جالس قلت فأشرت بابهامي الى النبي ﷺ فقال: «لقد اغتبتيها» ورواه كذلك الخرائطي في مساوىء الأخلاق والبيهقي في الشعب. وأخرج عبد بن حميد من حديث عكرمة أن امرأة دخلت على النبي ثم خرجت فقالت عائشة: يا رسول الله ما أجلها وأحسنها لولا أن بها قصراً؟ فقال لها النبي ﷺ: «اغتبتيها» الحديث.

(ومن ذلك المحاكاة): يقال حكاه وحاكاه إذا فعل مثل فعله وأكثر ما يستعمل في القبيح **(بأن يمشي متعارجاً)** أو متطأطئاً رأسه **(أو كما يمشي)** أو غير ذلك من الهيئات كأن يحاكي خطبته أو وعظه أو تدريسه أو غير ذلك، **(فهو غيبة)** محرمة **(بل هو أشد من الغيبة)** أي من أشد أنواعها **(لأنه أعظم في التصوير والتفهيم)** للغير، **(ولما رأى ﷺ عائشة)** رضي الله عنها **(حكت إمرأة قال: ما يسرني أني حاكيت)** وفي نسخة: حكيت **(إنساناً ولي كذا وكذا»)** تقدم في الآفة الحادية عشر.

اللسانين، وذكر المصنف شخصاً معيناً وتهجين كلامه في الكتاب غيبة إلا أن يقترن به شيء من الأعذار المحوجة إلى ذكره كما سيأتي بيانه. وأما قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة إنما الغيبة التعرض لشخص معين إما حي وإما ميت. ومن الغيبة أن تقول: بعض من مرّ بنا اليوم أو بعض من رأيناه إذا كان المخاطب يفهم منه شخصاً معيناً لأن المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم، فأما إذا لم يفهم عينه جاز.

كان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئاً قال: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا»، فكان لا يعين. وقولك بعض من قدم من السفر أو بعض من يدعي العلم إن كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهي غيبة.

وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء المرائين فإنهم يفهمون المقصود على صيغة أهل

(وكذلك الغيبة بالكتابة) بالقلم على الورق، **(فإن القلم أحد اللسانين)** وهو من الكلمات الحكمية أي إن القلم في التصوير والتفهيم مثل اللسان، **(وذكر المصنف)** في كتابه **(شخصاً معيناً وتهجينه)** أي نسبته إلى الهجنة، **(وذكر كلامه في الكتاب)** على وجه التهوين والتنكيل والإزراء **(غيبة)** محرمة لا يجوز إرتكاب مثله **(إلا أن يقترن به شيء من الأعذار المحوجة كما سيأتي بيانه)** فيما بعد، **(وأما قوله)** في الكتاب **(قال قوم كذا)** فهذا هو الإبهام، **(فليس ذلك غيبة)** أي الإبهام في الغيبة ليس بغيبة وهو جائز **(إنما الغيبة التعريض لشخص معين إما حي أو ميت)** بما يسوءه ويكرهه، ويستثني من هذا الإبهام ما إذا فهم منه المعين بقرينة فإنه غيبة وإليه أشار المصنف بقوله: **(ومن الغيبة أن تقول: بعض من مر بنا اليوم)** أو بعض من قدم اليوم **(أو بعض من رأيناه)** اليوم **(إذا كان المخاطب)** به **(يفهم منه)** بقرينة قائمة **(شخصاً معيناً لأن المحذور)** إنما هو **(تفهيمه دون ما به التفهيم، فإذا لم يفهم عينه جاز)** ولم يكن غيبة.

(وكان رسول الله ﷺ إذا كره من إنسان شيئاً قال: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا») فهذا هو الإبهام في الغيبة. قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عائشة ورجاله رجال الصحيح اهـ.

(وكان) وفي نسخة فكان **(لا يعين)** شخصاً بعينه. **(وقولك بعض من قدم من السفر، أو بعض من يدعي العلم)** أو بعض من يوصف بالصلاح ونحو ذلك **(إذا كان معه قرينة)** قائمة **(تفهم عين الشخص فهو غيبة.**

وأخبث أنواع الغيبة غيبة القراء) أي العلماء **(المرائين)** بعلومهم وهم علماء الدنيا، **(فإنهم يفهمون المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم)** للناس **(التعفف**

الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ويفهمون المقصود ، ولا يدرون بجهلهم أنهم جمعوا بين فاحشتين الغيبة والرياء ، وذلك مثل أن يذكر عنده إنسان فيقول: الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام ، أو يقول: نعوذ بالله من قلة الحياء ، نسأل الله أن يعصمنا منها ، وإنما قصده أن يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعاء ، وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول: ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات، وليكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلي به كلنا وهو قلة الصبر فيذكر نفسه ، ومقصوده أن يذم غيره في ضمن ذلك ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين بأن يذم نفسه فيكون مغتاباً ومرائياً ومزكياً نفسه ، فيجمع بين ثلاث فواحش وهو بجهله يظن أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة ، ولذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فإنه يتعبهم ويحبط بمكائده عملهم ويضحك عليهم ويسخر منهم. ومن ذلك ان يذكر عيب إنسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين فيقول: سبحان الله

عن الغيبة) والتباعد عنها ، **(ويفهمون المقصود)** الذي سيق الكلام لأجله ، **(ولا يدرون)** بجهلهم **(أنهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة ، ومثل ذلك أن يذكر عنده إنسان فيقول: الحمد لله الذي لم يبلنا)** أي لم يمتحنا **(بالدخول على السلطان)** أو بمخالطة الأمراء أو الحمد لله الذي عصمني من مخالطة السلطان ، **(والتبذل في طلب الحطام)** أي متاع الدنيا من مال وغيره ، **(أو يقول: نعوذ بالله من قلة الحياء نسأل الله أن يعصمنا منه)** أو يقول: الله يلطف به ونحو ذلك ، **(وإنما)** قصده بذلك **(أن يفهم)** الناس **(عيب الغير)** من الخلطة وطلب الحطام وقلة الحياء ، **(فيذكره بصيغة الدعاء)** له.

(وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته) أي اغتيابه **(فيقول: ما أحسن أحوال فلان ما كان يقصر في العبادات)** ولم يشتغل بغيرها ، **(ولكن قد اعتراه)** الآن **(فتور)** همة وكسل ، **(وابتلي بما يبتلي به كلنا وهو قلة الصبر)** على المكاره ، **(فذكر نفسه ومقصوده)** من ذلك **(أن يذم غيره ويمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم أنفسهم فيكون)** بهذا الفعل **(مغتاباً)** لأخيه **(ومرائياً)** لعمله **(ومزكياً نفسه ، فيجمع بين ثلاث فواحش ، وهو يظن بجهله أنه من الصالحين المتعففين عن الغيبة)** وهذا من أدق ما يبتلي به الخاصة فضلا عن العامة ، **(وكذلك يلعب الشيطان بأهل الجهل)** من العامة **(إذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم)** يتعلمونه ، **(فإنه يتعبهم)** أي يوقعهم في المشقة **(ويحبط بمكائده عملهم)** فلا يكون مقبولاً ، **(ويضحك عليهم ويسخر منهم)** ويلعب بهم كما يلعب الصبي بالكرة ، فقد روى أبو نعيم في الحلية من حديث واثلة المتعبد بلا فقه كالحمار في الطاحون.

(ومن ذلك أن يذكر عيب إنسان فلا يتنبه له بعض الحاضرين) في المجلس **(فيقول:**

ما أعجب هذا حتى يصغي إليه ويعلم ما يقول فيذكر الله تعالى ويستعمل اسمه آلة له في تحقيق خبثه، وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلاً منه وغروراً، وكذلك يقول: ساءني ما جرى على صديقنا من الاستخفاف به نسأل الله أن يروّح نفسه فيكون كاذباً في دعوى الاغتمام وفي إظهار الدعاء له، بل لو قصد الدعاء لأخفاه في خلوته عقيب صلاته ولو كان يغتم به لاغتم أيضاً بإظهار ما يكرهه، وكذلك يقول ذلك المسكين: قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه، فهو في كل ذلك يظهر الدعاء والله مطلع على خبث ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرض لمقت أعظم مما تعرض له الجهال إذا جاهروا، ومن ذلك الإصغاء إلى الغيبة على سبيل التعجب، فإنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة، فيندفع فيها وكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول: عجب ما علمت انه كذلك ما عرفته إلى الآن إلا بالخير، وكنت أحسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فإن كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب. قال ﷺ: «المستمع أحد المغتابين»، وقد روي عن أبي بكر

سبحان الله ما أعجب هذا) فينبهه **(حتى يصغي)** بأذن قلبه **(إلى المغتاب ويعلم ما يقوله)** ويلقيه، **(فيذكر اسم الله)** جل اسمه **(ويستعمل ذكره آلة له في تحقيق خبثه)** في طويته، **(وهو يمتن على الله عز وجل بذكره جهلاً منه وغروراً)** واستخفافاً، **(وكذلك يقول: لقد ساءني ما جرى على صديقنا)** الفلاني **(من الاستخفاف به)** والإزراء لشأنه **(فنسأل الله أن يروح سره)** وفي نسخة نفسه أي يعطيه راحة والمراد بالسر الباطن، **(ويكون)** هو **(كاذباً في دعوى الاغتمام)** عليه، **(وفي إظهار الدعاء)** له، **(بل لو)** كان صادقاً في دعواه و**(قصد الدعاء له لأخفاه في خلوة)** عن الناس أو **(عقيب صلاته)** بينه وبين الله تعالى، **(ولو كان يغتم به لاغتمّ أيضاً بإظهار ما يكرهه)** ويسوءه لو بلغه، **(وكذلك يقول: ذلك المسكين)** أو المسيكين بالتصغير **(قد بلي بآفة عظيمة تاب الله عليه وعلينا)** أو علينا وعليه كما في نسخة، **(فهو في كل ذلك يظهر الدعاء)** له، **(والله مطلع على خبث ضميره)** ورداءة طويته **(وخفي قصده، وهو لجهله لا يدري أنه قد تعرض لمقت أعظم مما يتعرض له الجهال إذا جاهروا)** إذ نبه بقوله ذلك على أنه يرتكب ما يجب عليه التوبة.

(ومن ذلك الإصغاء) أي الميل بإذن القلب **(إلى الغيبة على سبيل التعجب، فإنه إنما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة فيندفع فيها)** أي يسترسل، **(فكأنه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول: عجب ما علمت أنه كذلك ما عرفته إلى الآن إلا بالخير)** والصلاح، **(وكنت أحسب فيه غير هذا عفانا الله من بلائه)** أو لطف الله به، **(فإن كان ذلك تصديق للمغتاب والتصديق بالغيبة غيبة بل الساكت شريك المغتاب. قال رسول الله ﷺ:**

وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه : إن فلاناً لنؤوم ثم أنهما طلبا أدماً من رسول الله ﷺ ليأكلا به الخبز فقال ﷺ : « قد ائتدمتما » فقالا : ما نعلمه . قال : « بلى انكما أكلتما من لحم أخيكما » فانظر كيف جمعهما . وكان القائل أحدهما والآخر مستمع ،

« المستمع أحد المغتابين ») أي المستمع والمغتاب شريكان في الإثم . قال العراقي : روى الطبراني من حديث ابن عمر : « نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة وعن الاستماع إلى الغيبة » وهو ضعيف اهـ .

قلت : وكذلك رواه الخطيب ولفظه : « نهى عن الغناء والاستماع إلى الغناء وعن الغيبة والاستماع إلى الغيبة وعن النميمة والاستماع إلى النميمة » قال الهيثمي فيه فرات بن السائب وهو متروك . وروى ابن أبي الدنيا عن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان أنه قال لمولى له : نزه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه لسانك عن القول به ، فإن المستمع شريك القائل .

(وقد روي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن أحدهما قال لصاحبه : إن فلاناً لنؤوم) أي كثير النوم ، (ثم طلبا أدماً من رسول الله ﷺ ليأكلاه مع الخبز ، فقال ﷺ : « قد ائتدمتما » فقالا . ما نعلمه فقال : « بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما ») قال العراقي : رواه أبو العباس الدغولي في الأدب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلاً نحوه . ورواه أيضاً المقدسي في المختارة من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس اهـ .

قلت : قال الخرائطي في مساوىء الأخلاق : حدثنا أبو بدر عباد بن الوليد ، حدثنا حبان بن هلال ، عن حماد ، عن ثابت ، عن أنس قال : كانت العرب يخدم بعضها بعضاً في الأسفار ، وكان مع أبي بكر وعمر رجل يخدمهما فناما فاستيقظا ولم يهيىء لهما طعاماً . فقال أحدهما : إن هذا لنؤوم فأيقظاه فقالا : أئت رسول الله ﷺ فقل له : إن أبا بكر وعمر يقرئانك السلام فقال : « ائتدما » فجاء فأخبرهم فقالا : يا رسول الله بأي شيء ائتدمنا ؟ قال : « بلحم أخيكما والذي نفسي بيده إني لأرى لحمه بين ثناياكما » فقالا : استغفر لنا يا رسول الله فقال : مراه فليستغفر لكما .

(فانظر كيف جمعهما وكان القائل أحدهما والآخر مستمع) وقد رويت هذه القصة من وجه آخر من مرسل يحيى بن أبي كثير أورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول قال : إن النبي ﷺ كان في سفر ومعه أبو بكر وعمر ، فارسلوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه لحماً فقال أوليس قد ظللتم من اللحم شباعاً . قالوا : من أين ؟ فوالله ما لنا باللحم عهد منذ أيام فقال : « من لحم صاحبكم الذي ذكرتم » قالوا : يا نبي الله إنما قلنا والله إنه لضعيف ما يعيننا على شيء . قال : « ذلك فلا تقولوا » فرجع إليهم الرجل فاخبرهم بالذي قال . قال : فجاء أبو بكر فقال : يا نبي الله طأ على صماخي واستغفر لي ففعل ، وجاء عمر فقال : يا نبي الله طأ علي صماخي واستغفر لي ففعل ، وهذا السياق دل على أنهما رضي الله عنهما كانا مستمعين وأن القائل بالكلام المذكور غيرهما بدليل قولهما طأ على صماخي فأشار به إلى أنه كان مستمعاً .

وقال للرجلين اللذين قال أحدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب «انهشا من هذه الجيفة» فجمع بينهما فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا أن ينكر بلسانه أو بقلبه إن خاف وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل لزمه وإن قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق ولا يخرجه من الإثم ما لم يكرهه بقلبه، ولا يكفي في ذلك أن يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فإن ذلك استحقار للمذكور، بل ينبغي أن يعظم ذلك فيذب عنه صريحاً. وقال ﷺ: «من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على نصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق». وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ: «من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة». وقال أيضاً: «من ذب عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً

(**وقال للرجلين اللذين**) مرّا على ماعز وهو يرجم (**وقال أحدهما للآخر: اقعص الرجل كما أقعص الكلب**) ومقول القول (**« انهشا من هذه الميتة »**) قد تقدم قبل هذا باثني عشر حديثاً، (**فجمع بينهما**) مع أن القائل واحد، (**فالمستمع لا يخرج من إثم الغيبة إلا بأن ينكر**) على المغتاب (**بلسانه**) إن قدر (**فإن خاف**) الضرر (**فبقلبه وإن قدر على القيام**) من ذلك المجلس (**أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعله لزمه**) الإثم، (**وإن قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق**) لمخالفة قلبه لسانه، (**ولا يخرجه عن الإثم ما لم يكرهه بقلبه**) مصمماً عليه، (**ولا يكفي أن يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه أو جبينه**) أو طرف عينه، (**فإن ذلك استحقار للمذكور**) بالغيبة، (**بل ينبغي أن يعظمه فيذب عنه صريحاً قال رسول الله ﷺ: « من أذل**) بالبناء للمجهول (**عنده**) أي بحضرته أو بعلمه (**مؤمن وهو يقدر**) أي والحال أنه يقدر (**على أن ينصره**) على من ظلمه (**فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق »**) قال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث سهل بن حنيف وفيه ابن لهيعة اهـ.

قلت: قال الهيتمي وهو حسن الحديث وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات، وكذلك رواه ابن السني في اليوم والليلة، ولفظهم جميعاً: « من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذله الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة ». وروى الخرائطي من حديث عمران بن حصين: « من ذكر عنده أخوه المسلم بظهر الغيب وهو يقدر على أن ينصره فنصره نصره الله في الدنيا والآخرة ». ومن حديث أنس بزيادة: « ومن لم ينصره أدركه الله بها في الدنيا والآخرة ».

(**وقال أبو الدرداء**) رضي الله عنه، (**قال النبي ﷺ: « من رد عن عرض أخيه بالغيب**) بأن رد على من اغتابه وشانه وعابه (**كان حقاً على الله عز وجل أن يرد عن عرضه يوم القيامة**) جزاء وفاقا ». ورواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة، حدثنا جرير، عن ليث، عن

على الله أن يعتقه من النار » وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك أخبار كثيرة أوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين فلا نطوّل بإعادتها .

شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء ، عن النبي ﷺ قال : « من رد عن عرض أخيه بالغيبة » . فساقه وكذلك رواه في ذم الغيبة ، قال العراقي : فيه شهر بن حوشب وهو عند الترمذي من وجه آخر بلفظ : « رد الله عن وجهه النار يوم القيامة » اهـ .

قلت : لفظ الترمذي أخرجه أيضاً أحمد والطبراني . وفي رواية كان له حجاباً من النار ، رواه كذلك عبد بن حميد ، وابن زنجويه ، والروياني والخرائطي في المكارم ، والطبراني وابن السني في اليوم والليلة . وفي رواية : « كان حقاً على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة » رواه الطبراني والخرائطي .

(وقال) ﷺ (أيضاً من ذبّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يعتقه من النار ») رواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة حدثنا عثمان بن عمر عن عبيد الله بن أبي زياد ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ فذكره . وكذلك رواه أحمد والطبراني ولكن بلفظ : « من رد « بدل » من « ذب » ورواه ابن المبارك وأحمد أيضاً والخرائطي في مكارم الأخلاق والطبراني أيضاً والبيهقي بلفظ : « من ذب عن لحم أخيه بالغيبة » والباقي سواء .

(وقد ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفضل ذلك أخبار كثيرة) وآثار شهيرة **(أوردناها في كتاب آداب الصحبة وحقوق المسلمين ، فلا نطول بإعادتها)** فمن ذلك حديث أنس « من حمى عرض أخيه في الدنيا بعث الله إليه ملكاً يوم القيامة يحميه من النار » .

وحديث جابر وأبي طلحة : « ما من امرىء يخذل امرءاً مسلماً في موطن تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله في موطن تجب فيه نصرته ، وما من امرىء ينصر امرءاً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه حرمته إلا نصره الله في موطن تجب فيه نصرته » .

وحديث أنس : « إذا وقع في رجل وأنت في ملأ فكن للرجل ناصراً وللقوم زاجراً أو قم عنهم ثم تلا هذه الآية ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ﴾ [الحجرات : ١٢] وحديثه أيضاً : « من اغتيب عنده أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أدركه الله في الدنيا والآخرة .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما يمنعكم إذا رأيتم السفيه يخرق أعراض الناس أن تعربوا عليه قالوا : نخاف لسانه . قال : ذلك أدنى أن لا تكونوا شهداء ، وكان ميمون بن سياه لا يغتاب ولا يدع أحداً عنده يغتاب ينهاه ، فإن انتهى وإلاّ قام .

بيان الأسباب الباعثة على الغيبة:

اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة ولكن يجمعها أحد عشر سبباً ثمانية منها تطرد في حق العامة وثلاثة تختص بأهل الدين والخاصة.

أما الثمانية: فالأوّل: أن يشفي الغيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فإنه إذا هاج غضبه يشتفي بذكر مساوئه فسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن ثم دين وازع، وقد يمتنع تشفي الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن فيصير حقداً ثابتاً فيكون سبباً دائماً لذكر المساوىء، فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة.

الثاني: موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام، فإنهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض فيرى أنه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهاراً للمساهمة في السراء والضراء، فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوىء.

بيان الاسباب الباعثة على الغيبة:

(**اعلم أن البواعث على الغيبة كثيرة، ولكن يجمعها أحد عشر سبباً ثمانية**) منها (**تطرد في حق العامة وثلاثة**) منها (**تختص بأهل الدين والخاصة**).

(**أما الثمانية**) التي تطرد في حق العامة (**فالأول تشفي الغيظ**) أي الغضب الكامن في القلب، (**وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه، فإذا هاج غضبه**) وثار من باطنه على الجوارح (**تشفي بذكر مساوئه**) ومعايبه (**وسبق اللسان إليه**) أي إلى ذكر المساوىء (**بالطبع**) المجبول عليه (**إن لم يكن ثم**) أي هناك (**دين وازع**) أي مانع حاجزوورع جبلي (**وقد يمتنع تشفي الغيظ عند**) هيجان (**الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير حقداً ثابتاً فيكون سبباً دائماً لذكر المساوىء**) لا يفتر عنه، (**فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة**) وقد وردت أخبار فيمن لم يشف غيظه بمعصية الله تعالى سيأتي ذكرها.

(**الثانية: موافقة الأقران**) من إخوان الزمان (**ومجاملة الرفقاء**) والأصحاب (**ومساعدتهم على الكلام، فإنهم إذا كانوا**) من عادتهم أنهم (**يتفكهون بذكر الأعراض**) والوقوع فيها (**فيرى أنه لو انكر عليهم**) بلسانه (**أو قطع المجلس**) فإن قام منه ولم يعد (**استثقلوه**) أي عدوه ثقيلاً (**ونفروا عنه**) وقطعوا صحبته، (**فيساعدهم**) على عوائدهم، (**ويرى ذلك من حسن المعاشرة**) وجميل المجاورة (**ويظن أنه**) أي فعله ذلك (**مجاملة**) لهم (**في الصحبة، وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهاراً للمساهمة**) أي المشاركة (**في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوىء**) ولم يعلم بأن الله

الثالث: أن يستشعر من إنسان أنه سيقصده ويطوّل لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتشم، أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدىء بذكر ما فيه صادقاً ليكذب عليه بعده فيروّج كذبه بالصدق الأوّل ويستشهد به ويقول: ما من عادتي الكذب فإني أخبرتكم بكذا وكذا من أحواله فكان كما قلت.

الرابع: أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه أن يبرىء نفسه ولا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه، أو يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله.

الخامس: إرادة التصنع والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول: فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم

تعالى يغضب عليه إذا طلب سخطه في رضا المخلوقين، وقد وردت في ذلك أخبار سيأتي ذكرها.

(**الثالث**): التحامي عن رد قوله لسبق الغير في تقبيحه، وبيانه (**أن يستشعر من إنسان أنه سيقصد ويطول لسانه فيه أو يقبح**) مقاله ويفضح (**حاله عند محتشم**) أي رئيس ذي جاه وحشمة، (**أو يشهد عليه بشهادة**) على شيء يغض منه (**فيبادره**) ويستعجل عليه (**قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته**) ومقالته، (**أو يبتدىء بذكر ما فيه صادقاً ليكذب عليه بعده فيروج**) أي يزين (**كذبه بالصدق الأول ويستشهد به ويقول: ما من عادتي الكذب فإني**) اختبرتكم آنفاً (**بكذا وكذا من أحواله، فكان كما قلت**) وكما إذا ذكر زيد مسألة فاعترض عليها عمرو فيكون باعثاً لزيد أن يغتاب عمراً ليحامي ما سبق من كلامه من بطلان مرامه.

(**الرابع**): التبرىء عن فاحشة منسوبة إليه بالنسبة إلى الغير، وبيانه: (**أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه**) أي يتخلص منه، (**فيذكر الذي فعله وكان من حقه أن يبرىء نفسه ولا يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره إليه**) فيكون بهذا جمعاً بين الذنوب لديه، وقد قال تعالى: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتانا وإثما مبيناً﴾ [النساء: ١١٢] (**أو يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل**) ولم يكن وحده (**ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله**).

(**الخامس: إرادة التصنع والمباهاة**) أي المفاخرة، (**وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول: فلان جاهل**) أو بليد، (**وفهمه ركيك**) أي سقيم، (**وكلامه ضعيف**) ونحو ذلك، (**وغرضه**) منه (**أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه**) ورفعة مقامه (**ويريهم أنه أعلم منه**)

أنه أعلم منه، أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك.

السادس: الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلاً إليه إلا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن كرامته والثناء عليه لأنه يثقل عليه أن يسمع كلام الناس وثناءهم عليه وإكرامهم له وهذا هو عين الحسد وهو غير الغضب والحقد فإن ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه، والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق.

السابع: اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر عيوب غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة ومنشؤه التكبر والتعجب.

الثامن: السخرية والاستهزاء استحقاراً له فإن ذلك قد يجري في الحضور ويجري أيضاً في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار المستهزأ به.

وأدق فهماً (**أو يحذر**) أي يخاف (**أن يعظم**) عندهم (**مثل تعظيمة فيقدح فيه لذلك**) حتى ينقص مقامه عندهم.

(**السادس: الحسد وهو أنه ربما يحسد من يثني عليه الناس**) ويشيرون له بالفضل (**ويحبونه ويكرمونه**) ويبجلونه، (**فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلاً إليه إلا بالقدح فيه**) والحط عليه، (**فيريد أن يسقط .اء وجهه عند الناس حتى يكفوا**) أي يمتنعوا (**عن إكرامه والثناء عليه، لأنه يثقل عليه أن يسمع ثناء الناس عليه وإكرامهم له، وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد**) المتقدم بذكرهما، (**فإن ذلك يستدعي جناية من المغضوب عليه، والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق**) فافترقا بهذه الحيثية فهو سبب مستقل للغيبة.

(**السابع: اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت**) أي سوقه وإمضاؤه (**بالضحك**) وغيره من أسباب المقت، (**فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة والتعجب والتعجيب**) ونحو ذلك.

(**الثامن: الاستهزاء استحقاراً له فإن ذلك قد يجري في الحضور**) أي حضرة من يستحقره، (**ويجري أيضاً في الغيبة**) بفتح الغين أي في حالة الغيب (**ومنشؤة التكبر**) والترفع (**واستحقار المستهزأ به**). وهذا السبب مع ما قبله قد يتحدان فإن تزجية الوقت كما يكون بالهزل، واللعب يكون بالاستهزاء والاستخفاف، ونظراً إلى هذا جعل مؤلف مختصر هذا الكتاب المسمى بعين العلم البواعث سبعة لا غير، فتأمل. وعلاج ذلك بما ذكر في هذا الكتاب في محله فإن

وأما الأسباب الثلاثة التي هي في الخاصة فهي أغمضها وأدقها لأنها شرور خبأها الشيطان في معرض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان بها الشر.،

الأوّل: أن تنبعث من الدين داعية التعجب في إنكار المنكر والخطأ في الدين فيقول: ما أعجب ما رأيت من فلان فإنه قد يكون به صادقاً ويكون تعجبه من المنكر، ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في إظهار تعجبه فصار به مغتاباً وآثماً من حيث لا يدري، ومن ذلك قول الرجل: تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل؟

الثاني: الرحمة وهو أن يغتم بسبب ما يبتلى به فيقول: مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلي به فيكون صادقاً في دعوى الاغتمام ويلهيه الغم عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتاباً فيكون غمه ورحمته خيراً، وكذا تعجبه. ولكن ساقه الشيطان إلى شر

مساوىء الأخلاق إنما تعالج بمعجون العلم والعمل المركب لها، وإنما علاج كل علة بضدها فليتفحص عن السبب ويعالج بالضد.

(**وأما الأسباب**) الثلاثة التي هي في الخاصة وأهل الدين، (**فهي أغمضها وأدقها**) وأخفاها (**لأنها شرور عباها الشيطان في معرض الخيرات، وفيها خير، ولكن شاب الشيطان**) أي خلط (**بها الشر**).

(**الأول: أن تنبعث من الدين داعية التعجب من إنكار المنكر**) الشرعي (**والخطأ في الدين فيقول: ما أعجب ما رأيت من فلان فإنه قد يكون صادقاً**) في قوله (**ويكون تعجبه من المنكر**) الذي صدر منه، (**ولكن كان حقه أن يتعجب ولا يذكر إسمه فيسهل الشيطان عليه ذكر اسمه في ذكر تعجبه فصار به مغتاباً**) له (**من حيث لا يدري**) لأنه لو بلغه ذلك لكرهه (**وأثم**) في ذلك وقل من يتفطن له إلا العارفون، (**ومن ذلك قول الرجل: تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة**) الصورة، (**وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل**): فإن هذا القول وإن كان صدقاً في الحقيقة بأن تكون الجارية في نفس الأمر قبيحة، والرجل الذي يجلس إليه جاهلاً، ولكنه مخلوط بالغيبة بتعيين أشخاصها وذكرهما بما يكرهانه لو بلغهما.

(**الثاني: الرحمة وهو أن يغتم بسبب ما يبتلى به**) أي يمتحن (**فيقول: مسكين فلان قد غمني أمره وما ابتلي به فيكون صادقاً في**) دعوى (**اغتمامه ويلهيه الغم**) الذي عرض له (**عن الحذر من ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتاباً**) له، (**فيكون غمه ورحمته خيراً، وكذا تعجبه ولكنه ساقه**) الشيطان (**إلى**) معرض (**شر من حيث لا يدري والترحم**

من حيث لا يدري والترحم والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه، فيهيجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه.

الثالث: الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكر قارفه إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه، وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غيره أو يستر اسمه ولا يذكره بالسوء. فهذه الثلاثة مما يغمض دركها على العلماء فضلاً عن العوام، فإنهم يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان لله تعالى كان عذراً في ذكر الاسم وهو خطأ بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم - كما سيأتي ذكره - روي عن عامر بن واثلة ان رجلاً مرّ على قوم في حياة رسول الله ﷺ فسلّم عليهم فردوا عليه السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم: إني لأبغض هذا في الله تعالى، فقال أهل المجلس: لبئس ما قلت والله لننبئنه ثم قالوا: يا فلان لرجل منهم قم فادركه وأخبره بما قال فأدركه رسولهم فأخبره فأتى الرجل رسول الله ﷺ وحكى له ما قال وسأله أن يدعوه له فدعاه وسأله فقال: قد قلت

والاغتمام ممكن دون ذكر اسمه فيهيجهالشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه).

(**الثالث: الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب على منكر قارفه**) أي ارتكبه (**إنسان إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه، وكان الواجب عليه أن يظهر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهر على غيره ويستر اسمه**) ويخفيه (**ويذكره بالسوء**) لحرمة عرضه (**فهذه الثلاثة مما يغمض**) ويدق (**دركها على العلماء**) الأجلة. (**فضلاً عن العوام فإنهم**) أي العلماء (**يظنون أن التعجب والرحمة والغضب إذا كان**) كل منها (**لله تعالى كان عذراً**) مبيحاً (**في ذكر الاسم وهو خطأ، بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها**) أي لاسعة فيها (**عن ذكر الاسم كما سيأتي**) بيانه.

(**روى عامر بن واثلة**) بن عبد الله بن عمرو بن حجش الليثي أبو الطفيل ولد عام أحد، ورأى النبي ﷺ. وروى عن أبي بكرفمن بعده وعمر إلى أن مات سنة عشر ومئة على الصحيح، وهو آخر من مات من الصحابة قاله مسلم وغيره: (**أن رجلا مرَّ على قوم في حياة رسول الله ﷺ فسلم عليهم فـردوا علـيه السلام، فلما جاوزهم قال رجل منهم: إني لأبغض هذا في الله تعالى، فقال أهل المجلس: لبئسما قلت والله لتبيننه**) أن لتظهرن ما قلت، (**ثم قالوا: يا فلان لرجل منهم قم فادركه واخبره بما قال فادركه رسولهم فاخبره**) ما قال، (**فأتى الرجل رسول الله ﷺ وحكى له ما قال وسأله أن يدعوه له فدعاه وسأله فقال: قد قلت**)

ذلك. فقال ﷺ: « لم تبغضه »؟ فقال: أنا جاره وأنا به خابر والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة. قال: فاسأله يا رسول الله هل رآني أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها؟ فسأله فقال: لا. فقال: والله ما رأيته يصوم شهراً قط إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر. قال: فاسأله يا رسول الله هل رآني قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيئاً، فسأله عنه فقال: لا. فقال: والله ما رأيته يعطي سائلاً ولا مسكيناً قط ولا رأيته ينفق شيئاً من ماله في سبيل الله إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر. قال: فاسأله هل رآني نقصت منها أو ماكست فيها طالبها الذي ينالها؟ فسأله فقال: لا. فقال ﷺ للرجل: « قم فلعله خير منك ».

بيان العلاج الذي به يمنع اللسان عن الغيبة:

اعلم أن مساوىء الأخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل، وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين: أحدهما

ذلك) ولم ينكر **(فقال ﷺ: « لم تبغضه)** وهل لذلك سبب ». **(فقال: أنا جاره)** الملاصق **(وأنا به خابر)** أي مطلع على أحواله، **(والله ما رأيته يصلي صلاة قط إلا هذه المكتوبة)** أي الفروض الخمسة. **(قال)** الرجل: **(فسله يا رسول الله هل رآني أخرتها عن وقتها أو أسأت الوضوء لها أو الركوع أو السجود فيها؟ فسأله فقال: لا. فقال: والله ما رأيته يصوم شهراً قط)** من شهور السنة **(إلا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر)** يعني شهر رمضان. **(قال)** الرجل: **(فاسأله يا رسول الله هل رآني قط أفطرت فيه أو نقصت من حقه شيئاً. فسأله فقال: لا. قال: والله ما رأيته يعطي سائلاً ولا مسكيناً ولا رأيته يعطي من ماله شيئاً في سبيل الله سوى هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر قال)** الرجل: **(فاسأله)** يا رسول الله **(هل رآني نقصت منها أو ماكست طالبها الذي ينالها)** أي ماطلته؟ **(فسأله فقال: لا. فقال ﷺ: « قم فلعله خير منك »)** قال العراقي: رواه أحمد في مسنده بإسناد صحيح.

بيان العلاج الذي يمنع اللسان من الغيبة:

(اعلم أن مساوىء الأخلاق كلها تعالج بمعجون العلم والعمل) أي إذا عجن العلم النافع الخالص عن الشوائب بالعمل الصالح الخالي عن الرياء والسمعة وركبا بالأوزان الشرعية واتخذ معجوناً واستعمله من به داء مساويء الأخلاق نفعه، **(وإنما علاج كل علة بمضادة سببها)** كما إذا قوي البرد ونظر إلى سببه عولج بالأدوية الحارة المزيلة لذلك السبب الذي نشأ بسببه ذلك البرد العارض، وكذا بالعكس. **(فلنفحص)** أي نبحث **(عن سببها)** فإن معرفة الأسباب هو الركن

على الجملة، والآخـــر على التفصيـــل.

أما على الجملة فهو أن يعلم أن تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الأخبار التي رويناها وأن يعلم أنها محبطة لحسناته يوم القيامة فإنها تنقل حسناته في القيامة إلى من اغتابه بدلاً عما استباحه من عرضه فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه، وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل ومشتبه عنده بآكل الميتة، بل العبد يدخل النار بأن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار، وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب. قال ﷺ: «ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد». وروي أن رجلاً قال للحسن: بلغني انك تغتابني فقال: ما بلغ من قدرك عندي أني أحكمك في حسناتي. فمهما آمن العبد بما ورد من

الأعظم في المداواة للعلل الحادثة، **(وعلاج كف اللسان عن الغيبة على وجهين: أحدهما على الجملة)** أي الإجمال، **(والآخر على التفصيل)**.

(أما على الجملة: فهو أن يعلم تعرضه لسخط الله تعالى بغيبته بهذه الأخبار التي رويناها) وذكرناها آنفاً، **(وإن يعلم أنها تحبط حسناته يوم القيامة)** وقد روى ابن أبي الدنيا عن كعب قال: الغيبة تحبط العمل، **(فإنه تنقل حسناته إلى من اغتابه بدلاً عما اجتاحه)** أي استأصله **(من عرضه، فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئاته)** كما وردت بذلك الأخبار، **(وهو مع ذلك متعرض لمقت الله عز وجل متشبه عنده بآكل الميتة)** أي لحمها، **(بل العبد يدخل النار)** أي يستحق دخولها **(بأن تترجح كفة سيئاته على كفة حسناته، وربما تنقل إليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان)** لكفة السيئات، **(ويدخل بها النار وإنما أقل الدرجات أن تنقص من ثواب أعماله، وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب)** والمناقشة في كل ذلك. (قال ﷺ) «والله **(ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد »)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً. قال الحافظ السخاوي: أي في المرفوع. نعم جاء عن الحسن البصري: إياكم والغيبة والذي نفسي بيده لهي أسرع في الحسنات من النار في الحطب.

قلت: روي ذلك ابن أبي الدنيا عن أبي الحسن عن ابن عبد الله الرقي، حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني أبي عن الحسن أنه كان يقول: إياكم والغيبة فذكره.

(وروي أن رجلاً قال للحسن) البصري: **(بلغني أنك اغتبتني فقال: ما بلغ من قدرك**

الأخبار في الغيبة لم يطلق لسانه بها خوفاً من ذلك وينفعه أيضاً أن يتدبر في نفسه، فإن وجد فيها عيباً اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله ﷺ: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس» ومهما وجد عيباً فينبغي أن يستحيي من أن يترك ذم نفسه ويذم غيره بل ينبغي أن يتحقق إن عجز غيره عن نفسه في التنزه عن ذلك العيب كعجزه، وهذا إن كان ذلك عيباً يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمراً خلقياً فالذم له ذم للخالق فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها. قال رجل لحكيم: يا قبيح الوجه، قال ما كان خلق وجهي إليّ فاحسنه. وإذا لم يجد العبد عيباً في نفسه فليشكر الله تعالى ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب فإن ثلب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه انه بريء من كل عيب جهل بنفسه وهو من أعظم العيوب وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بغيبته

عندي أني أحكمك في حسناتي، **فمهما آمن العبد بما ورد من الأخبار في الغيبة)** أي في ذمها **(لم يطلق لسانه بها)** أصلاً **(خوفاً من ذلك)** أي من الوعيد الذي دلت عليه الأخبار، **(وينفعه أيضاً أن يتذكر في عيوب الناس عيب نفسه فإن وجد فيها عيباً اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله ﷺ: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»)** قال العراقي: رواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف اهـ.

قلت: تمامه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة ولم يعد عنها إلى البدعة وقد رواه كذلك الديلمي وتقدم في أول الباب من هذا الكتاب.

(ومهما وجد عيباً فينبغي أن يستحي من أن يترك نفسه بذم غيره) فذم نفسه أولى من ذم غيره، **(بل ينبغي أن يتحقق أن عجز غيره في نفسه في التنزه)** أي التباعد **(عن ذلك العيب كعجزه هذا إذا كان عيباً يتعلق بفعله واختياره وإن كان أمراً خلقياً)** قد خلقه الله كذلك وليس في اختياره تبديله، **(فالذم له ذم للخالق)** أي يرجع إليه ولو لم يقصد، **(فإن من ذم صنعة فقد ذم صانعها)** استلزاماً.

(قال رجل لحكيم: يا قبيح الوجه. قال: ما كان خلق وجهي إليّ فأحسنه) أي أزينه، وإنما هذه خلقه الله تعالى فما من حسن أو قبيح إلا والله خالقه **(وإذا لم يجد العبد عيباً في نفسه)** أي ظاهراً له عند تأمله، **(فليشكر الله تعالى)** على هذه النعمة **(ولا يلوثن نفسه بأعظم العيوب)** فإن ثلب أعراض الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب وأشدها، **(بل لو أنصف لعلم أن ظنه بنفسه أنه بريء من كل عيب)** ظن فاسد و **(جهل بنفسه)** وغرور، **(وهو من أعظم العيوب)** فإن مقتضى البشرية يقتضي العيب إلا من برأه الله تعالى، **(وينفعه أن يعلم أن تألم غيره بعيبه كتالمه بعيب غيره له، فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب)** أي

كتألمه بغيبة غيره له فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه. فهذه معالجات جلية.

أما التفصيل؛ فهو أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فإن علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا الأسباب.

أما الغضب فيعالجه بما سيأتي في كتاب آفات الغضب، وهو أن يقول: إني إذا أمضيت غضبي عليه فلعل الله تعالى يمضي غضبه علي بسبب الغيبة إذ نهاني عنها، فاجترأت على نهيه واستخففت بزجره، وقد قال ﷺ: « إن لجهنم باباً لا يدخل منه إلا من شفي غيظه بمعصية الله تعالى ». وقال ﷺ: « من اتقى ربه أمسك لسانه ولم يشف

يغتابه غيره، (**فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه**) وهو كمال الإيمان، (**فهذه معالجة جلية**) أي إجمالية فيها مقنع لكل متبصر يتطلع بعين بصيرته، فيستفيد من هذه المعالجات شفاء لأمراضه المستكنة.

(**أما التفصيل في ذلك فهو أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة**) ما هو (**فإن علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا**) ذكر (**الأسباب**) الثمانية والثلاثة.

(**أما الغضب فيعالجه بما سيأتي**) في الذي يليه في كتاب ذم الغضب، (**وهو أن يقول: إني إذا أمضيت غضبي عليه لعل الله يمضي غضبه عليّ بسبب الغيبة إذ نهاني عنها فقال**) ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ [الحجرات: ١٢] (**فاجترأت على الله تعالى**) بمخالفتي له (**واستخففت بزجره**) فلم أعلم به، (**وقد قال ﷺ: « إن لجهنم باباً**) أي عظيم المشقة (**لا يدخل منه**) وفي رواية: لا يدخله (**إلا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى »**) أي أزال شدة حنقه بإيصال المكروه إلى المغتاظ عليه على وجه لا يجوز شرعاً لأن الغضب الكائن كالداء، فإذا زال بما يطلبه الإنسان من عدوه فكأنه بريء من دائه. قال العراقي: رواه البزار وابن أبي الدنيا وابن عدي والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف اهـ.

قلت: لفظ البزار بسخط الله بدل بمعصية الله، وفي سند قدامة بن محمد بن إسماعيل بن شيبة وهما ضعيفان، وقد وثقا. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الغضب، وابن عدي في الكامل في ترجمة قدامة بن محمد.

(**وقال ﷺ: « من اتقى به كل لسانه ولم يشف غيظه »**) قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف، ورويناه في الأربعين البلدانية للسلفي اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى، وابن النجار في ذيل التاريخ.

غيظه » وقال ﷺ : « من كظم غيظاً وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء » . وفي بعض الكتب المنزّلة على بعض النبيين : يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق .

وأما الموافقة ؛ فبأن تعلم أن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى لنفسك أن توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله تعالى ؛ وذلك لا يوجب أن تذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي أن تغضب لله أيضاً على رفقائك إذا ذكروه بالسوء ، فإنهم عصوا ربك بأفحش الذنوب وهي الغيبة . وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلى الخيانة حيث يستغني عن ذكر الغير فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت المخلوقين ، وأنت بالغيبة

(وقال ﷺ : « من كظم غيظاً وهو يقدر على أن يمضيه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد حتى يخيره في أي الحور شاء ») قال العراقي : رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس اهـ .

قلت : ورواه الطبراني ، وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه بلفظ : « من كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه خيره الله من الحور العين يوم القيامة » الحديث . ولفظ أبي داود والترمذي : « من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين يزوجه منها ما شاء » . وكذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب ، والطبراني والبيهقي . ورواه أحمد بلفظ : « من كظم غيظه وهو يقدر على أن ينتصر دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره في الحور العين أيتهن شاء » الحديث . وروى ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث ابن عمر : « من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا » .

(وفي بعض الكتب) السماوية : **(يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق)** . رواه ابن شاهين في كتاب الترغيب في الذكر عن ابن عباس ،وفيه عثمان ابن عطاء الخراساني ضعفوه .

(وأما الموافقة) مع الرفقاء **(فبأن تعلم إن الله تعالى يغضب عليك إذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين)** ففي حديث عائشة : من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس . رواه أبو نعيم في الحلية ، **(فكيف ترضى لنفسك أو توقر غيرك)** وترضيه **(ولا تحقر مولاك وتترك رضاه لرضاهم إلا أن يكون غضبك لله تعالى ، وذلك يوجب أن لا تذكر المغضوب عليه بسوء)** أصلاً . **(بل ينبغي أن تغضب لله أيضاً على رفقائك إذا ذكروه بالسوء ، فإنهم عصوا ربك بأفحش الذنوب ، وهي الغيبة ، وأما تنزيه النفس بنسبة الغير إلى الخيانة حيث يستغني عن ذكر الغير فتعالجه بأن تعرف أن التعرض لمقت الخالق أشد من التعرض لمقت**

متعرض لسخط الله يقيناً ولا تدري أنك تتخلص من سخط الناس أم لا ، فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله تعالى نقداً . وتنتظر دفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان.

وأما عذرك كقولك إن أكلت الحرام ففلان يأكله وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبله ، فهذا جهل لأنك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به ، فإن من خالف أمر الله تعالى لا يقتدي به كائناً من كان ، ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها إلى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وغباوتك ، وكنت كالشاة تنظر إلى المعزى تردي نفسها من قلة الجبل فهي أيضاً تردي نفسها ولو كان لها لسان ناطق بالعذر وصرحت بالعذر ، وقالت العنز : أكيس مني وقد أهلكت نفسها فكذلك أنا أفعل. لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ، ثم لا تعجب ولا تضحك من نفسك.

وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك فينبغي أن تعلم

المخلوقين، وأنت بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى يقينا) لاستخفافك بزجره ، **(ولا تدري أنك تتخلص من سخط الناس أم لا ، فتخلص نفسك في الدنيا بالتوهم وتهلك في الآخرة وتخسر حسناتك بالحقيقة ويحصل لك ذم الله عز وجل نقداً)** حاضراً **(وتنتظر رفع ذم الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل و)** نهاية **(الخذلان)** نعوذ بالله من ذلك.

(وأما عذرك بقوله: إن أكلت الحرام ففلان يأكله) ويشربه إلى شخص معين من المشهورين بالعلم والصلاح ، **(وإن قبلت مال السلطان ففلان يقبله)** ويشير كذلك إلى أحد من أهل عصره ممن يشار إليه بالفضل ، **(فهذا جهل لأنك تعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به)** ولا اتباع طريقته ، **(فإن من خالف أمر الله تعالى لا يقتدي به كائناً من كان)** والباطل لا يكون مقيساً عليه ، **(ولو دخل غيرك النار وأنت تقدر على أن لا تدخلها لم توافقه ولو وافقته لسفه عقلك)** وضل رشدك ، **(فما ذكرته غيبة وزيادة معصية أضفتها إلى ما اعتذرت عنه وسجلت مع الجمع بين المعصيتين على جهلك وعدوانك، وكنت كالشاة تنظر إلى المعزى تردي نفسها)** أي تسقطها **(من قلة الجبل)** أي من أعلاه ، **(فهي أيضاً تردي نفسهاولو كان لها)** أي للشاة **(لسان تنطق بالعذر لصرخت بالعذر وقالت العنز: أكيس مني، وقد أهلكت نفسها ، فكذلك أفعل لكنت تضحك من جهلها)** هو جواب شرط مقدر ، **(وحالك مثل حالها)** وعذرك مثل عذرها ، **(ثم لا تعجب ولا تضحك على نفسك)** وتعجب من تقليد الشاة للمعزى في التردي وتضحك عليها.

(وأما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بأن تقدح في غيرك، فينبغي أن

أنك بما ذكرته به أبطلت فضلك عند الله وأنت من اعتقاد الناس فضلك على خطر، وربما نقص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقيناً بما عند المخلوقين، وهماً ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئاً.

وأما الغيبة لأجل الحسد فهو جمع بين عذابين لأنك حسدته على نعمة الدنيا، وكنت في الدنيا معذباً بالحسد فما قنعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة، فكنت خاسراً نفسك في الدنيا فصرت أيضاً خاسراً في الآخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك، وأهديت إليه حسناتك فإذا أنت صديقه وعدوّ نفسك إذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك أو تنقل إليك سيئاته فلا ينفعك، وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل:

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

وأما الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس بإخزاء نفسك عند الله تعالى

تعلم أنك بما قد ذكرته به أبطلت فضلك عند الله، فإنك في اعتقاد الناس فضلك على خطر، وربما نقص اعتقادهم فيك إذا عرفوك بثلب الناس) في اعراضهم، **(فتكون قد بعت ما عند الخالق يقيناً بما عند المخلوقين وهما)** وظنا، **(ولو حصل لك من المخلوقين اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيئاً)**.

(وأما الغيبة لأجل الحسد فهو جمع بين عذابين لأنك حسدته على نعمة الدنيا وكنت في الدنيا معذباً بالحسد فما قنعت بذلك حتى أضفت إليه عذاب الآخرة فتجمع بين النكالين فكنت خاسراً نفسك في الدنيا فصرت أيضاً خاسراً نفسك في الآخرة، فقد قصدت محسودك فأصبت نفسك وأهديت إليه حسناتك فإذاً أنت صديقه وعدوّ نفسك إذ لا تضره غيبتك وتضرك وتنفعه إذ تنقل إليه حسناتك وتنقل إليك سيئاته، فلا تنفعك. وقد جمعت إلى خبث الحسد جهل الحماقة) وقلة العقل، **(وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك كما قيل:**

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت اتاح لها لسان حسود)

طويت أي أخفيت وأتاح ساق وقدر.

(وأما الاستهزاء فمقصودك منه إخزاء غيرك عند الناس) أي افضاحه **(بإخزاء**

وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام، فلـو تفكـرت في حسرتـك وجنـايتـك وخجلتك وخزيك يوم القيامة يوم تحمل سيئات من استهزأت به وتساق إلى النار لأدهشك ذلك عن اخزاء صاحبك، ولو عرفت حالك لكنت أولى أن تضحك منك فإنك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لأن يؤخذ يوم القيامة بيدك على ملأ من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار إلى النار مستهزئاً بك وفرحاً بخزيك ومسروراً بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك.

وأما الرحمة له على إثمه فهو حسن، ولكن حسدك إبليس فأضلك واستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك، فيكون جزاء الاثم المرحوم فيخرج عن كونه مرحوماً وتنقلب أنت مستحقاً لأن تكون مرحوماً إذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وإنما الشيطان حبب إليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير معرضاً لمقت الله عز وجل بالغيبة.

وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة فتعجب من نفسك أنت انك كيف أهلكت

نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام) في يوم تجتمع فيه الخلائق، (**فلو تفكرت في حسرتـك**) ونـدامتـك (**وجنـايتـك**) التي جنيتهـا (**وخجلتـك وخزيك يوم القيامة**) بين يدي هؤلاء (**تحمل سيئات غيرك الذي استهزأت به**) في الدنيا، (**وتساق**) بسبب ذلك (**إلى النار**) ودار البوار (**لأدهشك ذلك**) أي أوقعك في الدهشة (**عن إخزاء أخيك**) في الدنيا، (**ولو عرفت حالك**) التي تؤول إليها (**لكنت أولى من يضحك منك فإنك سخرت منه عند نفر قليل**) وهم رفقاؤك (**وعرضت نفسك لأن يؤخذ يوم القيامة بيدك على ملأ من الناس، ويسوقك**) الذي استهزأت به (**تحت سيئاته كما يساق الحمار**) ذليلاً منقاداً (**إلى النار مستهزئاً بك وفرحاً بخزيك**) وفضيحتك (**ومسروراً بنصرة الله تعالى إياه عليك وتسلطه على الانتقام منك**).

(**وأما الرحمة**) والتحنن (**له على إثمه**) الذي ابتلي به (**فهو حسن**) في نفسه، (**ولكن حسدك إبليس فأضلك**) عن الطريق (**واستنطقك بما ينقل من حسناتك إليه ما هو أكثر من رحمتك فيكون جبر الإثم المرحوم**) المشفق عليه، (**فيخرج**) بذلك (**عن كونه مرحوماً وتنقلب أنت مستحقاً لأن تكون مرحوماً إذ حبط أجرك ونقصت من حسناتك، وكذلك الغضب لله عز وجل لا يوجب الغيبة، وإنما الشيطان حبب إليك الغيبة ليحبط أجر غضبك وتصير معرضاً لمقت الله تعالى بالغيبة**.

وأما التعجب إذا أخرجك إلى الغيبة فتعجب من نفسك إنك كيف أهلكت نفسك

نفسك ودينك بدين غيرك أو بدنياه وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهتك الله سترك كما هتكت بالتعجب ستر أخيك. فإذاً علاج جميع ذلك المعرفة فقط والتحقق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان فمن قوي إيمانه بجميع ذلك انكف لسانه عن الغيبة لا محالة.

بيان تحريم الغيبة بالقلب:

اعلم أن سوء الظن حرام مثل سوء القول، فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوىء الغير فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك. ولست أعني به إلا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء، فأما الخواطر والظن وحديث النفس فهو معفو عنه، بل الشك أيضاً معفو عنه، ولكن المنهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن إليه النفس ويميل إليه القلب، فقد قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن إثم﴾ [الحجرات: ١٢] وسبب تحريمه ان أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام

ودينك بدين غيرك أو بدنياه، وأنت مع ذلك لا تأمن عقوبة الدنيا وهو أن يهتك الله سترك) ويفضحك، (**كما هتكت ستر أخيك**) وفضحته (**بالتعجب، فإذاً علاج جميع ذلك المعرفة فقط**) وهي العلم، (**والتحقق بهذه الأمور التي هي من أبواب الإيمان**) ومداخله، (**فمن قوي إيمانه بجميع ذلك**) انشرح صدره لمعرفته واتسع النور فيه وأقبل على مولاه بكليته، و(**انكشف لسانه عن الغيبة لا محالة**).

بيان تحريم لغيبة بالقلب:

(**اعلم أن سوء الظن**) بأخيك المسلم (**حرام مثل سوء القول**) فيه، (**فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك**) الظاهر (**بمساوىء الغير**) ومعايبة، (**فليس لك أن تحدث نفسك وتسيء الظن بأخيك**) المسلم (**ولست أعني به إلا حقد القلب**) المستكن فيه (**وحكمه على غيره بسوء الظن، فأما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه**) بدليل ما وردت به الأخبار وتقدم ذكرها في كتاب رياضة النفس، (**ولكن المنهي عنه أن يظن والظن عبارة عما تركن إليه النفس، ويميل إليه القلب، وقد قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن﴾**) أي كونوا على جانب منه وإبهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أي القبيل، فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن حيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الأمور المعاشية (**﴿إن بعض الظن إثم﴾**) تعليل مستأنف للأمر، والإثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه. (**وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلاّ علاّم الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً**

الغيوب، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل، فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه بأذنك. ثم وقع في قلبك فإنما الشيطان يلقيه إليك فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق وقد قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾ [الحجرات: ٦] فلا يجوز تصديق إبليس إن كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز أن تصدق به لأن الفاسق يتصوّر أن يصدق في خبره، ولكن لا يجوز لك أن تصدق به حتى أن من استنكه فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز أن يحد إذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بالخمر ومجها وما شربها أو حمل عليه قهراً، فكل ذلك لا محالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها. وقد قال ﷺ: « إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء » فلا يستباح ظن السوء إلا بما

إلا إذا انكشف لك بعيان) أي مشاهدة **(لا يقبل التأويل، فعند ذلك لا يمكنك إلا أن تعتقد ما علمته وشاهدته)** بعيانك، **(وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك، فإنما الشيطان يلقيه إليك، فينبغي أن تكذبه فإنه أفسق الفساق وقد قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾)** أي فتعرفوا وتفصحوا وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم. وفي تعليق الأمر بالتبيين على فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل من حيث أن المعلق على شيء بكلمة إن عدم عند عدمه، وأن خبر الواحد العدل يوجب تبيينه من حيث هو كذلك **﴿أن تصيبوا﴾** كراهة أصابتكم **﴿قوماً بجهالة﴾** جاهلين بحالهم وتمام الآية ﴿فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ أي مغتمين غماً لازماً متمنين أنه لم يقع، **(فلا يجوز تصديق إبليس)** فيما يوقعه في القلب، **(وإن كان ثم مخيلة تدل على فساد، واحتمل خلافه لم يجز أن يصدقه لأن الفاسق يتصور أن يصدق في خبره، ولكن لا يجوز لك أن تصدقه حتى أن من استنكه)** أي شم فمه **(فوجد منه رائحة الخمر لا يجوز أن يحد)** حد الشارب للخمر **(إذ يقال يمكن أن يكون قد تمضمض بها ومجها)** أي ألقاها **(وما شربها أو حمل عليه)** أي على شربها **(قهراً)** أي أكره إلى ذلك، **(فكل ذلك لا محالة دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب وإساءة الظن بالمسلم بها)** وقد قال الشاعر:

يقولون لي انكه قد شربت مدامة فقلت لهم لا بل أكلت السفرجلا

وقد اعتبر أصحابنا وجود الرائحة في إيجاب الحد بشروط على ما هو مذكور له الفروع، وهو مذهب عمر وابن مسعود، **(وقد قال ﷺ: « إن الله حرم من المسلم دمه وماله وإن يظن به ظن السوء »)** قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند ضعيف، ولابن ماجه نحوه بسند ضعيف أيضاً، **(فلا يستباح إلا بما يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة**

يستباح به المال وهو نفس مشاهدته أو بينة عادلة، فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن حاله عندك مستور كما كان وإن ما رأيته منه يحتمل الخير والشر.

فإن قلت: فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث؟ فنقول: أمارة عقد سوء الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفوراً ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده وإكرامه والاغتمام بسببه. فهذه أمارات عقد الظن وتحقيقه، وقد قال ﷺ: «ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لا يحققه». أي لا يحققه في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح. أما في القلب فبتغيره إلى النفرة والكراهة، وأما في الجوارح فبالعمل بموجبه، والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس ويلقي إليه أن هذا من فطنتك وسرعة فهمك وذكائك، وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته.

عادلة، فإذا لم يكن كذلك وخطر لك وسواس سوء الظن، فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرر عليها أن الحال عندك مستور كما كان، وأن ما رميته به يحتمل الخير والشر.

فإن قلت: فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث؟ فنقول: أمارة عقد الظن أن يتغير القلب معه عما كان فينفر عنه نفوراً ما ويستثقله) أي يعده ثقيلاً، **(ويمسك عن مراعاته)** لأحواله **(وتفقده)** عند تأخره، **(وإكرامه)** عند لقائه **(أو الاغتمام بسببه)** إن عرض به عارض، **(فهذه أمارات لعقد الظن)** في القلب **(وتحقيقه، وقد قال ﷺ: «ثلاث في المؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لا يحققه»)** قال العراقي: رواه الطبراني من حديث حارثة بن النعمان بسند ضعيف اهـ.

قلت: لفظ الطبراني في الكبير: «ثلاث لازمات لأمتي سوء الظن والحسد والطيرة فإذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فاستغفر الله تعالى، وإذا تطيرت فامض» وفي سنده إسماعيل بن قيس الأنصاري وهو ضعيف، وكذلك رواه أبو الشيخ في كتاب التوبيخ، وروى عمر الأصبهاني الحافظ الملقب برسته في كتاب الإيمان له عن الحسن البصري مرسلاً: ثلاث لم تسلم منها هذه الأمة الحسد والظن والطيرة، ألا أنبئكم بالمخرج منها إذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا تطيرت فامض، **(أي لا يحققه في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح، أما في القلب فبتغيره إلى النفرة والكراهة وأما في الجوارح فبالعمل بموجبه)** ومقتضاه **(والشيطان قد يقرر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس ويلقي إليه أن هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك)** وحسن تفرسك، **(وأن المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على التحقيق نظر بغرور الشيطان وظلمته، فليحذر من ذلك. وأما إذا أخبرك غيرك من العدول فمال ظنك**

وأما إذا أخبرك به عدل فمال ظنك إلى تصديقه كنت معذوراً لأنك لو كذبته لكنت جانياً على هذا العدل إذ ظننت به الكذب، وذلك أيضاً من سوء الظن، فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر. نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق التهمة بسببه، فقد رد الشرع شهادة الأب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدوّ، فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلاً فلا تصدقه ولا تكذبه، ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان عندي في ستر الله تعالى وكان أمره محجوباً عني، وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره، وقد يكون الرجل ظاهره العدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور، ولكن قد يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساوئهم، فهذا قد يظن أنه عدل وليس بعدل، فإن المغتاب فاسق وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول أعراض الخلق.

إلى التصديق كنت معذوراً) في الجملة **(الا أنك لو كذبته لكنت جانياً على هذا العدل إذ ظننت به الكذب، وذلك أيضاً من سوء الظن، فلا ينبغي أن تحسن الظن بواحد وتسيء بالآخر. نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت)** في خصومة أو معاملة، **(فتتطرق التهمة بسببه، فقد رد الشرع شهادة الأب العدل للولد للتهمة ورد شهادة العدوّ)** وذلك فيما روي أنه ﷺ قال: « لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حد ولا مجلودة ولا ذي غمر على أخيه ولا مجرب عليه شهادة زور ولا التابع مع آل البيت لهم ولا الظنين في ولاء ولا في قرابة » أخرجه الترمذي وضعفه، والبيهقي من حديث عائشة.

وروي أبو داود وابن ماجه والبيهقي وابن عساكر من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، عن النبي ﷺ قال: « لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا زان ولا زانية ولا ذي غمر على أخيه في الإسلام » ورواه عبد الرزاق وأحمد بلفظ: « لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غمر على أخيه ولا شهادة التابع لأهل البيت وتجوز شهادته لغيرهم ». ورواه عبد الرزاق أيضاً عن عمر ابن عبد العزيز بلاغاً « لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا ذي غمر على أخيه ولا محدث في الإسلام ولا محدثة » ورواه أيضاً، وكذا الحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة لا تجوز شهادة ذي الظنة ولا ذي الحنة.

(فلك عند ذلك أن تتوقف وإن كان عدلاً فلا تصدقه ولا تكذبه، ولكن تقول في نفسك المذكور حاله كان في ستر الله عندي، وكان أمره محجوباً عني، وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره) وحاله، **(وقد يكون الرجل ظاهره الستر والعدالة ولا محاسدة بينه وبين المذكور)** ولا معاداة ولا تعنت، **(ولكن يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساوئهم، فهذا قد يظن أنه عدل وليس بعدل، فإن المغتاب فاسق)** هذا إذا صدر منه الاغتياب على القلة، **(وإن كان ذلك من عادته ردت شهادته إلا أن الناس لكثرة الاعتياد**

ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فإن ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة. ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة فانصحه في السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه، وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه لينظر إليك بعين التعظيم وتنظر إليه بعين الاستحقار وتترفع عليه بإبداء الوعظ، وليكن قصدك تخليصه من الإثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان في دينك، وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالنصيحة، فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته وأجر الإعانة له على دينه.

ومن ثمرات سوء الظن التجسس فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو أيضاً منهي عنه. قال الله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ [الحجرات: ١٢] فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في آية واحدة ومعنى التجسس ان لا يترك عباد

تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق) أي لم يبالوا، وهذه بلية عامة شاملة للعباد في جميع البلاد، فهي من أكبر الفساد إلا من عصمه الله تعالى.

(**ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم، فينبغي أن تزيد في مراعاته**) وتفقده واكرامه والسؤال عن حاله، (**وتدعو له بالخير فإن ذلك يغيظ الشيطان**) ويغضبه (**ويدفعه عنك ولا يلقى إليك الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء**) له (**والمراعاة**) لحاله. (**ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة**) ظاهرة، (**فانصحه في السر**) لا في العلانية، (**فلا يخدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه، وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على نقصه**) وعيبه، (**لينظر إليك بعين التعظيم**) والاحترام (**وتنظر إليه بعين الاستحقار وتترفع عليه بدالة الوعظ**) والنصح، (**وليكن قصدك تخليصه من الاثم**) الذي وقع فيه، (**وأنت حزين كما تحزن على نفسك بنقصان في دينك، وينبغي أن يكون تركه لذلك من غير نصحك أحب إليك من تركه بالنصيحة، فإذا أنت فعلت ذلك كنت قد جمعت أجر الوعظ وأجر الغم بمصيبته وأجر الإعانة له على دينه، ومن ثمرات سوء الظن التجسس، فإن القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق**) بمقتضاه، (**فيشتغل بالتجسس وهو أيضاً منهي عنه قال الله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه**) أي عن كل منها (**في آية واحدة**) وهي قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ فقدم ذكر سوء الظن ثم أتبعه بثمرته ثم ذكر الغيبة، (**ومعنى التجسس أن**

الله تحت ستر الله فيتوصل إلى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستوراً عنه، كان أسلم لقلبه ودينه، وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته.

بيان الأعذار المرخصة في الغيبة:

اعلم أن المرخص في ذكر مساوىء الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به فيدفع ذلك إثم الغيبة وهي ستة أمور.

الأول: التظلم فإن من ذكر قاضياً بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتاباً عاصياً إن لم يكن مظلوماً. أما المظلوم من جهة القاضي فله أن يتظلم إلى السلطان وينسبه إلى الظلم إذ لا يمكنه استيفاء حقه إلا به. قال ﷺ: «إن لصاحب الحق مقالاً وقال عليه السلام:

لا يترك عباد الله ستر الله فيتوسل إلى الاطلاع) إلى ما وراء، **(وهتك الستر حتى ينكشف له ما لو كان مستوراً عنه كان أسلم لقلبه ودينه. وقد ذكرنا في كتاب الأمر بالمعروف حكم التجسس وحقيقته)** فلا نطوّل باعادته، والله الموفق.

بيان الاعذار المرخصة في الغيبة:

(اعلم أن المرخص في ذكر مساويء الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل إليه إلا به، فيدفع ذلك إثم الغيبة وهي ستة أمور)نظمها بعضهم فقال:

لا تقـدح الغيبـة في ستـة متظلم متحـذر متعـرف
ولمظهـر فسقـاً ومستفـت ومـن طلـب الإعـانـة في إزالة منكـر

(الأوّل: التظلم. فإن من ذكر قاضياً من القضاة بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتاباًعاصياً) لله تعالى. **(أما المظلوم من جهة القاضي، فله أن يتظلم إلى السلطان)** الأعظم الذي ولاّه القضاء، **(وينسبه إلى الظلم)** ويشكو منه **(إذا لا يمكنه استيفاء حقه إلا به)** فحصل الترخيص له من الشارع، **(وقد قال)** الله تعالى ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ [النساء: ١٤٨] وقال **(ﷺ «إن لصاحب الحق مقالاً»)** أي أن لصاحب الدين صولة الطلب وقوّة الحجة. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: روياه من حديث سلمة بن كهيل، سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث، عن أبي هريرة أن رجلاً تقاضى رسول الله ﷺ فأغلظ له فهمّ به أصحابه فقال: «دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً» قال الحافظ السخاوي: وهو من غرائب الصحيح. قال البزار: لا يروى عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد، ومداره على سلمة بن كهيل وقد صرح يعني به في رواية البخاري بأنه سمعه من أبي سلمة بمنى، وذلك لما حج. وقد رواه كذلك الترمذي. ورواه أحمد من حديث عائشة، وابن

« مطل الغني ظلم »، وقال عليه السلام: « ليّ الواجد يحل عقوبته وعرضه ».

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى منهج الصلاح كما روي أن عمر رضي الله عنه مرّ على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنه فسلم عليه فلم يرد السلام، فذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك، فجاء أبو بكر إليه ليصلح ذلك ولم

عساكر من حديث أبي حميد الساعدي، وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة « دعوه فإن طالب الحق أعذر من النبي ».

(**وقال ﷺ « مطل الغني ظلم »**) أي تسويف القادر المتمكن من اداء الدين الحال ظلم منه لرب الدين، فهو حرام. والتركيب من قبيل إضافة المصدر إلى فاعله، وقيل: من إضافة المصدر إلى مفعوله يعني يجب وفاء الدين، وإن كان مستحقه غنياً فالفقير أولى ولفظ المطل يؤذن بتقديم الطلب فتأخير الأداء مع عدم الطلب ليس بظلم، وقضية كونه ظلماً إنه كبيرة يفسق به ان تكرر، وكذا إن لم يتكرر على ما جرى عليه بعضهم. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: تمامه « وإذا اتبع أحدكم على مليّ فليتبع » وكذلك رواه أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه. وفي رواية لبعضهم « المطل ظلم الغنى » وفي الباب عن عمران بن حصين عند القضاعي وابن عمر عند أحمد والترمذي.

(**وقال ﷺ « ليّ الواجد**) أي الغني والليّ: المطل (**يحل**) بالضم من الإحلال (**عرضه »**) بأن يقول له المدين أنت ظالم أنت مماطل ونحوه مما ليس بفحش ولا قذف، (**وعقوبته**) بأن يعزره القاضي على الأداء بنحو ضرب أو حبس حتى يؤدي. قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد باسناد صحيح اهـ.

قلت: رواه أبو داود في الأقضية والنسائي في البيع، وابن ماجه في الأحكام، وكذلك رواه أحمد والحاكم من طريق عمرو بن الشريد عن أبيه. وقال الحاكم: صحيح. وأقره الذهبي وعلقه البخاري.

وأخرج البيهقي في الشعب من طريق شعبة قال: الشكاية والتحذير ليسا من الغيبة قال عقبة: وهذا صحيح فقد يصيبه من جهة غيره أذى فيشكوه، ويحكي ما جرى عليه من الأذى فلا يكون ذلك حراماً ولو صبر عليه كان أفضل.

(**الثاني: الاستعانة**) بالحاكم ونحوه (**على تغيير المنكر**) أي إزالته، (**وردّ العاصي إلى منهج الصلاح**) بتركه وتوبته، (**كما روي أن عمر رضي الله عنه مرَّ على عثمان، وقيل على طلحة**) رضي الله عنهما (**فسلّم**) عليه (**فلم يرد السلام**) لشغل كان به أو لم يسمعه، (**فذهب**) عمر (**إلى أبي بكر رضي الله عنه فذكر له ذلك فأتى أبا بكر**) وأخبره (**ليصلح ذلك**) إذ

يكن ذلك غيبة عندهم، وكذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه ان أبا جندل قد عاقر الخمر بالشام كتب إليه: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم★ حم★ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم★ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾ [غافر: ١ - ٣] الآية، فتاب. ولم يرَ ذلك عمر ممن أبلغه غيبة إذ كان قصده أن ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره، وإنما إباحة هذا بالقصد الصحيح فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حراماً.

الثالث: الاستفتاء كما يقول للمفتي ظلمني أبي أو زوجتي أو أخي وكيف طريقي في الخلاص؟ والأسلم التعريض بأن يقول: ما قولك في رجل ظلمه أبوه أو أخوه أو زوجته، ولكن التعيين مباح بهذا القدر لما روي عن هند بنت عتبة انها قالت للنبي ﷺ: إن أبا

كان رد السلام واجباً، **(ولم يكن ذلك غيبة)** فدعا أبو بكر عثمان أو طلحة فاعتذر إليه وقبل ذلك منه.

(وكذلك لما بلغ عمر رضي الله عنه أن أبا جندل عاقر الخمر بالشام كتب إليه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم★حم★ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم★ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾ الآية فتاب) رواه كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان، حدثنا يزيد بن الأصم أن رجلاً كان ذا بأس، وكان يرفد إلى عمر لبأسه، وكان من أهل الشام ففقده عمر فسأل عنه فقيل: تتابع في الشراب فدعا كاتبه فقال: أكتب من عمر إلى فلان سلام عليك. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب، ثم دعا وأمن من عنده ودعوا له ان يقبل الله بقلبه وأن يتوب عليه، فلما اتت الصحيفة الرجل جعل يقرأها ويقول: قد وعدني الله أن يغفر لي، وقال شديد العقاب، فحذرني من عقابه فرددها وبكى، ثم نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمر قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاً لكم قد زلَّ فسددوه ووفقوه وادعوا له ولا تكونوا أعوان الشيطان عليه، وقد تقدم ذلك في كتاب آداب الصحبة بنحوه. **(ولم ير عمر ذلك ممن أبلغه غيبة)** في حقه **(إذ كان قصده أن ينكر عليه ذلك فينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره، وإنما إباحة هذا بالقصد الصحيح، فإن لم يكن ذلك هو المقصود كان حراماً)** وذلك موضع الغرور، فإنه قلما يستعين بذي جاه ويذكر له شيئاً من ذلك إلاَّ والشيطان يوقعه في آفات عظيمة لا يكاد يتخلص منها.

(الثالث: الاستفتاء كما يقول للمفتي قد ظلمني أبي أو زوجتي أو أخي: وكيف طريقي في الخلاص والأسلم) في هذا **(التعريض)** دون التصريح **(بأن يقول: ما قولك)** أو كيف تقول **(في رجل ظلمه أبوه)** أو أخوه **(أو زوجته)** أو أخذ مال ابنه ظلماً أو أخذت مال زوجها بغير إذنه لأجل بخله؟ **(ولكن التعيين مباح بهذا القدر، لما روي عن هند بنت عتبة)** بن

سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي فآخذ من غير علمه فقال: « خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف ». فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها ﷺ إذ كان قصدها الاستفتاء.

الرابع: تحذير المسلم من الشر فإذا رأيت فقيهاً يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعدى إليه بدعته وفسقه فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غير، وذلك موضع الغرور إذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك بإظهار الشفقة على الخلق، وكذلك من اشترى مملوكاً وقد

ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية العبشمية، والدة معاوية بن أبي سفيان أخبارها قبل الإسلام مشهورة، وشهدت أحداً مع المشركين وفعلت ما فعلت بحمزة، ثم كانت تؤلب على المسلمين إلى أن جاء الله بالفتح فأسلم زوجها أبو سفيان ثم أسلمت هي يوم الفتح، وقصتها في قولها عند بيعة النساء أن لا يسرقن ولا يزنين فقالت: وهل تزني الحرة؟ وعند قوله ولا يقتلن أولادهن قد ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً مشهورة.

ومن طرقه ما أخرجه ابن سعد بسند صحيح مرسل عن الشعبي، وعن ميمون بن مهران قال الواقدي: لما أسلمت هند جعلت تضرب صنماً لها في بيتها بالقدوم حتى فلذته فلذة فلذة، وتقول: كنا منك في غرور. قيل: إنها بقيت إلى خلافة عثمان، وبه جزم ابن سعد (**أنها قالت للنبي ﷺ: إن أبا سفيان**) تعني زوجها (**رجل شحيح**) أي بخيل إلى الغاية (**لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي أفآخذ من**) ماله من (**غير علمه**)، هل لي في ذلك من حرج؟ (**قال**) لها ﷺ (**« خذي من ماله ما يكفيك وولدك بالمعروف »**) رواه البخاري ومسلم بلفظ « خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك وولدك » وهو من رواية هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.

قال الحافظ في الأصابة: وشذ عبد الله بن محمد بن عروة فقال عن هشام عن أبيه عن هند أخرجه ابن منده، وفيه قصة البيعة وفيه: فقالت إن أبا سفيان رجل بخيل ولا يعطيني ما يكفيني إلا ما أخذت منه من غير علمه الحديث. وفيه عن مرسل الشعبي قالت هند: كنت قد اقتنيت من مال أبي سفيان، فقال أبو سفيان: ما أخذت من مالي فهو حلال، (**فذكرت الشحّ والظلم لها ولولدها ولم يزجرها ﷺ إذ كان قصدها الاستفتاء**) لا الحكومة والدعوى.

(**الرابع: تحذير المسلم من**) سراية الشر فإذا رأيت (**فقيهاً يتردّد إلى مبتدع أو فاسق، وخفت أن تتعدى إليه بدعته**) ويسري إليه شره، (**فلك أن تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف عليه من سراية البدعة والفسق لا غير، وذلك موضع الغرور**) من الشيطان. (**إذ قد يكون الحسد هو الباعث**) لك (**ويلبس الشيطان ذلك بإظهار الشفقة على الخلق**) فيهلك نفسه بذلك، (**فكذلك من اشترى مملوكاً وقد عرف المملوك بالسرقة**

عرفت المملوك بالسرقة أو بالفسق أو بعيب آخر فلك أن تذكر ذلك فإن في سكوتك ضرر المشتري، وفي ذكرك ضرر العبد، والمشتري أولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي إذا سئل عن الشاهد فله الطعن فيه إن علم مطعناً، وكذلك المستشار في التزويج وإيداع الأمانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة. فإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب، وفيه الكفاية، وإن علم انه لا ينزجر إلا بالتصريح بعينه فله أن يصرح به إذ قال رسول الله ﷺ: «أترغبون عن ذكر الفاجر متى يعرفه الناس اذكروه بما فيه حتى يحذره الناس». وكانوا يقولون: ثلاثة لا

والفسق أو بعيب آخر، فلك) أيها البائع (**أن تذكر ذلك للمشتري تصريحاً فإن في سكوتك ضرر المشتري وفي ذكرك للعيب ضرر العبد**) إذ لا يقدم المشتري على شرائه فيكون كاسداً، (**والمشتري أولى بمراعاة جانبه**) من مراعاة جانب العبد، وإن كان في كل منهما مضارة، (**وكذلك المزكي**) في رواة الأخبار والشهادات (**إذا سئل عن**) تزكية (**الشاهد فله الطعن فيه**) وجرحه (**إن علم مطعناً**) فيخبر بما يعلمه من الراوي أو الشاهد ليتقي خبره وشهادته فيكون ذلك مباحاً. نقله البيهقي عن شعبة. (**وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له أن يذكر ما عنده على قصد النصح للمستشير**) بأن فلاناً لا يصلح لها أو لا يصلح لأن يودع عنده شيء (**لا على قصد الوقيعة فيه**)، ويشترط أن لا يكون بين المستشار والمستشار فيه عداوة أو خصومة، (**فإن علم أنه يترك التزويج بمجرد قوله لا تصلح لك فهو الواجب، وإن علم أنه لا ينزجر إلا بتصريح بعيبه، فله أن يصرح به قال ﷺ أترعون**) بفتح همزة الاستفهام وكسر الراء من ورع يرع كوعد يعد أي أتتحرجون وتمتنعون (**عن ذكر الفاجر**) المعلن بفسقه الذي لا يبالي بما ارتكبه (**اهتكوه**) أي اكشفوا حاله، وارفعوا ستره (**متى يعرفه الناس**) فيحذرون منه (**إذ ذكروه بما فيه**) من الأوصاف الذميمة، (**حتى يعرفه الناس**) فلا يغترون به، وبيَّن بقوله بما فيه أنه لا يجوز ذكر فاسق بغير ما فيه ولا بما لم يعلن به، وأشار بقوله يحذره الناس إلى أن مشروعية ذكره بذلك مشروطة بقصد الاحتساب وإرادة النصيحة دفعاً للاغترار ونحوه، فمن ذكر أحداً من هذا الصنف تشفياً لغيظه أو انتقاماً لنفسه أو نحو ذلك من الحظوظ النفسانية، فهو آثم صرح بذلك التاج السبكي عن والده قال: كنت جالساً بدهليز دارنا فأقبل كلب، فقلت: اخسأ كلب ابن كلب فزجرني الوالد من داخل البيت، فقلت: أليس هو كلب ابن كلب؟ قال: شرط الجواز عدم قصد التحقير، فقلت: هذه فائدة. قال العراقي: رواه الطبراني وابن حبان في الضعفاء وابن عدي من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده دون متى يعرفه الناس، ورواه بهذه الزيادة ابن أبي الدنيا في الصمت اهـ.

قلت: رواه الخطيب في رواية مالك من حديث أبي هريرة بلفظ: أترعون عن ذكر الفاجر أن تذكروه يعرفه الناس، ثم قال: تفرد به الجارود.

غيبة لهم: الإمام الجائر، والمبتدع، والمجاهر بفسقه.

الخامس: أن يكون الإنسان معروفاً بلقب يعرب عن عيبه كالأعرج والأعمش، فلا إثم على من يقول: روى أبو الزناد عن الأعرج وسليمان عن الأعمش وما يجري مجراه.

وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم، حدثنا الجارود بن يزيد، عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ «أترعون عن ذكر الفاجر متى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس» وكذلك أخرجه في ذم الغيبة. وأخرجه كذلك أبو يعلى والترمذي الحكيم في الثامن والتسعين من نوادر الأصول، والحاكم في الكنى، والشيرازي في الألقاب، والعقيلي والبيهقي والخطيب كلهم من طريق الجارود بن يزيد القشيري عن بهز. قال الجارود: لقيت بهز بن حكيم في الطواف فذكره لي قال الحكيم: والخطيب تفرد به الجارود عنه، وقال الحاكم: هذا غير صحيح، وقال البيهقي: ليس بشيء. وقال في المهذب كأصله الجارود واهٍ، وقال البخاري والدارقطني: هو متروك، وقد سرقه منه جمع، ورووه عن بهز ولم يصح في ذا شيء منهم: عمرو بن الأزهر عن بهز وسليمان بن عيسى عن الثوري عن بهز وسليمان وعمرو كذابان، وقد رواه معمر عن بهز أيضاً أخرجه الطبراني في الأوسط عن عبد الوهاب أخي عبد الرزاق وهو كذاب، وقال الطبراني: لم يروه عن معمر غيره كذا قال، وقال أحمد: حديث منكر، وقال ابن عدي: لا أصل له، وقال الدارقطني في العلل. هو من وضع الجارود. وقال العقيلي: ليس لهذا الحديث أصل يثبت، وفي الميزان: أن أبا بكر الجارودي كان إذا مرَّ بقبر جده الجارود قال: يا أبت لو لم تحدث بحديث بهز لزرتك.

(وكانوا يقولون: ثلاثة لا غيبة لهم: الإمام الجائر، والمبتدع، والمجاهر بفسقه) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن يوسف بن موسى، حدثنا عبد الرحمن بن مغراء، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم قال: ثلاث كانوا لا يعدون من الغيبة فذكره قال: وبلغني عن أحمد بن عمران الأخنسي، حدثنا سليمان بن حيان، عن الاعمش، عن إبراهيم قال: ثلاثة ليس لهم غيبة الظالم والفاسق وصاحب البدعة. وأخرج البيهقي في الشعب عن سفيان بن عيينة قال: ثلاثة ليس لهم غيبة: الإمام الجائر والفاسق المعلن بفسقه والمبتدع الذي يدعو الناس إلى بدعته.

(الخامس: أن يكون الإنسان معروفاً بلقب يعرب) أي يبين **(عن عينه)** أي شخصه، **(كالأعرج)** وهو لقب عبد الرحمن بن هرمز المدني من أكبر أصحاب أبي هريرة، مات بالاسكندرية سنة سبع عشرة ومائة، **(والأعمش)** هو لقب سليمان بن مهران الكاهلي أبو محمد الكوفي **(فلا إثم على من يقول: روى أبو الزناد)** هو عبد الله بن ذكوان القرشي المدني ثقة فقيه مات سنة ثمانين، روى له الجماعة **(عن الأعرج)** عن أبي هريرة، **(وسليمان عن الأعمش)** هكذا في النسخ أي روى سليمان عن الأعمش، والأعمش اسمه سليمان كما تقدم إلا أن يكون أحد رواة الأعمش اسمه سليمان، لكنه ليس في الشهرة كأبي الزناد عن الأعرج، **(وما يجري مجراه)**

فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد أن قد صار مشهوراً به. نعم إن وجد عنه معدلاً وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى، وذلك يقال للأعمى البصير عدولاً عن اسم النقص.

السادس: أن يكون مجاهراً بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر به بحيث لا يستنكف من أن يذكر له ولا يكره أن يذكر به، فإذ ذكرت فيه ما يتظاهر به فلا إثم عليك. قال رسول الله ﷺ: «من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له». وقال عمر رضي الله عنه: «ليس لفاجر

كالأبح والابرش والأشيج والأثرم والأجلح والأحدب والأجرد والأحمر والأحنف والأحول والأزرق والأسود والأشتر والأشج والأشدق والأشعث والأشقر والأشل والأصفر والأصم والأعجم والأعسم والأعشى والأعلم والأعمى والأعنق والأعور والأعين والأغطش والأفرق والأفطس والأقرع، والبطين وبومة والتل والجارود والجرب والحافي والحمال ودحروجة الجعل ورخ ورشك وزنبور وزنيج وسحبل والسمين وسندول وصاعقة والضال والضرير والضخم والضعيف والطويل والعجل وغندر والغول والفافا والفرخ والفقير والقباع والقرظ والقصير والكوسج وكيلجة ولوين والمجدر ومحرق والمزلق ومشفر والمضروب والمعرقب والمفلوج والمقعد والمقفع والمنبوذ. فهذه الألقاب رواة الآثار وحملة الأخبار مما يغض عنه السامع عند ذكره، وكذلك الكنى من الألقاب كأبي الأحوص، وأبي البطن، وأبي ثور، وأبي الشعثاء، وأبي كشوثا، وما يجري مجراه. وكذلك الأنساب من الألقاب، كالتبوذكي، والدنداني، والزنجي، والقطبي، والمنجنيقي، والنبطي وما يجري مجراه. (**فقد فعل العلماء ذلك للتعريف، ولأن ذلك قد صار بحيث لا يكرهه صاحبه لو علم**) أنهم يقولون كذلك (**بعد أن قد صار مشهوراً به**) لا يعرف إلا هكذا، وهو في الأعرج والأعمش والطويل ظاهر، فإن هؤلاء كان يقال لهم ذلك ولا يغضبون، (**نعم إن وجد عنه معدلاً وأمكنه التعريف بعبارة أخرى فهو أولى**) وهو اختيار الحسن وجماعة، فكانوا يعدون مثل ذلك غيبة وقد تقدم النقل عنهم، (**ولذلك يقال للأعمى البصير عدولاً عن اسم النقص**) ويريدون به البصير بقلبه، وفي بعض الأقوال وإنما قيل لحميد الطويل لأنه كان قصيراً، فالطول ليس بنقص بخلاف القصر. نعم إذا وصف الرجل بالطول المفرط يغضي منه.

(**السادس: أن يكون مجاهراً بالفسق**) معلناً (**كالمخنث**) والقوّاد، (**وصاحب الماخور**) وهو مجلس الشراب، (**والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس بأخذ أموالهم، وكان ممن يتظاهر به فلا إثم قال رسول الله ﷺ «من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له»**) الجلباب: الإزار وكل ما يستر به من الثوب، والقاؤه عن وجهه كناية عن ترك الحياء فيه لأن النهي عن الغيبة إنما هو لايذائه المغتاب بما يصيبه من شيء يظهر شينه فهو يستره ويكره اضافته له، فلا يقدر على التبري منه، وأما من فضح نفسه بترك الحياء فهو غير مبال بذكره فمن ذكره لم يلحقه

حرمة وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر إذ المستتر لا بدّ من مراعاة حرمته ». وقال الصلت بن طريف، قلت للحسن: الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له. قال: لا ولا كرامة. وقال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم: صاحب الهوى، والفاسق المعلن

منه أذى فلا يلحقه وعيد الغيبة. قال العراقي: رواه ابن عدي وأبو الشيخ في كتاب الأعمال بسند ضعيف اهـ.

قلت: وقد تقدم هذا الحديث في كتاب الزكاة، وقد رواه كذلك ابن حبان في الضعفاء، والخرائطي في مساويء الأخلاق، والبيهقي في السنن وفي الشعب، والقضاعي في مسند الشهاب، والديلمي والخطيب وابن عساكر وابن النجار كلهم من طريق رواد بن الجراح، عن أبي سعد الساعدي، عن أنس مرفوعاً بلفظ « من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » ولفظ ابن عدي « من خلع ». وقال البيهقي أنه ليس بالقوي وقال مرة في إسناده ضعف وأخرجه ابن عدي أيضاً من رواية الربيع بن بدر عن أبان عن أنس وأسناده أضعف من الأول. قال البيهقي: ولو صح فهو في الفاسق المعلن بفسقه وتقدم شيء من ذلك في كتاب الزكاة.

(وقال عمر رضي الله عنه: ليس لفاجر حرمة) رواه ابن أبي الدنيا، عن محمد بن عباد بن موسى، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، عن همام عن قتادة قال: قال عمر بن الخطاب فذكره، **(وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر إذ المستتر لا بدَّ من مراعاة حرمته)** لأنه لا يستتر إلا وهو خائف من لحوق العار والذم إليه، فمثل هذا إذا قيل ما يكرهه يغتم ويحزن ويتأذى.

(وقال الصلت بن طريف: قلت للحسن) البصري **(الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة: قال لا ولا كرامة)** رواه ابن أبي الدنيا فقال: حدثني يحي بن جعفر، أنبأنا عبد الملك بن إبراهيم الجدي، حدثنا الصلت بن طريف قال: قلت للحسن فذكره. وقال أيضاً: حدثني عبيد الله بن جرير، حدثني موسى بن إسماعيل، حدثنا الصلت بن طريف المعولي قال: سألت الحسن، قلت رجل قد علمت منه الفجور وقتلته علماً فذكري له غيبة؟ قال: لا. ولا نعمة عين للفاجر.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله: **(ثلاثة لا غيبة لهم: صاحب الهوى، والفاسق المعلن بفسقه، والإمام الجائر)** رواه ابن أبي الدنيا، عن محمد بن الحسن بن عباد، حدثنا يحي بن أبي بكر عن شريك عن عقيل عن الحسن قال فذكره. وقال أيضاً: حدثني أبي، حدثنا علي بن شقيق، أنبأنا خارجة، حدثنا ابن جابان، عن الحسن قال: ثلاثة لا تحرم عليك اعراضهم المجاهر بالفسق والإمام الجائر والمبتدع، وقال أيضاً: حدثنا عبيد الله بن جرير، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا المبارك عن الحسن قال: إذا ظهر فجوره فلا غيبة له. قال: نحو المخنث ونحو الحرورية. قال: وحدثني محمد بن عباد بن موسى، حدثنا مروان بن معاوية، عن زائدة بن قدامة قال: قلت لمنصور

بفسقه، والامام الجائر. فهؤلاء الثلاثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به، فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون إظهاره؟ نعم: لو ذكره بغير ما يتظاهر به إثم وقال عوف: دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج فقال: إن الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه، وانك إذا لقيت الله تعالى غداً كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج.

ابن المعتمر إذا كنت صائماً أنال من السلطان. قال: لا قلت: فأنال من أصحاب الأهواء؟ قال: نعم. وقال أيضاً: حدثنا الحسن بن يحي، أنبأنا عبد الرزاق، عن معمر عن زيد بن أسلم قال: إنما الغيبة لمن يعلن بالمعاصي. وأخرجه كذلك البيهقي في الشعب. وقال أيضاً: حدثنا خلف بن هشام، حدثنا أبو عوانة، عن قتادة عن الحسن قال: ليس بينك وبين الفاسق حرمة، قال: وكان رجل قد خرج مع يزيد بن المهلب فكان الحسن إذا ذكره هرته.

(وهؤلاء الثلاثة يجمعهم أنهم متظاهرون به، وربما يتفاخرون به، فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره؟ نعم لو اغتابه بغير ما يتظاهر به) وكذا بغير ما فيه **(إثم. قال عوف)** بن أبي جميلة الاعرابي البصري العبدي: **(دخلت على)** أبي بكر محمد **(بن سيرين)** رحمه الله تعالى، **(فتناولت عنده الحجاج)** بن يوسف الثقفي **(فقال: إن الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه، كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه كأنك إذا لقيت الله غداً كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو عمرو العثماني، حدثنا النعمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبد الملك، حدثنا الهيثم بن عبيد، حدثنا سهل أخو حزم القطعي لا أعلم إلا أنه هو ذكره قال: سمع ابن سيرين رجلاً يسب الحجاج فأقبل عليه فقال: مه أيها الرجل، فإنك لو وافيت الآخرة كان أصغر ذنب عملته قط أعظم عليك من أعظم ذنب عمله الحجاج، واعلم أن الله تعالى حكم عدل إن أخذ من الحجاج لمن ظلمه، فسيأخذ للحجاج ممن ظلمه ولا تشغلن نفسك بسبّ أحد.

تنبيه:

قولهم ليس لفاسق غيبة رواه الطبراني، وابن عدي في الكامل، والقضاعي في مسند الشهاب من طريق جعدبة بن يحي، عن العلاء بن بشير، عن ابن عيينة، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده مرفوعاً به. وأخرجه الهروي في ذم الكلام له وقال: إنه حسن. قال السخاوي: وليس كذلك، وقد قال ابن عدي إنه معروف بالعلاء، ومنهم من قال عنه الثوري وهو خطأ، وإنما هو ابن عيينة، وهذا اللفظ غير معروف، وكذا قال الحاكم فيما نقله البيهقي في الشعب عنه عقب إيراده غير صحيح ولا معتمد. قال الدارقطني، وابن عيينة لم يسمع من بهز، والله أعلم.

بيان كفارة الغيبة:

اعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما فعله ليخرج به من حق الله سبحانه ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج من مظلمته وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع، وفي الباطن لا يكون نادماً فقد قارف معصية أخرى. وقال الحسن: يكفيه الاستغفار دون الاستحلال، وربما استدل في ذلك بما روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « كفارة من اغتبته أن

بيان كفارة الغيبة:

(**اعلم أن الواجب على المغتاب**) أصله مغتيب على صيغة اسم الفاعل، وقد تشترك الصيغتان وتتميزان بالقرينة (**أن يندم ويتوب**) إلى الله تعالى، (**ويتأسف على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى**) إذ عصاه بمخالفة نهيه، (**ثم يستحل المغتاب**) وهي صيغة اسم المفعول أي يطلب منه العفو لأنه ظلمه بغيبته (**ليحله**) أي يعفو عنه، (**فيخرج من مظلمته**) فالغيبة يتعلق بها حقان عصيان الله وظلم العبد، فلا بدَّ من التوبة والاستحلال، (**وينبغي أن يستحله وهو حزين متأسف نادم على فعله إذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادماً فيكون قد قارف معصية أخرى**) وهي المراءاة بفعله، (**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**يكفيه الاستغفار**) له (**دون الاستحلال**) منه، (**وربما احتج في ذلك بما روى أنس ابن مالك**) رضي الله عنه، (**قال: قال رسول الله ﷺ « كفارة من اغتبت أن تستغفر له »**) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي عبيدة عبد الوراث بن عبد الصمد، حدثنا أبي، حدثنا عنبسة بن عبد الرحمن القرشي، عن خالد بن يزيد، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ فساقه.

وقد رواه كذلك الحرث بن أبي أسامة في مسنده، والخرائطي في المساوىء، والبيهقي في الشعب، وأبو الشيخ في التوبيخ، والدينوري في المجالسة، والخطيب في التاريخ، وآخرون كلهم من طريق عنبسة عن خالد بن يزيد عن أنس به مرفوعاً ولفظ بعضهم « كفارة الاغتياب أن تستغفر لمن اغتبته » وعنبسة ضعيف وقد رواه الخرائطي من غير طريقه من جهة أبي سليمان الكوفي، عن ثابت عن أنس مرفوعاً بلفظ « إن من كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول اللهم اغفر لنا وله » وهو ضعيف أيضاً، ولكن له شواهد فعند أبي نعيم في الحلية، وابن عدي في الكامل كلاهما من حديث أبي داود سليمان بن عمرو النخعي عن أبي حازم، عن سهل بن سعد مرفوعاً « من اغتاب أخاه فاستغفر له فهو كفارة له » والنخعي ممن اتهم بالوضع، وعند الدارقطني من حديث حفص بن عمر الإيلي، عن سهل بن لاحق، عن محمد بن المنكدر، عن جابر مرفوعاً « من اغتاب رجلاً ثم استغفر له من بعد ذلك غفرت له غيبته » وهو ضعيف، وهو عند البيهقي في الشعب من جهة عباس الترفقي ثم من جهة همام بن منبه عن أبي هريرة قال« الغيبة تخرق الصوم والاستغفار يرقعه فمن استطاع أن يجيء غداً بصومه مرقعاً فليفعل » وقال عقبة هذا موقوف وسنده ضعيف.

تستغفر له ». وقال مجاهد : كفارة أكلك لحم أخيك أن تثني عليه وتدعو له بخير . وسئل عطاء بن أبي رباح عن التوبة من الغيبة . قال : أن تمشي إلى صاحبك فتقول له : كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت فإن شئت آخذت بحقك وإن شئت عفوت وهذا هو الأصح . وقول القائل : العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف إذ قد وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي أنه ﷺ قال : « من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فليستحللها منه من قبل أن

(وقال مجاهد : كفارة أكل لحم أخيك أن تثني عليه وتدعو له بخير) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي كريب ، حدثنا يحي بن زكريا عن أبي زائدة ، حدثنا محمد بن عبد الله الليثي ، عن حميد الأعرج ، عن مجاهد فذكره . قال : وحدثني محمد بن إدريس ، حدثنا داود بن معاذ ابن أخت مخلد ابن حسين ، عن شيخ له ، عن أبي حازم قال : « من اغتاب أخاه فليستغفر له فإن ذلك كفارة لذلك » . وروى البيهقي في الشعب عن ابن المبارك قال : إذا اغتاب رجل رجلاً فلا يخبره ، ولكن يستغفر ، وعن محبوب بن موسى قال : سألت علي بن بكار عن رجل اغتبته ثم ندمت قال : لا تخبره فتفري قلبه ، ولكن ادع له واثن عليه حتى تمحو السيئة بالحسنة ويؤيده قوله تعالى : ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ [المؤمنون : ٩٦] وحديث حذيفة كان في لساني ذرب على أهلي لم يعدهم ، فسألت النبي ﷺ فقال : « أين أنت من الاستغفار يا حذيفة » الحديث . رواه الحاكم وصححه والبيهقي وبمجموع هذه يبعد الحكم عليه بالوضع .

(وسئل عطاء) بن أبي رباح **(عن التوبة من الغيبة)** كذا في نسخ الكتاب ، وفي بعضها من الفرية وهو الموافق لما في كتاب الصمت كما سيأتي **(فقال : تمشي إلى صاحبك فتقول له : كذبت فيما قلت وظلمتك وأسأت ، فإن شئت ، أخذت بحقك وإن شئت وهبت)** رواه ابن أبي الدنيا ، عن محمد بن إدريس ، حدثنا أبو النضر الدمشقي ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن أبي شيبة يحي بن يزيد الرهاوي ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عطاء بن أبي رباح أنه سئل عن التوبة من الفرية قال : إن تمشي فذكره إلا أنه قال في آخره : وإن شئت عفوت بدل وهبت . قال المصنف : **(وهذا هو الحق)** .

قلت : هذا مبني على أنه لا فرق عنده بين الغيبة والفرية وهو بعيد بلا مرية ، والأحسن في هذا المقام التفصيل ، وهو أن لا يحتاج إلى الاستحلال إذا لم يصل الكلام إلى المغتاب منه بخلاف ما إذا وصله إلا إذا كان يتشوش بذكره ، فقد يكون الاعتذار أكبر من الذنب عند بعض الأبرار ، وأما قول عطاء فإنه خاص بالافتراء ، بل ينبغي أن يعترف بالخطأ في حضور الملأ بالخلأ وبالملأ فتأمل .

(وقول القائل العرض لا عوض له ، فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال كلام ضعيف إذ قد وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به) كما هو مفصل في فروع الفقه ، **(بل في الحديث الصحيح ما روي أنه ﷺ قال : « من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو**

يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم إنما يؤخذ من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته ». وقالت عائشة رضي الله عنها لامرأة قالت لأخرى: إنها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فإذا لا بد من الاستحلال ان قدر عليه، فإن كان غائباً أو ميتاً فينبغي أن يكثر له الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات.

فإن قلت: فالتحليل هل يجب؟ فأقول: لا لأنه تبرع، والتبرع فضل وليس بواجب ولكنه مستحسن، وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه والتودد إليه، ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فإن لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له يقابل بها سيئة الغيبة في القيامة، وكان بعض السلف لا يحلل. قال سعيد بن المسيب: لا أحلل من ظلمني وقال ابن سيرين: إني لم أحرمها عليه فأحللها له إن الله حرم الغيبة عليه وما كنت لأحلل ما حرم الله أبداً.

مال فليتسحلها منه قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فإن لم تكن له حسنات أخذت من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته ») متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ: « من كانت عنده مظلمة لأخيه فليستحلله منها ». ورواه أحمد كذلك وفيه: « من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن تؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له عمل أخذ من سيئات صاحبه فجعلت عليه ».

(**وقالت عائشة رضى الله عنها لامرأة قالت لأخرى إنها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها، فلا بد من الاستحلال إن قدر عليه**) أي على أن يأتي إليه (**فإن كان غائباً »**) في سفر بعيد، (**أو ميتاً فينبغي ان يكثر له الاستغفار والدعاء ويستكثر من الحسنات**) فإن الحسنات يذهبن السيئات، وربما يفهم منه التفصيل الذي ذكرناه آنفاً فتأمل.

(**فإن قلت: فالتحليل هل يجب؟ فأقول: لا لأنه تبرع والتبرع فضل وليس بواجب، ولكنه مستحب. وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه**) بما لم يخرجه إلى حد الكذب، (**و**) يبالغ في (**التردد إليه**) بما لم يخرجه إلى حد التملق، (**ويلازم ذلك**) أي الثناء والتودد (**حتى يطيب قلبه**) فإنه ربما لا يطيب قلبه بمرة واحدة واثنتين، (**فإن لم يطب قلبه**) مع ذلك (**كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له**) في صحيفته (**يقابل بها سيئة الغيبة في يوم القيامة، وكان بعض السلف يقول: لا أحلل من اغتابني**) أي لا أجعله في حلّ مني (**وقال سعيد**) بن المسيب: (**لا أحلل من ظلمني**) أي تنقص من عرضي، (**وقال ابن سيرين: إني لم أحظرها**) أي لم أحرمها (**عليه فأحلله إن الله حرم الغيبة عليه وما كنت لأحل ما حرم الله أبداً**).

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو بكر بن خلاد، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا أزهر بن سعد،

فإن قلت: فما معنى قول النبي ﷺ: « ينبغي أن يستحلها » وتحليل ما حرم الله تعالى غير ممكن؟ فنقول: المراد به العفو عن المظلمة لا أن ينقلب الحرام حلالاً. وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة فإنه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبة.

فإن قلت: فما معنى قول النبي ﷺ: « أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني قد تصدقت بعرضي على الناس »؛ فكيف يتصدق بالعرض

عن ابن عون قال: قيل لمحمد بن سيرين: يا أبا بكر إن رجلاً قد اغتابك فتحلله؟ قال: ما كنت لأحل شيئاً حرمه الله.

وحدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدثنا أبو عمير، حدثنا أبو حمزة قال: قال السري بن يحيى أو غيره لابن سيرين إني قد اغتبتك فاجعلني في حل. قال: إني أكره إن أحل ما حرمه الله عز وجل.

(فإن قلت: فما معنى قول النبي ﷺ: « ينبغي أن يستحلها ») وهو في حديث أبي هريرة الماضي ذكره بلفظ: « فليستحللها منه ». **(وتحليل ما حرم الله غير ممكن)** وهو الذي فهمه سعيد ابن المسيب وابن سيرين كما اقتضاه قولها السابق؟ **(فنقول: المراد به)** جعله في حل يعني **(العفو عن المظلمة)** لينقلب حرامه بمنزلة الحلال المباح له **(لا أن ينقلب الحرام حلالاً)** كما يدل له ظاهر اللفظ، **(وما قاله ابن سيرين حسن في التحليل قبل الغيبة، فإنه لا يجوز له أن يحلل لغيره الغيبة)** فمن جوزه فقد أحل ما حرمه الله، وأما بعد الغيبة فمعناه لا أعفو عنه.

(فإن قلت: فما معنى قول النبي ﷺ: « أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني قد تصدقت بعرضي على الناس ») قال العراقي: رواه البزار وابن السني في اليوم والليلة، والعقيلي في الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف، وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت مرسلاً عند ذكر أبي ضمضم في الصحابة.

قلت: وإنما هو رجل ممكن كان قبلنا كما عند البزار والعقيلي اهـ.

قلت: قال الحافظ في الإصابة: قرأت بخط ابن عبد البر في حاشية كتاب ابن السكن أبو ضمضم غير منسوب، روى ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: « أتحبون أن تكونوا كأبي ضمضم »؟ قالوا: يا رسول الله ﷺ من أبو ضمضم؟ قال: « إن أبا ضمضم كان إذا أصبح قال: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على من ظلمني » قال: فأوجب النبي ﷺ أنه قد غفر له، وذكره في الصحابة فقال: روى عنه الحسن وقتادة أنه قال: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك. قال: وروى ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أن رجلاً من المسلمين قال فذكر مثله. قال أبو عمر: أظنه أبا ضمضم المذكور.

قلت: تبع في ذلك كله الحاكم أبا أحمد فإنه أخرج الحديث من طريق حماد بن زيد عن هشام

ومن تصدق به فهل يباح تناوله فإن كان لا تنفذ صدقته فما معنى الحث عليه؟ فنقول: معناه أني لا أطلب مظلمة في القيامة منه ولا أخاصمه وإلاّ فلا تصير الغيبة حلالاً به ولا تسقط المظلمة عنه لأنه عفو قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم

عن الحسن، وعن أبي العوام عن قتادة قالا: قال أبو ضمضم اللهم فذكره، ثم ساق حديث أبي هريرة من طريق سعيد بن عبد الرحمن عن سفيان وهو كذلك في جامع سفيان، وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة من طريق شعيب بن بيان، عن عمران القطان عن قتادة، عن أنس مرفوعاً، وقد تعقب ابن فتحون قول ابن عبد البر روى عنه الحسن وقتادة فقال: هذا وهم لا خفاء به النبي ﷺ يخبر أصحابه عن أبي ضمضم، فلا يعرفونه حتى يقولوا من أبو ضمضم، وأبو عمر يقول: روى عنه الحسن وقتادة. وقد أخرجه البزار والساجي من طريق أبي النضر عن هاشم بن القاسم، عن محمد بن عبد الله العمي، عن ثابت، عن أنس الحديث وفيه قالوا: وما أبو ضمضم؟ قال: «إن أبا ضمضم كان رجلاً إذا أصبح قال» الحديث. وفي رواية البزار من الزيادة: «كان رجلاً صلباً قال ابن فتحون: فالرجل لم يكن من هذه الأمة، وإنما كان قبلها فأخبرهم بحاله تحريضاً على أن يعملوا بعمله وما توهماه من أن الصحابي في حديث أبي هريرة هو أبو ضمضم خطأ، بل هو علبة ابن زيد الأنصاري، ولولا ما جاء من التصريح بأن أبا ضمضم كان فيمن كان قبلنا لجوّزت أن يكون علبة يكنى أبا ضمضم، لكن منع من ذلك ما أخرجه أبو داود عن موسى بن إسماعيل، وأبو بكر الخطيب في كتاب الموضح من طريق روح بن عبادة كلاهما عن حماد بن سلمة، عن ثابت عن عبد الرحمن بن عجلان أن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم» قالوا: ومن أبو ضمضم يا رسول الله» قال: رجل ممن كان قبلكم» الحديث قال أبو داود: رواه أبو النضر عن محمد بن عبد الله العمي، عن ثابت، عن أنس. ورواية حماد أصح. وأخرجه من طريق محمد بن ثور عن معمر عن قتادة موقوفاً اهـ.

وأسنده البخاري في تاريخه والبزار والساجي من طريق أبي النضر، وأشار البزار إلى أن محمد بن عبد الله تفرد به، وأخرجه البخاري في تاريخه، والعقيلي في الضعفاء. وقال الحافظ في ترجمة علبة بن زيد الأنصاري أخرج الخطيب من طريق أبي قرة الزبيدي في كتاب السنن له قال: ذكر ابن جريج عن صالح بن زيد عن أبي عبس الحارثي، عن ابن عم له يقال له علبة بن زيد أن رسول الله ﷺ أمر بالصدقة وحث عليها فخرج من الليل وبكى وقال: اللهم إنك قد أمرت بالصدقة وليس عندي ما أتصدق به، ولكني أتصدق بعرضي على من آذاني وشتمني أو لمزني فهو له حل، فقال النبي ﷺ: «قد قبلت منك صدقتك».

(فكيف يتصدق بالعرض ومن تصدق به، فهل يباح تناوله وإن كان لا تنفذ صدقته، فما معنى الحث عليه) واخبار حاله للاصحاب؟ **(فنقول: معناه أني لا أطلب مظلمة يوم القيامة منه ولا أخاصمه، وإلا فلا تصير الغيبة حلالاً به ولا تسقط المظلمة لأنه عفو قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم فإن رجع وخاصم كان القياس**

فإن رجع وخاصم كان القياس كسائر الحقوق إن له ذلك. بل صرح الفقهاء أن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا، وعلى الجملة فالعفو أفضل.

وقال الحسن: إذا جثت الأمم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة نودوا ليقم من كان له أجر على الله فلا يقوم إلا العافون عن الناس في الدنيا وقد قال الله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فقال النبي ﷺ: «يا جبريل ما هذا العفو؟ فقال: إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك. وروي عن الحسن ان رجلاً قال له: ان فلاناً قد اغتابك فبعث إليه رطباً على طبق وقال: قد بلغني أنك أهديت إليّ من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام.

الآفة السادسة عشرة النميمة:

قال الله تعالى: ﴿همّاز مشاء بنميم﴾، ثم قال: ﴿عتلّ بعد ذلك زنيم﴾ [القلم: ١٣]

كسائر الحقوق أن له ذلك، بل صرح الفقهاء بأن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القاذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا .وعلى الجملة فالعفو أفضل. قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(إذا جثت الأمم بين يدي الله تعالى نودوا)** ألا **(من كان أجره على الله فليقم فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا)** وروى ابن عساكر في التاريخ من حديث علي ينادي يوم القيامة من بطنان العرش: ألا ليقم من كان أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا عن أخيه. **(قال الله)** تعالى مخاطباً لحبيبه ﷺ: **(﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ فقال النبي ﷺ: «يا جبريل ما هذا؟ قال: إن الله تعالى يأمر أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك»)** تقدم في كتاب رياضة النفس.

(وروي عن الحسن) البصري رحمه الله تعالى **(أن رجلاً قال له: إن فلاناً قد اغتابك فبعث إليه)** الحسن **(رطباً على طبق وقال: بلغني أنك أهديت إليّ حسناتك فأردت أن أكافئك عيها فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك على التمام)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. وقال بعضهم: لو كنت أغتاب أحداً لاغتبت أمي فإنها أولى أن تأخذ حسناتي أو آخذ من سيئاتها يوم القيامة.

الآفة السادسة عشر النميمة:

(قال الله تعالى: ﴿همّاز مشاء بنميم﴾ ثم قال ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾) فالهماز العيّاب أو المغتاب، ومشاء بنميم أي كثير المشي بالنميمة، مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم، والمقصود

قال عبدالله بن المبارك: الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث، وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على انه ولد زنا استنباطاً من قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم، والزنيم هو الدعيّ. وقال تعالى: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ [الهمزة: ١] قيل: الهمزة النمام. وقال تعالى: ﴿حمّالة الحطب﴾ [اللهب: ٤] قيل: إنها كانت نمامة حمالة للحديث. وقال تعالى: ﴿فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً﴾ [التحريم: ١٠] قيل: كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح تخبر أنه مجنون، وقد قال ﷺ: «لا يدخل الجنة

منه من جمع بين أنواع من الوصف الذميم، **(قال عبد الله بن المبارك)** رحمه الله تعالى: **(الزنيم ولد الزنا الذي لا يكتم الحديث، وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة ولد الزنا استنباطاً من قوله عز وجل: ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ والزنيم هو الدعيّ)** وكون أن الزنيم هو الدعيّ أخرجه عبد بن حميد، وابن عساكر عن ابن عباس، وأنشد قول الشاعر:

زنيم تداعاه الرجال زيادة ... كما زيد في عرض الأديم أكارعه

وأخرج ابن الأنبار في الوقف والابتداء، عن عكرمة أنه سئل عن الزنيم فقال: هو ولد الزنا، وأنشد قول الشاعر:

زنيم ليس يعرف من أبوه ... بغي الأم في حسب لئيم

وأخرج عبد بن حميد وابن المندر عن مجاهد قال: زنيم ملحق في النسب زعم ابن عباس، وأخرج عبد بن حميد عن سعيد بن المسيب قال: الزنيم هو الملحق في القوم ليس منهم، وروي عن ابن عباس قال: العتل الزنيم الذي يمشي بين الناس بالنميمة أخرجه عبد بن حميد، **(وقال تعالى: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ قيل: الهمزة النمام)** رواه ابن أبي الدنيا عن هارون بن عبد الله، أنبأنا إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي، عن مسكين أبي فاطمة عن شيخ من أهل البصرة عن أبي الجوزاء قال: قلت لابن عباس من هذا الذي ندبه الله بالويل؟ فقال: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ قال: هو المشاء بالنميمة المفرق بين الإخوان والمغري بين الجميع، وكذلك رواه سعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق، وأخرجه ابن أبي الدنيا أيضاً في كتاب ذم الغيبة إلا أن لفظهم المغري بين الأخوان.

(وقال عز وجل: ﴿حمالة الحطب﴾ وقيل: إنها كانت نمامة حمالة للحديث) رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن جميل، أنبأنا ابن المبارك، أنبأنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد **(حمالة الحطب)** قال كانت تمشي بالنميمة. وهكذا أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وروي عن قتادة قال: كانت تنقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم، وروي عن الحسن قال: كانت تحمل النميمة فتأتي به بطون قريش أخرجه ابن أبي حاتم.

(وقال تعالى: ﴿فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً﴾ قيل: كانت امرأة لوط) عليه السلام **(تخبر بالضيفان وامرأة نوح)** عليه السلام **(كانت تخبر أنه مجنون)** رواه ابن أبي

نمام ». وفي حديث آخر: « لا يدخل الجنة قتات » والقتات هو النمام. وقال أبو هريرة، قال رسول الله ﷺ: « أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات ». وقال ﷺ: « ألا أخبركم بشراركم؟ قالوا: بلى قال: « المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب ». وقال أبو ذر، قال رسول الله ﷺ: « من

الدنيا عن فضيل بن عبد الوهاب، حدثنا أبو عوانة، عن موسى بن أبي عائشة، عن سليمان بن بريدة، سمعت ابن عباس يقول في قوله: ﴿ فخانتاهما ﴾ قال: لم يكن زنا، ولكن امرأة نوح كانت تخبر أنه مجنون، وامرأة لوط كانت تخبر بالضيف إذا نزل. قال: وحدثنا فضيل، حدثني بزيع، سمعت الضحاك يقول: كانت خيانتها النميمة، فقول الضحاك هذا هو المناسب إيراده في المقام، وقول ابن عباس أخرجه أيضاً عبد الرزاق والفريابي، وسعيد ابن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وصححه من طرق. وقول الضحاك أخرجه أيضاً ابن عدي والبيهقي في الشعب وابن عساكر. (**وقد قال ﷺ: « لا يدخل الجنة نمام »**) رواه ابن أبي الدنيا عن خالد بن خراش، حدثنا مهدي بن ميمون، عن واصل الأحدب، عن أبي وائل قال: بلغ حذيفة عن رجل أنه ينم الحديث فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يدخل الجنة نمام ».

(**وفي حديث آخر: « لا يدخل الجنة قتات »**) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة، حدثنا وكيع، عن الأعمش عن إبراهيم، عن همام عن حذيفة قال: قال النبي ﷺ: « لا يدخل الجنة قتات » قال الأعمش (**والقتات: هو النمام**) وقد رواهما باللفظين الطيالسي وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي والطبراني، وقد تقدم ذكرهما ورواهما أيضاً أبو البركات السقطي في معجمه، وابن النجار عن بشير الأنصاري عن جده.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه (**قال رسول الله ﷺ: « أحبكم إلى الله تعالى أحاسنكم أخلاقاً الموطؤن أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وأن أبغضكم إلى الله تعالى المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الملتمسون للبرآء العثرات »**) رواه ابن أبي الدنيا، عن إسماعيل ابن إبراهيم بن هشام، حدثني صالح المري، عن سعيد الجريري، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « إن أحبكم » فذكره. وكذلك رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة.

(**وقال ﷺ: « ألا أخبركم بشراركم »؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: « المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العنت »**) رواه ابن أبي الدنيا عن داود بن عمرو الضبي، حدثنا داود العطار، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله ﷺ قال فذكره. وقد رواه أحمد من حديث أبي مالك الأشعري وتقدم في كتاب آداب الصحبة.

أشاد على مسلم بكلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها في النار يوم القيامة ». وقال أبو الدرداء: قال رسول الله ﷺ: « أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يذيبه بها يوم القيامة في النار »، وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: « من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار » ويقال: إن ثلث عذاب القبر من النميمة. وعن ابن عمر عن النبي ﷺ ان الله لما خلق

(وقال أبو ذر) الغفاري رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ: « من أشاد)** بالدال أي أشاع ورفع وما يوجد في نسخ الكتاب بالراء تصحيف من النساخ **(على مسلم بكلمة)** كذا في النسخ والرواية كلمة **(يشينه)** أي يعيبه **(بها بغير حق شانه الله تعالى في النار يوم القيامة)** جزاء وفاقاً » رواه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، أنبأنا أبو معاوية، عن عبد الله بن ميمون، عن موسى بن مسكين، عن أبي ذر، عن النبي ﷺ قال: « من أشاد » فذكره. وكذلك رواه في ذم الغيبة والخرائطي والطبراني كلاهما في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الشعب. قال العراقي: وفيه عبد الله بن ميمون فإن يكن القداح فهو متروك اهـ.

قلت: هو عبد الله بن ميمون بن داود القداح المخزومي المكي من رجال الترمذي، والذي قال أنه متروك أبو حاتم ومشاهغيره، ولهم رجل آخر عبد الله بن ميمون أخرج له ابن ماجه، ورجل آخر عبد الله بن ميمون الرقي مقبول وعبد الله بن ميمون الطهـومي روى عنه أحمد بن بديل، فيحتمل أن يكون أحد هؤلاء وقد أخرجه الحاكم أيضاً وصححه، فهذا يدل على أنه غير القداح فإن القداح حاله معلوم عند الحاكم، وأنه هو ولكن اعتمد على قول من مشاه على أن الذهبي قد تعقبه بأن سنده مظلم وكأنه يشير إلى ما ذكر.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه **(قال ﷺ: « أيما رجل أشاع عن رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يذيبه بها يوم القيامة في النار)** رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً على أبي الدرداء فقال: حدثنا أحمد بن جميل، أنبأنا ابن المبارك عن وهيب يعني ابن خالد، عن موسى بن عقبة، عن سليمان بن عمرو بن ثابت، عن جبير بن نفير الحضرمي أنه سمع أبا الدرداء يقول: أيما رجل أشاع فذكره. قال العراقي: ورواه الطبراني بلفظ آخر من حديثه مرفوعاً وقد تقدم.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: « من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار »)** رواه ابن أبي الدنيا، عن عبد الله بن أبي بدر، أنبانا يزيد بن هارون أنبأنا جهير بن يزيد، عن خداش بن عباس أو عياش عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ فذكره. قال العراقي: ورواه أحمد وفيه رجل لم يسم أسقطه ابن أبي الدنيا من الإسناد.

(ويقال: إن ثلث عذاب القبر من النميمة) رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن منيع، حدثنا

الجنة قال لها تكلمي، فقالت: سعد من دخلني، فقال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكنك مـدمن خمر ولا مصرّ على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول عليّ عهد الله إن لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به.

وروى كعب الأحبار ان بني إسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى إليه: إني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة، فقال موسى: يا رب من هو دلني عليه حتى أخرجه من بيننا؟ قال: يا

ابن علية حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة اثلاث: ثلث من الغيبة، وثلث من البول، وثلث من النميمة وقد تقدم ذكره قريباً في الآفة التي قبلها. وأخرج ابن أبي الدنيا من طريق يزيد بن قوذر عن كعب قال: اتقوا النميمة فإن صاحبها لا يستريح من عذاب القبر.

(**وعن ابن عمر**) رضي الله عنه، (**عن النبي ﷺ**) قال (**إن الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي فقالت: سعد من دخلني، فقال الجبار جل جلاله: وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية من الناس: مدمن خمر، ولا مصر على زنا، ولا قتات وهو النمام، ولا ديوث**) وهو القواد، (**ولا شرطي**) وهوالجلواز عند الأمراء، (**ولا المخنث**) الذي يتشبه بالنساء، (**ولا قاطع رحم ولا الذي يقول عليّ عهد الله أن لم أفعل ولا يفعل»**) وفي نسخة ولا يفي به. قال العراقي: لم أجده هكذا بتمامه، ولأحمد: «لا يدخل الجنة عاق لوالديه والديوث» وفيه من لم يسم وللنسائي من حديث ابن عمر: «لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر» وفيه انقطاع واضراب، وللشيخين من حديث حذيفة: «لا يدخل الجنة قتات» ولهما من حديث جبير بن مطعم «لا يدخل الجنة قاطع» وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس: «لما خلق الله الجنة فقال لها: تكلمي تزيني فتزينت فقالت: طوبى لمن دخلني ورضي عنه إلهي فقال الله عز وجل لا يسكنك مخنث ولا نائحة» ولم يخرجه ولده في مسنده اهـ.

قلت: وروى الطبراني من حديث ابن عباس: لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمي قالت: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [المؤمنون: ١] ورواه ابن عساكر وزاد، ثم قالت: «أنا حرام على كل بخيل ومراء».

(**وروى كعب الأحبار أن بني إسرائيل أصابهم قحط**) أي قلة مطر، (**فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا فأوحى الله تعالى إليه أني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة، فقال موسى: يا رب من هو دلني عليه حتى أخرجه من بيننا. قال: يا**)

موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً، فتابوا جميعاً فسقوا. ويقال: اتبع رجل حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال: إني جئتك للذي آتاك الله تعالى من العلم أخبرني عن السماء وما أثقل منها، وعن الارض وما أوسع منها، وعن الصخر وما أقسى منه، وعن النار وما أحر منها، وعن الزمهرير وما أبرد منه، وعن البحر وما أغنى منه، وعن اليتيم وما أذل منه فقال له الحكيم: البهتان على البريء أثقل من السموات، والحق أوسع من الأرض، والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص والحسد أحر من النار، والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم.

بيان حد النميمة وما يجب في ردها:

اعلم أن اسم النميمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه كما تقول: فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وليست النميمة مختصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه، أو كرهه ثالث. وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء وسواء كان المنقول من الأعمال أو من

موسى اكره النميمة وأنم فتابوا جميعاً) واستسقوا، **(فسقوا. ويقال: اتبع رجل حكيماً سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال)** له **(إني جئتك للذي آتاك الله من العلم أخبرني عن السماء وما أثقل منها، وعن الأرض وما أوسع منها وعن الصخر وما أقسى منه، وعن النار وما أحر منها، وعن الزمهرير وما أبرد منه، وعن البحر وما أغنى منه، وعن اليتيم وما أذل منه، فقال له الحكيم: البهتان على البريء أثقل من السموات، والحق أوسع من الأرض، والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص والحسد أحر من النار، والحاجة إلى القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم)**. وقوله البهتان على البريء أثقل من السموات. نقل ذلك عن سيدنا سليمان عليه السلام، ورواه الحكيم الترمذي من قول علي بن أبي طالب.

بيان النميمة وما يجب في ردها)

(اعلم أن اسم النميمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه، كما يقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا) واشتقاقه من نم الحديث نما من بابي قتل وضرب إذا سعى به ليوقع فتنة أو وحشة فالرجل نم تسمية بالمصدر ونمام مبالغة والاسم النميمة، **(وليست النميمة مخصوصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو كرهه ثالث، وسواء كان الكشف بالقول أو بالكنية أو**

الأقوال وسواء كان ذلك عيباً ونقصاً في المنقول عنه أو لم يكن، بل **حقيقة النميمة إفشاء** السر وهتك الستر عما يكره كشفه، بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه الا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة الحق المشهود له فأما إذا رآه يخفي مالاً لنفسه فذكره فهو نميمة وإفشاء للسر، فإن كان ما ينم به نقصاً وعيباً في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة، فالباعث على النميمة إما إرادة السوء للمحكي عنه أو إظهار الحب للمحكي له أو التفرج بالحديث، والخوض في الفضول والباطل وكل من حملت إليه النميمة وقيل له إن فلاناً قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدبر في إفساد أمرك أو في ممالاة عدوّك أو تقبيح حالك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور.

الأوّل: أن لا يصدقه لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة﴾ [الحجرات: ٦].

بالرمز أو بالإيماء) أي الإشارة، **(وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاناً في المنقول عنه أو لم يكن، بل حقيقة النميمة إفشاء السر)** أي إظهار ما خفي منه، **(وهتك الستر عما يكره كشفه)** وظهوره، **(بل كان ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره)** فيما يتقلبون فيه؛ **(فينبغي أن يسكت عنه)** فلا يحكي **(إلا ما في حكايته)** ونقله **(فائدة لمسلم)** عاجلة أو آجلة **(أو دفع لمعصية، كما إذا رأى من يتناول مال غيره، فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود عليه فأما إذا رآه يخفي مالاً لنفسه)** فهو إنما أخفاه ليكون مستوراً عن اطلاع الغير **(فذكره)** لآخر، **(فهو نميمة وإفشاء للسر فإن كان ما ينم به نقصاناً وعيباً في المحكي عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة)** إذا تحقق فيه أنه أفشى السر وذكر أخاه بمكروه، **(والباعث على النميمة)** لا يخلو من ثلاثة: **(إما إرادة السوء بالمحكى عنه)** وقصد الشرّ به فيشيع عنه كلمة يفضحه بها **(أو إظهار الحب للمحكي له)** وهو السامع فيراه أنه من جملة المحبين له، **(أو التفرج)** أي التنزه **(بالحديث)** أي حكاية أهل الدنيا، **(والخوض في الفضول)** مما لا يعنيه من الكلام، **(وكل من حملت إليه النميمة، وقيل له: إن فلاناً قال فيك كذا أو فعل في حقك كذا أو هو يدبر في إفساد أمرك أو في ممالاة عدوك)** أي موافقته، **(أو في تقبيح حالك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور)**.

(الأول: أن لا يصدقه) فيما يحكيه فيكذبه ولا يقبل منه قوله، فإن قبول القول السوء أشد من القول السوء، **(لإن النمام فاسق)** لا يقبل قوله، **(وهو مردود الشهادة)** بنص القرآن **(قال تعالى)**: ﴿يا أيها الذين آمنوا **(إن جاءكم فاسق بنبا)** أي بخبر من الأخبار **(فتبينوا)** أي تعرفوا ذلك النبأ خشية **(أن تصيبوا قوماً بجهالة)** فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ نزلت

الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصح له ويقبح عليه فعله قال الله تعالى: ﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر﴾ [لقمان: ١٧].

الثالث: أن يبغضه في الله تعالى فإنه بغيض عند الله تعالى ويجب بغض من يبغضه الله تعالى.

الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقول الله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾ [الحجرات: ١٢].

الخامس: أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق اتباعاً لقوله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ [الحجرات: ١٢].

السادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه ولا تحكي نميمته فتقول: فلان قد حكى لي كذا وكذا فتكون به نماماً ومغتاباً وتكون قد أتيت ما عنه نهيت. وقد روي

هذه الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط كان بعثه رسول الله ﷺ ليقبض صدقات بني المصطلق، فلما أبصروه أقبلوا نحوه فهابهم وكان بينه وبينهم شحناء في الجاهلية، فرجع إلى رسول الله ﷺ فاخبره إنهم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد وأمره أن يثبت ولا يعجل، فأخبر أنهم متمسكون بالإسلام، وسمع أذانهم وصلاتهم فرجع فأخبر الخبر فنزلت. قال الحسن: فوالله لئن كانت نزلت في هؤلاء القوم خاصة إنها لمرسلة إلى يوم القيامة ما نسخها شيء.

(**والثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله**) وما يلي به (**قال تعالى: ﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر﴾**) والنميمة من المنكرات فيجب عليه نهيه عنها.

(**الثالث: أن يبغضه في الله فإنه بغيض عند الله**) ممقوت، (**ويجب بغض من يبغضه الله**).

(**الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب**) المحكي عنه (**السوء لقوله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾**) وهذا الذي ظننته في أخيك من جملة الظنون التي يلزم مرتكبه الإثم.

(**الخامس: أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث لتتحقق**) أي يصير عنك حقيقة (**لقوله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾**)

(**السادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه، فلا تحكي نميمته فتقول: فلان قد حكى كذا وكذا فتكون به نماماً ومغتاباً**) فتجمع بين فاحشتين، (**وتكون قد أتيت بما عنه**

عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئاً فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ وإن كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هماز مشاء بنميم﴾ [القلم: ١١] وإن شئت عفونا عنك. فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً.

وذكر أن حكيماً من الحكماء زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر عن بعض أصدقائه فقال له الحكيم: قد أبطأت في الزيارة وأتيت بثلاث جنايات بغضت أخي إليَّ وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الأمينة.

وروي أن سليمان بن عبد الملك كان جالساً وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمان: بلغني أنك وقعت فيّ وقلت كذا وكذا، فقال الرجل: ما فعلت ولا قلت؟ فقال سليمان: إن الذي أخبرني صادق، فقال له الزهري: لا يكون النمام صادقاً. فقال سليمان: صدقت. ثم قال للرجل: اذهب بسلام.

وقال الحسن: من نمّ إليك نمّ عليك، وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغض ولا

مهيت) فيكون فيه مخالفة القول الفعل وهو نفاق، **(وقد روي عن عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى **(أنه دخل عليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئاً فقال عمر أن: شئت نظرنا في أمرك)** أي حققناه، **(فإن كنت كاذباً)** فيما قلت **(فأنت من أهل هذه الآية ﴿إن جاءكم فاسق بنبا فتبينوا﴾ وإن كنت صادقاً)** فيما قلت **(فأنت من أهل هذه الآية ﴿هماز مشاء بنميم﴾ وإن شئت عفونا عنك. فقال العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبداً)** فانظر كيف رده ولم يقبل قوله.

(وذكر أن حكيماً من الحكماء زاره بعض إخوانه فأخبره بخبر عن غيره، فقال له الحكيم: قد أبطأت في الزيارة وأتيتني بثلاث جنايات. الأولى: بغضت إليّ أخي و) الثانية: **(شغلت قلبي الفارغ، و)** الثالثة: **(اتهمت نفسك الأمينة)**.

(وروي أن سليمان بن عبد الملك) بن مروان **(كان جالساً وعنده)** محمد بن شهاب **(الزهري، فجاءه رجل فقال له سليمان: بلغني أنك وقعت فيَّ وقلت كذا وكذا، فقال الرجل: ما فعلت ولا قلت. فقال سليمان: إن الذي أخبرني كان صادقاً)** فيما أخبر، **(فقال الزهري: لا يكون النمَّام صادقاً، فقال سليمان: صدقت)** وقال للرجل: **(اذهب بسلام)**.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(من نمَّ إليك نمَّ عليك)** ويروى من نمَّ لك نمَّ عليك. **(وهذا إشارة إلى أن النام ينبغي أن يبغض)** ولا يحب **(ولا يوثق بصداقته)** وتقربه

يوثق بقوله ولا بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة، وهو ممن يسعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض. وقال تعالى: ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ [الشورى: ٤٢] والنمام منهم. وقال ﷺ: «إن من شرار الناس من اتقاه الناس لشره» والنمام منهم. وقال: «لا يدخل الجنة قاطع» قيل: وما القاطع؟ قال: قاطع بين الناس وهو النمام. وقيل: قاطع الرحم.

وروي عن علي رضي الله عنه أن رجلاً سعى إليه برجل فقال له: يا هذا نحن نسأل

وتملقه، (**وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب**) فيما ينقله. (**والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة**) وهذه كلها صفات ذميمة قد جمعت في النمام، (**وهو ممن قد سعى في قطع ما أمر الله به أن يوصل قال تعالى ﴿والذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض﴾ وقال تعالى ﴿إنما السبيل على الذي يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ والنمام منهم**) لأنه يسعى في الإفساد والاغراء بين الاخوان ويبغي العنت للبرآء. (**وقال ﷺ «إن من شر الناس من اتقاه الناس لشره»**) رواه الشيخان من حديث عائشة بنحوه. قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو خيثمة وإسحاق بن إسماعيل قالا: حدثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر سمع عروة، حدثتني عائشة قالت: أستأذن رجل على النبي ﷺ فقال: «إئذنوا له فبئس ابن العشيرة أو بئس رجل العشيرة» فلما أن دخل ألان له القول، فلما خرج قلنا قلت الذي قلت ثم ألنت له القول. قال أي عائشة شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه أو تركه الناس اتقاء شره. هكذا رواه الشيخان وأبو داود والترمذي، وفي لفظ بعضهم اتقاء فحشه، وفي أوله: إن شر الناس. وعند الطبراني في الأوسط من حديث أنس «إن شر الناس منزلة من يخاف الناس شره» وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجعد، أخبرني عثمان بن مطر، عن ثابت، عن أنس أن رجلاً أقبل إلى النبي ﷺ وهو في حلقة فأثنوا عليه شراً، فرحب به النبي ﷺ، فلما قفى قال رسول الله ﷺ «شر الناس منزلة يوم القيامة من يخاف لسانه أو يخاف شره» (**والنمام منهم**) لأن الناس يخشون لسانه ويخافون شره. (**وقال ﷺ «لا يدخل الجنة قاطع»**) رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي. وقال: حسن صحيح وابن خزيمة وابن حبان من حديث جبير بن مطعم. (**قيل: قاطع بين الناس**) بالإغراء والإفساد (**وهو النمام، وقيل: قاطع الرحم**) وهكذا رواه الطبراني في الكبير من حديث جبير بن مطعم، ورواه الخرائطي في مساويء الأخلاق من حديث أبي سعيد، وقيل المراد به قاطع الطريق، ولفظ الحديث محتمل لكل من المعاني الثلاثة.

(**وروي عن علي كرم الله وجهه أن رجلاً أتاه يسعى إليه برجل فقال: يا هذا نحن نسأل**

عما قلت فإن كنت صادقاً مقتناك وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أن نقيلك. فقال: أقلني يا أمير المؤمنين. وقيل لمحمد بن كعب القرظي: أي خصال المؤمن أوضع له؟ فقال: كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول قول كل أحد. وقال رجل لعبدالله بن عامر ـ وكان أميراً ـ بلغني أن فلاناً أعلم الأمير أني ذكرته بسوء. وقال: قد كان ذلك. قال: فأخبرني بماذا قال لك حتى أظهر كذبه عندك. قال: ما أحب أن أشتم نفسي بلساني وحسبي أني لم أصدقه فيما قال ولا أقطع عنك الوصال.

وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال: ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طائفة من الناس إلا منهم. وقال مصعب بن الزبير: نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة، وليس من دل على شيء فأخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعي فلو كان صادقاً في قوله لكان لئيماً في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة، والسعاية هي النميمة إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت

عما قلت، فإن كنت صادقاً مقتناك) أي أبغضناك، **(وإن كنت كاذباً عاقبناك)** عقوبة المفتري، **(وإن شئت أن نقيلك أقلناك. قال: أقلني يا أمير المؤمنين. وقيل لمحمد بن كعب القرظي)** التابعي الثقة رحمه الله تعالى: **(أي خصال المؤمن أوضع له)** أي اكثر حطاً له في الرتبة؟ **(قال: كثرة الكلام وإفشاء السر وقبول قول كل أحد)** أي فإن في كل خصلة منها ينحط مقامه. **(وقال رجل لعبد الله بن عامر)** بن ربيعة **(وكان أميراً)** على البصرة: **(بلغني أن فلاناً اعلم الأمير أني ذكرته بسوء. قال: قد كان ذلك. قال: فأخبرني بما قال لك حتى أظهر كذبه عندك. قال: ما أحب أن أشتم نفسي بلساني وحسبي أني لم أصدقه فيما قال ولاقطعت عنك الوصال)** أي مواصلة المودة أو الصلة أو هما معاً.

(وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال: ما ظنكم بقوم يحمد الصدق من كل طبقة من الناس إلا منهم) أي من أهل السعاية فإنهم ولو صدقوا فيما يقولونه فلا يحمد صدقهم مع أن الصدق محمود على كل حال ومن كل الناس؛ **(وقال مصعب بن الزبير)** بن العوّام قتله عبد الملك بن مروان سنة أثنين وسبعين بمسكن في حدّ العراق: **(نحن نرى قبول السعاية شراً من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة، وليس من دل على شيء فأخبر به كمن قبله وأجازه، فاتقوا الساعي)** أي تحفظوا منه، **(فلو كان في قوله صادقاً لكان في صدقه لئيماً حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة، والسعاية هي النميمة إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف إلى جانبه سميت سعاية)** يقال: سعى به إلى الوالي إذا مشى به إليه، **(وقد قال النبي ﷺ «الساعي بالناس إلى الناس لغير رشدة» يعني ليس بولد حلال)** قال أبو زيد الأنصاري: يقال هو لـرشـدة

سعاية. وقد قال ﷺ: «الساعي بالناس إلى الناس لغير رشدة». يعني ليس بولد حلال، ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك فاستأذنه في الكلام وقال: إني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله وإن كرهته فإن وراءه ما تحب إن قبلته فقال: قل، فقال يا أمير المؤمنين إنه قد اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه، ولا تصغ إليهم فيما استحفظك الله إياه فإنهم لن يألوا في الأمة خسفاً وفي الأمانة تضييعاً والاعراض قطعاً وانتهاكاً، أعلى قربهم البغي والنميمة، وأجل وسائلهم الغيبة والوقيعة، وأنت مسؤول عما أجرموا وليسوا المسؤولين عما أجرمت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبناً من باع آخرته بدنيا غيره. وسعى رجل بزياد الأعجم إلى سليمان بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فأقبل زياد على الرجل وقال:

أي صحيح النسب بكسر الراء والفتح لغة. قال العراقي: رواه الحاكم من حديث أبي موسى «من سعى بالناس فهو لغير رشدة» أو فيه شيء منه، وقال له أسانيد هذا أمثلها.

قلت: فيه سهل بن عطية. قال ابن طاهر في التذكرة: منكر الرواية، والحديث لا أصل له. وقد ذكر ابن حبان في الثقات سهل بن عطية، ورواه الطبراني بلفظ «لا يسعى على الناس إلا ولد بغي» وإلا من فيه عرق منه وزاد بين سهل وبين بلال بن أبي بردة أبا الوليد القرشي اهـ.

قلت: ورواه ابن عساكر والديلمي بلفظ: إلاولد زنا.

(**ودخل رجل على سليمان بن عبد الملك**) بن مروان (**فاستأذن في الكلام وقال: إني مكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله، وإن كرهته فإن وراءه ما تحب ان قبلته قال: قل. فقال: يا أمير المؤمنين إنه قد اكتنفك**) أي أحاط بك (**رجال ابتاعوا**) أي اشتروا (**دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصغ إليهم فيما استحفظك الله أياه، فإنهم لن يألوا في الأمة**) أي لن يقصّروا فيها (**خسفاً والأمانة تضييعاً والاعراض قطعاً وانتهاكاً أعلى قربهم**) أي أعلى ما يتقربون به إليك (**البغي والنميمة وأجل وسائلهم الغيبة والوقيعة**) في الناس، (**وأنت مسؤول عما اجترحوا**) أي اكتسبوا (**وليسوا بمسؤلين عما اجترحت، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غبناً بائع آخرته بدنيا غيره**) أخرجه ابن أبي الدنيا في أخبار الخلفاء.

(**وسعى رجل بزياد بن الأعجم**) كذا في النسخ، والصواب بزياد الأعجم وهو زياد بن سليم العبدي مولاهم أبو أمامة المعروف بالأعجم، روى عن أبي موسى، وعبد الله بن عمرو. وعنه طاوس والمحبر بن قحذم شاعر مقبول، روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه (**إلى سليمان بن**

فانت امرؤ إما ائتمنتك خالياً فخنت وإما قلت قولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والإثم

وقال رجل لعمرو بن عبيد : إن الأسواري ما يزال يذكرك في قصصه بشرّ فقال له عمرو : يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه ولا أديت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره، ولكن أعلمه أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا، والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين.

ورفع بعض السعاة إلى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فوقع على ظهرها : السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة فإن كنت أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها أفضل من الربح ومعاذ الله أن نقبل مهتوكاً في مستور، ولولا أنك في خفارة شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك في مثلك فتوق يا ملعون العيب فإن الله أعلم بالغيب الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله. وقال لقمان

عبد الملك) بن مروان، **(فجمع بينهما للموافقة فأقبل زياد على الرجل)** الذي سعى فيه يقول:

(أنت امرؤ إما ائتمنتك خالياً فخنت وإما قلت قولاً بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الملامة والاثم)

وفي نسخة بين الخيانة والإثم.

(وقال رجل لعمرو بن عبيد) بن باب التميمي مولاهم البصري المعتزلي كنيته أبو عثمان كان داعية إلى بدعة اتهمه جماعة مع أنه كان عابداً. قال أحمد : ليس بأهل أن يحدث عنه وقال الوردي، عن يحي بن معين: ليس بشيء روى له أبو داود في كتاب القدر، وابن ماجه في كتاب التفسير **(أن الأسوارى)** بضم الهمزة نسبة إلى الاساورة بطن من تميم **(ما يزال يذكرك في قصصه بشر، فقال له عمرو: ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه ولا أديت حقي حين أبلغتني عن أخي، ولكن اعلمه أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين)**.

(ورفع بعض السعاة إلى الصاحب) إسماعيل **(بن عباد)** بن العباس بن عباد الطالقاني كان وزيراً لدولة آل بويه ووالده أبو الحسن عباد ممن سمع على جعفر الفريابي، وعنه أبو الشيخ الاصبهاني توفي سنة ٣٣٤ **(رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فكتب على ظهرها)** أي الرقعة **(السعاية قبيحة، وإن كانت صحيحة الميت رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله)** أي زاده نمواً وفائدة وبركة، **(والساعي لعنه الله. وقال لقمان الحكيم لابنه: يا**

لابنه: يا بني أوصيك بخلال إن تمسكت بهن لم تزل سيداً: أبسط خلقك للقريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم، واحفظ اخوانك وصل أقاربك وأمنهم من قبول قول ساع أو سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك، وليكن اخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك. وقال بعضهم: النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي أثافي الذل. وقال بعضهم: لو صح ما نقله النمام إليك لكان هو المجترىء بالشتم عليك والمنقول عنه أولى بحلمك لأنه لم يقابلك بشتمك. وعلى الجملة فشرّ النمام عظيم ينبغي أن يتوقى. قال حماد بن سلمة: باع رجل عبداً وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النميمة، قال: قد رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياماً ثم قال لزوجة مولاه: إن سيدي لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك. ثم قال للزوج: إن امرأتك اتخذت خليلاً وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف ذلك فتناوم لها، فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تريد قتله فقام إليها فقتلها، فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج ووقع القتال بين القبيلتين. فنسأل الله حسن التوفيق.

بني إني موصيك بخلال إن تمسكت بهن لم تزل سيداً) أي رئيساً على الأصحاب: (أبسط خلقك للقريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم، وأحفظ إخوانك، وصل أقاربك، وأمنهم من قبول قول ساع) أي واش (أو سماع باغ يريد فسادك ويروم خداعك، وليكن اخوانك من إذا فارقتهم أو فارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك. وقال بعضهم: النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق وهي) أي الثلاثة (أثافي الذل) جمع أثفية وهي الأحجار الثلاثة التي توضع عليها القدر. (وقال بعضهم: لو صح ما نقله النمام لكان هو المجتريء بالشتم عليك والمنقول عنه أولى بحلمك) وعفوك (لأنه لم يقابلك بشتمك) ومنه قولهم:

ما بلغ المكروه إلا من نقل.

(وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي أن يتوقى) ويتحفظ منه. (قال حماد بن سلمة) بن دينار البصري أبو سلمة توفي سنة سبع وستين: (باع رجل عبداً وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النميمة. قال: رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياماً ثم قال لزوجة مولاه: إن زوجك لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك، ثم قال للزوج: إن امرأتك اتخذت خليلاً وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف، فجاءت المرأة بالموسى فظن أنها تقتله فقام وقتلها، فجاء أهل المرأة وقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الأمر) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق

حماد بن سلمة عن حميد وهو الطويل فقال: حدثنا ابراهيم أبو إسحاق، حدثني يزيد بن عوف، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد أن رجلاً ساوم بعبد فقال مولاه: إني أبرأ إليك من النميمة. فقال: نعم أنت بريء منها. قال: فاشتراه فجعل يقول لمولاه: إن امرأتك تبغي وتفعل وإنها تريد أن تقتلك، ويقول للمرأة إن زوجك يريد أن يتزوّج عليك ويتسرى عليك، فإن أردت أن أعطفه عليك فلا يتزوّج عليك ولا يتسرى فخذي الموسى واحلقي شعرة من قفاه إذا نام. وقال للزوج: أنها تريد أن تقتلك إذا نمت قال: فذهب فتناوم لها وجاءت بموسى لتحلق شعرة من حلقه فأخذ بيدها فقتلها فجاء أهلها فاستعدوا عليه فقتلوه.

تنبيه:

قد بقي مما أورده ابن أبي الدنيا في النميمة وهو على شرط المصنف أخرج من طريق أبي الأحوص، عن ابن مسعود قال: إن محمداً ﷺ كان يقول «ألا أنبئكم بالعضة هي النميمة القالة بين الناس».

وأخرج من حديث أنس «من أكل بأخيه المسلم أكلة أطعمه الله بها أكلة من النار، ومن لبس بأخيه المسلم ثوباً ألبسه الله به ثوباً من النار، ومن قام بأخيه مقام رياء وسمعة أقامه الله مقام رياء وسمعة».

وأخرج من طريق عبد الله بن زرير الغافقي عن علي رضي الله عنه قال: «القائل الكلمة الزور والذي يمد بحبلها في الإثم سواء» وعن شبل بن عوف قال: كان يقال من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذي أبداها.

ومن طريق أبي العالية قال: حدثت أن رسول الله ﷺ قال «أتاني البارحة رجلان فاكتنفاني فانطلقا بي حتى مرّا بي على رجل في يده كلاب يدخله في رجل فيشق شدقه حتى يبلغ لحييه فيعود فيأخذ فيه، فقلت: من هذا؟ قال: هم الذين يسعون بالنميمة».

وعن عمرو بن ميمون قال: لما تعجل موسى عليه السلام إلى ربه رأى في ظل العرش رجلاً فغبطه بمكانه وقال: إن هذا لكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره فقال: أحدثك من أمره بثلاث: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، وكان لا يعق والديه، ولا يمشي بالنميمة».

وعن حكيم بن جابر قال: من أشاع فاحشة فهو كباديها، وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: كانت لنا جارية أعجمية فحضرتها الوفاة فجعلت تقول: هذا فلان يمرغ في الحماة فلما ماتت سألنا عن الرجل فقالوا: ما كان به بأس إلا أنه كان يمشي بالنميمة. وعن يزيد بن قوذر عن كعب قال: اتقوا النميمة فإن صاحبها لا يستريح من عذاب القبر.

الآفة السابعة عشرة: كلام ذي اللسانين:

كلام ذي اللسانين الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بكلام يوافقه، وقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين النفاق، قال عمار بن ياسر، قال رسول الله ﷺ: «من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة». وقال أبو هريرة، قال رسول الله ﷺ: «تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث» وفي لفظ آخر: «الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه». وقال أبو هريرة: لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أميناً عند الله. وقال

الآفة السابعة عشر كلام ذي اللسانين:

(**الذي يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه**) في رأيه، (**فقلما يخلو عنه من يشاهد متعاديين، وذلك عين النفاق قال**) أبو اليقظان (**عمار بن ياسر**) بن عامر بن مالك العنسي بنون ساكنة وسين مهملة مولى بني مخزوم صحابي جليل مشهور من السابقين الأولين بدري قتل مع علي رضي الله عنهما بصفين سنة سبع وثلاثين. (**قال رسول الله ﷺ «من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة»**) رواه ابن أبي الدنيا عن يحي بن عبد الحميد الحماني، حدثنا شريك، حدثنا الركين بن الربيع، عن نعيم بن حنظلة، عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ فذكره. وأخرجه البخاري في كتاب الأدب المفرد وأبو داود بسند حسن.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه (**قال رسول الله ﷺ تجدون من شر عباد الله يوم القيامة ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بحديث هؤلاء وهؤلاء بحديث هؤلاء»**) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ فذكره.

(**وفي لفظ آخر «يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه»**) رواه أيضاً ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة، حدثنا ابن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال «تجدون من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي» فذكره. وهو عند أحمد والبخاري ومسلم «وتجدون شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه».

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه (**لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أميناً عند الله تعالى**) هكذا هو في النسخ موقوفاً. ورواه ابن أبي الدنيا مرفوعاً عن الحسن بن عبد العزيز، حدثنا يحي بن حسان، حدثنا سليمان بن بلال، عن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال «لا ينبغي» فذكره. وقد رواه كذلك مرفوعاً الخرائطي في مساويء الأخلاق، والبيهقي في الشعب. وأخرج ابن أبي الدنيا من حديث أنس «من كان له

مالك بن دينار: قرأت في التوراة بطلت الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله تعالى يوم القيامة كل شفتين مختلفتين. وقال ﷺ: «أبغض خليقة الله إلى الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لإخوانهم في صدورهم فإذا لقوهم تملقوا لهم والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطآء وإذا دُعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعاً». وقال ابن مسعود: لا يكونن أحدكم إمعة. قالوا: وما الإمعة؟ قال: الذي يجري مع كل ريح، واتفقوا على أن ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق. وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها.

وقد روي أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ مات فلم يصلّ عليه حذيفة فقال له

لسانان في الدنيا جعل له لسانان من نار يوم القيامة» وعن ابن مسعود قال: «إن ذا اللسانين في الدنيا له يوم القيامة لسانان من نار».

(**وقال مالك بن دينار**) البصري رحمه الله تعالى: (**قرأت في التوراة تطلب الأمانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيامة كل شفتين مختلفتين**) أخرجه أبو نعيم في الحلية، (**وقال رسول الله ﷺ «أبغض خليقة الله يوم القيامة الكذابون والمستكبرون والذين يكنزون**) أي يخزنون (**البغضاء لإخوانهم في صدورهم فإذا لقوهم تملقوا لهم**) أي ألطفوا لهم وألانوا القول، (**والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطآء**) جمع بطيء، (**وإذا دعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سراعاً**) جمع سريع قال العراقي: لم أقف له على أصل.

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**لا يكن أحدكم إمعة**) بكسر الهمزة وتشديد الميم المفتوحة (**قالوا: وما الإمعة؟ قال:**) الذي (**يجري مع كل ريح**) أخرجه ابن أبي الدنيا عن حبيب بن الحسن، حدثنا عمر بن حفص السدوسي، حدثنا عاصم بن علي، حدثنا المسعودي، عن سلمة بن كهيل، عن عبد الرحمن بن يزيد قال: قال عبد الله: لا يكونن أحدكم إمعة. قالوا: وما الإمعة يا أبا عبد الرحمن؟ قال: يقول أنا مع الناس إن أهتدوا اهتديت وإن ضلوا ضللت ألا ليوطنن أحدكم نفسه على إن كفر الناس أن لا يكفر اهـ. ومما نسب إلى علي رضي الله عنه من قوله في أبيات:

ولست بإمعة في الرجال ... أسائل هذا وذا ما الخبر

(**واتفقوا على أن ملاقاة الاثنين بوجهين نفاق وللنفاق علامات كثيرة، وهذه من جملتها. وقد روي أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ مات فلم يصلّ عليه حذيفة**) بن اليمان رضي الله عنه فبلغ الخبر إلى عمر، (**فقال عمر**) رضي الله عنه: (**يموت رجل من**

عمر: أيموت رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ولم تصلِّ عليه؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنه منهم. فقال: نشدتك الله أنا منهم أم لا؟ قال: اللهم لا. ولا أؤمن منها أحداً بعدك.

فإن قلت: بماذا يصير الرجل ذا لسانين وما حد ذلك؟ فأقول: إذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقاً فيه لم يكن ذا لسانين فإن الواحد، قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي إلى حد الأخوّة إذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الأعداء ـ كما ذكرنا في كتاب آداب الصحبة والاخوة ـ نعم لو نقل كلام كل واحد منهما إلى الآخـر فهو ذو لسانين وهو شر من النميمة إذ يصير نماماً بأن ينقل من أحد الجانبين فقط، فإذا نقل من الجانبين فهو شر من النمام، وإن لم ينقل كلاماً ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه فهذا ذو لسانين، وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأن ينصره، وكذلك إذا أثنى على كل واحد منهما في معاداته، وكذلك إذا أثنى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين. بل ينبغي أن يسكت أو يثني على المحق من المتعاديين. ويثني عليه في غيبته وفي حضوره وبين يدي عدوّه.

أصحاب رسول الله ﷺ ولا تصلي عليه، فقال: يا أمير المؤمنين إنه منهم) أي من المنافقين. وكان حذيفة قد أعطي علم ذلك من رسول الله ﷺ قال: (**فنشدتك الله أنا منهم أم لا؟ قال: اللهم لا. ولا أؤمن منها أحداً بعدك)** لم يرد بذلك نفاق الكفر، وإنما أراد نفاق العمل الذي هو ترك المحافظة على الدين سراً ومراعاتها علناً قاله القرطبي.

(**فإن قلت: فبماذا يصير ذا لسانين وما حد ذلك؟ فأقول إذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما)** أي عامله بالمجاملة، (**وكان صادقاً فيه لم يكن منافقاً)** لعدم مخالفة السر العلن، (**ولا ذا لسانين فإن الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي إلى حد الأخوّة إذا لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الأعداء)** ومصارمتهم، (**كما ذكرناه في كتاب الصحبة والأخوة. نعم لو نقل كلام كل واحد إلى الآخر فهو ذو لسانين، وذلك شر من النميمة إذ يصير نماماً بأن ينقل من أحد الجانبين فقط، وإن لم ينقل كلاماً ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة لصاحبه فهو ذو لسانين)** أيضاً لأن تحسين معاداة هذا يستلزم تقبيح الآخر وبالعكس، (**وكذلك إذا وعد كل واحد منهما بأنه ينصره)** على الآخر فهو ذو لسانين أيضاً (**وكذلك إذا أثنى على كل واحد منهما في معاداته)** فهو ذو لسانين أيضاً، (**وكذلك إذا أثنى على أحدهما وكان إذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين)** أيضاً، (**بل ينبغي أن يسكت)** ولا يفاوض في أمرهما أصلاً (**أو يثني على المحق من المتعاديين)** ويظهر الذي هو على الحق والذي هو على الباطل، (**ويثني في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه)**، فهذا (**هو المخلص له عن النفاق)**.

قيل لابن عمر رضي الله عنهما : إنا ندخل على أمرائنا فنقـول القول فإذا خرجنا قلنا غيره ، فقال : كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ ، وهذا نفاق مهما كان مستغنياً عن الدخول على الأمير وعلى الثناء عليه ، فلو استغنى عن الدخول ولكن إذا دخل يخاف إن لم يثن فهو نفاق لأنه الذي أحوج نفسه إلى ذلك فإن كان مستغنياً عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى وأثنى عليه فهو منافق . وهذا معنى قوله ﷺ : « حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل » لأنه يحوج إلى الأمراء وإلى مراعاتهم ومراءاتهم ، فأما إذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن فهو معذور ، فإن اتقاء الشر جائز . قال أبو الدرداء رضي الله عنه : إنا لنكشر في وجوه

(وقيل لابن عمر) رضي الله عنه : **(إنا ندخل على امرائنا فنقول القول فإذا خرجنا)** من عندهم **(قلنا غيره قال: كنا نعد ذلك نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ)** رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن إبراهيم ، حدثنا يعلى بن عبيد ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم عن أبي الشعثاء قال : قيل لابن عمر فساقه .

وحدثنا أحمد بن إبراهيم ، جدثنا عبد الرحمن بـن مهدي ، حدثنا سلام بن سليم ، عن إسحاق عن عريب الهمداني قال : قلت لابن عمر : إنا إذا دخلنا على الامراء زكينا هم بما ليس فيهم ، فإذا خرجنا دعونا عليهم قال : كنا نعد ذلك النفاق .

وقال العراقي : رواه البخاري بلفظ : سلاطيننا ، فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم الحديث . وفي رواية : علقها بعد قوله نفاقاً في عهد رسول الله ﷺ ، ورواه الطبراني من طرق .

(وهذا نفاق مهما كان مستغنياً عن الدخول على الأمير وعن الثناء عليه ، فلو استغنى عن الدخول) عليه **(ولكن إذا دخل يخاف ان لم يثن)** عليه في ماله أو عرضه ، **(فهو نفاق لأنه الذي أحوج نفسه إليه وإن كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه ، فدخل لضرورة الجاه والغنى وأثنى فهو منافق ، وهذا معنى قوله ﷺ « حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل »)** رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف إلا أنه قال : « حب الغنى والمال » وقال : العشب مكان البقل وروى ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي من حديث ابن مسعود « الغني ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل » وعند البيهقي من حديث جابر مثله إلا أنه قال « الزرع » مكان « البقل » وقد تقدم كل ذلـك في كتـاب آداب السماع ، **(لأنـه يحوج إلى الامـراء ومـراعـاتهم)** في أحـوالهم **(ومـراءاتهم فأما إذا ابتلى به لضرورة وخاف أن لم يثن فهو معذور ، فإن اتقاء الشر جائز . قال أبو الدرداء)** رضي الله عنه : **(إنا لنكشر في وجوه أقوام)** أي نظهر لهم الأنس والفرح والضحك

أقوام وان قلوبنا لتلعنهم. وقالت عائشة رضي الله عنها: استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو» ثم لما دخل ألان له القول فلما خرج قلت يا رسول الله: قلت فيه ما قلت ثم ألنت له القول، فقال: «يا عائشة إن شر الناس الذي يكرم اتقاء شره» ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكشر والتبسم. فأما الثناء فهو كذب صراح ولا يجوز إلا لضرورة أو إكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه في آفة الكذب، بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل، فإن فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر فإن لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه.

الآفة الثامنة عشرة: المدح:

وهو منهي عنه في بعض المواضع. أما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات: أربع في المادح، واثنتان في الممدوح.

فأما المادح: فالأولى؛ أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب قال خالد بن معدان: من

والملاطفة، (**وأن قلوبنا لتلعنهم**). أخرجه أبو نعيم في الحلية وقد تقدم. (**وقالت عائشة رضي الله عنها: أستأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال «ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو»**) أو ابن العشيرة، (**فلما دخل ألان القول، فلما خرج قلت: يا رسول الله قلت فيه ما قلت، ثم ألنت له القول. فقال «يا عائشة إن شر الناس الذي يكرم اتقاء لشره»**) وفي رواية شر الناس منزلة يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه اتقاء شره. رواه الشيخان وأبو داود والترمذي وابن أبي الدنيا وقد تقدم في الآفة التي قبلها، (**ولكن هذا ورد في الإقبال وفي الكشر والتبسم، فأما الثناء فهو كذب صريح فلا يجوز إلا لضرورة ألمت أو اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرناه في آفة الكذب، بل لا يجوز الثناء ولا التصديق ولا تحريك الرأس في معرض التقرير على كل كلام باطل، فإن فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي أن ينكر**) بلسانه، (**فإن لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه**) وهذا أضعف الإيمان نسأل الله التوفيق.

الآفة الثامنة عشر المدح:

وهو الثناء باللسان على الصفات الجميلة خلقية كانت أو اختيارية فهو أعم من الحمد ونقيضه الذم، (**وهو منهى عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات أربع في المادح واثنتان في الممدوح.**)

فأما المادح: فهو أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب. قال خالد بن معدان) الكلاعي الحمصي، أبو عبد الله ثقة عابد مات سنة ثلاث ومائة روى له الجماعة: (**من مدح إماماً**) أي

مدح إماماً أو أحداً بما ليس فيه على رؤوس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه.

الثانية: أنه قد يدخله الرياء فإنه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمراً له ولا معتقداً لجميع ما يقوله فيصير به مرائياً منافقاً.

الثالثة: انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه. روي أن رجلاً مدح رجلاً عند النبي ﷺ فقال له عليه السلام: «**ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح**» ثم قال: «**إن كان أحدكم لا بدّ مادحاً أخاه فليقل أحسب فلاناً ولا أزكي على الله أحداً** حسيبه الله إن كان يرى أنه كذلك». وهذه الآفة تتطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة التي تعرف بالأدلة كقوله: إنه متق وورع وزاهد وخيّر وما يجري مجراه، فأما إذا قال: رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج، فهذه أمور مستيقنة، ومن ذلك قوله: إنه عدل رضا فإن ذلك خفي فلا ينبغي أن يجزم القول فيه إلا بعد خبرة باطنه.

سلطاناً (**أو أحداً بما ليس فيه على رؤوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه**). رواه ابن أبي الدنيا عن القاسم بن هاشم، حدثني يحيى بن صالح الوحاظي، حدثني محمد بن أبي جبلة، حدثنا خالد بن معدان فذكره.

(**الثانية: أنه يدخله الرياء فإنه بالمدح مظهر للحب، وقد لا يكون مضمراً له ولا معتقداً لجميع ما يقوله فيصير به مرائياً منافقاً**).

(**الثالثة: أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل إلى الاطلاع عليه. روي أن رجلاً مدح رجلاً عند النبي ﷺ فقال ﷺ «ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح» ثم قال «إن كان أحدكم لا بدّ مادحاً أخاه فليقل أحسب فلاناً ولا أزكي على الله أحداً حسيبه الله إن كان يرى أنه كذلك»**) رواه ابن أبي الدنيا، عن علي بن الجعد، أنبأنا شعبة، عن خالد الحذاء، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه أن رجلاً مدح رجلاً عند النبي ﷺ، فذكره، ورواه أحمد والشيخان، وأبو داود، وابن ماجه من هذا الطريق بلفظ «ويلك قطعت عنق صاحبك من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة فليقل أحسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً حسيبه كذا وكذا ان كان يعلم ذلك منه» وعند الطبراني في الكبير بلفظ «ويحك قطعت عنق أخيك والله لو سمعها ما أفلح ابداً إذا أثنى أحدكم على أخيه فليقل إن فلاناً ولا أزكي على الله أحداً». (**وهذه الآفة تتطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة التي تعرف بالأدلة كقوله: إنه متق وورع وزاهد وخير**) ودين (**وما يجري مجراه، أما إذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج**) وما يجري مجراه (**فهذه أمور مستيقنة، ومن ذلك قوله: إنه عدل ورضا فإن ذلك خفي فلا ينبغي أن**

سمع عمر رضي الله عنه رجلاً يثني على رجل فقال: أسافرت معه؟ قال: لا. قال: أخالطته في المبايعة والمعاملة؟ قال: لا. قال: فأنت جاره صباحه ومساءه؟ قال: لا. فقال: والله الذي لا إله إلا هو لا أراك تعرفه.

الرابعة: إنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز. قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يغضب إذا مدح الفاسق». وقال الحسن: من دعا الظالم بطول البقاء فقد أحب أن يعصي الله تعالى في أرضه والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح.

وأما الممدوح فيضره من وجهين:

أحدهما: انه يحدث فيه كبراً وإعجاباً وهما مهلكان. قال الحسن رضي الله عنه: كان عمر رضي الله عنه جالساً ومعه الدرة والناس حوله إذ أقبل الجارود بن المنذر فقال

يجزم القول) به **(إلا بعد خبرة باطنه. سمع عمر رضي الله عنه رجلاً يثني على رجل فقال: أسافرت معه؟ قال: لا. قال: أخالطته)** أي في المجاورة والمعاملة؟ **(قال: لا. قال: والله الذي لا إله إلا هو لا تعرفه)** رواه ابن أبي الدنيا عن يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن أبي غنية، حدثني أبي قال: سمع عمر رجلاً فذكره، وقد تقدم نحو هذا في كتاب آداب الصحبة والاخوّة.

(الرابعة أنه يفرح الممدوح) بذلك المدح، **(وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز. قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى يغضب إذا مدح الفاسق»)** رواه ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من حديث أنس وفيه أبو خلف خادم أنس ضعيف، ورواه أبو يعلى وابن عدي بلفظ «إذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش» قال الذهبي في الميزان: منكر، وقد تقدم في كتاب آداب الكسب.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(من دعا الظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصي الله في الأرض)** رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن عبد المجيد التميمي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن يونس عن الحسن فذكره دون قوله في الأرض، **(فالظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح)**.

(وأما الممدوح فيضره) المدح **(من وجهين)**.

(أحدهما: أنه يحدث فيه كبراً واعجاباً) بنفسه **(وهما مهلكان. قال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(كان عمر رضي الله عنه قاعداً ومعه الدرة)** بالكسر سوط من جلد، **(والناس حوله إذ أقبل الجارود فقال رجل)** من الحاضرين: **(هذا سيد ربيعة فسمعها**

رجل: هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود، فلما دنا منه خفقه بالدرة، فقال: ما لي ولك يا أمير المؤمنين. قال: ما لي ولك. أما لقد سمعتها. قال: سمعتها فمه. قال: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء فأحببت أن أطأطىء منك.

الثاني: هو أنه إذا أثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن أعجب بنفسه قل تشمره، وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصراً، فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك، ولهذا قال عليه السلام: «قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح». وقال ﷺ: «إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى رميضاً» وقال أيضاً لمن مدح رجلاً: «عقرت الرجل عقرك الله». وقال مطرف: ما سمعت قط ثناء ولا مدحة إلا تصاغرت إلى نفسي. وقال زياد بن مسلم: ليس أحد يسمع

عمر ومن حوله وسمعها الجارود، فلما دنا منه خفقه بالدرة) أي ضربه بها، **(فقال)** الجارود: **(مالي ومالك يا أمير المؤمنين، فقال: ما لي ولك أما لقد سمعتها؟ قال: سمعتها فمه. قال: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء فاحببت ان أطأطيء منك)** رواه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، حدثنا المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: كان عمر قاعداً فذكره قال: وحدثنا خلف بن هشام حدثنا حزم، سمعت الحسن قال: مرَّ عمر بن الخطاب والجارود معه فسمع قائلاً يقول: هذا سيد ربيعة فعلاه بالدرة، فقال: أما انك قد سمعتها.

(الثاني: هو أنه إذا أثني عليه بالخير فرح به وفتر) عن الاجتهاد في الطاعات، **(ورضي عن نفسه. ومن أعجب بنفسه قلَّ تشمره)** في العبادة، **(وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصراً فإذا أطلقت الالسنة بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك)** رفعة المقام، **(ولهذا قال النبي ﷺ)** للذي مدح عنده رجلاً «ويحك **(قطعت عنق صاحبك لو سمعها)** أي لو بلغته وقبلها **(ما أفلح)** لحدوث المهلك» **(وقال ﷺ «إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمررت على حلقه موسى رميضاً»)** بالضاد المعجمة وهو الحديد الماضي. قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية يحي بن جابر مرسلاً.

(وقال) ﷺ **(أيضاً لمن مدح رجلاً «عقرت الرجل عقرك الله»)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً في المرفوع، لكن عن عمر الخطاب من قوله أخرجه حميد بن زنجويه في كتاب الأدب.

قلت: رواه من طريق الثوري: عن عمر بن مسلم، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال: كنا جلوساً عند عمر فاثنى رجل على رجل في وجهه فقال ذلك.

(وقال مطرف) بن عبد الله بن الشخير العامري الحرشي أبو عبد الله الثقة البصري العابد. **(ما سمعت ثناء أو مدحة إلا تصاغرت إلى نفسي)** أخرجه ابن المبارك في الزهد. **(وقال**

ثناء عليه أو مدحة إلا تراءى له الشيطان، ولكن المؤمن يراجع، **فقال ابن المبارك: لقد** صدق كلاهما. أما ما ذكره زياد **فذلك قلب** العوام، وأما ما ذكره مطرف **فذلك قلب** الخواص. وقال ﷺ: «لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيراً له من أن يثني عليه في وجهه». وقال عمر رضي الله عنه: «المدح هو الذبح» **وذلك لأن المذبوح** هو الذي يفتر عن العمل، والمدح يوجب الفتور أو لأن المدح يورث العجب والكبر وهما مهلكان كالذبح، فلذلك شبهه به. فإن سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس، بل ربما كان مندوباً إليه، ولذلك أثنى رسول الله ﷺ على الصحابة فقال: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم لرجح» وقال في عمر: «لو لم أبعث

زياد بن أبي مسلم) أبو عمر الفراء البصري الصفار صدوق **(ليس أحد يسمع ثناء عليه أو مدحه إلاّ تراءى له شيطان، ولكن المؤمن يراجع)** أي يتذكر فيرجع أخرجه ابن المبارك رحمه الله تعالى في الزهد. **(قال ابن المبارك)** رحمه الله تعالى بعد أن أخرج القولين: **(لقد صدقا كلاهما أما ما ذكر زياد فذلك قلب العوام)** قبل أن يكمل نور الإيمان في قلوبهم، **(وأما ما ذكر مطرف فذلك قلب الخواص)** فإنهم لا يزدادون بالمدح إلا تواضعاً وقرباً ولا سبيل للعجب إليهم وعليه يحمل ما رواه الطبراني والحاكم من حديث أسامة بن زيد إذا مدح المؤمن في وجهه ربا الإيمان في قلبه.

(وقال ﷺ «لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف) أي حديد **(كان خيراً له من أن يثني عليه في وجهه»)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

(وقال عمر رضي الله عنه: المدح هو الذبح) رواه ابن أبي الدنيا عن منصور بن أبي مزاحم، حدثنا أبو سعيد المؤدب، عن عبيد الله بن عمر قال: أظنه عن أسلم مولى عمر بن الخطاب عن عمر قال: المدح ذبح، **(وذلك لأن المذبوح هو الذي يفتر)** أي يكسل **(عن العمل)** فلا يتحرك **(والمدح يوجب الفتور أو لأن المدح يورث الكبر والعجب وهو)** أي كل واحد منهما مهلك **(كالذبح، فلذلك شبهه به)** بجامع الهلاك، وقد روي هذا في المرفوع من حديث ابراهيم التيمي مرسلاً. قال النبي ﷺ «ذبح الرجل ان تزكيه في وجهه» رواه ابن أبي الدنيا في الصمت، **(فإن سلم المدح من هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به بأس، بل ربما كان مندوباً إليه، ولذلك أثنى رسول الله ﷺ على الصحابة حتى قال: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالمين لرجح»)** رواه ابن عدي والديلمي من حديث ابن عمر وقد تقدم في كتاب العلم.

(وقال لعمر) رضي الله عنه: **(«لو لم ابعث لبعثت يا عمر»)** قال العراقي: رواه الديلمي من حديث أبي هريرة وهو منكر، والمعروف حديث عقبة بن عامر «لو كان بعدي نبي لكان عمر

لبعثت يا عمر » وأي ثناء يزيد على هذا . ولكنه ﷺ قال عن صدق وبصيرة . وكانوا رضي الله عنهم أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبراً وعجباً وفتوراً ، بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر إذ قال ﷺ : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » أي لست أقول هذا تفاخراً كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم ، وذلك لأن افتخاره ﷺ كان بالله وبالقرب من الله لا بولد آدم وتقدمه عليهم ، كما أن المقبول عند الملك قبولاً عظيماً إنما يفتخر بقبوله إياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعاياه ، وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه . قال ﷺ : « وجبت » لما أثنوا على بعض الموتى . وقال مجاهد : إن لبني آدم جلساء من الملائكة فإذا ذكر الرجل المسلم أخاه المسلم بخير قالت الملائكة : ولك بمثله . وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم

ابن الخطاب » رواه الترمذي وحسنه ، وأخرجه ابن عدي بلفظ « لو لم أبعث فيكم لبعث عمر فيكم » رواه من طريقين في أحدهما عبد الله بن واقد الحراني وهو متروك ، وفي الآخر رشدين بن سعد . وقال : قلب رشدين متنه ، ورواه أيضاً من حديث بلال وفيه زكريا بن يحيي الوقاد وهو كذاب ، **(وأي ثناء يزيد على هذا ولكنه عن صدق وبصيرة وكانوا أجل رتبة من أن يورثهم ذلك)** الثناء **(كبراً أو عجباً أو فتوراً)** قد نزههم الله عن ذلك ، **(بل مدح الرجل نفسه قبيح لما فيه من الكبر والتفاخر)** وهو مظنة الهلاك .

(وقال رسول الله ﷺ « أنا سيد ولد آدم ولا فخر ») رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري والحاكم من حديث جابر وقال : صحيح الإسناد وله من حديث عبادة بن الصامت « أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر » ولمسلم من حديث أبي هريرة « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة » قاله العراقي . **(أي لست أقول هذا تفاخراً كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لأن افتخاره)** ﷺ إنما **(كان بالله وبقربه من الله لا بكونه مقدماً على ولد آدم . كما ان المقبول عند الملك قبولاً عظيماً إنما يفتخر بقبوله إياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض رعايها)** فإنه يرى ذلك كلا شيء عنده بالنسبة إلى مقامه الذي هو فيه ، **(وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين المدح وبين الحث عليه . إذا قال ﷺ وجبت لما اثنوا على بعض الموتى)** قال أنس مروا بجنازة فاثنوا عليه خيراً فقال ﷺ « وجبت ومروا بأخرى فاثنوا عليه شراً فقال وجبت . فقالوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ فقال : من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض » قالها ثلاثا . رواه الطيالسي وأحمد والشيخان والنسائي .

(وقال مجاهد) رحمه الله تعالى **(ان لبني آدم جلساء من الملائكة فإذا ذكر الرجل أخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك بمثله ، وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة : يا ابن آدم المستور**

المستور عورتك: إربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك فهذه آفات المدح.

بيان ما على الممدوح:

اعلم ان على الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور، ولا ينجو منه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال، فإنه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح ولو انكشف له جميع أسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه، وعليه أن يظهر كراهة المدح بإذلال المادح. قال ﷺ: «احثوا التراب في وجوه المادحين». وقال سفيان بن عيينة: لا يضر مدح من

عورته إربع على نفسك واحمد الله إذ ستر عورتك) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن قدامة الجوهري، ومحمد بن عبد المجيد التميمي. وهذا لفظ محمد قالا: حدثنا يحي بن سليم عن إسماعيل ابن كثير عن مجاهد قال فذكره (**فهذه آفات المدح**) فتأملها واعتبر بها.

بيان ما على الممدوح:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن على الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور فإنها**) (**مهلكات، ولا ينجو**) الممدوح (**عنه إلا بأن يعرف نفسه**) بالعجز والقصور، (**ويتأمل في خطر الخاتمة**) فإن خطرها شديد لأنها تضحك على الأعمال (**و**) يتأمل في (**دقائق الرياء**) فإنه من خفي الشرك (**وآفات الاعمال**) وأنه لا يقبل منها إلا ما كان بإخلاص، (**وإنه يعرف من نفسه ما لا يعرف المادح**) فيقول: أنا أعرف بنفسي منك، (**ولو انكشف له جميع أسراره**) وما في باطنه (**وما يجري على خواطره**) مما لا يخلو منه الإنسان (**لكف المادح عن مدحه**) وامتنع من الثناء عليه والتزكية. هذا حال العارفين بالله وإليه الإشارة بقوله: من عرف نفسه فقد عرف ربه، (**وعليه أن يظهر كراهة المدح بإذلال المادح**) إن رأى في ذلك سلامة لحاله أو عدم اكرامه بالبذل له في نظير ما مدحه، ولو بالسكوت عنده والاعراض عنه بوجهه وإدخال كلام آخر أجنبي، كأنه لم يسمع ذلك المدح، وسواء كان ذلك المدح بمنثور من القول أو بمنظوم بأن مدحه بقصيدة والبلاء في هذا أكثر فإن الشاعر يجازف في كلامه كثيراً فإن أكذبه أعذبه فيجمع بين الكذب والمدح، (**وإليه الإشارة بقوله ﷺ «احثوا**) أي إرموا (**في وجوه المداحين**) بصيغة المبالغة إشارة إلى أن الكلام فيمن صدر منه المدح كثيراً حتى اتخذه صناعة وبضاعة يتأكل بها الناس وجازف في الأوصاف وأكثر الكذب (**التراب»**) أي فلا تعطوهم على المدح شيئاً. فالحثو كناية عن الحرمان والرد والتخجيل يقال: حثا في وجهه الرماد إذا أخجله، أو المراد قولوا لهم بأفواهكم التراب، والعرب تستعمل ذلك لمن يكرهونه فيقولون بعينه الاثلب وهي بالكسر والمثلثة الساكنة التراب، وهو كناية عن الذل والخيبة أو المراد أعطوهم ما طلبوا لأن كل ما فوق التراب تراب فشبه الاعطاء بالحثو على سبيل الترشيح

عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال: اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني. وقال آخر لما أثني عليه: اللهم ان عبدك هذا تقرب إليّ بمقتك وأنا أشهدك على مقته. وقال علي رضي الله عنه لما أثني عليه: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما

والمبالغة في التقليل والاستهانة، وبهذا جزم البيضاوي وفيه نظر، وقيل هو على ظاهره فيرمي في وجوههم التراب، وجرى عليه ابن عربي قال: وصورته أن تأخذ كفا من تراب وترمي به بين يديه، وتقول: ما عسى أن يكون من خلق من هذا، ومن أنا وما قدري توبخ بذلك نفسك ونفسه وتعرف المادح قدرك وقدره، وهكذا فليحث التراب في وجوههم قال: وقد كان بعض مشايخنا إذا رأى شخصاً راكباً ذا شـارة تعظمه الناس وينظرون إليه يقول له ولهم تراب راكب على تراب.

قلـت: ويدل لذلك ما رواه ابن أبي الدنيا عن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا الأشجعي، عن سفيان الثوري، عن الأعمش ومنه ءر، عن إبراهيم عن همام بن الحرث قال: قال المقداد بن الأسود: أمرنا رسول الله ﷺ إذا رأينا المداحين أن نحثو في وجوههم التراب، وقد رواه أحمد ومسلم وأبو داود من حديث المقداد بلفظ المصنف، ورواه الترمذي من حديث أبي هريرة، وابن عدي، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر، وعند بعضهم في أفواه بدل وجوه وفي لفظ المادحين بدل المداحين.

تنبيه:

قال بعض الشافعية: وتحرم مجاوزة الحد في الاطراء في المدح إذا لم يمكن حمله على المبالغة وترد به الشهادة إن أكثر منه، وإن قصد إظهار الصنعة. قال العز بن عبد السلام في قواعده: ولا تكاد تجد مداحاً إلا رذلاً ولا هجاء إلا ندلاً. (**قال**) أبو محمد (**سفيان بن عيينة**) بن أبي عمران الهلالي الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة مات في رجب سنة ١٩٨ وله إحدى وتسعون سنة (**لا يضر المدح من عرف نفسه**) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن يحي الواسطي، حدثنا حبان بن صخر بن جويرية، سمعت سفيان بن عيينة يقول: ليس يضر المدح من عرف نفسه، (**وأثني على رجل من الصالحين فقال: اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني**) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحرث المقري حدثنا حماد بن زيد، حدثنا عطاء السلمي قال: سمعت جعفر ابن زيد الضبعي يذكر أن رجلاً مرَّ بمجلس فاثني عليه خير، فلما جاوزهم قال: اللهم إن هؤلاء لم يعرفوني وأنت تعرفني. (**وقال آخر: لما أثني عليه اللهم إن عبدك هذا تقرب إليَّ بمقتك وأنا أشهدك على مقته**) رواه ابن أبي الدنيا عن أحمد بن بجير، حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان عن أبي سنان، عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: أثنى رجل على رجل من المصلين في وجهه فقال: اللهم ان عبدك تقرب فذكره.

(وقال علي كرم الله وجهه لما أثني عليه: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما

يقولون واجعلني خيراً مما يظنون، وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال: أتهلكني وتهلك نفسك؟ وأثنى رجل على علي كرّم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه أنه يقع فيه فقال: أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك.

الآفة التاسعة عشرة في الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام:

لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأمور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ في أمور الدين إلا العلماء الفصحاء، فمن قصر في علم أو فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه لجهله. مثاله ما قال حذيفة. قال النبي ﷺ: «لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت» وذلك لأن في العطف المطلق تشريكاً وتسوية وهو على خلاف الاحترام. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جاء رجل إلى رسول الله

يقولون واجعلني خيراً مما يظنون، وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال: أتهلكني وتهلك نفسك) رواه ابن أبي الدنيا عن أبي يعلى الثقفي، حدثنا أحمد بن يونس، عن ابن شهاب، عن الأعمش، عن الحسن أن رجلاً أثنى على عمر فقال: تهلكني وتهلك نفسك. **(وأثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه، وكان قد بلغه أنه يقع فيه، فقال علي)** رضي الله عنه: **(أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك)** رواه ابن أبي الدنيا عن زياد بن أيوب، حدثنا حفص ابن غياث، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري قال: أثنى رجل على علي في وجهه وقد كان بلغه أنه يقع فيه فقال له علي: انا دون ما قلت وفوق ما في نفسك.

الآفة التاسعة عشر: في الغفلة عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام:

في أثناء المحاورات. **(لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته ويرتبط بأمور الدين فلا يقدر على تقويم اللفظ)** وتعديله **(في أمور الدين إلا العلماء الفصحاء)** العارفون بمواقع الكلام، **(فمن قصر في علم أو فصاحة)** أي لم يحزهما لنفسه **(لم يخل كلامه عن الزلل)** والسقط من حيث لا يدري، **(لكن الله يعفو عنه لجهله مثاله ما قال حذيفة)** بن اليمان رضى الله عنه. **(قال النبي ﷺ «لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت»)** رواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا شعبة، عن منصور، عن عبد الله بن يسار عن حذيفة، عن النبي ﷺ فذكره. وقال العراقي: رواه أبو داود والنسائي في الكبرى بسند صحيح اهـ.

قلت: وفي لفظ لأبي داود والنسائي «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان» ورواه كذلك الطيالسي وأحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه وابن السني والضياء في المختارة، **(وذلك لأن في العطف المطلق)** بالواو **(تشريكاً وتسوية وهو على خلاف الاحترام)** لمقام

ﷺ يكلمه في بعض الأمر فقال: ما شاء الله وشئت. فقال ﷺ: « أجعلتني لله عديلاً ما شاء الله وحده » وخطب رجل عند رسول الله ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال: « قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى » فكره رسول الله ﷺ قوله ومن يعصهما لأنه تسوية وجمع. وكان إبراهيم يكره أن يقول الرجل

الربوبية بخلاف العطف بثم. قال صاحب المصباح. ثم حرف عطف وهي للمفردات للترتيب بمهلة. وقال الأخفش هي بمعنى « الواو » واستعملت فيما لا ترتيب فيه نحو: والله لأفعلن كذا وتقول وحياتك ثم وحياتك لأقومن، وأما في الجمل فلا يلزم الترتيب، بل قد تأتي بمعنى الواو نحو قوله تعالى ﴿ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ [يونس: ٤٦] أي والله شاهد على تكذيبهم وعنادهم، فإن شهادة الله غير حادثة ومثله ثم كان من الذين آمنوا.

(**وقال ابن عباس**) رضي الله عنهما: (**جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فكلمه في بعض الأمر فقال: ما شاء الله وشئت. فقال ﷺ « اجعلتني لله عدلاً قل ما شاء الله وحده »**) رواه ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن صالح، حدثنا المحاربي، عن الأجلح، عن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس قال: جاء رجل فساقه. وقال العراقي: رواه النسائي في الكبرى وابن ماجه باسناد حسن اهـ.

قلت: وروى سمويه في فوائده والضياء المقدسي من حديث جابر بن سمرة بلفظ « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد » ورواه كذلك الخطيب في المتفق والمفترق وابن النجار من حديث الطفيل بن سخبرة. روى الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود « قولوا ما شاء الله ثم شئت » وروى ابن سعد في الطبقات، والطبراني من طريق مسعر، عن معبد بن خالد الجدلي، عن عبد الله بن يسار، عن قتيلة امرأة من جهينة قالت: جاء يهودي. وفي رواية ابن سعد حبر من الأحبار إلى النبي ﷺ فقال: « إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ أن يقولوا ورب الكعبة وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئت، قال ابن سعد ليس لها غير هذا الحديث، وأخرجه ابن منده من طريق المسعودي عن معبد بن يسار عن قتيلة بنت صيفي الجهنية.

(**وخطب رجل عند رسول الله ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال**) لا تقل هكذا (**قل**) من يطع الله ورسوله فقد رشد، (**ومن يعص الله ورسوله فقد غوى**) رواه ابن أبي الدنيا عن علي بن الجعد، أنبأنا ابن عيينة عن المغيرة، عن إبراهيم قال: خطب رجل فساقه. وقال العراقي: رواه مسلم من حديث عدي بن حاتم. (**وكره قوله ومن يعصهما لأنه تسوية وجمع**) أي ذكرهما في حيز واحد. هذا هو المشهور واختلف في ذلك فقيل: كان ذلك في أوّل الإسلام ثم لما شاع وانتشر وكمل نور الإيمان أبيح ذلك كما ذكره شراح الشفاء وتقدم البحث في ذلك. وقال بعضهم: ولعل الأوجه أن يقال العدول عن الاسمين

أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بـك، وأن يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان. وكره بعضهم أن يقال: اللهم أعتقنا من النار وكان يقول العتق يكون بعد الورود. وكانوا يستجيرون من النار ويتعوّذون من النار. وقال رجل: اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد ﷺ، فقال حذيفة: إن الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون شفاعة للمذنبين من المسلمين. وقال ابراهيم: إذا قال الرجل للرجل يا حمار يا

الكريمين غير لائق وإن كان المقام يقتضي الضمير اختصاراً، ولهذا ورد في كثير من القرآن: ومن يطع الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله، ولله در القائل:

أعـد ذكـر نعمان لنـا ان ذكـره　　　هـو المسـك مـا كـررتـه يتضـوّع

(وكان إبراهيم) النخعي **(يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز)** أي يرى جائزاً **(أن يقال: أعوذ بالله ثم بك و)** يجوز **(أن يقول: لولا الله ثم فلان، ولا يقول لولا الله وفلان)** رواه ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن ابـن صالح، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى التيمي، حدثنا مغيرة قال: كان إبراهيم يكره أن يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويرخص ان يقول أعوذ بالله ثم بك، ويكره أن يقول لولا الله وفلان ويرخص ان يقول لولا الله ثم فلان.

(وكره بعضهم أن يقول) الرجل في دعائه: **(اللهم اعتقنا من النار، وقالوا)** في توجيه ذلك إن **(العتق)** إنما **(يكون بعد الورود، وكانوا يستجيرون من النار ويتعوّذون من النار)** رواه ابن أبي الدنيا عن هارون بن عبد الله، حدثنا سيار، حدثنا جعفر، حدثنا أبو عمران الجوني قال: ادركت أربعة من أفضل ما أدركت فكانوا يكرهون أن يقولوا: اللهم اعتقنا من النار، ويقولون: إنما يعتق منها من دخلها وكانوا يقولون: نستجير بالله من النار ونعوذ بالله من النار.

قلـت: وهذا من جلة الدقائق فإن أراد القائل بالعتق العصمة والحفظ أو ما يجري مجراه فلا أرى بأساً في الإطلاق فقد اشتهر الدعاء بمثل ذلك من غير نكير.

(وقال رجل: اللهم اجعلني ممن تصيبه شفاعة محمد) ﷺ، **(فقال حذيفة)** رضي الله عنه: **(إن الله يغني المؤمنين عن شفـاعـة محمد)** ﷺ **(وتكـون شفـاعتـه للمـذنبين مـن المسلمين)** رواه ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن صالـح، حـدثنـا المحـاربي، عـن أبي مـالـك الأشجعي، عن ربعي، عن حذيفة قال: قال رجل فذكره.

وروي أيضاً عن حمدون بن سعد، حدثنا النضر بن إسماعيل، عن أبي طالب، عن عمار الدهني، عن أبي جعفر قال: سمع علي امرأة تقول: اللهم ادخلني في شفاعة محمد. قال: إذاً تمسك النار، وهذا أيضاً من الدقائق: وإذا أراد بشفاعته رفعة المنزلة له فوق منزلته فلا أرى بذلك بأساً.

(وقال إبراهيم) النخعي: **(إذا قال الرجل للرجل: يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة**

خنزير ! قيل له يوم القيامة : حماراً رأيتني خلقته خنزيراً رأيتني خلقته . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : إن أحدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه فيقول : لولاه لسرقنا الليلة . وقال عمر رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » . قال عمر رضي الله عنه : فوالله ما حلفت بها منذ

حماراً رأيتني خلقته خنزيراً رأيتني خلقته) رواه ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن صالح ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن الأعمش ، عن إبراهيم قال : إذا قال الرجل فذكره . قال : وحدثنا أحمد ابن منيع ، حدثنا محمد بن حازم ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم قال : إذا قال الرجل لأخيه : يا خنزير قال الله له يوم القيامة تراني خلقته خنزيراً . قال : وحدثنا سعيد بن سليمان عن أبي حفص الأبار ، عن الأعمش ، عن حكيم بن جبير ، عن ابن عباس أن موسى عليه السلام كان في نفر من بني إسرائيل فقال : إشربوا يا حمير فأوحى الله إليه تقول لخلق من خلقي خلقتهم اشربوا يا حمير .

(وعن ابن عباس) رضي الله عنه قال : **(إن أحدكم يشرك بالله حتى يشركه بكلبه يقول : لولاه لسرقنا الليلة)** رواه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إسماعيل ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا ابن أبي خالد عن مولى لابن عباس عن ابن عباس أحسب هكذا قال أن أحدكم فساقه .

(وقال عمر) رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم » . قال عمر)** رضي الله عنه : والله ما حلفت بها منذ سمعتها . رواه أبي الدنيا ، عن خالد بن خداش ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أنبأنا يونس عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال : سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ فذكره وفيه : ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ ينهي عنها . وقال العراقي : متفق عليه .

قلت : ورواه كذلك أحمد وابن عدي .

وروى أحمد وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي من حديث ابن عمر : « لا تحلف بابيك ولا تحلف بغير الله فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك » ورواه ابن ماجه والبيهقي أيضاً « لا تحلفوا بآبائكم من حلف بالله فليصدق » الحديث . ورواه البخاري والنسائي بلفظ « لا تحلفوا بآبائكم » وزاد الحاكم « من حلف بشيء دون الله فقد أشرك » .

وفي الباب أبو هريرة ولفظ حديثه « لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون » رواه أبو داود والنسائي والبيهقي وابن حبان وعبد الرحمن بن سمرة ، ولفظ حديثه « لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت » رواه أحمد والنسائي وابن ماجه عن سمرة ابن جندب ولفظ حديثه « لا تحلفوا بالطواغيت ولا تحلفوا بآبائكم واحلفوا بالله فإنه أحب إليه أن تحلفوا به ولا تحلفوا بشيء من دونه » رواه الطبراني في الكبير عن حبيب بن سليمان بن سمرة عن أبيه عن جده ، وروى عبد الرزاق في المصنف عن قتادة مرسلاً « لا تحلفوا بالطواغيت ولا بآبائكم ولا بالأمانة » .

سمعتها. وقال ﷺ: «لا تسموا العنب كرماً إنما الكرم الرجل المسلم» وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: «لا يقولن أحدكم عبدي ولا أمتي كلكم عبيدالله وكل نسائكم إماء الله وليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي وليقل سيدي وسيدتي فكلكم عبيد والرب الله سبحانه وتعالى»، وقال ﷺ: «لا تقولوا

(**وقال ﷺ «لا تسموا العنب الكرم إنما الكرم الرجل المسلم»**) وذلك لأن هذه اللفظة تدل على كثـرة الخير والمنافع في المسمى بها، والرجل المسلم هو المستحق لذلك دون شجرة العنب، وهل المراد النهي عن تخصيص شجرة العنب بهذا الاسم وأن المسلم أولى به من تسميته بالكرم كما قال في المسكين والرقوب والمفلس، أو المراد أن تسميته بها مع اتخاذ الخمر المحـرم منه وصف بالكرم والخير لأصل هذا الشراب الخبيث المحرم، وذلك ذريعة إلى مدح المحرم وتهييج النفوس إليه محتمل، رواه ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ فذكره. وقال العراقي: هو متفق عليه من حديث وائل بن حجر.

قلـت: وفي رواية لمسلم «لا تقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة» وفي المتفق عليه من حديث أبي هريرة «لا تسموا العنب الكرم ولا تقولوا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر» وعند ابن عساكر بلفظ «لا تسموا العنب الكرم فإن الكرم المؤمن». وعند أحمد ومسلم «لا يقولن أحدكم للعنب الكرم فإنما الكرم قلب المؤمن» وعند أبي داود والبيهقي «لا يقولن أحدكم الكرم فإن الكرم الرجل المسلم ولكن قولوا حدائق الاعناب».

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه (**قال رسول الله ﷺ «لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي ولا يقولن المملوك ربي وربتي ولكن سيدي وسيدتي فكلكم عبيد والرب الله سبحانه وتعالى»**) قال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا هاشم بن الوليد، حدثنا النضر بن شميل، عن عوف، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لا يقولن أحدكم عبدي ولا أمتي وليقل فتاي وفتاتي ولا يقل المملوك ربي ولا ربتي ولكن سيدي وسيدتي كلكم عبيد والرب الله» ثم قال: وحدثني يحي بن أيوب، حدثنا إسماعيل بن جعفر، أنبأنا العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لا يقل أحدكم عبدي أمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي» وقال العراقي: هو متفق عليه من حديث أبي هريرة.

قلـت: لفظهما لا يقل أحدكم اطعم ربك وضيء ربك واسق ربك ولا يقل أحد ربي وليقل سيدي ومولاي ولا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتـاتي وغلامـي» وكـذلـك رواه أحمد. وفي لفـظ مسلم «لا يقولن أحدكم عبدي فكلكم عبيد الله ولكن ليقل فتاي ولا يقل العبد ربي ولكن ليقل سيدي».

للفاسق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم » ، وقال ﷺ : « من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقاً فهو كما قال ، وإن كان كاذباً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً » ، فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره .

ورواه أبو داود وابن السني في اليوم والليلة بلفظ « لا يقولن أحدكم عبدي أو أمتي ولا يقولن المملوك ربي وربتي وليقل المالك فتاي وفتاتي وليقل المملوك سيدي وسيدتي فإنكم المملوكون والسيد الله عز وجل » . ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بلفظ « لا يقولن أحدكم عبدي وليقل فتاي ولا يقل العبد مولاي وليقل سيدي » وفي لفظ له « لا يقولن أحدكم عبدي فكلكم عبد ولا يقولن أحدكم مولاي فإن مولاكم الله ولكن ليقل سيدي » .

(وقال ﷺ : « لا تقولوا للمنافق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم ») رواه ابن الدنيا عن عبد الرحيم بن عيسى الإبلي ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي عن قتادة عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه أن النبي ﷺ قال : « لا تقولوا » فساقه . وقال العراقي : رواه أبو داود من حديث بريدة بسند صحيح .

قلت : ورواه كذلك أحمد والنسائي والروياني وابن السني والبيهقي والضياء المقدسي كلهم من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه .

(وقال رسول الله ﷺ : « من قال أنا بريء من الإسلام فإن كان صادقاً فهو كما قال وإن كان كاذباً فلن يرجع إلى الإسلام سالماً) قال العراقي : رواه النسائي وابن ماجه من حديث بريدة بإسناد صحيح اهـ .

قلت : ورواه كذلك الحاكم وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا علي بن الحسن ، حدثنا الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال إني » فذكره . ولكن لفظ الجماعة : « لم يعد إلى الإسلام صادقاً » .

(فهذا وأمثاله مما يدخل في الكلام ولا يمكن حصره) فمن ذلك ما رواه مسلم من حديث ابن مسعود : « لا يقل أحدكم نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي » وعند الطبراني : « لا يقولن أحدكم نسيت آية كيت وكيت فإنه ليس هو نسي ولكنه نسي » وروي الطبراني في الكبير من حديث واثلة : « لا يقولن أحدكم أهرقت الماء ولكن ليقل أبول » ورواه الحسن محمد بن علي بن صخر الأزدي في مشيخته وابن النجار من حديث أبي هريرة بلفظ : « لا يقول أحدكم أهريق الماء » والباقي سواء .

وروى ابن أبي شيبة في المصنف من حديث أبي هريرة : « لا يقل أحدكم اغفر لي إن شئت وليعزم المسألة فإنه لا مكره له » ورواه مالك وأحمد والشيخان وأبو داود والترمذي وابن ماجه بزيادة : « اللهم ارحمني إن شئت اللهم ارزقني إن شئت » وفيه فإنه يفعل ما يشاء لا مكره له . وروى

....

ابن ماجة من حديث ابن عباس: « لا يقولن أحدكم إني صرورة » وروى الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة: « لا يقولن أحدكم اللهم لقني حجتي فإن الكافر يلقن حجته ولكن ليقل اللهم لقني حجة الإيمان عند الممات » وروى أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي وابن السني في اليوم والليلة من طرق عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه مرفوعاً: « لا يقولن أحدكم جيشت نفسي ولكن ليقل لقست نفسي » ورواه البيهقي من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري عن أبي أمامة ولم يذكر أباه، ورواه النسائي أيضاً من طريق سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة. ورواه أحمد والشيخان من طريق سفيان عن هشام عن أبيه عن عائشة، ورواه الطبراني من طريق قرة بن عبد الرحمن عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه ورواه الدارقطني في الإفراد من حديث أبي هريرة. ورواه أبو داود من حديث عائشة بلفظ: « لا يقولن أحدكم جاشت نفسي ولكن ليقل لقست نفسي » وروى أحمد وأبو داود والنسائي والطبراني والبيهقي من حدبث أبي بكرة: « لا يقولن أحدكم إني صمت رمضان كله وقمته ».وروى تمام وابن عساكر من حديث عبد الله بن عمرو: « ولا يقولن أحدكم صمت رمضان وقمت رمضان لاصنعت في رمضان كذا فإن رمضان اسم من أسماء الله العظام. ولكن قولوا شهر رمضان كما قال ربكم في كتابه » ورواه ابن عدي وأبو الشيخ والبيهقي وضعفه والديلمي من حديث أبي هريرة: « لا تقولوا رمضان فإن رمضان إسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان » وفي حديث أبي المليح عن أبيه رفعه: « لا تقل تعسني الشيطان فإنه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتي صرعته ولكن قل بسم الله فإنك إذا قلت ذلك تصاغر حتى يصير مثل الذباب فيمن عثر » رواه أحمد وأبو يعلى والباوردي والطبراني وابن السني في اليوم والليلة والدارقطني في الإفراد والحاكم، ورواه أحمد أيضاً والبغوي والبيهقي عن أبي تميمة الهجيمي عن رديف رسول الله ﷺ، وعن أبي جري جابر بن سليم الهجيمي مرفوعاً: لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الموتى، ولكن قل السلام عليك. رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح والنسائي والطبراني والحاكم والبيهقي والضياء. وروى الطبراني من حديث عبد الله بن مغفل: لا تقولوا للعشاء العتمة. فإن الأعراب يسمونها العتمة. وروى البيهقي وضعفه من حديث أنس، لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران وسائر القرآن، ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة والسورة التي يذكر فيها آل عمران، والقرآن على نحو هذا.

وروى الطبراني في الأوسط والبزار وأبو نعيم في الحلية والبيهقي وضعفه من حديث أبي هريرة: « لا يقولن أحدكم زرعت ولكن ليقل حرثت ».

وروى مسلم من حديث أبي هريرة: « لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر » وروي الطبراني في كتاب السنة من حديث أبي هريرة، والخطيب من حديث ابن عمر: « لا يقولن أحدكم لأخيه قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته ».

ومن تأمل جميع ما أوردناه من آفات اللسان علم انه إذا أطلق لسانه لم يسلم، وعند ذلك يعرف سر قوله ﷺ « من صمت نجا » لأن هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب،

فصل

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من طريق ليث عن مجاهد أنه كان يكره أن يقول: اللهم ادخلني في مستقر رحمتك فإن مستقر رحمته نفسه ومن طريق أيوب عن محمد بن سيرين أن رجلاً شهد عند شريح فقال: أشهد بشهادة الله، فقال له شريح لا تشهد بشهادة الله، ولكن اشهد بشهادتك فإن الله لا يشهد إلا على حق ومن طريق ليث عن مجاهد أنه كره أن يقول للميت استأثر الله به. ومن طريق مغيرة عن إبراهيم قال: كان يكره أن يقول لعمر والله لا بحمد الله وعن القاسم ابن مخيمرة قال: لأن أحلف بالصليب أحب إليّ من أن أحلف بحياة رجل. وعن العلاء بن المسيب عن أبيه عن كعب قال: إنكم تشركون في قول الرجل كلا وأبيك كلا والكعبة كلا وحياتك وأشباه هذا احلف بالله صادقاً أو كاذباً ولا تحلف بغيره. ومن طريق حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « من حلف منكم باللات فليقل لا إله إلا الله ومن قال لأخيه تعالى أقامرك فليتصدق ». ومن طريق مسعر عن سماك الحنفي أنه سمع ابن عباس يكره أن يقول الرجل إني كسلان. ومن طريق المسعودي عن عون بن عبد الله قال: لا تقولوا أصبحنا وأصبح الملك لله، ولكن قولوا أصبحنا والملك لله والحمد لله، وعنه أيضاً قال: لا يقولن أحدكم نعم الله بك عينا، فإن الله لا ينعم بشيء، ولكن ليقل أنعم الله بك عينا فإنما أنعم أقر. ومن طريق غيلان بن جرير عن مطرف قال: لا تقل إن الله يقول، ولكن قل إن الله قال واحدهم يكذب مرتين إذا سئل من هذا قال لا شيء إلا شيء أليس بشيء. وعن مطرف أنه كان يكره أن يقول أحدهم للكلب اللهم أخزه. وعن خناس بن سحيم قال: أقبلت مع زياد بن جدير من الكناسة فقتل في كلامي والأمانة، فجعل زياد يبكي فظننت إني أتيت أمراً عظيماً، فقلت: أكان يكره ما قلت؟ قال: نعم. كان عمر ينهانا عن الحلف بالأمانة أشد النهي. وعن يحيى بن مطرف قال: قلت لعيسى ابن بابان أقعد إلى هؤلاء القوم ساعة. قال: وما يدريك وما قدر ساعة؟ قلت: هنية. قال: هكذا فقل. قال: وقال لي عيسى يوماً أدخل فانظر فلاناً هل تراه في المسجد، فدخلت وخرجت وقلت: ليس في المسجد أحد. قال: لا تقل هكذا قل لم أر في المسجد أحداً. هكذا فقل. ومن طريق عبد الرحمن بن عمر بن حفص عن ربيعة بن عطاء قال: قلت عن القاسم بن محمد قاتل الله محمد بن يوسف ما أجرأه على الله. قال: هو أذل والأم من أن يجتريء على الله، ولكنها الغرة الغرة قل ما أغره بالله. ومن طريق المسعودي عن عون بن عبد الله قال: لا يقل الرجل إذا سئل عن الرجل ليس لي به عهد حتى يقول مذ لم أره.

(ومن تأمل جميع ما أوردناه من آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم) من تلك الآفات كلها أو بعضها، **(وعند ذلك يعرف سر قوله ﷺ: « من صمت نجا »)** وقد تقدم

وهي على طريق المتكلم فإن سكت سلم من الكل وإن نطق وتكلم خاطر بنفسه إلا أن يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام، فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم. فالسلامة إحدى الغنيمتين.

الآفة العشرون: سؤال العوام عن صفات الله تعالى:

وعن كلامه وعن الحروف وأنها قديمة أو محدثة ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن إلا أن ذلك ثقيل عن النفوس والفضول خفيف على القلب، والعامي يفرح بالخوض في العلم إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء وأهل الفضل ولا يزال يحبب إليه ذلك حتى يتكلم في العلم بما هو كفر، وهو لا يدري. وكل كبيرة يرتكبها العامي فهي

قريباً في أول هذا الكتاب، **(لأن هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على طريق المتكلم)** لا ينفك عنها، **(فإن سكت سلم من الكل وإن تكلم خاطر بنفسه إلا أن يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع حافظ)** يحجزه عن التعثر في السقطات **(ومراقبة)** في القلب للحق **(لازمة)** لا تنفك عنه، **(وتقلل في الكلام)** وتحفظ في المنطق، **(فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر)** والإشراف على الهلاك، **(فإن كنت لا تقدر على أن تكون ممن تكلم فغنم)** بنتيجة كلامه، **(فكن ممن سكت فسلم)** من آفاته. **(فالسلامة)** من المكروهات **(إحدى الغنيمتين)** روى ابن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب من مرسل الحسن: « رحم الله عبداً تكلم فغنم أو سكت فسلم » ورواه العسكري في الأمثال عن الحسن عن أنس، ورواه البيهقي أيضاً عن ثابت عن أنس، ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق بلفظ: « رحم الله عبداً قال فغنم أو سكت فسلم » رواه عن الحسن مرسلاً. ورواه أبو الشيخ في الثواب من حديث أبي أمامة بلفظ الخرائطي.

الآفة العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى:

(وعن كلامه وعن الحروف وإنها قديمة أو حادثة) وما يجري مجراه كسؤالهم عن الإيمان هل هو مخلوق أو غير مخلوق، **(ومن حقهم الاشتغال بالعمل بما في القرآن)** من الأوامر والنواهي **(إلا أن ذلك ثقيل على النفوس)** لا تستمر به **(والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بأن يخوض في العلم إذ الشيطان يخيل إليه أنك من العلماء)** الكمل وأهل الفضل، **(فلا يزال يحبب إليه ذلك حتى)** يوقفه على دهليز الكفر، وربما **(يتكلم بما هو كفر)** والعياذ بالله فينسل من الدين، **(وهو لا يدري)** ولا يشعر، **(وكل كبيرة يرتكبها العامي**

أسلم له من أن يتكلم في العلم لا سيا فيا يتعلق بالله وصفاته، وإنما شأن العوام والاشتغال بالعبادات والإيمان بما ورد به القرآن والتسليم بما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادات سوء أدب منهم يستحقون به المقت من الله عز وجل ويتعرضون لخطر الكفر، وهو كسؤال ساسة الدواب عن أسرار الملوك وهو موجب للعقوبة. وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم، فإنه بالإضافة إليه عامي، ولذلك قال ﷺ: «ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم».

فهي أسلم له من أن يتكلم في العلم) لعدم أهليته، **(لا سيا فيا يتعلق بالله وصفاته وإنما شأن العوام الاشتغال بالعبادات)** الظاهرة، **(والإيمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل)** عليهم السلام **(من غير بحث)** ولا تنقير، فهذا أفضل أحوالهم وأعظم أعمالهم **(وسؤالهم عن غير ما يتعلق بالعبادة سوء أدب منهم يستحقون به المقت من الله تعالى)** والبعد عن ساحة حضرته، **(ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال ساسة الدواب)** جمع سائس، وهو الذي يتعاهد الدواب في خدمتها ومراعاة أحوالها **(عن أسرار الملوك)** الباطنة **(وهو موجب للعقوبة)** والنكال. **(وكل من سأل عن علم غامض)** أي دقيق **(ولم يبلغ فهمه تلك الدرجة فهو مذموم)** وفساده أكثر من صلاحه، **(فإنه بالإضافة إليه عامي، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «ذروني»)** أي اتركوني من السؤال **(ما تركتكم)** أي مدة تركي إياكم من الأمر بالشيء والنهي عنه، فلا تتعرضوا لي بكثرة البحث عما لا يعنيكم في دينكم مهما أنا تارككم لا أقول لكم شيئاً، فقد يوافق ذلك إلزاماً وتشديداً وخذوا بظاهر ما أمرتكم ولا تستكشفوا كما فعل أهل الكتاب، ولا تكثروا من الاستقصاء فيما هو مبين بوجه ظاهر وإن صلح لغيره لا مكان أن يكثر الجواب المرتب عليه فيضاهي قصة بقرة بني إسرائيل شددوا فشدد عليهم، فخاف وقوع ذلك بأمته ومن ثم علله بقوله: **(فإنما هلك من كان قبلكم)** من أمم الأنبياء **(بسؤالهم)** إياهم عما لا يعنيهم. وفي رواية بكثرة سؤالهم **(واختلافهم على أنبيائهم)** ولما كان الأمر كذلك تسببوا لتفرق القلوب ووهن الدين واستوجبوا به المحن والبلايا، والمفهوم من السياق النهي عن السؤال والاختلاف، فإن قيل: السؤال مأمور به بنص فاسألوا أهل الذكر، فكيف يكون الشيء مأموراً منهياً.

قلت: إنما هو مأمور فيما يأذن المعلم في السؤال عنه، وهو الذي يعنيه في دينه أو دنياه والمنهي عنه هو السؤال الذي يكثر به النزاع والخصومات وفيما لا يعني من الفضول.

(ما نهيتكم عنه فاجتنبوه) أي دائماً على كل تقدير ما دام منهياً عنه حتماً في الحرام وندباً في المكروه إذ لا يمتثل مقتضى النهي إلا بترك جميع جزئياته وإلا صدق عليه أنه عاص أو مخالف **(وما أمرتكم به فأتوا منه)** وجوباً في الواجب وندباً في المندوب **(ما استطعتم»)** لأن فعله هو

وقال أنس: سأل الناس رسول الله ﷺ يوماً فأكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر وقال: « سلوني ولا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به » فقام إليه رجل فقال يا رسول الله: من أبي؟ فقال: « أبوك حذافة » فقام إليه شابان أخوان فقالا: يا رسول الله من أبونا؟ فقال: « أبوكما الذي تدعيان إليه » ثم قام إليه رجل آخر فقال: يا رسول الله أفي الجنة أنا أم في النار؟ فقال: « لا بل في النار » فلما رأى الناس غضب رسول الله ﷺ أمسكوا فقام إليه عمر رضي الله عنه فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، فقال: « اجلس يا عمر رحمك الله انك ما علمت لموفق ».

إخراجه من العدم إلى الوجود، وذلك يتوقف على شرائط وأسباب كالقدرة على الفعل ونحوها وبعضه يستطاع وبعضه لا، فلا جرم سقط التكليف بما لا يستطاع إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وبدلالة الموافقة له يخص عموم ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة.

قلت: رواه البخاري في الاعتصام بنحوه، ورواه مسلم بلفظ بكثرة سؤالهم، وفيه: فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه، وكذا رواه الشافعي وأحمد والنسائي وابن ماجه. ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ: « فإنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم » وفيه: « فاجتنبوه ما استطعتم » ورواه ابن حبان بنحوه وعند بعضهم قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكره.

(وقال أنس) رضي الله عنه **(سأل الناس رسول الله ﷺ يوماً حتى أكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال: « سلوني فلا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به » فقام إليه رجل)** هو عبد الله **(فقال: يا رسول الله ﷺ من أبي: فقال: « أبوك حذافة »)** هو ابن قيس ابن عدي بن سعيد بن سهم القرشي، وعبد الله ابنه هذا يكنى أبا حذافة، وقيل: أبو حذيفة وأمه بنت خرثان من بني الحرث بن عبد مناف من السابقين الأولين مات بمصر في خلافة عثمان **(فقام إليه شابان اخوان فقالا: يا رسول الله من أبونا؟ فقال: « أبوكما الذي تدعيان »)** أي تنتسبان **(إليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله أفي الجنة أنا أو في النار؟ قال: لا بل في النار » فلما رأى الناس غضب رسول الله ﷺ امسكوا)** عن السؤال **(فقام إليه عمر)** رضي الله عنه **(فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، فقال)** ﷺ **(« اجلس يرحمك الله إنك ما علمت لموفق »)** قال العراقي: متفق عليه مقتصراً على سؤال عبد الله بن حذافة وقول عمر، ولمسلم من حديث أبي موسى فقام آخر فقال: من أبي؟ قال: أبوك مولى شيبة اهـ.

قلت: هو في الصحيح من حديث الزهري عن أنس أن رسول الله ﷺ خرج حين زالت

وفي الحديث نهى رسول الله ﷺ عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال. وقال ﷺ: «يوشك الناس يتساءلون حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك فقولوا ﴿قل هو الله أحد ★ الله الصمد﴾ [الاخلاص: ١، ٢] حتى تختموا السورة، ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم. وقال جابر: ما نزلت آية المتلاعنين إلا لكثرة السؤال. وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه إذ قال: ﴿فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ [الكهف: ٧٠] فلما سأل عن السفينة أنكر عليه حتى اعتذر وقال: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت

الشمس فصلى الظهر، فلما سلم قام على المنبر وقال: «من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أجبتكم به ما دمت في مقامي هذا» قال: فسأله عبد الله بن حذافة، فقال: من أبي؟ قال: «أبوك حذافة» الحديث.

(**وفي الحديث نهي رسول الله ﷺ عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال**) متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة.

(**وقال ﷺ: «يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا قد خلق الله الخلق فمن خلق الله؟ فإذا قالوا ذلك فقولوا الله أحد حتى تختموا السورة ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم»**) متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم قاله العراقي.

قلت: وهذا السياق أشبه بسياق أبي داود، يوشك الناس يتساءلون حتى يقول قائلهم هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله عز وجل فإذا قالوا ذلك فقولوا الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان». ورواه ابن السني كذلك في عمل اليوم والليلة.

(**وقال جابر**) رضي الله عنه: (**ما نزلت آية التلاعن إلا لكثرة السؤال**) قال العراقي: رواه البزار بسند جيد. (**وفي قصة موسى والخضر**) عليهما السلام (**تنبيه على المنع من السؤال قبل أوان استحقاقه إذ قال: ﴿فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء﴾**) أي فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء أنكرته مني ولم تعلم وجه صحته (**﴿حتى أحدث لك منه ذكراً﴾**) أي حتى أبتدئك ببيانه، فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى إذا ركبا في السفينة أخذ الخضر فأساً فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها فلم يصبر موسى عليه السلام، (**فلما سأل عن السفينة**) وقال له أخرقتها لتغرق أهلها فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي إلى غرق أهلها (**أنكر عليه**) وقال له: ﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾ أي أمراً عظيماً فذكره الخضر بقوله، (**حتى اعتذر وقال ﴿لا تؤاخذني بما نسيت**) أي بالذي نسيته يعني وصيته بأن لا يعترض عليه أو بنسياني إياها وهو اعتذار بالنسيان أخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها، (**ولا ترهقني من أمري**

ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ [الكهف: ٧٣] فلما لم يصبر حتى سأل ثلاثاً قال: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ [الكهف: ٧٨] وفارقه.

فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب دفعهم ومنعهم من ذلك وخوضهم في حروف القرآن يضاهي حال من كتب الملك إليه كتاباً ورسم له فيه أموراً، فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث، فاستحق بذلك العقوبة لا محالة، فكذلك تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهي قديمة أم حديثة؟ وكذلك سائر صفات الله سبحانه وتعالى والله تعالى أعلم.

عسراً﴾) بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فإن ذلك يعسر على متابعتك وعسراً مفعول ثان لترهق فإنه يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه، (**فلما لم يصبر حتى سأل ثالثاً**) الأول عن السفينة، والثاني عن قتل الغلام والثالث: عن إقامة الجدار (**قال: ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾**) الإشارة إلى الفراق الموعود بقوله: فلا تصاحبني أو إلى الاعتراض الثالث أو الوقت (**وفارقه**)، وكان ما كان مما هو مذكور في القرآن.

(**فسؤال العوام عن غوامض الدين من أعظم الآفات وهو من المثيرات للفتن فيجب زمهم**) أي كفهم، (**ومنعهم عن ذلك**) وليس المراد بالعوام السوقية والأجلاف من أهل السواد فقط، بل في معنى العوام الأديب والنحوي والمحدث والمفسر والفقيه والمتكلم، بل كل عالم سوى المتجردين لعلم السباحة في بحار المعرفة القاصرين أعمارهم عليه الصارفين وجوههم عن الدنيا والشهوات المعرضين عن المال والجاه والخلق وسائر اللذات المخلصين لله تعالى في العلوم والأعمال القائمين بجميع حدود الشريعة وآدابها في القيام بالطاعات، وترك المنكرات المفرغين قلوبهم بالجملة عن غير الله المستحقرين للدنيا، بل للآخرة في جنب محبة الله تعالى. فهؤلاء هم أهل الغوص في بحر المعرفة وهم مع ذلك كله على خطر عظيم يهلك من العشرة تسعة إلى أن يسعد واحد منهم بالدر المكنون والسر المخزون، (**وخوضهم**) أي أولئك العوام ومن في معناهم (**في حروف القرآن يضاهي اشتغال من كتب إليه الملك كتاباً رسم له فيه أموراً فلم يشتغل بشيء منها وضيع زمانه في أن قرطاس الكتاب عتيق أم حديث، فاستحق بذلك العقوبة لا محالة فكذا تضييع العامي حدود القرآن واشتغاله بحروفه أهي قديمة أم حادثة وكذلك سائر صفات الله تعالى**) فإن اتفق سؤال مثل ذلك فيجب على العارف منع السائل عن مثله، وليبين أنه بدعة. وقد نهينا عن الخوض في مثل ذلك وإن لم يجد بداً من الخوض معه في مثله، فليقل له: ماذا تعني في سؤالك فإن أردت شيئاً من القرآن ومن صفات الله تعالى فجميع صفات الله قديمة، وإن أردت شيئاً من صفات الخلق فجميع صفاتهم مخلوقة، فإن أردت ما ليس صفة للخلق ولا صفة للخالق فهو غير مفهوم ولا مقصود وما لا يفهم ولا يتصور ذاته. كيف يفهم حكمه في القدم والحدوث

والأصل زجر السائل والسكوت عن الجواب ولا عدول عنه إلا لضرورة، فسبيل المضطر ما ذكرناه. وإن كان السائل ذكياً مستعداً للحقائق يكشف له الغطاء عن المسألة. ويقال له: إن كل شيء فله في الوجود اربع مراتب: وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البياض المكتوب عليه كالنار مثلاً، فإن لها وجوداً في التنور ووجوداً في الخيال والذهن وهو العلم بصورة النار وحقيقتها ولها وجود في اللسان وهي كلمة دالة عليها. أعني لفظ النار ولها وجود في البياض المكتوب عليه بالرقوم والإحراق صفة خاصة للنار كالقدم للقرآن، ولكلام الله تعالى والمحرق من هذه الجملة هي التي في التنور دون التي في الأذهان وفي اللسان وعلى البياض إذ لو كان المحرق هو الذي في البياض أو اللسان لاحترق، ولو قيل: النار محرقة. قلنا: نعم. فإن قيل كلمة النار محرقة وهي النون والألف والراء. قلنا: فإن قيل: فرقوم هذه الحروف على البياض محرقة. قلنا: لا. فإن قيل: المذكور بكلمة النار والمكتوب بكلمة النار محرق. قلنا: نعم لأن المذكور والمكتوب بهذه الكلمات هو ما في التنور ما في التنور محرق، فكذلك القدم وصف كلام الله كالإحراق في وصف النار وما يطلق عليه اسم القرآن له وجود على أربع مراتب.

أولاها: وهي الأصل وجود قائم بذات الله تعالى يضاهي وجود النار في التنور ولله المثل الأعلى، لكن لا بد من هذه الأمثلة في تفهيم العجزة والقدم وصف خاص لهذا الوجود.

والثانية: وجود العلم في أذهاننا عند التعلم قبل ان ننطق بلساننا ثم وجوده في لساننا بتقطع أصواتنا، ثم وجوده في الأوراق بالكتابة، فإذا سئلنا عما في أذهاننا من علم القرآن قبل النطق به قلنا علمنا صفتنا وهي مخلوقة، لكن المعلوم به قديم، كما أن علمنا بالنار وثبوت صورتها في الخيال غير محرق، لكن المعلوم به محرق. فإذا سئلنا عن صوتنا وحركة لساننا. قلنا ذلك صفة لساننا ولساننا حادث وصفته توجد بعده وما هو بعد الحادث حادث بالضرورة، ولكن منطوقنا ومذكورنا ومقروءنا ومتلونا بهذه الأصوات الحادثة قديم، كما إذا ذكرنا حروف النار بلساننا كان المذكور بهذه الحروف محرقاً وأصواتنا وتقطع أصواتنا غير محرق إلا أن يقول قائل حروف النار عبارة عن نفس النار قلنا: إن كان كذلك فحروف النار محرقة وحروف القرآن إن كان عبارة عن نفس القرآن فهي قديمة وكذلك المخطوط برقوم النار والمكتوب به محرقة، لأن المكتوب هو نفس النار إذ الرقم الذي هو صورة النار غير محرق، فإنه في الأوراق من غير إحراق واحتراق.

فهذه أربع درجات في الوجود تشكل على العوام ولا يمكنهم إدراك تفاصيلها وخاصة كل واحد منها، فلذلك لا يخوض بهم فيها لجهلهم بحقيقة هذه الأمور، فحق البليد أن يمنع من الخوض فيه ويقال له القرآن غير مخلوق واسكت ولا تزد عليه ولا تنقص ولا تزل عنه ولا تبحث، وأما الذكي فيزال عنه الإشكال في لحظة ويوصي بأن لا يحدث العامي وأن لا يكلفه ما ليس في طاقته.

....

وهكـــــذا جميـــــع مـــــواضـــــع الإشكـــــالات
في الظواهر ، وقد استوفاه المصنف في الجام العوام ومر تفصيل ذلك في كتاب قواعد العقائد
وعلى هذا القدر وقع الاقتصار في شرح كتاب آفات اللسان فرغ من ذلك عند
أذان طهر يوم الثلاثاء ثالث صفر الخير من شهور سنة ألف
ومائتين وكتب أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني تاب
الله عليه وأعانه والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليماً
كثيرا آمين.

كتاب ذم الغضب والحقد والحسد
وهو الكتاب الخامس من ربع المهلكات
من كتب إحياء علوم الدين
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً. الحمد لله الفرد الصمد الواحد الأحد، الذي على فضله المعوّل وعلى كرمه المعتمد، الولي الذي هدى وأرشد، ووفق وأسعد، وأبان طريق الغي والرشد، خلق الإنسان ودبر الأكوان وهو على ما كان لا يتغير ولا يتجدد، أحمده سبحانه حمد عبد سلك الواضح الجدد، وتخلى عن ظلمات اللجاج واللدد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تسدد قائلها في كل قبول وردّ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله السيد السند، المختار المنتقى المفضل الأمجد، الذي بعث نبينا وآدم بين الروح والجسد، أفضل من لربه عبد، وعلى آله وصحبه وتابعيهم ووارثي علومهم صلى الله وعليهم وسلم صلاة وسلاماً يدومان بدوام الأبد، ما حيعل الداعي وقال أشهد، أو ناح قمري على الأراك وغرد.

(وبعد) فهذا شرح:

(كتاب ذم الغضب والحقد والحسد).

وهو الخامس من الربع الثالث من كتاب الإحياء للإمام حجة الإسلام قطب الاحياء أبي حامد محمد بن محمد الغزالي سقاه الله من رحيق الرضوان، وصب عليه من شآبيب الغفران يحل جواهر ألفاظه الغريبة، ويدل على إشارات معانيه العجيبة، ويفتح قلاع نوادره المستغربه، ويورد الراغب إلى حياض مناهله المستعذبة، مقتبساً من مشكاة أنوار النبوّة، مقتنصاً من إلهام أسرار الفتوّة، مستعيناً بالله في إجازة هذا الأمر الخطير معتصماً به في تيسير كل عسير، لا إله إلا هو عليه توكلت وهو على كل شيء قدير.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(بسم الله الرحمن الرحيم)** الذي يستعان به على كل خلق كريم، ويستعاذ به من كل طبع ذميم.

الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته إلا الراجون، ولا يحذر سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون، الذي استدرج عباده من حيث لا يعلمون، وسلط عليهم الشهوات وأمرهم بترك ما يشتهون، وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم الغيظ فيما يغضبون، ثم حفهم بالمكاره واللذات وأملى لهم لينظر كيف يعملون، وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدّعون، وعرفهم أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون وما يعلنون، وحذرهم أن يأخذهم بغتة وهم لا يشعرون، فقال: ﴿ما ينظرون إلاَّ صيحة واحدة تأخذهم وهم يَخِصِّمُونَ★ فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ [يس: ٤٩، ٥٠] والصلاة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون، وعلى آله وأصحابه

(**الحمد لله الذي لا يتكل على عفوه ورحمته إلا الراجون**) الإتكال هو الإعتماد أي لا يعتمد الراجون إلا على عفوه ورحمته ولولا عفوه ورحمته ما تمّ لهم مقام الرجاء، (**ولا يحذر سوء غضبه وسطوته إلا الخائفون**) أي لا يخشى الخائفون إلا سطوته وغضبه وبه تم لهم مقام الخوف، فالمؤمن بين رجاء وخوف، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ [الإسراء: ٥٧] وقدم الرجاء نظراً لعموم رحمته وشمول عفوه، فقد ورد: سبقت رحمتي غضبي. (**الذي استدرج عباده**) أي أخذهم قليلاً قليلاً على الإمهال (**من حيث لا يعلمون**) أشار به إلى قوله تعالى في آخر الأعراف: ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ [الأعراف: ١٨٢] (**وسلّط عليهم الشهوات**) وهي كل ما تنزع إليه النفوس فيما تريده ولا تتمالك منه، (**وأمرهم بترك ما يشتهون**) واجتناب ما إليه ينزعون (**وابتلاهم بالغضب**) وهو تغير يحصل عند ثوران دم القلب لإرادة الإنتقام، (**وكلفهم كظم الغيظ**) أي كفه وستره والغيظ أشد الحمق وكظمه الإمساك في النفس على صفح أو غيظ (**فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره**) جمع مكروه وهو كل ما فيه قبح أو مشقة وحفهم أحاط بهم، (**واللذات**) جمع لذة وهي إدراك الملائم من حيث هو ملائم وقيد الحيثية للإحتراز من إدراك الملائم لا من حيث ملاءمته، فليس بلذة كالدواء النافع المر فإنه ملائم من حيث أنه نافع لا من حيث أنه لذيذ، (**وأملى لهم**) أي أمهل (**لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم ليعلم صدقهم فيما يدعون**) هل هم صادقون في دعوى حبهم أم كاذبون، (**وعرفهم**) على ألسنة رسله الكرام (**أنه لا يخفى عليه شيء مما يسرون**) أي يخفونه (**ويعلنون**) أي يظهرونه (**وحذرهم**) أي خوّفهم (**بأن يأخذهم بغتة**) أي فجأة على غفلة (**وهم لا يشعرون**) أشار به إلى قوله تعالى: ﴿فأخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾ (**فقال: ﴿ما ينظرون**) أي ما ينتظرون (**إلا صيحة واحدة**) وهي النفخة الأولى (**تأخذهم وهم يخصمون★**) أي يختصمون في أحوالهم لا يخطر ببالهم أمر ما (**فلا يستطيعون توصية**) في شيء من أمورهم (**ولا إلى أهلهم يرجعون**) فيروا حالهم بل يموتون حيث نبعثهم، (**والصلاة على**) سيدنا (**محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه**) يوم القيامة

الأئمة المهديون، والسادة المرضيون، صلاة يوازي عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون، ويحظى ببركتها الأوّلون والآخرون، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فإن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، وإنها لمستكنة في طي الفؤاد، استكنان الجمر تحت الرماد، ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد، كاستخراج الحجر النار من الحديد، وقد انكشف للناظرين بنور اليقين، أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين، فمن استفزته نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ [الأعراف: ١٢] فإن شأن الطين السكون والوقار، وشأن النار التلظي والاستعار، والحركة

(**النبيون**) إذ هو ﷺ قائد جيش الأنبياء والمرسلين وبيده لواء الحمد، (**وعلى آله وأصحابه الأئمة**) جمع إمام وهو كل من يقتدي به (**المهديون**) جمع مهدي وهو من اهتدى إلى طريق الحق بهداية الله تعالى واكتفى به عن الهادين، إذ كل مهدي في نفسه يتصوّر منه أن يكون هادياً لغيره، وأما الهادي فقد يهدي غيره، ولا يهتدي بنفسه (**والسادة المرضيون**) أي المقبولون عند الله وقد ثبت رضا الله عنهم بنص القرآن (**صلاة يوازي**) أي يقابل (**عددها عدد ما كان من خلق الله**) فيما مضى (**وما سيكون**) في الحال والآتي ولا يحيط بعدد ذلك إلا من خلقهم، (**ويحظى ببركتها الأولون**) من الأمم الماضية (**والآخرون**) اللاحقون بهم والحظوة بالضم والكسر رفعة المنزلة (**وسلم**) تسليماً (**كثيراً**).

(**وأما بعد؛ فإن الغضب شعلة نار**) الإضافة بيانية أي شعلة من نار (**اقتبست من نار الله الموقدة**) التي أوقدها الله وما أوقده لا يقدر أن يطفئه غيره (**التي تطلع**) أي تعلو (**على الأفئدة**) أي على أوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لأن الفؤاد ألطف ما في البدن وأشد تألماً أو لأنه منشأ الأعمال القبيحة، (**وأنها لمستكنة**) أي المخفية (**في طيّ الفؤاد**) أي داخل القلب (**استكنان الجمر**) أي خفاءه (**تحت الرماد**) وهو إسم لما خمد من النار (**ويستخرجها الكبر**) المحيط بالكبد (**الدفين في قلب كل جبار عنيد**) أي ظالم معاند، فالقوّة تظهرها والعجز يخفيها (**كما يستخرج الحجر النار من الحديد**) وأصل الكلام كما يستخرج الحديد النار من الحجر والمراد به حجر القداح فإذا ضرب الحديد عليه خرجت النار. (**وقد انكشف للناظرين بنور اليقين**) حقائق الأشياء على ما هي عليها، ومن ذلك (**أن الإنسان ينزع منه عرق إلى الشيطان اللعين**) يقال نزعه عرق منه إذا جذبه إليه وأشبهه، ومنه الخبر: العرق نزاع، وفي لفظ: دساس (**فمن استفزته نار الغضب**) أي استخفته (**فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾**) وكذا قوله تعالى: ﴿وخلق الجان من مارج من نار﴾ [الرحمن: ١٥] فمن هنا ظهرت القرابة، (**فإن شأن الطين السكون والوقار**) واللصوق إلى الأرض، وإذا رُمي به إلى العلو فلا بدّ له من نزول إلى تحت،

والاضطراب ومن نتائج الغضب الحقد والحسد، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد، ومفيضهما مضغة إذا صلحت صلح معها سائر الجسد وإذا كان الحقد والحسد والغضب، مما يسوق العبد إلى مواطن العطب، فما أحوجه إلى معرفة معاطبه ومساوئه، ليحذر ذلك ويتقيه، ويميطه عن القلب إن كان وينفيه، ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه فإن من لا يعرف الشر يقع فيه، ومن عرفه فالمعرفة لا تكفيه، ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه.

ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب، ثم بيان حقيقة الغضب، ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ؟ ثم بيان الأسباب المهيجة للغضب، ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه، ثم بيان فضيلة كظم الغيظ، ثم بيان فضيلة الحلم، ثم بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من

(وشأن النار التلظي) أي التلهب **(والإستعار والحركة والإضطراب)** وإذا خليت بنفسها طلبت العلو وهذه الأوصاف تضاد أوصاف الطين، **(ومن نتائج الغضب الحقد)** بالكسر وهو الإنطواء على العداوة والبغضاء **(والحسد)** محركة وهو ظلم ذي النعمة بتمني زوالها وصيرورتها إلى الحاسد، **(وبهما هلك من هلك وفسد من فسد، ومفيضهما مضغة)** صنوبرية **(إذا صلحت صلح سائر الجسد)** وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب، كما ورد ذلك في الخبر **(فإذا كان الحقد والحسد والغضب، مما يسوق العبد ويجره إلى مواطن العطب)** أي الهلاك، **(فما أحوجه إلى معرفة معاطبه)** أي مهالكه **(ومساوئه)** جمع مسوأ أي مواطنه! **(ليحذر ذلك ويتقيه)** أي يتجنب عنه، **(ويميطه)** أي يزيله **(عن القلب إن كان)** أي وجد **(وينفيه)** أي يطرده وفي بعض النسخ وينقيه من التنقية أن يخلصه، **(ويعالجه إن رسخ في قلبه ويداويه)** بما يقلعه عنه **(فإن من لا يعرف الشر يقع فيه)** وهو من الأمثال المشهورة وقد نظمه بعض فقال:

عرفت الشر لا للشر لكن لأوقاه

(ومن عرفه فالمعرفة) وحدها **(لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه)** أي يبعده.

(ونحن نذكر ذم الغضب وآفات الحقد والحسد في هذا الكتاب ويجمعها بيان ذم الغضب) بالأخبار والآثار، **(ثم بيان حقيقة الغضب)** ما هي، **(ثم بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة)** والتهذيب **(أم لا ؟ ثم بيان الأسباب المهيجة)** أي الباعثة المحركة للغضب، **(ثم بيان علاج الغضب بعد هيجانه)** وتمكنه منه، **(ثم بيان فضيلة كظم الغيظ، ثم بيان فضيلة الحلم)** بالصفح والإمساك، **(ثم بيان القدر الذي به يجوز الإنتصار والتشفي به**

الكلام، ثم القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق، ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته، ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والأخوة وبني العم والأقـارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه، ثم بيان الدواء الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب، ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب وبالله التوفيق.

بيان ذم الغضب:

قال الله تعالى: ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميّة حميّة الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ [الفتح: ٢٦] الآية ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما أنزل الله عليهم من السكينة. وروى أبو هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله مرني بعمل وأقلل. قال: « لا تغضب »، ثم أعاد عليه فقال: « لا تغضب ». وقال ابن عمر قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولاً وأقلله لعلي

من الكلام، ثم القول في معنى الحقد ونتائجه) أي ما يتولد منه من القبائح **(وفضيلة العفو والرفق، ثم القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته)** ودفعه، **(ثم بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والأخوة وبني العـم والأقـارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه، ثم بيان الدواء الذي به ينفي)** أي يطرد **(مرض الحسد عن القلب، ثم بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب)**

بيان ذم الغضب:

(قال الله تعالى) في سورة الفتح: **(إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية)** أي الأنفة **(حمية الجاهلية)** التي تمنع إذعان الخلق **(فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾) (الآية)** تمامها ﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء علياً﴾ **(ذم الكفار)** يعني قريش مكة **(بما تظاهروا به)** في عدم دخوله ﷺ مع المؤمنين مكة **(من الحمية)** أي الأنفة **(الصادرة عن الغضب)** والتهوّر **(بالباطل ومدح المؤمنين بما أنعم عليهم من السكينة)** أي الثبات والوقار، ففي الصحيح أنه ﷺ لما هم بقتالهم بعثوا إليه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزي ومكرزاً ليسألوه أن يرجع من عامه على أن تخلي له قريش مكة من قابل ثلاثة أيام، فأجابهم وكتب لهم كتاباً الحديث. وفيه: قال للكاتب اكتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا عليهم، فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا. **(وروى أبو هريرة)** رضي الله عنه **(أن رجلاً قال: يا رسول الله مرني بعمل وأقلل قال: « لا تغضب » ثم أعاد عليه فقال: « لا تغضب »)** رواه البخاري من طريق أبي حصين الأسدي عن أبي صالح، عن أبي

أعقله. فقال: «لا تغضب» فأعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع إلي «لا تغضب». وعن

هريرة ولم يخرجه مسلم، إلا ان الأعمش رواه عن أبي صالح واختلف عليه في إسناده فقيل عنه عن أبي صالح عن أبي هريرة كقول أبي حصين، وقيل عنه عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد، وقيل: عنه عن أبي صالح عن أبي هريرة أو جابر، وقيل عنه عن أبي صالح عن رجل من الصحابة لم يسم.

وأخرجه الترمذي من طريق أبي حصين أيضاً ولفظه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني شيئاً ولا تكثر عليَّ لعلي أعيه. قال: «لا تغضب» فردد ذلك عليه مراراً كل ذلك يقول: «لا تغضب». وفي رواية أخرى لغير الترمذي قال: قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ولا تكثر عليَّ قال: «لا تغضب». ورواه أحمد كذلك من حديث أبي هريرة، ورواه أحمد أيضاً والبغوي، والبارودي، وابن قانع، وابن حبان، والطبراني، والحاكم، والضياء من حديث جارية بن قدامة التميمي هكذا رواه من طريق الأحنف عن عمه جارية بن قدامة أن رجلاً قال: يا رسول الله قل لي قولاً وأقلل عليَّ لعلي أعقله. قال: «لا تغضب» فأعاد عليه مراراً كل ذلك يقول: «لا تغضب». وفي رواية لأحمد أن جارية بن قدامة قال: سألت النبي ﷺ فذكره، فهذا يغلب على الظن أن السائل هو جارية بن قدامة، لكن ذكر الإمام أحمد عن يحي القطان أنه قال هكذا. قال هشام: يعني أن هشاماً ذكر في الحديث إن جارية سأل النبي ﷺ. قال يحي: وهم يقولون لم يدرك النبي ﷺ، وكذا قال العجلي وغيره أنه تابعي وليس بصحابي. ورواه الطبراني في الكبير من حديث سفيان بن عبدالله الثقفي، ورواه مسدد والمحاملي والضياء من حديث أبي سعيد الخدري. وقيل: إن السائل هو أبو الدرداء، فقد أخرج الطبراني من حديثه قال: قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة. قال: «لا تغضب ولك الجنة». وسيأتي للمصنف قريباً.

وأخرج أحمد من طريق الزهري عن حميد بن عبد الرحمن، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قلت يا رسول الله أوصني. قال: «لا تغضب». قال الرجل: فذكرت حين قال النبي ﷺ ما قال، فإذا الغضب يجمع الشرّ كله، ورواه مالك في الموطأ عن الزهري عن حميد مرسلاً.

وقوله: «لا تغضب» يحتمل أمرين: أحدهما أن يكون مراده الأمر بالأسباب التي توجب حسن الخلق فإن النفس إذا تخلقت بالأخلاق الجميلة وصارت لها عادة أوجب لها ذلك رفع الغضب عند حصول أسبابه، والثاني: أن يكون المراد لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به، فإن الغضب إذا ملك ابن آدم كان كالآمر الناهي له، وإذا لم يمتثل ما يأمره به غضبه وجاهد نفسه اندفع عنه شر الغضب، وربما سكن غضبه وذهب فكأنه حينئذ لم يغضب.

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه: **(قلت لرسول الله ﷺ قل لي قولاً وأقلل لعلي أعقله. قال: «لا تغضب» فأعدت ذلك عليه مرتين كل ذلك يرجع إليَّ)** ويقول: **(«لا تغضب»)** قال العراقي: رواه أبو يعلى بإسناد حسن.

عبدالله بن عمرو أنه سأل رسول الله ﷺ ماذا ينقذني من غضب الله؟ قال: « لا تغضب ». وقال ابن مسعود، قال النبي ﷺ: « ما تعدون الصرعة فيكم » قلنا: الذي لا تصرعه الرجال. قال: « ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب ». وقال أبو هريرة، قال النبي ﷺ: « ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ». وقال ابن عمر: قال النبي ﷺ: « من كفَّ غضبه ستر الله عورته ». وقال سليمان بن داود عليهما السلام: يا بني إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم. وعن عكرمة في قوله تعالى: ﴿وسيّداً وحصوراً﴾ [آل عمران:

قلت ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والسياق له، فهذا يدل على أن السائل في حديث أبي هريرة هو ابن عمر.

(وعن عبدالله بن عمرو) بن العاصي رضي الله عنهما **(أنه سأل رسول الله ﷺ)** فقال: **(ماذا يبعدني)** وفي لفظ: يباعدني **(من غضب الله؟ قال: « لا تغضب »)** هكذا في النسخ، وفي بعضها: أنه سأل رجل رسول الله، فباللفظ الأول أخرجه أحمد في المسند فعلى هذا السائل هو عبدالله بن عمرو، وباللفظ الثاني أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق، وابن عبد البر في التمهيد بإسناد حسن قاله العراقي.

قلت: وبمثل سياق، أحمد أخرجه أيضاً ابن أبي الدنيا وابن حبان.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه، **(قال النبي ﷺ: « ما تعدون الصرعة)** كهمزة **(فيكم »؟ قلنا: الذي لا تصرعه الرجال)** أي لا تغلبه في الصراع بل يصرعهم. **(قال: « ليس ذلك)** بالصرعة **(ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب »)** هو الصرعة رواه مسلم بلفظ: « ولكنه » وقد أوردته مسنداً في مقدمة كتاب العلم.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه، **(قال النبي ﷺ: « ليس الشديد)** أي القوي **(بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »)** رواه البخاري ومسلم، ورواه العسكري في الأمثال بلفظ: « ليس الشديد الذي يغلب الناس ولكن الشديد الذي يغلب نفسه عند الغضب ».

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه، **(قال النبي ﷺ: « من كف غضبه ستر الله عورته »)** رواه ابن أبي الدنيا في كِتاب العفو وذم الغضب وفي الصمت، وقد تقدم في آفات اللسان، ورواه أيضاً بلفظ: « من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه » الحديث.

(وقال سليمان) بن داود عليهما السلام: **(يا بني إياك وكثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

٣٩] قال: السيد الذي لا يغلبه الغضب. وقال أبو الدرداء: قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة. قال: « لا تغضب ». وقال يحي لعيسى عليهما السلام: لا تغضب. قال: لا أستطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر. قال: لا تقتن مالاً. قال: هذا عسى. وقال ﷺ: « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل » وقال ﷺ: « ما غضب أحد ألا أشفى على جهنم ». وقال له رجل أي شيء أشد؟ قال: « غضب الله » قال: فما يبعدني من غضب الله؟ قال: « لا تغضب ».

الآثار: قال الحسن: يا ابن آدم كلما غضبت ووثبت يوشك أن تثب وثبة فتقع في النار. وعن ذي القرنين أنه لقي ملكاً من الملائكة فقال: علمني علما ازداد به إيماناً

(**وعن عكرمة**) مولى ابن عباس (**في قوله تعالى: ﴿وسيداً وحصوراً﴾ قال: السيد الذي لا يغلبه الغضب**) ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(**وقال أبو الدرداء**) رضي الله عنه. (**قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة. قال: « لا تغضب »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا، والطبراني في الكبير والأوسط بأسناد حسن اهـ.

قلت: ولكن بزيادة « ولك الجنة » وقال المنذري: رواه الطبراني بإسنادين أحدهما رجاله ثقات.

(**وقال يحي لعيسى عليهما السلام: لا تغضب. قال: لا استطيع أن لا أغضب إنما أنا بشر. قال: لا تقتن مالاً. قال: هذا عسى**) أن استطيع عليه. رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (**وقال ﷺ: « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر**) بفتح الصاد وكسر الموحدة دواء معروف (**العسل »**) قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب من رواية بهز ابن حكيم عن أبيه عن جده بسند ضعيف اهـ.

قلت: لفظ البيهقي « يا معاوية إياك والغضب فإن الغضب » الخ هكذا رواه ابن عساكر في التاريخ، ورواه الحكيم الترمذي بلفظ: « لا تغضب يا معاوية بن حيدة فإن الغضب » الخ.

(**وقال ﷺ: « ما غضب أحد إلا أشفى على جهنم »**) قال العراقي: رواه البزار وابن عدي من حديث ابن عباس: « للنار باب لا يدخله إلا من شفى غيظه بمعصية الله » وإسناده ضعيف وتقدم في آفات اللسان، (**وقال له**) ﷺ (**رجل أي شيء أشد؟ قال: « غضب الله » قال: فما يبعدني من غضب الله؟ قال: « لا تغضب »**) قال العراقي: رواه أحمد من حديث عبدالله بن عمرو بالشطر الأخير وقد تقدم قبله بستة أحاديث.

(**الآثار: قال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**يا ابن آدم كلما غضبت ووثبت يوشك أن تثب وثبة فتقع في النار**) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، (**وعن ذي القرنين**) المذكور

ويقيناً. قال: لا تغضب، فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فردّ الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة، وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك، وكن سهلاً ليناً للقريب والبعيد، ولا تكن جباراً عنيداً. وعن وهب بن منبه أن راهباً كان في صومعته فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال له: افتح فلم يجبه، فقال: افتح فإني إن ذهبت ندمت فلم يلتفت إليه، فقال: إني أنا المسيح. قال الراهب: وإن كنت المسيح فما أصنع بك؟ أليس قد أمرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيامة. فلو جئتنا اليوم بغيره لم نقبله منك. فقال: إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم أستطع؛ فجئتك لتسألني عما شئت فأخبرك، فقال: ما أريد أن أسألك عن شيء، قال: فولّى مدبراً، فقال الراهب: ألا تسمع؟ قال: بلى، قال: أخبرني أي أخلاق بني آدم أعون لك عليهم؟ قال: الحدة إن الرجل إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان

في القرآن إسمه الإسكندر وليس هو الذي كان وزيره ارسطاطاليس وأرخ التواريخ وقد غلط في ذلك جماعة نبه عليه ابن تيمية في كتاب الفرقان (**أنه لقي ملكاً من الملائكة فقال: علمني علماً ازداد به إيماناً ويقيناً. قال: لا تغضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب فردّ الغضب بالكظم**) أي بالإمساك عنه (**وسكّنه بالتؤدة**) أي السكون والرفق (**وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك، وكن سهلاً ليناً للقريب والبعيد ولا تكن جباراً عنيداً**) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (**وعن وهب بن منبه**) رحمه الله تعالى (**أن راهباً كان في صومعته**) يتعبد فيها (**فأراد الشيطان أن يضله فلم يستطع فجاءه حتى ناداه فقال: افتح لي فلم يجبه**) فقال: افتح (**فإني إن ذهبت**) عنك (**ندمت**) على عدم فتحك، (**فلم يلتفت**) الراهب (**إليه فقال: إني أنا المسيح**) أي عيسى عليه السلام. (**قال الراهب: وإن كنت المسيح ما اصنع بك أليس قد أمرتنا بالعبادة والإجتهاد ووعدتنا القيامة فلو جئتنا اليوم بغير ذلك لم نقبله منك؟ قال: فقال إني الشيطان وقد أردت أن أضلك فلم استطع فجئتك لتسألني عما شئت فاخبرك. قال: ما أريد أن أسألك عن شيء. قال: فولى مدبراً، فقال الراهب: ألا تسمع؟ قال: بلى. قال: فاخبرني أي اخلاق بني آدم أهون لك عليهم؟ قال: الحدة إن الرجل إذا كان حديداً قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة**)

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو بكر الآجري، حدثنا عبدالله بن محمد العطشي، حدثنا إبراهيم بن الجنيد حدثني محمد بن الحسين، حدثنا بشر بن أبان، حدثني الحسن بن عبيدالله بن مسلم القرشي، عن وهب بن منبه أن راهباً تخلى في صومعته في زمن المسيح عليه السلام فأراده إبليس بكل ديرة فلم يقدر عليه، فأتاه تشبهاً بالمسيح فناداه: أيها الراهب اشرف عليَّ اكلمك، فقال: انطلق لشأنك فلست راداً ما مضى من عمري، فقال: اشرف علي فأنا المسيح. قال: فإن كنت

الكرة. وقال خيثمة: الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه؟ وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه؛ وقال جعفر بن محمد: الغضب مفتاح كل شر. وقال بعض الأنصار: رأس الحمق الحدّة وقائده الغضب، ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم، والحلم زين ومنفعة، والجهل شين ومضرة، والسكوت عن جواب الأحمق جوابه. وقال مجاهد: قال إبليس ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث: إذا

المسيح فما إليك من حاجة أليس قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة؟ انطلق لشأنك فلا حاجة لي فيك. قال: فانطلق اللعين عنه وتركه.

وحدثنا أبي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا محمد بن سهل، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، حدثني عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول: إن إبليس أتى راهباً في صومعته فاستفتح عليه فقال: من أنت؟ قال: أنا المسيح، فقال الراهب: والله لئن كنت إبليس لا أخلو بك، ولئن كنت المسيح ما عسيت أني أصنع بك اليوم لقد بلغتنا رسالة ربك وقبلنا عنك وشرعت لنا الدين ونحن عليه فاذهب فلست بفاتحك. قال له: صدقت أنا إبليس ولا أريد ضلالتك بعد اليوم أبداً فسلني عما بدا لك أخبرك به. قال: وأنت صادق قال: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك به. قال: فأخبرني أي اخلاق بني آدم أوثق في أنفسكم أن تضلوه بها. قال: ثلاثة أشياء الشح والحدة والسكر.

وأخرج أيضاً من طريق أخرى قصة تشبهها وهي من طريق بكار بن عبدالله: سمعت وهباً يقول: كان رجل عابدٌ اراده الشيطان من قبل الشهوة والرغبة والغضب فلم يستطع له شيئاً فساق القصة، وفي آخرها قال له الشيطان: أفلا تسألني عما أضل به بني آدم؟ قال: بلى. قال: فأخبرني ما أوثق ما في نفسك أن تضلهم به، فقال: ثلاثة أخلاق من لم يستطع بشيء منها غلبناه: بالشح والحدة والسكر، فإن الرجل إذا كان شحيحاً قللنا ماله في عينه ورغبناه في أموال الناس، وإذا كان حديداً تداورناه بيننا كما يتداور الصبيان الكرة، ولو كان يحيي الموتى بدعوته لم نيأس منه، فإن ما يبني يهدمه لنا بكلمة، وإذا سكر اقتدناه إلى كل سوء كما ينقاد من أخذ العنز بإذنها حيث شاء.

(وقال خيثمة) بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي الكوفي تابعي ثقة يرسل، مات بعد الثمانين، روى له الجماعة: **(الشيطان يقول كيف يغلبني ابن آدم، وإذا رضي جئته حتى أكون في قلبه، وإذا غضب طرت حتى أكون في رأسه)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال)** أبو عبدالله **(جعفر بن محمد)** بن علي بن الحسين: **(الغضب مفتاح كل شر)** رواه ابن أبي الدنيا، وفي قول بعضهم: جماع كل شر أي الشرور كلها تنشأ منه وهو يفتح أبوابها. **(وقال بعض الأنصار: رأس الحمق الحدة وقائده الغضب، ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم. الحلم زين ومنفعة، والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الأحمق جوابه)** رواه ابن أبي الدنيا، وقد روي بعض ذلك من كلام الشافعي رحمه الله تعالى. **(وقال مجاهد)** رحمه الله

سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا، وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم، ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه. وقيل لحكيم: ما أملك فلاناً لنفسه! قال: إذاً لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب. وقال بعضهم: إياك والغضب فإنه يصيرك إلى ذلة الاعتذار. وقيل: اتقوا الغضب فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل. وقال عبدالله بن مسعود: انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه، وأمانته عند طمعه، وما علمك بحلمه إذا لم يغضب، وما علمك بأمانته إذا لم يطمع؟ وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فأحبسه، فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه على قدر ذنبه، ولا تجاوز به خمسة

تعالى: **(قال إبليس: ما اعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلاث)** حالات: الأولى **(إذا سكر أحدهم أخذنا بخزامة)** بالضم اسم الحبل الذي تخزم به الدابة **(فقدناه)** أي سقناه **(حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا، و)** الثانية: **(إذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم)** عليه بعد، **(و)** الثالثة: **(بخله بما في يده)** من الأموال **(وتمنيه بما لا يقدر عليه)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقيل لحكيم: ما أملك فلاناً لنفسه؟ قال: إذاً لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب)** رواه ابن أبي الدنيا أي: فهذه خواص من ملك نفسه. **(وقال بعضهم: إياك والغضب فإنه مصيرك إلى ذلة الإعتذار)** رواه ابن أبي الدنيا، وذلك لأن الإعتذار لا يخلو من الكذب فهو ذل، ففي الخبر: إياك وما يعتذر منه. وعن ابن عون قال: اعتذر رجل عند إبراهيم النخعي فقال: قد عذرناك غير معتذر إن الإعتذار يخالطه الكذب، وقال مطرف: المعاذر مفاجر. **(وقيل: اتقوا الغضب فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل)** وهذا قد روي من حديث معاوية بن حيدة القشيري بلفظ لا تغضب فإن الغضب الخ كما تقدم قريباً. **(وقال عبدالله بن مسعود)** رضي الله عنه: **(انظروا إلى حلم الرجل عند غضبه، وأمانته عند طمعه، وما علمك بحلمه إذا لم يغضب، وما علمك بأمانته إذا لم يطمع)** رواه ابن أبي الدنيا. **(وكتب عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى **(إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك، وإذا غضبت على رجل فاحبسه فإذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطاً)**.

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا ابن مسعود المقدسي، حدثنا محمد بن كثير، حدثنا الاوزاعي ح.

وحدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا عبدالله بن أبي داود، حدثنا علي بن خشرم، حدثنا عيسى بن يونس، عن الأوزاعي قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: لا تعاقب رجلاً لمكان جلسائك، ولا تغضب عليه، ولا تؤدب أحداً من أهل بيتك إلا على قدر ذنبه، وإن لم يبلغ إلاّ سوطاً واحداً.

عشر سوطاً. وقال علي بن زيد: أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز القول فاطرق عمر زماناً طويلاً ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً؟ وقال بعضهم لابنه: يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة، فأقل الناس غضباً أعقلهم، فإن كان للدنيا كان دهاء ومكراً، وإن كان للآخرة كان حلماً وعلماً، فقد قيل: الغضب عدوّ العقل والغضب غول العقل، وكان عمر رضي الله عنه إذا خطب قال في خطبته: أفلح منكم من حفظ من الطمع والهوى والغضب، وقال بعضهم: من أطاع شهوته وغضبه قاداه إلى النار. وقال الحسن: من علامات المسلم قوّة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة وإحسان في قدرة وتحمل في رفاقة وصبر في شدة، لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته، فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا

(وقال علي بن زيد) بن عبدالله بن زهير بن عبدالله بن جدعان التيمي القرشي البصري، وهو المعروف بعلي بن زيد بن جدعان ينسب أبوه إلى جد جده ضعيف مات سنة إحدى وثلاثين: **(أغلظ رجل من قريش لعمر بن عبد العزيز فأطرق عمر طويلاً ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطان بعز سلطاني فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال بعضهم لابنه)** وهو يعظه **(يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا تثبت روح الحي في التنانير المسجورة)** أي الموقودة بالحطب، **(فأقل الناس غضباً أعقلهم)** أي أكثرهم عقلاً، **(فإن كان للدنيا كان دهاء ومكراً، وإن كان للآخرة كان علماً وحلماً)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، **(وقد قيل: الغضب عدو العقل والغضب غول العقل)** رواه ابن أبي الدنيا. **(وكان عمر رضي الله عنه إذا خطب قال في خطبته: أفلح منكم من حفظ من الهوى والطمع والغضب)** رواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن عبد الرحمن بن صالح، حدثنا أبو بكر بن عياش قال، قال عمر بن الخطاب: لا خير فيما دون الصدق من الحديث من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك، قد أفلح من حفظ من ثلاث: الهوى والطمع والغضب. **(وقال بعضهم: من أطاع غضبه وشهوته قاداه إلى النار)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(من علامات المسلم)** أي الكامل في إسلامه **(قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وعلم في حلم، وكيس في رفق، وإعطاء في حق وقصد)** أي اقتصاد **(في غنى، وتجمل في فاقة)** أي حالة فقر، **(وإحسان في قدرة)** أي عند القدرة، **(وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية)** أي الأنفة **(ولا تغلبه شهوة ولا يفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته. ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل)** بما عنده، **(ولا**

يبذر ولا يسرف ولا يقتر، يغفر إذا ظلم ويعفو عن الجاهل. نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء، وقيل لعبدالله بن المبارك: أجمل لنا حسن الخلق في كلمة. فقال: ترك الغضب. وقال نبي من الأنبياء لمن تبعه: من يتكفل لي أن لا يغضب فيكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي؟ فقال شاب من القوم: أنا ثم أعاد عليه فقال الشاب: أنا أوفى به، فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل، سمي به لأنه تكفل بالغضب

يبذر) في ماله، **(ولا يسرف ولا يقتر. يغفر إذا ظلم ويعفو عن الجاهل)** إذا جهل عليه، **(نفسه منه في عناء)** أي تعب **(والناس منه رخاء)** أي سعة، رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.
(وقيل لعبدالله بن المبارك) رحمه الله تعالى: **(أجمل لنا حسن الخلق في كلمة. فقال ترك الغضب)** رواه ابن أبي الدنيا.

وهكذا فسر الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه حسن الخلق بترك الغضب، وقد روي ذلك مرفوعاً أخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة من حديث أبي العلاء بن الشخير أن رجلاً أتى النبي ﷺ من قبل وجهه فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «حسن الخلق» ثم أتاه عن يمينه فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ فقال: «حسن الخلق» ثم أتاه عن شماله فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «حسن الخلق» ثم أتاه من بعده يعني من خلفه فقال: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: «مالك لا تفقه حسن الخلق هو أن لا تغضب إن استطعت» وهذا مرسل.

(وقال نبي من الأنبياء) من بني إسرائيل **(لمن معه: من يتكفل لي أن لا يغضب ويكون معي في درجتي ويكون بعدي خليفتي؟ فقال شاب من القوم: أنا، ثم أعاد عليه فقال الشاب: أنا أوفى به، فلما مات كان في منزلته بعده، وهو ذو الكفل سمي به لأنه كفل بالغضب ووفى به)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم كلهم من طريق عبدالله بن الحرث، لكن هذا السياق لابن أبي الدنيا.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: لما كبر اليسع قال: لو أني استخلفت رجلاً على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف عمل فجمع الناس فقال: من يتقبل لي بثلاث استخلفه: يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب؟ فقام منهم رجل شاب قال: نعم. قال: فردهم من ذلك اليوم وقال مثلها اليوم الآخر، فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال: أنا فاستخلفه قال: فجعل إبليس يقول للشياطين: عليكم بفلان فأعياهم ذلك، فقال: دعوني وإياه ثم أتاه في صورة شيخ كبير فقير فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل ولا النهار إلا تلك النومة، فدق الباب فقال: من هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم. قال: فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه ويطول في قصته حتى حضره وقت الرواح وذهبت القائلة وقال: إذا رحت فائتني آخذ لك بحقك فانطلق وراح، وكان في مجلسه فجعل ينتظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام، فلما كان الغد ورجع إلى القائلة وأخذ

ووفى به. وقال وهب بن منبه: للكفر أربعة أركان: الغضب، والشهوة، والخرق، والطمع.

مضجعه أتاه فدق الباب فقال مثل ما قال في الأولى واعتذر له عن المجيء، وفعل ذلك ثلاث مرات، ثم أنه رأى كوة في البيت فتسوّر منها فإذا هو في البيت فإذا هو يدق الباب من داخل، فاستيقظ الرجل فقام إلى الباب فإذا هو مغلق، وإذا الرجل معه في البيت فقال له: من أين أتيت؟ فأخبره فعرف أنه عدو الله وقال له: أعييتني في كل شيء ففعلت ما ترى لأغضبك فسمّاه الله ذا الكفل لأنه تكفل بأمر فوفى به.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان قاض في بني إسرائيل فحضره الموت فقال: من يقوم مقامي على أن لا يغضب؟ فقال رجل: أنا فسمي ذا الكفل فكان ليله جميعاً يصلي ثم يصبح صائماً فيقضي بين الناس وله ساعة يقيلها وكان كذلك، فأتاه الشيطان عند نومته فقال له أصحابه: مالك؟ قال: إنسان مسكين له على رجل حق وقد غلبني عليه. فقالوا: كما أنت حتى يستيقظ وهو فوق نائم فجعل يصبح عمداً حتى يغضبه فسمع فقال له: مالك فذكر له ما قال. قال: إذهب قل له يعطيك. قال: قد أبى. قال: اذهب انت له فذهب ثم أتاه من الغد فقال: مالك؟ قال: مضيت إليه فلم يرفع بكلامك رأساً، قال: اذهب إليه فذهب ثم جاء من الغد حين قال فقال له أصحابه: اخرج أنت لا تدعه ينام فجعل يصيح ويقول: من أجل إني مسكين لو كنت غنياً تسمع، فقال: ما لك؟ قال: ذهبت إليه فضربني. فال: امش حتى أجيء معك فهو ممسك بيده، فلما رآه ذهب معه فنثر يده منه فذهب ففرّ.

وأخرج أبو سعيد النقاش في كتاب القضاة عن ابن عباس قال: كان نبي لله جمع أمته فقال: أيكم يتكفل لي بالقضاء بين أمتي على أن لا يغضب؟ فقام فتى فقال: أنا يا رسول الله فساق الحديث وفيه، فأتاه الشيطان نصف النهار وهو نائم فناداه حتى أيقظه فاستعداه، وفيه: فبعث معه الرسول مرتين أو ثلاثاً، ثم أخذ الرجل بيده ومشى معه ساعة، فلما رأى الشيطان ذلك نزع يده من يده ثم فرّ فسمي ذا الكفل.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن حجرة الأكبر أنه بلغه أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل حضرته الوفاة فساق القصة وفيها: فأتاه الشيطان في صورة رجل وقد تحيّن مقيله فيمنعه من النوم بالنهار حتى ينام بالليل ففعل ذلك ثلاثاً ويقول: قد صنعت ما صنعت لعله يغضب، فقال له ذو الكفل: انطلق فأنا أذهب معك فانطلق فطاف به، ثم قال له: أتدري من أنا قال: أنا الشيطان تكفلت لصاحبك بأمر فأردت أن تدع بعضه وأن الله قد عصمك.

(وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى: **(للكفر أربعة أركان: الغضب، والشهوة، والخرق، والطمع)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا على بن إسحاق، حدثنا حسين المروزي، حدثنا الهيثم بن جميل، حدثنا صالح المري، عن أبان، عن

بيان حقيقة الغضب:

اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضاً للفساد والموتان، بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة عنه؛ أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم سماه في كتابه.

أما السبب الداخل: فهو إنه ركبه من الحرارة والرطوبة؛ وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة، فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاؤها بخاراً يتصاعد منها، فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انحل وتبخر من

وهب قال: قرأت في الحكمة: للكفر أربعة أركان: ركن منه الغضب، وركن منه الشهوة، وركن منه الطمع، وركن منه الخرق.

بيان حقيقة الغضب

(أعلم) هداك الله **(أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضاً للفساد والموتان)** بالضم هو الهلاك الذريع **(بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة عنه، أنعم عليه بما يحميه عن الفساد)** أي يحفظه عنه **(ويدفع عنه الهلاك إلى أجل معلوم)** مقدر محتوم **(سماه في كتابه)** وهو اللوح المحفوظ.

(أما السبب الداخل فهو أنه ركبه من الرطوبة والحرارة) وجعلها حافظين لكمالات البدن وكل منها يوصف بالغريزية والحرارة الغريزية حتى السارية في سائر البدن التي بها النضج والطبخ وسائر الأفعال، وفي المعدة جزء منها به الهضم المعدي ونفض الفضول، وفي الكبد جزء منها وكذا في العروق، وفي القلب معظمها إذ هو معدنها ومستوقدها .مادتها الدم الوارد من الكبد على البطن الأيمن من القلب، فيتغير فيه إلى البخارية ثم يستحيل إلى طبيعة الروح في البطن الأيسر منه ويحصل له مزاج يستعد لقبول التولد، وكذا في سائر الأعضاء، ولأجل أنها آلة الطبيعة في أفعالها كالجذب والهضم وغير ذلك ينسب إليها كشحدائيه البدن، ويقال: حرارة غريزية. وأفلاطون يسميها النار الإلهية، ولا يقال برودة غريزية، ولأن مركبها الرطوبة دون اليبوسة يقال رطوبة غريزية ولا يقال يبوسة غريزية، ثم اختلفوا فيها فقال جالينوس: إنها الحرارة الاستقهية النارية التي في البدن، وأما الجزء الناري إذا خالط سائر الإستقصاة أفادها طبخاً وقواماً والتئاماً، ولم يبلغ في الكثرة إلى حدّ الإحراق ولا من القلة إلى القصور عن الإنضاج، وأنها كما تدفع البارد الوارد على البدن المركب بالمضادة تدفع أيضاً الحار الغريب الوارد المركب. وقال ارسطو وجمهور المتأخرين: إنها حرارة سماوية أفيضت على البدن مع فيضان النفس ولكل منها أدلة ذكرت في مواضعها من كتب الفن، **(وجعل بين الحرارة والرطوبة عداوة ومضادة، فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تصير أجزاؤها بخاراً يتصاعد منها، فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من**

أجزائها لفسد الحيوان، فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء؛ كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظاً له من الهلاك بهذا السبب.

وأما الأسباب الخارجة التي يتعرض لها الإنسان؛ فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها، فافتقر إلى قوّة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه، فخلق الله طبيعة الغضب من النار وغرزها في الإنسان وعجنها بطينته. فمهما صدّ عن غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت به ثوراناً يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع إلى أعالي البدن، كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر، فلذلك ينصب إلى الوجه فيحمر الوجه والعين، والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها. وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه، فإن صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من

الغذاء) الموافق **(يجبر ما انحل وتبخر من أجزائها لفسد الحيوان، فخلق الله الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه)** أي تحمله **(على تناول الغذاء)**، ولولا تلك الشهوة لما أقدم على تناول الغذاء فهذه فائدة الشهوة **فهي (كالموكل به في جبر ما انكسر وسد ما انثلم ليكون ذلك حافظاً له من الهلاك بهذا السبب)**. ثم إن الرطوبة الغريزية إذا وصل إليها مدد الغذاء تصير وافية لحفظ الحرارة الغريزية، فتارة مع حفظها بالزيادة في النمو كما في سن الحداثة، و رة تكون وافية لحفظها فقط كما في سن الشباب، وتارة تكون ناقصة من حفظها نقصاناً لا يعتد به غير محسوس كما في سن الكهولة، وتارة نقصاناً ظاهراً وهو إلى آخر العمر.

(وأما الأسباب الخارجة التي يتعرض لها الإنسان: فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي يقصد بها فافتقر إلى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه، فخلق الله الغضب من النار) كما وردت به الأخبار وسيأتي ذكر بعضها، **(وغرزه في الإنسان وعجنه بطينته، فمهما قصد في غرض من أغراضه ومقصود من مقاصده اشتعلت)** أي ارتفعت **(نار الغضب وثارت ثوراناً يغلي به دم القلب)** كما يغلي الماء في القدر على النار **(وينتشر)** ذلك الدم **(في العروق)** الأوردة منها والشرايين **(ويرتفع إلى أعالي البدن)** من العروق، **(كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر، فلذلك ينصب في الوجه فيحمر الوجه والعين، والبَشرة لصفائها تحكي ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما فيها)** ففي حديث أبي سعيد رفعه «ألا إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه» وفي مرسل الحسن: الغضب جمرة في قلب الإنسان توقد ألا ترى إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه، **(وإنما ينبسط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فإن**

الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار حزناً، ولذلك يصفرّ اللون، وإن كان الغضب على نظير يشك فيه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمرّ ويصفر ويضطرب.

وبالجملة؛ فقوّة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب بطلب الإنتقام وإنما تتوجه هذه القوّة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل وقوعها وإلى التشفي والإنتقام بعد وقوعها. والإنتقام قوت هذه القوّة وشهوتها وفيه لذتها، ولا تسكن إلا به. ثم إن الناس في هذه القوّة على درجات ثلاث في أول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال.

أما التفريط: فبفقد هذه القوّة أو ضعفها وذلك مذموم، وهو الذي يقال فيه إنه لا حمية له. ولذلك قال الشافعي رحمه الله: من استغضب فلم يغضب فهو حمار: فمن فقد قوّة الغضب والحمية أصلاً فهو ناقص جداً، وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي ﷺ بالشدة والحمية فقال: ﴿أشدّاء على الكُفَّارِ ورحَماءُ بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] وقال لنبيه

صدر الغضب ممن فوقه) في الرتبة **(وكان معه يأس من الإنتقام)** منه **(تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار خوفاً، ولذلك يصفر اللون)** وينخطف، **(وإن كان على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر ويضطرب)** فاحمراره واصفراره من ترجيح أحد الطرفين على الآخر تارة وتارة واضطرابه للتردد.

(وبالجملة: فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب الانتقام، وإنما تتردد هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات والمهلكات قبل وقوعها وإلى التشفي والإنتقام بعد وقوعها والإنتقام فوق هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به، ثم إن الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة) التي فطروا عليها **(من التفريط والإفراط والإعتدال)**.

(أما التفريط: ففقد هذه القوة) من أصلها **(أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه أنه لا حمية له)** وإليه الإشارة بقوله:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

(ولذلك قال الشافعي) رضي الله عنه: **(من استغضب فلم يغضب فهو حمار)** أي بليد الطبع جافل أخرجه البيهقي وغيره بأسانيدهم وسيأتي قريباً، **(فمن فقد قوة الغضب والحمية أصلاً فهو ناقص جداً)** مناقض لرتبة الكمال، **(وقد وصف الله سبحانه أصحاب النبي ﷺ بالشدة والحمية)** في الدين والصلابة **(فقال: ﴿**والذين معه **أشداء على الكفار)** أي أقوياء

ﷺ : ﴿جاهد الكُفَّار والْمُنَافِقين واغْلِظ عليهم﴾ [التوبة : ٧٣] الآية . وإنما الغلظة والشدة من آثار قوّة الحمية وهو الغضب .

وأما الافراط ؛ فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ، ولا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكرة ولا اختيار ، بل يصير في صورة المضطر . وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية : فربّ إنسان هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان ، ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لأن الغضب من النار . كما قال ﷺ ، وإنما برودة المزاج تطفئه وتكسر سورته .

وأما الأسباب الاعتيادية : فهو أن يخالط قوماً يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب

عليهم يحمون حمى الدين بإنفتهم ، **(وقال لنبيه ﷺ)** ﴿يا أيها النبي **(جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم**﴾ **والغلظة والشدة)** في الآيتين **(من آثار قوّة الحمية وهو الغضب)** وكذلك قوله تعالى في وصف الصحابة ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة : ٥٤] .

(وأما الإفراط : فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معه بصيرة ونظر في الأمور وفكرة) فيها **(ولا اختيار فيها ، بل يصير في صورة المضطر)** والملجأ والمكره ، **(وسبب غلبته أمور غريزية)** من أصل الخلقة **(وأمور اعتيادية)** قد اعتاد عليها **(فرب إنسان هو بالفطرة)** الأصلية **(مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب)** بأن يكون الحار فيه أكثر ، وهذا هو اعتداله . والمزاج كيفية متشابهة من تفاعل عناصر متفقة الأجزاء المماسة بحيث تكسر سورة كل واحد منها سورة الآخر ، **(لأن الغضب من النار كما قال ﷺ)** قال العراقي : رواه الترمذي من حديث أبي سعيد بسند ضعيف : « الغضب جمرة في قلب ابن آدم » ولأبي داود من حديث عطية السعدي : « إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار » فيه أبو وائل القاص ، واسمه عبدالله بن يحي . قال ابن حبان : يروي العجائب ، ووثقه ابن معين انتهى .

قلت : حديث أبي سعيد رواه أيضاً الإمام أحمد ، وحديث عطية السعدي أخرجه أبو داود من طريق عروة بن محمد بن عطية بن عروة بن سعد الساعدي ، عن أبيه ، عن جده . وكذلك رواه الإمام أحمد ، ورواه أبو نعيم في الحلية ، وابن عساكر من طريق أبي إدريس الخولاني من حديث معاوية بن أبي سفيان : « أن الغضب من الشيطان والشيطان من النار » . **فبرودة المزاج تطفئه وتكسر سورته** .

(وأما الأسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوماً) أي يعاشرهم فيراهم **(يتبجحون)** أي

ويسمون ذلك شجاعة ورجولية، فيقول الواحد منهم: أنا الذي لا أصبر على المكر والمحال ولا أحمل من أحد أمراً! ومعناه لا عقل فيَّ ولا حلم. ثم يذكره في معرض الفخر بجهله. فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب. ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها أعمت صاحبها وأصمته عن كل موعظة، فإذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضباً، وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطفىء نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب، فإن معدن الفكر الدماغ، ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان مظلم إلى الدماغ يستولي على معادن الفكر، وربما يتعدّى إلى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه، وتسود عليه الدنيا بأسرها، ويكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار فاسودّ جوّه وحمي مستقره وامتلأ بالدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانمحى أو انطفأ نوره، فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه كلام ولا ترى فيه صورة، ولا يقدر على إطفائه لا من

يفتخرون (**بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول الواحد منهم: أنا الذي لا أصبر على المكر والمحال**) أي المماحلة (**ولا أحمل من أحد**) وفي نسخة: من أحد أمراً (**ومعناه**) عند التأمل (**لا عقل لي ولا حلم**) فهو لا يدرك هذا المعنى، (**ثم**) لا يستحي حتى (**يذكره في معرض الفخر**) والتبجح (**بجهله**) وسخافة عقله. (**فمن سمعه**) منهم (**رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب**) ويعتاد عليه مستحلاً له. (**ومهما اشتدت نار الغضب وقوي إضطرامها**) أي التهابها (**أعمت صاحبها**) عن رؤية الرشد (**وأصمته عن**) سماع (**كل موعظة**) حسنة، (**فإذا وعظ لم يسمع بل زاده ذلك غضباً**) وحنقاً على الواعظ، (**وإن استضاء بنور عقله وراجع نفسه**) بتأثير الوعظ فيه يوماً ما (**لم يقدر**) على المراجعة (**إذ ينطفىء نور العقل وينمحي في الحال بدخان الغضب**) الصاعد من ثوران الدم في القلب: (**فإن معدن الفكر الدماغ**) كما تقدم بيانه في باب رياضة النفس، (**ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان إلى الدماغ مظلم**) وسبب إظلامه ثقل الدم، وما يتصاعد عن الثقيل لا يخلو عن كدرة وظلمة (**يستولي على معادن الفكر**) ومخازنه فيغطي عليها ويكدرها، (**وربما يتعدى إلى معادن الحس المشترك فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه**) وإنما ذلك للكدر الذي خالط نورها، (**وتسود عليه الدنيا بأسرها**) أي بتمامها فلا يرى إلا سواداً مخالطاً بألوان كدرة مختلطة، (**ويكون دماغه**) ساعتئذ (**على مثال كهف**) في جبل (**أضرمت فيه نار وأججت فاسود جوه**) من فوق (**وحمي مستقره**) من تحت (**وامتلأ بالدخان جوانبه**) أي أطرافه (**وكان فيه سراج ضعيف**) فغلب عليه الدخان (**فانمحى**) أثره (**وانطفأ نوره، فلا تثبت فيه قدم**) لسخونة مستقره (**ولا يسمع فيه كلام**) لامتلائه بالدخان فيمنع من السماع (**ولا ترى فيه صورة**) إظلامه، (**ولا يقدر على إطفائه لا**

داخل ولا من خارج، بل ينبغي أن يصبر إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق، فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ، وربما تقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حياة القلب، فيموت صاحبه غيظاً كما تقوى النار في الكهف فينشق وتنهدّ أعاليه على أسافله، وذلك لإبطال النار ما في جوانبه من القوّة الممسكة الجامعة لأجزائه، فهكذا حال القلب عند الغضب. وبالحقيقة فالسفينة في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر أحسن حالاً وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظاً، إذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها، وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته إذ أعماه الغضب وأصمه. ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام، حتى يظهر الزبد على الأشداق وتحمر الأحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة، ولو رأى الغضبان في حالة غضبه قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فإن الظاهر عنوان الباطن، وإنما قبحت صورة

من داخل ولا من خارج، بل ينبغي أن يصبر إلى أن يحترق جميع ما يقبل الاحتراق) ثم بعد ذلك تأكل النار نفسها إن لم تجد ما تأكله، **(فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما تقوى نار الغضب)** أي تشتد قوّتها **(فتفني)** أي تقاوم **(الرطوبة)** الغريزية **(التي بها حياة القلب، فيموت صاحبه غيظاً)** لأن حياة القلب إنما هي بتعادل كل من الحرارة والرطوبة فإذا غلب أحدهما على الآخر كان سبب زوال صفة الحياة عنها فيموت بموت صاحبه، **(كما تقوى النار في الكهف فينشق وتنهد أعاليه على أسافله وذلك لإبطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لأجزائه، فهذا حال القلب عند الغضب)** فانظر كيف يكون. **(وبالحقيقة فالسفينة)** الكائنة **(في ملتطم الأمواج عند اضطراب الرياح)** واختلافها من الجهات **(في لجة البحر)** أي وسطه ومعظمه **(أحسن حالاً وأرجى سلامة من النفس المضطربة غيظاً)** المتغيرة غضباً، **(إذ في السفينة من يحتال لتسكينها)** وتعديلها **(وتدبيرها)** بطيّ شراعها أو تثقيل مراسيها **(وينظر لها ويسوسها)** فعسى أن يخف اضطرابها. **(وأما القلب فهو صاحب السفينة وقد سقطت حيلته)** وفسد تدبيره **(إذ أعماه الغضب وأصمه. ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون)** إما إلى الإحمرار أو إلى الكدرة أو إلى الصفرة **(وشدة الرعدة)** والإضطراب والرعشان **(في الأطراف)** كاليد والرجل **(وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام)** المعهودين **(واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر الزبد على الاشداق)** أي أطراف الفم **(وتحمر الأحداق)** والوجنات **(وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة)** أي تتغير، **(ولو رأى الغضبان في حال غضبه)** في المرآة **(قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته، وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره فإن الظاهر عنوان الباطن،**

الباطن أولاً ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانياً، فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس الثمر بالمثمرة فهذا أثره في الجسد.

وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل ويستحي منه قائله عند فتور الغضب، وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ.

وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن من غير مبالاة، فإن هرب منه المغضوب عليه أو فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه، وقد يضرب بيده على الأرض ويَعْدُو عَدْو الواله السكران والمدهوش المتحير، وربما يسقط صريعاً لا يطيق العدو والنهوض بسبب شدة الغضب ويعتريه مثل الغشية، وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلاً على الأرض وقد يكسر المائدة إذا غضب عليها، ويتعاطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجمادات ويخاطبها ويقول: إلى متى منك هذا يا كيت وكيت؟ كأنه يخاطب عاقلاً، حتى ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها بذلك.

وإنما قبحت صورة الباطن أولاً ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانياً فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذا أثره في الجسد).

(**أما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم**) واللعن (**والفحش**) والبذاء (**وقبائح الكلام الذي يستحي منه ذوو العقول**) السليمة (**ويستحي منه قائله عند فتور الغضب**) وسكونه فيتعجب من نفسه، (**وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ**). قال مورق العجلي: ما تكلمت في غضب قط بما أندم عليه إذا رضيت.

(**وأما أثره على الأعضاء**) الظاهرة (**فالضرب**) باليد والرفس بالرجل والمناصاة بالجبهة والمدافعة بالركب (**والتهجم**) على المغضوب عليه (**والتمزيق**) لثوبه (**والقتل والجرح عند التمكن**) منه (**من غير مبالاة، فإن هرب منه المغضوب عليه**) واختفى من عينه (**أو فاته بسبب**) من الأسباب (**وعجز عن التشفي**) لغيظه منه (**رجع الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه**) بيديه وربما بنعليه، (**وقد يضرب بيده على الأرض ويعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير**) الذي لا يعي شيئاً، (**وربما سقط صريعاً**) على الأرض (**لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية**) والسكرة، (**وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة مثلاً على الأرض فيكسرها وقد يكسر المائدة**) برجله (**إذا غضب عليها ويتعاطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة ويخاطبها ويقول: إلى حرسك**) كذا في النسخ وفي بعضها إلى متى منك (**يا كيت وكيت؟ كأنه يخاطب عاقلاً وربما رفسته دابة فيرفس الدابة**) كما رفسته (**ويقابلها بذلك**) وربما قابلها بعصا أو سلاح ليشفي غيظه بذلك.

وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد وإضمار السوء والشماتة بالمساءات والحزن بالسرور والعزم على إفشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير ذلك من القبائح، فهذه ثمرة الغضب المفرط.

وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة واحتمال الذل من الأخساء وصغر النفس والقماءة وهو أيضاً مذموم، إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة. قال ﷺ: «إن سعداً لغيور وأنا أغير من سعد وإن الله أغير مني»، وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب، ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب. ولذلك قيل: كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها. ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات، وقد قال ﷺ: «خير أمتي أحدّاؤها» يعني في الدين. وقال تعالى: ﴿ولا تأخذْكُم بهما رأفةٌ في دين الله﴾

(وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد وإضمار السوء والشماتة) أي الفرح **(بالمساءات والحزن بالسرور والعزم على إفشاء السر وهتك الستر والإستهزاء وغير ذلك من القبائح)** والرذائل، **(فهذه ثمرة الغضب المفرط)** المتجاوز عن الحد.

(وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة) وكذا ما سواهن من داخل الحجاب **(واحتمال الذل من الأخساء)** واللؤماء **(وصغر النفس)** والهمة **(والقماءة وهو أيضاً مذموم، إذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة)** تضاد الرجولية **(قال ﷺ: « إن سعداً لغيور وأنا أغير من سعد والله أغير مني »)** رواه مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث المغيرة بنحوه، وقد تقدم في كتاب النكاح: **(وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب)** عن المخالطة. **(ولو تسامح الناس بذلك)** وغفلوا عنها **(لاختلطت الأنساب ولذلك قيل: كل أمة وضعت الغيرة في رجالها)** فهم يغارون على حرمهم **(وضعت الصيانة في نسائها)** فهن يتعففن فالصيانة في النساء تابعة لغيرة الرجال فإذا لم يغاروا رفعت نساؤهم حجاب الحياء، **(ومن ضعف الغضب الخور)** محركة ضعف في القلب ومنه رمح خوار إذا كان ليناً سهلاً **(والسكوت عند مشاهدة المنكرات، وقد قال ﷺ: « خير أمتي أحدّاؤها »)** جمع حديد، والمعنى أنشطها وأسرعها إلى الخير **(يعني في الدين)** أي إن المراد بالحدة الصلابة في الدين وهي تنشأ من غيرة الإيمان حمية للدين لأن الحكم إذا نيط بوصف صار علة فيه فخيار أمة الإيمان من تزايدت حدته عن تزايد قوة الإيمان لا عن كبر وهوى. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث علي بسند ضعيف وزاد: « الذين إذا غضبوا رجعوا » اهـ.

قلت: ورواه كذلك الديلمي وفيه نعيم بن سالم بن قنبر كذاب. وقال ابن حبان: يضع

[النور : ٢] بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه ، إذ لا تتم الرياضة إلا بتسليط الغضب على الشهوة ، حتى يغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة . ففقد الغضب مذموم ، وإنما المحمود غضب ينتظر إشارة العقل والدين ، فينبعث حيث تجب الحمية وينطفىء حيث يحسن الحلم ، وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله ﷺ حيث قال : « خير الأمور أوساطها » فمن مال غضبه إلى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله ، فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوى غضبه ، ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جرّه إلى التهوّر واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين ، فهو الصراط المستقيم وهو أرق من

الحديث ، ولفظهم :« خيار أمتي احداؤهم » وقد يشتد على كثيرين الحدة بسوء الخلق ، والفارق المميز هو الذي ختم به الحديث ، فالرجوع والصفاء هو الفارق ، وصاحب الخلق السوء يحقد ، وصاحب الحدة لا يحقد والغالب أنه لا يغضب إلا لله ، ومما يشهد للحديث ما رواه أبو يعلى والطبراني عن ابن عباس رفعه : « الحدة تعتري خيار أمتي » وفي مسند الحسن بن سفيان من حديث أبي منصور الفارسي وله صحبة قيل له : لولا حدة فيك ! فقال : ما يسرني بحدتي كذا وكذا ، وقد قال رسول الله ﷺ : « إن الحدة تعتري خيار أمتي » وكذا أخرجه البغوي في هجر الصحابة ، وأبو نعيم في الحلية ، ولكن رواه المستغفري فقال عن يزيد بن أبي منصور وكانت له صحبة بدلاً عن أبي منصور والأولى أكثر . (**وقال تعالى : ﴿ولا تأخذكم بهما﴾**) أي بالزاني والزانية في حدهما (**رأفة في دين الله**) أي شدة رحمة وهو دليل لذم التفريط (**بل من فقد الغضب عجز ، عن رياضة نفسه**) وتهذيبها ، (**إذ تتم الرياضة بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة ، ففقد الغضب**) من أصله (**مذموم ، وإنما المحمود**) الإقتصاد منه وهو (**غضب ينتظر إشارة العقل والدين ، فينبعث حيث تجب الحمية وينطفىء**) ويقل (**حيث يحسن الحلم ، وحفظه على حدّ الإعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده**) وقد تقدم أن المراد بالاستقامة عندهم الوفاء بالعهود ولزوم الصراط المستقيم برعاية حظ الاستواء في كل أمر ديني ودنيوي ، (**وهو الوسط الذي وصفه رسول الله ﷺ حيث قال : « خير الأمور أوساطها »**) رواه البيهقي من حديث مطرف مرسلاً ، ورواه الحافظ أبو بكر الجياني في الأربعين البلدانية من حديث علي بسند ضعيف ، وقد تقدم الكلام على ذلك . (**فمن مال غضبه إلى الفتور حتى أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله ، فينبغي أن يعالج نفسه حتى يقوي غضبه . ومن مال غضبه إلى الإفراط حتى جرّه إلى التهور واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على الوسط الحق بين الطرفين ، فهو الصراط المستقيم**) المذكور في سورة الفاتحة (**وهو أرقّ من الشعر**

الشعرة وأحدّ من السيف، فإن عجز عنه فليطلب القرب منه. قال تعالى: ﴿ولَنْ تستطيعُوا أن تعْدِلوا بيْن النِّسَاء ولَوْ حَرَصْتُم فلا تَميلُوا كل الْمَيْلِ فَتَذرُوهَا كالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩] فليس كل من عجز عن الإتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله؛ ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض. فهذه حقيقة الغضب ودرجاته. نسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه إنه على ما يشاء قدير.

بيان ان الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا ؟

إعلم إنه ظن ظانون أنه يتصوّر محو الغضب بالكلية، وزعموا أن الرياضة إليه تتوجه وإياه تقصد، وظن آخرون إنه أصل لا يقبل العلاج. وهذا رأي من يظن أن الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير، وكلا الرأيين ضعيف. بل الحق فيه ما نذكره وهو إنه ما بقي الإنسان يحب شيئاً ويكره شيئاً فلا يخلو من الغيظ والغضب، وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بدّ من أن يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه، والغضب يتبع ذلك فإنه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة، وإذا قصد بمكروه غضب لا محالة.

إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

وأحد من السيف) أي في غاية الرقة ونهاية الشدة والمجاوز عليه في خطر عظيم، (**فإن عجز عنه فليطلب القرب منه**) فإن القريب من القريب قريب (**﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾ فليس كل من عجز عن الإتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر له ولكن**) كما قيل: (**بعض الشر أهون من بعض، و**) في معناه (**بعض الخير أرفع من بعض. فهذه حقيقة الغضب ودرجاته**) وما يتعلق به.

بيان أن الغضب هل يمكن إزالة أصله بالرياضة أم لا:

(**أعلم**) وفقك الله (**أنه ظن ظانون أنه يتصور محو الغضب بالكلية، وزعموا أن الرياضة إليه تتوجه وإياه تقصد**) فإزالته ممكنة ولا إستحالة فيها، (**وظن آخرون أنه أصلاً لا يقبل العلاج**) ولا ينمحي بالكلية. (**وهذا رأي من يظن أن الخلق**) بضمتين (**كالخلق**) بالفتح (**وكلاهما لا يقبل التغيير**) والتبديل كما تقدم الكلام عليه في كتاب رياضة النفس، (**وكلا الرأيين ضعيف**) لا يعوّل عليه. (**بل الحق فيه ما نذكره وهو أنه ما بقي الإنسان يحب شيئاً ويكره شيئاً فلا يخلو من الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء ويخالفه آخر فلا بد وأن يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فإنه مهما أخذ منه محبوبه غضب لا محالة، و**) كذلك (**إذا قصد بمكروه غضب لا محالة إلا أن ما يحبه الإنسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام.**

الأوّل: ما هو ضرورة في حق الكافة كالقوت والمسكن والملبس وصحة البدن، فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بدّ وأن يغضب، وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر عورته، وكذلك إذا أخرج من داره التي هي مسكنه أو أريق ماؤه الذي لعطشه، فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها.

القسم الثاني: ما ليس ضرورياً لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب، فإن هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة والجهل بمقاصد الأمور، حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكنزان، ويغضب على من يسرقهما وإن كان مستغنياً عنهما في القوت، فهذا الجنس مما يتصوّر أن ينفك الإنسان عن أصل الغيظ عليه، فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز أن لا يغضب، إذ يجوز أن يكون بصيراً بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها، فإنه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة في العلم، فمن غلب هذا

الاول: ما هو ضرورة في حق الكافة) لا يستغنون عنه بحال **(وهو القوت)** بقدر ما يسد جوعه، **(والمسكن)** بقدر ما يستكن فيه في الشتاء والصيف **(والملبس)** بقدر ما يستر عورته ويصحح صلاته، **(وصحة البدن)** فهذه الأشياء ضرورة في حق الكافة. **(فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بدّ وأن يغضب)** إذ وجب عليه حفظ بدنه إلى أن يصح، **(وكذلك إذا أخذ منه ثوبه الذي يستر به عورته)** ويصحح به صلاته، **(وكذلك اذا أخرج من داره التي هي مسكنه)** أو أخذ من قوته الذي يسدّ به جوعه **(أو أريق ماؤه الذي هو لعطشه، فهذه ضرورات لا يخلو الإنسان من كراهة زوالها)** وسلبها **(و)** لا يخلو **(من غيظه على من يتعرض لها)**.

(القسم الثاني: ما ليس ضرورياً لأحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب) بأنواعها والحرث والعقارات، **(فإن هذه الأمور صارت محبوبة بالعادة)** المستمرة **(والجهل بمقاصد الأمور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في أنفسهما فيكنزان ويغضب على من يسرقهما، وإن كان مستغنياً عنهما في القوت)** الذي يسدّ به كلب الجوع، **(فهذا الجنس مما يتصور أن ينفك الإنسان من أصل الغيظ)** المستكن في القلب، **(فإذا كانت له دار زائدة على مسكنه)** الذي يأوي إليه **(فهدمها ظالم)** لسبب من الأسباب **(فيجوز أن لا يغضب)** على فعله هذا. **(إذ يجوز أن يكون بصيراً بأمر الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب بأخذها)** أو هدمها، **(فإنه لا يحب وجودها ولو أحب وجودها لغضب على الضرورة بأخذها وأكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت)**

الحب عليه فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل، ومن لا يحب ذلك فلا يبالي ولو جلس في صف النعال، فلا يغضب إذا جلس غيره فوقه. وهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الإنسان ومكارهه فأكثرت غضبه، وكلما كانت الإرادات والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص، لأن الحاجة صفة نقص فمهما كثرت كثر النقص، والجاهل أبداً جهده في أن يزيد في حاجاته وفي شهواته، وهو لا يدري أنه مستكثر من أسباب الغم والحزن، حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء إلى أن يغضب لو قيل له: أنك لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير، وما يجري مجراه من الرذائل، فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه ليس بضروري.

القسم الثالث: ما يكون ضرورياً في حق بعض الناس دون البعض، كالكتاب مثلاً في حق العالم فإنه مضطر إليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه، وكذلك أدوات

والشهرة **(والتصدر في المجالس)** أي التقدم والإرتفاع **(والمباهاة بالعلم، فمن غلب هذا الحب عليه فلا محالة يغضب إذا زاحمه مزاحم على التصدر في المحافل)** أي مجامع الناس، **(ومن لا يحب ذلك ولا يبالي لو جلس في صف النعال)** أي في الصف المؤخر الذي هو موضع خلع النعال، **(فلا يغضب إذا جلس غيره فوقه. وهذه العادات الرديئة هي التي أكثرت محاب الإنسان ومكارهه فأكثرت غضبه، وكلما كانت الإرادات والشهوات أكثر كان صاحبها أحط رتبة وأنقص)** مقاماً، **(لأن الحاجة)** التي هي اسم من الإحتياج **(صفة نقص)** في الإنسان **(فمهما كثرت)** هذه الصفة **(كثر النقص)** لأن النقص من لوازم الحاجة فإذا كثر الملزوم تبعه اللازم لا محالة في الوصف، **(والجاهل أبداً جهده في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري أنه مستكثر)** بذلك **(من أسباب الغم والحزن)** فإنها تحمله على ذلك، **(حتى ينتهي بعض الجهال بالعادات الرديئة ومخالطة قرناء السوء إلى أن يغضب لو قيل له: إنك لا تحسن اللعب بالطيور)** والحمام وغيره **(واللعب بالشطرنج)** والنرد وما في معناهما **(ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير، وما يجري مجراه من الرذائل)** والمستقبحات، **(فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري لأن حبه ليس بضروري)** بل مستغنى عنه.

(القسم الثالث: ما يكون ضرورياً في حق بعض الناس دون البعض كالكتاب) مثلاً **(للعالم)** فإنه مضطر إليه في مطالعته **(فيحبه)** محبة الدينار والدرهم عند غيره بل أعظم، ومن هذا قول بعضهم:

فمحبوبي من الدنيا كتابي وهل أبصرت محبوباً يعارُ

الصناعات في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها، فإن ما هو وسيلة إلى الضروري، والمحبوب يصير ضرورياً ومحبوباً، وهذا يختلف بالأشخاص وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»، ومن كان بصيراً بحقائق الأمور وسلم له هذه الثلاثة يتصوّر أن لا يغضب في غيرها فهذه ثلاثة أقسام فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها.

(**فيغضب على من يخرقه ويمزقه**) أو يمحيه أو يوسخ ورقه أو يكب عليه شيئاً من الأدهان، (**وكذلك أدوات الصناعات وآلاتها في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل إلى القوت إلا بها فإن ما هو وسيلة إلى الضروري المحبوب يصير ضرورياً ومحبوباً وهذا يختلف بالأشخاص، وإنما الحب الضروري ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «من أصبح آمناً في سربه**) بكسر السين المهملة على الأشهر أي نفسه وروي بفتحها أي في مسلكه، وقيل: بفتحتين أي في منزله (**معافى في بدنه**) وفي رواية في جسده أي صحيحاً بدنه (**وله**) وفي رواية وعنده (**قوت يومه**) أي غداؤه وعشاؤه والذي يحتاج إليه في يومه ذلك (**فإنما حيزت**) بكسر الحاء (**له الدنيا**) أي ضمت وجمعت (**بحذافيرها»**) أي بأسرها، والمعنى من جمع الله له بين عافية بدنه وأمن قلبه حيث توجه وكفاف عيشه بقوت يومه وسلامة أهله، فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها فينبغي أن لا يشتغل يومه ذلك إلا بشكره بأن يستغرقه في طاعة المنعم لا في معصيته ولا يفتر عن ذكره، وإليه أشار بعضهم بقوله:

إذا ما القوت يأتي لـ ... ـك والصحة والأمن
وأصبحت أخا حزن ... فلا فارقك الحزن

قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محصن دون قوله بحذافيرها. قال الترمذي: حسن غريب اهـ.

قلت: ورواه كذلك البخاري في الأدب، والطبراني في الكبير كلهم من طريق مروان الفزاري، عن عبد الرحمن بن أبي شميلة، عن سلمة بن عبيد الله بن محصن، عن أبيه مرفوعاً به. قال ابن القطان ولم يصححه الترمذي لأن عبد الرحمن لا يعرف حاله. وفي الميزان قال أحمد: سلمة لا أعرفه، ولينه العقيلي ثم ساق له هذا الخبر، وقال: روي من حديث أبي الدرداء أيضاً بإسناد لين، وعبدالله بن محصن الأنصاري قال الترمذي: له صحبة، ووقع عند الباوردي عبيد بن محصن غير مضاف وساق له هذا الحديث، ووقع عند إبراهيم الحربي من هذا الوجه عبد الرحمن بن محصن.

(**ومن كان بصيراً بحقائق الأمور وسلم له هذه الثلاث يتصور أن لا يغضب في غيرها، فهذه ثلاثة أقسام. فلنذكر غاية الرياضة في كل واحد منها**).

أما القسم الأوّل: ليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب، ولكن لكي يقدر على أن لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل، وذلك ممكن بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة، حتى يصير الحلم والاحتمال خلقاً راسخاً فأما قمع أصل الغيظ من القلب فذلك ليس مقتضى الطبع وهو غير ممكن. نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن، وينتهي ضعفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه، ولكن ذلك شديد جداً وهذا حكم القسم الثالث أيضاً لأن ما صار ضرورياً في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه. فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه.

وأما القسم الثاني: فيمكن التوصل بالرياضة إلا الانفكاك عن الغضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القلب، وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة، وأن الدنيا معبر يعبر عليها ويتزوّد منها قدر الضرورة، وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن قلبه، ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لا

(**أما القسم الأول: فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب**) من أصله، (**ولكن لكي يقدر على أن لا يطيع الغضب**) بل يكف نفسه عنه (**فلا يستعمله في الظاهر إلا على حدّ يستحبه الشرع ويستحسنه العقل، وذلك ممكن بالمجاهدة**) والرياضة (**وتكلف الحلم والاحتمال مدة**) من الزمان، (**حتى يصير الحلم والإحتمال خلقاً**) فيه (**راسخاً**) بعد أن كان مكلفاً فأما قمع أصل الغيظ من القلب، (**فذلك مقتضى الطبع**) أي يقتضيه الطبع البشري لا ينفك عنه (**وهو**) أي قمعه (**غير ممكن. نعم يمكن كسر سورته**) أي شوكته (**وتضعيفه**) أي توهينه (**حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه**) وكسر قوته (**إلى أن لا يظهر أثره في الوجه**) ولا في الأطراف وهذا ممكن، (**ولكن ذلك شديد جداً**) إلا من خفف الله عليه (وهذا حكم القسم الثالث أيضاً لأن ما صار ضرورياً في حق الشخص فلا يمنعه من **الغيظ استغناء غيره عنه، فالرياضة فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد التألم بالصبر عليه**) هذا حال القسم الأول والثالث.

(**وأما القسم الثاني: فيمكن التوصل بالرياضة إلى الإنفكاك من الغضب عليه إذ يمكن إخراج حبه من القلب**) بنوع من الإعتبار، (**وذلك بأن يعلم الإنسان أن وطنه القبر ومستقره الآخرة وإنما الدنيا**) دار ممر لا دار مقر، بل هي بمنزلة (**معبرة يعبر عليها**) ولا يعمرها كما رواه أبو نعيم في الحلية عن عيسى عليه السلام: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها، (**ويتزود منها قدر الضرورة**) الداعية (**وما وراء ذلك عليه وبال**) أي ثقل (**في وطنه ومستقره فيزهد في الدنيا**) ويرغب عنها (**ويهجر حبها من قلبه**) وفي بعض النسخ ويمحي

يغضب إذا ضربه غيره، فالغضب تبع للحب. فالرياضة في هذا تنتهي إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جداً، وقد تنتهي إلى المنع من إستعمال الغضب والعمل بموجبه وهو أهون.

فإن قلت: الضروري من القسم الأوّل التألم بفوات المحتاج إليه دون الغضب، فمن له شاة مثلاً وهي قوته فماتت لا يغضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة، وليس من ضرورة كل كراهة غضب، فإن الإنسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الأشياء كلها بيد الله ومنه فلا يغضب على أحد من خلقه، إذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب، ومن وقع ملك بضرب رقبته لم يغضب على القلم، فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها، إذ يرى الذبح والموت من الله عز وجل فيندفع الغضب بغلبة التوحيد، ويندفع أيضاً بحسن الظن بالله، وهو أن يرى أن الكل من الله وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخيرة، وربما تكون الخيرة في مرضه وجوعه وجرحه وقتله، فلا يغضب كما لا

بدل ويهجر، (**ولو كان للإنسان كلب لا يحبه لم يغضب عليه إذا ضربه غيره**) أي لا يتأثر في قلبه شيء من ضربه، (**فالغضب تبع للحب. فالرياضة في هذا قد تنتهي إلى قمع أصل الغضب وهو نادر جداً**) قليل الوقوع، (**وقد تنتهي إلى المنع من استعمال الغضب و**) من (**العمل بموجبه**) ومقتناه (**وهو أهون**) بالنسبة إلى قمع أصله.

(**فإن قلت الضروري من القسم الأول التألم بفوات المحتاج إليه**) أي حصول الألم فيه (**دون الغضب، فمن له شاة مثلاً وهي قوته**) يشرب من لبنها (**فماتت**) عليه (**لا يغضب على أحد وإن كان يحصل منه كراهة**) وتألم بمقتضى الطبع، (**وليس من ضرورة كل كراهة غضب فالإنسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب**) بعد ذلك (**على الفصاد والحجام، فمن غلب عليه**) نور (**التوحيد**) المطلق الذاتي والفعلي (**حتى**) يرى الأشياء كلها من الله تعالى (**فلا يغضب على أحد من خلقه إذ يراهم مسخرين**) مذللين منقادين (**في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب، ومن وقع ملك**) من الملوك (**بضرب رقبته**) مثلاً (**لم يغضب على القلم**) وأصل التوقيع أثر الكتابة في الكتاب، ومنه استعير التوقيع في القصص وذلك بأن ترفع رقعة لعملك فيها شكاية حال أو قصة فيكتب عليها يكون كذا وكذا فيسمى ذلك توقيعاً (**فلا يغضب على من يذبح شاته التي هي قوته كما لا يغضب على موتها**) بحتف أنفها. (**إذ يرى الموت والذبح من الله تعالى فيندفع الغضب بغلبة**) نور (**التوحيد، ويندفع أيضاً بحسن الظن بالله وهو أن يرى أن الكل من الله وأن الله لا يقدر له إلا ما فيه الخيرة، وربما تكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد**) أو الحجام

يغضب على الفصاد والحجام لأنه يرى أن الخيرة فيه، فنقول هذا على هذا الوجه غير محال، ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف، تغلب في أحوال مختطفة ولا تدوم، ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعاً طبيعياً لا يندفع عنه، ولو تصوّر ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله ﷺ فإنه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه، حتى قال: « اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة »، وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال: « اكتب فوالذي بعثني بالحق نبياً ما يخرج منه إلا حق » وأشار إلى لسانه، فلم يقل

(لأنه يرى أن الخيرة فيه) مع ظنه أنه لا يقدر له إلا ما فيه الخير؟ **(فنقول: هذا على الوجه)** المذكور **(غير محال)** فقد يتصور للعبد أن يترقى إلى هذا المقام ويكشف له عن بصيرته فيتساوى عنده الذبح والموت فلا يغضب للذبح كما لا يغضب للموت، وينكشف له عن حقيقة الحقائق وعن أسرار الربوبية وعما ينتج حسن الظن بالله، **(ولكن غلبة التوحيد إلى هذا الحد إنما تكون كالبرق الخاطف، يغلب في أحوال مختطفة ولا يدوم)** ولا يستمر حكمه مع العارف، **(ويرجع القلب)** بعد ذلك **(إلى الالتفات إلى الوسائط رجوعاً طبيعياً لا يندفع عنه)** فهو إذاً حال لا مقام، **(ولو تصور ذلك على الدوام)** والاستمرار **(لبشر لتصور لرسول الله ﷺ)** وهو أفضل الخلق أجمعين وأكمل العباد العارفين، **(فإنه كان يغضب أحياناً حتى تحمر وجنتاه)** رواه مسلم من حديث جابر: « كان إذا غضب احمرت عيناه وعلاصوته واشتد غضبه » وللحاكم: « كان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتد غضبه » وقد تقدم في أخلاق النبوة، **(حتى قال)** ﷺ: **(« اللهم أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة »)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: « اللهم أنا بشر » دون قوله: « أغضب كما يغضب البشر » وقال: « جلدته » بدل « ضربته » وفي رواية « اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر » وأصله متفق عليه وقد تقدم، ولمسلم من حديث أنس « إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر » ولأبي يعلى من حديث أبي سعيد وأبي هريرة أو قال ضربته، وفيه محمد بن إسحاق رواه بالعنعنة.

(وقال عبدالله بن عمرو بن العاص) بن وائل السهمي القرشي رضي الله عنهما: **(اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا: فقال: « اكتب فوالذي بعثني بالحق ما يخرج منه إلا حق » وأشار إلى لسانه)** وهو متضمن لما في قوله تعالى: ﴿ما ينطق عن الهوى★ إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم: ٣، ٤] قال العراقي: رواه أبو داود بنحوه بإسناد صحيح، **(فلم يقل)** ﷺ

إني لا أغضب، ولكن قال إن الغضب لا يخرجني عن الحق، أي لا أعمل بموجب الغضب. وغضبت عائشة رضي الله عنها مرة فقال لها رسول الله ﷺ: « ما لك؟ جاءك شيطانك » فقالت: وما لك شيطان؟ قال: « بلى ولكني دعوت الله فأعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بالخير »، ولم يقل: لا شيطان لي، وأراد شيطان الغضب لكن قال: لا يحملني على الشر. وقال علي رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ لا يغضب للدنيا فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له فكان يغضب على الحق، وإن كان غضبه لله فهو التفات إلى الوسائط على الجملة، بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بدّ له في دينه منها فإنما غضب لله، فلا يمكن الانفكاك عنه. نعم قد يفقد أصل الغضب فيما هو ضروري إذا كان القلب مشغولاً بضروري أهم منه، فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره، فإن استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الإحساس بما عداه.

(**إني لا أغضب**) أي لم ينف عنه الغضب، (**ولكن قال: « إن الغضب لا يخرجني من الحق » أي لا أعمل بموجب الغضب**) ومقتضاه.

(**وغضبت عائشة**) رضي الله عنها (**مرة فقال**) لها (ﷺ: « **مالك؟ جاء شيطانك » فقالت: وما لك شيطان؟ فقال: « بلى ولكن دعوت الله فأعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير »**) رواه مسلم في أواخر كتابه قبل باب صفة الجنة عن هارون بن سعيد الأيلي، عن ابن وهب، عن أبي صخر، عن ابن نشيط حدثه أن عروة حدثه أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت: فغرت عليه فجاء فرأى ما منع فقال: « مالك يا عائشة أغرت؟ فقلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال ﷺ: « لقد جاء شيطانك » قلت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال: « نعم » قلت ومع كل إنسان؟ قال: « نعم » قلت ومعك يا رسول الله؟ قال: « نعم ولكن ربي أعانني عليه فأسلم ». (**فلم يقل**) ﷺ (**لا شيطان لي، وأراد شيطان الغضب لكن قال: لا يحملني على الشر**) وقد ذكر هذا الحديث وتقدم الكلام عليه.

(**وقال علي كرم الله وجهه: كان ﷺ لا يغضب للدنيا فإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له**) رواه الترمذي في الشمائل وقد تقدم في أخلاق النبوة، (**فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه لله فهو التفات إلى الوسائط على الجملة، بل كل من يغضب على من يأخذ ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها فإنما غضب لله لأنه**) داخل في انتهاك حرمة الله، (**فلا يمكن الإنفكاك عنه. نعم قد يفقد أصل الغيظ فيما هو ضروري إذا كان القلب مشغولاً بضروري أهم منه فلا يكون للقلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره، فإن استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الإحساس بما عداه**) أي فلا يحس

وهذا كما ان سلمان لما شُتم قال: إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول. فقد كان همه مصروفاً إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم. وكذلك شُتم الربيع بن خثيم فقال: يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعتها لم يضرني ما تقول، وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول، وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال: ما ستر الله عنك أكثر، فكأنه كان مشغولاً بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته، فلم يغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان، إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان، وذلك لجلالة قدره، وقالت امرأة لمالك بن دينار: يا مرائي، فقال: ما عرفني غيرك! فكأنه كان مشغولاً بأن ينفي عن نفسه آفة الرياء، ومنكراً على نفسه ما يلقيه الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه. وسب رجل الشعبي فقال: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك. فهذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم، ويحتمل أن يكون ذلك قد أثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الأغلب على قلوبهم، فإذاً

به ولا يشعر لغلبة الإستغراق، وذلك إذا أخذ بمجامع قلبه وأحاط به إحاطة القشر باللب وقد يتصور مع بعض الإستغراق الإحساس بغير ما هو فيه ولكن لا يؤثر عنده.

(**وهذا كما ان سلمان**) الفارسي رضي الله عنه (**لما شتم قال: إن خفت موازيني**) أي موازين حسناته (**فأنا شر مما تقول وإن ثقلت لم يضرني ما تقول. فقد كان**) رضي الله عنه (**همه مصروفاً إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم**) ولم يبال به. (**وكذلك شتم الربيع بن خيثم**) الثوري الكوفي (**فقال**) له: (**يا هذا قد سمع الله كلامك وأن دون الجنة عقبة**) كؤداً (**إن قطعتها لم يضرني ما تقول. وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول**) أخرجه أبو نعيم في الحلية (**وسب رجل أبا بكر رضي الله عنه فقال**) له: (**ما ستر الله عنك أكثر، فكأنه**) رضي الله عنه (**كان مشغولاً بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم تغضبه نسبة غيره إياه إلى نقصان، إذ كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره**) وعظيم منزلته في المعرفة. (**وقالت امرأة لمالك بن دينار**) البصري: (**يا مرائي! فقال: ما عرفني غيرك**) أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**فكأنه كان مشغولاً بأن ينفي عن نفسه آفة الرياء ومنكراً على نفسه ما يلقي الشيطان إليه فلم يغضب لما نسب إليه**) لذلك. (**وسب رجل**) عامر بن شراحيل (**الشعبي فقال: إن كنت صادقاً فغفر الله لي وإن كنت كاذباً فغفر الله لك**) أخرجه أبو نعيم في الحلية، وقيل لأبي يزيد البسطامي: لحيتك أفضل أم ذنب الكلب؟ فقال: إن مت مؤمناً فلحيتي وإلا فذنب الكلب، فكان همه مشغولاً بحسن الخاتمة.

(**فهذه الأقاويل دالة في الظاهر على أنهم لم يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم، ويحتمل أن يكون قد أثر ذلك في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو**

اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب، فإذاً يتصوّر فقد الغيظ إما باشتغال القلب بمهم، أو بغلبة نظر التوحيد، أو بسبب ثالث: وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يغتاظ فيطفىء شدة حبه لله غيظه، وذلك غير محال في أحوال نادرة. وقد عرفت بهذا أن الطريق للخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها ـ كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ـ ومن أخرج حب المزايا عن القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب، وما لا يمكن محوه يمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه انه على كل شيء قدير والحمد لله وحده.

بيان الأسباب المهيجة للغضب:

قد عرفت أن علاج كل علة حسم مادتها وإزالة أسبابها فلا بد من معرفة أسباب الغضب. وقد قال يحي لعيسى عليهما السلام: أي شيء أشد؟ قال غضب الله، قال فما يقرب من غضب الله، قال أن تغضب، قال: فما يبدي الغضب وما ينبته؟ قال عيسى: الكبر والفخر والتعزز والحمية.

الأغلب على قلوبهم، فإذا اشتغال القلب ببعض المهات لا يبعد أن يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب، فإذاً يتصور فقد الغيظ إما باشتغال القلب بمهم) ديني على وجه الاستغراق **(أو بغلبة نظر التوحيد)** وهذان السببان قد ذكرا. **(وسبب ثالث: وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يغتاظ فتطفىء شدة حبه لله غيظه وذلك غير محال في أحوال نادرة)** عزيزة الوقوع فإنها تستدعي كمال الحب واستدامة المراقبة، **(وقد عرفت بهذا أن طريق الخلاص من نار الغضب محوحب الدنيا من)** لوح **(القلب)** لأنه من لوازمه، **(وذلك بمعرفة آفات الدنيا وغوائلها ـ كما سيأتي في كتاب ذم الدنيا ـ ومن أخرج حب المزايا)** جمع مزية **(من القلب تخلص من أكثر أسباب الغضب، وما لا يمكن محوه)** من لوح القلب **(فيمكن كسره وتضعيفه)** وتوهينه **(فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه)**.

بيان الأسباب المهيجة للغضب:

(قد عرفت أن علاج كل علة بحسم مادتها وإزالة أسبابها) التي نشأت منها تلك العلة **(فلا بد من معرفة أسباب الغضب)** أولاً حتى يهتدي لإزالتها، **(وقد قال عيسى ليحي عليهما السلام)** وهما ابنا الخالة: **(أي غضب أشد؟ قال: غضب الله. قال: فما يقرب من غضب الله؟ قال: أن تغضب)** وقد تقدم قريباً بلفظ: وما يباعد من غضب الله؟ قال: أن لا تغضب، **(قال يحي: فما يبدي الغضب وما ينبته؟ قال عيسى)** عليه السلام: **(الكبر والفخر والتعزز والحمية)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

والأسباب المهيجة للغضب هي : الزهو والعجب والمزاح والهزل والهزء والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها .

فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بمعرفتك بنفسك ـ كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب وتزيل الفخر بأنك من جنس عبدك إذ

الناس يجمعهم في الانتساب أب وإنما اختلفوا في الفضل أشتاتا

فبنو آدم جنس واحد وإنما الفخر بالفضائل والفخر والعجب والكبر أكبر الرذائل وهي أصلها ورأسها ، فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه إذا عرفت ذلك. وأما الهزل

(**فالأسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزح والهزل والتعيير**) أي ذكر عيب الغير ونسبته إليه (**والمماراة**) أي المخاصمة (**والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بدّ من إزالة هذه الأسباب بإضدادها**) ونقائضها .

(**فينبغي أن يميت الزهو بالتواضع**) فإن الزهو هو الكبر والرفعة والتواضع ضده (**وتميت العجب بالمعرفة بنفسك**) بالذل والقصور (**كما سيأتي بيانه في كتاب الكبر والعجب، ويزيل الفخر بأنك من جنس عبدك**) الذي تملكه (**إذ**) قال الشاعر :

(**الناس يجمعهم في الإنتساب أب وإنما اختلفوا في الفضل أشتاتا**)

ومثل ذلك قول علي رضي الله عنه : في أبيات ذكرت في كتاب العلم.

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهم واحد والأم حوّاء

(**فبنو آدم جنس واحد وإنما الفخر بالفضائل**) النفسية العلمية والعملية (**والفخر**) من غير فضيلة (**والعجب**) بالنفس (**والكبر**) على الغير (**أكبر الرذائل وهي رأسها وأصلها**) أي هذه الثلاثة أساس كل رذيلة ، (**فإذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وأنت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والأعضاء الظاهرة والباطنة، وأما المزح فيزيله بالتشاغل بالمهات الدينية التي تستوعب العمر**) وتستغرقه (**وتفضل عنه إذا عرفت ذاك**) ففيها شغل شاغل عن المباسطة والمزاح وغيره ، (**وأما الهزل**) من القول (**فيزيله بالجد في طلب**

فتزيله بالجد في طلب الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة الآخرة. وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن إيذاء الناس وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك. وأما التعبير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب. وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلباً لعز الاستغناء وترفعاً عن ذل الحاجة.

وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها، ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة على النفس، فإذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضاً عن الغضب الذي يتولد منها. ومن أشد البواعث على الغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة، وتلقيبه بالألقاب المحمودة غباوة وجهلاً حتى تميل النفس إليه وتستحسنه. وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن

الفضائل والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة الآخرة) فالذي يجتهد في تحصيل مثل هذه لا يتفرغ للهزليات، **(وأما الهزء فيزيله بالتكرم عن إيذاء الناس)** فلا يؤذيهم **(وبصيانة النفس عن أن يستهزأ بك)** فإن من استهزأ بغيره استهزىء به، **(وأما التعبير فبالحذر عن قول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب)** وفي بعض النسخ عن مر القول، **(وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة)** والإكتفاء **(بقدر الضرورة)** والحاجة الداعية فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة **(طلباً لعز الاستغناء وترفعاً عن ذل الحاجة)** فإن الاحتياج إلى الناس مذلة حاضرة والاستغناء عنهم عز حاضر، وقد قال علي رضي الله عنه: استغن عمن شئت تكن أميره واحتج إلى من شئت تكن أسيره.

(وكل خلق من هذه الأخلاق وصفة من هذه الصفات تفتقر في علاجه إلى رياضة) وتهذيب **(وتحمل مشقة)** وكلفة، **(وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها)** ودسائسها **(لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة)** مع التكرار **(مألوفة هينة على النفس فإذا أنمحت عن)** لوح **(النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت أيضاً عن الغضب الذي يتولد منها)** لا محالة فإنها إذا طهرت عن أسباب الغضب لم يكن للغضب إليها سبيل، **(ومن أشد البواعث للغضب عند أكثر الجهال)** من العوام **(تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالألقاب المحمودة)** المرضية **(غباوة وجهلاً)** بحقائق الأمور، **(حتى تميل النفس إليه وتستحسنه)** وتختاره، **(وقد يتأكد ذلك بحكاية شدة الغضب عن الأكابر في معرض**

الأكابر في معرض المدح بالشجاعة، والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر فيهيج الغضب إلى القلب بسببه، وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها، وآية أنه لضعف النفس أن المريض أسرع غضباً من الصحيح، والمرأة أسرع غضباً من الرجل، والصبي أسرع غضباً من الرجل الكبير، والشيخ الضعيف أسرع غضباً من الكهل، وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضباً من صاحب الفضائل. فالرذل يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة، ولبخله إذا فاتته الحبة، حتى انه يغضب على أهله وولده وأصحابه، بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال رسول الله ﷺ: « ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ، فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء، وضد ذلك منقول عن الأكراد والأتراك والجهلة والأغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم.

المدح) والاستحسان (**بالشجاعة والنفوس مائلة إلى التشبه بالأكابر**) والتزيّي بزيهم، (**فيهيج الغضب في القلب بسببه وتسمية هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض ونقصان عقل**) وجنون (**وهو لضعف النفس ونقصانها**) عن درجة الكمال، (**وآية أنه لضعف النفس أن المريض أسرع غضباً من الصحيح**) فلنقصان صحته وكونها مزالة عن حد الاعتدال يتسرع إلى الغضب ولا يتحمل سماع كلمة تخالف مزاجه، (**والمرأة أسرع غضباً من الرجل**) لنقصان فيها، (**والصبي أسرع غضباً من الكبير**) لأنه لم يبلغ إلى حد الكمال، (**والشيخ الضعيف**) الذي فنيت قوته (**أسرع غضباً من الكهل**) الذي بقيت قوته بعد لأنه في سن الانحطاط وهو من الأربعين إلى الستين، وأما الشيخ فهو من الستين إلى آخر العمر، (**وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة أسرع غضباً من صاحب الفضائل فالرذل**) المتنكس الخلق (**يغضب لشهوته إذا فاتته اللقمة**) والشربة (**ولبخله إذا فاتته الحبة**) من المال (**حتى يغضب على أهله وولده وأصحابه**) في أمور حقيرة، (**بل القوي من يملك نفسه عند الغضب. قال ﷺ: « ليس الشديد بالصرعة**) الذي يصرع الناس فيغلبهم (**إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب »**) تقدم قريباً، (**بل ينبغي أن يعالج هذا الجاهل**) الأحمق (**بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ**) والتحلم والتجاوز، (**فإن ذلك منقول عن الأنبياء والحكماء والعلماء وأكابر الملوك الفضلاء**) وقد جمع غالب ذلك في كتب معروفة (**وضد ذلك منقول عن الأتراك والأكراد**) والأجلاف من أهل البادية (**والجهلة والأغبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل**) فليستمع تلك الأخبار، وما حكي عن الفريقين ويتهذب بأخلاق الأولين من الصالحين ويتشبه بهم ويبعد نفسه عن أحوال المسترذلين ويتجنب عنها.

بيان علاج الغضب بعد هيجانه:

ما ذكرناه هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه حتى لا يهيج، فإذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم، وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل.

أما العلم فهو ستة أمور:

الأول: أن يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه، فيمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم عن التشفي والانتقام وينطفىء عنه غيظه، قال مالك بن أوس بن الحدثان: غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين ﴿خُذِ العَفْوَ وأمُرْ بالعُرفِ وأعْرِضْ عَنِ الجاهِلينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] فكان عمر يقول: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ فكان يتأمل في الآية وكان وقافاً عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى

بيان علاج الغضب بعد هيجانه:

اعلم أن (**ما ذكرناه**) آنفاً (**هو حسم لمواد الغضب وقطع لأسبابه**) الباعثة له (**حتى لا يهيج فإذا جرى سبب هيجه**) وأثاره (**فعنده يجب التثبت**) فيه (**حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم**) شرعاً، (**وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل.**

أما العلم فهو ستة أمور.

(**الأول: أن يتفكر في الأخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال فيرغب في ثوابه وما عند الله تعالى**) (**فتمنعه شدة الحرص على ثواب الكظم**) والصفح (**عن التشفي والإنتقام وينطفيء غيظه**) وتخمد ناره. (**قال مالك بن أوس بن الحدثان**) محركة النصري بالنون والصاد أبو سعيد المدني له رؤية، وروى عن عمر توفي سنة ٩٣ روى له الجماعة: (**غضب عمر**) رضي الله عنه (**على رجل وأمر بضربه فقلت: يا أمير المؤمنين ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ فكان عمر يقول: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ فكان يتأمل في الآية وكان وقافاً عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل**) أخرج البخاري في الصحيح بنحوه من طريق شعيب عن الزهري، عن عبيد الله أن ابن عباس قال: قدم عيينة بن حصن فنزل على الحر بن قيس وكان ممن يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجلس عمر فقال عيينة لابن أخيه الحر: يا ابن أخي هل لك وجه عند هذا الأمير تستأذن عليه؟ قال: نعم فأذن له عمر فدخل فقال: يا ابن الخطاب ما تعطينا الجزل وما تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم به فقال الحر يا

الرجل. وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى: ﴿والكَاظِمِينَ الغَيظ﴾ [آل عمران: ١٣٤] فقال لغلامه: خل عنه.

الثاني: أن يخوّف نفسه بعقاب الله وهو أن يقول قدرة الله عليَّ أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيت غضبي عليه فما آمن أن يمضي الله غضبه عليَّ يوم القيامة. أحوج ما أكون إلى العفو، فقد قال تعالى في بعض الكتب القديمة: يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق. وبعث رسول الله ﷺ وصيفاً إلى حاجة فأبطأ عليه فلما جاء قال: «لولا القصاص لأوجعتك» أي القصاص في القيامة. وقيل: ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم إذا غضب أعطاه صحيفة فيها:

أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين﴾ وإن هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب الله.

(**وأمر عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى (**بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ وقال لغلامه: خل عنه**) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**الثاني: أن يخوّف نفسه بعذاب الله وهو أن يقول قدرة الله على أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيت غضبي عليه فما آمن أن يمضي الله غضبه عليَّ يوم القيامة أحوج ما أكون إلى العفو**) فإذا تأمل هذا المعنى، فلا بدّ وأن ينكسر ثوران الغضب عنه في الحال، (**وقد قال تعالى في بعض الكتب**) التي أنزلها على رسله، (**يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق**) أخرجه ابن شاهين في الترغيب وقد تقدم، (**وبعث رسول الله ﷺ وصيفاً**) وهو الغلام دون المراهق (**إلى حاجة فابطأ عليه فلما جاء قال: «لولا القصاص لأوجعتك»**) قال العراقي: رواه أبو يعلى من حديث أم سلمة بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه ابن سعد في الطبقات بلفظ: «إن النبي ﷺ أرسل وصيفة له فأبطأت عليه فقال: لولا القصاص لأوجعتك بهذا السواك». (**أي القصاص في القيامة**) ونقل البخاري في الصحيح أنه أقاد أبو بكر وعمر وابن الزبير وعلي وسويد بن مقرن من اللطمة، وأقاد عمر من ضربه بالدرة، وأقاد علي من ثلاثة أسواط واقتص شريح من سوط وخموش، وهذا كله رواية عن الإمام أحمد، ولكن العمل على خلافه لعدم انضباطه. وقد أجمع الفقهاء أن لا قصاص إلا في الجراح والقتل كما نقله ابن الجوزي، وتبعه الذهبي في سيرة عمر بن الخطاب، ولكن دعوى الإجماع فيه نظر إلا أن يكون الخلاف لفظياً، وقد قال الله تعالى: ﴿فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ [البقرة: ١٩٤] (**وقيل: ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم إذا**

ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة، فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه.

الثالث: أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه، وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة. وهذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه، لأنه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن تتشوّش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثاباً عليه.

الرابع: أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم الهادي التارك للغضب للأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء، ويخير نفسه بين أن يتشبه بالكلاب والسباع وأراذل الناس وبين أن يتشبه بالعلماء والأنبياء في عادتهم لتميل نفسه إلى حب الاقتداء بهؤلاء إن كان قد بقي معه مسكة من عقل.

غضب أعطاه صحيفة وفيها: ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة، فكان يقرؤها فيسكن غضبه) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(**الثالث: أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم أغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوّف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا إن كان لا يخاف من الآخرة**) والعلم بهذا مهم للغاية، فإن عاقبة العداوة وخيمة ومن كان له عدو متشمر في إيصال السوء إليه لا يرتاح في معيشته مطلقاً، فإذا عصم نفسه من الغضب سلم من هذه الورطة (**و**) لكن (**هذا يرجع إلى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من أعمال الآخرة ولا ثواب عليه، لأنه متردد في حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض إلا أن يكون محذوره أن يتشوش عليه في الدنيا فراغته للعلم والعمل وما يعينه على الآخرة فيكون مثاباً عليه**) حينئذ، وأما لو وقف نيته على حظوظه فقط فليس له في الآخرة نصيب.

(**الرابع: أن يتفكر في قبح صورته عند غضبه**) لو رآه في المرأة أو (**بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهة صاحبه بالكلب الضاري والسبع العادي ومشابهة الحليم التارك للغضب بالأنبياء والعلماء والحكماء، ويخيّر نفسه بين أن يشبه الكلاب والسباع وأراذل الناس، وبين أن يشبه الأنبياء والعلماء في عادتهم لتميل نفسه إلى حب الإقتداء بهؤلاء إن كان قد بقى معه مسكة من عقل**) أي بقية منه، وذلك لأن الغضب غول العقل لا يدع فيه شيئاً منه فبعيد عليه أن يتصور هذا المعنى في نفسه، وهو أن يظن أنه من أعقل الناس ولكن لا بدّ من التمرين على هذا التصور تكلفاً حتى يستأهل لفهمه.

الخامس: أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام ويمنعه من كظم الغيظ، ولا بدّ أن يكون له سبب مثل قول الشيطان له: إن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيراً في أعين الناس! فيقول لنفسه: ما أعجبك تأنفين من الاحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك؟ وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغري عند الله والملائكة والنبيين؟ فمهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه لله وذلك يعظمه عند الله، فما له وللناس وذل من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن، أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودي يوم القيامة ليقم من أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا، فهذا وأمثاله من معارف الايمان ينبغي أن يقرره على قلبه.

السادس: أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده، فكيف يقول: مرادي أولى من مراد الله ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه.

وأما العمل فأن تقول بلسانك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. هكذا أمر رسول الله

(الخامس: أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الإنتقام ويمنعه من كظم الغيظ ولا بدّ، وأن يكون له سبب مثل قول الشيطان له أن هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيراً في أعين الناس) فإذا علم من نفسه أن الشيطان قد وسوس له بمثل ذلك **(فليقل لنفسه)** مخاطباً لها: **(ما أعجبك تأنفين من الإحتمال الآن ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك؟ وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس ولا تحذرين من أن تصغري عند الله وعند الملائكة والنبيين)** على رؤوس الأشهاد، (فمهما كظم الغيظ فينبغي أن يكظمه لله وذلك) الذي (يعظمه عند الله فماله وللنـاس وذل **من ظلمه يوم القيامة أشد من ذله لو انتقم الآن؟ أفلا يحب أن يكون هو القائم إذا نودي يوم القيامة ألا ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا)** عن أخيه في مظلمة؟ كما ورد ذلك في الخبر وتقدم ذكره، **(فهذا وأمثاله من معارف الإيمان ينبغي أن يقرره على قلبه)** ويعرضه عليه مراراً حتى يتقرر فيه.

(السادس: أن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لا على وفق مراده، فكيف) يتصور له أو يخطر بباله أن **(يقول: مرادي أولى من مراد الله؟ ويوشك أن يكون غضب الله عليه أعظم من غضبه)** هذا ما يتعلق بالعلم.

(وأما العمل: فأن تقول بلسانك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمر رسول الله

ﷺ أن يقال عند الغيظ، وكان رسول الله ﷺ إذا غضبت عائشة أخذ بأنفها وقال: «يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن» فيستحب أن تقول ذلك، فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائماً واضطجع إن كنت جالساً واقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك، واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فإن سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب جمرة توقد في القلب» ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه، فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس

ﷺ **أن يقال عند الغيظ)** قال العراقي: متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال: «كنت جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبان فأحدهما أحمر وجهه وانتفخت أوداجه» الحديث. وفيه: «لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد» فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: «تعوذ بالله من الشيطان الرجيم» الحديث اهـ.

قلت: لفظ الحديث عندهما قال: استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن جلوس عنده وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لأَذْهبتْ عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» فقالوا للرجل: أما تسمع ما يقول النبي ﷺ؟ قال: إني لست بمجنون. وقد رواه كذلك أبو داود والترمذي والنسائي، وفي رواية لهؤلاء الثلاثة من حديث معاذ: «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم» قال صاحب سلاح المؤمن: وليس لسليمان بن صرد في الصحيحين سوى حديثين: أحدهما هذا. وروى ابن عدي من حديث أبي هريرة: «إذا غضب الرجل فقال أعوذ بالله سكن غضبه» ورواه الطبراني أيضاً في الأوسط والصغير من حديث ابن مسعود بنحوه.

(وكان ﷺ **إذا غضبت عائشة)** رضي الله عنها **(أخذ بأنفها وقال: «يا عويش)** صغر إسمها للترخم **(قولي اللهم رب النبي محمد أغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن»)** رواه ابن السنى في اليوم والليلة من حديثها، وقد تقدم في الأذكار والدعوات. **(فيستحب أن يقول ذلك فإن لم يزل بذلك فاجلس إن كنت قائماً، واضطجع إن كنت جالساً، واقرب من الأرض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون، فإن سبب الغضب الحرارة)** الغريبة العارضة على الحرارة الغريزية التي هي غذاء القلب، **(وسبب الحرارة الحركة)** فإذا سكن سكنت الحرارة فقل عملها، **(فقد قال** ﷺ: **«إن الغضب جمرة توقد في القلب ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه)** أي عروق رقبته **(وحمرة عينيه؟ فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئاً فإن كان قائماً فليجلس وإن كان جالساً فليقم»)** قال العراقي رواه الترمذي من حديث أبي سعيد دون قوله «توقد» ورواه بهذه اللفظة البيهقي وقد تقدم اهـ.

وإن كان جالساً فلينم، فإن لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد أو يغتسل فإن النار لا يطفئها إلا الماء، فقد قال ﷺ: « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فإنما الغضب من النار » وفي رواية: « إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: « إذا غضبت فاسكت ». وقال أبو هريرة: كان رسول الله ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذا

قلت: لفظ الترمذي سيأتي للمصنف قريباً بعد ثلاثة أحاديث، وقد روي من حديث الحسن مرسلاً الغضب جمرة في قلب الإنسان توقد ألا ترى إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فإذا أحس أحدكم من ذلك شيئاً فليجلس ولا يعدونه الغضب » وقد روي ذلك أيضاً من حديث سنان بن سعد عن أنس مرفوعاً والمراد أنه يحبسه في نفسه ولا يعدوه إلى غيره بالأذى بالفعل.

(فإن لم يزل ذلك فتوضأ بالماء البارد واغتسل فإن النار لا يطفئها إلا الماء، فقد قال رسول الله ﷺ: « إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء فإن الغضب من النار » وفي رواية: « إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ ») قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عطية السعدي دون قوله: « بالماء البارد » وهو بلفظ الرواية الثانية التي ذكرها المصنف وقد تقدم.

قلت: الحديث في مسند أحمد، وسنن أبي داود من طريق عروة بن محمد بن عطية أنه كلمه رجل فاغضبه فقام فتوضأ فقال: حدثني أبي، عن جدي عطية قال: قال رسول الله ﷺ إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار » الحديث. وليس فيه بالماء مع أن التوضؤ لا يكون إلا بالماء، وأما لفظ البارد فليس في نسخ الكتاب، وقد أورد المصنف ما يدل على الوضوء ولم يورد ما يدل على الاغتسال. وقد روى أبو نعيم في الحلية وابن عساكر من حديث أبي مسلم الخولاني أنه كلم معاوية بشرّ فغضب ثم نزل فاغتسل ثم عاد إلى المنبر، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان من النار والماء يطفىء النار فإذا غضب أحدكم فليغتسل ».

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: « إذا غضبت فاسكت »)** أي عن النطق بغير الذكر المشروع لأن الغضب يصدر عنه من قبيح القول ما يوجب الندم عليه عند سكون سورة الغضب، ولأن الانفعال ما دام موجوداً فنار الغضب تتأجج فإذا سكت أخذت في الخمود. قال العراقي: رواه أحمد وابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ لهما والبيهقي في الشعب وفيه ليث ابن أبي سليم اهـ.

قلت: ولفظ أحمد: « إذا غضب أحدكم فليسكت » قالها ثلاثا.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(كان النبي ﷺ إذا غضب وهو قائم جلس وإذا**

غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه. وقال أبو سعيد الخدري: قال النبي ﷺ: «ألا إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليلصق خده بالأرض». وكأن هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة، والزهو الذي هو سبب الغضب.

وروي أن عمر غضب يوماً فدعا بماء فاستنشق وقال: إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب. وقال عروة بن محمد: لما استعملت على اليمن قال لي أبي: أوليت؟ قلت:

غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا وفيه من لم يسم، ولأحمد بإسناد جيد في أثناء حديث فيه، وكان أبو ذر قائماً ثم اضطجع فقيل له: لم جلست ثم اضطجعت؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغيظ وإلا فليضطجع» والمرفوع عند أبي داود وفيه عنده انقطاع سقط منه أبو الأسود اهـ.

قلت: ورواه كذلك البيهقي قال: كان أبو ذر يسقي على حوض فأغضبه رجل فقعد ثم اضطجع فقيل له، فقال قال رسول الله ﷺ فذكره قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح.

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(قال النبي ﷺ)** في خطبته: **(«ألا إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فمن وجد من ذلك شيئاً فليلصق خدّه بالأرض»)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن اهـ.

قلت ورواه كذلك أحمد إلا أنه قال احمرار يعم، وقال: فمن أحس من ذلك شيئاً فليلزق بالأرض.

(وكأن هذا إشارة إلى السجود وتمكين أعز الأعضاء) الذي هو الخد **(من أذل المواضع وهو التراب لتستشعر به النفس الذل وتزايل به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب)** والقصد أن يبعد عن هيئة الوثوب والمسارعة للبطش ما أمكن حسماً لمادة المبادرة، وحمل الطيبي وغيره هذا على التواضع والخفض دون السجود أي لأن السجود لا يكون بالخدّ.

(وروي أن عمر) رضي الله عنه **(غضب يوماً فدعا بماء فاستنشق)** به **(وقال: إن الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال عروة بن محمد)** بن عطية السعدي عامل عمر بن عبد العزيز على اليمن مقبول مات بعد العشرين روى له أبو داود، وهو الذي روى عن أبيه عن جده: «إذا غضب أحدكم فليتوضأ» وتقدم قريباً: **(لما استعملت على اليمن)** استعمله عمر بن عبد العزيز **(قال لي أبي)** وهو محمد بن عطية بن عروة السعدي تابعي صدوق مات على رأس المائة، روى له أبو داود في السنن، والنسائي في مسند مالك، وقد روى عن أبيه ووهم من زعم أن له صحبة وأبوه صحابي مشهور **(أوليت؟**

نعم. قال: فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظّم خالقهما. وروي أن أبا ذر قال لرجل: يا ابن الحمراء ـ في خصومة بينهما ـ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: « يا أبا ذر بلغني أنك اليوم عيّرت أخاك بأمه » فقال: نعم، فانطلق أبو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: « يا أبا ذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل » ثم قال: « إذا غضبت فإن كنت قائماً فاقعد وإن كنت قاعداً فاتكىء وإن كنت متكئاً فاضطجع ». وقال المعتمر بن سليمان: كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد

قلت نعم. قال: فإذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك وإلى الأرض تحتك ثم عظّم خالقهما) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن أحمد بن حنبل، أخبرنا ابن المبارك، عن حنظلة بن أبي سفيان قال: قال عروة بن محمد فذكره، وأخرجه ابن المبارك في الزهد.

(وروي أن أبا ذر) الغفاري رضي الله عنه **(قال لرجل: يا ابن الحمراء)** يريد به حمراء العجان يعني ابن المعجنة **(في خصومة)** كانت **(بينهما فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: « يا أبا ذر بلغني أنك اليوم عيرت رجلاً بأمه » فقال: نعم، فانطلق أبو ذر يرضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: « يا أبا ذر أرفع رأسك فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود إلا أن تفضله بعمل »)** أي صالح. **(ثم قال: « إذا غضبت فإن كنت قائماً فاقعد وإن كنت قاعداً فاتكىء وإن كنت متكئاً فاضطجع »)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب بإسناد صحيح وستأتي الإشارة إلى هذا الحديث في باب ذم الكبر من حديث أبي ذر أيضاً. قال العراقي: ولأحمد أنه ﷺ قال له: « انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى » ورجاله ثقات. وفي الصحيحين من حديثه كان بيني وبين رجل من إخواني كلام، وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه فشكاني إلى النبي ﷺ فقال: « يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية » اهـ.

قلت: يشير إلى ما رواه البخاري عن سليمان بن حرب، حدثنا شعبة عن واصل الأحدب عن المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال: إني ساببت رجلاً فعيرته بأمه فقال لي النبي ﷺ: « يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية» الحديث. هكذا أخرجه في أول الصحيح. وأخرجه في كتاب العتق عن آدم عن شعبة عن واصل، وفي الأدب عن عمرو بن حفص بن غياث عن أبيه، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان والنذور عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وكيع، عن أحمد بن يونس، عن زهير. وعن أبي بكر عن أبي معاوية عن إسحاق بن يونس عن عيسى بن يونس كلهم عن الأعمش. وعن أبي موسى الزمن وبندار وغندر عن شعبة عن واصل كلاهما عن الوردي. وأخرجه أبو داود بنحوه من طريقين.

(وقال المعتمر بن سليمان) بن طرخان التيمي أبو محمد البصري ثقة مات سنة سبع وثمانين

غضبه فكتب ثلاث صحائف وأعطى كل صحيفة رجلاً وقال للأول: إذا غضبت فأعطني هذه، وقال للثاني: إذا سكن بعض غضبي فاعطني هذه، وقال للثالث: إذا ذهب غضبي فأعطني هذه، فاشتد غضبه يوماً فأعطي الصحيفة الأولى فإذا فيها ما أنت وهذا الغضب أنك لست بإله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضاً، فسكن بعض غضبه، فأعطى الثانية فإذا فيها: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، فأعطى الثالثة، فإذا فيها: خذ الناس بحق الله فإنه لا يصلحهم إلا ذلك. أي لا تعطل الحدود. وغضب المهدي على رجل فقال شبيب: لا تغضب لله بأشد من غضبه لنفسه، فقال: خلوا سبيله.

فضيلة كظم الغيظ:

قال الله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ [آل عمران: ١٣٤] وذكر ذلك في معرض المدح. وقال رسول الله ﷺ: «من كف غضبه كف الله عنه عذابه، ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره، ومن خزن لسانه ستر الله عورته». وقال ﷺ: «أشدكم من غلب نفسه

وقد جاوز الثمانين، وروى له الجماعة (**كان رجلاً ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلاث صحائف فأعطى كل صحيفة رجلاً وقال للأول: إذا غضبت فاعطني هذه الصحيفة، وقال الثاني إذا سكن بعض غضبي فاعطني هذه. وقال للثالث: إذا ذهب غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوماً فأعطي الصحيفة الأولى فإذا فيها ما أنت وهذا الغضب إنك لست بإله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضاً فسكن بعض غضبه، فأعطي الثانية فإذا فيها ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، فأعطى الثالث فإذا فيها خذ الناس بحق الله فإنه لا يصلحهم إلا ذلك أي لا تعطل الحدود**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (**وغضب المهدي**) محمد بن عبدالله العباسي (**على رجل فقال شبيب: لا تغضبن لله بأشد من غضبه لنفسه. فقال: خلوا سبيله**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

فضيلة كظم الغيظ:

(**قال الله تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ**) والكظم هو الكف إما بكف النفس أو بالصفح والمعنى المتحملين الغيظ والغيظ الغضب الكامن في القلب، (**وذكر ذلك في معرض المدح**) للمتقين من المؤمنين وتمام الآية: ﴿والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ (**وقال رسول الله ﷺ: «من كف غضبه كف الله عنه عذابه، ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره، ومن خزن لسانه ستر الله عورته»**) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث أنس، ورواه كذلك أبو يعلى، وابن شاهين، والخرائطي في مساوىء الأخلاق، والضياء المقدسي في المختارة. وقال

عند الغضب ، وأحلمكم من عفا عند القدرة » . وقال ﷺ : « من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه لأمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا » . وفي رواية : « ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً » . وقال ابن عمر : قال رسول الله ﷺ : « ما جرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالى » . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : قال ﷺ : « إن لجهنم

العراقي : رواه الطبراني في الأوسط ، والبيهقي في الشعب واللفظ له بإسناد ضعيف ، ولابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر : « من ملك غضبه وقاه الله عذابه » الحديث . وقد تقدم في آفات اللسان اهـ .

قلت : حديث ابن عمر رواه ابن أبي الدنيا في كتابيه الصمت وذم الغضب ولفظه : « من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره » .

(وقال ﷺ : « أشدكم من غلب نفسه) أي ملكها وقهرها **(عند الغضب)** بأن لم يمكنها من العمل بغضبه بل يجاهدها على ترك تنفيذه **(وأحلمكم من عفا عند القدرة »)** وفي لفظ بعد القدرة أي أثبتكم عقلاً من عفا عمن جنى عليه بعد تمكينه منه . رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث علي قال : مرَّ النبي ﷺ على قوم يرفعون حجراً فقال : « ما هذا » ؟ قالوا حجر الأشداء . فقال ذلك . وسنده ضعيف قال العراقي : وروى البيهقي في الشعب بالشطر الأول من رواية عبد الرحمن بن عجلان مرسلاً بإسناد جيد ، وللبزار والطبراني في مكارم الأخلاق واللفظ له من حديث أنس : « أشدكم أملككم لنفسه عند الغضب » وفيه عمران القطان مختلف فيه .

(وقال رسول الله ﷺ : « من كظم غيظاً) أي رده ومنعه **(ولو شاء أن يمضيه)** أي ينفذه **(أمضاه)** نفذه **(ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا »)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث ابن عمر ، وفيه مسكين بن أبي سراج تكلم فيه ابن حبان . **(وفي رواية)** « من كتم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه **(ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً »)** رواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وفيه من لم يسم ورواه أبو داود من حديث رجل من أبناء أصحاب النبي ﷺ عن أبيه بزيادة : « ومن ترك لبس ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعاً كساه الله حلة الكرامة ، ومن زوج لله توجَّه الله بتاج الملك » ورواه بهذه الزيادة أيضاً ابن أبي الدنيا فقال : عن سويد بن وهب عن أبيه . ورواه البغوي في معجم الصحابة عن عبد الجليل الفلطيني عن عمه ، وأورده الذهبي في الميزان في ترجمة عبد الجليل وقال : قال البخاري لا يتابع عليه .

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه : **(قال رسول الله ﷺ ما جرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها)** عبد **(ابتغاء وجه الله عز وجل »)** في الأساس كظم القربة ملأها وشد رأسها ، وكظم الباب سدّه ومن المجاز كظم الغيظ وعلى الغيظ . قال الطيبي : يريد انه استعارة من كظم القربة ، وقوله : « من جرعة غيظ » استعارة أخرى كالترشيح لها شبه جرع غيظه ورده إلى باطنه بتجرع الماء وهي أشد جرعة يتجرعها العبد وأعظمها ثواباً وأرفعها درجة كحبس نفسه عن التشفي قال العراقي : رواه ابن ماجه بإسناد جيد اهـ .

باباً لا يدخله إلا من شفي غيظه بمعصية الله تعالى ». وقال ﷺ : « ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها عبد وما كظمها عبد إلا ملأ الله قلبه إيماناً ». وقال ﷺ : « من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق ويخيره من أي الحور شاء ».

الآثار: قال عمر رضي الله عنه: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون. وقال لقمان لابنه: يا بني لا تذهب ماء

قلت: وقال المنذري رواته محتج بهم في الصحيح ولفظه: « ما من جرعة » ورواه أحمد بلفظ: « ما تجرع عبد أفضل منه عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله عز وجل ».

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ : « إن لجهنم باباً لا يدخله إلا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى »)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب وقد تقدم في آفات اللسان. **(وقال ﷺ : « ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد وما كظمها عبد إلا ملأ الله قلبه)** وفي لفظ جوفه **(إيماناً »)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث ابن عباس وفيه ضعف، ويتلفق من حديث ابن عمر وحديث الصحابي الذي لم يسم وقد تقدما قاله العراقي.

قلت: ورواه أحمد بلفظ المصنف إلا أنه قال: « ملأ الله جوفه نوراً ». وأما حديث الصحابي الذي لم يسم فعند أبي داود أمنا وإيماناً، وحديث ابن عباس هذا مستقل ودعوى التلفيق فيه نظر، وروى ابن المبارك في الزهد من حديث الحسن مرسلاً: ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها رجل، أو جرعة صبر على مصيبة، وما قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم إهريق في سبيل الله.

(وقال ﷺ : « من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق ويخيره من أي الحور شاء ») رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب وفي الصمت من حديث معاذ بن أنس، ورواه كذلك أحمد وأبو داود والترمذي وقال حسن غريب، وابن ماجه والطبراني والبيهقي وقد تقدم في آفات اللسان. ورواه أبو نعيم وابن عساكر بزيادة في آخره « ومن ترك ثوب جمال وهو قادر على لبسه كساه الله رداء الإيمان يوم القيامة، ومن انكح عبداً لله وضع الله على رأسه تاج الملك يوم القيامة ».

الآثار:

(قال عمر رضي الله عنه: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، والجملة الأولى منه رواها ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى مرفوعاً من حديث سهل بن سعد: « من اتقى الله كل

وجهك بالمسألة، ولا تشف غيظك بفضيحتك، واعرف قدرك تنفعك معيشتك. وقال أيوب: حلم ساعة يدفع شراً كثيراً. واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فأجمعوا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الجزع. وقال رجل لعمر رضي الله عنه: والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له رجل: يا أمير المؤمنين ألا تسمع أن الله تعالى يقول: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ [الأعراف: ١٩٩] فهذا من الجاهلين. فقال عمر: صدقت، فكأنما كانت ناراً فأطفئت. وقال محمد بن كعب: ثلاث من كنّ فيه استكمل الإيمان بالله، إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له. وجاء

لسانه ولم يشف غيظه». ورواه كذلك الديلمي وابن النجار وهو في البلدانيات للسلفي وقد تقدم للمصنف (**وقال لقمان لابنه**) وهو يعظه: (**يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة، ولا تشف غيظك بفضيحتك، واعرف قدرك تنفعك معيشتك**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (**وقال أيوب**) بن أبي تيمية السختياني: (**حلم ساعة يدفع شراً كثيراً**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (**واجتمع سفيان الثوري وأبو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض**) رحمهم الله تعالى، (**فتذاكروا الزهد فاجتمعوا على أن أفضل الأعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (**وقال رجل لعمر رضي الله عنه: والله ما تقضي بالعدل وما تعطي الجزل**) أي الكثير (**فغضب عمر حتى عرف**) ذلك (**في وجهه فقال رجل: يا أمير المؤمنين ألم تسمع إن الله تعالى يقول: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين﴾ فهذا من الجاهلين. فقال عمر: صدقت فكأنما كانت ناراً فانطفأت**) أخرجه البخاري في الصحيح من طريق شعيب عن الزهري عن عبيد الله إن ابن عباس قال: قدم عيينة بن حصن فنزل على الحر بن قيس وكان ممن يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجلس عمر فقال عيينة لابن أخيه الحر: يا ابن أخي هل لك وجه عند هذا الأمير تستأذن عليه؟ فإذن له عمر فدخل فقال: يا ابن الخطاب ما تعطينا الجزل وما تحكم بيننا بالعدل؟ فغضب عمر حتى همّ به فقال الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﴿خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين﴾ وإن هذا من الجاهلين قال: فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله انفرد به البخاري وقد تقدم ذكره قريباً.

(**وقال محمد بن كعب**) القرظي (**ثلاث**) خصال (**من كن فيه**) فقد (**استكمل الإيمان بالله**) تعالى: إحداهن (**إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وقد روي نحوه مرفوعاً من حديث أنس رواه الطبراني في الصغير بلفظ: «ثلاث من أخلاق الإيمان من إذا غضب

رجل إلى سلمان فقال: يا عبدالله أوصني. قال: لا تغضب. قال: لا أقدر. قال: فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك.

بيان فضيلة الحلم:

اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ، لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعوّد ذلك مدة صار ذلك اعتياداً فلا يهيج الغيظ، وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوّة الغضب وخضوعها للعقل، ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفاً. قال ﷺ: «إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحرَّ الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه». وأشار بهذا إلى أن اكتساب الحلم

لم يدخله غضبه في باطل، ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه من حق، ومن إذا قدر لم يتعاط ما ليس له. قال الهيثمي: فيه بشر بن الحسين وهو كذاب.

(**وجاء رجل إلى سلمان**) الفارسي رضي الله عنه (**فقال**) له: (**يا أبا عبدالله أوصني! فقال: لا تغضب. قال: لا أقدر قال فإن غضبت فامسك لسانك ويدك**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من طريق ميمون بن مهران. قال: جاء رجل فذكره وفيه: إن الرجل قال: أمرتني أن لا أغضب وأنه ليغشاني ما لا أملك. قال: فإن غضبت فامسك لسانك ويدك وملك يده ولسانه هو الذي أشار النبي ﷺ بأمره لمن غضب أن يجلس ويضطجع وبأمره أن يسكت.

فضيلة الحلم:

(**اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم**) لأن صيغة التفعل في الأكثر للتكلف، (**ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه**) أي ثار والتهب شراره (**ويحتاج فيه**) أي في دفعه (**إلى مجاهدة شديدة**) ورياضة بليغة، (**ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتياداً فلا يهيج الغيظ**) بقوة، (**وإن هاج**) يوماً (**فلا يكون في كظمه تعب**) لخفة وطأته (**وهو الحلم الطبيعي**) ولذا عبر عنه بعضهم بأنه الطمأنينة عند سورة الغضب، ومنهم من قال: هو ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب وفي معناه من قال: هو احتمال الأعلى الأذى من الأدنى أو رفع المؤاخذة عن مستحقها بجناية في حق مستعظم (**وهو دلالة كمال العقل واستيلائه**) أي ملكه وقوّته (**وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل**) بحيث لا تثور إلا حيثما يأمر العقل، (**ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفاً. قال ﷺ: «إنما العلم بالتعلم**) أي إنما تحصيله بطريق الطلب والإكتساب من أهله وأخذه منهم حيث كانوا (**و**) إنما (**الحلم بالتحلم**) أي ببعث النفس وتنشيطها إليه (**ومن يتحر الخير**) أي من يجتهد في تحصيل الخير ويقصده (**يعطه**) أي يعطيه الله تعالى إياه (**ومن يتوق**

....

الشر) أي من يحفظ نفسه من الوقوع فيه **(يوقه) »** أي يحفظه الله تعالى منه. قال العراقي: رواه الطبراني والدارقطني في العلل من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف انتهى.

قلت: ورواه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية، والعسكري في الأمثال كلهم من طريق محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني: حدثنا الثوري، عن عبد الملك بن عمير، عن رجاء بن حيوة، عن أبي الدرداء رفعه مثل سياق المصنف بزيادة لم يسكن الدرجات العلا، ولا أقول لكم الجنة من تكهن أو استقسم أو تطير طيراً يرده من سفر.

قال الحافظ السخاوي: ومحمد بن الحسين كذاب ولكن قد رواه البيهقي في المدخل من طريق هلال عن أبيه عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك بن عمير به موقوفاً على أبي الدرداء انتهى.

قلت: ورواه بهذا السند أيضاً الطبراني في الأوسط، والخطيب في رياضة المتعلمين وفي الباب أبو هريرة، وأنس، ومعاوية، وابن مسعود، وشداد بن أوس.

أما حديث أبي هريرة فقد أخرجه الدارقطني في الإفراد وفي العلل، والخطيب في التاريخ.

وأما حديث أنس فأخرجه العسكري من طريق محمد بن الصلت: حدثنا عثمان البري عن قتادة عنه مرفوعاً به.

وأما حديث معاوية فأخرجه الطبراني في الكبير، وابن أبي عاصم في العلم له كلاهما من طريق عتبة بن أبي حكيم عمن حدثه عن معاوية رفعه بلفظ: « يا أيها الناس إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين وإنما يخشى الله من عباده العلماء » وجزم البخاري بتعليقه فقال: وقال النبي ﷺ: « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » وقال: « إنما العلم بالتعلم » مع أن في إسناده من لم يسم لمجيئه من طريق أخرى. وقال الحافظ ابن حجر: إسناد حديث معاوية حسن لأن فيه مبهماً اعتضد بمجيئه من وجه آخر.

وأما حديث ابن مسعود: فقد أخرجه البيهقي في المدخل من طريق علي بن الأقمر والعسكري في الأمثال من طريق أبي الزعراء كلاهما عن أبي الأحوص عنه بلفظ: « إن الرجل لا يولد عالماً وإنما العلم بالتعلم » وقد روي عنه نحوه موقوفاً بسند رجاله موثقون أخرجه البزار في حديث طويل أنه كان يقول: « فعليكم بهذا القرآن فإنه مأدبة الله فمن استطاع منكم أن يأخذ من مأدبة الله فليفعل فإنما العلم بالتعلم ».

وأما حديث شداد بن أوس فأخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث طويل بلفظ: « إن رجلاً قال يا رسول الله ماذا يزيد في العلم؟ قال التعلم » وفي سنده عمر بن صبيح وهو كذاب، وقد روي في الباب عن التابعين أخرج العسكري من طريق حماد عن حميد الطويل قال: كان الحسن يقول: إذا لم تكن حليماً فتحلم وإذا لم تكن عالماً فتعلم فقلما تشبه رجل بقوم إلا كان منهم، ومن طريق زافر عن عمرو بن عامر البجلي قال: قال الحسن: هو والله أحسن منك رداء وإن كان رداؤك حبرة رجل رداه الله الحلم فإن لم يكن حلم لا أبالك فتحلم فإنه من تشبه بقوم لحق بهم.

طريقه التحلم أولاً وتكلفه، كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم. وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم، لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم حلمكم» أشار بهذا إلى أن التكبر والتجبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين. وكان من دعائه ﷺ: «اللهم أغنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية». وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «ابتغوا الرفعة عند الله. قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: تصل من

(أشار بهذا إلى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولاً وتكلفه، كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم. وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: «اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا)** أي تواضعوا **(لمن تعلمون)** أي لمن يتعلم منكم **(ولمن تعلمون منه)** أي من مشايخكم **(ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم»)** قال العراقي: رواه ابن السني في رياضة المتعلمين بسند ضعيف انتهى.

قلت: ورواه الطبراني أيضاً في الأوسط، وابن عدي في الكامل بلفظ: «تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار وتواضعوا لمن تعلمون منه» قال الهيثمي: فيه عباد بن كثير وهو متروك الحديث. ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق حيوس بن رزق الله، عن عبد المنعم بن بشير، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب رفعه: «تعلموا العلم وتعلموا للعلم الوقار» وقال غريب من حديث مالك عن زيد لم نكتبه إلا من حديث حيوس عن عبد المنعم وروى الخطيب في الجامع من حديث أبي هريرة: «تواضعوا لمن تعلمون منه وتواضعوا لمن تعلمون ولا تكونوا جبابرة العلماء».

(أشار بهذا إلى أن التجبر والكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع من الحلم واللين) وإن التواضع والسكون هو الذي يمنع ثوران الغضب ويورث الحلم، **(وكان من دعاء رسول الله ﷺ اللهم اغنني بالعلم)** أي الذي يقرب إلى معرفتك **(وزيني بالحلم)** أي اجعله زينة لي **(واكرمني بالتقوى)** لأكون من أكرم الناس عندك **(وجملني بالعافية»)** وخص سؤال العلم بالأغناء لأنه هو القطب وعليه المدار وليس الغنى إلا فيه، فمن كان عارياً عنه فهو الفقير حقيقة، والحلم بالزينة لأنه أفضل ما يتحلى به الإنسان ولا زينة كزينته، والتقوى بالإكرام لأنها أساس كل خير والسبب لسعادة الدارين، والعافية بالجمال لأنه لا جمال للمرء كجمالها. قال العراقي: لم أقف له على أصل.

قلت: بل رواه ابن النجار في التاريخ، والرافعي في تاريخ قزوين من حديث ابن عمر.

(وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «ابتغوا) أي اطلبوا بجد واجتهاد فإن الإبتغاء مختص بالإجتهاد في الطلب قاله الراغب، وقال الحراني افتعال تكلف البغي وهو أشد الطلب **(الرفعة)** أي الشرف والمنزلة **(عند الله)** أي في دار كرامته **(قالوا: وما هي يا رسول**

قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك ». وقال ﷺ: « خمس من سنن المرسلين: الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر ». وقال علي كرم الله وجهه، قال النبي ﷺ: « إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وأنه ليكتب جباراً عنيداً وما

الله؟ قال: تصل من قطعك) أي قطع مؤاساتك أو زيارتك فلا تقابله بالقطع **(وتعطي من حرمك)** أي منعك ما هو لك **(وتحلمُ)** بضم اللام **(عمن جهل)** أي سفه **(عليك »)** بأن تمسك لسانك ويدك عنه والسفاهة تسمى جهلاً ومنه قول الشاعر:

ألا لا يجهلـــن أحـــد علينـــا فنجهـل فـوق جهـل الجاهلينـا

قال العراقي: رواه الحاكم والبيهقي وقد تقدم.

قلت: ورواه ابن عدي من حديث ابن عمر بدون قوله: « **تصل من قطعك** ».

(وقال ﷺ: « خمس من سنن المرسلين) أي من شأنهم وفعلهم: **(الحياء)** الذي هو خجل الروح عن كل عمل لا يحسن في الملأ الأعلى وذلك لأنه يطهر الروح من أسباب النفس، **(والحلم)** الذي هو سعة الصدر وانشراحه لورود النور عليه، **(والحجامة)** لأن للدم حرارة وقوة وهو غالب على قلوب المرسلين فإذا لم تنقص أضرت، **(والسواك)** لأن الفم طريق الوحي ومحل لنجوى الملك فإهماله تضييع لحرمة الوحي، **(والتعطر »)** أي استعمال العطر لأنه ليس للملائكة حظ مما للبشر إلا الريح الطيب وهم يكثرون مخالطة الرسل فيكون الطيب بمنزلة قراهم. **قال العراقي:** رواه أبو بكر بن أبي عاصم في المثاني والآحاد، والترمذي الحكيم في نوادر الأصول بسند ضعيف من رواية مليح بن عبدالله الخطمي عن أبيه عن جده، وللترمذي وحسنه من حديث أبي أيوب: أربع فاسقط الحلم والحجامة وزاد النكاح انتهى.

قلت: جد مليح بن عبدالله هو حصين بن عبدالله الخطمي له صحبة، والحديث أيضاً رواه البخاري في التاريخ والبزار في المسند، والبغوي في المعجم، والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في المعرفة، والبيهقي في الشعب وقال البيهقي عقب تخريجه: هذا ذكره البخاري في التاريخ عن عبد الرحمن بن أبي فديك، وهو محمد بن إسماعيل عن عمر بن محمد الأسلمي فعمر ينفرد به انتهى.

وعمر قال الذهبي من المجاهيل وكأنه أشار إلى ذلك الحافظ العراقي بقوله بسند ضعيف.

وأما حديث أبي أيوب فأخرجه كذلك أحمد والبيهقي كلهم من طريق مكحول عن أبي السمال عنه ولفظه. « أربع من سنن المرسلين الحياء والتعطر والنكاح والسواك » وقد روى فيه الحناء بالنون بدل الحياء. فيكون على تقدير مضاف أي استعماله، ورجح ابن القيم عن المزي أن صوابه الختان وسقطت النون قال: وهكذا رواه المحاملي عن شيخه الترمذي، وروى العقيلي والبيهقي من حديث ابن عباس: « من سنن المرسلين الحياء والعلم والحجامة والسواك والتعطر وكثرة الأزواج ».

(وقال علي) رضي الله عنه. **(قال النبي ﷺ: « إن الرجل المسلم يدرك بالحلم درجة**

يملك إلا أهل بيته». وقال أبو هريرة: إن رجلاً قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إليّ ويجهلون عليّ وأحلم عنهم. قال: «إن كان كما تقول فكأنما تسفهم الملّ ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك» الملّ: يعني به الرمل. وقال رجل من المسلمين: اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضي شيئاً فهو عليه صدقة، فأوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ إني قد غفرت له.

الصائم القائم) أي الصائم في شدة الحر والتهجد بالليل **(وأنه ليكتب جباراً عنيداً)** أي بسبب سوء خلقه **(وما يملك إلا أهل بيته»)** قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف انتهى.

قلت: ورواه كذلك أبو الشيخ في كتاب الثواب. قال المنذري: وسنده ضعيف، وروى أبو داود وابن حبان والبغوي في شرح السنّة من حديث عائشة: «إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة القائم الصائم».

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه **(إن رجلاً قال يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيؤن إلي ويجهلون علي)** أي يسفهون **(وأحلم عنهم)** أي أصفح وأتجاوز. **(قال: «لئن كان كما تقول فكأنما تسفهم الملّ)** يقال سف الدواء سفا وأسفه غيره والإسم السفوف بالفتح **(ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك»)** رواه مسلم في الصحيح. **(والملّ: يعني به الرمل)** وقيل: هو رماد الفرن، **(وقال رجل من المسلمين: اللهم ليس عندي صدقة أتصدق بها فأيما رجل أصاب من عرضي شيئاً فهو عليه صدقة، فأوحى الله إلى النبي ﷺ إني قد غفرت له)** قال العراقي: رواه أبو نعيم في الصحابة، والبيهقي في الشعب من رواية عبد المجيد بن أبي عيسى بن جبر عن أبيه عن جده بإسنادلين. زاد البيهقي عن علبة بن زيد، وعلبة هو الذي قال ذلك كما في أثناء الحديث. وذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلاً من المسلمين ولم يسمه قال: ولعله أبو ضمضم.

قلت: وليس بأبي ضمضم إنما هو علبة بن زيد، وأبو ضمضم ليست له صحبة وإنما هو متقدم انتهى.

قلت: وقد سبق ابن عبد البر في ذلك أحد والحاكم في الكنى، وأما علبة بن زيد فهو رجل من الصحابة من ولد مالك بن الأوس، وقد ذكره ابن إسحاق في السيرة وابن حبيب في المحبر في البكائين في غزوة تبوك، فأما علبة بن زيد فخرج من الليل وصلى وبكى وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه ولم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في جسد أو عرض، فذكر الحديث بغير إسناد، وقد ورد موصولاً من حديث مجمع بن حارثة، ومن حديث عمرو بن عوف وأبي عبس بن جبر، ومن حديث علبة بن زيد نفسه كما

وقال ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم» قالوا: وما أبو ضمضم؟ قال: «رجل ممن كان قبلكم كان إذا أصبح يقول اللهم إني تصدقت اليوم بعرضي على من ظلمني».

وقيل في قوله تعالى: ﴿ربانيين﴾ [آل عمران: ١٧٩] أي حلماء علماء. وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿وإذا خاطبهُم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ [الفرقان: ٦٣] قال: حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا. وقال عطاء بن أبي رباح: ﴿يمشون على الأرض هوناً﴾ [الفرقان:

سنبينه. وروى ابن مردويه ذلك من حديث مجمع بن حارثة، وروى ابن منده من طريق محمد بن طلحة عن عبد الحميد بن أبي عيسى بن جبر عن أبيه عن جده قال: كان علبة بن زيد بن حارثة رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فلما حض على الصدقة جاء كل رجل منهم بطاقته وما عنده، فقال علبة بن زيد: اللهم إنه ليس عندي ما أتصدق به اللهم إني أتصدق بعرضي على من ناله من خلقك، فأمر رسول الله ﷺ منادياً فنادى: أين المتصدق بعرضه البارحة فقدم عليه فقال: قد قبلت صدقتك. قال الحافظ: هكذا وقع الإسناد وفيه تغيير ونقص، وإنما هو عبد الحميد بن محمد ابن أبي عنبس والصحبة لأبي عنبس لا لجبر، وقد روى الطبراني من طريق محمد بن طلحة بهذا الإسناد حديثاً غير هذا، وروى البزار من طريق صالح مولى التوأمة عن علبة بن زيد نفسه قال: حث رسول الله ﷺ على الصدقة فذكر الحديث. قال البزار: علبة هذا رجل مشهور من الأنصار ولا يعلم له غير هذا الحديث. وقد روى عمرو بن عوف حديثه هذا أيضاً. قال الحافظ: وأشار إلى ما أسنده ابن أبي الدنيا، وابن شاهين من طريق كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده نحوه، وأخرجه الخطيب من طريق أبي قرة الزبيدي في السنن له قال: ذكره ابن جرير عن صالح ابن زيد عن أبي عيسى الحارثي عن ابن عم له يقال له علبة بن زيد أن رسول الله ﷺ أمر الناس بالصدقة فذكره، لكن قال بعد قوله: ولكني أتصدق بعرضي على من آذاني وشتمني أو لمزني فهو له حلّ فقال له النبي ﷺ: «قد قبلت منك صدقتك» قال الخطيب: كذا في الكتاب عن أبي عيسى الحارثي، والصواب عن أبي عبس بفتح العين وسكون الموحدة.

(وقال ﷺ: «أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم؟ قالوا: وما أبو ضمضم؟ قال: رجل كان فيمن قبلكم إذا أصبح يقول اللهم إني أتصدق بعرضي على من ظلمني») تقدم الكلام عليه في آفات اللسان، ولولا التصريح بأنه كان فيمن كان قبلنا لجوّزنا أن يكون علبة بن زيد يكنى أبا ضمضم، وقد أشرنا آنفاً إلى كلام ابن عبد البر والمناقشة معه في قوله أظنه أبا ضمضم فراجعه.

(وقيل في قوله تعالى: ﴿كونوا ربانيين﴾ أي حلماء علماء) وتقدم في كتاب العلم. **(وعن الحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(في قوله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ قال: حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا)** أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي

٦٣] أي حلماً. وقال ابن أبي حبيب في قوله عز وجل: ﴿وكهلاً﴾ [آل عمران: ٤٦] قال: الكهل منتهى الحلم. وقال مجاهد: ﴿وإذا مرّوا باللغو مروا كراماً﴾ [الفرقان: ٧٢] أي: إذا أوذوا صفحوا.

وروي أن ابن مسعود مرّ بلغو معرضاً فقال رسول الله ﷺ: « أصبح ابن مسعود

حاتم، والبيهقي في الشعب عن الحسن قال: يمشون على الأرض هوناً الآية. قال: يمشون حلماء متواضعين لا يجهلون على أحد وإن جهل عليهم لم يجهلوا. وأخرج عبد بن حميد عن الحسن في حديث طويل ذكر فيه فنعتهم الله في القرآن أحسن نعت فقال: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ قال: حلماء لا يجهلون على أحد، وإن جهل عليهم حلموا. وقال مجاهد ﴿سلاماً﴾ أي سداداً من القول رواه الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن جرير. وقال الفضيل بن عياض ﴿سلاماً﴾ أي إن جهل عليه حلم وإن أسيء إليه أحسن وإن حرم أعطى وإن قطع وصل أخرجه الخرائطي في مكارم الاخلاق، وعن سعيد بن جبير قال: ﴿سلاماً﴾ أي وداً معروفاً أخرجه ابن أبي حاتم.

(وقال عطاء بن أبي رباح) رحمه الله تعالى: **(﴿يمشون على الأرض هوناً﴾ أي حلماً) أخرج ابن أبي حاتم عن ابي عمران الجوني قال: (هوناً)** أي حلماً بالعبرانية، وعن ميمون بن مهران قال بالسريانية، وقال ابن عباس **(هوناً)** أي بالطاعة والعقاب والتواضع أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وقال مجاهد **(هوناً)** أي بالوقار والسكينة أخرجه عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير والبيهقي في الشعب، وروي مثله عن الفضيل بن عياض أخرجه الخرائطي في المكارم. وقال ابن عباس: **(هوناً)** أي محلماً حلماً أخرجه ابن أبي حاتم وعن زيد بن أسلم **(هوناً)** لا يشتدون. أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وعن قتادة **(هوناً)** أي تواضعاً لعظمته أخرجه ابن أبي حاتم، وعن الحسن **(هوناً)** حلماء متواضعين أخرجه البيهقي في الشعب.

(وقال ابن أبي حبيب) هو يزيد بن أبي حبيب أبو رجاء المصري واسم أبيه سويد ثقة فقيه مات سنة ثمان وعشرين روى له الجماعة **(في قوله تعالى: ﴿وكهلاً﴾)** ومن الصالحين﴾ **(قال: الكهل منتهى الحلم)** أعلم أن سن الكهولة هو سن الإنحطاط مع بقاء من القوة وهو من الأربعين إلى نحو من ستين سنة، ثم إن الحلم هنا بالضم بمعنى العقل أي سن الكهولة هو الذي ينتهي إليه كمال العقل ثم لا يزيد، والمناسب لسياق المصنف أن يكون بكسر الحاء بمعنى ضبط النفس عند هيجان الغضب أي هذه القوة منتهاها في هذا السن فتأمل، وسيأتي لذلك تحقيق قريباً.

(وقال مجاهد) في قوله تعالى **(﴿وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً﴾ أي إذا أوذوا صفحوا)** أخرجه الفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في ذم الغضب وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب. **(وروي أن ابن مسعود)** رضي الله عنه **(مر**

وأمسى كريماً » ثم تلا إبراهيم بن ميسرة وهو الراوي قوله تعالى: ﴿وإذا مروا باللغو مرّوا كراماً﴾ وقال النبي ﷺ : « اللهم لايدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم، ولا يستحيون فيه من الحليم، قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب ». وقال ﷺ : « ليلني منكم ذوو الأحلام والنهي، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، وإياكم وهيشات الأسواق ». وروي أنه وفد على النبي ﷺ الأشج فأناخ راحلته

بلغو معرضاً) ولم يقف **(فقال رسول الله ﷺ)** : لقد **(أصبح ابن مسعود أو)** قال **(أمسى كريماً ثم تلا إبراهيم بن ميسرة)** الطائفي نزيل مكة ثبت حافظ مات سنة اثنتين وثلاثين روى له الجماعة **(وهو الراوي)** لهذا الحديث **(قوله تعالى: ﴿وإذا مروا باللغو مرّوا كراماً﴾)** قال العراقي: رواه ابن المبارك في البر والصلة بإسناد منقطع انتهى.

قلت: وكذلك أخرجه ابن أبي حاتم، وابن عساكر كلهم من طريق إبراهيم بن ميسرة قال: بلغني إن ابن مسعود مر بلغو معرضاً ولم يقف فذكره.

(وقال النبي ﷺ : « اللهم لا يدركني ولا أدركه زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم وألسنتهم ألسنة العرب ») قال العراقي: رواه أحمد من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف انتهى.

قلت: وقد روي نحوه من حديث علي رواه الديلمي ولفظه: « يأتي على الناس زمان لا يتبع فيه العالم ولا يستحيا فيه من الحليم ولا يوقر فيه الكبير ولا يرحم فيه الصغير يقتل بعضهم بعضاً قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً يمشي الصالح منهم مستخفياً أولئك شرار خلق الله لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ».

(وقال ﷺ : « ليلني) بكسر اللامين وخفة النون من غير ياء قبل النون وبإثباتها مع شدة النون على التأكيد هكذا ضبطه النووي بالوجهين. وقال الطيبي: حق هذا اللفظ إن تحذف منه الياء لأنه على صيغة الأمر، وقد وجد بإثبات الياء وسكونها في سائر كتب الحديث، والظاهر أنه غلط **(منكم)** أي ليدنون مني منكم يا أصحابي **(ذوو الأحلام)** وفي لفظ أولو الأحلام أي العقول **(والنهي)** جمع نهية بالضم وهي العقل الناهي عن القبائح هكذا فسره غير واحد وفيه لزوم التكرار من غير ضرورة داعية، والأولى أن يفسر ذوو الأحلام بالبالغين والحلم بالضم ما يراه النائم وقد غلب استعماله فيما يراه من دلالة البلوغ فدلالته على البلوغ التزامية، **(ثم الذين يلونهم)** أي يقربون منهم في الوصف كالمراهقين، **(ثم الذين يلونهم)** كالصبيان المميزين **(ولا تختلفوا فتختلف)** بالنصب **(قلوبكم)** أي تراصوا في الصفوف وليقرب بعضكم بعضاً ولا يختلف فإن الاختلاف الظاهر يورث اختلاف الباطن، **(وإياكم وهيشات الأسواق »)** جمع هيشة وهي الفتنة والإضطراب أي مختلطات الأسواق وجماعاتها، والمعنى: لا تكونوا مختلطين إختلاط أهل الأسواق فلا يتميز الذكور من الأناث، ولا الصبيان من البالغين، والظاهر من سياق المصنف لهذا الحديث

ثم عقلها وطرح عنه ثوبين كانا عليه وأخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما. وذلك بعين رسول الله ﷺ يرى ما يصنع، ثم أقبل يمشي إلى رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: « إن فيك يا أشج خلقين يحبهما الله ورسوله » قال: ما هما بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: « الحلم والأناة » فقال: خلتان تخلقتهما أو خُلقان جبلت عليهما؟ فقال: « بل خلقان جبلك الله عليهما ». فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله،

هنا أن المراد بالأحلام جمع الحلم بالكسر أي أصحاب هذه الصفة أي أهل الوقار والسكينة وهم أشراف الصحابة وسابقوهم، ويدل على ذلك حديث ابن مسعود عند الحاكم: « ليلني منكم الذين يأخذون عني » يعني الصلاة أي لشرفهم ومزيد فضلهم وعلى هذا فلا يكون في الحديث تكرار. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي مسعود دون قوله: ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم فهي عند أبي داود والترمذي وحسنه، وهي عند مسلم في حديث آخر لأبي مسعود اهـ.

قلت: وكذلك رواه عبد الرزاق والنسائي وابن ماجه والحاكم وقال: هو على شرط البخاري وقال الترمذي في العلل: سألت البخاري عن هذا الحديث فقال: أرجو أن يكون محفوظاً، ورواه أحمد وابن حبان والطبراني والنسائي من حديث ابن مسعود.

(**وروي أنه وفد إلى النبي ﷺ الأشج**) العبدي ويقال له أشج عبد القيس،واشج بني عصر مشهور بلقبه واسمه المنذر بن عابد بن الحرث. قال الواقدي: كان قدوم الأشج ومن معه سنة عشر من الهجرة وقيل سنة ثمان قبل فتح مكة، (**فأناخ راحلته ثم عقلها**) أي حبسها بعقال، (**ثم طرح عنه ثوبين كانا عليه، وأخرج من العيبة**) وهي شبه الخرج (**ثوبين حسنين أبيضين فلبسهما، وذلك بعين رسول الله ﷺ ما يصنع**) أي بمرأى منه، وكان قد تخلف عن أصحابه وهو أصغرهم سناً وهم أقبلوا بثياب سفرهم، فقابلوا النبي ﷺ، (**ثم أقبل يمشي إلى رسول الله ﷺ**) فقبّل يده (**فقال ﷺ: « يا أشج**) ناداه بلقبه المشهور به (**إن فيك خلقين**) بضمتين وفي رواية لخصلتين مثنى خصله (**يحبهما الله ورسوله** ». **فقال: ماهما بأبي أنت وأمي؟ فقال: الحلم**) بالكسر أي العقل (**والإناة**) بالكسر أي التثبت وعدم العجلة (**فقال**) يـا رسول الله: (**خلقان تخلقتها**) أي تكلفتها (**أو خلقان جبلتها**) أي جبلني الله عليهما؟ (**قال: « بل خلقان جبلك الله عليهما » . فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله**) وهذا لا يناقضه النهي عن مدح المؤمن في وجهه فإن ما كان من النبوة فهو وحي والوحي لا يجوز كتمه أو أنه ﷺ علم من حاله أنه لا يلحقه به الإعجاب، فأخبره بذلك ليزداد لزوماً ويشكر الله على ما منحه. قال العراقي: متفق عليه.

قلت: ورواه مسلم في الإيمان والترمذي في البر من حديث ابن عباس، ورواه أحمد من حديث الوازع. ورواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد إلا أنه قال: التؤدة بدل الإناءة وهي بمعناها.

ورسوله. وقال ﷺ: « إن الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف أبا العيال التقي، ويبغض الفاحش البذي، السائل الملحف الغبي ». وقال ابن عباس: قال النبي ﷺ: « ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله: تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل، وحلم يكف به السفيه، وخلق يعيش به في الناس ». وقال رسول الله ﷺ: « إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعاً إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم: إنا نراكم سراعاً إلى الجنة.

(**وقال ﷺ: « إن الله يحب الحليم**) أي صاحب الحلم (**الحيي**) أي الكثير الحياء (**الغني**) عن الناس لقلة حاجته إليهم (**المتعفف**) عن السؤال لهم (**ويبغض الفاحش البذيّ**) خبيث اللسان يتكلم بالهذر من القول (**السائل الملحف** ») أي الملح. قال العراقي: رواه الطبراني من حديث فاطمة بسند ضعيف دون قوله الغني، ولمسلم من حديث سعد: إن الله يحب العبد التقي الحفي اهـ.

قلت: روى أحمد ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص: إن الله يحب العبد التقي الغني الحفي » وروي ابن ماجه من حديث عمران: « إن الله يحب عبده المؤمن الغني المتعفف » وروى أحمد من حديث أسامة بن زيد: « إن الله يبغض الفاحش المتفحش » وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة: « إن الله يبغض السائل الملحف ».

(**وقال ابن عباس**) رضي الله عنهما: (**قال رسول الله ﷺ: « ثلاث**) خصال (**من لم تكن فيه**) خصلة واحدة منهن (**فلا تعتدن**) أي لا تعتبرن (**بشيء من عمله: تقوى**) أي كف عن المحارم والشبهات (**تحجزه عن معاصي الله**) ومحارمه، (**وحلم يكف به أذى السفيه**) فلا يرد عليه بمثل صنعه بل بالعفو والصفح واحتمال الأذى ونحو ذلك (**وخلق**) بضم اللام (**يعيش به في الناس** ») بأن تكون عنده ملكة يقتدر بها على مداراتهم ومسالمتهم ليسلم من شرهم. قال العراقي: رواه أبو نعيم في كتاب الإيجاز بإسناد ضعيف، والطبراني من حديث أم سلمة بإسناد لين، وقد تقدم في آداب الصحبة.

قلت: ورواه البزار من حديث أنس بلفظ: « ثلاث من كن فيه فقد استوجب الثواب واستكمل الإيمان: خلق يعيش به في الناس، وورع يحجزه عن محارم الله تعالى، وحلم يرده عن جهل الجاهل » وفيه عبدالله بن سليمان تكلم فيه، وأخرجه البيهقي من حديث الحسن مرسلاً بلفظ: « ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن كان الكلب خيراً منه: ورع يحجزه عن محارم الله عز وجل، أو حلم يرد به جهل جاهل، أو حسن خلق يعيش به في الناس ».

(**وقال ﷺ: « إذا اجتمع الخلائق يوم القيامة**) وفي نسخة: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة (**نادى مناد**) من بطنان العرش: (**أين أهل الفضل؟ فيقوم ناس وهم يسير**) أي قليل (**فينطلقون سراعاً إلى الجنة**) أي مسرعين إليها (**فتتلقاهم الملائكة فيقولون**) لهم: (**إنا**

فيقولون: نحن أهل الفضل. فيقولون لهم: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا عفونا وإذا جهل علينا حلمنا. فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين».

الآثار: قال عمر رضي الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم. وقال علي رضي الله عنه: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن لا تباهي الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى. وقال الحسن: اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم. وقال اكثم بن صيفي: دعامة العقل الحلم وجماع الأمر الصبر. وقال أبو الدرداء: أدركت الناس ورقاً لا

نراكم سراعاً إلى الجنة) أي فما السبب في ذلك؟ **(فيقولون: نحن أهل الفضل. فيقولون: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظلمنا)** أي ظلمنا غيرنا **(صبرنا)** على ظلمهم، **(وإذا أسيء إلينا غفرنا)** أي صفحنا عن إساءتهم، **(وإذا جهل علينا حلمنا)** أي قابلنا جهلهم بالحلم. **(فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين»)** قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده. قال البيهقي: في إسناده ضعف.

الآثار:

(قال عمر رضي الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، ورواه أبو نعيم في الحلية من حديثه مرفوعاً، وقد ذكر في أول هذا الباب، وقد روي بنحوه مرفوعاً من حديث أبي الدرداء، وقد تقدم أيضاً قريباً. **(وقال علي رضي الله عنه: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن لا تباهي الناس بعبادة الله تعالى، وإذا أحسنت حمدت الله وإذا أسأت استغفرت الله)**. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وأخرجه أبو نعيم في الحلية من قول أبي الدرداء فقال: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا محمد بن أبي سهل بن عبدالله بن محمد العبسي، حدثنا أبو أسامة عن خالد بن دينار، عن معاوية بن قرة قال: قال أبو الدرداء: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك فساقه إلا أنه قال وأن تباري بدل تباهي، **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم)**. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وأبو نعيم في الحلية، وقد روي بنحوه من حديث أبي الدرداء مرفوعاً وقد تقدم قريباً. **(وقال اكثم بن صيفي)** بن رياح بن الحرث بن مخاش بن معاوية بن شريق بن جردة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمي الحكيم المشهور ذكره ابن السكن في الصحابة، والصحيح أنه لم يلق النبي ﷺ بل مات قبل وصوله إليه عطشاً وأنه أسلم، وأوصى جماعة بالإسلام وكان من المعمرين عاش مائتين وسبعين سنة، ويقال مائة وتسعين وأبوه صيفي أيضاً من المعمرين، وكانت له حكمة وبلاغة، فمن جملة حكمه قوله: **(دعامة العقل وجماع الأمر الصبر)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. والدعامة: ما يدعم به الحائط إذا مال أي يسنده

شوك فيه فأصبحوا شوكاً لا ورق فيه إن عرفتهم نقدوك وإن تركتهم لم يتركوك. قالوا: كيف نصنع؟ قال: تقرضهم من عرضك ليوم فقرك. وقال علي رضي الله عنه: إن أوّل ما عوّض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل. وقال معاوية رحمه الله تعالى: لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوّة العلم. وقال معاوية لعمرو بن الأهتم: أي الرجال أشجع، قال: من رد جهله بحلمه. قال: أي الرجال أسخى؟ قال: من بذل دنياه لصلاح دينه. وقال أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم﴾ إلى قوله: ﴿عظيم﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥] هو الرجل يشتمه أخوه فيقول: إن كنت كاذباً فغفر الله لك،

يمنعه من السقوط، ومنه قيل للسيد في القوم هو دعامة قومه، كما يقال هو عمادهم فجعل الحلم دعامة للعقل يكون سبباً لاستقامته وعدم زلته. (**وقال أبو الدرداء**) رضي الله عنه: (**أدركت الناس ورقاً لا شواك فيه**) أي نفع كله (**وأصبحوا الآن شوكاً لا ورق فيه**) أي شر كله (**إن عرفتهم نقدوك**) كما ينقد الدرهم والدينار، (**وإن تركتهم لم يتركوك. قالوا: كيف نصنع؟ قال: تقرضهم من عرضك ليوم فقرك**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا محمد بن شبل، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن قيس، حدثنا مسعر، عن عوف بن عبدالله، عن أبي الدرداء قال: من يتفقد ينقد ومن لا يعد الصبر لفواجع الأمور يعجز إن قارضت الناس قارضوك وإن تركتهم لم يتركوك فقال: فما تأمرني؟ قال: اقرض من عرضك ليوم فقرك.

(**وقال علي رضي الله عنه: إن أول ما عوّض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (**وقال معاوية رحمه الله تعالى: لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يبلغ حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (**وقال معاوية**) رحمه الله تعالى (**لعمرو بن الأهتم**) بن سمي بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس بن عمرو بن كعب بن زيد مناة بن تميم التميمي المنقري كنيته أبو نعيم، ويقال أبو ربعي له صحبة، وكان خطيباً جميلاً بليغاً شاعراً شريفاً في قومه، وكان يقال لشعره الحلل المنتشرة وهو عم شيبة بن سعد بن الأهتم، والمرفل بن خاقان بن الأهتم، وخالد بن صفوان بن عبدالله بن الأهتم، وكلهم من البلغاء المشهورين (**أي الرجال اشجع؟ قال: من ردّ جهله بحلمه قال: أي الرجال أسخى؟ قال: من بذل دنياه لصلاح دينه**). أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (**وقال أنس بن مالك**) رضي الله عنه (**في قوله تعالى: ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة﴾ إلى قوله: ﴿عظيم﴾**) وتمام الآية ﴿كأنه ولي حميم★ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ (**هو الرجل يشتمه أخوه فيقول: إن كنت كاذباً فغفر الله لك، وإن كنت**

وإن كنت صادقاً فغفر الله لي. وقال بعضهم: شتمت فلاناً من أهل البصرة فحلم علي فاستعبدني بها زماناً. وقال معاوية لعرابة بن أوس: بم سدت قومك يا عرابة؟ قال: يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطي سائلهم وأسعى في حوائجهم. فمن فعل فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل مني، ومن قصر عني فأنا خير منه. وسبّ رجل ابن عباس رضي الله عنهما فلما فرغ قال: يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحى. وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: اشهد أنك من الفاسقين، فقال: ليس تقبل شهادتك. وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محمودة: الحلم، وإسقاط الأذى، وتخليص الرجل مما يبعده من الله عز وجل، وحمله على الندم والتوبة ورجوعه إلى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير. وقال رجل

صادقاً فغفر الله لي) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، **(وقال بعضهم: شتمت فلاناً)** لرجل سماه **(من أهل البصرة فحلم عني)** أي صفح عني ولم يجازني السيئة **(فاستعبدني بها زماناً)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال معاوية)** رحمه الله تعالى **(لعرابة بن أوس)** بن قيظي بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث الأوسي الحارثيُ. قال ابن حبان: له صحبة قال ابن سعد: كان مشهوراً بالجود وله أخبار مع معاوية، وفيه يقول الشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

الأبيات: **(بم سدت قومك يا عرابة؟ قال: يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم وأعطي سائلهم وأسعى في حوائجهم فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل مني، ومن قصر عني فأنا خير منه)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب **(وسب رجل)** عبدالله **(بن عباس)** رضي الله عنه، **(فلما فرغ)** الرجل من سبه **(قال: يا عكرمة)** هو مولاه **(هل للرجل حاجة فنقضيها له؟ فنكس الرجل رأسه واستحيا)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال رجل لعمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى: **(أشهد أنك رجل من الفاسقين. فقال: ليس تقبل شهادتك)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وأبو نعيم في الحلية. **(وعن علي بن الحسين بن علي)** بن أبي طالب رضي الله عنهم **(أنه سبه رجل فرمى إليه خميصة)** وهي كساء أسود مربع **(كانت عليه، وأمر له بألف درهم)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب وأبو نعيم في الحلية. **(وقال بعضهم: من جمع له خمس خصال محمودة الحلم)** أي الصفح والعفو **(وإسقاط الأذى)** أي ترك ما يؤذي به إخوانه **(وتخليص الرجل مما يبعده عن الله عز وجل وجهله على الندم والتوبة ورجوعه إلى المدح بعد الذم اشترى جميع ذلك بشيء يسير)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(قال رجل لجعفر بن محمد)** بن علي بن

لجعفر بن محمد : إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر وإني أريد أن أتركه فأخشى أن يقال لي إن تركك له ذل ، فقال جعفر : إنما الذليل الظالم . وقال الخليل بن أحمد : كان يقال من أساء فاحسن إليه فقد جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل إساءته . وقال الأحنف بن قيس : لست بحليم ولكنني أتحلم . وقال وهب بن منبه : من يرحم يُرحم ، ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ، ومن يعجل يخطىء ، ومن يحرص على الشر لا يسلم ، ومن لا يدع المراء يشتم ، ومن لا يكره الشر يأثم ، ومن يكره الشر يعصم ، ومن يتبع وصية الله يحفظ ، ومن يحذر الله يأمن ، ومن يتول الله يمنع ، ومن لا يسأل الله يفتقر ، ومن يأمن مكر الله يخذل ، ومن يستعن بالله يظفر . وقال رجل لمالك بن دينار : بلغني أنك ذكرتني بسوء ، قال : أنت إذا أكرم علي من نفسي إني إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتي . وقال بعض العلماء : الحلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به . وقال رجل لبعض الحكماء : والله لأسبنك سباً يدخل معك في قبرك . فقال : معك يدخل لا معي . ومرّ

الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم : **(إنه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر واحد أريد أن أتركه فأخشى أن يقال إن تركك له ذل ، فقال جعفر : إنما الذليل الظالم)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب . **(وقال الخليل بن أحمد)** الفراهيدي إمام أئمة النحو **(كان يقال من أساء فأحسن إليه جعل له حاجز من قلبه يردعه عن مثل إساءته)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب . **(وقال الأحنف بن قيس)** بن معاوية بن حصين التميمي تابعي ثقة : **(لست بحليم ولكن أتحلم)** أخرجه المزني في التهذيب عن الحسن لكن قال : أتحالم بدل أتحلم . **(وقال وهب بن منبه)** رحمه الله تعالى : **(من يرحم يرحم ، ومن يصمت)** أي يسكت في كثير من الأمور **(يسلم عن الوبال ، ومن يجهل)** أي يسفه على غيره **(يغلب)** أي يصير مغلوباً لا يعينه أحد ، **(ومن يعجل)** في الأمور **(يخطىء)** أي يقع في الخطأ **(ومن يحرص على الشر لا يسلم)** من الآفات ، **(ومن لا يدع)** أي لا يترك **(المراء)** أي المخاصمة مع الناس **(يشتم ، ومن لا يكره الشتم يأثم)** وفي بعض النسخ الشر بدل الشتم ، **(ومن يكره الشر يعصم)** من الوقوع فيه ، **(ومن يتبع وصية الله يحفظ)** من الهلاك ، **(ومن يحذر الله يأمن)** من العقاب ، **(ومن يتول الله يمنع)** جانبه ، **(ومن لا يسأل الله يفتقر ، ومن يأمن مكر الله يخذل ، ومن يستعن بالله يظفر)** بمراده أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب . **(وقال رجل لمالك بن دينار)** أي يحي البصري العابد : **(بلغني إنك ذكرتني بسوء . قال : أنت إذاً أكرم عليَّ من نفسي إذا فعلت ذلك أهديت لك حسناتي)** أخرجه أبو نعيم في الحلية . **(وقال بعض العلماء : الحلم أرفع)** رتبة **(من العقل لأن الله تعالى تسمى به)** فإن من أسمائه الحليم ولا يسمى بالعاقل ولا يجوز إطلاقه عليه . **(وقال رجل لبعض الحكماء : والله لأسبنك سباً يدخل معك في قبرك . قال : معك يدخل لا معي)** أخرجه ابن أبي

المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شراً ، فقال لهم خيراً . فقيل له : إنهم يقولون شراً وأنت تقول خيراً ؟ فقال : كلّ ينفق مما عنده . وقال لقمان : ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة : لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه . ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم إليه طعاماً فخرجت امرأة الحكيم ـ وكانت سيئة الخلق ـ فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكيم ، فخرج الصديق مغضباً فتبعه الحكيم وقال له : تذكر يوم كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا ؟ قال : نعم . قال : فاحسب أن هذه مثل تلك الدجاجة . فسرى عن الرجل غضبه وانصرف وقال : صدق الحكيم الحلم شفاء من كل ألم . وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال : أقمته مقام حجر تعثرت به فذبحت الغضب . وقال محمود الوراق .

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن كثرت منه عليّ الجرائمُ
وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاومُ

الدنيا في ذم الغضب . (**ومر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شراً . فقال لهم خيراً فقيل له إنهم يقولون شراً وأنت تقول خيراً ؟ فقال: كل واحد منا ينفق مما عنده**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب ، ومن هنا قولهم: كل إناء بما فيه يطفح أو ينضح أو يرشح . (**وقال لقمان**) الحكيم لابنه: يلا بني (**ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه**) أخرجه القالي في أماليه عن العتبي قال: بلغني أن لقمان كان يقول فذكره . (**ودخل على بعض الحكماء صديق له فقدم إليه طعاماً فخرجت امرأة الحكيم وكانت سيئة الخلق فرفعت المائدة وأقبلت على شتم الحكيم فخرج الصديق مغضباً فتبعه الحكيم وقال له: تذكر يوم كنا في منزلك نطعم فسقطت دجاجة على المائدة فأفسدت ما عليها فلم يغضب أحد منا . قال: نعم . قال: فأحسب أن هذه**) المرأة (**مثل تلك الدجاجة فسرى عن الرجل غضبه**) أي كشف عنه وسكن (**وانصرف . وقال: صدق الحكيم العلم شفاء من كل ألم**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب ، (**وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال: أقمته مقام حجر تعثرت به وذبحت الغضب**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب (**وقال محمود الوراق**) رحمه الله تعالى:

(سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن كثرت منه عليّ الجرائم)
(وما الناس إلا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاومُ)

فأما الذي فوقي فأعرف قدره وأتبع فيه الحق والحق لازمُ
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته عرضي وإن لام لائمُ
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالحلم حاكمُ

بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام:

اعلم أن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة، ولا مقابلة التجسس بالتجسس، ولا السب بالسب. وكذلك سائر المعاصي، وإنما القصاص والغرامة على قدر ما ورد الشرع به وقد فصلناه في الفقه. وأما السب فلا يقابل بمثله إذ قال رسول الله ﷺ: « إن امرؤ عيّرك بما فيك فلا تعيره بما فيه » وقال: « المستبان ما قالا فهو على البادىء ما لم يعتد المظلوم » وقال: « المستبان شيطانان يتهاتران » وشتم رجل أبا بكر الصديق رضي الله عنه وهو ساكت، فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: إنك كنت ساكتاً لما شتمني فلما تكلمت قمت. قال: « لأن الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس في

(فأما الذي فوقي فاعرف قدره واتبع فيه الحق والحق لازمُ)
(وأما الذي دوني فإن قال صنت عن إجابته عرضي وإن لام لائم)
(وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا تفضلت إن الفضل بالفخر حاكم)

بيان القدر الذي يجوز الإنتصار والتشفي به من الكلام:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(إن كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز مقابلته بمثله، فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة، ولا التجسس بالتجسس، ولا مقابلة السب بالسب، وكذا سائر المعاصي)** حكمها أن لا تقابل بمثلها، **(وإنما القصاص والغرامة على ما ورد الشرع به وفصلناه في الفقه)** في الكتب الأربعة البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة. **(وأما السب فلا يقابل بمثله. قال رسول الله ﷺ: « إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه »)** رواه أحمد من حديث جابر بن سليم أبي جرير الجهيمي وقد تقدم في آفات اللسان. **(وقال)** ﷺ **(« المستبان شيطانان يتهاتران »)** رواه أحمد من حديث عياض بن حمار وقد تقدم، **(وقال)** ﷺ **(« المتسابان ما قالا فهو على البادىء ما لم يعتد المظلوم »)** رواه أحمد ومسلم من حديث أبي هريرة بلفظ حتى يعتدي وتقدم بلفظ ما لم يتعد المظلوم. **(وشتم رجل أبا بكر)** رضي الله عنه في مجلس النبي ﷺ **(وهو ساكت)** لا يتكلم، **(فلما ابتدأ ينتصر منه قام رسول الله ﷺ فقال)** له أبو بكر: **(إنك كنت ساكتاً لما شتمني فلما تكلمت قمت)** هلاّ سبب؟ **(قال)** ﷺ **(« لأن**

مجلس فيه الشيطان». وقال قوم: تجوز المقابلة بما لا كذب فيه، وإنما نهى رسول الله ﷺ عن مقابلة التعيير بمثله نهي تنزيه، والأفضل تركه ولكنه لا يعصى به، والذي يرخص فيه أن تقول: من أنت؟ وهل أنت إلا من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود: وهل أنت إلا من بني هذيل؟ وقال ابن مسعود: وهل أنت إلا من بني أمية؟ ومثل قوله: يا أحمق. قال مطرف: كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه إلا ان بعض الناس أقل حماقة من بعض. وقال ابن عمر في حديث طويل: حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله تعالى، وكذلك قوله: يا جاهل إذ ما من أحد إلا وفيه جهل فقد آذاه بما ليس بكذب، وكذلك قوله: يا سيء الخلق، يا صفيق الوجه، يا ثلاّباً للأعراض، وكان

الملك كان يجيب عنك) ما دمت ساكتاً **(فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم أكن لأجلس في مجلس فيه الشيطان»)** قال العراقي: رواه أبو داود من حديث أبي هريرة متصلاً ومرسلاً، قال البخاري: المرسل أصح.

(وقال قوم) من أهل العلم: **(تجوز المقابلة بما لا كذب فيه و)** أجابوا عن حديث جابر بن سليم بأن **(نهيه ﷺ عن التعيير بمثله نهي تنزيه)** لا نهي تحريم، **(والأفضل تركه ولكنه)** إذا أتى به **(لا يعصى، والذي يرخص فيه أن يقول من أنت)** أو من تكون أنت، أو ما الذي يقال لك، **(وهل أنت إلا من بني فلان)** ينسبه لقبيلته التي هو منها إلا أن كانت القبيلة مما ينبز باللؤم كباهلة وسلول وهيثم. **(كما قال سعد)** بن أبي وقاص الزهري **(لابن مسعود)** رضي الله عنهما في كلام جرى بينهما: **(وهل أنت إلا من هذيل)** وهو ابن مدركة بن الياس بن مضر **(فقال ابن مسعود: وهل أنت إلا ابن أمية)** تصغير أمة وهي الجارية؟ فقد ذكر ابن قتيبة في المعارف زهرة امرأة ينسب إليها ولدها دون الأب هكذا قال، ولا أعلم أحداً وافقه عليها، وشيوخ النسب متفقون على أنه اسم رجل فإن صحت النسخة ففيه تقوية لقول صاحب المعارف، ووجد في بعض النسخ وهل أنت الأمن بني أمية فيكون إشارة إلى أمه فإنها حمزة بنت سفيان بن أمية بنت عم أبي سفيان بن حرب بن أمية، **(ومثله قوله: يا أحمق. قال مطرف)** بن عبدالله التابعي الثقة **(كل الناس أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الناس أقل حماقة من بعض)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال ابن عمر)** رضي الله عنه **(في حديث طويل)** رفعه إلى النبي ﷺ وفيه: **(حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله)** عز وجل وقد تقدم في العلم، **(وكذلك قوله: يا جاهل إذ ما من أحد إلا وفيه جهل)** في أمور دينية أو دينيوية، **(فقد آذاه بما ليس بكذب، وكذلك قوله: يا سيء الخلق)** أو يا ضيق الخلق أو **(يا صفيق الوجه)** أي رقيقه أو **(يا ثلاباً للأعراض)** أي وقاعاً فيها، **(وكان ذلك فيه)** موجوداً **(وكذلك قوله: لو كان فيك حياء)** أو شيء من الحياء أو لو كنت تستحي من الله **(ما تكلمت)** بكذا،

ذلك فيه. وكذلك قوله: لو كان فيك حياء لما تكلمت، وما أحقرك في عيني بما فعلت وأخزاك الله وانتقم منك.

فأما النميمة والغيبة والكذب وسبّ الوالدين فحرام بالإتفاق لما روي أنه كان بين خالد بن الوليد وسعد كلام، فذكر رجل خالداً عند سعد، فقال سعد: مه إن ما بيننا لم يبلغ ديننا. يعني أن يأثم بعضنا في بعض، فلم يسمع السوء فكيف يجوز له أن يقوله؟

والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والفحش والسب: ما روت عائشة رضي الله عنها أن أزواج النبي ﷺ أرسلن إليه فاطمة، فجاءت فقالت: يا رسول الله أرسلني إليك أزواجك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، والنبي ﷺ نائم، فقال: «يا بنية أتحبين ما أحب» قالت: نعم. قال: «فأحبي هذه» فرجعت إليهن فاخبرتهن بذلك فقلن: ما أغنيت عنا شيئاً، فأرسلن زينب بنت جحش، قالت: وهي التي كانت تساميني في الحب فجاءت فقالت: بنت أبي بكر وبنت أبي بكر، فما زالت تذكرني وأنا ساكتة أنتظر أن يأذن لي رسول الله ﷺ في الجواب فأذن لي فسببتها حتى

(**وما أحقرك في عيني بما**) عملت أو (**فعلت وجزاك الله**) بما يليق بك أو جزاؤك على الله يا بعيد (**وانتقم منك**) بعدله.

(**فأما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالإتفاق لما روي أنه كان بين خالد بن الوليد**) ابن المغيرة أبو سليمان المخزومي (**وسعد**) بن أبي وقاص الزهري رضي الله عنهما (**كلام، فذكر رجل خالداً**) بسوء (**عند سعد فقال سعد: مه**) أي أسكت (**إن ما بيننا لم يبلغ ديننا يعني أن يأثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء، فكيف يجوز أن يقوله**). أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(**والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة إلى الزنا والفحش ما روت عائشة رضي الله عنها: إن أزواج النبي ﷺ أرسلن إليه فاطمة**) رضي الله عنها (**فجاءت فقالت: يا رسول الله أرسلني أزواجك يسألنك العدل**) أي التسوية (**في ابنة أبي قحافة**) تعني عائشة بنت أبي بكر نسبتها إلى جدها (**والنبي ﷺ نائم**) أي مضطجع. (**فقال: «يا بنية أتحبين ما أحب»؟ قالت: نعم. قال: «فأحبي هذه»**) يعني عائشة وكان ذلك في بيتها، (**فرجعت إليهن وأخبرتهن بذلك، فقلن: ما أغنيت عنا شيئاً فأرسلن زينب بنت جحش**) أم المؤمنين الأسدية وأمها عمة النبي ﷺ أميمة (**قالت**) عائشة: (**وهي التي كانت تساميني في الحب**) أي تغالبني، (**فجاءت فقالت بنت أبي بكر وبنت أبي بكر فما زالت تذكرني**) وتعدد عليّ (**وأنا ساكتة أنتظر أن يأذن لي رسول الله ﷺ في الجواب**) فأذن لي (**فسببتها**

جف لساني، فقال النبي ﷺ: «كلا إنها ابنة أبي بكر» يعني أنك لا تقاومينها في الكلام قط وقولها: سببتها، ليس المراد به الفحش بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق. وقال النبي ﷺ: «المستبان ما قالا فعلى البادىء منهما حتى يعتدي المظلوم» فأثبت للمظلوم انتصاراً إلى أن يعتدي، فهذا القدر هو الذي أباحه هؤلاء وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق. ولا تبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الأفضل تركه فإنه يجره إلى ما وراءه ولا يمكنه الاقتصار على قدر الحق فيه، والسكوت عن أصل الجواب لعله أيسر من الشروع في الجواب والوقوف على حدّ الشرع فيه، ولكن من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب ولكن يعود سريعاً، ومنهم من يكف نفسه في الابتداء ولكن يحقد على الدوام. والناس في الغضب أربعة: فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود، وبعضهم كالغضاء بطيء الوقود بطيء الخمود، وبعضهم بطيء

حتى جف لساني، فقال النبي ﷺ: «كلا) حرف ردع وزجر (**إنها بنت أبي بكر» يعني أنك لا تقاومينها في الكلام**) والمقاومة في الكلام المغالبة رواه مسلم في الصحيح، (**وقولها**) رضي الله عنها: (**سببتها ليس المراد به الفحش**) في الكلام المنهي عنه، (**بل هو الجواب عن كلامها بالحق ومقابلتها بالصدق**) بدليل أنه بحضرته ﷺ وبأذنه (**وقال النبي ﷺ: «المستبان على ما قالا حتى يعتدي المظلوم»**) رواه أحمد ومسلم من حديث أبي هريرة وتقدم للمصنف في آفات اللسان بلفظ: ما لم يبتدىء المظلوم. (**فأثبت للمظلوم انتصاراً إلى أن يعتدي**) أي يتجاوز عن الحد الشرعي المأذون فيه، (**فهذا القدر هو الذي أباحه هؤلاء**) الذين أجازوا المقابلة (**وهو رخصة في الإيذاء جزاء على إيذائه السابق ولا تبعد الرخصة في هذا القدر، ولكن الأفضل تركه فإنه يجر إلى ما وراء ولا يمكن الإقتصار على مقدار الحق فيه**) فمن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه، (**والسكوت عن أصل الجواب لعله أيسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه**) فتركه أروح للخاطر، (**ولكن في الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فور الغضب**) وحدته (**ولكن يعود سريعاً**) إلى الرضا، (**ومنهم من يكف نفسه في الإبتداء ولكن يحقد في الدوام**) أي يمسك البغضاء في قلبه، (**والناس في الغضب أربعة: فبعضهم كالحلفاء**) وزان الحمراء نبات معروف الواحدة حلفاة (**سريع الوقود**) لخفته ورخاوته (**سريع الخمود**) أي السكون فيصير كلا شيء، (**وبعضهم كالغضى**) مقصور شجر من أشجار الجبال خشبه من أصلب الخشب، ولهذا يكون في فحمه صلابة (**بطيء الوقود**) لصلابته فلا تؤثر النار فيه سريعاً (**بطيء الخمود**) تبقى ناره مدة لا تنطفىء، ولذلك قال الشاعر:

فسقى الغضى والساكنية وإن هم ... شبوه بين جوانحي وبأضلعي

الوقود سريع الخمود وهو الأحمد ما لم ينبته إلى فتور الحمية والغيرة، وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم. وفي الخبر: «المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك». وقال الشافعي رحمه الله: من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان. وقد قال أبو سعيد الخدري، قال رسول الله ﷺ: «ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطيء الغضب سريع الفيء، ومنهم سريع الغضب سريع الفيء، فتلك بتلك، ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء، ألا وإن خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء». ولما كان الغضب يهيج ويؤثر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يعاقب أحداً في حال غضبه، لأنه ربما يتعدى الواجب، ولأنه ربما يكون متغيظاً عليه فيكون متشفياً لغيظه ومريحاً نفسه من ألم الغيظ، فيكون صاحب حظ فيه فينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه. ورأى عمر رضي الله عنه سكران فأراد أن يأخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر، فقيل له: يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته؟ قال: لأنه أغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي

(**وبعضهم بطيء الوقود سريع الخمود وهو الأحمد ما لم ينته إلى فتور الحمية و**) ضعف (**الغيرة**) الدينية، (**وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم، وفي الخبر**) عن رسول الله ﷺ: (**«المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك»**) تقدم ذلك.

(**وقال الشافعي رضي الله عنه: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان**) أخرجه الأبدي والبيهقي وأبو نعيم كلهم في مناقبة بأسانيدهم (**وقد قال أبو سعيد الخدري**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: «ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات منهم بطيء الغضب سريع الفيء**) أي الرجوع، (**ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك، ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء ألا وإن خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب البطيء الفيء»**) قد تقدم ذلك (**ولما كان الغضب في الحال يهيج ويؤثر في كل إنسان وجب على السلطان أن لا يعاقب أحداً في حال غضبه عليه لأنه ربما يتعدى الواجب**) أي يتجاوز القدر الواجب في معاقبته، (**ولأنه يكون**) في هذه الحالة (**مشفياً غيظه ومريحاً نفسه فيكون صاحب حظ فيه، وينبغي أن يكون انتقامه وانتصاره لله لا لنفسه**) فقد روي أنه (**رأى عمر رضي الله عنه سكراناً فأراد أن يأخذه ويعزره**) تعزيراً شرعياً (**فشتمه السكران**) واستطال بلسانه عليه (**فرجع عمر**) عن أخذه، (**فقيل له: يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته! قال: لأنه أغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي لنفسي ولم أحب**

لنفسي، ولم أحب أن أضرب مسلماً حية لنفسي. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لرجل أغضبه: لولا أنك أغضبتني لعاقبتك.

القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق:

اعلم أن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقداً. ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه وأن يدوم ذلك ويبقى، وقد قال ﷺ: «المؤمن ليس بحقود». فالحقد ثمرة الغضب. والحقد يثمر ثمانية أمور:

الأول: الحسد: وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة إن أصابها وتسر بمصيبة إن نزلت به، وهذا من فعل المنافقين، وسيأتي ذمه إن شاء الله تعالى.

الثاني: أن يزيد على إضمار الحسد في الباطن، وتشمت بما أصابه من البلاء.

الثالث: أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك.

أن أضرب مسلماً حية لنفسي) أخرجه الإسماعيلي في مناقب عمر. **(وقال عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى **(لـرجل أغضبه: لولا أنك أغضبتني لعاقبتك)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

القول في معنى الحقد ونتائجه وفضيلة العفو والرفق:

(اعلم) هداك الله **(أن الغضب إذا لزم كظمه)** أي كفه وحبسه **(لعجز عن التشفي)** بالمغضوب عليه **(في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه)** أي احتبس فصار حقداً **(ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة والنفار منه وأن يدوم ذلك ويبقى)** ولذا قالوا في تعريفه هو الإنطواء على العداوة والبغضاء **(وقد قال ﷺ: «المؤمن ليس بحقود»)** تقدم في كتاب العلم، **(فالحقد ثمرة الغضب)** ونتيجته، **(والحقد يثمر ثمانية أمور)**.

(الأول: الحسد) محركة، **(وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه فتغتم بنعمة أصابها وتسـر بمصيبة إن نزلت به وهذا من فعل المنافقين أعني الحسد)** لمخالفة الظاهر فيه الباطن **(وسيأتي ذمه)** قريباً.

(الثاني: أن يزيد على أصحاب الحسد في الباطن فيشمت) أي يفرح **(بما يصيبه من البلاء)**.

(الثالث: أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك) بالملاطفة.

الرابع: وهو دونه أن تعرض عنه استصغارا له.

الخامس: أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره.

السادس: أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه.

السابع: إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه.

الثامن: أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة. وكل ذلك حرام.

وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تعصي الله به، ولكن تستثقله في الباطن ولا ينتهي قلبك عن بغضه، حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له، أو بترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومؤاساته. فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لا يعرّضك لعقاب الله.

ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح ـ وكان قريبه ـ لكونه تكلم في واقعة الإفك نزل قوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم﴾ [النور: ٢٢] إلى

(**الرابع: وهو دونه أن تعرض عنه استصغاراً له**) أي استحقاراً واستذلالاً.

(**الخامس: أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره**).

(**السادس: أن يحاكيه استهزاء به وسخرية منه**).

(**السابع: إيذاؤه بالضرر وما يؤلم بدنه**).

(**الثامن: أن يمنعه حقه من صلة رحم أو قضاء دين أو رد مظلمة وكل ذلك حرام لا يحل إرتكابه وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة لا تخرج بسبب الحقد إلى ما تعصي الله به ولكن تستثقله بالباطن ولا تنهي قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة أو بترك الدعاء له أو الثناء عليه**) في المجالس (**والتحريض على بره ومؤاساته، فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لا يعرضك لعقاب**) أليم. (**ولما حلف أبو بكر**) رضي الله عنه (**أن لا ينفق على مسطح**) بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف (**وكان قريبه**) لأن أم مسطح بنت خالة أبي بكر مطلبية أسلمت قديماً وكان أبو بكر يمونه لأجل قرابته (**لما تكلم في واقعة الإفك**) وخاض معهم في أمر عائشة (**نزل قوله تعالى: ﴿ولا يأتل**) أي لا يحلف (**أولو الفضل منكم**

قوله: ﴿أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُم﴾ [النور: ٢٢]، **فقال أبو بكر: نعم نحب ذلك** وعاد إلى الإنفاق عليه.

والأولى أن يبقى على ما كان عليه، فإن أمكنه أن يزيد في الإحسان مجاهدة للنفس وأرغاماً للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال المقربين. فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة.

والسعة) أن يؤتوا أولي القربى﴾ **(إلى قوله: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ فقال أبو بكر: بل نحب ذلك وعاد إلى الإنفاق عليه)** رواه عبد الرزاق وأحمد والبخاري وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب كلهم من حديث عائشة الطويل، وفيه لما أنزل الله في براءتي قوله: ﴿إن الذين جاؤوا بالإفك﴾ العشر الآيات كلها. قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبـداً بعـد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله ﴿ولا يأتل أولو الفضل﴾ إلى قوله: ﴿رحيم﴾ قال أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. وروى البخاري والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه في هذا الحديث قالت: فخلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحاً بنافعة أبداً، فأنزل الله ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة﴾ يعني أبا بكر ﴿أن يؤتوا أولي القربى والمساكين﴾ يعني مسطحاً إلى قوله: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ قال أبو بكر: بلى والله إنا لنحب أن يغفر الله لنا وعادله بما كان يصنع. وروى البخاري وسعيد بن منصور وابن المنذر من حديث رومان قالت: وكان فيمن حدث الحديث رجل كان يجديه أبو بكر، فحلف أبو بكر أن لا يصله فأنزل الله ﴿ولا يأتل أولو الفضل﴾ الآية وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس: وكان أبو بكر يعطي مسطحاً أو يصله ويبره فحلف لا يعطيه فنزل ولا يأتل الآية. وروى الطبراني وابن مردويه من حديث ابن عمر، فبعث أبو بكر إلى مسطح لاوصلتك بدرهم أبداً ولا عطفت عليك بخير أبداً، ثم طرده وأخرجه من منزله فنزل القرآن ﴿ولا يأتل﴾ إلى آخر الآية. وروى ابن أبي حاتم والطبراني عن سعيد بن جبير: كان مسطح من المهاجرين الأولين، وكان ابن خالة أبي بكر وكان يتيماً في حجره، فلما حلف أبو بكر أن لا يصله نزلت في أبي بكر ﴿ولا يأتل﴾ أي لا يحلف ﴿أولو الفضل منكم﴾ يعني في الغنى (**والسعة**) يعني في الرزق (**أن يؤتوا أولي القربى**) يعني مسطحاً قرابة أبي بكر وابن خالته (**والمساكين**) يعني مسطحاً كان مسكيناً والمهاجرين في سبيل الله يعني مسطحاً وليعفوا وليصفحوا يعني ليتجاوزوا عن مسطح (**ألا تحبون**) الآية. قال النبي ﷺ: «أما تحب أن يغفر الله لك؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: فاعف واصفح» فقال أبو بكر: قد عفرت وصفحت لا أمنعه معروفاً اليوم. **(فالأولى أن يبقى على ما كان عليه فإن أمكنه أن يزيد في الإحسان)** والصلة **(مجاهدة للنفس وإرغاماً للشيطان فذلك هو مقام الصديقين وهو من فضائل أعمال المقربين فللمحقود ثلاثة أحوال عند القدرة)**.

أحدها: أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ونقصان وهو العدل.

الثاني: أن يحسن إليه بالعفو والصلة، وذلك هو الفضل.

الثالث: أن يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور، وهو إختيار الأراذل، والثاني: هو إختيار الصديقين، والأوّل: هو منتهى درجات الصالحين، ولنذكر الآن فضيلة العفو والإحسان.

فضيلة العفو والإحسان:

اعلم أن معنى العفو أن يستحق حقاً فيسقطه ويبرىء عنه من قصاص أو غرامة، وهو غير الحلم وكظم الغيظ؛ فلذلك أفردناه. قال الله تعالى: ﴿خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وقال الله تعالى: ﴿وأنْ تَعْفُوا أقْرَبُ للتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧] وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث والذي نفسي بيده لو كنت حلافاً لحلفت عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا، ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي

(**إحداها: أن يستوفي حقه الذي يستحقه**) سواء (**من غير زيادة ونقصان وهو العدل**) لما فيه من المساواة.

(**والثاني: أن يحسن إليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل**).

(**والثالث: أن يظلمه بما لا يستحقه**) فيأخذ منه فوق حقه (**وذلك هو الجور وهو اختيار الأراذل**) وهم اللئام من الناس. (**والثاني هو اختيار الصديقين**) ولذلك عفا أبو بكر عن مسطح ووصله بالبر وأحسن إليه بعد العفو، (**والأول هو منتهى درجة الصالحين، ولنذكر الآن فضيلة العفو والإحسان**) وما أعد الله لصاحبها من الثواب والغفران.

فضيلة العفو:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن معنى العفوان تستحق حقاً فتسقطه وتبرأ عنه من قصاص أو غرامة**) يقال: غرمت الدية والكفالة إذا أديته بعد ما لزمك غرماً ومغرماً وغرامة (**وهو غير الحلم وكظم الغيظ، فلذلك أفردناه، وقد قال الله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ الآية**) وقد تقدم الكلام عليه في آداب الصحبة. (**وقال تعالى: ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾ وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث**) خصال (**والذي نفسي بيده إن كنت حالفاً لحلفت عليهن**) أي على حقيقتهن (**ما نقصت صدقة من مال**) كذا في النسخ والمعنى ما نقص مال من صدقة فإنه وإن نقص في الدنيا فنفعه في الآخرة باق فكأنه ما نقص وليس معناه أن المال لا ينقص حساً. قال ابن عبد السلام: ولا أن الله يخلف عليه لأن هذا معنى مستأنف (**فتصدقوا**) ولا تبالوا

بها وجه الله إلا زاده الله بها عزاً يوم القيامة، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر »، وقال ﷺ: « التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله، والعفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا يعزكم الله، والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله »، وقالت عائشة رضي الله عنها: « ما رأيت رسول الله ﷺ

بالنقص الحسي، **(ولا عفا رجل عن مظلمة)** ظلمها **(فيبتغي بها وجه الله إلا زاده الله بها عزاً يوم القيامة، ولا فتح رجل)** على نفسه **(باب مسألة)** فيسأل الناس ويظهر لهم الفقر والحاجة وهو بخلاف ذلك **(إلا فتح الله عليه باب فقر »)** لم يكن له في حساب بأن يسلط على ما في يده من الأموال فيتلفها حتى يعود فقيراً محتاجاً على حالة أسوأ مما أذاع عن نفسه جزاء على فعله ولا يظلم ربك أحداً. رواه ابن أبي الدنيا هكذا في ذم الغضب من حديث عبد الرحمن بن عوف. وفي رواية له: « ثلاث اقسم عليهن ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة ظلمها إلا زاده الله بها عزاً فاعفوا يزدكم الله ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة يسأل الناس إلا فتح الله عليه باب فقر ». وقال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري وقال: حسن صحيح، ولمسلم وأبي داود نحوه من حديث أبي هريرة انتهى.

قلت: لفظ حديث أبي كبشة: « ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عز وجل عزاً ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر ». وأحدثكم حديثاً فاحفظوه: إنما الدنيا لأربعة نفر فذكر حديثاً طويلاً، وقد رواه أحمد بطوله في مسنده، وحديث أبي هريرة الذي أشار إليه العراقي لفظه: « ثلاث اعلم أنهن حق ما عفا امرؤ عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة فيبتغي بها كثرة إلا زاده الله بها فقراً وما فتح رجل على نفسه باب صدقة فيبتغي بها وجهه الله تعالى إلا زاده الله كثرة » وقد رواه كذلك البيهقي.

(وقال ﷺ: « التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة) في الدنيا لأنه بالتواضع لهم يعظم في القلوب وترتفع منزلته في النفوس **(فتواضعوا يرفعكم الله)** تعالى في الدنيا بوضع القبول في القلوب وإعظام المنزلة في الصدور وفي الآخرة بتكثير الأجر وإعظام القدر كما ذكره العلائي وغيره فحمله على الدنيا فقط أو على الآخرة فقط في الثلاثة غير سديد **(والعفو لا يزيد العبد إلا عزاً)** لأن من عرف بالعفو ساد وعظم في القلوب فهو على ظاهره أو المراد عزه في الآخرة بكثرة الثواب وترك العقاب **(فاعفوا يعزكم الله)** في الدارين **(والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة)** بمعنى أنه يبارك فيه وتندفع عنه المفسدات فينجبر نقص الصورة بذلك **(فتصدقوا يرحمكم الله »)** أي يضاعف عليكم رحمته بإضعافه لكم أجرها. قالوا: وهذا من جوامع الكلم. رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث محمد بن عمير العبدي. وقال العراقي: رواه أبو الشيخ الأصبهاني في الترغيب والترهيب والديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف.

منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدهم في ذلك غضباً، وما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً »،

(وقالت عائشة رضي الله عنها: « ما رأيت) أي ما علمت **(رسول الله ﷺ منتصراً)** أي منتقماً **(من مظلمة)** بفتح اللام والميم ما أخذ أو نيل من معصوم عدواناً سواء كانت في البدن أو العرض أو المال أو الاختصاص **(ظلمها)** المنصوب على الأول مفعول مطلق، وعلى الثاني مفعول به. وظلم يتعدى لمفعولين كما في القاموس خلافاً لمن زعم قصره على واحد فقد ظلم بها **(قط)** وإنما لم ينتقم ﷺ منها مع أن مرتكبها قدباء بإثم عظيم لأنه حق آدمي يسقط بعفوه بخلاف حقوق الله تعالى التي ذكرها بقوله: **(ما لم تنتهك محارم الله تعالى)** أي ترتكب والمحارم جمع محرم أي شيء حرمه الله على عباده.

فإن قلت: مظلمته ﷺ إيذاء له وإيذاؤه كفر وهو حينئذ حق الله تعالى فكيف يسقط بعفوه؟ قلت: لا نسلم أن مطلق إيذائه كفر. ألا ترى فيمن جذب رداءه حتى أثر في عنقه فعفا عنه وأعطاه حمل بعيريه، والحاصل أن إيذاءه لا يصدر إلا من مسلم جاف وهذا له نوع عذر فلم يكفر وعفا عنه، أو من منافق وقد أمر بتحمل أذاهم لئلا ينفر الناس عنه، أو من كافر معاهد فمصحلة تألفه اقتضت عدم مؤاخذته بجريمته أو من حربي وهو غير ملتزم للأحكام.

(فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدهم غضباً) فينتقم لمن ارتكب ذلك لما علمت أنه لا يقبل العفو، ومن المحارم التي ينتقم بها ولا يعفو عنها حق الآدمي إذا همّ في طلبه وفي الحث على العفو والحلم واحتمال الأذى والإنتصار لدين الله تعالى، أنه ليس لكل ذي ولاية التخلق بهذا الخلق الكريم فلا ينتقم لنفسه ولا يهمل حق الله تعالى على أنهم قد أجمعوا أنه لا يجوز للقاضي أن يقضي لنفسه ولا لمن تقبل شهادته له كأبيه وابنه، ولا ينافي هذا الحديث أمره ﷺ بقتل ابن خطل ونحوه ممن كان يؤذيه لأنهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى، أو ان عفوه إنما كان في غير ذنب يكفر به مرتكبه كمن رفع صوته عليه، ومن جذبه بردائه حتى أثر في رقبته بخلاف أولئك فإنهم كفروا بإيذائه فلم يمكنه العفو عنهم، ومن ثم اقتص ﷺ ممن نال من عرضه، **(وما خير)** ﷺ **(بين أمرين إلا أختار أيسرهما)** إما بأن يخيره الله تعالى فيما فيه عقوبتان فيختار الأخف، أو في قتال الكفار وأخذ الجزية فيختار أخذها، أو في حق أمته في المجاهدة في العبادة والإقتصاد فيختار الإقتصاد، وإما بأن يخيره المنافقون أو الكفار، فعلى هذا يتصور قوله: **(ما لم يكن مأثماً)** أي إثماً كما في رواية البخاري، وفيها أيضاً. فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وفي رواية الطبراني ما لم يكن لله فيه سخط، وعلى الأول يكون الإستثناء منقطعاً إذ لا يتصور تخيير الله تعالى إلا بين جائزين رواه الترمذي في الشمائل واللفظ له رواه البخاري ومسلم والحاكم والطبراني بنحوه، وعند الحاكم: « ما لعن رسول الله ﷺ مسلماً بذكر وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يضرب في سبيل الله، ولا سئل شيئاً قط فمنعه إلا أن يسئل مأثماً ولا انتقم لنفسه من شيء إلا أن تنتهك حرمات الله تعالى فيكون لله فينتقم ».

وقال عقبة: لقيت رسول الله ﷺ يوماً فابتدرته فأخذت بيده أو بدرني فأخذ بيدي فقال: « يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة: تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك »، وقال ﷺ: « قال موسى عليه السلام يا رب أي عبادك أعز عليك، قال الذي إذا قدر عفا »، وكذلك سئل أبو الدرداء عن أعز الناس قال الذي يعفو إذا قدر فأعفوا يعزكم الله، وجاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو مظلمة فأمره النبي ﷺ أن يجلس وأراد أن يأخذ له بمظلمته، فقال له النبي ﷺ: « إن المظلومين هم المفلحون يوم القيامة »، فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث: وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: « من دعا على من ظلمه فقد إنتصر ». وعن أنس قال: قال

(وقال عقبة بن عامر) الجهني رضي الله عنه: **(لقيت رسول الله ﷺ يوماً فبدرته فأخذت بيده أو بدرني فأخذ بيدي فقال: « يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة)** ؟ قلت: نعم فقال: **(تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا، والطبراني في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الشعب بإسناد ضعيف وقد تقدم.

قلت: وقد روى أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس: « أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك » وقد تقدم أيضاً.

(وقال رسول الله ﷺ: « قال موسى) عليه السلام **(يا رب أي عبادك أعز عليك؟ قال: الذي إذا قدر عفا »)** قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة وفيه ابن لهيعة. **(ولذلك سئل أبو الدرداء)** رضي الله عنه: **(من أعز الناس؟ قال: الذي يعفو إذا قدر فاعفوا يعزكم الله)**. وروي نحو ذلك من حديث عبد الرحمن بن عوف رواه ابن أبي الدنيا وقد ذكر قريباً. **(وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو ومظلمة)** ظلمها **(فأمره النبي ﷺ أن يجلس وأراد أن يأخذ له بمظلمته، فقال رسول الله ﷺ: « إن المظلومين)** في الدنيا **(هم المفلحون)** أي الفائزون **(يوم القيامة »)** بالأجر الجزيل والنجاة من النار ورفع الدرجات والإنتقام لهم ممن ظلمهم والأخذ بثأرهم ممن بغى عليهم، **(فأبى أن يأخذها حين سمع الحديث)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو عن أبي صالح الحنفي مرسلاً.

قلت: ورواه كذلك في كتاب ذم الغضب ورستة في كتاب الإيمان، وأبو صالح الحنفي هو عبد الرحمن بن قيس تابعي جليل.

(وقالت عائشة) رضي الله عنها: **(قال رسول الله ﷺ: « من دعا على من ظلمه فقد انتصر »)** أي أخذ من عرض الظالم فنقص من ثواب المظلوم بحسبه ففيه إخبار بأن من انتصر ولو

رسول الله ﷺ: « إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات: يا معشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض »، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة فأخذ بعضادتي الباب فقال: « ما تقولون وما تظنون »؟ فقالوا: نقول أخ وابن عم حليم رحيم ـ قالوا ذلك ثلاثاً ـ فقال ﷺ: « أقول كما قال يوسف: ﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الإسلام » وعن سهيل بن عمرو قال: لما قدم رسول الله ﷺ مكة وضع يديه

بلسانه فقط استوفى حقه فلا إثم عليه ولا أجر له، فالحديث تعريض بكراهة الإنتصار وندب العفو ليصير أجره على الله ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور. رواه ابن أبي شيبة والترمذي وأبو يعلى وابن أبي الدنيا في ذم الغضب. قال الترمذي في العلل: إنه سئل عنه البخاري، فقال: لا أعلم أحداً رواه غير أبي الأحوص لكن هو من حديث أبي حمزة وضعف أبا حمزة جداً.

(وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى منادٍ من تحت العرش ثلاثة أصوات: يا معشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض ») قال العراقي: رواه أبو سعد أحمد بن إبراهيم المقري في كتاب التبصرة والتذكرة بلفظ: « ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا أمة محمد أن الله تعالى يقول ما كان لي قبلكم وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي » وإسناده ضعيف. ورواه الطبراني في الأوسط بلفظ: « ينادي منادٍ يا أهل الجمع تتاركوا المظالم بينكم وثوابكم علي » وله من حديث أم هانىء « ينادي منادٍ يا أهل التوحيد ليعف بعضكم عن بعض وعلى الثواب » وهو ضعيف أيضاً.

(وعن أبي هريرة) رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة بعضادتي الباب فقال: « ما تقولون وما تظنون » فقالوا: نقول أخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: « أقول كما قال يوسف: ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ قال: فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الإسلام »)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وفي ذم الغضب، ومن طريقه رواه ابن الجوزي في الوفاء وفيه ضعف قاله العراقي.

قلت: ورواه بهذا السياق البيهقي في دلائل النبوة.

(وعن سهيل بن عمرو) بن عبد شمس بن عبد ود العامري أحد أشراف قريش وخطبائهم، وكان أعلم الشفة وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية وكلامه ومراجعته للنبي ﷺ في ذلك في الصحيحين وغيرهما. مات بالشام في طاعون عمواس **(قال: لما قدم رسول الله ﷺ مكة وضع**

على باب الكعبة والناس حوله فقال: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » ثم قال: « يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون ؟ » قال: قلت يا رسول الله نقول خيراً ونظن خيراً أخ كريم وابن عم رحيم وقد قدرت، فقال رسول الله ﷺ : « أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم﴾ »، وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة، قيل ومن ذا الذي له على الله أجر؟ قال: « العافون عن الناس، فيقوم كذا وكذا ألفاً فيدخلونها بغير حساب »، وقال ابن مسعود قال رسول الله

يديه على بابي الكعبة والناس حوله فقال: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» ثم قال: « يا معشر قريش ما تظنون وما تقولون» قال سهيل: قلت يا رسول الله نقول خيراً ونظن خيراً أخ كريم وقد قدرت. فقال رسول الله ﷺ :« أقول كما قال أخي يوسف﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم »﴾) قال العراقي: لم أجده.

قلت بل رواه أحمد بن زنجويه في كتاب الأموال من طريق ابن أبي حسين قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة دخل البيت ثم خرج فوضع يده على عضادتي الباب فقال: « ماذا تقولون » فقال سهيل بن عمرو نقول: خيراً وننطق خيراً أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت. فقال: « أقول كما قال أخي يوسف ﴿لا تثريب عليكم﴾ » وفي الباب عبدالله بن عمرو وابن عباس.

أما حديث ابن عمرو فقد أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة التفت إلى الناس فقال: « ما تقولون وما تظنون »؟ فقالوا: ابن عم كريم فقال: ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم﴾ ».

وأما حديث ابن عباس فأخرجه ابن مردويه قال: إن رسول الله ﷺ لما فتح مكة صعد المنبر فحمدالله واثنى عليه ثم قال: « يا أهل مكة ماذا تظنون ماذا تقولون » قالوا: نظن خيراً ونقول خيراً في ابن عم كريم قد قدرت قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾ والترثيب هو التعيير.

(وعن أنس) رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا وقف العباد نادى منادٍ ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة. قيل: من ذا الذي أجره على الله؟ قال: العافون عن الناس فقام كذا وكذا ألفاً فدخلوها بغير حساب »)** قال العراقي: رواه الطبراني في مكارم الأخلاق وفيه الفضل بن بشار ولا يتابع على ذلك حديثه اهـ.

قلت: وروى ابن عساكر من حديث علي: « ينادي مناد يوم القيامة من بطنان العرش ألا فليقم من كان أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا عن أخيه ».

ﷺ: «لا ينبغي لوالي أمر أن يؤتى بحدٍ إلا أقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ: ﴿ولْيَعْفُوا ولْيَصْفَحُوا﴾ [النور: ٢٢] الآية»، وقال جابر: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء: من أدى ديناً خفياً وقرأ في دبر كل صلاة: ﴿قلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] عشر مرات وعفا عن قاتله» قال أبو بكر: أو إحداهن يا رسول الله قال: «أو إحداهن».

الآثار: قال ابراهيم التيمي: إن الرجل ليظلمني فأرحمه. وهذا إحسان وراء العفو لأنه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب.

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لوالي أمر أن يؤتي بحدٍ**) من حدود الله تعالى (**إلا أقامه والله عفو يحب العفو ثم قرأ ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾»**) قال العراقي: رواه أحمد والحاكم وصححه وتقدم في آداب الصحبة.

(**وقال جابر**) بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: «ثلاث**) أي ثلاث خصال (**من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء**) أي يخير في دخول أيها شاء (**وزوج**) بالبناء للمفعول أي زوجه الله (**من الحور العين**) في الجنة (**حيث شاء من أدى ديناً خفياً**) إلى مستحقه بأن لم يكن عالماً به كان ورثه من أبيه ولم يشعر به (**وقرأ في دبر كل صلاة**) مكتوبة من الخمس كما في رواية (**قل هو الله أحد**) أي سورتها (**عشر مرات وعفا عن قاتله»**) بأن ضربه ضرباً قاتلاً فعفا عنه قبل موته. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط وفي الدعاء بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أبو يعلى في مسنده، وابن السني في عمل اليوم والليلة، وأبو نعيم في الحلية في ترجمة بشر بن منصور كلهم من طريق عمر بن نبهان عن أبي راشد عن جابر، عن النبي ﷺ. وعمر بن نبهان ضعيف جداً. وقيل متروك. وعند أبي يعلى زيادة في آخر الحديث.

(**فقال أبو بكر: أو إحداهن يا رسول الله؟ قال: «أو إحداهن»**) وروى ابن عساكر من حديث ابن عباس بلفظ ثلاث من كن فيه أو واحدة منهن فليتزوج من الحور العين حيث شاء رجل ائتمن على أمانة فأداها مخافة الله عز وجل، ورجل خلى عن قاتله، ورجل قرأ في دبر كل صلاة قل هو الله أحد عشر مرات» وإسناده ضعيف أيضاً.

الآثار:

(**قال إبراهيم**) بن يزيد (**التيمي**) الكوفي: (**إن الرجل ليظلمني فارحمه**) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو. (**وهذا إحسان وراء العفو لأنه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله**

وقال بعضهم: إذا أراد الله أن يتحف عبداً قيض له من يظلمه. ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فجعل يشكو إليه رجلاً ظلمه ويقع فيه فقال له عمر: إنك أن تلقى الله ومظلمتك كما هي، خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها. وقال يزيد بن ميسرة: إن ظللت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسعكما عفوي. وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه: كل الظالم إلى ظلمه فإنه أسرع إليه من دعائك عليه إلا أن يتداركه بعمل وقمن أن لا يفعل. وعن ابن عمر عن أبي بكر أنه قال: بلغنا أن الله تعالى يأمر منادياً يوم القيامة فينادي من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم أهل العفو، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس. وعن هشام بن محمد قال: أتى النعمان بن المنذر برجلين قد أذنب أحدهما ذنباً عظيماً فعفا عنه والآخر أذنب ذنباً خفيفاً فعاقبه وقال:

تعالى بالظلم وأنه يطالب يوم القيامة فلا يكون له جواب) فهذا سبب رحمته عليه **(وقال بعضهم: إذا أراد الله أن يتحف عبداً قيض له)** أي سلط عليه **(من يظلمه)** أخرجه ابن أبي الدنيا أي: فإذا ظلمه وصبر على مظلمته ولم ينتصر منه كان سبباً لمزيد الأجور له. **(ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى **(فجعل يشكو إليه رجلاً)** قد **(ظلمه ويقع فيه)** أي يتكلم فيه بالسوء، **(فقال له عمر: إنك أن تلقى الله ومظلمتك كما هي)** باقية **(خير لك من أن تلقاه وقد اقتصصتها)** أي أخذت اقتصاصها أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال يزيد بن ميسرة)** الحضرمي أخو عبد الرحمن: **(إن ظللت تدعو على من ظلمك فإن الله يقول: إن آخر يدعو عليك أنك ظلمته فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك وإن شئتما أخرتكما إلى يوم القيامة فليسعكما عفوي)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو. **(وقال مسلم بن يسار)** البصري نزيل مكة، أبو عبدالله الفقيه ثقة عابد مات سنة مائة، روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه **(لرجل دعا على ظالمه: كل الظالم إلى ظلمه فإنه أسرع عليه من دعائك إلا أن يتداركه بعمل)** صالح **(وقمن أن لا يفعل)** فيكون هلاكه منه. أخرجه ابن أبي الدنيا. **(وعن ابن عمر عن أبي بكر)** رضي الله عنهما **(أنه قال: بلغنا أن الله تعالى يأمر منادياً يوم القيامة فينادي: من كان له عند الله شيء فليقم فيقوم أهل العفو فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس هكذا. أخرجه ابن أبي الدنيا وهذا له حكم المرفوع فإن الصحابي إذا قال بلغنا فإنما يعني به عن النبي ﷺ. وفي الأحاديث المرفوعة مما تقدم بعضها يشهد لهذا الأثر. (وقال هشام بن محمد)** بن السائب الكلبي أبو المنذر. قال الذهبي في الضعفاء، قال الدارقطني وغيره متروك **(أتى النعمان بن المنذر)** الغساني من بني ماء السماء **(برجلين أحدهما قد أذنب ذنباً عظيماً فعفا عنه، والآخر أذنب ذنباً صغيراً فعاقبه وقال:**

تعفـو الملـوك عـن العظيـ ـم مـن الذنـوب بفضلهـا
ولقـد تعـاقـب في اليسـ ـير وليس ذاك لجهلهـا
إلا ليعـرف حلمهـا ويخاف شـدة دخلهـا

وعن مبارك بن فضالة، قال: وفد سواد بن عبدالله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر، قال: فكنت عنده إذ أتي برجل فأمر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر، فقلت يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثاً سمعته من الحسن؟ قال: وما هو؟ قلت سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فيقوم مناد فينادي من له عند الله يد فليقم فلا يقوم إلا من عفا فقال: والله لقد سمعته من الحسن؟ فقلت والله لسمعته منه، فقال: خلينا عنه. وقال معاوية: عليكم بالحلم والاحتمال حتى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والافضال.

تعفـو الملـوك عـن العظيـ ـم مـن الذنـوب بفضلهـا
ولقـد تعـاقـب في اليسيـ ـر وليس ذاك لجهلهـا
إلا ليعـرف حلمهـا ويخاف شـدة نكلهـا

أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(**وعن مبارك بن فضالة**) البصري صدوق يدلس، روى له البخاري تعليقاً، وأبو داود والترمذي وابن ماجه (**قال: أوفدني**) أي أقدمني (**سواد بن عبدالله**) بن قدامة التميمي البري البصري قاضي البصرة صدوق محمود السيرة تكلم فيه الثوري لدخوله في القضاء، وحفيده سوار بن عبدالله بن سوار قاضي الرصافة ثقة، روى له داود والترمذي والنسائي (**في وفد**) أي جماعة (**من أهل البصرة إلى أبي جعفر**) عبدالله العباسي: (**فكنت عنده إذ أتي برجل فأمر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر، فقلت: يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثاً سمعته من الحسن**) يعني البصري؟ (**قال: وما هو؟ قال: سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فيقوم منادٍ فيقول: من له عند الله يد فليقم فلا يقوم إلا من عفا**) عن أخيه في مظلمة، (**فقال: والله لسمعته من الحسن، فقلت: والله لسمعته منه. فقال: خليا عنه**). وفي نسخة خلينا عنه أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(**وقال معاوية**) رحمه الله تعالى: (**عليكم بالحلم والاحتمال**) أي احتمال الأذى (**حتى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم**) الفرصة وقدرتم على الإنتقام (**فعليكم بالصفح والإفضال**) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

وروي أن راهباً دخل على هشام بن عبد الملك فقال للراهب: أرأيت ذا القرنين أكان نبياً؟ فقال: لا، ولكنه إنما أعطي ما أعطي بأربع خصال كن فيه: كان إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا حدث صدق، ولا يجمع شغل اليوم لغد. وقال بعضهم: ليس الحليم من ظلم فحلم. حتى إذا قدر إنتقم، ولكن الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر عفا. وقال زياد: القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب، وأتي هشام برجل بلغه عنه أمر فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام: وتتكلم أيضاً؟ فقال الرجل: يا أمير المؤمنين قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] أفنجادل الله تعالى ولا نتكلم بين يديك كلاماً؟ قال هشام: بلى ويحك تكلم.

وروي أن سارقاً دخل خباء عمار بن ياسر بصفين فقيل له: اقطعه فإنه من أعدائنا، فقال بل أستر عليه لعل الله يستر عليّ يوم القيامة، وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع

(**روي أن راهباً**) من عباد بني إسرائيل (**دخل على هشام بن عبد الملك**) بن مروان أيام خلافته (**فقال للراهب: أرأيت ذا القرنين**) المذكور قصته في القرآن (**كان نبياً. فقال: لا**) لم يكن نبياً (**ولكنه**) كان رجلاً صالحاً (**إنما أعطي ما أعطي بأربع خصال كن فيه: كان إذا قدر عفا**) ولم ينتقم لغضبه، (**وإذا وعد**) أحداً بشيء (**وفى**) بما وعده، (**وإذا حدث صدق**) في حديثه ولم يكذب (**ولا يجمع شغل اليوم لغد**). أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو. (**وقال بعضهم: ليس الحليم من ظلم فعفا حتى إذا**) أمكنته الفرصة و(**قدر**) عليه (**انتقم**) منه، (**ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا**) عنه أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو. (**وقال زياد بن عبدالله**) النميري البصري: روى له الترمذي وقد ضعف (**القدرة تذهب الحفيظة يعني الحقد والغضب**) وهو اسم من أحفظه إذا اغضبه يعني إذا قدر على من أغضبه وتمكن من الإنتقام منه يتراجع فلا يبقى معه حقد في قلبه ويميل إلى العفو والصفح، والمعنى من شأن القدرة أن يكون كذلك وإلا فكم من قادر على التمكن يبادر إلى الإنتقام ولا يعفو (**وأتي هشام**) بن عبد الملك (**برجل بلغه عنه أمر**) كرهه (**فلما أقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته**) ويبرىء نفسه (**فقال له هشام: وتتكلم أيضاً**) أي مع جنايتك (**فقال الرجل: يا أمير المؤمنين قال الله تعالى: ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ أفنجادل الله ولا نتكلم بين يديك؟ فقال هشام: بلى ويحك تكلم**) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(**وروي أن سارقاً دخل خباء عمار بن ياسر**) رضي الله عنه يسرق منه شيئاً وذلك (**بصفين**) وكان مع علي رضي الله عنه فأخذ السارق (**فقيل له: اقطعه**) أي اقطع يده (**فإنه من أعدائنا. قال: بل استر عليه لعل الله يستر علينا يوم القيامة**) فإن من ستر على مؤمن في الدنيا ستر الله عليه في الآخرة، وإنما لم يقم عمار عليه الحد لكونه لم يتحقق منه سرقة، وإنما كان

طعاماً فابتاع ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وإنها لمعي، فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها اللهم افعل به كذا، فقال: عبدالله: اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه. وقال الفضيل: ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس إليّ في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت: أعلى الدنانير تبكي؟ فقال: لا، ولكن مثلتني وإياه بين يدي الله عز وجل فأشرف عقلي على إدحاض حجته فبكائي رحمة له؛ وقال مالك بن دينار: أتينا منزل الحكم بن أيوب ليلاً وهو على البصرة أمير. وجاء الحسن

قصده أن يسرق ففي مثل هذا العفو والستر حسن أوانه خاف أن يكون في إقامة الحد عليه منتصراً لنفسه لا سيما وقد قالوا إنه من أعدائنا. **(وجلس ابن مسعود)** رضي الله عنه **(في السوق يبتاع)** أي يشتري **(متاعاً فابتاع)** أي اشترى **(متاعاً ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته)** أي مصرورة **(فوجدها قد حلت)** واختلست الدراهم **(فقال: قد جلست وإنها لمعي فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق الذي أخذها اللهم افعل به كذا، فقال عبدالله)** رضي الله عنه: **(اللهم إن كان حملته على أخذها حاجة)** اضطرته **(فبارك له فيها وإن كان حملته جرأة على الذنب)** أي من غير حاجة إليها **(فاجعله آخر عقوبة)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو. **(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(ما رأيت أزهد من رجل من أهل خراسان جلس إليَّ في المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت)** له: **(أعلى)** ذهاب **(الدنانير تبكي؟ قال: لا ولكن مثلتني وإياه بين يدي الله)** أي مثلت نفسي وإياه **(فأشرف عقلي على إدحاض حجته)** أي بطلانها **(فبكائي رحمة له)** حيث لا يجد جواباً بين يدي الله، فالنظر في هذا غاية الزهد في الدنيا حيث لم تخطر الدنانير في البال مع كمال احتياجه إليها وزهد عنها. أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو وأبو نعيم في الحلية. **(وقال مالك بن دينار)** أبو يحي البصري العابد رحمه الله تعالى: **(أتينا منزل الحكم بن أيوب)** بن يحي بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفي ابن عم الحجاج بن يوسف بن الحكم **(وهو على البصرة)** والياً عليها، وقد ذكر الذهبي في ذيل الضعفاء الحكم بن أيوب هذا وقال هو ابن عم الحجاج روى عن أبي هريرة مجهول **(ليلاً)** أي أتيناه بالليل، **(وجاء الحسن وهو خائف)** وذلك لأن أهل البصرة كانوا قد خلعوا بيعة عبد الملك وأنكروا تولية الحجاج عليهم وبايعوا عبد الرحمن بن الأشعث وفيهم القراء والمشيخة وانضم اليهم قراء الكوفة. وكان الحجاج قد عاملهم بالظلم وعذبهم في أخذ الخراج أشد العذاب، وكان ممن بايعه من القراء عقبة بن عامر الكوفي ومن معه وميمون بن أبي شبيب وماهان الأعور القاضي وعبد الرحمن بن أبي ليلى والفضل بن مروان وأبو البختري الطائي وسعيد بن جبير وعامر الشعبي وسفيان بن سلمة

وهو خائف فدخلنا معه عليه فما كنا مع الحسن إلا بمنزلة الفراريج، فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به أخوته من بيعهم إياه وطرحهم له في الجب فقال: باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم، وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس ثم قال: أيها الأمير ماذا صنع الله به؟ أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كلمته وجعله على خزائن الأرض، فماذا صنع حين أكمل له أمره وجمع له أهله؟ ﴿قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ اليومَ يَغْفِرُ الله لَكُم وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢] يعرض للحكم بالعفو عن أصحابه. قال الحكم: فأنا أقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم أجـد إلا ثوبي هذا لو أريتكم تحته. وكتب ابن المقفع إلى صديق له يسأله العفو عن بعض إخوانه: فلان هارب من زلته إلى عفوك لائذ منك بك. واعلم أنه لن يزداد الذنب عظماً إلا ازدادا العفو فضلاً. وأتى عبد

وإبراهيم التيمي وإبراهيم النخعي وجبلة بن وحر، وجابر الجعفي والمعرور بن مؤيد، وحمزة بن المغيرة بن شعبة، وسلمة بن كهيل ومعبد الجهيني وأيوب بن القرية، فجاء الحجاج بعساكر وأمده عبد الملك بأهل الشام وحاصر البصرة مدة حتى ملكها، وهرب ابن الأشعث فقتل من قتل من القراء في الحرب وهرب الباقون، ولا يزالون يتتبعون ويؤخذون إلى أن كان آخر من أخذ منهم سعيد بن جبير وماهان الأعور فقتلا، فهذا كان سبب خوف الحسن، (**فدخلنا عليه مع الحسن فما كنا معه إلا بمنزلة الفراريج**) وهي صغار الدجاج، (**فذكر الحسن**) للأمير (**قصة يوسف**) عليه السلام (**وما صنع به أخوته من بيعهم إياه وطرحهم له في الجب فقال: باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم وذكر ما لقي**) يوسف عليه السلام (**من كيد النساء ومن الحبس**) مما هو مذكور في القرآن، (**ثم قال: يا أيها الأمير ماذا صنع الله به، أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كلمته وجعله**) أميناً (**على خزائن الأرض فماذا صنع حين أكمل له أمره وجمع له أهله**) وحضروا بين يديه؟ (**قال لهم: ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم﴾ يعرض**) الحسن (**للحكم بالعفو عن أصحابه**) من القراء إذ كان فيهم من مالأ مع ابن الأشعث (**قال الحكم: وأنا أقول لا تثريب عليكم فيغفر الله لكم، ولو لم أجد إلا ثوبي لسترتكم به**) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(**وكتب ابن المقفع**) تقدم ذكره وكان أحد البلغاء (**إلى صديق له يسأله العفو عن إخوانه**) ما لفظه: (**فلان هارب من زلته إلى عفوك لائذ منك بك، واعلم أنه لن يزداد الذنب عظماً إلا ازداد العفو فضلاً**) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو، (**وأتى عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث**) وهو عبد الرحمن بن قيس بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي جده الأشعث صحابي، وكان مع علي رضي الله عنه في حروبه، زوجه أبو بكر رضي الله عنه أخته أم فروة بنت أبي قحافة، فولد له منها محمد يكنى أبا القاسم، وهو تابعي ثقة حديثه في السنن، مات سنة سبع وستين، وولده قيس بن محمد كوفي مقبول، روى له أبو داود

الملك بن مروان بأسارى إبن الأشعث فقال لرجاء بن حيوة: ما ترى؟ قال إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم.

وروي أن زياداً أخذ رجلاً من الخوارج فأفلت منه فأخذ أخاً له فقال له. إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك، فقال: أرأيت إن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي؟ قال: نعم. قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى ثم تلا: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [النجم: ٣٦ - ٣٨] فقال زياد: خلوا سبيله هذا رجل قد لقن حجته، وقيل: مكتوب في الإنجيل. من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان.

وولده *عبد الرحمن كوفي مجهول الحال، روى له أبو داود وهو صاحب الواقعة ويعرف بابن الأشعث نسبة إلى جده الأعلى، ومختصر خبره: أن الحجاج بن يوسف كان قد أرسل ابن الأشعث إلى بلاد الترك فأوغل فيها وفتح حصونها فبلغ إليه عن الحجاج ما يسوءه فخلع طاعته وطاعة عبد الملك، ورجع بالعساكر إلى العراق، وملك البصرة، وجمع قراء المصرين، فاجتمع له نحو مائة ألف غير الموالي، وجمع الحجاج الجيوش عليه والتقيا في دير الجماجم واستمرت الحرب مائة يوم، وذلك سنة ثلاث وثمانين من الهجرة فانكسر ابن الأشعث وهرب إلى ملك الترك واستجار به فأجاره، فلم يزل الحجاج يتوعده ويتهدده فأمسكه وأهل بيته ووضع السواجير في أعناقهم وأرسلهم إلى عمارة بن تميم وإلى سجستان فالقى ابن الأشعث نفسه من قصر عال فمات وقتل عمارة جماعة منهم وبعث برؤوسهم مع بقية الأسارى إلى الحجاج وبعث بهم الحجاج إلى عبد الملك (**فقال**) عبد الملك (**لرجاء بن حيوة**) بن جرول بن الأحنف بن السمط ابن امرىء القيس الكندي الفلسطيني يكنى أبا المقدام ويقال أبا نصر، قال ابن سعد: ثقة فاضل كثير العلم. وقال العجلي والنسائي: ثقة. وقال مسلمة بن عبد الملك: هو ممن ينزل به الغيث وينصر به على العدو، ومات سنة إثنتي عشرة ومائة روى له البخاري تعليقاً ومسلم والأربعة: (**ما ترى؟ قال: إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفا عنهم**) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو.

(**وروي أن زياداً**) هو والي العراقين ويعرف بابن أبيه وبابن سمية وابنه عبيد الله وهو الذي تولى حرب الحسين رضي الله عنه (**أخذ رجلاً من الخوارج فأفلت منه**) وهرب (**فأخذ**) زياد (**أخاً له فقال: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك. فقال: أرأيت أن جئتك بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي؟ قال: نعم. قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم**) جل جلاله (**وأقيم عليه شاهدين**) عدلين (**إبراهيم وموسى عليهما السلام: ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ فقال زياد: خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته**) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو (**وقيل: مكتوب في الإنجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان**). أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو. ومما يستحسن إيراده هنا ما

فضيلة الرفق:

اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والحدة. والعنف نتيجة الغضب والفظاظة. والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلاسة، وقد يكون سبب الحدة الغضب، وقد يكون سببها شدة الحرص واستيلاؤه بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوّة الغضب وقوّة الشهوة وحفظهما على حد الإعتدال، ولأجل هذا أثنى رسول الله ﷺ على الرفق وبالغ فيه فقال: « يا عائشة إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة » ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة »، وقال ﷺ: « إذا

ذكره صاحب خلاصة التواريخ أن المهلب بن أبي صفرة وكان يكنى أبا سعيد بلغه عن رجل شيء كرهه فقال له جلساؤه: ألا تأمر بقتله؟ فقال: ما اعرفني بدوائه فبعث إليه خمسة آلاف درهم وتختاً من ثياب وطيب، ثم دخل المهلب على ابن زياد فلقيه الرجل فقبّل يده فقال: يدك يد يتقى بها الذم ويكسب بها الحمد ويقتل بها العدو، فبلغ ابن زياد ذلك فقال: كان المهلب اعلم بداوئه.

فضيلة الرفق:

بالكسر هو حسن الإنقياد لما يؤدي إلى الجميل.

(اعلم) هداك الله **(أن الرفق محمود ويضاده العنف. والحدة. والعنف نتيجة الغضب والفظاظة)** وهي غلظة القلب. **(والرفق واللين نتيجتا حسن الخلق والسلاسة)** وهي السهولة. **(وقد يكون سبب الحدة الغضب)** وهو الأكثر، **(وقد يكون سببه شدة الحرص واستيلاؤه)** على القلب **(بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت)** في الأمور فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب **(وقوة الشهوة وحفظها على حد الإعتدال)** من مرتبتي التفريط والإفرط، **(ولأجل هذا إثنى رسول الله ﷺ على الرفق وبالغ فيه فقال: « يا عائشة إنه من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة »)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، والحكيم في النوادر، وأبو نعيم في الحلية، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وابن النجار وقال العراقي: رواه أحمد والعقيلي في الضعفاء في ترجمة عبد الرحن بن أبي بكر المليكي، وضعفه عن القاسم عن عائشة. وفي الصحيحين من حديثها « إن الله يحب الرفق في الأمر كله » اهـ.

قلت: رواه عبد الرحن بن أبي بكر بن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة، وقد رواه من هذا الطريق أيضاً العسكري في الأمثال، والقضاعي في مسند الشهاب وهو عند العسكري فقط من حديث ابن أبي مليكة عن عائشة بلا واسطة لكن بلفظٍ آخر سيأتي ذكره وعند أحمد في سياق هذا

أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق » ، وقال ﷺ : « إن الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق وما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا محبة الله تعالى » وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي ﷺ : « إن الله رفيق يحب

الحديث زيادة في آخره وهي وصلة رحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمرن الديار .يزدن في الأعمار ، وقد روى هذا الحديث من غير تلك الزيادة أحمد أيضاً والترمذي قال: حسن صحيح ، والطبراني في الكبير ، والقضاعي والبيهقي من حديث يعلى بن مملك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء لكن بدون قوله: الدنيا والآخرة في الموضعين، والحديث الذي عزاه للبخاري أن الله يحب الرفق في الأمر كله له سبب ذكره البخاري، وهو أن اليهود لما قالوا السام عليك. قالت: بل عليكم السام واللعنة فقال لها ﷺ : « يا عائشة إن الله » الحديث. وقد أخرجه مسلم كذلك في كتاب الإستئذان، وكذلك أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان كلهم من حديث عائشة، ومعنى قوله في الأمر كله أي في أمر الدين والدنيا حتى في معاملة المرء مع نفسه ويتأكد ذلك في معاشرة من لا بد للإنسان من معاشرته كزوجة وخادم وولد .

(وقال ﷺ : « إذا أحب الله أهل بيت ادخل عليهم الرفق ») بأن يرفق بعضهم ببعض فيستد أمرهم. قال العراقي: رواه أحمد بسند جيد والبيهقي بسند ضعيف من حديث عائشة اهـ.

قلت: ولفظ أحمد: « إذا أراد الله بأهل بيت خيراً ادخل عليهم الرفق » ورواه العسكري في الأمثال من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة بهذا اللفظ، ورواه كذلك البخاري في التاريخ والبزار من حديث جابر بسند صحيح، وعند البيهقي من حديث عائشة بسند ضعيف: « إذا أراد بعبيد خيراً رزقهم الرفق في معاشهم وإذا أراد بهم شراً رزقهم الخرق في معاشهم ».

(وقال ﷺ : « إن الله ليعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق) بالضم اسم من خرق كتعب إذا عمل شيئاً فلم يرفق فيه فهو أخرق وهي خرقاء، **(وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق)** أي في أمره كله **(وما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا محبة الله تعالى حرموا »)** قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير من حديث جابر بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: وروى البزار من حديث جابر بالجملة، الثانية منه بلفظ: « إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق » وكذلك رواه أحمد وقد تقدم قبله.

(وقال ﷺ : « إن الله رفيق) أي لطيف بعباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، فيكلفهم فوق طاقتهم بل يسامحهم ويلطف بهم، ولا يجوز إطلاق الرفق عليه سبحانه إسماً لأن أسماءه إنما تتلقى من النقل المتواتر ولم يوجد هكذا. ذكره بعض العلماء والأصل فيه قول القاضي حيث قال: الرفق هو اللطف وأخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها، والظاهر أنه لا يجوز إطلاقه عليه تعالى إسماً لأنه لم يتواتر ولم يستعمل هنا على قصد التسمية، وإنما أخبر به عنه تمهيداً للحكم الذي بعده اهـ. ولكن قال النووي: الأصح جواز تسميته تعالى رفيقاً وغيره مما يثبت بخبر الواحد.

الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف » وقال ﷺ : « يا عائشة أرفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق » ، وقال ﷺ : « من يحرم الرفق يحرم الخير كله » ، وقال ﷺ : « أيما وال ولي فرفق ولان رفق الله تعالى به يوم القيامة » ، وقال

(**يحب الرفق**) بالكسر أي لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل أي يحب أن يرفق بعضهم ببعض ، وزعم أن المراد يحب أن يرفق بعباده لا يلائم سياق المصنف ، وهو قوله : (**ويعطي عليه**) في الدنيا من الثناء الجميل ونيل المطالب وتسهيل المقاصد في العقبى من الثواب الجزيل (**ما لا يعطي على العنف** ») بالضم الشدة والمشقة نبه به على وطاءة الأخلاق وحسن المعاملة وكمال المجاملة ، ووصف الله تعالى بالرفيق إرشاداً وحثاً لنا على الرفق في كل أمر فهو خارج مخرج الأخبار لا التسمية كما تقرر . قال العراقي : رواه مسلم من حديث عائشة .

قلت : ولكن بزيادة في أوله : يا عائشة وفي آخره وما لا يعطي على ما سواه . وأخرجه من غير تلك الزيادة البخاري في كتاب الأدب المفرد ، وأبو داود من حديث عبدالله بن مغفل ، وابن ماجه ، وابن حبان من حديث أبي هريرة ، وأحمد ، والبيهقي من حديث علي ، والطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة ، والبزار من حديث أنس . ففي حديث علي أبو خليفة لم يضعفه أحد وبقية رجاله ثقات ، وحديث أبي أمامة فيه صدقة السمين صدقه الجمهور ووثقه أبو حاتم وبقية رجاله ثقات ، وحديث أنس رواه البزار بإسنادين رجال أحدهما ثقات وفي بعضهم خلاف . وروى البيهقي في مناقب الشافعي قال : رآني أبي وأنا أعجل في بعض الأمر فقال : يا بني رفقاً رفقاً فإن العجلة تنقص الأعمال ، وبالرفق تدرك الآمال ، وقد سمعت عروة يقول : سمعت أبا هريرة رفعه : « إن الله يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف » .

(**وقال ﷺ : « يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت كرامة دلهم على باب الرفق** ») رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن عطاء بن يسار مرسلاً . وقال العراقي : رواه أحمد من حديث عائشة وفيه انقطاع وصله أبو داود مقتصراً على قوله : يا عائشة ارفقي .

(**وقال ﷺ : « من يحرم**) من الحرمان وهو متعد إلى مفعولين الأول الضمير العائد إلى من ، والثاني (**الرفق**) وال فيه لتعريف الحقيقة (**يحرم الخير كله** ») بالبناء للمجهول أي صار محروماً من الخير ولامه للعهد الذهني وهو الخير الحاصل من الرفق . قال العراقي : رواه مسلم من حديث جرير دون قوله : « كله » فهي عند أبي داود اهـ .

قلت : ورواه أيضاً الطيالسي وأحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان وهو عند العسكري في الأمثال من طريق عبد الرحمن بن هلال عن جرير كلفظ أبي داود ، ورواه الطبراني في الكبير في أثناء حديث : « ومن يحرم الرفق يحرم الخير » ورواه مسلم بإسناد آخر بلفظ : « من حرم الرفق حرم الخير » .

(**وقال ﷺ : « أيما والٍ ولي**) على قوم (**فلان**) لهم أي لاطفهم بالقول والفعل (**ورفق**)

ﷺ: « تدرون من يحرم على النار يوم القيامة كل هين لين سهل قريب »، وقال ﷺ: « الرفق يمن والخرق شؤم »، وقال ﷺ: « التأني من الله والعجلة من الشيطان ». وروي أن رسول الله ﷺ أتاه رجل فقال: يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فأخصصني منك بخير فقال: « الحمد لله » مرتين أو ثلاثاً ثم أقبل عليه فقال: « هل أنت مستوص » مرتين أو ثلاثاً قال: نعم. قال: « إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كان رشداً

بهم وساسهم بلطف (**رفق الله به يوم القيامة**) في الحساب والعقاب، ومن عومل بالرفق في ذلك المقام فهو من السعداء بلا كلام. رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث عائشة. وقال العراقي: رواه مسلم من حديث عائشة في حديث فيه: « ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به ».

قلت: وروى ابن أبي الدنيا أيضاً في ذم الغضب من حديثها: « من رفق بأمتي رفق الله به ومن شق على أمتي شق الله عليه ».

(**وقال ﷺ: « تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب »**) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث ابن مسعود، وقد تقدم في آداب الصحبة.

قلت: ورواه كذلك الطبراني ولفظها: « ألا أخبركم من تحرم عليه النار هذا على كل هين لين قريب سهل » وقد رواه كذلك أبو يعلى من حديث جابر، ورواه ابن النجار من حديث أبي هريرة بلفظ: « يحرم على النار » الخ.

(**وقال ﷺ: « الرفق يمن**) أي بركة (**والخرق**) بالضم (**شؤم »**) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود والبيهقي في الشعب من حديث عائشة وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: في إسناد الطبراني المعلى بن عرفان وهو متروك، وقد رواه كذلك العسكري وعدّه من الأمثال والحكم، وفي رواية: والرغب شؤم وهو الشره والنهم والحرص على الدنيا.

(**وقال ﷺ: « التأني من الله والعجلة من الشيطان »**) قال العراقي: رواه أبو يعلى من حديث أنس، ورواه الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ: « الأناة من الله » وقد تقدم. (**وروي أن رسول الله ﷺ أتاه رجل فقال: يا رسول الله إن الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير. فقال: « الحمد لله مرتين أو ثلاثاً، ثم أقبل عليه فقال: هل أنت مستوص » مرتين أو ثلاثاً؟ فقال: « نعم » قال: « إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته**) بأن تتفكر وتتأمل ما يصلحه ويفسده وتدقق النظر في عواقبه (**فإن كان رشداً**) أي غير منهي عنه شرعاً وفي رواية خيراً (**فامضه**) أي فافعله وفي رواية فوحه من الوحا وهو السرعة أي تسرع

فأمضه وإن كان سوى ذلك فانته »، وعن عائشة رضي الله عنها. أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يميناً وشمالاً فقال رسول الله ﷺ: « يا عائشة عليك بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه ».

إليه، (**وإن كان سوى ذلك فانته**) أي كف عنه ولا تأته. قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق من حديث أبي جعفر مرسلاً، وأبو جعفر هذا اسمه عبدالله بن مسور الهاشمي ضعيف جداً، ولأبي نعيم في كتاب الإيجاز من رواية إسماعيل الأنصاري عن أبيه عن جده: « إذا هممت بأمر فاجلس فتدبر عاقبته » وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: ومن طريق ابن المبارك أخرجه في ذم الغضب، وأبو جعفر المذكور هو عبدالله بن مسور بن عوف بن جعفر بن أبي طالب. قال الذهبي في المغني: قال أحمد وغيره: أحاديثه موضوعة. وقال النسائي والدارقطني: متروك، ومما يشهد له ما رواه رجل من بلى قال انطلقت مع أبي إلى النبي ﷺ فناجاه أبي دوني فقلت لأبي ما قال لك رسول الله ﷺ قال: قال لي إذا أردت أمراً فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج، رواه الطيالسي في المسند والبخاري في الأدب المفرد، وابن أبي الدنيا في ذم الغضب، والخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب فهذا شاهد جيد وهو حسن.

تنبيه:

قال أبو القاسم الراغب يحتاج الرأي إلى أربعة أشياء: إثنان من جهة الزمان في التقديم والتأخير أحدهما أن يعيد النظر فيما يرقبه ولا يعجل إمضاءه فقد قيل: إياك والرأي الفطير، وأكثر من يستعجل في ذلك ذوو النفوس الشهمة والأمزجة الحارة، والثاني أن لا يدافع بعد أحكامه فقد قيل: أحزم الناس من إذا وضح له الأمر صدع فيه، وأكثر من يدافع ذلك ذوو النفوس المهينة والأمزجة الباردة، وإثنان من جهة الناس. أحدهما: ترك الإستبداد بالرأي فإن الإستبداد به من فعل المعجب بنفسه، وقد قيل: الأحمق من قطعه العجب بنفسه عن الإستشارة والأستبداد عن الإستخارة، والثاني أن يتخير من تحسن مشاورته:

فما كل ذي نصح بمؤتيك نصحه ... ولا كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن إذا ما استجمعا عند صاحب ... فحق له من طاعة بنصيب

ومن دخل في أمر بعد الأحتراز من هذه الأربعة أحكم تدبيره فإن لم ينجح عمله لم تلحقه مذمة.

(**وعن عائشة**) رضي الله عنها (**إنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر على بعير صعب فجعلت تصرفه يميناً وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: « يا عائشة عليك بالرفق**) أي اللين والملاطفة (**فإنه لا يدخل**) أي الرفق (**في شيء إلا زانه**) إذ هو سبب لكل خير (**ولا ينزع من شيء إلا شأنه »**) أي عابه. قال العراقي رواه مسلم في صحيحه.

....

قلت: رواه من طريق شعبة عن المقدام بن شريح بن هانىء عن أبيه عن عائشة بالحديث فقط من غير قصة، ولفظه: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شأنه». ومن وجه آخر عن شعبة بالقصة ولفظها. ركبت عائشة بعيراً فكانت فيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها فذكره. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد من طريق شعبة بلفظ: كنت على بعير فيه صعوبة، فقال النبي ﷺ: «عليك بالرفق» الحديث. ورواه أحمد في آخرين منهم أبو داود وابن أبي الدنيا في ذم الغضب وابن حبان والخرائطي في مكارم الأخلاق بلفظ: «يا عائشة عليك بتقوى الله والرفق فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه ولا نزع من شيء قط إلا شأنه». ورواه العسكري في الأمثال من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس رفعه: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولكان الخرق قط في شيء إلا شانه».

تتمة:

نذكر فيها الأحاديث الواردة في الرفق. فمن ذلك: «يا عائشة إن الرفق لو كان خلقاً ما رأى الناس خلقاً أحسن منه، ولو كان الخرق خلقاً ما رأى الناس خلقاً أقبح منه» رواه الطبراني والحاكم في الكنى من حديث عائشة، ورواه العسكري في الأمثال بذكر قصته من سلام اليهود وردها عليهم.

ومن ذلك حديث عائشة: «ما كان الرفق في قوم إلا نفعهم ولا كان الخرق في قوم إلا ضرهم» رواه العسكري في الأمثال من طريق معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عنها.

ومن ذلك حديث جابر: «الرفق في العيشة خير من بعض التجارة» رواه الدارقطني في الإفراد والإسماعيلي في معجمه والطبراني في الأوسط والبيهقي.

وفي الأمثال للعسكري من طريق حجاج بن سليمان الرعيني قال: قلت لابن لهيعة كنت اسمع عجائز المدينة يقلن إن الرفق في المعيشة خير من بعض التجارة. فقال: حدثني محمد بن المنكدر، عن جابر رفعه به، ورواه الطبراني من حديث جرير: «الرفق زيادة بركة» وفي لفظ به بزيادة والبركة ومن يحرم الرفق يحرم الخير.

وروى القضاعي في مسند الشهاب من حديث جرير: «الرفق رأس الحكمة».

ورواه أبو الشيخ في الثواب والعسكري من طريق عبدة عن هشام بن عروة عن أبيه قال: بلغني أنه مكتوب في التوراة أن الرفق رأس الحكمة، ورواه كذلك ابن أبي عاصم، وروي أحمد والطبراني من حديث أبي الدرداء: «من فقه الرجل رفقه في معيشته» ولفظ ابن عدي: «من فقهك رفقك في معيشتك».

الآثار: بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته إشتكوا من عماله فأمرهم أن يوافوه، فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس أيتها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير، أيتها الرعاة: إن للرعية عليكم حقاً فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورفقه، وليس جهل أبغض إلى الله ولا أغم من جهل إمام وخرقه، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه. وقال وهب بن منبه: الرفق بنيّ الحلم وفي الخبر موقوفاً ومرفوعاً: « العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق والده واللين أخوه والصبر أمير جنوده ». وقال بعضهم: ما أحسن الإيمان يزينه العلم وما أحسن

الآثار:

وروي أنه (**بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من عماله**) جمع عامل وهم الذين ولأَهم على بعض الأعمال (**اشتكوا**) أي شكاهم بعض الرعايا (**فأمرهم أن يوافوه**) أي يلاقوه، (**فلما أتوه قام فحمد الله وإثنى عليه ثم قال: أيتها الرعية إن لنا عليكم حقا**) أي حقان سقطت النون للإضافة. أحدهما (**النصيحة بالغيب**) أي ينصحون ولاة الأمور على غيبتهم، (**و**) الثاني (**المعاونة على الخير**) أي يعاون بعضهم بعضاً في أمور الخير. (**أيتها الرعاة**) أي الولاة والعمال (**إن للرعية عليكم حقاً واعلموا أنه لا حلم أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورفقه، وليس جهل أبغض إلى الله ولا أغم من جهل إمام وخرقه، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هودونه**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(**وقال وهب بن منبه**) رحمه الله تعالى: (**الرفق بني الحلم**) تصغير الابن أي ثمرته ونتيجته منه يتولد. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وأبو نعيم في الحلية.

وفي الخبر موقوفاً ومرفوعاً « العلم) أي الشرعي النافع (**خليل المؤمن**) أنه لا نجاة ولا نور إلا به فكأنه خالل المؤمن بمحبته يطلبه عند غيبته ويتمسك به عند وجوده ويستضيء بنوره عند جهله (**والحلم وزيره**) أي معينة المتحمل لأثقاله ويستعين به على أموره الدينية والدنيوية، ولهذا قيل: ما ضم شيء إلى شيء أحسن من الحلم إلى العلم (**والعقل دليله**) أي يرشده من جهله (**والعمل قيمه**) وفي رواية قائده أي القائم بحفظ أصله، والمراد به العمل بمقتضى كل من العلم والحلم والعقل (**والرفق والده**) لا يصدر في أمر إلا بمراجعته وطاعته رجاء بركته، والمراد أصله الذي نشأ منه ويتفرع عليه وكل من كان سبباً لإيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره يسمى أباً (**واللين أخوه**) ولا ينفصل ولا يتصل ولا يستقل دونه (**والصبر أمير جنوده »**) جعل ما تقدم جنوداً وأميرها الصبر لا يعمل كل منها فيما أهل له إلا به لأن عجلة النفس وخفتها تفسد كل خلق حسن ما لم يتقدم الصبر أمامها ويصير إمامها. قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وفضائل الأعمال من حديث أنس

العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم. وقال عمرو بن العاص لابنه عبدالله ما الرفق؟ قال: أن تكون ذا إناة فتلاين الولاة. قال فما الخرق؟ قال: معاداة إمامك ومناوأة من يقدر على ضررك. وقال سفيان لأصحابه: تدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد، قال: أن تضع الأمور مواضعها: الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه؛ وهذه إشارة إلى أنه لا بدّ من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق، كما قيل:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا   مضر كوضع السيف في موضع الندى

بسند ضعيف، ورواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي الدرداء وأبي هريرة وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: رواه ابن أبي الدنيا هكذا موقوفاً ومرفوعاً، ورواه البيهقي عن الحسن البصري مرسلاً ولفظه: «العلم خليل المؤمن والعقل دليله والعمل قيمه والحلم وزيره والصبر أمير جنوده والرفق والده واللين أخوه» وفيه سوار بن عبدالله العنبري قاضي البصرة وقد تقدم أنه ثقة، لكن تكلم فيه الثوري لأجل دخوله في القضاء، وفيه عبد الرحمن بن عثمان أبو بحر البكراوي. قال أحمد: طرح الناس حديثه. وقال الحاكم في نوادر الأصول عن ابن عباس قال: كنت ذات يوم رديفاً لرسول الله ﷺ فقال: «ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ قلت: بلى قال: عليك بالعلم فإن العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق أبوه واللين أخوه والصبر أمير جنوده».

(وقال بعضهم: ما أحسن الإيمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل وما أحسن العمل يزينه الرفق وما أضيف شيء إلى شيء مثل حلم إلى علم) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال عمرو بن العاص)** بن وائل السهمي القرشي **(لابنه عبدالله)** رضي الله عنهما: **(ما الرفق؟ قال: أن تكون ذا إناة)** بالكسر اسم من التأني وهو التثبت في الأمور وعدم التسرع فيها، **(وتلاين الولاة)** أي تلاطفهم وتصانعهم في القول والعمل. **(قال: فما الخرق؟ قال: معاداة إمامك)** أي ولي الأمر (ومناوأة) أي معارضة **(من يقدر على ضررك)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال سفيان)** بن عيينة **(لأصحابه: أتدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد قال: أن تضع الأمور** مواضعها: الشدة **في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه والسوط في موضعه)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وغلط من زعم أنه سفيان الثوري فإن الثوري يكنى أبا عبدالله، **(وهذا إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والفظاظة بالرفق كما قيل)** قائله أبو الحسين أحمد بن الحسين المتنبي:

(ووضع الندى في موضع السيف بالعلا   مضر كوضع السيف في موضع الندى)

فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق، ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر، فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق دون العنف، وإن كان العنف في محله حسناً كما أن الرفق في محله حسن، فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد بالشهد. وهكذا، قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وروي أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية يعاتبه في التأني فكتب إليه معاوية. أما بعد، فإن التفهم في الخير زيادة رشد، وإن الرشيد من رشد عن العجلة وإن الخائب من خاب عن الإناة وإن المتثبت مصيب أو كاد أن يكون مصيباً وأن العجل مخطىء أو كاد أن يكون مخطئاً، وإن من ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا ينفعه التجارب لا يدرك المعالي. وعن أبي عون الأنصاري قال: ما تكلم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها. وقال أبو حمزة الكوفي:

(فالمحمود) من ذلك (وسط بين العنف واللين كما في سائر الأخلاق) على ما سبق ذكره في كتاب رياضة النفس، (ولكن لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر، فلذلك كثر ثناء الشرع على جانب الرفق) في أخبار تقدم ذكرها (دون العنف) بل ورد فيه ما يصرح بذمة وتقبيحه (وإن كان العنف في محله) حيث أمره الشرع (حسناً كما أن الرفق في محله حسن، فإذا كان الواجب هو العنف فقد وافق الحق الهوى وهو ألذ من الزبد) إذا خلط (بالشهد) بالضم وهو العسل الأبيض (هكذا قاله عمر بن عبد العزيز) كما أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (وروي أن عمرو بن العاص كتب إلى معاوية) رضي الله عنهما (يعاتبه في التأني) ويحضه على اغتنام الفرصة في أمر كان قصده، (فكتب إليه معاوية) في الجواب (أما بعد: فإن التفهم في الخير زيادة) علم و(رشد) من الضلالة، (وأن الرشيد من رشد عن العجلة) أي استبصر فلم يعجل في أمره، (وأن الخائب من خاب عن الإناة) بالكسر اسم من التأني (وأن المتثبت) في أمره (مصيب) أي واجد الصواب (أو كاد أن يكون مصيباً وأن العجل في) الأمور (مخطىء) عن طريق الصواب (أو كاد أن يكون مخطئاً وأن من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (وعن أبي عون الأنصاري) الأعور الشامي، اسمه عبدالله بن أبي عبدالله مقبول، روى له النسائي (قال: ما تكلم الناس بكلمة صعبة إلا وإلى جانبها كلمة ألين منها تجري مجراها) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. (وقال أبو حمزة الكوفي) اسمه سيار مقبول، روى له البخاري في كتاب الأدب المفرد، وأبو داود، والترمذي وابن ماجه، ووقع في الإسناد عن سيار أبي الحكم عن طارق بن شهاب، والصواب عن سيار أبي حمزة فإنه هو الذي روى عن طارق بن شهاب، وأما سيار أبو الحكم العنزي فإنه لم تثبت روايته عن طارق. نبه عليه الحافظ في مختصر التهذيب: (لا تتخذ من الخدم

لا تتخذ من الخدم إلا ما لا بد منه فإن مع كل إنسان شيطاناً. واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئاً إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه. وقال الحسن: المؤمن وقاف متأن وليس كخاطب ليل: فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور، والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على الندور، وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل أمر حقه فإن كان قاصر البصيرة أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق فإن النجح معه في الأكثر.

القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته:

بيان ذم الحسد:

اعلم أن الحسد أيضاً من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب أصل أصله، ثم إن للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى. وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة؛ قال رسول الله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل

إلا ما لا بدّ منه فإن مع كل إنسان شيطاناً) فإكثار الخدم إكثار من الشياطين، **(واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئاً إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه)**. اخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(المؤمن وقاف)** أي كثير الوقوف والتثبت **(متأن)** في أموره **(وليس كحاطب ليل)** إذ لا يخوض فيما لا يعنيه، فإن الذي يجمع الحطب بالليل يوشك أن يلم ما يؤذيه من حية وغيرها يظنه حطباً. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

(فهذا ثناء أهل العلم على الرفق وذلك لأنه محمود) العاقبة **(مفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور، والحاجة إلى العنف قد تقع ولكن على الندور)** والقلة **(وإنما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف)** بحسن تبصرة **(فيعطي كل أمر حقه، فإن كان قاصر البصيرة)** عن التمييز **(أو أشكل عليه حكم واقعة من الوقائع فليكن ميله إلى الرفق)** دون العنف، **(فإن النجح معه)** أي مع الرفق **(في الأكثر)** وإن لم يصب فلا تلحقه مذمة، والله أعلم.

القول في ذم الحسد وفي حقيقته وأسبابه ومعالجته وغاية الواجب في إزالته

بيان ذم الحسد:

(اعلم) هداك الله **(أن الحسد أيضاً من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب)** فإن الإنسان إذا غضب حقد وإذا حقد حسد **(فهو)** أي الحقد **(فرع فرعه)** أي نتيجته بالواسطة **(والغضب أصل أصله)** الذي ينشأ منه، **(ثم للحسد)** مع كونه فرعاً **(من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى، وقد ورد في ذم الحسد خاصة أخبار كثيرة)** منها:

النار الحطب »، وقال ﷺ في النهي عن الحسد وأسبابه وثمراته: « لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً »، وقال أنس: كنا يوماً جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال: « يطلع عليكم الآن من هذا الفج رجل من أهل الجنة » قال: فطلع رجل من الأنصار ينفض لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلّم، فلما كان الغد قال ﷺ مثل ذلك فطلع ذلك الرجل، وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبدالله بن عمرو بن العاص فقال له: إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي الثلاث

(قال ﷺ: « الحسد) أي المذموم وهو تسخط قضاء الله والإعتراض عليه **(يأكل الحسنات)** قال الطيبي: الأكل هنا استعارة لعدم القبول وأن حسناته مردودة عليه وليست بثابتة في ديوان عمله الصالح حتى تحبط **(كما تأكل النار الحطب »)** فتعدمه وتمحوه، وذلك لأن الحسد اعتراض على الله فيما لا عذر للعبد فيه لأنه لا تضره نعمة الله على عبده والله لا يبعث ولا يضع الشيء في غير محله، فكأنه نسب ربه للجهل والسفه ولم يرض بقضائه، فلذلك ردت حسناته من ديوان الأعمال. قال العراقي: رواه أبو داود من حديث أبي هريرة وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم.

قلت: وعند ابن ماجه: « والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار، والصلاة والصوم والإيمان جنة من النار » سنده ضعيف وقد تقدم الكلام في ذلك وأخرجه الخطيب بسند حسن.

(وقال ﷺ في النهي عن الحسد وأسبابه وثمراته: « لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً) فإن التباغض من أسباب الحسد، والتقاطع والتدابر من ثمراته ونتيجته. أخرجه أحمد والبخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم: « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم » الحديث بطوله، وبلفظ المصنف رواه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث أبي بكر وقد تقدم الكلام فيه في كتاب آداب الصحبة.

(وقال أنس) رضي الله عنه: **(كنا يوماً جلوساً عند رسول الله ﷺ فقال: « يطلع عليكم الآن من هذا الفج)** وهو الطريق في الجبل **(رجل من أهل الجنة » قال: فطلع رجل من الأنصار تنطف)** أي تقطر **(لحيته من وضوئه قد علق نعليه في يده الشمال فسلم، فلما كان من الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث، فطلع ذلك الرجل، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبدالله بن عمرو بن العاص)** وقد كان حاضراً في تلك المجالس في المرات الثلاثة، يسمع منه ﷺ قوله فيه، **(فقال)** لذلك الرجل: **(إني لاحيت أبي)** أي خاصمته في أمر **(فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً)** أي ثلاث ليال **(فإن رأيت أن**

فعلت، فقال: «نعم» فبات عنده ثلاث ليال فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى، ولم يقم حتى يقوم لصلاة الفجر قال: غير أني ما سمعته يقول: إلاَّ خيراً فلما مضت الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبدالله لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملاً كثيراً فما الذي بلغ بك ذلك؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني فقال ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي غشاً ولا حسداً على خير أعطاه الله إياه، قال عبدالله: فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق، وقال ﷺ: «ثلاث لا ينجو منهن أحد: الظن والطيرة والحسد، وسأحدثكم بالمخرج من ذلك: إذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فامض، وإذا حسدت

تؤويني إليك) أي تضمني إلى بيتك **(حتى تمضي)** الثلاث ليال **(فعلت. فقال: نعم فبات عنده ثلاث ليال)** يراعي أحواله في حركاته وسكناته، **(فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولا يقوم حتى يقوم لصلاة الفجر. قال)** عبدالله بن عمرو: **(غير أني لم أسمعه يقول: إلا خيراً فلما مرت الثلاث)** الليال **(وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبدالله)** ناداه بأعم أسمائه فإن الخلق كلهم عبداً لله، **(لم يكن بيني وبين والدي غضب ولا هجرة)** أي مهاجرة **(ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول كذا وكذا، فأردت أن أعرف عملك فلم أرك تعمل عملاً كثيراً)** يوجب تلك البشارة، **(فما الذي بلغ بك ذلك قال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت)** بظهري **(دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد على أحد من المسلمين في نفسي عنتاً ولا حسداً على خير أعطاه الله إياه، فقال عبدالله)** بن عمرو: **(فقلت له هي التي بلغت بك وهي التي لا نطيق)** رواه ابن أبي الدنيا هكذا في كتاب ذم الحسد. وقال العراقي: رواه أحمد بسند صحيح على شرط الشيخين، ورواه البزار وسمى الرجل في رواية له سفيان فيها ابن لهيعة انتهى.

قلت: وجدت بخط الحافظ في هامش المغني عند قوله صحيح على شرط الشيخين ما لفظه له علة، فإن الزهري لم يسمعه عن أنس فيما يقال اهـ.

والمسمى بسفيان في الأنصار من الصحابة ثلاثة: سفيان بن نسر بن زيد الخزرجي، وسفيان بن ثابت الأنصاري، وسفيان بن أمية الظفري فالله أعلم أيهم أراده البزار.

(وقال ﷺ: «ثلاثة لا ينجو منهن أحد: الظن) أي سوء الظن بالناس، **(والطيرة)** أي التطير وهو التشاؤم، **(والحسد)** لذوي النعم على ما منحهم الله تعالى **(وسأحدثكم بالمخرج من ذلك)** قالوا: أخبرنا يا رسول الله. قال: **(إذا ظننت فلا تحقق)** مقتضى ظنك، **(وإذا تطيرت)** من شيء **(فامض)** لمقصدك **(وإذا حسدت فلا تبغ»)** أي لا تجاوز الحد. رواه ابن

فلا تبغ ». وفي رواية: « ثلاثة لا ينجو منهن أحد وقلَّ من ينجو منهن » فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة. وقال ﷺ: « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام بينكم ». وقال ﷺ: « كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر ».

أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي هريرة، وفيه يعقوب بن محمد الزهري، وموسى بن يعقوب الزمعي ضعفها الجمهور، **(وفي رواية: « ثلاث لا ينجو منهن أحد وقلَّ من ينجو منهن »)** رواها ابن أبي الدنيا أيضاً من رواية عبد الرحمن بن معاوية وهو مرسل ضعيف وتقدم في آفات اللسان حديث حارثة بن النعمان: « ثلاث لازمات لأمتي سوء الظن والحسد والطيرة فإذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فاستغفر الله تعالى وإذا تطيرت فامض ». رواه أبو الشيخ في التوبيخ والطبراني في الكبير. وروى رستة في كتاب الإيمان له من مرسل الحسن بلفظ: « ثلاث لم تسلم منها هذه الأمة الحسد والظن والطيرة ألا أنبئكم بالمخرج منها إذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ وإذا تطيرت فامض » **(فأثبت في هذه الرواية إمكان النجاة)**.

(قال ﷺ: « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء) كانوا يتحاسدون ويتباغضون **(والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقه الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا. ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشو السلام بينكم »)** ورواه الطيالسي وأحمد وابن منيع وعبد بن حميد والترمذي وابن أبي الدنيا والشاشي وابن قانع وابن عبد البر في جامع العلم، والبيهقي والضياء المقدسي كلهم من طريق مولى للزبير عن الزبير بن العوّام مرفوعاً.

(وقال ﷺ: « كاد الفقر) أي مع الإضطرار إلى ما لا بد منه كما سيأتي للمصنف **(أن يكون كفراً)** أي قارب أن يوقع في الكفر لأنه يحمل على حسد الأغنياء، والحسد يأكل الحسنات وعلى التذلل لهم بما يدنس به عرضه ويثلم به دينه وعلى عدم الرضا بالقضاء وتسخط الرزق، وذلك إن لم يكن كفراً فهو جار إليه. وقيل: المراد كاد أن يكفر نعمة الفقر لثقل تحملها على النفس، وذلك لأن الفقر نعمة من الله داع إلى الإنابة والإلتجاء إليه والطلب منه، وهو حلية الأنبياء وزينة الأولياء وزي الصلحاء، ومن ثم ورد في الخبر: إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين فهو نعمة جليلة بيد أنه مؤلم شديد التحمل. **(وكاد الحسد أن يغلب القدر »)** أي كاد الحسد في قلب الحاسد أن يغلب العلم بالقدر، فلا يرى أن النعمة التي حسد عليها أنها صارت إليه بقدر الله وقضائه، كما أنها لا تزول إلا بقضائه وقدره، وغرض الحاسد زوال نعمة المحسود. ولو تحقق لم يحسده واستسلم وعلم أن الكل بقدر. قال العراقي: رواه أبو مسلم الكشي، والبيهقي في الشعب من

....

رواية يزيد الرقاشي عن انس ويزيد ضعيف، ورواه الطبراني في الاوسط من وجه اخر بلفظ: « كادت الحاجة أن تكون » وفيه ضعف أيضاً انتهى.

قلت: قال الحافظ السخاوي في المقاصد: رواه أحمد بن منيع من طريق يزيد بن الرقاشي عن الحسن أو أنس به مرفوعاً وهو عند أبي نعيم في الحلية، وأبي مسلم الكشي وأبي علي بن السكن في مصنفه، والبيهقي في الشعب، وابن عدي في الكامل من طريق يزيد عن الحسن بلا شك، وفي لفظ عند بعضهم أن يسبق بدل أن يغلب ويزيد ضعيف.

ورواه الطبراني من طريق عمر بن عثمان الكلابي عن عيسى بن يونس عن سليمان التيمي عن أنس مرفوعاً ولفظه: « كاد الحسد أن يسبق القدر وكادت الحاجة أن تكون كفراً » وفيه ضعف أيضاً انتهى.

قلت: وفي الميزان يزيد الرقاشي تألف.

وقد رواه أبو نعيم من طريق المسيب بن واضح، عن يوسف بن أسباط، عن سفيان، عن حجاج بن الفرافصة، عن يزيد وحجاج قال أبو زرعة ليس بقوي. وقال الزركشي: لكن يشهد له ما خرّجه النسائي وابن حبان وصححه من طريق أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً أنه كان يقول: « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر » فقال رجل: ويعتدلان؟ قال: « نعم » انتهى.

وفي الحلية في ترجمة عكرمة أن لقمان قال لابنه: قد ذقت المرار فليس شيء أمر من الفقر. وقال العسكري في الأمثال: ولا تكاد العرب تجمع بين كاد وأن وبذلك نزل القرآن، ولكن كذا يرويه أصحاب الحديث هكذا نقله السخاوي وفي الأنصاف لابن الأنباري: لا تستعمل: « أن » مع « كاد » في اختيار ولذلك لم يأت في القرآن ولا في كلام فصيح، فأما حديث: « كاد الفقر أن يكون كفراً » فإن صح فزيادة « أن » من كلام الراوي انتهى.

وقال النووي: إثبات: « أن » مع « كاد » جائز ولكنه قليل. وقال ابن مالك: وقوع خبر « كاد » مقروناً « بأن » قد خفي على أكثر النحاة، والصحيح جوازه لكنه قليل، ولذلك لم يقع في القرآن لكن عدم وقوعه فيه لا يمنع من استعماله قياساً.

لطيفة:

قال المناوي في شرحه: قد ألغز أبو العلاء المعري في لفظه: « كاد » فقال:

أنحوي هذا العصر ما هي لفظة ... جرت في لساني جرهم وثمود
إذا ما نفت والله أعلم أثبتت ... وإن أثبتت قامت مقام جحود

قال الشهاب الحجازي: فلم أر أحداً أجاب فقلت:

لقد كاد هذا اللغز يصدىء فكرتي ... وما كدت أشفي غلتي بورودِ
وهذا جواب يرتضيه ذوو النهى ... وممتنع عن فهم كل بليدِ

وقال ﷺ : « إنه سيصيب أمتي داء الأمم » قالوا : وما داء الأمم؟ قال: « الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج ». وقال ﷺ : « لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك ». وروي أن موسى عليه السلام لما تعجل إلى ربه تعالى رأى في ظل العرش رجلاً فغبطه بمكانه فقال: إن هذا الكريم على ربه،

وهذا الجواب لغز أيضاً وقد أوضحه بعضهم بقوله:

أشار الحجازي الإمام الذي حوى علوماً زكت من طارف وتليدِ
إلى كاد إفصاحاً لذي الفضل والنهى وأبهم أفكاراً لكل بليدِ

(**وقال ﷺ : إنه سيصيب أمتي داء الأمم » قالوا**) : يا رسول الله (**وما داء الأمم؟ قال: « الأشر**) محركة أي كفر النعمة (**والبطر**) محركة أي الطغيان عند النعمة (**والتكاثر**) من جمع المال (**والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي**) أي مجاوزة الحد (**ثم يكون الهرج »**) بفتح فسكون أي القتل، وهذا تحذير شديد من التنافس في الدنيا والتحاسد عليها، فإن ذلك أصل الفتن وعنه ينشأ الشرور. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد جيد انتهى.

قلت: ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في ذم الحسد والحاكم وصححه، وأقره الذهبي وفي إسناد الطبراني أبو سعيد الغفاري لم يرو عنه غير حميد بن هانىء ورجاله وثقوا، وهذا السياق الذي ساقه المصنف لابن أبي الدنيا. ولفظ الجماعة: والتشاحن في الدنيا والتباغض والتحاسد وليس عندهم ثم يكون الهرج.

(**وقال ﷺ : « لا تظهر الشماتة لأخيك**) في الدين كذا هو باللام في سائر الروايات والمشهور بأخيك بالباء الموحدة والشماتة الفرح ببلية من يعاديك أو تعاديه (**فيعافيه الله**) وفي رواية فيرحمه الله أي رغماً لأنفك (**ويبتليك »**) حيث زكيت نفسك ورفعت منزلتك وشمخت بانفك وشمت به. قال الطيبي: وجملة فيرحمه الله نصب جواباً باللنهي ويبتليك عطف عليه وهذا معدود من جوامع الكلم. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث واثلة بن الأسقع وقال: حسن غريب، وفي رواية ابن أبي الدنيا فيرحمه الله انتهى.

قلت: أورده الترمذي من طريقين: أحدهما من حديث عمر بن إسماعيل بن مجالد عن حفص ابن غياث عن يزيد بن سنان عن مكحول عن واثلة، والآخر من طريق القاسم بن أمية الحذاء عن حفص بن غياث به، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، وقال عمر بن إسماعيل كذاب كذبه ابن معين وغيره، والقاسم لا يجوز الاحتجاج به، ولا أصل للحديث وممن تبع ابن الجوزي القزويني فانتقده على المصابيح، وزعم وضعه ونازعهما العلائي والحق مع العلائي فإن القاسم بن أمية صدوق وتضعيف ابن حبان له بلا مسند، فالحديث له أصل لا كما قاله ابن الجوزي.

(**وروي أن موسى**) عليه السلام (**لما تعجل إلى ربه رأى في ظل العرش رجلاً فغبطه**

فسأل ربه تعالى أن يخبره باسمه فلم يخبره وقال: أحدثك من عمله بثلاث: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، وكان لا يعق والديه، ولا يمشي بالنميمة. وقال زكريا عليه السلام: قال الله تعالى: الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي. وقال ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون». وقال ﷺ: «استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود». وقال ﷺ: «إن لنعم الله أعداء» فقيل: ومن هم؟ فقال: «الذين

بمكانه) أي تمنى أن يكون مثله **(وقال: إن هذا الكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال: أحدثك من عمله بثلاث)** خصال: **(كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، وكان لا يعق والديه، وكان لا يمشي بالنميمة)** أورده القشيري في الرسالة مختصراً ولفظه: رأى موسى عليه السلام رجلاً عند العرش فغبطه فقال: ما صنعته؟ فقيل: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله انتهى.

وقد وقع نظيره لنبينا ﷺ وذلك فيما ذكره العلماء في قصة المعراج أنه رأى رجلاً في نور العرش الحديث، وفيه: ولم يكن عاقاً لوالديه. أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث أبي المخارق مرسلاً، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب.

(وقال زكريا يا صلوات الله عليه، قال الله تعالى: الحاسد عدوّ لنعمتي مسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي) قال القشيري في الرسالة. قال بعضهم: الحاسد جاحد لأنه لا يرضي بقضاء الواحد قال: وفي بعض الكتب الحسود عدوّ نعمتي.

(وقال ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم المال فيتحاسدون ويقتتلون») أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الحسد من حديث أبي عامر الأشعري، وفيه ثابت بن أبي ثابت جهله ابن أبي حاتم. قال العراقي: وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد أن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها، ولهما من حديث عمرو بن عوف البدري: «والله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا» الحديث. ولمسلم من حديث عبدالله بن عمرو: «إذا فتحت عليكم فارس والروم» الحديث وفيه: «يتنافسون ثم يتحاسدون ثم يتدابرون» الحديث. ولأحمد والبزار من حديث عمر: «لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة» وفيه ابن لهيعة.

(وقال ﷺ: «استعينوا على قضاء الحوائج) وفي رواية على قضاء حوائجكم **(بالكتمان)** أي كونوا لها كاتمين عن الناس واستعينوا بالله على الظفر بها، ثم علل طلب الكتمان بقوله: **(فإن كل ذي نعمة محسود»)** أي إن أظهرتم حوائجكم للناس حسدوكم. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف انتهى.

يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله». وقال ﷺ: «ستة يدخلون النار قبل

قلت: حديث معاذ أخرجه العقيلي وابن عدي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي، فالعقيلي رواه عن محمد بن خزيمة عن سعيد بن سالم العطار عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ، والباقون من طريق العقيلي، ثم قال أبو نعيم: غريب من حديث خالد تفرد به عنه ثور حدث به عمر بن يحي البصري عن شعبة عن ثور اهـ.

وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال: سعيد كذاب، قال البخاري يذكر بوضع الحديث، وتابعه حسين بن علوان وضاع، وقد أخرجه ابن أبي الدنيا أيضاً بهذا الإسناد، وقال ابن حبان: سعيد يضع الحديث، وقال العقيلي: لا يعرف إلا بسعيد ولا يتابع عليه، وقال الهيثمي: إن ابن معدان لم يسمع معاذاً فهو منقطع. وفي الباب ابن عباس رواه الخطيب في التاريخ عن إبراهيم بن مخلد عن إسماعيل بن علي الخطيب، عن الحسين بن عبدالله الابزاري، عن إبراهيم بن سعيد الجوهري، عن المأمون، عن الرشيد، عن المهدي، عن أبيه عن جده، عن عطاء عن ابن عباس. قال ابن الجوزي: موضوع من عمل الابزاري، وسئل أحمد وابن معين عنه فقالا: يضع، وقال ابن أبي حاتم: هو أي حديث ابن عباس هذا منكر لا يعرف، وعمر بن الخطاب رواه أبو بكر الخرائطي في اعتلال القلوب عن علي بن حرب عن حابس بن عمر، وعن ابن جريج عن عطاء عنه وهو ضعيف أيضاً. وعلي بن أبي طالب رواه الخلعي في فوائده عن أحمد بن محمد بن الحجاج، عن أحمد بن محمد القرسياني، عن أحمد بن عبدالله، عن غندر، عن شعبة عن مروان الأصفر عن النزال بن سبرة عنه. وقال الحافظ السخاوي في المقاصد: رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة، وعنه وعن غيره أبو نعيم في الحلية من حديث سعيد بن سالم العطار، عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ رفعه. وكذا أخرجه ابن أبي الدنيا، والبيهقي، في الشعب، والعسكري في الأمثال، والخلعي في فوائده، والقضاعي في مسنده وسعيد كذبه أحمد وغيره. وقال العجلي: لا بأس به. ولكن قد أخرجه العسكري أيضاً من غير طريقه بسند ضعيف أيضاً عن وكيع عن ثور ولفظه: استعينوا على طلب حوائجكم بكتمانها فإن لكل نعمة حسدة، ولو أن امرءاً كان أقوم من قدح لكان له من الناس غامز وهو مع ذلك منقطع، فخالد لم يسمع من معاذ. وله طريق أخرى عند الخلعي في فوائده من حديث مروان الأصفر عن النزال بن سبرة عن علي رفعه أي بلفظ المصنف إلا أنه زاد في آخر لها، ثم قال: وفي الباب جماعة منهم عمر.

قلت: وبما ذكر يظهر أن الحديث ضعيف لا موضوع، وابن الجوزي يتساهل كثيراً كما تقدمت الإشارة إليه، ثم إن الأحاديث الواردة في التحدث بالنعم محمولة على ما بعد وقوعها فلا تكون معارضة لهذا. نعم إن ترتب على التحديث بها حسد فالكتمان أولى، والله أعلم.

(وقال ﷺ: «إن لنعم الله اعداء» قيل: ومن أولئك؟ قال: «قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله») قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس: إن لأهل النعم حساداً فاحذروهم وسنده ضعيف.

الحساب بسنة » قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: « **الأمراء بالجور، والعرب بالعصبية، والدهاقين بالتكبر، والتجار بالخيانة، وأهل الرستاق بالجهالة، والعلماء بالحسد** ».

الآثار: قال بعض السلف: أوّل خطيئة كانت هي الحسد. حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية. وحكي أن عون بن عبدالله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال: إني أريد أن أعظك

(**وقال ﷺ: « ستة يدخلون النار قبل الحساب » قيل: يا رسول الله ﷺ من هم»؟ قال: « الأمراء بالجور**) أي الظلم على الرعية، (**والعرب**) وهم سكان البادية (**بالعصبية**) الجاهلية، (**والدهاقين**) جمع دهقان بالكسر وهو رئيس القرية (**بالتكبر**) على أهل قريته، (**والتجار بالخيانة**) في معاملاتهم (**وأهل الرستاق**) أي السواد (**بالجهالة**) في أمور الدين، (**والعلماء بالحسد** ») قال العراقي: رواه الديلمي من حديث ابن عمر وأنس بسندين ضعيفين اهـ.

قلت: لفظ الديلمي من حديث أنس: « ستة يعذبهم الله بذنوبهم يوم القيامة الأمراء بالجور، والعلماء بالحسد، والعرب بالعصبية، وأهل الأسواق بالخيانة، والدهاقين بالكبر، وأهل الرساتيق بالجهل ».

وأما حديث ابن عمر فأخرجه أبو نعيم في الحلية بلفظ: « ستة يدخلون النار بغير حساب: الأمراء بالجور، والعرب بالعصبية، والدهاقين بالكبر، والتجار بالكذب، والعلماء بالحسد، والأغنياء بالبخل ».

ومما جاء في المرفوع « الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل » رواه الديلمي من حديث معاوية بن حيدة. وعن ابن مسعود رفعه « إياكم والكبر فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم، وإياكم والحرص فإن آدم حمله الحرص على أكل الشجرة، وإياكم والحسد فإن ابني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً فهن أصل كل خطيئة » أخرجه القشيري في الرسالة، وابن عساكر في التاريخ من حديثه.

(**الآثار**): (**قال بعض السلف: إن أول خطيئة كانت**) أي وجدت (**هي الحسد**) وذلك أنه (**حسد إبليس آدم**) على ما شرفه وآتاه من فضله (**فأبى أن يسجد له فحمله على المعصية**) وهو مأخوذ من حديث ابن مسعود الذي تقدم ذكره قريباً، وأورده القشيري في الرسالة بسنده، وفيه: فهن أصل الخطيئة. (**وحكي أن عون بن عبد الله**) بن عتبة بن مسعود الهذلي المكي عابد ثقة روى له مسلم والأربعة، مات قبل العشرين ومائة (**دخل على الفضل**) كذا في النسخ والصواب المفضل (**بن المهلب**) بن أبي صفرة ظالم بن سراق العتكي، أبو غسان البصري؛ صدوق من مشاهير الأمراء، روى له أبو داود، والنسائي، ووالده المهلب يكنى أبا سعيد

بشيء. فقال: وما هو؟ قال: إياك والكبر فإنه أوّل ذنب عُصيَ الله به، ثم قرأ: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاَّ إبليس﴾ [البقرة: ٣٤] الآية. وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله سبحانه من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثم قرأ: ﴿اهبطوا منها﴾ [البقرة: ٣٨] إلى آخر الآية. وإياك والحسد فإنما قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ: ﴿واتلُ عليهم نبأ ابنيْ آدم بالحق﴾ [المائدة: ٢٧] الآيات. وإذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ فأمسك، وإذا ذكر القدر فاسكت، وإذا ذكرت النجوم

بصري من ثقات الأمراء، وله رواية مرسلة. قال أبو إسحاق السبيعي: ما رأيت أميراً أفضل منه. مات سنة اثنتين وثمانين على الصحيح، خلف ثلاثة وعشرين ذكراً، روى أبو داود والترمذي والنسائي، (**وكان يومئذ بواسط**) مدينة بالعراق اختطها الحجاج، وكان عاملاً عليها من طرف أخيه يزيد بن المهلب، وكان أخوه يزيد والياً على البصرة بل على العراق جميعه، فلما كان سنة اثنين ومائة ندب يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك في جيش كثيف إلى قتال يزيد بن المهلب إذ بلغه أنه دعا الناس إلى نفسه، والتقيا يوم الجمعة منتصف صفر بعقر بابل فقتل يزيد ومن معه من أخوته وأولادهم وعدتهم ثماينة وعشرون إنساناً إلا المفضل فإن ابنه احتال عليه بأن قال الأمير يعني يزيد قد مضى ويقول لك: اتبعني فانصرف عند ذلك، ولما عرف الخبر انكر على ابنه فعله وشد عليه بالسيف وقال: ما أراك إلا أنت تفضح شيخاً مثلي، وكان معاوية بن يزيد إذ ذاك بواسط فأخذ عيال أبيه وثقله وانحدر إلى البصرة ولحق بهم المفضل ومن معه، واجتمع بها آل المهلب وانفذ مسلمة بن عبد الملك مالك بن أحوز المازني في طلب من هرب من آل المهلب وأمره بقتل كل من بلغ منهم، فقتل المفضل بن المهلب وسائر ولد المهلب الباقين ولم يدع بالغاً منهم إلا قتله (**فقال: إني أريد أن أعظك بشيء: فقال: ما ذاك؟ فقال: إياك والكبر فإنه أول ذنب عُصي الله به، ثم قرأ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا﴾ وإياك والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها، فأكل منها فأخرجه، ثم قرأ: ﴿اهبطوا منها جميعاً﴾ إلى آخر الآية. وإياك والحسد فإنه قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق﴾ وإذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ فاسكت**) أي لا تذكرهم بسوء، (**وإذا ذكر القدر فاسكت**) فإنه سر من أسرار الله لا ينبغي الخوض فيه، (**وإذا ذكرت النجوم فاسكت**) وأول هذا الأثر قد روي مرفوعاً من حديث ابن مسعود.

قال القشيري في الرسالة: أخبرنا أبو الحسن الأهوازي، أخبرنا أحمد بن عبيد البصري، حدثنا إسماعيل بن الفضل، حدثنا يحي بن مخلد، حدثنا معاذ بن عمران، عن الحرث بن شهاب، عن معبد بن أبي قلابة، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة هن أصل كل خطيئة

فاسكت. وقال بكر بن عبدالله: كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيه إساءته، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال: إن هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر، فقال له الملك: وكيف يصح ذلك عندي؟ قال: تدعوه إليك، فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر، فقال له: انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيه إساءته، فقال له الملك: ادن مني فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم، فقال الملك في نفسه: ما أرى فلاناً، إلا قد صدق. قال: وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة، فكتب له كتاباً بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبناً وابعث به إليَّ، فأخذ الكتاب وخرج فلقيه

فاتقوهن واحذروهن: اياكم والكبر فإن إبليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم، وإياكم والحرص فإن آدم حمله الحرص على أن يأكل من الشجرة، وإياكم والحسد فإن ابني آدم إنما قتل أحدهما صاحبه حسداً» وقد تقدم ذلك.

وأخرج الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود، ومن حديث ثوبان «إذا ذكر أصحابي فامسكوا، وإذا ذكرت النجوم فامسكوا، وإذا ذكر القدر فامسكوا» ورواه أيضاً ابن عدي من حديث ابن عمر.

(وقال بكر بن عبد الله) المزني **(كان رجل يغشى بعض الملوك)** أي يدخل عليه **(فيقوم بحذاء الملك)** أي في مقابلته **(فيقول: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء ستكفيه إساءته، فحسده رجل على ذلك المقام)** من الملك **(والكلام فسعى به إلى الملك فقال: إن هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر)** وهو الذي فسد ريح فمه **(فقال له الملك: وكيف يصح ذلك عندي؟ قال: تدعو به إليك إذا اخذ مقامه فإنه إذا دنا منك يضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر، فقال له: انصرف حتى أنظر)** صحة ذلك، **(فخرج من عند الملك فدعا الرجل)** المذكور **(إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم، فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال)** على عادته قوله: أيها الملك **(أحسن إلى المحسن بإحسانه والمسيء ستكفيه مساوئه، فقال له الملك: ادن مني فدنا فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه ريح الثوم، فقال الملك في نفسه: ما أرى فلاناً إلاَّ قد صدق)** في قوله **(قال: وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة فكتب له كتاباً بخطه إلى عامل من عماله: إذا أتاك حامل كتابي فاذبحه واسلخه واحش جلده تبناً وابعث به إليَّ، فأخذ الكتاب**

الرجل الذي سعى به فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: خط الملك لي بصلة. فقال: هبه لي! فقال: هو لك، فأخذه ومضى به إلى العامل فقال العامل: في كتابك أن أذبحك وأسلخك، قال: إن الكتاب ليس هو لي فالله الله في أمري حتى تراجع الملك، فقال: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه وحشا جلده تبناً وبعث به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله، فعجب الملك وقال: ما فعل الكتاب؟ فقال: لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له. قال الملك: إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر. قال: ما قلت ذلك. قال: فلم وضعت يدك على فيك؟ قال: لأنه أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمه، قال: صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفاك المسيء إساءته. وقال ابن سيرين رحمه

وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال: خط الملك لي بصلة. فقال: هبه مني. فقال: هو لك فأخذه ومضى إلى العامل، فقال العامل: في كتابك أن أذبحك وأسلخك. قال: إن الكتاب ليس هو لي الله، الله في أمري حتى ارجع إلى الملك. قال: ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبناً وبعث به، ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله، فتعجب الملك وقال: ما فعل الكتاب؟ فقال لقيني فلان واستوهبه مني فوهبته له، فقال الملك: إنه ذكر لي أنك تزعم انني أبخر. قال: ما فعلت. قال: فلم وضعت يدك على أنفك؛ قال: كان اطعمني طعاماً فيه ثوم، فكرهت أن تشمه. قال: صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفاك المسيء إساءته).

أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن حمزة، حدثنا علي بن سهل، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد، عن بكر بن عبد الله قال: كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له حاجب يقربه ويدنيه، وكان هذا الحاجب يقول: أيها الملك أحسن إلى المحسن ودع المسيء تكفيه إساءته. قال: فحسده رجل على قربه من الملك فسعى به فقال: أيها الملك إن هذا الحاجب عدوّ يخبر الناس أنك أبخر. قال: وكيف لي بأن اعلم ذلك؟ قال: إذا دخل تدنيه تكلمه فإنه يقبض على أنفه. قال: فذهب الساعي فدعا الحاجب إلى دعوته واتخذ مرقة وأكثر فيها الثوم، فلما كان من الغد دخل الحاجب فأدناه الملك يكلمه بشيء فقبض على فيه، فقال له: تنح فدعا بالدواة وكتب له كتاباً وختمه وقال: اذهب بهذا إلى فلان وكانت جائزته مائة ألف، فلما أن خرج استقبله الساعي فقال: أي شيء هذا؟ قال: قد دفعه إلى الملك فاستوهبه فوهبه فأخذ الكتاب ومرّ فلما أن فتحوا الكتاب دعوا بالذباحين فقال: اتقوا الله يا قوم، فإن هذا غلط وقع علي وعاودوا الملك، فقالوا: لا يتهيأ لنا معاودة الملك، وكان في الكتاب، إذا أتاكم حامل كتابي هذا فاذبحوه واسلخوا جلده واحشوه بالتبن ووجهوه إليّ فذبحوه وسلخوا جلده ووجهوه له، فلما ان رآه الملك تعجب فقال: تعال وحدثني واصدقني لم إذ أدنيتك قبضت على أنفك؟ فقال: أيها الملك إن

الله: ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار؟ وقال رجل للحسن: هل يحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك بني يعقوب نعم، ولكن غمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعد به يداً ولا لساناً، وقال أبو الدرداء: ما أكثر عبد ذكر الموت إلاّ قلّ فرحه وقلّ حسده! وقال معاوية: كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها. ولذلك قيل:

كل العداوة قد ترجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء: الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى. وقال إعرابي: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد، إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه. وقال الحسن: يا

هذا دعاني إلى دعوته واتخذ مرقه وأكثر فيها الثوم واطعمني فلما أدناني الملك قلت يتأذى الملك بريح الثوم، فقال: ارجع إلى مكانك وقل ما كنت تقوله ووصله بمال عظيم أو كما ذكره.

(وقال محمد بن سيرين) رحمه الله تعالى: **(ما حسدت أحداً على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد.

(وقال رجل للحسن) البصري رحمه الله تعالى: هل يحسد المؤمن؟ قال: **ما أنساك بني يعقوب** عليه السلام حين حسدوا يوسف لمكانته عند أبيهم **(نعم. ولكن غمة في صدرك وأنه لا يضرك ما لم تعدّ به يداً أو لساناً)** أي تجاوز عما في صدرك إلى عمل اليد أو اللسان. أخرجه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا محمد بن نصير، حدثنا إسماعيل بن عمر، وحدثنا مالك بن مغول أراه عن عبد الملك بن عمير قال: قال أبو الدرداء: من أكثر ذكر الموت قل فرحه وقل حسده، ورواه أيضاً عن عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا عبدالله بن عمر، حدثنا ابن خراش عن العوام عن إبراهيم التيمي، عن أبي الدرداء فذكره. **(وقال معاوية)** رضي الله عنه: **(كل الناس أقدر على رضاك إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها)** أخرجه القشيري في الرسالة من غير إسناد **(ولذلك قيل:**

كل العداوة قد ترجى إماتتها) ويروى مودتها **(إلا عداوة من عاداك من حسد)**.
أورده القشيري في الرسالة.

(وقال بعض الحكماء: الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى) أي من الألم في قلبه في الدنيا والعذاب في الآخرة، **(وقال اعرابي: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد إنه يرى النعمة عليك غمة عليه)** وقد روي نحو ذلك من قول عمربن عبد العزيز: ما رأيت ظالماً أشبه

ابن آدم لم تحسد أخاك؟ فإن كان الذي أعطاه لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله؟ وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار؟ وقال بعضهم: الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضاً. ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً، ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً.

بمظلوم من الحاسد غم دائم ونفس متتابع كذا في الرسالة القشيريه، وروي أيضاً من قول الخليل بن أحمد: ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد نفس دائم وعقل هائم وحزن لائم. رواه البيهقي في الشعب. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(يا ابن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه لكرامة عليه فلم تحسد من أكرمه الله تعالى وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار؟)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد. **(وقال بعضهم: الحاسد لا ينال من المجالس إلا ملامة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنه وبغضاً، ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً، ولا ينال عند الفزع إلاّ شدة وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً)**، أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد.

ومما بقي من الآثار مما يدخل في الباب قال الاحنف بن قيس: لا راحة لحسود أخرجه البيهقي في الشعب. وروى ابن عمر أن ابليس قال لنوح: اثنتان أهلك بهما بني آدم: الحسد وبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً، والحرص ابيح آدم بالجنة كلها فأصبت حاجتي منه بالحرص أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد. قيل: الحسود لا يسود رواه القشيري في الرسالة وهو صحيح المعنى، والمشهور على الألسنة: الحسود لا يسود أبداً والبخيل تأكل ماله العدا. وفي الرسالة وقيل في قوله تعالى: ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ [الأعراف: ٣٣] قيل: ما بطن الحسد. قلت: والمشهور ما بطن من معاصي القلب من حسد وغيره كالعجب والحقد وسوء الظن، قال: وقيل أثر الحسد يستبين فيك قبل ان يتبين في عدوك. وقال الأصمعي: رأيت اعرابياً أتت عليه مائة وعشرون سنة فقلت: ما أطول عمرك؟ قال: تركت الحسد فبقيت. وقال ابن المبارك: الحمد لله الذي لم يجعل في قلب امرىء ما جعله في قلب حاسدي. وفي بعض الآثار: إن في السماء الخامسة ملكاً يمر به عمل عبد له ضوء كضوء الشمس فيقول له الملك: قفه فأنا ملك الحسد أضرب به وجه صاحبه فإنه حاسد، ويقال: الحاسد ظالم غشوم لا يبقي ولا يذر، وقيل: من علامات الحاسد أن يتملق إذا شهد ويغتاب إذا غاب ويشمت بالمصيبة إذا نزلت. وقال معاوية: ليس في خلال الشر خلة أعدل من الحسد يقتل الحاسد غماً قبل المحسود؛ وقيل: أوحى الله إلى سليمان بن داود عليهما السلام أوصيك بسبعة أشياء: لا تغتابن صالح عبادي، ولا تحسدن أحداً من عبادي. فقال سليمان عليه السلام: يا رب حسبي. وقيل: الحاسد إذا رأى نعمة بهت، وإذا رأى عثرة شمت، وقيل: إذا أردت أن تسلم من الحاسد فليس عليك أمرك. وقيل: الحاسد مغتاظ على من لا ذنب

بيان حقيقة الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه:

اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان.

إحداهما: أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها، وهذه الحالة تسمى حسداً. فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه.

له، بخيل بما لا يملكه. وقيل: إياك أن تعتني في مودة من يحسدك فإنه لا يقبل إحسانك، وقيل: إذا أراد الله سبحانه أن يسلط على عبد عدوّاً له لا يرحمه سلط عليه حاسده، وقال ابن المعتز:

قل للحسود إذا تنفس صعدة يا ظالماً وكأنه مظلوم

وقال غيره:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

بيان حقيقة الحسد وحكمه واقسامه ومراتبه:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(انه لا حسد إلا على نعمة، فإذا أنعم الله على أخيك)** في الدين **(بنعمة فلك فيها حالتان.**

احداهما: أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها، وهذه الحالة تسمى حسداً. فالحسد حدّه كراهة النعمة وحب زوالها على المنعم عليه). قال التاج السبكي في قواعده: اعلم أن طائفة من الفقهاء أشكلوا ردّ شهادة الحاسد مع قبولها من العدو على غير عدوه، ويقوّي الإشكال تفسير الشافعي العداوة التي ترد بها الشهادة بأنها التي تبلغ حداً يتمنى هذا زوال نعمة ذاك ويفرح بمصائبه ويحزن لمسرته، ففسر الحسد بما فسرّ به العداوة أو بأخف، لأن تمني زوال النعمة أشد من أن يهوى زوالها. إذ التمني تفعل، ويهوى فعل والتفعل أشد، ولكني أقول من الفرق الذي يتضح به العرف بعد تسليم أن الحسد ترد به الشهادة كما قال الراغب: تمنى زوال نعمة على مستحق لها، وربما كان معه سعي في إزالتها. وفي الصحاح: إنه تمنى زوال نعمة المحسود إليك، وعليه جرى ابن الأثير في النهاية حيث قال: إن الحسد أن يرى لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه، فاتفقوا على أن الحسد تمني زوال نعمة الغير، وشرط الراغب كون الغير مستحقاً والصحاح كون الحاسد يتمنى انقلاب النعمة إليه، فأقول: إن الحسن تمنى زوال نعمة من يستحق تلك النعمة، فالحاسد يعاند المقادير الإلهية ويطلب وضع الحق في غير موضعه أو زواله عن موضعه فهو عاص بهذا الاعتبار، وأما العداوة فناشئة من كراهة شخصه بسبب من الأسباب أعم أن يكون السبب الذي كرهه لأجله مقتضياً للكراهة أم لا. ولا يكون الحامل عليه تلبيس عدّوه بالنعمة بل بمجرد تقربه منه، وذلك مما جبلت عليه بعض السريرة فليس العدو عاصياً ولا مراغماً حقاً وإن كان العدو ذا نعمة يستحقها فليس الحامل له على عداوته كونه مستحقاً به انه عدو، فإن انضم إلى العداوة سعى في زوال النعمة من المستحق أو أمر آخر فهو معصية صرح به في الاعجاب، وبهذا ظهر أن تعريف الحسد في الرافعي ناقض ما قاله أهل اللغة.

الحالة الثانية: أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها، ولكن تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد تختص باسم المنافسة.

وقد تسمى المنافسة حسداً والحسد منافسة ويوضع أحد اللفظين موضع الآخر ولا حجر في الأسامي بعد فهم المعاني، وقد قال ﷺ: «إن المؤمن يغبط والمنافق يحسد» فأما الأوّل فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها، فإنك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد، ولو أمنت فساده لم يغمك بنعمته، ويدل على تحريم الحسد الاخبار التي نقلناها وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة، وأي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك منه مضرة؟ وإلى هذا أشار القرآن

(الحالة الثانية: أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ولا دوامها، ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذا يسمى غبطة) وهي محمودة **(وقد يخص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسداً والحسد منافسة، ويوضع أحد اللفظين بدل الآخر ولا حجر في الأسامي بعد فهم المعاني، وقد قال ﷺ «المؤمن يغبط والمنافق يحسد»)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً مرفوعاً، وإنما هو من قول الفضيل بن عياض، كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد.

قلت: ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقي إبراهيم بن الاشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: «المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط والمؤمن يستر ويعظ وينصح والفاجر يهتك ويغيظ ويشين ويعير».

(فأما الأول فهو حرام بكل حال) إذ لا يخلو من معاندة المقادير الإلهية أو طلب الحق في غير موضعه أو زواله عن موضعه، فالمتلبس به عاص بهذا الاعتبار وذلك. إما كبيرة أو يصير كبيرة بالتكرار بالنسبة إلى شخص واحد أو أشخاص لاسيما إذا انضم السعي إليه في الإزالة **(إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتن وافساد ذات البين وإيذاء الخلق، فلا تضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فإنك لا تحب زوالها من حيث أنها نعمة، بل من حيث أنها آلة الفساد، ولو أمنت فساده لم يغمك تنعمه، ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها)** آنفاً كحديث أبي هريرة: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا» وحديثه أيضاً «سيصيب أمتي داء الأمم» وحديثه أيضاً «إياكم والحسد» وحديث الزبير «دب اليكم داء الأمم قبلكم» وغيرها مما تقدم ذكرها. **(وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله)** وقدره **(في تفضيل بعض عباده على بعض)** لحكمة سبقت، **(وذلك لا عذر فيه ولا رخصة. وأي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك فيه مضرة؟ وإلى هذا أشار القرآن بقوله: ﴿إن تمسسكم**

بقوله: ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ [آل عمران: ١٢٠] وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة يتلازمان. وقال تعالى: ﴿ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفّاراً حسداً من عند أنفسهم﴾ [البقرة: ١٠٩] فاخبر تعالى أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسد. وقال عز وجل: ﴿ودّوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ [النساء: ٨٩] وذكر الله تعالى حسد أخوة يوسف عليه السلام وعبّر عما في قلوبهم بقوله تعالى: ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين* اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخلُ لكم وجه أبيكم﴾ [يوسف: ٨، ٩] فلما كرهوا حب أبيهم له ساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه فغيبوه عنه. وقال تعالى: ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ [الحشر: ٩] أي لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون فأثنى عليهم بعدم الحسد. وقال تعالى في معرض

حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ وهذا الفرح شماتة). أشار بذلك إلى ان المراد بالحسنة النعمة وبالسيئة المعصية، وانه أريد بالأول الحسد، وبالثاني الشماتة. ثم نبه على أنهما لا يضران المحسود ولا المشموت به إذا اتقى وصبر بقوله: ﴿وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً﴾ [آل عمران: ١٢٠] **(والحسد والشماتة يتلازمان)** وهي معصية زائدة على معصية الحسد. **(وقال تعالى)**: ﴿ودَّ كثير من أهل الكتاب **(لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم﴾ وقال)** تعالى: **﴿ودّوا لو تكفرون كما كفر وافتكونون سواء﴾** أي مساوين في الكفر، **(فأخبر أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسد: وذكر الله تعالى حسد أخوة يوسف)** عليهم السلام وهم عشرة لأمهات شتى بني يعقوب عليه السلام، وهم: يهوذا، وروبيل، وشمعون، ولاوي، ورديالون، وبشحر، ودنية بنت خالته تزوّجها يعقوب أولاً، فلما توفيت تزوّج أختها راحيل، فولدت له بنيامين ويوسف، وأربعة آخرين: ننيال وجاد واشر من سريتين زلفة وفلحص، **(وعبر عما في قلوبهم بقوله: ﴿قالوا ليوسف وأخوه﴾)** يعني بنيامين وهو أخوه لأمه وأبيه واختصاصه بالإضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين ﴿أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة﴾ أي: والحال أنا جماعة أقوياء أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما ﴿إنَّ أبانا لفي ضلال مبين* ﴾ لتفضيله المفضول أو لترك العدل في المحبة روي انه كان أحب إليه لما يرى فيه من المخايل، وكان اخوته يحسدونه. فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً﴾ بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ﴿يخلَ لكم وجه أبيكم﴾ أي يصف لكم فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم إلى غيركم، **(فلما كرهوا حب أبيه له)** وعدم صبره عنه **(ساءهم ذلك وأحبوا زواله عنه فغيبوه عنه)** بما هو مذكور في القرآن. **(وقال تعالى: ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ أي لا تضيق به صدورهم ولا يغتمون)** من رؤية ما آتاهم الله من فضله، **(فأثنى**

....

الله عليهم بعدم الحسد) وهو عدم ضيق الصدور من رؤية النعمة. **(قال تعالى في معرض الإنكار)** على أهل الكتب ﴿أم يحسدون الناس﴾ أي بل يحسدون. وإنما قدرت «أم» هنا «بل» لأن المراد هنا اثبات الحسد لهم لا الاستفهام عنه لا بالانكار ولا بغيره، وإذا كان هذا المراد تعين أن يكون التقدير بل يحسدون، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً﴾ الآية. وقد سبق قريباً لا يقال الانكار يتضمن الاثبات وزيادة لأنا نقول: تلك الزيادة لا دليل عليها، بل ولا يقتضيها المقام فظهر أن الاظهر في «أم» هنا أن معناها «بل» فقط. وفي قوله ﴿يحسدون﴾ دلالة على أن المضارع حقيقة في الحال لأنه أطلق في يحسدون، وأريد يد الحال لأنهم كانوا حاسدين وقت وقوع اللفظ عليهم ولم يرد أنهم يحسدون في المستقبل، وإذا أطلق وأريد الحال كان حقيقة لأن الأصل في الاطلاق الحقيقة. وهذا عند التحقيق خلاف من يدعي صلاحية الحال والاستقبال كابن مالك لأنه يجعله موضوعاً للقدر المشترك إلا أن يقال: التواطؤ يقع على افراده للحقيقة.

قال التاج السبكي في قواعده: وأنا أقول بالفصل في ذلك في المشكل وتساوي الأفراد. وفي الآية دلالة على أن مفهوم العموم من باب الكلية لا من باب الكل لأنه تعالى قد ذمهم على الحسد، فإما أن يكون الحسد المذموم عليه الحسد من حيث هو، أو الحسد من حيث العموم بمعنى أن كل واحد مذموم على الحسد القائم به من غير نظر إلى القائم بغيره، ولا خامس لهذه الأقسام عقلاً ولا سبيل إلى الأول لأن الحسد من حيث هو ليس من فعل المكلف لا يلام عليه، ولا إلى الثاني لأن حسد غيره ليس من فعله فكيف يلام على فعل غيره، ولا إلى الثالث أيضاً لأنه كذلك، فتعين الرابع وهو أن يكون الحكم ثابتاً لكل فرد إثباتاً وسلباً غير منظور فيه إلى غيره بنفي ولا اثبات، وفي الآية أيضاً دليل على جواز التكليف بما لا يطاق لأنه تعالى لامهم على الحسد وهو أمر يقوم بالحاسد لا يقدر على دفعه، ونظيرها أقبل ولا تخف، ولا يقال: إنما دام على تعاطي أسبابه للإجماع على ان الحسد في نفسه مذموم، ولأن البخل والحسد سيّان في كونها مما لا يطاق، وقد ذمهم على البخل قبل ذلك في قوله: ﴿أم لهم نصيب من الملك﴾ [النساء : ٥٣] الآية. وكذلك في قوله ﴿الذين يبخلون﴾ [النساء : ٣٧] والبخل والحسد مشتركان في ان صاحبها يريد منع النعمة عن الغير، ثم يتميز البخل بعدم دفع ذي النعمة شيئاً، والحسد تمني أن لا يعطى أحد سواه شيئاً. وفي الآية أيضاً دلالة على أن الحسد حرام، ثم يختلف باختلاف المحسود، فإن كان نبياً فهو أيضاً كفر، وإلاَّ فلا ينتهي إلى الكفر.

فان قلت: ما وجه دلالته عل التحريم؟ قلت: التوعد عليه في قوله تعالى: ﴿وكفى بجهنم سعيرا﴾ [النساء : ٥٥] مع السياق المؤذن بذلك. وفي التوعد كفاية فإنه كالنص في التحريم.

فان قلت: فما وجه دلالته على مطلق الحسد والكلام على الحسد إنما هو في حسدهم النبي ﷺ على ما سيذكر من ان المراد بالناس النبي ﷺ؟ قلت: قوله يحسدون الناس فإنه دال على أن العلة

الإنكار ﴿أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله﴾ [النساء : ٥٤] وقال تعالى : ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ إلى قوله : ﴿ إلا الذين أوتوه من بعدما جاءتهم البيّنات بغياً بينهم﴾ [البقرة : ٢١٣] قيل في التفسير : حسداً . وقال تعالى : ﴿وما تفرقوا إلا من بعدما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ [الشورى : ١٤] فأنزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا واختلفوا إذ أراد كل واحد منهم أن يتفرد بالرئاسة وقبول القول فردّ بعضهم على بعض . قال ابن عباس : كانت اليهود قبل أن يبعث النبي ﷺ إذا قاتلوا قوماً قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله وبالكتاب الذي تنزله إلا ما نصرتنا ، فكانوا ينصرون ، فلما جاء النبي ﷺ من ولد

في الذم للحسد على الاثبات من الفضل، وهذا شامل لكل محسود على نعمة أوتيها من فضل الله ، وفيها دلالة على صحة إطلاق اسم الجميع وإرادة الواحد لأن المراد بالناس النبي ﷺ ، كما روي ذلك عن ابن عباس والشافعي والاكثرين ، وتقرير ذلك أنه لو لم يرد بالناس بعض المؤمنين وأراد كلهم لناقض قوله : إنهم لم يحسدوا آل إبراهيم لكنه لا يناقضه لاستحالة الناقض على كلام الله ، فدلّ على أنه أراد البعض وما هو إلا محمد ﷺ ، لأن القائل قائلان قائل بأن المراد جميع المؤمنين ، وقائل بأن المراد النبي عليه السلام ، والأول مندفع بأن مدعيه يدعي زيادة الأصل والأصل عدمها لأن هذا اللفظ قد ثبت أنه استعمل في الخصوص فليحمل على التيقن ، وعلى من ادعى ما وراءه الدليل ، فثبت الثاني وقد كان يمكن أن يقال أن المراد بالناس آل النبي كما في آل إبراهيم ، والمعنى أنهم يحسدون آل النبي لكونه بعث من أنفسهم ، ويكون النبي هو الفضل الذي أوتيه أهله وحسدوا عليه ولكن هذا القول لم نر من قال به . ﴿على ما آتاهم الله من فضله﴾ من النبوّة والرسالة والكتاب والنصرة الإعزاز ، وجعل النبي الموعود منهم ، وتمام الآية ﴿فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً ★ فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً﴾ .

(**وقال**) تعالى : ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ إلى قوله : ﴿إلا الذين أوتوه من بعدما جاءتهم البينات بغياً بينهم﴾ قيل في التفسير حسداً) أي فسروا البغي بالحسد ، فإنه تجاوز من الحق إلى الباطل . (**وقال**) تعالى : ﴿وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ أي حسداً ، (**فأنزل الله العلم**) في صدورهم (**ليجمعهم**) أي يجمع شملهم (**ويؤلف بينهم على طاعته**) الواجبة عليهم (**وأمرهم أن يتألفوا بالعلم فتحاسدوا**) وتباغضوا وتدابروا ، (**واختلفوا ، وأراد كل واحد منهم أن ينفرد بالرئاسة**) والتقدم (**وقبول القول ، فردّ بعضهم على بعض . قال ابن عباس**) رضي الله عنه : (**كانت اليهود الذين بالمدينة قبل أن يبعث النبي ﷺ إذا قاتلوا قوماً قالوا نسألك بالنبي الذي وعدتنا أن ترسله ، وبالكتاب**) الذي وعدتنا (**أن تنزله ألا ما نصرتنا على هذا القوم، فكانوا**) يستجاب دعاؤهم و(**ينصرون**) على

إسماعيل عليه السلام عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم إياه فقال تعالى: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ إلى قوله: ﴿أن يكفروا بما أنزل الله بغياً﴾ [البقرة: ٨٩ ، ٩٠] أي حسداً وقالت صفية بنت حي للنبي ﷺ: جاء أبي وعمي من عندك يوماً. فقال أبي لعمي: ما تقول فيه؟ قال: أقول انه النبي الذي بشّر به موسى، قال: فما ترى؟ قال: أرى معاداته أيام الحياة. فهذا حكم الحسد في التحريم.

وأما المنافسة؛ فليست بحرام بل هي إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة، وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة، والمنافسة بدل الحسد قال قثم بن العباس لما أراد هو والفضل أن يأتيا النبي ﷺ فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة ـ قالا لعلي حين قال لهما: لا

عدوهم، **(فلما جاء النبي ﷺ من ولد إسماعيل عليه السلام عرفوه)** حق المعرفة **(وكفروا بعد معرفتهم إياه، فقال تعالى)** في حقهم ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ إلى قوله ﴿إن يكفروا بما أنزل الله بغياً﴾ أي حسداً. قال العراقي: رواه ابن إسحاق في السيرة فيما بلغه عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: إن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ فذكره بنحوه وهذا منقطع انتهى.

قلت: قد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق الضحاك عن ابن عباس ولا انقطاع فيه.

(وقالت صفية بنت حي) بن أخطب بن سعنة الإسرائيلية أم المؤمنين رضي الله عنها اصطفاها النبي ﷺ من سبي خيبر وجعل عتقها صداقها وقسم لها، وكانت من عقلاء النساء لها شرف في قومها: **(للنبي ﷺ جاء أبي وعمي من عندك يوماً. فقال أبي لعمي: ما تقول فيه؟ قال: أقول أنه النبي الذي بشّر به موسى)** ﷺ. **(فما ترى)** أنت؟ **(قال: أرى معاداته، أيام الحياة)** أي مدة الحياة. قال العراقي: رواه ابن إسحاق في السيرة قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: حدثت صفية فذكره نحوه وهو منقطع أيضاً. **(فهذا حكم الحسد في التحريم)**.

(وأما المنافسة؛ فليست بحرام بل هي إما واجبة) كما إذا كانت في الأمور الدينية، **(أو مباحة)** كما إذا كانت في الفضائل، **(وقد يستعمل لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة)** توسعاً. **(قال قثم بن العباس)** بن عبد المطلب له صحبة ورواية ولم يعقب، استشهد بعد الخمسين وله ذكر في اللباس في صحيح البخاري أن النبي ﷺ حمله بين يديه وكان يشبه بالنبي ﷺ، وكان أخا الحسين من الرضاعة توفي بسمرقند وله مقام هناك يزار روى له النسائي في خصائص علي: **(لما أراد هو و)** أخوه **(الفضل بن العباس)** وهو أكبر ولد العباس استشهد في خلافة عمر، روى له الجماعة **(أي يأتيا رسول الله ﷺ فيسألانه أن يؤمرهما على الصدقة.**

تذهبا إليه فإنه لا يؤمـركما عليها ـ فقالا له: ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوّجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك، أي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إياك فاطمة.

والمنافسة في اللغة مشتقة من النفاسة والذي يدل على إباحة المنافسة قوله تعالى: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ [المطففين: ٢٦] وقال تعالى: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ [الحديد: ٢١] وإنما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما، إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها، فكيف وقد صرح رسول الله ﷺ بذلك فقال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس». ثم فسر ذلك في حديث

قالا لعلي) بن أبي طالب رضي الله عنه **(حين قال لهما علي لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمـركما عليها)** أي على الصدقات فإنه علم أنها أوساخ ولا يرضى لهما العمل على مثلها، **(فقالا له: ما هذا منك)** يا علي **(إلاّ نفاسة، والله لقد زوجك ابنته)** فاطمة **(فما نفسنا)** بكسر الفاء أي ما ضننا **(ذلك عليك أي هذا منك حسد، وما حسدناك على تزويجه إياك فاطمة)** رضي الله عنها. قال العراقي: هكذا وقع للمصنف أنهما قثم والفضل وإنما هما الفضل والمطلب بن ربيعة، كما رواه مسلم من حديث المطلب بن ربيعة بن الحرث قال: اجتمع ربيعة بن الحرث والعباس بن عبد المطلب فقالا: والله لو بعثنا هذين الغلامين قال لي وللفضل بن العباس إلى رسول الله ﷺ فكلماه فذكر الحديث.

(والمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة) وقد نفس الشيء بالضم نفاسة كرم فهو نفيس وأنفس انفاساً مثله فهو منفس ونفست به مثل ضننت لنفاسته وزناً ومعنى، **(والذي يدل على إباحة المنافسة قوله تعالى: (وفي ذلك)** أي الرحيق والنعيم **(فليتنافس المتنافسون﴾)** أي ليرتغب المرتغبون، **(وقال)** تعالى: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ وجنّة عرضها السموات والأرض﴾ **(وإنما)** تكون **(المسابقة عند خوف الفوت)** كما سيأتي **(وهو كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسقبه صاحبه فيحظى)** أي ينال الحظوة وهي الشرف والكرامة **(عند مولاه أي سيده بمنزلة لا يحظى هو بها، وكيف وقد صرح رسول الله ﷺ بذلك فقال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس»)** أخرجه الأئمة الستة في كتبهم سوى أبو داود من حديث سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار». رواه كذلك أحمد وابن حبان، وقد روي

أبي كبشة الأنماري فقال: «مثل هذه الأمة مثل أربعة: رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول: رب لو أن لي مالاً مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء ـ وهذا منه حب لأن يكون له مثل ماله فيعمل مثل ما يعمل من غير حب زوال النعمة عنه ـ قال: ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو ينفقه في معاصي الله، ورجل لم يؤته علماً ولم يؤته مالاً فيقول: لو أن لي مثل مال فلان لكنت أنفقه في مثل ما أنفقه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء» فذمه رسول الله ﷺ من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله. فإذاً لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له. نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة، فهذه المنافسة واجبة، وهو

من طريق عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي داود عن الزهري باللفظ السابق، ورواه أحمد والشيخان وابن ماجه وابن حبان من حديث ابن مسعود بنحوه، ورواه أيضاً أحمد والبخاري من حديث أبي هريرة بنحوه، وروى أبو يعلى والضياء من حديث أبي سعيد بنحوه، ورواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة له من حديث ابن عمرو بنحوه، وقد ذكر تفصيل ذلك من كتاب العلم.

(**ثم لو فسر ذلك في حديث أبي كبشة الأنماري**) المذحجي رضي الله عنه مشهور بكنيته واختلف في إسمه على أقوال: فقيل سعيد بن عمرو أو عمرو بن سعيد، وقيل عمر أو عامر بن سعيد نزل حمص روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه، وروى عن أبي بكر روى عنه عمرو بن رؤبة وغيره (**فقال: «مثل هذه الأمة مثل أربعة: رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله**) ينفقه في حقه، (**ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول: رب لو أن لي مالاً كنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء**) قال المصنف: (**وهذا منه حب لأن يكون له مثل ما كان له من غير حب زوال النعمة عنه**) ثم رجع إلى بقيته، فقال: (**قال**) الراوي: (**ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو ينفقه في معاصي الله**) وفي رواية: فهو يتخبط في ماله ينفقه في غير حقه، (**ورجل لم يؤته الله مالاً ولا علماً فيقول: لو أن لي مال فلان كنت أعمل بمثل عمله فهما في الوزر سواء»**) قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: حسن صحيح انتهى.

قلت: ورواه كذلك أحمد وهناد والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب، (**فذمه رسول الله ﷺ من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله، فإذاً لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها له**) وهذا هو حسد الغبطة المحمودة. (**نعم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة**

أن يحب أن يكون مثله لأنه إذا لم يكن يحب ذلك فيكون راضياً بالمعصية وذلك حرام، وإن كانت النعمة من الفضائل كإنفاق الأموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب إليها، وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة، وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة، وكأن تحت هذه النعمة أمرين: أحدهما راحة المنعم عليه، والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين، وهو تخلف نفسه ويحب مساواته له.

ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات، نعم ذلك ينقص من الفضائل ويناقض الزهد والتوكل والرضا ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه لا يوجب العصيان. وههنا دقيقة غامضة وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان، وإنما يزول نقصانه إما بأن ينال مثل ذلك أو بأن تزول نعمة المحسود، فإذا انسد أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الآخر حتى إذا زالت النعمة عن المحسود

كالإيمان والصلاة والزكاة) وما أشبهها، **(فهذه المنافسة واجبة، وهو أن يحب أن يكون مثله)** في التلبس بتلك النعمة **(لأنه إن لم يحب)** ذلك فيكون راضياً بالمعصية وذلك حرام، وإن كانت النعمة من الفضائل الخارجة **(كإنفاق الأموال في المكارم والصدقات)** للفقراء، **(فالمنافسة فيها مندوب إليها)** لأنها تبعث على مكارم الأخلاق، **(وإن كانت نعمة يتنعم فيها على وجه مباح)** قد أباح له الشرع في التمتع بها، **(فالمنافسة فيها مباحة)** فالمنافسة تتبع ما غبط فيه حرمة وإباحة ووجوباً وندباً، **(وكل ذلك يرجع إلى ارادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس فيها كراهة النعمة، وكأن تحت هذه النعمة أمرين: أحدهما: راحة المنعم عليه، والآخر ظهور نقصان غيره وتخلفه عنه وهو يكره أحد الوجهين وهو تخلف نفسه)** عن اللحوق، **(ويحب مساواته له)**.

(ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها في المباحات) ما لم يحب نقصان غيره، **(نعم ذلك ينقص من الفضل ويناقض الزهد والتوكل والرضا)** والتسليم والقناعة وهن أحوال شريفة، **(ويحجب عن المقامات الرفيعة)** المقدار، **(ولكنه لا يوجب العصيان)** في ظاهر الشرع **(وههنا دقيقة غامضة)** خفية المدرك **(وهو أنه إذا أيس من أن ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه ونقصانه)** عن نفسه، **(فلا محالة يحب زوال النقصان وإنما يزول نقصانه)** بأحد أمرين: **(إما بأن ينال مثل ذلك، أو بأن تزول نعمة المحسود، فإذا انسد أحد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك من شهوة الطريق الآخر)** وهو زوال نعمة المحسود،

كان ذلك أشهى عنده من دوامها إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقي الأمر إليه ورد إلى اختياره لسعى في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسداً مذموماً ، وإن كان تدعه التقوى عن إزالة ذلك ، فيعفي عما يجده في طبعه من ارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارهاً لذلك من نفسه بعقله ودينه، ولعله المعنى بقوله ﷺ : « ثلاث لا ينفك المؤمن عنهن : الحسد والظن والطيرة » ثم قال : وله منهن مخرج : « إذا حسدت فلا تبغ » أي إن وجدت في قلبك شيئاً فلا تعمل به . وبعيد أن يكون الإنسان مريداً للحاق بأخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة ، إذ يجد لا محالة ترجيحاً له على دوامها . فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام ، فينبغي أن يحتاط فيه فإنه موضع الخطر ، وما من إنسان إلا وهو يرى فوق نفسه جماعة من معارفه وأقرانه يحب مساواتهم ، ويكاد ينجر ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوي الإيمان رزين التقوى . ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك على الحسد المذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه ، حتى

(حتى إذا زالت النعمة عن المحسود كان ذلك أشهى عنده من دوامها عليه إذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره) الذي هو المطلوب ، **(وهذا يكاد لا ينفك القلب عنه فإن كان بحيث لو ألقي الأمر إليه ورد إلى اختياره لسعى في إزالة النعمة عنه فهو حسود حسداً مذموماً ، وإن كان)** ممن **(تدعه)** أي يمنعه **(التقوى عن إزالة ذلك فيعفي عنه فيما يجده في طبعه من ارتياح إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارهاً لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعنى)** أي المراد **(بقوله ﷺ « ثلاث)** خصال **(لا ينفك المؤمن عنهن)** أي فإنهن لازمات **(الحسد والظن والطيرة » ثم قال « وله منهن مخرج إذا حسدت فلا تبغ »)** تقدم قريباً **(أي إن وجدت في قلبك شيئاً فلا تعمل به)** أي بمقتضاه ، **(وبعيد أن يكون الانسان مريداً للحاق بأخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل إلى زوال النعمة إذ يجد لا محالة له ترجيحاً على دوامها)** إلا من عصمه الله عنه . **(فهذا الحدّ من المنافسة يزاحم)** أي يقابل **(الحسد الحرام ، فينبغي ان يحتاط له فإنه موضع الخطر ، ولا أحد إلا وهو يرى)** وفي نسخة : وما من انسان إلا وهو يرى **(نفسه فوق جماعة من معارفه وأقرانه)** وفي نسخة : وهو يرى فوق نفسه من معارفه وأقرانه **(من يحب ان يساويه)** وفي نسخة : مساواتهم ، **(ويكاد ينجر)** وفي نسخة : يجره **(ذلك إلى الحسد المحظور إن لم يكن قوي الإيمان رزين التقوى)** أي شديده صلبه . **(ومهما كان محركه خوف التفاوت وظهور نقصانه من غيره جره ذلك إلى الحسد المذموم وإلى ميل الطبع إلى زوال النعمة عن أخيه ، حتى ينزل هو إلى مساواته إذا**

ينزل هو إلى مساواته إذ لم يقدر هو أن يرتقي إلى مساواته بإدراك النعمة وذلك لا رخصة فيه أصلاً، بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا، ولكن يعفى عنه في ذلك ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له. فهذه حقيقة الحسد وأحكامه.

وأما مراتبه فأربع:

الأولى: أن يحب زوال النعمة عنه وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الخبث.

الثانية: أن يحب زوال النعمة إليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره، وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه، ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها.

لم يقدر هو أن يرتقي إلى مساواته بإدراك النعمة وذلك لا رخصة فيه أصلاً، بل هو حرام سواء كان في مقاصد الدين أو مقاصد الدنيا ،ولكن ذلك يعفي عنه ما لم يعمل به إن شاء الله تعالى) وهو الذي فهم من الحديث السابق. **(وتكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له)**.

قال التاج السبكي في قواعده في الكلام على قوله تعالى: ﴿أم يحسدون الناس﴾ [النساء: ٥٤] الآية وفيها دلالة على أن الحسد كبيرة عند من يقول الكبيرة ما هدد عليه أو توعد به، وفيها دلالة على أنه إذا لم يظهره اللسان بل أضمره الجنان لا يعاقب صاحبه إلى يوم القيامة فلا يعزر في الدنيا ولا يؤاخذ لأنه من أعمال القلوب التي لا إطلاع عليها فلا يؤاخذ بها ما لم يظهره بقول أو فعل، ونظير المسألة قول الشيخ أبي حامد: إن من يتعين قتله ولا يظهر ذلك بقول ولا فعل لا يقدح في شهادته لأن ما في القلب لا يمكن الاحتراز عنه والله أعلم.

(فهذه حقيقة الحسد وأحكامه.

وأما مراتبه فهي أربعة:

الأولى: أن يحب زوال النعمة عنه، وإن كان ذلك لا ينتقل إليه وهذا غاية الخبث.

الثانية: أن يحب انتقالها لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة، أو امرأة جميلة، أو ولاية نافذة) الأحكام، **(أوسعة)** العيش **(نالها غيره وهو يحب أن تكون له، ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه، ومكروهه)** أي ما يكرهه **(فقد النعمة)** من أصلها **(لا تنعم غيره بها)**.

الثالثة: أن لا يشتهي عينها لنفسه بل يشتهي مثلها فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما.

الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم تحصل فلا يحب زوالها عنه، وهذا الأخير هو المعفوّ عنه إن كان في الدنيا والمندوب إليه إن كان في الدين، والثالثة فيها مذموم وغير مذموم، والثانية أخف من الثالثة، والأولى مذموم محض. وتسمية الرتبة الثانية حسداً فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم لقوله تعالى: ﴿ولا تتمنّوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ [النساء: ٣٢] فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم وأما تمنيه عين ذلك فهو مذموم.

بيان أسباب الحسد والمنافسة:

أما المنافسة فسببها حب ما فيه المنافسة، فإن كان ذلك أمراً دينياً فسببه حب الله تعالى وحب طاعته، وإن كان دنيوياً فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها، وإنما نظرنا

(الثالثة: أن لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها، فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما.

(الرابعة: أن يشتهي لنفسه مثلها فإن لم يحصل) له ذلك **(فلا يحب زوالها عنه، وهذا الاخير هو المعفو عنه إن كان في الدنيا والمندوب إليه إن كان في الدين، والثالثة فيها مذموم)** وهو محبة زوالها **(وغير مذموم)** وهو طلب مثلها، **(والثانية)** التي هي محبة زوال النعمة **(أخف من الثالثة)** التي هي محبة زوالها إن لم يحصل له مثلها هكذا في النسخ والأولى العكس، **(والأولى)** التي هي محبة زوالها عنه وإن لم تنتقل إليه **(مذموم محض)** وقد سماه غاية الخبث، **(وتسمية المرتبة الثانية)** هكذا في النسخ، والأولى الرابعة **(حسداً فيه تجوز وتوسع)** وذلك سائغ في كلام العرب، **(ولكنه مذموم. قال تعالى: ﴿ولا تتمنّوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض للرّجال نصيبٌ مما اكتسبُوا وللنساء نصيبٌ ممّا اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً﴾ [النساء: ٣٢] وقال تعالى: ﴿لكل أجل كتاب﴾ [الرعد: ٣٨] ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ [الرعد: ٨] (فتمنيه لمثل ذلك غير مذموم أما تمنيه عين ذلك فمذموم)** فإنه يقتضي زوال ذلك العين عنه.

بيان أسباب الحسد والمنافسة:

(اما المنافسة فسببها حب) ما فيه **(المنافسة)** مما تنتهي إليه الرغبات، **(فإن كان ذلك مراداً دينياً فسببه حب الله تعالى وحب طاعته)** فيهما اللذان ألجآه إلى التنافس فيه، **(وإن كان دنيوياً فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم بها)** والتمتع بعلائقها وهذا ظاهر في كونه

الآن في الحسد المذموم ومداخله كثيرة جداً ، ولكن يحصر جملتها سبعة أبواب : العداوة ، والتعزز ، والكبر ، والتعجب ، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرئاسة ، وخبث النفس وبخلها فإنه إنما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالأمثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى أنه يحب زوال نعمته لكونه مبغضاً له بسبب إساءته إليه ، أو إلى من يحبه ، وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعز نفسه وهو المراد بالتعزز ، وإما أن يكون في طبعه أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه لنعمته وهو المراد بالتكبر ، وإما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب عظيماً فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب ، وإما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه ، وإما أن يكون يحب الرئاسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوي فيها ، وإما أن يكون بسبب من هذه الأسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى ، ولا بدّ من شرح هذه الأسباب .

مباحاً ، **(وإنما نظرنا الآن في الحسد المذموم ، ومداخله كثيرة جداً ، ولكن يحصر جملتها سبعة أبواب)** وما عداها متفرع عنها وآيل إليها وهي : **(العداوة ، والتعزز ، والكبر ، والتعجب ، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة ، وحب الرئاسة ، وخبث النفس ، وبخلها)** فهذا من أصول الأسباب ، ثم ذكر وجه الحصر في هذه السبعة فقال : **(فإنه إنما يكره النعمة على غيره إما لأنه عدوه)** أما بسبب ديني أو دنيوي **(فلا يريد له الخير)** مطلقاً ، **(وهذا)** هو السبب الأوّل وقد قالوا : الذي له عدوّ ما له هدوّ ، وذلك **(لا يختص بالأمثال)** والأقران ، **(بل)** قد **(يحسد الخسيس)** أي الدنيء **(الملك)** أو الأمير **(بمعنى أنه يحب زوال نعمته عنه لكونه مبغضاً له بسبب إساءته إليه أو)** إساءته **(إلى من يحبه)** فهو يبغضه لأجل ذلك ويحسده بالمعنى المذكور ، **(وإما أن يكون من حيث يعلم أنه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز)** وهذا هو السبب الثاني ، **(وإما أن يكون في طبعه أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر)** وهذا هو السبب الثالث ، **(وإما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيراً فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وذلك المنصب هو التعجب)** وهذا هو السبب الرابع ، **(وإما أن يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته من اغراضه)** وهذا هو السبب الخامس ، **(وإما أن يكون يحب الرئاسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوي فيها)** وهذا هو السبب السادس . **(وإما أن لا يكون لسبب من هذه الأسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله)** وهذا هو السبب السابع ، **(ولا بد من شرح هذه الأسباب)** وتفصيلها .

السبب الأوّل: العداوة والبغضاء: وهذا أشد أسباب الحسد فإن من أذاه شخص بسبب من الأسباب وخالفه في غرض بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد، والحقد يقتضي التشفي والانتقام، فإن عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه أحب أن يتشفى منه الزمان، وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى، فمهما أصابت عدوّه بلية فرح بها وظنها مكافأة له من جهة الله على بغضه وأنها لأجله، ومهما أصابته نعمة ساءه ذلك لأنه ضد مراده، وربما يخطر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوّه الذي آذاه بل أنعم عليه. وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقها، وإنما غاية التقي أن لا يبغي وأن يكره ذلك من نفسه، فأما أن يبغض إنساناً ثم يستوي عنده مسرته ومساءته، فهذا غير ممكن، وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به أعني الحسد بالعداوة، إذ قال تعالى: ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنّا وإذا خلوا عضّوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ★ وإن تمسسكم حسنة تسؤهم﴾ [آل عمران: ١١٩، ١٢٠] الآية. وكذلك قال تعالى: ﴿ودّوا ما عنتّم قد بدت البغضاء من

(**السبب الأوّل: العداوة والبغضاء: وهذا أشد أسباب الحسد، فإن من آذاه انسان بسبب من الأسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه أبغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد**) المستكن في ضميره، (**والحقد يقتضي التشفي والإنتقام، فإن عجز المبغض عن أن يتشفي بنفسه أحب أن يتشفي منه الزمان**) بإصابة نكبة من نكباته، (**وربما يحيل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى**) أي أنه كريم عند الله وما صار له من الانتقام بسبب كرامته عليه، (**فمهما أصابت عدوّه بلية فرح**) واستبشر (**وظنه مكافأة من جهة الله تعالى له على بغضه وأنه لأجله**) وقد يكتم ذلك في نفسه فلا يظهر ذلك لأحد، وقد لا يكتم بل يتبجح به عند الناس ويخبرهم بذلك. (**ومهما اصابته نعمة**) أو عرض له سرور (**ساءه ذلك لأنه ضد مراده، وربما يظهر له أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل أنعم عليه**) وهذه الحالة فالناس واقعون فيها. (**وبالجملة: فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقها، وإنما غاية التقي أن لا يبغي**) بالقول أو الفعل، (**وأن يكره ذلك من نفسه، فإما أن يبغض انساناً ثم تستوي عنده مسرته ومساءته**) على حد سواء، (**فهذا غير ممكن**) إذ لا بد من ترجيح أحدهما على الآخر، (**وهذا ما وصف الله الكفار أعني الحسد بالعداوة إذ قال**) تعالى في حقهم: ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ وكل من يغتاظ يعض على أنامله: ﴿قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ★ إن تمسسكم حسنة﴾ الآية وقد تقدم تمامها، (**وكذلك قال**) تعالى في حقهم: (**﴿ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء**

أفواههم وما تخفي صدورهم أكبرُ﴾ [آل عمران: ١١٨] والحسد بسبب البغض ربما يفضي إلى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه.

السبب الثاني: التعزز وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره، فإذا أصاب بعض أمثاله ولاية أو علماً أو مالاً خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه وليس من غرضه أن يتكبر بل غرضه أن يدفع كبره، فإنه قد رضي بمساواته مثلاً، ولكن لا يرضى بالترفع عليه.

السبب الثالث: الكبر: وهو أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه، فإذا نال نعمة خاف أن لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته، أو ربما يتشوّف إلى مساواته، أو إلى أن يرتفع عليه فيعود متكبّراً بعد أن كان متكبراً عليه. ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار لرسول الله ﷺ إذ قالوا: كيف يتقدم علينا غلام يتيم، وكيف نطأطىء رؤوسنا؟ فقالوا: ﴿لولاَ نُزِّلَ هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف: ٣١] أي كان لا يثقل علينا أن

من أفواههم وما تخفي صدورهم﴾ الآية. والحسد بسبب البغض ربما يفضي إلى التنازع) أي التخاصم **(والتقاتل)** بالسلاح، **(واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل)** والخداع، **(وبالسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه)**.

(السبب الثاني: التعزز: وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره فإذا أصاب بعض) من أقرانه **(ولاية لمنصب أو مالاً أو علماً خاف أن يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه، فليس من غرضه أن يتكبر، بل من غرضه أن يدفع كبره فإنه قد رضي بمساواته مثلاً، ولكن لا يرضى بالترفع عليه)** وفي نسخة: بترفعه عليه.

(السبب الثالث: أن يكون في طبعه أن يتكبر عليه ويستصغره) ويستحقره **(ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له)** في أموره **(والمتابعة في اغراضه، فإذا نال نعمة خاف أن لا يحمل تكبره ويترفع عن متابعته، وربما يتشوّف)** أي يتطلع **(إلى مساواته، أو إلى أن يرتفع عليه فيعود متكبراً بعد أن كان متكبراً عليه، ومن التعزز والتكبر كان حسد أكثر الكفار لرسول الله ﷺ إذا قالوا: كيف يتقدم علينا غلام يتيم)** من أبويه، **(وكيف نطأطىء له رؤوسنا؟ فقالوا: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين)**يعني: مكة والطائف **(عظيم﴾ أي كان لا يثقل علينا أن نتواضع له ونتبعه)** ويتقدم علينا **(إذا كان**

نتواضع له ونتبعه، إذا كان عظياً. وقال تعالى يصف قول قريش: ﴿أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا﴾ [الأنعام: ٥٣] كالاستحقار لهم والأنفة منهم.

السبب الرابع: التعجب كما أخبر الله تعالى عن الأمم السالفة إذ قالوا: ﴿ما أنتم إلا بَشَرٌ مثلنا﴾ [يس: ١٥] ﴿وَقَالُوا: أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ [المؤمنون: ٤٧] ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون﴾ [المؤمنون: ٣٤] فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله تعالى بشر مثلهم فحسدوهم وأحبوا زوال النبوّة عنهم جزعاً أن يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رئاسة وتقدم عداوة أو سبب آخر من سائر الأسباب، وقالوا متعجبين: ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾ [الاسراء: ٩٤] وقالوا: ﴿لَوْلاَ أُنْزِلَ علينا الملائكة﴾ [الفرقان: ٢١] وقال تعالى: ﴿أوعجبتم أن جاءكم ذِكْرٌ من ربكم على رجل منكم﴾ [الأعراف: ٦٣] الآية.

السبب الخامس: الخوف من فوت المقاصد: وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الإنفراد بمقصوده،

عظياً) قال ابن إسحاق في السيرة: إن قائل ذلك الوليد بن المغيرة: أينزل على محمد واترك وأنا كبير قريش، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف؟ فنحن عظيما القريتين فانزل الله فيما بلغني هذه الآية. ورواه أبو محمد بن أبي حاتم، وابن مردويه في تفسيرهما من حديث ابن عباس إلا انهما قالا: مسعود بن عمرو، وفي رواية لابن مردويه حبيب بن عمير الثقفي وهو ضعيف نقله العراقي. **(وقال الله تعالى يصف قول قريش: ﴿أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا﴾ يشيرون إلى من اتبعه ﷺ من المؤمنين (كالاستحقار لهم والأنفة منهم)** حملهم على ذلك التعزز والكبر والجبروت.

(السبب الرابع: التعجب: كما أخبر الله تعالى عن الأمم الماضية إذ قالو: ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾ وقالوا: ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ ﴿ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون﴾ فتعجبوا من أن يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله بشر مثلهم، فحسدوهم واحبوا زوال نعمة النبوّة عنهم جزعاً) أي خوفاً **(أن يفضل عليهم من هم مثلهم في الخلقة)** الظاهرة **(لا عن قصد تكبر وطلب رئاسة وتقدم عداوة، أو سبب آخر من سائر الاسباب)** أي باقيها، **(وقالوا متعجبين ﴿أبعث الله بشراً رسولا﴾ وقالوا: ﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ فقال تعالى)** رداً عليهم تعجبهم: ﴿أو عجبتم إن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم﴾).

(السبب الخامس: الخوف من فوت المقاصد) المحبوبة: **(وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد، فإن كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة تكون عوناً له في الإنفراد**

ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية، وتحاسد الأخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال، وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد على نيل المرتبة من قلب الأستاذ، وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به إلى المال والجاه، وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال بالقبول عندهم، وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين إذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم إلى أغراض له.

السبب السادس: حب الرئاسة وطلب الجاه بنفسه من غير توصل به إلى مقصود، وذلك كالذي يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وأنه لا نظير له، فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده، وليس السبب في هذا عداوة ولا تعززاً ولا تكبراً على

بمقصوده، ومن هذا الجنس تحاسد الضرات) جمع ضرة وقد تجمع على الضرائر **(في التزاحم على مقاصد الزوجية)**، فيطلب كل منهما الانفراد بالزوج من غير مشاركة، **(وتحاسد الأخوة في التزاحم على نيل المنزلة في قلوب الأبوين للتوصل به إلى مقاصد الكرامة والمال)**، فيطلب كل منهم أن يكون مكرما عندهما وأن يخصاه بالمال دون غيره، **(وكذلك تحاسد التلميذين لأستاذ واحد في نيل المنزلة من قلب الاستاذ)** بان يختص به دون رفيقه، **(وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة من قلبه للتوصل به إلى الجاه والمال)** وقضاء الأغراض، **(وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على أهل بلدة واحدة إذا كان غرضهما نيل المال)** وإصابة الدنيا **(بالقبول عندهم، وكذلك)** تحاسد العالمين **(المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين، إذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل بهم إلى اغراض له)**.

(السبب السادس: حب الرئاسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به إلى مقصود: وذلك كالرجل يريد أن يكون عديم النظير في فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء) الحسن عليه **(واستفزه الفرح بما يمدح به من أنه واحد الدهر وفريد العصر في فنه وأنه لا نظير له، فإنه لو سمع بنظير له في أقصى العالم ساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما ينفرد هو به ويفرح بسبب تفرده، وليس السبب في هذا عداوة ولا تعززاً ولا تكبراً على**

المحسود ولا خوفاً من فوات مقصود سوى محض الرئاسة بدعوى الإنفراد، وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل إلى مقاصد سوى الرئاسة. وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله ﷺ ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رئاستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم.

السبب السابع: خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى؛ فإنك تجد من لا يشتغل برئاسة وتكبر ولا طلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله تعالى فيما أنعم الله به عليه يشق ذلك عليه، وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به، فهو أبداً يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزانته. ويقال: البخيل من يبخل بمال نفسه، والشحيح هو الذي يبخل بمال غيره، فهذا يبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة، وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب أسبابه عارضة يتصوّر زوالها فيطمع في إزالتها، وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض

المحسود ولا خوفاً من فوات مقصود سوى تمحض الرئاسة بدعوى الإنفراد، وهذا وراء ما بين آحاد العلماء من طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس للتوصل إلى مقاصد سوى الرئاسة، وقد كان علماء اليهود) وأحبارهم (**ينكرون معرفة رسول الله ﷺ ولا يؤمنون**) مع تحققهم أنه نبي أرسله الله بالحق (**خيفة من أن تبطل رئاستهم**) وتقدمهم (**واستتباعهم مهما نسخ علمهم**).

(**السبب السابع: خبث النفس وشحها بالخير على عباد الله فإنك تجد من لا يشتغل برئاسة وتكبّر ولا طلب مال إذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله فيما أنعم الله به عليه شق عليه ذلك**) وساءه، (**وإذا وصف له اضطراب أمور الناس وإدبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم**) أي تكدره بسبب من الأسباب (**فرح به، فهو أبداً يحب الإدبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده كأنهم يأخذون ذلك من ملكه وخزائنه، ويقال: البخيل من يبخل بمال نفسه، والشحيح من يبخل بمال غيره**). وقيل: البخيل هو الذي يمنع الواجب مع حرص، وقيل: البخيل من يبخل على عياله دون نفسه، والشحيح من يبخل على نفسه وعياله وقيل غير ذلك، (**فهذا يبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه عداوة ولا رابطة، وهذا ليس له سبب ظاهر إلا خبث في النفس ورذالة في الطبع عليه وقعت الجبلة**) والفطرة الأصلية (**ومعالجته شديدة لأن الحسد الثابت بسائر الأسباب أسبابه عارضة يتصوّر زوالها**

فتعسر إزالته إذ يستحيل في العادة إزالته، فهذه هي أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد بذلك ويقوى قوّة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة، بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة، وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها.

بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران والأخوة وبني العم والأقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه:

اعلم أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها، وإنما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الأسباب فيهم وتتظاهر، إذ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه قد يمتنع عن قبول التكبر، ولأنه يتكبر، ولأنه عدوّ ولغير ذلك من الأسباب. وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الأغراض، فإذا خالف واحد منهم صاحبه في غرض من الأغراض نفر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه، فعند ذلك يريد أن يستحقره ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه وتترادف

فيطمع في ازالتها) بالمعالجات، (**وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فتعسر إزالته** إذ **يستحيل في العادة ازالته، فهذه هي أسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الأسباب أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد فيعظم فيه الحسد لذلك، ويقوى قوة لا يقوى معها على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة**) لقوّة تلك الأسباب: (**تظهر العداوة بالمكاشفة**) أي المجاهرة، (**وأكثر المحاسدات**) التي بين الناس (**تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب وقلما يتجرد سبب واحد منها**) لأن بعضها يجر بعضاً.

بيان السبب في كثرة الحسد بين الأمثال والأقران:

(**والاخوة وبني العم والأقارب وتأكده وقلته في غيرهم وضعفه**).

(**اعلم**) وفقك الله (**أن الحسد إنما يكثر بين قوم تكثر بينهم الأسباب التي ذكرناها، وإنما يقوى بين قوم تجتمع جملة من هذه الأسباب فيهم وتتظاهر**) أي تتقاوى (**إذْ الشخص الواحد يجوز أن يحسد لأنه يمتنع من قبول التكبر ولأنه يتكبر ولأنه عدوّ ولغير ذلك من الأسباب**) المذكورة. (**وهذه الأسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الأغراض، فإذا خالف واحد صاحبه في غرض من الأغراض نفر طبعه وأبغضه**) بقلبه (**وثبت الحقد فيه**) أي رسخ في باطنه، (**فعند ذلك يريد أن يستحقره**) ويستذله (**ويتكبر عليه ويكافئه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من**

جملة من هذه الأسباب إذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متنائيتين، فلا يكون بينهما محاسدة، وكذلك في محلتين. نعم إذا تجاورا في مسكن أو سوق أو مدرسة أو مسجد تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور بقية أسباب الحسد، ولذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد، والعابد يحسد العابد دون العالم، والتاجر يحسد التاجر بل الإسكاف يحسد الإسكاف ولا يحسد البزاز إلا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة، ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب، والمرأة تحسد ضرتها وسرية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته، لأن مقصد البزاز غير مقصد الإسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد إذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها إلا بكثرة الزبون، وإنما ينازعه فيه بزاز آخر إذ حريف البزاز لا يطلبه الإسكاف بل البزاز. ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق فلا جرم يكون حسده للجار أكثر. وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة، ولا يزاحمه العالم

النعمة التي توصله إلى اغراضه، وتترادف جلة الأسباب إذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متقابلتين فلا تكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين) في بلدة واحدة. **(نعم إذا تجاورا في مسكن)** بأن كانا في محلة واحدة **(أو سوق أو مسجد أو مدرسة أو رباط تواردا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهما، فيثور من التناقض التنافر)** في الطباع **(والتباغض، ومنه تثور بقية أسباب الحسد)** إذ هو أساس تلك الأسباب، **(فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد، والعابد يحسد العابد دون العالم، والتاجر يحسد التاجر، بل الإسكاف)** وهو الخراز **(يحسد الإسكاف ولا يحسد البزاز)** الذي يبيع القماش من البز **(إلا لسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة)** أي الصنعة، **(ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب)** أي الأباعد، **(والمرأة تحسد ضرتها)** أي زوجة بعلها **(وسرية زوجها)** أي جاريته **(أكثر مما تحسد أم الزوج)** أي حماتها **(وابنته)** وأخته، **(لأن مقصد البزاز غير مقصد الإسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد إذ مقصد البزاز الثروة)** أي وفرة المال **(ولا يحصلها إلا بكثرة الزبون)** وهو المشتري لأنه يربن غيره أي يدفعه عن أخذ المبيع وهي مولدة ليس من كلام أهل البادية، **(وإنما ينازعه فيها بزاز آخر إذ حريف البزاز)** أي معامله والجمع حرفاء كشريف وشرفاء **(لا يطلبه الإسكاف بل البزاز، ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرف السوق، فلا جرم يكون حسده للمجاور أكثر)** لقربه منه، **(وكذلك الشجاع)** وهو الجريء في الحروب **(يحسد الشجاع مثله ولا يحسد العالم)** لاختلاف المقاصد، **(لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها)** بين الناس **(وينفرد بهذه الخصلة)** وهي الشجاعة **(ولا**

يزاحمه العالم على هذا الغرض، وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع، ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقيه والطبيب، لأن التزاحم بينهما على مقصود واحد أخص، فأصل هذه المحاسدات العداوة، وأصل العداوة التزاحم بينهما على غرض واحد، والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين، فلذلك يكثر الحسد بينهما. نعم من اشتد حرصه على الجاه وأحب الصيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فإنه يحسد كل من هو في العالم وإن بعد ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها، ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا، فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين. أما الآخرة فلا ضيق فيها، وإنما مثال الآخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت سمواته وأرضه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضاً، لأن المعرفة لا تضيق على العارفين، بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس وثمرة الإفادة والاستفادة، فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لأن مقصدهم معرفة الله تعالى وهي بحر واسع لا ضيق

يزاحمه العالم على هذا الغرض، وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع) لما ذكرنا لاختلاف المقاصد، **(ثم حسد الواعظ)** على الكرسي **(على الواعظ أكثر من حسده الفقيه والطبيب لأن التزاحم بينهما)** أي بين الواعظين **(على مقصود واحد)** هو **(أخص فأصل هذه المحاسدات العداوة)** والبغضاء، **(وأصل العداوة)** والبغضاء **(التزاحم على غرض واحد، والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين، فلذلك يكثر الحسد بينهم)** أي بين المتناسبين، **(نعم من اشتد حرصه على الجاه)** أي على حصوله عند عامة الناس **(وأحب الصيت)** أي رفع الذكر **(في جميع أطراف العالم بما هو فيه، فإنه يحسد كل من هو في العالم وإن بعد عنه ممن يساهمه)** أي يشاركه **(في الخصلة التي يتفاخر بها، ومنشأ جميع ذلك حب الدنيا)** وحبها رأس كل خطيئة كما ورد، **(فإن الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين. أما الآخرة فلا ضيق فيها، وإنما مثال الآخرة نعمة العلم النافع، فلا جرم من يحب معرفة الله ومعرفة صفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت أرضه وسمائه فلا يحسد غيره)** وفي نسخة لم يحسد غيره **(إذا عرف ذلك أيضاً لأن المعرفة لا تضيق على العارفين باختلاف طبقاتهم في المعرفة، بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذبه ولا تنقص لذة واحد بسبب غيره)** لعدم التلازم، **(بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الأنس)** في المعرفة **(وثمرة الإفادة للغير والإستفادة من الغير، فلذلك لا يكون بين علماء الدين)** الذين هم في صدر علوم الآخرة **(محاسدة)** أصلاً **(لأن مقصدهم)** من اشتغالهم بالعلم تحصيل **(معرفة الله)** تعالى من طريق الصفات، **(وهو بحر واسع لا ضيق فيه)** ولا تزاحم عليه، وأما قولهم: المورد

فيه وغرضهم المنزلة عند الله تعالى ، ولا ضيق أيضاً فيما عند الله تعالى لأن أجل ما عند الله سبحانه من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الأنس بكثرتهم. نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا لأن المال أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر ، ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سبباً للمحاسدة ، وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك أن يمتلىء قلب غيره بها وأن يفرح بذلك ، والفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الأخرى ، والعلم في قلب العالم مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل من قلبه ، والمال أجسام وأعيان ولها نهاية. فلو ملك إنسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصوّر استيعابه ، فمن عوّد نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك ألذ عنده من كل نعيم ، ولم يكن ممنوعاً منه ولا مزاحماً فيه ، فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق لأن غيره

العذب كثير الزحام فالمراد به كثرة الواردين عليه من غير تزاحم فيه ، فإن المورد العذب من حيث هو عذب يرد عليه القاصي والداني ولا يزاحم أحد صاحبه لسعته. هذا إن كان المراد به معرفة الله سبحانه وإلا فالموارد العذبة سواها شأنها أن يتزاحم عليها **(وغرضهم المنزلة عند الله)** والحظوة لديه ، **(ولا ضيق أيضاً فيما عند الله لأن أجل ما عند الله من النعيم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ولا مزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض)** كما ورد في الخبر : « هل تضامون في رؤية القمر في ليلة البدر » الحديث. **(بل يزيد الأنس بكثرتهم. نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا)** لا محالة ، **(لأن المال هو أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخر)** فهذا سبب التحاسد ، **(ومعنى الجاه ملك القلوب، ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر)** مطلقاً **(أو نقص منه لا محالة فيكون ذلك سبباً للمحاسدة)** ثم ينجر إلى المنافرة ، **(وإذا امتلأ قلب بالفرح بمعرفة الله لم يمنع ذلك أن يمتلى قلب غيره بها وأن يفرح به ، فالفرق بين العلم والمال أن المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الآخرى، والعلم في قلب العالم مستقر)** لا يحول ولا يزول ، **(ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير أن يرتحل عن قلبه، وأن المال أجسام وأعيان ولها نهاية)** ينتهي إليها ، **(فلو ملك الإنسان جميع ما في الأرض لم يبق بعده مال يتملكه غيره والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه)** على وجه الإحاطة والكمال ، **(فمن عوّد نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك عنده ألذ من كل نعيم)** أخرجه أبو نعيم في الحلية عن مالك ابن دينار قال : خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها. قالوا : وما هي يا أبا يحيى؟ قال : معرفة الله عز وجل ، **(ولم يكن ممنوعاً عنه ولا مزاحماً فيه فلا يكون في قلبه حسد**

أيضاً لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته، فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة، فإن نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها وهو أبداً يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذٍ بفاكهة علمه وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية، فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبداً ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة، فإن فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ اخواناً على سرر متقابلين﴾ [الحجر: ٤٧] فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا فماذا يظن بهم عند انكشاف الغطاء ومشاهدة المحبوب في العقبى؟ فإذاً لا يتصوّر أن يكون في الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة، ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضاً، فأهل الجنة بالضرورة براء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعاً، بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة عليين إلى مضيق سجين، ولذلك وسم به الشيطان اللعين، وذكر من صفاته أنه حسد آدم عليه السلام على

لأحد من الخلق، لأن غيره أيضاً لو عرف مثل معرفته لم ينقص من لذته، بل زادت لذته بمؤانسته، فتكون لذة هؤلاء في مطالعة عجائب الملكوت على الدوام أعظم من لذة من ينظر إلى أشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة، فإن نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته يأمن زوالها وهو أبداً يجني ثمارها) ويقطف أنوارها، **(فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه)** وثمرة معرفته وفهمه **(وهي فاكهة)** شهية **(غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية)** أي قريبة التناول سهلة المأخذ **(فهو وإن غمض العين الظاهرة فروحه أبداً ترتع في جنة عالية)** أي رفيعة المقدار **(ورياض زاهرة)** أي ذات زهر وثمار أو نيرة مضيئة، **(فإذا فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين)** بعضهم لبعض، **(بل كانوا كما قال فيهم رب العالمين)** جل وعز: **(﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلّ)** أي حقد وحسد **(إخواناً على سرر متقابلين﴾ فهذا حالهم وهم في)** عالم **(الدنيا فمن تظن بهم عند إنكشاف الغطاء)** ورفع الحجاب، **(ومشاهدة المحبوب في العقبى، فإذاً لا يتصور أن يكون في الجنة محاسدة، ولا أن يكون بين أهل الجنة في الدنيا محاسدة لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا محاسدة، ولا تنال)** أي الجنة **(إلا بمعرفة الله التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضاً، فأهل الجنة بالضرورة برآء من الحسد)** وغيره من أوصاف النقص **(في الدنيا والآخرة جميعاً بل الحسد من صفات المبعدين)** المطرودين **(عن سعة عليين إلى مضيق سجين)** والعليون: درجة من درجات الجنة، والسجين: طبقة من طبقات الجحيم. **(ولذلك وسم به الشيطان اللعين)** أي

ما خص به من الاجتباء، ولما دعي إلى السجود استكبر وأبى وتمرد وعصى. فقد عرفت أنه لا حسد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل، ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء ويتحاسدون على رؤية البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض، وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء، ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلاً. فعليك إن كنت بصيراً وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعمة لا زحمة فيها ولذة لا كدر لها، ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله عز وجل ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب ملكوت السموات والأرض. ولا ينال ذلك في الآخرة إلا بهذه المعرفة أيضاً. فإن كنت لا

علم به إذ هو أول من حسد، (**وذكر من صفاته أنه حسد آدم**) عليه السلام (**على ما خص من الاجتباء**) والاختصاص (**ولما دعي إلى السجود استكبروا أبى وتمرد وعصى**) وإنما حمله على ذلك وصف الحسد، (**فقد عرفت أنه لا حسد إلا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفاء بالكل، ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر إلى زينة السماء**) وما فيها من عجائب الصنع، (**ويتحاسدون على البساتين التي هي جزء يسير من جملة الأرض وكل الأرض لا وزن لها بالإضافة إلى السماء**) ، لأن عجائب ملكوت السماء أكثر من عجائب ملكوت الأرض، فلهذه النسبة لا وزن للأرض إذا قوبلت بالسماء. وقد ألف بعضهم في المفاخرة بينهما رسالة وإلا فالجزء اليسير منها وهي التي ضمت جسد النبي ﷺ توازن السموات كلها والعرش كما صرح به العلماء، (**ولكن السماء لسعة الأقطار وافية بجميع الأبصار فلم يكن فيها تزاحم ولا تحاسد أصلاً**) وقد يقال: إن سبب التحاسد على الجزء اليسير من الأرض كالبساتين مثلاً إنما هو لكونه مما تملكه اليد وهو مظنة التزاحم، وأما عجائب السماء فإنها ليست كذلك فلا مظنة للتزاحم فيها إلاّ لكونها واسعة الأقطار فتأمل ذلك (**فعليك**) أيها المتأمل المسترشد (**إن كنت بصيراً**) بعين قلبك (**وعلى نفسك مشفقاً أن تطلب نعيماً لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها ولا يوجد ذلك في الدنيا إلا في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله وعجائب ملكوت السماء والأرض**) فإن النظر فيها مما يقوي المعرفة بالله. (**ولا ينال ذلك في الآخرة أيضاً إلا بهذه المعرفة أيضاً**) أعلم أنه لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذات الله تعالى إلا بالحيرة والدهشة ونهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هي أنهم لا يعرفونه، وأنهم لا يمكنهم البتة معرفته، وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفاة الربوبية إلا الله تعالى، فإذا انكشف ذلك إنكشافاً برهانياً كما سنذكره فقد عرفوه أي بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته، وأما اتساع المعرفة فيكون في معرفة أسماء وصفاته والخلق متفاوتون فيها، فبقدر ما انكشف من معلومات الله وعجائب مقدوراته وبدائع آياته في الدنيا والآخرة والملك والملكوت تزداد معرفتهم بالله تعالى، وتقرب معرفتهم من معرفة الحقيقة وللمقربين من معاني الأسماء والصفات حظوظ ثلاثة.

تشتاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنها رأيك وضعفت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور إذ العنين لا يشتاق إلى لذة الوقاع، والصبي لا يشتاق إلى لذة الملك، فإن هذه لذات يختص بإدراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين، فكذلك لذة المعرفة يختص بإدراكها الرجال ﴿رجالٌ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ [النور: ٣٧] ولا يشتاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق بعد الذوق، ومن لم يذق لم يعرف، ومن لم

الأول: معرفة هذه على سبيل المكاشفة والمشاهدة حتى تتضح لهم حقائقها بالبرهان الذي لا يجوز فيه الخطأ وينكشف لهم اتصاف الله انكشافاً يجري في الوضوح، والبيان مجرى اليقين الحاصل للإنسان بصفاته الباطنة التي لا يدركها إلا بمشاهدة باطنة لا بإحساس ظاهرة.

الثاني: استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث منه شوقهم إلى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ليقربوا بها من الحق قرباً بالصفة لا بالمكان، فيأخذوا من الاتصاف بها شبهاً من الملائكة المقربين عند الله تعالى.

الثالث: السعي في اكتساب المحكي من تلك الصفات والتحلي بمحاسنها، وبه يصير العبد ربانياً ورفيقاً للملأ الأعلى من الملائكة، فإنهم على بساط القرب، فمن قرب إلى شبه من صفاتهم نال شيئاً من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة له من الحق، فمن كملت له هذه الحظوظ الثلاثة فهو الذي نال نعيماً لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها، فأما من كان حظه من معاني ما يتعلق بالله تعالى بأن يسمع لفظاً ويفهم تفسيره في اللغة ووضعه ويعتقد بالقلب وجود معناه لله تعالى فهو منجوس الحظ نازل الدرجة وهو نقص ظاهر بالإضافة إلى ذروة الكمال.

(فإن كنت لا تشتاق إلى معرفة الله ولا تجد لذتها وفتر عنها رأيك وضعفت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور) فلن يتصور أن يمتلىء القلب بالمعرفة إلا ويتبعها شوق وعشق للصفة التي كانت باباً لتلك المعرفة وحرص على التحلي بها لو كان ذلك ممكناً إلها وإلاَّ فينبعث الشوق إلى القدر الممكن منها لا محالة ولا يخلو عن الشوق أصلاً إلا لأحد أمرين: إما لضعف اليقين بكون الوصف المعلوم من أوصاف الجلال والكمال، وإما لكون القلب ممتلئاً بشوق آخر مستغرقاً به. **(فالعنين)** الذي لا شهوة له **(لا يشتاق إلى شهوة الوقاع، والصبي)** الذي لم يكمل تمييزه **(لا يشتاق إلى لذة الملك، فإن هذه لذات يختص بإدراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين)** المتشبهين بالنساء، **(وكذلك لذة المعرفة يختص بمعرفتها الرجال)** المقربون للحضرة الإلهية فلهم فيها حظ وافر. **(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)** فهي عندهم في مرتبة التحقيق والانكشاف وعند غيرهم على الإيهام والتشبيه والمشاركة في الإسم كما يقال للعنين: الوقاع لذيذ كالسكر فهو يصدقه، ولكن تلك اللذة لا تشبه هذه البتة ولكن تشاركها في الإسم، **(ولا يشتاق إلى هذه اللذة غيرهم لأن الشوق)** يكون **(بعد الذوق)** فمن ذاق اشتاق، **(ومن لم يذق لم يعرف)** وإليه أشار بعض العارفين بقوله:

يعرف لم يشتق، ومن لم يشتق لم يطلب، ومن لم يطلب لم يدرك، ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين، ﴿ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين﴾ [الزخرف: ٣٦].

بيان الدواء الذي به ينفى مرض الحسد عن القلب:

اعلم أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تداوى أمراض القلوب إلا بالعلم والعمل، والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقاً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين، وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين، بل ينتفع به فيهما. ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدوّ نفسك وصديق عدوّك فارقت الحسد لا محالة. أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى، وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده، وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته، وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الإيمان، وناهيك بهما جناية على الدين.

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن داره غدا بالروح يشريه

(**ومن لم يعرف لم يشتق**) لفقدان الذوق الذي هو أصل الشوق وإليه أشار القائل:

ولو يذوق عاذلي صبابتي صبا معي لكنه ما ذاقا

(**ومن لم يشتق لم يطلب**) لأن طلب الشيء لا يكون إلا بعد الاشتياق إليه، كما أن الاشتياق لا يتم إلا بالذوق والذوق سبيل المعرفة، (**ومن لم يطلب لم يدرك**) المطلوب (**ومن لم يدرك بقي مع المحرومين الأشقياء المطرودين في أسفل السافلين**) وإليه الإشارة بقوله تعالى: (**﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين﴾**).

بيان الدواء الذي به ينفى مرض الحسد عن القلب:

(**اعلم**) أرشدك الله تعالى (**أن الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب**) أي هو مرض باطني غاية ضرره يتعلق بالقلب، (**ولا تداوى أمراض القلب إلا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف تحقيقاً أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين، وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين، بل ينتفع به في الدنيا والدين، ومهما عرفت هذا عن بصيرة**) ومعرفة كشفية (**ولم تكن عدوّ نفسك وصديق عدوّك فارقت الحسد لا محالة. أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى**) الذي قضاه على عباده، (**وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وأبيت عدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته**) أي استقبحته. (**وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الإيمان، وناهيك بها جناية على الدين**) قال صاحب المجمل: ناهيك كلمة تعجب

وقد انضاف إلى ذلك أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى، وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم . وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب، وتمحوها كما يمحو الليل النهار . وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا فهو أنك تتألم بجسدك في الدنيا أو تتعذب به، ولا تزال في كمد وغم إذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه الأعداء لك وتشتهيه لأعدائك، فقد كنت تريد المحنة لعدوّك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقداً، ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بجسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع، فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة؟ فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر

واستعظام كما يقال حسبك وتأويلها أنه غاية تنهاك عن طلب غيره، (**وقد انضاف إليه أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصحيته**) التي أوجبها الله عليك، (**وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا**) والمصائب والمحن وزوال النعم. (**وهذه خبائث في القلوب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب**) كما رواه ابن ماجه من حديث أنس وتقدم (**وتمحوها**) أي تنسخها وتزيلها (**كما يمحو الليل النهار . وأما كونه ضرراً في الدنيا عليك فهو أنك تتألم بجسدك في الدنيا وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم**) وحزن (**إذ أعداؤك**) الذين تحسدهم (**لا يخليهم الله عز وجل عن نعم يفيضها عليهم**) ظاهرة وباطنة، فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم لكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً) مكموداً (**محروماً متشعب القلب**) أي متفرقة، (**ضيق الصدر كما تشتهيه لأعدائك وكما تشتهي اعداؤك لك**) أن تكون كذلك، (**فقد كنت تريد المحنة**) والبلية (**لعدوّك فنجزت**) أي حصلت ناجزة (**في الحال محنتك وغمك نقداً، ولا تزول النعمة عن المحسود بجسدك**) إذ ليس ذلك بيدك، (**ولو لم تكن تؤمن بالبعث**) والنشور (**والحساب**) والجزاء (**لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد**) أي من الاتصاف به(**لما فيه من ألم القلب**) الذي لا ينفك عنه (**ومساءته**) وانقباضه (**مع عدم النفع**) فيه (**فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة**) والوعيد والتهديد، (**فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله**) وغضبه ومقته (**من غير نفع يناله**) في آجله أو عاجله (**مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه**) طول حياته، (**فيهلك بذلك دينه**

يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة؟ وأما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بدّ أن يدوم إلى أجل معلوم قدره الله سبحانه فلا حيلة في دفعه، بل كل شيء عنده بمقدار، ولكل أجل كتاب. ولذلك شكا نبي من الأنبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فأوحى الله إليه: فر من قدامها حتى تنقضي أيامها أي ما قدرناه في الأزل لا سبيل إلى تغييره فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام إقبالها فيها. ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه إثم في الآخرة، ولعلك تقول: ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي، وهذا غاية الجهل فإنه بلاء تشتهيه أوّلاً لنفسك فإنك أيضاً لا تخلو عن عدوّ يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على أحد من الخلق، ولا نعمة الإيمان أيضاً لأن الكفار يحسدون المؤمنين على الإيمان. قال الله تعالى: ﴿ودّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عِنْدِ أنفسهم﴾ [البقرة: ١٠٩] إذ ما يريده الحسود لا يكون. نعم هو يضل بإرادته الضلال لغيره، فإن إرادة الكفر كفر. فمن

ودنياه من غير جدوى ولا فائدة) تعود إليه منه. **(وإما أنه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح أن النعمة لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله من إقبال)** وحظ **(ونعمة)** ومسرة **(فلا بدّ وأن يدوم)** ويستمر **(إلى أجل)** معلوم **(قدره الله فلا حيلة إلى دفعه)** ومما نعته، **(بل كل شيء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب)** قد أحصاه وضبطه فلا يتقدم ولا يتأخر، **(ولذلك شكا نبي من الأنبياء)** من بني إسرائيل **(من إمرأة ظالمة)** سليطة اللسان **(مستولية على الخلق، فأوحى الله تعالى إليه فر من قدامها حتى تنقضي أيامها ما قدرناه في الأزل لا سبيل إلى تغييره)** وتبديله، **(فاصبر حتى تنقضي المدة التي سبق القضاء بدوام إقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الآخرة، ولعلك تقول: ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي)** عليه **(وهذا غاية الجهل)** ونهاية الحماقة، **(فإنه بلاء تشتهيه أولاً لنفسك فإنك لا تخلو أيضاً عن عدو يحسدك، فلو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق لله عليك نعمة ولا على الخلق)** إذ ما من أحد إلا وهو محسود **(ولا نعمة الإيمان أيضاً)** وهو من أكبر النعم، **(لأن الكفار يحسدون المؤمنين على)** نعمة **(الإيمان)** وغالب بعضهم أباها لذلك. **(قال تعالى: ﴿ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم﴾ [آل عمران: ٦٩] وقال تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم﴾ (إذ ما يريده الحسود لا يكون)** ولا يتم ولا يكون إلا ما يريده المولى عز شأنه. **(نعم هو يضل)** أي

اشتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكأنما يريد أن يسلب نعمة الإيمان بحسد الكفار، وكذا سائر النعم. وإن اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة، فإن كل واحد من حمقى الحساد أيضاً يشتهي أن يخص بهذه الخاصية، ولست بأولى من غيرك. فنعمة الله تعالى عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك شكرها وأنت بجهلك تكرهها.

وأما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح. أما منفعته في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لا سيما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساوئه، فهذه بمنزلة هدايا تهديها إليه، أعني أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلساً محروماً عن النعمة، كما حرمت في الدنيا عن النعمة فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل، نعم كان الله عليه نعمة إذ وفقك للحسنات فنقلتها إليه فأضفت إليه نعمة إلى نعمة، وأضفت إلى نفسك شقاوة إلى شقاوة.

وأما منفعته في الدنيا فهو أن أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب أشد مما أنت فيه من ألم الحسد، وغاية أماني أعدائك أن

الحسود يقوم به وصف الضلال (**بإرادته الضلال لغيره، فإن إرادة الكفر كفر**) فمن نوى أنه سيكفر غداً مثلاً كفر في الحال، (**فمن اشتهى أن تزول النعمة عن المحسود بالحسد، فكأنه يريد أن يسلب نعمة الإيمان بحسد الكفار**) فإنهم بنص الآية يريدون ذلك، (**وكذا سائر النعَم**) مما دقّ وجلّ، (**وإن اشتهيت أن تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد غيرك، فهذا غاية الجهل والغباوة**) وسوء الفهم، (**فإن كل واحد من حمقاء الحساد أيضاً يشتهي أن يخص بهذه الخاصية ولست بأولى من غيرك فنعمة الله عليك في أن لم تزل النعمة بالحسد مما يجب شكرها وأنت بجهلك تكرهها**).

(**وأما أن المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح، أما منفعته في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لا سيما إذا أخرجك الحسد إلى القول باللسان والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساوئه**) وعيوبه بين الناس، (**فهو بمنزلة هدايا تهديها إليه** أعني **أنك بذلك تهدي إليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيامة مفلساً محروماً عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة، فكأنك أردت زوال النعمة عنه فلم تزل**) عنه. (**نعم كان لله عليه نعمة إذ وفقك للحسنات فنقلتها إليه، فأضفت إليه نعمة إلى نعمة، وأضفت لنفسك شقاوة إلى شقاوة.**

(**وأما منفعته في الدنيا فهو أن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمهم**) ونكدهم (**وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين، ولا عذاب أعظم مما أنت فيه من ألم الحسد، وغاية**

يكونوا في نعمة وأن تكون في غم وحسرة بسببهم، وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم. ولذلك لا يشتهي عدوّك موتك بل يشتهي أن تطول حياتك، ولكن في عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة الله عليه فينقطع قلبك حسداً، ولذلك قيل:

لا مات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمدُ
لا زلت محسوداً على نعمة فإنما الكامل من يحسدُ

ففرح عدوّك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمته، ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده فما أنت فيما تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهيه عدوّك، فإذاً إذا تأملت هذا عرفت أنك عدوّ نفسك وصديق عدوك إذا تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والآخرة. وصرت مذموماً عند الخالق والخلائق شقياً في الحال والمآل، ونعمة المحسود دائمة شئت أم أبيت باقية، ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوّك حتى وصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك، لأنه لما رآك محروماً من نعمة العلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوّك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة،

أماني اعدائك) أي نهاية ما يتمنونه **(أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غم)** وحسرة **(بسببهم، وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم)** ومتمناهم. **(ولذلك لا يشتهي عدوّك موتك، بل يشتهي أن تطول حياتك، ولكن في عذاب الحسد لتنظر إلى نعمة الله)** عليه **(ولينقطع قلبك حسداً ولذلك قيل:**

(لا مات اعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذي يكمد)

أي يورث فيهم الكمد والحزن.

لا زلت محسوداً على نعمة فإنما الكامل من يحسد

ففرح عدوّك بغمك وحسدك أعظم من فرحه بنعمتَه، ولو علم خلاصك من ألم الحسد وعذابه لكان ذلك أعظم مصيبة وبلية عنده، فما أنت فيما تلازمه من غم الحسد إلا كما يشتهيه عدوّك، فإذاً إذا تأملت هذا عرفت أنك عدوّ نفسك وصديق عدوّك إذا تعاطيت ما تضررت به في الدنيا والآخرة، وانتفع به عدوّك في الدنيا والآخرة، وصرت مذموماً عند الخلق شقياً في الحال والمآل ونعمة المحسود دائمة) تتوالى عليه **(شئت أم أبيت)** ليس بيدك شيء، **(ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوّك حتى توصلت إلى إدخال أعظم سرور على إبليس الذي هو أعدى أعدائك)** أي أكبر اعدائك **(لأنه لما رآك محروماً عن نعمة اعلم والورع والجاه والمال الذي اختص به عدوّك عنك خاف أن تحب ذلك له فتشاركه في الثواب بسبب المحبة)** له، **(لأن**

لأن من أحب الخير للمسلمين كان شريكاً في الخير، ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك، فخاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فبغضه إليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك.

وقد قال إعرابي للنبي ﷺ: يا رسول الله الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم. فقال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب» وقام إعرابي إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ فقال: «ما اعددت لها»؟ قال: ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا إني أحب الله ورسوله، فقال ﷺ: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ. إشارة إلى أن أكبر بغيتهم كانت حب الله ورسوله. قال أنس: فنحن نحب رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو

من أحب الخير للمسلمين كان شريكاً في الخير) ويشهد له ما رواه الخطيب من حديث جابر «من أحب قوماً على أعمالهم حشر يوم القيامة في زمرتهم فحوسب بحسابهم وإن لم يعمل باعمالهم». **(ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدين)** من عباد الله الصالحين **(لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك فخاف إبليس أن تحب ما أنعم الله به على عبده من صلاح دينه ودنياه فتفوز بثواب الحب فيبغضه إليك حتى لا تلحقه بحبك)** له **(كما لم تلحقه بعملك)**.

(وقد قال إعرابي) أي رجل من البادية **(للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولا يلحق بهم. فقال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب»)** أي في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا بالطاعة والأدب الشرعي، وفي الآخرة بالعافية والقرب المشهدي، فمن لم يتحقق بهذا وادعى المحبة فدعواه كاذبة. قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن مسعود اهـ.

قلت: ولكن لفظه عندهما المرء مع من أحب. قال العلائي: والحديث مشهور أو متواتر لكثرة طرقه. **(وقام إعرابي إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب فقال: متى الساعة؟ فقال: «ما أعددت لها»؟ قال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله، فقال ﷺ: «أنت مع من أحببت»)** أي في زمرتهم وإن لم تعمل بعملهم **(قال أنس)** رضي الله عنه: **(فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ إشارة إلى أن أكبر بغيتهم كان حب الله ورسوله. قال أنس)** رضي الله عنه **(فنحن نحب رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم، ونرجو أن نكون معهم)** أي في زمرتهم. قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس.

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي، وعند بعضهم قال أنس: فما فرح

أن نكون معهم. وقال أبو موسى: قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوّام ولا يصوم، حتى عدَّ أشياء. فقال النبي ﷺ: « هو مع من أحب »، وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالماً فكن عالماً، فإن لم تستطع أن تكون عالماً فكن متعلماً، فإن لم تستطع أن تكون متعلماً فأحبهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم، فقال: سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجاً.

فانظر الآن كيف حسدك إبليس ففوّت عليك ثواب الحب، ثم لم يقنع به حتى بغَّض إليك أخاك وحملك على الكراهة حتى أثمت، وكيف لا وعساك تحاسد رجلاً من أهل

المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث. ورواه الدارقطني في السنن بزيادة « وله ما اكتسب » وذكر سببه أن اعرابياً جاء فبال في المسجد ،فأمر رسول الله ﷺ بمكانه فاحتفر فصب عليه دلو فقال الإعرابي: يا رسول الله المرء يحب القوم ولا يعمل عملهم فذكره.

(وقال أبو موسى) الأشعري رضي الله عنه: **(قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي، ويحب الصوم ولا يصوم حتى عد أشياء، فقال النبي ﷺ: « هو مع من أحب »)** قال العراقي: متفق عليه بلفظ آخر مختصر « الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم » قال « المرء مع من أحب » انتهى.

قلت: ووجد بخط الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى. وأما هذا اللفظ عن عتبة بن عمر مرسلاً.

(وقال رجل لعمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى: **(إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالماً فكن عالماً، فإن لم تستطع أن تكون عالماً فكن متعلماً، فإن لم تستطع أن تكون متعلماً فأحبهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم، فقال)** عمر بن عبد العزيز: **(سبحان الله لقد جعل الله لنا مخرجاً)** وقد أخرجه البزار في المسند، والطبراني في الأوسط من حديث أبي بكرة: أغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك. قال عطاء: قال لي مسعر: زدتنا خامسة لم تكن عندنا، والخامسة: أن تبغض العلم وأهله. وقال ابن عبد البر: هي معاداة العلماء وبغضهم ومن لم يحبهم فقد أبغضهم أو قارب وفيه الهلاك.

قال الولي العراقي في المجلس الثالث والأربعين بعدالخمسمائة من أماليه بعد ان رواه من طريق الطبراني عن محمد بن الحسين الأنماطي، عن عبيد بن جنادة الحلبي، عن عطاء بن مسلم، عن خالد الحذاء، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه فذكره. إن هذا الحديث ضعيف ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، وعطاء بن مسلم هو الخفاف وهو ضعيف وعن أبي داود ليس بشيء.

(فانظر الآن كيف حسدك إبليس ففوّت عليك ثواب الحب ثم لم يقنع به حتى بغض إليك أخاك وحملك على الكراهية حتى أثمت) أي وقعت في الإثم، **(وكيف لا)** يكون ذلك **(وعساك تحاسد رجلاً من أهل العلم وتحب)** فيه **(أن يخطىء)** يوماً في مسألة **(في دين الله**

العلم وتحب أن يخطىء في دين الله تعالى وينكشف خطؤه ليفتضح؟ وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم وأي إثم يزيد على ذلك؟ فليتك إذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الإثم وعذاب الآخرة وقد جاء في الحديث: «أهل الجنة ثلاثة: المحسن والمحب له والكاف عنه» أي من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة، فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تكون من أهل واحد منها البتة، فقد نفذ فيك حسد إبليس وما نفذ حسدك في عدوك بل على نفسك، بل لو كوشفت بحالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمي سهماً إلى عدوه ليصيب مقتله، فلا يصيبه بل يرجع إلى حدقته اليمنى فيقلعها، فيزيد غضبه فيعود ثانية فيرمي أشد من الأولى فيرجع إلى عينه الأخرى فيعميها، فيزداد غيظه فيعود ثالثة فيعود على رأسه فيشجه، وعدوّه سالم في كل حال وهو إليه راجع مرة بعد أخرى، وأعداؤه حوله يفرحون به ويضحكون عليه. وهذا حال الحسود

وينكشف خطؤه لينفضح) بين الناس، **(وتحب أن يخرس لسانه حتى لا يتكلم أو يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم، وأي إثم يزيد على ذلك)** إذا تأملت فيه، **(فليتك إذا فاتك اللحاق به ثم اغتممت بسببه سلمت من الإثم وعذاب الآخرة، وقد جاء في الحديث: أهل الجنة ثلاثة المحسن)** أي في عمله، **(والمحب له، والكاف عنه)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **(أي من يكف عنه الأذى والحسد والبغض والكراهة)** فلا يؤذيه بقول ولا فعل ولا يحسده على نعمة أوتيها ولا يبغضه ولا يكرهه. وروى الديلمي من طريق عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن علي بن موسى الرضا عن آبائه عن علي رفعه «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه» وقد سمعت هذا الحديث من لفظ الشريف الأجل عميد السادة ابن قناع محمد بن مقاعس بن أبي نمى الحسني رحمه الله تعالى بمصر.

(فانظر كيف أبعدك إبليس عن جميع المداخل الثلاثة حتى لا تدور بها ألبتة) وهو أن تعمل عملهم أو تحبهم أو تكف عنهم، **(فقد نفذ)** فيك **(حسد إبليس وما نفذ حسدك على عدوّك بل على نفسك)** خاصة، **(بل لو كوشفت بحالك في يقظة أو منام لرأيت نفسك أيها الحاسد في صورة من يرمي حجراً إلى عدوه ليصيب به مقتله)** أي الموضع الذي إذا أصابه ذلك الحجر قتله **(فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه)** ثانياً، **(فيعود ويرميه أشد من الأول)** فيرجع الحجر على عينه الأخرى **(فيعميها فيزداد غيظه، فيعود)** مرة **(ثالثة)** فيرمي الحجر **(فيعود على رأسه فيشجه)** ويدميه **(وعدوّه سالم في كل حال)** لم يصبه شيء، **(وهو إليه راجع مرة بعد أخرى، وأعداؤه حواليه يفرحون به**

وسخرية الشيطان منه، بل حالك في الحسد أقبح من هذا لأن الرمية العائدة لم تفوّت إلا العينين ولو بقيتا لفاتتا بالموت لا محالة. والحسد يعود بالإثم والإثم لا يفوت بالموت، ولعله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار، فلأن تذهب عينه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهيب النار. فانظر كيف انتقم الله من الحاسد إذا أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه ثم أزالها عن الحاسد، إذ السلامة من الإثم نعمة والسلامة من الغم والكمد نعمة وقد زالتا عنه تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ولا يحيقُ الْمَكْرُ السّيِّئُ إلاَّ بأهله﴾ [فاطر: ٤٣] وربما يبتلى بعين ما يشتهيه لعدوّه، وقلما يشمت شامت بمساءة إلا ويبتلى بمثلها، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: ما تمنيت لعثمان شيئاً إلا نزل بي، حتى لو تمنيت له القتل لقتلت. فهذا إثم الحسد نفسه فكيف ما يجرّ إليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق وإطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الأعداء؟ وهو الداء الذي فيه هلك الأمم السالفة.

فهذه هي الأدوية العلمية فمهما تفكر الإنسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر

ويضحكون عليه، وهذا حال الحسود وسخرية الشيطان منه، بل حالك في الحسد أقبح من هذا لأن الحجر العائد بعد الرمي لم يفوّت إلا العين، ولو بقيت لفاتت بالموت لا محالة، والحسد يعود بالاثم والإثم لا يفوت بالموت، ولعله يسوقه إلى غضب الله وإلى النار) إن لم يتب عنه (**فلأن تذهب عينه في الدنيا خير له من أن تبقى له عين يدخل بها النار فيذهبها لهب النار)** وفي نسخة فيقلعها لهيب النار.

(**فانظر كيف انتقم الله من الحاسد إذ أراد زوال النعمة عن المحسود فلم يزلها عنه، ثم أزال نعمة الحاسد إذ السلامة من الإثم نعمة من الله تعالى، و)** كذا (**السلامة من الغم والكمد نعمة)** من الله تعالى، (**وقد زالتا عنه تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ وربما يبتلى)** الحاسد (**بعين ما يشتهيه لعدوّه وقلما يشمت شامت لمساءة إلا ويبتلي بمثلها)** ففي الخبر: « لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك » وتقدم قريباً. (**قالت عائشة رضي الله عنها: ما تمنيت لعثمان رضي الله عنه شيئاً إلا نزل بي حتى لو تمنيت له القتل لقتلت)**، وكان سبب كلامها فيه لكثرة ما كان يبلغها من الشكاية في حقه من قبل جور عماله وابقائهم على أعمالهم، فكانت كغيرها من الصحابة يغضبون بذلك منه. (**فهذا إثم الحسد نفسه، فكيف بما يجر إليه الحسد من الاختلاف** وجحود **الحق وإطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعداء)** والانتصار منهم؟ (**وهو الداء الذي به هلك الأمم السالفة)**.

(**فهذه هي الأدوية العلمية فمهما تفكر الإنسان فيها بذهن صاف)** عن كدر الغش

انطفأت نار الحسد من قلبه، وعلم أنه مهلك نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه.

وأما العمل النافع فيه فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل فينبغي أن يكلف نفسه نقيضه، فإن بعثه الحسد على القدح في محسوده كلف لسانه المدح له والثناء عليه، وإن حمله على التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه، وإن بعثه على كف الإنعام عليه ألزم نفسه الزيادة في الإنعام عليه، فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه، ومهما ظهر حبه عاد الحاسد فأحبه، وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد، لأن التواضع والثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالإحسان، ثم ذلك الإحسان يعود إلى الأوّل فيطيب قلبه ويصير ما تكلفه أولاً : طبعاً آخراً ولا يصدّنه عن ذلك قول الشيطان له: لو تواضعت وأثنيت عليه حملك العدو على العجز أو على النفاق أو الخوف وأن ذلك مذلة ومهانة، وذلك من خدع الشيطان ومكائده بل المجاملة تكلفاً كانت أو طبعاً تكسر سورة العداوة من الجانبين وتفل غربها وتعود القلوب

(وقلب حاضر إنطفأ من قلبه نار الحسد) في الحال، **(وعلم أنه مهلك نفسه ومفرج عدّوه ومسخط ربه ومنغص عيشه)** ومشتّت حاله وقد تقدم بيان ذلك.

(وأما العمل النافع فيه؛ فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول وفعل، فينبغي أن يكلف نفسه نقيضه وضده، فإن بعثه الحسد على القدح فيه كلف نفسه المدح له والثناء عليه) فالقدح والمدح نقيضان إذا حلّ أحدهما ارتحل الثاني، **(وإن حمله على التكبر عليه، ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه، وإن بعثه على كف الانعام عليه ألزم نفسه الزيادة في الانعام عليه، فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبه، ومهما ظهر حبه عاد الحاسد وأحبه وتولد من ذلك الموافقة التي تقطع مادة الحسد، لأن التواضع و)** حسن **(الثناء والمدح وإظهار السرور بالنعمة يستجلب قلب المنعم عليه ويسترقه ويستعطفه ويحمله على مقابلة ذلك بالإحسان، ثم ذلك الإحسان يعود إلى الأول فيطيب قلبه)** ويصفو ظاهره **(ويصير ما تكلفه أولاً)** في أي أول مرة **(طبعاًآخراً)** أي في آخر مرة **(ولا يصدنه)** أي يمنعه **(من ذلك قول الشيطان له)** فيما يوسوس إليه **(لو تواضعت وأثنيت عليه حمله العدوّ على)** العجز منك **(أو على النفاق والخوف، وأن ذلك مذلة ومهانة، فإن ذلك من خدع الشيطان ومكائده)** فإنما مقصود الشيطان أن تكون العداوة والبغضاء بين المسلمين على الأبد **(بل المجاملة)** على أي حال **(تكلفاً كانت أو طبعاً تكسر سورة العداوة)** أي شدتها وثورتها

التآلف والتحاب، وبذلك تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض.

فهذه هي أدوية الحسد وهي نافعة جداً إلا أنها مرّة على القلوب جداً ولكن النفع في الدواء المرّ. فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء؛ وإنما تهون مرارة هذا الدواء، أعني التواضع للأعداء والتقرب إليهم، بالمدح والثناء بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوّة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى وحب ما أحبه، وعزة النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها جهل، وعند ذلك يريد ما لا يكون، إذ لا مطمع في أن يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة، ولا طريق إلى الخلاص من هذا الذل إلا بأحد أمرين: إما بأن يكون ما تريد أو بأن تريد ما يكون، والأوّل ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه. وأما الثاني: فللمجاهدة فيه مدخل، وتحصيله بالرياضة ممكن، فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء الكلي.

فأما الدواء المفصل: فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وغيره وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني،وسيأتي تفصيل مداواة هذه الأسباب في مواضعها إن شاء الله

(**من الجانبين ويذل**) أي يكسر (**غربها**) أي حدتها (**وتعود القلوب**) أي يحركها (**إلى التآلف والتحاب**) والتوادد، (**وبه تستريح القلوب من ألم الحسد وغم التباغض**).

(**فهذه هي أدوية الحسد**) علماً وعملاً (**وهي نافعة جداً إلا انها مُرَّة جداً، ولكن النفع في الدواء المُر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء، وإنما تهون مرارة هذا الدواء. أعني التواضع للاعداء أو التقرب إليهم بالمدح والثناء**) أو ببذل الاحسان وغير ذلك (**بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها بأن يتحقق بها حتى تنكشف له إنكشافاً برهانياً وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله وقدره**) والتسليم لأوامره (**وحب ما أحبه وعزة النفس وترفعها عن أن يكون في العالم شيء على خلاف مرادها**) أي النفس (**جهل**) وغباوة، (**وعند ذلك يريد ما لا يكون**) مما تبذره القدرة (**إذ لا مطمع في أن يكون ما يريد، وفوات المراد ذل وخسة ولا طريق إلى الخلاص من هذا الذل إلا بأحد أمرين: إما بأن يكون ما تريد، أو بأن تريد ما يكون. والأوّل ليس إليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه أبداً**) ومن ذلك قولهم: الرب يريد والعبد يريد ولا يكون في الكون إلا ما يريد. (**وأما الثاني: فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل وان يمرن نفسه بجريانها تحت مجاري الأقدار ويكلفها بالرضا والتسليم حتى تكون إرادتها تابعة لإرادة الحق سبحانه**) وترضى بما يكون. (**هذا هو الدواء الكلي**) بطريق الإجمال.

(**فأما الدواء المفصل فهو تتبع أسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدة الحرص على ما لا يغني**) والتنافر والبغضاء وغير ذلك فيتأصلها من أصلها. (**وسيأتي تفصيل مداواة هذه**

تعالى ـ فإنها مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض إلا بقمع المادة، فإن لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه إلا تسكين وتطفئة، ولا يزال يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقاء مواد، فإنه ما دام محباً للجاه فلا بدّ وأن يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه، ويغمه ذلك لا محالة، وإنما غايته أن يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده، فأما الخلو عنه رأساً فلا يمكنه والله الموفق.

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب:

اعلم أن المؤذي ممقوت بالطبع، ومن آذاك فلا يمكنك أن لا تبغضه غالباً، فإذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله، بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة، ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له، ولكن إن قوي ذلك فيك حتى بعثك على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك الاختيارية فأنت حسود عاص بحسدك، وإن كففت ظاهرك بالكلية إلا انك بباطنك تحب زوال النعمة وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة

الأسباب في مواضعها) اللائقة من هذا الكتاب، **(فإنها)** أي تلك الأسباب **(مواد هذا المرض ولا ينقمع المرض إلا بقمع المادة)** التي منها نشأ ذلك المرض، **(فإن لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين)** في الجملة **(وتطفئة، ولا يزال)** المرض **(يعود مرة بعد أخرى ويطول الجهد في** تسكينه **مع بقاء مراده فإنه ما دام محباً للحياة فلا بدّ وان يحسد من استأثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة، وإنما غايته أن يهوّن الغم عن نفسه)** ويخفيه **(ولا يظهر بلسانه ويده، فاما الخلو عنه رأساً فلا يمكنه والله الموفق)**.

بيان القدر الواجب في نفي الحسد عن القلب:

(اعلم) هداك الله تعالى **(أن المؤذي ممقوت بالطبع)** أي يبغضه الناس طبعاً، **(ومن آذاك)** بوجه من الوجود في نفسك أو من عليه حياطتك، **(فلا يمكنك أن لا تبغضه غالباً فإذا تيسرت له نعمة)** من الله تعالى **(فلا يمكنك أن لا تكرهها له حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسوء حاله، بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة)** وتمييزاً، **(ولا يزال الشيطان ينازعك إلى الحسد له)** ويسوّل لك في تحسينه، **(ولكن إن قوي ذلك فيك حتى بعثك)** أي حملك **(على إظهار الحسد بقول أو فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بأفعالك الإختيارية، فأنت)** حينئذ **(حسود عاص بحسدك وإن كففت ظاهرك)** من القول والفعل **(بالكلية إلا أنك بباطنك تحب زوال النعمة)** على المحسود، **(وليس في نفسك كراهة لهذه الحالة فأنت**

فأنت أيضاً حسود عاص، لأن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل، قال الله تعالى: ﴿ولاَ يجِدُونَ في صُدُورهم حاجةً مما أوتوا﴾ [الحشر: ٩] وقال عز وجل: ﴿ودَّوا لو تَكفرُون كما كَفَرُوا فتكونون سواء﴾ [النساء: ٨٩] وقال: ﴿إن تمسَسْكُم حَسَنَةٌ تسؤْهُـم﴾ [آل عمران: ١٢٠] أما الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد، بل محل الحسد القلب دون الجوارح. نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى، وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح، فأما إذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع، فقد أديت الواجب عليك، ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا، فأما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه أو غمه بما تيسر لهما من نعمة أو تنصب عليهما من بلية سواء، فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتاً إلى حظوظ الدنيا، إلا أن يصير مستغرقاً بحب الله تعالى مثل السكران الواله، فقد ينتهي أمره إلى أن لا يلتفت

أيضاً) في هذه الحالة **(حسود عاص؛ فإن الحسد صفة القلب لا صفة الفعل. قال تعالى: ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ وقال)** تعالى: **(﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ وقال)** تعالى: **(إن تمسسكم حسنة تسؤهم﴾ الآية. فهذه الآيات دالة على أن ال حسد من صفات القلب.**

(أما الفعل: فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد بل محل الحسد القلب دون الجوارح) فالقلب مستقره والجوارح مظاهر آثاره. **(نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها)** كما قلنا في الغيبة، **(بل هي معصية بينك وبين الله تعالى، وإنما يجب الاستحلال من الأسباب الظاهرة على الجوارح)** كالغيبة والنميمة والشتم ونحوها، **(فأما إذا كففت ظاهرك وألزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال النعمة حتى كأنك مقت نفسك على ما في طبعها، فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من جهة الطبع، فقد أديت الواجب عليك)** وأتيت بالميسور منه، **(ولا يدخل تحت اختيارك في أغلب الأحوال أكثر من هذا، فأما تغيير الطبع ليستوي عنده المؤذي والمحسن ويكون فرحه أو غمه مما تيسر لهما من نعمة أو ينصب عليهما من بلية سواء، فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتاً إلى حظوظ الدنيا)** ومختلطاً بدواعيها **(إلا أن يكون مستغرقاً بحب الله تعالى)** مستهتراً بذكره **(مثل السكران الواله فقد ينتهي أمره**

قلبه إلى تفاصيل أحوال العباد، بل ينظر إلى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة، ويرى الكل عباد الله وأفعالهم أفعالاً لله، ويراهم مسخرين وذلك إن كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم، ثم يرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه ويعود العدو إلى منازعته ـ أعني الشيطان ـ فإنه ينازع بالوسوسة فمهما قابل ذلك بكراهته وألزم قلبه هذه الحالة فقد أدى ما كلفه. وقد ذهب ذاهبون إلى أنه لا يأثم إذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن الحسن أنه سئل عن الحسد فقال: غمه فإنه لا يضرك ما لم تبده، وروي عنه موقوفاً ومرفوعاً إلى النبي ﷺ انه قال: «ثلاثة لا يخلو منهن المؤمن وله منهن مخرج» فمخرجه من الحسد أن

إلى أن لا يلتفت قلبه إلى تفاصيل أحوالِ العباد، بل ينظر إلى الكل بعين واحدة وهي عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وأفعالهم أفعالاً ويراهم مسخرين) ولا يتم ذلك إلا بعد الترقي من حضيض المجاز إلى ارتفاع الحقيقة واستكمال المعراج فيرى ما ذكر بالمشاهدة العيانية وتنتفي عنه الكثرة بالكلية ويستغرق بالفردانية المحضة، فلا يبقى فيه متسع لغير الله تعالى، ثم في نظره إلى الكل بعين الرحمة تفصيل، فإن كان ممن يصرف الغافلين إلى الله تعالى بطريق اللطف وينظر إلى العصاة لا بعين الازدراء فهو في تجلي اسمه الرحمن، وإن كان ممن لا يدع فاقة لمحتاج إلا سدَّها بقدر طاقته أو شاركه في الحزن بسبب حاجته فهو في تجلي اسمه الرحيم، **(وذلك إن كان)** أي وجد **(فهو كالبرق الخاطف لا يدوم)** مع العارف ولا يستمر بل تارة وتارة **(ويرجع القلب بعد ذلك إلى طبعه)** الذي جبل عليه، **(ويعود العدو إلى منازعته أعني الشيطان فإنه ينازع بالوسوسة)** ويسوّل له ما يوافق هوى النفس، **(فمهما قابل ذلك بكراهته وألزم قلبه هذه الحالة فقد أدى ما كلفه)** فإن هذا القدر هو الذي يدخل تحت الاختيار، **(وقد ذهب ذاهبون إلى أن لا يأثم إذا لم يظهر الحسد عن جوارحه، كما روي عن الحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(أنه سئل عن الحسد فقال: غمه فإنه لا يضرك ما لم تبده)** تقدم قريباً بلفظ: سأل رجل الحسن هل يحسد المؤمن؟ قال: ما أنساه بني يعقوب. نعم ولكن غمه في صدرك وأنه لا يضرك ما لم تعد به يداً أو لساناً. **(وروي عنه موقوفاً)** عليه **(ومرفوعاً إلى رسول الله ﷺ انه قال «ثلاث لا يخلو منهن مؤمن وله منهن مخرج فمخرجه من الحسد ان لا يبغي»)**.

أما الموقوف وهو مرسل الحسن، فرواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد، ورستة في كتاب الإيمان له بلفظ: «ثلاث لم تسلم منها هذه الأمة الحسد والظن والطيرة ألا أنبئكم بالمخرج منها إذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ وإذا تطيرت فامض».

وأما المرفوع بلفظ «ثلاث لازمات لأمتي سوء الظن والحسد والطيرة فإذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فاستغفر الله وإذا تطيرت فامض» هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب التوبيخ، والطبراني في الكبير من حديث حارثة بن النعمان، وقد تقدم ذكر كل من اللفظين قريباً.

لا يبغي، والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو، وتلك الكراهة تمنعه من البغي والإيذاء، فإن جميع ما ورد من الأخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم، ثم الحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الأفعال. فكل من يحب إساءة مسلم فهو حاسد. فإذاً كونه آثماً بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد، والأظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار ومن حيث المعنى، إذ يبعد أن يعفى عن العبد في إرادته إساءة مسلم واشتماله بالقلب على ذلك من غير كراهة.

وقد عرفت من هذا أن لك في أعدائك ثلاثة أحوال.

أحدها: أن تحب مساءتهم بطبعك، وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الميل منك، وهذا معفو عنه قطعاً لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه.

الثاني: أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته إما بلسانك أو بجوارحك، فهذا هو الحسد المحظور قطعاً.

(**والأولى أن يحمل هذا على ما ذكرناه من أن يكون فيه كراهة من جهة الدين والعقل ومقابلة حب الطبع**) وميله (**لزوال نعمة العدوّ، وتلك الكراهة تمنعه من البغي**) عليه (**ومن الإيذاء له فإن جميع ما ورد من الاخبار في ذم الحسد**) مما تقدم ذكر بعضها (**يدل ظاهره على أن كل حاسد آثم**) على الاطلاق، (**والحسد عبارة عن صفة القلب لا من الأفعال**) الصادرة عن الجوارح، (**فكل محب مساءة المسلمين**) ومضرتهم (**فهو حاسد فإذاً كونه آثماً بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل الاجتهاد، والأظهر**) من القولين (**ما ذكرناه من حيث ظواهر الآيات والأخبار، ومن حيث المعنى إذ بعيد أن يعفي عن العبد في ارادته مساءة مسلم**) واشتماله بالقلب عليها من غير كراهة لها.

(**وقد عرفت من هذا أن لك من أعدائك ثلاثة أحوال**):

(**احداها: ان تحب مساءتهم بطبعك**) من حيث مجانسته بالنفس (**وتكره**) حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك (**وتمقت نفسك**) أي تبغضها (**عليه، وتودّ لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الميل عنك وهذا معفوّ عنه قطعاً**) أي من غير شك فيه، (**لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه**).

(**الثانية: أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته**) وغمه (**إما بلسانك**) بالقدح والشتم ونحوه، (**أو بجوارحك**) أي بفعلها، (**فهذا هو الحسد المحظور قطعاً**) أي من غير شك فيه.

الثالث: وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت لنفسك على حسدك، ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه، وهذا في محل الخلاف. والظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه. والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(الثالثة: وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك) ولا الكراهة له، **(ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاها)** من القول والعمل، **(وهذا محل الخلاف)** فمن ذاهب إلى أنه لا يأثم ومن ذاهب إلى انه يأثم، **(والظاهر أنه لا يخلـو من إثم بقدر قوة ذلك وضعفه)** فإذا كان حبه له قوياً كان الإثم كذلك، وإن كان ضعيفاً كان الإثم كذلك والله أعلم.

وبه تمَّ كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد أفضل المخلوقات وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، كان الفراغ منه في الأول من نهار الثلاثاء سادس عشر صفر الخير من شهور سنة مائتين وألف على يد مسوّده محمد مرتضى الحسيني غفر له بمنه وكرمه آمين، والحمد لله رب العالمين.

كتاب ذم الدنيا وهو الكتاب السادس
من ربع المهلكات من كتب
احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

الحمد لله الذي أصعد قوالب الأصفياء بالمجاهدات، وأسعد قلوب الأولياء بالمشاهدات، وخلص أشباح المتقين من ظلم الشهوات، وأخلص أرواح الموقنين عن ظلـم الشبهات، أحمده حمداً من رأى آيات قدرته الباهرة، وشاهد شواهد فردانيته القاهرة، فانكشفت له عجاب المقدورات، وأشكره شكر من اعترف بمجده وكماله، واغترف من بحر جوده وأفضاله، فخوطب بأسرار المنازلات، وأشهد أن لا إله إلا الله إلهاً واحداً ورباً قادراً فاطر الارضين والسموات، شهادة تؤذن باخلاص الضمائر والطويات، وتنير مطالع أنوارها غياهب الشكوك وسدف الدجنات، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، وحبيبه وخليله، المبعوث إلى كافة البريات بالآيات الباهرات، المنعوت باشرف الخلال الزاكيات، صلى الله عليه وعلى آله الائمة الهداة، وأصحابه الفضلاء الثقات، وعلى أتباعهم باحسان ما هبت في الأسحار النسمات وسلم كثيراً كثير.

(وبعد) : فهذا شرح.

كتاب ذم الدنيا

وهو السادس من الربع الثالث من كتاب الاحياء للإمام الرباني حجة الإسلام الغزالي أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، نفع الله باسرار علومه، وأفاض علينا من افاضات أنوار فهومه، حللت فيه عقدة ألفاظه الغريبة، ورفعت من جوه معانيها حجب الخفاء والريبة مع تتبع تخريج ما أورده فيه من الأخبار والآثار، وما نقل من أقوال الصالحين، ومن أحوال الأخيار على وجه غير مخل ولا ممل، أن لم يصبه وابل فطل، مستعيناً بالله في سائر الأمور، سائلاً منه الأمداد وشرح الصدور، فنعم المولى ونعم النصير، وهو على كل شيء قدير.

قال المصنف رحمه الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عرف أولياءه غوائل الدنيا وآفاتها . وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها وآياتها ، ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها ولا يسلم طلوعها من كسوفها ، ولكنها في صورة امرأة مليحة تستميل الناس بجمالها ، ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها ، ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة بإقبالها وإذا أقبلت لم يؤمن شرها ووبالها ، إن أحسنت ساعة أساءت سنة . وإن أساءت مرة جعلتها سنة ، فدوائر إقبالها على التقارب دائرة ، وتجارة بنيها خاسرة بائرة ، وآفاتها على التوالي لصدور طلابها راشقة ، ومجاري أحوالها بذل طالبيها ناطقة ،

بسم الله الرحمن الرحيم

(**الحمد لله الذي عرف أولياءه غوائل الدنيا**) أي دواهيها قاله الكسائي وقيل الغائلة الفساد والشر ، (**وآفاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها**) . أصل العورة السوأة سميت بها لقبح انكشافها والنظر إليها وكل شيء يستره الانسان أنفة وحياء فهو عورة ، (**حتى نظروا في شواهدها وآياتها**) الدالة عليها ، (**ووزنوا بحسناتها سيئاتها فعلموا أنه يزيد منكرها على معروفها**) المنكر ما أنكره العقل والشرع والمعروف ضده ، (**ولا يفي**) من الوفاء (**مرجوّها بخوفها**) أي مخوفها يزيد على مرجوّها (**ولا يسلم طلوعها من كسوفها**) أي من تغيرها وزوالها ، (**ولكنها في صورة امرأة مليحة**) الصورة (**تستميل الناس**) أي تصرفهم إليها (**بجمالها**) أي زينتها . أشار بذلك إلى ما ذكر صاحب القوت أنه قد كوشف بها بعض الأولياء في صورة امرأة ، ورأى أكف الخلق ممدودة إليها وهي تجعل في أيديهم شيئاً قال : وطائفة تمر عليها مكتوفي الأيدي لا ينظرون إليها فلا تعطيهم شيئاً ، (**ولها أسرار سوء قبائح تهلك الراغبين في وصالها**) أي مواصلتها ، (**ثم هي فرارة**) أي كثيرة الفرار والشرود (**عن طلابها**) جمع طالب (**شحيحة بإقبالها**) أي بخيلة به إن هي أقبلت على أحد منهم لم تعطه من اقبالها شيئاً ، (**وإذا أقبلت لم يؤمن شرها**) أي ضررها ونكايتها (**ووبالها**) أي وخمها وسوء عاقبتها (**إن أحسنت**) إلى أحد (**ساعة**) من الدهر (**أساءت سنة**) وهي عند العرب أربعة أزمنة ، (**وإن أساءت مرة**) واحدة (**جعلتها**) أي الاساءة (**سنّة**) متبعة لا تنثني عنها ، (**فدوائر اقبالها على التقارب دائرة**) أي تدور دوائرها بالهلاك متقاربة ، (**وتجارة بنيها**) أي أولادها (**خاسرة**) غير رابحة (**بائرة**) من البوار وهو الهلاك ، (**وآفاتها على التوالي**) أي على تعاقب الزمن (**بصدور طلابها راشقة**) كما ترشق السهام بالأغراض ، (**ومجاري أحوالها بذل طالبيها**

فكل مغرور بها إلى الذل مصيره. وكل متكبر بها إلى التحسر مسيرة. شأنها الهرب من طالبها والطلب لها ربها، ومن خدمها فاتته، ومن أعرض عنها واتته، لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات، سلامتها تعقب السقم، وشبابها يسوق إلى الهرم، ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم فهي خداعة مكارة، طيارة فرارة، لا تزال تتزين لطلابها حتى إذا صاروا من أحبابها، كشرت لهم عن أنيابها، وشوّشت عليهم مناظم أسبابها، وكشفت لهم عن مكنون عجابها، فأذاقتهم قواتل سمامها، ورشقتهم بصوائب سهامها، بينما أصحابها منها في سرور وإنعام إذ ولت عنهم كأنها أضغاث أحلام، ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في أكفانهم تحت الصعيد، إن ملكت واحداً منهم جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيداً كأن لم يغن بالأمس. تمني أصحابها سروراً وتعدهم غروراً حتى يأملون كثيراً ويبنون قصوراً.

ناطقة) أي مصرحة بلسان حالها. **(فكل متعزز بها إلى الذل مصيره)** أي مرجعه وعاقبته، **(وكل متكثر بها إلى التحسر)** أي التلهف **(مسيره شأنها الهرب من طالبها)** أي تفر ممن يطلبها **(والطلب لهاربها)** أي تطلب من هرب عنها وولاها بظهره **(من خدمها)** وفي نسخة من قصدها **(فاتته، ومن أعرض عنها واتته)** أي وافقته **(لا يخلو صفوها عن شوائب الكدورات)** والشوائب هي الأدناس والأقذار. واحدها شائبة قاله الجوهري. **(ولا ينفك سرورها عن المنغصات)** أي المكدرات **(سلامتها تعقب السقم)** أي المرض **(وشبابها يسوق إلى الهرم)** أي الضعف والكبر، **(ونعيمها لا يثمر إلا الحسرة والندم فهي خداعة)** كثيرة الخداع، **(مكّارة)** كثير المكر، **(طيّارة)** كثير الطيران، **(فرّارة)** كثيرة الفرار فهي كما قال بعضهم: وأجاد إن جلت أوجلت أو حلت أوحلت أو كست أوكست **(لا تزال تتزين لطلابها)** بأنواع الزين، **(حتى إذا ركنوا)** إليها و **(صاروا من أحبابها كشرت لهم عن أنيابها)** أي أفصحت لهم بالعداوة والشر، كما أن الكلب إذا هرَّ على أحد كشر عن أنيابه أي أظهر **(وشوّشت)** أي غبرت وخلطت **(عليهم مناظم أسبابها)** أي الأسباب المنظومة في سلك الاعتدال، **(وكشفت لهم عن مكنون عجائبها فأذاقتهم قواتل سمامها)** جمع سم **(ورشقتهم بصوائب سهامها)** أي رمتهم بسهامها الصائبة التي لا تكاد تخطىء **(بينا أصحابها منها في سرور وانعام إذ ولت عنهم)** أي أدبرت **(كأنها أضغاث أحلام)** كناية عن الشيء كأنه لم يكن، **(ثم كرت)** أي رجعت **(عليهم بدواهيها)** أي شدائدها **(فطحنتهم طحن الحصيد)** أي الزرع المحصود **(ووارتهم)** أي سترتهم **(في أكفانهم تحت الصعيد)** أي وجه الأرض **(إن ملكت واحداً جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصداً)** أي محصوداً ومكسراً **(كان لم يغن بالأمس تمنّي أصحابها سروراً وتعدهم غروراً)** أي تغرهم في وعدها **(حتى يؤملون كثيراً ويبنون قصوراً)** أي أبنية مرتفعة **(فتصبح قصورهم قبوراً)** أي تؤول إليها **(وجمعهم بوراً)**

فتصبح قصورهم قبوراً وجمعهم بوراً. وسعيهم هباء منثوراً ودعاؤهم ثبوراً، هذه صفتها وكان أمر الله قدراً مقدوراً. والصلاة على محمد عبده ورسوله المرسل إلى العالمين بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً. وعلى من كان من أهله وأصحابه له في الدين ظهيراً وعلى الظالمين نصيراً وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فإن الدنيا عدوّة لله وعدوّة لأولياء الله وعدوّة لأعداء الله، أما عداوتها لله فإنها قطعت الطريق على عباد الله. ولذلك لم ينظر الله إليها منذ خلقها. وأما عداوتها لأولياء الله عز وجل: فإنها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها. وأما عداوتها لأعداء الله: فإنها استدرجتهم بمكرها وكيدها فاقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها. وعوّلوا عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها. فاجتنوا منها حسرة تتقطع دونها الأكباد. ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد. فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون. بل يقال لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ

أي هلاكاً (**وسعيهم هباء**) ما يرى في ضوء الشمس (**منثوراً**) أي مبدداً. (**وكان أمر الله قدراً مقدوراً**) وهذا السياق منتزع من خطبة لعلي رضي الله عنه ذكرها صاحب نهج البلاغة، وسيأتي ذكر بعضها (**والصلاة على**) سيدنا (**محمد عبده ورسوله المرسل إلى العالمين**) أي كافة الخلق أجمعين (**بشيراً**) لأهل الإيمان بالجنان (**ونذيراً**) أي منذر الأهل الكفر بالنيران (**وعلى من كان من آله وأصحابه له في الدين ظهيراً**) أي معيناً في إقامته (**وعلى الظالمين**) الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والنفاق (**نصيراً**) أي ناصراً (**وسلم**) تسليماً (**كثيراً**).

(**أما بعد: فإن الدنيا عدوة لله وعدوة لأولياء الله وعدوة لأعداء الله. أما عداوتها لله فإنها قطعت الطريق على عباد الله**) السالكين إليه، (**ولذلك**) أي لأجل عداوتها لله (**لم ينظر الله إليها**) نظر عناية (**منذ خلقها**) كما ورد ذلك في الخبر، وسيأتي بيانه. (**وأما عداوتها لأولياء الله فإنها تزينت لهم بزينتها وعمتهم**) أي شملتهم (**بزهرتها ونضارتها**) وهي متاعها وزينتها (**حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها**) وقطعوا النظر عن زينتها. (**وأما عداوتها لأعداء الله فإنها استدرجتهم**) أي أخذتهم درجة درجة (**بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم**) أي صادتهم (**بشبكتها**) وهي محركة آلة الصيد، (**حتى وثقوا بها**) أي اطمأنوا بها، (**وعوّلوا**) أي اعتمدوا (**عليها فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها فاجتنوا منها حسرة تنقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد**) أي إلى آخر الدهر. (**فهم على فراقها يتحسرون**) أي يتلهفون، (**ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون**) أي ولا ينصرون، (**بل يقال لهم: ﴿اخسأوا**) أي ذلوا (**فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف**

تُكَلِّمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ ولاَ هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦].

وإذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد أوّلاً من معرفة حقيقة الدنيا وما هي؟ وما الحكمة في خلقها مع عداوتها؟ وما مدخل غرورها وشرورها؟ فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه. ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها، وحقيقتها وتفصيل معانيها، وأصناف الأشغال المتعلقة بها، ووجه الحاجة إلى أصولها، وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى، وهو المعين على ما يرتضيه.

بيان ذم الدنيا:

الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة. وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة. بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك، فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها، وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها فقد روي أن رسول الله ﷺ مر على شاة ميتة فقال: «أترون هذه الشاة هينة على أهلها»؟ قالوا: من هوانها ألقوها. قال: «والذي نفسي

عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾) وهذا مقتبس من كلام عمر بن عبد العزيز فيما أخرجه صاحب الحلية أنه كتب إلى عامله عدي بن ارطأة أما بعد: فإن الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعدائه، فأما أولياء الله فغمتهم وأما أعداء الله فغوتهم. **(وإذا عظمت غوائل الدنيا وشرورها فلا بد أولاً من معرفة حقيقة الدنيا وما هي وما الحكمة في خلقها مع عداوتها وما مدخل غرورها وشرورها فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك أن يقع فيه)** وهو لا يشعر. **(ونحن نذكر ذم الدنيا وأمثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها وأصناف الأشغال المتعلقة بها ووجه الحاجة إلى أصولها، وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها إن شاء الله تعالى وهو المعين على ما يرتضيه).**

بيان ذم الدنيا:

(الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة، وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة، بل هو مقصود الأنبياء عليهم السلام ولم يبعثوا إلا لذلك فلا حاجة إلى الإستشهاد بآيات القرآن لظهورها، وإنما نورد بعض الأخبار الواردة فيها، فقد روي أن رسول الله ﷺ مر على شاة ميتة) شائلة برجلها وفي لفظ: بجدي أجرب ميت **(فقال: «أترون هذه الشاة هينة على أهلها» قالوا: من هوانها ألقوها. قال:**

بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء ». وقال ﷺ: « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ».

« والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء ») قال العراقي رواه ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث سهل بن سعد، وأخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح، ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث المسور بن مخرمة دون هذه القطعة الأخيرة ولمسلم نحوه من حديث جابر اهـ.

قلت: رواه ابن ماجه والحاكم في المستدرك من طريق أبي يحي زكريا بن منظور، حدثنا أبو حازم عن سهل بن سعد به ولفظه: كنا مع رسول الله ﷺ بذي الحليفة فإذا هو بشاة ميتة شائلة برجلها فقال: « أترون هذه هينة على صاحبها فوالذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها قطرة أبداً » وقال الحاكم: صحيح الإسناد وهو متعقب، فابن منظور ضعيف. وأما الجملة الأخيرة من الحديث فقط بلفظ المصنف، فقد أخرجها الترمذي من طريق عبد الحميد بن سليمان عن أبي حازم عن سعد بن سعد رفعه به، وقال: صحيح غريب من هذا الوجه وهو من هذا الوجه عند الطبراني وأبي نعيم، ومن طريقهما أورده الضياء في المختارة، وكذلك رواه البيهقي في الشعب، وأخرجه كذلك القضاعي في مسند الشهاب من طريق أبي جعفر محمد بن أحمد بن أبي عوف: يحدثنا أبو مصعب، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر رفعه: « لو كانت الدنيا » الخ. وكذلك رواه الخطيب عن رواة مالك. وفي الباب عن أبي هريرة أشار إليه الترمذي.

(**وقال ﷺ: « الدنيا سجن المؤمن**) بالنسبة لما أعدّ له في الآخرة من النعيم المقيم (**وجنة الكافر »**) بالنسبة لما أمامه من عذاب الجحيم، وقال بعضهم معنى قوله: الدنيا سجن المؤمن. أي لأنه ممنوع من شهواتها المحرمة، فكأنه في سجن والكافر عكسه فكأنه في جنة. وقال بعض العارفين: الدنيا سجن المؤمن إن شعر به وضيق ميه على نفسه طلبت السراح منه إلى الآخرة فيسعد، ومن لم يشعر بأنها سجن فوسع فيها على نفسه طلبت البقاء فيها وليست باقية فيشقى. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: رواه من طريق الدراوردي عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً، وكذلك رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وكذا هو في حديث مالك عن العلاء.

وفي الباب عن ابن عمر وسلمان وابن عمر.

وأما حديث ابن عمر فأخرجه البزار والعسكري والقضاعي من طريق موسى بن عقبة بن عبدالله بن دينار عنه، ولفظه كسياق حديث أبي هريرة. وأخرجه الطبراني وأبو نعيم واللفظ له من حديث ابن عمر مرفوعاً: « يا أبا ذر ان الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره، يا أبا ذر إنّ الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره المؤمن من لم يخرج من ذل دنياه » الحديث.

وقال رسول الله ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله منها»، وقال أبو موسى الأشعري: قال رسول الله ﷺ: «من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر

وأما حديث سلمان، فرواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك ولفظه لفظ حديث أبي هريرة، وأخرجه العسكري في الأمثال من طريق عامر بن عطية قال: رأيت سلمان أكره على طعام فقال: حسبي إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا يا سلمان إنما الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

وأما حديث ابن عمرو، فأخرجه أحمد والطبراني وأبو نعيم والحاكم من طريق أبي عبد الرحمن الحبلي عنه بلفظ: «الدنيا سجن المؤمن وسنته فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة» ورواه البغوي في شرح السنة، ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبدالله بن جنادة وهو ثقة. ورواه ابن المبارك في الزهد وزاد: «مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فخرج منه فجعل يتقلب في الأرض ويتفسح فيها». وقد روي عن الحسن مرسلاً أخرجه العسكري في الأمثال من طريق سعيد ابن سليمان عن ابن المبارك قال: كان الحسن يقول قال: النبي ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فالمؤمن يتزوّد والكافر يتمتع والله إن أصبح فيها مؤمن إلا حزيناً وكيف لا يحزن من جاءه من الله إنه وارد جهنم ولم يأته أنه صادر عنها».

(**وقال ﷺ: «الدنيا ملعونة**) لأنها غرت النفوس بزهرتها ونضارتها فإمالتها من العبودية إلى الهوى حتى سلكت غير طريق الهدى (**ملعون ما فيها**) ويحتمل أن يكون المراد باللعن الترك أي متروكة متروك ما فيها وقد يقال أنها متروكة الأنبياء والأصفياء كما في الخبر الآخر لهم الدنيا ولنا الآخرة (**إلا ما كان لله منها»**) قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وزاد إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم اهـ.

قلت: سياق المصنف أخرجه أبو نعيم في الحلية، والضياء في المختارة من حديث جابر بلفظ: «إلا ما كان منها لله عز وجل» وإسناده حسن.

وأما حديث أبي هريرة فرواه كذلك الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود وقال لم يروه عن ثوبان عن عبدة إلا أبو المطرف المغيرة بن مطرف ولفظه: «وعالماً أو متعلماً» والمغيرة بن مطرف لا يعرف، وقد رواه البزار من هذا الطريق بلفظ إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر وذكر الله» ورواه الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء بلفظ: «إلا ما ابتغى به وجه الله. قال المنذري: إسناده لا بأس به.

(**وقال أبو موسى الأشعري**) رضي الله عنه: (**«قال رسول الله ﷺ: من أحب دنياه أضر بآخرته**) لأن حب الدنيا يشغله عن تفريغ قلبه لحب ربه ولسانه لذكره فيضر آخرته ولا بد (**ومن أحب آخرته أضر بدنياه**) لأن حب الآخرة يعطل عليه أسباب الكسب والمعاش فيضر بدنياه ولا بد، والباء في القرينتين للتعدية، (**فآثروا**) أي اختاروا (**ما يبقى على ما يفنى»**).

بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى»، وقال ﷺ: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»، وقال زيد بن أرقم: كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل، فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وما سكت: ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مساءلته قال: ثم مسح عينيه فقالوا: يا خليفة رسول الله ما

قال العراقي: رواه أحمد والبزار والطبراني وابن حبان والحاكم وصححه على شرط الشيخين.

قلت: وهو منقطع بين المطلب بن عبدالله وبين أبي موسى اهـ.

قلت: سبقه إلى ذلك الذهبي، وقد رواه كذلك القضاعي في مسند الشهاب، والبيهقي في الشعب. وقال المنذري: رجال أحمد ثقات وعند بعضهم ألا فآثروا بزيادة ألا التنبيهية.

(وقال ﷺ: «حب الدنيا رأس كل خطيئة») لأنه يوقع في الشبهات ثم في المكروه ثم في التحريم، ولطالما أوقع في الكفر بل جميع الأمم المكذبة لأنبيائهم إنما حملهم على كفرهم حب الدنيا. هكذا رواه الديلمي في الفردوس من حديث علي ويعضد سنده ولم يخرجه ولده في المسند. وقال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه عن الحسن مرسلاً اهـ.

قلت: وقال البيهقي بعد أن أورد هذا ما لفظه ولا أصل له من حديث النبي إلا من مراسيل الحسن اهـ.

ومراسيل الحسن عندهم شبه الريح كما نقله العراقي في شرح الألفية، ولذا أورده ابن الجوزي في الموضوعات ورد عليه الحافظ ابن حجر بأن ابن المديني أثنى على مراسيل الحسن وقال: إذا رواها عنه الثقات صحاح وهذا فالإسناد إليه حسن اهـ.

وقال أبو زرعة: كل شيء يقول الحسن قال رسول الله ﷺ وجدت له أصلاً ثابتاً ما خلا أربعة أحاديث وليته ذكرها، وهذا القول عند البقاعي في الزهد، وأبي نعيم في ترجمة الثوري من الحلية من قول عيسى بن مريم عليه السلام، وعند ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان له من قول مالك بن دينار، وعند ابن يونس في ترجمة سعد بن مسعود التجيبي في تاريخ مصر له من قول سعد، هذا وجزم ابن تيمية أنه من قول جندب البجلي رضي الله عنه.

(وقال زيد بن أرقم) بن زيد يونس الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه صحابي مشهور أول مشاهده الخندق، وأنزل الله تصديقه في سورة المنافقين، مات سنة ست وستين روى له الجماعة: **(كنا مع أبي بكر رضي الله عنه فدعا بشراب فأتي بماء وعسل)** أي ماء ممزوج بعسل، **(فلما أدناه أي قرَّبه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وما سكت، ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مساءلته قال: ثم مسح عينيه)** كناية عن سكوته من البكاء فإن من سكت مسح عينيه، **(فقالوا:)** أي قال من حضر المجلس: **(يا خليفة رسول الله ما أبكاك؟ قال: كنت**

أبكاك؟ قال: كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه شيئاً ولم أرَ معه أحداً، فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك؟ قال: «هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها: إليك عني ثم رجعت فقالت: إنك إن أفلت مني لم يفلت مني من بعدك»، وقال ﷺ: «يا عجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور».

وروي أن رسول الله ﷺ وقف على مزبلة فقال: «هلموا إلى الدنيا وأخذ خرقاً قد بليت على تلك المزبلة وعظاماً قد نخرت فقال: هذه الدنيا»، وهذه إشارة إلى أن زينة

مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه شيئاً ولم أر معه أحداً فقلت: يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال: «هذه الدنيا مثلت لي) أي صورت لي **(فقلت لها إليك عني)** أي إذهبي عني فذهبت **(ثم رجعت فقالت: إنك إن أفلت مني)** أي خلصت **(لم يفلت مني من بعدك»)** قال العراقي: رواه البزار بسند ضعيف بنحوه والحاكم وصحح إسناده وابن أبي الدنيا، والبيهقي من طريقه بلفظه اهـ.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدثنا الحسن بن علي والفضل بن داود قالا: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثنا عبد الواحد بن زيد، حدثنا أسلم، عن مرة الطبيب، عن زيد بن أرقم أن أبا بكر رضي الله عنه استسقى فأتى بإناء فيه ماء وعسل، فلما أدناه من فيه بكى وأبكى من حوله فسكت وما سكتوا، ثم عاد فبكى حتى ظنوا أن لا يقدروا على مساءلته، ثم مسح وجهه فأفاق فقالوا: ما هاجك على هذا البكاء؟ قال: كنت مع النبي ﷺ وجعل يدفع عنه شيئاً إليك عني إليك عني ولم أرمعه أحداً فقلت: يا رسول الله أراك تدفع عنك شيئاً ولا أرى معك أحداً قال: «هذه الدنيا تمثلت لي بما فيها فقلت لا إليك عني فتنحت وقالت: أما والله لئن انفلت مني لا ينفلت مني من بعدك فخشيت أن تكون قد لحقتني فذاك الذي أبكاني» وهكذا هو لفظ الحاكم والبيهقي، والذي ساقه المصنف هو لفظ ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا، وتبعه صاحب القوت والمصنف أخذه من سياق القوت.

(وقال ﷺ: «يا عجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا من حديث أبي جعفر مرسلاً.

قلت: هو عبدالله بن المسود المدائني الهاشمي كذاب يضع الحديث وقد تقدم ذكره في الكتاب الذي قبله.

(وروي أن رسول الله ﷺ وقف على مزبلة) وهي الموضع الذي يرمي فيه الكناسة والزبالة **(فقال: «هلموا إلى الدنيا وأخذ)** منها **(خرقاً قد بليت)** من كثرة الاستعمال **(على تلك المزبلة وعظاماً قد نخرت)** أي تفتتت **(فقال: هذه الدنيا»)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا، والبيهقي في شعب الإيمان من طريقه من رواية أبي ميمون اللخمي مرسلاً. قال العراقي: وفيه بقية بن الوليد وقد ضعفه وهو مدلس.

الدنيا ستخلق مثل تلك الخرق وأن الأجسام التي ترى بها ستصير عظاماً بالية. وقال ﷺ: « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب »، وقال عيسى عليه السلام: لا تتخذوا الدنيا رباً فتتخذكم عبيداً إكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة. وقال عليه أفضل الصلاة والسلام أيضاً: يا معشر الحواريين إني قد أكببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فإن من خبث الدنيا أن عُصيَ الله فيها، وإن من خبث الدنيا إن الآخرة لا تدرك إلا بتركها، ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل

قلت: قال الذهبي في الضعفاء: أبو ميمون عن رافع بن خديج مجهول.

(وهذا إشارة إلى أن زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وأن الأجسام التي تتزين بها ستصير عظاماً بالية. وقال ﷺ: « إن الدنيا حلوة خضرة) أي مشتهاة مونقة تعجب من رآها **(وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحلية والنساء والطيب والثياب »)** رواه ابن أبي الدنيا من حديث الحسن مرسلاً هكذا بهذه الزيادة في آخر قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد دون قوله: « إن بني إسرائيل » إلى آخره والشطر الأول متفق عليه اهـ.

قلت: ورواه كذلك مسلم والنسائي وآخرون من طريق سعيد بن يزيد أبي سلمة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد. وممن رواه عن أبي نضرة خليد بن جعفر، وسليمان بن طرخان التيمي، وعلي ابن زيد بن جدعان، وحديثه عند ابن ماجه والترمذي وقال: حسن، والمستمر بن ريان وهو عند العسكري من حديث عبيدالله بن عمر عن نافع عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: « الدنيا خضرة حلوة من أخذها بحقها بورك له فيها ورب متخوّض في مال الله ورسوله له النار يوم القيامة » وقدعزا الديلمي حديث الدنيا خضرة حلوة وأن رجالاً يتخوّضون إلى البخاري عن خولة، والذي فيه من حديثها الجملة الثانية خاصة. نعم فيه حديث حكيم بن حزام: « إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإسراف نفس لم يبارك له فيه » الحديث. وفي الباب عن ميمون عند أبي يعلى، والطبراني، والرامهرمزي في الأمثال، وعن عبدالله بن عمر، وعند الطبراني فقط رفعاه « الدنيا حلوة خضرة ».

(وقال عيسى عليه السلام: لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيداً اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا. **(وقال عليه أفضل الصلاة والسلام أيضاً: يا معشر الحواريين إني قد أكببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فإن من خبث الدنيا أن الله عُصي فيها وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها ألا فاعبروا**

خطيئة حب الدنيا ، ورب شهوة ساعة ورثت أهلها حزناً طويلاً . وقال أيضاً : بطحت لكم الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء ، فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فإنهم لن يعرضوا إليكم ما تركتموهم ودنياهم ، وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة . وقال أيضاً : الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه ، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه . وقال موسى بن يسار : قال النبي ﷺ : « إن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا وأنه منذ خلقها لم ينظر إليها » ، وروي أن سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه

الدنيا ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة ورثت أهلها حزناً طويلاً) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا ، وفي الحلية لأبي نعيم في ترجمة الثوري . قال عيسى عليه السلام : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، وقد تقدم وفي الفردوس للديلمي بلا سند من حديث ابن عمر : « الدنيا منظرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها » .

(وقال) عليه السلام أيضاً : **(بطحت لكم الدنيا)** أي مهدت وفرشت **(وجلستم على ظهرها فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء ، فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فإنهم لن يتعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم ، وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا . **(وقال)** عليه السلام أيضاً : **(الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل رزقه)** الذي كتب له فيها ، **(وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا .

وقد رواه صاحب الحلية من حديث ابن مسعود مرفوعاً قال : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا جبرون بن عيسى المصري ، حدثنا يحي بن سليمان ، حدثنا فضيل بن عياض ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « من أسر في قلبه حب الدنيا التاط فيها بثلاث : شقاء لا ينفد ، وحرص لا يبلغ مناه ، وأمل لا يبلغ منتهاه . فالدنيا طالبة ومطلوبة فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يأتيه الموت فيأخذ بعنقه ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه » قال أبو نعيم غريب من حديث فضيل والأعمش وحبيب لم نكتبه إلا من حديث جبرون عن يحي .

(وقال موسى بن يسار) القرشي المطلبي المدني مولى قيس بن مخرمة وهو عم محمد بن إسحاق بن يسار . قال ابن معين : ثقة ، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات . استشهد به البخاري وروى له الباقون سوى الترمذي : **(قال النبي ﷺ : « إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها)** نظر رضا وإلا فهو ينظر إليها نظر تدبير ولولا ذلك لاضمحلت » . رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا عن موسى أنه بلغه أن النبي ﷺ **قال فذكره . قال** العراقي : ورواه البيهقي في الشعب من طريقه وهو مرسل .

والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال: فمر بعابد من بني إسرائيل فقال والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً، قال: فسمع سليمان وقال: لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي إبن داود، فإن ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى. وقال ﷺ: «الهاكم التكاثر يقول إبن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت؟» وقال ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له ومال من لا

قلت: ورواه الحاكم في التاريخ مرفوعاً من حديث أبي هريرة بلفظ: «إن الله لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا وما نظر إليها منذ خلقها بغضاً لها» وفي إسناده داود بن المحبر. قال أحمد والنسائي: متروك. وروي ابن عساكر في التاريخ من مرسل علي بن الحسين بن علي: «إن الله تعالى لما خلق الدنيا أعرض عنها فلم ينظر إليها من هوانها عليه». ومن حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إن الله لما خلق الدنيا نظر إليها ثم أعرض عنها، ثم قال: وعزتي وجلالي لا أنزلنك إلا في شرار خلقي».

(وروي أن سليمان بن داود عليهما السلام مرَّ في موكبه) أي في زينته وحشمته مع عسكره **(والطير تظله)** عن حر الشمس **(والجن والإنس عن يمينه وشماله قال: فمرَّ بعابد من عباد بني إسرائيل فقال: والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً. قال: فسمع سليمان)** عليه السلام ذلك **(فقال: لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود)** يعني نفسه، **(فإن ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا.

وقال صاحب الحلية: حدثنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبدالله بن أحمد، حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن إدريس بن وهب، حدثني أبي قال: كان لسليمان عليه السلام ألف بيت من قوارير وأسفله حديد فركب الريح يوماً فمرَّ بحراث فنظر إليه الحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكاً عظيماً فحملته الريح لسليمان قال: فنزل حتى[1] فقال: إني سمعت قولك لتسبيحة واحدة لله تعالى منك خير مما أعطيه ابن داود، فقال الحراث: ذهب همك كما أذهب همي.

(وقال ﷺ: «الهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فـأبقيت») قال العراقي: رواه مسلم من حديث عبدالله بن الشخير انتهى.

قلت: وكذلك رواه الطيالسي، وسعيد بن منصور، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني، والحاكم، وابن حبان، وابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية كلهم من طريق مطرف بن عبدالله بن الشخير عن أبيه ولفظهم: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ ﴿الهاكم التكاثر﴾ وفي لفظ: وقد أنزلت عليه الهاكم التكاثر وهو يقول: «ابن آدم» الخ.

---

(١) هنا بياض بالأصل.

مال له، ولها يجمع من لا عقل له، وعليها يعادي من لا علم له، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له» وقال ﷺ: «من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء» «وألزم الله قلبه أربع خصال: هماً لا ينقطع عنه أبداً، وشغلاً لا يتفرغ منه

وأخرج أحمد وعبد بن حميد ومسلم وابن مردويه من حديث أبي هريرة: «يقول العبد مالي مالي وإنما له من ماله ثلاثة: ما أكل فافني وما لبس فأبلى أو تصدق فابقى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس».

وأخرج عبد بن حميد عن الحسن مرسلاً مرفوعاً: «يقول ابن آدم مالي مالي وما له من ماله إلا ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فامضى».

(وقال ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له) قال الطيبي: لما كان القصد الأول من الدار الإقامة مع عيش هني أبدي والدنيا بخلافه لم تستحق أن تسمى داراً، فمن داره الدنيا فلا دار له ﴿إن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ [العنكبوت: ٦٤] قال عيسى عليه السلام: من ذا الذي يبني على البحر داراً ذلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً. **(ومال من لا مال له)** لأن القصد من المال الإنفاق في وفرة القرب، فمن أتلفه في شهواته واستيفاء لذاته فحقيق فأن يقال لا مال له ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ [الحديد: ٢٠] ولذلك قدم الظرف على عامله في قوله: **(ولها يجمع من لا عقل له)** لغفلته عما يهمه في الآخرة ويراد منه في الدنيا، والعاقل إنما يجمع للدار الآخرة ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ [البقرة: ١٩٧] **(وعليها يعادي من لا علم عنده، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له»)** قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة مقتصراً على قوله: «دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له» دون بقيته، وزاد ابن أبي الدنيا، والبيهقي في الشعب من طريقه: «ومال من لا مال له» انتهى.

قلت: رواه أحمد من طريق ذويد عن أبي إسحاق عن عروة عن عائشة ورجاله رجال الصحيح غير ذويد وهو ثقة، ورواه البيهقي أيضاً من حديث ابن مسعود موقوفاً. قال المنذري: وإسناده جيد.

(وقال ﷺ: «من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء») أي لاحظ له في قربه ومحبته ورضاه. رواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس، ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر، والحاكم من حديث حذيفة. قال العراقي: وكلها ضعيفة. ورواه هنا أيضاً عن حذيفة، وعند الحاكم من حديث ابن مسعود بسند فيه تألف بلفظ: «من أصبح وهمه غير الله فليس من الله، ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم» ورواه البيهقي وابن النجار من حديث أنس بلفظ: «وأكبر همه».

(وقال ﷺ: «من أصبح والدنيا أكبر همه ألزم الله قلبه أربع خصال) لا ينفك من واحدة حتى يأتيه الموت: **(هماً لا ينقطع منه أبداً، وشغلاً لا يتفرغ منه أبداً، وفقراً لا يبلغ**

أبداً، وفقراً لا يبلغ غناه أبداً، وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً»، وقال أبو هريرة: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعها بما فيها» فقلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بيدي وأتى بي وادياً من أودية المدينة فإذا مزبلة فيها رؤوس أناس وعذرات وخرق وعظام، ثم قال: «يا أبا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم وتأمل كأملكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رماداً، وهذه العذرات هي ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها، وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها، وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد، فمن كان باكياً على الدنيا فليبكِ» قال: فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا.

يروى أن الله عز وجل لما أهبط آدم إلى الأرض قال له: ابن للخراب ولد للفناء.

غناه أبداً، وإملالاً يبلغ منتهاه أبداً») رواه الديلمي في الفردوس من حديث ابن عمر. قال العراقي: وإسناده ضعيف، والمصنف خلط الحديثين فجعلها حديثاً واحداً.

(**وقال أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جيعاً بما فيها؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بيدي وأتى بي وادياً من أودية المدينة، فإذا مزبلة فيها رؤوس ناس وعذرات**) جمع عذرة على وزن كلمة الخرء ولا يعرف تخفيفها (**وخرق وعظام، ثم قال: «يا أبا هريرة هذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم وتأمل آمالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد، ثم هي صائرة رماداً، وهذه العذارت ألوان أطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها**) أي يتباعدون عنها، (**وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت والرياح تصفقها، وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد**) أي يسيرون ويقطعون، (**فمن كان باكياً على الدنيا فليبك» قال: فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: لكن أورد صاحب القوت عن الحسن مرسلاً بنحوه، وسيأتي في أمثلة الدنيا.

(**وروي أن الله عز وجل لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض قال**) له: (**ابن للخراب ولد للفناء**) روى البيهقي في الشعب من رواية مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن سلمة، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة مرفوعاً: «إن ملكاً بباب من أبواب السماء ينادي: يا بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب». وروي أيضاً من طريق موسى بن عبيدة، عن محمد بن ثابت، عن أبي حكيم مولى الزبير عن الزبير رفعه: «ما من صباح يصبح على العباد إلا وصارخ يصرخ لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنو للخراب» وموسى

وقال داود بن هلال: مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم، إني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقاً أهون علي منك، كل شأنك صغير وإلى الفناء يصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي لأحد ولا يدوم لك أحد، وإن بخل بك صاحبك وشح عليك، طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة، طوبى لهم ما لهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إلي من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي. وقال رسول الله ﷺ: «الدنيا موقوفة بين السماء والأرض، منذ خلقها الله تعالى لم ينظر إليها، وتقول يوم

وشيخه ضعيفان، وأبو حكيم مجهول، ولأبي نعيم في الحلية من حديث ابن وهب، عن يحيى بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر أن أبا ذر قال: تلدون للموت وتبنون للخراب وتؤثرون ما يفنى وتتركون ما يبقى وهو موقوف منقطع. وقد رواه أحمد في الزهد له من رواية ابن المبارك عن أبي أيوب، فأدخل بين عبيد الله وأبي ذر رجلاً. وأخرج الثعلبي في التفسير وفي القصص بإسناد واهٍ جداً عن كعب الأحبار. قال: صاح ورشان عند سليمان بن داود عليهما السلام فقال: أتدرون ما يقول هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «يقول لدوا للموت وابنوا للخراب» وأخرج أحمد في الزهد من طريق عبد الواحد بن زياد قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام: يا بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب تفنى نفوسكم وتبلى دياركم، وقد قيل في معنى ذلك:

له ملك ينادي كل يوم ... لدوا للموت وابنوا للخراب

وللحافظ ابن حجر في المعنى.

بني الدنيا أقلوا الهم فيها ... فما فيها يؤول إلى الفواتِ
بناء للخراب وجمع مال ... ليفنى والتوالد للمماتِ

(وقال داود بن هلال) لم أجد له ترجمة **(مكتوب في صحف إبراهيم عليه السلام: يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم إني قذفت في قلوبهم بغضك والصد عنك، وما خلقت خلقاً أهون عليَّ منك كل شأنك صغير وإلى الفناء تصيرين قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي لأحد ولا يدوم أحد لك، وإن بخل بك صاحبك وشح عليك. طوبى للأبرار الذين أطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة. طوبى لهم مالهم عندي من الجزاء إذا وفدوا إليَّ من قبورهم إلا النور يسعى أمامهم والملائكة حافون بهم حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا.

(وقال ﷺ: «الدنيا موقوفة بين السماء والأرض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر إليها

القيامة يا رب إجعلني لأدنى أوليائك اليوم نصيباً فيقول اسكتي يا لا شيء إني لم أرضك لهم في الدنيا أرضاك لهم اليوم ».

وروي في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل، ولم يكن ذلك مجعولاً في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة فلذلك نهي عن أكلها قال فجعل يدور في الجنة، فأمر الله تعالى ملكاً يخاطبه فقال له: قل له أي شيء تريد؟ قال آدم: أريد أن أضع ما في بطني من الأذى، فقيل للملك: قل له في أي مكان تريد أن تضعه أعلى الفرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار هل

وتقول يوم القيامة يا رب اجعلني لأدنى أوليائك نصيباً اليوم. فيقول: اسكتي يا لا شيء إني لم أرضك لهم في الدنيا أرضاك لهم اليوم») ولفظ القوت: وجاء في الخبر إن الدنيا موقوفة بين السماء والأرض لا ينظر الله إليها منذ خلقها إلى ان يفنيها تقول: يا رب لم تبغضني لم تمقتني؟ فيقول تعالى: اسكتي يا لا شيء. وفي لفظ آخر: أنت وأهلك إلى النار. وفي الحديث الآخر زيادة أنها تبعث يوم القيامة فيقول تعالى: ميزوا ما كان منها لي وألقوا سائرها في النار، فتقول: يا رب اجعلني اليوم لأدنى عبادك في الجنة منزلة. فيقول: اسكتي يالاشيء أنا لم أرضك لهم في الدنيا أرضاك لهم اليوم عندي في دار كرامتي انتهى.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن علي بن الحسين قال: قال علي بن أبي طالب: إذا كان يوم القيامة أتت الدنيا بأحسن زينتها، ثم: قالت: يا رب هبني لبعض أوليائك. فيقول الله لها: يا لا شيء اذهبي فأنت لا شيء أنت أهون من أن أهبك لبعض أوليائي، فتطوى كما يطوى الثوب الخلق فتلقى في النار. وسيأتي للمصنف بعض هذا في هذا الباب وفيه التصريح بأنه من قول أبي هريرة. وقال العراقي: تقدم بعضه من رواية موسى بن يسار ولم أجد باقيه انتهى.

قلت: ووجد بخط الحافظ ابن حجر ما نصه: لابن ماجه نحوه عن ثوبان.

(وروي في أخبار آدم عليه السلام أنه لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل) بالضم الثخين الذي يبقى أسفل الصافي **(ولم يكن ذلك مجعولاً في شيء من أطعمة الجنة إلا في هذه الشجرة، فلذلك نهينا عن أكلها. قال: فجعل يدور في الجنة فأمر الله ملكاً يخاطبه فقال: قل له أي شيء تريد؟ قال)** له **(آدم: أريد أن أضع ما في بطني من الأذى. فقيل للملك: قل له في أي مكان تضعه على الفرش أم على السرر أم على الأنهار أم تحت ظلال الأشجار؟ هل ترى ههنا موضعاً يصلح لذلك ولكن اهبط إلى الدنيا)** قال: فتلطف الله تعالى بهذا المعنى فأهبط إلى الأرض، فمكان أول ما صنع في الأرض أن أحدث، فصارت الدنيا كنيف العقلاء وسجن النبلاء هكذا أورده صاحب القوت.

ترى ههنا مكاناً يصلح لذلك؟ اهبط إلى الدنيا . وقال ﷺ : « ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار » قالوا : يا رسول الله مصلين؟ قال : « نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنية من الليل فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه » . وقال ﷺ في بعض خطبه : « المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه؟ فليتزوّد العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه، فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم

(وقال ﷺ : « ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة) أي عظيمة **(فيؤمر بهم إلى النار » قالوا : يا رسول الله مصلين؟ قال « نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنية من الليل)** أي كانوا يهجعون من الليل قليلاً **(فإذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه »)** قال العراقي : رواه أبو نعيم في الحلية من حديث سالم مولى أبي حذيفة، وأبو منصور الديلمي من حديث أنس وهو ضعيف أيضاً انتهى.

قلت : قال : أبو نعيم في الحلية : حدثنا محمد بن أحمد بن علي، حدثنا أحمد بن الهيثم، حدثنا مسلم ابن إبراهيم، حدثنا بشر بن مطر بن حكيم بن دينار النطعي قال : سمعت عمرو بن دينار وكيل آل الزبير يحدث مالك بن دينار قال : حدثني شيخ من الأنصار يحدث عن سالم مولى أبي حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : « ليجاءن بأقوام يوم القيامة معهم من الحسنات مثل جبال تهامة حتى إذا جيء بهم جعل الله أعمالهم هباء ثم قذفهم في النار » فقال سالم : يا رسول الله بأبي أنت وأمي حل لنا هؤلاء الأقوام حتى نعرفهم فو الذي بعثك بالحق إني أتخوّف أن أكون منهم . قال يا سالم : أما انهم كانوا يصومون ويصلون ولكنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام وثبوا عليه فأدحض الله أعمالهم، فقال مالك بن دينار : هذا والله النفاق، فأخذ المعلى بن زياد بلحيته فقال : صدقت والله أبا يحيى انتهى.

وكذلك رواه سمويه في فوائده والخطيب في المتفق والمفترق، وأورده صاحب القوت فقال : حدثنا عبد الواحد بن زيد، عن الحسن، عن أنس فذكره مثل سياق المصنف ثم قال : ورويناه من طريق آخر فذكره بنحو سياق صاحب الحلية، وهو في الحلية أيضاً في ترجمة الفضيل بن عياض عنه، عن عمران بن حسان عن الحسن قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات يوم فقال « هل منكم من أحد » الحديث إلى قوله : « خمسين صديقاً » ثم قال : لا أعلم رواه بهذا اللفظ إلا الفضيل عن عمران، وعمران يعد من أصحاب الحسن لم يتابع على هذا الحديث.

قلت : وبما تقدم عن القوت يظهر أن عبد الواحد بن زيد تابعه على ذلك والله أعلم.

(وقال ﷺ في بعض خطبه « المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتزود العبد لنفسه من نفسه ومن دنياه لآخرته ومن حياته لموته ومن شبابه لهرمه، فإن الدنيا خلقت لكم وأنت خلقتم

للآخرة، والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار »، وقال عيسى عليه السلام: لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد.

وروي أن جبريل عليه السلام قال لنوح عليه السلام: يا أطول الأنبياء عمراً كيف وجدت الدنيا؟ فقال: كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر. وقيل لعيسى عليه السلام: لو اتخذت بيتاً يكنك. قال: يكفينا خلقان من كان قبلنا. وقال نبينا ﷺ: « احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت »، وعن الحسن قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه فقال: « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك، ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علماً بغير تعلم، وهدى بغير هداية: ألا أنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك، إلا بالقتل والتجبر، ولا الغنى إلا بالفخر

للآخرة، والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الموت من دار إلا الجنة أو النار ») قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ وفيه انقطاع.

(وقال عيسى عليه السلام: لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

(ويروى أن جبريل) عليه السلام **(قال لنوح عليه السلام: يا أطول الانبياء عمراً كيف وجدت الدنيا؟ قال: كبابين دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. **(وقيل لعيسى عليه السلام: لو اتخذت بيتاً)** تأوي إليه. **(فقال: يكفينا خلقان من كان قبلنا)** يقال ثوب خلق وجمعه خلقان أي بال.

(وقال نبينا ﷺ: « احذروا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه من رواية أبي الدرداء الرهاوي، وقال البيهقي: إن بعضهم قال عن أبي الدرداء عن رجل من الصحابة. قال الذهبي: لا يدرى من أبو الدرداء وقال: هذا منكر لا أصل له.

(وعن الحسن) البصري **(قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه فقال: « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً ألا إنه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك، ومن زهد في الدنيا وقصر أمله فيها أعطاه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية، ألا إنه سيكون بعدكم قوم لا يستقيم لهم الملك إلا**

والبخل، ولا المحبة إلا باتباع الهوى، إلا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى، وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة، وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقاً».

وروي أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوماً، فجعل يطلب شيئاً يلجأ إليه فوقعت عينه على خيمة من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحاد عنها، فإذا هو بكهف في جبل فأتاه فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال: إلهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى، فأوحى الله تعالى إليه: مأواك في مستقر رحمتي لأزوجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي، ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا، ولآمرنّ منادياً ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد في الدنيا

بالقتل والتجبر، ولا الغنى إلا بالفخر والبخل، ولا المحبة إلا باتباع الهوى. ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى، وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة، وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك إلا وجه الله أعطاه الله عز وجل ثواب خمسين صديقاً) » قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه هكذا مرسلاً، وفيه إبراهيم بن الأشعث تكلم فيه أبو حاتم انتهى.

قلت: ورواه من هذا الطريق أيضاً أبو نعيم في الحلية بلفظ: «هل منكم أحد يريد أن يؤتيه الله علماً من غير تعلم وهدى بغير هداية، هل منكم أحد يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيراً ألا من رغب في الدنيا» الحديث بطوله.

وأخرج أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب المواعظ والوصايا من حديث ابن عباس: «من رغب في الدنيا وأطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر رغبته فيها، ومن زهد في الدنيا وقصر فيها أمله أعطاه الله علماً من غير تعلم وهدى من غير هداية».

وأخرج أبو نعيم في الحلية والديلمي في مسند الفردوس من حديث علي «من زهد في الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية جعله بصيراً وكشف عنه العمى» وإسنادهما ضعيف.

(وروي أن عيسى عليه السلام اشتد عليه المطر والرعد والبرق يوماً فجعل يطلب شيئاً يلجأ إليه فرفعت له خيمة) وفي نسخة فوقعت عينه على خيمة **(من بعيد فأتاها فإذا فيها امرأة فحاد عنها)** أي مال، **(فإذا هو بكهف في جبل فإذا فيه أسد فوضع يده عليه وقال: الهي لكل شيء مأوى)** أي موضع يأوي إليه **(ولم تجعل لي مأوى، فأوحى الله إليه مأواك في مستقر رحمتي لأزوّجنك يوم القيامة مائة حوراء خلقتها بيدي، ولأطعمن في عرسك أربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا**، ولآمرنّ **منادياً ينادي أين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم)**. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

عيسى ابن مريم. وقال عيسى ابن مريم عليه السلام: ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها، وتغره ويأمنها، ويثق بها وتخذله، وويل للمغترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون؟ وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غداً بذنبه؟ وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى ما لك ولدار الظالمين إنها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك، فبئست الدار هي إلا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى إني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم.

وروي أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح فجاءه بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلى رسول الله ﷺ إنصرف فتعرضوا له، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال: أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء» قالوا: أجل يا رسول الله، قال: «فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم». وقال أبو

(قال عيسى عليه السلام: ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها ويأمنها وتغره ويثق بها وتخذله، ويل للمغترين كيف أرتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون. وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غداً بذنبه) ؟ أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

(وقيل: أوحى الله إلى موسى عليه السلام يا موسى مالك ولدار الظالمين إنها ليست لك بدار أخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار هي إلا لعامل يعمل فيها، فنعمت الدارهي يا موسى إني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

(وروي أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة) عامر **(بن الجراح)** أحد العشرة رضي الله عنهم، **(فجاءه بمال من البحرين)** ناحية بالبصرة، **(فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة)** بالمال **(فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له، فتبسم ﷺ حين رآهم، ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء» قالوا: أجل يا رسول الله. قال «فابشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»)** متفق عليه من حديث عمرو بن عوف البدري.

سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: « إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض » فقيل ما بركات الأرض؟ قال: « زهرة الدنيا ». وقال ﷺ: « لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا »، فنهى عن ذكرها فضلاً عن إصابة عينها.

وقال عمار بن سعيد: مر عيسى عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى في الأفنية والطرق، فقال: يا معشر الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا، فقالوا: يا روح الله وددنا أن لو علمنا خبرهم. فسأل الله تعالى فأوحى إليه إذا كان الليل فنادهم يجيبوك، فلما كان الليل أشرف على نشز ثم نادى: يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله! فقال: ما حالكم وما قصتكم؟ قال: بتنا نحن في عافية وأصبحنا في الهاوية، قال: وكيف ذاك؟ قالوا: بحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصي، قال: وكيف كان حبكم للدنيا؟ قال: حب الصبي لأمه إذا أقبلت فرحنا بها وإذا أدبرت حزنا وبكينا عليها، قال: فما بال أصحابك لم يجيبوني؟ قال: لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد، قال: فكيف أجبتني أنت من بينهم؟ قال: لأني كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم، فأنا معلق على شفير جهنم لا

(**وقال أبو سعيد الخدري**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: « إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض » فقيل: ما بركات الأرض؟ فقال: « زهرة الدنيا »**) متفق عليه. (**وقال ﷺ: « لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا »**) لأن الله يغار على قلب عبده أن يشتغل بغيره. رواه ابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب من رواية محمد بن النضر الحارثي مرسلاً، (**فنهى عن ذكرها فضلاً عن إصابة عينها**) ففيه تشديد.

(**وقال عمار بن سعيد**) كذا في النسخ ولم أجد له ترجمة: (**مرّ عيسى عليه السلام بقرية فإذا أهلها موتى في الأفنية**) جمع فناء بالكسر وفناء الدار ما حولها (**والطرق، فقال لهم: يا معشر الحواريين إن هؤلاء ماتوا عن سخطه ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا**) أي لدفن بعضهم بعضاً. (**فقالوا: يا روح الله وددنا أنا علمنا خبرهم. فسأل ربه فأوحى الله إليه إذا كان الليل فنادهم يجيبوك فلما كان الليل أشرف**) أي صعد (**على نشز**) محركة أي موضع عال (**ثم نادى: يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله! فقال: ما حالكم وما قصتكم؟ قال: بتنا في العافية وأصبحنا في الهاوية**) وهي دركة من دركات جهنم. (**قال: وكيف ذلك؟ قال: لحبنا الدنيا وطاعتنا أهل المعاصي. قال: وكيف كان حبكم للدنيا؟ قال: حب الصبي لأمه إذا أقبلت فرح بها وإذا أدبرت بكى وحزن عليها. قال: فما بال أصحابك لا يجيبوني؟ قال: لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد. قال: فكيف أجبتني أنت من بينهم؟ قال: لأني كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما نزل بهم العذاب أصابني**

أدري أنجو منها أم أكبكب فيها؟ فقال المسيح للحواريين: لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة.

وقال أنس: كانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تسبق فجاء أعرابي بناقة له فسبقها، فشق ذلك على المسلمين، فقال ﷺ: «إنه حق على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه»، وقال عيسى عليه السلام: من الذي يبني على موج البحر داراً؟ تلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً. وقيل لعيسى عليه السلام: علمنا علماً واحداً يحبنا الله عليه، قال: ابغضوا الدنيا يحبكم الله تعالى. وقال أبو الدرداء، قال رسول الله ﷺ: «لو

معهم فأنا معلق على شفير جهنم لا أدري أنجو منها أم أكبكب فيها. فقال المسيح عليه السلام للحواريين: لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح) جمع مسح بالكسر وهو الصوف الأسود **(والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة)**. أخرجه أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سهل بن عاصم، حدثنا عبدالله بن محمد بن عقبة، حدثني عبد الرحمن أبو طالوت، حدثنا مهاجر الأسدي، عن وهب بن منبه قال: مرَّ عيسى عليه السلام بقرية فساق بنحو من سياق المصنف وفيه قال: ما كان جنايتكم؟ قال: عبادة الطاغوت وحب الدنيا. قال: وما كانت عبادتكم الطاغوت؟ قال: الطاعة لأهل معاصي الله، وفيه قال عيسى عليه السلام: وما الهاوية؟ قال: سجين. قال: وما سجين؟ قال: جمرة من نار مثل أطباق الدنيا كلها دفنت أرواحنا فيها، وفيه: وأنا معلق بشعرة في الهاوية لا أدري أكردس في النار أم أنجو، فقال عيسى عليه السلام: بحق أقول لكم لأكل خبز الشعير وشرب ماء القراح والنوم على المزابل مع الكلاب لكثير مع عافية الدنيا والآخرة.

(وقال أنس) رضي الله عنه: **(كانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تسبق)** أي لا تجاريها النوق في سرعة السير، **(فجاء إعرابي بناقة له)** وفي رواية على قعود له **(فسبقها فشق ذلك على المسلمين)** أي اشتد كما في رواية **(فقال رسول الله ﷺ: «إنه حق)** وفي رواية: إن حقاً **(على الله ان لا يرفع شيئاً من أمر الدنيا إلا وضعه»)** ورواه أحمد وعبد بن حميد والبخاري وأبو داود وابن حبان والدارقطني والنسائي، ووجد بخط الكمال الدميري قال: أفادني بعض طلبة العلم أنه سمع بعض الحفاظ يقول: الاعرابي الذي جاء على قعود فسبق ناقة النبي ﷺ هو جبريل عليه السلام.

(وقال عيسى عليه السلام: من ذا الذي يبني على موج البحر داراً تلكم الدنيا فلا تتخذوها قراراً) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. **(وقيل لعيسى عليه السلام: علمنا عملاً واحداً يحبنا الله عليه. قال: ابغضوا الدنيا يحبكم الله)**. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. **(وقال أبو الدرداء)** رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم**

تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة »، ثم قال أبو الدرداء ـ من قبل نفسه ـ لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون على أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بد لكم منه، ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة، وحضرها الأمل فصارت الدنيا أملك بأعمالكم، وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع هواها مخافة مما

قليلاً ولبكيتم كثيراً ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم الآخرة ») قال العراقي: رواه الطبراني دون قوله « ولهانت » الخ زاد « ولخرجتم إلى الصعدات » الحديث. وزاد الترمذي، وابن ماجه من حديث أبي ذر « وما تلذذتم بالنساء على الفرش » رأوّل الحديث متفق عليه من حديث أنس، وفي افراد البخاري من حديث عائشة اهـ.

قلت: قد تقدم الكلام على هذا الحديث، وتمام الحديث عند الطبراني بعد قوله « ولخرجتم إلى الصعدات تجارون إلى الله لا تدرون تنجون أو لا تنجون ». وقد رواه الحاكم والبيهقي كذلك. وعند ابن عساكر من حديث أبي الدرداء « لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاماً على شهوة أبداً، ولا شربتم شراباً على شهوة أبداً، ولأدخلتم بيتاً تستظلون به ولمررتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتبكون على أنفسكم ». ورواه أبو نعيم في الحلية من قوله، وعند الحاكم من حديث أبي ذر « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولما ساغ لكم الطعام ولا الشراب » وفي الحلية في ترجمة العلاء بن زياد عن أبي ذر مثل سياق الترمذي وابن ماجه بزيادة « وددت أني شجرة تعضد ». وأما صدر الحديث فرواه أيضاً من حديث أنس أحمد والدارمي والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان، ورواه من حديث أبي هريرة أحمد والبخاري والترمذي وهو عند الحاكم بزيادة في آخره « يظهر النفاق وترتفع الامانة » الحديث.

(وقال أبو الدرداء ـ من قبل نفسه ـ لو تعلمون ما أعلم لخرجتم إلى الصعدات) بضمتين أي إلى البراري والقفار **(تبكون على أنفسكم)** قد مرّ عند الطبراني أنه من جملة حديث أبي الدرداء، ولفظه: ولخرجتم إلى الصعدان تجأرون إلى الله. وعند ابن عساكر بلفظ: ولمررتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم، وأخرجه أبو نعيم في الحلية من قوله قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا داود بن عمرو، حدثنا عبشر، حدثنا برد عن حزام بن حكيم قال: قال أبو الدرداء: تعلمون ما أنتم راؤن بعد الموت لما أكلتم طعاماً على شهوة. ولا شراباً على شهوة، ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه ولخرجتم إلى الصعدات تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم. وددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل. إلى هنا نص الحلية، ثم ساق المصنف بقية كلام أبي الدرداء فقال: **(ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا راجع إليها إلا ما لا بدّ لكم منه، ولكن يغيب عن قلوبكم ذكر الآخرة وحضرها الأمل، فصارت الدنيا أملك بأعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم شر من البهائم التي لا تدع)** أي لا تترك

هو في عاقبته، ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وأنتم إخوان على دين الله ما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم، ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم، ما لكم تناصحون في أمر الدنيا ولا تناصحون في أمر الآخرة؟ ولا يملك أحدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته، ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم، لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لأنها أملك لأموركم. فإن قلتم: حب العاجلة غالب؟ فإنا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها، تكدون أنفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب أمر لعلكم لا تدركونه، فبئس القوم أنتم ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم! فإن كنتم في شك مما جاء به محمد ﷺ فأتونا لنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن إليه قلوبكم! والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم إنكم تستبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم، ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم، حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم، وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم، وعامتكم قد تركوا كثيراً من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا يتغير حالكم، إني لأرى الله قد تبرأ منكم يلقي بعضكم بعضاً بالسرور، وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله

(**هواها مخافة مما في عاقبته**)، ثم قال: (**ما لكم لا تحابون**) أي لا يحب بعضكم بعضاً (**ولا تناصحون**) أي لا ينصح بعضكم بعضاً (**وانتم اخوان على دين، ما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم**) أي فساد بواطنكم، (**ولو تجامعتم على البر لتحاببتم، مالكم لا تناصحون في أمر الدنيا ولا يملك أحدكم النصحية لمن يحبه ويعينه على أمر آخرته، ما هذا إلا من قلة الإيمان في قلوبكم. لو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لآثرتم طلب الآخرة لأنها أملك بقلوبكم، فإن قلتم: حب العاجلة غالب فإنا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للآجل منها تكدون**) أي تتعبون (**أنفسكم بالمشقة والاحتراف**) أي الاكتساب (**في طلب أمر لعلكم لا تدركونه فبئس القوم أنتم ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم، فإن كنتم في شك مما جاء به محمد**) ﷺ (**فاتونا فلنبين لكم ولنريكم من النور ما تطمئن إليه قلوبكم، والله ما أنتم بالمنقوصة عقولكم فنعذركم**) أي نقبل عذركم (**إنكم لتبينون صواب الرأي في دنياكم وتأخذون بالحزم في أموركم ما لكم تفرحون باليسير من الدنيا إذ تصيبونه وتحزنون على اليسير منها**) إذ (**يفوتكم حتى يتبين ذلك في وجوهكم ويظهر على ألسنتكم وتسمونها المصائب وتقيمون فيها المآتم**) جمع مأتم أي البكاء والعويل والحزن، (**وعامتكم قد تركوا كثيراً من دينهم، ثم لا يتبين ذلك في جوههم ولا يتغير حالكم إني لأرى الله قد تبرأ منكم يلقى بعضكم بعضاً بالشرور، وكلكم يكره أن يستقبل صاحبه بما**

فاصطحبتم على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الأجل، ولوددت أن الله تعالى أراحني منكم وألحقني بمن أحب رؤيته ولو كان حياً لم يصابركم، فإن كان فيكم خير فقد أسمعتكم وإن تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيراً، وبالله أستعين على نفسي

يكره مخافة أن يستقبله صاحبه بمثله فاصطحبتم على الغل) أي الحقد في الصدور، (**ونبتت مراعيكم على الدمن**) جمع دمنة بالكسر كسدرة وسدر وهو الموضع المتلبد بالسرجين، (**وتصافيتم على رفض**) أي ترك (**الأجل، ولوددت أن الله أراحني منكم**) بالموت (**والحقني بمن أحب رؤيته**) ولو كان (**حياً لم يصابركم**) يعني به النبي ﷺ وأصحابه، (**فإن كان فيكم خير فقد أسمعتكم**) أي أبلغت القول إلى أسماعكم إن كنتم تقبلونه وتعملون به، (**وان تطلبوا ما عند الله تجدوه يسيراً**) أي سهلاً، (**والله استعين على نفسي وعليكم**) إلى هنا اهـ كلام أبي الدرداء رضي الله عنه.

ومن كلام علي رضي الله عنه مما هو في نهج البلاغة: ولو تعلمون ما أعلم مما طوى عنكم غيبه إذاً لخرجتم إلى الصعدات تبكون على أعمالكم وتلدمون على أنفسكم، ولتركتم أموالكم لا حارس لها ولا خائف عليها، ولهمت كل امرىء منكم نفسه لا يلتفت إلى غيرها، ولكنكم نسيتم ما ذكرتم وأمنتم ما حذرتم، فبان منكم رأيكم وتشتت عليكم أمركم، لوددت أن الله فرق بيني وبينكم والحقني بمن هو أحق لي منكم.

ومما رواه ابن المبارك عن الأوزاعي عن حسان بن عطية أن أبا الدرداء كان يقول: لا تزالون بخير ما أحببتم خياركم وما قيل فيكم الحق فقبلتموه، فإن عارف الحق كعامله.

ومما رواه المسعودي عن أبي الهيثم قال: قال أبو الدرداء: لا تكلفوا من الناس ما لم تكلفوا، ولا تحاسبوا الناس دون ربهم. ابن آدم عليك نفسك فإنه من يتتبع ما يرى في الناس يطل حزنه ولا يشف غيظه.

ومما رواه أبو بكر بن أبي شيبة بسنده إليه قال: اعبدوا الله كأنكم ترونه وعدوا أنفسكم من الموتى، واعلموا أن قليلاً يغنيكم خير من كثير يلهيكم، واعلموا ان البر لا يبلى وأن الإثم لا ينسى.

ومما رواه يزيد بن عمرون عن جُويبر عن الضحاك عنه قال: قال يا أهل دمشق أنتم الإخوان في الدنيا والجيران في الدار والأنصار على الأعداء ما يمنعكم من مودتي، وإنما مؤنتي على غيركم. ما لي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون، وأراكم قد أقبلتم على ما تكفل لكم به وتركتم ما أمرتم به ألا إن قوماً بنوا شديداً وجمعوا كثيراً وأملوا بعيداً فأصبح بنيانهم قبوراً وأملهم غروراً وجمعهم بوراً.

ومما رواه أحمد بن حنبل بسنده إليه أنه كان يقول: ويل لكل جماع فاغرٍ فاهُ ككأنه مجنون يرى

وعليكم. وقال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين ارضوا بدنيء الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا. وفي معناه قيل:

أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا ... وما أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما اسـ ... ـتغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال عيسى عليه السلام: يا طالب الدنيا لتبرّ ★ تركك الدنيا أبرّ. وقال نبينا ﷺ: «لتأتينكم بعدي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب»، وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى لا تركن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشد منها.

ما عند الناس ولا يرى ما عنده، لو يستطيع لوصل الليل بالنهار ويله من حساب غليظ وعذاب شديد.

ومما رواه خالد بن يزيد عن سعيد بن هلال عنه أنه كان يقول: ما معشر أهل دمشق لا تستحيون تجمعون ما لا تأكلون وتبنون ما لا تسكنون وتأملون ما لا تبلغون. قد كان القرون من قبلكم يجمعون فيوعون ويأملون فيطيلون ويبنون فيوثقون، فأصبح جمعهم بوراً وأملهم غروراً وبيوتهم قبوراً. هذه عاد قد ملأت ما بين عدن إلى عمان أموالاً وأولاداً، فمن يشتري مني تركة عاد بدرهمين.

ومما رواه صفوان بن عمرو عنه أنه كان يقول: يا معشر أهل الأموال بردوا على جلودكم من أموالكم قبل أن نكون وإياكم فيها سواء ليس إلا أن تنظروا فيها وننظر فيها معكم. إني أخاف عليكم شهوة خفية في نعمة ملهية، وذلك حين تشبعون من الطعام وتجوعون من العلم إلى غير ذلك من غرر كلامه مما هو مذكور في الحلية وغيرها. والله أعلم.

(**وقال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين ارضوا بدنيء الدنيا**) أي حقيرها (**مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا، (**وفي معناه قد قيل**):

(**أرى رجالاً بأدنى الدين قد قنعوا ... ولا أراهم رضوا في العيش بالدونِ**)
(فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما اسـ ... ـتغنى الملوك بدنياهم عن الدينِ)

(**وقال عيسى عليه السلام: يا طالب الدنيا لتبرّ بها**) أي لتصير براً بها (**تركك الدنيا أبر**) أي أكثر براً أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. (**وقال نبينا ﷺ: «لتأتينكم بعدي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب»**) قال العراقي لم أجد له أصلاً. (**وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى لا تركنن إلى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة أشد عليك منها**) أخرجه صاحب الحلية من طريق سفيان عن منصور بن المعتمر عن مجاهد عن كعب قال الرب تعالى لموسى: يا موسى لا تركنن إلى حب الدنيا فإنك لن تلقاني بكبيرة من الكبائر أخسر

ومر موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي، فقال موسى: يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال: يا بـن عمران لو سال دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا.

الآثار: قال علي رضي الله عنه: من جمع فيه ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً؛ أولها: من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها، وقال الحسن: رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها، ثم راحوا خفافاً. وقال أيضاً رحمه الله: من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره. وقال لقمان لابنه: يا بنيّ إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله عز وجل، لعلك تنجو وما أراك ناجياً. وقال الفضيل: طالت فكرتي في هذه الآية:

عليك من الركون إلى الدنيا، **(ومرَّ موسى عليه السلام برجل وهو يبكي ورجع)** عليه **(وهو يبكي، فقال موسى: يا رب عبدك يبكي من مخافتك. فقال: يا بـن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا.

(الآثار الواردة) في ذمها: **(قال علي رضي الله عنه: من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً أولها: من عرف الله فاطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فألقاه)** أي اجتنبه، **(وعـرف الدنيـا فـرفضهـا)** أي تـركهـا، **(وعرف الآخرة فطلبها)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. **(وقال الحسن البصري)** رحمه الله تعالى: **(رحم الله اقواماً كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها ثم راحوا خفافاً)** نقله صاحب القوت. **(وقال أيضاً: من نافسك في دينك فنافسه)** أي فإن المنافسة في أمور الدين مندوب إليها، **(ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره)** نقله صاحب القوت. **(وقال لقمان لابنه)** وهو يعظه: **(يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان بالله، وشراعها التوكل على الله، لعلك تنجو وما أراك ناجياً)** نقله صاحب القوت. وقد روي نحو ذلك عن وهب بن منبه وهو في الحلية قال: يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تريد بها الدنيا والآخرة، والإيمان بالله سفينتك التي تحمل عليها، والتوكل على الله دقلها والدنيا بحرك والأيام موجك والأعمال المفروضة تجارتك إلى آخر ما قال. **(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(طالت فكرتي في هذه الآية ﴿ إنا جعلنا ما**

﴿إنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ★ وإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾ [الكهف: ٧، ٨]، وقال بعض الحكماء: إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك وسيكون له أهل بعدك، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم، فلا تهلك في أكلة، وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة، وإن رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار. وقيل لبعض الرهبان: كيف ترى الدهر؟ قال: يخلق الأبدان ويجدد الآمال ويقرب المنية ويبعد الأمنية. قيل: فما حال أهله؟ قال: من ظفر به تعب ومن فاته نصب. وفي ذلك قيل:

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره ... فسوف لعمري عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة ... وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

وقال بعض الحكماء: كانت الدنيا ولم أكن فيها، وتذهب الدنيا ولا أكون فيها، فلا أسكن إليها فإن عيشها نكد وصفوها كدر وأهلها منها على وجل، إما بنعمة زائلة أو بلية نازلة أو منية قاضية. وقال بعضهم: من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحداً ما يستحق،

على الأرض) من الحيوان والنبات والمعادن **(زينة لها)** لأهلها **(لنبلوهم)** أي لنختبرهم **(أيهم أحسن عملاً)** في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي أيامه وصرفه على ما ينبغي، وفيه تسكين لرسول الله ﷺ. **(وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً﴾)** تزهيد فيه، والجزر الذي قطع نباتها من الجرز وهو القطع، والمعنى: إنا لنعيد ما عليها من الزينة تراباً مستوياً بالأرض ونجعله كصعيد أملس لا نبات فيه. **(وقال بعض الحكماء: إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك ويكون له أهل بعدك، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم، فلا تهلك في أكله، وصم عن الدنيا وافطر على الآخرة، وإن رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا **(وقيل لبعض الرهبان: كيف ترى الدهر؟ قال: يخلق الأبدان)** أي يبليها **(ويجدد الآمال ويقرب المنية)** أي الموت **(ويبعد الأمنية. قال: فما حال أهله؟ قال: من ظفر به تعب ومن فاته نصب)** يقال: نضب الماء في الأرض إذا غار، **(وقد قيل)** في معنى ذلك:

(ومن يحمد الدنيا لعيشٍ يسره ... فسوف لعمري عن قليل يلومها)
(إذا أدبرت كانت على المرء حسرة ... وإن أقبلت كانت كثيراً همومُها)

(وقال بعض الحكماء: كانت الدنيا ولم أكن فيها وتذهب الدنيا ولا أكون فيها فلا أسكن إليها، فإن عيشها نكد) أي عسر وتعب **(وصفوها كدر وأهلها منها على وجل)** أي خوف، **(إما بنعمة زائلة)** أي ستزول قريباً **(أو بلية نازلة)** ستنزل قريباً **(أو منية قاضية)** أي متحتمة. **(وقال بعضهم: من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحداً ما يستحق لكنها إما أن**

لكنها إما أن تزيد وإما أن تنقص . وقال سفيان : أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها . وقال أبو سليمان الداراني : من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئاً إلا أراد أكثر . ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط شيئاً إلا أراد أكثر . وليس لهذا غاية . ولا لهذا غاية وقال رجل لأبي حازم : أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدار ، فقال : انظر ما آتاكه الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حله ولا تضعه إلا في حقه . ولا يضرك حب الدنيا ، وإنما قال هذا لأنه لو آخذ نفسه بذلك لأتعبه حتى يتبرم بالدنيا ويطلب الخروج منها . وقال يحي بن معاذ : الدنيا حانوت الشيطان ، فلا تسرق من حانوته شيئاً فيجيء في طلبه فيأخذك ، وقال الفضيل : لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى ، لكان ينبغي لنا أن نختار خزفاً يبقى على ذهب يفنى . فكيف

تزيد) فوق استحقاقه **(وإما أن تنقص)** من استحقاقه روي ذلك من كلام علي رضي الله عنه .

(وقال سفيان) الثوري رحمه الله تعالى : **(أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها)** أخرجه أبو نعيم في الحلية ، **(وقال أبو سليمان الداراني)** رحمه الله تعالى : **(من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئاً إلا أراد أكثر)** مما طلب ، **(ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئاً إلا أراد أكثر)** مما طلب ، **(وليس لهذا غاية ولا لهذا غاية)** أخرجه أبو نعيم في الحلية . **(وقال رجل لأبي حازم)** سلمة بن دينار الأعرج المدني التابعي رحمه الله تعالى : **(أشكو إليك حب الدنيا وليست لي بدار . فقال : انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تأخذه إلا من حله)** أي من حيث هو حلال ، **(ولا تضعه إلا في حقه ولا يضرك حب الدنيا)** أخرجه ابن أبي الدنيا ، **(وإنما قال هذا لأنه لو آخذ نفسه بذلك لأتعبه حتى يتبرم)** أي يتضجر **(بالدنيا ويطلب الخروج منها)** .

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : قلت لأبي حازم يوماً إني لأجد شيئاً يحزنني . قال : وما هو يا ابن أخي ؟ قلت : حب الدنيا . قال لي : اعلم يا ابن أخي أن هذا الشيء ما أعاتب نفسي على بعض شيء حببه الله إلي لأن الله تعالى قد حبب هذه الدنيا إلينا ولكن معاتبتنا أنفسنا في غير هذا أن لا يدعونا حبها إلى أن نأخذ شيئاً بشيء يكرهه الله تعالى . ولا نمنع شيئاً من شيء احبه الله تعالى فإذا نحن فعلنا ذلك لم يضرنا حبنا إياها . **(وقال يحي بن معاذ)** الرازي رحمه الله تعالى : **(الدنيا حانوت الشيطان)** أي دكانه الذي فيه متاعه **(فلا تسرق من حانوته شيئاً فيجيء في طلبه فيأخذك)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا . **(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى : **(لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا أن نختار)** لأنفسنا **(خزفاً يبقى على ذهب يفنى ، فكيف وقد اخترنا خزفاً يفنى على ذهب يبقى)** ؟ أخرجه أبو نعيم في الحلية .

وقد اخترنا خزفاً يفنى على ذهب يبقى؟ وقال أبو حازم: إياكم والدنيا فإنه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظماً للدنيا فيقال: هذا عظم ما حقره الله. وقال ابن مسعود: ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وما له عارية، فالضيف مرتحل والعارية مردودة. وفي ذلك قيل:

وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولا بدَّ يوماً أن ترد الودائع

وزار رابعة أصحابها، فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها، فقالت: اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها. ألا من أحب شيئاً أكثر من ذكره. وقيل لإبراهيم بن أدهم: كيف أنت؟ فقال:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

فطوبى لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع

(وقال أبو حازم) سلمة بن دينار الأعرج رحمه الله تعالى: **(إياكم والدنيا فإنه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظماً للدنيا فيقال: هذا عظم ما حقره الله تعالى)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. وأبو نعيم في الحلية. **(وقال ابن مسعود)** رضي الله عنه: **(ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضعيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مردودة)** أخرجه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من رواية الضحاك بن مزاحم قال: قال عبدالله: ما منكم إلا ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مؤداة لأهلها. **(وقد قيل)** في معنى ذلك:

(وما المال والأهلون إلا وديعة ... ولا بد يوماً أن ترد الودائع)

(و) يحكى أنه **(زار رابعة)** بنت إسماعيل العدوية البصرية **(أصحابها)** ممن كان يتردد عليها **(فذكروا الدنيا فأقبلوا على ذمها فقالت: اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها. ألا من أحب شيئاً أكثر من ذكره)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا وقولها من أحب شيئاً أكثر من ذكره. حديث مرفوع أخرجه أبو نعيم، ثم الديلمي من طريق مقاتل بن حبان عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة به، **(وقيل لإبراهيم بن أدهم: كيف أنت؟ فقال)** منشداً:

(نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع)

(فطوبي لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع)

أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق يعلى بن عبيد قال: دخل إبراهيم بن أدهم على أبي جعفر أمير المؤمنين فقال: كيف شأنكم يا أبا إسحاق؟ قال: يا أمير المؤمنين.

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وقيل أيضاً في ذلك:

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ... ونـال مـن الدنيـا سروراً وأنعما
كبـان بنـى بنيانـه فـأقـامـه ... فلما استوى ما قد بناه تهدمـا

وقيل أيضاً في ذلك:

هب الدنيا تساق إليك عفواً ... أليس مصير ذاك إلى انتقـال
ومـا دنيـاك إلا مثـل فيء ... أظلـك ثم آذن بـالـزوال

وقال لقمان لإبنه: يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً. وقال مطرف بن الشخير: لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم، ولكن انظر إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم. وقال ابن عباس: إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء: جزءاً للمؤمن، وجزءاً للمنافق، وجزءاً للكافر، فالمؤمن يتزوّد، والمنافق

ومن طريق أبي عمير عن حمزة قال: دخل إبراهيم بن أدهم على بعض الولاة فقال له: مم معيشتك؟ قال نرقع دنيانا الخ. فقال: أخرجوه فقد استقبل.

(**وقيل أيضاً**) في المعنى:

(أرى طـالـب الدنيـا وإن طـال عمـره ... ونـال مـن الدنيـا سروراً وأنعما)
(كبـان بنى بنيـانـه فـأقـامـه ... فلما استـوى مـا قـد بنـاه تهدّمـا)

وفي نسخة فأتمه بدل فأقامه.

(**وقيل أيضاً**) في المعنى:

(هـب الدنيـا تسـاق إليـك عفـواً ... أليس مصير ذاك إلى انتقـال)؟
(ومـا دنيـاك إلا مثـل فيء ... أظلـك ثم آذن بـالـزوال)

وفي نسخة للزوال.

(**وقال لقمان لابنه**) وهو يعظه: (**يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. (**وقال مطرف بن**) عبدالله بن (**الشخير**) بن عوف العامري التابعي العابد ولأبيه صحبة وقد ذكر: (**لا تنظر إلى خفض عيش الملوك ولين رياشهم، ولكن انظروا إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (**وقال ابن عباس**) رضي الله عنه: (**إن الله جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزءاً للمؤمن، وجزءاً للمنافق، وجزءاً للكافر. فالمؤمن يتزود**) منها لآخرته، (**والمنافق يتزين**) بمتاعها، (**والكافر يتمتع**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا. (**وقال**

يتزين، والكافر يتمتع. وقال بعضهم: الدنيا جيفة، فمن أراد منها شيئاً فليصبر على معاشرة الكلاب. وفي ذلك قيل:

يا خاطب الدنيا إلى نفسها   تنح عن خطبتها تسلم
إن التي تخطب غدارة   قريبة العرس من المأتم

وقال أبو الدرداء: من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها. وفي ذلك قيل:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت   له عن عدو في ثياب صديق

وقيل أيضاً:

يا راقد الليل مسروراً بأوّله   إن الحوادث قد يطرقن أسحاراً

بعضهم: الدنيا جيفة) أي بمنزلة جيفة في هوانها ونتنها **(فمن أراد منها شيئاً فليصبر على معاشرة الكلاب)** رواه صاحب القوت من قول علي رضي الله عنه، وقال علي: مزاحمة الكلاب بدل معاشرة. وفي هذا المعنى قال الشافعي رحمه الله تعالى:

وما هي إلا جيفة مستحيلة   عليها كلابٌ همهن اجتذابها

ومن هنا يؤخذ القول المشهور على الألسنة: الدنيا جيفة وطلابها كلاب. وفي القوت: ولقد أشهد ذلك بعض المكاشفين فقال: رأيت الدنيا في صورة جيفة، ورأيت إبليس في صورة كلب وهو هائم عليها ومنادياً ينادي من فوق: أنت كلب من كلابي وهذه جيفة من خلقي، ولقد جعلتها نصيبك فمن نازعك شيئاً منها فقد سلطتك عليه، **(وقد قيل في هذا المعنى)**:

(يا خاطب الدنيا إلى نفسها   تنح عن خطبتها تسلم)
(إن التي تخطب غدارة   قريبة العرس إلى الماتم)

وقال أبو محمد الحريري:

يا خاطب الدنية الدنية إنها   شرك الردى وقرارة الأكدارِ
دار متى ما أضحكت أبكت   غدارة تباً لها من دارِ

في أبيات أخر ذكرها في مقامته.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(من هوان الدنيا على الله أن لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها)** أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا وذكره صاحب نهج البلاغة من كلام علي رضي الله عنه **(وقيل)** في معنى ذلك وهو أحسن ما سمع في تشبيه الدنيا:

(إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت   له عن عدو في ثياب صديق)

(وقيل أيضاً) في معناه:

(يا راقد الليل مسروراً بأوله   إن الحوادث قد يطرقن أسحاراً)

أفنى القرون التي كانت منعمة ... كر الجديدين إقبالاً وإدبارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك ... قد كان في الدهر نفاعاً وضرارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها ... يمسي ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة ... حتى تعانق في الفردوس أبكارا
إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها ... فينبغي لك أن لا تأمن النارا

وقال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه: لما بعث محمد ﷺ أتت إبليس جنوده فقالوا: قد بعث نبي وأخرجت أمة، قال: يحبون الدنيا؟ قالوا: نعم، قال: لئن كانوا يحبون الدنيا ما أبالي أن لا يعبدوا الأوثان، وإنما أغدو عليهم وأروح بثلاث: أخذ المال من غير حقه، وانفاقه في غير حقه، وإمساكه عن غير حقه، والشر كله من هذا تبع. وقال رجل لعلي كرّم الله وجهه: يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا. قال: وما أصف لك من دار من صح فيها سقم ومن أمن فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها افتتن في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب ومتشابهها العتاب. وقيل له ذلك مرة أخرى فقال:

(أفنى القرون التي كانت منعمة ... كر الليالي إقبالاً وإدباراً)
(يا من يعانق دنيا لا بقاء لها ... يمسي ويصبح في دنياه سفاراً)

أي كثير السفر لأجل تحصيلها.

(هلا تركت من الدنيا معانقة ... حتى تعانق في الفردوس أبكاراً)
(إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها ... فينبغي لك أن لا تأمن النارا)

وقيل في هذا المعنى:

يا راقد الليل انتبه ... إن الخطوب لها سرى
ثقة الفتى بزمانه ... ثقة محللة العرى

(**وقال أبو أمامة**) صدى بن عجلان (**الباهلي**) رضي الله عنه: (**لما بعث محمد ﷺ أتت إبليس جنوده فقالوا: قد بعث نبي وأخرجت أمته. قال يحبون الدنيا؟ قالوا: نعم. قال: لئن كانوا يحبونها ما أبالي أن لا يعبدوا الأوثان وأنا أغدو عليهم وأروح بثلاث أخر: المال من غير حقه، وإنفاقه في غير حقه، وإمساكه عن حقه والشر كله لهذا تبع**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا، (**وقال رجل لعلي بن أبي طالب**) رضي الله عنه: (**يا أمير المؤمنين صف لنا الدنيا. فقال: وما أصف لك من دار من صح فيها ما أمن، ومن سقم فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها العذاب**) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا، وكذلك ذكره صاحب نهج البلاغة ولفظه: ما أصف من دار أولها عناء

أطول أم أقصر ؟ فقيل ، قصر ، فقال : حلالها حساب ، وحرامها عذاب . وقال مالك بن دينار : اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا . وقال أبو سليمان الداراني : إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزاحمها ، فإذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الآخرة ، لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة . وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم أصح ، إذ قال : الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعاً له . وقال مالك بن دينار : بقدر ما تحزن للدنيا يخرج همّ الآخرة من قلبك ، وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج همّ الدنيا من قلبك . وهذا اقتباس مما قاله علي كرّم الله وجهه

وآخرها فناء وفي حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن سعاها فاتته ، ومن قعد عنها واتته ، ومن أبصر بها بصرته ، ومن أبصر إليها أعمته . **(وقيل له ذلك مرة أخرى)** أي سؤال وصف الدنيا **(فقال : أطول أم أقصر ؟ فقيل : قصر ، فقال : حلالها حساب ، وحرامها عذاب)** أخرجه أيضاً ابن أبي الدنيا وسيأتي ذلك في المرفوع . **(وقال مالك بن دينار)** البصري رحمه الله تعالى : **(اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا)** . رواه صاحب الحلية من طريق سيار بن حاتم العنزي بن سلمة البصري ، عن جعفر بن سليمان ، عن مالك بن دينار . وفي ترجمة مالك بن دينار : اتقوا السحارة مرة واحدة ، وفي ترجمة جعفر بن سليمان عن مالك مرتين اهـ .

(وقال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى : **(إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزاحمها)** للؤمها ، **(فإذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الآخرة)** لكرمها **(لأن الآخرة كريمة والدنيا لئيمة)** نقله صاحب القوت . وقال : معناه أن يسير الدنيا يخرج كثير الآخرة وكثير من شأن الآخرة لا يخرج يسيراً من الدنيا ، وأن كثيراً من أمر الآخرة قد يزيله قليل من أمر الدنيا وأن قليلاً من أمر الدنيا قد لا يزيله الكثير من أمر الآخرة هذا العزة شأن الآخرة وقلة النصيب منها وللؤم شأن الدنيا ودناءتها وكثرة النصيب منها وعظم البلوى بها . قال المصنف : **(وهذا تشديد عظيم ونرجو أن يكون ما ذكره سيار بن الحكم)** كذا في النسخ كلها والصواب سيار أبو الحكم العنزي الواسطي البصري وهو سيار بن أبي سيار واسمه وردان ، وقيل : ورد ، وقيل دينار يقال : إنه أخو شاور الوراق لأمه . قال أحمد : صدوق ثقة ثبت في كل المشايخ ، وقال ابن معين والنسائي : ثقة . وقال الحافظ ابن حجر : وليس هو الذي يروي عن طارق بن شهاب مات سنة ١٢٢ روي له الجماعة . **(أصح إذ قال : الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعاً له)** أي فالحكم للغالب وهذا لا يمنع مزاحمة الدنيا مع الآخرة **(وقال مالك بن دينار)** البصري رحمه الله تعالى : **(بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك ، وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك)** نقله صاحب القوت . **(وهذا اقتباس مما قاله علي**

حيث قال: الدنيا والآخرة ضرتان، فبقدر ما ترضي إحداهما تسخط الأخرى. وقال الحسن: والله لقد أدركت أقواماً كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه، ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت، ذهبت إلى ذا أو ذهبت إلى ذا؟ وقال رجل للحسن: ما تقول في رجل آتاه الله مالاً فهو يتصدق منه ويصل منه، أيحسن له أن يتعيش فيه؟ - يعني يتنعم - فقال: لا، لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره. وقال الفضيل: لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت عليَّ حلالاً لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مرَّ بها أن تصيب ثوبه. وقيل: لما قدم عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل، فسلّم وسأله، ثم أتى منزله فلم يرَ فيه إلا سيفه وترسه ورحله، فقال له عمر رضي الله عنه: لو اتخذت متاعاً؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا يبلغنا المقيل. وقال

رضي الله عنه حيث قال) في تشبيه الدنيا والآخرة **(الدنيا والآخرة ضرتان فبقدر ما ترضى إحداهما تسخط الأخرى)** وقد روي ذلك أيضاً من قول وهب بن منبه كما في الحلية، ومثله قول عون بن عبدالله المسعودي: الدنيا والآخرة في العبد ككفتي الميزان ترجح إحداهما فتخف الأخرى. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(والله لقد أدركت أقواماً كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي يمشون عليه ما يبالون أشرقت الدنيا أم غربت ذهبت إلى ذا أم ذهبت إلى ذا)** نقله صاحب القوت، **(وقال رجل للحسن)** البصري. **(ما تقول في رجل آتاه الله مالاً فهو يتصدق منه ويصل منه ويحسن فيه أله أن يتعيش فيه، يعني التنعم. فقال: لا)** يجوز له. **(لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره)** نقله صاحب القوت بلفظ: سئل عن الرجل يوسع عليه في رزقه هل له أن يتسع في الشهوات. فقال: لا والله إذاً لو كانت له الدنيا لم يكن ينبغي أن يأخذ من ماله إلا للحاجة والكفاية من غير سرف ولا تبذير ويقدم فضول ذلك لآخرته ذخيرة له اهـ. والكفاف. هو ما يكف به نفسه فيما لا بدّ له منه، فهذا هو الذي لا يعد من الدنيا.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: **(لو أن الدنيا بحذافيرها)** أي بجملتها **(عرضت علي حلالاً لا أحاسب بها في الآخرة أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية عن محمد بن جعفر بن يوسف، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن يزيد، حدثنا إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل يقول فذكره. **(وقيل: قدم عمر رضي الله عنه الشام)** قدمته الأولى **(فاستقبله أبو عبيده)** عامر **(بن الجراح)** رضي الله عنه **(على ناقة مخطومة بحبل)** أي خطامها من حبل الليف، **(فسلم)** عليه **(وسأله، ثم أتى منزله فلم ير فيه إلا سيفه وترسه ورحله، فقال له عمر رضي الله عنه: لو اتخذت**

سفيان: خذ من الدنيا لبدنك وخذ من الآخرة لقلبك. وقال الحسن: والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم للدنيا. وقال وهب: قرأت في بعض الكتب، الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها، فسألوا الرجعة فلم يرجعوا. وقال لقمان لابنه: يا بني إنك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة، فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها. وقال سعيد بن مسعود: إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي

متاعاً؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا يبلغنا المقيل) قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا محمد بن شبل، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو خالد الأحمر ح.

وحدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر قالا: حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه قال: دخل عمر بن الخطاب على أبي عبيدة بن الجراح، فإذا هو مضطجع على طنفسه رحله متوسداً لحقيبة فقال له عمر: إلا اتخذت ما اتخذ أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيل. وقال معمر في حديثه: لما قدم عمر الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض، فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة قالوا: الآن يأتيك فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله ثم ذكر نحوه.

(وقال سفيان الثوري) رحمه الله تعالى: **(خذ من الدنيا لبدنك)** أي قدر ما تقيم به عمارة البدن لأداء ما كلفت به، **(وخذ من الآخرة لقلبك)** أخرجه ابن أبي الدنيا. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا)** أي بسبب حبهم لها، **(فأوقعتهم في الشرك)** نقله صاحب القوت. **(وقال وهب)** بن منبه اليماني رحمه الله تعالى: **(قرأت في بعض الكتب)** أي السماوية **(الدنيا غنيمة الأكياس)** أي العقلاء **(وغفلة الجهال لم يعرفوها)** لجهلهم بها، **(فسألوا الرجعة)** إليها **(فلم يرجعوا)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال لقمان لابنه)** وهو يعظه: **(يا بني إنك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها)** أي من بطن أمك، **(واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها)** أخرجه ابن أبي الدنيا. **(وقال سعد بن مسعود: إذا رأيت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو به راض فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه)** وهو لا يشعر. سعد بن مسعود هذا لم أجد له ترجمة في رجال الحديث وهو هكذا في سائر نسخ الكتاب وفي الزهد والرقائق من مرسل سعيد بن أبي سعيد إذا رأيت كلما طلبت شيئاً من أمر الآخرة وابتغيته يسر عليك، وإذا طلبت شيئاً من أمر الدنيا وابتغيته عسر عليك فاعلم أنك على حال حسنة، وإذا رأيت كلما طلبت شيئاً من أمر الآخرة وابتغيته، عسر عليك، وإذا طلبت شيئاً من أمر الدنيا وابتغيته يسر لك فأنت على حال قبيحة.

يلعب بوجهه وهو لا يشعر. وقال عمرو بن العاص على المنبر: والله ما رأيت قوماً قط أرغب فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه منكم، والله ما مرّ رسول الله ﷺ ثلاث إلا والذي عليه أكثر من الذي له. وقال الحسن بعد أن تلا قوله تعالى: ﴿فلا تغرنّكم الحياة الدنيا﴾ [لقمان: ٣٣] من قال ذا؟ قاله من خلقها ومن هو أعلم بها، إياكم وما شغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الأشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب. وقال أيضاً: مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب، إن أخذه من حله حوسب به وإن أخذه من حرام عذب به، ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله، يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه.

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: سلام عليك أما بعد: فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات، فأجابه عمر: سلام عليك كأنك بالدنيا ولم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل. وقال الفضيل بن عياض: الدخول في الدنيا هين ولكن الخروج منها شديد. وقال بعضهم: عجباً لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح، وعجباً لمن يعرف أن النار حق كيف يضحك، وعجباً لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها؟ وعجباً لمن يعلم

(وقال عمرو بن العاص) رضي الله عنه **(على المنبر: والله ما رأيت قوماً قط أرغب فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه منكم، والله ما مر برسول الله ﷺ ثلاث إلا والذي عليه أكثر من الذي له)**. قال العراقي: رواه الحاكم وصححه، ورواه أحمد وابن حبان بنحوه **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(بعد أن تلا قوله تعالى: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا)** ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ **(من قال ذا قاله من خلقها)** بقدرته **(من هو أعلم بها إياكم وما شغل)** عن الله **(من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الإشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب)** نقله صاحب القوت. **(وقال)** الحسن **(أيضاً: مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب إن أخذه من حله حوسب بنعمته وإن أخذه من حرام عذب به)** نقله صاحب القوت، وفيه أيضاً: مسكين **(ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من صيبته في دنياه)**.

(وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز) رحمهما الله تعالى **(سلام عليك أما بعد: فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات، فأجابه عمر سلام عليك)** أما بعد: **(كأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل)** أخرجه أبو نعيم في الحلية وأعاده المصنف في كتاب ذم الجاه والرياء، **(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(الدخول في الدنيا هين ولكن التخلص منها شديد)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال بعضهم: عجباً لمن يعرف أن الموت حق كيف يفرح، وعجباً لمن يعمل أن النار حق كيف يضحك، وعجباً لمن يرى تقلب**

أن القدر حق كيف ينصب ؟ وقدم على معاوية رضي الله عنه رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها ؟ فقال : سنيات بلاء وسنيات رخاء ، يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك ، فلولا المولود لباد الخلق ، ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها ، فقال له : سل ما شئت ، قال : عمر مضى فترده أو أجل حضر فتدفعه ، قال : لا أملك ذلك . قال : لا حاجة لي إليك . وقال داود الطائي رحمه الله : يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك ، وإنما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوّفت بعملك كان منفعته لغيرك . وقال بشر : من سأل الله الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف بين يديه . وقال أبو حازم : ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألصق الله إليه شيئاً يسوءك . وقال الحسن : لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع ، ولم يدرك ما أمل ، ولم يحسن الزاد لما يقدم عليه . وقيل لبعض العباد : قد نلت الغنى ، فقال : إنما نال الغنى من عتق من رق

الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها ، وعجباً لمن يعلم أن القدر) أي ما قدره الله **(حق)** كائن **(كيف ينصب)** أي يتعب ؟ وروى ابن عدي والبيهقي من حديث ابن مسعود : عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه ، وعجبت لغافل وليس بمغفول عنه ، وعجبت لضاحك ملء فيه ولا يدري أرضي عنه أم سخط .

(وقدم على معاوية) رضي الله عنه في أيام ولايته **(رجل من نجران)** بلد من بلاد همدان باليمن . قال البكري : سمي باسم أبيها نجران بن زيد بن يشجب ابن يعرب بن قحطان **(عمره مائتا سنة ، فسأله عن الدنيا كيف وجدها ؟ فقال : سنيات بلاء وسنيات رخاء)** جمع سنية تصغير سنة **(يوم فيوم وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك . فلولا المولود لباد الخلق أي فني ، ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها قال له : سل ما شئت ! قال : عمر)** قد **(مضى فترده)** عليَّ **(وأجل حضر فتدفعه)** عني ؟ **(قال)** معاوية **(لا أملك ذلك . قال : لا حاجة لي إليك)** أخرجه ابن أبي الدنيا . **(وقال داود)** بن نصير **(الطائي)** رحمه الله تعالى : **(يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك وإنما بلغته بانقضاء أجلك ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك)** أخرجه أبو نعيم في الحلية **(وقال بشر)** بن الحرث **(الحافي)** رحمه الله تعالى : **(من سأل الله الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف بين يديه)** نقله صاحب القوت أي لطول حسابه إن كانت حلالاً أو حراماً . **(وقال أبو حازم)** سلمة بن دينار الأعرج : **(ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألزق إليه شيء يسوءك)** رواه أبو نعيم في الحلية من طريق ابن مطرف عنه بلفظ : ما يسوءك **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث : إنه لم يشبع مما جمع)** منها من متاعها ، **(ولم يدرك ما أمل)** أي منتهى أمله ، **(ولم يحسن الزاد لما قدم إليه)** نقله صاحب القوت . **(وقيل لبعض العباد : قد نلت الغنى . فقال : إنما نال الغنى من عتق من**

الدنيا. وقال أبو سليمان: لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة. وقال مالك بن دينار: اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضاً ولا ينهى بعضنا بعضاً، ولا يدعنا الله على هذا، فليت شعري أي عذاب الله ينزل علينا؟ وقال أبو حازم: يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة. وقال الحسن: أهينوا الدنيا فوالله ما هي لأحد بأهنأ منها لمن أهانها. وقال أيضاً: إذا أراد الله بعبد خيراً أعطاه من الدنيا عطية ثم يمسك، فإذا نفد أعاد عليه، وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطاً. وكان بعضهم يقول في دعائه: يا ممسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك أمسك الدنيا عني. وقال محمد بن المنكدر: أرأيت لو أن رجلاً صام الدهر لا يفطر، وقام الليل لا ينام، وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال: إن هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله،

رق الدنيا) أخرجه ابن أبي الدنيا. (**وقال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى: (**لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة**) نقله صاحب القوت (**وقال مالك بن دينار**) البصري رحمه الله تعالى: (**اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضاً ولا ينهى بعضنا بعضاً ولا يدعنا الله على هذا، فليت شعري أي عذاب الله ينزل علينا**)! رواه أبو نعيم في الحلية عن محمد بن علي بن حبيش عن أحمد بن يحيى، عن يحيى بن معين، عن سعيد بن عامر عن جعفر بن سليمان عنه. (**وقال أبو حازم**) سلمة بن دينار الأعرج رحمه الله تعالى: (**يسير الدنيا**) أي قليلها (**يشغل عن كثير الآخرة**) وإنك تجد الرجل نفسه بهم غيره حتى لهو أشد اهتماماً من صاحب الهم بهم نفسه هكذا رواه صاحب الحلية بتلك الزيادة من طريق عتيبة بن سعيد عن يعقوب بن عبد الرحمن عنه. (**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**أهينوا الدنيا فوالله ما هي لأحد باهنأ منها لمن أهانها**) نقله صاحب القوت بلفظ فوالله لا هنأ ما تكون حين تهينها. (**وقال أيضاً إذا أراد الله بعبد خيراً أعطى له عطية ثم يمسك فإذا نفد أعاد عليه، وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطاً**) وكان يحلف بالله ما أعز عبد الدنيا إلا أذل دينه، وما أعز عبد دينه إلا هانت عليه الدنيا، وبعضهم يقول: من أكرم الدنيا أهانته غدراً ومن أهانها اليوم أكرمته غداً. (**وكان بعضهم يدعو**) أي يقول في دعائه: (**يا ممسك السماء أن تقع على الأرض أمسك الدنيا عني**) وهذا خاف الافتتان على نفسه منها فطلب الإمساك عنها. (**وقال**) أبو عبدالله (**محمد بن المنكدر**) بن عبدالله بن الهدير التيمي القرشي المدني ابن خال عائشة الصديقية رضي الله عنها: (**أرأيت أن رجلاً صام الدهر لا يفطر وقام الليل لا يفتر**) أي لا يكسل (**وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال: أما أن هذا عظم في عينه ما صغره الله وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى**

فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا ؟ وقال أبو حازم : اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة ، فأما مؤنة الآخرة فإنك لا تجد عليها أعواناً ، وأما مؤنة الدنيا فإنك لا تضرب بيدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه . وقال أبو هريرة : الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها إلى يوم يفنيها : يا رب يا رب لم تبغضني ؟ فيقول لها : اسكتي يا لا شيء . وقال عبدالله بن المبارك : حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته ، فمتى يصل الخير إليه ؟ وقال وهب بن منبه : من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ، ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ، ومن غلب علمه هواه فهو الغالب . وقيل لبشر : مات فلان . فقال : جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه قيل له : إنه كان يفعل ويفعل

يكون حاله فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا) نقله صاحب القوت **(وقال أبو حازم)** سلمة بن دينار رحمه الله تعالى : **(اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة فأما مؤنة الآخرة فإنك لا تجد عليها أعواناً ، وأما مؤنة الدنيا فإنك لا تضرب بيدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه)** . قال أبو نعيم في الحلية : حدثنا أبو حامد بن جبلة ، حدثنا محمد بن إسحاق ، وحدثنا محمد بن الصباح ، حدثنا سفيان قال : قال أبو حازم : اشتدت مؤنة الدنيا والدين . قالوا : يا أبا حازم هذا الدين فكيف الدنيا ؟ قال : لأنك لا تمد يدك إلى شيء إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه . **(وقال أبو هريرة)** رضي الله عنه : **(الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالي)** أي القربة المتخرقة **(تنادى ربها منذ خلقها إلى يوم يفنيها يا رب لم تبغضني لم تمقتني؟ فيقول لها : اسكتي يا لا شيء اسكتي يا لا شيء)** تقدم في أول الباب . **(وقال عبدالله بن المبارك)** رحمه الله تعالى : **(حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته)** أي استولت عليه وسدت عليه طريق الخير ، **(فمتى يصل الخير إليه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية **(وقال وهب بن منبه)** رحمه الله تعالى : **(من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ، ومن جعل شهوته تحت قدميه فرق الشيطان من ظله ، ومن غلب علمه هواه فهو الغالب)** رواه أبو نعيم في الحلية عن حبيب بن الحسن حدثنا أبو شعيب الحراني حدثنا جدي أحمد بن أبي شعيب ، حدثنا القشيري ، عن محمد بن زياد ، عن وهب قال : من جعل شهوته تحت قدميه فزع الشيطان من ظله ، ومن غلب علمه هواه فذلك العالم الغلاب . ومن طريق جعفر بن سليمان قال : سمعت مالك بن دينار يقول : من غلب شهوة الدنيا فذاك الذي يفرق الشيطان من ظله .

(قيل لبشر بن الحرث) الحافي رحمه الله تعالى : **(مات فلان . فقال : جمع الدنيا وذهب إلى الآخرة ضيع نفسه . قيل : إنه كان يفعل ويفعل وذكروا أبواباً من البر ، فقال)** بشر : **(وما**

ـ وذكروا أبواباً من البر ـ فقال: وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا ؟ وقال بعضهم: الدنيا تبغض إلينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت إلينا ؟ وقيل لحكيم: الدنيا لمن هي ؟ قال: لمن تركها. فقيل: الآخرة لمن هي ؟ قال: لمن طلبها. وقال حكيم: الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها، والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها. وقال الجنيد: كان الشافعي رحمه الله من المؤيدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ أخاً له في الله وخوّفه بالله فقال: يا أخي إن الدنيا دحض مزلة ودار مذلة، عمرانها إلى الخراب صائر، وساكنها إلى القبور زائر، شملها على الفرقة موقوف، وغناها إلى الفقر مصروف، الإكثار فيها إعسار، والإعسار فيها يسار، فافزع إلى الله وارض برزق الله لا تتسلف من دار بقائك في دار فنائك، فإن عيشك فيء زائل وجدار مائل، أكثر من عملك واقصر من أملك. وقال ابراهيم بن أدهم لرجل: أدرهم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة ؟ فقال: دينار في اليقظة فقال: كذبت، لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك

ينفع هذا وهو يجمع الدنيا) ؟ نقله صاحب القوت. **(وقال بعضهم: الدنياتبغض إلينا نفسها ونحن نحبها)** مع ذلك، **(فكيف لو تحببت إلينا:)** أخرجه ابن أبي الدنيا. **(وقيل لحكيم: الدنيا لمن هي؟ قال: لم تركها؛ فقيل: الآخرة لمن هي؟ فقال: لمن طلبها)** وفي ذلك قيل:

كل من لاقيت يشكو حاله ليت شعري هذه الدنيا لمن
هذه الدنيا لمن طلقها ورضي منها بقوت وكفن

(وقال حكيم: الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها، والجنة دار عمران وأعمر منها قلب من يطلبها). أخرجه ابن أبي الدنيا. **(وقال)** أبو القاسم **(الجنيد)** بن محمد البغدادي قدّس سره: **(كان الشافعي)** رحمه الله تعالى **(من المؤيدين الناطقين بلسان الحق في الدين)** يروى أنه **(وعظ أخاً له في الله)** أي في ذات الله عز وجل **(وخوّفه في الله فقال: يا أخي إن الدنيا دحض مزلة)** الدحض هو الذي تزلق فيه الأقدام ولا تثبت، والمزلة بمعناه، **(ودار مذلة)** أي دار هوان وذل. **(عمرانها إلى الخراب صائر)** أي راجع، **(وساكنها إلى القبور زائر)** أي عما قريب يزور القبور ويسكنها. **(شملها)** أي جمعها **(على الفرقة)** أي الافتراق **(موقوف، وعناها)** أي تعبها **(إلى الفقر مصروف، الإكثار فيها إعسار)** أي فقر، **(والاعسار منها يسار)** أي غنى، **(فافزع إلى الله)** أي الجأ إليه، **(وارض برزق الله)** مما قدره لك في الأزل. **(لا تستلف أي لا تستقرض (من دار بقائك)** من الآخرة **(في دار فنائك)** من الدنيا، **(فإن عيشك فيء زائل)** أي ظل يزول قريباً **(وجدار مائل)** لا يعتمد، **(أكثر من عملك)** الصالح **(واقصر من أملك. وقال إبراهيم بن أدهم)** رحمه الله تعالى: **(لرجل: أدرهم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة؟ فقال: دينار في اليقظة فقال: كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في المنام، والذي تحبه من الآخرة كأنك لا تحبه**

تحبه في المنام، والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة. وعن إسماعيل بن عياش قال: كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون إليك عنا يا خنزيرة، فلو وجدوا لها إسماً أقبح من هذا لسموها به. وقال كعب: لتحببن إليكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها. وقال يحي بن معاذ الرازي رحمه الله: العقلاء ثلاثة، من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه. وقال أيضاً: الدنيا بلغ من شؤمها أن تمنيك لها يلهيك عن طاعة الله، فكيف الوقوع فيها؟ وقال بكر بن عبدالله: من أراد أن يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفىء النار بالتبن. وقال بندار: إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان. وقال أيضاً: من أقبل على الدنيا أحرقته

في اليقظة) أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وعن إسماعيل بن عياش)** بن سليم العنسي بالنون الحمصي يكنى أبا عتبة صدوق في روايته عن الشاميين مخلط في غيرهم، مات سنة إحدى وثمانين عن بضع وتسعين سنة، روى له البخاري في كتاب رفع اليدين له والأربعة **(قال: كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون: إليك عنا يا خنزيرة، فلو وجدوا لها إسماً أقبح من هذا لسموها به)** ولفظ القوت، وقال أبو راشد التنوخي: سمعت أصحابنا إذا أقبلت إلى أحدهم الدنيا قالوا إليك إليك يا خنزيرة استأخري عنا لا حاجة لنافيك. إنا نعرف إلهنا اهـ.

وقد أورده صاحب القوت في أوائل شرح مقام الزهد عن يزيد بن ميسرة وهو الصواب. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا داود بن عمر والضبي، سمعت إسماعيل بن عياش، حدثني أبو راشد التنوخي، عن يزيد بن ميسرة قال: كان أشياخنا يسمون الدنيا الدنية، ولو وجدوا اسماً شراً منه لسموها به، وكانوا إذا أقبلت إلى أحدهم دنيا قالوا إليك إليك عنا يا خنزيرة لا حاجة لنا بك إنا نعرف الهنا.

(وقال يحي بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى: **(العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، ومن بني قبره قبل أن يدخله، ومن أرضى خالقه قبل أن يلقاه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال ايضاً إن الدنيا بلغ من شؤمها أن تمنيك بما يلهيك عن طاعة الله، فكيف الوقوع فيها)** أخرجه كذلك في الحلية. **(وقال بكر بن عبد الله)** المزني التابعي الثقة: **(من أراد أن يستغني عن الدنيا بالدنيا كان كمطفىء النار بالتبن)** أخرجه ابن أبي الدنيا. **(وقال)** أبو الحسين **(بندار)** بن الحسين الشيرازي صحب الشبلي مات بأرجان سنة ٣٥٣: **(إذا رأيت أبناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم أنهم في سخرة الشيطان)** يعني لا يتكلم في الزهد إلا من كان زاهداً حتى يكون لكلامه التأثير، ولذلك لما خطب بشر بن مروان على منبر الكوفة قال: رافع بن خديج: انظروا أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق فقلت: وما كان عليه؟ قال: ثياب رقاق. ولما جاء عبدالله بن عامر القرشي إلى أبي ذر رضي الله عنه في بزته وجعل يتكلم في

نيرانها - يعني الحرص - حتى يصير رماداً ؛ ومن أقبل على الآخرة صفته بنيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ، ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهراً لا حدّ لقيمته ، وقال علي كرّم الله وجهه : إنما الدنيا ستة أشياء ، مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم ، فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب ، وأشرف المشروبات الماء ويستوي فيه البر والفاجر ، وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة ، وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال ، وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال ، وإن المرأة لتزين أحسن شيء منها ويراد أقبح شيء منها ، وأشرف المشمومات المسك وهو دم .

الزهد وضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يضرط به ، فغضب ابن عامر فأتى ابن عمر فشكا إليه وقال : ألم تر ما لقيت من أبي ذر ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : جعلت أقول في الزهد فأخذ يهزأ بي ، فقال ابن عمر : أنت صنعت بنفسك تأتي أبا ذر في هذه البزة وتتكلم في الزهد . **(وقال)** بندار **(أيضاً : من أقبل على الدنيـا أحرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رماداً ، ومن أقبل على الآخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ، ومن أقبل على الله عز وجل أحرقته نيران التوحيد فصار جوهراً لا حدّ لقيمته)** أخرجه أبو نعيم في الحلية . **(وقال علي رضي الله عنه : إنما الدنيا ستة أشياء : مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم ، فاشرف المطعومات العسل وهـو مـذقـة ذبـاب)** أي مـا تلقيـه النحـل بفيهـا ، **(وأشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر ، وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة ، وأشرف المركوبات الفرس عليه تقتل الرجال ، وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال)** أي ظرف بول في ظرف بول . **(والله إن المرأة لتزين أحسن شيء منها ويراد أقبح شيء منها ، وأفضل المشمومات المسك وهو دم الغزال)** .

قال أبو القاسم الراغب في كتاب الذريعة : جميع اللذات تنقسم عشرة أقسام : مأكل ومشرب وملبس ومشم ومسمع ومبصر ومركب وخادم ومرفق من الآلات وما يشبهها . وقد جعل ذلك سبعة ، وأدخل الخادم والمركب والمرفق وما يجري مجرى ذلك في جملة المبصرات ، وعلى ذلك ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قال لعمار بن ياسر وقد رآه يتنفس : يا عمار على ماذا تنفسك إن كان على الآخرة فقد ربحت ، وإن كان على الدنيا فقد خسرت صفقتك ، فإني قد وجدت لـذاتها سبعـة المأكـولات والمشروبـات والمنكـوحـات والملبـوسـات والمشمومات والمسموعات والمبصرات ، فأما المأكولات فأفضلها العسل وهو ضعة ذباب ، وأما المشروبات فأفضلها الماء وهو مباح أهون موجود وأعز مفقود ، وأما المنكوحـات فمبـال في مبـال ، وحسبك أن المرأة تزين أحسن شيء فيها ويراد أقبح شيء فيها ، وأما الملبوسات فأفضلها الديباج وهو نسج دودة ، وأما المشمومات فأفضلها المسك وهو دم فأرة ، وأما المسموعات فريح هابة في

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها:

قال بعضهم: يا أيها الناس اعملوا على مهل، وكونوا من الله على وجل، ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل، ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدّارة خدّاعة، قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بأمانيها، وتزينت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلية، العيون إليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة، فكم من عاشق لها قتلت، ومطمئن إليها خذلت، فانظروا إليها بعين الحقيقة فإنها دار كثير بوائقها وذمها خالقها، جديدها يبلى، وملكها يفنى، وعزيزها يذل، وكثيرها يقل، وحيها يموت، وخيرها يفوت، فاستيقظوا رحمكم الله من غفلتكم، وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل أو مدنف. فقيل؛ فهل على الدواء من دليل، أو هل إلى الطبيب من سبيل؟ فتدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال: فلان أوصى ولماله أحصى، ثم يقال قد ثقل لسانه

الهواء، وأما المبصرات فخيالات صائرات إلى الفناء. قال الراغب: وقد ذكر الله تعالى أصل ذلك في قوله: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين﴾ [آل عمران: ١٤] الآية فالمشار إليه بحرث الدنيا إلى هذه الأشياء السبعة على ما ذكره علي رضي الله عنه، والعشرة على ما ذكره غيره، وكلا القولين في التحصيل واحد.

بيان المواعظ في ذم الدنيا وصفتها:

(**قال بعضهم**) في موعظته: (**يا أيها الناس اعملوا على مهل**) أي في مهلة من عمركم، (**وكونوا من الله**) علا وجلّ (**على وجل**) أي خوف منه، ولله در من قال:

كن من مواهب ذا الكريم ... علا وجل على وجل
واعلم بأن قضاءه ... حتم أجل وله أجل

(**ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل، ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها غدّارة**) كثيرة الغدر (**خدّاعة**) كثيرة الخداع، (**وقد تزخرفت لكم بغرورها، وفتنتكم بأمانيها، وتزينت لخطّابها، فأصبحت كالعروس المجلية**) عند إهدائها لزوجها، (**العيون إليها ناظرة، والقلوب عليها عاكفة**) أي مقيمة محبوسة، (**والنفوس لها عاشقة، فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن إليها خذلت، فانظروا إليها بعين الحقيقة فإنها دار كثرت بوائقها**) أي دواهيها، (**وذمها خالقها**) فهو أعرف بها منا. (**جديدها يبلى، وملكها يفنى، وعزيزها يذل، وكثيرها يقل، وحيها يموت، وخيرها يفوت**) أي لا يستمر، (**فاستيقظوا من غفلتكم، وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال فلان عليل**) أي مريض (**أو مدنف**) كمكرم من لازمه الدنف محركة أي المرض وقد دنف كعلم وأدنف وأدنفه المرض. (**فقيل: فهل على الدواء من دليل، وهل إلى الطبيب من سبيل؟ فيدعى لك الأطباء ولا يرجى لك الشفاء ثم يقال: فلان**

فما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه، وعرق عند ذلك جبينك، وتتابع أنينك، وثبت يقينك، وطمحت جفونك، وصدقت ظنونك، وتلجلج لسانك، وبكى إخوانك، وقيل لك هذا ابنك فلان، وهذا أخوك فلان ومنعت من الكلام فلا تنطق، وختم على لسانك فلا ينطلق، ثم حل بك القضاء وانتزعت نفسك من الأعضاء، ثم عرج بها إلى السماء، فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت أكفانك، فغسلوك وكفنوك، فانقطع عوّادك واستراح حسادك، وانصرف أهلك إلى مالك، وبقيت مرتهناً بأعمالك. وقال بعضهم لبعض الملوك: إن أحق الناس بذم الدنيا وقلاها من بسط له فيها وأعطى حاجته منها، لأنه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه أو على جمعه فتفرقه، أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد، أو تدب إلى جسمه فتسقمه، أو تفجعه بشيء هو ضنين به بين أحبابه، فالدنيا

أوصى) بكذا وكذا **(ولما له أحصى)** أي ضبط، **(ثم يقال: قد ثقل لسانه فما يكلم إخوانه ولا يعرف جيرانه، وعرق عند ذلك جبينك وتتابع أنينك)** وهو صوت المريض وتتابعه تعاقبه، **(وثبت يقينك، وطمحت جفونك، وصدقت ظنونك، وتلجلج لسانك، وبكى إخوانك، وقيل لك هذا ابنك فلان، وهذا أخوك فلان، ومنعت الكلام فلا تنطق)** لشدة ما نزل بك، **(وختم على لسانك فلا ينطلق ثم حل به القضاء)** المحتوم **(وانتزعت نفسك من الاعضاء، ثم عرج بها إلى السماء، فاجتمع عند ذلك إخوانك وأحضرت اكفانك، فغسلوك وكفنوك، فانقطع عوّادك)** الذين كانوا يعودونك أيام المرض **(واستراح حسادك، وانصرف أهلك إلى مالك وبقيت مرتهناً)** أي محبوساً **(بأعمالك)** إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

وفي كلام علي رضي الله عنه في أثناء خطبته: بينا هو يضحك إلى الدنيا وتضحك إليه في ظل عيش غفول إذ وطأ الدهر به حسكه، ونقصت الأيام قواه، ونظرت إليه الحقوق من كثف، فخالطه من لا يعرفه، ومحاه منهم ما كان يجده، وتولدت فيه فترات علل إنسي ما كان بصحته، ففزع إلى ما عوّده الأطباء من تسكين الحار القار وتحريك البارد بالحار، فلم يطفىء ببارد إلا ثور حرارة، ولا حرّك بحار إلا هيج برودة ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع إلا أمدّ منها كل ذات داء، حتى فتر معلله وزهد ممرضه وتعايا أهله بصفة دائه، وخرسوا عن جواب السائلين عنه، وتنازع دونه شبحا خير يكتمونه، فقائل هو لما به وممن لهم إياب عاقبته ومصير لهم على فقره يذكر لهم أسى الماضين من قبله، فبينا هو كذلك على جناح من اف الدنيا وترك الاحبة إذ عارض.

(وقال بعضهم لبعض الملوك: إن أحق الناس بذم الدنيا وقلاها) أي بغضها **(من بسط له فيها وأعطي حاجته منها، لأنه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه)** أي تستأصله بالهلاك **(أو على جمعه فتفرقه، أو تأتي سلطانه فتهدمه من القواعد)** فلا يثبت له سلطانه، **(أو تدب إلى جنبه فتسقمه)** أي تمرضه، **(أو تفجعه بشيء هو ضنين به)** أي بخيل **(من أحبابه،**

أحق بالذم، وهي الآخذة ما تعطي، الراجعة فيما تهب، بينا هي تضحك صاحبها إذ أضحكت منه غيره، وبينا هي تبكي له إذ أبكت عليه، وبينا هي تبسط كفه بالإعطاء إذ بسطتها بالإسترداد، فتعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره بالتراب غداً، سواء عليها ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي، تجد في الباقي من الذاهب خلفاً، وترضى بكل من كل بدلاً.

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة، وإنما أنزل آدم عليه السلام من الجنة إليها عقوبة، فاحذرها يا أمير المؤمنين فإن الزاد منها تركها. والغنى منها فقرها. لها في كل حين قتيل. تذل من أعزها. وتفقر من جمعها. هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه. فكن فيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلاً مخافة ما يكره طويلاً. ويصبر على شدة الدواء مخافة طول الداء. فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وخلت بآمالها وسوفت بخطابها. فأصبحت كالعروس المجلية، العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة،

فالدنيا أحق بالذم، هي الآخذة ما تعطي، الراجعة فيما تهب، **بينا هي تضحك صاحبها إذا أضحكت منه غيره، وبينا هي تبكي له إذا أبكت عليه، وبينا هي تبسط كفه بالإعطاء إذ بسطتها بالاسترداد، تعقد التاج على رأس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غداً)** أي بعد أن تجعله رئيساً مملكاً إذا هو معفر تحت التراب (**سواء عليه ذهاب ما ذهب وبقاء ما بقي، تجد في الباقي من الذاهب خلفاً، وترضى من كل بدلاً)** فمن هذا وصفه فهو حري بأن يقلى ويذم. أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا هكذا.

(**وكتب الحسن)** البصري رحمه الله تعالى (**إلى عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى يعظه في كتابه حين ولي الخلافة: (**أما بعد؛ فإن الدنيا دار ظعن)** أي سفر (**ليست بدار إقامة، وإنما أنزل آدم عليه السلام إليها عقوبة)** لما صدر منه (**من مخالفة الأمر)** وفي الحلية في ترجمة الفضل قال: ليست الدار دار إقامة، وإنما أهبط آدم إليها عقوبة. ألا ترى كيف يزويها عنه ويمررها عليه، (**فاحذرها يا أمير المؤمنين فإن الزاد منها تركها. والغنى منها فقرها. لها في كل حين قتيل. تذل من أعزها. وتفقر من جمعها. هي كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه)** أي موته. (**فكن فيها كالمداوي جراحته يحتمي قليلاً مخافة ما يكره طويلاً. ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء. فاحذر هذه الدار الغدارة الختالة)** أي الكثيرة الختل (**الخداعة التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وخلت بآمالها وتشوّفت لخطابها)** وفي نسخة: سوّفت بخطابها. (**فأصبحت كالعروس المجلية المزينة، فالعيون إليها ناظرة**

والنفوس لها عاشقة وهي لأزواجها كلهم قالية. فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالأوّل مزدجر. ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر. فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل فيها لبه حتى زلت به قدمه، فعظمت ندامته وكثرت حسرته، واجتمعت عليه سكرات الموت بألمه وحسرات الفوت بغصته. وراغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروّح نفسه من التعب، فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد، فاحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها، فإن صاحب الدنيا كلما إطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه، السار في أهلها غار، والنافع فيها غداً ضار، وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء، فسرورها مشوب بالأحزان لا يرجع منها ما ولى وأدبر، ولا يدري ما هو آت فينتظر. أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر، وعيشها نكد وابن آدم فيها على خطر، إن عقل ونظر فهو من النعماء على خطر ومن البلاء على حذر، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبراً ولم يضرب لها مثلاً لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ؟ فما لها عند الله جل ثناؤه قدر وما نظر إليها منذ خلقها، ولقد عرضت على نبيك ﷺ بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله

والقلوب عليها والهة، والنفوس لها عاشقة وهي لأزواجها كلهم قاتلة) وفي نسخة: قالية أي باغضة. **(فلا الباقي بالماضي معتبر ولا الآخر بالأوّل مزدجر. ولا العارف بالله عز وجل حين أخبره عنها مدكر. فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد، فشغل فيها عن الله حتى زلت قدمه، فعظمت ندامته وكثرت حسرته، واجتمعت عليه سكرات الموت بألمه وحسرات الفوت بغصته. ومن راغب فيها لم يدرك منها ما طلب ولم يروّح نفسه من التعب، فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد، فأحذرها يا أمير المؤمنين وكن أسرّ ما تكون فيها أحذر ما تكون لها، فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخصته إلى مكروه)** أي أصدرته ورفعته **(السار في أهلها غار)** أي مغرور **(والنافع فيها غداً ضار، وقد وصل الرخاء منها بالبلاء وجعل البقاء فيها إلى فناء، فسرورها مشوب)** أي مخلوط **(بالأحزان لا يرجع منها ما ولى وأدبر، ولا يدري ما هو آت فينتظر. أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر، وعيشها نكد، وابن آدم فيها على خطر ومن البلاء على حذر، فلو كان الخالق)** تعالى **(لم يخبر عنها خبراً ولم يضرب لها مثلاً لكانت الدنيا قد أيقظت النائم ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر وفيها واعظ؟ فما لها عند الله [جلّ ثناؤه] قدر)** أي قيمة **(وما نظر إليها منذ خلقها)** نظر رضا كما ورد ذلك في الخبر وتقدم، **(وقد عرضت على نبيك ﷺ بمفاتحها وخزائنها لا ينقص ذلك عند**

جناح بعوضة فأبى أن يقبلها. إذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغضه خالقه أو يرفع ما وضع مليكه. فزواها عن الصالحين إختباراً وبسطها لأعدائه اغتراراً، فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها، ونسي ما صنع الله عز وجل بمحمد ﷺ حين شد الحجر على بطنه، ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه جل وعز أنه قال لموسى عليه السلام: إذا رأيت الغني مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته، وإذا رأيت الفقير مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين، وإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام فإنه كان يقول: إدامي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، وصلائي في الشتاء، مشارق الشمس، وسراجي القمر، ودابتي رجلاي، وطعامي وفاكهتي ما أنبتت

الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها) قال العراقي: هكذا اورده ابن أبي الدنيا مرسلاً، ورواه أحمد والطبراني متصلاً من حديث أبي مويهبة في أثناء حديث فيه: «إني قد أعطيتك خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة» الحديث. وسنده صحيح، وللترمذي من حديث أبي أمامة «عرض عليَّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً» الحديث وقال: حسن. وعلي بن زيد يضعف في الحديث.

(إذ كره أن يخالف على الله أمره أو يحب ما أبغض خالقه أن يرفع ما وضع مليكه، فزواها عن الصالحين إختيار أو بسطها لأعدائه اغتراراً). وقد روي ذلك من كلام علي رضي الله عنه قال في بعض خطبه في ذكر النبي ﷺ قد حقر الدنيا وصغرها وأهونها وهوّنها، وعلم أن الله زواها عنه اختياراً وبسطها على غيره احتقاراً، فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها عن نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه لئلا يتخذ منها رياشاً أو يرجو منها معاشاً. **(فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها)** حيث أعطيها، **(ونسي ما صنع الله عز وجل بمحمد ﷺ حين شد الحجر على بطنه)** هكذا رواه ابن أبي الدنيا، وللبخاري من حديث جابر« قام وبطنه معصوب بحجر» وللترمذي من حديث أنس «رفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين» وقال: حديث غريب وقد تقدم. **(ولقد جاءت الرواية عنه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال لموسى عليه السلام: إذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين)**. ذكره صاحب القوت مع زيادة جملة قبله، ورواه أبو عثمان الصابوني من طريق محمد بن أبي الأزهر قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: قيل لموسى عليه السلام: يا موسى إذا رأيت فساقه مثل سياق المصنف، وأخرجه صاحب الحلية من طريق مجاهد عن كعب قال: إن الرب تعالى قال لموسى عليه السلام فساقه.

(فإن شئت اقتديت بصاحب الروح والكلمة عيسى بن مريم عليه السلام حيث كان يقول: إدامي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، وصلائي) أي دفائي يقال: صلى بالنار وبالشمس إذا تدفأ بها **(في الشتاء مشارق الشمس، وسراجي القمر، ودابتي رجلاي،**

الأرض، أبيت وليس لي شيء، وأصبح وليس لي شيء، وليس على الأرض أحد أغنى مني..

وقال وهب بن منبه: لما بعث الله عز وجل موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون قال لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا، فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني، ولا يعجبكما ما تمتع به منها فإنما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين، فلو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن قدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت، ولكني أرغب بكما عن ذلك فأزوي ذلك عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي إني لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة، وإني

وطعامي وفاكهتي ما أنبتت الأرض، أبيت وليس لي شيء، وأصبح وليس لي شيء، وليس على الأرض أحد أغنى مني).

وفي خطبة علي رضي الله عنه كما في نهج البلاغة، ولقد كان لك في رسول الله ﷺ كان لك فيه الاسوة ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها وكثرة فخارها إذ قبضت عنه أطرافها ووطئت لغيره أكنافها وفطم من رضاعها وزوى عن زخارفها، وإن شئت ثنيت بموسى كليم الله عليه السلام إذ يقول: ﴿رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير﴾ [القصص: ٢٤] والله ما سأل إلاّ خبزاً يأكله لأنه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد كانت خضرة البقلة ترى من صفيق بطنه لهزاله وتشاكل لحمه، وإن شئت ثلثت بداود عليه السلام كان يعمل شقائق الخوص بيده ويقول لجلسائه: أيكم يكفيني بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها. وان شئت اقتديت بعيسى عليه السلام، فلقد كان يتوسد الحجر، ويلبس الخشن، وإدامه الجوع، وسراجه بالليل القمر، وصلاؤه في الشتاء مشارق الشمس ومغاربها، وفاكهته ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجة ولا ولد، لا يعز مالاً ولكن يذله، دابته رجلاه، وخادمه يداه اهـ.

(وقال وهب بن منبه: لما بعث الله موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون) كان فيما **(قال)** له: اسمع كلامي واسمع وصيتي **(لا يروعنكما لباسه الذين لبس من الدنيا)** أي لا يعجبنكما **(فإن ناصيته بيدي ليس ينطق)** بحرف **(ولا يطرف)** بلحظ **(ولا يتنفس إلا بإذني، ولا يعجبكما ما متع به منها)** ولا تمدا إلى ذلك أعينكما **(فإنما هي زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين، ولو شئت ان أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أن مقدرته تعجز عما أوتيتما لفعلت، ولكني أرغب بكما عن ذلك فازوي)** أي أقبض **(ذلك عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي إني لأذودهم)** أي أسوقهم **(عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق)** أي المشفق **(غنمه عن مواقع الهلكة)** محركة أي الهلاك، **(وإني لأجنبهم ملاذها ورفاءها كما**

لأجنبهم ملاذها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن منازل العرة، وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفراً، إنما يتزين لي أوليائي بالذل والخوف والخضوع والتقوى تنبت في قلوبهم وتظهر على أجسادهم، فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم الذي يظهرون، وضميرهم الذي يستشعرون، ونجاتهم التي بها يفوزون، ورجاؤهم الذي إياه يأملون، ومجدهم الذي به يفخرون، وسيماهم التي بها يعرفون، فإذا لقيتهم فأخفض لهم جناحك، وذلل لهم قلبك ولسانك، واعلم أنه من أخاف لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، ثم أنا الثائر له يوم القيامة.

وخطب علي كرم الله وجهه يوماً خطبة فقال فيها: اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها، فلا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها بالبلاء

يجنب الراعي الشفيق إبله عن مبارك العرة) بالضم وهي الجرب، (**وما ذاك لهوانهم عليّ ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفراً**) لم تكلمه الدنيا ولم ينقصه الهوى. واعلم يا موسى أنه لم يتزين لي العباد بزينة هي أبلغ عندي من الزهد في الدنيا فإنها زينة الأبرار عندي، (**إنما يتزين لي أوليائي بالذل والخشوع والخوف**) والنحول والسجود (**والتقوى تثبت في قلوبهم فتظهر على أجسادهم، فهي ثيابهم التي يلبسون، ودثارهم الذي يظهرون، وضميرهم الذي يستشعرون، ونجاتهم التي بها يفوزون، ورجاؤهم الذي إياه يأملون، ومجدهم الذي به يفخرون، وسيماهم التي بها يعرفون**) أولئك هم أوليائي حقاً. (**فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك، وذَلِّل لهم قلبك ولسانك**) هكذا أورد قول وهب هذا صاحب الحلية وصاحب القوت. (**واعلم**) يا موسى (**أنه من أخاف لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، ثم أنا الثائر له يوم القيامة**) أي الآخذ بالثأر.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء، والحكيم في النوادر وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الاسماء والصفات، وابن عساكر من حديث أنس يقول الله عز وجل: من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة الحديث.

وعند الطبراني من حديث ابن عباس يقول الله عز وجل: من عادى لي ولياً فقد ناصبني بالمحاربة الحديث.

وروى أحمد، والحكيم، وأبو يعلى والطبراني في الاوسط، وأبو نعيم في الطب، والبيهقي في الزهد، وابن عساكر من حديث عائشة قال الله عز وجل: من آذى لي ولياً فقد استحل محاربتي الحديث.

(**وخطب علي رضي الله عنه يوماً خطبة فقال فيها: اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها، فلا تغرّنكم الحياة الدنيا فإنها بالبلاء**

محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال وهي بين أهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها نزالها، بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور. أحوال مختلفة وتارات منصرفة. العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة. ترميهم بسهامها وتقصيهم بحمامها. وكل حتفة فيها مقدور وحظه فيها موفور. واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً وأشد منكم بطشاً وأعمر دياراً وأبعد آثاراً. فأصبحت أصواتهم هامدة خامدة من بعد طول تقلبها وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وآثارهم عافية، واستبدلوا بالقصور المشيدة والسرر والنمارق الممهدة. الصخور والأحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة. فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين وأهل محلة متشاغلين. لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والأخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار. وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلا وأكلتهم الجنادل والثرى؟

محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة، وكل ما فيها إلى زوال فهي من أهلها دول) أي نوب (**وسجال**) جمع سجل بالفتح وهو الدلو يقال الحرب بينهم سجال أي تارة لهم وتارة عليهم، (**لا تدوم أحوالها**) أي لا تثبت على حالة واحدة (**ولن يسلم من شر نزالها**) جمع نازل أي واردها شبههم بالمسافر الذي ينزل ثم يسافر، (**بينا أهلها منها في رخاء وسرور إذا هم منها في بلاء وغرور، وأحوال مختلفة وتارات منصرفة**) أي متغيرة. (**العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وإما أهلها فيها أغراض مستهدفة بالبلايا والمحن. ترميهم بسهامها وتقصمهم**) أي تكسرهم (**بحمامها**) أي موتها العاجل (**وكل**) منهم (**حتفه فيها مقدور**) مكتوب من الأزل، (**وحظه منها موفور**) أي واف. (**واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل قد مضى ممن كان أطول منكم أعماراً وأشد منكم بطشاً**) أي قوة وقهراً، (**وأعمر دياراً وأبعد آثاراً فأصبحت أصواتهم هامدة**) أي ساكنة (**من بعد طول تقلبها، وأجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية**) أي مندرسة. (**استبدلوا بالقصور المشيدة والسرور والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المنسدة في القبور اللاطئة**) أي اللاصقة، (**الملحدة، فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين أهل عمارة موحشين، وأهل محلة متشاغلين لا يستأنسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار، وكيف يكون بينهم تواصل**) أو توافق (**وقد طحنهم بكلكله**) أي بصدره. يقال: أناخ عليه الدهر بكلكله وأصله في صدر البعير، وذلك لأنه إذا أناخ على شيء بصدره فقد أهلكه، ثم استعير للدهر (**البلى**) أي استأصلهم فلم يبق منهم شيئاً،

وأصبحوا بعد الحياة أمواتاً وبعد نضارة العيش رفاتاً فجع بهم الأحباب وسكنوا تحت التراب وظعنوا فليس لهم إياب. هيهات هيهات: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] فكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى والوحدة في دار المثوى وأرتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك لمستودع. فكيف بكم لو عاينتم الأمور وبعثرت القبور وحصل ما في الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب وهتكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار؟ هنالك تجزى كل نفس بما كسبت إن الله عز وجل يقول: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيُجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١] وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: ٤١] الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه متبعين لأوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد.

(**وأكلتهم الجنادل والثرى، وأصبحوا بعد الحياة أمواتاً وبعد نضارة العيش**) أي طراوته (**رفاتاً**) متكسرين. (**فجع بهم الأحباب وسكنوا التراب وظعنوا**) أي ساروا (**فليس لهم إياب**) أي رجـــوع. (**هيهات هيهات ﴿إنها كلمةٌ هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ فكأن قد صرتم إلى ما صار وإليه من البلاء والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع**) أي حبستم (**وضمكم ذلك المستودع. فكيف بكم لو قد عاينتم الأمور وبعثرت القبور**) أي أخرج ما فيها (**وحصل ما في الصدور**) من النبات (**وأوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لإشفاقها**) أي خوفها (**من سالف الذنوب وهتكت منكم الحجب والأستار**) أي مزقت ورفعت (**وظهرت منكم العيوب والأسرار؟ هنالك تجزي كل نفس بما كسبت**) من خير أو شر (**إن الله عز وجل يقول: ﴿ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ وقال تعالى ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه﴾ الآية جعلنا الله وإياكم عاملين بكتابه ومتبعين لاوليائه حتى يحلنا وإياكم دار المقامة من فضله إنه حميد مجيد**).

هذه الخطبة أوردها الشريف في نهج البلاغة ونصها: دار بالبلاء محفوفة وبالغدر معروفة. لا تدوم أحوالها ولا تسلم نزالها. أحوال مختلفة وتـارات متصرفة العيش فيها مذموم والأمان فيها معدوم وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها. واعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى قبلكم ممن كان أطول منكم أعماراً وأعمر دياراً وأبعد آثاراً. أصبحت أصواتهم هامدة ورياحهم راكدة وأجسادهم بالية. ديارهم خالية وآثارهم عافية، واستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المسندة والقبور اللاطئة

وقال بعض الحكماء: الأيام سهام والناس أغراض، والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه حتى يستغرق جميع أجزائك، فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في بدنك؟ لو كشف لك عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت ممر الساعة بك ولكن تدبير الله فوق تدبير الإعتبار، وبالسلوّ عن غوائل الدنيا وجد طعم لذاتها، وأنها لأمر من العلقم إذا عجنها الحكيم، وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها، وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ، اللهم أرشدنا إلى الصواب.

وقال بعض الحكماء: وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك، لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه، وما لم يأت فلا علم لك

الملحدة التي قد بني على الخراب بناؤها وشيد بالتراب بناؤها، فمحلها مقترب وساكنها مغترب، بين أهل محلة موحشين وأهل فراغ متشاغلين لا يستأنسون بالأوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران، على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار، وكيف يكون بينهم تزاور وقد طحنهم بكلكله البلا وأكلتهم الجنادل والثرى. وكان قد صرتم إلى ما صاروا إليه وارتهنكم ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع، وكيف بكم لو تناهت بكم الأمور وبعثرت القبور. هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون.

(وقال بعض الحكماء: الأيام سهام والناس أغراض، والدهر يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وأيامه) أي ينتقصك **(حتى يستغرق جميع أجزائك)** أي يستولي. **(فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك وسرعة الليالي في بدنك؟ لو كشف لك)** وحققت الحقائق **(عما أحدثت الأيام فيك من النقص لاستوحشت من كل يوم يأتي عليك واستثقلت ممر الساعة بك ولكن تدبير الله فوق الإعتبار)** لكل معتبر، **(وبالسلو عن غوائل الدنيا)** أي مهالكها **(وجد طعم لذاتها)** لذائقيه، **(وأنها الأمر من العلقم)** وهوالحنظل وقيل: قثاء الحمار **(إذا عجنها الحكيم)** أي اختبرها، **(وقد اعيت الواصف)** أي أعجزته **(لعيوبها بظاهر افعالها، وما تأتي به من العجائب أكثر مما يحيط به الواعظ)** في فصيح مقاله **(فتستوهب الله رشداً إلى الصواب)** هذا كله ما كتبه الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز. أورده هكذا بتمامه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا.

(وقال بعض الحكماء: وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها فقال: الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفك، لإن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه، وما لم يأت فلا علم لك به) وإليه أشار القائل:

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

به، والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعاته، وأحداثه تتوالى على الإنسان بالتغير والنقصان، والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول، والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور.

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه فقال: يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فإنكم حمقى، وإن كنتم تكذبون به فإنكم هلكى، إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تنقلون، عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص، ومن شرابكم شرق، لا تصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه، وخالدون فيه. ثم غلبه البكاء ونزل.

وإليه أشار الصوفية بقولهم: الصوفي ابن وقته **(والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعته، وأحداثه)** أي صروفه **(تتوالى على الإنسان بالتغيير والنقصان والدهر موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول، والأمل طويل والعمر قصير وإلى الله تصير الأمور)** أخرجه ابن أبي الدنيا.

(وخطب عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى **(فقال: يا أيها الناس إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون به فأنتم حمقى)** لا عقول لكم، **(وإن كنتم تكذبون به إنكم هلكى، إنما خلقتم للأبد ولكنكم من دار إلى دار تنقلون عباد الله إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص)** جمع غصة بالضم وهو ما يعترض في الحلق فيغص به، **(ومن شرابكم شرق)** وهو ما يشرق به في الحلق **(لا تصفو لكم نعمة تسرون بها إلا بفراق لأخرى تكرهون فراقها، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه. ثم غلبه البكاء ونزل)** هكذا أخرجه ابن أبي الدنيا.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية مختصراً فقال: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال: قال عمر بن عبد العزيز إنما خلقتم للأبد ولكنكم تنقلون من دار إلى دار ثم ساق سند آخر إلى ابن عيينة قال فيه قال عمر بن عبد العزيز ولم يذكر عمرو بن دينار، وقال في موضع آخر: إن هذه الخطبة كانت بخناصرة وقد سبقه إلى ذلك علي رضي الله عنه فقال في بعض خطبه: أيها الناس إنما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتقل فيه المنايا مع كل جرعة شرق، وفي كل أكلة غصص لا تنالون منها نعمة إلا بفراق أخرى ولا يعمر معمر منكم يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجل ولا تجدد له زيادة في أكلة إلا بنفاد ما قبلها من رزقه، ولا يحيا له أثر إلا مات له أثر، ولا يتجدد له جديد إلا بعد أن يخلق له جديد، ولا تقوم له ثانية إلا وتسقط منه مخضودة.

وقال علي كرّم الله وجهه في خطبته: أوصيكم بتقوى الله والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها، المبلية أجسامكم وأنتم تريدون تجديدها، فإنما مثلكم ومثلها كمثل قوم في سفر سلكوا طريقاً وكأنهم قد قطعوه، وأفضوا إلى علم فكأنهم بلغوه وكم عسى أن يجري المجرى حتى ينتهي إلى الغاية؟ وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها؟ فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فإنه إلى إنقطاع ولا تفرحوا بمتاعها ونعمائها فإنه إلى زوال، عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه.

وقال محمد بن الحسين: لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد

(وقال علي رضي الله عنه في خطبته: أوصيكم بتقوى الله والترك) في نهج البلاغة للشريف الرضي قال رضي الله عنه: نحمده على ما كان، ونستعينه من أمرنا على ما يكون، ونسأله المعافاة في الأديان كما نسأله المعافاة في الأبدان. أوصيكم بالرفض **(للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها)** ولفظ الأصل: وإن لم تحبوا تركها **(المبلية أجسامكم وإن كنتم تريدون)** ولفظ الأصل تحبون **(تجديدها فإنما مثلكم ومثلها كمثل سفر)** بفتح فسكون جمع سافر كراكب وركب **(سلكوا طريقاً وكأنهم قد قطعوه وأفضوا إلى علم)** محركة وهو المنار في الأرض، ولفظ الأصل وأتوا علماً **(فكأنهم بلغوه، وكم عسى أن يجري المجرى حتى ينتهي إلى الغاية)** وكم عسى المجرى إلى الغاية أن يجري إليها حتى يبلغها، **(وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا)** ولفظ الأصل وما عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يعدوه **(وطالب حثيث يطلبه)** ولفظ الأصل يحدوه في الدنيا **(حتى يفارقها فلا)** تنافسوا في عز الدنيا وفخرها، ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها، ولا **(تجزعوا لبؤسها وضرائها)** ولفظ الأصل: من ضرائها وبؤسها **(فإنه إلى انقطاع)** ولفظ الأصل: فإن عزها وفخرها إلى انقطاع، **(ولا تفرحوا بنعمائها فإنه إلى زوال)** ولفظ الأصل: وزينتها ونعيمها إلى زوال وضرائها وبؤسها إلى نفاد، وكل مدة فيها إلى انتهاء، وكل حين فيها إلى فناء. أو ليس لكم في آثار الأولين مزدجر، وفي آبائكم الأولين تبصرة ومعتبر إن كنتم تعقلون. أو لم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون وإلى الخلف الباقين لا يبقون. أولستم ترون أهل الدنيا يمسون ويصبحون على أحوال شتى، فميت يبكي وآخر يعزي وصريع مبتل وعابد يعود وآخر بنفسه يجود **(عجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه)** ولفظ الأصل بعد قوله يجود وطالب للدنبا والموت يطلبه، **(وغافل وليس بمغفول عنه)** وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي الا هادم اللذات ومنغص الشهوات وقاطع الأمنيات عند المساورة للأعمال القبيحة، واستعينوا الله على أداء واجب حقه وما لا يحصى من إعداد نعمه وإحسانه.

(وقال محمد بن الحسن) هكذا في النسخ، وفي بعضها محمد بن الحسين، والمسمى بمحمد بن

أهان الدنيا، وأنه لم يرضها لأوليائه، وأنها عنده حقيرة قليلة، وأن رسول الله ﷺ زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها، أكلوا منها قصداً وقدموا فضلاً، وأخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي، لبسوا من الثياب ما ستر العورة، وأكلوا من الطعام أدناه مما سد الجوعة، ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية، وإلى الآخرة أنها باقية، فتزوّدوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة، ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم، تعبوا قليلاً وتنعموا طويلاً، كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم، أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم.

الحسن جماعة كثيرون منهم: محمد بن الحسن بن أنس الصغاني، ومحمد بن الحسن بن أبي الحسن البراد الكوفي، ومحمد بن الحسن بن زبالة المديني، ومحمد بن الحسن بن الزبير الكوفي، ومحمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي، ومحمد بن الحسن بن عمران الواسطي، ومحمد بن الحسن بن هلال، ومحمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، والله أعلم أيهم أراده المصنف: **(لما علم أهل العقل والعلم والمعرفة والأدب أن الله عز وجل قد أهان الدنيا)** وحقر شأنها، **(وأنه لم يرضها لأوليائه، وأنها عنده حقيرة قليلة)** المقدار، **(وأن رسول الله ﷺ زهد فيها)** ورغب عنها **(وحذر أصحابه من فتنتها)** وضرب لهم في ذلك الأمثال كما سيأتي ذكرها. **(أكلوا منها قصداً)** أي مقتصدين لا إفراطاً ولا تفريطا **(وقدموا فضلاً بين)** أيديهم، **(وأخذوا منها ما يكفي)** في عمارة البدن **(وتركوا ما يلهي)** عن الله تعالى **(لبسوا من الثياب ما ستر العورة)** واكتفوا به عن لبس ثياب الشهرة. **(وأكلوا من الطعام أدناه)** أي أقله **(مما سد الجوعة)** وأمسك الرمق. **(ونظروا إلى الدنيا بعين أنها فانية)** وكل ما فيها إلى زوال **(وللآخرة أنها باقية فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب)** كناية عن التقليل. فإن الراكب مع الراحلة لا يحمل من الزاد إلا قدر ما يكفيه فقط ولم يحمل الفضل. **(فخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة نظروا إلى الآخرة بعين قلوبهم فعلموا أنهم سينظرون إليها باعينهم، فارتحلوا إليها بقلوبهم لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم صبروا قليلاً وتنعموا طويلاً كل ذلك بتوفيق مولاهم الكريم أحبوا ما أحب لهم وكرهوا ما كره لهم)**، ولله در القائل:

إن لله عباداً فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحيّ وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

ولنختم هذا الفصل بكلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فيما يتعلق بالدنيا مما ذكره صاحب نهج البلاغة وفي سياقه المشهي إذ هو مستقى من بحر النبوة. قال رضي الله عنه في بعض خطبه: لا ترفعوا من رفعته الدنيا، ولا تشيموا بارقها، ولا تسمعوا ناطقها، ولا تجيبوا ناعقها، ولا تستضيئوا

....

بأشراقها، ولا تفتنوا باعلاقها، فإن برقها خالب، ونطقها كاذب، وأموالها محروبة، وأعلاقها مسلوبة، ألا وهي المتصدية العنون والجامحة الحرون والمانية الخؤون، والحجود الكنود، والعنود الصدود، والحيود الميود. حالها أنتقال ووطأتها زلزال وعز هاذل وجدها هزل وعلوها سفل دار صرف وسلب ونهب وعطب أهلها على ساق وسباق ولحاق. وقد تحيرت مذاهبها وأعجزت مهاربها وخابت مطالبها، فأسلمتهم المعاقل ولفظتهم المنازل وأعيتهم المحاول فمن ناج معقور ولحم مجزور وشلو مذبوح ودم مسفوح وعاض على يديه وصافق لكفيه ومرتفق بخديه وراد على رأيه وراجع عن عزمه. وقد أدبرت الحيلة وأقبلت العيلة. ولات حين مناص هيهات هيهات فات ما فات وذهب ما ذهب ومضت الدنيا لحال بالها فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين.

وقال رضي الله عنه في خطبة له، والدنيا دار بني لها الفناء ولأهلها منها الجلاء وهي حلوة خضرة قد عجلت للطالب والتبست بقلب الناظر فارتحلوا عنها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد، ولا تسألوا فيها فوق الكفاف، ولا تطلبوا فيها أكثر من البلاغ.

وقال رضي الله عنه في خطبة له: فإن الدنيا رتق مشربها ردغ مشرعها بريق منظرها ويؤبن مخبرها. غرور حائل وضوء آفل وظل زائل وسناد مائل، حتى إذا أنس نافرها واطمأن ناكرها قمعت بأرجلها وقنصت بأحبلها وأقصدت بأسهمها وأعلقت المرء ادهات المنية قائدة له إلى ضنك المضطجع ووحشة المرجع ومعاينة المحل وثواب العمل.

وقال رضي الله عنه في خطبة له: انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها الصادقين فيها، فإنها والله عما قليل تزيل الساوي الثاوي الساكن، وتفجع المترف الآمن لا يرجع ما تولى منها فأدبر ولا يرد ما هو آت منها فينتظر سرورها مشوب بالحزن وجلد الرجال فيها إلى الضعف والوهن، فلا يغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها رحم الله امرءاً تفكر فاعتبر واعتبر فابصر، فكان ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن، وكان ما هو كائن من الآخرة عما قليل لم يزل وكل معدود منقض وكل متوقع آت وكل آت قريب دان.

وقال رضي الله عنه في خطبة له أما بعد: فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتحببت بالعاجلة ووافت بالقليل وتحلت بالآمال وتزينت بالغرور. لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها. غرارة ضرارة حائلة زائلة نافذة بائدة اكالة غوالة لا تعد، وإذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا بها أن تكون كما قال الله تعالى: ﴿كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدر﴾ [الكهف: ٤٥] لم يكن امرؤ منها في حيرة إلا أعقبته بعدها عبرة، ولم يلق من سرائها بطناً إلا منحته من ضرائها ظهراً، ولم تطله فيها ديمة رخاء إلا هشت عليه مزنة بلاء، وحري إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له متنكرة، وإن جانب منها اعذوذب واحلولى أمر منها جانب، فأولى لا ينال امرؤ من غضارتها رغباً إلا أرهقته من نوائبها تعباً، ولا يمسي منها في جناح إلا أصبح على قوادم خوف غرارة غرور ما فيها

فانية فإن من عليها الأخير في ازوادها إلا التقوى. من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه. كم من واثق بها قد فجعته وذي طمأنينة إليها قد صرعته وذي أبهة قد جعلته حقيراً وذي نخوة قد ردته ذليلاً. سلطانها دول وعيشها دنف وعذبها أجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام وأسبابها رمام. حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم. ملكها مسلوب وعزيزها مغلوب وموفورها منكوب وجارها محروب. ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول أعماراً وأبقى آثاراً وأبعد مالاً وأعد عديداً وأكثف جنوداً، تعبدوا للدنيا أي تعبد، وآثروها أي إيثار ثم ظعنوا منها بغير زاد مبلغ ولا ظهر قاطع، فهل بلغكم أن الدنيا سنحت لهم نفساً بفدية أو اعانتهم بمعونة وأحسنت لهم صحبة، بل أرهقتهم بالقوادح وأدهشتهم بالقوارع وضعضعتهم بالنوائب وعفرتهم للمناخر ووطئتهم بالمناسم وأعانت عليهم ريب المنون، فقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وآثرها وأخلد إليها حتى ظعنوا منها لفراق الأبد. هل زودتهم إلا السغب أو أحلتهم إلا الضنك أو نورت لهم إلا الظلمة أو أعقبتهم إلا الندامة؟ أفهذه تؤثرون أم إليها تطمئنون أم عليها تحرصون؟ فبئست الدار لمن لم يتهمها ولم يكن منها على وجل منها. فاعملوا وأنتم تعلمون بأنكم تاركوها وظاعنون عنها، واتعظوا فيها بالذين قالوا من أشد منا قوة. حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركباناً، وانزلوا فلا يدعون ضيفاناً، وجعل لهم من الصفيح أجنان ومن التراب أكفان ومن الرفات جيران. فهم جيرة لا يجيبون داعياً ولا يمنعون ضيماً ولا يبالون مندبة. إن جيدوا لم يفرحوا وإن قحطوا لم يقنطوا جميعاً، وهم آحاد وجيرة وهم أبعاد متدانون، لا يتزاورن وقريبون لا يتقاربون. حلماء قد ذهبت أضغانهم وجهلاء قد ماتت أحقادهم لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم. استبدلوا بظهر الأرض بطناً وبالسعة ضيقاً وبالأهل غربة وبالنور ظلمة فجاءوها كما فارقوها حفاة عراة قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة والدار الباقية كما قال سبحانه: ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال رضي الله عنه في خطبة له أما بعد فإني أحذركم الدنيا فإنها منزلة قلعة وليست بدار نجعة. قد تزينت بغرورها وغرت بزينتها. دار هانت على ربها فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وحياتها بموتها وحلوها بمرها. لم يصطفها الله لأوليائه وكم يضن بها على أعزائه. خيرها زهيد وشرها عتيد وجمعها ينفد وملكها يسلب وعامرها يخرب. فما خير دار تنقص نقص البناء وعمر يفني فناء الزاد ومدة تنقطع انقطاع السير.

وقال رضي الله عنه في خطبة له: ثم إن الدنيا دار فناء وعناء وعبر وغير، فمن الفناء أن الدهر موتر قوسه لا تخطىء سهامه ولا تؤسي جراحه. يرى الحي بالموت والصحيح بالسقم والناجي بالعطب. آكل لا يشبع وشارب لا ينفع، ومن العناء أن المرء يجمع ما لا يأكل ويبني ما لا يسكن ثم يخرج إلى الله لا ما لا حمل ولا بناء نقل، ومن غيرها أنك ترى المرحوم مغبوطاً والمغبوط مرحوماً ليس ذلك إلا نعيماً ذل وبؤساً نزل. ومن عبرها أن المرء يشرف على أمله فيقتطعه حضور أجله، فلا أمل يدرك ولا موت يترك. فسبحان الله ما أغر سرورها واظمأ ريها واضحى فيئها إلا جاء يرد

بيان صفة الدنيا بالأمثلة:

اعلم أن الدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء ، تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء ، تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيراً عنيفاً ومرتحلة ارتحالاً سريعاً ، ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها ، وإنما يحس عند انقضائها ، ومثالها الظل فإنه متحرك [ساكن ، متحرك] في الحقيقة ساكن في الظاهر ، لا تدرك حركته بالبصر الظاهر ، بل بالبصيرة الباطنة ، ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله أنشد وقال:

ولا ماض يرتد . فسبحان الله ما أقرب الحي من الميت بلحاقه به وأبعد الميت من الحي لانقطاعه عنه . إنه ليس شيء بشر من الشر إلا عقابه ، وليس شيء بخير من الخير إلا ثوابه ، وكل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه ، وكل شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه ، فليكفكم من العيان السماع ومن الغيب الخبر .

وقال رضي الله عنه أيضاً في خطبة له : وإنما الدنيا منتهى بصر الأعمى لا يبصر مما وراءها شيئاً والبصير ينفذها بصره ويعلم أن الدار وراءها فالبصير منها شاخص والأعمى إليها شاخص والبصير منها يتزوّد والأعمى لها متزوّد .

وقال رضي الله عنه أيضاً في خطبة له : وأحذركم الدنيا فإنها دار شخوص ومحلة تنقيص ساكنها ظاعن وقاطعها بائن تميد بأهلها ميدان السفينة تصفقها العواصف في لحجج البحار ، فمنهم الغرق الموبق ، ومنهم الناجي على متون الأمواج . تحفزه الرياح بأذيادها وتحمله على أهوالها . فما غرق منها فليس بمستدرك وما نجا منها فإلى مهلك . وله رضي الله عنه كلام في هذا الباب كثير قد اقتصرت على ما ذكرت .

بيان صفة الدنيا بالأمثلة.

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن الدنيا سريعة الفناء**) أي تفنى سريعاً (**قريبة الانقضاء**) أي تنقضي قريباً ، (**تعد**) محبيها (**بالبقاء**) أي تمنيهم بأنهم يبقون فيها (**ثم تخلف في الوفاء**) وهذا معنى قول علي رضي الله عنه في بعض خطبه : ووعدها خلف (**تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سائرة سيراً عنيفاً**) أي شديداً (**ومرتحلة ارتحالاً سريعاً ، ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها ، وإنما يحس عند انقضائها ، ومثالها الظل فإنه متحرك ساكن**) أي متصف بوصفين التحرك والسكون باعتبارين مختلفين ، (**متحرك في الحقيقة**) ولولا ذلك لما انتقل (**ساكن في الظاهر لا تدرك حركته بالبصر الظاهر ، بل بالبصيرة الباطنة**) وقد جاء تشبيهها به في كلام علي رضي الله عنه وغيره ، وتارة بالظل الزائل ، وتارة بالفيء المائل ، ومنه قول الشاعر :

إنما الدنيا كظل زائل

أحلام نـوم أو كظـل زائــلٍ إن اللبيـب بمثلهـا لا يُخْـدعِ

وكان الحسن بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه يتمثل كثيراً ويقول:

يا أهل لـذات دنيـا لا بقـاء لها إن اغتراراً بظــل زائــل حمق

وقيل: إن هذا من قوله. ويقال: إن اعرابياً نزل بقوم فقدموا إليه طعاماً فأكل، ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فأصابته الشمس فانتبه، فقام وهو يقول:

ألا إنما الدنيــا كظــل بنيتــه ولا بد يـومـاً أن ظلـك زائـلُ

وكذلك قيل:

وإن امـرأ دنيــاه أكبر همــه لمستمسـك منهـا بحبـل غـرورُ

(مثال آخر للدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الإفلاس منها بعد افلاتها). تشبه خيالات المنام وأضغاث الأحلام. قال رسول الله ﷺ: «الدنيا حلم وأهلها عليها

(ولما ذكرت الدنيا عند الحسن البصري رحمه الله تعالى أنشد وقال):

(أحلام نــوم أو كظــل زائــل أن اللبيــب بمثلهـــا لا يخدع)

وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يتمثل ويقول:

يـا أهـل لـذات دنيـا لا بقـاء لها إن اغترار بظـــل زائـــل حمق

(وكان يرى أنه من قوله) أي هو الذي أنشأه (ويقال: نزل إعرابي بقوم فقدموا إليه طعاماً فأكل، ثم قام إلى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعو الخيمة فأصابته الشمس فانتبه من النوم فقام وهو يقول):

(إلا انما الدنيــا كظــل بنيتــه ولا بـد يـومـاً أن ظلـك زائـلُ)

وكذلك قيل:

(وإن امـرأً دنيــاه أكبر همــه لمستمسـك منهـا بحبـل غـرورُ)

هكذا أنشده الأصمعي وله قصة.

(مثال آخر للدنيا): (اعلم أن الدنيا من حيث التغرير بخيالاتها) أي إيقاع الغرور بما يتخيل منها (ثم الإفلاس منها بعد إفلاتها) أي اليأس منها بعد شرودها. (تشبه خيالات المنام وأضغاث الأحلام) وهي أخلاط منامات واحدها ضغث حلم من ذلك لأنه يشبه الرؤيا الصادقة وليس بها. (قال رسول الله ﷺ: «الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون ومعاقبون») قال العراقي: لم أجد له أصلاً. وقال يونس بن عبيد بن دينار العبسي، أبو عبيد البصري ثقة ثبت

مجازون ومعاقبون ». وقال يونس بن عبيد : ما شبهت نفسي في الدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك إذ انتبه فكذلك الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، فإذا ليس بأيديهم شيء مما ركنوا إليه وفرحوا به . وقيل لبعض الحكماء : أي شيء أشبه بالدنيا ؟ قال : أحلام النائم .

(مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيها) : اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الاستدراج أوّلاً والتوصل إلى الإهلاك آخراً . وهي كامرأة تتزين للخطاب حتى إذا نكحتهم ذبحتهم . وقد روي أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء عليها من كل زينة ، فقال لها : كم تزوّجت ؟ قالت : لا أحصيهم ، قال : فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك ؟ قالت : بل كلهم قتلت ، فقال عيسى عليه السلام : بؤساً لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين ! كيف تهلكينهم واحداً بعد واحد ولا يكونون منك على حذر ؟

فاضل ورع مات سنة تسع وثلاثين روى له الجماعة : **(ما شبهت نفسي في الدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب ، فبينما هو كذلك إذ انتبه)** من نومه ، **(فكذلك الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فإذا ليس بأيديهم مما ركنوا إليه وفرحوا به)** . وقوله : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا هو من قول علي رضي الله عنه قاله السخاوي في المقاصد ، ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق المعافي بن عمران عن سفيان الثوري من قوله . **(وقيل لبعض الحكماء : أي شيء أشبه بالدنيا ؟ قال : أحلام النائم)** .

(**مثال آخر للدنيا في عداوتها لأهلها وإهلاكها لبنيها**) ومحبيها : **(اعلم أن طبع الدنيا التلطف في الإستدراج أولاً)** حتى يتمكن منها **(والتوصل إلى الإهلاك آخر أو هي كامرأة تتزين للخطاب بأنواع الزينة حتى إذا نكحتهم ذبحتهم)** من حيث لا يشعرون ، **(وقد روي أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء)** أي مكسورة الأسنان **(عليها من كل زينة فقال لها : كم تزوجت ؟ قالت : لا أحصيهم . قال : فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك ؟ قالت : كلهم قتلت ، فقال عيسى عليه السلام : بؤساً لأزواجك الباقين لا يستبرون بأزواجك الماضين ! كيف تهلكينهم واحداً واحداً ولا يكونون منك على حذر ؟)** نقله صاحب القوت وقد روي ذلك مرفوعاً من حديث أنس بلفظ : « **مثلت لأخي عيسى بن مريم** الدنيا في صورة امرأة فقال لها : لك زوج ؟ قالت : نعم أزواج كثيرة . **قال** : هم أحياء **قالت** : لا قتلتهم فعلم حينئذ أنها دنيا مثلت له » . رواه الديلمي في مسند الفردوس ، والمقصود من سياق هذا أنها تستدرج بنيها بلطف حيلة فإذا استولت عليهم أهلكتهم فلا ينبغي الإعتماد على ما يظهر منها من ظاهر الزينة فإن في باطنها الهلاك .

(مثال آخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها : اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي شبه عجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها فإذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لهم قبائحها فندموا على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها . وقال العلاء بن زياد : رأيت في المنام عجوزاً كبيرة متعصبة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها معجبون ينظرون إليها ، فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم إليها وإقبالهم عليها فقلت لها : ويلك من أنت ؟ قالت : أو ما تعرفني ؟ قلت : لا أدري ! من أنت ؟ قالت : أنا الدنيا ، قلت : أعوذ بالله من شرك ! قالت : إن أحببت أن تعاذ من شري فابغض الدرهم .

(مثال آخر للدنيا) : في مخالفة باطنها لظاهرها **(اعلم أن الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السرائر وهي تشبه عجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها ، فإذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تمثل لها قبائحها فندموا على إتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها . قال)** أبو نصر **(العلاء بن زياد)** بن مطر العدوي البصري أحد العباد ثقة ، روى له البخاري تعليقاً ، وأبو داود في المراسيل ، والنسائي ، وابن ماجه : **(رأيت في النوم عجوزاً كبيرة)** السن **(متعصبة الجلد)** أي يابسته **(عليها من كل زينة الدنيا)** أي من الملابس الفاخرة والحلى ، **(والناس عكوف عليها)** أي محيطون بها قائمون لديها **(متعجبون ينظرون إليها ونظرت وتعجبت من نظرهم إليها وإقبالهم عليها وقلت لها : ويلك من أنت ؟ قالت : أما تعرفني ؟ فقلت : لا أدري من أنت . قالت : إني أنا الدنيا . فقلت : أعوذ بالله من شرك قالت : فإن أحببت أن تعاذ من شري فابغض الدرهم) .**

قال أبو نعيم في الحلية : حدثنا أبو حامد بن جبلة ، حدثنا أبو العباس السراج : حدثنا هارون بن عبدالله ، حدثنا يسار ، حدثنا الحرث بن نبهان ، حدثنا هارون بن رباب ، عن العلاء بن زياد قال : رأيت الدنيا في منامي امرأة قبيحة عليها من كل زينة قلت : من أنت يا عدوة الله من أنت أعوذ بالله منك ؟ قالت : أنا الدنيا إن سرك أن يعيذك الله مني فابغض الدراهم .

وحدثنا أبو بكر بن مالك ، حدثنا عبدالله بن أحمد ، حدثني أبي ، حدثنا وهب بن جرير قال : سمعت جرير بن هلال يحدث عن العلاء بن زياد قال : رأيت الناس في النوم يتبعون شيئاً فتبعته ، فإذا عجوز كبيرة هتماء عوراء عليها من كل حلية وزينة فقلت : من أنت ؟ قالت : أنا الدنيا . قلت : أسأل الله أن يبغضك إليّ . قالت : نعم إن أبغضت الدراهم .

وأورده صاحب القوت من مورق العجلي ولفظه : رأيت الدنيا في صورة شمطاء سمجة عليها

وقال أبو بكر بن عياش: رأيت الدنيا في النوم عجوزاً مشوّهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون، فلما كانت بحذائي أقبلت عليَّ فقالت: لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء. ثم بكى أبو بكر وقال: رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد.

وقال الفضيل بن عياض: قال ابن عباس: يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء، أنيابها بادية مشوّهاً خلقها، فتشرف على الخلائق فيقال لهم: أتعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه! فيقال: هذه الدنيا التي تناحرتم عليها، بها تقاطعتم الأرحام. وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم يقذف بها في جهنم فتنادي: أي رب أين أتباعي وأشياعي؟ فيقول الله عز وجل: ألحقوا بها اتباعها وأشياعها. وقال الفضيل: بلغني أن رجلاً عرج بروحه فإذا امرأة على قارعة الطريق عليها من كل زينة

ألوان المصبغات وأنواع الزينة فقلت: أعوذ بالله منك. فقالت: إذا أردت أن يعيذك الله مني فابغض الدرهم. قال: وفي لفظ آخر: والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدينار والدرهم.

(**وقال أبو بكر بن عياش**) بتحتانية ومعجمة الأسدي الكوفي المقري تقدمت ترجمته، والإختلاف في اسمه على عشرة أقوال. (**رأيت الدنيا في النوم عجوزاً مشوّهة**) أي قبيحة الخلقة (**شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون، فلما كانت بحذائي**) أي مقابلتي أقبلت علي فقالت: لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء، ثم بكى أبو بكر وقال: رأيت هذا قبل أن أقدم إلى بغداد. قال المزي: وهو من مشهوري مشايخ الكوفة ومن قرائهم، وقد دخل بغداد ونشر بها العلم، وروى عنه أكابر الشيوخ، مات سنة ٢٣٣ عن ست وتسعين سنة.

(**وقال الفضيل بن عياض**) رحمه الله تعالى: (**قال ابن عباس رضي الله عنه: يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاءأنيابها بادية**) وهوأسنانها من قدام (**مشوهاً خلقها**) أي قصيراً (**وتشرف على الخلائق فيقال لهم: تعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه، فيقال: هذه الدنيا التي تناحرتم عليها**) أي تذابحتم (**بها تقاطعتم الأرحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم تقذف في جهنم فتنادي: أي رب أين اتباعي وأشياعي**) أي جماعتي؟ (**فيقول الله عز وجل: الحقوا بها اتباعها وأشياعها**) فيقذفون في النار. هكذا أورده صاحب القوت عن ابن عباس ولم يذكر الفضيل بن عياض. وقد روى الفضيل عن جماعة، عن عكرمة، عن ابن عباس، وعن جماعة عن عطاء عن ابن عباس وقد روى أبو سعيد بن الإعرابي في كتاب الزهد له من حديث عبادة يجاء بالدنيا يوم القيامة فيقال: ميزوا ما كان منها لله وألقوا سائرها في النار. (**وقال الفضيل**) رحمه الله تعالى: (**بلغني أن رجلاً عرج بروحه فإذا امرأة**

من الحلي والثياب، وإذا لا يمر بها أحد إلا جرحته، فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآه الناس، وإذا هي أقبلت كانت أقبح شيء رآه الناس، عجوز شمطاء زرقاء عمشاء قال: فقلت أعوذ بالله منك! قالت: لا والله. لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم! قال: فقلت من أنت؟ قالت: أنا الدنيا.

(**مثال آخر للدنيا وعبور الإنسان بها:** اعلم أن الأحوال ثلاثة: حالة لم تكن فيها شيئاً وهي ما قبل وجودك إلى الأزل، وحالة لا تكون فيها مشاهداً للدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد، وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا؛ فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير في سفر بعيد، ولذلك قال ﷺ: « ما لي وللدنيا! وإنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها ». ومن رأى الدنيا

على قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والثياب، وإذ لا يمر بها أحد إلا جرحته، فإذا هي أدبرت كانت أحسن شيء رآها الناس، وإذا هي أقبلت كانت اقبح شيء رآه الناس. عجوز شمطاء زرقاء عمشاء. قال: فقلت أعوذ بالله منك. قالت: لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدرهم. قال، قلت: من أنت؟ قالت: أنا الدنيا) وهذه القصة أشبه بقصة العلاء بن زياد التي أوردناها آنفاً، وأن الفضيل بلغه عن رجل عنه والتاريخ يقبله والله أعلم.

(**مثال آخر للدنيا وعبور الإنسان بها: اعلم**) هداك الله تعالى (**أن الأحوال ثلاثة: حالة لم تكن فيها شيئاً**) مذكوراً (**وهي ما قبل وجودك**) في هذا العالم إلى الأزل أي استمداد الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي. (**وحالة لا تكون فيها مشاهداً للدنيا وهي ما بعد موتك إلى الأبد**) وهو استمراره كذلك في المآل. (**وحالة متوسطة بين الأبد والأزل وهي أيام حياتك في الدنيا**) ووجـوك فيها (**فانظر إلى مقدار طولها وانسبه إلى طرفي الأزل والأبد حتى تعلم أنه أقل من منزل قصير في سفر طويل، ولذلك قال ﷺ: « ما لي وللدنيا**) أي ليس لي الفة ومحبة معها ولا لها معي حتى أرغب فيها. وأي إلفة لي وصحبة مع الدنيا. قال الطيبي: واللام في الدنيا مقحمة للتأكيد إن كان الواو بمعنى « مع » وإن كان للعطف فتقديره: مالي وللدنيا معي (**إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف**) أي شديد الحر (**فرفعت له**) أي ظهرت له (**شجرة فقال تحت ظلها**) من القيلولة وهي نوم نصف النهار، والمراد هنا مطلق الاستراحة (**ساعة**) يدفع بذلك حرّ الوقت (**وتركها »**) قال العراقي: رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم من حديث ابن مسعود بنحوه. ورواه أحمد، والحاكم وصححه من حديث ابن عباس انتهى.

بهذه العين لم يركن إليها ولم يبال كيف انقضت أيامه في ضر وضيق أو في سعة ورفاهية، بل لا يبني لبنة على لبنة. توفي رسول الله ﷺ وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة. ورأى بعض الصحابة يبني بيتاً من خص فقال: «أرى الأمر أعجل من هذا

قلت: سياق المصنف هو حديث ابن عباس قال: دخل عمر على رسول الله ﷺ وهو على حصير أثر في جنبه فقال: يا رسول الله لو اتخذت فراشاً أوثر من هذا: فقال: «مالي وللدنيا وما للدنيا ومالي والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها» هكذا أخرجه أحمد والطبراني والحاكم وابن حبان والبيهقي.

وأما لفظ حديث ابن مسعود «مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها، وهكذا رواه أيضاً أحمد وهناد وابن سعد والطبراني والحاكم والبيهقي. قال ابن مسعود: دخلت على النبي ﷺ وهو نائم على حصير قد أثر بجنبه فبكيت فقال: «ما يبكيك»؟ قلت: كسرى وقيصر على الخز والديباج وأنت نائم على هذا الحصير فذكره. قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير هلال بن جناب وهو ثقة. وقال الترمذي: هو حسن صحيح. وقال الحاكم: على شرط البخاري، وأقره الذهبي.

قال الطيبي: وهذا التشبيه تمثيلي ووجه الشبه سرعة الرحيل وقلة المكث، ومن ثم خص الراكب ومقصوده: أن الدنيا زينة زينت للعيون والنفوس فأخذت بهم استحساناً ومحبة، ولو باشر القلب معرفة حقيقتها ومصيرها لأبغضها ولما آثرها على الآجل الدائم.

وقال الحكيم في نوادر الأصول: جعل الله الدنيا ممراً والآخرة مقراً والروح جارية والرزق بلغة والمعاش حجة والسعي جزاء ودعاء من دار الآفات إلى دار السلام، ومن السجن إلى البستان، وذلك حال كل إنسان لكن للنفس أخلاق دنيئة رديئة تعمى عن كونها دار ممر وتلهى عن تذكر كون الآخرة دار مقر، ولا يبصر ذلك إلا من اطمأنت نفسه وماتت شهوته واستنار قلبه بنور اليقين، ولذلك شهد النبي ﷺ هذه الحال في نفسه ولم يضفها لغيره، وإن كان سكان الدنيا جميعاً كذلك لعماهم عما هناك.

(ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها ولم يبال كيف انقضت أيامه في ضر وضيق أو في سعة ورفاهية، بل لا يبني لبنة على لبنة) بفتح فكسر واحدة اللبن ككتف وقد يخفف وهو ما يعمل من الطين ويبني به. **(توفي رسول الله ﷺ وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة)**. قال العراقي: رواه ابن حبان والطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف انتهى.

وفي خطبة علي رضي الله عنه يذكر فيها ما كان عليه ﷺ من الزهد في الدنيا فقال: خرج من الدنيا خميصاً وورد الآخرة سليماً لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه.

(ورأى بعض أصحابه يبني بيتاً من خص) بالضم هو القصب الفارسي يبنى به البيت،

وأنكر ذلك » وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها. وهو مثال واضح فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة، والمهد هو الميل الأوّل على رأس القنطرة، واللحد هو الميل الآخر، وبينهما مسافة محدودة، فمن الناس من قطع نصف القنطرة، ومنهم من قطع ثلثها، ومنهم من قطع ثلثيها، ومنهم من لم ىق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها. وكيفما كان فلا بدّ له من العبور، والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان.

(مثال آخر للدنيا في لين موردها وخشونة مصدرها) : اعلم أن أوائل الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها أن حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات! فإن الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة شديد، وقد كتب علي رضي الله عنه إلى سلمان الفارسي بمثالها فقال: مثل الدنيا مثل الحية لين مسها ويقتل سمها، فأعرض عما يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها بما أيقنت من فراقها، وكن

ويقال للبيت المبني به خص والجمع أخصاص **(فقال: أرى الأمر أعجل من هذا)** قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمر وقال: حسن صحيح، **(وأنكر ذلك)** عليه، **(وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام حيث قال: الدنيا قنطرة)** يعبر عليها إلى الآخرة **(فاعبروها ولا تعمروها)** كذا نقله صاحب القوت، وقد روى مالك من حديث ابن عمر مرفوعاً رواه الديلمي في الفردوس بلا سند، **(وهو مثال واضح فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة، فالمهد هو الميل الأول)** بكسر الميم اسم للمسافة **(على رأس القنطرة، واللحد هو الميل الآخر)** في آخر القنطرة **(بينهما مسافة محدودة)** معينة، **(فمن الناس من قطع نصف القنطرة، ومنهم من قطع ثلثها، ومنهم من قطع ثلثيها، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيفما كان فلا بدّ له من العبور)** والمرور **(والبناء على القنطرة وتزيينها بأصناف الزينة وأنت عابر عليها غاية الجهل والخذلان)** وفي القوت قال الحواريون لعيسى عليه السلام: إنما نريد أن نبني بيتاً نجتمع فيه نتعبد ونتدارس، فاختر لنا موضعاً نبني فيه. فقال: تعالوا فمشوا معه فوقف على قنطرة فقال: ابنوا ههنا. فقالوا: نبني على قنطرة وهي مدرجة للناس لا يدعون فيها. فقال: كذلك الدنيا مدرجة الموتى وأنتم تبنون عليها ولا يدعونكم فيها.

(مثال آخر للدنيا في لين موردها وخشونة مصدرها: اعلم) وفقك الله تعالى **(أن أوائل أمر الدنيا تبدو هينة لينة يظن الخائض فيها أن حلاوة خفضها كحلاوة الخوض فيها وهيهات! فإن الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع السلامة)** للدين **(شديد، وقد كتب علي رضي الله عنه إلى سلمان الفارسي)** رضي الله عنه **(بمثالها فقال: مثل الدنيا مثل الحية لين مسها وتقتل بسمها)** وبين المس والسم جناس القلب، **(فاعرض عما يعجبك منها لقلة ما**

أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها ، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه عنه مكروه والسلام.

(مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها) : قال رسول الله ﷺ : « إنما مثل صاحب الدنيا كالماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء أن لا تبتل قدماه » وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا أنهم يخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم منها مطهرة ، وعلائقها عن بواطنهم منقطعة ، وذلك مكيدة من الشيطان بل لو أخرجوا مما هم فيه لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها ، فكما أن المشي على الماء يقتضي بللاً لا محالة يلتصق بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب ، بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة. قال عيسى عليه السلام : بحق أقول لكم ، كما ينظر

يصحبك منها وضع عنك همومها لما أيقنت) به **(من فراقها ، وكن أسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها ، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه عنه مكروه والسلام)** .

وهذا الكتاب كتبه إليه قبل أيام خلافته . ذكره الشريف الرضي في نهج البلاغة ولفظه ؛ أما بعد فإن مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فذكره ، وفيه : وكن آنس ما تكون فيها أحذر ما تكون منها ، فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور اشخصته منه إلى محذور أو إلى إيناس ازالته عنه بإيحاش. وفي رواية : أزاله عنه إيحاش . والمقصود من إيراد هذا الكلام تشبيه الدنيا بالحية في لين المس ونفث السم ، وقد قال الشاعر في ذلك :

هي دنيا كحية تنفث السـ ... ـم وإن كانت المجسة لانت

(مثال آخر للدنيا في تعذر الخلاص من تبعاتها بعد الخوض فيها) : والتبعة وزان كلمة واحدة التبعات اسم لما يتبعه من ظلامة ونحوها . **(قال النبي ﷺ : « إنما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء أن لا تبتل قدماه »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي من طريقه في الشعب من رواية الحسن قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال فذكره ، ووصله البيهقي في الشعب وفي الزهد من رواية الحسن عن أنس انتهى.

قلت : لفظ البيهقي في الشعب : هل من أحد يمشي على الماء إلا ابتلت قدماه ؟ كذلك صاحب الدنيا لا يسلم من الذنوب ، وهو استثناء من أعم عام الأحوال تقديره : هل يمشي في حال من الأحوال إلا في حال ابتلال قدميه.

(وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا أنهم يخوضون في نعيم الدنيا بأبدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وعلائقها عن بواطنهم منقطعة، وذلك مكيدة من الشيطان) ألقاها على قلوبهم فأعمى بها بصائرهم ، **(بل لو أخرجوا مما هم فيه لكانوا من أعظم المتفجعين بفراقها)** وازوائها عنهم ، **(فكما أن المشي في الماء يقتضي بللاً لا محالة يلتصق بالقدم ، فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب ، بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة . قال**

المريض إلى الطعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا، وبحق أقول لكم، إن الدابة إذا لم تركب وتمتهن تصعب ويتغير خلقها كذلك القلوب إذا لم ترفق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ، وبحق أقول لكم، إن الزق ما لم ينخرق أو يقحل يوشك أن يكون وعاء للعسل كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يقسيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة. وقال النبي ﷺ: «إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله».

(مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالإضافة إلى ما سبق): قال أنس: قال

عيسى عليه السلام: بحق أقول لكم، كما ينظر المريض إلى طعام فلا يلتذ به من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب الدنيا. وبحق أقول لكم، إن الدابة إذا لم تركب وتمتهن) أي تذلل **(لصعبت وتغير خلقها، كذلك القلوب إذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة)** أي تعبها ورياضتها **(تقسو وتغلظ)** فلا ينجع فيها الموعظة. **(وبحق أقول لكم، إن الزق ما لم ينخرق أو يقحل)** أي ييبس **(يوشك أن يكون وعاء للعسل)** الذي هو أشرف المطعومات، **(كذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات أو يدنسها الطمع أو يقسيها النعيم فسوف تكون أوعية للحكمة)**، كذا في القوت. وروى أبو نعيم في الحلية عن مالك بن دينار قال: إن البدن إذا سقم لم ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة، وكذلك القلب إذا علقه حب الدنيا لم ينجع فيه الموعظة. وقال أيضاً: إن القلب المحب لله عز وجل يحب النصب في الله عز وجل.

(وقال نبينا ﷺ: «إن ما يغنى من الدنيا بلاء وفتنة وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله») قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث معاوية فرقه في موضعين ورجاله ثقات انتهى.

قلت: ورواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا مخلد بن جعفر، حدثنا جعفر الفريابي، حدثنا هشام بن حماد، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد، حدثنا أبو عبد رب سمعت معاوية على منبر دمشق يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه لم يبق من الدينا إلا بلاء وفتنة وإنما العمل كالوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله» قال أبو نعيم: رواه الوليد بن مسلم عن ابن جابر مثله لم يروه عن معاوية إلا أبو عبدرب.

(مثال آخر لما بقي من الدنيا وقلته بالإضافة إلى ما سبق: قال أنس) رضي الله عنه:

رسول الله ﷺ : « مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي متعلقاً بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع ».

(مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك) : قال عيسى عليه السلام : مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله.

(مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أوّلها ولنضارة أوائلها وخبث عواقبها) : اعلم أن شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الأطعمة في المعدة، وسيجد العبد عند

(قال رسول الله ﷺ « مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي معلقاً) وفي رواية متعلقاً **(بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع »)** فهذا مثل ضربه على نقضها وسرعة زوالها.

قال ابن القيم : ويوضح هذا المثل ما رواه أحمد من حديث أبي سعيد : صلّى بنا رسول الله ﷺ العصر نهاراً ثم قام فخطبنا فلم يترك شيئاً قبل قيام الساعة إلا أخبر به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، وجعل الناس يلتفتون إلى الشمس هل بقي منها شيء، فقال : « لا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه ».

قال العراقي : رواه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف.

قلت : قال أبو نعيم في الحلية : حدثنا أبي، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن يزيد، حدثنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا فضيل بن أبان، عن أنس، عن النبي ﷺ قال : « مثل الدنيا والآخرة كمثل ثوب شق من أوّله إلى آخره، فتعلق بخيط منها فما لبث ذلك الخيط أن ينقطع » قال : غريب من حديث الفضيل لم نكتبه إلا من حديث إبراهيم، وأبان بن أبي عياش لم تصح صحبته لأنس لأنه كان لهجاً بالعبادة والحديث ليس من شأنه.

(مثال آخر لتأدية علائق الدنيا بعضها إلى بعض حتى الهلاك) : أي بعضها يجر بعضاً ويستدعيه حتى يوقعه في الهلاك. **(قال عيسى عليه السلام : مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر)** أي المالح **(كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى يقتله)**، نقله صاحب القوت، وهذا لأن شارب ماء البحر لا يحصل له الري مما يشربه بل يزيده وهجاً في جوفه، فلم يزل يسيغ منه جرعة بعد أخرى حتى يكون حتفه فيه، وعلائق الدنيا كذلك كلما يتعلق بعلاقة منها تستدعي الأخرى، ولا يقنع بها حتى تستولي عليه العلائق وتحيط به فيكون سبب هلاكه الأبدي. نعوذ بالله من ذلك.

(مثال آخر لمخالفة آخر الدنيا أوّلها ولنضارة أوائلها) أي طراوتها وبهجتها **(وخبث عواقبها : اعلم)** هداك الله تعالى **(أن شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الأطعمة في**

الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا بلغت في المعدة غايتها، وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعماً وأكثر دسماً وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر وأشد نتناً، فكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وألذ وأقوى، فنتنها وكراهتها والتأذي بها عند الموت أشدّ بل هي في الدنيا مشاهدة، فإن من نهبت داره وأخذ أهله وماله وولده، فتكون مصيبته وألمه وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليه، فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ فهو عند الفقد أدهى وأمرّ، ولا معنى للموت إلا فقد ما في الدنيا. وقد روي أن النبي ﷺ قال للضحاك بن سفيان الكلابي: «ألست تؤتى بطعامك وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والماء؟ قال: بلى؛ قال: فإلامَ يصير؟ قال: إلى ما قد علمت يا رسول الله، قال: فإن الله عز وجل

المعدة وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والفتن والقبح ما يجده في الأطعمة اللذيذة إذا بلغت في المعدة غايتها، وكما أن الطعام كلما كان ألذ طعماً وأكثر دسماً وأظهر حلاوة كان رجيعه أقذر) أي ما خرج من بطنه أكثر قذراً، **(وأشد نتناً، وكذلك كل شهوة في القلب هي أشهى وألذ وأقوى، فنتنها وكراهتها والتأذي بها عند الموت أشد بل هي في الدنيا مشاهدة، فإن من نهبت داره وأخذ أهله وولده وماله فتكون مصيبته وألمه وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته به وحبه له وحرصه عليه، فكل ما كان عند الوجود أشهى عنده وألذ فهو عند الفقد أدهى وأمرّ ولا معنى للموت إلا فقد ما في الدنيا)**. ومن هنا قال من قال.

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقداً

(وقد روي ان النبي ﷺ قال للضحاك بن سفيان) بن عوف بن أبي بكر بن كلاب أبي سعيد **(الكلابي)** كان من عمال النبي ﷺ على الصدقات، وروى البغوي وابن قانع أنه كان سيافاً لرسول الله ﷺ يقوم على رأسه متوشحاً بسيفه، روى له الأربعة أرباب السنن: **(«ألست تؤتى بطعامك وقد ملح)** أي أصلح بالملح **(وقزح)** أي أصلح بالقزح بكسر فسكون وهي الابزار وقزح قدره بالتخفيف والتثقيل جعل فيها القزح **(ثم تشرب عليه اللبن والماء» قال: بلى، قال: «فإلى ما يصير»)** أي يرجع؟ **(قال: إلى ما قد علمت يا رسول الله. قال: «فإن الله عز وجل ضرب مثل الدنيا لما يصير إليه طعام ابن آدم»)** قال العراقي: رواه أحمد والطبراني بنحوه، وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه اهـ.

ولفظ القوت: وقد ضرب رسول الله ﷺ مثل الدنيا بما يخرج من نحو ابن آدم بقوله للإعرابي «أرأيتم ما تأكلون وتشربون تنظفون وتطيبون وتبردون»، قال: بلى، قال «فإلى أي شيء يصير»، قال: ما قد علمت يا رسول الله قال: «أليس أحدكم يقعد خلف بيته فيجعل يده على أنفه من نتن ريحه»، قال: نعم. قال «فإن الله جعل الدنيا مثلاً لما يخرج من ابن آدم».

ضرب مثل الدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم »، وقال أبيّ بن كعب: قال رسول الله ﷺ: « إن الدنيا ضربت مثلاً لابن آدم فانظر إلى ما يخرج من ابن آدم وإن قزحه وملحه إلام يصير ». وقال ﷺ: « إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلاً وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلاً وإن قزحه وملحه ». وقال الحسن: قد رأيتهم يطيبونه بالأفاويه والطيب ثم يرمون به حيث رأيتم، وقد قال الله عز وجل: ﴿ فلينظر الإنسانُ إلى طعامه ﴾ [عبس: ٢٤] قال ابن عباس: إلى رجيعه. وقال رجل لابن عمر: إني أريد أن أسألك وأستحي. قال: فلا تستحي واسأل. قال: إذا قضى أحدنا حاجته فقام ينظر إلى ذلك منه. قال: نعم إن الملك يقول له انظر إلى ما بخلت به انظر إلى ماذا صار. وكان

(وقال أبيّ بن كعب) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ « إن الدنيا ضربت مثلاً لابن آدم فانظر إلى ما يخرج من ابن آدم وأن قزحه وملحه)** بالتشديد فيهما ويرويان بالتخفيف أيضاً **(إلى ما يصير »)** يعني ما يخرج منه كان قبل ذلك ألواناً من الأطعمة طيبة ناعمة وشراباً سائغاً فصارت عاقبته إلى ما ترى. قال العراقي: رواه الطبراني وابن حبان بلفظ: « إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلاً » ورواه عبد الله بن أحمد في زيادات المسند بلفظ « جعل » اهـ.

قلت: وقد رواه أحمد أيضاً ولفظهم جميعاً « إن مطعم ابن آدم وضرب مثلاً للدنيا وأن قزحه وملحه فانظر إلى ما يصير » قال المنذري: إسناد جيد قوي.

(وقال ﷺ: « إن الله ضرب الدنيا لمطعم ابن آدم مثلاً وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلاً وأن قزحه وملحه ») قال العراقي: في الشطر الأوّل منه غريب، والشطر الأخير هو الذي تقدم من حديث الضحاك بن سفيان « إن الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا » اهـ.

قلت: ولفظ القوت: ورواه يحيي السعدي عن أبيّ بن كعب، عن رسول الله ﷺ قال: « إن الله ضرب » فذكره مثل سياق المصنف، وزاد في آخره « فانظر ما يخرج من ابن آدم ».

(قال الحسن) رحمه الله تعالى: **(وقد رأيتهم يطيبونه بالأفاويه)** أي التوابل **(والطيب ثم يرمونه بأخبث ما رأيتم)** نقله صاحب القوت، **(وقد قال الله عز وجل ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ قال ابن عباس: إلى رجيعه)** كيف صار وإلى ما آل نقله صاحب القوت، ويروى عن ابن عباس أنه لما أهبط آدم إلى الأرض وأحدث نظر إلى ما خرج منه فأتاه ريحه فاغتم لذلك، فقال له جبريل: هذه رائحة خطيئتك.

(وقال رجل لابن عمر) رضي الله عنه: **(إني أريد أن أسالك واستحي قال: فلا تستحي وسل)** عما بدا لك. **(قال: إذا قضى أحدنا حاجته فقام نظر إلى ذلك منه؛ قال: نعم إن الملك يقول له: انظر هذا ما بخلت به انظر إلى ماذا صار)** نقله صاحب القوت وقال: فهذه

بشير بن كعب يقول: انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم إلى مزبلة فيقول: انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم.

(مثال آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة): قال رسول الله ﷺ: « ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر أحدكم بمَ يرجع إليه ».

مشاهدة ذوي الألباب الذي فهموا عن الله تعالى باطن الخطاب من قوله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات: ٢١] قيل: مجاري الطعام والشراب إلى ما يؤول فيزهدون في أوّله إذ قد كوشفوا بآخره.

(وكان بشيّر) مصغراً **(ابن كعب)** بن أبي الحميري العدوي، أبو أيوب البصري مخضرم. قال النسائي وابن سعد: ثقة احتفر قبراً في طاعون الجارف فقرأ فيه القرآن، فلما مات دفن فيه. ذكره مسلم في مقدمة كتابه، وروى له الباقون **(يقول: انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم إلى السوق وهي مزبلة فيقول: انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم)** نقله صاحب القوت قال: وفي حديث الحسن مرَّ رسول الله ﷺ على مزبلة فقال: « من سرّه أن ينظر إلى الدنيا بجذافيرها فلينظر إلى هذه المزبلة » قال: وروي عن عمر أنه مر بمزبلة فاحتبس عندها فكأن أصحابه تأذوا من ذلك فقال: هذه دنياكم التي تحرصون عليها.

(مثال آخر في نسبة الدنيا إلى الآخرة) أي أنها حقيرة: **(قال رسول الله ﷺ « ما الدنيا في الآخرة)** أي في جنبها وبالإضافة إليها وهو حال عاملها معنى النفي وقد يقدر أي ما قدر الدنيا واعتبارها فهو العامل **(إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم)** أي البحر **(فلينظر أحدكم بم يرجع إليه)** فإنه لا يجدي لواجديه ولا يضر فقده لفاقديه ». أخرجه أبو نعيم في الحلية قال: أخبرت عن سهل بن السري البخاري واذن له في الرواية عنه قال: حدثنا محمد بن علي بن سهل، حدثنا النضر بن سلمة، حدثنا إبراهيم بن الأشعث، عن فضيل بن عياض، عن سليمان الشيباني وبيان بن بشر عن قيس بن أبي. حازم عن المستورد بن شداد قال: قال رسول الله ﷺ: « ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع » قال أبو نعيم: وهو غريب من حديث فضيل عن سليمان وصححه. ورواه إسماعيل بن زيد: حدّثنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا فضيل، عن إسماعيل بن خالد، عن قيس، عن المستورد عن النبي ﷺ اهـ.

ورواه الحاكم في المستدرك عن المستورد قال: كنا عند رسول الله ﷺ فتذاكروا في الدنيا والآخرة فقال بعضهم: إنما الدنيا بلاغ للآخرة فيها العمل، وقالت طائفة: الآخرة فيها الجنة. وقالوا: ما شاء الله. فقال رسول الله ﷺ: « ما الدنيا في الآخرة إلا كما يمشي أحدكم إلى اليم فأدخل أصبعه فيه فما خرج منه فهو الدنيا » قال الحاكم: صحيح، وأقره الذهبي.

ثم اعلم أن المثل إنما يضرب عن غائب بحاضر يشبه من بعض وجوهه أو معظمها وما لا شبه له

(مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها) : اعلم أن أهل الدنيا مثلهم في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتهت بهم إلى جزيرة فأمرهم الملاّح بالخروج إلى قضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوّفهم مرور السفينة واستعجالها ، فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف المكان خالياً فأخذ أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده ، وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أنوارها وأزهارها العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة وألحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من بريتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين بحسن زبرجدها وعجائب صورها ، ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف إلا مكاناً ضيقاً حرجاً فاستقرَّ فيه . وبعضهم أكبّ على تلك الأصداف والأحجار وأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه بإهمالها فاستصحب منها جملة ، فلم يجد في السفينة إلا مكاناً ضيقاً وزاده ما حمله من الحجارة ضيقاً وصار ثقيلاً عليه ووبالاً ، فندم على أخذه ولم يقدر على

منع فيه من ضرب لمثل ، ومثل الدنيا بالذي يعلق بالإصبع من البحر تقريباً للعوام في احتقار الدنيا ، وإلاَّ فالدنيا كلها في جنب الجنة ودوامها أقل ، لأن البحر يفنى بالقطرات والجنة لا تبيد ولا ينفد نعيمها ، بل يزيد للواحد من العبيد ، فكيف بجميع أهل التوحيد ؟

(مثال آخر للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدنيا وغفلتهم عن الآخرة وخسرانهم العظيم بسببها : اعلم) وفقك الله تعالى **(أن أهل الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم ركبوا في سفينة)** ليجوزوا عليها إلى وطنهم ، **(فانتهت بهم إلى جزيرة)** في البحر ذات أساود وأسود فأرست هناك ، **(فأمرهم الملاّح بالخروج)** منها **(لقضاء الحاجة)** والتفسح ، **(وحذّرهم)** أي خوّفهم **(المقام)** أي الإقامة والمكث في الجزيرة إلا قدر قضاء الحاجة ، **(وخوّفهم مرور السفينة واستعجالها)** فخرجوا منها ، **(فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة فصادف المكان خالياً فأخذ)** لنفسه **(أوسع الأماكن وألينها وأوفقها لمراده ، وبعضهم توقف في الجزيرة ونظر إلى أزهارها وأنوارها)** العجيبة وغياضها الملتفة الأشجار ، **(ونغمات طيورها الطيبة وألحانها الموزونة الغريبة ، وصار يلحظ من بريتها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان والأشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة أعين الناظرين لحسن زبرجدها)** أي زينتها **(وعجائب صورها ، ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع إليها فلم يصادف)** فيها **(إلا مكاناً ضيقاً حرجاً فاستقرّ فيه ، وبعضهم أكب على تلك الأصداف والأحجار فأعجبه حسنها ولم تسمح نفسه بإهمالها)** أي تركها فاستصحب منها جملة) فأتى بها إلى السفينة ، **(فلم يجد في السفينة إلا مكاناً ضيقاً وزاده ما حمله من الحجارة ضيقاً وصار ثقلاً عليه ووبالاً ، فندم على أخذه ولم يقدر على رميه)**

رميه ولم يجد مكاناً لوضعه، فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف على أخذه وليس ينفعه التأسف. وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله بأكل تلك الثمار واستشمام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار، وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات، ولا منفك عن شوك ينشب بثيابه وغصن يجرح بدنه وشوكة تدخل في رجله وصوت هائل يفزع منه وعوسج يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو أراد، فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلاً بما معه ولم يجد في المركب موضعاً فبقي في الشط حتى مات جوعاً. وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة، فمنهم من افترسته السباع، ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك، ومنهم من مات في الأوحال، ومنهم من نهشته الحيات فتفرقوا كالجيف المنتنة.

وأما من وصل إلى المركب بثقل ما أخذه من الأزهار والأحجار، فقد استرقته وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار وكمدت تلك الألوان والأحجار فظهر نتن رائحتها فصارت مع كونها مضيقة

لإعجابه به، **(ولم يجد مكاناً لوضعه فحمله في السفينة على عنقه وهو متأسف)** نادم **(على أخذه)** من الجزيرة **(وليس ينفعه التأسف. وبعضهم تولج)** تلك **(الغياض ونسي المركب وبَعُد في متفرجه ومتنزهه منه حتى لم يبلغه نداء الملاّح رئيس السفينة لاشتغاله بأكل تلك الثمار واشتمام تلك الأنوار والتفرج بين تلك الأشجار، وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع)** العوادي في تلك الجزيرة أن تهم عليه، **(وغير خال من السقطات والنكبات، ولا منفك عن شوك يتشبث بثيابه، وغصن يجرح بدنه، وشوكة تدخل في رجله، وصوت هائل يفزع منه، وعوسج)** وهو شجر شائك **(يخرق ثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف)** لموارده، **(فلما بلغه نداء أهل السفينة انصرف مثقلاً بما معه ولم يجد في المركب موضعاً فبقي على الشط حتى مات جوعاً. وبعضهم لم يبلغه النداء وسارت السفينة، فمنهم من افترسته السباع، ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك، ومنهم من مات في الأوحال، ومنهم من نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة)** فلم يغن عنهم حجرهم وزهرهم، فصاروا كما قال تعالى حكاية عمن هذه حاله: ﴿ما أغنى عني ماليه ★ هلك عني سلطانيه﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩].

(فأما من وصل إلى المركب بثقل ما أخذه من الحجارة) المزبرجدة **)** والأزهار المزينة **(فقد استرقته)** أي استعبدته **(وشغله الحزن بحفظها والخوف من فوتها وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث أن ذبلت تلك الأزهار وكمدت ألوان)** تلك **(الأحجار، فظهر نتن رائحتها**

عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هرباً منها، وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته إلى الوطن إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح فبلغ سقيماً مدبراً. ومن رجع قريباً ما فاته إلا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل إلى الوطن استراح ومن رجع أولاً وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالماً، فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة أمورهم، وما أقبح من يزعم أنه بصير عاقل أن تغره أحجار الأرض وهي الذهب والفضة وهشيم النبت وهي زينة الدنيا وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلاً ووبالاً عليه وهو في الحال شاغل له بالحزن والخوف عليه. وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله عز وجل.

(مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف إيمانهم) : قال الحسن رحمه الله: بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: « إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أو ما بقي، أنفدوا الزاد وخسروا

فصار مع كونها مضيقة عليه مؤذية له بنتنها ووحشتها فلم يجد حيلة إلا أن ألقاها في البحر هرباً منها، وقد أثر فيه ما أكل منها فلم ينته إلى الوطن إلاَّ بعد ما ظهرت عليه الأسقام بتلك الروائح) المنتنة **(فبلغ سقيماً مدنفاً)** ناحل البدن **(مدبراً)** قد أدبرت عنه العافية. **(ومن رجع قريباً ما فاته إلا سعة المحل فتأذى بضيق المكان مدة، ولكن لما وصل إلى الوطن استراح، ومن رجع أوّلا وجد المكان الأوسع ووصل إلى الوطن سالماً)** من الأثقال والأشغال. **(فهذا مثال أصناف أهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم ومصدرهم وغفلتهم على عاقبة أمرهم، وما أقبح من يزعم)** في نفسه **(أنه بصير عاقل أن تغره أحجار الأرض وهي الذهب والفضة)** فإنها ينبتان في المعادن كما تنبت بقية الأحجار، ولولا تسنى الحاجات بها لكانا هما والأحجار سواء في القدر **(وهشيم النبت وهي زينة الدنيا)** وزخرفها **(وشيء من ذلك لا يصحبه عند الموت بل يصير كلاً)** أي ثقلاً **(ووبالاً عليه، وهو في الحال شاغل بالحزن والخوف عليه. وهذه حال الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى)**. فرأس المعاصي كلها حب الدينار والدرهم فمن أسقط حبها فقد استراح باله، والله الموفق.

(مثال آخر لاغترار الخلق بالدنيا وضعف إيمانهم) بقول الله تعالى في تحذيره إياهم غوائل الدنيا ودواهيها: **(قال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: « إنما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء)** أي لا نبات بها ولا ماء **(حتى إذا لم يدروا ما سلكوا منها أكثر أو ما بقي)** منها **(أنفدوا الزاد)** أي فني

الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة ولا زاد ولا حمولة، فأيقنوا بالهلكة فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم رجل في حلة تقطر رأسه فقالوا: هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا إلا من قريب، فلما انتهى إليهم قال: يا هؤلاء! فقالوا: يا هذا! فقال: علام أنتم؟ فقالوا: على ما ترى، فقال: أرأيتم إن هديتكم إلى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون؟ قالوا: لا نعصيك شيئاً. قال: عهودكم ومواثيقكم بالله فأعطوا عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئاً. قال: فأوردهم ماء رواء ورياضاً خضراً فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال: يا هؤلاء؟ قالوا: يا هذا! قال: الرحيل! قالوا: إلى أين؟ قال: إلى ماء ليس كمائكم وإلى رياض ليست كرياضكم، فقال أكثرهم: والله ما وجدنا هذا حتى ظننا إنا لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا، وقالت طائفة ـ وهم أقلهم ـ: ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لا تعصوه شيئاً وقد صدقكم في أوّل حديثه فوالله ليصدقنكم في آخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدوّ فأصبحوا بين أسير وقتيل».

زادهم **(وحسروا الظهر)** أي أعروه وهو كناية عن هلاك ما يركبونه **(وبقوا بين ظهراني المفازة ولا زاد)** لهم **(ولا حمولة)** تبلغهم، وفي لفظ: فحسر ظهرهم ونفد زادهم وسقطوا بين ظهراني المفازة **(فأيقنوا بالهلكة)** محركة أي الهلاك، **(فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم رجل في حله يقطر رأسه)** أي مدهناً رأسه غير أشعث **(فقالوا: هذا قريب)** وفي لفظ الحديث: **(عهد بريف)** أي خصب **(وما جاءكم هذا إلا من قريب، فلما انتهى إليهم قال: يا هؤلاء)** القوم: **(قالوا يا هذا الرجل: قال: على ما أنتم)** ؟ أي على أي حال أنتم؟ **(فقالوا: على ما ترى)** من الضنك والشدة حسر ظهرنا ونفد زادنا وسقطنا بين يدي ظهراني المفازة لا ندري ما قطعنا منها أكثر أم ما بقي منها. **(قال: أرأيتم إن هديتكم إلى ما وراء)** ككتاب أي ما يرويكم وتصدون منه على الري **(ورياض خضر ما تعملون؟ قالوا: لا نعصيك شيئاً. قال: عهودكم ومواثيقكم بالله. فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله)** أنهم **(لا يعصونه شيئاً)** وفي لفظ قال: ما تجعلون لي إن أوردتكم ماء رواء ورياضاً خضراً؟ قالوا: نجعل لك حكمك. قال: تجعلون لي عهودكم ومواثيقكم ألا تعصوني؟ فجعلوا له عهودهم ومواثيقهم أن لا يعصوه. **(قال: فمال بهم فأوردهم ماء رواء ورياضاً خضراً)** كما وعدهم، **(فمكث فيهم ما شاء الله)** أن يمكث، **(ثم قال: يا هؤلاء)** القوم. **(قالوا: يا هذا)** الرجل: **(قال: الرحيل)** أي ارتحلوا. **(قالوا: إلى أين؟ قال: إلى ماء ليس كمائكم ورياض ليست كرياضكم)** بل هي أجل وأفخر، وفي لفظ: ثم قال: هلموا إلى رياض أعشب من رياضكم وماء أروى من مائكم. **(فقال أكثرهم: والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أنا لن نجده وما تصنع بعيش خير من هذا)** فلم يرتحلوا. **(قال: وقالت طائفة وهم أقلهم ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله أن لا تعصوه شيئاً وقد صدقكم في أول حديثه، فوالله ليصدقنكم في آخره؟ فراح فيمن اتبعه)** أي ارتحلوا معه

(مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها) : اعلم أن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا مثل رجل هيأ داراً وزينها وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوماً. واحداً بعد واحد ، فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه ويأخذه ، فجهل رسمه وظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن أنه له ، فلما استرجع منه ضجر وتفجع ، ومن كان عالماً برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلب وانشراح صدر ، وكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم أنها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ، ولا يصرفون إليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها . فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها نسأل الله تعالى اللطيف الخبير حسن العون بكرمه وحلمه .

حيث أشار ، وفي لفظ : فراح وراحوا معه فأوردهم ماء رواء ورياضاً خضراً ، **(وتخلف بقيتهم فنذر بهم عدو)** فأغار عليهم **(فأصبحوا من بين أسير وقتيل »)** قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا هكذا بطولة ، ولأحمد والطبراني والبزار من حديث ابن عباس : « أن رسول الله ﷺ أتاه فيما يرى النائم ملكان » الحديث . فقال : أي أحد الملكين إن مثل هذا ومثل أمته مثل قوم سفر انتهوا إلى مفازة فذكر نحوه وأخصر منه وإسناده حسن انتهى .

قلت : وبخط الحافظ ابن حجر إسناده صحيح واللفظ الذي ساقه المصنف وهو سياق حديث الحسن عند ابن أبي الدنيا ، وقد روى نحوه ابن عساكر ، عن ابن المبارك قال : بلغنا عن الحسن قال ابن عساكر . وهذا مرسل وفيه انقطاع بين ابن المبارك والحسن .

(مثال آخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها : أعلم) بصرك الله بنوره **(إن مثل الناس فيما أعطوا من الدنيا)** من ولد ومال وعقار **(مثل رجل هيأ داراً وزينها وهو يدعو إلى داره على الترتيب قوماً ، واحداً بعد واحد ، فدخل واحد داره فقدم إليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه)** بعده **(لا ليتملكه ويأخذه ، فجهل رسمه ، فظن أنه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن أنه له ، فلما استرجع منه ضجر)** وقلق **(وتفجع)** وحزن ، **(ومن كان عالماً برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر ، فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا)** التي أجرى مراسمها على خلق **(علم أنها دار ضيافة سبلت)** أي حبست **(على المجتازين)** العابرين **(لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري)** جمع عارية **(ولا يصرفون إليها كل قلوبهم)** ولا يميلون بالأنس بها كل الميل ، **(حتى تعظم مصيبتهم عند فراقها)** فمن انس بشيء وتعلق به قلبه حزن عند فراقه لا محالة . **(فهذه أمثلة الدنيا وآفاتها وغوائلها)** وقد بقيت للدنيا أمثلة خطرت بالفكر عند كتابتي لهذا الموضع لا بأس بذكرها .

فمنها مثال للدنيا في انقطاعها وفنائها وإن كانت مدتها أكثر مما هي بالإضافة إلى الآخرة، بل لو فرض أن السموات والأرض مملوءات خردلاً وبعد كل ألف سنة طائر ينقل خردلة فني الخردل والآخرة لا تفنى فنسبة الدنيا إلى الآخرة في التمثيل كنسبة خردلة واحدة إلى ذلك الخردل. روى الطبراني في الكبير من حديث المستورد بن شداد مرفوعاً: «ما أخذت الدنيا من الآخرة إلا كما أخذ المخيط غرس في البحر من مائة».

مثال آخر للدنيا وأهلها: أعلم أن الدنيا مشتقة من الدناءة وهي الخسة والحقارة وهي شبه جيفة متغيرة منتنة، والمتكالبون على حوزها لأنفسهم بمنزلة الكلاب العادية كاشرة أنيابها. وقد تقدم في قول علي رضي الله عنه تشبيهها كذلك، وكذا في قول غيره، ويستأنس له بقوله تعالى: ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ [الرعد: ٢٦] أي جيفة متغيرة. روي عن الأصمعي أنه قال: يقال متع اللحم إذا راح وتغير.

مثال آخر للدنيا في سرعة انفضاضها هي كالسوق التي يجتمع فيها الناس لقضاء أغراضهم من بيع وشراء وغير ذلك، فعن قريب يعود كل إلى منزله وتنفض السوق. ورد في بعض الأخبار: إنما الدنيا كسوق قام ثم انفض ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر.

مثال آخر للدنيا في شدة عنائها: هي كالبحر العميق الذي لا حد لقعره، وله أمواج متلاطمة، وفيه تماسيح فاغرة فاها، وقد جعل في أسفله من نفائس الجواهر، فمن أراد غورها وقع فيها وغرق ولم يخلص قال بعض أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ [العنكبوت: ٤٠] أي في بحر الدنيا. وتقدم قول لقمان: إن الدنيا بحر عميق. وقال الحريري:

فلا توغلن إذا ما سبحت ... فإن السلامة في الساحلِ

مثال آخر للدنيا هي بمنزلة الكنيف الذي يحتاجه الإنسان في وقت دون وقت، فينبغي أن يأخذ الإنسان منها بلغة على قدر الاحتياج كما يحتاج إلى الكنيف تارة لا يدخلها إلا ضرورة، وكلما استغنيت عن دخولك الكنيف كان أجود.

مثال آخر للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها هي كالكنيف المبيض أو الروث المفضض، فإن ظاهرها يغر الإنسان بزينته وباطنها لا شيء ينتفع به.

مثال آخر للدنيا هي بمنزلة الحمام إنما يدخل فيه للحاجة، فخذ منه ما ينقي الدرن ويذهب الصنة ويذكر النار، فإذا قارب أن يأخذ منك فاهرب منه، وفيه قال الشاعر:

خذ من الحمام وأخرج ... قبل أن يأخذ منك
حدثن عنه وإلا ... حدث الحمام عنك

مثال آخر للدنيا في إصابتها لبعض واخطائها لآخرين: هي بمنزلة امرأة صماء عمياء ردماء في حجرها جواهر وهي قاعدة على حجر مدوّر، يتبعها ناس كثير يلتمسون ما عندها وهي لا تسمع

بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد:

اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا تكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي؟ وما الذي ينبغي أن يجتنب منها وما الذي لا يجتنب فلا بدَّ وأن نبين الدنيا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي؟ فنقول: دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك، فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت،

قولاً ولا ترى وجهاً، وقد اعتزل عنها قوم قليلو العدد وقعدوا على حجرة وهي تولي في كل ساعة قبضة مما في حجرها واحداً من القوم لا تخص، بل ربما تخطئهم وربما تعطيهم كأنها المعنية لهم بقول الشاعر:

لا تمدحن ابن عباد وإن كثرت ... كفاه جوداً ولا تذممه إن ردما
فليس ينحل إبقاء على نشب ... ولن يجود بفضل المال معتزما
لكنها خطرات من وساوسه ... يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرما

وتارة تعرج على من اعطته فتسلبه سلباً وتدوسه دوساً بحجرها.

مثال آخر للدنيا هي بمنزلة خان قد بنى على قارعة الطريق ومقتنياتها آلات موضوعة فيه يصلح الإنتفاع بها ما دام المسافر نازلاً في ذلك الخان، فيتناول منها مقدار الكفاية ويتسلى عنها عند الراحلة، ويستهجن بنفسه أن يكذب أو يغضب ويحزن يرتكب القبائح في سببها. وهذا المثال قد يستنبط من آخر الأمثلة التي ذكرها المصنف، ولكن تشبهها بالخان للمسافر أقعد من تشبيهها بدار الضيافة وإن كان مآلها أي محصلها واحداً فتأمل.

مثال آخر للدنيا هي بمنزلة صديقك الذي يظهر لك الصداقة في الظاهر ويحفر وراءك ليوقعك في الهلاك فهي تغر بزينتها لمن أقبل عليها واحبها، ولكنها في الباطن تختله وتورده موارد الهلاك، فهي عدوة محبوبة وإياه عنى أبو نواس بقوله:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدوّ في ثياب صديق

وروي عن الحسن قال: ما مثلنا مع الدنيا إلا كما قال كثير:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملامة ... لدينا ولا مقلية إن تقلت

بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق العبد:

(**اعلم**) أرشدك الله تعالى (**أن معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي**) أي ما حقيقتها وماهيتها في حقك؟ (**وما الذي ينبغي أن يجتنب منها**) ويحترز عنها؟ (**وما الذي لا يجتنب**) منها؟ (**فلا بد أن نبين الدينا المذمومة المأمور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة لطريق الله ما هي؟ فنقول**) وبالله التوفيق: (**دنياك وآخرتك عبارة عن حالتين من أحوال قلبك، فالقريب الداني منها يسمى دنيا وهو كل ما قبل الموت،**

والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت، فكل مالك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك، إلا أن جميع مالك إليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هو ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يصحبك في الآخرة وتبقى معك ثمرته بعد الموت وهو شيئان: العلم والعمل فقط، وأعني بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله وملكوت أرضه وسمائه، والعلم بشريعة نبيه. وأعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى، وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الأشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمنكح في لذته لأنه أشهى عنده من جميع ذلك، فقد صار حظاً عاجلاً في الدنيا. ولكنا إذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلاً بل قلنا أنه من الآخرة، وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم:

والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهو ما بعد الموت) وهذا يؤيد قول من قال: إن الدنيا فعلى من الدنو كما سيأتي قريباً للمصنف. **(وكل مالك فيه حظ وغرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك إلا أن جميع مالك إليه ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم، بل هو ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: ما يصحبك في الآخرة) بعد سفرك من الدنيا **(وتبقى معك ثمرته بعد الموت)** ولا ينقطع **(وهو شيئان العلم والعمل فقط. وأعني بالعلم العلم بالله وصفاته وأفعاله)** يشير به إلى مراتب التوحيد الثلاثة بأن الله واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله، ثم بما يتبع ذلك وإليه أشار بقوله: **(وملائكته وكتبه ورسله)** وبما يليق في حق كل منها حسبما في قواعد العقائد، **(وملكوت أرضه وسمائه)** بما فيهما من العجائب الدالة على كمال قدرته. **(والعلم بشريعة نبيه)** الذي هو معدود في أمته وكل ما يوصل إلى تحصيل هذه المعلومات فهو داخل فيها. **(وأعني بالعمل العبادة الخالصة لوجه الله تعالى)** عن الشك والشرك الخفي بمقتضى علمه بالشريعة التي أمر باتباعها وهما من اللذات العقلية وهي أشرف اللذات وأقلها وجوداً فشرفها أنها لا تمل ولا تتبدل، ولكن لا يعرفها إلا من تخصص بها كالحكمة لا يستلذها إلا الحكيم. **(وقد يأنس العالم بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الأشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم في لذته)** فلا يألف فراش النوم ولا يشتغل بالأكل ويدع زوجته كأنها أرملة **(لأنه)** أي العلم بما ذكر **(أشهى عنده من جميع ذلك، فقد صار حظاً عاجلاً في الدنيا. ولكنا إذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا أصلاً، بل قلنا أنه من الآخرة)** كيف وغالب من مضى من صالحي السلف هكذا لأن شأنهم حيث شغلتهم معرفة الله تعالى عن كثير من اللذات البدنية، وحتى عن كثير من اللذات المتوسطة بينها وبين العقلية. **(وكذلك العابد قد يأنس بعبادته فيستلذها**

ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل، وكان آخر يقول: اللهم ارزقني قوّة الصلاة والركوع والسجود في القبر. فهذا قد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنوّ، ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك، وقد قال ﷺ: «حبب إليَّ من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة» فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا، وكذلك كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا، والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا: إلا أنا لسنا في هذا الكتاب نتعرض إلا للدنيا المذمومة فنقول: هذه ليست من الدنيا.

بحيث لو منع عنها) ولو ساعة من الزمان **(لكان ذلك أعظم العقوبات عليه)** ويرى نفسه متلهفاً نادماً كأنه كان في يده شيء ففاته، **(حتى قال بعضهم: ما أخاف الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل)** فهذا قد حذر الموت لأجل حيلولته بينه وبين التهجد. **(وكان آخر يقول: اللهم ارزقني قوة الصلاة والركوع والسجود في القبر)** ومنهم من استجيب له ذلك فكشف عن قبور بعض منهم فرؤي مصلياً، ومنهم من رؤي في قبره قارئاً للقرآن. **(فهذا قد صارت الصلاة)** والقراءة **(عنده من حظوظه العاجلة، وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الإشتقاق من الدنو)** الذي هو القرب بالذات أو الحكم، فهي إذاً فعلى من الدنو. قال الحراني: هو الإنزال رتبة في مقابلة علياء، ولكونها لزمتها العاجلة صارت في مقابلة الأخرى اللازمة للعلو، ففي الدنيا نزول قدر وتعجيل، وفي الآخرة علو قدر وتأخير فتقابلتا. **(ولكننا لسنا نعني بالدنيا المذمومة ذلك)** كيف يكون ذلك، **(وقد قال ﷺ: «حبب إليَّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة»)** رواه النسائي والحاكم من حديث أنس دون قوله: «ثلاث» وتقدم في النكاح، وفي بعض ألفاظه: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» وفي بعضها: «وجعل». وتقدم تفصيل ذلك. ومنهم من قال: إن لفظ ثلاث لم يقع في شيء من طرقه بل زيادته محيلة للمعنى، ولكن شرحه الإمام أبو بكر بن فورك في رسالة ووجهه بما حاصله في كلام المصنف حيث قال: **(فجعل الصلاة من جملة ملاذ الدنيا، وذلك لأن كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود إنما يكون في الدنيا فلذلك أضافها إلى الدنيا)** فعلى هذا لفظ الثلاث إن ثبت لا يكون محيلاً للمعنى، ولكن لما لم يكن في الصلاة تقاضى شهوة نفسانية كما في النساء والطيب عبر فيها بعبارة تخالف السياق الأول. فقال: وجعلت قرة عيني في الصلاة كما في رواية، وعند أحمد في الزهد زيادة على هذا الحديث وهي: أصبر عن الطعام والشراب ولا أصبر عنهن. وروى الديلمي من حديث أنس: الجائع يشبع والظمآن يروى وأنا لا أشبع من حب الصلاة والنساء.

(إلا أنا في هذا الكتاب لسنا نتعرض إلا للدنيا المذمومة فنقول: هذه لبست من الدنيا.

القسم الثاني: وهو المقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الحاجات والضرورات الداخلة في جملة الرفاهية والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث والغلمان والجواري والخيول والمواشي والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الأطعمة، فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولاً أو في محل الحاجة نظر طويل، إذ روي عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الدرداء على حمص فاتخذ كنيفاً أنفق عليه درهمين، فكتب إليه عمر: من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر، قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين أراد الله خرابها، فإذا أتاك كتابي هذا فقد سيرتك إلى دمشق أنت وأهلك، فلم يزل بها حتى مات، فهذا رآه فضولاً من الدنيا فتأمل فيه.

القسم الثاني: **وهو المقابل له على الطرف الأقصى كل ما فيه للإنسان حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة الرفاهية**) أي سعة العيش (**والرعونات**) وهي الوقوف مع مقتضى طباع النفس (**كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة**) أي العدد الكثير منها (**والخيل المسوّمة**) أي الفارهة السمينة المعلمة بأنواع الزينة السائمة منها والمستعدة (**والأنعام**) المراد بها الأزواج الثمانية (**والحرث**) الزراعة (**والغلمان والجواري**) المتخذة للخدمة (**والحيوان والمواشي**) فيه تخصيص بعد تعميم من قوله: والانعام (**والقصور والدور ورفيع الثياب ولذائذ الأطعمة**) والأشربة (**فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولاً أو في محل الحاجة نظر طويل**) فقد يختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأزمان (**إذ روي عن عمر رضي الله عنه أنه استعمل أبا الدرداء**) عويمر بن عامر رضي الله عنه (**على حمص**) وهي مدينة معروفة بالشام (**فاتخذ كنيفاً**) أي حظيرة تستره من حر الشمس (**أنفق عليه درهمين**) فبلغ ذلك عمر، فكتب إليه: من عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عويمر وهو اسمه على ما اشتهر، وقيل: بل لقبه واسمه عامر. حكاه الفلاس عن بعض ولده، وبه جزم الأصمعي في رواية الكريمي عنه: (**قد كان لك في بناء فارس والروم ما تكتفي به عن عمران الدنيا حين أذن بخرابها، فإذا أتاك كتابي هذا فقد سيّرتك وأهلك إلى دمشق**) فلما بلغه الكتاب سار بأهله إلى دمشق فلم يزل بها حتى مات في خلافة عثمان على الأصح عند أصحاب الحديث. وقال ابن حبان: ولاه معاوية قضاء دمشق في خلافة عمر. (**فهذا رآه فضولاً من الدنيا فتأمل فيه**) كيف عد مثله فضولاً مع أن التي صرف عليه شيء حقير.

القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام والقميص الواحد الخشن وكل ما لا بدّ منه ليتأتى للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل. وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأوّل، لأنه معين على القسم الأوّل ووسيلة إليه. فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانة به على العلم والعمل لم يكن به متناولاً للدنيا ولم يصر به من أبناء الدنيا، وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا، ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات: صفاء القلب أعني طهارته عن الأدناس وأنسه بذكر الله تعالى وحبه لله عز وجل، وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله تعالى والمواظبة عليه، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة. ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت.

أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا، فهي من المنجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين

(**القسم الثالث: وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل معين على أعمال الآخرة كقدر القوت من الطعام**) الذي به يتغذى ومن الماء التي به يروى، (**والقميص الواحد الخشن**) الذي يواري عورته، وخرج من الواحد أن يكون له قميصان ومن الخشن أن يكون رقيقاً، (**وكل ما لا بد منه ليتأتى للإنسان البقاء والصحة التي بها يتوصل إلى العلم والعمل، وهذا ليس من الدنيا كالقسم الأول، لأنه معين على القسم الأول ووسيلة إليه، فمهما تناوله العبد**) بما لا يمكن التبلغ بأقل منه (**على قصد الاستعانة به على العلم والعمل**) فمعذور بل مشكور ومأجور، (**ولم يكن به متناولاً للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا**) ولم يلحقه الذم. (**وإن كان باعثه الحظ العاجل دون الإستعانة على التقوى التحق بالقسم الثاني الذي هو مقابل للقسم الأول، (وصار من جملة الدنيا**) ولو كان المتناول حقيراً في نفسه، (**ولا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات:**) الأولى: (**صفاء القلب أعني طهارتها من أدناس الدنيا**) وأوساخها، (**و**) الثانية: (**أن يذكر الله تعالى، و**) الثالثة: (**حبه لله تعالى. وصفاء القلب وطهارته لا يحصلان إلا بالكف عن شهوات الدنيا**) وحظوظها، (**والأنس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة**) إذ من لم يعرف لم يحب. (**ولا تحصل معرفة الله إلا بدوام الفكر**) في جلال الله وعظمته. (**وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات للعبد بعد الموت**).

(**أما طهارة القلب عن شهوات الدنيا، فهي من المنجيات إذ تكون جنة بين العبد وبين**

عذاب الله كما ورد في الأخبار : « إن أعمال العبد تناضل عنه فإذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه ، وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه » . الحديث .

وأما الانس والحب ، فهما من المسعدات وهما موصلان العبد إلى لـ ة اللقاء

عذاب الله كما ورد في الأخبار : « إن أعمال العبد تناضل) أي تدافع **(عنه فإذا جاء العذاب من جهة رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه ، وإذا جاء من جهة يديه جاءت الصدقة تدفع عنه » الحديث)** أي إلى آخر الحديث . قال العراقي رواه الطبراني من حديث عبد الرحمن ابن سمرة بطوله ، وفيه خالد بن عبد الرحمن المخزومي ضعفه البخاري ، وأبو حاتم ، ولأحمد من حديث أسماء بنت أبي بكر : « إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمناً احتف به عمله الصلاة والصيام » الحديث وإسناده صحيح انتهى .

قلت : رواه الطبراني بإسنادين : في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي قال الذهبي ضعفوه ، وفي الآخرة خالد بن عبد الرحمن المخزومي وهو الذي أشار إليه العراقي ، وقد رواه أيضاً الحكيم في النوادر وسنده ضعيف أيضاً ولفظهما : « إني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً فجاءه صيام رمضان فسقاه ، ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه منهم ، ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة ، فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة ورأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرده عنه ، ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت : إن هذا كان واصلاً لرحمه فكلمهم وكلموه وصار معهم ، ورأيت رجلاً من أمتي يأتي النبيين وهم حلق حلق كلما مر على حلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأجلسه إلى جنبي ، ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار بيديه عن وجهه فجاءته صدقته صارت ظلاً على رأسه وستراً عن وجهه ، ورأيت رجلاً من أمتي جاءته زبانية العذاب فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلاً من أمتي هوى في النار فجاءته دموعه اللاتي بكى بها في الدنيا من خشية الله فأخرجته من النار ، ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفته إلى شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه ، ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه ، ورأيت رجلاً من أمتي على شفير جهنم فجاءه وجله من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلاً من أمتي يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ، ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط مرة ويحبو مرة ويتعلق مرة فجاءته صلاته عليّ فأخذت بيده فأقامته على الصراط حتى جاز ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله فأخذت بيده فأدخلته الجنة » .

(وأما الأنس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان للعبد إلى لذة اللقاء والمشاهدة .

والمشاهدة، وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت إلى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة، وكيف لا يكون القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له إلا محبوب واحد؟ وكانت العوائق تعوقه عن دوام الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله، فارتفعت العوائق وأفلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسروراً سليماً من الموانع آمناً من العوائق؟ وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذباً ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غضب منه وحيل بينه بينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه؟ ولذلك قيل:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحدُ

وليس الموت عدماً إنما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى، فإذاً سالك طريق الآخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي: الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض إليه ملاذها، ويقطعه عنها. وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال إلا بقوت وملبس ومسكن، ويحتاج كل واحد إلى أسباب فالقدر الذي لا بدّ منه من هذه الثلاثة إذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة لم

وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت إلى أن يدخل أوان الرؤية في الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنة) ويتنعم فيها، **(وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له)** في الدنيا **(إلا محبوب واحد)** لم يمل إلى غيره؟ **(وكانت العوائق تعوقه)** أي تمنعه **(عن دوام الأنس بدوام ذكره ومطالعة جماله، فارتفعت العوائق)** بالموت **(وأفلت من السجن إلى البستان وخُلِّيَ بينه وبين محبوبه، فقدم عليه مسروراً سليماً من الموانع آمناً من الفراق)** مطمئناً بالوصال. **(وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذباً ولم يكن له محبوب إلا الدنيا وقد غضب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه؟ ولذلك قيل:**

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

وليس الموت عدماً إنما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى، فإذاً سالك طريق الآخرة هو المواظب على) حيازة **(أسباب هذه الصفات الثلاث وهي: الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض إليه ملاذها ويقطعه عنها، وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن)** لا سقمه مما يشوّش عليه ويعوقه من حيازة تلك الأسباب، **(وصحة البدن لا تنال إلا بقوت)** يقيم عمارة البدن **(وملبس)** يواري عورته **(ومسكن)** يأوي إليه فيطمئن قلبه، **(ويحتاج كل واحد)** من هذه الثلاثة **(إلى أسباب)** كثيرة **(فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلاثة إذا أخذه العبد من الدنيا للآخرة)** أي للوصول إليها **(لم يكن من أبناء**

يكن من أبناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة للآخرة، وإن أخذ ذلك بحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من أبناء الدنيا والراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يعرض صاحبه لعذاب الآخرة وسمي ذلك حراماً، وإلى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالاً، والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضاً عذاب فمن نوقش الحساب عذب إذ قال رسول الله ﷺ: «حلالها حساب وحرامها عذاب» وقد قال أيضاً: «حلالها عذاب» إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام، بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو أيضاً عذاب، وقس به حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بأنها سعادات منصرمة لا بقاء لها؟ ومنغصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادة

الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة أي بمنزلة) بقعة يزرع فيها (لـ) أجل **(الآخرة وإن أخذ ذلك لحظ النفس)** وقضاء الشهوة **(وعلى قصد التنعم صار من أبناء الدنيا و)** من **(الراغبين في حظوظها إلا أن الرغبة في حظوظ الدنيا تنقسم إلى ما يعرض صاحبه لعذاب في الآخرة ويسمى ذلك حراماً، وإلى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالاً، والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصات القيامة لأجل الحساب أيضاً عذاب فمن نوقش الحساب فقد عذب)** رواه الشيخان من حديث عائشة بدون: «فقد» وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن الزبير: «من نوقش المحاسبة هلك» **(إذ قال رسول الله ﷺ: «حلالها حساب وحرامها عذاب»)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب من طريقه موقوفاً على علي بن أبي طالب بإسناد منقطع بلفظ: وحرامها نار، ولم أجده مرفوعاً انتهى.

قلت: بل أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس بلفظ: «يا ابن آدم الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب» نبه عليه الحافظ السخاوي في المقاصد، **(وقد قال أيضاً: «حلالها عذاب»)** أي لأن المناقشة في الحساب عذاب، **(إلا أنه عذاب أخف من عذاب الحرام، بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد في القلب من التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو أيضاً عذاب، وقس به حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرة مع علمك بأنها سعادات)** زائلة **(منصرمة)** منقطعة **(لا بقاء لها ومنغصة بكدورات لا صفاء لها، فما حالك في فوات سعادة لا يحيط الوصف بعظمتها)** ولا يمكن مقدار جلالتها

لا يحيط الوصف بعظمتها وتنقطع الدهور دون غايتها ؟ فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر أو بالنظر إلى خضرة أو شربة ماء بارد فإنه ينقص من حظه في الآخرة أضعافه وهو المعنى بقوله ﷺ لعمر رضي الله عنه : « هذا من النعيم الذي تُسأل عنه » أشار به إلى الماء البارد . والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار ، وكل ذلك من نقصان الحظ . ولذلك قال عمر رضي الله عنه : اعزلوا عني حسابها حين

(**وتنقطع الدهور**) وتنصرم الأزمنة دون (**غايتها وإدراك نهايتها ، فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر**) حسن الصوت كالعندليب والهزار والببغاء (**أو بالنظر إلى خضرة**) بجنب ماء جار أو تحت شجرة مثلاً (**أو شربة ماء بارد**) ونحو ذلك ، (**فإنه ينقص من حظه في الآخرة أضعافه**) فإن كل ذلك من نعيم الدنيا (**هو المعنى**) أي المراد (**بقوله ﷺ لعمر رضي الله عنه من النعيم الذي تُسأل عنه أشار به إلى الماء البارد**) روي ذلك من حديث جابر قال وجاءنا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر فأطعمناهم رطباً وسقيناهم فقال رسول الله ﷺ : « هذا من النعيم الذي تسألون عنه » رواه أحمد والنسائي والبيهقي في الشعب ، ورواه عبد ابن حميد وابن مردويه بلفظ : « ثم أتيناهم برطب وماء فأكلوا وشربوا » ثم قال : « هذا النعيم الذي تسألون عنه » وروى مسلم والأربعة من حديث أبي هريرة قال : خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر فذكروا قصة إتيانهم إلى منزل أبي الهيثم الأنصاري وفيه : فجاء بفرق فيه بسر وتمر وذبح لهم شاة فأكلوا من الشاة ومن الفرق وشربوا فلما شربوا ورووا قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر : « والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة » ورواه ابن حبان وابن مردويه من حديث ابن عباس نحو هذه القصة لأبي أيوب الأنصاري وفيه : « والذي نفسي بيده إن هذا لهو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة .

وروى أحمد وابن جرير وابن عدي والبغوي في معجمه وابن منده في المعرفة وابن عساكر وابن مردويه والبيهقي في الشعب من حديث أبي عسيب مولى النبي ﷺ قال : خرج رسول الله ﷺ ليلاً فمر بي فدعاني فخرجت إليه ثم مرّ بأبي بكر فدعاه فخرج إليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج إليه ، فانطلق حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار فقال لصاحب الحائط : « أطعمنا فجاء بفرق فوضعه فأكل رسول الله ﷺ وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب وقال : لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة فأخذ عمر الفرق فضربه الأرض حتى تناثر البسر ، ثم قال : يا رسول الله إنا المسؤلون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : نعم ثلاثاً كسرة يسد بها الرجل جوعته أو ثوب يستر به عورته أو حجر يدخل فيه من الحر والبرد » وقد تقدم هذا الحديث في كتاب الأطعمة ، وذكرنا شيئاً في ذلك هناك . وأخرج أبو بكر بن شيبة وهناد بن السري عن بكر بن عتيق قال : سقيت سعد بن جبير شربة من عسل في قدر فشربها ثم قال : والله لأسألن عن هذا . فقلت له ؟ قال : شربته وأنا أستلذه .

(**والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار ، وكل ذلك من نقصان الحظ ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه : أعزلوا عني حسابها حيث كان به عطش**

كان به عطش فعرض عليه ماء بارد بعسل فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه، فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها وحلالها ملعونة إلا ما أعان على تقوى الله، فإن ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت معرفته أقوى وأتقن كان حذره من نعيم الدنيا أشد، حتى أن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه إذ تمثل له إبليس وقال: رغبت في الدنيا! وحتى أن سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الأطعمة وهو يأكل خبز الشعير، فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتهاناً وشدة، فإن الصبر عن لذائذ الأطعمة مع القدرة عليها ووجودها أشد ولهذا روي أن الله تعالى زوى الدنيا عن نبينا ﷺ فكان يطوي أياماً، وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع، ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل. كل ذلك نظراً لهم وامتناناً عليهم

فعرض عليه ماء بارد) ممزوج (**بعسل**) في قدح (**فأداره في كفه ثم امتنع عن شربه**) وناول بعض أصحابه فشربها. رواه سليمان بن المغيرة عن ثابت وقد تقدم. (**فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة**) أي مبعدة من الله تعالى إلا ما أعان على تقوى الله فإن ذلك القدر ليس من الدنيا، (**وكل من كانت معرفته**) بالله (**أقوى وأيقن**) أي أكثر يقيناً. وفي بعض النسخ وأتقن أي أثبت وأرسخ (**كان حذره من نعيم الدنيا أشد، حتى أن عيسى عليه السلام وضع رأسه على حجر لما نام ثم رماه إذ تمثل له إبليس وقال: رغبت في الدنيا**) نقله صاحب القوت. (**وحتى أن سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس لذائذ الأطعمة وهو يأكل خبز الشعير**) وكذا روي عن يوسف عليه السلام أنه كان يطعم الناس في المجاعة لذائذ الأطعمة وهو يجوع ويأكل خبز الشعير، فقيل له في ذلك فقال: أخشى أن أنسى الجياع، (**فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحاناً وشدة، فإن الصبر عن لذائذ الأطعمة مع القدرة عليها ووجودها**) عنده (**أشد، ولهذا زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا ﷺ**). قال العراقي: رواه محمد ابن خفيف في شرف الفقراء من حديث عمر بن الخطاب قال: قلت يا رسول الله عجباً لمن بسط الله لهم الرزق وزواها عنك الحديث. وهو من طريق ابن إسحاق معنعناً انتهى.

قلت: وفي خطبة علي رضي الله عنه: ولقد كان في رسول الله ﷺ ما يدلك على مساوىء الدنيا وعيوبها إذا جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته. (**فكان يطوي أياماً**) قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس «أن النبي ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله» الحديث. قال الترمذي: حسن صحيح. (**وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع**) تقدم، (**ولهذا سلط الله البلاء والمحن على الأنبياء والأولياء ثم الأمثل فالأمثل**) روى أحمد والبخاري والترمذي وابن ماجه من حديث سعد «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» الحديث. وروى الطبراني في الكبير من حديث أخت حذيفة «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل». الحديث. وروى ابن ماجه وأبو يعلى والحاكم من حديث

ليتوفر من الآخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزمه ألم الفصد والحجامة شفقة عليه وحباً له لا بخلاً عليه، وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو لله فذلك ليس من الدنيا.

فإن قلت: فما الذي هو لله؟ فأقول: الأشياء ثلاثة أقسام:

منها: ما لا يتصوّر أن يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وأنواع التنعمات في المباحات، وهي الدنيا المحضة المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى.

ومنها: ما صورته لله ويمكن أن يجعل لغير الله وهو ثلاثة: الفكر والذكر والكف عن الشهوات، فإن هذه الثلاثة إذا جرت سراً، ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله وليست من الدنيا، وإن كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق بإظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال أو الحمية لصحة البدن أو الاشتهار بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى، وإن كان يظن بصورته أنه لله تعالى.

أبي سعيد «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون لقد كان أحدهم يبتلي بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يحويها فيلبسها، ويبتلي بالقمل حتى يقتله ولأحدهم كان أشد فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء». (**كل ذلك نظراً لهم وامتناناً عليهم ليتوفر من الآخرة حظهم، كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذة الفواكه ويلزم ألم الفصد والحجامة شفقة عليه وحباً له لا بخلاً عليه**)، وذلك لأن نظر الوالد في حقه أتم فيما يؤول إليه من النفع ونظر الولد قاصر على اللذة العاجلة. (**وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا، وما هو لله فذلك ليس من الدنيا**.

فان قلت: فما الذي هو لله؟ فأقول: الأشياء ثلاثة أقسام:

منها: ما لا يتصوّر أن يكون لله وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات وأنواع المتنعمات في المباحات وهي الدنيا المحضة المذمومة، فهي الدنيا صورة ومعنى). أما صورة فظاهر، وأما معنى فإن هذه لا يتقرّب بها إلى الله تعالى، بل هي تبعد عن ساحات رحمته فليس لها تعلق بالآخرة أصلاً.

(**ومنها: ما صورته لله**) تعالى (**ويمكن أن يجعل لغير الله وهي ثلاثة: الفكر والذكر**) بالقلب واللسان (**والكف عن الشهوات**) النفسانية، (**فإن هذه الثلاث إذا جرت سراً**) ولم يطلع عليها أحد (**ولم يكن عليها باعث سوى أمر الله واليوم الآخر فهي لله**) تعالى (**وليست من الدنيا، وإن كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق بإظهار المعرفة أو كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال**) وجمعه (**أو الحمية لصحة البدن، أو لاشتهار**) بين الناس (**بالزهد**) والصلاح، (**فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى، وإن كان يظن بصورته أنه لله**) تعالى.

ومنها: ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يكون معناه لله، وذلك كالأكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده، فإن كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وإن كان القصد الاستعانة به على التقوى فهو لله بمعناه، وإن كانت صورته صورة الدنيا. قال ﷺ: «من طلب الدنيا حلالاً مكاثراً مفاخراً لقي الله وهو عليه غضبان، ومن طلبها استعفافاً عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر». فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد. فإذاً الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة ويعبر عنه بالهوى وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ونَهى النفس عن الهوى ★ فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] ومجامع الهوى خمسة أمور: وهي ما جمعه الله تعالى في قوله: ﴿إنما الحياةُ الدُّنيا لَعِبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ [الحديد: ٢٠] والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى: ﴿زُيِّن للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا﴾ [آل عمران: ١٤]،

(ومنها: ما صورته لحظ النفس ويمكن أن يجعل معناه لله وذلك كالأكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاؤه وبقاء ولده؛ فإن كان القصد حظ النفس هو من الدنيا، وإن كان القصد الاستعانة به علي التقوى فهو لله بمعناه، وإن كانت صورته صورة الدنيا. قال ﷺ «من طلب الدنيا حلالاً مكاثراً مفاخراً لقي الله وهو عليه غضبان، ومن طلبها استعفافاً على المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر») تقدم هذا الحديث في كتاب آداب الكسب. وقد رواه أبو الشيخ في الثواب، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، ولفظهم: «من طلب الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة وسعياً على أهله وتعطفاً على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر، ومن طلبها حلالاً مكاثراً بها مفاخراً لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان».

(فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد، فإذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة إليه لأمر الآخرة ويعبّر عنه بالهوى، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ونهى النفس عن الهوى★ فإنَّ الجنّة هي المأوى﴾، فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى، **(ومجامع الهوى خمسة أمور وهي ما جمعه الله تعالى في قوله: ﴿اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو زينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ والأعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى: ﴿زيّن للنّاس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا﴾)** وأصل هذا منتزع من

....

سياق صاحب القوت، فإنه لما ذكر اختلاف الصوفية في ماهية الزهد وتباين أقوالهم عن نحو أربعين قولاً قال: ونحن بحمد الله تعالى ونعمته غير محتاجين إلى أقوالهم بما بين الله تعالى في كتابه المبين الذي جعل فيه الشفاء والغنى فهو هدى للمتقين، وقد قال ﷺ: «هو الحبل المتين والصراط المستقيم من طلب الهدى في غيره أضله الله» فقد ذكر جل إسمه في كتابه أن الدنيا سبعة أشياء وهو قوله: ﴿زين للناس حب الشهوات﴾ إلى قوله ﴿والحرث﴾ ثم قال ﴿ذلك متاع الحياة الدنيا﴾ فوصف حب الشهوات بالتزين، ثم نسق الأوصاف السبعة على الحب لها، ثم أشار بقوله ذلك، فذا إشارة إل الكاف، والكاف كناية عن المذكور المتقدم المنسوق، واللام بين ذا والكاف للتمكين والتوكيد، فحصل من تدبر الخطاب أن هذه السبعة جلة الدنيا وأن الدنيا هي هذه الأوصاف السبعة وما تفرع من الشهوات رد إلى أصل من هذه الجمل، فمن أحب جيعها فقد أحب جلة الدنيا نهاية الحب، ومن أحب أصلاً منها أو فرعاً من أصل فقد أحب بعض الدنيا، فعلمنا بنص الكلام أن الشهوة دنيا، وفهمنا من دليله أن الحاجات ليست بدنيا لأنها تقع ضرورات، فإذا لم تكن الحاجة دنيا لأنها لا تسمى شهوة، وإن كانت قد تشتهي، ثم سمعناه قد ردّ هذه الأوصاف السبعة في مكان آخر إلى خمسة معان فقال: ﴿اعملوا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر﴾ فهذه الخمسة وصف من أحب تلك السبعة ثم اختصر الخمسة في معنيين هما جامعان للسبعة فقال: ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ ثم رد الوصفين إلى وصف واحد وعبر عنه بمعنيين فصارت الدنيا ترجع إلى شيئين جامعين مختصرين يصلح أن يكون كل واحد منهما هو الدنيا فالوصف الواحد الذي رد الإثنين إليه اللذين هما اللعب واللهو هو الهوى اندر حب السبعة فيه فقال تعالى: ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ فاصرت الدنيا طاعة النفس للهوى بدليل قوله تعالى: ﴿فأما من طغى ★ وآثر الحياة الدنيا ★ فإن الجحيم هي المأوى﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٣٩] فلما كانت الجنة ضد الجحيم كان الهوى هو الدنيا، لأن النهي عنه ضد الإيثار له، فمن نهى نفسه عن الهوى فإنه لم يؤثر الدنيا، وإذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزهد كانت له الجنة التي هي ضد الجحيم التي هي لمن لم ينه نفسه عن الهوى بإيثاره الدنيا، فصارت الدنيا هي طاعة الهوى وإيثاره في كل شيء، فينبغي أن يكون الزهد مخالفة الهوى من كل شيء اهـ.

وقال أبو القاسم الراغب في الذريعة. اللذات ثلاثة: لذة عقلية وهي التي يختص الإنسان بها كالعلم والحكمة، ولذة بدنية وهي التي يشارك فيها جيع الحيوان والإنسان كلذة المأكل والمشرب والمنكح، ولذة مشتركة بين بعض الحيوان وبين الإنسان كلذة الرئاسة والعلية، وجيع اللذات تنقسم عشرة أقسام ومآلها إلى سبعة، وهي التي ذكرها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لعمار وقد تقدم ذكره. ثم قال: والمراد بالنساء اقتناؤهنّ والاستكثار منهن، وبالبنين الذكور من الأولاد والحفدة والخدم، بالانعام الأزواج الثمانية، وبالخيل المسوّمة السائمة منها والمستعدة. **(فقد عرفت أن كل ما هو ﷺ فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بدّ منه من مسكن وملبس هو الله إن قصد به وجه الله،**

فقد عرفت أن كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بدّ منه من مسكن وملبس هو لله إن قصد به وجه الله، والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله. وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة: طرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فإن الاقتصار على حد الضرورة غير ممكن، وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي أن يحذر منه، وبينهما وسائط متشابهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حدّ الضرورة ما أمكن اقتداء بالأنبياء والأولياء عليهم السلام، إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حدّ الضرورة حتى أن أويساً القرني

والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله، وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها بالحاجة ولها طرفان وواسطة. طرف منها (**يقرب من حد الضرورة فلا يضرّ فإن الاقتصار على حدّ الضرورة غير ممكن**) قال صاحب القوت: وروينا في أخبار إبراهيم عليه السلام في قصة تطول قال في آخرها: إن الله عز وجل قال له: لو بخليلك أنزلت حاجتك لقضاها يعني نفسه تعالى ولم يعنتك وقد كان احتاج، فذهب إلى خليل له يستمنحه شيئاً فتوارى عنه فرجع إبراهيم منكسراً، فلما قيل له ذلك قال: إلهي علمت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك منها فتمقتني فأوحى الله إليه: أما علمت أن الحاجة في الدنيا ليست من الدنيا. قال: وروينا مرة أن القوت ليس هو من الدنيا، وقد جاءنا معناه عن نبينا ﷺ قال: « من نظر إلى زهرة الدنيا أصبح ممقوتاً في ملكوت السماء، ومن صبر على القوت نزل من الفردوس حيث أحب » فدل ذلك على أن القوت ليس هو من الدنيا لأنه استثناه منها فمدحه على الصبر عليه بعد ذمها.

(**وطرف**) أخر (**يزاحم**) أي يقابل (**جانب التنعم ويقرب منه، وينبغي أن يحذر منه، وبينها أوساط متشابهة. ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه**) كما ورد ذلك في الخبر، وتقدم في كتاب الحلال والحرام.

(**والحزم كل الحزم في الحذر من الشبهات والتقوى فإنها ملاك الأمور كلها والتقريب من حدّ الضرورة ما أمكن اقتداء بالأنبياء والأولياء عليهم السلام إذ كانوا يردون أنفسهم إلى حدّ الضرورة، حتى أن أويساً القرني**) رحمه الله تعالى، وهو ابن عامر بن جزء بن مالك ابن عمرو بن سعد بن عمرو بن عصوان بن قرن بن رومان بن ناجية بن مراد المرادوي القرني الزاهد المشهور. أدرك النبي ﷺ. وروى عن عمر وعلي. وروى عنه يسير بن عمرو وعبد الرحمن ابن أبي ليلى. ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة وقال: كان ثقة. وذكره البخاري فقال: في إسناده نظر. قال ابن عدي: ليس له رواية، لكن كان مالك ينكر وجوده إلا

كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تضييقه على نفسه، فبنوا له بيتاً على باب دارهم فكان يأتي عليهم السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجهاً، وكان يخرج أوّل الأذان ويأتي إلى منزله بعد العشاء الآخرة، وكان طعامه أن يلتقط النوى، وكلما أصاب حشفة خبأها لإفطاره، وإن لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى بثمنه ما يقوته، وكان لباسه مما يلتقط من المزابل من قطع الأكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها إلى بعض ثم يلبسها، فكان ذلك لباسه. وكان ربما مرّ بالصبيان فيرمونه ويظنون أنه مجنون فيقول لهم: يا اخوتاه إن كنتم ولا بدّ أن ترموني فارموني بأحجار صغار، فإني أخاف أن تدموا عقبي فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء، فهكذا كانت سيرته. ولقد عظم رسول الله ﷺ أمره فقال: «إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن إشارة إليه رحمه الله» ولما

أن شهرته وشهرة أخباره لا تسع أحداً يشك فيه. وقال عبد الغني بن سعيد القرني بفتح القاف والراء هو أويس أخبر به النبي ﷺ قبل وجوده، وشهد صفين مع علي رضي الله عنه، وكان من خيار المسلمين، وروى ضمرة عن أصبغ بن زيد قال: أسلم أويس على عهد النبي ﷺ ولكن منعه من القدوم بره، وقد روى له مسلم في آخر صحيحه من كلامه، وقتل بصفين على الصحيح المشهور. (**كان يظن أهله أنه مجنون لشدة تضييقه على نفسه**) أي في المعيشة، (**فبنوا له بيتاً على باب دارهم، فكان يأتي عليهم السنة والسنتان والثلاث لا يرون له وجهاً، وكان يخرج أول الأذان**) ويمكث في مسجد الحي (**و**) لا (**يأتي منزله**) إلا بعد (**العشاء الآخرة**) فلا يرونه لذلك، (**وكان طعامه أن يلتقط**) ما سقط من (**النوى، فكلما أصاب حشفة**) محركة التمر الرديء الذي يرمي به (**خبأها لإفطاره، وإن لم يصب ما يقوته باع النوى اشترى بثمنه ما يقوته، وكان لباسه ما يلتقط من المزابل من قطع الأكسية**) التي يرمونها (**فيغسلها في الفرات**) وهي نهر الكوفة (**ويلفق بعضها إلى بعض ثم يلبسها، فكان ذلك لباسه. وكان ربما مرّ بالصبيان فيرجمونه**) بالحجارة (**ويظنون أنه مجنون فيقول لهم: يا اخوتاه إن كنتم ترموني ولا بدّ فارموني بأحجار صغار، فإني أخاف أن تدموا عقبي فيحضر وقت الصلاة ولا أصيب الماء. فهكذا كانت سيرته، ولهذا عظّم رسول الله ﷺ أمره فقال: «إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن إشارة إليه»**) تقدم في كتاب قواعد العقائد.

وروى الطبراني في الكبير من حديث سلمة بن نفيل السكوني «إني أجد نفس الرحمن من ههنا وأشار إلى اليمن» الحديث وليس له غيره. وقد أخرج النسائي بقية الحديث ولم يذكر هذه الجملة، وكذا ابن حبان في الأنواع والتقاسيم.

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي نضرة عن أسير بن جابر بن، عن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر». وفي رواية له:

ولي الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم، قال: فقاموا. فقال: اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة، فجلسوا. فقال: اجلسوا إلا من كان من مراد، فجلسوا. فقال: اجلسوا إلا من كان من قرن، فجلسوا كلهم إلا رجلاً واحداً. فقال له عمر: أقرني أنت؟ فقال: نعم. فقال: أتعرف أويس بن عامر القرني؟ فوصفه له، فقال: نعم. وما ذاك تسأل عنه يا أمير المؤمنين؟ والله ما فينا أحق منه ولا أجن منه ولا أوحش منه ولا أدنى منه، فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال: ما قلت ما قلت إلا لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يدخل في شفاعته مثل ربيعة

« فمن لقيه منكم فمروه فليستغفر لكم » من طريق قتادة عن زرارة عن أسير بن جابر، ومنها قول عمر: سمعت رسول الله ﷺ « يأتي عليك أويس بن عامر مع إبداد أهل اليمن ثم من مراد ثم من قرن كان به برص فبرىء منه إلا موضع درهم. له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبرّه فإن استطعت ان يستغفر لك فافعل » الحديث. ورواه كذلك ابن سعد والعقيلي وأحمد والحاكم مختصراً. ورواه البيهقي وأبو نعيم في الدلائل وفي الحلية من هذا الوجه مطوّلاً وهو ما ذكره المصنف بقوله.

(ولما ولي عمر رضي الله عنه الخلافة قال: أيها الناس من كان منكم من العراق فليقم قال: فقاموا. فقال: اجلسوا إلا من كان من أهل الكوفة، فجلسوا. فقال: أجلسوا إلا من **كان من مراد)** وهي قبيلة من اليمن، **(فجلسوا فقال: اجلسوا إلا من كان من قرن)** محركة وهي قبيلة من مراد. **(فجلسوا كلهم إلا رجلاً واحداً، فقال له: أقرني أنت؟ فقال: نعم، فقال: أتعرف أويس بن عامر القرني؟ فوصف له)** بوصفه الذي أخبره به ﷺ **(فقال: نعم، وما تسأل عن ذلك يا أمير المؤمنين والله ما فينا أحق منه ولا أجن منه ولا أوحش منه ولا أدنى منه)** أي أحقر.

وقد رواه ابن منده من طريق سعد بن الصلت، بن مبارك بن فضالة، عن مروان بن الأصفر، عن صعصعة بن معاوية قال: كان عمر يسأل وفد أهل الكوفة إذا قدموا عليه تعرفون أويس بن عامر القرني؟ فيقولون: لا. فذكر نحوه. ورواه هدبة بن خالد، عن مبارك فقال: عن أبي الأصفر بدل مروان بن الأصفر. أخرجه أبو يعلى. وروى الروياني في مسنده من طريق بكر بن عبد الله، عن الضحاك، عن أبي هريرة فذكر حديثاً في وصف الأتقياء الأصفياء قال: قلنا يا رسول الله كيف لنا برجل منهم؟ قال: « ذلك أويس » وساق الحديث في توصية النبي ﷺ علياً وعمر إذا لقياه أن يستغفر لهما وفيه قصة طلب عمر إياه.

(فبكى عمر ثم قال: ما قلت إلا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يدخل الجنة في شفاعته مثل ربيعة ومضر ») قال العراقي: روينا في جزء ابن السماك من حديث أبي أمامة « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر » وإسناده حسن وليس فيه ذكر لأويس، بل في آخره فكان المشيخة يرون ذلك الرجل عثمان بن عفان اهـ.

ومضر ». فقال هرم بن حيان: لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب قدمت الكوفة

قلت: ما ذكره المصنف رواه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي وابن عساكر من حديث الحسن مرسلاً: يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر. قال الحسن: هو أويس القرني. وروى ابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه، عن جده، عن عمر رفعه « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي يقال له أويس فئام من الناس ». وروى البيهقي في الدلائل من طريق الثقفي عن خالد، عن عبدالله بن شقيق، عن عبدالله بن أبي الجدعاء رفعه قال: « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم » قال الثقفي، قال هشام بن حسان: كان الحسن يقول هو أويس القرني. وقد رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب. ورواه أيضاً الحاكم، وليس لعبدالله ابن الجدعاء غير هذا الحديث. ورواه ابن عساكر من حديث ابن عباس، ورواه أبو نعيم في الحلية، وابن عساكر أيضاً من حديث واثلة بن الأسقع.

وأما حديث أبي أمامة الذي ذكره العراقي فأورده الذهبي في كتاب التبيان في سيرة أمير المؤمنين عثمان وهو عندي بخطه ما نصه شبابة بن سوار وغيره: حدثنا حرز بن عثمان، عن عبد الله بن ميسرة، وحبيب بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: « يدخل بشفاعة رجل من أمتي الجنة مثل أحد الحيين ربيعة ومضر » فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان رضي الله عنه. هذا حديث صالح السند غريب اهـ.

قلت: رواه الطبراني في الكبير وفيه زيادة ولفظه: « يدخل بشفاعة رجل من أمتي أكثر من عدد مضر ويرتفع الرجل في أهل بيته ويشفع على قدر عمله ». ورواه أحمد والطبراني أيضاً والضياء بلفظ « ليدخلن بشفاعة رجل لين تقي مثل الحيين أو مثل أحد الحيين ربيعة ومضر إنما أقول ما أقول ». ثم قال الذهبي في الكتاب المذكور: ويروى بإسناد لا يصح عن ابن عباس مرفوعاً « ليدخلن بشفاعة عثمان الجنة سبعون ألفاً ».

قلت: رواه ابن عساكر بلفظ « ليدخلن بشفاعة عثمان سبعون ألفاً كلهم استوجبوا النار الجنة بغير حساب ». وروى ابن عساكر أيضاً من حديث الحسن مرسلاً ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي عدد ربيعة ومضر. قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: عثمان بن عفان ». ثم قال الذهبي في الكتاب المذكور: الثوري ويزيد بن زريع، عن خالد الحذاء، عن عبدالله بن شقيق العقيلي قال: جلست إلى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم ابن أبي الجدعاء فقال: سمعت رسول الله يقول « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من تميم، قالوا: سواك يا رسول الله ؟ قال: سواي ». وزاد يزيد عن الحذاء في حديثه قال: أظن الرجل عثمان. ولم يسم يزيد في حديثه ابن أبي الجدعاء بل قال رجل اهـ.

(**فقال هرم بن حيان**) العبدي: قال ابن عبد البر: هو من صغار الصحابة، وعده ابن أبي حاتم في الزهاد الثمانية من كبار التابعين. وقال ابن سعد: ثقة له فضل، وكان على عبد القيس في الفتوح

فلم يكن لي همّ إلا أن أطلب أويساً القرني وأسأل عنه حتى سقطت عليه جالساً على شاطىء الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه قال: فعرفته بالنعت الذي نعت لي، فإذا رجل لحيم شديد الأدمة محلوق الرأس كث اللحية متغير جداً كريه الوجه متهيب المنظر قال: فسلمت عليه فردّ عليَّ السلام ونظر إليَّ، فقلت: حياك الله من رجل ومددت يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني، فقلت: رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله؟ ثم خنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى فقال: وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخي ومن دلّك عليّ؟ قال: قلت الله. فقال: لا إله إلا الله سبحان الله: ﴿إنْ كان وعْدُ ربِّنا لمفعولاً﴾ [الإسراء: ١٠٨] قال: فعجبت حين عرفني ولا والله ما رأيته قبل ذلك ولا رآني! فقلت: من أين عرفت اسمي واسم أبي وما رأيتك قبل اليوم؟ قال: ﴿نبأني العليم

وقال ابن حبان: أدرك عمر وولي الولايات في خلافته، وفي الزهد لأحمد أنه كان يصحب حممة الدوسي، وحممة مات في خلافة عثمان، وفيه أيضاً حدثنا محمد بن مصعب: سمعت مخلداً هو ابن الحسين ذكر عن هشام يعني ابن حسان عن الحسن أن هرماً مات في غزاة له في يوم صائف، فلما فرغ من دفنه جاءت سحابة حتى كانت حيال القبر فرشت القبر حتى روي لا تجاوز قطرة ثم عادت عدوها على بدنها. وكذا رواه ابنه عبد الرزاق في زوائده من طريق ابن جعفر الطباع عن مخلد. وأخرجه بسند أبي داود عن مخلد به. وفي لفظ أبي نعيم في الحلية: مات هرم في يوم صائف شديد الحر، فلما نفضوا أيديهم من قبره جاءت سحابة تسير حتى قامت على قبره فلم يكن أطول منه ولا أقصر منه رشته حتى روته ثم انصرفت. وفي لفظ آخر: لما مات جاءت سحابة فظللت سريره، فلما دفن رشت على القبر فما أصابت حول القبر شيئاً. وله أيضاً من طريق السدي بن يحيى عن قتادة قال: مطر قبر هرم من يومه وأنبت العشب من يومه: (**لما سمعت هذا القول من عمر بن الخطاب**) رضي الله عنه (**قدمت الكوفة فلم يكن لي همّ إلا أن أطلب أويساً القرني وأسأل عنه حتى سقطت عليه جالساً على شاطىء الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه. قال: فعرفته بالنعت الذي نعت، فإذا رجل لحيم شديد الأدمة محلوق الرأس كث اللحية متغير جداً كريه الوجه متهيب النظر قال: فسلمت عليه فردّ عليَّ السلام ونظر إليَّ، فقلت: حياك الله من رجل ومددت يدي لأصافحه فأبى أن يصافحني فقلت: رحمك الله يا أويس وغفر لك كيف أنت رحمك الله؟ ثم خنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي عليه إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى، فقال: وأنت فحياك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخي؟ من دلّك عليَّ؟ قال: قلت الله**) عز وجل. (**فقال: لا إله إلا الله سبحان الله ﴿إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾ قال: فتعجبت حين عرفني ولا والله ما رأيته قبل ذلك ولا رآني، فقلت: من أين عرفت اسمي وإسم أبي وما رأيتك قبل اليوم؟ فقال: ﴿نبأني العليم**

الخبير﴾ [التحريم : ٣] وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ، إن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد وإن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضاً ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا يتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الدار وتفرقت بهم المنازل . قال : قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله ﷺ بحديث أسمعه منك . قال : إني لم أدرك رسول الله ﷺ ولم تكن لي معه صحبة بأبي وأمي رسول الله ، ولكن رأيت رجالاً قد صحبوه ، وبلغني من حديثه كما بلغك ، ولست أحب أن أفتح على نفسي هذا الباب أن أكون محدثاً أو مفتياً أو قاضياً . في نفسي شغل عن الناس يا هرم بن حبان! فقلت : يا أخي اقرأ علي آية من القرآن اسمعها منك وادع لي بدعوات وأوصني بوصية أحفظها عنك ، فإني أحبك في الله حباً شديداً . قال : فقام وأخذ بيدي على شاطىء الفرات ثم قال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ثم بكى . ثم قال : قال ربي والحق قول ربي وأصدق الحديث حديثه وأصدق الكلام كلامه ثم قرأ : ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين★ ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ حتى انتهى إلى قوله : ﴿إنه هو العزيز الرحيم﴾ [الدخان : ٣٨ - ٤٢] فشهق شهقة ظننت أنه قد غشي عليه ، ثم قال : يا ابن حيان مات أبوك حيان ويوشك أن تموت فإما إلى جنة وإما إلى نار ، ومات

الخبير﴾ وعرف روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك. إن الأرواح لها أنفس كأنفس الأجساد ، وإن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضاً ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا) بالأبدان **(يتعارفون ويتكلمون، وإن نأت)** أي بعدت **(به الدار وتفرقت بهم المنازل)** . وقد ورد « الأرواح أجناد مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » . وورد أيضاً : « إن الأرواح لتشام كما تشام الخيل » وكل ذلك تقدم في كتاب آداب الصحبة والأخوّة **(قال : قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله ﷺ بحديث أسمعه منك. قال : إني لم أدرك رسول الله ﷺ ولم تكن لي معه صحبة بأبي وأمي)** أفدي **(رسول الله ﷺ ولكن رأيت رجالاً قد صحبوه وبلغني من حديثه نحو ما بلغك . ولست أحب ان أفتح هذا الباب على نفسي أن أكون محدثاً أو مفتياً أو قاضياً . في نفسي شغل عن الله يا هرم بـن حيان فقلت : يا أخي اقرأ عليَّ آية من القرآن اسمعها منك ، وادع لي بدعوات ، واوصني بوصية أحفظها عنك ، فإني أحبك في الله حباً شديداً . قال : فقام وأخذ بيدي على شاطىء الفرات ثم قال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ، ثم قال : قال ربي والحق قول ربي ، واصدق الحديث حديثه ، وأصدق الكلام كلامه ، ثم قرأ ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين★ ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ حتى انتهى إلى قوله : ﴿إنه هو العزيز الرحيم﴾ فشهق شهقة ظننت أنه قد غشي عليه ، ثم قال : يا ابن حيان مات أبوك حيان ،**

أبوك آدم وماتت أمك حوّاء ومات نوح ومات ابراهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الرحمن ومات داود خليفة الرحمن ومات محمد ﷺ وعليهم رسول رب العالمين، ومات أبو بكر خليفة المسلمين، ومات عمر بن الخطاب أخي وصفي، ثم قال: يا عمراه يا عمراه! قال: فقلت رحمك الله إن عمر لم يمت، قال: فقد نعاه إليّ ربي ونعى إليّ نفسي! ثم قال: أنا وأنت في الموتى كأنه قد كان، ثم صلى على النبي ﷺ ثم دعا بدعوات خفيات ثم قال: هذه وصيتي إياك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج للصالحين المؤمنين، فقد نعيت إلى نفسي ونفسك، عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت، وأنذر قومك إذا رجعت إليهم، وأنصح للأمة جميعاً وإياك أن تفارق الجماعات قيد شبر فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة، ادع لي ولنفسك ثم قال: اللهم إن هذا يزعم أنه يحبني فيك وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنة وأدخله عليّ في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيثما كان وضم عليه ضيعته وأرضه من الدنيا باليسير، وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيراً واجعله لما أعطيته من نعمائك من

ويوشك أن تموت فإما إلى الجنة وإما إلى النار، ومات أبوك آدم، وماتت أمك حواء، ومات نوح، ومات إبراهيم خليل الرحمن، ومات موسى نجي الرحمن، ومات داود خليفة الرحمن، ومات محمد ﷺ رسول رب العالمين، ومات أبو بكر خليفة المسلمين، ومات عمر بن الخطاب أخي وصفي، ثم قال: يا عمراه يا عمراه! قال: فقلت رحمك الله إن عمر لم يمت) بعد. **(فقال: فقد نعاه إليَّ ربي ونعى إليَّ نفسي، ثم قال: أنا وانت في الموتى كأنه قد كان، ثم صلى على النبي ﷺ ثم دعا بدعوات** خفيات **ثم قال: هذه وصيتي إياك يا هرم بن حيان: كتاب الله، ونهج الصالحين المؤمنين. قد نعيت إليَّ نفسي ونفسك عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت، وانذر قومك إذا رجعت إليهم)** أي لقوله تعالى: ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ [التوبة: ١٢٢] أي حذرهم من عقاب الله تعالى، **(والنصح للأمة جيعاً)** أي للخاصة والعامة، فقد ورد «الدين النصيحة». **(وإياك ان تفارق الجماعة)** أي جماعة المسلمين **(قيد شبر فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار يوم القيامة)** فقد ورد: «من فارق الجماعة شبراً فقد فارق الإسلام». وفي لفظ «فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه». وفي لفظ فهو في النار **(ادع لي ولنفسك ثم قال: اللهم إن هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من أجلك فعرفني وجهه في الجنة وادخله عليّ في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حياً حيثما كان وضم عليه ضيعته)** أي ما يخاف عليه الضياع من عقار أو حرفة أو صناعة **(وأرضه من الدنيا باليسير)** أي بالقليل مما يكف به وجهه، **(وما أعطيته من الدنيا فيسره له تيسيراً واجعله لما أعطيته من نعمائك من الشاكرين، وأجزه عني خير الجزاء، ثم قال:**

الشاكرين واجزه عني خير الجزاء. ثم قال: استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فإني أكره الشهرة والوحدة أحب إليَّ إني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حيًّا، فلا تسأل عني ولا تطلبني، واعلم أنك مني على بال وإن لم أرك ولم ترني فاذكرني وادع لي فإني سأذكرك وأدعو لك إن شاء الله إنطلق أنت ههنا حتى انطلق أنا ههنا، فحرصت أن أمشي معه ساعة فأبى عليَّ وفارقته فبكى وأبكاني وجعلت أنظر في قفاه حتى دخل إلى بعض السكك، ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحداً يخبرني عنه بشيء رحمه الله وغفر له.

فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا.

استودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. لا أراك بعد اليوم رحمك الله تطلبني فإني أكره الشهرة) بين الناس، **(والوحدة أعجب إليَّ إني كثير الهم شديد الغم مع هؤلاء الناس ما دمت حياً فلا تسأل عني ولا تطلبني، واعلم أنك مني على بال وإن لم أرك وان لم ترني، فاذكرني وادع لي فإني سأذكرك وادعو لك إن شاء الله تعالى: انطلق أنت ههنا حتى انطلق أنا ههنا، فحرصت أن أمشي معه ساعة فأبى عليَّ وفارقته فبكى وأبكاني، وجعلت أنظر في قفاه حتى دخل بعض السكك، ثم سألت عنه بعد ذلك فما وجدت أحداً يخبرني عنه بشيء رحمه الله تعالى وغفر له)** هكذا أخرج هذه القصة بطولها أبو نعيم في الحلية.

وأخرج الحاكم من طريق ابن المبارك، أخبرنا جعفر بن سليمان، عن الجريري، عن أبي نفرة العبدي، عن أسير بن جابر قال: قال صاحب لي بالكوفة: هل لك في رجل تنظر إليه فذكر قصة أويس وفيها. فتنحى إلى سارية فصلى ركعتين ثم أقبل علينا بوجهه فقال: ما لكم ولي تطؤن عقبي وأنا إنسان ضعيف تكون لي الحاجة ولا أقدر عليها معكم. لا تفعلوا رحمكم الله. من كانت له إليَّ حاجة فليلقني بعشاء، ثم قال: إن هذا المجلس يغشاه ثلاثة نفر: مؤمن فقيه ومؤمن لم يفقه ومنافق، وذلك في الدنيا مثل الغيث فيصيب الشجرة المونقة المثمرة فتزداد حسناً وإيناعاً وطيباً ويصيب الشجرة غير المثمرة فيزداد ورقها حسناً وتكون لها ثمرة، ويصيب الهشيم من الشجر فيحطمه ثم قرأ ﴿ونتنزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ [الإسراء: ٨٢] اللهم ارزقني شهادة توجب لي الحياة والرزق وإسناده صحيح.

وأخرج أحمد في الزهد، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن عبدالله بن أشعث بن سوار، عن محارب بن دثار رفعه: «من أمتي من لا يستطيع أن يأتي مسجده أو مصلاه من العري يحجزه إيمانه إن يسأل الناس منهم أويس القرني وفرات بن حيان».

(فهكذا كانت سيرة أبناء الآخرة المعرضين عن الدنيا).

وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حدّ الدنيا كل ما أظلته الخضراء وأقلته الغبراء إلا ما كان لله عز وجل من ذلك، وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة من الدنيا لأجل قوة طاعة الله وذلك ليس من الدنيا. ويتبين هذا بمثال: وهو أن الحاج إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بدّ للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولاً بغير الحج، فكذلك البدن مركب النفس تقطع به مسافة العمر، فتعهد البدن بما تبقى به قوّته على سلوك الطريق بالعلم والعلم هو من الآخرة لا من الدنيا. نعم إذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الأسباب كان منحرفاً عن الآخرة ويخشى على قلبه القسوة. قال الطنافسي: كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام سبعة أيام طاوياً فسمعت في الليلة الثامنة منادياً وأنابين اليقظة والنوم: ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أعمى الله عين قلبه. فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك. فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى.

(وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن سيرة الأنبياء والأولياء أن حد الدنيا كل ما أظلته الخضراء) أي السماء سميت بها لخضرة لونها عند النظر إليها **(وأقتله)** أي حملته **(الغبراء)** أي الأرض سميت لاغبرارها **(إلا ما كان لله عز وجل من ذلك، وضد الدنيا الآخرة وهو كل ما أريد به الله تعالى مما يؤخذ بقدر الضرورة)** الحاقة **(من الدنيا لأجل قوة طاعة الله تعالى)** والتبلغ به إليها، **(فذلك ليس من الدنيا)** أي ليس محسوباً منها. **(ويتبين هذا بمثال)** يذكر **(وهو أن الحاج إلى)** بيت الله الحرام **(إذا حلف أنه في طريق الحج لا يشتغل بغير أمور الحج بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد)** الذي يتقوت به **(وعلف الجمل)** الذي يركبه **(وخرز الراوية)** أي القربة التي يشرب منها **(وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولاً بغير الحج)** فهو صادق في يمينه، **(فكذلك البدن مركب النفس يقطع به مسافة العمر)** أي مدته، **(فتعهد البدن)** أي محافظته **(لما يتقي به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو من الآخرة لا من الدنيا. إذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الأسباب كان منحرفاً عن الآخرة ويخشى على قلبه)** إحداث **(القسوة)** فيه بسبب ركونه إلى ذلك مع قصد التنعم.

(قال الطنافسي) وهو محمد بن عبيد بن أبي أمية الكوفي الأحدب الثقة، مات سنة أربع ومائتين روى له الجماعة. **(كنت على باب بني شيبة في المسجد الحرام)** وهو أحد أبوابه المشهورة **(سبعة أيام طاوياً)** على الجوع، **(فسمعت الليلة الثامنة منادياً وأنا بين اليقظة والنوم: ألا من أخذ من الدنيا أكثر مما يحتاج إليه أعمى الله عين قلبه)** وقد ورد معنى ذلك

بيان حقيقة الدنيا في نفسها وأشغالها التي استغرقت هـمم الخلق حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم:

اعلم أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للإنسان فيها حظ وله في إصلاحها شغل، فهذه ثلاثة أمور قد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك. أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الأرض وما عليها. قال الله تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهـم أيّهـم أحسـن عملاً﴾ [الكهـف: ٧] فـالأرض فـراش للآدميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح.

ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام: المعادن والنبات والحيوان. أما النبات: فيطلبه الآدمي للاقتيات والتداوي، وأما المعادن فيطلبها للآلات والأواني كالنحاس والرصاص وللنقد كالذهب والفضة ولغير ذلك من المقاصد، وأما الحيوان فينقسم إلى الإنسان

في بعض الأخبار، والمراد بعين القلب البصيرة. (**فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك**) فتأمل في معناها (**فاعلم ذلك ترشد إن شاء الله تعالى**).

بيان ماهية الدنيا في نفسها أي ذاتها واشغالها التي استغرقت هم الخلق واستولت عليها حتى أنستهم أنفسهم وخالقهم ومصدرهم وموردهم:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة وللإنسان فيها حظ**) ونصيب (**وله في إصلاحها شغل، فهذه ثلاثة أمور وقد يظن أن الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك**) بل هي عبارة عن مجموعها. (**أما الأعيان الموجودة التي الدنيا عبارة عنها فهي الأرض وما عليها قال الله تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض**) من أعيان ونبات ومعادن (**زينة لها لنبلوهم**) أي نختبرهم (**أيهم أحسن عملاً﴾**) أي أكثر زهداً فيها. رواه ابن أبي حاتم عن الثوري، (**فالأرض فراش الآدميين ومهاد ومسكن ومستقر**) وكل ذلك بنص الآيات الواردة فيه، (**وما عليها لهم فلبس ومطعم ومشرب ومنكح**). أخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينـة لها﴾ قال: ما عليها من شيء.

(**ويجمع ما على الأرض ثلاثة أقسام: المعادن والنبات والحيوان. أما النبات: فيطلبه الآدمي للإقتيات وللتداوي**) أي منه ما هو للقوت خاصة وهو أنواع الحبوب، ومنه ما هو للتداوي وهو أنـواع الحشـائش. (**وأمـا المعـادن: فيطلبهـا الآدمـي للآلات والأواني**) أي لاتخاذها (**كالنحاس**) بنوعية الأحمر والأصفر (**والرصـاص**) والقلعـي وغيرهـا، (**وللنقـد كالذهب والفضة**) فإذا أطلق النقدان في عبارة الفقهاء فإنما يراد بهما إياهما (**ولغير ذلك من**

والبهائم. أما البهائم: فيطلب منها لحومها للمآكل وظهورها للمركب والزينة. وأما الإنسان: فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان أو ليتمتع بهم كالجواري والنسوان، ويطلب قلوب الناس ليملكها بأن يغرس فيها التعظيم والإكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين. فهذه هي الأعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله: ﴿زُين للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين﴾ وهذا من الانس ﴿والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾ وهذا من الجواهر والمعادن، وفيه تنبيه على غيرها من اللآلىء واليواقيت وغيرها. ﴿والخيل المسوّمة والأنعام﴾ وهي البهائم والحيوانات ﴿والحرث﴾ [آل عمران: ١٤] وهو النبات والزرع.

فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع العبد علاقتين: علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء

المقاصد. وأما الحيوان: فينقسم إلى الإنسان والبهائم. أما البهائم: فتطلب لحومها لمآكل وظهورها للمركب) قال الله تعالى: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشاً﴾ [الأنعام: ١٤٢] فالحمولة ما يحمل عليها والفرش ما يفرش للذبح (**والزينة**) قال الله تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ [النحل: ٨] (**وأما الإنسان: فقد يطلب الآدمي أن يملك أبدان الناس ليستخدمهم ويستسخرهم كالغلمان**) شراء بملك اليمين أو استئجاراً، (**أو ليتمتع بهم كالجواري**) بملك اليمين (**والنسوان**) بعقد النكاح، (**ويطلب قلوب الناس ليمكلها بأن يغرس فيها التعظيم والإكرام، وهو الذي يعبر عنه بالجاه إذ معنى الجاه ملك قلوب الآدميين. فهذه هي الأعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين﴾ وهذا من الإنسان**) والمراد بالبنين الأولاد الذكور والحفدة (**﴿والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾ وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلىء واليواقيت وغيرها**) من أنواع الحلى كالماس والزمرد والبلخش والعقيق. (**والخيل المسوّمة**) أي المعلمة السائمة منها والمستعدة (**﴿والأنعام﴾ وهي البهائم والحيوانات**) وهي الأزواج الثمانية المذكورة في القرآن (**﴿والحرث﴾ وهو النبات والزرع**).

(**فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع العبد علاقتين: علاقة مع القلب: وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه إليها حتى يصير قلبه كالعبد**) المذلل (**أو المحب المستهتر بالدنيا، ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد**

والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر، وهذه هي الدنيا الباطنة. وأما الظاهرة فهي: الأعيان التي ذكرناها.

العلاقة الثانية مع البدن، وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها والخلق إنما نسوا أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل. ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها علم أن هذه الأعيان التي سميناها دنيا لم تخلق إلا لعلف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى. وأعني بالدابة البدن فإنه لا يبقى إلا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن، كما لا يبقى الجمل في طريق الحج إلا بعلف وماء وجلال.

ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها ألوان الثياب، ويحمل إليها أنواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته. والحاج البصير لا يهمه من أمر

والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر والتفاخر، وهذه هي الدنيا الباطنة وأما الظاهرة فهي الأعيان التي ذكرناها.

(**والعلاقة الثانية مع البدن، وهو اشتغاله بإصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف**) بأنواعها (**التي الخلق مشغولون بها**) ملتفتون إليها، (**والخلق إنما نسوا أنفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل، ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا وسرها**) وإنها لماذا خلقت ولماذا خلق هو (**علم أن هذه الأعيان التي سميناها دنيا لم تخلق إلا لعلف الدابة التي يسير بها إلى الله تعالى. وأعني بالدابة البدن فإنه**) أي البدن (**لا يبقى**) أي لا يوصف بالبقاء والمتعة (**إلا بمطعم ومشرب وملبس ومسكن**) وهي ضرورات في حفظ البدن، (**كما لا يبقى الجمل في طريق الحج إلا بعلف وماء وجلال**) جمع جل بالضم وهو ما يقي ظهره لئلا ينقبه الرحل.

(**ومثال العبد في الدنيا في نسيانه نفسه ومقصده**) الذي هو متوجه إليه (**مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها**) بالخدمة (**وينظفها ويكسوها ألوان الثياب**) المزخرفة، (**ويحمل إليها أنواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج**) لم يزل مشغولاً بذلك (**حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية**

الجمل إلا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده وقلبه إلى الكعبة والحج، وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة، فكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن إلا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء إلا لضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجه من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن، ومن همته ما يدخل بطنه فقيمته ما يخرج منها وأكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن، فإن القوت ضروري وأمر المسكن والملبس أهون، ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور واقتصروا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا وإنما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة، فتاهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقاصدها.

ونحن نذكر تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى تتضح لك أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله تعالى وكيف أنستهم

فريسة للسباع) تفرس **(هو وناقته)**، أو نهبة للعربان يستفردونه فيأخذونه مع ناقته كالأسير إن لم يقتلوه. **(والحاج البصير العاقل لا يهمه من أمر الجمل إلا القدر الذي يقوى به على المشي فيتعهده)** ويصلح شأنه **(وقلبه إلى الكعبة والحج، وإنما يلتفت إلى الناقة بقدر الضرورة)** والحاجة. **(وكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن إلا بالضرورة)** بل يتناول ما يتناوله تناول مفطر عالم بقذارة مآله **(كما لا يدخل بيت الماء إلا بالضرورة ولا فرق بين إدخال الطعام في البطن وبين إخراجه من البطن في أن كل واحد منهما ضرورة البدن، ومن همته ما يدخل بطنه)** أي من شغل همته في إصلاح ما يدخل بطنه **(فقيمته ما يخرج من بطنه)** فاخسس بهذه اللقمة التي قيمتها ذلك فحقه أن يعلم أن نسبة الثمار والفواكه نسبة الجعل إلى الروث، فلو نطق الشجر لقال لك: تأكل فضالتي كما يأكل الجعل فضالتك، والخنزير إذا استطاب لفاظه الإنسان فما هو إلا كاستطابتها لفاظة الشجر، وبهذا يعلم أن شرف المطعم والمشرب بالإضافة لا بإطلاق. **(وأكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن)** ولذا قيل: إن البطن عدو الإنسان، **(فإن القوت أمر ضروري)** فإنه لا قوام له في الدنيا إلا به، **(وأمر المسكن والملبس أهون)** من أمر القوت **(ولو عرفوا سبب الحاجة إلى هذه الأمور واقتصروا عليه لم تستغرقهم أشغال الدنيا)** أي لم تستول عليهم، **(وإنما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها، ولكنهم جهلوا وغفلوا وتتابعت أشغال الدنيا عليهم واتصل بعضها ببعض فتداعت إلى غير نهاية محدودة، فتاهوا في كثرة الأشغال ونسوا مقصودها)**.

(ونحن نذكر) الآن **(تفاصيل أشغال الدنيا وكيفية حدوث الحاجة إليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح لك أن أشغال الدنيا كيف صرفت الخلق عن الله وكيف**

عاقبة أمورهم فنقول: الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق مكبين عليها وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطر إلى ثلاث: القوت والمسكن والملبس، فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد، والمسكن لدفع الحر والبرد، ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال. ولم يخلق الله القوت والمسكن والملبس مصلحاً بحيث يستغنى عن صنعة الإنسان فيه.

نعم. خلق ذلك للبهائم فإن النبات يغذي الحيوان من غير طبخ، والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغني عن البناء ويقنع بالصحراء، ولباسها شعورها وجلودها، فتستغني عن اللباس.

والإنسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهي: الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبناء. أما البناء فللمسكن، والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والخياطة فللملبس، والفلاحة للمطعم، والرعاية للمواشي والخيل أيضاً للمطعم والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما

أنستهم عاقبة أمورهم فنقول: الأشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات والأعمال التي ترى الخلق منكبين عليها) يقال: أكب على كذا إذا لازم عليه، **(وسبب كثرة الأشغال هو أن الإنسان مضطر إلى ثلاث: القوت والمسكن والملبس، فالقوت للغذاء والبقاء)** أي بقاء البدن على اعتداله، **(والملبس لدفع الحر والبرد، والمسكن لدفع الحر والبرد ولدفع أسباب الهلاك عن الأهل والمال، ولم يخلق الله القوت والملبس والمسكن مصلحاً بحيث يستغني عن صنعة الإنسان فيه).**

(نعم خلق ذلك للبهائم، فإن النبات يغذي الحيوان من غير طبخ، والحر والبرد لا يؤثر) كل منهما **(في بدنه فيستغني عن البناء)** أي المسكن **(ويقنع بالصحراء)** صيفاً وشتاءً، **(ولباسها شعرها وجلودها فيستغني عن اللباس).**

(والإنسان ليس كذلك فحدثت الحاجة لذلك إلى خمس صناعات) لا قوام للعالم دونها **(هي أصول الصناعات وأوائل الأشغال الدنيوية وهي: الفلاحة والرعاية والإقتناص والحياكة والبناء)** وعد أبو القاسم الراغب في الذريعة الأصول أربعة. فذكر الفلاحة والحياكة والبناء وزاد السياسة، وجعل الرعاية من المرشحات ولم يذكر الإقتناص. **(أما البناء فللمسكن)** أي لأجل تهيئه الموضع الذي يسكن فيه فمحترفه يقال له البناء، **(والحياكة وما يكتنفها من أمر الغزل والخياطة فللمبس)** ومحترفها يقال له الحائك والنسّاج، **(والفلاحة للمطعم)** ومحترفها يقال له الفلاح والزراع، **(والرعاية للمواشي)** يتعهدها للإطعام والاستقاء وغيرهما ومحترفها يقال له الراعي، وراعي الجواميس بالخصوص يقال له الجميسي، **(والخيل أيضاً للمطعم**

خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب ، فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها ، والمقتنص يحصل ما نبت ونتج بنفسه من غير صنع آدمي ، وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنعة آدمي ، ونعني بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات وأشغال عدة ، ثم هذه الصناعات تفتقر إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص ، والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما أو من جلود الحيوانات . فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع أخر من الصناعات : النجارة والحدادة والخرز ، وهؤلاء هم عمال الآلات ، ونعني بالنجار كل عامل في الخشب كيفما كان ، وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما . وغرضنا ذكر الأجناس فأما آحاد الحرف فكثيرة . وأما الخراز فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها . فهذه أمهات الصناعات .

والمركب والاقتناص نعني به تحصيل ما خلقه الله من صيد أو معدن أو حشيش أو حطب) وهذا إصطلاح خاص ، وإلا فالمقتنص في العرف هو الذي يصطاد حيوانات البر كالقنيص والقانص ، كما أن الصائد والصياد له ، وللذي يصطاد الطيور وحيوانات البحر ولمن يستخرج معادن البحر يقال له الغطاس ، ومعادن البر يقال له النابل ، ولمن يقطع الحشيش يقال له الحشاش ، ولمتطلب الحطب من البراري والفيافي يقال له الحطاب . فهذه اصطلاحات عرفية والمصنف جعل الاقتناص لفظاً شاملاً للكل . (**فالفلاح يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها ، والمقتنص يحصل ما نبت)** في الأرض (**ونتج بنفسه من غير صنع آدمي ، وكذلك يأخذ من معادن الأرض ما خلق فيها من غير صنع آدمي ، ونعني بالإقتناص ذلك)** ولا مشاحة في الإصطلاح (**وتدخل تحته صناعات وأشغال عدة)** هي كالخادمة لها ، (**ثم هذه الصناعات تفتقر إلى أدوات وآلات كالحياكة والفلاحة والبناء والاقتناص)** فإن كلا منها يحتاج إلى ما ذكر ، (**والآلات إنما تؤخذ إما من النبات وهو الأخشاب ، أو من المعادن كالحديد والرصاص وغيرهما . أو من جلود الحيوانات . فحدثت الحاجة إلى ثلاثة أنواع أخر من الصناعات : النجارة والحدادة)** بكسرهما (**والخرز)** وهؤلاء هم عمال الآلات (**ونعني بالنجار كل عامل في الخشب كيفما كان ، وبالحداد كل عامل في الحديد وجواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما)** الذي يشتغل الأبر للخياطة وغيرها وهذا أيضاً اصطلاح خاص إذ المعروف أن الحداد كل عامل في جنس الحديد خاصة . وأما عامل بقية المعادن فلكل إسم خاص ففي النحاس نحاس وفي الرصاص رصاص ، وفي القلعي سمكري . وقس على ذلك فهي صناعات مختلفة لا يدخل بعضها على بعض . (**وغرضنا ذكر الأجناس وإما آحاد الحرف فكثيرة)** لا تحصر . (**وأما الخراز فنعني به كل عامل في جلود الحيوانات وأجزائها)** وتحته النعال

ثم إن الإنسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر إلى الاجتماع مع غيره من جنسه وذلك لسببين:

أحدهما: حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان، ولا يكون ذلك إلا باجتماع الذكر والأنثى وعشرتهما.

والثاني: التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد، فإن الاجتماع يفضي إلى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت ثم ليس يكفيه الاجتماع مع الأهل والولد في المنزل، بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة، فإن الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها، وتحتاج الآلة إلى حداد ونجار، ويحتاج الطعام إلى طحان وخباز،

والقراب والدباغ والسروجي وغيرهم. (**فهذه أمهات الصناعات**) المحتاج إليها وما عداها فإنها مرشحة لكل واحد وخادمة له كالحدادة للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة، ومثل ذلك بالإضافة إلى العالم مثل أجزاء الشخص إلى الشخص سواء، فإنها على ثلاثة أضرب: إما الأصول كالقلب والكبد والدماغ، وإما مرشحة لتلك الأصول وخادمة كالمعدة والعروق والشرايين، وإما مكملة لها مربية كاليد والحاجب، وأما بيان شرف هذه الصناعات مع بعضها فقد تقدمت الإشارة إليه في كتب العلم.

(**ثم إن الإنسان خلق**) مدني الطبع (**بحيث لا يعيش وحده، بل يضطر إلى الإجتماع مع غيره من جنسه**) ليحصل لنفسه أدنى ما يحتاج إليه بمعاونة عدة له. وعليه نبه النبي ﷺ بقوله: «المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا تألم بعضه تداعى سائرة» وقيل: الناس كجسد واحد متى عاون بعضه بعضاً استقل، ومتى خذل بعضه بعضاً اختل، (**وذلك لسببين**).

(**أحدهما: حاجته إلى النسل لبقاء جنس الإنسان، ولا يكون ذلك إلا بإجتماع الذكر والأنثى وعشرتهما**) فصار ذلك ضرورياً ومما لا بد منه.

(**والثاني: التعاون على تهيئة أسباب المطعم والملبس ولتربية الولد، فإن الإجتماع**) بين الذكر والأنثى (**يفضي إلى**) حدوث (**الولد لا محالة. و**) معلوم أن (**الواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة أسباب القوت ثم ليس يكفيه الإجتماع مع الأهل والولد في المنزل، بل لا يمكنه أن يعيش كذلك ما لم تجتمع طائفة كثيرة ليتكفل كل واحد بصناعة**) هي له متظارهين متعاونين، (**فإن الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو يحتاج إلى آلاتها**) وأعظمها الثوران والفدان، فالثوران يحتاجان إلى رعيتها وتعهدها، والفدان يحتاج إلى خشب وحديد وحبال، وتحتاج هذه (**الآلة إلى حداد ونجار**) وحبال، (**فالنجار يقطع الخشب**

وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر إلى حراسة القطن وآلات الحياكة والخياطة وآلات كثيرة؟ فلذلك امتنع عيش الإنسان وحده وحدثت الحاجة إلى الاجتماع، ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة لتأذوا بالحر والبرد والمطر واللصوص فافتقروا إلى أبنية محكمة ومنازل ينفرد كل أهل بيت به وبما معه من الآلات والأثاث، والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر وتدفع أذى الجيران من اللصوصية وغيرها، لكن المنازل قد تقصدها جماعة من اللصوص خارج المنازل فافتقر أهل المنازل إلى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة.

ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات، إذ تحدث رئاسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية للأبوين على الولد لأنه ضعيف يحتاج إلى قوام

ويصلحه والحداد يصلح المسامير والحبال يفتل الحبل الذي به يربط بعضه مع بعض، (ويحتاج الطعام إلى) دائس وذراء ومنق ومغربل ثم إلى **(طحان)** يطحنه إما برحا فبيديه، أو طحن الطاحون فبالبهائم، والبهائم تحتاج إلى رعية وتعهد، ثم الدقيق المطحون إذا حضر احتاج بعد نخله إلى عجان، والعجن يحتاج إلى ظرف، وذلك الظرف إما من المعادن فاحتاج إلى حداد ونحاس وصفار، وإما من الخزف فاحتاج إلى خزاف **(و)** إلى **(خباز)** والخباز يحتاج إلى الوقيد والوقاد، **(وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر إلى حراسة القطن)** والحراثة تحتاج إلى آلاتها **(وآلات الحياكة)** كالنول والبكرات والمناسج والشيوخ والسفينة والمغازل وغيرها **(و)** آلات **(الخياطة)** كالابر والمقص والذراع والخيط والإسفيداج وغيرها مما يحتاج إليه الخياط، وأعمال كثيرة غير ما ذكر. **(فلذلك امتنع عيش الإنسان وحده وحدثت الحاجة إلى الإجتماع)** والتعاون، **(ثم لو اجتمعوا في صحراء مكشوفة)** تحت السماء **(لتادوا)** أي هلكوا وفي نسخة لتأذوا **(بالحر)** في الصيف **(والبرد)** في الشتاء **(والمطر واللصوص)** بالليالي عند اشتغالهم بالنوم، **(فافتقروا إلى أبنية محكمة ومنازل)** محدودة **(ينفرد كل أهل بيت وبما معه من الآلات)** المحتاج إليها، **(والأثاث)** والأمتعة والمنازل تدفع الحر والبرد والمطر بالاستكنان فيها، **(وتدفع)** أيضاً **(أذى الجيران من اللصوصية وغيرها، ولكن المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص)** متظاهرين مع البعض **(خارج المنازل، فافتقر أهل المنازل إلى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت البلاد لهذه الضرورة)** فالبلدة كل مجتمع قوم يحيط به سور.

(ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد) لا محالة أن يتعاملوا في أمور معايشهم، فإذا **(تعاملوا تولدت بينهم لا محالة خصومات)** ومنازعات ومشابكات بحكم ما جبل عليه الإنسان من الحرص، والشح والحسد **(إذ تحدث رئاسة وولاية للزوج على الزوجة)** بحكم قيامه عليها **(و)** تحدث **(ولاية للأبوين على الولد لأنه ضعيف محتاج إلى قوام به. ومهما حصلت**

به. ومهما حصلت الولاية على عاقل أفضى إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم، إذ ليس لها قوة المخاصمة وإن ظلمت، فأما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الأبوين. هذا في المنزل.

وأما أهل البلد أيضاً فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا، وكذلك الرعاة وأرباب الفلاحة يتواردون على المراعي والأراضي والمياه وهي لا تفي بأغراضهم فيتنازعون لا محالة. ثم قد يعجز بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى أو مرض أو هرم وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعاً لهلك، ولو وكل تفقده إلى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له.

فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى، فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الأرض لتمكن القسمة بينهم بالعدل، ومنها صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم. ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل

الولاية على عامل) كالزوجة والولد والرقيق والأجير **(أفضى)** الحال **(إلى الخصومة بخلاف الولاية على البهائم، إذ ليس لها قوة المخاصمة وإن ظلمت)** لكونها خرساء، **(فأما المرأة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الأبوين)** وكذا الرقيق والأجير. **(هذا في المنزل)**.

(فأما أهل البلد أيضاً فيتعاملون في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة) للمواشي **(وأرباب الفلاحة)** يضطرون في أحوالهم أن يبعدوا في المراعي حيث مساقط الغيث، ويتقربوا إلى المواضع القريبة من المياه لمصلحة المواشي، فإذا بعدوا يعسر عليهم إراحة المواشي إلى المنازل التي فيها أربابها فحدثت الحاجة إلى بناء كفور وإحياء وإحماء، فيريحون فيها المواشي ويبيتون بها معهم مع تلك الآلات التي يحتاجون إليها في الحراثة ليكون غدهم ورواحهم قريباً من مواضع حاجاتهم، ثم أنهم **(يتواردن على المراعي والأرضين والمياه وهي لا تفي بأغراضهم فيتنازعون لا محالة. ثم قد يعجر بعضهم عن الفلاحة والصناعة بعمى أو مرض أو هرم)** أي كبر سن **(وتعرض عوارض مختلفة ولو ترك ضائعاً لهلك، ولو وكل تفقده إلى الجميع لتخاذلوا ولو خص واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له)** أي لا ينقاد.

(فحدثت بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالإجتماع صناعات أخرى فمنها: صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الأرض) يقال: مسحت الأرض مسحاً إذا ذرعتها والإسم المساحة بالكسر وإنما احتيج إليها **(لتمكن القسمة بينهم بالعدل)** فيعطي كل ذي حق حقه **(ومنها: صناعة الجندية لحراسة البلد بالسيف)** والسنان **(ودفع اللصوص عنهم)**

الخصومة. ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي أن يضبط به الخلق، ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله تعالى في المعاملات وشروطها. فهذه أمور سياسية لا بدّ منها ولا يشتغل بها إلا مخصوصون بصفات مخصوصة من العلم والتمييز والهداية، وإذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا لصناعة أخرى ويحتاجون إلى المعاش، ويحتاج أهل البلد إليهم إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلاً تعطلت الصناعات، ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس واستضر الناس، فمست الحاجة إلى أن يصرف إلى معايشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا مالك لها إن كانت أو تصرف الغنائم إليهم إن كانت العداوة مع الكفار، فإن كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال المصالح، وإن أرادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة إلى أن يمدهم أهل البلد بأموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة إلى الخراج. ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة لصناعات أُخر، إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال. وإلى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون، وإلى من يجمع عنده

بالشوكة. (**ومنها: صناعة الحكم والتوسط لفصل الخصومة. ومنها الحاجة إلى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي أن يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدوده حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله في المعاملات**) الجارية بينهم (**وشروطها**) مما يصح ومما يبطل. (**فهذه أمور سياسية لا بد منها**) ولا يستغني عنها (**ولا يشتغل بها إلا مخصوصون بصفات مخصوصة من التمييز والعلم والهداية**) والتوفيق والرشد. (**وإذا اشتغلوا بها لم يتفرغوا الصناعة أخرى ويحتاجون إلى المعاش**) ليستعينوا به على تفرغهم، (**ويحتاج أهل البلد إليهم**) في معرفة الأحكام والحدود الشرعية (**إذ لو اشتغل أهل البلد بالحرب مع الأعداء مثلاً تعطلت الصناعات، ولو اشتغل أهل الحرب والسلاح بالصناعات لطلب القوت تعطلت البلاد عن الحراس**) لها عن نكاية الأعداء واللصوص (**واستضر الناس، فمست الحاجة إلى أن يصرف إلى معايشهم وأرزاقهم الأموال الضائعة التي لا مالك لها إن كانت**) حسبما تقدم حكمها في آخر كتاب الزكاة (**أو تصرف إليهم الغنائم إن كانت العداوة مع الكفار، فإن كانوا أهل ديانة وورع قنعوا بالقليل من أموال المصالح، وإن أرادوا التوسع فتمس الحاجة لا محالة إلى أن يمدهم أهل البلد بأموالهم ليمدوهم بالحراسة**) والضبط (**فتحدث الحاجة إلى الخراج**) وهو ما يتحصل من غلة الأرض. (**ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج الحاجة إلى صناعات أخر إذ يحتاج إلى من يوظف الخراج بالعدل**) والتسوية (**على الفلاحين وأرباب الأموال وهم العمال**) وصناعتهم العمالة بالكسر، (**وإلى من يستوفي منهم بالرفق**) والتدريج

ليحفظه إلى وقت التفرقة وهم الخزان، وإلى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر. وهذه الأعمال لو تولاها عدد لا تجمعهم رابطة انخرم النظام فتحدث منه الحاجة إلى ملك يدبرهم وأمير مطاع يعين لكل عمل شخصاً ويختار لكل واحد ما يليق به ويراعي النصفة في أخذ الخراج وإعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك، فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم أهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم الحاجة إلى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال. ثم هؤلاء أيضاً يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو المسمى فرع الخراج. وعند هذا يكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف، الفلاحون والرعاة والمحترفون. والثانية الجندية الحماة بالسيوف، والثالثة المترددون بين الطائفتين: في الأخذ والعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم. فانظر كيف ابتدأ

(**وهم الجباة**) وصناعتهم الجباية (و) يقال لهم أيضاً المستخرجون والمستوفون والواحد مستوف ومستخرج، (**وإلى من تجمع عنده ليحفظه إلى وقت التفرقة**) إما مرة في السنة أو مرتين أو أكثر أو أقل (**وهم الخزان**) جمع خازن، (**وإلى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر** وصناعه الفراضة. **وهذه الأعمال لو تولاها عدد لا تجمعهم رابطة انخرم النظام**) وتعرض للفساد، (**فتحدث منه الحاجة إلى ملك يدبرهم**) ويسوسهم ويقودهم، (**وأمير مطاع**) وهو الوزير (**يعين لكل عمل شخصاً ويختار لكل أحد ما يليق به ويرعى النصفة**) محركة الإنتصاف (**في أخذ الخراج وإعطائه واستعمال الجند في الحرب وتوزيع أسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الأمير والقائد على كل طائفة منهم إلى غير ذلك من صناعات الملك، فيحدث من ذلك بعد الجند الذي هم أهل السلاح، وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالئة ويدبرهم الحاجة إلى الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال**)، فالكتاب هم الذين يكتبون عن لسان الملك إلى الرعايا والآفاق وهم على طبقات: أعلاها كتاب السير وصناعتهم الكتابة وهي أعظم الصنائع وأسناها وأكثرها افتقاراً للمعلومات، والخزان هم الخازنون للمال والغلال الحاصلين من خراج الأرض وغيره، والحساب هم الكتبة الذين يحسبون المداخل والمخارج من تلك الأموال والغلال والجباة والعمال وقد تقدم ذكرهما (**ثم هؤلاء أيضاً يحتاجون إلى معيشة ولا يمكنهم الاشتغال بالحرف فتحدث الحاجة إلى مال الفرع مع مال الأصل وهو المسمى فرع الخراج، وعند هذا تكون الناس في الصناعات ثلاث طوائف**). الأولى: (**الفلاحون والرعاة والمحترفون، والثانية: الجندية الحماة لهم بالسيوف، والثالثة: المترددون بين الطائفتين في الأخذ والإعطاء وهم العمال والجباة وأمثالهم**) كالخزان

الأمر من حاجة القوت والملبس والمسكن وإلى ماذا انتهى. وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا وينفتح بسببه أبواب أخر، وهكذا تتناهى إلى غير حد محصور وكأنها هاوية لا نهاية لعمقها. من وقع في مهواة منها سقط منها إلى أخرى، وهكذا على التوالي.

فهذه هي الحرف والصناعات إلا أنها لا تتم إلا بالأموال والآلات، والمال عبارة عن أعيان الأرض وما عليها مما ينتفع به، وأعلاها الأغذية ثم الأمكنة التي يأوي الإنسان إليها وهي الدور، ثم الأمكنة التي يسعى فيها للتعيش كالحوانيت والأسواق والمزارع، ثم الكسوة، ثم أثاث البيت وآلاته، ثم آلات الآلات، وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد، والبقر آلة الحراثة، والفرس آلة الركوب في الحرب، ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فإن الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها آلة الفلاحة، والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن فيها الزراعة. فبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما ويحتاجان إلى الفلاح، فيحتاج أحدهما أن يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق

والمستوفين. (**فانظر كيف ابتدأ الأمر من حاجة القوت والمسكن والملبس وإلى ماذا انتهى. وهكذا أمور الدنيا لا يفتح منها باب إلا وتفتح بسببه**) عشرة (**أبواب أخر**) لم تكن في باله، (**وهكذا تتناهى إلى غير حد محصور وكأنها هاوية**) عميقة أي وهدة منخفضة (**لا نهاية لعمقها. من وقع في مهواة منها**) أي حفرة (**سقط منها إلى أخرى، وهكذا على التوالي**).

(**فهذه هي الحرف والصناعات**) وأشرفها السياسة وهي أربعة أضرب: الأول: سياسة الأنبياء وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم، والثاني: الولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم، والثالث: الحكماء وحكمهم على باطن الخواص، والرابع: الفقهاء والوعاظ وحكمهم على بواطن العامة (**إلا انها**) أي تلك الصناعات (**لا تتم إلا بالأموال والآلات، والمال عبارة من أعيان الأرض وما عليها مما ينتفع به، وأعلاها الأغذية ثم الأمكنة التي يأوي الإنسان إليها وهي الدور، ثم الأمكنة التي يسعى فيها للتعيش**) فهي معدة لذلك لا للسكنى (**كالحوانيت والأسواق والمزارع، ثم الكسوة، ثم أثاث البيت والآلة، ثم آلات الآلات**) هكذا على هذا الترتيب. (**وقد يكون في الآلات ما هو حيوان كالكلب آلة الصيد، والبقر آلة الحراثة، والفرس آلة الركوب في الحرب، ثم يحدث من ذلك حاجة البيع فإن الفلاح ربما يسكن قرية ليس بها آلة الفلاحة، والنجار والحداد يسكنان قرية لا يمكن به الزراعة، فبالضرورة يحتاج الفلاح إليهما**) في اتخاذ آلة الفلاحة، (**ويحتاجان إلى الفلاح**) في الزراعة (**فيحتاج أحدهما أن يبذل ما عنده للآخر حتى يأخذ منه غرضه وذلك بطريق**

المعاوضة إلا أن النجار مثلاً إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى آلته فلا يبيعه، والفلاح إذا طلب الآلة من النجار لطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتتعوق الأغراض فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة ليترصد بها صاحبها أرباب الحاجات، وإلى أبيات يجمع إليها ما يحمل الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الأبيات ليترصد به أرباب الحاجات، فظهرت لذلك الأسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فإذا لم يصادف محتاجاً باعها بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها في انتظار أرباب الحاجات طمعاً في الربح، وكذلك في جميع الأمتعة والأموال، ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى لا طعمة ومن البلاد الآلات، وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنتظم أمور الناس في البلاد بسببهم، إذ كل بلد ربما لا توجد فيه كل آلة، وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام، فالبعض يحتاج إلى البعض فيحوج إلى النقل، فيحدث التجار المتكلفون بالنقل وباعثهم عليه حرص جمع المال لا محالة فيتعبون طول الليل والنهار في الأسفار لغرض غيرهم ونصيبهم منها جمع المال الذي يأكله لا محالة غيرهم، إما قاطع طريق وإما سلطان ظالم،

المعاوضة) والمبادلة، (**إلا أن النجار مثلاً إذا طلب من الفلاح الغذاء بآلته ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت إلى الآلة فلا يبيعه، والفلاح إذا طلب الآلة من النجار بالطعام ربما كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج إليه فتتعوّق الأغراض، فاضطروا إلى حانوت يجمع آلة كل صناعة يترصد بها صاحبها أرباب الحاجات)** لوقت حاجاتهم، (**وإلى أبيات)** وهو مخزن الغلال (**يجمع إليه ما يحمله الفلاحون فيشتريه منهم صاحب الأبيات يترصد به أرباب الحاجات، فظهرت لذلك الأسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب فإذا لم يصادف محتاجاً)** إلى أخذها (**باعها بثمن رخيص من الباعة فخزنوها في انتظار أرباب الحاجات طمعاً في الربح)** والفائدة. (**وكذلك في جميع الأمتعة والأموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فيتردد الناس يشترون من القرى الأطعمة ومن البلاد الآلات، وينقلون ذلك ويتعيشون به لتنتظم أمور الناس في البلاد بسببهم، إذ كل بلد ربما توجد فيه كل آلة، وكل قرية لا يوجد فيها كل الطعام، والبعض يحتاج إلى البعض فيحوج إلى النقل فيحدث التجار المتكلفون بالنقل)** من بلد إلى آخر (**وباعثهم عليه حرص في جمع المال)** كيفما اتفق، (**فيتعبون طول الليل والنهار في الأسفار)** ويتحملون المشاق في البراري والقفار وركوب متن البحار (**لأغراض غيرهم، ونصيبهم منها جمع المال الذي يأكله لا محالة غيرهم. إما قاطع طريق)** ينهبه ويسلب ما عنده، وإما ان تكسر بهم السفينة فلا ينجو إلا بنفسه، (**وإما سلطان ظالم)** يطمع في ماله فيسلبه وهم مع ذلك يقولون: من تعطل وتبطل انسلخ

ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاماً للبلاد ومصلحة للعباد، بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة. ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش، ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد أيضاً.

ثم هذه الأموال التي تنقل لا يقدر الإنسان على حملها فتحتاج إلى دواب تحملها، وصاحب المال قد لا تكون له دابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الإجارة، ويصير الكراء نوعاً من الإكتساب أيضاً، ثم يحدث بسبب البياعات الحاجات إلى النقدين فإن من يريد أن يشتري طعاماً بثوب فمن أين يدري المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو؟ والمعاملة تجري في أجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه أمور لا تتناسب، فلا بدّ من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل أحدهما بالآخر فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال، ثم يحتاج إلى مال يطول بقاؤه لأن الحاجة إليه

من الانسانية بل من الحيوانية وصار من جنس الموتى، فيمدحون السعي ويذمون التواني والكسل ويلهجون بقولهم: قد فاز باللذة الجسور. وقد قيل: إذا أردت أن لا تتعب فاتعب لئلا تتعب، (**ولكن جعل الله في غفلتهم وجهلهم نظاماً للبلاد ومصلحة للعباد**) ولولا حركتهم وسعيهم في تحصيل ما يتحملونه لتعطلت الأمور وقل المنتفع، (**بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسة الهمة. ولو عقل الناس وارتفعت هممهم** لزهدوا **في الدنيا**) لحقارتها وخستها (**ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش، ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهاد أيضاً**). وهنا نكتة لطيفة عن حكمة خفيـة، وذلك أن الله تعالى بلطيف قدرته فرق همم الناس للصناعات المتفاوتة ويسرّ كلاً لما خلق له وجعل آلاتهم الفكرية والبدنية مستعدة لها، فجعل لمن قيضه لمراعاة العلم والمحافظ على الدين قلوباً صافية وعقولاً بالمعارف لائقة وأمزجة لطيفة وأبداناً لينة مستصلحة. ومن قيضه لمراعاة المهن الدنيوية والمحافظة عليها كالزراعة والتجارة والبناءة جعل لهم قلوباً قاسية وعقولاً كدة وأمزجة غليظة وأبداناً خشنة، وكما أنه محال أن يصلح السمع للرؤية والبصر للسمع، كذلك من المحال أن يكون من خلق للمهنة يصلح للحكمة ذلك تقدير العزيز العليم.

(**ثم هذه الأموال التي تنقل لا يقدر الإنسان على حملها**) على ظهره (**فيحتاج إلى دواب تحملها، وصاحب المال قد لا يملك الدابة فتحدث معاملة بينه وبين مالك الدابة تسمى الإجارة**) وقد تقدم الكلام عليها في كتاب الكسب. (**ويصير الكراء نوعاً من الاكتساب أيضاً، ثم يحدث بسبب البياعات الحاجة إلى التقدير**) والتخمين، (**فإن من يريد أن يشتري طعاماً بثوب فمن أين يدري المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو؟ والمعاملة تجري في أجناس مختلفة كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب، وهذه أمور لا تتناسب فلا بدّ من حاكم عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل أحدهما بالآخر، فيطلب ذلك العدل من أعيان الأموال**)

تدوم، وأبقى الأموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس، ثم مست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فمست الحاجة إلى دار الضرب والصيارفة. وهكذا تتداعى الأشغال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى ما تراه. فهذه أشغال الخلق وهي معاشهم. وشيء من هذه الحرف لا يمكن مباشرته إلا بنوع تعلم وتعب في الابتداء.

وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى عاجزاً

ثم يحتاج إلى مال يطول بقاؤه، لأن الحاجة إليه تدوم، **وأبقى الأموال المعادن)** المركوزة في الأرض **(فاتخذت النقود من الذهب والفضة والنحاس)** لأجل التعامل بها، **(ثم مست الحاجة إلى الضرب والنقش والتقدير فحدثت الحاجة إلى)** اتخاذ **(دار الضرب)** واتخاذ السكة فيها احتاج العمال فيها إلى صنائع كثيرة تبلغ إلى السبعين. كل ذلك مما يحتاج لتهيئة آلاتها، فالدينار لا يصلح للتعامل حتى يقع في يد اثني عشر صانعاً، والنقرة المضروبة تزيد على ذلك **(و)** بعد تمام الدينار والدرهم تحدث الحاجة **(إلى الصيارفة)** ليحرروهما وينقدوهما بالعيار الصحيح. **(وهكذا تتداعى الأشغال والأعمال بعضها إلى بعض حتى انتهت إلى ما تراه)** والأصل في هذا كله تيسير القوت والملبس والمسكن. **(فهذه أشغال الخلق وهي معايشهم)**، ولكن ينبغي أن يعلم أن حصول الفقر وخوفه الناتجين للحرص هما الباعثان على الجد واحتمال الكد في منفعة الناس إما باختيار وإما باضطرار. ولهذا قيل: رب ساع لقاعد وهو أن يكون الناس لو كفى كل منهم أمره لأدى ذلك إلى فساد العالم من حيث أنه لم يكن أحد يعول لغيره مهنة، وكان الواحد منهم يعجز عن القيام بمصالح نفسه كلها فيؤدي ذلك إلى فقر جميعهم. وقد قيل: قيام العالم بالفقر أكثر من قيامه بالغنى، لأن الصناعات القائمة بالغنى ثلاث: الملك والتجارة والبناء، وسائرها قائمة بالفقر. فلو لم يكن الفقر وخوفه فمن كان يتولى الحياكة والحجامة والدباغة والكناسة، ومن كان ينقل البز والملابس من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال. هذا مع أن من الناس من لو كفى أمر دنياه لكان يوجد منه من البغي والفساد ما يؤدي إلى خراب البلاد وفساد العباد، بل كان يوجد منه ما يؤدي إلى هلاك نفسه في أسرع مدة، ومن تدبر صنع الله عز وجل لم تعرض له الشبهة التي تعرض لمن يقول: إذا كان الله غنياً جواداً واسعاً فلم خص بعضهم بالغنى وجعل أكثرهم فقراء؟ ومن حق الغني الذي يغني عباده والجواد الذي لا يعرف لجوده منتهى أن لا يخص بالعطية بعضاً دون بعض، وذلك أن الجواد الحق هو الذي يعطي كل أحد بقدر استحقاقه على وجه يعود لمصلحته ومصلحة غيره، وقد فعل تعالى ذلك بالعباد، ثم قال المصنف: **(وشيء من هذه الحرف)** والصناعات **(لا يمكن مباشرته إلا بنوع تعلم وتعب في الابتداء)** أي في أول عمره، ففي الخبر «التعلم في الصغر كالنقش على الحجر والتعلم في الكبر كالنقش على الماء الجاري».

(ومن الناس من يغفل عن ذلك في الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه عنه مانع فيبقى) في

عن الاكتساب لعجزه عن الحرف، فيحتاج إلى أن يأكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان؟ اللصوصية والكدية، إذ يجمعهما أنهما يأكلان من سعي غيرهما، ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم أموالهم فافتقروا إلى صرف عقولهم في استنباط الحيل والتدابير.

وأما اللصوص: فمنهم من يطلب أعواناً ويكون في يديه شوكة وقوّة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطريق كالأعراب والأكراد.

وأما الضعفاء منهم فيفزعون إلى الحيل إما بالنقب أو التسلق عند انتهاز فرصة الغفلة، وإما بأن يكون طراراً أو سلالاً إلى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة بحسب ما تنتجه الأفكار المصروفة إلى استنباطها.

باقي عمره (**عاجزاً عن الاكتساب لعجزه عن الحرف، فيحتاج أن يأكل مما يسعى فيه غيره فتحدث منه حرفتان خسيستان: اللصوصية**) وهو سلب أموال الناس بالقوّة، (**والكدية**) بالكسر وهي الشحاذة أي التكفف من الناس، (**إذ يجمعهما أنهما يأكلان من سعي غيرهما، ثم الناس يحترزون من اللصوص والمكدين ويحفظون عنهم أموالهم**) ولما رأوا انهم قد حصنوا أموالهم (**فافتقروا إلى صرف عقولهم في استنباط الحيل والتدبير**) في أخذ أموالهم.

(**أما اللصوص: فمنهم من يطلب أعواناً**) يساعدونهم على صنعتهم ويقاسمونهم ما يأخذون (**ويكون**) مع ذلك (**في يديه شوكة وقوّة فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطرق في البر والبحر كالأعراب والأكراد**) وبضع الاتراك.

(**وأما الضعفاء منهم فيفزعون إلى الحيل إما بالنقب**) وهو أن ينقب الحائط (**أو التسلق**) بأن يطلع على الحائط (**عند انتهاز فرصة الغفلة**) من أرباب الأموال ولكل منهما آلات معدة، فمن آلات النقب المعاول، ومن آلات التسلق المسامير والمطارق فيدق المسمار ويمكنه من الحائط فيصعد عليه ثم مسماراً آخر، وهكذا إلى أن يصعد فيربط به حبلاً جعله كالسلم فيتدلى به وينزل إلى الموضع فيأخذ ما فيه، ثم يصعد بذلك الحبل إلى أن ينزل عوداً على بدء، وقد يفتقر إلى فتح الباب من داخل ليدخل أعوانه، ويتخذون لفتح الأبواب والاغاليق ألات تفتحها. (**وإما بأن يكون طراراً**) وأصل الطر الشق والطرار هو الذي يقطع النفقات ويأخذها على غفلة من أهلها (**أو سلالاً**) وهو بمعناه وكذا المختلس (**إلى غير ذلك من أنواع التلصص الحادثة في الأزمنة المتأخرة بحسب ما أنتجته الأفكار المصروفة إلى استنباطها**) وهي صناعة مستقلة ولها ناس معروفون يعلمون صبيانهم من الصغر حتى ينشأوا على ذلك، ولهم في ذلك حكايات مستغربة.

وأما المكدي؛ فإنه إذا طلب ما سعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل كما عمل غيرك فما لك والباطلة فلا يعطي شيئاً فافتقروا إلى حيلة في استخراج الأموال وتمهيد العذر لأنفسهم في البطالة فاحتالوا للتعلل بالعجز إما بالحقيقة كجماعة يعمون أولادهم وأنفسهم بالحيلة ليعذروا بالعمى فيعطون، وإما بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض وإظهار ذلك بأنواع من الحيل مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق، ليكون

(وأما المكدي؛ فإنه إذا طلب ما سعى فيه غيره وقيل له اتعب واعمل فيه كما عمل غيرك فما لك وللبطالة فلا يعطي شيئاً فافتقر إلى حيلة في استخراج الأموال وتمهيد العذر لأنفسهم في البطالة، فاحتالوا للتعلل بالعجز إما بالحقيقة كجماعة يعمون أنفسهم وأولادهم بالحيله ليعذروا بالعمى فيعطون) ولقد حكى لي من أثق به أنه رأى مكذباً في بلاد الروم مقطوعاً يديه وهو قاعد على رأس السكة وهو يقول: أشتهي الرمان وقد فرش منديلاً بين يديه والناس يرمون له من الدراهم فخالج في نفسه أن يطلع على كنه حقيقته، فانتظره يوماً من الأيام عند غروب الشمس وقد حاز ما في المنديل وقام فتبعه من بعد، حتى إذا جاء في زقاق ضيق ونظر عن يمينه وشماله ولم ير أحداً فدق الباب وفتح له فدخل فاستعجل من ورائه فدق الباب واستأذن الدخول وقال: غريب يريد الإيواء ففتح له الباب، فإذا في البيت جوار قد تلقينه وقال لهن: أكرمن هذا الضيف فإذا بيت وسيع وفراش فاخرة فأتوا بالطست والإبريق وغسلن الغبار عن وجهه وغيرن عليه الثياب الفاخرة غير ثياب الكدية وأتي بالطعام وأكل معه ثم استجر الحديث بأن قال له: ما بالك تفعل كذا وأنت بهذه الحالة، فقال: يا فلان إني قد قطعت يدي اختياراً للكدية وما جمعت هذا الذي ترى إلا من الكدية وأحضر ولداً له صغيراً وقد قطع يديه كذلك ليعلمه الكدية وبات عنده تلك الليلة وأخذ جلية خبره، فلما أصبح نزع تلك الثياب الفاخرة ولبس ثياب الكدية وخرج من منزله إلى ما كان عليه وهذا أغرب ما سمعت.

(وإما بالتعامي والتفالح والتجانن والتمارض) أي ادعاء كل من ذلك وليس على الحقيقة، **(وإظهار طلك بأنواع من الحيل)** بأن يربط على عينيه خرقة فيظهر أنه أعمى، أو يظهر أنه لا يقدر على حركة يده فيربطها بالخرق، أو أن به فالجاً، أو يظهر الخرق فيتكلم بكلام غير منتظم، أو يدعي أمراضاً كالبواسير والنواصير أو غير ذلك. وقد يربط بساقيه خرقاً مدهونة بالزيت والقطران يدعي بذلك أن به جراحات. ولله در أبي زيد السروجي حيث اعتذر عن التعارج فقال:

تعارجت لا رغبة في العرج ولكن لأقرع باب الفرج

(مع بيان أن تلك محنة أصابت من غير استحقاق ليكون ذلك سبة الرحمة) لحالهم والشفقة عليهم فيعطون وجماعة يدعون أنهم كانوا أهل صناعات نظرية فانقطعوا عنها بالعمى،

ذلك سبب الرحمة، وجماعة يلتمسون أقوالاً وأفعالاً يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها فيسخوا برفع اليد عن قليل من المال في حال التعجب، ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم، وذلك قد يكون بالتمسخر والمحاكاة والشعبذة والأفعال المضحكة، وقد يكون بالأشعار الغريبة والكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت، والشعر الموزون أشد تأثيراً في النفس لا سيما إذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة وفضائل أهل البيت أو الذي يحرك داعية العشق من أهل المجانة كصنعة الطبالين في الأسواق وصنعة ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات والحشيش الذي يخيل بائعه أنها أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال، وكأصحاب القرعة والفأل من المنجمين. ويدخل في هذا الجنس الوعاظ والمكدون على رؤوس المنابر إذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام وأخذ أموالهم بأنواع الكدية وأنواعها تزيد على ألف نوع وألفين. وكل ذلك استنبط بدقيق

(وجماعة يلتمسون أفعالاً وأقوالاً يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها) وسماعها **(حتى يسخوا برفع اليدين عن قليل من المال في حال التعجب، ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم، لأن الدرهم إذا خرج من الكيس لا يعود إليه، وذلك قد يكون بالتمسخر)** والاستهزاء بالناس **(والمحاكاة)** والتقليد **(والشعبذة والأفعال المضحكة)** والحركات المستغربة من عين وحاجب وتحريك أعضاء وتعويج فم وغير ذلك. **(وقد يكون بالأشعار الغريبة أو الكلام المنثور المسجع مع حسن الصوت)** ولطف الإيقاع، **(والشعر الموزون أشد تأثيراً في النفس لاسيما إذا كان فيه تعصب يتعلق بالمذاهب كأشعار مناقب الصحابة، وفضائل أهل البيت)** ووقائعهم ومقاتلهم وما جرى لهم مع إخوانهم، **(أو الذي يحرك داعية العشق من أهل المجانة كصنعة الطبالين في الأسواق)** فيوردون من المواليا والدوبيت في معانيه تهييج على العشق وترويج لوصال المحبوب وما أشبه ذلك، **(وتسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع التعويذات)** والتمائم المزخرفة بألوان المداد، **(والحشيش الذي يجعل بائعه أن أدوية فيخدع بذلك الصبيان والجهال)** فيأخذون منهم الدراهم في مقابلته، **(وكاصحاب القرعة والفال من المنجمين)** فيكتبون ذلك في رقاع ويخبرون عما سيقع وسيكون من خير وشر بحكم النجم الطالع وبحكم الفال والقرعة. **(ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المكدون على رؤوس المنابر)** والكراسي **(إذا لم يكن وراءهم طائل علمي وكان غرضهم استمالة قلوب العوام)** وجلبها **(وأخذ أموالهم. وأنواع الكدية تزيد على ألف نوع وألفين)** فإذا نظرنا إلى الفروع التي أحدثتها المتأخرون من المكدين فقد تزيد على الفين وهي صناعة مستقلة ولها شيوخ معروفون وتراتيب وآداب وكلها مبناها الحيل والخداع في أخذ أموال الناس بالباطل، ويدخل في هذا الجنس من يتوسع في تناول عمل غيره في مأكله وملبسه ومسكنه وغير ذلك، ثم لا

الفكرة لأجل المعيشة. فهذه هي أشغال الخلق وأعمالهم التي أكبوا عليها وجرّهم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوت والكسوة ولكنهم نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومآبهم فتاهوا وضلوا، وسبق إلى عقولهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة الإشتغالات بالدنيا خيالات فاسدة، فانقسمت مذاهبهم واختلفت آراؤهم على عدة أوجه.

فطائفة غلبهم الجهل والغفلة فلم تنفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمورهم فقالوا: المقصود أن نعيش أياماً في الدنيا فنجتهد حتى نكسب القوت ثم نأكل حتى نقوى على الكسب، ثم نكسب حتى نأكل فيأكلون ليكسبوا ثم يكسبون ليأكلوا، وهذا مذهب الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فإنه يتعب نهاراً ليأكل ليلاً ويأكل ليلاً ليتعب نهاراً، وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت.

يعمل عملاً بقدر ما يتناوله منهم فإنه ظالم له قصدوا إفادته أو لم يقصدوا، وكذلك من يدعي التصوف فيتعطل عن المكاسب ولا يكون له علم يؤخذ عنه ولا عمل صالح في الدين يقتدي به، بل يجعل همه على غارب بطنه وفرجه، فإنه يأخذ منافعهم ويضيق عليهم معاشهم ولا يرد إليهم نفعاً ولا طائل في مثلهم إلا بأن يكدروا الماء ويغلوا الاسعار، ولهذا كان عمر رضي الله عنه إذا نظر إلى ذي سيماء سأل أله حرفة؟ فإذا قيل: لا. سقط من عينه. ومن الدلالة على قبح من هذا فعله أن الله تعالى ذم من يأكل مال نفسه إسرافاً وبداراً فما حال من أكل مال غيره على ذلك ولا ينيلهم عوضاً ولا يرد عليهم بدلاً؟ (**وكل ذلك استنبط بدقيق الفكر لأجل المعيشة. فهذه هي اشغال الخلق وأعمالهم التي أكبوا عليها**) ولازموها (**وجرهم إلى ذلك كله الحاجة إلى القوت والكسوة، ولكن نسوا في أثناء ذلك أنفسهم ومقصودهم**) الذي خلقوا لأجله (**ومنقلبهم ومآبهم فضلوا وتاهوا**) في أودية الحيرة، (**وسبق إلى عقولهم الضعيفة بعد أن كدرتها زحمة أشغال الدنيا خيالات فاسدة فانقسمت مذاهبهم**) وتنوّعت مشاربهم، (**واختلفت آراؤهم على عدة أوجه**).

(**فطائفة**) منهم (**غلبهم الجهل والغفلة، فلم تنفتح أعينهم للنظر إلى عاقبة أمرهم فقالوا: المقصود أن نعيش أياماً في الدنيا فنجتهد حتى نكتسب القوت**) من حيث اتفق (**ثم تأكل حتى نقوى على الكسب، ثم نكتسب حتى نأكل فيأكلون ليكتسبوا ويكتسبون ليأكلوا، وهذا مذهب الفلاحين**) وغالب أهل القرى (**والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فإنه يتعب نهاراً ليأكل ليلاً ويأكل ليلاً ليتعب نهاراً، وذلك كسير السواني**) التي تدور على المياه (**فهو سفر لا ينقطع إلا بالموت**) ولا ينجع في هؤلاء الوعظ لتنبيه التراكم الغفلة وهم كالبهائم يأكلون ويتعبون ويأكلون.

وطائفة أخرى زعموا أنهم تفطنوا لأمر وهو أنه ليس المقصود أن يشقى الإنسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا ، بل السعادة في أن يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج ، فهؤلاء نسوا أنفسهم وصرفوا هممهم إلى اتباع النسوان وجمع لذائذ الأطعمة يأكلون كما تأكل الأنعام ، ويظنون أنهم إذا نالوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادة فشغلهم ذلك عن الله تعالى وعن اليوم الآخر .

وطائفة ظنوا أن السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز فأسهروا ليلهم واتعبوا نهارهم في الجمع فهم يتعبون في الأسفار طول الليل والنهار ويترددون في الأعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة شحاً وبخلاً عليها أن تنقص ، وهذه لذتهم ، وفي ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت فيبقى تحت الأرض أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات ، فيكون للجامع تعبه ووباله وللآكل لذته ، ثم الذين يجمعون ينظرون إلى أمثال ذلك ولا يعتبرون .

(**وطائفة أخرى زعموا أنهم تفطنوا لأمر وهو أنه ليس المقصود أن يشقى الإنسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا ، بل السعادة في أن يقضي وطره من شهوة الدنيا وهي شهوة البطن والفرج**) وهم غالب أهل هذا العصر قد قصر نظرهم على ذلك . (**فهؤلاء نسوا أنفسهم وصرفوا هممهم إلى اتباع النسوان**) بقصد نكاح وملك يمين (**وجمع لذائذ الأطعمة**) والأشربة فيرفقون فيها ويبالغون في استحسانها (**يأكلون كما تأكل الأنعام ، ويظنون أنهم إذا أدركوا ذلك فقد أدركوا غاية السعادات فشغلهم ذلك عن الله واليوم الآخر**) وتاهوا عن المقصود .

(**وطائفة أخرى : ظنوا أن السعادة في كثرة المال والاستغناء بكثرة الكنوز ، فسهروا ليلهم واتعبوا نهارهم في الجمع**) من هنا ومن هنا ، (**فهم يتعبون في الأسفار**) والبراري والبحار (**طول الليل والنهار ، ويترددون في الأعمال الشاقة ويكتسبون ويجمعون ولا يأكلون إلا قدر الضرورة**) من غير توسع (**شحاً وبخلاً عليها أن تنقص وهذه لذتهم ، وفي ذلك دأبهم وحركتهم إلى أن يدركهم الموت فيبقى**) المال موقوفاً (**تحت الأرض أو يظفر به من يأكله في الشهوات واللذات**) ويتوسع فيها ، (**فيكون للجامع تعبه ووباله**) إذ يحاسب به يوم القيامة ، وللآكل لذته ولله در القائل :

قد يجمع المال غير آكله ... ويأكل المال غير من جمعه

(**ثم الذين يجمعون**) المال (**ينظرون إلى أمثال ذلك**) ممن جمع فلم يأكل وأكله غيره ، (**ولا يعتبرون**) ، وذلك من عمي بصائرهم .

وطائفة ظنوا أن السعادة في حسن الاسم وانطلاق الألسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة، فهؤلاء يتعبون في كسب المعاش ويضيقون على أنفسهم في المطعم والمشرب ويصرفون جميع مالهم إلى الملابس الحسنة والدواب النفيسة، ويزخرفون أبواب الدور وما يقع عليها أبصار الناس حتى يقال أنه غني وأنه ذو ثروة ويظنون أن ذلك هي السعادة، فهمتهم في نهارهم وليلهم في تعهد موقع نظر الناس.

وطائفة أخرى ظنوا أن السعادة في الجاه والكرامة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير، فصرفوا هممهم إلى استجرار الناس إلى الطاعة بطلب الولايات وتقلد الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس، ويرون أنهم إذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية المطلب وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس، فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم.

ووراء هؤلاء طوائف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقة كلهم قد ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل، وإنما جرهم إلى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن

(وطائفة) أخرى: **(ظنوا ان السعادة في حسن الاسم)** والذكر الطيب **(وانطلاق الألسنة بالثناء والمدح بالتجمل والمروءة. فهؤلاء يتعبون في كسب المعايش ويضيقون على أنفسهم)** وربما يتداينون فوق طاقتهم، **(ويزخرفون أبواب الدور وما يقع عليه أبصار الناس)** ويتخذون فرساً نفيسة وخدماً وحشماً ويلبسونهم فاخر الثيا، **(حتى يقال أنه غني وأنه ذو ثروة، ويظنون أن ذلك هو السعادة همتهم في ليلهم ونهارهم في تعهد موقع نظر الناس)** من داره وأثاثه وملبسه ومركبه، وهذه حال خواص أهل الزمان وهو قصور عن بلوغ المقصود وإراءة ما ليس له حقيقة وخبث النية وفساد الطوية من حب المحمدة والثناء.

(وطائفة) أخرى: **(ظنوا أن السعادة في الجاه والمكرمة بين الناس وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير، فصرفوا هممهم إلى استجرار الناس إلى الطاعة)** والانقياد **(لهم بطلب الولايات وتقلد الأعمال السلطانية لينفذ أمرهم بها على طائفة من الناس، ويرون انهم إذا اتسعت ولايتهم وانقادت لهم رعاياهم قد سعدوا سعادة عظيمة وأن ذلك غاية المطلب. وهذا أغلب الشهوات على قلوب الغافلين من الناس، فهؤلاء شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته وعن التفكر في آخرتهم ومعادهم.**

ووراء هؤلاء طوائف يقول حصرها على الضابط تزيد على نيف وسبعين فرقة هم كلهم ضلوا) في أنفسهم **(وأضلوا)** كثيراً ممن تبعهم وقلدهم **(عن سواء السبيل)** أي الطريق

ونسوا ما تراد له هذه الأمور الثلاثة والقدر الذي يكفي منها، وانجرت بهم لأوائل أسبابها إلى أواخرها، وتداعى بهم ذلك إلى مهاوٍ لم يمكنهم الرقي منها فمن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل إلا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه، وأن غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك إن سلك فيه سبيل التقليل اندفعت الأشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة إلى الاستعداد له، وإن تعدى به قدر الضرورة كثرت الأشغال وتداعى البعض إلى البعض وتسلسل إلى غير نهاية، فتتشعب به الهموم ومن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا فلا يبالي الله في أي واد أهلكه منها، فهذا شأن المنهمكين في أشغال الدنيا. وتنبه لذلك طائفة فأعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم، وأضلهم في الاعراض أيضاً حتى انقسموا إلى طوائف.

فظنت طائفة أن الدنيا دار بلاء ومحنة والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها سواء

المستقيم، (**وإنما جرهم إلى جميع ذلك حاجة المطعم والملبس والمسكن فنسوا ما تراد له هذه الأمور الثلاثة، والقدر الذي يكفي منها وانجرت لهم أوائل أسبابها**) إلى آخرها وتداعى بهم إلى الوقوع في (**مهاوي**) أي وهدأن منخفضة (**لم يمكنهم الرقي**) أي الصعود والخلاص (**منها، فمن عرف وجه الحاجة إلى هذه الأسباب والأشغال وعرف غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل**) منها (**إلا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه و**) عالم (**أن غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت**) الذي يتقوى به، (**والكسوة**) التي يقي بها من الحر والبرد (**حتى لا يهلك**) جوعاً وعرياً. (**وذلك أن سلك فيه سبيل التقليل**) مقتصراً فيه على الكفاف (**اندفعت الأشغال**) جلة (**وفرغ القلب لمعرفة الله وغلب عليه ذكر الآخرة**) وما أعدّ الله له منها، (**وانصرفت الهمة**) لا محالة (**إلى الاستعداد له**) أي لذكر الآخرة، (**وإن تعدى به قدر الضرورة**) وتجاوز عنه (**كثرت الأشغال وتداعي البعض إلى البعض وتسلسل إلى غير نهاية**)، فقد روى ابن ماجه والحكيم والشاشي والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود « من جعل الهموم هماً واحداً همّ المعاد كفاه الله سائر همومه. (**ومن تشعبت به الهموم في أودية الدنيا**) وأحوالها (**فلا يبالي الله في أي واد أهلكه منها** ») وفي لفظ: « لم يبال الله في أي أوديتها هلك ». (**فهذا شأن المنهمكين في أشغال الدنيا**) المكبين عليها. (**وتنبه لذلك طائفة من الناس فأعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان**) على ذلك (**ولم يتركهم**) من مكيدته، (**وأضلهم في الاعراض أيضاً حتى انقسموا إلى طوائف**).

(**فظننت طائفة**) منهم (**أن الدنيا دار بلاء ومحنة**) واختبار وعبر وشقاوة، (**والآخرة دار سعادة لكل من وصل إليها**) بأي طريق كان (**سواء تعبد في الدنيا**) أو لم يتعبد، فرأوا أن

تعبد في الدنيا أو لم يتعبد ، فرأوا أن الصواب في أن يقتلوا أنفسهم للخلاص من محنة الدنيا ، وإليه ذهب طوائف من العباد من أهل الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون أنفسهم بالإحراق ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا .

وظنت طائفة أخرى أن القتل لا يخلص بل لا بد أوّلاً من إماتة الصفات البشرية وقطعها عن النفس بالكلية ، وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب ، ثم أقبلوا على المجاهدة وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن ، وبعضهم مرض وانسد عليه الطريق في العبادة ، وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع محال وأن الشرع تلبيس لا أصل له فوقع في الإلحاد ، وظهر لبعضهم أن هذا التعب كله لله وأن الله تعالى مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة متعبد ، فعادوا إلى الشهوات وسلكوا مسلك الإباحة

الصواب في أن يقتلوا أنفسهم قتلاً حقيقياً للخلاص من محنة الدنيا) وبلائها وفتنتها ، فهم صدقوا في أول ظنهم وهو كون الدنيا دار محنة وبلاء ولكن أخطأوا في طريق الوصول إلى سعادة الآخرة . (**وإليه ذهب طوائف**) البراهمة المعروفة بالجركية (**من الهند فهم يتهجمون على النار يقتلون أنفسهم بالإحراق، فيها**) كما نقل ذلك الشيخ الأكبر قدس سره في الفتوحات، وأورده ابن بطوطة في رحلته ، (**ويظنون أن ذلك خلاص لهم من محن الدنيا**) وهو غاية الضلال والخسران ، وقد تمكن منهم الشيطان حتى سوّل لهم ذلك ، ولهذه الطائفة فضائح كثيرة من هذا الجنس ، ويدخل في هذا الجنس طوائف الدرزية الذين يرمون أنفسهم من شاهق الجبل بعد أن يأخذوا ديتهم ويسلمونها إلى أولادهم ، فيظنون أن الموت على هذا الوصف سعادة لهم ولأولادهم وهو عين الضلال .

(**وظنت طائفة أخرى، أن القتل لا يخلص**) من محن الدنيا ، (**بل لا بدّ أولاً من إماتة الصفات البشرية**) المذمومة (**وقطعها عن النفس بالكلية، وأن السعادة في قطع الشهوة والغضب، ثم أقبلوا على المجاهدة**) الشديدة (**وشددوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدة الرياضة**) كما فعل ذلك في بعض أولياء العجم ، (**وبعضهم فسد عقله وجن**) كما وقع ذلك لبعض أهل عبادان ، وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى ينكر عليهم ذلك ويقول : يا أهل عبادان احفظوا عقولكم ويقول : إن من ترك الرسم فسد دماغه وقد تقدم ذلك في كتاب رياضة النفس ، (**وبعضهم مرض**) وفتر عن العمل (**وأفسد عليه طريق العبادة**) ، وهذا يقع لكثير من المتريضين ، (**وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن أن ما كلفه الشرع**) من قمعها (**محال**) ليس من الممكنات (**وأن الشرع تلبيس لا أصل له**) ويحمل ألفاظه على غير معانيه مما تنتجه أفكاره (**فوقع في**) عدة (**الإلحاد**) وخرج من ربقة الدين ، (**وظهر لبعضهم أن هذا التعب كله لله وأن الله مستغن عن عبادة العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا يزيده**

وطووا بساط الشرع والأحكام، وزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا أن الله مستغن عن عبادة العباد.

وظن طائفة أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى، فإذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغني عن الوسيلة والحيلة، فتركوا السعي والعبادة وزعموا أنه ارتفع محلهم في معرفة الله سبحانه عن أن يمتهنوا بالتكاليف، وإنما التكليف على عوام الخلق.

ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول إحصاؤها إلى ما يبلغ نيفاً وسبعين فرقة، وإنما الناجي منها فرقة واحدة وهي السالكة ما كان عليه رسول الله ﷺ

عبادة متعبد) وتمكن الشيطان منهم في هذا الفهم السخيف **(وقواه فيهم، حتى انسلخوا فعادوا إلى الشهوات)** واللذات **(وسلكوا مسلك الإباحة)** في سائر ما يتناولونه **(وطووا بساط الشرع)** على غرته **(و)** أبطلوا مقتضيات **(الأحكام، فزعموا أن ذلك من صفاء توحيدهم)** أي كلفوه **(حيث أنهم اعتقدوا ان الله مستغن عن عبادة العباد)** وهي دسيسة عظيمة هلك بها طوائف من المتصوفة لعدم اتقانهم في العلم، وإنما معنى غناه عن وجل تنزهه عن العلاقة مع الأغيار في الذات والصفات.

(وظن طائفة أخرى أن المقصود من العبادات المجاهدة حتى يصل العبد بها إلى معرفة الله تعالى) يتخلق بأخلاق الله تعالى، **(فإذا حصلت المعرفة)** وحصل التخلق **(فقد وصل إلى المقصود إليهم وبعد الوصول)** إلى هذا المقام **(يستغني عن الوسيلة)** وأعمال الحيلة فتركوا السعي والعبادة ورفضوهما بالكلية. **(وزعموا أنهم ارتفع محلهم في معرفة الله تعالى من أن يمتهنوا)** أي يزلوا **(بالتكاليف)** الشرعية فهم خواص الخواص، **(وإنما التكليف على عوام الخلق)** حتى سلبوا ذلك المقام وربما تعلقوا بقوله تعالى: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ أي فإذا وصلت إلى مقام اليقين فقد سقطت عنك العبادة، ومنهم من قال: سلمنا أن المراد باليقين الموت فنحن قد أمتنا نفوسنا بالكلية فارتفعت عنا تكاليف العبادة، ومنهم من يعتمد ذلك فإذا دخل ضال مثله في سلكه فأمره أن يغسل ويكفن ويجهز تجهيز الموتى ثم يتقدم عليه فيصلي صلاة الجنازة ثم يقول له: قم فقد صرت في عداد الموتى وسقطت عنك التكاليف، وكل ذلك تلبيس وضلال وشناعات، وغالب الملاحدة على ذلك وبعض طوائف من جهلة الصوفية أعاذنا الله بن أحوالهم.

(ووراء هذا) الذي أوردناه **(مذاهب)** أخرى **(باطلة وضلالات هائلة)** لا طائل تحتها **(يطول احصاؤها إلى أن تبلغ نيفا وسبعين فرقة)** على ما أورده الشهرستاني في الملل والنحل وصاحب الشجرة وغيرهما ممن ألف في بيان الفرق الإسلامية وكلهم في النار، **(وإنما الناجي منها فرقة واحدة)** بنص الخبر الآتي **(وهي السالكة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه)**

وأصحابه، وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية. أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد. وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل. ولا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة، بل يتبع العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده، فيأخذ من القوت ما يقوي به البدن على العبادة، ومن المسكن ما يحفظ عن اللصوص والحر والبرد، ومن الكسوة كذلك حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله تعالى بكنه همته واشتغل بالذكر والفكر طول العمر، وبقي ملازماً لسياسة الشهوات ومراقباً لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى، ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالاقتداء بالفرقة الناجية هم الصحابة فإنه عليه الصلاة والسلام لما قال: «الناجي منها واحدة» قالوا: يا رسول الله ومن هم؟ قال: «أهل السنة والجماعة» فقيل: ومن أهل السنة

الكرام رضوان الله عليهم، (**وهو أن لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوات بالكلية أما الدنيا فيأخذ منها قدر الزاد**) المبلغ له إلى الآخرة، فقد ورد في الخبر: «وليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب». (**وأما الشهوات فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع و**) انقياد (**العقل فلا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع**) طريق (**العدل**) والإقتصاد ولا يترك كل شيء من الدنيا، ولا يطلب كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق الله من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده فيأخذ من القوت ما يقوي به البدن على العبادة) وإليه الإشارة بقوله: «حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه» (**ومن المسكن**) ما لا بد منه وهو (**وما يحفظ عن**) تطرق (**اللصوص و**) يحميه (**عن**) نكاية (**الحر والبرد، ومن الكسوة كذلك**) أي قدر ما يستر به عورته ويكون وقاية الحر والبرد (**حتى إذا فرغ القلب من شغل البدن أقبل على الله بكنه الهمة**) أي خالصها (**واشتغل بالذكر والفكر**) والمراقبة (**طول العمر بقي ملازماً لسياسة الشهوات ومراقباً لها، حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى**) وإلى هذا الإشارة بقوله ﷺ: «ليس خيركم من ترك هذه وأخذهذه بل خيركم من أخذ من هذه لهذه» يعني الدنيا والآخرة. وروى الخطيب والديلمي من حديث أنس: «خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلا على الناس». ورواه ابن عساكر بلفظ: «ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة ولا تكونوا كلاً على الناس». (**ولا يعلم تفصيل ذلك إلا بالإقتداء بالفرقة الناجية**) وقد اختلفوا في تعيين هذه الفرقة، فكل يدعي حسن معتقده ويقول: هو من الفرقة الناجية، وهو كما قال الشاعر:

وكل يدعي وصلاً بليلى   وليلى لا تقر لهم بذاك

(**و**) الصحيح أن الفرقة الناجية (**هم الصحابة**) رضوان الله عليهم، (**فإنه ﷺ لما قال: «الناجي منها واحدة». قالوا: يا رسول الله ومن هم؟ قال: «أهل السنة والجماعة» فقيل:**)

والجماعة؟ قال: « ما أنا عليه وأصحابي ». وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل

ومن أهل السنة والجماعة؟ فقال: « ما أنا عليه وأصحابي ») قال العراقي: حديث افتراق الأمة وفيه: الناجي منهم واحدة قالوا ومن هم قال أهل السنة والجماعة الحديث رواه الترمذي من حديث عبدالله بن عمرو وحسنه: « يفترق أمتي على ثلاث وسبعين مله كلهم في النار إلا واحدة ». قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: « ما أنا عليه وأصحابي » ولأبي داود من حديث معاوية وابن ماجه من حديث عوف وأنس بن مالك وهي الجماعة وأسانيدها جياد اهـ.

قلت: وقد روي أيضاً عن أبي هريرة وسعد بن أبي وقاص كذا ذكره الحاكم، وزاد السخاوي في المقاصد فقال: ومن جابر وأبي أمامة وابن عمرو وابن مسعود وعمر وابن عوف وأبي الدرداء وواثلة وعلي بن أبي طالب، فهؤلاء أربعة عشر رووا حديث التفرق بألفاظ مختلفة. ونحن نذكر ذلك جميعه.

فأما حديث عبدالله بن عمرو، فقد ذكره العراقي كما تراه، وعزاه إلى الترمذي، ورواه الحاكم في المستدرك، وإنما ذكره شاهداً، ورواه البزار في مسنده وسكت عنه، ورواه البيهقي في المدخل فقال عبد الرحمن ابن زياد، عن عبدالله بن يزيد، عن عبدالله بن عمرو رفعه بلفظ: « إن بني إسرائيل تفرقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: « ما أنا عليه وأصحابي ».

وأما حديث معاوية، فرواه أبو داود وكما أشار إليه العراقي ولفظه: «ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاثة وسبعين إثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة » الحديث. وقد رواه أيضاً أحمد والدارمي والحاكم والبيهقي في المدخل من طريق عبدالله بن لحي الهوزني عنه.

وأما حديث أنس، فرواه ابن ماجه كما أشار إليه العراقي ولفظه عنده: « إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة ». وكذلك رواه ابن جرير في التفسير ورجاله رجال الصحيح، ورواه أحمد بلفظ: « إن بني إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت واحدة وإن أمتي ستفترق على إثنين وسبعين فرقة تهلك إحدى وسبعون فرقة وتخلص فرقة ». قيل: يا رسول الله من تلك الفرقة؟ قال: « الجماعة ».

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا عمرو بن حفص السدوسي ح.

وقال ابن مردويه في التفسير: حدثنا عبدالله بن جعفر، حدثنا أحمد بن يونس أيضاً قالا: حدثنا عاصم بن علي، حدثنا أبو معشر، عن يعقوب بن زيد بن طلحة، عن زيد بن أسلم عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « افترقت أمة موسى على إحدى وسبعين فرقة منهم في النار

....

سبعون فرقة وواحدة في الجنة، وتفرقت أمة عيسى على إثنين وسبعين فرقة منها في الجنة واحدة وإحدى وسبعون في النار قالوا: من هم يا رسول الله قال الجماعات».

ورواه الطبراني في الأوسط مختصر بلفظ: «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهن في النار إلا واحدة ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

ورواه أبو يعلي في مسنده بلفظ تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة إني أعلم أهداها فرقة الجماعة».

وأما حديث عوف بن مالك، فرواه ابن ماجه كما أشار إليه العراقي ولفظه عنده: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على إثنين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفرقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وإثنتان وسبعون في النار» قيل: يا رسول من هم؟ قال: «الجماعة» ورجاله موثقون، وكذلك رواه الطبراني في الكبير، ورواه الطبراني أيضاً وابن عدي، وابن عساكر بإسناد ضعيف بلفظ: «افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة وتزيد أمتي عليها فرقة ليس فيها فرقة أضر على أمتي من قوم يقيسون الدين برأيهم فيحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل». ورواه الحاكم بلفظ: «تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيحلون الحرام ويحرمون الحلال».

وأما حديث أبي هريرة، فأخبرناه عبد الخالق بن أبي بكر بن الزبني الزبيدي قال: أخبرنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن سعيد المكي ح.

وأخبرناه أعلى من ذلك بدرجة شيخنا عمر بن أحمد بن عقيل الحسيني قالا: أخبرنا عبدالله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا النور علي بن يحيى، أخبرنا يوسف بن زكريا، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا أبو الفضل أحمد بن علي الحافظ، أخبرنا أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين الحافظ، أخبرني محمد بن أحمد بن محمد هبة الله، أخبرنا عبد الخالق بن طرخان، أخبرنا علي بن نصر، أنبأنا عبد الملك بن أبي القاسم، أنبأنا محمد بن القاسم وأحمد بن عبد الصمد وعبد العزيز بن محمد قالوا: أخبرنا عبد الجبار بن محمد، أنبأنا محمد بن أحمد بن محبوب، أنبأنا محمد بن عيسى الحافظ، حدثنا الحسين بن حريث أبو عمار، حدثنا الفضل بن موسى، عن محمد بن عمرو، وعن أبي سلمة، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أ إثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة». هكذا رواه الترمذي وقال: حسن صحيح. ورواه أيضاً أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي، وقال أبو يعلى في مسنده محمد بن عمرو يشك، فزاد أبو داود في روايته: «منها إثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة». وزاد الترمذي: «كلهم في النار إلا ملة واحدة». قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»

....

ورواه الحاكم في المستدرك وقال: احتج مسلم لمحمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة واتفقا جميعاً على الاحتجاج بالفضل بن موسى وهو ثقة، واستدرك عليه الذهبي في مختصره فقال: لم يحتج منفرداً ولكن مقروناً بغيره ورواه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما بلفظ: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة» الحديث. وباقي سياقه كسياق حديث أبي أمامة الآتي ذكره قريباً.

وأما حديث سعد بن أبي وقاص، فرواه ابن أبي شيبة في مسنده فقال: حدثنا أحمد بن عبدالله بن يونس، عن أبي بكر بن موسى بن عبيدة، عن عبدالله بن عبيدة، عن ابنة سعد، عن أبيها، عن النبي ﷺ قال: «افترقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين ملة ولن تذهب الليالي ولا الأيام حتى تفترق أمتي على مثلها وكل فرقة منها في النار إلا واحدة وهي الجماعة». وكذلك رواه عبد بن حميد البزار في إسنادهم ضعف.

وأما حديث جابر فقال أسلم بن سهل الواسطي المعروف بنحتل في كتابه تاريخ واسط: حدثنا محمد بن الهيثم، حدثنا شجاع بن الوليد، عن عمرو بن قيس، عمن حدثه، عن جابر بن عبدالله قال: «قال رسول الله ﷺ: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في النار، وتفرقت النصارى على إثنين وسبعين فرقة كلها في النار، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» فقال عمر بن الخطاب: أخبرنا يا رسول الله من هم؟ قال: «السواد الأعظم» وفي السند مجهول.

وأما حديث أبي أمامة، فرواه الطبراني في الكبير بلفظ: «تفرقت بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إثنين وسبعين فرقة، وأمتي تزيد عليهم فرقة كلها في النار إلا السواد الأعظم» ورواته موثقون. رواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان، حدثنا أحمد بن جعفر بن معبد، حدثنا يحي بن مطرف، حدثنا عبد الرحمن بن المبارك، حدثنا قريش بن حبان، حدثنا أبو غالب، عن أبي أمامة به. ورواه الضياء في المختارة بلفظ إن بني إسرائيل» والباقي سواء وفيه: «وأن هذه الأمة ستزيد عليهم فرقة» ورواه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي هريرة مثله في السياق إلا أن فيه: «تفرقت اليهود» بدل: «بني إسرائيل». وقد تقدم الإشارة إليه.

وأما حديث ابن عمر وابن مسعود فقد أشار إليها السخاوي في المقاصد.

وأما حديث عمرو بن عوف، فرواه الحاكم من طريق كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده عمرو بن عوف المزني، عن النبي ﷺ قال: «إن بني إسرائيل افترقت على موسى سبعين فرقة كلها ضالة إلا واحدة، ثم افترقت على عيسى بن مريم إحدى وسبعين فرقة كلها ضالة إلا واحدة، وإنكم تفترقون إثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة إلا واحدة الإسلام وجماعته» وفيه قصة. ورواه أيضاً الطبراني. قال الحاكم: وكثير بن عبدالله لا تقوم به حجة.

الواضح الذي فصلناه من قبل. فإنهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا بل للدين، وما كانوا يترهبون ويهجرون الدنيا بالكلية، وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط، بل كان أمرهم بين ذلك قواماً، وذلك هو العدل، والوسط بين الطرفين وهو أحب الأمور إلى الله تعالى كما سق ذكره في مواضع. والله أعلم.

تم كتاب ذم الدنيا والحمد لله أوّلاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وأما حديث أبي الدرداء وواثلة فقد أشار إليهما السخاوي في المقاصد.

وأما حديث علي بن أبي طالب، فرواه أبو نعيم في الحلية، وابن النجار في التاريخ بلفظ: « تفرقت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ينتحلون وتفارق أمرنا » وفي سنده لين.

(وقد كانوا) رضي الله عنهم **(على المنهج القصد)** أي المتوسط بين الإفراط والتفريط، **(وعلى السبيل الواضح الذي فصلناه من قبل فإنهم ما كانوا يأخذون الدنيا للدنيا)** أي الأجل إقامة أمور الدنيا، **(بل للدين)** وما يتوصلون بها إليه، **(وما كانوا يترهبون)** أي ما كانوا مثل الرهابين ينتحلون **(ويهجرون الدنيا بالكلية، وما كان لهم في الأمور تفريط ولا إفراط، بل كان أمرهم بين ذلك قواماً)** أي معتدلاً. **(وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين)**، وبه فسر قوله تعالى: ﴿وكان بين ذلك قواماً﴾ [الفرقان: ٦٧] **(وهو أحب الأمور إلى الله تعالى)** لما ورد في الخبر: « خير الأمور أوساطها » **(كما سبق ذكره في مواضع)** من هذا الكتاب **(والسلام)** ولنختم الكتاب بفائدة لها تعلق بما سبق نشير إليها.

أعلم أنه لما احتاج الناس بعضهم إلى بعض سخر الله كل واحد من كافتهم لصناعة ما يتعاطاها، وجعل بين طبائعهم وصنائعهم مناسبات خفية واتفاقات سماوية لتؤثر الواحد بعد الواحد حرفة من الحرف ينشرح صدره بملابستها وتطيعه قواه لمزاولتها فإذا جعل الله صناعة أخرى فربما وجد متبلداً فيها ومتبرماً بها، وقد سخرهم الله لذلك لئلا يختاروا بأجمعهم صناعة واحدة فتبطل الأقوات والمعاونات، ولولا ذلك لما اختاروا من الأسماء إلا أحسنها، ومن البلاد إلا أطيبها، ومن الصناعات إلا أجلها، ومن الأعمال إلا أرفعها. ولتناصروا على ذلك ولكن الله بحكمته جعل كل واحد منهم في ذلك مجبراً في صورة مخير، فالناس إما راض بصنعة لا يريد عنها حولاً كالحائك الذي يرضى بصنعته، ويعيب الحجام الذي يرضي بصناعته، ويعيب الحائك. وبهذا انتظم أمرهم كما قال الله تعالى: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [المؤمنون: ٥٣] وإما كاره لها يكابدها مع كراهة كأنه لا يجد عنها بدلاً، وعلى ذلك دل قول النبي ﷺ: « كل ميسر لما خلق له » بل صرح تعالى في قوله: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا﴾

....

[الزخرف: ٣٢] الآية وقوله تعالى: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون﴾ [الفرقان: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ [الإسراء: ٨٤] ولهذا قال ﷺ: « لن يزال الناس بخير ما تباينوا فإذا تساووا هلكوا » فالتباين والتفرق والإختلاف في نحو هذا الوضع سبب الإلتئام والاجتماع والاتفاق، كاختلاف صورة الكتابة وتباينها وتعددها التي لولاها لما حصل لها نظام. فسبحان الله ما أحسن ما صنع وأحكم ما أسس واتقن ما دبر. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. وقد وقع الفراغ من شرح كتاب ذم الدنيا على يد مسوّده العبد الفقير أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر له بمنه وكرمه في آخر ساعة من نهار السبت ثامن عشرى صفر الخير من شهور سنة ١٢٠٠، حامداً لله مسلماً محسبلاً آمين، والحمد لله رب العالمين.

كتاب ذم البخل وذم حب المال وهو الكتاب السابع من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط، وكاشف الضر بعد القنوط، الذي خلق

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمر، نحمده على عظيم إحسانه ونير برهانه، ونوامي فضله وامتنانه، حمداً يكون لحقه قضاء، ولشكره أداء، وإلى ثوابه مقرباً، ولحسن مزيده موجباً ونستعين به استعانة راجٍ لفضله، مؤمل لنفعه، واثق بدفعه، معترف له بالطول، مذعن له بالعمل والقول، ونؤمن به إيمان من رجاه موقناً، وأناب إليه مؤمناً، وخضع له مذعنا، وأخلص له موحداً وعظمه ممجداً ولاذ به راضياً مجتهداً، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله المجتبى من خلائقه، والمفتاح لشرح حقائقه، والمختص بعقائل كراماته والمصطفى لمكارم رسالاته الموضحة به أشراط الهدى، والمجلوبة غريب الردى، صلى الله عليه وعلى آله الأئمة الأطهار، وأصحابه الفضلاء الأخيار، واتباعهم المقتفين للآثار، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد: فهذا شرح.

كتاب ذم البخل وحب المال

وهو السابع من الربع الثالث من كتاب الإحياء للإمام الهمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، سقى الله ثراه صوب الغمامة المنحلة العزالي، يتضمن حل معاقده، وضبط أوابده، وضم ما انتثر من فوائده، وإبانة ما خفي من إشاراته، وتوضيح ما اعتاص من مشكلات عباراته، عازياً كل قول إلى قائله وكل خبر إلى راويه، وكل أثر إلى ناقله مرتقياً ذروة معاليه متكفلاً ضبط ألفاظه ومعانيه، وبالله اعتصم، وأسأله العصمة فيما يصم، مستعيذاً بالله من شر الشيطان الرجيم ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم. قال رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله مستوجب الحمد) أي مستحقه **(برزقه المبسوط)** أي المنشور على عباده

الخلق، ووسع الرزق، وأفاض على العالمين أصناف الأموال، وابتلاهم فيها بتقلب الأحوال، وردّدهم فيها بين العسر واليسر، والغنى والفقر، والطمع واليأس، والثروة والإفلاس، والعجز والاستطاعة، والحرص والقناعة، والبخل والجود، والفرح بالموجود، والأسف على المفقود، والإيثار والإنفاق، والتوسع والإملاق، والتبذير والتقتير، والرضا بالقليل واستحقار الكثير، كل ذلك ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، وينظر أيهم آثر الدنيا على الآخرة بدلاً، وابتغى عن الآخرة عدولاً وحولاً، واتخذ الدنيا ذخيرة وخولاً، والصلاة على محمد الذي نسخ بملته مللاً، وطوى بشريعته أدياناً ونحلاً، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللاً، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فإن فتن الدنيا كثيرة الشعب والأطراف واسعة الأرجاء والأكناف، ولكن

(وكاشف الضر) بالضم ويفتح ما يؤلم الظاهر من الجسم وهو ما يتصل بمحبوسه في مقابلة الأذى وهو إيلام النفس وما يتصل بأحوالها وتشعر الضمة فيه أنه عن علو وقهر والفتحة بأنه يكون من مماثل ونحوه **(بعد القنوط)** أي بعد الإياس من كشفه وهو رفعه ودفعه، **(الذي خلق الخلق)** أي المخلوقات بأسرها، **(ووسع الرزق)** الحسي والمعنوي، **(وأفاض على العالمين)** بمقتضى جوده المطلق **(أصناف الأموال)** وأنواعها من الصامت والناطق، **(وابتلاهم)** أي اختبرهم **(فيها)** أي في تلك الأموال التي أعطوها **(بتقليب الأحوال)** أي تغييرها من حال إلى حال، **(وردّدهم فيها)** أي جعلهم مرددين فيها **(بين)** حالتي **(العسر واليسر)** أي الضيق والفرج، **(والغنى والفقر، والطمع والياس، والثروة)** أي الكثرة **(والإفلاس)** أي الفقر والعدم، **(والعجز والإستطاعة)** أي التمكن والقدرة، **(والحرص والقناعة، والبخل والجود، والفرح بالموجود، والأسف)** محركة أي الحزن **(على المفقود، والإيثار والإنفاق، والتوسع والإملاق)** أي الافتقار والاحتياج، **(والتبذير)** أي تفريق المال على وجه الإسراف **(والتقتير)** أي تقليل النفقة **(والرضا بالقليل واستحقار الكثير)** بأن لا يكون له مقام كبير عنده، **(كل ذلك لتبلوهم)** أي تختبرهم **(أيهم أحسن عملاً)** أي ازهدهم في الدنيا كما قاله الفضيل بن عياض، **(وينظر أيهم آثر الدنيا عن الآخرة بدلاً)** أي اختارها بدلاً عنها، **(وابتغى عن الآخرة عدولاً وحولاً)** بكسر ففتح اسم بمعنى التحول والإنقلاب، **(واتخذ الدنيا ذخيرة)** يعتدها **(وخولاً)** محركة وهو الحشم والخدم، **(والصلاة على)** السيد الكامل **(محمد الذي نسخ بملته)** الحنيفية **(مللاً)** أي أزال أحكامها وعاداتها، **(وطوى بشريعته أدياناً ونحلاً)** بكسر ففتح جمع نحلة بالكسر هي الدعوة، **(وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا سبيل ربهم ذللاً)** بضمتين جمع ذليل أي إذلاء منقادين **(وسلم)** تسليماً **(كثيراً)**.

(أما بعد: فإن فتن الدنيا كثيرة الشعب والأطراف) والشعبة بالضم من الشجرة الغصن

الأموال أعظم فتنها وأطم محنها ، وأعظم فتنة فيها أنه لا غنى لأحد عنها ، ثم إذا وجدت فلا سلامة منها ، فإن فقد المال حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفراً ، وإن وجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خسراً . وبالجملة ، فهي لا تخلو من الفوائد والآفات ، وفوائدها من المنجيات ، وآفاتها من المهلكات ، وتمييز خيرها عن شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها إلا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين . وشرح ذلك مهم على الانفراد ، فإن ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظراً في المال خاصة بل في الدنيا عامة ، إذ الدنيا تتناول كل حظ عاجل . والمال بعض أجزاء الدنيا ، والجاه بعضها ، واتباع شهوة البطن والفرج بعضها ، وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها ، والكبر وطلب العلو بعضها ، ولها أبعاض كثيرة ،

المتفرع منها والجمع شعب كغرفة وغرف **(واسعة الأرجاء والأكناف)** والأرجاء النواحي والأكناف الجوانب ، **(ولكن الأموال أعظم فتنها وأطم)** أي أعم **(محنها وأعظم فتنة فيها)** أي في الأموال **(أنه لا غنى عنها)** ولله در المتنبي حيث قال :

ومن نكد الدنيا على الحرّ أنْ يرى ... عدواً له ما من صداقته بدٌّ

إن كان عنى بذلك المال فهو أحسن ما قيل فيه . **(ثم إذا وجدت فلا سلامة منها)** أي من شرورها ، **(فإن فقد المال)** وعدمه **(حصل منه الفقر الذي يكاد أن يكون كفراً)** كما ورد في الخبر : « كاد الفقر أن يكون كفراً » روي ذلك من حديث أنس مرفوعاً ، ومن حديث الحسن مرسلاً ، وقد تقدم . وأخرج أبو نعيم في الحلية في ترجمة عكرمة أن لقمان قال لابنه ، يا بني قد ذقت المرار فليس شيء أمرّ من الفقر ، ولذا استعاذ النبي ﷺ منه . **(وإن وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبة أمره إلا خسراً)** أي انتقاصاً في رأس ماله .

(وبالجملة ، فهي لا تخلو من الفوائد والآفات) باختلاف الحالات وفوائدها من المنجيات ، **(وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها من شرها من المعوصات)** أي من المشكلات يقال : أعوص الأمر إذا أشكل فهمه . **(التي لا يقوي عليها إلا ذوو البصائر في الدين)** الذي كشف الله عن بصيرتهم وأنار بنور الهداية سريرتهم . أولئك **(من العلماء الراسخين)** أي المتمكنين في معارفهم **(دون المترسمين)** الذي يعرفون من العلوم رسومها **(المغترين)** لما هم فيه ، **(وشرح ذلك مهم على الانفراد)** أي الاستقلال فإن ما ذكرناه أولاً **(في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظراً في المال خاصة بل في الدنيا عامة ، والدنيا تتناول كل حظ عاجل)** من حظوظه **(والمال بعض أجزاء الدنيا والجاه بعضها ، وإتباع شهوة البطن والفرج بعضها ، وتشفي الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها ولها أبعاض كثيرة)** غير ما ذكر ،

ويجمعها كل ما كان للإنسان فيه حظ عاجل. ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده، إذ فيه آفات وغوائل. وللإنسان من فقده صفة الفقر، ومن وجوده وصف الغنى ـ وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان، ثم للفاقد حالتان: القناعة والحرص، وإحداهما مذمومة والأخرى محمودة. وللحريص حالتان: طمع فيما في أيدي الناس، وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق، والطمع شر الحالتين. للواجد حالتان: إمساك بحكم البخل والشح، وإنفاق. وإحداهما مذمومة والأخرى محمودة. وللمنفق حالتان: تبذير واقتصاد، والمحمود هو الاقتصاد. وهذه أمور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم. ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر فصلاً إن شاء الله تعالى وهو: بيان ذم المال، ثم مدحه، ثم تفصيل فوائد المال وآفاته، ثم ذم الحرص والطمع، ثم علاج الحرص والطمع. ثم فضيلة السخاء. ثم حكايات الأسخياء، ثم ذم البخل، ثم حكايات البخلاء. ثم الإيثار وفضله. ثم حد السخاء والبخل. ثم علاج البخل. ثم مجموع الوظائف في المال. ثم ذم الغنى ومدح الفقر». إن شاء الله تعالى.

(**ويجمعها كل ما للإنسان فيه حظ عاجل**) كما سبق بيانه. ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده إذ فيه آفات وغوائل) أي مهالك، (**وللإنسان من فقد صفة الفقر، ومن وجوده صفة الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار والامتحان. ثم للفاقد حالتان: القناعة والحرص، وإحداهما مذمومة**) وهي الحرص (**والأخرى محمودة**) وهي القناعة، ولا يكون الحرص إلا إذا تناهت الشهوة عقلية كانت أو بدنية، وقد يكون الحرص محموداً لكن لا في أمور الدنيا (**وللحريص حالتان: طمع فيما في أيدي الناس**) مما يملكونه، (**أو تشمر للحرف والصناعات مع الياس من الخلق، والطمع شر الحالتين وللواجد**) وهو في مقابلة الفاقد (**حالتان: إمساك بحكم البخل والشح وإنفاق**) أي بذل، (**واحداهما مذمومة**) وهي الإمساك (**والأخرى محمودة**) وهي الإنفاق. (**وللمنفق حالتان: تبذير**) في غير محله (واقتصاد والمحمود) منهما (**هو الاقتصاد، وهذه أمور متشابهة، وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم. ونحن نشرح ذلك في أربعة عشر فصلاً إن شاء الله تعالى، وهو بيان ذم المال، ثم مدحه، ثم تفصيل فوائد المال وآفاته، ثم ذم الحرص والطمع، ثم علاج الحرص والطمع، ثم فضيلة السخاء، ثم حكايات الأسخياء، ثم ذم البخل، ثم حكايات البخلاء، ثم الإيثار وفضله، ثم حدّ السخاء والبخل، ثم علاج البخلاء، ثم مجموع الوظائف في المال، ثم ذم الغنى ومدح الفقر**) فهذه أربعة عشر مقاصد جعل كل مقصد في فصل مستقل على هذا النسق والترتيب.

بيان ذم المال وكراهة حبه:

قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذِلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُم فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨] فمن اختار ماله وولده على ما عند الله فقد خسر وغبن خسراناً عظيماً. وقال عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَها﴾ [هود: ١٥] الآية. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى ★ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦، ٧] فلا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم وقال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١].

وقال رسول الله ﷺ: « حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء

الفصل الأول

في بيان ذم المال وكراهة حبه:

(**قال الله تعالى**) في كتابه العزيز: (**يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم**) أي لا تشغلكم (**أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك**) أي الهاه أحدهما عنه (**فأولئك هم الخاسرون**) في تجارتهم المتنغصون في حظوظهم، وأصل الإلهاء الصرف لأن اللهو منقول من لهى إذا غفل. (**وقال تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾**) أي تفتنكم عن أمور الدين وتوقعكم في المهالك وقدم الأموال في الآيتين تنبيهاً على أنها أعظم أسباب الفتنة. (**وقال تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ الآية**) أي إلى آخرها. (**وقال تعالى: ﴿إن الإنسان ليطغى ★ أن رآه استغنى﴾**) أي رأى نفسه. واستغنى مفعوله الثاني لأنه بمعنى علم، ولذلك جاز أن يكون فاعله ومفعوله ضميريـن لواحد. (**وقال تعالى: ﴿الهاكم التكاثر﴾**) أي التباهي بالكثرة في الأموال والأولاد ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أي حتى متم وقربتم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا عما هو أهم لكم وهو السعي لأخراكم، وهذا أحد الوجوه في تفسير الآية.

(**وقال رسول الله ﷺ: « حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل »**) قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ، وذكر بعد هذا بلفظ الجاه بدل الشرف اهـ.

قلت: وروى أبو نعيم في الحلية، والديلمي: « حب الغنى ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب » واختلف في المراد به هل هو الغنى المقابل للفقر أو هو الممدود بمعنى غناء الشعر؟ وروى الديلمي من حديث أنس: « الغناء واللهو ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب » وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب آداب السماع.

البقل» وقال ﷺ: «ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر إفساداً فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم»، وقال ﷺ: «هلك المكثرون إلا من قال به في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم»، وقيل: يا رسول الله أي أمتك شر؟ قال:

(وقال ﷺ: «ما ذئبان) مثنى ذئب: «وما» بمعنى: «ليس» وذئبان اسمها وقوله: **(ضاريان)** صفة له أي لهجان وفي رواية جائعان وفي أخرى: عاديان **(أرسلا في زريبة غنم)** أي مأواها والجملة في محل رفع صفة **(بأكثر فساداً)** خبر ما والباء زائدة **(فيها)** أي في الزريبة، وفي رواية «لها» والضمير للغنم واعتبر فيه الجنسية فلذا أنث **(من حب المال والجاه)** هو المفضل عليه لإسم التفضيل **(في دين الرجل المسلم»)**، ومقصود الحديث: أن حب المال والجاه أكثر فساداً للدين من إفساد الذئبين للغنم لأن ذلك يستجر صاحبه إلى ما هو مذموم شرعاً. قال العراقي: رواه الترمذي، والنسائي في الكبرى من حديث كعب بن مالك وقال: جائعان مكان ضاريان، ولم يقولا في زريبة. وقال: الشرف بعد الجاه. قال الترمذي: حسن صحيح، وللطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد: «ماذئبان ضاريان في زريبة غنم» الحديث. وله وللبزار من حديث أبي هريرة ضاريان جائعان وإسناد الطبراني فيهما ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما. قال التيمي: رجالهما رجال الصحيح غير محمد بن عبدالله بن زنجويه، وعبدالله بن محمد بن عقيل وقد وثقا. وقال المنذري إسناد الترمذي جيد ولفظهم جميعاً: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حر المرء على المال والشرف لدينه».

ورواه الطبراني والضياء في المختارة من حديث عاصم بن عدي عن أبيه عن جده قال: اشتريت أنا وأخي مائة سهم من خيبر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ما ذئبان عاديان أصابا غنماً أضاعها ربها بأفسد لها من حب المال والشرف لدينه». وروى الطبراني في الأوسط من حديث أسامة بن زيد بلفظ: «ما ذئبان ضاريان باتا في حظيرة فيها غنم يفترسان ويأكلان بأسرع فساداً من طلب المال والشرف في دين المسلم». وقد أخرجه الضياء كذلك.

(وقال ﷺ: «هلك الأكثرون إلا من قال به) أي بالمال أطلق القول وأراد به العمل **(في عباد الله)** أي المستحقين من الفقراء **(هكذا وهكذا)** وأشار **(بيده وقليل ما هم»)** قال العراقي: رواه الطبراني من حديث عبد الرحمن بن أبزي بلفظ: المكثرون ولم يقل في عباد الله. ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلفظ المكثرون، وهو متفق عليه من حديث أبي ذر بلفظ: هم الأخسرون فقال أبو ذر: من هم؟ فقال: «هم الأكثرون مالا إلا من قال هكذا» الحديث اهـ.

قلت: رواه أحمد وهناد وعبد بن حميد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد بلفظ: «هلك المكثرون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وقليل ما هم».

وأما حديث أبي ذر المتفق عليه، فهو أن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله

« الأغنياء » ، وقال ﷺ : « سيأتي بعدكم قوم يأكون أطايب الدنيا وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها ، لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع ، عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون إليها ، اتخذوها آلهة من دون إلههم ورباً دون ربهم ، إلى أمرها ينتهون ولهواهم يتبعون ، فعزيمة من محمد بن عبدالله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم ، فمن فعل ذلك فقد أعان

خيراً فتح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً . وفي رواية : إن الأكثرين هم الأقلون .

(وقيل : يا رسول الله أي أمتك أشر ؟ قال : « الأغنياء ») قال العراقي : غريب لم أجده بهذا اللفظ ، وللطبراني في الأوسط من حديث عبدالله بن جعفر : « شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذو به يأكلون من الطعام ألواناً » وفيه أصرم بن حوشب ضعيف . ورواه هناد بن السري في الزهد له من رواية عروة بن رويم مرسلاً ، وللبزار من حديث أبي هريرة بسند ضعيف : « إن من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسامهم » اهـ .

قلت : وحديث عبدالله بن جعفر هذا قد تقدم في آفات اللسان وله بقية « ويركبون الدواب ألواناً ويتشدقون في الكلام » . وقد رواه كذلك الحاكم وصححه وتعقب ، والبيهقي في الشعب ، ومرسل عروة بن رويم رواه هناد بن السري في الزهد ، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية : حدثنا وكيع ، حدثنا الاوزاعي عنه رفعه : « خيار أمتي الذين » الحديث . وفيه : « وشرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذوا به وإنما نهمتهم ألوان الطعام والثياب ويتشدقون في الكلام » . وروي مثله من حديث ابن عباس بلفظ : « شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذوا فيها الذين يأكلون طيب الطعام ويلبسون لين الثياب هم شرار أمتي حقاً حقاً » الحديث . رواه الديلمي . وروي مثله من حديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، رواه ابن أبي الدنيا ، وابن عدي ، والبيهقي وقد تقدم في ذم الغيبة .

(وقال ﷺ : « سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطايب الدينا وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون ألين الثياب وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها ، لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع ، عاكفين على الدنيا يغدون ويرحون إليها ، اتخذوها آلهة من دون إلههم ورباً دون ربهم ، إلى أمرها ينتهون وهواهم يتبعون ، فعزيمة من محمد بن عبدالله لمن أدرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم ، فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم

على هدم الإسلام »، وقال ﷺ: « دعوا الدنيا لأهلها، من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر »، وقال ﷺ: « يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت؟ ». وقال رجل: يا رسول الله ما لي لا أحب الموت! فقال: « هل معك من مال؟ » قال: نعم يا رسول الله، قال: « قدم مالك فإن قلب المؤمن مع ماله، إن قدمه أحب أن يلحقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه »، وقال ﷺ: « أخلاء ابن آدم ثلاثة. واحد يتبعه إلى قبض روحه،

الإسلام ») قال العراقي: روى الطبراني في الكبير والأوسط من حديث أبي أمامة: **« ستكون بعدي** رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام، ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون أنواع الثياب، يتشدقون في الكلام أولئك شرار أمتي » وسنده ضعيف ولم أجد لباقيه أصلاً اهـ.

قلت: وحديث أبي أمامة هذا أخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية، وفي حديث عبدالله بن جعفر الذي ذكر قبل هذا وفيه: ويركبون الدواب ألواناً. وروى تمام في جزء من حديثه من حديث علي: « شرار أمتي وأول من يساق إلى النار الأقماع من أمتي الذين إذا أكلوا لم يشبعوا وإذا جمعوا لم يستغنوا ».

(وقال ﷺ: « دعوا الدنيا لأهلها) أي اتركوها لهم، **(من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه لنفسه ومن تلزمه مؤنته أخذ حتفه)** أي هلاكه **(وهو لا يشعر »)** بأن المأخوذ فيه هلاكه إذ هي السم القاتل. قال العراقي: رواه البزار من حديث أنس، وفيه هانيء بن المتوكل ضعفه ابن حبان اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن لال في مكارم الأخلاق.

(وقال ﷺ: « يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك) يا ابن آدم **(من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت »)** رواه مسلم من حديث عبدالله بن الشخير وأبي هريرة، وقد تقدم في الكتاب الذي قبله.

(وقال رجل: يا رسول الله مالي لا أحب الموت! فقال: « هل معك من مال »؟ قال: نعم يا رسول الله. قال: « قدم مالك) بين يدك **(فإن قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلحقه وإن خلفه أحب أن يتخلف معه »)** قال العراقي: لم أقف عليه، بل رواه ابن المبارك في الزهد عن عبدالله بن عبيد قال: قال رجل فذكره، وفيه: « هل لك مال فقدم مالك بين يديك » والباقي سواء، ثم رأيت بخط المحدث الشمس محمد بن أحمد بن علي الداودي تلميذ الحافظ السيوطي على هامش المغني ما نصه: رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة، وفيه طلحة بن عمرو ضعيف. وأخرجه من وجه آخر أقوى منه لكن مرسلاً اهـ.

قلت: وكأنه يشير إلى الذي قدمناه، وعبدالله بن عبيد بن عمير الليثي المكي تابعي ثقة.

والثاني إلى قبره، والثالث إلى محشره. فالذي يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله، والذي يتبعه إلى قبره فهو أهله، والذي يتبعه إلى محشره فهو عمله».

وقال الحواريون لعيسى عليه السلام: ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك؟ فقال لهم: ما منزلة الدينار والدرهم عندكم؟ قالوا: حسنة، قال: لكنهما والمدر عندي سواء. وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما يا أخي إياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد أديت حق الله فيّ، ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك ألا أديت حق الله فيّ فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور».

(وقال ﷺ: «أخلاء ابن آدم) جمع خليل أي أصحابه **(ثلاثة. واحد يتبعه إلى قبض روحه، والثاني إلى قبره، والثالث إلى محشره. فالذي يتبعه إلى قبض روحه فهو ماله، والذي يتبعه إلى قبره هو أهله، والذي يتبعه إلى محشره هو عمله»)** قال العراقي: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط من حديث النعمان بن بشير بإسناد جيد نحوه. ورواه أبو داود والطيالسي وأبو الشيخ في كتاب الثواب والطبراني في الأوسط من حديث أنس بسند جيد أيضاً. وفي الكبير من حديث سمرة بن جندب، وللشيخين من حديث أنس: «يتبع الميت ثلاثة فيرجع إثنان ويبقى واحد» الحديث اهـ.

قلت: لفظ حديث: «يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله فيرجع إثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى معه عمله». هكذا رواه ابن المبارك وأحمد والترمذي وقال: حسن صحيح والنسائي.

(وقال الحواريون) وهم أصحاب عيسى عليه السلام **(لعيسى بن مريم عليه السلام: مالك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك؟ فقال لهم: ما منزلة الدينار والدرهم عندكم؟ قالوا: حسنة. قال: لكنها عندي والمدر سواء)** نقله صاحب القوت.

(وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء) رضي الله عنهما: **(يا أخي إياك أن تجمع من الدنيا ما لا تؤدي شكره، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله: امض فقد أديت حق الله فيَّ، ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله: ويلك ألا أديت حق الله فيَّ فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور»)** قال العراقي: ليس هو من حديث سلمان إنما هو من حديث أبي الدرداء إنه كتب إلى سلمان. كذا رواه البيهقي في الشعب وقال بدل الدنيا المال وهو منقطع اهـ.

وكل ما أوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه إلى ذم المال، فلا نطول بتكريره، وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم، لأن المال أعظم أركان الدنيا. وإنما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة.

قال ﷺ: «إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف»، وقال ﷺ: «لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا».

قلت: وكذلك رواه أبو سعيد بن منصور، وابن عساكر من طريق محمد بن واسع، عن أبي الدرداء رفعه: «يجاء بصاحب المال الذي أطاع الله فيه وماله بين يديه» الحديث.

وقال أبو نعيم في الحلية: وحدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن ابن سفيان، حدثنا بشر ابن الحكم، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن صاحب له أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان: «أخي اغتنم صحتك وفراغك» الحديث. وفيه: «يا أخي لا تجمع مالاً لا تستطيع شكره فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يجاء بصاحب الدنيا يوم القيامة الذي أطاع الله فيها وهو بين يدي الله وماله خلفه» الحديث. وفيه بعد قوله: «وماله بين كتفيه فيعيره ماله ويقول له: ويلك هلا عملت بطاعة الله فيّ» الحديث بطوله، ثم قال: ورواه ابن جابر والمطعم بن المقدام عن محمد بن واسع أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان مثله.

(وكل ما أوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه إلى ذم المال، فلا نطول بتكريره، وكذا كل ما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم، لأن المال أعظم أركان الدنيا وإنما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة).

(قال ﷺ: «إذا مات العبد قالت الملائكة: ما قدم، وقال الناس ما خلف») رواه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة يبلغ به. وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة وفي بعض خطب علي رضي الله عنه: إن المرء إذا هلك قال الناس ما ترك، وقالت الملائكة ما قدم الله أباؤكم فقدموا بعضاً يكن لكم قرضاً ولا تخلفوا كلاً فيكون عليكم كلاً.

(وقال ﷺ: «لا تتخذوا الضيعة) أي العقار وهي الأرض التي تزرع ويستغل منها **(فتحبوا الدنيا»)** أي تميلوا فتلهيكم عن ذكر الله. ومن هنا قال بعض الحكماء: الضياع مدارج الهموم، وكتب الوكلاء مفاتيح الغموم. وقال أيضاً الضيعة إن تعهدتها ضعت وإن لم تتعهدها ضاعت، ووهت هشام للأبرش ضيعة فسأله عنها. فقال: لا عهد لي بها. فقال: لولا أن الراجع في هبته كالراجع في قيئه لأخذتها منك. أما علمت أنها إنما سميت ضيعة لأنها تضيع إذا تركت. وسيأتي للمصنف كلام في هذا وحاصله: إن اتخاذ الضياع مما يسوّد القلب ويلهي عن ذكر الله تعالى، ومن انتفى في حقه ذلك جاز له الاتخاذ. قال العراقي: رواه الترمذي والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود بلفظ: «فترغبوا» اهـ.

الآثار: روي أن رجلاً نال من أبي الدرداء وأراه سوءاً فقال: اللهم من فعل بي سوءاً فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله. فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر؟ لأنه لا بدّ وأن يفضي إلى الطغيان، ووضع علي كرّم الله وجهه درهماً على كفه ثم قال: أما إنك ما لم تخرج عني لا تنفعني. وروي أن عمر رضي الله عنه أرسل إلى زينب بنت جحش بعطائها فقالت: ما هذا؟ قالوا: أرسل به إليك عمر بن الخطاب، قالت: غفر الله له، ثم حلت ستراً كان لها فقطعته وجعلته صرراً وقسمته في أهل بيتها ورحمها وأيتامها، ثم رفعت يديها وقالت: اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا. فكانت أول نساء رسول الله ﷺ لحوقاً به. وقال الحسن: والله ما أعز

قلت: أي فترغبوا في الدنيا، وكذلك رواه ابن المبارك وهناد كلاهما في الزهد وابن جرير في تهذيبه، وفي سند الترمذي والحاكم شمر بن عطية عن المغيرة بن سعد بن الأخرم عن أبيه عن ابن مسعود، ولم يخرج الستة عن هؤلاء الثلاثة غير الترمذي وقد وثقوا.

الآثار الواردة في ذم المال: (وروي أن رجلاً نال من أبي الدرداء) رضي الله عنه **(وأراه سوءاً فقال: اللهم من فعل بي سوءاً فأصح جسمه وأطل عمره وأكثر ماله)** نقله صاحب القوت. **(فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لأنه ولا بد أن يفضي إلى الطغيان)** أي التجاوز عن الحدود، **(ووضع علي رضي الله عنه درهماً على كفه ثم قال: أما إنك ما لم تخرج عني لا تنفعني)** نقله صاحب القوت. **(وروي أن عمر رضي الله عنه أرسل إلى زينب بنت جحش)** الأسدية أم المؤمنين رضي الله عنها **(بعطائها)** وهو قسمها من مال البحرين. قال عبيدالله بن أبي رافع راوي الأثر، **(فقالت: ما هذا؟ قالوا)**: يعني الرسول ومن عندها **(أرسل به إليك عمر بن الخطاب)** من عطائك **(قالت: غفر الله له)** لقد كان عنده أقوى على قسمة هذا مني. قال الرسول: هذا كله لك وكان آلافاً كثيرة. فقالت: سبحان الله ضعه واطرحوا عليه ثوباً، **(ثم حلت ستراً كان لها فقطعته وجعلته صرراً وقسمتها في أهل رحمها وأيتامها)**. وفي رواية، ثم قالت للراوي: ادخل يدك فاقبض منه قبضة اذهبوا بها إلى بني فلان، ثم جعلت تقبض من تحت الثوب ترسله إلى الأيتام والمساكين حتى أنفذته، **(ثم رفعت يديها وقالت: اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عامي هذا، فكانت أول نساء رسول الله ﷺ لحوقاً به)** ﷺ. وقد كان رسول الله ﷺ أخبرهن بذلك وهن مجتمعات عنده فقال: «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن باعاً» كما رواه مسلم والنسائي وابن حبان من حديث عائشة، فلم يكن بينهن أجود بالعطاء وأسخى بالمال من زينب، فأسرعت به لحاقاً.

وهذه القصة أخرجها ابن سعد في الطبقات بسند فيه الواقدي عن محمد بن كعب قال: كان عطاء زينب بنت جحش إثني عشر ألفاً لم تأخذه إلا عاماً واحداً، فجعلت تقول: اللهم لا يدركني هذا المال قابل، فإنه فتنة، ثم قسمته في أهل رحمها في أهل الحاجة فبلغ عمر فقال: هذه امرأة يراد

الدرهم أحد إلا أذله الله. وقيل: إن أوّل ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال: من أحبكما فهو عبدي حقاً. وقال سميط بن عجلان: إن الدراهم والدنانير أزمة المنافقين يقادون بها إلى النار. وقال يحيى بن معاذ: الدرهم عقرب فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه، فإنه إن لدغك قتلك سمه، قيل: وما رقيته؟ قال: أخذه من حله ووضعه في حقه. وقال العلاء بن زياد: تمثلت لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت: أعوذ بالله من شرك فقالت: إن سرك أن يعيذك الله مني فابغض الدرهم والدينار. وذلك لأن الدرهم والدينار هما الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها، فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا وفي ذلك قيل:

بها خير، فوقف عليها وارسل السلام وقال: بلغني ما فرقت فأرسل ألف درهم فسلكت به ذلك المسلك. وفي الصحيحين: وكانت زينب امرأة صناع اليدين، فكانت ترقع وتخرز وتصدق في سبيل الله. قال صاحب القوت: وكانت بعدها عائشة رضي الله عنها في الجود والسخاء. روي هشام بن عروة عن أبيه أن معاوية بعث إلى عائشة مرة بمائة ألف. قال: فوالله ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فرقتها. فقالت مولاة لها: لو اشتريت لنا من هذه الدراهم بدرهم لحماً. فقالت: لو قلت لي قبل أن أفرقها فعلت.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(والله ما أعز الدرهم أحد إلا أذله الله)** ولفظ القوت وقال الحسن: ما أعز أحد نفسه إلا أهان دينه وحلف بالله ما أعز أحد الدينار والدرهم إلا أذل دينه وقال مرة: إلا أذله الله، ومرة يجعل ذلك بعض العقلاء في النفس فيقول: من أراد أن يعز نفسه فليذل درهمه، وما أعز أحد درهمه إلا أهان نفسه. **(وقيل: إن أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال: من أحبكما فهو عبدي حقاً)** أخرجه صاحب الحلية عن وهب بن منبه. **(وقال سميط بن عجلان)** الشيباني البصري، وسميط يروى بالشين المعجمة والمهملة وهو أخو الأخطر بن عجلان: **(إن الدنانير والدرهم أزمة المنافقين يقادون بها إلى النار)** أي بمنزلة الأزمة التي تقاد بها الدواب **(وقال يحيى بن معاذ)** الرازي رحمه الله تعالى: **(الدرهم عقرب فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه فإنه إن لدغك قتلك سمه. قيل: وما رقيته؟ قال: أخذه من حله ووضعه في حقه)** نقله صاحب القوت. **(وقال العلاء بن زياد)** البصري تقدم ذكره في الكتاب الذي قبله: **(تمثلت لي الدنيا)** بصورة **(امرأة** وعليها من كل زينة، فقلت أعوذ بالله من شرك. قالت: إن كنت تريد أن يعيذك الله مني **فابغض الدرهم)** أخرجه صاحب الحلية وقد تقدم في الكتاب الذي قبله، **(وذلك لأن الدرهم والدينار هي الدنيا كلها إذ يتوصل بهما إلى جميع أصنافها، فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا، ولذلك قيل)**:

إني وجـــدت فلا تظنـــوا غيره ... أن التـورع عنـد هـذا الدرهـم
فـإذا قـدرت عليـه ثم تـركتـه ... فـاعلم بـأن تقـاك تقـوى المسلم

وفي ذلك قيل أيضاً :

لا يغـــرنـــك مـــن المر ... ء قميـــص رقعـــه
أو إزار فـــوق عظـــم السـ ... ـاق منـــه رفعـــه
أو جبين لاح فيـــــــه ... أثـــر قـــد خلعـــه
أره الدرهـــم تعـــرف ... حبـــه أو ورعـــه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال: يا أمير المؤمنين صنعت صنيعاً لم يصنعه أحد قبلك، تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار ـ وكان له ثلاثة عشر من الولد ـ فقال عمر: أقعدوني! فأقعدوه فقال: أما قولك لم أدع لهم ديناراً ولا درهماً فإني لم أمنعهم حقاً لهم ولم أعطهم حقاً لغيرهم!

(إني وجـــدت فلا تظنـــوا غيره ... إن التـورع عنـد هـذا الدرهـم)
(فـإذا قـدرت عليـه ثم تـركتـه ... فـاعلم بـأن تقـاك تقـوى المسلم)
(وقيل أيضاً) :
(لا يغـــرنـــك مـــن المر ... ء قميـــص رقعـــه)
أو ازار فـــوق عظـــم السـ ... ـاق منـــه رفعـــه)
(أو جبين لاح فيـــــه ... أثـــر قـــد خلعـــه)
(أره الدرهـــم فـــانظـــر ... غيـــه أو ورعـــه)

هكذا أوردها صاحب القوت، وتقدم للمصنف أيضاً في كتاب آداب السماع.

(ويروى عن مسلمة بن عبد الملك) بن مروان كان عالماً في علم الحدثان، وزعم أنه أخذه عن خالد بن يزيد بن معاوية وهو الدي بشر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بملك الأندلس، وغزا مسلمة إلى القسطنطينية سنة ثمان وتسعين في البر، وعمر بن هبيرة في البحر فجازا جيعاً الخليج وافتتحا مدينة العقالبة، ثم عاد إلى القسطنطينية ثم دخلها وأقام المسلمون بعرصتها وبنوا وزرعوا وأكلوا من زراعتهم. **(أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى (عند موته فقال: يا أمير المؤمنين صنعت صنيعاً لم يصنعه أحد قبلك. تركت ولدك ليس لهم دينار ولا درهم، وكان عنده ثلاثة عشر من الولد)** الذكور وخمس من الأناث وقيل: أربعة عشر والصحيح إثنا عشر ذكوراً وست بنات كما سيأتي منهم إبراهيم وعبدالله وحفص وعبد العزيز وأما عبد الملك وسهل فإنهما ماتا قبله، **(فقال عمر: اقعدوني فاقعدوه، فقال: أما قولك لم أدع لهم ديناراً ولا درهماً فإني لم أمنعهم حقاً لهم ولم أعطهم حقاً لغيرهم، وإنما ولدي أحد**

وإنما ولدي أحد رجلين، إما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين، وإما عاص لله فلا أبالي على ما وقع. وروي أن محمد بن كعب القرظي أصاب مالاً كثيراً. فقيل له: لو ادخرته لولدك من بعدك؟ قال: لا ولكني أدخره لنفسي عند ربي وأدخر ربي لولدي. ويروى أن رجلاً قال لأبي عبد ربه: يا أخي لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير!

رجلين: إما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين، وإما عاص لله فلا أبالي على ما وقع).

أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد ابن إبراهيم، حدثني أبو إسحاق، حدثنا محمد بن الحسن، حدثنا هشام قال: لما كانت الصرعة التي هلك فيها عمر دخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إنك أقفرت أفواه ولدك من هذا المال فتركتهم على لا شيء لهم، ولو أوصيت لهم إليَّ وإلى نظرائي من أهل بيتك؟ قال: فقال اسندوني، ثم قال: أما قولك إني أقفرت أفواه ولدي من هذا المال فإني والله ما منعتهم حقاً هو لهم ولم أعطهم ما ليس لهم. وأما قولك: لو أوصيت بهم إليَّ أو إلى نظرائي من أهل بيتك، فإن وصي وولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين. بني أحد رجلين: إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجاً، وإما رجل يمكث على المعاصي فإني لم أكن لأقويه على معصية، ثم بعث إليهم وهم بضعة عشر ذكراً. قال: فنظر إليهم فذرقت عيناه فبكى، ثم قال: بنفسي الفتية الذين تركتهم على لا شيء لهم بل بحمد الله تركتهم على خير. أي بني: إنكم لن تلقوا أحداً من العرب ولا من المعاهدين إلا أن لكم عليهم حقاً يا بني إن أباكم سئل بين أمرين: بين أن تستغنوا ويدخل أبوكم النار، وأن تفتقروا ويدخل الجنة. فكان أن تفتقروا ويدخل الجنة أحب إليه من أن تستغنوا ويدخل النار. قوموا عصمكم الله.

وبالسند المذكور إلى أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا سهل بن محمود، حدثنا عمر بن حفص المعيطي، حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال: قلت كم ترك لكم عمر من المال؟ فتبسم وقال: حدثني مولى لنا كان يلي نفقته. قال: قال لي عمر حين احتضر: كم عندك من المال؟ قال: قلت أربعة عشر ديناراً قال: فقال: تحتملون بها من منزل إلى منزل فقلت: كم ترك لكم من الغلة؟ قال: ترك لنا غلة ستمائة دينار ورثناها عنه، وثلاثمائة دينار ورثناها عن أخينا عبد الملك، وتركنا إثني عشر ذكراً وست نسوة اقتسمنا ماله على خمس عشرة.

(**وروي أن محمد بن كعب القرظي**) التابعي المدني الثقة (**أصاب مالاً كثيراً فقيل له: لو ادخرته لولدك من بعدك. قال: ولكني أدخره لنفسي عند ربي وأدخر ربي لولدي**) أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**ويروى أن رجلاً قال لأبي عبد رب**) الدمشقي الزاهد، ويقال: أبو عبد ربه، ويقال: أبو عبد رب العزة مولى ابن غيلان الثقفي، ويقال: مولى بني عذرة، وقيل: اسمه عبد الجبار. وقيل: عبد الرحمن، وقيل: قسطنطين. روى عن معاوية، وعنه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر. روى له ابن ماجه: (**يا أخي لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير، فخرج أبو عبد رب**

فأخرج أبو عبد ربه من ملله مائة ألف درهم. وقال يحي بن معاذ: مصيبتان لم يسمع الأوّلون والآخرون بمثلها للعبد في ماله عند موته، قيل: وما هما؟ قال: يؤخذ منه كله ويُسأل عنه كله.

بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم:

اعلم أن الله تعالى قد سمى المال خيراً في مواضع من كتابه العزيز فقال جل وعز: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً﴾ [البقرة: ١٨٠] الآية وقال رسول الله ﷺ: «نعم المال الصالح

من ماله مائة ألف درهم) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق سعيد بن عبد العزيز بلفظ: خرج من عشرة الآف دينار أو من مائة ألف. **(وقال يحي بن معاذ)** الرازي رحمه الله تعالى: **(مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلها للعبد في ماله عند موته قيل: وما هما؟ قال: يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله)** نقله صاحب القوت. وكان عون بن عبدالله المسعودي أوصى بضيعة له تباع بعد موته ويتصدق بها، فقيل له: تدع عيالك. فقال: أقدم هذا لنفسي وادخر الله لعيالي، وجاءته مرة خمسون ألفاً فقيل له: اعتقدها لولدك. قال: اعتقدها لنفسي واعتقد الله لولدي.

بيان مدح المال والجمع بينه وبين الذم:

(اعلم) هداك الله تعالى (أن الله تعالى قد سمى المال خيراً في مواضع من كتابه العزيز) وبيانه: أن الخير لغة ضد الشر، وهو ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع. وقيل: الخير ضربان: خير مطلق وهو ما يكون مرغوباً فيه بكل حال وعند كل أحد كما وصف ﷺ به الجنة فقال: «لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة» وخير وشر مقيدان وهو أن خير الواحد شر لآخر كالمال الذي ربما يكون خيراً لزيد وشراً لعمرو، ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين **(فقال)** في موضع: (﴿إن ترك خيراً﴾ الآية) وتمام الآية ﴿الوصية للوالدين والأقربين﴾ وقال في موضع آخر: ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦] فقوله: ﴿إن ترك خيراً﴾ أي مالاً. وقال بعض العلماء لا يقال للمال خير حتى يكون كثيراً ومن مكان طيب كما روي أن علياً رضي الله عنه دخل على مولى له فقال: ألا أوصي يا أمير المؤمنين. قال: لا لأن الله تعالى قال: ﴿إن ترك خيراً﴾ وليس لك مال كثير، وعلى هذا أيضاً قوله تعالى: ﴿إنه لحب الخير لشديدٌ﴾ [العاديات: ٨] أي لحب المال. وقال بعض العلماء: إنما سمي المال خيراً تنبيهاً على معنى لطيف، وهو أن المال يحسن الوصية به ما كان مجموعاً من وجه محمود، وعلى ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وما تنفقوا[1] من خير يعلمه الله﴾ [البقرة: ١٩٧] وقوله: ﴿وكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً﴾ [النور: ٣٣] قيل: عني به مالاً من جهتهم. قيل: إن علمتم إن اعتقدتم يعود عليكم وعليهم بنفع أي ثواب، وكذلك قوله تعالى: ﴿لا

---

(١) تصويب الآية: «وما تفعلوا من خير يعلمه الله».

للرجل الصالح »، وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهو ثناء على المال إذ لا يمكن الوصول إليهما إلا به، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢] وقال تعالى ممتناً على عباده: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٢] وقال ﷺ: « كاد الفقر أن يكون كفراً »، وهو ثناء على المال. ولا تقف على وجه الجمع بعد الذم والمدح إلا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده وآفاته وغوائله، حتى ينكشف لك أنه خير من وجه وشر من وجه، وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر، فإنه ليس بخير محض ولا هو شر محض، بل هو سبب للأمرين جميعاً وما هذا وصفه فيمدح لا محالة تارةً ويذم أخرى، ولكن البصير المميز يدرك أن المحمود منه غير المذموم، وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في

يسأم الإنسان من دعاء الخير﴾ [فصلت: ٤٩] أي لا يفتر من طلب المال وما يصلح دنياه. فهذه المواضع التي أطلق فيها الخير وأريد به المال. قد بينت ذلك في شرحي على القاموس.

(وقال ﷺ: نعم المال الصالح للرجل الصالح») قال العراقي: رواه أحمد، والطبراني في الكبير والأوسط من حديث عمرو بن العاص بسند صحيح بلفظ: « نعماً » وقال للمرء.

(وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج فهذا ثناء على المال) ضمناً (إذ لا يمكن الوصول إليهما إلا به. وقال تعالى) في قصة موسى والخضر عليهما السلام: ﴿وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما (ويستخرجا كنزهما) من ذهب وفضة (رحمة من ربك﴾) أي مرحومين من ربك. قال البيضاوي: ويجوز أن يكون علة أو مصدراً لأراد فإن إرادة الخير رحمة، وقيل: متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك. (وقال تعالى ممتناً على عباده) في حكاية عن بعض أنبيائه فيما خاطب به أمته: ﴿استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً * (ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾) [نوح: ١٠ - ١٢] وفيه بيان لعظم موقع المال عنده لا يتجاوز المحسوسات.

(وقال ﷺ: « كاد الفقر أن يكون كفراً ») رواه أبو مسلم الكشي في سننه، والبيهقي في الشعب من حديث أنس، وقد تقدم الكلام عليه في كتاب ذم الغضب. (وهو ثناء على المال. ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم إلا بأن تعرف حكمة المال ومقصوده آفاته وغوائله، حتى ينكشف لك أنه خير من وجه وشر من وجوه، وأنه محمود من حيث هو خير ومذموم مم حيث هو شر، فإنه ليس بخير محض) أي مطلقاً (ولا هو شر محض) مطلقاً، (بل هو سبب الأمرين جميعاً وما هذا وصفه فيمدح لا محالة تارة ويذم أخرى، ولكن البصير المميز) يعرف أنه (يدرك أن المحمود منه غير المذموم، وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه

كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم، والقدر المقنع فيه هو أن مقصد الأكياس وأرباب البصائر سعادة الآخرة التي هي النعيم الدائم والملك المقيم. والقصد إلى هذا دأب الكرام والأكياس، إذ قيل لرسول الله ﷺ: من أكرم الناس وأكيسهم؟ فقال: «أكثرهم للموت ذكراً وأشدهم له استعداداً». وهذه السعادة لا تنال إلا بثلاث وسائل في الدنيا وهي الفضائل النفسية، كالعلم وحسن الخلق، والفضائل البدنية: كالصحة والسلامة، والفضائل الخارجة عن البدن: كالمال وسائر الأسباب. وأعلاها النفسية، ثم البدنية، ثم الخارجة.

في **كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم**) وهي كثيرة غير محصاة على التفصيل، كما قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [النحل: ١٨] ولكنها بالإجمال على خمسة أنواع وهي: أخروية ونفسية وبدنية وخارجية وتوفيقية. (**والقدر المقنع فيه هو أن مقصد الأكياس**) أي العقلاء (**وأرباب البصائر**) أي المعارف الذوقية (**سعادة الآخرة**) وهي أعلى أنواع النعم الخمسة (**التي هي النعيم الدائم**) بلا زوال (**والملك المقيم**) بلا انتقال، وإياها قصد بقوله تعالى: ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين﴾ [هود: ١٠٨] الآية. وذلك هو الخير المحض والفضيلة الصرف وهو أربعة أشياء: بقاء بلا فناء، وقدرة بلا عجز، وعلم بلا جهل، وغنى بلا فقر. (**والقصد إلى هذا دأب الكرام والأكياس. إذ قيل لرسول الله ﷺ: من أكرم الناس وأكيسهم**) أي من أفضلهم كرامة وأكثرهم كياسة (**فقال: «أكثرهم للموت ذكراً وأشدهم له استعداداً»**) قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ: أي المرتبة أكيس؟ ورواه ابن أبي الدنيا في الموت بلفظ المصنف وإسناده جيد.

(**وهذه السعادة لا تنال إلا بثلاث وسائل في الدنيا وهي: الفضائل النفسية كالعلم وحسن الخلق، والفضائل البدنية كالصحة والسلامة، والفضائل الخارجة عن البدن كالمال وسائر الأسباب**) يعني أن سعادة الآخرة منوطة بتحصيل هذه الفضائل الثلاثة والسعي فيها واستعمالها، كما قال تعالى: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾ [الإسراء: ١٩] الآية. وأصول الفضائل النفسية أربعة: العقل وكماله العلم، والعفة وكمالها الورع، والشجاعة وكمالها المجاهدة، والعدالة وكمالها الإنصاف. وهي المعبر عنها بالدين ويكمل ذلك بالفضائل البدنية وهي أربعة أشياء: الصحة والقوة والجمال وطول العمر، وبالفضائل المطيفة بالإنسان وهي الخارجة عن البدن وهي أربعة أشياء: المال والأهل والعز وكرم العشيرة، ولا سبيل إلى تحصيل ذلك إلا بتوفيق الله عز وجل، وذلك بأربعة أشياء: هدايته ورشده وتسديد وتأييده، فجميع ذلك خمسة أنواع هي عشرون من ضرب خمسة في أربعة ليس للإنسان مدخل في اكتسابها إلا فيما هو نفسي فقط، والسعادة الحقيقية هي الخيرات الأخروية وما عداها فتسميته بذلك إما لكونه معاوناً في بلوغ ذلك أو نافعاً فيه، فكل ما أعان على خير سعادة والأشياء التي هي معينة ونافعة في بلوغ السعادة الأخروية متفاوتة

فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجات، وأدناها الدراهم والدنانير، فإنها

الأحوال. فمنها ما هو نافع في جميع الأحوال على كل وجه، ومنها ما هو نافع في حال دون حال وعلى وجه دون وجه، وربما يكون ضره أكثر من نفعه، فحق الإنسان أن يعرفها بحقائقها حتى لا يقع عليها الخطأ في اختياره الوضيع على الرفيع، وتقديمه الخسيس على النفيس.

إن قيل: ما الخير والسعادة والفضيلة والنافع، وهل بين هذه الأربعة فرق؟ قيل: أما الخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لأجله وهو الذي تشوفه كل عاقل. وأما السعادة المطلقة، فحسن الحياة في الآخرة وهي الأربع التي تقدم ذكرها. وقد يقال لما يتوصل به إلى هذه السعادات الأربعة سعادة وهي الستة عشر المتقدمة ويضادها الشقاوة. وأما الفضيلة فاسم لم يحصل به الإنسان مزية على الغير وهو إسم لما يتوصل به إلى السعادة ويضادها الرذيلة. وأما النافع: فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير وهو ضربان: ضروري وهو لا يكون الوصول إلى المطلوب إلا به كالعلم والعمل الصالح للمكلفين في البلوغ إلى النعيم الدائم، وغير ضروري وهو الذي قد يسد غيره مسده كالسكنجبين في كونه نافعاً في قمع الصفراء، فأن ذلك قد يسد غيره مسده، وكل نافع فقد يسمى فضيلة وسعادة وخيراً لكونه مبلغاً إلى ذلك.

وقول المصنف: وهذه السعادة لا تنال الخ يشير به إلى أن بعض الفضائل محتاج إلى بعض إما حاجة ضرورية بحيث لو لم يوجد ذلك لم يصح وجود الآخر، أو حاجة نافعة بحيث لو لم يوجد لاختل حال الآخر، وذلك أن السعادة الحقيقية الأخروية لا سبيل إلى الوصول إليها إلا باكتساب الفضائل النفسية، ولا سبيل إلى تحصيل هذه إلا بصحة البدن وقوته وأنه لا تغني الفضائل النفسية والبدنية عن الفضائل الخارجة فإنه إن أمكن أن يتصوّر حصولها لمن لا مال له ولا أهل ولا عشيرة فإنها لا تكمل إلا بها. **(وأعلاها)** أي تلك الفضائل **(النفسية ثم البدنية ثم الخارجة)** المطيفة بالإنسان.

(فالخارجة أخسها والمال من جملة الخارجات) فصاحبه يتمكن من الفضائل إذا فقده مشكل بلوغها والفقير في تحري المكارم كساع إلى الهيجاء بغير سلاح، أو كباز متصيد بلا جناح، ولله در من قال:

فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده

ومن جملة الخارجات الأهل فنعم العون على بلوغ السعادة. قال الشاعر:

ألم تر أن جمع القوم يخشى ... وأن حريم واحدهم مباحُ

والعُزفية يتأبّى عن حمل الذل، ولا عزّ له لا يمكنه أن يذود عن حريمه وكرم العشيرة فإنه مخيلة لكرم الفرع، وقال الشاعر:

خادمان ولا خادم لها، ومرادان لغيرها. ولا يرادان لذاتها؛ إذ النفس هي الجوهر النفيس، المطلوب سعادتها، وأنها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق لتحصيلها صفة في ذاتها، والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء، والمطاعم والملابس تخدم البدن. وقد سبق أن المقصود من المطاعم إبقاء البدن. ومن المناكح إبقاء النسل، ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق. ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه، وإنه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير ومن عرف فائدة الشيء وغايته ومقصده واستعمله لتلك الغاية متلفتاً إليها غير ناس لها فقد أحسن وانتفع، وكان ما حصل له الغرض محموداً في حقه، فإذاً المال آلة ووسيلة إلى مقصود صحيح،

إن السري إذا سرى فبنفسه وابن السريّ إذا سرى أسراهما

وإذا علمت ذلك فالق سمعك إلى أن المال إذا اعتبر لكونه أحد أسباب الحياة الدنيوية فهو عظيم الخطر، لأنك متى توهمته مرتفعاً يعسر على الناس تزجية معاشهم، وقد تقدم أن الناس يحتاج بعضهم إلى بعض ولا يمكنهم التعايش ما لم يتظاهروا، وإذا اعتبر بسائر القنيات فهو صغير الخطر إذ هو أخس القنيات، والقنيات ثلاث: نفسية وبدنية وخارجة، والخارجة دونها. (**وأدناها أي الخارجات الناض المتعامل به وهو الدراهم والدنانير فإنهما خادمان**) غير مخدومين، (**ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتها**) فإنا لو تصوّرنا ارتفاع الضرورات التي بها يستدفع لكانت هي والحصباء سواء وسائر القنيات خادم من وجه ومخدوم من وجه، (**إذ النفس هي الجوهر الشريف المطلوب سعادتها وأنها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق لتحصيلها صفة في ذاتها، والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والأعضاء والمطاعم**) والمشارب، (**والملابس تخدم البدن**) والمآكل والملابس يخدمها المال، فالمال من حقه أن يكون خادماً لغيره من القنيات، وأن لا يكون شيء من القنيات خادماً وإن كان كثير من الناس يجهلهم يجعلون جاههم وأبدانهم ونفوسهم خدماً لما لهم وعبيداً. (**وقد سبق أن المقصود من المطاعم إبقاء**) مسكة (**البدن، ومن المناكح**) صورة (**إبقاء النسل، ومن البدن تكميل**) هيئة (**النفس وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق**) وإن كان جماله وسمنه وحسن حاله مرغوباً فيها إلا أن المقصود هو ما ذكره المصنف، (**ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه، وأنه من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضرورة بقاء البدن الذي هو ضرورة كمال النفس الذي هو خير**)، ولذلك جعل من الخيرات المتوسطة. (**ومن عرف فائدة الشيء وغايته**) التي ينتهي إليها (**ومقصده**) منه (**واستعمله لتلك الغاية ملتفتاً إليها**) جاعلاً تلك نصب عينيه (**غير ناس لها فقد أحسن**) في صنيعه (**وانتفع**) بعمله، (**وكان ما حصل له الغرض**) الذي هو بصدده (**محموداً في حقه، فإذاً المال آلة**) لتحصيل الفضائل (**ووسيلة إلى مقصود صحيح،**

ويصلح أن يتخذ آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن سعادة الآخرة وتسد سبيل العلم والعمل. فهو إذاً محمود مذموم، محمود بالإضافة إلى المقصد المحمود، ومذموم بالإضافة إلى المقصد المذموم. فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر.

ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلاً لها وآلة إليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ الأنبياء من شره حتى قال نبينا عليه الصلاة والسلام: « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً »، فلم يطلب من الدنيا إلا ما يتمحض خيره وقال: « اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة

ويصلح أن يتخذ) أيضاً **(آلة ووسيلة إلى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة)** أي المانعة **(من سعادة الآخرة)** أي عن تحصيلها **(وتسد سبيل العلم والعمل، فهو إذاً محمود مذموم محمود بالإضافة إلى المقصد المحمود، ومذموم بالإضافة إلى المقصد المذموم)** وبه اتضح وجه كونه من الخيرات المتوسطة، **(فمن أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه)** وهو ومن تلزمه مؤنته **(فقد أخذ حتفه)** أي هلاكه **(وهو لا يشعر)** بهلاكه، **(كما ورد به الخبر)** الذي تقدم قريباً وأوله « دعوا الدنيا لأهلها » وتقدم تخريجه والكلام عليه.

(ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلاً لها) لتلك الشهوات **(وآلة إليها أعظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية)** والحاجة **(فاستعاذ الأنبياء)** عليهم السلام **(من شرّه حتى قال نبينا ﷺ : « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً »)** القوت ما يسد به الرمق سمى به لحصول القوّة؟ والكفاف ما لا يفضل من الشيء ويكون بقدر الحاجة، والمراد بآل محمد زوجاته ومن في نفقته، أو مؤمنو بني هاشم وأتقياء أمته والحمل على الأعم أتم. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة انتهى.

قلت: الذي في المتفق عليه « اللهم ارزق آل محمد قوتاً » وعند مسلم وحده « اللهم ارزق آل محمد كفافاً » وعنده أيضاً وكذلك أحمد والترمذي وابن ماجه « اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتاً » وفي لفظ « كفافاً » والمعنى: اجعل رزقهم بلغة تسد رمقهم وتمسك قوتهم بحيث لا ترهقهم الفاقة ولا تذلهم المسألة ولا يكون فيه تغول يصل إلى ترفه وتبسط ليسلموا من آفات الغنى والفقر، **(فلم يطلب)** لهم **(من الدنيا إلا ما يتمحض خيره. وقال)** ﷺ أيضاً: **(« اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة »)** رواه الترمذي في الزهد من جامعه، والبيهقي في الشعب من طريق ثابت بن محمد، حدثنا الحارث بن النعمان، عن أنس رفعه باللفظ المذكور، وفيه زيادة: فقالت عائشة يا رسول الله. قال: « إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً ». ورواه ابن ماجه إلى قوله: « زمرة المساكين » من طريق عطاء بن أبي رباح عن أبي

المساكين ». واستعاذ إبراهيم ﷺ فقال: ﴿واجْنُبْني وَبنيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأصْنَامَ﴾ [ابراهيم: ٣٥] وعني بها هذين الحجرين الذهب والفضة، إذ رتبة النبوّة أجل من أن يخشى عليها أن تعتقد الإلهية في شيء من هذه الحجارة، إذ قد كفى قبل النبوة عبادتها مع الصغر، وإنما معنى عبادتها حبها والاغترار بها والركون إليها. قال نبينا ﷺ: « تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم تعس ولا انتعش وإذا شيك فلا انتقش »، فتبين أن محبها

سعيد قال: أحبوا المساكين فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه وذكره. ورواه الطبراني في الدعاء بدون قول أبي سعيد، وبلفظ « وتوفني » وفي لفظ عنده « اللهم توفني إليك فقيراً ولا توفني غنياً واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة » وأخرجه الحاكم وصححه بزيادة « وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة » وقد تقدم الكلام عليه.

(**واستعاذ إبراهيم ﷺ فقال**) الله تعالى في كتابه حكاية عنه: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ اعلم أن الناض الذي هو العين والورق حجر جعله الله تعالى سبباً للتعامل به كما تقدم ذكره وخادم كما ذكره، فقبيح بالحر المترشح لنيل الفضائل والاقتداء بالبار جل ثناؤه والوصول إلى الغنى الأكبر أن يتهافت بأكثر مما يحتاج إليه، ويجعل نفسه أقل رقيق وأخسه، فبرق ذوي الأطماع برق خلب ويكون معتكفاً فيه على حجر يعبده على ما قال: ﴿يعكفون على أصنام لهم﴾ [الأعراف: ١٣٨] (**و**) إنما (**عنى**) ابراهيم عليه السلام (**به**) أي بقوله المذكور في سؤاله من ربه أن يجنبه وبنيه عبادة (**هذين الحجرين الذهب والفضة**) والمراد بهما الأعراض الدنيوية الصارفة عن الله. (**إذ رتبة النبوة أجلّ من أن يخشى عليها أن يعتقد**) هو وبنوه (**الإلهية**) واستحقاق العبادة (**في شيء من هذه الحجارة: إذ قد كفى قبل النبوة عبادتها مع الصغر، وإنما معنى عبادته حبه والاغترار به والركون إليه**) وقد قال في موضع آخر اشارة إلى ما يعم هذا المعنى وغيره: ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً﴾ [مريم: ٤٢] (**قال نبينا ﷺ**) في ذم من يجعل جاهه وبدنه ونفسه خادماً للمال وعبداً (**تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم**) قال في المصباح: تعس تعساً من باب نفع أكب على وجهه وعثر، وقيل: هلك، وقيل: لزمه الشر وهو تاعس، وتعس من باب تعب لغة فهو تعس مثل تعب، وفي الدعاء تعساً له وتعس وانتكس، فالتعس أن يخرّ لوجهه، والنكس أن لا يستقل بعد سقطه حتى يسقط ثانية وهي أشد من الأولى. (**تعس ولا انتعش**) يقال: انتعش العاثر نهض من عثرته ونعشه الله وأنعشه أفاقه، (**وإذا شيك**) أي أصاب رجله الشوك (**فلا انتقش**) أي لا أخرج الله منه ذلك. يقال: نقشت الشوكة نقشاً وانتقشتها إذا استخرجتها بالمنقاش. قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة، وأبو يعلى. ولم يقل ولا انتقش وإنما علق آخره بلفظ: تعس وانتكس، ووصل ذلك ابن ماجه والحاكم انتهى.

قلت: رواه البخاري من طريق أبي بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن أبي صالح عن أبي

عابد لها ومن عبد حجراً فهو عابد صنم. بل كل من كان عبداً لغير الله فهو عابد صنم، أي من قطعه ذلك عن الله تعالى وعن أداء حقه فهو كعابد صنم، وهو شرك إلا أن الشرك شركان: شرك خفيّ لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فإنه أخفى من دبيب النمل، وشرك جليّ يوجب الخلود في النار نعوذ بالله من الجميع.

بيان تفصيل آفات المال وفوائده:

اعلم أن المال مثل حية فيها سم وترياق، ففوائده ترياقه، وغوائله سمومه. فمن عرف غوائله وفوائده أمكنه أن يحترز من شره، ويستدر من خيره.

هريرة مرفوعاً. وفي لفظ للعسكري من طريق الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً «لعن» بدل «تعس». وسياق حديث ابن ماجه بعد قوله «الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة إن أعطي رضي وإن لم يُعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه». الحديث. وعزاه السيوطي في الجامع الكبير للبخاري أيضاً، وتقدم للمصنف في كتاب النكاح: «تعس عبد الزوجة» تبعاً لصاحب القوت، وقد ذكر العراقي هناك أنه لم يجد له أصلاً.

(**فبين أن محبها عبد لها ومن عبد حجراً فهو عابد صنم، بل كل من كان عبداً لغير الله فهو عابد صنم**) أي أن الغير يكون في حقه بمنزلة الصنم الذي يعبده المشركون، وأخبث حالاً منه الذي يتقرب إلى الأعراض بما يتقرب به إلى الله تعالى كأسمائه تعالى، وآيات كتابه إذا اتخذت ذريعة لتحصيل الدنيا، وكونه أخبث حالاً من المشركين لأن المشركين ادعوا أنهم يعبدون الحجارة لتقربهم إلى الله زلفى، وهؤلاء يلازمون الأسماء والدعوات لتقربهم إلى الدنيا زلفى ولا يخفى قبحه. (**وهو شرك إلا أن الشرك شركان: شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه المؤمنون فإنه أخفى من دبيب النمل**) في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد في الخبر «الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا» رواه الحكيم من حديث ابن عباس، ورواه البزار من حديث عائشة بسند ضعيف. وروى هناد بن السري، والحكيم، وأبو يعلى، وابن المنذر، وابن السني في عمل يوم وليلة من حديث أبي بكر بسند حسن «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره» الحديث. (**وشرك جليّ يوجب الخلود في النار**) وهو عدم الإيمان بالله ورسله. نعوذ بالله من ذلك.

بيان تفصيل آفات المال وفوائده:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن المال مثل حية فيها سم وترياق**) فسمها في فمها وترياقها في لحمها، (**ففوائده ترياقه**) النافع (**وغوائله سمومه**) المهلكة. (**فمن عرف فوائده وغوائله أمكنه أن يحترز من سمه**[1] **ويستدر من خيره**). ويدعى ذلك، فالحكيم بتناوله له يجري مجرى

---

(١) وفي نسخة الأحياء: من شره.

أما الفوائد: فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية:

أما الدنيويّة فلا حاجة إلى ذكرها فإن معرفتها مشهورة مشتركة بين أصناف الخلق، ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها. وأما الدينية فتنحصر جميعها في ثلاثة أنواع.

النوع الأوّل: أن ينفقه على نفسه إما في عبادة أو في الإستعانة على عبادة. أما في العبادة: فهو كالإستعانة به على الحج والجهاد، فإنه لا يتوصل إليهما إلا بالمال، وهما من أمهات القربات والفقير محروم من فضلهما. وأما فيما يقويه على العبادة: فذلك هو المطعم

راق حاذق تناول حية قد عرف نفعها وضرها وأمن شرها وسمها، فتيحرى بتناوله الوجه الذي ينتفع هو به وينفع غيره فهو مباح له تناوله، وغير الحكيم إذا تناوله فهو الجاهل استحسن الحية واستلان مسها، فظن أنها مستصلحة لأن يتقلد بها فجعلها سخاباً في عنقه فلدغته وقتلته، وكما لا يجوز للجاهل بالرقية غير العارف بنفع الحية أن يقتدي بالراقي في تناول الحية والتصرف فيها، كذلك لا يجوز للجاهل أن يقتدي بالحكيم في أعراض الدنيا، وكما أنه محال أن يسلك الأعمى طريقاً وعراً ويسلكه البصير من غير قائد اذ هو غير آمن أن يقع في وهدة، كذلك محال أن يسلك مستبد برأيه في تناول أعراض الدنيا طريقاً يسلكه الحكيم العالم، إذ هو غير آمن أن يقع في هاوية، وكما أن الغانية لا يجوز أن يدخل عليها ويخلو بها من الرجال إلا من كان مجبوباً يؤمن عليها كذلك الدنيا لا يجوز أن يتمكن منها إلا المقطوع عنها بالعفة والزهد لئلا تغره، وذلك كأمير المؤمنين علي رضي الله عنه حيث قال: يا حمراء يا بيضاء احمري وابيضي وغري غيري، ومن تصوّر ذلك علم أن الله تعالى قد أباح الدنيا كلها لأوليائه علماً بأنهم لا يتناولونها إلا على ما يجب وكما يجب، وإذا تناولوها وضعوها كما يجب وحيثما يجب، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ [الأعراف: ١٢٨] وقال تعالى: ﴿يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء: ١٠٥] فافهم ذلك.

(أما الفوائد فهي تنقسم إلى دنيوية ودينية.

أما الدنيوية: فلا حاجة إلى ذكرها، فإن معرفتها مشتركة بين أصناف الخلق، ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها.

وأما الدينية: فينحصر جميعها في ثلاثة أنواع.

النوع الأول: ان ينفقه على نفسه) وذلك **(إما في عبادة)** لله تعالى كلف بها **(أو في الاستعانة على عبادة. أما في العبادة: فهو كالاستعانة به على الحج)** إلى البيت الله الحرام **(الجهاد)** مع الكفار، **(فإنه لا يتوصل إليهما إلا بالمال)** فمن لا مال له كيف يحج أو كيف يجاهد؟ **(وهما من أمهات القربات والفقير محروم عن فضلهما)** ومن هنا قول الشاعر:

المرء يـــرفعــه الغنـــى والفقـــر منقصـــة وذلّ

والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة فإن هذه الحاجات إذا لم تتيسر كان القلب مصروفاً إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين، وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة، فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الإستعانة على الدين من الفوائد الدينية. ولا يدخل في هذا التنعم والزيادة على الحاجة فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط.

النوع الثاني: ما يصرفه إلى الناس، وهو أربعة أقسام: الصدقة، والمروءة، ووقاية العرض، وأجرة الاستخدام.

أما الصدقة؛ فلا يخفى ثوابها وإنها لتطفىء غضب الرب تعالى، وقد ذكرنا فضلها فيما تقدم.

وأما المروءة، فنعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية وإعانة وما يجري مجراها، فإن هذه لا تسمى صدقة، بل الصدقة ما يسلم إلى المحتاج إلا أن هذا من الفوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الأخوان والأصدقاء وبه يكتسب صفة السخاء

وفي الخبر «نعم العون على تقوى المال». (**وأما فيما يقويه على العبادة: فذلك هو المطعم والملبس والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة**) التي لا يستغني عنها الإنسان، (**فإن هذه الحاجات إذا لم تتيسر كان القلب منصرفاً إلى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به فهو عبادة، فأخذ الكفاية من الدنيا لأجل الإستعانة على الدين من الفوائد الدينية. ولا يدخل في هذا التنعم**) والتلذذ (**والزيادة على الحاجة فإن ذلك من حظوظ الدنيا فقط**) وليس للآخرة فيها حظ.

(**النوع الثاني: ما يصرفه إلى الناس وهو أربعة أقسام: الصدقة، والمروءة ووقاية العرض، وأجرة الاستخدام**).

(**أما الصدقة: فلا يخفى ثوابها، وإنها لتطفىء غضب الرب تعالى**) كما ورد ذلك في الخبر. وفيها انفكاك من النار، وتمنع ميتة السوء، وتزيد في العمر، وتقي مصارع السوء، وتمنع سبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونها الجذام والبرص وكل ذلك في الأخبار. (**وقد ذكرنا فضائلها**) فيما تقدم في كتاب الزكاة.

(**وأما المروءة**)، وقد اختلف في اشتقاقها هل هي من مرىء أو من المرء؟ وعلى أي حال (**فنعني بها**) هنا جلة الأخلاق المستحسنة التي منها (**صرف المال إلى الأغنياء والأشراف من ضيافة وهدية وإعانة**) للأخ في مضايقة، (**وما يجري مجراه، فإن هذا لا يسمى صدقة بل الصدقة ما يسلم إلى محتاج**) وهذا يصرفه إلى غير محتاج (**إلا أن هذا من الفوائد الدينية إذ به يكتسب العبد الأخوان والأصدقاء، وبه يكتسب صفة السخاء ويلتحق بزمرة الأسخياء**)

ويلتحق بزمرة الأسخياء. فلا يوصف بالجود إلا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل المروءة والفتوة، وهذا أيضاً مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها.

وأما وقاية العرض، فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم، وهو أيضاً مع تنجز فائدته في العاجلة من الحظوظ الدينية. قال رسول الله ﷺ: «ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة»، وكيف لا وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة.

والأجواد، (**فلا يتصف بالجود إلا من يصنع المعروف**) مع أشراف الناس ووجودهم، (**ويسلك سبيل الفتوة والمروءة**). ومن هنا قيل لمعاوية رحمه الله تعالى: ما المروءة؟ فقال: إطعام الطعام وضرب الهام. وقيل لآخر: ما المروءة؟ فقال: جماعها في قوله تعالى: ﴿إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل: ٩٠] الآية. وأما الفتوّة: فهي الإيثار بالدنيا على نفسه، (**وهذا أيضاً مما يعظم الثواب فيه، فقد وردت أخبار كثيرة في الهدايا والضيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها**) مما تقدم ذكر بعضها في آداب الكسب، وفي آداب الأكل، وفي آداب الصحبة، إلا أن من جاء بماله لأجل الناس كان موصوفاً بالسخاء، ولكن ذلك لنفسه ولأجل هواه فهو موصوف بظاهر المروءة وبمعنى الفتوّة؟ ولا أجر له في الآخرة لأنه عمل لأجل نفسه لا لأجل ربه، وحصل في الدنيا شكره وذكره تعويضاً له من حرث الآخرة، لأن هذا حرث الدنيا، فلم يكن في الآخرة أضعافاً كثيرة.

(**وأما وقاية العرض: فنعني به بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء وقطع ألسنتهم ودفع شرهم، وهو أيضاً مع تنجز فائدته في العاجل من الحظوظ الدينية أيضاً. قال رسول الله ﷺ «ما وقى به المرء عرضه كتب له صدقة»**) رواه أبو يعلى من حديث جابر وقد تقدم، ورواه الطيالسي: «ما وقى به المؤمن عرضه فهو له صدقة». ورواه العسكري في الأمثال، والقضاعي في مسند الشهاب من طريق عبد الحميد بن الحسن الهلالي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بلفظ «ما وقى به المؤمن عرضه فهو له صدقة» زاد القضاعي «وما انفق الرجل على أهله ونفسه كتب له صدقة» فقلت لمحمد بن المنكدر، وما معنى ما وقى به المرء عرضه؟ فقال: أن يعطي الشاعر أو ذا اللسان المتقى. (**وكيف لا**) يكون ذلك (**وفيه منع المغتاب عن معصية الغيبة واحتراز عما يثور من كلامه من العداوة التي تحمل في المكافأة والانتقام على مجاوزة حدود الشريعة؟**).

وأما الاستخدام، فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتهيئة أسبابه كثيرة، ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين، ومن لا مال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام وطحنه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه، وكل ما يتصوّر أن يقوم به غيرك يحصل به غرضك فأنت متعوب إذا اشتغلت به، إذ عليك من العلم والعمل والذكر والفكر ما لا يتصوّر أن يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران.

النوع الثالث: ما لا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودور المرضى ونصب الحباب في الطريق، وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات، وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متمادية، وناهيك بها خيراً. فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر، والوصول إلى العز

(**وأما الاستخدام فهو أن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لتهيئة أسبابه كثيرة، ولو**) فرض أنه (**تولاها بنفسه ضاعت أوقاته**) فيها (**وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة بالفكر**) في جلائل عظمة الله تعالى، (**والذكر الذي هو أعلى مقامات السالكين**) وبهما يتوصلون إلى معرفة الله تعالى. (**ومن لا مال له فيفتقر إلى أن يتولى بنفسه خدمة نفسه من شراء الطعام**) من السوق (**وطبخه**) وطحنه وعجنه (**وكنس البيت**) وغير ذلك من اللوازم، (**حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج إليه**) في أمور دينه فإنه من اللوازم الضرورية، (**وكل ما يتصور أن يقوم به غيرك ويحصل به غرضك فأنت متعوب**) خاسر الحظ (**إذا اشتغلت به. إذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور أن يقوم به غيرك، فتضييع الوقت في غير خسران**) وانتقاص حظ.

(**النوع الثالث: ما لا يصرفه إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام**) للمسلمين (**كبناء المساجد**) أي إحداثها في محلات قوم يحتاجون إليها أو تعميرها ورم ما تشعث منها وتجديد مرافقها (**والقناطر**) في طريق العامة في المواضع المحتاج إليها (**والرباطات**) لأبناء السبيل وإدرار الرزق عليها (**ودور المرضى**) وتقييد من يخدمهم وينظر في مصالحهم وربط ما يصرف إلى أدويتهم، (**ونصب الحباب**) جمع حب أي مخازن المياه (**في الطرق**) المسلوكة خصوصاً في طريق الحرمين لعموم النفع بذلك، (**وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخيرات، وهي من الخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة أدعية الصالحين إلى أوقات متمادية**) أي متطاولة، (**وناهيك بها خيراً عظيماً. فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال**) فأي السؤال مطلقاً ذل ولو أين الطريق

والمجد بين الخلق، وكثرة الأخوان والأعوان والأصدقاء، والوقار والكرامة في القلوب، فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ الدنيوية.

وأما الآفات، فدينية ودنيوية أما الدينية فثلاث:

الأولى: أن يجر إلى المعاصي فإن الشهوات متفاضلة والعجز قد يحول بين المرء والمعصية، ومن العصمة أن لا يجد. ومهما كان الإنسان آيساً عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته، فإذا استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور، فإن اقتحم ما اشتهاه هلك وإن صبر وقع في شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء.

الثانية: أنه يجر إلى التنعم في المباحات وهذا أوّل الدرجات، فمتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الأطعمة كما كان

(**و**) من الخلاص من (**حقارة الفقر**)، فإن الفقير حقير دائماً بمعنى أنه تستحقره النفوس والعيون كما قال الشاعر:

والمرء يـــرفعـــه الغنـــى والفقـــــر منقصـــــة وذل

(**والوصول إلى العز والمجد بين الخلق**) كما قال المتنبي:

فلا مجد في الدنيـا لمن قـلّ مـالـه ولا مـال في الدنيـا لمن قـلّ مجده

(**وكثرة الأخوان والأعوان والأصدقاء، والوقار**) عند الناس (**والكرامة في القلوب، فكل ذلك مما يقتضيه المال من الحظوظ**) العاجلة (**الدنيوية**).

(**وأما الآفات: فدينية ودنيوية. اما الدينية. فثلاثة:**

الأولى: أن تجر إلى المعاصي فإن الشهوات متقاضية)[1] والنفس جوح (**والعجز قد يحول بين المرء والمعصية**) كما قيل: (**ومن العصمة أن لا تقدر**) وفي لفظ: أن لا تجد. (**ومهما كان الانسان آيساً على نوع من المعصية لم تتحرك داعيته**) إليها ليأسه منها، (**فإن استشعر القدرة عليها انبعثت داعيته**) وتحركت شهوته، (**والمال من**) تمام (**القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور، فإن اقتحم ما اشتهاه**) وركب هوى نفسه (**هلك، وإن صبر وقع في شدة**) وساء خلقه (**إذا الصبر مع القدرة أشد**) من الصبر مع العجز، (**وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء**)، ولذا ورد: إني أخشى عليكم فتنة السراء.

(**الثانية: أن يجر إلى التنعم في المباحات، وهذا أول الدرجات. فمتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن**) من صوف أو قطن، (**ويترك لذائذ**

---

(١) في الإحياء: «متفاضلة» بدلاً من: «متقاضية».

يقدر عليه سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام في ملكه: فأحسن أحواله أن يتنعم بالدنيا ويمرن عليها نفسه، فيصير التنعم مألوفاً عنده ومحبوباً لا يصبر عنه، ويجره البعض منه إلى البعض، فإذا اشتد أنسه به ربما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المراءاة والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق الرديئة، لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه، فإن من كثر ماله كثرت حاجته إلى الناس، ومن احتاج إلى الناس فلا بدّ وأن ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم، فإن سلم الإنسان من الآفة الأولى وهي مباشرة الحظوظ فلا يسلم عن هذه أصلاً. ومن الحاجة إلى الخلق تثور العداوة والصداقة، وينشأ عنه الحسد والحقد والرياء والكبر والكذب والنميمة والغيبة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان، ولا يخلو عن التعدي أيضاً إلى سائر الجوارح. وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه، وإصلاحه.

الثالثة: وهي التي لا ينفك عنها أحد وهو أنه يلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله تعالى، وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران، ولذلك قال عيسى عليه الصلاة والسلام: في المال ثلاث آفات، أن يأخذه من غير حله، فقيل: إن أخذه من حله؟ فقال: يضعه في

الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان عليه السلام في ملكه) كما تقدم في الكتاب الذي قبله؟ **(فأحسن أحواله أن يتنعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه)** أي تتعوّد، **(فيصير التنعم مألوفاً عنده ومحبوباً لا يصبر عنه، ويجره البعض منه إلى البعض، فإذا اشتد أنسه به ربما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال)** لضيقه **(فيقتحم)** أي يدخل **(الشبهات)** ويرتكبها **(ويخوض في المراءاة)** مع الناس **(والمداهنة والكذب والنفاق وسائر الاخلاق الرديئة)** من هذا الجنس، **(لينتظم له أمر دنياه ويتيسر له تنعمه، فإن من كثير ماله كثرت حاجته إلى الناس، ومن احتاج إلى الناس فلا بدّ وأن ينافقهم)** بأن يظهر له خلاف ما يبطنه **(ويعصى الله في طلب رضاهم)** لأجل مصلحة المال، **(فإن سلم إنسان من الآفة الأولى وهي مباشر المحظورات فلا يسلم عن هذه)** الآفة **(أصلاً، ومن الحاجة إلى الخلق تثور العداوة الصداقة، وينبني عليه الحقد والحسد والرباء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وسائر المعاصي التي تخص القلب واللسان، ولا يخلو من التعدي أيضاً إلى سائر الجوارح. وكل ذلك يلزم من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه)** وتنميته والوقوف بإزائه.

(الثالثة: وهي التي لا ينفك عنها أحد وهو أن يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى، وكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران) ونقص حظ في حقه، **(ولذلك قال عيسى عليه السلام في المال ثلاث آفات، أن يأخذه من غير حله)** وهي الأولى، **(فقيل: إن أخذه من**

غير حقه، فقيل: إن وضعه في حقه، فقال: يشغله إصلاحه عن الله تعالى، وهذا هو الداء العضال. فإن أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والتفكر في جلاله، وذلك يستدعي قلباً فارغاً وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكراً في خصومة الفلاح ومحاسبته، وفي خصومة الشركاء ومنازعتهم في الماء والحدود، وخصومة أعوان السلطان في الخراج، وخصومة الأجراء على التقصير في العمارة، وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم. وصاحب التجارة يكون متفكراً في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعة للمال. وكذلك صاحب المواشي. وهكذا سائر أصناف الأموال. وأبعدها عن كثرة الشغل: النقد المكنوز تحت الأرض، ولا يزال الفكر متردداً فيما يصرف إليه وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع أطماع الناس عنه، وأودية أفكار الدنيا لا

حله فقال يضعه في غير حقه) وهي الثانية، (فقيل: إن وضعه في حقه فقال: يشغله إصلاحه عن الله تعالى) وهي الثالثة. (وهذا هو الداء العضال) الذي أعيت عنه الأطباء، (فإن أصل العبادات ومخها وسرّها) أي خلاصتها (ذكر الله تعالى والتفكر في جلاله وعظمته وكبريائه، وذلك يستدعي قلباً فارغاً) عن الشواغل الحسية والمعنوية والمشوّشات الخارجة والداخلة، (وصاحب) المال بأنواعه لا يكاد يفارقه الشغل الظاهر والباطن، فإنه إما ضيعة يستغلها وإما تجارة في أصناف الامتعة أو غير ذلك، فصاحب (الضيعة) له شواغل كثيرة، فإنه (يمسي ويصبح متفكراً في خصومة الفلاح) الذي يتقيد بزراعة الأرض (ومحاسبته) على ما تخرجه الأرض من أصناف الحبوب، (و) هذا إن لم يكن له شركاء في حصته فإن كانوا فلا يسلم أن يشتغل (في خصومة الشركاء ومنازعتهم) في المحاسبة، وإلاَّ فمع جيرانه ينازعهم (في) قسمة (الماء) الذي يسقي به أرضه، (والحدود) وكم من دماء تراق بي غير حق عند قسم الماء وتعيين الحدود، (و) إن سلم من هذه الآفات فلا يكاد يسلم من (خصومة أعوان السلطان في) مطالبة (الخراج) فإنهم يطالبونه بأكثر مما هو لهم فتقع الخصومة، (و) إن سلم منها لا يسلم من (خصومة الأجراء على التقصير في العمارة) للضيعة والقيام بأودها، (و) هو مع ذلك لم يزل في (خصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم). ولذلك قال ﷺ «لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا». رواه ابن مسعود وقد تقدم قريباً في هذا حال صاحب الضيعة. (و) أما (صاحب التجارة)؟ فإنه (يكون متفكراً في خيانة شريكه وإنفراده بالربح) دونه، (وتقصيره في العمل وتضييعه للمال) فمتى يفرغ قلبه ويصفو فكره في ذكر الله ومعرفته، (وكذلك صاحب المواشي) المتخذة للتجارة فإنه كذلك في شغل شاغل. (وهكذا سائر أصناف الأموال) على تباينها (وأبعدها عن كثرة الشغل النقد) من العين والورق (المكنوز تحت الأرض) أو في الصناديق، (ولا يزال الفكر متردداً فيما يصرف إليه) فتارة يقول: يشتري به عقاراً أو ضيعة أو متاعاً، وتارة يقول: يشتري به رقيقاً وملابس، (و) يتردد أيضاً (في كيفية حفظه وفي

نهاية لها، والذي معه قوت يومه في سلامة من جميع ذلك. فهذه جملة الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ المال وكسبه، فإذاً ترياق المال أخذ القوت منه وصرف الباقي إلى الخيرات وما عدا ذلك سموم وآفات. نسأل الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه وكرمه إنه على ذلك قدير.

بيان ذم الحرص والطمع، ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس:

اعلم أن الفقر محمود ـ كما أوردناه في كتاب الفقر ـ ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعاً منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حريصاً على اكتساب المال كيف كان، ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس والمسكن، ويقتصر على أقله قدراً وأخسه نوعاً، ويرد أمله إلى يومه أو إلى شهره، ولا يشغل قلبه

الخوف ممن يعثر) أي يطلع **(عليه)** فيشير به للظلمة **(وفي دفع أطماع الناس عنه، وأودية أفكار أهل الدنيا لا نهاية لها)** ولا مطمع في الخلاص منها، **(والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك. فهذه جمل الآفات الدنيوية سوى ما يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا من الخوف)** على أنفسهم من جور الظلمة **(والحزن والغم والهمّ والتعب في دفع الحساد)** عنهم **(وتجشم المصاعب)** أي تحمل المشاق **(في حفظ الأموال وكسبها، فإذاً ترياق المال أخذ القوت منه)** فقط **(وصرف الباقي إلى الخيرات)** من الصدقات ومؤاساة الإخوان **(وما عداه سموم وآفات)** مهلكات.

بيان ذم الحرص والطمع ومدح القناعة واليأس مما في أيدي الناس:

(اعلم) أرشدك الله تعالى **(أن الفقر محمود ـ كما أوردناه في كتاب الفقر ـ ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعاً)** بالقليل **(منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حريصاً على اكتساب المال)** من حيث اتفق و **(كيف كان، ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدرة الضرورة من المطعم والملبس والمسكن، ويقتصر)** من كل منها **(على أقله قدراً وأخسه نوعاً)** ففي المطعم يقتصر على خبز الشعير أو خبز الذرة فإنها أرخص سعراً من الحنطة، وفي الأدام يقتصر على الجبن أو الإقط أو الفجل أو الكراث أو على الزيت ونحوها. وفي الملبس على قميص من كرباس غليظ أو على جبة من الجبات التي تعمل من صوف الغنم، فإنها أقل كلفة وأرخص سعراً وأمتع في المكث، **(و)** يقنع أيضاً **(بردّ أمله إلى يومه)** إن امكنه **(وإلى شهره)** وإليه انتهت الرخصة، **(ولا يشغل قلبه بما بعد شهر)** فإنه يعد في طول الأمل **(فإن**

بما بعد شهر. فإن تشوّق إلى الكثير أو طول أمله فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص، وجره الحرص والطمع إلى مساوىء الأخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروءات، وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة. قال رسول الله ﷺ: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب»، وعن أبي واقد الليثي قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوحى

تشوّق إلى الكثير أو طول الأمل فاته عز القناعة وقد انس[1] **لا محالة بالطمع وذل الحرص، وجره الحرص إلى مساوىء الأخلاق**) ومذامها (**وارتكاب المنكرات الخارقة للمروءات**) فيخرج عن حد الإنسانية، (**وقد جبل الآدمي على الحرص والطمع وقلة القناعة**) إلا من وفقه الله تعالى وعصمه. (**قال رسول الله ﷺ: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب**) وفي رواية: لو أن لابن آدم وادياً مالاً، وفي أخرى من مال بدل من ذهب، وفي أخرى من ذهب وفضة (**لابتغى**) أي طلب (**إليها ثالثاً**) عداه بأل لتضمن الابتغاء معنى الضم يعني لضمّ إليها ثالثاً (**ولا يملأ جوف ابن آدم**) وفي أخرى: نفس ابن آدم، وفي أخرى ولا يسد بدل ولا يملأ، وفي أخرى ولا يملأ عين ابن آدم، وفي أخرى بطن بدل عين، وليس المراد عضواً بعينه والغرض من العبارات كلها واحد (**إلا التراب**) أي لا يزال حريصاً على الدنيا حتى يموت ويمتلىء جوفه من تراب قبره، والمراد بابن آدم الجنس باعتبار طبعه، وإلاَّ فكثير منهم يقنع بما أعطى ولا يطلب زيادة، ولكن ذلك عارض له من الهداية إلى التوبة كما يومىء إليه قوله: (**ويتوب الله على من تاب»**) أي يقبل التوبة من الحرص المذموم ومن غيره، أو تاب بمعنى وفق أي وفقه يعني جبل الآدمي على حب الحرص إلا من وفقه الله وعصمه، فوضع يتوب موضع إلا من عصمه الله إشعاراً بأن هذه الجبلة مذمومة جارية مجرى الذنب. وأن إزالتها ممكنة بالتوفيق. وفي ذكر ابن آدم دون الانسان إيماء إلى أنه خلق من تراب طبعه القبض واليبس وإزالته ممكنة بأن يمطر الله عليه من غمامة توفيقه. وهذا اللفظ أخرجه الطبراني في الكبير من حديث أبي بن كعب إلا أنه قال: «لو كان للإنسان واديان من المال» وفيه «ثم يتوب» والباقي سواء.

ورواه الطيالسي، وأحمد، والدارمي، والشيخان، والترمذي وقال: حسن صحيح غريب، وابن حبان من حديث أنس ورواه البخاري في التاريخ، والبزار، والروياني، وأبو عوانة، والضياء من حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه رفعه، ورواه أحمد والشيخان من حديث ابن عباس، ورواه البخاري في الصحيح من حديث عبدالله بن الزبير، ورواه الطبراني في الكبير، والضياء من حديث سعد بن أبي وقاص. ورواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة ولفظهم جميعاً «لو كان لابن آدم واد من مال لابتغى إليه ثانياً، ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب».

---

(١) في الإحياء: «وتدنس» بدلاً من: «وقد أنس».

إليه أتيناه يعلمنا مما أوحى إليه، فجئته ذات يوم فقال: « إن الله عز وجل يقول: إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب أن يكون له ثان ولو كان له ثان لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب »، وقال أبو موسى الأشعرى: نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها. إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب.

وروى أحمد، وأبو يعلى، وأبو عوانة، وابن حبان، والضياء من حديث جابر بلفظ « لو كان لابن آدم وادٍ من نخل لتمنى مثله ثم تمنى مثله حتى يتمنى أودية ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ». قال الهيثمي: رجال أبي يعلى، والبزار رجال الصحيح. وقال ابن حبان: تفرد الأعمش بقوله: « من نخل ».

وروى ابن عساكر من حديث أبي هريرة « لو أن للإنسان واديين من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ نفس ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب ».

(**وعن أبي واقد**) الحرث بن مالك (**الليثي**) المدني رضي الله عنه، مات سنة ثمان وستين، وهو ابن خمس وثمانين على الصحيح، روى له الجماعة. وعنه أبو مرة مولى عقيل بن أبي طالب (**قال: كان رسول الله ﷺ إذا أوحي إليه أتيناه يعلمنا مما أوحي إليه، فجئته ذات يوم فقال « إن الله عز وجل يقول: إنا نزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو أن لابن آدم وادياً من ذهب لأحبّ أن يكون إليه الثاني، ولو كان له الثاني لأحب أن يكون إليهما الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب »**) قال العراقي: رواه أحمد، والبيهقي في الشعب بسند صحيح انتهى.

قلت: وكذلك رواه الطبراني في الكبير، والضياء. وروى الطبراني فيه من حديث أبي أمامة « لو أن لابن آدم واديين لتمنى وادياً ثالثاً وما جعل المال إلا لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ولا يشبع ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب » ورواه الحسن بن سفيان، وأبو نعيم في الحلية بلفظ: كنا نأتي النبي ﷺ فإذا نزل عليه شيء من القرآن أخبرنا به فقال لنا ذات يوم: « قال الله تعالى إنا انزلنا المال » الحديث.

(**وقال أبو موسى الأشعرى**) رضي الله تعالى عنه: (**نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها: « إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على ما تاب »**) قال العراقي: رواه مسلم مع اختلاف دون قوله « إن الله يؤيد هذا الدين ». ورواه بهذه الزيادة الطبراني وفيه علي ابن زيد متكلم فيه انتهى.

وقال ﷺ : « منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال »، وقال ﷺ : « يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان: الأمل وحب المال » أو كما قال.

قلت: الجملة الأولى من الحديث قد رواها النسائي، وابن حبان، والطبراني في الأوسط، والضياء من حديث أنس، ورواه أحمد، والطبراني في الكبير من حديث أبي بكرة. ورواه البزار من حديث كعب بن مالك.

(**وقال ﷺ « منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال »**) النهمة: شدة الحرص على الشيء، ومنه النهوم من الجوع كما في النهاية.

قال الطيبي: إن ذهب في الحديث إلى الأصل كان لا يشبعان استعارة لعدم انتهاء حرصهما ،وإن ذهب إلى الفرع يكون تشبيهاً جعل إفراد المنهوم ثلاثة: أحدها: المعروف وهر المنهوم من الجوع، والآخران من العلم والدنيا وجعلهما أبلغ من المتعارف. ولعمري أنه كذلك. وإن كان المحمود منهما هو العلم ومن ثم أمر الله تعالى ورسوله ﷺ بقوله: ﴿وقل ربي زدني علماً﴾ ويعضده قول ابن مسعود عقبه: ولا يستويان. أما صاحب الدنيا فيتمادى في الطغيان، وأما صاحب العلم فيزداد من رضا الرحمن.

وقال الراغب: النهم بالعلم استعارة، وهو أن يحمل على نفسه ما تقصر قواها عنه فينبت والمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. وقال الماوردي: في الحديث تنبيه أن العلم يقتضي مما بقي منه ويستدعي ما تأخر عنه، وليس للراغب فيه قناعة ببعضه. قال العراقي: رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بسند ضعيف انتهى.

قلت: لفظ الطبراني « منهومان لا يشبع طالبهما طالب علم وطالب الدنيا » ولفظه من حديث ابن عباس « منهومان لا يقضي واحد منهما نهمته منهوم في طلب العلم لا يقضي نهمته ومنهوم في طلب الدنيا لا يقضي نهمته ». وهكذا رواه أيضاً ابن خيثمة في كتاب العلم، وقد رواه ابن عدي، والقضاعي من حديث حميد عن أنس بلفظ « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا » قال ابن عدي: فيه محمد بن يزيد كان يسرق الحديث فيحدث بأشياء منكرة، ومن ثم قال ابن الجوزي في العلل: حديث لا يصح، وقد رواه كذلك البزار من حديث ابن عباس، وفيه ليث بن أبي سليم ضعيف، ورواه الحاكم من طريق قتادة عن أنس بلفظ « منهومان لا يشبعان منهوم في علم لا يشبع ومنهوم في دنيا لا يشبع » وقد رواه كذلك ابن عدي عن الحسن مرسلاً.

(**وقال ﷺ « يهرم ابن آدم**) أي يكبر (**وتشب**) وفي رواية تبقى (**منه**) خصلتان (**اثنتان**) استعارة يعني تستحكم الخصلتان في قلب الشيخ كاستحكام قوّة الشباب في شبابه. (**الأمل وحب المال »**) وفي نسخة وحب الدنيا. والرواية: الحرص وطول الأمل. وفي أخرى: الحرص والأمل، وفي أخرى: الحرص على المال والحرص على العمر، وفي أخرى: حب الدنيا وطول الأمل. وكان المصنف راعى ذلك فتأدب وقال: (**ـ أو كما قال**) ﷺ. وإنما لم تكبر هاتان

ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة، فقال ﷺ: «طوبى لمن هدي للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به»، وقال ﷺ: «ما من أحد فقير ولا غني إلا ودّ يوم القيامة أنه كان أوتي قوتاً في الدنيا»، وقال ﷺ: «ليس الغني عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس»، ونهى عن شدة

الخصلتان لأن المرء جبل على حب الشهوات، وإنما تنال هي بالمال والعمر، والنفس معدن الشهوات وأمانيها لا تنقطع فهي أبداً فقيرة لتراكم الشهوات عليها قد برح بها خوف القوت وضيق عليها فهي مفتونة بذلك، وخلصت فتنتها إلى القلب فأصمته عن الله واعمته، قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس.

قلت: وكذا رواه أحمد، وابن ماجه، والنسائي ولفظهم جيمعاً «يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنتان الحرص والأمل» وأخرجه الشيخان تعليقاً، وفي رواية ابن ماجه «وطول الأمل» ورواه الطيالسي، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان بلفظ «وتشب منه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر». وقد رواه بهذا اللفظ من حديث سمرة، وفي لفظ للبخاري «لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين في حب المال وطول الأمل».

(ولما كانت هذه جبلة للآدمي مضلة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله) ﷺ (على القناعة فقال ﷺ: «طوبى لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به») قال العراقي رواه الترمذي وصححه، والنسائي في الكبير من حديث فضالة بن عبيد، ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو «وقد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه» اهـ.

قلت: حديث فضالة بن عبيد أخرجه أيضاً ابن المبارك، والطبراني في الكبير، والحاكم، وابن حبان. وروى البيهقي من حديث ابن الحويرث، والديلمي من حديث عبد الله بن الحرث «طوبى لمن رزقه الله الكفاف ثم صبر عليه». وحديث عبد الله بن عمر أخرجه أيضاً أحمد، والترمذي، وابن ماجه. ورواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب بلفظ «قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافاً وصبر على ذلك».

(وقال ﷺ: «ما من أحد غني ولا فقير إلا ودّ يوم القيامة أنه كان أوتي قوتاً في الدنيا») قال العراقي: رواه ابن ماجه من رواية نفيع بن الحرث عن أنس ونفيع ضعيف اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أحمد، وعبد بن حميد، وأبو نعيم في الحلية بلفظ «ما من أحد يوم القيامة غني ولا فقير إلا ودّ انما كان أوتي من الدنيا قوتاً». ورواه ابن الجوزي في الموضوعات فأفرط. وروى أبو نعيم في الحلية من طريق أبي وائل عن ابن مسعود قال «ما أحد من الناس يوم القيامة إلا يتمنى أنه كان يأكل في الدنيا قوتاً».

(وقال ﷺ «ليس الغنى) بالكسر مقصوراً أي الحقيقي النافع المفيد **(عن كثرة العرض)**

الحرص والمبالغة في الطلب فقال: «ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة».

وروي أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال: أيّ عبادك أغنى؟ قال: أقنعهم بما أعطيته، قال: فأيهم أعدل؟ قال: من أنصف من نفسه. وقال ابن مسعود: قال رسول الله ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب». وقال أبو هريرة: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا هريرة إذا

محركة كما في المشارق وبفتح وسكون كما في المقاييس لابن فارس، والمراد به متاع الدنيا. قيل: وكأنه أراد بالعرض مقابل الجوهر، وعند أهل السنة مالا يبقى زمانين فشبه به متاع الدنيا في سرعة زواله وعدم بقائه يعني ليس الغنى المحمود ما حصل عن كثرة المتاع لأن كثيراً ممن وسع الله عليه لا ينتفع بما أوتي بل هو متجرد في الازدياد، ولا يبالي من أين يأتيه فكأنه فقير لشدة حرصه، فالفقير حريص ذاتي (**إنما الغنى**) المحمود المعتبر عند أهل الكمال (**غنى النفس**) أي استغناؤها بما قسم لها وقناعتها ورضاها به. وفي رواية: «ولكن الغنى» وفي أخرى «غنى القلب» بدل «غنى النفس». قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة.

قلت: ورواه كذلك أحمد، وهناد بن السري، والترمذي، وابن ماجه، ورجال أحمد رجال الصحيح، ورواه أيضاً أبو يعلى، والطبراني في الأوسط، والضياء من حديث أنس، وروى الديلمي بلا سند من حديث أنس« الغنى غنى النفس والفقر فقر النفس». وروى العسكري في الأمثال من طريق معاوية ابن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه، عن أبي ذر في حديث أوله «يا أبا ذر أترى أن كثرة المال هو الغنى إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب».

(**ونهى**) ﷺ (**عن شدة الحرص**) في الدنيا (**و**) عن (**المبالغة في الطلب**) لاعراضها الزائلة (**فقال: «ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة»**) رواه الحاكم من حديث جابر بنحوه وصححه، وقد تقدم في آداب الكسب والمعاش. وروى ابن ماجه: والحاكم والطبراني، والبيهقي من حديث أبي حميد الساعدي «أجملوا في طلب الدنيا فإنا كلاً ميسر لما كتب له». وعند ابن عساكر من حديث ابن عمر: «أجملوا في طلب الدنيا فإن الله قد تكفل بارزاقكم».

(**وروي أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال: أي رب أي عبادك أغنى؟ قال: أقنعهم بما أعطيته. قال: فايهم أعدل؟ قال: من أنصف من نفسه**). نقله صاحب القوت، (**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ «إن روح القدس نفث في روعي إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب»**) ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوا شيئاً من فضل الله بمعصية الله فإنه لن ينال ما عند الله إلا بطاعته». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القناعة، والعسكري في الأمثال، والحاكم بهذا اللفظ إلى قوله «إلا بطاعة»

اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار »، **وقال أبو هريرة** رضي الله عنه. قال رسول الله ﷺ: « كن ورعاً، تكن أعبد الناس، وكن **قنعاً** تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً »، ونهى رسول الله ﷺ عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري: أن أعرابياً أتى النبي ﷺ **فقال**: « يا رسول الله عظني وأوجز فقال: « إذا صليت فصلّ صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غداً، وأجمع اليأس مما في أيدي الناس »، وقال عوف بن مالك الأشجعي: كنا عند رسول الله

وليس عندهم « فاتقوا الله » وإنما فيه « فاجملوا » وقالوا: حتى تستوفي بدل تستكمل. ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أمامة وفيه « حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاجملوا في الطلب » والباقي سواء، وقد تقدم في آداب الكسب والمعاش، وكذا الكلام في النفث في الروع.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه، **(قال لي رسول الله ﷺ: « إذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار »)** أغفله العراقي، وقد تقدم ذكره في كتاب رياضة النفس، وهو في الكامل لابن عدي في ترجمة ماضي بن محمد بن مسعود الغافقي بلفظ « يا أبا هريرة إذا اشتد كلب الجوع فعليك برغيف وجر من ماء القراح وقل على الدنيا وأهلها من الدمار » ورواه البيهقي أيضاً كذلك.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: « كن ورعاً، تكن أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس، وأحب لأخيك ما تحب لنفسك تكن مؤمناً)**، وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً، وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الشعب من رواية وائل عن أبي هريرة، ورواه الخرائطي أيضاً من حديث أبي الدرداء بلفظ: « يا أبا الدرداء أحسن جوار من جاورك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، وارض بقسمة الله لك تكن من أغنى الناس؟ وسنده ضعيف وقد تقدم الكلام عليه في آداب الصحبة.

(ونهى ﷺ عن الطمع فيما رواه أبو أيوب الأنصاري) رضي الله عنه **(أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله عظني وأوجز. فقال « إذا صليت فصلّ صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غداً، واجمع اليأس مما في أيدي الناس »)** رواه ابن ماجه في الزهد من سننه من طريق عثمان بن جبير مولى أبي أيوب عنه ولفظه: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني وأوجز. قال: إذا قمت في صلاتك فصلّ صلاة مودع ولا تكلم بكلام يعتذر منه، واجمع اليأس عما في أيدي الناس ». ورواه ابن عساكر في التاريخ هكذا. ورواه الخرائطي في مكارم الاخلاق مقتصراً على الجملتين.

وفي الأمثال للعسكري من طريق القعنبي، حدثنا محمد بن أبي حمية، حدثني إسماعيل بن محمد بن

ﷺ - تسعة أو ثمانية أو سبعة - فقال: «ألا تبايعون رسول الله» قلنا: أوَليس قد بايعناك يا رسول الله؟ ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله» فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال

سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، عن جده أن رجلاً قال: يا رسول الله أوصني وأوجز، فقال «عليك باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصلّ صلاتك وأنت مودع وإياك وما يعتذر منه». وأخرجه أبو نعيم في المعرفة من حديث ابن أبي فديك، عن حماد بن أبي حميد وهو لقب محمد به. وقال: إن رجلاً من الأنصار. ورواه الحاكم في الرقاق من صحيحه من حديث أبي عامر القعدي، حدثنا محمد بن أبي حميد مثله بدون تعيين كونه من الأنصار، وقال: إنه صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وتعقب بان ابن أبي حميد مجمع على ضعفه، ويروى نحوه عن جابر مرفوعاً أخرجه الطبراني في الاوسط بلفظ: «إياكم والطمع فإنه هو الفقر وإياكم وما يعتذر منه».

وعن ابن عمر أخرجه القضاعي في مسنده من طريق ابن منيع، حدثنا الحسن بن راشد بن عبد ربه، حدثني أبي، عن نافع، عن ابن عمر قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله حدثني حديثاً واجعله موجزاً لعلي أعيه. فقال ﷺ: «صلّ صلاة مودع كأنك لا تصلي بعدها، وأيس مما في أيدي الناس تعش غنياً، وإياك وما يعتذر منه». وكذا هو في السادس من فوائد المخلص، حدثنا عبد الله هو البغوي ابن بنت أحمد بن منيع، حدثنا ابن راشد به. وأخرج العسكري عن ابن منيع أيضاً به. ورواه الطبراني في الأوسط، عن البغوي، حدثنا الحسن بن علي الواسطي، عن ابن أبي راشد، أخبرني أبي راشد، عن عبدالله عن نافع، سمعت ابن عمر وذكر نحوه بلفظ «صلاة مودع فإنك ان كنت لا تراه فإنه يراك». ورواه الدارقطني في الافراد وسمى ابن راشد الحسن كالجمهور، وقال: إنه غريب من حديث نافع عن ابن عمر. تفرد به راشد عنه ولم يروه عنه غير ابنه الحسن.

وعن سعد بن عمارة: أخرجه الطبراني في الكبير من طريق ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيره، عن سعد بن عمارة أخي بني سعد بن بكر، وكانت له صحبة أن رجلاً قال له: عظني في نفسي يرحمك الله. قال: «إذا انتهيت إلى الصلاة فاسبغ الوضوء فإنه لا صلاة لمن لا وضوء، ولا إيمان لمن لا صلاة له، ثم إذا صليت فصلّ صلاة مودع، واترك طلب كثير من الحاجات فإنه فقر حاضر، واجمع اليأس مما هو في أيدي الناس فإنه هو الغنى، وانظر مما يعتذر منه من القول والفعل فاجتنبه» وهو موقوف. وكذا أخرج البخاري في التاريخ من طريقين إلى ابن إسحاق قال في احداهما: إنه سعد، وفي الأخرى أنه سعيد، ورجح أنه سعد. وأخرجه أحمد في كتاب الإيمان، والطبراني، ورجاله ثقات، وقد تقدم ذلك في كتاب أسرار الصلاة مختصراً.

(وقال عوف بن مالك) بن أبي عوف **(الأشجعي)** الغطفاني، أبو حماد رضي الله عنه. من مسلمة الفتح وتحول إلى الشام في خلافة أبي بكر، فنزل حمص وبقي إلى أوّل خلافة عبد الملك بن مروان، ومات سنة ثلاث وسبعين، روى له الجماعة: **(كنا عند رسول الله ﷺ - تسعة أو ثمانية أو سبعة - فقال: «ألا تبايعون رسول الله ﷺ»؟ قلنا: أو ليس قد بايعناك يا رسول الله؟**

قائل منا، قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك؟ قال: « أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وتصلوا الخمس، وأن تسمعوا وتطيعوا » وأسر كلمة خفية: « ولا تسألوا الناس شيئاً »، قال: فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه.

الآثار: قال عمر رضي الله عنه: إن الطمع فقر وإن اليأس غنى وإنه من ييأس عما في أيدي الناس استغنى عنهم. وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك، وفي ذلك قيل:

العيش ســـــاعـــــات تمر ... وخطـــوب أيـــام تكـــر
اقنـــع بعيشـــك تـــرضـــه ... واتـــرك هـــواك تعيش حـــر
فلـــرب حتـــف ســـاقـــه ... ذهـــب ويـــاقـــوت ودر

وكان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى

ثم قال: « ألا تبايعون رسول الله »؟ فبسطنا أيدينا فبايعناه، فقال قائل منا: قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك؟ قال: « أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وتصلوا الصلوات الخمس، وتسمعوا وتطيعوا » وأسرّ كلمة خفية « ولا تسألوا الناس شيئاً » قال: فلقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه). قال العراقي: رواه مسلم من حديثه، ولم يقل فقال قائل، ولا قال وتسمعوا وقال: سوط أحدهم وهي عند أبي داود، وابن ماجه كما ذكرها المصنف اهـ.

قلت: وعزاه السيوطي في الجامع الكبير إلى مسلم، والنسائي، والطبراني في الكبير، وابن حبان ولفظهم « ألا تبايعون على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن تقيموا الصلوات الخمس، وتؤتوا الزكاة، وتسمعوا وتطيعوا ولا تسألوا الناس شيئاً ».

(الآثار قال عمر رضي الله عنه: إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى وإنه من يأس مما عند الناس استغنى عنهم). رواه هشام بن عروة عن أبيه. قال عمر: اعملوا فساقه. **(وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك، ولذلك قيل:**

(العيش ساعات تمر) وفي نسخة أوقات **(وخطوب أيام تكر)**

(اقنـــع بعيشـــك تـــرضـــه ... واتـــرك هـــواك تعيش حـــر)
(فلـــرب حتـــف ســـاقـــه ... ذهـــب ويـــاقـــوت ودر)

(وكان محمد بن واسع) البصري رحمه الله تعالى **(يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال سفيان)** الثوري رحمه الله

أحد. وقال سفيان: خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابليتم به ما خرج من أيديكم وقال ابن مسعود: ما من يوم إلا وملك ينادي: يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك. وقال سميط بن عجلان: إنما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار؟ وقيل لحكيم: ما مالك؟ قال: التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس. ويروى أن الله عز وجل قال: يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت، وإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن. وقال ابن مسعود، إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلباً يسيراً ولا يأتي الرجل فيقول: إنك وإنك فيقطع ظهره، فإنما يأتيه ما قسم له من الرزق أو ما رزق. وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم ـ يعزم عليه الا رفع إليه حوائجه ـ فكتب إليه: قد رفعت حوائجي إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني قنعت. وقيل لبعض الحكماء:

تعالى: (**خير دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما أبتليتم به ما خرج من أيديكم**) أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**ما مر يوم إلا وملك ينادي: يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك**) كذا في القوت. (**وقال سميط بن عجلان**) يروى بالسين المهملة والمعجمة: (**إنما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار**) ؟ كذا في القوت. (**وقيل لحكيم: ما مالك؟ قال: التجمل في الظاهر**) وهو أن يتجمل في ملبسه وهيئته، (**والقصد في الباطن**) أي يقتصد في أموره الباطنة فلا يفرط ولا يفرط، (**واليأس مما في أيدي الناس**) فلا ينتظر وصول شيء منها. وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق سفيان قال: قيل لأبي حازم ما مالك: قال، ثقتي بالله؟ وإياسي مما في أيدي الناس. (**ويروى: أن الله عز وجل قال:** يا ابن آدم **لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت، فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن**) نقله صاحب القوت. (**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**إذا طلب أحدكم الحاجة فليطلبها طلباً يسيراً**) أي قليلاً أو سهلاً، (**ولا يأتي الرجل فيقول: إنك**) كذا (**وإنك**) كذا يثني عليه (**فيقطع ظهره، فإنما يأتيه ما قسم له أو ما رزق**) شك من الراوي، وهو معنى الخبر السابق، فاجلوا إلى الطلب. (**وكتب بعض بني أمية إلى أبي حازم**) سلمة بن دينار الأعرج المدني رحمه الله تعالى (**ـ يعزم عليه الارفع إليه حوائجه، فكتب اليه: قد رفعت حوائجي إلى مولاي فما أعطاني منها قبلت وما أمسك عني قنعت**) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا يحي بن عبد الملك، حدثنا زمعة بن صالح قال: كتب بعض بني أميه إلى أبي حازم فساقه وفيه: فكتب إليه: أما بعد جاءني كتابك تعزم إلي الأ رفعت إليك حوائجي، وهيهات رفعت حوائجي إلى ربي تعالى، والباقي سواء، ثم ساقه من طريق آخر وفيه التصريح بأن المراد ببعض بني أمية سليمان ـ يعني ابن عبد الملك ـ وفيه: هيهات رفعت حاجتي إلى من لا تختزن

أيّ شيء أسر للعاقل وأيما شيء أعون على دفع الحزن؟ فقال: أسرها إليه ما قدم من صالح العمل، وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء. وقال بعض الحكماء: وجدت أطول الناس غماً الحسود، وأهنأهم عيشاً القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع، وأخفضهم عيشاً أرفضهم للدنيا، وأعظمهم ندامة العالم المفرط. وفي ذلك قيل:

أرفـه ببـال فتى أمسى على ثقـة ... ان الذي قسم الأرزاق يـرزقـه
فالعرض منه مصون لا يدنسـه ... والوجه منه جديـد ليس يخلقـه
إن القناعة من يحلـل بسـاحتهـا ... لم يلق في دهـره شيئـاً يـؤرقـه

وقد قيل أيضاً:

حتى متى أنـا في حـل وتـرحـال ... وطـول سعـي وإدبـار وإقبـال
ونـازح الدار لا أنفـك مغتربـاً ... عـن الأحبـة لا يـدرون مـا حـالي

الحوائج دونه فما أعطاني منها قنعت وما أمسك عني منها رضيت. **(وقيل لبعض الحكماء: أي شيء أسر للعاقل وأيما شيء أعون على دفع الحزن؟ قال: أسرها إليه ما قدم من صالح العمل، وأعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضاء)** نقله صاحب القوت. **(وقال بعض الحكماء: وجدت أطول الناس غماً الحسود، واهنأهم عيشاً القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص إذا طمع، وأحفظهم)** أي ألينهم **(عيشاً أرفضهم)** أي أتركهم **(للدنيا، وأعظمهم ندامة العالم المفرط)** أي الذي فرط في علمه فلم يعمل به، فيرى الذي عمل به قد نال مرتبة وهو منعها فتكثر ندامته حيث لا ينفع الندم، **(وقد قيل)**:

(أرفـه ببـال امـرىء يمسي على ثقـة ... إن الذي خلـق الأرزاق يـرزقـه)

وفي نسخة: ببال فتى أمسى وأرفه من الرفاهية وهي سعة العيش:

(فالعـرض منـه مصـون لا يـدنسـه ... والوجـه منـه جـديـد ليس يخلقـه)

وإخلاق الوجه إبلاؤه وهو كناية عن ذل السؤال الناشىء عن الحرص:

(إن القنـاعـة مـن يحلـل بسـاحتهـا ... لم يلـق في دهـره شيئـاً يـؤرقـه)

أي يحزنه ويؤلمه، **(وقيل أيضاً)**:

(حتى متى أنـا في حـل وتـرحـالي ... وطـول سعـي وإدبـار واقبـال)
(ونـازح الدار لا أنفـك مغتربـاً ... عن الأجنة[1] لا يـدرون مـا حـالي)

---

(١) في الإحياء: «الأحبة» بدلاً من «الأجنة».

بمشرق الأرض طـوراً ثم مغـربها   لا يخطر الموت من حرصي على بـالي
ولـو قنعـت أتـاني الرزق في دعـة   إن القنـــوع الغنى لا كثرة المال

وقال عمر رضي الله عنه: ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى: حلتان لشتائي وقيظي، وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي، وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم، فوالله ما أدري أيحل ذلك أم لا؟ كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها؟ وعاتب أعرابي أخاه على الحرص

(بمشرق الأرض طـوراً ثم مغـربها   لا يخطر الموت من حرصي على بـالِ)
(ولـو قنعـت أتـاني الرزق في دعـة   إن القنـــوع الغنى لا كثرة المال)

ومعناه ما مر في الخبر أن الغني غني النفس، وانه ليس بكثرة المال، وفي خبر آخر: القناعة كنز لا يفنى أي فهو الغنى الأكبر، وروى العسكري في الأمثال من طريق ابن عائشة قال: قال أعرابي: يسار النفس أفضل من يسار المال، ورب شبعان من النعم غرثان من الكرم، وأنشد ابن دريد لسالم ابن وابصة:

غني النفس ما يغنيك مـن سـدّ حـاجـة   فإن زاد شيئاً عـاد ذاك الغنـى فقـرا

وأنشد يعقوب بن إسحاق الكندي لنفسه:

أضـــاق الذنـــابي على الارؤس   فغمـــض جفـــونـــك أو نكسِ
وضـائـل ســوادك واقبـض يـديـ   ـك وفي قعـر بيتـك فـاستجلسِ
وعنـــد مليكـــك فـابـــغ العلـ   ـو وبـالـواحـدة اليـوم فـاستـأنسِ
فـــإن الغنـــى في قلـــوب الرجـــا   ل وإن التعـــــــزز للأنفسِ
وكـأيـــن تـرى مـــن أخـــي عسرة   غنـــــى وذو ثــــــروة مفلس
ومـــن قـــائـــم شخصـــه ميـــت   على أنـــه بعـــد لم يـــرمسِ

(وقال عمر رضي الله عنه: ألا أخبركم بما أستحل من مال الله عز وجل: جلبابي لشتائي وقيظي) كما قال الشاعر:

مـــن يـــك ذا بـــتٍ فهـــذا بتي   مقيـــــظ مصيـــــف مشتي

(وما يسعني من الظهر) أي الراحلة أركبها **(لحمي وعمرتي وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بأرفعهم ولا بأوضعهم، ووالله ما أدري أيحل ذلك لي أم لا؟ كأنه شك في أن هذا القدر هل هو زيادة على الكفاية التي تجب القناعة بها)**؟ وهذا معروف في زهد عمر والتقلل من الدنيا. وقد روى سيف بن عمر، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر قال: جمع عمر الناس عند فتح القادسية ودمشق فقال: إني كنت امرءاً تاجراً يغني الله عيالي بتجارتي وقد شغلت بأمركم فما ترون فيما يحل لي من هذا المال؟ فأكثر القوم وعلي ساكت، فقال:

فقال: يا أخي أنت طالب ومطلوب، يطلبك من لا تفوته وتطلب أنت ما قد كفيته، وكأن ما غاب عنك قد كشف لك، وما أنت فيه قد نقلت عنه، كأنك يا أخي لم تر حريصاً محروماً وزاهداً مرزوقاً. وفي ذلك قيل:

أراك يزيدك الإثراء حرصاً ... على الدنيا كأنك لا تموت

فهل لك غاية إن صرت يوماً ... إليها قلت حسبي قد رضيت

وقال الشعبي: حكي أن رجلاً صاد قنبرة فقالت: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وآكلك، قالت: والله ما أشفي من قرم ولا أشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي. أما واحدة: فأعلمك وأنا في يدك، وأما الثانية: فإذا صرت على الشجرة، وأما الثالثة: فإذا صرت على الجبل. قال: هات الأولى، قالت: لا تلهفن على ما فاتك، فخلاها فلما صارت على الشجرة قال: هات الثانية، قالت: لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون، ثم طارت فصارت على الجبل، فقالت: يا شقي لو ذبحتني لأخرجت

ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف ليس إلاَّ، فقال: القول ما قال علي.

(وعاتب أعرابي أخاه على الحرص فقال: يا أخي أنت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب أنت ما قد كفيته، وكان من غاب عنك قد كشف لك، وما أنت فيه نقلت عنه، كأنك يا أخي لم تر حريصاً محروماً وزاهداً مرزوقاً . وقيل في ذلك):

(أراك يزيدك الإثراء حرصاً ... على الدنيا كأنك لا تموتُ)

(فهل لك غاية إن صرت يوماً ... إليها قلت حسبي قد رضيتُ)

(وقال) عامر بن شراحيل **(الشعبي)** رحمه الله تعالى: **(حكي أن رجلاً)** فيما مضى من الزمان **(صاد قنبرة)** بضم القاف وسكون النون ضرب من العصافير لغة في قبرة كسكرة وكان النون بدل من أحد حرفي التضعيف ويضم الثالث ويفتح والجمع قنابر **(فقالت)** بلسان حالها للصائد: **(ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وآكلك، قالت: والله ما أشفي من قرم)** محركة شدة الشهوة للأكل **(ولا أشبع من جوع، ولكن أعلمك ثلاث خصال هن خير لك من أكلي. أما واحدة: فأعلمك وأنا في يدك، وأما الثانية: فإذا صرت على الشجرة، وأما الثالثة: فإذا صرت على الجبل. قال: هات الأولى. قالت: لا تلهفن على ما فات)** أي لا تتحسر على الفائت، فإن الحسرة على الفوات عبث **(فخلاها)** من يده فطارت، **(فلما صارت على الشجرة قال: هات الثانية . قالت: لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون، ثم طارت فصارت على الجبل فقالت: يا شقي لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي)** بتشديد اللام وقد تخفف **(درتين في كل**

من حوصلتي درتين زنة كل درة عشرون مثقالاً. قال: فعض على شفته وتلهف وقال: هات الثالثة، قالت: أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة؟ ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنه يكون، أنا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالاً فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالاً؟ ثم طارت فذهبت. وهذا مثال لفرط طمع الآدمي؟ فإنه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون. وقال ابن السماك: إن الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك. وقال أبو محمد اليزيدي: دخلت على الرشيد فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب، فلما رآني تبسم، فقلت: فائدة أصلح الله أمير المؤمنين؟ قال: نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتها، وقد أضفت إليها ثالثاً وأنشدني:

إذا سدّ باب عنك من دون حاجة ... فدعه لأخرى ينفتح لك بابُها

واحدة عشرون مثقالاً) أي زنة كل درة كذلك. **(قال الراوي: فعض)** الصائد **(على شفتيه وتلهف)** على تخليتها من يده **(وقال: هات الثالثة. قالت: أنت قد نسيت الاثنتين فكيف أخبرك بالثالثة؟ ألم أقل لك لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنه يكون. أنا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالاً فكيف يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالاً؟ ثم طارت فذهبت)** أخرجه أبو نعيم في الحلية، عن أبيه، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عبدالله الرازي، عن مسلمة بن علقمة، عن داود، عن الشعبي فذكره سواء. **(وهذا مثال لفرط طمع الآدمي فإنه يعميه عن درك الحق حتى يقدر)** في نفسه **(ما لا يكون)** من المتخيلات **(أنه يكون. وقال ابن السماك)** وهو محمد بن صبيح البغدادي الواعظ رحمه الله تعالى: **(إن الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك)** نقله صاحب القوت. **(وقال أبو محمد)** يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي مولى عدي بن مناة **(اليزيدي)** منسوب إلى يزيد بن منصور الحميري، قال المهدي: لأنه أدب أولاده فنسب إليه وأدب المأمون. روي عن أبي عمرو بن العلاء، وابن جريج، وقرأ لأبي عمرو وهو صدوق عالم باللغة والنحو، وله تصانيف حسنة مات سنة ٢٥٢. وأولاده محمد وعبدالله وإسماعيل وإسحاق شعراء. وممن روى عن أبي محمد اليزيدي أبو شعيب صالح بن زياد بن عبدالله بن جارود الرقي: **(دخلت على الرشيد)** هارون بن المهدي **(فوجدته ينظر في ورقة مكتوب فيها بالذهب، فلما رآني تبسم فقلت: فائدة أصلح الله أمير المؤمنين؟ قال: نعم وجدت هذين البيتين في بعض خزائن بني أمية فاستحسنتها وقد أضفت إليها ثالثاً وأنشدني:**

(إذا سد باب عنك من دون حاجة ... فدعه لأخرى ينفتح لك بابها)

فإن قـراب البطـن يكفيـك ملـؤه ويكفيك سوءات الأمور اجتنـابُهـا
ولا تكُ مبذالاً لعرضـك واجتنـب ركوب المعـاصي يجتنبـك عقـابُهـا

وقال عبدالله بن سلام لكعب : ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وعقلوها ؟ قال : الطمع وشره النفس وطلب الحوائج . وقال رجل للفضيل : فسِّر لي قول كعب ، قال : يطمع الرجل في الشيء يطلبه فيذهب عليه دينه ، وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء ويكون لك إلى هذا حاجة وإلى هذا حاجة ، فإذا قضاها لك خزم أنفك وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له . فمن حبك للدنيا سلمت عليه إذ مررت به ، وعدته إذا مرض لم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله ، فلو لم يكن لك إليه حاجة كان خيراً لك . ثم قال : هذا خير لك من مائة حديث عن فلان عن فلان . وقال بعض الحكماء : من عجيب أمر الإنسان أنه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال . وقال عبد الواحد بن زيد : مررت براهب

(فإن قراب البطن يكفيك ملـؤه ويكفيك سوءات الأمور اجتنابها)
ولا تكُ مبذالاً لعرضك واجتنـب ركوب المعاصي يجتنبك عقـابها)

أخرجه ابن أبي الدنيا في أخبار الخلفاء .

(وقال عبدالله بن سلام) رضي الله عنه **(لكعب)** الأحبار رحمه الله تعالى : **(ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد إذ وعوها وعقلوها ؟ قال : الطمع وشره النفس وطلب الحوائج . فقال رجل للفضيل : فسر لي قول كعب ، قال يطمع الرجل في الشيء فيطلبه فيذهب عليه دينه ، وأما الشره فشره النفس في هذا وفي هذا حتى لا تحب أن يفوتها شيء وتكون لك إلى هذا حاجة وإلى حاجة ، فإذا قضاها لك خزم أنفك)** أي جعل فيها شبه الخزام في أنف الناقة **(وقادك حيث شاء واستمكن منك وخضعت له . فمن حبك للدنيا سلمت عليه إذا مررت به ، وعدته إذا مرض ولم تسلم عليه لله عز وجل ولم تعده لله ، فلو لم تكن لك إليه جاجة كان خيراً لك ، ثم قال)** الفضيل للسائل : **(هذا خير لك من مائة حديث عن فلان وفلان)** أخرجه ابن أبي الدنيا ، **(وقال بعض الحكماء : من عجيب أمر الإنسان أنه لو نودي بدوام البقاء في أيام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص على الجمع أكثر مما قد استعمله مع قصد مدة التمتع وتوقع الزوال)** أخرجه ابن أبي الدنيا . **(وقال عبد الواحد بن زيد)** البصري رحمه الله تعالى : **(مررت براهب)** في صومعة **(فقلت له : من أين تأكل ؟**

فقلت له: من أين تأكل؟ قال: من بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحا يأتيها بالطحين ـ وأومأ بيده إلى رحا أضراسه ـ فسبحان القدير الخبير.

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي يكتسب به صفة القناعة:

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان: الصبر والعلم والعمل، ومجموع ذلك خمسة أمور.

الأول: وهو العمل. الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق، فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخرج ما أمكنه، ويرد نفسه إلى ما لا بدّ له منه، فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لم تمكنه القناعة، بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن ويقنع بأي طعام كان، ويقلل من الأدام ما أمكنه، ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال فيردّ كل واحد إلى هذا القدر، فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد. ويمكن معه الإجمال في الطلب والاقتصاد في المعيشة وهو الأصل في القناعة، ونعني به الرفق في الإنفاق وترك الخرق فيه. قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله».

فقال: من بيدر اللطيف الخبير جل جلاله (**الذي خلق الرحا هو يأتيها بالطحين وأومأ بيده إلى رحا أضراسه**) أخرجه ابن أبي الدنيا.

بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي تكتسب به صفة القناعة:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان**) هي أساسه: (**الصبر والعلم والعمل، ومجموع ذلك خمسة أمور**).

(**الأول: وهو العمل**) وذلك (**الاقتصاد في المعيشة**) أي الاعتدال فيها (**والرفق في الإنفاق، فمن أراد عز القناعة فينبغي أن يسد على نفسه أبواب الخرج**) أي ما يصرف في اللوازم الضرورية (**ما امكنه، ويرد نفسه إلى ما لا بد منه، فمن كثر خرجه واتسع إنفاقه لم تمكنه القناعة، بل إن كان وحده فينبغي أن يقنع بثوب واحد خشن**) من قطن أو صوف (**ويقنع بأي طعام كان، ويقلل من الأدام ما أمكنه، ويوطن نفسه عليه**) تدريجاً (**وإن كان له عيال فيرد كل وحد إلى هذا القدر، فإن هذا القدر يتيسر بأدنى جهد ويمكن معه الإجمال في الطلب**) المأمور به في الخبر، (**فالإقتصاد في المعيشة هو الأصل في القناعة**) ففي الخبر عن ابن عمر مرفوعاً: «الإقتصاد في النفقة نصف المعيشة» رواه البيهقي، والعسكري وابن السني، والديلمي، وعند الطبراني، وابن لال من حديث أنس: «الاقتصاد نصف العيش». (**ونعني به الرفق في الإنفاق وترك الخرق فيه**) وهو سوء العمل. (**قال ﷺ: «إن الله يحب الرفق في الأمر كله**») أخرجه الشيخان من حديث عائشة وقد تقدم في كتاب ذم الغضب.

وقال ﷺ: «ما عال من اقتصد». وقال ﷺ: «ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر، والعدل في الرضا والغضب». وروي أن رجلاً أبصر

(وقال ﷺ: «ما عال) أي ما افتقر (من اقتصد») أي في معيشته أي من أنفق قصد أو لم يجاوزه إلى الإسراف. قال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود، ومن حديث ابن عباس بلفظ: «مقتصد» وكلاهما ضعيف انتهى.

قلت: روياه من طريق إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود وكذلك رواه القضاعي وهو عند العسكري من طريق سكين بن عبد العزيز عن الهجري بلفظ: «لا يعيل أحد على قصد ولا يبقى على سرف كثير». وروياه أيضاً من طريق أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس بلفظ: «ما عال مقتصد» إلا أن الطبراني زاد «قط» وقد ورد في الاقتصاد أخبار كثيرة. منها ما تقدم عن ابن عمر وأنس.

ومن ذلك ما رواه العسكري من حديث أبي بلال الأشعري، حدثنا عبدالله بن حكيم المدني، عن شبيب بن بشر عن أنس رفعه «السؤال نصف العلم والرفق نصف المعيشة وما عال امرؤ في اقتصاد».

وروى الحاكم ومن طريقه الديلمي من حديث عمير بن صبح عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أبي أمامة رفعه «السؤال نصف العلم والرفق نصف المعيشة وما عال من اقتصد».

وروى العسكري من طريق عثمان بن عمر بن خالد بن الزبير، عن أبيه عن علي بن الحسين، عن أبيه عن علي رفعه: «التودد نصف الدين وما عال امرؤ قط عن اقتصاد» الحديث.

وروى الطبراني في الصغير، والقضاعي من طريق عبد القدوس بن حبيب، عن الحسن عن أنس رفعه: «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد» وقد عقد البيهقي في الشعب للاقتصاد في النفقة باباً.

(وقال ﷺ: «ثلاث) خصال (منجيات) من عذاب الله تعالى، (خشية الله) أي خوفه (في السر والعلانية) قدم السر لأن تقوى الله فيه أعلى درجة من المعلن لما يخاف فيها من شوب رؤية الناس، وهذه درجة المراقبة وخشية فيها تمنع من ارتكاب كل منهي عنه وتحثه على فعل كل مأمور، (والقصد في الغنى والفقر) وفي لفظ بتقديم الفقر على الغنى، والمراد التوسط فيهما في الإنفاق ونحوه، (والعدل في) حالتي (الرضا والغضب») فلا يحمله الغضب على الجور، ولا الرضا على الوقوع في محذور لأجل المخلوق. قال العراقي: رواه البزار، والطبراني، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب من حديث أنس بسند ضعيف انتهى.

قلت: هو في الأوسط للطبراني وفيه زيادة: «وثلاث مهلكات: هوى متبع، وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه» وكذلك رواه أبو الشيخ في التوبيخ، وروى العسكري في الأمثال، وأبو

أبا الدرداء يلتقط حباً من الأرض وهو يقول: إن من فقهك رفقك في معيشتك. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: «الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوّة».

وفي الخبر: «التدبير نصف المعيشة». وقال ﷺ: «من اقتصد أغناه الله، ومن بذر

إسحاق إبراهيم بن أحمد المراغي في ثواب الأعمال من حديث ابن عباس: «ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث درجات، وثلاث كفارات». فذكر الحديث وفيه قيل: وما المنجيات؟ قال: «تقوى الله في السر والعلانية، والاقتصاد في الفقر والغنى، والعدل في الرضا والغضب» الحديث. وقد رواه أيضاً الخطيب في التاريخ هكذا. ورواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر. قال العلائي: سنده ضعيف، وعده في الميزان من المناكير. قال الهيثمي فيه ابن لهيعة ومن لا يعرف.

(وروي أن رجلاً أبصر أبا الدرداء) رضي الله عنه **(يلتقط حباً من الأرض ويقول: إن من فقهك رفقك في معيشتك)**. رواه ابن عدي في الكامل، والبيهقي في الشعب من حديثه مرفوعاً بلفظ: «من فقهك رفقك في معيشتك» ورواه أحمد والطبراني في الكبير بلفظ: «من فقه الرجل رفقه في معيشته». ورواه أبو نعيم في الحلية من قوله ولم يرفعه قال: حدثنا إبراهيم بن عبدالله، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الفرج بن فضالة، عن لقمان بن عامر، عن أبي الدرداء قال: من فقه الرجل رفقه في معيشته.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه، **(قال النبي ﷺ: «الاقتصاد)** أي في الأمور بين طرفي الإفراط والتفريط **(وحسن السمت والهدي الصالح)** أي أخذ المنهج ولزوم المحجة **(جزء من بضع وعشرين جزءاً من النبوة»)** أي هذه الخصال من شمائل أهل النبوة وجزء من أجزاء فضائلهم فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها، فليس معناه أن النبوة تتجزأ ولا أن من جمع هذه الخلال صار فيه جزء من النبوة لأنها غير مكتسبة، أو المراد أن هذه الخلال مما جاءت به النبوة ودعا إليها الأنبياء، أو أن من جمعها ألبسه الله لباس التقوى الذي ألبسه الأنبياء فكأنها جزء منها. قال العراقي: رواه أبو داود من حديث ابن عباس مع تقديم وتأخير وقال: السمت الصالح. وقال: من خمسة وعشرين. ورواه الترمذي وحسنه من حديث عبدالله بن سرجس، وقال: التؤدة بدل الهدي الصالح. وقال: من أربعة انتهى.

قلت: حديث عبدالله بن سرجس المزني أخرجه الترمذي في البر بلفظ: «السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة» قال الصدر المناوي: رجاله موثوقون، ورواه عبد بن حميد، وابن أبي عاصم والطبراني في الكبير، والخطيب، والضياء بلفظ: «التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة».

(وفي الخبر: «التدبير نصف العيش») أي النظر في عواقب الإنفاق إذ به يحترز عن

أفقره الله، ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله». وقال ﷺ: «إذا أردت أمراً فعليك

الإسراف والتقتير قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس، وفيه خلاد بن عيسى جهله العقيلي ووثقه ابن معين انتهى.

قلت: ورواه العسكري، والطبراني، وابن لال من طريق خلاد بن عيسى، عن ثابت عن أنس، ولكن بلفظ: «الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق نصف الدين». ورواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث علي بلفظ المصنف، لكن بزيادة: «والتؤدة نصف العقل والهم نصف الهرم وقلة العيال أحد اليسارين». قال العامري: شارحه حسن غريب، وتعقب بأن فيه ابن لهيعة، وفيه أيضاً إسحاق بن إبراهيم الشامي أورده الذهبي في الضعفاء وقال له مناكير، وقد رويت هذه الزيادة في سياق الديلمي أيضاً إلا أنه قال: والتؤدي بدل التؤدة ورواه البيهقي بنحوه من قول ميمون بن مهران، ولابن حبان في صحيحه من حديث طويل عن أبي ذر أن النبي ﷺ قال له: «يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق» وقال بعضهم: لولا أن النبي ﷺ قال: «التدبير نصف العيش» لقلت بل هو العيش كله. وهذا لا يعارض قول الصوفية أرح نفسك عن التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك ما ذاك إلا لأن الكلام هنا في تدبير صحبه تفويض، وكلامهم فيما لا يصحبه وعلى هذا يحمل جميع ما أورده العارف ابن عطاء الله قدس سره في كتابه الذي سماه (**التنوير في إسقاط التدبير**).

(**وقال ﷺ: «من اقتصد**) في أموره كلها (**أغناه الله تعالى، ومن بذر**) أي أسرف وتجاوز عن الحدود (**أفقره الله، ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله»**) قال العراقي: رواه البزار من حديث طلحة بن عبيدالله دون قوله: ومن ذكر الله أحبه الله» وشيخه فيه عمران بن هارون البصري. قال الذهبي: شيخ لا يعرف حاله أتى بخبر منكر أي هذا الحديث، ولأحمد وأبي يعلى من حديث لأبي سعيد «ومن أكثر ذكر الله أحبه الله» وسيأتي في ذم الكبر انتهى.

قلت: لفظ البزار في مسنده عن طلحة قال: كنا نمشي مع رسول الله ﷺ بمكة وهو صائم فأجهده الصوم فحلبنا له ناقة في قعب وصببنا عليه عسلاً نكرمه به عند فطره، فلما غابت الشمس ناولناه، فلما ذاقه قال بيده كأنه يقول: ما هذا؟ قلنا لبناً وعسلاً أردنا أن نكرمك به أحسبه قال أكرمك الله بما أكرمتني أو دعوة هذا معناها، ثم قال: من اقتصد أغناه الله، ومن بذر افقره الله، ومن تواضع رفعه الله، ومن تجبر قصمه الله قال الهيثمي: وفيه ممن لم أعرفه إثنان.

وأما عمران بن هارون البصري فوجدت بخط الحافظ ابن حجر ما نصه، قال البزار: كان مستوراً ولم يذكره الذهبي في المغني وقال في ذيله ما نصه: عمران بن هارون المقدسي الصوفي عن ابن لهيعة، والليث قال ابن يونس في حديثه لين، وقال أبو زرعة: صدوق انتهى. فلا أدري هو الذي عناه الذهبي أو غيره والله أعلم.

بالتؤدة حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً » والتؤدة في الإنفاق من أهم الأمور.

الثاني: أنه إذا تيسر له في الحال ما يكفيه فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل، ويعينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له لا بدّ وأن يأتيه وإن لم يشتد حرصه، فإن شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الأرزاق، بل ينبغي أن يكون واثقاً بوعد الله تعالى إذ قال عز وجل: ﴿وما مِنْ دَابَّة في الأرض إلا على الله رِزقُها﴾ [هود: ٦] وذلك لأن الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول: إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز وتحتاج إلى احتمال الذل في السؤال، فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفاً من التعب ويضحك عليه في

وأما حديث: « من أكثر ذكر الله أحبه الله » فقد رواه ابن شاهين من حديث عائشة.

(وقال ﷺ: « إذا أردت أمراً فعليك بالتودة حتى يجعلك الله لك فرجاً ومخرجاً) قال العراقي: رواه ابن المبارك في البر والصلة وقد تقدم انتهى.

قلت: رواه عن أبي جعفر عبدالله بن المسور الهاشمي المدايني مرسلاً، والذي تقدم لفظه: « إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كان خيراً فامضه وإن كان شراً فانته » وهكذا رواه في كتاب الزهد. وأما لفظ المصنف فأخرجه البخاري في الأدب المفرد وابن أبي الدنيا في ذم الغضب، والبغوي، والخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي، وابن عساكر من حديث رجل من بلى ولفظهم جميعاً « حتى يريك الله منه المخرج ».

(والتؤدة في الإنفاق من أهم الأمور) وقد روى أبو داود، والحاكم، والبيهقي من حديث سعد بن أبي وقاص: « التؤدة كل شيء خير إلا في عمل الآخرة ».

(الثاني: إذا تيسر له في الحال ما يكفيه) مما يصرفه على نفسه وعياله من قوت أو دراهم، **(فلا ينبغي أن يكون شديد الاضطراب)** كثير القلق **(لأجل المستقبل، ويعينه على ذلك قصر الأمل والتحقق بأن الرزق الذي قدر له)** من الأزل **(لا بد وأن يأتيه)** من حيث كان، **(وإن لم يشتد حرصه)** وطلبه **(فإن شدة الحرص ليست هي السبب لوصول الأرزاق، بل ينبغي أن يكون واثقاً بوعدالله تعالى)** الذي لا يخلف **(إذ قال)** في كتابه العزيز: **(وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها)** أي قد ضمن أن يرزقها فيتحقق أن الرزق مضمون وأن وعد الله لا يتخلف، **(وذلك لأن الشيطان يعده الفقر ويأمره بالفحشاء ويقول)** من جلة ما يعده: **(إن لم تحرص على الجمع والادخار فربما تمرض وربما تعجز)** عن الكسب والسعي، **(وتحتاج إلى احتمال الذل في السؤال)** وهو أمر شديد لا تحتمله، **(فلا يزال طول العمر يتعبه)** الشيطان **(في الطلب)** والسعي **(خوفاً من التعب ويضحك عليه في احتماله**

إحتماله التعب نقداً مع الغفلة عن الله لتوهم تعب في ثاني الحال، وربما لا يكون. وفي مثله قيل:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله   مخافة فقر فالذي فعل: الفقر

وقد دخل ابنا خالد على رسول الله ﷺ فقال لهما: «لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى»، ومرّ رسول الله ﷺ بابن مسعود وهو حزين فقال له: «لا تكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق يأتك».

التعب نقداً) حاضراً **(مع الغفلة عن الله)** وعن وعده **(لتوهم تعب في ثاني حال)** نسيئة، **(وربما لا يكون وفي مثله قيل)** قائله المتنبي:

(ومن ينفق الساعات في جمع ماله   مخافة فقر فالذي فعل: الفقر)

أي إنفاق نفيس عمره في إتعاب النفس على مضمون خشية أن يفتقر هو عين الفقر الحاضر، **(وقد دخل)** حبة وسواء **(ابنا خالد)** من بني عامر بن صعصعة، وقيل: خزاعة نزلا الكوفة **(على رسول الله ﷺ فقال لهما: «لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما)** أي ما تحركت **(فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله تعالى»)** رواه أحمد وهناد، وابن ماجه، وابن حبان، والبغوي، والباوردي، وابن قانع، والبيهقي والطبراني، والضياء من حديث حبة وسواء إلا أنهم قالوا: ثم يعطيه الله تعالى ويرزقه. قال البغوي: وما لسواء غيره وقد تقدم.

(ومر رسول الله ﷺ بابن مسعود) عبدالله رضي الله عنه **(وهو حزين فقال: «لا يكثر همك)** وفي لفظ: لا تكثر همك **(ما يقدر يكن وما ترزق يأتك»)** قال العراقي: رواه أبو نعيم من حديث خالد بن رافع، وقد اختلف في صحبته ,رواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب من رواية مالك بن عمر والمعافي مرسلاً انتهى.

قلت: وقد رواه أيضاً ابن ماجه في القدر، والديلمي، وابن النجار من حديث ابن مسعود، ورواه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد، والخرائطي، وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم، والبيهقي، وابن عساكر من حديث مالك بن عبادة الغافقي. ورواه البغوي، وابن قانع، وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم، والبيهقي، وابن عساكر، وأبو نعيم من حديث خالد بن رافع. وقال البغوي: ولا أعلم له غيره ولا أدري له صحبة أم لا. ورواه ابن يونس في تاريخ من دخل مصر من الصحابة من طريق عياش بن عياش عن أبي موسى الغافقي، واسمه مالك بن عبدالله أن النبي ﷺ نظر إلى ابن مسعود فقال: «لا يكثر همك ما يقدر يكون وما ترزق يأتيك». وقال الحافظ في الإصابة: خالد ابن رافع ذكره البخاري فقال: يروي عن النبي ﷺ، وعنه مالك بن عبدالله، وقد ذكره ابن حبان فقال: يروي المراسيل، وأخرج حديثه ابن منده من طريق سعيد بن أبي مريم، عن نافع بن يزيد المعري، عن عياش بن عبدالله بن مالك المعافري أن جعفر بن عبدالله بن الحكم حدثه عن خالد بن رافع أن رسول الله ﷺ قال لابن مسعود فذكره. قال سعيد: وحدثنا يحيى بن أيوب، وابن لهيعة، عن عياش عن

وقال ﷺ : « ألا أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة » ، ولا ينفك الإنسان عن الحرص إلا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد ، وأن ذلك يحصل لا محالة مع الإجمال في الطلب ، بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر . قال الله تعالى: ﴿ومَنْ يتق الله يجعل له مخرجاً ★ ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٢ ، ٣] فإذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه ، فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله. وقال ﷺ : « أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب ».

مالك بن عبدالله. قال ابن منده وقال غيره ، عن عياش عن جعفر عن مالك مثله. ورواه البغوي من رواية سعيد عن نافع ، وذكر الأختلاف في صحبة خالد وأخرجه ابن أبي عاصم من طريق سعيد بن أيوب عن عياش بن عياش ، عن مالك بن عبدالله المعافري أن النبي ﷺ قال لابن مسعود فذكره ، ولم يذكر خالد بن رافع. والإضطراب فيه من عياش بن عياش فإنه ضعيف. وقال في ترجمة مالك بن عبدالله المعافري ، قال ابن يونس: ذكر فمن شهد فتح مصر ، وله رواية عن أبي ذر روى عنه أبو قبيل ، وقال أبو عمر روى عن النبي ﷺ أنه قال: « لا يكثر همك ما يقدر يكن وما ترزق يأتك » قال الحافظ: وهذا الحديث أخرجه ابن أبي خيثمة وابن أبي عاصم في الوحدات ، والبغوي كلهم من طريق أبي مطيع معاوية بن يحيى ، عن سعيد بن أيوب ، عن أيوب ، عن عياش بن عياش العقباني ، عن جعفر بن عبدالله بن الحكم ، عن مالك بن عبدالله المعافري أن النبي ﷺ قال لابن مسعود فذكره. هذا سياق الحسن بن سفيان ، وسقط جعفر من رواية الآخرين. قال البغوي: لم يروه غير أبي مطيع وهو متروك الحديث. وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من طريق أخرى عن العقباني فقال عن مالك بن عبادة الغافقي.

(وقال ﷺ : « إلا أيها الناس اجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ، ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ») تقدم قبل هذا بثلاثة عشر حديثاً وأنه رواه الحاكم من حديث جابر بنحوه ، وتقدم أيضاً في كتاب الكسب والمعاش. **(ولا ينفك الإنسان عن الحرص إلا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير أرزاق العباد ، وأن ذلك يحصل لا محالة مع الإجمال في الطلب ، بل ينبغي أن يعلم أن رزق الله للعبد من حيث لا يحتسب أكثر)** من حيث يحتسب. **(قال الله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ★)** مما هو فيه **(ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾)** أي يرزقه فرجاً وخلاصاً من المضار من حيث لا يخطر بباله ، **(فإذا انسد عليه باب كان ينتظر الرزق منه ، فلا ينبغي أن يضطرب قلبه لأجله وقال ﷺ : « أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب »)** أي من جهة لا تخطر بباله ولا تتخالج في آماله ، والمراد بالمؤمن الكامل كما يؤذن بـه إضـافتـه إليـه ، وهو من انقطع إلى الله ومحض قصده للالتجاء إليه بدليل خبر الطبراني: « من انقطع إلى الله كفاه

وقال سفيان: اتق الله فما رأيت تقياً محتاجاً أي لا يترك التقي فاقداً لضرورته، بل يلقي

الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها» والرزق إذا جاء من حيث لا يحتسب كان آمناً. فالمؤمن من الكامل يشهد الرزق بيد الرازق يخرج من مشيئة الغيب فيجريه بالأسباب، فإذا شهد ذلك كان قلبه مراقباً لما يصنع مولاه وعينه ناظرة لمختاره له معرضة عن النظر للأسباب، فالساقط عن قلبه محبة الرزق من أين وكيف ومتى بحيث لا يتهم ربه في قضائه يؤتي رزقه صفواً عفواً، والمتعلق بالأسباب قلبه جوّال فإن لم يدركه لطف فهو كالهمج في المزابل يطير من مزبلة إلى مزبلة حتى يجمع أوساخ الدنيا ثم يتركها وراء ظهره ويلقي الله بإيمان سقيم وينادي عليه هذا جزاء من أعرض عن الله واتهم مولاه فلم يرض بضمانه. قال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث علي بإسناد واهٍ، ورواه ابن الجوزي في الموضوعات انتهى.

قلت: ورواه الديلمي من طريق عمر بن راشد، عن عبد الرحمن بن حرملة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رفعه بهذا إلا أنه قال: «من حيث لا يعلم» وابن راشد ضعيف جداً.

ورواه القضاعي في مسنده من طريقه فقال: حدثنا مالك بن أنس، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده قال: اجتمع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح فتماروا في شيء فقال لهم علي: انطلقوا إلى رسول الله ﷺ، فلما وقفوا عليه قالوا: يا رسول الله جئنا نسألك عن شيء؟ فقال: «إن شئتم، فاسألوا إن شئتم خبرتكم بما جئتم له. فقال لهم: جئتم تسألوني عن الرزق من أين يأتي، وكيف يأتي أبى الله». وذكره وهو أيضاً ضعيف. قال السخاوي: لكن معناه صحيح ففي التنزيل ﴿ومن يتق الله﴾ الآية.

وأما لفظ ابن حبان في الضعفاء، فهو ما أخرجه العسكري في الأمثال، والبيهقي في الشعب من طريق عثمان بن عمر بن خالد بن الزبير، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبيه عن علي مرفوعاً: «إنما تكون الصنيعة إلى ذي دين أو حسب وجهاد الضعفاء الحج وجهاد المرأة حسن التبعل لزوجها والتودد نصف الإيمان وما عال امرؤ على اقتصاد واستنزلوا الرزق بالصدقة وأبى الله إلا أن يجعل أرزاق عباده المؤمنين من حيث لا يحتسبون». وهذا السياق هو الذي عناه ابن الجوزي وحكم عليه بالوضع، وقد نوزع فيه. والصحيح ما قاله البيهقي فإنه ذكر بعد أن أخرجه في الشعب هذا حديث لا أحفظه على هذا الوجه إلا بهذا الإسناد وهو ضعيف بمرة، وإن صح فمعناه: أبى الله أن يجعل جميع أرزاقهم من حيث يحتسبون، كالتاجر يرزقه من تجارته، والحراث من حراثته وغير ذلك، وقد يرزقهم من حيث لا يحتسبون كالرجل يصيب معدناً أو ركازاً، أو يموت له قريب فيرثه أو يعطي من غير إشراف نفس ولا سؤال. ونحن لم نقل أن الله تعالى لا يرزق أحداً إلا بجهد وسعي، وإنما قلنا أنه بين لخلقه وعباده طرقاً جعلها أسباباً لهم إلى ما يريدون، فالأولى بهم أن يسلكوها متوكلين على الله في بلوغ ما يؤملونه دون أن يعرضوا عنها ويجردوا التوكل عنها وليس في شيء من هذه الأحاديث ما يفسد قولنا.

(**وقال سفيان**) الثوري رحمه الله تعالى: (**اتق الله فما رأيت تقياً محتاجاً**) أخرجه صاحب

الله في قلوب المسلمين أن يوصلوا إليه رزقه. وقال الفضل الضبي: قلت لاعرابي: من أين معاشك؟ قال: نذر الحاج. قلت: فإذا صدروا، فبكى وقال: لو لم نعش إلا من حيث ندري لم نعش. وقال أبو حازم رضي الله عنه: وجدت الدنيا شيئين: شيئاً منهما هو لي فلن أعجله قبل وقته ولو طلبته بقوّة السموات والأرض. وشيئاً منهما هو لغيري فذلك لم أنله فيما مضى فلا أرجوه فيما بقي، يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري، ففي أي هذين أفني عمري؟ فهذا دواء من جهة المعرفة لا بدّ منه لدفع تخويف الشيطان. وإنذاره بالفقر.

الحلية وكأنه استنبط ذلك من قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً يرزقه الآية أي فلا يتصور الاحتياج مع التقوى (**أي لا يترك**) الله (**التقي فاقداً لضرورته، بل يلقى الله في قلوب المسلمين**) بل وفي قلوب الكفار (**أن يوصلوا إليه رزقه**) من غير إشراف نفس منه ولا مسألة ويشهد له خبر الطبراني السابق: من انقطع إلى الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب.

(**وقال الفضل**) بن محمد بن يعلي بن عامر بن سالم (**الضبي**) الكوفي علامة راوية للأدب ثقة، روى عن سماك وأبي إسحاق السبيعي، (**قلت لاعرابي: من أين معاشك؟ قال: نذر الحاج. قلت: فإذا صدروا**) فمن أين، (**فبكى وقال: لو لم نعش إلا من حيث ندري لم نعش. وقال أبو حازم**) سلمة بن دينار المدني التابعي: (**قد وجدت الدنيا شيئين: شيئاً مها هو لي فلن أعجله قبل أجله ولو طلبته بقوة السموات والأرض، وشيئاً منهما هو لغيري فذلك لم أنله فيما مضى ولا نرجوه فيا بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري، ففي أي هذين أفنى عمري؟**)

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبو معمر سفيان قال: قال أبو حازم: وجدت الدنيا شيئين فشيئاً هو لي، وشيئاً لغيري، فأما ما كان لغيري فلو طلبته بحيلة السموات والأرض لم أدركه فيمنع رزق غيري مني كما يمنع رزقي من غيري.

حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبدالله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا الأشجعي، حدثنا داود بن أبي الوازع المدني، عن أبي حازم أنه كان يقول: نظرت في الرزق فوجدته شيئين شيئاً هو لي له أجل ينتهي إليه فلن أعجله ولو طلبته بقوة السموات والأرض، وشيئاً لغيري فلم أصبه فيا مضى فأطلبه فيا بقي، فشيء يمنع من غيري كما شيء غيري يمنع مني ففي هذين أفني عمري. (**فهذا دواء من جهة المعرفة لا بد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر**).

الثالث: أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء ، وما في الحرص والطمع من الذل ، فإذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته إلى القناعة لأنه في الحرص لا يخلو من تعب ، وفي الطمع لا يخلو من ذل. وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات والفضول. وهذا ألم لا يطلع عليه أحد إلا الله وفيه ثواب الآخرة. وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم ، ثم يفوته عز النفس والقدرة على متابعة الحق فإن من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه المداهنة ، وذلك يهلك دينه ، ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الإيمان. قال ﷺ : « عز المؤمن استغناؤه عن الناس ». ففي القناعة الحرية والعز. ولذلك قيل : استغن عمن

(**الثالث: أن يعرف ما في القناعة من عز الإستغناء**) عن الناس، (**وما في الطمع والحرص من الذل**) لهم، (**فإذا تحقق عنده ذلك انبعثت رغبته إلى القناعة**) واختارها (**لأنه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل**) لأن الحريض دائماً تعبان والطماع دائماً ذليل، (**وليس في القناعة إلا ألم الصبر عن الشهوات**) الفانية (**والفضول**) الزائلة، (**وهذا ألم لا يطلع عليه أحد**) من الناس (**إلا الله وفيه ثواب الآخرة، وذلك مما يضاف إليه نظر الناس وفيه الوبال والمأثم، ثم يقويه عن النفس والقدرة على متابعة الحق، فإن من كثرطمعه وحرصه كثرت حاجته إلى الناس فلا يمكنه دعوتهم إلى الحق ويلزمه المداهنة**) في القول والفعل، (**وذلك يهلك دينه، ومن لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل**) أي ضعيفه (**ناقص الإيمان**) مبخوس الحظ. (**وقال ﷺ : « عز المؤمن استغناؤه عن الناس »**) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، والحاكم وصحح اسناده، وأبو الشيخ في كتاب الثواب، وأبو نعيم في الحلية من حديث سهل بن سعد أن جبريل قاله للنبي ﷺ في أثناء حديث، وفيه زافر بن سليمان، عن محمد بن عيينة. وكلاهما مختلف فيه، وجعله القضاعي في مسند الشهاب من قول النبي ﷺ انتهى.

قلت: رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية من طريق محمد بن حميد، والقضاعي من طريق عبد الصمد بن موسى القطان، وابن حميد أيضاً، والشيرازي في الألقاب من طريق إسماعيل بن تومة. ثلاثتهم عن زافر بن سليمان، عن محمد بن عيينة، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: جاء جبريل النبي ﷺ. ولفظ الحلية أتاني جبريل فقال: « يا محمد عش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به واحبب من شئت فإنك مفارقه، وأعلم أن شرف المؤمن قيام الليل و عزه استغناؤه عن الناس ». وزافر بن سليمان من رجال الترمذي، وابن ماجه وثقه جماعة. وقال ابن عدي : لا يتابع على حديثه، وشيخه محمد بن عيينة أخو سفيان. قال أبو حاتم: لا يحتج به له مناكير، وقد صحح الحاكم إسناده لاسيا وفي الباب عن أبي هريرة، وابن عباس.

شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره.

الرابع: أن يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى من الأكراد والأعراب الأجلاف ومن لا دين لهم ولا عقل، ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والأولياء، وإلى سمت الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة والتابعين ويستمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة أراذل الناس أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله، حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير، فإنه إن تنعم

أما حديث أبي هريرة فرواه العقيلي، والخطيب، وابن عساكر بسند ضعيف بلفظ «شرف المؤمن صلاته بالليل وعزه استغناؤه عما في أيدي الناس» وأورده ابن الجوزي في الموضوعات فأخطأ.

وأما حديث ابن عباس، فرواه محمد بن نصر المروي في قيام الليل له من طريق هشيم بن جويبر عن الضحاك عنه موقوفاً ولفظه «شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عما في أيدي الناس». وجعله القضاعي في مسند الشهاب في حديث سهل من قول النبي ﷺ.

(**ففي القناعة الحرية**) وهي الخلوص من الرق (**والعز، ولذلك قيل: استغن عمن شئت فأنت نظيره**) أي مثله، (**واحتج إلى ما شئت فأنت أسيره، وأحسن إلى من شئت فأنت أميره**) وهو من قول بعض الحكماء، ومنهم من نسبه إلى علي رضي الله عنه. وقد روى البزار، والطبراني في الكبير، والعسكري في الأمثال، والقضاعي في المسند من طريق الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رفعه: «استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك» ورجاله ثقات. والأحاديث في القناعة والتعفف عن الناس مفردة بالتأليف، ومن أقربها لهذا المعنى حديث «لأن يأخذ أحدكم حبلاً فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها بها نفسه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه».

(**الرابع: أن يكثر تأمله في تنعم اليهود والنصارى وأراذل الناس والحمقى من الأكراد و**) الأجلاف من (**الأعراب**) والسوادية (**ومن لا دين لهم ولا عقل**) فينظر في تبسطاتهم من الملاذ، (**ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء**) عليهم السلام وسيرهم وشمائلهم (**والأولياء**) والصالحين، (**وإلى سمت الخلفاء الراشدين**) من الأئمة الأربعة، وعمر بن عبد العزيز، (**وسائر الصحابة والتابعين**) ومن على قدمهم من السلف الخالفين، (**ويستمع أحاديثهم**) وأقوالهم (**ويطالع أحوالهم**) من الكتب المؤلفة فيها، كحلية أبي نعيم، والقوت لأبي طالب، والرسالة لأبي القاسم. وطبقات النساك وغيرها. (**ويخير عقله بين أن يكون على مشابهة أرذال الخلق أو على الاقتداء بمن هو أعز أصناف الخلق عند الله حتى يهون عليه بذلك الصبر على الضنك والقناعة باليسير، فإنه إن تنعم في البطن**) أي في المأكولات (**فالحمار أكثر أكلاً منه، وإن**

في البطن فالحمار أكثر أكلاً منه، وإن تنعم في الوقاع فالخنزير أعلى رتبة منه، وإن تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو أعلى زينة منه، وإن قنع بالقليل ورضي به لم يساهمه في رتبته إلا الأنبياء والأولياء.

الخامس: أن يفهم ما في جمع المال من الخطر ـ كما ذكرنا في آفات المال ـ وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع، وما في خلو اليد من الأمن والفراغ، ويتأمل ما ذكرناه في آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام، فإنه إذا لم يقنع بما يكفيه ألحق بزمرة الأغنياء وأخرج من جريدة الفقراء. ويتم ذلك بأن ينظر أبداً إلى من دونه في الدنيا إلا إلى من فوقه، فإن الشيطان أبداً يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول: لم تفتر عن الطلب وأرباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول: ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك وهو لا

تنعم في الوقاع) أي الجماع **(فالخنزير أعلى رتبة منه)** فإنه موصوف بكثرته لا يفتر عنه، وكذا الدب يضرب به المثل في كثرة الوقاع، وكذا العصافير فإنها كثيرة السفاد، **(وإن تزين في الملبس)** الحسن **(و)** ركوب **(الخيل)** المسوّمة **(ففي اليهود من هو أعلى رتبة منه)** وكذا في النصارى بل وسائر انواع الكفار في غالب الديار ويتخذون فُره الخيل للركوب، **(وإن قنع بالقليل ورضي به)** في كل ما ذكر **(لم يساهمه)** أي لم يشاركه **(في رتبته إلاّ الأنبياء والأولياء)**، فليتأمل الإنسان في هذا القدر حتى يعرف قدر القناعة.

(الخامس: أن يفهم ما في جمع المال من الخطر) والإشراف على الهلال، **(كما ذكرناه في آفات المال وما فيه من خوف السرقة والنهب والضياع)** إما بالحرق أو بالغرق أو بغير ذلك من الأسباب، **(وما في خلو اليد من الأمن)** الحاضر **(والفراغ)** للخاطر، **(ويتأمل ما ذكرناه من آفات المال مع ما يفوته من المدافعة عن باب الجنة إلى خمسمائة عام فإنه إذا لم يقنع بما يكفيه التحق بزمرة الاغنياء وأخرج عن جريدة الفقراء)** فقد روى أحمد والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه من حديث أبي هريرة يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام، وروى الحكيم في النوادر من حديث سعيد بن عامر بن جذيم: «يدخل فقراء المسلمين قبل الأغنياء بخمسمائة سنة حتى أن الرجل ليدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج». **(ويتم ذلك بأن ينظر أبداً إلى من هو دونه في الدنيا لا إلى من فوقه)** فيها، **(فإن الشيطان أبداً يصرف نظره في الدنيا إلى من فوقه فيقول: لم تفتر)** أي لم تكسل **(عن الطلب، وأرباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس)** والمراكب **(ويصرف نظره في الدين إلى من دونه فيقول: ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان أعلم منك)** وأفضل

يخاف الله، والناس كلهم مشغولون بالتنعم فلم تريد أن تتميز عنهم؟ قال أبو ذر: أوصاني خليلي صلوات الله عليه أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقي أي في الدنيا. وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إذ نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه». فبهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر وقصر الأمل، وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهراً طويلاً فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار الشفاء.

بيان فضيلة السخاء:

اعلم أن المال إن كان مفقوداً فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص، وإن

منك، (**وهو لا يخاف الله**) ولا يتقيد. (**والناس كلهم مشغولون بالتنعم**) والتلذذ (**فلم تريد أن تتميز عنهم**) في حياتك؟

(**قال أبو ذر**) رضي الله عنه: (**أوصاني خليلي ﷺ أن انظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقي**) رواه أحمد وابن حبان في أثناء حديث وقد تقدم. (**أي في الدنيا. وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال النبي ﷺ: «إذا نظر أحدكم**) أي تأمل بعينه (**إلى من فضله الله عليه في المال والخلق**) بفتح الخاء وسكون اللام الصورة. قال الحافظ: ووجد في بعض النسخ المعتمدة ضبطه بضمتين (**فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه»**) لأنه إذا نظر إلى من فوقه استصغر ما عنده، وحرص على المزيد فيه أدبه بالنظر إلى من دونه ليرضى فيشكر ويقل حرصه، إذ الإنسان حسد بطبعه فإذا قاده طبعه للنظر إلى الأعلى حملته الغيرة على الكفران والسخط، فإذا رد نفسه إلى النظر الى الدون حمله حب النعمة إلى الرضا والشكر. رواه أحمد، والشيخان، وأبو يعلى بلفظ: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه» وفي رواية «إلى من تحته» رورى هناد والبيهقي في الشعب وقال: والجسم بدل والخلق، وفيه: فلينظر إلى من هو دونه من المال والجسم. (**فبهذه الأمور يقدر على اكتساب خلق القناعة وعماد الأمر الصبر**) على مرّ العيش (**وقصر الأمل، وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل للتمتع دهوراً طويلة**) وفي بعض النسخ: دهراً طويلاً، (**فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء**) وكراهة مذاقه (**لشدة طمعه في انتظار الشفاء**) من أمراضه الشديدة.

بيان فضيلة السخاء:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن المال إذا كان مفقوداً، فينبغي أن يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص، وإن كان موجوداً فينبغي أن يكون حاله الإيثار**) للغير

كان موجوداً فينبغي أن يكون حاله الإيثار والسخاء واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل، فإن السخاء من أخلاق الأنبياء عليهم السلام وهو أصل من أصول النجاة. وعنه عبّر النبي ﷺ حيث قال: «السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن أخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن إلى الجنة». وقال جابر: قال رسول الله ﷺ: قال جبريل عليه السلام: قال الله تعالى: «إن هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بها ما استطعتم» وفي رواية: «فأكرموه بهما ما صحبتموه». وعن عائشة الصديقية رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما جبل الله تعالى ولياً له إلا على حسن الخلق والسخاء». وعن جابر قال: قيل يا رسول الله

(**والسخاء**) أي بذله (**واصطناع المعروف والتباعد من الشح والبخل**) وبينهما فرق وقد تقدم ذكره، (**فإن السخاء**) خلق شريف (**من**) جلة (**أخلاق الأنبياء**) عليهم السلام، (**وهو أصل من أصول النجاة، وعنه عبَّر النبي ﷺ قال «السخاء شجرة من شجر الجنة**) وفي رواية: من أشجار الجنة، وفي رواية شجرة في الجنة (**أغصانها متدلية إلى الأرض**) وفي رواية: متدليات في الدنيا (**فمن أخذ منها غصناً**) وفي رواية: فمن أخذ غصناً منها (**قاده ذلك الغصن إلى الجنة»**) أي: أن السخاء يدل على كرم النفس وتصديق إيمان بالاعتماد في الخلق على من ضمن الرزق، فمن أخذ بهذا الأصل وعقد طويته عليه فقد استمسك بالعروة الوثقى الجاذبة له إلى ديار الأبرار، ولهذا الحديث بقية يأتي ذكرها قريباً. قال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث عائشة، وابن عدي، والدارقطني في المستجاد من حديث أبي هريرة وسيأتي بعده، وأبو نعيم من حديث جابر وكلها ضعيفة. ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من حديثهم، ومن حديث الحسين وأبي سعيد اهـ. وسيأتي الكلام على هذا الحديث بعد ستة أحاديث.

(**وقال جابر**) رضي الله عنه. (**قال رسول الله ﷺ قال جبريل عليه السلام: قال الله تعالى: «إن هذا دين أرتضيه لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه»**) قاتل العراقي: رواه الدارقطني في المستجاد دون قوله: «وحسن الخلق» بسند ضعيف. ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات، وذكره بهذه الزيادة ابن عدي من رواية بقية، عن يوسف بن السفر، عن الإوزاعي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة ويوسف ضعيف اهـ.

قلت: وروي عن أنس نحوه ولفظه مرفوع: يا أيها الناس إن الله قد اختار لكم الإسلام ديناً فاحسنوا صحبة الإسلام بالسخاء وحسن الخلق» الحديث. ورواه ابن عساكر وسيأتي ذكره بعد خمسة أحاديث.

(**وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «ما جبل الله تعالى أولياءه إلا على السخاء وحسن الخلق»**) أغفله العراقي، وقد رواه ابن عساكر في التاريخ من رواية عروة

أي الأعمال أفضل؟ قال: « الصبر والسماحة ». وقال عبدالله بن عمرو: قال رسول الله ﷺ: « خلقان يحبهما الله عز وجل، وخلقان يبغضهما الله عز وجل، فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء، وأما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل، وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله في قضاء حوائج الناس »، وروى المقدام بن شريح عن أبيه عن

مرسلاً، ورواه أيضاً الديلمي عنه عن عائشة بدون قوله « وحسن الخلق ». وعند الحكيم الترمذي « ما جبل الله ولياً قط إلا على السخاء والجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل » وسند الديلمي ضعيف، وهو عند الدارقطني في المستجاد، وأبي الشيخ، وابن عدي بدون « وحسن الخلق ».

(وعن جابر) رضي الله عنه **(قال: قيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال « الصبر والسماحة »)** قال العراقي: رواه أبو يعلى، وابن حبان في الضعفاء بلفظ: سئل عن الإيمان، وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعفة الجمهور، ورواه أحمد من حديث عمرو بن عنبسة بلفظ: « ما الإيمان؟ فقال « الصبر والسماحة » وفيه شهر بن حوشب. ورواه البيهقي في الزهد بلفظ: أي الاعمال أفضل؟ قال « الصبر والسماحة وحسن الخلق » وإسناده صحيح اهـ.

قلـت: وروى البخاري في التاريخ من حديث عبيد بن عمير عن أبيه بلفظ « أفضل الإيمان الصبر والسماحة ». هكذا رواه عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده وفيه مقال. ورواه الزهري عن عبد الله عن أبيه مرسلاً وهو أقوى. ورواه كذلك الديلمي من حديث معقل بن يسار. وروى الطبراني في الكبير من حديث عمرو بن عنبسة « أفضل الإيمان حسن خلق » ومن حديث أسامة بن شريك بلفظ « أفضل الأعمال حسن الخلق ».

(وقال عبد الله بن عمرو) بن العاص رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ « خلقان يحبها الله تعالى، وخلقان يبغضها الله تعالى. فاما اللذان يحبها الله فحسن الخلق والسخاء، وأما اللذان يبغضها الله فسوء الخلق والبخل وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله على قضاء حوائج الناس »)** أي ثم ألهمه القيام بحقها والوفاء بما استعمل عليه. قال العراقي: رواه الديلمي دون قوله في آخره « فإذا أراد الله بعبد خيراً » وقال فيه الشجاعة بدل الخلق. وفيه محمد بن يونس الكديمي كذبه أبو داود وموسى بن هارون وغيرهما، ووثقه الخطبي. وروى الاصبهاني جميع الحديث موقوفاً على عبد الله بن عمرو. وروى الديلمي أيضاً من حديث أنس « إذا أراد الله بعبد خيراً صيّر حوائج الناس إليه ». وفيه يحي بن شبيب ضعفه ابن حبان اهـ.

قلـت: هذا الحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية، ومن طريق الديلمي بدون الجملة الأخيرة. وروى البيهقي في الشعب جميع الحديث مرفوعاً من حديث ابن عمرو.

(وروى المقدام بن شريح بن هانيء) بن يزيد الحارثي المذحجي الكوفي ثقة. روى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة **(عن أبيه)** أبي المقدام شريح الكوفي مخضرم ثقة قتل

جده قال: قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة؟ قال: «إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السلام وحسن الكلام». وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخياً أخذ بغصن منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة، والشح شجرة في النار فمن كان شحيحاً أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار». وقال أبو سعيد الخدري: قال النبي ﷺ: «يقول

مع ابن أبي بكرة بسجستان، روى له من ذكر في ابنه، (**عن جده**) أبي شريح هانىء بن يزيد صحابي نزل الكوفة، روى له البخاري في الأدب، وأبو داود، والنسائي (**قال: قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة. قال «إن من موجبات المغفرة**) أي مما يوجب غفران الذنوب الذي هو سبب لدخول الجنة (**بذل الطعام**) أي إطعامه (**وإفشاء السلام وحسن الكلام»**) قال العراقي: رواه الطبراني بلفظ «بذل السلام وحسن الكلام» وفي رواية له: «يوجب الجنة اطعام الطعام وإفشاء السلام» وفي رواية له «عليك بحسن الكلام وبذل الطعام» اهـ.

قلت: وبلفظ الطبراني رواه أيضاً الخرائطي في مكارم الأخلاق. وروى البيهقي من حديث جابر «إن من موجبات المغفرة إطعام المسلم السغبان» ورواه الحاكم بدون «ان» وروى البخاري في الأدب المفرد، والطبراني في الكبير، والحاكم والبيهقي من حديث هانىء بن يزيد بلفظ «عليك بحسن الكلام وبذل الطعام» ورواه ابن حبان بلفظ «عليك بحسن الكلام وبذل السلام».

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ «السخاء شجرة في الجنة فمن كان سخياً أخذ بعض منها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله الجنة، والشح شجرة في النار فمن كان شحيحاً أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار»**) قال العراقي: رواه الدارقطني في المستجاد، وفيه عبد العزيز بن عمران الزهري ضعيف جداً اهـ.

قلت: وكذلك رواه الخطيب في التاريخ ورواه ابن عدي، والبيهقي وضعفه باللفظ الذي ذكره المصنف في أول الباب، وتمامه «والبخل شجرة من شجر النار أغصانها متدليات في الدنيا فمن أخذ بغصن من أغصانها قاده ذلك الغصن إلى النار» روياه عن محمد من منير المطيري، عن عثمان بن شيبة، عن أبي غسان محمد بن يحي، عن عبد العزيز بن عمران، عن ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، عن الأعرج عن أبي هريرة. وقد روي بهذا السياق أي الأخير من حديث الحسين بن علي، وجابر، وأبي سعيد، وعلي، وعائشة، ومعاوية بن أبي سفيان، وأنس.

أما حديث الحسين بن علي، فرواه الدارقطني في الإفراد، وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات، والبيهقي، والخطيب في كتاب البخلاء من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده.

وأما حديث جابر، فرواه أبو نعيم في الحلية، عن الحسن بن أبي طالب، عن عبدالله بن محمد

الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم فإني جعلت فيهم رحمتي، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإني جعلت فيهم سخطي». وعن ابن عباس قال:

الخلال، عن أحمد بن الخطاب بن مهدان الشتري، عن عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي، عن عاصم بن عبد الله، عن عبد العزيز بن خالد، عن الثوري، عن أبي الزبير عن جابر. ورواه أيضاً الخطيب في التاريخ من هذا الطريق. وقال أبو نعيم: تفرد به عبد العزيز بن خالد، وعنه عاصم بن عبد الله.

وأما حديث أبي سعد، فقد رواه الخطيب في تاريخه في ترجمة أبي جعفر الطيالسي عنه.

وأما حديث علي، فقد رواه الدارقطني في الإفراد، والبيهقي في الشعب، والخطيب في التاريخ عنه.

وأما حديث عائشة: فقد رواه ابن حبان في الضعفاء.

وأما حديث معاوية، فقد رواه الديلمي في مسند الفردوس.

وأما حديث أنس، فقد رواه ابن عساكر في التاريخ لكن مع اختلاف لفظ. قال أنس: أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال «يا أيها الناس إن الله قد اختار لكم الإسلام ديناً فأحسنوا صحبة الإسلام بالسخاء وحسن الخلق ألا إن السخاء شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا فمن كان منكم سخياً لا يزال متعلقاً بغصمن من أغصانها حتى يورده الله الجنة. ألا إن اللؤم شجرة في النار وأغصانها في الدنيا فمن كان منكم لئيماً لا يزال متعلقاً بغصن من أغصانها حتى يورده الله النار» وطرق هذه الأحاديث كلها ضعاف وتقدم أن ابن الجوزي أورده في الموضوعات من هذه الطرق كلها وتعقب.

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(قال النبي ﷺ «يقول الله تعالى اطلبوا الفضل)** أي الزيادة من الإحسان، والتوسعة عليكم **(من الرحماء من عبادي)** أي الرقيقة قلوبهم السلهة عريكتهم **(تعيشوا في أكنافهم)** جمع كنف محركة وهو الجانب **(فإني جعلت فيهم رحمتي)** أي جعلتهم مظاهر لرحمتي، **(ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم)** أي الفظة الغليظة **(فإني جعلت فيهم سخطي»)** قال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء، والخرائطي في مكارم الأخلاق، والطبراني في الأوسط. وفيه محمد بن مروان السدي الصغير ضعيف. ورواه العقيلي في الضعفاء فجعله عبد الرحمن السدي وقال: إنه مجهول، وتابع محمد بن مروان السدي عليه عبد الملك ابن الخطاب، وقد غمزه ابن القطان وتابعها عليه عبد الغفار بن الحسن بن دينار قال فيه أبو حاتم: لا بأس بحديثه، وتكلم فيه الجوزجاني والأزدي. ورواه الحاكم من حديث علي وقال: إنه صحيح الإسناد وليس كما قال اهـ.

قلت: أخرج الخرائطي، عن محمد بن أيوب الضريس، أخبرنا جندل بن واثق، عن أبي مالك الواسطي، عن عبد الرحمن السدي، عن داود بن أبي هند، عن أبي سعيد الخدري فساقه. وفيه

« فإن فيهم رحمتي » بدل « فإني جعلت » وفيه « فإنهم ينتظرون سخطي » بدل « فإني جعلت فيهم سخطي » ومدار هذا الحديث علي داود بن أبي هند. وقد رواه عنه جماعة منهم: محمد بن مروان السدي. ومن طريقه أخرجه الطبراني في الأوسط، وابن حبان في الضعفاء. ومنهم: عبد الرحمن السدي ومن طريقه أخرجه العقيلي في الضعفاء، والخرائطي في مكارم الأخلاق كما سقناه. وفي الميزان عبد الرحمن السدي عن داود بن أبي هند لا يتابع وأتي بخبر باطل، ثم ساق هذا. ولفظ العقيلي في الضعفاء عبد الرحمن السدي مجهول لا يتابع ولا يعرف حديثه من وجه يصح. ومنهم: عبد الملك بن الخطاب، وعبد الغفار بن الحسن بن دينار.

وأما حديث علي؛ فسياقه عند الحاكم « اطلبوا المعروف من رحماء أمتي تعيشوا في أكنافهم ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإن اللعنة تنزل عليهم: يا علي إن الله خلق المعروف وخلق له أهلاً فحببه إليهم وحبب إليهم مقاله ووجه إليهم طلابه كما وجه الماء في الأرض الجدبة لتحيا به ويحيا به أهلها. إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة » وهذا هو الذي صحح الحاكم إسناده. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات. وقال الذهبي فيما تعقب به الحاكم بأن فيه الأصبغ بن نباتة واه جداً، وحبان بن علي ضعفوه اهـ.

ولا يخفى أن هذا القدر لا يجعل الحديث موضوعاً، وإنما هو ضعيف. وشتان بين الضعيف والموضوع، ولأبي سعيد الخدري حديث آخر لفظه « اطلبوا الحوائج إلى ذوي الرحمة من أمتي ترزقوا وتنجحوا فإن الله تعالى يقول رحمتي في ذوي الرحمة من عبادي، ولا تطلبوا الحوائج عند القاسية قلوبهم ولا ترزقوا ولا تنجحوا فإن الله تعالى يقول: إن سخطي فيهم » هكذا رواه الحاكم في التاريخ، والعقيلي في الضعفاء وضعفه، والطبراني في الاوسط. وأظن ان هذا السياق هو الذي تقدمت الإشارة إليه في كلام الحافظ العراقي. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات. ومعنى هذه الأخبار هو أنكم إذا احتجتم إلى فضل غيركم من مال أو جاه أو معونة فاطلبوه عند رحماء هذه الأمة وهم أهل الدين والشرف وطهارة العنصر، فإن من توفر حظه من ذلك عصمت شفقته فرحم السائل وبذل ما عنده طلباً للثواب من غير منّ ولا أذى ولا مطل بل في ستر وعفاف واغضاء فيعيش في ظله مع سلامة الدين والعرض ولا يسترقه.

(تنبيه) : قال شيخ الإسلام ابن تيمية: المراد بالقاسية قلوبهم في الأخبار السابقة طائفة اليهود بقرينة تصريحهم بأن المراد هم في آية ﴿ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم﴾ [الحديد: ١٦] وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي وقد وصف الله اليهود بها في غير موضع منها: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي﴾ [البقرة: ٧٤] ﴿فبما نقضت ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ [المائدة: ١٣] ثم قال: وإن قوماً ممن قد ينسب إلى علم ودين قد أخذوا من هذه الصفات بنصيب نعوذ بالله مما يكرهه الله ورسوله.

قال رسول الله ﷺ : « تجافوا عن ذنب السخي فإن الله آخذ بيده كلما عثر » . وقال ابن مسعود : قال ﷺ : « الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير وأن الله

(وعن ابن عباس) رضي الله عنه : **(قال : قال رسول الله ﷺ « تجافوا)** وفي رواية : تجاوزوا **(عن ذنب السخي)** أي الكريم ، وفي رواية : تجاوزوا للسخي عن ذنبه **(فإن الله آخذ بيده)** أي معين له ومخلص له **(كلما عثر »)** أي سقط في مهلكة ، والمعاثر هي المهالك التي يعثر فيها ، وذلك لأنه لما سخي بالأشياء اعتماداً على ربه وتوكلاً عليه شمله بعين عنايته ، فكلما عثر في مهلكة أنقذه منها . قال العراقي : رواه الطبراني في الأوسط ، والخرائطي في مكارم الأخلاق . وقال الخرائطي : أقيلوا السخطي زلته . وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه ، وزاد الطبراني فيه ، وأبو نعيم من حديث ابن مسعود نحوه بإسناد ضعيف . ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الدارقطني اهـ .

قلت : أما حديث ابن عباس فاخرجه أبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في الشعب ، والخطيب في التاريخ بلفظ المنصف ، وهو عن الخرائطي بلفظ « اقيلوا السخي زلته فإن الله آخذ بيده كلما عثر » وروى الخطيب أيضاً من حديثه بلفظ « تجاوزوا عن ذنب السخي وزلة العالم وسطوة السلطان العادل فإن الله آخذ بيهم كلما عثر عاثر منهم » وقد روى نحوه من حديث أبي هريرة ولفظه « تجافوا عن زلة السخي فإنه إذا عثر أخذ الرحمن بيده » رواه ابن عساكر .

وأما حديث ابن مسعود فلفظه « تجاوزوا عن ذنب السخي فإن الله آخذ بيده كلما عثر » وهكذا رواه الدارقطني في الإفراد ، والطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي وضعفه . وأورده ابن الجوزي في الموضوعات . ولفظ الطبراني في الأوسط « فإن الله يأخذ بيده عند عثراته » .

قال الدارقطني في الافراد حدثنا محمد بن مخلد ، حدثنا إبراهيم بن حماد الأزدي عن عبد الرحيم بن حماد البصري ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود فساقه . تفرد به عبد الرحيم ، وقد قال العقيلي : إنه حدث عن الأعمش بما ليس من حديثه اهـ .

وأخرجه ابن الجوزي من هذا الطريق وحكم عليه بالوضع لذلك ، وتعقبه الحافظ السيوطي بأن عبد الرحيم لم ينفرد به ، فقد رواه الطبراني في الكبير ، عن أحمد بن عبيد الله بن جرير بن جبلة ، عن أبيه ، عن بشر بن عبيد الله الدارمي ، عن محمد بن حميد العتكي ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن ابن مسعود . وقد رواه أبو نعيم والبيهقي من هذا الطريق . وقال البيهقي : عقبه هذا إسناد مجهول ضعيف .

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه : **(قال رسول الله ﷺ « الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير وأن الله تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة »)** قال العراقي : لم أجده من حديث ابن مسعود . ورواه ابن ماجه من حديث أنس ، ومن حديث ابن عباس بلفظ « الخير أسرع إلى البيت الذي يغشى » وفي حديث ابن عباس « يؤكل فيه من الشفرة

تعالى ليباهي بمطعم الطعام الملائكة عليهم السلام ». وقال ﷺ : « إن الله جواد يحب الجواد ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفسافها ».

إلى سنام البعير » ولأبي الشيخ في كتاب الثواب من حديث جابر « الرزق إلى أهل البيت الذي فيه السخاء » الحديث فكلها ضعيفة اهـ.

قلت لفظ أبي الشيخ « الرزق إلى أهل البيت الذي فيه السخاء أسرع من الشفرة إلى سنام البعير » وقد روي نحوه من حديث أبي سعيد الخدري ولفظه « الرزق إلى بيت فيه السخاء » والباقي سواء رواه ابن عساكر في التاريخ.

أما حديث ابن عباس عند ابن ماجه فلفظه « الخير أسرع إلى البيت الذي يؤكل فيه من الشفرة إلى سنام البعير وأما حديث أنس عنده فلفظه الخير أسرع إلى البيت الذي يغشى من الشفرة إلى سنام البعير » وقد وقع له ثلاثياً، وهكذا رواه ابن زنجويه، والبيهقي، ورواه البيهقي أيضاً عن شيخ يقال له أبو سعيد عن أبيه. وقد ورد من حديث الحسن مرسلاً ولفظه « الخير أسرع إلى البيت الذي يطعم فيه الطعام من الشفرة إلى سنام البعير » ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان.

(وقال ﷺ : « إن الله جواد يحب الجود ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها ») قال العراقي: رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز وهذا مرسل، وللطبراني في الكبير والاوسط، والحاكم، والبيهقي من حديث سهل بن سعد « إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالى الأمور » وفي الكبير والبيهقي « معالي الأخلاق » الحديث وإسناده صحيح، وتقدم آخر الحديث في اخلاق النبوة اهـ.

قلت: لفظ الخرائطي هو سياق المصنف، لكنه زاد « وإن من إكرام الله إكرام ذي الشيبة في الإسلام والحامل للقرآن غير الجافي ولا الغالي والإمام المقسط » وقد رواه هناد بن السري في الزهد أيضاً هكذا. وقد روى الخرائطي هذا المرسل أيضاً بلفظ آخر قال « إن الله كريم يحب الكرم ويحب معالى الأخلاق » وفي لفظ « الامور ويكره سفسافها ». وقد رواه كذلك عبد الرزاق في المصنف، والبخاري في التاريخ، والحاكم، والبيهقي كلهم عن طلحة بن عبيدالله بن كرز الخزاعي. وقد روي بهذا اللفظ من حديث سهل بن سعد، وكذلك رواه الطبراني في الكبير، وابن قانع، والحاكم، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي. وقد روي أيضاً من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ: « إن الله كريم يحب الكرماء وجواد يحب الجود يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها ». رواه ابن عساكر، وابن النجار، والضياء وروى الطبراني في الكبير، وابن عدي، والباوردي من حديث فاطمة بنت الحسين عن أبيها رفعه: « وان الله يحب معالى الأمور وأشرافها ويكره سفسافها » ويروى من حديث ابن سعد « إن الله يحب معالى الأخلاق ويكره سفسافها » رواه ابن حبان في روضة العقلاء، والخرائطي في مكارم الأخلاق.

وقال أنس: إن رسول الله ﷺ لم يُسأل على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، وأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة. وقال ابن عمر: قال ﷺ: «إن لله عباداً يختصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع على العباد نقلها الله تعالى عنه وحوّلها إلى غيره». وعن الهلالي قال: أتي رسول الله ﷺ بأسرى من بني العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلاً، فقال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم؟ فقال ﷺ: «نزل عليَّ جبريل

(وقال أنس) رضي الله عنه: **(إن رسول الله ﷺ لم يسئل على الإسلام إلا أعطاه، فأتاه رجل فسأله فأمر له بشاء كثير بين جبلين من شاء الصدقة، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم اسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة)** رواه مسلم وقد تقدم في كتاب أخلاق النبوة.

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ: «إن لله عباداً يخصهم بالنعم لمنافع العباد)** أي لأجل منافعهم **(فمن بخل بتلك المنافع عن العباد)** بأن لم يعطوا منها لمن يستحق **(نقلها الله تعالى عنه وحوّلها إلى غيره»)** ﴿لأن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [الرعد: ١١] فالعاقل الحازم من يستديم النعمة ويداوم الشكر والأفضال منها لعباده. قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وأبو نعيم وفيه محمد بن حسان السمتي فيه لين ووثقه ابن معين يرويه عن أبي عثمان عبدالله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدي انتهى.

قلت: سياق المصنف لتمام في فوائده إلا أنه قال: اختصهم بدل يخصهم وفيه نقل الله تلك النعم عنهم وحولها إلى غيرهم، ولفظ الطبراني في الكبير، وكذا لفظ أبي نعيم: إن لله عز وجل أقواماً يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها فإذا منعوها نزعها منها فحوّلها إلى غيرهم» وهكذا رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، وأحمد، والحاكم، والبيهقي في الشعب، والخطيب، وابن النجار. فالطبراني والبيهقي روياه من طريق الاوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة، عن ابن عمر، وقيل: بإدخال نافع بين عبدة وابن عمر.

(وعن الهلالي) منسوب إلى بني هلال. قال ابن حبيب في هوازن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن نسب إليه خلق **(قال: أتى رسول الله ﷺ بأسارى من بني العنبر)** وهم قبيلة من بني تميم، وهم بنو العنبر بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، ومنهم كانت سجاح ابنة أوس بن جوير بن اسامة بن العنبري التي تنبأت وهي مشهورة، **(فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلاً)** أي فلم يقتله، **(فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد، فما بال هذا من بينهم؟ فقال النبي ﷺ:**

فقال: اقتل هؤلاء واترك هذا فإن الله تعالى شكر له سخاء فيه »، وقال ﷺ: « إن لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح ». وعن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء ». وقال ﷺ: « من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه » فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال، وقال

« نزل علي جبريل فقال: اقتل هؤلاء واترك هذا فإن الله تعالى شكر له سخاء فيه ») قال العراقي: لم أجد له أصلاً. والهلالي لا يعرف اسمه، فإن كان هو عبد الحميد بن الحسن الهلالي فإنه يروي عن ابن المنكدر فانظره.

(وقال النبي ﷺ: « إن لكل شيء ثمرة وثمرة المعروف تعجيل السراح ») قال العراقي لم أقف له على أصل.

قلت: ولكن المعنى صحيح ومنه قولهم: إما نعم صريحة وإلا مريحة.

(وعن نافع) مولى ابن عمر، **(عن ابن عمر)** رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: « طعام الجواد دواء)** لكونه يطعم الضيف مع سماحة نفس وطيب خاطر وانشراح صدر، **(وطعام البخيل داء »)** لأنه يطعم مع تفجع وضيق نفس. قال العراقي: رواه ابن عدي، والدارقطني في غرائب مالك، وأبو علي الصوفي في عواليه. وقال: رجاله ثقات أئمة قال ابن القطان: وإنهم لمشاهير ثقات إلا مقدام بن داود، فإن أهل مصر تكلموا فيه انتهى.

قلت: هو في الكامل لابن عدي من طريق أحمد بن محمد بن شبيب السجزي، عن محمد بن معمر البحراني، عن روح بن عبادة، عن الثوري، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر به مرفوعاً. ورواه الخطيب في المؤتلف والمختلف وفي ذم البخلاء، وأبو القاسم الخرقي في فوائده بلفظ: « طعام السخي دواء ـ أو قال شفاء ـ وطعام الشحيح داء » ولفظ بعضهم: « طعام الكريم » وكذلك رواه الحاكم في التاريخ، ومن طريقه الديلمي في مسنده بلفظ طعام السخي دواء وطعام الشحيح داء » قال السخاوي، قال شيخنا: هو حديث منكر. وقال الذهبي: كذب. وقال ابن عدي: إنه باطل عن مالك فيه مجاهيل وضعفاء ولا يثبت انتهى. ورواه ابن لال في مكارم الأخلاق، والديلمي من حديث عائشة بمثل لفظ الحاكم.

(وقال ﷺ: « من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه ») أي ثقلهم، فمن أنعم الله عليه بنعمة تهافتت عليه عوام الخلق، **(فمن لم يحتمل تلك المؤنة)** فقد **(عرض تلك النعمة للزوال)** لأن النعمة إذا لم تشكر زالت، ولذا قال حكيم: النعم وحشية قيدوها بالشكر، ومن ثم قال الفضيل بن عياض: أما علمتم أن حاجة الناس إليكم نعمة من الله عليكم فاحذروا أن تملوا وتضجروا من حوائج الناس فتصير النعم نقماً أخرجه أبو نعيم في الحلية.

وقال محمد بن الحنفية: أيها الناس اعلموا أن حوائج الناس إليكم نعم الله عليكم فلا تملوها

عيسى عليه السلام: استكثروا من شيء لا تأكله النار، قيل: وما هو؟ قال: المعروف.

فتتحول نقماً، واعلموا أن أفضل المال ما أفاد ذخراً وأورث شكراً وأوجب أجراً، ولو رأيتم المعروف رجلاً لرأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين أخرجه البيهقي.

والحديث قال العراقي رواه ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بلفظ: «ما عظمت نعمة الله على عبد إلا» فذكره وفيه أحمد بن معدان. قال أبو حاتم. مجهول والحديث باطل. ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمر بإسناد منقطع، وفيه حليس بن محمد أحد المتروكين، ورواه العقيلي من حديث ابن عباس. قال ابن عدي: يروى من وجوه كلها محفوظة انتهى.

قلت روي هذا من حديث معاذ وعمر وعائشة وأبي هريرة وابن عباس.

أما حديث معاذ، فرواه البيهقي في الشعب، وأبو يعلى، والعسكري من طريق ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان: عن معاذ بن جبل به مرفوعاً، ورواه البيهقي أيضاً بإثبات مالك بن يخامر بين خالد ومعاذ. ورواه أيضاً أبو سعد السمان في مشيخته، وأبو إسحاق المستملي في معجمه، والخطيب، وابن النجار، وراويه عن ثور بن يزيد عندهم جميعاً أحمد بن معدان العبدي وهو مجهول. وقال البيهقي بعد أن أخرجه: هذا حديث لا أعلم أنا كتبناه إلا بإسناد وهو كلام مشهور عن الفضيل انتهى.

وأما حديث عمر، فرواه أيضاً الشيرازي في الألقاب موقوفاً ولفظهم جميعاً: «ما عظمت نعمة على عبد إلا وعظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل مؤنة الناس فقد عرض تلك النعمة للزوال».

وأما حديث عائشة، فرواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، والطبراني. قال المنذري: ضعيف ولفظه: «ما عظمت نعمة الله على عبد إلا اشتدت عليه مؤنة الناس فمن لم يحتمل تلك المؤنة للناس فقد عرض تلك النعمة للزوال».

وأما حديث ابن عباس: فرواه العقيلي في الضعفاء وضعفه. ورواه أبو نعيم في الحلية ولفظه: «ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فاسبغها ثم جعل إليها شيئاً من حوائج الناس فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال».

وأما حديث أبي هريرة فلفظ: «ما من عبد أنعم الله عليه نعمة سبغها عليه إلا جعل شيئاً من حوائج الناس إليه فإن تبرم بهم عرض تلك النعمة للزوال». رواه البيهقي من طريق الأوزاعي، عن ابن جريج، عن عطاء عنه. فهذه الأخبار وإن كانت طرقها غير محفوظة، ولكن بعضها يؤكد بعضاً وأمثلها إسناد أبي هريرة.

(وقال عيسى عليه السلام: استكثروا من شيء لا تأكله النار. قيل: وما هو، قال: المعروف) نقله صاحب القوت، والمعنى: لا تأكل النار صاحبه. **(وقالت عائشة رضي الله**

وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «الجنة دار الأسخياء». وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار، وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار، وجاهل سخي أحب إلى الله من عالم بخيل، وأدوأ الداء البخل». وقال ﷺ:

عنها: قال رسول الله ﷺ: «الجنة دار الأسخياء») لأن السخاء خلق الله الأعظم، كما ورد في الخبر وهو يحب من يتخلق بشيء من أخلاقه، فلذلك صلحوا لجواره في داره. قال العراقي: رواه ابن عدي، والدارقطني في المستجاد، والخرائطي. قال الدارقطني: لا يصح ومن طريقه روى ابن الجوزي في الموضوعات. وقال الذهبي: حديث منكر ما آفته سوى جحدر.

قلت: رواه الدارقطني فيه من طريق آخر، وفيه محمد بن الوليد الموقري وهو ضعيف أيضاً انتهى.

قلت: هو في الكامل لابن عدي، عن زيد بن عبد العزيز عن جحدر، عن بقية، عن الإوزاعي، عن عائشة ثم قال: جحدر يسرق الحديث ويروي المناكير، وكذلك رواه أبو الشيخ في الثواب، والقضاعي في المسند، وقد روي أيضاً من حديث أنس لكن بزيادة «والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة بخيل ولا عاق والديه ولا منان بما أعطى» رواه كذلك ابن عدي، وأبو الشيخ، والخطيب في ذم البخلاء، والديلمي في المسند.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: «إن السخي قريب من الله)** أي من رحمته وثوابه فليس المراد قرب المسافة تعالى الله عنه **(قريب من الناس)** أي من محبتهم فالمراد قرب المودة **(قريب من الجنة)** لسعيه فيما يدنيه منها وسلوكه طريقها فالمراد هنا قرب المسافة **(بعيد من النار)** والقرب من الجنة والبعد من النار جائز باعتبار قرب المسافة لأنهما مخلوقتان، والقرب والبعد إنما هو برفع الحجاب وعدم رفعه. فإذا قلت: الحجب؟ قلت: المسافة **(وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس)** أما بعده عن الله فلكون البخل مما أبغضه الله تعالى فهو بعيد عن رحمته تعالى وثوابه، وأما بعده عن الناس فلكونهم يمقتونه فيبعدوه عنه ويبعد عنهم، **(بعيد من الجنة)** لأنه لم يسلك طريقها. **(قريب من النار)** لكونها حفت بالشهوات وحجبت بها والبخل بالمال شهوة نفسية هي طريقه الموصلة إلى النار. **(وجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل»)** لأن الجاهل السخي سريع الانقياد إلى ما يؤمر به من نحو تعلم وإلى ما ينهي عنه بخلاف العابد البخيل.

قال ابن العربي: وهذا مشكل يباعد الحديث عن الصحة مباعدة كثيرة، وعلى حاله فيحتمل أن معناه إن الجهل قسمان: جهل ما لا بد من معرفته في عمله واعتقاده، وجهل بما يعود نفعه على الناس من العلم، فأما المختص به فعابد بخيل خير منه، وأما الخارج عنه فجاهل سخي خير منه لأن

« اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله، فإن أصبت أهله فقد أصبت

الجهل والعلم يعودان للاعتقاد والسخاء والبخل للعمل، (**وعقوبة ذنب الاعتقاد أشد من ذنب العمل انتهى.**

(**« وأدوأ الداء البخل »**) أي أعظمه داء. قال العراقي: رواه الترمذي وقال: غريب ولم يذكر فيه أدوأ الداء البخل، وقد رواه بهذه الزيادة الدارقطني فيه انتهى.

قلت: سياق المصنف رواه ابن جرير في تهذيبه بتلك الزيادة من حديث أبي هريرة بدون: « ان » في الجملتين وقال: ولجاهل. وقال: أكبر الداء البخل. وأما الذي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة بدون « إن » في الموضعين وبزيادة اللام في جاهل وبدون تلك الزيادة، فقد رواه من طريق سعد بن محمد الوراق عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن الأعرج عن أبي هريرة وقال: إنه غريب، وإنما يروي هذا عن يحيى عن سعيد عن عائشة مرسلاً انتهى.

وكذلك رواه العقيلي في الضعفاء، والدارقطني في الإفراد، وابن عدي، والبيهقي، والخرائطي في مكارم الأخلاق، والخطيب في كتاب البخلاء كلهم من حديث أبي هريرة. وقد روي أيضاً حديث جابر، وعائشة، وأنس.

أما حديث جابر، فرواه البيهقي في الشعب.

وأما حديث عائشة، فرواه أبو بكر بن أبي داود، عن جعفر بن محمد بن المرزبان، عن خالد بن يحيى، عن غريب بن عبد الواحد، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة فزاد فيه سعيداً لكنه غريب لا يعرف. ورواه الدارقطني، والطبراني في الأوسط والبيهقي، والخطيب من طريق سعيد بن محمد الوراق، وأيضاً عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن عائشة، وعند بعضهم، عن الوراق، عن يحيى بن عروة، عن عائشة. والوراق قال الذهبي: ضعيف. وقال البيهقي: تفرد به الوراق وهو ضعيف. ورواه القشيري في الرسالة من طريق سعيد بن مسلمة، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم. ولكن بدون الجملة الأخيرة وفيه: « والجاهل السخي أحب إليَّ لله من العابد البخيل ».

وأما حديث أنس؛ فرواه الطبراني وفي مسنده محمد بن تميم وهو وضاع. وقال الدارقطني بعد أن أورد هذا الحديث: له طرق ولا يثبت منها شيء، فتعلق ابن الجوزي بهذه الزيادة فأورد الحديث في الموضوعات، وقد ردّ عليه الحافظ ابن حجر بأنه لا يلزم من هذه العبارة أن يكون موضوعاً، فالثابت يشمل الصحيح والضعيف دونه وهذا ضعيف، فالحكم عليه بالوضع ليس بجيد نقله السخاوي في المقاصد، والشمس الداودي وغيرهما.

(**وقال النبي ﷺ: « اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله فإن أصبت**

أهله، وإن لم تصب أهله فأنت من أهله». وقال ﷺ: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين». وقال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل جعل للمعروف وجوهاً من خلقه حبب إليهم المعروف وحبب إليهم فعاله ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه كما يسر الغيث إلى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي به أهلها». وقال

أهله فقد أصبت أهله وإن لم تصب أهله فأنت أهله») قال العراقي: رواه الدارقطني في المستجاد من رواية جعفر بن محمد عن أبيه، عن جده مرسلاً، وتقدم في آداب الصحبة.

قلت: ورواه ابن النجار من حديث علي. ورواه ابن لال، والخطيب في رواية مالك من حديث ابن عمر.

(وقال ﷺ: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين») قال العراقي: رواه الدارقطني في المستجاد، وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أنس. وفيه محمد بن عبد العزيز بن المبارك الدينوري. أورد ابن عدي له مناكير، وفي الميزان أنه ضعيف منكر الحديث. وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد نحوه، وفيه صالح المري متكلم فيه انتهى.

قلت: وكذلك رواه الخلال في كرامات الأولياء، وهو من حديث الحسن عن أنس وقد رواه الحكيم في النوادر، وابن أبي الدنيا في كتاب السخاء، والبيهقي من طريقه من مرسل الحسن ولفظه: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة، ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور وسخاوة الأنفس والرحمة لجميع المسلمين».

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل جعل للمعروف)** وهو اسم جامع لما عرف من الطاعة وندب من الإحسان **(وجوهاً)** أي جاعات فكنى بالوجه عن الذات **(من خلقه)** أي الآدميين بقرينة قوله: **(حبب إليهم المعروف)** أي جبلهم عليه **(وحبب إليهم فعاله)** أي لأجل القيام به ونشره في العالم أن يفعلوه مع غيرهم، **(ووجه طلاب المعروف إليهم)** أي إلى قصدهم وسؤالهم له في فعله معهم **(ويسر)** أي سهل **(عليهم إعطاءهم)** إياه، وفي رواية اعطاءه أي هيأ لهم أسبابه **(كما يسر الغيث إلى الأرض الجدبة)** أي الممحلة **(فيحييها)** به فتخرج نباتها بإذن ربها **(ويحي به أهلها»)** أي بما تخرج من النبات هم ومواشيهم وفي رواية: ليحييها ويحي أهلها. قال العراقي: رواه الدارقطني في المستجاد من رواية أبي هارون العبدي عنه وأبو هارون ضعيف. ورواه الحاكم من حديث علي وصححه انتهى.

قلت: ولحديث أبي سعيد بقية وهي «وإن الله تعالى جعل للمعروف أعداء من خلقه بغض

ﷺ: «كل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة، وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة، وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها». وقال

إليهم المعروف وبغض إليهم فعاله وحظر عليهم إعطاءه كما يحظر الغيث عن الأرض الجدبة ليهلكها ويهلك بها أهلها وما يعفو أكثر» وهكذا رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، وهو من طريق عثمان بن سماك، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد. وقد رواه أيضاً أبو الشيخ، وأبو نعيم، والديلمي باللفظ المذكور.

(وقال رسول الله ﷺ: **«كل معروف**) أي ما عرف فيه رضا الله أو ما عرف من جملة الخيرات أو ما شهد عيانه بموافقته وقبول موقعه بين الأنفس فلا يلحقها منه تنكر (**صدقة»**) أي بمنزلة الصدقة وثوابه كثوابها. رواه أحمد، والبخاري، وابن حبان، والدارقطني، والحاكم من حديث جابر. ورواه الطبراني في الكبير من حديث بلال ورواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، وأبو عوانة، وابن حبان من حديث حذيفة. ورواه ابن حبان من حديث ابن مسعود، ورواه ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس. ورواه الطبراني في الكبير من حديث عدي بن ثابت، عن أبيه، عن جده. ورواه أحمد، والطبراني في الصغير من حديث نبيط بن شريط. ورواه الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن يزيد، وقد رويت في هذا الحديث زيادات فمنها ما ذكره المصنف: (**«وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة**) لأنه ينكف بذلك عن السؤال ويكف. من ينفق عليه (**وما وقى به الرجل عرضه فهو له صدقة**) وهو ما يعطيه الشاعر أو من يخاف شره ولسانه وإنما كان صدقة لأن صيانة العرض من جملة الخيرات لا أنه يحرم على الغير كالدم والمال، (**وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها»**) قال العراقي: رواه ابن عدي، والدارقطني في المستجاد، والخرائطي، والبيهقي في الشعب من حديث جابر، وفيه عبد الحميد بن الحسن الهلالي وثقة ابن معين وضعفه الجمهور. والجملة الأولى منه عند البخاري من حديث جابر وعند مسلم من حديث حذيفة انتهى.

قلت: رواه بتمامه عبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، والحاكم من طريق عبد الحميد بن الحسن، عن محمد بن المنكدر عن جابر. وقال الحاكم: صحيح وتعقبه الذهبي بقوله: إن عبد الحميد ضعفوه، وقال في الميزان أنه غريب جداً. ولفظ حديث جابر بعد الجملة الأولى: «وما أنفق المسلم من نفقة على نفسه وأهله كتب له بها صدقة، وما وقى به المرء المسلم عرضه كتب له بد صدقة، وكل نفقة أنفقها المسلم فعلى الله خلفها والله ضامن إلا نفقة في بنيان أو معصية». وتقدم أن القضاعي روى من هذه الطريق: «ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة، وما أنفق الرجل على أهله ونفسه كتبت له صدقة» وفيه قال عبد الحميد الهلالي، فقلت لمحمد بن المنكدر: ما معنى ما وقى به عرضه الخ؟ وقد تقدم. وتقدم أيضاً أن عبد الحميد لم ينفرد به، بل رواه القضاعي أيضاً من طريق مسعود بن الصلت المزني، وبهذا يجاب عن تعقب الذهبي على الحاكم.

ومن جملة الزيادات في حديث جابر: «يصنعه أحدكم إلى غني أو فقير» رواه أبو يعلى في

ﷺ : « كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان ». وقال ﷺ : « كل معروف فعلته إلى غني أو فقير صدقة ». وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : لا تقتل السامري فإنه سخي . وقال جابر : بعث رسول الله ﷺ بعثاً

حديث جابر : « وإن من المعروف أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط وأن تصب من دلوك في إناء جارك » رواه أحمد وعبد بن حميد والترمذي وقال : حسن صحيح ، والدارقطني ، والحاكم .

ومن الزيادات في حديث بلال : « والمعروف يقي سبعين نوعاً من البلاء ويقي ميتة السوء » الحديث . رواه هكذا ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ، والخرائطي ، وابن النجار .

ومن الزيادة في حديث ابن مسعود : « غنياً كان أو فقيراً » رواه الطبراني في الكبير .

ومن الزيادات في حديث ابن عباس ما أشار إليه المصنف بقوله : **(وقال ﷺ : « كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة اللهفان »)** أي المتحير في أمره الحزين المسكين الذي لا يجد له مغيثاً ولا ناصراً . قال العراقي : رواه الدارقطني في المستجاد من رواية الحجاج بن ارطأة ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده والحجاج ضعيف وقد جاء مفرقاً والجملة الأولى تقدمت قبله ، والجملة الثانية تقدمت في كتاب العلم من حديث أنس وغيره ، والجملة الثالثة رواه أبو يعلى من حديث أنس وفيها زيادة النميري ضعيف . وروى ابن عدي الجملتين الأخيرتين في ترجمة سليمان الشاذ كوني من حديث بريدة انتهى .

قلت : وروى البيهقي هذه الجمل الثلاثة معاً في الشعب من حديث ابن عباس ، وفيه طلحة بن عمرو . قال الذهبي : قال أحمد : متروك الحديث .

(وقال ﷺ : « كل معروف فعلته إلى غني أو فقير صدقة ») قال العراقي :، رواه الدارقطني في المستجاد من حديث أبي سعيد وجابر ، والطبراني والخرائطي ، كلاهما في مكارم الأخلاق . ومن حديث ابن مسعود ، وابن منيع من حديث ابن عمر بإسنادين ضعيفين اهـ .

قلت : حديث جابر رواه أيضاً الخطيب في الجامع ، وابن عساكر في التاريخ بلفظ : « صنعته » بدل « فعلته » وفيه : صدقة . وحديث ابن مسعود رواه أيضاً ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ، وحديث ابن عمر رواه ابن أبي الدنيا أيضاً في الكتاب المذكور .

(وروي) في الإسرائيليات **(أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام : لا تقتل السامري فإنه سخي)** وهو رجل من اليهود وقصته مذكورة في القرآن وطائفة من اليهود ينتسبون إليه . وذكر المسعودي أنهم ينكرون نبوة داود ومن بعده من الأنبياء يقولون : لا نبي بعد موسى وجعلوا رؤساءهم من ولد هارون بن عمران ويقولون : لا مساس . ويزعمون أن نابلس هي بيت المقدس وهي مدينة يعقوب عليه السلام .

(وقال جابر) بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه : **(بعث رسول الله ﷺ بعثاً)** أي سرية

عليهم قيس بن سعد بن عبادة، فجهدوا فنحر لهم قيس تسع ركائب، فحدثوا رسول الله ﷺ بذلك، فقال ﷺ: «إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت».

الآثار: قال علي كرّم الله وجهه، إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقى وأنشد:

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة   فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجود بها   فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهم عن المروءة والنجدة والكرم فقال: أما المروءة فحفظ الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المسارعة والإقدام في الكراهية. وأما النجدة فالذب عن الجار والصبر في المواطن، وأما الكرم فالتبرع

(**ولي عليهم قيس بن سعد بن عبادة**) بن دليم بن حارثة بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، صحابي ابن صحابي رضي الله عنهما، مات سنة ستين أو بعدها، روى له الجماعة، (**فجهدوا**) بالضم مبنياً للمفعول أي أصابهم الجهد (**فنحر لهم قيس تسع ركائب**) جمع ركوبة بالفتح وهي الناقة تركب، (**فحدثوا رسول الله ﷺ بذلك**) لما قدموا. (**فقال ﷺ: «إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت»**) يشير به إلى بيت سعد بن عبادة، فإنهم مشهورون بالجود والإطعام من آبائهم. قال العراقي: رواه الدارقطني في المستجاد من رواية أبي حمزة الحميري عن جابر ولا يعرف إسمه ولا حاله اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أبو بكر الشافعي في الغيلانيات، وابن عساكر بسياق المصنف عن جابر عن عبدالله. ورواه ابن عساكر أيضاً عن جابر بن سمرة. وقول المصنف يحتمل أن يكون جابر الأنصاري، وأن يكون جابر بن سمرة.

(**الآثار: قال علي كرم الله وجهه: إذا أقبلت الدنيا**) إليك فإن وفر مالك وجاهك (**فانفق منها**) لمن يستحق (**فإنها لا تبقى**) بإنفاقك مع الإقبال، (**وإذا أدبرت**) عنك وولت (**فانفق منها**) أيضاً (**فإنها لا تبقى**) فالإنفاق منها محمود على كل حال (**وأنشد**):

(**لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة   فليس ينقصها التبذير والسرف**)
(**وإن تولت فأحرى أن تجود بها   فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف**)

(**وسأل معاوية**) بن أبي سفيان (**الحسن بن علي**) رضي الله عنهما (**عن المروءة والنجدة والكرم**) ما حدها؟ (**فقال**) الحسن: (**أما المروءة فحفظ الرجل دينه**) عما لا يليق به (**وحرزه نفسه**) عن الذهول والدناءة (**وحسن قيامه**) أي التعهد (**بضيفه وحسن المسارعة والإقدام في الكراهية**) أي فيما تكرهه النفس، وهذه الأوصاف هي المعبر عنها بالإنسانية. (**وأما النجدة. فالذب**) أي الدفع والمنع (**عن الجار**) بأن لا يوطىء جاره بما يكره، (**والصبر في**

بالمعروف قبل السؤال والإطعام في المحل والرأفة بالسائل مع بذل النائل. ورفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال: حاجتك مقضية. فقيل له: يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك. فقال: يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقعته. وقال ابن السماك: عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه. وسئل بعض الأعراب: من سيدكم؟ فقال: من احتمل شتمنا وأعطى سائلنا وأغضى عن جاهلنا. وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما: من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخياً وإنما السخي من يبتدىء بحقوق الله تعالى في أهل طاعته ولا تنازعه نفسه إلى حب الشكر له إذا كان يقينه بثواب الله تاماً. وقيل للحسن البصري: ما السخاء؟ فقال: أن تجود بمالك في الله عز وجل. قيل: فما الحزم؟ قال: أن تمنع مالك فيه، قيل: فما الإسراف؟ قال: الإنفاق لحب الرياسة، وقال جعفر الصادق رحمة الله عليه: لا مال أعون من العقل، ولا مصيبة أعظم من الجهل، ولا مظاهرة كالمشاورة. ألا

المواطن) أي مواطن الشدة. **(وأما الكرم: فالتبرع بالمعروف قبل السؤال)** أي يبتدىء به قبل أن يسأل، **والإطعام في المحل)** أي وقت الجدب وقلة المطر، **(والرأفة بالسائل)** أي الشفقة والرحمة بحاله **(مع بذل النائل)** أي العطاء.

(ورفع رجل إلى) أبي عبدالله **(الحسن بن علي)** رضي الله عنهما **(رقعة)** يسأله فيها حاجة. **(فقال: حاجتك مقضية)** وذلك قبل أن يقرأها. **(فقيل له: يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك؟ قال: يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه)** أي وقوفه **(بين يدي حتى اقرأ رقعته. وقال)** محمد بن صبيح **(ابن السماك)** البغدادي الواعظ، **(عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وسئل بعض الأعراب: من سيدكم؟ فقال: من احتمل شتمنا)** فلم يرد عليه بمثله **(وأعطى سائلنا)** بماله ومعروفه **(وأغضى)** أي سامح **(عن جاهلنا)** فلم يؤاخذه بجهله. **(وقال علي بن الحسين)** زين العابدين رضي الله عنه: **(من وصف ببذل ماله لطلابه لم يكن سخياً وإنما السخي من يبتدىء بحقوق الله تعالى في أهل طاعته ولا تنازعه نفسه إلى حب الشكر له إذا كان يقينه بثواب الله تاماً)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقيل للحسن البصري)** رحمه الله تعالى: **(ما السخاء؟ قال: أن تجود بمالك في الله عز وجل. قيل: وما الحزم؟ قال أن تمنع مالك فيه)** أي في الله عز وجل. **(قيل: فما الإسراف، قال: الإنفاق لحب الرئاسة)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال جعفر الصادق)** رضي الله عنه: **(لا مال أعود من العقل)** أي أكثر عائدة منه، **(ولا مصيبة اعظم من الجهل، ولا مظاهرة)** وهي المعاونة **(كالمشاورة)** مع أهل الدين

وأن الله عز وجل يقول: إني جواد كريم لا يجاورني لئيم، واللؤم من الكفر وأهل الكفر في النار، والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة. وقال حذيفة رضي الله عنه: رب فاجر في دينه أخرق في معيشته يدخل الجنة بسماحته. وروي أن الأحنف بن قيس رأى رجلاً في يده درهم فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال: لي، فقال: أما أنه ليس لك حتى يخرج من يدك وفي معناه قيل:

أنـــت للمال إذا أمسكتـــــه ... فــإذا أنفقتــه فــالمال لــك

وسمي واصل بن عطاء الغزال، لأنه كان يجلس إلى الغزالين فإذا رأى امرأة ضعيفة أعطاها شيئاً. وقال الأصمعي: كتب الحسن بن علي إلى الحسين بن علي رضوان الله عليهم يعتب عليه في إعطاء الشعراء فكتب إليه؟ خير المال ما وقى به العرض. وقيل لسفيان بن

والرأي المتين. **(ألا وإن الله عز وجل يقول: إني جواد كريم لا يجاورني لئيم)** أي في دار كرامتي، **(واللؤم من الكفر وأهل الكفر في النار، والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة)** وهو معنى الخبر السابق: «السخاء شجرة من أشجار الجنة واللؤم شجرة من أشجار النار». **(وقال حذيفة)** بن اليمان رضي الله عنه: **(رب فاجر في دينه)** أي ليس بدين **(أخرق في معيشته)** أي لا يدري في أمور معيشته ولا يحسن الصنعة **(يدخل الجنة بسماحته)** أي بذله لماله. **(ورأى الأحنف بن قيس رجلاً في يده درهم)** يقلبه **(فقال: لمن هذا الدرهم؟ قال: لي فقال: أما أنه ليس لك حتى يخرج من يدك. وفي معناه قيل)**:

(أنـــت للمال إذا أمسكتـــــه ... فــإذا أنفقــه فــالمال لــك)

أي: إذا أحرزته عندك فأنت بإزائه كالحارس له والخائف عليه، فإذا أخرجته من يدك صار لك حيث قضى حاجتك وسلمت من وباله واسترحت من حراسته.

(وسمي واصل بن عطاء الغزال) وهي نسبة من يبيع الغزل ولم يكن كذلك ولكنه لقب به، **(لأنه كان يجلس إلى الغزالين)** أي عندهم في سوقهم، **(فإذا رأى امرأة ضعيفة)** الحال أتت تشتري الغزل وهي فقيرة **(أعطاها شيئاً)** من المال مواساة لها، فلكثرة ملازمته لهم لقب بالغزال. وواصل هذا هو الذي كان يختلف إلى الحسن البصري، فلما اختلفوا، وقالت الخوارج بتكفير مرتكبي الكبائر، وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر، فخرج واصل عن الفريقين وقال: فاسق هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر منزلة بين المنزلتين، فطرده الحسن فاعتزله وجلس إليه عمرو بن عبيد في باب مولى بلعدوية البصري من بني تميم فقيل لهما ولأتباعهما المعتزلة. وكان عمرو ورعاً مجتهداً إلا أنه يكذب في الحديث وهماً لا عمداً.

(وقال الأصمعي) عبد الملك بن سعيد بن قريب: **(كتب الحسن بن علي إلى)** أخيه **(الحسين بن علي رضي الله عنهما يعتب عليه في إعطاء الشعراء)** الأموال الجمة، **(فكتب**

عيينة: ما السخاء؟ قال: السخاء البر بالإخوان والجود بالمال. قال: وورث أبي خمسين ألف درهم فبعث بها صرراً إلى إخوانه. وقال: قد كنت أسأل الله تعالى لإخواني الجنة في صلاتي أفأبخل عليهم بالمال؟ وقال الحسن: بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود. وقيل لبعض الحكماء: من أحب الناس إليك؟ قال: من كثرت أياديه عندي، قيل: فإن لم يكن، قال: من كثرت أياديّ عنده. وقال عبد العزيز بن مروان: إذا الرجل أمكنني من نفسه حتى أضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده. وقال المهدي لشبيب بن شيبة: كيف رأيت الناس في داري؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن الرجل منهم ليدخل راجياً ويخرج راضياً، وتمثل متمثل عند عبدالله بن جعفر فقال:

إليه: خير المال ما وقى به العرض) أي حفظه عن الامتهان، وهو معنى الخبر السابق « ما وقى به المؤمن عرضه فهو صدقة » رواه عبد الحميد بن الحسن عن ابن المنكدر عن جابر رفعه. **قال عبد** الحميد: سأل ابن المنكدر عن معناه. فقال: ما يعطيه الشعراء وقد تقدم نحوه. **(وقيل لسفيان بن عيينة)** رحمه الله تعالى: **(ما السخاء؟ السخاء البرّ بالإخوان)** أي مواصلتهم بالإحسان **(والجود بالمال)** أي اعطاؤه وبذله لهم. **(قال: وورث أبي)** وهو عيينة بن ميمون الهلالي **(خمسين ألف درهم فبعث بها صرراً إلى إخوانه وقال: قد كنت أسأل الله تعالى لإخواني الجنة في صلاتي أفأبخل عليهم بالدنيا؟)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(بذل المجهود)** أي الطاقة **(في بذل الموجود)** من المال **(منتهى الجود: وقيل لبعض الحكماء: من أحب الناس إليك؟ قال: من كثرت أياديه)** أي نعمه ومعروفه واحسانه **(عندي. قيل: فإن لم يكن؟ قال: من كثرت أياديَّ)** أي نعمي **(عنده، وقال عبد العزيز بن مروان)** ابن الحكم الأموي والد عمر بن عبد العزيز وأخو عبد الملك: **(إذا الرجل أمكنني من نفسه حتى أضع معروفي عنده)** أي قبله مني **(فيده عندي مثل يدي عنده)** أي سواء، **(وقال المهدي)** محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس: **(لشبيب بن شيبة)** بن عبد الله التميمي المنقري البصري كنيته أبو معمر أحد البلغاء إخباري صدوق، ولفصاحته قيل له الخطيب ولم يخطب قط. روى عن الحسن البصري، وروى له الترمذي، وقد ضعفه يحي بن معين، مات في حدود السبعين: **(كيف رأيت الناس في داري؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن الرجل منهم يدخل راجياً ويخرج راضياً)** وهذا الجواب مع اختصاره في غاية البلاغة مع ما بين يدخل ويخرج من حسن المقابلة والجناس بين راضيا وراجياً ولزوم ما لا يلزم، وفي صفوة التاريخ: وكان المهدي يقعد للمظالم فقال لبعض أصحابه: كيف رأيت الناس؟ فقال: رأيت الخارج راضياً والداخل راجياً. **(وتمثل متمثل عند عبد الله بن جعفر)** بن أبي طالب، وهو أحد أجواد قريش، وسيأتي ذكره في حكايات الأسخياء - **(فقال)**:

إن الصنيعـة لا تكـون صنيعـة حتى يصاب بها طريـق المصنـعِ
فإذا اصطنعت صنيعة فاعمل بها لله أو لـذوي القـرابـة أودعِ

فقال عبدالله بن جعفر: إن هذين البيتين ليبخلان الناس، ولكن أمطر المعروف مطراً، فإن أصاب الكرام كانوا له أهلاً وإن أصاب اللئام كنت له أهلاً.

حكايات الاسخياء: عن محمد بن المنكدر عن أم درة ـ وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها ـ قالت: إن معاوية بعث إليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة ألف درهم، فدعت بطبق فجعلت تقسمه بين الناس، فلما أمست قالت: يا جارية هلمي فطوري فجاءتها بخبز

(إن الصنيعـة لا تكـون صنيعـة حتى يصاب بها طـريـق المصنـعِ)
(فإذا اصطنعت صنيعة فاعمل بها لله أو لـذوي القـرابـة أودعِ)

وهو معنى قول الأثر السابق عن علي رضي الله عنه: الصنيعة لا تكون إلا الذي حسب ودين، وقد روي ذلك أيضاً من قول محمد بن علي بن الحسين كما في الحلية. **(فقال عبد الله بن جعفر: إن هذين البيتين ليبخلان الناس)**. أي يعلمانهم بخلاً، **(ولكن امطر المعروف مطراً)** أي عم بمعروفك على الكل، **(فإن أصاب الكرام كانوا له أهلاً، وإن أصاب اللئام كنت أنت له أهلاً)** وهو معنى الخبر السابق: «اصنع المعروف مع من هو أهله ومن ليس بأهله فإن أصاب الأهل فهو له أهل وإن لم يصب الأهل فأنت له أهل» ومن هنا قول العامة: اعمل المعروف وارمه في البحر إن لم يعرفه السمك يعرف رب السمك. فكـان عبد الله بن جعفر إنما ردّ على المتمثل قوله في المصراع الأخير حيث خصص فيه القرابة، ثم قال: «أودعِ» أي اترك. وإلا فالاختيار أن الصنيعـة تكون في ذوي حسب ودين وهذا لا ينكر، والله أعلم.

حكايات الاسخياء:

روي **(عن محمد بن المنكدر)** بن عبد الله بن الهدير التيمي المدنيّ ابن خال عائشة ثقة فاضل تقدم ذكره، **(عن أم درة وكانت تخدم عائشة رضي الله عنها)** وهي مولاة لها. هكذا ضبطه غير واحد بضم الدال المهملة، وضبطه الحافظ في التبصير بفتح الذال المعجمة وهي مقبولة. وروى له أبو داود في السنن: **(أن معاوية أو ابن الزبير)** وفي بعض النسخ الاقتصار على أحدهما بغير شك، ولفظ القوت أن ابن الزبير ولم يشك وهو عبد الله بـن الزبير رضي الله عنه **(بعث إليها بمال في غرارتين)** قالت: أراه **(ثمانين ومائة ألف درهم)** في كل غرارة تسعون ألفاً، **(فدعت بطبق)** وهي يومئذ صائمة **(فجعلت تقسمه بين الناس)** فأمست وما عندها من ذلك درهم، **(فلما أمست قالت: يا جارية هلمي بفطوري)** ولفظ القوت هلمي فطري **(فجاءتها بخبز**

وزيت فقالت لها أم درة: ما استطعت فيما قسمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟ فقالت لو كنت ذكرتني لفعلت.

وعن أبان بن عثمان قال: أراد رجل أن يضار عبدالله بن عباس فأتى وجوه قريش فقال: يقول لكم عبيدالله تغدوا عندي اليوم، فأتوه حتى ملأوا عليه الدار، فقال ما هذا؟ فأخبر الخبر، فأمر عبيدالله بشراء فاكهة وأمر قوماً فطبخوا وخبزوا، وقدمت الفاكهة إليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فأكلوا حتى صدروا، فقال عبد الله لوكلائه: أموجود لنا هذا كل يوم؟ قالوا: نعم، قال: فليتغذ عندنا هؤلاء في كل يوم.

وقال مصعب بن الزبير: حج معاوية فلما انصرف مر بالمدينة، فقال الحسين بن علي لأخيه الحسن لا تلقه ولا تسلم عليه، فلما خرج معاوية، قال الحسن إن علينا ديناً فلا بدّ لنا من إتيانه فركب في اثره ولحقه فسلم عليه وأخبره بدينه، فمروا عليه ببختي عليه ثمانون ألف دينار وقد أعيا وتخلف عن الإبل وقوم يسوقونه، فقال معاوية: ما هذا فذكر له، فقال: أصرفوه بما عليه إلى أبي محمد [1].

وزيت فقالت لها أم درة: ما استطعت) ولفظ القوت: أما استطعت **(فيما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه؟ قالت)**: لا تعنفيني **(ولو كنت ذكرتيني لفعلت)** هكذا نقله صاحب القوت. قال: وروى هشام بن عروة عن أبيه أن معاوية بعث إلى عائشة مرة بمائة ألف. قال: فوالله ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فرقتها، فقالت مولاة لها: لو اشتريت لنا من هذه الدراهم بدرهم لحماً؟ فقالت: لو قلت لي قبل أن أفرقها فعلت. وقال تميم بن عروة بن الزبير: لقد رأيت عائشة تتصدق بسبعين ألفاً وأنها لترفع جانب درعها. ورواه حجاج عن عطاء قال: بعث معاوية إلى عائشة بطوق من ذهب فيه جوهر قوّم بمائة ألف فقسمته بين أزواج النبي ﷺ.

(وعن أبان بن عثمان) بن عفان الأموي المدني كنيته أبو سعيد، ويقال أبو عبد الله. ثقة مات سنة خمس ومائة. روى له البخاري في كتاب الأدب المفرد ومسلم والأربعة **(قال: أراد رجل أن يضار عبد الله بن عباس)** رضي الله عنه **(فأتى وجوه قريش)** أي أكابرهم **(فقال: يقول لكم عبد الله تغدوا عندي اليوم، فأتوه** حتى ملأوا عليه الدار **)** أي لكثرتهم: **(فقال: ما هذا؟ فأخبر الخبر، فأمر عبد الله بشراء فاكهة)** من السوق يليهم بها **(وأمر قوماً فطبخوا وخبزوا، وقدمت الفاكهة إليهم فلم يفرغوا منها حتى وضعت الموائد فأكلوا « حتى صدروا شباعاً)**، فقال عبدالله لوكلائه: أموجود لنا هذا كل يوم؟ فقالوا: نعم. قال: فليتغذ عندنا هؤلاء كل يوم نقله القشيري في الرسالة.

---

(١) هذه الفقرة من قوله: « وقال مصعب ... » إلى قوله: « إلى أبي محمد » لم ترو في سياق الشرح.

وعن واقد بن محمد الواقدي قال: حدثني أبي أنه رفع رقعة إلى المأمون يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه، فوقع المأمون على ظهر رقعته إنك رجل اجتمع فيك خصلتان، السخاء والحياء، فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك، وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما أنت عليه، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم فإن كنت قد أصبت فازدد في بسط يدك، وإن لم أكن قد أصبت فجنايتك على نفسك، وأنت حدثتني وكنت على قضاء الرشيد، عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس. أن النبي ﷺ قال للزبير بن العوّام: «يا زبير إعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش يبعث الله

(وعند واقد بن محمد الواقدي قال: حدثنا أبي) أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن واقد الاسلمي المعروف بالواقدي نسبة إلى جده الأعلى، وهو من موالي بني أسلم، تولى قضاء بغداد من قبل الرشيد، وولاه المأمون قضاء عسكر المهدي، وكان يكرم جانبه ومات بها. روى عن أبي ذؤيب ومعمر والإوزاعي ومالك والثوري. وعنه أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن سعد كاتبه وآخرون. قال ابن معين: لا يكتب حديثه هو ليس بشيء. وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث ترك الناس حديثه إلا للاعتبار. وقال ابن الأثير: ضعف في المغازي وغيرها، وولي قضاء شرقي بغدا د: وولد سنة ١٣٠ ومات في ذي الحجة سنة ٢٠٧. زاد ابن التراب لاثنتي عشرة خلت من ذي الحجة ببغداد. **(أنه رفع رقعة إلى المأمون)** عبد اللهبن هارون العباسي وهو يومئذ خليفة **(يذكر فيها كثرة الدين)** بسبب ضائقة لحقته **(وقلة صبره عليه)** وعين مقداره في قصته، **(فوقع المأمون على ظهر رقعته)** بخطه: **(إنك رجل اجتمع فيك خصلتان: سخاء وحياء، فأما السخاء فهو الذي أطلق ما في يديك)**بتبذير ما ملكت، **(وأما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما أنت عليه)** وفي رواية، والحب حملك على أن ذكرت لنا بعض دينك. **(وقد أمرت لك بمائة ألف درهم)** وهو ضعف ما سأل وكان دينه خمسين ألف درهم، **(فإن كنت قد أصبت فازدد في بسط يدك، وإن لم أكن أصبت فجنايتك على نفسك)**، وفي رواية: فإن كنا قصرنا عن بلوغ حاجتك فجنايتك على نفسك، وإن كنا بلغنا بغيتك فزد في بسطة يدك، فإن خزائن الله مفتوحة ويده بالخير مبسوطة. **(وأنت حدثتني وأنت)** وفي رواية: حين كنت **(على قضاء الرشيد)** أي لأن الرشيد كان ولآه قضاء شرقية بغداد **(عن محمد بن إسحاق)** بن يسار أبي بكر المطلبي مولاهم المدني نزيل العراق إمام المغازي، صدوق يدلس، مات سنة خمسين ومائة. روى له البخاري في التاريخ ومسلم والأربعة، وله ترجمة واسعة في تاريخ الخطيب، وهو أول التراجم في الكتاب عن الزهري عن أنس رضي الله عنه **(أن النبي ﷺ قال للزبير بن العوّام)** بن خويلد ابن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن عبد الله القرشي الأسدي، أحد العشرة المشهود له بالجنة رضي الله عنه: **(«يا زبير اعلم أن مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش يبعث الله عز**

عز وجل إلى كل عبد بقدر نفقته، فمن كثر كثر له، ومن قلل قلل له وأنت أعلم، قال الواقدي: فوالله لمذاكرة المأمون إياي بالحديث أحب من الجائزة وهي مائة ألف درهم.

وجل إلى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر له ومن قلّل قلّل له») أي من وسع على عياله ونحوهم ممن عليه مؤنتهم وجوباً أو ندباً أدرأ له عليه من الأرزاق بقدر ذلك أو أزيد، ومن قتر قتر عليه. وشاهده الخبر: إن الله ينزل المعونة على قدر المؤنة، والخبر الآخر إن لله ملكاً ينادي كل صباح: اللهم أعط كل منفق خلفاً وأعط كل ممسك تلفاً. قال العراقي: حديث أنس مذكور رواه الدارقطني في المستجاد، وفي إسناده الواقدي، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري بالعنعنة ولا يصح اهـ.

قلت: يشير إلى أن محمد بن إسحاق يدلس كما سبق فما كان من رواياته كذلك فليس بمقبول عند أهل النقد، وقد رواه الدارقطني أيضاً في الإفراد بلفظ «إن مفاتيح الرزق متوجهة نحو العرش فينزل الله تعالى على الناس أرزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له» وفيه أيضاً عبد الرحمن بن حاتم المرادي. قال الذهبي: ضعيف، وقد رواه كذلك ابن النجار، ولفظ المصنف رواه التيمي في الترغيب إلا أنه قال «إلى عباده على قدر نفقتهم» والباقي سواء.

وروى ابن عدي في الكامل، وأبو نعيم في الحلية كلاهما من طريق علي بن سعيد بن بشير عن أحمد بن عبد الله بن نافع ثابت بن عبد الله بن الزبير، عن هشام بن عروة، وعن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال الزبير بن العوام: مررت برسول الله ﷺ فجبذ عمامتي بيده فالتفت إليه فقال: «يا زبير ان باب الرزق مفتوح من لدن العرش إلى قوام بطن الأرض يرزق الله كل عبد على قدر همته ونهمته» وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات. وقال عبد الله: يروي الموضوعات على الإثبات، وأقره على ذلك السيوطي في مختصر الموضوعات.

(وأنت أعلم) هذا من كلام المأمون يخاطب به الواقدي تأدباً كأنه يقول: وأنت أكثر علماً مني بذلك. **(قال الواقدي)** وكنت أنسيت الحديث **(فوالله لمذاكرة المأمون إياي الحديث)** المذكور **(أحب إلي من الجائزة ومن مائة ألف)**. وهذه الحكايات ساقها الخطيب في التاريخ مع اختلاف يسير، وكان الواقدي إماماً واسع العلم والرواية. وممن روى عنه بشر الحافي، وناهيك به منقبة له. وذكر ابن الجوزي في كتابه الذي وضعه في أخبار بشر أن بشراً أخذ عنه رقية الحمى وهي أن تكتب على ثلاث ورقات زيتون نهار السبت على واحدة جهنم غرثى، وعلى الثانية جهنم عطشى، وعلى الثالثة مقدورة، ثم تجعل في خرقة وتشد في عضد المحموم الأيسر. قال: سمعت الواقدي يقول: جربته فوجدته نافعاً.

ومما يناسب إيراده هنا ما رواه المسعودي في مروج الذهب، والخطيب في التاريخ واللفظ للمسعودي قال الواقدي: كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة فنالتني ضائقة

وسأل رجل الحسن بن علي رضي الله عنهما حاجة فقال له: يا هذا حق سؤالك إياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكبر علي، ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله، والكثير في ذات الله تعالى قليل، وما في ملكي وفاء لشكرك، فإن قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتيال والاهتمام لما أتكلفه من واجب حقك فعلت، فقال: يا ابن رسول الله أقبل وأشكر العطية، وأعذر على المنع، فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال: هات الفاضل من الثلاثمائة ألف درهم. فأحضر خمسين ألفاً قال: فما فعلت بالخمسمائة دينار؟ قال: هي عندي، قال أحضرها، فأحضرها فدفع الدنانير والدراهم إلى الرجل وقال: هات من يحملها لك، فأتاه بحمالين فدفع إليه الحسن رداءه

شديدة وحضر العيد، فقالت لي امرأتي: أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم لأنهم يرون صبيان الجيران وقد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحالة من الثياب الرثة، فلو احتلت في شيء نصرفه في كسوتهم. قال: فكتبت إلى صديقي الهاشمي اسأله التوسعة عليّ فوجه إليّ كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف درهم فما استقر قراري حتى كتب الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي الهاشمي، فوجهت إليه الكيس على حاله وخرجت إلى المسجد وأقمت فيه ليلتين مستحيياً من امرأتي؛ فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه، فبينا أنا كذلك إذا وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته، فقال لي: اصدقني عما فعلت فيما وجهت به إليك فعرفته الخبر على وجهه، فقال لي: إنك وجهت إليّ وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك، وكتبت الى صديقنا أسأله المؤاساة فوجه كيسي بخاتمي. قال الواقدي: فتواسينا الألف درهم فيما بيننا، ثم اننا أخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك، ونمي الخبر إلى المأمون فدعاني فشرحت له الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منا ألفا دينار وللمرأة ألف دينار.

(وسأل رجل الحسن بن علي) بن أبي طالب رضي الله عنه **(حاجة فقال له: يا هذا حق سؤالك إياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك تكبر عليَّ ويدي تعجز عن نيلك)** أي اعطائك **(بما أنت أهله، والكثير في ذات اليد قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فإن قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الإحتيال والاهتمام لما أتكلفه من واجبك فعلت)** فانظر حسن هذا الاعتذار الجامع لفنون المعاني الآخذ بأساليب الفصاحة **(فقال)** الرجل: **(يا ابن رسول الله اقبل)** الميسور **(واشكر العطية، واعذر على المنع، فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها)** أي أنهاها إلى آخرها **(فقال: هات الفاضل من الثلاثمائة ألف درهم، فأحضر خمسين ألفاً قال: فما فعلت بالخمسمائة دينار؟ قال: هي عندي. قال: احضرها فاحضرها فدفع الدراهم والدنانير إلى الرجل)** المذكور **(وقال: هات من يحملها لك فأتاه**

لكراء الحمالين، فقال له مواليه: والله ما عندنا درهم! فقال: أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم.

واجتمع قراء البصرة إلى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا: لنا جار صوّام قوام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله، وقد زوّج بنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به، فقام عبدالله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلهم داره وفتح صندوقاً فأخرج منه ست بدر فقال: إحملوا، فحملوا فقال: ابن عباس ما أنصفناه أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه، إرجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمناً عن عبادة ربه، وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا.

وحكي أنه لما أجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال: والله لأعلمن الشيطان أني عدوّه، فعَالَ محاويجهم إلى أن رخصت الأسعار، ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم، فرهنهم بها حلي نسائه وقيمتها خمسمائة ألف ألف درهم،

بحمالين فدفع إليه) وفي نسخة إليها **(الحسن رداءه لكراء الحمل، فقال له مواليه: والله ما عندنا درهم! فقال: ولكن أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم)** فانظره كيف اعتذاره وكيف إحسانه رضي الله عنه. وأورده القشيري في الرسالة مختصراً فقال: وسأل رجل الحسن بن علي شيئاً فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار وقال: ائت بحمّال يحمله، فأتى بحمال فأعطاه طيلسانه وقال: يكون كراء الحمّال من قبلي.

(و) يحكى أنه **(اجتمع قراء البصرة)** أي فقهاؤها **(إلى ابن عباس)** رضي الله عنه **(وهو عامل البصرة فقالوا: لنا جار صوّام قوّام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله)** وفي صلاحه، **(وقد زوج بنية له من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به، فقام ابن عباس فأخذ بأيديهم فأدخلهم داره وفتح صندوقاً فأخرج منه ست بدر)** جمع بدرة بالفتح **(فقال: احملوها)** إليه يستعين بها، **(فحملوا فقال ابن عباس: ما انصفناه أعطيناه ما يشغله عن صيامه وقيامه، ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل به مؤمناً عن عبادة ربه، وما بنا من التكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا)**.

(وحكى انه لما أجدب الناس بمصر) أي أقحطوا وغلت أسعارها **(وعبد الحميد بن سعد أميرهم فقال: والله لأعلمن الشيطان أني عدوّه)** أي في مخالفته له في البذل والإطعام **(فعال)** أي كفل **(محاويجهم)** أي فقراءهم وصرف إليهم ما يحتاجونه **(إلى أن رخصت الأسعار)** وارتفع الغلاء عنهم، **(ثم عزل عنهم فرحل وللتجار عليه ألف ألف درهم)** مما

فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب إليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم إلى من لم تنله صلاته.

وكان أبو طاهر بن كثير شيعياً فقال له رجل: بحق علي بن أبي طالب لما وهبت لي نخلتك بموضع كذا وكذا، فقال: قد فعلت، وحقه لأعطينك ما يليها، وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل.

وكان أبو مرثد أحد الكرماء فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر: والله ما عندي ما أعطيك ولكن قدمني إلى القاضي وادع علي بعشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احبسني، فإن أهلي لا يتركوني محبوساً ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس.

وكان معن بن زائدة عاملاً على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فأقام مدة وأراد الدخول على معن فلم يتهيأ له فقال يوماً لبعض خدام معن، إذا دخل الأمير البستان فعرفني فلما دخل الأمير البستان أعلمه، فكتب الشاعر بيتاً على خشبة وألقاها في الماء

كان يستقرضه منهم في تلك المصاريف، (**فرهنهم بها حلى نسائه وقيمته خمسمائة ألف ألف درهم، فلما تعذر عليه ارتجاعها كتب إليهم ببيعها ودفع الفاضل منها عن حقوقهم**) وهو أربعمائة ألف ألف وتسعة وتسعون ألف ألف (**إلى من لم تنله صلاته**) أي لم تبلغه حال كونه بمصر.

(**وكان أبو طاهر بن كثير شيعياً فقال له رجل: بحق علي بن أبي طالب**) رضي الله عنه (**لما وهبت لي نخلتك**) الكائنة (**بموضع كذا**) وسماه (**فقال: قد فعلت، وحقه لأعطينك ما يليها**) أي يتصل بها من الأرض، (**وكان ذلك أضعاف ما طلب الرجل**).

(**وكان أبو مرثد أحد الكرماء**) المشهورين (**فمدحه بعض الشعراء فقال للشاعر: والله ما عندي ما أعطيك ولكن قدمني إلى القاضي وادع علي بعشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احبسني، فإن أهلي لا يتركوني محبوساً ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وأخرج أبو مرثد من الحبس**) نقله القشيري في الرسالة.

(**وكان معن بن زائدة**) بن مطر بن شريك بن عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان الشيباني الكريم الجواد المشهور (**عاملاً على العراقين بالبصرة**) عراق العرب وعراق العجم والبصرة هي القاعدة، (**فحضر بابه شاعر فأقام مدة وأراد الدخول على معن، فلم يتهيأ له فقال يوماً لبعض خدم معن: إذا دخل الأمير البستان فعرفني، فلما دخل**

الذي يدخل البستان وكان معن على رأس الماء فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فإذا مكتوب عليها:

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي فما لي إلى معن سواك شفيع

فقال: من صاحب هذه؟ فدعي بالرجل، فقال له: كيف قلت؟ فقاله، فأمر له بعشر بدر، فأخذها ووضع الأمير الخشبة تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط وقرأها ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم، فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج، فلما كان في اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد فقال معن: حق على أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار.

وقال أبو الحسن المدائني: خرج الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر حجاجاً ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا، فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا: هل من شراب؟ فقالت: نعم، فأناخوا إليها وليس لها إلا شويهة في كسر الخيمة فقالت: أحلبوها وامتذقوا لبنها،

أعلمه فكتب الشاعر بيتاً على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل بستان معن، وكان معن) جالساً (**على رأس الماء، فلما بصر بالخشبة أخذها وقرأها فإذا عليها مكتوب**):

(**أيا جود معن ناج معنا بحاجتي فما لي إلي معن سواك شفيعُ**)

(**قال**) الراوي (**فقال**) معن: (**من صاحب هذه؟ فدعي بالرجل فقال له: كيف قلت؟ فقاله**) أي أنشد ذلك البيت، (**فأمر له بعشر بدر فأخذها ووضع الأمير الخشبة تحت بساطه، فلما كان اليوم الثاني أخرجها من تحت البساط وقرأ ما فيها ودعا بالرجل فدفع إليه مائة ألف درهم، فلما أخذها الرجل تفكر وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج**) من البصرة، (**فلما كان اليوم الثالث قرأ ما فيها ودعا بالرجل فطلب فلم يوجد، فقال معن: حق علي أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار**) نقله القشيري في الرسالة.

(**وقال أبو الحسن**) علي بن محمد بن عبدالله بن أبي سيف (**المدائني**) مولى عبدالله بن أبي سمرة القرشي صاحب التصانيف المشهورة. عالم بأيام الناس صدوق صام ثلاثين سنة متتابعة، بصري الأصل انتقل إلى المدائن ثم إلى بغداد. يروي عنه الزبير بن بكار وأحمد بن أبي خيثمة، ومات بمكة سنة ٢٢٤ وهو ابن ثلاثة وتسعين: (**خرج الحسن والحسين**) ابنا علي بن أبي طالب (**وعبدالله بن جعفر**) بن أبي طالب رضي الله عنهم (**حجاجاً ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا. فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا: هل من شراب؟ فقالت: نعم، فأناخوا إليها وليس لها إلا شويهة**) تصغير شاة (**في كسر الخيمة**) أي جانبها (**فقالت: احلبوها وامتذقوا لبنها**) أي

ففعلوا ذلك ثم قالوا لها: هل من طعام؟ قالت: لا، إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيء لكم ما تأكلون، فقام إليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاماً فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا فلما ارتحلوا قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه، فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فإنا صانعون بك خيراً ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال: ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم، ثم تقولين نفر من قريش؟ قال: ثم بعد مدة ألجأتها الحاجة إلى دخول المدينة، فدخلا وجعلا ينقلان البعر إليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه، فمرت العجوز ببعض سكك المدينة، فإذا الحسن بن علي جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة، فبعث إليها غلامه فدعا بالعجوز وقال لها يا أمة الله أتعرفيني؟ قالت: لا. قال: أنا ضيفك يوم كذا وكذا، فقالت العجوز: بأبي أنت وأمي أنت هو؟ قال: نعم. ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شياه الصدقة ألف شاة، وأمر لها معها بألف دينار، وبعث بها مع غلامه إلى الحسين فقال لها الحسين: بكم وصلك أخي؟ قالت: بألف شاة وألف دينار، فأمر لها الحسين أيضاً بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه إلى عبدالله بن جعفر، فقال لها: بكم وصلك الحسن والحسين؟ قالت:

اشربوا. (**ففعلوا ذلك ثم قالوا لها: هل من طعام؟ قالت: لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيء لكم ما تأكلون، فقام إليها أحدهم وذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاماً فأكلوا وأقاموا**) هناك (**حتى أبردوا**) أي دخلوا في برد العشي، (**فلما ارتحلوا قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه**) أي بيت الله الحرام، (**فإذا رجعنا سالمين**) إلى المدينة (**فألمي بنا**) أي انزلي عندنا (**فإنا صانعون بك خيراً ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال: ويلك تذبحين شاة لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش؟ قال: ثم بعد مدة**) من الزمن (**ألجأتها الحاجة**) والإضطرار (**إلى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر إليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه، فمرت العجوز في بعض سكك المدينة، فإذا الحسن بن علي**) رضي الله عنه (**جالس على باب داره فعرف العجوز وهي له منكرة**) أي لا تعرفه، (**فبعث**) الحسن (**غلامه ودعا العجوز فقال لها: يا أمة الله أتعرفيني؟ قالت: لا. قال: أنا ضيفك**) الذي نزلت بك (**يوم كذا وكذا**) وأعطى لها الأمارة، (**فقالت: بأبي أنت وأمي أنت هو؟ قال: نعم، ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شاء الصدقة ألف شاة وأمر لها معها بألف دينار، وبعث معها غلامه إلى**) أخيه (**الحسين**) رضي الله عنه (**فقال لها الحسين: بكم وصلك أخي؟ قالت: بألف شاة وألف دينار، فأمر لها الحسين أيضاً بمثل ذلك، ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر**) رضي الله عنه (**فقال لها: بكم وصلك الحسن والحسين؟ قالت: بألفي دينار وألفي شاة؟ فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي**

بألفي شاة وألفي دينار ، فأمر لها عبدالله بألفي شاة وألفي دينار ، وقال لها : لو بدأت بي لأتعبتها ، فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار .

وخرج عبدالله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده ، فقام إليه غلام من ثقيف فمشى إلى جانبه فقال له عبدالله : ألك حاجة يا غلام؟ قال: صلاحك وفلاحك رأيتك تمشي وحدك فقلت : أقيك بنفسي وأعوذ بالله إن طار بجنابك مكروه ، فأخذ عبدالله بيده ومشى معه إلى منزله ، ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال: استنفق هذه فنعم ما أدبك أهلك .

وحكي أن قوماً من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد ، فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر

دينار وقال لها: لو بدأت بي لأتعبتها، فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة وأربعة آلاف دينار) هكذا أخرجه المدائني بأسانيده.

(**وخرج عبد الله بن عامر بن كريز**) بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي ، أبوه من مسلمة الفتح ، وعبد الله ولد في عهد النبي ﷺ ، وهو ابن خالة عثمان ابن عفان لأن أم عثمان هي أروى بنت كريز وأمها البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ، واسم أم عبد الله هذا دجاجة بنت أسماء بن الصلت السلمية. مات النبي ﷺ وعمره دون السنتين ، وكان جواداً شجاعاً ميموناً . ولاّه عثمان البصرة بعد أبي موسى الأشعري سنة تسع وعشرين ، وضم إليه فارس بعد عثمان بن أبي العاص ، فافتتح خراسان كلها وأطراف فارس وسجستان وكرمان كلها ، وأحرم ابن عامر شكراً لله تعالى من خراسان ، وقدم على عثمان فلامه على تغريره بالنسك وقدم بأموال عظيمة ففرقها في قريش والأنصار ، وقتل عثمان وهو على البصرة ثم ولاّه معاوية البصرة ثلاث سنين ثم صرفه عنها ، فأقام بالمدينة ومات بها سنة ٥٧ . وأخباره في الجود كثيرة وليست له رواية في الكتب الستة . (**من المسجد يريد منزله وهو وحده**) ليس معه أحد ، (**فقام إليه غلام من ثقيف فمشى إلى جانبه فقال له عبد الله: ألك حاجة يا غلام؟ فقال: صلاحك وفلاحك رأيتك تمشي وحدك فقلت: أقيك بنفسي وأعوذ بالله إن طار بجنابك مكروه**) وفي بعض النسخ : أقيك بنفسي وأعوذ بالله إن طار بخبائك مكروه ، (**فأخذ عبد الله بيده ومشى معه إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها إلى الغلام وقال: استنفق هذه فنعم ما أدبك أهلك**) . هكذا أخرجه أبو الحسن المدائني في أخبار الأسخياء .

(**وحكي أن قوماً من العرب جاؤوا إلى قبر بعض أسخيائهم**) ممن كان مشهوراً بالجود (**للزيارة فنزلوا عند قبره وباتوا عنده وقد كانوا جاءوا من سفر بعيد ، فرأى رجل منهم**

وهو يقول له: هل لك أن تبادل بعيرك بنجيبي؟ وكان السخي الميت قد خلف نجيباً معروفاً به، ولهذا الرجل بعير سمين، فقال له في النوم: نعم، فباعه في النوم بعيره بنجيبه، فلما وقع بينهما العقد عمد هذا الرجل إلى بعيره فنحره في النوم، فانتبه الرجل من نومه فإذا الدم يثج من نحر بعيره، فقام الرجل فنحره وقسم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا، فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب، فقال رجل منهم: من فلان ابن فلان منكم؟ باسم ذلك الرجل. فقال: أنا، فقال هل بعت من فلان بن فلان شيئاً؟ وذكر الميت صاحب القبر قال: نعم بعت منه بعيري بنجيبه في النوم فقال: خذ هذا نجيبه، ثم قال: هو أبي وقد رأيته في النوم وهو يقول: إن كنت ابني فادفع نجيبي إلى فلان ابن فلان وسماه.

وقدم رجل من قريش من السفر فمر برجل من الأعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضرّ به المرض، فقال: يا هذا أعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه: ما بقي

في النوم صاحب القبر وهو يقول له: هل لك ان تبادل بعيرك ببختي) [1] بالضم نوع من الإبل ويجمع على البخت والبخاتي قال الشاعر:

أجن البخت في قصاع الخلنج

(وقد كان خلّف السخي الميت بختياً معروفاً، ولهذا الرجل بعير سمين، فقال له في النوم: نعم) أبادله، **(وباعه في النوم بعيره)** الذي يركبه **(ببختيه)** الذي خلفه، **(فلما وقع بينهم العقد عمد هذا الرجل إلى بعيره فنحره في النوم، فانتبه الرجل من نومه فإذا الدم يثج)** أي ينبعث **(من نحر بعيره، فقام الرجل من النوم فنحره وقسم لحمه فطبخوا وقضوا حاجتهم من الأكل ثم رحلوا وساروا، فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب، فقال رجل منهم: من فلان بن فلان منكم)**؟ وسماه، **(باسم ذلك الرجل)** واسم أبيه. **(فقال)** الرجل: **(أنا، فقال: هل بعت من فلان شيئاً؟ وذكر)** اسم **(الميت صاحب القبر)** الذي باتوا عنده. **(قال: نعم بعت منه بعبري ببختيه في النوم فقال: خذ هذا بختيه، ثم قال: هو)** أي صاحب القبر **(أبي وقد رأيته في النوم وهو يقول لي: إن كنت ابني فادفع بختي إلى فلان وسماه)** أخرجه أبو الحسن المدائني في أخبار الأسخياء.

(وقدم رجل من قريش من السفر فمرّ برجل من الأعراب على قارعة الطريق) أي وسطها **(قد أقعده الدهر وأضرّ به بالمرض، فقال: يا هذا أعنا على)** نوائب **(الدهر فقال الرجل لغلامه: ما بقي معك من النفقة فادفعه إليه، فصب الغلام في حجر الاعرابي أربعة**

---

(١) في الإحياء: «نبجيبي» بدلا من «بنجني».

معك من النفقة فادفعه إليه، فصب الغلام في حجر الأعرابي أربعة آلاف درهم، فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف، فبكى فقال له الرجل: ما يبكيك لعلك استقللت ما أعطيناك؟ قال: لا، ولكن ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكاني.

واشترى عبدالله بن عامر من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق بتسعين ألف درهم، فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لأهله: ما لهؤلاء؟ قالوا: يبكون لدارهم، فقال: يا غلام ائتهم فاعلمهم أن المال والدار لهم جميعاً.

وقيل: بعث هارون الرشيد إلى مالك بن أنس رحمه الله بخمسمائة دينار، فبلغ ذلك الليث بن سعد فأنفذ إليه ألف دينار، فغضب هارون وقال: أعطيته خمسمائة وتعطيه ألفاً وأنت من رعيتي؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن لي من غلتي كل يوم ألف دينار، فاستحييت أن أعطي مثله أقل من دخل يوم. وحكي انه لم تجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار.

آلاف درهم فذهب لينهض) أي يقوم **(لم يقدر من الضعف، فبكى فقال له الرجل، ما يبكيك لعلك استقللت ما أعطيناك؟ قال: لا، ولكن ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكاني)**. أخرجه أبو الحسن المدائني.

(واشترى عبد الله بن عامر) بن كريز العبسي القرشي تقدم ذكره قريباً **(من خالد بن عقبة بن أبي معيط)** بن أبي عمر بن أمية بن عبد شمس الأموي أخو الوليد، كان من مسلمة الفتح ونزل الرقة وبها ولده، وذكره صاحب تاريخها فيمن نزلها من الصحابة وله أثر في حصار عثمان يوم الدار. **(داره التي في السوق)** بالمدينة **(بتسعين الف درهم)**، فلما كان الليل سمع عبد الله بكاء أهل خالد فقال لأهله: ما لهؤلاء؟ قالوا: يبكون لدراهم. قال: يا غلام ائتهم فاعلمهم أن الدار والمال لهم جميعاً) أخرجه أبو الحسن المدائني.

(وقيل: أنفذ هارون الرشيد إلى) أبي عبدالله **(مالك بن أنس)** الإمام **(رحمه الله خمسمائة دينار)** هدية، **(فبلغ ذلك الليث بن سعد)** أبا الحارث الفهمي المصري الفقيه رحمه الله تعالى **(فانفذ إليه ألف دينار، فغضب هارون لما بلغه ذلك وقال: أعطيه خمسمائة وتعطيه ألفاً وأنت من رعيتي؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن لي من غلتي)** التي استغلها من أرضي **(كل يوم ألف دينار)** أي عبرته **(واستحييت أن أعطي مثله)** في جلالة قدره **(أقل من دخل يوم)** نقله محمد بن صالح الأشج وقال أيضاً قدم منصور بن عمار على الليث فوصله بألف دينار، واحترق بيت عبدالله بن لهيعة فوصله بألف دينار، وقال شعيب بن الليث. خرجت مع أبي حاجاً، فقدم المدينة فبعث إليه مالك بطبق رطب فجعل على الطبق ألف دينار ورده إليه. وقال ابن

وحكي أن امرأة سألت الليث بن سعد رحمة الله عليه شيئاً من عسل فأمر لها بزق من عسل، فقيل له: إنها كانت تقنع بدون هذا . فقال: إنها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر النعمة علينا . وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكيناً .

وقال الأعمش: اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها ؟ وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها ؟ وكان تحتي لبد أجلس عليه فإذا خرج قال: خذ ما تحت اللبد ، حتى وصل إليَّ في علة الشاة أكثر من ثلاثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ .

وهب: كان الليث يصل مالكاً بمائة دينار في كل سنة وكتب مالك إليه أن عليَّ ديناً فبعث بخمسمائة دينار ، وعنه قال: كتبت إلى الليث أني أجهز ابنتي على زوجها فبعث إليّ بشيء من [٢] . . . قال فبعث إليه . . . عصفراً فصنع . . . منه بخمسمائة دينار وبقي عنده فضلة **(وحكي أنه لم تجب عليه الزكاة مع أن دخله كل يوم ألف دينار)** وروى محمد بن رمح قال: كان دخل الليث في كل سنة ثمانين ألف دينار ما أوجب الله عليه زكاة درهم قط . وقال شعيب بن الليث: يستغل أبي في السنة ما بين عشرين ألف دينار إلى خمسة وعشرين ألفاً تأتي عليه السنة وعليه دين . وقال أبو سعيد بن يونس وكانت غلته من قرية قرقشندة على أربعة فراسخ من مصر وبها كانت ولادته **(وروي أن امرأة)** فقيرة **(سألت الليث بن سعد شيئاً من عسل)** في سكرجة **(فأمر لها بزق من عسل فقيل له: إنها كانت تقنع بدون هذا . فقال: إنها سألت على قدر حاجتها ونعطيها على قدر النعمة علينا)** لنتخلق بخلق الله تعالى فإنه يعطي الحسنة إذ هم بها العبد أجراً فإذا عملها أعطاه عشراً إلى سبعمائة والله يضاعف لمن يشاء ، وهذا في الرسالة القشيرية **(وكان الليث بن سعد)** سرياً من الرجال نبيلاً سخياً **(لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكيناً)** وله مناقب جة أوردها الذهبي في تاريخ الإسلام ، ومنها قال الحارث بن مسكين اشترى قوم من الليث ثمرة فاستغلوها فاستقالوه فأقالهم وأمر لهم بخمسين ديناراً ، فقيل له في ذلك . فقال: إنهم قد كانوا أملوا فيه أملاً فأحببت أن أعوضهم من أملهم بهذا . رحمه الله تعالى ونفعنا به .

(وقال) سليمان بن مهران **(الأعمش)** الكوفي رحمه الله تعالى: **(اشتكت شاة عندي فكان خيثمة بن عبد الرحمن)** بن أبي بسرة الجعفي الكوفي ، لأبيه وجده صحبة . قال العجلي: وكان خيثمة رجلاً صالحاً وكان سخياً ولم ينج من فتنة ابن الأشعث بالكوفة إلا رجلان: إبراهيم النخعي وخيثمة ، وقد تقدم له ذكر في آداب الصحبة . **(يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت علفها ؟ وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها)** قال الأعمش **(وكان تحتي لبدٌ أجلس عليه ،**

---

(٢) هنا بياضات بالأصل كما هي هنا .

وقال عبد الملك بن مروان لأسماء بن خارجة: بلغني عنك خصال فحدثني بها، فقال: هي من غيري أحسن منها مني، فقال: عزمت عليك إلا حدثتني بها؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط، ولا صنعت طعاماً قط فدعوت عليه قوماً إلا كانوا أمن علي مني عليهم، ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئاً فاستكثرت شيئاً أعطيته إياه.

ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان سعيد رجلاً جواداً فإذا لم يجد شيئاً كتب لمن سأله صكاً على نفسه حتى يخرج عطاؤه، فلما نظر إليه سليمان تمثل بهذا البيت فقال:

إني سمعت مع الصباح منادياً … يا من يعين على الفتى المعوان

فإذا خرج قال: خذ ما تحت اللبد) فآخذه، (**حتى وصل إليَّ في علة الشاة أكثر من ثلاثمائة دينار من بره**) وصلته (**حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ**) مات خيثمة سنة ثمانين قبل أبي وائل روى له الجماعة.

(**وقال عبد الملك بن مروان**) بن الحكم الأموي (**لأسماء بن خارجة**) بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري نزيل الكوفة ابن أخي عيينة بن حصن لأبيه وعمه وصحبة: (**بلغني عنك خصال فحدثني بها. فقال: هي من غيري أحسن منها مني**) قال عبد الملك (**عزمت عليك إلا حدثتني بها. قال: يا أمير المؤمنين ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط، ولا صنعت طعاماً قط فدعوت عليه قوماً إلا كانوا أمن علي مني عليهم، ولا نصب لي رجل وجهه قط ليسألني شيئاً فاستكثرت شيئاً أعطيه اياه**) أخرجه المدائني.

(**ودخل سعيد بن خالد**) بن عمرو بن عثمان بن عفان القرشي الأموي أبو خالد ويقال له أبو عثمان المدني سكن دمشق وكانت داره ناحية سوق القمح، وأمه أم عثمان بنت سعيد بن العاص. ذكره ابن حبان في الثقات روى له مسلم حديثاً واحداً. (**على سليمان بن عبد الملك**) بن مروان (**وكان سعيد رجلاً جواداً**) ممدوحاً. قال الزبير بن بكار: من أكثر الناس مالاً وله ولد كثير، وله يقول الفرزدق:

وكل امرىء يرضى وإن كان ملا … إذ نال نصفاً من سعيد بن خالدِ
له من قريش طيبوها وفيضها … وإن عض كفى أمه كل حاسدِ

(**فإن لم يجد شيئاً كتب لمن سأله صكاً على نفسه**) والصك الكتاب الذي تكتب فيه المعاملات والأقارير، وجمعه صكوك وأصك وهو فارسي معرب، وكانت الأرزاق تكتب صكاكاً فتخرج مكتوبة فتباع فنهى عن شراء الصكاك (**حتى يخرج عطاؤه**) من الديوان، فلما نظر إليه سليمان تمثل بهذا البيت:

(**إني سمعت مع الصباح منادياً … يا من يعين على الفتى المعوانِ**)

ثم قال: ما حاجتك؟ قال: ديني. قال: وكم هو؟ قال: ثلاثون ألف دينار، قال: لك دينك ومثله.

وقيل: مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ أخوانه فقيل انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله مالاً يمنع الأخوان من الزيارة، ثم أمر منادياً فنادى من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه بريء قال: فانكسرت درجته بالعشي لكثرة من زاره وعاده.

وعن أبي إسحاق قال: صليت الفجر في مسجد الأشعث بالكوفة أطلب غريماً لي، فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان، فقلت: لست من أهل هذا المسجد، فقالوا: أن الأشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين.

وقال الشيخ أبو سعد الخركوشي النيسابوري رحمه الله سمعت محمد بن محمد الحافظ

(ثم قال: ما حاجتك؟ قال: ديني. قال: وكم هو؟ قال ثلاثون ألف دينار. قال: لك دينك ومثله) أخرجه أبو الحسن المدائني.

(وقيل: مرض قيس بن سعد بن عبادة) الخزرجي الأنصاري رضي الله عنه **(فاستبطأ إخوانه)** الذين كانوا يأتونه **(فقيل: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر منادياً فنادى: من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه في حل قال)** الواقدي: **(فكسرت درجته)** من الأزدحام **(بالمشي لكثرة من عاده)** نقله القشيري في الرسالة.

(وعن أبي إسحاق) عمرو بن عبدالله الحمداني السبيعي الكوفي مات سنة ١٢٩ **(قال: صليت)** صلاة **(الفجر في مسجد الأشعث)** بن قيس بن معدي كرب الكندي الصحابي أبي محمد، نزل الكوفة وكان سرياً سخياً مات سنة أربعين وله دار ومسجد **(بالكوفة أطلب غريماً لي، فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت: لست من أهل هذا المسجد. فقيل: إن الأشعث بن قيس الكندي قدم البارحة من مكة فأمر لكل من صلى في المسجد بحلة ونعلين)** أخرجه المدائني رواية عن أبي إسحاق، وهو في الرسالة للقشيري بنحوه ولم يقل عن أبي إسحاق.

(وقال الشيخ أبو سعيد) عبد الملك بن محمد بن إبراهيم **(الخركوشي النيسابوري رحمه الله)** وخركوش سكة بنيسابور الزاهد الواعظ الفقيه الشافعي رحل إلى العراق والحجاز ومصر وجالس العلماء وصنف التصانيف المفيدة في علوم الشريعة ودلائل النبوة وسير العباد. روى عن أبي

يقول: سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول: كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء شيئاً، فولد لبعضهم مولود قال: فجئت إليه وقلت له: ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل على جماعة فلم يفتح بشيء، فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال: رحمك الله كنت تفعل وتصنع وإني درت اليوم على جماعة فكلمتهم دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء، قال: ثم قام وأخرج ديناراً وقسمه نصفين وناولني نصفه، وقال: هذا دين عليك إلى أن يفتح عليك بشيء، قال: فأخذته وانصرفت فأصلحت ما اتفق لي به، قال: فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال: سمعت جميع ما قلت وليس لنا أذن في الجواب، ولكن احضر منزلي وقل لأولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فاحملها إلى هذا الرجل، فلما كان من الغد تقدم إلى منزل الميت وقص عليهم القصة فقالوا: له اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاءوا بها فوضعوها بين يديه، فقال: هذا مالكم وليس لرؤياي حكم، فقالوا: هو يتسخى ميتاً ولا نتسخى نحن أحياء؟ فلما ألحوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة، قال: فأخذ منها ديناراً فكسره نصفين فأعطاه النصف الذي

عمرو بن نجيد السلمي وأبي سهل بشر بن أحمد الأسفرايني. وعنه الحاكم أبو عبدالله وأبو محمد الخلال. وتفقه على أبي الحسن الماسرجسي، وجاور بمكة عدة سنين، وعاد إلى نيسابور وبذل النفس والمال للغرباء والفقهاء. وبنى بمارستان ووقف عليه الوقوف الكثيرة، وتوفي سنة ست وأربعمائة بنيسابور: **(سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول: سمعت الشافعي المجاور بمكة يقول: كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء شيئاً فولد لبعضهم ولد قال: فجئت إليه فقلت له: ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي فدخل على جماعة فلم يفتح بشيء فجاء إلى قبر رجل وجلس عنده وقال: رحمك الله كنت تفعل وتصنع)** وذكر من أمور الخير **(وإني درت اليوم على جماعة كلفتهم دفع شيء لمولود فلم يتفق لي شيء. قال: ثم قام وأخرج ديناراً** فكسره **نصفين وناولني نصفه وقال: هذا دين عليك إلى أن يفتح عليك بشيء. قال: فأخذته وانصرفت فاصلحت ما اتفق لي به. قال: فرأى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال: سمعت جميع ما قلت وليس لنا إذن في الجواب، ولكن احضر منزلي وقل لأولادي يحفروا مكان الكانون ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار فأحملها إلى هذا الرجل. قال: فلما كان من الغد تقدم إلى منزل الميت وقص عليهم القصة. فقالوا له: اجلس وحفروا الموضع وأخرجوا الدنانير وجاؤا بها فوضعوها بين يديه فقال)** المحتسب: **(هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا: هو يتسخى ميتاً ولا نتسخى نحن أحياء، فلما ألحوا عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة. قال: فاخذ منها ديناراً وكسره بنصفين**

أقرضه وحمل النصف الآخر، وقال: يكفيني هذا وتصدق به على الفقراء، فقال أبو سعيد: فلا أدري أيّ هؤلاء أسخى؟

وروي أن الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال: مروا فلاناً يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال: ائتوني بتذكرته، فأتي بها فنظر فيها فإذا على الشافعي

فأعطاه النصف الذي أقرضه وحمل النصف الآخر وقال: يكفيني هذا وتصدق به على الفقراء، فقال أبو سعيد: فلا أدري أي هؤلاء أسخى) الميت أم أولاده أم المحتسب أم صاحب المولود، والذي يظهران أن صاحب المولود أسخى هؤلاء فإنه جاد وآثر مع شدة احتياجه. ومما يشبه هذه الحكاية ما حكى أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب قال: كنت عند الوزير أبي محمد المهلبي ذات يوم، فدخل الحاجب فاستأذن للشريف المرتضى الموسوي، فأذن له. فلما دخل قام إليه وأكرمه وأجلسه معه في دسته وأقبل عليه يحدثه، فلما فرغ من حكايته ومهماته قام فقام إليه وودعه وخرج، فلم يكن ساعة حتى دخل الحاجب واستأذن للشريف الرضي أخيه، وكان الوزير قد ابتدأ بكتابة رقعة فألقاها وقام كالمندهش حتى استقبله من دهليز الدار وأخذ بيده وأعظمه وأجلسه معه في دسته، ثم جلس بين يديه متواضعاً وأقبل عليه بمجامعه، فلما خرج الرضي خرج معه يشيعه إلى باب الدار ثم رجع فلما خف المجلس. قلت: أيأذن الوزير أعزه الله أن أسأل عن شيء؟ قال: نعم وكأني بك تسأل عن زيادتي في إعظام الرضي على أخيه المرتضى والمرتضى أسن وأعلم. فقلت: نعم أيد الله الوزير. فقال أعلم أنا أمرنا بحفر النهر الفلاني وللشريف المرتضى على ذلك النهر ضيعة فتوجه عليه مقدار ستة عشر درهماً أو نحوه، فكاتبني بعدة رقاع يسأل في تخفيف ذلك المقدار عنه، وأما أخوه الرضي فبلغني أنه ذات يوم قد ولد له غلام فأرسلت إليه بطبق فيه ألف دينار فرده وقال: قد علم الوزير أني لا أقبل من أحد شيئاً فرددته اليه وقلت: إنما أرسلته للقوابل فـردّ الثانية وقال: قد علم الوزير أنه لا يقبل نساؤنا غريبة فرددته إليه وقلت: يفرقه الشريف على ملازمية من طلاب العلم: فلما جاء الطبق وحوله طلاب العلم وقال: هاهم حضور فليأخذ كل واحد منهم ما يريد، فقام رجل منهم وأخذ ديناراً فقرض من جانبه قطعة وأمسكها ورد الدينار إلى الطبق، فسأله الشريف عن ذلك. فقال: إني احتجت إلى دهن السراج ليلة ولم يكـن الخازن حـاضراً فاقترضت من فلان البقال دهناً للسراج فأخذت هذه القطعة لأدفعها إليه، وكان طلبة العلم الملازمون للشريف في دار قد اتخذها لهم سماها دار العلم، وعين إليهم جميع ما يحتاجون إليه، فلما سمع الرضي ذلك أمر في الحال بأن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة ويدفع إلى كل منهم مفتاح ليأخذ ما يحتاج إليه ولا ينتظر خازناً ورد الطبق على هذه الصورة، فكيف لا أعظم من هذه حاله؟

(وروي أن الشافعي رحمه الله تعالى لما مرض مرض موته) بمصر **(قال)** في وصيته: **(مروا فلاناً يغسلني)** وعني به محمد بن عبدالله بن عبد الحكم، **(فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال: ائتوني بتذكرته)** أي دفتر حسابه. **(قال: فأتى بها فنظر فيها، فإذا على**

سبعون ألف درهم دين، فكتبها على نفسه وقضاها عنه، وقال: هذا غسلي إياه، أي أراد به هذا. وقال أبو سعيد الواعظ الخركوشي لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه، فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم فرأيت فيهم سيماء الخير وآثار الفضل فقلت: بلغ أثره في الخير إليهم وظهرت بركته فيهم مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وكَانَ أبوهُمَا صالحاً﴾ [الكهف: ٨٢] وقال الشافعي رحمه الله: لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان لشيء بلغني عنه أنه كان ذات يوم راكباً حماره فحركه فانقطع زره، فمر على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوّي زره، فقال الخياط: والله لا نزلت فقام الخياط إليه فسوّى زره فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قلتها، وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه:

يا لهف قلبي على مال أجود به ... على المقلين من أهل المروءآت
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ... ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات

الشافعي رحمه الله تعالى سبعون ألف درهم ديناً فكتبها على نفسه) لأربابها (**وقضاها عنه وقال: هذا غسلي إياه أي أراد به هذا**) أخرجه البيهقي في مناقب الشافعي. (**قال أبو سعيد الواعظ الخركوشي رحمه الله**) المتقدم ذكره قريباً: (**لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه، فرأيت جماعة من أحفاده**) أي من ذريته (وزرتهم فرأيت فيهم سيماء الخير وآثار الفضل فقلت: **بلغ أثره في الخير إليهم وظهرت بركته فيهم مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾**) أي فالصلاح يؤثر إلى سابع الولد.

(**وقال الشافعي رحمه الله تعالى: لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان**) الأشعري مولاهم أبا إسماعيل الكوفي واسم أبيه مسلم فقيه صدوق وهو شيخ الإمام أبي حنيفة، مات سنة عشرين (**لشيء بلغني عنه أنه كان ذات يوم راكباً حماره فحركه فانقطع زره**) أي زر قميصه، (**فمر على خياط فأراد أن ينزل إليه ليسوي زره فقال الخياط: والله لا نزلت. فقام الخياط إليه فسوّى زره فأخرج**) حماد (**إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قلتها**) وهذا من المروءة والسخاء. وقال الصلت بن بسطام: كان حماد يفطر كل ليلة في رمضان خمسين إنساناً فإذا كان ليلة الفطر كساهم ثوباً ثوباً (**وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه**):

(يا لهف نفسي على مال أفرقه ... على المقلين من أهل المروءآت)
(إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ... ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات)

أوردهما البيهقي في مناقبه.

وعن الربيع بن سليمان قال أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله فقال: يا ربيع أعطه أربعة دنانير واعتذر إليه عني، وقال الربيع: سمعت الحميدي يقول: قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه في موضع خارج عن مكة ونثرها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض له قبضة ويعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء. وعن أبي ثور قال: أراد الشافعي الخروج إلى مكة ومعه مال، وكان قلما يمسك شيئاً من سماحته، فقلت له ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك، قال: فخرج ثم قدم علينا فسألته عن ذلك المال، فقال: ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها وقد وقف أكثرها، ولكني بنيت بمنى مضرباً يكون لأصحابنا إذا حجوا أن ينزلوا فيه، وأنشد الشافعي رحمه الله لنفسه يقول:

أرى نفسي تتـــوق إلى أمـــور ... يقصر دون مبلغهـــن مـــالي
فنفسي لا تطـــاوعني ببخـــل ... ومـــالي لا يبلغني فعـــالي

(وعن الربيع بن سليمان) المرادي تقدمت ترجمته في كتاب العلم (قال: أخذ رجل بركاب الشافعي رحمه الله تعالى فقال: يا ربيع اعطه أربعة دنانير واعتذر إليه عني) أخرجه البيهقي في مناقبه، (وقال الربيع: سمعت) عبدالله بن الزبير بن عيسى القرشي الأسدي (الحميدي) المكي تقدمت ترجمته في كتاب العلم (يقول: قدم الشافعي رحمه الله تعالى من صنعاء) اليمن (إلى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباءه في موضع خارجاً من مكة فنثرها على ثوب ثم أقبل على كل من دخل عليه يقبض قبضة يعطيه حتى صلى الظهر ونفض الثوب وليس عليه شيء) رواه البيهقي في مناقبه وتقدم في كتاب العلم.

(وعن أبي ثور) إبراهيم بن خالد الكلبي الفقيه تقدمت ترجمته في كتاب العلم (قال: أراد الشافعي) رحمه الله (الخروج إلى مكة ومعه مال، وكان قلما يمسك شيئاً من سماحته) أي جوده وسخائه (فقلت لـه: ينبغـي أن تشتري بهذا المال ضيعـة) أي عقـاراً (تكـون لـك ولولدك) من بعدك (قال: فخرج ثم قدم علينا) مصر (فسألته عن ذلك المال فقال: ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأهلها وقد وقف أكثرها) على وجوه البر، (ولكن بنيت بمنى مضرباً يكون لأصحابنا إذا حجـوا أن ينـزلـوا فيـه) أخـرجـه الحاكم والبيهقي والأبـزي في مناقبه. (وأنشد الشافعي) رحمه الله (لنفسه):

(أرى نفسي تتـــوق إلى أمـــور ... يقصر دون مبلغهـــن مـــالي)
(فنفسي لا تطـــاوعني لبخـــل ... ومـــالي لا يبلغني فعـــالي)

أوردهما البيهقي في مناقبه.

وقال محمد بن عباد المهلبي: دخل أبي على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فأخبر بذلك المأمون، فلما عاد إليه عاتبه المأمون في ذلك فقال: يا أمير المؤمنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود، فوصله بمائة ألف أخرى.

وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم فبكى، فقال له سعيد: ما يبكيك؟ قال: أبكي على الأرض أن تأكل مثلك، فأمر له بمائة ألف أخرى[1].

ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده عليلاً فقبل منه المدحة وأمر حاجبه بنيله ما يصلحه، وقال: عسى أن أقوم من مرضي فأكافئه، فأقام شهرين فأوحشه طول المقام فكتب إليه يقول:

(وقال محمد بن عباد المهلبي) من ولد المهلب بن أبي صفرة: **(دخل أبي)** هو أبو معاوية عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي البصري كان رجلاً عاقلاً أديباً وثقه ابن معين. وقال أبو حاتم: ثم صدوق لا بأس به. وقال ابن سعد: كان معروفاً بالطب حسن الهيئة ولم يكن بالقوي في الحديث مات ببغداد سنة ١٧٩. روى له الجماعة، وجده حبيب بن المهلب يكنى أبا بسطام قتل مع أخيه يزيد سنة إثنين ومائة مع بقية إخوته وأهل بيته، وكان ذلك بقصر بابل، ووالده المهلب أول من عقد له اللواء أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد وقعة الجمل، وهو يومئذ ابن ست وعشرين سنة، وأبوه أبو صفرة أسلم على يد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وأقام بالبصرة وصار كأهلها وعقبه بها **(على المأمون)** العباسي **(فوصله بمائة ألف درهم، فلما قام من عنده تصدق بها فأخبر بذلك المأمون، فلما عاد إليه عاتبه المأمون في ذلك فقال: يا أمير المؤمنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود، فوصله بمائة ألف أخرى)**.

(ودخل أبو تمام) حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الشاعر الطائي كان في حداثته يسقي الماء بجامع مصر ثم خالط الأدباء وقال: فأجاد وسار شعره في البلاد ومدح الخلفاء وعاشر العلماء وهو موصوف بالظرف وكرم النفس، وولاه الحسن بن وهب بن يزيد الموصل نحو سنتين ومات بها سنة ٢٨١ وكانت ولادته سنة تسعين ومائة. **(على إبراهيم بن شكلة)** وهو إبراهيم بن المهدي بن المنصور العباسي نسب إلى أمه شكلة وهي أم ولد من مولدات المدينة، ولد سنة ١٦٢ وله مع المأمون أخبار وواقعات، وكان سرياً ممدحاً سخياً **(بأبيات امتدحه بها فوجده عليلاً فقبل منه المدحة وأمر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال: عسى أن أقوم من** مرضي **فأكافئه فأقام شهرين فأوحشه طول المقام فكتب إليه)**:

---

(١) هذه الفقرة من قوله: «وقام رجل...» إلى قوله: «ألف أخرى» لم ترد في سياق النص.

إن حــرامــاً قبــول مــدحتنـــا   وترك مــا نــرتجي مــن الصفــد
كما الدراهــم والدنــانير في البيــ   ـع حـــرام إلا يـــداً بيـــد

فلما وصل البيتان إلى ابراهيم قال لحاجبه: كم أقام بالباب؟ قال: شهرين، قال: أعطه ثلاثين ألفاً، وجئني بدواة، فكتب إليه.

أعجلتنا فأتــاك عــاجــل بــرنــا   قلاً ولــو أمهلتنـــا لم نقلـــل
فخذ القليل وكن كأنك لم تقــل   ونقــول نحن كــأننــا لم نفعــل

وروي أنه كان لعثمان على طلحة رضي الله عنهما خمسون ألف درهم، فخرج عثمان يوماً إلى المسجد فقال له طلحة: قد تهيأ مالك فأقبضه، فقال: هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك.

وقالت سعدى بنت عوف: دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلاً فقلت له: ما لك؟

(إن حــرامــاً قبــول مــدحتنـــا   وتــرك مــا نــرتجي مــن الصفــد)
(كما الدنــانير والدراهـــم في البــ   ــيــع حـــرامٌ إلا يـــداً بيـــدٍ)

والصفد محركة العطاء وأشار بقوله: إلا يداً بيد إلى الخبر الذهب بالذهب ربا إلا هاوها والورق بالورق ربا إلاَّ هاوها، وقد تقدم في كتاب الربا من آداب الكسب، **(فلما وصل إلى إبراهيم البيتان قال لحاجبه: كم أقام بالباب؟ قال: شهرين. قال: اعطه ثلاثين ألفاً وجئني بدواة فكتب إليه هذه الأبيات)**:

(أعجلتنا فأتــاك عــاجــل بــرنــا   قلاً ولــو أمهلتنـــا لم نقلـــل)
(فخذ القليل وكن كأنك لم تســل   ونكــون نحن كــأننــا لم نفعــلِ)

(ويروى أنه كان لعثمان) بن عفان **(على طلحة)** بن عبيدالله **(رضي الله عنهما خمسون ألف درهم)** ديناً، **(فخرج عثمان يوماً إلى المسجد فقال له طلحة: قد تهيأ مالك فاقبضه، فقال: هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك)** وكان طلحة رضي الله عنه يلقب بالفياض لكثرة سخائه، فقد روى أحمد في الزهد من طريق عوف عن الحسن قال: باع طلحة أرضاً له بسبعمائة ألف فبات ذلك المال عنده ليلة فبات أرقاً من مخافة ذلك المال حتى أصبح ففرقه. وفي مسند الحميدي من طريق الشعبي، عن جابر بن قبيصة قال: صحبت طلحة فما رأيت رجلاً أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه.

(وقالت سعدى) بضم السين المهملة والألف مقصورة **(بنت عوف)** بن خارجة بن سنان بن أبي حارثة المرية زوج طلحة بن عبيدالله نسبها هكذا. رواه ابن منده وقال أبو عمر في الاستيعاب سعدى بنت عمر، وقال الحافظ: والأول أولى روت عن النبي ﷺ وعن زوجها وعن

فقال: اجتمع عندي مال وقد غمني، فقلت: وما يغمك ادع قومك؟ فقال: يا غلام عليّ بقومي، فقسمه فيهم فسألت الخادم كم كان؟ قال: أربعمائة ألف. وجاء أعرابي إلى طلحة فسأله وتقرب إليه برحم فقال: إن هذه الرحم، ما سألني بها أحد قبلك ان لي أرضاً قد أعطاني بها عثمان ثلاثمائة ألف فإن شئت فأقبضها وإن شئت بعتها من عثمان ودفعت إليك الثمن، فقال: الثمن، فباعها من عثمان ودفع إليه الثمن.

وقيل: بكى علي كرّم الله وجهه يوماً فقيل: ما يبكيك؟ فقال: لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام، أخاف أن يكون الله قد أهانني.

عمر. روى عنها يحي وابن ابنها طلحة بن يحي ومحمد بن عمران الطلحي، وقد خالف ابن حبان فذكرها في ثقات التابعين. قال الحافظ: ومن يسمع من عمر بعد وفاة النبي ﷺ بأيام وهي زوج طلحة فهي صحابية لا محالة: **(دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلاً فقلت: مالك؟ فقال: اجتمع عندي مال فقد غمني. فقلت: وما يغمك ادع قومك؟ فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا الحسن بن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا علي بن عبدالله المدني ح.

وحدثنا إبراهيم بن عبدالله، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا قتيبة بن سعيد قالا: حدثنا سفيان ابن عيينة، عن طلحة ، يحي بن طلحة، حدثتني جدتي سعدى بنت عوف المرية وكانت محل إزار طلحة قالت: دخل طلحة علي ذات يوم وهو خاثر النفس. وقال قتيبة: دخل عليَّ طلحة ورأيته مغموماً فقلت: ما لي أراك كالح الوجه، وقلت ما شأنك أرابك مني شيء فاعتبك؟ قال: لا. ولنعم حليلة المرء المسلم أنت. قلت: فما شأنك؟ قال: المال الذي عندي قد كثر وكر بني قلت: وما عليك اقسمه. قالت: فقسمه حتى ما بقي منه درهم، **(فسألت الخادم: كم كان)**. ولفظ الحلية: قال طلحة بن يحي: فسألت خازن طلحة كم كان المال؟ **(قال: أربعمائة ألف)**. وقال أبو نعيم أيضاً: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا سفيان، عن طلحة بن يحي، عن سعدى بنت عوف قالت: كانت غلة طلحة كل يوم ألفاً وافياً، وكان يسمى طلحة الفياض، وقد رواه سفيان أيضاً عن عمرو يعني ابن دينار مثله. ومن طريق الأصمعي حدثنا نافع بن أبي نعيم، عن محمد بن عمران، عن سعدى بنت عوف: لقد تصدق طلحة يوماً بمائة ألف ثم حبسه عن المسجد أن جمعت له بين طرفي ثوبه.

(وجاء إعرابي إلى طلحة) رضي الله عنه **(فسأله وتقرب إليه برحم فقال: إن هذا الرحم ما سألني بها قبلك أحد إن لي أرضاً قد أعطاني بها عثمان)** بن عفان **(ثلاثمائة ألف فإن شئتها فاقبضها وإن شئت بعتها من عثمان ودفعت إليك الثمن. فقال: الثمن فباعها من عثمان ودفع إليه الثمن.**

وقيل بكى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوماً فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانني) نقله القشيري في الرسالة.

وأتى رجل صديقاً له فدق عليه الباب فقال: ما جاء بك؟ قال: عليّ أربعمائة درهم دين، فوزن أربعمائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكي، فقالت امرأته: لم أعطيته إذ شق عليك؟ فقال: إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى أحتاج إلى مفاتحتي، فرحم الله من هذه صفاتهم وغفر لهم أجمعين.

بيان ذم البخل:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوق شَحّ نَفسِهِ فأولئكَ هُمُ المفلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] وقال تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فضلِهِ هُوَ خيراً لهمْ بَلْ هُو شرٌ لهم سيطوّقُونَ ما بخلُوا به يوم القيامة﴾ [آل عمران: ١٨٠] وقال تعالى: ﴿الَّذين يبخلُون ويأمرُون النَّاسَ بالبُخل ويكتمُونَ ما آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٧] وقال ﷺ: «إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا

(وأتى رجل صديقاً له فدق عليه الباب فقال: ما جاء بك؟ قال: علي اربعمائة درهم ديناً) وفي نسخة: دين **(قال: فوزن أربعمائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكي فقالت امرأته: لم أعطيته إذ شق عليك)** إذ ظنت أنه إنما بكى لأجل ذلك؟ **(فقال: إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتي)** نقله القشيري في الرسالة.

بيان ذم البخل:

وهو إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابلـه الجود. والبخـل ثمرة الشـح والشـح يـأمـر بالبخل. **(قال الله تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾)** والشح بخل مع حرص وهو ضد الإيثار، فإن المؤثر على نفسه تارك لما هو محتاج إليه، فالشحيح حريص على ما ليس بيده، فإذا حصل بيده شح وبخل فالبخل ثمرة الشح والشح يأمر بالبخل، والبخيل من أجاب داعي الشح، والمؤثر من أجاب داعي الجود والسخاء والإحسان **(وقال)** الله **(تعـالى: ﴿لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾)** ثم البخل ضربان: بخل بقنيات نفسه، وبخل بقنيات غيره وهو أكثرهما ذماً **(و)** على ذلك **(قال)** الله **(تعالى: ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ وقال ﷺ: «إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم)** من الأمم **(حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث جابر بلفظ: «واتقوا الشح فإن الشح» الحديث. ولأبي داود والنسائي في الكبرى، وابن حبان، والحاكم وصححه من حديث عبدالله بن عمرو: «إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا» انتهى.

محارمهم ». وقال ﷺ : « إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم »، وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة ». وفي رواية: « ولا جبار »، وفي رواية: « ولا منان ».

قلت: وروي ابن جرير في التهذيب من حديث ابن عمر بلفظ: « إياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم الشح وأمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ».

(وقال ﷺ : « إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم ») قال العراقي: رواه الحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ: « حرماتهم » مكان « أرحامهم » وقال: صحيح على شرط مسلم انتهى.

قلت: ورواه ابن جرير في التهذيب بلفظين: الأول « إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم من الأمم دعاهم فسفكوا دماءهم ودعاهم فقتلوا أولادهم » والثاني: « إياكم والبخل فإن البخل دعا قوماً فمنعوا زكاتهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم ودعاهم فسفكوا دماءهم ».

(وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة) أي مع الداخلين في الرعيل الأول من غير عذاب ولا بأس أو لا يدخلها حتى يعاقب بما اجترحه **(بخيل)** أي من هو البخل صفة لازمة له وتكرر منه ذلك. **(ولا خب)** بفتح الخاء وبكسرها وهو الخداع الذي يفسد بين المسلمين بالخداع، **(ولا خائن ولا سيء الملكة »)** أي التدبير في أمور معاشه ومن ملكت يمينه، **(وفي رواية « ولا جبار » وفي رواية « ولا منان »)** قال العراقي: رواه أحمد والترمذي وحسنه من حديث أبي بكر، واللفظ لأحمد دون قوله: « ولا منان » وهي عند الترمذي ولابن ماجه: « لا يدخل الجنة سيء الملكة » انتهى.

قلت: لفظ أحمد فيه زيادة بعد قوله ولا سيء الملكة « وأولى من يقرع باب الجنة المملوكون إذا أحسنوا فيما بينهم وبين الله وفيما بينهم وبين مواليهم ». وعند أبي داود والطيالسي « لا يدخل الجنة خب ولا خائن ».

وروى الخطيب في كتاب البخلاء، وابن عساكر في التاريخ بلفظ: « لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا لئيم ولا منان ولا خائن ولا سيء الملكة، وأن أول من يقرع باب الجنة المملوك والمملوكة فاتقوا الله وأحسنوا فيما بينكم وبين الله وفيما بينكم وبين مواليكم ».

وعند أحمد أيضاً: « لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا منان ولا سيء الملكة، وأول من يدخل الجنة المملوك إذا أطاع الله وأطاع سيده » وهذا اللفظ قد رواه أيضاً الخرائطي في مساوىء الأخلاق من حديث أنس.

ولفظ الترمذي من حديث أبي بكر: « لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان » ورواه كذلك أبو يعلى وضعفه المنذري، وقد ثبت لفظ: « ولا منان » في أخبار كثيرة عن نافع مولى رسول الله

وقال ﷺ: «ثلاث مهلكات؛ شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه». وقال ﷺ: «إن الله يبغض ثلاثة: الشيخ الزاني، والبخيل المنان، والمعيل المختال». وقال ﷺ: «مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما إلى

ﷺ، كما عند الحسن بن سفيان، والطبراني، وابن منده وابن عساكر، وعن ابن عمر كما عند النسائي، وابن جرير. وعن أبي سعيد الخدري كما عند أحمد وأبي يعلى والبيهقي. وعن أبي زيد الجرمي كما عند الطبراني. وعن أبي أمامة كما عند الطيالسي. وعن عبدالله بن عمرو وكما عند ابن جرير والخطيب. وعن ابن عباس كما عند الطبراني والخرائطي.

وأما قوله: «لا يدخل الجنة سيء الملكة» فقد رواه الطيالسي والترمذي وقال: حسن غريب، وابن ماجه، والدارقطني في الإفراد من حديث أبي بكر. وعند أحمد والترمذي من طريق أخرى وحسنه الخرائطي بزيادة قال رجل: يا رسول الله أليس أخبرتنا أن هذه الأمة أكثرها مملوكون وأيامي قال: «بلى فأكرموهم كرامة أولادكم وأطعموهم مما تأكلون» ولم أجد رواية «ولا جبار» إلا أن يكون بمعنى المتكبر، فقد روى مسلم من حديث ابن مسعود: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر» الحديث. ومعنى هذه الأخبار لا يدخل الجنة مع هذه الخصلة حتى يطهر منها إما بتوبة في الدنيا أو بالعفو أو بالعذاب بقدره. قال التوربشتي: هذا هو السبيل في تأويل أمثال هذه الأحاديث لتوافق أصول الدين، وقد هلك بحب التمسك بظواهر أمثال هذه النصوص الجم الغفير من المبتدعة، ومن عرف وجوه القول وأساليب البيان من كلام العرب هان عليه التخلص قريباً أيضاً في كتاب العلم.

(وقال ﷺ: «ثلاث) خصال **(مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه)**، وثلاث منجيات: العدل في الغضب والرضا وخشية الله في السر والعلانية» رواه أبو الشيخ في التوبيخ، والطبراني في الأوسط أيضاً من حديث أنس، ورواه الطبراني في الأوسط أيضاً من حديث ابن عمر بزيادة وثلاث كفارات وثلاث درجات» وقد تقدم قريباً في كتاب العلم.

(وقال ﷺ: «إن الله يبغض ثلاثة: الشيخ الزاني والبخيل المنان) بعطائه **(والمعيل)** أي ذا العيال **(المختال»)** أي المتكبر. قال العراقي: رواه الترمذي والنسائي من حديث أبي ذر دون قوله «البخيل المنان» وقال فيه «والغني الظلوم» وقد تقدم. وللطبراني في الأوسط من حديث علي «إن الله ليبغض الغني الظلوم والشيخ الجهول والعائل المختال» وسنده ضعيف انتهى.

قلت: حديث أبي ذر رواه أيضاً أحمد، وابن حبان، والضياء بلفظ «إن الله عز وجل يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة: الشيخ الزاني والفقير المختال والمكثر البخيل، ويحب ثلاثة» الحديث. ورواه الطيالسي والطبراني والحاكم والبيهقي والضياء أيضاً بلفظ «إن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة» فساقوا الحديث. وفيه «والثلاثة الذين يبغضهم الله البخيل المنان والمختال الفخور والتاجر الحلاف».

(وقال ﷺ «مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جنتان) بضم الجيم وتشديد النون

تراقيها، فأما المنفق فلا ينفق شيئاً إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع»، وقال ﷺ: «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق»، وقال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر» وقال ﷺ: «إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم

أي درعان، وفي رواية جبتان بالموحدة بدل النون والجبة ثوب معروف ورجحت الأولى بقوله: **(من حديد)** وادعى بعضهم انه تصحيف **(من لدن)** أي عند **(ثديهما)** بضم المثلثة وكسر الدال المهملة ومثناة تحتية مشددة جمع ثدي وأصله ثدوى كفلس وفلوس **(إلى تراقيهما)** جمع ترقوة وهما العظمان المشرفان في أعلى الصدر، **(فأما المنفق فلا ينفق شيئاً إلا سبغت)** أي امتدت وعظمت **(أووفرت)** شك من الراوي **(على جلده حتى تُخفي)** بضم تاء المضارعة وسكون الخاء المعجمة وكسر الفاء. وفي رواية تجن بجيم ونون أن تستر **(بنانه)** أي أصابعه وأنامله وصحفه بعضهم فقال: ثيابه جمع ثوب يعني أن الإنفاق يستر خطاياه كما يغطي الثوب جميع بدنه، والمراد أن الجواد إذا همّ بالانفاق انشرح له صدره وطابت به نفسه فوسع فيه، **(وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا قلصت)** أي ارتفعت **(ولزمت كل حلقة)** بسكون اللام **(مكانها)** قال الطيبي: قيد المشبه به بالحديد إعلاماً بأن القبض والشدة جبلي للإنسان، وأوقع المنفق موقع السخي فجعله في مقابل البخيل إيذاناً بأن السخاء أمر به الشارع وندب إليه لا ما يتعافاه المسلمون، **(حتى أخذت بتراقية فهو يوسعها ولا تتسع وهو يوسعها ولا تتسع »)** هكذا مرتين في سائر النسخ ضرب المثل برجل أراد لبس درع يستجن به، فحالت يداه بينها وبين أن يمر على جميع بدنه، فاجتمعت في عنقه فلزمت ترقوته. والمراد أن البخيل إذا حدث نفسه بالإنفاق شحت وضاق صدره وعلت يداه. رواه أحمد، والشيخان، وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ «مثل البخيل والمتصدق» وعندهم بعد قوله بنانه وتعفوا اثره، وفيه: إلا لزقت بدل لزمت، وفيه: فهو يوسعها فلا تتسع مرة واحدة. وزعم بعضهم أن هذه الجملة الأخيرة مدرجة من كلام أبي هريرة، وهو وهم لو ورد التصريح برفعه.

(وقال ﷺ « خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق ») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب انتهى.

قلت: ورواه أيضاً الطيالسي، وعبد بن حميد، والبخاري في الأدب، والبزار، وأبو يعلى، وابن جرير في تهذيبه، والبيهقي في الشعب.

(قال ﷺ) في دعائه: **(« اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك ان أردّ إلى أرذل العمر »)** رواه البخاري من حديث سعد، وقد تقدم في الأذكار والدعوات.

والفحش إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش، وإياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا »، وقال ﷺ: « شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع ». وقتل شهيد على عهد رسول الله

(وقال ﷺ « اياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش ان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش، وإياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ») قال العراقي: رواه الحاكم من حديث عبد الله بن عمر ودون قوله « أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا » قال عوضا عنها « وبالبخل فبخلوا بالفجور ففجروا » وكذلك رواه أبو داود مقتصراً على ذكر الشح، وتقدم قبله بسبعة أحاديث. ولمسلم من حديث جابر « اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة، واتقو الشح » فذكره بلفظ آخر فلم يذكر الفحش انتهى.

قلت: حديث عبد الله بن عمر وقد تقدم قريباً، ولفظ أبي داود الحاكم: « إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا » وهكذا رواه ابن جرير في التهذيب، والبيهقي، وللطبراني من حديث المسور بن مخرمة « إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح إن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » ولأحمد والطبراني والبيهقي من حديث ابن عمر « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » وزاد أحمد وعبد بن حميد والبخاري في الأدب، ومسلم وأبو عوانة من حديث جابر « واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم وحملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ».

(وقال ﷺ « شر ما في الرجل) أي من مساوىء أخلاقه **(شح هالع)** أي جازع. يعني شح يحمل على الحرص على المال والجزع على ذهابه. وقيل: هو أن لا يشبع كلما وجد شيئاً بلعه ولا قرار له ولا يتبين في جوفه ويحرص على تهيئة شيء آخر. قال التوربشتي: والشح بخل مع حرص، فهو أبلغ في المنع من البخل، فالبخل يستعمل بالضنة بالمال، والشح في كل ما تمتنع النفس عن الاسترسال فيه من بذل مال أو معروف أو طاعة. قال: والهلع أفحش الجزع، والمعنى أنه يجزع في شحه أشد الجزع عن استخراج الحق منه **(وجبن خالع »)** أي شديد كأنه يخلع فؤاده من شدة خوفه من الخلق. قال الطيبي: والفرق بين وصف الشح بالهلع والجبن بالخلع أن الهلع في الحقيقة لصاحب الشح فأسند إليه مجازاً فهما حقيقتان، لكن الإسناد مجازي، ولا كذلك الخلع إذ ليس مختصاً بصاحب الجبن حتى يسند إليه مجازاً بل هو وصف للجبن، لكن على المجاز حيث اطلق واريد به الشدة، وإنما قال: شر ما في الرجل ولم يقل شر ما في النساء لأن الشح والجبن مما تحمد به المرأة ويذم به الرجل، أو لأن الخصلتين تقعان موقعاً في الذم من الرجال فوق ما يقعان من النساء.

قال العراقي: رواه أبو داود من حديث أبي هريرة بسند جيد انتهى.

ﷺ فبكته باكية فقالت: واشهيداه! فقال ﷺ: «وما يدريك أنه شهيد فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينفصه». وقال جبير بن مطعم، بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفله من خيبر إذ علقت برسول الله ﷺ الأعراب يسألونه، حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف ﷺ فقال: «أعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً»، وقال عمر رضي الله عنه: قسم رسول الله ﷺ قسماً فقلت غير هؤلاء كانوا أحق به منهم؟ فقال: «إنهم يخيروني بين أن يسألوني بالفحش أو يبخلوني»، ولست

قلت: ورواه كذلك البخاري في التاريخ، والحكيم في النوادر، وابن جرير في التهذيب، والبيهقي في الشعب، وقال ابن طاهر: إسناده متصل.

(وقتل شهيد) أي استشهد رجل **(على عهد رسول الله ﷺ فبكته باكية فقالت: واشهيداه! فقال النبي ﷺ: «وما يدريك أنه شهيد فلعله قد كان يتكلم بما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه»)** قال العراقي: رواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، والبيهقي من حديث أنس أن امه قالت: ليهنك الشهادة، وهو عند الترمذي إلا أن فيه رجلاً قال له: ابشر بالجنة انتهى.

قلت: وسياق المصنف أورده في كتاب البخلاء، وكذلك البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة، ولكن بلفظ: «إن رجلاً قتل شهيداً فبكته باكية» والباقي سواء، وتقدم للمصنف في آفات اللسان قصة لكعب بن عجرة تشبهها وفيها: «وما يدريك يا أم كعب لعل كعباً قال مالا يعنيه أو منع ما لا يغنيه» وقد رواه ابن أبي الدنيا.

(وقال جبير بن مطعم) بن عدي بن نوفل القرشي النوفلي: **(بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفله)** أي مرجعه **(من حنين)** إسم واد بين مكة والطائف **(إذا علقت برسول الله ﷺ الأعراب)** وهم جفاة البوادي **(يسألونه)** متاع الدنيا **(حتى اضطروه إلى سمرة)** بفتح السين وضم الميم وهي شجرة أم غيلان، **(فخطفت رداءه فوقف رسول الله ﷺ فقال: «اعطوني ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لي عدد هذه العضاه)** وهي أشجار البادية **(نعماً لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذاباً ولا جباناً»)** أخرجه البخاري وقد تقدم في أخلاق النبوّة.

(وقال عمر) رضي الله عنه: **(قسم رسول الله ﷺ قسماً)** لجماعة **(فقلت: غير هؤلاء كانوا أحق به منهم؟ فقال: إنهم يخيروني بين أن يسألوني بالفحش أو يبخلوني)** أي ينسبوني إلى البخل **(ولست بباخل»)** وهو من يصدر عنه البخل ولو مرة بخلاف البخيل كالرحيم والراحم وفيه نوع مبالغة كما لا يخفى. أخرجه مسلم.

بباخل». وقال أبو سعيد الخدري دخل رجلان على رسول الله ﷺ فسألاه ثمن بعير فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأثنيا وقالا معروفاً وشكراً ما صنع بهما، فدخل عمر على رسول الله ﷺ فأخبره بما قالا. فقال ﷺ: «لكن فلان أعطيته ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك ان أحدكم ليسألني فينطلق في مسألته متأبطها وهي نار»، فقال عمر فلم تعطيهم ما هو نار؟ فقال: «يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل»، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم ألا إن الله عز وجل خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة طوبى وشد أغصانها بأغصان سدرة المنتهى، ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا، فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة، ألا ان السخاء من الإيمان، والإيمان في الجنة. وخلق البخل من مقته وجعل رأسه رأسخاً في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله النار، ألا إن البخل مـن

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(دخل رجلان على رسول الله ﷺ فسألاه ثمن بعير، فأعطاهما دينارين، فخرجا من عنده فلقيهم عمر بن الخطاب)** رضي الله عنه **(فأثنيا)** على رسول الله ﷺ **(وقالا معروفاً وشكرا ما صنع بهما، فدخل عمر)** رضي الله عنه **(على رسول الله ﷺ فأخبره بما قالا. فقال له رسول الله ﷺ: «لكن فلان أعطيته ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك)** أي المعروف وحسن الصنيع **(إن أحدكم يسألني فينطلق في مسألته متأبطها)** أي آخذها تحت إبطه **(وهي نار» فقال عمر)** رضي الله عنه: **(فلم تعطهم ما هو نار؟ فقال «يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل»)** قال العراقي: رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار نحوه، ولم يقل أحمد أنهما سألاه ثمن بعير. ورواه البزار من رواية أبي سعيد عن عمرو ورجاله ثقات انتهى.

قلت: ورواه أيضاً الحاكم والضياء من حديث أبي سعيد، ورواه الحاكم أيضاً من حديث جابر وفيه: «فينطلق بمسألته متابطها وما هي إلاّ نار» وفيه: قيل لم تعطهم؟ قال: «يأبون» الحديث.

(وعن ابن عباس) رضي الله عنه **(قال : قال رسول الله ﷺ : «الجود من جود الله تعالى فجودوا)** على خلق الله **(يجد الله لكم)** وهذا معنى قولهم من جاد جاد الله عليه **(ألا إن الله خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة طوبى وشد أغصانها بأغصان سدرة المنتهى، ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا، فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة، إلا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة، وخلق البخل من مقته)** وهو أشد الغضب **(وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة الزقوم، ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا، فمن تعلق بغصن منها أدخله النار، إلا إن البخل من الكفر والكفر في النار»)** قال العراقي: ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده في مسنده ولم أقف له على اسناد انتهى.

الكفر والكفر في النار »، وقال ﷺ : « السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة إلا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار إلا بخيل »، وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : « لوفد بني لحيان من سيدكم يا بني لحيان ». قالوا : سيدنا جد بن قيس إلا أنه رجل فيه بخل، فقال ﷺ : « وأي داء أدوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح »، وفي رواية أنهم قالوا : سيدنا جد بن قيس، فقال: « بم تسوّدونـه ؟ » قالوا : إنه أكثرنا مالاً وإنا على ذلك لنرى منه البخل، فقال عليه السلام: « وأي داء أدوأ من البخل ليس ذلك سيدكم » قالوا : فمن سيدنا يا رسول الله ؟ قال: « سيدكم بشر بن البراء ». وقال علي

قلـت : بل أخرجه الخطيب في كتاب البخلاء بسند فيه أبو بكر النقاش صاحب مناكير، وقد تقدم قبل خمسة وثلاثين حديثاً حديث أبي هريرة وهو يشبه حديث ابن عباس.

(وقال ﷺ « السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة إلاّ سخي، والبخل شجرة تنبت في النار ولا يلج في النار إلا بخيل ») قال العراقي : تقدم دون قوله: فلا يلج في الجنة الخ وذكره بهذه الزيادة صاحب الفردوس من حديث علي، ولم يخرجه ولده في مسنده انتهى.

قلـت : الذي تقدم آنفاً قبل ستة وثلاثين حديثاً هو من حديث علي وولده الحسين وأبي هريرة وجابر وأبي سعيد وعائشة ومعاوية وأنس، وأما بهذه الزيادة فأخرجه الحسن بن سفيان في مسنده، والخطيب في كتاب البخلاء، وابن عساكر في التاريخ من حديث عبدالله بن جراد.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ لوفد بني لحيان: من سيدكم يا بني لحيان »)** ؟ بكسر اللام قبيلة من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وقال الهمداني لحيان من بقايا جرهم دخلت في هذيل: **(قالوا: سيدنا جد بن قيس)** بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري **(إلا أنه رجل فيه بخل. فقال ﷺ : « وأي داء أدوأ من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح »)** بفتح الجيم وتخفيف الميم بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الأنصاري **(وفي روايه)** أخرى: **(أنهم قالوا: سيدنا جد بن قيس. فقال « بم تسوّدونه »)** ؟ أي بأي وصف تجعلونه سيداً فيكم؟ **(قالوا: إنه أكثرنا مالا وإنا على ذلك)** أي مع ذلك **(لنزنه)** أي لنتهمه **(على البخل)** يقال: ازنه بكذا أو على كذا إذا اتهمه به. **(فقال ﷺ « وأي داء أدوأ من البخل ليس ذلك سيدكم » . قالوا: فمن سيدنا يا رسول الله؟ قال: « سيدكم بشر بن البراء »)** بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان الأنصاري بن عم الجد بن قيس الماضي ذكره. قال العراقي: حديث أبي هريرة رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم بلفظ « يا بني سلمة » وقال « سيدكم بشر بن البراء ». وأما الرواية التي قال فيها « سيدكم عمرو بن الجموح » فرواها الطبراني في الصغير من حديث كعب بن مالك باسناد حسن انتهى.

قلت: لفظ المصنف «من سيدكم يا بني لحيان» غريب، والثابت «يا بني سلمة» فإن المخاطب به هم. وقد تقدم ان بني لحيان من هذيل فلا يطابق الخطاب، وكان الجد بن قيس قد ساد بني سلمة في الجاهلية، فحوّل النبي ﷺ تلك السيادة إلى عمرو بن الجموح، وكلاهما من بني سلمة، وقد عزاه المصنف لأبي هريرة، وقد رواه الحاكم في المستدرك. وقال أبو الشيخ باسناد غريب عن أبي سلمة عن أبي هريرة. ورواه أبو عروبة في الأمثال، وابن عدي في الكامل من طريق سعيد بن محمد الوراق، عن محمد بن عمر، وعن أبي سلمة ولم ينفرد به سعيد الوراق، بل تابعه النضر بن شميل عن الوليد بن أبان في كتاب السخاء، وأبو الشيخ في الأمثال، ومحمد بن علي عند الحاكم أيضاً، وقد رواه أيضاً جابر بن عبد الله الأنصاري، أخرجه البخاري في الأدب المفرد والسراج، وأبو الشيخ في الأمثال وأبو نعيم في المعرفة من طريق حجاج الصواف، عن أبي الزبير: حدثنا جابر قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «من سيدكم يا بني سلمة» قالوا: الجد بن قيس على أنا تبخله. فقال «بهذه» هكذا ومديده وأي داء أدوا من البخل بل سيدكم عمرو بن الجموح» قال: وكان عمرو يولم على رسول الله ﷺ إذا تزوّج، وأخرج أبو نعيم في المعرفة، وفي الحلية، وأبو الشيخ أيضاً، والبيهقي في الشعب من طريق ابن عيينة، عن ابن المنكدر عن جابر نحوه. ورواه الوليد بن أبان في كتاب السخاء من طريق الأشعث بن سعيد عن عمرو بن دينار عن جابر نحوه. ورواه أبو نعيم من طريق حاتم بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطاء عن عبد الملك بن جابر بن عتيك عن جابر بن عبد الله نحوه. وقال فيه «بل سيدكم الابيض الجعد عمرو بن الجموح». وقد روي أيضاً من حديث أنس أخرجه أبو الشيخ في الأمثال، والحسن بن سفيان في مسنده من طريق رشيد عن ثابت عنه مختصراً. ورواه الوليد بن أبان من طريق الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت، عن النبي ﷺ مرسلاً. وروى أبو خليفة عن ابن عائشة عن بشر بن المفضل عن أبي شبرمة عن الشعبي نحوه. قال ابن عائشة، فقال بعض الأنصار في ذلك:

وقـال رسـول الله والقـول قـولـه ... لمن قـال منـا مـن تسمـون سيّـدا
فقـالـوا لـه جـد بـن قيس على التي ... نبخلـه منـا وإن كـان أسـودا
فسـوّد عمـرو بـن الجمـوع لجوده ... وحـق لعمـرو بالنـدى أن يسـوّدا
فلو كنت يا جـد بـن قيس على التي ... على مثلهـا عمـرو لكنـت المسـوّدا

ورواه الغلابي من طريق أخرى عن الشعبي وفيه الشعر، ورواه الوليد بن أبان من طريق عبد الله بن أبي ثمامة عن مشيخه له من الأنصار نحوه وفيه الشعر.

وأما حديث كعب بن مالك الذي عزاه العراقي للطبراني في الصغير فأخرجه يعقوب بن سفيان في تاريخه، وأبو الشيخ في الأمثال، والوليد بن ابان في كتاب الجود من طريق صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن النبي ﷺ قال: «من سيدكم يا بني فضلة»؟ قالوا: جد بن قيس. قال «بم تسودونه»؟ فقالوا: إنه أكثرنا مالاً وإنا على ذلك لنزنه بالبخل. فقال: «وأي داء أدوأ من البخل ليس ذا سيدكم». قالوا: فمن سيدنا يا رسول الله؟

رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: « إن الله يبغض البخيل في حياته السخي عند موته ». وقال أبو هريرة: : قال سول الله ﷺ: « السخي الجهول أحب إلى الله من العابد البخيل »، وقال أيضاً: قال ﷺ: « الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب عبد »، وقال

قال « بشر بن البراء بن معرور » تابعه ابن إسحاق عن الزهري، وقال في رواية « بل سيدكم الأبيض الجعد بشر بن البراء » وهكذا رواه يونس، وإبراهيم بن سعد عن الزهري من رواية الأبرش عنه، وخالفه يعقوب بن إبراهيم بن سعد، فرواه عن أبيه مرسلاً أخرجه ابن أبي عاصم، وكذا أرسله معمر وهو في مصنف عبد الرزاق، وفي مساوىء الأخلاق للخرائطي وابن أخي الزهري عن عمه وهو في الأمثال لأبي عروبة، وسمعته عن الزهري في نسخة أبي اليمان هكذا نقله الحافظ في الاصابة في ترجمة بشر.

قلت: وقد وجدت طريق معمر التي أشار إليها. قال الخرائطي في مكارم الأخلاق: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال لبني ساعدة « من سيدكم »؟ قالوا: جد بن قيس. قال « بم سوّدتموه » قالوا: إنه أكثرنا مالاً وإنا على ذلك لنزنه بالبخل. فقال النبي ﷺ « وأي داء أدوأ من البخل » قالوا: فمن سيدنا؟ قال: « بشر بن البراء بن معرور ».

(وقال علي) رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: « إن الله يبغض البخيل)** مانع الزكاة أو أعم **(في حياته السخي عند موته »)** لأنه مضطر حينئذ لا مختار قال العراقي: ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده ولم أجد له إسناداً اهـ.

قلت: بل أخرجه الخطيب في كتاب البخلاء بسنده إلى علي رضي الله عنه.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ « السخي الجهول أحب إلى الله من العابد البخيل »)** قال العراقي: رواه الترمذي بلفظ « ولجاهل سخي » وهو بقية حديث « ان السخي قريب من الله » وتقدم اهـ.

قلت: بل لفظ المصنف رواه الخطيب في كتاب البخلاء، والديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة إلا أن فيه العالم بدل العابد.

(وقال أبو هريرة أيضاً) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: « لا يجتمع الإيمان والشح في قلب عبد »)** قال العراقي: رواه النسائي وفي اسناده اختلاف اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن جرير في التهذيب بزيادة أبداً، وفي رواية له أيضاً في جوف رجل مسلم، وروى ابن عدي في الكامل من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز بن سعد الأنصاري، عن أبيه عن جده بلفظ « لا يجتمع الإيمان والبخل في قلب رجل مؤمن أبداً ».

أيضاً: «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق»؟ وقال ﷺ: «لا ينبغي لمؤمن أن يكون بخيلاً ولا جباناً». وقال ﷺ: «يقول قائلكم الشحيح أغدر من الظالم وأي ظلم أعظم عند الله من الشح، حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل».

وروي أن رسول الله ﷺ كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي ذنبي فقال ﷺ: «وما ذنبك صفه لي». فقال هو أعظم من أن أصفه لك فقال: «ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون؟» فقال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله، قال: «فذنبك أعظم أم الجبال»؟ قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله، قال: «فذنبك أعظم أم البحار»؟ قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله، قال: «فذنبك أعظم أم السموات»؟ قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله، قال: «فذنبك أعظم أم العرش»؟ قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله، قال: «فذنبك أعظم أم الله»؟ قال: بل الله أعظم وأعلى، قال: «ويحك فصف لي ذنبك» قال: يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من

(وقال) ﷺ (أيضاً «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق») رواه الترمذي من حديث أبي سعيد، وقد تقدم قبل هذا قريباً فهو مكرر. ووقع هكذا في سائر نسخ الكتاب.

(وقال ﷺ «لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلاً ولا جباناً») قال العراقي لم أره بهذا اللفظ اهـ.

قلت: بل رواه هكذا هناد والخطيب في كتاب البخلاء من حديث أبي جعفر معضلاً، ورواه الخطيب من حديث أبي عبد الرحمن السلمي موقوفاً.

(وقال ﷺ: «يقول قائلكم الشحيح أغدر من الظالم وأي ظلم أعظم عند الله من الشح، حلف الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل») قال العراقي لم اجده بتمامه، وللترمذي من حديث أبي بكر «لا يدخل الجنة بخيل» اهـ.

قلت: وروى الخطيب في كتاب البخلاء من حديث ابن عمر «الشحيح لا يدخل الجنة».

(وروي أن رسول الله ﷺ كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول: بحرمة هذا البيت الا غفرت) لي **(ذنبي، فقال رسول الله ﷺ: «وما ذنبك صفه لي». قال: هو أعظم من أن أصفه لك. قال «ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون»، قال: بل ذنبي أعظم يا رسول الله. قال: «ويحك فذنبك أعظم أم الجبال»؟ قال: بل ذنبي يا رسول الله. قال فذنبك أعظم أم البحار؟ قال: بل ذنبي يا رسول الله. قال: «فذنبك أعظم أم السموات»؟ قال: بل ذنبي يا رسول الله. قال: «فذنبك أعظم أم العرش»؟ قال: بل ذنبي يا رسول الله. قال: «فذنبك أعظم أم الله»؟ قال: بل الله أعظم وأعلى قال «ويحك فصف لي**

المال وإن السائل ليأتيني يسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار ، فقال ﷺ : « إليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت ألفي ألف عام ثم بكيت حتى تجري من دموعك الأنهار وتسقي بها الأشجار ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله في النار ، ويحك أما علمت أن البخل كفر وأن الكفر في النار ، ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول: ﴿ومن يبخلْ فإنما يبخل عن نفسه﴾ [محمد : ٣٨] ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر : ٩] .

الآثار: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما خلق الله جنة عدن قال لها: تزيني فتزينت ، ثم قال لها: اظهري أنهارك فأظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن، ثم قال لها: اظهري سررك وحجالك وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فأظهرت فنظر إليها فقال: تكلمي ، فقالت: طوبى لمن دخلني ، فقال الله تعالى: وعزتي لا أسكنتك بخيلاً وقالت أم البنين

ذنبك» . قال: يا رسول الله إني رجل ذو ثروة من المال وأن السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من نار . فقال ﷺ : « إليك عني لا تحرقني بنارك ، فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت ألفي ألف عام ثم بكيت حتى تجري من دموعك الأنهار وتسقي الأشجار ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله في النار . ويحك أما علمت أن البخل كفر وان الكفر في النار . ويحك أما علمت أن الله تعالى يقول: ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ [ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾) قال العراقي: الحديث بطوله باطل لا أصل له .

(**الآثار: قال ابن عباس رضي الله عنه: لما خلق الله تعالى جنة عدن**) وهي أوسط الجنات (**قال لها: تزيني فتزينت، ثم قال لها: أظهري أنهارك فأظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان أنهار الخمر وأنهار العسل واللبن، ثم قال لها: أظهري سررك وحجالك**) محركة جمع حجلة وهي الكلة ، (**وكراسيك وحللك وحليك وحور عينك فأظهرت فنظر إليها فقال: تكلمي. فقالت: طوبى لمن دخلني، فقال الله تعالى: وعزتي لا أسكنتك بخيلاً**) رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ « لما خلق الله عز وجل جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر ، ثم قال لها: تكلمي. فقالت: (**قد أفلح المؤمنون**) » . ورواه ابن عساكر وزاد ثم قالت: « **أنا حرام على كل بخيل ومراء** » . ورواه أبو طاهر محمد بن عبد الواحد الطبري المفسر في كتاب فضائل التوحيد ، والرافعي من حديث أنس « لما خلق الله جنة عند ـ وهي أول ما خلقها الله ـ **قال لها تكلمي فقالت لا إله إلا الله** محمد رسول الله قد أفلح المؤمنون قد أفلح من دخل فيَّ وشقي من دخل النار » .

(**وقالت أم البنين**) ابنة عبد العزيز بن مروان (**أخت عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله

أخت عمر بن عبد العزيز: أف للبخيل لو كان البخيل قميصاً ما لبسته ولو كان طريقاً ما سلكته. وقال طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه: انا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء لكننا نتصبر، وقال محمد بن المنكدر: كان يقال إذا أراد الله بقوم شراً أمر عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم. وقال علي كرّم الله وجهه في خطبته: إنه سيأتي على الناس زمان عضوض يعض الموسر على ما في يده ولم يؤمر بذلك. قال الله تعالى: ﴿ولا تنسوا الفضلَ بينكم﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقال عبدالله بن عمر: والشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى يأخذه ويشح بما في يده فيحبسه، والبخيل هو الذي يبخل بما في يده. وقال الشعبي: لا أدري أيهما أبعد غوراً في نار جهنم البخل أو الكذب؟ وقيل: ورد على أنوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي: تكلم، فقال: خير الناس من ألفي سخياً وعند الغضب وقوراً وفي القول متأنياً

تعالى: (**أف للبخيل لو كان البخل قميصاً ما لبسته ولو كان طريقاً ما سلكته. وقال طلحة بن عبيد الله**) التيمي القرشي أحد العشرة رضي الله عنه: (**انا لنجد بأموالنا ما يجده البخلاء ولكن نتصبر، وقال محمد بن المنكدر**) بن عبد الله بن المهدي التيمي: (**كان يقال إذا أراد الله بقوم شراً أمرّ عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي بخلائهم**). وقد روي نحو ذلك مرفوعاً من حديث مهران وله صحبة ولفظه « إذا أراد الله بقوم خيراً ولّى عليهم حلماءهم وقضى بينهم علماؤهم وجعل المال في سمحائهم، وإذا أراد الله بقوم شراً ولّى عليهم سفهاءهم وقضى بينهم جهالهم وجعل المال في بخلائهم » أخرجه الديلمي في مسند الفردوس.

(**وقال علي كرم الله وجهه في خطبته: إنه سيأتي على الناس زمان عضوض**) أي شديد المراس كالدابة العضوض التي تكثر العض لمن مسّها (**يعض الموسر على ما في يديه**) من المال بنواجذه وهو كناية عن الإمساك الشديد، (**ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ المراد به ما فضل من المال بعد حاجتكم** . (**وقال عبد الله بن عمرو**) بن العاص في الفرق بين الشح والبخل، (**الشح أشد من البخل لأن الشحيح هو الذي يشح على ما في يدي غيره حتى يأخذه ويشح**) على غيره (**بما في يديه فيحبسه**) عنه. (**والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه**) مما يفضل لديه. (**وقال الشعبي**) رحمه الله تعالى: (**لا أدري أيهما أبعد غوراً في نار جهنم البخل أو الكذب**)؟ رواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا جرير عن بيان عنه إلا انه قال في النار بدل في جهنم، (**وقيل: ورد على أنوشروان**) بفتح الهمزة وضم النون وشروان كسحبان إسم ملك الفرس وكان مشهوراً بالعدل (**حكيم الهند وفيلسوف الروم**) وهو واحد الفلاسفة ومعناه الحكيم بالرومية (**فقال أنوشروان للهندي: تكلم. فقال: خير الناس من ألفي**) أي وجد (**سخياً وعند الغضب وقوراً**) أي متحملاً لغضبه، (**وفي**

وفي الرفعة متواضعاً وعلى كل ذي رحم مشفقاً. وقام الرومي فقال: من كان بخيلاً ورث عدوّه ماله ومن قل شكره ولم ينل النجح وأهل الكذب مذمومون وأهل النميمة يموتون فقراء ومن لم يرحم سلط عليه من لا يرحمه. وقال الضحاك في قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً﴾ [يس: ٨] قال: البخل، أمسك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى. وقال كعب: ما من صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان: اللهم عجل لممسك تلفاً وعجل لمنفق خلفاً. وقال الأصمعي: سمعت اعرابياً وقد وصف رجلاً فقال: لقد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه، وكأنما يرى السائل ملك الموت إذا أتاه. وقال أبو حنيفة رحمه الله: لا أرى ان أعدل بخيلاً لأن البخل يحمله على الاستقصاء فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن، فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة. وقال علي كرّم الله وجهه: والله ما استقصى كريم قط حقه، قال الله تعالى: ﴿عرَّف بعضَهُ وأعرَضَ عن بعض﴾ [التحريم: ٣] وقال الجاحظ: ما بقي من اللذات

القول متأنياً) أي متثبتاً **(وفي الرفعة متواضعاً وعلى كل ذي رحم مشفقاً. وقال للرومي: تكلم. فقال: من كان بخيلاً ورث عدوّه ماله ومن قلَّ شكره)** للنعمة **(لم ينل النجح)** أي الظفر بالمقصود، **(وأهل الكذب مذمومون، وأهل النميمة يموتون فقراً، ومن لم يرحم)** أي من ملكه **(سلط الله عليه من لا يرحمه)** وشاهده في كلام نبينا ﷺ: « من لا يرحم لا يَرحم ». **(وقال الضحاك في قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً﴾ قال: البخل أمسك الله تعالى أيديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى)** أخرجه الخرائطي في مساوىء الأخلاق، **(وقال كعب الأحبار)** رحمه الله تعالى: **(ما من صباح إلا وقد وكل به ملكان يناديان)** يقول إحداهما: **(اللهم عجّل لممسك تلفاً، و)** يقول الثاني: اللهم **(عجل لمنفق خلقاً)** هكذا رواه صاحب الحلية، وقد رواه الحاكم من حديث أبي سعيد الخدري وصححه، وتعقبه الذهبي وفيه زيادة: وملكان يناديان: يا باغي الخير هلم، ويقول الآخر: يا باغي الشر قصر. **(وقال)** عبد الملك بن قريب **(الأصمعي)** رحمه الله تعالى: **(سمعت اعرابياً قد وصف رجلاً فقال: لقد صغر فلان في عيني)** أي ذل وحقر **(لعظم الدنيا في عينه، وكأنما السائل إذا يراه ملك الموت إذا أتاه)** أي يستثقله ويقشعر عنه ويزور ويكرهه كما يكره ملك الموت ويزور عنه. **(وقال)** الإمام **(أبو حنيفة)** رحمه الله تعالى: **(لا أرى أن أعدل بخيلاً لأنه يحمله البخل على الاستقصاء)** في معاملاته، **(فيأخذ فوق حقه)** لا محالة **(خيفة أن يغبن فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة)** فلا يعدل. **(وقال علي كرم الله وجهه: والله ما استقصى كريم قط حقه)** لأنه **(قال الله تعالى ﴿عرّف بعضه وأعرض عن بعض﴾)** أخرجه ابن مردويه في تفسيره: وأخرج البيهقي في الشعب عن عطاء الخراساني قال: ما استقصى حكيم قط. ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿عرف بعضه وأعرض عن بعض﴾ وأخرج ابن أبي حاتم، عن

إلا ثلاث: ذم البخلاء، وأكل القديد، وحك الجرب. وقال بشر بن الحرث البخيل لا غيبة له. قال النبي ﷺ: «إنك إذاً لبخيل» ومدحت امرأة عند رسول الله ﷺ فقالوا: صوّامة قوّامة إلا أن فيها بخلاً قال: «فما خيرها إذاً»، وقال بشر: النظر إلى البخيل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين. وقال يحي بن معاذ: ما في القلب للأسخياء إلا حب ولو كانوا فجاراً وللبخلاء إلا بغض ولو كانوا أبراراً وقال ابن المعتز: أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه. ولقي يحي بن زكريا عليهما السلام. إبليس في صورته فقال له: يا إبليس أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك؟ قال: أحب الناس إليّ المؤمن البخيل وأبغض الناس إليّ الفاسق السخي، قال له: لم؟ قال: لأن البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي أتخوّف أن يطلع الله عليه في سخائه فيقبله، ثم ولى وهو يقول: لولا أنك يحي لما أخبرتك.

مجاهد قال: الذي عرف أمر مارية والذي أعرض قوله لعائشة أن أباك وأباها يليان الناس بعدي مخافة أن يفشوه. **(وقال)** عمرو بن بحر **(الجاحظ)** البصري يكنى أبا عثمان من رؤساء المعتزلة، ولـه تصانيف في عدة من الفنون، روى عن يزيد بن هارون وأبي يوسف القاضي، وعنه يموت بن المزرع ومات سنة ٢٥٥، **(ما بقي من اللذات إلا ثلاث: ذم البخلاء وأكل القديد وحك الجرب)** وفي كل منها يجد الإنسان لذة ما لا يجد في غيرها. **(وقال بشر بن الحارث)** الحافي رحمه الله تعالى: **(البخيل لا غيبة له)** لانه **(قال النبي ﷺ)** لرجل: **(«إنك إذاً البخيل»)** فلو كان غيبة لم يقل ذلك: **(ومدحت امرأة عند النبي ﷺ فقالوا: صوّامة قوّامة)** أي كثيرة الصيام والقيـام **(إلا أنه فيها بخلاً. قال «فما خيرها إذاً»)** تقدم في آفات اللسان، فهذا أيضاً يدل أن ذكر الرجل بالبخل لا غيبة له. **(وقال بشر)** رحمه الله تعالى أيضاً: **(النظر إلى البخيل يقسي القلب وبقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين)** والقولان أخرجهما الخطيب في كتاب البخلاء. **(وقال يحي بن معاذ)** الرازي رحمه الله تعالى: **(ما في القلب للأسخياء إلا حب، ولو كانوا فجاراً، وللبخلاء إلا بغض ولو كانوا ابراراً)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال ابن المعتز)** وهو أبو العباس عبدالله بن المعتز بالله أبي عبدالله محمد بن المتوكل على الله أبي الفضـل جعفـر بـن المعتصم العبـاسي، وهـو أوّل مـن ألـف في البـديـع ولـه ديـوان شعـر: **(أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه)** لأن من أكرم ماله أهان بعرضه. **(ولقي يحي بن زكريا عليهما السلام إبليس في صورته)** الحقيقية **(فقال له: يا إبليس اخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك. فقال: أحب الناس إلي المؤمن البخيل، وأبغض الناس إلي الفاسق السخي. قال: لم؟ قال: لأن البخيل قد كفاني بخله، والفاسق السخي أتخوّف أن يطلع الله عليـه في سخائه فيقبله، ثم ولّى)** أي أدبر، **(وهو يقول: لولا انك يحي لما أخبرتك)** وكأنه أظهر له النصح في الجواب إكراماً له عليه السلام.

حكايات البخلاء: قيل: كان بالبصرة رجل موسر بخيل، فدعاه بعض جيرانه وقدم إليه طباهجة ببيض فأكل منه فأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت، فجعل يتلوى فلما جهده الأمر وصف حاله للطبيب فقال: لا بأس عليك، تقيأ ما أكلت، فقال: هاه! أتقيأ طباهجة ببيض الموت ولا ذلك.

وقيل: أقبل أعرابي يطلب رجلاً، وبين يديه تين فغطى التين بكسائه، فجلس الأعرابي فقال له الرجل: هل تحسن من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، فقرأ: ﴿... والزيتون وطور سينين﴾ [التين: ١، ٢] فقال: وأين التين؟ قال: هو تحت كسائك.

ودعا بعضهم أخاً له ولم يطعمه شيئاً، فحبسه إلى العصر حتى اشتد جوعه وأخذه مثل الجنون، فأخذ صاحب البيت العود وقال له: بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك؟ قال: صوت المقلي.

ويحكى أن محمد بن يحي بن خالد بن برمك كان بخيلاً قبيح البخل، فسئل نسيب له

حكايات البخلاء:

(قيل: كان بالبصرة رجل موسر) أي غني **(بخيل، فدعاه بعض جيرانه وقدم إليه طباهجة)** وهي أن يقطع اللحم ويشوي في الطنجير في أي دهن كان فإذا طبخ في الماء ثم قلي سمي قلية **(ببيض فأكل منه فأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت، فجعل يتلوى)** يميناً وشمالاً **(فلما أجهده الأمر وصف حاله لطبيب فقال: لا بأس عليك تقيأ ما أكلت)** تبرأ، **(فقال: هاه! اتقيأ طباهجة ببيض؟ أموت ولا أتقيأ طباهجة ببيض)**. فهذا من بخله آثر الطباهجة على الصحة.

(وقيل: أقبل أعرابي يطلب رجلاً بين يديه تين) وهو التمر المعروف **(فغطى التين بكسائه)** من بخله كيلا يراه فيشاركه، **(فجلس الأعرابي فقال له الرجل: هل تحسن من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، وقرأ)** بعد الاستعاذة والبسملة **(﴿والزيتون وطور سينين﴾ فقال)** الرجل: **(وأين التين؟ فقال: هو تحت كسائك)**.

(ودعا بعضهم أخاً له ولم يطعمه شيئاً إلى العصر حتى اشتد جوعه وأخذه مثل الجنون) فإنه قد يعتري ذلك عند خلو المعدة، **(فأخذ صاحب البيت العود)** ليغني له **(وقال له: بحياتي أي صوت تشتهي أن أسمعك)** بهذا العود؟ **(قال: صوت المقلي)** أي صوت قلية اللحم.

(ويحكى أن محمد بن يحي بن خالد بن برمك) البرمكي جده خالد بن برمك كان من عبدة النار فأسلم، وولده أبو علي يحي بلغ الرتبة العلية في الثروة حتى ولي الوزارة للعباسيين، وأخبارهم

كان يعرفه عنه فقال له قائل: صف لي مائدته فقال: هي فتر في فتر، وصحافه منقورة من حب الخشخاش، قيل: فمن يحضرها قال: الكرام الكاتبون! قال: فما يأكل معه أحد؟ قال: بلى الذباب، فقال: سوأتك بدت وأنت خاص به وثوبك مخرق، قال أنا والله ما أقدر على إبرة أخيطه بها، ولو ملك محمد بيتاً من بغداد إلى النوبة مملوءاً إبراً، ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يطلبون منه إبرة ويسألونه إعارتهم إياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قُدّ من دبر ما فعل.

ويقال كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم إليه فإذا قرم إليه أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله فقيل له: نراك لا تأكل إلا الرؤوس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك؟ قال: نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع أن يغبنني فيه، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه، إن مس عيناً أو أذناً أو

مشهورة. ومنهم محمد بن جعفر بن يحي حدث، وهو من مشايخ أبي داود، وأبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحي المعروف بجحظة صاحب أخبار ونوادر. **(وكان بخيلاً قبيح البخل)** على خلاف شيمة أهل بيته فإنهم كانوا قد اشتهروا بالكرم، **(فسئل نسيب له كان يألفه)** أي يعاشره **(عنه وقال له قائل: صف لي مائدته. فقال: هي فتر في فتر)** والفتر بالكسر ما بين طرف الابهام وطرف السبابة بالتفريج المعتاد وصفها في غاية الضيق، **(وصحافه)** جمع صحفة بالفتح وهي الإناء الذي يؤكل فيه **(منقورة من حب الخشخاش)** أي في غاية الصغر وهي مبالغة، **(قيل: فمن يحضرها؟ قال: الكرام الكاتبون)**: وهم ملائكة اليمين والشمال. **(قال: فما يأكل معه أحد؟ قال: بلى الذباب)** وما قدر ما يأكل منه الذباب. فقال: **(سوأة له)** أي قبحاً **(أنت خاص به)** ونسيبه وأليفه **(وثوبك مخرق)** أي مقطع، **(فقال: إني والله ما أقدر على إبرة أخيط بها، ولو ملك محمد بيتاً من بغداد إلى النوبة)** وهي من بلاد السودان **مملوءاً ابراً، ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليهما السلام يطلبون منه إبرة)** واحدة **(ويسألونه: أعرنا إياها لنخيط بها قميص يوسف)** عليه السلام **(الذي قدّ)** أي شق **(من قبل)** أي من قدام **(ما فعل)** وهذا المنتهى في البخل وفيه مبالغات.

(ويقال: كان مروان بن أبي حفصة لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم إليه) أي يشتاق إليه ويشتهيه، والقرم: نزوع النفس إلى اللحم خاصة، **(فإذا قرم)** إليه **(أرسل غلامه فاشترى له رأساً)** من رؤوس الغنم المشوية **(فأكله، فقيل له: نراك لا تأكل إلاّ الرؤوس)** المشوية **(في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك؟ فقال: نعم الرأس أعرف سعره وآمن خيانة الغلام)** فيه **(ولا يستطيع أن يغبنني فيه، وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن يأكل منه، إن مس)** منه

خداً وقفت على ذلك، وآكل منه ألواناً، عينه لوناً، وأذنه لوناً، ولسانه لوناً، وغلصمته لوناً، ودماغه لوناً، وأكفى مؤنة طبخه، فقد اجتمعت لي فيه مرافق. وخرج يوماً يريد الخليفة المهدي فقالت له امرأة من أهله: ما لي عليك إن رجعت بالجائزة؟ فقال: إن أعطيت مائة ألف أعطيتك درهماً فأعطى ستين ألفاً فأعطاها أربعة دوانق. واشترى مرة لحماً بدرهم فدعاه صديق له فـرد اللحـم إلى القصـاب بنقصـان دانـق وقـال: أكـره الإسراف. وكان للأعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول: لو دخلت فأكلت كسرة وملحاً فيأبى عليه الأعمش، فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال: سر بنا، فدخل منزله فقرب إليه كسرة وملحاً، فجاء سائل فقال له رب المنزل: بورك فيك، فأعاد عليه المسألة فقال له بورك فيك، فلما سأل الثالثة قال له إذهب وإلا والله خرجت إليك بالعصا قال فناداه الأعمش فقال إذهب ويحك فلا والله ما رأيت أحداً أصدق مواعيد منه! هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليها.

(**عيناً أو أذناً أو خداً وقفت على ذلك**) فهو محدود، (**و**) مع ذلك (**آكل منه ألواناً، آكل عينه لوناً، وأذنيه لوناً، ولسانه لوناً، وغلصمته**) وهي رأس الحلقوم (**لوناً، ودماغه لوناً، و**) مع ذلك (**أكفى مؤنة الطبخ؛ فقد اجتمعت لي فيه مرافق**) وهذا بخل فيه نوع تدبير.
(**و**) يحكى أنه (**خرج يوماً يريد الخليفة المهدي**) العباسي (**فقالت له امرأة من أهله: ما لي عليك إن رجعت بالجائزة**) أي الصلة والعطية؟ (**فقال: إن أعطيت مائة ألف**) درهم (**أعطيتك درهماً فأعطي ستين ألفاً**) درهماً (**فأعطاها أربعة دوانق**) ولم يكمل لها درهماً.
(**و**) يحكى أيضاً أنه (**اشترى مرة لحماً بدرهم فدعاه صديق له**) إلى منزله (**فردّ اللحم إلى القصاب بنقصان دانق وقال: أكره الإسراف. وكان للأعمش**) سليمان بن مهران الكوفي الفقيه (**جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل يقول: لو دخلت فأكلت كسرة وملحاً فيأبى عليه الأعمش**) ويتعلل ويواعد، (**فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الأعمش فقال: سِرْ بنا، فدخل منزله فقرب إليه كسرة وملحاً**) كما كان يعده به (**إذ سأل سائل بالباب، فقال رب المنزل: بورك فيك فأعاد عليه المسألة، فقال له: بورك فيك، فلما سأل الثالثة. قال له: اذهب وإلاّ والله خرجت إليك بالعصا. قال: فناداه الأعمش وقال: اذهب ويحك فلا والله ما رأيت أحداً أصدق مواعيد منه منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليها**). وللبخلاء أخبار كثيرة ونوادر شهيرة، وقد اقتصر المصنف على هذا القدر، وهو الذي أورده الخطيب في كتاب البخلاء بأسانيده.

بيان الايثار وفضله:

اعلم أن السخاء والبخل كل منهما ينقسم إلى درجات. فارفع درجات السخاء الإيثار، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه، وإنما السخاء عبارة عن بذل ما يحتاج إليه أو لغير محتاج، والبذل مع الحاجة أشد. وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الحاجة فالبخل قد ينتهي إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة، فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى، ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها إلا البخل بالثمن؛ ولو وجدها مجاناً لأكلها. فهذا بخيل على نفسه مع الحاجة؛ وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه محتاج إليه فانظر ما بين الرجلين؟ فإن الأخلاق عطايا يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار درجة في السخاء، وقد أثنى الله على الصحابة رضي الله عنهم به فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] وقال النبي ﷺ: « أيما امرىء اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له »، وقالت عائشة رضي الله عنها: « ما شبع

بيان الإيثار وفضله:

(**اعلم أن السخاء والبخل كل واحد**) منهما (**ينقسم إلى درجات، فارفع درجات السخاء الإيثار، وهو أن يجود بالمال**) على الغير (**مع الحاجة إليه، وإنما السخاء عبارة عن بذل ما لا يحتاج إليه**) سواء كان (**لمحتاج أو غير محتاج والبذل**) مع وجود (**الحاجة أشد**)، فلذا كان الإيثار أرفع درجاته، وهذا هو حد السخاء في المخلوق. وسيأتي الكلام عليه عند ذكره في الفصل الذي يليه، (**وكما أن السخاوة قد تنتهي إلى أن يسخو الإنسان على غيره مع الاحتياج**) لما يسخو به، (**فالبخل قد ينتهي إلى أن يبخل على نفسه مع الحاجة**) إليه، (**فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى**) لبخله، (**ويشتهي الشهوة فلا يمنعه منها إلا البخل بالثمن**) والإمساك للمال محبة فيه (**و**) قرينة ذلك أنه (**لو وجدها مجاناً**) بغير عوض لأكلها، فدل ذلك أن الامتناع منها إنما هو لأجل البخل. (**فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة؛ وذلك يؤثر على نفسه غيره مع أنه لا حاجة به إلى ذلك، فانظر ما بين الرجلين**) من التفاوت؟ (**فإن الأخلاق عطايا**) من الملك الخلاق جل سبحانه (**يضعها الله حيث يشاء وليس بعد الإيثار درجة في السخاء، وقد أثنى الله تعالى على الصحابة**) رضوان الله عليهم (**فقال: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾**) أي حاجة وفقر، كما سيأتي قريباً في سبب نزوله. (**وقال النبي ﷺ « أيما رجل**) وفي رواية: أيما امرىء (**اشتهى شهوة فردّ شهوته وآثر على نفسه غفر له »**) وفي رواية: غفر الله له. قال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء، وأبو الشيخ في الثواب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقد تقدم انتهى.

قلت: وكذلك رواه الدارقطني في الافراد، وقد تقدم للمصنف سبب هذا الحديث، وهو ما

رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، ولو شئنا لشبعنا » ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا »، ونزل برسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عند أهله شيئاً، فدخل عليه رجل من الأنصار فذهب بالضيف إلى أهله، ثم وضع بين يديه الطعام وأمر إمرأته بإطفاء السراج، وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل، حتى أكل الضيف الطعام، فلما أصبح قال له رسول الله ﷺ: « لقد عجب الله من صنيعكم الليلة إلى ضيفكم »، ونزلت: ﴿وَيُؤثرون على أنفُسِهِمْ ولو كان بهم خصاصة﴾ فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى، والإيثار أعلى درجات السخاء. وكان ذلك من دأب رسول الله ﷺ حتى سماه الله

رواه نافع أن ابن عمر اشتهى سمكة طرية وكان قد نقه من مرضه فالتمست بالمدينة فلم توجد حتى وجدت بعد مدة، واشتريت بدرهم ونصف فأشويت وجيء بها على رغيف، فقام سائل بالباب، فقال ابن عمر للغلام: لفها برغيفها وادفعها إليه، فأبى الغلام فردّه وأمر بدفعها إليه، ثم جاء بها فوضعها بين يديه وقال: كل هنيئاً يا أبا عبد الرحمن فقد أعطيته درهماً وأخذتها، فقال: لفها وادفعها إليه ولا تأخذ منه الدرهم، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « أيما امرىء اشتهى » وذكر الحديث.

(وقالت عائشة رضي الله عنها: « ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا، ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على أنفسنا ») قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب بلفظ « ولكنه كان يؤثر على نفسه » وأول الحديث عند مسلم بلفظ: « ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز بر حتى مضى لسبيله » وللشيخين: « ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعاً حتى قبض » زاد مسلم « من طعام بر ».

(ونزل برسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عند أهله شيئاً، فدخل عليه رجل من الأنصار) وهو أبو طلحة زيد بن سهل رضي الله عنه، **(فذهب به إلى أهله فوضع بين يديه الطعام)** الذي هو قوته وقوت صبيانه، **(وأمر امرأته)** وهي أم سليم رضي الله عنها **(بإطفاء السراج)** فقامت كأنها تصلح السراج فأطفأته، **(وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل)** أي يظهر من نفسه الأكل **(ولا يأكل)** إيثاراً **(حتى أكل الضيف الطعام)** وبقي هو وعياله مجهودين، **(فلما أصبح)** وغدا إلى رسول الله ﷺ وقد سبقه جبريل عليه السلام فأخبره بما صنع **(قال له رسول الله ﷺ: « لقد عجب الله عز وجل من صنيعكم الليلة إلى ضيفكم » ونزلت ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾)** متفق عليه من حديث أبي هريرة. **(فالسخاء خلق من أخلاق الله تعالى)**. وقد روى أبو نعيم، والديلمي، وأبو الشيخ، وابن النجار من حديث ابن عباس: « السخاء خُلُق الله الأعظم » أي فمن تخلق به تخلق بصفة من صفاته تعالى. **(والإيثار أعلى درجات السخاء، وكان ذلك من دأب رسول الله ﷺ)** أي من طريقته، **(حتى سماه الله تعالى عظيماً فقال: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾)** وقد تقدم الكلام على هذه الآية في كتاب رياضة النفس.

تعالى عظياً فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤٠] وقال سهل بن عبدالله التستري قال موسى عليه السلام: يا رب أرني بعض درجات محمد ﷺ وأمته! فقال: يا موسى إنك لن تطيق ذلك، ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي، قال: فكشف له عن ملكوت السموات فنظر إلى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله تعالى، فقال: يا رب بماذا بلغت به، إلى هذه الكرامة؟ قال: بخلق إختصصته به من بينهم وهو الإيثار، يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمره إلا استحييت من محاسبته، وبوأته من جنتي حيث يشاء.

وقيل: خرج عبدالله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه، إذ أتى الغلام بقوته، فدخل الحائط كلب ودنا من الغلام فرمي إليه الغلام بقرص فأكله، ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله، وعبدالله ينظر إليه فقال: يا غلام كم قوتك كل يوم؟ قال: ما رأيت! قال: فلم آثرت به هذا الكلب؟ قال: ما هي بأرض كلاب، إنه جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أشبع وهو جائع قال: فما أنت صانع اليوم؟ قال: أطوي يومي هذا، فقال عبدالله بن جعفر: ألام على السخاء! إن هذا الغلام

(**وقال**) أبو محمد (**سهل بن عبد الله**) التستري رحمه الله تعالى، (**قال موسى عليه السلام: يا رب أرني بعد درجات محمد ﷺ وأمته. قال: يا موسى إنك لن تطيق ذلك، ولكن أريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي. قال**) الراوي: (**فكشف له عن ملكوت السماء فنظر إلى منزلة كادت تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله عز وجل، فقال: يا رب لماذا بلغت به إلى هذه الكرامة؟ قال: بخلق اختصصته به من بينهم وهو الإيثار. يا موسى لا يأتيني أحد منهم قد عمل وقتاً من عمره إلا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء**) نقله صاحب القوت.

(**وقيل: خرج عبد الله بن جعفر**) بن أبي طالب (**إلى ضيعة له**) خارج المدينة (**فنزل على نخيل قوم وفيهم غلام أسود**) اللون (**يعمل فيه**) أي يخدم الأرض، (**إذا أتى الغلام بقوته**) وهو ثلاثة أرغفة، (**فدخل الحائط**) أي البستان (**كلب ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله، ثم رمى إليه بالثاني والثالث فأكله، وعبد الله**) بن جعفر (**ينظر إليه**) من بعيد (**فقال: يا غلام كم قوتك كل يوم؟ قال: ما رأيت. قال: فلم آثرت به هذا الكلب؟ فقال: ما هي بأرض كلاب، إنه**) غريب (**جاء من مسافة بعيدة جائعاً، فكرهت ردّه. قال: فما أنت صانع اليوم؟ قال: أطوي يومي هذا**) جوعاً. (**فقال عبد الله بن**

لأسخى مني، فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات، فأعتق الغلام ووهبه منه. وقال عمر رضي الله عنه: أهدي إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي كان أحوج مني إليه فبعث به إليه، فلم يزل كل واحد يبعث به إلى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع إلى الأوّل.

وبات علي كرّم الله وجهه على فراش رسول الله ﷺ فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام: إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختارا كلاهما الحياة وأحباها؟ فأوحى الله عز وجل إليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد ﷺ فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثر بالحياة؟ أهبطا إلى الأرض فأحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام يقول: بخ بخ من مثلك يا بـن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة! فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ واللهُ رَؤُوفٌ بالعِبادِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

جعفر: ألام على السخاء: إن هذا لأسخى مني، فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فاعتق الغلام ووهبه منه) أي الحائط وما فيه.

(وقال عمر) رضي الله عنه (أهدي إلى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: إن أخي كان أحوج مني إليه فبعث به إليه)، فلما وصل إليه قال: إن أخي فلاناً كان أحوج مني إليه فبعث به إليه، (فلم يزل يبعث به كل واحد إلى آخر حتى تداوله سبعة أبيات ورجع إلى الأول) نقله صاحب القوت.

(وبات علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على فراش رسول الله ﷺ) عند مخرجه إلى الغار، (فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام: إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة وأحباها، فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيّـي محمد ﷺ فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه فهبطا، (فكان جبريل) عليه السلام (عند رأسه وميكائيل) عليه السلام (عند رجليه، وجبريل عليه السلام ينادي: بخ بخ من مثلك يا بـن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة، فأنزل الله عز وجل ﴿ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضـات الله والله رؤوف بالعباد﴾) قال العراقي: رواه أحمد من حديث ابن عباس: « شرى على نفسه ولبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه » الحديث. وليس فيه ذكر جبريل ومكائيل، ولم أقف لهذه الزيادة على أصل،

وعن أبي الحسن الأنطاكي: أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفساً ـ وكانوا في قرية بقرب الري ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جميعهم، فكسروا الرغفان وأطفأوا السراج وجلسوا للطعام، فلما رفع فإذا الطعام بحاله ولم يأكل أحد منه شيئاً إيثاراً لصاحبه على نفسه.

وروي أن شعبة جاءه سائل وليس عنده شيء؛ فنزع خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه.

وقال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي ومعي شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه، فإذا أنا به فقلت: أسقيك؟ فأشار إلي أن نعم، فإذا رجل يقول: آه. فأشار ابن عمي إلى أن انطلق به إليه، قال فجئته فإذا

وفيه أبو بلج مختلف فيه والحديث منكر. ورواه الحاكم في المستدرك وأعله عبد الغني بن سعيد في كتاب إيضاح الأشكال.

(**وعن أبي الحسن الانطاكي**) له ذكر في الحلية وفي الرسالة (**أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفساً وكانوا في قرية بقرب الري**) إحدى مدن خراسان، (**ولهم أرغفة معدودة لم تشبع جمعهم، فكسروا الرغفان واطفأوا السراج وجلسوا للطعام**) وأوهم كل واحد صاحبه أن يأكل، (**فلما رفع فإذا الطعام بحاله ولم يأكل واحد منهم شيئاً إيثاراً لصاحبه على نفسه**).

(**وروي أن شعبة**) بن الحجاج بن الورد العتكي أبا بسطام الواسطي ثم البصري أمير المؤمنين في الحديث، وكان من العباد الزهاد مات سنة ستين (**جاءه سائل ولم يكن عنده شيء فنزع خشبة من سقف بيته فأعطاه ثم اعتذر إليه**). وقال صاحب الرسالة: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: كان الاستاذ أبو سهل الصعلوكي يتوضأ يوماً في صحن داره، فدخل إنسان فسأله شيئاً ولم يحضره شيء، فقال: اصبر حتى أفرغ فصبر، فلما فرغ قال: خذ القمقمة وخرج ثم صبر حتى بعُد فصاح وقال: دخل إنسان وأخذ القمقمة فمشوا خلفه فلم يدركوه، وإنما فعل ذلك لأن أهل المنزل كانوا يلومونه على البذل.

(**وقال حذيفة العدوي**) هكذا في سائر النسخ، ولم أجد له ذكراً في الصحابة، ولعل الصواب وقال أبو حذيفة في المبتدأ عن العدوي قال بعض بني المغيرة: (**انطلقت يوم اليرموك**) موضع بالشام وغزوته معروفة (**لطلب ابن عم لي**) في القتلى (**ومعي شيء من ماء وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه، فإذا أنا به فقلت: أسقيك؛ فأشار أن نعم، فإذا رجل يقول: آه فأشار ابن عمي إليَّ أن انطلق به**) أي بالماء (**إليه قال: فجئته فإذا هو هشام ابن العاص**) أخو عمرو بن العاص. قال ابن المبارك في الزهد عن جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: مرّ عمرو بن العاص بنفر من قريش فذكروا هشاماً، فقالوا: أيهما أفضل؟ فقال عمرو: شهدت أنا وهشام اليرموك فقلنا، نسأل الله الشهادة، فلما أصبحنا حرمتها ورزقها،

هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه.. فأشار هشام إنطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات رحمة الله عليهم أجمعين.

وقال عباس بن دهقان: ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها إلا بشر بن الحرث فإنه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه وأعطاه إياه، واستعار ثوباً فمات فيه.

وعن بعض الصوفية قال: كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد، فتبعنا كلب من البلد، فلما بلغنا ظاهر الباب إذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع عال وقعدنا، فلما نظر الكلب إلى الميتة رجع إلى البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلباً، فجاء إلى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة، فما زالت تأكلها وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت الميتة وبقي العظم ورجعت الكلاب إلى البلد، فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي عليها قليلاً ثم انصرف.

ولكن ذكر موسى بن عقبة وغيره أنه استشهد بأجنادين، (**فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه فأشار هشام انطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات**) وقد ذكر أصحاب المغازي أنه استشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمر، وسهل بن الحارث، والحارث بن هشام، وجماعة من بني المغيرة فأتوا بماء وهم صرعى فتدافعوا حتى ماتوا ولم يذوقوا الماء، وأتى عكرمة بالماء فنظر إلى سهيل ينظر إليه فقال: ابدأ بهذا، ونظر لسهل بن الحارث ينظر إليه فقال: ابدأ بهذا، فماتوا كلهم قبل أن يشربوا، فمر بهم خالد بن الوليد فقال: بنفسي أنتم.

(**وقال عباس بن دهقان: ما خرج أحد من الدنيا كما دخلها**) أي عارياً خالصاً (**إلا بشر بن الحرث**) الحافي (**فإنه أتاه رجل في مرضه فشكا إليه الحاجة فنزع قميصه فأعطاه إياه واستعار ثوباً فمات فيه**).

(و) حكي (**عن بعض الصوفية قال: كنا بطرسوس**) مدينة على ساحل البحر من طرف الشام وهي بالإقليم المسمى بسين وكانت تغزى من بلاد الروم، (**فاجتمعنا جماعة وخرجنا إلى باب الجهاد، فتبعنا كلب من البلد، فلما بلغنا باب الجهاد إذا نحن بدابة ميتة فصعدنا إلى موضع خال وقعدنا، فلما نظر الكلب إلى الميتة رجع البلد ثم عاد بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلباً، فجاء إلى تلك الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب في الميتة**) تنهشها، (**فما زالت تأكل وذلك الكلب قاعد ينظر إليها حتى أكلت الميتة وبقي ذلك العظم ورجعت الكلاب إلى البلد، فقام ذلك الكلب وجاء إلى تلك العظام فأكل مما بقي على العظم قليلاً ثم انصرف**) فهذا من إيثاره.

وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأولياء في كتاب الفقر والزهد فلا حاجة إلى الإعادة ههنا، وبالله التوفيق وعليه التوكل فيما يرضيه عز وجل.

بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما:

لعلك تقول: قد عرف بشواهد الشرع أن البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير الإنسان بخيلاً؟ وما من إنسان إلا وهو يرى نفسه سخياً وربما يراه غيره بخيلاً، وقد يصدر فعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم: هذا بخل ويقول آخرون ليس هذا من البخل. وما من إنسان إلا ويجد من نفسه حباً للمال ولأجله يحفظ المال ويمسكه، فإن كان يصير بإمساك المال بخيلاً فإذاً لا ينفك أحد عن البخل. وإذا كان الإمساك مطلقاً لا يوجب البخل، ولا معنى للبخل إلا الإمساك فما البخل الذي يوجب الهلاك؟ وما حد السخاء الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها؟ فنقول: قد قال قائلون حد البخل منع الواجب، فكل من أدى ما يجب عليه فليس ببخيل، وهذا غير كاف؛ فإن من يرد اللحم مثلاً إلى القصاب والخبز للخباز بنقصان حبة أو نصف حبة فإنه يعد بخيلاً بالاتفاق. وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذي يفرضه

(وقد ذكرنا جملة من أخبار الإيثار وأحوال الأوليـاء في كتاب الزهد والفقر فلا نعيده).

بيان حد السخاء والبخل وحقيقتهما:

(لعلك تقول قد عرف بشواهد الشرع أن البخل من المهلكات ولكن ما حدّ البخل وبماذا يصير الإنسان بخيلا؟ وما من إنسان إلا وهو يرى نفسه سخياً، وربما يـراه غيره بخيلاً، وقد يصدر فعل من إنسان فيختلف فيه الناس فيقول قوم: هذا بخل، ويقول آخرون: ليس هذا من البخل، وما من انسان إلا ويجد في نفسه حباً للمال) ويضطر إليه **(ولأجله يحفظ المال)** عن البذل **(ويمسكه، فإن كان يصير بإمساك المال بخيلاً فإذاً لا ينفك أحد من البخل، وإذا كان الإمساك مطلقاً لا يوجب البخل، ولا معنى للبخل إلا الإمساك فما البخل الذي يوجب الهلاك)** ويورث العقوبة والذم؟ **(وما حدّ السخاء الذي يستحق العبد به صفة السخاوة وثوابها؟ فنقول: قد قال قائلون: حدّ البخل)** في الشرع **(منه الواجب)** وعند العرب منع السائل بما يفضل عنده، **(فكل من أدى ما وجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف)** في فهم المرام، **(فإن من يرد اللحم مثلاً إلى القصاب والخبز إلى الخباز)** بعد ما اشتراهما **(لنقصان حبة أو نصف حبة)** كما فعله مروان بن أبي حفصة في اللحم لما دعاه صاحبه، **(فإنه يعد بخيلاً بالإتفاق)** مع أنه لم يمنع الواجب. **(وكذلك من يسلم إلى عياله القدر الذي**

القاضي ثم يضايقهم في لقمة إزدادوها عليه أو تمرة أكلوها من ماله يعد بخيلاً. ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه عد بخيلاً. وقال قائلون: البخيل هو الذي يستصعب العطية، وهو أيضاً قاصر، فإنه إن أريد به إنه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها، ويستصعب ما فوق ذلك؟ وإن أريد به أنه يستصعب بعض العطايا فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا؟ وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال العظيم. فهذا لا يوجب الحكم بالبخل. وكذلك تكلموا في الجود، فقيل الجود عطاء بلا من وإسعاف من غير رؤية. وقيل: الجود عطاء من غير مسألة على رؤية التقليل. وقيل: الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن. وقيل: الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله عز وجل فيعطي عبدالله مال الله على غير رؤية الفقر. وقيل: من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئاً فهو صاحب جود، ومن قاسى الضر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار، ومن لم يبذل شيئاً فهو صاحب بخل.

يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة زادوها عليه أو تمرة أكلوها من ماله عدّ بخيلاً) مع أنه لم يضايق في القدر الواجب، **(ومن كان بين يديه رغيف فحضر من يظن أنه يأكل معه فأخفاه عنه عدّ بخيلاً)** مع ان اشراكه في الرغيف لم يكن مما يجب حتى يكون اخفاؤه عنه بخلاً. **(وقال قائلون: البخيل هو الذي يستصعب العطية)** أي يعدها صعبة على نفسه. وقال صاحب الرسالة: حقيقة الجود أن لا يصعب عليه البذل، **(وهو أيضاً قاصر)** في فهم المرام، **(فإنه إن أريد به أنه يستصعب كل عطية فكم من بخيل لا يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقه، وإن أريد به أن يستصعب بعض العطايا)** لأكلها، **(فما من جواد إلا وقد يستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله أو المال العظيم)** الذي له صورة. **(وهذا لا يوجب الحكم بالبخل، وكذلك تكلموا في الجود)** واختلفوا فيه **(فقيل: الجود عطاء بلا منّ واسعاف من غير رؤية)** أي لا يمن في عطائه ولا يرى في نفسه أنه أسعف. **(وقيل: الجود عطاء من غير مسألة)** بل يكون ابتداؤه **(على رؤية التقليل)** بأن يرى ما أعطاه قليلاً. **(وقيل: الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما أمكن)**. وقيل: الجود هولين النفس بالعطاء وسعة القلب للمؤاساة وهذا نقله ابن العربي. **(وقيل: الجود عطاء على رؤية أن المال لله تعالى والعبد لله تعالى فيعطى عبد الله مال الله على غير رؤية الفقر)** وهو قول لبعض الصوفية. وقيل: الجود هو إجابة الخاطر الأول، وقيل: الجود إفادة ما يفنى لا لغرض. **(وقيل: من أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئاً فهو صاحب جود، ومن قاسى الضراء وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب إيثار، ومن لم يبذل شيئاً فهو صاحب بخل)**. وهذا القول نقله القشيري في الرسالة عن شيخه الاستاذ

وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة الجود والبخل، بل نقول: المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق، ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه، ويمكن بذله بالصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه، ويمكن التصرف فيه بالعدل، وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ، ويبذل حيث يجب البذل، فالإمساك حيث يجب البذل بخل، والبذل حيث يجب الإمساك تبذير. وبينهما وسط وهو المحمود وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه، إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء، وقد قيل له: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتِرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قواماً﴾ [الفرقان: ٦٧]. فالجود وسط بين الإسراف والإقتار وبين البسط والقبض، وهو أن يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب، ولا يكفي أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيباً به غير منازع له فيه. فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس بسخي، بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه.

أبي علي الدقاق. وقال بعضهم: السخاء إخراج العبد بعض ما يملكه بسهولة، والإيثار اخراجه جميع ما يملكه بسهولة مع حاجته إليه، وهذا لقول بمعنى الذي نقله القشيري.

(وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود، بل نقول: المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق، ويمكن إمساكه عن الصرف إلى ما خلق للصرف إليه، ويمكن بذله بالصرف إلى ما لا يحسن الصرف إليه، ويمكن التصرف فيه بالعدل، وهو أن يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل، فالإمساك حيث يجب البذل بخل، والبذل حيث يجب الإمساك تبذير، وبينهما وسط وهو المحمود) ومنه قول ابن الوردي:

بين تبـــذيـــر وبخل رتبـــة   وكلا هـــذيـــن إن زاد قتـــل

(وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله ﷺ إلا بالسخاء، وقد قيل له: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾) فهذا اشارة إلى المقام الوسط. **(وقد قال تعالى: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ فالجود وسط بين الإسراف والاقتار، وبين البسط والقبض، وهو أن يقدر بذله وإمساكه بقدر الواجب، ولا يكفي أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيباً به)** منشرحاً **(غير منازع له فيه، فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ)** أي متكلف للسخاء، **(وليس بسخي)** حقيقة، **(بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه)**. وقال الماوردي: حدّ السخاء بذل ما

فإن قلت: فقد صار هذا موقوفاً على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله.

فأقول: إن الواجب قسمان: واجب بالشرع، وواجب بالمروءة والعادة. والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة، فإن منع واحداً منهما فهو بخيل، ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل كالذي يمنع أداء الزكاة ويمنع عياله وأهله النفقة، أو يؤديها ولكنه يشق عليه، فإنه بخيل بالطبع، وإنما يتسخى بالتكلف، أو الذي يتيمم الخبيث من ماله ولا يطيب قلبه أن يعطي من أطيب ماله، أو من وسطه، فهذا كله بخل.

وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات، فإن ذلك مستقبح، واستقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص. فمن كثر ماله استقبح منه مالاً يستقبح من الفقير من المضايقة، ويستقبح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه ومماليكه

يحتاج إليه عند الحاجة وأن يوصل إلى مستحقه بقدر الطاقة وتدبير ذلك مستصعب، ولعل بعض من يحب أن ينتسب إلى الكرم ينكر حد السخاء ويجعل تقدير العطية فيه نوعاً من البخل، وأن الجود بذل الموجود وهذا تكليف يفضي إلى الجهل بحدود الفضائل، ولو كان حدّ الجود بذل الموجود لما كان للسرف موضوع ولا للتبذير موقع، وقد ورد الكتاب والسنة بذمهما، وإذا كان السخاء محدوداً فمن وقف على حدّه سمى كريماً واستوجب المدح، ومن قصر عنه كان بخيلاً واستوجب الذم.

(فإن قلت: فقد صار هذا موقوفاً على معرفة الواجب فما الذي بذله يجب؟ فأقول: الواجب قسمان. واجب بالشرع، وواجب بالمروءة والعادة، والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروءة فإن منع واحداً منهما فهو بخيل، ولكن الذي يمنع واجب الشرع أبخل) أي أشد في صفة البخل **(كالذي يمنع أداء الزكاة)** فلا يزكى **(ويمنع عياله وأهله النفقة)** فلا ينفق عليهم **(أو يؤديها)** أي الزكاة، **(ولكن يشق عليه)** ويستصعبه، **(فإنه بخيل بالطبع، وإنما يتسخى بالتكلف)** من غير انشراح صدر، **(أو الذي يتيمم الخبيث من ماله)** أي يقصده فمنه ينفق **(ولا يطيب قلبه أن يعطي من أطيب ماله أو من وسطه)** وقد قال تعالى: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ [البقرة: ٢٦٧] **(فهذا كله بخل)**.

(وأما واجب المروءة فهو ترك المضايقة والإستقصاء في المحقرات) والتدقيق فيها، **(فإذا ذلك مستقبح)** مخالف وصف الكرم، وقد روي عن علي رضي الله عنه: ما استقصى كريم حقه قط كما تقدم، **(واستقباح ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص)** أي باختلافها فقد يكون في حال وفي شخص يستقبح أشد الاستقباح دون حال وشخص، **(فمن كثر ماله يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير)** الذي لا مال له **(من المضايقة)** والاستقصاء في الحساب والمعاملة، **(ويستقبح من الرجل المضايقة مع أهله وأقاربه ومماليكه ما لا يستقبح مع الأجانب،**

ما لا يستقبح مع الأجانب، ويستقبح من الجار مالاً يستقبح مع البعيد، ويستقبح في الضيافة من المضايقة مالا يستقبح في المعاملة، فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة في ضيافة أو معاملة وبما فيه المضايقة من طعام أو ثوب، إذ يستقبح في الأطعمة مالا يستقبح في غيرها ويستقبح في شراء الكفن مثلاً أو شراء الأضحية أو شراء خبز الصدقة مالا يستقبح في غيره من المضايقة. وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولد أو أجنبي. وبمن منه المضايقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر أو فقير. فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المروءة، وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره. ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض، ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال، فإن صيانة الدين أهم من حفظ المال، فمانع الزكاة والنفقة بخيل وصيانة المروءة أهم من حفظ المال، والمضايق في الدقائق مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل.

ثم تبقى درجة أخرى، وهو أن يكون الرجل ممن يؤدي الواجب ويحفظ المروءة ولكن معه مال كثير قد جمعه ليس يصرفه إلى الصدقات وإلى المحتاجين، فقد تقابل

ويستقبح من الجار ما لا يستقبح مع البعيد، ويستقبح في الضيافة من المضايقة ما لا يستقبح أقل منه في المبايعة والمعاملة) والمحاسبة، (**فيختلف ذلك بما فيه من المضايقة في ضيافة أو معاملة، وبما به المضايقة من طعام أو ثوب، إذ يستقبح في الأطعمة ما لا يستقبح في غيرها، ويستقبح في شراء الكفن**) للميت (**مثلاً أو شراء الأضحية**) لنسكه (**أو خبز الصدقة**) للفقراء (**ما لا يستقبح في غيره من المضايقة، وكذلك بمن معه المضايقة من صديق أو أخ أو قريب أو زوجة أو ولداً أو أجنبي**) فيسامح مع الأول دون الأخير، (**وبمن منه المضايقة من صبي أو امرأة أو شيخ أو شاب أو عالم أو جاهل أو موسر**) أي غني (**أو فقير**) أو صالح أو صالح أو ذي مروءة أو سوقي، فالبخيل هو الذي يمنع حيث ينبغي أن لا يمنع إما بحكم الشرع وإما بحكم المروءة، (**وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره**) لعدم الوقوف على حده، (**ولعل حد البخل هو إمساك المال عن غرض ذلك الغرض هو أهم من حفظ المال**) وإمساكه، (**فإن صيانة الدين أهم من حفظ المال**) لشرف الدين وخساسة المال، (**فمانع الزكاة**) ومانع (**النفقة**) ممن تجب (**بخيل، وصيانة المروءة أهم من حفظ المال**) والمراد بالمروءة هنا الإنسانية وهي الصفة التي بها يصير الإنسان إنساناً كاملاً، (**والمضايق في الدقائق**) أي في الأمور الدقيقة الحقيرة (**مع من لا تحسن المضايقة معه هاتك ستر المروءة لحب المال فهو بخيل**).

(**ثم تبقى درجة أخرى وهي أن يكون الرجل مما يؤدي الواجب**) المفروض عليه، (**ويحفظ المروءة. ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه إلى الصدقات وإلى**

غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعاً لدرجاته في الآخرة، وإمساك المال عن هذا الغرض بخل عند الأكياس وليس ببخل عند عوام الخلق، وذلك لأن نظر العوام مقصور على حظوظ الدنيا فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهماً، وربما يظهر عند العوام أيضاً سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج فمنعه، وقال: قد أديت الزكاة الواجبة وليس عليّ غيرها. ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله، وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاح دينه واستحقاقه. فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل. نعم لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة ونيل الدرجات، فإذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير. ودرجات ذلك لا تحصر وبعض الناس أجود من بعض، فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود، ولكن بشرط أن

المحتاجين، فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عدة على نوائب الزمان وغرض الثواب ليكون رافعاً لدرجاته في الآخرة، فإمساك المال عن هذا الغرض بخل عند الأكياس وليس ببخل عند عوام الخلق)، ومن ذلك ما قرأت في كتاب صفوة التاريخ، قال الربيع، قال المنصور لعمومته: الناس يبخلوني وما أنا ببخيل، ولكن رأيت الناس عبيد الدينار والدرهم، فأردت أن أحظرها عليهم فاستذلهم بذلك، وقد وصل عمومته في وقت واحد بعشرة ألف ألف درهم، وامتدحه ابن هرمة فاستجاد قصيدته وأمر له بعشرة آلاف درهم، ثم قال له: احتفظ بها فإنك أوّل من أخذها مني وآخر من يأخذها، فقال له ابن هرمة: أنا آتيك بها يا أمير المؤمنين يوم القيامة بخاتم صاحب بيت المال. ووصل شبيب بن شيبة بكلام تكلم به بين يديه فأعجبه بعشرين ألف درهم، **(وذلك لأن نظر العوام مقصور على حدود الدنيا فيرون إمساكه لدفع نوائب الزمان مهماً)** ويقولون: الدراهم البيض تنفع للأيام السود، **(وربما يظهر عند العوام أيضاً سمة البخل عليه إن كان في جواره محتاج فمنعه، وقال: قد أديت الزكاة الواجبة)** علي **(وليس علي غيرها)** فلا أعطي ما ليس عليّ **(ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار حاله وباختلاف شدة حاجة المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه، فمن أدى واجب الشرع وواجب المروءة اللائقة به فقد تبرأ من البخل)** وتنصل من تبعيته. **(نعم، لا يتصف بصفة الجود والسخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك)** من فاضل ماله **(لطلب الفضيلة)** عند الله **(ونيل الدرجات)** العالية، **(فإذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه إليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل أو كثير ودرجات ذلك لا تنحصر، وبعض الناس أجود من بعض)**، وقد صح أن النبي ﷺ كان أجود بالخير من الريح المرسلة، **(واصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة والمروءة هو الجود، ولكن بشرط أن يكون عن طيبة**

يكون عن طيب نفس ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء فإن من طمع في الشكر والثناء فهو بياع ليس بجواد ، فإنه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه ، والجود هو بذل الشيء من غير عوض. هذا هو الحقيقة ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى ، وأما الآدمي فأسم الجود عليه مجاز إذ لا يبذل الشيء إلا لغرض ، ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة واكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جواداً ، فإن كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلاً أو من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من نفع يناله من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث ، وهي أعواض معجلة له عليه فهو معتاض لا جواد ، كما روى عن بعض المتعبدات أنها وقفت على حبان بن هلال وهو جالس مع أصحابه فقالت : هل

نفس) وانشراح صدر ، **(ولا يكون عن طمع ورجاء خدمة أو مكافأة أو شكر أو ثناء ، فإن من طمع في الشكر والثناء فهو بياع وليس بجواد ، فإنه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ)** لذة معنوية **(وهو مقصود في نفسه)** ومنه قول بشار :

ليس يعطيك للرجاء وللخوف ... ولكن يلذ طعم العطاء

(والجود هو بذل الشيء من غير غرض) دنيوي أو أخروي **(هذا هو الحقيقة)** اللغوية ، **(ولا يتصور ذلك إلا من الله تعالى)** فهو الجواد على الحقيقة ، وإفراد الجود العفو عند القدرة ، والوفاء عند الوعد ، والزيادة على العطاء منتهى الرجاء ، وعدم المبالاة بكم أعطى ولا لمن اعطى ، وعدم الاستقصاء في العتاب عند الجفاء وإغناؤه عن الوسائل والشفعاء ، وعدم إضاعة من به التجأ ، فهذه الافراد متى اجتمعت فيه فذلك الجواد المطلق. **(فأما الآدمي فأسم الجود عليه مجاز)** عن تلك الحقيقة **(إذ لا يبذل الشيء إلا لغرض)** من أغراضه ، **(ولكنه إذا لم يكن غرضه إلا الثواب في الآخرة أو اكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل فيسمى جواداً فإن كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلاً أو من ملامة الخلق أو ما يتوقعه من نفع يناله من المنع عليه ، فكل ذلك ليس بالجود لأنه مضطر إليه بهذه البواعث وهي أعواض معجلة له عليه فهو معتاض لا جواد)** ومنه قول أبي نواس :

فتى يشتري حسن الثناء بماله ... ويعلم أن الدائرات تدورُ

وأحسن منه قول ابن الرومي :

وتاجر البر لا يزال له ... ربحان في كل متجر تجره
أجر وحمد وإنما طلب الاجـ ... ـر ولكن كلاهما اعتوره

(كما روي عن بعض المتعبدات أنها وقفت على) أبي حبيب **(حبان بن هلال)** الباهلي ويقال الكناني البصري قال ابن معين ، والترمذي ، والنسائي : ثقة ثبت حجه : مات بالبصرة في شهر

فيكم من أسأله عن مسألة؟ فقالوا لها: سلي عما شئت ـ وأشاروا إلى حبان بن هلال ـ فقالت: ما السخاء عندكم؟ قالوا: العطاء والبذل والإيثار، قالت: هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين؟ قالوا: أن نعبد الله سبحانه سخية بها أنفسنا غير مكرهة، قالت: فتريدون على ذلك أجراً؟ قالوا: نعم، قالت، ولم؟ قالوا: لأن الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها، قالت سبحان الله! فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فبأي شيء تسخيتم عليه؟ قالوا لها فما السخاء عندك يرحمك الله؟ قالت السخاء عندي أن تعبدوا الله متنعمين ملتذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجراً حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء! ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئاً بشيء إن هذا في الدنيا لقبيح! وقالت بعض المتعبدات أتحسبون أن السخاء في الدرهم والدينار فقط؟ قيل: ففيم؟ قالت السخاء عندي في المهج. وقال المحاسبي السخاء في الدين أو تسخو بنفسك تتلفها لله عـز وجل ويسخو قلبك ببذل مهجتك وإهراق دمك لله تعالى بسماحة من غير إكراه، ولا تريد بذلك ثواباً عاجلاً ولا آجلاً، وإن كنت غير مستغن عن الثواب ولكن يغلب على ظنك حسن كمال السخاء بترك الاختيار

رمضان سنة ٢١٢ ر ى له الجماعة (**وهو جالس مع أصحابه فقالت: هل فيكم من أسأله عن مسألة؟ فقالوا لها: سلي عما شئت وأشاروا إلى حبان بن هلال فقالت: ما السخاء عندكم؟ قالوا: العطاء والبذل والإيثار، قالت: هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين؟ قالوا: نعبد الله سخية بها أنفسنا طيبة غير مكرهة**) وفي بعض النسخ غير كارهة وصوبه بعضهم، (**قالت: فتريدون على ذلك أجراً؟ قالوا: نعم، ولم؟ قالوا: لأن الله وعدنا بالحسنة عشراً، قالت: سبحان الله! فإذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشراً فبأي شيء تسخيتم عليه؟ قالوا لها: فما السخاء عندك يرحمك الله؟ قالت: السخاء عندي أن تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك أجراً**) ولا عوضاً (**حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما يشاء، ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها أنكم تريدون شيئاً بشيء إن هذا في الدنيا لقبيح**)! فدل كلامها على السخاء والجود على الحقيقة مـا خلا عـن الأغـراض والأعـواض.

(**وقالت بعض المتعبدات أتحسبون السخاء في الدرهم والدينار فقط؟ قيل**) لها: (**ففيم؟ قالت: السخاء عندي في المهج**) أي في بذلها في سبيل الله، وهذا هو سخاء الخواص كما أن الأول سخاء العوام. (**وقال الحرث**) بن أسد (**المحاسبي رحمه الله**) في كتابه الرعاية: (**السخاء في الدين أن تسخو نفسك بتلفها لله عز وجل، ويسخو قلبك ببذل مهجتك وإهراق دمك لله عز وجل بسماحة من غير إكراه لا تريد بذلك ثواباً عاجلاً ولا آجلاً، وإن كنت غير مستغن عن الثواب، ولكن يغلب على قلبك حسن كمال السخاء بترك الاختيار على الله**

على الله، حتى يكون مولاك هو الذي يفعل لك ما لا تحسن أن تختاره لنفسك.

بيان علاج البخل:

اعلم أن البخل سببه حب المال. ولحب المال سببان:

أحدهما: حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل، فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما أنه كان لا يبخل بماله، إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب، وإن كان قصير الأمل ولكن كان له أولاد أقام الولد مقام

تعالى حتى يكون مولاك هو الذي يفعل بك ما لا تحسن اختياره لنفسك)، وهو أيضاً يشير إلى سخاء الخواص، ومنهم من قال: سخاء العوام سخاء النفس ببذل الموجود، وسخاء الخواص سخاء النفس عن كل موجود ومفقود غنى بالواحد المعبود وقال: بعض السخاء أتم وأكمل من الجود، وضد الجود البخل، وضد السخاء الشح، والجود والبخل يتطرق إليهما الاكتساب عادة بخلاف ذينك، فإنهما من ضرورات الغريزة، وكل سخي جواد ولا عكس، والجود يتطرقه الرياء ويمكن تطبعه بخلاف السخاء كما في العوارف.

وقال الراغب: السخاء هيئة في الإنسان داعية إلى بذل المقتنيات حصل معه البذل أم لا، ويقابله الشح والجود بذل المقتنى، ويقابله البخل هذا هو الأصل، وقد يستعمل كل منهما محل الآخر، ومن شرف السخاء والجود أن الله قرن إسمه بالإيمان، ووصف أهله بالفلاح، والفلاح أجمع لسعادة الدارين، وحق للجود أن يقترن بالإيمان فلا شيء أخص منه به ولا أشد مجانسه له، فمن صفة المؤمن انشراح الصدر ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد * أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ [الأنعام: ١٢٥] وهما من صفات الجواد والبخيل لأن الجواد يوصف بسعة الصدر، والبخيل بضيقه ومن أحسن ما قيل فيه:

تـراه إذا مـا جئتـه متهللاً ... كـأنـك تعطيـه الذي أنـت سـائلـه
تعـوّد بسـط الكـف حتى لـو أنـه ... أراد انقبـاضـاً لم تطعمـه أنـاملـه

وقال المتنبي:

ولـو لم يكـن في كفـه غير روحـه ... لجاد بها فليتـق الله سـائلـه

بيان علاج البخل:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن البخل سببه حب المال. ولحب المال سببان**):

(**أحدهما: حب الشهوات التي لا وصول إليها إلا بالمال مع طول الأمل**) فهما شرطان في تحقق الوصول، ومتى تأخر أحدهما عن الآخر لم يتم له الوصول، (**فإن الإنسان لو علم أنه يموت بعد يوم ربما لا يبخل بماله إذ القدر الذي يحتاج إليه في يوم أو في شهر أو في سنة قريب**

طول الأمل، فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك لأجلهم. ولذلك قال عليه السلام: « الولد مبخلة مجبنة مجهلة »، فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة.

السبب الثاني: أن يحب عين المال؛ فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته وتفضل آلاف وهو شيخ بلا ولد ومعه أموال كثيرة

وإن كان قصير الأمل، ولكن كان له أولاد قام الولد مقام طول الأمل، فإنه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك المال لأجلهم) لينتفعوا به بعد موته، **(ولذلك قال ﷺ: «الولد مبخلة)** أي يحمل والده على ترك الإنفاق في الطاعة خوف الفقر **(مجبنة)** أي يحمله على الجبن عن الجهاد خشية ضيعته **(مجهلة»)** يحمله على الجهل في أمر الدين، وفي نسخة العراقي: « محزنة » بدل « مجهلة » وقال: رواه ابن ماجه من حديث يعلى بن مرة دون قوله محزنة، ورواه بهذه الزيادة أبو يعلى والبزار من حديث أبي سعيد، والحاكم من حديث الأسود بن خلف وإسناده صحيح انتهى.

قلت: حديث يعلى بن مرة لفظه: « الولد مبخلة مجبنة وإن آخر وطأة وطئها الله بوج » هكذا رواه أحمد وابن سعد في الطبقات، والطبراني في الكبير، وحديث أبي سعيد عند أبي يعلى والبزار لفظ: « مجبنة مبخلة محزنة » وفي بعض رواياتهم بزيادة: « ثمرة القلب » قبل هذه الألفاظ، وقد روى ابن ماجه من حديث يوسف بن عبدالله بن سلام قال: جاء الحسن والحسين يستبقان إلى النبي ﷺ فضمهما إليه وقال: الولد مبخلة مجبنة ».

وأما حديث الأسود بن خلف، فرواه العسكري في الأمثال، والحاكم في الصحيح من طريق معمر عن أبي خيثم، عن محمد بن الأسود بن خلف بن عبد يغوث الزهري، عن أبيه أن النبي ﷺ أخذ حسناً يقبله ثم أقبل عليهم فقال: « إن الولد مجبنة مبخلة » وأحسبه قال: « مجهلة ». وكذلك رواه البغوي وابن السكن والدارقطني في الأفراد، ولم يقولوا حسبه قال مجهلة، وللعسكري فقط من طريق أشعث بن قيس قال: مررت على النبي ﷺ فقال لي: « ما فعلت بنت عمك ». قلت: نفست بغلام ووالله لوددت أن لي به سبعة. فقال: « أما لئن قلت أنهم مجبنة مبخلة وأنهم لقرة العين وثمرة الفؤاد ». ومن حديث عمر بن عبد العزيز قال: زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم أن رسول الله ﷺ خرج وهو يحتضن حسناً أو حسيناً وهو يقول: « إنكم لتجبنون وتجهلون وإنكم لمن ريحان الله ». وأخرج الطبراني في الكبير حديث خولة بلفظ: « الولد محزنة مجبنة مجهلة مبخلة ».

(فإذا انضاف إلى ذلك خوف الفقر وقلة الثقة بمجيء الرزق قوي البخل لا محالة).

(السبب الثاني: أن يحب عين المال: فمن الناس من معه ما يكفيه لبقية عمره إذا اقتصر على ما جرت به عادته بنفقته) ولو فوق الاقتصاد، **(ويفضل)** من إنفاقه **(آلاف وهو)** مع ذلك **(شيخ لا ولد له)** ولا يرجى منه أن يأتي بولد، **(ومعه أموال كثيرة ولا**

ولا تسمح نفسه بإخراج الزكاة ولا بمداواة نفسه عند المرض بل صار محباً للدنانير عاشقاً لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها، فيكنزها تحت الأرض وهو يعلم أنه يموت فتضيع أو يأخذها أعداؤه، ومع هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة واحدة، وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن، وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه. ومثال صاحبه: مثال رجل عشق شخصاً فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله، فإن الدنانير رسول يبلغ إلى الحاجات فصارت محبوبة لذلك، لأن الموصل إلى اللذيذ لذيذ، ثم قد ينسى الحاجات ويصير الذهب عنده كأنه محبوب في نفسه وهو غاية الضلال، بل من رأى بينه وبين الحجر فرقاً فهو من حيث قضاء حاجته به، فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة. فهذه أسباب حب المال. وإنما علاج كل علة بمضادة سببها، فتعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر، وتعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الأقران وطول تعبهم في

تسمح نفسه بإخراج الزكاة) منها **(ولا بمداواة نفسه عند المرض، بل صار محباً للدنانير عاشقاً لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الأرض)** أو في الصناديق **(وهو يعلم أنه يموت)** لا محالة، **(فتضيع أو يأخذها أعداؤه)** أو الظلمة من الحكام أو يسرقها من كان مطلعاً عليها، **(ومع هذا فلا تسمح نفسه بأن يأكل أو يتصدق منها بحبة)** واحدة، **(وهذا مرض للقلب عظيم عسير العلاج)** لأنه قد جبل طبعه عليه وتعوّده، **(لاسيا في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه، ومثال صاحبه مثال رجل عشق شخصاً فأحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فإن الدنانير)** والدراهم **(رسول مبلغ إلى الحاجات)** أنشدني بعض الإخوان:

أرسلت في حاجتي رسولي ... سميته درهماً فتمتِ
لو لم يكن درهمي رسولي ... ما نالت النفس ما تمنتِ

وقال بعضهم:

إذا كنت في حاجة مرسلاً ... فارسل رسولاً هو الدرهمِ

(فصارت الدنانير والدراهم (محبوبة لذلك، لأن الموصل إلى اللذيذ لذيذاً، ثم قد ينسى الحاجات ويصير الذهب عنده كأنه محبوبٍ في نفسه وهو غاية الضلال) ونهاية الخسران، **(بل من رأى بينه وبين الحجر)** المرمى في الطريق **(فرقاً فهو لجهله إلا من حيث قضاء حاجته به)** دون الحجر، **(والفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابة واحدة)** لا فرق بينهما، **(فهذه أسباب حب المال، وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر، ويعالج طول الأمل بكثرة ذكر الموت)** في قيامه وقعوده وعند منامه،

جمع المال وضياعه بعدهم، وتعالج التفات القلب إلى الولد بأن خالقه خلق معه رزقه، وكم من ولد لم يرث من أبيه مالاً وحاله أحسن ممن ورث؟ وبأن يعلم أنه يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شر، وأن ولده إن كان تقياً صالحاً فالله كافيه، وإن كان فاسقاً فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته إليه. ويعالج أيضاً قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله به على البخل من العقاب العظيم. ومن الأدوية النافعة: كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحهم له، فإنه ما من بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره، ويستثقل كل بخيل من أصحابه، فيعلم أنه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه. ويعالج أيضاً قلبه بأن يتفكر في مقاصد المال، وأنه لماذا خلق؟ ولا يحفظ من المال إلا بقدر حاجته إليه والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل له ثواب بذله. فهذه الأدوية من جهة المعرفة والعلم، فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل إن كان عاقلاً، فإن تحركت الشهوة فينبغي أن يجيب الخاطر الأول ولا يتوقف، فإن الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه.

(والنظر في موت الأقران) من أشكاله، **(وطول تعبهم في جمع الأموال وضياعه بعدهم)** وأنه لم ينفعهم بل كان وبالاً عليهم، **(ويعالج التفات القلب إلى الولد بأن الذي خلقه خلق معه رزقه)** وأنه مضمون له، **(وكم من ولد لم يرث من أبيه مالاً** وحاله أحسن **ممن ورث، وبأن يعلم أن يجمع المال لولده يريد أن يترك ولده بخير وينقلب هو إلى شر)** من جهة الحساب والعقاب **(وأن ولده إن كان تقياً صالحاً فالله كافيه)** ومتكفل أموره، **(وإن كان فاسقاً فيستعين بماله على المعصية وترجع مظلمته إليه)**، وقد روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر: الويل كل الويل لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر. **(ويعالج أيضاً قلبه بكثرة التأمل في الأخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء)** مما تقدم ذكر بعضها، **(وما توعد الله به على البخل من العذاب العظيم)** في الآخرة. **(ومن الأدوية النافعة: كثرة التأمل في أحوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحه لهم، فإنه ما من بخيل إلا ويستقبح البخل من غيره، ويستثقل كل بخيل من أصحابه، فيعلم أنه مستثقل)** في الطباع **(ومستقذر في قلوب الناس مثل سائر البخلاء في قلبه، ويعالج أيضاً قلبه بأن يتفكر في مقاصد المال، وأنها لماذا خلقت فلا يحفظ من المال إلا بقدر حاجته إليه، والباقي يدخره لنفسه في الآخرة بأن يحصل ثواب بذله في مواضع الخير. (فهذه أدوية)** نافعة من جهة المعرفة والعلم، فإذا عرف بنور البصيرة أن البذل خير له من الإمساك في الدنيا والآخرة هاجت رغبته في البذل إن كان عاقلاً، فإذا تحركت للبذل **(فينبغي أن يجيب الخاطر الأول ولا يتوقف)**، ومن هنا قال بعضهم:

حكي أن أبا الحسن البوشنجي كان ذات يوم في الخلاء فدعا تلميذاً له وقال: أنزع عني القميص وادفعه إلى فلان، فقال: هلا صبرت حتى تخرج؟ قال: لم آمن على نفسي أن تتغير، وكان قد خطر لي بذله! ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفاً كما لا يزول العشق إلا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره؛ حتى إذا سافر وفارق تكلفاً وصبر عنه مدة تسلى عنه قلبه، فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكلفاً بأن يبذله، بل لو رماه في الماء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له. ومن لطائف الحيل

الجود هو إجابة الخاطر الأول أي لأنه لو لم يجب لخيف على صاحبه تغيره فيما عزم عليه، **(لأن الشيطان يعده الفقر ويخوّفه ويصده عنه)**.

(يحكى أن أبا الحسن) علي بن أحمد بن سهل **(البوشنجي)** بضم الموحدة وفتح الشين المعجمة وسكون النون. وبوشنج إحدى قرى مرو، وأبو الحسن هذا أحد فتيان خراسان لقي أبا عثمان وابن عطاء والجريري وأبا عمرو الدمشقي، مات سنة ٢٤٨ ترجم له القشيري في الرسالة. **(كان ذات يوم في الخلاء)** يقضي حاجته فوقع في خاطره أن فقيراً يعرفه محتاج إلى قميص **(فدعا تلميذاً له وقال: انزع عني)** هذا **(القميص وادفعه إلى فلان)** وسماه **(فقال: هلا صبرت)** إلى فراغك من قضاء حاجتك **(حتى تخرج قال: خطر لي بذله ولم آمن على نفسي أن تتغير)** على ما وقع لي من التخلف منه بذلك القميص، فاستعجلت بالنزع والدفع ليتعذر رجوعها. نقله القشيري في الرسالة فقال: سمعت بعض أصحاب أبي الحسن البوشنجي يقول: كان أبو الحسن البوشنجي في الخلاء فذكره، وذكر صاحب صفوة التاريخ أن المهدي حبس موسى بن جعفر الكاظم ببغداد، فبينما هو يصلي ليلة من الليالي إذ مر في قراءته بهذه الآية **﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾** [محمد ﷺ: ٢٢] فرددها وبكى، وكان أحسن الناس صوتاً، ثم دعا بالربيع فقال: ائتني بموسى. قال الربيع: فشككت بين موسى الهادي وبين موسى بن جعفر، وعلمت أنه إنما أراد موسى بن جعفر لأني سمعته يقرأ **﴿وتقطعوا أرحامكم﴾** فأتيته على حاله يقرأ ويبكي فقال له: يا أبا الحسن قرأت هذه الآية فخطرت ببالي وخفت أن أكون قد قطعت رحمك، فتؤمنني أن تخرج على أحد من ولدي قال: ومن أنا حتى تتخوفني والله لافعلت ذلك ولا هو من شأني. قال: يا ربيع إليه الساعة ثلاثة آلاف دينار واشخصه من فوره إلى أهله لا يفسد الشيطان على قلبي. قال الربيع: فما طلع الفجر حتى دفعت إليه المال وأنهضته إلى المدينة. **(ولا تزول صفة البخل إلا بالبذل تكلفاً كما لا يزول العشق إلا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى إذا سافر وفارق تكلفاً وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه)** وبرد عشقه، **(فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي أن يفارق المال تكلفاً بأن يبذله)** في وجوه الخير، **(بل لو رماه في الماء كان أولى به من إمساكه إياه مع الحب له)** لأنه يقطع علاقته عن قلبه. **(ومن لطائف الحيل فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء فيبذل)** أولاً **(على**

فيه أن يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار بالسخاء ، فيبذل على قصد الرياء حتى تسمح نفسه بالبذل طمعاً في حشمة الجود ، فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب بها خبث الرياء ، ولكن يتعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ، ويكون طلب الاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال ، كما قد يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب ، ولكن لينفك عن الثدي إليه ، ثم ينقل عنه إلى غيره ، فكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ، ويسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها به ، إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والرياء ، فيبذل الأقوى بالأضعف ، فإن كان الجاه محبوباً عنده كالمال فلا فائدة فيه فإنه يقلع من علة ويزيد في أخرى مثلها ، إلا أن علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لأجل الرياء ، فبذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه ، فإن كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فإن ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه .

ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال إن الميت تستحيل جميع أجزائه دوداً ثم يأكل بعض الديدان البعض ، حتى يقل عددها ثم يأكل بعضها بعضاً حتى ترجع إلى

قصد الرياء) والسمعة لأجل أن يقال أنه سخي ، **(حتى تسمح نفسه بالبذل طمعاً في حشمة الجود ، فيكون قد أزال عن نفسه خبث البخل واكتسب لها خبث الرياء ، ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه ، ويكون طلب الإسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن المال كما يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا ليخلى واللعب)** فإنه ما خلق لذلك ، **(ولكن لينتقل عن الثدي إليه ، ثم ينتقل عنه إلى غيره ، وكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي أن يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب وتكسر سورته بها ، ويسلط الغضب على الشهوة وتكسر رعونتها)** وأنفتها **(به إلا أن هذا مفيد في حق من كان البخل أغلب عليه من حب الجاه والريا ، فيبدل الأقوى بالأضعف ، فإن كان الجاه محبوباً عنده كالمال فلا فائدة فيه فإنه يقطع علة ويزيد في أخرى)** هي **(مثلها إلا أن علامة ذلك أن لا يثقل عليه البذل لأجل الرياء ، فبذلك يتبين أن الرياء أغلب عليه ، فإن كان البذل يشق عليه مع الرياء فينبغي أن يبذل فإن ذلك يدل على أن مرض البخل أغلب على قلبه)** .

(ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض ما يقال: إن الميت يستحيل جميع أجزائه دوداً) في قبره **(ثم يأكل الديدان بعضاً ، حتى يقل عددها وتكبر ثم يأكل بعضها بعضاً حتى**

اثنتين قويتين عظيمتين، ثم لا تزالان تتقاتلان إلى أن تغلب إحداهما الأخرى فتأكلها وتسمن بها، ثم لا تزال تبقى جائعة وحدها إلى أن تموت، فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها، ويجعل الأضعف قوتاً للأقوى إلى أن لا يبقى إلا واحدة، ثم تقع العناية بمحوها وإذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها. ومنع القوت عن الصفات أن لا يعمل بمقتضاها، فإنها تقتضي لا محالة أعمالاً، وإذا خولفت خمدت الصفات وماتت. مثل البخل فإنه يقتضي إمساك المال فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعاً وسقط التعب فيه، فإن علاج البخل بعلم وعمل، فالعلم يرجع إلى معرفة آفة البخل وفائدة الجود، والعمل يرجع إلى الجود والبذل على سبيل التكلف، ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمى ويصم فيمنع تحقق المعرفة فيه، وإذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة، كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وإمكان إستعماله فإنه لا حيلة فيه إلا الصبر إلى الموت.

وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية في معالجة علة البخل في المريدين أن يمنعهم من

ترجع إلى إثنتين قويتين عظيمتين ثم لا يزالان يتقاتلان) وفي نسخة يقتتلان **(إلى أن تغلب إحداهما الأخرى فتأكلها وتسمن بها، ثم لا تزال تبقى وحدها جائعة إلى أن تموت)** إذا لم تجد ما تأكله كالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله، **(فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن أن يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها بذلك، فيجعل الأضعف قوتاً للأقوى إلى أن لا تبقى إلا واحدة ثم تقع العناية بمحوها)** وإزالتها **(وأذابتها بالمجاهدة)** والرياضة، **(وهو منع القوت عنها، ومنع القوت عن الصفات أن لا يعمل بمقتضاها فإنها تقتضي لا محالة أعمالاً فإذا خولفت خمدت الصفات وماتت)** وما لم يمنع قوتها لم ينفع التسليط **(مثل البخل فإنه يقتضي إمساك المال، فإذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد أخرى ماتت صفة البخل وصار البذل طبعاً وسقط التعب فيه، فإذاً علاج البخل بعلم وعمل العلم يرجع إلى معرفة آفة البخل، وفائدة الجود والعمل يرجع إلى الجود والبذل على سبيل التكلف، ولكن قد يقوى البخل)** في الإنسان **(بحيث يعمي)** الأبصار **(ويصم)** الأسماع **(فيمنع تحقق المعرفة بآفته، وإذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة)** أي ملازمة لا تفارق، **(كالمرض الذي يمنع معرفة الدواء وإمكان استعماله فإنه لا حيلة فيه إلا الصبر إلى الموت و)** لقد **(كان من عادة بعض الشيوخ)** من السادة **(الصوفية)** نفع الله بهم **(في معالجة علة البخل في المريدين أن يمنعهم من الاختصاص)**

الاختصاص بزواياهم. وكان إذا توهم في مريد فرحه بزاويته وما فيها، نقله إلى زاوية غيرها، ونقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع ما ملكه، وإذا رآه يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بتسليمها إلى غيره ويلبسه ثوباً خلقاً لا يميل إليه قلبه.

فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها، فإن كان له ألف متاع كان له ألف محبوب، ولذلك إذا سرق كل واحد منه ألمت به مصيبة بقدر حبه له، فإذا مات نزل به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد سلب عنه، بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد والهلاك.

حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير، ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً فقال لبعض الحكماء عنده: كيف ترى هذا؟ قال: أراه مصيبة أو فقراً، قال: كيف؟ قال: إن كسر كان مصيبة لا جبر لها وإن سرق صرت فقيراً إليه ولم تجد مثله، وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن من المصيبة والفقر، ثم اتفق يوماً أن كسر أو سرق وعظمت مصيبة الملك عليه فقال: صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا! وهذا

والانفراد (**بزواياهم**) المختصة بهم، (**فكان إذا توهم في مريد فرحة بزاويته**) ورآه قد أعجب بها (**وما فيها نقله إلى زاوية غيره ونقل زاوية غيره إليه وأخرجه عن جميع ما ملكه**) كسر الالتفات قلبه، (**وإذا رآه يلتفت إلى ثوب جديد يلبسه أو سجادة يفرح بها يأمره بتسليمه إلى غيره ويلبسه ثوباً خلقاً**) قد لبسه غيره ثم خلقه (**لا يميل إليه قلبه، فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا**) ويتسلى عنه فلا يمر البخل بباله، (**فمن لم يسلك هذا السبيل أنس بالدنيا وأحبها**) وشتت همه وباله، (**فإن كان له ألف متاع كان له ألف محبوب، ولذلك إذا سرق كل واحد من ذلك ألمت به مصيبة بقدر حبه له، فإذا مات نزل به ألف مصيبة دفعة واحدة لأنه كان يحب الكل وقد سلب عنه، بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقر والهلاك**) أي مشرف عليها بأحدهما.

يحكى أنه (**حمل إلى بعض الملوك قدح من فيروز ج**) حجر معروف سمائي اللون فارسي معرب (**مرصع بالجواهر لم ير له نظير، ففرح الملك به فرحاً شديداً فقال لبعض الحكماء**) الذي كان (**عنده: كيف ترى هذا؟ فقال: أراه مصيبة أو فقراً. قال: كيف؟ قال: إن انكسر كانت مصيبة لا جبر لها، وإن سرق صرت فقيراً إليه**) أي محتاجاً (**ولم تجد مثله، وقد كنت قبل أن حمل إليك في أمن من المصيبة والفقر، ثم اتفق**) بعد مدة (**أن انكسر**) القدح المذكور (**يوماً وعظمت مصيبة الملك عليه**) لألفة قلبه إليه (**فقال: صدق الحكيم ليته لم يحمل إلينا!**

شأن جميع أسباب الدنيا فإن الدنيا عدوة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى النار، وعدوة أولياء الله إذ تغمهم بالصبر عنها، وعدوة الله إذ تقطع طريقه على عباده، وعدوة نفسها، فإنها تأكل نفسها فإن المال لا يحفظ إلا بالخزائن والحراس. والخزائن والحراس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير، فالمال يأكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى، ومن عرف آفة المال لم يأنس به ولم يفرح به ولم يأخذ منه إلا بقدر حاجته، ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس ببخل، وما لا يحتاج إليه، فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله، بل هو كالماء على شط الدجلة إذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بمقدار الحاجة.

بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله:

اعلم أن المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه. ومثاله مثال حية يأخذها الراقي ويستخرج منها الترياق ويأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري ولا يخلو أحد عن سم المال إلا بالمحافظة على خمس وظائف:

الأولى: أن يعرف مقصود المال وأنه لماذا خلق وأنه لم يحتاج إليه حتى يكتسب ولا

وهذا شأن جميع أسباب الدنيا) فإنها عند فقدها تورث حسرة في القلب، **(فإن الدنيا عدوّة لأعداء الله إذ تسوقهم إلى النار)** فتظهر لهم إذ ذاك عداوتها، **(وعدوة لأولياء الله إذ تغمهم بالصبر عنها)** والحبس عن لذاتها، **(وعدوة لله إذ تقطع على عباده)** السالكين إليه، **(وعدوة نفسها فإنها تأكل نفسها فإن المال لا يحفظ إلا بالخزائن والحرس)** لها. **(والخزائن والحرس لا يمكن تحصيلها إلا بالمال وهو بذل الدراهم والدنانير، فالمال يأكل نفسه)** بالنظر إلى الوجه المذكور، **(ويضاد ذاته حتى يفنى، ومن عرف آفة المال لم يأنس به)** أصلاً **(ولم يأخذ منه إلا قدر حاجته)** الضرورية. **(ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لأن ما أمسكه لحاجته فليس ببخل، وما لا يحتاج إليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله، بل هو كالماء على شاطىء دجلة إذ لا يبخل به أحد لقناعة الناس منه بقدر الحاجة)**.

بيان مجموع الوظائف التي على العبد في ماله:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه)** وهو من الخيرات المتوسطة. **(ومثاله مثال حية يأخذها الراقي)** الذي يعلم رقيتها **(ويستخرج الترياق، ويأخذها الغافل)** الذي لا عهد له برقيتها فتعضه **(فيقتله سمها من حيث لا يدري)** ولا يشعر **(ولا يخلو أحد عن سم المال إلا بالمحافظة على خمس وظائف)**.

(الأولى: أن يعرف مقصود المال وأنه لماذا خلق) وما الحكمة فيه، **(وإنه لم يحتج إليه**

يحفظ إلا قدر الحاجة، ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه.

الثانية: أن يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض، وما الغالب عليه الحرام كمال السلطان، ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة، وكالسؤال الذي فيه الذلة وهتك المروءة وما يجري مجراه.

الثالثة: في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقل، بل القدر الواجب ومعياره الحاجة، والحاجة ملبس ومسكن ومطعم. ولكل واحد ثلاث درجات: أدنى، وأوسط، وأعلى. وما دام مائلاً إلى جانب القلة ومتقرباً من حد الضرورة كان محقاً ويجيء من جملة المخفين، وإن جاوز ذلك وقع في هاوية لا آخر لعمقها، وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد.

الرابعة: أن يراعي جهة المخرج ويقتصد في الإنفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه، فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه، فإن الإثم في الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء.

حتى يكتسب) وفي نسخة: لا يكتسب **(ولا يحفظ إلا مقدار الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه).**

(الثانية: أن يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض، وما الغالب عليه الحرام كمال السلاطين) ومن في حكمهم من نوابهم، **(ويجتنب الجهات المكروهة الفادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة كالسؤال الذي فيه الذل وهتك المروءة وما يجري مجراه).**

(الثالثة: في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه ولا يستقبل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة ملبس ومسكن ومطعم) فهذه الثلاثة مما يحتاج إليه الإنسان ضرورة، **(ولكل واحد)** من هذه الثلاثة **(ثلاث درجات: أدنى وأوسط وأعلى، وما دام مائلاً إلى جانب القلة ومقرباً من حد الضرورة كان مخفاً ويجيء مع جملة المخفين)** الفائزين، **(وإن جاوز ذلك وقع في)** قعر **(هاوية لا آخر لعمقها)** ولا منتهى لدركها. **(وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد)** على ما سيأتي.

(الرابعة: أن يراعي جهة المخرج ويقتصد في الإنفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرناه، فيضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه، فإن الإثم في الأخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سواء).

الخامسة: أن يصلح نيته في الأخذ والترك والإنفاق والإمساك، فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة، ويترك ما يترك زهداً فيه واستحقاراً له إذا فعل ذلك لم يضره وجود المال، ولذلك قال علي رضي الله عنه: لو أن رجلاً أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله تعالى فهو زاهد، ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد، فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو مايعين على العبادة، فإن أبعد الحركات عن العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة، فإذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقك. وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما يحفظك من قميص أو إزار وفراش وآنية، لأن كل ذلك مما يحتاج إليه في الدين وما فضل من الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينتفع به عبد من عباد الله ولا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا تضره كثرة المال، لكن لا يتأتى ذلك إلا لمن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه. والعامي إذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة شابه الصبي الذي يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها فيخرج ترياقها فيقتدي به، ويظن أنه أخذها

(الخامسة: أن يصلح نيته في الأخذ والترك والإنفاق والإمساك، فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة، ويترك ما يترك زهداً فيه واستحقاراً له، وإذا فعل ذلك لم يضره وجود المال، ولذلك قال علي كرم الله وجهه: لو أن رجلاً أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله فهو زاهد، ولو أنه ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد) فالفارق النية **(فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله مقصورة على عبادة أو على ما يعين على العباد، فإن أبعد الحركات عن العبادة الأكل وقضاء الحاجة وهما معينان على العبادة)** فالأكل يقيم الصلب وقضاء الحاجة يفرغ الباطن من الشواغل، **(فإذا كان ذلك قصدك بهما صار ذلك عبادة في حقك، وكذلك ينبغي أن تكون نيتك في كل ما تحفظه من قيمص أو إزار أو فراش أو آنية، لأن كل ذلك مما قد يحتاج إليه في الدين، وما فضل عن الحاجة ينبغي أن يقصد به أن ينتفع به عبد من عباد الله، فلا يمنع منه عند حاجته، فمن فعل ذلك فهو الذي أخذ من حية المال جوهرها وترياقها واتقى سمها فلا تضره كثرة المال، ولكن لا يتأتى ذلك إلا ممن رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه)** فهو يتناول المال على الوجه الذي ينتفع هو به وينتفع غيره فهو مباح له تناوله، **(و)** غيره وهو **(العامي إذا تشبه بالعالم)** الحكيم **(في الاستكثار من المال، وزعم أنه يشبه أغنياء الصحابة)** كعبد الرحمن بن عوف وغيره رضي الله عنهم **(شابه الصبي)** وفي بعض النسخ الغبي **(الذي يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية ويتصرف فيها)** وقد عرف نفعها وضرها وأمن سمها وشرها، **(فيخرج ترياقها فيقتدي به ويظن أنه أخذها**

مستحسناً صورتها وشكلها ومستليناً جلدها، فيأخذها اقتداء به فتقتله في الحال، إلا أن قتيل الحية يدري أنه قتيل، وقتيل المال قد لا يعرف. وقد شبهت الدنيا بالحية فقيل:

هي دنيا كحية تنفث السـ ـم وإن كانت المجسة لانت

وكما يستحيل أن يتشبه الأعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال وأطراف البحار والطرق المشوكة فمحال أن يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال.

بيان ذم الغنى ومدح الفقر:

اعلم أن الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر ـ وقد أوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ـ ولكنا في هذا الكتاب ندل على أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال، ونقتصر فيه على حكاية فصل ذكره الحرث المحاسبي رضي الله عنه في بعض كتبه في الرد

مستحسناً صورتها وشكلها ومستلينا جلدها) ومسها، (**فيأخذها اقتداء به**) ويظنها مستصلحة لأن يتقلد بها فيجعلها سخاباً في عنقه، (**فتقتله في الحال إلا أن قتيل الحية يدري أنه قتيل، وقتيل المال قد لا يعرف**) أنه قتيل، (**وقد شبهت الدنيا بالحية**) نظراً إلى هذا المعنى (**وقيل**) في وصفها:

(**هي دنيا كحية تنفث السـ ـم وإن كانت المجسة لانت**)

وقد تقدم هذا المعنى في ذكر تشبيهات الدنيا، فكما لا يجوز للجاهل بالرقية غير العارف بنفع الحية أن يقتدي بالراقي في تناول الحية والتصرف فيها، كذلك لا يجوز للجاهل أن يقتدي بالحكيم في تناول أعراض الدنيا، (**وكما يستحيل أن يتشبه الأعمى بالبصير في تخطي قلل الجبال وأطراف البحار والطرق**) الوعرة (**المشوكة**) من غير قائد وهو غير آمن أن يقع في هوّة، (**فمحال أن يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول المال**) مستبداً برأيه طريقاً يسلكه العالم الكامل إذ هو غير آمن أن يقع في هاوية هو لا يشعر.

بيان ذم الغنى ومدح الفقر:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن الناس قد اختلفوا في فضل الغني الشاكر على الفقير الصابر وقد أوردنا ذلك في كتاب الزهد والفقر**) على ما سيأتي (**وكشفنا عن تحقيق الحق فيه لكنا في هذا الكتاب ندل على أن الفقر أفضل وأعلى من الغنى على الجملة من غير التفات إلى تفصيل الأحوال**) واختلاف الأقوال (**ولنقتصر فيه على حكاية فصل ذكره**) أبو عبدالله (**الحرث**) بن أسد (**المحاسبي رحمه الله تعالى في بعض كتبه**) وهو كتاب الزهد

على بعض العلماء من الأغنياء، حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم، والمحاسبي رحمه الله حبر الأمة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات، وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه. وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء: بلغنا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال: يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدّقون ولا تفعلون ما تؤمرون، وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون، تتوبون بالقول والأماني وتعملون بالهوى، ولا يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة، بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة؛ كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم، يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته؟ بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكي من أعمالكم، جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم، بحق أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة، فأي الناس أخسر منكم لو تعلمون؟ ويلكم حتام

(في الرد على بعض العلماء من الأغنياء حيث احتج بأغنياء الصحابة وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف وشبه نفسه بهم)، وشتان ما بين الثريا والثرى، **(والمحاسبي رحمه الله تعالى)** ممن جمع الله له بين الظاهر والباطن، وروى عن يزيد بن هارون والطبقة، وعنه أبو العباس أحمد بن مسروق الطوسي، وتوفي سنة ٢٤٣، وهو **(حبر الأمة في علم المعاملة وله السبق)** أي التقدم **(على جميع الباحثين عن عيوب النفس وآفات الأعمال واغوار العبادات، فكلامه جدير)** أي حقيق **(بأن يحكي على وجهه)** ونصه **(وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء)** من علماء الدنيا: **(بلغنا أن عيسى عليه السلام قال: يا علماء السوء تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون، وتدرسون ما لا تعملون فياسوء ما تحكمون، تتوبون بالقول والأماني وتعملون بالهوى، وما يغني عنكم أن تنقوا)** أي تنظفوا **(جلودكم وقلوبكم دنسة)** أي وسخة بالمعاصي، **(بحق أقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة، وكذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم، يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته؟ بحق أقول لكم: إن قلوبكم تبكي من أعمالكم)** أي من صلاحها في الظاهر وفساد الباطن، **(جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم)** فتذكروها كثيراً لمحبتكم إياها من أحب شيئاً أكثر من ذكره، **(والعمل تحت أقدامكم)** وهو كناية عن الترك والاستخفاف: **(بحق أقول لكم: أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة، فأي الناس أخسر منكم لو تعلمون؟ ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين)** أي السالكين إلى الله تعالى في ظلم الليل

تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين! كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم، مهلا مهلاً! ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم؟ كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة! يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام، توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم، ثم يأخذ خطاياكم بنواصيكم ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى، فيوقفكم على سوءاتكم ثم يجزيكم بسوء أعمالكم. ثم قال الحارث رحمه الله: إخواني فهؤلاء

(**وتقيمون**) أنتم (**في محل المتحيرين**) أي الواقفين كالمتحيرين: (**كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم**) فتظفروا بها دونهم، (**مهلاً مهلاً! ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم، كذلك لا يغني عنكم أن يكون العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة. يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام، توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم عى وجوهكم، ثم تكبكم على مناخركم، ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم، ثم تدفعكم من خلفكم حتى تسلمكم إلى الملك الديان عراة فُرادى**) أي منفردين، (**فيوقفكم على سوآتكم**) أي فضيحتكم، (**ثم يجزيكم بسوء أعمالكم**).

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق عبدالله بن المبارك: أخبرنا بكار بن عبد الرحمن قال: سمعت وهب بن منبه يقول: قال الله عز وجل فيما يعتب به أحبار بني إسرائيل: تتفقهون لغير الدين، وتتعلمون لغير العمل، وتبتاعون لعمل الآخرة. تلبسون جلود الضأن وتخفون أتعس الذئاب، وتنقون الفذاء من شرابكم، وتبتلعون أمثال الجبال من الحرام، وتثقلون الدين على الناس أمثال الجبال ثم لا تعينونهم برفع الخناصر. تطيلون الصلاة، وتبيضون الثياب تفتنون بذلك مال اليتيم والأرملة فبعزتي حلفت لأخبرنكم بفتنة يضل فيها رأي ذوي الرأي وحكمة الحكيم.

وأخرج من طريق يزيد بن قوذر قال كعب: قال موسى عليه السلام: تلبسون ثياب الرهبان، وقلوبكم قلوب الخنازير والذئاب الضواري.

وأخرج ابن عساكر، عن وهب بن منبه قال: قال عيسى عليه السلام: يا علماء السوء جلستم على أبواب الجنة فلا أنتم تدخلونها ولا تدعوا المساكين يدخلونها. إن شرار الناس عندالله عالم يطلب الدنيا بعلمه.

وفي القوت قال عيسى عليه السلام: ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة حش ظاهرها جص وباطنها نتن، ويلكم علماء السوء إنما أنتم مثل قبور مشيدة ظاهرها مشيدو باطنها عظام الموتى، يا علماء الدنيا إنما أنتم مثل شجرة الدفلى نورها حس وطعمها مر - أو قال سم يقتل - يا علماء الدنيا

علماء السوء شياطين الإنس وفتنة على الناس، رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة، وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين، وفي الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الكريم بفضله.

وبعد؛ فإني رأيت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص، فيتفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصي وإلى البوار والتلف مصيره، فرح الهالك برجاء فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه: ﴿خَسِرَ الدُّنيَا والآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١] فيا لها من مصيبة ما أفظعها ورزية ما أجلها، ألا فراقبوا الله إخواني ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه من الآنسين بالحجج الداحضة عند الله، فإنهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج، ويزعمون أن أصحاب رسول الله ﷺ كانت لهم أموال فتزين المغرورون بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال، ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون. ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من

مثلكم مثل صخرة في فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع فينتفع به، كذلك أنتم قعدتم على طريق الآخرة لا تسلكون ولا تتركون السالكين.

(**ثم قال الحرث**) المحاسبي (**رحمه الله**) تعالى: (**إخواني فهؤلاء علماء السوء شياطين الأنفس وفتنة على الناس**) وهم أضر على الناس من شياطين الجن، (**رغبوا في عرض الدنيا رفعتها**) الظاهرة (**وآثروها على الآخرة**) ورفعتها الباطنة، (**وأذلوا الدين للدنيا**) أي لتحصيلها (**فهم في العاجل عارٌ وشين، وفي الآخرة هم الخاسرون أو يعفو الله الكريم بفضله**) وذكر المصنف هذه العبارة أيضاً في كتاب الفقر والزهد.

(**وبعد؛ فإني رأيت الهالك المؤثر للدنيا**) على الآخرة (**سروره ممزوج بالتنغيص**) أي التكدير، (**فتتفجر عنه أنواع الهموم**) وتنبعث عنه أصناف الغموم (**وفنون المعاصي وإلى التلف والبوار**) أي الهلاك (**مصيره**) أي مرجعه، (**فرح الهالك برجاء فلم تبق له دنياه ولم يسلم له دينه ﴿خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين﴾ فيالها من مصيبة ما أفظعها**) أي اشدها قبحاً (**ورزيه ما أجلها**) أي أعظمها. (**ألا فراقبوا الله إخواني ولا يغرنكم الشيطان وأولياؤه من الآنسين**) أي المتمسكين (**بالحج الداحضة عند الله، فإنهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لأنفسهم المعاذير والحجج، ويزعمون أن أصحاب رسول الله ﷺ كانت لهم أموال**) واسعة وأملاك (**فيتزين المغرور بذكر الصحابة ليعذرهم الناس على جمع المال، ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون. ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف**) رضي الله عنه وأضرابه من الصحابة ممن كان له مال. قال الزهري: تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين

الشيطان ينطق بها على لسانك فتهلك ! لأنك متى زعمت أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم، ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه فقد ازدريت محمداً والمرسلين ؟ ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال، ونسبتهم إلى الجهل إذ لم يجمعوا المال كما جمعت، ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه، فقد زعمت أن رسول الله ﷺ لم ينصح للأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمع المال خير للأمة ؟ فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال، كذبت ورب السماء على رسول الله ﷺ ! فلقد كان للأمة ناصحاً وعليهم مشفقاً وبهم رؤوفاً ومتى زعمت أن جمع المال أفضل فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن

ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة راحلة في سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة. (**مكيدة للشيطان ينطق على لسانك لتهلك لأنك متى زعمت أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر**) والتفاخر (**والشرف والزينة**) وأمثال ذلك، (**فقد اغتبت السادة الأخيار**) أي ذكرتهم بسوء، (**ونسبتهم إلى أمر عظيم، ومتى زعمت أن جمع** المال الحلال **أعلى**) مقاماً (**وأفضل من تركه فقد ازدريت بمحمد ﷺ والمرسلين**) والصديقين، (**ونسبتهم إلى قلة الرغبة والزهد في هذا الخير الذي رغبت فيه أنت وأصحابك من جمع المال ونسبتهم إلى الجهل**) ونسبت نفسك إلى العلم، (**إذا لم يجمعوا المال كما جمعت**) فكأنه لجهلهم في طريق الجمع، (**ومتى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى من تركه، فقد زعمت أن رسول الله ﷺ لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال**) قال العراقي: روى ابن عدي من حديث ابن مسعود « ما أوحي الله إليَّ أن أجمع المال وأكون من التاجرين » الحديث، ولأبي نعيم، والخطيب في التاريخ، والبيهقي في الزهد من الحديث الحارث بن سويد في أثناء حديث: « لا تجمعوا ما لا تأكلون » وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت وروى الحاكم في تاريخه من حديث أبي ذر: « ما أوحى الله إليَّ أن أكون تاجراً ولا أن أجمع المال مكاثراً ولكن أوحي إليَّ ﴿إن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ★ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين »﴾ [الحجر: ٩٨، ٩٩] ورواه أبو نعيم في الحلية، عن أبي مسلم الخولاني مرسلاً بلفظ: « ما أوحي الله إليَّ أن أجمع المال وأكون من التاجرين » والباقي سواء.

(**وقد علم أن جمع المال خير للأمة فقد غشهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت**) في زعمك، (**ورب السماء على رسول الله ﷺ لقد كان للأمة ناصحاً**) لم يدخر عنهم من النصح شيئاً (**و**) كان (**عليهم مشفقاً وبهم باراً رحيماً رؤفاً، ومتى زعمت أن جمع المال أفضل، فقد زعمت أن الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال**) ونبههم على

جمع المال خير لهم؟ أو زعمت أن الله تعالى لم يعلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه، وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الخير والفضل من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون؟ تدبر بعقلك ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة! ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف وقد ود عبد الرحمن بن عوف في القيامة أنه لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً.

ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك! فقال كعب: سبحان الله! وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيباً وأنفق طيباً وترك طيباً! فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضباً يريد كعباً فمر بعظم لحي بعير فأخذه بيده ثم انطلق يريد كعباً، فقيل لكعب. إن أبا ذر يطلبك، فخرج هارباً حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر، وأقبل أبو ذر يقص الأثر في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان، فلما دخل قام كعب

عدم الافتتان به، (**وقد علم أن جمع المال خير لهم أو زعمت أن الله لم يعلم أن الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه، وأنت عليم بما في المال من الخير والفضل فلذلك رغبت في الاستكثار كأنك أعلم بموضع الفضل والخير من ربك تعالى الله عن جهلك أيها المفتون؛ تدبر ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابة. ويحك ما ينفعك الاحتجاج بمال عبد الرحمن بن عوف**) رضي الله عنه (**وقد ودّ ابن عوف في القيامة أنه لم يؤت في الدنيا إلا قوتاً**) إذ ما من أحد إلا وهو يتمنى كذلك كما ورد في الخبر وتقدم.

(**ولقد بلغني أنه لما توفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه**) سنة إثنين وثلاثين وصلى عليه عثمان، وقيل الزبير، وقيل ابنه (**قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ: إنا نخاف على عبد الرحمن**) أي في الآخرة (**فيما ترك**) قال أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: صولحت امرأة عبد الرحمن من نصيبها ربع الثمن على ثمانين ألفاً. وقال مجاهد: أصاب كل امرأة من نساء عبد الرحمن ربع الثمن ثمانون ألفاً، (**فقال كعب**) الأحبار رحمه الله تعالى: (**سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيباً**) إذا كانت عامة أمواله من التجارة، (**وأنفق طيباً**) إذ تصدق به مرات كما تقدم، (**وترك طيباً**) ميراثاً لورثته، (**فبلغ ذلك**) الكلام (**أبا ذر**) الغفاري رضي الله عنه، (**فخرج مغضباً يريد كعباً فمر**) في طريقه (**بلحي بعير**) بكسر اللام وهو عظم الحنك؟ وهو الذي عليه الأسنان، (**فأخذ بيده ثم انطلق يطلب كعباً فقيل لكعب: إن أبا ذر يطلبك فخرج هارباً حتى دخل على عثمان رضي الله عنه**) وهو يومئذ خليفة (**يستغيث به وأخبره الخبر، فأقبل أبو ذر**) رضي الله عنه (**يقتص الأثر**) أي يتبعه (**في طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان**) رضي الله عنه، (**فلما دخل قام كعب فجلس خلف**

فجلس خلف عثمان هارباً من أبي ذر ، فقال له أبو ذر : هيه يا ابن اليهودية ! تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ، ولقد خرج رسول الله ﷺ يوماً نحو أحد وأنا معه فقال : « يا أبا ذر » فقلت : لبيك يا رسول الله فقال : « الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم » ثم قال : « يا أبا ذر » وقلت : نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، قال : « ما يسرني أن لي مثل أحد أنفقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين » قلت أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال : « بل قيراطان » ثم قال : أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل » . فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف ؟ كذبت وكذب من قال : فلم يرد عليه خوفاً حتى خرج .

عثمان هارباً من أبي ذر فقال له أبو ذر : هيه) بكسر فسكون كلمة استزادة (**يا ابن اليهودية تزعم أن لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف . لقد خرج رسول الله ﷺ يوماً نحو أحد وأنا معه فقال : « يا أبا ذر » فقلت : لبيك يا رسول الله . فقال : « الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا عن يمينه وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم » . ثم قال : « يا أبا ذر » قلت : نعم يا رسول الله بأبي أن وأمي . قال : « ما يسرني أن لي مثل أحد انفقه في سبيل الله أموت يوم أموت وأترك منه قيراطين » قلت : أو قنطارين يا رسول الله ؟ قال : « بل قيراطين » . ثم قال : « يا أبا ذر أنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل » فرسول الله يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه خوفاً ثم خرج**) قال العراقي : حديث أبي ذر : « الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة » متفق عليه ، وقد تقدم دون هذه الزيادة التي في أوله من قول كعب حين مات عبد الرحمن بن عوف : كسب طيباً وترك طيباً وإنكار أبي ذر عليه فلم أقف على هذه الزيادة إلا في قول الحرث بن أسد المحاسبي بلغني كما ذكر المصنف ، وقد رواها أحمد ، وأبو يعلي أخصر من هذا ولفظ كعب : إن كان قضى عنه حق الله فلا بأس به ، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعباً وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما أحب أن لو تحوّل هذا الجبل لي ذهباً » الحديث . وفيه ابن لهيعة انتهى .

قلت : حديث أبي ذر تقدم الكلام عليه في أول الفصل في هذا الكتاب ، وهو بيان ذم المال . وقد رواها البخاري ومسلم بلفظ : « هم الأخسرون » فقال أبو ذر : من هم ؟ فقال : « هم الأكثرون مالاً إلا من قال هكذا وهكذا » وفي رواية لهما : « إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً فنفح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً » وفي رواية : « إن الأكثرين هم المقلون » وروي ابن ماجه ، وابن حبان ، والضياء من حديث أبي ذر « الأكثرون هم الأسفلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وكسبه من طيب » . وعند الطيالسي بلفظ المكثرون » . وروى

وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من اليمن فضجت المدينة ضجة واحدة، فقالت عائشة رضي الله عنها: ما هذا؟ قيل: عير قدمت لعبد الرحمن، قالت:

الخطيب مثله من حديث ابن عباس، وروى هناد في الزهد، وابن ماجه من حديث أبي هريرة: «الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا».

وأما حديث أبي ذر: «ما أحب لو تحول هذا الجبل» الخ فرواه البخاري من حديثه بلفظ: «ما أحب أن أحداً تحول لي ذهباً يمكث عندي منه دينار فوق ثلاث إلا ديناراً أرصده لدين». وعند أحمد والدارمي بلفظ: «ما أحب أن لي أحداً ذهباً أموت يوم أموت وعندي منه دينار أو نصف دينار إلا أن أرصده لغريم». وعند أحمد وحده من حديث أبي ذر وعثمان معاً «ما أحب لو أن لي هذا الجبل ذهباً أنفقه ويتقبل مني أذر خلفي منه شيئاً». وروى الطيالسي من حديث أبي ذر بلفظ: «ما يسرني أن لي أحداً ذهباً تأتي علي ثالثة وعندي منه دينار إلا دينار أرصده لغريم» وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة: «ما أحب أن أحداً عندي ذهباً فتأتي على ثالثة وعندي منه شيء إلا شيء أرصده في قضاء دين» وقد رواه هناد، ومسلم، والبيهقي بلفظ: «ما يسرني».

وأخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل بن أبي بكر الحسيني في آخرين قالوا: أخبرنا عبدالله بن سالم، وأحمد بن علي ومحمد قالوا: أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ: أخبرنا علي بن يحيى، أخبرنا يوسف بن عبدالله، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا أبو الفضل أحمد بن علي الحافظ ومستمليه رضوان بن محمد بن يوسف قالا: أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد الغزي، أخبرنا علي بن إسماعيل المخزومي، أخبرنا أبو الفرج الحراني، أخبرنا أبو المكارم أحمد بن محمد بن اللبان، وأبو الحسن مسعود بن محمد بن أبي منصور قالا: حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسين الحداد، حدثنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله الحافظ، حدثنا محمد بن أحمد بن محمد، حدثنا عبدالله بن محمد بن عبد الكريم، حدثنا الحسن بن إسماعيل ابن راشد الرملي، حدثنا حمزة بن ربيعة، حدثنا ابن شوذب، عن مطر ابن حميد بن هلال، عن عبدالله بن الصامت بن أخي أبي ذر قال: دخلت مع عمي على عثمان فقال لعثمان: ائذن لي بالربذة. فقال: نعم ونأمر لك بنعم من نعم الصدقة تغدو عليك وتروح. قال: لا حاجة لي في ذلك تكفي أبا ذر صرمته ثم قال اغذموا دنياكم ودعونا وربنا أو ديننا، وكانوا يقتسمون مال عبد الرحمن بن عوف وكان عنده كعب فقال عثمان بن عفان لكعب: ما تقول فيمن جمع هذا المال فكان يتصدق منه ويعطي ابن السبيل ويفعل ويفعل؟ قال: إني لأرجو له خيراً، فغضب أبو ذر ورفع العصا على كعب وقال: وما يدريك يا ابن اليهودية ليودن صاحب هذا المال يوم القيامة لو كانت عقارب تلسع السويداء من قلبه.

(وبلغنا أن عبد الرحمن بن عوف) رضي الله عنه **(قدمت عليه عير)** أي قافلة **(من اليمن فضجت المدينة)** أي أهلها **(ضجة واحدة، فقالت عائشة)** رضي الله عنها: **(ما هذا؟**

صدق الله ورسوله ﷺ، فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها فقالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعياً، ولم أرَ أحداً من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف رأيته يدخلها معهم حبواً»، فقال عبد الرحمن: إن العير وما عليها في سبيل الله، وإن أرقاءها أحرار لعلي أن أدخلها معهم سعياً.

وبلغنا أن النبي ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف: «أما إنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي وما كدت أن تدخلها إلا حبواً».

فقيل: عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف. قالت: صدق الله ورسوله، فبلغ ذلك عبد الرحمن فسألها. فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني رأيت الجنة فرأيت فقراء المهاجرين والمسلمين يدخلون سعياً ولم أر أحداً من الأغنياء يدخلها معهم إلا عبد الرحمن بن عوف رأيته يدخلها معهم حبواً». فقال عبد الرحمن: إن العير وما عليها في سبيل الله وإن أرقاءها أحرار لعلي أن أدخلها معهم سعياً). قال العراقي: رواه أحمد مختصراً في كون عبد الرحمن يدخلها حبواً دون ذكر فقراء المهاجرين والمسلمين، وفيه عمارة بن زاذان مختلف فيه انتهى.

قلت: لفظ أحمد من حديث عائشة: رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً، ورواه أيضاً الطبراني في الكبير، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا أبو يزيد القراطيسي، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا عمارة بن زاذان، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: بينا عائشة في بيتها إذ سمعت صوتاً رجت منه المدينة فقالت: ما هذا؟ قالوا: عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام، وكانت سبعمائة راحلة. فقالت عائشة: أما أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً» فبلغ ذلك عبد الرحمن فأتاها فسألها عما بلغه فحدثته فقال: فأنا أشهدك أنها بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله. وعمارة بن زاذان الصيدلاني أبو سلمة البصري صدوق ضعفه الدارقطني وغيره، وقد روى له البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

(وبلغنا أن النبي ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف) رضي الله عنه: **(«أما أنك أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي وما كدت تدخلها إلا حبواً»)** قال العراقي: رواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف، وللحاكم من حديث عبد الرحمن: «يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفاً» الحديث. وقال: صحيح الإسناد.

قلت: ضعيف فيه خالد بن يزيد بن أبي مالك ضعفه الجمهور انتهى.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، عن عطاء بن

ويحك أيها المفتون، فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنائعه المعروف وبذله الأموال في سبيل الله مع صحبته لرسول الله ﷺ وبشراه بالجنة أيضاً يوقف في عرصات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال للتعفف ولصنائع المعروف، وأنفق منه قصداً، وأعطى في سبيل الله سمحاً، منع السعي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبواً؟ فما ظنك بأمثالنا الغرقى في فتن الدنيا؟ وبعد؛

أبي رباح، عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال له: « يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفاً فاقرض الله يطلق لك قدميك ». قال ابن عوف: وما الذي أقرض الله؟ قال « تتبرأ مما أمسيت فيه » قال: من كله أجمع يا رسول الله؟ قال « نعم » قال: فخرج ابن عوف وهو يهم بذلك فأتاه جبريل فقال: مر ابن عوف فليضف الضيف وليعطم المسكين وليعط السائل فإذا فعل ذلك كانت كفارة لما هو فيه. وخالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك أبو هاشم الدمشقي، وقد ينسب إلى جد أبيه فقيه ضعيف، وقد اتهمه ابن معين، روى له ابن ماجه. وقال الذهبي في الديوان، قال النسائي: ليس بثقة ووثقه غيره، ففي قول العراقي ضعفه الجمهور نظر.

(**ويحك أيها المفتون، فما احتجاجك بالمال وهذا عبد الرحمن**) رضي الله عنه (**في فضله وتقواه وصنائعه المعروفة وبذله الأموال في سبيل الله**)، فقد روى أبو نعيم في الحلية، عن المسور بن مخرمة قال: باع عبد الرحمن بن عوف أرضاً له من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار، فقسم ذلك المال في بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين. وعن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف « ما بطؤ بك عني؟ فقال: ما زلت بعدك أحاسب، وإنما ذلك لكثرة مالي. فقال « هذه مائة راحلة جاءتني من مصر فيه صدقة على أرامل أهل المدينة ». وأخرج الطبراني من طريق المبارك، عن معمر، عن الزهري قال: تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفاً، ثم تصدق بأربعين ألف دينار، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله، ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله.

وأخرج صاحب الحلية عن جعفر بن برقان قال: بلغني أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألف بيت (**مع صحبته لرسول الله ﷺ وبشراه بالجنة**) وذلك فيما رواه الترمذي والنسائي في الكبرى من حديثه « أبو بكر في الجنة » الحديث، وفيه « وعبد الرحمن بن عوف في الجنة » وهو عند الأربعة من حديث سعيد بن زيد، قال البخاري والترمذي: وهو أصح (**يوقف في عرصات القيامة وأهوالها بسبب مال كسبه من حلال**) وقد روي عن الزهري أن عامة ماله كان من التجارة. (**للتعفف ولصنائع المعروف وأنفق منه قصداً**) على طريق العدل (**وأعطى في سبيل الله سمحاً**) أي فيضاً (**قد منع من السعي إلى الجنة مع الفقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبواً**) ويزحف زحفاً، (**فما ظنك بأمثالنا الغرقى في فتن الدنيا**).

فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت، وتتكالب على أوساخ الناس، وتنقلب في الشهوات والزينة والمباهات، وتتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج بعبد الرحمن وتزعم أنك إن جمعت المال فقد جمعه الصحابة كأنك أشبهت السلف وفعلهم؟ ويحك إن هذا من قياس إبليس ومن فتياه لأوليائه! وسأصف لك أحوالك وأحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة. ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتعفف والبذل في سبيل الله، فكسبوا حلالاً وأكلوا طيباً وأنفقوا قصداً وقدموا فضلاً، ولم يمنعوا منها حقاً، ولم يبخلوا بها، لكنهم جادوا لله بأكثرها، وجاد بعضهم بجميعها، وفي الشدة آثروا لله على أنفسهم كثيراً، فبالله أكذلك أنت؟ والله أنك لبعيد الشبه بالقوم.

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق نوفل بن إياس الهذلي قال: كان عبد الرحمن لنا جليساً وكان نعم الجليس، وأنه انقلب بنا يوماً حتى دخلنا بيته ودخل واغتسل ثم خرج فجلس معنا وأتينا بصحفة فيها خبز ولحم، فلما وضعت بكى عبد الرحمن فقلنا له: يا أبا محمد ما يبكيك؟ فقال: مات رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ولا أرانا أخرنا لما هو خير لنا.

وأخرج أحمد في الزهد، عن محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سعيد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه، عن جده أنه أتي بطعام فقال شعبة: أحسبه كان صائماً فقال عبد الرحمن: قتل حمزة فلم نجد ما نكفنه فيه وهو خير مني، وقتل مصعب بن عمير وهو خير مني فلم نجد ما نكفنه فيه، وقد أصبنا منها ما أصبنا إني لأخشى أن تكون قد عجلت لنا طيباتنا في الدنيا. قال شعبة: وأظنه قال ولم يأكل.

(وبعد؛ فالعجب كل العجب لمفتون تمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتتكالب على أوساخ الناس وهو يتقلب في) وفي نسخة وهو يلتفت إلى **(الشهوات والزينة والمباهاة وهو يتقلب في فتن الدنيا، ثم تحتج بعبد الرحمن بن عوف)** رضي الله عنه، **(وتزعم أنك إن جمعت المال فقد جمعه الصحابة)** الكرام، **(كأنك أشبهت السلف وفعلهم. ويحك إن هذا من قياس إبليس ومن فتياه لأوليائه)** وهو قياس فاسد وفتيا باطلة! **(وسأصف لك أوصافك وأحوال السلف لتعرف فضائحك وفضل الصحابة، ولعمري لقد كان لبعض الصحابة أموال أرادوها للتعفف والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالاً وأكلوا طيباً وأنفقوا قصداً وقدموا فضلاً)** أي ما فضل عن حاجتهم قدموه للآخرة بالتصدق **(ولم يمنعوا منها حقاً)** لله تعالى، **(ولم يبخلوا بها، ولكنهم جادوا لله تعالى بأكثرها، وجاد بعضهم بجميعها، وفي الشدة آثروا الله على أنفسهم كثيراً، فبالله أكذلك أنت؟ والله إنك لبعيد الشبه بالقوم)** لا وجه للشبه بينك وبينهم فيما صنعوا.

وبعد : فإن أخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين، ومن خوف الفقر آمنين، وبالله في أرزاقهم واثقين، وبمقادير الله مسرورين، وفي البلاء راضين، وفي الرخاء شاكرين، وفي الضراء صابرين، وفي السراء حامدين، وكانوا لله متواضعين، وعن حب العلو والتكاثر ورعين. ولم ينالوا من الدنيا إلا المباح لهم ورضوا بالبلغة منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها. فبالله أكذلك أنت؟

ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا: ذنب عجلت عقوبته من الله، تعالى وإذا رأوا الفقر مقبلاً قالوا: مرحباً بشعار الصالحين. وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كئيباً حزيناً، وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحاً مسروراً، فقيل له: إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا، وإذا كان عندهم شيء فرحوا، وأنت لست كذلك! قال: إني إذا أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذ كان لي برسول الله ﷺ أسوة، وإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن لي بآل محمد إسوة. وبلغنا إنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا وأشفقوا وقالوا: ما لنا

(وبعد ؛ فإن أخيار الصحابة كانوا للمسكنة محبين، ومن خوف الفقر آمنين، وبالله في أرزاقهم واثقين، وبمقادير الله مسرورين، وفي البلاء راضين، وفي الرخاء شاكرين، وفي الضراء صابرين، وفي السراء حامدين، وكانوا لله متواضعين، وعن حب العلو والتكاثر ورعين. لم ينالوا من الدنيا إلا المباح لهم) فوضعوه في مواضعه **(ورضوا بالبلغة منها)** أي بالقدر الذي يبلغهم إلى الآخرة **(وزجوا الدنيا)** أي ساقوها وأبعدوها عنهم **(وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهراتها. فبالله أكذلك أنت)**؟ لا تقدر تقول: نعم.

(ولقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا: ذنب عجلت عقوبته من الله، وإذا رأوا الفقر مقبلاً قالوا: مرحبا بشعار الصالحين) وقد روي ذلك من حديث أبي الدرداء. قال الله لموسى عليه السلام فذكره، ويروى أيضاً عن كعب الاحبار، وقد تقدم في ذم الدنيا. وسيأتي أيضاً في كتاب الزهد والفقر. **(وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء)** من الدنيا **(أصبح كئيباً حزيناً)** مغموماً، **(وإذا)** أصبح **(لم يكن عندهم شيء أصبح فرحاً مسروراً فقيل له: إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا، وإذا كان عندهم شيء فرحوا، وأنت لست كذلك. فقال: إني إذاً أصبحت وليس عند عيالي شيء فرحت إذ كان لي بمحمد ﷺ أسوة)** فإنه كثيراً ما يصبح وليس عند عياله شيء، **(فإذا كان عند عيالي شيء اغتممت إذ لم يكن لي بآل محمد ﷺ أسوة. وبلغنا أنهم كانوا إذا سلك بهم سبيل**

وللدنيا وما يراد بها فكأنهم على جناح خوف، وإذا سلك بها سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا: الآن تعاهدنا ربنا. فهذه أحوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا فبالله أكذلك أنت انك لبعيد الشبه بالقوم.

وسأصف لك أحوالك أيها المفتون ضداً لأحوالهم، وذلك أنك تطغى عند الغنى، وتبطر عند الرخاء، وتمرح عند السراء، وتغفل عن شكر ذي النعماء وتقنط عند الضراء، وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء، نعم وتبغض الفقر وتأنف من المسكنة، وذلك فخر المرسلين وأنت تأنف من فخرهم. وأنت تدخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء الظن بالله عز وجل وقلة اليقين بضمانه، وكفى به إثماً، وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها. ولقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم فربت عليه أجسامهم»، وبلغنا أن بعض أهل العلم قال: ليجيء يوم القيامة

الرخاء حزنوا وأشفقوا) على أنفسهم **(وقالوا: ما لنا وللدنيا وما يراد منها، فكأنهم على جناح خوف، وإذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واستبشروا وقالوا: الآن تعاهدنا ربنا)** أي نظر إلينا بالرضا رواه صاحب القوت عن الحسن قال: كانوا بالبلاء والشدة أشد فرحاً منكم بالرخاء والخصب. لو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رأوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب. **(فهذه أحوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل أكثر مما وصفنا فبالله اكذلك أنت)** وفيك هذه الأوصاف؟ **(إنك لبعيد الشبه بالقوم)**.

(وسأصف لك أحوالك أيها المفتون ضد أحوالهم، وذلك أنك تطغى عند الغنى) أي تتجاوز عن الحدود، **(وتبطر في الرخاء)** أي تكفر بالنعمة ولا تشكرها، **(وتمرح عند السراء، وتغفل عن شكر ذي النعماء، وتقنط عند الضراء، وتسخط عند البلاء ولا ترضى بالقضاء نعم وتبغض الفقر)** إذا أقبل إليك، **(وتأنف من المسكنة وذلك فخر المرسلين وأنت تأنف من فخرهم)**، فقد ورد: «الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس» رواه الطبراني من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف، والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وكذلك رواه ابن عدي في الكامل، وسيأتي للمصنف في كتاب الزهد والفقر. فأما ما اشتهر على الألسنة الفقر فخري وبه أفتخر، فقد قال الحافظ ابن حجر: أنه موضوع لا أصل له، **(وتدخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر، وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمانه وكفى به إثماً وعساك تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها وشهوتها ولذاتها، ولقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليهم أجسامهم»)** رواه البزار من حديث أبي هريرة بسند ضعيف بلفظ «إن من شرار أمتي» وقد تقدم في فصل ذم المال من أول هذا الكتاب.

قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم: ﴿أذهبتُمْ طيّباتُكم في حياتِكُمْ الدُّنْيَا واستمتعتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة! نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا، وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا للتكاثر أو للتفاخر لقي الله وهو عليه غضبان، وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب ربك حين أردت التكاثر والعلو نعم وعساك المكث في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله، فأنت تكره لقاء الله والله للقائك أكره، وأنت في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: « من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة شهر. وقيل سنة ». أنت

(وبلغنا أن بعض أهل العلم قال: ليجيء يوم القيامة قوم يطلبون حسنات لهم فيقال لهم: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾) روى جرير بن حازم عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: والله إني لو شئت لكنت من ألينكم طعاماً وأرقكم عيشاً، ولكن سمعت الله تعالى يقول عن قوم ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ الآية. وروى ابن قانع عن سالم مولى أبي حذيفة قال: « يؤتى بأقوام يوم القيامة معهم حسنات كالجبال حتى إذا دنوا واشرفوا على الجنة فردوا أن لا نصيب لكم فيها ». **(وأنت في غفلة قد حرمت نعيم الآخرة بسبب نعيم الدنيا. فيا لها حسرة ومصيبة. نعم، وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة في الدنيا، وقد بلغنا أنه من طلب الدنيا ليكاثر أو ليفاخر بها لقي الله وهو عليه غضبان)** وهو قطعة من حديث أبي هريرة أوله « من طلب الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة وسعياً على أهله وتعطفاً على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر، ومن طلبها حلالاً مكاثراً بها مفاخراً لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان » رواه أبو الشيخ في الثواب، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب، وقد تقدم في كتاب الكسب وآداب المعيشة. **(وأنت غير مكترث بما حل بك من غضب الله حيث أردت التكاثر والعلو. نعم وعساك المكث في الدنيا أحب إليك من النقلة إلى جوار الله تعالى، وأنت تكره لقاء الله تعالى والله للقائك أكره)** ففي الخبر « من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت، ومن حديث عائشة، ومن حديث أبي موسى. **(وأنت في غفلة وعساك تأسف على ما فاتك من عرض الدنيا، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: « من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسافة سنة »)** قال العراقي: رويناه في كتاب القربة لأبي حفص العتكي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال: مسيرة ألف سنة، وإسناده ضعيف. ورويناه في الجزء الثاني عشر من فوائد الخلعي من هذا الوجه اهـ.

قلت: وهو في مشيخة أبي عبد الله الرازي هكذا بزيادة « ومن أسف على آخرة فاتته اقترب من الجنة مسافة ألف سنة ».

تأسف على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله. نعم ولعلك تخرج من دينك أحياناً لتوفير دنياك وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سروراً بها، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: « من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه »، وبلغنا أن بعض أهل العلم قال: إنك تحاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا، وتحاسب بفرحك في الدنيا إذا قدرت عليها وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى، وعساك تعني بأمور دنياك أضعاف ما تعني بأمور آخرتك، وعساك ترى مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقاص دنياك، نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب، وعساك تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا، وعساك ترضي المخلوقين مساخط الله تعالى كيما تكرم وتعظم. ويحك! فكأن احتقار الله تعالى لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إياك، وعساك تخفي من المخلوقين مساوئك ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها فكأن الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة عند الناس، فكأن العبيد أعلى عندك قدراً من الله تعالى الله عن جهلك! فكيف تنطق عند ذوي الألباب وهذه المثالب فيك؟ أف لك! متلوث بالأقذار وتحتج بمال الأبرار؟ هيهات هيهات ما أبعدك عن السلف الأخيار، والله لقد بلغني

(وأنت تأسف على ما فاتك) من الدنيا (غير مكترث بقربك من عذاب الله. نعم ولعلك تخرج من دينك أحياناً لتوفير دنياك) أي لتكثيرها، (وتفرح بإقبال الدنيا عليك وترتاح لذلك سروراً بها، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: « من أحب الدنيا وسر بها ذهب خوف الآخرة من قلبه ») قال العراقي: لم أجده إلا بلاغاً للحرث بن أسد كما ذكره المصنف عنه. (وبلغنا أن بعض أهل العلم قال: إنك محاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا، ومحاسب بفرحك في الدنيا إذا قدرت عليها، وأنت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى، وعساك تعني بأمور الدنيا أضعاف ما تعني بأمور آخرتك، وعساك ترى أن مصيبتك في معاصيك أهون من مصيبتك في انتقاص دنياك. نعم وخوفك من ذهاب مالك أكثر من خوفك من الذنوب، وعساك تبذل للناس ما جمعت من الأوساخ كلها للعلو والرفعة في الدنيا، وعساك ترضى المخلوقين بمساخط الله تعالى كيما تكرم وتعظم. ويحك فكان احتقار الله لك في القيامة أهون عليك من احتقار الناس إياك، وعساك تخفي من المخلوقين مساوئك) وعيوبك. (ولا تكترث باطلاع الله عليك فيها، فكأن الفضيحة عند الله أهون عليك من الفضيحة في الناس، وكان العبيد أعلى عندك قدراً من الله تعالى عن جهلك، فكيف تنطق عند ذوي الألباب وهذه المثالب) أي المقالح والمعائب موجودة (فيك أف لك متلوثاً بالأقذار تحتج بمال الأبرار؟ هيهات هيهات! ما أبعدك عن السلف الأخيار، والله

أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حزم عليكم، أن الذي لا بأس به عندكم كان من الموبقات عندهم، وكانوا للزلة الصغيرة أشد استعظاماً منكم لكبائر المعاصي، فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم؟ وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل، ليت صومك على مثال إفطارهم؟ وليت اجتهادك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم؟ وليت جميع حسناتك مثل واحدة من سيئاتهم. وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال: غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوى عنهم منها، فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة، فسبحان الله! كم بين الفريقين من التفاوت؟ فريق خيار الصحابة في العلوّ عند الله وفريق أمثالكم في السفالة، أو يعفو الله الكريم بفضله.

وبعد؛ فإنك إن زعمت أنك متأس بالصحابة بجمع المال للتعفف والبذل في سبيل الله فتدبر أمرك، ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم؟ أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا، لقد بلغني أن بعض الصحابة قال: كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام، أفتطمع من نفسك في مثل هذا

لقد بلغني أنهم كانوا فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم). رواه صاحب القوت عن الحسن قال: رأيت سبعين بدرياً كانوا والله فيما أحل لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم. (**إن الذي لا بأس به عندكم كان كالموبقات)** أي الكبائر المهلكات (**عندهم، وكانوا للذلة الصغيرة أشد استعظاماً منكم لكبائر المعاصي، فليت أطيب مالك وأحله مثل شبهات أموالهم، وليتك أشفقت من سيئاتك كما أشفقوا على حسناتهم أن لا تقبل. ليت صومك على مثال إفطارهم، وليت اجتهادك في العبادة على مثال فتورهم ونومهم، وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم. وقد بلغني عن بعض الصحابة أنه قال: غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوى عنهم منها)** أي أخر وأبعد، (**فمن لم يكن كذلك فليس معهم في الدنيا ولا معهم في الآخرة. فسبحان الله: كم بين الفريقين من التفاوت فريق خيار الصحابة في العلو عند الله تعالى، وفريق أمثالكم في السفالة أو يعفو الله الكريم بفضله)**.

(**وبعد؛ فإن زعمت أنك متأس)** أي مقتد (**بالصحابة بجمع الأموال للتعفف والبذل في سبيل الله تعالى، فتدبر أمرك. ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا في دهرهم، أو تحسب أنك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا؟ لقد بلغني أن بعض الصحابة قال: كنا نعد سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام)** تقدم في كتاب الحلال والحرام. روى صاحب الحلية من طريق عباس بن خليد عن أبي الدرداء أن يترك العبد

الاحتياط؟ لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك! ويحك! كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام، وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام»، أيها المغرور، أما علمت أن خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات، وبذلها في سبيل الله وسبيل البر؟ بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال: لأن تدع درهماً واحداً مخافة أن لا يكون حلالاً خير لك من أن تتصدق بألف دينار من شبهة لا تدري أيحل لك أم لا؟ فإن زعمت أنك أتقى وأورع من أن تتلبس بالشبهات وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله! ويحك! إن كنت كما زعمت بالغاً في الورع فلا تتعرض للحساب، فإن خيار الصحابة خافوا المسألة، وبلغنا أن بعض الصحابة قال: ما سرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وأنفقها في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة، قالوا: ولم ذاك رحمك الله؟ قال: لأني غني عن مقام يوم القيامة فيقول عبدي من أين اكتسبت وفي أي شيء

بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً. (**أفتطمع من نفسك في مثل هذا الاحتياط؟ لا ورب الكعبة ما أحسبك كذلك. ويحك كن على يقين أن جمع المال لأعمال البر مكر من الشيطان**) واستدراج (**ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام. وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «من اجترأ على الشبهات أوشك أن يقع في الحرام»**) متفق عليه من حديث عبد الرحمن بن بشير نحوه، وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام أول الحديث. (**أيها المغرور! اما علمت أن خوفك من اقتحام الشبهات أعلى وأفضل وأعظم لقدرك عند الله من اكتساب الشبهات وبذلها في سبيل الله وسبيل البر. بلغنا ذلك عن بعض أهل العلم قال: لأن تدع درهماً واحداً مخافة أن لا يكون حلالاً خير لك من أن تتصدق بألف دينار من شبهة لا تدري أيحل لك أم لا**). تقدم في كتاب الحلال والحرام. (**فإن زعمت أنك أتقى وأورع من أن تتلبس بالشبهات، وإنما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله. ويحك إن كنت كما زعمت بالغاً في الورع فلا تتعرض للحساب، فإن خيار الناس خافوا المسألة**) بين يدي الله تعالى. (**بلغنا أن بعض الصحابة قال: ما يسرني أن أكتسب كل يوم ألف دينار من حلال وانفقه في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلاة الجماعة، قالوا: ولم ذلك رحمك الله؟ قال: لأني غني عن مقام يوم القيامة، فيقول: عبدي من أين كسبت وفي أي شيء أنفقت**)؟ روي نحوه من قول أبي الدرداء رضي الله عنه.

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن عبد الله، حدثنا عمر بن زرارة، حدثنا المحاربي عن العلاء بن المسيب عن عمرو بن مرة قال: قال أبو الدرداء:

أنفقت فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الإسلام والحلال موجود لديهم، تركوا المال وجلا من الحساب مخافة أن يقوم خير المال بشره، وأنت بغاية الأمن والحلال في دهرك مفقود، تتكالب على الأوساخ ثم تزعم أنك تجمع المال من الحلال، ويحك! أين الحلال فتجمعه.

وبعد؛ فلو كان الحلال موجوداً لديك أما تخاف أن يتغير عند الغنى قلبك، وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة أن يفسد قلبه؟ أفتطمع أن يكون قلبك أتقى من قلوب الصحابة فلا يزول عن شيء من الحق في أمرك وأحوالك؟ لئن ظننت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك الأمارة بالسوء، ويحك! إني لك ناصح أرى

بعث النبي ﷺ وأنا تاجر فأردت أت تجتمع لي التجارة والعبادة فلم تجتمعا، فرفضت التجارة وأقبلت على العبادة والذي نفس أبي الدرداء بيده ما أحب أن لي اليوم حانوتاً على باب المسجد لا تخطئني فيه صلاة أربح فيه كل يوم أربعين ديناراً أو أتصدق بها كلها في سبيل الله. قيل له: يا أبا الدرداء وما تكره من ذلك؟ قال: شدة الحساب، ورواه محمد بن الجنيد التمار عن المحاربي فقال: عن عمرو بن مرة عن أبيه، ورواه خيثمة عن أبي الدرداء نحوه، وروى أحمد في كتاب الزهد.

ومن طريقه أبو نعيم قال: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عبد الله بن يحي، حدثنا أبو عبد ربه قال: قال أبو الدرداء: ما يسرني أن أقوم على الدرج من باب المسجد فأبيع وأشتري فأصيب كل يوم ثلاثمائة دينار أشهد الصلاة كلها في المسجد ما أقول ان الله لم يحل البيع ويحرم الربا، ولكن أحب أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ومن طريق محمد بن واسع أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان: ويا أخي من ولي ولك بأن نوافي يوم القيامة ولا نخاف حساباً.

(فهؤلاء المتقون كانوا في جدة الإسلام) أي في أوّله ونشاطه **(والحلال موجود لديهم، تركوا المال وجلاً من الحساب مخافة أن لا يقوم خير المال بشره، وأنت ثفالة الأمة)** (1) أي رذالتها **(والحلال في دهرك مفقود. تتكالب على الأوساخ)** وهي أعراض الدنيا **(ثم تزعم أنك تجمع المال من الحلال، ويحك! وأين الحلال فتجمعه؟**

وبعد؛ فلو كان الحلال موجوداً لديك أما تخاف أن يتغير عند الغنى قلبك) عما كان عليه من الإقبال على المعرفة؟ **(وقد بلغنا أن بعض الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه** فيقول: لا حاجة لي به أخاف أن يفسد على قلبي. **(أفتطمع أن يكون قلبك أتقى من قلوب الصحابة فلا تزول عن شيء من الحق في أمرك وأحوالك)** هذا لا يكون، و **(لئن ظننت ذلك لقد أحسنت الظن بنفسك الأمّارة بالسوء)** وتبرآتها. **(ويحك! إني لك ناصح أرى لك أن**

---

(١) في الإحياء: «بغاية الأمن» بدلاً من «ثفالة الأمة».

لك أن تقنع بالبلغة ولا تجمع المال بأعمال البر ولا تتعرض للحساب، فإنه بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من نوقش الحساب عذب»، وقال عليه الصلاة والسلام: «يوتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالاً من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار، ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حلال وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار، ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حرام وأنفقه في حلال فيقال اذهبوا به إلى النار، ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حلال وأنفقه في حلال فيقال له: قف لعلك قصرت في سبب هذا بشيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها، وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول: لا يا رب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيئاً مما فرضت علي فيقال: لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركب أو ثوب باهيت به فيقول: لا يا رب لم أختل ولم أباه في شيء، فيقال: لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فيقول: لا يا رب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيئاً مما فرضت علي ولم أختل ولم أباه ولم أضيع حق أحد أمرتني أن أعطيه، قال: فيجيء أولئك فيخاصمونه فيقولون: يا رب أعطيته وأغنيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا، فإن كان أعطاهم وما ضيع مع

تقتنع بالبلغة) من العيش، **(ولا تجمع المال لأعمال البر)** فتركك له آثر **(ولا تتعرض للحساب، فإنه بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال «من نوقش الحساب عذب»)** متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم.

(وقال ﷺ: «يؤتى برجل يوم القيامة وقد جمع مالاً من حرام وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار ويؤتى برجل) آخر **(قد جمع مالاً من حلال وأنفقه في حرام فيقال اذهبوا به إلى النار، فيؤتى برجل)** آخر **(قد جمع مالاً من حلال وأنفقه في حلال فيقال له قف لعلك قصرت في طلب هذا بشيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها. فيقول: لا يا رب كسبت من حلال وأنفقت في حلال، ولم أضيع شيئاً مما فرضت عليَّ فيقال: لعلك اختلت في هذا المال)** من الاختيال وهو التكبر **(في شيء من مركب أو ثوب باهيت به، فيقول: لا يا رب لم أختل ولم اباه في شيء فيقال لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فيقول: لا يا رب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيئاً مما فرضت عليَّ ولم أختل ولم أباه ولم أضيع حق أحد أمرتني أن أعطيه. قال: فيجيء أولئك فيخاصمونه فيقولون: يا رب أعطيته وأغنيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا فإن**

ذلك شيئاً من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال: قف، الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لذة فلا يزال يُسأل »، ويحك فمن ذا الذي يتعرض لهذه المسألة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وأدى الفرائض بحدودها، حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثالنا الغرقى في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها؟ ويحك، لأجل هذه المسائل يخاف المتقون أن يتلبسوا بالدنيا فرضوا بالكفاف منها وعملوا بأنواع البر من كسب المال، فلك ويحك بهؤلاء الأخيار اسوة، فإن أبيت ذلك وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى، ولم تجمع المال إلا من حلال بزعمك ـ للتعفف والبذل في سبيل الله، ولم تنفق شيئاً من الحلال إلا بحق، ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله، ولم تسخط الله في شيء من سرائرك وعلانيتك ويحك فإن كنت كذلك، ولست كذلك، فقد ينبغي لك أن ترضي بالبلغة وتعتزل ذوي الأموال إذا وقفوا للسؤال وتستبق مع الرعيل الأول في زمرة المصطفى، لا حبس عليك للمسألة والحساب، فإما سلامة و اما عطب. فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: « يدخل صعاليك المؤ‌منين قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام »، وقال عليه السلام:

كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئاً من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال: قف الآن هات شكر كل نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لقمة أو لذة فلا يزال يسأل ») قال العراقي: الحديث بطوله لم أقف له على أصل.

(**ويحك! فمن ذا الذي يتعرض لهذه المسألة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق كلها وادّى الفرائض بحدودها، حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال أمثالنا الغرقي في فتن الدنيا وتخاليطها وشبهاتها وشهواتها وزينتها؟ ويحك لأجل هذه المسألة يخاف المتقون أن يتلبسوا بالدنيا**) ويطمئنوا إليها (**فرضوا بالكفاف منها وعملوا بأنواع البر من كسب المال، فلك ويحك بهؤلاء الأخيار أسوة، فإن أبيت ذلك وزعمت انك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال إلا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله ولم تنفق شيئاً من الحلال إلا بحق، ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله**) ويرضاه، (**ولم تسخط الله في شيء من سرائرك وعلانيتك. ويحك فإن كنت كذلك ولست كذلك، فقد ينبغي لك أن ترضى بالبلغة**) من العيش (**وتعتزل ذوي الأموال إذا وقفوا للسؤال وتستبق مع الرعيل الأول**) والرعيل: طائفة من الجيش (**في زمرة المصطفى**) ﷺ (**لا حبس عليك**) ولا وقوف (**للمسألة في الحساب، فإما سلامة وإما عطب**) أي هلك، (**فإنه بلغنا أن رسول الله قال « يدخل صعاليك المهاجرين**) أي فقراؤهم (**قبل أغنيائهم الجنة بخمسمائة عام »**) قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه من حديث أبي سعيد بلفظ

« يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيأكلون ويتمتعون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم طلبتي أنتم حكام الناس وملوكهم فأروني ماذا صنعتم فيما أعطيتكم ». وبلغنا أن بعض أهل العلم قال: ما سرني أن لي حمر النعم ولا أكون في الرعيل الأول

« فقراء » مكان « صعاليك » ولهما وللنسائي في الكبرى من حديث أبي هريرة « يدخل الفقراء الجنة » الحديث. ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو « إن فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء إلى الجنة بأربعين خريفاً » انتهى.

قلت: حديث أبي هريرة لفظه « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام » هكذا رواه أحمد، والترمذي وحسنه، وابن ماجه وهو في الحلية بلفظ « بيوم كان مقداره ألف عام » وقال: المؤمنين بدل المسلمين. وفي رواية له « يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام » وروى الحكيم من حديث سعيد بن عامر بن جذيم « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة سنة حتى أن الرجل من الاغنياء ليدخل في غمارتهم فيؤخذ بيده فيستخرج ». ورواه الطبراني في الكبير بلفظ « إن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل الناس بسبعين عاماً » وروى الديلمي من حديث أبي برزة إن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بمقدار أربعين عاماً حتى يتمنى أغنياء المسلمين يوم القيامة أنهم كانوا فقراء في الدنيا وأن أغنياء الكفار ليدخلون النار قبل فقرائهم بمقدار أربعين عاماً حتى يتمنى أغنياء الكفار أنهم كانوا في الدنيا فقراء » وفي سنده نفيع بن الحرث وهو متروك.

وفي الباب عن جابر، وابن عمر، وأبي الدرداء ولفظهم جميعاً « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً ».

فحديث جابر عند أحمد وعبد بن حميد والترمذي، وحديث ابن عمر وأبي الدرداء عند الطبراني في الكبير. وروى أحمد عن رجال من الصحابة بلفظ « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم باربعمائة عام » الحديث.

(وقال ﷺ: « يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل أغنيائهم فيتمتعون ويأكلون والآخرون جثاة على ركبهم فيقول: قبلكم طلبتي أنتم حكام الناس وملوكهم فأروني ماذا صنعتم فيما أعطيتكم ») قال العراقي لم أر له أصلاً.

قلت: روى أبو سعيد النقاش في كتاب القضاة من طريق عبدة بن عبد الرحيم المروزي عن بقية، حدثنا سلمة بن كلثوم عن أنس رفعه « يؤتى بالحكام يوم القيامة فمن قضى وتعدى فيقول: أنتم خزان أرضي ورعاء عبيدي وفيكم بغيتي » فساق الحديث وفيه فيقول « انطلقوا بهم فسدوا بهم ركناً من أركان جهنم » وعبدة قال أبو داود لا أحدث عنه، وسلمة شامي ثقة، وبقية روايته عن الشاميين مقبولة، وقد صرح في هذا الحديث بالتحديث.

(وبلغنا أن بعض أهل العلم قال: ما يسرني أن لي حمر النعم ولا أكون في الرعيل

مع محمد عليه السلام وحزبه. يا قوم فاستبقوا السباق مع المخفين في زمرة المرسلين عليهم السلام، وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله ﷺ وجل المتقين. لقد بلغني أن بعض الصحابة وهو أبو بكر رضي الله عنه عطش فاستسقى فأتي بشربة من ماء وعسل فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وأبكى، ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء، فلما أكثر البكاء قيل له: أكل هذا من أجل هذه الشربة؟ قال: نعم، بينا أنا ذات يوم عند رسول الله ﷺ وما معه أحد في البيت غيري، فجعل يدفع عن نفسه، وهو يقول: «إليك عني» فقلت له: فداك أبي وأمي ما أرى بين يديك أحداً فمن تخاطب؟ فقال: «هذه الدنيا تطاولت إلي بعنقها ورأسها فقالت لي: يا محمد خذني، فقلت: إليك عني، فقالت: إن تنج مني يا محمد فإنه لا ينجو مني من بعدك» فأخاف أن تكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول الله ﷺ. يا قوم فهؤلاء الأخيار بكوا وجلا

الأول مع محمد ﷺ وحزبه) رواه صاحب القوت عن سعيد بن عامر عن جذيم رضي الله عنه نحوه. (**يا قوم! فاستبقوا السباق مع المخفين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين**) أي خائفين (**من التخلف والانقطاع عن رسول الله ﷺ كما وجل المتقون. لقد بلغني أن بعض الصحابة عطش فاستسقى**) أي طلب (**فأتي بشربة من ماء وعسل**) أي ماء ممزوج بالعسل (**فلما ذاقه خنقته العبرة ثم بكى وأبكى**) الحاضرين، (**ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكاء، فما زال يبكي حتى مسح الدموع عن وجهه وذهب فتكلم فعاد في البكاء، فلما أكثر البكاء قالوا: كل هذا من أجل هذه الشربة؟ قال: نعم بينا أنا يوماً عند رسول الله ﷺ وما معه أحد في البيت غيري، فجعل يدفع عن نفسه ويقول: «إليك عني» فقلت له: فداك أبي وأمي ما أرى بين يديك أحداً فمن تخاطب؟ قال «هذه الدنيا تطاولت إليّ بعنقها ورأسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت: إليك عني» فقالت: أن تنج مني يا محمد فإنه لا ينجو مني من بعدك فأخاف أن تكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول الله ﷺ**). قال العراقي: رواه البزار والحاكم من حديث زيد بن أرقم قال: كنا عند أبي بكر فدعا بشراب فأتى بماء وعسل الحديث. قال الحاكم: صحيح الإسناد.

قلت: بل ضعيف وقد تقدم قبل هذا الكتاب انتهى.

قلت: وكأنه يشير إلى أن في سنده عبد الواحد بن زيد، حدثنا أسلم، عن مرة الطبيب، عن زيد ابن أرقم، وعبد الواحد بن زيد قال البخاري والنسائي متروك. وأخرجه أبو نعيم في الحلية من هذا الوجه، وقد تقدم سياقه. وقد روي نحو ذلك عن عمر رضي الله عنه رواه جعفر بن سليمان عن حوشب عن الحسن قال: أتى عمر بشربة عسل فذاقها فإذا ماء وعسل فقال: اعزلوا عني حسابها اعزلوا عني مؤنتها، وقد تقدم أيضاً. ويروى عن عمر أيضاً أنه قال: لولا مخافة طول الحساب لأمرت بجمل يشوى لنا في التنور.

أن تقطعهم عن رسول الله ﷺ شربة من حلال! ويحك أنت في أنواع من النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع؟ أف لك ما أعظم جهلك! ويحك فإن تخلفت في القيامة عن رسول الله ﷺ محمد المصطفى لتنظرن إلى أهوال جزعت منها الملائكة والأنبياء، ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق، ولئن أردت الكثرة لتصيرن إلى حساب عسير، ولئن لم تقنع بالقليل لتصيرن إلى وقوف طويل وصراخ وعويل، ولئن رضيت بأحوال المتخلفين لتقطعن عن أصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين، ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحتبسين في أهوال يوم الدين. فتدبر ويحك ما سمعت. وبعد؛ فإن زعمت أنك في مثال خيار السلف، قنع بالقليل، زاهد في الحلال، بذول لمالك، مؤثر على نفسك، لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئاً لغدك، مبغض للتكاثر والغنى، راض بالفقر والبلاء، فرح بالقلة والمسكنة، مسرور بالذل والضعة، كاره للعلو والرفعة قوي في أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك، قد حاسبت نفسك في الله، وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله ولن توقف في المسألة، ولن يحاسب مثلك من المتقين، وإنما تجمع المال الحلال للبذل

(يا قوم! فهؤلاء الاخيار بكوا وجلاً أن تقطعهم عن رسول الله ﷺ شربة من حلال. ويحك أنت في أنواع النعم والشهوات من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع. أف لك ما أعظم جهلك! ويحك فإن تخلفت في القيامة عن رسول الله ﷺ محمد المصطفى لتنظرن إلى أهوال)أي شدائد **(جزعت منها الملائكة والأنبياء)** عليهم السلام مع جلالة قدرهم، **(ولئن قصرت عن السباق فليطولن عليك اللحاق، ولئن أردت الكثرة)** من أعراض الدنيا **(لتصيرن إلى حساب عسير، ولئن لم تقنع بالقليل)**من الدنيا **(لتصيرن إلى وقوف طويل)** بين يدي رب جليل **(وصراخ وعويل، ولئن رضيت بأحوال المتخلفين لتنقطعن عن أصحاب اليمين وعن رسول رب العالمين ولتبطئن عن نعيم المتنعمين)** في دار النعيم، **(ولئن خالفت أحوال المتقين لتكونن من المحتبسين في أهوال يوم الدين تدبر. ويحك! ما سمعت)** واجعله في تامور قلبك لترشد.

(وبعد؛ فإن زعمت أنك في مثال خيار السلف قنع بالقليل زاهد في الحلال بذول لمالك) أي كثير الذل له، **(مؤثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيئاً لغدك مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر وبالبلاء، فرح بالقلة والمسكنة، مسرور بالذل والضعة. كاره للعلو والرفعة، قوي في أمرك لا يتغير عن الرشد قلبك. قد حاسبت نفسك في الله وأحكمت أمورك كلها على ما وافق رضوان الله، ولن توقف في المسألة ولا يحاسب مثلك من المتقين، وإنما تجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله. ويحك! أيها المغرور فتدبر الأمر واحسن النظر. أما**

في سبيل الله ، ويحك أيها المغرور فتدبر الأمر وأمعن النظر ، أما علمت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار. أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمسألة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أضعافاً. بلغنا عن بعض الصحابة أنه قال: لو أن رجلاً في حجره دنانير يعطيها والآخر يذكر الله لكان الذاكر أفضل. وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر قال: تركه أبر به. وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين، أحدهما ، طلب الدنيا حلالاً ، فأصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه. وأما الآخر فإنه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها ، فأيهما أفضل؟ قال: بعيد والله ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها. ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ، ولك في العاجل ان تركت الاشتغال بالمال، ان ذلك أروح لبدنك وأقل لتعبك وأنعم لعيشك وأرضى لبالك وأقل لهمومك. فما عذرك في جمع المال وأنت بترك المال أفضل ممن طلب المال لأعمال البر؟ نعم وشغلك بذكر الله أفضل من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل.

علمت أن ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب للذكر والتذكر والفكر والاعتبار أسلم للدين وأيسر للحساب وأخف للمسألـة وآمن من روعات القيامة وأجزل للثواب وأعلى لقدرك عند الله أضعافاً، بلغنا عن بعض الصحابة أنه قال: لو أن رجلاً في حجره دنانير يعطيها) للمحتاجين **(والآخر يذكر الله لكان الذاكر)** لله **(أفضل)** وهذا قد روي مرفوعاً من حديث أبي موسى الأشعري بلفظ «لو أن رجـلاً في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله كان الذاكر أفضل» رواه ابن شاهين في الترغيب في الذكر وفيه جابر أبو الوازع روى له مسلم، وقال النسائي: منكر الحديث.

(وسئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر. قال: تركه أبرّ به) رواه صاحب القوت عن الحسن. **(وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالاً فأصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه، وأما الآخر فإنه جانبها فلم يطلبها ولم يبذلها فأيهما أفضل؟ قال: بعيد والله ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها)** رواه صاحب القوت عن الحسن. **(ويحك! فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل إن تركت الاشتغال بالمال إن ذلك أروح لبدنك)** أي أكثر راحة له، **(وأقل لتعبك، وأنعم لعيشك، وأرضى لبالك)** أي لسرك **(وأقل لهمومك. فما عذرك في جمع المال وأنت بترك المال أفضل ممن طلب المال لأعمال البر. نعم وشغلك بذكر الله أفضل**

وبعد: فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تتأسى بنبيك إذ هداك الله به، وترضى ما اختاره لنفسه من مجانبة الدنيا، ويحك! تدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة الدنيا، فسر مع لواء المصطفى سابقاً إلى جنة المأوى. فإنه بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: « سادات المؤمنين في الجنة من إذا تغدى لم يجد عشاء، وإذا استقرض لم يجد قرضاً، وليس له فضل كسوة إلا ما يواريه، ولم يقدر على أن يكتسب ما يغنيه، يمسي مع ذلك ويصبح راضياً عن ربه ﴿فأولئك مع الذين أنعمَ اللهُ عليهِمْ من النبيينَ والصِّدِّيقينَ والشُهَدَاءِ والصالحين وحُسنَ أولئك رفيقاً﴾ [النساء: ٦٩] ألا يا أخي متى جمعت هذا المال بعد هذا البيان فإنك مبطل فيما ادعيت أنك للبر والفضل تجمعه، لا! ولكنك خوفاً من الفقر تجمعه، وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظم والتكرمة تجمعه، ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال. ويحك راقب الله واستح من دعواك أيها المغرور. ويحك إن كنت مفتوناً بحب

من بذل المال في سبيل الله، فاجتمع لك راحة العاجل) أي الدنيا **(مع السلامة والفضل في الآجل)** أي الآخرة.

(وبعد؛ فلو كان في جمع المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الأخلاق أن تتأسى) أي تقتدي **(بنبيك)** ﷺ **(إذ هداك الله به)** من الضلالة **(وترضى بما اختار)** هو **(لنفسه من مجانبة الدنيا)** وأعراضها والقناعة منها بالكفاف والبلغة. **(ويحك! تدبر ما سمعت)** ترشد، **(وكن على يقين أن السعادة والفوز في مجانبة الدنيا)** والإعراض عنها **(فسِرْ مع لواء المصطفى)** ﷺ **(سابقاً إلى جنة المأوى، فإنه بلغنا أن رسول الله** ﷺ **قال « سادات المؤمنين في الجنة)** أي رؤساؤهم فيها **(من إذا تغدى لم يجد عشاء وإذا استقرض لم يجد قرضاً وليس له فضل كسوة إلا ما يواريه ولا يقدر على أن يكتسب ما يغنيه، يمسي مع ذلك ويصبح راضياً عن ربه ﴿فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾)** قال العراقي: عزاه صاحب مسند الفردوس للطبراني من رواية أبي حازم عن أبي هريرة مختصراً بلفظ « سادة الفقراء في الجنة » الحديث ولم أره في معاجيم الطبراني اهـ.

قلت: ولعله في مكارم الأخلاق له.

(ألا يا أخي فمتى جمعت هذا المال من بعد هذا البيان. فإنك مبطل فيما ادعيت أنك للبر والفضل تجمعه. لا ولكنك خوفاً من الفقر تجمعه، وللتنعم والزينة والتكاثر والفخر والعلو والرياء والسمعة والتعظيم والتكرمة تجمعه، ثم تزعم أنك لأعمال البر تجمع المال. ويحك! راقب الله واستح من دعواك. أيها المغرور ويحك إن كنت مفتوناً بحب المال والدنيا

المال والدنيا فكن مقراً أن الفضل والخير في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول، نعم وكن عند جمع المال مزرياً على نفسك معترفاً بإساءتك وجلا من الحساب، فذلك أنجى لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجج لجمع المال. إخواني أعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجوداً وكانوا مع ذلك من أورع الناس وأزهدهم في المباح لهم، ونحن في دهر الحلال فيه مفقود، وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت وستر العورة فأما جمع المال في دهرنا فأعاذنا الله وإياكم منه.

وبعد؛ فأين لنا بمثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم؟ وأين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم؟ دهينا ورب السماء بأدواء النفوس وأهوائها، وعن قريب يكون الورود. فيا سعادة المخفين يوم النشور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط، وقد نصحت لكم إن قبلتم والقابلون لهذا قليل. وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته آمين. هذا آخر كلامه وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه. ويشهد لذلك جميع الأخبار التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا، وفي كتاب الفقر والزهد.

فكن مقراً) في نفسك **(أن الخير والفضل في الرضا بالبلغة)** من العيش **(ومجانبة الفضول)** وتقديمها بين يديك. **(نعم وكن عند جمع المال مزرياً على نفسك معترفاً باساءتك وجلاً من الحساب، فذلك أنجى لك وأقرب إلى الفضل من طلب الحجج)** والأدلة **(لجمع المال. اخواني إعلموا أن دهر الصحابة كان الحلال فيه موجوداً وكانوا مع ذلك من أورع الناس وأزهدهم في المباح لهم)** كما هو معروف لمن سبر سيرتهم، **(ونحن في دهر الحلال فيه مفقود، وكيف لنا من الحلال بمبلغ القوت وستر العورة)** ركن يواري، **(فأما جمع المال في دهرنا فأعاذنا الله وإياكم من ذلك.**

وبعد؛ فأين لنا مثل تقوى الصحابة وورعهم ومثل زهدهم واحتياطهم؟ وأين لنا مثل ضمائرهم وحسن نياتهم؟ دهينا ورب السماء) جل وعز **(بأدواء النفوس)** وأمراضها **(وأهوائها، وعن قريب يكون الورودَ فيا سعادة المخفين)** في حلهم **(يوم النشور وحزن طويل لأهل التكاثر والتخاليط)** في الأموال، **(وقد نصحت لكم إن قبلتم)** نصحي **(والقابلون لهذا قليل، لأن الدنيا استهوتهم وأسرتهم)** فلا يكادون يقبلون. **(وفقنا الله وإياكم لكل خير برحمته هذا آخر كلامه)** أي كلام الحرث بن أسد المحاسبي رحمه الله تعالى، **(وفيه كفاية في إظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد عليه. ويشهد لذلك)** أيضاً **(جميع الأخبار)** الواردة **(التي أوردناها في كتاب ذم الدنيا)** وقد سبق **(وفي كتاب الفقر والزهد)** كما سيأتي.

ويشهد له أيضاً ما روي عن أبي امامة الباهلي. أن ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله أدع الله أن يرزقني مالاً، قال: «يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، قال: «يا ثعلبة أما لك فيّ أسوة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة لسارت» قال: والذي بعثك بالحق نبياً لئن دعوت الله أن يرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، ولأفعلن ولأفعلن، قال رسول الله ﷺ: «اللهم أرزق ثعلبة مالاً» فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود، فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ما سواهما، ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة، وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة، وسأل رسول الله ﷺ عنه فقال: «ما فعل ثعلبة بن حاطب»؟ فقيل: يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة،

(**ويشهد له أيضاً ما روي عن أبي امامة**) صدي بن عجلان (**الباهلي**) رضي الله عنه: (**أن ثعلبة بن حاطب**)، وهما رجلان من الصحابة أحدهما ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد ابن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري. ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق في البدريين، وكذا ذكره ابن الكلبي وزاد أنه قتل بأحد، والثاني ثعلبة بن حاطب وأبي حاطب الأنصاري ذكره ابن اسحاق فيمن بنى مسجد الضرار. (**قال: يا رسول الله أدع الله أن يرزقني مالاً. قال: «يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» قال**) ثم أتاه فقال: (**يا رسول الله أدع الله أن يرزقني مالاً. فقال: «يا ثعلبة أما لك بي أسوة أما ترضى ان تكون مثل نبي الله أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة لسارت» قال: والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه ولأفعلن ولأفعلن**) يعني من صنائع المعروف والبر من التصدق وغيره. (**قال رسول الله ﷺ «اللهم ارزق ثعلبة مالاً» فاتخذ غنماً فنمت**) أي زادت وبورك في نسلها (**كما ينمو الدود**) إشارة إلى الكثرة، فإن الدود يتوالد كثيراً، (**فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها**) بغنمه، (**فنزل وادياً من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة**) مع النبي ﷺ (**ويدع ما سواهما**) لبعد الموضع، (**ثم نمت وكثرت فتنحى**) إلى واد آخر أبعد من الأول (**حتى ترك الصلوات في الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو**) وتكثر (**كما ينمو الدود**) ببركة دعوته ﷺ فاشتغل بها (**حتى ترك الجمعة**) أي حضورها في مسجد الجماعة لبعد المسافة أو الأشغال. (**وطفق يلقى الركبان**) المارين عليه (**يوم الجمعة فيسألهم عن الأخبار في المدينة. وسأل رسول الله ﷺ عنه فقال «ما فعل ثعلبة بن حاطب؟» فقيل: يا رسول الله اتخذ غنماً فضاقت عليه المدينة**) فخرج إلى الأودية (**وأخبر بأمره كله**) وفي رواية: فأخبروه

وأخبر بأمره كله، فقال: «يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأنزل الله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدَقةً تطهّرهم وتُزكّيهم بها وصلِّ عليهم إنَّ صلاتك سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من جهينة ورجلاً من بني سليم على الصدقة، وكتب لهما كتاباً بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين. وقال: «مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان ـ رجل من بني سليم ـ وخذا صدقاتهما. فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية! انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إليّ فانطلقا نحو السليمي فسمع بهما فقام إلى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة، ثم استقبلهما بها، فلما رأوها قالوا: لا يجب عليك ذلك وما نريد نأخذ هذا منك، قال: بلى خذوها نفسي بها طيبة، وإنما هي لتأخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال: أروني كتابكما، فنظر فيه فقال: هذه أخت الجزية! انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال: «يا ويح ثعلبة» قبل أن يكلماه. ودعا للسليمي فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي

بخبره. (فقال «يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة») ثلاث مرات (قال) الراوي: (وأنزل الله تعالى ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم إنَّ صلاتك سكن لهم﴾ وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من جهينة ورجلاً من بني سليم على) قبض (**الصدقة**) من أرباب المواشي (**وكتب لهم كتاباً**) بيَّن فيه أسنان الإبل والغنم، (**وأمرهما أن يخرجا فيأخذا الصدقة من المسلمين، وقال لهما: مرا بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما، فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ**) وفي رواية قال: أروني كتابكما فنظر فيه (**فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية**)! وفي رواية أخية الجزية. (**انطلقا حتى تفرغا**) من شأنكما (**ثم تعودا إليَّ، فانطلقا نحو السليمي**) وهو الرجل الذي من بني سليم، (**فسمع بهما فقام إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها، فلما رأياها قالا: لا يجب عليك هذا**) فإنه من خيار الأسنان، (**وما نريد أن نأخذ هذا منك**) وإنما نأخذ من وسط الأسنان. (**قال: بلى خذوها نفسي بها طيبة**) منشرحة، (**وإنما هي لتأخذوها**) وفي نسخة: وإنما هي لنا خذوها، (**فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرّا بثعلبة فسألاه الصدقة. فقال: أروني كتابكما، فنظر فيه فقال: هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي، فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ، فلما رآهما قال «يا ويح ثعلبة» قبل أن يكلماه ودعا للسليمي**) بالبركة، (**فاخبراه بالذي صنع ثعلبة، وبالذي صنع السليمي فأنزل الله في ثعلبة**) هذه الآيات ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من

فأنزل الله تعالى في ثعلبة: ﴿ومنهم من عاهَدَ الله لئِنْ آتانا مِنْ فضْلِه لنصدّقن ولنكونَنّ من الصالحِينَ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتوَلّوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدُوه وبما كانوا يكذبون﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٧] وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة، فسمع ما أنزل الله فيه، فخرج حتى أتى ثعلبة فقال: لا أم لك يا ثعلبة! قد أنزل الله فيك كذا، وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: «إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك» فجعل يحثو التراب على رأسه، فقال له رسول الله ﷺ: «هذا عملك أمرتك فلم تطعني» فلما أبى أن يقبل منه شيئاً رجع إلى منزله، فلما قبض رسول الله ﷺ جاء بها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه، وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه، وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمان، فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث.

فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ★ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ★ فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه بما كانوا يكذبون﴾ وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه، فخرج حتى أتى ثعلبة فقال: لا أم لك يا ثعلبة) هلكت (**قد أنزل الله فيك كذا وكذا**) وتلا عليه، (**فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ فسأله أن يقبل صدقته. فقال: «إن الله منعني ان أقبل منك صدقتك» فجعل يحثو التراب على رأسه**) ويبكي (**فقال له رسول الله ﷺ «هذا عملك**) قد (**أمرتك فلم تطعني» فلما أبى أن يقبل منه شيئاً رجع إلى منزله، فلما قبض رسول الله ﷺ جاء بها إلى أبي بكر الصديق**) فقال: يا أبا بكر قد عرفت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي وأن رسول الله ﷺ كان قد سخط عليَّ فاقبل أنت صدقتي، (**فأبى أن يقبلها منه**) حتى قبض، (**وجاء بها إلى عمر بن الخطاب**) فقال: يا أمير المؤمنين اقبل أنت صدقتي، (**فأبى أن يقبلها**) منه وقال: لم يقبلها منك رسول الله ولا أبو بكر فكيف أقبلها أنا؟ فقبض عمر وتولى عثمان (**وتوفي ثعلبة بعد خلافة عمر**) في أيام عثمان. (**فهذا طغيان المال وشؤمه وقد عرفته من هذا الحديث**).

ولفظ القوت: وأن في قصة ثعلبة بن حاطب عبرة لأولي الألباب الذين كشف عن قلوبهم الحجاب، فقير من فقراء الصفة الصالحين الأنصار ومن المهاجرين، أخرجه حب الدنيا إلى النفاق، وأدخله في العناد والشقاق، وغضب الله ورسوله عليه، فلم يقبل توبته ولا رحم عبرته، ولا أقال عثرته، وكان سبب ذلك حب الدنيا وإيثار الغنى على الفقر. نذكره ليعتبر معتبر ويزدجر مزدجر. رواه علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب فذكر نحو سياق المصنف وقال في آخره: فقد وتر ثعلبة المسكين بغناه، فأهلك بطغواه، واستدرج بماله فسقط به عن مقامه وحاله

ولأجل بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله ﷺ الفقر لنفسه ولأهل بيته حتى روي عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال: كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة

بماله، فحمله البخل وإيثار الكثرة والجمع على منع الصدقة وظلم أهلها، وترك إخراج حق الله تعالى منها، فعجز عن الفرض بعد أن كان ادعى القوة والنهوض بالفضل، وما كان ينقص من المال لو أخرج من كل مائة شاة شاة وهو عشر العشر إذا كثرت غنمه، وأن يخرج من خمسين ناقة حقة من الإبل، ومن أربعين بنت لبون وذلك خمس العشر إذا كثرت إبله، وربع العشر، وكان فيه رضا ربه وطهرة نفسه وزكاة ماله ولا يتبين نقصه من مزيد ماله، ولكن حضر شح نفسه وغاب يقين آخرته فأطاع الحاضر لفقد الغائب، وكان أمله قلة العناية وعدم الوقاية، فلم يوجد الفلاح وفقد الصلاح، ووجد البخل وظهر الخلف وبان الكذب وعزب الصدق ينتظم ما ذكرنا قوله تعالى ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ [النساء: ١٢٨] وقوله ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ وقوله ﴿لنصدقن ولنكونن من الصالحين﴾ مع قوله ﴿بخلوا به﴾ إلى قوله ﴿بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ فاعقبه ذلك النفاق إلى يوم التلاق، وجعل بابه حب الدنيا ومفتاح الطلب لها والحرص عليها، فحقت عليه الثلاث المهلكات، فاعتبروا يا أولي الألباب. إلى هنا كلام صاحب القوت.

ولنرجع إلى تخريج هذه القصة. قال العراقي: الحديث بطوله رواه الطبراني بسند ضعيف انتهى.

قلت: رواه أيضاً البغوي والبارودي، وابن شاهين، وابن السكن، وابن قانع كلهم في الصحابة، والديلمي وغيرهم كلهم في ترجمة ثعلبة بن حاطب بن عمرو الأوسي البدري من طريق معاذ بن رفاعة عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب وساقوا القصة نحو سياق المصنف.

قال الحافظ في الإصابة: وفي كون صاحب القصة إن صح الخبر ولا أظنه يصح هو البدري المذكور نظر، وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي أن البدري استشهد بأحد، ويقوّي ذلك أيضاً أن ابن مردويه روى في تفسيره من طريق عطية عن ابن عباس في الآية المذكورة قال: وذلك أن رجلاً يقال له ثعلبة بن أبي حاطب من الأنصار أتى مجلساً فأشهدهم فقال: لئن آتاني الله من فضله الآية، فذكر القصة بطولها فقال: إنه ثعلبة بن أبي حاطب، والبدري اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب، وقد ثبت أنه ﷺ قال «لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية» وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر: اعلموا ما شئتم فقد غفرت لكم، فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقاً في قلبه، وينزل به ما نزل، فالظاهر أنه غيره والله أعلم.

(ولأجل بركة الفقر وشؤم الغنى آثر رسول الله ﷺ الفقر لنفسه ولأهل بيته) فقد كان من دعائه «أعوذ بك من فتنة الفقر والغنى وأعوذ بك من غنى يطغى وفقر ينسى» **(حتى روي عن عمران بن الحصين)** رضي الله عنه **(أنه قال: كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة**

وجاه فقال: « يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاهاً فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ »؟ فقلت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقام وقمت معه حتى وقفت بباب منزل فاطمة فقرع الباب وقال: « السلام عليكم أأدخل »؟ فقالت: ادخل يا رسول الله. قال: « أنا ومنْ معي »؟ قالت: ومن معك يا رسول الله؟ فقال: « عمران بن حصين » فقالت: والذي بعثك بالحق نبياً ما علي إلا عباءة! فقال: « اصنعي بها هكذا وهكذا » وأشار بيده، فقالت: هذا جسدي قد واريته، فكيف برأسي؟ فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال: « شدي بها على رأسك » ثم أذنت له فدخل، فقال: « السلام عليك يابنتاه كيف أصبحت »؟ قالت: أصبحت والله وجعة وزادني وجعاً على ما بي إني لست أقدر على طعام آكله، فقد أجهدني الجوع فبكى رسول الله ﷺ وقال: « لا تجزعي يابنتاه فوالله ما ذقت طعاماً منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها: « أبشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة » فقالت: فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران؟ فقال: « آسية سيدة نساء عالمها، ومريم سيدة نساء عالمها، وخديجة سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك، إنكنَّ في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا صخب » ثم قال

وجاه، فقال « يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاهاً فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله) وكانت قد اشتكت. (**فقلت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فقام معه حتى وقف بباب منزل فاطمة)** رضي الله عنها (**فقرع الباب وقال « السلام عليكم أأدخل » فقالت)** وقد عرفت صوته: (**ادخل بأبي أنت وأمي يا رسول الله. قال « أنا ومن معي ». قالت: ومن منك يا رسول الله؟ فقال « عمران بن حصين ». فقالت: والذي بعثك بالحق ما عليّ الا عباءة. قال « اصنعي بها هكذا وهكذا » وأشار بيده فقالت: هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي؟ فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال « شدي بها على رأسك » ثم أذنت له فدخل فقال « السلام عليكم يا بنتاه كيف أصبحت؟ قالت: أصبحت والله وجعة وزاد مني وجعاً على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله، فقد أجهدني الجوع، فبكى رسول الله ﷺ وقال: « لا تجزعي يا بنتاه فوالله ما ذقت طعاماً منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولو سألت الله ربي لأطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا، ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها: « أبشري أنك لسيدة نساء أهل الجنة ». فقالت: فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران؟ فقال: « آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا**

لها: « اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوّجتك سيداً في الدنيا سيداً في الآخرة ». فانظر الآن إلى حال فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله ﷺ كيف آثرت الفقر وتركت المال؟ ومن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم، لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات، إذا قل ما فيه مع أداء الحقوق والتوقي من الشبهات والصرف إلى الخيرات اشتغال العمر بإصلاحه وإنصرافه عن ذكر الله، إذ لا ذكر إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال.

وقد روي عن جرير عن ليث قال: صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال: أكون معك وأصحبك، فانطلقا فانتهيا إلى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة، فأكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب ثم رجع فلم

صخب» ثم قال لها «اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوّجتك سيداً في الدنيا سيداً في الآخرة») وسيأتي هذا للمصنف بعينه في كتاب الزهد والفقر. قال العراقي: لم أجده من حديث عمران، ولأحمد والطبراني من حديث معقل بن يسار وضأت النبي ﷺ ذات يوم فقال: « هل لك في فاطمة تعودها » الحديث وفيه « أما ترضين أن زوجتك أقدم أمتي سلماً وأكثرهم علماً واعظمهم حلماً » واسناده صحيح انتهى.

قلت: وقد وجد بخط الكمال الدميري في نسخته قال: بل اسناده ضعيف فيه خالد بن طهمان شيعي مختلف فيه.

(**فانظر الآن إلى حال فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله ﷺ كيف آثرت الفقر وتركت المال**) حتى صبرت على الجوع وقنعت بعباءة لا تغطي رأسها، (**ومن راقب أحوال الأنبياء**) عليهم السلام (**والأولياء**) من بعدهم (**وأقوالهم وما ورد من أخبارهم وآثارهم**) في القناعة والزهد، (**لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده، وإن صرف إلى الخيرات**) ووجوه البر (**اذا قلَّ ما فيه أداء الحقوق**) لأربابها (**والتوقي من الشبهات**) في اكتسابه (**والصرف إلى الخيرات اشتغال العمر بإصلاحه**) وتنميته (**وإنصرافه عن ذكر الله إذ لا ذكر إلا مع الفراغ ولا فراغ مع شغل المال.**

وقد روي عن جرير) بن جازم بن زيد بن عبدالله الأزدي البصري كنيته أبو النضر وهو والد وهب ثقة مات سنة سبعين روى له الجماعة (**عن ليث**) بن أبي سليم الكوفي صدوق اختلط، روى له البخاري معلقاً ومسلم والأربعة (**قال: صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال: أكون معك أصحبك فانطلقا فانتهيا إلى شط نهر، فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف، فقام عيسى عليه السلام إلى النهر فشرب**) منه (**ثم رجع، فلم**

يجد الرغيف، فقال للرجل: من أخذ الرغيف؟ فقال: لا أدري، قال: فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها، قال: فدعا أحدهما فأتاه، فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذاك الرجل، ثم قال للخشف: قم بإذن الله فقام فذهب، فقال للرجل: أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟ فقال: لا أدري، ثم انتهيا إلى وادي ماء، فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء، فلما جاوزا قال له: أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟ فقال: لا أدري، فانتهيا إلى مفازة فجلسا، فأخذ عيسى عليه السلام يجمع تراباً وكثيباً ثم قال: كن ذهباً بإذن الله تعالى فصار ذهباً فقسمه ثلاثة أثلاث ثم قال: ثلث لي وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف فقال: أنا الذي أخذت الرغيف، فقال: كله لك، وفارقه عيسى عليه السلام، فانتهى إليه رجلان في المفازة ومعه المال فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه، فقال: هو بيننا أثلاثاً، فابعثوا أحدكم إلى القرية حتى يشتري لنا طعاماً نأكله، قال فبعثوا أحدهم فقال الذي بعث لأي شيء أقاسم هؤلاء هذا المال؟ لكني أضع في هذا الطعام سماً فأقتلهما وآخذ المال وحدي، قال: ففعل. وقال ذانك الرجلان لأي شيء نجعل لهذا ثلث المال؟ ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا، قال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا، فبقي ذلك المال في المفازة وأولئك

يجد الرغيف فقال للرجل: من أخذ الرغيف؟ فقال: لا أدري. قال: فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية معها خشفان لها، فدعا أحدهما فأتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل، ثم قال للخشف: قم بإذن الله فقام فذهب، فقال للرجل: أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟ فقال: ما أدري. قال: ثم انتهيا إلى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا قال له: أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف؟ قال: لا أدري. قال: فانتهيا إلى مفازة فجلسا فأخذ عيسى عليه السلام تراباً من كثيب فجمعه ثم قال: كن ذهباً بإذن الله فصار ذهباً فقسمه ثلاثة أثلاث فقال: ثلث لي وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغيف. فقال: أنا أخذت الرغيف. قال: فكله لك. قال: وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى إليه رجلان في المفازة ومعه المال فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه، فقال: هو بيننا أثلاثاً. قال: فابعثوا أحدكم إلى القرية حتى يشتري لنا طعاماً. قال: فبعثوا أحدهم، فقال الذي بعث لأي شيء أقاسم هؤلاء هذا المال، لكني أضع في هذا الطعام سماً فاقتلهما وآخذ المال وحدي. قال: ففعل، وقال ذلك الرجلان: لأي شيء نجعل لهذا ثلث المال، ولكن إذا رجع قتلناه واقتسمناه بيننا) انصافاً، **(فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام فماتا)** لأنه كان مسموماً، **(فبقي ذلك المال في المفازة وأولئك الثلاثة عنده**

الثلاثة عنده قتلى، فمر بهم عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لأصحابه: هذه الدنيا فاحذروها.

وحكي أن ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس بأيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبوراً، فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهائم، وقد قُيض لهم في ذلك معايش من نبات الأرض وأرسل ذو القرنين إلى ملكهم فقال له: أجب ذا القرنين، فقال: ما لي إليه حاجة، فإن كان له حاجة فليأتني! فقال: ذو القرنين صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له: أرسلت إليك لتأتيني فأبيت، فها أنا قد جئت، فقال لو كان لي إليك حاجة لأتيتك، فقال ذو القرنين: ما لي أراكم على حالة لم أرَ أحداً من الأمم عليها؟ قال وما ذاك؟ قال: ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها؟ قالوا: إنما كرهناهما لأن

قتلى، فمرَّ بهم عيسى عليه السلام على تلك الحال فقال لأصحابه: هذه الدنيا فاحذروها).

وقد رواه صاحب القوت مختصراً ولفظه: وفي اخبار عيسى عليه السلام أنه مرّ في سياحته ومعه طائفة من الحواريين بذهب مصبوب في أرض فوقف عليه ثم قال هذا القاتول فاحذروه، ثم جاز وأصحابه فتخلف ثلاثة لأجل الذهب فأقام اثنان عليه ودفعا إلى واحد شيئاً منه يشتري لهم من طيبات الدنيا من أقرب الأمصار إليهم، فوسوس اليهما العدوّ ترضيان أن يكون هذا المال بينكم اقتلا هذا فيكون المال بينكما نصفين، فاجمعا على قتله إذا رجع إليهما. قال: وجاء الشيطان إلى الثالث فوسوس إليه أرضيت لنفسك أن تأخذ ثلث المال اقتلهما فيكون المال كله لك. قال: فاشترى سماً فجعله في الطعام، فلما جاءهما به وثبا عليه فقتلاه، ثم قعدا يأكلان الطعام، فلمّا فرغا ماتا فرجع عيسى عليه السلام من سياحته، فنظر إليهم صرعى حول الذهب والذهب بحاله، فعجب أصحابه وقالوا: ما شأن هؤلاء قتلى؟ فأخبرهم بهذه القصة.

(وحكي أن ذا القرنين) اسكندر ابن الفيلسوف الرومي **(أتى على أمة من الامم)** في بعض سياحاته **(ليس في أيديهم شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم)** من الدراهم والدنانير **(قد احتفروا قبوراً. قال: فإذا أصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها وصلوا عندها و)** إذا جاعوا **(رعوا البقل)** من نبات الأرض **(كما ترعى البهائم، وقد قيض الله لهم في ذلك معايش من نبات الأرض فأرسل ذو القرنين إلى ملكهم)** أي رئيسهم الذي يحكم عليهم **(فقال له: أجب الملك ذا القرنين. فقال: ما لي إليه حاجة، فإن كانت له حاجة فليأتني، فقال ذو القرنين: صدق فأقبل إليه ذو القرنين وقال له: أرسلت إليك لتأتيني فأبيت، فها أنا ذا قد جئت. فقال له: لو كان لي إليك حاجة لأتيت، فقال له ذو القرنين: ما لي أراكم على الحال التي لم أر أحداً من الأمم عليها؟ وما ذاك؟ قال: ليس لكم دنيا ولا شيء أفلا**

أحداً لم يعط منها شيئاً إلا تاقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه. فقال: ما بالكم قد احتفرتم قبوراً فإذا أصبحتم تعاهدتموها فكنستموها وصليتم عندها؟ قالوا: أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل. قال: وأراكم لا طعام لكم إلا البقل من الأرض أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وركبتموها فاستمتعتم بها؟ قالوا: كرهنا أن نجعل بطوننا قبوراً لها ورأينا في نبات الأرض بلاغاً. وإنما يكفي ابن آدم أدنى العيش من الطعام وأي ما جاوز الحنك من الطعام لم نجد له طعماً كائناً ما كان من الطعام؟ ثم بسط ملك تلك الأرض يده خلف ذي القرنين فتناول جمجمة، فقال: يا ذا القرنين أتدري من هذا؟ قال: لا. ومن هو؟ قال: ملك من ملوك الأرض أعطاه الله سلطاناً على أهل الأرض فغشم وظلم وعتا، فلما رأى الله سبحانه ذلك منه حسمه بالموت فصار كالحجر الملقى، وقد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال: يا ذا القرنين هل تدري من هذا؟ قال: لا أدري ومن هو؟ قال: هذا ملك ملكه الله بعده، قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر، فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل في أهل مملكته، فصار كما ترى قد أحصى الله

اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها؟ قالوا: إنما كرهناها لأن أحداً لم يعط منها شيئاً إلا تاقت نفسه ودعته إلى ما هو أفضل منه، فقال: ما بالكم احتفرتم قبوراً، فإذا أصبحتم تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها؟ قالوا: أردنا إذا نظرنا إليها وأملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الأمل) فهي معينة على ذكر الموت وقاطعة للأمل **(قال: وأراكم لا طعام لكم إلا البقل في الأرض أفلا اتخذتم البهائم من الأنعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها؟ فقالوا: كرهنا أن نجعل بطوننا قبوراً لها، ورأينا في نبات الأرض بلاغاً وإنما يكفي ابن آدم أدنى العيش من الطعام)** قدر ما يبلغه، **(وإن ما جاوز الحنك)** أي داخل الفم **(من الطعام لم نجد له طعماً كائناً ما كان من الطعام، ثم بسط ملك تلك الأرض يده من خلف ذي القرنين فتناول جمجمة)** بالضم عظم الرأس **(فقال: يا ذا القرنين أتدري من هذا؟ قال: لا ومن هو؟ قال: ملك من ملوك الأرض اعطاه الله سلطاناً على أهل الأرض فغشم)** أي جار **(وظلم وعتا)** وتمرد، **(فلما رأى الله عز وجل ذلك منه حسمه بالموت)** أي قطعه أو كواه، **(فصار كالحجر الملقى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه في آخرته)** بما عمل في دنياه، **(ثم تناول جمجمة أخرى بالية فقال: يا ذا القرنين هل تدري من هذا؟ قال: لا ومن هو؟ قال: هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر، فتواضع وخشع لله عز وجل وأمر بالعدل في أهل مملكته ثم مات فصار كما ترى قد أحصى**

عليه عمله، حتى يجزيه به في آخرته. ثم أهوى إلى جمجمة ذي القرنين فقال: وهذه الجمجمة كأن قد كانت كهذين فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانع؟ فقال له ذو القرنين: هل لك في صحبتي فأتخذك أخاً ووزيراً وشريكاً فيما آتاني الله من هذا المال؟ قال: ما أصلح أنا وأنت في مكان ولا أن نكون جميعاً، قال ذو القرنين: ولِمَ؟ قال: من أجل أن الناس كلهم لك عدو ولي صديق، قال: ولِمَ؟ قال: يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا! ولا أجد أحداً يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشيء قال: فانصرف عنه ذو القرنين متعجباً منه ومتعظاً به فهذه الحكايات تدلك على آفات الغنى مع ما قدمناه من قبل، وبالله التوفيق.

تم كتاب ذم المال والبخل بحمد الله تعالى وعونه ويليه كتاب ذم الجاه والرياء.

الله **عليه عمله حتى يجزيه به في آخرته)** مما عمل به في دنياه، **(ثم أهوى إلى جمجمة ذي القرنين فقال: وهذه الجمجمة كأن قد صارت كهاتين، فانظر يا ذا القرنين ما أنت صانع)** من الخير والشر؟ **(فقال له ذو القرنين لما استحسن كلامه: هل لك في صحبتي فاتخذك أخاً ووزيراً وشريكاً فيما آتاني الله من هذا المال؟ قال: ما اصلح أنا وانت في مكان ولا أن نكون جميعاً. قال ذو القرنين: ولم)** ذلك؟ **(قال: من أجل أن الناس كلهم لك عدوّ ولي صديق. قال: ولم؟ قال: يعادونك لما في يديك من الملك والمال والدنيا ولا أجد أحداً يعاديني لرفضي لذلك)** أي تركي اياه **(و)** ورفضي(**لما عندي من الحاجة وقلة الشيء. قال: فانصرف عنه ذو القرنين متعجباً منه ومتعظاً به)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا.

(فهذه الحكايات) التي أوردناها **(تدلك على آفات الغنى)** وأخطاره **(مع ما قدمناه من قبل)** في كتاب ذم الدنيا **(إن شاء الله تعالى)**، وبه تم كتاب ذم البخل وحب المال، والحمد لله والمنه والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه. وكان الفراغ منه في صبيحة نهار الثلاثاء سادس عشر ربيع الأول من شهور سنة مائتين بعد الألف على يد مؤلفه أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه ولجميع المسلمين بمنه وكرمه آمين.

(تم الجزء التاسع ويليه إن شاء الله الجزء العاشر
وأوله كتاب ذم الجاه والرياء)

كتاب ذم الجاه والرياء
وهو الكتاب الثامن من ربع المهلكات
من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً الله ناصر كل صابر

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره، وسبباً للمزيد من فضله، ودليلاً على آلائه وعظمته أحمده إلى نفسه كما استحمده إلى خلقه، جعل لكل شيء قدراً، ولكل قدر أجلاً، ولكل أجل كتاباً، واشهد أن لا إله إلا الله غير معدول به، ولا مشكوك فيه، ولا مكفور دينه، ولا مجحود تكوينه شهادة من صدقت نيته، وصفت دخلته، وخلص يقينه، وثقلت موازينه، واشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفية وخليله، أمين وحيه وخاتم رسله وبشير رحمته، ونذير نقمته، بعثه بالنور المضي، والبرهان الجلي، والمنهاج البادي، والكتاب الهادي، فاظهر به الشرائع المجهولة، وقمع به البدع المدخولة، وبين به الأحكام المفصولة ﷺ وعلى آله مصابيح الدجا، وأصحابه ينابيع الهدى وسلم تسليماً كثيراً وبعد فهذا شرح:

كتاب ذم الجاه والرياء

؛هو الثامن من الربع الثالث من كتاب الإحياء للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد ابن محمد الغزالي بوّأه الله في جنانه القصور المشرفة العوالي، أودعت فيه جلاً من فوائد من صدور القوم مستفاده وكشفت غررا من مطاوي متونه مستجاده، مقتطفاً من رياض المعارف اليانعة الأزهار، ممتطيا غارب سنام التوشيح البادي الأسفار، سالكاً محجة الاختصار النافع المفيد، مجتنباً طيَ مراحل التطويل والتعقيد، وعلى الله الإعانة في حسن الإبانة، فما اسعد عبدا وفقه مولاه وأعانه انه بكل خير ملي وبالفضل جدير، وهو على كل شيء قدير.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علام الغيوب، المطلع على سرائر القلوب، المتجاوز عن كبائر الذنوب، العالم بما تجنه الضمائر من خفايا الغيوب، البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات، الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كمل ووفى وخلص عن شوائب الرياء والشرك وصفا، فإنه المنفرد بالملكوت والملك، فهو أغنى الأغنياء عن الشرك. والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه المبرئين من الخيانة والإفك، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فقد قال رسول الله ﷺ: « إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة

بسم الله الرحمن الرحيم

(**الحمد لله علام الغيوب**) جمع الغيب وهو ما غاب عن الحس ولم يكن عليه علم يهتدى به العقل ليحصل به العلم، (**المطلع على سرائر القلوب**) وفي بعض النسخ أسرار القلوب، والسريرة والسر بمعنى واحد، (**المتجاوز عن كبائر الذنوب**) أي المسامح عنها بفضله والكبائر منها سيأتي التفصيل في حدّها، (**العالم بما تجنه**) أي تخفيه (**الضمائر**) جمع ضمير وهو داخل القلب (**من خفايا العيوب**) أي الباطنة منها، وبين العيوب والغيوب جناس تصحيف، (**البصير بسرائر النيات وخفايا الطويات**) جمع الطوية فعيلة من الطي والمراد بها هنا باطن القلب، (**الذي لا يقبل من الأعمال إلا ما كمل ووفى وخلص من شوائب الرياء والشرك وصفا**)، فشرط القبول في العمل كما له بشروطه المعتبرة وتوفيته بحقوقه وخلوصه من شائبة الرياء والسمعة وخفي الشرك وما لم يكن كذلك فهو مردود على صاحبه، وقد وردت بذلك اخبار سأتي ذكر بعضها، (**فإنه المنفرد بالملكوت والملك**) وهما عالمان فالملكوت هو عالم الغيب المختص بأرواح النفوس والملك هو عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية، (**وهو أغنى الأغنياء عن الشرك**). روى مسلم وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه. وعند ابن جرير في التهذيب، والبزار في المسند بلفظ: قال الله عز وجل من عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا أغنى الشركاء عن الشرك. (**والصلاة على**) سيدنا (**محمد وآله وصحبه المبرئين**) أي المنزهين (**من الخيانة**) وهي مخالفة الحق بنقض العهد في السير (**والإفك**) بالكسر وهو كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه، (**وسلم**) تسليماً (**كثيراً**).

(**أما بعد؛ فقد قال رسول الله ﷺ: « إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية »**) المشهور المتلقى ان قوله: والشهوة معطوف على ما قبله ويمكن نصب الشهوة وجعل الواو

الخفية والرياء من الشهوة الخفية التي هي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء » ، ولذلك عجز عن الوقوف على غوائلها سماسرة العلماء فضلاً عن

بمعنى « مع » أي الرياء مع الشهوة الخفية للمعاصي، فكأنه يرائي الناس بتركه المعاصي والشهوة في قلبه مخبأة وهو وجه حسن، وقيل: الرياء ما ظهر من العمل والشهوة الخفية حب اطلاع الناس على العمل. قال العراقي: رواه ابن ماجه والحاكم من حديث شداد بن اوس وقالا : الشرك بدل الرياء وفسراه بالرياء . قال الحاكم: صحيح الإسناد .

قلت: بل ضعيفه وهو عند ابن المبارك في الزهد، ومن طريقه البيهقي في الشعب بلفظ المصنف انتهى.

قلت: رواه ابن ماجه من طريق رواد بن الجراح، عن عامر بن عبد الله، عن الحسن بن ذكوان، عن عبادة، عن شداد ولفظه « إن اخوف ما أخاف على أمتي ان تشرك بالله أما إني لست أقول يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولكن أعمالاً لغير الله وشهوة خفية » وفي لفظ « اتخوّف » بدل « اخاف » « وتعبد » بل « تعبدون ». ومن هذا الوجه رواه أبو نعيم في الحلية. ورواد ضعفه الدارقطني، وعامر قال المنذري لا يعرف، والحسن بن ذكوان قال أحمد أحاديثه بواطيل. وقد رواه أحمد وزاد فيه قيل، وما الشهوة الخفية؟ قال « يصبح احدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهوات الدنيا فيفطر ».

قال العراقي: وهو حديث لا يصح ففي إسناده عبد الواحد بن زياد وهو ضعيف قال: وبتقدير صحته فابطاله صومه لأجل شهوته مكروه بخلافه لأمر مشروع عن زائر وعارض فلا تعارض بينه وبين خبر الصائم المتطوّع أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء افطر انتهى.

وروى أحمد من حديث محمود بن لبيد: « إن اخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ».

ورواه الطبراني في الكبير بنحوه إلا أنه قال: عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج.

(« والرياء من الشهوات الخفية التي هي أخفى من دبيب) أي حركة مشي **(النملة السوداء على الصخرة الصماء)** التي لا تجيب الصدى **(في الليلة الظلماء »)** وصف النملة بالسوداء لإرادة المبالغة في الخفاء لأنها لا ترى حينئذ، وقد ورد هكذا في الشرك الخفي، وفي حديث ابن عباس « الشرك أخفى في أمتي من دبيب الذر على الصفا » رواه أبو نعيم في الحلية، ورواه البزار من حديث عائشة بلفظ « من دبيب النمل على الصفا » وعند هناد وأبي يعلى من حديث أبي بكر « الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل ».

(ولذلك عجز عن الوقوف على غوائله) أي مهالكه **(سماسرة العلماء)** أي نقادهم

عامة العباد والأتقياء، وهو من أواخر غوائل النفس وبواطن مكايدها. وإنما يبتلي به العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك سبيل الآخرة، فإنهم مهما قهروا أنفسهم وجاهدوا وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العمل والعلم، فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم، فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى إطلاع الخلق ولم تقنع بإطلاع الخالق، وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده، وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه الشهوات وتوقيه الشبهات وتحمله مشاق العبادات أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء وبالغوا في التقريظ والإطراء ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركته ودعائه، وحرصوا على إتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام، وأكرموه في المحافل غاية الإكرام، وسامحوه في البيع والمعاملات، وقدموه في المجالس وآثروه بالمطاعم والملابس، وتصاغروا له

(**فضلاً عن عامة العباد**) جمع عابد (**والأتقياء، وهو من أواخر غوائل النفس**) خروجاً منها (**وبواطن مكائدها**) التي لا يطلع عليها سوى من خلقها، (**وإنما يبتلى بها العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة**) وفي نسخة سبيل الآخرة، (**فإنهم مهما قهروا أنفسهم**) بالرياضات (**وجاهدوها**) بالاختبارات(**وفطموها عن**) ثدي (**الشهوات وصانوها عن الشبهات أي عن الاقتحام فيها وحملوها بالقهر على أصناف العبادات، عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح**) فإنها لا تكاد تخطر له ببال وقد انسد بابها عليه، (**فطلبت الاستراحة**) السكون (**إلى التظاهر بالخير وإظهار العمل والعلم فوجدت مخلصة من**) ألم (**مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم، فسارعت إلى إظهار الطاعة وتوصلت إلى إطلاع الخلق**) عليها، (**ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده**) بل ارادت ضم حمد الناس إليه، (**وعلمت انهم إذا عرفوا تركه الشهوات**) النفسية (**وتوقيه الشبهات**) في المعاملة (**وتحمله مشاق العبادات**) من صوم في أيام الصيف وطول قيام في الصلوات وملازمة المساجد وغيرها، (**اطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء بالغوا في التقريظ**) وهو المدح على الحي كما أن الرثاء المدح على الميت (**والإطراء**) المبالغة في المدح، (**ونظروا إليه بعين التوقير والاحترام وتبركوا بمشاهدته ولقائه، ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا على اتباع رأيه وفاتحوه بالخدمة والسلام**) والمثول بين يديه، (**وأكرموه في المحافل**) العامة (**غاية الإكرام**) وأشير إليه بالبنان (**وسامحوه في البيع**) والشراء (**والمعاملات**) الدنيوية، (**وقدموه**) على غيره

متواضعين وانقادوا له في أغراضه موقرين فأصابت النفس في ذلك لذة هي أعظم اللذات وشهوة هي أغلب الشهوات، فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لإدراكها في الباطن لذة اللذات وشهرة الشهوات، فهو يظن أن حياته بالله وبعبادته المرضية، وإنما حياته بهذه الشهوة الخفية التي تعمي عن دركها العقول النافذة القوية، ويرى أنه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله، والنفس قد أبطنت هذه الشهوة تزييناً للعباد وتصنعاً للخلق وفرحاً بما نالت من المنزلة والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجود الأعمال، وقد أثبتت إسمه في جريدة المنافقين وهو يظن أنه عند الله من المقربين، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون، ومهواة لا يرقى منها إلا المقربون ولذلك قيل: آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة.

وإذا كان الرياء هو الداء الدفين الذي هو أعظم شبكة للشياطين، وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والحذر منه، ويتضح الغرض منه في

(**في المجالس، وآثروه بالمطاعم والملابس، وتصاغروا**) أي تذللوا (**متواضعين وانقادوا إليه في أغراضه موقرين**) أي معظمين، (**فأصابت النفس من ذلك لذة**) معنوية (**هي أعظم اللذات**) وأهنؤها (**وشهوة هي أغلب الشهوات**) وأقواها، (**واستحقرت منها ترك المعاصي والهفوات**) أي الزلات (**واستلانت خشونة المواظبة على العبادات**) الظاهرة (**لإدراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة الشهوات، وهو يظن**) في نفسه مع ذلك (**أن قيامه بالله و**) أن قيامه (**بعباداته المرضية**) عند الله، (**وإنما قيامه**) في الحقيقة (**بهذه الشهوة الخفية التي يعمى عن دركها**) ويفحم عن سبرها (**الا العقول**) الكاملة (**النافذة**) بصيرتها (**القوية**) من نورها، (**ويرى أنه مخلص في طاعة الله ومجتنب لمحارم الله، والنفس قد أبطنت هذه الشهوة**) واتخذتها (**تزييناً للعبادة وتصنعاً للخلق وفرحاً بما نالت من المنزلة**) عندهم (**والوقار وأحبطت بذلك ثواب الطاعات وأجور الأعمال**) لعدم الاخلاص فيها، (**وأثبتت اسمه في جريدة المنافقين**)الذين يبطنون خلاف ما يظهرون (**وهو يظن أنه عند الله من المقربين**) من ظفره الالهية، (**وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون، ومهواة لا يرقى عنها إلا المقربون**) ممن عصمهم الله تعالى بتوفيقه، (**ولذلك قيل: آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرئاسة**) كما نقله القشيري وصاحب القوت. (**وإذا كان الرياء هو الداء الدفين**) أي المدفون في باطن القلب (**الذي هو أعظم شبكة الشياطين**) الذين يصطادون بها الرجال، (**وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجاته وأقسامه وطرق معالجته والحذر منه، وينصح الغرض منه في ترتيب الكتاب على شطرين**).

ترتيب الكتاب على شطرين؛ **الشطر الأول: في** حب الجاه والشهرة، وفيه بيان ذم الشهرة وبيان فضيلة الخمول، وبيان ذم الجاه، وبيان معنى الجاه وحقيقته، وبيان السبب في كونه محبوباً أشد من حب المال، وبيان أن الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي، وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم، وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهية الذم، وبيان العلاج في حب الجاه وبيان علاج حب المدح، وبيان علاج حب كراهة الذم، وبيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم. فهي اثنا عشر فصلاً منها تنشأ معاني الرياء فلا بد من تقديمها والله الموفق للصواب بلطفه ومنّه وكرمه.

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت:

اعلم أصلحك الله أن أصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم، بل المحمود الخمول إلا من شهرة الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه. قال أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «حسب امرىء من الشر أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه إلا من عصمه الله»، وقال جابر بن عبدالله: قال رسول الله

(الشطر الأول) منه: **(في حب الجاه والشهرة، وفيه بيان ذم الشهرة، وبيان فضيلة الخمول، وبيان ذم الجاه، وبيان معنى الجاه وحقيقته، وبيان السبب في كونه محبوباً حباً أشد من حب المال، وبيان أن الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي، وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم، وبيان السبب في حب المدح والثناء وكراهة الذم، وبيان اختلاف أحوال الناس في الذم والمدح، فهي اثنا عشر فصلاً منها تنشأ معاني الرياء فلا بدّ من تقديمها)** والله الموفق للصواب بلطفه وكرمه.

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت:

(اعلم) هداك الله بنور اليقين **(أن أصل الجاه)** مقلوب الوجه وقد وجه وجاهة فهو وجيه إذا كان له حظ ورؤية ومنه وجوه القوم ساداتهم وله جاه **(هو انتشار الصيت)** في الناس، والصيت بالكسر الذكر الجميل **(وهو مذموم بل المحمود الخمول)** وهو خفاء القدر والذكر، **(إلا من شهرة الله تعالى لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه، قال أنس)** رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ «حسب امرىء من الشر)** أي يكفيه منه في أخلاقه ومعاشه ومعاده **(إلا من عصمه الله أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه»)** لأنه إنما يشار إليه في دين لكونه أحدث بدعة عظيمة فيشار إليه بها، وفي دنيا لكونه أحدث منكراً من الكبائر غير متعارف بينهم، بخلاف ما يقارب الناس فيه ككثرة صلاة أو صوم فليس محل إشارة ولا تعجب لمشاركة غيره له، فأشار في هذا الحديث بالإشارة بالأصابع إلى أنه عبد هتك الله ستره **فهو في**

ﷺ : « حسب المرء من الشر إلا من عصمه الله من السوء أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه. إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » ، ولقد

الدنيا في عار وغداً في النار ، ومن ستره الله في هذه الدار لم يفضحه في دار القرار . قال العراقي : رواه البيهقي في الشعب بسند ضعيف انتهى.

قلت : رواه باسناد فيه ابن لهيعة وحاله معلومة ويوسف بن يعقوب ، فإن كان النيسابوري فقد قال أبو علي الحافظ : ما رأيت بنيسابور من يكذب غيره ، وإن كان القافي باليمن فمجهول ، ثم أن لفظ البيهقي « بحسب امرىء من الشر أن يشار إليه بالاصابع في دين أو في دنيا إلا من عصمه الله » . ورواه كذلك الطبراني في الأوسط ، وللبيهقي أيضاً من حديث أبي هريرة فيه عندهما عبد العزيز بن حصين ضعفه يحي والناس ، وقد رواه البيهقي بسند آخر فيه كلثوم بن محمد بن أبي سروة . قال الذهبي ، قال أبو حاتم : تكلموا فيه . وقد رواه أيضاً الحكيم في النوادر عن الحسن مرسلاً .

(وقال جابر بن عبد الله) رضي الله عنه : **(قال رسول الله ﷺ « حسب المرء من الشر إلا من عصمه الله من السوء أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه . إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وإلى أعمالكم »)** قال العراقي : هو غير معروف من حديث جابر ، معروف من حديث أبي هريرة . رواه الطبراني في الأوسط ، والبيهقي في الشعب بسند ضعيف مقتصرين على أوّله ، ورواه مسلم مقتصراً على الزيادة التي في آخره . وروى الطبراني ، والبيهقي في الشعب أوّله من حديث عمران بن حصين بلفظ « كفى بالمرء إثماً » . ورواه ابن يونس في تاريخ الغرباء من حديث ابن عمر بلفظ : هلاك بالرجل وفسر دينه بالبدعة ودنياه بالفسق واسنادهما ضعيف اهـ .

قلت : لفظ الطبراني ، والبيهقي قد ذكر قبله ، وأن البيهقي رواه من طريقين كل منهما ضعيف ، وأما تلك الزيادة التي رواها مسلم ، فقد رواها كذلك أحمد ، وابن ماجه من حديث أبي هريرة بزيادة « وأموالكم » بعد « وصوركم » ورواه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات وابن عساكر من حديث أبي أمامة . ورواها هناد في الزهد عن الحسن مرسلاً . ورواها الحكيم في النوادر عن يحي بن أبي كثير مرسلاً .

وأما حديث عمران بن حصين فلفظه عند الطبراني في الكبير « كفى بالمرء من الشر أن يشار إليه بالأصابع » وفي رواية له : « كفى بالمرء من الإثم » وفيه زيادة قالوا : يا رسول الله وإن كان خيراً فهو شر له إلا من رحمه الله وان كان شرا فهو شر له . وقد رواه الرافعي في تاريخ قزوين وقال : كذا في النسخة ، وربما كانت اللفظة فهو شر له إلا من رحمه الله .

وأما حديث ابن عمر ، فرواه الديلمي بلفظ « كفى بالمرء من الشر أن يشار إليه بالاصابع في

ذكر الحسن رحمه الله للحديث تأويلاً ، لا بأس به إذ روي هذا الحديث فقيل له : يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع فقال : إنه لم يعن هذا وإنما عني به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه . وقال علي كرّم الله وجهه : تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم ، واكتم وأصمت تسلم ، تسر الأبرار وتغيظ الفجار . وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : ما صدق الله من أحب الشهرة . وقال أيوب السختياني : والله ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه . وعن خالد بن معدان . إنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة . وعن أبي العالية : إنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام . ورأى طلحة قوماً يمشون معه نحواً من عشرة فقال : ذباب طمع وفراش نار . وقال سليم بن حنظلة : بينا نحن حول أبي بن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر فعلاه بالدرة . فقال :

دينه بفسق أو في دنياه أن يعطيه إلا من عصمه الله مالاً ولا يصل به رحماً ولا يعطى حقه » ورواه بهذا اللفظ الحكيم في تاريخه من حديث أنس .

(**وقد ذكر الحسن**) البصري رحمه الله تعالى (**للحديث تأويلاً لا بأس به إذ روى هذا الحديث فقيل له : يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع . فقال : إنه لم يعن هذا وإنما عني به المبتدع في دينه**) فإنه لا يشار إليه إلا إذا أحدث في الدين بدعة عظيمة تكون سبب الإشارة كما يقولون : خالف تعرف . (**والفاسق في دنياه**) بأن أحدث منكراً من الكبائر ، وهذا التأويل ذكره الحكيم في نوادر الأصول ، وقد روى نحوه مرفوعاً من حديث أنس وابن عمر كما تقدم قبله . (**وقال علي رضي الله عنه : تبذل ولا تشهر**) نفسك (**ولا ترفع شخصك لتعلم**) وفي نسخة لتذكر وتعلم ، (**واكتم**) أمرك (**واصمت تسلم تسر الأبرار وتغيظ الفجار . وقال إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى : (**ما صدق الله من أحب الشهرة**) أخرجه أبو نعيم في الحلية . (**وقال أيوب**) بن أبي تميمة السختياني البصري رحمه الله تعالى : (**والله ما صدق الله عبد إلا سره أن لا يشعر بمكانه**) رواه أبو نعيم في الحلية ، عن عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا أحمد بن الحسين ، حدثنا أحمد بن إبراهيم ، حدثني أحمد بن كردومن ، حدثنا مخلد ، عن أبي بكر بن المفضل قال : سمعت أيوب يقول فساقه . (**وعن**) أبي عبد الله (**خالد بن معدان**) الكلاعي الحمصي ثقة عابد ، وكان يسبّح في اليوم والليلة أربعين ألف تسبيحة سوى ما كان يقرأ من القرآن ، مات سنة ثلاث ومائة ، روى له الجماعة (**أنه كان إذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة ، وعن أبي العالية**) رفيع بن مهران الرياحي ثقة روى له الجماعة ، (**أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام**) من مجلسه أي مخافة الشهرة . (**ورأى طلحة**) بن عبد الله التيمي القرشي أحد العشرة رضي الله عنه (**قوماً يمشون معه أكثر من عشرة**) وفي نسخة نحواً من عشرة (**فقال : ذباب طمع وفراش نار**) شبههم بالذباب والفراش لتهالكهما على الطعام والنار . (**وقال سليم بن حنظلة : بينما نحن حول أبيّ بن كعب**) رضي الله عنه (**نمشي خلفه إذ رآه عمر رضي الله عنه**

أنظر يا أمير المؤمنين ما تصنع؟ فقال: إن هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع، وعن الحسن؛ قال: خرج ابن مسعود يوماً من منزله فاتبعه ناس فالتفت إليهم فقال: علامَ تتبعوني فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بأبي ما اتبعني منكم رجلان. وقال الحسن: إن خفق النعال حول الرجال قلما تلبث عليه قلوب الحمقى. وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال: هل لكم من حاجة؟ وإلا فما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن. وروي أن رجلاً صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال: أوصني، فقال: إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى إليك وتسأل ولا تُسأل فافعل. وخرج أيوب في سفر فشيعه ناس كثيرون فقال: لولا إني أعلم أن الله يعلم من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله عز وجل. وقال معمر: عاتبت أيوب على طول قميصه فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت في

فعلاه بالدرة، فقال) أي: **(يا أمير المؤمنين أنظر ماذا تصنع. فقال: إن هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع)**، وقد وقع مثل ذلك لعلي رضي الله عنه لما ورد الكوفة قادماً من صفين وتبعه الحرث بن شرحبيل الشامي، وكان من وجوه قومه ماشياً خلفه وهو رضي الله عنه راكب، فقال له: ارجع فإن مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن. **(وعن الحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(قال: خرج ابن مسعود)** رضي الله عنه **(يوماً من منزله فتبعه ناس، فالتفت اليهم فقال: علام تتبعوني، فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما تبعني منكم رجلان)** نقله صاحب القوت، وفي رواية قال لهم: ارجعوا فإنه ذل للتابع وفتنة للمتبوع. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(إن خفق النعال حول الرجال قلما تثبت معه قلوب الحمقى)** نقله صاحب القوت، **(وخرج الحسن)** رحمه الله تعالى **(ذات يوم فاتبعه قوم فقال: هل لكم من حاجة؟ وإلا فما عسى أن يبقى هذا من قلب المؤمن)** نقله صاحب القوت. **(وروى أن رجلاً صحب ابن محيريز)** هو عبد الله بن محيريز بن جنادة بن وهب الجمحي المكي نزل بيت المقدس تابعي ثقة عابد مات سنة تسع وتسعين روى له الجماعة **(في سفر، فلما فارقه قال: أوصني، قال: إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى إليك)** وفي نسخة حواليك وفي نسخة أخرى معك وإليك، **(وتسأل ولا تُسأل فافعل)**. وقال الزهري: ما رأينا الزهد في شيء أقل منه في الرئاسة ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال، فإذا نوزع الرئاسة حامي إليها وعادي، **(وخرج أيوب)** بن أبي تميمة السختياني **(في سفر فشيعه ناس كثير)** من أهل البصرة **(فقال: لولا اني أعلم أن الله تعالى يعلم من قلبي أني لهذا كاره لخشيت المقت من الله تعالى)**. وروى عن شعبة قال: ربما ذهبت مع أيوب في الحاجة أريد أن أمشي فلا يدعني فيخرج فيأخذ ههنا لكيلا يفطن له، قال شعبة: وقال أيوب ذكرت ولا أحب أن أذكر. **(وقال معمر)** بن راشد الازدي مولاهم البصري نزيل اليمن مات سنة أربع وخمسين روى له الجماعة: **(عاتبت أيوب)** السختياني **(في طول قميصه. فقال: إن الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في**

طوله وهي اليوم في تشميره. وقال بعضهم كنت مع أبي قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال: إياكم وهذا الحمار الناهق! يشير به إلى طلب الشهرة. وقال الثوري: كانوا يكرهون الشهرة من الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذ الأبصار تمتد إليهما جميعاً. وقال رجل لبشر بن الحارث: أوصني فقال أخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول: بلغ اسمي مسجد الجامع. وقال بشر: ما أعرف رجلاً أحب أن يعرف لا ذهب دينه وافتضح. وقال أيضاً: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس، رحمة الله عليه وعليهم أجمعين.

بيان فضيلة الخمول:

قال رسول الله ﷺ: «رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله

تشميره) قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد ابن إسحاق، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: كتب إلى عبد الرزاق عن معمر قال: كان في قميص أيوب بعض التذييل فقيل له، فقال: الشهرة اليوم في التشمير.

(وقال بعضهم: كنت مع أبي قلابة) عبد الله بن زيد الحربي البصري **(إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال)** لمن حوله: **(إياكم وهذا الحمار النهاق)** أي الكثير النهيق وهو كونه **(يشير به إلى طلب الشهرة)** نقله صاحب القوت. **(وقال)** سفيان **(الثوري)** رحمه الله تعالى، **(كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرديئة إذا الأبصار تمتد إليهما جميعاً)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال رجل لبشر بن الحرث)** الحافي رحمه الله تعالى: **(أوصني قال: أخمل ذكرك وطيب مطعمك)** نقله صاحب القوت. **(وكان حوشب)** بن عقيل أبو دحية البصري ثقة روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه **(يبكي ويقول: بلغ اسمي مسجد الجامع)** يعني به جامع البصرة نقله صاحب القوت. **(وقال بشر)** الحافي رحمه الله تعالى: **(ما أعرف رجلاً أحب أن يعرف إلا ذهب دينه وافتضح)** نقله صاحب القوت. **(وقال)** بشر **(أيضاً: لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس)** نقله صاحب القوت.

بيان فضيلة الخمول:

(قال رسول الله ﷺ «رب) هو للتقليل هنا. قال ابن هشام. وليست هي للتقليل دائماً خلافاً للأكثر، ولا للتكثير دائماً خلافاً لابن درستويه وجمع بل للتكثير كثيراً وللتقليل قليلاً **(أشعث)** أي الثائر شعر الرأس قد أخذ فيه الجهد حتى أصابه الشعث **(أغبر)** أي غير الغبار لونه لطول سفره في طاعة الله كحج وجهاد وصلة رحم وكثرة عبادة **(ذي طمرين)** تثنية طمر بالكسر وهو الثوب الخلق **(لا يؤبه به)** أي لا يبالى به ولا يلتفت إليه لحقارته **(لو أقسم على الله)** أي لو حلف عليه ليفعلن شيئاً **(لأبرّه)** أي أبرّ قسمه وأوقع مطلوبه اكراماً له وصوناً

لأبره منهم البراء بن مالك »، وقال ابن مسعود: قال النبي ﷺ: « رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئاً »، وقال ﷺ ألا أدلكم على أهل الجنة: كل ضعيف مستضعف لو أقسم على

ليمينه عن الحنث لعظم منزلته عنده أو معنى القسم الدعاء وابراره اجابته (**منهم البراء ابن مالك »**) أخو أنس بن مالك لأبيه، لأن أم أنس أم سليم، وأم البراء السحماء، وغلط من قال أمهما أم سليم، وكان حسن الصوت يرجز لرسول الله ﷺ في بعض أسفاره، شهد مع النبي ﷺ المشاهد إلا بدراً، وله يوم اليمامة أخبار وقتل يوم حصن تستر في خلافة عمر.

قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس بسند ضعيف « رب ذي طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لابرّه منهم البراء بن مالك » وللحاكم نحوه بهذه الزيادة وقال: صحيح الإسناد قلت: بل ضعيفه اهـ.

قلت: روى الترمذي من طريق ثابت وعلي بن زيد عن أنس أن النبي ﷺ قال: « رب أشعث لا يؤبه له لو أقسم على الله لابرّه منهم البراء بن مالك » فلما كان يوم تستر من بلاد فارس انكشف الناس فقال الناس: يا براء اقسم على ربك. فقال: أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم والحقتني بنبيك فحمل وحمل الناس معه، فقتل مرزبان الزارة من عظماء الفرس وأخذ سلبه فانهزم الفرس وقتل البراء. ورواه الحاكم في المستدرك من طريق سلامة عن عقيل عن الزهري عن أنس نحوه، وأما بدون هذه الزيادة فروى أحمد ومسلم من حديث أبي هريرة « رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه » وفي رواية لمسلم « رب أشعث أغبر ذي طمرين من أمتي يطوف على الأبواب ترده اللقمة واللقمتان لو أقسم على الله لأبرّه » وفي روايه له أيضاً « رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » وقد روى الخطيب هذا اللفظ من حديث أنس، وروى الحاكم، وأبو نعيم من حديث أبي هريرة « رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس ولو أقسم على الله لأبرَّه ».

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه (**قال النبي ﷺ: « رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه لو قال اللهم إني أسألك الجنة لأعطاه ولم يعطه من الدنيا شيئاً »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا، ومن طريق أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف اهـ.

قلت: وقد رواه كذلك ابن عدي بهذه الزيادة، ورواه البزار في مسنده لكن إلى قوله: « لأبره » قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح خلا جارية بن هرم وقد وثقه ابن حبان على ضعفه.

(**وقال ﷺ: « ألا أدلكم على أهل الجنة**) كذا في النسخ، والرواية: ألا أخبركم بأهل الجنة؟ قالوا: بلى قال: (**كل**) بالرفع لا غير أي هم كل (**ضعيف**) عن أذى الناس أو عن

الله لأبره وأهل النار كل متكبر مستكبر جوّاظ »، وقال أبو هريرة: قال ﷺ : « إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن

المعاصي ملتزم الخشوع والخضوع بقلبه وقالبه (**مستضعف**) بفتح العين كما في التنقيح عن ابن الجوزي قال: وغلط من كسرها، فإن المراد أن الناس يستضعفونه ويحتقرونه، وفي علوم الحديث للحاكم أن ابن خزيمة سئل عن الضعيف فقال: الذي يبرىء نفسه من الحول والقوة في اليوم عشرين مرة إلى خمسين (**وأهل النار كل مستكبر**) أي صاحب كبر، والكبر تعظيم المرء نفسه واحتقار غيره والأنفة من مساواته (**جواظ »**) بالتشديد هو الجموع المنوع، وقيل هو الكثير اللحم المختال في مشيته.

قال الشيخ الأكبر في كلامه على الأولين: إنما نالوا هذه المرتبة عند الله لأنهم صانوا قلوبهم عن أن يدخلها غير الله أو تتعلق بكون من الأكوان سوى الله فليس لهم جلوس إلا مع الله ولا حديث إلا مع الله، فهم بالله قائمون وفي الله ناظرون، وإليه راحلون ومنقلبون، وعنه ناطقون، ومنه آخذون، وعليه متوكلون، وعنده قاطنون فما لهم معروف سواه ولا مشهود إلا إياه. صانوا نفوسهم عن نفوسهم فلا تعرفهم نفوسهم فهم في غيابات الغيب المحجوبون وهم ضنائن الحق المستخلصون، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق مشي ستر كله حجاب، فهذه حالة هذه الطائفة.

قال العراقي: متفق عليه من حديث حارثة بن وهب اهـ.

قلت: لفظها « ألا أخبركم بأهل الجنة: كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبرّه ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جعظري جواظ مستكبر » وهكذا رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والطبراني من حديث معبد بن خالد، عن حارثة بن وهب الخزاعي، والمستورد بن شداد الفهري معاً. ورواه الطبراني أيضاً، والضياء في المختارة، عن معبد بن خالد، عن ابن عبدالله الجدلي عن زيد بن ثابت وروى الطبراني من حديث معاذ: بلفظ: « ألا أخبركم عن ملوك أهل الجنة: كل ضعيف مستضعف وذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبَرّه » وروى أحمد من حديث حذيفة بلفظ: « ألا أخبركم بشر عباد الله: الفظ المستكبر. ألا أخبركم بخير عبادالله: الضعيف المستضعف وذي الطمرين لو أقسم على الله لأبر قسمه ». وروى الطبراني من حديث أبي الدرداء: « ألا أخبرك يا أبا الدرداء بأهل النار كل جعظري جوّاظ مستكبر جماع منوع. ألا أخبرك بأهل الجنة كل مسكين لو أقسم على الله لأبرّه ». وروى ابن قانع والحاكم من حديث سراقة بن مالك « أهل النار كل جعظري جوّاظ مستكبر وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون ». وروى الشيرازي في الألقاب والديلمي من حديث أبي عامر الأشعري « أهل النار كل شديد قبعثري وأهل الجنة كل ضعيف مزهد ».

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال ﷺ : « إن أهل الجنة كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإذا خطبوا النساء لم**

لهم وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا وإذا قالوا لم ينصت لقولهم حوائج أحدهم تتخلخل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم » ، وقال ﷺ : « إن من أمتي من لو أتى أحدكم يسأله ديناراً لم يعطه إياه ولو سأله درهماً لم يعطه إياه ولو سأله فلساً لم يعطه إياه ، ولو سأل الله تعالى الجنة لأعطاه إياها ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها ، وما منعها إياه إلا لهوانها عليه ، رب ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » ، وروي أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد فرأى معاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله ﷺ فقال : ما يبكيك ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح

ينكحوا وإذا قالوا لم ينصت لهم حوائج أحدهم تتلجلج في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم ») بيض له العراقي .

(وقال ﷺ : « إن من أمتي من لو أتى أحدكم يسأله ديناراً لم يعطه إياه ولو سأله درهماً لم يعطه إياه ولو سأله فلساً لم يعطه إياه ، ولو سأل الله تعالى الجنة أعطاه إياها ، ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها ، وما منعه الدنيا لهوان عليه ، ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبّره ») قال العراقي : رواه الطبراني في الأوسط من حديث ثوبان بإسناد صحيح دون قوله : ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها وما منعه إياها لهوانه عليه وروي مرسلاً اهـ .

قلت : هو من مرسل سالم بن أبي الجعد رواه هناد في الزهد ، ولفظه : « إن من أمتي من لو أتى باب أحدكم فسأله ديناراً لم يعطه إياه ولو سأله درهماً لم يعطه إياه ولو سأله فلساً لم يعطه إياه ، ولو سأل الله الجنة لأعطاها إياه ، ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها ، وما يمنعها إياه لهوانه عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله تعالى لأبره » .

ورواه ابن صصري في أماليه بلفظ : « إن من أمتي من لو جاء أحدهم إلى أحدكم فسأله ديناراً أو درهماً ما أعطاه ولو سأل الله الجنة لأعطاها إياه ، ولو أقسم على الله لأبره ولو سأله شيئاً من الدنيا ما أعطاه تكرمة له » .

ورواه الحرث بن أبي أسامة مرفوعاً من حديث ابن عباس بلفظ : « إن من أمتي لمن لو قام على باب أحدكم فسأله ديناراً ما أعطاه أو درهماً ما أعطاه أو فلساً ما أعطاه ، ولو سأل الله الدنيا ما أعطاه ، وما يمنعه إلا لكرامته عليه ، ولو سأله الجنة لأعطاه ولو يقسم على الله لأبرّه » .

وروي أن عمر رضي الله عنه دخل المسجد ، فإذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبر رسول الله ﷺ فقال) له عمر **(ما يبكيك)** يا معاذ ؟ **(فقال)** معاذ : **(سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفقدوا وإذا**

الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة »، وقال محمد بن سويد : قحط أهل المدينة وكان بها رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد النبي ﷺ ، فبينما هم في دعائهم إذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان، فصلى ركعتين أوجـز فيهما ثم بسط يديه فقال: يا رب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة! فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغمام وأمطروا حتى صاح أهل المدينة من مخافة الغرق، فقال: يا رب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم، فسكن، وتبع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله، ثم بكر عليه فخرج إليه فقال إني أتيتك في حاجة! فقال ما هي؟ قال تخصني بدعوة، قال: سبحان الله! أنت أنت وتسألني أن أخصك بدعوة؟ ثم قال ما الذي بلغك ما رأيت؟ قال: أطعت الله فيما أمرني ونهاني فسألت الله فأعطاني. وقال ابن مسعود : كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى

حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة ») قال العراقي: رواه الطبراني والحاكم واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد.

قلت: بل ضعيفه فيه عيسى بن عبد الرحمن وهو الزرقي متروك اهـ.

قلت: لفظها بعد قوله شرك: « وإن من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وأن الله يحب الأبرار الأصفياء الأتقياء الذين إذا غابـوا لم يفتقـدوا وإن حضروا لم يـدعـوا ولم يعـرفـوا قلـوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة » وعيسى بن عبد الرحمن الزرقي يكنى أبا عبادة يروي عن الزهري قال النسائي وغيره متروك، وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ثوبان: « طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء ».

(وقال محمد بن سويد) بن كلثوم الفهري صدوق مات بعد المائة روى له النسائي: **(قحط أهل المدينة وكان بها رجل صالح لا يؤبه له)** أي خامل لا يذكر ولا يعرف **(لازم لمسجد رسول الله ﷺ ، فبينما هم في دعائهم إذ جاءهم رجل عليه طمران)** أي ثوبان **(خلقان، فصلى ركعتين فأوجز فيهما ثم بسط يديه)** إلى السماء **(فقال: يا رب أقسمت عليك ألا أمطرت علينا الساعة، فلم يرد يديه ولم يقطع دعاءه حتى تغشت السماء بالغمام)** وفي بعض النسخ: حتى تغيمت السماء بالغيم **(وأمطروا)** وفي نسخة: وأمطرت **(حتى صاح أهل المدينة من مخافة الغرق فقال: يا رب إن كنت تعلم أنهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن)** المطر، **(وتبع الرجل صاحبه الذي استسقى حتى عرف منزله ثم بكر إليه فخرج إليه، فقال: إني اتيتك في حاجة. فقال: ما هي؟ قال: تخصني بدعوة. قال: سبحان الله أنت أنت وتسألني أن أخصك بدعوة قال: ما الذي بلغك ما رأيت؟ قال: أطعت الله فيما أمرني ونهاني وسألت الله فأعطاني)** وهذا وأمثاله يجري لذوي الأنس مع الله وليس لغيرهم التشبه بهم. قال الحسن: احترقت أخصاص بالبصرة إلا خصاً بوسطها فقيل لصاحبه: ما بال خصك لم يحترق قال: أقسمت

أحلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب، تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض. وقال أبو أسامة: قال رسول الله ﷺ: « يقول الله تعالى: إن أغبط أوليائي عبد مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع ثم تصبر على ذلك » قال: ثم نقر رسول الله ﷺ بيده فقال: « عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه »، وقال عبدالله بن عمر رضي

على ربي أن لا يحرقه. ورأى أبو حفص رجلاً مدهوشاً فقال: مالك؟ قال: ضل حماري ولا أملك غيره، فوقف أبو حفص وقال: لا أخطو خطوة ما لم ترد حماره فظهر حماره فوراً وقال الجنيد: أهل الأنس بالله يقولون في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة. وقال الشعراوي في المتن: من الأخفياء الشعث من يجاب دعاؤه كلما دعا حتى أن بعضهم أراد جماع زوجته، فقالت: الأولاد متيقظون. فقال: أماتهم الله وكانوا سبعة فصلوا عليهم بكرة النهار، فبلغ البرهان المتبولي فأحضره فقال: أماتك الله فمات حالاً. وقال: لو بقي لأمات خلقاً كثيراً.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه يوصي أصحابه: **(كونوا ينابيع العلم)** أي بمنزلة الينابيع التي تخرج منها المياه ولا تنقطع فتكون بواطنكم معمورة بالعلم كعمارة الينابيع بالمياه، **(مصابيح الهدى)** تضيئون الناس بالهدى كما يستضاء بالمصابيح، **(أحلاس البيوت)** أي لازمين بيوتكم لزوم الحلس وهو بالكسر الحصير الذي يفرش تحت الفرش، **(سرج الليل)** أي تحيون ليلكم بالعبادة وتنورونه كما يتنور بالسرج، **(جرد القلوب)** أي مجردين قلوبكم عن غير الله تعالى فلا يخطر فيها ما يشغل عنه تعالى، وقد تقدم الخبر القلوب ثلاثة وذكر فيه قلب أجرد وهو قلب المؤمن وفي بعض النسخ: جدد القلوب وهو المناسب لقوله، **(خلقان الثياب)** أي رثاثها **(تعرفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض)** والمراد بأهل السماء الملأ الأعلى

(وقال أبو أمامة) الباهلي رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ: « يقول الله تعالى: إن اغبط أوليائي رجل مؤمن خفيف الحاذ)** أي قليل المال خفيف الظهر من العيال **(ذو حظ من صلاة)** أي ذو راحة في مناجاة الله منها واستغراق في المشاهدة **(أحسن عبادة ربه)** تعميم بعد تخصيص والمراد إجادتها على الإخلاص، فقوله: **(وأطاعه في السر)** عطف تفسيري على أحسن **(وكان غامضاً في الناس)** أي مغموراً غير مشهور فيهم **(لا يشار إليه)** أي لا يشير الناس إليه **(بالأصابع)** بيان وتقرير لمعنى الغموض **(ثم صبر على ذلك »)** بين أن ملاك ذلك كله الصبر وبه يقوى على الطاعة. قال الله تعالى: ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾ **(قال: ثم نقر رسول الله ﷺ بيده فقال: « عجلت منيته)** أي أسرع هلاكه لقلة تعلقه بالدنيا وكثرة شغفه بالآخرة **(وقل تراثه)** لأنه لم يتعلق بالمال فيخلفه بعده فيكون ميراثاً **(وقلت بواكيه »)** لقلة عياله وهوانه على الناس وعدم احتفالهم به، فهؤلاء هم الرجال الذين حلوا من الولاية أقصى درجاتها قد

الله عنهما: أحب عباد الله إلى الله الغرباء، قيل: ومن الغرباء؟ قال: الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة إلى المسيح عليه السلام. وقال الفضيل بن عياض: بلغني أن الله تعالى يقول في بعض ما يمن به على عبده، ألم أنعم عليك ألم أسترك؟ ألم أخمل ذكرك! وكان الخليل بن أحمد يقول: اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك، واجعلني عند نفسي من أوضع خلقك واجعلني عند الناس من أوسط خلقك، وقال الثوري: وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء. وقال ابراهيم بن أدهم: ما قرت عيني

صانهم الله وحبسهم في خيام صون الغيرة وليس في وسع الخلق أن يقوموا بما لهذه الطائفة من الحق عليهم لعلو منصبهم. قال العراقي: رواه الترمذي، وابن ماجه بإسنادين ضعيفين انتهى.

قلت: ولفظها: « إن اغبط أوليائي عندي المؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة والصيام، أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع وكان رزقه كفافاً فصبر على ذلك، عجلت منيته وقلت بواكيه وقل تراثه ». وهكذا رواه الطيالسي، وأحمد والطبراني، وصاحب الحلية والحاكم، والبيهقي، وهو من رواية عبد الله بن زحر عن علي بن يزيد، عن القاسم عن أبي أمامة وهم ضعفاء. وقال الذهبي عقب تصحيح الحاكم له: لا بل هو إلى الضعف مائل. وقال ابن الجوزي حديث لا يصح رواته ما بين مجاهيل وضعفاء، ولا يبعد أن يكون معمولهم وقال ابن القطان: وأخطأ من عزاه لأبي هريرة.

وأخرج مسلم في صحيحه أن عمر بن سعد انطلق إلى أبيه سعد وهو في غنم له خارجاً من المدينة فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فلما أتاه قال: يا أبت أرضيت أن تكون إعرابياً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة فضرب سعد صدره وقال: اسكت سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: « إن أغيظ أوليائي عندي » وساقه كسياق المصنف.

(وقال عبدالله بن عمر) رضي الله عنهما: **(أحب عباد الله إلى الله الغرباء قيل: ومن الغرباء قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيامة إلى عيسى بن مريم عليه السلام)** وروى أحمد من حديث عبدالله بن عمرو: طوى للغرباء أناس صالحون في أناس سوء من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم، وفي رواية له: الغرباء ناس قليلون صالحون. وفي سنده ابن لهيعة.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: **(بلغني أن الله عز وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده: ألم أنعم عليك ألم أسترك ألم أخمل ذكرك)**؟ أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وكان الخليل بن أحمد)** الفراهيدي إمام النحو **(يقول)** في دعائه: **(اللهم اجعلني عندك من أرفع خلقك، واجعلني في نفسي من أوضع خلقك، واجعلني عند الناس من أوسط خلقك)** نقله صاحب القوت. **(وقال)** سفيان **(الثوري)** رحمه الله تعالى: **(وجدت قلبي يصلح بمكة والمدينة مع قوم غرباء أصحاب قوت وعناء)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال إبراهيم**

يوماً في الدنيا قط إلا مرة بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن، فجرني المؤذن برجلي حتى أخرجني من المسجد. وقال الفضيل: إن قدرت على أن لا تعرف فافعل، وما عليك أن لا تعرف وما عليك أن لا يثني عليك وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت محموداً عند الله تعالى؟ فهذه الآثار والأخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول. وإنما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب، وحب الجاه هو منشأ كل فساد.

فإن قلت: فأي شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء! فكيف فاتهم فضيلة الخمول؟ فاعلم أن المذموم طلب الشهرة، فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد فليس بمذموم. نعم فيه فتنة على الضعفاء دون الأقوياء، وهم كالغريق الضعيف إذا كان معه جماعة من الغرقى فالأولى به أن لا يعرفه أحد منهم فإنهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم، وأما القوي فالأولى أن يعرفه الغرقى ليتعلقوا به فينجيهم ويثاب على ذلك.

بن أدهم) رحمه الله تعالى: **(ما قرت عيني يوماً في الدنيا قط إلا مرة واحدة بت ليلة في بعض مساجد قرى الشام وكان بي البطن)** أي داء الذرب، **(فجاء المؤذن وجرني برجلي حتى أخرجني من المسجد)** أخرجه أبو نعيم في الحلية، ولفظ القشيري في الرسالة: وقال إبراهيم بن أدهم ما سررت في إسلامي إلا ثلاث مرات فذكر الأول، ثم قال: والأخرى كنت عليلاً في مسجد فدخل المؤذن وقال: أخرج فلم أطق أخذ برجلي وجرني إلى خارج المسجد، ثم ذكر الثالثة.

(وقال الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى **(إن قدرت على أن لا تعرف فافعل، وما عليك أن لا يثني عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت محموداً عند الله)**؟ أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(فهذه الآثار والأخبار تعرفك مذمة الشهرة وفضيلة الخمول، وإنما المطلوب بالشهرة وانتشار الصيت هو الجاه والمنزلة في القلوب وحب الجاه هو منشأ كل فساد)**.

(فإن قلت: فأي شهرة تزيد على شهرة الأنبياء والخلفاء الراشدين وأئمة العلماء) المشهورين، **(فكيف فاتتهم فضيلة الخمول؟ فاعلم أن المذموم)** هو **(طلب الشهرة، فأما وجودها من جهة الله سبحانه من غير تكلف من العبد)** بان يحتال على تحصيلها على أي وجه كانت، **(فليس بمذموم. نعم فيها فتنة على الضعفاء)** منهم **(دون الأقوياء وهو كالغريق الضعيف إذا كان معه جماعة من الغرقى، فالأولى به أن لا يعرفه أحد منهم، فإنهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم، وأما القوي)** السابح النحرير **(فالأولى به أن يعرفه الغرقى ليتعلقوا فينجيهم)** وينجي نفسه **(ويثاب على ذلك)**.

بيان ذم حب الجاه:

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نجعلُهَا للذِينَ لاَ يُرِيدُونَ علوًّا في الأرضِ ولاَ فساداً﴾ [القصص: ٨٣] جمع بين إرادة الفساد والعلوّ، وبين أن الدار الآخرة للخالي عن الإرادتين جميعاً. وقال عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحيَاةَ الدُّنْيَا وزِينتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ أُوْلٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ في الآخِرَةِ إلاَّ النَّارُ وَحَبَطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦] وهذا أيضاً متناول بعمومه لحب الجاه فإنه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها. وقال رسول الله ﷺ: « حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل »، وقال ﷺ: « ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأسرع إفساداً من حب الشرف والمال في

بيان ذم حب الجاه:

(قال الله تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ جمع بين إرادة الفساد والعلو، وبين أن الدار الآخرة) إنما جعلت **(للخالي عن الإرادتين جميعاً)** وإرادة العلو في الأرض هو حب الجاه الذي هو ملك قلوب الناس واستعبادهم والترفع عليهم، ثم قال ﴿والعاقبة للمتقين﴾ أي حسن العاقبة لهم، ودل ذلك على أن حب الجاه والفساد مجانب للتقوى **(وقال تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون)** أي لا ينقص حظهم فيها **(أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ وهذا أيضاً متناول بعمومه لحب الجاه والمال فإنه أعظم لذة من لذات الحياة الدنيا وأكثر زينة من زينتها)** كما سيأتي بيانه في الذي يليه.

(وقال ﷺ: « حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل ») قال العراقي: لم أجده هكذا وقد تقدم.

قلت: والذي ورد من حديث ابن مسعود: « الغناء واللهو ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب » رواه الديلمي ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة بلفظ: « حب الغناء ينبت النفاق في القلب » الخ وقد تقدم الكلام عليه في كتاب السماع.

(وقال ﷺ: « ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فساداً من حب الشرف والمال في دين المرء المسلم ») رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح والدارمي، والطبراني في الكبير من حديث كعب بن مالك بلفظ: « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه ». ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عاصم بن عدي قال: اشتريت مائة سهم من سهام خيبر فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: « ما ذئبان عاديان ظلا في غنم أضاعها ربها من

دين الرجل المسلم »، وقال ﷺ لعلي كرّم الله وجهه: « إنما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء »، نسأل الله العفو والعافية بمنّه وكرمه.

بيان معنى الجاه وحقيقته:

اعلم أن الجاه والمال هما ركنا الدنيا. ومعنى المال ملك الأعيان المنتفع بها، ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها. وكما أن الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير، أي يقدر عليهما ليتوصل بهما إلى الأغراض والمقاص وقضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس، فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس، أي يقدر على أن

طلب المسلم المال والشرف لدينه». ورواه الطبراني في الصغير والضياء من حديث اسامة بن زيد بلفظ: « ما ذئبان ضاريان باتا في حظيرة فيها غنم يفترسان ويأكلان بأسرع فساداً من طلب المال والشرف». ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس بلفظ: « ما ذئبان ضاريان باتا في غنم بأفسد لها من حب ابن آدم الشرف والمال». ورواه هناد في الزهد من حديث أبي جعفر مرسلاً بلفظ: ما ذئبان جائعان ضاريان في غنم قد أغفلها رعاؤها وتخلفوا عنها أحدهما في أولاها والآخر في أخراها بأسرع فيها فساداً من طلب المال والشرف في دين المرء المسلم». ورواه البزار بسند حسن، وابن عساكر من حديث ابن عمر بلفظ: « ما ذئبان ضاريان في حظيرة وثيقة يأكلان ويفترسان بأسرع فيها من حب الشرف وحب المال في دين المسلم» وقد تقدم الكلام على هذا الحديث مختصراً.

(**وقال ﷺ: « إنما هلاك الناس بإتباع الهوى وحب الثناء »**) قال العراقي: لم أره بهذا اللفظ وقد تقدم في العلم من حديث أنس: « ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع » الحديث، وللديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس « حب الثناء من الناس يعمي ويصم » انتهى.

قلت: وتمام حديث أنس: « وإعجاب المرء برأيه » هكذا رواه البزار، ورواه العسكري بلفظ: « وإعجاب المرء بنفسه » وزاد البيهقي « من الخيلاء ».

بيان معنى الجاه وحقيقته:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن الجاه والمال هما ركنا الدنيا**) وعليهما قيامها ومدارها. (**ومعنى المال ملك الأعيان المنتفع بها، ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها. وكما أن الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير أي يقدر عليهما**) ويتمكن منهما (**ليتوصل بهما إلى الأغراض والمقاصد**) أي إلى تحصيلها لنفسه، (**و**) كذا (**قضاء الشهوات وسائر حظوظ النفس**) من الأمور الدنيوية، فإن التوصل إليها متوقف على القدرة على الدراهم والدنانير، (**فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس أي يقدر على أن يتصرف فيها**

يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها أربابها في أغراضه ومآربه. وكما أنه يكتسب الأموال بأنواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بأنواع من المعاملات، ولا تصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات، فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاد القلب وبحسب درجة ذلك الكمال عنده، وليس يشترط أن يكون الوصف كمالاً في نفسه بل يكفي أن يكون كمالاً عنده وفي اعتقاده، وقد يعتقد ما ليس كمالاً كمالاً، ويذعن قلبه للموصوف به انقياداً ضرورياً بحسب اعتقاده، فإن انقياد القلب حال للقلب. وأحوال القلوب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها، وكما أن محب المال يطلب ملك الأرقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم، بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم، لأن المالك يملك العبد قهراً والعبد متأب بطبعه، ولو خلي ورأيه أنسل عن الطاعة، وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعاً وينبغي أن تكون له الأحرار عبيداً بالطبع والطوع، مع الفرح بالعبودية والطاعة له، فما يطلبه فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير، فإذاً معنى الجاه: قيام المنزلة في قلوب الناس أي اعتقاد القلوب

ليستعمل بواسطتها أربابها في) قضاء (**أغراضه و)** حصول (**مآربه، وكما أنه يكتسب المال بأنواع من الحرف والصناعات. فكذلك تكتسب قلوب الخلق بأنواع من المعاملات) فهي** جارية مجرى الحرف والصناعات، (**ولا تصير القلوب مسخرة)** أي منقادة (**إلا بالمعارف والاعتقادات، فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده)** فكلما قوي الكمال قوى الاعتقاد فقوي الانقياد، (**وليس يشترط أن يكون الوصف)** القائم بذلك الشخص (**كمالاً في نفسه)** أي ذاته، (**بل يكفي أن يكون الوصف كمالاً عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالاً ويذعن قلبه للموصوف به قياماً ضرورياً بحسب اعتقاده، فإن انقياد القلب حال للقلب وأحوال القلب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيلاتها)**، فما اعتقده القلب أو تخيله كما لا لزمه الانقياد لا محالة هب أن ذلك الكمال نقص في نفسه أو بالنسبة للغير إذا الوصف الواحد قد يتصف بالكمال والنقص بالنسبة إلى الأشخاص، (**وكما أن محب المال يطلب ملك الأرقاء والعبيد، فطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم)** واستمالتهم، (**بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم)** من رق المال (**إلا أن المالك يملك العبد قهراً)** عن نفسه (**والعبد متأب)** أي ممتنع (**بطبعه)** لا يريد استرقاقه، (**ولو خلي)** أي ترك ورأيه (**انسل من الطاعة)** وخرج عنها. (**وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعاً ويبغي)** أي يطلب (**أن تكون الأحرار له عبيداً بالطبع والطوع)** من غير قهر والجاه. (**مع الفرح بالعبودية والطاعة له فما يطلبه)** هو (**فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير، فإذاً معنى**

لنعت من نعوت الكمال فيه، فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم، وبقدر إذعان القلوب تكون قدرته على القلوب وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه للجاه. فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والإطراء، فإن المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده، فيثني عليه، وكالخدمة والإعانة فإنه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبد في أغراضه، وكالإيثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد، فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلب، ومعنى قيام الجاه في القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص إما بعلم أو عبادة أو حسن خلق أو نسب أو ولاية أو جمال في صورة أو قوّة في بدن أو شيء مما يعتقده الناس كمالاً، فإن هذه الأوصاف كلها تعظم محله في القلوب فتكون سبباً لقيام الجاه، والله تعالى أعلم.

بيان سبب كون الجاه محبوباً بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة:

اعلم أن السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر أنواع الأموال محبوباً هو

الجاه قيام المنزلة في قلوب الناس أي اعتقاد القلوب لنعت من النعوت الكمال فيه فيقدر ما يعتقد من كماله تذعن له قلوبهم، وبقدر اذعان القلوب تكون قدرته على القلوب، وبقدر قدرته على القلوب يكون فرحه وحبه للجاه. فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطراء) وهو المبالغة في المدح، (**فإن المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه**) ويبالغ، (**وكالخدمة**) بين يديه (**والإعانة**) من مهماته الضرورية، (**فإنه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبيد في أغراضه**) بل أكثر. (**وكالإيثار**) بأن يؤثره على نفسه وعلى غيره (**وترك المنازعة**) له في الأمور (**والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسلام**) والمثول بين يديه حتى يشير له بالجلوس (**وتسليم الصدر**) وهو أرفع المواضع (**في المحافل**) العامة والخاصة (**والتقديم في جميع المقاصد، فهذه آثار تصدر عن قيام الجاه في القلوب، ومعنى قيام الجاه في القلب اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص إما بعلم أو بعبادة**) أو بهما جميعاً وهو أقوى (**أو حسن خلق**) في العشرة (**أو نسب**) كأن يكون اتصال بالبضعة الطاهرة (**أو ولاية**) وهي الصلاح المعنوي (**أو جمال في صورة**) ظاهرة (**أو قوة في بدن أو شيء مما يعتقده الناس كمالاً**) عندهم، (**فإن هذه الأوصاف**) كلها بمجموعها وإفرادها (**تعظم محله في القلوب فيكون سبباً لقيام الجاه**).

بيان سبب كون الجاه محبوباً بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب إلا بشديد المجاهدة:

(**اعلم**) أرشدك الله تعالى (**أن السبب الذي يقتضي كون الذهب والفضة وسائر أنواع**

بعينه يقتضي كون الجاه محبوباً، بل يقتضي أن يكون أحب من المال، كما يقتضي أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساويا في المقدار، وهو أنك تعلم أن الدراهم والدنانير لا غرض في أعيانهما إذ لا تصلح لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس، وإنما هي والحصباء بمثابة واحدة، ولكنهما محبوبان لأنهما وسيلة إلى جميع المحاب وذريعة إلى قضاء الشهوات، فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب، وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الإنسان بها إلى سائر أغراضه، فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض، فالإشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة، وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال، ولملك الجاه ترجيح على ملك المال من ثلاثة أوجه:

الأوّل: أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر من التوصل بالمال إلى الجاه، فالعالم أو الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر له، فإن أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال، وأما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال إذا وجد كنزاً ولم يكن له جاه يحفظ ماله وأراد أن يتوصل بالمال إلى

المال محبوباً هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوباً، بل يقتضي أن يكون أحب من المال كما يقتضي أن يكون الذهب أحب من الفضة مهما تساويا في المقدار، وهو أنك تعلم أن الدراهم والدنانير لا غرض في أعيانهما) أي ذواتهما **(إذ لا تصلح)** أبداً **(لمطعم ولا مشرب ولا منكح ولا ملبس، وإنما هي والحصى)** المرمى في الطرق **(بمثابة واحدة)** أي بمنزلة واحدة، **(ولكنها محبوبة لأنها وسيلة إلى جميع المحاب وذريعة إلى قضاء الشهوات، فكذلك الجاه لأن معنى الجاه ملك القلوب، وكما أن ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الإنسان بها إلى سائر أغراضه)** ومهماته، **(فكذلك ملك قلوب الأحرار والقدرة على استسخارها يفيد قدرة على التوصل إلى جميع الأغراض. فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة، وترجيح الجاه على المال اقتضى أن يكون الجاه أحب من المال، ولمالك القلوب ترجيح على مالك المال من ثلاثة أوجه)**.

(الأول: أن التوصل بالجاه إلى المال أيسر) وأسهل **(من التوصل بالمال إلى الجاه، فالعالم أو الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب)** وصار معتقداً **(لو قصد اكتساب المال يتيسر له)** بأهون سبب، **(فإن أحوال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة)** أي مصروفة **(لمن اعتقدت فيه الكمال. وأما الرجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال إذا)** كثر ماله باكتساب أو إرث أو **(وجد كنزاً ولم يكن له جاه يحفظ ماله وأراد أن يتوصل بالمال إلى**

الجاه لم يتيسر له، فإذا الجاه آلة ووسيلة إلى المال، فمن ملك الجاه فقد ملك المال، ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال، فلذلك صار الجاه أحب.

الثاني: هو أن المال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة، ويحتاج فيه إلى الحفظة والحراس والخزائن، ويتطرق إليه أخطار كثيرة، وأما القلوب إذا ملكت فلا تتعرض لهذه الآفات فهي على التحقيق خزائن عتيدة، لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها أيدي النهاب والغصاب، وأثبت الأموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم ولا يستغني عن المراقبة والحفظ، وأما خزائن القلوب فهي محفوظة محروسة بأنفسها، وذو الجاه في أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها. نعم إنما تغصب القلوب بالتصريف وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال، وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاولة فعله.

الثالث: أن ملك القلوب يسري وينمي ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة، فإن القلوب إذا أذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل أو غيره أفصحت الألسنة

الجاه لم يتيسر له، فإذا الجاه آلة ووسيلة للمال، فمن ملك الجاه فقد ملك المال، ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال، فلذلك صار الجاه أحب) ولذلك أوصى الحكماء باتخاذ الجاه دون المال.

(الثاني: هو أن المال معرض للبلوى والتلف بأن يسرق) وينتهب **(ويغصب)** ويختلس **(ويطمع فيه الملوك والظلمة)** المتسلطون، **(وتحتاج فيه إلى الحفظة والحراس)** يحفظونه ويحرسونه من السراق **(و)** يحتاج فيه أيضاً إلى **(الخزائن)** والصناديق، **(وتتطرق إليه أخطار كثيرة)** ومصائب جمة **(وأما القلوب إذا ملكت لم تتعرض لهذه الآفات، فهي على التحقيق خزائن عتيدة)** محفوظة **(لا يقدر عليها السراق ولا يتناولها أيدي الغصاب)** والظلمة الجائرين، **(وأثبت الأموال العقار ولا يؤمن فيه الغصب والظلم)** كما هو مشاهد **(ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ، وأما خزائن القلوب فهي محفوظة محروسة بأنفسها)** لا تحتاج إلى المراقبة، **(وذو الجاه في أمن وأمان من الغصب والسرقة فيها. نعم إنما تغصب القلوب بالتصريف)** أي بالأفساد **(وتقبيح الحال وتغيير الإعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال، وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاولة فعله.**

(الثالث: أن ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة إلى تعب) ومشقة **(ومقاساة)** أهوال، **(فإن القلوب إذا أذعنت لشخص واعتقد كماله بعلم أو عمل أو غيره أفصحت الألسنة لا محالة بما فيها، فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب أيضاً له)**

لا محالة بما فيها، فيصف ما يعتقده لغيره ويقتنص ذلك القلب أيضاً له، ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر، لأن ذلك إذا استطار في الأقطار اقتنص القلوب ودعاها إلى الاذعان والتعظيم، فلا يزال يسري من واحد إلى واحد ويتزايد وليس له فرد معين، وأما المال فمن ملك منه شيئاً فهو مالكه ولا يقدر على استنمائه إلا بتعب ومقاساة، والجاه أبداً في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف. ولهذا إذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة بالثناء استحقرت الأموال في مقابلته، فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال. وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح.

فإن قلت: فالإشكال قائم في المال والجاه جميعاً فلا ينبغي أن يحب الإنسان المال والجاه. نعم القدر الذي يتوصل به إلى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم، كالمحتاج إلى الملبس والمسكن والمطعم أو كالمبتلي بمرض أو بعقوبة إذا كان لا يتوصل إلى دفع العقوبة عن نفسه إلا بمال أو جاه، فحبسه للمال والجاه معلوم، إذ كل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب، وفي الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع الأموال وكنز الكنوز وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات، حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً، وكذلك يحب الإنسان اتساع الجاه وانتشار الصيت إلى

وهذا معنى السريان، (**ولهذا المعنى يحب الطبع والصيت**) والشهرة (**وانتشار الذكر، لأن ذلك إذا استطار في الأقطار**) وانتشر في الآفاق (**اقتنص القلوب ودعاها إلى الاذعان والتعظيم، فلا يزال يسري من واحد إلى واحد ويتزايد وليس له فرد معين**) يقف عليه، (**وأما المال فمن ملك منه شيئاً فهو مالكه فقط ولا يقدر على استنمائه**) أي ازدياده (**إلا بتعب**) شديد (**ومقاساة**) خطوب، (**والجاه أبداً في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف، ولهذا إذا عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الألسنة بالثناء**) والذكر الجميل (**استحقرت الأموال في مقابلته، فهذه مجامع ترجيحات الجاه على المال، وإذا فصلت كثرت وجوه الترجيح**).

(**فإن قلت: فالإشكال قائم في الجاه والمال جميعاً فلا ينبغي أن يحب الانسان المال والجاه: نعم القدر الذي يتوصل به إلى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم، كالمحتاج إلى المطعم والملبس والمسكن**) فهذا القدر لا يستغنى عنه (**أو كالمبتلي بمرض أو بعقوبة إذا كان لا يتوصل إلى دفع العقوبة من نفسه إلاّ بمال أو جاه، فحبه للمال والجاه معلوم، إذ كل ما لا يتوصل إلى المحبوب إلا به فهو محبوب، وفي الطباع أمر عجيب وراء هذا وهو حب جمع المال وكثرة الكنوز**) ودفن الدفائن (**وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جمع الحاجات، حتى لو كان له واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً**) كما ورد ذلك في الخبر وتقدم

أقاصي البلاد التي يعلم قطعاً أنه لا يطؤها ولا يشاهد أصحابها، ليعظموه أو ليبروه بمال أو ليعينوه على غرض من أغراضه، ومع اليأس من ذلك فإنه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع، ويكاد يظن أن ذلك جهل فإنه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة؟ فنقول: نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب. وله سببان؟ أحدهما: جليّ تدركه الكافة. والآخر: خفيّ وهو أعظم السببين ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن إفهام الأذكياء فضلاً عن الأغبياء، وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها إلا الغوّاصون.

فأما السبب الأوّل! فهو دفع ألم الخوف، لأن الشفيق بسوء الظن مولع، والإنسان وإن كان مكفياً في الحال فإنه طويل الأمل ويخطر بباله أن المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره، فإذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الأمن الحاصل بوجود مال آخر يفزع إليه إن أصابت هذا المال جائحة، فهو أبداً لشفقته على نفسه وحبه للحياة يقدر طول الحياة؛ ويقدر هجوم الحاجات؛ ويقدر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال، ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة

ذكره قريباً. (**وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار الصيت إلى أقاصي البلاد التي يعلم قطعاً أنه قط لا يطؤها**) ولا يراها (**ولا يشاهد أصحابها، ليعظموه أو ليبروه بمالهم أو ليعينوه على غرض من أغراضه، ومع اليأس من ذلك، فإنه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت في الطبع**) مركوز فيه، (**ويكاد يظن أن ذلك جهل فإنه حب لما لا فائدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة؟ فنقول: نعم هذا الحب لا تنفك عنه القلوب وله سببان: أحدهما: جلي**) ظاهر (**يدركه الكافة**) من الناس، (**والآخر خفي وهو أعظم السببين، ولكنه أدقهما وأخفاهما وأبعدهما عن أفهام الأذكياء**) النجباء، (**فضلاً عن الأغبياء**) البلداء، (**وذلك لاستمداده من عرق خفي**) دساس (**في النفس وطبيعة مستكنة في الطبع لا يكاد يقف عليها إلا الغوّاصون**) في بحار الحقائق.

(**فأما السبب الأول**) الجلي: (**فهو دفع ألم الخوف لأن الشفيق**) على نفسه أي الخائف (**بسوء الظن مولع**) أي أبداً يسيء ظنه، (**والانسان وإن كان مكفياً في الحال**) عنده ما يكفيه (**فإنه طويل الامل ويخطر بباله أن المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره، فإذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف من قلبه إلا الأمن الحاصل بوجود مال آخر يفزع إليه إن أصابت هذا المال جائحة**) أي آفة، (**فهو أبداً لشفقته على نفسه**) أي خوفها عليها (**وحبه للحياة يقدر طول الحياة، ويقدر هجوم الحاجات**) أي طروقها فجأة، (**ويقدر إمكان تطرق الآفات إلى الأموال، ويستشعر الخوف**

المال، حتى إن أصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر، وهذا خوف لا يوقف له على مقدار مخصوص من المال، فلذلك لم يكن لمثله موقف إلى أن يملك جميع ما في الدنيا ولذلك قال رسول الله ﷺ: «منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال»، ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الأباعد عن وطنه وبلده، فإنه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن أو يزعج أولئك عن أوطانهم إلى وطنه، ويحتاج إلى الاستعانة بهم؛ ومهما كان ذلك ممكناً ولم يكن إحتياجه إليهم مستحيلاً إحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الخوف.

وأما السبب الثاني وهو الأقوى: أن الروح أمر رباني، به وصفه الله تعالى إذ قال سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الروحِ قُلِ الروحَ مِنْ أمرِ رَبي﴾ [الاسراء: ٨٥] ومعنى كونه ربانياً أنه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله

من ذلك فيطلب ما يدفع به خوفه وهو كثرة المال، حتى إذا أصيب بطائفة من ماله استغنى بالآخر، وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال، ولذلك لم يكن لمثله موقف إلى أن يملك جميع ما في الدنيا، ولذلك قال ﷺ «منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال») رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بسند ضعيف. ورواه البزار والطبراني في الاوسط من حديث ابن عباس وقد تقدم. وقد روي هذا الكلام أيضاً لعلي رضي الله عنه ذكره صاحب نهج البلاغة. **(ومثل هذه العلة تطرد في حبه قيام المنزلة والجاه في قلوب الأبَاعِدْ عن وطنه وبلده، فإنه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه)** أي يقلقه **(عن الوطن أو يزعج أولئك عن أوطانهم إلى وطنه، ويحتاج إلى الاستعانة بهم، ومهما كان ذلك ممكناً ولم يكن احتياجه إليهم مستحيلاً إحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه في قلوبهم لما فيه من الأمن من هذا الخوف)**.

(وأما السبب الثاني) الخفي: **(وهوالأقوى، أن الروح أمر رباني به وصفه الله تعالى إذ قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ ومعنى كونه ربانياً أنه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره إذ لم يظهره رسول الله ﷺ)** كما رواه البخاري من حديث ابن مسعود، وقد تقدم. وحيث أمسك ﷺ عن الاخبار عن الروح أو ماهيته بإذن الله تعالى ووحيه، وهو ﷺ معدن العلم وينبوع الحكمة كيف يسوغ لغيره فيه والإشارة لا جرم لما تقاضت النفس الانسانية المتطلعة إلى الفضول المتشرفة إلى المعقول المتحركة بوضعها إلى كل ما أمرت فيه بالسكوت والمثورة بحرصها إلى كل تحقيق وكل تمويه تاهت في التيه وتنوّعت آراؤها فيه، ولم يوجد الاختلاف بين أرباب النقل والعقل في شيء كالاختلاف في ماهية الروح ولو لزمت

ﷺ ، ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن للقلب ميلاً إلى صفات بهيمية كالأكل والوقاع ، وإلى صفات سبعية كالقتل والضرب والإيذاء ، وإلى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والإغواء ، وإلى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلاء ، وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة يطول شرحها وتفصيلها ، فهو لما فيه من الأمر الرباني يحب الربوبية بالطبع ، ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال. فصار الكمال من صفات الإلهية فصار محبوباً بالطبع للإنسان ، والكمال بالتفرد بالوجود فإن المشاركة في الوجود نقص لا محالة ، فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها ، فلو كان معها شمس أخرى لكان ذلك نقصا في حقها ، إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية ، والمنفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواه ، فإن ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته ، بل هو قائم به ، فلم يكن موجوداً معه لأن المعية توجب المساواة في الرتبة ، والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال ، بل الكامل من لا نظير له في رتبته. وكما أن اشراق نور الشمس في أقطار الآفاق ليس نقصاناً في الشمس بل هو من جملة كمالها ، وإنما نقصان الشمس بوجود شمس أخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء

النفوس حدّها معترفة بعجزها كان ذلك أجدر بها وأولى ، **(ولكنك قبل معرفة ذلك تعلم أن للقلب ميلاً إلى صفات بهيمية كالأكل والوقاع)** فإن من شأن البهائم كذلك **(وإلى صفات سبعية كالقتل والضرب والإيذاء)** فإن من شأن السباع كذلك ، **(وإلى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والإغواء)** فإن من شأن الشياطين كذلك ، **(وإلى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر)** والقهر **(وطلب الاستعلاء ، وذلك لأنه مركب من أصول مختلفة)** من ماء وطين لاَزِبْ وصلصال وفخار **(يطول شرح تفصيلها ، فهو لما)** نفخ **(فيه من الأمر الرباني يحب الربوبية بالطبع ، ومعنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال ، فصار الكمال من نعوت الإلهية وصار محبوباً بالطبع)** لا ينفك ، **(والكمال في التفرد بالوجود فإن المشاركة في الوجود نقص لا محالة ، فكمال الشمس في أنها موجودة وحدها فلو كان معها شمس أخرى كان ذلك نقصاناً في حقها ، إذ لم تكن منفردة بكمال معنى الشمسية ، والمنفرد بالوجود هو الله تعالى إذ ليس معه موجود سواه ، فإن ما سواه أثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته ، بل هو قائم به)** ، إذ هو واجب الوجود لذاته وما سواه ممكن الوجود والوجود عارض له ، **(فلم يكن موجوداً معه لأن المعية توجب المساواة في الرتبة ، والمساواة في الرتبة نقصان في الكمال ، بل الكمال ممن لا نظير له)** وفي بعض النسخ والكامل من لا نظير له **(في رتبته . وكما أن اشراق نور الشمس في اقطار الآفاق)** وجوانبها **(ليس نقصاناً في الشمس بل هو من جملة كمالها)** إذ هو راجع إليه ، **(وإنما نقصان الشمس**

عنها، فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع إلى اشراق أنوار القدرة فيكون تابعاً ولا يكون متبعاً فإذاً معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال، وكل إنسان فإنه بطبعه محب لأن يكون هو المنفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية: ما من إنسان إلا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأعلى﴾ [النازعات: ٢٤] ولكنه ليس يجد له مجالاً وهو كما قال، فإن العبودية قهر على النفس. والربوبية محبوبة بالطبع، وذلك للنسبة الربانية التي أومأ إليها بقوله تعالى: ﴿قُلْ الرُوحْ منْ أمر ربي﴾ ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال، فهي محبة للكمال ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال، وكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته، ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته. وإنما الكمال بعد أن يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء على كل الموجودات، فإن أكمل الكمال أن يكون وجود غيرك منك فإن لم يكن منك فإن تكون مستولياً عليه، فصار الاستيلاء على الكل محبوباً بالطبع، لأنه نوع كمال. وكل موجود يعرف ذاته فإنه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به، إلا أن الاستيلاء على الشيء بالقدرة على التأثير فيه، وعلى تغييره بحسب

بوجود شمس أخرى تساويها في الرتبة مع الاستغناء، فكذلك كل ما في العالم يرجع إلى اشراق أنوار القدرة) الباهرة **(فيكون تابعاً ولا يكون متبعاً، فإذاً معنى الربوبية التفرد بالوجود وهو الكمال، وكل انسان فإنه بطبعه محب لأن يكون هو المتفرد بالكمال ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية: ما من انسان إلا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله: ﴿انا ربكم الأعلى﴾ (ولكنه ليس يجد له مجالاً)** وربما يستأنس لهذا القول بما رواه ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث جابر: الجبروت في القلب وما اشتهر على الألسنة من كلامهم الظلم كمين في النفس العجز يخفيه والقدرة تبديه، **(وهو كما قال، فإن العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع، وذلك للنسبة الربانية التي أومأ)** أي أشار **(إليها قوله تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال، فهي محبة للكمال)** أبداً **(ومشتهية له وملتذة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال، فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته، ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته، وإنما الكلام بعد أن يسلم التفرد بالوجود في الاستيلاء)** والغلبة **(على كل الموجودات، فإن أكمل الكمال)** إلى غاية درجاته **(أن يكون وجود غيرك منك فإن لم يكن منك فإن تكون مستولياً عليه، فصار الاستيلاء على الكل محبوباً بالطبع، لأنه نوع كمال)** بالإضافة إلى الأول. **(وكل موجود يعرف ذاته فإنه يحب ذاته ويحب كمال ذاته، ويلتذ بها، إلا ان الاستيلاء على الشيء يكون بالقدرة على التأثير فيه، وعلى تغيره بحسب**

الإرادة وكونه مسخراً لك تردده كيف تشاء ، فأحب الإنسان أن يكون له استيلاء على كل الأشياء الموجودة معه إلا أن الموجودات منقسمة إلى ما لا يقبل التغيير في نفسه كذات الله تعالى وصفاته ، وإلى ما يقبل التغيير ولكن لا يستولي عليه قدرة الخلق ، كالأفلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين ، وكالجبال والبحار . وما تحت الجبال والبحار . وإلى ما يقبل التغيير بقدرة العبد كالأرض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس ، فإنها قابلة للتأثير والتغيير مثل أجسادهم وأجساد الحيوانات .

فإذا انقسمت الموجودات إلى ما يقدر الإنسان على التصرف فيه كالأرضيات ، وإلى ما لا يقدر عليه كذات الله تعالى والملائكة والسموات ، أحب الإنسان أن يستولي على السموات بالعلم والإحاطة والاطلاع على أسرارها ، فإن ذلك نوع استيلاء ؛ إذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي عليه ، فلذلك أحب أن يعرف الله تعالى والملائكة والأفلاك والكواكب . وجميع عجائب السموات ، وجميع عجائب البحار والجبال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها ، والاستيلاء نوع كمال . وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة إلى معرفة طريق الصنعة فيها ، كمن يعجز عن وضع

الإرادة وكونه مسخراً لك) أي مذللاً منقاداً **(تردده كيف تشاء ، فأحب الإنسان أن يكون له الاستيلاء على الاشياء الموجودة معه: إلا أن الموجودات منقسمة إلى ما لا يقبل التغير في نفسه)** أي ذاته **(كذات الله تعالى وصفاته)** فإنها لا تقبل تغيراً أصلاً ، **(وإلى ما يقبل التغير)** في نفسه **(ولكن لا تستولي عليه قدرة الخلق ، كالأفلاك والكواكب)** المركوزة فيها **(وملكوت السموات ونفوس الملائكة والجن والشياطين ، وكالجبال والبحار)** فإنها قابلة للتغير ولكن لا استيلاء لقدرة الخلق على تغيرها عن هيئاتها الموجودة فيها . **(وإلى ما يقبل التغير بقدرة العبد كالأرض وأجزائها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان من جملتها قلوب الناس ، فإنها تقبل التأثير والتغير كأجسادهم وأجساد سائر الحيوان .**

فإذا انقسمت الموجودات إلى ما يقدر الإنسان على التصرف فيه كالأرضيات ،وإلى ما لا يقدر عليه كذات الله والملائكة والسموات ، أحب الانسان أن يستولي على السموات بالعلم والإحاطة والاطلاع على اسرارها ، فإن ذلك نوع استيلاء ، إذ المعلوم المحاط به كالداخل تحت العلم والعالم كالمستولي عليه ، فلذلك أحب أن يعرف الله تعالى والملائكة والأفلاك والكواكب ، وجميع عجائب السموات ، وعجائب البحار والجبال وغيرها لأن ذلك نوع استيلاء عليها ، والاستيلاء نوع كمال . وهذا يضاهي اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة إلى معرفة طريق الصنعة فيها ، كمن يعجز عن وضع الشطرنج) وهي اللعبة المعروفة

الشطرنج فإنه قد يشتهي أن يعرف اللعب به وأنه كيف وضع، وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة أو الشعبذة أو جر الثقيل أو غيره وهو مستشعر في نفسه بعض العجز والقصور عنه ولكنه يشتاق إلى معرفة كيفيته فهو متألم ببعض العجز متلذذ بكمال العلم إن علمه.

وأما القسم الثاني: وهو الأرضيات التي يقدر الإنسان عليها فإنه يحب بالطبع أن يستولي عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان: أجساد وأرواح.

وأما الأجساد؛ فهي الدراهم والدنانير والأمتعة فيجب أن يكون قادراً عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع، فإن ذلك قدرة والقدرة كمال. والكمال من صفات الربوبية، والربوبية محبوبة بالطبع، فلذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه، وكذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الأشخاص الأحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار، وإن لم يملك قلوبهم، فإنها لم تعتقد كماله حتى يصير محبوباً لها ويقوم القهر منزلته فيها، فإن الحشمة القهرية أيضاً لذيذة لما فيها من القدرة.

فارسي معرب وأصله صدرنك أي مائة حيلة، وواضعها صمصمة بن دامر حكيم من حكماء الهند للملك من ملوكهم، (**فإنه قد يشتهي ان يعرف اللعب به وأنه كيف وضع**) ولماذا وضع، (**وكمن يرى صنعة عجيبة في الهندسة**) علم معروف وأصله أندازه ومعناه تقدير مجاري القنى (**أو الشعبذة**) وهي الحيل (**أو جر الثقيل**) وهو علم معروف من الهندسة (**أو غيره وهو مستشعر في نفسه نقص العجز والقصور عنه لكنه يشتاق إلى معرفة كيفيته فهو متألم بنقص العجز وملتذ بكمال العلم إن علمه**.

وأما القسم الثاني: وهي الأرضيات التي يقدر الإنسان عليها، فإنه يحب بالطبع ان يستولي **عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان: أجساد وأرواح**.

أما الاجساد: فهي الدراهم والدنانير والأمتعة فيجب أن يكون قادراً عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والتسليم والمنع، فإن ذلك) نوع تصرف فيها وهو (**قدرة والقدرة كمال، والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع، فلذلك أحب الأموال وإن كان لا يحتاج إليها في مطعمه وملبسه وفي شهوات نفسه، وكذلك طالب استرقاق العبيد واستعباد أشخاص الأحرار ولو بالقهر والغلبة حتى يتصرف في أجسادهم وأشخاصهم بالاستسخار، وإن لم يملك قلوبهم، فإنها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوباً لها وتقوم منزلته بها، فإن الحشمة القهرية أيضاً لذيذة لما فيها من القدرة**) والتمكن كيف شاء.

القسم الثاني: نفوس الآدميين وقلوبهم وهي أنفس ما على وجه الأرض، فهو يحب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة تحت إشارته وإرادته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية. والقلوب إنما تتسخر بالحب ولا تحب إلا باعتقاد الكمال، فإن كل كمال محبوب لأن الكمال من الصفات الإلهية والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الإنسان، وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله، فإنه محل الإيمان والمعرفة وهو الواصل إلى لقاء الله تعالى والساعي إليه فإذاً معنى الجاه تسخر القلوب، ومن تسخرت له القلوب كانت له قدرة واستيلاء عليها، والقدرة والاستيلاء كمال وهو من أوصاف الربوبية، فإذا محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم والقدرة، والمال والجاه من أسباب القدرة، ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات، وما دام يبقى معلوم، أو مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول. ولذلك قال ﷺ: «منهومان لا يشبعان» فإذا مطلوب القلوب الكمال. والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور، فسرور كل إنسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال، فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوباً، وهو أمر وراء كونه محبوباً لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فإن هذه العلة قد تبقى مع

(القسم الثاني: نفوس الآدميين وقلوبهم وهي أنفس ما على وجه الأرض، فهو يحب أن يكون له استيلاء وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفة) جارية **(تحت إشارته وإرداته لما فيه من كمال الاستيلاء والتشبه بصفات الربوبية. والقلوب إنما تتسخر بالحب ولا تحب إلا باعتقاد الكمال، فإن كل كمال محبوب)** ومرغوب إليه **(لأن الكمال من الصفات الإلهية والصفات الإلهية كلها محبوبة بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الإنسان، وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط عليه التراب فيأكله، فإنه محل الإيمان والمعرفة وهو الواصل إلى لقاء الله عز وجل والساعي إليه، فإذاً معنى الجاه تسخر القلوب)** وتذللها وانقيادها، **(ومن تسخرت القلوب له كانت له قدرة واستيلاء عليها والقدرة والاستيلاء كمال وهو من أوصاف الربوبية، فإذا محبوب القلب بطبعه الكمال بالعلم، والقدرة والمال والجاه من أسباب القدرة ولا نهاية للمعلومات ولا نهاية للمقدورات، وما دام يبقى معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول، ولذلك قال ﷺ: «منهومان لا يشبعان»)** منهوم المال ومنهوم العلم وقد تقدم قريباً. **(فإذاً مطلوب القلب الكمال والكمال)** إنما يتم **(بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور، فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال، فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه محبوباً، وهو أمر وراء كونه محبوباً لأجل التوصل إلى قضاء الشهوات فإن هذه العلة قد تبقى مع سقوط**

سقوط الشهوات، بل يحب الإنسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به إلى الأغراض، بل ربما يفوّت عليه جملة من الأغراض والشهوات، ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات، لأن في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبية فكان محبوباً بالطبع إلا أن في حب كمال العلم والقدرة أغاليط لا بد من بيانها إن شاء الله تعالى.

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له:

قد عرفت أنه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود إلا في العلم والقدرة، ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي، وبيانه أن كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلاثة أوجه:

أحدها: من حيث كثرة المعلومات وسعتها، فإنه محيط بجميع المعلومات، فلذلك كلما كانت علوم العبد أكثر كان أقرب إلى الله تعالى.

الثاني: من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به، وكون المعلوم مكشوفاً به كشفاً تاماً، فإن المعلومات مكشوفة لله تعالى بأتم أنواع الكشف على ما هي عليه، فلذلك مهما

الشهوات، بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به إلى الأغراض، بل ربما يفوت عليه جملة من الأغراض والشهوات، ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجائب والمشكلات لأن في العلم استيلاء على المعلوم) وهو الإحاطة بجزئياته (**وهو نوع من الكمال الذي هو نوع من صفات الربوبية فكان محبوباً بالطبع، إلا أن في حب كمال العلم والقدرة أغاليط**) جمع أغلوطة وهي ما توقع الانسان في غلط (**فلا بدّ من بيانها إن شاء الله تعالى**).

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي الذي لا حقيقة له:

(**قد عرفت أنه لا كمال بعد فوات التفرد بالوجود إلا في العلم والقدرة، لكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي، وبيانه أن كمال العلم لله تعالى، وذلك من ثلاثة أوجه**).

(**أحدها: من حيث كثرة المعلومات**) كلياتها وجزئياتها لا ساحل لبحر معلوماته، بل تنفد البحار لو كانت مِداداً لكلمات ربي، (**فكذلك كلما كانت علوم العبد أكثر**) وأوسع كان (**أقرب إلى الله عز وجل**) أعني قرباً بالمرتبة والدرجة لا بالمكان.

(**والثاني: من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به**) أي على حقيقته، (**وكون المعلوم مكشوفاً به كشفاً تاماً، فإن المعلومات**) مع سعتها (**مكشوفات لله تعالى بأتم أنواع الكشف**

كان علم العبد أوضح وأيقن وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان أقرب إلى الله تعالى.

الثالث: من حيث بقاء العلم أبد الآباد بحيث لا يتغير ولا يزول، فإن علم الله تعالى باق لا يتصوّر أن يتغير، فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان أقرب إلى الله تعالى.

والمعلومات قسمان: متغيرات وأزليات.

أما المتغيرات: فمثالها العلم بكون زيد في الدار، فإنه علم له معلوم، ولكنه يتصوّر أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلاً، فيكون نقصاناً، لا كمالاً، فكلما اعتقدت اعتقاداً موافقاً وتصوّر أن ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك نقصاً، ويعود علمك جهلاً، ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم، كعلمك مثلاً بارتفاع جبل ومساحة أرض، وتعدد البلاد وتباعد ما

على ما هي عليها، فكذلك مهما كان علم العبد أوضح وأيقن) بالأدلة والبراهين ثم بالكشف الإلهي **(وأصدق وأوفق للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان أقرب إلى الله تعالى)** بالمرتبة والدرجة.

(والثالث: من حيث بقاء العلم أبد الآباد من حيث لا يتغير ولا يزول، فإن علم الله تعالى باق ولا يتصوّر) فيه **(أن يتغير ولا يزول، فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان أقرب إلى الله تعالى)** بالمرتبة والدرجة، وقد عرف حظ العبد من وصف العلم في هذه الوجوه الثلاثة، ولكن يفارقه علمه علم الله تعالى في خواص ثلاثة. إحداها: في المعلومات في كثرتها فإن معلومات العبد وإن كثرت واتسعت فهي محصورة في قلبه فأنى تناسب ما لا نهاية له. والثانية: أن كشفت فلا تبلغ الغاية التي لا ممكن وراءها. والثالث: أن علم الله بالاشياء غير مستفاد بالأشياء، بل الأشياء مستفاد منه وعلم العبد بالأشياء تابع الأشياء وحاصل بها.

(والمعلومات) بأسرها **(قسمان: متغيرات وأزليات)**.

(أما المتغيرات: فمثالها العلم بكون زيد في الدار) مثلاً، **(فإنه علم له معلوم، ولكن يتصور)** في الذهن **(أن يخرج زيد من الدار ويبقى اعتقاد كونه في الدار كما كان)** أولاً، **(فينقلب جهلاً)** إذ خالف المعلوم. **(فيكون نقصاناً لا كمالاً، فكلما اعتقدت اعتقاداً موافقاً له وتصوّر أن ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد أن ينقلب كمالك نقصاً، ويعود علمك جهلاً، ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلاً بارتفاع جبل من الجبال ومساحة أرض)** أي ذرعها، **(وتعدد البلاد وتباعد ما بينها من الأميال والفراسخ،**

بينها من الأميال والفراسخ، وسائر ما يذكر في المسالك والمهالك، وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات تتغير بتغير الإعصار والأمم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق تتغير من حال إلى حال، فليس فيه كمال إلا في الحال ولا يبقى كمالاً في القلب.

القسم الثاني: هو المعلومات الأزلية وهو جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات، فإن هذه معلومات أزلية أبدية، إذ لا يستحيل الواجب قط جائزاً ولا الجائز محالاً ولا المحال واجباً. فكل هذه الأقسام داخلة في معرفة الله وما يجب له، وما يستحيل في صفاته، ويجوز في أفعاله، فالعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى، ويبقى كمالاً للنفس بعد الموت، وتكون هذه المعرفة نور للعارفين بعد الموت ﴿يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يقولونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نورَنا﴾ [التحريم : ٨] أي تكون هذه المعرفة رأس مال يوصل إلى كشف ما لم ينكشف في الدنيا، كما أن من معه سراج خفي فإنه يجوز أن يصير ذلك سبباً لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه، فيكمل النور بذلك لنور الخفي على سبيل الاستتام، ومن ليس

وسائر ما يذكر في المسالك والمهالك، وكذلك العلم باللغات التي هي اصطلاحات) ومواضعات **(تتغير بتغير الأعصار والأمم والعادات. فهذه علوم معلوماتها مثل الزئبق)** وهو الذي يشبه الفضة لكنه يترجرج يستخرج من المعادن ومن حجاراتها بالنار **(يتغير من حال إلى حال)** ولا يثبت على حالة واحدة، **(فليس فيه كمال إلا في الحال ولا يبقى كمالاً في القلب)**.

(والقسم الثاني: هي المعلومات الأزلية وهي جواز الجائزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات، فإن هذه معلومات أبديه أزلية، إذ لا يستحيل الواجب قط جائزاً ولا الجائز محالاً ولا المحال واجباً. وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله تعالى وما يجب له، وما يستحيل في صفاته، ويجوز في أفعاله، فالعلم بالله وبصفاته وأفعاله وحكمته) الكائنة **(في ملكوت السموات والأرض وترتيب الدنيا والآخرة وما يتعلق به)** أي بهذا العلم **(هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله تعالى)** قرب مرتبة ودرجة، **(ويبقى كمالاً للنفس بعد الموت)** أي بعد مفارقةالروحالبدن، **(فتكون هذه المعرفة نوراً للعارفين بعد الموت ﴿يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا﴾ أي تكون هذه المعارف رأس مال يوصل إلى كشف ما لم ينكشف في الدنيا، كما ان من معه سراج خفي فإنه يجوز أن يصير ذلك سبباً لزيادة النور بسراج آخر يقتبس منه، فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتام)** فذلك السراج الخفي هو المعرفة المشار إليها **(ومن ليس معه أصل السراج**

معه أصل السراج، فلا مطمع له في ذلك فمن ليس معه أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور، فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها بل ﴿كظلُمَاتٍ في بَحْرٍ لَجِيّ يَغْشَاهُ موجٌ مِنْ فوقِهِ مَوْجٌ مِنْ فوقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بعضُهَا فَوْقَ بعضٍ﴾ [النور: ٤٠] فإذاً لا سعادة إلا في معرفة الله تعالى وأما ما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة له أصلاً كمعرفة الشعر وأنساب العرب وغيرهما، ومنها ما له منفعة في الإعانة على معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والأخبار، فإن معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القرآن، ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات والأعمال التي تفيد تزكية النفس، ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد استعداد النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زكَّاها﴾ [الشمس: ٩] وقال عز وجل: ﴿والَّذِينَ جَاهَدُوا فينَا لنهدِينَّهمْ سُبلنا﴾

فلا مطمع له في ذلك) أي في الاقتباس وزيادة الانكشاف **(فمن ليس له أصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى)** في يوم القيامة، **(كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)** لشدة رسوخه بها كلما خرج من ظلمة وقع في أخرى بل: ﴿كظلمات في بحر لجيٍّ يغشاهُ موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض﴾ والمراد بها قلوب الكفار، فإن النور يراد للهداية فالمصروف عن طريق الهدى باطل وظلمة، بل أشد من الظلمة لأن الظلمة لا تهدي إلى الباطل كما لا تهدي إلى الحق، وعقول الكفار انتكست، وكذلك سائر إدراكاتهم وتعاونت على الضلال، فمثالهم هذا والبحر اللجي هو الدنيا، والموج الأول موج الشهوات، والثاني موج الصفات السبعية، والسحاب الاعتقادات الخبيثة، فكل ذلك حاجب عن معرفة الأشياء القريبة، فضلاً عن البعيدة فضلاً عن معرفة الله تعالى. **(فإذاً لا سعادة)** ولا كمال **(إلا في معرفة الله تعالى)** ولها سبيلان. أحدهما: السبيل الحقيقي وذلك مسدود إلا في حق الله تعالى، فلا يشرئب أحد بملاحظته إلا اندهش، والثاني: معرفة الأسماء والصفات وفيه تتفاوت مراتب العارفين. **(وأما عدا ذلك من المعارف فمنها ما لا فائدة له أصلاً كمعرفة الشعر وأنساب العرب)** جاهليتها وإسلامها **(وغيرهما)**. أما الشعر: فكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح فلا ترتب عليه فائدة دينية، وأما الانساب: فالعلم بها علم لا ينفع وجهالة لا تضر ويتصوّر ترتب الفوائد في كل من العلمين في الدين لكن بوسائط بعيدة. **(ومنها ماله فائدة تؤدي إلى معرفة الله تعالى كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والاخبار)** النبوية، **(فإن معرفة لغة العرب تعين على معزفة تفسير القرآن، ومعرفة التفسير تعين على معرفة ما في القرآن من كيفية العبادات والأعمال التي تفيد تزكية النفس، ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد في استعداد النفس)** وتهيئتها **(لقبول)** أنوار **(الهداية إلى معرفة الله)** كما هي **(كما قال تعالى: ﴿قد أفلح من زكَّاها﴾)** أي طهرها من شوائب الشرك، **(وقال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا﴾)** أي

[العنكبوت: ٦٩] فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل إلى تحقيق معرفة لله تعالى، وإنما الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله، وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات، إذ الموجودات كلها من أفعاله، فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى، ومن حيث ارتباطها بالقدرة والإرادة والحكمة، فهي من تكملة معرفة الله تعالى، هذا حكم كمال العلم ذكرناه وإن لم يكن لائقاً بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاء أقسام الكمال:

وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد، بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية، وإنما القدرة الحقيقية لله وما يحدث من الأشياء عقيب إرادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة بإحداث الله ـ كما قررناه في كتاب الصبر والشكر، وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربع المنجيات ـ فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله إلى الله تعالى فأما كمال القدرة فلا. نعم له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهي وسيلة له إلى كمال العلم كسلامة أطرافه وقوّة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للإدراك،

جاهدوا أنفسهم بإماتتها عن الرذائل، لأجلنا ﴿لنهدينّهم سبُلنا﴾ أي طريق معرفتنا بالهداية ثمرة المجاهد كما تقدم، (**فتكون جملة هذه المعارف كالوسائل إلى تحقيق معرفة الله، وإنما الكمال معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله، وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات إذ الموجودات كلها من أفعاله، فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى، ومن حيث ارتباطها بالقدرة والإرادة والحكمة، فهي من تكملة معرفة الله تعالى**)، وكل معرفة خارجة عن ذلك فليس فيها كبير شرف، وأيضاً فإن شرف كل علم بشرف معلومه، وأشرف المعلومات هو الله تعالى فلذلك كانت معرفته أشرف المعارف، ويليه هو تكملة لها هذا حكم كمال العلم ذكرناه، وإن لم يكن لائقاً بأحكام الجاه والرياء ولكن أوردناه لاستيفاه أقسام الكمال.

(**وأما القدرة، فليس فيها كمال حقيقي للعبد علم حقيقي**) بالنسبة إلى غيره من أوصاف الكمال، (**وليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية لله تعالى**) وهو القادر المطلق الذي يخترع كل موجود اختراعاً ينفرد به ويستغني فيه عن معاونة غيره. وأما العبد فله قدرة على الجملة ولكنها ناقصة إذ لا تتناول إلا بعض الممكنات ولا تصلح للاختراع، (**وما يحدث من الأشياء عقيب قدرته وإرادته وحركته فهي حادثة بإحداث الله تعالى، كما ذكرناه في كتاب الصبر والشكر وكتاب التوكل وفي مواضع شتى من ربع المنجيات**) كما سيأتي ذلك إن شاء الله تعالى (**فكمال العلم يبقى معه بعد الموت ويوصله إلى الله عز وجل فأما كمال القدرة فلا**) أي ليس كذلك. (**نعم. له كمال من جهة القدرة بالإضافة إلى الحال وهي وسيلة له إلى كمال العلم كسلامة أطرافه وقوّة يده للبطش وقوّة رجليه للمشيٰ و**) قوة (**حواسه للإدراك، فإن**

فإن هذه القوى آلة للوصول بها إلى حقيقة كمال العلم، وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه للتوصل به إلى المطعم والمشرب والملبس والمسكن، وذلك إلى قدر معلوم، فإن لم يستعمله للوصول به إلى معرفة جلال الله فلا خير فيه البتة إلا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب، ومن ظن ذلك كمالاً فقد جهل، فالخلق أكثرهم هالكون في غمرة هذا الجهل، فإنّهم يظنون أن القدرة على الأجساد بقهر الحشمة، وعلى أعيان الأموال بسعة الغنى، وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك أحبوه ولما أحبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية.

أما العلم: فما ذكرناه من معرفة الله تعالى.

وأما الحرية: فالخلاص من أسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبهاً بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب، فإن دفع آثار الشهوة والغضب عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة. ومن صفات الكمال لله تعالى استحالة التغير والتأثر عليه فمن كان عن التغير والتأثر بالعوارض أبعد كان إلى الله

هذه القوى آلة له يتوصل بها إلى حقيقة كمال العلم) فيكون كماله بهذه الإضافة، **(وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى إلى القدرة بالمال وبالجاه للتوصل به إلى المطعم والمشرب والملبس والمسكن وذلك إلى قدر معلوم)** وحد محدود، **(فإن لم يستعمله في الوصول إلى معرفة الله فلا خير فيه البتة إلا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب)** ويمحو أثرها، **(ومن ظن ذلك كمالاً فقد جهل)** وأخطأ طريق الصواب. **(والخلق كلهم هالكون في غمرة هذا الجهل، فإنهم يظنون أن القدرة على الأجساد بقهر الحشمة، وعلى أعيان الأموال بسعة الغنى، وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال)** وقد وطنوا أنفسهم بذلك الظن. **(فلما اعتقدوا ذلك أحبوه)** ومالوا إليه، **(ولما أحبوه طلبوه، ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته)** المقربين عنده، **(وهو العلم والحرية)**.

(أما العلم: فما ذكرناه من معرفة الله تعالى) وأنها أشرف المعلومات مطلقاً.

(وأما الحرية: فالخلاص من أسر الشهوة وغموم الدنيا) وأحزانها، **(والاستيلاء عليها بالقهر تشبهاً بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوة ولا يستهويهم الغضب، فإذا رفع أثر الغضب والشهوة عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله سبحانه استحالة التغير والتأثر عليه، فمن كان عن التأثر والتغير بالعوارض أبعد كان**

تعالى أقرب وبالملائكة أشبه، ومنزلته عند الله أعظم. وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة، وإنما لم نورده في أقسام الكمال لأن حقيقته ترجع إلى عدم ونقصان، فإن التغير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها، والهلاك نقص في اللذات وفي صفات الكمال.

فإذاً الكمالات ثلاثة إن عددنا (عدم التغير بالشهوات وعدم الانقياد لها) كمالاً ككمال العلم وكمال الحرية، وأعني به عدم العبودية للشهوات وإرادة الأسباب الدنيوية. وكمال القدرة للعبد طريق إلى اكتساب كمال العلم، وكمال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته، إذ قدرته على أعيان الأموال وعلى استسخار

إلى الله أقرب وبالملائكة أشبه ومنزلته عند الله أعظم) . وبيانه: أن الموجودات كاملة وناقصة والكامل أشرف من الناقص، ومهما تفاوتت درجات الكمال واقتصر منتهى الكمال على واحد حتى لم يكن الكمال المطلق إلا له، ولم يكن للموجودات الأخر كمال مطلق، بل كانت لها كمالات متفاوتة بإضافة فأكملها أقرب لا محالة إلى الذي له الكمال المطلق، ثم أن الموجودات إما حية أو ميتة، والحي أشرف وأكمل من الميت، ودرجات الأحياء ثلاث درجات: درجة الملائكة، ودرجة الأنس، ودرجة البهائم، فأما درجة البهائم: فهي أسفل في نفس الحياة التي بها شرفها وفي إدراكها نقص. وأما درجة الملائكة: فهي أعلى الدرجات لأنهم مقدسون عن الشهوة والغضب وداعية إلى أمر أجل من ذلك وهو طلب القرب إلى الله تعالى. وأما الإنسان: فدرجة متوسطة بينهما والأغلب عليه في بداية أمره البهيمية إلى أن يشرف عليه بالآخر نور العقل المتصرف في ملكوت السموات والأرض ويظهر فيه الرغبة في طلب الكمال فيعصي مقتضى الغضب والشهوة حتى يضعفا عن تحريكه وتسكينه، فيأخذ بذلك شبهاً من الملائكة، وكذلك إن فطم نفسه عن الجمود. والخيالات وأنس بالإدراك أخذ شبهاً آخر من الملائكة، فإن خاصية الحياة الإدراك والعقل واليهما يتطرق النقص والتوسط والكمال. ومهما اقتدى بالملائكة في هاتين الخاصيتين كان أبعد من البهيمية وأقرب من الملائكة، والملك قريب من الله تعالى، والقريب من القريب قريب. **(وهذا)** أي كونه أبعد عن التغير والتأثر **(كمال ثابت سوى كمال العلم والقدرة، وإنما لم نورده في أقسام الكمال لأن حقيقته ترجع إلى عدم ونقصان، فإن التغير نقصان إذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها، والهلاك نقص في الذات ونقص في صفات الكمال)** للذات.

(فإذاً الكمالات ثلاثة إن عددنا (عدم التغير بالشهوات) وعدم التأثر بها **(وعدم الانقياد لها)** كمالاً ككمال العلم، وكمال الحرية، ونعني به عدم العبودية للشهوات والإرادة للأسباب الدنيوية. وكمال القدرة للعبد طريق إلى اكتساب كمال العلم، وكمال الحرية ولا طريق له إلى اكتساب طريق القدرة الباقية بعد موته، إذ قدرته على أعيان الأموال) بالملك والتصرف **(وعلى**

القلوب والابدان تنقطع بالموت، ومعرفته وحريته لا ينعدمان بالموت بل يبقيان كمالاً فيه ووسيلة إلى القرب من الله تعالى. فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وإن سلم فلا بقاء له، وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي إذا حصل كان أبدياً لا انقطاع له، وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون، وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى: ﴿المالَ وَالبنُونَ زينةُ الحياةِ الدُّنيا والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عِنْدَ ربِّك ثواباً وخيرٌ أملاً﴾ [الكهف: ٤٦] فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالاً في النفس، والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال: ﴿إنَّمَا مثلُ الحياةِ الدُّنيا كَمَاءٍ أنزلنَاهُ منَ السَّماءِ فاختلطَ بهِ نباتُ الأرض﴾ [يونس: ٢٤] الآية. وقال تعالى: ﴿واضْرِبْ لهُم مثلُ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزلناه مِنَ السماء﴾ إلى قوله: ﴿فأصْبَح هشيماً تذرُوه الرِّياح﴾ [الكهف: ٤٥] وكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا، وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات. فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال ظني

استسخار القلوب) بحسن الاعتقاد **(والأبدان)** بالقهر أو بالإحسان **(تنقطع بالموت، ومعرفته وحريته لا ينعدمان بالموت بل يبقيان كمالاً فيه ووسيلة إلى القرب من الله تعالى. فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان)** الذين سلبوا أبصارهم **(فأقبلوا على طلب كمال القدرة بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم وإن سلم فلا بقاء له)** بل ينعدم قريباً، **(وأعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي إذا حصل كان أبدياً)** ثابتاً **(لا انقطاع له، وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون)** أي لا ينظر إليهم نظر رحمة أو لا ينظر إليهم أصلاً لحقارتهم، **(وهم الذين لم يفقهوا)** وفي نسخة لم يفهموا **(قول الله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً)** وخير أملاً﴾ **(فالعلم والحرية هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالاً في النفس)** تهيئها للقرب من الملأ الأعلى، **(والمال والجاه هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثل الله تعالى حيث قال: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾ الآية. وقال تعالى ﴿واضرب لهم مثل الحياةالدنيا)** كماء أنزلناه من السماء﴾ **(إلى قوله:) ﴿فأصبح هشيماً﴾** أي يابساً متحطماً **(تذروه الرياح﴾ فكل ما تذروه رياح الموت فهو زهرة الحياة الدنيا، وكل ما لا يقطعه الموت فهو الباقيات الصالحات، فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال كمال ظني)** وهمي

لا أصل له، وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصوداً فهو جاهل، وإليه أشار أبو الطيب بقوله.

ومن ينفق الساعات في جمع مالـه مخافة فقر فالذي فعـل: الفقـر

إلا قدر البلغة منها إلى الكمال الحقيقي اللهم اجعلنا ممن وفقته للخير وهديته بلطفك.

بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم:

مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمه حكم ملك الأموال فإنه عرض من أعراض الحياة الدنيا، وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الآخرة فكل ما خلق في الدنيا فيمكن أن يتزوّد منه للآخرة، وكما أنه لا بدّ من أدنى مال لضرورة المطعم والمشرب والملبس، فلا بدّ من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق، والإنسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز أن يحب الطعام أو المال الذي يبتاع به الطعام، فكذلك لا يخلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه، ورفيق يعينه، وأستاذ يرشده، وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الأشرار، فحبه لأن يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه

(لا أصل له، وإن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصوداً فهو جاهل وإليه أشار أبو الطيب) أحمد بن الحسين المتنبي **(بقوله:**

(ومن ينفق الساعات في جمع مالـه مخافة فقر فالذي فعـل: الفقـر)

(إلا قدر البلغة منها إلى الكمال الحقيقي) فإنه مقصود لكن بالذات، والله أعلم.

بيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم:

(مهما عرفت أن معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها فحكمـه حكـم ملـك الأمـوال فإنه غرض من) جملة **(اغراض الحياة الدنيا، وينقطـع بـالموت كـالمال والدنيـا مـزرعـة للآخرة)** أي بمنزلة المزرعة التي يحصد منها للتزوّد للآخرة **(فكل ما خلق الله في الدنيا فيمكن أن يتزود منه للآخرة، وكما أنه لا بد من أدنى مال لضرورة المطعم والمشرب والملبس، فلا بد من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق، والإنسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله)** لقوام بدنه **(فيجوز أن يحب الطعام)** ضرورة **(و)** كذا **(المال الذي يبتاع)** أي يشتري **(به الطعام، فكذلك لا يخلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه)** في حاجاته الضرورية، **(ورفيق يعينه على أموره، وسلطان يحرسه)** بمنعته **(ويدفع عنه ظلم الأشرار)** وكيد الفجار، **(فحبه لأن يكون له في قلب خادمه من المحل ما يدعوه إلى الخدمة)** ويبعثه عليها **(ليس بمذموم، و)**

إلى الخدمة ليس بمذموم، وحبه لأن يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم، وحبه لأن يكون له في قلب استاذه من المحل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والعناية به ليس بمذموم، وحبه لأن يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه ليس بمذموم، فإن الجاه وسيلة إلى الأغراض كالمال، فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يفضي إلى أن لا يكون المال والجاه بأعيانهما محبوبين له، بل ينزل ذلك منزلة حب الإنسان أن يكون له في داره بيت ماء لأنه مضطر إليه لقضاء حاجته، ويود أن لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء، فهذا على التحقيق ليس محباً لبيت الماء فكل ما يراد للتوصل به إلى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل إليه. وتدرك التفرقة بمثال آخر وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث أنه يدفع بها فضلة. الشهوة كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام، ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته، كما أنه لو كفي قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به، وقد يحب الإنسان زوجته لذاتها حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي مستصحباً لنكاحها، فهذا هو الحب دون الأوّل، وكذلك الجاه والمال. قد يحب كل واحد منهما على هذين

كذا **(حبه لأن يكون له في قلب رفيقه المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ليس بمذموم)** أيضاً، **(و)** يلتحق بذلك **(حبه لأن يكون له في قلب أستاذه من المحل ما يحسن به إرشاده)** إلى طريق الحق **(وتعليمه والعناية به ليس بمذموم)** أيضاً، **(و)** كذا **(حبه لأن يكون له من المحل في قلب سلطانه)** المتولي أمور السياسة **(ما يحثه ذلك على دفع الشر عنه)** من خارج **(ليس بمذموم)** أيضاً. **(فإن الجاه وسيلة إلى الأغراض كالمال فلا فرق بينهما إلا أن التحقيق في هذا يفضي إلى أن لا يكون المال والجاه في أعيانهما محبوبين، بل ينزل ذلك منزلة حب الإنسان أن يكون له في داره بيت ماء)** وهو موضع قضاء الحاجة، **(لأنه يضطر إليه)** لا محالة **(لقضاء حاجته)** ولا يستغنى عنه، **(ويود)** أنه **(لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء، وهذا على التحقيق ليس يحب بيت الماء، فكل ما يراد للتوصل به إلى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل إليه وتدرك التفرقة)** في ذلك. **(بمثال آخر، وهو أن الرجل قد يحب زوجته من حيث أنه يدفع بها فضلة الشهوة)** المتحصلة من أثار الطعام، **(كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام)** وهو الكيموس، **(ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته)** ولا يحبها أصلاً، **(كما أنه لو كفى قضاء الحاجة لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به)** أصلاً **(و)** لكنه **(قد يحب زوجته لذاتها)** لجمالها وحسن أخلاقها **(حب العشاق)** ولا يتصور في ذهنه قضاء وطر الشهوة منها، **(ولو كفي الشهوة)** من أصلها **(لبقي مستصحباً لنكاحها. فهذا الحب دون الأول، فكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين**

الوجهين. فحبهما لأجل التوسل بهما إلى مهمات البدن غير مذموم. وحبهما لا عيانهما فيما يجاوز ضرورة البدن وحاجته مذموم، ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية، وما لم يتوصل إلى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة، فإن التوصل إلى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام وإليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي.

فإن قلت: طلبه المنزلة والجاه في قلب أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره مباح على الإطلاق كيفما كان، أو يباح إلى حد مخصوص على وجه مخصوص؟ فأقول: يطلب ذلك على ثلاثة أوجه، وجهان منها مباحان، ووجه محظور.

أما الوجه المحظور: فهو أن يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها، مثل العلم والورع والنسب، فيظهر لهم أنه علوي أو عالم أو ورع وهو لا يكون كذلك. فهذا حرام لأنه كذب وتلبيس أما بالقول أو بالمعاملة.

الوجهين، فحبهما لأجل التوصل إلى مهمات البدن) الضرورية **(غير مذموم وحبهما لأعيانهما فيما يجاوز ضرورات البدن وحاجته مذموم، ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية)** من المعاصي، **(وما لم يتوصل إلى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور)** شرعي، وما لم يتوصل إلى اكتسابه بعبادة) دينية **(فإن التوصل إلى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام، وإليه يرجع معنى الرياء المحظور كما سيأتي)** قريباً».

(فإن قلت: طلب الجاه والمنزلة في قلوب) كل من **(أستاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط به أمره)** هل هو **(مباح على الإطلاق كيفما كان، أو يباح على حد مخصوص؟ فأقول: يطلب ذلك على ثلاثة أوجه، وجهان منها مباحان، ووجه منها محظور)**.

(أما الوجه المحظور: فهو أن يطلب قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم فيه صفة هو منفك عنها) أي غير متصف بها، **(مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم أنه علوي)** أي من أولاد علي أو حسيني أو حسني أو فاطمي أو عباسي أو غير ذلك من الأنساب المشهورة، **(أو عالم أو ورع ولا يكون)** في نفس الأمر كذلك، فهذا حرام لأنه تلبيس وكذب إما بالقول بأن ينطق بلسانه ويصرح به، **(وإما بالمعاملة)** فيتزيا بهيئة العلماء الجارية عوائدهم بها في كل عصر وبلاد، أو بهيئة الزهاد أو يجعل على رأسه من الخضرة ما يشير للناس أنه علوي، وكذا كل من زعم فيه أنه عالم أو ورع أو علوي وهو يعرف أنه ليس كذلك فسكت على زعمه فيه فهو كالمقرّ له على ذلك، وهوأيضاً حرام بل يجب عليه أن يقول: لست بعالم لست بورع لست بعلوي.

وأما أحد المباحين؛ فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف ﷺ فيما أخبر عنه الرب تعالى: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خزائِنِ الأرضِ إني حفيظٌ عليمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] فإنه طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظاً عليماً، وكان محتاجاً إليه وكان صادقاً فيه.

والثاني: أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه، حتى لا يعلم فلا تزول منزلته به، فهذا أيضاً مباح لأن حفظ الستر على القبائح جائز، ولا يجوز هتك الستر وإظهار القبيح. وهذا ليس فيه تلبيس، بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به، كالذي يخفي عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يلقي إليه أنه ورع، فإن قوله: إني ورع، تلبيس، وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاد الورع بل يمنع العلم بالشرب.

ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده، فإن ذلك رياء وهو ملبس إذ يخيل إليه أنه من المخلصين الخاشعين لله وهو مراء بما يفعله، فكيف يكون مخلصاً، فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية، وذلك يجري مجرى اكتساب المال الحرام من غير فرق، وكما لا يجوز له أن يتملك مال غيره بتلبيس في عوض أو في

(**وأما المباح: فهو أن يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها**) لغرض صحيح، (**كقول يوسف عليه السلام**) لعزيز مصر: (﴿**اجعلني على خزائن الأرض**﴾) أي ولني أمرها والأرض أرض مصر (﴿**إني حفيظ**﴾) لها عمن لا يستحقها (﴿**عليم**﴾) بوجوه التصرف فيها، (**فإنه**) عليه السلام (**طلب منزلة في قلبه بكونه حفيظاً عليماً فكان محتاجاً إليه**) إذ رأى أنه يستعمله في أمره لا محالة فآثر ما يعم فوائده فقال ما قال، (**وكان صادقاً فيه**) متصفاً بالحفظ والعلم، وقيل: حفيظ على ما استودعت عليهم كاتب حاسب.

(**والثاني: أن يطلب إخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه، حتى لا يعلم ولا تزول منزلته به، فهذا أيضاً مباح لأن حفظ الستر على القبائح جائز، ولا يجوز هتك الستر وإظهار القبيح**) على نفسه كما لا يجوز على غيره، (**فهذا ليس فيه تلبيس**) على باطل، (**بل هو سد لطريق العلم بما لا فائدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان أنه يشرب الخمر ولا يلقي إليه أنه ورع، فإن قوله: إني ورع تلبيس**) بلا شك، (**وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع، بل يمنع العلم بالشرب**) فقط.

(**ومن جملة المحظورات تحسين الصلاة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده**) ويراه بعين الكمال لكونه خاشعاً (**فإن ذلك رياء وهو ملبس إذ يخيل إليه أنه من المخلصين الخاشعين لله**) عز وجل (**وهو مراء بما يفعله، فكيف يكون مخلصاً**) أو خاشعاً؟ (**فطلب الجاه بهذا الطريق حرام، وكذا بكل معصية، وذلك يجري في مجرى اكتساب المال من غير فرق**) بينهما،

غيره فلا يجوز له أن يتملك قلبه بتزوير وخداع، فإن ملك القلوب أعظم من ملك الأموال.

بيان السبب في حب المدح والثناء وارتياح النفس به وميل الطبع إليه وبغضها للذم ونفرتها منه:

اعلم أن لحب المدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب:

السبب الأوّل: وهو الأقوى شعور النفس بالكمال فإنا بينا أن الكمال محبوب، وكل محبوب فإدراكه لذيذ، فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت، والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها، فإن الوصف الذي به مدح لا يخلو إما أن يكون جلياً ظاهراً أو يكون مشكوكاً فيه، فإن كان جلياً ظاهراً محسوساً كانت اللذة به أقل، ولكنه لا يخلو عن لذة كثنائه عليه بأنه طويل القامة أبيض اللون فإن هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته، فإذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة، وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إليك الشك فاللذة فيه أعظم كالثناء عليه بكمال

(وكما لا يجوز له أن يتملك مال غيره بتلبيس في عوض أو غيره، فلا يجوز له أن يتملك قلبه بتزوير) وتلبيس **(وخداع)** وحيل، **(فإن ملك القلوب أعظم من ملك الأموال)** ويؤثر فيها الخداع أكثر منها في الأموال.

بيان السبب في حب المدح والثناء:

(وارتياح النفس به وميل الطباع إليه وبغضها الذم ونفرتها عنه).

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن لحب المدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب)**.

(السبب الأول) منها: **(وهو الأقوى)** وفي نسخة وهو أقواها. **(شعور النفس بالكمال)** أي تشعر بأنها كاملة **(فإنا)** قد **(بينا)** آنفاً **(أن الكمال محبوب، وكل محبوب فإدراكه لذيذ. فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت طرباً وتلذذت، والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها، فإن الوصف الذي به مدح لا يخلو إما أن يكون جلياً ظاهراً، أو يكون مشكوكاً فيه، فإن كان جلياً ظاهراً محسوساً كانت اللذة فيه أقل ولكنه لا يخلو عن لذة)** ما، **(كثنائه عليه بأنه طويل القامة)** تام القد **(أبيض اللون، فإن هذا نوع كمال، ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته، فإذا استشعرته لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة، وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إليه الشك فاللذة فيه أعظم وأقوى كالثناء عليه بكمال**

العلم وكمال الورع أو بالحسن المطلق، فإن الإنسان ربما يكون شاكاً في كمال حسنه وفي كمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقاً إلى زوال هذا الشك بأن يصير مستيقناً لكونه عديم النظير في هذه الأمور إذ تطمئن نفسه إليه، فإذا ذكره غيره أورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال فتعظم لذته، وإنما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها لا يجازف في القول إلا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء أستاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفضل فإنه في غاية اللذة، وإن صدر ممن يجازف في الكلام أو لا يكون بصيراً بذلك الوصف ضعفت اللذة، وبهذه العلة يبغض الذم أيضاً ويكرهه لأنه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مؤلم، ولذلك يعظم الألم إذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه في المدح.

السبب الثاني: أن المدح يدل على قلب المادح مملوك للممدوح وأنه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والأكابر، ويضعف

العلم وكمال الورع أو بالحسن المطلق، فإن الإنسان ربما يكون شاكاً في كمال حسنه وكمال علمه وورعه ويكون مشتاقاً إلى زوال هذا الشك بأن يكون مستيقناً بكونه عديم النظير في هذه الأمور) المذكورة، **(إذ تطمئن نفسه إليه، فإذا ذكره غيره أورثه ذلك طمأنينة وثقة باستشعار ذلك الكمال)** له **(فتعظم لذته)** وارتياحه، **(وإنما تعظم اللذة لهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات خبير بها)** عارف بأنواعها مميز لجيدها من رديها لا يجازف في القول إلا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء استاذه عليه بالكياسة والذكاء وغزارة الفهم ووفور **(الفضل في غاية اللذة)** والارتياح، **(وإن صدر ممن يحزف)** وفي نسخة يجازف **(في الكلام أو لا يكون بصيراً في ذلك الوصف ضعفت اللذة)** وقل الارتياح، **(وبهذه العلة يبغض الذم أيضاً ويكرهه لأنه يشعر بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال المحبوب فهو ممقوت والشعور به مؤلم)** للطبع، **(ولذلك يعظم الألم إذا صدر الذم من بصير موثوق به كما ذكرناه في المدح)**.

(السبب الثاني: أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للممدوح، وأنه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته) مطيع له في سائر أحواله، **(وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته)** ويطول باعه **(وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والأكابر)** وأرباب الأموال، **(ويضعف مهما كان المادح ممن**

مهما كان المادح ممن لا يؤبه له ولا يقدر على شيء ، فإن القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل المدح إلا على قدرة قاصرة ، وبهذه العلة أيضاً يكره الذم ويتألم به القلب ، وإذا كان من الأكابر كانت نكايته أعظم لأن الفائت به أعظم.

السبب الثالث: أن ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه ، لا سيما إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتد بثنائه ، وهذا مختص بثناء يقع على الملأ فلا جرم كلما كان الجمع أكثر والمثني أجدر بأن يلتفت إلى قوله كان المدح ألذ والذم أشد على النفس.

السبب الرابع: أن المدح يدل على حشمة الممدوح ، واضطرار المادح إلى إطلاق اللسان بالثناء على الممدوح إما عن طوع وإما عن قهر ، فإن الحشمة أيضاً لذيذة لما فيها من القهر والقدرة. وهذه اللذة تحصل وإن كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ، ولكن كونه مضطراً إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه ، فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته ، فتكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء أشد.

فهذه الأسباب الأربعة قد تجمع في مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ ، وقد تفترق فتنقص اللذة بها أما العلة الأولى وهي استشعار الكمال فتندفع بأن يعلم الممدوح أنه

لا يؤبه له) ولا يشار إليه **(ولا يقدر على شيء فإن القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر حقير)** ليس له قدر **(فلا يدل المدح إلا على قدرة قاصرة ، وبهذه العلة أيضاً يكره الذم ويتألم به القلب ، وإذا كان من الأكابر كانت نكايته أعظم لأن الفائت به أعظم) .**

(السبب الثالث: إن ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه ، لا سيما إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتد بثنائه) وتعقد عليه الخناصر ، **(وهذا مختص بثناء يقع على الملأ)** أي الجماعة من أشراف القوم ، **(فلا جرم كلما كان الجمع أكثر والمثني أجدر بأن يلتفت إلى قوله كان المدح ألذ والذم أشد على النفس) .**

(السبب الرابع: أن المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح إلى إطلاق اللسان بالثناء عليه إما عن طوع) أي من عند نفسه غير مقهور عليه **(وإما عن قهر ، فإن الحشمة أيضاً لذيذة لما فيها من القهر والقدرة ، وهذه اللذة تحصل وإن كان المادح لا يعتقد في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطراً إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه ، فلا جرم تكون لذته بقدر تمنع المادح وقوته فتكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء أشد) .**

(فهذه الأسباب الأربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ ، وقد تفترق) فلا يوجد إلا بعضها **(فتنقص اللذة بها ، فأما العلة الأولى وهي استشعار الكمال**

غير صادق في قوله، كما إذا مدح الله نسيب أو سخي أو عالم بعلم أو متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك، فتزول اللذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات، فإن كان يعلم أن المادح ليس يعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه، وتبقى لذة الاستيلاء والحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالثناء فإن لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات كلها فلم يكن فيه أصلاً لذة لفوات الأسباب الثلاثة، فهذا ما يكشف الغطاء عن علة إلتذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم، وإنما ذكرنا ذلك ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة، فإن ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته، إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض. والله الموفق بكرمه ولطفه وصلى الله على كل عبد مصطفى.

بيان علاج حب الجاه:

اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفاً بالتودد إليهم والمراءاة لأجلهم، ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتاً إلى ما يعظم منزلته

فتندفع بأن يعلم الممدوح المثنى عليه (**أنه**) أي المادح (**غير صادق**) **في قوله** (**في مدحه، كما إذا مدح بأنه نسيب**) أي ذو نسب عال، (**أو سخي**) أي كريم يجود بالأموال، (**أو عالم بعلم أو متورع عن المحظورات**) الشرعيه (**وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللـذة التي سببها استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فإن كان يعلم أن المادح ليس بمعتقد ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفة بطلت اللذة الثانية وهو استيلاؤه على قلبه. وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالثناء فإن لم يكن ذلك عن خوف**) وقهر (**بل كان بطريق اللعب والمزاح بطلت اللذات كلها فلم تكن فيها أصلاً لذة لفوات الأسباب الثلاثة**) المذكور (**فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح وتألمها بسبب الذم، وإنما ذكرناه**) بالتفصيل المتقدم (**ليعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة**) والثناء (**وخوف المذمة**) وكراهتها، (**فإن ما لا يعرف سببه لا يمكن معالجته**) ولا يتيسر، (**إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض**) وكشف ما خفي منها. والله الموفق بكرمه.

بيان علاج حب الجاه:

(**اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه مقصور الهم على مراعاة الخلق**) في أحوالهم (**مشغوفاً بالتودد إليه والمراءاة لأجلهم**) أي إظهار الرياء، (**ولا يزال في أقواله وأفعاله**

عندهم وذلك بذر النفاق وأصل الفساد، ويجر ذلك لا محالة إلى التساهل في العبادات والمراءاة بها وإلى اقتحام المحظورات للتوصل إلى اقتناص القلوب، ولذلك شبه رسول الله ﷺ حب الشرف والمال وإفسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال عليه الصلاة والسلام: إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل» إذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل، وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر إلى النفاق معهم وإلى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها، وذلك هو عين النفاق.

فحب الجاه إذاً من المهلكات، فيجب علاجه وإزالته عن القلب فإنه طبع جبل عليه القلب كما جبل على حب المال، وعلاجه مركب من علم وعمل.

أما العلم: فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم، وقد بينا أن ذلك إن صفا وسلم فآخره الموت، فليس هو من الباقيات الصالحات، بل لو سجد لك كل من على بسيط الأرض من المشرق إلى المغرب.

وأعماله متلفتاً إلى ما يعظم منزلته عندهم) ويرتفع مقامه وقدره لديهم، (**وذلك بذر النفاق)** الذي يتولد منه (**وأصل الفساد)** الذي ينشأ عليه، (**ويجر ذلك لا محالة إلى التساهل في العبادات والمراءاة بها وإلى اقتحام المحظورات)** وارتكابها (**للتوصل إلى اقتناص القلوب)** وتسخيرها، (**ولذلك شبه رسول الله ﷺ حب الشرف والمال وإفسادهما للدين بذئبين ضاريين)** كما في حديث أسامة بن زيد عند الطبراني في الصغير وفي الكبير من حديث ابن عباس، وفي بعض الروايات وصفهما بعاديين كما في حديث عاصم بن عدي عند الطبراني في الأوسط، وفي أخرى وصفهما بجائعين كما في حديث كعب بن مالك عند أحمد والترمذي وقد تقدم قريباً. (**وقال أيضاً: (إنه ينبت النفاق)** في القلب (**كما ينبت الماء البقل»)** أي العشب. كما رواه الديلمي من حديث أبي هريرة بلفظ: «حب الغنى ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب» وقد تقدم أيضاً (**إذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل، وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر إلى النفاق معهم)** لا محالة، (**وإلى التظاهر بخصال حميدة)** أي يظهرها من نفسه بتكلف (**هو خال عنها، وذلك هو عين النفاق)**.

(**فحب الجاه إذاً من المهلكات فيجب علاجه وإزالته من القلب، فإنه طبع جبل القلب عليه كما جبل على حب المال، وعلاجه مركب من علم وعمل.**

أما العلم: فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب الجاه، وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم) بملكها، (**وقد بينا)** أيضاً (**أن ذلك)** لا يصفو و(**إن صفا وسلم)** من الكدر (**فآخره الموت، فليس هو من الباقيات الصالحات)** التي تستمر إلى ما بعد الموت، (**بل لو)** فرض أنه (**سجد لك كل من على بسيط الأرض من المشرق إلى المغرب)** ودانوا لك

فإلى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له، ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له. فهذا لا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الأبدية التي لا انقطاع لها، ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي ـ كما سبق ـ صغر الجاه في عينه، إلا أن ذلك إنما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده، ويكون حاله كحال الحسن البصري حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز: (أما بعد: فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات) فانظر كيف مدّ نظره نحو المستقبل وقدره كائناً. وكذلك حال عمر بن عبد العزيز حين كتب في جوابه: (أما بعد: فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل)، فهؤلاء كان التفاتهم إلى العاقبة، فكان عملهم لها بالتقوى إذ علموا أن العاقبة للمتقين فاستحقروا الجاه والمال في الدنيا. وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها إلى مشاهدة العواقب، ولذلك قال تعالى: ﴿بل تُؤْثِرُونَ الحياةَ الدُّنْيا *

(فإلى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له) غالباً، **(ويكون حالك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له، فهذا لا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الأبدية التي لا انقطاع لها)** بعد الموت. **(ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق)** ذكره قريباً. **(صغر الجاه في عينه إلا أن ذلك إنما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة فكأنه يشاهدها)** من وراء ستر رقيق **(ويستحقر العاجلة ويستهون أمرها (ويكون الموت كالحاصل عنده)** حالاً، **(ويكون حاله كحال الحسن البصري)** رحمه الله تعالى **(حيث كتب إلى عمر بن عبد العزيز)** أخي عبد الملك وهو يومئذ خليفة. **(أما بعد: فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات)** فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائناً، وكذلك عمر ابن عبد العزيز حيث كتب في جوابه **(أما بعد: فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل)** وهذا الكتاب وجوابه أخرجها أبو نعيم في الحلية وقد تقدم ذكرهما في كتاب ذم الدنيا. **(فهؤلاء كان التفاتهم إلى العاقبة، فكان عملهم لها بالتقوى إذ علموا أن العاقبة للمتقين فاستحقروا المال والجاه في الدنيا)** وإليه أشار القائل:

إن لله عبـــــــاداً فطنـــــــا ... طلقوا الدنيـا وخـافـوا الفتنـا
نظـــروا فيهـــا فلما علمـــوا ... أنها ليســـــت لحي وطنـــــا
جعلـــــوهـــــا لجة واتخذوا ... صـالـح الأعمال فيهـا سفنـا

(وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها إلى مشاهدة العواقب) لقصورها، **(ولذلك قال تعالى ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير**

والآخِرةُ خَيْرٌ وأبقى﴾ [الأعلى : ١٦ ، ١٧] وقال عز وجل : ﴿ كلا بَلْ تُحِبُّونَ العاجلة* وتذرُونَ الآخرة﴾ [القيامة : ٢٠ ، ٢١] فمن هذا حدّه ، فينبغي أن يعالج قلبه من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة ، وهو أن يتفكر في الأخطار التي تستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا ، فإن كل ذي جاه محسود ومقصود بالإيذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من أن تتغير منزلته في القلوب ، والقلوب أشدّ تغيراً من القدر في غليانها وهي مترددة بين الإقبال والإعراض ، فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبني على أمواج البحر فإنه لا ثبات له ، والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك غموم عاجلة ومكدرة للذة الجاه ، فلا يفي في الدنيا مرجوّها بمخوفها فضلاً عما يفوت في الآخرة ، فبهذا ينبغي أن تعالج البصيرة الضعيفة . وأما من نفذت بصيرته وقوي إيمانه فلا يلتفت إلى الدنيا ، فهذا هو العلاج من حيث العلم .

وأما من حيث العمل : فإسقاط الجاه عن قلوب الخلق بمباشرة أفعال يلام عليها حتى يسقط من أعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من

وأبقى﴾ وقال تعالى ﴿ كلا بل تحبون العاجلة* وتذرون الآخرة﴾) إلى غيرها من الآيات . (**فمن هذا حدّه فينبغي أن يعالج قلبه في حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة، وهو أن يتفكر في الأخطار**) أي الأمور العظيمة(**التي تستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا**) أي يصابون بها ، (**فإن كل ذي جاه محسود**) بين الناس (**ومقصود بالإيذاء وخائف على الدوام على جاهه ومحترز من أن تتغير منزلته في القلوب، والقلوب أشد تغيراً**) وانقلاباً (**من القدر في غليانها**) كما رود ذلك في الخبر وتقدم في كتاب عجائب القلب ، (**وهي مترددة بين الإقبال والإعراض**) إما أن تقبل وإما أن تعرض ، (**فكل ما ينبني على قلوب الخلق يضاهي**) أي يشابه (**ما يبنى على أمواج البحر فإنه لا ثبات له**) فكذلك ما يبنى على قلوب الخلق لاثبات له ، (**والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الأعداء كل ذلك غموم عاجلة**) وكدورات متواصلة لا ينفك عنها (**و**) هي (**مكدرة للذة الحياة**) وفي بعض النسخ الجاه ، (**فلا يفي في الدنيا مرجوّها بمخوفها**) إذ مخوفها أكثر من مرجوّها ، (**فضلاً عما يفوت في الآخرة، فهذا ينبغي أن تعالج البصيرة الضعيفة. وأما من نفذت بصيرته**) واستنارت (**وقوي إيمانه لم يلتفت إلى الدنيا**) لكمال علمه بأحوالها . (**فهذا هو العلاج من حيث العلم** .

وأما من حيث العمل فإسقاط الجاه من قلوب الخلق بمباشرة أفعال يلام عليها) ويطعن فيها ، (**حتى يسقط عن أعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويرد الخلق**) وما يـأتي

الخالق. وهذا هو مذهب الملامتية، إذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا أنفسهم من أعين الناس فيسلموا من آفة الجاه، وهذا غير جائز لمنْ يقتدي به فإنه يوهن الدين في قلوب المسلمين، وأما الذي لا يقتدي به فلا يجوز له أن يقدم على محظور لأجل ذلك، بل له أن يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس، كما روى أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد، فلما علم بقربه منه استدعى طعاماً وبقلاً وأخذ يأكل بشره ويعظم اللقمة، فلما نظر إليه الملك سقط من عينه وانصرف، فقال الزاهد: الحمد لله الذي صرفك عني. ومنهم من شرب شراباً حلالاً في قدح لونه لون الخمر حتى يظن به أنه يشرب الخمر فيسقط من أعين الناس. وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه إلا أن أرباب الأحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا إصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير، كما فعل بعضهم، فإنه عرف بالزهد وأقبل الناس عليه،

عنهم (**ويقنع بالقبول من الخالق، وهذا هو منهج الملامتية**) وهم طائفة من الفقراء، وأساس طريقهم على تحقيق كمال الإخلاص، (**إذ اقتحموا الفواحش في صورتها ليسقطوا أنفسهم عن أعين الخلق فيسلموا من آفة الجاه**) لأن مـن شأنهم أنهم لا يظهر ما في باطنهم على ظاهرهم ويضعون الأمور مواضعها لا تخالف إرادتهم وعملهم ارادة الحق وعلمه، ولا ينفون الأسباب التي في محل يقتضي نفيها وعكسه، فإن من دفع السبب من موضع أثبته واضعه فقد سفه وجهل قدره، ومن اعتمد عليه في موضع نفاه لشرك وألحد وهؤلاء هم الذين جاء في حقهم أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري. (**وهذا**) المسلك (**غير جائـز لمن يقتدي به، فإنه يوهن الدين**) أي يضعفه (**في قلوب المسلمين، وأما الذي لا يقتدي به فلا يجوز له أن يقدم على محظور لأجل ذلك، بل له أن يفعل من المباحات ما يسقط قدره عند الناس، كما روي أن بعض الملوك قصد بعض الزهاد**) ليـزوره، (**فلما علم بقربه منه استدعى طعاماً وبقلاً وأخذ يأكل بشره**) أي بحرص (**ويعظم اللقمة فلما نظر إليه الملك سقط من عينه**) إذ كان بلغه صلاحه وإنه صائم الدهر (**وانصرف**) عنه، (**فقال الزاهد: الحمد لله الذي صرفك عني**) وفي بعض النسخ زيادة: وأنت لي ذام. أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة وهب بن منبه وفيه: فأقبل على طعامه يأكله، فقال الملك: فأين الرجل؟ قيل له: هو هذا، قال: هذا الذي يأكل؟ قالوا: نعم، قال: ما عند هذا من خير فأدبَر فقال الرجل: الحمد لله الذي صرفك عني بما صرفك به، وسيأتي ذلك قريباً للمصنف. (**ومنهم من شرب شراباً حلالاً في قدح لونه لون الخمر حتى يظن أنه يشرب الخمر فيسقط**) مقامه (**عن الأعين، وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه**) فإن الفقه لا يرى ذلك جائزاً ويفتي بحرمة فعله لأجـل التشبيـه بـالمحـرمـات، (**إلا أن أربـاب الأحوال ربما يعالجون أنفسهم بما لا يفتى به في الفقه**) ولا يجوّزه الفقيه (**مهما رأوا فيه صِلاح قلوبهم، ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم، فإنه عرف بالزهد**

فدخل حماماً ولبس ثياب غيره وخرج فوقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا: إنه طرّار وهجروه، وأقوى الطرق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة إلى موضع الخمول، فإن المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته، فإنه ربما يظن أنه ليس محباً لذلك الجاه وهو مغرور، وإنما سكنت نفسه لأنها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه فذموه أو نسبوه إلى أمر غير لائق به جزعت نفسه وتألمت، وربما توصلت إلى الاعتذار عن ذلك وإماطة ذلك الغبار عن قلوبهم، وربما يحتاج إلى إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتلبيس ولا يبالي به، وبه يتبين بعد أنه محب للجاه والمنزلة. ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه فإن فتنة الجاه أعظم، ولا يمكنه أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس، فإذا أحرز قوته من كسبه أو من جهة أخرى وقطع طمعه عن الناس رأساً أصبح الناس كلهم عنده

وإقبال الناس عليه) فأراد أن يخلع نفسه عن ذلك، (فدخل حماماً و) لما خرج (لبس ثوب غيره، **فخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فأخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا: إنه طرّار**) وهو الذي يقطع النفقات على غفلة من أهلها (**وهجروه**) فاستراح من الناس، وقد سبق ذكر هذه الحكايات في المقدمة، وذكرنا هناك اعتراض ابن الجوزي وابن القيم في اعتراضهما على المصنف في تقرير مثل هذا وأمثالها وذكرنا الجواب عنه. (**وأقوى الطريق في قطع الجاه الاعتزال عن الناس**) جملة (**والهجرة إلى موضع الخمول**) يصح له فيه خمول ذكره، (**فإن المعتزل في بيته في البلدة التي هو بها مشهور**) ومعروف ومذكور (**لا يخلو من حب المنزلة التي ترشح له في القلوب بسبب منزلته، فربما يظن أنه ليس محباً لذلك الجاه وهو مغرور**) قد غره الشيطان بذلك، بل ربما تكون فتنة هذا أعظم من فتنة الذي هو مخالط للناس، (**وإنما سكنت نفسه لأنها قد ظفرت بمقصودها**) ولذا كان بعض الشيوخ يقول: لا أعرف لانكباب الناس عليّ وجهاً إلا لكوني اعتزلتهم في بيتي، وإلاّ فالذي عندي موجود عند غيري. (**ولو تغير الناس عما اعتقدوه فيه**) من الصلاح والورع والزهد (**وذموه أو نسبوه إلى أمر غير لائق به جزعت نفسه**) لا محالة (**وتألمت، وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك وإماطة ذلك الغبار عن قلوبهم، وربما يحتاج في إزالة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتلبيس**) وتزوير (**ولا يبالي به**) وهذا هو الفارق، (**وبه يتبين بعد أنه محب للجاه والمنزلة**) وأنه لم يخرج ذلك من قلبه، (**ومن أحب الجاه والمنزلة فهو كمن أحب المال بل هو شر منه، فإن فتنة الجاه أعظم**) من فتنة المال، (**ولا يمكنه أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس**) وهذا هو الجاه، (**فإذا أحرز قوته من كسبه بيده أو من جهة أخرى وقطع طمعه من الناس رأساً أصبح الناس**

كالأرذال، فلا يبالي أكان له منزلة في قلوبهم أم لم يكن، كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه في أقصى المشرق لأنه لا يراهم ولا يطمع فيهم، ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة. فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن، ولا يتم ترك الجاه إلا بالقناعة وقطع الطمع. ويستعين على جميع ذلك بالأخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم: المؤمن لا يخل من ذلة أو قلة أو علة. وينظر في أحوال السلف وإيثارهم للذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة رضي الله عنهم أجمعين.

بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهة الذم:

اعلم أن أكثر الناس إنما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم، فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء للمدح وخوفاً من الذم، وذلك من

كلهم عنده كالأرذال) أي الاسقاط، **(فلا يبالي كانت له منزلة في قلوبهم أم لم تكن، كما لا يبالي بما في قلوب الذين هم منه)** متباعدون **(في أقصى الشرق)** أو الغرب، **(لأنه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة، فمن قنع)** عزو **(استغنى عن الناس وإذا استغنى)** عنهم **(لم يشغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن)** أي مقدار، **(ولا يقطع ذلك الجاه إلا بالقناعة)** باليسير من الرزق **(وقطع الطمع)** عما في أيديهم، **(ويستعين على جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه و)** في **(مدح الخمول والذل مثل قولهم: المؤمن لا يخلو من ذلة أو قلة)** أي من المال **(أو علة)** وهو قول مشهور على ألسنة الناس، ويستأنس له بما رواه ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث أبان عن أنس مرفوعاً «المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله ونفس تنازعه وشيطان يضله». ومما يستعين عليه من الأخبار ما رواه الديلمي عن أبان عن أنس رفعه «المؤمن بيته قصب وطعامه كسر وثيابه خلق ورأسه شعث وقلبه خاشع ولا يعدل بالسلامة شيئاً» **(وينظر)** مع ذلك **(في أحوال السلف)** في الكتب المتضمنة لها كالحلية لأبي نعيم **(وإيثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الآخرة)** وتركهم حظوظ الدنيا العاجلة، ثم ينظر أنها بأجمعها ستفنى ولا يبقى معه إلى ما بعد الموت، فما تأمل الناظر في ذلك إلا وقنع بالدون ورضي باليسير وقطع أثر حب الجاه من قلبه، والله الموفق.

بيان وجه العلاج لحب المدح وكراهية الذم:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن أكثر الخلق إنما هلكوا بخوف مذمة الناس)** منهم **(وحب مدحهم)** من كل لسان **(فصارت حركاتهم كلها موقوفة على ما يوافق رضا الناس رجاء

المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الذم.

أما السبب الأول: فهو استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك: هذه الصفة التي يمدحك بها أنت متصف بها أم لا؟ فإن كنت متصفاً بها فهي إما صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع، وإما صفة لا تستحق المدح كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية فإن كانت من الأعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذي يصير على القرب هشيماً تذروه الرياح، وهذا من قلة العقل، بل العاقل يقول كما قال المتنبي:

أشدّ الغم عندي في سرورٍ   تيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بعروض الدنيا، وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها. وإن كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي أن لا يفرح بها لأن الخاتمة غير معلومة، وهذا إنما يقتضي الفرح لأنه يقرب عند الله زلفى، وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من سوء الخاتمة

المدح) منهم **(وخوفاً من الذم)** يلحق بهم، **(وذلك)** في الحقيقة **(من المهلكات فيجب معالجته وطريقه ملاحظة الأسباب التي لأجلها يحب المدح ويكره الذم.**

فأما السبب الأول: فهو استشعار الكمال) أي يستشعر كمالاً في نفسه **(بسبب قول المادح)** فيه **(فطريقك فيه أن ترجع إلى عقلك وتقول لنفسك: هذه الصفة التي يمدحك بها هل أنت متصف بها أم لا؟ فإن كنت متصفاً فهي إما صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع)** مثلاً، **(وإما صفة لا تستحق بها كالثروة والجاه والأعراض الدنيوية، فإن كانت من الأعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح بنبات الأرض الذي يصير على القرب هشياً)** أي متحطماً متكسراً **(تذروه الرياح)** أي تطيره، **(وهذا من قلة العقل بل العاقل يقول كما قال)** أبو الحسن أحمد بن الحسين **(المتنبي)** رحمه الله تعالى:

(أشد الغم عندي في سرور   تيقن عنه صاحبه انتقالا)

(فلا ينبغي أن يفرح الإنسان بعرض الدنيا) فإنه متاع زائل، **(وإن فرح فلا ينبغي أن يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها، والمدح ليس هو سبب وجودها، وإن كانت الصفة مما يستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي أن لا يفرح بها لأن الخاتمة غير معلومة)** بل هي مجهولة في علم الله تعالى، **(وهذا إنما يقتضي الفرح لأنه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق)** لم يزل، **(ففي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا)** يشغله عنه، **(بل الدنيا)**

شغل عن الفرح بكل ما في الدنيا، بل الدنيا دار أحزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح، فإن اللذة في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي أن تفرح بالمدح، والمدح لا يزيدك فضلاً وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون، ومثالك مثال من يهزأ به إنسان ويقول: سبحان الله ما أكثر العطر الذي في أحشائه وما أطيب الروائح التي تفوح منه؟ إذا قضى حاجته، وهو يعلم ما تشتمل عليه أمعاؤه من الأقذار والأنتان، ثم يفرح بذلك فكذلك إذا أثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك وأقذار صفاتك. كان ذلك من غاية الجهل. فإذاً المادح إن صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله عليك، وإن كذب فينبغي أن يغمك ذلك ولا تفرح به.

وأما السبب الثاني: وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سبباً لتسخير قلب آخر، فهذا يرجع إلى حب الجاه والمنزلة في القلوب ـ وقد سبق وجه معالجته ـ

كما تقدم (**دار أحزان وغموم**) وانكاد تتوالى (**لا دار فرح وسرور، ثم إن كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي أن يكون فرحك بفضل الله عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح**) لك به، (**فإن اللذة**) إنما هي (**في استشعار الكمال والكمال موجود من فضل الله تعالى لا من مدح المادح، والمدح تابع له فلا ينبغي أن يفرح بالمدح، والمدح لا يزيدك فضلاً**) هذا كله اذا كنت متصفاً بما مدحت به، (**وإن كانت الصفة التي مدحت بها أنت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجهل**) ونهاية الجنون، (**ومثالك من يهزأ به انسان ويقول: سبحان الله ما أكثر العطر الذي في أحشائه**) أي مطاوي بطنه، (**وما أطيب الروائح التي تفوح منه إذا قضى حاجته وهو يعلم ما تشمل عليه امعاؤه**) في الباطن (**من الاقذار والأنتان، ثم يفرح بها**) ولا يدرك الذي يستهزىء به. (**وكذلك أنت إذا أثنوا عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك وأقذار صفتك**) مما يجانب الصلاح والتقوى. (**كان ذلك من غاية الجهل. فإذاً المادح إن صدق فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله عليك**) ولا يكن فرحك بالمدح، (**وإن كذب**) في مدحه، (**فينبغي أن يغمك ذلك ولا تفرح.**)

وأما السبب الثاني: وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سبباً لتسخير قلب آخر، فهذا يرجع إلى حب الجاه والمنزلة في القلوب ـ وقد سبق وجه معالجته) قريباً ـ

وذلك بقطع الطمع عن الناس وطلب المنزلة عند الله، وبأن تعلم أن طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط منزلتك عند الله، فكيف تفرح به؟

وأما السبب الثالث: وهو الحشمة التي اضطرت المادح إلى المدح، فهو أيضاً يرجع إلى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح، بل ينبغي أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به - كما نقل ذلك عن السلف - لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة - كما ذكرناه في كتاب آفات اللسان - قال بعض السلف: من فرح بمدح فقد مكن الشيطان من أن يدخل في بطنه. وقال بعضهم: إذا قيل لك نعم: الرجل أنت، فكأن أحب إليك من أن يقال لك: بئس الرجل أنت، فأنت والله بئس الرجل. وروي في بعض الأخبار - فإن صح فهو قاصم للظهور - أن رجلاً أثنى على رجل خيراً عند رسول الله ﷺ فقال: «لو كان صاحبك حاضراً فرضي الذي قلت فمات على ذلك دخل النار». وقال ﷺ مرة للمادح: «ويحك قصمت ظهره لو سمعك ما أفلح إلى يوم القيامة» وقال عليه الصلاة والسلام: «ألا لا تمادحوا وإذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب» فلهذا

(وذلك بقطع الطمع) عنه **(وطلب المنزلة عند الله، وبأن تعلم أن طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك بها يسقط منزلتك عند الله، فكيف تفرح به.**

وأما الثالث: وهو الحشمة التي اضطرت المادح إلى المدح فهي أيضاً ترجع إلى قدرة عارضة لاثبات لها ولا يستحق الفرح بها، بل ينبغي أن يغمك مدح المادح وتكرهه وتغضب به - كما نقل ذلك عن السلف) الصالحين - وذلك **(لأن آفة المدح على الممدوح عظيمة - كما ذكرناها في كتاب آفات اللسان - قال بعض السلف: من فرح بمدح فقد امكن الشيطان من أن يدخل في بطنه)** هذا إذا فرح بمدح ما ليس فيه، وأما إذا فرح بما هو فيه فإن اغتر بأن ما مدح به هو من فعل نفسه ونسي أنه من فضل الله عليه وجد الشيطان أيضاً سبيلاً لتغريره وتسويله. **(وقال بعضهم: إذا قيل لك: نعم الرجل أنت وكان أحب إليك من أن يقال لك: بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل)**، وهذا مثل قولهم: إذا قال الرجل أنا خير من الكلب فالكلب خير منه. **(وروي في بعض الأخبار فإن صح)** وروده **(فهو قاصم لظهورنا: أن رجلاً أثنى على رجل خيراً عند رسول الله ﷺ فقال «لو كان صاحبك حاضراً فرضي بالذي قلت فمات على ذلك دخل النار»)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **(وقال ﷺ مرة للمادح «ويحك قطعت ظهره ولو سمعك ما أفلح إلى يوم القيامة»)** رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي بكرة بلفظ «ويحك قطعت عنق أخيك والله لو سمعها ما أفلح أبداً. إذا اثنى أحدكم على أخيه فليقل إن فلاناً ولا أزكى على الله أحداً» وقد رواه الشيخان بنحوه، وكذا أحمد وأبو داود وابن ماجه، وابن أبي الدنيا في الصمت، وقد تقدم في آفات اللسان.

كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور العظيم به، حتى أن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلاً عن شيء فقال: أنت يا أمير المؤمنين خير مني وأعلم، فغضب وقال: إني لم آمرك بأن تزكيني. وقيل لبعض الصحابة: لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله، فغضب وقال: إني لأحسبك عراقياً. وقال بعضهم ـ لما مدح ـ اللهم إني عبدك تقرب إليّ بمقتك فأشهدك على مقته. وإنما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق، فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض إليهم مدح الخلق، لأن الممدوح هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد من الله الملقى في النار مع الأشرار، فهذا الممدوح إن كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره، وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وثنائه عليه، إذ ليس أمره بيد الخلق. ومهما علم أن الأرزاق والآجال بيد الله تعالى قلّ التفاته إلى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه. والله الموفق للصواب برحمته.

(**فلهذا كان الصحابة**) رضوان الله عليهم (**على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور به حتى روي أن بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلاً عن شيء فقال: يا أمير المؤمنين أنت خير مني وأعلم. فغضب وقال إني لم آمرك أن تزكيني**). وقد روى ابن أبي الدنيا عن إبراهيم التيمي رفعه «ذبح الرجل أن تزكيه في وجهه وروي عن عمر بن الخطاب قال: المدح ذبح. وعن خالد بن معدان قال: من مدح إماماً أو أحداً بما ليس فيه على رؤوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه. (**وقيل لبعض الصحابة: لن يزال الناس بخير ما أبقاك الله، فغضب وقال: إني لأحسبك عراقياً**) أي لان أهل العراق منهم المجازفة في المدح. (**وقال بعضهم لما مدح: اللهم ان عبدك تقرب الي بمقتك فاشهد على مقته**) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت عن أحمد بن بجير، حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان، عن أبي سنان، عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: أثنى رجل على رجل من المصلين في وجهه فقال: اللهم إن عبدك فساقه. (**و**) هؤلاء (**إنما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق، فكان اشتغال قلوبهم بأحوالهم عند الله يبغض إليهم مدح الخلق، لأن الممدوح هو المقرب عند الله والمذموم بالحقيقة هو المبعد عن الله**) أي عن رحمته، (**الملقى في النار مع الأشرار. فهذا الممدوح إن كان عند الله من أهل النار فما أعظم جهله إذا فرح بمدح غيره، وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله وثنائه عليه إذ ليس أمره بيد الخلق**) بل المتفضل هو الله تعالى، (**ومهما علم أن الآجال والأرزاق بيد الله قل التفاته إلى مدح الخلق وذمهم**) فإنهم لا يقلبون حاصلاً ولا يقطعون واصلاً، (**وسقط من قلبه حب المدح والثناء واشتغل بما يهمه من أمر دينه**) والله الموفق بكرمه.

بيان علاج كراهة الذم:

قد سبق ان العلة في كراهة الذم هو ضد العلة في حب المدح، فعلاجه أيضاً يفهم منه. والقول الوجيز فيه أن من ذمك لا يخلو من ثلاثة أحوال.

إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد به النصح والشفقة، وإما أن يكون صادقاً ولكن قصده الإيذاء والتعنت، وإما أن يكون كاذباً.

فإن كان صادقاً وقصده النصح فلا ينبغي أن تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه، بل ينبغي أن تتقلد منته فإن من أهدى إليك عيوبك فقد أرشدك إلى المهلك حتى تتقيه، فينبغي أن تفرح به وتشتغل بإزالة الصفة المذمومة عن نفسك إن قدرت عليها. فأما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك إياه فإنه غاية الجهل، وإن كان قصده التعنت فأنت قد انتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلاً به، أو ذكرك عيبك إن كنت غافلاً عنه، أو قبحه في عينك لينبعث حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنته. وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدته منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتيح لك أسبابها

بيان علاج كراهية الذم:

(قد سبق) قريباً **(أن العلة في كراهية الذم هو ضد العلة في حب المدح، فعلاجه أيضاً يفهم منه، والقول الوجيز)** أي المختصر الخالي عن التطويل **(فيه أن من ذمك)** في شيء من أمورك **(لا يخلو من ثلاثة أحوال.**

إما أن يكون صادقاً فيما قال وقد قصد) في قوله **(النصح)** لك **(والشفقة)** عليك **(وإما أن يكون صادقاً)** فيما قال، **(ولكنه قصد الإيذاء)** لك **(والتعنت)** أي إيقاعك في العنت وهو المشقة، **(أو يكون كاذباً)** فيما قال.

(فإن كان صادقاً وقصده النصح) والشفقة، **(فلا ينبغي أن تذمه وتغضب عليه وتحقد بسببه، بل ينبغي ان تتقلد منه منة، فإن من أهدى إليك عيوبك فقد** أرشدك إلى **)** ما هو **(المهلك لك حتى تتقيه)** وتتحفظ منه، **(فينبغي أن تفرح به وتشتغل بإزالة الصفة المذمومة)** التي هي عابتك **(عن نفسك ان قدرت عليها، فأما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك إياه فإنه غاية الجهل)** ونهاية الحمق، **(وإن كان قصده التعنت فإنك قد انتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلاً)** به، **(أو ذكرك عيبك إن كنت غافلاًعنه، أو قبحه في عينك لينبعث حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنته، وكل ذلك أسباب سعادتك)** ونجاتك **(وقد استفدته منه)** مجاناً، **(فاشتغل بطلب السعادة)** والنجاة، **(فقد اتيحت لك أسبابها**

بسبب ما سمعته من المذمة. فمهما قصدت الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وأنت لا تدري، ولو دخلت عليه كذلك لخفت أن يحز رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل: أيها الملوث بالعذرة طهر نفسك، فينبغي أن تفرح به لأن تنبيهك بقوله غنيمة، وجميع مساوىء الأخلاق مهلكة في الآخرة والإنسان إنما يعرفها من قول أعدائه فينبغي أن تغتنمه.

وأما قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك فلم تغضب عليه بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به؟

الحالة الثالثة: أن يفتري عليك بما أنت بريء منه عند الله تعالى فينبغي أن لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه، بل تتفكر في ثلاثة أمور.

أحدها: أنك إن خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه، وما ستره الله من عيوبك أكثر، فاشكر الله تعالى إذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت بريء عنه.

بسبب ما سمعته من المذمـة، فمهما قصدت الدخول على) حضرة **(ملك)** أو أمير **(وثوبك ملوث)** أي ملطخ **(بالعذرة)** أي النجاسة، **(وأنت لا تدري، فلو دخلت عليه كذلك لخفت أن يحز)** أي يقطع **(رقبتك لتلويثك مجلسه بالعذرة)** الكائنة في ثوبك **(فقال لك قائل: أيها الملوث بالعذرة طهّر نفسك)** أي ثوبك، **(فينبغي أن تفرح به، لأن تنبهك بقوله غنيمة)** ومن نبه فيا قصر. **(وجميع مساوىء الأخلاق)** مما تقدم ذكرها في كتاب رياضة النفس **(مهلكة في الآخرة، والإنسان إنما يعرفها من قول أعدائه)** وحساده، **(فينبغي أن يغتنمه) .**

(فإذا قصد العدوّ التعنت) معك **(فجناية منه على دين نفسه وهو نعمة منه عليك، فلم تغضب عليه)** أيها الإنسان **(بقول انتفعت به أنت وتضرر هو به) ؟** فهاتان الحالتان فيما إذا كان صادقاً.

(والحالة الثالثة أن يفتري عليك بما أنت برىء منه عند الله) وإنما نسبك إليه كذباً وزوراً، **(فينبغي أن لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر بثلاثة أمور) .**

(أحدها أنك إذا خلوت عن ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأشباهه، وما ستره الله من عيوبك أكثر) مما ظهر عليك، **(فاشكر الله إذ لم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بما أنت برىء منه) .**

والثاني: أن ذلك كفارات لبقية مساوئك وذنوبك فكأنه رماك بعيب أنت بريء منه وطهرك من ذنوب أنت ملوّث بها وكل من اغتابك فقد أهدى إليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك. فما بالك تفرح بقطع الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك إلى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله.

وأما **الثالث:** فهو أن المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله وأهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الأليم، فلا ينبغي أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول: اللهم أهلكه، بل ينبغي أن تقول: اللهم أصلحه، اللهم تب عليه، اللهم ارحمه، كما قال ﷺ: «اللهم اغفر لقومي، اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون» لما أن كسروا ثنيته وشجوا وجهه وقتلوا عمه حمزة يوم أُحد. ودعا إبراهيم بن أدهم لمن شجّ رأسه بالمغفرة فقيل له في ذلك فقال: علمت أني مأجور بسببه وما نالني منه إلا خير فلا أرضى أن يكون هو معاقباً بسببي. ومما يهوّن عليك كراهة المذمة قطع الطمع فإن من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم أثر ذلك في قلبك. وأصل الدين القناعة وبها ينقطع

(والثاني: أن ذلك كفارة لبقية مساوئك وذنوبك فكأنه رماك بعيب أنت بريء منه وطهرك من ذنوب أنت ملوث بها، وكل من اغتابك فقد أهدى إليك حسناته) ـ كما تقدم في آفات اللسان ـ **(وكل من مدحك فقد قطع ظهرك)** كما تقدم في الذي اثنى على آخر فقال ﷺ «ويحك قد قطعت عنقه». **(فما بالك تفرح بقطع الظهر)** والعنق **(وتحزن بهدايا الحسنات التي تقربك إلى الله، وأنت تزعم أنك تحب القرب من الله)**.

(وأما الثالث: فهو أن المسكين قد جنى على دينه حتى سقط من عين الله عزوجل وأهلك نفسه بافترائه) وكذبه، **(وتعرض لعقابه الأليم. فلا ينبغي أن تغضب عليه مع غضب الله عليه فتشمت به الشيطان وتقول: اللهم اهلكه)** اللهم امته، **(بل ينبغي أن تقول: اللهم اصلحه اللهم تب عليه)** اللهم وفقه اللهم اغفر له **(اللهم ارحمه)** وامثال ذلك، **(كما قال رسول الله ﷺ إذ قال: «اللهم اغفر لقومي اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» إذ ضربوه)** وأدموا وجهه كما رواه البيهقي في دلائل النبوّة وقد تقدم. قال العراقي: والحديث في الصحيح أنه ﷺ قاله حكاية عن نبي من الأنبياء حين ضربه قومه.

(ودعا إبراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى **(لمن)** سأله عن العمران فاشار به الى المقبرة فغضب عليه، وقال: أسألك عن العمران وأنت تشير بي إلى المقبرة فضربه **(وشج رأسه)** فدعا له **(بالمغفرة فقيل له في ذلك. فقال: اعلم أني مأجور بسببه فلا أرضى أن يكون هو معاقباً بسببي)**. والقصة أخرجها أبو نعيم في الحلية وقد تقدمت. **(ومما يهوّن عليك كراهية المذمة قطع الطمع)** عن الناس، **(فإن من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم أثر ذلك في قلبك)** بل

الطمع عن المال والجاه، وما دام الطمع قائماً كان حب الجاه والمدح في قلب من طمعت فيه غالباً، وكانت همتك إلى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة، ولا ينال ذلك إلا بهدم الدين، فلا ينبغي أن يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فإن ذلك بعيد جداً.

بيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم:

اعلم أن للناس أربعة أحوال. بالإضافة إلى الذام والمادح:

الحالة الأولى: أن يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافئه أو يحب مكافأته، وهذا حال أكثر الخلق وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب.

الحالة الثانية: أن يمتعض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح باطنه، ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور، وهذا من النقصان إلا انه بالإضافة إلى ما قبله كمال.

الحالة الثالثة: وهي أول درجات الكمال أن يستوي عنده ذامه ومادحه فلا تغمه

ولم يشعر به، (**وأصل الدين القناعة، وبها ينقطع الطمع عن الجاه والمال، وما دام الطمع قائماً كان حب الجاه والمدح في قلب من طمعت فيه غالباً، وكانت همتك إلى تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا ينال ذلك إلا بهدم الدين**) وترك طريق المتقين، (**فلا ينبغي أن يطمع طالب المال والجاه ومحب المدح ومبغض الذم في سلامة دينه، فإن ذلك بعيد جداً**) والله الموفق بكرمه.

بيان اختلاف أحوال الناس في المدح والذم:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن للناس أربعة أحوال بالإضافة إلى الذام والمادح**):

(**الحالة الاولى: أن يفرح بالمدح ويشكر المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافئه أو يحب مكافأته، وهذا حال أكثر الخلق**) في سائر الأزمان لأن الطباع قد جبلت على ذلك (**وهو غاية درجات المعصية في هذا الباب**).

(**الحالة الثانية: أن يمتعض في الباطن**) أي يلتوي باطنه بوجع (**على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافأته ويفرح باطنه، ويرتاح للمادح**) في الباطن (**ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور، وهذا من النقصان**) عن رتبة الكمال (**إلا أنه بالإضافة إلى ما قبله كمال**).

(**الحالة الثالثة: وهي أول درجات الكمال أن يستوي عنده ذامه ومادحه أي يكونان على**

المذمة ولا تسره المدحة. وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغروراً إن لم يمتحن نفسه بعلاماته. وعلاماته أن لا يجد في نفسه استثقالاً للذام عند تطويله الجلوس عنده أكثر مما يجده في المادح، وأن لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام، وأن لا يكون انقطاع الذام عن مجلسه أهون عليه من انقطاع المادح، وأن لا يكون موت المادح المطري له أشد نكاية في قلبه من موت الذام، وأن لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الذام، وأن لا تكون زلة المادح أخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام. فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب! وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس لهم مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون أنفسهم بهذه العلامات، وربما شعر العابد بميل قلبه إلى المادح دون الذام، والشيطان يحسن له ذلك ويقول: الذام قد عصى الله بمذمتك، والمادح قد أطاع الله بمدحك، فكيف تسوي بينهما؟ وإنما استثقالك للذام من الدين المحض. وهذا محض التلبيس، فإن العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي أكثر مما

حد سواء فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة. وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه) ويقول: أنا قد استوى عندي الذام والمادح، **(ويكون مغروراً إن لم يمتحن نفسه بعلاماته. وعلاماته)** كثيرة منها: **(أن لا يجد في)** نفسه استثقالاً للذام عند تطويله **(الجلوس عنده اكثر مما يجد في المادح و)** منها: **(لا يجد في نفسه زيادة هزة ونشاط في قضاء حوائج المادح فوق ما يجده في قضاء حاجة الذام، و)** منها: **(أن يكون انقطاع الذام عن مجلسه أهون عليه من إنقطاع المادح، و)** منها: **(أن لا يكون موت المادح المطري)** أي المبالغ **(له أشد نكاية في قلبه من موت الذام، و)** منها: **(أن لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الذام، و)** منها: **(أن لا يكون زلة المادح أخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام)**. فهذه العلامات التي يمتحن بها نفسه وهي الأصول وما عدا ذلك يرجع إليها. **(فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من كل وجه فقد نال هذه الرتبة، وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح الناس)** لهم والثناء عليهم **(مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون أنفسهم بهذه العلامات)** وهو غرور عظيم. **(وربما يشعر العابد بميل قلبه إلى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول له: قد عصى الله بمذمتك والمادح قد أطاع الله بمدحتك، فكيف تسوّي بينهما وإنما استثقالك الذام من الدين المحض. فهذا)** الذي يغره الشيطان **(محض التلبيس)** منه عليه، **(فإن العابد لو تفكر علم أن في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي أكثر مما ارتكبه الذام في مذمته)** له، **(ثم أنه لا**

ارتكب الذام في مذمته، ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم، ويعلم أن المادح الذي مدحه لا يخلو عن مذمه غيره. ولا يجد في نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما لا يجد لمذمة نفسه، والمذمة من حيث أنها معصية لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره. فإذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض، ثم إن الشيطان يخيل إليه أنه من الدين حتى يعتل على الله بهواه فيزيده ذلك بعداً من الله، ومن لم يطلع على مكائد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع يفوّت عليه الدنيا ويخسره في الآخرة، وفيهم قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعمالاً* الَّذِين ضَلَّ سعيُهُم في الحياةِ الدُّنيا وهم يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

الحالة الرابعة: وهي الصدق في العبادة؛ أن يكره المدح ويمقت المادح، إذ يعلم أنه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين، ويحب الذام إذ يعلم أنه مهدِ إليه عيبه ومرشد له إلى مهمه ومهد إليه حسناته، فقد قال ﷺ: «رأس التواضع أن تكره أن تذكر بالبر والتقوى». وقد روي في بعض الأخبار ما هو قاصم لظهور أمثالنا إن صح، إذ روي أنه ﷺ قال: «ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف إلاّ من...»

يستثقلهم ولا ينفر عنهم، ويعلم أن المادح الذي مدحه لا يخلو من مذمة غيره) عند غيره أو عنده، (**ولا يجد في نفسه نفرة عنه**) ولا استنكاراً (**لمذمة غيره كما لا يجد لمذمة نفسه، والمذمة من حيث أنها معصية لا تختلف بأن يكون هو المذموم أو غيره. فإذا العابد المغرور لنفسه ولهواه يمتعض**) ويتوجع، (**ثم أن الشيطان يخيل إليه أنه من الدين حتى يعتل على الله بهواه فيزيده ذلك بُعْداً من الله، ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فاكثر عباداته تعب ضائع**) لا يفيد شيئاً (**يفوّت عليه الدنيا**) لتركه إياها (**ويخسر في الآخرة**) لاغتراره بتلبيس الشيطان، (**وفيهم قال الله تعالى ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بالأخسَرِينَ أعمالاً* الّذين ضلَّ سعيُهم في الحياةِ الدّنيا وهُمْ يَحْسَبُون أنّهم يُحْسِنُون صُنْعاً﴾**) فهؤلاء قد خسرت أعمالهم وكثر تعبهم وضل سعيهم، فلم يمتعوا نفوسهم بالدنيا لزهدهم عنها ولا أخلصوا في أعمالهم ليتمتعوا بها في الآخرة فهم ممن خسر الدنيا والآخرة معاً.

(**الحالة الرابعة: وهي الصدق في العبادة: أن يكره المدح ويمقت المادح، إذ يعلم أنه فتنة عليه قاصمة للظهر**) داقة للعنق (**مضرة له في الدين، ويحب الذام إذ يعلم أنه مهد إليه عيوبه ومرشد له إلى مهمه ومهد إليه حسناته، وقد قال ﷺ: «رأس التواضع أن يكره أن يذكر بالبر والتقوى»**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً. (**وقد روي في بعض الأخبار ما هو قاصم لظهور أمثالنا إن صح**) وروده، (**إذا روي أنه ﷺ قال: ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف إلا مَنْ ....» فقيل: يارسول‌الله إلا من؟ فقال: «إلا من**

فقيل: يا رسول الله: إلا من؟ فقال: « إلا من تنزهت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة »، وهذا شديد جداً، وغاية أمثالنا الطمع في الحالة الثانية، وهو أن يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح، ولا يظهر ذلك بالقول والعمل، فأما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها. ثم إن طالبنا أنفسنا بعلامة الحالة الثانية، فإنها لا تفي بها، لأنها لا بدّ وأن نتسارع إلى إكرام المادح وقضاء حاجاته، وتتثاقل على إكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه، ولا نقدر على أن نسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه في سريرة القلب، ومن قدر على التسوية بين المادح والذام في ظاهر الفعل فهو جدير بأن يتخذ قدوة في هذا الزمان إن وجد فإنه الكبريت الأحمر يتحدث الناس به ولا يرى، فكيف بما بعده من المرتبتين؟ وكل واحد من هذه الرتب أيضاً فيها درجات.

أما الدرجات في المدح؛ فهو أن من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت، فيتوصل إلى نيل ذلك بكل ما يمكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق ألسنتهم بالمدح وهذا من الهالكين.

تنزهت نفسه عن الدنيا وأبغض المدحة واستحب المذمة») قال العراقي: لم أجده هكذا، وذكر صاحب الفردوس من حديث أنس: « ويل لمن لبس الصوف فخالف فعله قوله ». ولم يخرجه ولده في مسنده. **(وهذا شديد جداً وغاية أمثالنا الطمع في الحالة الثانية، وهو أن يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر ذلك بالقول والعمل، وأما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها، ثم إن طالبنا أنفسنا بعلامة الحالة الثانية فما وفت لنا وإلاّ ولا بدّ)** وفي بعض النسخ: فإنا لا نفي بها فإنا ولا بدّ **(أن نتسارع إلى إكرام المادح وقضاء حاجاته، ونتثاقل عن إكرام الذام والثناء عليه وقضاء حوائجه، ولا نقدر أن نسوّي بينهما في الفعل الظاهر كما لا نقدر عليه في سريرة القلب، ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير بأن يتخذ قدوة)** أي شيخاً يقتدي به **(في هذا الزمان إن وجد فإنه)** عزيز جداً مثل **(الكبريت الأحمر يتحدث به ولا يرى)** فهو رابع الغول والعنقاء والخل الوفي، **(فكيف بما بعده من الرتبتين؟ وكل واحدة من هذه الرتب فيها درجات)** متفاوتة.

(أما الدرجات في المدح؛ فهو أن من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت، فيتوصل إلى نيلها بكل ممكن) وفي نسخة بكل ما أمكن **(حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات)** أي ارتكابها **(لاستمالة قلوب الناس)** إليه **(واستنطاق ألسنتُهم بالمدح)** له **(وهذا من الهالكين)** في هوّة الضلال.

ومنهم: من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات، ولا يباشر المحظورات، وهذا على شفا جرف هار، فإن حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الأعمال لا يمكنه أن يضبطها فيوشك أن يقع فيما لا يحل لنيل الحمد، فهو قريب من الهالكين جداً.

ومنهم: من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها، ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه فإن لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من أن يستجره فرط السرور إلى الرتبة التي قبلها وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهية وبغض السرور إليه بالتفكر في آفات المدح، فهو في خطر المجاهدة فتارة تكون اليد له وتارة تكون عليه.

ومنهم: من إذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم به ولم يؤثر فيه وهذا على خير، وإن كان قد بقي عليه بقية من الإخلاص.

ومنهم: من يكره المدح إذا سمعه ولكن لا ينتهي به إلى أن يغضب على المادح وينكر عليه، وأقصى درجاته أن يكره ويغضب ويظهر الغضب وهو صادق فيه، لا أن يظهر

(**ومنهم: من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات، ولا يباشر المحظورات، وهذا على شفا**) أي طرف (**جرف هار**) أي هائر بمعنى ساقط، (**فإن حدود الكلام الذي يستميل به القلوب وحدود الأعمال لا يمكنه أن يضبطها فيوشك أن يقع فيما لا يحل لنيل الحمد، فهو قريب من الهالكين جداً**) فمن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه.

(**ومنهم: من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها، ولكن إذا مدح سبق السرور إلى قلبه**) من غير علاج منه، (**فإن لم يقابل ذلك بالمجاهدة**) والرياضة (**ولم يتكلف الكراهية فهو قريب من أن يستجره فرط السرور إلى الرتبة التي قبلها، وإن جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهة وبغض السرور إليه بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة، فتارة تكون اليد له**) فيغلبه (**وتارة تكون عليه**) فيغلب عليه.

(**ومنهم: من إذا سمع المدح لم يسرّ به ولم يغتم به ولكن لا يؤثر فيه. وهذا على خير، وإن كان قد بقي عليه بقية من الإخلاص**) بسبب عدم اغتمامه.

(**ومنهم: من يكره المدح إذا سمعه، ولكن لا ينتهي به إلى أن يغضب على المادح وينكر عليه وأقصى درجاته أن يكره**) المدح (**ويغضب**) على المادح (**ويظهر**) من نفسه (**الغضب**) عليه (**وهو صادق فيه، لا لمن يظهر الغضب وقلبه محب له فإن ذلك عين**

الغضب وقلبه محب له فإن ذلك عين النفاق، لأنه يريد أن يظهر من نفسه الإخلاص والصدق وهو مفلس عنه؛ وكذلك بالضد من هذا تتفاوت الأحوال في حق الذام، وأول درجاته إظهار الغضب وآخرها إظهار الفرح، ولا يكون الفرح وإظهاره إلا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه وكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو، والإنسان يفرح بمن يذم عدوه، وهذا شخص عدوّه نفسه فيفرح إذا سمع ذمها ويشكر الذام على ذلك ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها، فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده إذا صار بالمذمة أوضع في أعين الناس حتى لا يبتلي بفتنة الناس، وإذا سيقت إليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون خيراً لعيوبه التي هو عاجز عن إماطتها، ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو أن يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه إحداها، ولا يقطع شيئاً منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل.

النفاق، لأنه يريد أن يظهر من نفسه الإخلاص والصدق وهو مفلس منه) مجانب له، **(وكذلك بالضد)** بأن يظهر السرور عند سماع مذمته وقلبه مبغض له **(ومن هذا تتفاوت الأحوال في حق الذام وأول درجاته إظهار الغضب وآخرها إظهار الفرح ولا يكون الفرح وإظهاره إلا ممن في قلبه حنق)** محركة أي غيرة **(وحقد على نفسه لتمردها عليه)** أي عصيانها، **(ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة)** وتخديعاتها **(فيبغضها بغض العدوّ)** ويمقتها مقت البغيض **(والإنسان يفرح بمن يذم عدوّه وهذا شخص عدوّه نفسه فيفرح إذا سمع ذمها ويشكر الذام على ذلك)** وفي نسخة عليها، **(ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة له عنده إذ صار بالمذمة أوضع)** أي أحقر **(في أعين الناس)** ساقطاً لا يؤبه له **(حتى لا يبتلي بفتنة الجاه وإذا سيقت إليه حسنات لم ينصب)** أي لم يتعب **(فيها فعساه يكون خيراً لعيوبه التي هو عاجز عن إماطتها)** أي إزالتها، **(ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو أن يستوي عنده ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ منه لغيره)** من مهمات السلوك **(وبينه وبين السعادة)** أي الوصول إليها **(عقبات كثيرة)** صعبة المرتقى ودونهن حتوف **(وهذه إحدى تلك العقبات ولا يقطع شيء منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل)** ولكن من لاحظته العناية الإلهية تيسرت له أسباب قطعها في الحال وسهل عليه الوصول إلى السعادة ولكل عمل رجال والله الموفق بمنه.

الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات

وهو الرياء: وفيه بيان ذم الرياء، وبيان حقيقة الرياء وما يرائي به، وبيان درجات الرياء؛ وبيان الرياء الخفي؛ وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط؛ وبيان دواء الرياء وعلاجه؛ وبيان الرخصة في إظهار الطاعات، وبيان الرخصة في كتمان الذنوب؛ وبيان ترك الطاعات خوفاً من الرياء والآفات، وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادات بسبب رؤية الخلق؛ وبيان ما يجب على المريد أن يلزمه قلبه قبل الطاعة. وبعدها، وهي عشرة فصول وبالله التوفيق.

بيان ذم الرياء:

اعلم أن الرياء حرام والمرائي عند الله ممقوت، وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار والآثار.

أما الآيات: فقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ ساهُونَ الَّذِينَ هُمْ يَراؤُونَ﴾ [الماعون: ٤ - ٦]، وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَمكُرونَ السَّيِّئاتِ لَهُمْ

الشطر الثاني من الكتاب:

في طلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس بالعبادات:

(وهو الرياء: وفيه بيان ذم الرياء، وبيان حقيقة الرياء وما يرائي به، وبيان درجات الرياء، وبيان الرياء الخفي، وبيان ما يحبط العمل في الرياء وما لا يحبط، وبيان دواء الرياء وعلاجه، وبيان الرخصة في إظهار الطاعات، وبيان الرخصة في كتمان الذنوب، وبيان ترك الطاعات خوفاً من الرياء والآفات، وبيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح، وبيان ما يجب على المريد أن يلزم قلبه قبل الطاعات وبعدها وهي عشرة فصول على الترتيب المذكور).

بيان ذم الرياء:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن الرياء حرام والمرائي**) وهو المتصف به (**عند الله ممقوت**) أي مبغوض أشد البغض. (**وقد شهدت بذلك الآيات والأخبار والآثار**).

(**أما الآيات: فقوله تعالى: ﴿فويل للمصلين* الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾**) أي غافلون غير مبالين بها (**الذين هم يراؤن**) أي يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليها والفاء جزائية أو سببية. (**وقوله عز وجل ﴿الذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك**

عَذَابٌ شَدِيدٌ ومُكْرٌ أولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠] قال مجاهد: هم أهل الرياء. وقال تعالى: ﴿إنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾ [الإنسان: ٩] فمدح المخلصين بنفي كل إرادة سوى وجه الله، والرياء ضده. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠] نزل ذلك فيمن يطلب الأجر والحمد بعباداته وأعماله.

هو يبور﴾ قال مجاهد: هم أهل الرياء. وقال تعالى: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله) على إرادة القول بلسان الحال أو المقال **(لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾)** أي شكراً **(فمدح المخلصين)** من عباده **(بنفي كل إرادة سوى وجه الله تعالى والرياء هو ضده. وقال تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾)** أي يأمل حسن لقائه وثوابه **(فليعمل عملاً صالحاً)** يرتضيه الله **(ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)** بأن يرائيه أو يطلب منه أجراً **(أنزلت فيمن يطلب الأجر والحمد بعباداته وأعماله)** قال العراقي: رواه الحاكم من حديث طاوس قال رجل: إني أقف الموقف ابتغي وجه الله وأحب، أن يرى موطني فلم يرد عليه حتى تزلت هذه الآية. هكذا في نسخة من المستدرك، ولعله سقط منه ابن عباس أو أبو هريرة انتهى.

ووجد بخط الحافظ ابن حجر بإزائه هو ابن عباس وبخط الكمال الدميري الساقط من نسخة المصنف أبو هريرة وهو ثابت في غيرها من النسخ انتهى ما وجدته.

قلت: رواه عبد الرزاق، وابن أبي الدنيا في الإخلاص، وابن أبي حاتم والحاكم عن طاوس هكذا، ولم يذكروا فيه ابن عباس ولا أبا هريرة ورواه الحاكم أيضاً وصححه، والبيهقي عن طاوس عن ابن عباس كما ذكره الحافظ ابن حجر.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كان من المسلمين من يقاتل وهو يحب أن يرى مكانه فأنزل ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً﴾ الآية.

وأخرج ابن المنذر من طريق ابن جريج عن مجاهد قال: قال رجل: يا رسول الله أعتق وأحب أن يرى وأتصدق وأحب أن يرى، فنزلت ﴿فمن كان يرجو﴾ الآية.

وأخرجه ابن منده، وأبو نعيم في الصحابة، وابن عساكر من طريق السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له، فزاد في ذلك لمقالة الناس فنزل في ذلك ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ الآية ثم قال العراقي: للبزار من حديث معاذ بسند ضعيف: « من صام رياء فقد أشرك » الحديث، وفيه أنه ﷺ تلا هذه الآية انتهى.

قلت: ورواه من حديث عبد الرحمن بن غنم الأشعري وهو مختلف في صحبته أنه قال لمعاذ أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من صام «رياء» فقد أشرك، ومن صلى رياء فقد أشرك، ومن

وأما الأخبار: فقد قال ﷺ حين سأله رجل فقال: يا رسول الله فيم النجاة؟ فقال: «أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس»، وقال أبو هريرة في حديث الثلاثة ـ المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارىء لكتاب الله، كما أوردناه في كتاب الإخلاص ـ وإن الله عز وجل يقول لكل واحد منهم: كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد، كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع، كذبت بل أردت أن يقال فلان قارىء. فأخبر ﷺ أنهم لم يثابوا وأن رياءهم هو الذي أحبط أعمالهم، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: «من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به»، وفي حديث

تصدق رياء فقد أشرك» قال: بلى ولكن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ فشق ذلك على القوم واشتد عليهم فقال: «إلا أخرجها عنكم» قالوا: بلى يا رسول الله. فقال: «هي مثل الآية التي في الروم ﴿وما آتيتم من رباً ليربو في أموال الناس فلا يربوا عند الله﴾ [الروم: ٣٩] فمن عمل رياء لم يكتب له ولا عليه».

(وأما الأخبار: فقد قال ﷺ حين سأله رجل: يا رسول الله فيم النجاة؟ فقال: «أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس») أغفله العراقي.

وقرأت في كتاب الفقيه أبي الليث السمرقندي قال: أخبرنا بإسناده عن جبلة اليحصبي قال: كنا في غزاة مع عبد الملك بن مروان، فصحبنا رجل فسهر لا ينام في الليل إلا أقل، فمكثنا أياماً لا نعرفه ثم عرفناه بعد ذلك، فإذا هو رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان فيما حدثنا أن قائلاً من المسلمين قال: يا رسول الله فيم النجاة غداً؟ قال: «أن لا تخادع الله» قال: كيف تخادع الله؟ قال: «أن تعمل بما أمرك الله وتريد به غير وجه الله» الحديث وسيأتي تمامه فيما بعد.

(وروي عن أبي هريرة) رضي الله عنه **(في حديث الثلاثة المقتول في سبيل الله، والمتصدق بماله، والقارىء لكتاب الله أوردناه)** بتمامه **(في كتاب الإخلاص)** وفيه: **(فإن الله عز وجل يقول لكل واحد منهم: كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد، كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع، كذبت بل أردت أن يقال فلان قارىء، فاخبر النبي ﷺ أنهم لم يثابوا)** بما عملوا **(وأن رياءهم هو الذي أحبط أعمالهم)** رواه مسلم وسيأتي في كتاب الإخلاص.

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه: **(قال ﷺ: «من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به»)** قال العراقي: متفق عليه من حديث جندب بن عبدالله.

وأما حديث ابن عمر، فرواه الطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب من رواية شيخ يكنى أبا يزيد عنه بلفظ: «من سمع الناس بعمله سمع الله به مسامع خلقه وحقره وصغره» وفي الزهد لابن المبارك وسند أحمد وابن منيع أنه من حديث عبدالله بن عمرو انتهى.

آخر طويل: « إن الله تعالى يقول لملائكته إن هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين »، وقال ﷺ: « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قالوا وما الشرك الأصغر يا

قلت: حديث جندب أخرجه كذلك ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن ماجه، وأبو عوانة، وابن حبان، والبغوي بلفظ: « من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به ومن شق شق الله عليه يوم القيامة ». ورواه بدون الجملة الأخيرة أحمد ومسلم من حديث ابن عباس ومسلم وابن ماجه والبيهقي في الأسماء والصفات من حديث جندب، وأحمد والطبراني وأبو الشيخ من حديث أبي بكرة.

وأما حديث ابن عمر فأخرجه كذلك ابن أبي شيبة، وهناد في الزهد، وأبو نعيم في الحلية وروى أحمد، وابن أبي شيبة والترمذي وقال: حسن غريب، وابن ماجه، وأبو يعلى من حديث أبي سعيد بلفظ: « من يرائي يرائي الله به ومن يسمع يسمع الله به ».

(وفي حديث آخر طويل: « إن الله عز وجل يقول لملائكته إن هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين ») وهي دركة من دركات جهنم. قال مجاهد: هي تحت الأرض السفلى فيها أرواح الكفار وأعمالهم أعمال السوء. قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في الإخلاص، وأبو الشيخ في كتاب العظمة من رواية ضمرة بن حبيب مرسلاً. ورواه ابن الجوزي في الموضوعات انتهى.

قلت: رواه ابن المبارك، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن ضمرة بن حبيب قال: قال ﷺ: « إن الملائكة يرفعون عمل عبد من عباد الله فيستكثرونه ويزكونه حتى ينتهوا به إلى حيث يشاء الله من سلطانه فيوحي الله إليهم أنكم حفظة على عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه إن عبدي هذا لم يخلص لي عمله فاكتبوه في سجين ويصعدون بعمل عبد فيستقلونه ويحتقرونه حتى ينتهوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه فيوحي الله إليهم أنكم حفظة على عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه إن عبدي هذا قد أخلص لي عمله فاكتبوه في عليين ». فهذا هو الذي أشار إليه المصنف بقوله:

وفي حديث آخر طويل، وأخرج ابن مردويه في التفسير من حديث جابر بن عبدالله قال: حدثني رسول الله ﷺ: « إن الملك يرفع العمل للعبد يرى أن في يديه منه سروراً حتى ينتهي إلى الميقات الذي وضعه الله فيضع العمل فيه فيناديه الجبار من قومه أرم بما معك في سجين فيقول الملك: ما رجعت إليك إلا حقاً. فيقول: صدقت ارم بما معك في سجين ».

وأخرج البزار، والبيهقي من حديث أنس رفعه قال: « تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة في صحف مختمة فيقول الله عز وجل: القوا هذا واقبلوا هذا وتقول الملائكة يا رب والله ما رأينا منه إلا خيراً فيقول: إن عمله كان لغير وجهي ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي ».

(وقال ﷺ: « إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قالوا: وما الشرك

رسول الله؟ قال: «الرياء». يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: إذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء. وقال ﷺ: «استعيذوا بالله عز وجل من جب الحزن» قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: «واد في جهنم أعد للقراء المرائين»، وقال ﷺ: «يقول الله عز وجل: من عمل عملاً أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا منه بريء وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك» وقال عيسى المسيح

الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء» يقول الله عز وجل يوم القيامة: إذا جازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء) قال العراقي: رواه أحمد والبيهقي في الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رواية ورجاله ثقات، ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج انتهى.

قلت: سياق المصنف هو سياق أحمد والبيهقي. وأما سياق حديث الطبراني فلفظه: «يقال لمن يفعل ذلك إذا جاء الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن فاطلبوا ذلك عندهم». ورواه ابن مردويه في التفسير من حديث أبي هريرة بنحوه.

(وقال ﷺ: «استعيذوا بالله من جب الحزن» قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: «واد في جهنم أعد للقراء المرائين») قال الولي العراقي: رواه الترمذي وقال: غريب، وابن ماجه من حديث أبي هريرة، وضعفه ابن عدي انتهى.

قلت: وكذلك رواه البخاري في التاريخ ولفضهم جميعاً: «تعوذوا بالله من جب الحزن» قالوا: يا رسول الله وما جب الحزن؟ قال: «واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة يدخله القراء المراؤن وأن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء». ورواه البيهقي في الشعب مختصراً وفيه قيل: ومن يسكنه؟ قال: «المراؤن بأعمالهم» وقد تقدم في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأما سياق ابن عدي الذي ضعفه «إن في جهنم وادياً تستعيذ منه سبعين مرة أعده الله للقراء والمرائين بأعمالهم وأن أبغض الخلق إلى الله عالم السلطان».

(وقال ﷺ: «يقول الله عز وجل من عمل عملاً أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا منه بريء وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك») قال العراقي: رواه مالك في الموطأ واللفظ له من حديث أبي هريرة دون قوله: «وأنا منه بريء». ومسلم مع تقديم وتأخير دونها أيضاً وهو عند ابن ماجه بسند صحيح اهـ.

قلت: لفظ مسلم وابن ماجه قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». ورواه ابن جرير في تهذيبه، والبزار بلفظه: «قال الله عز وجل من عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فهو كله له وأنا أغنى الشركاء عن الشرك». وعند أحمد ومسلم أ

ﷺ: إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم، وإذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله، وإذا صلى فليرخ ستر بابه فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق وقال نبينا ﷺ: «لا يقبل الله عز وجل عملاً فيه مثقال ذرة من رياء» وقال عمر لمعاذ بن جبل حين رآه يبكي: ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي ﷺ يقول: «إن أدنى الرياء شرك»، وقال ﷺ:

رواية، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي بلفظه: «قال عز وجل: إنه خير الشركاء فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه وهو للذي أشرك». وأخرج البيهقي من حديث جابر رفعه: «يقول الله تعالى: كل من عمل عملاً أراد به غيري فأنا منه بريء». وأخرج الطيالسي، وأحمد، وابن مردويه من حديث شداد بن أوس رفعه: «إن الله يقول: أنا خير قسيم لمن أشرك بي من أشرك بي شيئاً فإن عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به أنا عنه غني». وأخرج البزار، وابن مردويه، والبيهقي من حديث الضحاك بن قيس رفعه: «يقول الله تعالى: أنا خير شريك فمن أشرك معي أحداً فهو لشريكه» الحديث.

(وقال عيسى عليه السلام: إذا كان يوم صومكم فليدهن أحدكم رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم، وإذا أعطت يمينه فليخف عن شماله، وإذا صلى فليرخ ستر بابه فإن الله يقسم الثناء) أي الصيت الحسن **(كما يقسم الرزق)** أخرجه أحمد في الزهد من طريق هلال بن يسار، وسيأتي مثل ذلك من قول عبدالله بن مسعود.

(وقال نبينا ﷺ: «لا يقبل الله عملاً فيه مثقال ذرة من رياء») قال العراقي: لم أجده هكذا.

قلت: هو من كلام يوسف بن إسباط أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق عبدالله بن خبيق. قال: سمعت يوسف بن إسباط يقول فذكره إلا أنه قال: «مثقال حبة» بدل «ذرة».

(وقال عمر لمعاذ بن جبل) رضي الله عنهما **(حين رآه يبكي)** عند القبر: **(ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي ﷺ يقول: «إن أدنى الرياء شرك»)** قال العراقي: رواه الطبراني هكذا، ورواه الحاكم بلفظ: «إن اليسير من الرياء شرك» وقد تقدم قريباً انتهى.

قلت: وتمامه: «واحب العبيد إلى الله الأتقياء الأحفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا شهدوا لم يعرفوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم» هكذا رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية، والحاكم من حديث ابن عمر ومعاذ معاً.

والرواية الثانية التي تقدم ذكرها في فضيلة الخمول: «إن اليسير من الرياء شرك وإن من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، وإن الله يحب الأبرار الأحفياء الأتقياء الذي إذا غابوا لم يفتقدوا

«أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية وهي أيضاً ترجع إلى خطايا الرياء ودقائقه، وقال ﷺ: «إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلاً تصدق بيمينه فكان يخفيها عن شماله» ولذلك ورد: «إن فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفاً» وقال ﷺ: «إن المرائي ينادى عليه يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط أجرك إذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له» وقال شداد بن أوس: رأيت النبي

وإن حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة» وهكذا رواه الطبراني والحاكم من حديث معاذ.

(وقال ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية») رواه ابن مبارك في الزهد من حديث شداد بن أوس، وقد تقدم الكلام عليه في أول أحاديث هذا الكتاب، (وهي أيضاً) أي الشهوة الخفية (ترجع إلى خفايا الرياء ودقائقه). وقدروى أحمد، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم والبيهقي في الحديث المذكور قلت: يا رسول الله فما الشهوة الخفية؟ فقال: «يصبح أحدكم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه ويواقع شهوته».

(وقال ﷺ: «إن في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله رجلاً تصدق بيمينه فكاد أن يخفيها عن شماله») هو متفق عليه من حديث أبي هريرة بنحوه في حديث: «سبعة يظلهم الله في ظله» وقد تقدم في كتاب الزكاة وفي كتاب آداب الصحبة. (ولذلك ورد «يفضل عمل السر على عمل الجهر سبعين ضعفاً) قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء: «إن الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به في السر يضعف أجره سبعين ضعفاً قال البيهق: هذا من إفراد بقية عن شيوخه المجهولين. وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص من حديث عائشة بسند ضعيف: «يفضل الذكر الخفي الذي لا تسمعه الحفظة على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين درجة» انتهى.

قلت: ورواه كذلك البيهقي في الشعب من طريقه وضعفه ولفظه: «سبعين ضعفاً». وأما حديث أبي الدرداء فتمامه عند البيهقي والديلمي: «فلا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس ويعلنه فيكتب علانية ويمحي تضعيف أجره كله، ثم لا يزال به حتى يذكره للناس الثانية ويحب أن يذكر للناس ويحمد عليه فيمحى من العلانية ويكتب رياء».

(وقال ﷺ: إن المرائي ينادى يوم القيامة: يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط أجرك اذهب فخذ أجرك فمن كنت تعمل له») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يسم وزاد: يا كافر يا خاسر لم يقل يا مرائي وإسناده ضعيف.

قلت: هو في الحديث الطويل الذي تقدم ذكر أوله أورده أبو الليث السمرقندي بإسناده إلى جبلة اليحصبي قال: كنا في غزاة مع عبد الملك بن مروان، فصحبنا رجل الحديث وفيه: «واتقوا الرياء فإنه الشرك بالله وأن المرائي ينادي يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء: يا كافر يا

ﷺ يبكي فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «إني تخوّفت على أمتي الشرك أما إنهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولكنهم يراءون بأعمالهم». وقال ﷺ: «لما خلق الله الأرض مادت بأهلها فخلق الجبال فصيرها أوتاداً للأرض، فقالت الملائكة: ما خلق ربنا خلقاً هو أشد من الجبال» فخلق الله الحديد فقطع الجبال، ثم خلق النار فأذابت الحديد، ثم أمر الله الماء بإطفاء النار، وأمر الريح فكدرت الماء، فاختلفت الملائكة فقالت: نسأل الله تعالى، قالوا: يا رب ما أشد ما خلقت من خلقك؟ قال الله تعالى: (لم أخلقْ خلقاً هُوَ أشَدّ عليَّ من قلب ابن آدم حين يتصدق بصدقة بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا أشد خلق خلقته).

فاجر يا غادر يا خاسر ضل عملك وبطل أجرك فلا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع» قال: فقلت له بالله الذي لا إله إلا هو أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال: والذي لا إله إلا هو إني لقد سمعت رسول الله ﷺ إلا أن يكون قد أخطأت شيئاً لم أكن أتعمده ثم قرأ ﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم﴾. [النساء: ١٤٢].

(**وقال شداد بن أوس**) بن ثابت بن المنذر الخزرجي ابن أخي حسان بن ثابت، كنيته أبو يعلى صحابي مات بالشام روى له الجماعة: (**رأيت النبي ﷺ يبكي فقلت: ما يبكيك؟ فقال: «إني تخوفت على أمتي الشرك أما أنهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولكنهم يراؤن بأعمالهم»**) رواه أحمد، وابن ماجه، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي بنحوه. وقد تقدم في أول هذا الكتاب.

(**وقال ﷺ: «لما خلق الله الأرض مادت**) أي تحركت واضطربت (**فخلق الجبال فصيرها أوتاد الأرض**) أي سكنها بها فكانت شبه الأوتاد (**فقالت الملائكة: ما خلق ربنا خلقاً أشد من الجبال» فخلق الله الحديد فقطع الجبال، ثم خلق النار فأذابت الحديد، ثم أمر الله الماء فأطفأ النار، وأمر الريح فكدرت الماء، فاختلفت الملائكة فقالت: نسأل الله تعالى، قالوا: يا رب ما أشد ما خلقت من خلقك**) أي أقواه؟ (**فقال تعالى: ﴿لم أخلق خلقاً هو أشد من ابن آدم حين يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله فهو أشد خلق خلقته﴾**). قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أنس مع اختلاف وقال: غريب انتهى.

قلت: ولفظه: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فالقاها عليها فاستقرت فعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت: يا رب هل في خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد. قالت: يا رب هل خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم. النار. قالت: يا ربّ هل في خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم الماء. قالت: يا رب هل في خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم الريح. قالت: يا رب هل في خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم ابن آدم يتصدق بيمينه ويخفيها

وروى عبد الله بن المبارك بإسناده عن رجل أنه قال لمعاذ بن جبل: حدثني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ قال: فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال: سمعت النبي ﷺ قال لي: «يا معاذ» قلت لبيك بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال: «إني محدثك حديثاً إن أنت حفظته نفعك وإن أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة، يا معاذ إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض، ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكا بوّاباً عليها قد جللها عظماً فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى حين أمسى، له نور كنور الشمس، حتى إذا صعدت به إلى السماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك للحفظة: أضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا صاحب الغيبة أمرني ربي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزني إلى غيري» قال: «ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتمر به فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه أراد بعمله هذا عرض الدنيا أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يفتخر به على الناس في مجالسهم» قال: «وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نوراً من

عن شماله». وهكذا رواه أيضاً أحمد، وعبد بن حميد، وأبو يعلى، والبيهقي، وأبو الشيخ في العظمة، والضياء في المختارة.

(**وروى عبدالله بن المبارك**) المروزي تقدمت ترجمته في كتاب العلم (**بإسناده عن رجل**) لم يسم (**أنه قال لمعاذ بن جبل**) رضي الله عنه: (**حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ. قال: فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت، ثم سكت، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ قال لي: «يا معاذ» قلت: لبيك بأبي أنت وأمي يا رسول الله. قال: إني محدثك حديثاً إن أنت حفظته نفعك وإن أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة، يا معاذ إن الله عز وجل خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض، ثم خلق السموات فجعل لكل سماء من السبعة ملكاً بواباً عليها قد جللها عظماً فتصعد الحفظة**) وهم الكرام الكاتبون (**بعمل العبد من حين يصبح إلى أن يمسي له نور كنور الشمس، حتى إذا طلعت به إلى السماء الدنيا زكته فكثرته فيقول الملك**) الموكل بتلك السماء (**للحفظة**) الصاعدين بذلك العمل: (**اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه، أنا صاحب الغيبة أمرني ربي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزني إلى غيري». قال: «ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فإنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا**) أي متاعها (**أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يفتخر على الناس في مجالسهم» قال:**

صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري أنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم » قال : « وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به ظهره وبطنه ، أنا صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان إذا عمل عملاً أدخل العجب في عمله » قال : « وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد إنه كان يحسد الناس من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلاً من العبادة يحسدهم ويقع فيهم أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري » قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنساناً قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر أضَرَّ به بل كان يشمت به ، أنا ملك الرحمة أمرني ربي أن

« وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج نوراً من صدقة وصيام وصلاة قد أعجب الحفظة فيجاوزن به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يتكبر على الناس في مجالسهم » . قال : « وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر » أي يضيء **(كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وحج وعمرة حتى يجاوزوا به إلى السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا ظهره وبطنه ، أنا صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان إذا عمل عملاً أدخل فيه العجب » . قال : « وتصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به إلى السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه ، أنا ملك الحسد أنه كان يحسد الناس من تعلم ويعمل بعمله وكل من كان يأخذ فضلاً من العبادة ويحسدهم ويقع فيهم أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري » قال : « وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزن به إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنساناً قط من عباد الله أصابه بلاء أو ضر ، بل كان يشمت به . أنا ملك الرحمة أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري » قال : « وتصعد**

لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري » قال : « وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم وصلاة ونفقة وزكاة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، واضربوا به جوارحه أقفلوا به على قلبه إني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي إنه أراد بعمله غير الله تعالى أنه أراد به رفعة عند الفقهاء وذكراً عند العلماء وصيتاً في المدائن ، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري ، وكل عمل لم يكن لله خالصاً فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي » ، قال : « وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله عز وجل ، فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله » قال : فيقول : « الله لهم أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي ، فتقول الملائكة كلهم عليه لعنتك ولعنتنا ، وتقول السموات كلها : عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع والأرض ومن فيهن » . قال معاذ : قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ قال : « اقتد بي وإن كان في عملك نقص ، يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ،

الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صيام وصدقة وصلاة ونفقة واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك يتجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا به جوارحه واقفلوا به على قلبه ، أنا أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي إنه أراد بعمله غير الله إنه أراد به رفعة عند الفقهاء وذكراً عند العلماء وصيتاً في المدائن ، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري ، وكل عمل لم يكن خالصاً فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائي » . قال : « وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السموات حتى يقطعوا به الحجب كلها إلى الله عز وجل ، فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى . قال : فيقول الله تعالى لهم : أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب على نفسه أنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي ، فتقول الملائكة كلها : عليه لعنتك ولعنتنا ، وتقول السموات كلها : عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن » . قال معاذ) رضي الله عنه : **(قلت يا رسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ . قال : « اقتد بي وإن كان في عملك نقص ، يا معاذ حافظ على لسانك من الوقيعة في إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك**

ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة، ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك، ولا تناج رجلاً وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا، ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار. قال تعالى: ﴿والناشطات نشطاً﴾ [النازعات: ٢] أتدري من هن يا معاذ؟ قلت: ما هن بأبي أنت وأمي يا رسول الله؟ قال: كلاب في النار تنشط اللحم والعظم» قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها؟ قال: «يا معاذ إنه ليسير على من يسره الله عليه» قال: فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث.

(وأما الآثار): فيروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلاً يطأطىء رقبته فقال: يا صاحب الرقبة أرفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب، ورأى أبو أمامة الباهلي رجلاً في المسجد يبكي في سجوده فقال: أنت أنت لو

عليك ولا تحملها عليهم، ولا تزك نفسك بذمهم، ولا ترفع نفسك عليهم، ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة، ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلاً وعندك آخر، ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا، ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة في النار. قال الله تعالى: ﴿والناشطات نشطاً﴾ أتدري ما هن يا معاذ؟ قلت: ما هن بأبي أنت وأمي يا رسول الله. قال: كلاب في النار تنشط اللحم والعظم». قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها؟ قال: «يا معاذ إنه ليسير على من يسره الله عليه» قال: فما رأيت أكثر تلاوة للقرآن من معاذ للحذر مما في هذا الحديث) قال العراقي: هو كما قال المصنف رواه ابن المبارك بطوله في الزهد له. وفي إسناده كما ذكر رجل. ورواه ابن الجوزي في الموضوعات انتهى.

وبخط الكمال الدميري، قال الشيخ تقي الدين القشيري: الرجل المذكور هو خالد بن معدان انتهى. وخالد بن معدان هو أبو عبدالله الكلاعي الشامي ثقة عابد يرسل كثيراً عن معاذ، وربما كان بينهما اثنان كما ذكره الحافظ ابن حجر في التهذيب. وقال ابن عراق: ذكر هذا الحديث الحافظ المنذري في ترغيبه مخرجاً من الزهد لابن المبارك، وأشار إلى بعض الطرق المذكورة وغيرها، ثم قال: وبالجملة فآثار الوضع ظاهرة عليه في جميع طرقه وألفاظه، والله أعلم.

(وأما الآثار: فيروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يطأطىء رقبته في الصلاة فقال: يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وإنما الخشوع في القلوب) أورده الاسماعيلي في مناقبه، **(ورأى أبو أمامة الباهلي)** رضي الله عنه **(رجلاً في المسجد يبكي في سجوده فقال: أنت أنت لو كان هذا في بيتك)** أشار بذلك إلى أنه يخاف

كان هذا في بيتك. وقال علي كرم الله وجهه: للمرائي ثلاث علامات؛ يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أثنى عليه وينقص إذا ذم. وقال رجل لعبادة بن الصامت: أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجه الله تعالى ومحمدة الناس، قال: لا شيء لك، فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول: لا شيء لك، ثم قال في الثالثة: إن الله يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، الحديث. وسأل رجل سعيد بن المسيب فقال: إن أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر، فقال له أتحب أن تمقت؟ قال: لا، قال: فإذا عملت لله عملاً فأخلصه. وقال الضحاك: لا يقولن أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقولن هذا لله وللرحم، فإن الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلاً بالدرة ثم قال له: اقتص مني! فقال لا بل أدعها لله ولك؟ فقال له عمر: ما صنعت شيئاً

عليه من الرياء، فأما إذا كان في جوف بيته فلا يطلع عليه أحد إلا الله. **(وقال علي رضي الله عنه: للمرائي ثلاث علامات، يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثنى عليه وينقص إذا ذم)** نقله أبو الليث السمرقندي **(وقال رجل لعبادة بن الصامت)** الأوصي رضي الله عنه: **(أقاتل بسيفي في سبيل الله أريد به وجه الله ومحمدة الناس. قال: لا شيء لك. فسأله ثلاث مرات كل ذلك يقول لا شيء لك. ثم قال في الثالثة: إن الله تبارك وتعالى يقول: أنا أغنى الأغنياء عن الشرك الحديث)**. وقد روي نحوه مرفوعاً من حديث أبي أمامة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: رأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر سأله فقال ﷺ: « لا شيء له » فأعادها ثلاث مرات يقول رسول الله ﷺ: « لا شيء له » ثم قال: « إن الله لا يقبل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه » ورواه أبو داود، والنسائي، والطبراني بسند جيد. وكذلك يروى عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله الرجل يجاهد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من الدنيا. قال: « لا أجر له وأعظم الناس هذه ». فعاد الرجل، فقال: « لا أجر له ». رواه الحاكم وصححه والبيهقي.

(وسأل رجل سعيد بن المسيب) رحمه الله تعالى، **(فقال: إن أحدنا يصطنع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر فقال له: أتحب أن تمقت؟ قال: لا. قال: فإذا عملت عملاً لله فاخلصه. وقال الضحاك)** بن قيس بن خالد بن وهب الفهري: أبو أنيس المشهور صحابي صغير قتل في مرج راهط، سنة أربع وستين، روى له النسائي: **(لا يقول أحدكم هذا الوجه الله ولوجهك، ولا يقول هذا لله وللرحم، فإن الله تعالى لا شريك له)**. وقد روي ذلك عنه مرفوعاً بلفظ: « يقول الله أنا خير شريك فمن أشرك معي أحداً فهو لشريكه يا أيها الناس اخلصوا الأعمال لله فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص إليه، ولا تقولوا هذا لله وللرحم فإنه للرحم وليس لله منه شيء ». **(وضرب عمر)** رضي الله عنه **(رجلاً بالدرة ثم قال له)** عمر: **(اقتصها مني. قال: لا بل أدعها لله ولك، فقال له عمر: ما صنعت شيئاً إما أن تدعها إليّ فاعرف ذلك**

اما أن تدعها لـي فأعرف ذلك أو تدعها لله وحده، **فقال**: ودعتها لله وحده، **فقال**: فنعم إذن. وقال الحسن: لقد صحبت أقواماً إن كان أحدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه وما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة وإن كان أحدهم ليمر فيرى الاذى في الطريق فما يمنعه أن ينحيه إلا مخافة الشهرة ويقال: إن المرائي ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء يا مرائي يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا، وقال الفضيل بن عياض: كانوا يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون. وقال عكرمة: إن الله يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله

لك أو تدعها لله وحده. قال: ودعتها لله وحده. قال: فنعم إذاً) أخرجه الذهبي في نعم السمر من طريق داود بن عمرو الضبي، حدثنا ابن أبي قتيبة، حدثنا سلامة بن مسيح التميمي قال: قال الأحنف بـن قيس: قال: وفدنا على عمر بفتح عظيم فقال: أين نزلتم؟ قلت: في مكان كذا وكذا. فقام معنا إلى مناخ ركائبنا فجعل يتخللها ببصره ويقول: ألا اتقيتم الله في ركابكم، أما علمتم أن لها عليكم حقاً. الا خليتم عنها فأكلت من نبت الأرض؟ فقلنا: يا أمير المؤمنين إنا قدمنا بفتح عظيم فرجع ونحن معه فلقيه رجل فقال: يا أمير المؤمنين انطلق معي فاعدني على فلان فإنه ظلمني فخفق رأسه بالدرة وقال: تدعون عمر وهو معرض لكم حتى إذا شغل في أمر من أمر المسلمين أتيتموه أعدني أعدني فانصرف الرجل يتذمر، فقال عمر: علي به فالقي إليه المخفقة فقال: اقتد. قال: لا ولكن أدعها الله ولك. قال: إما تدعها لله أولي؟ قال: أدعها لله. قال: انصرف ثم جاء يمشي حتى دخل منزله ونحن معه فافتتح الصلاة فصلى ركعتين وجلس، فقال: يا ابن الخطاب ألست كنت وضيعاً فرفعك الله تعالى، وكنت ضالاً فهداك الله، وكنت ذليلاً فأعزك الله ثم حملك على رقاب المسلمين، فجاءك رجل يستعديك فضربته ما تقول لربك غداً إذا أتيته؟ فجعل يعاتب نفسه معاتبة ظننت أنه من خير أهل الأرض.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(لقد صحبت أقواماً إن كان أحدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت أصحابه وما يمنعه منها إلا مخافة الشهرة، وإن كان أحدهم ليمر فيرى الأذى على الطريق فلا يمنعه أن لا ينحيه إلا مخافة الشهرة)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(ويقال: إن المرائي ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا مرائي يا غادر يا خاسر يا فاجر اذهب فخذ أجرك ممن عملت له ولا أجر لك عندنا)**، وهذا قد روي مرفوعاً من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يسم بلفظ: «يا فاجر يا غادر يـا كافر يا خاسر» رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص بسند ضعيف، وقد تقدم قريباً.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: **(كانوا يراءون بما يعملون وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال عكرمة)** مولى ابن عباس: **(إن الله يعطي العبد على قدر نيته ما لا يعطيه على قدر عمله لأن النية لا رياء فيها)** نقله صاحب

لأن النية لا رياء فيها . وقال الحسن رضي الله عنه : المرائي يريد أن يغلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول الناس هو رجل صالح ، وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء ؟ فلا بدّ لقلوب المؤمنين أن تعرفه . وقال قتادة : إذا راءى العبد يقول الله تعالى ، انظروا إلى عبدي يستهزىء بي . وقال مالك بن دينار ، القراء ثلاثة : قراء الرحمن ، وقراء الدنيا ، وقراء الملوك ، وأن محمد بن واسع من قراء الرحمن . وقال [1] الفضيل : من أراد أن ينظر إلى مراء فلينظر إليّ . وقال محمد بن المبارك الصوري : أظهر السمت بالليل فإنه أشرف من سمتك بالنهار لأن السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين . وقال أبو سليمان : التوقي عن العمل أشد من العمل . وقال ابن المبارك : إن كان

القوت . (**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى : (**المرائي يريد أن يغلب قدر الله تعالى وهو رجل سوء يريد أن يقول للناس: هو رجل صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل الأردياء**) جمع رديء ، (**فلا بد لقلوب المؤمنين أن تعرفه**) أخرجه أبو نعيم في الحلية . (**وقال قتادة**) بن دعامة السدوسي البصري العابد الثقة : (**إذا راءى العبد يقول الله تبارك وتعالى: انظروا إلى عبدي يستهزىء بي**) أخرجه البيهقي في الشعب . (**وقال مالك بن دينار**) البصري رحمه الله تعالى : (**القراء ثلاثة: قراء الدنيا وقراء الملوك وقراء الرحمن وأن محمد بن واسع من قراء الرحمن**) قال أبو نعيم في الحلية : حدثنا أبو عمر وعثمان بن محمد العثماني ، حدثنا إسماعيل ابن علي ، حدثنا هارون بن حميد ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر قال : سمعت مالك بن دينار يقول : إن من القراء قراء ذا وجهين إذا لقوا الملوك دخلوا معهم فيما هم فيه ، وإذا لقوا أهل الآخرة دخلوا معهم فيما هم فيه ، وقراء يكونوا من قراء الرحمن وأن محمد بن واسع من قراء الرحمن .

حدثنا أبو حامد بن جبلة ، حدثنا محمد بن إسحاق ، حدثنا هارون ، حدثنا سيار ، حدثنا جعفر قال : سمعت مالك بن دينار يقول : القراء ثلاثة فقارىء للرحمن وقارىء للدنيا وقارىء للملوك . فيا هؤلاء محمد بن واسع عندي من قراء الرحمن .

حدثنا مخلد بن جعفر ، حدثنا عبدالله بن محمد بن ناجية ، حدثنا نصر بن علي قال : سمعت سفيان يقول : قال مالك بن دينار : للأمراء قراء وللأغنياء قراء وأن محمد بن واسع من قراء الرحمن .

(**وقال محمد بن المبارك**) بن يعلى القرشي أبو عبدالله (**الصوري**) القلانسي العابد ، نزيل دمشق وشيخ الشام بعد أبي مسهر ، ذكره ابن حبان في كتاب الثقات . قال : وكان مولده سنة ١٥٣ ووفاته سنة ٢١٥ روى له الجماعة : (**أظهر السمت بالليل فإنه أشرف من سمتك بالنهار لأن السمت بالنهار للمخلوقين وسمتك بالليل لرب العالمين . وقال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى : (**التوقي على العمل أشد من العمل**) . وهذا قد روي مرفوعاً من حديث أبي الدرداء

---

(١) من قوله : « وقال الفضيل » إلى قوله : « فلينظر إليَّ » هذه العبارة لم ترد في سياق الشرح .

الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان، فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: يحب أن يذكر أنه مجاور بمكة. وقال ابراهيم بن أدهم: ما صدق الله من أراد أن يشتهر.

بيان حقيقة الرياء وما يراءى به:

اعلم أن الرياء مشتق من الرؤية، والسمعة مشتقة من السماع، وإنما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير إلا أن الجاه والمنزلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات وتطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات، وإظهارها، فحدّ الرياء هو إرادة العباد بطاعة الله فالمرائي هو العابد

بلفظ: «إن الإتقاء على العمل أشد من العمل» رواه البيهقي بسند ضعيف، ونقل نحوه عن أبي بكر الواسطي قال: «حفظ الطاعة أشد من فعلها لأن مثلها مثل الزجاج لا يقبل الجبر». **(وقال ابن المبارك)** عبدالله رحمه الله تعالى: **(إن الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان)** أي قلبه متعلق بخراسان **(قيل له: وكيف ذلك؟ قال: يحب أن يذكر أنه مجاور بمكة)** وهذا بخلاف قول بعضهم قوم بخراسان وقلوبهم بمكة. **(وقال إبراهيم بن أدهم)** رحمه الله تعالى: **(ما صدق الله من أراد أن يشتهر)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

ومن الآثار قال محمد بن الحنفية: كل ما لا يبتغي به وجه الله مضمحل. أخرجه أبو نعيم في الحلية. وقال الربيع بن خيثم: ما لم يرد به وجه الله يضمحل. أخرجه ابن أبي شيبة. وعن أبي العالية قال: قال لي أصحاب محمد ﷺ: يا أبا العالية لا تعمل لغير الله فيكلك الله إلى ما عملت له. وقال ابن مسعود: من صلى صلاة والناس يرونه فليصل إذا خلا مثلها وإلا فإنما هي إستهانة يستهين بها ربّه. أخرجه ابن أبي شيبة، ويأتي ذلك للمصنف في فصل الرياء بأوصاف العبادات.

بيان حقيقة الرياء وما يراءى به:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن الرياء)** بالكسر ممدوداً **(مشتق من الرؤية)** وهي النظر بحاسة البصر وقد راءى الشخص رؤية **(والسمعة)** بالضم **(مشتقة من السماع)** وقد سمعه وسمع له سمعاً وسماعاً والعمل إن كان إظهاره للناس قصداً لا أن يروه فيظنوا به خيراً أو يسمعوا به خيراً فسمعة، فالمقصود في كل منها رؤية الخلق وسماعهم غفلة عن الخالق وعماية عنه. هذا ما تقتضيه اللغة وقد أشار إليه بقوله: **(وإنما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير)** فيظنوا به خيراً ويكرموه، **(إلا أن الجاه والمنزلة تطلب في القلب بأعمال سوى العبادات و)** تارة **(تطلب بالعبادات، واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات وإظهارها)** للناس، **(فحد الرياء هو إرادة المنزلة بطاعة الله عز وجل، فالمرائي)** على صيغة اسم الفاعل **(هو العابد)** يرائي الناس بعبادته، **(والمراءى له)** على صيغة

والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم، والمراءى به هو الخصال التي قصد المرائي إظهارها، والرياء هو قصده إظهار ذلك والمراءى به كثير وتجمعه خمسة أقسام وهي مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو: البدن، والزي، والقول، والعمل، والأتباع والأشياء الخارجة. وكذلك أهل الدنيا يراءون بهذه الأسباب الخمسة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال ليست من جملة الطاعات أهون من الرياء بالطاعات.

القسم الأوّل: الرياء في الدين بالبدن:

وذلك بإظهار النحول والصفار ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الآخرة، وليدل بالنحول على قلة الأكل وبالصفار على سهر الليل وكثرة الاجتهاد وعظم الحزن على الدين، وكذلك يرائي بتشعيث الشعر ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر. وهذه الأسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الأمور فارتاحت النفس لمعرفتهم، فلذلك تدعوه النفس إلى إظهارها لنيل تلك الراحة. ويقرب من هذا خفض الصوت وإغارة العينين وذبول الشفتين، ليستدل بذلك على أنه مواظب على الصوم، وإن وقار الشرع هو الذي خفض من صوته

اسم المفعول **(هم الناس المطلوب رؤيتهم بطلب المنزلة في قلوبهم، والمراءى به هو)** اسم الخصال التي قصد المرائي إظهارها) لهم و**(الرياء هو قصده إظهار ذلك)** ولا يقع غالباً إلا عن غفلة عن الخالق وعمايته عنه، **(والمراءى به كثير ويجمعه خمسة أقسام هي مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو: البدن والزي والقول والعمل والإتباع والأشياء الخارجة، وكذلك أهل الدنيا يراءون بهذه الأسباب الخمسة إلا أن طلب الجاه وقصد الرياء بأعمال)** هي **(ليست من الطاعات أهون من الرياء بالطاعات)** إذ لا يظن به خيراً إلا لأجلها.

(الأول: الرياء في الدين من جهة البدن: وذلك بإظهار النحول) وهو السقم وقد نحل البدن ينحل نحولاً ونحل كتعب لغة فيه **(والاصفرار)** أي في لون الجسم **(ليوهم بذلك شدة الاجتهاد)** في العبادة **(وعظم الحزن على أمر الدين وغلبة خوف الاخرة)** فإن من غلب عليه خوفها اصفر لونه ونحل جسمه، **(وليدل بالنحول على قلة الأكل وبالاصفرار على سهر الليل وكثرة الإجتهاد وعظم الحزن على الدين، وكذا يرائي بتشعيث الشعر)** وانتشاره **(ليدل به على استغراق الهم بالدين)** أي أموره **(وعدم الفراغ لتسريح الشعر)** ودهنه، كما قيل لبشر الحافي: ألا تسرح لحيتك؟ فقال: إني إذاً لفارغ. **(فهذه أسباب متى ظهرت استدل الناس بها على هذه الأمور وارتاحت النفس لمعرفتهم بها، وكذلك تدعو النفس إلى إظهارها لنيل تلك الراحة، ويقرب من هذا خفض الصوت)** إذا تكلم **(وإغارة العينين وذبول الشفتين)** أي يبسها .**(ليستدل بذلك على أنه صائم مواظب على الصوم، وإن وقار الشرع هو الذي**

أو ضعف الجوع هو الذي ضعف من قوّته. وعن هذا قال المسيح عليه السلام: إذا صام أحدكم فليدهن رأسه ويرجل شعره ويكحل عينيه. وكذلك روي عن أبي هريرة، وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء، ولذلك قال ابن مسعود، أصبحوا صياماً مدهنين، فهذه مراءاة أهل الدين بالبدن.

فأما أهل الدنيا فيراءون بإظهار السمن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتناسبها.

(الثاني: الرياء بالهيئة والزي:

أما الهيئة فبتشعيث شعر الرأس وحلق الشارب واطراق الرأس في المشي والهدء في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه، وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها إلى قريب من الساق، وتقصير الأكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقاً، كل ذلك يرائي به

خفض من صوته وضعف الجوع هو الذي أضعف قوته) أي أوهنها. **(وعن هذا قال عيسى عليه السلام: إذ صام أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويرجل شعره ويكحل عينيه)** لئلا يرى الناس أنه صائم وقد تقدم قريباً بأتم منه، **(وكذلك روي عن أبي هريرة)** رضي الله عنه من قوله: **(وذلك كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء، ولذلك قال ابن مسعود)** رضي الله عنه لأصحابه: **(أصبحوا صياماً)** جمع صائم **(مدهنين)** أي لئلا يرى عليكم الصوم. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن جعفر حدثنا عبدالله بن أحمد، حدثنا محمد بن جعفر الدركاني، أخبرنا شريك، عن أبي حصين، عن يحيى بن وثاب، عن مسروق، عن عبدالله قال إذا أصبح أحدكم صائماً ـ أو قال: ـ إذا كان أحدكم صائماً فليترجل، وإذا تصدق صدقة بيمينه فليخفها عن شماله، وإذا صلى صلاة أو صلى تطوّعاً فليصل في داخله **(فهذه مراءاة أهل الدين بالبدن)**.

(وأما أهل الدنيا فيراءون بإظهار السمن) في البدن **(وصفاء اللون)** وذلك بكثرة المآكل والتأنق بأنواعها فإنه يوجب ذلك، **(واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتناسبها)** وكل ذلك يراءون به.

(الثاني: الرياء بالزي والهيئة).

(أما الهيئة فتشعيث شعر الرأس وحلق الشارب) بتمامه أو إحفائه **(وإطراق الرأس)** على الأرض **(في المشي والهدء في الحركة وإبقاء أثر السجود على الوجه)** مما يلحقه من غبار أو غيره، **(وغلظ الثياب ولبس الصوف)** الخشن **(وتشميرها)** أي الثياب **(إلى قريب من نصف الساق، وتقصير الأكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقاً)** أو يرقعه بما ليس من جنسه، **(كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه أنه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله**

ليظهر من نفسه أنه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين، ومن ذلك لبس المرقعة والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق تشبهاً بالصوفية مع الإفلاس من حقائق التصوّف في الباطن. ومنه التقنع بالإزار فوق العمامة واسبال الرداء على العينين ليرى به انه قد انتهى تقشفه إلى الحذر من غبار الطريق، ولتنصرف إليه الأعين بسبب تميزه بتلك العلامة. ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال عن العلم ليوهم أنه من أهل العلم.

والمراءون بالزي على طبقات: فمنهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة الغليظة ليرائي بغلظها ووسخها وقصرها وتخرقها أنه غير مكترث بالدنيا، ولو كلف أن يلبس ثوباً وسطاً نظيفاً مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح، وذلك لخوفه أن يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا. وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار، ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة ازدرتهم أعين الملوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا، فلذلك يطلبون الأصواف الدقيقة والأكسية الرقيقة والمرقعات

الصالحين) في هيئاتهم، **(ومنه ليس المرقعة)** وهي ثوب يقع قطعاً ثم يرقع رقعاً ثم يخيط بالصوف ويسمى أيضاً بالخرقة وهي من لبس الصوفية، **(والصلاة على السجادة ولبس الثياب الزرق)** المصبوغة بالنيل أو الصفر المصبوغة بالطين الأحمر. كل ذلك **(تشبهاً بالصوفية مع الإفلاس عن حقائق التصوف في الباطن)** وعدم السلوك على طريقتهم، **(ومنه التقنع بالإزار فوق العمامة وإسبال الرداء على العينين ليرى أنه انتهى تقشفه إلى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف إليه الأعين بسبب تميزه بتلك العلامات)** فيكرم لذلك، **(ومنه الدراعة)** وهي المسماة بالطرحة **(والطيلسان)** وهو كساء أسود مربع وكل منهما من زي العلماء **(وهو خال من العلم)** وإنما يفعل ذلك **(ليوهم)** الناس **(أنه من أهل العلم، والمراءون بالزي على طبقات فمنهم من يطلب المنزلة عند أهل الصلاح بإظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة القصيرة)** الذيل والأكمام **(الغليظة)** الخشنة **(ليرائي بغلظها وقصرها ووسخها وتخرقها)** بأنه من الزاهدين في الدنيا، **(ولو كلف)** هذا **(أن يلبس ثوباً نظيفاً وسطاً مما كان يلبسه السلف لكان عنده بمنزلة الذبح، وذلك لخوفه أن يقول الناس قد بداله رأى من الزهد ورجع عن تلك الطريقة ورغب في الدنيا. وطبقة أخرى يطلبون القبول عند أهل الصلاح وعند أهل الدنيا من الملوك والوزراء والتجار، ولو لبسوا الثياب الفاخرة ردهم القراء، ولو لبسوا الثياب المخرقة البذلة)** وفي نسخة الخلقة **(ازدرتهم)** أي احتقرتهم **(أعين الملوك والأغنياء فهم يريدون الجمع بين قبول أهل الدين والدنيا، فلذلك يطلبون الأصواف الرقيقة)** من

المصبوغة والفوط الرفيعة فيلبسونها، ولعل قيمة ثوب أحدهم قيمة ثوب أحد الأغنياء ولونه وهيئته لون ثياب الصلحاء فيلتمسون القبول عند الفريقين، وهؤلاء إن كلفوا لبس ثوب خشن أو وسخ لكان عندهم كالذبح خوفاً من السقوط من أعين الملوك والأغنياء، ولو كلفوا لبس الدبيقي والكتان الدقيق الأبيض والمقصب المعلم، وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفاً من أن يقول أهل الصلاح، قد رغبوا في زي أهل الدنيا، وكل طبقة منهم رأى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال إلى ما دونه أو إلى ما فوقه وإن كان مباحاً خيفة من المذمة.

وأما أهل الدنيا، فمراءاتهم بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن وأثاث البيت وفره الخيول وبالثياب المصبغة والطيالسة النفيسة، وذلك ظاهر بين الناس فإنهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو برزوا للناس على تلك الهيئة ما لم يبالغوا في الزينة.

المرعزي (**والأكسية الرفيعة**) الثمن (**والمرقعات المصبوغة**) بأنواع الألوان (**والفوط الرفيعة**) وفي نسخة: الرقيقة (**فيلبسونها، ولعل قيمة ثيابهم**) وفي نسخة قيمة ثوب أحدهم (**قيمة ثياب الأغنياء وهيئته ولونه هيئة ثياب الصلحاء** فيلتمسون) بذلك (**القبول عند الفريقين، وهؤلاء لو كلفوا لبس ثوب خشن**) من الكرباس الغليظ أو من الصوف (**أو**) ثوب (**وسخ**) أو مخرق، (**لكان عندهم كالذبح**) في الحلق (**خوفاً من السقوط من أعين الملوك والأغنياء، ولو كلفوا لبس ثوب الدبيقي**) منسوب إلى دبيق وهي من قرى دمياط قد خربت منذ زمان كان يعمل فيها هذه الثياب المنسوجة بالحرير (**والكتان الرقيق الأبيض أو**) ثوب (**القصب المعلم، وإن كانت قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم ذلك عليهم خوفاً من أن يقول أهل الصلاح: قد رغب في زي أهل الدنيا، وكل طبقة منهم رأى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال إلى ما دونه أو ما فوقه وإن كان مباحاً خوفاً من**) لحوق (**المذمة**) إليه.

(**وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالثياب النفيسة**) الناعمة (**والمراكب الرفيعة وأنواع التوسع والتجمل في الملبس وأثاث البيت**) من الفرش المفتخرة (**وفره الخيل**) أي السمينة الموسومة و(**بالثياب المصبغة**) بأنواع الألوان (**والطيالسة النفيسة، وذلك ظاهر بين الناس فإنهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة**) البذلة (**ويشتد عليهم لو برزوا للناس في تلك الثياب ما لم يبالغوا في الزينة**) والإصلاح والتسوية.

الثالث: الرياء بالقول:

ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار، لأجل الاستعمال في المحاورة وإظهاراً لغزارة العلم ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالحين، وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق، وإظهار الغضب للمنكرات وإظهار الأسف على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن، ليدل بذلك على الخوف والحزن، وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والرد على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف أنه بصير بالأحاديث والمبادرة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح لإظهار الفضل فيه، والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوّته في علم الدين. والرياء بالقول كثير وأنواعه لا تنحصر.

وأما أهل الدنيا: فمراءاتهم بالقول بحفظ الأشعار والأمثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب للأغراب على أهل الفضل وإظهار التودد إلى الناس لاستمالة القلوب.

(الثالث: الرياء بالقول)

(ورياء أهل الدين بالوعظ والتذكير) على رؤوس الناس **(والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار)** النبوية **(والآثار)** والقصص، **(لأجل الإستعمال في المحاورة وإظهاراً لغزارة العلم)** وسعته **(ودلالة على شدة العناية بأحوال السلف الصالح، وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق، وإظهار الغضب للمنكرات وإظهار الأسف)** والحزن **(على مقارفة الناس)** أي ارتكابهم **(للمعاصي)** والبدع **(واضعاف الصوت)** وخفضه **(في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن، ليدل بذلك على الحزن والخوف، وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والرد على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه)** من جهة الإعراب أو الخطأ في المعنى **(ليعرف أنه بصير بالأحاديث)** خبير بها **(والمبادرة إلى أن الحديث صحيح أو غير صحيح)** أو موضوع أو باطل **(لإظهار الفضل فيه، والمجادلة على قصد إفحام الخصم)** وتسجيله وتسكينه **(ليظهر للناس قوّته)** ومعرفته **(في علم الدين، والرياء بالقول كثير وأنواعه لا تنحصر.)**

(وأما أهل الدنيا؛ فمراءاتهم بالقول بحفظ الأشعار) المناسبة للمجالس من دواوين شعر العرب **(و)** حفظ **(الأمثال)** والنوادر والوقائع **(والتفاصح في العبارات)** والتفنن فيها عند المحاورات **(وحفظ)** مسائل **(النحو الغريب للأغراب على أهل الفضل)** والتميز عليهم **(وإظهار التودد إلى الناس لاستمالة القلوب)** إليهم.

الرابع: الرياء بالعمل:

كمراءاة المصلي بطول القيام ومد الظهر وطول السجود والركوع وإطراق الرأس. وترك الالتفات وإظهار الهدء والسكون وتسوية القدمين واليدين، وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة وبإطعام الطعام، وبالاخبات في المشي عند اللقاء كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في الكلام، حتى إن المرائي قد يسرع في المشي إلى حاجته فإذا اطلع عليه أحد من أهل الدين رجع إلى الوقار واطراق الرأس خوفاً من أن ينسبه إلى العجلة وقلة الوقار، فإن غاب الرجل عاد إلى عجلته، فإذا رآه عاد إلى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له، بل هو لإطلاع انسان عليه يخشى أن لا يعتقد فيه أنه من العباد والصلحاء، ومنهم من إذا سمع هذا استحيا من أن تخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس، فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى إذا رآه الناس لم يفتقر إلى التغيير ويظن أنه يتخلص به عن الرياء، وقد تضاعف به رياؤه، فإنه صار في خلوته أيضاً مرائياً فإنه إنما يحسن مشيته في الخلوة ليكون كذلك في الملأ لا لخوف من الله وحياء منه.

وأما أهل الدنيا؛ فمراءاتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا

(**الرابع: الرياء بالعمل: كمراآة المصلي بطول القيام ومد الظهر**) زيادة عن العادة (**وتطويل السجود والركوع وإطراق الرأس . وترك الالتفات**) يميناً وشمالاً (**وإظهار الهدء والسكون**) والطمأنينة (**وتسوية القدمين واليدين**) واصطفافهما، (**وكذلك**) المراءاة (**بالصوم والغزو والحج والصدقة وإطعام الطعام، و**) المراءاة (**بالإخبات في الشيء عند اللقاء كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في الكلام، حتى أن المرائي قد يسرع في الشيء إلى حاجته، فإذا اطّلع عليه واحد من أهل الدين رجع إلى الوقار وإطراق الرأس خوفاً من أن ينسبه إلى العجلة**) والخفة (**وقلة الوقار، فإن غاب الرجل عاد إلى عجلته، وإذا رآه عاد إلى خشوعه ولم يحضره ذكر الله حتى يكون يجدد الخشوع له، بل هو لاطلاع إنسان عليه يخشى أن لا يعتقد فيه أنه من العباد والصلحاء**) فتقوم عليه القيامة بسبب ذلك. (**ومنهم من إذا سمع هذا استحيا أن تخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس، فيكلف نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى إذا رآه الناس لم يفتقر إلى التغيير ويظن أنه يتخلص به من**) وصمة (الرياء، و) لا يدري أنه (**قد تضاعف به رياؤه فإنه صار في خلوته أيضاً مرائياً، فإنه إنما يحسن مشيته في خلوته ليكون كذلك في المـلأ**) من الناس، (**لا لخوف من الله وحياء منه**).

(**وأما أهل الدنيا، فمراءاتهم بالتبختر**) في المشي (**والاختيال وتحريك اليدين**) قصداً

والأخذ باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة.

الخامس: المراءاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين:

كالذي يتكلف أن يستزير عالماً من العلماء ليقال ان فلاناً قد زار فلاناً، أو عابداً من العباد ليقال ان أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه، أو ملكاً من الملوك أو عاملاً من عمال السلطان ليقال إنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين. وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي شيوخاً كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه ومباهاته ومراءاته تترشح منه عند مخاصمته، فيقول لغيره: ومن لقيت من الشيوخ وأنا قد لقيت فلاناً وفلاناً ودرت البلاد وخدمت الشيوخ. وما يجري مجراه فهذه مجامع ما يرائي به المراءون وكلهم يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد. ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه فكم من راهب انزوى إلى ديره سنين كثيرة؟ وكم من عابد اعتزل إلى قلة جبل مدة مديدة، وإنما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف أنهم نسبوه إلى جريمة في ديره أو صومعته لتشوّش قلبه ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته، بل يشتد لذلك

(وتقريب الخطا والاخذ بأطراف الذيل) من اليمين والشمال **(وإرادة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة)** وعلو المنصب.

(الخامس: المراءاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف أن يستزير **عالماً من العلماء)** مشهوراً **(ليقال: إن فلاناً قد زار فلاناً أو)** يستزير **(عابداً من العباد)** معروفاً **(ليقال: إن أهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون إليه، أو)** يستزير **(ملكاً من الملوك)** أو أميراً من الأمراء **(أو عاملاً من عمال السلطان ليقال: إنهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين)** فيروّج بذلك حاله، **(وكذلك الذي يكثر ذكر الشيوخ)** في مجالستهم **(ليرى أنه)** قد **(لقي شيوخاً كثيرة واستفاد منهم فيباهي بشيوخه)** ويقول كما قال الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنا يا جرير المجامعُ

(فمباهاته ومراءاته تترشح عند مخاصمته فيقول لغيره: ومن لقيت من الشيوخ وأنا لقيت فلاناً وفلاناً ودرت البلاد) وقطعت الوهاد **(وخدمت الشيوخ)** وتلقيت عنهم كذا وكذا. **(وما يجري مجراه)** من الدعاوى، **(فهذا مجامع ما يرائي به المراءون وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب العباد. ومنهم من يقنع بحسن الاعتقادات فيه. فكم من راهب انزوى إلى دير سنين كثيرة، وكم من عابد اعتزل)** الناس **(إلى قلة جبل شاهق مدة مديدة وإنما خبأته من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق، ولو عرف أنهم نسبوه إلى جريمة في ديره أو صومعته لتشوّش قلبه)** من تلك النسبة **(ولم يقنع بعلم الله ببراءة ساحته)** من تلك

غمه ويسعى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم، مع أنه قد قطع طمعه من أموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه ـ فإنه لذيذ كما ذكرناه في أسبابه ـ فإنه نوع قدرة وكمال في الحال وإن كان سريع الزوال لا يغتربه إلا الجهال ولكن أكثر الناس جهال، ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك إطلاق اللسان بالثناء والحمد. ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة إليه. ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك لتقبل شفاعته وتنجز الحوائج على يده فيقوم له بذلك جاه عند العامة. ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع حطام وكسب مال ولو من الأوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام، وهؤلاء عشر طبقات المرائين الذين يراءون بالأسباب التي ذكرناها، فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء.

فإن قلت: فالرياء حرام أو مكروه أو مباح أو فيه تفصيل؟ فأقول فيه تفصيل فإن الرياء هو طلب الجاه، وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات، فإن كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث أنه طلب منزلة في قلوب العباد، ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب محظورات فكذلك الجاه، وكما أن كسب قليل

الجريمة، (**بل يشتد بذلك غمه ويسعى بكل حيلة في إزالة ذلك من قلوبهم مع أنه قد قطع طمعه في أموالهم**) فلا تخطر له ببال، (**ولكنه يحب مجرد الجاه فإنه لذيذ كما ذكرناه في**) بيان (**أسبابه، فإنه نوع قدرة واستيلاء وكمال في الحال، وإن كان سريع الزوال لا يغتر به إلا الجهال ولكن أكثر الناس جهال**) غلب عليهم الجهل والغرور. (**ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته**) في القلوب (**بل يلتمس مع ذلك إطلاق اللسان بالثناء والحمد. ومنهم من يريد النتشار الصيت في البلاد**) البعيدة (**لتكثر الرحلة إليه**) للاخذ والتلقي، (**ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك**) والوزراء (**لتقبل شفاعته عندهم وتنجز الحوائج**) للناس (**على يديه فيقوم له به جاه عند العامة، ومنهم من يقصد التوصل بذلك إلى جمع حطام وكسب مال**) من أي وجه كان، (**ولو من الأوقاف وأموال اليتامى وغير ذلك من الحرام. وهؤلاء شر طبقات المرائين** الذين يراءون بالأسباب **التي ذكرناها. فهذه حقيقة الرياء وما يقع به الرياء**).

(**فإن قلت: فالرياء حرام أو مكروه أو مباح**) كل ذلك على الإطلاق (**أو فيه تفصيل؟ فأقول: فيه تفصيل، فإن الرياء هو طلب الجاه وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات، فإن كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم من حيث أنه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات وأسباب محظورات**) شرعاً (**فكذلك الجاه**) يمكن تحصيله بمثل تلك الأسباب، (**وكما أن كسب قليل من المال وهو ما يحتاج إليه**

من المال وهو ما يحتاج إليه الإنسان محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الآفات أيضاً محمود، وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال: ﴿إني حفيظ عليم﴾ [يوسف: ٥٥] وكما أن المال فيه سم ناقع ودرياق نافع فكذلك الجاه، وكما أن كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد، وفتنة الجاه أعظم من فتنة المال، وكما أنا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول أيضاً تملك القلوب الكثيرة حرام إلا إذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم إلى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم إلى كثرة المال، ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها، وأما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله إن زال فلا ضرر فيه، فلا جاه أوسع من جاه رسول الله ﷺ وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين، ولكن انصراف الهم إلى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم، فعلى هذا نقول: تحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مراءاة وهو لبس بحرام لأنه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا، وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم. والدليل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يوماً إلى الصحابة فكان

الإنسان محمود فكذلك كسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به من الآفات محمود)، ولكن من غير حرص على طلبه ومن غير اغتمام على زواله بلا ضرر فيه، **(وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام)** من عزيز مصر **(حيث قال)** له: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ (﴿أني حفيظ عليم﴾) كما تقدم قريباً، **(وكما أن المال فيه)** من وجه **(سم ناقع و)** من وجه **(درياق نافع، فكذلك الجاه. وكما أن كثير المال يلهي)** عن الطاعات **(ويطغي وينسي ذكر الله تعالى والدار والآخرة فكذلك كثير الجاه بل أشد، لأن فتنة الجاه أعظم من فتنة المال، وكما أنا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول: تملك القلوب الكثيرة حرام إلا إذا حمله كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز)** شرعاً. **(نعم انصراف الهم إلى سعة الجاه مبدأ الشرور كإنصراف الهم إلى كثرة المال، ولا يقدر محب المال والجاه على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها، فأما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام)** منك **(بزواله إن زال فلا ضرر فيه، فلا جاه أوسع من جاه رسول الله ﷺ وجاه الخلفاء الراشدين)** من بعده **(ومن بعدهم من علماء الدين، ولكن انصراف الهم إلى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم، فعلى هذا نقول: تحسين الثوب الذي يلبسه الإنسان عند الخروج إلى الناس مراءاة)** لغة **(وهو ليس بحرام لأنه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا، وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم)** في المسكن والمركب. **(والدليل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أراد أن يخرج**

ينظر في حب الماء ويسوّي عمامته وشعره فقالت: أو تفعل ذلك يا رسول الله؟ قال: « نعم إن الله تعالى يحب من العبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج إليهم » نعم هذا كان من رسول الله ﷺ عبادة لأنه كان مأموراً بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم، ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه، فكان يجب عليه أن يظهر لهم محاسن أحواله لئلا تزدريه أعينهم. فإن أعين عوام الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر، فكان ذلك قصد رسول الله ﷺ ولكن لو قصد قاصد به أن يحسن نفسه في أعينهم حذراً من ذمهم ولؤمهم واسترواحاً إلى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد أمراً مباحاً، إذ للإنسان أن يحترز من ألم المذمة ويطلب راحة الانس بالإخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنس بهم.

فإذاً المراءاة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة، وقد تكون طاعة، وقد تكون مذمومة، وذلك بحسب الغرض المطلوب بها. ولذلك نقول: الرجل إذا أنفق ماله على جماعة من الأغنياء لا في معرض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد الناس أنه سخي فهذا مراءاة وليس بحرام وكذلك أمثاله.

يوماً على أصحابه فكان ينظر في حب الماء) أي الدن الذي فيه الماء **(ويسوّي عمامته وشعره فقالت: أو تفعل ذلك يا رسول الله؟ فقال « نعم إن الله يحب من العبد أن يتزين إذا خرج لإخوانه »)** رواه ابن عدي في الكامل وقد تقدم في كتاب أسرار الطهارة. **(نعم هذا كان من رسول الله ﷺ عبادة لأنه كان مأموراً بدعوة الخلق إلى الله تعالى وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم، ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه أن يظهر محاسن أحواله لكيلا تزدريه)** أي تحتقره **(أعينهم، لأن أعين عوم الخلق تمتد إلى الظواهر دون السرائر، فكان ذلك قصد رسول الله ﷺ)** وهي مصلحة شرعية، **(ولكن لو قصد قاصد به أن يحسن نفسه في أعينهم حذراً من ذمهم ولؤمهم واسترواحاً إلى توقيرهم واحترامهم كان قصداً مباحاً، إذ للإنسان الحذر من ألم المذمة ويطلب راحة الإنس بالاخوان، ومهما استقذروه واستثقلوه لم يأنس بهم)**.

(فإذاً المراءاة بما ليس من العبادات قد تكون مباحة وقد تكون طاعة وقد تكون مذمومة، وذلك بحسب الغرض المطلوب بها، ولذلك نقول: الرجل إذا أنفق ماله جماعة من الأغنياء) إطعاماً لهم وإغداقاً عليهم **(لا في معرض العبادة والصدقة، ولكن ليعتقد الناس أنه سخي)** كريم بذول **(فهذه مراءاة ليست بحرام وكذلك أمثاله)**.

أما العبادات كالصدقة والصلاة والصيام والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان إحداهما: أن لا يكون له قصد إلا الرياء المحض دون الأجر، وهذا يبطل عبادته لأن الأعمال بالنيات، وهذا ليس يقصد العبادة، ثم لا يقتصر على إحباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم كما دلت عليه الأخبار والآيات.

والمعنى فيه أمران:

أحدهما: يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لأنه خيل إليهم أنه مخلص مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك، والتلبيس في أمر الدنيا حرام أيضاً، حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس أنه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته إثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر.

والثاني: يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزىء بالله. ولذلك قال قتادة: إذا راءى العبد قال الله لملائكته أنظروا إليه كيف يستهزىء بي.

ومثاله أن يتمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدم وإنما وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك أو غلام من غلمانه، فإن هذا استهزاء بالملك إذ

(**وأما**) الرياء (**بالعبادات كالصدقة والصلاة والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان: إحداهما أن لا يكون قصد إلا الرياء المحض دون الأجر، وهذا يبطل عبادته لأن الاعمال بالنيات**) والقَصود، (**وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على إحباط عبادته حتى نقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك ويأثم لما دلت عليه الأخبار والآيات**).

(**والمعنى فيه أمران**).

(**أحدهما: يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لأنه خيل إليهم أنه مخلص مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك، والتلبيس في أمر الدنيا حرام أيضاً، حتى لو قضى دين جماعة وخيل للناس أنه متبرع عليهم**) أي لوجه الله (**ليعتقدوا سخاوته**) وكرمه (**إثم لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر**).

(**الثاني: يتعلق بالله وهو أنه مهما قصد بعبادة الله تعالى الناس**) وفي نسخة الخلق (**فهو مستهزىء بالله عز وجل. ولذلك قال قتادة**) بن دعامة البصري رحمه الله: (**إذا راءى العبد**) بعمله (**قال الله تبارك وتعالى للملائكة: انظروا إلى عبدي كيف يستهزىء ي.**) كما تقدم قريباً.

(**ومثاله**) في الظاهر: (**أن يتمثل**) الرجل (**بين يدي ملك من الملوك طول النهار**) أي يقف (**كما جرت**) به (**عادة الخدمة**) في وقوفهم، (**وإنما وقوفه لملاحظة جارية من جواري**

لم يقصد التقرب إلى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبداً من عبيده، فأي استحقار يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله تعالى مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضراً ولا نفعاً؟ وهل ذلك إلا لأنه يظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل أغراضه من الله؟ وأنه أولى بالتقرب إليه من الله إذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته؟ وأي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى؟ فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله ﷺ الشرك الأصغر.

نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض ـ كما سيأتي بيانه في درجات الرياء إن شاء الله تعالى ـ ولا يخلو شيء منه عن اثم غليظ أو خفيف بحسب ما به المراءاة ولو لم يكن في الرياء إلا أنه يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية، فإنه وإن لم يقصد التقرب إلى الله

الملك أو غلام من غلمانه، فإن هذا استهزاء بالملك إذ لم يقصد التقرب إلى الملك بخدمته بل قصد به عبداً من عبيده، فأي استحقار يزيد على أن يقصد العبد بطاعة الله مراعاة عبد ضعيف لا يملك ضراً ولا نفعاً وهل ذلك إلا أنه ظن أن ذلك العبد أقدر على تحصيل اغراضه من الله تعالى؟ وأنه أولى بالتقرب إليه من الله تعالى إذ آثره) أي اختاره **(على ملك الملوك)** جل جلاله **(فجعله مقصود عبادته؟ وأي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى)** السيد المالك؟ **(فهذا من كبائر المهلكات ولذلك سماه رسول الله ﷺ «الشرك الأصغر»)** قال العراقي: رواه أحمد من حديث محمود بن لبيد وقد تقدم. ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج فجعله من مسند رافع وقد تقدم قريباً، وللحاكم وصحح إسناده من حديث شداد بن أوس: كنا نعد على عهد رسول الله ﷺ أن الرياء الشرك الأصغر اهـ.

قلت: حديث شداد بن أوس هذا رواه كذلك ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص، وابن مردويه في التفسير، والبيهقي في الشعب ولفظهم: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر.

وأما لفظ حديث محمود بن لبيد، ورافع بن خديج «إن أخوف ما ا أخاف عليكم الشرك الأصغر» الحديث وقد تقدم.

وأخرج ابن أبي شيبة من حديث محمود بن لبيد «اياكم وشرك السرائر» قالوا: وما شرك السرائر؟ قال: «أن يقوم أحدكم يريد صلاته جاهداً لينظر الناس إليه فذلك شرك السرائر». ولابن مردويه من حديث أبي هريرة «اتقوا الشرك الأصغر». قالوا وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء» الحديث، ورواه أيضاً كذلك الأصفهاني في الترغيب والترهيب.

(نعم بعض درجات الرياء أشد من بعض كما سيأتي بيانه) قريباً بعد هذا الفصل **(في درجات الرياء ولا يخلو شيء منه عن إثم غليظ أو خفيف بحسب ما به المراءاة ولو لم يكن في الرياء إلا أنه يركع ويسجد لغير الله لكان فيه كفاية، لأنه إذا لم يقصد التقريب إلى الله**

فقد قصد غير الله، ولعمري لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفراً جلياً، إلا أن الرياء هو الكفر الخفي لأن المرائي عظم في قلبه الناس، فاقتضت تلك العظمة أن يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه، ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريباً من الشرك، إلا أنه إن قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده بإظهاره من نفسه صورة التعظيم لله، فعن هذا كان شركاً خفياً لا شركاً جلياً، وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه إلا من خدعه الشيطان وأوهم عنده أن العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه وأجله ومصالح حاله ومآله أكثر مما يملكه الله تعالى، فلذلك عدل بوجهه عن الله إليهم وأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه، فإن العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً فكيف يملكون لغيرهم هذا في الدنيا؟ فكيف في يوم ولا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً بل تقول الأنبياء فيه نفسي نفسي؟ فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس؟ فلا ينبغي ان نشك في أن المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والقياس جميعاً هذا إذا لم يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر

تعالى فقد قصد غير الله، لعمري ولو عظم غير الله بالسجود لكفر كفراً جلياً إلا أن الرياء هو الكفر الخفي لأن المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة أن يركع ويسجد لهم فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه، ومهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريباً من الشرك إلا أنه إن قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده بإظهاره من نفسه صورة التعظيم لله، فمن هذا كان شركاً خفياً لا شركاً جلياً، وذلك غاية الجهل ولا يقدم عليه إلا من خدعه الشيطان) بغروره **(وأوهم عنده أن العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه وأجله ومصالح حاله ومآله أكثر مما يملكه** الناس فذلك عدل**)** أي صرف **(بوجهه عن الله تعالى إليهم فأقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم، ولو وكله الله تعالى إليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك أقل مكافأة له على صنيعه)** ذلك. **(فإن العباد كلهم عاجزون عن أنفسهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً فكيف لغيرهم هذا في الدنيا؟ فكيف في)** الآخرة **(يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً بل يقول الأنبياء)** عليهم السلام مع جلالة قدرهم **(فيه نفسي نفسي)** كما جاء في حديث الشفاعة الطويل **(فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله تعالى ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس)**؟ فإذا عرفت ذلك **(فلا ينبغي أن تشك في أن المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل والقياس جميعاً هذا إذا لم**

والحمد جميعاً في صدقته أو صلاته فهو الشرك الذي يناقض الإخلاص. وقد ذكرنا حكمه في كتاب الإخلاص. ويدل على ما نقلناه من الآثار قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت: أنه لا أجر له فيه أصلاً.

بيان درجات الرياء:

اعلم أن بعض أبواب الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوت الدرجات فيه وأركانه ثلاثة: المراءى به والمراءى لأجله ونفس قصد الرياء.

الركن الأول: نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو إما أن يكون مجرداً دون إرادة عبادة الله تعالى والثواب، وإما أن يكون مع إرادة الثواب فإن كان كذلك فلا يخلو إما أن تكون إرادة الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعاً:

الأولى: وهي أغلظها ان لا يكون مراده الثواب أصلاً، كالذي يصلي بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي، بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس، فهذا جرد

يقصد الأجر فأما إذا قصد الأجر والحمد جميعاً في صدقته أو صلاته فهذا الشرك الذي يناقض الإخلاص. وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص) على ما سيأتي إن شاء الله تعالى. **(ويدل على ما نقلناه من الآثار)** فيما تقدم قريباً **(من قول سعيد بن المسيب)** رحمه الله تعالى. **(و)** من قول **(عبادة بن الصامت)** رضي الله عنه وغيرهما: **(أنه لا أجر له فيه أصلاً)** ومثله في الحديث المرفوع عن أبي أمامة وغيره كما قدمنا ذكره قريباً، والله الموفق.

بيان درجات الرياء:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن بعض درجات الرياء أشد وأغلظ من بعض واختلافه باختلاف أركانه وتفاوف الدرجات فيه وأركانه ثلاثة: المراءى به والمراءى لأجله ونفس قصد الرياء).**

(الركن الأول: نفس قصد الرياء) ذكره في السياق آخراً وقدمه في البيان لشدة الاهتمام به فقال: **(وذلك لا يخلو ما أن يكون مجرداً دون إرادة عبادة الله والثواب، وإما أن يكون مع إرادة الثواب، فإن كان كذلك** فلا يخلو .أما أن يكون إرادة **الثواب أقوى وأغلب أو أضعف أو مساوية لإرادة العبادة فتكون الدرجات أربعاً:)**

الدرجة **(الأولى: وهي أغلظها أن لا يكون مراده الثواب أصلاً)**، وهذا **(كالذي يصلي بين أظهر الناس)** أي في مشهد منهم **(ولو انفرد)** بنفسه **(لكان لا يصلي، بل ربما**

قصده إلى الرياء فهو الممقوت عند الله تعالى. وكذلك من يخرج الصدقة خوفاً من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما أداها فهذه الدرجة العليا من الرياء.

الثانية: أن يكون له قصداً لثواب أيضاً ولكن قصداً ضعيفاً، بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله، ولا يحمله ذلك القصد على العمل، ولو لم يكن قصد الثواب لكان الرياء يحمله على العمل، فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم.

الثالثة: أن يكون له قصد الثواب وقصد الرياء متساويين، بحيث لو كان كل واحد منهما خالياً عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة، أو كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل، فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فنرجو أن يسلم رأساً برأس لا له ولا عليه، أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر الأخبار تدل على أنه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الإخلاص.

الرابعة: أن يكون إطلاع الناس مرجحاً ومقوّياً لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه فالذي نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط

يصلي من غير طهارة مع الناس، فهذا جرد قصده الى الرياء فهو الممقوت عند الله تعالى، وكذلك من يخرج الصدقة خوفاً من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب، ولو خلا بنفسه لما أداها، فهذا الدرجة العليا.).

(الدرجة الثانية: **أن يكون له قصد الثواب أيضاً ولكن قصداً ضعيفاً، بحيث لو كان في الخلوة لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل، ولو لم يكن قصد الثواب لكان قصد الرياء يحمله على ذلك العمل، فهذا قريب مما قبله وما فيه من شائبة قصد ثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والإثم)** عند الله تعالى.

(الدرجة الثالثة: **أن يكون قصد الثواب وقصد الرياء متساويين، بحيث لو كان كل واحد خالياً عن الآخر لم يبعثه على العمل، فلما اجتمعا انبعثت الرغبة أو كان كل واحد لو الفرد لاستقل بحمله على العمل، فهذا قد أفسد مثل ما أصلح فنرجو أن يسلم رأساً برأس لا له ولا عليه، أو يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب، وظواهر الأخبار)** الماضية (**تدل على أنه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الإخلاص)** فيما سيأتي،

(الدرجة الرابعة: **أن يكون إطلاع الناس عليه مرجحاً ومقوياً لنشاطه)** وفي نسخة، وهو الذي يبعث بالنشاط (**ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم عليه، فالذي نظنه والعلم عند الله أنه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على**

أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله ﷺ: «يقول الله تعالى: يا أغنى الأغنياء عن الشرك» فهو محمول على ما إذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح.

الركن الثاني: المراءى به، وهو الطاعات وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها.

القسم الأول وهو الأغلظ: الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات:

الأولى: الرياء بأصل الإيمان وهذا أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد في النار، وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الإسلام، وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله عز وجل: ﴿إذا جاءَكَ المنافقُونَ قالُوا نشهَدُ انَكَ لرسُولُ اللهِ واللهُ يعلـمُ إنكَ لرسُولَهُ واللهُ يشهد أنَّ المنافقِينَ لكاذبُونْ﴾ [المنافقون: ١] أي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم. وقال تعالى: ﴿ومِنَ النّاس مَنْ

مقدار ما قصد من الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب) فيه، **(وأما قوله تعالى)** فيما روي عنه في حديث قدسي: **(«أنا أغنى الأغنياء عن الشرك»)** من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه. رواه مسلم، وابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ «أغنى الشركاء» وقد تقدم قريباً **(فهو محمول على ما إذا تساوى فيه القصدان)**، قصد الرياء وقصد الثواب. **(أو كان قصد الرياء أرجح)** والله أعلم.

(الركن الثاني: المراءى به، وهو الطاعات، وذلك ينقسم إلى الرياء بأصول العبادات وإلى الرياء بأوصافها).

(القسم الأول: وهو الأغلظ: الرياء بالأصول وهو على ثلاث درجات).

(الدرجة الأولى: الرياء بأصل الإيمان وهو أغلظ أبواب الرياء وصاحبه مخلد في النار، وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة) بلسانه **(وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه مراء بظاهر الإسلام)** وقاية لحاله، **(وهو الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالُوا نشهدُ أنَّك لرسولُ اللهِ﴾)** الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع، ولذلك صدق المشهود به وكذبهم بالشهادة بقوله: **(﴿والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون﴾ أي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم)** لأنهم لم يعتقدوا ذلك ثم قال: ﴿اتَّخذوُا أيْمَانَهُم جُنَّةً فَصَدوا عَنْ سبيـلِ اللهِ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ★ ذلك بأنّهم آمَنُوا﴾ أي ظاهراً ﴿ثمّ كَفَرُوا﴾ أي سراً ﴿فطبَعَ على قُلوبِهمْ﴾ أي حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه. ﴿فهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣٢] أي حقيقة الإيمان ولا

يُعجِبُكَ قَوْلُه في الحياةَ الدُّنْيَا ويشهدُ اللهَ عَلَى ما في قَلْبِهِ وهوَ ألدُّ الخصام★ وإذا تولى سعى في الأرضِ ليفسدُ فيهَا﴾ [البقرة: ٢٠٤ ، ٢٠٥] الآية. وقال تعالى: ﴿وإذا لقُوكُمْ قالُوا آمنَّا وإذَا خَلوْا عضُّوا عَلَيْكُم الأناملَ مِنَ الغيظ﴾ [آل عمران: ١١٩] ، وقال تعالى: ﴿يـراؤُنَ النَّاسَ ولاَ يـذكـرُونَ اللهَ إلا قليلاً ★ مـذبـذبِينَ بين ذلـك﴾ [النساء: ١٤٢ ، ١٤٣] والآيات فيهم كثيرة. وكان النفاق يكثر في إبتداء الإسلام ممن يدخل في ظاهر الإسلام ابتداء لغرض، وذلك مما يقل في زماننا، ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطناً فيجحد الجنةَ والنار والدار الآخرة ميلاً إلى قول الملحدة، أو يعتقد طي بساط الشرع والأحكام ميلاً إلى أهل الإباحة، أو يعتقد كفراً أو بدعة وهو يظهر خلافه، فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار، وليس وراء هذا الرياء رياء، وحال هؤلاء أشد حالاً من الكفار المجاهرين، لأنهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر.

الثانية: الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصلِ الدين، وهذا أيضاً عظيم عند الله

يعرفون صحته. (**وقال تعالى: ﴿ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُعجبك قولـه في الحياة الدنيا ويشهدُ الله على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام﴾**) أي أشدهم عناداً ولجاجة وخصومة. (**﴿وإذا تولّى سَعَى في الأرضِ**) ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل﴾ (**الآية**) إلى آخرها. وقال تعالى: ﴿وإذا لقوكُم قالُوا آمنَّا) أي بألسنتهم (**وإذا خَلَوْا**) أي انفردوا بأنفسهم (**عضُوا عليكم الأنامِلَ من الغَيْظِ**) ﴿قُلْ مُوتوا بغيظكم إنَّ الله عليم بذاتِ الصدور﴾. (**وقال تعالى: ﴿يُراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ والآيات فيهم كثيرة. وكان النفاق يكثر في ابتداء الإسلام ممن يدخل في ظاهر الإسلام ابتداء لغرض**) من الأغراض كحماية النفس والمال والعرض، وكالطمع في الدنيا وغير ذلك (**وذلك مما يقل في زماننا**) بل وقبل زمانه (**ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطناً**) انسلالاً خفياً (**فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة**) من أصلها (**ميلاً إلى قول الملحدة**) وهم في زمن المصنف عرفوا بالباطنية يدعون ان للقرآن ظاهراً وباطناً، وأنه مخالف الظاهر وأنهم يعلمون الباطن، فأحالوا بذلك الشريعة لأنهم تأوّلوا بما يخالف العربية التي نزل بها القرآن، (**أو يعتقد طي بساط الشرع والأحكام ميلاً إلى أهل الإباحة**) القائلين بسقوط التكليف عن العبد إذا بلغ مقام اليقين، (**أو يعتقد كفراً أو بدعة وهو يظهر خلافه، فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الرياء رياء**) إذ هو آخر درجاته، (**وحال هؤلاء أشدّ من حال الكفار المجاهرين**) بالكفر، (**لأنهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر**). أعاذنا الله منه بمنه.

(**الدرجة الثانية: الرياء بأصول العبادات مع التصديق بأصل الدين، وهذا أيضاً عظيم عند**

ولكنه دون الأوّل بكثير . ومثاله : أن يكون مال الرجل في يد غيره فيأمره بإخراج الزكاة خوفاً من ذمه ، والله يعلم منه أنه لو كان في يده لما أخرجها ، أو يدخل وقت الصلاة وهو في جمع وعادته ترك الصلاة في الخلوة ، وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر ، وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها ، أو يصل رحمه أو يبر والديه لا عن رغبة ولكن خوفاً من الناس ، أو يغزو أو يحج كذلك . فهذا مراء معه أصل الإيمان بالله يعتقد أنه لا معبود سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغيره لم يفعل ، ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند إطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق أحب إليه من منزلته عند الخالق ، وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ، ورغبته في محمدتهم أشد من رغبته في ثواب الله وهذا غاية الجهل ، وما أجدر صاحبه بالمقت وإن كان غير منسل عن أصل الإيمان من حيث الإعتقاد .

الله ولكنه دون الأول بكثير . ومثاله: أن يكون مال الرجل في يد غيره فيأمره بإخراج الزكاة خوفاً من ذمه) أي أن يلحقه ذم من الناس ، **(والله تعالى يعلم أنه لو كان في يديه)** ومتمكناًمنه **(لما أخرجها)** بخلاً منه ، **(أو يدخل وقت الصلاة وهو في جمع)** من الناس **(فيصلي معهم وعادته ترك الصلاة في الخلوة)** إذا كان منفرداً بنفسه ، **(وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر ، وكذلك يحضر الجمعة)** مع الناس **(ولولا خوفه المذمة لكان لا يحضرها ، أو يصل رحمه أو يبر والديه لا عن رغبة لكن خوفاً من الناس ، أو يغزو أو يحج كذلك)** دفعاً لشين العر والذم عنه فقط ، **(فهذا مراء معه أصل الإيمان بالله يعتقد أنه لا معبود سواه ولو كلف أن يعبد غير الله أو يسجد لغير الله لم يفعل ، ولكنه يترك العبادات للكسل وينشط عند إطلاع الناس)** ، وإليه أشار علي رضي الله عنه بقوله: للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان مع الناس كما تقدم في الآثار .

وروى صاحب الحلية من طريق عقيل بن معقل قال: سمعت عمي وهب بن منبه يقول: إن لكل شيء علامة يعرف بها ويشهد له أو عليه فذكر الحديث . وفيه: وللمنافق ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان أحد عنده ، ويحرص في كل أمره على المحمدة . **(فتكون منزلته عند الخلق)** في قلوبهم **(أحب إليه من منزلته عند الخالق ، وخوفه من مذمة الناس أعظم من خوفه من عقاب الله ، ورغبته في محمدتهم أشد من رغبته في ثواب الله تعالى ، وهذا غاية الجهل وما أجدر صاحبه بالمقت)** من الله تعالى ، **(وإن كان غير منسل من أصل الإيمان من حيث الاعتقاد)** .

الثالثة: أن لا يرائي بالإيمان ولا بالفرائض ولكنه يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي، ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولإيثار لذة الكسل على ما يرجى من الثواب، ثم يبعثه الرياء على فعلها، وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت، وكالتهجد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشوراء ويوم الإثنين والخميس. فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفاً من المذمة وطلباً للمحمدة، ويعلم الله تعالى منه أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض، فهذا أيضاً عظيم ولكنه دون ما قبله، فإن الذي قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق. وهذا أيضاً قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق، فكان ذم الخلق أعظم عنده من عقاب الله، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقاباً على ترك النافلة لو تركها، وكأنه على الشطر من الأوّل وعقابه نصف عقابه. فهذا هو الرياء بأصول العبادات.

القسم الثاني: الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها، وهو أيضاً على ثلاث درجات:

الأولى: أن يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة، كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطوّل القراءة فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات وتمم القعود بين السجدتين، وقد قال ابن مسعود: من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بها ربه

(الدرجة الثالثة: **أن لا يرائي بالإيمان ولا بالفرائض ولكن يرائي فالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصى**) الله تعالى بتركها، (**ولكن يكسل عنها في الخلوة لفتور رغبته في ثوابها ولإيثاره لذة الكسل على ما يرجى من الثواب ثم يبعثه الرياء على فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلاة وعيادة المريض واتباع الجنائز وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام**) يومي (**عرفة وعاشوراء و**) صوم (**يوم الإثنين والخميس، فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفاً وطلباً للمحمدة**) من الناس، (**ويعلم الله تعالى أنه لو خلا بنفسه لما زاد على أداء الفرائض، فهذا أيضاً عظيم**) عند الله تعالى، (**ولكن هو دون ما قبله فإن الذي قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق، وهو أيضاً قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون الخالق، فكان ذم الخلق عنده أعظم من عقاب الله تعالى، وأما هذا فلم يفعل ذلك لأنه لم يخف عقاباً على ترك النافلة لو تركها، وكأنه على الشطر من الأول وعقابه نصف عقابه، فهذا هو الرياء بأصول العبادات**).

(**القسم الثاني: الرياء بأوصاف العبادات لا بأصولها، وهو أيضاً على ثلاث درجات**).

(**الدرجة الأولى: أن يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه أن يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة، فإذا رآه الناس أحسن الركوع والسجود وترك الالتفات**) يميناً وشمالاً، (**وقد قال ابن مسعود: من فعل ذلك فهو استهانة يستهين بهاربه**)

عز وجل، أي إنه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة، فإذا اطلع عليه آدمي أحسن الصلاة، ومن جلس بين يدي إنسان متربعاً أو متكئاً فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان ذلك منه تقديماً للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلاة في الملأ دون الخلوة ـ وكذلك الذي يعتاد إخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الرديء، فإذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفاً من مذمته، وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لأجل الخلق لا إكمالاً لعبادة الصوم خوفاً من المذمة. فهذا أيضاً من الرياء المحظور لأن فيه تقديماً للمخلوقين على الخالق، ولكنه دون الرياء بأصول التطوّعات.

فإن قال المرائي: إنما فعلت ذلك صيانة لألسنتهم عن الغيبة فإنهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا اللسان بالذم والغيبة، وإنما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية؟ فيقال له: هذه مكيدة للشيطان عندك وتلبيس وليس الأمر كذلك، فإن ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك بغيبة غيرك، فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك أكثر، وما أنت في هذا إلا كمن يهدي وصيفة إلى ملك لينال منه فضلاً وولاية يتقلدها، فيهديها إليه وهي عوراء

أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف بلفظ: من صلى صلاة والناس يرونه فليصل إذا خلا مثلها وإلا فإنما هي استهانة يستهين بها ربه. وأخرجه أيضاً عن حذيفة مثله. (**أي ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة، فإذا اطلع عليه آدمي أحسن الصلاة**) وأتمها ركوعاً وسجوداً وقراءة، (**ومن جلس بين يدي إنسان متربعاً أو متكئاً فدخل غلامه فاستوى وأحسن الجلسة كان تقديماً للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلاة في الملأ دون الخلوة. وكذلك الذي يعتاد إخراج الزكاة من الدنانير الرديئة أو من الحب الرديء، فإذا اطلع عليه غيره أخرجها من الجيد خوفاً من مذمته، وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لأجل الخلق لا إكمالاً لعبادة الصوم، بل خوفاً من المذمة. فهذا أيضاً من الرياء المحظور لأن فيه تقديماً للمخلوقين على الخالق، ولكنه دون الرياء بأصول التطوّعات، فإن قال المرائي: إنما فعلت ذلك صيانة لألسنتهم عن**) الوقوع في (**الغيبة فإنهم إذا رأوا تخفيف الركوع والسجود وكثرة الالتفات أطلقوا ألسنتهم بالذم والغيبة، فإنما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية فيقال له: هذه مكيدة من الشيطان وتلبيس**) وتغرير وخداعات. (**وليس الأمر كذلك، فإن ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة منك لمولاك أعظم من ضررك من غيبة غيرك، فلو كان باعثك الدين لكانت شفقتك على نفسك أكثر وما أنت في هذا إلا كمن يهدي وصيفة**) أي جارية (**إلى ملك**) من الملوك (**لينال منه**)

قبيحة مقطوعة الأطراف ولا يبالي به إذا كان الملك وحده وإذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفاً من مذمة غلمانه، وذلك محال بل من يراعي جانب غلام الملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر.

نعم للمرائي فيه حالتان: إحداهما أن يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعاً. والثانية: أن يقول: ليس يحضرني الإخلاص في تحسين الركوع والسجود، ولو خففت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بذمهم وغيبتهم، فأستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا أرجو عليه ثواباً، فهو خير من أن أترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة فهذا فيه أدنى نظر. والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص، فإن لم تحضره النية فينبغي أن يستمر على عادته في الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمراءاة بطاعة الله فإن ذلك استهزاء كما سبق.

الدرجة الثانية: أن يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته، كالتطويل في الركوع والسجود، ومد القيام وتحسين الهيئة ورفع اليدين والمبادرة إلى التكبيرة الأولى وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة،

فضلاً و (**ولاية يتقلدها فيهديها إليه وهي عوراء**) أي معيبة (**قبيحة**) الصورة (**مقطوعة الأطراف، ولا يبالي به إذا كان الملك وحده، وإذا كان عنده بعض عبيده امتنع خوفاً من مذمة غلامه وذلك محال، بل من يُراعي جانب غلام الملك ينبغي أن تكون مراقبته للملك أكثر**).

(**نعم للمراءي فيه حالتان: إحداهما :أن يطلب بذلك المنزلة في**) القلوب (**والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعاً . الثانية: أن يقول ليس يحضرني الإخلاص في تحسين الركوع والسجود، ولو خففت كانت صلاتي عند الله ناقصة وآذاني الناس بغيبتهم وذمهم، فاستفيد بتحسين الركوع الهيئة دفع مذمتهم**) عني (**ولا أرجو عليه ثواباً**) في الآخرة، (**فهو خير من أن أترك تحسين الصلاة فيفوت الثواب وتحصل المذمة . فهذا فيه أدنى نظر، والصحيح أن الواجب عليه أن يحسن ويخلص**) في صلاته، (**فإن لم تحضره النية فينبغي أن يستمر على عادته في الخلوة فليس له أن يدفع الذم بالمراءاة بطاعة الله تعالى، فإن ذلك استهزاء كما سبق**) من قول قتادة.

(**الدرجة الثانية: أن يرائي بفعل ما لا نقصان في تركه، ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة للعبادة كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام**) بتطويل القراءة فيه، (**وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة إلى التكبيرة الأولى**) مع الإمام ،(**وتحسين الاعتدال والزيادة**

وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت، وكاختيار الأجود على الجيد في الزكاة واعتاق الرقبة الغالية في الكفارة. وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لكان لا يقدم عليه.

الثالثة: أن يرائي بزيادات خارجة عن نفس النوافل أيضاً كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده للصف الأوّل وتوجهه إلى يمين الامام وما يجري مجراه. وكل ذلك مما يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي أين وقف ومتى يحرم بالصلاة؟ فهذه درجات الرياء بالإضافة إلى ما يرائي به وبعضه أشد من بعض والكل مذموم.

الركن الثالث: المراءي لأجله، فإن للمرائي مقصوداً لا محالة، وإنما يرائي لإدراك مال أو جاه أو غرض من الأغراض لا محالة، وله أيضاً ثلاث درجات:

الأولى: وهي أشدها وأعظمها أن يكون مقصوده التمكن من معصية الله، كالذي يرائي بعباداته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة فيولي القضاء أو الأوقاف أو الوصايا أو مال الأيتام فيأخذها أو يسلم إليه تفرقة الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما قدر عليه منها، أو يودع الودائع فيأخذها

في القراءة على السورة المعتادة، وكذلك كثرة الخلوة في صوم رمضان وطول الصمت وكاختيار الأجود على على الجيد في) إخراج (**الزكاة واعتاق الرقبة الغالية**) الثمن (**في الكفارة. وكل ذلك مما لو خلا بنفسه لا يقدم عليه**).

(**الدرجة الثالثة: أن يرائي بزيادات خارجة من نفس النوافل أيضاً كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف الأول وتوجهه إلى يمين الإمام وما يجري مجراه. وكل ذلك يعلم الله منه أنه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي أين وقف**) ومتى (**يحرم بالصلاة؟ فهذه درجات الرياء بالإضافة إلى ما يراءي به وبعضه أشد من بعض والكل مذموم**) وصاحبه ممقوت عند الله تعالى والله الموفق.

(**الركت الثالث: المراءي لأجله، فإن للمرائي مقصوداً لا محالة فإنه لا يرائي إلا**) وفي نسخة: فإنما يرائي (**لإدراك مال أو جاه أو غرض لا محالة، وله أيضاً ثلاث درجات**).

(**الدرجة الأولى: وهي أشدها وأعظمها أن يكون مقصده التمكن من معصية الله، كالذي يرائي بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع من أكل الشبهات وغرضه أن يعرف بالأمانة**) عندهم (**فيولى**) منصب (**القضاء أو الأوقاف أو الوصايا أو مال الأيتام فيأخذها أو يسلم إليه تفرقة الزكاة أو الصدقات ليستأثر بما يقدر عليه منها، أو**

الحياء ولولا الحياء لرده، ولو جاء من لا يستحي منه من الأجانب والأراذل لكان يرده وإن كثر الحمد والثواب فيه، فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا إلا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب. والمرائي يستحي من المباحات أيضاً، حتى أنه يرى مستعجلاً في المشي فيعود إلى الهدوّ أو ضاحكاً فيرجع إلى الانقباض، ويزعم أن ذلك حياء وهو عين الرياء. وقد قيل: إنَّ بعض الحياء ضعف وهو صحيح، والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس في الصلاة وهو في الصبيان والنساء محمود وفي العقلاء غير محمود. وقد تشاهد معصية من شيخ فتستحي من شيبته أن تنكر عليه لأن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم، وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن تستحي من الله فلا تضيع الأمر بالمعروف، فالقوي يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر

الحياء ولولا الحياء لرده، ولو جاءه من لا يستحي منه من الأجانب والأراذل لكان يرده وإن كثر الحمد والثواب فيه، فهذا مجرد الحياء ولا يكون هذا إلا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب) أي ملابستها. **(والمرائي يستحي من المباحات أيضاً، حتى أنه يرى مستعجلاً في المشي فيعود إلى الهدوّ)** أي السكون، **(أو)** يرى **(ضاحكاً فيرجع إلى الانقباض، ويزعم أن ذلك حياء وهو عين الرياء. وقد قيل: إن بعض الحياء ضعف وهو)** قول **(صحيح، والمراد به الحياء مما ليس بقبيح كالحياء من وعظ الناس وإمامة الناس في الصلاة وهو في النساء والصبيان محمود وفي العقلاء)** البالغين **(غير محمود. وقد تشاهد معصية من شيخ فيستحي من شيبته أن ينكر عليه لأن من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم)** كما ورد في الخبر «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم». رواه ابن المبارك، وابن أبي شيبة، وأبو داود، والطبراني، والبيهقي، والخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث جابر «إن إكرام جلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم». **(وهذا الحياء حسن وأحسن منه أن تستحي من الله فلا تضيع الأمر بالمعروف، فالقوي يؤثر الحياء من الله على الحياء من الناس والضعيف قد لا يقدر عليه)**.

وقال النووي في شرح مسلم: وأما كون الحياء خيراً كله ولا يأتي إلا بخير، فقد يشكل على بعض الناس من حيث أن صاحب الحياء قد يستحي أن يواجه بالحق من يجله فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقد يحمل على الإضلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما معروف في العادة. قال: وجواب هذا ما أجاب به جماعة من الأئمة، منهم الشيخ ابن الصلاح: إن هذا المانع الذي ذكرناه ليس الحياء حقيقة، بل هو عجز وخور ومهانة، وإنما التسمية حياء من إطلاقهم. يعني أهل العرف أطلقوا مجازاً لمشابهته للحياء الحقيقي، وإنما حقيقة الحياء خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، والله أعلم.

عليه، فهذه هي الأسباب التي يجوز لأجلها ستر القبائح والذنوب.

الثامن: أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجرىء عليه غيره ويقتدي به، وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في إظهار الطاعة وهو القدوة ويختص ذلك بالأئمة أو بمن يقتدي به، وبهذه العلة ينبغي أيضاً أن يخفي العاصي أيضاً معصيته من أهله وولده لأنهم يتعلمون منه.

ففي ستر الذنوب: هذه الأعذار الثمانية، وليس في إظهار الطاعة عذر إلا هذا العذر الواحد، ومهما قصد بستر المعصية أن يخيل إلى الناس أنه ورع كان مرائياً كما إذا قصد ذلك بإظهار الطاعة.

فإن قلت: فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم إياه بسببه، وقد قال رجل للنبي ﷺ دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال: «ازهد في الدنيا يحبك الله وانبذ إليهم هذا الحطام يحبوك»؟ فنقول: حبك لحب الناس لك قد يكون

(فهذه الأسباب هي التي يجوز لأجلها ستر القبائح والذنوب) وقد ذكر المصنف منها ستة ولم يذكر الوجه السبع، وتقدم له في أول الكلام أنها ثمانية أوجه، وقد راجعت غالب نسخ المتن فوجدت الوجه السابع ساقطاً فيها، فانظر ذلك الوجه.

(الثامن: أن يخاف من ظهور ذنبه أن يستجرىء عليه غيره ويقتدي به، وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في إظهار الطاعة وهو القدرة ويختص ذلك بالائمة أو بمن يقتدي به، وبهذه العلة ينبغي أن يخفي العاصي أيضاً معصيته من أهله وولده لأنهم يتعلمون منه) إذا اطلعوا عليها منه.

(ففي ستر الذنوب هذه الأعذار الثمانية، وليس في إظهار الطاعة عذر إلا هذا العذر الواحد، ومهما قصد ستر المعصية أن يخيل إلى الناس أنه ورع كان مرائياً. كما إذا قصد ذلك باظهار الطاعة) كلاهما على حد سواء.

(فإن قلت: فهل يجوز للعبد أن يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم إياه بسببه، وقد قال رجل للنبي ﷺ: دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس فقال «ازهد في الدنيا) من الزهد بالضم وهو لغة الإعراض عن الشيء احتقاراً وشرعاً. الاقتصار على قدر الضرورة مما يتقي حله. والمراد بالزهد في الدنيا باستصغار جملتها واحتقار جمع شأنها لتحذر الله منها واحتقاره لها. **(يحبك الله وانبذ إليهم هذا الحطام)** أي ارم لهم بما في يدك من أعراض الدنيا **(يحبوك»)**؟ لأن قلوبهم مجبولة مطبوعة على حب الدنيا، ومن نازع انساناً في محبوبه كرهه وقلاه ومن لم يعارضه فيه أحبه واصطفاه. قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بلفظ «وازهد مما في أيدي الناس يحبك الناس».

ويجحدها، أو تسلم إليه الأموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل بعضها أو كلها، أو يتوصل بها إلى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم إلى مقاصده الفاسدة في المعاصي. وقد يظهر بعضهم زي التصوّف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإنما قصده التحبب إلى امرأة أو غلام لأجل الفجور، وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النساء والصبيان، أو يخرج إلى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من امرأة أو غلام. وهؤلاء أبغض المرائين إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة ربهم سلماً إلى معصيته واتخذوها آلة ومتجراً وبضاعة لهم في فسقهم، ويقرب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصرّ عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب إلى فجور بامرأة أو غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع وإظهار التقوى.

الثانية: أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة أو شريفة، كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الأموال

يودع) عنده **(الودائع فيأخذها أو يجحدها، أو تسلم إليه الأموال التي تنفق في طريق الحج فيختزل)** أي يقتطع **(بعضها أو كلها، أو يتوصل بها إلى استتباع الحجيج ويتوصل بقوتهم إلى مقاصده الفاسدة في المعاصي. وقد يظهر بعضهم زي التصوّف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وإنما قصده التحبب إلى امرأة أو غلام لأجل الفجور، وقد يحضرون مجالس العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان، أو يخرج إلى الحج ومقصده الظفر بمن في الرفقة من غلام أو امرأة. وهؤلاء أبغض المرائين إلى الله تعالى لأنهم جعلوا طاعة** الله سلماً **لمعصيته واتخذوها آلة وبضاعة ومتجراً لهم في فسقهم)** وخبيث صنعهم، **(ويقرب من هؤلاء وإن كان دونهم من هو مقترف جريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد أن ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى لنفي التهمة كالذي جحد وديعة)** لإنسان **(فاتهمه الناس بها فتصدق بالمال ليقال أنه يتصدق بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب إلى فجور بامرأة أو غلام فيدفع عنه التهمة بالخشوع وإظهار التقوى)** حتى لا يظن به ذلك.

(الدرجة الثانية: أن يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال أو نكاح امرأة جميلة) الصورة، **(كالذي يظهر الحزن والبكاء ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له**

وترغب في نكاحه النساء فيقصد إما امرأة بعينها لينكحها، أو امرأة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في أن يتزوّج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته، فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الأوّل، فإن المطلوب بهذا مباح في نفسه.

الثالثة: أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح ولكن يظهر عبادته خوفاً من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد أنه من جملة العامة كالذي يمشي مستعجلاً فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال انه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار، وكذلك إن سبق إلى الضحك أو بدا منه المزاح فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وإظهار الحزن. ويقول ما أعظم غفلة الآدمي عن نفسه، والله يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك، وإنما يخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار لا بعين التوقير، وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح أو يتهجدون أو يصومون الخميس والاثنين أو يتصدقون فيوافقهم خيفة أن ينسب إلى الكسل ويلحق بالعوام. ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئاً من ذلك، وكالذي يعطش يوم عرفة أو عاشوراء أو في الأشهر الحرم فلا يشرب خوفاً

الأموال وترغب في نكاحه النساء فيقصد إما امرأة بعينها لينكحها، أو امرأة شريفة) في قومها (**على الجملة وكذلك يرغب في أن يتزوج بنت عالم عابد فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته. فهذا رياء محظور لأنه طلب بطاعة الله متاع**) الحياة (**الدنيا ولكنه دون الأولى، فإن المطلوب بهذا مباح في نفسه**).

الدرجة الثالثة: **أن لا يقصد نيل حظ وإدراك مال أو نكاح ولكن عبادته خيفة من أن ينظر إليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والعباد**) وفي نسخة بدله والزهاد (**ويعتقد أنه من جملة العامة ومن آحاد الناس كالذي يمشي**) في طريق (**مستعجلاً فيطلع عليه الناس فيحسن المشي بهيئته ويترك العجلة**) والإسراع (**كيلا يقال أنه من أهل اللهو والسهو لا من أهل الوقار**) والخشوع. (**وكذلك يسبق إلى الضحك أو يبدر منه المزاح فيخاف أن ينظر إليه بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار**) والحوقلة (**وتنفس الصعداء وإظهار الحزن**) وتغير اللون. (**ويقول: ما أعظم غفلة الآدمي عن نفسه، والله تعالى يعلم منه أنه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك، وإنما يخاف أن ينظر إليه بعين التوقير**) والتعظيم. (**وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح ويتهجدون أو يصومون الإثنين والخميس أو يتصدقون فيوافقهم**) في فعلهم (**خيفة أن ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام، ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئاً منه، وكالذي يعطش في يوم عرفة وعاشوراء أو في الاشهر الحرم فلا يشرب**

من أن يعلم الناس انه غير صائم، فإذا ظنوا به الصوم امتنع عن الأكل لأجلهم أو يدعى إلى طعام فيمتنع ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بأنه صائم ولكن يقول: لي عذر، وهو جمع بين خبيثين، فإنه يرائي أنه صائم ثم يرائي أنه مخلص ليس بمراء، وإنه يحترز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرائياً فيريد أن يقال انه ساتر لعبادته، ثم إن اضطر إلى شرب لم يصبر عن أن يذكر لنفسه فيه عذراً تصريحاً أو تعريضاً بأن يتعلل بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم، أو يقول أفطرت تطييباً لقلب فلان، ثم قد لا يذكر ذلك متصلاً بشربه كيلا يظن به أنه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية عرضاً، مثل أن يقول: أن فلاناً محب للإخوان شديد الرغبة في أن يأكل الإنسان من طعامه وقد ألح علي اليوم ولم أجد بداً من تطييب قلبه. ومثل أن يقول ان أمي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن أني لو صمت يوماً مرضت فلا تدعني أصوم. فهذا وما يجري مجراه من آفات الرياء فلا يسبق إلى اللسان إلا لرسوخ عرق الرياء في الباطن. أما المخلص فإنه لا يبالي كيف نظر الخلق إليه؟ فإن لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبساً، أو إن كان له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله تعالى ولم يشرك فيه غيره، وقد يخطر له أن في إظهاره اقتداء غيره

خوفاً من أن يعلم الناس أنه غير صائم، فإذا ظنوا به الصوم امتنع من الأكل لأجلهم، أو يدعى إلى الطعام فيمتنع) من الأكل (**ليظن أنه صائم وقد لا يصرح بأنه صائم ولكن يقول لي عذر، وهو جمع بين خبيثين، فإنه يرائي أنه صائم ثم يرائي أنه مخلص ليس بمراء، وأنه يحترز من أن يذكر عبادته للناس فيكون مرائياً فيريد أن يقال ساتر لعبادته، ثم أنه إن اضطر إلى شرب)** ماء (**لم يصبر عن أن يذكر لنفسه عذراً تصريحاً أو تعريضاً بأن يتعلل بمرض اقتضى فرط العطش)** ولو لم يشرب لتضرر (**ويمتنع)** لأجل ذلك (**من الصوم أو يقول: افطرت تطييباً لقلب فلان)** ويسميه (**ثم قد لا يذكر ذلك متصلاً بشربه كي لا يظن به أنه يعتذر رياء، ولكنه يصبر ثم يذكر عذراً في معرض حكاية)** يسوقها (**مثل أن يقول: إن فلاناً)** ويسميه باسمه (**محب للإخوان شديد الرغبة في أن يأكل الإنسان من طعامه وقد ألح علي اليوم ولم أجد بداً من تطييب قلبه)** فوافقته. (**ومثل أن يقول: إن أمي ضعيفة القلب مشفقة عليّ تظن أني لو صمت يوماً مرضت فلا تدعني أن أصوم)** رعاية لخاطرها. (**فهذا وما يجري مجراه علامات الرياء ولا يسبق إلى اللسان إلا لرسوخ عرق الرياء في الباطن)** وتمكنه منه. (**أما المخلص فلا يبالي كيف نظر الخلق إليه، فإن لن تكن له رغبة في الصوم وقد علم الله ذلك منه فلا يريد أن يعتقد غيره ما يخالف علم الله فيكون ملبساً، وإن كانت له رغبة في الصوم لله قنع بعلم الله ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له)** بباله (**إن في إظهاره**

به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور ـ وسيأتي شرح ذلك وشروطه ـ.

فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه، وهو من أشد المهلكات وإن من شدته أن فيه شوائب هي أخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر، يزل فيه فحول العلماء فضلاً عن العباد الجهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب والله أعلم.

بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل:

اعلم أن الرياء جلي وخفي، فالجلي هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه ولو قصد

اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة وغرور، وسيأتي شرح ذلك وشروطه) في الفصل الذي بعده.

فهذه درجات الرياء ومراتب أصناف المرائين وجميعهم تحت مقت الله وغضبه، وهو من أشد المهلكات، وإن من شدته أن فيه شوائب هي أخفى من دبيب النمل كما ورد به الخبر). قال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث أبي موسى الأشعري «اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل» ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه وضعفه هو والدارقطني اهـ.

قلت: حديث أبي موسى أخرجه أيضاً ابن أبي شيبة في المصنف ولفظه: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «يا أيها الناس اتقوا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل» فقالوا: كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال «قولوا اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه» ورواه كذلك أحمد والطبراني.

وأما حديث أبي بكر فلفظه: «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شيء إذا فعلته أذهبت عنك صغار الشرك وكباره تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم تقولها» ثلاث مرات كل يوم. هكذا رواه هناد في الزهد، والحكيم في النوادر، وأبو يعلى، وابن المنذور، وابن السني في عمل يوم وليلة» وهو حديث حسن. وروى الحكيم من حديث ابن عباس «الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا» وهو في الحلية بلفظ «من دبيب الذر». **(تزل فيه فحول العلماء)** العارفين **(فضلاً عن العباد الجهلاء بآفات النفوس وغوائل القلوب)** المستكنة، والله الموفق.

بيان الرياء الخفي الذي هو أخفى من دبيب النمل:

(اعلم) هداك الله تعالى **(أن الرياء جلي وخفي، فالجلي هو الذي يبعث على العمل)** وينشط عليه **(ويحمل عليه أوّلاً)** لقصد المحمدة **(دون قصد الثواب)** والأجر **(وهو**

الثواب وهو أجلاه، وأخفى منه قليلاً هو ما لا يحمل على العمل بمجرده، إلا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله، كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه، فإذا نزل عنده ضيف تنشط له وخف عليه وعلم أنه لولا رجاء الثواب لكان لا يصلي لمجرد رياء الضيفان، وأخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضاً، ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب، ومهما لم يؤثر في الدعاء إلى العمل لم يمكن أن يعرف إلا بالعلامات، وأجلى علاماته أن يسر باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك، ولكن إذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروّح ذلك عن قلبه شدة العبادة، وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح السرور، ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس، فلقد كان الرياء مستكناً في القلب استكنان النار في الحجر فأظهر عنه اطلاع الخلق أثر الفرح والسرور، ثم إذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتاً وغذاء للعرق الخفي من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية، فيتقاضى تقاضياً خفياً أن يتكلف سبباً يطلع عليه بالتعريض وإلقاء الكلام عرضاً، وإن كان لا يدعو إلى

أجلاه، وأخفى منه قليلاً) هو (**ما لا يحمل على العمل بمجرده، إلا أنه يخفف العمل الذي يريد به وجه الله تعالى، كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه، فإذا ادخل عليه الضيفان**) وفي نسخة: فإذا نزل عليه ضيف (**نشط له**) وفي نسخة: تنشط له (**وخف عليه وعلم أنه لولا رجاء ثواب الله لكان لا يصلي بمجرد الرياء للضيفان، وأخفى من ذلك ما لا يؤثر في العمل ولا بالتسهيل والتخفيف أيضاً ولكنه مع ذلك مستبطن في القلب**) أي مستقر في باطنه، (**ومهما لم يؤثر في الدعاء إلى العمل لم يمكن أن يعرف إلا بالعلامات**) الدالة عليه، (**وأجلى علاماته أن يسر**) أي يفرح (**باطلاع الناس على طاعته فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الرياء بل يكرهه ويرده ويتمم العمل كذلك، وإذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وانبسط وروّح ذلك عن قلبه شدة العبادة**) وخفف عنه ثقلها، (**وهذا السرور يدل على رياء خفي منه يرشح منه السرور، ولولا التفات القلب إلى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس، فلقد كان الرياء مستكناً في القلب استكنان النار في**) قلب (**الحجر**) الصلد (**فأظهر منه اطلاع الخلق أثر السرور، ثم إذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير ذلك قوتاً وغذاء للعرق الخفي**) المدسوس (**من الرياء حتى يتحرك على نفسه حركة خفية، فيتقاضى**) أي يطلب (**تقاضياً**) طلباً (**خفياً أي يتكلف سبباً يطلع عليه بالتعريض**) والتلويح (**وإلقاء الكلام عرضاً وإن كان لا يدعو إلى**

التصريح، وقد يخفى فلا يدعو إلى الإظهار بالنطق تعريضاً وتصريحاً ولكن بالشمائل، كإظهار النحول والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وآثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد، وأخفى من ذلك أن يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته، ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدأوه بالسلام وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه وأن ينشطوا في قضاء حوائجه وأن يسامحوه في البيع والشراء وأن يوسعوا له في المكان، فإن قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعاداً في نفسه كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفاها مع أنه لم يطلع عليه، ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه، ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله ولم يكن خالياً عن شوب خفي من الرياء أخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون.

وقد روي عن علي كرّم الله وجهه، أنه قال: إن الله عز وجل يقول للقراء يوم

التصريح، وقد يخفى فلا يدعو إلى الإظهار بالنطق) باللسان (**لا تعريضاً ولا تصريحاً ولكن بالشمائل**) الدالة عليه، (**كإظهار النحول**) أي السقم (**والاصفرار وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفاف الريق وغلبة النعاس الدال على طول التهجد وآثار الدموع**) في العينين، (**وأخفى من ذلك أن يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر**) أي لا يفرح (**بظهور طاعته، ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدأوه بالسلام**) عليه والمصافحة (**وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه**) ويمدحوه (**وأن ينشطوا**) أي يخفوا (**في قضاء حوائجه**) مهما كانت (**وأن يسامحوه في البيع والشراء**) ما لا يسامح بغيرهم (**وأن يوسعوا له في المكان**) مهما قدم عليهم، (**فإن قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه ووجد لذلك استبعاداً في نفسه كان نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي أخفاها**) عن الناس (**مع أنه لم يطلع عليه، ولو لم يكن قد سبقت منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه**) فيما ذكر، (**ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها فيما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله تعالى وحده ولم يكن خالياً عن شوب خفي من الرياء أخفى من دبيب النمل**) على الصفا (**فكل ذلك يوشك أن يحبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون**). ولذلك قال ﷺ لحضرة الصديق رضي الله عنه «ألا أعلمك شيئاً إذا قلته اذهب عنك صغار الشرك وكباره» في خبر تقدم ذكره قريباً.

(**وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه قال: إن الله عز وجل يقول للقراء**) أي العلماء

القيامة، ألم يكن يرخص عليكم السعر؟ ألم تكونوا تبتدئون بالسلام؟ ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج؟ وفي الحديث: «لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم». وقال عبدالله بن المبارك: روي عن وهب بن منبه أنه قال: إن رجلاً من السوّاح قال لأصحابه إنا إنما فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان فنخاف أن نكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم، إن أحدنا إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه، وإن سأل حاجة أحب أن تقضى له لمكان دينه، وإن اشترى شيئاً أحب أن يرخص عليه لمكان دينه، فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فإذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس، فقال السائح: ما هذا؟ قيل: هذا الملك قد أظلك، فقال للغلام ائتني بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر، فجعل يحشو شدقه ويأكل أكلاً عنيفاً فقال الملك أين صاحبكم؟ فقالوا هذا، قال: كيف أنت؟ قال: كالناس، وفي حديث آخر: بخير، فقال الملك ما عند هذا من خير! فانصرف عنه، فقال السائح الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لي ذام. فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي

(**يوم القيامة: ألم يكن يرخص عليكم السعر؟ألم تكونوا تبتدئون بالسلام؟ ألم تكونوا تقضى لكم الحوائج؟ وفي الحديث الآخر «لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم»**) أغفله العراقي. وروى البيهقي من حديث أبي هريرة «يقول الله تعالى لعبده يوم القيامة: يا ابن آدم ألم أحملك على الخيل والإبل وأزوّجك النساء وأجعلك ترفع وترأس؟ فيقول: بلى أي رب. فيقول: أين شكر ذلك؟ وروى أيضاً، وكذا أبو الشيخ من حديث عبد الله بن سلام يقول الله للعبد يوم القيامة: ألم تدعني لمرض كذا وكذا فعافيتك؟ ألم تدعني أن أزوجك كريمة قومها فزوجتك؟ ألم ألم.

(**وقال عبد الله بن المبارك**) رحمه الله تعالى في كتاب الزهد والرقائق: (**روي عن وهب بن منبه**) اليماني رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته في كتاب العلم (**أنه قال: إن رجلاً من السياح قال له أصحابه: انا إنما فارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان، فنخاف أن يكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم. إن أحدنا إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه، وإن سأل حاجة أحب أن تقضي له لمكان دينه، وإن اشترى أحب أن يرخص عليه لمكان دينه، فبلغ ذلك ملكهم فركب في مركب من الناس فإذا السهل والجبل قد امتلأ بالناس، فقال السائح: ما هذا؟ فقيل: هذا الملك قد أظلك. فقال للغلام: ائتني بطعام فأتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل يحشو شدقيه ويأكل أكلاً عنيفاً. فقال الملك: أين صاحبكم؟ قالوا: هذا. قال: كيف أنت؟ قال: كالناس. وفي حديث آخر: بخير، فقال الملك: ما عند هذا من خير. فانصرف عنه فقال السائح: الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لي ذام**).
هكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق ابن المبارك فقال: حدثنا عبدالله بن محمد بن

يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على إخفائهم أعظم مما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم، كل ذلك رجاء أن تخلص أعمالهم الصالحة فيجازيهم الله في القيامة بإخلاصهم على ملأ من الخلق، إذ علموا أن الله لا يقبل في القيامة إلا

جعفر، حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا حسين بن الحسن المروزي، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا بكار بن عبد الله أنه سمع وهب بن منبه يقول: كان رجل من أفضل أهل زمانه وكان يزار فيعظهم فاجتمعوا إليه ذات يوم فقال: إنا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان، وقد خفت أن يكون قد دخل علينا في حالنا هذه من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الأموال في أموالهم. أرانا يحب أحدنا أن تقضى له حاجته، وإن اشترى بيعاً أن يقارب لمكان دينه، وإن لقي وقر لمكان دينه، فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك فعجب به الملك فركب إليه ليسلم عليه وينظر إليه، فلما رآه الرجل قيل له: هذا الملك قد أتاك ليسلم عليك. فقال: وما يصنع؟ قال: الكلام الذي وعظت به، فسأل ردأه هل عندك من طعام؟ فقال: شيء من ثمر الشجر مما كنت تفطر به فأمر به فأتى على مسح فوضع بين يديه، فأخذ يأكل منه وكان يصوم النهار لا يفطر فوقف عليه الملك فسلم عليه فأجابه بإجابة خفية فاقبل على طعامه يأكله، فقال الملك: فأين الرجل؟ قيل له: هو هذا. قال: هذا الذي يأكل؟ قالوا: نعم. قال: ما عند هذا من خير فأدبر، فقال الرجل: الحمد لله الذي صرفك عني بما صرفك به.

وقد رواه أيضاً من طريقه بلفظ آخر فقال: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا علي بن إسحاق، حدثنا حسين المروزي، حدثنا ابن المبارك، حدثنا عمر بن عبد الرحمن بن مهرب أنه سمع وهب بن منبه يقول: إن الملك سمع باجتهاده فقال: لآتينه يوم كذا وكذا ولأسلمن عليه، فأسرعت البشرى إلى هذا الراهب، فلما كان ذلك اليوم وظن أنه يأتيه خرج إلى مضحى له قدام مصلاه، وأخرج بمنشف فيه بقل وزيت وحمص فوضعه قريباً منه، فلما أشرف إذا هو بالملك مقبل ومعه سواد من الناس قد أحاطوا به فاوضعوا قريباً، فلا يرى سهل ولا جبل إلا قد ملىء من الناس، فجعل الراهب يجمع من تلك البقول والطعام ويعظم اللقمة ويغمس في الزيت فيأكل أكلاً عنيفاً وهو واضع رأسه لا ينظر إلى من أتاه، فقال الملك: أين صاحبكم؟ قالوا: هو هذا. قال الملك: كيف أنت يا فلان؟ فقال الراهب: وهو يأكل ذلك الأكل: كالناس، فردّ الملك عنان دابته وقال: ما في هذا من خير، فلما ذهب قال الراهب: الحمد لله الذي أذهبه عني وهو لي لائم.

(فلم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس عن أعمالهم الصالحة يحرصون على إخفائها) وكتمها مهما أمكن **(أعظم ما يحرص الناس على إخفاء فواحشهم)** عن الناس، **(كل ذلك رجاء أن يخلص عملهم فيجازيهم الله يوم القيامة بإخلاصهم على ملأ من الخلق إذا علموا أن الله لا يقبل يوم القيامة إلا الخالص)** فقد روى النسائي، والطبراني من حديث أبي أمامة: إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً

الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيامة وإنه ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ فيه مالٌ ولا بنونَ ولا يجزي والد عن ولده، ويشتغل الصديقون بأنفسهم فيقول كل واحد. نفسي نفسي! فضلاً عن غيرهم فكانوا كزوار بيت الله إذا توجهوا إلى مكة فإنهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم بأن أرباب البوادي لا يروج عندهم الزائف والنبهرج، والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع إليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي إلا الخالص من النقد، فكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة والزاد الذي يتزوّدونه له من التقوى، فإذا شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر، ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة ففيه شعبة من الرياء فإنه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضره البهائم أو الصبيان الرضع أم غابوا، اطلعوا على حركته أم لم يطلعوا، فلو كان مخلصاً قانعاً بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم، وعلم أن العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا يقدر

وابتغى به وجهه. وأخرج الخطيب في المتفق والمفترق من حديث الضحاك بن قيس الفهري: يا أيها الناس اخلصوا أعمالكم لله فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له. (**وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيامة وأنه يوم**) عظيم كما قال الله تعالى: ﴿يوم (**لا ينفع مال ولا بنون* إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾) [الشعراء: ٨٨، ٨٩] خالص من شوائب الرياء. (**ولا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً، ويشتغل الصديقون**) والصالحون (**بأنفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي! فضلاً عن غيرهم**) ممن لم يدانوا مقاماتهم (**فكانوا**) في سلوكهم (**كزوار بيت الله**) الحرام (**إذا توجهوا إلى مكة**) شرفها الله تعالى: (**فإنهم يستصحبون مع أنفسهم الذهب المصري الخالص**) عن الغش والخلط (**لعلمهم بأن أرباب البوادي**) وهم العربان (**لا يروج عندهم الزيف والنبهرج**) وهو الرديء المغشوش، (**والحاجة تشتد في البادية ولا وطن**) هناك (**يفزع إليه**) في تغيير الذهب (**ولا حميم يتمسك به**) في المعاونة (**فلا ينجي إلا الخالص من النقد**) ولا يقضي الحاجة إلا هو، (**فهكذا يشاهد أرباب القلوب يوم القيامة**) والسفر إليه كالسفر إلى مكة (**والزاد الذي يتزودون له التقوى**) وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ (**فإذا شوائب الرياء الخفي كثيرة لا تنحصر، ومهما أدرك من نفسه تفرقة بين أن يطلع على عبادته إنسان أو بهيمة ففيه شعبة من الرياء فإنه لما قطع طمعه عن البهائم لم يبال حضرته البهائم أم الصبيان الرضع أو غابوا**)، وسواء، (**اطلعوا على حركته أو لم يطلعوا فلو كان مخلصاً قانعاً بعلم الله لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر صبيانهم ومجانينهم، وعلم أن العقلاء لا يقدرون له على رزق ولا أجل ولا زيادة ثواب ونقصان عقاب كما لا تقدر عليه البهائم والصبيان والمجانين، فإذا لم يجد**

عليه البهائم والصبيان والمجانين، فإذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي، ولكن ليس كل شوب محبطاً للأجر مفسداً للعمل بل فيه تفضيل.

فإن قلت: فما نرى أحداً ينفك عن السرور إذا عرفت طاعاته، فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم؟ فنقول: أولاً، كل سرور فليس بمذموم بل السرور منقسم إلى محمود وإلى مذموم.

فأما المحمود فأربعة أقسام:

الأوّل: أن يكون قصده إخفاء الطاعة والإخلاص لله، ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أطلعهم وأظهر الجميل من أحواله، فيستدل به على حسن صنع الله به ونظره إليه والطافه به، فإنه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة، ولا لطف أعظم من ستر القبيح وإظهار الجميل، فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨] فكأنه ظهر له أنه عند الله مقبول ففرح به.

ذلك) أي إدراك التفرقة من نفسه **(ففيه شوب رياء خفي، وليس كل شوب محبطاً للأجر مفسداً للعمل بل فيه تفصيل)** سيأتي ذكره في الفصل الذي يليه.

(فإن قلت: فما يرى أحد ينفك عن السرور إذا عرف بطاعته، فالسرور مذموم كله أو بعضه محمود وبعضه مذموم؟ فنقول: أولاً كل سرور فليس بمذموم كله بل السرور منقسم إلى محمود إلى مذموم).

(فأما المحمود فاربعة أقسام):

(الأول: أن يكون قصده إخفاء الطاعات والإخلاص لله تعالى) منها، **(ولكن لما اطلع عليه الخلق علم أن الله أطلعهم)** عليه **(وأظهر الجميل من أحواله، فيستدل به على حسن صنع الله ونظره والطافه به، فإنه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة، فلا لطف أعظم من ستر القبيح عليه وإظهار الجميل)** وقد ورد في بعض الأدعية: يا من أظهر الجميل وستر القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة، وقد تقدم في الدعوات **(فيكون فرحه بجميل نظر الله له)** وحسن عنايته به ورعايته له **(لا بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم، وقد قال تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ فكأنه ظهر له أنه عند الله مقبول ففرح به)** ولكن ليس لكل أحد لم يختبر نفسه وعلم دسائسها أن يقول أنه مقبول عند الله ففيه خطر عظيم زلت بسببه أقدام خلق كثير.

الثاني: أن يستدل بإظهار الله الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا أنه كذلك يفعل في الآخرة، إذ قال رسول الله ﷺ: ما ستر الله على عبد ذنباً في الدنيا إلا ستره عليه في الآخرة» فيكون الأوّل فرحاً بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل، وهذا التفات إلى المستقبل.

الثالث: أن يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره، فيكون له أجر العلانية بما أظهر آخراً وأجر السر بما قصده أوّلاً، ومن اقتدى به في طاعة فله مثل أجر أعمال المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وتوقع ذلك

(الثاني: أن يستدل بإظهار الله تعالى الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا أنه كذلك يفعل في الآخرة إذ قال رسول الله ﷺ: «ما ستر الله على عبد ذنباً) من ذنوبه **(في الدنيا)** بأن لم يفضحه به **(إلا ستره عليه في الآخرة»)** فلا يفضحه به على رؤوس الأشهاد. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه ابن النجار، عن علقمة المزني، عن أبيه، واسمه عبدالله بن سنان المزني له صحبة، وعلقمة هذا أخو بكر المزني في قول البخاري وخالفه غيره. وروي الطبراني، والخطيب من حديث أبي موسى: «ما ستر الله عز وجل على عبد في الدنيا فيعيره به يوم القيامة».

(فيكون الأول فرحاً بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل، وهذا التفات في المستقبل) وقد يجتمعان معاً في مؤمن فيكون سبباً لمزيد فرحه، ولكن بشرط أنه صدر منه القبيح فرطاً من غير تصميم العزم عليه، ثم ستره الله تعالى عليه ندم وأحسن توبته، فهذا الذي يرجى له الستر في الآخرة، وأما من ستر الله عليه ذلك وهو مصمم على الوقوع فيه أو العود إليه، فليس له في الآخرة نصيب وربما يفضحه الله في جوف بيته فليحذر السالك من ذلك.

(الثالث: أن يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيضاعف بذلك أجره، فيكون له أجر العلانية بما ظهر آخراً وأجر السرور بما قصده أولاً، ومن اقتدى به في طاعة فله أجر عمل المقتدين به من غير أن ينقص من أجورهم شيء) ويشهد لذلك ما رواه أحمد من حديث أبي هريرة: «من سن خيراً فاستن به كان له أجره كاملاً ومن أجور من استن به ولا ينقص من أجورهم شيئاً» الحديث.

ورواه السجزي في الأبانة بلفظ: «من سن سنة هدى فاتبع عليها كان له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً الحديث.

وروى مسلم، والترمذي، وابن ماجه من حديث جرير: «من سن في الإسلام سنة حسنة فلـه أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء» الحديث.

جدير بأن يكون سبب السرور، فإن ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة.

الرابع: أن يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم إلى الطاعة، إذ من أهل الإيمان من يرى أهل الطاعة فيمقته ويحسده أو يذمه ويهزأ به أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمده عليه، فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله. وعلامة الإخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم إياه.

وأما المذموم وهو الخامس: فهو أن يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويقابلوه بالإكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه والله تعالى أعلم.

بيان ما يحبط العمل من الرياء الخفي والجلي وما لا يحبط:

فنقول فيه: إذا عقد العبد العبادة على الإخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو إما أن يرد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل الفراغ، فإن ورد بعد الفراغ سرور مجرد

(وتوقع ذلك جدير بأن يكون سبب السرور، فإن ظهور مخايل الربح لذيذ وموجب للسرور لا محالة).

(الرابع: أن يحمده المطلعون على طاعته فيفرح بطاعتهم لله في مدحهم ويحبهم للمطيع وبميل قلوبهم إلى الطاعة) ويغتنم ذلك منهم ويسره ذلك، **(إذا)** كم **(من أهل الإيمان من يرى أهل الطاعة فيمقته)** بقلبه **(أو يحسده)** على ما أوتيه **(أو يذمه)** تبرعاً **(ويهزأ به ويسبه)** في المجالس **(أو ينسبه إلى الرياء ولا يحمده عليه، فهذا فرح بحسن إيمان عباد الله)** ولكن للشيطان في هذا الاسم تغريرات وتلبيسات لذلك قلما يوجد مع الإخلاص، **(وعلامة الإخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمدهم غيره مثل فرحه بحمدهم إياه)** ومهما رأى نفسه تستثقل حمدهم غيره في مجلسه فاعلم أنه لا إخلاص حينئذ.

(وأما المذموم فهو الخامس: وهو أن يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا بقضاء حوائجه ويعاملوه بالإكرام في مصادره) حين يصدر **(وموارده)** حين يرد، **(فهذا مكروه)** مذموم.

بيان ما يحبط العمل في الرياء الخفي والجلي وما لا يحبطه:

(فنقول: إذا عقد) العبد **(العبادة على الإخلاص ثم ورد عليه وارد الرياء فلا يخلو إما أن يكون ورد عليه بعد فراغه من العمل أو قبل فراغه)** منه، **(فإن ورد)** عليه **(بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار)** منه **(فهذا لا يحبط العمل، إذا العمل قد تم**

بالظهور من غير إظهار فهذا لا يفسد العمل، إذ العمل قد تمَّ على نعت الإخلاص سالماً عن الرياء فما يطرأ بعده فنرجو أن لا ينعطف عليه أثره، لا سيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به ولم يتمن إظهاره وذكره ولكن إتفق ظهوره بإظهار الله، ولم يكن منه إلا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه، نعم لو تم العمل على الإخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الإظهار فتحدث به وأظهره فهذا مخوف.

وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه محبط. فقد روي عن ابن مسعود أنه سمع رجلاً يقول: قرأت البارحة البقرة فقال ذلك حظه منها: وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال لرجل قال له: صمت الدهر يا رسول الله. قال له: « ما صمت ولا أفطرت »، فقال بعضهم: إنما قال ذلك لأنه أظهره وقيل هو إشارة إلى كراهة صوم الدهر. وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله ﷺ ومن ابن مسعود استدلالاً على أن قلبه عند

على نعت الإخلاص سالماً عن) شوب **(الرياء فما يطرأ بعده فنرجو أن لا ينعطف عليه أثره)** هكذا ذهب إليه جماعة من العارفين، **(لا سيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث به)** للناس **(ولم يتمن إظهاره وذكره)** بين الناس **(ولكنه إتفق ظهوره بإظهار الله إياه، ولم يكن منه إلا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه. نعم لو تم العمل على الإخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الإظهار فتحدث به وأظهره فهذا مخوف)**.

(في الأخبار والآثار) بظواهرها **(ما يدل على أنه محبط)** لذلك العمل. **(فقد روي عن ابن مسعود)** رضي الله عنه **(أنه سمع رجلاً يقول: قرأت البارحة سورة البقرة قال: ذلك حظك منها: وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال لرجل قال له: صمت الدهر .فقال: « ما صمت ولا أفطرت »)**. قال العراقي: روى مسلم من حديث أبي قتادة قال عمر: يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر؟ قال: « لا صام ولا أفطر » وللطبراني من حديث أسماء بنت يزيد في أثناء حديث فيه فقال رجل: إني صائم. قال بعض القوم: إنه لا يفطر إنه يصوم كل يوم قال النبي ﷺ: « لا صام ولا أفطر من صام الدهر » ولم أجده بلفظ الخطاب اهـ.

قلت: بل رواه ابن وهب في مسنده، عن سليمان بن بلال، عن موسى بن عبيدة، عن عمران بن أبي أنس، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن رجلاً قال: يا رسول الله ما أفطرت منذ أربع سنين. فقال: « ما صمت ولا أفطرت » وكذلك رواه ابن المبارك في الزهد وفي إسناده إرسال وضعف.

(فقال بعضهم: إنما قال ذلك لأنه أظهره) وهكذا روى عن موسى بن عبيدة أحد رواة هذا الحديث قال: وذلك لأنه حدث به فيما ترى كذا في مسند ابن وهب. وعند ابن المبارك قال أبو سلمة لأنه تحدث به. **(وقيل: هو إشارة إلى كراهية صوم الدهر، وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله ﷺ)** في هذا القول، **(ومن ابن مسعود)** رضي الله عنه في

العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به، إذ يبعد أن يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلاً لثواب العمل بل الأقيس أن يقال انه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منها، بخلاف ما لو تغير عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة، فإن ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل. وأما إذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلاً وكان قد عقد على الإخلاص ولكن ورد في أثنائها وارد الرياء، فلا يخلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن يكون رياء باعثاً على العمل، فإن كان باعثاً على العمل وختم العبادة به حبط أجره. ومثاله أن يكون في تطوع فتجددت له نظارة، أو حضر ملك من الملوك وهو يشتهي أن ينظر إليه، أو يذكر شيئاً نسيه من ماله وهو يريد أن يطلبه، ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفاً من مذمة الناس، فقد حبط أجره وعليه الإعادة إن كان في فريضة، وقد قال ﷺ: «العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله» أي النظر إلى خاتمته. وروي: «أنه من راءى بعمله

قوله السابق (**استدلالاً على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن الرياء وقصده لما أن ظهر منه التحدث به، إذ يبعد أن يكون ما يطرأ على العمل مبطلاً لثواب. العمل، فالأقيس**) من القولين (**أن يقال أنه يثاب على عمله الذي قد مضى ومعاتب على مراءاته بطاعة الله بعد الفراغ منه، بخلاف ما لو تغير عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلاة، فإن ذلك قد يبطل الصلاة ويحبط العمل. وأما إذا ورد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلاً وكان قد عقد على الإخلاص، ولكن ورد في أثنائها وارد الرياء فلا يخلو إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل، وإما أن يكون رياء باعثاً على العمل، فإن كان باعثاً على العمل وختم العبادة به حبط أجره**) لأنه قد تخلل عقد ما أثر فيه فهو أحرى أن يوصف بالإنحلال. (**ومثاله: أن يكون في تطوع فتجردت له نظارة**) بالتشديد كلمة يستعملها العجم بمعنى التنزه في الرياض والبساتين كذا في المصباح، (**أو حضر ملك من الملوك**) بموكبه وحشمه (**وهو يشتهي أن ينظر إليه**) أو إلى موكبه (**أو تذكر شيئاً نسيه من ماله**) في موضع أو عند أحد، (**وهو يريد أن يطلبه، ولولا الناس لقطع الصلاة فاستتمها خوفاً من مذمة الناس فقد حبط أجره وعليه الإعادة إن كان في فريضة. وقد قال ﷺ: «العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله»**) قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث معاوية بن أبي سفيان بلفظ: «إذا طاب أسفله طاب أعلاه». وقد تقدم اهـ.

قلت: ولفظه: «إنما الأعمال كالوعاء إذا طاب أسفله طاب أعلاه وإذا فسد أسفله فسد أعلاه» وهكذا رواه أحمد أيضاً. وعند ابن المبارك في الزهد بلفظ: «إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة وإنما مثل عمل أحدكم كمثل الوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفله وإذا خبث أعلاه خبث أسفله». ورواه أبو نعيم في الحلية وقد تقدم الكلام عليه.

ساعة حبط عمله الذي كان قبله »، وهذا منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فإن كل جزء من ذلك مفرد، فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي، والصوم والحج من قبيل الصلاة. وأما إذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الإتمام لأجل الثواب، كما لو حضر جماعة في أثناء الصلاة ففرح بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لأجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضاً، فهذا رياء قد أثر في العمل وانتهض باعثاً على الحركات، فإن غلب حتى انمحق معه الإحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغموراً، فهذا أيضاً ينبغي أن يفسد العبادة مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه، لأنا نكتفي بالنية السابقة عند الإحرام بشرط أن لا يطرأ عليها ما يغلبها ويغمرها، ويحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظراً إلى حالة العقد وإلى بقاء قصد أصل الثواب وأن ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه.

ولقد ذهب الحارث المحاسبي رحمه الله تعالى إلى الإحباط في أمر هو أهون من هذا

(أي النظر إلى خاتمته. وروي) أيضاً **(« من راءى بعمله ساعة حبط عمله الذي كان قبله »)** قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ.

قلت: روى الطبراني، وأبو الشيخ، وابن عساكر من حديث أبي هند الداري: « من راءى بالله بغير الله فقد برىء من الله ».

(وهو منزل على الصلاة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة فإن كل جزء من ذلك) وفي نسخة: منها **(منفرد)** بذاته **(فما يطرأ)** بعد **(يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلاة)** لاتصال العمل فيهما كالصلاة، **(فأما إذا كان وارد الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لأجل الثواب كما لو حضر جماعة في أثناء صلاته ففرح بحضورهم)** باطناً **(واعتقد الرياء وقصد تحسين الصلاة لأجل نظرهم)** إليه، **(وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضاً فهذا رياء قد أثر في العمل وانتهض باعثاً على الحركات، فإن غلب حتى انمحق معه الإحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغموراً)** قد غمره قصد الرياء. **(فهذا أيضاً ينبغي أن يفسد العبادة معها مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه لأنا نكتفي بالنية السابقة عند الإحرام بها بشرط أن لا يطرأ عليها ما يغلبها ويغمرها)** وقد طرأ عليها ما يغمرها ففات الشرط. **(ويحتمل أن يقال: لا تفسد العبادة نظراً إلى حالة العقد وإلى بقاء أصل الثواب وإن ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه)**. وبعض الفقهاء قد قوى هذا الاحتمال، وبه كان يفتي شيخنا الفقيه الشريف أو الحسن المقدسي رحمه الله تعالى.

(ولقد ذهب) الإمام العارف **(الحرث)** بن أسد **(المحاسبي)** رحمه الله تعالى في كتابه

وقال: إذا لم يرد إلا مجرد السرور بإطلاع الناس - يعني سروراً هو كحب المنزلة والجاه - قال: قد اختلف الناس في هذا؛ فصارت فرقة إلى أنه محبط لأنه نقض العزم الأوّل وركن إلى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالإخلاص وإنما يتم العمل بخاتمته، ثم قال ولا أقطع عليه بالحبط وإن لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس، والأغلب على قلبي أنه يحبط إذا ختم عمله بالرياء ثم قال: فإن قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى، إنهما حالتان، فإذا كانت الأولى لله لم تضره الثانية، وقد روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أسر العمل لا أحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال: لك أجران أجر السر وأجر العلانية»، ثم تكلم على الخبر والأثر فقال: أما الحسن فإنه أراد بقوله: لا يضره، أي لا يدع العمل ولا تضره الخطرة وهو يريد الله، ولم يقل إذا عقد الرياء بعد عقد الإخلاص لم يضره، وأما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله إلى ثلاثة أوجه:

الرعاية (**إى الإحباط في أمر هو أهون من ذلك فقال: إذا لم يرد إلا مجرد السرور بإطلاع الناس يعني**) به (**سروراً هو كحب المنزلة والجاه قال: قد اختلف الناس في هذا، فصارت فرقة إلى أنه يحبط لأنه قد نقض العزم الأول وركن إلى حمد المخلوقين ولم يختم عليه بالإخلاص وإنما يتم العمل بخاتمته**) كما دل عليه الخبر: «إنما الأعمال بالخواتيم» (**ثم قال: ولا أقطع عليه بالإحباط وإن لم يتزيد في العمل ولا آمن عليه، وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس والأغلب على قلبي أنه يحبط إذا ختم عليه بالرياء ثم قال: فإن قيل قد قال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى، (**إنهما حالتان**) وفي نسخة صورتان (**فإذا كانت الأولى لله لم تضره الثانية، وقد روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إني أسر العمل**) أي أخفيه (**لا أحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني قال: «لك أجران أجر السر وأجر العلانية**)
قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من رواية ذكوان عن أبي مسعود، ورواه الترمذي وابن حبان من رواية ذكوان عن أبي هريرة: «الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطلع عليه أعجبه. قال: له أجر السر وأجر العلانية». قال الترمذي: غريب وقال: إنه روي عن أبي صالح وهو ذكوان مرسلاً اهـ.

قلت: وقد روي في إفراد مسلم من حديث أبي ذر قال: قيل يا رسول الله أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ فقال: «تلك عاجل بشرى المؤمن».

(**ثم تكلم على الأثر**) المروي عن الحسن (**والخبر**) المذكور (**فقال: أما الحسن**) البصري (**فأراد بقوله: لا تضره أي لا يدع العمل**) أي لا يتركه (**ولا تضره الخطرة وهو يريد الله عز وجل**) فجعل الحالة الطارئة بمنزلة الخطرة، (**ولم يقل إذا عقد الرياء بعد عقد الإخلاص لم يضره. وأما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله إلى ثلاثة أوجه**).

أحدها: أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه قبل الفراغ.

والثاني: أنه أراد أن يسر به للاقتداء به أو لسرور آخر محمود مما ذكرناه قبل لا سروراً بسبب حب المحمدة والمنزلة، بدليل أنه جعل له أجراً، ولا ذاهب من الأمة إلى أن للسرور بالمحمدة أجراً وغايته أن يعفي عنه، فكيف يكون للمخلص أجر وللمرائي أجران؟

والثالث: أنه قال: أكثر من يروي الحديث يرويه غير متصل إلى أبي هريرة بل أكثرهم يوقفه على أبي صالح، ومنهم من يرفعه، فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء أولى. هذا ما ذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلاً إلى الإحباط.

(أحدها: أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه قبل الفراغ) أي يخبر باطلاعهم على عمله بعد أن فرغ منه فيفرح به وهو ظاهر، فالعمل على هذا باق على عقد الإخلاص لم يتخلله شيء.

(والثاني: أنه يسر به لاقتداء الناس به أو بسرور آخر محمود مما ذكرناه قبل لا سروراً بسبب حب المنزلة والمحمدة بدليل أنه جعل له به أجرين ولا ذاهب من) علماء **(الأمة إلى أن المسرور بالمحمدة له أجر، وغايته أن يعفي عنه)** ويسامح له، **(فكيف يكون للمخلص أجر وللمرائي أجران)**.

(والثالث: أنه قال: أكثر من يروي الحديث يرويه غير متصل إلى أبي هريرة بل أكثرهم أوقفه على أبي صالح، ومنهم من يرفعه، فالحكم بالعمومات الواردة في الرياء) في الأخبار المتقدمة **(أولى)** وأبو صالح المذكور هو المعروف بالسمان والزيات، واسمه ذكوان مولى جويرية بنت الأحمس الغطفاني كان يجلب السمن والزيت إلى الكوفة، وهو والد سهيل وصالح وعبدالله ابن أبي صالح سأل سعد بن أبي وقاص مسألة في الزكاة، وشهد الدار زمن عثمان، وروى عن أبي هريرة قال أحمد: ثقة من أجلّ الناس وأوثقهم. وقال ابن معين: ثقة، وزاد أبو زرعة صالح الحديث محتج بحديثه وقال أبو حاتم: ثقة مستقيم الحديث. وقال ابن سعد: ثقة كثير الحديث، مات بالمدينة سنة إحدى ومائة. وروى له الجماعة.

وأما قول المحاسبي: بل أكثرهم أوقفه الخ أي فيكون مرسلاً، وقد أشار إليه الترمذي، والذي رواه مرفوعاً فقيل عن أبي هريرة وهو عند الترمذي وابن حبان، وقيل عن ابن مسعود وهو عند البيهقي في الشعب كما تقدم والاستدلال بالعمومات مع وجود المرسل هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وجماعة إذ المراسيل غير مقبولة عندهم في الاحتجاج سوى مراسيل ابن المسيب، فإنها في

والأقيس عندنا أن هذا القدر إذا لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادراً عن باعث الدين وإنما انضاف إليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لأنه لم ينعدم به أصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الإتمام.

وأما الأخبار، التي وردت في الرياء، **فهي محمولة على ما إذا لم يرد به إلا الخلق**، وأما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساوياً لقصد الثواب أو أغلب منه، أما إذا كان ضعيفاً بالإضافة إليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الأعمال، ولا ينبغي أن يفسد الصلاة، ولا يبعد أيضاً أن يقال إن الذي أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله ـ والخالص ما لا يشوبه شيء ـ فلا يكون مؤدياً للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه. وقد ذكرنا في كتاب الإخلاص كلاماً أوفى مما أوردناه الآن فليرجع إليه، فهذا حكم الرياء الطارىء بعد عقد العبادة إما قبل الفراغ أو بعد الفراغ.

القسم الثالث: الذي يقارن حال العقد بأن يبتدىء الصلاة على قصد الرياء، فإن

حكم الرفع ومذهب غيرهم العمل بها، فإذا وجد خبر مرسل فإنه يقدم على العمومات. **(هذا ما ذكره)** المحاسبي رحمه الله تعالى **(ولم يقطع به بل أظهر ميلاً إلى الإحباط)** حيث قال: والأغلب على قلبي الخ.

(والأقيس عندنا أن هذا القدر إذا لم يظهر أثره في العمل بل بقي العمل صادراً من باعث الدين، وإنما انضاف إليه السرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لأنه لم ينعدم به أصل نيته وبقيت تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الإتمام).

(وأما الأخبار التي وردت في) ذم **(الرياء فهي محمولة على ما إذا لم يرد به إلا الخلق)** دون الخالق. **(وأما ما ورد في الشركة)** في قوله: أنا أغنى الأغنياء عن الشرك من أشرك في عمل فهو له. **(فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساوياً لقصد الثواب أو أغلب منه، أما إذا كان ضعيفاً بالإضافة إليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الأعمال، ولا ينبغي أن يفسد الصلاة)** لضعف قصد الرياء في الكل. **(ولا يبعد أيضاً أن يقال: إن الذي أوجب عليه صلاة خالصة لوجه الله والخالص ما لا يشـوبه شيء فلا يكون مؤدياً للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله فيه. وقد ذكرنا في كتاب الإخلاص)** فيما سيأتي **(كلاماً أو في مما أوردناه الآن)** هنا **(فليرجع إليه فهذا حكم الرياء الطارىء بعد عقد العبادة، أما قبل الفراغ أو بعد الفراغ)** والله الموفق.

(القسم الثالث: الذي يقارن حال العقد بأن يبتدىء الصلاة على قصد الرياء، فإن

استمر عليه حتى سلم فلا خلاف في أنه يقضي ولا يعتد بصلاته، وإن ندم عليه في أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة أوجه:

قالت فرقة: لم تنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنف.

وقالت فرقة: تلزمه إعادة الأفعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله دون تحريمه الصلاة لأن التحريم عقد، والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقداً.

وقالت فرقة: لا يلزمه إعادة شيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الإخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتدأ بالإخلاص وختم الرياء لكان يفسد عمله.

وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطخ بنجاسة عارضة فإذا أزيل العارض عاد إلى الأصل، فقالوا إن الصلاة والركوع والسجود لا تكون إلا لله ولو سجد لغير الله لكان كافراً، ولكن اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار إلى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته. ومذهب الفريقين الآخرين خارج عن قياس الفقه جداً خصوصاً من قال يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح، لأن الركوع والسجود إن لم يصح

استمر عليه حتى يسلم فلا خلاف في أنه يعصي) الله عز وجل **(ولا يعتد بصلاته، فإن ندم عليه في أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة أوجه)**.

(قالت فرقة: لم تنعقد صلاته مع قصده الرياء فليستأنف) صلاته.

(وقالت فرقة) أخرى: **(يلزمه إعادة الأفعال كالركوع والسجود وتفسد أفعاله)** كلها **(دون تحريمة الصلاة لأن تحريمه عقد، والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقداً)**.

(وقالت فرقة) أخرى: **(لا يلزمه إعادة شيء بل يستغفر الله تعالى بقلبه ويتم العبادة على الإخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة)** فإن صلحت صلح أوّلها **(كما لو بدأها بالإخلاص وختمها بالرياء لكان يفسد عمله)**.

(وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطخ بنجاسة عارضة فإذا أزيل العارض عاد) الثوب **(إلى الأصل، فقالوا: إن الصلاة والركوع لا تكون إلا الله)** عز وجل **(ولو سجد لغير الله)** تعالى **(لكان كافراً، لكن قد اقترن به عارض الرياء ثم زال بالندم والتوبة)** والاستغفار **(وصار إلى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته)** فهذا اختلاف القول في المسألة **(ومذهب الفريقين الأخيرين خارج عن قياس الفقه جداً خصوصاً من قال يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الإفتتاح لأن الركوع والسجود إن لم يصح صارت أفعالاً زائدة في**

صارت أفعالاً زائدة في الصلاة فتفسد الصلاة. وكذلك قول من يقول لو ختم بالإخلاص صح نظر إلى الآخر فهو أيضاً ضعيف، لأن الرياء يقدح في النية وأولى الأوقات بمراعاة أحكام النية حالة الافتتاح، فالذي يستقيم على قياس الفقه هو أن يقال إن كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الأمر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان ثوبه نجساً أيضاً كان يصلي لأجل الناس، فهذه صلاة لا نية فيها إذ النية عبارة عن إجابة باعث الدين، وههنا لا باعث ولا إجابة. فأما إذا كان بحيث لولا الناس أيضاً لكان يصلي إلا أنه ظهر له الرغبة في المحمدة أيضاً فاجتمع الباعثان، فهذا إما أن يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحليل وتحريم أو في عقد صلاة وحج، فإن كان في صدقة فقد عصى بإجابة باعث الرياء وأطاع بإجابة باعث الثواب ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ★ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَه﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر، وإن كان في صلاة تقبل الفساد يتطرق خلل إلى النية فلا يخلو إما أن تكون فرضاً أو نفلاً، فإن كانت نفلاً فحكمها أيضاً حكم الصدقة فقد عصى من

الصلاة فتبطل الصلاة. وكذلك قول من يقول لو ختم بالإخلاص صح نظراً إلى الآخر فهو أيضاً ضعيف، لأن الرياء يقدح في النية وأولى الأوقات بمراعاة أحكام النية حالة الافتتاح، فالذي يستقيم على قياس) قانون (**الفقه هو أن يقال: إن كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الأمر لم ينعقد افتتاحه ولم يصح ما بعده**) لاتصاله بما قبله فيسري وصف عدم الانعقاد، (**وذلك فيمن إذا خلا بنفسه لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلاة وكان بحيث لو كان**) على غير وضوء أو كان (**ثوبه نجساً أيضاً كان يصلي لأجل الناس، فهذه صلاة لا نية فيها إذ النية عبارة عن إجابة باعث الدين، وههنا لا باعث ولا إجابة**) فقد بطلت صلاته (**فإما إذا كان بحيث لولا الناس أيضاً لكان يصلي إلا أنه ظهرت له الرغبة في المحمدة أيضاً فاجتمع**) فيه (**الباعثان**) باعث الثواب وباعث المحمدة، (**فهذا إما أن يكون في صدقة أو قراءة وما ليس منه تحليل وتحريم وما ليس في عقد صلاة وحج، فإن كان في صدقة فقد عصى بإجابة باعث الرياء وأطاع بإجابة باعث الثواب**) قال الله تعالى: (**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره★ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ فله**) بمقتضي هذه الآية (**ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر عقده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر، فإن كان في صلاة تقبل الفساد بتطرق خلل إلى النية فلا يخلو إما أن تكون**) تلك الصلاة (**نفلاً أو فرضاً، فإن كان نفلاً فحكمه أيضاً حكم الصدقة فقد عصى من وجه**

وجه وأطاع من وجه إذا اجتمع في قلبه الباعثان، ولا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى إن من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله أن قصده الرياء بإظهار حسن القراءة، ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا في بيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فإن المصير إلى هذا بعيد جداً، بل يظن بالمسلم أنه يقصد الثواب أيضاً بتطوّعه فتصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به، وإن اقترن به قصد آخر هو به عاص، فأما إذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل وإنما يحصل الانبعاث بمجموعها فهذا لا يسقط الواجب عنه، لأن الإيجاب لم ينتهض باعثاً في حقه بمجرده واستقلاله، وإن كان كلّ باعثٍ مستقلاً حتى لو لم يكن باعث الرياء لأدى الفرائض، ولو لم يكن باعث الفرض لأنشأ صلاة تطوّعاً لأجل الرياء فهذا محل النظر. وهو محتمل جداً، فيحتمل أن يقال إن الواجب صلاة خالصة لوجه الله ولم يؤد الواجب الخالص، ويحتمل أن يقال الواجب امتثال الأمر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد، فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه، كما لو صلى في دار مغصوبة فإنه وإن كان عاصياً بإيقاع الصلاة في الدار المغصوبة فإنه مطيع بأصل الصلاة ومسقط للفرض عن نفسه، وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلاة، فأما إذا كان الرياء في

واطاع من وجه إذا اجتمع في قلبه الباعثان، لا يمكن أن يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل، حتى أن من يصلي التراويح وتبين من قرائن حاله أن قصده الرياء بإظهار حسن القراءة، ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا) بنفسه **(في البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به، فإن المصير إلى هذا بعيد جداً بل يظن بالمسلم أنه يقصد الثواب أيضاً بتطوعه فيصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به، وإن اقترن به قصد آخر)** يخالفه **(وهو به عاص)** هذا حكم صلاة التطوع، **(فأما إذا كان في فرض فاجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل)** بنفسه إذا انفرد **(وإنما يحصل الانبعاث بمجموعها فهذا لا يسقط الواجب عنه، لأن الإيجاب لم ينهض باعثاً في حقه بمجرده واستقلاله وإن كان كل باعثاً مستقلاً)** بانفراده **(حتى لو لم يكن باعث الرياء لأدى الفرض، ولم لم يكن باعث الفرض لأنشأ صلاة تطوع)** وفي نسخة صلاة تطوعاً **(لأجل الرياء فهذا محل النظر، وهو محتمل جداً، فيحتمل أن يقال: إن الواجب)** على العبد **(صلاة خالصة)** عن شوب الرياء **(لوجه الله تعالى ولم يؤد الواجب الخالص، ويحتمل أن يقال: إن الواجب امتثال الأمر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد، فاقتران غيره به لا يمنع من سقوط الفرض عنه، كما لو صلى في دار مغصوبة)** على أهلها ظلماً. **(فإنه وإن كان عاصياً)** من وجه وهو **(بإيقاع الصلاة في الدار المغصوبة فإنه مطيع)** من وجه وهو **(بأصل الصلاة وسقط الفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض**

المبادرة مثلاً دون أصل الصلاة مثل من بادر إلى الصلاة في أوّل الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر إلى وسط الوقت، ولولا الفرض لكان لا يبتدىء صلاة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلاته وسقوط الفرض به، لأن باعث أصل الصلاة من حيث أنها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تعيين الوقت، فهذا أبعد عن القدح في النية، هذا في رياء يكون باعثاً على العمل وحاملاً عليه، وأما مجرد السرور باطلاع الناس عليه إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر في العمل فبعيد أن يفسد الصلاة. فهذا ما نراه لائقاً بقانون الفقه، والمسألة غامضة من حيث أن الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه، والذين خاضوا فيها وتصرفوا لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى فتاوى الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها، بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الإخلاص على إفساد العبادات بأدنى الخواطر وما ذكرناه هو الأقصد فيما نراه والعلم عند الله عز وجل فيه وهو عالم الغيب والشهادة وهو الرحمن الرحيم.

بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه:

قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله تعالى وأنه من

البواعث في أصل الصلاة، أما إذا كان الرياء في المبادرة مثلاً دون أصل الصلاة) وذلك **(مثل من بادر بالصلاة في أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا)** بنفسه **(لأخر إلى وسط الوقت، ولولا الفرض لكان لا يبتدىء صلاة لأجل الرياء، فهذا مما يقطع على صحة صلاته وسقوط الفرض به، لأن باعث أصل الصلاة من حيث أنها صلاة لم يعارضه غيره بل من حيث تغيير الوقت، فهذا أبعد عن القدح في النية هذا)** الذي ذكرنا **(في رياء يكون باعثاً على العمل وحاملاً عليه، فأما مجرد السرور باطلاع الناس إذا لم يبلغ أثره إلى حيث يؤثر في العمل)** تأثيراً بينا **(فيعبد أن يفسد الصلاة. فهذا ما نراه لائقاً بقانون الفقه)** العملي. **(والمسألة)** من أصلها **(غامضه)** خفية المدرك **(من حيث أن الفقهاء لم يتعرضوا لها في فن الفقه)** غير نتف اشارات تكلموا عليها في مبحث النية، **(والذين خاضوا فيها وتصرفوا)** مثل الحرث المحاسبي وصاحب القوت وغيرهما **(لم يلاحظوا قوانين الفقه، ومقتضى فتاوي الفقهاء في صحة الصلاة وفسادها، بل حملهم الحرص على تصفية القلوب)** من الشوائب **(وطلب الإخلاص على إفساد العبادات بأدنى الخواطر)** الطارئة **(وما ذكرناه)** من التفصيل **(هو الأقصد)** أي الأعدل **(فيما نراه والعلم عند الله تعالى فيه)** والله الموفق.

بيان دواء الرياء وطريق معالجة القلب فيه:

(قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله وأنه من كبار

كبائر المهلكات، وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في إزالته ولو بالمجاهدة وتحمل المشاق، فلا شفاء إلا في شرب الأدوية المرة البشعة، وهذه مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم، إذ الصبي يخلق ضعيف العقل والتمييز، ممتد العين إلى الخلق كثير الطمع فيهم، فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه، وإنما يشعر بكونه مهلكاً بعد كمال عقله وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة الشهوات. فلا ينفك أحد عن الحاجة إلى هذه المجاهدة، ولكنها تشق أولاً وتخف آخراً وفي علاجه مقامان.

أحدهما: قلع عروقه وأصوله التي منها انشعابه.

والثاني: دفع ما يخطر منه في الحال.

المقام الأول: في قلع عروقه واستئصال أصوله: وأصله حب المنزلة والجاه. وإذا فصل رجع إلى ثلاثة أصول وهي حب لذة المحمدة، والفرار من ألم الذم، والطمع فيما في أيدي الناس. ويشهد للرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للمرائي ما روى أبو موسى أن

المهلكات، وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في إزالته ولو بالمجاهدة) والرياضة وتهذيب النفس **(وتحمل المشاق)** منها، **(فلا شفاء إلا في شرب الأدوية المرة البشعة)** الكريهة الطعم، **(وهذه مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم، إذ الصبي يخلق ضعيف العقل و)** فاقد **(التمييز ممتد العين إلى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويرسخ ذلك في نفسه)** ويثبت، **(وإنما يشعر بكون ذلك مهلكاً بعد كمال عقله)** وقد ذكر في كتاب رياضة النفس، **(وقد انغرس الرياء في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه إلا بمجاهدة شديدة ومكابدة)** مديدة **(لقوة الشهوات)** لكونها تولد معه. **(فلا ينفك أحد عن هذه الحاجة إلى هذه المجاهدة، ولكنها تشق أولاً وتخف آخراً)** كما هو شأن كل مجاهدة **(وفي علاجه مقامان)**.

(أحدهما: قطع عروقه وأصوله التي منها انشعابه) وتولده.

(والثاني: دفع ما يخطر منه في الحال).

(المقام الأول: في قطع عروقه واستئصال أصوله) أي قلعها من أصلها. **(وأصله)** المتفق عليه **(حب المنزلة والجاه)** في قلوب الناس **(وإذا فصل رجع إلى ثلاثة أصول وهو حب لذة المحمدة، والفرار من ألم المذمة، والطمع لما في أيدي الناس. ويشهد للرياء بهذه الأسباب وأنها الباعثة للمرائي ما روي أبو موسى)** الأشعري رضي الله عنه **(أن إعرابياً سأل النبي**

اعرابياً سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ـ ومعناه أنه يأنف أن يقهر أو يذم بأنه مقهور مغلوب ـ وقال: والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر في القلوب ـ والذي يقاتل للذكر ـ وهذا هو الحمد باللسان ـ فقال ﷺ: « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وقال ابن مسعود: إذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم؛ فلان يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك؛ والقتال للملك إشارة إلى الطمع في الدنيا. وقال عمر رضي الله عنه: يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقاً. وقال ﷺ: « من غزا لا يبغي إلا عقالاً فله ما نوى »، فهذا إشارة إلى الطمع. وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكن يحذر من ألم الذم كالبخيل بين الأسخياء وهم يتصدقون بالمال الكثير فإنه يتصدق بالقليل كي لا يبخل، وهو ليس يطمع في الحمد وقد سبقه غيره، وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفاً من الذم وهو لا يطمع في الحمد وقد هجم غيره على صف القتال. ولكن

ﷺ **فقال: يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ـ ومعناه أنه يأنف أن يقهر أو يذم بأنه مقهور مغلوب ـ والرجل يقاتل ليرى مكانه**) أي من الشجاعة (**وهذا هو طلب لذة الجاه والقدر**) والمنزلة (**في القلوب، والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان. فقال ﷺ: « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا في سبيل الله »**) رواه أحمد والشيخان والأربعة. (**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**إذا التقى الصفّان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على مراتبهم، فلان يقاتل للذكر، وفلان يقاتل للملك إشارة إلى الطمع في الدنيا. وقال عمر**) رضي الله عنه: (**يقولون فلان شهيد ولعله يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقاً**) بكسر الراء أي فضة. (**وقال ﷺ: « من غزا**) وهو (**لا يبغي**) في غزواته (**إلا عقالاً**) بالكسر الحبل الذي يربط به البعير (**فله ما نوى »**) رواه أحمد والدارمي والنسائي والروياني وابن حبان والطبراني والحاكم، وصححه والبيهقي والضياء من طريق يحي بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن عبادة بن الصامت وقد تقدم.

وأخرج الحاكم من حديث يعلى بن منية قال: كان النبي ﷺ يبعثني في سراياه، فبعثني ذات يوم وكان رجل يركب فقلت له: ارحل. قال: ما أنا بخارج معك. قلت: لم؟ قال: حتى تجعل لي ثلاثة دنانير. قلت: الآن حين ودعت النبي ﷺ ما أنا براجع إليه ارحل ولك ثلاثة دنانير فلما رجعت من غزاتي ذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: أعطها إياه فإنها حظه من غزاته. (**فهذا اشارة إلى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه، ولكن يحذر من ألم الذم كالبخيل بين الأسخياء**) يراهم (**وهم يتصدقون بالمال الكثير فإنه يتصدق بالقليل كيلا يبخل وهو ليس بطامع في الحمد، وقد سبقه في الحمد غيره، وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفاً من الذم وهو لا يطمع في الحمد، وقد هجم غيره على صف القتال ولكن إذا أيس من**

إذا أيس من الحمد كره الذم، وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة حتى لا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد. وقد يقدر الإنسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الذم، ولذلك قد يترك السؤال عن علم هو محتاج إليه خيفة من أن يذم بالجهل، ويفتي بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل، كل ذلك حذراً من الذم. فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك المرائي إلى الرياء، وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الأول من الكتاب على الجملة.

ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس يخفى أن الإنسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ، إما في الحال وإما في المآل، فإن علم أنه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المآل سهل عليه قطع الرغبة عنه، كمن يعلم أن العسل لذيذ ولكن إذا بان له أن فيه سماً أعرض عنه؛ فكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيه من المضرة. ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر، حيث ينادي على رؤوس الخلائق: يا فاجر يا غادر يا مرائي، أما

الحمد كره الذم، وكالرجل بين قوم يصلون جميع الليل فيصلي ركعات معدودة كيلا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد، وقد يقدر الإنسان على الصبر عن لذة الحمد ولا يقدر على الصبر على ألم الذم، ولذلك قد يترك السؤال عن علم ما هو محتاج إليه خيفة من أن يذم بالجهل ويفتي بغير علم، وقد يدعي العلم الحديث وهو به جاهل) لا يدري من فنونه شيئاً **(كل ذلك حذراً من الذم. فهذه الأمور الثلاثة هي التي تحرك المرائي إلى الرياء وعلاجه ما ذكرناه في الشطر الأول من الكتاب على الجملة).**

(ولكنا نذكر الآن ما يخص الرياء وليس بخفي) على البصير **(أن الإنسان إنما يقصد الشيء ويرغب فيه لظنه أنه خير له ونافع ولذيذ إما في الحال وإما في المآل، فإن علم أنه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المآل يسهل عليه قطع الرغبة عنه، كمن يعلم أن العسل لذيذ ولكنه إذا بان له أن فيه سماً)** قائلاً **(أعرض عنه)** وتركه، **(وكذلك طريق قطع هذه الرغبة أن يعلم ما فيها من المضرة. ومهما عرف العبد مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الآخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من العقاب العظيم عند الله والمقت الشديد والخزي الظاهر، حيث ينادي على رؤوس العباد)** يوم القيامة: **(يا فاجر يا غادر يا مرائي)** كما رواه ابن أبي الدنيا في الإخلاص من رواية جبلة اليحصبي عن رجل من الصحابة لم يسم بزيادة: يا خاسر يا كافر بدون قوله يا مرائي وقد تقدم

استحييت إذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا ، وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله ، وتحببت إلى العباد بالتبغض إلى الله ، وتزينت لهم بالشين عند الله ، وتقربت إليهم بالبعد من الله ، وتحمدت إليهم بالتذمم عند الله ، وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله ، أما كان أحد أهون عليك من الله! فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وبما يحبط عمله من ثواب الأعمال مع أن العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو أخلص ، فإذا فسد بالرياء حوّل إلى كفة السيئات فترجح به ويهوي إلى النار ، فلو لم يكن في الرياء إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافياً في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة ، فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين ، وقد حط عنهم بسبب الرياء ، ورد إلى صف النعال من مراتب الأولياء ، هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق ، فإن رضا الناس غاية لا تدرك ، فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق ورضا بعضهم في سخط بعضهم ، ومن طلب رضاهم في

قريباً (**أما استحييت إذا شتريت بطاعة الله عرض الدنيا ، وراقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله تعالى ، وتحببت إلى العباد بالتبغض إلى الله ، وتزينت لهم بالشين عند الله ، وتقربت إليهم بالبعد من الله ، وتحمدت إليهم بالتذمم عند الله ، وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله أما كان أحد أهون عليك من الله**) : كل ذلك من مخاطبة الرب لعبده.
(**فمهما كان تفكر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد و**) من (**التزين لهم في الدنيا بما يفوته في الآخرة وما يحبط عمله من ثواب الأعمال مع أن العمل الواحد ربما كان يترجح به ميزان حسناته لو أخلص ، فإذا أفسده الرياء حوّل إلى كفه السيئات فيرجح به ويهوي**) أي يسقط (**إلى النار ، فلو لم يكن في الرياء إلا إحباط عبادة واحدة لكان ذلك كافياً في معرفة ضرره وإن كان مع ذلك سائر حسناته راجحة ، فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله في زمرة النبيين والصديقين وقد حط عنهم بسبب الرياء ورد إلى صف النعال**) أي في آخر الصف حيث تخلع النعال (**من مراتب الأولياء هذا مع ما يعرض له في الدنيا من تشتيت الهم**) أي تفريقه (**بسبب ملاحظة قلوب الخلق فإن رضا الناس غاية لا تدرك**) . روى الخطابي في العزلة من حديث أكتم بن صيفي أنه قال: رضا الناس غاية لا تدرك ولا يكره سخط من رضاه الجور. ومن طريق الشافعي أنه قال ليونس بن عبد الأعلى: يا أبا إسحاق رضا الناس غاية لا تدرك ليس إلى السلامة من الناس سبيل ، فانظر ما فيه صلاح نفسك ودع الناس وما هم فيه.

(**وكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق**) آخر (**ورضا بعضهم في سخط بعضهم ، ومن**

سخط الله سخط الله عليه، وأسخطهم أيضاً عليه ثم أي غرض له في مدحهم وإيثار ذم الله لأجل حمدهم، ولا يزيده حمدهم رزقاً ولا أجلاً ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة، وأما الطمع فيما في أيديهم فبأن يعلم أن الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء، وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله، ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة، وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنة والمهانة، فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطىء وإذا أصاب فلا تفي لذته بألم منته ومذلته؟ وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئاً ما لم يكتبه عليه الله، ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه، ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنة، ولا يبغضه إلى الله إن كان محموداً عند الله، ولا يزيده مقتاً إن كان ممقوتاً عند الله، فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً. فإذا

طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم أيضاً عليه) روى الطبراني من حديث ابن عباس: «من اسخط الله في رضا الناس سخط الله عليه واسخط عليه من أرضاه في سخطه، ومن أرضى الله من سخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه من أسخط في رضاه حتى يزينه ويزين قوله وعمله في عينه».

وروى أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة: «من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن اسخط الناس برضا الله كفاه الله».

وروى الخليلي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «من أرضى الله بسخط المخلوقين كفاه الله مؤنة المخلوقين ومن أرضى المخلوقين بسخط الله سلط الله عليه المخلوقين».

(ثم أي غرض له في مدحهم وإيثار ذم الله تعالى لأجل حمدهم ولا يزيده حمدهم رزقاً ولا أجلاً ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيامة، وأما الطمع فيما في أيدي الناس فبأن تعلم بأن الله تبارك وتعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والإعطاء وأن الخلق مضطرون فيه) غاية الاضطرار **(ولا رازق إلا الله ومن طمع في الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وإن وصل إلى المراد لم يخل من المنة والمهانة)** أي الذل، **(فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد وقد يصيب وقد يخطىء فإذا أصاب)** يوماً **(لا تفي لذته بألم منته ومذلته؟ وأما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيئاً مما لم يكتبه الله عليه، ولا يعجل أجله ولا يؤخر رزقه ولا يجعله في أهل النار إن كان في أهل الجنة ولا يبغضه إلى الله إن كان محموداً عند الله، ولا يزيده مقتاً إن كان ممقوتاً عند الله فالعباد كلهم عجزة)** أي عاجزون في أنفسهم **(لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً. فإذا قرر في قلبه آفة هذه**

قرر في قلبه آفة هذه الأسباب وضررها فترت رغبته وأقبل على الله قلبه، فإن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه، ويكفيه أن الناس لو علموا في باطنه من قصد الرياء وإظهار الإخلاص لمقتوه، وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه إلى الناس ويعرفهم أنه مراء وممقوت عند الله، ولو أخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بالمدح والثناء عليه، مع أنه لا كمال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر من بني تميم: إن مدحي زين وإن ذمي شين! فقال له رسول الله ﷺ: «كذبت» ذاك الله الذي لا إله إلا هو»، إذ لا زين إلا في مدحه ولا شين إلا في ذمه،

الأسباب وضررها فترت رغبته) أي ضعفت **(وأقبل على الله بقلبه)** بكليته، **(فإن العاقل لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهار الإخلاص لمقتوه)** أي أبغضوه، **(وسيكشف الله عن سره)** وما في باطنه **(حتى يبغضه إلى الناس ويعرفهم أنه مراء ممقوت عند الله تعالى، ولو أخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له)** وكفاه المؤنة **(واطلق ألسنتهم بالحمد والثناء عليه، مع أنه لا كمال في حمدهم ولا نقصان في ذمهم كما قال شاعر بني تميم)** هو الأقرع بن حابس: **(إن مدحي زين وإن ذمي شين. فقال له ﷺ: «كذبت، ذلك الله رب العالمين الذي لا إله إلا هو»)** قال العراقي: رواه أحمد من حديث الأقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله: «كذبت» ورجاله ثقات إلا أني لا أعرف لأبي سلمة بن عبد الرحمن سماعاً من الأقرع. ورواه الترمذي من حديث البراء وحسنه بلفظ: جاء رجل فقال: إن حمدي اهـ.

قلت: قال الحافظ في الإصابة في ترجمة الأقرع بن حابس رواه ابن جرير، وابن أبي عاصم، والبغوي من طريق وهب، عن موسى بن عقبة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن الأقرع بن حابس أنه نادى النبي ﷺ من وراء الحجرات فلم يجبه فقال: يا محمد إن حمدي لزين وإن ذمي لشين. فقال رسول الله ﷺ: «ذلكم الله» قال ابن منده: روي عن أبي سلمة أن الأقرع نادى فذكره مرسلاً وهو الأصح، وكذلك رواه الروياني من طريق عمر بن أبي سلمة عن أبيه قال: نادى الأقرع فذكره مرسلاً. وأخرجه أحمد على الوجهين، ووقع في رواية ابن جرير التصريح بسماع أبي سلمة من الأقرع فهذا يدل على أنه تأخر اهـ.

وقال السيوطي في الدر المنثور: أخرج أحمد، وابن جرير، والبغوي، وابن مردويه والطبراني بسند صحيح من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن الأقرع بن حابس أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اخرج إلينا فلم يجبه. فقال: يا محمد إن حمدي زين وإن ذمي لشين. فقال: «ذلك الله» فأنزل الله عز وجل ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ [الحجرات: ٤] قال البغوي: لا أعلم روى الأقرع مسنداً غير هذا.

فأي خير لك في مدح الناس. وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار؟ وأيّ شرّ لك من ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة المقربين؟ فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات، واجتمع همه وانصرف إلى الله قلبه وتخلص من مذلة الرياء ومقاساة قلوب الخلق، وانعطف من إخلاصه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح بها له من لطائف المكاشفات ما يزيد به أنسه بالله ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة، وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعية الرياء وتذلل له منهج

وأخرج الترمذي وحسنه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن البراء بن عازب قال: جاء رجل فقال: يا محمد إن حمدي زين وإن ذمي شين. فقال النبي ﷺ: « ذلك الله ».

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد إن مدحي زين وإن شتمي شين. فقال: « ذلك هو الله » فنزلت ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ الآية.

وأخرج ابن إسحاق، وابن مردويه عن ابن عباس قال: قد وفد بني تميم وهم سبعون رجلاً أو ثمانون رجلاً. منهم الزبرقان بن بدر، وعطاء بن معبد، وقيس بن عاصم، وقيس بن الحرث، وعمرو بن أهتم المدينة على رسول الله ﷺ، فانطلق معهم عيينة بن حصن بن بدر الفزاري، وكان يكون في كل سراة حتى أتوا منزل رسول الله ﷺ فنادوه من وراء الحجرات فقالوا: يا محمد إن مدحنا زين وإن شتمنا شين نحن أكرم العرب فقال رسول الله ﷺ: « كذبتم بل مدحة الله الزين وشتمه الشين وأكرم منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم » فقالوا: إنما أتيناك لنفاخرك فذكره بطوله وقال في آخره: فقام التميميون فقالوا: والله إن هذا الرجل لمصنوع له لقد قام في خطبته فكان أخطب من خطيبنا، وقال شاعره: فكان أشعر من شاعرنا. قال: ففيهم أنزل الله ﴿إن الذين ينادونك﴾ الآية.

(إذ لا زين إلا في مدحه ولا شين إلا في ذمه فأي خير لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار؟ وأي شر لك في ذم الناس وأنت عند الله محمود في زمرة المقربين؟ فمن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبد والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق أيام الحياة الدنيا مع ما فيه من الكدورات) والغمومات **(والمنغصات)** التي لا تكاد تفارق الأحوال، **(واجتمع همه وانصرف إلى الله قلبه وتخلص من مذمة الرياء ومقاساة قلوب الخلق، بأنواع التعب، وانعطفت من إخلاصه أنوار)** تشرق **(على قلبه ينشرح بها صدره وينفتح له من لطيف المكاشفات)** الإلهية **(ما يزيد به أنسه بالله وحشته للخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للآخرة، وسقط محل الخلق عن قلبه وانحل عنه داعية الرياء**

الإخلاص، فهذا وما قدمناه في الشطر الأوّل هي الأدوية العلمية القالعة مغارس الرياء.

وأما الدواء العملي: فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش، حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به. وقد روي أن بعض أصحاب أبي حفص الحداد ذم الدنيا وأهلها فقال: أظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه لا تجالسنا بعد هذا. فلم يرخص في إظهار هذا القدر لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها، فلا دواء للرياء مثل الإخفاء، وذلك يشق في بداية المجاهدة، وإذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد والتسديد و ﴿لكن الله لاَ يُغَيِّر مَا بِقَوْمٍ حتَّى يُغيِّرُوا ما بأنفُسِهِم﴾ [الرعد: ١١] فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية، ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب ﴿واللهُ لاَ يُضَيِّعُ أجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠] ﴿وَإِنْ تَكُ حسَنَةً يضاعِفُهَا ويُؤْتِ مِنْ لدُنْه أجراً عظيماً﴾ [النساء: ٤٠].

المقام الثاني: في دفع العارض منه في أثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه أيضاً، فإن

وتذلل له منهج الإخلاص) أي سهل له طريقه. **(فهذا وما قدمناه في الشطر الأول هي الأدوية العلمية القالعة مغارس الرياء)** المزيلة أصوله ومنابته.

(وأما الدواء العملي: فهو أن يعود نفسه إخفاء العبادات) عن الناس **(وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش، حتى يقنع قلبه بعلم الله وإطلاعه على عبادته لا تنازعه النفس إلى طلب علم غير الله به. وقد روي أن بعض أصحاب أبي حفص)** عمر بن مسلم **(الحداد)** المتوفي سنة نيف وستين ومائتين كان واحد الأئمة والشارة **(ذم الدنيا وأهلها فقال له أبو حفص: اظهرت ما كان سبيلك أن تخفيه لا تجالسنا بعد هذا. فلم يرخص)** أبو حفص له **(في إظهار هذا القدر لأن في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها)** وهو غير لائق بأحوال المخلصين، **(فلا دواء للرياء)** نافع **(مثل الإخفاء، وذلك يشق في بداية المجاهدة)** وأوائلها **(وإذا صبر عليه مدة بالتكلف)** ويمرن نفسه عليه **(سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل ألطاف الله)** وتواليها **(وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتأييد ﴿ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾)** كما هو في الكتاب العزيز. **(فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية، ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب)** فمن لج بالباب ولج ولج **(﴿والله لا يضيع أجر المحسنين﴾ ﴿وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾)**.

(المقام الثاني:) (في دفع العارض من أثناء العبادة وذلك لا بد من تعلمه أيضاً، فأن

من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه من أعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في أثناء العبادات، بل يعارضه بخطرات الرياء، ولا تنقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكلية، فلا بدّ وأن يتشمر لدفع ما يعرض من خاطر الرياء. وخواطر الرياء ثلاثة ـ قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج ـ **فالأوّل**: العلم باطلاع الخلق ورجاء اطلاعهم. ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم وحصول المنزلة عندهم. ثم يتلوه هيجان الرغبة في قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه. فالأوّل: معرفة. والثاني: حالة تسمى الشهوة والرغبة. والثالث: فعل يسمى العزم وتصميم العقد. وإنما كمال القوّة في دفع الخاطر الأوّل ورده قبل أن يتلوه الثاني فإذا خطر له معرفة اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم دفع ذلك بأن قال: ما لك وللخلق علموا أو لم يعلموا والله عالم بحالك فأي فائدة في علم غيره؟ فإن هاجت الرغبة إلى لذة الحمد بذكر ما رسخ في قلبه من قبل من آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله في القيامة وخيبته في أحوج أوقاته إلى أعماله، فكما أن معرفة اطلاع الناس تثير شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة، إذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الأليم، والشهوة

من جاهد نفسه وقلع مغارس الرياء من قلبه بالقناعة وقطع الطمع وإسقاط نفسه عن أعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في أثناء العبادة، بل يعارضه بخطرات الرياء، ولا تنقطع عنه نزغاته) وتسويلاته **(وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكية)** بل يبقى أثرها، **(فلا بد وأن يشمر لدفع ما يعارض من خاطر الرياء. وخواطره ثلاثة قد تخطر دفعة واحدة كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج)** واحداً بعد واحد **(فالأول: العلم باطلاع الخلق)** حالاً **(أو رجاء إطلاعهم)** فيما بعد **(ثم يتلوه هيجان الرغبة من النفس في حمدهم له وحصول المنزلة عندهم)** في قلوبهم والثاني، **(ثم يتلوه قبول النفس له والركون إليه وعقد الضمير على تحقيقه)** وهو الثالث **(فالأول: معرفة، والثاني: حالة تسمى الشهوة والرغبة. والثالث: فعل يسمى العزم وتصميم العقد، وإنما كمال القوة في دفع الخاطر الأول ورده قبل أن يتلوه الثاني، فإذا خطر له معرفة إطلاع الخلق أو رجاء إطلاعهم دفع ذلك بأن قال: مالك وللخلق علموا أو لم يعلموا أن الله عالم بحالك، وأي فائدة في علم غيره؟ فإن هاجت الرغبة إلى لذة الحمد بذكر ما رسخ في قلبه من قبل آفة الرياء وتعرضه للمقت عند الله في القيامة وخيبته في أحوج أوقاته إلى أعماله، فكما أن معرفة إطلاع الناس تفتح)** وفي نسخة تفيد **(شهوة ورغبة في الرياء فمعرفة آفة الرياء تثير كراهة له تقابل تلك الشهوة، إذ يتفكر في تعرضه لمقت الله وعقابه الأليم، والشهوة تدعوه**

تدعوه إلى القبول، والكراهة تدعوه إلى الإباء، والنفس تطاوع لا محالة أقواهما وأغلبهما.

فإذاً لا بد في رد الرياء من ثلاثة أمور: المعرفة، والكراهة، والإباء. وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الإخلاص، ثم يرد خاطر الرياء فيقبله ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الغير منطوياً عليها، وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد واستيلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره، فيعزب عن القلب المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته إذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد أو خوف الذم، وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب، ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الأسباب ما يشتد به غضبه فينسى سابقة عزمه ويمتلىء قلبه غيظاً يمنع من تذكر آفة الغضب ويشغل قلبه عنه، فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتدفع نور المعرفة مثل مرارة الغضب. وإليه أشار جابر بقوله: بايعنا رسول الله ﷺ تحت الشجرة على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت فأنسيناها يوم حنين. حتى نودي: يا أصحاب الشجرة فرجعوا. وذلك لأن القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق

إلى القبول، والكراهة تدعوه إلى الأباء، والنفس تطاوع لا محالة أقواهما وأغلبهما).

(**فإذاً لا بد من رد الرياء من ثلاثة أمور: المعرفة، والكراهة، والإباء، وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص، ثم يرد خاطر الرياء فيغلبه ولا تحضره المعرفة ولا الكراهة التي كان الغير منطوياً عليها، وإنما سبب ذلك امتلاء القلب بخوف الذم وحب الحمد وإخلاء الحرص عليه بحيث لا يبقى في القلب متسع لغيره، فيعزب**) أي يغيب (**على القلب**) وفي نسخة عن القلب (**المعرفة السابقة بآفات الرياء وشؤم عاقبته إذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوة الحمد**) وفي نسخة عن الشهوة التي للحمد (**وخوف الذم، وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب، ويعزم على التحلم عند جريان سبب الغضب ثم يجري من الأسباب ما يشتد به غضبه فينسي سابق عزمه ويملأ قلبه غيظاً يمنع من** تذكر آفة **الغضب ويشتغل عنه، فكذلك حلاوة الشهوة تملأ القلب وتمنع**) وفي نسخة تدفع (**نور المعرفة مثل مرارة الغضب. وإليه أشار جابر**) بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه (**بقوله: بايعنا رسول الله ﷺ تحت الشجرة**) بالحديبية وهو بئر بقرب مكة على طريق جدة دون مرحلة (**على أن لا نفر**) إذا لاقينا العدو، (**ولم نبايعه على الموت فأنسيناها**) وفي نسخة فانسيتها (**يوم حنين حتى نودي: يا أصحاب الشجرة فرجعوا**). قال العراقي: رواه مسلم مختصراً دون ذكر يوم حنين فرواه مسلم من حديث العباس اهـ.

حتى ذكروا، وأكثر الشهوات التي تهجم فجأة هكذا تكون، إذ تنسى معرفة مضرته الداخلة في عقد الإيمان. ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فإن الكراهة ثمرة المعرفة. وقد يتذكر الإنسان فيعلم أن الخاطر الذي خطر له هو خاطر الرياء الذي يعرضه لسخط الله، ولكن يستمر عليه لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال، فيسوّف بالتوبة أو يتشاغل عن التفكر في ذلك لشدة الشهوة، فكم من عالم يحضره كلام

قلت: ولفظ مسلم من حديث جابر قال: كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة، وقال: بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت. ورواه كذلك ابن جرير، وابن مردويه. وروى عبد بن حميد، ومسلم، وابن مردويه من حديث معقل بن يسار قال: لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة ولم نبايعه على الموت، ولكن بايعناه على أن نفر. وروى عبد بن حميد، وابن جرير، عن قتادة فبايعوه على أن لا يفروا ولم يبايعوه على الموت.

وأما حديث العباس في قصة حنين، فعند مسلم من طريق كثير بن العباس بن عبد المطلب عن أبيه وفيه: فطفق النبي ﷺ يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها، وأبو سفيان بن الحرث آخذ بركابه فقال: «يا عباس ناد يا أصحاب الشجرة». الحديث. وأخرجه الدولابي من حديث أبي سفيان بن الحرث بسند منقطع.

وقصة حنين قد تقدم الكلام عليها في المعجزات وحاصله: أنه لما انكشفت خيل بني سليم مولية وتبعهم أهل مكة والناس ولم يثبت معه إلا عمه العباس، وأبو سفيان بن الحرث، وأبو بكر، وأسامة في أناس من أهل بيته وأصحابه قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل إلى العدوّ، وأبو سفيان آخذ بركابه، وجعل ﷺ يأمر العباس بمناداة الأنصار وأصحاب الشجرة، فناداهم وكان صيتا، فلما سمعوه وأقبلوا كأنهم الإبل حنت على أولادها يقولون: يا لبيك يا لبيك فتراجعوا حتى أن من لم يطاوعه بعيره نزل عنه ورجع ماشياً فأمرهم رسول الله ﷺ أن يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار فنصرهم الله.

(**وذلك لأن القلوب امتلأت بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا**) بمناداة العباس فرجعوا، (**وأكثر الشهوات التي تهجم فجأة**) أي مرة واحدة من غير انتظار (**هكذا تكون، إذ تنسى معرفة مضرته الداخلة في عقد الإيمان، ومهما نسي المعرفة لم تظهر الكراهة فإن الكراهة ثمرة المعرفة، وقد يتذكر الإنسان فيعلم أن الخاطر الذي خطر له هو خاطر رياء وهو الذي يعرضه لسخط الله**) أي غضبه، (**ولكنه يستمر عليه**) بعد علمه به (**لشدة شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال**) ويؤثره على لذة المآل، (**فيستلذ بالشهوة ويسوف بالتوبة**) أي يؤخرها (**أو يتشاغل عن التفكر في ذلك لشدة الشهوة**) لأنها تعمي حاسة الفكر، (**فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه إلى فعله إلا رياء الخلق وهو يعلم ذلك،**

لا يدعوه إلى فعله إلا رياء الخلق وهو يعلم ذلك، ولكنه يستمر عليه فتكون الحجة عليه أوكد؟ إذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته وكونه مذموماً عند الله ولا تنفعه معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهة وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالإضافة إلى قوّة الشهوة وهذا أيضاً لا ينتفع بكراهيته إذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل، فإذاً لا فائدة إلا في اجتماع الثلاث وهي: المعرفة، والكراهة، والإباء. فالإباء ثمرة الكراهة، والكراهة ثمرة المعرفة، وقوّة المعرفة بحسب قوّة الإيمان ونور العلم، وضعف المعرفة بحسب الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا وعظيم نعيم الآخرة، وبعض ذلك ينتج بعضاً ويثمره، وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة، ومنبع كل ذنب، لأن حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستضاءة بنور الكتاب والسنة وأنوار العلوم.

ولكنه يستمر عليه) متشاغلاً أو متعامياً **(فتكون الحجة عليه أوكد)** أي أثبت؟ **(إذ قبل داعي الرياء مع علمه بغائلته)** ووخامة عاقبته **(وكونه مذموماً عند الله ولا تنفعه معرفته إذا خلت المعرفة عن الكراهية وقد تحضر المعرفة والكراهة ولكن مع ذلك يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة ضعيفة بالإضافة إلى قوة الشهوة، وهذا أيضاً لا ينتفع به لكراهته إذ الغرض من الكراهة أن تصرف عن الفعل)** وتمنع منه **(فإذاً لا فائدة إلا في اجتماع الثلاث وهي: المعرفة والكراهة والأباء. فالأباء ثمرة الكراهة، والكراهة ثمرة المعرفة، وقوة المعرفة بحسب قوة الإيمان ونور العلم)** فكلما كان نور العلم زائداً قوي الإيمان وبقوته تقوى المعرفة وبقوتها تظهر ثمرتها وهي كراهة الرياء، **(وضعف المعرفة بحسب)** وفي نسخة بسبب ضعف الإيمان الناشيء عن **(الغفلة وحب الدنيا ونسيان الآخرة وقلة التفكر فيما عند الله)** من الأجر والنعيم **(وقلة التأمل في آفات الحياة الدنيا)** ومنغصاتها **(و)** قلة التأمل في **(نعيم الآخرة، وبعض ذلك ينتج بعضاً ويثمره)** ويفيده، **(وأصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات)** إلى متاعها **(فهو رأس كل خطيئة ومنبع كل ذنب)** كما روي من مرسل الحسن البصري: حب الدنيا رأس كل خطيئة. رواه البيهقي في الشعب بسند حسن، ورواه أبو نعيم في الحلية من قول عيسى عليه السلام. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب مكايد الشيطان من قول مالك بن دينار. ورواه ابن يونس في تاريخ مصر من قول سعد بن مسعود التجيبي وقد تقدم ذلك. **(لأن حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا التي تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة والاستبصار بنور الكتاب والسنة أنوار العلم)** ومعرفة طريق الهداية والتوفيق.

فإن قلت: فمن صادق من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الإباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وحبه له ومنازعته إياه إلا أنه كاره لحبه ولميله إليه وغير مجيب إليه، فهل يكون في زمرة المرائين؟ فاعلم أن الله لم يكلف العباد إلا ما تطيق وليس في طاقة العبد منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات ولا ينزغ إليها، وإنما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر، فإذا فعل ذلك فهو الغاية في أداء ما كلف به. ويدل على ذلك من الأخبار ما روي أن أصحاب رسول الله ﷺ شكوا إليه وقالوا: تعرض لقلوبنا أشياء لأن نخرّ من السماء فتخطفنا الطير أو تهوي بنا الريح في مكان سحيق أحب إلينا من أن نتكلم بها، فقال عليه السلام: «أو قد وجدتموه»؟ قالوا: نعم

(فإن قلت: فمن صادف من نفسه كراهة الرياء وحملته الكراهة على الإباء ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع إليه وجد له ومنازعته إياه إلا أنه كاره لحبه ولميله وغير محبب إليه، فهل يكون في زمرة المرائين) نظراً إلى ذلك الميل أو لا يعد في زمرتهم نظراً إلى كراهته ونفرته منه؟ **(فاعلم أن الله تعالى لم يكلف العبد إلا ما يطيق)** ويقدر عليه **(وليس في طاقة العبد منع الشيطان من نزغاته)** بالكلية **(ولا قمع الطبع حتى لا يميل إلى الشهوات)** أصلاً، **(ولا ينزع إليها، وإنما غايته أن يقابل شهوته بكراهة استثارها من معرفة العواقب وعلم الدين وأصول الإيمان بالله واليوم الآخر، فإذا فعل ذلك فهو الغاية فيما كلفه)** وفي نسخة في أداء ما كلف. **(ويدل على ذلك من الأخبار ما روي أن أصحاب رسول الله ﷺ شكوا إليه وقالوا: تعرض لقلوبنا أشياء لأن نخر من السماء)** أي نسقط **(فتخطفنا الطير أو تهوى بنا الريح في مكان سحيق)** أي بعيد الغور **(أحب إلينا أن نتكلم بها. فقال)** ﷺ: **(«أو قد وجدتموه»؟ قالوا: نعم)** وجدناه **(قال: «ذلك صريح الإيمان»)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث ابن مسعود مختصراً سئل النبي ﷺ عن الوسوسة فقال ذلك محض الإيمان، ورواه النسائي في اليوم والليلة. وابن حبان في صحيحه. ورواه النسائي فيها من حديث عائشة اهـ.

قلت: لفظ المصنف أخرجه البزار من حديث عمارة بن أبي حسن المازني عن عمه عبدالله بن زيد بن عاصم أن الناس سألوا رسول الله ﷺ عن الوسوسة التي يجدها أحدهم لأن يسقط من عند الثريا أحب إليه من أن يتكلم به قال: «ذاك صريح الإيمان إن الشيطان يأتي العبد فيما دون ذلك فإذا عصم منه وقع فيما هنالك». وإسناده صحيح. وقد رواه أيضاً لكنه مختصراً مسلم، وأبو داود. والنسائي من حديث أبي هريرة، والطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود. أما حديث عائشة فلفظه: «شكوا إلى رسول الله ﷺ ما يجدون من الوسوسة. قال: ذلك محض الإيمان» هكذا رواه أحمد. ورواه أبو يعلى من حديث أنس، ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود.

قال: « ذلك صريح الإيمان »، ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الإيمان الوسوسة، فلم يبق إلا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء، فإنه وإن كان عظيماً فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى، فإذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فبأن يندفع بها ضرر الأصغر أولى، وكذلك يروى عن النبي ﷺ في حديث ابن عباس أنه قال: « الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة »، وقال أبو حازم: ما كان من نفسك وكراهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك، وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه. فإذا وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادهما بالإباء والكراهة، والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للأسباب المهيجة للرياء هي من الشيطان، والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس، والكراهة من الإيمان ومن آثار العقل، إلا أنّ للشيطان ههنا مكيدة وهي أنه

(ولم يجدوا إلا الوسواس والكراهة له ولا يمكن أن يقال أراد بصريح الإيمان الوسوسة، فلم يبق إلا حمله على الكراهة المساوقة للوسوسة والرياء، فإنه وإن كان عظيماً) في حد نفسه **(فهو دون الوسوسة في حق الله تعالى، فإذا اندفع ضرر الأعظم بالكراهة فبأن يندفع بها ضرر الأصغر أولى، وكذلك يروى عن النبي ﷺ في حديث ابن عباس)** رضي الله عنهما **(أنه قال: « الحمد لله الذي رد كيد الشيطان إلى الوسوسة »)** قال العراقي: رواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة بلفظ: « كيده » بإسناد جيد انتهى.

قلت: لفظ المصنف أخرجه أحمد والطيالسي أنه قال لرجل قال: إني لأتحدث بشيء لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أتكلم به فكبر النبي ﷺ مرتين وقال: « الحمد لله » فذكره. ورواه الطيالسي أيضاً، وأبو داود، والترمذي وضعفه، والطبراني، والبيهقي بلفظ: « الحمد لله الذي لم يقدر منكم إلا على الوسوسة ». وعند الطبراني من حديث معاذ قال: قلت يا رسول الله إنه ليعرض في نفسي الشيء لأن أكون حممة أحب إليَّ من أن أتكلم به فقال: « الحمد لله إن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرضي هذه ولكنه قد رضي بالمحقرات من أعمالكم ».

(وقال أبو حازم) سلمة بن دينار الأعرج المدني رحمه الله تعالى. **(ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك، وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية بنحوه. **(فإذاً وسوسة الشيطان ومنازعة النفس لا تضرك مهما رددت مرادهما بالأباء والكراهة والخواطر التي هي العلوم والتذكرات والتخيلات للأسباب المهيجة)** وفي نسخة المنتجة **(للرياء من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس)** فالشيطان يوسوس بتلك الخواطر والنفس ترغب إليها، **(والكراهة من الإيمان ومن آثار العقل)** فإنه من قوي إيمانه واستنار عقله لا يرغب إلى تلك الخواطر بل

إذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل إليه أن صلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الإخلاص وحضور القلب، لأن الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته انصراف عن سر المناجاة مع الله فيوجب ذلك نقصاناً في منزلته عند الله.

والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع مراتب:

الأولى: أن يرده على الشيطان فيكذبه، ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه، وهو على التحقيق نقصان، لأنه اشتغل عن مناجاة الله وعن الخير الذي هو بصدده وانصرف إلى قتال قطاع الطريق، والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك.

الثانية: أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل بمجادلته.

الثالثة: أن لا يشتغل بتكذيبه أيضاً لأن ذلك وقفة وإن قلت؛ بل يكون قد قرر في

يكرهها (**إلا أن للشيطان ههنا مكيدة وهي أنه إذا عجز عن حمله على قبول الرياء خيل إليه أن إصلاح قلبه في الاشتغال بمجادلة الشيطان**) ومحاولته (**ومطاولته في الرد والجدال حتى يسلبه ثواب الإخلاص**) في العبادة (**وحضور القلب**) مع الله، (**لأن الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته**) عنه (**انصراف عن سر المناجاة مع الله**) لكون ذلك شغلاً بالسوى، (**فيوجب ذلك نقصاناً في منزلته عند الله تعالى**).

(**والمتخلصون عن الرياء في دفع خواطر الرياء على أربع مراتب**).

(**الرتبة الأولى: أن يرد على الشيطان مكيدته ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته**) بكل ممكن (**ويطول جداله معه لظنه أن ذلك أسلم لقلبه**) وأخلص له، (**وهو على التحقيق نقصان**) وليس بكمال (**لأنه اشتغل عن مناجاة الله تعالى وعن الخير الذي هو بصدده**) وهو الوصول إلى مرتبة القرب، (**وانصرف إلى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال**) وفي نسخة والتفرغ إلى قتال (**قطاع الطريق نقصان في السلوك**) عند أهل السلوك.

(**الرتبة الثانية: أن يعرف أن الجدال والقتال نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه**) فقط، (**ولا يشتغل بمجادلته**) ولا يصرف وقته في ذلك.

(**الرتبة الثالثة: أن لا يشتغل بتكذيبه أيضاً لأن ذلك وقفة**) في السلوك (**وإن قلت: بل**

عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحباً للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة.

الرابعة: أن يكون قد علم أن الشيطان سيحسده عند جريان أسباب الرياء، فيكون قد عزم على أنه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الإخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيظاً للشيطان، وذلك هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع.

يروي عن الفضيل بن غزوان أنه قيل له: إن فلاناً يذكرك، فقال؛ والله لأغيظن من أمره؟ قيل: ومن أمره؟ قال: الشيطان، اللهم اغفر له، أي لأغيظنه بأن أطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من أن يزيد في حسناته. وقال إبراهيم التيمي: إن الشيطان ليدعو العبد إلى الباب من الإثم، فلا يطعه وليحدث عند ذلك خيراً، فإذا رآه كذلك تركه. وقال أيضاً: إذ رآك الشيطان متردداً طمع فيك، وإذا رآك مداوماً ملك وقلاك.

يكون قد قرر في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحباً للكراهة غير مشتغل بالتكذيب ولا بالمخاصمة).

(**الرتبة الرابعة: أن يكون قد علم أن الشيطان سيصيده**) وفي بعض النسخ سيحسده (**عند جريان أسباب الرياء، فيكون قد عزم على أنه مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الإخلاص والاشتغال بالله وإخفاء الصدقة والعبادة غيظاً للشيطان**) وإرغاماً له (**وذلك**) أي عدم الالتفات إليه في نزعاته والاستمرار على الإخلاص (**هو الذي يغيظ الشيطان ويقمعه**) ويدفعه (**ويوجب يأسه**) عنه (**وقنوطه**) فيه (**حتى لا يرجع إليه**) ثانياً.

(**يروى عن**) أبي الفضل (**فضيل**) مصغراً (**بن غزوان**) بفتح الغين المعجمة وسكون الزاي ابن جرير الضبي مولاهم الكوفي ثقة مات سنة أربعين روى له الجماعة (**أنه قيل له: إن فلاناً ذكرك**) أي سبك. (**قال: والله لأغيظ من أمره. قيل**) له: (**ومن أمره؟ قال: الشيطان. ثم قال: اللهم اغفر له أي لأغيظنه بأن أطيع الله فيه**) وفي نسخة بعد قوله: اللهم اغفر له أي لأطيعن الله فيه. (**ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة من أن يزيد في حسناته. وقال إبراهيم**) بن يزيد (**التيمي**) رحمه الله تعالى: (**إن الشيطان ليدعو العبد إلى الأسباب من الإثم فلا يطيعه وليحدث عند ذلك خيراً فإذا رآه كذلك تركه**) أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**وقال أيضاً إذا رآك الشيطان متردداً طمع فيك، وإذا رآك مداوماً ملك وقلاك**) أي أبغضك وفي نسخة خلاك.

وضرب الحارث المحاسبي رحمه الله لهذه الأربعة مثالاً أحسن فيه فقال: مثالهم كأربعة قصدوا مجلساً من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلاً وهداية ورشداً، فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف أن يعرفوا الحق، فتقدم إلى واحد فمنعه وصرفه عن ذلك، ودعاه إلى مجلس ضلال فأبى، فلما عرف إباءه شغله بالمجادلة فاشتغل معه ليرد ضلاله وهو يظن أن ذلك مصلحة له، وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره. فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه، فوقف فدفع في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل، ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه. ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله، بل استمر على ما كان، فخاب منه رجاؤه بالكلية. فمر الرابع فلم يتوقف له، وأراد أن يغيظه فزاد في عجلته وترك التأني في المشي، فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يعاود الجميع إلا هذا الأخير فإنه لا يعاود خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله.

فإن قلت: فإذا كان الشيطان لا تؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره

(**وضرب الحرث**) بن أسد (**المحاسبي**) رحمه الله تعالى (**لهذه الأربعة مثالاً**) في كتاب الرعاية (**أحسن فيه فقال: مثالهم كأربعة**) أشخاص (**قصدوا مجلساً من العلم والحديث لينالوا به فائدة وفضلاً وهداية ورشداً، فحسدهم على ذلك ضال مبتدع يضل الناس ببدعته وخاف أن يعرفوا الحق، فتقدم إلى واحد فمنعه وصرفه عنه، ودعاه إلى مجلس ضلال فأبى**) عليه ولم يطعه، (**فلما عرف أباءه شغله بالمجادلة معه فاشتغل معه ليرد ضلالته وهو يظن أن ذلك مصلحة له، وهو غرض الضال**) ومقصوده الأعظم (**ليفوت عليه**) فائدة المجلس (**بقدر تأخره**) في جداله. (**فلما مر الثاني عليه نهاه واستوقفه**) أي طلب أن يقف معه. (**فوقف فدفع في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل، ففرح منه الضال بقدر توقفه للدفع فيه. ومر به الثالث فلم يلتفت إليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله، بل استمر على ما كان، فخاب منه رجاؤه بالكلية. فمر به الرابع فلم يتوقف له، وأراد أن يغيظه فزاد في عجلته وترك التأني في المشي، فيوشك إن عادوا ومروا عليه مرة أخرى أن يعاود الجميع إلا هذا الأخير، فإنه لا يعود إليه خيفة من أن يزداد فائدة باستعجاله**) فهذا المثال يفهمك إن الاشتغال بمجادلة الشيطان والوقوف له لاستماع زخرفته ولو لحظة، والتأني لسماع ما يلقيه في التسويلات ولو غير ملتفت إليه كما هو حال هؤلاء الثلاثة محض خسران.

(**فإن قلت: فالشيطان لا تؤمن نزغاته**) وفي نسخة مراوغاته، (**فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظاراً لوروده، أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له، أو**

للحذر منه انتظاراً لوروده، أم يجب التوكل على الله ليكون هو الدافع له، أو يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه؟ قلنا: اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه.

فذهبت فرقة من أهل البصرة إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله واشتغلوا بحبه، فاعتزلهم الشيطان وأيس منهم وخنس عنهم ـ كما أيس من ضعفاء العباد في الدعوة إلى الخمر والزنا ـ فصارت ملاذ الدنيا عندهم ـ وإن كانت مباحة ـ كالخمر والخنزير، فارتحلوا من حبها بالكلية فلم يبق للشيطان إليهم سبيل فلا حاجة بهم إلى الحذر.

وذهبت فرقة من أهل الشأم إلى أن الترصد للحذر منه إنما يحتاج إليه من قل يقينه ونقص توكله، فمن أيقن بأن لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق ليس له أمر ولا يكون إلا ما أراده الله فهو الضار والنافع، والعارف يستحي منه أن يحذر غيره، فاليقين بالوحدانية يغنيه عن الحذر.

وقالت فرقة من أهل العلم: لا بدّ من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر وخلت قلوبهم عن حب الدنيا بالكلية فهو وسيلة الشيطان

يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه وعدم الالتفات إليه بالكلية**؟ قلنا: اختلف الناس فيه على ثلاثة أوجه**).

(**فذهبت فرقة من**) عباد (**أهل البصرة إلى أن الأقوياء قد استغنوا عن الحذر من الشيطان لأنهم انقطعوا إلى الله واشتغلوا بحبه**) فلم يكن في قلوبهم سعة لغير الله، (**فاعتزلهم الشيطان وأيس منهم وخنس عنهم**) أي تأخر (**كما أيس من ضعفاء العباد في الدعوة إلى**) شرب (**الخمر و**) مفارقة (**الزنا فصارت ملاذ الدنيا عندهم ـ وإن كانت مباحة كالخمر والخنزير فارتحلوا من حبها بالكلية ولم يبق للشيطان إليهم سبيل**) يوسوس لهم به (**فلا حاجة بهم إلى الحذر**) منه.

(**وذهبت فرقة من**) عباد (**أهل الشام إلى أن الترصد للحذر منه إنما يحتاج إليه من قل يقينه ونقص توكله، فمن أيقن أنه لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر غيره ويعلم أن الشيطان ذليل مخلوق وليس له**) في عباد الله (**أمر، ولا يكون إلا ما أراده الله تعالى فهو الضار النافع**) وهو الفاعل المختار في خلقه (**والعارف يستحي منه أن يحذر غيره فاليقين بالواحدانية يغنيه عن الحذر**).

(**وقالت فرقة**) وفي نسخة: طائفة (**من أهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من أن الأقوياء استغنوا عن الحذر**) عنه (**إن خلت قلوبهم من حب الدنيا**) وفي

يكاد يكون غروراً ، إذ الأنبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم؟ وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا ، بل في صفات الله تعالى وأسمائه ، وفي تحسين البدع والضلال وغير ذلك ، ولا ينجو أحد من الخطر فيه ، ولذلك قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَتِهِ فينسخ الله مَا يلْقِي الشَّيْطَانُ ثمَّ بِحكْمِ الله آياتِـهِ﴾ [الحج : ٥٢] .

نسخة إن خلا من قلوبهم حب الدنيا (**بالكلية فهو وسيلة الشيطان يكاد يكون غروراً إذ الأنبياء عليهم السلام لم يتخلصوا من وسواس الشيطان ونزغاته، فكيف يتخلص غيرهم؟ وليس كل وسواس الشيطان من الشهوات وحب الدنيا**) كما ظنوا ، (**بل في صفات الله تعالى واسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغير ذلك. ولا ينجو أحد من الخطر فيه، ولذلك قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي**) وقد تقدم الكلام على الرسول والنبي في كتاب قواعد العقائد (**إلا إذا تمنى**) أي زوّر في نفسه ما يهواه (**ألقى الشيطان في أمنيته**) في تشهية ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما في الخبر : « وإنه ليغان على قلبي » (**فينسخ الله ما يلقي الشيطان**) أي فيبطله ويذهبه بعصمته عن الركون إليه والإرشاد إلى ما يريحه (**ثم يحكم الله آياته**) أي ثم يثبت آياته الداعية إلى الاستغراق في أمر الآخرة (**والله عليم**) بأحوال الناس (**حكيم**) فيما يفعل بهم. قيل : حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت ، وقيل : تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليهم ما يقربهم إليه فاستمر بذلك حتى كان في ناديهم ، فنزلت عليه سورة النجم فأخذ يقرأها فلما بلغ ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ [النجم : ٢٠] وسوس إليه الشيطان حتى سبق لسانه إلى أن قال : ﴿تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى﴾ ففرح به المشركون حتى تابعوه في السجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك إلا سجد ، ثم نبهه جبريل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية ، وهو مردود عند المحققين. وإن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه ، وقيل (**تمنى**) قرأ كقوله :

تمنـــى كتـــاب الله أول مـــــرة تمنـــي داود الزبـــور على رســـل

وأمنيته قراءته وألقى الشيطان فيها أن تكلم بذلك رافعاً صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي ﷺ فقد رد أيضاً مما نجد بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينســخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ، لأنه أيضاً يحتمله . والآية تدل على جواز السهو على الأنبياء وتطرق الوسوسة إليهم. كل هذا سياق البيضاوي .

والمسألة مختلف فيها قديماً وقد تكلم عليها القاضي عياض في الشفاء ، ورد ما ذكروه في توجيه الآية ، وأوسع عليه الكلام شارحه الشهاب الخفاجي ، والصحيح ورود القضية فقد رويت من طرق كثيرة لا تحتمل الخطأ كما أشار إليه الحافظ في فتح الباري ، فقد أخرجه عبد بن حميد من طريق السدي ، عن أبي صالح عن ابن عباس ، والبزار ، والطبراني ، وابن مردويه ، والضياء في المختارة

وقال النبي ﷺ : « إنه ليغان على قلبي » مع أن شيطانه قد أسلم ولا يأمره إلا بخير ، فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام فهو مغرور ، ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه آدم وحوّاء في الجنة التي هي دار الأمن والسرور بعد أن قال الله لهما : ﴿ إنَّ هذا عَدُوٌّ لَـكَ وَلزوْجكَ فَلاَ يُخرجنَّكُما مِنَ الْجَنَّةِ فتشْقَى ★ إنَّ لَكَ أن لا تجوعُ فيهَا ولا تعرى وأنَّك لا تظْمَأُ فِيهَا

بسند رجاله ثقات من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه بسند صحيح عن سعيد بن جبير . وابن جرير ، وابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس . وابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . ومن طريق أبي بكر الهذلي ، وأيوب عن عكرمة عن ابن عباس . وعبد بن حميد ، وابن جرير من طريق يونس عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث . وابن أبي حاتم من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب . والبيهقي في الدلائل عن موسى بن عقبة ، ولم يذكر ابن شهاب ، والطبراني عن عروة مثله . وسعيد بن منصور ، وابن جرير ، عن محمد بن كعب القرظي ، ومحمد بن قيس ، وابن جرير عن الضحاك ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم بسند صحيح عن أبي العالية ، وعبد بن حميد عن مجاهد وعن عكرمة ، وابن أبي حاتم عن السدي وألفاظ الكل متقاربة ، وفي سوق كل منها تطويل ، ومع ثبوت القصة من هذه الطرق لا يسع العالم ردها فضلاً عن المحقق .

(**وقال** ﷺ : « **إنه ليغان على قلبي**) وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » رواه أحمد ، وعبد بن حميد ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن حبان ، والبغوي ، وابن قانع ، والبارودي ، والطبراني كلهم من حديث الأغر بن يسار المزني وقد تقدم الكلام على هذا الحديث . (**مع أن شيطانه**) ﷺ (**قد أسلم فلا يأمره إلا بخير**) رواه الطبراني من حديث المغيرة بلفظ : « ما من أحد إلا جعل معه قرين من الجن » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله . قال : « ولا أنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير » . وروى أحمد ، وأبو يعلى ، والطبراني ، والضياء من حديث ابن عباس : « ليس منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينة من الشيطان » . قالوا وأنت يا رسول الله ؟ قال : « نعم ولكن الله أعانني عليه فأسلم » وقد تقدم الكلام عليه أيضاً .

(**فمن ظن أن اشتغاله بحب الله أكثر من اشتغال رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء**) عليهم السلام (**فهو مغرور ، ولم يؤمنهم ذلك من كيد الشيطان ولذلك لم يسلم منه**) أي من كيده (**آدم وحوّاء**) عليهما السلام وهما (**في الجنة التي هي دار الأمن والسرور بعد أن قال الله لهما ﴿إنه هذا**) يعني الشيطان (**عدوّ لك ولزوجك فلا يخرجنكما**) أي لا يكون سبباً لإخراجكما (**من الجنة**) والمراد نهاهما عن أن يكون بحيث يتسبب الشيطان إلى إخراجهما (**فتشقى★**) أفرده بإسناد الشقاء إليه بعد اشتراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث أنه قيم عليها ، أو لأن المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ، والشقاء بمعنى التعب شائع في

ولاَ تَضْحَى﴾ [طه: ١١٧ - ١١٩] ومع أنه لم ينه إلا عن شجرة واحدة وأطلق له وراء ذلك ما أراد، فإذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو في الجنة دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان، فكيف يجوز لغيره أن يأمن في دار الدنيا وهي منبع المحن والفتن ومعدن الملاذ والشهوات المنهي عنها؟ وقال موسى عليه السلام فيما أخبر عنه تعالى: ﴿هَذَا من عَمَلِ الشَّيْطَان﴾ [القصص: ١٥] ولذلك حذر الله منه جميع الخلق، فقال تعالى: ﴿يا بني آدَمَ لاَ يفْتنِنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كما أَخْرَجَ أبويْكُم مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧] وقال عز وجل: ﴿إنَّهُ يراكم هُوَ وقبيلهُ من حيث لا ترونهم﴾ [الأعراف: ٢٧] والقرآن من أوّله إلى آخره تحذير من الشيطان فكيف يدعي الأمن منه؟ وأخذ الحذر من حيث أمر الله به لا ينافي الاشتغال بحب الله، فإن من الحب له امتثال أمره وقد أمر بالحذر من العدو كما

كلام العرب يقولون: أشقى من رائض المهر وسيد القوم أشقاهم، ويؤيده قوله: ﴿إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى★ وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾) فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من أسباب الكفاية وأقطاب الكفاية هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنياً عن اكتسابها والسعي بتحصيل اعراض ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها لتطرق سمعه بأصناف الشقوة المحذر منها، (**مع أنه لم ينهه إلا عن شجرة واحدة**). قيل: هي الحنطة، وقيل: الكرم، وقيل: التين، وقيل غير ذلك (**وأطلق له وراء ذلك ما أراد**) وفيه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى★ فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما﴾ [طه: ١٢٠، ١٢١] (**فإذا لم يأمن نبي من الأنبياء وهو**) مستقر (**في الجنة**) التي هي (**دار الأمن والسعادة من كيد الشيطان**) ووسوسته، (**فكيف يجوز لغيره أن يأمن**) من وسوسته وهو (**في دار الدنيا وهي منبع الفتن والمحن ومعدن الملاذ والشهوات المنهي عنها؟ وقال موسى عليه السلام**) فيما حكى الله عنه في كتابه العزيز: ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال: (**هذا من عمل الشيطان**) لأنه لم يؤمر بقتل الكفار أو لأنه كان مؤمناً فيهم، فلم يكن له اغتياله ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ، وإنما عدّه من عمل الشيطان وسماه ظلماً واستغفر منه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم ﴿إنه عدو مضل مبين﴾ ظاهر العداوة. (**ولذلك حذر الله منه جميع الخلق فقال: ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة**) آدم وحواء (**ينزع عنهما لباسهما**) أي حلل الجنة قيل: إنهما لمّا تناولا من الشجرة سقطت عنهما الحلل. (**وقال عز وجل: ﴿إنه يراكم هو وقبيله**) أي جماعته وجنوده (**من حيث لا ترونهم﴾ والقرآن من أوله إلى آخره تحذير من الشيطان**) وتنبيه على غوايته وإرشاد في مخالفته. (**فكيف يدعى الأمن منه؟ وأخذ الحذر من حيث أمر الله لا ينافي الاشتغال بحب الله تعالى، فإن من الحب له امتثال أمره وقد أمرنا بالحذر من**

أمر بالحذر من الكفار فقال تعالى: ﴿وليأخذُوا حِذرُهُمْ وأسلِحتُهمْ﴾ [النساء: ١٠٢] وقال تعالى: ﴿وأعدّوا لهم ما استطعْتُم مِنْ قوةٍ ومَنْ رباطِ الْخَيْل﴾ [الأنفال: ٦٠]، فإذا ألزمك بأمر الله الحذر من العدوّ الكافر وأنت تراه فبأن يلزمك الحذر من عدوّ يراك ولا تراه أولى. ولذلك قال ابن محيريز عدوّ صيد تراه ولا يراك يوشك أن تظفر به، وصيد يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك. فأشار إلى الشيطان، فكيف وليس في الغفلة عن عداوة الكافر إلا قتل هو شهادة وفي إهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الأليم؟ فليس من الاشتغال بالله الإعراض عما حذر الله. وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم أن ذلك قادح في التوكل، فإن أخذ الترس والسلاح وجميع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله ﷺ فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوّف الله به والحذر مما أمر الله بالحذر منه؟ وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من زعم أن معنى التوكل النزوع عن الأسباب بالكلية، وقوله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل﴾ [الأنفال: ٦٠] لا يناقض امتثال التوكل، مهما

العدو وكما أمرنا بالحذر من الكفار فقال تعالى: ﴿وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾ أي ليأخذوا ما فيه الحذر بالكسر وهو التحرز، والأسلحة جمع سلاح وهو كل عدة للحرب **(وقال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ فإذا الزمك بأمر الله الحذر من العدو والكافر وأنت تراه)** وتشاهده بعينك **(فبأن يلزمك الحذر من عدو يراك)** هو وقبيله **(ولا تراه)** ولا ترى قبيله **(أولى)** وآكد. **(ولذلك قال)** عبدالله **(بن محيريـز)** بمهملة وراء آخره زاي مصغراً ابن جنادة بن وهب الجمحي المكي، نزل بيت المقدس، ثقة عابد مات سنة تسع وتسعين، روى له الجماعة. **(عدوّ صيد تراه ولا يراك يوشك أن تظفر به وعدوّ صائد يراك ولا تراه يوشك أن يظفر بك. وأشار به)** أي بهذا الكلام **(إلى الشيطان)** فإنه عدوّك وقصده أن يصيدك وهو يراك ويخيل لك ويرمي عليك الفخ وأنت لا تراه فما أقرب أن تقع في قبضته. **(كيف وليس في الغفلة من عداوة الكافر إلا قتل هو شهادة)** إن تيسر القتل، **(وفي إهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب الأليم، فليس من الاشتغال بالله الإعراض عما حذر الله وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم أن ذلك قادح في التوكل، فإن أخذ الترس والسلاح وجمع الجند)** وحشد العساكر **(وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله ﷺ، فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوّف الله تعالى به والحذر مما أمر الله بالحذر منه؟ وقد ذكرنا في كتاب التوكل ما يبين غلط من ظن أن معنى التوكل النزوع من الأسباب بالكلية)** أي الخروج عنها. **(وقوله تعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة من رباط الخيل﴾ لا ينقض امتثال التوكل مهما اعتقد القلب أن**

اعتقد القلب أن الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله تعالى، فكذلك يحذر الشيطان ويعتقد أن الهادي والمضل هو الله، ويرى الأسباب وسائط مسخرة - كما ذكرناه في التوكل - .

وهذا ما اختاره الحرث المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم، وما قبله يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لم يغزر علمهم، ويظنون أن ما يهجم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد.

ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر فقال قوم: إذا حذرنا الله تعالى العدوّ فلا ينبغي أن يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له، فإنا إن غفلنا عنه لحظة فيوشك أن يهلكنا. وقال قوم: إن ذلك يؤدي إلى خلوّ القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا، بل نشتغل بالعبادة ونذكر الله ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة إلى الحذر منه فنجمع بين الأمرين، فإنا إن نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسب، وإن تجردنا لذكره كنا قد أهملنا ذكر الله، فالجمع أولى. وقال العلماء المحققون: غلط الفريقان، أما الأوّل فقد

الضار والنافع والمحيي والمميت هو الله) عز وجل لا غيره، **(فكذلك يحذر الشيطان)** ويحترز منه، **(ويعتقد أن المضل والهادي هو الله)** عز وجل لا غيره، **(ويرى الأسباب وسائط مسخرة)** بلطف الحكمة الإلهية **(كما ذكرناه في)** كتاب **(التوكل)** وسيأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى.

(وهذا ما اختاره) الحرث **(المحاسبي)** رحمه الله تعالى **(وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله)** مما ذكر **(يشبه أن يكون من كلام العباد الذين لا يغزر)** أي لا يكثر **(علمهم، ويظنون أن ما يهجم عليهم من الأحوال في بعض الأوقات من)** نتيجة **(الاستغراق بالله يستمر على الدوام وهو بعيد)** لأن الأحوال لا تثبت.

(ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلاثة أوجه في كيفية الحذر) أي الاحتراز **(فقال قوم: إذا حذرنا الله العدوّ فلا ينبغي أن يكون شيء أغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له، فإنا إذا غفلنا عنه لحظة)** واحدة **(يوشك أن يهلكنا)** بكيده ومكره. **(وقال قوم: إن ذلك)** أي كونه أغلب شيء على القلب **(يؤدي إلى خلو القلب عن ذكر الله واشتغال الهم كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان** منّا بل نشتغل بالعبادة **وذكر الله ولا ننسى الشيطان وعدواته والحاجة)** الداعية **(إلى الحذر منه فيجمع بين الأمرين، فإنا إن نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسب)** فيهلكنا **(وإن تجردنا لذكره)** والترصد له **(كنا قد أهملنا**

تجرد لذكر الشيطان ونسي ذكر الله فلا يخفي غلطه، وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدوّ؟ ثم يؤدي ذلك إلى خلوّ القلب عن نور ذكر الله تعالى، فإذا قصد الشيطان مثل هذا القلب وليس فيه نـور ذكر الله تعالى وقوّة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به ولا يقوى على دفعه، فلم يأمرنا بانتظار الشيطان ولا بإدمان ذكره، وأما الفرقة الثانية؛ فقد شاركت الأولى إذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان، وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله، وقد أمر الله الخلق بذكره ونسيان ما عداه ـ إبليس وغيره ـ فالحق أن يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه عداوته، فإذا اعتقد ذلك وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله ويكب عليه بكل الهمة ولا يخطر بباله أمر الشيطان، فإنه إذا اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له، وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان، بل الرجل ينام وهو خائف من أن يفوته مهم عند طلوع الصبح؛ فيلزم نفسه

ذكر الله فالجمع أولى. **وقال العلماء المحققون)** من الصوفية: **(غلط الفرقتان، أما الأولى فقد تجردت لذكر الشيطان ونسيت ذكر الله ولا يخفى غلطها)** على من تأمل كلامها، **(وإنما أمرنا بالحذر من الشيطان كيلا يصدنا عن الذكر، فكيف نجعل ذكره أغلب الأشياء على قلوبنا وهو منتهى ضرر العدوّ؛ثم يؤدي ذلك إلى خلو القلب عن نور ذكر الله)**، فإن القلب إنما اضاءته بسبب ما يرد عليه من أنوار الذكر، **(فإذا قصد مثل هذا القلب ليس فيه نور ذكر الله وقوة الاشتغال به فيوشك أن يظفر به)** ويستولي عليه **(ولا يقوى على دفعه، فلم يؤمر)** العبد، وفي نسخة: فلم يأمرنا **(بانتظار الشيطان ولا بإدمان ذكره. وأما الفرقة الثانية؛ فقد شاركت الأولى إذ جمعت في القلب بين ذكر الله والشيطان)** وهما نقيضان، **(وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله)** ويشتغل عنه، **(وقد أمر الله تبارك وتعالى الخلق بذكره ونسيان ما عداه)** أي ما سواه **(إبليس وغيره)** بل سائر ما في الكون الاشتغال به شغل عن الله عز وجل، **(فالحق)** الذي أحق أن يتبع وهو الوجه الثالث **(أن يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر على نفسه على عداوته)** على طريق التأكد، **(فإذا اعتقده وصدق به وسكن الحذر فيه فيشتغل بذكر الله)** حينئذ **(ويكب عليه بكل الهمة)** أي يقبل عليه مع الملازمة، **(ولا يخطر بباله أمر الشيطان، فإنه إن اشتغل بذلك بعد معرفة عداوته ثم خطر الشيطان له تنبه له)** في الحال، **(وعند التنبه يشتغل بدفعه)** على قدر الإمكان **(والاشتغال بذكر الله لا يمنع من التيقظ عند نزغة الشيطان)** والتنبه له، **(بل الرجل ينام وهو خائف على أن يفوته مهم)** أي أمر مقصود لذاته **(عند طلوع الصبح فيلزم**

الحذر وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه في الليل مرات قبل أوانه لما أسكن في قلبه من الحذر، مع أنه بالنوم غافل عنه، فاشتغاله بذكر الله كيف يمنع تنبهه؟ ومثل هذا القلب هو الذي يقوى على دفع العدوّ إذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد أمات منه الهوى وأحيا فيه نور العقل والعلم وأماط عنه ظلمة الشهوات، فأهل البصيرة أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده وألزموها الحذر، ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله، ودفعوا بالذكر شر العدوّ، واستضاءوا بنور الذكر حتى صرفوا خواطر العدوّ فمثال القلب مثال بئر أريد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافي. فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر، والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله قد نزح الماء القذر من جانب ولكنه تركه جارياً إليها من جانب آخر فيطول تعبه ولا تجف البئر من الماء القذر، والبصير هو الذي جعل لمجرى الماء القذر سداً وملأها بالماء الصافي فإذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسدّ من غير كلفة ومؤنة وزيادة تعب.

بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات:

اعلم أن في الإسرار للأعمال فائدة الإخلاص والنجاة من الرياء، وفي الاظهار فائدة

نفسه الحذر) أي التحرز، **(وينام على أن يتنبه في ذلك الوقت فيتنبه من الليل)** أي في أثنائه **(مرات قبل أوانه لما سكن في قلبه من الحذر مع أنه بالنوم غافل عنه، فاشتغاله بذكر الله كيف يمنعه تنبهه)** لا يحذر منه. **(ومثل هذا القلب الذي يقوى على دفع العدوّ)** إذا هجم عليه، **(وإذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله فقد أمات منه الهوى وأحيا منه نور الفضل والعلم وأماط)** أي أزال **(عنه ظلمة الشهوات، فأهل البصيرة)** التامة **(أشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده)** وانتظاره، **(وألزموها الحذر ثم لم يشتغلوا بذكره بل بذكر الله ودفعوا بالذكر شر العدوّ، واستضاءوا بنور ذكر الله حتى أبصروا خواطر العدوّ)** من أين تهجم فاستعدوا لدفعها بقوّة نور الذكر، **(فمثال القلب مثال بئر أريد تطهيرها من الماء القذر)** المنتن **(ليتفجر منها الماء الصافي، فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيها الماء القذر، والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله تعالى قد نزح الماء القذر من جانب ولكنه قد تركه جارياً من جانب آخر فيطول تعبه ولا يخف من البئر الماء القذر، والبصير)** العارف **(هو الذي يجعل لمجرى الماء القذرسداً)** فسده عليه **(وملأه بالصافي)** الذي لا كدر فيه، **(فإذا جاء الماء القذر دفعه بالسِكر والسد)** يقال سكرت النهر سكراً إذا سددته والسِكر بالكسر ما يسد به النهر **(من غير كلفة)** أي مشقة **(ومؤنة وزيادة تعب)** والله الموفق.

بيان الرخصة في قصد إظهار الطاعات:

(اعلم) هداك الله بتوفيقه **(أن في الإسرار للأعمال)** أي في إخفائها **(فائدة الإخلاص**

الاقتداء وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء . قال الحسن : قد علم المسلمون أن السر أحرز العملين، ولكن في الإظهار أيضاً فائدة، ولذلك أثنى الله تعالى على السر والعلانية فقال: ﴿ إنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هي وإنْ تُخْفُوها تُؤْتُوها الفُقَرَاءَ فَهُوَ خيرٌ لكُم﴾ [البقرة: ٢١] .

والاظهار قسمان:

أحدهما: في نفس العمل.

والآخر: بالتحدث بما عمل.

القسم الأول: إظهار نفس العمل كالصدقة في الملأ لترغيب الناس فيها ، كما روي عن الأنصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه، فقال النبي ﷺ : « مَنْ سَنَّ سُنّةً حسنةً فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه »، وتجري سائر الأعمال هذا

والنجاة من الرياء وفي الإظهار) لها (**فائدة الاقتداء**) فيها (**وترغيب الناس في الخير ولكن فيه آفة الرياء . قال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى : (**إن السر أحرز العملين، ولكن في الإظهار أيضاً فائدة، ولذلك أثنى الله على السر والعلانية فقال: ﴿ إنْ تُبْدُو الصَّدَقاتِ فنعما هي**) أي فنعم شيء تبدوها (**وإنْ تُخْفُوها وتُؤْتُوها الفُقَراء**) أي تعطوها مع الإخفاء (**فهُوَ خَيْرٌ لكُم﴾**) وتمام الآية﴿ نكفّرعنكم من سيآتكم والله بما تعملون خبير﴾ (**والإظهار قسمان**):

(**أحدهما :في نفس العمل**) .

(**والآخر: بالتحدث بما عمل**) .

(**القسم الأول: إظهار نفس العمل كالصدقة في الملأ**) أي بين أظهر الناس (**لترغيب الناس فيها ، كما روي عن الأنصاري الذي جاء بالصرة**) فيها دراهم وذلك لما رغب النبي ﷺ في أمر الصدقة (**فتتابع الناس بالعطية لما رأوه، فقال النبي ﷺ « من سنّ سنّة حسنة فعمل بها كان له أجرها وأجر من اتبعه »**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي وفي أوله قصة اهـ.

قلت: لفظ مسلم « من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقّص من أجورهم شيء ، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » وهكذا رواه أيضاً الطيالسي، وأحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، والدارمي ، وأبو عوانة ، وابن حبان.

وفي الباب حذيفة بن اليمان، وأبو هريرة، وأبو جحيفة، ووائلة بن الأسقع. فلفظ حديث

المجرى من الصلاة والصيام والحج والغزو وغيرها، ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع أغلب. نعم الغازي إذا همَّ بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضاً لهم على الحركة فذلك أفضل له لأن الغزو في أصله من أعمال العلانية لا يمكن إسراره، فالمبادرة إليه ليست من الإعلان بل هو تحريض مجرد، وكذلك الرجل قد يرفع صوته في الصلاة بالليل لينبه جيرانه وأهله فيقتدى به. فكل عمل لا يمكن إسراره كالحج والجهاد والجمعة فالأفضل المبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط أن لا يكون فيه

حذيفة « من سنّ في الإسلام خيراً فاستن به كان له أجره ومثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سنّ شراً فاستن به كان علنه وزره ومن أوزار من تبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً » هكذا رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط والحاكم والضياء من رواية أبي عبيدة بن حذيفة عن أبيه.

ولفظ حديث أبي هريرة « من سنّ خيراً فاستن به كان له أجره كاملاً ومن أجور من استن به من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سن شراً فاستن به كان عليه وزره كاملاً ومن أوزار الذي الستن به لا ينقص من أوزارهم شيئاً » هكذا رواه أحمد. وفي رواية « من سنّ سنة هدى فاتبع عليها كان له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سن سنة ضلالة فاتبع عليها كان عليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً » هكذا رواه السجزي في الإبانة.

ولفظ حديث أبي جحيفة « من سنّ سنة حسنة فعمل بها بعده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن ينتقص من أجورهم شيئاً، ومن سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ومثل أوزارهم من غير أن ينتقص من أوزارهم شيئاً » هكذا رواه ابن ماجه، والطبراني في الأوسط.

ولفظ حديث واثلة « من سنّ سنّة حسنة فله أجرها ما عمل بها في حياته وبعد مماته حتى يترك، ومن سن سنة سيئة فعليه إثمها حتى تترك، ومن مات مرابطاً في سبيل الله حرى له أجر المرابط حتى يبعث يوم القيامة ». هكذا رواه الطبراني في الكبير، والسجزي في الإبانة.

(**ويجري سائر الأعمال هذا المجرى من الصلاة والحج والغزو وغيره، ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع أغلب**) كما وقع للأنصاري المتقدم ذكره. (**نعم الغازي**) في سبيل الله (**إذا همّ بالخروج**) من محله بنيّة الغزو (**فاستعد**) وتهيأ (**وشد الرحل**) والركائب (**قبل القوم تحريضاً على الحركة**) والنهوض (**فذلك أفضل له لأن الغزو في نفسه من أعمال العلانية لا يمكن إسراره**) أي إخفاؤه، (**والمبادرة إليه ليس من الإعلان بل هو تحريض مجرد، وكذلك الرجل قد يرتفع صوته في صلاة الليل**) أي التي يصليها بعد هجعه (**لينبه جيرانه وأهله فيقتدي به**) في فعله، (**فكل عمل لا يمكن إسراره كالحج والجهاد والجمعة فالأفضل المبادرة إليه وإظهار الرغبة فيه للتحريض**) على الانتفاع به، فمن كان ممن يستن به عالماً بما لله

شوائب الرياء ، وأما ما يمكن إسراره كالصدقة والصلاة فإن كان إظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لأن الإيذاء حرام . فإن لم يكن فيه إيذاء فقد اختلف الناس في الأفضل فقال قوم : « السر أفضل من العلانية وإن كان في العلانية قدوة ، وقال قوم : السر أفضل من علانية لا قدوة فيها ، أما العلانية للقدوة فأفضل من السر . ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر الأنبياء بإظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوّة ، ولا يجوز أن يظن بهم أنهم حرموا أفضل العملين . ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام : « له أجرها وأجر من عمل بها » وقد روي في الحديث : « إن عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفاً ويضاعف عمل العلانية إذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفاً » ، وهذا لا وجه للخلاف فيه فإنه مهما انفك القلب

عليه قاهراً لشيطانه استوى ما ظهر من عمله وما خفي لصحة قصده جاز له الإظهار والمبادرة ، وإليه الإشارة بقوله : (**بشرط أن لا يكون فيه شوائب الرياء**) وإلاّ فالافضل الإخفاء مطلقـاً . صرح به العز بن عبد السلام في قواعده . (**وأما ما يمكن إسراره**) أي اخفاؤه (**كالصدقة والصلاة فإن كان إظهار الصدقة يؤذي المتصدق عليه ويرغب الناس في الصدقة فالسر أفضل لأن الايذاء حرم**) فيغلب جانبه على جانب الترغيب عند التعارض . (**وإن لم يكن فيه إيذاء فقد اختلف الناس في الأفضل فقال قوم: السر أفضل من العلانية**)ومعه يكون تكفير السيئات (**وإن كان في العلانية قدوة**) لأمثاله ، (**وقال قوم: السر أفضل من علانية لا قدوة فيها ، أما العلانية للقدرة**) أي لأجل أن يقتدى به ويستشرف له أمثاله (**فأفضل من السر . ويدل على ذلك أن الله عز وجل أمر أنبياءه**) عليهم السلام (**بالإظهار للعمل للاقتداء**) بهم (**وخصهم بمنصب النبوّة**) واجتباهم به ، (**ولا يجوز أن نظن بهم أنهم حرموا أفضل العملين . ويدل عليه قوله** ﷺ) في الحديث السابق « من سنّ سنّة حسنة (**فله أجرها وأجر من عمل بها**) من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً » . (**وقد روي في بعض الحديث «أن عمل السر يضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفاً ويضاعف عمل العلانية إذا استن بعامله على عمل السر بسبعين ضعفاً**) قال العراقي : رواه البيهقي في الشعب من حديث أبي الدرداء مقتصراً على الشطر الأول بنحوه . وقال : هذا من إفراد بقية عن شيوخه المجهولين ، وقد تقدم قبل هذا قريباً ، وله من حديث ابن عمر « عمل السر أفضل من عمل العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الإقتداء » وقال : تفرد به عن بقية عن عبد الملك بن مهران ، وله من حديث عائشة « يفضل أو يضاعف الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة على ما تسمعه بسبعين ضعفاً » وقال : تفرد به معاوية بن يحي الصدقي وهو ضعيف اهـ .

قلت : أما حديث أبي الدرداء ، فلفظه عند الديلمي في مسند الفردوس : « ان الرجل ليعمل عملاً سراً فيكتبه الله عنده سراً فلا يزال الشيطان حتى يتكلم به فيمحى من

عن شوائب الرياء وتم الإخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدى به أفضل لا محالة، وإنما يخاف من ظهور الرياء، ومهما حصلت شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به، فلا خلاف في أن السر أفضل منه. ولكن على من يظهر العمل وظيفتان:

إحداهما: أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به أو يظن ذلك ظناً، ورب رجل يقتدي به أهله دون جيرانه، وربما يقتدي به جيرانه دون أهل السوق، وربما يقتدي به أهل محلته، وإنما العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة فغير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الإظهار من غير فائدة، وإنما يصح الإظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به.

السر فيكتب علانية، فإن عاد فتكلم الثانية محى عن السر والعلانية وكتبه رياء» ولفظه عند البيهقي «إن الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به في السر يضعف أجره سبعين ضعفاً» هذا أوله، والباقي كسياق الديلمي. وقد تقدمت الإشارة إليه في بيان فهم الرياء في أول الشطر الثاني من هذا الكتاب. وأما حدث عائشة : رواه كذلك ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص وتقدمت الإشارة إليه. وأما حديث ابن عمر، فقد رواه كذلك الديلمي في مسند الفردوس ولفظه «السر أفضل من العلانية ولمن أراد الاقتداء العلانية أفضل من السر» وفيه محمد بن الحسين السلمي. قال الذهبي، قال الخطيب، قال محمد بن القطان: كان يضع للصوفية الحديث، وبقية قال الذهبي صدوق، ولكنه يروي عمن دبّ ودرج فكثرت العجائب والمناكير في حديثه، وعثمان بن زائدة أورده الذهبي في الضعفاء وقال: له حديث منكر، وفي اللسان عثمان بن زائدة عن نافع عن ابن عمر حديثه غير محفوظ قاله العقيلي وساق له هذا الخبر.

(وهذا لا وجه للخلاف فيه فإنه مهما انفك القلب عن شوائب الرياء) وسلم منه **(وتم الإخلاص على وجه واحد في الحالتين فما يقتدي به أفضل لا محالة، وإنما يخاف من ظهور الرياء. ومهما حصل شائبة الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به؛ فلا خلاف في أن السر أفضل منه، ولكن على من يظهر العمل وظيفتان.**

إحاهما: أن يظهره حيث يعلم أنه يقتدى به) علماً حاصلاً له به في الحال **(أو يظن ذلك ظناً)** ففي الحالتين الاظهار، **(وربما يقتدي به أهل محلته)** فقط، **(وإنما العالم المعروف هو الذي يقتدي به الناس كافة)** في بلده ومن الواردين عليه **(فغير العالم إذا أظهر بعض الطاعات ربما نسب إلى الرياء والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الإظهار من غير فائدة، وإنما يصح الإظهار بنية القدوة ممن هو في محل القدوة على من هو في محل الاقتداء به)**.

والثانية: أن يراقب قلبه فإنه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي فيدعوه إلى الإظهار بعذر الاقتداء، وإنما شهوته التجمل بالعمل وبكونه يقتدى به، وهذا حال كل من يظهر أعماله إلا الأقوياء المخلصين وقليل ما هم. فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر، فإن الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر إلى جماعة من الغرقى فرحمهم فأقبل عليهم حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك، والغرق بالماء في الدنيا ألمه ساعة وليت كان الهلاك بالرياء مثله، لا بل عذابه دائم مدّة مديدة، وهذه مزلة أقدام العباد والعلماء فإنهم يتشبهون بالأقوياء في الإظهار ولا تقوى قلوبهم على الإخلاص فتحبط أجورهم بالرياء، والتفطن لذلك غامض، ومحك ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو قيل له أخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من أقرانك ويكون لك في السر مثل أجر الإعلان. فإن مال قلبه إلى أن يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير، فإنهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد توفر عليه مع إسراره، فما بال قلبه يميل إلى الإظهار لولا ملاحظته لأعين الخلق ومراءاتهم؟ فليحذر العبد خدع النفس فإن النفس خدوع

(**الثانية: أن يراقب قلبه في أنه ربما يكون فيه حب الرياء الخفي**) المستكن في الضمير (**فيدعوه إلى الإظهار بعذر الاقتداء**) أي يقول: إنما أظهره ليقتدي بي الناس وهذا عذري، (**وإنما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به**) فيحتاج إلى المراقبة في ذلك، فإن وجد في نفسه شيئاً من ذلك لم يجز له الإظهار أصلاً. (**وهذا حال كل من يظهر أعماله**) فإنه لا يخلو من حب الرياء الخفي (**إلا الأقوياء المخلصين**) الذين يتوقون من ذلك (**وقليل ما هم. فلا ينبغي أن يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر**) بهلاكه، (**فإن الضعيف مثاله مثال الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر إلى جماعة غرقى**) مثله (**فرحمهم**) فأشفق لهم (**فأقبل عليهم حتى تشبثوا به**) فهلكوا وهلك معهم، (**والغرق بالماء في الدنيا ألمه ساعة**) ثم يرتاح (**وليت كان الهلاك بالرياء مثله، لا بل عذابه دائم**) مقيم (**مدة مديدة**) أي طويلة، (**وهذه مزلة أقدام العباد والعلماء فإنهم يتشبهون بالأقوياء في الإظهار ولا تقوى قلوبهم على الإخلاص فتحبط أجورهم بالرياء**) فيهلكون، (**والتفطن لذلك غامض**) أي خفي المدرك، (**ومحل ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من أقرانك**) وأمثالك (**ويكون لك في السر مثل أجر الإعلان. فإن مال قلبه إلى أن يكون هو المقتدى به**) دون غيره (**وهو المظهر للعمل فباعثه الرياء دون طلب الأجر واقتداء الناس به ورغبتهم في الخير، فإنهم قد رغبوا في الخير بالنظر إلى غيره وأجره قد توفر عليه مع إسراره**) أي إخفائه، (**فما بال قلبه يميل إلى الإظهار لولا ملاحظته لأعين**

والشيطان مترصد وحب الجاه على القلب غالب ، وقلما تسلم الأعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيئاً والسلامة في الإخفاء ، وفي الإظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالنا ، فالحذر من الإظهار أولى بنا وبجميع الضعفاء .

القسم الثاني: أن يتحدّث بما فعله بعد الفراغ ، وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشدّ لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان ، وقد تجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في إظهار الدعاوي عظيمة ، إلا أنه لو تطرق إليه الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها ، فهو من هذا الوجه أهون ، والحكم فيه أن من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عند مدحهم وذمهم ، وذكر ذلك عند من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز ، بل هو مندوب إليه إن صفت النية وسلمت عن جميع الآفات ، لأنه ترغيب في الخير ، والترغيب في الخير خير ، وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأقوياء . قال سعيد بن معاذ : ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي بغيرها ، ولا تبعث جنازة فحدّثت نفسي بغير ما هي قائلة

الخلق ومراءاتهم؟ فليحذر العبد خدع النفس) ومكرياتها **(فإن النفس خدوع والشيطان)** طلاّع **(مترصد)** لأن يوقعك **(وحب الجاه على القلب غالب ، وقلما تسلم الأعمال الظاهرة من الآفات فلا ينبغي أن يعدل بالسلامة شيئاً)** فإنها غنيمة الأكياس **(والسلامة في الإخفاء)** محققة **(وفي الإظهار من الأخطار ما لا يقوى عليه أمثالنا ، فالحذر من الإظهار أولى بنا بجميع الضعفاء أمثالنا)** .

(القسم الثاني : أن يحدث بما فعله بعد الفراغ ، وحكمه حكم إظهار العمل نفسه والخطر في هذا أشد لأن مؤنة النطق خفيفة على اللسان ، وقد يجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في إظهار الدعاوي) الكاذبة **(عظيمة ، إلا أنه لو تطرق إليه الرياء لم يؤثر في إفساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها ، فهو)** من هذا الوجه **(أهون والحكم فيه أن من قوي قلبه)** بنور الذكر **(وتم إخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم)** له **(وذمهم)** كذلك ، **(وذكر ذلك من يرجو الاقتداء به والرغبة في الخير ، بسببه فهو جائز بل مندوب إليه إن صفت النية وسلمت عن جميع الآفات ، لأنه ترغيب في الخير ، والترغيب في الخير خير ، وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من السلف الأقوياء)** . قال أبو عمرو **(سعيد بن معاذ)** بن النعمان الأنصاري الأشهلي سيد الأوس شهيد بدر استشهد بسهم أصابه في الخندق روى له البخاري : **(ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي بغيرها ، ولا تبعث جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها ، وما سمعت رسول الله ﷺ يقول قولاً قط إلا**

وما هو مقول لها، وما سمعت النبي ﷺ يقول قولاً قط إلا علمت أنه حق. وقال عمر رضي الله عنه: ما أبالي أصبحت على عسر أو يسر لأني لا أدري أيهما خير لي؟ وقال ابن مسعود: ما أصبحت على حال فتمنيت أن أكون على غيرها. وقال عثمان رضي الله عنه: ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ، وقال شداد بن أوس: ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أزمها وأخطمها، غير هذه! وكان قد قال لغلامه: ائتنا بالسفرة لنعبث بها حتى ندرك الغذاء. وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الموت: لا تبكوا عليّ فإني ما أحدثت ذنباً منذ أسلمت. وقال عمر بن عبد العزيز

علمت أنه حق. وقال عمر رضي الله عنه: **(ما أبالي أصبحت على يسر أو على عسر لأني لا أدري أيهما خير لي)** أخرجه الإسماعيلي في مناقبه. **(وقال ابن مسعود)** رضي الله عنه: ما أصبحت على حالة فتمنيت أن أكون على غيرها. وقال عثمان) رضي الله عنه: **(ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ)**. قال العراقي: رواه أبو يعلى الموصلي في معجمه بإسناد ضعيف من روايته عنه في أثناء حديث: وأن عثمان قال يا رسول الله فذكره بلفظ: منذ بايعتك قال «هو ذاك يا عثمان» اهـ.

قلت رواه وكيع عن الصلت، عن عقبة بن صهبان أنه سمع عثمان يقول: ما تمنيت ولا تغنيت ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت رسول الله ﷺ، وقد تقدم في كتاب الوجد والسماع. **(وقال شداد بن أوس)** رضي الله عنه: **(ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت أزمها وأخطمها)** يقال: زم ناقته خطمها إذا حبسها بزمام أو خطام، **(غير هذه! وكان قد قال لغلامه: ائتنا بالسفرة لنعبث بها حتى ندرك الغذاء)** أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت من طريقين.

إحداهما: قال فيها حدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن عمران بن أبي ليلى، حدثنا عيسى بن يونس، عن الإوزاعي حسان بن عطية قال: كان شداد بن أوس في سفر فنزل منزلاً فقال لغلامه: ائتنا بالسفرة نعبث بها فأنكرت عليه. فقال: ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها إلا كلمتي هذه فلا تحفظوها عليّ.

والثانية: قال فيها حدثنا أحمد بن جميل، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا السري بن يحيى، عن ثابت البناني قال: قال شداد بن أوس لغلامه: ائتنا بسفرتنا نعبث ببعض ما فيها. فقال له رجل من صحابه: ما سمعت منك كلمة منذ صاحبتك أرى أن يكون فيها شيء من هذه. قال: صدقت ما كلمت بكلمة منذ بايعت رسول الله ﷺ إلا أزمها وأخطمها إلا هذه. وأيم الله لا تذهب مني هكذا فجعل يسبح ويكبر ويحمد [illegible] عز وجل.

(وقال أبو سفيان) بن الحرث بن عبد المطلب الهاشمي رضي الله عنه ابن عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة أرضعتهما حليمة **(لأهله حين حضره الموت: لا تبكوا علي فإني ما أحدثت ذنباً**

رحمه الله تعالى: ما قضى الله فيّ بقضاء قط فسرني أن يكون قضى لي بغيره، وما أصبح لي هوى إلا في مواقع قدر الله.

فهذا كله إظهار لأحوال شريفة، وفيها غاية المراءاة إذا صدرت ممن يرائي بها. وفيها غاية الترغيب إذا صدرت ممن يقتدى به. فذلك على قصد الاقتداء جائز للأقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي أن يسدّ باب إظهار الأعمال والطباع مجبولة على حب التشبه والاقتداء، بل إظهار المرائي للعبادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي. فكم من مخلص كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله؟ وقد روي أنه كان يجتاز الإنسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات المصلين بالقرآن من البيوت، فصنف بعضهم كتاباً في دقائق الرياء فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه، فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف! فإظهار المرائي فيه خير كثير لغيره إذا لم يعرف رياؤه. وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم،

منذ أسلمت) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، وسيأتي في آخر الكتاب. وكان إسلامه يوم فتح مكة، ثم شهد حنيناً وكان ممن ثبت معه، وكان آخذاً بركاب البغلة، ومات سنة خمس عشرة في خلافة عمر، وقيل: سنة عشرين، وقيل: انه لم يرفع رأسه إلى رسول الله ﷺ حياء منه. **(وقال عمر بن عبد العزيز)** الأموي رحمه الله تعالى: **(ما قضى الله تعالى لي بقضاء قط فسرني أن يكون قضى لي بغيره وما أصبح لي هوى إلا في مواقع قدر الله)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(فهذا كله إظهار لأحوال شريفة، وفيها غاية المراءاة إذا صدرت ممن يرائي بها، وفيها غاية الترغيب إذا صدرت ممن يقتدى به. فذلك على قصد الاقتداء جائز للأقوياء) القادرين على أنفسهم المخلصين في قصودهم **(بالشروط التي ذكرناها، فلا ينبغي أن يسد باب إظهار الأعمال)** على مظهريها **(والطباع مجبولة على حب التشبه والاقتداء)** بذوي الصلاح في أعمالهم وكيفية سلوكهم وآدابهم. **(بل إظهار المرائي للعبادة إذا لم يعلم الناس أنه رياء فيه خير كثير الناس ولكنه شر للمرائي، فكم من مخلص كان سبب إخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله؟ وقد روي أنه كان يجتاز)** أي يمر **(الإنسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع أصوات المصلين بالقرآن من البيوت)** وكان المراد به صلاة الليل، فقوله عند الصبح أي بالقرب من طلوعه. **(فصنف بعضهم كتاباً في)** التصوّف وذكر فيه جملة من **(دقائق الرياء)** وخفاياها فطالعوه وسمعوه **(فتركوا ذلك)** خوفاً من أن يدخل فيه الرياء الخفي **(وترك الناس الرغبة فيه، فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف)**! نقله صاحب القوت **(وإظهار المرائي فيه خير كثيراً لغيره إذا لم يعرف رياؤه. فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**

كما ورد في الأخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم، والله تعالى أعلم.

بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له:

اعلم أن الأصل في الإخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه لرجل: عليك بعمل العلانية، قال: يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية؟ قال: ما إذا اطلع عليك لم تستحـي منه. وقال أبو مسلم الخولاني: ما عملت عملاً أبالي أن يطلع الناس عليه إلا أتياني أهلي والبول والغائط، إلا أن هذه درجة عظيمة لا ينالها كل أحد. ولا يخلو الإنسان عن ذنوب بقلبه أو بجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات والأماني، والله مطلع على جميع ذلك فإرادة العبد لإخفائها

وبأقوام لا خلاق لهم كما ورد) ذلك (**في الأخبار، وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم**).
قال العراقي: هما حديثان، فالأول عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم في العلم، والثاني رواه النسائي من حديث أنس بسند صحيح وقد تقدم أيضاً اهـ).

(قلت: روى الطبراني من حديث عمرو بن النعمان بن مقرن «إن الله تعالى ليؤيد الدين بالرجل الفاجر» وروى ابن النجار من حديث كعب بن مالك «إن الله ليؤيد الدين بقوم لا خلاق لهم» وروى الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو «إن الله عز وجل ليؤيد الإسلام برجال ما هم من أهله» وقد تقدم الكلام عليه.

(بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم:

(اعلم) ارشدك الله **(أن الأصل في الإخلاص استواء السريرة والعلانية كما قال عمر رضي الله عنه لرجل: عليك بعمل العلانية، قال: يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية؟ قال: ما إذا اطلع عليك لم تستحي منه)** أخرجه الإسماعيلي في مناقبه، وبه فسر مالك رحمه الله تعالى قوله ﷺ «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» أي إذا كنت في أمورك آمنا من الحياء في فعلها لكونها على القانون الشرعي الذي لا يستحي منه أهله فاصنع ما شئت، ولا عليك من متكبر يلومك ولا من متصلف يستعتبك فإن ما أباحه الشرع لا حياء في فعله. **(وقال أبو مسلم)** عبد الله بن ثوب **(الخولاني)** الزاهد الشامي التابعي رحمه الله تعالى: **(ما عملت عملاً أبالي أن يطلع الناس عليه الا إتياني أهلي والبول والغائط)** أي: فهذان العملان مما يستحيا منهما إذا اطلع عليهما الناس. **(إلا أن هذه درجة عظيمة لا ينالها كل أحد ولا يخلو الإنسان عن ذنوب بقلبه وبجوارحه)** الظاهرة **(وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر من الشهوات والأماني، والله مطلع على جميع ذلك فإرادة العبد لإخفائها عن العبيد بما يظن أنه**

عن العبيد ربما يظن أنه رياء محظور وليس كذلك بل المحظور أنه يستر ذلك ليرى الناس أنه ورع خائف من الله تعالى مع أنه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي.

وأما الصادق الذي لا يرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده فيه، ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية أوجه:

الأول: أن يفرح بستر الله عليه، وإذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف أن يهتك ستره في القيامة، إذ ورد في الخبر: «أن من ستر الله عليه في الدنيا ذنباً ستره الله عليه في الآخرة». وهذا غم ينشأ من قوّة الإيمان.

الثاني: أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال ﷺ: «من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله». فهو وإن عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه عن محبة ما أحبه الله. وهذا ينشأ من قوّة الإيمان بكراهة الله لظهور المعاصي، وأثر الصدق فيه أن يكره ظهور الذنب من غيره أيضاً ويغتم بسببه.

الثالث: أن يكره ذم الناس له به من حيث أن ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله تعالى، فإن الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشتغل عن الطاعة، وبهذه العلة

محظور وليس كذلك بل المحظور أن يستر ذلك) عنهم **(ليرى الناس أنه ورع)** وانه متق **(وأنه خائف من الله مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي)**.

(وأما الصادق الذي لا يرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده فيه، ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية أوجه).

الوجه **(الأول: هو أن يفرح بستر الله عليه، وإذا افتضح اغتم بهتك الله ستره)** في الدنيا **(وخاف أن يهتك ستره في القيامة، إذ ورد في الخبر «ان من ستر عليه في الدنيا يستر عليه في الآخرة»)** تقدم قريباً من رواية مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «ما ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر عليه في الآخرة». **(وهذا غم ينشأ من قوّة الإيمان)**

الوجه **(الثاني: أنه قد علم أن الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها، كما قال ﷺ «من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله»)** رواه الحاكم في المستدرك وقد تقدم، فهو وإن عصى الله بالذنب فلم يخل قلبه من محبة ما أحبه الله، وهذا ينشأ من قوّة الإيمان بكراهة ظهور المعاصي، وأثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره أيضاً ويغتم بسببه).

الوجه **(الثالث: أن يكره ذم الناس له من حيث أن ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله من طاعة الله، فإن الطبع يتأذى بالذم وينازع العقل ويشتغل عن الطاعة، ولهذه العلة أيضاً**

أيضاً ينبغي أن يكره الحمد الذي يشغله عن ذكر الله تعالى ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر. وهذا أيضاً من قوّة الإيمان إذ صدق الرغبة في فراغ القلب لأجل الطاعة من الإيمان.

الرابع: أن يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه، فإن الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن، وخوف تألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الإنسان به عاص وإنما يعصي إذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته إلى ما لا يجوز حذراً من ذمهم، وليس يجب على الإنسان أن لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به، نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه أن الضار والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون، وذلك قليل جداً، وأكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان، ورب تألم بالذم محمود إذا كان الذام من أهل البصيرة في الدين فإنهم شهداء الله، وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان في الدين فكيف لا يغتم به؟ نعم. الغم المذموم هو أن يغتم لفوات الحمد بالورع، كأنه يحب أن يحمد بالورع، ولا يجوز أن

ينبغي أن يكره الحمد الذي يشغله عن الله تعالى ويستغرق قلبه) بأن يغمره كله **(ويصرفه عن ذكر الله، وهذا أيضاً من قوّة الإيمان إذ صدق الرغبة في فراغ القلب لأجل الطاعة)** حتى لا يكون فيه شاغل سواها **(من الإيمان)**.

الوجه **(الرابع: أن يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه، فإن الذم مؤلم للقلب كما أن الضرب مؤلم للبدن، وخوف تألم الذنب ليس بحرام ولا الإنسان به عاص وإنما يعصي به إذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته إلى ما لا يجوز)** ارتكابه **(حذراً من ذمهم، وليس يجب على الإنسان أن لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به. (نعم كمال الصدق في أن تزول عنه رؤيته للخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه)** أي يكون عنده حامده وذامه في الخلق سواء، كما قال ابن مسعود: لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذورته ولا يحل بذورته حتى يكون حامده وذامه عنده سواء. رواه صاحب الحلية. **(لعلمه أن الضار والنافع هو الله وأن العباد كلهم عاجزون، و)** و) وجود **(ذلك قليل جداً)** لعزة هذا المقام، **(وأكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان، ورب متألم بالذم محمود إن كان الذام من أهل البصيرة في الدين فإنهم شهداء الله)** في الأرض. وروى الطبراني من حديث سلمة بن الاكوع: أنتم شهداء الله في الارض والملائكة شهداء الله في السماء، **(وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصانه في الدين فكيف لا يغتم به؟ نعم الغم المذموم هو أن يغتم لفوات الحمد بالورع، كأنه يحب أن يحمد بالورع، ولا يجوز أن يحب أن يحمد بطاعة الله، فيكون**

يحب أن يحمد بطاعة الله، فيكون قد طلب بطاعة الله ثواباً من غيره، فإن وجد ذلك في نفسه وجب عليه أن يقابله بالكراهة والرد.

وأما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذراً من ذلك، ويتصوّر أن يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم. وإنما مراده أن يتركه الناس حمداً وذماً، فكم من صابر عن لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم؟ إذ الحمد يطلب اللذة، وعدم اللذة لا يؤلم، وأما الذم فإنه مؤلم؛ فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال، وأما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه إلا أمر واحد وهو أن يشغله غمه باطلاع الناس على ذنبه عن اطلاع الله فإن ذلك غاية النقصان في الدين، بل ينبغي أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر.

الخامس: أن يكره الذم من حيث أن الذام قد عصى الله تعالى به وهذا من الإيمان، وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضاً فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع.

السادس: أن يستر ذلك كيلا يقصد بشر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم الذم، فإن

قد طلب بطاعة الله ثواباً من غيره، فإن وجد ذلك في نفسه وجب عليه أن يقابله بالكراهة والرد).

(أما كراهة الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر حذراً من ذلك، ويتصوّر أن يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم، وإنما مراده أن يتركه الناس حمداً وذماً، فكم من صابر على لذة الحمد لا يصبر على ألم الذم؟ إذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم، وأما الذم فإنه مؤلم؛ فحب الحمد على الطاعة طلب ثواب على الطاعة في الحال، وأما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه لأمر واحد وهو أن يشغله غمه عنه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله فإن ذلك غاية النقصان في الدين، بل ينبغي أن يكون غمه باطلاع الله وذمه له أكثر) لأن شغله باطلاع الخلق لا يزيده إلا غماً بخلاف شغله باطلاع الله فإنه يزيده رهبة ويجره إلى توبة.

(الخامس: أن يكره الذم من حيث أن الذم قد عصى الله به وهذا من الإيمان، وعلامته أن يكره ذمه لغيره أيضاً فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من جهة الطبع) فإنه يتوجع لنفسه أكثر من غيره.

الوجه **(السادس: أن يستر ذلك كيلا يقصد بشر إذا عرف ذنبه وهذا وراء ألم الذم،**

الذم مؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه و خسته وإن كـان ممن يؤمن شره، وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب، فله أن يستر ذلك حذراً منه.

السابع: مجرد الحياء فإنه نوع ألم وراء ألم الذم والقصد بالشر، وهو خلق كريم يحدث في أوّل الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحيي من القبائح إذا شوهدت منه وهو وصف محمود إذ قال رسول الله ﷺ: «الحياء خير كله». وقال ﷺ: «الحياء شعبة من

فإن الذم يؤلم من حيث يشعر القلب بنقصانه وخسته، وإن كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الأسباب فله أن يستر ذلك حذراً منه).

الوجه (**السابع: مجرد الحياء فإنه نوع ألم وراء ألم الذم والقصد بالشر، وهو خلق كريم يحدث في أول الصبا مهما أشرق عليه نور العقل فيستحيي من القبائح إذا شوهدت منه**) والاستحياء استفعال من الحياء والحياء من قوّة الحس ولطفه وقوّة الحياء (**وهو وصف محمود**) واختلف فيه، وأشهر الأقوال أنه تغير وانكسار يعرض للانسان من تخوف ما يعاب به أو يذم عليه. (**قال ﷺ: «الحياء خير كله»**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث عمران بن حصين وقد تقدم.

قلـت: وكذلك رواه أحمد، وأبو داود. وإنما كان خيراً كله لأن مبدأه انكسار يلحق الانسان مخافة نسبته إلى القبيح ونهايته ترك القبيح وكلاهما خير، ومن ثمراته مشهد النعمة والإحسان، فإن الكريم لا يقابل بالإساءة من أحسن، وإنما يفعله اللئيم فيمنعه مشهد إحسانه إليه، ونعمته عليه من عصيانه حياء منه أن يكون خيره وإنعامه نازلاً عليه ومخالفته صاعدة إليه، فملك ينزل بهذا وملك يعرج بهذا فاقبح به من مقابلة.

(**وقال ﷺ «الحياء شعبة من الإيمـان»**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

قلـت: وروى أحمد، وابن منيع، والترمذي وقال: حسن غريب، والحاكم، والضياء من حديث أبي أمامة «الحياء والعيّ شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق» وفي لفظ آخر «الحياء من الإيمان» رواه مسلم، والترمذي، وابن ماجه من طريق سفيان بن عيينة، والبخاري، وأبو داود، والنسائي من طريق مالك ومسلم وحده من طريق معمر ثلاثتهم عن الزهري عن سالم عن أبيه انه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يعظ أخاه في الحياء فقال «الحياء من الإيمان». وفي رواية وقال «دعه فإن الحياء من الإيمان». وقد انفرد الشيخان بهذه اللفظة. ورواه أبو يعلى من حديث عبد الله بن سلام. ورواه ابن عساكر، وابن النجار من حديث أبي بكرة. ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة. وفي لفظ «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة» رواه الطبراني، والبيهقي من حديث عمران بن حصين. ورواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح، وابن حبان، والحاكم من حديث أبي هريرة. ورواه البخاري في الأدب، والطبراني، والحاكم، والبيهقي من حديث أبي بكرة. ورواه

الإيمان ». وقال ﷺ : « الحياء لا يأتي إلا بخير ». وقال ﷺ : « إن الله يحب الحيّ الحليم » فالذي يفسق ولا يبالي أن يظهر فسقه للناس جمع إلى الفسق التهتك والوقاحة وفقد الحياء، فهو أشد حالاً ممن يستتر ويستحي، إلا أن الحياء ممتزج بالرياء ومشتبه به اشتباهاً عظيماً قل من يتفطن له، ويدعي كل مراء أنه مستحي وأن سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس، وذلك كذب، بل الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقيبه داعية الرياء وداعية الإخلاص، ويتصوّر أن يخلص معه ويتصوّر أن يرائي معه.

وبيانه أن الرجل يطلب من صديق له قرضاً ونفسه لا تسخو بإقراضه إلا أنه يستحي من رده، وعلم أنه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء ولا

الشيرازي في الألقاب، والطبراني في الأوسط من حديث عمـران بن حصين، وأبي بكر معاً. وفي لفظ « الحياء شعبة من شعب الايمان ولا إيمان لمن لا حياء له » رواه ابن لال في مكارم الأخلاق عن مجمع بن حارثة عن عمه.

(**قال ﷺ « الحياء لا يأتي إلا بخير »**) لأن من استحيا من الناس أن يروه يأتي بقبيح دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربه أشد فلا يضيع فريضته ولا يرتكب خطيئته. قال العراقي: متفق عليه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم. قلت: ورواه كذلك أحمد.

(**وقال ﷺ : « إن الله يحب الحيي الحليم »**) أي صاحب الحياء والحلم. قال العراقي: رواه الطبراني من حديث فاطمة، وللبزار من حديث أبي هريرة « إن الله يحب الغني الحليم المتعفف »وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه اهـ.

قلـت: وروى ابن صصري في أماليه من حديث أبي هريرة « إن الله يحب الحيي الحليم العفيف المتعفف من عباده، ويبغض الفاحش البذيء السائل الملحف » وروى أحمد، ومسلم، والعسكري في الأمثال من حديث سعد « إن الله عز وجل يحب العبد التقي الغني الخفي ».

(**فالذي يفسق ولا يبالي بأن يظهر فسقه للناس جمع إلى الفسق التهتك والوقاحة**) أي صلابة الوجه (**وفقد الحياء، فهو أشد حالاً ممن يستتر ويستحي، إلا أن الحياء ممزوج بالرياء ومشتبه به اشتباهاً عظيماً قلّ من يتفطن له ويدعي كل مراء انه مستحي، وأن سبب تحسينه العبادات هو الحياء من الناس وذلك كذب، بلّ الحياء خلق ينبعث من الطبع الكريم**). ونقل القشيري في الرسالة، عن الجنيد رحمه الله تعالى قال: الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير فتولد بينهما حالة تسمى الحياء. (**ويهيج عقيبهٌ داعية الرياء وداعية الاخلاص ويتصوّر أن يخلص معه ويتصوّر أن يرائي معه.**

وبيانه: أن الرجل يطلب من صديق له قرضاً ونفسه لا تسخو بإقراضه إلا أن يستحي من رده) بلا اعطاء، (**وعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحي ولا يقرض رياء**

لطلب الثواب، فله عند ذلك أحوال؛ إحداها: أن يشافه بالرد الصريح ولا يبالي فينسب إلى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له. فإن المستحي إما أن يتعلل أو يقرض. فإن أعطى فيتصوّر له ثلاثة أحـوال:

إحداها: أن يمزج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيقبح عنده الرد، فيهيج خاطر الرياء ويقول: ينبغي أن تعطي حتى يثني عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء، أو ينبغي أن تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك إلى البخل، فإذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء.

الثانية: أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الإعطاء، فيهيج داعي الإخلاص ويقول له: إن الصدقة بواحدة والقرض بثمان عشرة ففيه أجر عظيم وإدخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى، فتسخو النفس بالإعطاء لذلك، فهذا مخلص هيج الحياء إخلاصه.

الثالثة: أن لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمدته، لأنه لو طلبه مراسله لكان لا يعطيه فأعطاه بمحض الحياء، وهو ما يجده في قلبه من ألم

ولا لطلب الثواب فله عند ذلك أحوال احداها أن يشـافه) أي يواجه (**بالرد الصريح ولا يبالي فينسب إلى قلة الحياء وهذا فعل من لا حياء له، فإن المستحي)** لا يخلو (**إما أن يتعلل)** أي يعتذر ويتعلق بذكر علة مانعة له من الإقراض، (**أو يقرض)** في الحال، (**فإن أعطي فيتصوّر له ثلاثة أحوال)**.

(**أحداها: أن يمتزج الرياء بالحياء بأن يهيج الحياء فيقبح عنده الرد، فيهيج خاطر الرياء ويقول: ينبغي أن تعطي حتى يثنى عليك ويحمدك وينشر اسمك بالسخاء، أو ينبغي أن تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك إلى البخل، فإذا أعطى فقد أعطى بالرياء وكان المحرك للرياء هو هيجان الحياء)**.

الحالة (**الثانية: أن يتعذر عليه الرد بالحياء ويبقى في نفسه البخل فيتعذر الإعطاء، فيهيج باعث الإخلاص ويقول: إن الصدقة بواحدة والقرض بثمانية عشر)** كما ورد ذلك في الخبر، (**ففيه أجر عظيم وإدخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى، فتسخو النفس بالإعطاء لذلك، فهذا مخلص هيج الحياء إخلاصه)**.

الحالة (**الثالثة: أن لا تكون له رغبة في الثواب ولا خوف من مذمته ولا حب لمحمـدتـه، لأنه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فإعطاؤه بمحض الحياء، وهو ما يجده في قلبه من ألم**

مباحاً وقد يكون محموداً وقد يكون مذموماً . فالمحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك ، فإنه تعالى إذا أحب عبداً حببه في قلوب عباده ، والمذموم أن تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها ، فإن ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجل سوى ثواب الله. والمباح أن تحب أن يحبوك لصفات محمودة سوى الطاعات

قلت : سياق المصنف أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق منصور بن المعتمر ، عن مجاهد عن أنس بلفظ « ازهد في الدنيا يحبك الله وأما الناس فانبذ إليهم هذا فيحبوك » . ورجاله ثقات لكن في سماع مجاهد عن أنس فيه نظر ، وقد رواه الأثبات فلم يجاوزوا به مجاهداً ، وكذا روي من حديث ربعي بن خراش عن الربيع بن خيثم رفعه مرسلاً .

وأما حديث سهل بن سعد ، فرواه ابن ماجه في الزهد في سننه ، والطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية ، وابن حبان ، والحاكم في صحيحه ، والبيهقي في الشعب ، وآخرون كلهم من حديث خالد ابن عمرو القرشي ، عن الثوري ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد الساعدي قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس. فقال « ازهد » وذكره. وقال الحاكم : إنه صحيح الإسناد ، وليس كذلك فخالد مجمع على تركه بل نسب إلى الوضع ، لكن قد رواه غيره عن الثوري. وقال المنذري عقيب عزوه لابن ماجه : وقد حسن بعض مشايخنا إسناده وفيه بُعد لأنه من رواية خالد القرشي ، وقد ترك واتهم قال : على هذا الحديث لامعة من أنوار النبوّة ولا يمنع كون راويه ضعيفاً أن يكون النبي ﷺ قاله اهـ . وقد سبقه النووي في تحسينه وتبعه العراقي ، والجلال السيوطي ، وقد اختلف فيه كلام الحافظ ابن حجر ، والذي يميل إلى القلب تحسينه والله أعلم.

(فنقول : حبك لحب الناس لك قد يكون مباحاً وقد يكون محموداً وقد يكون مذموماً . فالمحمود أن تحب ذلك لتعرف به حب الله لك ، فإنه عز وجل إذا أحب عبداً حببه في قلوب عباده) . روى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس « إذا أحب الله عبداً قذف حبه في قلوب الملائكة ، وإذا أبغض عبداً قذف بغضه في قلوب الملائكة ثم يقذفه في قلوب الآدميين » وفي المتفق عليه من حديث أبي هريرة « إذا أحب الله عز وجل عبداً نادى جبريل ان الله يحب فلاناً فاحببه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض » . وعند الترمذي وقال : حسن صحيح بزيادة ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قوله تعالى : ﴿ إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ [مريم : ٩٦] .

(والمذموم أن تحب حبهم وحمدهم على حجك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها ، فإن ذلك طلب عوض على طاعة الله عاجلاً سوى ثواب الله) فذلك مذموم ، **(والمحمود أن تحب أن يحبوك لصفات محمودة)** وأخلاق حسنة **(سوى الطاعات المحبوبة المعينة ،**

المحمودة المعينة؛ فحبك ذلك كحبك المال لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض كملك الأموال فلا فرق بينهما.

بيان ترك الطاعات خوفاً من الرياء ودخول الآفات:

اعلم أن من الناس من يترك العمل خوفاً من أن يكون مرائياً به وذلك غلط وموافقة للشيطان، بل الحق فيما يترك من الأعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره، وهو أن الطاعات تنقسم إلى: ما لا لذة في عينه، كالصلاة والصوم والحج والغزو فإنها مقاساة ومجاهدات، إنما تصير لذيذة من حيث إنها توصل إلى حمد الناس، وحمد الناس لذيذ، وذلك عند اطلاع الناس عليه. وإلى: ما هو لذيذ؛ وهو أكثر ما لا يقتصر على البدن، بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتذكير والتدريس وإنفاق المال على الخلق، وغير ذلك مما تعظم الآفة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذة.

القسم الأول: الطاعات اللازمة للبدن ـ التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها ـ كالصوم والصلاة والحج، فخطرات الرياء فيها ثلاث:

إحداها: ما يدخل قبل العمل فيبعث على الإبتداء لرؤية الناس وليس معه باعث

فحبك ذلك كحبك للمال لأن ملك القلوب وسيلة إلى الأغراض كملك الأموال، فإنه كذلك وسيلة إلى الأغراض فلا فرق بينهما) حينئذ، والله الموفق.

بيان ترك الطاعات خوفاً من الرياء ودخول الآفات:

(اعلم) هداك الله **(أن من الناس من يترك العمل خوفاً أن يكون مرائياً به، وذلك)** أي ترك أصل العمل لهذا الخوف **(غلط وموافقة للشيطان)** فإن قصده من العبد ذلك **(بل الحق فيما يترك من الأعمال وما لا يترك لخوف الآفات ما نذكره)** الآن، **(وهو أن الطاعات)** بأسرها **(تنقسم إلى ما لا لذة في عينه كالصلاة والصوم والحج والغزو فإنها)** من أصلها **(مقاساة ومجاهدات)** بدنية ومالية، **(وإنما تصير لذيذة)** لعارض وهو **(من حيث أنها توصل إلى حمد الناس، وحمد الناس لذيذ، وذلك عن اطلاع الناس عليه)** فظهر أن اللذة فيها لا لعينها. **(وإلى ما هو لذيذ)** لعينه؛ **(وهو أكثر مما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافة والقضاء والولايات والحسبة وإمامة الصلاة والتذكير والتدريس وإنفاق المال على الخلق، وغير ذلك مما تعظم الآفة به لتعلقه بالخلق، ولما فيه من اللذة)**.

(القسم الأول: الطاعات اللازمة للبدن التي لا تتعلق بالغير ولا لذة في عينها ـ كالصلاة والصوم والحج، فخطرات الرياء فيها ثلاث.

احداها: ما يدخل قبل العمل فيبعث على الابتداء لرؤية الناس وليس معه باعث

الدين، فهذا مما ينبغي أن يترك لأنه معصية لا طاعة فيه. فإنه تدرع بصورة الطاعة إلى طلب المنزلة، فإن قدر الإنسان على أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها: ألا تستحين من مولاك لا تسخين بالعمل لأجله وتسخين بالعمل لأجل عباده؟ حتى يندفع باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل بالعمل.

الثانية: أن ينبعث لأجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة وأولها، فلا ينبغي أن يترك العمل لأنه وجد باعثاً دينياً، فليشرع في العمل وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحسين الأخلاص بالمعالجات التي ذكرناها من الزام النفس كراهة الرياء والإباء عن القبول.

الثالثة: أن يعقد على الإخلاص بالمعالجة ثم يطرأ الرياء ودواعيه، فينبغي أن يجاهد في الدفع ولا يترك العمل لكي يرجع إلى عقد الإخلاص ويرد نفسه إليه قهراً حتى يتمم العمل، لأن الشيطان يدعوك أولاً إلى ترك العمل، فإذا لم تجب واشتغلت فيدعوك إلى الرياء، فإذا لم تجب ودفعت بقي يقول لك: هذا العمل ليس بخالص وأنت مراء وتعبك ضائع فأي فائدة لك في عمل لا إخلاص فيه؟ حتى يحملك بذلك على ترك العمل، فإذا

الدين، فهذا مما ينبغي أن يترك لأنه معصية لا طاعة فيه. فإنه تدرع) أي تلبس (**بصورة الطاعة إلى طلب المنزلة**) في قلوب الناس. (**فإن قدر الانسان أن يدفع عن نفسه باعث الرياء ويقول لها: ألا تستحين من مولاك لا تسخين بالعمل لأجله وتسخين بالعمل لأجل عباده؟ حتى يندفع**) بذلك القول (**باعث الرياء وتسخو النفس بالعمل لله عقوبة للنفس على خاطر الرياء وكفارة له فليشتغل حينئذ بالعمل**).

(**الثانية: أن ينبعث لأجل الله ولكن يعترض الرياء مع عقد العبادة وأوّلها، فلا ينبغي أن يترك العمل**) لهذا (**لانه وجد باعثاً دينياً، فليشرع في العمل**) وليستمر عليه (**وليجاهد نفسه في دفع الرياء وتحصيل**) أصل (**الاخلاص بالمعالجة التي ذكرناها من الزام النفس كراهية الرياء والإباء عن القبول**).

(**الثالثة: أن يعقد على الإخلاص بالمعالجة ثم يطرأ الرياء ودواعيه، فينبغي أن يجاهد في الدفع**) مهما أمكنه (**ولا يترك العمل لكي يرجع إلي عقد الإخلاص ويرد نفسه إليه قهراً حتى يتمم العمل، لأن الشيطان يدعوك أوّلاً إلى ترك العمل**) من أصله. (**فإذا لم تجب**) دعاءه (**واشتغلت**) بالعمل (**فيدعوك إلى الرياء، فإن لم تجب**) دعاءه (**ودفعت**) في عمدت (**بقي يقول لك: هذا العمل ليس بخالص وأنت مراء وتعبك ضائع وأي فائدة لك في**

تركته فقد حصلت غرضه. ومثال من يترك العمل لخوفه أن يكون مرائياً كمن سلم إليه مولاه حنطة فيها زؤان وقال: خلصها من الزؤان ونقها منه تنقية بالغة، فيترك أصل العمل ويقول: أخاف أن اشتغلت به لم تخلص خلاصاً صافياً نقياً. فترك العمل من أجله هو ترك الإخلاص مع أصل العمل، فلا معنى له. ومن هذا القبيل أن يترك العمل خوفاً على الناس أن يقولوا إنه مراء فيعصون الله به. فهذا من مكايد الشيطان لأنه أوّلاً أساء الظن بالمسلمين، وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك، ثم إن كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة، وترك العمل خوفاً من قولهم إنه مراء هو عين الرياء، فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم قالوا انه مراء أو قالوا إنه مخلص؟ وأي فرق بين أن يترك العمل خوفاً من أن يقال إنه مراء، وبين أن يحسن العمل خوفاً من أن يقال انه غافل مقصر؟ بل ترك العمل أشد من ذلك، فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد الجهال، ثم كيف يطمع في أن ينخلص من الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه بل

عمل لا إخلاص فيه؟ حتى يحملك على ترك العمل) بهذه الخداعات، **(فإذا تركته فقد حصلت غرضه)** الذي هو بصدده، وهذا معنى الخبر «إن للشيطان مصائد وفخوخاً» وفي الخبر الآخر «الشيطان طلاع رصاد». **(ومثال من يترك العمل لخوفه أن يكون مرائياً كمن سلم إليه مولاه حنطة فيهازوان)** وهو حبٌّ يخالط البرّ فيكسبه الرداءة، وفيه لغات ضم الزاي مع الهمز وتركه فيكون وزن غراب، وكسر الزاي مع الواو الواحدة زوانة ويسمى السليم **(وقال: خلصها من الزوان ونقها منه تنقية بالغة فيترك أصل العمل ويقول: أخاف إن اشتغلت به لم تخلص خلاصاً صافياً نقياً فيترك العمل من أجله وهو ترك الإخلاص مع أصل العمل، فلا معنى له. ومن هذا القبيل أن يترك العلم خوفاً على الناس أن يقولوا: إنه مراء فيعصون الله)** بسبب قولهم ذلك فيكون هو الحامل لهم على الوقوع في تلك المعصية، **(فهذا من مكائد الشيطان)** وخدعه **(لأنه أوّلاً أساء الظن بالمسلمين وما كان من حقه أن يظن بهم ذلك)** فهو داخل تحت قوله تعالى ﴿إنّ بعْضَ الظن إثم﴾ [الحجرات: ١٢] **(ثم إن كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العبادة وترك العمل خوفاً من قولهم أنه مراء هو عين الرياء)** فهو منه ... من ... المطر ... الميزاب **(فلولا حبه لمحمدتهم وخوفه من مذمتهم فماله ولقولهم:** أنه مراء أو قالوا: إنه **مخلص فأي فرق بين أن يترك العمل خوفاً من أن يقال أنه مراء، وبين أن يحسن العمل خوفاً من ان يقال أنه غافل)** عن أمور الدين **(مقصر)** فيها؟ **(بل ترك العمل أشد من ذلك. فهذه كلها مكائد الشيطان** وتلبيساته **(على العباد الجهال)** الذين اختلفوا على العبادة وتركوا العلم، **(ثم كيف يطمع أن يتخلص من شرك الشيطان بأن يترك العمل والشيطان لا يخليه، بل يقول له)** ... إليه **(الآن** ... يقول

يقول له: الآن يقول الناس إنك تركت العمل ليقال انه مخلص لا يشتهي الشهرة، فيضطرك بذلك إلى أن تهرب، فإن هربت ودخلت سرباً تحت الأرض ألقي في قلبك حلاوة معرفة الناس لتزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف تتخلص منه؟ بل لا نجاة منه إلا بأن تلزم قبل معرفة آفة الرياء وهو أنه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والإباء قلبك، وتستمر مع ذلك على العمل ولا تبالي، وإن نزغ العدوّ نـازغ الطبع فإن ذلك لا ينقطع، وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة وترك الخيرات. فما دمت تجد باعثاً دينياً على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء، وألزم قلبك الحياء من الله إذا دعتك نفسك إلى أن تستبدل بحمده حمد المخلوقين، وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وإنك تريد حمدهم لمقتوك، بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل. فإن قال لك الشيطان: أنت مراء، فاعلم كذبه وخدعه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وإبائه وخوفك منه وحيائك من الله تعالى، وإن لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفاً ولم يبق باعث ديني بل تجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد، فمن شرع في العمل لله فلا بد أن يبقى معه أصل قصد الثواب.

الناس: إنك تركت العمل ليقال أنك مخلص لا تشتهي الشهرة فيضطرك) أي يلجؤك بذلك إلى أن تهرب (**من الناس، فإن هربت ودخلت سرباً**) محركة بيتاً (**تحت الأرض**) لا سقف له ويسمى الوكر (**ألقي في قلبك حلاوة معرفة الناس بتزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك، فكيف يتخلص**) من شره ومن شركه؟ (**بل لا نجاة منه إلا بأن تلزم قلبك معرفة الرياء وهو أنه ضرر في الآخرة ولا نفع فيه في الدنيا لتلزم الكراهة والإباء قلبك، وتستمر مع ذلك على العمل**) وتستمر عليه (**فلا تبالي وإن نزغ العدوّ نـازغ الطبع، فإن ذلك لا ينقطع**) ولا يدرك منتهاه، (**وترك العمل لأجل ذلك يجر إلى البطالة و**) يفضي إلى (**ترك الخيرات**) فيبقى محروماً خاسراً. (**فما دمت تجد باعثاً دينياً على العمل فلا تترك العمل وجاهد خاطر الرياء، والزم قلبك الحياء من الله إذ دعتك نفسك إلى أن تستبدل بحمده حمد المخلوقين، وهو مطلع على قلبك**) رقيب على أحوالك (**ولو أطلع الخلق على قلبك وأنت تريد حمدهم لمقتوك**) أي أبغضوك، (**بل إن قدرت على أن تزيد في العمل حياء من ربك وعقوبة لنفسك فافعل، فإن قال لك قائل؛ أو الشيطان: أنت مراء فاعلم كذبه بما تصادف في قلبك من كراهة الرياء وابائه وخوفك منه وحيائك من الله، فإن لم تجد في قلبك له كراهية ومنه خوفاً ولم يبق باعث ديني بل مجرد باعث الرياء فاترك العمل عند ذلك** وهو بعيد، **فمن شرع في العمل لله فإنه لا بدّ أن يبقى معه أصل قصد الثواب**).

فإن قلت: فقد نقل عن أقوام ترك العمل مخافة الشهرة، روي إن إبراهيم النخعي دخل عليه إنسان وهو يقرأ فاطبق المصحف وترك القراءة وقال: لا يرى هذا أنا نقرأ كل ساعة. وقال إبراهيم التيمي: إذا أعجبك الكلام فاسكت وإذا أعجبك السكوت فتكلم. وقال الحسن: إن كان أحدهم ليمر بالأذى ما يمنعه من دفعه إلا كراهة الشهرة وكان أحدهم يأتيه البكاء فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة. وقد ورد في ذلك آثار كثيرة. قلنا: هذا يعارضه ما ورد من إظهار الطاعات ممن لا يحصى، وإظهار الحسن البصري هذا الكلام في معرض الوعظ أقرب إلى خوف الشهرة من البكاء وإماطة الأذى عن الطريق ثم لم يتركه.

وبالجملة؛ ترك النوافل جائز والكلام في الأفضل. والأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء، فالأفضل أن يتمم العمل ويجتهد في الإخلاص ولا يتركه، وأرباب الأعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف، فالاقتداء ينبغي أن يكون بالأقوياء. وأما اطباق إبراهيم النخعي المصحف فيمكن أن يكون لعلمه بأنه سيحتاج إلى

(**فإن قلت: فقد نقل عن أقوام**) من السلف (**ترك العمل مخافة الشهرة**)، فمن ذلك (**روي أن إبراهيم**) بن يزيد (**النخعي**) رحمه الله تعالى (**دخل عليه إنسان**) وكان يقرأ في المصحف (**فأطبق المصحف وترك القراءة وقال: لا يرى هذا أنا نقرأ كل ساعة. وقال إبراهيم**) بن يزيد (**التيمي**) رحمه الله تعالى: (**إذا أعجبك** الكلام فاسكت، **وإذا أعجبك السكوت فتكلم**) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت، وقد تقدم في آفات اللسان. (**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**إن كان أحدهم**) أي من الذين أدركهم من السلف (**ليمر بالأذى**) في الطريق من خشبة وعذرة وحجر وشوك وغير ذلك (**ما يمنعه رفعه**) وإزالته (**إلا كراهة الشهرة**) بين الناس. (**وكان أحدهم يأتيه البكاء فيصرفه إلى الضحك مخافة الشهرة**) بين الناس. ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق هشام عن الحسن. (**وقد ورد في ذلك** آثا. كثيرة) تدل على ترك العمل مخافة الشهرة. (**قلنا: هذا يعارضه ما ورد من إظهار** ـعات ممن لا يحصى، وإظهار الحسن البصري) رحمه الله تعالى (**هذا الكلام في معرض** ـظ أقرب إلى خوف الشهرة من البكاء، وإماطة الأذى عن الطريق يقل) ويندر (**ثم لم** ـكه) أي لم يثبت عنه الترك

(**وبالجملة؛ ترك النوافل جائز والكلام في الأفضل. والأفضل إنما يقدر عليه الأقوياء دون الضعفاء، فالأفضل** أن يتمم **العمل ويجتهد في الإخلاص ولا يتركه، وأرباب الأعمال قد يعالجون أنفسهم بخلاف الأفضل لشدة الخوف**) وتمكنه منهم. (**فالاقتداء ينبغي أن يكون بالأقوياء. وأما اطباق إبراهيم النخعي المصحف يمكن أن يكون لعلمه بأنه سيحتاج**

ترك القراءة عند دخوله واستئنافه بعد خروجه للاشتغال بمكالمته، فرأى أن لا يراه في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للإشتغال به حتى يعود إليه بعد ذلك. وأما ترك دفع الأذى فذلك ممن يخاف على نفسه آفة الشهرة وإقبال الناس عليه وشغلهم إياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشبة من الطريق، فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكبر منها لا بمجرد خوف الرياء. وأما قول التيمي: إذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الحكايات وغيرها فإن ذلك يورث العجب، وكذلك العجب بالسكوت المباح محذور فهو عدول عن مباح إلى مباح حذراً من العجب. فأما الكلام الحق المندوب إليه فلم ينص عليه، على أن الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني، وإنما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات، ثم كلام الحسن في تركهم البكاء وإماطة الأذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الأفضل ولا يدركون هذه الدقائق، وإنما ذكره تخويفاً للناس من آفة الشهرة وزجراً عن طلبها.

القسم الثاني: ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الآفات والأخطار، وأعظمها الخلافة ثم القضاء ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم إنفاق المال.

إلى ترك القراءة عند دخوله واستئنافه بعد خروجه للاشتغال بمكالمته) وانجاح ما جاء لأجله،**(فرأى أن لا يراه في القراءة أبعد عن الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود إليه بعد ذلك، وأما ترك رفع الأذى فذلك مما يخاف على نفسه آفة الشهرة واقبال الناس عليه وشغلهم إياه عن عبادات هي أكبر من رفع خشبة عن الطريق، فيكون ترك ذلك للمحافظة على عبادات هي أكثر منها لا بمجرد خوف الرياء. وأما قول إبراهيم التيمي: إذا أعجبك الكلام فاسكت يجوز أن يكون قد أراد به مباحات الكلام كالفصاحة في الخطاب وغيره، فإن ذلك يورث العجب)** في النفس، **(وكذلك العجب في السكوت المباح محذور فهو عدول من مباح إلى مباح حذراً من)**الوقوع في **(العجب. فأما الكلام الحق المندوب إليه فلم ينص عليه، على أن الآفة مما تعظم في الكلام فهو واقع في القسم الثاني)** الآتي ذكره بعد هذا، **(وإنما كلامنا في العبادات الخاصة ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الآفات، ثم كلام الحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(في تركهم البكاء وإماطة الأذى لخوف الشهرة ربما كان حكاية أحوال الضعفاء الذين لا يعرفون الأفضل ولا يدركون هذه الدقائق، وإنما ذكره تخويفاً للناس من آفة الشهرة وزجراً عن طلبها.**

(القسم الثاني: ما يتعلق به الخلق وتعظم فيه الآفات والأخطار، وأعظمها الخلافة) أي

أما الخلافة والإمارة: فهي من أفضل العبادات إذا كان ذلك مع العدل والإخلاص، وقد قال النبي ﷺ: « ليوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاماً فأعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة، وقال ﷺ: « أوّل من يدخل الجنة ثلاثة: الإمام المقسط » أحدهم. وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ: « ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل » أحدهم. وقال ﷺ: « أقرب الناس مني مجلساً يوم القيامة إمام عادل »،

الولاية العامة، **(ثم القضاء)** وهي الولاية الخاصة، **(ثم التذكير)** والوعظ على العامة، **(ثم التدريس)** للعلوم الشرعية **(والفتوى، ثم إنفاق الأموال)** على الناس.

(أما الخلافة والإمارة؛ فهي من أفضل العبادات إذا كان مع العدل والإخلاص، وقال النبي ﷺ: « ليـوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاماً) قال العراقي: رواه الطبراني، والبيهقي من حديث ابن عباس وقد تقدم اهـ.

قلت: لفظها: « يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة وحد يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين عاماً » وقد رويت الجملة الأخيرة من حديث أبي هريرة بلفظ: « حد يقام في الأرض خير من قطر أربعين صباحاً » هكذا رواه ابن حبان وعند أحمد والنسائي وابن ماجه بلفظ: « حد يقام في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحاً ».

(فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عبادة ستين سنة. وقال ﷺ: « أول من يدخل الجنة ثلاثـة الإمام المقسط » أحدها). قال العراقي: رواه مسلم من حديث عياض بن حماد: « أهل الجنة ثلاث ذو سلطان مقسط » ولم أر فيه ذكر الأولية اهـ.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: « ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل » أحدهم)**. وتمام الحديث « والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين » هكذا رواه الطيالسي، وأحمد، والترمذي. وقال: حسن. وابن ماجه، والبيهقي، وروى ابن حبان صدره إلى قوله: « المظلوم » وقد تقدم في كتاب الصوم. وروى ابن أبي شيبة بلفظ: « الإمام العادل لا ترد دعوته ».

(وقال ﷺ: « أقرب الناس مني منزلاً يوم القيـامـة أمـام عـادل » رواه أبـو سعيـد الخدري) رضي الله عنه. قال العراقي: رواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب من رواية عطية العوفي وهو ضعيف عنه، وفيه أيضاً إسحاق بن إبراهيم الديباجي ضعف أيضاً اهـ.

قلت: رواه أحمد والترمذي وقال: حسن غريب، والبيهقي بلفظ: « إن أحب عباد الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلساً » وفي لفظ: « وأشدهم عذاباً إمام جائر ».

رواه أبو سعيد الخدري: فالإمارة والخلافة من أعظم العبادات، ولم يزل المتقون يتركونها ويحترزون منها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر، إذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الأمر وهو أعظم ملاذ الدنيا، فإذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعياً في حظ نفسه، ويوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته، وإن كان حقاً، ويقدم على ما يزيد في مكانته وإن كان باطلاً، وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شراً من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه. ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضي الله عنه يقول: من يأخذها بما فيها، وكيف لا وقد قال النبي ﷺ: «ما من والي عشيرة إلا جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه أطلقه عدله أو أوبقه جوره». رواه معقل بن يسار،

(فالإمارة والخلافة من أعظم العبادة، ولم يزل المتقون يحترزون منها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر، إذ تتحرك بها الصفات الباطنة ويغلب على النفس حب الجاه ولذة الاستيلاء ونفاذ الأمر وهو أعظم ملاذ الدنيا، فإذا صارت الولاية محبوبة كان الوالي ساعياً في حظ نفسه، وأوشك أن يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وولايته، وإن كان حقاً ويقدم على ما يزيد في مكانته) أي منزلته وقدره **(وإن كان باطلاً، وعند ذلك يهلك ويكون يوم من سلطان جائر شراً من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرناه)** وهو حديث ابن عباس **(ولهذا الخطر العظيم كان عمر)** رضي الله عنه **يقول: من يأخذها)** أي الامارة **(بما فيها)** أي من الأخطار، وروى ابن أبي الدنيا في مواعظ الخلفاء بلفظ فقال عمر: واعمراه من يتولاها بما فيها. وقد تقدم للمصنف في كتاب الأمر بالمعروف.

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق الإوزاعي عن سماك عن ابن عباس قال: لما طعن عمر دخلت عليه فقلت: ابشر أمير المؤمنين فإن الله قد مصر بك الأمصار ودفع بك النفاق وأفشى بك الرزقة. فقال: أفي الإمارة تثني علي يا ابن عباس؟ فقلت: وفي غيرها. فقال: والذي نفسي بيده لوددت أني خرجت منها كما دخلت فيها لا أجر ولا وزر.

(وكيف لا. وقد قال ﷺ: «ما من والي عشيرة إلا جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه أطلقه عدله أو أوبقه جوره» رواه معقل بن يسار) بن عبد البر المزني رضي الله عنه، شهد الحديبية، ونزل البصرة. قال العراقي: رواه أحمد من حديث عبادة بن الصامت، ورواه أحمد والبزار من رواية رجل لم يسم عن سعد بن عبادة، وفيهما يزيد بن زياد متكلم فيه. ورواه أحمد، والبزار، وأبو يعلى، والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة. ورواه البزار، والطبراني من حديث بريرة، والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وثوبان، وله من حديث أبي الدرداء: «ما من والي ثلاثة إلا لقي الله مغلولة يمينه» الحديث. وقد عزا المصنف هذا الحديث لرواية معقل

وولاه عمر ولاية فقال: يا أمير المؤمنين أشر عليَّ، قال: اجلس واكتم علي. وروى الحسن أن رجلاً ولاه النبي ﷺ فقال للنبي خِرلي. قال: «اجلس». وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة، إذ قال له النبي ﷺ: «يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن

ابن يسار، والمعروف من حديث معقل بن يسار «ما من عبد يسترعيه الله رعية لم يحطها بنصحه إلا لم يرح رائحة الجنة» متفق عليه انتهى.

قلت: سياق المصنف رواه الضياء في المختارة من حديث ثوبان، وأما حديث معقل بن يسار، فلفظه عند الحاكم في الكنى، والطبراني في الكبير «ما من وال ولي من أمر المسلمين شيئاً فلم يحط من ورائهم بالنصيحة إلا كبه الله على وجهه في جهنم يوم يجمع الله الأولين والآخرين» ولفظ مسلم «ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لم يجد لهم ولم ينصح إلا لم يدخل معهم الجنة».

وأما حديث أبي الدرداء فلفظه: «ما من والي ثلاثة إلا لقي الله مغلولاً يمينه إلى عنقه فكه عدله أو جوره». هكذا رواه ابن عساكر أيضاً وروى أحمد من حديث أبي إمامة «ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا أتى الله عز وجل مغلولاً يده إلى عنقه فكه عدله أو أوبقه إثمة أولها ملامة وأوسطها ندامة وآخرها خزي يوم القيامة». وروى النسائي من حديث أبي هريرة «ما من أمير ثلاثة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه أطلقه الحق أو أوبقه». ورواه البيهقي بلفظ: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة ويده مغلولة إلى عنقه». وعند الطبراني من حديث ابن عباس «ما من أمير على عشرة إلا سئل عنهم يوم القيامة».

وأما حديث سعد بن عبادة فلفظه عند أحمد «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً يده إلى عنقه لا يفكه من غله ذلك إلا العدل» هكذا رواه سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والطبراني، والبيهقي. وروى ابن أبي شيبة، والبيهقي، وابن عساكر من حديث أبي هريرة: «ما من أمير عشرة إلا وهو يؤتى به يوم القيامة مغلولاً حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور».

(وولاه) أي معقل بن يسار **(عمر)** رضي الله عنه **(ولاية)** قبل ولاية البصرة **(فقال: يا أمير المؤمنين أشر علي. فقال: اجلس واكتم عليَّ. وروى الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(أن رجلاً ولاه النبي ﷺ فقال)** الرجل **(للنبي ﷺ: خرلي. فقال: «اجلس»)** قال العراقي: رواه الطبراني موصولاً من حديث عصمة هو ابن مالك، وفيه الفضل بن المختار أحاديثه منكرة يحدث بالأباطيل قاله أبو حاتم، ورواه أيضاً من حديث ابن عمر بلفظ: «الزم بيتك» وفيه الفرات بن أبي الفرات ضعفه ابن معين وابن عدي. وقال أبو حاتم صدوق اهـ.

وقال الحافظ في الإصابة: عصيمة بن مالك الخطمي له أحاديث أخرجها الدارقطني، والطبراني وغيرهما مدارها على الفضل بن المختار وهو ضعيف جداً.

(وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمرة) العبشمي القرشي رضي الله عنه **(إذ قال له النبي**

أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها » . وقال أبو بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر : لا تأمر على اثنين. ثم ولي هو الخلافة فقام بها فقال له رافع : ألم تقل لي لا تأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد ﷺ ؟ فقال : بلى . وأنا أقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله ، أي لعنة الله . ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد من فضل الإمارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضاً وليس كذلك ، بل الحق فيه أن الخواص الأقوياء في الدين لا ينبغي أن يمتنعوا من تقلد الولايات ، وأن الضعفاء لا ينبغي أن يدوروا بها فيهلكوا ، وأعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تأخذه في الله لومة لائم ، وهم الذين سقط الخلق عن أعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق وقهروا أنفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان فأيس منهم ،

ﷺ : « **يا عبد الرحمن**) بن سمرة (**لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها وإن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها** ») رواه أحمد ، وابن أبي شيبة والشيخان ، وأبو داود ، والترمذي بزيادة : « وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وائت الذي هو خير » . ورواه ابن عساكر بلفظ : « لا تسأل الإمارة فإنه من سألها وكل إليها من ابتلى إليها ولم يسألها أعين عليها » .

(**وقال أبو بكر**) رضي الله عنه (**لرافع بن عمر**) الطائي : (**لا تأمر على اثنين ثم ولي هو الخلافة فقال له رافع : ألم تقل لي لا تأمر على اثنين وأنت قد وليت أمر أمة محمد ﷺ ؟ فقال : بلى ، وأنا أقول لك ذلك فمن لم يعدل فيها فعليه بهلة الله أي لعنة الله**) روى ابن المبارك في الزهد عن رافع الطائي قال : صحبت أبا بكر في غزاة ، فلما قفلنا قلت : أوصني . قال : أتم الصلاة المكتوبة فساق الحديث وفيه : ولا تكونن أميراً ، ثم قال إن هذه الإمارة التي ترى اليوم يسير وقد أوشك أن تفشو وتكثر حتى ينالها من ليس لها بأهل ، وأنه من يكن أميراً فإنه من أطول الناس حساباً وأغلظه عذاباً الحديث . وروى الدينوري في المجالسة عن رافع الطائي قال : خطب أبو بكر رضي الله عنه فذكر المسلمين فقال : من ظلم منهم أحداً فقد أخفر ذمة الله ، ومن ولي من أمور المسلمين شيئاً فلم يعظهم كتاب الله فعليه بهلة الله .

(**ولعل القليل البصيرة يرى ما ورد في فضل الإمارة مع ما ورد من النهي عنها متناقضاً وليس كذلك ، بل الحق فيه أن الخواص الأقوياء في الدين لا ينبغي أن يمتنعوا من تقلد الولايات**) لقوتهم وصلابتهم في الدين ، (**وأن الضعفاء**) في المعرفة (**لا ينبغي أن يدوروا بها فيهلكوا**) لعدم تحملهم لذلك فيكون سبباً لهلاكهم ، (**وأعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع**) أي لا يحركه ولا يحمله (**ولا يأخذه في الله لومة لائم ، وهم الذين سقط الخلق في أعينهم**) فلم تكن لهم منزلة عندهم ، (**وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطة الخلق**) أي ضجروا (**وقهروا أنفسهم**) فأماتوها وملوكها وقمعوا الشيطان فأيس منهم فلا يحول حول حماهم ،

فهؤلاء لا يحركهم إلا الحق ولا يسكنهم إلا الحق ولو زهقت فيه أرواحهم، فهم أهل نيل الفضل في الإمارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات، ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولايات، ولكن خاف عليها أن تتغير إذا ذاقت لذة الولاية وأن تستحلي الجاه وتستلذ نفاد الأمر فتكره العزل، فيداهن خيفة من العزل، فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية؟ فقال قائلون: لا يجب لأن هذا خوف أمر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه إلا قوية في ملازمة الحق وترك لذات النفس، والصحيح أن عليه الاحتراز لأن النفس خداعة مدعية للحق واعدة بالخير، فلو وعدت بالخير جزماً لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد؟ والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع، فالعزل مؤلم وهو كما قيل: العزل طلاق الرجال، فإذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه إلى المداهنة وإهمال الحق وتهوي به في قعر جهنم، ولا يستطيع النزوع منه إلى الموت إلا أن يعزل قهراً، وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية. ومهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب فهو أمارة

(**فهؤلاء لا يحركهم إلا الحق ولا يسكنهم إلا الحق ولو زهقت فيه أرواحهم، فهم أهل نيل الفضل في الإمارة والخلافة ومن علم أنه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات**) والدوران لطلبها، (**ومن جرب نفسه فرآها صابرة على الحق كافة عن الشهوات في غير الولاية، لكن خاف عليها أن تتغير**) عن حالتها الأولى (**إذا ذاقت لذة الولاية وأن تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ الأمر فيه فتكره العزل**) عنها، (**فتداهن خيفة من العزل، فهذا قد اختلف العلماء في أنه هل يلزمه الهرب من تقلد الولاية**) أم لا؟ (**فقال قائلون: لا يجب لأن هذا خوف أمر في المستقبل**) أي فيما سيعرض (**وهو في الحال لم يعهد نفسه إلا قوياً في ملازمة الحق وترك لذات النفس، والصحيح أن عليه الاحتراز لأن النفس خداعة مدعية للحق وأعدة بالخير فلو**) أنها (**وعدت بالخير جزماً لكان يخاف عليها أن تتغير عند الولاية فكيف إذا أظهرت التردد؟ والامتناع عن قبول الولاية أهون من العزل بعد الشروع، والعزل مؤلم وهو كما قيل: طلاق الرجال**) وسبب كون العزل مؤلماً نفور النفس عن مفارقة ما ألفته من لذة الاستيلاء وملك القلوب ونفاذ الأمر، (**فإذا شرع**) في الولاية (**لا تسمح نفسه بالعزل وتميل نفسه إلى المداهنة وإهمال الحق ويهوى به في قعر جهنم**) أي يسقط فيه، (**ولا يستطيع النزوع منه إلى الموت**) برضا نفسه (**إلا أن يعزل قهراً**) على نفسه، (**وكان فيه عذاب عاجل على كل محب للولاية. ومهما مالت النفس إلى طلب الولاية وحملت على السؤال والطلب**) لها (**فهو إمارة الشر، ولذلك قال ﷺ: « لا نولي أمرنا من**

الشر، ولذلك قال ﷺ: « إنا لا نولي أمرنا من سألنا ». فإذا فهمت اختلاف حكم القوي والضعيف علمت أن نهي أبي بكر رافعاً عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض.

وأما القضاء، فهو وإن كان دون الخلافة والإمارة فهو في معناهما، فإن كل ذي ولاية أمير ـ أي له أمر نافذ ـ والامارة محبوبة بالطبع، والثواب في القضاء عظيم مع اتباع الحق، والعقاب فيه أيضاً عظيم مع العدول عن الحق، وقد قال النبي ﷺ: « القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاض في الجنة »، وقال عليه السلام: « من استقضى فقد ذبح

سألناه ») قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي موسى، **(فإذا فهمت اختلاف حكم القوي والضعيف عرفت أن نهي أبي بكر)** رضي الله عنه **(لرافع)** الطائي **(عن الولاية ثم تقلده لها ليس بمتناقض)**.

(وأما القضاء: فهو وإن كان دون الخلافة والإمارة) في المرتبة **(فهو في معناهما، فإن كل ذي ولاية أمير أي له أمر نافذ)** في الناس، **(والإمارة محبوبة بالطبع)** لذيذة بحكم نفاذ الأمر. **(والثواب في القضاء عظيم مع إتباع الحق والعقاب فيه أيضاً عظيم مع العدول عن الحق، وقد قال ﷺ: « القضاة ثلاثة: واحد في الجنة وإثنان في النار »)** قال العراقي: رواه أصحاب السنن من حديث بريدة وقد تقدم في العلم انتهى.

قلت: وكذلك رواه سعيد بن منصور، وابن أبي عاصم، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي، والضياء من حديث ابن بريدة عن أبيه ولفظهم: « القضاة ثلاثة: إثنان في النار وواحد في الجنة رجل علم الحق فقضى به فهو في الجنة، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ». ورواه الطبراني أيضاً من حديث ابن عمر بلفظ « القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاض في الجنة. قاض قضى بالهوى فهو في النار، وقاض قضى بغير علم فهو في النار، وقاض قضى بالحق فهو في الجنة ». وفي لفظ للطبراني من حديث بريدة: « قاض قضى بغير حق وهو يعلم فذلك في النار، وقاض قضى وهو يعلم فأهلك حقوق الناس فذلك في النار، وقاض قضى بحق فذلك في الجنة ». ورواه البيهقي من حديث علي موقوفاً وحكمه الرفع، وقد أفرد الحافظ ابن حجر في طرق حديث بريدة جزءاً.

(وقال) ﷺ: **(« من استقضى فقد ذبح بغير سكين »)** قال العراقي: رواه أصحاب السنن من حديث أبي هريرة بلفظ: « من جعل قاضياً » وفي رواية: « من ولي القضاء » وإسناده صحيح انتهى.

قلت: رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، والدارقطني، وابن أبي عاصم والبيهقي من طريق عثمان بن محمد الأخنسي عن سعيد المقبري والأعرج كلاهما عن أبي هريرة بلفظ: « من جعل قاضياً

بغير سكين » فحكمه حكم الإمارة ينبغي أن يتركه الضعفاء وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينه، وليتقلده الأقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم. ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء إلا بمداهنتهم وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل المتعلقين بهم، إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه أو لم يطيعوه، فليس له أن يتقلد القضاء، وإن تقلده فعليه أن يطالبهم بالحقوق ولا يكون خوف العزل عذراً مرخصاً له في الإهمال أصلاً، بل إذا عزل سقطت العهدة عنه فينبغي أن يفرح بالعزل إن كان يقضي لله، فإن لم تسمح نفسه بذلك فهو إذاً يقضي لاتباع الهوى والشيطان، فكيف يرتقب عليه ثواباً؟ وهو مع الظلمة في الدرك الأسفل من النار.

ذبح بغير سكين » وهو عند ابن ماجه. وكذا النسائي، والدارقطني، وابن أبي عاصم من حديث داود بن خالد المكي أنه سمع المقبري، وأبو داود أيضاً بلفظ: « من ولي القضاء أو جعل قاضياً بين الناس ». والدارقطني بلفظ: « من ولي » وقال الترمذي: إنه حسن غريب. وقال النسائي إن داود ليس بالمشهور والأخنسي ليس بالقوي. قال الحافظ السخاوي في المقاصد: قد روي عن غيرهما، بل رواه أحمد من حديث محمد بن عجلان، وابن أبي عاصم من حديث بعض المدنيين، والقضاعي من حديث زيد بن أسلم ثلاثتهم عن المقبري وهو صحيح بل حسن. قيل: وفي قوله: « بغير سكين » إشارة إلى أن محذوره الخوف من هلاك الدين دون البدن إذا الذبح في ظاهر العرف إنما هو بالسكين أو إلى شدة الألم لكون الذبح بغير السكين إما بالخنق أو التعذيب، والذبح بالسكين أروح، والله أعلم.

(فحكمه حكم الإمارة ينبغي أن يتركه الضعفاء، وكل من للدنيا ولذاتها وزن) أي مقام ومنزلة **(في عينه)** فلا يليق به تقلده **(وليتقلده الأقوياء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم. ومهما كان السلاطين ظلمة ولم يقدر القاضي على القضاء إلا بمداهنتهم)** وضمانيتهم **(وإهمال بعض الحقوق لأجلهم ولأجل المتعلقين بهم إذ يعلم أنه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه)** عن منصبه **(أو لم يطيعوه)** وراموا إذايته **(فليس له أن يتقلد)** منصب **(القضاء، وإن تقلده فعليه أن يطالبهم بالحقوق)** الشرعية **(ولا يكون خوف العزل)** عن منصبه **(عذراً مرخصاً له في الإهمال أصلاً، بل إذا عزل سقطت العهدة عنه، فينبغي أن يفرح بالعزل إن كان يقضي لله)** عز وجل، **(فإن لم تسمح نفسه بذلك فهو إذاً يقضي لاتباع الهوى والشيطان، فكيف يرتقب عليه)** أي ينتظر **(ثواباً من الله وهو مع الظلمة في الدرك الأسفل من النار)**؟ فقد روي: أن القضاة يحشرون في زمرة الملوك كما نقله صاحب القوت وتقدم في كتاب العلم.

وأما الوعظ والفتوى والتدريس ورواية الحديث وجمع الأسانيد العالية، وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر؛ فآفته أيضاً عظيمة مثل آفة الولايات، وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا إليه سبيلاً، وكانوا يقولون: حدثنا، باب من أبواب الدنيا، ومن قال: حدثنا، فقد قال أوسعوا لي. ودفن بشر كذا وكذا قمطرة من الحديث وقال: يمنعني من الحديث أن اشتهي أن أحدث ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت. والواعظ يجد في وعظه وتأثر قلوب الناس به وتلاحق بكائهم وزعقاتهم وإقبالهم عليه لذة لا توازيها لذة، فإذا غلب ذلك على قلبه مال طبعه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان باطلاً ويفر عن كل كلام يستثقله العوام وإن كان حقاً، ويصير مصروف الهمة بالكلية إلى ما يحرك قلوب العوام ويعظم منزلته في قلوبهم، فلا يسمع حديثاً وحكمة إلا ويكون فرحه به من حيث أنه يصلح لأن يذكره على رأس المنبر، وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث أنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولاً، ثم يقول: إذا أنعم الله عليّ بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة

(**وأما الوعظ**) على العامة (**والفتوى والتدريس ورواية الحديث**) بالارتحال إلى البلدان النائية (**وجمع الأسانيد العالية**) وعلوها بسبب قربها من فرق بأن يقع له ثلاثياً أو رباعياً وهلم جر إلى العشاريات، (**وكل ما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فآفته أيضاً عظيمة. مثل آفة الولايات وقد كان الخائفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا إليه سبيلاً**) كما تقدم في كتاب العلم، (**وكانوا يقولون**) قول المحدث: (**حدثنا**) وأخبرنا (**باب من أبواب الدنيا، ومن قال: حدثنا فقد قال**) بلسان حاله (**أوسعوا لي**) تقدم في كتاب العلم. (**ودفن**) أبو نصر (**بشر بن الحرث**) الحافي قدس سره (**كذا وكذا قمطرة من الحديث**) الذي كان يسمعه من الشيوخ وكتبه بيده. تقدم في كتاب العلم. (**وقال: يمنعني من الحديث**) أي من التحدث به (**أن أشتهي أن أحدث، ولو اشتهيت أن لا أحدث لحدثت**) تقدم في كتاب العلم. (**والواعظ يجد في وعظه**) للناس (**وتأثر قلوب الناس به**) أي بوعظه (**وتلاحق بكائهم وزعقاتهم وإقبالهم عليه لذة**) عظيمة (**لا توازيها لذة، فإذا غلب ذلك على قلبه مال قلبه إلى كل كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان**) في نفسه (**باطلاً ويفر عن كل كلام يستقله العوام وإن كان**) في نفسه (**حقاً، ويصير مصروف الهمة بالكلية إلى ما يحرك قلوب العوام**) ويروج عندهم (**وتعظم منزلته في قلوبهم، فلا يسمع حديثاً ولا حكمة**) ونادرة (**إلا ويكون فرحه بها من حيث أنه يصلح لأن يذكره على رأس المنبر**) الكرسي، (**وكان ينبغي أن يكون فرحه به من حيث أنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولاً، ثم يقول إذا أنعم الله علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فاقصها**) للناس

فاقصها ليشاركني في نفعها إخواني المسلمون. فهذا أيضاً مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات، فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والمنزلة والأكل بالدين والتفاخر والتكاثر، فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن ترتاض نفسه وتقوى في الدين همته ويأمن على نفسه الفتنة، فعند ذلك يعود إليه.

فإن قلت: مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق؟ فنقول: قد نهى رسول الله ﷺ عن طلب الإمارة وتوعد عليها، حتى قال: «إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة وندامة يوم القيامة إلا من أخذها بحقها» وقال: «نعمت المرضعة وبئست الفاطمة». ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل

(**يشاركني في نفعها إخواني المسلمون**) ممن يسمع مني (**فهذا أيضاً مما يعظم فيه الخوف والفتنة**) فحكمه حكم (**الولايات، فمن لا باعث له إلا طلب الجاه**) والمنزلة في القلوب (**والاكل بالدين والتفاخر والتكاثر به، فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن ترتاض نفسه**) وتتزكى (**وتقوى في الدين منعته**) بالضم أي قوته، (**ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود إليه**).

(**فإن قلت: مهما حكم بذلك على أهل العلم تعطلت العلوم واندرست**) لعدم رغبة طالبيها (**وعم الجهل كافة الخلق فنقول: قد نهى رسول الله ﷺ عن طلب الإمارة وتوعد عليها**) وهو في حديث عبد الرحمن بن سمرة: «لا تسال الإمارة» وقد ذكر قريباً. (**حتى قال: «إنكم تحرصون على الإمارة وأنها حسرة يوم القيامة وندامة إلا من أخذها بحقها»**) قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة دون قوله: «إلا من أخذها بحقها» وزاد في آخره «فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة» ودون قوله «حسرة» وهي في صحيح ابن حبان انتهى.

قلت: ولفظ البخاري: «إنكم ستحرصون على الإمارة وأنها ستكون ندامة وحسرة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة» وكذلك رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والنسائي. وروى الطبراني من حديث عوف بن مالك أنه سأل النبي ﷺ عن الإمارة فقال: «أولها سلامة وثانيها ندامة وثالثها عذاب يوم القيامة». وروى الطيالسي، وابن أبي شيبة، ومسلم، وابن سعد، وابن خزيمة، وأبو عوانة، والحاكم من حديث أبي ذر قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: «يا أبا ذر انك ضعيف وأنها أمانة وأنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها». وروى الطبراني من حديث يزيد بن ثابت: «نعم الشيء الإمارة لمن أخذها بحقها وحلها وبئس الشيء الإمارة لمن أخذها بغير حقها فتكون عليه حسرة يوم القيامة».

فقال: (**«نعمت المرضعة وبئست الفاطمة»**) قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة وهو بقية الحديث الذي قبله. ورواه ابن حبان بلفظ: «فبئست المرضعة وبئست الفاطمة» انتهى.

الدين والدنيا جميعاً، وثار القتال بين الخلق، وزال الأمن، وخربت البلاد، وتعطلت المعايش، فلم نهي عنها مع ذلك؟ وضرب عمر رضي الله عنه أبيّ بن كعب حين رأى قوماً يتبعونه، وهو في ذلك يقول: أبيّ سيد المسلمين. وكان يقرأ عليه القرآن فمنع من أن يتبعوه وقال: ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع، وعمر كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه، واستأذن رجل عمر أن يعظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال: أتمنعني من نصح الناس؟ فقال: أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا إذ رأى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق. والقضاء والخلافة مما يحتاج الناس إليه في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى، وفي كل واحد منها فتنة ولذة فلا فرق بينها، فأما قول القائل: نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط، إذ نهى رسول الله ﷺ عن القضاء لم

قلت: وجد بخط الحافظ ابن حجر ما نصه: يريد باعتبار ما في نفس الأمر ولفظ: «نعمت» في الأولى باعتبار ما في معتد المتلبس بذلك.

(ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين والدنيا جميعاً وثار القتال بين الخلق وزاد) الأمر وخرجت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهي عنها مع ذلك؟ **(وضرب عمر أبي بن كعب)** رضي الله عنهما أي رفع درته وأراد أن يضربه بها **(حين رأى قوماً يتبعونه وهو في ذلك يقول: أبي سيد المسلمين وكان يقرأ عليه القرآن)** بل قرأ عليه من هو أفضل منه رسول الله ﷺ قال له: إن الله أمرني أن أقرأ عليك. قال: الله سماني لك؟ قال: نعم الله سماك لي قال: فجعل أبي يبكي. رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس. **(فمنع ان يتبعوه وقال ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع)** وقد تقدم في أول هذا الكتاب، **(وعمر)** رضي الله عنه **(كان بنفسه يخطب ويعظ ولا يمتنع منه، واستأذن رجل على عمر)** رضي الله عنه **(أن يعظ الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه)** من ذلك **(فقال: تمنعني من نصح الناس؟ فقال: أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا)** وهذا أورده على سبيل المبالغة. **(إذ رأى فيه مخايل)** أي مظان **(الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق)** فلذلك منعه. **(فالقضاء والخلافة مما يحتاج إليه الناس في دينهم كالوعظ والتدريس والفتوى، وفي كل واحد منها فتنة ولذة، فلا فرق بينها، فأما قول القائل: نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم)** وانطماسه **(فهو غلط)** نشأ من وهم، **(إذ نهى رسول الله ﷺ عن القضاء)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي ذر «لا تأمرن على إثنين ولا تلين مال يتيم» انتهى.

قلت: وروا أبو داود، والنسائي، وابن حبان، والحاكم بلفظ: «يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تتأمرن على إثنين ولا تولين مال يتيم». وروى أبو نعيم من حديث أنس «لا تأمرن على إثنين ولا تقد منها».

يؤد إلى تعطل القضاء، بل الرئاسة وحبها يضطر الخلق إلى طلبها، وكذلك حب الرئاسة لا يترك العلوم تندرس بل لو حبس الخلق وقيدوا بالسلاسل والأغلال عن طلب العلوم التي فيها القبول والرئاسة لأفلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها. وقد وعد الله أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فإن الله لا يضيعهم وانظر لنفسك، ثم أني أقول مع هذا إذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلاً فليس في النهي عنه إلا امتناع بعضهم، وإلاّ فيعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرئاسة فإن لم يكن في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعاً للناس من حيث حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخييله إلى العوام أنه إنما يريد الله بوعظه وأنه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهد نفسك، فإن قال: لست أقدر على نفسي فنقول: اشتغل وجاهد لأنا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم إذ لا قائم به غيره، ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده، وسلامة دين الجميع أحب عندنا من سلامة دينه وحده، فنجعله فداء للقوم ونقول: لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم» ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة

(لم يؤد إلى تعطل القضاء بل الرئاسة وحبها يضطر الخلق إلى طلبها، وكذلك حب الرئاسة لا يترك العلوم تندرس، بل لو حبس الناس) في موضع **(وقيدوا بالسلاسل)** في أرجلهم **(والأغلال)** في أعناقهم ومنعوا **(عن طلب العلوم التي فيها القبول والرئاسة لافلتوا من الحبس وقطعوا السلاسل وطلبوها. وقد وعد الله تعالى أن يؤيد هذا الدين بأقوام ولا خلاق لهم)** كما في الخبر وتقدم ذكره، **(فلا تشغل قلبك بأمر الناس فإن الله لا يضيعهم وانظر في نفسك)** وما أنت فيه، **(ثم إني أقول مع هذا إذا كان في البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلاً فليس في النهي عنه الا امتناع بعضهم، وإلا فتعلم أن كلهم لا يمتنعون ولا يتركون لذة الرئاسة فإن لم يكن في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعاً للناس من حيث حسن كلامه)** بأن يكون سلساً منقاداً لا تعقيد فيه، **(وحسن سمته في الظاهر)** مما يوافق الشرع في لباسه وهيئته وغض بصره وغير ذلك، **(وتخييله إلى العوام أنه إنما يريد الله بوعظه)** لا غيره، **(وأنه تارك للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه منه ونقول له: اشتغل وجاهد نفسك، وإن قال: لست أقدر على نفسي، فنقول: اشتغل وجاهد لأنا نعلم أنه لو ترك ذلك لهلك الناس كلهم إذ لا قائم به غيره، ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده)** دون غيره، **(وسلامة دين الجميع أحب إلينا من سلامة دينه وحده فنجعله فداء للقوم، ونقول: لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم»)** رواه النسائي وقد تقدم. **(ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا بكلامه**

ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته. فأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الأمصار من الكلمات المزخرفة والألفاظ المسجعة المقرونة بالأشعار مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخويف المسلمين، بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصي بطيارات النكت، فيجب إخلاء البلاد منهم، فإنهم نوّاب الدجال وخلفاء الشيطان، وإنما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره، وفيما أوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله.

ولهذا قال المسيح عليه السلام: يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون، وتدرسون ما لا تعملون، فيا سوء ما تحكمون. تتوبون بالقول والأماني وتعملون بالهوى، وما يغني عنكم أن تنّقوا جلودكم وقلوبكم دنسة، بحق أقول لكم: لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة، كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم ويبقى الغل في صدوركم. يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها رغبته؟ بحق أقول لكم: إن قلوبكم تبكي

وبظاهر سيرته. وأما ما أحدثه الوعاظ في هذه الأمصار من) إلقاء **(الكلمات المزخرفة والألفاظ المسجعة)** الموزونة **(المقرونة بالأشعار)** الغريبة **(مما ليس فيه تعظيم لأمر الدين وتخويف للمسلمين، بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصي بطيارات النكت)** أي بالنكت النوادر الغريبة المهيجة للأوصاف المستكنة في الضمائر مما يكون باعثاً على آفاته غرض شيطاني، **(فيجب إخلاء البلاد منهم)** ومنعهم عن صعود المنابر والكراسي، **(فإنهم نوائب الدجال وخلفاء الشيطان)** بجامع الإفساد والافتتان، **(وإنما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره. وفيما أوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر)** والاحتراز **(من فتن العلم وغوائله)**.

(ولقد قال عيسى عليه السلام) فيما أورده صاحب القوت في مقام الزهد وهو المقام السادس من مقامات اليقين أنه قال: **(يا علماء السوء تصومون وتصلون وتتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون، وتدرسون ما لا تعلمون، فيا سوء ما تحكمون. تتوبون بالقول والأماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم)** أي تنظفوها وتغسلوها بالماء والاشنان **(وقلوبكم دنسة)** أي وسخ بالمعاصي الباطنة. **(بحق أقول لكم: لا تكونوا كالمنخل)** بضم الميم **(يخرج منه الدقيق الطيب وتبقى فيه النخالة)** وهو ما يرمي من الدقيق، **(كذلك أنتم تخرجون الحكم من أفواهكم)** تعظون بها الناس، **(ويبقى الغل في صدوركم. يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته، ولا تنقطع منها رغبته؟ بحق أقول**

من أعمالكم، جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم، بحق أقول لكم: أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم، فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة، فأي ناس أخس منكم لو تعلمون. ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين، وتقيمون في محلة المتحيرين! كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلاً مهلاً! ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم! كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة! يا عبيد الدنيا، لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار كرام، توشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم، ثم تكبكم على مناخركم، ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم، ثم يدفعكم العلم من خلفكم، ثم يسلمكم إلى الملك الديان حفاة عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم، ثم يجزيكم بسوء

لكم: **إن قلوبكم تبكي من أعمالكم**) لمخالفتها لها. (**جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم**) وهو كناية عن الغفلة والإعراض وعدم الاعتناء، فإن من جعل شيئاً تحت قدمه فقد استهان به. (**بحق أقول لكم: أفسدتم آخرتكم بصلاح دنياكم، فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة، فأي الناس أخس منكم**) أي أكثر دناءة منكم (**لو تعلمون**) ذلك؟ (**ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين**) أي السارين بالليل. (**وتقمون في محلة المتحيرين**) أي الواقفين وقوف المتحير الذي لا يجد للسلوك سبيلاً؟ ([illegible]**عون أهل الدنيا ليتركوها لكم**) فتمتعون بها ويسلبون دنياهم لأجل صلاح حالكم. (**مهلا مهلاً ويلكم! ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم**) لا نور فيه، (**كذلك لا يغني عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة**) من وصول النور إليه. (**يا عبيد الدنيا لا كعبيد اتقياء ولا كأحرار كرام توشك الدنيا أن تقلعكم**) أي تزيلكم (**عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم**) أي ترميكم (**على مناخركم**) أي وجوهكم، (**ثم تأخذ خطاياكم بنواصيكم، ثم يدفعكم العلم من خلفكم، ثم يسلمكم إلى الملك الديان**) المجازي بأعمالكم (**حفاة عراة فرادى، فيوقفكم على سوآتكم**) أي فضيحتكم. (**ثم يجزيكم بسوء أعمالكم**). هكذا نقله صاحب القوت بتمامه.

وروى صاحب الحلية في ترجمة ابن السماك من طريق عبد الله بن صالح قال: سمعت عبد الله ابن السماك يقول: قال عيسى عليه السلام: حتى متى تصفون الطريق للمدلجين، وأنتم مقيمون في محلة المتحيرين تنقون البعوض من شرابكم وتسترطون الجمال بأحمالها.

وفي ترجمة وهب من طريق بحار بن عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول: قال الله عز وجل فيما يعتب به بني اسرائيل: تفقهون لغير الدين وتتعلمون لغير العمل وتتباهون لعمل الآخرة. تلبسون جلود الضأن وتخفون أنفس الذئاب وتنقون القذى من شرابكم وتبتلعون أمثال الجبال من

أعمالكم. وقد روى الحارث المحاسبي هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال: هؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس. رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا. فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الخاسرون.

فإن قلت: فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة، حتى قال رسول الله ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من الدنيا وما فيها». وقال ﷺ: «أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه» إلى غير ذلك من

الحرام. تطيلون الصلاة وتبيضون الثياب، تقتنصون بذلك مال اليتم والأرملة، فبعزتي حلفت لأضربنكم بفتنة يضل فيها رأي ذي الرأي وحكمة الحكيم.

(**وقد روى الحرث**) بن أسد (**المحاسبي**) رحمه الله (**هذا الحديث في بعض كتبه**) بهذا السياق، (**ثم قال: هؤلاء علماء السوء شياطين الأنس وفتنه على الناس**). وقد روى الطيالسي، وأحمد، والنسائي، وأبو يعلى، والحاكم، والبيهقي من حديث أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر تعوّذ بالله من شر شياطين الإنس والجن» قال: يا رسول الله وللإنس شياطين؟ قال «نعم» الحديث. ورواه الطبراني من حديث أبي أمامة.

(**رغبوا في عرض الدنيا رفعتها وآثروها على الآخرة وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الأخسرون**). وقد تقدم هذا السياق للمصنف في أول الكتاب.

(**فإن قلت: فهذه الآفات ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ**) والتذكير (**رغائب كثيرة، حتى قال ﷺ «لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من الدنيا وما فيها»**). قال العراقي: متفق عليه من حديث سهل بن سعد بلفظ «خير لك من حمر النعم» وقد تقدم في العلم.

قلت: وروى الحكيم، والطبراني من حديث أبي رافع قال: بعث رسول الله ﷺ علياً إلى اليمن فعقد له لواء، فلما مضى قال: «يا أبا رافع الحقه ولا تدعه من خلفه وليقف ولا يلتفت حتى أجيئه فأتاه وأوصاه بأشياء وقال: لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه شمس وغربت».

(**وقال ﷺ «أيما داع دعا إلى هدى واتبع عليه كان له أجره وأجر من اتبعه»**) قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أنس بزيادة في أوّله، ولمسلم من حديث أبي هريرة «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه» الحديث اهـ.

قلت: لفظ حديث أنس عند ابن ماجه «أيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع فإن عليه مثل أوزار من اتبعه ولا ينقص من أوزارهم شيئاً، وأيما داع إلى هدى فأتبع فإن له مثل أجور من اتبعه ولا ينقص من أجورهم شيئاً».

فضائل العلم. فينبغي أن يقال للعالم: اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق، كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلاة: لا تترك العمل ولكن أتم العمل وجاهد نفسك؟ فاعلم أن فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والإمارة، ولا نقول لأحد من عباد الله: أترك العلم إذ ليس في نفس العلم آفة، وإنما الآفة في إظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث، ولا نقل له أيضاً اتركه ما دام يجد في نفسه باعثاً دينياً ممزوجاً بباعث الرياء، فإذا لم يحركه إلا الرياء فترك الإظهار أنفع له وأسلم. وكذلك نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها. أما إذا خطر له وساوس الرياء في أثناء الصلاة وهو لها كاره فلا يترك الصلاة، لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة، وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم.

وبالجملة؛ فالمراتب ثلاث:

الأولى: الولايات، والآفات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفاً من الآفة.

وأما لفظ حديث أبي هريرة عند مسلم «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً» وهكذا رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه. ورواه الطبراني بهذا اللفظ من حديث ابن عمر.

(**إلى غير ذلك من فضائل العلم**) مما تقدم مجموعها في كتاب العلم، (**فينبغي أن يقال للعالم: اشتغل بالعلم واترك مراءآة الخلق، كما يقال لمن خالطه الرياء في الصلاة، لا تترك العمل ولكن اتم العمل وجاهد نفسك، فاعلم أن فضل العلم كثير وخطره عظيم كفضل الخلافة والإمارة، ولا نقول لأحد من عباد الله: اترك العلم**) ولا تشتغل به (**إذ ليس في نفس العلم آفة إنما الآفة في إظهاره بالتصدى للوعظ والتدريس ورواية الأحاديث**) بالأسانيد، (**ولا نقول أيضاً: اتركه ما دام يجد في نفسه باعثاً دينياً ممزوجاً بباعث الرياء، فأما إذا لم يحركه إلا الرياء**) ولم يكن هناك باعث الدين (**فترك الاظهار أنفع له وأسلم**) لدينه، (**وكذلك نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها، أما إذا خطر له وسواس الرياء في أثناء الصلاة وهو له كاره فلا يترك الصلاة، لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة**) كما تقدمت الإشارة إليه. (**وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم**).

(**وبالجملة؛ فالمراتب ثلاث:**

(**الأولى: الولايات والآفات فيها عظيمة، وقد تركها جماعة من السلف**) وهربوا منها (**خوفاً من الآفة**) أن تلحقهم.

الثانية: الصوم والصلاة والحج والغزو ، وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك لخوف الآفة . وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع إتمام العمل لله بأدنى قوّة .

الثالثة: وهي متوسطة بين الرتبتين؛ وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس ، والآفات فيها أقل مما في الولايات وأكثر مما في الصلاة ، فالصلاة ينبغي أن لا يتركها الضعيف والقوي ، ولكن يدفع خاطر الرياء والولايات ، ينبغي أن يتركها الضعفاء رأساً دون الأقوياء ، ومناصب العلم بينهما ، ومن جرب آفات منصب العلم علم أنه بالولاة أشبه ، وأن الحذر منه في حق الضعيف أسلم والله أعلم .

وههنا رتبة رابعة وهي جمع المال وأخذه للتفرقة على المستحقين ، فإن في الإنفاق وإظهار السخاء استجلاباً للثناء وفي إدخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والآفات فيها أيضاً كثيرة .

ولذلك سئل الحسن عن رجل طلب القوت ثم أمسك ، وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال : القاعد أفضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا ، وإن من الزهد

(**الثانية: الصلاة والصوم والحج والغزو ، وقد تعرض لها أقوياء السلف وضعفاؤهم ولم يؤثر عنهم الترك**) لها (**لخوف الآفة، وذلك لضعف الآفات الداخلة فيها والقدرة على نفيها**) وطردها (**مع اتمام العمل لله بأدنى قوة**) .

(**الثالثة: وهي متوسطة بين الرتبتين، وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والرواية والتدريس، والآفات فيها أقل مما في الولايات، وأكثر مما في الصلوات، فالصلاة لا ينبغي أن لا يتركها الضعيف والقوي، ولكن يدفع خاطر الرياء، والولايات ينبغي أن يتركها الضعفاء رأساً دون الاقوياء**) المتحملين لها ، (**ومناصب العلم بينها . ومن جرب آفات منصب العلم علم أنه بالولايات أشبه وأن الحذر منه من حق الضعيف أسلم والله أعلم**) .

(**وههنا رتبة رابعة، وهي جمع المال وأخذه للتفرقة على المستحقين، فإن في** الإنفاق) عليهم (**إظهار السخاء**) والجود (**استجلاباً للثناء**) والمحمدة ، (**وفي إدخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس**) عظمة ، (**والآفات فيها أيضاً كثيرة**) كما تقدم ذكر بعضها .

(**ولذلك سئل الحسن**) البصري رحمه الله تعالى (**عن رجل طلب القوت ثم أمسك**) عليه ، (**وآخر طلب فوق قوته ثم تصدق به فقال: القاعد أفضل**) وذلك لما (**يعرفون من قلة السلامة في الدنيا ، وأن من الزهد تركها قربة لله عز وجل**) نقله صاحب القوت ، (**وقال**

تركها قربة إلى الله تعالى. وقال أبو الدرداء: ما يسرني اني أقمت على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين ديناراً أتصدق بها، أما أني لا أحرم البيع والشراء ولكني أريد أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

وقد اختلف العلماء فقال قوم: إذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل، وقال قوم: الجلوس في دوام ذكر الله أفضل، والأخذ والإعطاء يشغل عن الله، وقد قال المسيح عليه السلام: يا طالب الدنيا لتبرّ بها تركك لها أبر، وقال: أقل ما فيه أن يشغله إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أكبر وأفضل. وهذا فيمن سلم من الآفات؟ فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركه لها أبر والاشتغال بالذكر لا خلاف في أنه أفضل.

وبالجملة؛ ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات، والأحب أن يعمل ويدفع الآفات، فإن عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه، وليزن ما فيه من الخير بما

أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(ما يسرني أني أقمت على درج مسجد دمشق أصيب كل يوم خمسين ديناراً أتصدق بها، أما أني لا أحرم البيع والشراء، ولكني أريد أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)**. أخرجه أحمد في الزهد، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الصمد، ثنا عبد الله بن يحي، حدثنا أبو عبد رب قال: قال أبو الدرداء: ما يسرني أن أقوم على الدرج من باب المسجد فأبيع واشتري فأصيب كل يوم ثلاثمائة دينار أشهد الصلوات كلها في المسجد أقول: إن الله لم يحل البيع وحرم الربا، ولكن أحب أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

(وقد اختلف العلماء فقال قوم: إذا طلب الدنيا من الحلال وسم منها وتصدق بها فهو أفضل من أن يشتغل بالعبادات والنوافل) وهذا قول عباد الشام. **(وقال قوم: الجلوس في دوام ذكر الله أفضل والأخذ والعطاء يشغل عن الله)** وهذا قول عباد البصرة. **(وقد قال عيسى عليه السلام: يا طالب الدنيا لتبرّ بها تركك لها أبرّ)** تقدم في كتاب ذم الدنيا. **(وقال)** أيضاً: **(أقل ما فيه أنه يشغله إصلاحه عن ذكر الله وذكر الله أفضل وأكبر)**، وروي عنه انه قال: إن في المال داء كبيراً. قيل: يا روح الله وإن كان يكتسبه من الحلال؟ قال: يشغله كسبه عن الله عز وجل. **(وهذا فيمن سلم من الآفات، فأما من يتعرض لآفة الرياء فتركه لها أبر والاشتغال بالذكر لا خلاف في أنه أفضل)** وقد وردت بذلك أخبار.

(وبالجملة؛ ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات، والأحب أن يعمل ويدفع الآفات، فإن عجز عن الدفع فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من

فيه من الشر ، وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل إليه الطبع .

وبالجملة ؛ ما يجده أخف على قلبه فهو في الأكثر أضر عليه ، لأن النفس لا تشير إلا بالشر وقلما تستلذ الخير وتميل إليه ، وإن كان لا يبعد ذلك أيضاً في بعض الأحوال ، وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي وإثبات فهو موكول إلى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه ، ثم قد يقع مما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الآفة وهو عين البخل . ولا خلاف في أن تفرقة المال في المباحات فضلاً عن الصدقات أفضل من إمساكه ، وإنما الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب : أن الأفضل الكسب والإنفاق ، أو التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الآفات ، فأما المال الحاصل من الحلال فتفرقته أفضل من إمساكه بكل حال .

فإن قلت : فبأي علامة يعرف العالم والواعظ أنه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس؟ فاعلم أن لذلك علامات .

إحداها : أنه لو ظهر من هو أحسن منه وعظاً أو أغزر منه علماً والناس له أشد قبولاً

الخير بما فيه من الشر ، وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل إليه الطبع) فما دل عليه نور العلم واطمأن إليه القلب يقدم عليه ، وما مال إليه الطبع وحاك في الصدر يتركه .

(وبالجملة ؛ ما يجده أخف على قلبه ، فهو في الأكثر أضر عليه ، لأن النفس لا تشير إلا بالشر وقلما تستلذ الخير) أو تستحسنه **(وتميل إليه ، وإن كان لا يبعد ذلك أيضاً في بعض الأحوال ، وهذه أمور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات فهو موكول إلى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه)** بما يصلحه ، **(ويدع ما يريبه إلى ما لا يريبه)** كما ورد الأثر بذلك في الخبر ، **(ثم قد يقع بما ذكرناه غرور للجاهل فيمسك المال ولا ينفق خيفة من الآفة وهو عين البخل)** المذموم ، **(ولا خلاف في أن تفرقة المال في المباحات فضلاً عن الصدقات)** الواجبة أو المسنونة **(أفضل من إمساكه ، وإنما الخلاف فيمن يحتاج إلى الكسب إن الأفضل ترك الكسب والإنفاق أو التجرد للذكر ، وذلك لما في الكسب من الآفات)** أكبرها الشغل عن الله . **(وأما المال الحاصل من الحلال)** من غير مزاولة الاكتساب **(فتفرقته أفضل من إمساكه بكل حال)** .

(فإن قلت : وبأي علامة يعرف العالم الواعظ أنه صادق مخلص في وعظه غير مريد رياء الناس؟ فاعلم أن لذلك علامات) .

(احداها أنه لو ظهر) في بلده **(من هو أحسن منه وعظاً وأغزر منه علماً والناس أشد**

فرح به ولم يحسده. نعم لا بأس بالغبطة وهو أن يتمنى لنفسه مثل علمه.

والأخرى: أن الأكابر إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل بقي كما كان عليه، فينظر إلى الخلق بعين واحدة.

والأخرى: أن لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الأسواق، ولذلك علامات، كثيرة يطول إحصاؤها.

وقد روي عن سعيد بن أبي مروان قال: كنت جالساً إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون أصفر، فدخل المسجد على برذونه، فجعل يلتفت في المسجد فلم ير حلقة أحفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريباً منها، ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن، فلما رآه الحسن متوجهاً إليه تجافى له عن ناحية مجلسه، قال سعيد: وتجافيت له أيضاً عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة ومجلس للحجاج، فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له ـ يتكلم به في كل يوم ـ فما قطع الحسن كلامه قال سعيد: فقلت في نفسي:

له قبولاً) وأكثر محبة (**فرح به**) باطناً وظاهراً (**ولم يحسده**) على ما أوتي من فضله وعلمه. (**نعم لا بأس بالغبطة**) فيه (**وهو أن يتمنى لنفسه مثل عمله**) من غير أن يزول منه ذلك.

(**والأخرى: أن الأكابر**) من أرباب الدنيا (**إذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل يبقى على ما كان عليه**) في سوقه، (**فينظر إلى الخلق بعين واحدة**) فمن نظر إليهم كذلك فهو بعينين، ومن نظر إليهم بعينين فهو بعين واحدة.

(**والأخرى: ان لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الأسواق، ولذلك علامات كثيرة**) غير ما ذكرناها ههنا (**يطول احصاؤها**).

(**وقد روي عن سعيد بن أبي مروان**) الأسلمي أخو عطاء بن أبي مروان، وأبو مروان كان كثير الصحبة لعمر وقيل له صحبة (**قال: كنت جالساً إلى جنب الحسن إذ دخل علينا الحجاج**) بن يوسف الثقفي عامل لبني أمية (**من بعض أبواب المسجد ومعه الحرس**) أي الجند والأعوان. (**وهو على برذون أصفر**) والبرذون الحصان الرومي، (**فدخل المسجد**) أي ساحته (**وهو على برذونه**) أي راكبا. (**فجعل يلتفت في المسجد يميناً وشمالاً فلم ير حلقه أحفل**) أي أعظم وأكبر (**من حلقة الحسن، فتوجه نحوها حتى بلغ قريباً منها، ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن. فلما رآه الحسن متوجهاً إليه تجافى له عن ناحية مجلسه، قال سعيد**) الراوي: (**وتجافيت له أيضاً عن ناحية مجلسي حت صار بيني وبين الحسن فرجه ومجلس للحجاج، فجاء الحجاج حتى جلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم،**

لأبلونّ الحسن اليوم ولأنظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج إليه أن يزيد في كلامه يتقرب إليه، أو يحمل الحسن هيبة الحجاج أن ينقص من كلامه؟ فتكلم الحسن كلاماً واحداً نحواً مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى إلى آخر كلامه، فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به، رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال: صدق الشيخ وبرّ فعليكم بهذه المجالس وأشباهها فاتخذوها خلقاً وعادة فإنه بلغني عن رسول الله ﷺ: «إن مجالس الذكر رياض الجنة» ولولا ما حملناه من أمر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها، قال: ثم افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته، فلما فرغ طفق فقام، فجاء رجل من أهل الشام إلى مجلس الحسن ـ حيث قام الحجاج ـ فقال: عباد الله المسلمين ألا تعجبون أني رجل شيخ كبير، وأني أغزو فأكلف فرساً وبغلاً. وأكلف فسطاطاً، وإن لي ثلاثمائة درهم من العطاء، وأن لي سبع بنات من العيال؟ فشكا من حاله حتى رق الحسن له وأصحابه، والحسن مكب،

فلما قطع الحسن كلامه) لجلوس الحجاج، (**فقال سعيد**) الراوي: (**فقلت في نفسي لأبلونّ الحسن اليوم ولأنظرنّ هل يحمل الحسن جلوس الحجاج إليه أن يزيد في كلامه يتقرب إليه**) بذلك، (**أو يحمل الحسن هيبة الحجاج أن ينقص من كلامه؟ فتكلم الحسن كلاماً واحداً مما كان يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الحسن إلى آخر كلامه. فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث به رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال: صدق الشيخ وبرّ**) أي فيما قال. (**فعليكم بهذه المجالس وأشباهها واتخذوها خلقاً وعادة فإنه بلغني عن رسول الله ﷺ: «ان مجالس الذكر رياض الجنة»**) قد ورد معنى ذلك في اخبار منها: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» قالوا: وما رياض الجنة؟ قال «حلق الذكر» رواه الترمذي وقال: حسن غريب، وأبو يعلى، وابن شاهين في الترغيب في الذكر، والبيهقي في الشعب من حديث أنس. وفي لفظ قال «مجالس العلم». رواه الطبراني من حديث ابن عباس وفي لفظ قال «المساجد والرتع فيها قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال: غريب وقد تقدم في كتاب الأذكار والدعوات. (**ولولا ما حملناه من أمر الناس فاغلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها. قال: ثم افترّ الحجاج**) أي فتح فمه (**فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر**) في مجلسه (**من بلاغته، فلما فرغ**) من كلامه (**طفق فقام**) من المجلس، (**فجاء رجل من أهل الشام إلى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال: عباد الله المسلمين ألا تعجبون أني رجل شيخ كبير وإني اغزو**) أي أؤمر بالغزو (**فأكلف فرساً وبغلاً وأكلف فسطاطاً وأن لي ثلاثمائة درهم من العطاء**) أي في ديوان الجند (**وعليّ سبع بنات من العيال، فشكا من حاله حتى رقّ له الحسن وأصحابه**) على ذلك (**والحسن مكبّ**) أي خافض رأسه

فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال: ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله دولاً وقتلوا الناس على الدينار والدرهم، فإذا غزا عدوّ الله غزا في الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة، وإذا أغزى أخاه أغزاه طاوياً راجلاً، فما فتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشده، فقام رجل من أهل الشام كان جالساً إلى الحسن فسعى به إلى الحجاج وحكى له كلامه، فلم يلبث الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا: أجب الأمير، فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به، فلم يلبث الحسن أن رجع إلى مجلسه وهو يتبسم، وقلما رأيته فاغراً فاه يضحك إنما كان يتبسم فأقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الأمانة وقال: إنما تجالسون بالأمانة كأنكم تظنون أن الخيانة ليست إلا في الدينار والدرهم، إن الخيانة أشد الخيانة أن يجالسنا الرجل فنطمئن إلى جانبه ثم ينطلق فيسعى بنا إلى شرارة من نار؟ إني أتيت هذا الرجل فقال: أقصر

ليسمع ما يقول. (**فلما فرغ الرجل من كلامه رفع الحسن رأسه فقال: ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولاً**) أي مستخدمين (**ومال الله دولاً يتناوبونه وقتلوا الناس على الدينار والدرهم، فإذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة**) أي العالية المشرعة (**وعلى البغال السباقة، فإذا أغزى أخاه أغزاه طاوياً**) أي جائعاً (**راجلاً**) أي على رجليه، (**فما فتر الحسن حتى ذكرهم بأقبح العيب وأشده، فقام رجل من أهل الشام كان جالساً إلى الحسن فسعى به إلى الحجاج**) أي نقل مجلسه ذلك (**وحكى له كلامه، فما لبث الحسن أن أتته رسل الحجاج فقالوا: أجب الأمير، فقام الحسن وأشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به**) في حقهم، (**فلم يلبث الحسن أن رجع إلى مجلسه وهو يتبسم وقلما رأيته فاغراً فاه**) أي فاتحاً (**يضحك إنما كان يتبسم، فأقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الأمانة**) أي أمرها (**وقال: إنما تجالسون بالأمانة**). رواه بهذا اللفظ العسكري من طريق هشام بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس رفعه. وروى عبد الرزاق في جامعه، وابن المبارك في الزهد، والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم مرفوعاً ومرسلاً « إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله تعالى فلا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره». ورواه ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود، وروى العسكري، والديلمي، والقضاعي من حديث علي « المجالس بالامانة ». وروى الديلمي من حديث أسامة بن زيد « المجالس أمانة فلا يحل لمؤمن أن يرفع على مؤمن قبيحاً ».

(**كأنكم تظنون أن الخيانة ليست إلا في الدينار والدراهم. إن الخيانة أشد الخيانة أن يجالسنا الرجل فنطمئن إلى ناحيته ثم ينطلق فيسعى بنا إلى شرارة من نار**). وروى العسكري عن ابن عباس في تأويل قوله: « إنما تجالسون بالامانة » قال: أراد ﷺ أن الرجل يجلس إلى القوم فيخوضون في الحديث، ولعل فيه ما إن نمى كان فيه ما يكرهون فيأمنونه على أسرارهم. وروى

عليك من لسانك وقولك إذا غزا عدوّ الله كذا وكذا ، وإذا أغزا أخاه أغزاه كذا ! لا أبا لك! تحرض علينا الناس؟ أما إنا على ذلك لا نتهم نصيحتك فاقصر عليك من اسانك ، قال : فدفعه الله عني .

وركب الحسن حماراً يريد المنزل فبينما هو يسير إذ التفت فرأى قوماً يتبعونه فوقف فقال : هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء وإلا فارجعوا فما يبقى هذا من قلب العبد ؟ فبهذه العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن . ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتوانسون ولا يتعاونون فاعلم أنهم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون . اللهم ارحمنا بلطفك يا أرحم الراحمين .

بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح:

اعلم أن الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد ، أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه ، وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة ، فإذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما كان يعتاده ، أو يصلي مع أنه كان لا يعتاد الصلاة بالليل

من طريق مسلم بن جنادة : حدثنا أبو أسامة عن عمرو بن عبيد عن الحسن عن أنس مرفوعاً « الا ومن الأمانة أو الأمن الخيانة أن يحدث الرجل أخاه بالحديث فيقول اكتمه فيفشيه » . (**إني أتيت هذا الرجل يعني الحجاج فقال: اقصر عليك من لسانك، وقولك إذا غزا عدوّ الله غزا كذا فإذا أغزى أخاه أغزاه كذا . لا أبالك تحرض علينا الناس، أما إنا على ذلك لا نتهم نصيحتك، فاقصر عليك من لسانك . قال: فدفعه الله عني .**

وركب الحسن حماراً يريد المنزل فبينما هو يسير إذ التفت فرأى قوماً يتبعونه، فوقف فقال: هل لكم من حاجة أو تسألون عن شيء وإلا فارجعوا) أي فإن ذلك فتنة على المتبوع ومذلة للتابع ، (**فما يبقى هذا من قلب العبد ؟ فبهذه العلامات وأمثالها تتبين سريرة الباطن . ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون**) مع بضعهم (**لا يتوانسون ولا يتعاونون**) في الحق . (**فاعلم أنهم**) علماء سوء (**قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فهم الخاسرون**) في صفقتهم الخائبون في حركتهم ، والله الموفق .

بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وما لا يصح:

(**اعلم**) وفقك الله (**أن الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد**) أي لصلاة الليل (**أو يقوم بعضهم فيصلون الليل كله أو بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة ، فإذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة**) معهم في عملهم ، (**حتى يزيد على ما كان يعتاده**

أصلاً، وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط، فهذا ربما يظن أنه رياء وأن الواجب ترك الموافقة، وليس كذلك على الإطلاق بل له تفصيل، لأن كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار، ولكن قد تعوقه العوائق ويمنعه الاشتغال ويغلبه التمكن من الشهوات أو تستهويه الغفلة، فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة، أو تندفع العوائق والأشغال في بعض المواضع فينبعث له النشاط، فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الأسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير، أو تمكنه من التمتع بزوجته، أو المحادثة مع أهله وأقاربه، أو الاشتغال بأولاده، أو مطالعة حساب له مع معامليه، فإذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفتر رغبته عن الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير كمشاهدته إياهم وقد أقبلوا على الله وأعرضوا عن الدنيا، فإنه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فتتحرك داعيته للدين لا للرياء، أو ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع أو سبب آخر فيغتنم زوال النوم، وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف إليه أنه في منزله على الدوام، والنفس لا تسمح

أو) أنه (**يصلي مع أنه كان لا يعتاد الصلاة بالليل أصلاً، وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه أهل**) ذلك (**الموضع فينبعث له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط، فهذا ربما يظن أنه رياء، وأن الواجب ترك الموافقة، وليس كذلك على الإطلاق بل له تفصيل، لأن كل مؤمن**) فهو (**راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار، ولكن قد تعوقه العوائق وتمنعه الأشغال ويغلبه التمكن من الشهوات أو تستهويه الغفلة، فربما تكون مشاهدة الغير سبب زوال**) تلك (**الغفلة أو تندفع العوائق والأشغال في بعض المواضع فينبعث له النشاط، فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الأسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير**) أي وطيء، (**أو تمكنه من التمتع بزوجته، (أو المحادثة مع أهله وأقاربه، أو الاشتغال بأولاده، أو مطالعة حساب له مع معامليه**) أو غير ذلك من الأسباب، (**فإذا وقع في منزل غريب اندفعت عنه هذه الشواغل التي تفتر**) أي تضعف (**رغبته في الخير وحصلت له أسباب باعثة على الخير لمشاهدته إياهم وقد اقبلوا على الله**) بقلوبهم (**وأعرضوا عن الدنيا، فإنه ينظر إليهم فينافسهم ويشق عليه أن يسبقوه بطاعة الله فتتحرك دواعيه للدين لا للرياء، وربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع**) أو مزايلة الطبع مألوفه (**أو بسبب آخر**) ككثرة الناموس والبرغوث أو البق (**فيغتنم زوال النوم**) عنه، (**وفي منزله ربما يغلب عليه النوم وربما ينضاف إليه أنه في منزله على الدوام، والنفس لا تسمح**

بالتهجد دائماً وتسمح بالتهجد وقتاً قليلاً فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق، وقد يعسر عليه الصوم في منزله ومعه أطايب الأطعمة ويشق عليه الصبر عنها، فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم، فإن الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين، فإذا سلم منها قوي الباعث. فهذا وأمثاله من الأسباب يتصوّر وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم، والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل ويقول: لا تعمل فإنك تكون مرائياً إذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزد على صلاتك المعتادة، وقد تكون رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفاً من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل، لا سيما إذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل، فإن نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته، وعند ذلك قد يقول الشيطان: صلِّ فإنك مخلص ولست تصلي لأجلهم بل لله، وإنما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم، وهذا أمر مشتبه إلا على ذوي البصائر، فإذا عرف أن المحرك هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة، لأنه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله، وإن كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق.

بالتهجد دائماً، وإنما تسمح بالتهجد وقتاً قليلاً فيكون ذلك سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق، وقد يعسر الصوم عليه في منزله ومعه أطاييب الأطعمة، ويشق عليه الصبر عنها) مع تمكنه منها، **(فإذا أعوزته تلك الأطعمة لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم، فإن للشهوات الحاضرة عوائق)** أي موانع **(ودوافع تغلب باعث الدين، فإذا سلم منها قوي الباعث. فهذا وأمثاله من الأسباب يتصوّر وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة الناس وكونه معهم، والشيطان مع ذلك ربما يصد عن العمل)** ويمنعه **(ويقول: لا تعمل فإنك)** إن عملت **(تكون مرائياً إذ كنت لا تعمل في بيتك ولا تزيد على صلاتك المعتادة، وقد تكون رغبته في الزيادة لأجل رؤيتهم وخوفاً من ذمهم ونسبتهم إياه إلى الكسل، لاسيما إذا كانوا يظنون به أنه يقوم الليل، فإن نفسه لا تسمح بأن يسقط من أعينهم فيريد أن يحفظ منزلته)** عندهم، **(وعند ذلك قد يقول له الشيطان: صل فإنك مخلص)** لله **(ولست تصلي لأجلهم بل لله)** عز وجل، **(وإنما كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق)** التي كانت عرضتك، **(وإنما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم، وهذا أمر مشتبه)** الطرفين **(إلا على ذوي البصائر)** النافذة، **(فإذا عرف أن المحرك هو الرياء فلا ينبغي أن يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة، لأنه يعصي الله بطلب محمدة الناس بطاعة الله، وإن كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة بسبب عبادتهم فليوافق)**.

وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه؟ فإن سخت نفسه فليصل فإن باعثه الحق، وإن كان ذلك يثقل على نفسه لو غاب عن أعينهم فليترك، فإن باعثه الرياء. وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة ما لا يحضره كل يوم، ويمكن أن يكون ذلك لحب حمدهم، ويمكن أن يكون نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى، وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس إلى حب الحمد، فمهما علم أن الغالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بما يجده من حب الحمد، بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة. وكذلك قد يبكي جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفاً من الله تعالى لا من الرياء، ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى، ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب، وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق إذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفاً، وذلك محمود. وعلامة الصدق فيه أن يعرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى أم لا؟ فإن لم يجد ذلك عند تقدير

(وعلامة ذلك أن يعرض على نفسه أنه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت نفسه تسخو بالصلاة وهم لا يرونه؟ فإن سخت نفسه فليصل فإن باعثه الحق، وإن كان يثقل على نفسه ذلك لو غاب عن أعينهم فليترك، فإن باعثه الرياء، وكذلك قد يحضر الإنسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلاة) مع الجماعة **(ما لا يحضره كل يوم، ويمكن أن يكون ذلك لحب حمدهم)** له، **(ويمكن أن يكون تحرك نشاطه بسبب نشاطهم وزوال غفلته بسبب إقبالهم على الله تعالى، وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس إلى حب الحمد، فمهما علم أن الغالب على قلبه إرادة الدين فلا ينبغي أن يترك العمل بما يجده من حب الحمد، بل ينبغي أن يرد ذلك على نفسه بالكراهية ويشتغل بالعبادة، وكذلك قد تبكي جماعة فينظر إليهم فيحضره البكاء خوفاً من الله لا من الرياء، ولو سمع ذلك الكلام وحده لما بكى، ولكن بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب)** وتليينه، **(وقد لا يحضره البكاء فيتباكى)** أي يتكلف البكاء، **(تارة رياء وتارة مع الصدق إذ يخشى على نفسه قساوة القلب حين)** رآهم **(يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفاً، وذلك محمود. وعلامة الصدق فيه أن يعرض على نفسه أنه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى أم لا؟ فإن لم**

الاختفاء عن أعينهم فإنما خوفه من أن يقال أنه قاسي القلب فينبغي أن يترك التباكي.

قال لقمان عليه السلام لابنه: لا تُـرِ الناس أنك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر. وكذلك الصيحة والتنفس والأنين عند القرآن أو الذكر أو بعض مجاري الأحوال تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف، وتارة تكون لمشاهدته حزن غيره وقساوة قلبه، فيتكلف التنفس والأنين ويتحازن وذلك محمود، وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن ليعرف بذلك، فإن تجردت هذه الداعية فهي الرياء، وإن اقترنت بداعية الحزن فإن أباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه، وإن قبل ذلك وركن إليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله به، وقد يكون أصل الأنين عن الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء، وهو محظور لأنها في حكم الابتداء لمجرد الرياء، فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبقه خاطر الرياء فيقبله فيدعو إلى زيادة تحزين للصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة على الوجه حتى تبصر بعد أن استرسلت لخشية الله، ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء. وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه من الخوف فيسقط ثم يستحي أن يقال له أنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة، فيزعق ويتواجد تكلفاً ليرى أنه سقط لكونه

يجد ذلك عند تقدير الاختفاء عن أعينهم فإنما خوفه من أن يقال أنه قاسي القلب فينبغي أن يترك التباكي. قال لقمان لابنه) : يا بني **(لا تُـرِ الناس أنك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر)** أي فإن ذلك رياء ونفاق **(وكذلك الصيحة)** أي الزعقة **(والتنفس)** صعداء **(والأنين عند)** سماع **(القرآن والذكر أو بعض مجاري الأحوال تارة تكون من الصدق والحزن والخوف والندم والتأسف)** على ما فات من الخير، **(وتارة تكون بمشاهدة حزن غيره وقساوة قلبه، فيتنفس ويتكلف التنفس والأنين ويتحازن وذلك محمود، وقد تقترن به الرغبة فيه لدلالته على أنه كثير الحزن ليعرف ذلك، فإن تجردت هذه الداعية فهي الرياء وإن اقترنت بداعية الحزن فإن أباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه، وإن قبل ذلك وركن إليه بقلبه حبط أجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله به، وقد يكون أصل الأنين عن الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت، فرفع تلك الزيادة رياء وهو محظور لأنها في حكم الابتداء لمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه، ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبله فيدعو إلى زيادة تحزين الصوت أو رفع له أو حفظ الدمعة)** الجارية **(على الوجه حتى تبصر)** أي يراها الناس **(بعد أن استرسلت لخشية الله، ولكن يحفظ أثرها على الوجه لأجل الرياء. وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه)** وترتخي **(من الخوف فيسقط)** على الأرض **(فيستحي أن يقال أنه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة**

مغشياً عليه وقد كان ابتداء السقطة عن صدق، وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعاً فتجزع نفسه أن يقال حالته غير ثابتة، وإنما هي كبرق خاطف، فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام حاله، وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعاً فيجزع أن يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه، فيستديم إظهار الضعف والأنين فيتكىء على غيره يرى أنه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي ويقرب الخطا ليظهر أنه ضعيف عن سرعة المشي. فهذه كلها مكائد الشيطان ونزغات النفس، فإذا خطرت فعلاجها أن يتذكر أن الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه، وأن الله مطلع على ضميره وهو له أشد مقتاً، كما روي عن ذي النون رحمه الله أنه قام وزعق، فقام معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف فقال: يا شيخ! الذي يراك حين تقوم؟ فجلس الشيخ وكل ذلك من أعمال المنافقين.

فيزعق ويصيح ويتواجد تكلفاً ليرى أنه سقط لكونه مغشياً عليه، وقد كان ابتداء السقطة **عن صدق، وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعاً فتجزع نفسه أن يقال حالته غير ثابتة، وإنما هي كبرق خاطف فيستديم الزعقة والرقص والتواجد ليرى دوام حاله)** وثبوتها، (**وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعاً فيجزع أن يقال لم تكن غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه، فيستديم إظهار الضعف والأنين فيتكىء على غيره يرى أنه يضعف عن القيام ويتمايل في المشي**) يميناً وشمالاً (**ويقرب الخطا ليظهر أنه ضعيف عن سرعة المشي. فهذه كلها مكايد الشيطان**) وخدعه (**ونزغات النفس، فإذا خطرت فعلاجها أن يتذكر أن الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على**) ما في ضميره (**لمقتوه**) أي أبغضوه، (**وأ الله مطلع على ضميره وهوله أشد مقتاً، كما روي عن ذي النون**) رحمه الله تعالى (**أنه**) لما دخل بغداد واجتمعت عليه الصوفية، ومنهم قوّال يقول شيئاً فاستأذنوه بأن يقول بين يديه شيئاً فأذن له فابتدأ يقول:

صغير هواك عذبني ... فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت من قلبي ... هوى قد كان مشتركا
اما ترثي لمكتئب ... إذا ضحك الخليّ بكى

(**قام**) ذو النون (**وزعق**) وسقط على وجهه والدم يقطر من جبينه ولا يشعر به، (**فقام معه شيخ آخر رأى فيه أثر التكلف**) يتواجد (**فقال**) له ذو النون: (**يا شيخ الذي يراك حين تقوم؟ فجلس الشيخ**) حكاه القشيري في الرسالة عن أحمد بن مقاتل المكي ثم قال: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول في هذه الحكاية: كان ذو النون المصري صاحب إشراف على ذلك الرجل حيث نبهه أن ذلك ليس مقامه، وكان ذلك الرجل صاحب انصاف حيث قبل ذلك منه فرجع

وقد جاء في الخبر: «نعوذ بالله من خشوع المنافقين» وإنما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع. ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه، فإن ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه، وقد يكون للمراءاة. فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة، وهي مع تقاربها متشابهة، فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو ومن أين هو؟ فإن كان لله فامضه واحذر مع ذلك أن يكون قد خفي عليك شيء من الرياء الذي هو كدبيب النمل، وكن على وجل من عبادتك أهي مقبولة أم لا؟ لخوفك على الإخلاص فيها، واحذر أن يتجدد لك خاطر الركون إلى حمدهم بعد الشروع بالإخلاص فإن ذلك مما يكثر جداً، فإذا خطر لك فتفكر في إطلاع الله عليك ومقته لك، وتذكر ما قاله أحد الثلاثة الذين حاجوا أيوب عليه السلام إذ قال: يا أيوب أما علمت أن العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها عن نفسه ويجزى بسريرته. وقول بعضهم: أعوذ بك أن يرى الناس أني أخشاك وأنت لي

وقعد، وقد تقدم ذلك في كتاب السماع والوجد. **(وكل ذلك من أعمال المنافقين)**.

(وقد جاء في الخبر «نعوذ بالله من خشوع النفاق») قال العراقي: روا البيهقي في الشعب من حديث أبي بكر الصديق، وفيه الحرث بن عبيد الأنماري ضعفه أحمد وابن معين. **(وإنما خشوع النفاق أن تخشع الجوارح والقلب غير خاشع)** وقد جاء مفسراً هكذا في الخبر فيما رواه الحكيم والبيهقي من حديث أبي بكر المتقدم بلفظ: «تعوذوا بالله من خشوع النفاق». قالوا: يا رسول الله وما خشوع النفاق؟ قال «خشوع البدن ونفاق القلب» وقد رواه كذلك الحاكم في تاريخه من حديث ابن عمر).

(ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه فإن ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه، وقد يكون للمراءاة. فهذه خواطر ترد على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة) يعسر التمييز بينها إلا على ذوي البصائر. **(فراقب قلبك في كل ما يخطر لك، وانظر ما هو ومن أين هو؟ فإن كان لله فامضه واحذر مع ذلك أن يكون خفي عليك شيء من الرياء الذي هو)** في دقته وخفائه **(كدبيب النمل، وكن على وجل من عبادتك أهي مقبولة)** عند الله **(أم لا؛ لخوفك على الإخلاص فيها، واحذر أن يتجدد لك خاطر الركون)** أي الميل **(إلى حمدهم بعد الشروع في الإخلاص، فإن ذلك مما يكره)** في الأعمال **(جداً فإذا خطر لك فتفكر في اطلاع الله عليك ومقته لك وتذكر ما قاله أحد الثلاثة نفر الذين حاجوا أيوب عليه السلام إذ قال: يا أيوب أما علمت أن العبد تضل عنه علانيته التي كان يخادع بها في نفسه ويجزى بسريرته؟ وقول بعضهم: أعوذ بك أن يرى**

ماقت. وكان من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما: اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح لك فيما أخلو سريرتي، محافظاً على رياء الناس من نفسي، ومضيعاً لما أنت مطلع عليه مني، أبدي للناس أحسن أمري وأفضي إليك بأسوأ عملي تقرباً إلى الناس بحسناتي وفراراً منهم إليك بسيئاتي، فيحل بي مقتك ويجب عليّ غضبك، أعذني من ذلك يا رب العالمين. وقد قال أحد الثلاثة نفر لأيوب عليه السلام: يا أيوب ألم تعلم أن الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسوّد وجوههم؟ فهذه جمل آفات الرياء. فليراقب العبد قلبه ليقف عليها ففي الخبر: «إن للرياء سبعين باباً» وقد عرفت أن بعضه أغمض من بعض، حتى أن بعضه

الناس أني أخشاك وأنت لي ماقت) أي باغض، **(وكان من دعاء علي بن الحسين)** بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم: **(اللهم إني أعوذ بك أن تحسن فيّ لامعة العيون)** أي ما ظهر منها **(علانيتي وتقبح لك فيما أخلو سريرتي محافظاً على رياء الناس في نفسي ومضيعاً ما أنت مطلع عليه مني، أبدي للناس أحسن أمري وأفضي إليك باسوأ عملي تقرباً إلى الناس بحسناتي وفراراً منهم إليك بسيئاتي، فيحل بي مقتك ويجب علي غضبك. أعوذ بالله من ذلك يا رب العالمين)**. وهذا الدعاء رواه صاحب نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ولفظه: اللهم إني أعوذ بك من أن يحسن في لامعة العيون علانيتي، ويقبح فيما أبطن لك سريرتي، محافظاً على رياء الناس، مطلع من نفسي بجميع ما أنت مطلع عليه مني، فأبدي للناس حسن ظاهري وأفضي إليك بسوء عملي تقرباً إلى عبادك وتباعداً من مرضاتك، وهو من رواية علي بن الحسين بن علي عن أبيه عن جده.

(وقد قال أحد الثلاثة نفر لأيوب عليه السلام: يا أيوب ألم تعلم أن الذين حفظوا علانيتهم وأضاعوا سرائرهم عند طلب الحاجات إلى الرحمن تسودّ وجوههم؟ فهذه جملة آفات الرياء، فليراقب العبد قلبه ليقف عليها ففي الخبر «إن للرياء سبعين باباً») قال العراقي: هكذا ذكر المصنف الحديث هنا، وكأنه تصحف عليه أو على من نقله من كلامه أنه الرياء بالمثناة التحتية، وإنما هو الربا بالموحدة والرسم كتابته بالواو، والحديث رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ «الربا سبعون حوباً أيسرها أن ينكح الرجل أمه» وفي إسناده أبو معشر واسمه نجيح مختلف فيه. وروى ابن ماجه من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال «الربا ثلاثة وسبعون باباً» واسناده صحيح. هكذا ذكر ابن ماجه الحديثين في أبواب التجارات، وقد روى البزار حديث ابن مسعود بلفظ «الربا بضع وسبعون باباً والشرك مثل ذلك» وهذه الزيادة قد يستدل بها على أنه الرياء بالمثناة لاقترانه مع الشرك والله أعلم. اهـ.

قلت: روي ذلك من حديث أبي هريرة، وابن مسعود، والبراء، وعائشة ورجل من الأنصار. فحديث أبي هريرة رواه ابن جرير بلفظ «الربا سبعون حوباً أهونها مثل وقوع الرجل على أمه».

مثل دبيب النمل ، وبعضه أخفى من دبيب النمل ، وكيف يدرك ما هو أخفى من دبيب النمل إلا بشدة التفقد والمراقبة؟ وليته أدرك بعد بذل المجهود ، فكيف يطمع في إدراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش عن خدعها ؟ نسأل الله تعالى العافية بمنه وكرمه وإحسانه .

بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه :

اعلم أن أولى ما يلزم المريد قلبه في سائر أوقاته القناعة بعلم الله في جميع طاعاته ، ولا

ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الغيبة بلفظ « وأيسرها كنكاح الرجل أمه وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم » . ورواه البيهقي بلفظ « الربا سبعون باباً أدناها كالذي يقع على أمه » وفي لفظ له « أن الربا سبعون حوباً أدناها مثل ما يقع الرجل على أمه وأربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه » .

وأما حديث ابن مسعود فلفظه « الربا ثلاث وسبعون باباً أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم » . رواه الحاكم والبيهقي .

وأما حديث البراء فلفظه « الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه » رواه ابن جرير .

وأما حديث عائشة فلفظه « إن الربا بضع وسبعون باباً أصغرها كالواقع على أخته » . رواه أبو نعيم في الحلية .

وأما حديث رجل من الأنصار فلفظه « الربا أحد وسبعون ـ أو قال ثلاثة وسبعون حوباً أهونها مثل اتيان الرجل أمه » رواه عبد الرزاق في جامعه .

وأما حديث ابن مسعود الذي رواه البزار ، فقد رواه ابن جرير كذلك وضبطوه بالموحدة ، وقد تقدم ذكر هذا الحديث في كتاب اللسان .

(وقد عرفت أن بعضه أغمض من بعض حتى أن بعضه مثل دبيب النمل وبعضه أخفى من دبيب النمل ، وكيف يدرك ما هو أخفى من دبيب النمل) لشدة خفائه ودقته **(إلا بشدة التفقد والمراقبة)** وكثرة المجاهدة لعيوب النفس ؟ **(وليته أدرك بعد بذل المجهود ، فكيف يطمع في إدراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس)** ورياضة لها وتهذيبها **(وتفتيش عن خدعها)** وتلبيساتها ، والله الموفق .

بيان ما ينبغي للمريد أن يلزم نفسه قبل العمل وبعده وفيه :

(اعلم) هداك الله **(أن أوّل ما يلزم المريد قلبه في سائر أوقاته القناعة بعلم الله تعالى في**

يقنع بعلم الله إلا من لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله، فأما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن أحواله، فإن كان في هذه الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والإيمان لما فيه من خطر التعرض للمقت، وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره، فإن النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصاً على الإفشاء وتقول: مثل هذا العمل العظيم أو الخوف العظيم أو البكاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك! فما في الخلق من يقدر على مثله، فكيف ترضى بإخفائه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك؟ ففي مثل هذا الأمر ينبغي أن يثبت قدمه، ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبد الآباد، وعظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثواباً من عباده، ويعلم أن إظهاره لغيره محبب إليه وسقوط عند الله وإحباط للعمل العظيم فيقول: وكيف أتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق وهم عاجزون لا يقدرون لي على رزق ولا أجل؟ فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي أن ييأس عنه فيقول: إنما يقدر على الإخلاص الأقوياء، فأما المخلطون فليس ذلك من

جميع طاعاته وما يتقرب به إليه، ولا يقنع بعلم الله إلا من لا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله، فأما من خاف غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن أحواله) الباطنة والظاهرة، **(فإن كان)** المريد **(في هذه المرتبة فليلزم قلبه كراهته ذلك)** أي يحبسه به ويجعل الكراهة كالزمام وفي نسخة فيلزم **(من جهة العقل والإيمان لما فيه من خطر التعرض للمقت)** والسقوط من عين الله تعالى، **(وليراقب نفسه عند الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره، فإن النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصاً على الإفشاء)** والإظهار **(وتقول: مثل هذا العمل العظيم)** الشاق **(والخوف العظيم والبلاء العظيم لو عرفه الخلق منك لسجدوا لك)** تعظيماً لمقامك! **(فما في الخلق من يقدر على مثله، فكيف ترضى بإخفائه)** وكتمه **(فيجهل الناس محلك)** ومنزلتك **(وينكرون قدرك ويحرمون الاقتداء بك؛ ففي مثل هذا الأمر)** إذا عرض له **(ينبغي أن يثبت قدمه، ويتذكر في مقابلة عظم عمله عظم ملك الآخرة ونعيم الجنة ودوامه أبد الآباد)** وما أعد الله فيها للعاملين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. **(و)** يتذكر أيضاً **(عظم غضب الله ومقته على من طلب بطاعته ثواباً من عباده، ويعلم أن إظهاره لغيره تحبب إليه وسقوط عند الله)** من عين رحمته. **(واحباط العمل العظيم فيقول: وكيف أتبع مثل هذا العمل بحمد الخلق)** وثنائهم **(وهم عاجزون)** في أنفسهم **(لا يقدرون لى على رزق ولا أجل؟ فيلزم ذلك قلبه)** ويورده عليه. **(ولا ينبغي أن ييأس عنه فيقول: إنما يقدر على الإخلاص الأقوياء)** من الناس، **(فأما المخلطون فليس ذلك من شأنهم فيترك المجاهدة في الإخلاص)** رأساً **(لأن المخلط إلى**

شأنهم، فيترك المجاهدة في الإخلاص لأن المخلط إلى ذلك أحوج من المتقي، لأن المتقي إن فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة، والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة إلى الجبران بالنوافل، فإن لم تسلم صار مأخوذاً بالفرائض وهلك به، فالمخلط إلى الإخلاص أحوج.

وقد روى تميم الداري عن النبي ﷺ أنه قال: « يحاسب العبد يوم القيامة فإن نقص فرضه قيل: انظروا هل له من تطوّع؟ فإن كان له تطوع أكمل به فرضه وإن لم يكن له تطوّع أخذ بطرفيه فألقي في النار »، فيأتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب

ذلك أحوج من المتقي لأن المتقي إن فسدت نوافله بقيت فرائضه كاملة تامة) محفوظة عن الفساد، **(والمخلط لا تخلو فرائضه عن النقصان والحاجة إلى الجبران بالنوافل، فإن لم يسلم صار مأخوذاً بالفرائض وهلك به، فالمخلط الى الإخلاص)** في أعماله **(أحوج)** من المتقي، **(وقد روى)** أبو رقية **(تميم)** بن أوس بن حارثة بن سور بن جذيمة بن رزاح بن عدي بن الدار **(الداري)** رضي الله عنه قدم المدينة سنة تسع وأسلم، وذكر للنبي ﷺ قصة الجساسة والدجال، فحدث النبي ﷺ بذلك على المنبر وعد تلك من مناقبه، وانتقل إلى الشام بعد قتل عثمان وسكن فلسطين، وكان النبي ﷺ أقطعه بها قرية عينون. قال ابن حبان: مات بالشام وقبره ببيت جبرين من بلاد فلسطين، **(عن النبي ﷺ أنه قال « يحاسب العبد يوم القيامة فإن نقص فرضه قيل انظروا هل له من تطوّع، فإن كان له تطوّع أكمل به فرضه، وإن لم يكن له تطوّع أخذ بطرفيه فالقي في النار »)** رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه والدارمي، وابن قانع، والحاكم، والبيهقي، والضياء، ولفظهم « أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فإن كان أتمها كتبت له تامة، فإن لم يكن أتمها قال الله عز وجل لملائكته: أنظروا هل تجدون لعبدي من تطوّع فتكملون بها فريضته؟ ثم الزكاة كذلك ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك ». ورواه أيضاً أحمد، وابن أبي شيبة عن رجل من الصحابة. وفي رواية « أوّل ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة يقول ربنا عز وجل لملائكته وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة وإن كانت انتقص منها شيء قال: انظروا هل لعبدي من تطوّع فإن كان تطوّع قال أتموا لعبدي فريضته من تطوّعه ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم » هكذا رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، والحاكم، والبيهقي من حديث أبي هريرة.

وروى الحاكم في الكنى من حديث ابن عمر « أوّل ما افترض الله تعالى على أمتي الصلوات الخمس، وأول ما يرفع من أعمالهم الصلوات الخمس، وأول ما يسألون عن الصلوات الخمس، فمن كان ضيع شيئاً منها يقول الله تبارك وتعالى: انظروا هل تجدون لعبدي نافلة من صلاة تتمون بها ما نقص من الفريضة وانظروا في صيام عبدي شهر رمضان فإن كان ضيع شيئاً منه فانظروا هل تجدون لعبدي من صيام تتمون به ما نقص من الصيام؟ وانظروا في زكاة عبدي فإن كان ضيع

كثيرة فاجتهاده في جبر الفرائض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك إلا بخلوص النوافل، وأما المتقي فجهده في زيادة الدرجات فإن حبط تطوّعه بقي من حسناته ما يترجح على السيئات فيدخل الجنة.

فإذاً ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله، ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يظهره ولا يتحدث به، وإذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلاً من عمله خائفاً أنه ربما داخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه، فيكون شاكاً في قبوله ورده مجوزاً أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها وردّ عمله بسببها، ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده إلا في ابتداء العقد، بل ينبغي أن

شيئاً منها فانظروا هل تجدون لعبدي نافلة من صدقة تتمون بها ما نقص من الزكاة؟ فيؤخذ ذلك على فرائض الله وذلك برحمة الله وعله فإن وجد فضل وضع في ميزانه وقيل: أخل الجنة مسروراً وإن لم يوجد له شيء من ذلك أمرت به الزبانية فأخذ بيديه ورجليه ثم قذف في النار»

وروى ابن عساكر من حديث أبي هريرة «إن أوّل ما يحاسب به العبد صلاته فإن سلمت سلم سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله، ثم يقول: انظروا هل لعبدي من نافلة فإن كانت له نافلة أتم بها الفريضة ثم الفرائض كذلك بعائدة الله تعالى ورحمته»، وإسناده حسن.

ورواه الترمذي وقال: حسن غريب، والنسائي وابن ماجه بلفظ «أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، وإن انتقص من فريضته قال الرب: انظروا هل لعبدي من تطوّع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك». وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب الصلاة.

(فيأتي المخلط يوم القيامة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة باجتهاد في جبر الفرائض) بالنوافل **(وتكفير السيئات أحوج، ولا يمكن ذلك إلا بخلوص النوافل)** حتى يقع بها الجبر، **(أما المتقي فجهده في زيادة الدرجات)** ورفعها **(وإن حبط تطوّعه بقي من حسناته ما يترجح به على السيئات فيدخل الجنة)** بفضل الله ورحمته.

(فإذاً ينبغي أن يلزم قلبه خوف اطلاع غير الله عليه لتصح نوافله، ثم يلزم قلبه ذلك بعد الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره للناس، فإذا فعل جميع ذلك فينبغي أن يكون وجلاً من عمله خائفاً أنه ربما داخله من الرياء الخفي ما لا يقف عليه، فيكون شاكاً في قبوله ورده مجوّزاً أن يكون الله قد أحصى عليه من نيته الخفية ما مقته بها) أي أبغضه **(وردّ عمله بسببها، ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتداء العقد بل ينبغي أن يكون متيقناً في الابتداء أنه مخلص ما يريد بعمله إلا الله حتى يصح عمله، فإذا**

يكون متيقناً في الابتداء أنه مخلص ما يريد بعمله إلا الله حتى يصح عمله، فإذا شرع ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية أحبطت عمله من رياء أو عجب أولى به، ولكن يكون رجاؤه أغلب من خوفه لأنه استيقن أنه دخل بالإخلاص وشكّ في أنه هل أفسده برياء؟ فيكون رجاء القبول أغلب، وبذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات.

فالإخلاص: يقين، والرياء: شك، وخوفه لذلك الشك جدير بأن يكفر خاطر الرياء إن كان قد سبق وهو غافل عنه، والذي يتقرب إلى الله بالسعي في حوائج الناس وإفادة العلم ينبغي أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط، ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر ومكافأة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه، فإن ذلك يحبط الأجر. فمهما توقع من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة، أو مرافقة في المشي في الطريق ليستكثر باستتباعه، أو تردداً منه في حاجة فقد أخذ أجره فلا ثواب له غيره. نعم إن لم يتوقع هو ولم يقصد إلا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل أجره، ولكن خدمه التلميذ بنفسه فقبل خدمته، فنرجو أن لا يحبط ذلك أجره إذا

شرع فيه ومضت لحظة تمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شائبة خفية أحبطت عمله من رياء أو عجب أولى به) وبه يكون تمام عمله بالإخلاص فيعطى لآخره حكم أوله، (**ولكن يكون رجاؤه أغلب من خوفه لأنه استيقن أنه دخل بإخلاص**) في ابتداء العقد، (**وشك أنه هل أفسده برياء فيكون رجاء القبول أغلب، وبذلك تعظم لذته في المناجاة والطاعات**).

(**فالإخلاص: يقين. والرياء: شك**) واليقين لا يزال بالشك، (**وخوفه لأجل الشك جدير بأن يكفر خاطر الرياء إن كان قد سبق وهو غافل عنه، و**) أما (**الذي يتقرب إلى الله بالسعي في حوائج الناس**) التي يضطرون إليها (**و**) في (**إفادة العلم**) فإنه (**ينبغي أن يلزم نفسه رجاء الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط، ورجاء الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر، ومكافأة وحمد وثناء من المتعلم والمنعم عليه، فإن ذلك يحبط الأجر فمهما توقع**) أي ترجى (**من المتعلم مساعدة في شغل وخدمة أو مرافقة إلى المشي في الطريق يستكثر باتساعه**) له أو مشيه خلفه راكباً أو ماشياً (**أو تردداً منه في حاجة**) من حاجاته المتعلقة به، (**فقد أخذ أجره ولا ثواب له غيره. نعم إن لم يتوقع هو**) ذلك (**ولم يقصد إلا الثواب على عمله ليكون له مثل أجره، ولكن**) لو (**خدمه التلميذ بنفسه**) من غير طلب منه (**فقبل خدمته، فنرجو أن لا يحبط لذلك أجره**) إذ كان لا ينتظره

كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده لو قطعه. ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا، حتى أن بعضهم وقع في بئر فجاء قوم فأدلوا حبلاً ليرفعوه فحلف عليهم أن لا يقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن أو سمع منه حديثاً، خيفة أن يحبط أجره.

وقال شقيق البلخي: أهديت لسفيان الثوري ثوباً فردّه علي، فقلت له: يا أبا عبدالله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترده عليّ. قال: علمت ذاك ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يلين قلبي لأخيك أكثر مما يلين لغيره.

وجاء رجل إلى سفيان ببدرة أو بدرتين وكان أبوه صديقاً لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيراً فقال له: يا أبا عبدالله في نفسك من أبي شيء؟ فقال: يرحم الله أباك ـ كان وكان وأثنى عليه ـ فقال: يا أبا عبدالله قد عرفت كيف صار هذا المال إليّ، فأحب أن تأخذ هذه تستعين بها على عيالك. قال: فقبل سفيان ذلك.

قال: فلما خرج قال لولده يا مبارك ألحقه فردّه عليّ، فرجع فقال: أحب أن تأخذ

(ولا يريده منه) ولا يطلبه **(ولا يستعيده منه لو قطعه، ومع هذا فقد كان العلماء يحذرون هذا حتى ان بعضهم وقع في بئر)** فاستغاث **(فجاء قوم فأدلوا)** له **(حبلاً ليرقوه)** وفي نسخة: ليرفعوه **(فحلف عليهم أن لا يقف معهم من قرأ عليه آية من القرآن أو سمع منه حديثاً خيفة من أن يحبط أجره. وقال شقيق البلخي)** رحمه الله تعالى: **(اهديت لسفيان)** بن سعيد **(الثوري)** رحمه الله تعالى **(ثوباً فردّه علي)** ولم يقبله **(فقلت: يا أبا عبد الله لست أنا ممن أسمع الحديث حتى تردّه عليَّ)** فتخاف إني اهديته لك لأجل ذلك. **(قال)** الثوري: قد **(علمت ذلك، ولكن أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يلين قلبي لأخيك أكثر مما يلين لغيره)**. أخرجه أبو نعيم في الحلية عن عبد المنعم بن عمر، حدثنا أحمد بن محمد بن زياد، حدثنا أبو داود، حدثنا إسحاق بن الجراح الأزدي، حدثنا عبد الرحمن بن محمد قال: حدثني شقيق البخلي قال: أهديت لسفيان فذكره.

وقال أبو نعيم أيضاً: حدثنا عبد المنعم بن عمير، حدثنا أحمد بن محمد بن اسماعيل الصائغ، حدثنا الحلواني، حدثنا يحيى بن أيوب، حدثنا مبارك بن سعيد قال: **(جاء رجل إلى سفيان ببدرة أو ببدرتين وكان أبوه صديقاً لسفيان وكان سفيان يأتيه كثيراً)** قال **(فقال له: يا أبا عبدالله في نفسك من أبي شيء؟ فقال: يرحم الله أباك كان وكان فأثنى عليه)** قال **(فقال: يا أبا عبدالله قد عرفت كيف صار إلى هذا المال فأحب أن تأخذ هذه)** البدرة من المال **(تستعين بها على عيالك. قال: فقبل سفيان ذلك، فلما خرج قال لوالده)** ولفظ الحلية بعد قوله ذلك وقام الرجل فلما كاد أن يخرج قال: **(يا مبارك الحقه فردّه عليّ)** وهذا السياق هو الصواب، فإن مباركاً أخاه لا ولده وهو مبارك بن سعيد بن مسروق الثوري الأعمى، أبو عبد الرحمن الكوفي،

مالك، فلم يزل به حتى ردّه عليه. وكأنه كانت أخوته مع أبيه في الله تعالى فكره أن يأخذ ذلك. قال ولده: فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت إليه فقلت: ويلك أي شيء قلبك هذا حجارة؟ عد أنه ليس لك عيال؟ أما ترحمني؟ أما ترحم اخوتك؟ أما ترحم عيالنا؟ فأكثرت عليه فقال: الله يا مبارك تأكلها أنت هنيئاً مريئاً وأسأل عنها أنا.

فإذاً يجب على العالم أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اهتداء الناس به فقط، ويجب على المتعلم أن يلزم قلبه حمداً لله وطلب ثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المعلم وعند الخلق، وربما يظن أن له أن يرائي بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه، وهو خطأ لأن إرادته بطاعته غير الله خسران في الحال، والعلم ربما يفيد وربما لا يفيد؟ فكيف يخسر في الحال عملاً نقداً على توهم علم؟ وذلك غير جائز، بل ينبغي أن يتعلم لله ويعبد لله ويخدم المعلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة، إن كان يريد أن يكون تعلمه طاعة، فإن العباد أمروا أن لا يعبدوا إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره، وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي

نزيل بغداد، صدوق مات سنة ثمانين روى له أبو داود والترمذي والنسائي في عمل اليوم والليلة، (**فرجع**) الرجل (**فقال**) له سفيان: يا ابن أخي (**أحب أن تأخذ مالك**) قال له: يا أبا عبد الله في نفسك منه شيء؟ قال: لا ولكن أحب أن تأخذه، (**فلم يزل به حتى ردّه عليه**) وذهب به و (**كأنه كانت أخوّته مع أبيه في الله فكره أن يأخذ ذلك**) ومن قوله وكأنه إلى هنا من زيادة المصنف ليست في سياق الحلية، وقد ساقها للاعتذار عن سفيان وهو حسن (**قال ولده فلما خرج**) الرجل بماله (**لم أملك نفسي أن جئت إليه فقلت: ويلك**) وليس في الحلية ولده، وإنما هو قال فلما خرج لم أملك نفسي أن جئت إليه فقلت: ويحك (**أي شيء قلبك هذا حجارة؟ عد أنه ليس لك عيال، أما ترحمني؟ أما ترحم أخوتك؟ أما ترحم عيالك**) وفي الحلية عيالنا وعيالك قال: (**فاكثرت عليه فقال: الله يا مبارك تأكلها أنت هنيئاً مريئاً واسأل عنها أنا**) ولفظ الحلية أنا عنها؛

(**فإذاً يجب على العالم أن يلزم قلبه طلب الثواب من الله في اهتداء الناس به فقط**) ولا يخطر به شيء سواه، (**ويجب على المتعلم أن يلزم قلبه حمد الله تعالى وطلب ثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المعلم وعند الخلق، وربما يظن أن له أن يرائي بطاعته لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطأ لأن إرادة غير الله بطاعته خسران في الحال، والعلم بما يفيد وربما لا يفيد وكيف يخسر في الحال عملاً نقداً**) حاضراً (**على توهم علم**) سيستفيده مع التردد في كونه مفيداً أو غير مفيد، (**وذلك غير جائز. وينبغي أن يتعلم لله ويعبد لله ويخدم المعلم لله لا ليكون له في قلبه منزلة إن كان يريد أن يكون تعلمه طاعة، فإن العباد أمروا أن لا يعبدوا إلا الله ولا يريدوا بطاعتهم غيره**) كما قال تعالى: ﴿ومَا أُمِرُوا إلاَّ لِيعبدُوا الله

أن يخدمها لطلب المنزلة عندهما إلا من حيث أن رضا الله عنه في رضا الوالدين، ولا يجوز له أن يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين، فإن ذلك معصية في الحال وسيكشف الله عن ريائه وتسقط منزلته من قلوب الوالدين أيضاً. وأما الزاهد المعتزل عن الناس فينبغي له أن يلزم قلبه ذكر الله والقناعة بعلمه، ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده واستعظامهم محله، فإن ذلك يغرس الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادات في خلوته به، وإنما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدري أنه المخفف للعمل عليه.

قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله: تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت: يا سمعان منذ كم أنت في صومعتك؟ قال: منذ سبعين سنة، قلت فما طعامك؟ قال: يا حنيفي وما دعاك إلى هذا؟ قلت: أحببت أن أعلم، قال في كل ليلة حمصة، قلت: فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة؟ قال: ترى الدير الذي بحذائك؟ قلت: نعم، قال: إنهم يأتوني في كل سنة يوماً واحداً فيزينون صومعتي

مُخْلِصِينَ له الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥] لله غير مشركين به (**وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي أن يخدمها لطلب المنزلة عندهما إلا من حيث أن رضا الله في رضا الوالدين**). وقد روى الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو «رضا الرب من رضا الوالد وسخط الرب من سخط الوالد». (**ولا يجوز له أن يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين، فإن ذلك معصية في الحال، وسيكشف الله عن ريائه وتسقط منزلته من قلب الوالدين أيضاً**)، فإن من طلب رضا الناس بسخط الله أسخطهم كما ورد ذلك في الخبر وتقدم. (**وأما الزاهد المعتزل عن الناس، فينبغي أن يلزم قلبه ذكر الله**) تعالى (**والقناعة بعلمه**) فقط (**ولا يخطر بقلبه معرفة الناس بزهده واستعظامهم محله**) وتبجيلهم له، (**فإن ذلك يغرس الرياء في صدره حتى تتيسر عليه العبادة في خلواته به**) وفي نسخة العبادات في خلوته به. (**وإنما سكونه لمعرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدري أنه المخفف للعمل عليه**).

(**قال إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى: (**تعلمت المعرفة من راهب**) في دير (**يقال له سمعان دخلت في صومعته**) التي هو يتعبد فيها (**فقلت: يا سمعان منذ كم أنت في صومعتك**) هذه؟ (**قال: منذ سبعين سنة. قلت: فما طعامك**) في هذه المدة؟ (**قال: يا حنيفي وما دعاك إلى هذا**) السؤال؟ (**قلت: أحببت أن أعلم. قال: في كل ليلة حمصة. قلت: فما الذي يهيج في قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة؟ قال: ترى الدير الذي بحذائك؟ قلت: نعم قال إنهم يأتون في كل سنة يوماً واحداً فيزينون صومعتي ويطوفون حولها**

ويطوفون حولها ويعظموني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة، فأنا أحتمل جهد سنة لعز ساعة! فأحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الأبد، فوقر في قلبي المعرفة، فقال: حسبك أو أزيدك؟ قلت: بلى، قال: أنزل عن الصومعة، فنزلت فأدلى لي ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي: أدخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك، فلما دخلت الدير إجتمع علي النصارى فقالوا: يا حنيفي ما الذي أدلى إليك الشيخ؟ قلت: من قوته؟ قالوا: فما تصنع به ونحن أحق به؟ ثم قالوا: ساوم! قلت: عشرون ديناراً فأعطوني عشرين ديناراً فرجعت إلى الشيخ فقال: يا حنيفي ما الذي صنعت؟ قلت: بعته منهم، قال: بكم؟ قلت: بعشرين ديناراً، قال: أخطأت! لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لأعطوك، هذا عز من لا تعبده فانظر كيف يكون عز من تعبده؟ يا حنيفي أقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة.

والمقصود أن استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثاً في الخلوة وقد لا يشعر العبد به، فينبغي أن يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة، فلو تغيروا عن اعتقادهم له لم يجزع ولم يضق به ذرعاً إلا كراهة

ويعظموني فكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة، فأنا احتمل جهد سنة لعز ساعة! فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز الأبد، فوقر في قلبي المعرفة، فقال: حسبك) أي يكفيك ما عملت **(أو أزيدك؟ فقلت: بلى)** زدني. **(قال: انزل عن الصومعة، فنزلت فأدلى)** أي انزل **(إلى ركوة فيها عشرون حمصة فقال لي: ادخل الدير فقد رأوا ما أدليت لك، فلما دخلت الدير اجتمعت على النصارى فقالوا: يا حنيفي ما الذي أدلى لك الشيخ)** يعنون الراهب؟ **(قلت:)** شيئاً **(من قوته. قالوا: وما تصنع به فنحن أحق به. ثم قالوا: ساوم! قلت: عشرون ديناراً فأعطوني عشرين ديناراً، فرجعت إلى الشيخ فقال: يا حنيفي ما الذي صنعت؟ قلت: بعته منهم قال: بكم؟ قلت: بعشرين ديناراً. قال: اخطأت لو ساومتهم بعشرين ألف دينار لأعطوك، هذا عز من لا تعبده، فانظر كيف يكون عز من تعبده؟ يا حنيفي أقبل على ربك ودع الذهاب والجيئة)** أخرجه أبو نعيم في الحلية، عن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يزيد، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن عمران النيسابوري، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قال: سمعت بقية بن الوليد يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان فذكره له.

(والمقصود أن استشعار النفس عز العظمة في القلوب يكون باعثاً في الخلوة وقد لا يشعر العبد به، فينبغي أن يلزم نفسه الحذر منه وعلامة سلامته أن يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة واحدة، فلو تغيروا عن اعتقادهم لم يجزع) من ذلك **(ولم يضق به ذرعاً إلا**

ضعيفة، إن وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وإيمانه، فإنه لو كان في عبادة واطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعاً ولم يداخله سرور بسبب إطلاعهم عليه، فإن دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه، ولكن إذا قدر على رده بكراهة العقل والإيمان وبادر إلى ذلك ولم يقبل ذلك السرور بالركون إليه فيرجى له أن لا يخيب سعيه، إلا أن يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كي لا ينبسطوا إليه، فذلك لا بأس به ولكن فيه غرور، إذ النفس قد تكون شهوتها الخفية إظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فيطالبها في دعواها قصد الانقباض بموثق من الله غليظ، وهو أنه لو علم أن انقباضهم عنه إنما حصل بأن يعدو كثيراً أو يضحك كثيراً أو يأكل كثيراً فتسمح نفسه بذلك؟ فإذا لم تسمح وسمحت بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها المنزلة عندهم، ولا ينجو من ذلك إلا من تقرر في قلبه أنه ليس في الجود أحد سوى الله فيعمل عمل من لو كان على وجه الأرض وحده لكان يعمله، فلا يلتفت قلبه إلى الخلق إلا خطرات ضعيفة لا يشق عليه إزالتها فإذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق. ومن علامة الصدق فيه، أنه لو كان له صاحبان أحدهما غني والآخر فقير فلا يجد عند إقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه إلا إذا كان في الغني زيادة علم أو زيادة ورع، فيكون مكرماً له بذلك

كراهة ضعيفة، إن وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وإيمانه وأنه لو كان في عبادة فاطلع الناس كلهم عليه لم يزده ذلك خشوعاً ولم يداخله سرور بسبب إطلاعهم عليه، فإن دخل سرور يسير فهو دليل ضعفه، ولكن) مع ذلك **(إذا قدر على رده بكراهة العقل والإيمان وبادر إلى ذلك ولم يقبل السرور)** وذلك **(بالركون إليه)** أي ميل الطبع، **(فيرجى له أن لا يخيب سعيه إلا أن يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض)** في نفسه **(كيلا ينبسطوا إليه، فذلك لا بأس به، ولكن فيه غرور إذ النفس قد تكون شهوتها الخفية إظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فليطالبها في دعواها قصد الانقباض بموثق من الله غليظ، وهو أنه لو علم أن انقباضهم عنه إنما حصل بأن يعدو سريعاً أو يأكل كثيراً أو يضحك فتسمح نفسه بذلك، فإذا لم تسمح به وسمح بالعبادة فيشبه أن يكون مرادها المنزلة عندهم)** في قلوبهم، **(ولا ينجو من ذلك إلا من تقرر في قلبه أنه ليس في الوجود أي سوى الله)** تعالى وهو التوحيد الصرف، **(فيعمل عمل من لو كان وجه الأرض وحده لكان يعمله، ولايلتفت قلبه إلى الخلق إلا خطرات ضعيفة لا يشق عليه إزالتها)** بأهون سبب، **(فإذا كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق)** ووجود مثل ذلك عزيز.

(ومن علامة الصدق فيه أنه لو كان له صاحبان أحدهما غني) وذو مال **(والآخر فقير)** لا شيء له **(فلا يجد عند إقبال الغني زيادة هزة في نفسه لإكرامه إلا إذا كان في**

الوصف لا بالغنى، فمن كان استرواحه إلى مشاهدة الأغنياء أكثر فهو مراء أو طماع، وإلا فالنظر إلى الفقراء يزيد في الرغبة إلى الآخرة ويحبب إلى القلب المسكنة، والنظر إلى الأغنياء بخلافه، فكيف استروح بالنظر إلى الغنى أكثر مما يستروح إلى الفقير؟ وقد حكي أنه لم ير الأغنياء في مجلس أذل منهم فيه في مجلس سفيان الثوري، كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون أنهم فقراء في مجلسه. نعم لك زيادة إكرام للغنى إذا كان أقرب إليك أو كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة، ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في إكرام وتوقير البتة، فإن الفقير أكرم على الله من الغني، فإيثارك له لا يكون إلا طمعاً في غناه ورياء له ثم إذا سوّيت بينهما في المجالسة فيخشى عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للغني أكثر مما تظهره للفقير، وإنما ذلك رياء خفي أو طمع خفي، كما قال ابن السماك لجارية له: ما لي إذا أتيت بغداد فتحت لي الحكمة؟ فقالت: الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت! فإن اللسان

الغنى زيادة علم أو زيادة ورع، فيكون مكرماً له بذلك الوصف لا بالغني، فمن كان استرواحه إلى مشاهدة الغنى) وفي نسخة الأغنياء **(أكثر فهو)** إما **(مراء أو طماع، وإلا فالنظر إلى الفقراء يزيد رغبة في الآخرة ويحبب إلى القلب المسكنة)** والتواضع، **(والنظر إلى الأغنياء بخلافه)** أي يزيد الرغبة في الدنيا ويحبب إلى القلب التجبر والبطر. **(فكيف يستروح إلى الغني أكثر مما يستروح إلى الفقير، وقد حكى أنه لم ير الأغنياء في مجلس أذل منهم في مجلس سفيان الثوري وكان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا يتمنون أنهم فقراء في مجلسه)** قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن بركة، حدثنا يوسف بن سعد بن مسلم، سمعت قبيصة يقول: ما رأيت الأغنياء أذل منهم في مجلس سفيان الثوري.

وحدثنا محمد بن علي، حدثنا عبد الرحمن بن الحسن الموّاز بمصر، حدثنا إبراهيم بن أبي داود، حدثنا سعيد بن أسلم، عن أبيه، عن حماد بن دليل قال: ما كنا نأتي سفيان إلا في خلقان ثيابنا.

(نعم لك زيادة إكرام الغني إذا كان أقرب إليك أو كان بينك وبينه حق وصداقة سابقة، ولكن بحيث لو وجدت تلك العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في إكرام وتوقير البتة، فإن الفقير أكرم على الله من الغنى) فالنظر إلى تفضيل الغني على الفقير كما سيأتي بيانه، **(فإيثارك له لا يكون إلا طمعاً في غناه ورياء له، ثم إذا سوّيت بينهما في المجالسة)** ولم تميز **(فيخشى عليك أن تظهر الحكمة والخشوع للغني أكثر مما تظهره للفقير، وإنما ذلك لرياء خفي أو طمع خفي كما قال)** محمد بن صبيح **(ابن السماك)** البغدادي الواعظ **(لجارية له: مالي إذا أتيت بغداد فتحت لي الحكمة؟ فقالت: الطمع يشحذ لسانك)** أي

ينطلق عند الغني بما لا ينطلق به عند الفقير، وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضره عند الفقير. ومكائد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر ولا ينجيك منها إلا أن تخرج ما سوى الله من قلبك، وتتجرد بالشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في أيام متقاربة، وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد أمكنته الشهوات وساعدته اللذات، ولكن في بدنه سقم وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات، وعلم أنه لو احتمى وجاهد شهوته عاش ودام ملكه، فلما عرف ذلك جالس الأطباء وحارف الصيادلة وعوّد نفسه شرب الأدوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها، فبدنه كل يوم يزداد نحولاً لقلة أكله ولكن سقمه يزداد كل يوم نقصاناً لشدة احتمائه، فمهما نازعته نفسه إلى شهوة تفكر في توالي الأوجاع والآلام عليه وأدى ذلك إلى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة الأعداء به، ومهما إشتدّ عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنيء وبدن صحيح وقلب رخي وأمرٍ نافذ،

يجعله حديداً منطلقاً في الفصاحة (**وقد صدقت**) الجارية! (**فإن اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطلق**) وفي نسخة أكثر مما ينطلق (**عند الفقير**) وما ذلك إلا لطمع أو رياء ومن قولهم: اللها تفتح اللها. (**وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير**) لأنه لا يكترث بالفقير في مجلسه، فكيف يؤاتيه الخشوع (**ومكائد النفس وخفاياها في هذا الفن لا تنحصر، ولا ينجيك منها إلا بأن تخرج ما سوى الله من قلبك**) فلا يكون له تعلق بسواه أبداً، (**وتتجرد للشفقة على نفسك بقية عمرك ولا ترضى لها بالنار بسبب**) ارتكاب (**شهوات منغصة**) أي مكدرة (**في أيام متقاربة منقضية**) سريعة الذهاب. وفي الخبر: « حفت الجنة بالمكار وحفت النار بالشهوات ». (**وتكون في الدنيا كملك من ملوك الدنيا قد أمكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم**) أي مرض، (**وهو يخاف الهلاك على نفسه في كل ساعة لو اتسع في الشهوات**) أي في تناولها، (**وعلم أنه لو احتمى**) عنها (**وجاهد**) فيه (**شهوته عاش ودام ملكه، فلما عرف ذلك**) من نفسه (**جالس الأطباء وحارف**) أي نادم (**الصيادلة**) وهم الذين يبيعون العقاقير (**وعوّد نفسه شرب الأدوية المرة**) الكريهة الطعم، (**فصبر على بشاعتها**) وكراهتها (**وهجر جميع اللذات وصبر على مفارقتها، فبدنه كل يوم يزداد نحولاً**) أي تغيراً أو نقصاً (**لقلة أكله ولكن سقمه كل يوم يزداد نقصانا لشدة إحتمائه، فمهما نازعته إلى شهوة تفكر في توالي الآلام والأوجاع عليه وأدى ذلك إلى الموت المفرق بينه وبين مملكته الموجب لشماتة الأعداء**) أي فرحهم فيه (**ومهما اشتد عليه شرب دواء**) كريه الطعم (**تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذي هو سبب التمتع بملكه ونعيمه في عيش هنى**

فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة المكروهات. فكذلك المؤمن المريد لملك الآخرة احتمى عن كل مهلك له في آخرته وهي لذات الدنيا وزهرتها فـاجتزى منها بالقليل، واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف، وترك المؤانسة بالخلق خوفاً من أن يحل عليه غضب من الله فيهلك، ورجاء أن ينجو من عذابه، فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه وإيمانه بعاقبة أمره وبما أعدّ له من النعيم المقيم في رضوان الله أبد الآباد. ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عوناً وبهم رؤوفاً وعليهم عطوفاً ولو شاء لأغناهم عن التعب والنصب، ولكن أراد أن يبلوهم ويعرف صدق إرادتهم حكمة منه وعدلاً، ثم إذا تحمل التعب في بدايته أقبل الله عليه بالمعونة والتيسير وحط عنه الأعباء وسهل عليه الصبر، وحبب إليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات ويقوّيه على إماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وأمده بمعونته، فإن الكريم لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب أمل المحب وهو الذي يقول: « من تقرب إليّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً »، ويقول تعالى: « لقد طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى

وبدن صحيح وقلب رضي) أي منشرح **(وأمر نافذ، فيخف عليه مهاجرة اللذات)** والشهوات **(ومصابرة المكروهات، وكذلك المؤمن المريد لملك الآخرة احتمى من كل مهلك له في آخرته وهي لذات الدنيا وزهراتها فاجتزى)** أي اكتفى **(منها بالقليل)** قدر البلاغ **(واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق خوفاً من أن يحل عليه غضب الله فيهلك)** هلاك الأبد، **(ورجاء أن ينجو من عذابه فخف ذلك كله عند شدة يقينه وإيمانه بعاقبة أمره)** بما سيصير إليه، **(وبما أعد له من النعيم في رضوان الله)** غير منقطع **(أبد الآباد)** ودهر الدهور. **(ثم علم أن الله كريم رحيم لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عوناً)** ومعيناً **(وبهم رؤوفاً وعليهم عطوفاً، ولو شاء لأغناهم عن التعب والنصب)** وساق لهم لذات الدنيا بأسرها **(ولكن)** حماهم عنها و **(أراد أن يبلوهم)** ويخبرهم **(ويعرف صدق إرادتهم حكمة منه وعدلاً)** وإليه يشير قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾ [الكهف: ٧] **(ثم إذا تحمل)** المريد **(التعب في بدايته)** من جهة مجاهدة النفس وقطعها من مألوفاتها **(أقبل الله عليه بالمعونة)** الباطنية **(والتيسير)** لأسباب الخير **(وحط عنه الأعباء)** أي الأثقال، **(وسهل عليه الصبر)** وحبب إليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه عن سائر اللذات بل لا توازيها لذة، **(ويقويه على إماتة الشهوات وتولي سياسته وتقويته وأمده بمعونته)** وقربه إليه، **(فإن الكريم)** من شأنه أنه **(لا يضيع سعي الراجي ولا يخيب أمل المحب، وهو الذي يقول)** فيما أخبرنا عنه نبينا ﷺ: **(« من تقرب إليّ)** أي طلب قربه مني بالطاعة **(شبراً)** أي مقداراً قليلاً **(تقربت منه**

لقائهم أشد شوقاً »، فليظهر العبد في البداية جده وصدقه وإخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته.

ذراعاً) أي وصلت رحمتي إليه قدراً أزيد منه وكلما زاد العبد قربة زاده الله رحمة **(« ومن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه ميلاً »)** وتمام الحديث « وإذا أتى إليَّ مشياً أتيته هرولة » رواه البخاري من حديث قتادة عن أنس. ورواه أيضاً من رواية التيمي عن أنس، عن أبي هريرة مرفوعاً ورواه أبو عوانة، والطبراني، والضياء من حديث سلمان بلفظ قال الله تعالى: « إذا تقرب العبد إليّ شبراً » الخ قال النووي: معناه من تقرب إليّ بطاعتي تقربت إليه برحمتي وإن زاد زدت فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة » أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود.

وقال عياض: العبد لا يزال يتقرب إلى الله بأنواع الطاعات وأصناف الرياضات ويترقى في مقام إلى آخر منه، حتى يستغرق بملاحظة جناب قدسه بحيث ما لاحـظ شيئاً إلا لا حظ ربه، فلما التفت إلى حاس ومحسوس وصانع ومصنوع وفاعل ومفعول إلا رأى الله وهو آخر درجات السالكين وأول درجات الواصلين اهـ.

وروى الطيالسي في مسنده من حديث أبي ذر قال ربكم عز وجل: « الحسنة بعشرة والسيئة بواحدة أو اغفرها » ثم ساق الحديث وفيه: « من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً » وهذا أشبه بسياق المصنف. ورواه أحمد ومسلم وابن ماجه وأبو عوانة بنحوه.

وروى أحمد، وعبد بن حميد من حديث أنس قال الله تعالى: « يا ابن آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي، وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم، وإن دنوت مني شبراً دنوت منك ذراعاً وإن دنوت مني ذراعاً دنوت منك باعاً، وإن أتيتني تمشي أتيتك هرولة ». رواه ابن شاهين في الترغيب في الذكر من حديث ابن عباس بلفظ: « يقول الله ابن آدم » وفيه معمر بن زائدة. قال العقيلي: لا يتابع على حديثه. ورواه أحمد، والشيخان، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ: « يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني » الخ.

(ويقول) عز وجل **(« قد طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا إلى لقائهم أشد شوقاً » فليظهر العبد في البداية جده)** أي اجتهاده **(وصدقه)** في العمل **(وإخلاصه)** بأن لا يشرك فيه غير من يعمل له، **(فلا يعوزه من الله على القرب ما هو اللائق بجوده وكرمه ورأفته ورحمته)** فمن جد وجد ومن صدق في العمل نال الأمل، ومن أخلص أجرى الله ينابيع الحكم إلى قلبه وجعله من المقربين في حظيرة قدسه على بساط أنسه. اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين، وبه تم

كتاب ذم الجاه وحب المال، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خلاصة الموجودات وعلى آله وصحبه وسلم.

قال مؤلفه الإمام الكامل والرحلة الشامل أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله ذنوبه وستر بعميم فضله عيوبه: فرغ من تسويد ذلك مسوده، وذلك في الرابعة من ليلة الخميس تاسع شهر ربيع الآخر سنة ١٢٠٠ حامداً ومصلياً ومسلماً ومستغفراً الله انفعنا به وبأمثاله آمين، والحمد لله رب العالمين.

كتاب ذم الكبر والعجب وهو الكتاب التاسع
من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً الله ناصر كل صابر

الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين، الغالب لمقال الواصفين، الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين، الباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين، أحمده استتماماً لنعمته، واستسلاماً لعزته واستعفافاً عن معصيته، واستعينه فاقة إلى كفايته، إنه لا يضل من هداه، ولا يجل من عاداه، ولا يفتقر من كفاه، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة ممنحاً إخلاصه مقتصداً مصاصها، نتمسك بها أبداً ما أبقانا، وندخرها لأهاويل ما يلقانا، فإنها عزيمة الإيمان، وفاتحة الإحسان، ومرضاة الرحمن ومدحرة الشيطان، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالضياء وقدمه في الاصطفاء فرتق به المفاتق وساور به الغالب وذلل به الصعوبة، وسهل به الحرونة، حتى سرح الضلال، عن يمين وشمال، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه عباب علمه وموائد حكمه وكهوف ثبته ورجال دينه. بهم أنام الخنا ظهره واذهب ارتعاد فرائصه وسلم تسليماً كثيراً وبعد فهذا شرح:

كتاب ذم العجب والكبر

وهو التاسع من الربع الثالث من كتاب الإحياء للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي أمطر الله على ضريحه سحب الرحمة تزدحم وتوالى، قصدت فيه إبراز ما خفي من مخدرات ابكاره وتبيين ما استدق من زواهر أسراره وإيضاح ما أبهم من رواة أخباره، وإذاعة ما أودع في سياقه من محصلات أذكاره على نسق يرتضيه العالمون، ووجه ينتحيه المخلصون، ونهج يهتدي به السالكون، ومحجة يقتفيها المتقون، معتصماً بالله في تكميل ما أنا بصدده، ومتوكلاً عليه مستعيناً بفيض مدده إنه نعم العون لمن أخلص إليه وقصر نظره على الخير من يديه.

قال رحمه الله تعالى: (بسم الله الرحمن الرحيم) مفتاح كل كتاب كما رواه الخطيب في الجامع من رواية أبي جعفر محمد بن علي معضلاً.

الحمد لله الخالق البارىء المصوّر العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده

(الحمد لله الخالق البارىء المصوّر) اعلم أنه قد يظن أن هذه الأسماء الثلاثة مترادفة ، وأن الكل يرجع إلى الخلق والاختراع ، ولا ينبغي أن يكون كذلك بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود يفتقر إلى تقديره أولاً ، وإلى إيجاد على وفق التقدير ثانياً ، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثاً ، والله تعالى خالق من حيث أنه مقدر بارىء من حيث أنه مخترع موجد ، ومصوّر من حيث أنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب ، وهذا كالبناء مثلاً فإنه يحتاج إلى مقدر يقدر ما لا بد منه من الخشب واللبن ومساحة الأرض وعدد الأبنية وطولها وعرضها ، وهذا يتولاه المهندس فيرسمه ويصوّره ثم يحتاج إلى بناء يتولى الأعمال التي تحدث عندها أصول الأبنية ، ثم يحتاج إلى مزين ينقش ظاهره ويزين صورته فيتولاه غير البناء ، وهذه هي العادة في التقدير والبناء والتصوير ، وليس كذلك في أفعال الله تعالى ، بل هو المقدر والموجد والمزين فهو الخالق البارىء المصور وهو باعتبار تقدير الأمور وباعتبار الإيجاد على وفق التقدير خالق ، وباعتبار مجرد الإيجاد والاختراع من العدم إلى الوجود والإيجاد المجرد شيء والإيجاد على وفق التقدير شيء آخر . وهذا يحتاج إليه من يبعد رد الخالق إلى مجرد التقدير ، مع أن له في اللغة وجهاً إذ العرب تسمى الحذاء خالقاً لتقديره بعض طاقات النعل على بعض كما قال الشاعر :

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

وأما اسم المصوّر ، فهو له من حيث رتب صور الأشياء أحسن ترتيب وصوّرها أحسن تصوير ، وهذا من أوصاف الفعل فلا يعلم حقيقته إلا من يعلم صورة العالم على الجملة ، ثم على التفصيل وكل من كان أوفر علماً بالتفصيل كان أكثر إحاطة بمعنى اسم المصور .

(العزيز) : هو الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه ، فما لم تجتمع هذه المعاني الثلاثة لم يطلق اسم العزيز عليه ، ثم في كل واحد من المعاني الثلاثة كمال ونقصان فالكمال في قلة الوجود أن يرجع إلى واحد ، إذ لا أقل من واحد يكون بحيث يستحيل وجود مثله وليس هو إلا الله تعالى ، والكمال في شدة الحاجة أن يحتاج إليه كل شيء في كل شيء حتى في وجوده وبقائه وصفاته وليس ذلك على الكمال إلا لله تعالى ، والكمال في صعوبة الوصول على معنى الإحاطة بكنهه وليس ذلك على الكمال إلا لله تعالى ، فهو العزيز المطلق الحق الذي لا يوازيه فيه غيره .

(الجبار) : هو الذي تنفذ مشيئته على سبيل الإجبار في كل واحد ، ولا تنفذ فيه مشيئة أحد ، والذي لا يخرج أحد من قبضته وتقصر الأيدي دون جبر حضرته ، والجبار المطلق هو الله تعالى فإنه يجبر كل أحد ولا يجبره أحد ولا تسوية في حقه من الطرفين .

(المتكبر) : هو الذي يرى الكل حقيراً بالإضافة إلى ذاته ، ولا يرى العظمة والكبرياء إلا لنفسه فينظر إلى غيره نظر الملوك إلى العبيد ، فإن كانت الرؤية صادقة كان التكبر حقاً وكان

واضع، الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع، وكل متكبر في جناب عزه مسكين متواضع، فهو القهار الذي لا يدفعه عن مراده دافع، الغني الذي ليس له شريك ولا منازع، القادر الذي بهر أبصار الخلائق جلاله وبهاؤه، وقهر العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه، وحصر ألسن الأنبياء وصفه وثناؤه، وارتفع عن حدّ قدرتهم

صاحبها متكبراً حقاً، ولا يتصور ذلك على الإطلاق إلا لله تعالى، وإن كان التكبر والاستعظام باطلاً ولم يكن ما يراه من التفرد بالعظمة كما يراه كان التكبر باطلاً ومذموماً، وكل من رأى العظمة والكبرياء لنفسه على الخصوص دون غيره كانت رؤيته كاذبة ونظره باطلاً إلا الله سبحانه وتعالى.

(**العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع**)، لأن العلو عبارة عن الفوقية والموجودات بأسرها ما لا يمكن قسمتها إلى درجات متفاوتة في العقل إلا ويكون الحق تعالى في الدرجة العليا من درجات أقسامها، حتى لا يتصور ان يكون فوقه درجة، وذلك هو العلي المطلق وكل ما سواه فيكون علياً بالإضافة إلى ما دونه ويكون دنيا أو سافلاً بالإضافة إلى ما فوقه.

(**الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع وكل متكبر في جانب عزه مستكين متواضع**) تقدم معنى الجبار والمتكبر قريباً والاستكانة الذل والمسكنة واختلف في سينها فقيل: هي أصلية وقيل زائدة. (**فهو القهار**) لا موجود إلا وهو مسخر تحت قهره وقدرته، **فهو (لا يدافعه عن مراده دافع الغنى الذي**) لا تعلق له بغيره لا في ذاته ولا في صفاته، بل هو منزه عن العلاقة مع الأغيار، (**ليس له في ملكه شريك ولا منازع**) وكان من شاركه في نكد أو نازعه في أمر فهو محتاج فقير إلى الكسب ولا يتصوّر أن يكون غنياً مطلقاً إلا الله تعالى. (**القادر الذي بهر أبصار الخلائق جلاله وبهاؤه**) لأنه اخترع كل موجود اختراعاً انفرد به واستغنى فيه عن معاونة غيره، فابصار الخلائق دون عظمته وجلاله خاسرة، (**وقهر العرش المجيد استواؤه**) واستواؤه واستعلاؤه (**واستيلاؤه**) يشير إلى أن الاستواء في اللغة يتردّد بين ثلاثة معان: معنيان جائزان على الله تعالى وهما الاستعلاء والاستيلاء، وواحد باطل. واعلم إن الموجودات بأسرها تنقسم إلى ما هو سبب، إلى ما هو مسبب. والسبب فوق المسبب فوقية بالرتبة والفوقية المطلقة ليست إلا لمسبب الأسباب، ولذلك تنقسم الموجودات إلى حي وميت، والحي ينقسم إلى ما ليس له الإدراك الحسي وهو البهيمة، وإلى ماله مع الحس الإدراك العقلي، والذي له الإدراك العقلي ينقسم إلى ما يعارضه في إدراكه الشهوة والغضب وهو الإنسان، وإلى ما سلم إدراكه عن معارضة الكدورات، والذي يسلم عنها ينقسم إلى ما يمكن أن يبتلي بها وإن رزق السلامة كالملائكة، وإلى ما يستحيل ذلك في حقه وهو الله سبحانه وتعالى، وليس يخفى عليك في هذا القسم التدريج إذ الملك فوق الإنسان والإنسان فوق البهيمة، وأن الله تعالى فوق الكل فهو العلي المطلق المنزه عن جميع أنواع النقص، فقد وقع الميت في الدرجة السفلى من درجات الكمال ولم يقع في العلو إلا الله تعالى. وهكذا

إحصاؤه واستقصاؤه، فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه، وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه، وقصر أيدي القياصرة عظمته وكبرياؤه، فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه، ومن نازعه فيهما قصمه بداء الموت فأعجزه دواؤه، جل جلاله

ينبغي أن يفهم فوقيته وعلوه فإن هذه الأسامي وضعت أولا بالإضافة إلى إدراك البصر وهو درجة العوام ثم لما تنبه الخواص لإدراك البصائر وجدوا بينها وبين الأبصار موازنات استعاروا منها الألفاظ المطلقة وفهمها الخواص وأنكرها العوام، فلم يفهموا عظمته إلا بالمسافة ولا علوا إلا بالمكان، فإن فهمت هذا فهمت معنى استوائه على العرش لأن العرش أعظم الأجسام الموجودات وهو فوق جميعها، والموجود المنزه عن التحدد والتعدد بحدود الأجسام ومقاديرها فوق الأجسام كلها في المرتبة، ولكن خص العرش بالذكر لأنه فوق جميع الأجسام فما كان فوقها كان فوق جميعها وهو كقول القائل: الخليفة فوق السلطان تنبيهاً به على أنه إذا كان فوقه كان فوق جميع الناس الذين هم دون السلطان. وقد تقدم الكلام في الاستواء في شرح كتاب قواعد العقائد مفصلاً.

(**وحصر ألسن الأنبياء**) عليهم السلام وهم خواص عباده المقربين (**وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم احصاؤه واستقصاؤه، فاعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وأنبياؤه**) فإن نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هي أنهم لا يعرفونه، وأنهم لا يمكنهم البتة معرفته. وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالى، فاذا انكشف لهم ذلك انكشافاً برهانياً بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته. وهو الذي أشار إليه الصديق الأكبر رضي الله عنه حيث قال: العجز عن درك الادراك إدراك، بل هو الذي عناه رسول الله ﷺ حيث قال: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» ولم يرد به أن عرف منه ما لا يطاوعه لسانه في العبارة، بل معناه أني لا أحيط بمحامدك وصفات الهيتك، وإنما أنت المحيط بها وحدك، فإذاً لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته إلا بالحيرة والدهشة. وأما إتساع المعرفة فإنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته.

(**وكسر ظهور الأكاسرة عزه وعلاؤه**) المراد بالأكاسرة ملوك الفرس جمع كسرى وهو لقب كل من ملك بلاد الفرس. (**وقصر أيدي القياصرة عظمته وكبرياؤه**) المراد بالقياصرة ملوك الروم جمع قيصر، وهو كل من ملك بلاد الروم، وفي كل من الجملتين جناس اشتقاق. (**فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه**) العظمة كون الشيء في نفسه كاملاً شريفاً مستغنياً، والكبرياء كناية عن كمال الذات. وأعني بكمال الذات كمال الوجود، وكمال الوجود يرجع إلى شيئين. أحدهما: دوامه أزلاً وأبداً. والثاني: إن وجوده هو الوجود الذي يصدر عنه وجود كل موجود. ومعنى كونهما إزاره ورداءه أنهما من خاص صفاته كما يليق به. (**ومن نازعه فيهما**) أي جاذبه إياهما بأن تعظم على عباده وتكبر. (**قصمه**) أي كسره (**بداء الموت فاعجزه دواؤه**)

وتقدست أسماؤه، والصلاة على محمد الذي أنزل عليه النور المنتشر ضياؤه، حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه، وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباء الله وأولياؤه، وخيرته وأصفياؤه وسلم تسليماً كثيراً.

وأما بعد: فقد قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري

إذ لا دواء له (**جل جلاله**) أي عظم تناهيه في عظم القدر، (**وتقدست أسماؤه**) أي تنزهت عن أن يلحقها نقص (**والصلاة على**) سيدنا (**محمد الذي أنزل معه النور المنتشر ضياؤه**) اعلم أن العقول وإن كانت مبصرة فليست المبصرات كلها عندها على مرتبة واحدة، بل بعضها يكون عندها كأنه حاضرة كالعلوم الضرورية، وبعضها ما لا يقارن العقل في كل حال إذا عرض عليه، بل يحتاج إلى أن ينبه عليه بالتنبيه كالنظريات، فإنما ينبهه كلام الحكمة. فعند إشراق نور الحكمة يصير العقل مبصراً بالفعل بعد أن كان مبصراً بالقوة، وأعظم الحكم كلام الله تعالى. ومن جملة كلامه القرآن خاصة فتكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة، إذ به يتم الأبصار، فبالحري أن يسمى القرآن نوراً كما يسمى نور الشمس نوراً، فمثال القرآن نور الشمس، ومثال العقل نور العين، وبهذا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ [التغابن: ٨] وقوله تعالى: ﴿قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ [النساء: ١٧٤] وبين النور والضياء عموم وخصوص. (**حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وارجاؤه**) أي أطرافه من سائر الجهات، (**وعلى آله وأصحابه الذين هم أحباؤه وأولياؤه وخيرته وأصفياؤه**) أي أحبهم الله بحبه ووالاهم وقربهم وأدناهم واختارهم واصطفاهم، (**وسلم**) تسليماً (**كثيراً**).

(**أما بعد: فقد قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى الكبرياء ردائي**) والعظمة (**ازاري**») اختلفوا في معنى ذلك، فقال الكلاباذي: الرداء عبارة عن الجمال والبهاء، والأزار عبارة عن الجمال والستر والحجاب، فكأنه قال: لا يليق الكبرياء إلا بي. لأن من دوني صفات الحدوث لازمة له وسمة العجز ظاهرة عليه، والإزار عبارة عن الإقناع عن الإدراك والإحاطة به علماً والكيفية لذاته وصفاته، فكأنه قال: حجبت خلقي عن إدراك ذاتي وكيفية صفاتي بالجلال والعظمة.

وقال عياض: الكبرياء الكبر وهو الترفع على الغير بأن يرى لنفسه عليه شرفاً. والعظمة: كون الشيء في نفسه كاملاً شريفاً مستغنياً، فالأول أرفع من الثاني اذ هو غاية العظمة، فلذا مثله بالرداء. وقيل: الكبرياء الترفع عن الانقياد وذلك لا يستحقه إلا الحق، فكبرياء ألوهيته التي هي عبارة عن استغنائه واستعلائه، ومثلها بالرداء إبرازا للمعقول في صورة المحسوس، فكما لا يشارك الرجل في ردائه وإزاره لا يشارك الباري في هذين فإنه الكامل المنعم المنفرد بالبقاء وما سواه ناقص محتاج.

فمن نازعني فيهما قصمته » وقال ﷺ : « ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه » فالكبر والعجب داءان مهلكان ، والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان ، وهما عند الله ممقوتان بغيضان . وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح المهلكات وجب إيضاح الكبر والعجب فإنهما من قبائح

(« **فمن نازعني**) بان تشوّق إلى الاتصاف بهما أو بأحدهما (**قصمته »**) أي أذللته وأهنته أو قربت هلاكه .

قال الزمخشري : هذا وارد عن غضب شديد ومناد على سخط عظيم لأن القصم أقطع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاءم الأجزاء بخلاف الكسر اهـ .

وقال صاحب الحكم : كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً وبأوصاف عبوديتك متحققاً ، منعك أن تدعى ما ليس لك مما للمخلوقين ، أفيبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين ؟ وقد أفاد هذا الوعيد أن التكبر والتعاظم من الكبائر . قال العراقي : رواه الحاكم في المستدرك دون ذكر العظمة . وقال : صحيح على شرط مسلم وتقدم في العلم وسيأتي بعد حديثين بلفظ آخر اهـ .

قلت : ورواه الحاكم من حديث أبي هريرة ولفظه « الكبرياء ردائي فمن نازعني ردائي قصمته » .

(**وقال** ﷺ **« ثلاث مهلكات**) وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات . أما المهلكات (**شح مطاع**) أي بخل يطيعه الانسان فلا يؤدي ما عليه من حق الحق وحق الخلق فلا يكون مجرد الشح مهلكاً إلا إذا كان مطاعاً ، وإلا فهو من لوازم النفس . قال الراغب : خص المطاع لينبه أن الشح في النفس ليس مما يستحق به ذماً إذ ليس هو من فعله وإنما يذم بالانقياد له . (**وهوى متبع**) بأني يتبع كل أحد ما يأمره به هواه ، (**وإعجاب المرء بنفسه »**) أي تحسين كل أحد نفسه على غيره وإن كان قبيحاً . قال القرطبي : إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيانه نعمة الله ، فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر . وأما ما في الحديث فقد تقدم في كتاب ذم البخل ، وقد رواه الطبراني في الأوسط ، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر ، وفيه ابن لهيعة . ورواه البزار والطبراني وأبو الشيخ في التوبيخ . وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في الشعب من حديث أنس بلفظ « ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى ، وثلاث مهلكات هوى متبع وشح مطاع واعجاب المرء بنفسه » .

(**فالكبر والعجب داءان مهلكان والمتكبر والمعجب**) بنفسه (**سقيمان مريضان ، وهما عند الله ممقوتان بغيضان ، وإذا كان القصد في هذا الربع من كتاب إحياء علوم الدين شرح المهلكات وجب إيضاح الكبر والعجب ، فإنهما من قبائح المرديات**) الردي : هو الهلاك

المرديات. ونحن نستقصي بيانها من الكتاب في شطرين: شطر في الكبر، وشطر في العجب.

الشطر الأوّل: من الكتاب: في الكبر، وفيه: بيان ذم الكبر، وبيان ذم الاختيال، وبيان فضيلة التواضع، وبيان حقيقة التكبر وآفته، وبيان من يتكبر عليه ودرجات التكبر، وبيان ما به التكبر، وبيان البواعث على التكبر، وبيان أخلاق المتواضعين وما فيه يظهر التكبر، وبيان علاج الكبر، وبيان امتحان النفس في خلق الكبر، وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه.

بيان ذم الكبر:

قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى: ﴿سأصرفُ عن آياتي الّذين يتكبَّرُونَ في الأرض بغير الحق﴾ [الأعراف: ١٤٦] وقال عز وجل: ﴿كَذَلِكَ يَطْبع اللهُ على كلِّ قلب متكبّر جبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥] وقال تعالى: ﴿واسْتَفْتَحُوا وخابَ كلّ جبَّارٍ عنيد﴾ [ابراهيم: ١٥] وقال تعالى: ﴿إنه لا يحبُّ الْمُسْتَكْبِرينَ﴾ [النحل: ٢٣] وقال تعالى: ﴿لقد استكبَرُوا في أنفسِهِمْ وعتَوْا عتواً

وأرداه أوقعه فيه. (**ونحن نستقصي بيانها من الكتاب في شطرين شطر في الكبر، وشطر في العجب**).

(**الشطر الأول: من الكتاب: في الكبر، وفيه بيان ذم الكبر، وبيان ذم الاختيال، وبيانه فضيلة التواضع، وبيان حقيقة الكبر وآفته، وبيان من يتكبر عليه ودرجات الكبر وبيان ما بـه التكبر، وبيان الباعث على التكبر، وبيان اختلاف المتواضعين وما فيه يظهر التكبر، وبيان علاج الكبر، وبيان امتحان النفس في خلق الكبر، وبيان المحمود من خلق التواضع، وبيان المذموم منه**).

بيان ذم الكبر:

اعلم أنه (**قد ذم الله الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى: ﴿سأصرفَ عن آياتي﴾**) المنصوبة في الآفاق والأنفس (**﴿الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾**) سيأتي تفسيره للمصنف في آخر بيان حقيقة الكبر وآفته. (**وقال تعالى: ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾**) قرىء بالتنوين على حذف مضاف أي كل ذي قلب. (**وقال تعالى: ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد﴾**) أي معاند للحق جاحد له مستكبر عن قبوله. (**وقال تعالى: ﴿إن الله لا يحب المستكبرين﴾ وقال تعالى: ﴿لقد استكبروا في أنفسهم**

كبيراً﴾ [الفرقان: ٢١]، وقال تعالى: ﴿إنَّ الَّذين يستكبِرُونَ عنْ عبادتي سَيَدْخُلُونَ جهنَّم داخرينَ﴾ [غافر: ٦٠]. وذم الكبر في القرآن كثير. وقد قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول

وعتوا عتواً كبيراً﴾ [الفرقان: ٢١] وقال تعالى: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ فلا يرفعون لها رأساً (﴿سيدخلون جهنم داخرين﴾) [غافر: ٦٠] أي صاغرين ذليلين. **(وذم الكبر في القرآن كثير، وقال ﷺ: « لا يدخل الجنة من كان قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ») قال** العراقي: رواه مسلم من حديث ابن مسعود اهـ.

قلت: سياق المصنف لأحمد في مسنده لكنه بتقديم وتأخير وزيادة قال: حدثنا عارم قال: حدثنا عبد العزيز بن مسلم القسملي، حدثنا سليمان الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن يحي ابن جعدة، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر » قال رجل: يا رسول الله يعجبني أن يكون ثوبي غسيلاً ورأسي دهيناً وشراك نعلي جديداً وذكر أشياء حتى علاّقة سوطه. قال « ذاك جمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الكبر من بطر الحق وازدرى الناس ». ورواه الحاكم من رواية عفان، عن عبد العزيز بن مسلم بالإسناد المذكور. ولفظ الحديث « لا يدخل الجنة من كان في قلبه حبة من كبر » الحديث وفيه: « والله يحب الجمال » ثم قال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه وقد احتجا جميعاً برواته. واعترض عليه العراقي في إصلاح المستدرك فقال: لم يحتج واحد من الشيخين بيحيي بن جعدة ومع ذلك فهو مرسل، فإن يحي لم يلق ابن مسعود كما قال ابن معين وأبو حاتم، ومع ذلك فالحديث أخرجه مسلم من رواية إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود مع اختلاف يسير فلا حاجة إلى إيراده اهـ كلام العراقي.

قلت: لفظ مسلم قيل: ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة. قال « إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس » وقد رواه هناد في الزهد عن يحي بن جعدة المخزومي مرسلاً ولفظه: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر العزة إزار الله والكبرياء رداؤه ». وروى الطبراني في الكبير من حديث السائب بن يزيد « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال كبر ». وروى البزار من حديث ابن عباس « لا يجد الجنة مثقال حبة خردلٍ من كبر ولا يدخل النار مثقال حبة خردل من إيمان » وروى مسلم، والترمذي، وابن ماجه من حديث ابن مسعود: « لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء ». وروى أبو يعلى، والطبراني، والبيهقي، والضياء من حديث عبد الله ابن سلام: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ». ورواه الطبراني أيضاً من

الله ﷺ: « يقول الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي ». وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: التقى عبدالله بن عمرو وعبدالله بن عمر على الصفا فتواقفا، فمضى ابن عمرو وأقام ابن عمر يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: هذا - يعني عبدالله بن عمرو - زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه ». وقال رسول الله ﷺ: « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين

حديث ابن عباس. ورواه أحمد وهناد والطبراني أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو. وروى ابن سعد، وأحمد، والبغوي، والطبراني، والبيهقي، وابن عساكر من حديث أبي ريحانة « لا يدخل الجنة من الكبر شيء » فقال قائل: يا رسول الله إني أحب أن أتجمل بسير سوطي وشسع نعلي. فقال: « إن ذلك ليس بالكبر إن الله جميل يحب الجمال إنما الكبر من سفه الحق وغمص الناس بعينه ».

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي »)** قال العراقي: رواه مسلم، وأبو داود، وابن ماجه واللفظ له. وقال أبو داود: قذفته في النار. وقال مسلم: عذبته. وقال: رداؤه وإزاره بالغيبة، وزاد مع أبي هريرة أبا سعيد أيضاً اهـ.

قلت: وبلفظ أبي داود رواه أيضاً أحمد وهناد والدارقطني في الافراد. ورواه ابن حبان في صحيحه بلفظ: « ألقيته في النار » ورواه القضاعي في مسنده من طريق عطاء بن السائب عن أبيه عن أبي هريرة مثله. ورواه سمويه في فوائده من حديث أبي هريرة وأبي سعيد معاً بلفظ مسلم إلا أنه قال: ردائي وإزاري. رواه الحاكم في مستدركه من وجوه أُخر بلفظ « قصمته » وبدون ذكر العظمة، وقد تقدم قبل هذا بحديثين. وعند االحاكم الترمذي من حديث أنس « يقول الله عز وجل لي العظمة والكبرياء والفخر والقدر سري فمن نازعني واحدة منهن كببته في النار ».

(وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن) بن عوف القرشي الزهري المدني قيل: اسمه عبد الله، وقيل إسماعيل، وقيل اسمه وكنيته واحد. قال ابن سعد: كان ثقة فقيهاً كثير الحديث. وقال أبو زرعة: ثقة إمام توفي سنة أربع وتسعين بالمدينة وهو ابن اثنين وسبعين سنة. روى له الجماعة **(قال: التقى عبد الله بن عمر)** بن الخطاب **(وعبد الله بن عمرو)** بن العاصي رضي الله عنهما **(على المروة فتوافقا فمضى ابن عمرو)** بن العاص **(وقام ابن عمر يبكي فقالوا: وما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: هذا - يعني عبد الله بن عمرو)** بن العاص- **(زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه »)** قال العراقي: رواه أحمد والبيهقي في الشعب من طريقه باسناد صحيح اهـ.

قلت: وكذلك رواه الدارقطني في الإفراد، وابن النجار في التاريخ.

(وقال ﷺ: « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم

فيصيبه ما أصابهم من العـذاب » ، وقـال سليمان بـن داود عليهما السلام يـومـاً ـ للطير والانس والجن والبهائم ـ اخرجوا ، فخرجوا في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن ، فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ، ثم خفض حتى مسّت أقدامه البحر ، فسمع صوتاً لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به أبعد مما رفعته . وقال ﷺ : « يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول : وكلت بثلاثة . بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبالمصوّرين » . وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة بخيل ولا جبار ولا سيء الملكة » . وقال ﷺ : « تحاجت

من العذاب ») قال العراقي : رواه الترمذي وحسنه من حديث سلمة بن الأكوع دون قوله من العذاب اهـ .

قلـت : لفظ الترمذي : « لا يزال الرجل يتكبر ويذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم » وقال : حسن غريب . ورواه كذلك الدراقطني في الإفراد ، والطبراني في الكبير .

(وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوماً للطير والجن والانس والبهائم : اخرجوا فخرجوا في مائتي ألف من الانس ومائتي ألف من الجن ، فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات) الزجل محركة الصوت ، **(ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتاً)** أي من هاتف : **(لو كان في قلب صاحبكم)** يعني سليمان عليه السلام **(مثقال ذرة من كبر لخسفت بـه أبعد مما رفعته . وقال ﷺ : « يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان وعيناه تبصران ولسان ينطق يقول : وكلت بثلاثة . بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، بالمصوّرين »)** قال العراقي : رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال : حسن غريب اهـ .

قلـت : لفظ الترمذي « يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان » والباقي سواء . وقال : حسن غريب . ورواه كذلك أحمد ، وابن مردويه ، والبيهقي .

(وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة ») قال العراقي : تقدم في آداب الكسب والمعاش والمعروف خائن مكان كل جبار اهـ .

قلـت : وروى الطيالسي من حديث أبي بكر : « لا يدخل الجنة خب ولا خائن » . ورواه أحمد بلفظ « لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيّء الملكة » . وعند الخطيب في ذم البخلاء ، وابن عساكر « لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا لئيم ولا منان ولا خائن ولا سيء الملكة » . وعند الخرائطي في مساوىء الأخلاق من حديث أنس : « لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا منان ولا سيء الملكة » . وروى الطيالسي والترمذي وقال : حسن غريب ، وابن ماجه ، والدارقطني في الافراد من حديث أبي بكر « لا يدخل الجنة سيء الملكة » ولم أجد لفظ جبار في شيء من الروايات .

الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم؟ فقال الله للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ولكل واحدة منكما

(وقال ﷺ: « **تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلاّ ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم. فقال الله تعالى للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولك واحدة منكما ملؤها** ») فيه فوائد.

الأولى: رواه أحمد والبخاري من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة. ورواه مسلم أيضاً من طريق أبي الزناد، عن الأعرج. ومن طريق أيوب السختياني، عن محمد بن سيرين كلاهما عن أبي هريرة.

الثانية: قوله « تحاجت » أي تخاصمت. قال الجوهري: التحاج التخاصم. وقال ابن سيدة: حاجه نازعه الحجة وحجه غلبه على حجته. وقال ابن عطية في تفسير قوله تعالى: ﴿وإذا يتحاجُّون في النَّار﴾ [غافر: ٤٧] المحاجة التحادر بالحجة الخصومة.

الثالثة: الظاهر أن المراد بتحاجها تخاصمها في الأفضل منها وإقامة كل منها الحجة على أفضليته، فاحتجت النار بقهرها للمتكبرين والمتجبرين، واحتجت الجنة بكونها مأوى الضعفاء في الدنيا عوّضهم الله تعالى من ضعفهم الجنة، فقطع سبحانه التخاصم بينها وبين الجنة بأن الجنة رحمته أي نعمته على الخلق إن جعلت الرحمة صفة فعل أو أثر ارادته الخير بمن يشاء إن جعلت صفة ذات، وأن النار عذابه الناشيء عن غضبه وانتقامه جل وعلا.

الرابعة: قال النووي: هذا الحديث على ظاهره، وأن الله تعالى جعل في النار والجنة تمييزاً يدركان به فتحاجا، ولا يلزم من هذا أن يكون التمييز فيهما دائماً. وقال أبو العباس القرطبي: ظاهر هذه المحاجة أنها لسان فقال: فيكون خزنة كل واحد منها هم القائلون ذلك، ويجوز أن يخلق الله ذلك القول فيما شاء من أجزاء الجنة ولا يشترط عقلاً في الأصوات المقطعة أن يكون محلها حياً خلافاً لمن اشترط ذلك من المتكلمين. ولو سلمنا ذلك لكان من الممكن أن يخلق الله تعالى في بعض أجزاء الجنة والنار والجمادية حياة، بحيث يصدر ذلك القول عنه. لاسيما وقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وإنَّ الدّار الآخرة لهي الحيوان لو كانُوا يعلمُون﴾ [العنكبوت: ٦٤] أن كل ما في الجنة حي، ويحتمل أن يكون ذلك لسان حال فيكون ذلك عبارة عن حالتيها، والأوّل أولى والله أعلم.

الخامسة: قوله: « إلا الضعفاء من الناس » لفظ الشيخين: إلا ضعفاء الناس جمع ضعيف. قال أبو العباس القرطبي: يعني الضعفاء في أمر الدنيا، ويحتمل أن يريد به هنا الفقراء، وحمله على الفقراء أولى من حمله على الأول لأنه يكون معنى الضعفاء معنى العجزة المذكورة من بعد. وقال

عياض: المراد بالضعيف هنا وفي الحديث الآخر أهل الجنة كل ضعيف متضعف أنه ضد المتجبر المتكبر ، وقال أبو بكر بن خزيمة: الضعيف هنا الذي برأ نفسه من الحول والقوّة في اليوم والليلة عشرين مرة إلى خمسين ولم يرد التحديد وإنما أراد اتصافه من التبرؤ من الحول والقوة واللجوء إلى الله حتى يذكر. قال أبو عبد الله القرطبي: ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي فهو مرفوع اهـ. قال الولي العراقي: وهو عجيب لأن ذلك إنما قيل في الصحابي لا في مطلق الناس.

السادسة: قوله: «وسقاطهم» هو جمع ساقط ككاتب وكتاب وهو النازل القدر، وهو الذي عبر عنه بأنه لا يؤبه له، ولعله من سقط المتاع وهو رديه. ورواية مسلم: «وسقطهم» بفتح السين القاف وهو جمع ساقط أيضاً، والمعنى واحد ويلزم على ذلك أن يكون بالتاء ككاتب وكتبة وحاسب وحسبة، وإنما يسقطون التاء لأنهم سلكوا بالجمع مسلك اسم الجنس.

السابعة: وقع في رواية مسلم بعد قوله وسقطهم وغويهم ورويت هذه اللفظة على ثلاثة أوجه حكاها القاضي عياض قال النووي: وهي موجودة في النسخ. إحداها بفتح الغين المعجمة وكسر الواو وتشديد الياء ولا يظهر له هنا معنى، ولهذا كان الحافظ العراقي يقول: لعله وغوغاؤهم. وكتب بخطه كذلك على حاشية نسخته ولعله تصحف بقوله وغويهم الثاني: غرثهم بغين معجمة مفتوحة وراء مفتوحة وثاء مثلثة. قال عياض: هذه رواية الأكثر من شيوخنا، ومعناه أهل الحاجة والفاقة والجوع والغرث الجـوع. والثالث: غرتهم بغين معجمة مكسورة وراء مشددة وتاء مثناة من فوق، وهذا هو الأشهر في نسخ بلاد المشرق. أي البله الغافلون الذين ليس لهم فتك وحذف في أمور الدنيا، وهو نحو الحديث الآخر «أكثر أهل الجنة البله». وقال عياض: معناه سواد الناس وعامتهم من أهل الإيمان، فتدخل عليهم الفتنة أو تدخلهم في البدعة أو غيرها فهم ثابتو الإيمان صحيحـو العقائد وهم أكثر المؤمنين وهم أكثر أهل الجنـة، وأمـا العـارفـون والعلماء العـاملـون والصالحون المتعبدون فهم قليلون وهم أصحاب الدرجات العلى.

الثامنة: وقع في رواية الشيخين بعد قوله: ضعفاء الناس وسفلهم هو بكسر السين المهملة وفتح الفاء وهو جمع سفلة بكسر فسكون وهو الرجل الوضيع، ويوافقه ما في الصحاح والعامة تقول: رجل سفلة من قوم سفل، وكذا قال في النهاية، ثم قال: وليس بعربي وذلك بعد أن صدر كلامها بأن السفلة بفتح فكسر السقاط من الناس، وأنه يقال هو من السفلة لا يقال سفلة لأنه جمع. ثم قال في النهاية: وبعض العرب تخفف فتقول من سفلة الناس فتنقل كسرة الفاء إلى السين. وحكاه في الصحاح عن ابن السكيت وقال في المحكم: سفلة الناس أي بفتح فكسر وسفلتهم أي بكسر فسكون أسافلهم وغواتهم.

التاسعة: قوله وعجزتهم بعين مهملة مفتوحة وجيم وزاي وتاء جمع عاجز ومعناه العاجزون عن طلب الدنيا والتمكن فيها والثروة والشوكة. كذا ضبطه عياض والنووي. قال أبو العباس القرطبي: ويلزم على ذلك أن يكون بالتاء وسقوطها في مثل الجمع نادر، وإنما يسقطونها إذا سلكوا بالجمع

ملؤها »، وقال ﷺ: « بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد غفل وسها ونسي المقابر والبلى،

مسلك اسم الجنس كما قدمنا في سقطهم، وصواب هذا اللفظ أن يكون عجزهم بضم فتشديد كشاهد وشهد.

العاشرة: فيه ذم التكبر والتجبر، وأن فاعل ذلك من أهل النار، فإن وصل الكبر بالانسان إلى الكفر لتكبره عن الإيمان بالله ورسوله فهو مخلد فيها وإن لم يصل إلى ذلك فلا بدّ له من الخلوص منها، ولا يقطع له أيضاً بدخولها بل هو تحت المشيئة فقد يعفى عنه ولا يدخلها.

الحادية عشرة: هذا الحديث له بقية عند أحمد والشيخين وهي « فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله وفي لفظ « قدمه » تقول قط قط قط فهنالك تمتلىء ويزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحداً، واما الجنة فإن الله عز وجل ينشىء لها خلقاً » ولم يذكر المصنف رحمه الله هذه الزيادة لحصول المقصود بصدر الحديث، وهو الدلالة على ذم الكبر واستحقاق فاعله النار، ولأنها من أحاديث الصفات المشكلة المحتاجة إلى التأويل، وقد زعم ابن فورك أن هذه اللفظة وهي قوله « حتى يضع الله رجله » غير ثابتة عند أهل النقل، ولكن قد عرفت أنه رواه أحمد والشيخان وغيرهم فهي صحيحة وتأويلها من أوجه. أحدها: أن المراد رجل بعض المخلوقين فيعود الضمير في رجله إلى ذلك المخلوق المعلوم. الثاني: انه يحتمل أن من المخلوقات ما يسمى بهذه التسمية. الثالث: أنه يجوز أن يراد بالرجل الجماعة من الناس كما تقول: رجل من جراد أي قطعة منه. الرابع: أن المراد بوضع الرجل نوع حرز لها كما تقول: جعلته تحت رجلي. الخامس: أن الرجل قد تستعمل في طلب المشي على سبيل الجد والإلحاح كما تقول: قام في هذا الأمر على رجل، والمشهور في أكثر روايات الحديث « حتى يضع فيها قدمه » وفيه التأويلات المتقدمة، وأشهر منها تأويل آخر أن المراد من قدمه الله لها من أهل العذاب، وهذا كله بناء على طريقة التأويل وهي طريقة جمهور المتكلمين والذي عليه السلف، وذهبت إليه طائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها بل نؤمن بأنها حق على ما أراد الله ولها معنى يليق بها وظاهر غير مراد. وذكر الخطابي أن ترك التأويل إنما هو في الصفات الواردة في القرآن أو في السنّة المتواترة، فأما الواردة في أخبار الآحاد من غير أن يكون لها أصل في القرآن فإنها تؤوّل، والله أعلم.

(وقال ﷺ « بئس) وهي كلمة جامعة للمذام مقابلة لنعم الجامعة لوجوه المدائح كلها **(العبد عبد تجبر)** من الجبر وهو القهر بأن انتشأ في الشهوات وجبر الخلق على هواه فيها فصار ذلك عادة له، **(واعتدى)** أي تجاوز الحدود في جبروته، **(ونسي الجبار الأعلى)** الذي له الجبروت الاعظم. **(بئس العبد عبد تجبر واختال)** من الخيلاء وهو الكبر والعجب **(ونسي)** الله **(الكبير المتعال)** أي نسي أن الكبرياء والتعالي ليس إلا للواحد القهار، **(بئس العبد عبد**

بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى ». وعن ثابت أنه قال: بلغنا أنه قيل: يا رسول الله ما أعظم كبر فلان! فقال: « أليس بعده الموت »؟ وقال عبدالله بن عمرو: إن رسول الله ﷺ قال: « إن نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال: إني آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين، أنهاكما عن الشرك والكبر، وآمركما بلا إله إلا الله. فإن السموات والأرضين وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منها، ولو أن السموات والأرضين وما فيهن كانتا حلقة

سها) بالأماني مستغرقاً في شؤون هذا الحطام الفاني **(ولها)** بالإكباب على الشهوات والاشتغال بما لا يعنيه مما خلق لأجله من العبادات **(ونسي المقابر والبلى)** أي بأن القبر يضمه يوماً ويحتوي على أركانه ويبلى لحمه ودمه، **(بئس العبد عبد عتا وطغى)** العتوّ التجبر والتكبر والطغيان مجاوزة الحد أي بالغ في ركوب المعاصي وتمرد حتى صار لا ينفع فيه وعظ ولا يؤثر فيه زجر فصار إيمانه محجوباً **(ونسي المبدأ والمنتهى)** أي نسي من أين بدأ وإلى أين يعاد وصيرورته تراباً. أي من كان من ذلك ابتداؤه ويكون انتهاؤه هذا جدير بأن يطيع الله في أوسط الحالين.

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أسماء بنت عميس بزيادة فيه مع تقديم وتأخير وقال: غريب وليس إسناده بالقوي. ورواه الحاكم في المستدرك وصححه، ورواه البيهقي في الشعب من حديث نعيم بن حماد وضعفه اهـ.

قلت: لفظ الترمذي « بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد سها ولها ونسي المقابر والبلى، بئس العبد عبد عتا وطغى ونسي المتبدأ والمنتهى، بئس العبد عبد تختل الدين بالشبهات، بئس العبد عبد طمع يقوده، بئس العبد عبد هوى يضله، بئس العبد عبد رغب بذلّه » هكذا رواه الترمذي وضعفه، والبغوي، والطبراني، ورواه الحاكم في الرقاق من مستدركه وصححه، ورواه الذهبي وقال: سنده مظلم، وكذلك رواه البيهقي كلهم من حديث أسماء. قال البيهقي: إسناده ضعيف. ورواه الطبراني: وابن عدي والبيهقي من حديث نعيم بن عمار الغطفاني، وفيه طلحة بن زيد الرقي وهو ضعيف.

(وعن) أبي محمد **(ثابت)** بن أسلم البناني البصري ثقة عابد مات سنة بعض وعشرين وله ست وثمانون سنة روى له الجماعة **(قال: بلغنا أنه قيل: يا رسول الله ما أعظم كبر فلان: فقال « أليس بعده الموت »)** قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب هكذا مرسلاً بلفظ ما أعظم تجبر فلان. **(وقال عبد الله بن عمرو)** بن العاص رضي الله عنهما **(أن رسول الله ﷺ قال: « إن نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال: إني آمركما باثنين وأنهاكما عن اثنين. أنهاكما عن الشرك)** بالله **(والكبر)** على الناس، **(وآمركما بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرض وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح منها، ولو أن السموات والارض وما فيهن كانتا حلقة**

فوضعت لا إله إلا الله عليها لقصمتها، وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل

فوضعت لا إله إلا الله عليها لقصمتها. وآمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء ») قال العراقي: رواه أحمد، والبخاري في كتاب الأدب، والحاكم بزيادة في أوّله وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: وكذلك رواه الطبراني في الكبير ولفظهم جميعاً « إن نبي الله نوحاً لما حضرته الوفاة قال لابنه: يا بني إني موصيك فقاصر عليك الوصية، آمرك باثنين وأنهاك عن اثنين، آمرك بلا إله إلا الله فلو أن السموات السبع والأرضين السبع وضعن في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن، لو أن السموات السبع والأرضين السبع كانت حلقة مبهمة قصمتهن لاله إلا الله. وأوصيك بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة الخلق وبها يرزق الخلق. وأنهاك عن الكفر والكبر ». قيل: يا رسول الله ما الكبر أهو أن يكون للرجل حلة حسنة يلبسها وفرس جميل يعجبه جماله؟ قال: « لا الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس ».

وروى ابن أبي شيبة من حديث جابر: « ألا أعملكم ما علم نوح ابنه؟ آمرك بقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فإن السموات لو كانت في كفة لرجحت بها ولو كانت حلقة قصمتها. وآمرك بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة الخلق وتسبيح الخلق وبها ترزق الخلق ».

وروى الحكيم الترمذي، والديلمي من حديث معاذ بن أنس: « لا أخبركم عن وصية نوح حين حضره الموت؟ قال: إني واهب لك أربع كلمات: هي قيام السموات والأرض وهن أوّل الكلمات دخولاً وآخر الكلمات خروجاً من عنده ولو وزن بهن أعمال بني آدم لو زنتهن فاعمل بهن واستمسك حتى تلقاني تقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، والذي نفس محمد بيده لو أن السموات والأرض وما فيهن وما تحتهن وزن بهذه الكلمات لوزنتهن ».

وروى عبد بن حميد، وابن عساكر من حديث جابر، وأبو يعلى، والبيهقي، وابن عساكر أيضاً من حديث عبد الله بن عمر « وألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه ان نوحاً قال، لابنه: يا بني آمرك بأمرين وأنهاك عن أمرين. آمرك أن تقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، فإن السموات والأرض لو جعلتا في كفة وزنتها، ولو جعلتا حلقة قصمتها. وآمرك يا بني أن تقول سبحان الله وبحمده فإنها صلاة الخلائق وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق. وأنهاك يا بني عن الشرك فإن من أشرك بالله حرم الله عليه الجنة. وأنهاك يا بني عن الكبر. فإن أحداً لا يدخل الجنة وفي قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ». فقال معاذ: يا رسول الله الكبر أن يكون لأحدنا دابة يركبها والنعلين يلبسهما والثياب يلبسها والطعام يجمع عليه أصحابه؟ قال « لا ولكن الكبر أن تسفه الحق وتغمص المؤمن وسأنبئك بخلال من كن فيه فليس بمتكبر: اعتقال الشاة، وركوب الحمار، ولبوس الصوف، ومجالسة فقراء المؤمنين، وأن يأكل أحدهم مع عياله ».

شيء وبها يرزق كل شيء ». وقال المسيح عليه السلام: طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جباراً. وقال ﷺ: « أهل النار كل جعظري جوّاظ مستكبر جماع مناع، وأهل الجنة الضعفاء المقلون »، وقال ﷺ: « إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون » قالوا: يا رسول

(وقال عيسى عليه السلام: طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا) اي متكبراً. **(وقال النبي ﷺ: « أهل النار كل جعظري)** وهو الفظ الغليظ المنتفخ بما ليس عنده **(جوّاظ)** وهو الكثير اللحم المختال في مشيته **(مستكبر)** على إخوانه **(جمّاع)** للمال **(منّاع)** للحق. **(وأهل الجنة الضعفاء المقلون »)** وفي لفظ « المغلوبون ». قال العراقي: رواه أحمد، والبيهقي في الشعب من حديث سراقة بن مالك دون قوله « جماع مناع » وهذه الزيادة عندهما من حديث عبد الله بن عمرو. وفي الصحيحين من حديث حارثة بن وهب الخزاعي: « الا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبرّه. ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جوّاظ مستكبر » اهـ.

قلت: لفظ حديث سراقة عند ابن قانع والحاكم: « أهل النار كل جعظري جوّاظ مستكبر، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون ». وروى أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو، وسراقة بن مالك « أهل الجنة المغلوبون وأهل النار كل جعظري جوّاظ مستكبر ». وروى الطيالسي من حديث حارثة بن وهب « أهل النار كل جوّاظٍ عتل مستكبر ». وروى الشيرازي في الألقاب، والديلمي من حديث أبي عامر الأشعري « أهل النار كل شديد قبعثري » قيل: يا رسول الله وما هو؟ قال « الشديد على الأهل، الشديد على الصاحب، الشديد على العشيرة، وأهل الجنة كل ضعيف مزهد ». وروى أحمد، والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو « وأهل النار كل جعظري جوّاظ مستكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون ». وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عمرو: « ألا أنبئك بأهل الجنة الضعفاء المغلوبون ». وروي أيضاً من حديث أبي الدرداء « ألا أخبرك يا أبا الدرداء بأهل النار كل جعظري جوّاظ مستكبر جماع. ألا أخبرك بأهل الجنة كل مسكين لو أقسم على الله تعالى لأبرّه ».

وأما حديث حارثة بن وهب في الصحيحين فلفظه: « ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جوّاظ جعظري مستكبر » وهكذا رواه الطيالسي، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، والطبراني كلهم من طريق معبد بن خالد، عن حارثة بن وهب الخزاعي. ورواه الطبراني أيضاً عن معبد بن خالد بن حارثة بن وهب. والمستورد بن شداد الفهري معاً ورواه الطبراني أيضاً، والضياء عن معبد بن خالد، عن أبي عبدالله الجدلي، عن زيد بن ثابت.

(وقال ﷺ: « إن أحبكم إلينا وأقربكم منا في الآخرة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلينا وأبعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون » . قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون

الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: « المتكبرون ». وقال ﷺ: « يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صور الذر تطؤهم الناس، ذراً في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار، ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الأنيار يسقون من طين الخبال عصارة أهل النار ». وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: « يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى ». وعن محمد بن واسع قال: دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له: يا بلال إن

والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: « المتكبرون ») قال العراقي: رواه أحمد من حديث أبي ثعلبة الخشني بلفظ: « إلى ديني » وفيه انقطاع مكحول لم يسمع من أبي ثعلبة وقد تقدم في رياضة النفس أول الحديث اهـ.

قلت: لفظ أحمد « إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني في الآخرة مساوئكم أخلاقاً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون ». وكذلك رواه ابن حبان، والطبراني، وأبو نعيم، والبيهقي والخرائطي. وروي الخرائطي أيضاً، والخطيب، وابن عساكر، والضياء من حديث جابر « إن أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة مساوئكم أخلاقاً الثرثارون المتشدقون المتفيهقون ». وروى الطبراني من حديث ابن مسعود: « إن أحبكم إليّ يوم القيامة أحاسنكم وإن من أبغضكم إليّ يوم القيامة المتشدقون المتفيهقون ». وروى البيهقي من حديث أبي هريرة: « ألا أخبركم بشرار هذه الأمة الثرثارون والمتشدقون المتفيهقون، أفلا أنبئكم بخيارهم أحاسنهم اخلاقاً » ورواه أحمد بلفظ ألا انبئكم بشراركم الثرثارون المتشدقون إلا انبئكم بخياركم أحاسنكم أخلاقاً ».

(وقال ﷺ: « يحشر المتكبرون يوم القيامة ذراً في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار) أي الذل، **(ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس)** بضم الموحدة وفتح اللام وآخره سين مهملة **(تعلوهم نار الأنيار)** هو جمع نار **(يسقون من طينة الخبال)** وهي **(عصارة أهل النار »)** أي مما يسيل من أجسادهم بعد ذوبانها من القيح والصديد. قال العراقي: رواه الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وقال: حسن غريب اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد ولفظه: « أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان » والباقي سواء.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال ﷺ: « يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة في صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله »)** قال العراقي: رواه البزار هكذا مختصراً دون قوله الجبارون، وإسناده حسن.

(وعن محمد بن واسع) بن جابر بن الأخنس البصري ثقة عابد كثير المناقب مات سنة ثلاث

أباك حدثني عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: « إن في جهنم وادياً يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار، فإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه». وقال ﷺ: « إن في النار قصراً يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم». وقال ﷺ: « اللهم إني أعوذ بك من

وعشرين ومائة، روى له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي **(قال: دخلت على بلال بن أبي بردة)** بن أبي موسى الأشعري قاضي البصرة مات سنة نيف وعشرين، روى له البخاري معلقاً والترمذي **(فقلت: يا بلال إن أباك)** أبا بردة بن أبي موسى الأشعري قيل اسمه عامر وقيل الحرث ثقة مات سنة أربعمائة روى له الجماعة **(حدثني عن أبيه)** أبي موسى عبدالله بن قيس بن سليم ابن حضار الأشعري رضي الله عنه صحابي مشهور أمره عمر ثم عثمان، وهو أحد الحكمين بصفين سنة خمسين وقيل بعدها، **(عن النبي ﷺ قال: « إن في جهنم وادياً يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه كل جبار فإياك يا بلال أن تسكنه »)** قال العراقي: رواه أبو يعلى، والطبراني، والحاكم وقال: صحيح الإسناد. قلت: فيه أزهر بن سنان ضعفه ابن معين وابن حبان وأورد له في الضعفاء هذا الحديث اهـ.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عدالله بن محمد بن مخلد، حدثنا الحرث بن أبي أسامة، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا أزهر بن سنان القرشي، حدثنا محمد بن واسع قال: دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت: يا بلال إن أباك حدثني، عن جدك، عن رسول الله ﷺ قال: « إن في جهنم وادياً ولذلك الوادي بئر يقال لها هبهب حق على الله أن يسكنها كل جبار فإياك أن تكون منهم».

قلت: ورواه كذلك العقيلي، وابن عدي، وابن عساكر. وقال أبو نعيم بعد أن أورد الحديث: هذا حديث تفرد به أزهر عن محمد، وحدث به أحمد بن حنبل، وأبو خيثمة عن يزيد بن هارون بمثله.

(وقال ﷺ: « إن في النار قصراً يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم ») قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث أنس وقال: توابيت مكان قصر. وقال: فيقفل مكان يطبق، وفيه أبان بن عياش وهو ضعيف.

(وقال ﷺ) في دعائه: **(« اللهم إني أعوذ بك من نفخة الكبرياء »)** قال العراقي: لم أره بهذا اللفظ وروى أبو داود، وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم مرفوعاً في أثناء حديث: « أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه» قال: نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة. ولأصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري نحوه تكلم فيه أبو داود، وقال الترمذي هذا أشد حديث في الباب.

نفخة الكبرياء ». وقال: « من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنة: الكبر والدين والغلول ».

الآثار: قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: لا يحقرن أحد أحداً من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير. وقال وهب: لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال: أنت حرام على كل متكبر. وكان الأحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره، فجاء يوماً ومصعب مادّ رجليه فلم يقبضهما، وقعد الأحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى أثر ذلك في وجهه فقال: عجباً لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين. وقال

(وقال ﷺ: « من فارق روحه جسده وهو بريء من ثلاثة دخل الجنة الكبر والدين والغلول ») قال العراقي: رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديث ثوبان بإسناد صحيح وذكر المصنف لهذا الحديث فيها موافق للمشهور في الرواية أنه الكبر بالموحدة والراء، ولكن ذكر ابن الجوزي في جامع المسانيد عن الدارقطني قال: إنما هو الكنز بالنـون والزاي، وكذلك أيضاً ذكر ابن مردويه في تفسير ﴿إن الذين يكنزون الذهب والفضة﴾ [التوبة: ٣٤] اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أحمد، والدارمي، وأبو يعلى والروياني، وابن حبان، والحاكم، وأبو نعيم، والبيهقي، والضياء ووقع في روايتهم الغل بدل الغلول.

(الآثار: قال أبو بكر الصديق) رضي الله عنه: **(لا يحقرن أحد أحداً مـن المسلمين)** وفي نسخة: لا تحقرن أحداً من المسلمين، **(فإن صغير المسلمين عند الله كبير)**. رواه أبو عبد الرحمن السلمي، والديلمي في مسند الفردوس من حديثه مرفوعاً بلفظ: « لا تحقرن من المسلمين أحداً » والباقي سواء. **(وقال وهب)** بن منبه رحمه الله تعالى: **(لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال: أنت حرام على كل متكبر)** روى الطبراني من حديث ابن عباس. « لما خلق الله عز وجل جنة عدن خلق بهـا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي. فقالت: قد أفلح المؤمنون ». زاد ابن عساكر ثم قالت: « أنا حرام على كل بخيل ومرائي ثم أطبقها فلم ير ما فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل » وقد تقدم ذلك في ذم الرياء. **(وكان الأحنف بن قيس)** بن معاوية التميمي أبو شجر البصري، أدرك زمان النبي ﷺ ولم يره قال العجلي: بصري تابعي ثقة وكان سيد قومه **(يجلس مع مصعب بن الزبير)** بالبصرة، وكان أخو عبدالله بن الزبير قد ولاه عليها **(على سريره فجاء)** الأحنف **(يوماً ومصعب مادّ رجليه فلم يقبضهما)** لدخوله، **(وقعد الأحنف)** على السرير على عادته **(فزاحمه بعض الزحمة، فرأى أثر ذلك في وجهه فقال)** الأحنف **(عجباً لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين)** مرة من مجرى بول أبيه، وثانية من مجرى بول أمه. ومات الأحنف في ولاية مصعب روى عن عتبة ابن صعصعة قال: رأيت مصعب بن الزبير في جنازة الأحنف متقلداً سيفاً ليس عليه رداء وهو يقول: ذهب اليوم الحزم والرأي. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى. **(العجب من**

الحسن: العجب من ابن آدم، يغسل الخرء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يعارض جبار السموات، وقد قيل في: ﴿وفي أنفُسِكُم أفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] هو سبيل الغائط والبول. وقال محمد بن الحسين بن علي: ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قلّ أو كثر. وسئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال: الكبر. وقال النعمان بن بشير - على المنبر - إن للشيطان مصالي وفخوخاً، وإن من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله، والفخر بإعطاء الله، والكبر على عباد الله، واتباع الهوى في غير ذات الله. نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة بمنّه وكرمه.

ابن آدم يغسل الخراء بيده كل يوم مرة أو مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات، وقد قيل) في تأويل قوله تعالى: (**﴿وفي أنفسكم تبصرون﴾ وهو سبيل البول والغائط**) ولفظ القوت وقال بعض أهل التفسير في تأويل قوله تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ وقال: مواضع البول والغائط أي فتعتبروا به مثال الدنيا وقبح عاقبتها وتغيرها إلى الآخرة (**وقال**) أبو جعفر (**محمد بن الحسين بن علي**) بن أبي طالب رضي الله عنهم كذا في النسخ، وصوابه محمد بن علي بن الحسين بن علي: (**ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر**) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبيه، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسين، حدثنا أبو الربيع الرشديني، حدثنا عبدالله بن وهب، أخبرني إبراهيم بن النشيط، عن عمر مولى غفرة، عن محمد بن علي بن الحسين قال: ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر فذكره. (**وسئل سلمان**) الفارسي رضي الله عنه (**عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة. قال، الكبر. وقال النعمان بن بشير**) بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي له ولأبيه صحبة ثم سكن الشام ثم ولي إمرة الكوفة ثم قتل بحمص سنة خمس وستين وله أربع وستون سنة: (**إن للشيطان مصالي**) وهي تشبه الشرك جمع مصلاة، والمراد ما يستفز به الناس من زينة الدنيا وشهواتها (**وفخوخاً**) جمع فخ آلة يصاد بها، (**وإن من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله**) أي الطغيان عند النعمة، (**والفخر بإعطاء الله**) أي إدعاء العظم والشرف، (**والكبر على عباد الله**) أي التعاظم والترفع عليهم، (**وإتباع الهوى في غير ذات الله**) فهذه الخصال أخلاقه وهي فخوخة ومصائده التي نصبها لبني آدم، فإذا أراد الله بعبد شراً خلى بينه وبين الشيطان فيقع في شبكته، فكان من الهالكين. ومن أراد به خيراً يقظه ليجتنب تلك الخصال ويتباعد عنها ليصير من أهل الكمال هكذا أورده المصنف موقوفاً على النعمان، وقد روي ذلك مرفوعاً من طريقه بلفظ: «البطر بنعم الله والفخر بعطاء الله» والباقي سواء. هكذا رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الشعب، وابن عساكر في التاريخ، وفي الإسناد إسماعيل بن عياش مختلف فيه، والله أعلم.

بيان ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في المشي وجرّ الثياب:

قال رسول الله ﷺ: « لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطراً ». وقال ﷺ: « بينما رجل يتبختر في بردته إذ أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم

بيان ذم الإختيال وإظهار آثار الكبر في المشي وجر الثياب:

(قال ﷺ: « لا ينظر إلى رجل يجر إزاره بطراً ») هكذا في سائر النسخ، وفي نسخة العراقي: « لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطراً » وقال: متفق عليه من حديث أبي هريرة. وقال في التقريب: وعن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ إزاره بطراً » قال ولده الولي العراقي في شرحه على كتاب والده: أخرجه البخاري من هذا الوجه من طريق مالك، وأخرجه مسلم والنسائي من طريق شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، وابن ماجه من رواية محمد بن عمر. وعن أبي سلمة عن أبي هريرة بلفظ: « من الخيلاء » اهـ.

وقال السيوطي في المعجم الكبير حديث: « لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه بطراً » رواه البخاري، وأحمد، والبيهقي من حديث أبي هريرة، ومعنى كون الله لا ينظر إليه نظر رحمة ونظره سبحانه لعباده رحمته لهم ولطفه لهم، فعبر عن المعنى الكائن عن النظر بالنظر لأن من نظر إلى متواضع رحمه، ومن نظر إلى متكبر مقته فالنظر إليه اقتضى الرحمة أو المقت، وأما التقييد بيوم القيامة فلأنه محل الرحمة العظيمة المستمرة التي لا تنقطع عن المرحوم.

(وقال ﷺ: « بينما رجل يتبختر في برديه) مثنى برد بضم فسكون نوع من الثياب معروف. قال في المحكم: ثوب فيه خطوط وخصّ بعضهم به الموشّى والجمع إبراد وأبرد وبرود وفي رواية في ردين، **(وقد أعجبته نفسه)** وفي رواية قد أعجبته جمته وبرداه كما سيأتي **(خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها)** أي يتحرك وينزل مضطرباً قاله الخليل **(إلى يوم القيامة »)** وفي رواية حتى يوم القيامة فيه فوائد.

الأولى: أخرجه مسلم من طريق همام عن أبي هريرة، ومن طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة. وأخرجه من طريق أبي رافع عن أبي هريرة بلفظ: « إن رجلاً فيمن كان قبلكم يتبختر في حلة » الحديث واتفق عليه الشيخان من طريق شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة بلفظ: « بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه رجل جمته إذ خسف به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة » لفظ البخاري ولم يسق مسلم لفظه. وأخرجه أيضاً من طريق الربيع بن مسلم، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة بلفظ: « بينما رجل يمشي قد أعجبته نفسه جمته وبرداه » وأخرجه البخاري من طريق سالم بن عبدالله بن عمر عن أبي هريرة.

الثانية: قد يحتمل أن هذا الرجل من هذه الأمة فاخبر النبي ﷺ بأنه سيقع هذا. وقيل: بل

القيامة » ، وقال ﷺ : « من جرَّ ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة » . وقال زيد بن

هو اخبار عمن قبل هذه الأمة. قال عياض ، وهذا أظهر . وقال النووي : وهذا هو الصحيح وهو معنى إدخال البخاري له في ذكر بني إسرائيل. قال الولي العراقي : قد صرح به في رواية مسلم المتقدمة حيث قال فيها « إن رجلا ممن كان » وروى أبو يعلى الموصلي في مسنده عن كريب قال : كنت أقود ابن عباس في زقاق أبي لهيب فقال : يا كريب بلغنا مكان كذا وكذا . قلت : أنت عنده الآن . فقال : حدثني العباس بن عبد المطلب قال : بينما أنا مع رسول الله ﷺ في هذا الموضع إذ أقبل رجل يتبختر بين بردين وينظر بين عطفيه قد أعجبته نفسه إذ خسف الله به الأرض في هذا الموطن فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ، ولم يسق مسلم لفظه . وأخرجه أيضاً من طريق الربيع عن محمد بن زياد .

قلت : وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي جري الهجيمي بلفظ : « إن رجلاً ممن كان قبلكم لبس بردة فتبختر فيها فنظر الله إليه من فوق عرشه فمقته فأمر الأرض فاخذته فهو يتجلجل فأحذرك مقت الله عز وجل » . وروى ابن عساكر : « إن رجلاً في الجاهلية جعل يتبختر وعليه حلة قد لبسها فأمر الله عز وجل الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » . هكذا أورده السيوطي في المعجم الكبير ولم يذكر صحابيه وبيض له فليحرر ولعله أبو هريرة .

الثالثة : قال أبو العباس القرطبي : البردان الرداء والإزار وهذا على طريقة تثنية العمرين والقمرين انتهى قال الولي العراقي : وفي تعيينه أن البردين إزار ورداء نظر . لقوله : إنه كالعمرين والقمرين مردود لأن ذلك فيه تغليب ، وهذا لا تغليب فيه بل كان من مفرديه بُرد ، ولو قيل للرداء والإزار إزاران أو رداءان لكان من باب التغليب .

الرابعة : قال أبو العباس القرطبي : إعجاب الرجل بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال والاستحسان مع نسيان منة الله فإن رفعها على الغير واحتقره فهو الكبر المذموم .

الخامسة : في الرواية التي فيها حتى يوم القيامة يوم القيامة مجرور بحتى ، وهي دالة على انتهاء الغاية بشرط كون المجرور بها آخر جزء أي في آخر جزء ذكره الزمخشري . وطائفة من المغاربة وابن مالك في شرح الكافية ولم يشترط ذلك في التسهيل .

السادسة : قال أبو العباس القرطبي : يفيد هذا الحديث ترك الأمن من تعجيل المؤاخذة على الذنوب ، وأن عجب المرء بنفسه وثوبه وهيئته حرام وكبيرة ، والله أعلم .

(وقال ﷺ : « من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة ») أغفله العراقي ، وقد رواه أحمد والشيخان والأربعة من حديث ابن عمر ، ورواه ابن ماجه أيضاً من حديث أبي سعيد ، ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة ، ورواه الطيالسي ومسلم أيضاً بلفظ : « من جرَّ إزاره لا يريد بذلك إلا الخيلاء فإن الله لا ينظر إليه » ويروى : « من جر ثيابه من الخيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة ، وبينا رجل يمشي بين بردين مختالاً خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم

أسلم: دخلت على ابن عمر فمرَّ به عبدالله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول: أي بني ارفع إزارك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا ينظر الله إلى من جرَّ إزاره

القيامة» هكذا رواه أحمد، وأبو يعلى، والضياء من حديث أبي سعيد. ويروى «من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه في حلال ولا في حرام» هكذا رواه الطبراني من حديث ابن مسعود.

(**وقال زيد بن أسلم**) أبو عبدالله العدوي مولى عمر بن الخطاب مدني ثقة عالم مات سنة ست وثلاثين روى له الجماعة: (**دخلت على ابن عمر**) يعني به عبدالله (**فمر به عبدالله بن واقد**) بن عبدالله بن عمر بن الخطاب فهو حفيده ابن ابنه مدني مقبول، مات سنة تسع عشرة، روى له مسلم وأبو داود وابن ماجه، (**وعليه ثوب جديد فسمعته يقول: أي بني ارفع إزارك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا ينظر الله إلى من جر إزاره خيلاء»**) قال العراقي: رواه مسلم مقتصراً على المرفوع دون ذكر: مرور عبدالله بن واقد على ابن عمر. وفي رواية لمسلم: إن المار رجل من بني ليث غير مسمى انتهى.

قلت: رواه الشيخان والترمذي من طريق مالك عن نافع وعبدالله بن دينار وزيد بن أسلم كلهم يخبرون عن عبدالله بن عمر بهذا اللفظ. ورواه مسلم والنسائي وعلقه البخاري من طريق الليث بن سعد. ورواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق أيوب السختياني، وزاد الترمذي والنسائي في روايتها فقالت أم سلمة: فكيف تصنع النساء بذيولهن؟ فقال: «يرخين شبراً» فقالت: إذاً تنكشف اقدامهن قال فيرخينه ذراعاً لا يزدن عليه». وقال الترمذي: حسن صحيح. ورواه مسلم والنسائي وابن ماجه من رواية أسامة بن زيد الليثي، وعمرو بن محمد العمري خمستهم عن نافع وزادوا فيه «يوم القيامة» وفي رواية البخاري وأبي داود والنسائي فقال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه. فقال رسول الله ﷺ: «إنك لست تصنع ذلك خيلاء». واتفق عليه الشيخان والنسائي من رواية محارب بن دثار، ومسلم والنسائي من رواية جبلة بن سحيم ومسلم ابن يساف، ومسلم أيضاً من رواية زيد بن محمد العمري، وعلقه البخاري من رواية زيد بن عبدالله، وجبلة بن سحيم أيضاً. وابن ماجه من رواية عطية العوفي كلهم عن ابن عمر. وفي الحديث فوائد:

الأولى: الخيلاء بضم الخاء وحكى كسرها في المحكم وغيره والياء مفتوحة ممدوداً. قال النووي: قال العلماء: الخيلاء والمخيلة والبطر والزهو والتبختر كلها بمعنى واحد وهو حرام، ويقال: خال الرجل خالاً واختال اختيالاً إذا تكبر وهو رجل خال أي متكبر وصاحب خال أي صاحب كبر انتهى.

وقال العراقي في شرح الترمذي: وكأنه مأخوذ من التخيل إلى الظن وهو أن يخيل له أنه بصفة عظيمة بلباسه لذلك اللباس أو لغير ذلك.

الثانية: يدخل في قوله برديه الإزار والرداء والقميص والسراويل والجبة والقباء وغير ذلك مما يسمى ثوباً. في صحيح البخاري عن شعبة قلت لمحارب: إذكر إزاراً قال: ما خص إزاراً ولا

قميصاً. وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه بإسناد حسن عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه عن النبي ﷺ قال: « الأسبال في الإزار والقيمص والعمامة من جر شيئاً خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة ». وأما الرواية التي فيها ذكر الإزار وهي في الصحيح فخرجت على الغالب من لباس العرب وهو الأزر، وحكى النووي في شرح مسلم عن محمد بن جرير الطبراني وغيره أن ذكر الإزار وحده لأنه كان عامة لباسهم وحكم القميص وغيره حكمه، ثم اعترض ذلك بأنه جاء مبيناً منصوصاً فذكر رواية مسلم عن أبيه المتقدمة.

فإن قلت: ما المراد بإسبال العمامة هل هو جرها على الأرض كالثوب، أو المراد المبالغة في تطويل عذبتها بحيث يخرج عن المعتاد؟ قال العراقي في شرح الترمذي هو محل نظر، والظاهر أنه إذا لم يكن جرها على الأرض معهوداً مستعملاً فالمراد الثاني وأنه في كل شيء بحسبه.

الثالثة: هل يختص ذلك بجر الذيول أو يتعدى إلى غيرها كالأكمام إذا خرجت عن المعتاد. وقال العراقي في شرح الترمذي: لا شك في تناول التحريم لما مسّ الأرض منها للخيلاء، ولو قيل بتحريم ما زاد على المعتاد لم يكن بعيداً، فقد كان كم رسول الله ﷺ إلى الرسغ، وكذلك فعل علي في قميص اشتراه لنفسه، ولكن قد حدث للناس اصطلاح بتطويلها، فإن كان ذلك على سبيل الخيلاء فهو داخل في النهي، وإن كان على طريق العوائد المتجددة من غير خيلاء فالظاهر عدم التحريم. وحكى عياض عن العلماء أنه يكره كل ما زاد على الحاجة والمعتاد في اللباس من الطول والسعة.

الرابعة: هذا الوعيد يقتضي أن ذلك كبيرة وقد تقدم عن القرطبي أنه قال: العجب كبيرة والكبير عجب وزيادة. وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال: بينما رجل يصلي مسبلاً إزاره فقال له رسول ﷺ: « اذهب فتوضأ » فذهب فتوضأ ثم جاء فقال: « اذهب فتوضأ » فقال له رجل: يا رسول الله مالك أمرته أن يتوضأ ثم سكت عنه؟ قال: « أنه كان يصلي وهو مسبل إزاره إن الله لا يقبل صلاة رجل مسبل ».

وفي الأوسط للطبراني من حديث جابر خرج علينا رسول الله ﷺ فذكر حديثاً فيه « فإن ريح الجنة لتوجد من مسيرة ألف عام وأنه لا يجدها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء إنما الكبرياء لله رب العالمين ».

الخامسة: التقييد بالخيلاء يخرج ما إذا جرّ بغير هذا القصد، ويقتضي أنه لا تحريم فيه. قال النووي في شرح مسلم: ظواهر الحديث في تقييدها بالجر خيلاء يدل على أن التحريم مخصوص بالخيلاء، وهكذا نص الشافعي عليه. وأما القدر المستحب فنصف الساقين والجائز كراهة ما تحته إلى الكعبية وما تحتها فهو ممنوع، فإن كان للخيلاء فهو ممنوع منع تحريم، وإلا فمنع تنزيه. وأما الأحاديث المطلقة بأن ما تحت الكعبين في النار فالمراد بها ما كان للخيلاء لأنه مطلق فوجب حمله على المقيد.

خيلاء ». وروي: أن رسول الله ﷺ بصق يوماً على كفه ووضع اصبعه عليه وقال: « يقول الله تعالى: ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سوّيتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد جمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق! وأنى أوان الصدقة ». وقال ﷺ: « إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس

السادسة: يستثنى من جره ما إذا كان ذلك حالة القتال فيجوز كما ورد ذلك في الخبر أن فيه إغزاز الإسلام وظهوره واحتقاره عدوه وغيظه بخلاف ما فيه احتقار المسلمين وغيظهم والاستعلاء عليهم، والظاهر أيضاً جوازه بلا كراهة دفعاً لضرر يحصل له كأن يكون تحت كعبه جراح أو حكة ونحو ذلك إن لم يغطها تؤذه الهوام كالذباب ونحوه بالجلوس عليها، ولا يجد ما يسترها به إلا إزاره أو رداءه أو قميصه، فقد أذن ﷺ للزبير وابن عوف في لبس قميص الحرير من حكة كانت بهما ولكعب في حلق رأسه وهو محرم لما آذاه القمل مع تحريم لبس الحرير لغير عارض وتحريم حلق الرأس للمحرم، وهذا كما يجوز كشف العورة للتداوي وغير ذلك من الأسباب المبيحة للرخص ذكره العراقي في شرح الترمذي.

السابعة: إن قلت في الصحيح من حديث ابن مسعود: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً. قال: « إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمص الناس » فالجار لثوبه فوق الكعبين مظهراً للتجمل بذلك معجباً بحسن ملبسه ونضارة رونقه لم يتكبر عن قبول الحق ولم يحتقر أحداً، فكيف جعل كبره مذموماً؟ قلت: الذم إنما ورد فيمن فعل ذلك كبراً بأن فعله غير قابل للنصيحة النبوية ولا مكترثاً بالتأديب الإلهي أو محتقراً لمن ليس على صفته التي رآها حسنة بهجة، فإن لم يوجد واحد من الأمرين، وإنما أعجبه رونقه غافلاً عن نعمة الله تعالى فهو العجب على ما تقدم بيانه، فإن استحضر مع استحسانه لهيئته وإعجابه لملبوسه نعمة الله عليه بذلك وخضع لها فليس هذا كبراً ولا إعجاباً ولم يرد في الحديث ذمه، والله أعلم.

(وروى أن رسول الله ﷺ بزق يوماً على كفه ووضع أصبعه عليه وقال: « يقول الله تعالى ابن آدم أتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه) يعني النطفة **(حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين)** أي معجباً بنفسك **(وللأرض منك وئيد)** أي وطء ثقيل ومنه قول الزباء:

ما للجمال مشيها وئيدا   أجندلاً تحملن أم حديدا

(جمعت) الأموال **(ومنعت)** الحقوق **(حتى إذا بلغت)** الروح **(التراقي)** جمع ترقوة وهي عظام العنق **(قلت أتصدق! وأنى أوان الصدقة »)** قال العراقي: رواه ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده من حديث بسر بن حجاش انتهى.

قلت: ورواه أيضاً أحمد، وابن سعد، وابن أبي عاصم، والباوردي، وابن قانع، وسمويه،

والروم سلط الله بعضهم على بعض». قال ابن الأعرابي: هي مشية فيها اختيال. وقال ﷺ: «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان».

الآثار: عن أبي بكر الهذلي قال: بينما نحن مع الحسن إذ مرّ علينا ابن الأهتم يريد

والطبراني والبيهقي، وأبو نعيم، والضياء ولفظهم جميعاً: «يقول الله يا ابن آدم أني تعجزني وقد خلقتك من مثل هذا» والباقي سواء وبسر بضم فسين مهملة وأهل الشام يقولون بشر وهو صحابي عبدري قرشي، وإسناد أحمد وابن ماجه صحيح.

(**وقال ﷺ: «إذا مشت أمتي المطيطاء**) بضم الميم وفتح الطاءين المهملتين بينهما مثناة تحتيه مصغراً يمد ويقصر أي تبختروا في مشيتهم عجباً واستكباراً (**وخدمتهم فارس والروم**) أي فتحت بلادهم فأسرت منها الذكور والإناث (**سلط الله بعضهم على بعض**») قال العراقي: رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمرانتهى.

قلت: سياق المصنف رواه الطبراني من حديث أبي هريرة وإسناده حسن، وأما لفظ الترمذي: إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمها أبناء الملوك أبناء فارس والروم سلط الله شرارها على خيارهـا» وقال: غريب وفيه زيد بن الحباب وموسى بن عبيد قد ضعفا، وهذا من دلائل نبوته ﷺ، فإنهم لما فتحوا بلاد فارس والروم وأخذوا ما لهم واستخدموا أولادهم سلّط عليهم قتلة عثمان فقتلوا عثمان، ثم سلط بني أمية على بني هاشم ففعلوا ما فعلوا. قال الميداني والعسكري: لم تعرف الجاهلية اللواط قبل الإسلام، وإنما حدث في صدره حين كثر الغزو وطالت غيبتهم عن نسائهم وسبوا أبناء فارس والروم واستخدموهم وطالت خلوتهم بهم، فرأوهم يجزؤن عن النساء في الجملة ففعلوه.

(**قال ابن الأعرابي**) أحد أئمة اللغة: (**هي**) أي المطيطاء (**مشية فيها اختيال**) هكذا رواه عنه غير واحد من الأئمة. وقال الزمخشري: ممدودة مقصور بمعنى التمطي وهو التبختر ومد اليدين، وأصل التمطي التمطط تفعل من المط وهو المد وهي من المصغرات التي لم يستعمل لها مكبر ككميت انتهى. وقال عياض هي مشية فيها تبختر ومديد من مطه إذا مده وكذا التمطي وهو من المصغرات ولم يستعمل لها مكبر وكالمريطا.

(**وقال ﷺ: «من تعظم في نفسه**) أي تكبر وتجبر (**واختال في مشيته**) أي تبختر وأعجب بنفسه (**لقي الله وهو عليه غضبان**) فإن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه». قال العراقي: رواه أحمد والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر انتهى.

قلت: وكذلك رواه البخاري في الأدب المفرد. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. وقال المنذري: رواته محتج بهم في الصحيح.

(**الآثار: عن أبي بكر**) سلمى بن عبد الله بن سلمى (**الهذلي**) البصري، وهو ابن بنت ابن

المقصورة وعليه جباب خزقد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر، إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال: أف أف شامخ بأنفه ثاني عطفه مصعّر خده ينظر في عطفيه، أي حميق أنت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدي حق الله منها، والله أن يمشي أحد طبيعته يتخلج تخلج المجنون في كل عضو من أعضائه لله نعمة، وللشيطان به لفتة، فسمع ابن الأهتم فرجع يعتذر إليه فقال: لا تعتذر إلى وتب إلى ربك، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَمْشِ في الأرْضِ وَلَنْ تبلغَ الجبالَ طولاً﴾ [الإسراء: ٣٧] ومرَّ بالحسن شاب عليه بزة

عبد الرحمن الحميري، روى عن قتادة بن دعامة، وعنه اسماعيل بن عياش. قال الحافظ في التهذيب: اخباري متروك الحديث مات سنة سبع وستين روى له ابن ماجه (**قال: بينا نحن مع الحسن**) يعني البصري (**إذ مرّ علينا ابن الاهتم**) إذا أطلق يصرف إلى عمرو بن الأهتم بن سمى ابن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس التميمي المنقري كان خطيباً جميلاً بليغاً شاعراً شريفاً في قومه له صحبة، وهو الذي يخاطب الزبرقان بن بدر بقوله:

طلبت مفترش الهلباء تشتمني ... عند النبي فلم تصدق ولم تصب

ولكن يبعد خطاب الحسن البصري الآتي ذكره وهو أصغر سناً وقدراً مع مثله وهو صحابي أكبر منه سناً وقدراً، فالظاهر أن المراد به أحد بني إخوته. إما شيبة بن سعد بن الأهتم، وإما المدمل بن خاقان بن الأهتم، وإما خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم، وكلهم من البلغاء المشهورين فليحرر ذلك. (**يريد المقصورة**) وهو الموضع الذي جعل شبه القصر على يمين المحراب أحدثها بنو أمية، (**وعليه جباب خزقد نضض بعضها فوق بعض على ساقه**) أي رتبها واحدا فوق واحد، (**فانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر**) أي يميل يميناً وشمالاً، (**إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال: أف أف شامخ بأنفه**) وهو كناية عن المتكبر يقال: شمخ بأنفه إذا تكبر (**مصعّر خده**) يقال: صعر خده بالتشديد وصاعره ماله عن الناس إعراضاً وتكبراً (**ينظر في عطفيه**) أي جانبيه والجمع اعطاف، (**أي حميق**) أي يا أحمق وهو مصغر أحمق بتشديد التحتية المكسورة (**أنت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدي حق الله منها، والله أن يمشي أحدكم طبيعته يتخلج تخلج المجنون**) أي يضطرب اضطرابه (**في كل عضو من أعضائه لله نعمة، وللشيطان فيه لعقة، فسمع ابن الأهتم**) هذا الكلام (**فرجع يعتذر إليه فقال**) الحسن: (**لا تعتذر اليَّ وتب الى ربك. أما سمعت قول الله تعالى: ﴿ولا تَمْشِ في الأرْضِ مرحاً إنك لنْ تخرُقَ الأرض ولَنْ تبلغَ الجبالَ طُولاً﴾**) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

له حسنة فدعاه فقال له: ابن آدم معجب بشبابه محب لشمائله، كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك، ويحك! داوِ قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم.

وروي أن عمر بن عبد العزيز حج قبل أن يستخلف، فنظر إليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال: ليست هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر! يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها. ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال: أتدري من أنت؟ أما أمك فاشتريتها بمائتي درهم. وأما أبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله! ورأى ابن عمر رجلاً يجرّ إزاره فقال: إن للشيطان اخواناً ـ كررها مرتين أو ثلاثاً ـ ويروى أن مطرف بن عبدالله بن الشخير رأى المهلب

(**ومر بالحسن**) البصري رحمه الله تعالى (**شاب عليه بزة حسنة**) البزة بالكسر الهيئة (**فدعاه فقال: ابن آدم معجب بشبابه محب لشمائله كأنّ القبر قد وارى بدنك وكأنك وقد لاقيت عملك. ويحك! داوِ قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم**) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**وروي أن عمر بن عبد العزيز**) بن عبد الملك بن مروان الأموي رحمه الله تعالى (**حج قبل أن يستخلف**) وذلك في زمن عمه ابن سليمان بن عبد الملك، (**فنظر إليه طاوس**) اليماني رحمه الله تعالى (**وهو يختال في مشيته فغمز جنبه بإصبعه ثم قال: ليست هذه مشية من في بطن خرء**) وفي بعض النسخ من في قلبه خير، (**فقال عمر كالمعتذر**) له: (**يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى تعلمتها**) أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**ورأى محمد بن واسع**) البصري رحمه الله تعالى (**ولده يختال فدعاه فقال: أتدري من أنت؟ أما أمك فاشتريتها بمائتي درهم، وأما أبوك فلا أكثر الله في الإسلام**) وفي نسخة في المسلمين (**مثله**) قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن محمد بن شيبان، حدثنا أبو العباس السراج، حدثنا أبو العباس بن أبي طالب، حدثنا عبد الله بن عيسى الطفاوي، حدثنا محمد بن عبد الله الزراد أبو يحي قال: نظر محمد بن واسع إلى ابن له يخطر بيده فقال له: ويحك تدري ابن من أنت؟ أمك اشتريتها بمائتي درهم وأبوك فلا كثر الله في المسلمين ضربه أو نحوه، وأخرج أيضاً من طريق الأصمعي قال: آذى ابن لمحمد بن واسع رجلاً فقال له محمد: أتؤذيه وأنا أبوك، وإنما اشتريت أمك بمائة درهم.

(**ورأى ابن عمر**) رضي الله عنه (**رجلاً يجرّ إزاره**) أي إختيالاً (**فقال: إن للشيطان إخواناً ـ كررها مرتين أو ثلاثاً ـ**) وإنما قيدناه بكونه إختيالاً لأن من جره من غير هذا القصد فإنه لا يحرم عليه كما تقدمت الإشارة إليه. وبوّب البخاري في صحيحه باب من جرّ إزاره

وهو يتبختر في جبة خزّ، فقال: يا عبد الله هـذه مشية يبغضها الله ورسوله، **فقال له** المهلب، أما تعرفني؟ فقال: بلى أعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك تحمل العذرة فمضى المهلب وترك مشيته تلك. وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ [القيامة: ٣٣] أي يتبختر وإذ قد ذكرنا ذم الكبر والاختيال، فلنذكر فضيلة التواضع، والله تعالى أعلم.

من غير خيلاء وأوردفيه حديث أبي بكر لما قال: يا رسول الله إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه. فقال له النبي ﷺ: «إنك لست تصنع ذلك خيلاء». وحديث أبي بكرة خسفت الشمس ونحن عند النبي ﷺ فقام يجر ثوبه مستعجلاً حتى أتى المسجد الحديث. **(ويروى أن مطرف بن عبد الله)** بن الشخير الحرشي البصري التابعي العابد الثقة **(رأى المهلب)** بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكي **(وهو يتبختر في جبة خز فقال: يا عبد الله)** سماه بأعم أسمائه اذ كل الناس عبيد الله عز وجل **(هذه مشية يبغضها الله عز وجل ورسوله، فقال له الملهب: أما تعرفني؟ فقال: بل أعرفك أوّلك نطفة مذرة)** أي متغيرة **(وآخرك جيفة قذرة)** أي نتنة **(وأنت بين ذلك تحمل العذرة)** بفتح العين المهملة وكسر الذال المعجمة الخرء ولا يعرف تخفيفها. **(فمضى المهلب وترك مشيته)**. هكذا في نسخ الكتاب من رواية مطرف بن عبد الله.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة مالك بن دينار فقال: حدثنا الحسن بن علي بن الخطاب الوراق، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثنا إبراهيم بن العباس الكاتب، حدثنا الأصمعي قال: مرّ المهلب بن أبي صفرة على مالك بن دينار وهو يتبختر في مشيته فقال له مالك: ما علمت إلا هذه المشية تكره إلا بين الصفين فقال له المهلب: أما تعرفني؟ فقال مالك: أعرفك أحسن المعرفة. قال: وما يعرفك مني؟ قال: أما أوّلك فنطفة مذرة، وأما آخرك فجيفة قذرة، وأنت بينهما تحمل العذرة. قال: فقال المهلب الآن عرفتني حق المعرفة. وأخرج من طريق سلام بن مسكين عن مالك بن دينار أنه لقي بلال بن أبي بردة والناس يطوفون حوله فقال: أما تعرفني؟ قال: بلى أعرفك أوّلك نطفة وأوسطك جيفة وأسفلك دودة. قال: فهموا به أن يضربوه فقال لهم: أنا مالك بن دينار فركب ومضى.

(وقال مجاهد) رحمه الله تعالى **(في قوله تعالى: ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ أي يتبختر)** أصله يتمطط وهو تفعل من المط وهو المد وأصله أن يمد يديه في حالة المشي. **(وإذ ذكرنا ذم الكبر والاختيال فلنذكر)** الآن **(فضيلة التواضع)** وما فيه من الاخبار والآثار، والله الموفق.

بيان فضيلة التواضع:

قال رسول الله ﷺ: «ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»، وقال ﷺ: «ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فإن هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا: اللهم ضعه وإن وضع نفسه قالا: اللهم ارفعه»، وقال ﷺ:

بيان فضيلة التواضع:

وهو تفاعل من الوضع بمعنى الخشوع والذل، والفرق بين التواضع والضعة أن التواضع رضا الإنسان بمنزلة دون ما تستحقه منزلته، والضعة وضع الإنسان نفسه بمحل يزرى به، والفرق بين التواضع والخشوع أن التواضع يعتبر بالأخلاق والأفعال الظاهرة والباطنة، والخشوع يقال باعتبار أفعال الجوارح، ولذلك قيل: إذا تواضع القلب خشعت الجوارح قاله الراغب. وقال ابن القيم: الفرق بين التواضع والمهانة أن التواضع يتولد من بين العلم بالله وصفاته ومحبته وإجلاله وبين معرفته بنفسه ونقائصها وعيوب عمله وآفاتها فيتولد من ذلك خلق هو التواضع، وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة للخلق والمهانة الدناءة والخسة وابتذال النفس في نيل حظوظها كتواضع الفاعل للمفعول به.

قال رسول الله ﷺ: «ما زاد الله عبداً بعفو إلاً عزاً وما تواضع أحد إلا رفعه الله») قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم. **(وقال ﷺ: «ما من أحد)** «ما» نافية و «من» زائدة وهي هنا تفيد عموم النفي وتحسين دخول ما على النكرة. **(إلا ومعه ملكان)** موكلان به **(وعليه حكمة)** محركة وهي نحو لجام الدابة سميت بذلك لأنها تذللها لراكبها حتى يمنعها الجماح ونحوه، ومنه اشتقاق الحكمة بالكسر لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأراذل **(يمسكانه بها فإن هو رفع نفسه)** على غيره واستعلى **(جبذاها ثم قالا: اللهم ضعه)** وهو كناية عن إذلاله **(وإن وضع نفسه)** للحق والخلق **(قالا: اللهم ارفعه»)** وهو كناية عن إعزازه ورفع قدره.قال العراقي رواه العقيلي في الضعفاء، والبيهقي أيضاً من حديث ابن عباس وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت حديث ابن عباس رواه الطبراني في الكبير، وحديث أبي هريرة رواه البزار. قال المنذري والهيتمي: إسنادهما حسن، وتبعهما السيوطي فرمز لحسنه، ولفظهما «ما من آدمي إلا وفي رأسه حكمة بيد ملك فإذا تواضع قيل للملك ارفع حكمته وإذا تكبر قيل للملك ضع حكمته». لكن قال ابن الجوزي: حديث لا يصح. وروى الخرائطي في مساوىء الأخلاق، والحسن ابن سفيان في مسنده، وابن لال في مكارم الأخلاق والديلمي من حديث ابن عباس «ما من آدمي إلا وفي رأسه سلسلتان سلسة في السماء السابعة وسلسلة في الأرض السابعة، فإذا تواضع رفعه الله بالسلسلة إلى السماء السابعة، وإذا تجبر وضعه الله بالسلسلة إلى الارض السابعة». وقد روي ذلك من حديث أنس عند ابن صصري في أماليه بلفظ «ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك فإذا تواضع رفعه الله وإن ارتفع قمعه الله والكبرياء رداء الله فمن نازع الله

« طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأنفق مالاً جمعه في غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة »، وعن أبي سلمة المديني عن أبيه عن جده؛ قال: كان رسول الله ﷺ عندنا بقباء وكان صائماً فأتيناه عند إفطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئاً من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل. فقال: « ما هذا ؟ » قلنا: يا رسول الله جعلنا فيه شيئاً من عسل فوضعه وقال: « أما إني لا أحرمه ومن تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله، ومن اقتصد أغناه الله، ومن بذر أفقره الله، ومن أكثر ذكر الله أحبه الله ».

قمعه ». وعند أبي نعيم في الحلية والديلمي بلفظ: « ما من آدمي إلا وفي رأسه حكمة بيد ملك فإن تواضع رفعه بها وقال ارتفع رفعك الله وإن رفع نفسه جذبه إلى الأرض وقال اخفض خفضك الله ».

(وقال ﷺ: « طوبى لمن تواضع في غير مسكنة) بأن لا يضع نفسه بمكان يزرى به ويؤدي إلى تضييع حق الحق أو الخلق، فالقصد بالتواضع خفض الجناح للمؤمنين مع بقاء عزة الدين. (وأنفق مالاً جمعه في غير معصية) أي صرفه في وجوه الطاعات، (ورحم أهل الذل والمسكنة) أي رق لهم وواساهم بمقدوره (وخالط أهل العفة والحكمة ») رواه البخاري في التاريخ، والبغوي في معجم الصحابة، والباوردي، وابن قانع، والطبراني، وتمام، والبيهقي، وابن عساكر من رواية نصيح العبسي عن ركب المصري وله صحبة مرفوعاً بلفظ « طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل نفسه في غير مسكنة وأنفق من مال جمعه في غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة ورحم أهل الذل والمسكنة. طوبى لمن ذل نفسه وطاب كسبه وحسنت سريرته وعزل عن الناس شره. طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ». وروى بعض ذلك البزار من حديث أنس، وقد تقدم بعضه في كتاب العلم وبعضه في آفات اللسان، وذكرنا هنالك الكلام على روايه ومرتبة الحديث.

(وعن أبي سلمة المديني عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله ﷺ عندنا بقباء) وهو على ميلين من المدينة من جهة الجنوب، (وكان صائماً فأتيناه عند إفطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئاً من عسل، فلما رفعه فذاقه وجد حلاوة العسل فقال: « ما هذا ؟ قلنا: يا رسول الله جعلنا فيه شيئاً من عسل فوضعه) من يده على الأرض (وقال: « اما انى لا أحـرمـه ومـن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله، ومن اقتصد) أي توسط في معيشته (أغناه الله، ومن بذر) أي فرق ماله في غير موضعه (أفقره الله، ومن أكثر ذكر الله أحبه الله ») قال العراقي: رواه البزار من رواية طلحة بن عبيد الله عن جده طلحة فذكر نحوه دون قوله « ومن أكثر ذكر الله أحبه الله » ولم يقل بقباء. وقال الذهبي في الميزان: إنه خبر منكر وقد تقدم، ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة قالت: أُتِيَ رسول الله ﷺ بقدح فيه لبن وعسل الحديث. وفيه: « أما

وروي: أن النبي ﷺ كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة يتكره منها فأذن له، فلما دخل أجلسه رسول الله ﷺ على فخذه ثم قال له: أطعم فكأن رجلاً من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به

أني لا أزعم أنه حرام» الحديث وفيه «ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله» وروى المرفوع منه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد دون قوله «ومن بذر أفقره الله» وذكر فيه قوله «ومن أكثر ذكر الله أحبه الله» وتقدم في ذم الدنيا اهـ.

قلت: هو في نوادر الأصول للحكيم الترمذي من طريق محمد بن علي أن رسول الله ﷺ أتاه أوس بن خولي بقدح فيه لبن وعسل فوضعه وقال: «أما اني لا أحرمه ولكن أتركه تواضعاً لله فإن من تواضع لله رفعه الله، ومن اقتصد أغناه، ومن بذر أفقره الله». وروى ابن منده في معجم الصحابة، وأبو عبيد من حديث أوس بن خولي: «من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله» وقال البغوي: لا أعلم لأوس بن خولي حديثاً مسنداً. قال الحافظ: بل له حديث مسندٌ أورده ابن منده من طريق عبد بن أبي هالة، عن أوس بن خولي أن النبي ﷺ قال له: «من تواضع لله رفعه الله» وفي إسناده خارجة بن مصعب وهو ضعيف، وفيه من لا يعرف أيضاً. وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة «من تواضع لله رفعه الله» وزاد ابن النجار «ومن اقتصد أغناه الله ومن ذكر الله أحبه الله» وروى ابن شاهين في الترغيب في الذكر من حديثه بسند رجاله ثقات «من أكثر ذكر الله أحبه الله»).

(**وروي أن النبي ﷺ كان في نفر من أصحابه في بيته يأكلون فقام سائل على الباب وبه زمانة**) وهو مرض يدوم زماناً طويلاً (**يتكره منها**) وفي نسخة منكرة (**فأذن له، فلما دخل أجلسه رسول الله ﷺ على فخذه ثم قال: «أطعم**) أي كُلْ (**وكان رجلاً من قريش اشمأز منه وتكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها»**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً والموجود أكله مع مجذوم رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جابر. وقال الترمذي: غريب اهـ.

وما روي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رفعه قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر واتقوا المجذوم كما يتقي الأسد» فالمعنى الفرار منه خوفاً من العدوى لا كما يتوهمه العامة، ثم أن هذا في حق ضعيف اليقين، وإلاَّ فقد ورد: لا يعدى شيء شيئاً ولا عدوى، ونحو ذلك كما قرر في محاله. ويؤيد الجملة الأخيرة من الحديث ما وراه البيهقي عن يحي بن جابر قال: ما عاب رجل قط رجلاً بعيب إلا ابتلاه الله بذلك العيب. وعن إبراهيم النخعي قال: إني لأرى الشيء فأكرهه فلا يمنعني أن أتكلم فيه إلا مخافة أن ابتلي بمثله. ويروى عن ابن مسعود قال: لو سخرت من كلب خشيت أن أحوّل كلباً. وقال عمرو بن شرحبيل: لو رأيت رجلاً يرضع عنزاً فضحكت منه لخشيت أن أصنع مثل ما صنع، إلى غير ذلك مما تقدم بعضه.

زمانة مثلها »، وقال ﷺ : « خيرني ربي بين أمرين أن أكون عبداً رسولاً أو ملكاً نبياً فلم أدرِ أيهما اختار وكان صفيي من الملائكة جبريل فرفعت رأسي إليه فقال: تواضع لربك فقلت عبداً رسولاً » وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي وألزم قلبه خوفي وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلي، وقال ﷺ : « الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى »،

(وقال ﷺ : « خيرني ربي بين أمرين أن أكون عبداً رسولاً أو ملكاً نبياً فلم أدر أيهما أختار، وكان صفيي من الملائكة جبريل) عليه السلام والصفي كغني هو من يصطفيه الإنسان لنفسه بالصحبة والمحبة ويختاره، **(فرفعت رأسي)** كالمستشير إليه **(فقال: تواضع لربك فقلت: عبداً رسولاً)** قال العراقي: رواه أبو يعلى من حديث عائشة، والطبراني من حديث ابن عباس وكلا الحديثين ضعيف اهـ.

قلت: ورواه هناد في الزهد من مرسل الشعبي بلفظ « خيرني ربي بين أن أكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً ولم أدر ما أقول، وكان صفيي من الملائكة جبريل فنظرت إليه فقال بيده: أن تواضع فقلت: نبياً عبداً ».

(وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام) يا موسى **(إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم على خلقي وألزم قلبه خوفي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من أجلي)** رواه الديلمي من حديث حارثة بن وهب رفعه « قال الله عز وجل: ليس كل مصل يصلي إنما أتقبل الصلاة ممو تواضع لعظمتي وكف شهواته عن محارمي ولم يصر على معصيتي وأطعم الجائع وكسا العريان ورحم المصاب وآوى الغريب » كل ذلك لي الحديث. وروى الدار قطني في الأفراد من حديث علي: يقول الله تعالى إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ولم يتكبر على خلقي وقطع نهاره بذكري ولم يبت مصراً على خطيئته يطعم الجائع ويؤوي الغريب ويرحم الصغير ويوقر الكبير، فذلك الذي يسألني فاعطيه الحديث وقد تقدم.

(وقال ﷺ « الكرم التقوى والشرف التواضع) أي أن الناس متساوون وأن أحسابهم إنما هي بأفعالهم لا بأنسابهم **(واليقين الغنى »)** فإن العبد إذا تيقن أن له رزقاً قدر له لا يتخطاه عرف أن طلبه لما لم يقدر له عناء لا يفيد سوى الحرص والطمع المذمومين فقنع برزقه وشكر عليه. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين مرسلاً، وأسند الحاكم أوّله من رواية الحسن عن سمرة وقال: صحيح الإسناد اهـ.

قلت: رواه ابن أبي الدنيا في الكتاب المذكور من مرسل يحي بن أبي كثير، ورواه العسكري في الأمثال من قول عمر بلفظ « الكرم التقوى والحسب المال لست بخير من فارسي ولا نبطي إلا بتقوى الله » ويروى « الحسب المال والكرم التقوى » هكذا رواه أحمد وعبد بن حميد في تفسيره والترمذي وقال: حسن صحيح غريب، وابن ماجه، والطبراني، والحاكم والبيهقي والضياء من

وقال المسيح عليه السلام: طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة، طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة. وقال بعضهم: بلغني أن النبي ﷺ قال: « إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعاً فذلك من صفوة الله »، وقال ﷺ: « أربع لا يعطيهن الله إلا من أحب: الصمت وهو أول العبادة، والتوكل على الله. والتواضع،

حديث سمرة، وهذا هو الذي أشار إليه العراقي. ورواه القضاعي من حديث بريدة، ورواه العسكري في الأمثال، والطبراني، وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة، ورواه الطبراني وابن جرير وصححه الخطيب من حديث علي، ورواه الطبراني من حديث جابر.

(**وقال عيسى عليه السلام: طوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة، طوبى للمخلصين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة، طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله يوم القيامة**). أخرجه أحمد في الزهد من طريق خيثمة. وقال بعضهم: بلغني أن النبي ﷺ قال: « إذا هدى الله عبداً للإسلام وحسن صورته» أي في ظاهر ما يرى (**وجعله في موضع غير شائن له**) من الشين وهو العيب أي لا يكون في نسبه دخلة (**ورزقه مع ذلك تواضعاً فذلك من صفوة الله »**) أي ممن اصطفاه الله واختاره. قال العراقي: رواه الطبراني موقوفاً على ابن مسعود نحوه، وفيه المسعودي يختلف فيه اهـ.

قلت: وروى ابن النجار من حديث أنس « من حسن الله خلقه وحسن خلقه ورزقه الإسلام أدخله الجنة ».

(**وقال** ﷺ: **« أربع**) خصال (**لا يعطيهن الله إلا من يحب**) وفي نسخة من أحب (**الصمت**) أي السكوت عما لا ينبغي أو ما لا يعنى المتكلم، (**وهو أول العبادة**) أي مبناها وأساسها لأن اللسان هو الذي يكب الناس على مناخرهم. (**والتوكل على الله والتواضع**) أي لين الجانب للخلق على طبقاتهم ورؤية الإنسان نفسه حقيراً صغيراً، (**والزهد في الدنيا »**) أي القلة فيها. قال العراقي: رواه الطبراني والحاكم من حديث أنس: « أربع لا يصبن إلا بعجب الصمت وهو أول العبادة، والتواضع وذكر الله، وقلة الشيء » قال الحاكم صحيح الإسناد. قلت: فيه العوّام بن جويرية. قال ابن حبان: يروي الموضوعات ثم روى له هذا الحديث اهـ.

قلت: وكذلك رواه البيهقي، ورواه ابن عساكر موقوفاً، ومعنى كونهن لا يصبن إلا بعجب أي لا توجد وتجتمع في إنسان في آن واحد إلا على وجه عجيب يتعجب منه لعظم موقعه لكونها قلّ أن تجتمع، فإن الغالب على الزاهد في الدنيا قلة ما ينفق منه على نفسه ودونه، فيظهر الشكوى والتضجر ويمنع صرف الهمة إلى الذكر فاجتماعها شيء عجيب لا يحصل إلا بتوفيق إلهي وإمداد

والزهد في الدنيا »، وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: « إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة »، وقال ﷺ: « التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله »، ويروى إن رسول الله ﷺ كان يطعم فجاء رجل أسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه، فأجلسه النبي ﷺ إلى جنبه »، وقال ﷺ: « إنه ليعجبني أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه »،

سماوي، وقد شنع الذهبي والمنذري على الحاكم في الحكم بتصحيحه، فذكر الذهبي في الميزان في ترجمة العوّام بن جويرية بعد أن تعجب من إخراجه له. وقال ابن عدي: الأصل في هذا أنه موقوف على أنس وقد رفعه بعض الضعفاء عن أبي معاوية حميد بن الربيع، وقد قال يحي حميد كذاب.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه: **(قال ﷺ: « إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة »)** قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب نحوه، وفيه زمعة بن صالح ضعفه الجمهور اهـ.

قلت: سياق المصنف رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق وفيه الكريمي. قال ابن حبان: كان يضع على الثقات. وروى الخرائطي في مساوىء الأخلاق في أثناء حديث: « فإذا تواضع رفعه الله بالسلسلة إلى السماء السابعة » وقد تقدم قريباً.

(وقال ﷺ: « التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله ») قال العراقي: رواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث أنس، وفيه بشر بن الحسين وهو ضعيف جداً، ولمسلم في أثناء حديث لأبي هريرة: « ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » اهـ.

قلت: سياق المصنف رواه أبو نعيم في الحلية، ومن طريقه الديلمي من حديث أنس إلا أنه قال: « فتواضعوا يرفعكم الله ». ورواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث محمد بن عمير العبدي بزيادة جملتين وهما: « والعفو لا يزيد إلا عزاً فاعفوا يعزكم الله، والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله » ومحمد بن عمير العبدي لم أجده في الصحابة.

(وروي أن رسول الله ﷺ كان يطعم فجاء رجل أسود) اللون **(به جدري قد)** بريء منه **(وتقشر)** وتقيح **(فجعل لا يجلس إلى أحد إلا قام من جنبه)** تقذراً له وتكرهاً **(فأجلسه رسول الله ﷺ إلى جنبه)** وأكل معه. قال العراقي: لم أجده هكذا، والمعروف أكله مع مجذوم رواه أبو داود وقال: غريب، وابن ماجه من حديث جابر وقد تقدم.

(وقال ﷺ: « إنه ليعجبني أن يحمل الرجل شيئاً في يده يكون مهناة) وفي بعض النسخ مهنة **(لأهله يدفع به الكبر عن نفسه »)** قال العراقي: غريب. قلت: ورد من حديث أبي سعيد كان ﷺ لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعة من لسوق. أورده القشيري في الرسالة. وقال ﷺ: « مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة » قالوا وما حلاوة العبادة؟ قال: « التواضع ». قال العراقي: غريب أيضاً.

وقال النبي ﷺ لأصحابه يوماً: ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة» قالوا: وما حلاوة العبادة؟ قال: «التواضع»، وقال ﷺ: «إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم وصغار».

الآثار: قال عمر رضي الله عنه: إن العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش رفعك الله، وإذا تكبر وعدا طوره رهصه الله في الأرض وقال اخسأ خسأك الله، فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى انه لأحقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبدالله: انتهيت مرة إلى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد

(وقال ﷺ: «إذا رأيتم المتواضعين فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك مذلة لهم وصغار») قال العراقي: غريب أيضاً، والمعنى أن المتكبر إذا تواضعت له تمادى في تيهه وإذا تكبرت عليه يمكن أن يتنبه، ومن ثم قال الشافعي: ما تكبر علي متكبر مرتين وقال الزهري: التجبر على أبناء الدنيا أوثق عرى الإسلام، وفي بعض الآثار التكبر على المتكبر صدقة، ويؤيده ما تقدم من حديث ركب المصري طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في غير مسكنة، ومنه يؤخذ أن الرجل إذا تغير صديقه وتكبر عليه لنحو منصب أن يفارقه ولذلك قيل:

سأصبر عن رفيقي إذا جفاني ... على كل الأذى إلا الهوان

وقال الشيخ الأكبر قدس سره: الخضوع واجب في كل حال إلى الله باطناً وظاهراً، فإذا اتفق أن يقام في موطن الأولى فيه ظهور عزة الإيمان وجبورته وعظمته لعز المؤمن وعظمته وجبروته ويظهر في المؤمن من الأنفة والجبروت ما يناقض الخضوع والذلة، فالأولى إظهار ما يقتضيه ذلك الموطن، فإن للمواطن أحكاماً فافعل بمقتضاها تكن حكيماً، والله أعلم.

(الآثار: قال عمر رضي الله عنه: إذا تواضع العبد لله رفع الله حكمته وقال: انتعش) أي ارتفع **(رفعك الله، وإذا تكبّر وعدا)** أي تجاوز **(طوره رهصه الله في الأرض)** أي دفعه إليها **(وقال: اخسأ خسأك الله)** والقائل بهذا هو الملك الموكل بالحكمة، **(فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير، حتى أنه لأحقر عندهم من الخنزير)** أوّله. روي مرفوعاً من حديث أنس عند أبي نعيم والديلمي بلفظ «ما من آدمي إلا وفي رأسه حكمة بيد ملك فإن تواضع رفعه بها وقال ارتفع رفعك الله، وإن رفع نفسه جذبه إلى الأرض وقال اخفض خفضك الله» وعند ابن صصري في أماليه بلفظ «فإن تواضع رفعه الله وإن ارتفع قمعه الله». وكل ذلك قد تقدم، وآخره رواه أبو نعيم من حديثه مرفوعاً بلفظ «من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه صغير وفي أنفس الناس عظيم ومن تكبَّر وضعه الله فهو في أعين الناس صغير وفي نفسه كبير حتى لهو أهون عليهم من كلب أو خنزير».

(وقال جرير عبد الله) البجلي رضي الله عنه: **(انتهيت مرة إلى شجرة تحتها رجل نائم**

جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ فإذا هو سلمان الفارسي، فذكرت له ما صنعت فقال لي: يا جرير تواضع لله في الدنيا فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة: يا جرير أتدري ما ظلمة النار يوم القيامة؟ قلت: لا، قال: إنه ظلم الناس بعضهم بعضاً في الدنيا. وقالت عائشة رضي الله عنها: إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة، التواضع، وقال يوسف بن أسباط: يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد. وقال الفضيل وقد سئل عن التواضع ما هو؟ فقال: أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من أجهل الناس قبلته. وقال

قد استظل بنطع له) وهو المتخذ من الأديم معروف وفيه أربع لغات فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها والجمع أنطاع ونطوع، **(وقد جاوزت الشمس النطع فسوّيته عليه، ثم إن الرجل استيقظ فإذا هو سلمان الفارسي)** رضي‌الله‌عنه، **(فذكرت له ما صنعت فقال لي: يا جرير تواضع لله في الدنيا فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة. يا جرير أتدري ما ظلمة النار يوم القيامة، قلت: لا. قال: ظلم الناس بعضهم بعضاً في الدنيا)**. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن سلم، حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن جرير قال: قال سلمان: يا جرير تواضع لله فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة. يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدري. قال: ظلم الناس بينهم في الدنيا. قال: ثم أخذ عويداً لا أكاد أن أراه بين أصبعيه قال: يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده. قال: قلت يا أبا عبد الله فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب أعلاها الثمر. رواه جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه نحوه.

(وقالت عائشة رضي الله عنها: إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة التواضع) أي الخشوع لله ولين الجانب للخلق، وإنما كان أفضل العبادة **(لأنه ثمرتها)**. رواه ابن أبي شيبة في المصنف، عن وكيع، عن مسعر، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه عن الأسود، عن عائشة. **(وقال يوسف بن اسباط)** الشيباني رحمه الله تعالى: **(يجزي قليل الورع من كثير العمل ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد)**. أخرجه أبو نعيم في الحلية، عن أحمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن يحي بن منده، حدثنا الحسين بن منصور، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا سهل أبو الحسن، سمعت يوسف بن أسباط يقول فذكره **(وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله: **(وقد سئل عن التواضع هو أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من أجهل الناس قبلته)**. ولفظ القشيري في الرسالة: وسئل الفضيل عن التواضع، فقال: أن تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن يزيد، حدثنا إبراهيم قال: سألت الفضيل ما التواضع؟ قال: ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه، وسألته ما الصبر على المصيبة؟ قال: أن لا تبث. وأخرج من طريق محمد بن زنبور

ابن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل. وقال قتادة: من أعطي مالاً أو جمالاً أو ثناءً أو علماً ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالاً يوم القيامة. وقيل: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتممها عليك. وقال كعب: ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة، وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها الله إلا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقاً من النار يعذبه إن شاء الله أو يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان: أي الرجال أفضل؟ قال: من تواضع عن قدرة وزهد عن رغبة وترك النصرة عن قوّة. ودخل ابن السماك على هارون الرشيد فقال: يا أمير

قال: سئل الفضيل عن التواضع. قال: أن تخضع للحق. (**وقال ابن المبارك**) رحمه الله تعالى: (**رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى يعلم أنه ليس له بدنياه عليك فضل**). رواه هكذا في كتاب الزهد له. (**وقال**) أبو الخطاب (**قتادة**) بن دعامة البصري رحمه الله تعالى: (**من أعطي مالاً أو جمالاً أو ثناء**) حسناً بين الناس (**أو علماً**) ينتفع به (**ثم لم يتواضع فيه**) أي فيما أعطيه (**كان عليه وبالاً يوم القيامة**)، فإن هذه نعم من الله عليه والتواضع هو شكرها، فمن لم يتواضع فكأنه بطر بنعم الله تعالى والبطر وبال يوم القيامة. (**وقيل: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام**) يا عيسى: (**إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة**) أي الخضوع والتواضع (**أتممها عليك. وقال كعب**) الأحبار رحمه الله تعالى: (**ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقاً من النار يعذبه إن شاء أو يتجاوز عنه**)، ومعناه في المرفوع من حديث ابن عباس عند ابن النجار: « ما أنعم الله عز وجل على عبد من نعمة وأسبغها عليه ثم جعل إليه شيئاً من حوائج الناس فتبرم بها إلا وقد عرض تلك النعمة للزوال ». ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمر بلفظ « فقد عرض تلك النعمة لزوالها ». (**وقيل لعبد الملك بن مروان**) بن الحكم الأموي القرشي: (**أي الرجال أفضل؟ قال: من تواضع عن قدرة**) أي خضع لجلال الحق وراعى ذلك في الخلق باختيار نفسه من غير الجاء إليه، (**وزهد**) في الدنيا (**عن قدرة**) أي وهو قادر على حوزها ولكنه زهد عنها، (**وترك النصرة**) لنفسه (**عن قدرة**) أي كان قادراً على أن يشفي غيظه بأن ينتصر على أخيه ولكنه ترك ذلك لله تعالى. (**ودخل**) محمد بن صبيح (**بن السماك**) البغدادي الواعظ (**على هارون الرشيد فقال: يا أمير**

المؤمنين ان تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك، فقال: ما أحسن ما قلت، فقال: يا أمير المؤمنين إن امرءاً آتاه الله جمالاً في خلقته وموضعاً في حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى من ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله، فدعا هارون بدواة وقرطاس وكتبه بيده. وكان سليمان بن داود عليهما السلام إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى المساكين فيقعد معهم ويقول: مسكين مع مساكين. وقال بعضهم: كما تكره أن يراك الأغنياء في الثياب الدون فكذلك فأكره أن يراك الفقراء في الثياب المرتفعة.

وروي أنه خرج يونس وأيوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن: أتدرون

المؤمنين إن تواضعك في شرفك) أي انقيادك للعلماء مع هذا الشرف وعلو المقام الذي أنت فيه **(أشرف لك من شرفك، قال)** هارون: **(ما أحسن ما قلت! فقال: يا أمير المؤمنين إن امرءاً آتاه الله جمالاً في خلقه)** بأن كان معتدل التركيب مستوي الخلقة **(وموضعاً في حسبه)** بأن يكون ذا دين وتقوى **(وبسط له في ذات يده)** يعني المال **(فعفّ في جماله)** أي سلك فيه سبيل العفاف بأن لم يدنسه بمحارم الله **(وواسى في ماله)** المحتاجين **(وتواضع في حسبه)** بأن لم يتكبر على إخوانه **(كتب في ديوان الله من خالص عباد الله)**، وفي نسخة: من خالص أولياء الله، **(فدعا هارون بدواة وقرطاس وكتبه بيده)**. وروى صاحب الحلية قصة أخرى لابن السماك مع هارون الرشيد تشبهها قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن موسى، حدثنا محمد ابن بكار قال: بعث هارون الرشيد إلى ابن السماك فدخل وعنده يحي بن خالد البرمكي فقال يحي: إن أمير المؤمنين أرسل إليك لما بلغه من صلاح عنك في نفسك وكثرة ذكر منك لربك عز وجل ودعائك للعامة، فقال ابن السماك: أما ما بلغ أمير المؤمنين من صلاح عنا في أنفسنا فذلك بستر الله علينا، فلو اطلع الناس على ذنب من ذنوبنا لما أقدم قلب لنا على مودة، ولاجرى لسان لنا بمدحة وإني لأخاف أن أكون بالستر معروفاً وبمدح الناس مفتوناً وإني لأخاف أن أهلك بها وبقلة الشكر عليها فدعا بدواة وقرطاس فكتبه الرشيد.

(وكان سليمان بن داود) عليهما السلام **(إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى المساكين فيقعد معهم ويقول: مسكين مع مساكين)**. وأخرج أحمد في الزهد عن أبي الخليل قال: كان داود عليه السلام يدخل المسجد فينظر أغمض حلقة من بني اسرائيل فيجلس إليهم ثم يقول: مسكين بين ظهراني مساكين. **(وقال بعضهم: كما تكره أن يراك الأغنياء في الثياب الدون)** أي الحقيرة **(فكذلك فاكره أن يراك الفقراء في الثياب المرتفعة)** أي الغالية الثمن.

(وروي أنه خرج يونس) بن عبيد **(وأيوب)** السختياني **(والحسن)** البصري يوماً

ما التواضع؟ التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلماً ألا رأيت له عليك فضلاً وقال مجاهد: إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه، وقال أبو سليمان إن الله عز وجل اطلع على قلوب الآدميين فلم يجد قلباً أشد تواضعاً من قلب موسى عليه السلام فخصه من بينهم بالكلام. وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات: لم أشك في الرحمة لولا أني كنت معهم أني أخشى انهم حرموا بسببي. ويقال: أرفع ما يكون المؤمن

(يتذاكرون التواضع) واختلف قولهم فيه (**فقال لهم الحسن: أتدرون ما التواضع؟ التواضع أن تخرج من منزلك فلا تلقى مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً**) أي لا ترى لنفسك معه حالاً أو مقاماً أو قيمة. (**وقال مجاهد**) رحمه الله تعالى: (**لما أغرق قوم نوح**) عليه السلام (**شمخت الجبال وتطاولت**) أي ارتفعت، (**وتواضع الجودي**) أي تطامن إلى الأرض وهو جبل بالجزيرة قرب الموصل (**فرفعه الله فوق الجبال**) لتواضعه (**وجعل قرار السفينة عليه**) وذلك فيما قال الله تعالى في كتابه ﴿واستوت على الجودي﴾ [هود: ٤٤] أي وقفت والجودي لما لم ير نفسه أهلاً لحلول النبي والمؤمنين عليه أعطاه الله تلك المنزلة نقله القشيري في الرسالة.

قلت: أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن مجاهد قال: الجودي جبل بالجزيرة تشامخت الجبال يومئذ من الغرق فتطاولت وتواضع هو لله فلم يغرق ورست عليه السفينة. وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن عطاء قال: بلغني أن الجبال تشامخت في السماء إلا الجودي فعرف أن أمر الله سيدركه فسكن اهـ. وفيه دلالة علي جواز خلق الحركات في الجمادات.

ونقل القشيري أيضاً عن الفضيل بن عياض قال: أوحى الله إلى الجبال أني مكلم على واحد منكم نبياً فتطاولت الجبال وتواضع طور سيناء فكلم الله سبحانه عليه موسى لتواضعه اهـ.

وأنشد الشيخ سعد الدين الشيرازي:

أقلّ جبال الأرض طور وأنه ... لأعظم عند الله قدراً ومنزلا

(**وقال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى: (**إن الله عز وجل اطلع إلى قلوب الآدميين**) أي نظر إليها (**فلم يجد قلباً أشد تواضعاً من قلب موسى عليه السلام فخصّه منهم بالكلام**) فما ميّزه تعالى على أمته وخصه بكلامه إلا لما خص به من كمال تواضعه. رواه القشيري عن وهب بن منبه بلفظ وقال وهب، مكتوب في بعض ما أنزل الله من الكتب أني أخرجت الذر من صلب آدم فلم أجد قلباً أشد تواضعاً من قلب موسى فلذلك اصطفيته وكلمته. (**قال يونس بن عبيد**) البصري رحمه الله تعالى: (**وقد انصرف**) راجعاً (**من عرفات لم أشك في الرحمة**) أي في ان الله تعالى رحمهم وغفر ذنوبهم (**لولا أني كنت معهم أني لأخشى انهم حرموا بسببي**) أي بسبب ذنوبي وهذا من مقام الخائفين. وروى أبو نعيم في الحلية، والقشيري في الرسالة من طريق شعيب

عند الله أوضع ما يكون عند نفسه، وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه. وقال زياد النميري: الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر. وقال مالك بن دينار: لو أن منادياً ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلاً والله ما كان أحد يسبقني إلى الباب إلا رجل بفضل قوّة أو سعي قال: فلما بلغ ابن المبارك قوله قال: بهذا صار مالك مالكاً وقال الفضيل: من أحب الرئاسة لم يفلح أبداً. وقال موسى بن القاسم: كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت إلى محمد بن مقاتل فقلت: يا أبا عبدالله أنت أمامنا فادع الله عز وجل لنا، فبكى ثم قال: ليتني لم أكن سبب هلاككم، قال: فرأيت النبي ﷺ في النوم، فقال: إن الله عز وجل رفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل. وجاء رجل إلى الشبلي رحمه الله فقال له: ما أنت؟ وكان هذا دأبه وعادته، فقال: أنا النقطة التي تحت الباء فقال له

بن حرب قال: بينا أنا في الطواف إذ لكزني إنسان بمرفقه فالتفت، فإذا هو الفضيل فقال: يا أبا صالح إن كنت تظن أنه شهد الموسم من هو شر مني ومنك فبئس ما ظننت.

(ويقال: ارفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه، وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه) وهو مصداق الخبر المتقدم «إذا تواضع العبد رفعه الله وإذا تكبر وضعه». **(وقال زياد)** بن عبد الله **(النميري)** البصري روى له الترمذي: **(الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر)** أي فكما أنه لا ينتفع بها إذا كانت غير مثمرة، فكذلك الزاهد لا ينتفع به إذا لم يكن متواضعاً. **(وقال مالك بن دينار)** البصري رحمه الله تعالى: **(لو أن منادياً ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلاً والله ما كان يسبقني أحد إلى الباب إلا رجل بفضل قوّة أو سعي)** قال الراوي: **(فلما بلغ ابن المبارك قوله قال: بهذا صار مالك ملكاً)** أي بهذه المعرفة الدالة على احتقار نفسه وتواضعه نال علو المقام عند الله تعالى. **(وقال الفضيل)** ابن عياض رحمه الله تعالى: **(من أحب الرئاسة لم يفلح أبداً)** أي في طريق القوم فإن حب الرئاسة ينبىء عن تكبر النفس المجانب للتواضع؟ وهذا القول أخرجه أبو نعيم في الحلية. **(وقال موسى بن القاسم)** الثعلبي الكوفي: **(كانت عندنا زلزلة وريح حمراء فذهبت إلى محمد بن مقاتل)** الهلالي الكوفي **(فقلت: يا أبا عبد الله أنت إمامنا فادع الله عز وجل لنا)** يرفع عنا هذه الزلزلة والريح، **(فبكى ثم قال: ليتني لم أكن سبب هلاككم، قال)** موسى: **(فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: إن الله دفع)** وفي نسخة: رفع **(عنكم بدعاء محمد بن مقاتل، وجاء رجل إلى)** أبي بكر **(الشبلي)** رحمه الله تعالى **(فقال له: ما أنت وكان هذا دأبه)** وفي نسخة شأنه **(وعادته)** أي في سؤاله بهذا أي بما أنت الذي يعم العقلاء وغيرهم أي ما حالك. وفي بعض نسخ الرسالة: من أنت **(فقال: انا النقطة التي تحت الباء)** أي باء البسملة، فكما أنها دليل على معرفتها وتمييزها عن غيرها كذلك أنا وهو يشير إلى مقام الواحدية، وأنها مقام التمييز من الأحدية، ولولا النقطة لما تميزت الباء من الألف **(فقال له الشبلي: أباد الله شاهدك)** أي أهلكه

الشبلي: أباد الله شاهدك أو تجعل لنفسك موضعاً. وقال الشبلي في بعض كلامه: ذلي عطل ذل اليهود. ويقال: من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب وعن أبي الفتح بن شخرف قال: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا أبا الحسن عظني، فقال لي: ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم في

(**أو تجعل لنفسك موضعاً**). وفي نسخة مكاناً. ولفظ القشيري في الرسالة: وجاء إلى الشبلي رجل فقال له الشبلي: ما أنت؟ فقال: يا سيدي النقطة التي تحت الباء. فقال: أنت شاهدي ما لم تجعل لنفسك مقاماً. وقال شارحها: أنت شاهدي أي حاضري يعني حالك مستقيم ما لم تجعل لنفسك مقاماً، ودخول هذا في التواضع من حيث أن المسؤول جعل نفسه كالنقطة التي تحت الباء دون التي فوق الحروف ونزل نفسه ولم ير لها قدراً اهـ.

وهذا إذا تأملت وجدت كلام من لم يدقق في مصطلحات القوم فإن قوله يعني حالك مستقيم يخالف جواب الشبلي، فإنه ينكر عليه فكيف يصف حاله بالاستقامة على أن سياق المصنف أقعد في فهم المراد، فإن المسؤول لما أثبت لنفسه شاهداً ودليلاً. رد عليه الشبلي ونبهه أن هذا يخالف التواضع عند أهل الحق فإنهم لا يثبتون لأنفسهم وجوداً ولا شاهداً، ولذلك قال: أتجعل لنفسك موضعاً أو مكاناً. وسياق الرسالة فيه غموض ودقة يحتاج إلى تأويل. ويروى أن أمير المؤمنين علياً كرم الله وجهه سئل يوماً من أنت؟ فقال: أنا النقطة التي تحت الباء وهذا له وجه ولجلالة قدره وعلو مقامه لا يتوهم فيه أنه أثبت لنفسه شاهداً وليس لغيره، ولو بلغ الدرجة العليا أن يقلده في مقاله، ولعل هذا سبب إنكار الشبلي عليه إذ لكل ميدان رجال، والحاصل أن هذا القول مباين لمقام التواضع فتأمل ذلك.

(**وقال الشبلي**) رحمه الله تعالى في بعض كلامه: (**ذلي**) في نفسي بمعرفتي بقدرها وبقلة ما يحصل لي من الخير منها وبعجزها عن قيامها بما عليها لربها وبسرعة نقضها لعهدها (**عطل ذل اليهود**) المذكور في قوله تعالى: ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا﴾ [آل عمران: ١١٢] فهم أذل الخلق، والمعنى ذلي في نفسي أعظم من ذل اليهود في أنفسهم، لأن ذلهم قهري وذلي من علم بما عليه نفسي من النقص، وهذا لا يلزمه جحده لفضل ربه عليه، لأن ما ذكر من الذل بالنظر بنفسه وما هو عليه من الفضل جار عليه من ربه فهو ذليل عزيز، وهذا القول نقله القشيري في الرسالة. (**ويقال: من رأى لنفسه قيمة**) يفضل بها غيره ليتكبر عليه (**فليس له من**) وفي نسخة في (**التواضع نصيب**) وهذا القول نقله القشيري في الرسالة عن الفضيل بن عياض وفي كلام أبي سليمان الداراني: من رأى لنفسه قيمة لم يرزق حلاوة العبادة والخدمة. (**وعن أبي الفتح ابن شخرف**) رحمه الله تعالى تقدم ذكره في كتاب العلم (**قال: رأيت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له: يا أبا الحسن عظني. فقال: ما أحسن التواضع بالأغنياء في مجالس**

ثواب الله! وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله عز وجل. وقال أبو سليمان: لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه. وقال أبو يزيد: ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبرٍ، فقيل له فمتى يكون متواضعاً، قال: إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالاً، وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه، وقال أبو سليمان: لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه. وقال عروة ابن الورد: التواضع أحد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع. وقال يحيي بن خالد البرمكي: الشريف إذا تنسك تواضع، والسفيه إذا تنسك تعاظم، وقال

الفقراء رغبة منهم في ثواب الله تعالى، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة منهم بالله تعالى)، وهذا من كلام علي مشهور ذكره صاحب نهج البلاغة دون ذكر الرؤيا. **(وقال أبو سليمان)** الداراني رحمه الله تعالى: **(لا يتواضع العبد)** أي لا يتحقق بهذا المقام **(حتى يعرف نفسه)** أي يعرف ما فيها من العيوب والنقص، فإذا عرفها بما فيها تواضع لله حق التواضع. **(وقال أبو يزيد)** طيفور بن عيسى البسطامي قدس سره: **(ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر)** أي لكونه رأى لنفسه قدراً **(فقيل: متى يكون متواضعاً)** كاملاً؟ **(قال: إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالاً)** يفضل بهما غيره أورده القشيري في الرسالة بلفظ، وقيل لأبي يزيد: متى يكون الرجل متواضعاً فقال: إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالاً ولا يرى أنه في الخلق من هو شر منه انتهى.

وقد اختلفت اشارات الشيوخ في الفرق بين الحال والمقام والضابط الفارق بينهما أن الحال سمي حالاً لتحوّله والمقام مقاماً لثبوته واستقراره، وقد يكون الشيء بعينه حالاً ثم يصير مقاماً. وقال بعضهم: المقامات مكاسب والأحوال مواهب. وقال بعضهم: الأحوال مواجيد والمقامات طرق المواجيد. وقال بعضهم: الأحوال مواريث الأعمال. وقيل: الحال ما منّ الله والمقام ما منّ العبد، وقد أطال الكلام فيه صاحب العوارف في آخر كتابه فراجعه.

(وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه عز وجل ومعرفته بنفسه) فكل من قويت معرفته بنفسه قويت معرفته بربه وبه يكمل له مقام التواضع. **(وقال عروة بن الورد: التواضع أحد مصائد الشرف)** أي أحد الآلات التي يصطاد بها الشرف **(وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع)** إذ الحسد لا يكون إلا على النعم المعروفة للحاسد، والتواضع أكثر الناس لا يعدونه نعمة بل مذمة وقلة همة، ولفظ الرسالة وقيل: التواضع نعمة لا يحسد عليها والكبر محنة والعز في التواضع فمن طلبه في الكبر لم يجده. **(وقال يحي بن خالد)** بن برمك **(البرمكي)** نسبة إلى جده: **(الشريف)** أي الرفيع القدر والمقام **(إذا تنسك)** أي تعبد **(تواضع)** فإن تنسكه يجره إليه، **(والسفيه إذا تنسك تعاظم)** على إخوانه وتكبرّ عليهم ولم يزده تنسكه إلا

يحي بن معاذ: التكبر على ذي التكبر عليك بماله تواضع. ويقال: التواضع في الخلق كلهم حسن، وفي الأغنياء أحسن، والتكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء أقبح. ويقال: لا عز إلا لمن تذلل لله عز وجل، ولا رفعة إلا لمن تواضع لله عز وجل، ولا أمن إلا لمن خاف الله عز وجل، ولاربح إلا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل.

وقال أبو علي الجوزجاني: النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد، فمن أراد الله تعالى هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة، وإذا أراد الله تعالى به خيراً لطف به في ذلك، فإذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصر الله تعالى، وإذا هاجت نار الحسد في نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجل، وإذا هاجت في نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله عز وجل.

وعن الجنيد رحمه الله إنه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه لولا أنه روي عن النبي

سفهاً. **(وقال يحي بن معاذ)** الرازي رحمه الله: **(التكبر على ذي التكبر عليك بماله)** أي إعراضك عنه **(تواضع)** لأنك صغرت ما صغره الله حيث لم تلتفت إلى تكبر المتكبرين؛ نقله القشيري في الرسالة بلفظ: على من تكبر عليك، ويروى نحوه لابن المبارك قال: التكبر على الأغنياء والتواضع للفقراء من التواضع. **(ويقال: التواضع في الخلق كلهم حسن، وفي الأغنياء أحسن والكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء أقبح)** وذلك لوجود أسباب التكبر في الأغنياء من المال والجاه وغيرهما، وفقدها في الفقراء. فكأن تواضع الأغنياء أحسن من تواضع الفقراء وتكبر الفقراء أقبح من تكبر الاغنياء، وهذا القول نقله القشيري في الرسالة، وعزاه إلى يحي بن معاذ بلفظ: التواضع حسن في كل أحد لكنه في الاغنياء أحسن، والتكبر سمج في كل أحد لكنه في الفقراء أسمج. **(ويقال: لا عز إلا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة إلا لمن تواضع لله عز وجل، ولا أمن إلا لمن خاف الله عز وجل، ولا ربح إلا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل.**

وقال أبو علي الجوزجاني) بفتح الجيم وسكون الواو والزاي نسبة إلى كورة من خراسان من كوربلخ: **(النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد)** أي مجبولة على هذه الأوصاف الثلاثة من أصل خلقتها، **(فمن أراد الله تعالى هلاكه منع من التواضع والنصيحة والقناعة)** فإذا ترك التواضع ولم يقبل النصح ولم يقنع بما في يده كان إلى الهلاك أقرب، **(وإذا أراد الله به خيراً لطف به في ذلك، فإذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع مع نصر الله تعالى)** فأطفأها، **(وإذا هاجت في نفسه نار الحسد أدركتها النصيحة مع توفيق الله عز وجل)** لقبولها **(فأطفأتها، وإذا هاجت في نفسه نار الحرص أدركتها القناعة مع عون الله)** فأطفأتها.

(وعن) أبي القاسم **(الجنيد)** قدس سره **(أنه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه: لولا أنه**

ﷺ أنه قال: «يكون في آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم»، ما تكلمت عليكم. وقال الجنيد أيضاً: التواضع عند أهل التوحيد تكبر، ولعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئاً حتى يضعها أو يرفعها.

وعن عمرو بن شيبة قال: كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلاً راكباً بغلة وبين

روي عن النبي ﷺ انه قال: «يكون في آخر الزمان زعيم القوم) أي رئيسهم **(أرذلهم» ما تكلمت عليكم)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة «إذا اتخذ الفيء دولاً» الحديث وفيه: «وكان زعيم القوم أرذلهم». الحديث وقال: غريب، وله من حديث علي بن أبي طالب «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء» فذكر منها «وكان زعيم القوم أرذلهم» ولأبي نعيم في الحلية من حديث حذيفة «من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة» فذكر منها وفيه فرج بن فضالة ضعيف اهـ.

قلت: لفظ حديث علي «إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء إذا كان المغنم دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبرّ صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القيان والمعازف ولعن آخر هذه الامة أوّلها، فليرقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفاً أو مسخاً» هكذا رواه الترمذي، والبيهقي في البعث وضعفاه، ولفظ حديث أبي هريرة «إذا اتخذ الفيء دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم، وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الأمة أوّلها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام اللآلىء قطع سلكه فتتابع».

(وقال) أبو القاسم **(الجنيد)** قدس سره: **(التواضع عند أهل التوحيد تكبر)** وروي عنه أيضاً أنه قال: التواضع خفض الجناح ولين الجانب. رواه ابراهيم بن فاتك عنه، وقوله الأوّل يخالف الثاني في الظاهر، فإن التواضع في الحقيقة هو ضد التكبر، فكيف يكون الشيء عين نقيضه، وقد وجهه المصنف بقوله: **(ولعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه أوّلاً فيجعلها شاهداً ثم يصفها والموحد لا يثبت نفسه)** أصلاً، **(ولا يراها شيئاً حتى يضعها أو يرفعها)** وهذا هو عين مراد الشبلي في جوابه لمن قال له: أنا النقطة التي تحت الباء حين قال له: أباد الله شاهدك أو تضع لنفسك موضعاً، وكلاهما من وادٍ واحد. هذا يفسر ذلك فتأمل.

(وعن) أبي زيد **(عمر بن شبة)** بفتح المعجمة وتشديد الموحدة ابن عبيدة بن زيد النميري بالتصغير البصري نزيل بغداد صدوق له تصانيف مات سنة اثنين وستين وقد جاوز التسعين، روى له ابن ماجه **(قال: كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلاً)** من عمال الخليفة **(راكباً**

يديه غلمان وإذا هم يعنفون الناس، قال: ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر، فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال: فجعلت أنظر إليه وأتأمله فقال لي: ما لك تنظر إليّ؟ فقلت له: شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة، فقال له: أنا ذلك الرجل، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس. وقال المغيرة: كنا نهاب ابراهيم النخعي هيبة الأمير وكان يقول: إن زماناً صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء. وكان عطاء السلمي

بغلة وبين يديه غلمان، وإذا هم يعنفون الناس ويطردونهم من بين يديه لأجله **قال: ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر)** الذي على نهر دجلة الفارق بين الشرقية والغربية، وإليه الإشارة بقول الشاعر:

عيـون المهـابين الرصـافـة والجسر ... سلبن النهى من حيث تدري ولا تـدري

(فإذا أنا برجل حاف) الرجل **(حاسر)** الرأس **(طويل الشعر)** أشعث يسأل الناس: **(فجعلت انظر إليه)** متعجباً من حاله **(فقال لي: مالك تنظر إليَّ؟ فملت له: شبهتك بـرجـل رأيته بمكة ووصفت له الصفة. فقال: أنا ذلك الرجل. فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: إني ترفعت)** أي تكبرت **(في موضع تتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يرفع الناس)** يعني في بغداد حيث نقم عليه الخليفة لما وصل إليه وسلبه جيع ما هو فيه وصار فقيراً يسأل الناس أورده القشيري في الرسالة مختصراً بلفظ وقال بعضهم: رأيت في الطواف انساناً بين يديه شاكريه يمنعون الناس لأجله عند الطواف، ثم رأيته بعد ذلك بمدة على جسر بغداد يسأل الناس شيئاً فعجبت منه فقال: أنا تكبرت في موضع تتواضع الناس هناك فابتلاني الله سبحانه بالتذلـل في موضع يترفع فيه الناس اهـ.

ويحكى أن الملك الأشرف قايتباي سنة حجه دخل باب السلام راكباً على هنية والأمراء بين يديه ولم يتجاسر أحد أن يقول له انزل عن الفرس مهابة له، فبينما هو كذلك إذ زلقت رجل الفرس فوقع السلطان على الأرض وسقطت عمامته، فلم يتناول العمامة ولم يضعها على رأسه ودخل الحرم وهو مكشوف الرأس متذللاً متواضعاً لأنه تنبه على إساءة أدبه في دخوله راكباً، فتواضع وطاف هكذا حاسر الرأس، وعدّ ذلك في مناقبه رحمه الله تعالى.

(وقال المغيرة) بن مسلم الضبي مولاهم أبو هاشم الكوفي ثقة متقن مات سنة ست وثلاثين روى له الجماعة: **(كنا نهاب ابراهيم)** بن يزيد **(النخعي هيبة الأمير)** لجلالة قدره، **(وكان ابراهيم)** مع ذلك **(يقول: إن زماناً صرت فيه فقيه الكوفة لزمان سوء)** وهذا من باب التواضع وهضم النفس، قال العجلي: كان النخعي رجلاً صالحاً فقيهاً متوقياً قليل التكلف، وكان مفتي أهل الكوفة هو والشعبي في زمانها. **(وكان عطاء السليمي)** بفتح السين وكسر اللام ويقال

إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذ بطنه كأنه امرأة ماخض، وقال هذا من أجلي يصيبكم، لو مات عطاء لاستراح الناس. وكان بشر الحافي يقول: سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم. ودعا رجل لعبدالله بن المبارك فقال: أعطاك الله ما ترجوه، فقال: إن الرجاء يكون بعد المعرفة فأين المعرفة؟ وتفاخرت قريش عند سلمان الفارسي رضي الله عنه يوماً فقال سلمان: لكنني خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم آتي الميزان

له أيضاً العبدي وهو من رجال الحلية رحمه الله تعالى. **(إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذه بطنه كأنه امرأة ماخض)** أي الذي أخذها طلق الولادة **(وقال: هذا من أجلي يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس)**.

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أحمد بن إبراهيم، حدثنا ابـراهيم بن عبد الرحمن عن سيار قال: سمعت جعفراً يقول: هاجت ريح بالبصرة وظلمة قال: فتشاغل الناس إلى المساجد فأتيت عطاء فإذا هو قائم في الحجرة ويده على رأسه وهو يقول: إلهي لم أكن أرى أن تبقيني حتى تريني أعلام القيامة. قال: فما زال قائماً في مقامه ذاك حتى اصبـح.

حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أحمد بن إبراهيم، حدثنا ابن عبيدة، حدثنا يحي بن راشد، حدثنا مـرجـاء بن وداع الراسي قال: كان عطاء إذا هبت ريح وبرق ورعد قال: هذا من أجلي يصيبكم لو مات عطاء لاستراح الناس. قال: وكنا ندخل على عطاء فإذا قلنا له زاد الطعام قال: هذا من أجلي يصيبكم غلاء الطعام لو متّ لاستراح الناس. وساق المصنف هذا القول هنا بناء على أن هذا من باب التواضع وفيه نظر، فإن عطاء كان ممن غلب عليه الخوف، فما قاله ليس من باب التواضع إنما هو من باب الخوف الغالب على القلب، ويمكن أن يقال: إن التواضع هنا هو ثمرة الخوف.

(وكان بشر) بن الحرث **(الحافي)** رحمه الله تعالى **(يقول)** لبعض أصحابه تأديباً لهم لما رآهـم يسلمون على أبناء الدنيا لدنياهم ويعتلون بأنهم إنما يقصدون الزيادة: **(سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام)** يعني ترككم السلام عليهم أسلم لكم من السلام عليهم على الوجه المذكور، لأنه حينئذ ليس بطاعة بل فيه خطر. أورده القشيري في الرسالة. **(ودعا رجل لعبد الله بن المبارك)** رحمه الله تعالى **(فقال: أعطاك الله ما ترجوه، فقال)** ابن المبارك: **(إن الرجاء يكون بعد المعرفة فأين المعرفة)**؟ وهذا من باب التواضع، والرجاء والخوف لا يكملان إلا بعد المعرفة، فمن لم يعرف الله لم يرجه ولم يخفه، **(وتفاخرت قريش)** أي جماعة منهم **(عند سلمان)** الفارسي رضي الله عنه **(يوماً)** من الإسلام أي بأحسابهم وانسابهم، **(فقال سلمان)** رضي الله عنه: **(لكن خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم)** أبعث **(وآتي الميزان)**

فإن ثقل فأنا كريم وإن خف فأنا لئيم وقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع. نسأل الله الكريم حسن التوفيق.

بيان حقيقة الكبر وآفته:

اعلم أن الكبر ينقسم إلى باطن وظاهر. فالباطن هو خلق في النفس، والظاهر هو أعمال تصدر عن الجوارح. واسم الكبر بالخلق الباطن أحق، وأما الأعمال فإنها ثمرات لذلك الخلق. وخلق الكبر موجب للأعمال ولذلك إذا ظهر على الجوارح يقال تكبر، وإذا لم يظهر يقال في نفسه كبر. فالأصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فإن الكبر يستدعي متكبراً عليه ومتكبراً به،

حيث توزن الأعمال، (**فإن ثقل بالأعمال الصالحة فأنا كريم، وان خفّ فأنا لئيم**) فأرشدهم سليمان إلى أن الكرم هو التقوى، كما قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] وليس الكرم بالانساب والأحساب، (**وقال أبو بكر رضي الله عنه: وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين والشرف في التواضع**) وقد رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من حديث يحيي بن أبي بشر مرسلاً بلفظ: الكرم التقوى، والشرف التواضع، واليقين الغنى وقد تقدم قريباً. وقال القشيري في الرسالة: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت ابراهيم ابن شيبان يقول: الشرف في التواضع، والعز في التقوى، والحرية في القناعة.

بيان حقيقة الكبر وآفته:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن الكبر**) بكسر فسكون اسم من التكبر. قال ابن القوطية: هو اسم من كبر الأمر إذا عظم، والكبر العظمة والكبرياء مثله. ويقال: كبر الصغير وغيره يكبر من باب تعب كبراً وزان عنب ومكبراً كمسجد فهو كبير، وكبر الشيء من باب قرب عظم فهو كبير أيضاً، والإستكبار مثل التكبر فالكبر اسم لحالة يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وإن يرى نفسه أعظم من غيره، وهو (**ينقسم إلى ظاهر وباطن، فالباطن هو خلق في النفس، والظاهر هو أعمال تصدر من الجوارح. واسم الكبر بالخلق الباطن أحق**) لأنه منشؤه الإعجاب والرؤية، (**وأما الأعمال فإنها ثمرة لذلك الخلق**) ونتائج له (وخلق الكبر موجب للأعمال **وذلك إذا ظهر**) أثره (**على الجوارح يقال تكبر**) واستكبر، (**وإذا لم يظهر يقال**) فلان (**في نفسه كبر. فالأصل هو الخلق الذي في النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه**) في العظم والقدر والمنزلة (**فإن الكبر يستدعي**) شيئين (**متكبراً عليه ومتكبراً به**) فلا بد منهما في تصوير حقيقة الكبر، (**وبه ينفصل الكبر في العجب ـ كما**

وبه ينفصل الكبر عن العجب ـ كما سيأتي ـ فإن العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الإنسان إلا وحده تصوّر أن يكون معجباً ، ولا يتصوّر أن يكون متكبراً ، إلا أن يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال ، فعند ذلك يكون متكبراً ، ولا يكفي أن يستعظم نفسه ليكون متكبراً ، فإنه قد يستعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يتكبر عليه ، ولا يكفي أن يستحقر غيره فإنه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر ، بل ينبغي أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ، ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره ، فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر ، لا أن هذه الرؤية تنفي الكبر ، بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه ، فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون إلى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك ، فتلك العزة والهزة والركون إلى العقيدة هو خلق الكبر ، ولذلك قال النبي ﷺ : « أعوذ بك من نفخة الكبرياء » ، وكذلك قال عمر : أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا ، للذي استأذنه أن يعظ بعد صلاة الصبح . فكأن الإنسان مهما رأى نفسه بهذه العين ـ وهو الاستعظام ـ كبر وانتفخ وتعزز .

سيأتي **فإن العجب)** بضم فسكون **(لا يستدعي غير المعجب)** به ، **(بل لو لم يخلق إلا وحده تصوّر أن يكون معجباً ولا يتصور أن يكون متكبراً إلا أن يكون معه غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال ، فعند ذلك يكون متكبراً . ولا يكفي أن يستعظم نفسه)** أي يعده عظيم القدر والمنزلة **(ليكون)** بذلك الإستعظام **(متكبراً فإنه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه)** مساوياً له **(فلا يتكبر عليه ولا يكفي أن يستحقر غيره ، فإنه مع ذلك لو رأى نفسه أحقر لم يتكبر ، ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر ، بل ينبغي أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم)** بعد ذلك **(يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره ، فعند هذه الإعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر)** في الباطن ، **(لا أن هذه الرؤية تنفي الكبر ، بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في قلبه اعتداد وهزة وفرح)** واسترواح **(وركون إلى ما اعتقده وعز في نفسه بسبب ذلك ، فتلك العزة والهزة والركون إلى العقيدة هي خلق الكبر . ولذلك قال النبي ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك من نفخة الكبرياء »)** أي من الركون إلى تلك العقيدة التي تنفخ الكبر في باطني ، وقد تقدم الكلام على هذا الحديث ، وأن العراقي قال: لم أجده هكذا . **(ولذلك قال عمر)** رضي الله عنه: **(أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا)** قاله **(للذي استأذنه أن يعظ بعد صلاة الصبح)** فإنه خشي عليه من هذه النفخة وقد تقدم أيضاً ، **(فكان الإنسان مهما رأى نفسه بهذه العين**

فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات، وتسمى أيضاً عزة وتعظماً، ولذلك قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾[غافر :٥٦] قال: عظمة لم يبلغوها، ففسر الكبر بتلك العظمة. ثم هذه العزة تقتضي أعمالاً في الظاهر والباطن هي ثمرات ويسمى ذلك تكبراً، فإنه مهما عظم عنده قدره بالإضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراه وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته، ورأى أن حقه أن يقوم ماثلاً بين يديه إن اشتد كبره، فإن كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله أهلاً للقيام بين يديه ولا بخدمة عتبته، فإن كان دون ذلك فيأنف من مساواته وتقدم عليه في مضايق الطرق وارتفع عليه في المحافل وانتظر أن يبدأه بالسلام واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه، وإن حاج أو ناظر أنف أن يرد عليه وإن وعظ استنكف من القبول، وإن وعظ عنف في النصح، وإن رد عليه شيء من قوله غضب وإن علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم، وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الحمير استجهالاً لهم واستحقاراً.

وهو الإستعظام كبر) أي عظم (**وانتفخ وتعزز، فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة في النفس من هذه الإعتقادات ويسمى أيضاً عزة وتعظماً**) ويستعمل كل ذلك في معنى واحد لكونها متقاربة، (**ولذلك قال ابن عباس**) رضي الله عنه (**في قوله تعالى**): ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم (**إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه﴾ قال: عظمة لم يبلغوها**). وأخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر عن مجاهد، (**ففسر الكبر بتلك العظمة**) والمراد بالعظمة هنا التكبر عن الحق والتعظم من الشكر أو التعلم. (**ثم هذه العزة تقتضي أعمالاً في الظاهر أو الباطن هي ثمراته ويسمى ذلك تكبراً**) واستكباراً، (**فإنه مهما عظم عند قدره بالإضافة إلى غيره حقر من دونه وازدراه وأقصاه عن نفسه وأبعده وترفع عن مجالسته ومؤاكلته، ورأى أن حقه أن يقوم ماثلاً بين يديه**) كهيئة الخدم (**إن اشتد كبر، فإن كان أشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله أهلاً للقيام بين يديه ولا خدمة عتبته، فإن كان دون ذلك فيأنف عن مساواته وتقدم عليه في مضايق الطرق**) عند مما شاته (**وارتفع عليه في المحافل**) العامة والخاصة (**وانتظر**) منه (**أن يبدأه بالسلام**) والمصافحة (**واستبعد تقصيره في قضاء حوائجه وتعجب منه، وإن حاج أو ناظر أنف أن يرد عليه**) في مناظرته (**وإن وعظ استنكف عن القبول**) لوعظه، (**وإن وعظ**) غيره (**عنف في النصح**) وشدد الكلام فيه، (**وإن رد عليه شيئاً من قوله**) في محاوراته (**غضب**) من ذلك (**وإن علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم، وينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الحمير**) في بلادتهم (**استجهالاً لهم واستحقاراً**) لشأنهم.

والأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى فلا حاجة إلى تعدادها فإنها مشهورة، فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة، وفيه يهلك الخواص من الخلق، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلاً عن عوام الخلق، وكيف لا تعظم آفته، وقد قال ﷺ: «لا يدخل الجنة مَن في قلبه مثقال ذرة من كبر»، وإنما صار حجاباً دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة، والكبر وعزة النفس يغلق تلك الأبواب كلها، لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز، ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين وفيه العز، ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز، ولا يقدر أن يدوم على الصدق وفيه العز، ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز، ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز، ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز، ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز، ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز، ولا يسلم من الإزدراء بالناس ومن اغتيابهم وفيه العز. ولا معنى للتطويل فما من خلق ذميم إلا وصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ به عزه،

(والأعمال الصادرة عن خلق الكبر كثيرة وهي أكثر من أن تحصى، فلا حاجة إلى تعدادها فإنها مشهورة، فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة، وفيه تلك الخواص من الخلق، وقلما تنفك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلاً عن عوام الناس، وكيف لا تعظم آفته، وقد قال ﷺ: « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر) ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ». رواه القشيري في الرسالة عن أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن يحي المزكى، أخبرنا أبو الفضل الجوهري، أخبرنا علي بن الحسن، أخبرنا يحي بن حماد، حدثنا شعبة، عن أبان بن تغلب، عن فضيل الفقيمي، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن قيس، عن عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ فذكره، وقد تقدم أنه من أفراد مسلم. **(وإنما صار حجاباً دون الجنة لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هي أبواب الجنة)** أي بمنزلة الأبواب التي هي مفاتح للجنة، **(والكبر والعزة يغلق تلك الأبواب كلها لأنه لا يقدر على أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز)** وقد روى الشيخان من حديث أنس: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ». **(ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين وفيه العز)**، إذ لا يتم التقوى إلا بالتواضع، **(ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز، ولا يقدر على أن يدوم على الصدق)** في القول والعمل **(وفيه العز، ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز)** لأن كبره يجره إليه، **(ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز، ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز)** لأن كبره يجره إلى العنف في النصح، **(ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز، ولا يسلم من الإزدراء بالناس)** والاحتقار لهم **(وفيه العز ولا معنى**

وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفاً من أن يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه. والأخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض لا محالة. وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول الحق والانقياد له، وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر والمتكبرين. قال الله تعالى: ﴿والْمَلاَئِكَةُ باسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُون﴾ [الأنعام: ٩٣]، ثم قال: ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٦] ثم أخبر أن أشد أهل النـار عذاباً أشدهم عتياً على الله تعالى فقال: ﴿ثُمَّ لَنَنْزعنَّ مِنْ كُلِّ شيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَن عِتياً﴾ [مريم: ٦٩] وقال تعالى: ﴿فَالّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ النحل: ٢٢] وقال عز وجل: ﴿يَقُولُ الّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلّذِينَ اسْتَكْبَروا لَوْلاَ أَنْتُمْ لكنّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١] وقال تعالى: ﴿إنَّ الّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ

للتطويل) في مثل هذا (**فما من خلق ذميم إلا وصاحب الكبر والعز مضطر إليه ليحفظ به عزه، وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفاً من أن يفوت عزه فمن هذا**) المعنى (**لم يدخل الجنة في قلبه مثقال حبة منه**) كما أخبر به ﷺ (**والأخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع إلى البعض**) وجار إليه (**لا محالة**) فكل منها أنواع. (**وشر أنواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم**) الذي هو المعرفة بالله تعالى، (**وقبول الحق والإنقياد له**) وإليه الإشارة بما ورد في الخبر: «لا يتعلم العلم مستحي ولا متكبر». (**وفيه وردت الآيات التي فيها ذم الكبر وذم المتكبرين**) من ذلك (**قال الله عز وجل: ﴿والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ ثم قال (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾**) ونبه بذلك على أن الاستكبار والتكبر شيء واحد، والإستكبار على وجهين: أحدهما: أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يكون كبيراً وذلك متى كان على ما يجب وفي المكان الذي يجب وفي الوقت الذي يجب فمحمود، والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، فهذا هو المذموم، وعليه رد القرآن كذا القول، وكقوله: ﴿أبى واستكبر﴾ [البقرة: ٣٤] وكقوله ﴿فاستكبروا وكـانـوا قـومـاً مجرمين﴾ [الأعـراف: ١٣٣] ونبه بقوله: ﴿مجرمين﴾ أن حاملهم على ذلك ما تقدم من جرمهم وإن ذلك دأبهم لا أنه شيء حادث منهم، (**ثم أخبر أن أشد أهل النار عذاباً أشدهم عتيا على الله تعالى فقال: ﴿ثم لننزعن من كل شيعة**) أي جماعة وفرقة ﴿أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾ قيل: العتي هنا مصدر، وقيل: جمع عات وأصل العتو النبو عن الطاعة، وقد عتا عتواً وعتياً استكبر وجاوز الحد فهو عات وعتى والجمع عتى بالضم. (**وقال**) تعالى: (**فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون﴾ وقال**) تعالى (**يقول: الذيـن استضعفوا للذيـن استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾**) وكذا قوله تعالى: ﴿وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا

عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جهنَّم دَاخِرِينَ﴾ [غافر : ٦٠] ، وقال : ﴿سأصْرِفُ عَنْ آياتي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ في الأرْض بِغَيْرِ الحقِّ﴾ [الأعراف : ١٤٦] قيل في التفسير : سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم ، وفي بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت . وقال ابن جريج : سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها . ولذلك قال المسيح عليه السلام : إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا ، كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر ، ألا ترون أن من شمخ برأسه إلى السقف شجه ، ومن طأطأ أظله وأكنه ، فهذا مثل ضربه للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ، ولذلك ذكر رسول الله ﷺ جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال : « من سفه الحق وغمص الناس » .

لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار ★ قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بن العباد﴾ [غافر : ٤٧ ، ٤٨] **(وقال تعالى : ﴿ إن الذين يستكبرون عن عبادتي)** عن دعائي أو صلاتي **(سيدخلون جهنم داخرين﴾)** أي صاغرين إذلالاً . **(وقال)** تعالى : **(﴿سأصرف عن آياتي﴾)** قال ابن جريج : عن خلق السموات والأرض وما فيها من الآيات ﴿الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ قيل في التفسير : سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وذلك بالطبع عليها . رواه ابن المنذر ، وأبو الشيخ عن سفيان بن عيينة بلفظ : سأنزع منهم فهم القرآن . **(وفي بعض التفاسير : سأحجب قلوبهم عن الملكوت)** فلا يشاهدون أسرارها ، وقيل : سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا . وقوله : ﴿بغير الحق﴾صلة يتكبرون أو حال من فاعله .

(وقال ابن جريج) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم المكي فقيه فاضل مات سنة خمسين أو بعدها روى له الجماعة : **(سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا بها)** رواه ابن المنذر وأبو الشيخ عنه ، **(ولذلك قال عيسى عليه السلام : إن الزرع ينبت في السهل)** وهو الموضع اللين من الأرض ، **(ولا ينبت على الصفا)** أي الحجر الأملس ، **(كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع)** للينه وسهولته **(ولا تعمل في قلب المتكبر)** لصلابته ، **(ألا ترون أن من شمخ برأسه)** أي تطاول **(إلى السقف شجه)** السقف ، **(ومن تطأطأ)** برأسه **(أظله وأكنه ، فهذا مثل ضربه)** عيسى عليه السلام **(للمتكبرين وأنهم كيف يحرمون الحكمة ، ولذلك ذكر رسول الله ﷺ جحود الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته وقال :)** « الكبر **(من سفه الحق)** أي جحده **(وغمص الناس »)** بالمهملة أي احتقرهم . قال العراقي : رواه مسلم من حديث ابن مسعود في أثناء حديث وقال : « بطر الحق وغمط الناس » ورواه الترمذي فقال : « من بطر الحق وغمص الناس » . ورواه أحمد من حديث عقبة بن عامر بلفظ المصنف ، ورواه البيهقي في الشعب من حديث أبي ريحانة هكذا اهـ .

بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه:

اعلم أن المتكبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه، وقد خلق الإنسان ظلوماً جهولاً، فتارة يتكبر على الخلق، وتارة يتكبر على الخالق، فإذاً التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة أقسام:

الأول: التكبر على الله، وذلك هو أفحش أنواع الكبر، ولا مثار له إلا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمروذ، فإنه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء،

قلت: حديث ابن مسعود وقد تقدم قريباً من طريق القشيري وفيه فقال رجل: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة. فقال: «إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمص الناس». وعند مسلم «وغمط» بدل «وغمص» والمعنى واحد.

وأما حديث أبي ريحانة فلفظه فقال قائل: يا رسول الله إني أحب أن أتجمل بسير سوطي وشسع نعلي. فقال: «إن ذلك ليس بالكبر إنما الكبر من سفه الحق وغمص الناس بعينه». هكذا رواه ابن سعد وأحمد والبغوي والطبراني والبيهقي وابن عساكر، وعند أحمد من حديث ابن مسعود قال رجل: يا رسول الله يعجبني أن يكون ثوبي غسيلاً ورأسي دهيناً وشراك نعلي جديداً وذكر أشياء حتى علاقة سوطه. قال: «ذاك جمال والله تعالى جميل يحب الجمال ولكن الكبر من بطر الحق وازدرى الناس». وفي حديث عبدالله بن عمرو في أثناء حديث وصية نوح عليه السلام لابنه قيل: يا رسول الله ما الكبر أهو أن يكون للرجل حلة حسنة يلبسها وفرس جميل يعجبه جماله؟ قال: «لا الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس». وكذا رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد، والطبراني والحاكم وقد تقدم، وروواه أبو يعلى والبيهقي وابن عساكر بلفظ فقال معاذ بن جبل: يا رسول الله الكبر أن تكون لأحدنا دابة يركبها والنعلان يلبسها والثياب يلبسها والطعام يجمع عليه أصحابه؟ قال: «لا ولكن الكبر أن تسفه الحق وتغمص المؤمن». وروى ذلك عبد بن حميد من حديث جابر وقد تقدم أيضاً.

بيان المتكبر عليه ودرجاته وأقسامه وثمرات الكبر فيه:

(**اعلم**) أرشدك الله (**أن المتكبر عليه هو الله أو رسله أو سائر خلقه، وقد خلق الإنسان ظلوماً**) كثير الظلم على نفسه (**جهولاً**) كثيراً لجهل بمعرفة ربه، (**فتارة يتكبر على الخلق، وتارة يتكبر على الخالق، فإذاً التكبر باعتبار المتكبر عليه ثلاثة أقسام**):

(**القسم الأول: التكبر على الله**) بالإمتناع عن قبول الحق والإنقياد له، (**وذلك هو أفحش أنواع الكبر**) وأغلظها، (**ولا مثار له إلا الجهل المحض والطغيان**) البالغ (**مثل ما كان من نمروذ**) بضم النون وسكون الميم والذال المعجمة، وهو ابن كنعان بن الحارث بن النمروذ من ولد كنعان بـن حام بن نوح عليه السلام، وهو الذي حاج إبراهيم في ربه، (**فإنه كان يحدث نفسه**

وكما يحكى عن جماعة من الجهلة. بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره، فإنه لتكبره قال: أنا ربكم الأعلى إذ استنكف أن يكون عبداً لله، ولذلك قال تعالى: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾، وقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسيح أن يَكُونَ عَبْداً للهِ وَلاَ الملاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢] الآية. وقال تعالى: ﴿وإذا قِيلَ لَهُمْ اسْجدُوا للرَّحْمَن قالُوا وَمَا الرَّحْمَن أَنَسْجُدُ لِمَا تأْمُرنَا وَزَادَهُمْ نُفوراً﴾ [الفرقان: ٦٠].

القسم الثاني: التكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الإنقياد لبشر مثل سائر الناس، وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الإنقياد وهو ظان أنه محق فيه، وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للإنقياد للحق والتواضع للرسل، كما حكى الله عن قولهم: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْن مِثْلنَا﴾ [المؤمنون: ٤٧] وقولهم: ﴿إنْ أَنْتُمْ إلاّ بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠] ﴿ولئن أَطَعْتُمْ

بأن يقاتل رب السماء). ويحكى أنه كان يرمي بالسهام إلى السماء فترجع إليه مضمخة بالدم فيزعم بأنه يقتل من في السماء، **(وكما يحكى عن جماعة من الجهلة من أضرابه، بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون)** وهو الوليد بن مصعب بن معاوية بن أبي شمر من ولد لاود بن سام بن نوح عليه السلام، وهو فرعون موسى عليه السلام وفرعون لقب له **(وغيره)** من أشباهه، **(فإنه)** أي فرعون موسى **(قال)** فيما حكى عنه الله في كتابه فحشر فنادى فقال: **(أنا ربكم الأعلى إذا استنكف أن يكون عبداً لله)** تعالى، **(وكذلك قال الله تعالى: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾)** أي أذلاء صاغرين **(وقال تعالى: ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكةالمقربون ومن يستنكف عن عبادته﴾ الآية)** أي إلى آخرها وهو قوله: ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً﴾ ثم قال ﴿وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً﴾ **(وقال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً﴾)** فكل ذلك من التكبر على الله تعالى وهو أفحش الأنواع.

(القسم الثاني: التكبر على الرسل) الكرام **(من حيث تعزز النفس وترفعها عن الإنقياد)** والإمتثال لما يأمرون **(لبشر مثل سائر الناس، ولذلك يصرف تارة عن الفكر والإستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الإنقياد وهو ظان أنه محق فيه)**، وهذا لا معرفة معه أن يظن إلا ظناً، **(وتارة يمتنع)** عن الإنقياد **(مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للإنقياد للحق والتواضع للرسل،** كما حكى **الله عز وجل عن قولهم: ﴿أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ وقوله)** عنهم: **(﴿إن أنتم إلا بشر مثلنا ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً**

بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون﴾ [المؤمنون: ٣٤] ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً﴾ [الفرقان: ٢١] ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك﴾ [الأنعام: ٨] وقال فرعون فيما أخبر الله عنه: ﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ [الزخرف: ٥٣] وقال الله تعالى: ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق﴾ [القصص: ٢٩] فتكبر هو على الله وعلى رسله جميعاً، فقال وهب: قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك، قال: حتى أشاور هامان، فشاور هامان فقال هامان: بينما أنت رب تعبد إذ صرت عبداً تعبد فاستنكف عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام. وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف: ٣١] قال قتادة: عظيم القريتين هو الوليد بن المغيرة وأبو مسعود الثقفي، طلبوا من هو أعظم رياسة من النبي ﷺ إذ قالوا غلام يتيم كيف بعثه الله إلينا؟ فقال تعالى: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ [الزخرف: ٣٢] وقال الله تعالى: ﴿ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا﴾ [الأنعام: ٥٣] أي استحقاراً لهم واستبعاداً لتقدمهم. وقالت قريش لرسول الله ﷺ: كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء؟ أشاروا إلى فقراء المسلمين

لخاسرون﴾ ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوّاً كبيراً﴾ ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك﴾ وقال فرعون فيما أخبر الله عنه ﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ وقال تعالى: ﴿فاستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق﴾ فتكبر على الله وعلى رسوله جميعاً) وكبره على الله بادعائه الالوهية والربوبية وكبره على الرسول بعدم الإنقياد لما جاء به. **(وقال وهب)** بن منبه رحمه الله تعالى: يروي أنه **(قال له موسى عليه السلام: آمن)** بالله **(ولك ملكك، قال: حتى أشاور هامان)** وكان وزيره الذي يصدر عن رأيه فشاور هامان **(فقال هامان: بينما أنت رب تعبد إذ صرت عبداً تعبد)** غيرك **(فاستنكف)** فرعون **(عن عبودية الله وعن اتباع موسى عليه السلام)** فهذا تكبره على الله. **(وقالت قريش فيما أخبر الله عنهم ﴿لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾)** والمراد بالقريتين مكة والطائف **(قال قتادة)** بن دعامة البصري: **(هما الوليد)** بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم من أهل مكة، **(وأبو مسعود الثقفي)** من أهل الطائف، **(طلبوا من هو أعظم رئاسة من النبي ﷺ حيث قالوا غلام يتيم)** مات أبواه **(كيف بعثه الله إلينا؟ فقال تعالى: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ وقال الله تعالى: ﴿ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا﴾ أي استحقار لهم واستبعاد لتقدمهم، وقالت قريش لرسول الله ﷺ: كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء إشارة إلى فقراء المسلمين فازدروهم**

فازدروهم بأعينهم لفقرهم، وتكبروا عن مجالستهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ والعَشِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ [الأنعام: ٥٢] وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنيا﴾ [الكهف: ٢٨]، ثم أخبر الله تعالى عن

بأعينهم وتكبروا عن مجالستهم، فانزل الله تعالى ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ إلى قوله): ﴿ما عليك من حسابهم﴾ وقال تعالى: واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه **(ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾) قال** العراقي: رواه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص إلا أنه قال: فقال المشركون وقال ابن ماجه قالت قريش اهـ.

قلت: لفظ حديث سعد عند مسلم قال: كنا مع رسول الله ﷺ ونحن ستة نفر فقال المشركون: اطرد هؤلاء عنك فأنهم وأنهم قال: فكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما قال: فوقع في نفس النبي ﷺ من ذلك ما شاء الله فحدث به نفسه، فانزل الله عز وجل ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ وقد رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أحمد بن محمد بن أحمد، حدثنا عبدالله بن شهرويه، حدثنا إسحاق بن راهويه، حدثنا عبيدالله بن موسى، حدثنا إسرائيل عن المقدام بن شريح الحارثي، عن أبيه، عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع رسول الله ﷺ فذكره. ولفظه عند ابن ماجه قال: نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب رسول الله ﷺ. منهم ابن مسعود قال: كنا نستبق إلى النبي ﷺ ندنو إليه فقالت قريش: تدني هؤلاء دوننا، فكان النبي ﷺ هم بشيء فنزلت ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ الآية. وقد رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا سليمان بن أحمد. حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا سفيان الثوري، عن المقدام بن شريح، عن أبيه، عن سعد بن وقاص قال: نزلت فذكره.

وفي الباب خباب بن الأرت، وسلمان الفارسي، وابن مسعود.

وأما حديث خباب فقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا أحمد بن الفضيل، حدثنا اسباط بن نصر، عن السدي، عن أبي سعد الأزدي، عن أبي الكنود، عن خباب ابن الأرت ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري، فوجد النبي ﷺ قاعداً مع بلال وعمار وصهيب وخباب في أناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حقروهم فخلوا به فقالوا: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب قعوداً مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فاقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعدهم إن شئت قال: «نعم» قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً فدعا بالصحيفة ليكتب لهم ودعا علياً ليكتب، فلما أراد ذلك ونحن قعود

تعجبهم حين دخلوا جهنم إذ لم يروا الذين ازدروهم فقالوا : ﴿ما لَنا لاَ نَرَى رجالاً كُنَّا

في ناحية إذ نزل جبريل عليه السلام فقال : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ إلى قوله : ﴿فتكون من الظالمين﴾ ثم ذكر الأقرع وصاحبه فقال ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ ثم ذكر فقال : ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ [الأنعام : ٥٣ ، ٥٤] فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة ودعانا فأتيناه وهو يقول : سلام عليكم » فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته ، فكان رسول الله ﷺ يجلس معنا ، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله تعالى : ﴿ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ [الكهف : ٢٨] يقول لا تعد عيناك عنهم تجالس الأشراف ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾ أما الذي أغفلنا قلبه فهو عيينة بن حصن والأقرع ، وأما ﴿فرطاً﴾ فهلاكاً فإذا بلغنا الساعة التي كان يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وإلا صبر أبداً حتى نقوم . ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه وقال : رواه عمرو بن محمد العنقزي عن إسباط مثله .

وأما حديث سلمان الفارسي فقال الحسن بن سفيان في مسنده : حدثنا أبو وهب الحراني ، حدثنا سليمان بن عطاء ، عن سلمة بن عبدالله ، عن عمه ، عن سلمان الفارسي قال : جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ عيينة والأقرع بن حابس وذووهم فقالوا : يا رسـول الله إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم يعنون أبا ذر وسلمان وفقراء المسلمين ، وكان عليهم جباب الصوف ولم يكن عليهم غيرها جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك ، فأنزل الله تعالى : ﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً ★ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ حتى بلغ ﴿ناراً أحاط بهم سرادقها﴾ [الكهف : ٢٧ ـ ٢٩] يتهددهم بالنار فقام نبي الله يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا والممات .

وأما حديث ابن مسعود فقال إسحاق بن راهويه في مسنده : أخبرنا جرير عن أشعث بن سوار ، عن كردوس ، عن عبدالله بن مسعود قال : مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار ونحوهم ناس من ضعفاء المسلمين فقالوا : يا رسول الله أرضيت هؤلاء من قومك أفنحن نكون تبعاً لهؤلاء ؟ أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أطردهم فلعلك أن تطردهم اتبعناك ؟ قال فـأنـزل الله تعـالى : ﴿وأنـذر بـه الذيـن يخافـون أن يحشروا إلى ربهم﴾ إلى قـولـه : ﴿فتكون من الظالمين﴾ [الأنعام : ٥١ ، ٥٢] .

(ثم أخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم إذ لم يروا) فيها (الذين استرذلوهم)

نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ﴾ [ص: ٦٢] قيل: يعنون عماراً وبلالاً وصهيباً والمقداد رضي الله عنهم، ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة، فجهل كونه ﷺ محقاً، ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الإعتراف قال الله تعالى مخبراً عنهم: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩] وقال: ﴿وجَحَدُوا بِهَا واسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وعُلُوّاً﴾ [النمل: ١٤]، وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وإن كان دونه، ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله.

القسم الثالث: التكبر على العباد؛ وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره، فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم، وهذا وإن كان دون الأوّل والثاني فهو أيضاً عظيم من وجهين:

أحدهما: أن الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق إلا بالملك القادر، فأما العبد

واستضعفوهم، (فقالوا: **﴿ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار﴾ قيل: عنوا عماراً وبلالاً وصهيباً والمقداد رضي الله عنهم**) أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد قال ذلك قول أبي جهل في النار يقول: مالي لا أرى رجالاً بلالاً وعماراً وصهيباً وخباباً وفلاناً اتخذناهم سخرياً ليسوا كذلك، أم زاغت عنهم الأبصار؟ قال: أم هم في النار ولا نراهم. وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال: هم عبدالله بن مسعود ومن معه. وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن سهل بن عطية قال: يقول أبو جهل في النار أين خباب أين صهيب أين بلال أين عمار؟.

(**ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر والمعرفة فيجهل كونه ﷺ محقاً، ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن الإعتراف قال الله تعالى مخبراً عنهم ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به**) وهؤلاء طائفة اليهود فإنهم عرفوا أنه ﷺ محق ومنعهم كبرهم عن الإعتراف. (**وقال**) تعالى: (**﴿وجحدوا بها﴾**) أي الآيات الدالة على صدقه (**﴿واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾**) أي تكبراً وعناداً وترفعاً. (**وهذا الكبر قريب من التكبر على الله وإن كان دونه، ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله**) عليه السلام.

(**القسم الثالث: التكبر على العباد، وذلك بأن يستعظم نفسه**) أي يعده عظيم المنزلة (**ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الإنقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم ويزدريهم ويستصغرهم**) أي يستذلهم (**ويأنف من مساواتهم، وهذا وإن كان دون الأول**) الذي هو التكبر على رسله (**فهو أيضاً عظيم من وجهين**).

(**أحدهما: أن الكبر والعز والعظمة والعلاء**) وكل ذلك ألفاظ متقاربة (**لا يليق إلا**

المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق بحاله الكبر ؟ فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله ، ومثاله : أن يأخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على رأسه ويجلس على سريره ، فما أعظم استحقاقه للمقت وما أعظم تهدفه للخزي والنكال! وما أشد استجراءه على مولاه وما أقبح ما تعاطاه! وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى : « العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته » . أي إنه خاص صفتي ولا يليق إلا بي ، والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي ، وإذا كان الكبر على عباده لا يليق إلا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه ، إذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك أن يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض أمره ، وإن لم تبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والإستبداد بملكه ، فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة والكبرياء عليهم ، فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه . نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمروذ

بالملك القادر) جل جلاله ، **(فأما العبد المملوك الضعيف)** في نفسه **(العاجز)** عن دفع الضر عنها **(الذي لا يقدر على شيء)** من خير أو شر ، **(فمن أين يليق به الكبر؟ فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله)** وعظمته ، **(ومثاله: أن يأخذ الغلام قلنسوه الملك)** أي تاجه الذي يضعه على رأسه وبه يتميز عن غيره **(فيضعها على رأسه ويجلس على سريره)** الذي من عادته أن يجلس عليه ، **(فما أعظم استحقاقه للمقت)** من الملك **(وما أعظم تهدفه للخزي)** والنكال؟ **(وما أشد استجراءه)** أي جرأته (على مولاه **وما أقبح ما تعاطاه، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى)** في الحديث القدسي : **(« العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته »)** روي ذلك من حديث أبي هريرة، وقد تقدم الكلام عليه في أول هذا الكتاب قريباً . **(أي: أنه خاص صفتي ولا يليق إلا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي)** وإنما مثلها بالإزار والرداء إبرازاً للمعقول في صورة المحسوس، فكما لا يشارك الرجل في ردائه وإزاره لا يشارك الباري في هذين فإنه الكامل المنعم المنفرد بالبقاء وما سواه ناقص محتاج . وفي الحديث إشارة إلى أن العظمة أرفع من الكبرياء وأقرب إليه منها ، كما أن الإزار أقرب في اللباس من الرداء ، **(وإذا كان الكبر على عباده لا يليق إلا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه إذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم ويستأثر بما هو حق الملك أن يستأثر به منهم، فهو منازع له في بعض أمره، وإن لم تبلغ درجته درجة من أراد الجلوس على سريره والإستبداد بملكه)** أي الإستقلال به ، **(فالخلق كلهم عباد الله وله العظمة)** التامة **(والكبرياء)** والعلو **(عليهم، فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه)** فيكون سبباً لقصم ظهره . **(نعم الفرق بين هذه المنازعة وبين**

وفرعون، ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في أصل الملك.

الوجه الثاني: الذي تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره، لأن المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده، ولذلك ترى الناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم إنهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين، ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله، وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين إذ وصفهم الله تعالى فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذا القُرْآن والغَوْا فيهِ لَعلَّكُم تغلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] فكل من يناظر للغلبة والإفحام لا ليغتنم الحق إذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق، وكذلك يحمل ذلك على الأنفة من قبول الوعظ كما قال الله تعالى: ﴿وإذَا قيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْه العِزَّة بالإثم﴾ [البقرة: ٢٠٦].

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قرأها فقال: ﴿إنا للهِ وإنَّا إلَيْهِ راجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] قام رجل يأمر بالمعروف فقتل، فقام آخر فقال: تقتلون الذين يأمرون

منازعة نمروذ وفرعون ما هو الفرق بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعتهم في أصل الملك).

(الوجه الثاني: الذي تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره) ونواهيه، **(لأن المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله وتشمر لجحده)** أي إنكاره، (**ولذلك ترى الناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين، ثم أنهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين. ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس**) والمغالطات في المحاورات، **(وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين إذ وصفهم الله تعالى)** في كتابه العزيز **(فقال: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ فكل من يناظر للغلبة والإفحام لا ليغتنم الحق إذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق، وكذلك يحمل ذلك على الأنفة من قبول الوعظ كما قال تعالى: ﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم﴾)**.

(روي عن عمر) بن الخطاب رضي الله عنه **(أنه قرأها)** أي هذه الآية **(فاسترجع فقال: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾)** إشارة الى أن ما سيذكره مصيبة عظيمة وهي: **(قام رجل فأمر بالمعروف فقتل، فقام)** رجل **(آخر وقال: أتقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس؟**

بالقسط من الناس؟ فقتل المتكبر الذي خالفه والذي أمره كبراً. وقال ابن مسعود: كفى بالرجل إثماً إذا قيل له اتق الله قال: عليك نفسك! وقال ﷺ لرجل: « كل بيمينك » قال: لا أستطيع، فقال النبي ﷺ: « لا استطعت » فما منعه إلا كبره، قال: فما رفعها بعد ذلك أي اعتلت يده. فإذاً تكبره على الخلق عظيم لأنه سيدعوه إلى التكبر على أمر الله، وإنما ضرب إبليس مثلاً لهذا، وما حكاه من أحواله إلا ليعتبر به، فإنه قال: أنا خير منه، وهذا الكبر بالنسب لأنه قال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، فحمله ذلك على أن يمتنع من السجود الذي أمره الله تعالى به، وكان مبدؤه الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى، فكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد، فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة، ولذلك شرح رسول الله ﷺ الكبر

فقتل المتكبر الذي خالفه والذي أمره بالمعروف كبراً) وعزة. فهذا معنى قوله: ﴿أخذته العزة بالإثم﴾ رواه ابن جرير عن أبي الخليل قال: سمع عمر إنساناً يقرأ هذه الآية فاسترجع قال: ﴿انا لله وانا إليه راجعون﴾ قام رجل يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فقتل. ورواه أيضاً عن أبي زيد أن ابن عباس قرأ هذه الآية عند عمر فقال: اقتتل الرجلان فقال له عمر ماذا: قال يا أمير المؤمنين أرى ههنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، فيأمر هذا بتقوى الله فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالإثم قال: هذا إنما اشرى نفسي فقاتله، فاقتتل الرجلان فقال عمر: لله درك يا ابن عباس.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(كفى بالرجل إثماً إذا قيل له اتق الله قال: عليك نفسك)**. رواه ابن المنذر في تفسيره بلفظ: إن من أكبر الذنوب أن يقول الرجل لأخيه اتق الله فيقول عليك بنفسك.

(وقال ﷺ لرجل « كل بيمينك » قال: لا أستطيع، فقال) ﷺ: **(« لا استطعت فما منعك إلا كبر ». قال: فما رفعها بعد ذلك أي اعتلت يده)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع. **(فإذاً تكبره على الخلق)** عظيم **(لأنه سيدعوه إلى التكبر على أمر الله وإنما ضرب إبليس مثلاً لهذا، وما حكى من أحواله إلا ليعتبر به فإنه قال: أنا خير منه)** أي من آدم عليه السلام، **(وهذا الكبر بالنسب لأنه قال)** بعد ذلك: **(خلقتني من نار وخلقته من طين)** والنار أشرف من التراب، **(فحمله ذلك على أن يمتنع من السجود الذي أمره الله تعالى به، فكان مبدؤه التكبر على آدم)** عليه السلام **(والحسد له)** على ما أنعم عليه **(فجره ذلك إلى التكبر على أمر الله، وكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد، فهذه آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة، ولذلك شرح رسول الله ﷺ الكبر بهاتين الآفتين إذ سأله**

بهاتين الآفتين إذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال: يا رسول الله إني امرؤ قد حبب إليّ من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو؟ فقال ﷺ: « لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس » وفي حديث آخر: « من سفه الحق » وقوله: « وغمص الناس » أي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله أمثاله أو خير منه. وهذه الآفة الأولى: « وسفه الحق » هو ورده وهي الآفة الثانية، فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر إليه بعين الاستصغار، أورد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق، ومن أنف من أن يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسله.

ثابت بن قيس بن شماس) بن زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك بن بتلة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي خطيب الأنصار يكنى أبا محمد، وقيل: أبو عبد الرحمن قتل يوم اليمامة. **(فقال: يا رسول الله إني امرؤ قد حبب إليّ من الجمال ما ترى أفمن الكبر هو؟ فقال ﷺ: « لا، ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس »)** قال العراقي: رواه مسلم والترمذي، ولكن ليس فيهما أن القائل هو ثابت بن قيس، وإنما رواه الطبراني من حديثه وقد تقدم انتهى.

قلت: وكذلك رواه الباوردي، وابن قانع من حديث ثابت بن قيس بلفظ: « إنه ليس من الكبر إن تحسن راحلتك ورحلك ولكن الكبر من سفه الحق وغمص الناس ». وعند سمويه في فوائده من حديث ثابت بن قيس قال: يا رسول الله إني لأحب الجمال حتى أني لأحبه في شراك نعلي وجلاز سوطي وأن قومي يزعمون أنه في الكبر. فقال: « ليس الكبر أن يحب أحدكم الجمال ولكن الكبر أن يسفه الحق ويغمص الناس ». ورواه الطبراين كذلك. ورواه ابن عساكر من حديث خريم بن فاتك. ورواه الطبراني أيضاً من رواية فاطمة بنت الحسين عن أبيها مرفوعاً. ورواه الطبراني وسمويه أيضاً والضياء من حديث سواد بن عمرو الأنصاري. **(وفي حديث آخر « من سفه الحق)** وغمص الناس » رواه أحمد من حديث عقبة بن عامر. **(وقوله « غمص الناس »)** بالصاد المهملة **(أي ازدراهم واستحقرهم)** وغمط بالطاء المهملة كما في رواية مسلم من حديث ابن مسعود بمعناه **(وهم عباد الله أمثاله أو خير منه. وهذه الآفة الأولى « وسفه الحق » هو جهله ورده وهي الآفة الثانية، فكل من رأى أنه خير من أخيه واحتقر أخاه وازدراه ونظر إليه بعين الاستصغار، أو رد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق؟ ومن أنف أن يخضع لله ويتواضع له بطاعته واتباع** رسله فقد تكبّر فيما بينه وبين الله تعالى والرسل).

بيان ما به التكبر :

اعلم أنه لا يتكبر إلا من استعظم نفسه ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع إلى كمال ديني أو دنيوي ، فالديني هو العلم والعمل ، والدنيوي هو النسب والجمال والقوّة والمال وكثرة الأنصار . فهذه سبعة أسباب :

الأوّل : العلم وما أسرع الكبر إلى العلماء ؟ ولذلك قال ﷺ : « آفة العلم الخيلاء » ، فلا يلبث العالم أن يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر إليهم نظرة إلى البهائم ويستجهلهم ويتوقع أن يبدؤه بالسلام ، فإن بدأ واحداً منهم بالسلام أورد عليه ببشر أو قام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده ويداً عليه يلزمه شكرها ، واعتقد أنه أكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون

بيان ما به التكبر :

(**اعلم**) أرشدك الله تعالى (**أنه لا يتكبر إلا من استعظم نفسه ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال ومجامع ذلك يرجع إلى كمال ديني ودنياوي [فالديني هو العلم والعمل ، والدنيوي هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار] فهذه سبعة أسباب**) إثنان منها يتعلقان بالدين ، والخمسة بالدنيا .

(**الأولى : العلم وما أسرع الكبر إلى العلماء ! ولذلك قال ﷺ : « آفة العلم الخيلاء »**) قال العراقي : هكذا ذكر المصنف ، والمعروف آفة العلم النسيان ، وآفة الجمال الخيلاء » . كذا رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث علي بسند ضعيف ، وروى عنه الديلمي في مسند الفردوس « آفة الجمال الخيلاء » . وفيه الحسن بن عبد الحميد الكوفي لا يدري من هو حديث عن أبيه بحديث موضوع قاله صاحب الميزان انتهى .

قلت : لفظ القضاعي في مسند الشهاب : « آفة الظرف الصلف ، وآفة الشجاعة البغي ، وآفة السماحة المن ، وآفة الجمال الخيلاء ، وآفة العبادة الفترة ، وآفة الحديث الكذب ، وآفة العلم النسيان ، وآفة الحلم السفه ، وآفة الحسب الفخر ، وآفة الجود السرف ، وآفة الدين الهوى » . وهكذا رواه أيضاً ابن لال في مكارم الأخلاق ، والديلمي والبيهقي في الشعب وضعفه رووه من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده . ورواه القضاعي والديلمي وابن عدي في كامله من طريق شعبة عن أبي إسحاق السبيعي عن الحرث الأعور عن علي مرفوعاً في حديث بلفظ : « آفة الحديث الكذب وآفة العلم النسيان » وسنده ضعيف إلا أنه صحيح المعنى .

(**فلا يلبث العالم أن يتعزز بعز العلم ويستشعر في نفسه كمال العلم وجماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر إليهم نظره إلى البهائم ويستجهلهم**) ويستبلدهم (**ويتوقع**) منهم (**أن يبدأوه بالسلام**) إذا لقوه ، (**فإن بدأ واحداً منهم بالسلام أو رَدّ عليه ببشر أو قام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة عنده ويداً عليه يلزمه شكرها ، واعتقد أنه**

من مثله، وأنه ينبغي أن يرقوا له ويخدموه شكراً له على صنيعه، بل الغالب أنهم يبرونه فلا يبرهم ويزورونه فلا يزورهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه، فإن قصر فيه استنكره كأنهم عبيده أو اجراؤه، وكأن تعليمه العلم صنيعة منه إليهم ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم، هذا فيما يتعلق بالدنيا، أما في أمر الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم، فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم، وهذا بأن يسمى جاهلاً أولى من أن يسمى عالماً، بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الإنسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه ـ كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم ـ وهذا العلم يزيد خوفاً وتواضعاً وتخشعاً، ويقتضي أن يرى كل الناس خيراً منه لعظم حجة الله عليه بالعلم، وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم. ولهذا قال أبو الدرداء: من ازداد علماً ازداد وجعاً وهو كما قال:

فإن قلت: فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبراً وأمناً فاعلم أن لذلك سببين:

أحدهما: أن يكون اشتغاله بما يسمى علماً وليس علماً حقيقياً، وإنما العلم الحقيقي ما

أكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله، فإنه ينبغي أن يرقوا له) أي يكونوا كالرقيق له **(ويخدمونه شكرا له على صنيعه)** ذلك، **(بل الغالب أنهم يبرونه فلا يبرهم ولا يزدرونه فيزدريهم ويعودونه فلا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم ويستسخره في حوائجه)** أي يجعله سخرة في قضائها، **(فإن قصر فيه استنكره كأنهم عبيده** وأجراؤه **وكان تعليمه)** إياهم **(العلم صنيعة منه** لديهم ومعروف إليهم **واستحقاق حق عليهم، هذا فيما يتعلق بالدنيا. أما في الآخرة فتكبره عليهم بأن يرى نفسه عند الله أعلى وأفضل منهم، فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم، وهذا بأن يسمى جاهلاً أولى من أن يسمى عالماً، بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه)** بالذل والعز والعجز والقدرة والنقص والكمال، **(وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر العلم فيه ـ كما سيأتي في طريق معالجة الكبر بالعلم ـ وهذه العلوم تزيد خوفاً وتواضعاً وتخشعاً)** وانكساراً في القلب، **(وتقتضي ان يرى)** صاحبها **(أن كل الناس خير منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام بشكر نعمة العلم، ولهذا قال أبو الدرداء)** رضي الله عنه: **(من ازداد علماً زاد وجعاً وهو كما قال)**.

(فان قلت: فما بال بعض الناس يزداد كبراً وأمناً؟ فاعلم أن لذلك سببين:

أحدها: أن يكون اشتغاله بما يسمى علماً) في الظاهر **(وليس بعلم حقيقي، وإنما العلم**

يعرف به العبد ربه ونفسه، وخطر أمره في لقاء الله والحجاب منه، وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والأمن. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [الفاطر: ٢٨] فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات، فإذا تجرد الإنسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبراً ونفاقاً، وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوماً، بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة، وهذه تورث التواضع غالباً.

السبب الثاني: أن يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيء الأخلاق، فإنه لم يشتغل أولاً بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر، فإذا خاض في العلم ـ أي علم كان ـ صادف العلم من قلبه منزلاً خبيثاً فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره. وقد ضرب وهب لهذا مثلاً فقال: العلم كالغيث ينزل من السماء حلواً صافياً فتشربه الأشجار بعروقها فتحوّله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة، فكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوّله على قدر هممها وأهوائها، فيزيد المتكبر كبراً والمتواضع تواضعاً، وهذا لأن من كانت همته الكبر وهو جاهل فإذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبراً، وإذا كان الرجل

الحقيقي ما يعرف العبد به نفسه وربه، وخطر أمره في لقاء ربه والحجاب منه، وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والأمن. قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾) وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم. (**فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات، فإذا تجرد الإنسان**) وقام بازائها (**حتى امتلأ منها امتلأ بها كبرا ونفاقاً، وهذه بأن تسمى صناعات أولى من أن تسمى علوماً، بل العلم معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة، وهذا يورث التواضع غالباً**).

(**السبب الثاني: أن يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيء الأخلاق، فإنه لم يشتغل أوّلاً بتهذيب نفسه وتزكية قلبه**) من تلك الأوصاف الذميمة (**بأنواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر، فإذا خاض في العلم ـ أي عمل كان ـ صادف العلم من قلبه منزلاً خبيثاً فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره، ولقد ضرب وهب**) بن منبه رحمه الله تعالى (**لهذا مثلاً فقال: العلم كالغيث ينزل من السماء حلواً صافياً فتشربه الأشجار بعروقها فتحوّله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة، وكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوّله على قدر همتها وأهوائها، فيزيد المتكبر كبراً والمتواضع تواضعاً**) هذا آخر كلام وهب. (**وهذا لأن من كانت همته الكبر وهو جاهل فإذا احفظ العلم وجد ما يتكبّر به فإزداد كبراً، وإذا كان الرجل مع جهله**

خائفاً مع جهله فازداد علماً علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفاً وإشفاقاً وذلاً وتواضعاً فالعلم من أعظم ما يتكبر به؛ ولذلك قال تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وقال عز وجل: ﴿ولوْ كُنْتَ فظًّا غليظَ القَلْبِ لانْفضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ووصف أولياءه فقال: ﴿أذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] وكذلك قال ﷺ فيما رواه العباس رضي الله عنه: «يكون قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون: قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا ومن أعلم منا» ثم التفت إلى أصحابه وقال: «أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار». ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم. ولذلك استأذن تميم الداري عمر رضي الله عنه في القصص فأبى أن يأذن له وقال له: إنه الذبح، واستأذنه رجل كان إمام قوم إنه إذا سلم من صلاته ذكرهم فقال: إني أخاف أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا. وصلى حذيفة بقوم فلما سلم من صلاته قال: لتلتمسن إماماً غيري أو لتصلن وحدانا، فإني رأيت في نفسي أنه ليس في

خائفاً فإذا ازداد علما علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفاً واشفاقاً وذلاً وتواضعاً)، وإذا كان الرجل محباً في الدنيا مائلاً إلى تحصيل اعراضها وازداد علماً لم يزدد إلا رغبة فيها إذ وجد ما يعينه على تحصيلها. وروى الديلمي من حديث علي: «من ازداد علماً لم يزدد في الدنيا زهداً لم يزدد من الله إلا بعداً» فالعلم من أعظم ما يتكبر به. (**ولأجل ذلك قال الله تعالى لنبيه**) ﷺ: (**﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ وقال**) تعالى: (**﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك﴾ ووصف أولياءه فقال ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ ولذلك قال رسول الله** ﷺ **فيما رواه العباس**) بن عبد المطلب رضي الله عنه: (**«يكون قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون: قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا واعلم منا» ثم التفت إلى أصحابه وقال: «أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار»**). قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق.

(**وكذلك قال عمر رضي الله عنه: لا تكونوا جبابرة العلماء فلا يفي علمكم بجهلكم**). وروى الخطيب في الجامع من حديث أبي هريرة: ولا تكونوا من جبابرة العلماء وقد تقدم. (**ولذلك استأذن تميم**) بن أوس (**الداري عمر**) رضي الله عنه (**في القصص فأبى أن يأذن له وقال: إنه الذبح**) خاف عليه من الشهرة. (**واستأذن رجل**) آخر (**وكان إمام قومه انه إذا سلم من صلاته ذكرهم**) ووعظهم فلم يأذن له (**قال: إني أخاف أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا**) وقد تقدم ذلك. (**وصلى حذيفة**) بن اليمان رضي الله عنه (**بقوم فلما سلم قال: لتلتمسن إماماً غيري أو لتصلن وحداناً**) أي منفردين. (**إني رأيت في نفسي أنه ليس في القوم أفضل مني**.

القوم أفضل مني. فإذا كان مثل حذيفة لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأمة؟ فما أعز على بسيط الأرض عالماً يستحق أن يقال له عالم ثم إنه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه، فإن وجد ذلك فهو صديق زمانه، فلا ينبغي أن يفارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلاً عن الاستفادة من أنفاسه وأحواله؛ ولو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين لسعينا إليه رجاء أن تشملنا بركته وتسري إلينا سيرته وسجيته، وهيهات! فأنى يسمح آخر الزمان بمثلهم؟ فهم أرباب الإقبال وأصحاب الدول قد انقرضوا في القرن الأول ومن يليهم، بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الأسف والحزن على فوات هذه الخصلة، فذلك أيضاً إما معدوم وإما عزيز. ولولا بشارة رسول الله ﷺ بقوله: « سيأتي على الناس زمان من تمسك فيه بعشر ما أنتم عليه نجا »، لكان جديراً بنا أن نقتحم والعياذ بالله تعالى ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أعمالنا، ومن لنا أيضاً بالتمسك بعشر ما كانوا عليه، وليتنا تمسكنا بعشر عشره. فنسأل الله تعالى أن

فإذا كان مثل حذيفة) رضي الله عنه وهو صاحب سر رسول الله ﷺ لا يسلم **(فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الأمة؟ فما أعز على بسيط الارض عالماً يستحق أن يقال أنه عالم ثم أنه لا يحركه عز العلم)** وترفعه **(وخيلاؤه، فإن وجد ذلك فهو صديق زمانه)** وحيد عصره. **(فلا ينبغي أن يفارق بل يكون النظر إليه عبادة فضلاً عن الأستفادة من أنفاسه وأحواله؛ ولو عرفنا ذلك ولو في أقصى الصين)** أي آخر بلاد المشرق **(لسعينا)** وبذلنا المجهود في الوصول **(إليه رجاء أن تشملنا بركته وتسري إلينا سيرته وسجيته، وهيهات! فأنَّى يسمح آخر الزمان بمثلهم؟ فهم أرباب الإقبال وأصحاب الدول قد انقرضوا في القرن الأول ومن يليهم)** من أوائل القرن الثاني، **(بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الأسف والحزن على فوات هذه الخصلة، فذلك أيضاً إما معدوم)** بالكلية **(وإما عزيز)** أي نادر الوجود. **(ولولا بشارة رسول الله بقوله: « سيأتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما أنتم عليه نجا »)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث نعيم بن حماد. ورواه أحمد من رواية رجل عن أبي ذر انتهى.

قلت: ورواه ابن عدي، وابن عساكر، وابن النجار من حديث أبي هريرة بلفظ « أنتم اليوم في زمان من ترك عشر ما أمر به هلك. وسيأتي على الناس زمان من عمل منهم عشر ما أمر به نجا ».

(لكان جديراً بنا أن نقتحم والعياذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء أعمالنا، ومن لنا أيضاً بالتمسك بعشر ما كانوا عليه، وليتنا تمسكنا بعشر عشرة) وهذا في زمان المصنف، وأما الآن بعد المائتين فلا يحتاج التنبيه عليه حيث درست رسوم الرسوم وظهر المعلوم والمحتوم. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. **(فنسأل الله تعالى)** المنانّ بفضله **(أن**

يعاملنا بما هو أهله ويستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله.

الثاني: العمل والعبادة، وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا.

أما في الدنيا: فهو أنهم يرون غيرهم بزيارتهم أولى منهم بزيارة غيرهم، ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ إلى جميع ما ذكرناه في حق العلماء ـ وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق.

وأما في الدين: فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجياً وهو الهالك تحقيقاً ـ مهما رأى ذلك ـ قال ﷺ: «إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم»، وإنما

يعاملنا بما هو أهله وأن يستر علينا قبائح أعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله) آمين يا رب العالمين.

(الثاني: العمل والعبادة، وليس يخلو من رذيلة الكبر والعز واستمالة قلوب الناس الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا.

أما في الدنيا؛ فإنهم يرون غيرهم بزيارتهم) والمجيء إليهم **(أولى منهم بزيارة غيرهم)**، فإذا رأوهم يزورون غيرهم يغضبون ويعاتبون، **(ويتوقعون قيام الناس بقضاء حوائجهم وتوقيرهم)** أي تعظيمهم **(والتوسيع لهم في المجالس)** كأنهم عبيد أجراء، ويتوقعون أيضاً **(ذكرهم بالورع والتقوى)** ومحاسن الأخلاق **(وتقديمهم على سائر الناس في الحظوظ)** الدنيوية **(إلى جميع ما ذكرناه في حق العلماء وكأنهم يرون عبادتهم منة على الخلق)** يمتنون بها هذا في الدنيا.

(وأما في الدين: فهو أن يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجياً وهو الهالك تحقيقاً مهما رأى ذلك) واعتقده، **(قال ﷺ «إذا سمعتم)** وفي رواية إذا سمعت **(الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم»)** روي بضم الكاف وهي الرواية المشهورة أي أشدهم هلاكاً أو أحقهم بالهلاك وأقربهم إليه لذمه للناس وذكره عيوبهم والحط منهم، ويروى **فهو أهلكهم** بفتح الكاف على أنه صيغة ماض أي فهو جعلهم هالكين لا أنهم هلكوا حقيقة أي **فهو أهلكهم** لكونه أقنط عباد الله عن رحمته أو معناه فإنهم ليسوا هالكين إلا من قبله، ومن جهته بنسبة الهلاك اليهم وظاهره أن ذلك لا يؤثر فيهم ولا يقتضي هلاكهم.

قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة انتهى. **قلت:** وكذلك رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود.

قال ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مزدر بخلق الله مغتر بالله آمن من مكره غير خائف من سطوته، وكيف لا يخاف؟ ويكفيه شراً احتقاره لغيره. قال ﷺ: «كفى بالمرء شراً أن يحقر أخاه المسلم»، وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجوه لنفسه، فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه لله، فهم يتقربون إلى الله تعالى بالدنو منه وهو يتمقت إلى الله بالتنزه والتباعد منهم، كأنه مترفع عن مجالستهم، فما أجدرهم إذا أحبوه لصلاحه أن ينقلهم الله إلى درجته في العمل! وما أجدره إذا ازدراهم بعينه أن ينقله الله إلى حد الإهمال! كما روي أن رجلاً في بني إسرائيل كان يقال له: خليع بني إسرائيل ـ لكثرة فساده ـ ومر برجل آخر يقال له عابد بني إسرائيل، وكان على رأس العابد غمامة تظله فلما مر الخليع به فقال الخليع في نفسه: أنا خليع بني إسرائيل هذا عابد بني إسرائيل فلو جلست إليه لعل الله يرحمني! فجلس إليه فقال العابد: أنا عابد بني إسرائيل وهذا خليع بني إسرائيل فكيف يجلس إلي؟ فأنف منه وقال له: قم عني! فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان: مرهما فليستأنفا العمل فقد

(وإنما قال) ﷺ (ذلك لأن هذا القول منه يدل على أنه مزدرٍ بخلق الله) مستحقر لهم مستصغر لشأنهم (مغتر بالله) معجب بنفسه تائه بعمله وعبادته (آمن من مكره غير خائف من سطوته، وكيف لا يخاف) من سطوة الله؟ (ويكفيه شراً احتقاره لغيره. قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء شراً أن يحقر أخاه المسلم» قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «بحسب امرىء من الشر» انتهى. قلت: وكذلك رواه ابن ماجه.

(وكم من الفرق بينه وبين من يحبه لله ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجوه لنفسه، فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم إياه لله فهم يتقربون إلى الله بالدنو منه، وهو يتمقت إلى الله بالتنزه والتباعد منهم كأنه مترفع عن مجالستهم فما أجدرهم إذا أحبوه لصلاحه) وورعه (أن ينقلهم الله إلى درجته في العمل وما أجدره إذا ازدراهم) أي احتقرهم (بعينه أن ينقله الله إلى حدّ الاهمال) فلا يبالي به في أي أودية هلك، (كما روي أن رجلاً من بني إسرائيل كان يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده) كأنه خلع عذاره (مرّ برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل لكثرة عبادته) لله تعالى وكل منهما اشتهر بوصف هو قائم به، (وكان على رأس العابد غمامة تظله) أكرمه الله بها (لما مر الخليع به، فقال الخليع في نفسه: أنا خليع بني اسرائيل) وفاجرهم، (وهذا عابد بني اسرائيل) وصالحهم (فلو جلست إليه لعل الله يرحمني) ببركة جلوسي إليه، (فجلس إليه فقال العابد: أنا عابد بني إسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل، فكيف يجلس إلي؟ فأنف منه) ولم يحب تقربه إليه (وقال له: قم عني، فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان: مرهما) أي العابد والخليع (فليستأنفا

غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد. وفي رواية أخرى: فتحولت الغمامة إلى رأس الخليع.

وهذا يعرفك أن الله تعالى إنما يريد من العبيد قلوبهم، فالجاهل العاصي إذا تواضع هيبة لله وذل خوفاً منه فقد أطاع الله بقلبه، فهو أطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب. وكذلك روي أن رجلاً في بني إسرائيل أتى عابداً من بني إسرائيل فوطىء على رقبته وهو ساجد فقال: ارفع فوالله لا يغفر الله لك، فأوحى الله إليه أيها المتألي عليَّ بل أنت لا يغفر الله لك، وكذلك قال الحسن: وحتى أن صاحب الصوف أشد كبراً من

العمل فقد غفرت للخليع) ذنوبه **(وأحبطت عمل العابد. وفي رواية أخرى: فتحولت الغمامة إلى رأس الخليع)**. وقال أبو نعيم في ترجمة بكر بن عبد الله المزني قال: كان الرجل من بني إسرائيل إذا بلغ المبلغ فمشى في الناس تظله غمامة قال: فمرّ رجل قد أظلته غمامة على رجل فأعظمه لما رآه لما أتاه الله عز وجل قال: فاحتقره صاحب الغمامة أو قال كلمة نحوها قال: فأمرت أن تحوّل من رأسه إلى رأس الذي عظم أمر الله عز وجل.

(وهذا يعرفك أن الله تعالى إنما يريد **من العبيد قلوبهم فالجاهل والعاصي إذا تواضع)** كل منهما **(وذلّ هيبة لله وخوفاً منه، فقد أطلع الله بقلبه فهو أطوع لله من العالم المتكبر)** على إخوانه **(والعابد المعجب)** بعبادته. **(وكذلك روي أن رجلاً في بني اسرائيل أتى عابداً)** من العباد **(فوطىء على رقبته وهو ساجد فقال)** العابد: **(ارفع)** رجلك عن رقبتي **(فوالله لا يغفر الله لك، فأوحى الله إليه أيها المتألي)** أي الحالف **(عليَّ بل أنت لا يغفر الله لك)**. قال العراقي: رواه أبو داود والحاكم من حديث أبي هريرة في قصة العابد الذي قال للعاصي: والله لا يغفر الله لك أبداً وهو بغير هذه السياق واسناده حسن انتهى.

قلت: سياق المصنف أخرجه الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود بلفظ: كان رجل يصلي فلما سجد أتاه رجل فوطىء على رقبته فقال الذي تحته: والله لا يغفر الله لك أبداً، فقال الله عز وجل: تألى على عبادي أن لا أغفر لعبدي فإني قد غفرت له.

وأما الذي أشار إليه العراقي من رواية أبي هريرة فلفظه: كان رجلان في بني اسرائيل متواخيان وكان أحدهما مذنباً والآخر مجتهداً في العبادة، وكان لا يزال المجتهد الآخر مع المذنب فيقول: اقصر فوجده يوماً على ذنب، فقال له: اقصر. فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيباً. فقال: والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة فقبض روحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً أو كنت على ما في يدي قادراً، وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار. وهكذا رواه أحمد. **(وكذلك قال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى في سياق كلامه، **(حتى أن صاحب الصوف أشد كبراً من صاحب المطرف**

صاحب المطرز الخز، أي أن صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له، وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة أيضاً قلما ينفك عنها كثير من العباد، وهو أنه لو استخف به مستخف أو آذاه مؤذ استبعد أن يغفر الله له، ولا يشك في أنه صار ممقوتاً عند الله، ولو آذى مسلماً آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده، وهو جهل وجمع بين الكبر والعجب والاغترار بالله وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم إلى أن يتحدى ويقول: سترون ما يجري عليه؟ وإذا أصيب بنكبة زعم أن ذلك من كراماته وأن الله ما أراد به إلا شفاء غليله والانتقام له منه، مع أنه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله، وعرف جماعة آذوا الأنبياء صلوات الله عليهم فمنهم من قتلهم ومنهم من ضربهم، ثم إن الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا، بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة، ثم الجاهل المغرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه وأنه قد انتقم له بما لا ينتقم لأنبيائه. ولعله في مقت الله بإعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين.

الخز) المطرف: ثوب مربع له أعلام وأطرفته إطرافاً إذا جعلت في طرفيه علمين فهو مطرف، وربما جعل إسماً برأسه غير جار على فعله وكسرت الميم تشبيهاً بالآلة والجمع: مطارف. **(أي صاحب الخز يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه)** فهذا معنى قول الحسن. **(وهذه الآفة قلما ينفك منها كثير من العباد وهو أنه لو استخف به مستخف وآذاه مؤذ استبعد أن يغفر الله له ولا يشك في أنه صار ممقوتاً عند الله، ولو آذى مسلماً آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار، وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين العجب والكبر والاغترار بالله)** عز وجل، **(وقد ينتهي الحمق)** أي فساد جوهر العقل **(والغباوة)** أي البلادة **(ببعضهم إلى أن يتحرى)** أي يتصدى للمعارضة **(ويقول: سترون ما يجري عليه)** من النكال، **(وإذا أصيب بنكبة)** أي معصيبة عرضت له **(زعم أن ذلك من كراماته، وأن الله ما أراد به إلا شفاء غليله)** وهو وحرة صدره والانتقام منه **(مع أنه يرى طبقات من الكفار)** على أنواعهم **(يسبون الله ورسوله)** عدواً بغير علم **(وعرف جماعة آذوا الأنبياء عليهم السلام بأشد أنواع الأذى، (فمنهم من ضربهم)** ومنهم من وَجَار قابهم بسلا جزور وهو ساجد، ومنهم من شجهم، **(ومنهم من قتلهم ثم ان الله أمهل أكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا، بل ربما أسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الآخرة)** لأن الإسلام يجب ما قبله كما في الخبر، **(ثم الجاهل المغرور يظن أنه أكرم على الله من أنبيائه)** ورسله، **(وأنه قد انتقم له بما لم ينتقم لأنبيائه، ولعله في مقت الله بإعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقيدة المغترين)** وهي من أكبر الآفات.

وأما الأكياس من العباد: فيقولون ما كان يقوله عطاء السلمي حين كان تهب ريح أو تقع صاعقة: ما يصيب الناس ما يصيبهم إلا بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا، وما قاله الآخر بعد انصرافه من عرفات: كنت أرجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم، فانظر إلى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهراً وباطناً، وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه، وذلك ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان به، ثم إنه يمتن على الله بعمله، ومن اعتقد جزماً أنه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله، فإن الجهل أفحش المعاصي وأعظم شيء يبعد العبد عن الله، وحكمه لنفسه بأنه خير من غيره جهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن من مكر الله إلا القوم الخاسرون، ولذلك روي أن رجلاً ذكر بخير للنبي ﷺ فأقبل ذات يوم فقالوا: يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك، فقال: «إني أرى في وجهه سفعة من الشيطان»، فسلم ووقف على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «أسألك بالله حدثتك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك» قال: اللهم نعم، فرأى رسول الله ﷺ بنور النبوّة ما استكن في قلبه

(**وأما الأكياس**) أي العقلاء (**من العباد: فيقولون**) مثل (**ما كان يقوله عطاء السليمي**) البصري العابد (**حين كان تهب ريح أو تقع صاعقة**) أو نحو ذلك من الآيات المخوفة. (**ما يصيب الناس ما أصابهم إلا بسببي ولو مات عطاء**) يعني نفسه (**لتخلصوا**) واستراحوا. أخرجه أبو نعيم في الحلية وتقدم. (**و**) مثل (**ما قال الآخر**) وهو يونس بن عبيد البصري (**بعد انصرافه من عرفات: كنت أرجو الرحمة لجميعهم**) لمن حضر (**لولا كوني فيهم وقد تقدم**) أيضاً. (**فأنظر إلى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله ظاهراً وباطناً وهو**) مع ذلك (**وجل على نفسه**) خائف من ربه (**مزدرٍ لعمله وسعيه وذاك**) الآخر (**ربما يضمر من الرياء والكبر والحسد والغل ما هو ضحكة للشيطان به، ثم أنه تمنى علي الله بعمله**) من يكون أخس منه، (**ومن اعتقد جزماً أنه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله، فإن الجهل أفحش المعاصي**) وأغلظها (**وأعظم شيء يبعد العبد عن الله وحكمه لنفسه أنه خير من غيره وجهل محض وأمن من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، ولذلك روي أن رجلاً ذكر بخير للنبي ﷺ فأقبل**) ذلك الرجل (**ذات يوم فقالوا**) وفي نسخة فقيل: (**يا رسول الله هذا**) الرجل (**الذي ذكرناه لك. فقال**) ﷺ (**« إني أرى في وجهه سفعة**) بالفتح والضم أي أثر سواد أشرب بحمرة (**من الشيطان» فسلم**) الرجل (**ووقف على النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: «أسألك بالله حدثتك نفسك أن ليس في القوم أفضل منك» قال: اللهم نعم**). قال العراقي: رواه أحمد والبزار والدارقطني من حديث

سفعة في وجهه. وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله.

لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن يكون الكبر مستقراً في قلبه يرى نفسه خيراً من غيره، إلا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيراً من نفسه، وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية.

الثانية: أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الأقران وأظهار الإنكار على من يقصر في حقه، وأدنى ذلك في العالم أن يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم، وفي العابد أن يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه متنزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم وليس يعلم المسكين أن الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا ثم الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطأطأ ولا في الذيل حتى يضم، إنما الورع في القلوب، قال رسول الله ﷺ: «التقوى ههنا» وأشار إلى صدره. فقد كان رسول الله ﷺ أكرم الخلق وأتقاهم وكان أوسعهم خلقاً وأكثرهم بشراً وتبسماً وانبساطاً.

أنس بسند حسن، (فرأى رسول الله ﷺ **بنور النبوّة ما استنكر في قلبه سفعة في وجهه. وهذه آفة لا ينفك عنها أحد من العباد إلا من عصمه الله**) بفضله.

(**لكن العلماء والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات**).

(**الاولى: أن يكون الكبر مستقراً في قلبه يرى نفسه خيراً من غيره إلا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيراً من نفسه، وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية**) ولم يدعها تتفرع.

(**الثانية: أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الأقران وإظهار الإنكار من يقصر في حقه**) أو يتأخر في قضاء حوائجه، (**وأدنى ذلك في العالم أن يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم، وفي العابد أن يعبس وجهه ويقطب عينيه**) يقال قطب بين عينيه من حد ضرب إذا جمع بينهما (**كأنه تنزه عن الناس مستقذراً لهم أو غضبان عليهم وليس يعلم المسكين أن الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في الوجه حتى يعبس ولا في الخد حتى يصعر ولا في الرقبة حتى تطأطأ ولا في الذيل حتى يضم؟ إنما الورع في القلوب**)، قال الفضيل بن عياض: كان يكره أن يرى الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه. (**قال ﷺ: «التقوى ههنا» وأشار إلى صدره. رواه مسلم من حديث أبي هريرة**) وقد تقدم. وعند أبي يعلى «التقوى ههنا» قاله ثلاثا وأشار إلى قلبه. (**فقد كان رسول الله ﷺ أكرم الخلق**) على

ولذلك قال الحارث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله ﷺ : يعجبني من القراء كل طليق مضحاك ، فأما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه ، فلا أكثر الله في المسلمين مثله . ولو كان الله سبحانه وتعالى يرضى ذلك لما قال لنبيه ﷺ : ﴿واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء : ٢١٥] وهؤلاء الذين يظهر أثر الكبر على شمائلهم فأحوالهم أخف حالاً ممن هو في الرتبة الثالثة وهو الذي يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه إلى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكايات الأحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل .

أما العابد ، فإنه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد . من هو وما عمله ومن أين زهده؟ فيطول اللسان فيهم بالتنقص ، ثم يثني على نفسه ويقول: إني لم أفطر منذ كذا

الله وأتقاهم ، (**وكان**) مع ذلك (**أوسعهم خلقاً وأكثرهم بشراً وتبسماً وانبساطاً**) كل ذلك تقدم في كتاب أخلاق النبوة .(**ولذلك قال الحرث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله ﷺ**) هكذا في سائر نسخ الكتاب وهو خطأ . والصواب عبدالله بن الحرث بن جزء وهو الذي له صحبة وتمام نسبه بعد جزء بفتح الجيم وسكون الزاي هو ابن عبدالله بن معدي كرب بن عمرو بن عصم بن عمرو بن عريج بن عمرو بن زبيد الزبيدي حليف أبي وداعة السهمي ، وابن أخي محمية بن حزء الزبيدي قال البخاري : له صحبة سكن مصر ، روي عن النبي ﷺ أحاديث حفظها عنه المصريون ، ومن آخرهم يزيد بن أبي حبيب قال ابن يونس : مات سنة ست وثمانين بعد أن عمى وكانت وفاته بسفط القدور قاله الطحاوي وهو آخر من مات من الصحابة بمصر وسفط القدور قرية بمصر من المتوفية تعرف الآن بسفط عبدالله ، وقد زرت مقامه بها مراراً ، والعامة تزعم أنه عبدالله بن سلام وهو خطأ . (**يعجبني من القراء**) أي العلماء (**كل طليق**) الوجه (**مضحاك**) أي كثير الضحك ، (**فأما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك بعلمه فلا أكثر الله في المسلمين مثله ، ولو كان الله يرضى ذلك لما قال لنبيه ﷺ : ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾**) وقد أورد ابن يونس في تاريخ الصحابة الذين دخلوا مصر في ترجمة عبدالله بن الحرث أنه قال : ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ . رواه من طريق ابن لهيعة : حدثنا عبيد الله بن المغيرة قال : سمعت عبد الله بن الحرث يقول فساقه .

(**وهؤلاء الذين يظهر التكبر على شمائلهم وأحوالهم أخف حالاً من هو في الرتبة الثالثة ، وهو الذي يظهر التكبر على لسانه حتى يدعوه إلى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكاية الأحوال والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل**) .

(**أما العابد ، فإنه يقول في معرض التفاخر لغيره من العباد** من هو وما **عمله ومن أين** زهده؟ **فيطول اللسان فيهم بالتنقيص**) والتقصير ، (**ثم يثني على نفسه ويقول: إني لم أفطر منذ كذا وكذا**) مدة (**ولا أنام الليل**) إلا القليل (**واختم القرآن في كل يوم وفلان ينام**

وكذا ولا أنام الليل وأختم القرآن في كل يوم وفلان ينام سحراً ولا يكثر القراءة، وما يجري مجراه، وقد يزكي نفسه ضمناً فيقول: قصدني فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض، أو ما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه. وأما مباهاته: فهو أنه لو وقع مع قوم يصلّون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلي، وإن كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوّته وعجزهم، وكذلك يشتد في العبادة خوفاً من أن يقال غيره أعبد منه أو أقوى منه في دين الله.

وأما العالم: فإنه يتفاخر ويقول: أنا متفنن في العلوم ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلاناً وفلاناً، ومن أنت وما فضلك ومن لقيت؟ وما الذي سمعت من الحديث؟ كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه. وأما مباهاته: فهو أنه يجتهد في المناظرة أن يغلب ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل، كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الألفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الأقران ويتعظم عليهم، ويحفظ الأحاديث ألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان أقرانه، ويفرح مهما أخطأ واحد منهم ليرد عليه ويسوءه إذا أصاب وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه.

سحراً ولا يكثر القراءة وما يجري مجراه، وقد يزكي نفسه ضمناً فيقول: قصدني فلان بسوء فهلك ولده وأخذ ماله أو مرض، أو ما يجري مجراه يدعي الكرامة لنفسه. وأما مباهاته: فهو أنه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى أكثر مما كان يصلي) حين يكون في منزله، **(وإن كانوا يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته)** على الجوع **(وعجزهم)** عنه، **(وكذلك يشتد في العبادة)** كل ذلك **(خوفاً من أن يقال غيره أعبد منه أو أقوى منه في دين الله.)**.

(وأما العالم: فإنه يتفاخر ويقول: أنا متفنن في العلوم) أي صاحب فنون **(ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلاناً وفلاناً، ومن أنت وما فضلك ومن لقيت)** من الشيوخ؟ **(وما الذي سمعت من الحديث؟ كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه. وأما مباهاته: فهو أنه يجتهد في المناظرة أن يغلب)** مناظره **(ولا يغلب ويسهر طول الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل، كالمناظرة والجدل)** والمنطق وآداب البحث والنحو **(وتحسين العبارة وتسجيع الألفاظ وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الأقران ويتعظم)** عليهم ويشار إليه بالأصابع **(ويحفظ الأحاديث وألفاظها وأسانيدها حتى يرد على من أخطأ فيها فيظهر فضله ونقصان أقرانه، ويفرح مهما أخطأ واحد منهم ليرده عليه ويسوءه)** أي يغمه **(إذا أصاب)** في سياقته **(وأحسن خيفة من أن يرى أنه أعظم منه)**.

فهذا كله أخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل، وأين من يخلو عن جميع ذلك أو عن بعضه؟ فليت شعري من الذي عرف هذه الأخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر». كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره ورسول الله ﷺ يقول: إنه من أهل النار وإنما العظيم من خلا عن هذا، ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر، والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى قال له: إن لك عندنا قدراً ما لم تر لنفسك قدراً فإن رأيت لها قدراً فلا قدر لك عندنا. ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب، ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدراً. فهذا هو التكبر بالعلم والعمل.

الثالث: التكبر بالحسب والنسب، فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملاً وعلماً، وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له موالٍ وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم، وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره: يا نبطي ويا هندي ويا أرمني من أنت ومن أبوك؟ فأنا فلان بن فلان، وأين لمثلك أن

(**فهذا كله أخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل، وأين من يخلو عن جميع ذلك أو عن بعضه؟ فليت شعري من عرف هذه الأخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»**) رواه القشيري في الرسالة عن علي بن أحمد الأهوازي، حدثنا أحمد بن عبيد البصري، حدثنا إبراهيم بن عبدالله، حدثنا أبو الحسن علي بن زيد الفرائضي، حدثنا محمد بن كثير وهو المصيصي، عن هارون بن حيان، عن خصيف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ فذكره وقد تقدم. (**كيف يستعظم نفسه ويتكبر على غيره و**) هو بقول (**رسول الله ﷺ من أهل النار وإنما العظيم**) القدر عند الله (**من خلا عن هذا، ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظيم وتكبر، والعالم هو الذي فهم أن الله تعالى. قال له: إن لك عندنا قدراً**) أي مقاماً (**ما لم تر لنفسك قدراً فإن رأيت لها قدراً**) ومنزلة (**فلا قدر لك عندنا. ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب**) وزور، (**ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدراً. فهذا هو الكبر بالعلم والعمل**).

(**الثالث: التكبر بالنسب والحسب، فالذي له نسب شريف**) بأن يكون منتسباً إلى بيت شريف مشهور (**يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملاً وعلماً وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له موالٍ وعبيد**) أي بمنزلتهم (**ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم**) وهو يترفع عنهم، (**وثمرته على اللسان التفاخر به**) بين الناس (**فيقول لغيره: يا نبطي ويا هندي ويا أرمني**) وأشباه ذلك (**من أنت ومن أبوك؟ وأنا فلان بن فلان، وأني لمثلك أن**

يكلمني أو ينظر إليّ؟ ومع مثلي تتكلم؟ وما يجري مجراه. وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وإن كان صالحاً وعاقلاً، إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال، فإن غلبه غضب أطفأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روي عن أبي ذر أنه قال: قاولت رجلاً عند النبي ﷺ فقلت له: يا ابن السوداء! فقال النبي ﷺ: «يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل». فقال أبو ذر رحمه الله: فاضطجعت وقلت للرجل: قم فطأ على خدي. فانظر كيف نبهه رسول الله ﷺ أنه رأى لنفسه فضلاً بكونه ابن بيضاء وأن ذلك خطأ وجهل؟ وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر بأخمص قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العز لا يقمعه إلا الذل؟ ومن ذلك ما روي أن رجلين تفاخراً عند النبي ﷺ فقال أحدهما للآخر: أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك؟ فقال النبي ﷺ: «افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام

يكلمني أو ينظر إليّ؟ ومع مثلي تتكلم؟ وما يجري مجراه) مما يقع في محاورة الكلام. **(وذلك عرق دفين)** دساس **(في النفس لا ينفك عنه نسيب وإن كان صادقاً)** وفي نسخة صالحاً **(وعاقلاً إلا أنه قد لا يترشح ذاك منه عند اعتدال الأحوال، فإن غلبه غضبه أطفأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روي عن أبي ذر)** جندب بن جنادة الغفاري رضي الله عنه **(أنه قال: قاولت)** أي خاصمت **(رجلاً عند النبي ﷺ فقلت له: يا ابن السوداء! فقال النبي ﷺ: «طف الصاع طف الصاع)** الصاع مكيال معروف وطفا منه ما قرب من ملئه، وقيل هو ما علا فوق رأسه شبههم في نقصانهم بالمكيل الذي لم يبلغ أن يملأ المكيال كذا في مجمع البحار **(ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل»)** أي كلكم في الأنساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة في النقص عن غاية التمام. **(قال أبو ذر. فاضطجعت وقلت للرجل)** المذكور: **(قم فطأ على خدي)** قال العراقي: رواه ابن المبارك في البر والصلة مع اختلاف، ولأحمد من حديثه أن النبي ﷺ قال له: «انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى» الحديث. وفي الصحيحين أنه ساب رجلاً فعيره بأمه، وفيه فقال له النبي ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية» وقد تقدم اهـ. أي في أوائل كتاب الغضب والحقد والحسد.

(فانظر كيف نبهه رسول الله ﷺ أنه رأى لنفسه فضلاً) على أخيه **(لكونه ابن بيضاء وأنه خطأ وجهل؟ وانظر كيف)** رجع أبو ذر و**(تاب وقلع عن نفسه شجرة الكبر بأخمص قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العزلا يقمعه إلا الذل)** وكل ذلك بين يديه ﷺ ولم يمنعه من ذلك وصوّب فعله. **(ومن ذلك ما روي أن رجلين تفاخرا عند النبي ﷺ فقال أحدهما للآخر: أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك؟ فقال النبي ﷺ: «افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال أحدهما: أنا فلان بن فلان حتى عدّ تسعة فأوحى الله تعالى إلى**

قل للذي افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم». وقال رسول الله ﷺ: «ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحماً في جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدوف بآنافها القذر».

الرابع: التفاخر بالجمال وذلك أكثر ما يجري بين النساء ويدعو ذلك إلى التنقيص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس، ومن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: دخلت امرأة على النبي ﷺ فقلت بيدي هكذا أي أنها قصيرة، فقال النبي

موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم») وفي نسخة وأنت العاشر. قال العراقي: رواه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند من حديث أبيّ بن كعب بإسناد صحيح، ورواه أحمد موقوفاً على معاذ بقصة موسى عليه السلام فقط اهـ.

قلت: وروى أحمد والبخاري في التاريخ وأبو يعلى والبغوي وابن قانع والطبراني والبيهقي وابن عساكر من حديث أبي ريحانة: «من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزاً وكرماً كان عاشرهم في النار».

(وقال ﷺ: «ليدعن) أي ليتركن **(أقوام الفخر بآبائهم وقد صاروا فحماً في جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان)** بكسر الجيم وسكون العين المهملة جمع جعل بضم ففتح كصرد وصردان اسم للدويبة التي **(تدوف بآنافها القذر»)** قيل: هي أم حبين تدحرج القذر برجليها. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وأخرج البزار من حديث حذيفة رفعه: «كلكم بنو آدم وآدم خلق من التراب ولينتهين أقوام يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان» والسياق المذكور للمصنف من حديث أبي هريرة ليس هو أوّل حديث بل أوّله: «إن الله عز وجل قد أذهب عنكم غيبة الجاهلية» الحديث. وسيأتي في آخر الفصول من هذا الكتاب وفيه: «ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي ترفع بأنفها النتن».

(الرابع: التفاخر بالجمال، وذلك أكثر ما يجري بين النساء **ويدعو ذلك إلى التنقيص والثلب)** أي المسبة والتعييب **(والغيبة وذكر عيوب الناس، ومن ذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: دخلت امرأة)** قيل: إنها من الأنصار **(على النبي ﷺ فقلت بيدي هكذا أي أنها قصيرة فقال ﷺ: «قد اغتبتيها»)** رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة، والخرائطي في مساوىء الأخلاق، وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق حسان بن مخارق عن عائشة قالت: دخلت امرأة قصيرة، والنبي ﷺ جالس فقلت بابهامي هكذا وأشرت إلى النبي ﷺ أنها قصيرة فقال النبي ﷺ اغتبتيها». ورواه عبد بن حميد، عن عكرمة، عن عائشة نحوه. ورواه ابن أبي الدنيا من طريق سفيان بن علي بن الأقمر بن حذيفة عن عائشة أنها ذكرت امرأة

ﷺ : « قد اغتبتيها » وهذا منشؤه خفاء الكبر لأنها لو كانت أيضاً قصيرة لما ذكرتها بالقصر ، فكأنها أعجبت بقامتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت.

الخامس: الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم ، وبين التجار في بضائعهم ، وبين الدهاقين في أراضيهم ، وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقرون الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له : أنت مكد ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما معك وأثاث بيتي يساوي أكثر من جميع مالك ؟ وأنا أنفق في اليوم ما لا تأكله في سنة ؟ وكل ذلك لاستعظامه للغني واستحقاره للفقر ، وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الغنى ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ [الكهف : ٣٤] حتى أجابه فقال : ﴿إن ترني أنا أقل منك مالاً وولداً ★ فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً ، أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً﴾ [الكهف : ٣٩ - ٤١] وكان ذلك منه تكبراً بالمال والولد ، ثم بين الله عاقبة

فقالت : إنها قصيرة فقال النبي ﷺ : « اغتبتيها » وقد تقدم ذلك في آفات اللسان . **(وهذا منشؤه خفاء الكبر لأنها لو كانت أيضاً قصيرة لما ذكرتها بالقصر لأنها أعجبت بقامتها فاستقصرت المرأة)** أي عدتها قصيرة **(في جنب نفسها فقالت ما قالت)** وفي رواية قال لها : « الفظي فلفظت بضعة لحم » وقد تقدم في آفات اللسان.

(الخامس : الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم ، وبين التجار في بضائعهم ، وبين الدهاقين) جمع دهقان وهو رئيس القرية **(في أراضيهم ، وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له : أنت مكد)** أي صاحب كديه أي فقير **(ومسكين ، وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما معك وأثاث بيتي يساوي أكثر من جميع مالك ، وأنا أنفق في اليوم)** الواحد **(ما لا تأكله في سنة)** وما يجري مجراه ، **(وكل ذلك لاستعظامه للغنى واستحقاره للفقر ، وكل ذلك جهل منه بآفة الغنى وفضيلة الفقر ، وإليه الإشارة بقوله تعالى)** : ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين﴾ الآية **(فقال له صاحبه وهو يحاوره)** أي يراجعه في الكلام **(أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً)** حشماً وأموالاً وقيل أولاداً ذكوراً **(حتى أجابه فقال :)** ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله **(إن ترني أنا أقل منك مالاً وولداً)** وفي قوله : ﴿وولداً﴾ دليل لمن فسر النفر بالأولاد **(فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك)** في الدنيا وفي الآخرة **(إلى قوله : ﴿فلن تستطيع له طلباً﴾)** أي للماء الغائر . **(وكان ذلك تكبراً**

أمره بقوله: ﴿يا ليتني لم أشرك بربي أحداً﴾ [الكهف: ٤٢] ومن ذلك تكبر قارون إذ قال تعالى إخباراً عن تكبره ﴿فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم﴾ [القصص: ٧٩].

السادس: الكبر بالقوّة وشدة البطش والتكبر به على أهل الضعف.

السابع: التكبر بالأتباع والأنصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والأقارب والبنين، ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود، وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين.

وبالجملة؛ فكل ما هو نعمة وأمكن أن يعتقد كمالاً وإن لم يكن في نفسه كمالاً أمكن أن يتكبر به حتى إن المخنث ليتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المخنثين، لأنه يرى ذلك كمالاً فيفتخر به وإن لم يكن فعله إلاّ نكالاً، وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وإن كان مخطئاً فيه. فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض، فيتكبر من يدلي بشيء منه

منه بالمال والولد، ثم بين عاقبة أمره بقوله: ﴿يا ليتني لم أشرك بربي أحداً﴾) كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركاً فلم يهلك الله بستانه، ويحتمل أن يكون توبة من الشرك وندماً على ما سبق منه. (**ومن ذلك تكبر قارون**) بن ياسف بن لاوي من ولد يعقوب عليه السلام وهو صاحب الكنوز المذكورة قصته في القرآن (**إذ قال تعالى إخباراً عن تكبره: ﴿فخرج على قومه في زينته﴾ حتى قال قوم: ﴿يا ليت لنا مثلما أوتي قارون﴾**) أي من الأموال والحشم (**إنه لذو حظ عظيم**) وكل ذلك تكبر بالأموال والأعوان والحشم.

(**السادس: الكبر بالقوة وشدة البطش**) فيفتخر بها ويتباهى (**والتكبر على أهل الضعف**) الذين لا قوة لهم ولا بطش.

(**السابع: التكبر بالأتباع والأنصار**) والأعوان (**والتلامذة والغلمان**) بالشراء أو الإستئجار، (**وبالعشيرة والأقارب والبنين، ويجري ذلك**) غالباً (**بين الملوك في المكاثرة بالجنود**) والعساكر، (**وبين العلماء في المكاثرة بالمستفيدين**) منهم.

(**وبالجملة: فكل ما هو نعمة وأمكن أن يعتقد كمالاً وإن لم يكن في نفسه كمالاً أمكن أن يتكبر به حتى أن المخنث**) بكسر النون المشددة وهو من يتشبه بالنساء في حركاتهن (**يتكبر على أقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المخنثين، لأنه يرى ذلك كمالاً فيفتخر به وإن لم يكن فعله إلا نكالاً**) ووبالاً عليه، (**وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب**) للخمور (**وكثرة الفجور بالنسوان والغلمان ويتكبر به لظنه ذلك كمالاً وإن كان مخطئاً فيه**) ولولا ظنه كذلك لما تباهى به. (**فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض، فيتكبر من**

على من لا يدلي به أو على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده، وربما كان مثله أو فوقه عند الله تعالى، كالعلم الذي يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه أنه هو الأعلم ولحسن اعتقاده في نفسه. نسأل الله العون بلطفه ورحمته إنه على كل شيء قدير.

بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له:

اعلم أن الكبر خلق باطن، وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي ثمرة ونتيجة وينبغي أن تسمى تكبراً ويخص إسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير، وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالمتكبر ـ كما سيأتي معناه ـ فإنه إذا أعجب بنفسه وبعلمه وبعمله أو بشيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر.

وأما الكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة: سبب في المتكبر، وسبب في المتكبر عليه، وسبب فيما يتعلق بغيرهما.

أما السبب الذي في المتكبر فهو العجب، والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد، والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء، فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة: العجب والحقد والحسد والرياء.

يدلي) أي يتقرب **(بالشيء على من لا يدلي بذلك الشيء أو على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده، وربما كان مثله أو فوقه عند الله كالعالم الذي يتكبر بعلمه على من هو أعلم منه لظنه)** في نفسه **(أنه)** هو **(الأعلم وبحسن اعتقاده في نفسه)** والله أعلم.

بيان البواعث على التكبر وأسبابه المهيجة له:

(أعلم) هداك الله تعالى **(أن الكبر خلق باطن)** كما تقدم قريباً **(وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي ثمرة ونتيجة وينبغي أن يسمى تكبراً ويخص إسم التكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدر لها)** ومنزلة **(فوق قدر الغير)** ومنزلته، **(وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب الذي يتعلق بالمتكبر ـ كما سيأتي معناه فإنه إذا أعجب بنفسه وبعلمه أو عمله أو بشيء من أسبابه استعظم نفسه وتكبر)**.

(وأما التكبر الظاهر فأسبابه ثلاثة: سبب في المتكبر) الذي قام به وصف الكبر، **(وسبب للمتكبر عليه،وسبب يتعلق بغيرهما)**.

(أما السبب الذي في المتكبر فهو العجب، والذي يتعلق بالمتكبر عليه هو الحقد والحسد، والذي يتعلق بغيرهما هو الرياء، فتصير الأسباب بهذا الإعتبار أربعة. العجب والحقد والحسد والرياء).

أما العجب : فقد ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال.

وأما الحقد : فإنه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى أنه مثله أو فوقه، ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقداً ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له وإن كان عنده مستحقاً للتواضع، فكم من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر لحقده عليه أو بغضه له؟ ويحمله ذلك على رد الحق إذا جاء من جهته وعلى الإنفة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه، وإن علم انه لا يستحق ذلك وعلى أن لا يستحله وإن ظلمه فلا يعتذر إليه وإن جني عليه، ولا يسأله عما هو جاهل به.

وأما الحسد : فإنه أيضاً يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد ويدعو الحسد أيضاً إلى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلم العلم، فكم من جاهل يشتاق إلى العلم وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسداً وبغياً عليه، فهو يعرض عنه ويتكبر

(**أما العجب: فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر التكبر بالظاهر**) وينتجه (**في الأعمال والأقوال والأحوال**) والمراد بالأحوال ما ينتج من الأعمال.

(**وأما الحقد: فإنه قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى أنه مثله**) مساوٍ له (**أو فوقه**) في المنزلة، (**ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فأورثه الغضب حقداً ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الأكابر لحقده عليه أو بغضه له، ويحمله ذلك على رد الحق إذا جاء من جهته**) وهذا هو السفه المشار إليه في حديث ثابت بن قيس بن شماس (**و**) يحمله (**على الأنفة من قبول نصحه وعلى أن يجتهد في التقدم عليه، وإن علم أنه لا يستحق ذلك و**) يحمله أيضاً (**على أن لا يستحله وإن ظلمه وتعدى عليه فلا يعتذر إليه وإن جنى عليه، ولا يسأله عما هو جاهل به**).

(**وأما الحسد: فإنه أيضاً يوجب البغض للمحسود وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضي الغضب والحسد ويدعو الحسد أيضاً إلى جحد الحق**) أي إنكاره (**حتى يمنع من قبول النصح**) رأساً (**و**) من (**تعلم العلم، فكم من جاهل يشتاق إلى العلم**) أن يجوزه لنفسه، (**وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه**) أو جيرانه (**حسداً وبغياً عليه، فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع**) له

عليه مع معرفته بأنه يستحق التواضع بفضل علمه، ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق المتكبرين وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه.

وأما الرياء: فهو أيضاً يدعو إلى أخلاق المتكبرين، حتى أن الرجل ليناظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد، ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من أن يقول الناس إنه أفضل منه، فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد، ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه. وأما الذي يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فإنه يتكبر أيضاً عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث، وكذلك قد ينتمي إلى نسب شريف كاذباً وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبّر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطرق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطناً بأنه لا يستحق ذلك، ولا كبر في باطنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب، ولكن يحمله الرياء على أفعال المتكبرين، وكأن اسم المتكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بعين الاحتقار، وهو إن سمي متكبراً فلأجل التشبه بأفعال الكبر، نسأل الله حسن التوفيق والله تعالى أعلم.

والإكرام (**بفضل علمه، ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق التكبر وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه**).

(أما الرياء: **فهو أيضاً يدعو إلى أخلاق المتكبرين حتى أن الرجل ليناظر من يعلم أنه أفضل منه وليس بينه وبينه معرفة**) سابقة (**ولا محاسدة ولا حقد، ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الإستفادة خيفة من أن يقول الناس أنه أفضل منه**) فيسقط مقامه عندهم، (**فيكون باعثه على التكبر عليه الرياء المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه**) لمعرفته فضله (**وأما الذي يتكبر بالعجب أو الحقد أو الحسد، فإنه يتكبر أيضاً عند الخلوة به مهما لم يكن معهم**) وفي نسخة معهما (**ثالث، وكذلك قد ينتمي إلى نسب شريف كاذباً وهو يعلم أنه كاذب**) في إنتمائه، (**ثم يتكبر على من ليس ينسب إلى ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطرق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطناً أنه لا يستحق ذلك، ولا كبر في باطنه لمعرفته**) في نفسه (**بأنه كاذب في دعوى النسب، ولكن يحمله الرياء على أفعال المتكبرين، وكأن اسم المتكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر إلى الغير بعين الإحتقار، وهو وإن سمي متكبراً فلأجل التشبيه بأفعال الكبر**) والله الموفق.

بيان أخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر فيه أثر التواضع والتكبر:

اعلم أن التكبر يظهر في شمائل الرجل، كصعر في وجهه ونظره شزراً وإطراقه رأسه وجلوسه متربعاً أو متكئاً وفي أقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الإيراد، ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وحركاته وسكناته، وفي تعاطيه لأفعاله وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله. فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله، ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض.

فمنها: التكبر بأن يحب قيام الناس له أو بين يديه، وقد قال علي كرّم الله وجهه: من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام. وقال أنس: لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك.

بيان اخلاق المتواضعين وبيان ما يظهر فيه أثر التواضع والكبر:

(**اعلم**) أرشدك الله تعالى (**إن الكبر يظهر في شمائل الرجل**) أي أخلاقه (**كصعر في وجهه**) أي أزورار (**ونظره** شزراً) بأن يكون بمؤخر عينيه كالمعرض المتغضب (**وإطراقه رأسه**) إلى الأرض (**وجلوسه متربعاً أو متكئاً، و**) يظهر أيضاً (**في أقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الإيراد، و**) يظهر أيضاً (**في مشيته وتبختره وقيامه وجلوسه وفي حركاته وسكناته وفي تعاطيه لأفعاله وفي سائر تقلباته في أحواله وأقواله وأعماله. فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله**) فهو المقيت الممقت، (**ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض**) وهو دون الأول.

(**فمنها**): أي من أخلاق المتكبرين (**التكبر بأن يحب قيام الناس له**) إذا ورد عليهم (**أو**) يحب بأن يقوم الناس (**بين يديه**) كهيئة الغلمان، (**وقد قال علي كرم الله وجهه: من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار**) أي ممن يستحق دخولها (**فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام**) ومعناه في المرفوع من حديث عمرو بن مرة الجهني «من أحب أن يتمثل له الرجال بين يديه قياماً فليتبوأ مقعده من النار». رواه الطبراني في الكبير من حديث معاوية نحوه، ورواه أحمد وهناد وأبو داود والترمذي وحسنه، وعند ابن جرير بلفظ: «وجبت له النار». (**وقال أنس**) رضي الله عنه: (**لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك**) تقدم ذلك في كتاب آداب الصحبة، وفي كتاب أخلاق النبوة.

ومنها: أن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه. قال أبو الدرداء: لا يزال العبد يزداد من الله بعداً ما مشى خلفه، وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده، إذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة. ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال: ما يبقى هذا من قلب العبد، وكان رسول الله ﷺ في بعض الأوقات يمشي مع بعض الأصحاب فيأمرهم بالتقدم ويمشي في غمارهم. إما لتعليم غيره أو لينفي عن نفسه وسواس الشيطان بالكبر والعجب كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لأحد هذين المعنيين.

ومنها: أن لا يزور غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع. روي أن سفيان الثوري قدم الرملة فبعث إليه إبراهيم بن أدهم: أن تعال

(**ومنها: أن لا يمشي إلا ومعه غيره يمشي خلفه. قال أبو الدرداء**) رضي الله عنه: (**لا يزال العبد يزداد من الله بعداً ما مشي خلفه**) أخرجه أبو نعيم في الحلية، عن إبراهيم بن عبدالله، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا بكر بن مضر، عن عبيد الله بن زجر، عن الهيثم بن خالد، عن سليمان بن عنز قال: لقينا كريب بن أبي برهة راكباً ووراءه غلام له فقال: سمعت أبا الدرداء يقول فذكره. (**وكان عبد الرحمن بن عوف**) رضي الله عنه (**لا يعرف من**) بين (**عبيده**) وغلمانه (**إذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة**) فكان إذا مشي بينهم أو قعد معهم لم يعرف، (**ومشي قوم خلف الحسن البصري**) رحمه الله تعالى وهو راكب على حمار (**فمنعهم**) عن المشي خلفه (**وقال: ما يبقى هذا من قلب العبد**) أي لأنه مذلة للتابع وفتنة للمتبوع وقد تقدم. (**وكان رسول الله ﷺ في بعض الأوقات يمشي مع الأصحاب فيأمرهم بالتقدم**) عليه (**ويمشي**) هو خلفهم أو (**في غمارهم**) أي جماعتهم. (**إما التعليم غيره أو لينفي عن** نفسه **وسواس الشيطان بالكبر والعجب**) قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جداً أنه خرج يمشي إلى البقيع فتبعه أصحابه فوقف فأمرهم أن يتقدموا ومشى خلفهم فسئل عن ذلك فقال: « إني سمعت خفق نعالك فأشفقت أن يقع في نفسي شيء من الكبر » وهو منكر فيه جماعة ضعفاء اهـ.

قلت: وبخط الحافظ ابن حجر رواه أحمد بسياق مطول، وابن ماجه مختصراً.

(**كما أخرج الثوب الجديد في الصلاة وأبدله بالخليع لأحد هذين المعنيين**) قال العراقي: المعروف نزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق، أو نزع الخميصة ولبس الأنبجانية وكلاهما قد تقدم في الصلاة.

(**ومنها: أن لا يزور غيره وإن كان يحصل من زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع. روي أن سفيان**) بن سعيد (**الثوري**) رحمه الله (**قدم الرملة**) مدينة فلسطين

فحدثنا، فجاء سفيان فقيل له: يا أبا إسحاق تبعث إليه بمثل هذا؟ فقال: أردت أن أنظر كيف تواضعه.

ومنها: أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه. قال ابن وهب: جلست إلى عبد العزيز بن أبي روّاد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فأخذ ثيابي فجرني إلى نفسه وقال لي: لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة وإني لا أعرف رجلاً منكم شراً مني؟ وقال أنس: كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله ﷺ فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت.

ومنها: أن يتوقى من مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر. دخل رجل - وعليه جدري قد تقشر - على رسول الله ﷺ وعنده ناس من أصحابه يأكلون، فما جلس إلى أحد إلا قام من جنبه، فأجلسه النبي ﷺ إلى جنبه، وكان عبدالله بن عمر

(**فبعث إليه إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى يقول له: (**أن تعال فحدثنا، فجاءهم سفيان**) فحدثه (**فقيل له: يا أبا إسحاق تبعث إليه بمثل هذا؟ فقال: أردت أن أنظر كيف تواضعه**)؟ أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أحمد بن إسحاق وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدثنا الحسن بن علي، حدثنا يحي بن أيوب قال: قال أبو عيسى الحواري: لما قدم سفيان الثوري الرملة أو بيت المقدس أرسل إليه إبراهيم بن أدهم فقال: حدثنا. فقيل له: يا أبا إسحاق تبعث إليه بمثل هذه؟ قال: إنما أردت أن أنظر كيف تواضعه؟ قال: فجاء فحدثهم.

(**ومنها: أن يستنكف عن جلوس غيره بالقرب منه إلا أن يجلس بين يديه والتواضع خلافه. قال ابن وهب**) وهو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي مولاهم أبو محمد المصري الحافظ الفقيه ثقة عابد مات سنة سبع وتسعين، وبه اثنتان وسبعون سنة، روى له الجماعة: (**جلست إلى عبد العزيز بن أبي روّاد**) بفتح الراء وتشديد الواو يكنى أبا عبد الرحمن صدوق عابد مات سنة تسع وخمسين، روى له البخاري في التاريخ والأربعة (**فمس فخذي فخذه** فنحيت **نفسي عنه**) أي بعدت عنه في الجلوس، (**فأخذ بثيابي فجرني إلى نفسه وقال لي: لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة**) أي في الجلوس بين أيديهم؟ (**وإني لا أعرف منكم رجلاً شراً مني. وقال أنس**) رضي الله عنه، (**كانت الوليدة من ولائد المدينة**) أي الجارية الصغيرة من جواريها (**تأخذ بيد رسول الله ﷺ فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت**) تقدم في كتاب آداب المعيشة، وفي كتاب أخلاق النبوّة.

(**ومنها أن يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم وهو من الكبر**). روى أنه (**دخل رجل وعليه جدري قد تقشر على رسول الله ﷺ وعنده أصحابه يأكلون فما جلس**) الرجل المذكور (**إلى أحد إلا قام من جنبه**) تقذراً له، (**فأجلسه النبي ﷺ إلى**

رضي الله عنهما لا يحبس عن طعامه مجذوماً ولا أبرص ولا مبتلي إلا أقعدهم على مائدته.

ومنها: أن لا يتعاطى بيده شغلاً في بيته، والتواضع خلافه. روي أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ، فقال الضيف: أقوم إلى المصباح فأصلحه؟ فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه، قال: أفأنبه الغلام؟ فقال: هي أوّل نومة نامها، فقام وأخذ البطة وملأ المصباح زيتاً فقال الضيف: قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص مني شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعاً.

ومنها: أن لا يأخذ متاعه ويحمله إلى بيته، وهو خلاف عادة المتواضعين، كان

جنبه) وأطعمه، وقد تقدم الكلام عليه قريباً. (**وكان عبد الله بن عمر**) رضي الله عنه (**لا يحبس عن طعامه مجذوماً ولا أبرص ولا مبتلي**) بعلة (**إلا أقعدهم على مائدته**) وأكل معهم ثقة بالله وتواضعاً لله عز وجل.

(**ومنها: أن لا يتعاطى بيده شغلاً في بيته، والتواضع خلافه. روي أن عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى (**أتاه ليلة ضيف وكان يكتب**) شيئاً (**فكاد السراج يطفأ فقال الضيف: أقوم الى المصباح فأصلحه**)؟ إستأذنه في ذلك لأنه لا ينبغي للضيف أن يتصرف في دار من أضافه إلاّ بإذنه (**فقال**) له: لا إذ (**ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه**) لأن المأمور به إكرامه، والإستخدام يناقض الإكرام. (**قال: فأنبه الغلام**) يصلحه؟ (**قال**): لا (**هي**) أي النومة (**أول نومة نامها**) الليلة فلا تشوّش عليه نومه، (**فقام**) عمر (**وأخذ البطة**) التي فيها الدهن (**وملأ المصباح زيتاً**) ورد البطة إلى مكانها ثم جلس (**فقال الضيف: قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين**)! متعجباً من ذلك لمخالفته عادة الولاة فضلاً عن الخلفاء. (**قال: ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص مني شيء! وخير الناس من كان عند الله متواضعاً**) رواه القشيري في الرسالة نحوه دون قوله وخير الناس الخ.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا أحمد بن الوليد، حدثنا محمد بن كثير، حدثنا ابن كثير بن مروان، عن رجاء بن حيوة قال: سهرت ليلة عند عمر فاعتل السراج فذهبت أقوم أصلحه، فأمرني عمر أن أجلس ثم قام فأصلحه ثم عاد فجلس. فقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز، ولؤم بالرجل أن يستخدم ضيفه. ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد من طريق عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فذكر مثله.

(**ومنها: أن لا يأخذ متاعه ويحمله إلى بيته، وهو خلاف عادة المتواضعين. كان رسول** ﷺ **يفعل ذلك**) قال العراقي: رواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة في شرائه للسراويل وحمله وقد تقدم.

رسول الله ﷺ يفعل ذلك، وقال علي كرّم الله وجهه: لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله، وكان أبو عبيدة بن الجراح وهو أمير يحمل سطلاً له من خشب إلى الحمام. وقال ثابت بن أبي مالك: رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة لمروان، فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك، وعن الأصبغ بن نباتة قال: كأني أنظر إلى عمر رضي الله عنه معلقاً لحماً في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة، يدور في الأسواق حتى دخل رحله. وقال بعضهم: رأيت علياً

قلت: وفي حديث أبي سعيد الخدري: «وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله» هكذا رواه القشيري في الرسالة بلا سند، وسيأتي الكلام عليه قريباً.

(وقال علي رضي الله عنه: لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله) أو ورد الموسوي في نهج البلاغة **(وكان أبو عبيدة)** عامر **(بن الجراح)** رضي الله عنه **(وهو أمير)** على دمشق من جهة عمر **(يحمل سطلاً له من خشب الى الحمام)** فيغتسل به ولا يأنف من ذلك تواضعاً لله تعالى. **(وقال ثابت بن أبي مالك)** هكذا في سائر نسخ الكتاب وهو غلط من النساخ، والصواب ثعلبة بن أبي مالك وهو القرظي حليف الأنصار أبو مالك، ويقال: أبو يحي المدني إمام مسجد بني قريظة، له رواية عن النبي ﷺ قاله ابن معين. وقال العجلي: تابعي ثقة. وقال ابن سعد: قدم أبو مالك واسمه عبد الله بن سام من اليمن وهو من كندة فتزوّج إمرأة من قريظة فعرف بهم، روى له البخاري، وأبو داود، وابن ماجه: **(رأيت أبا هريرة)** رضي الله عنه **(أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة)** أي نائب بالمدينة **(لمروان)** بن الحكم **(فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا أحمد بن سعيد، حدثنا ابن وهب، حدثنيْ عمرو الحارث، عن يزيد بن زياد القرظي أن ثعلبة بن أبي مالك القرظي حدثه أن أبا هريرة أقبل في السوق فذكره. وزاد فقلت: أصلحك الله تكفي هذا؟ فقال: أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه.

وقال القشيري في الرسالة: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول: رؤى أبو هريرة وهو أمير المدينة وعلى ظهره حزمة حطب وهو يقول: طرّقوا للأمير.

(وعن الأصبغ بن نباتة) بضم النون التميمي الحنظلي الكوفي يكنى أبا القاسم متروك، رمي بالرفض، روى له ابن ماجه. **(قال: كأني أنظر إلى عمر رضي الله عنه معلقاً لحمة في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الأسواق حتى دخل رحله)** أي منزله. رواه يونس بن بكير عن الوليد بن عبدة عن أصبغ بن بناته قال: خرجت أنا وأبي من زرود حتى ننتهي إلى المدينة في غلس، فانصرف الناس من الصلاة فرفع إلينا رجل معه درة فقال: يا أعرابي أتبيع فلم يزل حتى راضاه على ثمن، وإذا هو عمر فجعل يطوف في السوق يأمرهم بتقوى الله فجعل يقبل ويدبر ثم مرّ على أبي فقال: حبستني، ثم مرّ الثانية فقال له كذلك فيرد عليه عمر لا أريم حتى أوفيك، ثم مر

رضي الله عنه قد اشترى لحماً بدرهم فحمله في ملحفته، فقلت له: أحمل عنك يا أمير المؤمنين. فقال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل.

ومنها: اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع، وقد قال النبي ﷺ: «البذاذة من الإيمان» فقال هارون: سألت معناً عن البذاذة فقال: هو الدون من اللباس. وقال زيد بن وهب: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى السوق وبيده الدرة وعليه

الثالثة فوثب أبي مغضباً فأخذ بثوب عمر فقال له: كذبتني وظلمتني ولهزه، فوثب المسلمون إليه يا عدوّ الله لهزت أمير المؤمنين، فأخذ عمر بمجامع ثياب أبي فجرّه وكان شسديداً فانتهى به إلى قصاب فقال: عزمت عليك لتعطين هذا حقه ولك ربحي. قال: لا يا أمير المؤمنين ولكن أعطيه وأهبك ربحك فأعطاه، فقال لأبي عمر: استوفيت؟ قال: نعم. قال: بقي حقنا عليك لهزتك قد تركتها لله. قال أصبغ: فكأني أنظر إلى عمر أخذ ربحه لحماً فعلقه في يده اليسرى وفي اليمنى الدرة حتى دخل رحله. أخرجه الذهبي في مناقب عمر.

(وقال بعضهم رأيت علياً رضي الله عنه اشترى لحماً بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له: أحمل عنك يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أبو العيال أحق أن يحمل).

(ومنها: اللباس إذ يظهر به التكبر والتواضع، وقد قال النبي ﷺ: «البذاذة من الإيمان») قال العراقي: رواه أبو داود، وابن ماجه من حديث أبي أمامة بن ثعلبة وقد تقدم.

قلت: وكذلك رواه أحمد، والطبراني، والحاكم في الكنى، والبيهقي، وأبو نعيم، والضياء من رواية صالح بن أبي صالح، عن عبد الله بن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي عن أبيه رفعه قاله ثلاثاً.

(قال هارون) أحد رواة هذا الحديث، وهو هارون بن سعيد الإيلي السعدي مولاهم أبو جعفر نزيل مصر ثقة فاضل مات سنة ثلاث وخمسين وله ثلاث وثمانون سنة: **(سألت معناً)** يحتمل أن يكون ابن عيسى القزاز من أصحاب مالك. أو معن بن محمد بن معن الغفاري **(عن البذاذة)** وفي بعض النسخ قال هارون: سألت عن معنى البذاذة **(فقال: هو الدون من الثياب)**. أعلم أن البذاذة هي رثاثة الهيئة وترك الترفه في البدن والملبس وجعله من أخلاق أهل الإيمان، لأن المؤمن يؤثر الخمول بين الناس ويقصد التواضع ويزهد في الدنيا ويكف نفسه عن الفخر والكبرياء، فالبذاذة أليق به هذا إذا قصد به ذلك لا أن يظهر به الفقر ويصون المال، فليس هذا من الإيمان بل عرض النعمة للكفران وأعرض عن شكر المنعم المنان.

(وقال زيد بن وهب) الجهني أبو سليمان الكوفي مخضرم ثقة جليل مات بعد الثمانين، وقيل سنة تسعين، وروى له الجماعة: **(رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى السوق وبيده**

إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها من أدم ، وعوتب علي كرّم الله وجهه في إزار مرقوع فقال : يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب . وقال عيسى عليه السلام : جودة الثياب خيلاء في القلب . وقال طاوس : إني لأغسل ثوبي هذين فأنكر قلبي ما داما نقيين . ويروى أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قبل أن يستخلف تُشترى له الحلة بألف دينار فيقول : ما أجودها لولا خشونة فيها . فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول : ما أجوده لولا لينه ! فقيل له : أين لباسك ومركبك وعطرك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن

الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة **رقعة بعضها من أدم)** .رواه علي بن هاشم عن الأعمش عن زيد بن وهب. وقال أسد بن موسى: حدثنا أبو سفيان عطية ، سمعت مالك بن دينار ، حدثني نافع ، حدثني ابن عمر أنه رأى عمر يرمي الجمرة عليه إزار فيه إثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم. وقال أسباط بن محمد ، عن خالد ، عن أبي كريمة ، عن أبي محصن الطائي : صلى بنا عمر وعليه ازار فيه رقاع بعضها من أدم وهو أمير المؤمنين. وقال عفان : حدثنا مهدي بن ميمون ، حدثنا الجريري عن أبي عثمان النهدي قال: رأيت عمر يطوف عليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة إحداهن من أدم أحمر . وقال حماد بن زيد ، عن ابن جدعان ، عن أبي عثمان قال: رأيت إزار عمر قد رقعه بقطعة من أدم . وقال جعفر بن سليمان : حدثنا مالك بن دينار ، حدثنا الحسن أن عمر خطب وهو خليفة وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة. وقال معمر ، عن ثابت ، عن أنس قال: نظرت في قميص عمر ، فإذا بين كتفيه أربع رقاع لا يشبه بعضها بعضاً . وقال سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس قال: كان بين كتفي عمر ثلاث رقاع. وقال حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس قال: كنا عند عمر وفي ظهر قميصه أربع رقاع.

(وعوتب عليّ كرّم الله وجهه في إزار مرقوع. فقال: يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب) رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد عن علي بن حكيم. ورواه أبو القاسم البغوي عن علي بن الجعد قالا : حدثنا شريك ، عن عثمان بن أبي زرعة ، عن زيد بن وهب قال: قدم على عليّ وفد من أهل البصرة فيهم رجل من رؤوس الخوارج يقال له الجعد بن بعجة فعاتب علياً في لبوسه فقال علي: ما لك وللبوسي إن لبوسي أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي به المسلم.

(وقال عيسى عليه السلام: جودة الثياب خيلاء القلب) أي يورث العجب في القلب. **(وقال طاوس)** اليماني رحمه الله تعالى : **(إني لأغسل ثوبيّ هذين فأنكر قلبي ما داما نقيين)** اشارة الى ما يداخله من العجب في الباطن . **(ويروى أن عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله **(كان قبل أن يستخلف تشترى له الحلة)** إزار أو رداء **(بألف دينار فيقول: ما أجودها)** وما أحسنها **(لولا خشونة فيها)** عند المشي ، **(فلما استخلف كان يشتري له الثوب بخمسة دراهم فيقول: ما أجوده)** وما أحسنه **(لولا لينه، فقيل له أين لباسك ومركبك وعطرك)** الذي

لي نفساً ذوّاقة توّاقة وإنها لم تذق من الدنيا طبقة إلا تاقت إلى الطبقة التي فوقها، حتى إذا ذاقت الخلافة وهي أرفع الطباق تاقت إلى ما عند الله عز وجل. وقال سعيد بن سويد: صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست؟ فنكس رأسه ملياً ثم رفع رأسه فقال: إن أفضل القصد عند الجدة وإن أفضل العفو عند القدرة، وقال ﷺ: «من ترك زينة لله ووضع ثياباً حسنة تواضعاً لله وابتغاء لمرضاته كان حقاً على الله أن يدخر له عبقري الجنة».

كنت تختاره لنفسك؟ (**فقال: ان لي نفساً ذوّاقة توّاقة**) كثيرة الذوق والتوقان، (**وأنها لم تذق من الدنيا طبقة إلا تاقت إلى الطبقة التي فوقها حتى إذا ذاقت**) طعم (**الخلافة**) على الأمة (**وهي أرفع الطبقات تاقت إلى ما عند الله**) عز وجل.

) قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن الحسين الملطي، حدثنا الحسين بن محمد الزعفراني، حدثنا سعيد بن عامر، حدثنا جويرية بن أسماء قال: قال عمر: إن نفسي هذه توّاقة لم تعط من الدنيا شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه، فلما أعطيت الذي لا شيء أفضل منه تاقت إلى ما هو أفضل منه. قال سعيد: الجنة أفضل من الخلافة.

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا شعيب بن صفوان، عن محمد بن مروان، عن أبان بن عثمان بن عفان عمن سمع مزاحماً مولى عمر بن عبد العزيز يقول: قال عمر: إن لي نفساً تواقة لقد رأيتني بالمدينة وأنا غلام مع الغلمان، ثم تاقت نفسي إلى العلم، فأصبت منه حاجتي، ثم تاقت نفسي إلى السلطان فاستعملت على المدينة، ثم تاقت إلى اللباس والعيش والطيب فما علمت أن أحداً من أهل بيتي ولا غيرهم كانوا في مثل ما كنت فيه، ثم تاقت نفسي إلى الآخرة والعمل بالعدل، فأنا أرجو أن أنال ما تاقت إليه نفسي من أمر آخرتي.

(**وقال سعيد بن سويد: صلى بنا عمر عبد العزيز يوم الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست فنكس رأسه ملياً**) أي زماناً (**ثم رفع رأسه فقال: إن أفضل القصد**) (**عند الجدة**) أي عند الغنى (**وإن أفضل العفو عند القدرة**) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن محمد بن إبراهيم قال: حدثنا الحسين بن محمد الحراني، حدثنا أبو الحسين الرهاوي، حدثنا زيد بن الحباب، أخبرني معاوية بن صالح قال: حدثنا سعيد بن سويد أن عمر بن عبد العزيز صلى بهم الجمعة ثم جلس فذكره.

(**وقال ﷺ: «من ترك زينة لله ووضع ثيباً حسنة تواضعاً لله وابتغاء مرضاته كان حقاً على الله أن يدخر له عبقري الجنة»**) قال العراقي: رواه أبو سعد الماليني في مسند الصوفية،

فإن قلت: فقد قال عيسى عليه السلام: جودة الثياب خيلاء القلب. وقد سئل نبينا ﷺ عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر؟ فقال: «لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس». فكيف طريق الجمع بينهما؟ فاعلم أن الثوب الجيد ليس من ضرورته أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال، وهو الذي أشار إليه رسول الله ﷺ وهو الذي عرفه رسول الله ﷺ من حال ثابت بن قيس إذ قال. إني امرؤ حبب إلي من الجمال ما ترى، فعرف أن ميله إلى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره، فإنه ليس من ضرورته أن يكون من الكبر، وقد يكون ذلك من الكبر كما أن الرضا بالثوب الدون قد يكون من التواضع. وعلامة المتكبر أن يطلب التجمل إذا رآه الناس ولا يبالي إذا انفرد بنفسه كيف كان. وعلامة طالب الجمال أن يحب الجمال في كل شيء ولو في خلوته وحتى في سنور داره، فذلك ليس من التكبر. فإذا انقسمت الأحوال نزل قول عيسى،

وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس «من ترك زينة الدنيا لله» الحديث وفي اسناده نظر اهـ.

قلت: ورواه أبو علي الذهلي الهروي في فوائده، وابن النجار بلفظ: «من ترك زينة لله ووضع ثياباً حسنة تواضعاً له وابتغاء وجهه كان حقاً على الله أن يكسوه من عبقري الجنة». ولفظ أبي نعيم في الحلية: «كان حقاً على الله أن يبدله بعبقري الجنة». وروى الترمذي، والطبراني، وأبو نعيم، والحاكم، والبيهقي من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رفعه: «من ترك اللباس تواضعاً لله وهو يقدر عليه دعاه يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسه». وإسناده حسن.

(**فإن قلت: فقد قال عيسى عليه السلام: جودة الثياب خيلاء القلب**) كما ذكر قريباً، (**وقد سئل نبينا ﷺ عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر**)؟ والسائل هو ثابت بن قيس ابن شماس عند الطبراني كما تقدم. (**قال: «لا ولكن من سفه الحق**) أي جهله أو رده (**وغمص الناس»**) أي احتقرهم وقد تقدم قريباً. (**فكيف طريق الجمع بينهما؟ فاعلم أن الثوب الجيد ليس من ضرورته أن يكون من التكبر في حق كل أحد في كل حال، وهو الذي أشار إليه رسول الله ﷺ، وهو الذي عرفه ﷺ من حال ثابت بن قيس**) بن شماس (**إذ قال**) له: (**إني امرؤ حبب الي من الجمال ما ترى**) كما تقدم، (**فعرفه**) ﷺ (**أن ميله إلى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره، فإنه ليس من ضرورته أن يكون من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر، كما أن الرضا بالثوب الدون**) ليس من ضرورته أن يكون من التواضع، و(**قد يكون**) ذلك (**من التواضع. وعلامة المتكبر أن يطلب التجمل إذا رآه الناس ولا يبالي إذا انفرد بنفسه كيف كان، وعلامة طلب الجمال أن يحب الجمال في كل شيء ولو في خلوته**) بنفسه في ستور داره، (**فذلك ليس من الكبر. فإذا انقسمت الأحوال نزل قول**

عليه السلام على بعض الأحوال على أن قوله: خيلاء القلب، يعني قد تورث خيلاء في القلب، وقول نبينا ﷺ: « إنه ليس من الكبر » يعني أن الكبر لا يوجبه، ويجوز أن لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثاً للكبر. وبالجملة؛ فالأحوال تختلف في مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرداءة. وقد قال ﷺ: « كلوا واشربوا والبسوا وتصدّقوا في غير سرف ولا مخيلة » « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ». وقال بكر بن عبدالله المزني: البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية، وإنما خاطب بهذا قوماً يطلبون التكبر بثياب أهل الصلاح. وقد قال عيسى عليه السلام: ما لكم ما تأتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري؟ البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية.

عيسى عليه السلام) السابق (**على بعض الأحوال على أن قوله: هو خيلاء القلب، يعني قد يورث خيلاء في القلب**) أي مظنة له، (**وقول نبينا ﷺ « ليس من الكبر » يعني أن الكبر لا يوجبه، ويجوز أن لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثاً للكبر وبالجملة؛ فالأحوال تختلف في مثل هذا**) وينزل كل قول على حال (**والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة**) وإشارة إليه بالأصابع (**بالجودة ولا بالرداءة**) فما أوجب في كل منهما شهرة فهو مكروه. (**وقد قال ﷺ: « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة إن الله يحب أن يظهر أثر نعمته على عبده »**). قال العراقي: هما حديثان وقد جعلهما المصنف حديثاً واحداً. أما الأوّل: فرواه النسائي، وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. والثاني: رواه الترمذي وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده اهـ.

قلت: لم يجعلهما المصنف حديثاً واحداً من عند نفسه بل هكذا رواه في سياق واحد أحمد والحاكم والبيهقي وتمام في فوائده من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولفظهم: « كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير مخيلة ولا سرف فإن الله يحب أي يرى أثر نعمته على عبده ». وقد روى القطعة الاولى منه النسائي وابن ماجه كما أشار إليه العراقي. وروى الترمذي القطعة الثانية كما أشار إليه العراقي أيضاً، ورواها سمويه في فوائده من حديث أبي سعيد بزيادة « ويبغض البؤس والتباؤس ».

(**وقال بكر بن عبد الله المزني**) تقدمت ترجمته في كتاب العلم: (**إلبسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية**). وأخرج أبو نعيم في ترجمته من طريق مبارك بن فضالة قال: قال بكر ابن عبدالله قال: أعيش عيش الأغنياء وأموت موت الفقراء. قال: فمات، وأن عليه لشيئاً من دين. وأخرج أيضاً من طريق معتمر عن حميد قال: كانت قيمة ثياب بكر بن عبد الله أربعة آلاف، فكان يجالس الفقراء والمساكين ويقول: إنهم يعجبهم ذلك. ومن طريق عمرو بن أبي وهب قال:

ومنها: أن يتواضع بالاحتمال إذا سب وأوذي وأخذ حقه، فذلك هو الأصل. وقد أوردنا ما نقل عن السلف من احتمال الأذى في كتاب الغضب والحسد. وبالجملة؛ فمجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة النبي ﷺ فيه فينبغي أن يقتدى به، ومنه ينبغي أن يتعلم. وقد قال أبو سلمة قلت لأبي سعيد الخدري: ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم؟ فقال: يا ابن أخي كُل لله واشرب لله والبس لله، وكل شيء من ذلك دخله زهوٌ أو مباهاة أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف، وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله ﷺ في بيته، كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه إذا أعيا، ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله في طرف

قال بكر بن عبد الله: كان أصحاب رسول الله ﷺ الذين يلبسون لا يطعنون على الذين لا يلبسون، والذين لا يلبسون لا يطعنون على الذين يلبسون، **(وإنما خاطب)** بكر بن عبد الله **(بهذا قوماً يطلبون التكبر بثياب أهل الصلاح، وقد قال عيسى عليه السلام: ما لكم تأتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري)** أي مولعة بالنهش، **(البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية)** من الله عز وجل. أي: فالعمدة على إصلاح الباطن.

(ومنها): أي من أخلاق المتواضعين **(أن يتواضع بالإحتمال إذا سبّ وأوذى وأخذ حقه)** غصباً، **(فذلك هو الأصل. وقد أوردنا ما نقل عن السلف من إحتمال الأذى في كتاب الغضب والحسد. وبالجملة فمجامع حسن الأخلاق والتواضع سيرة رسول الله ﷺ، فبه ينبغي أن يقتدى، ومنه ينبغي أن يتعلم. وقد قال أبو سلمة)** بن عبد الرحمن بن عوف تابعي مدني ثقة: **(قلت لأبي سعيد الخدري)** رضي الله عنه: **(ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمركب والمطعم والمشرب؟ فقال: يا ابن أخي كُل لله واشرب لله والبس لله، وكل شيء من ذلك دخله زهوّ)** أي عجب **(أو مباهاة)** أي مفاخرة **(أو رياء أو سمعة فهو معصية وسرف، وعالج في بيتك من** الخدمة ما **كان رسول الله ﷺ يعالج في بيته. كان يعلف الناضح)** أي البعير أي يطعمه العلف، **(ويعقل البعير)** أي يشده بالعقال. وعند الطبراني من حديث ابن عباس: كان يعقل الشاة **(ويقم البيت)** أي يكنسه **(ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب)**. وروى أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة: كان يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه. وروى ابن سعد من حديثها: كان يعمل عمل البيت وأكثر ما يعمل الخياطة. وروى ابن عساكر من حديث أبي أيوب: كان يخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف، **(ويأكل مع خادمه)** تواضعاً لله تعالى، **(ويطحن عنه)** بالرحى **(إذا أعيا)** أي تعب، **(ويشتري**

ثوبه، وينقلب إلى أهله يصافح الغني والفقير والكبير والصغير، ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير أسود أو أحمر حر أو عبد من أهل الصلاة، ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه، لا يستحيي من أن يجيب إذا دعي وإن كان أشعث أغبر، ولا يحقر ما دعي إليه وإن لم يجد إلا حشف الدقل، لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء، هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسّام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم، رقيق القلب دائم الإطراق لم يبشم قط من شبع ولم يمد يده من طمع، قال أبو سلمة: فدخلت على عائشة رضي الله عنها فحدثتها بما قال أبو سعيد في زهد رسول الله ﷺ فقالت: ما أخطأ منه حرفاً ولقد قصر إذ ما أخبرك أن رسول الله ﷺ لم يمتلىء قط شبعاً ولم يبث إلى أحد شكوى، وإن كانت الفاقة لأحب إليه من اليسار والغنى، وإن كان ليظل جائعاً يلتوى ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتي بكنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها من مشارق الأرض

الشيء من السوق ولا يمنعه الخيلاء أن يعلقه بيده أو يجعله في طرف ثوبه وينقلب إلى أهله يصافح الغني والفقير والصغير والكبير، ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير أو أسود أو أحمر، حر أو عبد من أهل الصلاة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه) إلا أن البيهقي روى من حديث جابر أنه كان له برد يلبسه في العيدين والجمعة. (**لا يستحي من أن يجيب إذا دعي وإن كان**) الداعي (**أشعث أغبر**). وعند ابن ماجه من حديث أنس: كان يجيب دعوة المملوك، (**ولا يحقر ما دعي إليه**) ولو كان قليلاً أو حقيراً (**وإن لم يجد إلا حشف الدقل**) وهو رديء التمر. (**لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء**) وقد روي عن عطاء عن أبي سعيد نحوه كما سيأتي التنبيه عليه، (**هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طليق الوجه بسّام من غير ضحك**) أي كثير التبسم من غير مجاوزة فيه، كما روي من حديث عبد لله بن الحرث بن جزء (**محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مذلة جواد من غير سرف رحيم لكل ذي قربى ومسلم، رقيق القلب دائم الإطراق**) أي النظر إلى الأرض. (**لم يتجشأ قط من شبع ولم يمد يده إلى طمع. قال أبو سلمة**) بن عبد الرحمن: (**فدخلت على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فحدثتها بما قال أبو سعيد**) الخدري رضي الله عنه (**في زهد رسول الله ﷺ فقالت: ما أخطأ منه حرفاً واحداً ولقد قصر إذ ما أخبرك أن رسول الله ﷺ لم يمتلىء قط شبعاً ولم يبث إلى أحد شكوى، وإن كانت الفاقه لأحب إليه من اليسار والغمى، وإن كان**) ﷺ (**ليظل جائعاً يلتوى ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك عن صيام يومه، ولو شاء أن يسأل ربه فيؤتى بكنوز الأرض**

ومغاربها لفعل، وربما بكيت رحمة له مما أوتي من الجوع فأمسح بطنه بيدي وأقول: نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع؟ فيقول: «يا عائشة إخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشدّ من هذا فمضوا على حالهم وقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني استحيي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي دونهم فاصبر أياماً يسيرة أحب إليَّ من أن ينقص حظي غداً في الآخرة، وما من شيء أحب إلي من اللحوق بإخواني واخلائي». قالت عائشة رضي الله عنها: فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل.

فما نقل من أحواله ﷺ بجمع جملة أخلاق المتواضعين، فمن طلب التواضع فليقتد به، ومن رأى نفسه فوق محله ﷺ ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما أشد جهله! فلقد كان أعظم خلق الله منصباً في الدنيا والدين فلا عز ولا رفعة إلا في الاقتداء

وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل) أي لم يكن ذلك من اضطرار به إليه ولكنه اختار ما عند الله، **(وربما بكيت رحمة له مما أوتي من الجوع فأمسح بطنه بيدي وأقول: نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع، فيقول: «يا عائشة إخواني من أولي العزم من الرسل قد صبر وأعلى ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم وقدموا على ربهم فأكرم مآبهم)** أي منصرفهم، **(وأجزل)** أي وفر **(ثوابهم فاجدني استحي إن ترفهت)** أي توسعت **(في معيشتي أن يقصر بي دونهم، فأصبر أياماً يسيرة أحب إليَّ من أن ينقص حظي غدا في الآخرة، وما من شيء أحب إليَّ من اللحوق بإخواني وأخلائي». قالت عائشة رضي الله عنها: فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله عز وجل)**.

قال العراقي في حديث أبي سعيد الخدري وعائشة قال الخدري لأبي سلمة: عالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله ﷺ يعالج في بيته. كان يعلف الناضح الحديث، وفيه قال أبو سلمة: فدخلت على عائشة فحدثتها بذلك عن أبي سعيد فقالت: ما أخطأ منه حرفاً ولقد قصر وما أخبرك أنه لم يمتلىء شبعاً قط. الحديث بطوله لم أقف لهما على إسناد اهـ.

قلت: روى أبو نعيم في الحلية من طريق الوضين بن عطاء، حدثنا عطاء بن أبي رباح قال: دعي أبو سعيد الخدري إلى وليمة وأنا معه فرأى صفرة وخضرة فقال: أما تعلمون أن رسول الله ﷺ كان إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد.

(فما نقل من أحواله ﷺ يجمع جملة أخلاق المتواضعين، فمن طلب التواضع فليقتد به) فإن في الإقتداء به مقنعاً له، **(ومن رأى نفسه فوق محله ﷺ ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما أشد جهله)** وما أكثر حمقه، **(فلقد كان)** ﷺ **(أعظم خلق الله منصباً في الدنيا والدين، فلا عز ولا رفعة إلا في الإقتداء به)** والإستنان بسنته، **(ولذلك قال عمر رضي**

به، ولذلك قال عمر رضي الله عنه: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في غيره، لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام. وقال أبو الدرداء: اعلم لله عباداً يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء هم أوتاد الأرض، فلما انقضت النبوّة أبدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد ﷺ لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن حلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين، والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تجبن، وتواضع في غير مذلة، وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه، وهم أربعون صدّيقاً أو ثلاثون رجلاً قلوبهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام

الله عنه: «إنّا قوم أعزنا الله ولا نطلب العز في غيره). قال ذلك (**لما عوتب في بذاذة هيئته**) أي رثاثتها (**عند دخوله الشام**) قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المقري، حدثنا يحي بن الربيع، حدثنا سفيان، عن أيوب الطائي، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره ونزع خفيه وأمسكها وخاض الماء ومعه بعيره، فقال أبو عبيدة: لقد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض فصك في صدره وقال: أوه لو غيرك يقول هذا يا أبا عبيدة! إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس فأعزكم الله برسوله فمهما تطلبون العزة بغيره يذلكم الله. رواه الأعمش عن قيس بن مسلم مثله.

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا محمد بن شبل، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع، عن إسماعيل، عن قيس قال: لما قدم عمر الشام استقبله الناس وهو على بعيره فقالوا: يا أمير المؤمنين لو ركبت برذوناً يلقاك عظماء الناس ووجوههم. فقال عمر: لا أراكم ههنا إنما الأمر من ههنا وأشار بيده إلى السماء. خلوا سبيل جملي اهـ.

قلت: وروى الحافظ الذهبي من طريق قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب نحواً مما رواه أبو نعيم وفيه فقيل له: يا أمير المؤمنين الآن يلقاك الجنود والبطارقة وأنت هكذا. فقال: إنَّا قوم أعزنا الله بالإسلام فلن نلتمس العز بغيره.

(**وقال أبو الدرداء**) رضي الله عنه: (**اعلم أن لله عباداً يقال لهم الأبدال خلف من الأنبياء هم أوتاد الأرض، فلما انقضت النبوة أبدل الله مكانهم أقواماً من أمة محمد ﷺ لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا حسن** خلقة) وفي نسخة حلية ولفظ النوادر ولا تسبيح، (**لكن بصدق الورع**) ولفظ النوادر ولكن بحسن الخلق وصدق الورع (**وحسن النية وسلامة الصدر لجميع المسلمين، والنصيحة لهم ابتغاء مرضاة الله بصبر من غير تجبر، وتواضع في غير مذلة، وهم قوم اصطفاهم الله واستخلصهم لنفسه، وهم أربعون صدّيقاً ثلاثون رجلاً منهم قلوبهم على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل**

لا يموت الرجل منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه، واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيئاً ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون أحداً ولا يحرصون على الدنيا، هم أطيب الناس خبراً وألينهم عريكة وأسخاهم نفساً، علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة وصفتهم السلامة، ليسوا اليوم في خشية وغداً في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة، قلوبهم تصعد ارتياحاً إلى الله واشتياقاً إليه وقدماً في استباق الخيرات ﴿أولئك حِزْبُ الله ألا إنَّ حزبَ اللهِ هُمُ المفلحون﴾ [المجادلة: ٢٢] قال الراوي: فقلت: يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة أشد عليَّ من تلك الصفة وكيف لي أن أبلغها؟ فقال: ما بينك وبين أن تكون في أوسعها إلا أن تكون تبغض الدنيا، فإنك إذا أبغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة، وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك، وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة، واعلم يا ابن أخي أن ذلك في كتاب الله تعالى المنزل: ﴿إنَّ الله مع الذين اتَّقوا والَّذين هم محسنون﴾ [النحل: ١٢٨]، قال يحي بن كثير: فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله وطلب

منهم حتى يكون الله قد أنشأ من يخلفه) أي يصير خلفاً له، **(واعلم يا أخي أنهم لا يلعنون شيئاً)** أي لأن الصديق لا يكون لعاناً كما ورد في الخبر وتقدم في آفات اللسان، **(ولا يؤذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون أحداً)** على ما آتاه الله من فضله، **(ولا يحرصون على الدنيا. هم أطيب الناس خبراً)** بضم فسكون أي مخبراً، **(وإلينهم عريكة)** أي طبيعة، **(واسخاهم نفساً. علامتهم السخاء وسجبتهم البشاشة وصفتهم السلامة، ليسوا اليوم في خشية وغداً في غفلة ولكن مداومون على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الرياح العواصف ولا الخيل المجراة. قلوبهم تصعد ارتياحاً إلى الله واشتياقاً إليه وقدماً في استباق الخيرات ﴿أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون﴾ قال الراوي: قلت يا أبا الدرداء ما سمعت بصفة هي أشد عليّ من هذه الصفة، فكيف لي أن أبلغها؟ قال: ما بينك وبين أن تكون في أوسعها إلا أن تبغض الدنيا فإنك إذا بغضت الدنيا أقبلت على حب الآخرة، وبقدر حبك للآخرة تزهد في الدنيا. وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك، وإذا علم الله من عبد حسن الطلب أفرغ عليه السداد واكتنفه بالعصمة. واعلم يا أخي أن ذلك في كتاب الله المنزل ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ قال يحي بن كثير)** الكاهلي الكوفي لين الحديث روى له أبو داود. قال الذهبي في الديوان: هو معاصر للأعمش مجهول، وضعفه النسائي. وفي رجال ابن ماجه يحيى بن كثير بن أيوب. قال الدارقطني: متروك أما يحي بن كثير بن درهم العنبري البصري فثقة معروف، **(فنظرنا في ذلك فما تلذذ**

مرضاته. اللهم اجعلنا من محبي المحبين لك يا رب العالمين فإنه لا يصلح لحبك إلا من ارتضيته. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المتلذذون بمثل حب الله وطلب مرضاته) هكذا أورده الحكيم الترمذي في نوادر الأصول بطوله من قول أبي الدرداء).

اعلم أن حديث الأبدال قد روي عن جماعة من الصحابة مرفوعاً وموقوفاً. منهم أنس بن مالك، وعبادة بن الصامت، وعبدالله بن عمر، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وعوف بن مالك، وأبو هريرة، ومعاذ بن جبل.

أما حديث أنس، فله طرق بألفاظ مختلفة.

منها: للخلال في كرامات الأولياء، والديلمي في مسند الفردوس بلفظ: «الإبدال أربعون رجلاً وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً وإذا ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة».

ومنها للطبراني في الأوسط بلفظ: «لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن فبهم يسقون وبهم ينصرون ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر» وإسناده حسن.

ومنها لابن عدي في كامله بلفظ: «البدلاء أربعون رجلاً إثنان وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق وكلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة». وقد رواه أيضاً الحكيم في نوادر الأصول، والخلال في كرامات الأولياء.

ومنها: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين» رواه الدارقطني في كتاب الأجواد، وابن لال في مكارم الأخلاق، وقد رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي سعيد به نحوه. وقال فضيل بن عياض: لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك بسخاء الأنفس وسلامة الصدور والنصح للأمة.

وأما حديث عبادة بن الصامت فلفظه: «الإبدال في هذه الأمة ثلاثون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً» رواه أحمد، والحكيم والخلال في كرامات الأولياء وإسناده حسن. وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الواحد بن قيس وثقة العجلي وأبو زرعة وضعفه غيرهما، يروي: «لا يزال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن كلما مات واحد أبدل الله مكانه آخر». وروى أحمد والخلال، وهو عند الطبراني في الكبير بلفظ لا يزال في أمتي ثلاثون بهم تقوم الأرض وبهم يمطرون وبهم ينصرون».

وأما حديث عبدالله بن عمر: فأخرجه الطبراني في الكبير، وعنه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا محمد بن الحرث حدثنا سعيد بن أبي زيدون، حدثنا عبدالله بن هارون الصوري، حدثنا الإوزاعي،

....

عن الزهري، عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « خيار أمتي في كل قرن خمسمائة والأبدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الأربعون. كلما مات رجل أبدل الله من الخمسمائة مكانه وأدخل من الأربعين مكانهم ». قالوا: يا رسول الله دلنا على أعمالهم قال: يعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويتواسون فيما آتاهم الله ». وقد رواه كذلك ابن عساكر وفي لفظ للخلال: « لا يزال أربعون رجلاً يحفظ الله بهم الأرض كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخروهم في الأرض كلها ».

وأما حديث علي بن أبي طالب: فيروي بلفظ: « الإبدال ستون رجلاً ليسوا بالمتنطعين ولا بالمبتدعين ولا بالمتعمقين ولا بالمعجبين لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكن بسخاء الأنفس وسلامة القلوب والنصيحة لائمتهم إنهم يا علي في أمتي من الكبريت الأحمر » رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء، والخلال في كراماتهم، ولأحمد في مسنده من طريق ابن شريح يعني ابن عبيد قال: ذكر أهل الشام عند علي رضي الله عنه وهو بالعراق فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين. فقال: لا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « البدلاء » وفي لفظ: « الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب ». ورجاله من رواه الصحيح إلا شريحاً وهو ثقة ورواه أيضاً الطبراني والحاكم من طرق تنوف على العشرة.

وأما حديث عبدالله بن مسعود؛ فقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا محمد بن السري القنطري، حدثنا قيس بن إبراهيم بن قيس السامري، حدثنا عبد الرحيم بن يحيى، حدثنا عثمان بن عمارة، حدثنا المعافي بن عمران، عن سفيان الثوري، عن منصور عن إبراهيم، عن الأسود عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: « إن لله في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام، ولله في الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام، ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام، ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب عزرائيل عليه السلام، ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام، ولله في الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام، فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة، وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة، وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين، وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة، وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء ». قيل لابن مسعود: كيف بهم يحيي ويميت؟ قال: لأنهم يسألون الله إكثار الأمم فيكثرون، ويدعون على الجبابرة فيقصمون، ويستسقون فيسقون، ويسألون فتنبت لهم الأرض، ويدعون فتدفع عنهم أنواع البلاء.

وأما حديث عوف بن مالك، فاخرجه الطبراني وابن عساكر بلفظ: « الإبدال في أهل الشام وبهم ينصرون وبهم يرزقون ».

....

وأما حديث أبي هريرة فأخرجه ابن حبان في تاريخه بلفظ: « لن تخلو الأرض من ثلاثين مثل إبراهيم خليل الرحمن بهم يعافون وبهم يرزقون وبهم يمطرون » وإسناده حسن.

وأما حديث معاذ بن جبل، فأخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في سنن الصوفية والديلمي بلفظ: « ثلاث من كن فيه فهو من الأبدال. الذين بهم قوام الدنيا وأهلها. الرضا بالقضاء، والصبر على محارم الله، والغضب في ذات الله » وقد روي موقوفاً على علي بلفظ: « لا تسبوا أهل الشام جماً غفيراً فإن بها الأبدال. قالها ثلاثاً أخرجه عبد الرزاق. ومن طريقه البيهقي في الدلائل، بل أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه من قوله، وكلهم رووه من طريق عبدالله بن صفوان عن علي. وهذه الرواية صححها الضياء في المختارة، ولفظ الحاكم: « لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال ». وقد رواه الطبراني في الأوسط، وابن عساكر في التاريخ من حديث علي مرفوعاً.

ومن المراسيل ما رواه أبو داود في مراسيله، والحاكم في الكنى من حديث عطاء بن أبي رباح: الأبدال من الموالي زاد الحاكم: ولا يبغض الموالي إلا منافق، وفي مسنده رجال بن سالم منكر الحديث.

ومنها: ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء، عن بكر بن خنيس مرفوعاً مرسلاً: « علامة أبدال أمتي أنهم لا يلعنون شيئاً أبداً » وقال السخاوي: هو مرفوع معضل وأما الآثار فسيأتي ذكرها.

وقد أورد ابن الجوزي أحاديث الأبدال في الموضوعات وطعن فيها واحداً واحداً، وتعقبه الحافظ السيوطي بأن خبر الأبدال صحيح، وإن شئت قلت متواتراً وأطال، ثم قال: مثل هذا بالغ حد التواتر المعنوي بحيث يقطع بصحة وجود الأبدال ضرورة انتهى.

وقال الحافظ بن حجر في فتاويه: الأبدال وردت في عدة أخبار منها ما يصح ومنها ما لا يصح، وأما القطب فورد في بعض الآثار، وأما الغوث بالوصف المشتهر بين الصوفية فلم يثبت انتهى.

وبهذا يظهر بطلان زعم ابن تيمية أنه لم يرد لفظ الأبدال في خبر صحيح ولا ضعيف إلا في خبر منقطع، وليته نفي الرؤية بل نفي الوجود وكذب من ادعى الورود، فهذه الأخبار وإن فرض ضعفها جميعها لكن لا ينكر تقوى الحديث الضعيف بكثرة طرقه وتعدد مخرجيه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وإنما استتر الأبدال عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيقون النظر إلى علماء الوقت لأنهم عندهم جهال بالله وهم عند أنفسهم الجهلاء علماً اهـ.

ورأى بعضهم النبي ﷺ في المنام فقال: اين بدلاء أمتك؟ فأومأ بيده نحو الشام. قال: فقلت يا رسول الله أما بالعراق منهم أحد؟ قال: « بلى » وسمى جماعة. ومما يتقوّى به هذا الحديث ويدل لانتشاره بين الأئمة قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في بعضهم كنا نعده من الأبدال، وقول

....

البخاري في غيره كانوا لا يشكون أنه من الأبدال، وكذا وصف غيرهما من النقاد والحفاظ والأئمة غير واحد بأنهم من الأبدال، وقال بعضهم: الأبدال أكلهم فاقة وكلامهم ضرورة، وقال بعضهم علامة الأبدال أن لا يولد لهم، وعن معروف الكرخي قال: من قال اللهم ارحم أمة محمد في كل يوم كتبه الله من الأبدال وهو في الحلية بلفظ: من قال كل يوم اللهم اصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد كتب من الأبدال، وقال يزيد بن هارون الأبدال هم أهل العلم، قال أحمد: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فمن هم؟

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن مقسم، حدثنا الياس بن يوسف الشكلي، حدثني محمد بن عبد الملك قال: قال عبد الباري قلت لذي النون المصري صف لي الأبدال فقال: إنك لستألني عن دياجي الظلم لأكشفنها لك عبد الباري. هم قوم إذا ذكروا الله بقلوبهم تعظيماً لربهم لمعرفتم بجلاله، فهم حجج الله على خلقه ألبسهم النور الساطع من محبته ورفع لهم أعلام الهداية إلى مواصلته، وأقامهم مقام الأبطال لارادته، وأفرغ عليهم الصبر عن مخالفتهم، وطهر أبدانهم بمراقبته وطيبهم بطيب أهل معاملته وكساهم حللاً من شبح مودته، ووضع على رؤوسهم تيجان مسرته، ثم أودع القلوب من ذخائر الغيوب فهي معلقة بمواصلته فهمومهم إليه ثائرة وأعينهم إليه بالغيب ناظرة إلى آخر ما قاله.

وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول أن الأرض اشتكت إلى ربها انقطاع النبوة فقال تعالى: سوف أجعل على ظهرك أربعين صديقاً كلما مات منهم رجل أبدلت مكانه رجلاً، ولذلك سموا بدالاً، فهم أوتاد الأرض وبهم تقوم الأرض وبهم يمطرون. وقال القطب أبو العباس المرسي قدس سره: جلت في الملكوت فرأيت أبا مدين معلقاً بساق العرش رجل أشعر أزرق العين فقلت له: ما علومك وما مقامك؟ قال: علومي أحد وسبعون علماً ومقامي رابع الخلفاء ورأس الأبدال السبعة. قلت فالشاذلي؟ قال: ذاك بحر لا يحاط به. وقال المرسي أيضاً: كنت جالساً بين يدي أستاذي الشاذلي فدخل جماعة فقال: هؤلاء أبدال، فنظرت ببصيرتي فلم أرهم أبدالاً فتحيرت فقال الشيخ: من بدلت سيئاته حسنات فهو بدل، فعلمت أنه أول مراتب البدلية.

وأخرج ابن عساكر أن ابن المثني سأل أحمد بن حنبل ما تقول في بشر بن الحرث؟ قال: رابع سبعة من الأبدال. وقال بلال الخواص فيما رويناه في مناقب الشافعي وفي رسالة القشيري: كنت في تيه بني إسرائيل فإذا رجل يماشيني فتعجبت منه وألهمت أنه الخضر، فقلت: بحق الحق من أنت؟ قال: أنا أخوك الخضر، فقلت له: أريد أن أسألك. قال: سل. قلت: ما تقول في الشافعي؟ قال: هو من الأوتاد. قلت: فما تقول في أحمد؟ قال: رجل صديق. قلت: فما تقول في بشر بن الحرث؟ قال: رجل لم يخلق بعده مثله. قلت: فبأي وسيلة رأيتك؟ قال: ببرك أمك.

وفي تاريخ الخطيب عن أبي بكر الكتاني قال: النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والبدلاء أربعون والأخيار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد، فمسكن النقباء المغرب، ومسكن النجباء مصر،

ومسكن البدلاء الشام، والأخيار سياحون في الأرض، والعمد في زوايا الأرض ومسكن الغوث مكة.

فصل

قال الشيخ الأكبر قدس سره في كتاب حلية الأبدال: أخبرني صاحب لنا قال: بينا أنا ليلة في مصلاي قد أكملت وردي وجعلت رأسي بين ركبتي أذكر الله تعالى إذ حسست بشخص قد نقض مصلاي من تحتي وبسط عوضه حصيراً وقال: صلى عليه وباب بيتي علي مغلق فداخلني منه الفزع فقال لي: من يأنس بالله لم يجزع. ثم قال: اتق الله في كل حال: ثم إني أُلهمت الصوت فقلت: يا سيدي بماذا يصير الأبدال ابدالاً؟ فقال: بالأربعة التي ذكرها أبو طالب في القوت: الصمت العزلة والجوع والسهر، ثم انصرف ولا أعرف كيف دخل ولا خرج وبأبي مغلق انتهى.

قال الشيخ الأكبر: وهذا رجل من الأبدال إسمه معاذ بن أشرس والأربعة المذكورة هي عماد هذا الطريق الأسنى وقوائمه، ومن لا قدم له فيها ولا رسوح تائه عن طريق الله تعالى وفي ذلك قلت:

يا مَنْ أراد منازل الأبدال ... من غير قصد منه للأعمال
لا تطمعن بها فلست من أهلها ... إن لم تزاحمهم على الأحوال
واصمت بقلبك واعتزل عن كل من ... يدنيك من غير الحبيب الدالي
وإذا سهرت وجعت نلت مقامهم ... وصحبتهم في الحل والترحال
بيت الولاية قسمت أركانه ... ساداتنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائم ... والجوع والسهر النزيه العالي

تنبيه:

لا تناقض بين أخبار الأربعين والثلاثين لأن الجملة أربعون رجلاً منهم ثلاثون قلوبهم على قلوب إبراهيم وعشرة ليسوا كذلك، فلا خلاف كما صرح به خبر أبي هريرة عند الحكيم الترمذي. وقال الشيخ الأكبر قدس سره: الأوتاد الذين يحفظ الله بهم العالم أربعة فقط، وهم أخص من الأبدال، والإمامان أخص منهم، والقطب أخص الجماعة، والأبدال لفظ مشترك يطلقونه على من تبدلت أوصافه المذمومة بالمحمودة ويطلقونه على عدد خاص وهم أربعون. وقيل: ثلاثون، وقيل: سبعة، وإنما سموا ابدالاً لأنه إذا مات واحد منهم أبدل، أو لأنهم أعطوا من القوة أن يتركوا بدلهم حيث يريدون، ولكل وتد من الأوتاد الأربعة ركن من أركان البيت ويكون على قلب نبي من الأنبياء، فالذي على قلب آدم له الركن الشامي، والذي على قلب إبراهيم له الركن العراقي، والذي على قلب يحيى له الركن اليماني، والذي على قلب محمد ﷺ له ركن الحجر الأسود وهو لنا بحمد الله تعالى. وقال في الفتوحات قوله في حديث على قلب إبراهيم، وفي

بيان الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له:

اعلم أن الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه، وإزالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القامعة له. وفي معالجته مقامان:

أحدهما: استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب.

الثاني: دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الإنسان على غيره.

المقام الأول: في استئصال أصله، وعلاجه علمي وعملي، ولا يتم الشفاء إلا بمجموعها.

أما العلمي: فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه تعالى ويكفيه ذلك في إزالة الكبر، فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل، وأنه لا يليق به إلا التواضع والذلة والمهانة، وإذا عرف ربه علم أنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا بالله،

حديث آخر على قلب آدم، وكذا قوله في غير هؤلاء ممن هو على قلب شخص من أكابر البشر أو الملائكة معناه أنهم يتقلبون في المعارف الإلهية بدل ذلك الشخص إذ كانت واردات العلوم الإلهية إنما ترد على القلوب، فكل علم يرد على قلب ذلك الكبير من ملك أو رسول يرد على هذه القلوب التي هي على قلبه، وربما يقول بعضهم: فلان على قدم فلان ومعناه ما ذكر، والله أعلم.

بيان في الطريق في معالجة الكبر واكتساب التواضع له:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه**) إلا من عصمه الله تعالى، (**وإزالته فرض عين**) أي بمنزلته (**ولا يزول بمجرد التمني**) والتشهي (**بل بالمعالجة**) والرياضة وتهذيب النفس (**واستعمال الأدوية القامعة له. وفي معالجته مقامان**).

(**أحدهما: استئصال أصله من سنخه**) بكسر السين المهلة وسكون النون والخاء المعجمة، وسنخ كل شيء أصله والجمع أسناخ (**وقلع شجرته من مغرسها في القلب**).

(**الثاني: دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الإنسان على غيره**).

(**المقام الأول: في استئصال أصله وعلاجه علمي وعملي، ولا يتم الشفاء إلا بمجموعها**).

(**أما العلمي: فهو أن يعرف نفسه ويعرف ربه ويكفيه ذلك في إزالة الكبر فإنه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل، فإنه لا يليق به إلا التواضع والمذلة والمهانة**) فتلك أخص أوصافه، (**وإذا عرف ربه**) حق المعرفة (**علم أنه لا**

أما معرفته ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة، وأما معرفته نفسه فهو أيضاً يطول ولكنا نذكر من ذلك ما ينفع في إثارة التواضع والمذلة، ويكفيه أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله فإن في القرآن علم الأولين والآخرين لمن فتحت بصيرته، وقد قال تعالى: ﴿قُتِلَ الإنْسَانُ ما أكفَرَهُ★ من أيّ شيء خَلَقَهُ مِن نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّره★ ثمّ السبيلَ يَسَّره★ ثم أماتَهُ فأقبره★ ثم إذا شاء أنشره﴾ [عبس: ١٧ - ٢٢] فقد أشارت الآية إلى أول خلق الإنسان وإلى آخر أمره وإلى وسطه، فلينظر الإنسان ذلك ليفهم معنى هذه الآية أما أول الإنسان فهو أنه لم يكن شيئاً مذكوراً وقد كان في حيز العدم دهوراً بل لم يكن لعدمه أول وأي شيء أخس وأقل من المحو والعدم؟ وقد كان كذلك في القدم، ثم خلقه الله من أرذل الأشياء، ثم من أقذرها إذ قد خلقه من

تليق العظمة والكبرياء) والجلال والمهابة **(إلا بالله)** عز وجل. **(أما معرفة ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفة، وأما معرفته نفسه فهو أيضاً يطول لكن نذكر من ذلك علم ما ينفع في إثارة)** التواضع **(والمذلة، ويكفيه أن يعرف معنى آية واحدة في كتاب الله تعالى فإن في القرآن علم الأولين والآخرين لمن فتحت بصيرته)** فقد روى الديلمي من حديث أنس «من أراد علم الأولين والآخرين فليتبوأ القرآن». **(وقد قال الله عز وجل: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾)** دعاء عليه بأشنع الدعوات وتعجب من إفراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ. **(من أي شيء خلقه)** بيان لما أنعم عليه خصوصاً من بعد عمومه والاستفهام للتحقير، ولذلك أجاب عنه بقوله: **(﴿من نطفة خلقه فقدره★﴾)** أي هيأه لما يصلح له من الأعضاء والأشكال أو فقدره أطواراً إلى أن تم خلقه **(﴿ثم السبيل يسره﴾)** أي ثم سهل مخرجه من بطن أمه بان فتح فوهة الرحم وألهمه أن ينتكس أو ذلل له سبيل الخير والشر، وتعريفه باللام دون الإضافة للإشعار بأنه سبيل عام وفيه إيماء بأن الدنيا طريق والمقصود غيرها ولذلك عقبه بقوله: **(﴿ثم أماته فأقبره★ ثم إذ شاء أنشره﴾)** وعد الإماتة والإقبار في النعم لأن الإماتة وصلة في الجملة إلى الحياة الأبدية واللذات الخالصة، والأمر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع، وفي **(إذا شاء)** إشعار بأن وقت النشور غير متعين في نفسه إنما هو موكول إلى مشيئته، **(فقد أشارت الآية إلى أول خلق الإنسان وإلى آخره وإلى أوسطه، فلينظر الإنسان ذلك)** ببصيرته **(ليفهم معنى هذه الآية. أما أول الإنسان فهو أنه لم يكن شيئاً مذكوراً)** كما قال تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ [الإنسان: ١] **(وقد كان في كتم العدم)** وفي نسخة في حيز العدم **(دهوراً)** أي أزمنة متطاولة، **(بل لم يكن لعدمه، أول، وأي شيء أخس وأقل من المحو والعدم وقد كان كذلك في القدم ثم خلقه الله من أرذل الأشياء)** وفي نسخة من أذل الأشياء، **(ثم من اقذرها إذ خلقه من تراب)** وهو أذل الأشياء لكونه يداس بالأرجل، **(ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من**

تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم جعله عظماً، ثم كسا العظم لحماً، فقد كان هذا بداية وجوده حيث كان شيئاً مذكوراً فما صار شيئاً مذكوراً إلا وهو على أخس الأوصاف والنعوت إذ لم يخلق في ابتدائه كاملاً بل خلقه جماداً ميتاً لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم، فبدأ بموته قبل حياته، وبضعفه قبل قوّته، وبجهله قبل علمه، وبعماه قبل بصره، وبصممه قبل سمعه، وببكمه قبل نطقه، وبضلالته قبل هداه، وبفقره قبل غناه، وبعجزه قبل قدرته. فهذا معنى قوله: ﴿من أي شيء خلقه★ من نطفة خلقه فقدره﴾ ومعنى قوله: ﴿هل أتى على الإنسان حينٌ من الدَّهرِ لم يكُنْ شيئاً مذكوراً★ إنَّا خلقنَا الإنسان من نُطْفَةٍ أمشاجٍ نبتليه﴾ [الإنسان: ١، ٢] كذلك خلقه أولاً ثم امتن عليه فقال: ﴿ثمَّ السبيل يسّره﴾ [عبس: ٢٠] وهذا إشارة إلى ما تيسر له في مدة حياته إلى الموت. وكذلك قال: ﴿من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه

مضغة، ثم جعله عظماً ثم كسا العظم لحماً) كما قال تعالى: ﴿فكسونا العظام لحماً﴾ [المؤمنون: ١٤] (فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيئاً مذكوراً) بعد أن لم يكن، (فما صار شيئاً مذكوراً إلا وهو على أخس الاوصاف والنعوت إذ لم يخلق في ابتدائه كاملاً بل خلقه جماداً ميتاً لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدأ بموته) الذي هو العدم (قبل حياته) وهي الوجود، (وبضعفه قبل قوته، وبجهله قبل علمه وبعماه قبل بصره، وبصممه قبل سمعه، وببكمه قبل نطقه، وبضلالته قبل هداه، وبفقره قبل غناه، وبعجزه قبل قدرته. وهذا) هو (معنى قوله) تعالى: (من أي شيء خلقه★ من نطفة خلقه فقدره﴾ و) كذلك (معنى قوله تعالى: (﴿هل أتى على الإنسان﴾) وهو إستفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد (﴿حين من الدهر﴾) أي طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود (لم يكن شيئاً مذكوراً) بل كان شيئاً منسياً غير مذكور بالإنسانية كالعنصر والنطفة، والجملة حال من الإنسان أو وصف لحين بحذف الراجع، والمراد بالإنسان الجنس لقوله: (﴿إنا خلقنا الإنسان﴾) أو آدم بين أولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه فقال: (﴿من نطفة أمشاج نبتليه﴾ كذلك خلقه أولاً ثم امتن عليه فقال: ﴿ثم السبيل يسره﴾) أي سبيل الخير والشر. (وهذا إشارة إلى ما تيسر له في مدة حياته إلى الموت، وكذلك قال في الآية الأخرى ﴿من نطفة أمشاج﴾) أي إخلاط جمع مشيج من مشجت الشيء إذا خلطته. وصف النطفة بها لأن المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الأجزاء في الرقة والقوام والخواص، ولذلك يصير كل جزء منها مادة عضو، وقيل مفرد كأعشار وأكباش، وقيل: ألوان فإن ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اختلطا اخضرا أو أطوار، فإن النطفة تصير علقة ثم مضغة إلى تمام الخلقة (نبتليه) في موضع الحال أي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره أو ناقلين له من حال إلى حال، فاستعار له الابتلاء (فجعلناه سميعاً بصيراً) ليتمكن من مشاهدة الدلائل

سميعاً بصيراً إنّا هديناهُ السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾ ومعناه أنه أحياه بعد أن كان جماداً ميتاً تراباً أولاً ونطفة ثانياً، وأسمعه بعدما كان أصم، وبصره بعد ما كان فاقداً للبصر، وقوّاه بعد الضعف، وعلمه بعد الجهل، وخلق له الأعضاء بما فيها من العجائب والآيات بعد الفقد لها، وأغناه بعد الفقر، وأشبعه بعد الجوع، وكساه بعد العري، وهداه بعد الضلال. فانظر كيف دبره وصوره، وإلى السبيل كيف يسره، وإلى طغيان الإنسان ما أكفره، وإلى جهل الإنسان كيف أظهره؟ فقال: ﴿أوَلَمْ يَرَ الإنْسَان أنَّا خلقناهُ مِنْ نُطفةٍ فإذا هُو خصيمٌ مبين﴾ [يس: ٧٧] ﴿ومِنْ آياتهِ أنْ خلقكُم من ترابٍ ثمّ إذا أنتُم بشرٌ تنتشرون﴾ [الروم: ٢٠] فانظر إلى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة فصار موجوداً بعد العدم، وحياً بعد الموت، وناطقاً بعد البكم، وبصيراً بعد العمى، وقوياً بعد الضعف، وعالماً بعد

واستماع الآيات فهو كالمسبب من الإبتلاء، ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله: (﴿**إنا هديناه السبيل**﴾) أي بنصب الدلائل وانزال الآيات (**إما شاكراً وإما كفوراً**﴾ **ومعناه أنه أحياه بعد أن كان جماداً ميتاً تراباً أولاً ونطفة ثانياً، وأسمعه بعد ما كان** أصم، وبصره بعدما كان فاقداً للبصر، وقواه بعد الضعف، وعلمه بعد الجهل، وخلق له **الأعضاء بما فيها من العجائب والآيات**) الدالة على عظيم قدرته (**بعد الفقد لها، وأغناه بعد الفقر، وأشبعه بعد الجوع، وكساه بعد العري، وهداه بعد الضلال**) ثم قال تعالى: ﴿أما شاكراً وإما كفوراً﴾ وهما حالان من ضمير هديناه. «وإما» للتفصيل أو للتقسيم أي هديناه في حالتيه جميعاً أو مقسوماً إليهما بعضهم شاكر بالإهتداء والأخذ به، وبعضهم كفور بالإعراض عنه. (**فانظر كيف دبره وصوره، وإلى السبيل**) المفضي للخير والشر (**كيف يسره**) أي سهله وذلله، (**وإلى طغيان الإنسان**) على ربه وخلقه (**ما أكفره، وإلى جهل الإنسان**) بمعرفته نفسه (**كيف أظهره فقال**) تعالى: (﴿**أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين**﴾) أي فإذا هو بعد ما كان ماء مهيناً من طينه قادر على الخصام معرب عما في نفسه، وقال تعالى: (﴿**ومن آياته**﴾) الدالة على باهر قدرته (**أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون**﴾) فوق الأرض وفي الآية الأولى تقبيح بليغ لإنكار الإنسان حيث عجب منه وجعله إفراطاً في الخصومة بينا، ومنافاة الجحود لقدرته على ما هو أهون مما عليه في بداية خلقه ومقابلة نعمته التي لا مزيد عليها وهي خلقه من أخس شيء وأمهنه شريفاً مكرماً بالعقوق والتكذيب، وقد أشار إليه المصنف بقوله: (**فانظر إلى نعمة الله عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة إلى هذه الرفعة والكرامة**) والشرف، (**فصار موجوداً بعد العدم، وحياً بعد الموت، وناطقاً بعد البكم، وبصيراً بعد العمي، وقوياً بعد الضعف، وعالماً بعد**

الجهل، ومهدياً بعد الضلال، وقادراً بعد العجز، وغنياً بعد الفقر؟ فكان في ذاته لا شيء وأي شيء أخس من لا شيء؟ وأي قلة أقل من العدم المحض؟ ثم صار بالله شيئاً، وإنما خلقه من التراب الذليل الذي يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضاً ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه، وإنما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وأنه لا يليق الكبرياء إلا به جل وعلا. ولذلك امتن عليه فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ له عينين★ ولساناً وشفتين★ وهديناهُ النَّجدين﴾ [البلد: ٨ - ١٠] وعرف خسته أوّلاً فقال: ﴿ألم يكُ نطفةً من منيٍّ يمنى★ ثم كان علقةً﴾ ثم ذكر منته عليه فقال: ﴿فخلق فسوى★ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ [القيامة: ٣٧ - ٣٩] ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده أوّلاً بالاختراع. فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء وهو على التحقيق أخس الاخساء وأضعف الضعفاء؟ ولكن هذه عادة الخسيس إذا رفع من خسته شمخ بأنفه وتعظم، وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله. نعم لو أكمله وفوض إليه أمره وأدام له الوجود

الجهل، ومهدياً بعد الضلال، وقادراً بعد العجز، وغنياً بعد الفقر، وكان في ذاته لا شيء) يذكر ويشار إليه (**وأي شيء أخس من لا شيء**) ولذلك سميت الجيفة القذرة لا شيء لما فيها من نهاية وصف الخسة. (**وأي قلة أقل من العدم المحض ثم صار بالله شيئاً**) يذكر ويشار به وإليه، (**وإنما خلقه من التراب الذليل الذي يوطأ بالأقدام والنطفة القذرة بعد العدم المحض أيضاً ليعرفه خسة ذاته**) ودناءتها، (**فيعرف به نفسه. وإنما أكمل النعمة عليه ليعرف بها ربه ويعلم بها عظمته وجلاله وأنه لا يليق الكبرياء إلا به جل وعلا ولذلك امتن عليه فقال**) عز وجل: (**ألم نجعل له عينين**) يبصر بها (﴿**ولساناً**﴾) يترجم به عما في ضميره (﴿**وشفتين**﴾) يستر بها فاه ويستعين بها على النطق والأكل والشرب وغيرها (﴿**وهديناه النجدين**﴾) طريقي الخير والشر. (**وعرف خسته أولاً فقال**) ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدي★﴾ (﴿**ألم يك نطفة من مني يمنى**﴾) أي يراق يقال: أمنى منيه إذا أراقه (**ومني يمنى**﴾ **كرمي يرمي لغة فيه**. (﴿**ثم كان علقه**﴾) أي دماً. (**ثم ذكر منته عليه فقال:** ﴿**فخلق فسوى**﴾) أي قدره فعدله (﴿**فجعل منه الزوجين**﴾) الصنفين (﴿**الذكر والأنثى**﴾ **ليدوم وجوده بالتناسل**) والتوالد ولا ينقطع (**كما جعل وجوده ابتداء بالإختراع**) البديع من غير سبق مثال. (**فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله**) وأطواره (**فمن أين له البطر**) والأشر (**والكبرياء والفخر والخيلاء**) والتجبر (**وهو على التحقيق أخس الأخساء وأضعف الضعفاء**) وأذل الأشياء؟ (**ولكن هذه عادة الخسيس إذا رفع من خسته شمخ بأنفه وتعظم، وذلك لدلالة خسة أوله ولا حول ولا قوة إلا بالله. نعم لو أكمله وفوض إليه أمره وأدام**

باختياره لجاز أن يطغى وينسى المبدأ والمنتهى، ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الأمراض الهائلة والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطباع المتضادة، من المرّة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من أجزائه البعض، شاء أم أبى رضي أم سخط، فيجوع كرهاً ويعطش كرهاً ويمرض كرهاً ويموت كرهاً، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً، يريد أن يعلم الشيء فيجهله، ويريد أن يذكر الشيء فينساه ويريد أن ينسى الشيء ويغفل عنه فلا يغفل عنه، ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهمه فيجول في أودية الوساوس والأفكار بالاضطرار، فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه، ويشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه، ويكره الشيء وربما تكون حياته فيه، يستلذ الأطعمة وتهلكه ترديه، ويستشبع الأدوية وهي تنفعه وتحييه، ولا يأمن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره وتفلج أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه، فهو مضطر ذليل إن ترك بقي وإن اختطف فني، عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا شيء من غيره، فأي شيء أذل منه لو عرف نفسه؟ وأنّى يليق الكبر به لولا جهله؟ فهذا أوسط أحواله فليتأمل.

له الوجود **باختياره)** وفي قبضة قدرته **(لجاز)** له **(أن يطغي)** ويبطر **(وينسى المبتدأ والمنتهي، ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الأمراض الهائلة)** أي المخيفة **(والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطبائع المتضادة، من المرة والبلغم والريح والدم يهدم البعض من أجزائه البعض، شاء أو أبى)** أي امتنع **(رضي أم سخط، فيجوع كرهاً ويعطش كرهاً ويمرض كرهاً ويموت كرهاً)** كل ذلك إجباراً عليه، **(لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا خيراً ولا شراً)**، ومن غريب أحواله أنه **(يريد أن يعلم الشيء فيجهله، ويريد أن يذكر الشيء فينساه، ويريد أن ينسى الشيء ويغفل عنه فلا يغفل عنه، ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهمه)** ويعنيه **(فيجول في أودية الوسواس والأفكار)** المختلفة **(بالإضطراب، فلا يملك قلبه قلبه ولانفسه نفسه، فيشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه، ويكره الشيء وربما يكون حياته فيه، يستلذ الأطعمة)** المختلفة الألوان **(فتهلكه وترديه)** إما من الإكثار فيها أو من ضعف المعدة عن تحملها أو بغير ذلك، **(ويستبشع الأدوية)** المرة **(وهي تنفعه وتحييه)** وهو مع ذلك **(لا يأمن)** على نفسه **(في لحظة من ليله ونهاره أن يسلب سمعه وبصره وتفلج أعضاؤه ويختلس عقله ويختطف روحه)** كل ذلك فلتة **(ويسلب جميع ما يهواه في دنياه، فهو مضطر ذليل إن ترك بقي وإن اختطف فني عبد مملوك لا يقدر على شيء من)** عند (نفسه ولا على شي من غيره، فأي شيء أذل منه لو عرف نفسه وأنى يليق الكبر به لولا جهله) وعناده. (فهذا أوسط أحواله فيتأمله) ببصيرته حتى ينكشف له ذلك.

وأما آخره ومورده فهو الموت المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ثم أماته فأقبره* ثم إذا شاء أنشره﴾ [عبس: ٢١، ٢٢] ومعناه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته، فيعود جماداً كما كان أول مرة، لا يبقى إلا شكل أعضائه وصورته لا حس فيه ولا حركة، ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الأوّل نطفة مذرة، ثم تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه ويصير رميماً رفاتاً، ويأكل الدود أجزاءه فيبتدىء بحدقتيه فيقلعها وبخدّيه فيقطعها، وبسائر أجزائه فيصير روثاً في أجواف الديدان ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل إنسان ويهرب منه لشدة الإنتان، وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان فيصير تراباً يعمل منه الكيزان ويعمر منه البنيان، فيصير مفقوداً بعدما كان موجوداً. وصار كأن لم يغن بالأمس حصيداً كما كان في أول أمره أمداً مديداً، وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك تراباً،

(وأما آخره ومورده) الذي يرد عليه **(فهو الموت المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ثم أماته فاقبره* ثم إذا شاء أنشره﴾ ومعناه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جماداً كما كان أول مرة لا يبقى)** معه **(إلا شكل أعضائه وصورته)** الظاهرة **(لا حس فيه ولا حركة)** ثم يدرج في ثياب، **(ثم يوضع في التراب)** ويغلق عليه الباب فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الأول نطفة مذرة، ثم) بعد ذلك **(تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه فيصير رمياً ورفاتاً)** وقد رم العظم يرم من باب ضرب بلى فهو رميم، والجمع أرماء كدليل وأدلاء وجاء رمام مثل كريم وكرام والرفات بالضم العظم المتكسر، **(ويأكل الدود)** المتولد منه **(أجزاءه فيبتدىء بحدقتيه)** فإنهما أول ما يسيلان على الخدين **(فيقلعها)** من موضعها **(وبخديه فيقطعها وبسائر أجزائه فيصير روثاً في أجواف الديدان)** ومن هنا مخاطبة القبر للإنسان: «أنابيت الدود» كما في الخبر، **(ويكون جيفة يهرب منه الحيوان ويستقذره كل إنسان ويهرب منه لشدة الأنتان)** إذ لا نتن أشد من نتن جيفة الإنسان، **(وأحسن أحواله أن يعود** إلى ما كان **فيصير تراباً تعمل منه الكيزان ويعمر به البنيان، ويصير مفقوداً بعد ما كان موجوداً، وصار كأن لم يغن بالأمس حصيداً)** محصوداً متكسراً **(كما كان في أول مرة أمداً مديداً)** أي ممتداً، **(وليته بقي كذلك فما أحسنه لو ترك تراباً)** ومن هنا قول بعضهم:

ليتني كنت رماداً مديداً

وقال آخر:

ولو أنا إذا متنا تركنا ... لكان الموت راحة كل حيّ

لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شديد البلاء، فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة، ويخرج إلى أهوال القيامة فينظر إلى قيامة قائمة وسماء مشققة ممزقة وأرض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منكدرة وشمس منكسفة وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد وجهنم تزفر وجنة ينظر إليه المجرم فيتحسر، ويرى صحائف منشورة فيقال له: ﴿اقرأ كتابك﴾ [الاسراء: ١٤] فيقول: وما هو؟ فيقال: كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما كنت تنطق به أو تعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير وأكل وشرب وقيام وقعود، قد نسيت ذلك وأحصاه الله عليك فهلم إلى الحساب واستعدّ للجواب أو تساق إلى دار العذاب، فينقطع قلبه فزعاً من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه؟ فإذا شاهده قال: ﴿يا ويلتَنَا ما لهذا الكتابِ لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاَّ أحصاها﴾ [الكهف: ٤٩] فهذا آخر أمره وهو معنى قوله تعالى: ﴿ثم إذا شاء

(**لا بل يحييه بعد طول البلى**) بكسر الباء (**ليقاسي شدائد البلاء**) بفتح الباء (**فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة ويخرج إلى أهوال**) يوم (**القيامة**) التي لم تكن منه على بال، (**فينظر إلى قيامة قائمة وسماء ممزقة مشققة**) مطوية. قال تعالى: ﴿إذا السماء انشقت﴾ [الإنشقاق: ١] وقال تعالى: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] (**وأرض مبدلة**) قال تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ [إبراهيم: ٤٨] (**وجبال مسيرة**): قال تعالى: ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ [الشمس: ٣] (**ونجوم منكدرة**) قال تعالى: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ [الشمس: ٢] (**وشمس منكسفة**) مكوّرة (**وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد**) أي أقوياء. قال تعالى: ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد﴾ [التحريم: ٦] (**وجحيم تزفر**) قال الله تعالى: ﴿وإذا الجحيم سعرت﴾ [الشمس: ١٢] (**وجنة ينظر إليها المجرم فيتحسر**) على دخولها (**ويرى صحائف منشورة**) قال تعالى: ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ [الشمس: ١٠] (**فيقال له: ﴿أقرأ كتابك**) كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ (**فيقول: وما هو؟ فيقال**) له: (**كان قد وكل بك في حياتك التي كنت**) تفرح بها في الدنيا (**وتتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها**) واعراضها (**ملكان رقيبان**) عتيدان (**يكتبان عليك ما كنت تنطق به وتعمله من قليل وكثير وصغير وكبير ونقير وقطمير**). وأصل النقير النكتة التي على ظهر النواة، والقطمير قشرتها والمراد بها القلة، (**وأكل وشرب وقيام وقعود قد نسيت ذلك وأحصاه الله**) وضبطه (**عليك، فهلم إلى الحساب واستعد للجواب، أو تساق إلى دار العذاب فينقطع قلبه فزعاً من هول هذا الخطاب قبل أن تنشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه**) وفضائحه، (**فإذا شاهده قال**) مبادراً: (**﴿يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾**) ووجد ما عمله حاضراً ولا ينسي ربك أحداً. (**فهذا آخر أمره وهو معنى قوله**

أنشره﴾ [عبس: ٢٢] فما لمن هذا حاله والتكبر والتعظم؟ بل ما له وللفرح في لحظة واحدة فضلاً عن البطر والاشر ؟ فقد ظهر له أول حاله ووسطه ولو ظهر آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلباً أو خنزيراً ليصير مع البهائم تراباً ولا يكون إنساناً يسمع خطاباً أو يلقى عذاباً ، وإن كان عند الله مستحقاً للنار فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع إذ أوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب ، والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق. ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ، ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ، ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى منه في بحار الدنيا لصارت أنتن من الجيفة ، فمن هذا حاله في العاقبة ـ إلا أن يعفو الله عنه وهو على شك من العفو ـ كيف يفرح ويبطر وكيف يتكبر ويتجبر وكيف يرى نفسه شيئاً حتى يعتقد له فضلاً ؟ وأي عبد لم يذنب ذنباً استحق به العقوبة إلا أن يعفو الله الكريم بفضله ويجبر الكسر بمنه ، والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظنّ به ولا قوّة إلا بالله. أرأيت من جنى على بعض الملوك فاستحق بجنايته ضرب ألف سوط

تعالى: ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ **فما لمن هذا حاله وللتكبر بل ماله وللفرح في لحظة فضلاً عن البطر والتبختر فقد ظهر له أول حاله ووسطه ولو ظهر**) له (**آخره والعياذ بالله تعالى ربما اختار أن يكون كلباً أو خنزيراً ليصير مع البهائم تراباً ولا يكون إنساناً يسمع خطاباً أو يلقي عذاباً**). ونظر إلى هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: ليتني كنت كبش أهلي سمنوني ما بدالهم حتى إذا كنت أسمن ما أكـون زارهـم بعـض مـن يحبـون فجعلـوا بعضي شـواء وبعضي قديداً ثم أكلوني فأخرجوني عذرة ولم أك بشراً. أخرجه هناد في الزهد ، عن أبي معاوية ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن عمر. وقال المسور بن مخرمة: لما طعن عمر قال: والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله من قبل أن أراه ، (**وإن كان عند الله مستحقاً عذاباً**) وفي نسخة للنار. (**فالخنزير أشرف منه وأطيب وأرفع إذ أوله التراب وآخره التراب وهو بمعزل عن الحساب والعذاب، و**) أيضاً فإن (**الخنزير والكلب لا يهرب منه الخلق. ولو رأى أهل الدنيا العبد المذنب في النار لصعقوا من**) الرؤية إلى (**وحشة خلقته وقبح صورته**) أي سقطت قوتهم، (**ولو وجدوا ريحه لماتوا بنتنه، ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقي منه في بحار الدنيا لصارت أنتن من الجيفة، فمن هذا حاله في العاقبة**) والمآل (**إلا أن يعفـو الله عنه**) ويسامح له (**وهو على شك من العفو**) هل يعفي له أم لا ؟ (**فكيف يفرح ويبطر وكيف يتكبر**) على إخوانه (**وكيف يرى نفسه شيئاً حتى يعتقد له فضلاً ؟ وأي عبد لم يذنب ذنباً استحق به العقوبة إلا أن يعفو الكريم بفضله**) وإحسانه (**أو يجبر الكسر بمنه، والرجاء منه ذلك لكرمه وحسن الظن به. أرأيت من جنى على بعض الملوك بما استحق به**

فحبس في السجن وهو ينتظر أن يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملأ من الخلق وليس يدري أيعفى عنه أم لا ؟ كيف يكون ذلة في السجن أفترى أنه يتكبر على من في السجن؟ وما من عبد مذنب إلا والدنيا سجنه وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون آخر أمره؟ فيكفيه ذلك حزناً وخوفاً وإشفاقاً ومهانة وذلاً . فهذا هو العلاج العلمي القامع لأصل الكبر .

وأما العلاج العملي فهو التواضع لله بالفعل ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين، كما وصفناه وحكيناه من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله ﷺ حتى أنه كان يأكل على الأرض ويقول: « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد » . وقيل لسلمان: لم لا تلبس ثوباً جديداً؟ فقال: إنما أنا عبد فإذا أعتقت يوماً لبست جديداً أشار به إلى العتق في الآخرة، ولم يتم التواضع بعد المعرفة إلا بالعمل، ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالإيمان وبالصلاة جميعاً، وقيل: الصلاة عماد الدين، وفي الصلاة

ضرب ألف سوط فحبس في السجن وهو ينتظر أن يخرج إلى العرض وتقام عليه العقوبة على ملأ من الخلق وليس يدري أيعفى عنه أم لا ؟ يكف يكون ذلة في السجن) وينسى ما اعد له من العقوبة؟ (وما من عبد مذنب إلا والدنيا سجنه) وقد روى الحاكم في تاريخه من حديث أبي هريرة: « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » وقد تقدم. (وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري كيف يكون أمره، فيكفيه ذلك حزناً وخوفاً واشفاقاً ومهانة وذلاً ، فهذا هو العلاج العلمي القاطع) وفي نسخة القامع (لأصل الكبر) من نسخه.

(وأما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله) تعالى (ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين، كما وصفناه وحكيناه من أحوال) السلف (الصالحين ومن أحوال رسول الله ﷺ حتى أنه كان يأكل على الأرض) ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير. رواه الطبراني من حديث ابن عباس، (ويقول: « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ») رواه الدارقطني في الإفراد، وابن عساكر من حديث البراء ورواه هناد في الزهد عن الحسن مرسلاً. ورواه ابن عدي، وابن عساكر من حديث أنس بزيادة « واشرب كما يشرب العبد » ورواه الديلمي من حديث أبي هريرة أنه ﷺ أتى بهدية فلم يجد شيئاً يضعها عليه. فقال: « دعها على الحضيض » يعني الأرض ثم نزل فأكل ثم قال: « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد » وقد تقدم في كتاب آداب المعيشة (وقيل لسلمان) الفارسي رضي الله عنه وقد رؤي عليه ثوب خلق: (لم لا تلبس ثوباً جديداً فقال: إنما أنا عبد فإذا اعتقت يوماً لبست) وقد (أشار به إلى العتق في الآخرة) أي إذا اعتقت من عذاب الآخرة لبست، وإنما استراح من غفر له كما في حديث عائشة. (ولا يتم التواضع بعد المعرفة إلا بالعمل، ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله

أسرار لأجلها كانت عماداً ، ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائماً وبالركوع والسجود ، وقد كانت العرب قديماً يأنفون من الإنحناء ، فكان يسقط من يد الواحد سوطه فلا ينحني لأخذه ، وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لإصلاحه ، حتى قال حكيم بن حزام : بايعت النبي ﷺ على أن لا أخرَّ إلا قائماً فبايعه النبي ﷺ ، ثم فقه وكمل إيمانه بعد ذلك ، فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة أمروا به لتنكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم ، وبه أمر سائر الخلق ، فإن الركوع والسجود والمثول قائماً هو العمل الذي يقتضيه التواضع ، فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الأفعال فليواظب على نقيضه حتى يصير التواضع له خلقاً ، فإن القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعاً ،

ورسوله بالإيمان وبالصلاة جميعاً) فالإيمان المعرفة والصلاة العمل . **(وقيل الصلاة عماد الدين)** روى أبو نعيم الفضل بن دكين شيخ البخاري في كتاب الصلاة له ، عن حبيب بن سليم ، عن بلال بن يحي قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله عن الصلاة فقال : « الصلاة عمود الدين » وهو مرسل ورجاله ثقات . وروي الديلمي من حديث علي : « الصلاة عماد الإيمان » وعند الأصبهاني في الترغيب بلفظ : « الصلاة عماد الإسلام » .

(وفي الصلاة أسرار لأجلها كانت عماداً ، ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائماً وبالركوع والسجود وقد كان العرب قديماً يأنفون من الإنحناء) ويعدوه من المهانة ، **(فكان يسقط من يد الواحد منهم سوطه فلا ينحني لأخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس رأسه لإصلاحه حتى قال)** أبو خالد **(حكيم بن حزام)** بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي الأسدي ابن أخي خديجة بنت خويلد له حديث في الكتب الستة ، وكان من سادات قريش تأخر إسلامه رضي الله عنه حتى أسلم عام الفتح ، وكان من المؤلفة قلوبهم وشهد حنيناً وأعطى من غنائمها مائة بعير ، ثم حسن إسلامه ، مات سنة خمسين ، وقيل : ستين وهو ممن عاش مائة وعشرين سنة شطرها في الجاهلية وشطرها في الإسلام قاله ابن المنذر : **(بايعت رسول الله ﷺ على أن لا أخر إلا قائماً)** رواه أحمد والنسائي وفيه ارسال خفي ، **(ثم فقه وكمل إيمانه بعد ذلك ، فلما كان السجود عندهم هو منتهى المذلة والضعة أمروا به لينكسر بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم)** وينتفي عيبة الجاهلية عنهم ، **(وبه أمر سائر الخلق فإن الركوع والسجود والمثول قائماً هو العمل الذي يقتضيه التواضع ، فكذلك من عرف نفسه فلينظر ما يتقاضاه الكبر من الأفعال فليواظب على نقيضه)** فإن المعالجة لا تتم إلا بما يناقض الداء ، **(حتى يصير التواضع له خلقاً)** راسخاً **(فإن القلوب لا تتخلق بالأخلاق المحمودة إلا بالعلم والعمل جميعاً ، وذلك لخفاء العلاقة بين القلب** والجوارح وسر **الإرتباط الذي بين**

وذلك لخفاء العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت، والقلب من عالم الملكوت.

المقام الثاني: فيما يعرض من التكبر بالأسباب السبعة المذكورة، وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل، فأما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم أن لا يتكبر، ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة.

الأول: النسب. فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداوِ قلبه بمعرفة أمرين:

أحدهما: أن هذا جهل من حيث أنه تعزز بكمال غيره، ولذلك قيل:

لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

فالمتكبر بالنسب إن كان خسيساً في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره؟ بل لو كان الذي ينسب إليه حياً لكان له أن يقول: الفضل لي ومن أنت وإنما أنت دودة خلقت من بولي؟ افترى أن الدودة التي خلقت من بول إنسان أشرف من الدودة التي من بول فرس؟ هيهات! بل هما متساويان والشرف للإنسان لا للدودة.

عالم الملك وعالم الملكوت، والقلب من عالم الملكـوت) كما تقدم في كتاب عجائب القلب والله الموفق.

المقام الثاني: فيما يعرض من التكبر بالأسباب **(السبعة المذكورة)** آنفاً **(وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه أن الكمال الحقيقي هو العلم والعمل، فأما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي)** لا حقيقة له **(فمن هذا يعسر على العالم أن لا يتكبر)** وكذا العابد، **(ولكنا نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الأسباب السبعة)**.

(الأول: النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداوِ قلبه بمعرفة أمرين).

(أحدهما: **أن هذا جهل من حيث أنه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل:**

(لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا)

(فالمتكبر بالنسب إن كان خسيساً في **صفات ذاته فمن أين يجبر خسته بكمال غيره؟ بل لو كان الذي ينسب إليه حياً لكان له أن يقول الفضل لي ومن أنت وإنما أنت دودة خلقت من بولي، أفترى أن الدودة التي خلقت من بول إنسان أشرف من الدودة التي خلقت من بول فرس)** مثلاً. **(هيهات: فهما متساويان والشرف للإنسان لا للدودة)**.

الثاني: أن يعرف نسبه الحقيقي، فيعرف أباه وجده فإن أباه القريب نطفة قذرة وجدّه البعيد تراب ذليل، وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه★ وبدأ خلْق الإنسان من طينٍ★ ثم جعلَ نَسْلَهُ مِنْ سلالة من ماء مهين﴾ [السجدة: ٧-٩]، فمن أصله التراب المهين الذي يداس بالأقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنوناً كيف يتكبر؟ وأخس الأشياء ما إليه انتسابه إذ يقال يا أذل من التراب ويا أنتن من الحمأة ويا أقذر من المضغة.

فإن كان كونه من أبيه أقرب من كونه من التراب فنقول: افتخر بالقريب دون البعيد، فالنطفة والمضغة أقرب إليه من الأب فليحقر نفسه بذلك، ثم إن كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالأب الأعلى من التراب فمن أين رفعته؟ وإذا لم يكن له رفعة فمن أين جاءت الرفعة لولده؟ فإذاً أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فضل. وهذه غاية خسة النسب فالأصل يوطأ بالأقدام والفصل تغسل منه الأبدان. فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد أخبره بذلك والداه، فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك - إذا أخبره عدول لا يشك في

(الثاني: هو أن يعرف نفسه نسبه الحقيقي فيعرف أباه وجده، فإن أباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد) وهو آدم عليه السلام **(تراب ذليل فقد عرفه الله تعالى نسبه، فقال)** عز وجل: **(﴿الذي أحسن كل شيء خلقه★ وقد بدأ خلق الإنسان من طين★ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ فمن أصله التراب المهين الذي يداس بالأقدام)** ويوطأ بها عليه، **(ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنوناً كيف يتكبر؟ وأخس الأشياء ما إليه انتسابه إذ يقال: يا أذل من التراب ويا أنتن من الحمأ ويا أقذر من المضغة، فإن كان كونه من أبيه أقرب من كونه من التراب فيقول: افتخر بالقريب دون البعيد فالمضغة والنطفة أقرب إليه من الأب فليحقر نفسه بذلك ثم إن كان ذلك يوجب رفعة لقربه فالأب الاعلى)** خلق **(من التراب فمن أين رفعته)** ومن شأن التراب الذل؟ **(وإذا لم تكن له رفعة فمن أين جاءت الرفعة لولده؟ فإذاً أصله من التراب وفصله من النطفة فلا أصل له ولا فضل. وهذه غاية خسة النسب فالأصل يوطأ بالأقدام والفصل تغسل منه الأبدان فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب ويكون مثله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة أصله كرجل لم يزل عند نفسه)** أنه **(من)** ولد **(بني هاشم)** بن عبد مناف جد النبي ﷺ **(وقد أخبره بذلك والده فلم تزل فيه نخوة الشرف)** أي عظمته، **(فبينا هو كذلك إذا**

قولهم أنه ابن هندي حجام يتعاطى القاذورات، وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم، أفترى ان ذلك يبقى شيئاً من كبره؟ لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن أن يتكبر على غيره. فهذا حال البصير إذا تفكر في أصله وعلم أنه من النطفة والمضغة والتراب، إذ لو كان أبوه ممن يتعاطى نقل التراب أو يتعاطى الدم بالحجامة أو غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة أعضاء أبيه للتراب والدم، فكيف إذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والأشياء القذرة التي يتنزه عنها هو في نفسه؟

السبب الثاني: التكبر بالجمال، ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم. ومهما نظر إلى باطنه رأى من القبائح ما يكدر عليه تعززه بالجمال فإنه وكل به الأقذار في جميع أجزائه: الرجيع في إمعائه، والبول في مثانته، والمخاط في أنفه، والبزاق في فيه، والوسخ في أذنيه، والدم في عروقه، والصديد تحت بشرته، والصنان تحت إبطه، يغسل الغائط بيده كل يوم دفعة أو دفعتين، ويتردد كل يوم إلى الخلاء مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلاً عن أن يمسه أو يشمه، كل ذلك ليعرف قذارته وذله هذا في حال توسطه.

أخبره) جماعة من المسلمين (**عدول لا يشك في قولهم أنه ابن هندي حجام يتعاطى القاذورات**) أي مص الدماء، (**وكشفوا له وجه التلبيس عليه**) إلى أن وثق به، (**فلم يبق له شك في صدقهم. أفترى أن ذلك يبقى شيئاً من كبره لا بل يصير عند نفسه أحقر الناس وأذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن أن يتكبر على غيره. فهذا حال البصير**) الناقد (**إذا تفكر في أصله وعلم أنه** من النطفة والمضغة والتراب إذ لو **كان أبوه من يتعاطى نقل التراب**) بأن كان كناساً أو زبالاً (**أو يتعاطى الدم**) أي مصه (**بالحجامة**) أو التشريط (**وغيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة أعضاء أبيه للتراب والدم، فكيف إذا عرف أنه في نفسه من التراب والدم والأشياء القذرة التي يتنزه عنها هو**) ويتباعد في نفسه؟

(**السبب الثاني: الكبر بالجمال، ودواؤه أن ينظر إلى باطنه نظر العقلاء المتأملين ولا ينظر إلى الظاهر نظر البهائم. ومهما نظر إلى باطنه**) والدم (**في عروقه رأى من الفضائح ما يكدر عليه تعززه بجماله فإنه وكل به الأقذار في جميع أجزائه الرجيع**) أي العذرة (**في أمعائه، والبول في مثانته، والمخاط في أنفه، والبزاق في فيه، والوسخ في أذنيه، والدم في عروقه، والصديد تحت بشرته، والصنان تحت إبطيه، ويغسل الغائط**) بيده (**كل يوم دفعة أو دفعتين، ويتردد إلى الخلاء كل يوم مرة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلاً عن أن يمسه أو يشمه**) ولو أصاب منه شيئاً من جسده أو ثوبه لساء

وفي أول أمره خلق من الأقذار الشنيعة الصور، ومن النطفة ودم الحيض، وأخرج من مجرى الأقذار، إذ خرج من الصلب، ثم من الذكر مجرى البول، ثم من الرحم مفيض دم الحيض، ثم خرج من مجرى القذر. قال أنس رحمه الله: كان أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر إلينا أنفسنا ويقول: خرج أحدكم من مجرى البول مرتين. وكذلك قال طاوس لعمر بن عبد العزيز: ما هذه مشية من في بطنه خرء إذ رآه يتبختر، وذلك كان قبل خلافته وهذا أوله ووسطه.

ولو ترك نفسه في حياته يوماً لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت منه الأنتان والأقذار، وصار أنتن وأقذر من الدواب المهملة التي لا تتعهد نفسها قط. فإذا نظر أنه خلق من أقذار وأسكن في أقذار، وسيموت فيصير جيفة أقذر من سائر الأقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الأزهار في البوادي، فبينما هو كذلك إذ صار هشيماً تذروه الرياح، كيف ولو كان جماله باقياً وعن هذه القبائح خالياً لكان يجب

مزاجه وبادر إلى إزالته، فتراه مدة جلوسه واضعاً يده على أنفه لئلا يشمه (**كل ذلك ليعرف قذراته وذله. هذا في حال توسطه**).

(**وفي أول أمره خلق من الأقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض**)، ولذلك إذا علقت المرأة انقطع عنها الدم. (**وأخرج من مجاري الأقذار إذ خرج**) أولاً (**من الصلب**) أي من صلب أبيه (**ثم من الذكر مجرى البول**) ومجرى المني غير مجرى البول عند الشافعي رحمه الله تعالى كما تقدم الكلام عليه في سر الطهارة، (**ثم من الرحم مفيض دم الحيض، ثم خرج من مجرى**) وفي نسخة من مخرج (**القذر. قال أنس**) بن مالك (**رحمه الله تعالى: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر إلينا أنفسنا ويقول: خرج أحدكم من مجرى البول مرتين**) الأولى من مجرى بول أبيه، والثانية من مجرى بول أمه. (**وكذلك قال طاوس**) اليماني (**لعمر بن عبد العزيز**) رحمهما الله تعالى: (**ما هذه مشية من في بطنه خرء إذ رآه يتبختر وذلك قبل خلافته**) وقد تقدم. (**هذا أوله ووسطه**).

(**ولو ترك نفسه في حال حياته يوماً لم يتعهدها بالتنظف والغسل**) بالماء (**لثارت منه الأنتان والأقذار**) أي انبعثت (**وصار أقذر أنتن من الدواب المهملة التي لا تتعهد في نفسها قط، فإذا نظر أنه خلق من أقذار واسكن في أقذار وسيموت فيصير جيفة أقذر من سائر الأقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن**) أي الشجرة الخضراء في منبت سوء، فإن ما ينبت في الدمن وإن كان ناضراً لا يكون ثامراً وهو سريع الفساد، (**وكلون الأزهار في البوادي بينا هو كذلك إذ صار هشيماً**) يابساً متكسراً (**تذروه**) أي تسفيه (**الرياح، كيف ولو كان جماله باقياً وعن هذه القبائح خالياً لكان يجب أن لا يتكبر به على القبيح**)

أن لا يتكبر به على القبيح ، إذا لم يكن قبح القبيح إليه فينفيه ، ولا كان جمال الجميل إليه حتى يحمد عليه ؟ كيف ولا بقاء له بل هو في كل حين يتصوّر أن يزول بمرض أو جدري أو قرحة أو سبب من الأسباب ؟ فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الأسباب ؟ فمعرفة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأملها .

السبب الثالث: التكبر بالقوّة والأيدي ، ويمنعه من ذلك أن يعلم ما سلط عليه من العلل والأمراض ، وأنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل ، وأنه لو سلبه الذباب شيئاً لم يستنقذه منه وأن بقة لو دخلت في أنفه أو نملة دخلت في أذنه لقتلته ، وأن شوكة لو دخلت في رجله لأعجزته ، وأن حمى يوم تحلل من قوّته ما لا ينجبر في مدة . فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي أن يفتخر بقوّته ! ثم إن قوي الإنسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل ، وأي افتخار في صفة يسبقك فيها البهائم ؟

السبب الرابع والخامس: الغنى وكثرة المال ، وفي معناه كثرة الأتباع والأنصار

الصورة ، (**إذ لم يكن قبح القبيح إليه فينفيه ، ولا كان جمال الجميل إليه حتى يحمد عليه ؟ كيف ولا بقاء له بل هو في كل حين**) وفي نسخة حالة (**يتصور أن يزول بمرض أو جدري أو قرحة أو بسبب من الأسباب**) غير ما ذكر ؟ (**فكم من وجوه جميلة سمجت**) أي قبحت بعد أن كانت جميلة (**بهذه الأسباب ؟ فمعرفة هذه الأمور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأملها**) .

(**السبب الثالث: التكبر بالقوة والأيدي ، ويمنعه من ذلك ما سلط عليه من العلل**) العارضة (**والأمراض**) الفاجئة (**فإنه لو توجع عرق واحد في يده**) لسلب القرار و(**لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل**) فكم لله من نعمة على عرق ساكن ، (**وأنه لو سلبه الذباب**) الذي هو أحقر المخلوقات (**شيئاً لم** يستنقذه منه وأن **بقة لو دخلت أنفه**) لأفسدت دماغه وبها كان هلاك النمروذ ، أو نملة دخلت أذنه لقتلته ، وأن شوكة لو دخلت رجله لأعجزته) عن المشي (**وأن حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة**) من الزمان ، (**فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر أن يمنع عن نفسه ذبابة ، فلا ينبغي أن يفتخر بقوته**) ثم بتأمل أن أصله من التراب وهو أذل ما يكون فما يكون للمخلوق منه من القوة حتى يفتخر بها . (**ثم إن قوي الإنسان لا يكون أقوى من حمار أو بقرة أو فيل أو جمل . وأي افتخار في صفة تسبقك البهائم فيها**) .

(**السبب الرابع والخامس: الغني وكثرة المال ، وفي معناه كثرة الإتباع والأنصار**)

والتكبر بولاية السلاطين والتمكن من جهتهم، وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الإنسان لا كالجمال والقوّة والعلم. وهذا أقبح أنواع الكبر، فإن المتكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره، ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلاً. والمتكبر بتمكين السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بني أمره على قلب هو أشد غلياناً من القدر، فإن تغير عليه كان أذل الخلق، وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل، كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل؟ فأف لشرف يسبقك به اليهودي! وأف لشرف يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلاً مفلساً؟ فهذه أسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال، فالتفاخر به غاية الجهل، وكل ما ليس إليك فليس لك، وشيء من هذه الأمور ليس إليك بل إلى واهبه إن أبقاه بقي لك وإن استرجعه زال عنك، وما أنت إلا عبد مملوك لا تقدر على شيء ومن عرف ذلك لا بدّ وأن يزول كبره.

ومثاله: أن يفتخر الغافل بقوّته وجماله وماله وحريته واستقلاله وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه، إذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف بأنه رقيق لفلان وأن

والخدم (**والتكبر بولاية السلاطين**) للمناصب (**والتمكن من جهتهم، وكل ذلك تكبر بمعنى خارج عن ذات الإنسان كالجمال والقوة والعمل، وهذا أقبح أنواع التكبر، فإن المتكبر بماله كأنه متكبر بفرسه وداره، ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلاً، والمتكبر بتمكين السلطان وولايته**) لمنصب (**لا بصفة في نفسه بني أمره على قلب هو أشد غلياناً من القدر، فإن تغير عليه**) عزله عن ولايته وأسقطه من عينه و(**كان أذل الخلق، وكل متكبر بأمر خارج عن ذاته فهو ظاهر الجهل**) فاسد العقل. (**كيف والمتكبر بالغنى لو تأمل لرأى في اليهود**) والنصارى (**من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل**) بالأثاث والأمتعة. (**فأف لشرف يسبقك به اليهود**) والنصارى! (**وأف لشرف يأخذه السارق في لحظة واحدة فيعود صاحبه ذليلاً مفلساً فهذه أسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس إليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال، فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس إليك فليس لك وشيء من هذه الأمور ليس إليك بل هي إلى واهبه إن أبقاه بقي لك وإن استرجعه زال عنك، وما أنت إلا عبد مملوك لا تقدر على شيء. فمن عرف ذلك**) وتأمل فيه حق التأمل (**لا بد وأن يزول كبره. ومثاله: أن يفتخر الغافل بقوته وجماله وماله وحريته**) وأعوانه (**واستقلاله**) في أموره، (**وسعة منازلة وكثرة خيوله وغلمانه إذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف**) عادل (**بأنه رقيق لفلان، وأن أبويه كانا**

أبويه كانا مملوكين له، فعلم ذلك وحكم به الحاكم، فجاء مالكه فأخذه وأخذ جميع ما في يده، وهو مع ذلك يخشى أن يعاقبه وينكل به لتفريطه في أمواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف أنّ له مالكاً، ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوساً في منزل قد أحدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحد منها، وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقاً في الخلاص البتة. أفتى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوّته وجماله أم تذل نفسه ويخضع؟ وهذا حال كل عاقل بصير فإنه يرى نفسه كذلك فلا يملك رقبته وبدنه وأعضاءه وماله، وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وأمراض وأسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك. فمن هذا حاله لا يتكبر بقوّته وقدرته إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوّة. فهذا طريق علاج التكبر بالأسباب الخارجة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل، فإنها كمالان في النفس جديران بأن يفرح بهما، ولكن في التكبر بهما أيضاً نوع من الجهل خفي كما سنذكره.

السبب السادس: الكبر بالعلم، وهو أعظم الآفات وأغلب الأدواء وأبعدها عن قبول العلاج إلا بشدة شديدة وجهد جهيد، وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس، وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما، بل لا قدر لهما أصلاً إلا إذا كان

مملوكين له فعلم ذلك) وثبت لديه، **(وحكم به الحاكم فجاء مالكه فأخذه وأخذ جميع ما في يديه، وهو يخشى مع ذلك أن يعاقبه وينكل به لإفراطه في أمواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف أن له مالكاً، ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوساً في منزل قد أحدقت به الحيات والعقارب والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحدة منها، وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقاً في الخلاص البتة. افترى أن من هذا حاله هل يفتخر بقدرته وثروته وقوته وجماله، أم يذل في نفسه ويخضع؟ وهذا حال كل عاقل بصير فإنه يرى نفسه كذلك فإنه لا يملك رقبته وماله وبدنه وأعضاءه، وهو مع ذلك بين آفات وشهوات** وأمراض وأسقام **هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك، فمن هذا حاله لا يتكبر بقدرته وقوته إذ يعلم أنه لا قدرة له ولا قوة. فهذا طريق علاج التكبر بالأسباب الخارجة وهو أهون من علاج التكبر بالعلم والعمل، فإنها كمالان في النفس جديران بأن يفرح بهما لكن في التكبر بهما أيضاً نوع من الجهل خفي كما سنذكره).**

(السبب السادس: التكبر بالعلم، وهو أعظم الآفات وأغلب الأدواء وأبعدها عن قبول العلاج إلا بشدة شديدة وجهد جهيد، وذلك لأن قدر العلم عظيم عند الله عظيم عند الناس وهو أعظم من قدر المال والجمال وغيرهما، بل لا قدر لهما أصلاً إلا إذا كان معهما

معهما علم وعمل. ولذلك قال كعب الأحبار: إن للعلم طغياناً كطغيان المال. وكذلك قال عمر رضي الله عنه: العالم إذا زل زل بزلته عالم فيعجز العالم عن أن لا يستعظم نفسه بالإضافة إلى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم. ولن يقدر العالم على دفع الكبر إلا بمعرفة أمرين.

أحدهما: أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد، وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم، فإن من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته أفحش، إذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم، ولذلك قال ﷺ: «يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون: ما لك؟ فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهي عن الشر وآتيه». وقد مثل الله سبحانه

علم وعمل، ولذلك قال كعب الأحبار رحمه الله: (**إن للعلم طغياناً كطغيان المال، وقال عمر رضي الله عنه: العالم إذا زل بزلته عالم**) الأولى بكسر اللام والثانية بفتحها وأخصر منه: «زلة العالم زلة العالم» وقد تقدم في كتاب العلم. (**فيعجز العالم أن لا يستعظم نفسه بالإضافة إلى الجاهل لكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم، ولن يقدر العالم على دفع الكبر إلا بمعرفة أمرين:**

أحدهما: أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم أوكد، وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشرة من العالم، وأنه من عصى الله عن معرفة وعلم فجنايته أفحش) وأغلظ (**إذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العالم، ولذلك قال النبي ﷺ «يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه»**) أي أمعاؤه (**فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك**)، أي ما شأنك؟ (**فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهي عن الشر وآتيه**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أسامة بن زيد بلفظ «يؤتى بالرجل وتقدم في العلم».

قلت: لفظ الشيخين «يجاء بالرجل وفيه فيقولون: يا فلان ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر»؟ فيقول: «بلى قد كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه». ورواه كذلك أحمد ولفظ الحميدي والعوفي في مسنديهما: يؤتى برجل كان والياً فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور في النار كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر. والباقي سواء، وعند أبي نعيم في الحلية: يجاء بالأمير يوم القيامة فيلقى في النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار بطاحونته فيقال له: ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: بلى ولكن لم أكن لأفعله. وروى ابن النجار من حديث أنس: يؤتى بعلماء السوء يوم القيامة فيقذفون في نار جهنم فيدور أحدهم في جهنم بقصبه كما يدور الحمار بالرحى، فيقال له: يا ويلك بك اهتدينا فما بالك؟ قال: إني كنت أخالف ما أنهاكم.

وتعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال عز وجل: ﴿مَثَلُ الّذين حُمّلوا التَّوراة ثم لم يحمِلُوها كمثلِ الحمارِ يحملُ أسفاراً﴾ [الجمعة: ٥] أراد به علماء اليهود. وقال في بلعم بن باعوراء: ﴿واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ حتى بلغ: ﴿فَمَثَلُهُ كمثلِ الكَلْبِ إن تحملْ عليه يلهثْ أو تتركه يلهث﴾ [الأعراف: ١٧٦] قال ابن عباس رضي الله عنهما: أوتي بلعم كتاباً فأخلد إلى شهوات الأرض أي سكن حبه إليها

(وقد مثل الله تعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال: ﴿مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ أراد به علماء اليهود) فإنهم لم يعملوا بما علموا.
(قال بلعم بن باعوراء) بن يرم بن برسم بن مازن بن هاران بن تارح بن ناحور بن سروع بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح، وقيل في نسبه غير ذلك، وقيل هو من الكنعانيين وكان قد أوتي علم بعض كتب الله: ﴿واتل عليهم﴾ أي على اليهود ﴿نبأ الذي آتيناه آياتنا﴾ وكان أحد علماء بني إسرائيل أو المراد به أمية بن أبي الصلت، فإنه حينئذ قد كان قرأ الكتاب وعلم أن الله تعالى مرسل رسولاً في ذلك فرتجا ان يكون هو، فلما بعث الله محمداً ﷺ حسده فكفر به، وهذا يروى عن عبد الله بن عمرو ﴿فانسلخ منها﴾ أي من الآيات بالله كفر بها أو أعرض عنها **(حتى بلغ ﴿فمثله كمثل الكلب﴾)** وتمام الآية بعد قوله: ﴿فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب﴾ أي فصفته التي هي مثل في الخسة كصفة الكلب في أخس أحواله، وقوله: ﴿أخلد إلى الأرض﴾ أي مال إلى الدنيا وإلى السفالة واتبع هواه في إيثار الدنيا واسترضاء قومه، وأعرض عن مقتضى الآيات وكان من حقه أن يقول: ولكنه أعرض عنها فأوقع موقعه أخلد إلى الأرض واتبع هواه مبالغة وتنبيهاً على ما حمله عليه، وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة.

(قال ابن عباس) رضي الله عنهما. **(أوتي بلعم كتاباً فأخلد إلى شهوات الأرض)** أي مال إليها. روى عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس قال: هو بلعم بن باعورا، وفي لفظ بلعام بن باعر الذي أوتي الاسم، وكان من بني إسرائيل. وروى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم أوتي اسم الله الأكبر، فلما نزل بهم موسى عليه السلام أتاه بنو عمه وقومه فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وأنه إن يظهر علينا يهلكنا فادع الله أن يردّ عنا موسى ومن معه. قال: إني إن دعوت الله أن يرد موسى ومن معه مضت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فانسلخ ما كان فيه. وروى ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: هو رجل يدعى بلعم من أهل اليمن آتاه الله آياته فتركها. وروى ابن جرير عن مجاهد قال: هو نبي من بني إسرائيل يقال له بلعم أوتي النبوّة، فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه.

فمثله بالكلب ﴿إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ أي سواء آتيته الحكمة أو لم أوته لا يدع شهوته، ويكفي العالم هذا الخطر فأي عالم لم يتبع شهوته وأي عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه؟ فمهما خطر للعالم عظم قدره بالإضافة إلى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده، فإن خطره أعظم من خطر غيره كما أن قدره أعظم من قدر غيره، فهذا بذاك. وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه فإنه إذا أخذ وقهر اشتهى أن يكون قد كان فقيراً، فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال؟ والعياذ بالله منه. فهذا الخطر يمنع من التكبر، فإنه إن كان من أهل النار فالخنزير أفضل منه، فكيف يتكبر من هذا حاله؟ فلا ينبغي أن يكون العالم أكبر عند نفسه من الصحابة رضوان الله عليهم وقد كان بعضهم يقول: يا ليتني لم تلدني أمي! ويأخذ الآخر تبنة من

﴿إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ واللهث إدلاع اللسان في التنفس الشديد أي يلهث دائماً سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده، والشرطية في موضع الحال، والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووهن المنزلة للمبالغة والبيان، وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب (**أي سواء آتيته أو لم أوته فلا يدع شهوته**). وقال ابن عباس: أي إن حمل الحكمة لم يحملها وإن ترك لم يهتد لخير كالكلب إن كان رابضاً يلهث وإن طرد يلهث. وقال قتادة: هذا مثل الكافر ميت الفؤاد كما أميت فؤاد الكلب. وقال عكرمة: هم أناس من اليهود والنصارى والحنفاء ممن أعطاه الله آياته وكتابه فانسلخ منها فجعله مثل الكلب. وقال مجاهد: قوله ﴿إن تحمل عليه﴾ أي إن تطرده بدابتك ورجليك وهو مثل الذي يقرأ الكتاب ولا يعمل به. وقال الحسن: (**إن تحمل عليه**) أي تسعى عليه. وقال ابن جرير: الكلب منقطع الفؤاد لا فؤاد له مثل الذي يترك الهدى لا فؤاد له إنما فؤاده منقطع كان ضالاً قبل وبعد. (**ويكفي العالم هذا الخطر فأي عالم لم يتبع شهوته**) وركن إليها (**وأي عالم لم يأمر بالخير الذي لا يأتيه؟ فمهما خطر للعالم عظم قدره بالإضافة إلى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده، فإن خطره أعظم من خطر غيره، كما أن قدره أعظم من قدر غيره، فهذا**) يقابل (**بذاك**) فانظر أيها أرجح (**وهو كالملك المخاطر بروحه في ملكه لكثرة أعدائه، فإنه إذا أخذ وقهر**) واذل (**اشتهى أن يكون قد كان فقيراً**) من آحاد الرعية ولم يكن ملكاً، (**فكم من عالم يشتهي في الآخرة**) لما يعاين الأهوال (**سلامة الجهال والعياذ بالله تعالى منه، فهذا الخطر يمنع من التكبر**) ويشغله عنه (**لأنه إن كان من أهل النار فالخنزير أفضل منه**) إذ لا حساب على الخنزير، (**فكيف يتكبر من هذا حاله، فلا ينبغي أن يكون العالم أكبر عند نفسه من الصحابة رضوان الله عليهم، وقد كان بعضهم يقول: يا ليتني لم تلدني أمي**) روي ذلك من قول عمر رضي الله عنه بلفظ: ليت أم عمر لم تلد عمر ليتني كبشاً لأهلي فسمنوني

الأرض ويقول: يا ليتني كنت هذه التبنة! ويقول الآخر: ليتني كنت طيراً أؤكل! ويقول الآخر: ليتني لم أك شيئاً مذكوراً! كل ذلك خوفاً من خطر العاقبة، فكانوا يرون أنفسهم أسوأ حالاً من الطير ومن التراب. ومهما أطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره، ورأى نفسه كأنه شر الخلق.

ومثاله: مثال عبد أمره سيده بأمور فشرع فيها، فترك بعضها وأدخل النقصان في بعضها وشك في بعضها أنه هل أداها على ما يرتضيه سيده أم لا؟ فأخبر مخبر أن سيدهُ أرسل إليه رسولاً يخرجه من كل ما هو فيه عرياناً ذليلاً ويلقيه على بابه في الحر والشمس زماناً طويلاً، حتى إذا ضاق عليه الأمر وبلغ به المجهود أمر برفع حسابه وفتش عن جميع أعماله قليلها وكثيرها ثم أمر به إلى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة، وقد علم أن سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري من أي الفريقين يكون؟ فإذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على أحد من الخلق، بل تواضع رجاء أن يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب، فكذلك العالم إذا تفكر فيما ضيعه من أوامر ربه بجنايات

فذبحوني وأكلوني، (**ويأخذ الآخر**) منهم (**تبنة من الأرض ويقول: يا ليتني كنت هذه التبنة، ويقول الآخر: ليتني كنت طيراً**) آوي إلى الأشجار وآكل الثمار ولا أشاهد هول القيامة، (**ويقول الآخر: ليتني لم أك شيئاً مذكوراً. كل ذلك خوفاً من خطر العاقبة، فكانوا يرون أنفسهم اسوأ حالاً من الطير ومن التراب**) ومن التبنة وما أشبه ذلك من المحتقرات، (**ومهما أطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق**) فهذه مشاهدة العارفين الكاملين.

(**ومثاله: مثال عبد أمره سيده بأمور فشرع فيها**) بالعمل (**وترك بعضها**) تهاوناً (**وأدخل النقصان في بعضها وشك في بعضها أنه هل أداها على ما يرتضيه سيده أم لا فأخبره مخبر أن مولاه أرسل إليه رسولاً يخرجه من كل ما هو فيه عرياناً ذليلاً ويلقيه على بابه في الشمس والحر زماناً طويلاً حتى إذا ضاق عليه الأمر وبلغ به المجهود**) أي نهاية طاقته (**أمر برفع حسابه وفتش عن جميع أعماله قليلها وكثيرها، ثم أمر به إلى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة، وقد علم**) ذلك العبد (**أن سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري من أي الفريقين يكون**) أمن المعذبين أم من الخالصين؟ (**فإذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه، ولم يتكبر على أحد من الخلق بل تواضع**) وخشع (**رجاء أن يكون من شفعائه عند نزول العذاب به، فكذلك العالم إذا تفكر فيما ضيعه من أوامر ربه**) وقصر فيها

على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والنفاق وغيره، وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة.

الأمر الثاني: أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده، وأنه إذا تكبر صار ممقوتاً عند الله بغيضاً، وقد أحب الله منه أن يتواضع وقال له: إن لك عندي قدراً ما لم تر لنفسك قدراً فإن رأيت لنفسك قدراً فلا قدر لك عندي، فلا بدّ وأن يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه. وهذا يزيل التكبر عن قلبه وإن كان يستيقن أنه لا ذنب له مثلاً أو تصوّر ذلك. وبهذا زال التكبر عن الأنبياء عليهم السلام إذ علموا أن من نازع الله تعالى في رداء الكبرياء قصمه، وقد أمرهم الله بأن يصغروا أنفسهم حتى يعظم عند الله محلهم، فهذا أيضاً مما يبعثه على التواضع لا محالة.

فإن قلت: فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع، وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد، وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله تعالى. وكيف يغنيه أن يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم أن خطر الفاسق والمبتدع أكثر؟ فاعلم أن ذلك إنما يمكن

(بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الرياء والحقد والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة).

(الأمر الثاني: أن العالم يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده) لقوله تعالى: ﴿وله الكبرياء في السموات والأرض﴾ [الجاثية: ٣٧] **(وأنه إذا تكبر صار ممقوتاً عند الله بغيضاً)** لأنه نازع صفة من صفاته تعالى، **(وقد أحب الله تعالى منه ان يتواضع)** وأثنى على من اتصف به **(وقال له)**: يا عبدي **(إن لك عندي قدراً)** أي منزلة ومقاماً **(ما لم تر لنفسك قدراً فإن رأيت لنفسك قدراً فلا قدر لك عندي، ولا بدَّ أن يكلف نفسه ما يحبه مولاه منه وهذا)** الفهم **(يزيل التفكير عن قلبه وإن كان يستيقن أنه لا ذنب له مثلاً أو تصوّر ذلك)** من غير استيقان، **(وبهذا زال الكبر عن الأنبياء)** عليهم السلام. **(إذ علموا أن من نازع الله في رداء الكبرياء)** بأن أراد ان يرتدي به **(قصمه)** أي كسره وقطعه، **(وقد أمرهم الله تعالى أن يصغروا أنفسهم)** ويذللوها **(حتى يعظم عند الله محلهم، فهذا أيضاً مما يبعثه على التواضع لا محالة)** ويحمله على الإتصاف به.

(فإن قلت: فكيف يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع) الحامل على بدعته، **(وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد)** ورع تقي، **(وكيف يجهل فضل العلم والعبادة عند الله، وكيف يخطر بباله وهو يعلم أن خطر الفاسق المبتدع أكثر؟ فاعلم أن ذلك إنما**

بالتفكر في خطر الخاتمة، بل لو نظر إلى كافر لم يمكنه أن يتكبر عليه، إذ يتصوّر أن يسلم الكافر فيختم له بالإيمان ويضل هذا العالم فيختم له بالكفر، والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة، والكلب والخنزير أعلى رتبة ممن هو عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك، فكم من مسلم نظر إلى عمر رضي الله عنه قبل إسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الإسلام وفاق جميع المسلمين إلا أبا بكر وحده، فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل إلا إلى العاقبة، وجميع الفضائل في الدنيا تراد للعاقبة. فإذاً من حق العبد أن لا يتكبر على أحد، بل إن نظر إلى جاهل قال: هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فهو أعذر مني، وإن نظر إلى عالم قال: هذا قد علم ما لم أعلم فكيف أكون مثله؟ وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سناً قال: هذا قد أطاع الله قبلي فكيف أكون مثله؟ وإن نظر إلى صغير قال: إني عصيت الله قبله فكيف أكون مثله؟ وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال: ما يدريني لعله يختم له بالإسلام ويختم لي بما هو عليه الآن، فليس دوام الهداية إليّ، كما لم يكن ابتداؤها إليّ؟ فبملاحظة الخاتمة يقدر على أن ينفى الكبر عن نفسه،

يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة، بل لو نظر إلى كافر لم يمكنه أن يتكبر عليه إذ يتصوّر) في العقل **(ان يسلم الكافر فيختم له بالإيمان ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر)** عياذاً بالله منه، وقد وقع ذلك لكثير منهم وحكاية ابن السقاء والقطب عبد القادر الجيلاني في دخولهما على أحد الأولياء المكاشفين مشهورة في المناقب **(والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة، والكلب والخنزير أعلى مرتبة ممن هو عند الله من أهل النار وهو لا يدري ذلك، فكم من مسلم نظر إلى عمر رضي الله عنه قبل إسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله الإسلام وفاق)** بعد ذلك **(جميع المسلمين إلا أبا بكر)** رضي الله عنه **(وحده)** بنص: «ما طلعت شمس ولا غربت على أفضل من أبي بكر» كما هو في الخبر، **(فالعواقب مطوية عن العباد)** لا علم لهم بها **(ولا ينظر العاقل إلا إلى العاقبة، وجميع الفضائل)** إنما **(تراد للعاقبة، فإذاً من حق العبد أن لا يتكبر على أحد)** أبداً **(بل إن نظر إلى جاهل قال: هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فهذا أعذر مني)** أي يقبل عذره أكثر مني. **(وإن نظر إلى عالم قال: هذا قد علم ما لم أعلم)** وحصل ما لم أحصل، **(فكيف أكون مثله؟ وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سناً قال: هذا قد أطاع الله قبلي)** وعبد الله قبلي، **(فكيف أكون مثله؟ وإن نظر إلى صغير قال: إني عصيت الله قبله فكيف أكون مثله؟ وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال: ما يدريني لعله يختم له بالإسلام)** ولعل المبتدع يتوب ويحسن حاله **(ويختم لي بما عليه الآن)** من الكفر والابتداع. **(فليس دوام الهداية إليّ كما لم يكن ابتداؤها إليّ)** إذ هي بيد الله تعالى؟ **(فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفي)** وصف **(الكبر عن نفسه)** ويزيله، **(وكل ذلك بأن**

وكل ذلك بأن يعلم أن الكمال في سعادة الآخرة والقرب من الله، لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له، ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه! ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الهمة إلى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته، لا أن يشتغل بخوف غيره، فإن الشفيق بسوء الظن مولع، وشفقة كل إنسان على نفسه. فإذا حبس جماعة في جناية ووعدوا بأن تضرب رقابهم لم يتفرغوا لتكبر بعضهم على بعض وإن عمهم الخطر، إذ شغل كل واحد همّ نفسه عن الالتفات إلى همّ غيره، حتى كأن كل واحد هو وحده في مصيبته وخطره.

فإن قلت: فكيف أبغض المبتدع في الله وأبغض الفاسق وقد أمرت ببغضهما، ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض؟ فاعلم أن هذا أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق، إذ يمتزج غضبك لله في إنكار البدعة والفسق بكبر النفس والإدلال بالعلم والورع، فكم من عابد جاهل وعالم مغرور إذا رأى فاسقاً جلس بجنبه أزعجه من عنده وتنزه عنه بكبر باطن في نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله، كما وقع لعابد بني إسرائيل مع خليعهم؟ وذلك لأن الكبر على المطيع ظاهر كونه شراً والحذر منه ممكن، والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير، فإن الغضبان أيضاً يتكبر على من غضب عليه

يعلم أن الكمال) إنما هو (**في سعادة الآخرة والقرب من الله لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له**) ولا دوام. (**ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه، ولكن حق على كل واحد أن يكون مصروف الهمة إلى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا أن يشتغل بخوف غيره، فإن الشفيق بسوء الظن مولع، وشفقة كل إنسان على نفسه فإذا حبس جماعة في جناية ووعدوا بأن تضرب رقابهم لم يتفرغوا لتكبر بعضهم على بعض وإن عمهم الخطر**) جميعاً (**إذ شغل كل واحدهم نفسه عن الالتفات إلى هم غيره حتى كان كل واحد هو وحده في مصيبته وخطره.**

فان قلت: فكيف أبغض المبتدع في الله وأبغض الفاسق وقد أمرت ببغضهما، ثم مع ذلك أتواضع لهما والجمع بينهما متناقض؟ فاعلم أن هذا أمر مشتبه يلتبس على أكثر الخلق إذ يمتزج غضبك لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والإدلال) أي الإعجاب (**بالعلم والورع، فكم من عابد جاهل وعالم مغرور إذا رأى فاسقاً**) من الفساق (**جلس بجنبه أزعجه**) أي أقامه (**من عنده وتنزه عنه**) أي تباعد (**بكبر باطن في نفسه وهو ظان أنه قد غضب لله**) وليس كما ظن. (**كما وقع لعابد بني إسرائيل مع خليعهم**) وتقدم ذكره قريباً، (**وذلك لأن الكبر على المطيع ظاهر كونه شراً والحذر منه ممكن، والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله وهو خير، فإن الغضبان أيضاً يتكبر على من غضب عليه**

والمتكبر يغضب، وأحدهما يثمر الآخر ويوجبه، وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما إلا الموفقون.

والذي يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة أمور:

أحدها: التفاتك إلى ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليصغر عند ذلك قدرك في عينك.

والثاني: أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث أنها نعمة من الله تعالى عليك، فله المنة فيه لا لك، فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك، وإذا لم تعجب لم تتكبر.

والثالث: ملاحظة إبهام عاقبتك وعاقبته، أنه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى، حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه.

فإن قلت: فكيف أغضب مع هذه الأحوال؟ فأقول: تغضب لمولاك وسيدك، إذ أمرك أن تغضب له لا لنفسك، وأنت في غضبك لا ترى نفسك ناجياً وصاحبك

والمتكبر يغضب، وأحدهما يثمر الآخر ويوجبه) فالغضب يوجب التكبر والتكبر يوجب الغضب، **(وهما ممتزجان ملتبسان لا يميز بينهما إلا الموفقون)** بالله تعالى.

(والذي يخلصك من هذا أن يكون الحاضر على قلبك عند مشاهدة المبتدع أو الفاسق أو عند أمرهما بالمعروف أو) عند **(نهيهما عن المنكر ثلاثة أمور)**.

(أحدها: التفاتك إلى ما سبق من ذنوبك وخطاياك) وسائر ما قصرت فيه من أوامر الله ونواهيه **(ليصغر عند ذلك قدرك في عينك)** فلا ترى لنفسك مقاماً.

(والثاني: اما أن تكون ملاحظتك لما أنت متميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث أنها نعمة من الله عليك، فله المنة فيه لا لك، فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك، وإذا لم تعجب لم تتكبر) وفي بعض النسخ لم تنفر.

(والثالث: ملاحظة إبهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم لك بالسوء ويختم له بالحسنى، حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه) فإذا حضرت هذه الأمور الثلاثة عند مشاهدة هؤلاء أو عند أمرهم ونهيهم يرجى أن يكون غضبه لله تعالى.

(فإن قلت: فكيف أغضب مع) وجود **(هذا الأحوال؟ فأقول: تغضب لمولاك وسيدك إذ أمرك أن تغضب له لا لنفسك وأنت في غضبك)** عليه **(لا ترى نفسك ناجياً**

هالكاً، بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة، وأعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره. فأقول: إذا كان للملك غلام وولد هو قرّة عينه، وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه، وأمره أن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما لا يليق به، ويغضب عليه. فإن كان الغلام محباً مطيعاً لمولاه فلا يجد بداً من أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب، وإنما يغضب عليه لمولاه ولأنه أمره به، ولأنه يريد التقرب بامتثال أمره إليه، ولأنه جرى من ولده ما يكره مولاه، فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه، لأن الولد أعز لا محالة من الغلام. فإذن ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع؟ فكذلك يمكنك أن تنظر إلى المبتدع والفاسق وتظن أنه ربما كان قدرهما في الآخرة عند الله أعظم، لما سبق لهما من الحسنى في الأزل، ولما سُبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافل عنه، ومع ذلك فتغضب بحكم الأمر محبة لمولاك إذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة. فهكذا يكون بغض العلماء الأكياس فينضم إليه الخوف والتواضع. وأما المغرور فإنه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما

وصاحبك هالكاً، بل يكون خوفك على نفسك لما علم الله من خفايا ذنوبك) ودقائق معاصيك (أكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة، وأعرفك ذلك بمثال) يفهمك المقصود (لتعلم أنه ليس من ضرورة الغضب لله أن تتكبر على المغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره. فأقول: إذا كان للملك غلام وولد هو قرة عينه) والعزيز عنده (وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه) ويحافظ عليه (وأمره بأن يضربه مهما أساء أدبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه، فإن كان الغلام محباً مطيعاً لمولاه) وفي نسخة مطيعاً محباً لمولاه (فلا يجد بداً من أن يغضب مهما رأى ولده قد أساء الأدب، وإنما يغضب عليه لمولاه) لا لنفسه، (لأنه أي مولاه (أمره به ولأنه يريد التقرب بامتثال أمره إليه ولانه جرى من ولده ما يكره مولاه، فيضرب ولده ويغضب عليه من غير تكبر عليه بل هو متواضع له) عارف به (يرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه، لأن الولد أعز لا محالة من الغلام) وأقرب، (فإذاً ليس من ضرورة الغضب التكبر وعدم التواضع، فكذلك يمكنك أن تنظر إلى المبتدع والفاسق وتظن أنه ربما كان قدرهما عند الله في الآخرة أعظم لما سبق لهما من الحسنى في الأزل، ولما سبق لك من سوء القضاء في الأزل وأنت غافل عنه، ومع ذلك فتغضب بحكم الأمر محبة لمولاك إذ جرى ما يكرهه) ونهى عنه (مع التواضع لمن يجوز أن يكون عنده أقرب منك في الآخرة، فهكذا يكون بغض العلماء الأكياس) المتفطنين، (فينضم

يرجوه لغيره مع جهله بالعاقبة، وذلك غاية الغرور. فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله أو اعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الأمر.

المسبب السابع: التكبر بالورع والعبادة، وذلك أيضاً فتنة عظيمة على العباد، وسبيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد وهو أن يعلم أن من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم. وقد قال تعالى: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر: ٩] وقال ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي»، إلى غير ذلك مما ورد في فضل العلم.

فإن قال العابد: ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر، فيقال له: أما عرفت أن الحسنات يذهبن السيئات، وكما أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم، فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه، وكل واحد منهما ممكن وقد وردت الأخبار بما يشهد لذلك، وإذا كان هذا الأمر غائباً عنه لم يجز له أن يحتقر عالماً بل يجب عليه التواضع له.

إليه الخوف والتواضع، وأما المغرور) بعلمه **(فإنه يتكبر ويرجو لنفسه أكثر مما يرجوه لغيره مع جهله بالعافية وذلك غاية الغرور)** وهو مهلك. **(فهذا سبيل التواضع لمن عصى الله واعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الأمر)** الإلهي.

(السبب السابع: التكبر بالورع والعبادة، وذلك أيضاً فتنة عظيمة على العباد) والورعين. **(وسبيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد، وهو أن يعلم أن من تقدم عليه في العلم لا ينبغي أن يتكبر عليه كيفما كان لما عرفه من فضيلة العلم، وقد قال تعالى)** في كتابه العزيز: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ تقدم الكلام عليه في أول كتاب العلم. **(وقال ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي»)** رواه الترمذي والطبراني من حديث أبي أمامة بلفظ: «كفضلي على أدناكم» قال الترمذي: حسن صحيح غريب، وقد تقدم في كتاب العلم. وروى الحرث بن أبي أسامة في مسنده، وابن حبان في الضعفاء، وابن عبد البر في العلم، وابن النجار من حديث أبي سعيد بلفظ: «كفضلي على أمتي» **(إلى غير ذلك مما ورد في فضل العلم)** مما تقدم جميعها في كتاب العلم. **(فإن قال العابد: ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر. فيقال له: أما علمت أن الحسنات يذهبن السيئات، وكما أن العلم يمكن أن يكون حجة على العالم، فكذلك يمكن أن يكون وسيلة له إلى النجاة وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن. وقد وردت الأخبار بما يشهد لذلك فإذا كان هذا الأمر غائباً عنه لم يجز له أن يحتقر عالماً بل يجب عليه أن يتواضع له)** ويراه بعين الكمال.

فإن قلت : فإن صح هذا فينبغي أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله عليه السلام : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » . فاعلم أن ذلك كان ممكناً لو علم العالم عاقبة أمره ، وخاتمة الأمر مشكوك فيها ، فيحتمل أن يموت بحيث يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق لذنب واحد كان يحسبه هيناً وهو عند الله عظيم وقد مقته به ، وإذا كان هذا ممكناً كان على نفسه خائفاً فإذا كان كل واحد من العابد والعالم خائفاً على نفسه وقد كلف أمر نفسه لا أمر غيره ، فينبغي أن يكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء ، وذلك يمنعه من التكبر بكل حال . فهذا حال العابد مع العالم ، فأما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه إلى مستورين وإلى مكشوفين ، فينبغي أن لا يتكبر على المستور فلعله أقل منه ذنوباً وأكثر منه عبادة وأشد منه حباً لله ، وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما تزيد عليه ذنوبك في طول عمرك . فلا ينبغي أن تتكبر عليه ، ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنباً ، لأن عدد ذنوبك في طول عمرك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على إحصائها حتى تعلم الكثرة . نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والزنا ، ومع ذلك فلا ينبغي أن تتكبر عليه إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد

(فإن قلت: فإن صح هذا فينبغي أن يكون للعالم أن يرى نفسه فوق العابد لقوله ﷺ : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » فاعلم أن ذلك كان ممكناً لو علم العالم عاقبة أمره وخاتمة الأمر مشكوك فيها) غير معلومة لأحد ، **(فيحتمل أن يموت بحيث أن يكون حاله عند الله أشد من حال الجاهل الفاسق بذنب واحد كان يحسبه هيناً وهو عند الله عظيم وقد مقته به)** وأبغضه بسببه ، **(وإذا كان هذا ممكناً كان على نفسه خائفاً فإذا كل واحد من العالم والعابد خائف على نفسه وقد كلف أمر نفسه لا أمر غيره ، فيكون الغالب عليه في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء ، وذلك يمنعه من الكبر بكل حال . فهذا حال العابد مع العالم ، فأما مع غير العالم فينقسمون في حقه إلى مستورين وإلى مكشوفين ، فينبغي أن لا يتكبر على المستور)** الذي لم يجاهر بمعصيته **(فلعله أقل منه ذنوباً وأكثر منه عبادة وأشد منه حباً لله ، وأما المكشوف حاله)** عند الناس **(إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما تزيد عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي أن تتكبر عليه ، ولا يمكن)** لك **(أن تقول هذا أكثر مني ذنباً ، لأن عدد ذنوبك وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على إحصائها حتى تعلم الكثرة)** فيها . **(نعم يمكن أن يعلم أن ذنوبه أشد كما لو رأيت منه القتل والشرب والزنا)** وغيرها من الكبائر ، **(ومع ذلك فلا ينبغي أن تتكبر عليه إذ ذنوب القلب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله**

والرياء والغل واعتقاد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخيل الخطأ في ذلك كل ذلك شديد عند الله، فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتاً، وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتعظيم ما أنت خال عنه، وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته، فينكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات، فهذا ممكن والإمكان البعيد فيما عليك ينبغي أن يكون قريباً عندك إن كنت مشفقاً على نفسك، فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك، فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وعذاب غيرك لا يخفف شيئاً من عذابك، فإذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى نفسك فوق غيرك.

وقد قال وهب بن منبه: ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال، فعد تسعة حتى بلغ العاشرة فقال: العاشرة! وما العاشرة! بها ساد مجده وبها علا ذكره، أن يرى الناس

تعالى وتخيل الخطأ في ذلك كل ذلك شديد عند الله) مؤاخذ به العبد **(فربما جرى عليك في باطنك من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله ممقوتاً)** وأنت لا تشعر، **(وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب الله وإخلاص وخوف وتعظيم)** لأمر الله **(ما أنت خال عنه، وقد كفر الله بذلك عنه سيئاته، فينكشف الغطاء يوم القيامة فتراه فوق نفسك بدرجات، فهذا ممكن والإمكان البعيد فيما عليك ينبغي أن يكون قريباً عندك إن كنت مشفقاً على نفسك ولا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى)** أي لا تحمل حاملة ذنب نفس أخرى، **(وعذاب غيرك لا يخفف شيئاً من عذابك، فإذا تفكرت في هذاالخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى نفسك فوق نفس غيرك)**.

(وقد قال وهب بن منبه) اليماني رحمه الله تعالى: **(ما تم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال فعدّ تسعاً حتى بلغ العاشرة فقال: العاشرة! وما العاشرة)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مخلد، حدثنا الحرث بن أبي أسامة، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا عباد بن كثير.

وحدثنا أحمد بن السندي، حدثنا الحسن بن علوية القطان، حدثنا اسماعيل بن عيسى، حدثنا إسحاق بن بشير كلاهما عن إدريس عن جده وهب بن منبه قال: ماعبد الله بشيء أفضل من العقل وما تم عقل امرىء حتى يكون فيه عشر خصال حتى يكون الكبر فيه مأموناً والرشد فيه مأمولاً. يرضي من الدنيا بالقوت وما كان من فضل فمبذول التواضع فيها أحب إليه من الشرف، والذل فيها أحب إليه من العز لا يسأم من طلب العلم دهره ولا يتبرم من مطالب الخير ولا يستكثر قليل

كلهم خيراً منه، وإنما الناس عنده فرقتان: فرقة هي أفضل منه وأرفع، وفرقة هي شر منه وأدنى. فهو يتواضع للفرقتين جميعاً بقلبه، إن رأى من هو خير منه سره ذلك وتمنى أن يلحق به، وإن رأى من هو شر منه قال: لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلا تراه إلا خائفاً من العاقبة ويقول: لعل بر هذا باطن فذلك خير له، ولا أدري لعل فيه خلقاً كريماً بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له بأحسن الأعمال، ويرى ظاهر فذلك شر لي. فلا يأمن فيما أظهره من الطاعة أن يكون دخلها الآفات فأحبطتها، ثم قال: فحينئذ كمل عقله وساد أهل زمانه. فهذا كلامه.

وبالجملة؛ فمن جوّز أن يكون عند الله شقياً وقد سبق القضاء في الأزل بشقوته فما له سبيل إلى أن يتكبر بحال من الأحوال.

نعم. إذا غلب عليه الخوف رأى كل أحد خيراً من نفسه وذلك هو الفضيلة، كما روي أن عابداً أوى إلى جبل فقيل له في النوم: ائت فلاناً الإسكاف فسله أن يدعو لك. فأتاه فسأله عن عمله فأخبره أنه يصوم النهار، ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم

المعروف من غيره ويستقل كثير المعروف من نفسه، والعاشرة هي ملاك أمره (بها ساد مجده) ولفظ الحلية: ينال مجده (وبها علا) ولفظ الحلية يعلو (ذكره) وزاد بعده، وبها علا في الدرجات في الدارين كلاهما. قيل: وما هي؟ قال: (أن يرى الناس كلهم خيراً منه. وإنما الناس عنده فرقتان: ففرقة هي أفضل منه وأرفع، وفرقة هي شر منه وأدنى. فهو يتواضع للفرقتين جميعاً بقلبه، إن رأى من هو خير منه) وأفضل (سره ذلك وتمنى أن يلحق به، وإن رأى من هو شر منه) وأرذل (قال: لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلا تراه إلا خائفاً من العاقبة ويقول: لعل بر هذا باطن) ولفظ الحلية: لعل لهذا باطناً لم يظهر لي (فذلك خير له، ولا أدري لعل فيه خلقاً كريماً بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه ويختم له بأحسن الأعمال، ويرى ظاهر فذلك شر لي) ولفظ الحلية: ولعل ذلك شر لي، (فلا يأمن فيما أظهره من الطاعات أن يكون دخلها الآفات فأحبطتها ثم قال: فحينئذ كمل عقله وساد أهل زمانه) ولفظ الحلية: فهناك يكمل عقله ويسود أهل زمانه، وكان من السبّاق إلى رحمة الله عز وجل وجنته إن شاء الله.(فهذا كلامه).وفي سياق الحلية إختصار ومخالفة في بعض المواضع.

(وبالجملة؛ فمن جوّز أن يكون عند الله شقياً وقد سبق القضاء في الأزل بشقوته فما له سبيل إلى أن يتكبر بحال من الأحوال. نعم إذا غلب عليه الخوف رأى واحداً خيراً من نفسه وذلك هو الفضيلة، كما روي) في أخبار بني إسرائيل (أن عابداً) من عبادهم (آوى إلى جبل)فنام (فقيل له في النوم: ائت فلاناً الإسكاف) وسماه له (فسله أن يدعو لك فأتاه فسأله عن عمله فأخبره أنه يصوم النهار، ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله ببعضه

عياله ببعضه، فرجع وهو يقول: إن هذا لحسن، ولكن ليس هذا كالتفرغ لطاعة الله فأتي في النوم ثانياً فقيل له ائت فلاناً الاسكاف. فقل له: ما هذا الصفار الذي بوجهك؟ فأتاه فسأله فقال له: ما رأيت أحداً من الناس إلا وقع لي أنه سينجو وأهلك أنا، فقال العابد بهذه.

والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى: ﴿يؤتُونَ ما أوتُوا وقلوبهم وجِلَة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ [المؤمنون: ٦٠] أي انهم يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها. وقال تعالى: ﴿إنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خشيَةِ رَبِّهِمْ مشفقُون﴾ [المؤمنون: ٥٧] وقال تعالى: ﴿إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين﴾ [الطور: ٢٦] وقد وصف الله تعالى الملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادات على الدؤوب بالإشفاق، فقال تعالى مخبراً عنهم: ﴿يسبِّحون الليلَ والنهارَ لا يَفتُرونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] ﴿وهُمْ من خَشيتِهِ مشفقون﴾ [الأنبياء: ٢٨] فمتى زال الإشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الأزل ـ وينكشف عند خاتمة الأجل ـ غلب الأمن من مكر الله وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك. فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك. والتواضع دليل الخوف وهو مسعد؛ فإذن ما يفسده العابد بإضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر إليهم بعين الاستصغار أكثر مما

فرجع) العابد (**وهو يقول: إن هذا لحسن، ولكن ليس هذا كالتفرغ لطاعة الله تعالى فأتي في النوم ثانياً وقيل له: ائت فلاناً الإسكاف**) المذكور (**فقل له: ما هذا الصفار الذي بوجهك**) أي أيّ شيء صفر لون وجهك؟ (**فأتاه فسأله فقال: ما رأيت أحداً من الناس إلا وقع لي**) في خاطري (**أنه سينجو وأهلك أنا، فقال العابد: بهذه**) نال ما نال من القرب والكرامة.

(**والذي يدل على فضيلة هذه الخصلة قوله عز وجل: ﴿يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة﴾ أي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها وقال تعالى: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ وقال تعالى: ﴿إنّا كنا قبل في أهلنا مشفقين﴾ وقد وصف الله الملائكة**) عليهم السلام (**مع تقدسهم من الذنوب ومواظبتهم على العبادة على الدؤوب**) أي الاستمرار (**بالاشفاق فقال تعالى مخبراً عنهم: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ فمتى زال الإشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الأزل وينكشف عند خاتمة الأجل غلب الأمن من مكر الله، وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك. فالكبر دليل الأمن، والأمن مهلك، والتواضع دليل الخوف وهو مسعد**) أي يورث السعادة في الآخرة. (**فإذاً ما يفسده العابد بإضمار الكبر واحتقار الخلق والنظر إليهم بعين الإستصغار**)

يصلحه بظاهر الأعمال. فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير، إلا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعي البراءة من الكبر وهي كاذبة، فإذا وقعت الواقعة عادت إلى طبعها ونسيت وعدها، فعن هذا لا ينبغي أن يكتفي في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي أن تكمل بالعمل وتجرب بأفعال المتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس.

وبيانه أن يمتحن النفس بخمس امتحانات هي أدلة على استخراج ما في الباطن وإن كانت الامتحانات كثيرة.

الامتحان الأول: أن يناظر في مسألة مع واحد من أقرانه، فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه وإخراجه الحق، فذلك يدل على أن فيه كبراً دفيناً فليتق الله فيه ويشتغل بعلاجه. أما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وإن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى. وأما العمل فبأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق وأن يطلق اللسان بالحمد والثناء، ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الإستفادة ويقول: ما أحسن ما فطنت له وقد كنت غافلاً عنه فجزاك الله خيراً كما نبهتني له! فالحكمة ضالة المؤمن

والمهانة (**أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال. فهذه معارف بها**) إذا تحقق بها (**يزول داء الكبر من القلب لا غير، إلا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع**) في باطنها (**وتدعي البراءة من الكبر وهي كاذبة**) في دعواها، (**فإذا وقعت الواقعة عادت إلى طبعها ونسيت وعدها، فعن هذا لا ينبغي أن يكتفي في المداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي أن تكمل بالعمل وتجرب بأفعال المتواضعين في مواقع هيجان الكبر من النفس**).

(**وبيانه أن يمتحن بخمسة امتحانات هي أدلة**) قوية (**على إستخراج ما في الباطن وإن كانت الإمتحانات كثيرة**).

(**الإمتحان الاول: أن يناظر في مسألة**) من المسائل العلمية (**مع واحد من أقرانه، فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والإنقياد له والإعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه وإخراجه، فذلك يدل على أن فيه كبراً دفيناً فليتق الله فيه ويشتغل بعلاجه**) بالعلم والعمل. (أما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة نفسه وخطر عاقبته وأن الكبر لا يليق إلا بالله) عز وجل. (**وأما بالعمل فبأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الإعتراف بالحق فيطلق اللسان بالحمد**) له (**والثناء**) عليه، (**ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الإستفادة وهو أن يقول: ما أحسن ما فطنت له وقد كنت غافلاً عنه فجزاك الله خيراً كما نبهتني له!**)

فإذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها ، فإذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعاً ، وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم ففيه كبر ، فإن كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل عليه في الملأ ، فليس فيه كبر وإنما فيه رياء ، فليعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس ، ويذكر القلب بأن منفعته في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق ، إلى غير ذلك من أدوية الرياء . وإن ثقل عليه في الخلوة والملأ جميعاً ففيه الكبر والرياء جميعاً ، ولا ينفعه الخلاص من أحدهما ما لم يتخلص من الثاني. فليعالج كلا الداءين فإنهما جميعاً مهلكان.

الامتحان الثاني: أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحافل ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم ، فإن ثقل عليه ذلك فهو متكبر ، فليواظب عليه تكلفاً حتى يسقط عنه ثقله ، فبذلك يزايله الكبر وههنا للشيطان مكيدة وهو أن يجلس في صف النعال أو يجعل بينه وبين الأقران بعض الأرذال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين الكبر ، فإن ذلك يخف على نفوس المتكبرين إذ يوهمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق

فالحكمة ضالة المؤمن فإذا وجدها ينبغي أن يشكر من دلّه عليها) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو أحق بها » وعند ابن النجار من حديث بريدة بلفظ « حيثما وجدها أخذها ! وروى القضاعي من مرسل زيد بن أسلم بلفظ « حيثما وجد المؤمن ضالته فليجمعها إليه » . **(فإذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك طبعاً له)** وسجية لازمة **(وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله ، ومهما ثقل عليه الثناء على أقرانه بما فهم)** من الأوصاف **(ففيه كبر فإن كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل عليه في الملاء فليس فيه كبر ، وإنما فيه رياء فيعالج الرياء بما ذكرناه)** آنفاً **(من قطع الطمع عن الناس)** وعدم الإلتفات إلى ما بأيديهم ، **(ويذكر القلب بأن منفعته في كماله في ذاته وعند الله لا عند الخلق إلى غير ذلك من أدوية الرياء)** كما تقدم ، **(فإن ثقل عليه في الخلوة والملأ جميعاً ففيه الكبر والرياء ولا ينفعه الخلاص من أحدهما ما لم يتلخص من الثاني ، فليعالج كِلا الداءين فإنهما جميعاً مهلكان)** .

(الإمتحان الثاني: أن يجتمع من الأقران والأمثال في المحافل) العامة **(ويقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور)** من المجالس **(تحتهم ، فإن ثقل عليه ذلك فهو متكبر فليواظب عليه تكلفاً حتى يسقط عنه ثقله)** ويصير طبعاً له ، **(فبذلك يزايله الكبر . وههنا للشيطان مكيدة)** خفية **(وهو أن يجلس في صف النعال)** وهي آخر الصفوف وأرذلها ، **(أو يجعل بينه وبين الأقران بعض الأراذل فيظن أن ذلك تواضع)** منه **(وهو عين الكبر ، فإن ذلك يخف على نفوس المتكبرين)** ولا يثقل عليهم ، **(إي يوهمون أنهم تركوا**

والتفضل فيكون قد تكبر وتكبر بإظهار التواضع أيضاً، بل ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم بجنبهم ولا ينحط عنهم إلى صف النعال، فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن.

الامتحان الثالث: أن يجيب دعوة الفقير ويمر إلى السوق في حاجة الرفقاء والأقارب، فإن ثقل ذلك عليه فهو كبر، فإن هذه الأفعال من مكارم الأخلاق والثواب عليها جزيل، فنفور النفس عنها ليس إلا لخبث في الباطن، فليشتغل بإزالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر.

الامتحان الرابع: أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق إلى البيت، فإن أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء، فإن كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر، وإن كان لا يثقل عليه إلا مع مشاهدة الناس فهو رياء، وكل ذلك من أمراض القلب وعلله المهلكة له إن لم تتدارك، وقد أهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب الأجساد مع أن الأجساد قد كتب عليها الموت لا محالة، والقلوب لا تدرك السعادة إلا

مكانهم بالإستحقاق **والتفضل فيكون قد تكبر بإظهار التواضع أيضاً)** فظاهره يرى متواضعاً وفي باطنه داء الكبر، **(بل ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بينهم بجنبهم ولا ينحط عنهم إلى صف النعال، فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن)**.

(الإمتحان الثالث: أن يجيب دعوة الفقير) ولا يتأنف منه **(ويمر إلى السوق في حاجة الرفقاء والأقارب)** والاصدقاء، **(فإن ثقل ذلك عليه فهو كبر، فإن هذه الأفعال من مكارم الأخلاق)** ومحاسنها **(والثواب عليها جزيل، فنفور النفس عنها ليس إلا لخبث)** كامن **(في الباطن، فليشتغل بإزالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر)**.

(الإمتحان الرابع: أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق إلى البيت، فإن أبت نفسه ذلك) وامتنعت **(فهو كبر ورياء، فإن كان يثقل ذلك مع خلوّ الطريق)** عن الناس **(فهو كبر، وإن كان لا يثقل عليه إلا عند مشاهدة الناس فهو رياء، وكل ذلك من أمراض القلب وعلله المهلكة له)** هلاكاً أبدياً **(إن لم تتدارك)** بالمعالجات، **(وقد أهمل الناس طب القلوب)** مع شدة الحاجة إليه **(واشتغلوا بطب الأجساد مع أن الأجساد قد كتب عليها الموت لا محالة)** فأنى يجدي الإشتغال بمداواتها **(والقلوب لا تدرك السعادة إلا**

بسلامتها إذ قال تعالى: ﴿إلاَّ من أتى الله بقلب سليم﴾ [الشعراء: ٨٩] ويروى عن عبدالله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له: يا أبا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفيك! قال: أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تنكر ذلك؟ فلم يقنع منها بما أعطته من العزم على ترك الأنفة حتى جربها أهي صادقة أم كاذبة؟ وفي الخبر: «من حمل الفاكهة أو الشيء فقد برىء من الكبر».

الامتحان الخامس: أن يلبس ثياباً بذلة، فإن نفور النفس عن ذلك في الملأ رياء وفي الخلوة كبر. وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه له مسح يلبسه بالليل، وقد قال ﷺ: «من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برىء من الكبر» وقال عليه السلام: إنما أنا

بسلامتها) عن الغش والغل والكبر والرياء والعجب وغيرها من الاخلاق الذميمة؟ **(إذ قال تعالى: ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ ويروى عن عبد الله بن سلام)** بن الحرث الإسرائيلي رضي الله عنه يكنى أبا يوسف وهو من ذرية يوسف عليه السلام. أسلم أوّل ما قدم النبي ﷺ المدينة. مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين، **(أنه حمل حزمة حطب)** على ظهره **(فقيل له: يا أبا يوسف قد كان في غلمانك وبنيك)** وهم محمد ويوسف **(ما يكفيك)** يعني حمل الحطب! **(قال: أجل ولكن أردت أن أجرب نفسي هل تنكر ذلك)** أم لا؟ **(فلم يقنع منها بما أعطته من العزم على ترك الأنفة حتى جربها أهي صادقة أم كاذبة؟ وفي الخبر: «من حمل الفاكهة أو الشيء فقد برىء من الكبر»)** قال العراقي رواه البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة وضعفه بلفظ «من حمل بضاعة» اهـ.

قلت: وبهذا اللفظ رواه ابن لال في مكارم الأخلاق، ورواه القضاعي والديلمي في مسنديهما، وأبو نعيم من طريق سفيان، عن محمد بن المنكدر، عن جابر به مرفوعاً بلفظ سلعته. وفي لفظ الشرك بدل الكبر، وروى ابن منده، وأبو نعيم من رواية حكيم بن حجدم عن أبيه رفعه في أثناء حديث: «ومن حمل من سوقه فقد برىء من الكبر» وسيأتي قريباً. وروى الديلمي من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه «من اشترى لعياله شيئاً ثم حمله بيده إليهم حط عنه ذنب سبعين سنة» وقد تقدم.

(الإمتحان الخامس: أن يلبس ثياباً بذلة) أي مبتذلة **(فإن نفور النفس عن ذلك في الملأ رياء وفي الخلوة كبر. وكان عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى **(له مسح يلبسه بالليل)** والمسح بكسر الميم وسكون السين المهملة كساء من صوف أسود، **(وقد قال ﷺ: «من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برىء من الكبر»)** قال العراقي: رواه البيهقي من حديث أبي هريرة بزيادة فيه، وفي إسناده القاسم العمري ضعيف جداً اهـ.

قلت: وروى الطبراني في الكبير من حديث السائب بن يزيد: «من لبس الصوف وحلب الشاة

عبد آكل بالأرض وألبس الصوف وأعقـل البعير وألعق أصابعي وأجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني». وروي أن أبا موسى الأشعري، قيل له أن أقواماً يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم، فلبس عباءة فصلى فيها بالناس. وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملأ فهو الرياء، وما يكون في الخلوة فهو الكبر، فاعرف! فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه، ومن لا يدرك المرض لا يداويه.

أو أكل مع ما ملكت يمينه فليس في قلبه إن شاء الله الكبر». وروى ابن منده، وأبو نعيم من رواية حكيم بن حجدم عن أبيه رفعه بسند ضعيف: «من حلب شاته ورقع قميصه وخصف نعله وواكل خادمه وحمل من سوقه فقد برىء من الكبر». وروى تمام في فوائده، وابن عساكر من حديث ابن عمر: «من لبس الصوف وانتعل المخصوف وركب حماره وحلب شاته وأكل معه عياله فقد نحى الله عنه الكبر» الحديث وسيأتي بقيته بعد هذا الحديث.

(وقال ﷺ: «**إنما أنا عبـد آكـل بـالأرض وألبس الصـوف وأعتقـل البعير وألعـق أصابعي وأجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني**») قال العراقي: تقدم بعضه ولم أجد بقيته.

قلت: كأنه يشير إلى حديث البراء وأنس: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد» وقد تقدم ذكره. وروى تمام في فوائده، وابن عساكر من حديث ابن عمر «من لبس الصوف» الحديث وفيه «أنا عبد ابن عبد أجلس جلسة العبد وآكل أكلة العبد إني قد أوحي إليّ أن تواضعوا ولا يبغي أحد على أحد» وروى ابن عساكر من حديث أبي أيوب: «كان النبي ﷺ يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول: من رغب عن سنتي فليس مني» وروى الحاكم من حديث أنس: «كان يردف خلفه ويضع طعامه على الأرض ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار» وحديث لعق الأصبع تقدم في كتاب أخلاق النبوّة.

(**وروي أن أبا موسى الأشعري**) رضي الله عنه (**فقيل له: أن أقواماً يتخلفون عن**) صلاة (**الجمعة**) أي بالبصرة (**بسبب ثيابهم**) أي بسبب إبتذالها وكأنهم يستحيون أن يحضروا في تلك الثياب. (**فلبس عباءة**) وهي كساء صوف على هيئة القميص (**فصلّى فيها بالناس**) .أخرجه أبو نعيم في الحلية، ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا أبي، حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبو هلال، حدثنا قتادة أن أبا موسى بلغه أن ناساً يمنعهم من الجمعة أن لا ثياب لهم فلبس عباءة ثم خرج فصلى بالناس. (**وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملأ فهو الرياء، وما يكون في الخلوة فهو الكبر، فاعرف**) وليميز بينهما ثم يداوي كلاً منهما بما تقدم من ذكر الأجزاء المركبة من العلم والعمل، (**فإن من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه**)، فمعرفة الشر من حيث أنه شر لازم كمعرفة المرض فإنه إذا وقع فيه يعرف كيف يتخلص منه، والله الموفق.

بيان غاية الرياضة في خلق التواضع:

اعلم أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة، فطرفه الذي يميل إلى الزيادة يسمى تكبراً، وطرفه الذي يميل إلى النقصان يسمى تخاسساً ومذلة، والوسط يسمى تواضعاً. والمحمود أن يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس، فإن كلا طرفي الأمور ذميم وأحب الأمور إلى الله تعالى أوساطها، فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع. أي وضع شيئاً من قدره الذي يستحقه. والعالم إذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه ثم تقدم وسوّى له نعله وغدا إلى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل، وهذا أيضاً غير محمود بل المحمود عند الله العدل، وهو أن يعطي كل ذي حق حقه فينبغي أن يتواضع بمثل هذا لأقرانه ومن يقرب من درجته فإما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال وإجابة دعوته والسعي في حاجته وأمثال ذلك، وأن لا يرى نفسه خيراً منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره ولا يعرف خاتمة أمره. فإذا سبيله في اكتساب التواضع

بيان غاية الرياضة في خلق التواضع:

(اعلم) هداك الله تعالى (**أن هذا الخلق كسائر الأخلاق له طرفان وواسطة، فطرفه الذي يميل إلى الزيادة يسمى تكبراً**) وهو الإفراط، (**وطرفه الذي يميل إلى النقصان يسمى تخاسساً ومذلة**) وهو تفاعل من الخسة وهذا هو التفريط، (**والوسط يسمى تواضعاً. والمحمود أن يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس، فإن كلا طرفي**) قصد (**الأمور ذميم وأحب الأمور إلى الله أوساطها**). وروى صاحب الحلية عن وهب بن منبه قال: إن لكل شيء طرفين ووسطاً، فإن أمسك بأحد الطرفين مال الآخر وإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالأوساط من الأشياء. (**فمن يتقدم على أمثاله**) وفي نسخة أقرانه (**فهو متكبر، ومن يتأخر عنهم فهو متواضع**) بأن يجلس بجنبهم. (**أي وضع شيئاً من قدره الذي يستحقه، والعالم إذا دخل عليه إسكاف**) أو من في معناه من السوقية (**فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه، ثم تقدم وسوّى له نعله وغدا إلى باب الدار خلفه**) يودعه (**فقد تخاسس وتذلل وهو أيضاً غير محمود، بل المحمود عند الله تعالى وهو أن يعطي كل ذي حق حقه، فينبغي أن يتواضع بمثل هذا لأمثاله**) وأقرانه (**ولمن يقرب من درجته، فأما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام**) والبشاشة في الوجه (**والرفق في السؤال وإجابة دعوته**) إذا دعاه إلى منزله (**والسعي في حاجته**) حتى يتمها، (**وأمثال ذلك. وأن لا يرى نفسه خيراً منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا يعرف خاتمة أمره**) وخاتمته

أن يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فإن خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع ، وإن كان يثقل عليه وهو يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع ، بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة من غير ثقل ومن غير روية ، فإن خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى أحب التملق والتخاسس فقد خرج إلى طرف النقصان فليرفع نفسه إذ ليس للمؤمن أن يذل نفسه إلى أن يعود إلى الوسط الذي هو الصراط المستقيم ، وذلك غامض في هذا الخلق وفي سائر الأخلاق. والميل عن الوسط إلى طرف النقصان وهو التملق أهون من الميل إلى طرف الزيادة بالتكبر ، كما أن الميل إلى طرف التبذير في المال أحمد عند الناس من الميل إلى طرف البخل ، فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان وأحدهما أفحش ، وكذلك نهاية التكبر ونهاية التنقص والتذلل مذمومان وأحدهما أقبح من الآخر . والمحمود المطلق هو العدل ووضع الأمور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما يعرف ذلك بالشرع والعادة ولنقتصر على هذا القدر من بيان أخلاق الكبر والتواضع .

بماذا يختم لكل منها . (**فإذا سبيله في اكتساب التواضع أن يتواضع للأقران ولمن دونهم حتى يخف عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه، فإن خف عليه ذلك فقد حصل له خلق التواضع وإن كان يثقل عليه، وهو**) مع هذا (**يفعل ذلك فهو متكلف لا متواضع، بل الخلق**) كما تقدم في رياضة النفس (**ما يصدر عنه بسهولة**) ويسر (**من غير ثقل ومن غير روية**) أي تروّ في أمر بأن يقدم رجلاً يؤخر أخرى، (**فإن خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى أحب التملق والتخاسس فقد خرج إلى طرف النقصان فليرفع نفسه إذ ليس للمؤمن أن يذل نفسه**) كما ورد في الخبر وتقدم في كتاب العلم (**إلى أن يعود إلى**) حد (**الوسط الذي هو الصراط المستقيم**) السالم عن الميل، (**وذلك غامض في هذا الخلق**) بل (**وفي سائر الأخلاق، والميل عن الوسط إلى طرف النقصان وهو التملق**) والتذلل (**أهون من الميل إلى طرف الزيادة بالتكبر ، كما أن الميل إلى طرف التبذير في المال أحمد عند الناس من الميل إلى طرف البخل**) لما فيه من البذل للغير وإن كان في غير موضعه بخلاف طرف البخل، (**فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان**) وقد جاء في كل منهما من الآيات والأخبار ما يشهد على الذم وأحدهما أفحش من الآخر ، وكذلك نهاية التكبر ونهاية التنقص والتذلل مذمومان وأحدهما أقبح من الآخر . والمحمود المطلق هو العدل ووضع الأمور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب كما تعرف ذلك بالشرع والعادة فما اقتضته القواعد الشرعية واستحسنته العادة العرفية فليقدم عليه ومالا فلا . (**ولنقتصر على هذا القدر من بيان خلق الكبر والتواضع**) وبه يتم الشطر الأوّل من هذا الكتاب، والله الموفق.

الشطر الثاني: من الكتاب) في العجب، وفيه بيان ذم العجب وآفاته، وبيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما، وبيان علاج العجب على الجملة، وبيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه.

بيان ذم العجب وآفاته:

اعلم أن العجب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ قال الله تعالى: ﴿ويومَ حنيْن إذ أعجبتكم كثرتَكُم فلم تغن عنكم شيئاً﴾ [التوبة: ٢٥] ذكر ذلك في معرضْ الإنكار وقال عز وجل: ﴿وظنّوا أنَّهم مانعتهم حصونهم من الله فآتاهُمُ الله من حيثُ لم يحتسبوا﴾ [الحشر: ٢] فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم، وقال تعالى: ﴿وهم يحسَبونَ أنَّهم يحسنون صُنعاً﴾ [الكهف: ١٠٤] وهذا أيضاً يرجع إلى العجب بالعمل. وقد يعجب الإنسان بعمل هو مخطىء فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه. وقال ﷺ: «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه»، وقال لأبي ثعلبة ـ حيث ذكر آخر هذه الأمة فقال ـ «إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب

(الشطر الثاني من الكتاب في العجب): وفيه بيان ذم العجب وآفته، وبيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما، وبيان علاج العجب على الجملة، وبيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه).

بيان ذم العجب وآفته:

(اعلم) ارشدك الله تعالى **(أن العجب مذموم في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ. قال الله تعالى: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغنِ عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت﴾ ذكر ذلك في معرض الإنكار)** أي أنكر إعجابهم بقولهم: إنا لن نغلب من قلة قاله رجل من الأنصار، وكان المسلمون اثني عشر ألفاً عشرة آلاف من أهل المدينة وألفان من مسلمة الفتح وقد تقدم ذلك. **(قال تعالى ﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا)** فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم. وقال تعالى: ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ وهذا أيضاً يرجع إلى العجب بالعمل وقد يعجب الإنسان بعمل هو مخطىء فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه. وقال ﷺ: «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه») رواه الطبراني في الأوسط والبزار وأبو الشيخ في التوبيخ والبيهقي والخطيب في المتفق والمفترق، وأبو نعيم في الحلية من حديث أنس بزيادة «من الخيلاء». ورواه الطبراني في الأوسط أيضاً من حديث ابن عمر. ورواه البزار من حديث أنس بلفظ «وإعجاب المرء برأيه» وقد تقدم ذلك مراراً في كتاب ذم البخل وأوّل ما ذكره المصنف في كتاب العلم. **(وقال)** ﷺ **(لأبي ثعلبة)** الخشني رضي الله عنه **(حيث ذكر آخر هذه الأمة)**

كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ». وقال ابن مسعود: الهلاك في اثنتين القنوط والعجب. وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالسعي والطلب والجد والتشمر، والقانط لا يسعى ولا يطلب، والمعجب يعتقد أنه قد سعد وقد ظفر بمراده فلا يسعى. فالموجود لا يطلب، والمحال لا يطلب، والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له ومستحيلة في اعتقاد القانط، فمن ههنا جمع بينهما. وقد قال تعالى: ﴿فلا تزكُوا أنفسَكُم﴾ [النجم: ٣٢] قال ابن جريج: معناه إذا عملت خيراً فلا تقل عملت. وقال زيد بن أسلم: لا تبروها، أي لا تعتقدوا أنها بارة وهو معنى العجب. ووقى طلحة رسول الله ﷺ يوم أُحد بنفسه فاكب عليه حتى أصيبت كفه، فكأنه أعجبه فعله العظيم إذ فداه بروحه حتى جرح، فتفرس ذلك عمر فيه فقال: ما زال يعرف في طلحة بأو منذ

وما تؤول إليه من الحوادث والوقائع: (« **إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك** ») رواه أبو داود والترمذي وحسنه ابن ماجه وقد تقدم. (**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**الهلاك في اثنتين**) أي في خصلتين هما: (**القنوط**) من رحمة الله، (**والعجب**) بنفسه، (**وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالسعي والطلب والجد والتشمير**) وبذل الهمة (**والقانط**) من شأنه أنه (**لا يسعى ولا يطلب والمعجب**) بنفسه أو برأيه (**يعتقد أنه قد سعد وظفر بمراده فلا يسعى**) أيضاً. (**فالموجود**) المتيسر (**لا يطلب والمحال لا يطلب**) لكون فرضه محالاً وإن لم يكن في نفسه محالاً (**والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة له**) كأنها في حوزة يده (**ومستحيلة في اعتقاد القانط**) ولو لم تكن في الحقيقة كذلك، (**فمن ههنا جمع بينهما وقد قال تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾**) أي لا تمدحوها ولا تثنوا عليها والتزكية النسبة إلى الصلاح. (**وقال ابن جريج**) عبد الملك بن عبد العزيز القرشي مولاهم: (**معناه إذا عملت خيراً فلا تقل عملت**). وروي نحوه عن مجاهد عند ابن المنذر. (**وقال زيد بن أسلم**) العدوي مولاهم: معناه (**لا تبروها**) رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر. (**أي لا تعتقدوها أنها بارة وهو معنى العجب، ووقى طلحة**) بن عبيد الله التيمي القرشي أحد العشرة رضي الله عنهم (**رسول الله ﷺ يوم أحد بنفسه فأكبّ عليه حتى أصيبت كفه**) قال العراقي: رواه البخاري من رواية قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها رسول الله ﷺ اهـ.

وروى أبو داود، والطيالسي من حديث عائشة قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أُحد قال: ذلك يوم كله لطلحة رأيناه في بعض تلك الحفار فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر بين طعنة وضربة ورمية، وإذا قد قطعت أصبعه فأصلحنا من شأنه، (**فكأنه أعجبه فعله العظيم إذ فداه بروحه حتى جرح فتفرس ذلك فيه عمر**) رضي الله عنه (**فقال: ما زال يعرف في**

أصيبت أصبعه مع رسول الله ﷺ . والبأو : هو العجب ـ في اللغة ـ إلا أنه لم ينقل فيه انه أظهره واحتقر مسلماً ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس : أين أنت من طلحة ؟ قال : ذلك رجل فيه نخوة. فإذا كان لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم ؟ وقال مطرف : لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً أحب إليّ من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً . وقال ﷺ : « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب » فجعل العجب أكبر الذنوب. وكان بشر بن منصور من

طلحة بأومنذ أصيب أصبعه مع رسول الله ﷺ . والبأ : وهو العجب في اللغة) ، ومنهم من قال : هو العجب بحسن الهيئة ، ومنهم من فسره بالإفتخار **(إلا أنه لن ينقل فيه أنه أظهره)** في وقت من الأوقات **(واحتقر مسلماً)** وقد عصمه الله من ذلك ، **(ولما كان وقت الشورى قال له ابن عباس)** رضي الله عنهما : **(أين أنت من طلحة؟ قال ذاك رجل فيه نخوة)** .أخرجه إسحاق بن بشير في كتاب المبتدأ له باسناد له عن ابن عباس قال : دخلت على عمر وقد خلا يوماً فتنفس تنفساً ظننت أن نفسه خرجت ، ثم رفع رأسه فتنفس الصعداء فقلت : والله لأسألنه . فقلت : ما أخرج هذا منك إلاّ همّ. قال : هم والله شديد هذا الأمر لو أجد له موضعاً يعني الخلافة ثم قال : لعلك تقول أن صاحبك لها يعني علياً . قلت : يا أمير المؤمنين أليس هو أهلها في هجرته وأهلها في صحبته وأهلها في قرابته؟ قال : هو كما ذكرت ، ولكن رجل فيه دعابة . فقلت : فالزبير ؟ قال : يقاتل على الصاع بالبقيع . قلت : طلحة ؟ قال : إن فيه لبأواً وما أرى الله يعطيه خيراً وما برح ذلك فيه منذ أصيبت يده . قلت : سعد ؟ قال : يحضر الناس ويقاتل وليس بصاحب هذا الأمر . قلت : فابن عوف ؟ قال : نعم المرء ولكنه ضعيف . قال : وأخرت عثمان لكثرة صلاته وكان أحب الناس إلى قريش فقلت : عثمان؟ قال : أوه أوه كلف بأقاربه كلف بأقاربه لو استعملته استعمل بني أمية أجمعين أكتعين ويحمل بني أبي معيط على رقاب الناس ، والله لو فعلت لفعل ولسارت إليه العرب حتى تقتله إن هذا الأمر لا يحمله إلا اللين في غير ضعف ، القوي في غير عنف ، الجواد في غير سرف ، الممسك في غير بخل . وإسحاق بن بشر قال الذهبي كذاب . **(فإذا كان لا يتخلص من العجب أمثالهم فكيف يتخلص الضعفاء إن لم يأخذوا حذرهم؟ قال مطرف)** بن عبد الله بن الشخير رحمه الله تعالى تابعي عابد ثقة : **(لأن أبيت قائماً وأصبح نادماً أحب إليّ من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً)** أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي حامد بن جبلة ، حدثنا أبو العباس السراج ، حدثنا الفضل بن سهل ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا أبو الأشهب عن رجل قال : قال مطرف فذكره . **(وقال ﷺ : « لو لم تذنبوا)** وفي رواية « لو لم تكونوا تذنبون » **(لخشيت)** وفي رواية « لخفت » **(عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب »)** هكذا هو مرتين. قال العرقي : رواه البزار ، وابن حبان في الضعفاء ، والبيهقي في الشعب من حديث أنس ، وفيهسلام بن أبي الصهباء . قال البخاري : منكر الحديث . وقال أحمد : حسن الحديث . ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف جداً اهـ

الذين إذا رأوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة فأطال الصلاة يوماً ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر ، فلما انصرف عن الصلاة قال له : لا يعجبنك ما رأيت مني فإن إبليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار إلى ما صار إليه . وقيل لعائشة رضي الله عنها : متى يكون الرجل مسيئاً ؟ قالت : إذا ظن أنه محسن ، وقد قال تعالى : ﴿لا تبطلوا صدقاتكُم بالمنِّ والأذى﴾ [البقرة : ٢٦٤] والمن نتيجة استعظام الصدقة ، واستعظام العمل هو العجب . فظهر بهذا أن العجب مذموم جداً .

بيان آفة العجب:

اعلم أن آفات العجب كثيرة ، فإن العجب يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه ـ كما

قلت : ورواه كذلك الخرائطي في مساوىء الأخلاق ، والحاكم في تاريخه ، وأبو نعيم في الحلية كلهم من حديث أنس وطرق الكل ضعيفة . ولذا قال الذهبي في الميزان عقب إيراده : ما أحسنه من حديث لو صح . وقال السيوطي في المنار : هو حسن وكأنه راعى تعدد طرقه فإنه يفيد نوع قوة . بل قال المنذري رواه البزار بإسناد جيد . (**فجعل العجب أكبر من الذنوب**) لكونه يورث الغرور بالعمل فلا يوفق للتوبة بخلاف غيره من المعاصي ، ولان العجب يصرف وجه العبد عن الله والذنب يصرفه إليه ، ولأن العجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به على ربه ، ولأن العجب ينتج الإستكبار والذنب ينتج الإضطرار والإفتقار ، وخير أوصاف العبد اضطراره وافتقاره إلى ربه . وفي الحديث دلالة على أن العبد لا تبعده الخطيئة عن الله ، وإنما يبعده الإصرار والإستكبار والإعراض ، بل قد يكون الذنب سبب الوصلة بينه وبين ربه . (**وكان بشر بن منصور**) السليمي أبو محمد البصري والد إسماعيل وسليمة كسفينة حي من الأزد قال أحمد : ثقة وزيادة . وقال أبو زرعة : ثقة مأمون مات سنة ثمانين ومائة . روى له مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، (**من الذين إذا رؤا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة**) قال ابن المديني : ما رأيت أحداً أخوف لله منه وكان يصلي كل يوم خمسمائة ركعة وحفر قبره وختم فيه القرآن وكان ورده ثلث القرآن ، (**فأطال الصلاة يوماً ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر ، فلما انصرف من الصلاة قال : لا يعجبنك ما رأيته مني فإن إبليس قد عبد الله مع الملائكة مدة طويلة ثم صار إلى ما صار إليه**) أي فلا ينبغي للإنسان أن يغتر بالعمل أو يسلك به مسلك الإعجاب . (**وقيل لعائشة رضي الله عنها : متى يكون الرجل مسيئاً ؟ قالت : إذا ظن أنه محسن . وقال** [illegible] ﴿**لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى**﴾ **والمنّ**) على المتصدق عليه (**ينتجه** [illegible] **واستعظام العمل هو العجب**) لأنه لولا يعجب به لما عدّه عظيماً ، (**فظهر** [illegible] **العجب مذموم جداً ، والله أعلم**)

بيان آفة العجب:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن آفات العجب كثيرة ، فإن العجب يدعو إلى الكبر** [illegible]

ذكرناه ـ فيتولد من العجب الكبر ، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى ، هذا مع العباد ، وأما مع الله تعالى فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها ، فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها ، وما يتذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه فلا يجتهد في تداركه وتلافيه بل يظن أنه يغفر له ، وأما العبادات والأعمال فإنه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها ، وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها ، ثم إذا أعجب بها عمي عن آفاتها . ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعاً ، فإن الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع ، وإنما يتفقد من يغلب عليه الإشفاق والخوف دون العجب ، والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه ، ويظن انه عند الله بمكان وأن له عند الله منة وحقاً بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ، ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها ، وإن أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الإستفادة ومن الإستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه . وربما يعجب بالرأي الخطا الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ، ولا يفرح بخواطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح

أحد أسبابه ـ كما ذكرناه) ـ قريباً (فيتولد من العجب الكبر ، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى) فآفات الكبر في آفات العجب (هذا مع العباد ، وأما مع الله) عز وجل (فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها) من أصلها (فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه أنه مستغن عن تفقدها فينساها) لأجل ذلك ، (وما يتذكر منها فيستصغره ولا يستعظمه ولا يجتهد في تداركه وتلافيه ، بل يظن أنه يغفر له . وأما العبادات والأعمال) الصادرة منه (فإنه يستعظمها ويتبجح بها) أي يتفاخر ، (ويمنّ على الله تعالى بفعلها وينسى نعمة الله تعالى عليه بالتوفيق والتمكين منها) ولو شاء لصرفه عنها ، (ثم إذا أعجب بها عمي عن آفاتها) التي في ضمنها وما يطرأ عليها منها ، (ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضائعاً ، فإن الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب) الخفية (قلما تنفع) صاحبها ، (وإنما يتفقد من يغلب عليه الإشفاق والخوف دون) من يغلب عليه (العجب ، والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه ، ويظن أنه عند الله بمكان) ومنزلة . (وأن له عند الله منة وحقاً بأعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب إلى أن يثنى على نفسه ويحمدها ويزكيها) وينسب لها الفضيلة ، (فإن أعجب برأيه وعقله وعلمه) بأن نسب الرأي إلى السداد والعقل إلى الكمال والعلم إلى الكثرة (منع ذلك من الإستفادة والإستشارة والسؤال فيستبد) أي يستقل (بنفسه ورأيه ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه) أو يجلس بين يديه فيستفيد منه حكمة . (وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره

ولا وعظ واعظ، بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطئه، فإن كان رأيه في أمر دنيوي فيحقق فيه وإن كان في أمر ديني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق، فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات. ومن أعظم آفاته أن يفتر في السعي لظنه انه قد فاز وإنه قد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه. نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته.

بيان حقيقة العجب والإدلال وحدهما:

اعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كمال لا محالة، وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان.

إحداهما: أن يكون خائفاً على زواله ومشفقاً على تكدره أو سلبه من أصله فهذا ليس بمعجب.

والأخرى: أن لا يكون خائفاً من زواله لكن يكون فرحاً به من حيث أنه نعمة من

فيصر عليه) ويعمل بمقتضاه، (**ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ، بل ينظر إلى غيره بعين الإستجهال**) والإستحماق (**ويصر على خطاياه، فإن كان رأيه في أمر دنيوي فيتحقق فيه وإن كان في أمر ديني لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم**) مع أهله (**وتابع سؤال أهل البصيرة**) والعرفان (**لكان ذلك يوصله إلى الحق**) لا محالة. (**فهذا وأمثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات**) ويشير إليه لفظ البزار في الحديث المتقدم عن أنس، وإعجاب المرء برأيه. (**ومن أعظم آفاته أنه يفتر**) أي يكسل (**في السعي لظنه أنه قد فاز**) وسعد (**وقد استغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه**) والله الموفق.

بيان حقيقة العجب والإدلال وحدّهما:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن العجب إنما يكون بوصف هو كمال لا محالة، وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان**).

(**إحداهما: أن يكون خائفاً على زواله مشفقاً على تكدره أو سلبه من أصله، فهذا ليس بعجب**).

(**والأخرى: أن يكون خائفاً من زواله لكن يكون فرحاً به من حيث أنه نعمة من الله**

الله تعالى عليه لا من حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضاً ليس بمعجب.

وله حالة ثالثة: هي العجب وهي أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحاً به مطمئناً إليه، ويكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة وخير ورفعة لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة منه، فيكون فرحه به من حيث أنه صفته ومنسوب إليه بأنه له لا من حيث انه منسوب إلى الله تعالى بأنه منه، فمهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه فإذاً العجب هو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم. فإن انضاف إلى ذلك ان غلب على نفسه أن له عند الله حقاً وأنه منه بمكان حتى يتوقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعاداً يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا إدلالاً بالعمل، فكأنه يرى لنفسه على الله دالة، وكذلك قد يعطي غيره شيئاً فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجباً، فإن استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلاً عليه.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ [المدثر: ٦] أي لا تدل بعملك

تعالى) أنعم به **(عليه لا من حيث إضافته إلى نفسه وهذا أيضاً ليس بعجب)** لأن العجب كما سيأتي كناية عن الركون إلى النعمة مع نسيان إضافتها إلى المنعم وفي الحالتين ليس كذلك.

(وله حالة ثالثة: هي العجب وهي أن يكون غير خائف عليه بل يكون فرحاً به ومطمئناً إليه ويكون فرحه به من حيث أنه كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث أنه عطية من الله ونعمة منه، فيكون فرحه به من حيث أنه صفته ومنسوب إليه **بأنه له لا من حيث أنه منسوب إلى الله بأنه منه، فمهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه زال العجب بذلك عن نفسه، فإذاً العجب هو استعظام النعمة والركون إليها)** أي الإطمئنان بها **(مع نسيان إضافتها إلى المنعم، فإن انضاف إلى ذلك إن غلب على نفسه أن له عند الله حقاً وأنه منه بمكان)** رفيع **(حتى يتوقع)** أي يترجى **(بعمله كرامة له في الدنيا، واستبعد أن يجري عليه مكروه استبعاداً يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق)** والفجار **(سمي هذا إدلالاً بالعمل فكأنه يرى لنفسه على الله دالة)** وهو بتشديد اللام اسم من الدلال، **(ولذلك قد يعطي غيره شيئاً فيستعظمه ويمنّ عليه فيكون معجباً)** باستعظامه ومنه، **(فإن استخدمه)** أي شغله في خدمة **(أو إقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلاً عليه. قال)** أبو الخطاب **(قتادة)** بن دعامة السدوسي البصري رحمه الله **(في قوله عز وجل ﴿ولا تمنن تستكثر﴾)** أي **(لا تدل بعملك)**. وروى عبد بن حميد

وفي الخبر: «إن صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه، ولأن تضحك وأنت معترف بذنبك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك» والإدلال وراء العجب، فلا مدل إلا وهو معجب ورب معجب لا يدل، إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه، والإدلال لا يتم إلا مع توقع جزاء، فإن توقع إجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلاً بعمله، لأنه لا يتعجب من رد دعاء الفاسق ويتعجب من

عن ابن عباس قال: معناه أن تستكثر عملك. وعن مجاهد قال: لا تعظم عملك في عينك أن تستكثر الخير ورواه كذلك ابن المنذر. (وفي الخبر « **إن صلاة المدل لا ترفع فوق رأسه، ولأن تضحك وأنت معترف بذنبك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك** ») قال العراقي: لم أجد له أصلا.

قلت: هو كذلك ليس له أصل في المرفوع، ولكنه من كلام راهب من رهبان بني إسرائيل، قال أبو نعيم في الحلية. حدثنا أبو بكر الآجري، حدثنا عبد الله بن محمد العطشي، حدثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثنا عبد الله بن أبي بكر المقدمي، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا عمر بن عبد الرحمن الصنعاني قال: سمعت وهب بن منبه يقول: لقي رجل راهباً فقال: يا راهب كيف صلواتك؟ فقال الراهب: لا أحسب أحداً سمع بذكر الجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يصلي فيها. قال: فكيف ذكرك للموت؟ قال: ما أرفع قدماً ولا أضع أخرى إلا رأيت أني ميت. فقال الراهب: كيف صلاتك أيها الرجل؟ قال: إني لأصلي وأبكي حتى ينبت العشب من دموع عيني. فقال الراهب للرجل: أما إن تضحك وأنت معترف بخطيئتك خير من أن تبكي وأنت مدل بعملك، فإن المدل لا يرفع له عمل. فقال الرجل للراهب: فأوصني فإني أراك حكيماً. فقال: إزهد في الدنيا ولا تنازع أهلها، وكن منها كالنحلة إن أكلت طيباً وإن وضعت وضعت طيباً وإن وقعت على عود لم تكسره، وانصح لله عز وجل نصح الكلب لأهله يجيعونه ويطردونه ويضربونه ويأبى إلا أن ينصح لهم، قال: فكان وهب بن منبه إذا ذكر هذا الحديث قال: واسوأتاه إذ كان الكلب أنصح لأهله منك لله عز وجل.

وحدثنا أبو بكر الآجري: حدثنا ابن عمر بن أيوب السقطي، حدثنا أبو همام، حدثني قبيصة، حدثنا سفيان، عن رجل من أهل صنعاء، عن وهب قال: مرّ رجل مع راهب فقال: يا راهب كيف دأب نشاطك فذكر نحوه.

(**والإدلال وراء العجب. ولا مدل إلا وهو معجب ورب معجب لا يدل، إذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه، والإدلال لا يتم إلا مع توقع جزاء، فإن توقع إجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله لأنه لا يتعجب من**

رد دعاء نفسه لذلك، فهذا هو العجب والإدلال وهو من مقدمات الكبر وأسبابه، والله تعالى أعلم.

بيان علاج العجب على الجملة:

اعلم أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده، وعلة العجب الجهل المحض، فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط، فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق وإصلاحهم، فإن العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوّة والنسب وما لا يدخل تحت إختياره ولا يراه من نفسه.

فنقول: الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب إنما يعجب به من حيث إنه فيه فهو محله ومجراه أو من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوّته؛ فإن كان يعجب به من حيث أنه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل، لأن المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل، فكيف يعجب بما ليس إليه؟ وإن كان يعجب به من حيث انه هو منه وإليه وباختياره حصل وبقدرته تم، فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها يتم عمله انها من أين كانت له؟ فإن

رد دعاء الفاسق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك، فهذا هو العجب والإدلال) وقد اتضح لك حدها وحقيقتها، (**وهو من مقدمات الكبر وأسبابه**) فإنه إذا وجد ذلك ترشح منه وصف الكبر والله الموفق.

بيان علاج العجب على الجملة:

(**اعلم**) أرشدك الله تعالى (**أن علاج كل علة هو مقابلة سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض، فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط، فلنفرض العجب بفعل داخل تحت إختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق وإصلاحهم، فإن العجب بهذا أبلغ من العجب بالجمال والقوّة والنسب و**) كل (**ما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول: الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب إنما يعجب به من حيث أنه فيه فهو محله ومجراه، أو**) يعجب به (**من حيث أنه منه وبسببه وبقدرته وبقوّته، فإن كان يعجب به من حيث أنه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره، فهذا جهل**) من المعجب (**لأن المحل**) إنما هو (**مسخر ومجرى**) يجري فيه (**لا مدخل له في الإيجاد والتحصيل**) ولا يدله في شيء منها، (**فكيف يعجب بما ليس إليه**) ولا مدخل له فيه؟ (**وإن كان يعجب به من حيث هو منه وإليه وباختياره حصل وبقدرته وقوّته تم، فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وسائر الأسباب التي بها تم عمله من أين كانت له**) وكيف

كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي أن يكون إعجابه بجود الله وكرمه وفضله، إذ أفاض عليه ما لا يستحق وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر إليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة، فينبغي أن يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وإيثاره من غير استحقاق وإعجابه بنفسه من أين وما سببه؟ ولم ينبغي أن يعجب هو بنفسه؟ نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول: الملك حكم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب، فلولا أنه تفطن في صفة من الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الإيثار بالخلعة لما آثرني بها، فيقال: وتلك الصفة أيضاً هي من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها من غيرك من غير وسيلة، أو هي عطية غيره؟ فإن كانت من عطية الملك أيضاً لم يكن لك أن تعجب بها، بل كان كما لو أعطاك فرساً فلم تعجب به، فأعطاك غلاماً فصرت تعجب به وتقول: إنما أعطاني غلاماً لأني صاحب فرس فأما غيري فلا فرس له، فيقال: وهو الذي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معاً أو يعطيك أحدهما بعد الآخر! فإذا كان الكل منه فينبغي أن يعجبك جوده وفضله لا نفسك. وأما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد أن تعجب بتلك الصفة،

تيسرت له؟ (**فإن كان جميع ذلك نعمة من الله عليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها، فينبغي أن يكون إعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله إذا فاض عليه ما لا يستحقه**) وخصصه (**وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة**) يمن بها، (**فمهما برز الملك لغلمانه ونظر إليهم وخلع من جملتهم على واحد منهم**) خلعة (**لا لصفة فيه ولا لوسيلة ولا لجمال ولا لخدمة، فينبغي أن يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وإيثاره**) له من دونهم (**من غير إستحقاق**) ظاهر له، (**فإعجابه بنفسه من أين وما سببه؟ ولم ينبغي أن يعجب هو بنفسه؟ نعم يجوز أن يعجب العبد فيقول: الملك حكم عدل لا يظلم**) أحداً (**ولا يقدم ولا يؤخر إلا لسبب**) خفي على مدركه، (**فلولا أنه تفطن في صفة من الصفات المحمودة الباطنة لما اقتضى الإيثار بالخلعة ولما آثرني بها**) واختصني من دونهم، (**فيقال**) له: (**وتلك الصفة هي أيضاً من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها عن غيرك من غير وسيلة، أو هي عطية غيره؟ فإن كانت من عطية الملك أيضاً لم يكن لك أن تعجب بها، بل كان كما لو أعطاك فرساً**) تركبه (**فلم تعجب به. فأعطاك غلاماً فصرت تعجب به وتقول: إنما أعطاني غلاماً لأني صاحب فرس**) إذ صاحب الفرس لا يستغني عن غلام، (**وأما غيري فلا فرس له فيقال: وهو الذي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس والغلام معاً أو يعطي أحدهما بعد الآخر! فإذا كان الكل منه فينبغي أن يعجبك جوده وفضله لا نفسك. وإما إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد أن يعجب بتلك**)

وهذا يتصوّر في حق الملوك، ولا يتصوّر في حق الجبار القاهر ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بإيجاد الموصوف والصفة، فإنك إن عجبت بعبادتك وقلت: وفقني للعبادة لحبي له، فيقال: ومن خلق الحب في قلبك؟ فستقول: هو، فيقال: فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة، فيكون الإعجاب بجوده إذ أنعم بوجودك ووجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك! فإذاً لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه! لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده، والمحل أيضاً من فضله وجوده.

فإن قلت: لا يمكنني أن أجهل أعمالي وإني أنا عملتها فإني أنتظر عليها ثواباً، ولولا انها عملي لما انتظرت ثواباً، فإن كانت الأعمال مخلوقة لله على سبيل الاختراع فمن أين لي الثواب؟ وإن كانت الأعمال مني وبقدرتي فكيف لا أعجب بها؟ فاعلم أن جوابك من وجهين.

أحدهما: هو صريح الحق. والآخر: فيه مسامحة.

الصفة وهذا يتصور في حق الملوك) في الدنيا، (ولا يتصور في حق الجبار القاهر ملك الملوك) جلا جلاله (المنفرد باختراع الجميع) من غير سابق مثال (المنفرد بإيجاد الموصوف والصفة، فإنك إن أعجبت بعبادتك وقلت: وفقني للعبادة لحبي له فيقال: ومن خلق الحب في قلبك؟ فتقول: هو، فيقال: فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة، فيكون الإعجاب بجوده إذا نعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك! فإذاً لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بماله! لأن كل ذلك من فضل الله) ومن إحسانه وجوده وكرمه، (وإنما هو محل لفيضان فضل الله وجوده، والمحل أيضاً من جوده وفضله).

(فإن قلت: لا يمكنني أن أجحد أعمالي وإني أنا عملتها) أي لا يمكنني إنكارها، (فإني انتظر عليها ثواباً) أي جزاء ومكافأة (ولولا أنها عملي) وصدر مني (لما انتظرت عليها الثواب فإن كانت الأعمال مخلوقة لله على سبيل الإختراع فمن أين لي الثواب؟ وإن كانت الأعمال مني وبقدرتي فكيف لا أعجب بها) وهي في محل الإعجاب؟ (فاعلم أن جوابك) عن هذا الإشكال (من وجهين).

(أحدهما: وهو صريح الحق والآخر فيه مسامحة ما)؟

أما صريح الحق: فهو أنك وقدرتك وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله واختراعه، فما علمت إذ عملت وما صليت إذ صليت: ﴿وما رميت إذ رميْتَ ولكن الله رمى﴾ [الأنفال: ١٧] فهذا هو الحق الذي انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة أوضح من أبصار العين، بل خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيها القوّة والقدرة والصحة، وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الإرادة، ولو أردت أن تنفي شيئاً من هذا عن نفسك لم تقدر عليه، ثم خلق الحركات في أعضائك مستبداً باختراعها من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع، إلا انه خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوّة وفي القلب إرادة، ولم يخلق إرادة ما لم يخلق علماً بالمراد، ولم يخلق علماً ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم، فتدريجه في الخلق شيئاً بعد شيء هو الذي خُيل لك انك

(**أما صريح الحق؛ فهو أنك وقدرتك وإرادتك وحركتك جميع ذلك من خلق الله تعالى واختراعه فما عملت إذ عملت**) إلا بإعانته، (**وما صليت إذ صليت**). إلا بتأييده، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى يخاطب به حبيبه ﷺ: (**﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾**) وقد تقدم الكلام على هذا في مواضع من هذا الكتاب فاغنانا عن إعادته. (**فهذا هو الحق**) الصريح (**الذي انكشف لأرباب القلوب**) لما ترقوا من حضيض المجاز إلى ارتفاع الحقيقة واستكملوا معراجهم (**بمشاهدة**) عيانية (**أوضح من إبصار العين**) فليس في الوجود إلا الله وكل شيء سواه إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض، وإذا اعتبر من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأزل رؤى موجوداً لا في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجده، فيكون الموجود وجه الله فقط ولكل شيء وجهان: وجه إلى نفسه ووجه إلى ربه، فهو باعتبار وجه نفسه عدم، وباعتبار وجه الله موجود فإذاً لا موجود إلا الله ووجهه، (**بل خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيها القوّة والقدرة والصحة**) والكمال (**وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الإرداة، ولو أردت أن تنفي شيئاً من هذا عن نفسك لم تقدر عليه، ثم خلق الحركات في أعضائك**) مختلفة الأحوال (**مستبداً بها**) أي مستقلاً بذاته (**من غير مشاركة من جهتك معه في**) أصل (**الإختراع**) والإبتداع، (**إلا أنه خلقه على ترتيب**) بديع (**فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوّة**) لاحتمالها (**وخلق في القلب إرادة ولم يخلق إرادة ما لم يخلق علماً بالمراد، ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم**) ومستقره ومصدر أحكامه، فهذه الثلاثة مرتبة بعضها أعلى من بعض، ولكل واحد مقام معلوم ودرجة خاصة لا تتعداه. وكذلك الأنوار الملكوتية إنما وجدت على ترتيب كذلك وهي لا تتسلسل إلى غير نهاية بل ترتقي إلى منبع أول هو النور لذاته وبذاته ليس يأتيه نور من غيره ومنه تشرق الأنوار كلها على ترتيبها. (**فتدريجه في الخلق شيئاً بعد شيء هو الذي خيل إليك أنك أوجدت عملك وقد غلطت**) في هذا التخييل، (**وإيضاح ذلك وكيفية الثواب**

أوجدت عملك وقد غلطت. وإيضاح ذلك وكيفية الثواب على عمل هو من خلق الله سيأتي تقريره في كتاب الشكر فإنه أليق به فارجع إليه.

ونحن الآن نزيل اشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة مّا، وهو أن تحسب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك؟ ولا يتصوّر العمل إلا بوجودك ووجود عملك وإرادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك! فإن كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله، ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل، فالعبادات خزائن بها يتوصل إلى السعادات ومفاتيحها القدرة والإرادة والعلم وهي بيد الله لا محالة. أرأيت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن، ولو جلست على بابها وحول حيطانها ألف سنة لم يمكنك أن تنظر إلى دينار مما فيها، ولو أعطاك المفتاح لأخذته من قريب بأن تبسط يدك إليه فتأخذه فقط، فإذا أعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك وأخذتها

على عمل هو من خلق الله. سيأتي تقريره في كتاب الشكر فإنه أليق به فارجع إليه) وطالعه.

(ونحن الآن نزيل إشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة مّا، وهو أن تحسب أن العمل حصل بقدرتك فمن أين قدرتك) ومن أوجدها فيك؟ (ولا يتصور العمل إلا بوجودك ووجود عملك وإرادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل ذلك من الله تعالى لا منك)! وتفصيل ذلك الصلاة وهي عمل من أعمالك وهي تستدعي الطهارة والطهارة تكون بالماء فمن أنزل من السماء ماء طهوراً، وإذا كان الماء موجوداً متيسراً فمن أوجد فيك القدرة لاستعماله، ثم إذا تطهرت فمن أوجد فيك قوّة إلى القيام ورفع اليدين إلى الأذنين والنطق بالقراءة بتحريك اللسان والركوع والسجود والجلوس، وقس على ذلك سائر الأعمال. (فإن كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه) الذي يفتح به باب ذلك العمل، (وهذا المفتاح بيد الله) عز وجل. (ومهما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل، فالعبادات) كلها بمثابة (خزائن) مملوءة (بها يتوصل إلى السعادات) الدنيوية والأخروية (ومفاتيحها القدرة والإرادة والعلم، وهي بيد الله تعالى لا محالة) وهذا نحو ما ورد في بعض الأخبار: العلم خزائن ومفاتيحها السؤال، فكذلك نقول: العبادات خزائن ومفاتيحها القدرة والعلم والإرادة. (أرأيت لو رأيت خزائن الدنيا) بأسرها (لو كانت مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن وجلست على بابها و) درت (حول حيطانها ألف سنة) مثلاً (لم يمكنك أن تنظر إلى دينار) واحد (مما فيها، ولو أعطاك) الخازن (المفتاح لأخذته من قريب) من غير مشقة (بأن تبسط يدك إليه فتأخذه فقط، فإذا أعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها ومكنك منها فمددت يدك

كان إعجابك بإعطاء الخازن المفاتيح أو بما إليك من مد اليد وأخذها؟ فلا تشك في انك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن المؤنة في تحريك اليد بأخذ المال قريبة وإنما الشأن كله في تسليم المفاتيح. فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الإرادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرف عنك الموانع والصوارف، حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكل بك فالعمل هين عليك، وتحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الأسباب كلها من الله ليس شيء منها إليك، فمن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله، ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في إيثاره إياك على الفساق من عباده إذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك، وسلط اخوان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك، وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك، حتى تيسر لك الخير وتيسر لهم الشر! فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي، بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وأبعد العاصي وأشقاه بعدله فما أعجب إعجابك بنفسك إذا عرفت ذلك! فإذا لا تنصرف قدرتك إلى المقدور إلا بتسليط الله

وأخذتها كان **إعجابك بإعطاء الخازن المفاتيح**) أكثر، (**أو بما إليك من مدّ اليد وأخذها**) وتناوله، (**فلا شك في أنك ترى ذلك نعمة من الخازن**) حيث مكنك منه (**لأن المؤونة في تحريك اليد بأخذ المال قريبة، وإنما الشأن كله في تسليم المفاتيح**) فينبغي أن يكون الإعجاب به أكثر، (**فكذلك مهما خلقت القدرة وسلطت الإرادة الجازمة وحركت الدواعي والبواعث وصرفت عنك الموانع والصوارف**) أي الشواغل (**حتى لم يبق صارف إلا دفع**) عنك (**ولا باعث إلا وكل بك، فالعمل هين عليك**) متيسر لك بسهولة (**وتحريك البواعث وصرف العوائق**) ومنع الشواغل (**وتهيئة الأسباب كلها من الله تعالى**) وحده (**ليس شيء منها إليك**) ابتداء وانتهاء، (**فمن العجائب أن تعجب بنفسك**) وبعملك (**ولا تعجب بمن إليه الأمر كله**) بدءاً وعوداً (**فلا تعجب بجوده وفضله وكرمه**) ومنته عليك (**في إيثاره إياك على الفساق من عباده إذ سلط دواعي الفساد**) وبواعث الشر (**على الفساق وصرفها عنك وسلط إخوان السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم من أسباب الشهوات واللذات**) فيها بتوافيها (**وزواها عنك**) فمن العصمة أن لا تقدر، (**وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك، حتى يتيسر لك الخير**) ويسهل سبيله (**ويتيسر لهم الشر! فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من الفاسق العاصي، بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وأبعد العاصي**) عن حظيرة قربه (**وأشقاه بعدله فما أعجبك بإعجابك بنفسك إذا عرفت ذلك**) وتأملته! (**فإذاً لا تنصرف قدرتك إلى**

عليك داعية لا تجد سبيلاً إلى مخالفتها، فكأنه الذي اضطرك إلى الفعل إن كنت فاعلاً تحقيقاً فله الشكر والمنة لا لك ـ وسيأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والمسببات ما تستبين به أنه لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه ـ والعجب ممن يتعجب ـ إذا رزقه الله عقلاً وأفقره ـ ممن أفاض عليه المال من غير علم فيقول: كيف منعني قوت يومي وأنا العاقل الفاضل وأفاض علي هذا نعيم الدنيا وهو الغافل الجاهل؟ حتى يكاد يرى هذا ظلماً، ولا يدري المغرور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعاً لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال، إذ يقول الجاهل الفقير: يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما فهلا جمعتهما لي أو هلا رزقتني أحدهما؟ وإلى هذا أشار علي رضي الله عنه حيث قيل له: ما بال العقلاء فقراء؟ فقال: إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه.

والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني أحسن حالاً من نفسه، ولو قيل له

المقدور) من أي عمل كان (**إلا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلاً إلى مخالفتها، فكأنه الذي اضطرك إلى الفعل إن كنت فاعلاً تحقيقاً فله الشكر والمنة**) وحده (**لا لك: وسيأتي في كتاب التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والمسببات**) وارتباط بعضها ببعض (**ما تستبين به أنه ـ لا فاعل إلا الله ولا خالق سواه ـ والعجب ممن يتعجب إذا رزقه الله عقلاً**) وحكمة (**وأفقره**) أي جعله فقيراً معدماً (**ممن أفاض عليه المال من غير علم**) ولا عقل، (**فيقول: كيف منعني قوت يومي وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلماً**)، ومن ذلك قول ابن الراوندي الملحد:

كم عاقل عاقل ضاقت معيشته ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة ... وصيّر العالم النحرير زنديقاً

وقال غيره:

كم من قوي قوي في تقلبه ... مهذب الرأي عنه الرزق منحرفُ
وكم ضعيف ضعيف العقل مختلط ... كأنه من خليج البحر يغترفُ

(**ولا يدري المغرور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعاً لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال**) وإن لم يكن ظلماً حقيقة (**إذ يقول الجاهل الفقير: يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما، فهلا جمعتهما لي**) فجعلتني عاقلاً غنياً، (**أو هلا رزقتني أحدهما؟ وإلى هذا أشار عليّ رضي الله عنه حيث قيل: ما بال العقلاء فقراء؟ فقال: إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه**) أي فبقدر ما يعطى من العقل والحكمة ينقص من رزقه. وفي لفظ: إن ذكاء الرجل والمعنى واحد، (**والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني**

هل تؤثر جهله وغناه عوضاً عن عقلك وفقرك لامتنع عنه! فإذاً ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر؛ فلم يتعجب من ذلك؟ والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الذميمة القبيحة فتتعجب وتقول: كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة ويخصص مثل ذلك القبح؟ ولا تدري المغرورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وإنها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال؟ فإذن نعمة الله عليها أكبر. وقول الحكيم الفقير العاقل بقلبه: يا رب لم حرمتني الدنيا وأعطيتها الجهال؟ كقول من أعطاه الملك فرساً فيقول: أيها الملك لم لا تعطيني الغلام وأنا صاحب فرس؟ فيقول: كنت لا تتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس؟ فهب إني ما أعطيتك فرساً أصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى؟ فهذه أوهام لا تخلو الجهال عنها، ومنشأ جميع ذلك الجهل، ويزال ذلك بالعلم المحقق بأن العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتدأه بها قبل الإستحقاق، وهذا ينفي العجب والإدلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة، ومن عرف هذا لم يتصوّر أن يعجب بعلمه وعمله إذ يعلم إن ذلك من الله تعالى، ولذلك قال داود عليه السلام: يا رب ما تأتي ليلة إلا

أحسن حالاً من نفسه، ولو قيل له: هل تؤثر حهله وغناه عوضاً من عقلك وفقرك لامتنع عنه، فإذاً ذلك يدل على أن نعمة الله عليه أكبر فلم يتعجب من ذلك وكذلك المرأة الحسناء) الجميلة الصورة (الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الدميمة القبيحة فتتعجب وتقول: كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة) الظاهرة من الحلي والجواهر، (ويخصص مثل ذلك القبيح) الصورة (ولا تدري المغرورة أن الجمال محسوب عليها من رزقها وأنها لو خيرت بين الجمال والقبح مع الغنى لآثرت الجمال) ولم تلتفت إلى الغنى مع قبح الصورة، (فإذاً نعمة الله عليها أكبر، وقول العاقل الفقير بقلبه: يا رب لم حرمتني من الدنيا وأعطيت الجهال؟ كقول من أعطاه الملك فرساً فيقول: أيها الملك لم لا تعطيني الغلام وأنا صاحب فرس؟ فيقول) الملك: (كنت لا تتعجب من هذا لو لم أعطك الفرس فهب أني ما أعطيتك فرساً أصارت نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى؟ فهذه أوهام لا تخلو الجهال عنها، ومنشأ جميع ذلك الجهل) وثقل وتكثر باختلاف أنواع الجهل فمن كان جهله بسيطاً كان الوهم عنده أكثر، (ويزال ذلك بالعلم المحقق بأن العبد وعمله وأوصافه كل ذلك من عند الله نعمة ابتدأه بها قبل الإستحقاق، وهذا ينفي العجب والإدلال ويورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة. ومن عرف هذا لم يتصوّر أن يعجب بعلمه وعمله إذ يعلم أن ذلك من الله تعالى، ولذلك لما قال داود عليه السلام: ما تأتي ليلة

وإنسان من آل داود قائم ولا يأتي يوم إلا وإنسان من آل داود صائم، وفي رواية: ما تمر ساعة من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يعبدك إما يصلي وإما يصوم وإما يذكرك ـ فأوحى الله تعالى إليه: يا داود ومن أين لهم ذلك! إن ذلك لم يكن إلا بي ولولا عوني إياك ما قويت وسأكلك إلى نفسك، قال ابن عباس: إنما أصاب داود ما أصاب من الذنب بعجبه بعمله إذ أضافه إلى آل داود مدلاً به حتى وكل إلى نفسه، فأذنب ذنباً أورثه الحزن والندم. وقال داود: يا رب ان بني إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال: إني ابتليتهم فصبروا، فقال: يا رب وأنا إن ابتليتني صبرت، فأدل بالعمل قبل وقته فقال الله تعالى: فإني لم أخبرهم بأي شيء ابتليهم ولا في أي شهر ولا في أي يوم، وأنا مخبرك في سنتك هذه وشهرك هذا أبتليك غداً بامرأة فاحذر نفسك، فوقع فيما وقع فيه. وكذلك لما اتكل أصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين على

إلا وإنسان من آل داود قائم، ولا يأتي يوم إلا وإنسان من آل داود صائم. وفي رواية: ما تم ساعة من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يعبدك إما يصلي وإما يصوم وإما يذكرك فأوحى الله تعالى إليه: يا داود من أين لهم ذلك؛ إن ذلك لم يكن إلا بي ولولا عوني إياك ما قويت وسأكلك إلى نفسك. قال ابن عباس) رضي الله عنه: (إنما أصاب داود ما أصاب من الذنب نعجبه بعمله إذ أضافه إلى آل داود مدلاً به حتى وكل إلى نفسه فأذهب ذنباً أورثه الحزن والندم). أخرجه الحاكم وصححه البيهقي في الشعب عن ابن عباس قال: ما أصاب داود ما أصاب بعد القدر إلا من عجب بنفسه، وذلك أنه قال يا رب ما من ساعة من ليل أو نهار إلا وعابد من آل داود يعبدك فيصلي لك أو يسبح أو يكبر وذكر شيئاً فكره الله ذلك، فقال: يا داود ذلك لم يكن إلا بي ولولا عوني ما قويت عليه وجلالي لأكلنك إلى نفسك يوماً. فقال: يا رب فأخبرني به فأصابته الفتنة في ذلك اليوم. (وقال داود) عليه السلام: (يا رب إن بني إسرائيل يسألونك بإبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال: إني ابتليتهم فصبروا. فقال: يا رب وأنا إن ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته، فقال تعالى: أما اني لم أخبرهم بشيء أبتليهم، ولا في أي شهر، ولا في أي يوم، وأنا مخبرك في سنتك هذه في شهرك هذا أبتليك غداً بامرأة فاحذر نفسك فوقع فيما وقع فيه). أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال: إن داود قال: يا رب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لو أردت أعطيتني مثله. قال الله عز وجل: إني ابتليتهم بما لم أبتلك فإن شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم وأعطيك كما أعطيتهم. قال: نعم قال له: فاعمل حتى أرى بلاءك فكان ما شاء الله أن يكون وطال ذلك، فكاد أن ينساه، فبينا هو في محرابه إذ وقعت عليه حمامة ثم ذكر باقي القصة بطولها في ابتلائه بأورياء ورجوعه وتوبته.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن داود حدث نفسه إن ابتلي

قوتهم وكثرتهم ونسوا فضل الله تعالى عليهم وقالوا لا نغلب اليوم من قلة وكلوا إلى أنفسهم فقال تعالى: ﴿ويوم حُنين إذ أعجبتكم كثرتُكم فلم تُغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرضُ بما رُحبت ثم وليتم مدبرين﴾ [التوبة: ٢٥] وروى ابن عيينة أن أيوب

أن يعتصم فقل له: إنك ستبتلى وستعمل الذي تبتلى فيه فخذ حذرك فقيل له: هذا اليوم تبتلى فيه فأخذ الزبور ودخل المحراب وأغلق الباب واقعد منصفاً على الباب وقال: لا تأذن لأحد عليّ اليوم، فبينما هو يقرأ الزبور إذ جاء طائر مذهب فذكر الحديث.

وأخرج ابن جرير والحاكم عن السري قال: كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام: يوماً يقضي فيه بين الناس، ويوماً يخلو فيه بعبادة ربه، ويوماً يخلو فيه بنسائه، وكان له تسع وتسعون امرأة وكان فيما يقرأ من الكتب آية قال: يا رب إن الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فاعطني مثل ما أعطيتهم وافعل بي ما فعلت بهم، فأوحى الله إليه أن آباءك قد ابتليتهم ببلايا لم تبتل بها إبتلى إبراهيم بذبح ابنه، وابتلى إسحاق بذهاب بصره، وابتلى يعقوب بحزنه على يوسف، وأنت لم تبتل بشيء من ذلك. قال: يا رب ابتليني كما ابتليتهم واعطني مثل ما أعطيتهم، فأوحى الله إليه أنك مبتلى فاحترس، فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب ثم ذكر باقي الحديث.

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير قال: إنما كانت فتنة داود النظر.

(**وكذلك لما اتكل أصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين على قوّتهم**) وشوكتهم (**وكثرتهم إذ كانوا اثني عشر ألفاً**) عشرة آلاف من أهل المدينة وألفان من مسلمة الفتح، (**ونسوا فضل الله عليهم وقالوا: لا نغلب اليوم من قلة**) وكان القائل لذلك رجلاً من الأنصار، وكون قائل ذلك أبا بكر الصديق من افتراء الرافضة، (**وكلوا إلى أنفسهم فقال تعالى: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت﴾**) أي اتسعت (**﴿ثم وليتم مدبرين﴾**) أي منهزمين. قال العراقي: رواه البيهقي في الدلائل من رواية الربيع بن أنس مرسلاً أن رجلاً قال يوم حنين لن نغلب من قلة، فشق ذلك على رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل: ﴿ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً﴾ ولابن مردويه في تفسيره من حديث أنس: لما التقوا يوم حنين أعجبتهم كثرتهم، فقالوا: اليوم نقاتل ففروا فرَّ الفرخ وابن فضالة ضعفه الجمهور اهـ.

قلت: وتمام سياق البيهقي في الدلائل قال الربيع: وكانوا اثني عشر ألفاً منهم ألفان من أهل مكة، وجاء تفصيل ذلك في رواية عبيد بن عمير الليثي عند أبي الشيخ قال: كان مع النبي ﷺ أربعة آلاف من الأنصار، وألف من جهينة، وألف من مزينة، وألف من أسلم، وألف من غفار، وألف من أشجع، وألف من المهاجرين وغيرهم.

وأما حديث أنس الذي عند ابن مردويه، فقد رواه أيضاً أبو الشيخ، والحاكم وصححه ولفظه:

عليه السلام قال: إلهي إنك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي أمر إلا آثرت هواك على هواي، فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت: يا أيوب أنّى لك ذلك، أي من أين لك ذلك؟ قال: فأخذ رماداً ووضعه على رأسه وقال: منك يا رب منك يا رب، فرجع من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى. ولهذا قال الله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً﴾ [النور: ٢١] وقال النبي ﷺ لأصحابه وهم خير الناس: «ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته» ولقد كان أصحابه من بعده يتمنون أن يكونوا تراباً وتبناً

لما اجتمع يوم حنين أهل مكة وأهل المدينة أعجبتهم كثرتهم فقال القوم: اليوم والله نقاتل فلما التقوا واشتد القتال ولّوا مدبرين الحديث.

وأخرج ابن المنذر عن الحسن البصري قال: لما اجتمع أهل مكة وأهل المدينة قالوا: الآن والله نقاتل حين اجتمعنا فكره رسول الله ﷺ ما قالوا وما أعجبهم من كثرتهم فالتقوا فهزموا الحديث

(وروى ابن عيينة) سفيان رحمه الله **(أن أيوب عليه السلام قال: إلهي إنك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد عليّ أمر إلا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت: يا أيوب، أنى لك ذلك)** من أين لك **(ذلك فأخذ رماداً فوضعه على رأسه وقال: منك يا رب منك يا رب فرجع من نسيانه إلى إضافة ذلك إلى الله تعالى)** أخرجه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا أبو الربيع سليمان بن داود المصري، حدثنا يونس بن عبد الرحمن قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول، قال أيوب عليه السلام: اللهم إنك تعلم أنه لم يعرض لي أمران قط أحدهما لك فيه رضا والآخر لي فيه هوى إلا آثرت الذي لك فيه رضا على الذي لي فيه هوى. قال: فنودي من غمامة من عشرة آلاف صوت يا أيوب من فعل ذلك بك؟ قال: فوضع التراب على رأسه ثم قال: أنت يا رب، **(ولهذا قال)** الله **(تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم أحد أبداً﴾ وقال النبي ﷺ لأصحابه وهم خير الناس)** بنص الخبر: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم **(ما منكم من أحد ينجيه عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه ابن حبان أيضاً بزيادة ولكن سددوا. ويروى من حديث شريك بن طارق وأبي موسى.

أما حديث شريك فلفظه: يدخله بدل ينجيه وربي بدل الله. رواه ابن حبان والبغوي وابن قانع والطبراني. قال البغوي: ولا أعلم له غيره.

وأما حديث أبي موسى فلفظه: يدخله ويتغمدني الله برحبته. رواه الطبراني.

وطيراً مع صفاء أعمالهم وقلوبهم، فكيف يكون لذي بصيرة أن يعجب بعمله أو يدل به ولا يخاف على نفسه؟ فإذا هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب، ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الإعجاب بها، بل هو ينظر إلى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الإيمان والطاعة بغير ذنب أذنبوه من قبل، فيخاف من ذلك فيقول: إن من لا يبالي أن يحرم من غير جناية ويعطي من غير وسيلة لا يبالي أن يعود ويسترجع ما وهب، فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بسوء. وهذا لا يبقى معه عجب بحال، والله تعالى أعلم.

بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه:

اعلم أن العجب بالأسباب التي بها يتكبر ـ كما ذكرنا ـ وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطا الذي يزين له بجهله، فما به العجب ثمانية أقسام:

الأول: أن يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوّته وتناسب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته. وبالجملة تفصيل خلقته، فيلتفت إلى جمال نفسه وينسى أنه نعمة

(ولقد كان أصحابه من بعده يتمنون أن يكونوا تراباً) ورماداً (وتبناً وطيراً) كما تقدم عن عمر وابن مسعود وغيرهما (مع صفاء أعمالهم و) طهارة (قلوبهم) واستقامة أحوالهم، (فكيف يكون لذي بصيرة أن يعجب بعمله أو يدل به ولا يخاف على نفسه، فإذاً هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب، ومهما غلب ذلك القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الإعجاب بها، بل هو ينظر إلى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الإيمان والطاعة بغير ذنب أذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول: إن من لا يبالي أن يحرم) أي يمنع (من غير جناية) سابقة (ويعطى من غير وسيلة لا يبالي أن يعود ويسترجع ما وهب، فكم من مؤمن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء) والعياذ بالله (وهذا لا يبقى معه عجب بحال) والله الموفق.

بيان أقسام ما به العجب وتفصيل علاجه:

(اعلم) هداك الله تعالى (أن العجب بالأسباب التي بها يتكبر كما ذكرنا، وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطأ الذي يزين له بجهله فما به العجب ثمانية أقسام).

(الأول: أن يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوّته وتناسب أشكاله وحسن صورته وحسن صوته. وبالجملة تفصيل خلقته فيلتفت إلى جمال نفسه وينسى أنه نعمة من

من الله تعالى وهو بعرضة الزوال في كل حال، وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه وفي أول أمره وفي آخره، وفي الوجوه الجميلة والأبدان الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور حتى استقذرتها الطباع.

الثاني: البطش والقوّة كما حكي عن قوم عاد حين قالوا فيما أخبر الله عنهم: ﴿مَنْ أشد منا قوّة﴾ [فصلت: ١٥] وكما اتكل عوج على قوّته واعجب بها فاقتلع جبلاً ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام، فثقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل بنقر هدهد ضعيف المنقار حتى صارت في عنقه، وقد يتكل المؤمن أيضاً على قوّته كما روي عن

الله) تعالى (**وهو**) مع ذلك (**بعرضة الزوال**) أي مظنة لأن يعرض له زوال ما يتكبر به (**في كل حال**) من أحواله، (**وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في أقذار باطنه**) أي ما في باطنه من المستقذرات (**و**) التفكر (**في أول أمره**) كيف بدىء ومن أي شيء خلق، (**وآخره**) كيف يعود (**وفي الوجوه الجميلة**) الوضيئة (**والأبدان الناعمة**) المربربة (**أنها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور حتى استقذرتها الطباع**) ونفرت من مقاربتها والنظر إليها

(**الثاني: القوّة والبطش كما حكي عن قوم عاد حين قالوا فيما أخبر الله عنهم:**) ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا (**من أشد منا قوّة**)﴾ إغترارًا بقدرتهم وشوكتهم فردّ الله عليهم فقال: ﴿أوَلَم يَرَوْا أنَّ الله الذي خَلَقَهُمْ هو أشدُّ منهم قوّة﴾ [**فصلت: ١٥**] وعاد قبيلة من العرب الأول وهم قوم هود عليه السلام قال الليث: هم بنو عاد بن عاديا بن سام بن نوح عليه السلام قال زهير:

وأهلك لقمان بن عاد وعاديا.

وأما عاد الآخرة، فهم بنو تميم ينزلون رمال عالج عصوا الله فمسخوا نسناساً وقال أئمة النسب: عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح كان يعبد القمر، ويقال أنه رأى من صلبه وأولاده وأولاده وأولاده أربعة آلاف، وأنه نكح ألف جارية، ومن أولاده شداد بن عاد صاحب المدينة المذكورة، (**وكما اتكل عوج**) بالضم (**على قوّته فأعجب بها**) وهو رجل ذكر أنه ولد في منزل آدم عليه السلام وعاش إلى زمن موسى عليه السلام قال القزاز في جامع اللغة: هو رجل من الفراعنة كان يوصف من الطول بأمر شنيع. قال الخليل: ذكر أنه كان إذا قام كان السحاب له مئزراً قال: (**فاقتلع جبلاً**) أي صخرة كبيرة منه (**ليطبقه على عسكر موسى**) عليه السلام فدعا موسى إلى ربه بهلاكه، (**فثقب الله تعالى تلك القطعة من الجبل**) بأن سلط عليه طيراً فثقبه بمنقاره (**حتى صارت في عنقه**) ولم يزل بها حتى هلك بها، ولم تنفعه قوّته شيئاً. واختلف في اسم أبيه فقيل: عنق بضم العين والنون، وهذا هو المشهور على الألسنة، وخطّأه صاحب القاموس وقال: الصواب عوق بالضم وسكون الواو. قال شيخا أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي في

سليان عليه السلام أنه قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة؟ ولم يقل إن شاء الله تعالى، فحرم ما أراد من الولد وكذلك قول داود عليه السلام: إن ابتليتني صبرت، وكان إعجاباً منه بالقوّة، فلما ابتلى بالمرأة لم يصبر، ويورث العجب بالقوّة الهجوم في الحروب وإلقاء النفس في التهلكة والمبادرة إلى الضرب والقتل لكل من قصده بالسوء، وعلاجه ما

حاشيته على القاموس. زعم بعض الحفاظ المؤرخين أن عنق إسم أم عوج وعوق أبوه، فعلى هذا لا خطأ ولا غلط، وفيه شعر عرقلة الدمشقي المتوفى سنة ٥٦٧.

أعـــور الدجـــال يمشي خلـف عـوج بـن عنـاق

وهو ثقة عارف وتمام الكلام عليه في شرحي على القاموس فراجعه، (**وقد يتكل المؤمن أيضاً على قوته كما روى عن سليمان عليه السلام أنه قال: لأطوفن الليلة على مائة امرأة ولم يقل إن شاء الله فحرم ما أراد من الولد**). رواه أحمد والشيخان والنسائي من حديث أبي هريرة بلفظ: «قال سليمان بن داود عليه السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه: قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق إنسان، والذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته يجاهدون في سبيل الله فرساناً أجمعين».

شرح الحديث في رواية: لأطيفن قال عياض: وهما لغتان فصيحتان واللام موطئة للقسم أي والله لأدورن الليلة أي في الليلة على مائة امرأة فكنى بالطواف عن الجماع، وفي رواية على سبعين، وفي أخرى تسعين، وجمع بأن البعض سراري والبعض حرائر على أن القليل لا ينفي الكثير بل مفهوم العدد ليس بحجة عند الأكثرين كلهن يأتي بفارس أي تلد ولداً ويصير فارساً فقال له صاحبه، أي قرينه وبطانته أو وزيره من الإنس أو خاطره، وفي رواية: الملك قل إن شاء الله ذلك فلم يقل أي بلسانه لنسيان عرض له فعلة الترك النسيان لا الإباء عن التفويض إلى الرحمن، فصرف عن الإستثناء القدر السابق أن لا يكون ما تمنى، وفيه تقديم وتأخير أي لم يقل إن شاء الله فقال له صاحبه: قل ذكره عياض فطاف عليهن أي جامعهن جميعاً في ليلة واحدة، وفيه دلالة على ما رزقه الأنبياء عليهم السلام من القوّة في الجماع، وأنها في الرجال فضيلة وهي تدل على صحة الذكورية وكمال الإنسانية فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق انسان. قيل: هو الجسد الذي القي على كرسيه والذي. وفي رواية: «أما والذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث» أي لو سلك طريق الأدب والتفويض لأدرك مراده وهذه منقبة عظيمة لسليمان عليه السلام حيث كان همه الأعظم اعلاء كلمة الله حيث عزم أن يرسل أولاده الذين هم أكباده إلى الجهاد المؤدي إلى الموت.

(**وكذلك قول**) والده (**داود عليه السلام: إن ابتليتني صبرت**) كما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وتقدم قريباً، (**وكان إعجاباً للقوّة**) ورؤيتها، (**فلما ابتلي بالمرأة لم يصبر ويورث العجب بالقوّة الهجوم في الحروب وإلقاء النفس في التهلكة والمبادرة إلى الضرب**

ذكرناه، وهو ان يعلم أن حمى يوم تضعف قوّته! وإنه إذا أعجب بها ربما سلبها الله تعالى بأدنى آفة يسلطها عليه.

الثالث: العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الأمور من مصالح الدين والدنيا، وثمرته الاستبداد بالرأي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه، ويخرج إلى قلة الإصغاء إلى أهل العلم اعراضاً عنهم بالاستغناء بالرأي والعقل واستحقاراً لهم وإهانة، وعلاجه أن يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل، ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه! فلا يأمن أن يسلب عقله ان أعجب به ولم يقم بشكره، وليستصغر عقله وعلمه، وليعلم انه ما أوتي من العلم إلا قليلاً وان اتسع علمه، وإن ما جهله مما عرفه الناس أكثر مما عرفه، فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى؟ وإن يتهم عقله وينظر إلى الحمقى كيف يعجبون بعقولهم «ويضحك الناس منهم» فيحذر أن يكون منهم وهو لا يدري. فإن القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله. فينبغي أن يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه، ومن أعدائه لا من أصدقائه،

والقتل لكل من قصده بالسوء، وعلاجه ما ذكرناه وهو أن يعلم أن حمّى يوم) اذا أطبقت عليه (تضعف قوّته) أي قوّة سنة كما صرح به الأطباء، (وأنه إذا أعجب بها سلبها الله تعالى بأدنى آفة يسلطها عليه).

(الثالث: العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الأمور من صلاح الدين والدنيا، وثمرته الإستبداد) أي الإستقلال (بالرأي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له ولرأيه) واستبلادهم، (ويخرجه ذلك إلى قلة الإصغاء إلى أهل العلم إعراضاً عنهم بالاستغناء بالرأي والعقل واستحقاراً لهم وإهانة، وعلاجه أن يشكر الله تعالى على ما رزقه من العقل) والمعرفة (ويتفكر أنه بأدنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن) فيتغير عقله (بحيث يضحك منه، فلا يأمن أن يسلب عقله إن أعجب به ولم يقم بشكره) فما من نعمة لم يؤد شكرها فقد عرضها للزوال. (وليستصغر عقله وعلمه وليعلم أنه ما أوتي من العلم إلا قليلاً وإن اتسع علمه) لقوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء: ٨٥] (و) ليعلم (أن ما جهله مما عرفه الناس أكثر مما علمه) هو، (فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وأن يتهم عقله وينظر إلى الحمقى) الناقصين (كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم، فيحذر أن يكون منهم وهو لا يدري فإن القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله) ولو علمه لسعى في إزالة قصوره، (فينبغي أن يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه و) أن يعرف مقداره (من أعدائه) وحساد نعمته (لا من أصدقائه) ومعتقديه (فإن

فإن من يداهنه يثني عليه فيزيده عجباً وهو لا يظن بنفسه إلا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجباً.

الرابع: العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم أنه ينجو بشرف نسبه ونجاة آبائه وأنه مغفور له، ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موال وعبيد، وعلاجه أن يعلم انه مهما خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد جهل، وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والإزراء على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس، ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة لا بالنسب، فليتشرف بما شرفوا به، وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله واليوم الآخر، وكانوا عند الله شراً من الكلاب وأخس من الخنازير، ولذلك قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ [الحجرات: ١٣] أي لا تفاوت في أنسابكم لاجتماعكم في أصل واحد، ثم ذكرنا فائدة النسب فقال: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ [الحجرات: ١٣] ثم بين أن الشرف بالتقوى لا بالنسب

من يداهنه يثني عليه) ويمدحه (فيزيده عجباً) وتيهاً (وهو لا يظن بنفسه إلا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد به عجباً).

(الرابع: العجب بالنسب الشريف) أي المتصل إلى حضرته ﷺ (كعجب الهاشمية) هم بنو هاشم فيشمل العلويين والطالبين والجعفريين (حتى يظن بعضهم أنه ينجو بسبب شرف نسبه ونجاة آبائه وأنه مغفور له، ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق له موال وعبيد) أي بمنزلتهم في المذلة. (وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد جهل) الحقيقة فإن اللحوق يقتضي الموافقة، (وإن اقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب) بالنسب وغيره، (بل الخوف والإزراء على النفس واستعظام الخلق ومذلة النفس) واستصغارها، (ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال المحمودة لا بالنسب فليتشرف بما شرفوا به) فيلحق بهم، (وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله) ولم يرفع له رأساً وسلك سبيل العناد كأبي جهل وأبي لهب وأضرابهما، (فكانوا عند الله شراً من الكلاب وأخس من الخنازير، ولذلك قال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾) أي آدم وحوّاء (أي لا تفاوت في أنسابكم لاجتماعكم في أصل واحد) من فوق (ثم ذكر فائدة النسب) بجعلهم متميزين (فقال: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾) [الحجرات: ١٣] فالشعب هو النسب الأوّل والقبيلة ما انقسم فيه أنساب الشعب ثم عمارة وبطن وفخذ وفصيلة، فخزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، والعباس فضيلة. (ثم بيّن أن الشرف) الذي هو كرم الأصل (بالتقوى لا بالنسب فقال: ﴿إن

فقال: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] ولما قيل لرسول الله ﷺ من أكرم الناس؟ من أكيس الناس؟ لم يقل: من ينتمي إلى نسبي ولكن قال: « أكرمهم أكثرهم للموت ذكراً وأشدهم له استعداداً »، وإنما نزلت هذه الآية حين أذن بلال يوم الفتح على الكعبة. فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن أسيد: هذا العبد الأسود يؤذن فقال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وقال النبي ﷺ: « إن الله قد

أكرمكم عند الله أتقاكم﴾) أي أخشاكم في السر والعلانية (**ولما قيل لرسول الله ﷺ: من أكرم الناس؟ من اكيس الناس؟ لم يقل**) في الجواب (**من ينتمي إلى نسبي**) بالولادة، (**ولكن قال: « أكثرهم للموت ذكراً وأسدهم له استعداداً »**) قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر دون قوله أكرم الناس، وهو بهذه الزيادة عن ابن أبي الدنيا في كتاب ذكر الموت، وسيأتي في كتاب ذكر الموت في آخر الكتاب.

قلت: ولفظ ابن ماجه: أتيت النبي ﷺ عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار: من أكيس الناس الحديث. وسيأتي هذا السياق للمصنف في آخر الكتاب.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الله بن العباس، حدثنا ابراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن العلاء بن عتبة، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر قال: قام فتى فقال: يا رسول الله أي المؤمنين أكيس؟ قال: « أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم له استعداداً قبل أن ينزل به أولئك الأكياس ». رواه أبو سهيل بن مالك، وحفص بن غيلان، ويزيد بن أبي مالك، وقرة بن قيس، ومعاوية بن عبد الرحمن، عن عطاء مثله. ورواه مجاهد عن ابن عمر نحوه.

(**وإنما أنزلت هذه الآية حيث أذن بلال**) رضي الله عنه (**يوم الفتح على الكعبةفقال الحرث ابن هشام**) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم من مسلمة الفتح وكان من سادات قومه، (**وسهيل بن عمر و**) بن عبد شمس بن عبدود العامري القرشي أبو يزيد خطيب قريش أسلم يوم الفتح، (**وخالد بن أسيد**) بن أبي العيص بن أمية الأموي أخو عتاب أسلم يوم الفتح، وكان فيه تيه شديد (**هذا العبد الأسود يؤذن فقال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**) روى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل، عن ابن أبي مليكة قال: لما كان يوم الفتح رقي بلال فأذن على الكعبة فقال بعض الناس: أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة؟ وقال بعضهم: أن يسخط الله هذا يغره فنزلت الآية. وروى ابن المنذر عن ابن جريج قال: أذن بلال يوم الفتح على الكعبة فقال الحرث بن هشام: أهذا العبد حين يؤذن على الكعبة؟ فقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذي أكرم أسيداًأن يرى هذا. وقال سهيل بن عمرو: أن يكره الله هذا ينزل فيه، وسكت أبو سفيان فنزلت الآية.

أذهب عنكم عيبة الجاهلية ـ أي كبرها ـ كلكم بنو آدم وآدم من تراب » وقال النبي ﷺ : « يا معشر قريش لا تأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا ـ أي أعرض عنكم ـ » فبين أنهم أن مالوا إلى

(**وقال النبي ﷺ : « إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية)** بضم العين المهملة وكسر الموحدة وتشديد التحتية المفتوحة ـ (**أي**) نخوتها (**وكبرها ـ كلكم بنو آدم وآدم**) خلق (**من تراب »**) قال العراقي : رواه أبو داود ، والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة ، ورواه الترمذي أيضاً من حديث ابن عمر وقال : غريب اهـ .

قلت : لفظ أبي داود : « إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالإباء مؤمن تقي وفاجر شقي أنتم بنوا آدم وآدم من تراب ليدعن عن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن » . هذا لفظه وقد تقدم بعضه للمصنف قريباً . هكذا رواه أحمد والبيهقي .

وأما لفظ الترمذي من حديث ابن عمر : أن النبي ﷺ طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجنه ، فلما خرج فلم يجد مناخاً فنزل على أيدي الرجال فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال : « الحمد لله الذي أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها بآبائها الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً ﴾ إلى قوله ﴿ خبير ﴾ [الحجرات : ١٣] ثم قال : أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم » وهكذا رواه عبد بن حميد ، وابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه ، والبيهقي في الشعب . وروى البيهقي من حديث أبي أمامة رفعه : « إن الله أذهب نخوة الجاهلية وتكبرها بآبائها كلكم لآدم وحوّاء كطف بالصاع وإن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

(**وقال ﷺ : « يا معشر قريش لا تأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون: يا محمد يا محمد فأقول هكذا أي فأعرض عنكم »**) قال العراقي : رواه الطبراني من حديث عمران بن حصين إلا أنه قال : يا معشر بني هاشم وسنده ضعيف اهـ .

قلت : صدر الحديث رواه البخاري في التاريخ ، وابن عساكر من رواية شريح بن الحرث ، عن أبي أمامة ، والحرث بن الحرث الغامدي وكثير بن مرة وعمير بن الأسود معاً ولفظه : « يا معشر قريش لا ألفين أناساً يأتون يتحرون الجنة وتأتون تحرون الدنيا . اللهم لا أحل لقريش أن يفسدوا ما أصلحت أمتي » الحديث .

وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة : « يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً . سلوني من مالي ما شئتم واعلموا أن أولى الناس بي يوم القيامة المتقون وأن تكونوا أنتم

الدنيا لم ينفعهم نسب قريش. ولما نزل قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤] ناداهم بطناً بعد بطن، حتى قال: «يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ إعملا لأنفسكما فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً»، فمن عرف هذه الأمور وعلم أن شرفه بقدر تقواه، وقد كان من عادة آبائه التواضع

مع قرابتكم فذاك لا يأتيني الناس بالأعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على أعناقكم فتقولون: يا محمد. فأقول: هكذا ثم تقولون: يا محمد فأقول هكذا أعرض بوجهي عنكم، فتقولون: يا محمد أنا فلان بن فلان. فأقول: أما النسب فأعرف وأما العمل فلا أعرف نبذتم الكتاب فارجعوا فلا قرابة بيني وبينكم». وأما لفظ الطبراني من حديث عمران بن حصين: «يا بني هاشم إن أوليائي منكم المتقون، يا بني هاشم اتقوا النار ولو بشق تمرة، يا بني هاشم لا ألفينكم تأتون بالدنيا تحملونها على ظهوركم ويأتون بالآخرة يحملونها».

(فبين أنهم إن مالوا إلى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الاقربين﴾ ناداهم بطنا بعد بطن) فقال: «يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب **(حتى قال: يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله اعملا لأنفسكما فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً»)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة، ورواه مسلم من حديث عائشة اهـ.

قلت: ورواه الحكيم من حديث أبي هريرة وتقدم سياقه قبل هذا. وعند البيهقي: «يا فاطمة بنت محمد اشتري نفسك من النار ولو بشق تمرة، يا عائشة لا يرجع من عندك سائل ولو بظلف محرق». ورواه الترمذي من حديث عائشة وقال: حسن غريب: «يا صفية بنت عبد المطلب يا فاطمة بنت محمد يا بني عبد المطلب: إني لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم».

وأما لفظ مسلم من حديث أبي هريرة: «يا بني كعب بن لؤي انقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة ابن كعب انقذوا انفسكم من النار، يا بني عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف انقذوا انفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة انقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً». ورواه كذلك النسائي.

ولفظ أحمد والترمذي من حديث أبي هريرة: «يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً، يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً، يا معشر بني قصي أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضراً ولا نفعاً، يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار، فإني لا أملك من الله ضراً ولا نفعاً».

(فمن عرف هذه الأمور عرف أن شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة آبائه التواضع

اقتدى بهم في التقوى والتواضع، وإلا كان طاعناً في نسب نفسه ـ بلسان حاله ـ مهما انتمى إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإشفاق.

فإن قلت فقد قال ﷺ بعد قوله لفاطمة وصفية: «إني لا أغني عنكما من الله شيئاً إلا ان لكما رحماً سأبلها ببلالها» وقال عليه السلام: «أترجو سليم شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب» فذلك يدل على أنه سيخص قرابته بالشفاعة؟ فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله ﷺ: «والنسيب أيضاً جدير بأن يرجوها لكن بشرط أن يتقي الله أن يغضب عليه، فإنه ان يغضب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعته، لأن الذنوب منقسمة إلى ما يوجب المقت فلا يؤذن في الشفاعة له، وإلى ما يعفي عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فإن كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك، فمن الذنوب ما لا تنجي منه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى: ﴿ولا

فإن اقتدى) وسلك طريقهم (**في التقوى والتواضع**) فهو المطلوب، (**وإلاّ كان طاعناً في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى إليهم ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والإشفاق**) والحذر من المقت.

(**فإن قلت: فقد قال رسول الله ﷺ بعد قوله لفاطمة وصفية**) رضي الله عنهما: (**«إني لا أغني عنكما من الله شيئاً إلا أن لكما رحماً سابلها ببلالها»**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: «غير أن لكما رحماً سابلها ببلالها»، اهـ.

قلت: ورواه النسائي كذلك وليس في حديثهما ذكر صفية، وأوّل الحديث قد تقدم قريباً. ورواه أحمد والترمذي بلفظ: «إن لك رحماً وسابلها ببلالها» وذكره بعد قوله: «يا فاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك ضراً ولا نفعاً» وأوّل الحديث تقدم أيضاً قريباً

(**وقال ﷺ: «أترجو سليم**) مصغر قبيلة من العرب (**شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب»**) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن جعفر، وفيه أصرم بن حوشب عن إسحاق بن واصل وكلاهما ضعيف جداً، (**فذلك يدل على أنه سيخص قرابته بالشفاعة. فاعلم أن كل مسلم فهو منتظر شفاعة رسول الله ﷺ والنسيب**) أي ذو النسب (**جدير بأن يرجوها**) وينالها، (**ولكن بشرط أن يتقي الله أن**) يمقت و (**يغضب عليه، فإنه أن يغضب عليه فلا يأذن لأحد في شفاعته، فإن الذنوب منقسمة إلى ما يوجب المقت**) من الله تعالى وهو أشد الغضب، (**فلا يؤذن في الشفاعة له**) أصلاً (**وإلى ما يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا، فإن كل ذي مكانة عند الملك**) أي منزلة وقدر (**لا يقدر على الشفاعة فيما اشتد عليه غضب الملك، فمن الذنوب ما لا تنجى منه**

يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [الأنبياء : ٢٨] وبقوله: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ [البقرة: ٢٥٥] وبقوله: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ [السبأ : ٢٣] وبقوله: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ [المدثر : ٤٨] وإذا انقسمت الذنوب إلى ما يشفع فيه وإلى ما لا يشفع فيه وجب الخوف والإشفاق لا محالة، ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة لما أمر قريشاً بالطاعة ولما نهى رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله عنها عن المعصية، ولكان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذاتها في الدنيا ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذاتها في الآخرة، فالانهماك في الذنوب وترك التقوى اتكالاً على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته اعتماداً على طبيب حاذق قريب مشفق من أب أو أخ أو غيره، وذلك جهل لأن سعي الطبيب وهمته وحذقه تنفع في إزالة بعض الأمراض لا في كلها، فلا يجوز ترك الحمية مطلقاً اعتماداً على مجرد الطب، بل للطبيب أثر على الجملة ولكن في الأمراض الخفيفة وعند غلبة اعتدال المزاج. فهكذا ينبغي أن تفهم عناية الشفعاء من الأنبياء والصلحاء للأقارب والأجانب، فإنه كذلك قطعاً، وذلك لا يزيل

الشفاعة وعنه العبارة بقوله عز وجل: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ وبقوله: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ وبقوله ﴿لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا﴾ وبقوله: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾) فهذه الآيات كلها دالة أنه ليس كل أحد يستقل بالشفاعة ولا كل الذنوب يشفع فيها. (**وإذا انقسمت الذنوب إلى ما يشفع فيه وإلى ما لا يشفع فيه وجب الخوف والإشفاق لا محالة، ولو كان كل ذي ذنب تقبل فيه الشفاعة لما أمر قريشاً**) وهم خيار البطون من القبائل (**بالطاعة**) والإمتثال لأوامر الله تعالى، (**ولما نهى فاطمة**) رضي الله عنها وهي بضعة من جسده ﷺ (**عن المعصية**) ولما أمرها أن تشتري نفسها من الله تعالى، (**ولكان يأذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذتها في الدنيا**) بها، (**ثم يشفع لها في الآخرة لتكمل لذتها في الآخرة**) فتكون قد جمعت بين اللذتين، (**فالإنهماك في الدنيا وترك التقوى اعتماداً على رجاء الشفاعة يضاهي انهماك المريض في شهواته**) وانبساطه فيها (**اعتماداً على طبيب حاذق**) بصير بالمعالجة (**مشفق من أب أو أخ أو غيره**) ممن يعتمد على صحبته، (**وذلك جهل لأن سعي الطبيب وهمته وحذقه**) إنما (**ينفع في إزالة بعض الأمراض لا في كلها، فلا يجوز ترك الحمية**) التي هي رأس الدواء (**مطلقاً اعتماداً على مجرد الطب بل للطبيب أثر على الجملة، ولكن في الأمراض الخفيفة**) السهلة التي يرجى بمعالجتها البرء من قرب (**وعند غلبة إعتدال المزاج**) وأما عند فساده فلا ينجح تدبير الطبيب فيه إلا قليلاً، (**فهكذا ينبغي أن يفهم عناية الشفعاء من الأنبياء والصلحاء والأقارب والأجانب، فإنه كذلك قطعاً وذلك لا يزيل الخوف والحذر**) والإشفاق، (**وكيف يزيل وخير الخلق**

الخوف والحذر، وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله ﷺ أصحابه وقد كانوا يتمنون أن يكونوا بها ثم من خوف الآخرة مع كمال تقواهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله ﷺ إياهم بالجنة، خاصة وسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يتكلموا عليه ولم يفارق الخوف والخشوع قلوبهم؟ فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم.

الخامس: العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم دون نسب الدين والعلم. وهذا غاية الجهل، وعلاجه أن يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دين الله وإنهم الممقوتون عند الله تعالى، ولو نظر إلى صورهم في النار وأنتانهم وأقذارهم لاستنكف منهم ولتبرأ من الانتساب إليهم ولأنكر على من نسبه إليهم استقذاراً واستحقاراً لهم، ولو انكشف له ذلهم في القيامة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة

بعد رسول الله ﷺ أصحابه) بمقتضى الخبر: « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم » **(وقد كانوا يتمنون أن يكونوا بها ثم)** كما تقدم من قول عمر رضي الله عنه: ليتني كنت كبشاً لاهلي فذبحوني وأكلوني كل ذلك **(من خوف الاخرة)** وهو المطلع. هذا **(مع كمال تقواهم وحسن أعمالهم وصفاء قلوبهم و)** مع **(ما سمعوه من وعد رسول الله ﷺ إياهم بالجنة خاصة)** يشير إلى ما رواه ابن شيبة، وأحمد، وابن منيع، وابن أبي عاصم، وأبو نعيم في الحلية، والضياء من حديث سعيد بن زيد رفعه: « أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة ». ورواه أيضاً أحمد، والترمذي، وأبو نعيم في المعرفة، وابن عساكر من رواية عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده رفعه بهذا. **(وسائر المسلمين بالشفاعة عامة)** يشير إلى ما رواه الحرث بن أبي أسامة من حديث أبي هريرة: « شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يصدق لسانه قلبه وقلبه لسانه ». **(ولم يتكلوا عليه ولم يفارق الخشوع والخوف قلوبهم؟ فكيف يعجب بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم)** وتقواهم وإخلاصهم.

(الخامس: العجب بنسب السلاطين الظلمة وأعوانهم) والإفتخار به **(دون نسب الدين والعلم. وهذا غاية الجهل، وعلاجه أن يتفكر في مخازيهم)** وفضائحهم **(وما جرى لهم من الظلم والتعدي على عباد الله والفساد في دين الله، وأنهم ممقوتون عند الله ولو نظر إلى صورهم في النار)** وقد امتحشوا وصاروا حمماً **(و)** نظر إلى **(أقذارهم وأنتانهم)** مما يسيل من أجسادهم **(لاستنكف منهم ولتبرأ من الإنتساب إليهم ولأنكر على من نسبه إليهم استقذاراً لهم واستحقاراً، ولو انكشف له ذمهم في القيامة)** ومهانتهم **(وقد تعلق الخصماء بهم)**

آخذون بنواصيهم يجزونهم على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد لتبرأ إلى الله منهم ولكان انتسابه إلى الكلب والخنزير أحب إليه من الإنتساب إليهم فحق أولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلمهم أن يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم إن كانوا مسلمين! فأما العجب بنسبهم فجهل محض.

السادس: العجب بكثرة العدد من الأولاد والخدم والغلمان والعشيرة والأقارب والأنصار والأتباع، كما قال الكفار: ﴿نحنُ أكثرُ أموالاً وأولاداً﴾ [السبأ: ٣٥] وكما قال المؤمنون يوم حنين: لا نغلب اليوم من قلة، وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وإن كلهم عبيد عجزة لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ﴿وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾ [البقرة: ٢٤٣] ثم كيف يعجب بهم وإنهم سيفترقون عنه إذا مات فيدفن في قبره ذليلاً مهيناً وحده لا يرافقه أهل ولا ولد ولا قريب ولا حميم ولا عشير فيسلمونه إلى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يغنون عنه شيئاً، وهو في أحوج أوقاته إليهم، وكذلك يهربون منه يوم القيامة ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ★ وصاحبته وبنيه﴾ [عبس: ٣٤- ٣٦] الآية فأي خير فيمن

يطابونهم بحقوقهم (**والملائكة يأخذون بنواصيهم**) وأقدامهم (**يجرونهم على وجوههم إلى جهنم في مظالم العباد لتبرأ إلى الله منهم، ولكان انتسابه إلى الكلب والخنزير أحب إليه من الإنتساب إليهم، فحق أولاد الظلمة أن عصمهم الله تعالى من ظلمهم أن يشكر والله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لآبائهم إن كانوا مسلمين. وأما العجب بنسبهم فجهل**).

(السادس: **العجب بكثرة العدد من الأولاد**) والأحفاد والأسباط (**والخدم والغلمان والعشيرة والأقارب والأنصار**) والأعوان (**والأتباع، كما قال الكفار: ﴿نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾**) فأعجبوا بكثرتهم، (**وكما قال المؤمنون يوم حنين: لا نغلب اليوم عن قلة**) إذ عجبوا بكثرة المؤمنين وكانوا اثني عشر ألفاً، سوى من خرج معهم من مشركي مكة نحو الثمانين مساعدة لهم. (**وعلاجه ما ذكرناه في الكبر، وهو أن يتفكر في ضعفه وضعفهم وأن كلهم عبيد وعجزة لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ﴿وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾**) كما جرت به عادة الله وما النصر إلا من عند الله، (**ثم كيف يعجب بهم وأنهم سيفترقون عنه إذا مات فيدفن في قبره ذليلاً مهيناً وحده لا يرافقه ولد ولا أهل ولا قريب ولا حميم ولا عشيرة**) ممن كان يعتمد عليه ويتجبح به، (**فيسلمونه إلى البلى والحيات والعقارب والديدان**) ينتهبون جسمه العزيز الغالي وينتهشونه نهشاً حتى يصير روثاً في أجوافها، (**ولا يغنون عنه شيئاً وهو في أحوج أوقاته إليهم، وكذلك يهربون منه يوم القيامة**) كما قال تعالى: ﴿يوم يفر المرء من أخيه ★ وأمه وأبيه ★ وصاحبته وبنيه﴾ ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن

يفارقك في أشد أحوالك ويهرب منك ؟ وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة وعلى الصراط إلا عملك وفضل الله تعالى ؟ فكيف تتكل على من لا ينفعك ، وتنسى نعم من يملك نفعك وضرك وموتك وحياتك .

السابع: العجب بالمال كما قال تعالى إخباراً عن صاحب الجنتين إذ قال: ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ [الكهف: ٣٤] ورأى رسول الله ﷺ رجلاً غنياً جلس بجنبه فقير فانقبض عنه وجمع ثيابه ، فقال عليه السلام : « أخشيت أن يعدو إليك فقره » وذلك للعجب بالغنى وعلاجه أن يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله ، وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة في القيامة ، وإلى ان المال غاد ورائح ولا أصل له ، وإلى أن في اليهود من يزيد عليه في المال وإلى قوله عليه الصلاة والسلام : « بينما رجل يتبختر في حلة له قد أعجبته نفسه إذا أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ، أشار به إلى عقوبة إعجابه بماله ونفسه . وقال أبو ذر : كنت مع رسول الله ﷺ فدخل المسجد فقال لي: « يا أبا ذر ارفع رأسك » فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب

يغنيه﴾ (**فأي خير فيمن يفارقك في أشد أحوالك ويهرب منك ؟ فيكف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيامة على الصراط إلا عملك**) الصالح الذي قدمته بين يديك ؟ (**فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك ضرك ونفعك وموتك وحياتك ؟**) .

(**السابع: العجب بالمال كما قال تعالى**) حكاية عن الكفار : ﴿نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾ و (**قال تعالى إخباراً عن صاحب**) إحدى (**الجنتين إذ قال**) أحدهما لصاحبه: (**﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾**) أي أولاداً وأعواناً . (**ورأى رسول الله ﷺ رجلاً غنياً جلس بجنبه فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال ﷺ : « خشيت أن يعدو إليك فقره»**) قال العراقي: رواه أحمد في الزهد ، (**وذلك للعجب بالغنى . وعلاجه أن يتفكر في آفات المال**) التي تعرض بسببه (**وكثرة حقوقه وعظم غوائله**) أي دواهيه ، (**وينظر إلى فضيلة الفقراء وسبقهم إلى الجنة في القيامة**) قبل الأغنياء بخمسمائة عام كما تقدم ذلك في الاخبار ، (**وإلى أن المال غادٍ ورائح**) أي يغدو تارة ويروح أخرى لا اعتماد عليه (**ولا أصل له، وإلى أن في اليهود**) والنصارى (**من يزيد عليه في المال**) كما هو مشاهد ، (**وإلى قوله ﷺ : « بينما رجل يتبختر في حلة أعجبته نفسه إذ أمر الله الأرض فأخذته فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة »**) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة وقد تقدم في أوّل هذا الكتاب ، (**أشار به إلى عقوبة إعجابه بماله ونفسه . وقال أبو ذر**) رضي الله عنه : (**كنت مع رسول الله ﷺ فدخل المسجد فقال: « يا أبا ذر إرفع رأسك»**) قال: (**فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب خلقان**) بالضم جمع

جياد ثم قال: « ارفع رأسك » فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب خلقه فقال لي: « يا أبا ذر هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا » وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى، فكيف يتصوّر من المؤمن أن يعجب بثروته؟ بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال في أخذه من حله ووضعه في حقه، ومن لا يفعل ذلك فمصيره إلى الخزي والبوار فكيف يعجب بماله؟

الثامن: العجب بالرأي الخطأ. قال الله تعالى: ﴿أفمن زُيِّن له سوءُ عملهِ فرآه حسناً﴾ [الفاطر: ٨] وقال تعالى: ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ [الكهف: ١٠٤] وقد أخبر رسول الله ﷺ أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمة وبذلك هلكت الأمم السالفة إذ افترقت فرقاً فكل معجب برأيه: ﴿وكلُّ حزب بما لديهم فرحون﴾

خلق محركة. يقال: ثوب خلق وثياب خلقان وقد خلق ككرم إذا بلي وتقطع، (**فقال لي: « يا أبا ذر هذا عند الله خير من قراب الأرض مثل هذا »**) والقراب بالكسر مصدر قارب الأمر إذا داناه يقال: لو جاء بقراب الأرض أي بما يقاربها ولو أن لي قراب الأرض ذهباً أي ما يقارب ملأها. قال العراقي: رواه ابن حبان في صحيحه اهـ.

قلت: لكن لفظه: « يا أبا ذر انظر إلى أرفع رجل في المسجد في عينك » قال: فنظرت فإذا رجل عليه حلة. قلت: هذا. قال: « انظر إلى أوضع رجل في المسجد » قال: فنظرت فإذا رجل عليه خلاق. قلت: هذا. قال: « والذي نفسي بيده لهذا عند الله يوم القيامة خير من ملء الأرض مثل هذا وهكذا ». رواه أيضاً أحمد وهناد كلاهما في الزهد، وأبو يعلى في المسند، والروياني، والحاكم، والضياء في المختارة.

(**وجميع ما ذكرناه في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الأغنياء وشرف الفقراء عند الله**) تعالى، (**فكيف يتصوّر من المؤمن أن يعجب بثروته**) أي كثرة ماله، (**بل لا يخلو المؤمن عن خوف من تقصيره في القيام بحقوق المال وأخذه من حله ووضعه في حقه**) وأنى يقوم بتلك الحقوق، (**ومن لايفعل ذلك**) أي لا يأخذ المال من حيث الحل ثم إذا أخذه كذلك لا يضعه في حقه، (**فمصيره إلى الخزي والبوار**) أي الهلاك، (**فكيف**) يتصوّر أن (**يعجب بماله؟**).

(**الثامن: العجب بالرأي الخطأ قال الله تعالى: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً﴾**) أي زين له الشيطان في عينه فأعجب. (**وقال تعالى**) في حق الأخسرين أعمالاً: (**﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ وقد أخبر ﷺ أن ذلك**) أي الإعجاب بالرأي الخطا (**يغلب على هذه الأمة و**) أنه (**بذلك هلكت الأمم السالفة إذا افترقت فرقاً، فكل**

[المؤمنون: ٥٣] وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقاً، وعلاج هذا العجب أشد من علاج غيره لأن صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطئه ولو عرفه لتركه، ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جداً. لأن العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه، إلا إذا كان معجباً برأيه وجهله فإنه لا يصغي إلى العارف ويتهمه، فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده؟ وإنما علاجه على الجملة أن يكون متهماً لرأيه أبداً لا يغتر به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنة أو دليل عقل صحيح جامع لشروط الأدلة، ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها إلا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمر في الطلب وممارسة للكتاب والسنّة ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم، ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الأمور، والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم أن لا يخوض في

معجب برأيه: ﴿وكلّ حزب بما لديهم فرحون﴾) يشير بذلك إلى حديث أبي ثعلبة الخشني، فإذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك، وهو عند أبي داود والترمذي وقد تقدم في أوّل هذا الكتاب، (**وجميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها**) أي على بدعهم (**لعجبهم بآرائهم والعجب بالبدعة هو استحسان ما يسوق إليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقاً**) وصواباً. (**وعلاج هذا العجب أشد من غيره لأن صاحب الرأي الخطأ جاهل بخطئه ولو عرفه لتركه**) وباشر أسباب ما يضاده، (**ولا يعالج الداء الذي لا يعرف والجهل داء لا يعرف فتعسر مداواته جداً، إلا أن العارف يقدر على أن يبين للجاهل جهله ويزيله عنه**) بحسن العبارة والإلقاء (**إلا إذا كان معجباً بجهله ورأيه فإنه لا يصغي إلى العارف**) ولا يرفع له رأساً (**ويتهمه، فقد سلط الله عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة، فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب سعادته في اعتقاده**) فهذا سبب عسر المداواة، (**وإنما علاجه على الجملة أن يكون متهماً لرأيه أبداً لا يغتر به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب أو سنّة أو دليل عقلي صحيح جامع لشروط الأدلة**) يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى حصول المطلوب، (**ولن يعرف الإنسان أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط منها إلا بقريحة تامة**) راجحة، (**وعقل ثابت**) وذهن صَحيح (**وجدّ وتشمر في الطلب**) قد عرف به وأكب عليه، (**وممارسة في الكتاب والسنّة**) بكثرة المراجعة لها في كل مهمة، (**ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم**) مع أهلها إلقاء وتقرير أو مباحثة، (**ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الأمور**) كما هو من عوائد البشر، (**والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم أن يخوض في المذاهب**) وما

المذاهب ولا يصغي إليها ولا يسمعها ، ولكن يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له وأنه ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى : ١١] وأن رسوله صادق فيما أخبر به ويتبع سنة السلف ، ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل ، بل يقول آمنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي وأداء الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر الأعمال ، فإن خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر . وهذا حق كل من عزم على أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم ، فأما الذي عزم على التجرد للعلم فأوّل مهم له معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الأمر فيه ، والوصول إلى اليقين والمعرفة في أكثر المطالب شديد لا يقدر عليه إلا الأقوياء المؤيدون بنور الله تعالى وهو عزيز الوجود جداً ، فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ به من الإغترار بخيالات الجهال .

فيها من الآراء والإختلافات ، **(ولا يصغي إليها ولا يسمعها)** فإنه يورث تشتيتاً للفكر وحيرة في المقام وأحوالاً مختلفة تتولد منها أوصاف التعصب ما إن أخلد إليها كانت سبباً لهلاك باطنه ، **(ولكن يعتقد أن الله تعالى واحد لا شريك له ، وأنه : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وأن رسوله)** ﷺ **(صادق فيما أخبر به)** وبلغه ، **(ويتبع سنة السلف)** ويسلك على منهاجهم بما تلقفه من شيوخه ومن مطالعة كتب القوم ، **(ويؤمن بجميع ما جاء به الكتاب والسنّة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل)** ما أجمل فيه أو أشير إليه ، **(بل يقول : آمنا وصدقنا)** فهذا هو الإيمان الإجمالي **(ويشتغل)** بعد ذلك **(بالتقوى واجتناب المعاصي)** ومجانبة الرذائل المسقطة للمروءة **(وأداء الطاعات)** كما أمر بها **(والشفقة على المسلمين)** فلا يألو في نصحهم ولا يحقرهم ولا يذلهم **(وسائر الأعمال)** الصالحة ، **(فإن خاض في المذاهب والبدع والتعصب في العقائد)** فقد شغل نفسه بغير الأهم ، بل ربما **(هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم على أن يشتغل في عمره بشيء غير العلم)** فإنه يكفيه القدر المذكور ، **(فأما الذي عزم على التجرد للعلم فأوّل مهم له معرفة الدليل وشروطه)** وهو مبين في كتب الأصول ، **(وذلك مما يطول الأمر فيه)** لأنه متوقف على تحصيل فنون بها يتدرج على معرفة شروط الدليل ، فالأعمار تفنى وهو لم يحصل بعد حتى يأتيه الموت وهو يتحسر على فوات مقصوده ، **(والوصول إلى اليقين والمعرفة في أكثر المطالب شديد)** عسر .

كيف الوصول إلى سعادتها ودونها ... قلل الجبال ودونهن حتوفُ

(لا يقدر عليه إلا الأقوياء المؤيدون بنور الله تعالى) إذ من أيد بنوره انكشف له غوامض الحقائق من وراء حجاب واتضحت له وجوه الصواب بلا إتياب **(وهو عزيز الوجود جداً)** لما استحوذ الشيطان والنفس الأمّارة على غالب الطالبين وآثروا دنياهم على آخرتهم بجعلهم ما يجعلونه شبكة يصطادون بها الغافلين . **(فنسأل الله تعالى العصمة من الضلال**

تم كتاب ذم الكبر والعجب والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ونعوذ به من الإغترار بخيالات الجهال) أنه سميع قريب مجيب، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ومولانا خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آلـه الأئمـة الأطهـريـن وأصحـابـه الكـرام الفاضلين.

وبه تم شرح كتاب ذم الكبر والعجب بحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات. كان الفراغ من تسويده في مجالس آخرها في الساعة الخامسة من نهار الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الآخر من شهور سنة ١٢٠٠ أحسن الله ختامها. قال المؤلف: وذلك على يد مؤلفه العبد الفقير إلى مولاه أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني لطف الله به وأحسن إليه بمنه وكرمه حامداً لله ومصلياً ومسلماً ومحسباً ومحوقلاً.

كتاب ذم الغرور وهو الكتاب العاشر
من ربع المهلكات من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور، وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور، مخرج

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً الله ناصر كل صابر

الحمد لله الذي علا بحوله، ودنا بطوله، مانح كل غنيمة وفضل وكاشف كل عظيمة وأذل احمده على عواطف كرمه، وسوابغ نعمه، ونؤمن به أوّلاً بادياً،واستهديه قريباً هادياً، واستعينه قادراً قاهراً، وأتوكل عليه كافياً ناصراً، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أرسله لإنفاذ أمره، وإنهاء عذره، وتقديم نذره، فبلغ الرسالة صادعاً بها، وحمل على المحجة دالاً عليها، وأقام أعلام الإهتداء ومنار الضياء، وجعل أمراس الإسلام متينة وعرى الإيمان به وثيقة، صلى الله عليه وعلى آله الائمة الأطهار، وأصحابه الأنجاب الأخيار، والتابعين لهم بإحسان إلى ما بعد القرار، وسلم تسليماً كثيراً وبعد فهذا شرح:

كتاب ذم الغرور

وهو العاشر من الربع الثالث من كتاب الإحياء للإمام أبي حامد الغزالي قدس الله سره، وواصل إلينا فتوحه وبرّه،أوضحت فيه سبل النجاة للسالكين ونبهت فيه على جمل من فوائد توقظ المغترين، وكشفت فيه عن رموز عجب الخفا، وأوردت فيه من زبد إشارات القوم مما رق وصفا، سالكاً مسلك الإيجاز المفيد، معرضاً عن التطويل الممل للمريد، سائلاً من الله الإعانة والتوفيق، والهداية إلى ابتهاج الطريق، إنه ولي كل مأمول، والحري بإجابة السول. قال المصنف رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

(**الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور**) أي مفاتيحها جمع إقليد بالكسر معرب كليد وهذا كما قالوا ملامح ومشابه ومحاسن ومذاكير، أو جمع مقليد أو مقليد أو مقلاد، وبه فسر مجاهد قوله

أوليائه من الظلمات إلى النور، ومورد أعدائه ورطات الغرور، والصلاة على محمد مخرج الخلائق من الديجور، وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور، صلاة تتوالى على ممر الدهور، ومكرّ الساعات والشهور.

أما بعد؛ فمفتاح السعادة التيقظ والفطنة، ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله

تعالى: ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ [الزمر: ٦٣] فقال: أي مفاتيحها. وقال السري: أي خزائنها، فهذا قد فسر المقاليد بالخزائن. ويؤيده قوله تعالى: ﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾ [المنافقون: ٧٠] وأحسن ما فسر القرآن بالقرآن وشاهد الإقليد قول تبع:

واقنابه من الدهر سبتا   وجعلنا لبابه إقليدا

(**وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور**) فما من خير أو شر إلا مفاتيحه في قبضة قدرته وحيطة قهره، إذ هو القادر المطلق أي لا يملكها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره، وهو كناية عن كمال قدرته وحفظه للأمور. وفي الجملتين مزيد دلالة على الإختصاص، لأن الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها، (**مخرج أوليائه**) بهدايته وتوفيقه (**من الظلمات**) ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية إلى الكفر (**إلى النور**) أي الهدى الموصل للإيمان، (**ومورد أعدائه**) ممن ثبت في علمه أنه لا يؤمن (**ورطات الغرور**) والشبهات، وذلك لفساد استعدادهم وأنهماكهم في الشهوات. وأصل الغرور الغفلة وسكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع، (**والصلاة على**) سيدنا (**محمد مخرج الخلائق من الديجور**) أي من ظلمة الشكوك والشبهات إلى نور اليقين والبينات، وأصل الديجور ظلمة الليل وشدة سواده، والجمع دياجير ويستعار لظلمات الكفر والجحود وفساد العقائد، (**وعلى آله وأصحابه الذين لم تغرهم الحياة الدنيا**) أي لم تأخذهم غرة بالكسر وهي الخصلة التي يغتر بها ظاهرها حسن ومآلها قبيح، (**ولم يغرهم بالله الغرور**) كصبور كل ما يغرك من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد فسّر بالشيطان وبالدنيا لأنها تغر وتضر وتمر، فأما الشيطان فهو أقوى الغاوين وأخبثهم وإغراره بالإنسان بأن يرقبه التوبة والمغفرة فيجسره على المعاصي، (**صلاة تتوالى**) أي تتضاعف وتتكرر (**على ممرّ الدهور**) على مرور أزمان بعد أزمان بحيث لا تنقطع، (**ومكر الساعات والشهور**) والمكر بمعنى الممر أي مرور كل ساعة من الساعات في ضمن الأيام والليالي من الشهور الكارة.

(**أما بعد؛ فمفتاح السعادة**) التي هي معاونة الأمور الإلهية للإنسان على نيل الخير (**التيقظ**) أي الانتباه (**والفطنة**) وهي سرعة هجوم النفس على حقائق معاني ما تورده الحواس عليها، (**ومنبع الشقاوة**) وهي ضد السعادة ومنبع كل شيء أصله (**الغرور والغفلة**) تقدم معنى الغرور قريباً. والغفلة عبارة عن فقد الشعور بما حقه أن يشعر به أو هي الذهول عن الشيء، وقال بعضهم: هي سهو يعتري عن قلة التحفظ والتيقظ، وقيل: بل هي متابعة النفس على ما تشتهيه

على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة، ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة، ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية، ولا داعي إليها سوى عمي القلب بظلمة الجهالة، فالأكياس وأرباب البصائر قلوبهم: ﴿كمشكاةٍ فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور﴾ [النور : ٣٥] والمغترون قلوبهم ﴿كظلمات

(**فلا نعمة له على عباده أعظم من الإيمان**) به وحده (**والمعرفة**) وبها تكمل لذة الإيمان، (**لا وسيلة إليه**) أي إلى الإيمان المستكمل بالمعرفة (**سوى انشراح الصدر بنور البصيرة**) بأن ينفسح لقبوله، (**ولا نقمة أعظم من الكفر**) بالله (**والمعصية، ولا داعي إليها**) أي إلى ارتكابها (**سوى عمى القلب بظلمة الجهالة**) بأن يغلب عليه الجهل فيظلمه فيعميه عن درك الحقائق ويدعوه إلى عدم الإنقياد للحق، (**فالأكياس**) أي العقلاء (**وأرباب البصائر**) المضيئة (**قلوبهم ﴿كمشاة﴾**) أي بمثابة كوّة في الحائط غير نافذة (**﴿فيها مصباح﴾**) أي سراج ضخم ثاقب، وقيل المشكاة الأنبوبة في وسط القنديل، والمصباح: الفتيلة المشتعلة: (**﴿المصباح في زجاجة﴾**) أي في قنديل من الزجاج: (**﴿الزجاجة كأنها كوكب دريّ﴾**) مضيء متلالىء (**﴿توقد من شجرة مباركة زيتونة﴾**) أي ابتدأ ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بأن رويت ذبالته بزيتها (**﴿لا شرقية ولا غربية﴾**) تقع الشمس عليها حيناً دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي تكون على قلة جبل أو صحراء واسعة فإن ثمرتها تكون أجود وزيتها أصفى (**﴿يكاد زيتها يضيء﴾**) أي يكاد يضيء بنفسه (**﴿ولو لم تمسسه نار﴾**) لتلألؤه وفرط وبيصه (**﴿نور على نور﴾**) أي نور متضاعف، فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته، وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه. والأوفق للسياق أنه تمثيل لما نوّر الله به قلوب أوليائه من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها مصباحها. ويؤيده قراءة أبيّ بن كعب: مثل نور المؤمن، وقيل: بل هو تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس، والخيالية التي تحفظ صورة تلك المحسوسات لتعرضها على القوّة العقلية متى شاءت والعملية التي تدرك الحقائق الكلية والفكرة هي التي تؤلف المعقولات تستنتج منها علم ما لم يعلم، والقوّة القدسية التي تتجلى فيها لوائح الغيب وأسرار الملكوت المختصة بالأنبياء والأولياء المعنية بقوله: ﴿ولَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نهدي به مَنْ يَشَاءُ مِنْ عبادِنا﴾ [الشورى: ٥٢] بالأشياء الخمسة المذكورة في الآية. وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت، فإن الحساسة: كالمشكاة لأن محلها كالكوّة ووجهها إلى الظاهر ويدري ما وراءها وإضاءتها بالمعقولات لا بالذات، والخيالية: كالزجاجة في قبول صور المذكورات من الجوانب وضبطها إلى الأنوار العقلية وإنارتها بها بما يشتمل عليها من المعقولات، والعاقلة: كالمصباح لإضاءته بالإدراكات الكلية والمعارف الإلهية، والفكرة بالشجرة المباركة لتأديها إلى ثمرات لا نهاية لها، والزيتون المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصباح التي لا تكون شرقية

في بحر لجيّ يغشاه موج من فوقه، موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ [النور: ٤٠] فالأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم، فشرح صدورهم للإسلام والهدى، والمغترون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدرهم ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء. والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلاً وبقي في العمى فاتخذ

ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية والقوّة القدسية كالزيت لصفائها وشدة ذكائها ،تكاد تضيء بالمعارف من غير تعليم، وقد أوسع الكلام على هذا المقام المصنف في كتابه مشكاة الأنوار وتقدم شيء من ذلك في كتاب عجائب القلب.

(**والمغترون**) بأعمالهم التي يحسبون أنها صالحة نافعة عند الله فإذا هي لاغية عند الله في العاقبة، فهؤلاء (**قلوبهم**) خالية عن نور الحق (﴿ **كظلمات**﴾) متراكمة (﴿ **في بحر لجيّ**﴾) أي عميق (﴿ **يغشاه**﴾) أي البحر (﴿ **موج من فوقه موج**﴾) أي أمواج مترادفة (﴿ **من فوقه**﴾) أي الموج الثاني(﴿ **سحاب**﴾) غطى النجوم وحجب أنوارها (﴿ **ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده**﴾) وهي أقرب ما ترى إليه. (﴿ **لم يكد يراها**﴾) أي لم يقرب أن يراها فضلاً أن يراها (﴿ **ومن لم يجعل الله له نوراً**﴾) أي من لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لأسبابها (﴿ **فما له من نور**﴾) بخلاف الموفق الذي هو نور، وقد تقدم الكلام على هذه الآية في آخر كتاب عجائب القلب.

(**والأكياس هم الذين أراد الله أن يهديهم**) أي يعرفهم طريق الحق ويوفقهم لأسباب الهداية، (**فشرح صدورهم للإسلام والهدى**) أي اتسعت وانفسحت لقبولها وهو كناية في جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه، وإليه أشار ﷺ حين سئل عنه فقال: « نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح » فقالوا: هل لذلك من أمارة نعرف بها؟ فقال: « نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والإستعداد للموت قبل نزوله ». (**والمغترون هم الذين أراد الله أن يضلهم فجعل صدورهم ضيقة حرجة**). أي شديدة الضيق بحيث تنبو عن قبول الحق فلا يدخلها الإيمان (**كأنما يصعد في السماء**) شبه مبالغة في ضيق صدورهم بمن يزلزل ما لا يقدر عليه، فإن صعود السماء مثل فيما يبعد عن الإستطاعة وتنبيه على أن الإيمان يمتنع عنها كما يمتنع صفة الصعود، وقد أشار بذلك إلى قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسْلام ومَنْ يرد أنْ يُضلّه يَجعَلْ صَدْرَهُ ضيّقاً حَرَجاً كأنما يصَّعَّدُ في السّماءِ كذلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ على الذين لا يؤمنون﴾ [الأنعام: ١٢٥]

(**والمغرور هو الذي لم تنفتح بصيرته**) أي عين بصيرته (**ليكون بهداية نفسه كفيلاً**) أي متكفلاً لضبطها ومراعاتها (**وبقي في العمى**) أي ظلمة جهله (**فاتخذ الهوى قائداً**) يقوده

الهوى قائداً والشيطان دليلاً ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً﴾ [الإسراء : ٧٢] وإذا عرف أن الغرور هو أم الشقاوات ومنبع المهلكات فلا بدّ من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر الغرور فيه ، ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه ، فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد فأخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة أمره .

ونحن نشرح أجناس مجاري الغرور وأصناف المغترين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادىء الأمور ، الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها ، ونشير إلى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها ، فإن ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تغني عن الاستقصاء وفرق المغترين كثيرة ، لكن يجمعهم أربعة أصناف :

الصنف الأوّل : من العلماء .

حيث شاء (**والشيطان دليلاً**) وقريناً ﴿ومَنْ يَكُنِ الشَّيْطان له قريناً فساءَ قريناً﴾ [النساء : ٣٨] ومن كان الغراب له دليلاً ، يكون مآله جيف الكلاب .

(﴿**ومن كان في هذه**﴾) أي دارُ الدنيا (**أعمى**) لم يهتد لنور إيمانه (﴿**فهو في الآخرة أعمى**﴾) أي أكثر عمى (﴿**وأضل سبيلاً**﴾) وقيل : المراد بالعمى الأوّل عمى القلب ، وبالثاني عمى البصر بدليل قوله عز وجل حكاية عنه : ﴿رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾ [طه : ١٢٥] فيأتيه النداء بالجواب قد : ﴿أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ [طه : ١٢٦] (**وإذا عرف أن الغرور هو أم الشقاوات**) أي أصلها (**ومنبع المهلكات**) منه تتفرع (**فلا بدّ من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يكثر وقوع الغرور فيه ليحذره المريد**) السالك في طريق الحق (**بعد معرفته فيتقيه**) ويتجنبه ، (**فالموفق من العباد من عرف مداخل الآفات والفساد**) في أعماله ، (**فأخذ منها حذره**) واتقاه (**وبنى على الحزم والبصيرة أمره**) ومن لا يعرف الشر يقع فيه وهو لا يشعر .

(**ونحن**) بحمد الله تعالى (**نشرح أجناس مجاري الغرور وأصناف المغترين من القضاة والعلماء والصالحين الذين اغتروا بمبادىء الأمور**) وأوائلها (**الجميلة ظواهرها القبيحة سرائرها**) أي بواطنها (**ونشير إلى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فإن ذلك وإن كان أكثر مما يحصى ولكن يمكن التنبيه على أمثلة تغني عن الإستصقاء**) أي عن طلب النهاية فيه ، (**وفرق المغترين كثيرة لكن يجمعهم أربعة أصناف**) .

(**الصنف الأوّل : من العلماء**) .

الصنف الثاني: من العباد.

الصنف الثالث: من المتصوّفة.

الصنف الرابع: من أرباب الأموال. والمغتر من كل صنف فرق كثيرة وجهات غررهم مختلفة، فمنهم من رأى المنكر معروفاً كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام، ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه، ومنهم من يترك الأهم ويشتغل بغيره، ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة، ومنهم من يترك اللباب ويشتغل بالقشر كالذي يكون همه في الصلاة مقصوراً على تصحيح مخارج الحروف إلى غير ذلك من مداخل لا تتضح إلا بتفصيل الفرق وضرب الأمثلة، ولنبدأ أوّلاً بذكر غرور العلما. ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحدّه.

بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته:

اعلم أن قوله تعالى: ﴿فلا تغرنّكم الحياةُ الدّنيا ولا يُغرنّكم باللهِ الغَرُور﴾ [لقمان:

(**الصنف الثاني: من العباد**).

(**الصنف الثالث: من المتصوّفة**).

(**الصنف الرابع: من أرباب الأموال**) هكذا على هذا الترتيب فالعلم هو الأصل والعبادة تنشأ عنه والتصوّف ينشأ عنها. (**والمغتر من كل صنف فرق كثيرة وجهات غرورهم مختلفة، فمنهم من رأى المنكر معروفاً كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام، ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ الذي غرضه**) من وعظه (**القبول والجاه**) فقط، (**ومنهم من يترك الأهم ويشتغل بغيره، ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة، ومنهم من يترك اللباب**) وهو المخ الخالص من الثمرة (**ويشتغل بالقشر**) الذي يكون من فوق اللب (**كالذي يكون همه في الصلاة مقصوراً على تصحيح مخارج الحروف**) وكيفية النطق بها (**إلى غير ذلك من مداخل لا تتضح إلا بتفصيل الفرق وضروب الأمثلة، ولنبدأ أوّلاً بذكر غرور العلماء ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحدّه**).

بيان ذم الغرور وحقيقته وأمثلته:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن قوله تعالى: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾**) أي لا توقعنكم في الغرور (**﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾**) تقدم أنه فسر بالشيطان لأنه أكبر الغارين وبالدنيا فإنها

٣٣] وقوله تعالى: ﴿ولكِنّكم فتنْتُم أنْفُسَكُمْ وترَبَصْتم وارتبْتُم وغرتّكُمُ الأماني﴾ [الحديد: ١٤] الآية. كاف في ذم الغرور، وقد قال رسول الله ﷺ: « حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من المغترين ». وقال ﷺ: « الكيس من دان نفسه وعمل » بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله » وكل ما ورد في فضل

تغر وتضر وتمر. (**وقوله تعالى: ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم**) أي تأخرتم عن نصرة الرسول (**وارتبتم**) أي شككتم (**وغرتكم الأماني﴾**) أي أوقعتكم في الغرور (**الآية**) إلى آخرها. (**كاف في ذم الغرور، وقد قال ﷺ: « حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم، ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الأرض من المغترين »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول أبي الدرداء بنحوه. وفيه انقطاع وفي بعض الروايات أبي الورد بدل أبي الدرداء ولم أجده مرفوعاً اهـ.

قلت: رواه أيضاً أبو نعيم في الحلية من قول أبي الدرداء قال: حدثنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، حدثنا يزيد، حدثنا أبو سعيد الكندي عمن أخبره عن أبي الدرداء أنه قال: « يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف يعيبون سهر الحمقى وصيامهم ومثقال ذرة من بر صاحب تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين ». والإنقطاع الذي أشار إليه العراقي هو ما بين أبي سعيد الكندي، وبين أبي الدرداء.

(**وقال ﷺ: « الكيس**) كسيد هو الظريف الفطن وقد كاس كيساً (**من دان نفسه**) أي استعبدها وقهرها بأن جعلها مطية منقادة لأوامر ربها. قال الشيخ الأكبر قدس سره. كان أشياخنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلمون به وما يفعلونه ويقيدونه في دفتر، فإذا كان بعد العشاء حاسبوا نفوسهم وأحضروا دفترهم ونظروا فيما صدر منهم من قول وعمل وقابلوا كلاً بما يستحقه إن استحق استغفاراً استغفروا أو توبة تابوا أو شكراً شكروا ثم ينامون، فزدنا عليهم في محاسبة الخواطر فكنا نقيد ما تحدث به نفوسنا وتهم به ونحاسبها عليه. (**وعمل لما بعد الموت**) قبل نزوله ليصير على نور من ربه فالموت عاقبة أمور الدنيا، فالكيس من أبصر العاقبة، (**والأحمق**) وفي رواية العاجز بالعين المهملة والزاي، ورواية العسكري في الأمثال الفاجر بالغاء (**من اتبع نفسه هواها**) فلم يكفها عن الشهوات ولم يمنعها عن مقارفة المحرمات واللذات (**وتمنى على الله »**) زاد في رواية الأماني بتشديد الياء جمع الأمنية وهي طلب ما لا طمع فيه أو ما فيه عسر أي فهو على تقصيره في طاعة ربه واتباع شهوات نفسه لا يستعد ولا يعتذر ولا يرجع، بل يتمنى على الله العفو والجنة مع الإصرار وترك التوبة والإستغفار. قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه من حديث شداد بن أوس اهـ.

قلت: ورواه أيضاً أبو داود، والطيالسي، وأحمد، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس، والحرث

العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور، لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذ الجهل هو أن يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به، والغرور هو جهل إلا أن كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور: مغروراً فيه مخصوصاً ومغروراً به وهو الذي يغره، فمهما كان الجهول المعتقد شيئاً يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل عن

ابن أبي أسامة، والبيهقي، والعسكري في الأمثال، والقضاعي، والطبراني، والحاكم من حديث ابن المبارك، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن حمزة بن حبيب، عن شداد بن أوس به مرفوعاً.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق ابن المبارك، ثم من طريق أبي داود الطيالسي، والحرث بن أبي أسامة فقال: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود يعني الطيالسي ح.

وحدثنا أبو بكر بن خلاد، حدثنا الحرث بن أبي أسامة، حدثنا أبو النضر قالا: حدثنا عب الله بن المبارك، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، عن حمزة بن حبيب، عن شداد بن أوس، عن النبي ﷺ فذكره ثم قال: هذا حديث مشهور بابن المبارك عن أبي بكر بن أبي مريم رواه عنه المتقدمون، ورواه عمرو بن شر بن السرح، عن أبي بكر بن أبي مريم مثله، ورواه ثور بن يزيد، وغالب عن مكحول عن ابن غنم عن شداد عن النبي ﷺ مثله.

وحدثناه سليان بن أحمد، حدثنا مكحول البيروني، حدثنا إبراهيم بن بكر بن عمرو قال: سمعت أبي يحدث عن ثور وغالب بإسناده اهـ كلام أبي نعيم.

وكأنه نظر إلى هذا الحاكم فصححه، وتعقبه الذهبي بأن ابن أبي مريم واه، وكذا قال ابن طاهر: أن مداره على أبي بكر بن أبي مريم وهو ضعيف جداً، وكأنهم لم يروا ما توبع عليه فتأمل والله أعلم.

وقال العسكري: هذا الحديث فيه رد على المرجئة واثبات للوعيد. وروى البيهقي من طريق عون بن عمارة، عن هشام بن حسان، عن ثابت عن أنس رفعه: «الكيس من عمل لما بعد الموت والعاري العاري عن الدين اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة».

(وكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل على ذم الغرور لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل إذ الجهل) في الأصل خلو النفس عن العلم وقد جعله بعض معنى مقتضياً للأفعال الجارية على النظام ثم هو نوعان: الأوّل: **(هو أن يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به)** وعليه، والثاني: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل به اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أم فاسداً كتارك الصلاة عمداً. ومن أنواع الجهل بمعنى الذم، ومن أنواعه البسيط والمركب، **(والغرور هو الجهل إلا أن كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغروراً فيه مخصوصاً ومغروراً به وهو الذي يغره، فمهما كان الجهول المعتقد شيئاً يوافق الهوى**

شبهة ومخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا تكون دليلاً سمي الجهل الحاصل به غروراً. فالغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور، وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه فأكثر الناس إذاً مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض، وأظهرها وأشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساق، فنورد لها أمثلة لحقيقة الغرور.

المثال الأوّل: غرور الكفار، فمنهم من غرته الحياة الدنيا، ومنهم من غرهم بالله

وكان السبب الموجب للجهل لشبهة ومخيلة فاسدة يظن أنها دليل ولا تكون دليلاً) في الحقيقة (سمي الجهل الحاصل به غروراً) فهو أخص من الجهل، (فالغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان) أشار إليه الراغب في المفردات، وصاحب القاموس في البصائر. (فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور) قد غرَّه الشيطان بتلك الشبهة حين ألقاها في مخيلاته وتدرج في تمكينها منه حتى رسخت فأورثت اعتقاد الخيرية، (وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه) وسبب خطئهم قيام تلك الشبهة في ضمائرهم وعدّها دليلاً، (فأكثر الناس إذاً مغرورون وإن اختلفت أصناف غرورهم) وتنوّعت (واختلفت درجاتهم) فيه (حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من) غرور (بعض، وأظهرها وأشدها غروراً الكفار وغرور العصاة والفساق، فنورد لها أمثلة لحقيقة الغرور) بها تتضح تلك الحقيقة فنقول:

(المثال الأوّل: غرور الكفار) وهم المحجوبون بمحض الظلمة وهم أقسام.

الأوّل: الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة وهؤلاء صنفان:

صنف تشوّف إلى طلب سبب لهذا العالم فأحاله على الطبع والطبع عبارة عن صفة مركوزة في الأجسام حالة فيها، وهي مظلمة إذ ليس لها معرفة إدراك ولا خبر لها من نفسها ولا مما يصدر منها، وليس لها نور يدرك بالبصر الظاهر أيضاً.

الصنف الثاني: هم الذين شغلوا بأنفسهم ولم يتفرغوا لطلب السبب أيضاً بل عاشوا عيش البهائم، فكان حجابهم أنفسهم المكدرة وشهواتهم المظلمة، فلا ظلمة أشد من الهوى والنفس، وهؤلاء ينقسمون فرقاً.

الغرور . أما الذين غ تهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا : النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فهي إذا خير فلا بد من إيثارها ، وقالوا : اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا تترك اليقين بالشك . وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس

الأولى : زعمت أن عامة المطلب في الدنيا هي الأوطار ونيل الشهوات وإدراك اللذات البهيمية ، فهؤلاء عبيد اللذات يعبدونها ويطلبونها ويعتقدون أن نيلها غاية السعادة رضوا لأنفسهم أن يكونوا بمنزلة البهائم بل أخس حالاً منها ، فأي ظلمة أشد من ذلك ؟ . فقد حجب هؤلاء بمحض الظلمة .

والثانية : رأت أن غاية السعادات هي الغلبة والإستيلاء والفتك والسبي والقتل والأسر ، وهم محجوبون بظلمة الصفات السبعية لغلبتها عليهم .

الثالثة : رأت أن غاية السعادات كثرة المال واتساع اليسار ، لأن المال هو آلة قضاء الشهوات كلها ، وبه يحصل للإنسان الإقتدار على قضاء الأوطار ، فهؤلاء همتهم جمع الأموال والإستكثار منها ، واكتساب الضياع والعقار والخيل والأنعام والحرث بركوب الأخطار في البراري والبحار .

والرابعة : ترقت عن جهالة هؤلاء وتعاقلت وزعمت أن أعظم السعادات اتساع الجاه والصيت وانتشار الذكر وكثرة الإتباع ونفوذ الأمر المطاع ، فتراها لا همَّ لها إلا المراءاة وعمارة أبصارهم ناظرين حتى أن الواحد قد يجوع في بيته ويتحمل الصبر ويصرف ماله إلى ثياب يتجمل بها عند خروجه كيلا ينظر إليه الناس بعين الحقارة ، وأصناف هؤلاء لا يحصون وكلهم محجوبون عن الله بمحض الظلمة وهي نفوسهم المظلمة . (**فمنهم من غرتهم الحياة الدنيا ، ومنهم من غرّهم بالله الغرور**) ويدخل في ظلمة هؤلاء جماعة يقولون بلسانهم لا إله إلا الله ، ولكن حملهم على ذلك خوف أو استظهار بالمسلمين وتجمل بهم واستمداد من مالهم ، أو لأجل التعصب بنصرة مذهب الآباء ، وهؤلاء إذا لم تحملهم الكلمة على الكمال الصالح فلا تخرجهم الكلمة عن الظلمة إلى النور بل أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، أما من أثرت فيه الكلمة بحيث ساءته سيئة وسرته حسنة ، فهو خارج عن محض الظلمة وإن كان كثير المعصية .

القسم الثاني : طائفة حجبوا بنور مقرون بظلمة وهم ثلاثة أصناف : صنف منشأ ظلمتهم من الحس ، وصنف منشأ ظلمتهم من الخيال ، وصنف منشأ ظلمتهم من مقايسات عقلية فاسدة ، وتحت كل صنف طوائف . فمن طوائف الصنف الأول عبدة الأوثان ، وعبدة الجمال المطلق ، وعبدة النار ، وعبدة الكواكب والثنوية . (**أما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا : النقد**) وهو الحاضر المعجل في الحال (**خير من النسيئة**) وهو الغائب المقدر بالأجل فعلية من نسأ الأمر إذا أخره (**والدنيا نقد والآخرة نسيئة فإذاً هي خير فلا بدّ من إيثارها**) على الآخرة ، (**وقالوا**) أيضاً : (**اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين**) أي متيقن بها لحصولها في الحال (**ولذات الآخرة شك**) إذ هي غير مرئية وإنما يحكى عنها (**فلا تترك اليقين بالشك ، وهذه**

إبليس حيث قال: ﴿أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ [ص: ٧٦] وإلى هؤلاء الإشارة بقوله تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾ [البقرة: ٨٦] وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان، أما التصديق بمجرد الإيمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ [النحل: ٩٦] وفي قوله عز وجل: ﴿وما عند الله خير﴾ [الشورى: ٣٦] وقوله: ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ [الأعلى: ١٧] وقوله: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقوله: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ [لقمان: ٣٣] وقد أخبر رسول الله ﷺ بذلك طوائف من الكفار فقلدوه وصدقوه وآمنوا به ولم يطالبوه بالبرهان، ومنهم من قال: نشدتك الله أبعثك الله رسولاً؟ فكان يقول: « نعم » فيصدق، وهذا إيمان العامة وهو يخرج من الغرور، ينزل

أقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال (في معرض تفضيل نفسه على آدم عليه السلام: (﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين]) والنار خير من الطين إذ هي جوهر نوراني والطين جوهر ظلماني، (وإلى هؤلاء الإشارة بقوله تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) أي استبدلوا بها (فلا يخفف عنهم العذاب) يوم القيامة (ولا هم ينصرون﴾) في الدنيا أو لا يغاثون في الآخرة. (وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان، أما التصديق بمجرد الإيمان فأن يصدق الله تعالى في قوله: ﴿ما عندكم ينفد) أي يفنى (وما عند الله باق﴾) لا نفاد له. (وفي قوله: ﴿وما عند الله خير وأبقى﴾ وفي قوله: ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ وفي قوله: ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ وفي قوله: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾ فإذا صدق الله تعالى في هذه الأقوال انمحت ظلمة الكفر) عن قلبه وارتسم نور ذلك التصديق فيه، فهذا مبدأ الأنوار (وقد أخبر ﷺ بذلك طوائف الكفار) من عبدة الأوثان والكواكب (فقلدوه وصدقوه وآمنوا ولم يطالبوه بالبرهان). قال العراقي: وهو مشهور في السير من ذلك: قصة إسلام الأنصار وبيعتهم وهي عند أحمد بإسناد جيد من حديث جابر، وفيه: « حتى بعثنا الله إليه من يثرب فأويناه وصدقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه » الحديث. (ومنهم من قال: نشدتك الله) أي حلفتك به (أبعثك الله رسولاً؛ فكان يقول: نعم فيصدق). قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس في قصة ضمام بن ثعلبة، وقوله للنبي ﷺ: آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: « اللهم نعم » وفي آخره فقال: « الرجل آمنت بما جئت به ». وللطبراني من حديث ابن عباس في قصة ضمام قال: نشدتك به أهو أرسلك بما أتتنا كتبك وأتتنا رسلك أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن ندع اللات والعزى؟ قال: نعم الحديث انتهى.

قلت: حديث ضمام في الصحيحين من رواية أنس قال: بينما نحن عند النبي ﷺ إذ جاء اعرابي

هذا منزلة تصديق الصبي والده في أن حضور المكتب خير من حضور الملعب مع أنه لا يدري وجه كونه خيراً.

وأما المعرفة بالبيان والبرهان فهو أن يعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان، فإن كل مغرور فلغروره سبب، وذلك السبب هو دليل، وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه، وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ العلماء، فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه أصلان.

أحدهما: أن الدنيا نقد والآخرة نسيئة وهذا صحيح.

والآخر: قوله أن النقد خير من النسيئة، وهذا محل التلبيس فليس الأمر كذلك،

فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟ الحديث، وفيه أنه أسلم وقال: أنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة، ومداره عند البخاري على الليث عن سعيد المقبري، عن شريك عن أنس، وعقله البخاري أيضاً ووصله من رواية سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس. وأخرجه النسائي والبغوي من طريق عبيد الله بن عمر، عن سعيد عن أبي هريرة وعدوه وهماً في السنّة، وفي آخر المتن قبل قوله: وأنا ضمام بن ثعلبة قال: فأما هذه الهنات - يعني الفواحش - فوالله إنا كنا نتنزه عنها في الجاهلية، فلما أن ولى قال رسول الله ﷺ: « فقه الرجل » وكان عمر رضي الله عنه يقول: ما رأيت أحداً أحسن مسألة ولا أوجز من ضمام بن ثعلبة. وروى أبو داود من طريق إسحاق، عن سلمة بن كهيل وغيره عن كريب عن ابن عباس قال: بعث بنو سعد ضمام بن ثعلبة إلى النبي ﷺ فذكره مطولاً وفي آخره: « فما سمعنا بوافد قوم قط كان أفضل من ضمام » قال البغوي: كان يسكن الكوفة وكان قدومه سنة تسع.

(**وهذا إيمان العامة وهو مخرج من الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي**) الغر (**والده في أن حضور المكتب خير من حضور الملعب، مع أنه لا يدري وجه كونه خيراً. وأما المعرفة بالبيان والبرهان وهو أن تعرف وجه فساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان**) ورتبه وحسنه إياه، (**فإن كل مغرور فلغروره سبب**) لولاه لما وجد، (**وذلك السبب هو دليل**) أي بمنزلته، (**وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون إليه**) في الجملة، (**وإن كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بألفاظ العلماء**) كما جرت به العادة من تقسيمه إلى لفظي ووضعي، وتقسيم الوضعي إلى مطابقة وتضمن والتزام. (**فالقياس الذي نظمه الشيطان**) في قلبه (**فيه أصلان**).

(**أحدهما: أن الدنيا نقد**) معجل (**والآخرة نسيئة وهذا**) أصل (**صحيح**) لصدق الموضوع والمحمول فيهما.

(**والآخر أن النقد خير من النسيئة، وهذا**) باطل على عمومه وهو (**محل التلبيس فليس**

بل إن كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وإن كان أقل منها فالنسيئة خير ، فإن الكافر المغرور يبذل في تجارته درهماً ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا أتركه ، وإذا حذره الطبيب الفواكه ولذائذ الأطعمة ترك ذلك في الحال خوفاً من ألم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضي بالنسيئة . والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الأسفار نقداً لأجل الراحة والربح نسيئة ، فإن كان عشرة في ثاني الحال خيراً من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة ، فإن أقصى عمر الإنسان مائة سنة وليس هو عشر عشير من جزء من ألف ألف جزء من الآخرة . فكأنه ترك واحداً ليأخذ ألف ألف بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حدّ ، وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بأنواع المنغصات ولذات الآخرة صافية غير مكدرة ، فإذاً قد غلط في قوله : النقد خير من النسيئة فهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور أطلق وأريد به خاص ، فغفل به المغرور عن خصوص معناه . فإن من قال :

الأمر كذلك ، بل) فيه تفصيل وذلك (**إن كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود**) بأن يتساويا فيها بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر (**فهو**) حينئذ (**خير من النسيئة لأن عند التساوي يرجح ما هو الحاضر**) لسرعة الإنتفاع به (**وإن كان أقل منها فالنسيئة خير**) منه ، وأما قولهم : عصفور في الكف خير من كركي في الجوّ فهو إشارة إلى تمني ما يعسر عليه الوصول له مع إمكانه ، فحينئذ الكثرة في الطرف الثاني غير معتبرة وكلامنا في النقد والنسيئة إذا كانا متيسرين على حدّ واحد ، (**فإن هذا الكافر**) المحجوب بظلمة الطبع (**المغرور**) في حاله (**يبذل في تجارته درهماً ليأخذ عشرة نسيئة ، ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا أتركه ، وإذا حذره الطبيب الفواكه**) الرطبة (**ولذائذ الأطعمة ترك ذلك في الحال خوفاً من ألم المرض في المستقبل وقد**) تراه (**ترك النقد ورضي بالنسيئة و**) أيضاً فإن (**التجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الأسفار**) في البراري والقفار (**نقداً لأجل**) حصول (**الراحة والربح نسيئة ، فإن كان عشرة في ثاني حال خيراً من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها إلى مدة الآخرة ، فإن أقصى عمر الإنسان مائة سنة**) وهو المقارب للعمر الطبيعي في الغالب (**وليس عشر عشير من جزء من ألف ألف جزء من الآخرة . فكأنه ترك واحداً ليأخذ ألف ألف بل ليأخذ ما لا نهاية له ولا حدّ ، وإن نظر من حيث النوع رأى لذات الدنيا**) كلها (**مكدرة**) ممررة (**مشوبة بأنواع المنغصات**) أي المكدرات (**ولذلت الآخرة**) بأسرها صافية غير مكدرة ولا منغصة ، وأيضاً فلذات الدنيا إلى نفاد ولذات الآخرة إلى ازدياد ، (**فإذاً قد غلط في قوله : النقد خير من النسيئة**) على الإطلاق (**فهذا غرور منشؤه قبول لفظ عام مشهور**) وضع وضعاً واحداً لكثير غير محصور مستغرق لجميع ما يصلح له (**أطلق وأريد به**) معنى (**خاص**) معلوم على الإنفراد ،

النقد خير من النسيئة أراد به خيراً من نسيئة هي مثله وإن لم يصرح به.

وعند هذا يفزع الشيطان إلى القياس الآخر وهو: أن اليقين خير من الشك والآخرة شك وهذا القياس أكثر فساداً من الأوّل لأن كلا أصلية باطل إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله، وإلا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على شك، والنفقة في اجتهاده على يقين. وفي إدراكه رتبة العلم على شك، والصياد في تردده في المقتنص على يقين وفي الظفر بالصيد على شك، وكذا الحزم دأب العقلاء بالاتفاق وكل ذلك ترك لليقين بالشك، ولكن التاجر يقول: إن لم أتجر بقيت جائعاً وعظم ضرري، وإن اتجرت كان تعبي قليلاً وربحي كثيراً، وكذلك المريض يشرب الدواء البشع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول: ضرر مرارة الدواء قليل بالإضافة إلى ما أخافه من المرض والموت، فكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول: أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر بالإضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة؟ فإن كان ما قيل فيه كذباً فما يفوتني إلا التنعم أيام حياتي وقد كنت في العدم من الأزل إلى الآن أتنعم فاحسب أني بقيت في العدم، وإن كان ما قيل صدقاً فأبقى في النار أبد

وإنما قيدنا بالإنفراد ليتميز عن المشترك، (**فغفل المغرور عن خصوص معناه فإن من قال: النقد خير من النسيئة أراد به من نسيئة هي مثله**) في المقدار والمقصود، (**وإن لم يصرح به**).

(**وعند هذا يفزع الشيطان إلى القياس الآخر**) لما يرى نفسه منهزماً من الأول، (**وهو أن اليقين خير من الشك**) والدنيا يقين حاضر (**والآخرة شك**) غائب (**وهذا القياس أكثر فساداً من الأول لأن كلا أصليه باطل، إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله**) ومساويه في الرتبة (**وإلاّ فالتاجر في التعب على يقين وفي ربحه على وشك، و**) كذلك (**الصياد في تردده إلى المقتنص**) أي موضع الصيد (**على يقين وفي الظفر بما يصيد على شك، وكذلك الحزم**) وهو الأخذ بالتحري والضبط (**دأب العقلاء بالإتفاق، وكل ذلك لليقين بالشك، ولكن التاجر يقول: إن لم أتجر بقيت جائعاً وعظم ضرري، وإن اتجرت كان تعبي قليلاً وربحي كثيراً، وكذلك المريض يشرب الدواء البشع**) المرّ (**الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين، ولكن يقول: ضرر مرارة الدواء قريب**) وفي نسخة قليل (**بالإضافة إلى ما أخاف من المرض والموت، وكذلك من شك في الآخرة فواجب عليه بحكم الحزم أن يقول: أيام الصبر قلائل وهو منتهى العمر**) وباقيه قريب وفي نسخة قليل (**بالإضافة إلى ما يقال من أمر الآخرة، فإن كان ما قيل فيه كذباً فما يفوتني إلا التنعم أيام حياتي وقد كنت في العدم من الآزال إلى الآن لا أتنعم فأحسب أني بقيت في العدم**)

الآباد وهذا لا يطاق. ولهذا قال علي كرّم الله وجهه لبعض الملحدين: إن كان ما قلته حقاً فقد تخلصت وتخلصنا، وإن كان ما قلناه حقاً فقد تخلصنا وهلكت. وما قال هذا عن شك منه في الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله وبيّن له أنه وإن لم يكن متيقناً فهو مغرور.

وأما الأصل الثاني من كلامه: وهو أن الآخرة شك فهو أيضاً خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان.

أحدهما: الإيمان؛ والتصديق تقليداً للأنبياء والعلماء، وذلك أيضاً يزيل الغرور وهو مدرك يقين العوام وأكثر الخواص، ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم على أن دواءه النبت الفلاني فإنه تطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية، بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي أو معتوه يكذبهم في ذلك وهو يعلم بالتواتر وقرائن الأحوال أنهم أكثر منه عدداً وأغزر منه فضلاً وأعلم منه بالطب، بل لا علم له بالطب فيعلم كذبه

كما كنت أوّلاً، (**وإن كان ما قيل صدقاً فأبقى في النار أبد الآباد وهذا لا يطاق، ولذلك قال علي كرم الله وجهه لبعض الملحدين**) من منكري الآخرة وقد سأله عن أشياء فأجاب ثم قال: (**إن كان ما قلته حقاً**) أي في أمر الآخرة والعذاب (**فقد تخلصت وتخلصنا، وإن كان ما قلناه حقاً فقد تخلصنا وهلكت**) أورده الشريف في نهج البلاغة، (**وليس هذا**) الجواب (**عن شك منه**) رضي الله عنه (**في**) أمور (**الآخرة، ولكن**) سجل بذلك إذ (**كلم الملحد على قدر عقله، وبيّن له أنه وإن لم يكن**) **متيقناً فهو مغرور**) .

(**وأما الأصل الثاني: وهو أن الآخرة شك فهو أيضاً خطأ بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينه مدركان**) .

(**أحدهما: الإيمان والتصديق تقليداً للأنبياء والعلماء، وذلك أيضاً يزيل الغرور وهو مدرك ليقين العوام وأكثر الخواص، ومثاله مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الأطباء وأهل الصناعة من عند آخرهم**) أي جميعاً (**على أن دواءه النبت الفلاني**) مثلاً (**فإنه تطمئن نفس المريض إلى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين الطبية، بل يثق بقولهم ويعمل به ولو بقي سوادي**) منسوب إلى سواد الأرض والمراد به الغافل المشتغل بحراثة الأرض البعيد عن الجماعة (**أو معتوه**) فاسد العقل (**يكذبهم في ذلك**) القول (**وهو يعلم بالتواتر وقرائن الأحوال أنهم**) أي الأطباء وأهل الصناعة (**أكثر منه عدداً وأغزر منه فضلاً وأعلم بالطب منه، لا بل لا علم له**) أي لذلك السوادي والمعتوه (**بالطب**) أصلاً

بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله، ولا يغتر في علمه بسببه، ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان معتوهاً مغروراً، فكذلك من نظر إلى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها، وجدهم خير خلق الله وأعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل، وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه الخلق على أصنافهم، وشذ منهم آحاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم إلى التمتع، فعظم عليهم ترك الشهوات وعظم عليه الاعتراف من أهل النار فجحدوا الآخرة وكذبوا الأنبياء، فكما أن قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمأنينة القلب إلى ما اتفق عليه الأطباء، فكذلك قول هذا الغبي الذي استرقته الشهوات لا يشك في صحة أقوال الأنبياء والأولياء والعلماء، وهذا القدر من الإيمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به.

وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنبياء والإلهام للأولياء، ولا تظنن أن معرفة النبي عليه السلام لأمر الآخرة ولأمور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع

(فيعلم كذبه بقولهم ولا يعتقد كذبهم بقوله، ولا يغتر في علمه بسببه، ولو اعتمد قوله وترك قول الأطباء كان معتوهاً مغروراً) مخطئاً في عمله، (فلذلك من نظر إلى المقرين بالآخرة والمخبرين عنها) وما فيها من المخاوف والأهوال والسعادة والإقبال (والقائلين بأن التقوى هو الدواء النافع في الوصول إلى سعادتها وجدهم خير خلق الله) وخلاصتهم، (وأعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الأنبياء والأولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليهم الخلق على أصنافهم) حيناً بعد حين، (وشذّ منهم آحاد من البطالين) الذين قد (غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم إلى التمتع) بالأعراض الفانية، (فعظم عليهم ترك الشهوات) وقد ألفوا بها (وعظم عليهم الإعتراف بأنهم من أهل النار) استنكافاً منهم، (فجحدوا الآخرة) رأساً (وكذبوا الأنبياء) والرسل عليهم السلام ولم يصغوا لأقوال العلماء، (وكما أن قول الصبي) والمعتوه (وقول السوادي لا يزيل طمأنينة القلب إلى ما اتفق عليه الأطباء، فكذلك قول هذا الغبي) الفدم (الذي استرقته الشهوات) وغلب عليه حب اللذات (لا يشكك في صحة أقوال الأنبياء والأولياء والعلماء، وهذا القدر من الإيمان كاف لجملة الخلق وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به).

(وأما المدرك الثاني لمعرفة الآخرة فهو الوحي للأنبياء) خاصة (والإلهام) لهم (وللأولياء) وقد تقدم ذكر مراتب الوحي وأقسامه وما خص بها كل من الأنبياء والأولياء، (ولا تظنن أن معرفة النبي لأمر الآخرة ولأمر الدين) فيما يوحى إليه (تقليد لجبريل) عليه

منه، كما أن معرفتك تقليد للنبي ﷺ حتى تكون معرفتك مثل معرفته، وإنما يختلف المقلد فقط وهيهات! فإن التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح والأنبياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر، فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد. وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله تعالى وليس المراد بكونه من أمر الله الأمر الذي يقابل النهي؟ لأن ذلك الأمر كلام والروح ليس بكلام وليس المراد بالأمر الشأن حتى يكون المراد به أنه من خلق الله فقط لأن ذلك عام في جميع المخلوقات بل العالم عالمان: عالم الأمر وعالم الخلق، ولله الخلق والأمر. فالأجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق إذ الخلق عبارة عن التقدير في وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فإنه من عالم الأمر، وشرح ذلك سر الروح، ولا رخصة في ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذي منع من إفشائه. فمن عرف سر

السلام (**بالسماع منه، كما أن معرفتك تقليد للنبي حتى تكون معرفتك كمعرفته، وإنما يختلف المقلد**) بفتح اللام (**فقط وهيهات**) هيهات! (**فإن التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد صحيح**) في اتباعه غيره من غير نظر وتأمل في دليل (**والأنبياء**) عليهم السلام (**عارفون**) لا مقلدون (**ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأشياء كما هي عليها**) عند الله تعالى، (**فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر، فيخبرون**) ما أخبروا (**عن مشاهدة**) صحيحة (**لا عن سماع وتقليد**) للغير. (**وذلك بأن يكشف لهم عن حقيقة الروح وأنه من أمر الله وليس المراد بكونه من الله الأمر الذي يقابل النهي، لأن ذلك الأمر والروح ليس بكلام وليس المراد بالأمر الشأن حتى يكون المراد به أنه من خلق الله فقط لأن ذلك عام في جميع المخلوقات بل العال عالمان: عالم الأمر وعالم الخلق، ولله الخلق والأمر**) كما قال تعالى: ﴿الالَهُ الخلق والامر تبارك الله رب العالمين﴾ [الأعراف: ٥٤] فعالم الأمر ما وجد عن الحق من غير سبب ويطلق بإزاء الملكوت وعالم الخلق ما وجد عن سبب ويطلق بإزاء عالم الشهادة. (**فالأجسام ذوات الكمية والمقادير من عالم الخلق إذ الخلق عبارة عن التقدير**) المستقيم (**في وضع اللسان**) ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا اقتداء، (**وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فإنه من عالم الأمر**) والكمية منسوب إلى كم وهو العرض الذي يقتضي الإنقسام لذاته، (**وشرح ذلك سر الروح ولا رخصة في ذكره لاستضرار أكثر الخلق بسماعه**) وحيث أمسك ﷺ عن الأخبار عنه وعن ماهيته بإذن الله ووحيه، وهو ﷺ معدن العلم وينبوع الحكمة كيف يسوغ لغيره الخوض فيه والإشارة إليه، لا جرم لما تقاضت النفس الإنسانية المتطلعة إلى الفضول المتشرفة إلى المعقول، المتحركة بوضعها إلى كل ما أمرت بالسكوت فيه، والمتسوّرة بحرصها إلى كل تحقيق وكل تمويه، فأطلقت عنان النظر

الروح فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه، وإذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته، وأنه في العالم الجسماني غريب وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته، وذلك العارض الغريب ورد على آدم ﷺ وعبر عنه بالمعصية وهي التي حطته عن الجنة التي هي أليق به بمقتضى ذاته فإنها في جوار الرب تعالى، وأنه أمر رباني وحنينه إلى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي إلا أن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه. ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه إذ قيل له: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾ [الحشر : ١٩] أي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة

في مسارح للفكر وخاضت غمرات ماهية الروح تاهت في التيه وتنوّعت آراؤها فيه، ولو لزمت النفوس حدّها معترفة بعجزها كان ذلك أجدر بها وأولى، وذلك (**كسَّر القدر الذي منع من إفشائه**) والخوض في مشكلاته، (**فمن عرف سر الروح فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه عرف ربه، وإذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته، وأنه في العالم الجسماني غريب، وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته بل بأمر عارض غريب من ذاته**). وتحقيقه أن الروح الإنساني العلوي السماوي من عالم الأمر، والروح الحيواني البشري من عالم الخلق، والروح الحيواني البشري محل الروح العلوي ومورده، ولو ورد الروح الإنساني البشري العلوي تجنس الروح الحيواني وباين أرواح الحيوانات واكتسب صفة أخرى فصار نفساً مخلاً للنطق والإلهام، فتكوّنت النفس بتكوين الله تعالى من الروح العلوي في عالم الأمر كتكوين حواء من آدم في عالم الخلق وصار بينهما للتألف والتعاشق كما بين آدم وحواء، فسكن الروح الآدمي الإنساني العلوي إلى الروح الحيواني وصيّره نفساً وتكوّن من سكون الروح إلى النفس القلب، والمراد به اللطيفة التي محلها المضغة اللحمية، فالمضغة اللحمية من عالم الخلق، وهذه اللطيفة من عالم الأمر وكان تكون القلب من الروح والنفس في عالم الأمر كتكون الذرية من آدم وحواء في عالم الخلق. (**وذلك العارض الغريب ورد على آدم عليه السلام وعبّر عنه بالمعصية وهي التي حطته من الجنة التي هي أليق به بمقتضى ذاته فإنها في جوار الرب تعالى وأنه أمر رباني وحنينه إلى جوار الرب تعالى طبيعي ذاتي إلا أن تصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب عن ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه، ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه إذ قيل له: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾**) أي تركوا معرفته ولم يذكروه (**﴿فأنساهم أنفسهم﴾**) أي جعلهم ناسين لها فلم يعرفوها ففيه أن نسيان النفس من ثمرات نسيان الرب، كما أن نسيان النفس يورث نسيان الرب والمطلوب معرفتها جميعاً فتضمحل النفس ويبقى الرب، أو المعنى أنهم لما نسوا الله أراهم من أهوال الحجاب ما أنساهم أنفسهم أي حجبهم عن نور المعرفة بالظلمة المتراكمة على القلوب (**﴿أولئك هُمُ الفَاسِقُون﴾ أي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم**) وهذا معنى صحيح

استحقاقهم. يقال: فسقت الرطبة عن كمامها إذا خرجت عن معدنها الفطري، وهذه إشارة إلى أسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون وتشمئز من سماع ألفاظها القاصرون، فإنها تضربهم كما تضر رياح الورد بالجعل وتبهر أعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس أبصار الخفافيش، وانفتاح هذا الباب من سر القلب إلى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية فيسمى صاحبه ولياً وعارفاً وهي مبادىء مقامات الأنبياء. وآخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء.

ولنرجع إلى الغرض المطلوب فالمقصود أن غرور الشيطان بأن الآخرة شك يدفع إما بيقين تقليدي وإما ببصيرة ومشاهدة من جهة الباطن والمؤمنون بألسنتهم وبعقائدهم إذا ضيعوا أوامر الله تعالى وهجروا الأعمال الصالحة ولابسوا الشهوات والمعاصي فهم

مطابق لوضع اللغة. (**يقال: فسقت الرطبة من كمامها إذا خرجت من معدنها الفطري**) ولفظ الصحاح من قشرها، (**وهذه إشارة إلى أسرار**) مخزونة (**تهتز**) أي تتحرك طرباً (**لاستنشاق روائحها**) الطيبة بآنافهم (**العارفون**) الكاملون (**وتشمئز**) أي تنقبض (**لسماع ألفاظها**) الغريبة (**القاصرون**) عن درجة المعرفة، (**فإنها**) أي تلك الروائح الذكية (**تضربهم**) فيحيدون عنها ((**كما تضر رياح الورد بالجعل**) بضم الجيم وفتح العين المهملة. حيوان شبه الخنفساء تدحرج العذرة برجليها وتشمها بآنافها، ومن شأنها إذا شمت الرائحة الطيبة حصلت لها حالة مثل السبات، وربما تهلك وهو نصف مصراع بيت، (**وتبهر أعينهم الضعيفة**) أي تغلبها (**كما تبهر الشمس أبصار الخفافيش**) جمع خفاش وهو حيوان معروف لا يقدر أن يفتح عينه في مقابلة الشمس ولا يستطيع النظر إلى النور، (**وانفتاح هذا الباب من سر القلب إلى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية**). وبه يقوم العبد بالحق عند الفناء عن نفسه (**ويسمى صاحبه ولياً وعارفاً وهي مبادىء مقامات الأنبياء**) ثم يترقون إلى معاريج الكمال، (**وآخر مقامات الأولياء**) الذي ينتهون إليه في سيرهم (**أوّل مقامات الأنبياء**). وقول أبي يزيد البسطامي قدس سره: خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله إشارة إلى الولاية الخاصة.

(**ولنرجع إلى الغرض المطلوب والمقصود أن غرور الشيطان بأن االآخرة شك يدفع إما بيقين تقليدي**) يسلم الأمر إلى المقلد له ولا يفاتحه ببرهان ولا دليل، (**وإما ببصيرة**) نافذة (**ومشاهدة**) حاصلة (**من جهة الباطن**) ثم أن ذلك الحجب الحاصل لهم من الغرور الشيطاني لا يختص به الكفار المحجوبون بمجرد الظلمة، بل قد يحصل أيضاً لجماعة ظاهرهم الإسلام وباطنهم ملوّث بالعقائد الفاسدة، ولهم أعمال سيئة وإليه أشار المصنف بقوله: (**والمؤمنون بألسنتهم وبعقائدهم إذا ضيعوا أوامر الله تعالى**) ولم يقوموا بها كما أمروا تهاوناً بها (**وهجروا الأعمال الصالحة ولابسوا الشهوات**) النفسية وآثروا اللذات الحسية (**و**) ارتكبوا (**المعاصي**) والدناءات، (**فهم**

مشاركون للكفار في هذا الغرور لأنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة. نعم أمرهم أخف لأن أصل الإيمان يعصمهم عن عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين، ولكنهم أيضاً من المغرورين فإنهم اعترفوا بأن الآخرة خير من الدنيا، ولكنهم مالوا إلى الدنيا وآثروها، ومجرد الإيمان لا يكفي للفوز. قال الله تعالى: ﴿وإني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ [طه: ٨٢] وقال تعالى: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ [الأعراف: ٥٦] ثم قال النبي ﷺ: « الإحسان ان تعبد الله كأنك تراه »، وقال تعالى: ﴿والعصر ★ إن الإنسان لفي خسر ★ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ [العصر] فوعد المغفرة في جميع كتاب الله تعالى منوط بالإيمان

مشاركون للكفار في هذا الغرور) ومحجوبون بمحض الظلمة كما حجبوا، (**لأنهم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة**) فكان حجابهم أنفسهم الكدرة وشهواتهم المظلمة، فلا ظلمة أشد من الهوى والنفس. (**نعم، أمرهم أخف**) من أمر الكفار (**لأن أصل الإيمان يعصمهم من عقاب الأبد فيخرجون من النار ولو بعد حين**) لما روى الترمذي وقال: حسن صحيح من حديث أبي سعيد: « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان ». وروى أحمد، والشيخان، والترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان من حديث أنس: « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برّة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة ». وللبخاري من حديثه: « يخرج من النار قوم بعدما احترقوا فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين ». (**ولكنهم أيضاً من المغرورين فإنهم اعترفوا بأن الآخرة خير من الدنيا ولكنهم مالوا إلى الدنيا وآثروها**) وانهمكوا في شهواتها ولذاتها، (**ومجرد الإيمان**) عن صالح العمل (**لا يكفي للفوز. قال الله تعالى: ﴿وإني لغفَّار لمن تاب**) عن الشرك (**وآمن**) بما يجب الإيمان به (**وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾**) ثم استقام على الهدى المذكور. (**وقال تعالى: ﴿إنَّ رحمةَ الله قريبٌ من المحسنين﴾ ثم قال النبي ﷺ: « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه**) فإن لم تكن تراه فإنه يراك ». رواه أحمد، والشيخان، وابن ماجه من حديث أبي هريرة، ورواه النسائي من حديث أبي هريرة، وأبي ذر معاً. ورواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي من حديث عمر ويروى: « الإحسان أن تعمل لله كأنك تراه فإن كنت لا تراه فإنه يراك فإذا فعلت ذلك فقد أحسنت ». هكذا رواه أحمد، والبزار من حديث ابن عباس، ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر. ورواه أحمد أيضاً من حديث أبي عامر أو أبي مالك. ورواه البزار أيضاً من حديث أنس، وهو في تاريخ ابن عساكر من حديث عبد الرحمن بن غنم، وقد اختلف في صحبته. (**وقال تعالى: ﴿والعصر ★ إنَّ الإنسان**) التعريف للجنس (**لفي خُسرٍ ★**) في مساعيهم وصرف أعمالهم في مطالبهم والتنكير للتعظيم (**﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾**) فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية، (**فوعد المغفرة في جميع كتاب الله منوط**

والعمل الصالح جميعاً بالإيمان وحده، فهؤلاء أيضاً مغرورون أعني المطمئنين إلى الدنيا الفرحين بها المترفين بنعيمها المحبين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا دون الكارهين له خيفة لما بعده، فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعاً.

ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين. فأما غرور الكفار بالله، فمثاله قول بعضهم في أنفسهم وبألسنتهم، أنه لو كان لله من معاد فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حظاً فيه وأسعد حالاً، كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتحاورين إذ قال: ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً﴾ [الكهف: ٣٦] وجملة أمرهما كما نقل في التفسير أن الكافر منهما بنى قصراً

بالإيمان والعمل الصالح جميعاً لا بالإيمان وحده، فهؤلاء أيضاً مغرورون أعني المطمئنين إلى الدنيا) المائلين إليها، (**الفرحين بها المترفهين بنعيمها**) المتقلبين في لذاتها، (**المحببين لها الكارهين للموت خيفة فوات لذات الدنيا**) فقط (**دون الكارهين له خيفة لما بعده**) من الأهوال والشدائد والوقوف بين يدي الله تعالى. (**فهذا مثال الغرور بالدنيا من الكفار والمؤمنين جميعاً**) ومن المؤمنين من حجب بمحض الأنوار فاغتروا بها، وهذا هو القسم الثالث من الأقسام التي ذكرناها، وهم كذلك أصناف شتى وقد دخلهم الغرور في عقائدهم ومذاهيهم، وإنما الواصل منهم صنف واحد وهم العارفون.

(**ولنذكر للغرور بالله مثالين من غرور الكافرين والعاصين. فأما غرور الكفار بالله فمثاله قول بعضهم في أنفسهم وبألسنتهم: أنه لو كان لله من معاد**) كما يزعمون (**فنحن أحق به من غيرنا ونحن أوفر حظاً فيه**) من غيرنا (**وأسعد حالاً**) من غيرنا، (**كما أخبر الله تعالى عنه من قول الرجلين المتجاورين إذ قال**) أي الكافر وهما إخوان من بني اسرائيل مؤمن وكافر، فالمؤمن اسمه يهوذا، والكافر اسمه فرطس، وقد ضرب الله لهم مثلاً في كتابه العزيز فقال: ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل بينهما زرعاً ★ كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً ★ وكان له مثر فقال لصاحبه وهو يحاوره﴾ أي يراجعه في الكلام: ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ★ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً﴾ (﴿**وما أظن الساعة قائمة**) أي كائنة (﴿**ولئن**﴾) كانت قائمة ثم (﴿**رددت إلى ربي**﴾) بالبعث كما زعمت (**لأجدن خيراً منها**﴾) أي من جنته (﴿**منقلباً**﴾) [الكهف: ٣٢ - ٣٦] أي مرجعاً وعاقبة لأنها فانية وتلك باقية، وإنما أقسم على ذلك لاعتقاده أنه تعالى إنما اولاه ما أولاه لاستئهاله له واستحقاقه إياه لذاته وهو معه أينما يلقاه (**وجملة أمرهما كما نقل في التفسير أن الكافر منهما**) واسمه فرطس كما تقدم أو فرطوس أو أبو فرطس قيل: ونهر أبي فرطس المشهور بفلسطين نسب إليه (**بنى قصراً بألف دينار واشترى بستاناً**

بألف دينار واشترى بستاناً بألف دينار وخدماً بألف دينار وتزوّج امرأة على ألف دينار ، وفي ذلك كله يعظه المؤمن ويقول: اشتريت قصراً يفنى ويخرب ألا اشتريت قصراً في الجنة لا يفنى ، واشتريت بستاناً يخرب ويفنى ألا اشتريت بستاناً في الجنة لا يفنى وخدماً لا يفنون ولا يموتون وزوجة من الحور العين لا تموت! وفي كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول: ما هناك شيء وما قيل من ذلك فهو أكاذيب وإن كان فليكونن لي في الجنة خير من هذا ، وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل إذ يقول: ﴿لأوتين مالاً وولداً﴾ [مريم: ٧٧] ، فقال الله تعالى رداً عليه: ﴿أطلع الغيب أم اتخذ عنه الرحمن عهداً ★ كلا﴾ [مريم ٧٨ ، ٧٩] وروي عن خباب بن الأرث أنه قال: كان لي على

بألف دينار وخدماً بألف دينار وتزوَّج امرأة على ألف دينار ، وفي ذلك كله يعظه المؤمن) أخوه وهو يهوذا (**ويقول**) : يا أخي (**اشتريت قصراً يخرب ويفنى . ألا اشتريت قصراً في الجنة لا يفني ؟ واشتريت بستاناً يخرب ويفنى ألا اشتريت بستاناً في الجنة لا يفني ، وخدماً لايفنون ولا يموتون، وزوجة من الحور العين لا تموت؟ وفي كل ذلك يرد عليه**) أخوه (**الكافر ويقول: ما هناك شيء**) وكان منكراً للبعث ، (**وما قيل من ذلك فهو أكاذيب**) وتهويلات ، (**فإن كان**) كما يزعمون وارد ثانياً (**ليكونن لي في الآخرة**) وفي نسخة الجنة (**خيراً من هذا**) . قال البيضاوي: وكانا قد ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار ، فاشترى الكافر بها ضياعاً وعقاراً ، وصرفها المؤمن في وجوه الخير ، وآل أمرهما إلى ما حاكاه الله تعالى . وقيل: الممثل لهما أخوان من بني مخزوم: كافر وهو الأسود بن عبد الأسد ، ومؤمن وهو أبو سلمة بن عبد الأسد ، وهو زوج أم سلمة قبل رسول الله ﷺ .

(**وكذلك وصف الله تعالى قول العاص بن وائل**) بن هشام بن سعيد بنسهم بن عمرو بن مغيص بن لؤي القرشي والد عمرو وهشام وهما مؤمنان وأبوهما المذكور كان هو من المتعنتين المنكرين للبعث (**إذ قال**) فيما حكى الله تعالى عنه في كتابه العزيز: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال (**لأوتينّ مالاً وولداً**﴾) ولما كانت الرؤية أقوى سند الأخبار استعمل أرأيت بمعنى الأخبار والفاء على أصلها ، والمعنى أخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث أولئك (**فقال الله تعالى رداً عليه: ﴿أطلع الغيب﴾**) أي لقد بلغ من عظم شأنه إلى أن يؤتى إرتقى إلى عالم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى أنه يقرر له في الآخرة مالاً وولداً وتمالأ عليه (**﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾**) أي أو اتخذ من علم الغيب عهداً بذلك ، فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين (**﴿كلاً﴾**) ردع وتنبيه على أنه مخطىء فيما تصوّره لنفسه .

(**وروي عن**) أبي عبد الله (**خباب بن الأرتّ**) بتشديد المثناة ابن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي حالف بني زهرة وأسلم قديماً ، وكان من المعذبين في الله ، وشهد المشاهد كلها ، وكان يعمل السيوف في الجاهلية ، توفي سنة سبع وثلاثين بالكوفة ، وهو أوّل

العاص بن وائل دين فجئت أتقاضاه فلم يقض لي، فقلت: إني آخذه في الآخرة، فقال لي: إذا صرت إلى الآخرة فإن لي هناك مالاً وولداً أقضيك عنه. فأنزل الله تعالى قوله: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً﴾ [مريم: ٧٧] وقال الله تعالى: ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن

من دفن بظهرها وكان عمره ثلاثاً وستين سنة (**أنه قال: كان لي على العاص بن وائل**) المذكور قريباً (**دين**) وكان قد عمل له في السيوف في الجاهلية، (**فجئت أتقاضاه**) أي أطالبه به (**فلم يقضه**) أي امتنع من دفعه (**فقلت: إني آخذه في الآخرة فقال**) مستهزئاً به: (**إذا صرت إلى الآخرة فإن لي هناك مالاً وولداً فاقضيك منه فأنزل الله قوله: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً﴾**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة، ورواه مسلم من حديث عمر وقد تقدم اهـ.

قلت: ولفظ البخاري، ومسلم من رواية أبي هريرة عن خباب قال: كنت رجلاً قيناً وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال والله لاأقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد حتى تموت وتبعث. قال: فإني إذا مت ثم بعثت جئتني وثم مال وولد فأعطيك، فأنزل الله: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً﴾ إلى قوله: ﴿ويأتينا فرداً﴾. وهكذا رواه أيضاً أحمد، وسعيد بن أبي منصور، والبزار، ورواه أيضاً ابن جرير، وسعيد بن أبي منصور وعبد بن حميد، والترمذي، والبيهقي في الدلائل، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه من حديث خباب. ورواه الطبراني بلفظ: عملت للعاص بن وائل عملاً فأتيته أتقاضاه فقال: إنكم تزعمون أنكم ترجعون إليّ مال وولد وأني راجع إلى مال وولد، وإذا رجعت إليه ثم أعطيك فأنزل الله: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ الآية.

وروى ابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ كانوا يطلبون العاص بن وائل بدين وأتوه يتقاضونه فقال: ألستم تزعمون أن في الجنة ذهباً وفضة وحريراً ومن كل الثمرات؟ قالوا: بلى. قال: فإن موعدكم الآخرة والله لأوتين مالاً وولداً ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به، فقال الله تعالى: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ الآيات.

وروى سعيد بن منصور من مرسل الحسن قال: كان لرجل من أصحاب النبي ﷺ دين على رجل من المشركين فأتاه يتقاضاه فقال: ألست مع هذا الرجل؟ قال: نعم. قال: يزعم أن لكم فيه جنة وناراً وأموالاً وبنين؟ قال: بلى. قال: اذهب فلست قاضيك فأنزلت الآية: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ إلى قوله: ﴿ويأتينا فرداً﴾.

(**وقال تعالى: ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته﴾**) بتفريجها عنه (**﴿ليقولن هذا لي﴾**) حقي استحقه من الفضل والعمل أولى دائماً فلا يزول (**﴿وما أظن الساعة قائمة﴾**) أي

رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ [فصلت: ٥٠] وهذا كله من الغرور بالله، وسببه قياس من أقيسة إبليس نعوذ بالله منه وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الآخرة، وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال تعالى: ﴿ويقُولُون في أنْفُسِهِم لَوْلاَ يُعَذِّبُنا الله بما نقول﴾ [المجادلة: ٨٠] فقال تعالى جواباً لقولهم: ﴿حسْبُهُم جهنّم يصلَوْنها فبئسَ المصيرُ﴾ [المجادلة: ٨٠] ومرة ينظرون إلى المؤمنين، وهم فقراء شعث غبر فيزدرون بهم ويستحقرونهم، فيقولون: ﴿أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا﴾ [الأنعام: ٥٣] ويقولون: ﴿لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾ [الأحقاف: ١١] وترتيب القياس الذي نظمه في قلوبهم أنهم يقولون: قد أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا، وكل محسن فهو محب، وكل محب فإنه يحسن أيضاً في المستقبل كما قال الشاعر:

لقد أحسن الله فيما مضى ... كذلك يحسن فيما بقى

وإنما يقيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة والحب إذ يقول: لولا أني كريم عند الله ومحبوب لما أحسن إلي، والتلبيس تحت ظنه أن كل محسن محب، لا بل تحت ظنه أن انعامه عليه في الدنيا إحسان، فقد اغتر بالله إذ ظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على

تقوم كما يزعمون (**الآية**) وتمامها: ﴿ولئِنْ رجعت إلى ربي ان لي عنده للحسنى﴾ (**وهذا كله من الغرور بالله**) والتمادي في الغفلة واعتقاد في أنه ما أصابه من نعم الدنيا فلاستحقاقه لا ينفك، (**وسببه قياس من أقيسة إبليس، وذلك أنهم ينظرون مرة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليه نعمة الآخرة وينظرون مرة إلى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة كما قال عز وجل: ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ فقال تعالى جواباً لقولهم: ﴿حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾ ومرة ينظرون إلى المؤمنين وهم فقراء شعث**) الرؤوس (**غبر**) الألوان (**فيزدرون بهم ويستحقرونهم ويقولون**) كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله: ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا (**أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا**) أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ (**ويقولون: ﴿لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾ وترتيب القياس الذي نظمه الشيطان (في قلوبهم أنهم يقولون: قد أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا**) وأغدقه علينا، (**وكل محسن فهو محب، وكل محب فهو يحسن في المستقبل أيضاً كما قال الشاعر:**

لقد أحسن الله فيما مضى ... كذاك يحسن فيما بقى

وإنما قيس المستقبل على الماضي بواسطة الكرامة) أي الإكرام الظاهر (**والحب إذ يقول: لولا أني كريم عند الله ومحبوب**) لديه (**لما أحسن إليّ، والتلبيس تحت ظنه أن كل محسن محب**) ولا يلزم من الإحسان الحب، (**لا بل تحت ظنه أن إنعامه عليه في الدنيا إحسان، فقد**

الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان. ومثاله: أن يكون للرجل عبدان صغيران يبغض أحدهما ويحب الآخر، فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الأدب ويمنعه من الفواكه وملاذ الأطعمة التي تضره ويسقيه الأدوية التي تنفعه والذي يبغضه ويهمله ليعيش كيف يريد فيلعب ولا يدخل المكتب ويأكل كل ما يشتهي فيظن هذا العبد المهمل أنه عند سيده محبوب كريم لأنه مكّنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع أغراضه فلم يمنعه ولم يحجر عليه، وذلك محض الغرور، وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فإنها مهلكات ومبعدات من الله « فإن الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه من الطعام والشراب وهو يحبه ». هكذا ورد في الخبر عن سيد البشر.

اغتر بالله إذ ظن أنه كريم عند الله بدليل) إحسانه إليه، وهذا (**لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصائر يدل على الهوان**) والبعد والمقت، ولقد هلك بهذا الغرور خلق كثير لا يحصون، ولقد فاوضت مع جماعة أن أردهم عن هذا الظن الفاسد فلم يمكن ذلك ولا حول ولا قوّة إلا بالله ما شاء الله كان.

(**ومثاله: أن يكون للرجل عبدان صغيران يبغض أحدهما ويحب الآخر، فالذي يحبه يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الأدب ويمنعه من الفواكه**) الرطبة (**وملاذ الأطعمة التي تضره ويسقيه الأدوية**) المرة البشعة (**التي تنفعه، والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف يريد فيلعب**) طول نهاره مع الصبيان، (**ولا يدخل المكتب ويأكل ما يشتهي**) من ألوان الطعام والفواكه، (**فيظن هذا العبد المهمل أنه عند سيده محبوب كريم، لأنه مكنه من شهواته ولذاته وساعده على جميع أغراضه ولم يمنعه**) عنها (**ولم يحجر عليه، وذلك لأنه محض الغرور**) ونهاية الغفلة. (**وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فإنها مهلكات ومبعدات من الله**) تعالى، (**وأن الله يحمي عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه. هكذا ورد في الأخبار**) قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان اهـ.

قلت: وروي ذلك أيضاً من حديث محمود بن لبيد، وأبي سعيد، وأنس وحذيفة بلفظ حديث محمود بن لبيد: « إن الله يحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه ». هكذا رواه ابن عساكر، ورواه أحمد، إلا أنه قال: من الدنيا. ورواه الحاكم بهذا اللفظ من حديث أبي سعيد، ولفظ حديث أنس: « إن الله تعالى ليحمي المؤمن من الدنيا نظراً وشفقة عليه كما يحمي المريض أهله من الطعام » رواه الديلمي. ولفظ حديث حذيفة إن الله تعالى يحمي عبده المؤمن كما يحمي الراعي الشفيق غنمه من مواقع الهلكة » رواه أبو الشيخ في الثواب، وفي

وكان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا أو قالوا: ذنب عجلت عقوبته ورأوا ذلك علامة المقت والإهمال، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا: مرحباً بشعار الصالحين. والمغرور إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله، وإذا صرفت عنه ظن أنها هوان كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربّه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن ★ وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن﴾ فأجاب الله عن ذلك ﴿كلا﴾ [الفجر: ١٥ - ١٧] أي ليس كما قال إنما وهو ابتلاء نعوذ بالله من شر البلاء، ونسأل الله التثبيت: فبين أن ذلك غرور. قال الحسن: كذبهما

رواية له بلفظ: «إن الله يتعاهد عبده بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالخير وإن الله ليحمي عبده من الدنيا كما يحمي المريض أهله الطعام» وقد رواه أيضاً الروياني، والحسن بن سفيان، وابن عساكر، وابن النجار. وروى ابن النجار من حديث أنس: أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى إن من عبادي من لو سألني الجنة بحذافيرها لأعطيته، ولو سألني علاقة سوط لم أعطه ليس ذلك من هوان له عليَّ ولكن أريد أن أدخر له في الآخرة من كرامتي وأحميه من الدنيا كما يحمي الراعي غنمه من مراعي السوء.

(وكان أرباب البصائر إذا أقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا: ذنب عجلت عقوبته، ورأوا ذلك أمارة المقت والإهمال، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا: مرحباً بشعار الصالحين.
رواه الديلمي من حديث أبي الدرداء مرفوعاً قال: أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى ارض بكسرة خبز من شعير تسد بها جوعتك وخرقة تواري بها عورتك، واصبر على المصيبات، وإذا رأيت الدنيا مقبلة فقل إنا لله وإنا إليه راجعون عقوبة عجلت في الدنيا، وإذا رأيت الدنيا مدبرة والفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين. وروى الصابوني في المائتين نحوه عن الفضيل بن عياض وقد تقدم في كتاب ذم الدنيا.

(**والمغرور إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله**) أكرمه بها، (**وإذا صرفت عنه ظن أنه هوان**) به (**كما أخبر الله تعالى عنه**) في كتابه العزيز (**إذ قال: ﴿فأما الإنسان**) وهو متصل بقوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ من الآخرة فلا يريد إلا السعي لها، فأما الإنسان فلا يهمه إلا الدنيا ولذاتها. (**﴿إذا ما ابتلاه ربه﴾**) إختبره الغني واليسر (**﴿فأكرمه ونعمه﴾**) بالمال والجاه (**﴿فيقول ربي أكرمنِ﴾**) أي فضلني بما أعطاني (**﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه﴾**) أي حبسه (**فيقول ربي أهاننِ**) لقصور نظره ومرد فكره، فإن التقتير قد يؤدي إلى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي إلى قصد الأعداء والإنهماك في حب الدنيا، فلذلك ذمه على قوله وردعه عنه بقوله: (**﴿كلا﴾ أي ليس كما قال إنما هو ابتلاء نعوذ بالله من شر البلاء، فبيّن أن ذلك غرور**) ولم يقل فأهانه وقدر عليه كما قال فأكرمه ونعمه، لأن التوسعة تفضل والإخلال به لا يكون إهانة.

جميعاً بقوله: ﴿كلا﴾ يقول ليس هذا بـأكرامي ولا هذا بهواني، ولكن الكريم من أكرمته بطاعتي غنياً كان أو فقيراً. والمهان من أهنته بمعصيتي غنياً كان أو فقيراً.

وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصيرة أو بالتقليد.

أما بالبصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات إلى شهوات الدنيا مبعداً عن الله، ووجه كون التباعد عنها مقـربـاً إلى الله ويـدرك ذلـك بـالإلهام في منـازل العـارفين والأولياء، وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة.

وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق، فهو أن يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله، وقد قال تعالى: ﴿أيحسبون أن ما نمدهم به من مال وبنين ★ نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦] وقال تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ [الأعراف: ١٨٢]، وقال تعالى: ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾ [الأنعام: ٤٤] وفي تفسير قوله تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ أنهم كلما أحدثوا ذنباً أحدثنا لهم نعمة

(قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: (كذبهما جميعاً بقوله (كلا) يقول هذا ليس بكرامتي ولا هذا بهواني، ولكن الكريم من أكرمته بطاعتي غنياً كان أو فقيراً والمهان من أهنته بمعصيتي غنياً كان أو فقيراً﴾) رواه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن الحسن مختصراً بلفظ: كلا كذبتهما جميعاً ما بالغنى أكرمك ولا بالفقر أهانك. وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد نحوه قال: ظن كرامة الله في المال وهو أنه في قلته وكذب إنما يكرم بطاعته من أكرم ويهين بمعصيته من أهان.

(وهذا الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والهوان إما بالبصيرة) النافذة (وإما بالتقليد) المحض

.(إما بالبصيرة) النافذة (فبأن تعرف وجه كون الإلتفات إلى شهوات الدنيا مبعداً عن الله، ووجه كون التباعد عنها مقرباً إلى الله) ضرورة من أحب القرب من الله تباعد عن شهوات الدنيا ومن مال إليها بعد عن قرب الله، (ويدرك ذلك بإلهام) رباني ينفث في روعه (في منازل العارفين والأولياء) ومقاماتهم وأحوالهم، (وشرحه) من حيث التفصيل يستدعي بسط مقدمات وهو (من جملة علوم المكاشفة، ولا يليق بعلم المعاملة. وأما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو أن يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله) فيما بلغه، (وقد قال تعالى) في كتابه العزيز: (﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين★ نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾) ما نريد بهم (وقال تعالى: ﴿سنستدرجهم) أي سنجرهم قليلاً قليلاً إلى العذاب

ليزيد غرورهم. وقال تعالى: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾ [آل عمران: ١٧٨] وقال تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ [إبراهيم: ٤٢] إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وسنّة رسوله، فمن آمن به تخلص من هذا الغرور. فإن منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته، فإن من عرفه لا يأمن مكره، ولا يغتر بأمثال هذه الخيالات الفاسدة، وينظر إلى فرعون وهامان وقارون وإلى ملوك الأرض وما جرى لهم كيف أحسن الله إليهم ابتداء ثم دمرهم تدميراً، فقال تعالى: ﴿هل تحس منهم من أحد﴾ [مريم: ٩٨] الآية. وقد حذر الله تعالى من مكره واستدراجه فقال: ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾

(﴿من حيث لا يعلمون﴾ وقال تعالى: ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾) أي منقطعون في حجتهم أو محزونون لشدة ما عرض لهم، (و) يروى (في تفسير قوله تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾أنهم كلما أحدثوا ذنباً أحدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم). وفي رواية كلما جددوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم شكر النعمة واستغفار الذنب. ويروى عن سعيد بن جبير الإغترار بالله المقام على الذنب ورجاء المغفرة. وروى أحمد والطبراني والبيهقي من حديث عقبة بن عامر. إذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك له منه استدراج، وروى ابن المبارك في الزهد من مرسل سعيد بن أبي سعيد: إذا رأيت كلما طلبت شيئاً من أمر الآخرة وابتغيته يسر لك، وإذا رأيت شيئاً من أمر الدنيا وابتغيته عسر عليك، فاعلم أنك على حال حسنة، وإذا رأيت كلما طلبت شيئاً من أمر الآخرة وابتغيته عسر عليك، وإذا طلبت شيئاً من أمر الدنيا وابتغيته يسر لك فأنت على حال قبيحة. ورواه البيهقي مرفوعاً من حديث عمر بن الخطاب.

(وقال تعالى: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾) أي تكثر جرائمهم في مدة الإمهال. (وقال تعالى: ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ الآية). وتمامها ﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخّص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾ (إلى غير ذلك مما ورد في كتاب الله وسنة رسوله) ﷺ، (فمن آمن به) وصدق بما فيه (تخلص من هذا الغرور، فإن منشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته، فإن من عرفه لا يأمن من مكره ولا يغتر بأمثال هذه الخيالات) والأوهام، (وينظر إلى فرعون وهامان وقارون) وشداد وأشباههم (وإلى ملوك الأرض) السالفين (وما جرى لهم كيف أحسن الله إليهم ابتداء) واسبغ عليهم نعمه (ثم دمرهم تدميراً) واستأصل شأفتهم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا، (فقال تعالى: ﴿هل تحس منهم من أحد﴾ الآية. وقد حذر الله تعالى مكره واستدراجه) في مواضع من الكتاب العزيز (فقال: ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ وقال تعالى:

[الأعراف: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون﴾ [النمل: ٥٠] وقال عز وجل: ﴿ومكَرُوا ومكر الله واللهُ خير الماكرين﴾ [آل عمران: ٥٤] وقال تعالى: ﴿إنهم يكيدون كيداً ★ وأكيد كيداً ★ فمهّل الكافرين أمهلهم رويدا﴾ [الطارق: ١٥ ـ ١٧] فكما لا يجوز للعبد المهمل أن يستدل بإهمال السيد إياه وتمكينه من النعم على حب السيد، بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكراً منه وكيداً مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه، فبأن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه أولى، فإذاً من أمن مكر الله فهو مغتر، ومنشأ هذا الغرور أنه استدل بنعم الدنيا على أنه كريم عند ذلك المنعم، واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب إلى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حدّ الغرور.

المثال الثاني: غرور العصاة من المؤمنين بقولهم: إن الله كريم وإنا نرجو عفوه،

﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون﴾ وقال تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾) والمكر: هو صرف الغير عما يقصده بنوع من الحيلة وهو ضربان: محمود وهو مايتحرى به أمر جميل وعلى ذلك ما تقدم من الآيات، ومذموم وهو ما يتحرى به فعل ذميم ومنه قوله تعالى: ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ [فاطر: ٤٣] قالوا: ومن مكر الله بالعبد إمهاله وتمكينه من أعراض الدنيا. (**وقال تعالى: ﴿إنهم يكيدون كيداً﴾**) من إبطال القرآن وإطفاء نوره والمراد بهم أهل مكة. (**﴿وأكيد كيداً﴾**) أي أقابلهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون (**﴿فمهل الكافرين﴾**) أي فلا تشتغل منهم أو لا تستعجل بإهلاكهم (**﴿أمهلهم رويداً﴾**) أي امهالاً يسيراً. (**فكما لا يجوز للعبد المهمل**)المتروك في لذاته (**أن يستدل بإهمال السيد إياه**) وتركه له (**وتمكينه من التنعم**) في شهوات الدنيا (**على حب السيد**) وتقربه منه، (**بل ينبغي أن يحذر أن يكون ذلك مكراً منه**) وحيلة (**مع أن السيد لم يحذره مكر نفسه**) ولم يعلمه به، (**فبأن يجب ذلك في حق الله تعالى مع تحذيره استدراجه**) وتخويفه منه وتنبيهه عليه (**أولى، فإذاً من أمن من مكر الله فهو مغرور**) ولذا قال علي رضي الله عنه: من وسع عليه في دنياه ولم يعلم أنه مكر به فهو مخدوع عن عقله، (**ومنشأ هذا الغرور أنه استدل بنعم الدنيا على أنه كريم عند المنعم**) محبوب لديه، (**واحتمل أن يكون ذلك دليل الهوان، ولكن ذلك احتمال لا يوافق الهوى، والشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب إلى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا هو حد الغرور**).

(**المثال الثاني: غرور العصاة من المؤمنين بالله بقولهم: إن الله كريم وإنَّا نرجو عفوه**

واتكالهم على ذلك وإهمالهم الأعمال وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجاء، وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين وأن نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم، وأين معاصي العباد في بحار رحمته وإنا موحدون ومؤمنون؟ فنرجوه بوسيلة الإيمان وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفة سيرة آبائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم، إذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين، وهم مع غاية الفسق والفجور آمنون وذلك نهاية الاغترار بالله تعالى. فقياس الشيطان للعلوية: أن من أحب إنساناً أحب أولاده وأن الله قد أحب آباءكم فيحبكم فلا تحتاجون إلى الطاعة، وينسى المغرور أن نوحاً عليه السلام أراد أن يستصحب ولده معه في السفينة فلم يرد فكان من المغرقين: فقال: ﴿ربّ إن ابني من أهلي﴾ [هود: ٤٥] فقال تعالى: ﴿يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير

واتكالهم على ذلك وإهمالهم الأعمال) رأساً (**وتحسين ذلك بتسمية تمنيهم واغترارهم رجاء، وظنهم أن الرجاء مقام محمود في الدين، وأن نعمة الله واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم. وأين معاصي العباد**) وإن كثرت (**في**) جنب (**بحار رحمته؟ وإنا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الإيمان**) فهذا مستند كبير درجت عليه عامة العصاة وخاصتهم، (**وربما كان مستند رجائهم التمسك بصلاح الآباء**) والجدود (**وعلو رتبتهم**) عند الناس، (**كاغترار العلوية**) أولاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهم البيوت الخمسة (**بنسبهم ومخالفتهم سيرة آبائهم**) الطاهرين (**في الخوف والتقوى والورع**) كما روي عن علي بن الحسين بن علي وولده محمد وحفيده جعفر وغيرهم، وهو ظاهر لمن طالع مناقبهم وسبر سيرهم، (**وظنهم أنهم أكرم على الله من آبائهم، إذ آباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين**) على أنفسهم (**وهم مع غاية الفجور والفسق آمنون، وذلك نهاية الإغترار بالله. فقياس الشيطان للعلوية أن من أحب إنساناً أحب أولاده، وأن الله تعالى قد أحب آباءكم فيحبكم**) لحبه إياهم (**فلا تحتاجون إلى الطاعة، وينسى المغرور أن نوحاً عليه السلا** ٍ) كما أذن له أن يعمل للسفينة وذلك قوله تعالى: ﴿واصنع الفُلْكَ بأعيُنِنا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧] ثم أمره أن يحمل فيها وذلك قوله تعالى: ﴿قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾ (**أراد أن يستصحب ولده**) كنعان (**معه في السفينة فلم يرد: ﴿فكان من المغرقين﴾**) [هود: ٤٣] وذلك: [ونادَى نوحٌ ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين﴾ [هود: ٤٢] فكان من امتناعه من الركوب ما قص الله في كتابه بقوله: ﴿وحال بينهما الموج وكان من المغرقين﴾ [هود: ٤٣] (**فقال**) نوح لما رآه كذلك يا رب: ﴿إنَّ إبني من أهلي﴾ وإنَّ وعدك الحق﴾ وقد وعدتني أن تنجي أهلي فما حاله أو فما له لم ينج؟ ويجوز أن يكون هذا قبل غرقة، فردّ الله تعالى عليه (**فقال**): ﴿يا نوح (**إنه ليس من أهلك**) لقطع الولاية بين

صالح﴾ [هود : ٤٦] وأن إبراهيم عليه السلام استغفر لأبيه فلم ينفعه ، وأن نبينا ﷺ وعلى كل عبد مصطفى استأذن ربه في أن يزور قبر أمه ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار ، فجلس يبكي على قبر أمه لرقته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله . فهذا أيضاً اغترار بالله تعالى وهذا لأن الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي ، فكما أنه لا يبغض الأب المطيع ببغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه للأب المطيع ، ولو كان الحب يسري من الأب إلى الولد لأوشك أن يسري البغض أيضاً

المؤمن والكافر وأشار إليه بقوله (**إنه عَمَلٌ غيرُ صالح**) أي ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة ، ثم أبدل الفاسد بغير الصالح تصريحاً بالمناقضة بين وصفيها ، (**وان إبراهيم**) عليه السلام (**استغفر لأبيه**) آزر (**فلم ينفعه**) ذلك وقد اعتذر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز فقال : ﴿وما كانَ استغفارُ إبراهيمَ لأبيهِ إلاّ عن مَوْعِدَةٍ وعَدَها إياه﴾ إلى قوله : ﴿إن إبراهيم لأوّاهٌ حليم﴾ [التوبة : ١١٤] (**وان نبينا استأذن أن يزور قبر أمه**) آمنة بنت وهب وذلك بالأبواء (**ويستغفر لها فأذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الإستغفار ، فجلس يبكي على قبر أمه لرقته لها بسبب القرابة حتى أبكى من حوله**) قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ .

وفي الوسيط للواحدي عند قوله تعالى : ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ قال : قرأ نافع بفتح التاء الفوقية وجزم اللام على النهي للنبي ﷺ ، وذلك أنه سأل جبريل عليه السلام عن قبر أبيه وأمه فدله عليهما ، فذهب إلى القبرين ودعا وتمنى أن يعرف حال أبويه في الآخرة فنزلت اهـ .

قلت : وروى عبد الرزاق ، وابن جرير ، وابن المنذر ، عن محمد بن كعب القرظي قال : قال رسول الله ﷺ : « ليت شعري ما فعل أبواي » . فنزلت . فما ذكرهما حتى توفاه الله .

وروى ابن جرير ، عن داود بن أبي عاصم أن النبي ﷺ قال ذات يوم : « أين أبواي » فنزلت .

وأما حديث إحيائهما حتى آمنا به ، فأورده السهيلي في الروض من حديث عائشة ، وكذا الخطيب في السابق واللاحق . وقال السهيلي في إسناده مجاهيل ، وقال ابن كثير : انه حديث منكر جداً وإن كان ممكناً بالنظر إلى قدرة الله عز وجل ، وقد ألّف الحافظ السيوطي في نجاة الأبوين سبع رسائل ورد عليه فيها غير واحد من علماء عصره ومن بعدهم ، ولي في هذا الشأن جزء لطيف سميته : الإنتصار لوالدي النبي المختار ﷺ ، والذي أراه الكف عن التعرض لهذا نفياً وإثباتاً والله أعلم .

(**فهذا أيضاً اغترار بالله عز وجل وهذا لأن الله يحب المطيع ويبغض العاصي ، فكما أنه لا يبغض الأب المطيع**) لله تعالى (**ببغضه للولد العاصي**) لله تعالى ، (**فكذلك لا يحب الوالد العاصي**) لله تعالى (**بحبه للولد المطيع**) لله تعالى ، (**ولو كان الحب يسري من الأب إلى الولد لأوشك أن يسري البغض أيضاً بل الحق أن لا تزر وازرة وزر أخرى**) وكل شاة معلقة

بل الحق أن لا تزر وازرة وزر أخرى. ومن ظن أنه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه، ويروى بشرب أبيه. ويصير عالماً بتعلم أبيه ويصل إلى الكعبة ويراها بمشي أبيه، فالتقوى فرض عين فلا يجزي فيه والد عن ولده شيئاً. وكذا العكس، وعند الله جزاء التقوى ﴿يوم يفرّ المرء من أخيه ★ وأمه وأبيه﴾ [عبس: ٣٤، ٣٥] إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له ـ كما سبق في كتاب الكبر والعجب ـ.

فإن قلت: فأين الغلط في قول العصاة والفجار: إن الله كريم وإنا نرجو رحمته

برجلها. (**ومن ظن انه ينجو بتقوى أبيه**) وأنه ينفعه (**كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه ويروي بشرب أبيه ويصير عالماً بتعلم أبيه ويصل إلى الكعبة ويراها بمشي أبيه**) إليها وبرؤيته إياها هذا لا يكون. (**والتقوى فرض عين**) في حق كل أحد، (**ولا يجزى فيه والد عن ولده شيئاً، وكذا العكس. وعند الله جزاء التقوى**) في يوم القيامة: (**﴿يوم يفر المرء من أخيه ★ وأمه وأبيه ★**) وصاحبته وبنيه﴾ (**إلا على سبيل الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه وأذن له في الشفاعة كما سبق في كتاب الكبر والعجب**) غير أن صلاح الآباء قد يراعى في الأبناء، وله نوع تأثير فيهم بدليل قوله تعالى: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ [الكهف: ٨٢] فإنه نبه به على أن سعي الخضر عليه السلام كان لصلاحه.

قال البيضاوي قيل: كان بينهما وبين الأب الذي حفظا به سبعة آباء.

وأخرج ابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، وابن أبن أبي حاتم عن خيثمة قال: قال عيسى عليه السلام: طوبى لذرية المؤمن، ثم طوبى لهم كيف يحفظون من بعده، وتلا خيثمة: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر عن وهب بن منبه قال: إن الله يحفظ بالعبد الصالح القبيل من الناس.

وأخرج ابن ابي حاتم من طريق شيبة، عن سليمان بن سليم أبي سلمة قال: مكتوب في التوراة أن الله ليحفظ القرب إلى القرب إلى سبعة قروب.

وأخرج أحمد في الزهد عن وهب قال: إن الرب تبارك وتعالى قال في بعض ما يقول لبني إسرائيل: إني إذا اطعت رضيت وإذا رضيت باركت وليس لبركتي نهاية، وإذا عصيت غضبت وإذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد.

وأخرج أحمد في الزهد عن وهب قال: يقول الله اتقوا غضبي فإن غضبي يدرك إلى ثلاثة آباء، وأحبوا رضاي فإن رضاي يدرك الامة.

(**فإن قلت: فأين الغلط في قول العصاة والفجار إن الله كريم وإنّا نرجو رحمته**

ومغفرته، وقد قال: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً، فما هذا إلا كلام صحيح مقبول الظاهر في القلوب؟ فاعلم أن الشيطان لا يغوي الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن، ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب، ولكن النبي ﷺ كشف عن ذلك فقال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله». وهذا هو التمني على الله تعالى غيّر الشيطان اسمه فسماه رجاء حتى خدع به الجهال. وقد شرح الله الرجاء فقال: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله﴾ [البقرة: ٢١٨] يعني ان الرجاء بهم أليق وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال، قال الله تعالى: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة: ١٧] وقال تعالى: ﴿وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾ [آل عمران: ١٨٥] أفترى أن من استؤجر على إصلاح أوانٍ وشرط له أجرة عليها وكان الشارط كريماً يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف بل يزيد، فجاء الأجير وكسر الأواني

ومغفرته، وقد قال: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً فما هذا إلا كلام صحيح مقبول في القلوب؟ فاعلم أن الشيطان لا يغوي الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر) أي يرى قبوله بحسب ما يرى من ظاهره (**مردود الباطن، ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب**) وأخذ فيها مأخذاً، (**ولكن النبي ﷺ كشف عن ذلك فقال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله»**) رواه الترمذي، وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وتقدم قريباً. (**وهذا هو التمني على الله**) وإنما (**غيَّر الشيطان إسمه فسماه «رجاء» حتى خدع به الجهال**) والتمني طلب مالا طمع فيه أو ما فيه عسر، فالأوّل نحو قول الهرم:

ألا ليت الشباب يعود يوماً.

والثاني قول المعدم: ليت لي مال فلان، فإن حصول المال ممكن لكن يعسر، والحاصل أن التمني يكون في الممتنع وفي الممكن. (**وقد شرح الله الرجاء فقال: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجَروا وجاهَدُوا في سبيل الله أولئك يرجُون رحمة الله﴾ يعني أن الرجاء بهم أليق**) فالرجاء يكون على أصل، والتمني لا يكون على أصل، وقد أفاد الخبر أن التمني مذموم، وأفادت الآية أن الرجاء محمود، وذلك لأن التمني يفضي بصاحبه إلى الكسل؛ وأما الرجاء فإنه يعلّق القلب بمحبوب فيحصل حاله، (**وهذا لأنه ذكر أن ثواب الآخرة أجر وجزاء على الأعمال قال تعالى: ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ وقال**) تعالى: (**﴿إنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾أفترى أن من استؤجر على إصلاح أوانٍ**) جمع آنية وهو جمع إناء (**وشرط له أجرة**) إذا أصلحها، (**وكان الشارط كريماً**) معروفاً بالكرم (**يفي بالوعد مهما وعد، ولا يخلف**) ميعاده (**بل يزيد**) كما هو من

وأفسد جميعها ثم جلس ينتظر الأجر ويزعم أن المستأجر كريم ، أفتراه العقلاء في انتظاره متمنياً مغروراً أو راجياً ؟ وهذا للجهل بالفرق بين الرجاء والغرة . قيل للحسن : قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال : هيهات هيهات ! تلك أمانيهم يترجحون فيها من رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً هرب منه . وقال مسلم بن يسار : لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي ! فقال له رجل : إنا لنرجو الله ! فقال مسلم : هيهات هيهات ! من رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً هرب منه . وكما أن الذي يرجو في الدنيا ولداً وهو بعد لم

شأن الكرم ، (**فجاء الأجير وكسر الأواني وأفسد جميعها ثم جلس**) ناحية (**وينتظر الأجر ، ويزعم أن المستأجر كريم افتراء العقلاء في انتظاره متمنياً مغروراً أو راجياً ، وهذا للجهل بالفرق بي الرجاء والغرة**) ، ومن هنا لما (**قيل للحسن**) البصري رحمه الله تعالى : (**هنا قوم يقولون نرجو الله ويضيعون العمل**) فما تقول فيهم؟ (**فقال : هيهات هيهات! تلك أمانيهم يترجحون فيها من رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً هرب منه**) ويروى عنه أيضاً أنه قال : إن أقواماً ألهتهم أماني العفو حتى خرجوا من الدنيا ليست لهم حسنة يقول أحدهم : إني أحسن الظن بربي وكذب ، ولو أحسن الظن بربه لأحسن العمل له . وروى الترمذي من حديث أبي هريرة : من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل .

(**وقال مسلم بن يسار**) البصري نزيل مكة ، أبو عبد الله الفقيه ، ويقال له مسلم سكره ومسلم المصبح ثقة عابد مات سنة مائة أو بعدها بقليل ، روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه : (**لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنياتي . فقال له رجل : إنا نرجو الله . فقال : هيهات! من رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً هرب منه**) .

قلت : هما أثران مستقلان بسندين مختلفين قد جعلهما المصنف واحداً .

قال أبو نعيم في الحلية : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ، حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا حسين بن الحسن ، حدثنا عبدالله بن المبارك ، حدثنا سفيان عن رجل عن مسلم بن يسار أنه سجد سجدة فوقعت ثنيتاه ، فدخل عليه أبو اياس معاوية بن قرة يعزيه ويهوّن عليه فذكر مسلم من تعظيم الله عز وجل .

وحدثنا أحمد بن جعفر ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا ضمرة ، عن خالد بن أبي يزيد عن معاوية بن قرة قال : دخلت على مسلم بن يسار وقال : دخلت علي وأنا أدفن بعض جسدي . قال معاوية : وكان يطيل السجود أراه قال : فوقع الدم في ثنيتيه فسقطتا فدفنهما .

وحدثنا أبو محمد بن حيان ، حدثنا علي بن إسحاق ، حدثنا الحسين بن الحسن ، حدثنا عبد الله ابن المبارك ،حدثنا سفيان عن رجل عن مسلم بن يسار أنه قال : من رجا شيئاً طلبه ومن خاف من شيء هرب منه ، وما أدري ما حسب رجاء امرىء عرض له بلاء لم يصبر عليه لما يرجو ، وما أدري ما حسب خوف الله من عرضت له شهوة لم يدعها لما يخشى .

ينكح أو نكح ولم يجامع أو جامع ولم ينزل فهو معتوه، فكذلك من رجاء رحمة الله وهو لم يؤمن أو آمن ولم يعمل صالحاً أو عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور، فكما أنه إذا نكح ووطىء وأنزل بقي متردداً في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كيس، فكذلك إذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي متردداً بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدوم عليه وإن يختم له بالسوء، ويرجو من الله تعالى أن يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل إلى المعاصي فهو كيس، ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً﴾ [الفرقان: ٤٢] ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ [ص: ٨٨] وعند ذلك يقولون كما أخبر الله عنهم: ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا فأرجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون﴾ [السجدة: ١٢] أي علمنا أنه كما لا يولد ولد إلا

وحدثنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا هارون بن معروف، حدثنا ضمرة، عن خالد بن أبي يزيد، عن معاوية بن قرة قال: دخلت على مسلم بن يسار فقلت: ما عندي كـ[illegible] عمل إلا أني أرجو الله وأخاف منه. فقال: ما شاء الله من خاف من شيء حذر منه ومن رجا شيئاً طلبه، وما أدري ما حسب خوف عبد عرضت له شهوة فلم يدعها لما يخاف أو ابتلي ببلاء فلم يصبر عليه لما يرجو. قال معاوية: فإذا أنا قد زكيت نفسي وأنا لا أ[illegible]م.

(وكما أن الذي يرجو في الدنيا ولداً وهو بعد لم [illegible]كح) أي لم يتزوّج امرأة (أو نكح ولم يجامع أو جامع ولم ينزل) بأن عزل منيه (فهو معتوه) أي قليل العقل، (وكذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن) بالله (أو آمن) به (ولم يعمل صالحاً أو عمل) صالحاً (ولم يترك المعاصي فهو مغرور، وكما أنه إذا انكح ووطىء وأنزل بقي متردداً في الولد يخاف ويرجو فضل الله في خلق الولد، ودفع الآفات عن الرحم وعن الأم إلى أن يتم فهو كيس) أي عاقل فطن، (وكذا إذا آمن وعمل صالحاً وترك السيئات بقي متردداً بين الخوف والرجاء يخاف أن لا يقبل منه وأن لا يدوم عليه وأن يختم له) في آخر نفسه (بالسوء ويرجو من فضل الله تعالى أن يثبته بالقول الثابت) وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله، (ويحفظ دينه من صواعق سكرات الموت) وأهواله (حتى يموت على التوحيد) الخالص، (ويحرس قلبه عن الميل إلى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل إلى المعاصي فهو كيس) فطن، (ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضلّ سبيلاً﴾ ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾وعند ذلك) أي عند معاينتهم العذاب (يقولون ما أخبر الله عنهم) في كتابه العزيز: (﴿ربنا أبصرنا وسمعنا فأرجعنا) إلى الدنيا (نعمل صالحاً إنا

بوقاع ونكاح ولا ينبت زرع إلا بحراثة وبث بذر، فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فارجعنا نعمل صالحاً فقد علمنا الآن صدقك في قولك: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ★ وأن سعيه سوف يرى﴾ [النجم: ٣٩، ٤٠] ﴿وكلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ★ قالوا بلى قد جاءنا نذير﴾ [الملك: ٨، ٩] أي ألم نسمعكم سنة الله في عباده وأنه ﴿توفى كل نفس ما كسبت﴾ [البقرة: ٢٨١] وأن ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ [المدثر: ٣٨] فما الذي غركم بالله بعد أن سمعتم وعقلتم ﴿قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ★ فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير﴾ [الملك: ١٠، ١١].

فإن قلت: فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود؟ فاعلم أنه محمود في موضعين:

أحدهما: في حق العاصي المنهمك إذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان: وأنى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله تعالى، فيجب عند هذا أن يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر

موقنون﴾ أي علمنا أنه لا يولد ولد إلا بوقاع ونكاح، ولا ينبت زرع إلا بحراثة وبث بذر) أي رميه في الأرض، (فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب وأجر إلا بعمل صالح فارجعنا) ثانياً وردنا إلى ما كنا في الدنيا (نعمل صالحاً، فقد علمنا الآن صدقك في قولك) وأيقنا به، (﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ★) وحصله في دنياه (وأن سعيه سوف يرى﴾) ثم يجزاه الجزاء الأوفى (﴿كلما ألقي فيها﴾) أي في النار (﴿فوجٌ﴾) أي جماعة من الكفرة (﴿سألهم خزنتها﴾) أي الملائكة الموكلون بها (﴿ألم يأتكم نذير﴾ أي) ألم يخوّفكم بهذا العذاب و (لم يسمعكم سنّة الله) التي قد خلت (في عباده وأنه ﴿توفى كل نفس ما كسبت﴾) من خير أو شر (وأن ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾) أي محبوسة وهو توبيخ وتبكيت (فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم ﴿قالوا﴾) حينئذ في جواب الخزنة (﴿لو كنا نسمع﴾) كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث اعتماداً على ما لاح من صدقهم بالمعجزات، (﴿أو نعقل﴾) فنفكر في حكمه ومعانيه فكر المستبصرين (﴿ما كنا في أصحاب السعير﴾) أي في عدادهم ومن جلتهم (﴿فاعترفوا بذنبهم﴾) حين لا ينفعهم الإعتراف اقراراً عن معرفة والمراد بالذنب الكفر (﴿فسحقاً لأصحاب السعير﴾) أي أسحقهم الله سحقاً أي أبعدهم من رحمة الله والتطلب للإيجاز والمبالغة.

(فإن قلت: فأين مظنة الرجاء وموضعه المحمود؟ فاعلم أنه محمود في موضعين.

أحدهما: في حق العاصي المنهمك) في المعاصي (إذا خطرت له التوبة فقال له الشيطان) موسوساً إليه في قلبه: (وأنى تقبل توبتك فيقنطه من رحمة الله، فيجب عند ذلك أن يقمع القنوط بالرجاء ويتذكر أن الله كريم) جواد، ومقتضى كرمه وجوده قبول توبته ويتذكر قوله

﴿أن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ [الزمر: ٥٣] وأن الله كريم يقبل التوبة عن عباده وأن التوبة طاعة تكفر الذنوب. قال الله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم وأنيبوا إلى ربكم﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤] أمرهم بالإنابة. وقال تعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ [طه: ٨٢] فإذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج، وإن توقع المغفرة مع الإصرار فهو مغرور، كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له أن يسعى إلى الجمعة فقال له الشيطان: إنك لا تدرك الجمعة فأقم على موضعك فكذب الشيطان ومرّ يعدو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج، وإن استمر على التجارة وأخذ يرجو تأخير الإمام للصلاة لأجله إلى وسط الوقت أو لأجل غيره أو لسبب من الأسباب التي لا يعرفها فهو مغرور.

الثاني: أن تفتر نفسه عن فضائل الأعمال ويقتصر على الفرائض فيرجى نفسه نعيم الله تعالى وما وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر بقوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون ★ الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ إلى قوله:

(تعالى ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) ويعفو عن السيئات﴾ (فإن التوبة طاعة تكفر الذنوب) وتمحوها. (قال تعالى: ﴿قُلْ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) أي بارتكاب المعاصي (لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾) وفي أرجى آية في كتاب الله. (وقال) تعالى: (﴿وأنيبوا إلى ربكم﴾ أمرهم بالإنابة) وهو الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة. (وقال) تعالى: (﴿وإني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾) وغير ذلك من الآيات الدالة على أن المغفرة منوطة بالتوبة. (فإذا توقع المغفرة مع التوبة فهو راج) وفعله رجاء، (وإن توقع المغفرة مع الإصرار) على الذنب (فهو مغرور كما أن من ضاق عليه وقت الجمعة وهو في السوق) مشغول في تجارته (فخطر له أن يسعى إلى الجمعة) رجاء أن يدرك الجمعة (فقال له الشيطان: لا تدرك الجمعة فأقم في موضعك فكذب الشيطان ومرَّ يعدو وهو يرجو أن يدرك الجمعة فهو راج، وإن استمر على التجارة وأخذ يرجو الإمام للصلاة لأجله إلى وسط الوقت أو لأجل غيره أو لسبب من الأسباب التي لا يعرفها فهو مغرور) في كل ذلك.

(الثاني: أن يفتر نفسه) أي يكسلها (عن فضائل الأعمال ويقتصر على الفرائض فيرجى نفسه نعم الله تعالى وما وعد به الصالحين) من صالح الجزاء (حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة فيقبل على الفضائل ويتذكر قوله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون ★ الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ إلى قوله: ﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها

﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ [المؤمنون : ١ ـ ١١] فالرجاء الأوّل يقمع القنوط المانع من التوبة، والرجاء الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر، فكل توقع حث على نوبة أو على تشمر في العبادة، فهو رجاء وكل رجاء أوجب فتوراً في العبادة وركوناً إلى البطالة فهو غرة، كما إذا خطر له أن يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان: ما لك ولايذاء نفسك وتعذيبها ولك رب كريم غفور رحيم؟ فيفتر بذلك عن التوبة والعبادة فهو غرة. وعند هذا واجب على العبد أن يستعمل الخوف فيخوّف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول: إنه مع أنه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وأنه مع أنه كريم خلد الكفار في النار أبد الآباد، مع أنه لم يضره كفرهم، بل سلط العذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على إزالتها، فمن هذه سنته في عباده وقد خوّفني عقابه فكيف لا أخافه وكيف أغتر به؟ فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمن وغرور. ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إعراضهم عن الله تعالى وإهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور، فقد

خالدون﴾ فالرجاء الأول يقمع القنوط المانع من التوبة، والرجاء الثاني يقمع القنوط من النشاط والتشمر) في الفضائل، **(وكل توقع حث على توبة أو على تشمر في العبادة فهو رجاء، وكل توقع أوجب فتوراً في العبادة وركوناً إلى البطالة فهو غرّة)** بالكسر، وبه يظهر الفرق بينهما أيضاً، كما إذا خطر له أن يترك الذنب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان موسوساً في قلبه: **(ما لك ولإيذاء نفسك وتعذيبها ولك رب غفور رحيم)** كريم فيغتر بذلك أي يكسله **(عن التوبة والعبادة فهي الغرة، وعند هذا يجب على العبد أن يستعمل العمل)** ويستمر عليه **(ويخوّف نفسه بغضب الله وعظيم عقابه ويقول: إنه)** جل وعز **(مع أنه غافر الذنب وقابل التوب)** يغفر ذنوب عباده ويقبل توبتهم **(شديد العقاب)** على من عصاه وخالفه وقد قرنها في سياق واحد لأجل التنبيه على ذلك، **(وأنه)** جل وعز **(مع انه كريم)** عفو **(خلّد الكفار في النار أبد الآباد مع أنه لم يضره كفرهم، بل سلط العذاب والمحن والأمراض والعلل والفقر والجوع)** والعري **(على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على إزالتها، فمن هذه سنته في عباده وقد خوّفني عقابه فكيف لا أخافه)** لئلا يصيبني ما أصابهم؟ **(وكيف أغتر به؟ فالخوف والرجاء قائدان وسائقان يبعثان الناس على العمل فما لا يبعث على العمل فهو تمن وغرور)** وبهذا كذلك يتضح الفرق بين الرجاء والتمني، **(ورجاء كافة الخلق هو سبب فتورهم)** وكسلهم عن الأعمال، **(وسبب إقبالهم على الدنيا وسبب إعراضهم عن الله عز وجل وإهمالهم السعي للآخرة فذلك غرور، وقد أخبر النبي ﷺ وذكر أن الغرور سيغلب على آخر**

أخبر ﷺ وذكر أن الغرور سيغلب على قلوب آخر هذه الأمة، وقد كان ما وعد به ﷺ، فقد كان الناس في الأعصار الأول يواظبون على العبادات ويؤتون ما أوتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون يخافون على أنفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على أنفسهم في الخلوات. وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير خائفين مع إكبابهم على المعاصي وإنهماكهم في الدنيا وإعراضهم عن الله تعالى زاعمين أنهم واثقون بكرم الله تعالى وفضله راجون لعفوه ومغفرته كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من فضله وكرمه ما لم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالحون، فإن كان هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهويني فعلى ماذا كان بكاء أولئك وخوفهم وحزنهم؟ وقد ذكرنا تحقيق هذه الأمور في كتاب الخوف والرجاء، وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه معقل بن يسار: «يأتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الأبدان أمرهم كله يكون طمعاً لا خوف معه، إن أحسن أحدهم قال: يتقبل مني، وإن أساء قال: يغفر لي»، فأخبر انهم

هذه الأمة)، وهو حديث أبي ثعلبة الخشني في إعجاب كل ذي رأي برأيه، وقد تقدم في آخر ذم الكبر والعجب. (**وقد كان ما وعد به ﷺ**) وتحقق وجدانه (**فقد كان الناس في الأعصار الأول يواظبون على العبادات**) مديمين عليها (**ويؤتون ما أتوا**) من الأعمال الصالحة (**وقلوبهم وجلة**) أي خائفة (**يخافون على أنفسهم**) من عدم القبول (**وهم طول الليل والنهار في طاعة الله يبالغون في التقوى والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على أنفسهم في الخلوات**) كما هو معروف من سيرتهم لمن طالع في تراجمهم وأخبارهم، (**وأما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين مطمئنين غير عارفين مع إكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا وإعراضهم عن الله**) عز وجل (**زاعمين أنهم واثقون بكرم الله وفضله وراجون لعفوه ومغفرته كأنهم يزعمون أنهم عرفوا من كرم الله وفضله ما لم يعرفه الأنبياء والصحابة والسلف الصالحون، فإن كان هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوينا**) أي بالمداوة والسهولة (**فعلى ماذا كان بكاء أولئك**) القوم (**وخوفهم وحزنهم؟ وقد ذكرنا تحقيق هذه الأمور في كتاب الخوف والرجاء**) ـ كما سيأتي إن شاء الله تعالى ـ (**وقد قال ﷺ فيما رواه معقل بن يسار**) المزني رضي الله عنه ممن بايع تحت الشجرة وكنيته أبو علي مات بعد الستين: (**«يأتي على الناس زمان يخلق**) أي يبلى (**فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق الثياب**) أي تبلى (**على الأبدان يكون أمرهم كله طمعاً لا خوف معه، إن أحسن أحدهم قال يتقبل مني، وإن أساء قال يغفر لي»**) قال العراقي: رواه الحارث بن أبي أسامة من طريق أبي نعيم بسند ضعيف. ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس نحوه بسند فيه جهالة.

يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه، ولمثله أخبر عن النصارى إذ قال تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا﴾ معناه أنهم ﴿ورثوا الكتاب﴾ [الأعراف: ١٦٩] أي هم علماء. و ﴿يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ أي شهواتهم من الدنيا حراماً كان أو حلالاً. وقد قال تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن: ٤٦] ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ [إبراهيم: ١٤]. والقرآن من أوّله إلى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمناً بما فيه وترى الناس يهذونه هذا. يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون على خفضها ورفعها ونصبها وكأنهم يقرأون شعراً من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بما فيه، وهل في العالم غرور يزيد على هذا؟ فهذه أمثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور، ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص إلا أن معاصيهم أكثر، وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم تترجح كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر، وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما

(فأخبر) ﷺ (أنهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن) وإنذارته (وما فيه، وبمثله أخبر) الله تعالى (عن النصارى إذا قال تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب﴾) أي تكلفوا دراسته وتلقفوه (﴿يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا﴾ ومعناه أنهم ﴿ورثوا الكتاب﴾ أي هم علماء) بما فيه (و﴿يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ أي شهواتهم من الدنيا حلالاً كان أو حراماً. وقد قال تعالى: ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾) اسم من الإيعاد وهو الوعد من العذاب (والقرآن من أوله إلى آخره تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه إن كان مؤمناً بما فيه) مصدقاً له. (وترى الناس يهذونه هذا) الهذ: سرعة القطع، وقد هذ قراءته هذاً إذا أسرع فيها (يخرجون الحروف من مخارجها ويناظرون على رفعها وخفضها ونصبها فكأنهم يقرأون شعراً من أشعار العرب لا يهمهم الإلتفات إلى معانيه والعمل بما فيه)، وقد روى أبو نعيم من حديث ابن عباس: «يأتي على الناس زمان يتعلمون فيه القرآن فيجمعون حروفه ويضيعون حدوده، ويل لهم مما جمعوا، وويل لهم مما ضيعوا إن أدنى الناس بهذا القرآن من جمعه ولم ير عليه أثره». (وهل في العالم غرور يزيد على هذا؟ فهذه أمثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين الرجاء والغرور، ويقرب منه غرور طوائف لهم طاعات ومعاص إلا أن معاصيهم أكثر وهم متوقعون المغفرة ويظنون أنه تترجح كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر، وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة من الحلال أو الحرام،

يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه، ولعل ما تصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحرام أو الحلال وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفاً وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله. نعم ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه، وإذا عمل طاعة حفظها واعتدّ بها كالذي يستغفر الله بلسانه أو يسبح الله في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد، ويكون نظره إلى عدد سبحته أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة، وقد كتبه الكرام الكاتبون وقد أوعده الله بالعقاب على كل كلمة فقال: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ [ق: ١٨] فهذا أبداً يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت إلى ما ورد من عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين يظهرون من الكلام ما لا يضمرونه إلى غير ذلك من آفات اللسان. وذلك محض الغرور.

ولعمري ولو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبون من هذيانه

ويكون ما يتناول من أموال المسلمين والشبهات أضعافه، ولعل ما تصدق به هو من أموال المسلمين وهو يتكل عليه، ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحلال أو الحرام وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الأخرى ألفاً وأراد أن يرفع الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله. نعم ومنهم من يظن أن طاعته أكثر من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه، وإذا عمل طاعة حفظها واعتدّ بها كالذي يستغفر الله بلسانه، أو يسبح الله تعالى في اليوم) والليلة **(مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم)** ويأكل لحومهم، **(ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار من غير حصر وعدد، ويكون نظره إلى عدد سجته أنه استغفر الله مائة مرة وغفل عن هذيانه)** وهو الكلام الذي لا فائدة فيه **(طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة أو ألف مرة، وقد كتبه الكرام الكاتبون)** وهم الحفظة من الملائكة، **(وقد أوعده الله تعالى العقاب على كل كلمة فقال: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾)** أي مراقب حاضر، **(فهو أبداً يتأمل في فضائل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت إلى ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين بذكر ما لا يضمرونه إلى غير ذلك من آفات اللسان وذلك محض الغرور. (ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ**

الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته، وما نطق به في فتراته كان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه أجرة نسخه. فيا عجباً لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفاً على قيراط يفوته في الأجرة على النسخ ولا يحتاط خوفاً من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه! ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن تفكر فيها فقد دفعنا إلى أمر إن شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين! فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن، وأنا نبرأ إلى الله أن نكون من أهل الكفران فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان، وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ولا يغتر به اتكالاً على أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى، والله أعلم.

بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف وهم أربعة أصناف:

الصنف الأول: أهل العلم، والمغترون منهم فرق:

ففرقة: أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها إشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإلزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله

لما يكتبونه من هذيانه **الذي زاد على تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه**) أي يمسكه (**حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فترته فكان يعده ويحسبه ويوازنه بتسبيحانه حتى لا يفضل عليه أجرة نسخة. فيا عجباً لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفاً على قيراط يفوته في الأجرة على النسخ ولا يحتاط خوفاً من فوت الفردوس الأعلى ونعيمه. ما هذا إلا مصيبة عظيمة لم تفكر فيها**) وتأمل حق التأمل، (**فقد دفعنا إلى أمر ام شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين** عياذاً بالله من ذلك، **وإن صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين، فما هذه أعمال من يصدق بما جاء به القرآن وإنا نبرأ إلى الله أن نكون من أهل الكفران**) والجحود، (**فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين مع هذا البيان**) الواضح البرهان، (**وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب أن يخشى ويتقي**) مقامه (**ولا يغتر به اتكالاً على أباطيل المنى و**) اعتماداً (**على تعاليل الشيطان والهوى، والله الموفق**).

بيان أصناف المغترين وأقسام فرق كل صنف:

(**وهم أربعة أصناف**).

(**الصنف الأول: أهل العلم، والمغترون منهم فرق**) كثيرة.

(**ففرقة منهم: احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها**) أي دخلوا في عمقها (**واشتغلوا بها**) ونسبوا إليها وقد كملوا في إتقان فنونها (**وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها**.

بمكان، وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغاً لا يعذب الله مثلهم، بل يقبل في الخلق شفاعتهم وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله وهم مغرورون، فإنهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علمان: علم معاملة وعلم مكاشفة، وهو العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة.

فأما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها، فهي علوم لا تراد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة، وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل. فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة لا يعرفها إلاَّ حذاق الأطباء فيسعى في طلب الطبيب بعد أن هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الأخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجتلب، وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وعجنه، فتعلم ذلك وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع إلى بيته وهو يكررها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها أفترى

عن المعاصي وإلزامها الطاعات) الإلهية **(واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم عند الله بمكان)** ومنزلة، **(وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغاً لا يعذب الله مثلهم)** ولا يؤاخذهم بما عملوا، **(بل يقبل في الخلق شفاعتهم وأنه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله)** وشرفهم لديه **(وهم)** في الحقيقة **(مغرورون، فإنهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علمان: علم معاملة وعلم مكشفة. وهو)** أي علم المكاشفة كما سبق في كتاب العلم **(العلم بالله وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة)**.

(فأما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس المذمومة) منها **(والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها، فهي علوم لا تراد إلا للعمل)** لا لذواتها **(ولولا الحاجة إلى العمل لم تكن لهذه العلوم قيمة)** ولا قدر، **(وكل علم)** لا **(يراد)** إلا **(للعمل فلا قيمة له دون العمل)** وتفهم ذلك بمثال. **(فمثال ذلك كمريض به علة لا يزيلها إلا دواء مركب من أخلاط كثيرة)** أي أجزاء مفردة **(لا يعرفها إلا حذّاق الأطباء)** ومهرتهم **(فسعى في طلب الطبيب بعد أن هاجر وطنه)** وفارق مألوفه **(حتى عثر على طبيب حاذق)** فشكا له حاله وذكر له العلة **(فعلمه الدواء)** لها **(وفصل لها الأخلاط)** التي يركب منها ذلك الدواء **(وأنواعها ومقاديرها)** وموازينها **(ومعادنها التي منها تجتلب)** تلك الأخلاط، **(وعلمه كيفية دق كل واحد منها وكيفية خلطه وعجنه. فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن)** مقبول **(ورجع إلى بيته وهو يكررها ويقرؤها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها. أفترى أن ذلك يغني** عنه **من مرضه شيئاً؟ هيهات!**

أن ذلك يغني عنه من مرضه شيئاً؟ هيهات هيهات! لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئاً إلا أن يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته، ويكون شربه في وقته وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه، وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه، فكيف إذا لم يشربه أصلاً؟ فمهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره.

وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها، وأحكم علم المعاصي ولم يجتنبها، وأحكم علم الأخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها، وأحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور إذ قال تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ [الشمس: ٩] ولم يقل أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان: لا يغرنك هذا المثال فإن العلم بالدواء لا يزيل المرض، وإنما مطلبك القرب من الله وثوابه، والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضل العلم، فإن كان المسكين معتوهاً مغروراً وافق ذلك مراده وهواه فاطمأن إليه وأهمل العمل، وإن كان كيساً فيقول للشيطان: أتذكرني فضائل العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل

لو كتب منه ألف نسخة وعلمه ألف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة ألف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئاً إلا أن يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه) مع بعضه بعد الدق (**كما تعلم**) من الطبيب (**ويشربه**) بالمقدار الذي ذكره له (**ويصبر على مرارته، ويكون شربه في وقته**) المناسب (**وبعد تقديم الإحتماء**) عن مناولة ما يضاده (**و**) تقديم (**جميع شروطه**) المعروفة، (**وإذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفائه**) هل يحصل له أم لا؟ (**فكيف إذا لم يشربه أصلاً؟ فمهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره**)، وقد أشار إليه المصنف في رسالته التي أرسلها لبعض معتقديه من تلامذته المسماة: برسالة أيها الولد ومثل فيها بمثال آخر فقال: أرأيت من كال الخمر بالقناطير أيكون بكيله سكراناً؟ هيهات! حتى يذوق منها قطرة. (**وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها، وأحكم علم المعاصي ولم يجتنبها، وأحكم علم الأخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها**) أي ما طهرها، (**وأحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور إذ قد قال تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها﴾**) أي طهّرها من الكفر والمعاصي والرذائل، (**ولم يقل قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علم ذلك وعلمه الناس، وعند هذا يقول له الشيطان: لا يغرنك هذا المثال، فإن العلم بالدواء لا يزيل المرض وإنما مطلبك القرب من الله تعالى وثوابه، والعلم يجلب الثواب**) كيفما كان ويقرب إلى الله (**ويتلو عليه الأخبار الواردة في فضائل العلم**) مما تقدم ذكرها في أوّل كتاب العلم، (**فإن كان المسكين معتوهاً مغروراً وافق ذلك مراده وهواه واطمأن إليه وأهمل العمل**) رأساً (**وإن كان كيّساً**) فطناً حاذقاً (**فيقول للشيطان: أتذكرني فضائل**

بعلمه كقوله تعالى: ﴿فمثله كمثل الكلب﴾ [الأعراف: ١٧٦] وكقوله تعالى: ﴿مَثَل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ [الجمعة: ٥] فأي خزي أعظم من التمثيل بالكلب والحمار؟ وقد قال ﷺ: «من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بُعداً﴾، وقال أيضاً: «يلقي العالم في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى» وكقوله عليه الصلاة والسلام: «شر الناس العلماء السوء». وقول أبي الدرداء: ويل للذي لا يعلم مرة لو شاء الله لعلمه، وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات، أي أن العلم حجة عليه إذ يقال له: ماذا عملت فيما علمت، وكيف قضيت شكر الله؟ وقال ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه». فهذا

العلم وتنبيهي ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله عز وجل: ﴿فمثله كمثل الكلب﴾) إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ وهو بلعم بن باعوراء كان أوتي بعض علم الآيات فلما لم يعمل به وركن إلى شهوات الدنيا مقته الله تعالى وضرب له المثل المذكور كما تقدم. (**وكقوله**) تعالى: (**﴿مثل الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها**) أي لم يعملوا بما فيها (**﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ فأي خزي أعظم من التمثيل بالكلب والحمار**) وهما من أخس خلق الله تعالى؟ (**وقد قال ﷺ: «من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً»**) رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بلفظ: ولم يزدد في الدنيا زهداً وقد تقدم في كتاب العلم. (**وقال**) ﷺ: (**«يلقى العالم في النار فتندلق أقتابه**) أي مصارينه (**فيدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحا»**) رواه ابن النجار من حديث أبي أمامة بلفظ: «يؤتى بعلماء السوء يوم القيامة فيقذفون في نار جهنم فيدور أحدهم في جهنم بعقبة كما يدور الحمار بالرحا. فيقال له: ويلك بك اهتدينا فما بالك؟ قال: فإني كنت أخالف ما كنت أنهاكم عنه». وعند الشيخين من حديث أسامة بن زيد: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه» الحديث. ورواه أبو نعيم في الحلية بلفظ: «يجاء بالأمير يوم القيامة فيلقى في النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار بطاحونته» الحديث وكل ذلك قد تقدم مراراً، (**وكقوله**) ﷺ: (**«شر الناس العلماء السوء»**) تقدم في كتاب العلم. (**وقول أبي الدرداء**) رضي الله عنه: (**ويل للذي لا يعلم مرة ولو شاء الله لعلمه، وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات**) رواه أبو نعيم، عن محمد بن أحمد ابن الحسن، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، عن جعفر بن محمد بن برقان، عن ميمون بن مهران قال: قال أبو الدرداء فذكره، وروي مثله من قول ابن مسعود كذلك. رواه أبو نعيم من طريق معاوية بن صالح عن عدي بن عدى قال: قال ابن مسعود فذكره، وقد تقدم في كتاب العلم. (**أي أن العلم حجة عليه إذ يقال له: ماذا عملت، وكيف قضيت شكر الله؟ وقال ﷺ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه»**) رواه الطبراني في

وأمثاله مما أوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى، إلا أن هذا فيما لا يوافق هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه إلى ما يهواه، وذلك عين الغرور فإنه إن نظر بالبصيرة فمثاله ما ذكرناه، وإن نظر بعين الإيمان فالذي أخبره بفضيلة العلم هو الذي أخبره بذم العلماء السوء وأن حالهم عند الله أشد من حال الجهال. فبعد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور.

وأما الذي يدعي علوم المكاشفة: كالعلم بالله وبصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العلم ويضيع أمر الله وحدوده فغروره أشد، ومثاله مثال من أراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما يرضى به، أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعليه وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون، فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخاً بجميع ما يكرهه الملك عاطلاً عن جميع ما يحبه متوسلاً إليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وصورته وشكله وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته، فهذا مغرور جداً إذ لو ترك

الصغير، وابن عدي، والبيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ: «لم ينفعه علمه» وقد تقدم في كتاب العلم. (**فهذا وأمثاله مما أوردناه في كتاب العلم في باب علامة علماء الآخرة أكثر من أن يحصى إلا أن هذا مما لا يوافق هوى العالم الفاجر**) فلا يرفع له رأساً (**وما وردفي فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه إلى ما يهواه وذلك عين الغرور، فإنه ان نظر بالبصيرة**) الباطنة (**فمثاله ما ذكرناه، وإن نظر بعين الإيمان فالذي أخبره بفضيلة العلم هو الذي أخبره بذم العلماء السوء وأن حالهم أشد عند الله من حال الجهال، فبعد ذلك اعتقاده أنه على خير مع تأكد حجة الله عليه غاية الغرور**).

(**وأما الذي يدعي علوم المكاشفة**) وأنه بأزائها (**كالعلم بالله وصفاته وأسمائه وهو مع ذلك يهمل العلم**) ويتركه (**ويضيع أمر الله وحدوده فغروره أشد، ومثاله: من أراد خدمة ملك**) من الملوك (**فعرف الملك وعرف أخلاقه وأوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه ويكـرهه وما يغضب عليه وما يرضى به، أو عرف ذلك إلا أنه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعليه وعاطل عن جيمع ما يحبه من زي وهيئة وكلام وحركة وسكون، فورد على الملك وهو يريد القرب منه والإختصاص به**) حالة كونه (**متلطخاً بجميع ما يكرهه الملك**) ويغضب عليه (**عاطلاً عن جميع ما يحبه**) ويميل إليه (**متوسلاً إليه بمعرفته له وبنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته وعادته في سياسة**

جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يكرهه ويحبه لكان ذلك أقرب إلى نيله المراد عن قربه والاختصاص به، بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه لم ينكشف له من معرفة الله إلا الأسامي دون المعاني، إذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه. فلا يتصوّر أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: خفني كما تخاف السبع الضاري. نعم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الأسد، فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين ولا يبالي ويعلم أنه مسخر في قدرة من لو أهلك مثله آلافاً مؤلفة وأبدّ عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثراً ولم تأخذه عليه رقة ولا اعتراه عليه جزع، ولذلك قال تعالى: ﴿إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] وفاتحة الزبور: « رأس الحكمة خشية الله ». وقال ابن مسعود: كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله

غلمانه ومعاملة رعيته، فهذا مغرور جداً إذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته فقط ومعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك أقرب لنيله المراد من قربه والإختصاص به، بل تقصيره في التقوى واتباعه للشهوات يدل على أنه لم ينكشف له من معرفة الله إلا الأسامي دون المعاني إذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه) وآثر محبته على ما يهواه، **(فلا يتصوّر أن يعرف الأسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه وقد أوحى الله إلى داود عليه السلام: خفني كما تخاف السبع الضاري. نعم من يعرف من الأسد لونه وشكله واسمه قد يخافه وكأنه ما عرف الأسد فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته أنه يهلك العالمين)** بأسرهم **(ولا يبالي ويعلم أنه مسخر في قدرة من لو أهلك مثله آلافاً مؤلفة وأبدّ عليهم العذاب أبد الآباد لم يؤثر ذلك فيه أثراً ولم تأخذه عليه رأفه ولا اعتراه عليه جزع، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾)** وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم. **(وفاتحة الزبور: رأس الحكمة خشية الله)** هكذا رواه صاحب الحلية عن وهب بن منبه، والمراد بالحكمة هنا العلم بأحوال الموجودات على ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية أي أصلها وأسها الخوف منه، لأن الحكمة تمنع النفس عن المنهيات والشهوات والشبهات، ولا يحمل على العمل بها إلا الخوف منه تعالى فيحاسب نفسه على كل خطرة ونظرة ولذة، ولأن الخشية تدعوه إلى الزهد في الدنيا وهو من آكد أسباب النجاة.

وأخرج الحكيم في النوادر، وابن لال في مكارم الأخلاق، ومن طريق الديلمي من طريق الحسن ابن عمارة عن عبد الرحمن بن عابس بن ربيعة عن أبيه عن ابن مسعود مرفوعاً: رأس الحكمة مخافة الله. والحسن بن عمارة ضعيف.

ورواه البيهقي من طريق الثورى عن ابن عباس ووقفه ولفظه: أنه كان يقول في خطبته: خير

جهلاً. واستفتي الحسن عن مسألة فأجاب فقيل له: إن فقهاءنا لا يقولون ذلك. فقال: وهل رأيت فقيهاً قط؟ الفقيه القائم ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا. وقال مرة: الفقيه لا يداري ولا يماري ينشر حكمة الله فإن قبلت منه حمد الله، وإن ردت عليه حمد الله، فإذاً الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه وهو العالم: «ومن يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين» وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين.

وفرقة أخرى: أحكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي

الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل، وأعاده مقتصراً على الجملة الأخيرة، ثم ساقه من جهة بقية حدثنا عثمان بن زخر، عن أبي عمار الهذلي عنه مرفوعاً وضعفه.

ورواه الطبراني، والقضاعي من حديث سعيدة ابنة حكامة عن أمها عن أبيها عن مالك بن دينار عن أنس رفعه: «خشية الله رأس كل حكمة والورع سيد العمل».

وروى البيهقي في الدلائل، والعسكري في الأمثال، والديلمي من طريق عبد الله بن مصعب بن منظور بن جميل بن سنان عن أبيه عن عقبة بن عامر قال: خرجنا في غزوة تبوك فذكر حديثاً طويلاً فيه قول النبي ﷺ أما بعد: «فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله».

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(كفى بخشية الله علماً وكفى بالإغترار بالله جهلاً)**. وروى البيهقي في الشعب عن مسروق مرسلاً: كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بنفسه. ورواه أبو نعيم عنه عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «كفى بالمرء فقهاً إذا عبد الله، وكفى بالمرء جهلاً إذا أعجب برأيه». **(واستُفتي الحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(عن مسألة فأجاب)** عنها. **(فقيل له: إن فقهاءنا لا يقولون ذلك. فقال: وهل رأيت فقيهاً قط؟ الفقيه القائم لله ليله الصائم نهاره الزاهد في الدنيا)** نقله صاحب القوت وقد تقدم في كتاب العلم. **(وقال مرة: الفقيه يداري ولا يماري)** أي لا يخاصم **(ينشر حكمة الله فإن قبلت منه حمد الله، وإن ردت عليه حمد الله، فإذاً الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيه وعلم من صفاته ما أحبه وما كرهه)** فائتمر بأوامره وانتهى بنواهيه وأحب ما أحبه وكره ما أبغضه. **(وهذا العالم الذي)** ورد **(فيه)** قول النبي ﷺ: **(«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»)** رواه أحمد والشيخان وابن حبان من حديث معاوية. ورواه أحمد والدارمي والترمذي وقال: حسن صحيح من حديث ابن عباس. وروى الطبراني في الأوسط من حديث عمر ومن حديث أبي هريرة وقد تقدم الكلام عليه في كتاب العلم. **(وإذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين)**.

(وفرقة أخرى) منهم: **(أحكموا العلم والعمل فواظبوا على الطاعات الظاهرة**

إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرئاسة والعلاء وإرادة السوء للاقران والنظراء وطلب الشهرة في البلاد والعباد، وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير متحرز عنها ولا يلتفت إلى قوله ﷺ: «أدنى الرياء شرك». وإلى قوله عليه السلام: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر» وإلى قوله عليه الصلاة والسلام: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». وإلى قوله عليه الصلاة والسلام: «حب الشرف والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل» إلى غير ذلك من الأخبار التي أوردناها في جميع ربع المهلكات في الأخلاق المذمومة. فهؤلاء زينوا ظواهرهم وأهملوا بواطنهم ونسوا قوله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»

وتركوا المعاصي إلا أنهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله من الكبر والحسد والرياء وطلب الرئاسة والعلاء، وإرادة السوء للأقران والنظراء، وطلب الشهرة في البلاد والعباد، وربما لم يعرف بعضهم أن ذلك مذموم فهو مكب عليها غير محترز عنها ولا يلتفت إلى قوله ﷺ: «أدنى الرياء شرك») رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية، والحاكم من حديث معاذ وابن عمرو معاً بلفظ: «إن أدنى الرياء شرك وأحب العبيد إلى الله الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا شهدوا لم يعرفوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح الظلم» وقد تقدم في كتاب ذم الجاه والرياء. (**وإلى قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر»**) رواه مسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم مراراً. (**وإلى قوله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»**) رواه أبو داود من حديث أبي هريرة. وقال البخاري: لا يصح. ورواه ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف. ورواه الخطيب في التاريخ بإسناد حسن وقد تقدم في كتاب العلم. (**وإلى قوله ﷺ: «حب الشرف والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»**) رواه أبو نعيم. ومن طريق الديلمي من حديث أبي هريرة بلفظ: «حب الغنى ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب». ورواه الديلمي من طريق سلمة بن علي عن عمر مولى غفرة عن أنس بلفظ: «الغنى واللهو ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب» الحديث. وروى البيهقي من حديث جابر: «الغنى ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع». ورواه هكذا ابن أبي الدنيا في ذم الملاهي، وانبيهقي أيضاً من حديث ابن مسعود، ولكن بلفظ «البقل» بدل «الزرع» وكل ذلك قد تقدم في كتاب الوجد والسماع، وفي كتاب ذم الجاه. (**إلى غير ذلك من الأخبار التي أوردناها في جميع ربع المهلكات في الأخلاق المذمومة، فهؤلاء زينوا ظواهرهم وأهملوا بواطنهم ونسوا قوله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**) رواه أحمد، ومسلم، وابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ «أن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم

فتعهدوا الأعمال وما تعهدوا القلوب ـ والقلب هو الأصل ـ إذ لا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم. ومثال هؤلاء كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن، أو كقبور الموتى ظاهرها مزين وباطنها جيفة، أو كبيت مظلم باطنه وضع سراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم، أو كرجل قصد الملك ضيافته إلى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر داره، ولا يخفى أن ذلك غرور، بل أقرب مثال إليه رجل زرع زرعاً فنبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من أصله فأخذ يجز رؤوسه وأطرافه فلا تزال تقوى أصوله فتنبت لأن مغارس المعاصي هي الأخلاق الذميمة في القلب، فمن لا يطهر القلب منها لا تتم له الطاعات الظاهرة إلا مع الآفات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد أمر بالطلاء وشرب الدواء، فالطلاء ليزيل ما على ظاهره والدواء ليقطع مادته من باطنه، فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما

وأعمالكم». ورواه أيضاً أبو بكر الشافعي في الغيلانيات، وابن عساكر من حديث أبي امامة. ورواه هناد عن الحسن مرسلاً، وعند الطبراني من حديث أبي مالك الأشعري «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أحسابكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه». ورواه الحكيم عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً نحوه. (**فتعهدوا الأعمال ولم يتعهدوا القلوب ـ والقلب هو الأصل ـ إذ لا ينجو**) غداً يوم القيامة (**إلا من أتى الله بقلب سليم**) أي سالم عن الغش والكدر. (**ومثال هؤلاء كبئر الحش**) كذا في النسخ، وفي بعضها كبيت الحش وهو الصواب والحش بالضم ويفتح بستان النخل. قال أبو حاتم: قولهم بيت الحش مجاز لأن العرب كانوا يقضون حوائجهم في البساتين، فلما اتخذوا الكنف وجعلوها خلفاً عنها أطلقوا عليها ذلك الاسم. (**ظاهرها جص**) أي مبيض به (**وباطنها نتن، أو كقبور الموتى ظاهرها مزين**) بالعمارة (**وباطنها جيف، أو كبيت مظلم باطنه وضع السراج على سطحه فاستنار ظاهره وباطنه مظلم**) وهذه الأمثلة الثلاثة في العلماء السوء لسيدنا عيسى عليه السلام نقله صاحب القوت، وتقدم بعضها في كتاب العلم وبعضها في كتاب ذم الدنيا، (**أو كرجل قصد الملك ضيافته إلى داره فجصص باب داره وترك المزابل في صدر داره، ولا يخفى أن ذلك غرور بل أقرب مثال إليه رجل زرع زرعاً فنبت ونبت معه حشيش يفسده فأمر بتنقية الزرع عن الحشيش**) المذكور (**بقلعه من أصله، فأخذ يجز رؤوسه**) أي يقطعها (**وأطرافه**) المتشعبة (**فلا يزال يقوى أصله وينبت**) وإنما كان هذا أقرب مثال إليه، (**لأن مغارس المعاصي هي الأخلاق المذمومة في القلب، فمن لا يطهر القلب منها لا تتم له الطاعات الظاهرة إلا مع الآفات الكثيرة، بل هو كمريض ظهر به الجرب**) والحكة (**وقد أمر بالطلاء**) عليه من ظاهر البدن (**وشرب الدواء**) من الباطن، (**فالطلاء يزيل ما على ظاهره والدواء يقلع مادّته من باطنه فيقنع بالطلاء ويترك الدواء، وبقي يتناول ما يزيد في**

يزيد في المادة، فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم به يتفجر من المادة التي في الباطن.

وفرقة أخرى: علموا أن هذه الأخلاق الباطنة مذمومة من جهة الشرع إلا أنهم لعجبهم بأنفسهم يظنون أنهم منفكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك وإنما يبتلي به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم، فأما هم فأعظم عند الله من أن يبتليهم، ثم إذا ظهر عليهم مخايل الكبر والرئاسة وطلب العلو والشرف قالوا: ما هذا كبر وإنما هو طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرغام أنف المخالفين من المبتدعين! وإني لو لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس لشمت بي أعداء الدين وفرحوا بذلك وكان ذلي ذلاً على الإسلام. ونسي المغرور أن عدوه الذي حذره منه مولاه هو الشيطان وأنه يفرح بما يفعله ويسخر به، وينسى أن النبي ﷺ بماذا نصر الدين وبماذا أرغم الكافرين؟ ونسي ما روي عن الصحابة من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة، حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاذة زيه عند قدومه إلى الشام فقال: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في غيره، ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والد يبقي والإبريسم ـ المحرم ـ والخيول والمراكب ويزعم انه يطلب

المادة) من داخل **(فلا يزال يطلى الظاهر)** فلا ينفعه **(والجرب به دائم يتفجر عن المادة التي في الباطن.**

وفرقة أخرى: علموا هذه الأخلاق الباطنة وعلموا أنها مذمومة من جهة الشرع إلا أنهم لعجبهم بأنفسهم يظنون أنهم منفكون عنها وانهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك، وإنما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم، فأما هو فأعظم عند الله من أن يبتليه) وهذا من ثمرات العجب، (ثم إذا ظهر عليه مخايل الكبر والرئاسة وطلب العلوّ والشرف قال: ما هذا كبر وإنما هذا طلب عز الدين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرغام أنف المخالفين من المبتدعين) والحاسدين! **(فإني لو لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس شمت بي اعداء الدين وفرحوا بذلك)** ولو باطناً **(وكان ذلى ذلاً على الإسلام، ونسي المغرور أن عدوّه الذي حذره منه مولاه)** وذلك العدوّ هو **(الشيطان وأنه)** من شأنه أنه **(يفرح بما يفعله ويسخر به، وينسى أن النبي ﷺ بماذا نصر الدين وبم أرغم الكافرين، وينسى ما روي عن الصحابة)** رضوان الله عليهم **(من التواضع والتبذل والقناعة بالفقر والمسكنة، حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاذة زيه)** أي رثاثة هيئته **(عند قدومه الشام فقال: إنا قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب العز في غيره)**. رواه الأعمش عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب وقد تقدم **(ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرقيقة من القصب والديبقي والإبريسم ـ المحرم ـ والخيول)** المسوّمة **(والمراكب)** الفاخرة **(ويزعم**

به عز العلم وشرف الدين، وكذلك مهما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن رد عليه شيئاً من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال: إنما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عدوانه وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد أنه لو طعن في غيره من أهل العلم أو منع غيره من رئاسة وزوحم فيها هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الآن؟ فيكون غضبه لله أم لا يغضب مهما طعن عالم آخر ومنع؟ بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من حيث باطنه، وهكذا يرائي بأعماله وعلومه، وإذا خطر له خاطر الرياء قال: هيهات إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا إلى دين الله تعالى فيتخلصوا من عقاب الله تعالى، ولا يتأمل المغرور أنه ليس يفرح باقتداء الخلق بغيره كما يفرح باقتدائهم به، فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم، فإنه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر، وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضاً ويقول: إنما ذلك لأنه إذا اهتدوا بي كان الأجر لي والثواب لي فإنما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق. قولي هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره على انه لو أخبره نبي بأن ثوابه في الخمول وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الإظهار، وحبس مع ذلك في سجن وقيد

أنه يطلب عز العلم وشرف الدين) هيهات! لا يكون غير العلم وشرف الدين بهذا، **(وكذلك مهما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه)** ونظرائه **(أو فيمن ردّ عليه شيئاً من كلامه لم يظن بنفسه أن ذلك حسد ولكن قال: إنما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه ولم يظن بنفسه الحسد حتى يعتقد أنه لو طعن في غيره من أهل العلم أو منع غيره من رئاسته وزوحم فيها هل كان غضبه وعدواته مثل غضبه الآن؟ فيكون غضبه لله أم لا يغضب مهما طعن في عالم آخر ومنع؟ بل ربما يفرح به فيكون غضبه لنفسه وحسده لأقرانه من حيث باطنه، وهكذا يرائي بأعماله وعلومه، فإذا خطر له خاطر الرياء قال: هيهات إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي)** فيهما **(ليهتدوا إلى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتأمل المغرور انه ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح هو باقتدائهم به، فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد من كان)**، وهذا **(كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم فإنه لا يفرق بين أن يحصل شفاؤهم على يده أو على يد طبيب آخر، وربما يذكر هذا له فلا يخليه الشيطان أيضاً ويقول: إنما ذلك لأنهم إذا اهتدوا بي كان الأجر لي والثواب لي، فإنما فرحي بثواب الله لا بقبول الخلق قولي هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع من ضميره)** أي باطنه **(على أنه لو أخبره نبي بأن ثوابه في الخمول وإخفاء العلم أكثر من ثوابه في الإظهار، وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل)** والأغلال **(لاحتال في هدم السجن**

بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع إلى موضعه الذي به تظهر رئاسته من تدريس أو وعظ أو غيره. وكذلك يدخل على السلطان ويتودد إليه ويثني عليه ويتواضع له، وإذا خطر له أن التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان: هيهات إنما ذلك عند الطمع في مالهم، فأنت أنت فغرضك أن تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك، والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفعه في كل مسلم حتى دفع الضرر في جميع المسلمين ثقل ذلك عليه، ولو قدر على أن يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل، وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم إلى أن يأخذ من مالهم وإذا خطر له أنه حرام قال له الشيطان: هذا مال لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وأنت إمام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين، أفلا يحل لك أن تأخذ قدر حاجتك؟

فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة أمور:

أحدها: في أنه مال لا مالك له فإنه يعرف أنه يأخذ الخراج من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم أحياء، وغاية الأمر وقوع الخلط في أموالهم، ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخلطها فلا خلاف في أنه مال حرام،

وحل السلاسل حتى يرجع إلى موضعه الذي تظهر به رئاسة من تدريس أو وعظ أو غيره، وكذلك يدخل على السلطان ويتودّد إليه ويثني عليه ويتواضع له، فإذا خطر له أن التواضع للسلاطين الظلمة حرام) وأن من تواضع لهم صار له كذا وكذا **(قال له الشيطان: هيهات! إنما ذلك عند الطمع في مالهم، فأما أنت فغرضك أن تتشفع للمسلمين فتدفع الضرر عنهم وتدفع شر أعدائك عن نفسك، والله يعلم من باطنه أنه لو ظهر لبعض أقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار بشفعه)** أي يقبل شفاعته **(في كل مسلم حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه، فلو قدر أن يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب عليه لفعل، وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم إلى أن يأخذ من ماله، وإذا خطر له حرام قال له الشيطان: هذا مال لا مالك له معين وهو لمصالح المسلمين، وأنت إمام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين فلا يحل لك أن تترك قدر حاجتك)** وفي نسخة: أفلا يحل لك أن تأخذ قدر حاجتك، **(فيغتر بهذا التلبيس في ثلاثة أمور)**.

(أحدها: أنه مال لا مالك له فإنه يعرف أنه يأخذ الخراج من المسلمين وأهل السواد والذين أخذ منهم أحياء وأولادهم وورثتهم احياء، وغاية الأمر وقوع الخلط في أموالهم. ومن غصب مائة دينار من عشرة أنفس وخلطها فلا خلاف في أنه مال حرام، ولا يقال هو

ولا يقال هو مال لا مالك له. ويجب أن يقسم بين العشرة ويرد إلى كل واحد عشرة. وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر.

الثاني والثالث: في قوله: إنك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والإقبال على الرئاسة والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها وأقبلوا على الله، فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا إمام الدين، إذ الإمام هو الذي يقتدي به في الاعراض عن الدنيا والإقبال على الله كالأنبياء عليهم السلام والصحابة وعلماء السلف، والدجال هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله والإقبال على الدنيا، فلعل موت هذا أنفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين، ومثله كما قال المسيح عليه السلام: للعالم السوء: إنه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع. وأصناف غرور أهل العلم في هذه الإعصار المتأخرة خارجة عن الحصر، وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير.

وفرقة أخرى: أحكموا العلم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظواهر

مال لا مالك له. ويجب أن يقسم بين العشرة ويرد إلى كل واحد عشرة. وإن كان مال كل واحد قد اختلط بالآخر.

الثاني والثالث في قوله: إنك من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا) أخذ (أموال السلاطين ورغبوا في طلب الدنيا والإقبال على الرئاسة **والإعراض عن الآخرة بسببه أكثر من الذين** زهدوا في الدنيا ورفضوها **وأقبلوا على الله، فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا إمام الدين، إذ الإمام هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الدنيا والاقبال على الله كالأنبياء**) عليهم السلام، (**والصحابة**) رضي الله عنهم، (**وعلماء السلف. والدجال هو الذي يقتدى به في الإعراض عن الله والإقبال على الدنيا، فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم أنه قوام الدين، ومثله كما قال عيسى** عليه السلام **للعالم السوء: إنه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع**) نقله صاحب القوت وقد تقدم في كتاب العلم. (**وأصناف غرور أهل العلم في هذه الأعصار المتأخرة خارجة عن الحصر وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير**).

(**وفرقة منهم: أحكموا العلم وطهرواالجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا**) وفي

المعاصي وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والحقد والكبر وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم في التبرىء منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية، ولكنهم بعد مغرورون إذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكائد الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا لها وأهملوها، وإنما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش رآه فقلعه، إلا أنه لم يفتش على ما لم يخرج رأسه بعد من تحت الأرض وظن أن الكل قد ظهر وبرز، وكان قد نبت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فأهملها وهو يظن أنه قد قلعها، فإذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت وأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدري، فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدفائن فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين ألفاظها وجمع التصانيف فيها وهو يرى أن باعثه الحرص على إظهار دين الله ونشر شريعته، ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار الصيت في الأطراف، وكثرة الرحلة إليه من الآفاق وانطلاق الألسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم له في المهمات وإيثاره في الأغراض، والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الإصغاء عند حسن اللفظ والإيراد والتمتع بتحريك الرؤوس

نسخة: تركوا (**المعاصي**) الظاهرة (**وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب العلوّ، وجاهدوا أنفسهم في التبرىء منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية**) أي الظاهرة (**القوية، ولكنهم بعد مغرورون إذ بقيت في زوايا القلب من خفايا مكائد الشيطان وخبايا خداع النفس مادق**) منها (**وغمض مدركه**) ولم يتبين سره، (**فلم يفطنوا لها**) لدقتها وغموضها، (**وأهملوها، وإنما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش رآه**) مضراً للزرع (**فقنعه، إلاّ أنه لم يفتش عما يخرج رأسه بعد من تحت الأرض فظن أن الكل قد ظهر وبرز، وكان قد نبتت من أصول الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فأهملها**) ولم يلتفت إليها (**وهو يظن أنه قد قلعها**) واستأصلها، (**فإذا هو بها في غفلته وقد نبتت وقويت فأفسدت أصول الزرع من حيث لا يدري**) ولا يشعر بها، (**فكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن المراقبة للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره في جميع العلوم وترتيبها وتحسين ألفاظها**) وتركيب معانيها (**وجمع التصانيف فيها**، وهو يرى أن باعثه **الحرص على إظهار دين الله ونشر شريعته، ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر**) بين الناس (**وانتشار الصيت في الأطراف وكثرة الرحلة إليه من الآفاق وإطلاق الألسنة عليه بالثناء والمدح بالزهد والورع والعلم والتقديم في المهمات وايثاره في الاغراض، والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ**

إلى كلامه والبكاء عليه، والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والاتباع والمستفيدين، والسرور بالتخصيص بهذه الخاصية من بين سائر الأقران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من إطلاق لسان الطعن في الكافة المقبلين على الدنيا، لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن إدلال بالتمييز واعتداد بالتخصيص؛ ولعل هذا المسكين المغرور حياته في الباطن بما انتظم له من أمر وإمارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء، فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فعساه يتشوّش عليه قلبه وتختلط أوراده ووظائفه. وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه وربما يحتاج إلى أن يكذب في تغطية عيبه، وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع، وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره وينبو قلبه عمن عرف حدّ فضله وورعه، وإن كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثره لتقدمه في الفضل والورع، وإنما ذلك لأنه أطوع له وأتبع لمراده وأكثر ثناء عليه وأشد إصغاء إليه وأحرص على خدمته، ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن أن قبولهم له لإخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من

بحسن الإصغاء عند حسن اللفظ والإيراد) لكلامه **(والتمتع بتحريك الرؤوس)** والتمايل يميناً وشمالاً **(على كلامه)** حين يورده **(والبكاء عليه، والتعجب منه والفرح بكثرة الأصحاب والأتباع والمستفدين، والسرور بالتخصيص بهذه الخاصة من بين سائر الأقران والأشكال للجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد والتمكن به من إطلاق لسان الطعن في كافة المقبلين على الدنيا)** المعرضين عن الله تعالى **(لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن إدلال بالتمييز واعتداد بالتخصيص، ولعل هذا المسكين المغرور حياته في الباطن بما انتظم له من أمر وإمارة وعز وانقياد وتوقير وحسن ثناء)** وطيب ذكر، **(فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من أعماله فعساه يتشوّش عليه قلبه)** ويتكدر بذلك خاطره **(وتختلط أوراده ووظائفه. وعساه يعتذر بكل حيلة لنفسه)** يبديها **(وربما يحتاج إلى تكذب)** أي تكلف في الكذب **(في تغطية عيبه، وعساه يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع، وإن كان قد اعتقد فيه فوق قدره)** الذي هو فيه **(وينبو قلبه عمن عرف حدّ فضله وورعه، وإن كان ذلك على وفق حاله)** ومساوياً لقدره. **(وعساه يؤثر بعض أصحابه على بعض وهو يرى أنه يؤثر لتقدمه في الفضل والورع، وإنما ذلك لأنه أطوع واتبع لمراده)** أي أكثر طوعاً وتبعاً لهوى نفسه **(وأكثر ثناء عليه)** عند الناس **(وأشد إصغاء لديه)** إذا تكلم **(وأحرص على خدمته، ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن أن قبولهم له لإخلاصه وصدقه وقيامه بحق علمه فيحمد الله تعالى على ما**

منافع خلقه ويرى أن ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه. وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في إيثاره الخمول والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة والاختفاء لذة القبول وعزة الرئاسة. ولعل مثل هذا هو المراد بقوله: الشيطان من زعم من بني آدم انه يعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبائلي وعساه يصنف ويجتهد فيه ظاناً أنه يجمع علم الله لينتفع به، وإنما يريد به استطارة اسمه بحسن التصنيف، فلو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه إلى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف إنما يرجع إلى المصنف، والله يعلم بأنه هو المصنف لا من ادعاه، ولعله في تصنيفه لا يخلو من الثناء على نفسه إما صريحاً بالدعاوى الطويلة العريضة، وإما ضمناً بالطعن في غيره ليستبين من طعنه في غيره أنه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علماً، ولقد كان في غنية عن الطعن فيه، ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزيه إلى قائله، وما يستحسنه فلعله لا يعزيه إليه ليظن أنه من كلامه، فينقله بعينه كالسارق له أو يغيره أدنى تغيير كالذي يسرق قميصاً فيتخذه قباء حتى لا يعرف أنه مسروق، ولعله يجتهد في تزيين ألفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه كيلا ينسب إلى الركاكة ويرى أن غرضه

يسر على لسانه) أي سهله **(من منافع خلقه، ويرى أن ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد مع نفسه تصحيح النية فيه. وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في إيثار الخمول والعزلة وإخفاء العلم لم يرغب فيه لفقده في العزلة والاختفاء لذة القبول وعزة الرئاسة، ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بني آدم أنه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبائلي)** أي إشراكي. **(وعساه يصنف ويجتهد فيه)** أي في تصنيفه **(ظاناً أنه يجمع علم الله لينتفع به، وإنما مراده استطارة اسمه بحسن التصنيف، فلو ادعى أحد تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه إلى نفسه ثقل ذلك عليه)** وقامت قيامته وشكاه بكل لسان كما وقع ذلك لبعض العلماء، **(مع أن علمه بأن ثواب الاستفادة من التصنيف)** وأجر الانتفاع به **(إنما يرجع للمصنف، والله يعلم بأنه هو المصنف لا من ادعاه. ولعله في تصنيفه لا يخلوم من الثناء على نفسه إما صريحاً بالدعاوى الطويلة العريضة وإما ضمناً بالطعن في غيره)** من معاصريه أو ممن تقدم عليه، **(ليستبين من طعنه في غيره أنه أفضل ممن طعن فيه وأعظم منه علماً)** وأغزر منه فهماً، **(ولقد كان في غنيــة من الطعن فيه، ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه)** أي توهينه **(فيعزيه)** أي ينسبه **(إلى قائله)** ليحط بذلك عن مقامه، **(وما يستحسنه فلعله لا يعزيه إليه ليظن أنه من كلامه)** فيرتفع قدره **(فينقله بعينه كالسارق له أو يغيره أدنى تغيير)** إما بقلب الألفاظ أو تقديم أو تأخير أو اختصار **(كالذي يسرق قميصاً فيتخذه قباء حتى لا يعرف أنه مسروق، ولعله يجتهد في تزيين ألفاظه وتسجيعه وتحسين نظمه)** وسبكه

ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى نفع الناس، وعساه غافلاً عما روي أن بعض الحكماء وضع ثلاثمائة مصحف في الحكمة فأوحى الله إلى نبي زمانه قل له قد ملأت الأرض بقاقاً وإني لا أقبل من بقاقك شيئاً. ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه، فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد إلى كثرة من يتبعه، وأنه أكثر تبعاً أو غيره، فيفرح إن كان أتباعه أكثر وإن علم أن غيره أحق بكثرة الاتباع منه، ثم إذا تفرقوا واشتغلوا بالإفادة تغايروا وتحاسدوا، ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا انقطع عنه إلى غير ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه لإكرامه ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل، ولا يحرص على الثناء عليه كما أثني مع علمه بأنه مشغول بالإستفادة، ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى كان أنفع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة، ومع ذلك لا تزول النفرة عن قلبه، ولعل واحداً منهم إذا تحركت فيه مبادىء الحسد لم يقدر على إظهاره

في قالب البلاغة (**كي لا ينسب إلى الركاكة**) أي ضعف العقل والفهم (**ويرى أن غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وتزيينها ليكون أقرب إلى نفع الناس. وعساه غافلاً عما روي أن بعض الحكماء**) من بني إسرائيل (**وضع ثلاثمائة مصحف في الحكمة**) لينتفع بها الناس، (**فأوحى الله إلى نبي زمانه**) أن (**قل له قد ملأت الأرض بقباقاً**) وفي نسخة: بقاقاً وهو الكلام الكثير (**وأنا لا أقبل من بقباقك شيئاً**) وفي نسخة بقاقك أورده أبو نعيم في الحلية في ترجمة الشعبي، وقد ذكر في كتاب العلم وفي كتاب ذم الكبر. (**ولعل جماعة من هذا الصنف من المغترين إذا اجتمعوا ظن كل واحد بنفسه السلامة من عيوب القلب وخفاياه، فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم فرقة من أصحابه نظر كل واحد إلى كثرة من يتبعه وأنه أكثر تبعاً أو غيره، فيفرح إن كان اتباعه أكثر، وإن علم أن غيره أحق بكثرة الاتباع منه ثم إذا تفرقوا واشتغلوا بالإفادة**) تغايروا تغاير التيوس في الزرب، (**وتحاسدوا، ولعل من يختلف إلى واحد منهم إذا انقطع عنه إلى غيره**) فترك الحضور بين يديه (**ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه، فبعد ذلك لا يهتز باطنه لإكرامه**) أي لا ينتشط (**ولا يتشمر لقضاء حوائجه كما كان يتشمر من قبل، ولا يحرص على الثناء عليه كما اثنى عليه من قبل مع علمه بأنه مشغول بالاستفادة، ولعل التحيز منه إلى فئة أخرى أنفع له في دينه لآفة من الآفات كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة**). وأصل التحيز هو الميل إلى حيز جماعة أي ناحيتهم وكذلك الانحياز، (**ومع ذلك فلا تزول النفرة عن قلبه، ولعل واحداً منهم إذا تحركت فيه مبادىء الحسد لم يقدر على إظهاره فيتعلل بالطعن فيه وفي دينه وفي**)

فيتعلل بالطعن فيه وفي دينه وفي روعه ليحمل غضبه على ذلك ويقول: إنما غضبت لدين الله لا لنفسي. ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح له وإن أثني عليه ربما ساءه وكرهه، وربما قطب وجهه إذا ذكرت عيوبه ـ يظهر أنه كاره لغيبة المسلمين ـ وسر قلبه راض به ومريد له. والله مطلع عليه في ذلك. فهذا وأمثاله من خفايا القلوب لا يفطن له إلا الأكياس ولا يتنزه عنه إلا الأقوياء، ولا مطمع فيه لأمثالنا من الضعفاء إلا أن أقل الدرجات أن يعرف الإنسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على إصلاحه، فإذا أراد الله بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجوّ الحال، وأمره أقرب من الغرور المزكي لنفسه الممتن على الله بعمله وعلمه، الظان أنه من خيار خلقه. فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الإهمال. هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم.

ولنذكر الآن غرور الذين قنعوا من العلوم بما لم يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون إما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم، وإما لاقتصارهم عليه.

روعه) بكل ما أمكنه (**ليحمل غضبه على ذلك ويقول: إنما غضبت لدين الله لا لنفسي، ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح به**) وله (**وإن أثنى عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه**) أي عبسه كأنه (**يظهر**) من نفسه (**أنه كاره لغيبة المسلمين**) وذلم، (**وسر قلبه**) أي باطنه (**راض به ومريد له والله مطلع عليه في ذلك. فهذا وأمثاله من خفايا العيوب**) ودقائقها (**لا يفطن له إلا الأكياس**) المستبصرون (**ولا يتنزه عنه إلا الأقوياء**) الجلدون، (**ولا طمع فيه لأمثالنا من الضعفاء إلا أن أقل الدرجات أن يعرف الانسان عيوب نفسه ويسوءه ذلك ويكرهه ويحرص على إصلاحه، فإذا أراد الله بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه**). روى الدارقطني في الإفراد، وابن عساكر في التاريخ من حيث أنس: «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً فقههم في الدين ووقر صغيرهم كبيرهم ورزقهم الرفق في معيشتهم والقصد في نفقاتهم وبصرهم عيوبهم فيتوبوا منها، وإذا أراد بهم غير ذلك تركهم هملاً» قال الدارقطني: تفرد به موسى بن محمد بن عطاء عن ابن المنكدر عن أبيه عن أنس وهو متروك (**ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجوّ الحال**). روى الخطيب من حديث جابر، والطبراني من حديث أبي موسى: «من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن». (**وأمره أقرب من المغرور المزكي نفسه الممتن على الله بعلمه وعمله، الظان أنه من خيار خلقه، فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا العيوب مع الإهمال. هذا غرور الذين حصلوا العلم المهم**) وفي نسخة العلوم المهمة (**وأهملوا العمل بالعلم**) وفي نسخة ولكن قصروا في العمل بالعلم.

(**ولنذكر غرور الذين قنعوا من العلوم بما لا يهمهم وتركوا المهم**) منها (**وهم به**) أي بما حصلوه (**مغترون إما لاستغنائهم عن أصل ذلك العلم وإما لاقتصارهم عليه**).

فمنهم فرقة: اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح العباد، وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب، وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقد الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة ولا البطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي إلى السلاطين، وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والحسد والرياء وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين.

أحدهما: من حيث العمل.

والآخر: من حيث العلم.

أما العمل، فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وأن مثالهم مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه، لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك ومحتاج إلى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلاً ونهاراً مع علمه بأنه رجل لا يحيض ولا يستحاض، ولكن يقول: ربما

(فمنهم فرقة: اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعاش، وخصصوا اسم الفقه بها وسموه علم الفقه وعلم المذهب، وربما ضيعوا مع ذلك الأعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة) والكذب، **(ولا البطن عن الحرام)** والشبهة، **(ولا الرجل عن المشي إلى السلاطين)** وأرباب الأموال: **(وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم)** عن الكبر والرياء **(والحسد وسائر المهلكات)** التي ذكرت. **(فهؤلاء مغرورون من وجهين)**.

(أحدهما: من حيث العمل).

(والآخر من حيث العلم).

أما) من حيث **(العمل: فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وأن مثالهم مثال المريض إذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه)** فلا ينفعه ذلك إلا إذا عمل بما فيها، **(بل مثالهم مثال من به علة البواسير)** جمع باسور وهو ورم تدفعه الطبيعة إلى كل موضع في البدن يقبل الرطوبة من المقعدة والانثيين والأشفار وغير ذلك، فإن كان في المقعدة لم يكن حدوثه دون انفتاح العروق. **(والبرسام)**: وهو ورم للحجاب الذي بين الكبد والمعي ثم يتصل بالدماغ. قال ابن دريد: هو معرب **(وهو مشرف على الهلاك ومحتاج إلى تعلم الدواء واستعماله، فاشتغل بتعليم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلاً ونهاراً مع علمه بأنه رجل لا يحيض ولا يستحاض،**

تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسألني عن ذلك، وذلك غاية الغرور. فكذلك المتفقه المسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة، وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلاقي فيلقي الله وهو عليه غضبان، فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه، وإذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والرئاسة والمال، وقد دهاه الشيطان وما يشعر إذ يظن المغرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه، وليس يدري أن الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية. هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد بالفقه وجه الله تعالى، فإنه وإن قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل.

وأما غروره من حيث العلم: فحيث اقتصر على علم الفتاوي وظن أنه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ وربما طعن في المحدثين وقال: إنهم نقلة أخبار وحملة أسفار لا يفقهون، وترك أيضاً علم تهذيب الأخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بإدراك

ولكن يقول: ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسألني عن ذلك) فأجيبها، **(وذلك غاية الغرور، فكذلك المتفقه المسكين قد يسلط عليه حب الدنيا وابتاع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات الباطنة، وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلاقي)** أي التدارك، **(فيلقى الله وهو عليه غضبان، فترك ذلك كله واشتغل بعلم السلم والإجارة والظهار واللعان وسائر الجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب الحيض، وهو لا يحتاج إلى شيء من ذلك قط في عمره لنفسه، وإذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من الجاه والمال والرئاسة، وقد دعاه الشيطان)** وسوّل له **(وما يشعر)** بذلك **(إذ يظن المغرور بنفسه أنه مشغول بفرض دينه، وليس يدري أن الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية. هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وقد كان قصد بالفقه وجه الله تعالى، فإنه وإن قصد وجه الله فهو ياشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه وقلبه، وهذا غرور من حيث العمل.**

فأما غروره من حيث العلم: فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن أنه علم الدين وترك علم كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وربما طعن على المحدثين وقال: إنهم نقلة أخبار وحملة أسفار لا يفقهون) أي لا يدركوّن فقه الحديث، **(وترك أيضاً علم تهذيب الأخلاق وترك**

جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغتراً به متكلاً على أنه لا بدّ وأن يرحمه فإنه قوام دينه وأنه لو لم يشتغل بالفتاوي لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي أهم وهو غافل مغرور، وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر أن ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوّفة والمرجوّة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى، إذ قال تعالى: ﴿فلولا نفرٌ مِن كلِّ فرقةٍ منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ [التوبة: ١٢٢] والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم، فإن مقصود هذا العلم حفظ الأموال بشروط المعاملات وحفظ الأبدان بالأموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آلة، والبدن مركب، وإنما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى، وإذا مات ملوثاً بتلك الصفات كان محجوباً عن الله. فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف، ولا شك في أنه لو لم يكن

الفقه عن الله بإدراك جلاله وعظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمناً من الله مغتراً به متكلاً على أنه لا بدّ وأن يرحمه فإنه قوام دينه) وحامل شرع نبيه (**وأنه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم التي هي أهم وهو غافل مغرور، وسبب غروره ما يسمع في الشرع من تعظيم الفقه كالخبر السابق: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. ولم يدر أن ذلك الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوّفة والمرجوّة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى، إذ قال الله تعالى ﴿فلولا نفرٌ من كلّ فرقة منهم طائفة﴾**). أي: فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة (﴿**ليتفقهوا في الدين**﴾) أي يتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها (﴿**ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾) أي وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وإنذارهم، (**والذي يحصل به الانذار**) والإرشاد (**هو غير هذا العلم**) الذي يشتغلون به، (**فإن مقصود هذا العلم حفظ الأموال بشروط المعاملات وحفظ الأبدان بالأموال أو بدفع القتل والجراحات والمال في طريق الله آلة، والبدن مركب**) والعبد مسافر، (**وإنما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله، وإذا مات ملوثاً بتلك الصفات كان محجوباً عن الله**) مبعداً عن حضرته. (**فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية**) أي خياطتها. يقال: روى البعير يروى من باب رمى حمله فهو راوية للمبالغة، ثم أطلقت الراوية على كل دابة يستقي الماء عليها، ثم أطلقت على هذه الآلة من الجلود تحمل المياه فهو من مجاز المجاز، (**و**) علم خرز (**الخف**) وهو

لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحج في شيء ولا بسبيله ـ وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ـ ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه إلا تعلم طريق المجادلة والإلزام وإفحام الخصوم ودفع الحق لأجل الغلبة والمباهاة، فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات أرباب المذاهب والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لأنواع التسبيبات المؤذية، وهؤلاء هم سباع الأنس طبعهم الايذاء وهمهم السفه، ولا يقصدون العلم إلا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الأقران، فكل علم لا يحتاجون إليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله تعالى بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فإنهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ، وإنما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل. وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوى لكن زادوا إذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضاً. بل جميع دقائق الجدل الفقه بدعة لم يعرفها السلف، وأما أدلة الأحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وفهم معانيها، وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية، فإنما أبدعت لإظهار الغلبة والإفحام

ما يلبس في الرجل (**ولا يشك في أنه لو لم يكن لتعطل الحج**) لأن كلاً منهما من لوازم المسافر في قطع البادية، (**ولكن المقتصر عليه ليس من الحج في شيء. وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم**) فلا نعيده هنا. (**ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات**) وهي المسائل المختلفة في المذاهب (**ولم يهمه إلا تعلم طريق المجادلة والإلزام**) والتبكيت والتسجيل (**وإفحام الخصوم ودفع الحق لأجل الغلبة والمباهاة**) بين الأقران، (**فهو طول الليل والنهار في التفتيش**) والبحث (**عن مناقضات أرباب المذاهب والتفقد لعيوب الأقران والتلقف لأنواع التسبيبات المؤذية، فهؤلاء هم سباع الانس**) وذئاب الطمع (**طبعهم الإيذاء وهمهم السفه**) وغمص الحق، (**ولا يقصدون العلم إلا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الأقران**) ومجادلتهم، (**وكل علم لا يحتاجون إليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق إلى الله بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة، فإنهم يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ**) ويسخرون بالذي يشتغل به ويجهلونه، (**وإنما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي تجري بين المتصارعين في الجدل، وهؤلاء قد جمعوا ما جمعه الذين من قبلهم في علم الفتاوى ولكن زادوا**) عليهم (**إذا اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات أيضاً، بل جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة**) أحدثت (**لم يعرفها السلف، وأما أدلة الأحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهو كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وفهم معانيها. وأما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية فإنما أبدعت لإظهار الغلبة**) مع الخصوم

وإقامة سوى الجدل بها، فغرور هؤلاء أشد كثيراً وأقبح من غرور من قبلهم.

وفرقة أخرى: اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم، واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة أولئك وإفحامهم، وافترقوا في ذلك فرقاً كثيرة، واعتقدوا أنه لا يكون لعبد عمل إلا بإيمان، ولا يصح إيمان إلا بأن يتعلم جدلهم، وما سموه أدلة عقائدهم وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم، وأنه لا إيمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم، ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها.

ثم هم فرقتان: ضالة ومحقة، فالضالة هي التي تدعو إلى غير السنّة. والمحقة هي التي تدعو إلى السنة والغرور شامل لجميعهم.

أما الضالة: فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضاً، وإنما أتيت من حيث أنها لم تتهم رأيها ولم تحكم أولاً شروط الأدلة ومنهاجها، فرأى أحدهم الشبهة دليلاً والدليل شبهة.

(والإفحام وإقامة سوق الجدل بها، فغرور هؤلاء أشد كثيراً واقبح من غرور من قبلهم).

(وفرقة أخرى) منهم: **(اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء والرد على المخالفين)** من أصحاب المذاهب المخالفة **(وتتبع مناقضاتهم، واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة)** على كثرتها **(واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة أولئك وإفحامهم)** وإلزامهم، **(وافترقوا في ذلك فرقاً كثيرة)** أوردها ابن أبي الدم في كتاب له قد جمعه في ذلك، **(واعتقدوا أنه لا يكون لعبد عمل إلا بايمان، ولا يصح إيمان إلا بان يتعلم جدلهم، وما سموه أدلة عقائدهم، وظنوا أنه لا أحد أعرف بالله وبصفاته منهم، وأنه لا إيمان لمن لا يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم)** ولم يسلك على طريقتهم، **(ودعت كل فرقة منهم إلى نفسها)** وحسنت طريقتها.

(ثم هم فرقتان: ضالة ومحقة، فالضالة هي التي تدعو إلى غير السنّة، والمحقة هي التي تدعو إلى السنّة والغرور شامل لجميعهم).

(أما الضالة: فلغفلتها عن ضلالتها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة) أوردها أبو نصر التميمي في كتاب الأسماء **(يكفر بعضهم بعضاً، وإنما أتيت من حيث أنها لم تتهم رأيها ولم تحكم أوّلاً شروط الأدلة ومنهاجها، فرأى أحدهم الشبه دليلاً والدليل شبهة)** فمن ههنا كان سبب ضلالتهم.

وأما الفرقة المحقة؛ فإنما اغترارها من حيث أنها ظنت بالجدل أنه أهم الأمور وأفضل القربات في دين الله، وزعمت أنه لا يتم لأحد دينه ما لم يفحص ويبحث، وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن أو ليس بكامل الإيمان ولا مقرب عند الله.

فلهذا الظن الفاسد قطعت أعمارهم في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم، وأهملوا أنفسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة، وأحدهم يظن أن اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل، ولكنه لالتذاذه بالغلبة والإفحام ولذة الرئاسة وعز الانتماء إلى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرته فلم يلتفت إلى القرن الأوّل، فإن النبي ﷺ شهد لهم بأنهم خير الخلق، وأنهم قد أدركوا كثيراً من أهل البدع والهوى فما جعلوا أعمارهم ودينهم عرضاً للخصومات

(وأما الفرقة المحقة: فإنما اغترارها من حيث أنها ظنت بالجدل أنه أهم الأمور وأفضل القربات في دين الله وزعمت أنه لا يتم لأحد دينه ما لم يفحص ويبحث، وأن من صدق الله ورسوله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن) هذا قول أكثرهم، **(أو ليس بكامل الإيمان ولا مقرب عند الله تعالى.**

فلهذا الظن الفاسد قطعت أعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم وأهملوا نفوسهم وقلوبهم حتى عميت عليهم ذنوبهم وخطاياهم الظاهرة والباطنة) وحجب عنهم التفقد لها، **(وأحدهم يظن أن اشتغاله بالجدل أولى وأقرب عند الله وأفضل)** لزعمه أنه يوصل إلى معرفة الله، **(ولكنه لا لتذاذه بالغلبة والإفحام ولذة الرئاسة وعز الانتماء إلى الذب عن دين الله عميت بصيرته)** فحجبت عن شهود ما وراء ذلك **(فلم يلتفت إلى القرون الأولى، وأن النبي ﷺ شهد لهم بأنهم خير الخلق)** وذلك فيما رواه أحمد، والطحاوي، وابن أبي عاصم، والروياني، والضياء من حديث بريدة: « خير هذه الأمة القرن الذي بعثت أنا فيهم ثم الذي يلونهم » ورواه ابن أبي شيبة من مرسل عمرو بن شرحبيل « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ». ورواه كذلك أحمد والشيخان والمزني وابن ماجه من حديث ابن مسعود. وروى مسلم من حديث أبي هريرة « خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ». ورواه الطبراني من حديث سمرة، ومن حديث أبي برزة. ورواه الطبراني من حديث سعد بن تميم الكوفي « خير أمتي أنا وأقراني ثم القرن الثاني ثم القرن الثالث ».

(وأنهم قد أدركوا كثيراً من أهل البدع والأهواء فما جعلوا أعمالهم ودينهم عرضاً

والمجادلات، وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم، بل لم يتكلموا فيه إلا من حيث رأوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته، وإذا رأوا مصراً على ضلالة هجروه وأعرضوا عنه وأبغضوه في الله ولم يلزموا الملاحاة معه طول العمر، بل قالوا: إن الحق هو الدعوة إلى السنّة ومن السنة ترك الجدل في الدعوة إلى السنة، إذ روى أبو أمامة الباهلي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما ضل قوم قط بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل».

وخرج رسول الله ﷺ يوماً على أصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقيء في وجهه حب الرمان ـ حمرة من الغضب ـ فقال: «ألهذا بعثتم أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا إلى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه

للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم وأحوالهم، بل لم يتكلموا فيه إلا من حيث رأوا حاجة) اضطرتهم إلى الكلام فيه (وتوسموا مخايل قبول) ومظانه (فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال على ضلالته) وينبهه عليها، (وإذا رأوا مصراً على ضلالته هجروه وأعرضوا عنه) بالكلية (وأبغضوه في الله ولم يلزموا الملاحاة) أي المخاصمة بشدة الإلحاح (معه طول العمر، بل قالوا: إن الحق هو الدعوة إلى السنّة ومن السنّة ترك الجدل في الدعوة إلى السنّة. إذ روى أبو أمامة) صدي بن عجلان (الباهلي) رضي الله عنه، (عن النبي ﷺ أنه قال: «ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل») رواه الترمذي وابن ماجه. قال الترمذي: حديث حسن صحيح وتقدم في كتاب العلم وفي آفات اللسان.

(وخرج رسول الله ﷺ يوماً على أصحابه وهم يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كأنه فقيء في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال: «أبهذا بعثتم أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا إلى ما أمرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه فانتهوا») رواه نصر المقدسي في الحجة من حديث عبدالله بن عمرو بلفظ: «أبهذا أمرتم أو لهذا خلقتم أن تضربوا كتاب الله بعضاً ببضع انظروا ما أمرتم به فاتبعوه وما نهيتم عنه فانتهوا». وروي عن أنس أنه ﷺ سمع قوماً يتراجعون في القدر فقال: «أبهذا أمرتم أو بهذا عنيتم إنما هلك الذين من قبلكم بأشباه هذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض أمركم الله بأمر فاتبعوه ونهاكم عن شيء فانتهوا». هكذا رواه الدارقطني في الإفراد، والشيرازي في الألقاب، وابن عساكر، وروى الترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ: «أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم أن لا تنازعوا فيه». وروى البزار، والطبراني في الأوسط، وابن الغريس من حديث أبي سعيد بلفظ: «أبهذا بعثتم أم بهذا أمرتم ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».

فانتهوا » . فقد زجرهم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدال ثم أنهم رأوا رسول الله ﷺ وقد بعث إلى كافة أهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وإيراد إلزام ، فما جادلهم إلا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لأن ذلك يشوّش القلوب ويستخرج منها الاشكالات والشبه ، ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم ، وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الأقيسة وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والإلزام ، ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا : لو نجا أهل الأرض وهلكنا لم تنفعنا نجاتهم ، ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم ، وليس علينا في المجادلة أكثر مما كان على الصحابة مع اليهود والنصارى وأهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم ، فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه إلى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ؟ ولم نخوض فيما لا نأمن على أنفسنا الخطأ في تفاصيله ؟ ثم نرى أن المبتدع ليس يترك بدعته بجدله بل يزيده التعصب والخصومة تشدداً في بدعته ؟ فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة أولى ، هذا لو كنت لم أنه عن الجدل والخصومة ، فكيف وقد نهيت عنه ؟ وكيف أدعو إلى السنّة بترك السنة ؟

(**فقد زجرهم عن ذلك وكانوا أولى خلق الله بالحجاج والجدل ، ثم أنهم رأوا رسول الله ﷺ وقد بعث إلى كافة أهل الملل**) مع تباين أنواعها ، (**فلم يذكر**) أنه كان (**يقعد معهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة ودفع سؤال وإيراد إلزام ، فما جادلهم إلا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه**) بل أمر فيه بأن يجادلهم فيه بالتي هي أحسن ، (**لأن ذلك يشوّش القلوب ويستخرج منهم الإشكالات والشبه ، ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم**) إن رسخت فيها ، ولهذا السبب كان هجران أحمد بن حنبل رحمه الله للحرث المحاسبي كما تقدم في كتاب العلم ، (**وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات ودقائق الأقيسة وأن يعلم أصحابه كيفية الجدل والإلزام**) للخصوم ، (**ولكن الأكياس وأهل الحزم لم يغتروا بهذا وقالوا : لو نجا أهل الأرض وهلكنا لم تنفعنا نجاتهم ، ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم ، وليس علينا من المجادلة أكثر مما كان على الصحابة**) رضوان الله عليهم (**مع اليهود والنصارى وأهل الملل**) المختلفة (**وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلاتهم**) والزاماتهم ، (**فما لنا نضيع العمر**) سبهللا (**ولا نصرفه إلى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا**) وهو يوم القيامة ؟ (**ولم نخوض فيما لا نأمن على أنفسنا الخطأ في تفاصيله ؟ ثم نرى أن المبتدع ليس يترك بدعته بجدله**) معه (**بل يزيده التعصب والخصومة تشدداً في بدعته ، فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجاهدتها ومجادلتها لتترك الدنيا للآخرة أولى ، هذا لو كنت لم أنه عن الجدل والخصومة ، فكيف وقد نهيت عنه ؟ فكيف ادعو إلى السنة بترك السنة ؟ فالأولى أن أتفقد نفسي**

فأولى أن أتفقد نفسي وأنظر من صفاتها ما يبغضه الله تعالى وما يحبه لأتنزه عما يبغضه وأتمسك بما يحبه.

وفرقة أخرى: اشتغلوا بالوعظ والتذكير وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائره، وهم مغرورون يظنون بأنفسهم أنهم إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين، وغرور هؤلاء أشد الغرور لأنهم يعجبون بأنفسهم غاية الإعجاب ويظنون أنهم ما تبحروا في علم المحبة إلا وهم محبون لله، وما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم مخلصون، وما وقفوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها منزهون، ولولا أنه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك إلى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله؟ فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى، ويرى أنه من الراجين وهو من المغترين المضيعين، ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين، ويرى أنه من المتوكلين على الله وهو من

وأنظر من صفاتها) الباطنة فيها **(ما يبغضه الله تعالى وما يحبه لا تنزه عما يبغضه)** أي أتباعد عنه **(وأتمسك بما يحبه)** وأستوثق به.

(وفرقة أخرى منهم: اشتغلوا بالوعظ والتذكير وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء **والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين واالإخلاص والصدق ونظائره، وهم مغرورون يظنون بأنفسهم أنهم إذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق إليها فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات)** قائمين بإزائها **(وهم منفكون عنها عند الله)** أي عارون، **(إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين، وغرور هؤلاء أشد الغرورة لأنهم يعجبون بأنفسهم غاية الإعجاب)** وهو مهلك **(ويظنون أنهم ما تبحروا في علم المحبة إلا وهم محبون لله، و)** أنهم **(ما قدروا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم مخلصون، و)** أنهم **(ما وقعوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها منزهون. ولولا أنه مقرب عند الله لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك إلى الله وكيفية قطع المنازل في طريق الله؟ فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله، ويرى أنه من الراجين وهو من المغترين المضيعين)** لحقوق الله، **(ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين)** على أفعال الله، **(ويرى أنه من المتوكلين على الله وهو من المتكلين على العز والمال والجاه والأسباب)** الدنيوية، **(ويرى أنه من المخلصين**

المتكلمين على العز والجاه والمال والأسباب، ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين، بل يصف الإخلاص فيترك الإخلاص في الوصف ويصف الرياء ويذكره وهو يرائي بذكره ليعتقد فيه أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى إلى دقائق الرياء، ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على الدنيا وقوّة رغبته فيها فهو يظهر الدعاء إلى الله وهو منه فار، ويخوّف بالله تعالى وهو منه آمن، ويذكر بالله تعالى وهو له ناس، ويقرب إلى الله تعالى وهو منه متباعد، ويحث على الإخلاص وهو غير مخلص، ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف، ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشد حرصاً، لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه إلى الله لضاقت عليه الأرض بما رحبت ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غماً وحسداً، ولو أثنى أحد من المترددين إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه. فهؤلاء أعظم الناس غرة وأبعدهم على التنبه والرجوع إلى السداد، لأن المرغب في الأخلاق المحمودة والمنفر عن المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها، وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به، فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه؟ وإنما المخوّف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف. نعم إن ظن بنفسه أنه موصوف بهذه الصفات

وهو من المرائين) في أعماله **(بل يصف الإخلاص)** للناس **(فيترك الإخلاص في الوصف)** أي لا يتصف به بنفسه **(ويصف الرياء ويذكر)** وفي نسخة ويذكر الرياء ويصف، **(ويرائي بذكره ليعتقدوا فيه أنه لولا أنه مخلص لما اهتدى لدقائق الرياء ويصف الزهد في الدنيا)** والتخلي عنها **(لشدة حرصه على الدنيا وقوة رغبته فيها، فهو يظهر الدعاء إلى الله وهو منه فار، ويخوّف بالله وهو منه آمن، ويذكر بالله وهو له ناس، ويقرب إلى الله وهو منه متباعد، ويحث على الإخلاص وهو غير مخلص، ويذم الصفات المذمومة وهو بها متصف، ويصرف الناس عن الخلق)** أي يحذر عن الخلطة **(وهو على الخلق أشد حرصاً)** بحيث **(لو منع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه إلى الله لضاقت عليه الأرض بما رحبت)** أي ضاقت حضيرته، **(ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق ولو ظهر من أقرانه)** وأشكاله **(من أقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه مات غماً وحسداً، ولو أثنى أحد من المترددين إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه. فهؤلاء أعظم الناس غرة وأبعدهم من التنبيه والرجوع إلى السداد)** إلى طريق الحق، **(لأن المرغب في الأخلاق المحمودة والمنفر عن)** الأخلاق **(المذمومة هو العلم بغوائلها وفوائدها، وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب دعوة الخلق عن العمل به، فبعد ذلك بماذا يعالج وكيف سبيل تخويفه؟ وإنما المخوّف ما يتلوه على عباد الله فيخافون وهو ليس بخائف. نعم إن ظن بنفسه أنه موصوف بهذه**

المحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة، وهو أن يدعي مثلاً حب الله فما الذي تركه من محاب نفسه لأجله؟ ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف؟ ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى؟ ويدعي الانس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلىء بالحلاوة إذا أحدق به المريدون وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى. فهل رأيت محباً يستوحش من محبوبه ويستروح منه إلى غيره؟ فالأكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله غليظ، والمغترون يحسنون بأنفسهم الظنون وإذا كشف الغطاء عنهم في الآخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فتندلق أقتابهم فيدور بها أحدهم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأمرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه، وإنما وقع الغرور لهؤلاء من حيث أنهم يصادفون في قلوبهم شيئاً ضعيفاً من أصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفعله، ثم قدروا مع ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني فظنوا أنهم ما قدروا على وصف

الصفات المحمودة يمكن أن يدل على طريق الإمتحان والتجربة، وهو أن يدعي مثلاً حب الله فما الذي تركه من محاب الدنيا) وملاذها **(لأجله؟ ويدعى الخوف فما الذي امتنع منه بالخوف؟ ويدعى الزهد)** في الدنيا **(فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى؟ ويدعى الأنس بالله فمتى طابت له الخلوة ومتى استوحش من مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلىء بالحلاوة إذ أحدق به المريدون)** وهو يتكلم عليهم وهم له ناظرون، **(وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى، فهل رأيت محباً آنساً يستوحش من محبوبه ويستروح منه إلى غيره؟ فالأكياس يمتحنون أنفسهم بهذه الصفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق)** الظاهر، **(بل بموثق من الله غليظ)** أي شديد، **(والمغترون يحسنون بأنفسهم الظنون فإذا كشف الغطاء عنهم في الآخرة يفتضحون)** على رؤوس الأشهاد **(بل يطرحون في النار فتندلق أقتابهم)** أي مصارينهم **(فيدور بها أحدهم كما يدور الحمار بالرحى كما ورد به الخبر لأنهم يأمرون بالخير ولا يأتونه وينهون عن الشر ويأتونه)**. وذلك فيما أخرجه أحمد والشيخان من حديث أسامة بن زيد: « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقي في النار فتندلق أقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه فيطيف به أهل النار فيقولون: يا فلان ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: بلى قد كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه ». وقد تقدم قريباً ورواه ابن النجار من حديث أبي أمامة وفيه قال: « إني كنت أخالف ما كنت أنهاكم ». وقد تقدم أيضاً. **(وإنما وقع الغرور لهؤلاء من حيث أنهم يصادفون في قلوبهم شيئاً ضعيفاً من أصول هذه المعاني وهو حب الله والخوف منه والرضا بفعله، ثم قدروا مع**

ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها إلا لاتصافهم بها، وذهب عليهم أن القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان، والمعرفة للعلم وأن كل ذلك غير الاتصاف بالصفة، فلم يفارق آحاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف بل في القدرة على الوصف بل ربما زاد أمنه وقلّ خوفه وظهر إلى الخلق ميله وضعف في قلبه حب الله تعالى، وإنما مثاله مثال مريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء، وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة والشفاء وأسبابه ودرجاته وأصنافه، فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به، وإنما يفارقهم في الوصف والعلم بالطب، فظنه عند علمه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجهل، فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها، ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور. فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم، بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والأخبار، ووعظ الحسن البصري وأمثاله رحمة الله عليهم.

وفرقة أخرى: منهم عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة إلا من عصمه الله على الندور في بعض أطراف البلاد إن كان ولسنا نعرفه،

ذلك على وصف المنازل العالية في هذه المعاني، فظنوا أنهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله علمه وما نفع الناس بكلامهم فيها إلا لاتصافهم بها) وقيامهم بإزائها، **(وذهب عليهم أن القبول للكلام، والكلام للمعرفة وجريان اللسان، والمعرفة للتعلم وأن ذلك كله غير الإتصاف بتلك الصفة فلم يفارق آحاد المسلمين في الإتصاف بصفة الحب والخوف، بل في القدرة على الوصف، بل ربما زاد أمنه وقلّ خوفه وظهر إلى الخلق ميله وضعف في قلبه حب الله، وإنما مثاله مثال مريض يصف المرض)** بحقيقته **(ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء)**، وغيره من المرضى لا يقدر به على وصف الصحة والشفاء **(وأسبابه ودرجاته وأصنافه، فهو لا يفارقهم في صفة المرض والإتصاف به، وإنما يفارقهم في الوصف والعلم بالطب، فظنه بحقيقة الصحة أنه صحيح غاية الجهل)** كما أن ظن الصحيح بحقيقة المرض أنه مريض ظاهر البطلان، **(فكذلك العلم بالخوف والتوكل والحب والزهد وسائر هذه الصفات غير الإتصاف بحقائقها، ومن التبس عليه وصف الحقائق بالإتصاف بالحقائق فهو مغرور. فهذه حالة الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم، بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن و)** وعظ **(الأخبار، ووعظ الحسن البصري وأمثاله)**.

(وفرقة أخرى) منهم: **(عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل الزمان كافة)** في بلاد الإسلام **(إلا من عصمه الله على الندور)** والقلة **(في بعض أطراف البلاد إن**

فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلباً للأغراب. وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع الألفاظ وتلفيقها فأكثر هممهم بالأسجاع والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق، وغرضهم أن تكثر في مجالستهم الزعقات والتواجد ولو على أغراض فاسدة، فهؤلاء شياطين الإنس ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل، فإن الأوّلين وإن لم يصلحوا أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم. وأما هؤلاء فإنهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق إلى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جرأة على المعاصي ورغبة في الدنيا، لا سيما إذا كان الواعظ متزيناً بالثياب والخيل والمراكب فإنه تشهد هيئته من فرقه إلى قدمه بشدة حرصه على الدنيا فما يفسده هذا المغرور أكثر مما يصلحه بل لا يصلح أصلاً ويضل خلقاً كثيراً ولا يخفى وجه كونه مغروراً.

وفرقة أخرى: منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون

كان ولسنا نعرفه) أي لم يبلغنا خبره، **(فاشتغلوا)** في وعظهم **(بالطامات)** أي الدواهي والمصائب التي تطم على غيرها أي تزيد والمراد بها ما يؤدونه من الكلمات العقم **(والشطح)** وهو كلام يعبر عنه اللسان مقرون بالدعوى ولا يرتضيه أهل الطريق من قائله وإن كان محقاً **(وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلباً للأغراب)** على الحاضرين. **(وطائفة)** منهم **(شغفوا بطيارات النكت)** وهي المسائل الدقيقة التي تتعب الخواطر في استنباطها من مكانها **(وبتسجيع الألفاظ وتلفيقها)** بأن يوردوها موزونة مقفاه مجموعة من مواضع شتى، **(فأكثر هممهم في الأسجاع)** والأوزان **(والإستشهاد باشعار الوصال والفراق)** والرقيب والواشي، **(وغرضهم)** من كل ذلك **(أن تكثر في مجالسهم الزعقات)** أي الصيحات **(والتواجد ولو على أغراض فاسدة، فهؤلاء شياطين الأنس)** وهم أشر من شياطين الجن **(ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل، فإن الأولين وإن لم يصلحوا أنفسهم)** بأن لم يتصفوا بتلك الصفات التي يذكرونها **(فقد أصلحوا غيرهم)** بكلامهم **(وصححوا كلامهم ووعظهم)** إذ جعلوه على منهاج الكتاب والسنة. **(وأما هؤلاء فإنهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق إلى الغرور بالله بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على)** ارتكاب **(المعاصي ورغبة في الدنيا)** وميلاً إلى أعراضها، **(لا سيما إذا كان الواعظ متزيناً بالثياب والخيل والمراكب، فإنه يشهد فرقه إلى قدمه)** وفي نسخة تشهد هيئته من فرقه إلى قدمه **(بشدة حرصه على الدنيا، فما يفسده هذا المغرور أكثر مما يصلح بل لا يصلح أصلاً ويضل خلقاً كثيراً)** بتغريره إياهم **(ولا يخفي وجه كونه مغروراً)**.

(وفرقة أخرى) منهم: **(قنعوا بحفظ كلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا)** منظوماً

الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير إحاطة بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر، وبعضهم في المحاريب، وبعضهم في الأسواق مع الجلساء، وكل منهم يظن أنه إذا تميز بهذا القدر عن السوقة والجندية إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلح ونال الغرض، وصار مغفوراً له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام، ولكنه يظن أن حفظه لكلام أهل الدين يكفيه. وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم.

وفرقة أخرى: استغرقوا أوقاتهم في علم الحديث، أعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد الغريبة العالية، فهمّ أحدهم أن يدور في البلاد ويرى الشيوخ ليقول: أنا أروي عن فلان ولقد رأيت فلاناً ومعي من الإسناد ما ليس مع غيري، وغرورهم من وجوه.

منها: أنهم كحملة الأسفار فإنهم لا يصرفون العناية إلى فهم معاني السنّة فعلمهم قاصر وليس معهم إلا النقل ويظنون أن ذلك يكفيهم.

ومنها: أنهم إذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها أيضاً ولا يعملون به.

ومنثوراً، (**فهم يحفظون الكلمات على وجوهها ويوردونها**) على الناس (**من غير إحاطة بمعانيها، فبعضهم يفعل ذلك على المنابر،** وبعضهم في المحاريب، **وبعضهم في الأسواق مع الجلساء، وكل منهم يظن أنه إذا تميز بهذا القدر عن السوقية**) والعوام (**والجندية إذ حفظ كلام الزهاد وأهل الدين دونهم فقد أفلح ونال الغرض وصار مغفوراً له وأمن عقاب الله من غير أن يحفظ ظاهره وباطنه عن**) ملابسة (**الآثام، ولكنه يظن أن حفظه لكلام أهل الدين يكفيه**) في نجاته (**وغرور هؤلاء أظهر من غرور من قبلهم**).

(**وفرقة أخرى: استغرقوا أوقاتهم في علم الحديث، أعني في سماعه**) من الشيوخ (**وجمع الروايات الكثيرة**) للحديث الواحد (**وطلب الأسانيد الغريبة العالية**) وعلوها باعتبار قلة الوسائط في السند (**فهم أحدهم أن يدور في البلاد**) القريبة والبعيدة (**ويرى الشيوخ**) ويسمع منهم وعليهم (**ليقول: أنا أروي عن فلان**) بن فلان (**ولقد لقيت فلاناً**) في بلد كذا في سنة كذا (**ومعي من الأسانيد الغريبة العالية ما ليس مع غيري، وغرورهم من وجوه**).

(**منها: أنهم كحملة الأسفار فإنهم لا يصرفون العناية إلى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر وليس معهم إلا النقل ويظنون أن ذلك يكفيهم**) ونقل الكلام من غير فهم معناه غير كاف.

(**ومنها: أنهم إذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها ولا يعملون به**).

ومنها: أنهم يتركون العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة علاج القلب ويشتغلون بتكثير الأسانيد وطلب العالي منها ولا حاجة بهم إلى شيء من ذلك.

ومنها: وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضاً لا يقومون بشرط السماع، فإن السماع بمجرده وإن لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول إلى إثبات الحديث إذ التفهم بعد الإثبات والعمل بعد التفهم، فالأوّل السماع ثم التفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر، وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع، فترى الصبي يحضر في مجلس الشيخ والحديث يقرأ والشيخ ينام والصبي يلعب، ثم يكتب اسم الصبي في السماع فإذا كبر تصدى ليسمع منه، والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث أو نسخ، والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف وغير ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه، وكل ذلك جهل وغرور. إذ الأصل في الحديث أن يسمعه من رسول الله ﷺ فيحفظه كما سمعه، ويرويه كما حفظه، فتكون الرواية عن

(ومنها: أنهم يتركون العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة معالجة) أمراض **(القلب)** الخفية **(ويشتغلون بتكثير الأسانيد وطلب العالي منها ولا حاجة بهم إلى شيء من ذلك)** أي في معالجة أمراض القلب.

(ومنها: وهو الذي أكب عليه أهل الزمان أنهم أيضاً لا يقومون بشرط السماع، فإن السماع بمجرده وإن لم تكن له فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول إلى إثبات الحديث أو التفهم بعد الإثبات والعمل بعد التفهم، فالأول السماع) وهو وصول لفظ الحديث إلى سمعه، **(ثم التفهم)** لمعناه، **(ثم الحفظ)** إما في قلبه أو في كتابه أو فيهما جميعاً وهو أعلى، **(ثم العمل)** به، **(ثم النشر)** لمن تأهل له، وقد نقل نحو من ذلك من قول كل من السفيانيين كما تقدم ذلك في كتاب العلم. **(وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع)** وتركوا ما بعده من التفهم والحفظ والعمل، **(ثم)** مع اقتصارهم **(تركوا حقيقة السماع فترى الصبي)** أي الصغير **(يحضر في مجلس الشيخ)** بنفسه أو يحضره والده **(والحديث يقرأ)** بين يديه، **(والشيخ)** تارة **(ينام)** أي يغلب عليه النعاس **(والصبي يلعب)** كما هو من شأنه **(ثم يكتب)** في الطباق **(إسم الصبي في السماع)** أي يكتبه المستملي أو كاتب السماع، **(فإذا كبر)** الصبي بعد البلوغ وقبله أيضاً **(تصدى ليسمع منه، والبالغ الذي يحضر ربما يغفل ولا يسمع ولا يصغي)** أي لا يلقي اذنه لما يسمعه **(ولا يضبط)** في عقله ما يسمعه، **(وربما يشتغل بحديث)** مع غيره **(أو نسخ)** لما يسمعه أو لغيره، **(والشيخ الذي يقرأ عليه لو صحف وغيّر ما يقرأ عليه لم يشعر به ولم يعرفه)** إما لثقل في سمعه أو لكثرة إزدحام أو لأمر آخر شغله، **(وكل ذلك جهل وغرور إذ الأصل في الحديث أن تسمعه من رسول الله ﷺ فتحفظه كما سمعته وترويه كما حفظته)** كما كان

الحفظ والحفظ عن السماع، فإن عجزت عن سماعه من رسول الله ﷺ سمعته من الصحابة أو التابعين، وصار سماعك عن الراوي كسماع من سمع من رسول الله ﷺ، وهو أن تصغي لتسمع فتحفظ وتروي كما حفظت، وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفاً ولو غيَّر غيرك منه حرفاً وأخطأ علمت خطأه.

ولحفظك طريقان:

أحدهما: أن تحفظ بالقلب وتستديمه بالذكر والتكرار. كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الأحوال.

والثاني: أن تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل إليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك، فإنه لو امتدت إليه يد غيرك ربما غيّره، فإذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظاً بقلبك أو بكتابك فيكون كتابك

عليه الصحابة رضوان الله عليهم، **(فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع، فإن عجزت عن سماعه من رسول الله ﷺ سمعته)** ممن بعده **(من الصحابة أو التابعين)** أو أتباعهم، **(وصار سماعك من الراوي كسماع من يسمع من رسول الله ﷺ وهو أن تصغي لتحفظ، وتروي كما حفظت، وتحفظ كما سمعت بحيث لا تغير منه حرفاً ولو غيَّر غيرك منه حرفاً وأخطأ علمت خطأه)**، فقد أجمع أئمة الحديث والفقه والأصول على قبول ناقل الخبر المحتج به بانفراده بأن يكون ضابطاً معدلاً يقظاً بأن لم يكن مغفلاً يميز الصواب من الخطأ كالنائم والساهي، إذ المتصف بها لا يحصل الركون إليه ولا تميل النفس إلى الإعتماد عليه، وأن يكون يحفظ أن يثبت ما سمعه في حفظه بحيث يبعد زواله عن القوة الحافظة ويتمكن من استحضاره متى شاء، إن حدث من حفظه أو من كتابه الذي يحتوي عليه بحيث يصونه عن طرق التزوير والتغيير إليه من حين سمع فيه إلى أن يؤدي، وهذه الشروط موجودة في كلام الشافعي في الرسالة صريحاً، إلا الأول فيؤخذ من قوله أن يكون غافلاً لما يحدث به لقول ابن حبان: هو أن يعقل من صناعة الحديث ما لا يرفع موقوفاً ولا يصل مرسلاً أو يصحف إسماً وهذا كناية عن اليقظة.

(ولحفظك طريقان):

(أحدهما: أن تحفظ بالقلب وتستديمه بالذكر والتكرار. كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الأحوال).

(والثاني: أن تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى لا تصل إليه يد من يغيره، ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فإنه لو امتدت إليه يد غيرك ربما غيره) كما وقع لابن وهب مع جاره، **(وإذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظاً بقلبك أو**

مذكراً لما سمعته وتأمن فيه من التغيير والتحريف، فإذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ وجوّزت أن يكون ما فيه مغيراً أو يفارق حرف منه للنسخة التي سمعتها لم يجز لك أن تقول: سمعت هذا الكتاب فإنك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئاً يخالف ما فيه ولو في كلمة، فإذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها لتقابل بها فمن أين تعلم انك سمعت ذلك؟ وقد قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ ما ليس لك به

بكتابتك فيكون كتابك مذكراً لما سمعته وتأمن فيه من التغيير) والإزالة **(والتحريف، فإذا لم تحفظ بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل)** بضم فسكون أي مبهم لا يدري حقيقته، **(وفارقت المجلس ثم رأيت نسخة لذلك الشيخ)** الذي وقع السماع عليه للكتاب المذكور من غير تلك النسخة، **(وجوّزت أن يكون ما فيه مغيراً)** مزالاً عن جهة الصواب **(أو يفارق حرفاً منه للنسخة التي سمعتها)** بعينها، **(لم يجز لك أن تقول سمعت** هذا **الكتاب)** على الشيخ الفلاني، **(فإنك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل سمعت شيئاً يخالف ما فيه ولو فيه كلمة)** واحدة، **(فإذا لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها لتقابل بها)** وقت الأداء، **(فمن أين تعلم أنك سمعت ذلك، وقد قال الله عز وجل: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾)**؟ وقال ابن الأثير في مقدمة كتابه جامع الأصول: الضبط عبارة عن احتياط في باب العلم وله طرفان: العلم عند السماع، والحفظ بعد العلم عند التكلم، حتى إذا سمع ولم يعلم لم يكن معتبراً كما لو سمع صياحاً لا معنى له، وإذا لم يفهم اللفظ بمعناه لم يكن ضبطاً، وإذا شك في حفظه بعد العلم والسماع لم يكن ضبطاً. قال: ثم الضبط نوعان: ظاهر وباطن، فالظاهر ضبط معناه من حيث اللفظ، والباطن ضبط معناه من حيث تعلق الحكم الشرعي به وهو الفقه، ومطلق الضبط الذي هو شرط في الراوي هو الضبط ظاهراً عند الأكثر لأنه يجوز نقل الخبر بالمعنى فتحلقه تهمة تبديل المعنى بروايته قبل الحفظ أو قبل العلم حين يسمع، ولهذا المعنى قلت الرواية عن أكثر الصحابة هذا المعنى. قال: وهذا الشرط وان كان على ما بينا فإن أصحاب الحديث قلما يعتبرونه في حق الطفل دون الغفل فإنه متى صح عندهم سماع الطفل وحضوره أجازوا روايته، والأول أحوط للدين وأولى اهـ.

قال السخاوي: وحاصله اشتراط كون سماعه عند التحمل تاماً فيخرج من سمع صوتاً غفلاً، وكونه حين التأدية عارفاً بمدلولات الألفاظ ولا انحصار له في الثاني عند الجمهور لاكتفائهم بضبط كتابه ولا في الأوّل عند المتأخرين خاصة لاعتدادهم من لا يفهم العربي أصلاً. وقوله: لتعذر هذا المعنى عند ذلك الصحابي نفسه لخوفه من عدم حفظه وعدم تمكنه في الإتيان بكل المعنى، وهذا منهم رضي الله عنهم تورع واحتياط، ولقد كان بعضهم تأخذه الرعدة إذا روي ويقول: أو نحو ذلك أو قريب من ذا وما أشبه ذلك.

علم﴾ [الإسراء : ٣٦] وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان : إنا سمعنا ما في هذا الكتاب إذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح ، وأقل شروط السماع أن يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغيير ولو جازم أن يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع المجنون والصبي في المهد ، ثم إذا بلغ الصبي وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه ، ولو جاز ذلك لجاز أن

(وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان) وقبله وبعده : **(إنا سمعنا ما في هذا الكتاب إذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه فهو كذب صريح)** إلا أن تكون لهم إجازة من المسمع تصحب السماع ، فحينئذ يجوز لهم أن يقولوا قولهم ذلك ، وما أحسن قول ابن الصلاح فيما وجد بخطه لمن سمع منه صحيح البخاري ، وأجزت له روايته عني مخصصاً بالإجازة نازلاً عن السمع لغفلة أو سقط عند السماع بسبب من الأسباب ، وكذا كان ابن رافع يتلفظ بالإجازة بعد السماع قائلاً : أجزت لكم روايته عني سماعاً وإجازة لما خالف أصل السماع إن خالف ، بل قال مفتي قرطبة أو عبدالله بن عتاب : أنه لا غنى عن الإجازة مع السماع الجواز السهو أو الغفلة أو الإشتباه على الطالب والشيخ معاً أو على أحدهما ، وكلامه إلى الوجوب أقرب ، ويتعين على كاتب الطبقة استحباباً التنبيه على ما وقع من إجازة المسمع منها .

وقال القاضي عياض : وقفت على تقييد سماع لبعض نبهاء الخراسانيين من أهل المشرق قال فيه : سمع هذا الجزء فلان وفلان على الشيخ أبي الفضل عبد العزيز بن إسماعيل البخاري ، وأجاز ما أغفل وصحف ولم يصغ إليه أن يروي عنه على الصحة . قال القاضي : وهذا منزع نبيل في الباب جداً .

(وأقل شروط السماع أن يجري الجميع على السمع مع نوع من الحفظ يشعر معه بالتغيير) إلا أن المتأخرين صرحوا باغتفار الكلمة والكلمتين سواء خلتا أو احداهما بفهم الباقي أم لا . لأن فهم المعنى لا يشترط وسواء كان يعرفها أم لا . وظاهر هذا أنه بالنسبة إلى الأزمان المتأخرة ، وإلاَّ ففي غير موضع في كتاب النسائي يقول وذكر كلمة معناها كذا وكذا لكونه فيما يظهر لم يسمعها جيداً وعلّمها . وسأل صالح بن أحمد بن حنبل أباه فقال له : إن أدمج الشيخ أو القارىء لفظاً يسيرا فلم يسمعه السامع مع معرفته أنه كذا وكذا ترى له أن يرويه عنه؟ فأجاب أرجو أنه يعفى عنه ذلك ولا يضيق الحال عنه ، قال صالح ، فقلت له : الكتاب قد طال عهده عن الانسان لا يعرف بعض حروفه فيخبره بعض أصحابه . قال : إن كان يعلم أنه كما في الكتاب فلا بأس به . هكذا رواه البيهقي في مناقب أحمد . **(ولو جاز أن يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز أن يكتب سماع المجنون والصبي في المهد ، ثم إذا بلغ الصبي وأفاق المجنون يسمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه)** ، وسيأتي الكلام عليه بعد ذلك . **(ولو جاز**

يكتب سماع الجنين في البطن، فإن كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لأنه لا يفهم ولا يحفظ، فالصبي الذي يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ، وإن استجرأ جاهل فقال: يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن، فإن فرق بينها بأن الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت فما ينفع هذا؟ وهو إنما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر إذ صار شيخاً على أن يقول: سمعت بعد بلوغي أني في صباي حضرت مجلساً يروي فيه حديث كان يقرع سمعي صوته ولا أدري ما هو؟ فلا خلاف في أن الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح. ولو جاز إثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لأنهم سمع صوتاً غفلاً لجاز إثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية الجهل، ومن أين يؤخذ هذا وهل للسماع مستند إلا قول رسول الله ﷺ: «نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأدّاها كما سمعها». وكيف يؤدي كما سمع من لا

ذلك لجاز أن يكتب سماع الجنين في البطن، فإن كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لأنه لا يفهم) اللفظ والمعنى معاً **(ولا يحفظ، فالصبي الذي يلعب والغافل والمشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم)** لأن الفهم تابع لسماع اللفظ، **(فإن استجرأ جاهل فقال: يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن، فإن فرق بينها بأن الجنين لا يسمع الصوت وهذا يسمع الصوت، فماذا ينفع هذا؟ وهو إنما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر إذا صار شيخاً أن يقول: سمعت بعد بلوغي أني في صباي حضرت مجلساً يروى فيه حديث كان يقرع سمعي صوته، ولا أدري ما هو! ولا خلاف في أن الرواية كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح، ولو جاز اثبات سماع التركي)** ومن في معناه **(الذي لا يفهم العربية لأنه سمع صوتاً غفلاً)** لا يهتدي لمعناه **(لجاز اثبات سماع صبي في المهد، وذلك غاية الجهل. ومن أين يؤاخذ هذا وهل للسماع مستند إلاّ قول رسول الله ﷺ «نضر الله)** بضاد معجمة مشددة وتخفف. قال في البحر: وهو أفصح، وقال الصدر المناوي: أكثر الشيوخ يشددون وأكثر أهل الأدب يخففون وهو من النضارة الحسن والرونق **(امرءاً)** أي رجلا، والمعنى خصه الله بالبهجة والسرور أو حسن وجهه عند الناس وحاله بينهم وأوصله نضرة النعيم فهو يحتمل الخبر والدعاء، وعلى كل فيحتمل كونه في الدنيا وكونه في الآخرة وكونه فيهما **(سمع مقالتي فوعاها)** أي حفظها وداوم على حفظها ولم ينسها **(فأداها)** إلى غيره **(كما سمعها»)** أي من غير زيادة ولا نقص، فمن زاد أو نقص فهو مغير لا مبلّغ، فيكون الدعاء مصروفاً عنه. وقوله: كما سمعها إما حال من فاعل أداها أو مفعول مطلق، وما موصولة أو مصدرية. قال العراقي: رواه أصحاب السنن، وابن حبان من حديث زيد بن ثابت، والترمذي، وابن ماجه من حديث ابن مسعود. قال الترمذي: حديث صحيح، وابن ماجه فقط من حديث جبير بن مطعم وأنس اهـ.

قلت: هذا الحديث روي عن عدة من الصحابة من طرق كثيرة وفي ألفاظ بعضها مغايرة

....

وزيادة ونقص، وقد ذكر أبو القاسم بن مندة في تذكرته فيما نقله الحافظ في تخريج أحاديث المختصر: أنه رواه عن النبي ﷺ أربعة وعشرون صحابياً ثم سرد أسماءهم اهـ.

والذي عرفت منهم الأربعة المذكورون في سياق العراقي، وأبو سعيد الخدري، وعائشة، وأبو هريرة، وعمير بن قتادة الليثي، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وربيعة بن عثمان التيمي، وأبو الدرداء، وأبو قرصافة، وجابر، وشيبة بن عثمان، ومعاذ بن جبل، والنعمان بن بشير، وبشير بن سعد الانصاري والد النعمان.

أما حديث زيد بن ثابت فلفظه «نضر الله امرءاً سمع منّا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه وليس بفقيه» قال الحافظ في تخريج المختصر: هو صحيح أخرجه أحمد، والطيالسي، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان، وابن أبي حاتم، والخطيب، وأبو نعيم. ويروى بلفظ «نضر الله عبداً سمع مقالتي فحملها إلى غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه» الحديث. هكذا رواه أحمد، والطبراني، والبيهقي، والضياء من حديث زيد بن ثابت. ورواه ابن النجار بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة.

وأما حديث ابن مسعود فلفظه: «نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فربّ مبلغ أوعى من سامع» رواه أحمد، والترمذي وحسنه، وابن حبان، والبيهقي. قال عبد الغني في الأدب: تذاكرت أنا والدارقطني طرق هذا الحديث فقال: هذا أصح شيء روى فيه. وقال ابن القطان فيه: سماك بن حرب يقبل التلقين. ورواه ابن النجار بلفظ «نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وعقلها فرب حامل فقه ليس بفقيه». ورواه الشيرازي في الألقاب من حديث أبي هريرة.

وأما حديث عائشة فلفظه «نضر الله عبداً سمع مقالتي هذه فحفظها ثم وعاها فبلغها». رواه الخطيب في المتفق والمفترق.

وأما حديث جبير بن مطعم فلفظه «نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» الحديث. رواه أحمد، وابن ماجه والدارمي، وأبو يعلى، والطبراني، والحاكم، وابن جرير، والضياء عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رفعه. وفي رواية للطبراني «ثم وعاها ثم حفظها فرب حامل فقه غير فقيه» والباقي سواء. ورواه الطيالسي، وأبو داود، وابن ماجه، وابن جرير، والطبراني من حديث زيد بن ثابت. ورواه البزار، والدارقطني من حديث أبي سعيد. ورواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي في المعرفة من حديث ابن مسعود. ورواه ابن منده من حديث ربيعة بن عثمان التيمي. ورواه ابن النجار من حديث ابن عمر. ورواه الطبراني من حديث أبي الدرداء. ورواه الطبراني والضياء من حديث أبي قرصافة. ورواه الطبراني في الأوسط وابن جرير والضياء من حديث جابر. ورواه ابن قانع والطبراني من حديث شيبة بن عثمان.

وأما حديث أنس فلفظه «نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها عني فرب حامل فقه غير

يدري ما سمع؟ فهذا أفحش أنواع الغرور. وقد بلي بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل

فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» رواه أحمد وابن ماجه والضياء. ورواه الخطيب من حديث أبي هريرة، وهو عند ابن عساكر من حديث أنس «نضر الله من سمع قولي ثم لم يزد فيه» الحديث. ورواه الطبراني من حديث عمير بن قتادة الليثي. ورواه في الأوسط من حديث سعد. ورواه الرافعي في التاريخ من حديث ابن عمر، وعند الدارقطني في الافراد وابن جرير وابن عساكر من حديث أنس «نضر الله عبداً سمع مقالتي ثم وعاها ثم حفظها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» الحديث. وعند الخطيب من حديث ابن عمر «نضر الله من سمع مقالتي فلم يزد فيها ورب حامل علم إلى من هو أوعى له منه». وعند الطبراني وأبي نعيم في الحلية من حديث معاذ بن جبل «نضر الله عبداً سمعت كلامي فلم يزد فيه فرب حامل كلمة إلى من هو أوعى لها منه» الحديث.

وأما حديث النعمان بن بشير فلفظه «نضر الله وجه عبد سمع مقالتي فحملها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» الحديث. رواه الطبراني والحاكم.

وأما حديث والده بشير بن سعد فلفظه «رحم الله عبداً سمع مقالتي فحفظها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» الحديث. هكذا رواه الطبراني، وابن قانع، وأبو نعيم، وابن عساكر من رواية النعمان بن بشير عن أبيه.

فصل

وانما خص مبلغ سننه بالدعاء لكونه سعى في نضارة العلم وتجديد السنة فجوزي بما يليق بحاله. وقد رأى بعض العلماء النبي ﷺ في النوم فقال له «أنت قلت نضر الله امرءاً الخ. قال: نعم ووجهه يتهلل أنا قلته وكرره ثلاثاً. قالوا: ولذلك لا يزال في وجوه المحدثين نضارة ببركة دعائه، وفيه وجوب تبليغ العلم وهو الميثاق المأخوذ على العلماء، وأنه يكون في آخر الزمان من له من الفهم والعلم ما ليس لمن تقدمه، لكنه قليل بدلالة «رب» ذكره بعضهم، ومنعه ابن جماعة بمنع دلالته على المدعى، وأن حامل السنّة يجوز أن يؤخذ عنه وإن كان جاهلاً بمعناها فهو مأجور على نقلها وإن لم يفهمها.

وسياق المصنف ينازعه حيث قال: (**وكيف يؤدي كما سمع من لا يدري ما سمع؟**) ثم قال: (**فهذا أفحش أنواع الغرور**) وفي الحديث تنبيه على أن أساس كل خير حسن الاستماع ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم، وقد حقق العارفون أن كلام الله رسالة عن الله لعبده ومخاطبته لهم وهو البحر المشتمل على جواهر العلم المتضمن لظاهره وباطنه، ولهذا قاموا بأدب سماعه ورعوه حق رعايته، وقد تجلى لخلقه في كلامه لو كانوا يعلمون، وكذا كلام رسوله ﷺ مما يتعين حسن الاستماع إليه لأنه لا ينطق عن الهوى. وقال الخطابي: فيه دليل على كراهة اختصار الحديث لمن ليس بمتناه في الفقه، لأن فعله يقطع طريق الاستنباط على من بعده ممن هو أفقه منه. (**وقد بلي**

الزمان لم يجدوا شيوخاً إلا الذين سمعوه في الصبا على هذا الوجه مع الغفلة، إلا أن للمحدثين في ذلك جاهاً وقبولاً فخاف المساكين أن يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع لذلك في حلقهم فينقص جاههم وتقل أيضاً أحاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط، بل ربما عدموا ذلك وافتضحوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يقرع سمعه دمدمة وإن كان لا يدري ما يجري وصحة السماع لا تعرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم علماء الأصول بالفقه، وما ذكرناه مقطوع به في قوانين أصول الفقه.

بهذا أهل الزمان ولو احتاط أهل الزمان لم يجدوا شيوخاً إلا الذين سمعوه في الصبا على هذا الوجه مع الغفلة إلا أن للمحدثين في ذلك جاهاً وقبولاً فخاف المساكين أن يشترطوا ذلك فيقل من يجتمع في حلقتهم فينقص جاههم وتقل أيضاً أحاديثهم التي سمعوها بهذا الشرط، بل ربما عدموا ذلك وافتضحوا فاصطلحوا على أنه ليس يشترط إلا أن يقرع سمعه دمدمة وإن كان لا يدري ما يجري)، كلا والله إنما توسعوا في ذلك إبقاء لسلسة الإسناد التي هي خصيص هذه الامة المحمدية شرفاً لنبيها ﷺ، وقد أعرضوا في الأعصر المتأخرة في اجتماع الشروط المتقدمة في الراوي وضبطه، فلم يتقيدوا بها في علمهم لتعذر الوفاء بها، بل استقر الحال عندهم على اعتبار بعضها وأنه يكتفي في الرواية بالعاقل المسلم البالغ المستور الحال وفي الضبط بأن يثبت ما روي بخط ثقة مؤتمن من أصل موافق لأصل شيخه، وإليه ذهب البيهقي فإنه لما ذكر توسع من توسع في السماع من بعض محدثي زمانه الذين لا يحفظون حديثهم ولا يحسنون قراءته من كتبهم ولا يعرفون ما يقرأ عليهم بعد أن تكون القراءة من أصل سماعهم، وذلك لتدوين الأحاديث في الجوامع التي جمعها أئمة الحديث قال: فمن جاء اليوم بحديث واحد لا يوجد عند جميعهم لم يقبل منه أي لأنه لا يجوز أن يذهب على جميعهم، ومن جاء بحديث معروف عندهم فالذي يرويه لا ينفرد بروايته والحجة قائمة برواية غيره اهـ.

قال السخاوي: والحاصل أنه لما كان الغرض أوّلاً معرفة التعديل والتجريح وتفاوت المقامات في الحفظ والاتقان ليتوصل بذلك إلى التصحيح والتحسين والتضعيف حصل التشديد بمجموع تلك الصفات، ولما كان الغرض آخراً الاقتصار في التحصيل على مجرد وجود السلسلة السندية اكتفوا بما ترى، ولكن ذلك بالنظر إلى الغالب في الوصفين وإلاّ فقد يوجد في كل منهما من نمط الآخر وإن كان التساهل إلى هذا الحد في المتقدمين قليلاً، وقد حكى نحوه عن الحافظ أبي طاهر السلفي، وهو الذي استقر عليه العمل بل حصل فيه التوسع أيضاً إلى ما وراء هذا كقراءة غير الأمي في غير أصل مقابل بحيث كان ذلك وسيلة لإنكار غير واحد من المحدثين فضلاً عن غيرهم عليهم، ثم أن قول المصنف، وافتضحوا فاصطلحوا يعزى لمالك بن دينار بلفظ: اصطلحوا فافتضحوا. رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمته من طريق يسار عن جعفر عنه.

(وصحة السماع لا يعرف من قول المحدثين لأنه ليس من علمهم بل من علم أصول

فهذا غرور هؤلاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا أيضاً مغرورين في اقتصارهم على النقل

الفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين أصول الفقه) الا أن المحدثين شاركوهم في الكلام على هذه المسألة استطراداً لشدة احتياجهم إلى معرفتها . **(فهذا غرور هؤلاء)** ولنورد من كلامهم في مفردات هذه المسألة وفاقاً وخلافاً ونجعل ذلك في فصول :

فصل

اختلف في سماع الصغير في حال صغره حضوراً ثم روايته بعد البلوغ وكذا قبله على وجه وصفه البلقيني بالشذوذ ، فمنعه قوم فلم يقبلوا قبل البلوغ ، وقالوا : لأن الصبي مظنة عدم الضبط وهو وجه للشافعية ، وعليه أبو منصور محمد بن المنذر بن محمد المراكشي الشافعي ، فحكى ابن النجار في ترجمته من تاريخه : أنه كان يمتنع من الرواية أشد الامتناع ويقول : مشايخنا سمعوا وهم صغار لا يفهمون ، وكذلك مشايخهم . وأنا لا أرى الرواية عمن هذه سبيله ، ولذا كان ابن المبارك يتوقف في تحديث الصبي ، فروينا من طريق الحسن بن عرفة قال : قدم ابن المبارك البصرة فدخلت عليه وسألته أن يحدثني فأبى وقال : أنت الصبي فأتيت حماد بن زيد وقلت : يا أبا إسماعيل دخلت على ابن المبارك فأبى أن يحدثني ، فقال : يا جارية هاتي خفي وطيلساني وخرج معي يتوكأ على يدي حتى دخلنا على ابن المبارك فجلس معه على السرير وتحدثا ساعة ثم قال له حماد : لم لم تحدث هذا فقال : يا أبا إسماعيل هو صبي لا يفقه ما يحمله . فقال له حماد : يا أبا عبد الرحمن حدثه فلعله والله أن يكون آخر من يحدث عنك في الدنيا فحدثه وكان كذلك أخرجه الخطيب في التاريخ . ونحوه ما رواه البيهقي في الشعب من طريق أحمد بن عبد الله بن نجدة الحوطي قال : لما دخل بي أبي إلى أبي المغيرة - يعني عبد القدوس بن الحجاج الخولاني الحمصي - وكان قد سمع منه أبي وأخي من قبلي ، فلما رآني أبو المغيرة قال لأبي من هذا ؟ قال : ابني . قال : وما تريد به ؟ قال : يسمع منك . قال : ويفهم ؟ فقال لي أبي وكنا في مسجد : قُم فصلِّ ركعتين وارفع صوتك بالتكبير والاستفتاح والقراءة والتسبيح في الركوع والسجود والتشهد ففعلت . فقال لي أبو المغيرة : أحسنت ثم قال لي أبي : حدثنا . فقلت : حدثني أبي وأخي ، عن أبي المغيرة ، عن أم عبد الله ابنة خالد بن معدان ، عن أبيها قال : من حق الولد على والده أن يحسن أدبه وتعلمه فإذا بلغ اثنتي عشرة سنة فلا حق له ، وقد وجب حق الوالد على ولده فإذا هو أرضاه فليتخذه شريكاً وان لم يرضه فليتخذه عدوًّا فقال لي أبو المغيرة : اجلس بارك الله عليك ثم حدثني به وقال : قد أغناك الله عن أبيك وأخيك . قل حدثني أبو المغيرة ، وقد ردّ على القائلين بعدم قبول رواية الصبي بإجماع الأئمة على قبول حديث جماعة من صغار الصحابة كالحسن والحسين ، والعبادلة ابن جعفر وابن الزبير وابن عباس والنعمان بن بشير والسائب بن يزيد والمسور بن مخرمة وأنس ومسلمة بن مخلد وعمر بن أبي سلمة ويوسف بن عبد الله بن سلام وأبي الطفيل وعائشة رضي الله عنهم من غير فرق بين ما تحملوه قبل البلوغ وبعده ، مع إحضار أهل العلم خلفاً وسلفاً من المحدثين وغيرهم صبيانهم مجالس أهل العلم ثم قبولهم من الصبيان ما حدثوا به من ذلك بعد البلوغ .

....

وقد رأى أبو نعيم الفضل بن دكين أحد شيوخ البخاري أبا جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي وهو يلعب مع الصبيان وقد طينوه وكان بينه وبين والده مودة فنظر إليه وقال: يا مطين قد آن لك أن تحضر مجلس السماع، وكان ذلك سبباً لتلقيبه مطيناً، ومات عبد الرزاق وللوبري ست سنين أو سبع، ثم روي عنه عامة كتبه ونقلها الناس عنه. وكذا سمع القاضي أبو عمر الهاشمي السنن لأبي داود عن اللؤلؤي وله خمس سنين واعتد الناس بسماعه وحملوه عنه، وقال يعقوب الدورقي: حدثنا أبو عاصم قال: ذهبت يا بني إلى ابن جريج وسنّه أقل من ثلاث سنين فحدثه، وكفى ببعض هذا متمسكاً في الرد فضلاً عن مجموعه، بل قيل: إن مجرد إحضار العلماء للصبيان يستلزم اعتدادهم بروايتهم بعد البلوغ، لكنه متعقب بأنه يمكن أن يكون الحضور لأجل التمرين والبركة، والله أعلم.

فصل

وأما اشتراط البلوغ في قبول الرواية فهو قول الجمهور، وقبل بعضهم رواية الصبي المميز الموثوق به. وفي المسألة لأصحاب الشافعي وجهان قيده الرافعي وتبعه النووي بالمراهق مع وصف النووي للقول بالشذوذ. وقال الرافعي في موضع آخر: وفي الصبي بعد التمييز وجهان كما في رواية اخبار الرسول، واختصه النووي بالصبي المميز ولا تناقض، فمن قيد بالمراهق عني المميز والصحيح عدم قبول غير البالغ، وهو الذي حكاه النووي عن الاكثرين. وحكى عن شرح المهذب تبعاً للمتولي عن الجمهور قبول إخبار الصبي المميز فيما طريقه المشاهدة بخلاف ما طريقه النقل كافتاء ورواية ونحوه، وأما غير المميز فلا يقبل قطعاً.

فصل

في الوقت الذي يسمى فيه الصبي سامعاً:

اعلم انهم اختلفوا في تعيين وقت السماع فقيل: إذا كان ابن خمس سنين وهو قول الجمهور وعزاه عياض في الالماع لأهل الصنعة. قال ابن الصلاح: وعليه استقر عمل أهل الحديث المتأخرين فيكتبون لابن خمس فصاعداً السماع ولمن لم يبلغها حضر وأحضر، وقد بوّب البخاري في كتابه متى يصح سماع الصغير وأورد فيه قصة محمود بن الربيع وعقله المجة التي مجها رسول الله ﷺ وكان ابن خمس إذ ذاك، وهكذا رواه الزبير عن الزهري عن محمود وقيل: كان ابن أربعة كما حكاه ابن عبد البر ومال إليه عياض وغيره، وقد حكى السلفي عن الأكثرين صحة سماع من بلغ أربع سنين لحديث محمود، ولكن بالنسبة لابن العربي خاصة. أما ابن العجمي؛ فإذا بلغ سبعاً وقيده الإمام أحمد فيما رواه الحاكم عن القطيعي قال: سمعت عبد الله بن أحمد يقول: سمعت أبي سئل عن سماع الصبي فقال: إن كان ابن عربي فابن سبع، وان كان ابن عجمي فإلى أن يفهم، وقيده بالسبع مطلقاً بعضهم ونحوه ما رواه السلفي عن الربيع بن سليمان أن الشافعي سئل الإجازة لولده وقيل: انه

ابن ست سنين. فقال: لا تجوز الإجازة لمثله حتى يتم له سبع سنين، وإذا كان هذا في الإجازة ففي السماع أولى، فاجتمع أربعة أقوال في الوقت الذي يسمى فيه الصغير سامعاً، والصواب المعتبر في صحة سماعه قول خامس: وهو أن يكون ممن يعقل فهم الخطاب ورد الجواب، فمن لم يكن كذلك لم يصح أن يكون سامعاً وإن كان ابن خمس سنين. وقال الاستاذ أبو إسحاق الاسفرايني: إذا بلغ الصبي المبلغ الذي يفهم اللفظ بسماعه صح سماعه، حتى أنه لو سمع كلمة أداها في الحال ثم كان مراعيا لما يقوله من تحديث أو لقراءة القارىء صح سماعه وان لم يفهم معناه، بل عزا النووي عدم التقدير للمحققين حيث قال: إن التقييد بالخمس أنكره المحققون وقالوا: إن الصواب أن يعتبر كل صبي بنفسه فقد يميز لدون خمس وقد يتجاوز الخمس ولا يميز. وقال ابن رشيد: والظاهر أنهم أرادوا بتحديد الخمس انها مظنة لذلك لا ان بلوغها شرط لا بدّ من تحققه، ومما يدل على أن المعتبر التمييز والفهم خاصة دون التقييد بسن أنه قيل للإمام أحمد: إن رجلاً يقول: إن سن التحمل خمس عشرة سنة لا في دونها. فقال: بئس ما قال، بل إذا عقل الحديث وضبطه صح تحمله وسماعه، ولو كان صبياً. كيف يعمل بوكيع وابن عيينة وغيرهما ممن سمع قبل هذا السن؟ فقد روي عن ابن عيينة انه قال: أتيت الزهري وفي أذني قرط ولي ذؤابة، فلما رآني جعل يقول: واسنينه واسنينه ههنا ههنا. ما رأيت طالب علم أصغر من هذا. رواه الخطيب في الكفاية، بل روي أيضاً من طريق أحمد بن النضر الهلالي قال: سمعت أبي يقول: كنت في مجلس ابن عيينة فنظر إلى صبي في المسجد فكان أهل المجلس تهاونوا به لصغر سنه، فقال سفيان: كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم ثم قال: لو رأيتني ولي عشر سنين طولي خمسة أشبار ووجهي كالدينار وأنا كشعلة نار ثيابي صغار وأكمامي قصار وذيلي بمقدار ونعلي كآذان الفأر اختلف إلى علماء الأمصار مثل الزهري وعمرو بن دينار أجلس بينهم كالمسمار. محبرتي كالجوزة ومقلتي كالموزة وقلمي كاللوزة، فإذا دخلت المسجد قالوا: اوسعوا للشيخ الصغير اوسعوا للشيخ الصغير، ثم تبسم ابن عيينة وضحك واتصل تسلسله بالضحك والتبسم إلى الخطيب مع مقال في السند، لكن القصد منه صحيح.

فصل

ومما يستدل به لتمييز الصغير أن يعد من واحد إلى عشرين. ذكر شارح التنبيه وهو من منقول القاضي أبي الطيب الطبري: أو يحسن الوضوء والاستنجاء أو ما أشبههما أو بنحو ما اتفق لإمامنا الاعظم أبي حنيفة رحمة الله تعالى حين دخل على جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، فإنه بينما هو جالس في دهليزه ينتظر الإذن إذ خرج عليه صبي خماسي من الدار. قال أبو حنيفة: فأردت أن أسبر عقله فقلت: أين يضع الغريب الغائط من بلدكم يا غلام؟ قال: فالتفت إليَّ مسرعاً وقال: توق شطوط الأنهار ومساقط الثمار وأفنية المساجد وقوارع الطرق، وتوار خلف الجدار وأشل ثيابك وسم باسم الله وضعه حيث شئت، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا موسى بن جعفر. أوردها ابن النجار في تاريخه في ترجمة محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حمدان.

أو بتبيين الدينار من الدرهم كما روينا في ترجمة أبي الحسن محمد بن محمد بن عبيد الله بن أبي الرعد من تاريخ ابن النجار أيضاً انه قال: ولدت سنة اثنين وعشرين، وأوّل ما سمعت من الحسن ابن شهاب العكبري في سنة سبع وعشرين إلى رجب سنة ثمان وعشرين قال: وكان أصحاب الحديث لا يثبتون سماعي لصغري وأبي يحثهم إلى ذلك إلى أن أجمعوا أن يعطوني ديناراً ودرهماً فإن ميزت بينهما يثبتون سماعي حينئذ قال: فاعطوني الدينار والدرهم وقالوا: ميز بينهما. فنظرت وقلت: أما الدينار فمغربي فاستحسنوا فهمي وذكائي، وقالوا: أخبر بالعين والنقد.

وسئل موسى بن هارون الحمال متى يسمع للصبي؟ فقال: إذا فرق بين البقرة والحمار، وجنح إلى ذلك من المتأخرين الولي العراقي فكان يقول: أخبرني فلان، وأنا في الثالثة سامع فهم، ويحتج بتمييزه بين بعيره الذي كان يركبه حين رحل به أبوه أوّل ما طعن في السنة المذكورة وبين غيره وهو حجة، وكل هذه الادلة قد يشملها فهم الخطاب ورد الجواب فلا تنافي بينها.

وروى الخطيب في الكفاية قال: سمعت القاضي أبا محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاصبهاني يقول: حفظت القرآن ولي خمس سنين؟ وحملت إلى أبي بكر بن المقري لأسمع منه ولي أربع سنين، فقال بعض الحاضرين: لا تسمعوا له فيما قرىء فإنه صغير، فقال لي ابن المقرى: اقرأ سورة الكافرون فقرأتها. فقال: اقرأ سورة الكوثر فقرأتها. فقال لي غيره: اقرأ والمرسلات فقرأتها ولم أغلط فيها. فقال ابن المقري: اسمعوا له والعهدة عليّ، ثم قال: سمعت أبا صالح صاحب الحافظ أبي مسعود أحمد بن الفرات يقول: سمعت أبا مسعود يقول: اتعجب من انسان يقرأ والمرسلات عن ظهر قلب ولا يغلط فيها. قال الخطيب: ومن أظرف شيء سمعناه في حفظ الصغير ما أخبرنا أبو المعلى محمد بن الحسن الوراق حدثنا أبو بكر أحمد بن كامل القاضي، حدثني علي بن الحسن النجار، حدثنا الصاغاني، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: رأيت صبياً ابن أربع سنين حمل إلى المأمون قد قرأ القرآن ونظر في الرأي، غير أنه إذا جاع يبكي اهـ.

قال العراقي في النكت: والذي يغلب على الظنْ عدم صحتها، وأحمد بن كامل القاضي قال فيه الدارقطني كان متساهلاً ربما حدث من حفظه ما ليس عنده في كتابه. وقال صاحب الميزان: كان يعتمد على حفظه فيهم.

فصل

وهل المعتبر في التمييز والفهم القوّة أو العقل؟ الظاهر الأوّل: ويشهد له أن الحافظ ابن حجر سئل عمن لم يعرف بالعربية كلمة فأمر باثبات سماعه، وكذا حكاه ابن الجوزي كل عن كل عن ابن رافع وابن كثير وابن المحب، بل حكى ابن كثير أن المزني كان يحضر عنده من يفهم ومن لا يفهم يعني من الرجال ويكتب للكل السماع، وكأنهم حملوا قول ابن الصلاح ومتى لم يكن يعقل فهم الخطاب ورد الجواب ولم يصح، وإن كان ابن خمس بل ابن خمسين على انتفاء القوّة مع العقل أيضاً

....

بقي هنا شيء آخر وهو، أن الذهبي قال: إن الصغير إذا حضر ان أجيز له صح التحمل وإلاَّ فلا شيء إن كان المسمع حافظاً، فيكون تقريره لكتابة ابن الصغير بمنزلة الإذن منه في الرواية عنه.

فصل

ولا يضر في كل من التحمل والاداء النعاس الخفيف الذي لا يختل معه فهم الكلام لاسيما مع الفطن، فقد كان الحافظ المزني ربما ينعس في حال اسماعه ويغلط القارىء أو يزل فيبادر للرد عليه، وكذلك كان يتفق للحافظ ابن حجر في بعض المرات في أثناء دروسه كما نقله تلميذه السخاوي عن مشاهدته له، وإنما يرد من وتساهل في النوم الكثير الواقع مع عدم المبالاة به فلم يقبلوا روايته، وأما من كان فطناً متيقظاً فلا، وما يوجد في الطباق من التنبيه على نعاس السامع أو المستمع، فلعله فيمن جهل حاله أو علم بعدم الفهم. وأما امتناع ابن دقيق العيد من التحديث عن ابن المغير مع صحة سماعه عنه لكونه شك هل نعس حال السماع أم لا؟ فلورعـه فلقد كان من الورع بمكان ونحوه انه قيل لعلي بن الحسين بن شقيق المروزي أسمعته الكتاب الفلاني؟ فقال: نعم ولكن نهق حمار يوماً فاشتبه على حديث ولم أعرف تعيينه فتركت الكتّاب.

فصل

واختلفوا في النسخ حال السماع هل يرد به سماع الناسخ أم لا فمنعه أبو إسحاق الاسفرايني وإبراهيم الحربي وابن عدي في آخرين، لأن الاشتغال بالنسخ مخل بالسماع، وقد قيل: السمع للعين والاصغاء للأذن، وقيل: إنه لا يسمى سامعاً إنما يقال له جليس العالم. وحكي نحو ذلك عن أبي بكر الصبغي أحد أئمة الشافعية فإنه قال: لا نرد أيها المحدث ما سمعته على شيخك في حال نسخه أو أنت تنسخ بحدثنا ولا أخبرنا. واختاره المصنف كما يشير إليه سياقه السابق، وأجازه أبو حاتم الرازي، وابن المبارك. فقد روي عن أولهما أنه كان ينسخ حال تحمله عند كل من عارم وعمرو بن مرزوق، وأما ثانيهما ففي حال تحديثه وذلك عنهما مقتض للجواز وتوسط بينهما ابن الصلاح فقال: إن قارن النسخ فهم وتمييز صح السماع وإلاَّ فهو صوت غفل، وسبقه لذلك سعد الخير الأنصاري فقال: إذا لم تمنع الكتابة عن فهم ما قرىء فالسماع صحيح اهـ.

قال السخاوي: والعمل على هذافقد كان ينسخ في مجلس سماعه ثم اسماعه، بل ويكتب على الفتاوي ويصنف ويردد ذلك على القارىء رداً مفيداً، وكذا بلغنا عن الحافظ المزني وقبله وبعده، وقد جرى للدارقطني ببغداد أن حضر في حداثته إملاء أي على إسماعيل الصفار فرآه بعض الحاضرين ينسخ فقال: لا يصح سماعك وأنت تنسخ، فاستظهر عليه الدارقطني بالصحة فقال له المنكر عليه: كم أملى حديثاً فسرد ما أملى وهو ثمانية عشر حديثا وساقها على الولاء متناً واسناداً ذكر ذلك الخطيب في تاريخه. ثم أن هذا كله فيما إذا وقع النسخ حال التحمل أو الأداء فلو وقع ذلك فيهما معاً كان أشد، ووراء هذا قول بعضهم الخلاف في المسألة لفظي فإن المرء لو بلغ الغاية

وفي إفناء أعمارهم في جمع الروايات والأسانيد وإعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الأخبار، بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة ربما يكفيه الحديث الواحد عمره، كما روي عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس السماع فكان أول حديث روي قوله عليه الصلاة والسلام: «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» فقام وقال: يكفيني هذا حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره، فهكذا يكون سماع الأكياس الذين يحذرون الغرور.

وفرقة أخرى: اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا أنهم قد غفر لهم وأنهم من علماء الأمة، إذ قوام الدين بالكتاب والسنّة، وقوام الكتاب

من الحذق والفهم لا بدّ أن يخفي عليه بعض المسموع، وإنما العبرة بالأكثر، فمن لاحظ الاحتياط قال: ليس بسامع، ومن لاحظ التسامح والغلبة عده سامعاً. ورأى ان النسخ إن حجب فهو حجاب رقيق اهـ.

وفي تسميته لفظياً مع ذلك توقف، وكذا في قول من قال: ان السمع للعين نظر ويلتحق بالنسخ الصلاة، وقد كان الدارقطني يصلي في حال قراءة القرآن وربما يشير برد ما يخطىء فيه القارىء، كما اتفق له حيث قرأ القارىء عليه مسرة يسير بن دغلوف بالياء التحتية فقال له: نون والقلم ومرة عمرو بن سعيد فقال له: يا شعيب أصلواتك. وقد قال الرافعي في أماليه: كان شيخنا أبو الحسن الطالقاني ربما قرأ عليه الحديث وهو يصلي ويصغي إلى ما يقول القارىء وينبهه إذا زل يعني بالإشارة، وهل يلتحق بذلك قراءة قارئين فاكثر في آن واحد فيه نظر والله أعلم.

ولنرجع إلى شرح كلام المصنف قال: (**ولو سمعوا على الشرط**) المتقدم (**لكانوا مغرورين في اقتصارهم على الفعل**) المجرد (**وفي إفناء أعمارهم**) وتضييع أوقاتهم النفيسة (**في جمع الروايات**) المتفرقة (**والأسانيد**) المختلفة (**واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الأخبار، بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الآخرة، وربما يكفيه الحديث الواحد عمره، كما روي عن بعض الشيوخ أنه حضر مجلس السماع**) على بعض الشيوخ، (**فكان أول حديث روي قوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**) رواه الترمذي وقال: غريب، وابن ماجه من حديث أبي هريرة وهو عند مالك من رواية علي بن الحسين مرسلاً. وقد تقدم، (**فقام**) من المجلس (وقال: يكفيني هذا) الحديث للعمل (**حتى أفرغ منه ثم أسمع غيره، فهكذا يكون سماع الأكياس**) العقلاء (**الذين يحذرون الغرور**) والله الموفق.

(**وفرقة: اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا وزعموا أنهم قد غفر لهم**) بسبب اشتغالهم بتلك العلوم، (**وأنهم من علماء الأمة**) وأحبارها، (**إذ قوام الدين بالكتاب والسنّة، وقوام الكتاب والسنة بعلم اللغة والنحو**) فمن لم يعرف فيهما لم يعرف

والسنة بعلم اللغة والنحو ، فأفنى هؤلاء أعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة ، ومثالهم كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ، ويزعم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بدّ من تعلمها وتصحيحها ، ولو عقل لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ كيفما كان والباقي زيادة على الكفاية ، وكذلك الأديب لو عقل لعرف أن لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع له في معرفة لغة الترك والهند ، وإنما فارقتها لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها فيكفي من اللغة علم الغريبين في الأحاديث والكتاب ، ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب ، فأما التعمق فيه إلى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه ، ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني الشريعة والعمل بها فهذا أيضاً مغرور ، بل مثاله مثال من ضيّع عمره في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو

الكتاب والسنّة ، (**فأفنى هؤلاء أعمارهم**) النفيسة (**في**) معرفة (**دقائق النحو**) وغرائبه (**وفي**) معرفة (**صناعة الشعر وفي**) معرفة (**غرائب اللغة**) وسبب إفناء الأعمار فيها أن تلك العلوم لا تستقل بأنفسها في معرفتها ، بل لا بد معها من علوم أخر هي متوقفة عليها ، فعلم النحو يستدعي علم التصريف ، وعلم جواهر الحروف ، وعلم الإشتقاق ، وعلم الخط وغيرها ، وكذا علم اللغة يتوقف عليها . وعلم صناعة الشعر يزيد عليها بمعرفة علم العروض ، وعلم القوافي ، وعلم العلل والزحاف وفي كل من ذلك تصانيف مستقلة ، فلا يكاد المشتغل ببعضها أن يفرغ إلى غيره فيفني العمر وهو لم يكمل في تلك العلوم . (**ومثالهم كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط**) العربي (**وتصحيح الحروف وتحسينها**) وتحصيلها بأوزانها المذكورة عند أصحاب الفن ، (**ويزعم أن العلوم لا يمكن حفظها إلا بالكتابة فلا بد من تعلمها وتصحيحها**) فأفنوا أعمارهم على تحصيل ذلك وتركوا الإشتغال بالمهم من الدين ، وساعدهم مع ذلك رغبة أهل الدنيا إليهم فراجت صنعتهم ، (**ولو عقل**) المشتغل بعلم الكتابة (**لعلم أنه يكفيه أن يتعلم أصل الخط بحيث يمكن أن يقرأ**) ويوصل إلى المراد (**كيفما كان والباقي زيادة على**) قدر (**الكفاية**) ولذلك قالوا : خير العلم ما درى وخير الخط ما قرى ، (**وكذلك الأديب لو عقل لعرف أن لغة العرب كلغة الترك ، والمضيع عمره في معرفة لغة العرب كالمضيع عمره في معرفة لغة الترك والهند**) وغيرهما ، (**وإنما فارقتها لغة العرب لأجل ورود الشريعة بها ، فيكفي من اللغة علم الغريبين في الحديث والكتاب ، ومن النحو ما يتعلق بالحديث والكتاب**) من غير تعمق في كل منهما ، (**فأما التعمق فيه إلى درجات لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه**) والمضيع عمره فيه مضيع في فضول ، (**ثم لو اقتصر عليه وأعرض عن معرفة معاني الشريعة**) وفي نسخة المعاني الشرعية (**والعمل بها**) أي بمقتضاها (**فهو أيضاً مغرور ، بل مثاله مثال من ضيع عمره في تصحيح مخارج الحروف في القرآن واقتصر عليه وهو غرور إذا المقصد من**

غرور إذ المقصود من الحروف المعاني، وإنما الحروف ظروف وأدوات، ومن احتاج إلى أن يشرب السكنجبين ليزول ما به من الصفراء وضيّع أوقاته في تحسين القدح الذي يشرب فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين، فكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب والقراءات والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا عليها أكثر مما يحتاج إليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين. فاللب الأقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالإضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو سماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بطريق الإضافة إلى المعرفة، ولب بالإضافة إلى ما فوقه وما فوقه هو العلم باللغة والنحو وفوق ذلك وهو القشر الأعلى العلم بمخارج الحروف، والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون إلا من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها إلا بقدر حاجته فتجاوز إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى لباب العمل، فطالب بحقيقة العمل قلبه وجوارحه ورجا عمره في حمل النفس عليه وتصحيح الأعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات. فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل إليه وقشور له ومنازل بالإضافة إليه، وكل

الحروف المعاني) المفهومة منها، **(وإنما الحروف ظروف وأدوات، ومن احتاج إلى أن يشرب السكنجبين)** وهو الدواء المركب من الخل والعسل **(ليزول ما به من الصفراء)** العارضة على الطبيعة **(فضيع أوقاته في تحسين القدح الذي يشرب فيه السكنجبين فهو من الجهال المغرورين)** فإن القدح إنما هو ظرف للشرب وليس هو المقصود بالذات، **(وكذلك غرور أهل النحو واللغة والأدب)** والشعر **(والقراءة والتدقيق في مخارج الحروف مهما تعمقوا فيها وتجردوا لها وعرجوا إليها أكثر مما يحتاج إليه في تعلم العلوم التي هي فرض عين)** في حقه، **(فاللب الأقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالأضافة إلى ما فوقه، وسماع الألفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالإضافة إلى المعرفة، ولب بالإضافة إلى فوقها وما فوقه هو العلم باللغة والنحو، وفوق ذلك وهو القشر الأعلى العلم بمخارج الحروف، والقانعون بهذه الدرجات)** ما عدا اللب الأقصى **(كلهم مغرورون إلا من اتخذ هذه الدرجات منازل)** يرحل منها، **(فلم يعرج عليها إلا بقدر حاجته)** الضرورية، **(فتجاوز إلى ما وراء ذلك حتى وصل إلى لباب العمل وطالب بحقيقة العمل قلبه وجوراحه، وزجا)** أي ساق **(عمره في حمل النفس على تصحيح الأعمال وتصفيتها عن الشوائب والآفات)** العارضة لها. **(فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل إليه وقشور له)** وهو اللب، **(ومنازل بالإضافة إليه،**

من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل البعيد. وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها أربابها. فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد أصحابها أنهم ينالون المغفرة بها من حيث أنها علوم فكان الغرور بها أقل من الغرور بعلوم الشرع، لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محمودة كما يشارك القشر اللب في كونه محموداً، ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى. والثاني محمود للوصول به إلى المقصود الأقصى، فمن اتخذ القشر مقصوداً وعرج عليه فقد اغتر به.

وفرقة أخرى: عظم غرورهم في فن الفقه فظنوا أن حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه في مجلس القضاء، فوضعوا الحيل في دفع الحقوق وأساءوا تأويل الألفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر وأخطأوا فيها. وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه، والخطأ في الفتوى مما يكثر ولكن هذا نوع عم الكافة إلا الأكياس منهم فنشير إلى أمثلة. فمن ذلك فتواهم بأن المرأة متى أبرأت من الصداق برىء الزوج بينه وبين الله تعالى وذلك خطأ، بل الزوج قد يسيء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الخلق فتضطر إلى

وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب في سعيه **(سواء كان في المنزل القريب أو في المنزل البعيد، وهذه العلوم لما كانت متعلقة بعلوم الشرع)** إذ يكون الوصول إليها بها **(اغتر بها أربابها، فأما علم الطب والحساب والصناعات وما يعلم أنه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد أصحابها)** المشتغلون بها **(أنهم ينالون المغفرة)** والنجاة **(بها من حيث أنها علوم، فكان الغرور فيها أقل من الغرور بعلوم الشرع لأن العلوم الشرعية مشتركة في أنها محمودة، كما يشارك اللب القشر في كونه محموداً، ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهي، والثاني محمود)** لا لذاته بل **(للوصول به إلى المقصود الأقصى، فمن اتخذ القشر مقصوداً وعرج عليه فقد اغتربه)** والله الموفق.

(وفرقة أخرى: عظم غرورهم في فن الفقه وظنوا أن حكم العبد بينه وبين الله يتبع حكمه) الذي حكم به **(في مجلس القضاء، فوضعوا)** أنواع **(الحيل في دفع الحقوق)** الواجبة **(وأساؤا تأويل الألفاظ المبهمة واغتروا بالظواهر وأخطأوا فيها، وهذا من قبيل الخطأ في الفتوى والغرور فيه والخطأ في الفتاوى مما يكثر)** في طائفة الفقهاء، **(ولكن هذا نوع عمّ الكافة إلا الأكياس منهم، ونشير إلى أمثلة له فمن ذلك: فتواهم بأن المرأة مهما أبرأت من الصداق)** المتأخر على ذمة الزوج **(برىء الزوج بينه وبين الله، وذلك خطأ. بل الزوج قد يسيء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الأمور بسوء الخلق فتضطر)** حينئذ **(إلى طلب**

طلب الخلاص فتبرىء الزوج لتتخلص منه، فهو ابراء لا على طيبة نفس وقد قال تعالى: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ [النساء : ٤] وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الإنسان بقلبه ما لا تطيب به نفسه فإنه يريد الحجامة بقلبه ولكن تكرهها نفسه، وإنما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لا عن ضرورة تقابله حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونهما، فهذه مصادرة على التحقيق بإكراه الباطن. نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض، فينظر إلى الإبراء الظاهر وأنها لم تكره بسبب ظاهر والإكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه، ولكن مهما تصدى القاضي الأكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوباً ولا مفيداً في تحصيل الإبراء، ولذلك لا يحل أن يؤخذ مال إنسان إلا بطيب نفس منه، فلو طلب من الإنسان مالاً على ملأ من الناس فاستحيا من الناس أن لا يعطيه. وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة حتى لا يعطيه، ولكن خاف ألم مذمة الناس وخاف ألم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار أهون الألمين وهو ألم التسليم فسلمه، فلا فرق بين هذا وبين المصادرة إذ معنى المصادرة إيلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب ببذل المال فيختار

الخلاص) منه لراحتها، **(فتبرىء الزوج)** عن حقها **(لتتخلص منه فهو إبراء)** في ظاهر الشرع لكن **(لا على طيبة نفس، وقد قال تعالى: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه)** أي من الصداق **(فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ وطيبة النفس غير طيبة القلب فقد يريد الإنسان بقلبه ما لا تطيب به نفسه فإنه يريد الحجامة بقلبه)** لما لها من النفع للبدن **(ولكن تكرهها نفسه)** لما يحصل لها من ألم التشريط، **(وإنما طيبة النفس أن تسمح نفسها بالإبراء لا عن ضرورة تقابله)** أي الإبراء، وفي نسخة تقابلها أي المرأة **(حتى إذا رددت بين ضررين اختارت أهونها، فهذه مصادرة على التحقيق بأكراه الباطن. نعم القاضي)** الأصغر **(في الدنيا لا يطلع على القلوب والأغراض)** الباطنة، **(فينظر إلى الإبراء الظاهر وأنها لم تكره بسبب ظاهر)** أي فيما يظهر له **(والإكراه الباطن ليس يطلع عليه الخلق، ولكن مهما تصدى القاضي الأكبر)** يوم عرض الأعمال **(في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوباً ولا مفيداً في تحصيل الإبراء، ولذلك لا يحل أن يؤخذ مال الإنسان إلا بطيب نفس منه، فلو طلب من إنسان مالاً على ملأ من الناس فاستحيا من الناس أن لا يعطيه وكان يود أن يكون سؤاله في خلوة)** حيث لا يكون الناس **(حتى لا يعطيه، ولكن خاف ألم مذمة الناس وخاف ألم تسليم المال فردد نفسه فاختار أهون الألمين وهو ألم التسلم فسلمه، فلا فرق بينه وبين المصادرة إذ معنى المصادرة إيلام البدن بالسوط حتى يصير ذلك أقوى من ألم القلب ببذل المال)** وقد

أهون الألمين، والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى، فإن الباطن عند الله تعالى ظاهر وإنما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله: وهبت لأنه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب، وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه أو لشر سعايته فهو حرام عليه، وكذلك كل ما لا يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام. ألا ترى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال ـ بعد أن غفر له ـ يا رب كيف لي بخصمي؟ فأمر بالاستحلال منه وكان ميتاً فأمر بندائه في صخرة بيت المقدس فنادى: يا أوريا فأجابه: لبيك يا نبي الله أخرجتني من الجنة فماذا تريد؟ فقال: إني أسأت إليك في أمر فهبه لي. قال: قد فعلت ذلك يا نبي الله، فانصرف وقد ركن إلى ذلك فقال له جبريل عليه السلام: هل ذكرت له ما فعلت؟ قال: لا. قال: فارجع فبين له، فرجع فناداه. فقال: لبيك يا نبي الله. فقال: إني أذنبت إليك ذنباً، قال: ألم أهبه لك؟ قال: ألا تسألني ما ذلك الذنب؟ قال: ما هو يا نبي الله؟ قال: كذا وكذا، وذكر شأن المرأة فانقطع الجواب، فقال: يا أوريا ألا تجيبني؟ قال: يا نبي الله ما هكذا يفعل الأنبياء حتى أقف معك بين يدي الله، فاستقبل

صادره مصادرة (**فيختار أهون الألمين، والسؤال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب بالسوط**) ومنه قولهم: ما أخذ بسيف المحاباة فهو حرام، (**ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى، فإن الباطن**) إنما هو بالإضافة إلينا، وأما (**عند الله تعالى**) **فهو** (**ظاهر**) لا يخفى عليه شيء في السماء والأرض، (**وإنما حاكم الدنيا هو الذي يحكم بالملك بظاهر قوله وهبت**) لك (**لأنه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب، وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه**) وفحشه (**أو لشر سعايته**) عند الظلمة (**فهو حرام عليه، وكذلك كل مال يؤخذ على هذا الوجه فهو حرام. ألا ترى إلى ما جاء في قصة داود عليه السلام حيث قال بعد أن غفر له: يا رب كيف لي بخصمي؟ فأمر بالإستحلال منه وكان ميتاً**) قد مات شهيداً في غزو (**فأمر بندائه في صخرة بيت المقدس فنادى: يا أوريا، فأجابه لبيك يا نبي الله أخرجتني من الجنة فما تريد؟ قال إني أسأت إليك في أمر فهبه لي. قال: قد فعلت ذلك يا نبي الله. فانصرف وقد ركن إلى ذلك**) أي مال إليه واعتمده، (**فقال له جبريل عليه السلام: هل ذكرت له ما فعلت**) من الإساءة؟ (**قال: لا قال: فارجع فبيّن له**) إساءتك، (**فرجع فناداه**) يا أوريا (**فقال: لبيك يا نبي الله. فقال: إني أذنبت إليك ذنباً. قال: ألم أهبه لك؟ قال: أولا تسألني ما ذلك الذنب؟ قال: ما هو يا نبي الله؟ قال: كذا وكذا فذكر شأن المرأة**) كما تقدمت القصة (**وانقطع الجواب، فقال**) داود (**يا أوريا ألا تجيبني؟ قال: يا نبي الله ما هكذا تفعل الأنبياء حتى أقف معك بين يدي الله، فاستقبل داود الصراخ والبكاء من الرأس حتى وعده الله أن يستوهبه منه في القيامة**).

أخرج الحكيم في النوادر وابن أبي حاتم بسند ضعيف من حديث أنس: لما أصاب داود ما أصاب مكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه، وأكلت الأرض جبينه، فجاءه جبريل بعد ذلك فقال: يا داود إن الله قد غفر لك. قال داود: عرفنا أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال: يا رب دمي الذي عند داود فقال جبريل: ما سألت ربك عن ذلك، فإن شئت لأفعلن. فقال: نعم فعرج جبريل وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نـزل فقال: يا داود قد سألت الله عن الذي أرسلتني فيه. فقال: قل لداود إن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول: هب لي دمك الذي عند داود فيقول: هو لك يا رب فيقول: فإن لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضاً.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن الحسن في قوله: ﴿وخرَّ راكعاً وأناب﴾ قال: سجد أربعين ليلة حتى أوحى الله إليه قد غفرت لك. قال: يا رب كيف تغفر لي وأنت حكم عدل لا تظلم أحداً؟ قال: إني أقضيك له ثم استوهبه دمك ثم أثيبه الجنة حتى يرضى. قال: الآن طابت نفسي وعلمت أن قد غفرت لي.

وأخرج أحمد في الزهد، عن أبي عمران الجوني قال: سجد داود أربعين ليلة ويوماً لا يرفع رأسه إلا إلى فريضة حتى يبس وقرحت جبهته وكفاه وركبتاه، فأتاه ملك فقال: يا داود إني رسول الله إليك، وأنه يقول لك: ارفع رأسك فقد غفرت لك. فقال: كيف يا رب وأنت حكم عدل وأنت ديان يوم الدين لا يجوز منك ظلم، كيف تغفر لي ظلمة الرجل؟ فترك ما شاء الله ثم أتاه ملك آخر فقال: يا داود إني رسول ربك إليك وأنه يقول لك إنك تأتيني يوم القيامة أنت وابن صوريا تختصمان إليَّ فاقضي له عليك ثم أسألها إياه فيهبها لي ثم أعطيه من الجنة حتى يرضى.

وأخرج ابن جرير والحاكم عن السدي قال: مكث داود أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة وهو يبكي حتى نبت العشب من دموع عينيه، فأوحى الله إليه يا داود أرفع رأسك فقد غفرت لك. قال: يا رب كيف أعلم أنك غفرت لي وأنت حكم عدل لا تحيف في القضاء إذا جاء أوريا يوم القيامة أخذ رأسه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه دماً في قتلى عرشك يقول: رب سل هذا فيما قتلني؟ فأوحى الله إليه إذا كان ذلك دعوت أوريا فاستوهب منه فيهبك لي فأثيبه بذلك الجنة. قال: يا رب الآن علمت أنك غفرت لي.

وأخرج ابن مردويه من حديث ابن مسعود قال: لما سجد داود قيل له: ارفع رأسك فقد غفرت لك. قال: يا رب كيف تكون هذه المغفرة وأنت قضاء بالحق ولست ظلاماً للعبيد رجل ظلمته عصيته قتلته؟ فأوحى الله إليه بلى يا داود تجتمـعان عندي فاقضي له عليك، فإذا برز الحق عليك استوهبته منه فوهب لي وأرضيه من قبلي وأدخله الجنة. فرفع داود رأسه وطابت نفسه وقال: نعم يا رب هكذا تكون المغفرة لي.

داود البكاء والصراخ من الرأس حتى وعده الله أن يستوهبه منه في الآخرة. فهذا ينبهك أن الهبة من غير طيبة قلب لا تفيد، وأن طيبة القلب لا تحصل إلا بالمعرفة، فكذلك طيبة القلب لا تكون في الإبراء والهبة وغيرهما إلا إذا خلى الإنسان واختياره حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه لا أن تضطر بواعثه إلى الحركة بالحيل والالزام.

ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته واتهابه مالها لإسقاط الزكاة. فالفقيه يقول: سقطت الزكاة فإن أراد به أن مطالبة السلطان والساعي سقطت عنه فقد صدق فإن مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال، وإن ظن أنه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باع لحاجته إلى البيع لا على هذا القصد فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة فإن سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل، فإن البخل مهلك. قال ﷺ: «ثلاث مهلكات شح مطاع» وإنما صار شحه مطاعاً بما فعله وقبله لم يكن مطاعاً. فقد تمّ هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فإن الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه، وأنه بلغ من حرصه على المال أنه استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل والغرور، ومن ذلك إباحة الله مال المصالح للفقيه وغيره بقدر

(فهذا ينبهك أن الهبة من غير طيب قلب لا تفيد وأن طيبة القلب لا تحصل إلا بالمعرفة، فكذلك طيبة القلب لا تكون في الإبراء والهبة وغيرهما إلا إذا خلى الإنسان واختياره حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه لا أن تضطر بواعثه إلى الحركة بالحيل والإلزام، ومن ذلك هبة الرجل مال الزكاة في آخر الحول من زوجته وإتهابه مالها لإسقاط الزكاة) كما أفتى به أبو يوسف، **(فالفقيه يقول: سقطت الزكاة)** بهذه الحيلة **(فإن أراد به أن مطالبة السلطان والساعي قد سقطت عنه فقد صدق، فإن مطمح نظرهم ظاهر الملك وقد زال، وإن ظن أنه يسلم في القيامة ويكون كمن لم يملك المال أو كمن باع لحاجته إلى البيع لا على هذا القصد، فما أعظم جهله بفقه الدين وسر الزكاة)** وقد تقدمت الإشارة إليه في كتاب العلم وزاد المصنف هنا فقال: **(فإن سر الزكاة تطهير القلب عن رذيلة البخل فإن البخل مهلك)** كما ورد به الخبر **(قال ﷺ: « ثلاث مهلكات شح مطاع)** وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه » وقد تقدم مراراً **(وإنما صار شحه مطاعاً بما فعله)** من الحيلة **(وقبله لم يكن مطاعاً)** فمجرد الشح إذا كان موجوداً في النفس لا يكون مهلكاً لأنه من لوازم النفس مستمد من أصل جبلتها الترابي، وفي التراب قبض وإمساك، وإنما يكون مهلكاً إذا كان مطاعاً أي ينقاده، **(فقد تم هلاكه بما يظن أن فيه خلاصه فإن الله مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه عليه، وأنه بلغ من حرصه على المال أن استنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل بالجهل**

الحاجة، والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الأماني والفضول والشهوات وبين الحاجات، بل كل ما لا تتم رعونتهم إلا به يرونه حاجة وهو محض الغرور، بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها في العبادة وسلوك طريق الآخرة، فكل ما تناوله العبد للاستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته. ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء في أمثال هذا لملأنا فيه مجلدات، والغرض من ذلك التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الاستيعاب فإن ذلك يطول.

الصنف الثاني: أرباب العبادة والعمل، والمغرورون منهم فرق كثيرة، فمنهم من غروره في الصلاة، ومنهم من غروره في تلاوة القرآن، ومنهم في الحج، ومنهم في الغزو، ومنهم في الزهد، وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خالياً عن غرور إلا الأكياس وقليل ما هم.

فمنهم فرقة: أهملوا الفرائض واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا إلى العدوان والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء

والغرور، ومن ذلك إباحة الله مال المصالح) المتقدم ذكره في كتاب الحلال والحرام (**للفقيه وغيره بقدر الحاجة الداعية لهم، والفقهاء المغرورون لا يميزون بين الأماني)** النفسية وهي التي تتمناها نفوسهم (**والفضول والشهوات وبين الحاجات)** الضرورية، (**بل كل ما لا تتم رعونتهم إلا به يرونه حاجة وهو محض الغرور، بل الدنيا خلقت لحاجة العباد إليها في العبادة وسلوك طريق الله، فكل ما يتناوله العبد للإستعانة به على الدين والعبادة فهو حاجته وما عدا ذلك فهو فضوله وشهوته)**، فهم يأخذون من مال المصالح ويصرفونه في شهوات نفوسهم ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً. (**ولو ذهبنا نصف غرور الفقهاء في أمثال هذا لملأنا فيه مجلدات، والغرض التنبيه على أمثلة تعرف الأجناس دون الإستيعاب والإستقصاء فإن ذلك يطول)** والبصير الكامل يكفيه ما ذكرنا فليقس عليه ما عداه، والله الموفق.

(**الصنف الثاني: أرباب العبادة والعمل: والمغرورون منهم فرق كثيرة، فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم في تلاوة القرآن، ومنهم في الحج، ومنهم في الغزو، ومنهم في الزهد، وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خالياً عن نوع غرور إلا الأكياس وقليل ما هم.**

(**فمنهم فرقة أهملوا الفرائض)**: أي تركوها (**واشتغلوا بالفضائل والنوافل وربما تعمقوا في الفضائل حتى خرجوا إلى)** حدّ (**العدوان والسرف كالذي يغلب عليه الوسوسة**

فيبالغ فيه ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة، وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل الحرام المحض، ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة، إذ توضأ عمر رضي الله عنه بماء في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة. وكان مع هذا يدع أبواباً من الحلال مخافة من الوقوع في الحرام، ثم من هؤلاء من يخرج إلى الإسراف في صب الماء وذلك منهي عنه، وقد يطول الأمر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها أيضاً عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت، وإن لم يفته فهو مغرور ولإسرافه في الماء، وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو أعز الأشياء فيما له مندوحة عنه إلا أن الشيطان يصد الخلق عن الله بطريق سني ولا يقدر على صد العباد إلا بما يخيل إليهم أنه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك.

وفرقة أخرى: غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوّش عليه حتى تفوته الجماعة وتخرج الصلاة عن الوقت وإن تم تكبيره

في الوضوء فيبالغ فيه) ويكرر غسل الأعضاء (و) ربما (**لا يرتضي الماء المحكوم بطهارته في فتوى الشرع ويقدر الأحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة، وإذا آل الأمر إلى أكل الحلال قدر الإحتمالات القريبة بعيدة، وربما أكل الحرام المحض، ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء إلى الطعام لكان أشبه بسيرة الصحابة**) رضوان الله عليهم، (**إذ توضأ عمر رضي الله عنه بماء من جرة نصرانية**) كما أورده البخاري في أول صحيحه وتقدم في كتاب سر الطهارة (**مع ظهور احتمال النجاسة، وكان مع هذا يدع أبواباً من الحلال خوفاً من الوقوع في الحرام**) كما هو معروف من سيرته، (**ثم في هؤلاء من يخرج إلى الإسراف في صب الماء، وذلك منهي عنه**) في أخبار كثيرة منها ما رواه الترمذي، وابن ماجه من حديث أبي بن كعب أن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان الحديث، وقد تقدم في كتاب عجائب القلب (**وقد يطول الأمر حتى يضيع الصلاة ويخرجها عن وقتها وإن لم يخرجها عن وقتها أيضاً فهو مغرور لما فاته من فضيلة أول الوقت**) فإنه رضوان الله، (**وإن لم يفته فهو مغروررة لإسرافه في الماء وإن لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو أعز الأشياء**) وأنفسها (**فيما له مندوحة عنه إلا أن الشيطان يصد الخلق عن الله بطرق**) شتى، (**ولا يقدر على صد العباد إلا بما يخيل إليهم أنه عبادة فيبعدهم عن الله بمثل ذلك**).

(**وفرقة أخرى: غلب عليها الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوّش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلاة عن الوقت**) باشتغاله بالنية،

فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته، وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه، يفعلون ذلك في أول الصلاة ثم يغفلون في جميع الصلاة فلا يحضرون قلوبهم ويغترون بذلك، ويظنون أنهم إذا أتعبوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم.

وفرقة أخرى: تغلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلاً عن معنى القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم إلى أسراره. وهذا من أقبح أنواع الغرور فإنه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام.

ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤديها على وجهها فأخذ يؤدي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد أخرى، وهو في

(**وإن تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته، وقد يوسوسون في التكبير حتى قد يغيرون صيغة التكبير**) مع رفع الصوت (**لشدة الإحتياط فيه يفعلون ذلك في أول الصلاة، ثم يغفلون في جميع الصلاة ولا يحضرون قلوبهم**) بل يسرعون في القراءة ويخففون الركوع والسجود، وكل ذلك مشاهد خصوصاً في هذه الأزمنة المتأخرة (**ويغترون بذلك ويظنون أنهم إذا أتعبوا أنفسهم في تصحيح النية في أول الصلاة وتميزوا عن العامة بهذا الجهد والإحتياط فهم على خير عند ربهم**) وليس كما ظنوا.

(**وفرقة أخرى: تغلب عليها الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات**) التي في الفاتحة وهي أربعة عشر تشديدة (**والفرق بين**) مخرجي (**الضاد والظاء**) ويتحمل المشقة في ذلك (**وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلاً عن معنى القرآن**) الذي هو المقصود بالذات (**و**) عن (**الإتعاظ به و**) عن (**صرف الفهم إلى أسراره، وهذا من أقبح أنواع الغرور فإنه لم يكلف الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام**) أي في محاوراتهم، ولذا لم ينقل عن أحد من السلف هذا التشدد.

(**ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤديها على وجهها فأخذ يؤدي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويكررها ويعيدها مرة بعد أخرى، وهو في ذلك**

ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس، فما أحراه بأن تقام عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل.

وفرقة أخرى: اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذا، وربما يختمونه في اليوم والليلة مرة، ولسان أحدهم يجري به وقلبه يتردد في أودية الأماني إذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة، فهو مغرور يظن أن المقصود من إنزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه.

ومثاله مثال عبد كتب إليه مولاه ومالكه كتاباً وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي، فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به، ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما أمره به مولاه إلا أنه يكرر الكتاب بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة، ومهما ظن أن ذلك هو المراد منه فهو مغرور. نعم تلاوته إنما تراد لكيلا ينسى بل لحفظه، وحفظه يراد لمعناه، ومعناه يراد للعمل به والانتفاع بمعانيه، وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به ويغتر باستلذاذه ويظن أن ذلك لذة مناجاة الله تعالى

غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس، فما أحراه بأن تقام عليه السياسة ويرد إلى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل) فهكذا من فعل بحضرة ملك الملوك جل جلاله ولم يراع حرمة الحضرة في أداء رسالته فإنه يستحق التأديب.

(**وفرقة أخرى: اغتروا بقراءة القرآن فيهذونه هذاً**) أي يسرعون فيه، (**وربما يختمون في اليوم والليلة مرة، ولسان أحدهم يجري به وقلبه يتردد في أودية الأماني**) وشهوات النفوس، (**إذ لا يتفكر في معاني القرآن لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الإعتبار فيه إلى غير ذلك مما ذكرناه في كتاب تلاوة القرآن من مقاصد التلاوة، فهو مغرور يظن أن المقصود من إنزال القرآن الهمهمة به مع الغفلة عنه**) أي عن فهم معانيه.

(**ومثاله مثال عبد كتب إليه مالكه كتاباً وأشار عليه فيه بالأوامر والنواهي، فلم يصرف عنايته إلى فهمه والعمل به، ولكن اقتصر على حفظه**) فقط (**فهو مستمر على خلاف ما أمر به مولاه إلا أنه مكرر للكتاب بنغمته وصوته كل يوم مائة مرة فهو مستحق** للعقوبة، ومهما ظن أن ذلك هو المراد منه فهو مغرور. نعم تلاوته إنما تراد لكيلا ينسى بل لحفظه، وحفظه يراد لمعناه، ومعناه يراد للعمل به والإنتفاع بمعانيه) على قدر فهمه، (**وقد يكون له صوت طيب فهو يقرؤه ويلتذ به**) في نفسه (**ويغتر باستلذاذه ويظن أن ذلك لذة**

وسماع كلامه، وإنما هي لذته في صوته ولو ردد ألحانه بشعر أو كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ، فهو مغرور إذ لم يتفقد قلبه فيعرف أن لذته بكلام الله تعالى من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته.

وفرقة أخرى: اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر أو صاموا الأيام الشريفة وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة وخواطرهم عن الرياء، وبطونهم عن الحرام عند الإفطار، وألسنتهم عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار، وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرائض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور.

وفرقة أخرى: اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال، وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الإسلام ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم، ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام

مناجاة الله وسماع كلامه، وإنما هي لذته في صوته) لا غير (**ولو ردد ألحانه بشعر أو كلام آخر لألتذ به ذلك الإلتذاذ**) بعينه، (**فهو مغرور إذا لم يتفقد قلبه فيعرفه أن لذته بكلام الله من حيث حسن نظمه ومعانيه أو بصوته**).

(**وفرقة منهم: اغتروا بالصوم**) الكثير (**وربما صاموا الدهر أو صاموا الأيام الشريفة**) كالإثنين والجمعة وكعشر ذي الحجة وعشر المحرم ويوم ليلة مولده ﷺ ويوم ليلة المعراج ويوم ليلة النصف من شعبان (**وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة**) والكذب (**وخواطرهم عن الرياء**) وحب المحمدة، (**وبطونهم عن أكل الحرام**) أو الشبهة (**عند الإفطار**) وفي السحور، (**وألسنتهم من الهذيان**) واللغو (**بأنواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه، وذلك غاية الغرور**).

(**وفرقة أخرى: اغتروا بالحج فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن المظالم**) التي ترتبت على ذمته ومن غير توبة عن المعاصي (**و**) من غير (**قضاء الديون**) التي عليه (**و**) من غير (**استرضاء الوالدين**) إن كانا موجودين (**و**) من غير (**طلب الزاد الحلال، وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الإسلام**) عن ذمته (**ويضيعون في الطريق الصلاة والفرائض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن**) كسلامنهم أو لعذر عدم الماء (**ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم**) ولا يرجعون عن الطريق، والمراد بالظلمة أمراء البلاد الذين يمرون عليهم وفي معناهم الأعراب الصادون عن الطريق إلا بدفع شيء من المال على كل إنسان، فحكمه حكم المكس وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الحج مفصلاً (**ولا يحذرون في الطريق من الرفث والخصام**) المنهي عنهما، (**وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرفقاء في الطريق**

وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرفقاء في الطريق وهو يطلب به السمعة والرياء، فيعصي الله تعالى في كسب الحرام أولاً وفي إنفاقه بالرياء ثانياً، فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه، ثم يحضر البيت بقلب ملوّث برذائل الأخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره على حضوره وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه فهو مغرور.

وفرقة أخرى: أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه، وإذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرئاسة والعزة، وإذا باشر منكراً ورد عليه غضب وقال: أنا المحتسب فكيف تنكر عليّ؟ وقد يجمع الناس إلى مسجده ومن تأخر عنه أغلظ القول عليه، وإنما غرضه الرياء والرئاسة، ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه، بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن لله ولو جاء غيره وأذن في وقت غيبته قامت عليه القيامة وقال: لم آخذ حقي وزوحمت على مرتبتي، وكذلك قد يتقلد إمامة مسجد ويظن أنه على خير وإنما غرضه أن يقال انه إمام المسجد، فلو تقدم غيره وإن كان أورع وأعلم منه ثقل عليه.

وهو يطلب به السمعة والرياء) بين نظرائه، (**فيعصي الله في كسب الحرام أولاً، وفي إنفاقه عليهم بالرياء ثانياً، فلا هو أخذه من حله ولا هو وضعه في حقه، ثم يحضر البيت)** المكرم (**بقلب ملوث برذائل الأخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيره)** الظاهر والباطن (**على حضوره)** البيت، (**وهو مع ذلك يظن أنه على خير من ربه وهو مغرور)** قد خدع به.

(**وفرقة أخرى: أخذت في طريق الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)** فترى واحداً منهم (**ينكر على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه، فإذا أمرهم بالخير عنف)** وشدد (**وطلب الرئاسة والعزة، وإذا باشر)** بنفسه (**منكراً فرد عليه غضب وقال: أنا المحتسب فكيف تنكر علي)** وهو غرور، (**وقد يجمع الناس إلى مسجده)** أو زاويته للصلاة والذكر، (**ومن تأخر عنه أغلظ عليه القول وإنما غرضه)** في ذلك (**الرياء)** والسمعة (**والرئاسة)** على الناس ولو (**قام بتعهد المسجد غيره لحرد)** أي غضب وحقد، (**بل منهم من يؤذن ويظن أنه يؤذن)** حسبة (**لله)** تعالى، (**ولو جاء غيره وأذّن في وقت غيبته قامت عليه القيامة)** وتبربر (**وقال: لم آخذ حقي وزوحمت على مرتبتي)** وهو غرور، (**وكذلك قد يتقلد إمامة مسجد)** حسبة لله تعالى (**ويظن أنه على خير وإنما غرضه)** في إمامته (**أن يقال أنه إمام المسجد)** الفلاني، وكذلك قد يتقلد تدريس علم في ذاته ويغتر به وغرضه أن يقال أنه مدرس الزاوية الفلانية، (**ولو تقدم غيره)** في تلك الإمامة والتدريس (**وإن كان أورع منه وأعلم منه ثقل عليه)**، ويا ليته ثقل عليه باطناً ويسكت على هذا القدر، بل يشاكيه إلى أهل محلته ويقع فيه وهو غرور فاحش.

وفرقة أخرى: جاوروا بمكة أو المدينة واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم فقلوبهم معلقة ببلادهم ملتفتة إلى قول من يعرفه أن فلاناً مجاور بمكة وتراه يتحدى ويقول: قد جاورت بمكة كذا كذا سنة، وإذا سمع أن ذلك قبيح ترك صريح التحدي وأحب أن يعرفه الناس بذلك، ثم أنه قد يجاور ويمد عين طمعه إلى أوساخ أموال الناس، وإذا جمع من ذلك شيئاً شح به وأمسكه ولم تسمح نفسه بلقمة يتصدق بها على فقير فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان عنها بمعزل لو ترك المجاورة، ولكن حب المحمدة وأن يقال أنه من المجاورين ألزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل، فهو أيضاً مغرور، وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات، فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور، ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتب إحياء علوم الدين فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة، وفي الحج من كتاب الحج، والزكاة والتلاوة وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها، وإنما الغرض الآن الإشارة إلى مجامع ما سبق في الكتب.

(**وفرقة أخرى: جاوروا بمكة أو المدينة**) شرفها الله تعالى (**واغتروا بذلك ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم**) تراهم، (**فقلوبهم معلقة ببلادهم**) لا تنفك عن خيالهم مع تمنيهم أن يكونوا بها فيعدون لذلك تلك الأيام عدا (**ملتفتة إلى قول من يعرفه أن فلاناً مجاور بمكة**) أو بالمدينة (**وتراه يتحدث**) مع الناس ويقول: (**قد جاورت بمكة**) أو بالمدينة. (**كذا كذا سنة**) وحضرت بها كذا وكذا موسماً ولقيت بها فلاناً وفلاناً، (**وإذا سمع أن ذلك قبيح ترك صريح التحدث وأحب**) في باطنه (**أن يعرفه الناس بذلك**) وهو غرور، (**ثم أنه يجاور**) بها (**ويمدّ عين طمعه إلى أوساخ أموال الناس**) من الصدقات التي تفرق هناك، (**فإذا جمع من ذلك شيئاً شح عليه وأمسكه**) بخلاً (**ولم تسمح نفسه**) بلقمة واحدة (**يتصدق بها على**) فقراء أهله (**فيظهر فيه الرياء والبخل والطمع وجملة من المهلكات كان**) هو (**عنها بمعزل لو ترك المجاورة، ولكن حب المحمدة**) والثناء (**وأن يقال أنه من المجاورين ألزمه المجاورة مع التضمخ بهذه الرذائل**) والخبائث (**فهو أيضاً مغرور، وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات**) ظاهرة وباطنة، (**فمن لم يعرف مداخل آفاتها واعتمد عليها فهو مغرور ولا يعرف شرح ذلك إلا من جملة كتاب إحياء علوم الدين**) وهو هذا الكتاب، (**فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة، و**) مداخله (**في الحج**) والزكاة والتلاوة في كتاب (**الحج و**) في كتاب (**الزكاة و**) في كتاب (**التلاوة و**) كذا (**سائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها**) بحسب المناسبات على وجه التصريح، (**وإنما الغرض الآن الإشارة إلى مجامع ما سبق في الكتب**) على طريق التلويح.

وفرقة أخرى: زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون ومن المسكن بالمساجد، وظنت أنها أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرئاسة والجاه إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد، فقد ترك أهون الأمرين وباء بأعظم المهلكين، فإن الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب، فهذا مغـرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر أن منتهى لذاتها الرئاسة وأن الراغب فيها لا بدّ وأن يكون منافقاً وحسوداً ومتكبراً ومرائياً ومتصفاً بجميع خبائث الأخلاق. نعم وقد يترك الرئاسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور إذ يتطاول بذلك على الأغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم، ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدري، وربما يعطي المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده، ولو قيل له: إنه حلال فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفاً من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من ألذ أبواب الدنيا ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو مغرور، ومع ذلك فربما لا يخلو من توقير الأغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل إلى المريدين له والمثنين عليه

(وفرقة أخرى: **زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالدون**) الحقير منها (**ومن المسكن بالمساجد**) والزوايا والخانات، (**وظنت أنها**) بذلك (**أدركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرئاسة والجاه إما بالعلم أو بالوعظ**) أو بحلقة الذكر (**أو بمجرد الزهد، فقد ترك**) هذا (**أهون الأمرين وباء بأعظم المهلكين، فان الجاه أعظم من المال**) كما سبقت الإشارة إليه في كتاب الجاه، (**ولو ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب، فهذا مغرور إذ ظن أنه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدرِ أن منتهى لذاتها الرئاسة وأن الراغب فيها لا بدّ وأن يكون منافقاً**) بأن يخالف باطنه ظاهره إبقاء للجاه (**وحسوداً**) يتمنى زوال نعمة الغير (**ومتكبراً**) على أقرانه (**ومرائياً**) في أحواله (**ومتصفاً بجميع خبائث الأخلاق. نعم، وقد يترك الرئاسة ويؤثر الخلوة والعزلة**) عن الناس (**وهو مع ذلك مغرور إذ يتطاول بذلك على الأغنياء ويخشن معهم الكلام وينظر إليهم بعين الاستحقار، ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم، ويعجب بعمله ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدري**) وهو غرور، (**وربما يُعطى المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده**) وأقبل على الدنيا (**ولو قيل له: إنه حلال فخذه في الظاهر وردّه في الباطن لم تسمح به نفسه خوفاً من ذم الناس، فهو**) إذاً (**راغب في حمد الناس**) وثنائهم عليه (**وهو من ألذ أبواب الدنيا، ويرى نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو مغرور مع ذلك، فربما لا يخلو**) حاله (**عن توقير الأغنياء**) إذا حضروا (**وتقديمهم على الفقراء**) في الجلوس والخطاب

والنفرة عن المائلين إلى غيره من الزهاد ، وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان ، نعوذ بالله منه . وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلي في اليوم والليلة مثلاً ألف ركعة ، ويختم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات ، فلا يدري أن ذلك مهلك ، وإن علم فلا يظن بنفسه ذلك وإن ظن بنفسه ذلك توهم أنه مغفور له لعمله الظاهر وأنه غير مؤاخذ بأحوال القلب ، وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته ، وهيهات ! وذرة من ذي تقوى وخلق واحد من أخلاق الأكياس أفضل من أمثال الجبال عملاً بالجوارح ، ثم لا يخلو هذا المغرور ، مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوّث باطنه عن الرياء وحب الثناء فإذا قيل له : أنت من أوتاد الأرض وأولياء الله وأحبابه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غروراً ، وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضياً عند الله ، ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه .

وفرقة أخرى : حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى أحدهم

وغير ذلك (و) عن (الميل إلى المريدين له) المعتقدين فيه (والمثنين عليه و) عن (**النفرة عن المائلين إلى غيره من الزهاد ، وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان**) يريد إهلاكه بذلك لو شعر ، (**وفي العباد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى ربما يصلي في اليوم والليلة مثلاً ألف ركعة ويختم**) مع ذلك (**القرآن**) إما في صلاته أو خارجاً عنها (**وهو في جميع ذلك لا تخطر له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات ، فلا يدري أن ذلك مهلك وإن علم فلا يظن بنفسه ذلك ، وإن ظن بنفسه ذلك فربما ظن أنه مغفور له لعمله الظاهر**) وما يخطر له من فضائله الواردة (**وأنه غير مؤاخذ بأعمال القلب ، وإن توهم فيظن أن العبادات الظاهرة تترجح بها كفة حسناته ، وهيهات؟ فذرة من ذي تقوى وخُلُق واحد من خُلق الاكياس أفضل من أمثال الجبال عملاً بالجوارح**) وإليه الاشارة بما في الخبر ما سبقكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ولكن بشيء وقر في صدره وقد تقدم ، (**ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته**) في محاوراته (**وتلوث باطنه**) بالقاذورات (**عن الرياء وحب الثناء ، فإذا قيل له : أنت من أوتاد الأرض وأوليائه وأحبائه**) وربما قيل له : أنت قطب هذا الزمان ومجدده (**فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غروراً**) وتمادياً على طريقته ، (**وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضياً عند الله**) تعالى ، (**ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه**) ولو كشف لهم الحجاب فرأوا ما فيه من ذميم الأوصاف لم يقولوا ما قالوا .

(**وفرقة أخرى : حرصت على النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرائض ترى أحدهم**

يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل، ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في أوّل الوقت وينسى قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: « ما تقرب المتقربون إلي بمثل أداء ما افترضت عليهم ». وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور

يفرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثال هذه النوافل) كصلاة الاوّابين والصلوات المذكورة في كتاب ترتيب الأوراد، **(ولا يجد للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: « ما تقرب المتقربون إليّ بمثل أداء ما افترضت عليهم »)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ « ما تقرب إليّ عبدي » انتهى.

قلت: ولفظه حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا خالد بن مخلد، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن أبي نمر، عن عطاء، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله تعالى قال من عادى لي ولياً فقد آذنني بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه » الحديث. وهذا الحديث من غرائب الصحيح مما تفرد به شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة. وتفرد به خالد بن مخلد، عن سليمان بن بلال، عن شريك وليس لمحمد بن عثمان بن كرامة في الصحيح إلا هذا الحديث الفرد.

وقال أبو نعيم في الحلية: وهذا أول أحاديث الكتاب حدثناه إبراهيم بن محمد بن حمزة، حدثنا أبو عبيدة محمد بن أحمد بن المؤمل ح.

وحدثنا إبراهيم بن عبد الله بن إسحاق، حدثنا محمد بن إسحاق السراج قالا: حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة فساقه بسنده ولفظه: « ومن آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضته عليه » الحديث.

ورواه أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الطب، والبيهقي في الزهد، وابن عساكر من حديث عائشة بلفظ: « قال الله تعالى من آذى لي ولياً فقد استحل محاربتي وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء الفرائض » الحديث.

ورواه ابن السنى في الطب من حديث ميمونة بلفظ: « قال الله تعالى ما تقرب إليّ العبد بمثل أداء فرائضي » الحديث.

ورواة ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء، والحكيم، وابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الاسماء، وابن عساكر من حديث أنس بلفظ « يقول الله تعالى من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة » الحديث. وفيه « وما تعبد إليّ عبدي المؤمن بمثل الزهد في الدنيا ولا تقرب عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه » الحديث.

بل قد يتعين على الإنسان فرضان. أحدهما يفوت والآخر لا يفوت، أو فضلان: أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته، فإن لم يحفظ الترتيب فيه كان مغروراً. ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى، فإن المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة، وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل، وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفايات، وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره، وتقديم الأهم من فروض الأعيان على ما دونه، وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت. وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ سئل رسول الله ﷺ فقيل له: من أبرّ يا رسول الله؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «أباك» قال: ثم من؟ قال: «أدناك فأدناك». فينبغي أن يبدأ في الصلة بالأقرب، فإن استويا فبالأحوج، فإن استويا فبالأتقى والأورع، وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور، بل ينبغي أن يقدم حقهما على الحج، وهذا من تقديم فرض أهم على فرض هو دونه، وكذلك إذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت

(وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور، بل قد يتعين على الانسان فرضان: أحدهما **يفوت، والآخر لا يفوت. أو فضلان**) أي نفلان. (**أحدهما يضيق وقته، والآخر يتسع وقته، فإن لم يحفظ الترتيب فيه فهو مغرور، ونظائر ذلك أكثر من** ان **تحصى، فإن المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة**) والأمر فيهما ظاهر، (**وإنما الغامض الخفي تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل، وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفايات، وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره، وتقديم الأهم من فروض الأعيان على ما دونه**) مما ليس بأهم (**وتقديم ما يفوت**) بفوات الوقت (**على ما لا يفوت، وهذا كما يجب أن يقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد إذ سئل رسول الله ﷺ فقيل له: من أبر**) أي من أحق بالبر؟ (**قال «أمك». قال: ثم من؟ قال «أمك» قال: ثم من؟ قال «أمك» قال: ثم من؟ قال: ثم من؟ قال «ثم أباك». قال: ثم من؟ قال «ثم أدناك فأدناك»**) أي الاقرب فالأقرب منك. رواه الترمذي، والحاكم وصححه من حديث بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده. وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة، وروى الديلمي من حديث ابن مسعود «برّ أمك ثم أباك ثم أخاك ثم أختك». (**فينبغي أن يبتدىء في الصلة بالأقرب**) نسباً منه، (**فإن استويا فبالأحوج فإن استويا فبالأتقى والأورع**) على هذا الترتيب، (**وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج**) فإن أنفق عليهما لم يف بالحج وبالعكس، (**فربما يحج**) ويترك الإنفاق عليهما (**وهو مغرور، بل ينبغي أن يقدم حقهما على الحج، وهذا من تقديم فرض أهم على فرض هو دونه**) في الرتبة، (**وكذلك إذا كان على العبد ميعاد**) لرجل (**ودخل وقت**) صلاة

الجمعة فالجمعة تفوت والاشتغال بالوفاء بالوعد معصية وإن كان هو طاعة في نفسه، وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك، فالنجاسة محذورة وايذاؤهما محذور، والحذر من الإيذاء أهم من الحذر من النجاسة. وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر. ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور. وهذا غرور في غاية الغموض لأن المغرور فيه في طاعة إلا أنه لا يفطِن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها. ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب، لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجه، فمعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به إلا أن حب الرئاسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الأقران والتقدم عليهم يعمي عليه حتى يغتر به مع نفسه ويظن أنه مشغول بمهم دينه.

الصنف الثالث: المتصوّفة وما أغلب الغرور عليهم، والمغترون منهم فرق كثيرة.

ففرقة منهم: وهم متصوّفة أهل الزمان إلا من عصمه الله اغتروا بالزي والهيئة

(**الجمعة فالجمعة تفوت بالاشتغال بالوفاء بالوعد وهو**) أي تفويت الجمعة به (**معصية، وإن كان هو**) أي الوفاء بالوعد (**طاعة في نفسه، وكذلك تصيب ثوبه النجاسة فيغلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك، فالنجاسة محذورة وإيذاؤهما محذور**) أيضاً. (**والحذر من الأذى أهم من الحذر من النجاسة**) لأن زوال الأذى عن قلوبهم عسر بخلاف إزالة النجاسة من الثوب، (**وأمثلة تقابل المحذورات والطاعات**) كثيرة (**لا تنحصر، ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور، وهذا غرور في غاية الغموض**) والدقة (**لأنّ المغرور فيه في طاعة إلا أنه لا يفطن لصيرورة الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي أهم منها**)، والأكياس يظنون ذلك، (**ومن جملته الاشتغال بالمذهب**) الذي يتعبد الله به (**والخلاف من الفقه في حق من بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب، لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيره في حوائجه**) ومهماته، (**فمعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به**) وأليق (**إلا أن حب الرئاسة والجاه ولذة المباهاة**) أي المفاخرة (**وقهر الأقران**) والنظراء (**والتقدم عليهم يعمى عليه**) سلوك طريق الأولى (**حتى يغترّ به مع نفسه ويظن أنه مشغول بمهم دينه**) والله الموفق.

الصنف الثالث: المتصوّفة

(**وما أغلب الغرور عليهم، والمغترون منهم فرق كثيرة**).

(**ففرقة منهم: متصوّفة أهل الزمان إلا من عصمة الله**) وأيده بتوفيقه (**اغتروا بالزي**

والمنطق، فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي ألفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم، وفي أحوالهم الظاهرة من السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتفكر، وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشمائل والهيئات، فلما تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضاً صوفية ولم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية. وكل ذلك من أوائل منازل التصوف، ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئاً منها؟ بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأمال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة، ويتحاسدون على النقير والقطمير، ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه، وهؤلاء غرورهم ظاهر ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت أن الشجعان والأبطال من المقاتلين ثبتت أسماؤهم في الديوان، ويقطع لكل واحد منهم قطر من أقطار المملكة، فتاقت نفسها إلى أن يقطع

والمنظر والهيئة) الظاهرة، (**فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي ألفاظهم**) في محاوراتهم (**وفي آدابهم**) الظاهرة (**ومراسمهم**) التي يجرونها بينهم (**واصطلاحاتهم**) التي توافقوا عليها، (**وفي أحوالهم الظاهرة في**) حال (**السماع والرقص**) والتواجد (**و**) في (**الطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس**) كالمراقب (**وإدخاله في الجيب**) أي جيب الخرقة (**كالمتفكر وفي تنفس الصعداء**) كالمتأسف لما فاته شيء، (**وفي خفض الصوت**) عند التكلم (**في الحديث إلى غير ذلك من الشمائل والهيئات، فلما تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أيضاً انهم صوفية و**) على ذلك (**لم يتعبوا أنفسهم قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب**) بالذكر (**وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية، وكل ذلك من أوائل منازل التصوّف**) عند هذه الطائفة العلية، (**ولو فرغوا من جيمعها**) عملاً وتحققاً (**لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم من الصوفية**) إذ بينه وبين الوصول إلى مراتبهم مفاوز تقطع الأعناق، (**كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا بأنفسهم شيئاً منها**) فهم عنها (**معرضون، بل يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين**) من المرتبات والإدرارات وغيرها (**ويتنافسون في الرغيف**) الواحد (**والفلس والحبة، ويتحاسدون على النقير**) النقطة التي على النواة (**والقطمير**) القشر الداخل على النواة، (**ويمزق بعضهم أعراض بعض مهما خالفه في شيء من غرضه، وهؤلاء غرورهم ظاهر**) لا يحتاج التنبيه بأكثر من ذلك، (**ومثالهم مثال امرأة عجوز سمعت أن الشجعان والأبطال من المقاتلين**) في سبيل الله (**ثبتت اسماؤهم في الديوان**) السلطاني، (**ويقطع كل واحد منهم قطراً من أقطار المملكة**) أي يكتب له إقطاعات في البلاد تحت شجاعته، (**فتاقت نفسها إلى**

لها مملكة فلبست درعاً ووضعت على رأسها مغفراً وتعلمت من رجز الأبطال أبياتاً وتعوّدت إيراد تلك الأبيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيف تحريكهم الأيدي، وتلقفت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات، ثم توجهت إلى المعسكر ليثبت إسمها في ديوان الشجعان، فلما وصلت إلى المعسكر أنفذت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته وتمتحن في المبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر غنائها في الشجاعة، فلما جردت عن المغفر والدرع فإذا هي عجوز ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل لها: أجئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف بأهل حضرته والتلبيس عليهم؟ خذوها فألقوها قدام الفيل لسحقها فألقيت إلى الفيل، فهكذا يكون حال المدعين للتصوّف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الأكبر الذي لا ينظر إلى الزي والمرقع بل إلى سر القلب.

وفرقة أخرى: زادت على هؤلاء في الغرور إذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضا بالدون، فأرادت أن تتظاهر بالتصوّف ولم تجد بداً من التزين بزيهم

أن تقطع) أيضاً (**مملكة فلبست درعاً)** من حديد (**ووضعت على رأسها مغفراً)** وهو طاس من حديد يستر الرأس (**وتعلمت من رجز الأبطال أبياتاً)** مما جرت عادتهم بانشادها إرهاباً للعدوّ (**وتعوّدت إيراد تلك الأبيات بنغماتهم حتى تيسرت عليها وتعلمت)** مع ذلك (**كيف هيئة تبخترهم)** في الميدان عند قيام الصفين (**وكيف تحريكهم الأيدي)** بالسلاح، (**وتلقت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكون، ثم توجهت إلى المعسكر)** أي الموضع الذي اجتمعت فيه العساكر (**ليثبت اسمها في ديوان الشجعان، فلما دخلت إلى المعسكر انفذت إلى ديوان العرض وأمر بأن تجرد عن المغفر والدرع فينظر ما تحته)** من قوّة البنية (**وتمتحن بالمبارزة مع بعض الشجعان ليعرف قدر غنائها في الشجاعة، فلما جردت عن المغفر والدرع فإذا هي عجوز ضعيفة زمنة)** أي ملابسة الضعف (**لا تطيق حمل الدرع والمغفر)** فضلاً عن قوّة البراز، (**فقيل لها: أجئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف بأهل حضرته والتلبيس عليهم؟ خذوها فألقوها قدام الفيل ليثخنها)** أي يهلكها وطأ بأقدامه، (**فألقيت إلى الفيل)** فوطئت، (**وهكذا يكون حال المدعين للتصوف في القيامة إذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الأكبر)** جل جلاله (**الذي لا ينظر إلى الزي والمرقع)** والهيئة، (**بل إلى سر القلب)** أي باطنه.

(**وفرقة أخرى: زادت على هؤلاء في الغرور إذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب)** أي رثاثتها (**والرضا بالدون)** في المعيشة، (**وأرادت أن تتظاهر بالتصوّف ولم تجد**

فتركوا الحرير والإبريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرقيقة والسجادات المصبغة ولبسوا من الثياب ما هو أرفع قيمة من الحرير والابريسم، وظن أحدهم مع ذلك انه متصوّف بمجرد الثوب وكونه مرقعاً، ونسي أنهم إنما لوّنوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ، وإنما لبسوا المرقعات إذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد، فأما تقطيع الفوط الرقيقة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها فمن أين يشبه ما اعتادوه؟ فهؤلاء أظهر حماقة من كافة المغرورين، فإنهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الأطعمة ويطلبون رغد العيش ويأكلون أموال السلاطين ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلاً عن الباطنة، وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير، وشر هؤلاء مما يتعدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدي بهم، ومن لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في أهل التصوّف كافة، ويظن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطوّل اللسان في الصادقين منهم، وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم.

وفرقة أخرى: ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والأحوال

بدأ من التزيي بزيهم فتركوا الخز والابريسم وطلبوا المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة) المثمنة (**والسجادات المصبوغة**) بالألوان المختلفة (**ولبسوا من الثياب ما هو أرفع قيمة من الخز والابريسم، وظن أحدهم مع ذلك أنه متصوّف بمجرد لون الثوب وكونه مرقعاً**) أي رقعاً خيطت في بعضها (**ونسي أنهم إنما لونوا الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لإزالة الوسخ**) فيشغلهم عن المراقبة، (**و**) أنهم (**إنما لبسوا المرقعات إذ كانت ثيابهم مخرقة**) قد بليت من طول الاستعمال، (**فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد**) ويكتفون بالقديم لأنه يقضى الحاجة في ستر العورة، (**فأما تقطيع الفوط الرفيعة قطعة قطعة وخياطة المرقعات منها**) بالخيوط الملونة مع الهيئات الغريبة، (**فأين يشبه ما اعتادوه؟ فهؤلاء أظهر حماقة من كافة المغرورين فإنهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الأطعمة ويطلبون رغد العيش**) ولذة النفس، (**ويأكلون أموال السلاطين**) من إدرار وهدية (**ولا يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلاً عن الباطنة وهم مع ذلك يظنون بأنفسهم الخير**) والصلاح، (**وشر هؤلاء مما يتعدى إلى الخلق إذ يهلك من يقتدي بهم**) أي يكون لهلاكه، (**ومن لا يقتدي بهم تفسد عقيدته في أهل التصوّف كافة إذ يظن أن جميعهم كانوا من جنسه فيطول اللسان**) لا محالة (**في الصادقين منهم**) وقد سرى هذا الشر إلى جملة من العوام بل وبعض الخواص فلم يميزوا بين المتحقق والمتشبه، وأطلقوا ألسنتهم في أعراضهم ونسبوهم إلى ما هم مبرأون منه، (**وكل ذلك من شؤم المتشبهين وشرهم**).

(**وفرقة أخرى: ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق**) من عين القلب (**ومجاوزة المقامات**

والملازمة في عين الشهود والوصول إلى القرب، ولا يعرف هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ لأنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات، فهو يرددها ويظن أن ذلك أعلى من علم الأوّلين والآخرين، فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الإزدراء فضلاً عن العوام، حتى أن الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياماً معدودة ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فيرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الأسرار. ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد: أنهم أجراء متعبون، ويقول في العلماء أنهم بالحديث من الله محجوبون، ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين، وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علماً ولم يذهب خلقاً ولم يرتب عملاً ولم يراقب قلباً سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه.

وفرقة أخرى: وقعت في الإباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الأحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملي فلم أتعب نفسي، وبعضهم يقول:

والأحوال) ولهم فروق في المقام والحال، وقد سبقت الإشارة إلى شيء منه وسياتي في الربع الأخير، **(والملازمة في عين الشهود)** مع عدم الإنفكاك **(والوصول إلى القرب)** المعنوي **(ولا يعرف)** واحد منهم **(هذه الأمور إلا بالأسامي والألفاظ إلا أنه تلقف من ألفاظ الطامات كلمات فهو يرددها)** على لسانه في محاوراته، **(ويظن أن ذاك أعلى من)** جلة **(علم الأوّلين والآخرين فهو ينظر إلى الفقهاء والمفسرين والمحدثين وأصناف العلماء)** شزراً **(بعين الإزدراء)** والاحتقار **(فضلاً عن العوام)** فإنهم عنده كالأنعام، **(حتى أن الفلاح يترك فلاحته)** أي حراثة الأرض، **(والحائك يترك حياكته ويلازمهم أياماً معدودة ويتلقف منهم الكلمات المزيفة فهو يرددها كأنه يتكلم)** بها **(عن الوحي)** السماوي **(وعن سر الأسرار)** المكتومة، **(ويستحقر بذلك)** مطلقاً لسانه في **(جميع العباد والعلماء)** الذين هم من خواص عباد الله تعالى، **(فيقول في العباد: إنهم أجراء متعبون وفي العلماء أنهم بالحديث)** والقال والقيل **(عن الله محجوبون، ويدعي لنفسه أنه الواصل إلى الحق وأنه)** عنده **(من المقربين)** في حضرته **(وهو)** في الحقيقة **(عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمقى الجاهلين)** المغرورين **(لم يحكم قط علماً)** أي لم يتقنه **(ولم يهذب قلباً)** بالمجاهدة **(ولم يرتب عملاً)** يكون به واصلاً، **(ولم يراقب قلباً)** بالذكر **(سوى اتباع الهوى)** والشهوات **(وتلقف الهذيان وحفظه)** فما أشد غرور هذا.

(وفرقة أخرى؛ منهم: وقعت في) إباحة **(الإباحة فطووا بساط الشرع)** على غرته **(ورفضوا الأحكام)** الشرعية **(وسوّوا بين الحلال والحرام)** وهم طائفة الملاحدة وهم فرق،

قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن، وإنما يغتر به من لم يجرب، وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال ولا يعلم الأحمق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلها، بل إنما كلفوا قلع مادتها بحيث ينقاد كل واحد منها لحكم العقل والشرع، وبعضهم يقول: الأعمال بالجوارح لا وزن لها، وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة إلى معرفة الله، وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب، ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية، وأن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوّتهم فيها ويرفعون درجة أنفسهم على درجة الأنبياء عليهم السلام، إذ كانت تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية، وأصناف غرور أهل الإباحة من

(**فبعضهم يزعم أن الله مستغن عن عملي**) كما تقتضيه حقيقة الغنى المطلق، (**فلم اتعب نفسي**) بالمجاهدة والرياضة، وهؤلاء قد شبه عليهم الأمر لم يفطنوا أن عائدة الأعمال إنما تعود إليهم وهم لكمال فقرهم محتاجون لها، وأما الحق تعالى فلا يسأل عما يفعل، (**وبعضهم يقول: قد كلف الناس تطهير القلوب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال، فقد كلفوا ما لا يمكن**) تحصيله وما من قلب إلا وفيه الشهوة وحب الدنيا، (**وإنما يغتر به من لم يجرب، وأما نحن فقد جربنا وأدركنا أن ذلك محال**) وهؤلاء أيضاً قد اشتبه عليهم الأمر، (**ولا يعلم الأحمق أن الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والغضب من أصلها، بل إنما كلفوا قلع مادتها بحيث ينقاد كل واحد منها لحكم العقل والشرع، وبعضهم يقول: الأعمال بالجوارح لا قدر**) وفي نسخة لا وزن (**لها، وإنما النظر إلى القلوب وقلوبنا والهة**) أي مهيمة (**بحب الله واصلة إلى معرفة الله، وإنما نخوض في الدنيا بأبداننا وقلوبنا عاكفة في الحضرة الربوبية**) نتمتع بها، (**فنحن في الشهوات بالظواهر لا بالقلوب. ويزعمون أنهم قد ترقوا عن رتبة العوام**) بهذا (**واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدنية**) لعدم الحاجة إليها (**و**) يزعمون (**أن الشهوات لا تصدهم عن طريق الله لقوّتهم فيها ويرفعون درجة أنفسهم عن درجة الأنبياء عليهم السلام، إذ كان يصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية**)، كما حكى ذلك في قصة آدم وداود عليهما السلام، فأخرج أحمد في الزهد عن علقمة بن مرثد قال: لو جمع دموع أهل الأرض ودموع داود ما عدلوا دموع آدم حين أهبط من الجنة. وعند ابن أبي شيبة: لو عدل بكاء أهل الأرض بكاء داود ما عدله ولو عدل بكاء أهل الأرض ببكاء آدم حين أهبط إلى الأرض ما عدله. وأخرج أحمد عن ثابت قال: اتخذ داود سبع حثايا من الشعر وحشاهن من الرماد ثم بكى حتى انفذها دموعاً، ولم يشرب داود شراباً إلا ممزوجاً بدموع عينيه، ومن طريق الاوزاعي مرفوعاً لقد خددت الدموع في وجه

المتشبهين بالصوفية لا تحصى، وكل ذلك بناء على أغاليط ووساوس يخدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل أحكام العلم، ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء به وإحصاء أصنافهم يطول.

وفرقة أخرى: جاوزت حد هؤلاء واجتنبت الأعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب، وصار أحدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها. فمنهم من يدعي الوجد والحب لله تعالى ويزعم أنه واله بالله ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته، ثم أنه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله عز وجل وعن إيثار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق، ولو خلا لما تركه حياء من الله تعالى. وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب. وبعضهم ربما يميل إلى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة، وقد كانوا أعرف بالتوكل منه، فما فهموا أن

داود خديد الماء في الأرض. ومن طريق أبي عبد الله الجدلي قال: ما رفع داود رأسه إلى السماء بعد الخطيئة حتى مات.

(**وأصناف غرور أهل الإباحة من المتشبهين بالصوفية لا تحصى**) وفضائحهم في سوء ما ذهبوا إليه لا تستقصى، (**وكل ذلك بناء على أغاليط**) وقعت لهم في فهمهم (**ووساوس يخدعهم الشيطان بها لأشتغالهم بالمجاهدة**) والرياضة (**قبل احكام العلم**) واتقان قواعده، (**ومن غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للإقتداء به**) نعم شيخهم الذي يقتدون به الشيطان (**وإحصاء أصنافهم يطول**).

(**وفرقة أخرى: جاوزت حدّ هؤلاء واجتنبت الأعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار أحدهم**) بعد ذلك (**يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها**) وهم فرق (**فمنهم من يدعى الوجد**) وهو فقدانه بمحو أوصافه البشرية (**والحب لله تعالى، ويزعم أنه واله بالله**) مشغوف به (**ولعله قد تخيل في الله خيالات هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته**) ولا يتم حب شيء إلا بعد معرفته بحقيقته، (**ثم أنه لا يخلو عن مقارفة ما يكره الله وعن إيثار هوى نفسه على أمر الله وعن ترك بعض الأمور حياء من الخلق، ولو خلا**) بنفسه (**ما تركه حياء من الله وليس يدري أن كل ذلك يناقض الحب**) ويضاده، (**وبعضهم** ربما يميل إلى **القناعة والتوكل فيخوض البوادي**) والقفار (**من غير زاد ليصحح دعوى التوكل وليس يدري أن ذلك بدعة لم ينقل عن السلف والصحابة**) رضوان الله عليهم كما

التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد ، بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد ، وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب واثق به ، وما من مقام من المقامات المنجيات إلا وفيه غرور وقد اغتر به قوم ، وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن إعادتها .

وفرقة أخرى: ضيقت على نفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص ، وأهملوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة ، ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومسكنه وأخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين أن الله تعالى لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا يرضى بسائر الأعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه إلا تفقد جميع الطاعات والمعاصي ، فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفيه وينجيه فهو مغرور .

وفرقة أخرى: ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوماً وتكلفوا بخدمتهم ، واتخذوا ذلك شبكة للرئاسة وجمع المال ، وإنما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع ، وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون أن غرضهم

عرف ذلك من سيرهم، (**وقد كانوا أعرف بالتوكل منه فما فهموا أن التوكل**) هو (**المخاطرة بالروح وترك الزاد ، بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله لا على الزاد ، وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب واثق به**) فكيف يصح توكله (**وما من مقام من مقامات المنجيات**) على ما سيأتي (**إلا وفيه غرور قد اغتربه قوم، وقد ذكرنا مداخل الآفات في ربع المنجيات من الكتاب فلا يمكن إعادتها**) هنا .

(**وفرقة أخرى: ضيقت على أنفسها في أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملوا تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة، ومنهم من أهمل الحلال في مطعمه وملبسه ومكسبه وأخذ يتعمق في غير ذلك**) من الأعمال، (**وليس يدري المسكين أن الله لم يرض من عبده بطلب الحلال فقط ولا رضي بسائر الأعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه إلا تفقد جميع الطاعات والمعاصي، فمن ظن أن بعض هذه الأمور يكفيه**) عن البعض (**وينجيه**) من عقاب الله (**فهو مغرور**) في ظنه .

(**وفرقة أخرى: منهم ادعو أحسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدوا لخدمة الصوفية فجمعوا قوماً**) منهم (**وتكلفوا خدمتهم، واتخذوا ذلك شبكة للرئاسة و**) وسيلة إلى (**جمع المال، وإنما غرضهم**) من ذلك (**التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع، وغرضهم الإرتفاع**) بالمعيشة (**وهم يظهرون أن غرضهم الإرفاق**) للصوفية (**وغرضهم الإستتباع،**

الإرفاق وغرضهم الاستتباع، وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم لتكثر أتباعهم وينشر بالخدمة اسمهم، وبعضهم يأخذ أموال السلاطين ينفق عليهم، وبعضهم يأخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم أن غرضه البر والانفاق، وباعث جميعهم الرياء والسمعة، وآية ذلك إهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهراً وباطناً ورضاهم بأخذ الحرام والإنفاق منه. ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لإرادة الخير كمن يعمر مساجد الله فيطينها بالعذرة ويزعم أن قصده العمارة.

وفرقة أخرى: اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها، فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علماً وحرفة فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون: هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيباً عيب والإلتفات إلى كونه عيباً عيب، ويشغفون فيه بكلمات مسلسلة تضيع الأوقات في تلفيقها، ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه.

وهم يظهرون أن غرضهم الخدمة والتبعية) فهذه فضائحهم، (**ثم أنهم يجمعون من الحرام والشبهات)** من حيث اتفق (**وينفقون عليهم لتكثر أتباعهم وينشر)** في الآفاق (**بالخدمة اسمهم، وبعضهم يأخذ أموال السلاطين وينفق عليهم)** منها، (**وبعضهم يأخذها لينفق في طريق الحج على الصوفية ويزعم أن غرضه البر والإنفاق، وباعث جميعهم الرياء والسمعة، وآفة ذلك إهمالهم لجميع أوامر الله تعالى عليهم ظاهراً وباطناً ورضاهم بأخذ الحرام والإنفاق منه. ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج لإرادة الخير كمن يعمر مساجد الله)** قصداً للثواب (**فيطينها بالعذرة)** والنجاسة (**ويزعم أن قصده)** بذلك (**العمارة)**.

(**وفرقة أخرى: منهم: اشتغلوا بالمجاهدة)** والرياضة (**وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها)** ويبالغون، (**فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها علماً وحرفة فهم في جميع أحوالهم مشغولون بالفحص عن عيوب النفس واستنباط دقيق الكلام في آفاتها فيقولون: هذا في النفس عيب والغفلة عن كونه عيباً عيب والإلتفات إلى كونه عيباً عيب، ويشغفون بكلمات مسلسلة)** مزخرفة (**تضيع الأوقات في تلفيقها)** وتركيبها، (**ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب)** والبحث عن مكانها (**وتحرير علم علاجها كان كمن اشتغل بالتفتيش عن عوائق الحج وآفته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه)** ولا يعد من السالكين.

وفرقة أخرى: جاوزوا هذه الرتبة وابتدأوا سلوك الطريق وانفتح لهم أبواب المعرفة، فكلما تشمموا من مبادىء المعرفة رائحة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبتهم غرابتها، فتقيدت قلوبهم بالالتفات إليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم، وكل ذلك غرور لأن عجائب طريق الله ليس لها نهاية، فلو وقف مع كل أعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه وحرم الوصول إلى المقصد، وكان مثاله مثال من قصد ملكاً فرأى على باب ميدانه روضة فيها أزهار وأنوار لم يكن قد رأى قبل ذلك مثلها، فوقف ينظر إليها ويتعجب حتى فاته الوقت الذي يمكنه فيه لقاء الملك.

وفرقة أخرى: جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في الطريق ولا إلى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات إليها جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله تعالى، فظنوا أنهم قد وصلوا إلى الله فوقفوا وغلطوا فإن لله تعالى سبعين حجاباً من نور لا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب في الطريق إلا ويظن أنه قد وصل، وإليه الإشارة بقول إبراهيم عليه السلام إذ

(وفرقة أخرى: جاوزوا هذه الرتبة وابتدؤا بسلوك الطريق فانفتح لهم أبواب المعرفة فكلما تشمموا من مبادىء المعرفة رائحة تعجبوا منهـا) لحسْنهـا **(وفـرحـوا بها)** واطمأنـوا إليها **(وأعجبهم غرائبها)** ومحاسنها، **(فتقيدت قلوبهم بالإلتفات إليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم، وكل ذلك غرور)** مع الإعجاب حيث انفتح له وانسد على غيره، وأما الغـرور فمن حيث تقيد القلب والإلتفات وهو أعظم حجاب للسالك في سلوكه **(لأن عجائب طريق الله ليس لها نهاية، فلو وقف مع كل أعجوبة وتقيد بها قصرت خطاه)** في سلوكه **(وحرم عن الوصول إلى المقصد)** وحيل بينه وبينه **(وكان مثاله مثال من قصد ملكاً)** من الملوك **(فرأى على باب ميدانه روضة فيها أزهار وأنوار)** ومتنزهات **(لم يكن رأى قبل ذلك مثلها، فوقف ينظر إليها)** متعجباً منها **(حتى فاته الوقت الذي يمكن فيه لقاء الملك)** فحرم من مقصوده.

(وفرقة أخرى: جاوزوا هؤلاء ولم يلتفتوا إلى ما يفيض عليهم من الأنوار في الطريق وإلى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والإلتفات إليها) وقطعوا النظر عنها **(جادين في السير حتى قاربوا فوصلوا إلى حد القربة إلى الله، فظنوا أنهم وصلوا إلى الله فوقفوا)** عن سيرهم اعتماداً على ظنهم **(وغلطوا فإن لله تعالى سبعين حجاباً من نور)** وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره كما في الخبر، **(فلا يصل السالك إلى حجاب من تلك الحجب)** أي النورانية **(إلا ويظن أنه قد وصل)** وتحقيقه أن الله تعالى

قال الله تعالى اخباراً عنه: ﴿فلمّا جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي﴾ [الأنعام: ٧٦] وليس المعنى به هذه الأجسام المضيئة، فإنه كان يراها في الصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحداً، والجهال يعلمون أن الكوكب ليس بإله فمثل إبراهيم عليه السلام لا يغره الكوكب الذي لا يغر السوادية؛ ولكن المراد به أنه نور من الأنوار التي هي من حجب الله عز وجل وهي على طريق السالكين، ولا يتصوّر الوصول إلى الله

متجل في ذاته بذاته لذاته ويكون الحجاب في الإضافة إلى محجوب لا محالة، وإن المحجوبين من الخلق منهم من يحجب بمجرد الظلمة، ومنهم من يحجب بالنور المحض، ومنهم من يحجب بنور مقرون بظلمة، وقد أشرنا إلى الصنفين الأولين قريباً، والمحجوبون بمحض الأنوار أصناف كثيرة الواصلون منهم من اعتقد أن معبودهم واحد موصوف بصفة لا تنافي الوحدانية المحضة والكمال البالغ، وإن نسبته إلى الموجودات الحسية نسبة الشمس إلى الأنوار المحسوسة منه، فتوجهوا من الذي يحرك السموات ومن الذي أمر بتحريكها إلى الذي فطر السموات وفطر الأمر بتحريكها، فوصلوا إلى موجود منزه عن كل ما أدركه بصر الناظرين وبصيرتهم، إذ وجوده من قبله فاحرقت سبحات وجه الأول الأعلى جميع ما أدركه الناظرون وبصيرتهم، إذ وجوده مقدساً منزهاً، ثم هؤلاء انقسموا فمنهم من أحرق منه جميع ما أدركه بصره فانمحق وتلاشى ولكن بقي هو ملاحظاً للجمال والقدس وملاحظاً ذاته في جماله الذي ناله بالوصول إلى الحضرة الإلهية، وانمحقت منها المبصرات دون المبصر، وجاوز هؤلاء طائفة منهم خواص الخواص فأحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال وانمحقوا وتلاشوا في ذاته، ولم يبق لهم لحاظ إلى أنفسهم بفنائهم عن أنفسهم، ولم يبق إلا الواحد الحق وصار معنى كل شيء هالك إلا وجهه لهم ذوقاً وحالاً، فهذه نهاية الواصلين ومنهم من لم يندرج في الترقي والعروج عن التفصيل المذكور ولم يطل عليه العروج، فسبقوا في أول وهلة إلى معرفة القدس وتنزيه الربوبية في كل ما يجب تنزيهه عنه فغلب عليهم أولاً ما غلب على الآخرين آخراً، وهجم عليهم التجلي دفعة فأحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن أن يدركه بصر حسي أو بصيرة عقلية، ويشبه أو يكون الأول طريق الخليل، والثاني طريق الحبيب صلوات الله عليهما وسلامه، وإليه أشار المصنف بقوله: (**وإليه الإشارة بقول الخليل عليه السلام إذ قال تعالى أخباراً عنه ﴿فلما جن عليه الليل**) أي أظلم (**رأي كوكباً**) من الكواكب (**قال هذا ربي﴾ وليس المعنى به**) الكوكب المعهود من (**هذه الأجسام المضيئة**) المركوزة في سطح السماء، (**فإنه**) عليه السلام (**كان يراها**) أي تلك الكواكب (**في**) حالة (**الصغر، ويعلم أنها ليست آلهة**) حاشاه من ذلك (**و**) مع ذلك (**هي كثيرة**) لا عدد يحويها (**وليست واحدة**) حتى يظن فيها الربوبية (**والجهال**) المحجوبون بظلمتهم (**يعلمون أن الكوكب ليس بالإلة، فمثل إبراهيم عليه السلام**) في جلالة قدره وعصمته لا يغره الكوكب (**الذي لا يغر السوادية**) الجهال، (**ولكن المراد به نور من الأنوار التي هي من حجب الله**) المشار إليها في الحديث السابق (**وهي**) أي حجب الأنوار (**على طريق السالك**) في

تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب وهي حجب من نور بعضها أكبر من بعض، وأصغر النيران الكوكب فأستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر، فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال الله تعالى: ﴿وكذلك نُري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ [الأنعام: ٧٥] يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه في أول ما كان يلقاه أنه قد وصل، ثم كان يكشف له أن وراءه أمراً فيترقى إليه ويقول: قد وصلت فيكشف له ما وراءه، حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا وصول إلا بعده فقال: ﴿هذا أكبر﴾ [الأنعام: ٧٨] فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال: ﴿لا أحب الآفلين إني وجهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض﴾ [الأنعام: ٧٩] وسالك هذه

سلوكه إلى الله تعالى، (**ولا يتصور الوصول إلى الله إلا بالوصول إلى هذه الحجب وهي حجب من النور**) كالستائر الرفيعة التي تكون على أبواب حضرة الملوك في الدنيا (**وبعضها أعظم من بعض**) في الجرم وفي النور، (**وأصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه**) بجامع النور، (**وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر**) فهو أكبر من الكوكب وأضوأ وأصغر من الشمس وأقل نوراً منها، (**فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكرت السموات**) بعين بصره وبصيرته (**حيث قال تعالى: ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ يصل**) في سلوكه (**إلى نور بعد** نور ويتخيل إليه **في أول ما يلقاه أنه قد وصل**) إلى الله (**ثم كان يكشف له أن وراءه أمراً فيرتقي إليه ويقول: قد وصلت**) إلى الله (**فيكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا وصول إلا بعده**) أي بعد رفعه وقطعة (**فقال: ﴿هذا أكبر﴾ فلما ظهر له أنه مع عظمه**) الذي يذكر فيه أن قدر سعة الدنيا كذا وكذا مرة (**غير خال عن الهوى**) أي السقوط (**في حضيض النقص والإنحطاط عن ذروة الكمال**) البالغ (**قال: ﴿لا أحب الآفلين إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض**) حنيفاً وما أنا من المشركين، وإلى هذا المعراج الإشارة بقوله ﷺ: «وأنه ليغان على قلبي وأني لأستغفر الله سبعين مرة».

قال المصنف في مشكاة الأنوار لما كان عالم الشهادة مرقى إلى عالم الملكوت وكان سلوك الصراط المستقيم عبارة عن هذا الترقي وقد يعبر عنه بالدين وبمنازل الهدى، فلو لم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقي من أحدهما إلى الآخره فجعلت الرحمة الإلهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شيء من هذا العالم إلا وهو مثال شيء من ذلك العالم، وربما كان الشيء الواحد مثالاً لأشياء من الملكوت، وربما كان للشيء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة، وإنما يكون مثالاً إذا ماثل نوعاً من المماثلة وطابقه نوعاً من المطابقة. مثال ذلك إن كان في عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة تفيض الأنوار على الأرواح

الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الأول، وأول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فإنه أيضاً أمر رباني وهو نور من أنوار الله تعالى، أعني سر القلب الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى انه ليتسع لجملة العالم ويحيط به وتنجلي فيه صورة الكل، وعند ذلك يشرق نوره إشراقاً عظيماً إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الأمر محجوب بمشكاة هي كالساتر له، فإذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه، وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول: أنا الحق فإن لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف عليه وهلك، وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية ولم يصل بعد إلى القمر، فضلاً عن الشمس فهو مغرور. وهذا محل

البشرية ولأجلها تسمى أرباباً، ويكون الله رب الأرباب كذلك، ويكون لها مراتب في نورانيتها متفاوتة، فبالحري أن يكون مثالها من عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب، وسالك الطريق ينتهي إلى ما درجته درجة الكوكب فيتضح له إشراق نوره ويتضح له من جماله وعلوّ درجته ما يبادر، فيقول: هذا ربي إذا اتضح له ما فوقه مما رتبته رتبة القمر رأى أفول الأول في مغرب الهوى بالإضافة إلى ما فوقه فقال: ﴿لا أحب الآفلين﴾ وكذلك يترقى حتى ينتهي إلى ما مثله الشمس فيراه أكبر وأعلى فيراه قابلاً للمثال بنوع مناسبة له معه، والمناسبة مع ذي النقص نقص وأفول أيضاً فمنه يقول: ﴿وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض﴾ ومعنى «الذي» إشارة مبهمة لا مناسبة لها. إذ لو قال قائل: ما مثال مفهوم الذي لم يتصور أن يجاب عنه فالمنزه عن كل مناسبة هو الله الحق. (**وسالك هذا الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب**) فيظن أنه قد وصل (**وقد يغتر بالحجاب الأول، وأول الحجب بين الله وبين العبد هو نفسه فإنه أيضاً أمر رباني**) أي هو من عالم الأمر، (**وهو نور من أنوار الله أعني سر القلب**) أي باطنه (**الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله**) توكيد من الضمير المجرور، (**حتى أنه**) أي القلب (**ليتسع لجملة العالم ويحيط به**) إحاطة كلية (**وتتجلى فيه صورة الكل**) ولذا عبر عنه بالعالم الأكبر، (**وعند ذلك يشرق نوره إشراقاً عظيماً إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الأمر محجوب بمشكاة هي كالساتر له**) عن مشاهدة ما وراء ذلك، (**فإذا تجلّى نوره وانكشف جمال القلب بعد إشراق نور الله عليه وربما التفت صاحب القلب إلى القلب فيرى من جماله الفائق ما يدهشه**) ويستغرق الهم به، وينظر إلى كمال ذاته وقد تزين بما تلألأ فيه من حلية الحق، (**وربما يسبق لسانه في هذه الدهشة**) والإستغراق بالجلال والجمال فيظن أنه هو (**فيقول: أنا الحق**) كما وقع لأبي منصور الحلاج، ويعبر عن هذه الحالة بالإتحاد على سبيل التجوز والتوسع لا أنه هو تحقيقاً وهذه مزلة قدم، (**فإن لم يتضح له ما وراء ذلك اغترّ به ووقف عليه وهلك، وكان قد اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية ولم يصل بعد**

الالتباس إذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المرآة بالمرآة فيظن أنه لون المرآة، وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل:

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمرُ
فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنما قدح ولا خمرُ

وبهذه العين نظر النصارى إلى المسيح فرأوا إشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن رأى كوكباً في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فيمد يده إليه ليأخذه وهو مغرور، وأنواع الغرور في طريق السلوك إلى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم المكاشفة، وذلك مما لا رخصة في ذكره، ولعل القدر الذي ذكرناه أيضاً كان الأولى تركه إذ السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن

إلى القمر فضلاً عن الشمس فهو مغرور، وهذا محل الإلتباس) فمن ليس له قدم راسخ في المعقولات لم يتميز له أحدهما عن الآخر، **(إذ المتجلي يلتبس بالمتجلي فيه كما يلتبس لون ما يتراءى)** من صورة متلونة انطبعت **(في المرآة بالمرآة فيظن أنه لون المرآة)** وأن تلك الصورة صورة المرآة، وهيهات، فإن المرآة في ذاتها لا لون لها وشأنها قبول صور الألوان على وجه يتخايل إلى الناظرين إلى ظاهر الأمور أن ذلك هو صورة المرآة، فكذلك القلب خال عن الصورة في نفسه وعن الهيئات وإنما هيئاته قبول ما فيه الهيئات والصور والحقائق فما يحمله يكون كالمتحد به تجوز إلا أنه كالمتحد به تحقيقاً، **(وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج)** فمن لا يعرف الزجاج والخمر إذا رأى زجاجة فيها خمر لم يدرك تباينهما فتارة يقول: لا خمر، وتارة يقول لا زجاجة **(كما قيل)**:

(رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الأمر)
(فكأنما خمرٌ ولا قدحٌ وكأنما قدح ولا خمر)

(وبهذه العين نظرت النصارى إلى المسيح عليه السلام فرأوا إشراق نور **الله قد تلألأ فيه)** فقالوا باتحاد اللاهوت بالناسوت **(فغلطوا فيه)** غلطاً فاحشاً، وقول من قال: أنا الحق إما أن يكون معناه ما ذكرنا من التجوز والتوسع، وإما أن يكون قد غلط كما غلط النصارى، وهو **(كمن يرى كوكباً في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فيمد إليه)** اليد **(ليأخذه وهو مغرور)** واعلم أن العبد في مجاوزته هذه الحجب سالك لا واصل، وإنما الوصول أن تنكشف له جلية الحق ويصير مستغرقاً به فإن نظر إلى معرفته فلا يعرف إلا الله، وإن نظر إلى همه فلا همّ له سواه فيكون كله مشغولاً بكله مشاهدة وهما لا يلتفت في كل ذلك إلى نفسه. **(وأنواع الغرور في طريق السلوك إلى الله لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع علوم المكاشفة، وذلك مما لا رخصة في ذكره، ولعل القدر الذي ذكرناه)** آنفاً

يسمعه من غيره، والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضربه إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم، ولكن فيه فائدة وهو إخراجه من الغرور الذي هو فيه، بل ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله المزخرف، ويصدق أيضاً بما يحكى له من المكاشفات التي أخبر عنها أولياء الله، ومن عظم غروره ربما أصر مكذباً بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل.

الصنف الرابع: أرباب الأموال، والمغترون منهم فرق.

فرقة منهم: يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس كافة، ويكتبون أساميهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين.

أحدهما: أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها وتعرضوا لسخطه في إنفاقها، وكان

(**كان الأولى تركه**) وكتمه (**إذا السالك لهذا الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره، والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضربه إذ يورثه ذلك وحشة**) وحيرة (**من حيث**) أنه (**يسمع مالا يفهم**) معناه، (**ولكن فيه فائدة وهو إخراجه من الغرور الذي هو فيه إذ ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه**) بعقله الناقص (**ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجد له المزخرف**) بالأدلة الوهمية، (**ويصدق أيضاً بما يحكى له من المكاشفات التي اخبر عنها أولياء الله**) من صالحي عباده (**ومن عظم غروره ربما أصر مكذباً بما يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه من قبل**).

(**الصنف الرابع: أرباب الأموال**) وملاكها، (**والمغترون منهم فرق**).

(**ففرقة منهم: يحرصون على بناء المساجد والمدارس**) والزوايا والتكايا (**والرباطات**) للصوفية (**والقناطر**) والجسور في الطرق العامة المسلوكة (**وما يظهر للناس كافة**) كالسبل والخانات ومكاتب الأطفال والقبب على قبول الأولياء المشهورين، (**ويكتبون أساميهم بالآجر عليها**) وتارة على الرخام حفراً مع ذكر تاريخ عمارتها، وتارة يكتبون ما صرف عليها من الأموال (**ليتخلد ذكرهم**) ويدوم (**ويبقى بعد الموت آثارهم، وهم يظنون أنهم قد استحقوا**) بذلك (**المغفرة**) والعفو من الله تعالى (**بذلك**) الصنيع، (**وقد اغتروا فيه من وجهين**).

(**أحدها: أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا**) جمع الرشوة (**والجهات المحظورة**) شرعاً (**فهم قد تعرضوا لسخط الله في كسبها**) فإن الجهات التي اكتسبها منها قد كرهها الله (**وتعرضوا لسخطه في إنفاقها**) في هذه المواضع، (**فكان**

الواجب عليها الامتناع من كسبها فإذا قد عصوا الله بكسبها فالواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله تعالى وردها إلى ملاكها إما بأعيانها وإما بردّ بدلها عند العجز. فإن عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها إلى الورثة، فإن لم يبق للمظلوم وارث فالواجب صرفها إلى أهم المصالح، وربما يكون الأهم التفرقة على المساكين وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن يظهر ذلك للناس، فيبنون الأبنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء وحرصهم على بقائها لبقاء أسمائهم المكتوبة فيها لا لبقاء الخير.

والوجه الثاني: أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير في الإنفاق على الأبنية، ولو كلف واحد منهم أن ينفق ديناراً ولا يكتب اسمه على الموضع الذي أنفق عليه لشق عليه ذلك ولم تسمح به نفسه، والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب، ولولا أنه يريد به وجه الناس لا وجه الله لما افتقر إلى ذلك.

وفرقة أخرى: ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد وهي أيضاً مغرورة من وجهين:

أحدهما: الرياء وطلب الثناء فإنه ربما يكون في جواره أو بلده فقراء وصرف المال

الواجب عليهم الإمتناع عن كسبها، فإذاً قد عصوا الله بكسبها كان الواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله تعالى وردها إلى ملاكها) الأصول. **(إما بأعيانها وإما برد بدلها عند العجز)** كما هو شرط التوبة **(فإن عجزوا عن الملاك)** بهلاك أو فقد **(فكان الواجب ردها على الورثة)** لانتقال الحق إليهم، **(فإن لم يبق للمظلوم وارث)** بأن لم يعرف **(فالواجب صرفها إلى أهم المصالح، وربما يكون الأهم التفرقة على المساكين من أهل بلده وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن يظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالآجر)** والحجارة **(وغرضهم من بنائها الرياء وجلب الثناء)** من الناس **(وحرصهم على بقائها لبقاء اسمهم المكتوب بها لا لبقاء الخير)**.

(الوجه الثاني: أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص وقصد الخير في الإنفاق على الأبنية، ولو كلف واحد منهم أن ينفق ديناراً ولا يكتب اسمه على الموضع الذي أنفق عليه لشق عليه ذلك) وصعب **(ولم تسمح نفسه به، والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتب، فلولا أنه يريد وجه النـاس لا وجه الله لما افتقر إلى ذلك)** فهو قرينة قائمة على أصل نيته.

(وفرقة أخرى: ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على المساجد) أي على بنائها **(وهي أيضاً مغرورة من وجهين)**.

(أحدهما: الرياء وطلب الثناء فإنه ربما يكون في جواره أو في بلده فقراء) محتاجون،

إليهم أهم وأفضل وأولى من الصرف إلى بناء المساجد وزينتها، وإنما يخفف عليهم الصرف إلى المساجد ليظهر ذلك بين الناس.

والثاني: أنه يصرف إلى زخرفة المسجد وتزيينه بالنقوش التي هي منهن عنها وشاغلة قلوب المسلمين ومختطفة أبصارهم والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك، ووبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى أنه من الخيرات ويعد ذلك وسيلة إلى الله تعالى، وهو مع ذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن أنه مطيع له وممتثل لأمره، وقد شوش قلوب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم به إلى زخارف الدنيا، فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه، ووبال ذلك كله في رقبته، إذ المسجد للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى. قال مالك بن دينار: أتى رجلان مسجداً فوقف أحدهما على الباب وقال: مثلي لا يدخل بيت الله فكتبه الملكان عند الله صديقاً. فهكذا ينبغي أن تعظم المساجد وهو أن يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام أو يزخرف الدنيا منة على الله تعالى. وقال الحواريون للمسيح عليه السلام: انظر

(**فصرف المال إليهم أهم وأفضل من الصرف إلى المساجد وتزيينها**) وتنقيشها، (**وإنما يخف عليه الصرف إلى المساجد ليظهر بذلك بين الناس**) ويشتهر أسمه.

(**والثاني: أنه يصرف**) تلك الأموال (**إلى زخرفة**) المسجد (**وتزيينه بالنقوش التي هي منهي عنها**) رواه البخاري من قول عمر بن الخطاب أكن الناس ولا تحمر ولا تصفر، (**وشاغله قلوب المصلين**) عن الحضور (**وتختطف أبصارهم**) بالنظر إليها (**والمقصود من الصلاة**) إذا هو (**الخشوع وحضور القلب**) وجمع الهمة، (**وذلك يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك، ووبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى أنه من الخيرات**) ومن القربات (**ويعد ذلك وسيلة له إلى الله تعالى، وهو بذلك قد تعرض لسخط الله وهو يظن أنه مطيع لله وممتثل لأمره**) في عمارة المساجد،(**وقد شوش قلب عباد الله بما زخرفه من المسجد وربما شوقهم إلى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه، ووبال ذلك كله في رقبته، إذ المسجد**) إنما اتخذ (**للتواضع**) والمسكنة والخشوع (**ولحضور القلب مع الله. قال**) أبو يحيى (**مالك بن دينار**) البصري رحمه الله تعالى: (**أتى رجلان مسجداً فوقف أحدهما على الباب وقال: مثلي لا يدخل**) وفي نسخة يدخل (**بيت الله**) على سبيل الإنكار على نفسه، (**فكتب على المكان عند الله صديقاً**) أخرجه أبو نعيم في الحلية، (**فبهذا ينبغي أن تعظم المساجد**) لا بالزخرفة، (**وهو أن يرى تلويث المسجد بدخوله فيه بنفسه جناية على المسجد، لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام أو بزخرف الدنيا منة على الله. وقال الحواريون**

إلى هذا المسجد ما أحسنه! فقال: أمتي أمتي بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله. إن الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئاً، وإن أحب الأشياء إلى الله تعالى القلوب الصالحة. بها يعمر الله الأرض وبها يخرب إذا كانت على غير ذلك. وقال أبو الدرداء: قال رسول الله ﷺ: «إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم». وقال الحسن: «إن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبني مسجد المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له: ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه». فغرور هذا من حيث أنه رأى المنكر معروفاً واتكل عليه.

وفرقة أخرى: ينفقون الأموال في الصدقات على الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة، ومن الفقراء من عادته الشكر والإفشاء للمعروف ويكرهون التصدق

للمسيح عليه السلام: **انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال: أمتي أمتي بحق أقول لكم لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائماً على حجر إلا أهلكه بذنوب أهله إن الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه الحجارة التي تعجبكم شيئاً وأن أحب الأشياء إلى الله القلوب الصالحة بها يعمر الله الأرض وبها يخرب إذا كانت على غير ذلك. وقال أبو الدرداء)** رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: «إذا زخرفتم مساجدكم)** أي بالنقوش **(وحليتم مصاحفكم)** أي بالذهب والفضة **(فالدمار عليكم»)** أي الهلاك. قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد، وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف، موقوفاً على أبي الدرداء اهـ.

قلت: ورواه الحكيم في النوادر من حديث أبي الدرداء مرفوعاً.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(إن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبني مسجد المدينة أتاه جبريل عليه السلام فقال له: ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه)**. قال العراقي: لم أجده هكذا وفي قصر الأمل لابن أبي الدنيا: ابنوه كعريش موسى وليس فيه مجيء جبريل اهـ.

قلت: وروى البيهقي من مرسل سالم بن عطية: عرش كعرش موسى، ورواه الدارقطني في الأفراد، والديلمي، وابن النجار من حديث أبي الدردا: عريشاً كعريش موسى ثمام وخشيبات والأمر أعجل من ذلك. قال الدارقطني: غريب **(فغرور هذا من حيث أنه رأى المنكر معروفاً واتكل عليه)** واطمأن به.

(وفرقة أخرى: ينفقون المال في الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة) للناس لأجل أن يظهر لهم اتفاقه **(و)** يختارون **(من الفقراء من عادته**

في السر، ويرون إخفاء الفقير لما يأخذه منهم جناية عليهم وكفراناً، وربما يحرصون على إنفاق المال في الحج فيجمعون مرة بعد أخرى، وربما تركوا جيرانهم جياعاً، ولذلك قال ابن مسعود: في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهوّن عليهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي بأحدهم بعيره بين الرمال والقفار وجاره مأسور إلى جنبه لا يواسيه. وقال أبو نصر التمار: إن رجلاً جاء يودع بشر بن الحرث وقال: قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء؟ فقال له: كم أعددت للنفقة؟ فقال: ألفي درهم. قال بشر: فأي شيء تبتغي بحجتك تزهداً أو اشتياقاً إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله؟ قال: ابتغاء مرضاة الله. قال: فإن أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك؟ قال: نعم، قال: اذهب فاعطها عشرة أنفس: مديون يقضي دينه، وفقير يرم شعثه، ومعيل يغني عياله، ومربي يتيم يفرحه، وإن قوي قلبه تعطيها واحداً فافعل، فإن ادخالك السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام.

الشكر) والثناء **(والإفشاء للمعروف)** بين الناس، **(ويكرهون التصدق في السر، ويرون إخفاء الفقير لما أخذ منهم جناية عليهم وكفراناً)** لنعمتهم، **(وربما يحرصون على انفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد أخرى، وربما تركوا جيرانهم جياعاً، ولذلك قال ابن مسعود)** رضي الله عنه، **(في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر)** أي لما يتعوّدونه **(ويبسط لهم في الرزق)** أي يكثر دخلهم بالتجارات وغيرها، **(ويرجعون محرومين)** أي عن الأجر **(مسلوبين)** عن الثواب **(يهوي بأحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره مأسور)** أي مربوط **(إلى جنبه لا يواسيه)** ولا يسأل عنه. **(وروى أبو نصر التمار)** عبد الملك بن عبد العزيز القشري النسائي ثقة عابد مات سنة ثمان وعشرين وهو ابن إحدى وتسعين سنة روى له مسلم والنسائي **(أن رجلاً جاء يودع)** أبا نصر **(بشر بن الحرث)** الحافي رحمه الله تعالى **(وقال: قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء فقال له)** بشر: **(كم أعددت للنفقة)** أي هيأت لها؟ **(فقال: ألفي درهم. فقال بشر: فأي شيء تبتغي بحجك تزهداً)** في الدنيا **(أو اشتياقاً إلى البيت)** المكرم **(أو ابتغاء مرضاة الله؟ قال: ابتغاء مرضاة الله)**. قال بشر: **(فإن أصبت رضا الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله أتفعل ذلك؟ قال: نعم، قال: اذهب فاعطها عشرة أنفس: مدين يقضي دينه، وفقير يرم شعثه)** أي يصلح حاله الذي غيره، **(ومعيل)** أي صاحب عيال **(يغني عائلته، ومر بي يتيم يفرحه وإن قوى قلبك تعطيها واحداً)** من هؤلاء **(فافعل، فإن ادخال السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفات وكشف الضر)** عن المضرور **(وإعانة الضعيف أفضل من**

قم فأخرجها كما أمرناك وإلاَّ فقل لنا ما في قلبك. فقال: يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي، فتبسم بشر رحمه الله تعالى وأقبل عليه وقال له: المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضي به وطراً فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين.

وفرقة أخرى: من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن، وهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج إلى قمعه بإخراج المال، فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها. ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء، ومن قتلته الحية متى يحتاج إلى السكنجبين؟ ولذلك قيل لبشر: إن فلاناً الغني كثير الصوم والصلاة، فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره، وإنما حال هذا إطعام الطعام للجياع والإنفاق على المساكين، فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه للدنيا ومنعه للفقراء.

مائة حجة بعد حجة الإسلام. قم فاخرجها كما أمرناك وإلا فقل لنا ما في قلبك. فقال) الرجل: (**يا أبا نصر**) هي كنية بشر (**سفري أقوى في قلبي، فتبسم بشر رحمة الله وأقبل عليه فقال له: المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضي به وطراً**) من أوطارها، (**فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين**) نقله صاحب القوت.

(**وفرقة أخرى: من أرباب الأموال اشتغلوا بها يحفظون الأموال ويمسكونها بحكم البخل**) والشح، (**ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن**) وغير ذلك، (**وهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهو يحتاج إلى قمعه باخراج المال، فقد اشتغل بفضائل هو مستغن عنها**) فغرور هؤلاء في ترك الأهم الأنفع. (**ومثاله مثال من دخل في ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفراء ومن قتلته الحية متى يحتاج إلى السكنجبين، ولذلك قيل لبشر**) الحافي رحمه الله تعالى: (**إن فلاناً الغني كثير الصوم والصلاة فقال: المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره، وإنما حال هذا إطعام الطعام للجياع والإنفاق على المساكين، فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع جمعه الدنيا ومنعه الفقراء**) منها نقله صاحب القوت.

وفرقة أخرى: غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط، ثم أنهم يخرجون من المال الخبيث الرديء الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقراء من يخدمهم ويتردد في حاجاتهم، أو من يحتاجون إليه في المستقبل للاستسخار في خدمة أو من لهم فيه على الجملة غرض، أو يسلمون ذلك إلى من يعينه واحد من الأكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته. وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور، ويظن أنه مطيع لله تعالى وهو فاجر إذ طلب بعبادة عوضاً من غيره، فهذا وأمثاله من غرور أصحاب الأموال أيضاً لا يحصى، وإنما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور.

وفرقة أخرى: من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة، ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ أجراً، وهم مغرورون لأن فضل مجلس الذكر لكونه مرغباً في الخير، فإن لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لأنها تبعث على العمل فإن ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها، وما يراد لغيره فإذا قصر عن

(**وفرقة أخرى: غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم إلا بأداء الزكاة فقط، ثم أنهم يخرجون من المال الخبيث الرديء الذي يرغبون عنه**) وهو القديم أو الممسوح سكته أو المكسور جانبه أو الناقص وزنه أو عياره، (**ويطلبون من الفقراء من يخدمهم**) في منزلهم (**ومن يتردد في حاجاتهم**) لتقضى من بعيد أو قريب، (**أو من يحتاجون إليه في المستقبل للاستسخار في خدمة**) معينة، (**أو من لهم فيه على الجملة غرض، أو يسلمون ذلك إلى من يعينه واحد من الأكابر ممن يستظهر بحشمته**) أي يستقوى بها (**لينال بذلك عنده منزلة فيقوم له بحاجاته، وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور، و**) هو مع ذلك (**يظن أنه مطيع لله وهو فاجر إذ طلب لعبادة الله عرضاً من غيره، فهذا وأمثاله من غرور أرباب الأموال أيضاً لا يحصى، وإنما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على أجناس الغرور**) ليقاس عليه ما لم يذكره.

(**وفرقة أخرى: من عوام الخلق وأرباب الأموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر**) والاغتباط بها، (**واعتقدوا أن ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة**) لا يفارقونها، (**ويظنون أن لهم على مجرد سماع الوعظ**) والذكر (**دون العمل ودون الاتعاظ أجراً**) من الله تعالى، (**وهم مغرورون لأن فضل مجلس الذكر لكونه مرغباً في الخير فإن لم يهيج الرغبة**) فيه (**فلا خير فيه والرغبة محمودة لأنها تبعث على العمل، فإن ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها، وما يراد لغيره، فإذا قصر عن الأداء إلى ذلك الغير فلا**

الأداء إلى الغير فلا قيمة له، وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ عن فضل حضور المجلس وفضل البكاء، وربما تدخله رقة كرقة النساء فيبكي ولا عزم، وربما يسمع كلاماً مخوّفاً فلا يزيد على أن يصفق بيديه ويقول: يا سلام سلم! أو نعوذ بالله أو سبحان الله! ويظن أنه قد أتى بالخير كله وهو مغرور، وإنما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري، أو الجائع الذي يحضر عنده من يصف الأطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف، وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيئاً، فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله شيئاً. فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييراً يغير أفعالك حتى تقبل على الله تعالى إقبالاً قوياً أو ضعيفاً وتعوض عن الدنيا، فذلك الوعظ زيادة حجة عليك، فإذا رأيته وسيلة لك كنت مغروراً.

فإن قلت: فما ذكرته من مداخل الغرور أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه، وهذا يوجب اليأس إذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر خفايا هذه الآفات؟ فأقول: الإنسان إذا فترت همته في شيء أظهر اليأس منه واستعظم الأمر واستوعر الطريق، وإذا صح منه الهوى اهتدى إلى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطريق في الوصول إلى الغرض حتى أن الإنسان إذا أراد أن يستنزل الطير المحلق في جوّ السماء مع

قيمة له، وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكاء، وربما تدخله رقة كرقة النساء فيبكي وربما يسمع كلاماً مخوّفاً فلا يزيد على أن يصفق بيديه ويقول: يا رب سلم سلم، أو) يقول **(نعوذ بالله أو سبحان الله)** أو نحو ذلك. **(ويظن انه قد أتى بالخير كله وهو مغرور، وإنما مثاله مثال المريض الذي يحضر مجالس الأطباء فيسمع ما يجري)** فيها من المحاورات، **(أو الجائع الذي يحضر عنده من يصف له الأطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف، و)** معلوم ان **(ذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيئاً، فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله شيئاً، وكل وعظ لم يغير منك صفة تغييراً يغير أفعالك حتى تقبل على الله إقبالاً قوياً أو ضعيفاً وتعرض عن الدنيا)** قلباً وقالباً، **(فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فإذا رأيته وسيلة لك كنت مغـــروراً)**.

(فإن قلت: فما ذكرته من مداخل الغرور أمر لا يتخلص منه أحد ولا يمكن الاحتراز منه وهذا يوجب اليأس) من إدراكه **(إذ لا يقوى أحد من البشر على الحذر من خفايا هذه الآفات؟ فأقول: الإنسـان إذا افترت همتـه)** أي ضعفـت **(في شيء أظهـر اليـأس منـه واستعظم الأمر)** أي عدّه عظيماً **(واستوعر الطريق)** أي استصعبه، **(وإذا صح منه الهوى اهتدى إلى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطريق في الوصول إلى الغرض حتى أن الإنسان إذا أراد أن يستنزل الطير المحلق)** أي المرتفع **(في جوّ السماء مع بعده منه**

بعده منه استنزله، وإذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه، وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الجبال استخرجه، وإذا أراد أن يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري اقتنصها، وإذا أراد أن يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها، وإذا أراد أن يأخذ الحيات والأفاعي ويعبث بها أخذها واستخرج الدرياق من أجوافها، وإذا أراد أن يتخذ الديباج الملوّن المنقش من ورق التوت اتخذه، وإذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الأرض، وكل ذلك باستنباط الحيل وإعداد الآلات، فسخر الفرس للركوب، والكلب للصيد، وسخر البازي لاقتناص الطيور، وهيأ الشبكة لاصطياد السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي. كل ذلك لأن همه أمر دنياه وذلك معين له على دنياه، فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه إلا شغل واحد وهو تقويم قلبه فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال: هذا محال ومن الذي يقدر عليه؟ وليس ذلك بمحال ولو أصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال:

استنزله) بحيله منه، **(وإذا أراد أن يخرج الحوت من أعماق البحار استخرجه)** بحيلة منه، **(وإذا أراد أن يستخرج الذهب أو الفضة من تحت الجبال استخرجه)** بحيلة منه، **(وإذا أراد أن يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري اقتنصها)** بحيلة منه، **(وإذا أراد أن يستسخر السباع)** الضارية **(والفيلة وعظيم الحيوانات استسخرها)** بحيلة منه، **(وإذا أراد أن يأخذ الأفاعي والحيات ويعبث بها أخذها واستخرج الترياق من أجوافها)** كل ذلك بحيلة منه، **(وإذا أراد أن يتخذ الديباج الملوّن المنقش من ورق التوت)** والفرصاد **(اتخذه)** فإن دود القز إنما يتربى بورق التوت ولهم في تربيته صناعات دقيقة، **(وإذا أراد أن يعرف مقادير الكواكب وطولها وعرضها)** وكيف سيرها وقطعها الفلك **(استخرج بدقيق الهندسة ذلك وهو مستقر على الأرض)** لم يتحرك، **(وكل ذلك باستنباط الحيل)** اللطيفة **(وإعداد الآلات)** المتنوّعة الموصلة إلى ذلك، **(فسخر الفرس للركوب)** بالارتياض، **(والكلب للصيد)** وللحراسة، **(وسخر البازي لاقتناص الطيور، وهيأ الشبكة لاصطياد السمك إلى غير ذلك من دقائق حيل الآدمي، كل ذلك لأن همه** أمر دنياه **وذلك معين له على دنياه، فلو أهمه أمر آخرته فليس عليه إلا شغل واحد وهو تقويم قلبه)** فقط وهو تسويته وتعديله وتنظيفه عن الخواطر الرديئة حتى يكون مهبطاً لأنوار الله تعالى، **(فعجز عن تقويم قلبه وتخاذل. وقال: هذا محال ومن الذي يقدر عليه)** جهلاً منه وعناداً، **(وليس ذلك بمحال لو أصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال)**:

لو صح منك الهوى أرشدت للحيل

فهذا شيء لم يعجز عنه السلف الصالحين ومن اتبعهم بإحسان فلا يعجز عنه أيضاً من صدقت إرادته وقويت همته، بل لا يحتاج إلى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها.

فإن قلت: قد قربت الأمر فيه مع أنك أكثرت في ذكر مداخل الغرور فيم ينجو العبد من الغرور؟ فاعلم أنه ينجو منه بثلاثة أمور: بالعقل والعلم والمعرفة. فهذه ثلاثة أمور لا بد منها.

أما العقل: فأعني به الفطرة الغريزية والنور الأصلي الذي به يدرك الإنسان حقائق الأشياء، فالفطنة والكيس فطرة، والحمق والبلادة فطرة، والبليد لا يقدر على التحفظ عن الغرور، فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بدّ منه في أصل الفطرة، فهذا إن لم يفطر عليه الإنسان فاكتسابه غير ممكن. نعم إذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة فأساس السعادات كلها العقل والكياسة. قال رسول الله ﷺ: «تبارك الله الذي قسم العقل بين

(لو صح منك الهوى أرشدت للحيل)

أي فمتى استقام القلب تنبه لمداخل الغرور فلا يبقى منه شيء إلا وقد وفق لقمعه، **(فهذا شيء لم يعجز عنه السلف الصالحون)** من الصحابة الكرام **(ومن اتبعهم باحسان)** وسلك على سوى نهجهم، **(فلا يعجز عنه أيضاً من صدقت إرداته)** في سلوك طريق الحق **(وقويت همته)** بعد أن أجمعت، **(بل لا يحتاج إلى عُشر)** معشار **(تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم أسبابها)** وتلفيق أجزائها.

(فإن قلت: قد قربت الأمر فيه بعد أن أكثرت في ذكر مداخل الغرور) وآفاتها، **(فبم)** وفي نسخة: فمتى **(ينجو العبد من الغرور؟ فاعلم أنه ينجو)** منه **(بثلاث أمور: بالعقل والعلم والمعرفة. فهذه ثلاثة أمور لا بدّ منها)**.

(أما العقل فاعني به الفطرة الغريزية) التي فطر عليها الإنسان **(والنور الأصلي الذي به يدرك الإنسان حقائق الأشياء)** على ما هي عليها، **(فالفطنة والكيس فطرة، والحمق والبلادة فطرة، والبليد لا يقدر على التحفظ من الغرور، فصفاء العقل وذكاء الفهم لا بدّ منه في أصل الفطرة، فهذا إن لم يفطر عليه الإنسان)** من الأصل **(فاكتسابه غير ممكن)** امكاناً عادياً. **(نعم إذا حصل أصله أمكن تقويته بالممارسة)** والمزاولة، **(فأساس السعادات كلها العقل والكياسة، قال رسول الله ﷺ: «تبارك الله الذي قسّم العقل بين عباده**

عباده أشتاتاً » إن الرجلين ليستوي عملهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب أُحد ، وما قسم الله لخلقه حظاً هو أفضل من العقل واليقين . وعن أبي الدرداء أنه قيل : يا رسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ولا يعلم منزلته عند الله يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنما يجزى على قدر عقله » . وقال أنس : أثني على رجل عند رسول الله ﷺ فقالوا خيراً ، فقال رسول الله ﷺ : « كيف عقله » ؟ قالوا : يا رسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه . فقال : « كيف عقله فإن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر . وإنما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم » .

أشتاتاً » إن الرجلين ليستوي عملهما وبرّهما وصومهما وصلاتهما ، ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة) وهي تتراءى في ضوء الشمس من الكوّة **(في جنب أُحد)** الجبل المشهور ، **(وما قسم الله لخلقه حظاً هو أفضل من العقل واليقين)** قال العراقي : رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من رواية طاوس مرسلاً ، وفي أوله قصة وإسناده ضعيف . ورواه بنحوه من حديث أبي حميد وهو ضعيف أيضاً اهـ .

قلت : حديث أبي حميد لفظه : « إن الرجل لينطلق إلى المسجد فيصلي وصلاته لا تعدل جناح بعوضة ، وأن الرجل ليأتي المسجد فيصلي وصلاته تعدل جبل أُحد إذا كان أحسنهما عقلاً » . قيل : وكيف يكون أحسنهما عقلاً ؟ قال « أورعهما عن محارم الله وأسرعهما عن أسباب الخير وإن كان دونه في العمل والتطوّع » .

(وعن أبي الدرداء) رضي الله عنه **(أنه قيل : يا رسول الله أرأيت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشيع الجنائز ويعين الضعيف ما يعلم منزلته عند الله تعالى يوم القيامة ؟ فقال : ﷺ : « إنما يجزي على قدر عقله »)** قال العراقي : رواه الخطيب في التاريخ ، وفي رواية مالك من حديث ابن عمر وضعفه ولم أره من حديث أبي الدرداء اهـ .

قلت : وهو كذلك لكن لفظه « إن الرجل يصوم ويصلي ويحج ويعتمر فإذا كان يوم القيامة أعطي بقدر عقله » هكذا رواه الخطيب في كتابيه ، وأبو الشيخ في كتاب الثواب .

(وقال أنس) رضي الله عنه : **(أُثني على رجل عند رسول الله ﷺ فقالوا : خيراً فقال ﷺ « كيف عقله » ؟ قالوا : يا رسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه . فقال : « كيف عقله فإن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما يقرب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم »)** رواه داود بن المحبر في كتاب العقل وهو ضعيف ، وقد تقدم في كتاب العلم .

وقال أبو الدرداء: كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله، فإذا قالوا حسن قال: «أرجوه» وإن قالوا غير ذلك قال: «لن يبلغ» وذكر له شدة عبادة رجل فقال: «كيف عقله»؟ قالوا: ليس بشيء. قال: «لم يبلغ صاحبكم حيث تظنون». فالذكاء وصحة غريزة العقل نعمة من الله تعالى في أصل الفطرة فإن فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها.

الثاني: المعرفة. وأعني بالمعرفة أن يعرف أربعة أمور: يعرف نفسه، ويعرف ربه، ويعرف الدنيا، ويعرف الآخرة. فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريباً في هذا العالم وأجنبياً من هذه الشهوات البهيمية، وإنما الموافق له طبعاً هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه فقط، فلا يتصوّر أن يعرف هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه، فليستعن على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة، وفي كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب التفكر، وكتاب الشكر إذ فيها إشارات إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله، ويحصل به التنبه على الجملة وكمال المعرفة وراءه، فإن هذا من علوم المكاشفة، ولم نطنب في هذا الكتاب إلا في علوم المعاملة. وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليها بما

(**وقال أبو الدرداء**) رضي الله عنه: (**كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فإذا قلوا حسن قال «أرجوه» وإن قالوا غير ذلك قال «لن يبلغ» قال: وذكر له شدة عبادة رجل فقال «كيف عقله»؟ قالوا: ليس بشيء. قال «لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون»**). قال العراقي: رواه الحكيم في النوادر وابن عدي ومن طريقه البيهقي في الشعب وضعفه. (**فالذكاء وصحة غريزة العقل نعمة من الله تعالى**) في أصل الفطرة، (**فإن فاتت ببلادة وحماقة فلا تدارك لها**).

(**الثاني: المعرفة وأعني به أن يعرف أربعة أمور: يعرف نفسه، ويعرف ربه، ويعرف الدنيا، ويعرف الآخرة: فيعرف نفسه بالعبودية والذل**) والافتقار، ويعرف ربه بالسيادة والعظمة والاقتدار، (و) يعرف نفسه أيضاً (**بكونه غريباً في هذا العالم**) مسافراً منه إلى دار الآخرة (**وأجنبياً من هذه الشهوات البهيمية، وإنما الموافق له طبعاً هو معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه فقط، ولا يتصوّر أن يعرف هذا ما لم يعرف نفسه و**) ما (**لم يعرف ربه فليستعن على هذا بما ذكرناه في كتاب المحبة، وفي كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب التفكر، وكتاب الشكر إذ فيها إشارات**) ورموز (**إلى وصف النفس وإلى وصف جلال الله تعالى**) وعظمته، (**ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة وراءه، فإن هذا من علوم المكاشفة ولم نطنب في هذا الكتاب إلا في علوم المعاملة**). وأما علوم المكاشفة فإنما نشير إليها بنتف من العبارات على حسب اقتضاء المقام. (**وأما معرفة الدنيا والآخرة فيستعين عليها بما**

ذكرناه في كتاب ذم الدنيا ، وكتاب ذكر الموت ليتبين له أن لا نسبة للدنيا إلى الآخرة ، فإذا عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ، ويصير أهم أموره ما يوصله إلى الله تعالى وينفعه في الآخرة . وإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الأمور كلها ، فإن أكل مثلاً أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الأغراض والنزوع إلى الدنيا والجاه والمال ، فإن ذلك هو المفسد للنية . وما دامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهوى نفسه أحب إليه من رضا الله تعالى فلا يمكنه الخلاص من الغرور .

فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى المعنى الثالث وهو العلم . أعني العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله ، والعلم بما يقربه من الله وما يبعده عنه ، والعلم بآفات الطريق وعقبانه وغوائله ، وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين ، فيعرف من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها ، ومن ربع العادات أسرار المعايش وما هو مضطر إليه فيأخذه بأدب الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه ، ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق الله ، فإن

ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وكتاب ذم الموت ليتبين له أن لا نسبة للدنيا إلى الآخرة ، فإذا **عرف نفسه وربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه بمعرفة الله حب الدنيا ، وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها ، فيصير أهم** أموره ما يوصله إلى الله **تعالى وينفعه في الآخرة . فإذا غلبت هذه الإرادة على قلبه صحت نيته في الأمور كلها ، فإن أكل مثلاً أو اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منها الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع عنه كل غرور منشؤه تجاذب الأغراض والنزوع إلى الدنيا والجاه والمال)** والتطلع إليها . **(فإن ذلك هو المفسد للنية . وما دامت الدنيا أحب إليه من الآخرة وهوى نفسه أحب إليه من رضا الله فلا يمكنه الخلاص من الغرور)** أصلاً .

(فإذا غلب حب الله على قلبه بمعرفته بالله وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج إلى المعنى الثالث وهو العلم : أعني العلم بمعرفة كيفية سلوك الطريق إلى الله تعالى ، والعلم بما يقربه من الله وبما يبعده عنه ، والعلم بآفات الطريق وعقباته وغوائله وجميع ذلك قد أودعناه كتب إحياء علوم الدين ، فيعلم من ربع العبادات شروطها فيراعيها وآفاتها فيتقيها ومن ربع العادات أسرار المعايش وما هو مضطر إليه فيأخذه بأدب الشرع وما هو **مستغن عنه فيعرض عنه)** ويتركه ، **(ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة في طريق**

المانع من الله الصفات المذمومة في الخلق فيعلم المذموم ويعلم طريق علاجه، ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لا بدّ وأن توضع خلفاً عن المذمومة بعد محوها، فإذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الأنواع التي أشرنا إليها من الغرور وأصل ذلك كله أن يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الإرادة وتصح به النية، ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها.

فإن قلت: فإذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه؟ فأقول: يخاف عليه أن يخدعه الشيطان ويدعوه إلى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس إلى ما عرفه من دين الله، فإن المريد المخلص إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب حتى صفاء من جميع المكدرات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق، فلم يلتفت إليهم ولم يبق له إلا هم واحد، وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق إلى لقائه. وقد عجز الشيطان عن إغوائه إذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس، فلا يطيعه فيأتيه من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله والشفقة على دينهم والنصح لهم والدعاء إلى الله، فينظر العبد برحمته إلى العبيد فيراهم

الله) وهي الصفات التي كالعقبات **(فإن المانع من الله)** هي **(الصفات المذمومة في الخلق)** وهي التي تصد عن الله، **(فيعلم المذموم)** منها **(ويعرف طريق علاجها ويعرف من ربع المنجيات الصفات المحمودة التي لا بدّ وأن توضع خلفاً عن)** الصفات **(المذمومة بعد محوها)** وإزالة أثرها، **(فإذا أحاط بجميع ذلك أمكنه الحذر من الأنواع التي أشرنا إليها من الغرور، وأصل ذلك كله أن يغلب حب الله على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الإرادة وتصح به النية، ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة التي ذكرناها.**

فإن قلت: فإذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه؟ فأقول: يخاف عليه أن يخدعه الشيطان ويدعوه إلى نصح الخلق) بالوعظ والتذكير **(ونشر العلم)** بالإفادة والتدريس **(ودعوة الناس إلى ما عرفه من دين الله، فإن المريد المخلص إذا فرغ من تهذيب نفسه وأخلاقه وراقب القلب)** بالأذكار السرية **(حتى صفاه من جميع المكدرات واستوى على الصراط المستقيم)** الذي لا عوج فيه ولا ميل إلى حدي الافراط والتفريط، **(وصغرت الدنيا)** مع ضخامتها **(في عينيه فتركها)** لحقارتها **(وانقطع طمعه عن الخلق، فلم يلتفت إليهم ولم يبق له إلا همّ واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق إلى لقائه، وقد عجز الشيطان عن إغوائه)** وإضلاله **(إذ يأتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه)** إذ هو قد تركها واستحقرها، **(ويأتيه من جهة الدين ويدعوه إلى الرحمة على خلق الله والشفقة عليهم وعلى دينهم بالنصح لهم والدعاء إلى الله فينظر العبد)** حينئذ **(برحمته)** وعاطفته

حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صماً عمياً قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون. وفقدوا الطبيب وأشرفوا على العطب، فغلب على قلبه الرحمة لهم، وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم إلى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة، فكان مثله كمثل رجل كان به داء عظيم لا يطاق ألمه، وكان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الألم فوجد له دواء عفواً صفواً من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله فبرىء وصحّ فطاب نومه بالليل بعد طول سهره وهدأ بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية الكدر، وأصاب لذة العافية بعد طول السقام، ثم نظر إلى عدد كثير من المسلمين وإذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع إلى السماء أنينهم، فتذكر أن دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم بأسهل ما يكون وفي أرجى زمان فأخذته الرحمة والرأفة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم، فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى إلى الطريق وشفي من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل داؤهم وقرب هلاكهم

(**على العبيد فيراهم حيارى في أمرهم سكارى في دينهم صماً**) آذانهم (**عمياً**) عيونهم، (**قد استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب وأشرفوا على العطب**) أي الهلاك، (**فغلب على قلبه الرحمة لهم، وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين لهم ضلالهم ويرشدهم إلى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ومؤنة ولزوم غرامة**) وثقل، (**وكان مثله كرجل كان به داء عظيم لا يطاق ألمه، وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره لا يأكل ولا يشرب ولا يتحرك ولا يتصرف لشدة ضربان الألم فوجد له دواء عفواً صفواً**) بسهولة (**من غير تعب**) ولا مشقة (**ولا ثمن**) يدفع في عوضه (**ولا مرارة في تناوله، فاستعمله فبرىء**) في الحال (**وصحّ**) من مرضه (**فطاب نومه بالليل بعد طول سهره، وهدأ**) أي سكن (**بالنهار بعد شدة القلق**) والانزعاج، (**وطاب عيشه بعد نهاية الكدر، وأصاب لذة العافية بعد طول السقام، ثم نظر إلى عدد كثير من المسلمين وإذا بهم تلك العلة بعينها وقد طال**) لذلك (**سهرهم واشتد قلقهم وارتفع إلى السماء أنينهم، فتذكر أن دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم بأسهل ما يكون وفي أدنى زمان**) أي أسرعه، (**فأخذته الرحمة والرقة**) وفي نسخة الرأفة (**ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن الاشتغال بعلاجهم**) إلى معالجتهم، (**فكذلك العبد المخلص بعد أن اهتدى إلى الطريق وشفي من أمراض القلوب شاهد الخلق وقد مرضت قلوبهم وأعضل داؤهم**) أي صعب حتى أيس من دوائه، (**وقرب هلاكهم واشفاؤهم وسهل عليه دواؤهم، فانبعث من ذات**

وإشفاؤهم ، وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء أن يجد مجالاً للفتنة ، فلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالاً للفتنة فدعاه إلى الرئاسة دعاء خفياً أخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه إلى التصنع والتزين للحق بتحسين الألفاظ والنغمات والحركات والتصنع في الزي والهيئة ، فأقبل الناس إليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيراً يزيد على توقير الملوك إذ رأوه شافياً لأدوائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع ، فصار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم ، فآثروه بأبدانهم وأموالهم وصاروا له خولاً كالعبد والخدم فخدموه وقدموه في المحافل وحكموه على الملوك والسلاطين ، فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها من لذة أصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة ، فكان قد ترك الدنيا فوقع في أعظم لذاتها ، فعند ذلك وجد الشيطان فرصة وامتدت إلى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة ، وأمارة انتشار الطبع وركون النفس إلى الشيطان أنه لو أخطأ فرد عليه بين يدي الخلق غضب ، فإذا أنكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان فخيل إليه أن ذلك

نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم) ووعظهم ، **(وحرضه الشيطان على ذلك)** بتحسينه إياه **(رجاء أن يجد مجالاً للفتنة)** أي سبيلاً لايقاعها . **(فكلما اشتغل بذلك وجد الشيطان مجالاً للفتنة فدعاه إلى الرئاسة دعاء خفياً أخفى من دبيب النمل)** على الصخرة الصماء **(لا يشعر به المريد)** لخفائه ، **(فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه إلى التصنع والتزين للخلق)** وذلك **(بتحسين الألفاظ)** في وعظه **(والنغمات)** المعجبة **(والحركات)** الموزونة **(والتصنع في الزي والهيئات ، فأقبل الناس إليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه توقيراً يزيد على توقير الملوك إذا رأوه شافياً لأدوائهم)** أي أمراضهم **(بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع)** في عوض ، **(فصار أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم وأقاربهم ، فآثروه بأبدانهم وأموالهم وصاروا له خولاً)** أي أتباعاً **(كالخدم والعبيد)** والأجراء ، **(فخدموه وقدموه في المحافل)** أي المجالس الحافلة **(وحكموه على الملوك والسلاطين ، فعند ذلك انتشر الطبع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها من لذة)** لا توصف ، **(وأصابت من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة ، وكان)** من قبل **(قد ترك الدنيا)** ولذاتها **(فوقع في أعظم لذاتها ، وعند ذلك وجد الشيطان غرضه)** ومكنه **(وامتدت إلى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة)** ويصونها . **(وإمارة انتشار الطبع وركون النفس إلى الدنيا)** وفي نسخة إلى الشيطان **(أنه لو أخطأ)** مثلاً في القائه **(فردّ عليه بين يدي الخلق غضب)** على الراد **(فإذا أنكر على نفسه ما وجده من الغضب بادر الشيطان فخيل إليه أن ذلك غضب**

غضب لله لأنه إذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع في الغرور، فربما أخرجه ذلك إلى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع في الغيبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع، ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد أن كان يحذر من طوارق الخطرات، وكذلك إذا سبقه الضحك أو فتر عن بعض الأوراد جزعت النفس أن يطلع عليه فيسقط قبوله فاتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء، وربما زاد في الأعمال والأوراد لأجل ذلك والشيطان يخيل إليه أنك إنما تفعل ذلك كيلا يفتر رأيهم عن طريق الله فيتركون الطريق بتركه، وإنما ذلك خدعة وغرور، بل هو جزع من النفس خيفة فوت الرئاسة، ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه، بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه، ولولا أن النفس قد استبشرت واستلذت الرئاسة لكان يغتنم ذلك إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقعوا في بئر وتغطى رأس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقي من البئر بسببه فرق قلبه لإخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق عليه فجاءه من أعانه على ذلك حتى تيسر

لله) تعالى، (**لأنه إذا لم يحسن اعتقاد المريدين فيه انقطعوا عن طريق الله فوقع**) بهذا التخييل (**في الغرور**) أن اطمأنت نفسه إليه، (**فربما**) إذا تمكن منه (**أخرجه ذلك إلى الوقيعة فيمن رد عليه**) في المجلس (**فوقع في الغيبة المحظورة**) شرعاً (**بعد تركه للحلال المتسع، ووقع**) أيضاً (**في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه بعد أن كان يحذر من طوارق الخطرات**) إن تطرق قلبه (**وكذلك إذا سبقه الضحك**) في المجلس (**أو فتر عن بعض الأوراد**) الذي كان وظفه على نفسه (**جزعت النفس أن يطلعوا عليه فيسقط قبوله**) عندهم (**فاتبع ذلك باستغفار وتنفس الصعداء**) كأنه يتحسر على ما فاته أو صدر منه، (**وربما زاد في الأعمال والأوراد لأجلهم**) ليريهم جدّه واجتهاده (**والشيطان يخيل إليه أنك إنما تفعل ذلك كيلاً يفتر رأيهم عن**) سلوك (**طريق الله فيتركون الطريق بتركه، وإنما ذلك خدعة وغرور، بل هو جزع من النفس خيفة فوات الرئاسة**) والحشمة، (**ولذلك لا تجزع نفسه من اطلاع الناس على مثل ذلك من أقرانه**) ونظرائه، (**بل ربما يحب ذلك ويستبشر به ولو ظهر من أقرانه من مالت القلوب إلى قبوله وزاد أثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه، ولولا أن النفس قد استبشرت واستلذت الرئاسة لكان يغتم لذلك إذ مثاله أن يرى الرجل جماعة من إخوانه قد وقعوا في بئر وغطى رأس البئر بحجر كبير فعجزوا عن الرقي**) أي الصعود (**من البئر بسببه، فرّق قلبه لإخوانه فجاء ليرفع الحجر من رأس البئر فشق عليه**) رفعه (**فجاءه من أعانه على ذلك حتى تيسر عليه**) رفعه (**أو**

عليه أو كفاه ذلك ونجاه بنفسه، فيعظم بذلك فرحه لا محالة إذ غرضه خلاص إخوانه من البئر، فإن كان غرض الناصح خلاص إخوانه المسلمين من النار فإذا ظهر من أعانه أو كفاه ذلك لم يثقل عليه أرأيت لو اهتدوا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغي أنه يثقل ذلك عليه إن كان غرضه هدايتهم؟ فإذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه؟ ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح وأهلكه، فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى، ومن اعوجاج النفس بعد الاستواء.

فإن قلت: فمتى يصح له أن يشتغل بنصح الناس؟ فأقول: إذا لم يكن له قصد إلا هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد من يعينه أو لو اهتدوا بأنفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عنده حمدهم وذمهم، فلم يبال بذمهم إذا كان الله يحمده ولم يفرح بحمدهم إذا لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى البهائم إما إلى السادات فمن حيث انه لا يتكبر عليهم ويرى كلهم خيراً منه لجهله بالخاتمة. وأما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم، فإنه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع، بل راعي الماشية إنما غرضه رعاية الماشية ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية إليه، فما لم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت إلى

كفاه ذلك ونجاه بنفسه) من غير مساعدة أحد **(فيعظم بذلك فرحه لا محالة إذ غرضه خلاص إخوانه من البئر، فإن كان غرض الناصح)** الذكي **(خلاص إخوانه المسلمين من النار فإذا ظهر من أعانه أو كفاه ذلك لم يثقل عليه)** باطناً وظاهراً. **(أرأيت لو اهتدوا جميعهم من أنفسهم أكان ينبغي ان لا يثقل عليه ذلك إن كان غرضه هدايتهم؟ فإذا اهتدوا بغيره فلم يثقل عليه؟ ومهما وجد ذلك في نفسه دعاه الشيطان إلى)** ارتكاب **(جميع كبائر القلوب وفواحش الجوارح)** وسوّل له وأملى له **(وأهلكه)** وهو لا يشعر، **(فنعوذ بالله من زيغ القلوب بعد الهدى، ومن اعوجاج النفس بعد الاستوا)** أي الاستقامة.

(فإن قلت: فمتى يصح له أن يشتغل بنصيح الناس؟ فأقول إذا لم يكن له قصد الاهدايتهم لله تعالى، وكان يود لو وجد من يعينه عليه أو لو اهتدوا بأنفسهم) من غير مرشد **(وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم، فاستوى عنده حمدهم وذمهم فلم يبال بذمهم إذا كان الله يحمده)** ويحبه **(ولم يفرح بحمدهم إذا لم يقترن به حمد الله تعالى، وينظر إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى البهائم أما إلى السادات فمن حيث أنه لا يتكبر عليهم)** ولا يرى لنفسه فضلا عليهم بل **(يرى كلهم خيراً منه لجهله بالخاتمة، وأما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فإنه لا يبالي كيف تراه البهائم فلا يتزين لها ولا يتصنع)** في لبسه وهيئته، **(بل راعي الماشية إنما غرضه رعاية الماشية ودفع**

نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الاشتغال بإصلاحهم. نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه بإصلاحهم فيكون كالسراج يضيء لغيره ويحترق في نفسه.

فإن قلت: فلو ترك الوعاظ الوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة لخلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب؟ فأقول: قد قال رسول الله ﷺ: « حب الدنيا رأس كل خطيئة » ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعاش وهلكت القلوب والأبدان جميعاً إلا أنه ﷺ علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكاً لا ينزع الحب من قلوب الأكثرين لا الأقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم، فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر، ولم يترك ذكره خوفاً من أن يترك ثقة بالشهوات المهلكة التي سلطها الله على عباده لسوقهم بها إلى جهنم تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ولكن حقّ القول مني لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [السجدة: ١٣] فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب

الذئب عنها دون نظر الماشية إليه فما لم ير سائر الناس كالماشية التي لا يلتفت إلى نظرها ولا يبالي بها لا يسلم من الإشتغال باصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه بإصلاحهم، فيكون كالسراج الذي يضيء لغيره ويحترق في نفسه) وقد روى الطبراني من حديث أبي برزة الأسلمي: مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه مثل الفتيلة تضيء للناس وتحرق نفسها. وقد تقدم في كتاب العلم.

(فإن قلت: فلو ترك الوعاظ الوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة خلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب) لأن عمارتها بسماع النصح والناصح بالوصف المذكور نادر الوجود. **(فأقول: قد قال رسول الله ﷺ: « حب الدنيا رأس كل خطيئة »)** رواه الديلمي في الفردوس من حديث علي وتبعه ولده ولم يذكره سنداً. ورواه البيهقي في الحادي والسبعين من الشعب من مرسل الحسن البصري وإسناده حسن، ويروى من قول عيسى عليه السلام كما في الحلية ومن قول مالك بن دينار كما عند ابن أبي الدنيا، ومن قول سعد بن مسعود التجيبي كما عند ابن يونس في تاريخ مصر ومن قول جندب البجلي كما جزم به ابن تيمية، وقد تقدم كل ذلك في كتاب ذم الدنيا **(ولو لم يحب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش)** واضمحلت الأسباب **(وهلكت القلوب والأبدان جميعاً، إلا أنه ﷺ علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكر كونه مهلكاً لا ينزع الحب من قلوب الأكثرين لا الأقلين الذين لا تخرب الدنيا بتركهم)** لها، **(فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر)** العظيم، **(ولم يترك ذكره خوفاً من أن يترك ثقة بالشهوات المهلكة التي سلطها الله تعالى على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقاً لقوله: ﴿ولكن حق القول مني لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾)** أي ممن ركن إلى الشهوات ووثق بها ولم يرفع رأسه إلى إتباع ما جاء به رسول الله ﷺ، **(فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحب الرئاسة)** والجاه **(ولا يدعونها)** أي لا يتركونها **(بقول من**

الرئاسة ولا يدعونها بقول من يقول: إن الوعظ لحب الرئاسة حرام، كما لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والرياء والظلم وسائر المعاصي بقول الله تعالى ورسوله إن ذلك حرام فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس، فإن الله تعالى يصلح خلقاً كثيراً بإفساد شخص واحد وأشخاص: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ [البقرة: ٢٥١] وأن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم، فإنما يخشى أن تنسد طريق الاتعاظ فإما أن تخرس ألسنة الوعاظ ووراءهم باعث الرئاسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبداً.

فإن قلت: فإن علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح أو نصح وراعى شرط الصدق والإخلاص فيه، فما الذي يخاف عليه، وما الذي بقي بين يديه من الأخطار وحبائل الاغترار؟ فاعلم أنه بقي عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له: قد أعجزتني وأفلت مني بذكائك وكمال عقلك، وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء وما قدرت عليك فما أصبرك، وما أعظم عند الله قدرك ومحلك إذ قوّاك على قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل غروري، فيصغي إليه ويصدقه ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله، فيكون إعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الأكبر،

يقول: إن الوعظ لحب الرئاسة حرام كما لا يدع الخلق الشرب والزنا والسرقة والربا والظلم وسائر المعاصي بقول الله وقول رسوله) ﷺ: **(إن ذلك حرام، فانظر لنفسك وكن فارغ القلب من حديث الناس)** غير ملتفت إليهم، **(فإن الله يصلح خلقاً كثيراً بإفساد شخص واحد وأشخاص)** كما قال الله تعالى: **(﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ و)** كما جاء في الخبر: **(إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم)** وقد تقدم الكلام عليه، **(فإنما يخشى أن يفسد طريق الإتعاظ)** أي قبول الوعظ **(فإما أن تخرس ألسنة الوعاظ ووراءهم باعث الرئاسة وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبداً)**.

(فإن قلت: فإن علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه وترك النصح) والخلطة **(أو نصح وراعى شرط الصدق والإخلاص فيه، فما الذي يخاف عليه، وما الذي بقي بين يديه من الأخطار)** أي الأمور المخطرة **(وحبائل الإغترار)** وشبكاته؟ **(فاعلم أنه بقي عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له: قد أعجزتني)** وغلبت علي **(وأفلت مني بذكائك وكمال عقلك)** وقوة يقينك، **(وقد قدرت على جملة من الأولياء والكبراء)** فأمكنت منهم، **(وما قدرت عليك فما أصبرك)** أي أقواك صبراً **(وما أعظم عند الله قدرك ومحلك إذ قواك على قهري ومكنك من التفطن)** والتنبه **(لجميع مداخل غروري فيصغي إليه)** بإذن قلبه **(ويصدقه)** فيما زخرفه **(ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله، فيكون**

فالعجب أعظم من كل ذنب، ولذلك قال الشيطان: يا ابن آدم إذا ظننت أنك بعلمك تخلصت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي.

فإن قلت: فلو لم يعجب بنفسه إذ علم أن ذلك من الله تعالى لا منه، وأن مثله لا يقوى على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله ومعونته، ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن أقل القليل فإذا قدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى، فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب؟ فأقول: يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة والإنقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره، ومن أمن مكر الله فهو خاسر جداً، بل سبيله أن يكون مشاهداً جملة ذلك من فضل الله ثم خائفاً على نفسه أن يكون قد سدت عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات إلى عز وهو غافل عنه، ويكون خائفاً أن يسلب حاله في كل طرفة عين غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة. وهذا خطر لا محيص عنه

إعجابه بنفسه غاية الغرور هو المهلك الأكبر، فالعجب أعظم من كل ذنب) كما تقدم بيانه في شرح كتاب ذم العجب، ولذلك قال الشيطان: يا ابن آدم إذا ظننت أنك بعلمك تخلصت مني فبجهلك قد وقعت في حبائلي أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**فإن قلت: فلو لم يعجب بنفسه إذ علم أن ذلك من الله تعالى لا منه وأن مثله لا يقوي على دفع الشيطان إلا بتوفيق الله و**) حسن (**معونته ومن حيث ضعف نفسه وعجز عن أقل القليل، فإذا قدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى، فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب**)؟ وهو آخر مداخل الغرور (**فأقول: يخاف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه الونيرة**) أي الطريقة (**في المستقبل**) كما هو في الحال الراهن (**ولا يخاف من الفترة**) والوقفة (**والإنقلاب**) من حال إلى حال (**فيكون حاله الإتكال على فضل الله فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره، ومن أمن من مكر الله فهو خاسر جداً**) بنص الآية ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ [الأعراف: ٩٩] (**بل سبيله أن يكون مشاهداً لجملة ذلك من فضل الله**) ومنته عليه، (**ثم**) يكون (**خائفاً على نفسه أن يكون قد سدت عليه صفة من صفات قلبه من حب دنيا ورياء وسوء خلق والتفات إلى عز**) في غير ذلك (**وهو غافل عنه، ويكون**) أيضاً (**خائفاً أن يسلب حاله في كل تطريفة**) وفي نسخة في كل طريقة، وفي أخرى في كل طرفة عين (**غير آمن من مكر الله ولا غافل عن خطر الخاتمة**) وسوء المنقلب، (**وهذا**) أي خطر الخاتمة (**خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه إلا بعد مجاوزة الصراط**) الذي على متن جهنم،

وخوف لا نجاة منه إلا بعد مجاوزة الصراط ، ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال : أفلت مني يا فلان ! فقال : لا . بعد . ولذلك قيل : الناس كلهم هلكى إلا العالمون ، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون ، والعاملون هلكى إلا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم . فإذاً المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر ، فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب أولياء الله أبداً . فنسأل الله تعالى العون والتوفيق وحسن الخاتمة فإن الأمور بخواتيمها .

تم كتاب ذم الغرور ، وبه تم ربع المهلكات ، ويتلوه في أوّل ربع المنجيات كتاب التوبة والحمد لله أوّلاً وآخراً ، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم .

(ولذلك لما ظهر الشيطان لبعض الأولياء في وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال له) الشيطان : **(أفلت مني يا فلان)** أي خلصت مني ؟ **(فقال)** الولي عند ذلك : **(لأبعد)** أي ما دام النفس موجوداً لا أتخلص من شرك . روي ذلك عن الإمام أحمد فأحب إلى الشيطان أن يسلب المؤمن إيمانه عند النزع ، **(ولذلك قيل : الناس كلهم هلكى)** أي هالكون محجوبون بظلمات جهلهم المورث فيه للهلاك **(إلا العالمون)** فهم رفعوا تلك الحجب بنور معرفتهم بالله تعالى ، **(والعالمون كلهم هلكى)** إذ هم محجوبون بحجب النور فيظنون أنهم قد كشف عنهم الحجاب فاغتروا فكان سبب هلاكهم **(إلا العاملون ، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون)** الذين أخلصوا الله في سائر أحوالهم ، **(والمخلصون على خطر عظيم)** وقد روي هذا القول عن أبي محمد سهل بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى أخرجه الخطيب في اقتضاء العلم والعمل قال : أخبرنا الحسن بن محمد بن محمد الخلال ، حدثنا محمد بن عبدالله الشيباني قال : سمعت عبد الكريم بن كامل يقول : سمعت سهل بن عبدالله التستري يقول : الناس كلهم سكارى إلا العلماء ، والعلماء كلهم حيارى إلا من عمل بعلمه .

وأخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن فضالة الحافظ أخبرنا أبو محمد الغطريفي ، حدثنا بكر بن أحمد بن سعدويه قال : قال سهل بن عبدالله : الدنيا جهل وموات إلا العلم ، والعلم كله حجة إلا العمل به ، والعمل كله هباء إلا الإخلاص ، والإخلاص على خطر عظيم حتى يختم به ، **(فإذاً المغرور هالك والمخلص الفار من الغرور على خطر ، فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب أولياء الله أبداً ، فنسأل الله العون والتوفيق وحسن الخاتمة فإن الأمور بخواتيمها والسلام)** والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وبه تم شرح كتاب ذم الغرور ، وبه تم ربع المهلكات يتلوه ربع المنجيات . قال المؤلف رحمه الله تعالى : وكان الفراغ من تسويده في الثالثة من يوم الإثنين ثاني عشر جمادي الأول سنة ١٢٠٠ وكتب أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله له بمنه حامداً الله ومصلياً ومسلماً .

كتاب التوبة وهو الأوّل من ربع المنجيات
من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي قبل توبة عباده وعفا عن السيئات، وأعلى مقام من خرَّ إليه بالأنابة في أعلى الدرجات، وأفاض أنواع إحسانه على المخلصين ووفقهم للأعمال الصالحات، أحمده حمداً يشرق إشراق النجوم في الدجنات، واستغفره مما سلف من الذنوب في الأيام الخاليات، وأتوب إليه من كل معصية ومخالفة وخطرات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تدفع حجوب الشكوك والشبهات وتضيء نجوم هدايتها في أوج العنايات، وتزهر سرج يقينها من مشكاة الإصابات، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله الذي ابتعثه والناس يضربون في الغمرات، ويموجون في جرة الظلمات، قد قادتهم أزمة الجبن واستغلقت على افئدتهم قفال الدين فأراهم بواهر الآيات وقارعهم بأوضح النيرات، وقادهم إلى أبواب الجنات، صلى الله عليه وعلى آله الأئمة الهداة وصحبه الآجلة الإثبات، صلاة تستنزل من سحائبه غيوب الرحمات، وتحل صاحبها من الرضهان أعلى الدرجات، وسلم تسليماً كثيراً.

(أما بعد) فهذا شرح **(كتاب التوبة)** ولواحقها الفرار والإنابة والإخبات، وهو أول الربع الرابع الموسوم بالمنجيات من كتاب الإحياء للإمام الهمام قدوة الأنام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، سقى الله عهده صوب الغفران المتوالي قد وفقني الله جلت نعماؤه وتقدست اسماؤه إلى فتح باب الإرشاد، للسالكين في مسارح رياضه ومنح عدة الإسعاد، للواردين بحسن ذوقهم على موارد حياضه، لم آل جهداً في سلوك شعابه، ورياضة صعابه، وتحرير ألفاظه ومعانيه، وتبيين ما أشكل لمعانيه، متحفاً لهم بإبراز ما فيه من جلائل الفوائد ومجرياً لهم على ما ألفوه من جيل العوائد، موضحاً أدلة براهينه، مفصحاً مقاصده من قضايا قوانينه على وجه يرتضيه أهل الإرادة، ويقتفيه من وقف نفسه على الإخلاص في العبادة، باذلاً في ذلك جهد الإستطاعة، معترفاً بقلة البضاعة، مستعيناً بالله في تيسير كل عسير مستوثقاً بفيضه إنه على كل شيء قدير لا إله غيره، ولا رب سواه ولا خير إلا خيره.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب، وبذكره يصدّر كل خطاب، وبحمده يتنعم أهل النعيم في دار الثواب، وباسمه يتسلى الأشقياء وإن أرخى دونهم الحجاب، وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ونتوب إليه توبة من يوقن أنه رب الأرباب ومسبب الأسباب، ونرجوه رجاء من يعلم انه

قال رحمه الله تعالى: (**بسم الله الرحمن الرحيم**) المستعان به في أمر الدنيا والأخرى.

(**الحمد الله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب**) الكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيه، والتحميد كثرة الحمد والإستفتاح الإبتداء أي كل صحيفة مهيأة للكتابة فيها، فالكاتب إنما يبتدىء فيها أول كل شيء بحمد الله تعالى وثنائه وتمجيده بما اثنى به على نفسه على لسان أنبيائه ورسله، (**وبذكره يصدر كل خطاب**) الذكر أعم من الحمد والتصدير الإبتداء، والخطاب القول الذي يفهم المخاطب به شيئاً أي ما من كلام يتحاوره المخاطبان إلا وذكر الله يكون في صدره أي أوله وصدر كل شيء أعلاه، وصدر المجلس المرتفع منه وصدره تصديراً رفعه للصدر وتصدرا ارتفع، (**وبحمده يتنعم أهل النعيم**) أي النعمة الكثيرة والتنعم تناول ما فيه نعمة وطيب عيش (**في دار الثواب**) أي الجنة يشير بذلك إلى قوله تعالى حكاية عن أهل الجنة ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾ (**وباسمه يتسلى الأشقياء**) وهم المنافقون المحجوبون بنور ممزوج بالظلمة، والتسلي تفعل من السلو. قال أبو زيد: هو طيب نفس الإلف على إلفه، (**وإن أرخى دونهم الحجاب**) وهو كل ما ستر المطلوب أو منع من الوصول إليه، وقيل للستر حجاب لمنعه للمشاهدة، (**وضرب بينهم وبين السعداء**) وهم المؤمنون الموسعة صدورهم لقبول نور الإيمان (**بسور**) أي بحائط (**له باب**) يدخل فيه المؤمنون (**باطنه**) أي باطن السور أو الباب (**فيه الرحمة**) لأنه يلي الجنة، (**وظاهره من قبله العذاب**) أي من جهته لأنه يلي النار يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم﴾ أي انتظرونا فإنهم يسرح بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف، أو أنظروا إلينا فإنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيؤن بنورهم بين أيديهم قيل: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً بتحصيل المعارف الإلهية والأخلاق الفاضلة فإنه يتولد منها، وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين أو من الملائكة، فضرب بينهم بسورة الآية. (**ونتوب إليه توبة من يوقن أنه رب الأرباب**) أي سيد السادات ومالك الملوك (**ومسبب الأسباب**) جمع سبب وهو كل ما يتوصل به إلى غيره وقد سببه إياها وسبب له إذا أمكنه منها، (**وترجوه رجاء من يعلم أنه الملك**) المستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود، ومحتاج إليه كل موجود (**الرحيم**) وهو

الملك الرحيم الغفور التوّاب، ونمزج الخوف برجائنا مزج من لا يرتاب، إنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب.

ونصلي على نبيه محمد ﷺ وعلى آلة وصحبه صلاة تنقذنا من هول المطلع يوم العرض والحساب. وتمهد لنا عند الله زلفى وحسن مآب.

أما بعد فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب علام الغيوب، مبدأ طريق السالكين، ورأس مال الفائزين، وأوّل أقدام المريدين، ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الإصطفاء والاجتباء للمقربين، ولأبينا آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين، وما أجدر بالأولاد، الإقتداء بالآباء والأجداد، فلا غرو أن أذنب الآدمي

مفيض الخير على المحتاجين تماماً وعموماً (**الغفور**) أي تام الغفران وكامله حتى يبلغ أقصى درجات المغفرة (**التواب**) وهو الذي يرجع إلى تيسر أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرى بما يظهر لهم من آياته ويسوق إليهم من تنبيهاته ويطلعهم عليه من تخويفاته وتحذيراته، حتى إذا طلعوا بتعريفه على غوائل الذنوب استشعروا الخوف بتخويفه فرجعوا إلى التوبة فرجع إليهم فضل الله تعالى بالقبول، (**ونمزج الخوف برجائنا مزج من لا يرتاب**) أي لا يشك، (**أنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب**) مصدر كالتوبة وقيل جمعها (**شديد العقاب**) أي مشددة أو الشديد عقابه وتوسط الواو بين الأولين لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة أو تغاير الوصفين إذ ربما يتوهم الإتحاد أو تغاير موقع الفعلين لأن الغفر هو الستر وذلك لمن لم يتب فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

(**ونصلي**) ونسلم (**على**) سيدنا ومولانا (**محمد و**)على (**آله وصحبه**) الأكرمين (**الأئمة الأنجاب**) وسقط ذلك من بعض النسخ، (**صلاة تنقذنا**) أي تخلصنا (**من هول**) أي مخافة (**المطلع**) هو مفتعل اسم مفعول موضع الإطلاع من المكان المرتفع إلى المنخفض، وهو المطلع من ذلك شبه ما يشرب عليه من أمور الآخرة (**يوم العرض**) على الله (**للحساب**) بذلك، (**وتمهد لنا**) أي تهيء وتبسط (**عند الله زلفي**) وهو اسم المصدر بمعنى القربة والمنزلة (**وحسن مآب**) أي مرجع.

(**أما بعد، فإن التوبة من الذنوب بالرجوع إلى سائر العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق السالكين**) إلى الله (**وراس مال الفائزين**) بوصال الله، (**وأول أقدام المريدين**) في سلوك طريق الله، (**ومفتاح استقامة المائلين**) في زخارف الإشتباه بل هي أصل كل مقام وقوامه ومفتاح كل حال وهي أول المقامات وهي بمثابة الأرض للبناء، فمن لا أرض له لا بناء له، ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام، (**و**) هي (**مطلع الإصطفاء والإجتباء للمقربين**) في حضرة الربوبية، (**ولأبينا آدم**) صلى الله عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين (**أجمعين وما اجدر**) أي

واجترم، فهي شنشنة يعرفها من أخزم، ومن أشبه أباه فما ظلم. ولكن الأب إذا جبر بعدما كسر وعمر بعد أن هدم، فليكن النزوع إليه في كل طرفي النفي والإثبات والوجود والعدم، ولقد قرع آدم سن الندم، وتندم على ما سبق منه وتقدم. فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة قد زلت به القدم. بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين، والتجردللشر دون التلافي سجية الشياطين، والرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر ضرورة الآدميين، فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان، والمتجرد للشر شيطان، والمتلافي للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان، فقد ازدوج في طينة الإنسان

اليق (**بالأولاد الإقتداء بالآباء والأجداد فلا غرو**) أي لا عجب (**أن أذنب الآدمي واجترم**) أي اكتسب الإثم (**فهي شنشنة**) بكسر الشينين المعجمتين وسكون النون الأولى وفتح الثانية وهي الطبيعة والعادة (**يعرفها من أخزم ومن شابه أباه فما ظلم**) أي ما تعدى، وهذا المثل لأبي أخزم رؤبة بن ربيعة بن جرول بن ثقل بن عمرو الطائي الجد السادس لحاتم المشهور مات ابنه أخزم وكان عاقاً لأبيه وترك بنين منهم مرة وعدي وعبد شمس فوثبوا يوماً على جدهم في مكان واحد فادموه فقال:

إن بني زملوني بالدم ... من يلق آساد االرجال يكلم
ومن يكن ذاد أبه يفدم ... بشنشنة يعرفها من أخزم

أي أنهم أشبهوا أباهم في الطبيعة والعادة هكذا ذكره ابن الكلبي وتبعه الجوهري: ونقل أبو عبيدة فيه: نشنشة بتقديم النونين على الشينين وهو من الأمثال السائرة المشهورة أوسعت الكلام فيه في شرحي على القاموس فراجعه، (**ولكن الأب إذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد أن هرم**) أي أعطى عمراً ثانياً بعد أن ضعفت قواه، (**فليكن النزوع إليه**) أي إتباعه (**في كلا طرفي النفي والإثبات والوجود والعدم، ولقد قرع آدم عليه السلام سن الندم**) وهو أيضاً من الأمثال المشهورة يقال قرع فلان سنه إذا أحرقه ندماً وانشد أبو نصر النابغة الذبياني:

ولو أني أطعتك في أمور ... قرعت ندامة من ذاك سني

وقال تأبط شراً:

لتقرعن عليّ السن من ندم ... إذا تذكرت يوماً بعض أخلاقي

(**وتندم على ما سبق منه**) من المخالفة (**وتقدم فمن اتخذه قدوة في الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم**) أي اضطربت ولم يثبت (**بل التجرد لمحض الخير دأب الملائكة المقربين والتجرد للشرّ دون التلافي**) أي التدارك (**سجية الشياطين**) أي طبيعتهم وعادتهم التي جبلوا عليها، (**والرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر، ضرورة الآدميين فالمتجرد للخير ملك مقرب عند الملك الديان والمتجرد للشر شيطان والمتلافي للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان**) فالموجودات منقسمة إلى حية وميتة، ودرجات الأحياء ثلاث درجات: درجة الملائكة،

شائبتان، واصطحب فيه سجيتان، وكل عبد مصحح نسبه إما إلى الملك أو إلى آدم أو إلى الشيطان، فالتائب قد أقام البرهان، على صحة نسبه إلى آدم بملازمة حد الإنسان، والمصر على الطغيان، مسجل على نفسه بنسب الشيطان، فأما تصحيح النسب بالتجرد لمحض الخير إلى الملائكة فخارج عن حيز الإمكان، فإن الشر معجون مع الخير في طينة آدم كما لا يخلصه إلا إحدى النارين: نار الندم أو نار جهنم، فالإحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الإنسان من خبائث الشيطان وإليك الآن اختيار أهون النارين، والمبادرة إلى أخف الشرين قبل أن يطوي بساط الإختيار، ويساق إلى دار الإضطرار. أما إلى الجنة وإما إلى النار. وإذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها

ودرجة الأنس والجنّ، ودرجة البهائم. فالملك درجته أعلى الدرجات لأنه عبارة عن موجود لا يؤثر القرب والبعد في إدراكه، بل لا يقتصر على إدراكه على ما يتصور فيه القرب والبعد إذ القرب والبعد يتصور على الأجسام والأجسام أخس أقسام الموجودات، ثم هو مقدس عن الشهوة والغضب فليست أفعاله بمقتضى الشهوة والغضب بل داعية إلى طلب القرب إلى الله، وأما الإنسان: **(فقد أدرج في طينة الإنسان شائبتان، واصطحب فيه سجيتان)** فإن درجته متوسطة بين الدرجتين، فكأنه مركب من بهيمية وملكية، والأغلب عليه في بداية أمره البهيمية إذ ليس له املاء عن الإدراك إلا الحواس التي يحتاج في الإدراك بها إلى طلب القرب من المحسوس بالسعي والحركة إلى أن يشرق عليه بالآخرة نور العقل المتصرف في ملك السموات والأرض من غير حاجة إلى حركة بالبدن وطلب قرب مماشة مع المدرك له، بل مدركه الأمور المقدسة من قبول القرب والبعد بالمكان وكذلك المستولى عليه أولاً شهوته وغضبه وبحسب مقتضاهما انبعاثه إلى أن تظهر فيه الرغبة في طلب الكمال والنظر للعاقبة وعصيان مقتضى الشهوة والغضب، **(وكل عبد مصحح نسبه إما إلى الملك أو إلى آدم أو إلى الشيطان، فالتائب قد أقام البرهان على صحة نسبه إلى آدم عليه السلام بملازمة حد الإنسان)** الذي هو الرجوع إلى الخير بعد الوقوع في الشر، **(والمصر على الطغيان مسجل على نفسه بنسب الشيطان)** أي قاض به يقال سجل القاضي تسجيلاً إذا قضى وحكم وأثبت حكمه في السجل وهو كتاب القاضي والجمع سجلات، **(فأما تصحيح النسب بالتجرد لمحض الخير إلى الملائكة فخارج عن حيز الإمكان، فإن الشر معجون مع الخير في طينة آدم عليه السلام عجباً محكماً لا تخلصه إلا إحدى النارين نار الندم)** في الدنيا **(أو نار جهنم)** في الآخرة **(فالإحراق بالنار ضروري)** أي معلوم بالضرورة **(في تخليص جوهر الإنسان من خبائث الشيطان)** وهي مقتضى الشهوات النفسية. **(وإليك الآن اختيار أهون النارين والمبادرة إلى أخف الشرين قبل أن يطوي بساط الإختيار)** وذلك عند حلول الموت، **(ويساق إلى دار الإضطرار إما إلى الجنة وإما إلى النار)** فإن أذاب تلك الخبائث بنار الندم ومضى مقتضى الشهوة والغضب وأناب إلى ربه وملك بنفسه أخذ

في صدر ربع المنجيات بشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلاماتها وثمرتها والآفات المانعة منها والأدوية الميسرة لها، ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان:

الركن الأوّل: في نفس التوبة وبيان حدّها وحقيقتها وأنها واجبة على الفور وعلى جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال، وأنها إذا صحت كانت مقبولة.

الركن الثاني: فيا عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها إلى صغائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى، وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات، وبيان الأسباب التي بها تعظم الصغائر.

الركن الثالث: في بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب وبيان أقسام التائبين في دوام التوبة.

بذلك شبهاً من الملائكة، وكذلك إن نظم نفسه مـن الجمـود والخيـالات والمحسـوسـات وأنس بالإدراك أخذ شبهاً آخر من الملائكة، فإن خاصية الحياة الإدراك والعقل وإليهما يتطرق النقصان والتوسط والكمال، ومهما اقتدى بالملائكة في هاتين الخاصيتين فقد صحح نسبه إليهم وصار قريباً بهم، والملك قريب من الله، والقريب من القريب قريب. وعلى هذا التفصيل قالوا: إن التوبة مخصوصة بنوع الإنسان لتركيبه من طرفي مشابهة الملائكة والبهائم ومن نظر إلى هذا قال: حقيقة التوبة ترجع إلى الرجوع من الشر الشرعي إلى الخير الشرعي ومن الطريق المبعدة إلى الطريق المقربة كما سيأتي بيانه.

(وإذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها في صدر ربع المنجيات بشرح حقيقتها) وحدها **(وشروطها)** الملازمة لها **(وسببها وعلاماتها وثمرتها والآفات المانعة منها والأدوية الميسرة لها، ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان)** .

(الركن الأول: في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وأنها واجبة على الفور وعلى جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال، وأنها إذا صحت كانت مقبولة) .

(الركن الثاني: فيا عنه التوبة وهو الذنوب وبيان أنقسامها إلى صغائر وكبائر وما يتعلق) منها **(بالعباد وما يتعلق)** منها **(بحق الله تعالى، وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات، وبيان الأسباب التي بها تعظم الصغائر)** .

(الركن الثالث: في بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ما مضى من المظالم وكيفية تكفير الذنوب، وبيان أقسام التائبين في دوام التوبة) .

الركن الرابع: في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الإصرار من المذنبين.

ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل.

الركن الأول: في نفس التوبة: وفيه فصول أربعة

بيان حقيقة التوبة وحدها:

(الركن الرابع: في) بيان **(السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الإصرار من المذنبين، ويتم المقصود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله تعالى)**.

الركن الأول: في نفس التوبة، وفيه فصول أربعة:
أول فصل في بيان حقيقة التوبة وحدها:

ولنقدم قبل الخوض في كلام المصنف بيان أن التوبة من جملة المقامات، والفرق بين المقام والحال واختلاف أقوالهم فيه، وكيفية ترتيب المقامات. قال الشيخ أبو طالب المكي في القوت الفصل الثاني والثلاثون فيه كتاب شرح مقامات اليقين التسعة، وأحوال المتقين أصل مقامات اليقين التي ترد إليها فروع أحوال المتقين تسعة: أولها التوبة، والصبر، والشكر، والرجاء، والخوف، والزهد، والتوكل، والرضا والمحبة وهذه مجملة للخصوص وهي محبة المحبوب اهـ.

وقال صاحب العوارف في ذكر المقامات على الترتيب: هكذا التوبة الورع الزهد الصبر الفقر الشكر الخوف الرجاء التوكل الرضا، فزاد فيها الورع وفي ترتيب الأحوال هكذا المحبة لله تعالى الأنس به القرب الحياء الإتصال القبض والبسط الفناء والبقاء، فهي تسعة. وجعل صاحب القوت المحبة لله من مكملات المقامات، وسيأتي الكلام في محله إن شاء الله تعالى.

وأما الحال والمقام والفرق بينهما فقال صاحب العوارف ما حاصله: كثر الإشتباه بينهما واختلفت إشارة الشيوخ في ذلك ووجود الإشتباه لمكان تشابههما في أنفسهما وتداخلهما، فتراءى للبعض الشيء حالاً، وتراءى للبعض مقاماً وكلا الروايتين صحيح لوجود تداخلهما ولا بد من ذكر ضابط يفرق بينهما على أن اللفظ والعبارة مشعر بالفرق، فالحال سمي حالاً لتحوّله، والمقام مقاماً لثبوته واستقراره، وقد يكون الشيء بعينه حالاً ثم يصير مقاماً، وقد تداولت السنة الشيوخ أن المقامات مكاسب والأحوال مواهب، وإن شئت قلت كلها مواهب، إذا المكاسب محفوفة بالموهبة والمواهب محفوفة بالكسب، فالأحوال مواسد والمقامات طرق المواجيد، ولكن المقامات ظهر الكسب وبطنه الموهبة، وفي الأحوال بطن الكسب وظهره الموهبة، فالأحوال مواهب علوية وسماوية والمقامات طرقها.

وقال بعض مشايخ العراق الحال ما من الله فكل ما كان من طريق الإكتساب والأعمال يقولون

هذا ما من العبد فإذا لاح للمريد شيء من المواهب والمواجيد قالوا هذا ما من الله تعالى وسموه حالاً إشارة منهم إلى أن الحال موهبة.

وقال بعض مشايخ خراسان، الأحوال مواريث الأعمال وقال بعضهم: الأحوال كالبرق فإن بقي فحديث النفس وهذا لا يكاد يستقيم على الإطلاق، وإنما يكون ذلك في بعد الأحوال، فإنها تطرق ثم تسليها النفس فأما على الإطلاق مثلاً. والأحوال لا تمتزج بالنفس كالدهن لا يمتزج بالماء. وذهب بعضهم إلى أن الأحوال لا تكون إلا إذا دامت، فإذا لم تدم فهي لوائح وطوالع وبوادر وهي مقدمات الأحوال وليست بأحوال.

فصل

وهل يجوز له أن ينتقل إلى مقام غير مقامه الذي هو فيه دون أن يحكم حكم مقامه؟ اختلفوا فيه، فقال بعضهم: لا ينبغي أن ينتقل إلى غير الذي هو فيه دون أن يحكم حكم مقامه. وقال بعضهم: لا يكمل له الذي هو فيه إلا بعد ترقيه إلى مقام فوقه فينظر من مقامه العالي إلى ما دونه من المقام فيحكم أمر مقامه. والأولى أن نقول: والله أعلم. اعلم ان الشخص يعطى حالاً من مقامه الأعلى الذي سوف يرتقي اليه فيوجد أن ذلك الحال يستقيم أمر مقامه الذي هو فيه ويتصرف الحق فيه كذلك، ولا يضاف الشيء إلى العبد أن يرتقي أو لا يرتقي، فإن العبد بالأحوال يرتقي إلى المقامات والأحوال مواهب ترقى الى المقامآت التي يمتزج منها الكسب بالموهبة، ولا يلوح للعبد حال من مقام أعلى مما هو فيه إلا وقد قرب ترقيه إليه، فلا يزال العبد يرقى إلى المقامات بزائد الأحوال، فعلى ما ذكرنا يتضح تداخل المقامات والأحوال حتى التوبة ولا تعرف إلا مقاماً فيها حال مقام، وفي التوكل حال ومقام وفي الرضا حال ومقام والمحبة حال ومقام.

فصل

وأما كيفية ترتيب المقامات على وجه الأعمال؟ اعلم أن المقامات والأحوال وثمراتها فجميعها ثلاثة أشياء بعد صحة الإيمان وعقوده وشروطه فصارت مع الإيمان أربعة، وهي في إفادة الولادة المعنوية الحقيقية بمثابة الطبائع الأربع التي جعلها الله باجراء سنته مفيدة للولادة الطبيعية، ومن تحقق بحقائق هذه الأربع يلج ملكوت السموات ويكاشف بالقدر والآيات ويصير له ذوق وفهم لكلمات الله المنزلات، ويحظى بجميع الأحوال والمقامات، فكلها من هذه الأربع ظهرت وبها تهيأت وتأكدت إحدى الثلاث بعد الايمان التوبة النصوح، والثاني الزهد في الدنيا، والثالث تحقيق العبودية بدوام العمل له ظاهراً وباطناً من غير فتور ولا قصور، ثم يستعان على هذه الأربعة بأربعة أخرى بها تمامها وقوامها وهي: قلة الكلام، وقلة المنام، وقلة الطعام والاعتزال عن الناس، فالتوبة في مبدأ صحتها تفتقر إلى أحوال، وإذا صحت تشتمل على مقامات وأحوال، فالأحوال التي تتقدم التوبة في استقامتها إلى المحاسبة في الظاهر والمراقبة في الباطن والرعاية، والأخيران

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتبة: علم، وحال،

حالان شريفان ويصيران مقامين بصحة مقام التوبة على الكمال بهما، فصارت المحاسبة والمراقبة والرعاية من ضرورة مقام التوبة، وإذا صدق العبد في توبته صار منيفاً وهو ثاني درجة التوبة، ورؤية عيوب الأفعال من ضرورة صحة الإنابة وهو تحقيق مقام التوبة، ولا تستقيم التوبة إلا بصدق المجاهدة، ولا يصدق العبد في المجاهدة إلا بالصبر، وحقيقته كائن في التوبة ككينونة المراقبة فيها، والصبر على الخمول، والتواضع والذل داخل في الزهد وإن لم يكن داخلاً في التوبة، وكل ما في التوبة من المقامات والأحوال يوجد في الزهد وهو ثالث الأربعة، ثم ان النفس بالمحاسبة والمراقبة تصفو وتنطفىء نيرانها المتنافجة بمتابعة الهوى وتبلع بطمأنينتها محل الرضا ومقامه، والرضا ثمرة التوبة النصوح، وما تخلف عبد عن الرضا إلا بتخلفه عن التوبة النصوح حال الصبر ومقام الصبر وحال الرضا ومقام الرضا، والخوف والرجاء مقامان كائنان في صلب التوبة النصوح لأن خوفه حمله على التوبة، ولولا خوفه ما تاب، ولولا رجاؤه ما خاف، ويعتدلان للتائب المستقيم في التوبة. ثم ان التائب حيث قيد الجوانح عن المكاره واستعان بنعم الله على طاعته فقد شكر المنعم، فإذا جمعت التوبة هذه المقامات والأحوال انجلت مرآة القلب وبان قبح الدنيا فيه فيحصل الزهد، والزاهد يتحقق فيه التوكل لأنه لا يزهد في الموجود إلا لاعتماده على الموعود، والسكون إلى وعد الله هو عين التوكل وكل ما بقي على العبد من بقية في تحقق المقامات كلها بعد توبته يستدركه بزهده في الدنيا وهو ثالث الأربعة، وإذا صح زهد العبد صح توكله أيضاً لأن صدق توكله مكنه من الزهد في الوجود، فمن استقام في التوبة وزهد في الدنيا وحقق هذين المقامين استوفى سائر المقامات وتحقق بها، فإذا تاب توبة نصوحاً ثم زهد في الدنيا حتى لا يهتم لأمر غد ولا يدخر جمع في هذا الزهد والفقر والزهد أفضل من الفقر وهو فقر وزيادة لأن الفقير عادم للشيء اضطراراً، والزاهد تارك للشيء اختياراً، وزهده يحقق توكله، وتوكله يحقق رضاه، ورضاه يحقق الصبر، والصبر يحقق حبس النفس وصدق المجاهدة، وحبس النفس لله يحقق خوفه، وخوفه يحقق رجاءه: ويحظى بالتوبة والزهد بكل المقامات وهما إذا اجتمعا مع صحة الإيمان وعقوده وشروطه يعوز هذه الثلاثة رابع به تمامها، وهو دوام العمل لأن الأحوال السنية ينكشف بعضها بهذه الثلاثة ويصير بعضها متوقفاً على وجود الرابع، وهو دوام العمل لله لا يشغله عنه إلا واجب شرعي أو مهم لا بد منه طبعي، فإذا كان مع الزهد والتقوى متمسكاً بدوام العمل فقد أكمل الفضل وما آلى جهداً في العبودية، ومنه يصل إلى مقام الفناء والبقاء وهو مقام عزيز، ولنعد إلى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى:

(**اعلم ان التوبة**) مقام من جملة مقامات اليقين التسعة، وهي (**عبارة عن معنى ينتظم ويلتئم من ثلاثة أمور مرتبة: علم وحال وفعل**)، والمراد بالفعل العمل لكن العمل أخص إذ الفعل ما ظهر عن داعية من الموقع كان عن علم أو غير علم لتدين كان أو غيره، والعمل كل فعل من الحيوان يقصد فهو أخص من الفعل لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوان الذي يقع منه فعل بغير

وفعل، فالعلم الأول، والحال الثاني، والفعل الثالث، والأول موجب للثاني، والثاني موجب للثالث ايجاباً اقتضاه إطراد سنة الله في الملك والملكوت. أما العلم، فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجاباً بين العبد وبين كل محبوب، فإذا عرف ذلك معرفة

قصد وقد ينسب إلى الجهاد، والعمل قد لا ينسب إلى ذلك، ولذلك قيل: لو قال وعمل كان أنسب.

ولنقدم قبل الخوض فيه مقدمة تتنزل منزلة التوطئة وتمهيد الكل ما نستقبله من مقام وحال. فاعلم أن جملة ما تكلم الناس فيه من المقامات والأحوال كلها هي من الإيمان بالله ولله. قال الله تعالى: ﴿فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي﴾ [البقرة: ١٨٦] والإيمان بالله ولله عقود كثيرة لا نهاية لها لأن كل ما ورد من أسماء الله تعالى سواء دل على عين الذات الأقدس أو على صفة من صفاتها أو على سلب نقص وعيب عنها أو على اثبات جلال وكمال لها، فهو من عقود الإيمان بالله. وكل ما جاءنا عن الله من أمر أو نهي أو خبر ماض أو مستقبل أو حال فهو من الإيمان لله تعالى، وسيأتي في كل مقام بيان كل ما هو من الإيمان بالله أو لله في موضعه إن شاء الله تعالى، فإذا علمت أن عقود الإيمان لا حصر لها كان النفي والإيجاب لا نهاية لها والأوامر والنواهي كذلك، لان من جملتها النفي والإيجاب علمت أن كل عقد من عقود الإيمان أصل، ولذلك الأصل فرع وللفرع ثمرة، ولذلك شبه الله تعالى الإيمان بالشجرة. قال الله تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب اللهُ مثلاً كلمة طيبةً كشجرةٍ طيّبةٍ أصلُها ثابت وفرعها في السماء ★ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥] فعرفنا أن لها أصلاً ثابتاً في القلوب بما أمد ساقه من النظر والاعتبار، وعرفنا أن لها فروعاً تنشأ منها هي مواجيد القلوب وأحوال لها بسبب ما جبلها عليه من محبة سعادتها وكمالها، وعرفنا بقوله: ﴿تؤتى أكلها كل حين﴾ أن لها ثماراً هي أعمالنا الناشئة عن أحوال قلوبنا وبها نجاتنا وكمالنا، وقوله: ﴿بإذن ربها﴾ لأنه خالقها ومالكها، وفيه دليل الرد على من يقول بالتولد، وفيه دليل على أن لا يصدر منها فعل من أفعالنا إلا وهو موجود بقدرته على ما قدرته مشيئته.

ولما علم المصنف رحمه الله تعالى ذلك قال ما قال مشيراً إلى أن كل مقام ينتظم من علم وحال وفعل، **(فالعلم أوّل)** لأنه هو الأصل الذي هو عقد من عقود الإيمان بالله أو لله، **(والحال ثاني)** وهو ما ينشأ عنه من المواجيد، **(والفعل ثالث)** وهو ما تنشئه المواجيد على القلوب والجوارح من الأعمال، (**فالأول موجب للثاني، والثاني موجب للثالث إيجاباً اقتضاه إطراد سنة الله تعالى في**) عالمي (**الملك والملكوت**)، ومصداق ذلك في قوله تعالى: ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾ [الحج: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ [آل عمران: ١٣٥] وهذه الآية جامعة لمجامع أركان التوبة للمتأمل، فإذا فهمت هذه المقدمة لم يعسر عليك استنتاج الأحوال من العلوم واستفتاح الأعمال من الأحوال.

(أما العلم؛ فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجاباً بين العبد وبين كل محبوب،

محققة بيقين غالب على قلبه ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب، فإن القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم. فإن كان فواته بفعله تأسف على الفعل المفوّت، فيسمى تألمه بسبب فعله المفوّت لمحبوبه ندماً، فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى انبعث من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى ارادة وقصداً إلى فعل له تعلق بالحال وبالماضي وبالإستقبال، أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابساً، وأما بالإستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوّت للمحبوب إلى آخر العمر. وأما بالماضي فبتلافي ما فات بالجبر والقضاء إن كان قابلاً للجبر، فالعلم هو الأول وهو مطلع هذه الخيرات وأعني بهذا العلم الإيمان واليقين، فإن الإيمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب

فإذا عرف ذلك معرفة حقيقية) مؤيدة (**بيقين غالب على قلبه**) فإذا استغرقه (**ثار من هذه المعرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب، فإن القلب مهما شعر بفوات محبوبه تألم**) لا محالة، (**فإن كان فواته بفعله**) الموجب لذلك (**تأسف على الفعل المفوّت**) لمحبوبه (**فيسمى تألمه بسبب فعله المفوّت لمحبوبه ندماً**)، وقد اختلف في حدّه فقال الراغب: هو التحسر من تغرر أي في أمر فائت، وقال أبو البقاء: هو أن يلوم نفسه على تفريط وقع منه، وقال غيره: هو غم يصحب الإنسان يتمنى أن ما وقع منه لم يقع وكل هذه المعاني متقارب، (**فإذا غلب هذا الندم على القلب واستولى انبعث من هذا الندم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصداً إلى فعل له متعلق بالحال والماضي والاستقبال، أما تعلقه بالحال فبالترك للذنب الذي كان ملابساً له**) ومصاحباً به وهو واجب شرعاً، (**وأما**) تعلقه (**بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنب المفوّت للمحبوب إلى آخر العمر**) فلا يعود فيه ولا في مثله وهذا أيضاً واجب شرعاً. (**وأما**) تعلقه (**بالماضي فبتلافي**) أي تدارك (**ما فات**) وفرط من أمره وهل تتوقف صحة التوبة على هذا أم لا؟ فيه خلاف أما من منع فقال العلم والندم يرادان لهذا وهذا هو الغاية المقصودة، وأما من أجاز الصحة فيكتفي بالعلم والندم والعزم والترك في الحال، والصحيح أن فيه تفصيلاً قد أشار المصنف له (**بالجبر والقضاء إن كان قابلاً للجبر**) أي أن المعاصي المرجوع عنها إما أن تكون قاصرة الضرر على المذنب أو متعدية إلى غيره، فالقاصرة منها ما يقبل القضاء كالصلاة والصيام والزكاة والحج، ومنها ما لا يقبل القضاء كمس المصحف على غير وضوء واللبث في المسجد على غير طهارة وشرب الخمر وإلقاء المال في البحر وإنفاقه في المعصية، وما أشبه ذلك مما لا يقبل القضاء، فيكفي فيه الندم والترك والعزم على أن لا يعود، والذي يقبل القضاء فتصح أيضاً توبته ولكن يجب عليه قضاء ما فات لأن التوبة عبادة الوقت لوجوبها على الفور، وقد قام بها. والقضاء لا وقت له معين والذمة مشغولة به، وهذا الحكم في المعاصي المتعدى ضررها إلى الغير، وسيأتي الكلام عليها قريباً. وقد علم مما تقدم أن واجبات التوبة وأركانها أربعة علم وندم وترك، (**فالعلم هو الأوّل وهو مطلع هذه الخيرات وأعني بهذا العلم**) عقد (**الإيمان**) لله

سموم مهلكة واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الإيمان مهما أشرق على القلب نار الندم فيتألم بها القلب حيث يبصر بإشراق نور الإيمان أنه صار محجوباً عن محبوبه، كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب أو انحسار حجاب فرأى محبوبه وقد أشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبعث تلك النيران بإرادته للإنتهاض للتدارك، فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والإستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مرتبة في الحصول، فيطلق إسم التوبة على مجموعها وكثيراً ما يطلق إسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر، وبهذا الإعتبار قال عليه السلام: « الندم توبة » إذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمره، وعن عزم يتبعه ويتلوه، فيكون الندم محفوظاً بطرفيه أعني ثمرته ومثمره، وبهذا

(**واليقين، فإن الإيمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب**) والمعاصي (**سموم مهلكة**) في الآخرة، (**واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق**) وترسخه في القلب (**وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب**) لكن مع هذا التصديق لا بدّ من تصديق أن الله جبل نفوسنا على محبة السعادة، فإذا حضرت في قلبك محبتك للسعادة واحضرت في قلبك أيضاً معرفتك بضرر الذنوب وانها حائلة بينك وبين مقصودك وأدمت الفكر في هاتين المعرفتين من غير مانع من الشكوك ولا شاغل مذهل، نتج عنهما حال يسمى الندم كما أشار إليه المصنف بقوله: (**فيثمر نور هذا الإيمان مهما أشرق على القلب**) واستولى عليه (**نار الندم**) فأعجب من نور يثمر ناراً، وإنما قال: نار الندم ولم يقل الندم لأنه تأسف واحتراق. وهذا الندم واجب لأنه المقصود من المعرفتين المتقدمتين وهو وسيلة لترك الذنوب وقدر الواجب منه ما يحث على الترك لأن الوسيلة إذا لم تؤد إلى مقصودها فلا فائدة فيها، وهذا الندم يوجب الترك بأقسامه الثلاثة المذكورة في سياق المصنف قريباً. (**فيتألم به القلب حيث يبصر بإشراق نور الإيمان أنه صار محجوباً عن محبوبه**) محالاً بينه وبينه (**كمن يشرق عليه نور الشمس**) باضاءتها وانبساطها على وجه الأرض، (**وقد كان**) قبل (**في ظلمة**) وحيرة (**فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب**) أي انكشافها (**أو انحسار حجاب**) من الحجب الظواهر، (**فيرى محبوبه**) ويجد مطلوبه (**وقد أشرق**) الرائي (**على الهلال**) من فقده محبوبه (**فتشتعل نيران الحب في قلبه فتنبعث بتلك النيران إرادته للانتهاض للتدارك**) لما فات، (**فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مرتبة في الحصول، فيطلق إسم التوبة على مجموعها**) وهو أركانها وواجباتها (**وكثيراً ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويجعل العلم كالسابق، والمقدمة والترك الذي يوجبه الندم كالثمرة والتابع المتأخر، وبهذا الاعتبار قال النبي ﷺ « الندم توبة » إذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه**)، والمراد أن

الإعتبار قيل في حد التوبة أنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ، فإن هذا يعرض لمجرد الألم، ولذلك قيل:

هـو نـار في القلـب تلتهـب   وصـدع في الكبـد لا ينشعـبُ

الندم لما كان معظم أركانها خصه بالذكر تنويهاً لشأنه لا أن الندم وحده كاف فيها، فهو إذاً من قبيل الحج عرفة قاله القشيري في الرسالة، **(فيكون الندم محفوظاً بطرفيه أعني ثمرته)** وهي العزم **(ومثمره)** وهو العلم ووجه تخصيصه بالذكر لأنه شيء يتعلق بالقلب والجوارح تبع له، فإذا تحقق الندم في القلب انقطع عن المعاصي فرجعت برجوعه الجوارح ووجهه المصنف في موضع آخر فقال: إنما نص على أن الندم توبة ولم يذكر جميع شروطها ومقدماتها لأن الندم غير مقدور للعبد، فإنه قد يندم على أمر وهو يريد أن لا يكون والتوبة مقدورة له مأمور بها، فعلم أن في الخبر معنى لا يفهم من ظاهره وهو أن الندم لتعظيم الله وخوف عقابه مما يبعث على التوبة النصوح، فإذا ذكر مقدمات التوبة الثلاث يندم ويحمله الندم على ترك اختيار الذنب وتبقى ندامته بقلبه في المستقبل فتحمله على الابتهال والتضرع ويجزم بعدم العود، وبذلك تتم شروط التوبة الأربعة، فلما كان الندم من أسباب التوبة سماه باسمها، والحديث المذكور قال العراقي: رواه ابن ماجه، وابن حبان، والحاكم مـن حديث أنس وقال: صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلـت: رواه ابن ماجه من طريق عبد الكريم الجزري عن زياد بن أبي مريم عن ابن معقل قال: دخلت مع أبي علي ابن مسعود فسمعته يقول: قـال رسول الله ﷺ «الندم توبة»؟ قال: نعم، ومن هذا الوجه. أخرجه الطيالسي في مسنده، ولكن قال عن زياد وليس بابن أبي مريم، وقال عن عبد الله بن مغفل ولفظه: دخلت مع أبي وأنا إلى جنبه على عبد الله بن مغفل فقال له أبي: أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «الندم توبة» وأخرجه الطبراني في الكبير وآخرون، وفي مسنده اختلاف كثير كذا قاله السخاوي. وأخرجه أحمد والبخاري في التاريخ والحكيم والبيهقي وأبو نعيم.

وأما حديث أنس، فقد رواه أيضاً الدارقطني في الافراد، والبيهقي في السنن، والضياء. وقال الحافظ في الفتح: وهو حديث حسن، وقال العامري في شرح الشهاب: صحيح، ورواه الطبراني في الكبير أيضاً، وأبو نعيم في الحلية من طريق ابن أبي سعيد الأنصاري عن أبيه به مرفوعاً بزيادة «والتائب من الذنب كمن لا ذنب له» وسنده ضعيف.

وفي الباب ابن عباس، وابن عمر، وجابر، وأبو هريرة، ووائل بن حجر وغيرهم. فحديث ابن عباس أشار إليه السخاوي، وحديث ابن عمر رواه تمام والخطيب في رواة مالك وابن عساكر، وحديث جابر رواه الشيرازي في الألقاب، وحديث أبي هريرة رواه ابن عساكر، وحديث وائل بن حجر رواه الطبراني في الكبير. **(وبهذا الاعتبار قيل في حدّ التوبة أنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ، فإن هذا تعرض لمجرد الألم)** والحشا داخل البطن وذوبـانه بتأثير ألم فيه عن الزلات السابقة **(ولذلك قيل)**:

(هـو نـار في القلـب تلتهـب   وصـدع في الكبـد لا ينشعـبُ)

وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة أنه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء. وقال سهل بن عبدالله التستري: التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة، ولا يتم ذلك إلا بالخلوة والصمت وأكل الحلال وكأنه أشار إلى المعنى الثالث من التوبة، والأقاويل في حدود التوبة لا تنحصر، وإذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها

أي شيء لا ينجبر ولا يلتئم. **(وباعتبار معنى الترك)** الذي هو ثمرة التوبة **(قيل في حدّ التوبة أنه خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء)** والمراد بخلع لباس الجفاء أن لا يعود إلى ما يبعده عن حضرة الله وينشر لباس الوفاء بأن يستقيم عليه فلا يمر بباله الجفاء حتى ذكره.

قال القشيري في الرسالة: أخبرنا أبوعبدالله الشيرازي قال: سمعت أبا عبد الله بن مفلح بالأهواز يقول: سمعت شمر بن زيري يقول: سمعت الجنيد، يقول: دخلت على السري يوماً فرأيته متغيراً فقلت له: ما بالك؟ فقال: دخل عليّ شاب فسألني عن التوبة فقلت له: أن لا تنسى ذنبك فعارضني، وقال: بل التوبة أن تنسى ذنبك فقلت أن الأمر عندي على ما قال الشاب. فقال: لم قلت لأني إذا كنت في حال الجفاء فنقلني إلى حال الوفاء، فذكر الجفاء في حال الصفاء وفاء فسكت، وسيأتي الكلام على هذا.

(وقال) أبو محمد **(سهل بن عبد الله التستري)** رحمه الله تعالى: أوّل ما يؤمر به المبتدىء المريد **(التوبة)** وهو **(تبديل)**، ولفظ القوت تحويل **(الحركات المذمومة بالحركات المحمودة)** ولفظ القوت إلى الحركات المحمودة **(ولا يتم ذلك إلا بالخلوة والصمت وأكل الحلال)**، ولفظ القوت ويلزم نفسه الخلوة والصمت ولا تصح له التوبة إلا بأكل الحلال ولا يقدر على الحلال حتى يؤدي حق الله تعالى في الخلق وحق الله تعالى في نفسه، ولا يصح هذا حتى يتبرأ عن كل حركة وسكون إلا بالله وحتى لا يأمن الاستدراج بأعمال الصالحين، هذا تمام قول سهل **(وكأنه)** رحمه الله تعالى **(أشار إلى المعنى الثالث من التوبة)** ومن نظر إلى أن الإنسان متركب من طرفي مشابهة الملائكة والبهائم فبميله إلى صفة البهائم يبعد عن ربه، وبميله إلى صفة الملائكة يقرب من ربه، وطباع البهائم شر كله وطباع الملائكة خير كله. قال: إن حقيقة التوبة ترجع إلى الرجوع من الشر الشرعي إلى الخير الشرعي، ومن الطريق المبعدة إلى الطريق المقربة، وهذا الحد أعم من قولنا هي الرجوع من المعصية إلى الطاعة لأن الحد الأوّل يدخل فيه الوجوب والاستحباب، قال الله تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ [التوبة: ١١٧] وتوبة رسول الله ﷺ في رجوعه من حسن إلى أحسن منه، ومن قرب إلى ما هو أقرب منه وأسنى، **(والأقاويل في حدود التوبة لا تنحصر)** وقد ذكر بعضها في القوت وبعضها وأجمعها وأشدها على ما قال صاحب المفهم أنها اختيار ترك ذنب سبق حقيقة أو تقديراً لأجل الله تعالى، **(وإذ)** قد **(فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت أن جميع ما قيل في**

عرفت أن جميع ما قيل في حدودها قاصر عن الإحاطة بجميع معانيها، وطلب العلم بحقائق الأمور أهم من طلب الألفاظ المجردة.

بيان وجوب التوبة وفضلها:

اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالأخبار والآيات، وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الإيمان صدره حتى اقتدر على أن يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستغنياً عن قائد يقوده في كل خطوة. فالسالك إما أعمى لا يستغني عن القائد في خطوه، واما بصير يهدي إلى أوّل الطريق ثم يهتدي بنفسه، وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الإنقسام، فمن قاصر على مجاوز التقليد في خطوة فيفتقر إلى أن يسمع في كل قدم نصاً من كتاب الله أو سنة رسوله، وربما يعوزه ذلك فيتحير، فسير هذا وإن طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة، ومن سعيد شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فيتنبه بأدنى إشارة لسلوك طريق معوصة وقطع عقبات متعبة ويشرق في قلبه نور القرآن ونور الإيمان، وهو لشدة نور باطنه يجتزىء

حدودها قاصر على الإحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقائق الأمور أهم من طلب الألفاظ المجردة) التي لا تحيط بالمعاني كلها، والله الموفق.

فصل

في بيان وجوب التوبة وفضلها:

(اعلم) أرشدك الله تعالى **(أن وجوب التوبة ظاهر بالآيات والأخبار وهو واضح بنور البصيرة عند من انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الإيمان صدره حتى اقتدر على أن يسعى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل)** وشبهاته **(مستغنياً عن قائد يقوده في كل خطر، فالسالك إما أعمى لا يستغني عن القائد في خطوه)** فهو عاجز عن السلوك فلا قائد، **(وإما بصير يهدى)** أي يرشد إلى أول الطريق، **(ثم)** بعد ذلك **(يهتدي بنفسه)** في سلوكه ويكفيه أول الهداية، **(وكذلك الناس في)** سلوك **(طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام، فمن قاصر)** في سلوكه **(لا يقدر على مجاوزة التقليد)** للغير **(في خطوة فيفتقر إلى أن يسمع في كل قدم)** يرفعه أو يضعه **(نصاً من كتاب الله تعالى أو سنّة رسول الله ﷺ، وربما يعوزه ذلك)** ويعسر عليه دركه **(فيتحير)** في سيره، **(فسير هذا وإن طال عمره وعظم جده)** أي حظه **(مختصر وخطاه قاصرة، ومن سعيد)** موفق **(شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه يتنبه بأدنى إشارة لسلوك طريق مغوصة)** بالغين المعجمة، وفي نسخة بإهمالها أي صعبة **(وقطع عقبات)** أي ثنيات **(متعبة)** في طلوعها والنزول عنها **(فيشرق في قلبه نور القرآن**

بأدنى بيان، فكأنه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار، فإذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء، وهـذا لا يحتاج إلى نص منقول في كل واقعة، فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولاً بنور البصيرة إلى التوبة ما هي، ثم إلى الوجوب ما معناه، ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها، وذلك بأن يعلم بأن معنى الواجب ما هو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأبد، فإنه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن بوصفه لكونه واجباً معنى. وقول القائل: صار واجباً بالإيجاب، حديث محض فإن مالاً غرض لنا آجلاً وعاجلاً في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به، أوجبه علينا غيرنا أو لم يوجبه؟ فإذا عرف معنى الوجوب وإنه الوسيلة إلى سعادة الأبد، وعلم أن لا سعادة في دار البقاء إلا في لقاء الله تعالى، وإن كل محجوب عنه يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهي محترق بنار الفراق ونار الجحيم. وعلم أنه لا مبعد عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات والأنس بهذا العالم الفاني والإكباب على حب ما لا بد من فراقه قطعاً، وعلم أنه لا مقرب من لقاء الله

ونور الإيمان، فهو لشدة نور باطنه يجتزىء) أي يكتفي (**بأدنى كمال، فكأنه يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار، وإذا مسته نار فهو نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء**) فإن الروح المفكرة منقسمة إلى ما يحتاج إلى تعليم وتنبيه ومدد من خارج حتى يستمر في أنوار المعارف، وبعضها يكون في شدة الصفاء كأنه يتنبه عن نفسه بغير مدد من خارج، فبالحري أن يكون نوراً على نور، (**وهذا لا يحتاج إلى نص منقول في كل واقعة، فمن كان هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أوّلاً بنور البصيرة إلى التوبة ما هي، ثم إلى الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها، وذلك بأن يعلم أن معنى الواجب ما هو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد**)وهي الفوز بلقاء الله (**والنجاة من هلاك الأبد**) وهو البعد عن حضرة الله، (**وأنه لولا تعلق السعادة والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجباً معنى**) يعقل، (وقول القائل: صار) الانس (**واجباً بالإيجاب حديث محض**) مجرد عن الفائدة، (**فإن مالا غرض لنا عاجلاً ولا آجلا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به أوجبه علينا غيرنا أو لم يوجبه، فإذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد علم أنه لا سعادة في دار البقاء إلا في لقاء الله تعالى و**) علم (**أن كل محجوب عنه**) بحجاب ظلمة محض أو ظلمة ممزوجة بنور (**يشقى لا محالة محول بينه وبين ما يشتهي**) قيل: هو التوبة، وقيل الزيادة في العمل، وقيل حسن الخاتمة وبكل فسر قوله تعالى: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ [سبأ: ٥٤] (**محترق بنور الفراق ونار جهنم**) وفي نسخة: نار الجحيم، (**وعلم**) أيضاً (**أنه لا مبعد من لقاء الله تعالى إلا اتباع الشهوات**) والعمل بمقتضاها، (**والانس بهذا العالم الفاني والإكباب على حب من لا بدّ**) وفي نسخة ما لا بدّ (**من فراقه**

إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والإقبال بالكلية على الله طلباً للأنس به بدوام ذكره وللمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم ان الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع لمحاب الشياطين أعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوباً مبعداً عن الله تعالى فلا يشك في أن الإنصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب، وإنما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم، فإنه ما لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد، وما لم يتوجع فلا يرجع، ومعنى الرجوع الترك والعزم، فلا يشك في أن المعاني الثلاثة ضرورية في الوصول إلى المحبوب، وهكذا يكون الإيمان الحاصل عن نور البصيرة، وأما من لم يترشح لمثل هذا المقام المرتفع ذروته عن حدود أكثر الخلق، ففي التقليد والإتباع له مجال رحب يتوصل به إلى النجاة من الهلاك، فليلاحظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين فقد قال الله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ [النور : ٣١] وهذا أمر على العموم وقال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله

قطعاً، وعلم أنه لا مقرب من لقاء الله تعالى إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم) أي زينته (**والاقبال على الله تعالى طلباً للأنس به**) وذلك يكون (**بدوام ذكره**) بأي نوع كان، فلا يرى إلا مشتغلاً إما مصلياً وإما صائماً وإما تالياً وإما طالباً للعلم وغير ذلك، وكل ما يعين على الذكر فهو ذكر ودوام العمل من جملة مقامات التوبة كما سبقت الإشارة إليه في المقدمة، (**و**) يكون الاقبال على الله طلباً (**للمحبة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته**) وهو أيضاً من أحوال التوبة، (**وعلم**) أيضاً (**أن الذنوب التي هي إعراض عن الله عز وجل واتباع لمحاب الشياطين أعداء الله المبعدين عن حضرته**) وفي بعض النسخ لمحاب الشيطان عدوّ الله المبعد عن حضرته (**سبب كونه محجوباً مبعداً عن الله**) تعالى، (**فلا يشك في أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب، وإنما يتم الإنصراف**) بثلاثة أمور مرتبة: (**بالعلم والندم والعزم فإنه ما لم يعلم أن الذنوب أسباب البعد من المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد، وما لم يتوجع بقلبه فلا يرجع**) عما هو ملابس له، (**ومعنى الرجوع الترك والعزم، فلا يشك أن المعاني الثلاثة**) بترتيبها (**ضرورية في الوصول إلى المحبوب، وكذا يكون الإيمان الحاصل من نور البصيرة، وأما من لم يترشح لمثل هذا المقام**) المحمود (**المرتفع ذروته**) أي أعلاه (**عن**) درك (**حدود أكثر الخلق**) من المترسمين، (**ففي التقليد والاتباع له مجال رحب يتوصل به إلى النجاة من الهلاك**) الأبدي (**فيلاحظ فيه قول الله تعالى، وقول رسوله ﷺ، وقول السلف الصالحين، فقد قال الله تعالى**) في كتابه العزيز في البيان الأوّل من خطاب العموم: (**﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ وهذا أمر على العموم**)، ومعناه ارجعوا إليه من هوى أنفسكم

توبة نصوحاً﴾ [التحريم : ٨] الآية . ومعنى النصوح الخالص لله تعالى خالياً عن الشوائب مأخوذ من النصح ، ويدل على فضل التوبة قوله تعالى : ﴿ إنَّ الله يحبُ التوّابين ويحبُ

ومن وقوفكم مع شهواتكم عسى أن تظفروا ببغيتكم في المعاد ، وكي تبقوا ببقاء الله في نعيم لا زوال له ولا نفاد ، ولكي تفوزوا وتسعدوا بدخول الجنة وتنجوا من النار وهذا هو الفلاح ففرض في هذه الآية التوبة ، ووعد عليها عظيم المثوبة . كذا في القوت وفي البصائر لصاحب القاموس هذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم ، ثم علق الفلاح بالتوبة تعلق المسبب بسببه وأتى بأداة « لعل » المشعرة بالترجي إيذاناً بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح فلا يرجوا الفلاح إلا التائبون . **(وقال تعالى) في** البيان الثاني من مخاطبة الخصوص (**﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحاً﴾ الآية)** وتمامها ﴿عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ أي بالغة في النصح وهي صفة التائب فإنه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازي مبالغة ، أو من النصاحة بالكسر وهي الخياطة لأنها تنصح ما خرق الذنب ، وقرىء نصوحاً بالضم وهو مصدر تقديره ذات نصوح أو تنصح نصوحاً أو توبوا نصوحاً لأنفسكم . قال صاحب البصائر : يقال ان التوبة من طريق المعنى على ثلاثة أنواع ، ومن طريق اللفظ وسبيل اللطف على ثلاث وثلاثين درجة ، ثم قال : وأما درجات اللطف في الأولى أن الله أمر الخلق بالتوبة وأشار بأيها التي تليق بحال المؤمن **(وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون)** الثانية لا تكون التوبة مثمرة حتى يتم أمرها **(توبوا إلى الله توبة نصوحاً)** .

(ومعنى النصوح الخالص لله خالياً عن الشوائب مأخوذ من النصح) بضم فسكون فعول للمبالغة في النصح وهو الخلوص ، ومنه قولهم : نصح العسل إذا صفاه كما تقدم ، وفي القوت وقيل اشتقاقه من النصاح بالكسر وهو الخيط ، والمعنى حينئذ أي مجردة لا تتعلق بشيء ولا يتعلق بها شيء وهو الاستقامة على الطاعة من غير روغان إلى معصية كما تروغ الثعالب ، وأن لا يحدث نفسه بعود إلى ذنب متى قدر عليه وأن يترك الدنيا لأجل الله خالصة لوجهه كما ارتكبه لأجل هواه مجمعاً عليه بقلبه ، فمتى لقي الله تعالى بقلب سليم من الهوى وعمل مستقيم على السنة فقد ختم الله له بحسن الخاتمة ، فحينئذ أدركته الحسنى السابقة وهذا هو التوبة النصوح ، وهذا العبد التواب المتطهر الحبيب .

وسئل الحسن عن التوبة النصوح فقال : هي ندم بالقلب واستغفار باللسان وتزكية الجوارح وإضمار أن لا يعود ، وروي ابن أبي حاتم ، وابن مردويه من حديث أبيّ بن كعب التوبة النصوح الندم على الذنب حين يُفرط منك فتستغفر الله ثم تعود إليه أبداً . قال القرطبي في تفسير التوبة النصوح ثلاثة وعشرون قولاً .

(ويدل على فضل التوبة قوله تعالى : ﴿ إن الله يحب التوّابين ويحب المتطهرين﴾) وهو إخبار بمن سبقت له من الله الحسنى ووصف لمن قصده بخطابه العام والخاص ، وهذه إحدى

المتطَهرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وقال عليه السلام: « التائب حبيب الله والتائب من الذنب

درجات اللطف كأنه يقول: إذ تبت بتوبتي عليك وتوفيقي لك جازيتك بالمحبة، وفي عطف الجملة الثانية على الأول أشارة إلى أن التوبة مطهرة عن الذنوب، ولذا قرنها في سياق. ولهذا قيل: التوبة قصار المذنبين وغسال المجرمين وقائد المحسنين وعطاء المريدين وأنيس المشتاقين وسابق إلى رب العالمين، **(وقال رسول الله ﷺ: « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة »)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث الأغر المزني، ولابن ماجه من حديث جابر: « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا » الحديث وسنده ضعيف اهـ.

قلت: حديث الأغر لفظه عند مسلم: « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى الله في اليوم مائة مرة ». وهكذا رواه الطيالسي، وأحمد، وعبد بن حميد، وأبو عوانة، والطحاوي، وابن حبان، وابن قانع، والباوردي والبغوي كلهم عن الأغر، وهو ابن يسار المزني ويقال: الجهني له صحبة. ورواه ابن مردويه من حديث أبي هريرة ويروى: « يا أيها الناس استغفروا الله وتوبوا إليه فإني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أو في كل يوم مائة مرة أو أكثر من مائة مرة » هكذا رواه ابن أبي شيبة وأحمد، والطبراني، وابن مردويه عن أبي بردة عن رجل من المهاجرين ورواه الحكيم عن أبي بردة عن الأغر.

وأما حديث جابر فطويل رواه أيضاً البيهقي وضعفه وفيه بعد قوله: « توبوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشتغلوا » الخ بطوله. وعند الطبراني من حديث أبي أمامة: « يا أيها الناس أنيبوا إلى ربكم إن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى » الحديث.

وفي القوت: ولا يكون العبد تائباً حتى يكون مصلحاً، ولا يكون مصلحاً حتى يعمل الصالحات ثم يدخل في الصالحين وقد قال تعالى: ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ [الأعراف: ١٩٦] وهذا وصف التواب وهو المتحقق بالتوبة الحبيب لله تعالى كما قال سبحانه ﴿يحب التوابين﴾ أي يتولى قبول الراجعين إليه من هوائهم، المتطهرين من المكاره، وكما **(قال رسول الله ﷺ: « التائب حبيب الله »)** وسئل سهل التستيري رحمه الله: متى يكون التائب حبيب الله؟ فقال: إذا كان كما قال سبحانه ﴿التائبون العابدون﴾ [التوبة: ١١٢] الآية كلها، ثم قال: الحبيب لا يدخل إلا في شيء يحب الحبيب، والحديث قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ. وروى ابن أبي الدنيا في التوبة، وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أنس بسند ضعيف: « إن الله يحب الشاب التائب » ولعبد الله بن أحمد في زوائد المسند وأبي يعلى بسند ضعيف من حديث علي: « إن الله يحب الشاب العبد المؤمن المغفل التوّاب » اهـ.

قلت: وروى القشيري من طريق ابن عاتكة طريف بن سليمان عن أنس رفعه: « ما أي شيء أحب إلى الله من شاب تائب » وعاتكة ضعيف **(و)** قال ﷺ **(« التائب من الذنب)** توبة

كمن لا ذنب له »، وقال رسول الله ﷺ: « لله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من رجل نزل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة

مخلصة صحيحة (**كمن لا ذنب له** ») فإن العبد إذا استقام ضعفت نفسه وانكسر هواه وساوى الذي قبله من لا صبوة له. قال الطيبي: هذا من إلحاق الناقص بالكامل مبالغة كما تقول: زيد كالأسد ولا يكون المشرك التائب معادلاً بالنبي المعصوم، والحديث قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث ابن مسعود اهـ.

قلت: وكذا الطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب كلهم من طريق أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود عن أبيه مرفوعاً به. قال المنذري: رواه الطبراني رواه الصحيح، لكن أبو عبيدة لم يسمع عن أبيه. وقال السخاوي: رجاله ثقات بل حسنه شيخنا يعني لشواهده، وإلا فأبو عبيدة جزم غير واحد بأنه لم يسمع عن أبيه اهـ.

ورواه الحكيم في النوادر، والطبراني، وأبو نعيم من حديث ابن أبي سعيد عن أبيه مرفوعاً بهذا بزيادة في أوله: « الندم والتائب من الذنب » الخ وقد تقدم قال في الميزان، قال أبو حاتم: حديث ضعيف وابن أبي سعيد مجهول رواه عنه يحي بن أبي خالد وهو مجهول أيضاً.

ومن شواهد هذا الحديث ما رواه ابن أبي الدنيا والطبراني، والبيهقي، والديلمي من حديث ابن عباس: « التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزيء بربه، ومن آذى مسلماً كان عليه من الذنوب مثل منابت النحل » قال الذهبي: إسناده مظلم وقال الحافظ في الفتح: الراجح أن قوله والمستغفر الخ موقوف. وأخرجه البيهقي كذلك من حديث أبي عنبسة الخولاني وإلا فسنده أيضاً ضعيف.

ومنها ما قال القشيري في الرسالة: حدثنا أبو فورك أخبرنا أحمد بن محمود بن خرزاد، حدثنا محمد بن الفضل بن جابر، حدثنا سعيد بن عبدالله، حدثنا أحمد بن زكريا، حدثنا أبي قال: سمعت ابن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « التائب من الذنب كمن لا ذنب له وإذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب ثم تلا ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ قيل يا رسول الله ما علامات التوبة؟ قال: « الندامة » وقد رواه الديلمي وابن النجار إلى قوله: « لم يضره ذنب » ورواه ابن أبي الدنيا من قول الشعبي جملة الترجمة، ثم تلا ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾.

(**وقال ﷺ: « لله**) اللام لام الإبتداء واسم الجلالة مبتدأ وخبره (**أشد**) أي أكثر (**فرحاً**) تمييز أي رضا، ومنه قوله تعالى: ﴿بما لديهم فرحون﴾ [المؤمنون: ٥٣] أي راضون (**بتوبة عبده المؤمن**) فإطلاق الفرح في حق الله مجاز عن رضاه وبسط رحمته ومزيد إقباله على عبده والكرامة له (**من رجل نزل في أرض دوية**) أي مفازة (**مهلكة**) وهو مفعلة من الهلاك (**معه راحلته**) أي ناقته التي يرتحلها (**عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه**) على الأرض (**فنام نومة**

فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه، فالله تعالى أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته»، وفي بعض الألفاظ قال: «من شدة فرحه إذا أراد شكر الله: أنا ربك وأنت عبدي».

فاستيقظ) من نومه **(وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى)** طلع عليه النهار و**(اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله تعالى قال)** في نفسه **(ارجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ فإذا راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته»)** فالمراد أن التوبة تقع من الله في القبول والرضا موقعاً في مثله ما يوجب فرط الفرح ممن يتصور في حقه ذلك، فعبر بالرضا عن الفرح تأكيداً للمعنى في ذهن السامع ومبالغة في تقريره، وحقيقة الفرح لغة انشراح الصدر بلذة عاجلة وهو محال في حقه تعالى، والحديث قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن مسعود، وأنس. ورواه مسلم من حديث نعمان بن بشير، ومن حديث أبي هريرة مختصراً اهـ.

قلت: لفظ حديث ابن مسعود عن الشيخين «لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش قال ارجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فرجع فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده عليها زاده وطعامه وشرابه فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته». ورواه أيضاً هكذا أحمد والترمذي.

وأما لفظ حديث أنس عندهما: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم إذا سقط على بعيره قد أضله بأرض فلاة» هكذا روياه في التوبة وغيرها مختصراً. ورواه مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة هكذا، ورواه الترمذي وابن ماجه بلفظ: «لله أفرح بتوبة أحدكم بضالته إذا وجدها» قال الترمذي حسن صحيح غريب، ولفظ حديث النعمان بن بشير: «للرب أفرح بتوبة أحدكم من رجل كان في فلاة من الأرض معه راحلته عليها زاده وماؤه فتوسد راحلته فنام فغلبته عيناه ثم قام وقد ذهبت الراحلة فصعد شرفاً فنظر فلم ير شيئاً ثم هبط فلم ير شيئاً فقال: لأعودن إلى المكان الذي كنت فيه حتى أموت فيه فعاد فنام فغلبته عينه ثم انتبه فإذا الراحلة قائمة على رأسه، فالرب بتوبة أحدكم أشد فرحاً من صاحب الراحلة بها حين وجدها». هكذا رواه ابن زنجويه.

(وفي بعض الألفاظ) لهذا الحديث **(قال: «من شدة فرحه إذا أراد شكر الله تعالى: اللهم أنا ربك وأنت عبدي»)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أنس بلفظ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها

ويروى عن الحسن قال: لما تاب الله عز وجل على آدم عليه السلام هنأته الملائكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا: يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك، فقال آدم عليه السلام: يا جبريل فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامي؟ فأوحى الله إليه: يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة، فمن دعاني منهم لبيته كما لبيتك، ومن سألني المغفرة لم أبخل عليه لأني قريب مجيب، يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعاؤهم مستجاب. والأخبار والآثار في ذلك لا تحصى، والإجماع منعقد من الأمة على وجوبها، إذ معناه العلم بأن الذنوب والمعاصي مهلكات ومبعدات من الله تعالى، وهذا داخل في وجوب الإيمان، ولكن قد تدهش الغفلة عنه،

قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح».

وفي الباب أبو سعيد الخدري ولفظه: «لله أفرح بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بفلاة من الأرض فطلبها فلم يقدر عليها فتنحى للموت فبينما هو كذلك إذ سمع وحية الراحلة حين بركت، فكشف عن وجهه فإذا هو براحلته» رواه أحمد وابن ماجه وأبو يعلى.

ومن شواهده حديث أبي هريرة: «لله أفرح بتوبة عبده من العقيم الوالد ومن الضال الواجد ومن الظمآن الوارد» رواه ابن عساكر في أماليه، ورواه ابن تركان الهمداني في كتاب التائبين من طريق بقية بن عبد العزيز الوصاني، عن أبي الجون مرسلاً بزيادة «فمن تاب إلى الله توبة نصوحاً أنسى الله حافظيه وجوارحه وبقاع الأرض كلها خطاياه.

(وروي عن الحسن) البصري رحمه الله تعالى **(أنه قال: لما تاب الله على آدم عليه السلام هنأته الملائكة)** بقبول توبته، **(فهبط جبرائيل وميكائيل)** عليهما السلام **(فقالا له: يا آدم قرت عينك بتوبة الله عليك)** أي بقبولها منك، **(فقال آدم عليه السلام: يا جبريل فإن كان بعد هذه** التوبة سؤال فأين مقامي؟ **فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيته كما لبيتك)** أي اجبته كما أجبتك، **(ومن سألني المغفرة)** من ذنوبه **(لم أبخل عليه)** بها **(لأني قريب)** للسائلين **(مجيب)** للداعين، **(يا آدم واحشر التائبين من القبور مستبشرين)** فرحين **(ضاحكين ودعاؤهم مستجاب)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة، وأورده القشيري في الرسالة مقتصراً على قوله، وقيل أوحى الله إلى آدم عليه السلام يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب وورثتهم التوبة، من دعاني منهم بدعوتك لبيته كتلبيتك، يا آدم احشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين ودعواهم مستجاب.

(والأخبار والآثار في ذلك لا تحصي) لكثرتها **(والإجماع منعقد من الائمة على وجوبها إذ معناها العلم بأن الذنوب والمعاصي كلها)** سمائم **(مهلكات)** هلاك الأبد **(ولكن قد**

فمعنى هذا العلم إزالة هذه الغفلة، ولا خلاف في وجوبها، ومن معانيها: ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الإستقبال وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال. وذلك لا يشك في وجوبه. وأما التندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب، وهو روح التوبة، وبه تمام التلافي، فكيف لا يكون واجباً، بل هو نوع ألم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فات من العمر وضاع في سخط الله.

فإن قلت: تألم القلب أمر ضروري لا يدخل تحت الإختيار، فكيف يوصف بالوجوب فاعلم أن سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب وله سبيل إلى تحصيل سببه، وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى أن العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فإن ذلك محال، بل العلم والندم والفعل والإرادة والقدرة والقادر والكل من خلق الله وفعله ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦] هذا هو الحق عند ذوي الأبصار وما سوى هذا ضلال.

تدهش الغفلة عنه، فمعنى هذا العلم إزالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها، ومن معانيها ترك المعاصي في الحال) والتخلي عنها **(والعزم على تركها في الإستقبال)** بأن لا يعود لها ولمثلهاأبداً **(وتدارك ما سبق من التقصير في سابق الأحوال، وهذا لا يشك في وجوبه، وأما التندم على ما سبق)** وفرط منه **(والتحزن عليه فواجب)** أيضاً **(وهو روح التوبة)** ومعظم أركانها **(وهو تمام التلافي، فكيف لا يكون واجباً بل هو نوع ألم يحصل لا محالة عقيب حقيقة المعرفة بما فاته من العمر وضاع)** سبهللا **(في سخط الله)** وأنواع ما يكرهه.

(فإن قلت: تألم القلب أمر ضروري لا يدخل تحت الإختيار) لأنه حال ينتج من المعرفتين كما تقدم، **(فكيف يوصف بالوجوب؟ فاعلم أن سببه تحقيق العلم بفوات المحبوب)** وفقده السعادة، **(وله سبيل إلى تحصيل سببه، وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب لا بمعنى أن العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه)** ولا يعقل منه أن العلم يولد الندم والندم يولد العزم على الترك، **(بل العلم والندم والفعل والإرادة والقدرة والقادر الكل من خلق الله وفعله)** كما قال تعالى: **(﴿والله خلقكم وما تعملون﴾)** على أن «ما» مصدرية أي وعملكم، **(وهذا هو الحق)** المقبول الراجح **(عند ذوي الأبصار)** من أهل السنة والجماعة **(وما سوى هذا ضلال)** نعوذ بالله من ذلك وفي قوله تعالى: ﴿تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾ رد على من يقول بالتولد كما سبق قريباً، وإنما اقتضت حكمة رب الأرباب خلق المسببات عند خلق الأسباب فيخلق الري عند شرب الماء، ويخلق الشبع عند أكل الخبز، وهذا العلم واجب لأنه من نفس الإيمان بالقدرة، ومن اعتقد غير ذلك فقد جعل لله شريكاً في أفعاله، وما أنزل بذلك من سلطان هذا على طريق الإجمال وقد أشار المصنف إلى هذا بالتفصيل وقال:

فإن قلت: أفليس للعبد إختيار في الفعل والترك؟ قلنا: نعم وذلك لا يناقض قولنا: إن الكل من خلق الله تعالى، بل الإختيار أيضاً من خلق الله، والعبد مضطر في الإختيار الذي له، فإن الله إذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام اللذيذ، وخلق الشهوة للطعام في المعدة، خلق العلم في القلب بأن هذا الطعام يسكن الشهوة، وخلق الخواطر المتعارضة في ان هذا الطعام هل فيه مضرة مع انه يسكن الشهوة، وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله أم لا، ثم خلق العلم بأنه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الأسباب تنجزم الإرادة الباعثة على التناول، فانجزام الإرادة بعد تردد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى إختياراً، ولا بد من حصوله عند تمام أسبابه، فإذا حصل انجزام الإرادة بخلق الله تعالى إياها تحركت اليد الصحيحة إلى جهة الطعام لا محالة، إذ بعد تمام الإرادة والقدرة يكون حصول الفعل ضرورياً، فتحصل الحركة، فتكون الحركة بخلق الله بعد حصول القدرة وانجزام الإرادة وهما أيضاً من خلق الله، وانجزام الإرادة يحصل بعد صدق الشهوة والعلم بعدم الموانع وهما أيضاً من خلق الله تعالى، ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتيباً جرت به سنة الله تعالى في خلقه: ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾

(**فإن قلت: أو ليس للعبد اختيار في الفعل والترك**)؟ فقد يريد فعل كل شيء فيختار تركه وبالعكس، (**قلنا: نعم**) له ذلك (**وذلك لا يناقض قولنا: إن الكل من خلق الله**) وحده (**بل الإختيار أيضاً من خلق الله، والعبد مضطر في الإختيار الذي له فإن الله تعالى إذا خلق اليد الصحيحة**) السالمة من العيوب، (**وخلق الطعام اللذيذ**) المشتهي، (**وخلق الشهوة للطعام في المعدة، وخلق العلم في القلب بأن هذا الطعام مسكن للشهوة**) أي شهوة الجوع، (وخلق الخواطر المتعارضة مع بعضها في أن هذا الطعام هل فيه مضرة) بدنية أم لا؟ (**مع**) علمه (**أنه يسكن الشهوة، وهل دون تناوله مانع يتعذر معه تناوله أم لا؟ ثم خلق الله العلم بأنه لا مانع**) عن تناوله، (**ثم عند اجتماع هذه الأسباب تنجزم الإرادة الباعثة على التناول**) منه، فانجزام الإرادة بعد تعدد الخواطر المتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختياراً) والجزء الإختياري (**ولا بد من حصوله عند تمام أسبابه**) المذكورة (**فإذا حصل انجزام الإرادة بخلق الله تعالى إياها تحركت اليد الصحيحة إلى جهة الطعام**) اللذيذ (**لا محالة، إذا بعد تمام الإرادة والقدرة يكون حصول الفعل ضرورياً فتحصل الحركة بخلق الله تعالى بعد حصول القدرة وانجزام الإرادة، وهما أيضاً من خلق الله وانجزام الإرادة يحصل بعد الشهوة**) وهو ما يختل البدن بدونه (**والعلم بعدم الموانع وهما أيضاً من خلق الله تعالى، ولكن بعض هذه المخلوقات يترتب على البعض ترتباً جرت به سنة الله تعالى في خلقه ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً**) أي تغييراً، (**فلا يخلق الله تعالى حركة اليد**

[الفتح: ٢٣] فلا يخلق الله حركة اليد بكتابة منظومة ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق إرادة مجزومة، ولا يخلق الإرادة المجزومة ما لم يخلق شهوة وميلاً في النفس ولا ينبعث هذا الميل انبعاثاً تاماً ما لم يخلق علماً بأنه موافق للنفس إما في الحال أو في المآل ولا يخلق العلم أيضاً إلا بأسباب أخر ترجع إلى حركة وإرادة وعلم فالعلم والميل الطبيعي أبداً يستتبع الإرادة الجازمة، والقدرة والإرادة أبداً تستردف الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والكل من اختراع الله تعالى، ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض، فلذلك يجب تقدم البعض، وتأخر البعض كما لا تخلق الإرادة إلا بعد العلم ولا يخلق العلم إلا بعد الحياة ولا تخلق الحياة إلا بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطاً لحدوث الحياة لأن الحياة تتولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرطاً لخلق العلم لا أن العلم يتولد من الحياة، ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم إلا إذا كان حياً ويكون خلق العلم شرطاً لجزم الإرادة لا لأن العلـم يولد الإرادة ولكن لا يقبل الإرادة إلا جسم حي عالم ولا يدخل في الوجود إلا ممكن، وللإمكان ترتيب لا يقبل التغيير لأن تغييره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل به لقبول الوصف فحصل ذلك الوصف من الجود

بكتابة منظومة) متناسبة الأطراف **(ما لم يخلق فيها صفة تسمى قدرة وما لم يخلق فيها حياة وما لم يخلق إرادة مجزومة ولا يخلق الإرادة المجزومة ما لم يخلق فيها شهوة وميلاً في النفس، ولا ينبعث هذا الميل انبعاثاً تاماً ما لم يخلق علماً بأنه موافق للنفس، إما في الحال أو في المآل، ولا يخلق العلم أيضاً إلا بأسباب أخر ترجع إلى حركة ولذاذة وعلم، فالعلم والميل الطبيعي أبداً يستتبع الإرادة الجازمة والإرادة والقدرة أبداً يستردف الحركة، وهذا الترتيب في كل فعل والكل من اختراع الله تعالى، ولكن بعض مخلوقاته شرط للبعض فلذلك يجب تقدم البعض)** في الوجود **(وتأخر البعض كما لا تخلق الإرادة إلا بعد العلم ولا يخلق العلم إلا بعد الحياة ولا تخلق الحياة إلا بعد الجسم ويكون)** حينئذ **(خلق الجسم شرطاً لحدوث الحياة)** فيه، **(لا لأن الحياة تتولد من الجسم ويكون)** كذلك **(خلق الحياة شرطاً لخلق العلم)** فيها **(لا لأن العلم يستولد من الحياة، ولكن لا يستعد المحل لقبول العلم إلا إذا كان حياً)** أي موصوفاً بالحياة، **(ويكون)** كذلك **(خلق العلم شرطاً لجزم الإرادة لا لأن العلم يولد الإرادة، ولكن لا يقبل الإرادة إلا جسم حي عالم)** أي موصوف بالحياة، والعلم هذا هو الحق عند أهل الحق **(ولا يدخل في الوجود)** سواء كان بإحدى الحواس أو بقوة الشهوة أو بواسطة العقل **(إلا ممكن، وللإمكان ترتيب لا يقبل التغيير)** والتبديل **(لأن تغييره محال فمهما وجد شرط الوصف استعد المحل لقبول)** ذلك **(الوصف، فحصل ذلك الوصف من**

الإلهي والقدرة الأزلية عند حصول الإستعداد، ولما كان للإستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله تعالى ترتيب، والعبد يجري هذه الحوادث المرتبة وهي مرتبة في قضاء الله تعالى الذي هو واحد كلمح البصر ترتيباً كلياً لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ [القمر: ٤٩] وعن القضاء الكلي الأزلي العبارة بقوله تعالى: ﴿وما أمْرُنا إلاَّ واحدةٌ كلمْحٍ بالبصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] وأما العباد فإنهم مستخرون تحت مجاري القضاء والقدر، ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة، وبعد خلق ميل قوي جازم في نفسه يسمى القصد، وبعد علم بما إليه ميله يسمى الإدراك والمعرفة، فإذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الأمور الأربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق أهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم الغيب والملكوت، وقالوا يا أيها الرجل قد تحركت ورميت وكتبت، ونودي من وراء حجاب الغيب وسرادقات الملكوت ﴿وما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ولكِنَّ الله رَمَى﴾ [الأنفال:

الجود الإلهي والقدرة الأزلية عند حصول الإستعداد) لقبوله، (**ولما كان للإستعداد بسبب الشروط ترتيب كان لحصول الحوادث بفعل الله**) تعالى (**ترتيب، والعبد مجرى هذه الحوادث المرتبة**) أي محل لجريانها عليه (**وهي مرتبة**) إجمالاً (**في قضاء الله الذي هو واحد**) لا شريك له في فعله (**كلمح البصر**) أو هو أقرب (**ترتيباً كلياً لا يتغير**) ولا يتبدل، (**وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا تتعداه**) ولا تتجاوز طوره، (**وعنه العبارة بقوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾**) أي إنا خلقنا كل شيء مقدراً ومرتباً على مقتضى الحكمة وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده، وقرىء بالرفع على الإبتداء، وعلى هذا فالأولى أن يجعل خلقناه خبراً لا نعتاً ليطابق المشهور في الدلالة على أن كل شيء مخلوق بقدر، وقد تقدم الكلام عليه في كتاب قواعد العقائد (**وعن القضاء الكلي الأزلي العبادة بقوله تعالى: ﴿وما أمرنا إلا واحدةٌ**) أي فعلة واحدة وهو الإيجاد بلا معالجة (**كلمح بالبصر﴾**) في المسير والسرعة، وقيل معناه معنى قوله تعالى: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر﴾ [النحل: ٧٧] (**والعباد مسخرون تحت مجاري القضاء والقدر**، ومن جملة القدر خلق حركة في يد الكاتب بعد خلق صفة مخصوصة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوي الازم في نفسه يسمى القصد، وبعد علمه بما إليه ميله يسمى الإدراك والمعرفة فإذا ظهرت من باطن الملكوت هذه الأمور **الأربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق أهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن**) دقائق (**عالم الغيب**) المختص (**والملكوت، وقالوا: يا أيها الرجل قد تحركت وكتبت ورميت، ونودي من وراء حجاب الغيب** وسرادقات **الملكوت ﴿وما رميت إذ رميت**

١٧] وما قتلت إذ قتلت. ولكن الله قتل: ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ [التوبة: ١٤] وعند هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة؛ فمن قائل إنه جبر محض، ومن قائل إنه اختراع صرف، ومن متوسط مائل إلى أنه كسب، ولو فتح لهم أبواب السماء فنظروا إلى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم أن كل واحد صادق من وجه، وأن القصور شامل لجميعهم. فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الأمر ولم يحط علمه بجوانبه، وتمام علمه ينال بإشراق النور من كوّة نافذة إلى عالم الغيب، وأنه تعالى عالم الغيب والشهادة لا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول. وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الإرتضاء، ومن حرك سلسلة الأسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الأسباب انكشف له سر القدر وعلم علماً يقيناً أن لا خالق إلا الله ولا مبدع سواه.

ولكن الله رمى﴾) كما هو في الكتاب العزيز خطاباً لحبيبه ﷺ وفي معناه (**وما قتلت إذ قتلت ولكن الله قتل**) ويؤيده قوله تعالى: (**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ [التوبة: ١٤] وعند هذا تتحير عقول القاعدين في بحبوحة عالم الشهادة**) والملك، (**فمن قائل إنه جبر محض**) أي خالص وهؤلاء هم الجبرية الخالصة يسندون فعل العبد إلى الله تعالى ولا يثبتون للعبد كسباً، (**ومن قائل أنه إختراع صرف**) من فعل العبد وهؤلاء هم القدرية (**ومن متوسط**) بين الجبر المحض والمقيد (**مائل إلى أنه كسب**) فيسندون الفعل إلى الله ويثبتون للعبد كسباً في الفعل، وهؤلاء هم الأشاعرة من أهل السنة والجماعة ومن وافقهم في هذه المسألة من الماتريدية إلا أنهم سموه جزءاً اختيارياً وهؤلاء هم المتوسطة. (**ولو فتحت لهم أبواب السماء فنظروا إلى عالم الغيب والملكوت لظهر لهم أن كل واحد صادق**) فيما ذهب إليه (**من وجه أن القصور شامل لجميعهم، فلم يدرك واحد منهم كنه هذا الأمر**) وحقيقته (**ولم يحط علمه بجوانبه**).

وكـل يـدعـى وصلاً بليلي ... وليلي لا تقـر لهم بـذاك

(**وتمام علمه**) إنما (**ينال بإشراف**) النور الأقدس (**من كوة نافذة إلى عالم الغيب**) فترفع الستور عن بصيرته (**وأنه تعالى عالم الغيب والشهادة لا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول**) كما أخبر بذلك في كتابه العزيز، (**وقد يطلع على الشهادة من لا يدخل في حيز الإرتضاء**) فعدم الإطلاع مخصوص بعالم الغيب (**ومن حرك مسلسلة الأسباب والمسببات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناط سلسلتها بمسبب الأسباب**) أي موضع تعليقها من ناطه نوطاً إذا علقه (**وانكشف له سر القدر**) المخفي (**علم علماً يقينيا أن لا خالق إلا الله ولا مبدع سواه**) وقد تقدمت الإشارة إلى شيء من ذلك في كتاب العقائد.

فإن قلت: قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب أنه صادق من وجه وهو مع صدقة قاصر وهذا تناقض، فكيف يمكن فهم ذلك؟ وهل يمكن إيصال ذلك إلى الأفهام بمثال؟ فاعلم أن جماعة من العميان قد سمعوا أنه حمل إلى البلدة حيوان عجيب يسمى الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه، فقالوا لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه، فطلبوه، فلما وصلوا إليه لمسوه فوقع يد بعض العميان على رجله ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على أذنه، فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سألهم بقية العميان فاختلفت أجوبتهم، فقال الذي لمس الرجل: إن الفيل ما هو إلا مثل أسطوانة خشنة الظاهر إلا أنه ألين منها، وقال الذي لمس الناب: ليس كما يقول بل هو صلب لا لين فيه وأملس لا خشونة فيه وليس في غلظ الأسطوانة أصلاً بل هو مثل عمود، وقال الذي لمس الأذن: لعمري هو لين وفيه خشونة، فصدق أحدهما فيه ولكن قال: ما هو مثل عمود ولا هو مثل أسطوانة وإنما هو مثل جلد عريض غليظ، فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه إذ أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة الفيل، ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل، ولكنهم

(فإن قلت: فقد قضيت لكل واحد من القائلين بالجبر والإختراع والكسب بأنه صادق من وجه وهو مع صدقة قاصر) عن درجة الكمال، **(وهذا تناقض)** كيف يكون صادقاً وقاصراً، **(فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن إيصال ذلك إلى الأفهام بمثال؟ فاعلم أن جماعة من العميان قد سمعوا أنه قد حمل إلى البلدة)** التي هم فيها **(حيوان عجيب إسمه الفيل وما كانوا قط شاهدوا صورته)** من قبل **(ولا سمعوا بأسمه فقالوا: لا بد لنا من مشاهدته ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه)** لفقد حاسة البصر وتقوم تلك المعرفة مقام المشاهدة، **(فطلبوه)** أي توجهوا إليه، **(فلما وصلوا إليه لمسوه)** بأيديهم **(فوقعت بعض يد العميان على رجله، وقعت يد بعضهم على نابه، ووقعت يد بعضهم على أذنه فقالوا: قد عرفناه، فلما انصرفوا)** إلى مواضعهم **(سألهم بقية العميان)** عن حقيقة الفيل **(فاختلفت اجوبتهم، فقال الذي)** قد **(لمس الرجل: ان الفيل ما هو إلا مثل اسطوانة خشنة الظاهر إلا أنه ألين منها. وقال الذي)** كان قد **(لمس الناب: ليس الفيل كما يقول)** هو **(بل هو صلب لا لين فيه وأملس لا خشونة فيه وليس في غلظ الأسطوانة)** أصلاً بل **(هو مثل عمود. وقال الذي)** كان قد **(لمس الأذن: لعمري هو لين وفيه خشونة، فصدق أحدهما فيه)** وهو الذي قال أنه لين، **(ولكن)** كذب الآخر إذ **(قال ما هو مثل عمود ولا هو مثل إسطوانة، وإنما هو مثل جلد عريض غليظ، فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه إذ أخبر كل واحد عما أصابه من معرفة الفيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف الفيل، ولكنهم**

بجملتهم قصروا عن الإحاطة بكنه صورة الفيل، فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فإنه مثال أكثر ما اختلفت الناس فيه، وإن كان هذا كلاماً يناطح علوم المكاشفة ويحرك أمواجها وليس ذلك من غرضنا، فلنرجع إلى ما كنا بصدده وهو بيان أن التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة: العلم والندم والترك، وأن الندم داخل في الوجوب لكونه واقعاً في جملة أفعال الله المحصورة بين علم العبد وإرادته وقدرته المتخللة بينها، وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشمله.

بيان أن وجوب التوبة على الفور:

أما وجوبها على الفور فلا يستراب فيه، إذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس

بجملتهم قصروا عن الإحاطة بكنه صورة الفيل) ما هي عليها **(فأستبصر بهذا المثال واعتبر به)** ما يرد عليك **(فإنه مثال أكثر ما اختلفت الناس فيه)** من المذاهب والمشارب، **(وإن كان هذا كلاماً يناطح بحار علوم المكاشفة)** ويصادمها **(ويحرك أمواجها)** ويثير عجاجها، **(وليس ذلك من غرضنا)** الآن في هذا الكتاب، **(فلنرجع إلى ما كنا بصدده، وهو: بيان أن التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة: العلم والندم والترك، وأن الندم داخل في الوجوب لكونه واقعاً في جملة أفعال الله تعالى المحصورة بين علم العبد وإرادته وقدرته المتخللة بينها وما هذا وصفها. فإسم الوجوب يشمله)** لا محالة والله الموفق.

فصل

ولما ثبت وجوب أصل التوبة بالدلائل المتقدمة شرع المصنف في بيان هل وجوبها على الفور أو على التراخي؟ فقال:

بيان أن وجوب التوبة على الفور:

لا على التراخي، ولنقدم قبل الشروع في المقصود أن التوبة يتقدمها واجبان:

أحدهما: معرفة الذنب المرجوع عنه أنه ذنب إذ كثير من العلماء فضلاً عن الجهال يقعون فيما لا يحل لهم وهم يحسبون أنهم على شيء لأنه لم يتبين من العلم معرفة ما يحبه مما يكرهه، وهذا من قسم الإيمان لله الواجب.

الثاني: أن العبد لا يستبد بالتوبة بنفسه لأن الله هو خالقها في نفس العبد وميسر أسبابها قال الله تعالى: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ [التوبة: ١١٨] وهذا من قسم الإيمان بالله تعالى لتعلقه بالقدرة، فإذا عرفت ذلك فلنعد إلى شرح كلام المصنف قال: **(أما وجوبها على الفور)** حاصل ما سيذكره في السياق الآتي؟ هو أن المعاصي للإيمان، كالمأكولات المضرة بالأبدان، فمن

الإيمان وهو واجب على الفور والمتقصي عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل، فإن هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التي لا تتعلق بعمل بل هي من علوم المعاملة، وكل علم يراد ليكون باعثاً على عمل فلا يقع التقصي عن عهدته ما لم يصر باعثاً عليه، فالعلم بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثاً على تركها، فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان، وهو المراد بقوله عليه السلام: «لا يزني الزاني حين

تناول سماً بغير علم وأدركه الأسف على بدنه أترى يخرجه من بدنه بالقيء وغيره على الفور تلافياً لبدنه أو يتراخى في ذلك؟ فإن كان خوفه على بدنه يوجب إخراج ما فيه من المهلك فالرجوع على الفور من سمائم الذنوب المفوتة لسعادة الأبد أولى، وقد ذكر المصنف ذلك تفصيلاً فقال: أما وجوبها على الفور، (**فلا يستراب فيه إذ معرفة كون المعاصي**) سمائم (**مهلكات من نفس الإيمان**) لله (**وهو واجب على الفور، والمقتضي**) هكذا بالقاف والضاد في نسخ الكتاب، وفي بعضها بالفاء والصاد المهملة أي المتخلص (**عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل المكروه**) أي مما يكرهه الله تعالى، (**فإن هذه المعرفة ليست من علوم المكاشفات التي لا تتعلق بعمل بل هي من علوم المعاملة، وكل علم يراد ليكون باعثاً على عمل فلا يقع التقصي**) أي التخلص (**عن عهدته ما لم يصر باعثاً عليه، فالعلم بضرر الذنوب إنما أريد ليكون باعثاً على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان، وهو المراد بقوله ﷺ: «لا يزني الزاني حتى يزني وهو مؤمن»**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة انتهى.

قلت: وتمامه عندهما: «ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن». وهكذا رواه أيضاً أحمد، والنسائي، وابن ماجه. ورواه أيضاً عبد الرزاق، والطيالسي، وعبد بن حميد، والحكيم، والطبراني، والبيهقي من حديث عبدالله بن أبي أوفى. ورواه الطبراني في الكبير أيضاً من حديث عبدالله بن مغفل، وفي الأوسط من حديث علي، وزاد عبد الرزاق وأحمد ومسلم في رواية: «ولا يغل أحدكم حين يغل وهو مؤمن فإياكم إياكم».

ويروى: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن والتوبة معروضة بعد» هكذا رواه عبد الرزاق، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والحاكم من حديث أبي هريرة. ورواه عبد بن حميد وسمويه والضياء من حديث أبي سعيد. ورواه الحكيم من حديث عائشة».

ويروى: «لا يزني الرجل وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن ينزع منه الإيمان ولا يعود إليه حتى يتوب فإذا تاب عاد إليه». هكذا رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة.

يزني وهو مؤمن »، وما أراد به نفي الإيمان الذي يرجع إلى علوم المكاشفة كالعلم بالله ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله، فإن ذلك لا ينفيه الزنا والمعاصي، وإنما أراد به نفي الإيمان لكون الزنا مبعداً عن الله تعالى موجباً للمقت، كما إذا قال الطبيب: هذا سم فلا تتناوله فإذا تناوله يقال: تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى أنه غير مؤمن بوجود الطبيب، وكونه طبيباً وغير مصدق به بل المراد أنه غير مصدق بقوله أنه سم مهلك، فإن العالم بالسم لا يتناوله أصلاً، فالعاصي بالضرورة ناقص الإيمان، وليس الإيمان باباً واحداً بل هو نيف وسبعون باباً. أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن

ويروى: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ». هكذا رواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة، والبزار من حديث أبي سعيد.

ويروى: « لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يقتل وهو مؤمن ». رواه عبد الرزاق وأحمد والبخاري والنسائي من حديث ابن عباس.

ويروى: « لا يزني الرجل وهو مؤمن، ولا يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف وهو مؤمن فإذا تاب تاب الله عز وجل عليه ». رواه البزار والطبراني والخطيب من طريق عكرمة عن ابن عباس وأبي هريرة وابن عمر.

ويروى: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن يخرج منه الإيمان فإذا تاب رجع إليه ». رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد.

(وما أراد به نفي الإيمان الذي يرجع إلى علوم المكاشفة كالعلم بالله وحدانيته وصفاته وكتبه ورسله، فإن ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي) المذكورة في الأخبار السابقة، **(وإنما أراد به نفي الإيمان لكون الزنا مبعداً عن الله عز وجل وموجباً للمقت)** والغضب، **(كما إذا قال الطبيب)** للعليل: **(هذا)** المأكول **(سم)** مهلك **(فلا تتناوله فإذا تناوله يقال: تناول وهو غير مؤمن لا بمعنى أنه غير مؤمن بوجود الطبيب، وكونه طبيباً وغير مصدق به بل المراد به أنه غير مصدق بقوله أنه سم مهلك، فإن العالم بالسم لا يتناوله أصلاً، فالعاصي بالضرورة ناقص الإيمان وليس الإيمان باباً واحداً بل هو نيف وسبعون باباً أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)** روى الترمذي وقال: حسن صحيح من حديث أبي هريرة بلفظ: « الإيمان بضع وسبعون باباً فأدناه إماطة الأذى عن الطريق وأرفعه قول لا إله إلا الله » وفي لفظ له: « أربعة وستون باباً » وعند ابن حبان بلفظ: « الإيمان سبعون أو إثنان

الطريق، ومثاله قول القائل: ليس الإنسان موجوداً واحداً بل هو نيف وسبعون موجوداً. أعلاها القلب والروح، وأدناها إماطة الأذى عن البشرة بأن يكون مقصوص الشارب مقلوم الأظفار تقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهائم المرسلة الملوثة بأرواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها وأظلافها، وهذا مثال مطابق فالإيمان كالإنسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح، والذي ليس له إلا شهادة التوحيد والرسالة هو كإنسان مقطوع الأطراف مفقوء العينين فاقد لجميع أعضائه الباطنة والظاهرة لا أصل الروح، وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف عنها الأعضاء التي تمدها وتقوّيها، فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصر في الأعمال قريب من أن تقتلع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للإيمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده، فكل إيمان لم يثبت في اليقين أصله ولم تنتشر في الأعمال فروعه لم يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناصية ملك الموت، وخيف عليه سوء الخاتمة إلا ما سقي بماء الطاعات على توالي الأيام

وسبعون باباً أرفعه لا إله إلا الله وأدناه إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان». وفي رواية: «الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» هكذا رواه أحمد، ومسلم وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان من حديث أبي هريرة، والطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد. (**ومثال ذلك قول القائل ليس الإنسان موجوداً بل هو نيف وسبعون موجوداً أعلاها القلب والروح وأدناها إماطة الأذى**) أي إزالة ما يؤدي (**عن البشرة**) محركة وهو ظاهر الجسد (**بأن يكون مقصوص الشارب مقلوم الأظفار نفي البشرة عن الخبث**) الظاهر (**حتى يتميز**) بذلك (**عن البهائم المرسلة**) في الرعي (**المتلوثة بأرواثها المستكرهة الصورة بطول مخالبها وأظلافها**) وحوافرها، (**وهذا مثال مطابق**) لما نحن فيه (**فالإيمان كالإنسان وفقد شهادة التوحيد**) منه (**يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح**) من البدن، (**والذي ليس له إلا شهادة التوحيد والرسالة هو كإنسان مقطوع الأطراف مفقوء العينين**) أي منخوسهما (**فاقد لجميع أعضائه الظاهرة والباطنة لا أصل الروح**) فهو ناقص، (وكما أن هذا حاله قريب من ان يموت فتزايله) أي تفارقه (الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها، فكذلك **من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصر في الأعمال**) غير ملتفت إليها (**قريب من أن تنقطع شجرة إيمانه إذا صدمتها**) أي عارضتها (**الرياح العاصفة**) القوية الشديدة (**المحركة للإيمان في مقدمة قدوم ملك الموت وروده، فكل إيمان لم يثبت في النفس أصله ولم تنتشر في الأعمال فروعه لم**) يكن (**يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور ناصية ملك الموت، وخيف عليه سوء الخاتمة إلا ما**) ثبت في أرض النفس و(**سقي بماء الطاعات على توالي الأيام**

والساعات حتى رسخ وثبت. وقول العاصي للمطيع: إني مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر: أنا شجرة وأنت شجرة، وما أحسن جواب شجرة الصنوبر إذ قالت: ستعرفين اغترارك بشمول الإسم إذا عصفت رياح الخريف، فعند ذلك تنقطع أصولك وتتناثر أوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجر مع الغفلة عن أسباب ثبوت الأشجار.

وسوف ترى إذا انجلى الغبارُ أفرس تحتك أم حمار

وهذا أمر يظهر عند الخاتمة، وإنما انقطع نياط العارفين خوفاً من دواعي الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها إلا الأقلون، فالعاصي إذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك في الشهوات المضرة إذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته، وإن الموت غالباً لا يقع فجأة فيقال له الصحيح يخاف المرض، ثم إذا مرض خاف الموت، وكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة ثم إذا ختم له بالسوء والعياذ بالله وجب الخلود في النار، فالمعاصي للإيمان كالمأكولات المضرة للأبدان، فلا تزال تجتمع

والساعات حتى ثبت ورسخ) فهو الذي لا يخشى عليه من عواصف الأهوال. **(وقول العاصي للطائع أني مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرع)** وهي أضعف الأشجار **(لشجرة الصنوبر)** وهي أقواها ومنابتها الجبال الشاهقة **(أني شجرة مثلك وأنت شجرة)** أي شملنا هذا الإسم جيعاً، وقد ثبت تسمية القرع شجرة بنص القرآن وأنبتنا عليه شجرة من يقطين. قال المفسرون: هو القرع **(وما أحسن جواب شجرة الصنوبر)** لها **(إذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الإسم إذ عصفت رياح الخريف)** الزعازع، **(فعند ذلك تنقطع أصولك وتتناثر أوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في إسم الشجرة مع الغفلة عن أسباب ثبات الأشجار)** وقد قيل في المثل:

(وسوف ترى إذا انجلى الغبار أفرسٌ تحتك أم حمار)

(وهذا أمر يظهر عند الخاتمة، وإنما انقطعت نياط قلوب العارفين) النياط بالكسر العرق الذي معلق به القلب فعلى هذا فالأولى، وإنما انقطع **(خوفاً من دواهي الموت ومقدماته الهائلة التي لا يثبت عليها إلا الأقلون)** فمن ثبته الله على الصراط المستقيم، **(فالعاصي إذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته كالصحيح المنهمك في الشهوات المضرة)** من المأكولات وغيرها **(إذا كان لا يخاف الموت بسبب صحته)** وقوة مزاجه **(وأن الموت غالباً لا يقع فجأة)** بل يتقدمه المرض **(فيقال له: الصحيح يخاف المرض ثم إذا مرض خاف الموت، فكذلك العاصي يخاف سوء الخاتمة، ثم إذا ختم له بسوء وجب الخلود في النار)** عياذاً بالله منه، وإذا عرفت ما ذكرنا **(فالمعاصي للإيمان كالمأكولات المضرة بالأبدان فلا تزال**

في الباطن مغيرة مزاج الأخلاط وهو لا يشعر بها إلى أن يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة، فكذلك المعاصي، فإذا كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من المأكولات في كل حال وعلى الفور، فالخائف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك، وإذا كان متناول السم إذا ندم يجب عليه أن يتقيأ ويرجع عن تناوله بإبطاله وإخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافياً لبدنه المشرف على هلاك لا يفوّت عليه إلا هذه الدنيا الفانية، فمتناول سموم الدين وهي الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن ما دام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر، فإن المخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم والملك العظيم، وفي فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذي تتصرم أضعاف أعمار الدنيا دون عشر عشير مدته، إذ ليس لمدته آخر البتة، فالبدار البدار إلى التوبة قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح الايمان عملاً يجاوز الأمر فيه الأطباء واختيارهم، ولا ينفع بعده الاحتماء فلا ينجع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين، وتحق الكلمة عليه بأنه من

تجتمع في الباطن حتى تغير مزاج الأخلاط) الأربعة عن أصلها **(وهو لا يشعر به)** وفي نسخة بها **(إلى أن يفسد المزاج)** من أصله **(فيمرض دفعة)** واحدة **(ثم يموت دفعة، فكذلك المعاصي)** بمنزلة السموم المهلكة. **(فإذا كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا المنقضية)** الفانية **(يجب عليه الترك للسموم وما يضره من المأكولات)** المفسدة مزاج البدن **(في كل حال وعلى الفور)** بلا تراخ، **(فالخائف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك)** وهذا يظهر وجوب التوبة على الفور، **(وإذا كان متناول السم إذا ندم)** من تناوله بأن راجعه تصديق قول الطبيب **(يجب عليه أن يتقايأ)** بنحو سمن أو لبن ليفرغ ما استقر في جوفه، **(ويرجع عن تناوله بإبعاده وإخراجه عن المعدة على سبيل الفور والمبادرة تلافياً لبدنه المشرف على هلاك لا يفوت عليه إلا هذه الدنيا الفانية فتناول سموم الدين وهي الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بما أمكن التدارك ما دام باقياً للتدارك مهلة وهي العمر)** أي مدة بقائه في هذه الدنيا، **(فإن المخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التي فيها النعيم المقيم)** لا يحول **(والملك العظيم)** لا يزول، **(وفي فواتها نار الجحيم والعذاب الأليم)** أي الموجع **(الذي تنصرم)** أي تنقطع وتفنى **(أضعاف أعمار الدنيا دون عشر عشير مدته، إذ ليس لمدته آخر البتة فالبدار البدار)** والسرعة السرعة **(إلى التوبة قبل أن تعمل سموم الذنوب بروح الإيمان عملاً يجاوز الأمر فيه اختبار الأطباء)** وفي نسخة الأطباء واختيارهم، **(ولا ينفع بعده الإحتماء)** وفي نسخة الحمية **(فلا ينجع)** أي لا ينفع ولا يؤثر **(بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين)** وزجر الزاجرين، **(وتحق الكلمة)** أي تجب كلمة **(الله عليه**

الهالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّا جعلْنا في أعناقِهم أغلالاً فهي إلى الأذْقان فهُم مقمحون * وجعلْنا مِنْ بين أيديهم سدًّا ومن خلْفِهِمْ سدًّا فأغشيناهُم فَهُم لا يُبْصِرُون * وسواءٌ عليهم أأنْذَرتَهُم أمْ لَمْ تُنْذِرْهُم لاَ يُؤْمِنُون﴾ [يس: ٨ - ١٠] ولا يغرنك لفظ الإيمان فنقول: المراد بالآية الكافر، إذ بين لك أن الإيمان بضع وسبعون باباً، وأن الزاني لا يزني حين يزني وهو مؤمن، فالمحجوب عن الإيمان الذي هو شعب وفروع سيحجب في الخاتمة عن الإيمان الذي هو أصل، كما أن الشخص الفاقد لجميع الأطراف التي هي حروف وفروع سيساق إلى الموت المعدم للروح التي هي أصل، فلا بقاء للأصل دون الفرع، ولا وجود للفرع دون الأصل، ولا فرق بين الأصل

بأنه من) الخاسرين **(الهالكين)** أبد الآبدين، وأشار بذلك إلى قوله تعالى: ﴿لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون﴾ [يس: ٧] يعني قوله تعالى: ﴿لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود: ١١٩] **(ويدخل تحت عموم قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم﴾)** جمع عنق بضمتين وبضم فسكون في لغة الحجاز أي في رقابهم **(أغلالاً) جمع غل** بالضم وهو طرف من حديد وهو تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت أعناقهم **(فهي)** أي تلك الأغلال **(إلى الأذقان)** أي واصلة إلى أذقانهم فلا تخليهم يطاطئون رؤوسهم **(فهم مقمحون)** رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم. **(﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾)** أي أحاط بهم سدّان فغطى بصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في أنهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن لنظر في الآيات والدلائل **(وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم)** أي هؤلاء مستو عليهم إنذاك وعدمه لهم، أو معناه انذارك وعدمه سيان عليهم، والإنذار التخويف من الله وإنما اقتصر عليه لأنه أوقع في القلب وأشد تأثيراً في النفس من حيث أن رفع الضرر أهم من جذب النفع، فإذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع أولى **(لا يؤمنون)** جملة مفسرة لإجمال ما قبلها فيما فيه الإستواء. **(ولا يغرنك لفظ الإيمان)** من قوله: ﴿لا يؤمنون﴾ وقد نفى عنهم وصف الإيمان، **(فنقول: المراد به)** أشخاص بأعيانهم كأبي جهل حين أراد الفتك بالنبي ﷺ فلزقت يده وقصده آخر فقال: لأرضخنه بهذا الحجر فأعماه الله تعالى، أو أن المراد به **(الكافر)** وفي نسخة الكافرون أي على الإطلاق ممن اتصف بالكفر **(إذ بين لك)** مما سبق: **(أن الإيمان نيف وسبعون باباً وإن الزاني لا يزني حين يزني وهو مؤمن)** والسارق لا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، **(فالمحجوب عن الإيمان الذي هو شعب)** متبوعة **(وفروع)** متشعبة **(سيحتجب في الخاتمة عن الإيمان الذي هو أصل)** لتلك الفروع، **(كما أن الشخص الفاقد لجميع الأطراف التي هي حروف وفروع سيساق إلى الموت المعدم للروح التي هي أصل)** لبقاء تلك الأطراف، **(فلا بقاء للأصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الأصل، ولا فرق بين الفرع والأصل**

والفرع إلا في شيء واحد وهو: أن وجود الفرع وبقاءه جميعاً يستدعي وجود الأصل، وأما وجود الأصل فلا يستدعي وجود الفرع، فبقاء الأصل بالفرع ووجود الفرع بالأصل، فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازم كتلازم الفرع والأصل، فلا يستغني أحدهما عن الآخر وإن كان أحدهما في رتبة الأصل والآخر في رتبة التابع، وعلوم المعاملة إذا لم تكن باعثة على العمل فعدمها خير من وجودها فإن هي لم يعمل عملها الذي تراد له قامت مؤيدة للحجة على صاحبها، ولذلك يزاد في عذاب العالم الفاجر على عذاب الجاهل الفاجر كما أوردنا من الأخبار في كتاب العلم.

إلا في شيء واحد وهو أن وجود الفرع وبقاءه جميعاً يستدعي وجود الأصل) فلا بدّ من وجود الأصل حتى يوجد الفرع ويكون سبب بقائه، **(وأما وجود الأصل فلا يستدعي وجود الفرع)** فقد يكون موجوداً بنفسه من غير فرع، **(فبقاء الأصل بالفرع)** أي قوّته به **(ووجود الفرع بالأصل)** لأنه السبب فيه، **(فعلوم المكاشفة وعلوم المعاملة متلازمة كتلازم الفرع والأصل فلا يستغني أحدهما على الآخر وإن كان أحدهما في رتبة الأصل والآخر في رتبة التابع)** له، **(وعلوم المعاملة إذا لم تكن** باعثة **على العمل فعدمها خير من وجودها فإن هي لم تعمل عملها الذي تراد له)** بعد ذلك **(قامت)** وفي نسخة: كانت **(مؤيدة للحجة على صاحبها)** فاردته إلى أسفل سافلين، **(ولذلك يزاد في عذاب العالم الفاجر)** الذي علم ولم يعمل بعلمه **(على عذاب الجاهل** الفاجر) كما قيل:

وعـــالم بعلمـــه لـــن يعملـــن   معـذب مـن قبـل عبـاد الوثـن

(كما أوردنا من الأخبار) الواردة من مذاهب العلماء الفجار **(في كتاب العلم)** وغيره والله أعلم. وهذا الفصل بعينه هو الفرار وهو من لواحق التوبة. قال الله تعالى: ﴿ففروا إلى الله﴾ [الذاريات: ٥٠] لأن حقيقة الفرار الهرب من المعصية إلى الطاعة. هذا هو الفرار الواجب، ومن فرّ من محسوساته أي معقولاته رأى ربه بعين قلبه يقيناً ثم يفر منه إليه ثم يفر من رؤيته لفراره وليس وراء الله مرمى.

فصل

ولما فرغ من بيان وجوب التوبة على الفور شرع في بيان عمومها في الوجوب في الأشخاص والأحوال فقال:

بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد ألبتة:

اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على هذا إذ قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إلى اللهِ جَميعاً أيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] فعمم الخطاب. ونور البصيرة أيضاً يرشد إليه، إذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله المقرب إلى الشيطان، ولا يتصور ذلك إلا من عاقل، ولا تكمل غريزة العقل إلا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر

بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال:

فلا ينفك أحد عنه البتة في حال من أحواله، ولذا كانت من أفضل مقامات السالكين لأنها أول المنازل وأوسطها وآخرها، فلا يفارقها العبد أبداً ولا يزال فيها إلى الممات، وإن ارتحل السالك منها إلى منزل آخر ارتحل به وترك فهي بداية للعبد ونهايته وحاجته إليها في النهاية ضرورية كما حاجته إليها في البداية كذلك، ولذلك قال المصنف رحمه الله تعالى:

(**أعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على هذا**) أي على عموم وجوبها في الأشخاص والأحوال، (**إذ قال عز وجل**) مخاطباً أهل الإيمان وخيار خلقه: (﴿**وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون**) لعلكم تفلحون﴾ يعني أيها المؤمنون الصابرون المجاهدون، (**فعم الخطاب**) وأمرهم أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم ومجاهدتهم، وقد استدل المصنف رحمه الله تعالى على مقصوده بهذه الآية، وتكلم على ذلك بما سنعرضه عليك إجمالاً لتدرك منه تفصيله الذي لا يستنبط منه الأصل المقصود إلا بعد تأمل شديد وهو أن حقيقة التوبة هي الرجوع من المعصية إلى الطاعة وهذا موجب للنجاة وهذا هو الوجوب المبني على أصل الإيمان ورجوع العبد من الشواغل الملهية إلى الله ومن الحسن إلى الأحسن هو أيضاً توبة ورجوع، وبه كمال السعادة في الآخرة، وهذا هو الواجب المبني على كمال الإيمان، فمن أراد كمال الإيمان حتى ينال به السعادة الكبرى في الدنيا بمعرفته ومشاهدته في الآخرة بالنظر إلى وجهه أوجبنا عليه ذلك لإرادته لأنه من لازم الكمال، كمن أراد النافلة فإنا نوجب عليه الطهارة قبل الدخول فيها. هذا حاصل ما سيذكره المصنف، فلنعد إلى شرحه فقال:

(**ونور البصيرة أيضاً يرشد إليه إذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالى المقرب إلى الشيطان**) وهذا مبني على أن التوبة مركبة من علم وحال وعمل، وأنها مخصوصة بنوع الإنسان لتركبه من طرفي مشابهة الملائكة والبهائم، فطباع البهائم شر كله وطباع الملائكة خير كله فبميله إلى صفة البهائم يبعد عن ربه وبميله إلى صفة الملائكة مقرب من ربه لأن الملائكة قريبون من الله تعالى والقريب إلى القريب قريب كما تقدمت الإشارة إليه. (**ولا يتصور ذلك إلا من عاقل**) أي من موصوف بصفة العقل، (**ولا تكمل غريزة العقل إلا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وسائر الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان إلى إغواء**

الصفات المذمومة التي هي وسائل الشيطان إلى إغواء الإنسان، إذ كمال العقل إنما يكون عند مقارنة الأربعين، وأصله إنما يتم عند مراهقة البلوغ، ومباديه تظهر بعد سبع سنين، والشهوات جنود الشيطان، والعقول جنود الملائكة، فإذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة، إذ لا يثبت أحدهما للآخر لأنهما ضدان، فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار والنور والظلمة، ومهما غلب أحدهما أزعج الآخر بالضرورة، وإذا كانت الشهوات تكمل في الصبا والشباب قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان ووقع للقلب به أنس وإلف لا محالة مقتضيات الشهوات بالعادة وغلب ذلك عليه ويعسر عليه النزوع عنه، ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ أوليائه من أيدي أعدائه شيئاً فشيئاً على التدريج، فإن لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان وأنجز للعين موعوده حيث قال: ﴿لأَحْتَنِكَنَّ ذرِّيَّتَهُ إلاَّ قَليلاً﴾ [الإسراء: ٦٢] وإن كمل العقل وقوي كان أوّل شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع على سبيل القهر إلى العبادات، ولا معنى للتوبة إلا هذا،

الإنسان، إذ كمال العقل إنما يكون عند مقارنة الأربعين) من عمره وهو بلوغ الأشد عند أكثر المفسرين، **(وأصله إنما يتم عند مراهقة البلوغ)** باحتلام أو سن على اختلاف فيه تقدم في كتاب العلم، **(ومباديه تظهر بعد سبع سنين)** في الغالب وذلك أيضاً مختلف باختلاف الأجناس من الأشخاص، **(والشهوات)** بأسرها **(جنود الشيطان، والعقول)** من حيث هي **(جنود الملائكة فإذا اجتمعا)** أي جند الشهوة وجند العقل **(قام القتال بين الجندين بالضرورة إذ لا يثبت أحدهما بالآخر فإنهما ضدان)** أحدهما يبعث على الخير والثاني يبعث على الشر، **(فالتطارد بينهما كالتطارد بين الليل والنهار و)** بين **(النور والظلمة ومهما غلب أحدهما)** في محل **(أزعج الآخر)** منه **(بالضرورة، وإذا كانت الشهوة تكمل في الصبي)** في صباوته **(والشاب)** في شبابه **(قبل كمال العقل فقد سبق جند الشيطان واستولى على المكان)** وأرخى كلا كله عليه، **(ووقع للقلب به أنس وإلف لا محالة مقتضيات الشهوة بالعادة وغلب ذلك عليه ويعسر عليه النزوع عنه)** والتخلص منه، **(ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ أوليائه من أيدي أعدائه شيئاً فشيئاً على التدريج)** والتمهل، **(فإن لم يقو ولم يكمل سلمت مملكة القلب للشيطان)** فاستولى عليها بما فيها من العجائب والخزائن وصار ما في البدن رعايا له **(وأنجز للعين موعوده)** الذي وعد به **(حيث قال: ﴿لاحتنكن ذريته إلا قليلاً﴾)** ممن عصمهم الله من شره **(وإن كمل العقل وقوى كان أول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات)** ومزايله المألوفات **(ورد الطبع على سبيل القهر إلى العبادات، ولا معنى للتوبة إلا هذا، وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان إلى طريق الله**

وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره الشيطان، إلى طريق الله تعالى، وليس في الوجود آدمي إلا وشهوته سابقة علي عقله وغريزته التي هي عدة الشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة الملائكة، فكان الرجوع عما سبق إليه على مساعدة الشهوات ضرورياً في حق كل إنسان نبياً كان أو غبياً، فلا تظنن أن هذه الضرورة إختصت بآدم عليه السلام، وقد قيل:

فلا تحسبنَّ هنداً لها الغدر وحدها   سجية نفس كل غانية هندُ

بل هو حكم أزلي مكتوب على جنس الإنس لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الإلهية التي لا مطمع في تبديلها، فإذاً كل من بلغ كافراً جاهلاً فعليه التوبة من جهله وكفره، فإذا بلغ مسلماً تبعاً لأبويه غافلاً عن حقيقة إسلامه فعليه التوبة من غفلته بتفهم معنى الإسلام، فإنه لا يغني عنه إسلام أبويه شيئاً ما لم يسلم بنفسه، فإن فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته وإلفه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع إلى قالب حدود الله في المنع والإطلاق والإنفكاك والاسترسال، وهو من أشق أبواب التوبة، وفيه هلك الأكثرون إذ عجزوا عنه، وكل هذا رجوع وتوبة، فدل أن التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصوّر أن يستغني عنها أحد من البشر كما لم يستغن آدم، فخلقة

تعالى) وبه عرف وجه اختصاصها بنوع الإنسان، **(وليس في الوجود آدمي إلا وشهوته سابقة لعقله، وغريزته التي هي عدة للشيطان متقدمة على غريزته التي هي عدة للملائكة، فكان الرجوع عما سبق إليه على مساعدة الشهوات ضرورياً في حق كل إنسان نبياً كان أو غبياً)** من غير خصوصية، **(فلا تظن أن هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام فقد قيل)**.

(فلا تحسبن هنداً لها الغدر وحدها   سجيــة نفس كــل غــانيــة هنــد)

(بل هو حكم أزلي مكتوب على جنس الإنسان لا يمكن فرض خلافه.ما لم تتبدل السنة الإلهية التي لا مطمع في تبديلها) لقوله تعالى: ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ [الأحزاب: ٦٢] **(فإذاً كل من بلغ كافراً جاهلاً فعليه التوبة من كفره وجهله، فإن بلغ مسلماً تبعاً لأبويه غافلاً عن حقيقة إسلامه فعليه التوبة من غفلته بتفهم معنى الإسلام)** حتى يكون بذلك مسلماً، **(فإنه لا يغني عنه إسلام أبويه شيئاً ما لم يسلم بنفسه، فإن فهم ذلك فعليه الرجوع عن عادته وإلفه للإسترسال وراء الشهوات)** فيستأصلها على قدر الإمكان **(من غير صارف)** عنه **(بالرجوع إلى قالب حدود الله في المنع والإطلاق والإنكفاف والإسترسال، وذلك من أشق أبواب التوبة)** وأشدها، **(وفيه هلك الأكثرون إذا عجزوا عنه وكل هذا رجوع وقربة، فدل أن التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور أن يستغني عنها أحد من**

الولد لا تتسع لما لم يتسع له خلقة الوالد أصلاً. وأما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو أن كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه، إذ لم يخل عنه الأنبياء كما ورد في القرآن والأخبار من خطايا الأنبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم، فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب؟ فإن خلا في بعض الأحوال عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله، فإن خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وأفعاله، وكل ذلك نقص وله أسباب، وترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها رجوع عن طريق إلى ضده والمراد بالتوبة الرجوع، ولا يتصوّر الخلوّ في حق الآدمي عن هذا النقص، وإنما يتفاوتون في المقادير، فأما الأصل فلا بد منه، ولهذا قال عليه السلام: « إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة ». الحديث، ولذلك أكرمه الله تعالى بأن قال:

البشر كما لم يستغن عنها آدم عليه السلام، فخلقة الولد لا تتسع لما لم تتسع له خلقة الوالد أصلاً) وهذا حال وجوبها على كل الأشخاص، (**وأما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو أن كل بشر فلا يخلو عن معصية بجوارحه إذ لم يخل عن ذلك الأنبياء عليهم السلام مع جلالة قدرهم كما ورد في القرآن والأخبار من خطايا الأنبياء عليهم السلام وتوبتهم وبكاؤهم على خطاياهم)** وقد تقدم بعض ذلك، (**فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب)**، فروى أحمد وأبو يعلى وابن عدي والضياء من حديث ابن عباس: « ما من أحد من ولد آدم وقد أخطأ أوهم بخطيئة إلا يحيى بن زكريا فإنه لم يهم بها ولا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ». ورواه الحكيم والحاكم بلفظ: « ما من آدمي إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة غير يحيى بن زكريا لم يهم بخطيئة ولم يعملها ». (**وإن خلا من الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله)** تعالى، (**فإن خلا عنها)** أي عن الخواطر الناشئة عن الوسواس (**فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وأفعاله، وكل ذلك نقص)** عن رتبة الكمال، (**وله أسباب وترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها رجوع من طريق إلى ضده، والمراد بالتوبة الرجوع)** كما هو حقيقة اللفظ يقال: تاب عنه توبة ومتاباً إذا رجع (**ولا يتصور الخلوّ في حق الآدمي عن هذا النقص، وإنما يتفاوتون في المقادير فأما الأصل فلا بدّ منه، ولهذا قال ﷺ: « إنه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة فاستغفر الله منه » الحديث)** هكذا في سائر نسخ الكتاب، وفي بعضها « إنه يغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة ». قال العراقي: رواه مسلم من حديث الأغر المزني إلا أنه قال في اليوم مائة مرة، وكذا هو عند أبي داود، وللبخاري من حديث أبي هريرة: « إني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين ». وفي رواية البيهقي في الشعب « سبعين » ولم يقل: « أكثر من » وتقدم في الأذكار والدعوات.

﴿ليغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تقدمَ مِنْ ذَنْبِكَ وما تأخَّرَ﴾ [الآية: ٢] وإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره ؟

فإن قلت : لا يخفى أن ما يطرأ على القلب من الهموم والخواطر نقص ، وأن الكمال في الخلوّ عنه ، وأن القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص ، وإنه كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال ، وأنّ الانتقال إلى الكمال من أسباب النقصان رجوع ، والرجوع توبة ، ولكن هذه فضائل لا فرائض ، وقد أطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال ، والتوبة عن هذه الأمور ليست بواجبة ، إذ إدراك الكمال غير واجب في الشرع : فما المراد بقولك : التوبة واجبة في كل حال؟ فاعلم أنه قد سبق أن الإنسان لا يخلو في مبدأ خلقته من اتباع الشهوات أصلاً ، وليس معنى التوبة تركها فقط ، بل تمام التوبة بتدارك ما مضى ، وكل

قلت : حديث الأغر المزني رواه كذلك أحمد ، وعبد بن حميد ، والنسائي ، وابن حبان ، والبغوي ، وابن قانع ، والباRودي ، والطبراني وتقدم قريباً حديث الأغر عند مسلم « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى الله في اليوم مائة مرة » . وعند الحكيم « فإني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أو في كل يوم مائة مرة أو أكثر من مائة مرة » . وقد تقدم الكلام على الأغر في الأذكار والدعوات ، ثم قول المصنف : الحديث يدل على أن للحديث بقية لم يذكرها ، وهذا لأن الموجود في نسخ الكتاب : « إنه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرة » . ثم قال : « الحديث أي إلى آخره وآخره : « فاستغفر الله منه » وإلا فالحديث هو هذا بتمامه .

(**ولذلك أكرمه الله تعالى بأن قال**) في كتابه العزيز في خطابه إليه : (**﴿ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخر﴾**) وقد اختلفوا في معنى ذلك على أقوال : أحسنها أن يقال جيع ما فرط منك مما يصح أن يعاتب عليه ، (**وإذا كان هذا**) مع علو مقامه (**حاله فكيف حال غيره**) ؟

(**فإن قلت : لا يخفي أن ما يطرأ على القلب من الهموم والخواطر نقص**) في الجملة (**وأن الكمال في الخلو عنها**) وفي نسخة عنه ، (**وأن القصور عن معرفة كنه جلال الله**) وعظمته (**نقص وأن كلما ازدادت المعرفة زاد الكمال ، وأن الإنتقال إلى الكمال من أسباب النقص رجوع والرجوع توبة**) كما تقرر ، (**ولكن هذه فضائل**) زائدة **لا** (فرائض ، **وقد أطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة من هذه الأمور ليست واجبة إذ إدراك الكمال غير واجب في الشرع ، فما المراد بقولك التوبة واجبة في كل حال؟ فاعلم أنه قد سبق أن الإنسان لا يخلو في مبدأ خلقته من إتباع الشهوات أصلاً**) لكونها معجونة في طينته ولا يزايلها إلا بمسدد العقل ومعونته ، والعقل إنما يكمل بعد (**وليس معنى التوبة تركها فقط لأن تمام**

شهوة اتبعها الإنسان ارتفع منها ظلمة إلى قلبه كما يرتفع عن نفس الإنسان ظلمة إلى وجه المرآة الصقيلة، فإن تراكمت ظلمة الشهوات صار ريناً كما يصير بخار النفس في وجه المرآة عند تراكمه خبثاً، كما قال تعالى: ﴿كلاَّ بل رانَ على قلُوبهِمْ ما كانُوا يكسِبُون﴾ [المطففين: ١٤] فإذا تراكم الرين صار طبعاً فيطبع على قلبه، كالخبث على وجه المرآة إذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وأفسده وصار لا يقبل الصقل بعده وصار كالمطبوع من الخشب، ولا يكفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل، بل لا بدّ من محو تلك الأريان التي انطبعت في القلب، كما لا يكفي في ظهور الصور في المرآة قطع الأنفاس والبخارات المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو

التوبة بتدارك ما مضى) في مبدأ عمره، **(وكل شهوة اتبعها الإنسان ارتفعت منها ظلمة إلى قلبه)** فتغيره **(كما يرتفع من نفس الإنسان ظلمة إلى وجه المرآة الصقيلة)** أي المصقولة، **(فإن تراكمت ظلمة الشهوات)** بأن كثرت حتى ركب بعضها بعضاً **(صار ريناً)** على القلب **(كما يصير بخار النفس في وجه المرآة عند تراكمه)** وكثرته **(خبثاً)** وصدأ **(كما قال الله تعالى)** في كتابه العزيز في حق المكذبين بالحق ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ ﴿كلا﴾ ردع عن هذا القول ﴿بل ران على قلوبهم وما كانوا يكسبون﴾ أي غلب عليهم حب المعاصي بالإنهاك فيها حتى صار ذلك ريناً على قلوبهم، فعمى عليهم معرفة الحق والباطل، فإن كثرة الأفعال سبب لحصور الملكات، **(فإذا تراكم الرين صار طبعاً فيطبع على قلبه)** ومصداقة في حديث أبي هريرة: « إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب صقل منها فإن عاد زادت حتى تعظم في قلبه » رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم، وقد كان الحسن يقول: إن بين العبد وبين الله تعالى حداً من المعاصي معلوماً إذ بلغه العبد طبع على قلبه فلا يوفقه بعدها لخير. وفي حديث ابن عمر: الطابع فيطبع على القلب بما فيها **(كالخبث على وجه المرآة إذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد)** الهند **(وأفسده وصار لا يقبل الصقل بعده وصار كالمطبوع من الخشب)** أي كأنه طبع منه، **(ولا يكفي في تدارك إتباع الشهوات تركها في المستقبل)** فقط، **(بل لا بدّ من محو تلك الآثار التي انطبعت في القلب)** من المعاصي، **(كما لا يكفي في ظهور الصور في المرآة قطع الأنفاس)** عنها **(وقطع البخارات المسوّدة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الأريان)**، فإذا صقلها ظهرت فيها الصور ولو ظهر تغير القلوب بعد المعصية على وجه العاصي لا سوّد وجهه، ولكن الله سلم بحلمه وستره فغطى ذلك على القلب مع تأثيره فيه وحجابه لصاحبه وقساوته على الذكر وطلب البر والمسارعة إلى الخيرات، وذلك من أعظم العقوبات. ويقال: إن العبد إذا عصى اسود قلبه فيثور على القلب دخان يشهده الإيمان وهو مكان حزن الكبد الذي يسود ويكون ذلك الدخان حجاباً له عن العلم والبيان كما تحجب السحابة الشمس فلا ترى، وإذا تاب العبد وأصلح انكشف

ما انطبع فيها من الأريان، وكما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فيرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات، فتنمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «أتبع السيئة الحسنة تمحها»، فإذا لا يستغني العبد في حال من أحواله عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئات؛ هذا في قلب حصل أوّلاً صفاؤه وجلاؤه ثم أظلم بأسباب عارضة، فأما التصقيل الأول ففيه يطول الصقل؛ إذ ليس شغل الصقل في إزالة الصدأ عن المرآة كشغله في عمل أصل المرآة، فهذه أشغال طويلة لا تنقطع أصلاً، وكل ذلك يرجع إلى التوبة،

الحجاب فيظهر الإيمان ويأنس بالعلم كما تبرز الشمس من تحت السحاب، **(وكما ترتفع إلى القلب ظلمة من المعاصي والشهوات فكذلك يرتفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات، فتمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «ابتع السيئة الحسنة تمحها»)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي ذر بزيادة في أوله وآخره وقال: حسن انتهى.

قلت: الحديث بتمامه «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» هكذا رواه الترمذي وحسنه، والدارمي، والحاكم، والبيهقي، والضياء. ورواه أحمد، والترمذي، والبيهقي من حديث معاذ بن جبل، والصحيح حديث أبي ذر. ورواه ابن عساكر من حديث أنس. وقال الدارقطني في كتاب العلل: رواه ابن حبيب بن أبي ثابت، عن ميمون بن أبي شبيب، عن معاذ بن جبل قال: قلت يا رسول الله أوصني قال: «اتق الله حيثما كنت» قال: قلت يا رسول الله زدني. قال: «اتبع السيئة الحسنة تمحها». قال: قلت يا رسول الله زدني قال: «خالق الناس بخلق حسن». هكذا رواه حماد بن شبيب، وليث بن أبي سليم، وإسماعيل بن مسلم المكي، عن حبيب ورواه الثوري عن حبيب، واختلف عنه فرواه وكيع عن الثوري هكذا، وأرسله جماعة عن وكيع فلم يذكروا فيه معاذاً، وكذلك رواه أبو سفيان، واسمه سعيد بن سنان، عن حبيب، عن ميمون مرسلاً. وقيل: عن الثوري عن حبيب عن ميمون عن أبي ذر ورواه أبو مريم الغفاري عن الحكم بن عتبة عن ميمون عن معاذ وغيره يرويه به عن الحكم مرسلاً عن النبي ﷺ، وكان المرسل أشبه بالصواب انتهى.

قلت: وقد وقع لنا عالياً في جزء أبي بكر محمد بن العباس الرافعي، حدثنا أحمد بن بزيع الخفاف، حدثنا سعيد بن مسلم عن الليث بن سليم عن حبيب فذكره.

(فإذاً لا يستغني العبد في حال من أحواله من محو آثار السيئات من قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثارها آثار تلك السيئة الحاصلة في القلب هذا في قلب حصل أولاً صفاؤه وجلاؤه ثم أظلم بأسباب عارضة) فأما التصقيل الأول ففيه يطول الشغل **(إذ ليس شغل الصقل في إزالة الصدأ عن المرآة كشغله في عمل أصل المرآة، فهذه أشغال طويلة لا تنقطع أصلاً**

فأما قولك: إن هذا لا يسمى واجباً بل هو فضل وطلب كمال، فاعلم أن الواجب له معنيان:

أحدهما: ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل به كافة الخلق لم يخرب العالم، فلو كلف الناس كلهم أن يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعايش ورفضوا الدنيا بالكلية، ثم يؤدي ذلك إلى بطلان التقوى بالكلية، فإنه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ أحد للتقوى، بل شغل الحياكة والحراثة والخبز يستغرق جميع العمر من كل واحد فيما يحتاج إليه، فجميع هذه الدرجات ليست بواجبة بهذا الاعتبار.

والواجب الثاني: هو الذي لا بد منه للوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين، والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول إليه كما يقال: الطهارة واجبة في صلاة التطوّع أي لمن يريدها، فإنه لا يتوصل إليها إلا بها. فأما من رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوّع فالطهارة ليست واجبة عليه لأجلها، كما يقال: العين والأذن واليد والرجل شرط في وجود الإنسان، يعني أنه شرط

وكل ذلك يرجع إلى التوبة، **فأما قولك: إن هذا لا يسمى واجباً بل هو فضل وطلب كمال، فاعلم أن الواجب له معنيان:**):

(**أحدهما: ما يدخل في فتوى الشرع واشترك فيه طائفة** الخلق، **وهو القدر الذي لو اشتغل كافة الخلق به لم يخرب**) نظام (**العالم، ولو كلف الناس كلهم أن يتقوا الله حق تقاته لتركوا المعاش**) كما أن في غالب معاملاتها ما يضاد التقوى (**ورفضوا الدنيا بالكلية**) وهجروها، (**ثم يؤدي ذلك إلى بطلان التقوى بالكلية فإنه مهما فسدت المعايش لم يتفرغ أحد للتقوى**) لشدة الأعواز إلى إصلاح ما يتعيش به، (**بل شغل الحياكة والحراثة والخبز**) ولو قال: الخبازة كان أولى (**يستغرق عمر كل واحد فيما يحتاج إليه، فجميع هذه الدرجات ليست واجبة بهذا الاعتبار**).

(والواجب الثاني: هو الذي لا بدّ منه للوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين والمقام المحمود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول إليه، كما يقال: **الطهارة واجبة في صلاة التطوع لمن يريدها فإنه لا يتوصل إليها إلا بها، فأما من رضي بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوّع فالطهارة ليست بواجبة لأجلها، وكما يقال: العين والأذن واليد والرجل شرط في وجود الإنسان يعني أن ذلك شرط لمن يريد أن**

لمن يريد أن يكون إنساناً كاملاً ينتفع بإنسانيته ويتوصل بها إلى درجات العلا في الدنيا فأما من قنع بأصل الحياة ورضي أن يكون كلحم على وضم وكخرقة مطروحة فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ويد ورجل، فأصل الواجبات الداخلة في فتوى العامة لا يوصل إلا إلى أصل النجاة، وأصل النجاة كأصل الحياة، وما وراء أصل النجاة من السعادات التي بها تنتهي الحياة يجري مجرى الأعضاء والآلات التي بها تتهيأ الحياة وفيه سعى الأنبياء والأولياء والعلماء والأمثل فالأمثل، وعليه كان حرصهم، وحواليه كان تطوافهم، ولأجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية، حتى انتهى عيسى عليه السلام إلى أن توسد حجراً في منامه، فجاء إليه الشيطان وقال: أما تركت الدنيا للآخرة فقال: نعم، وما الذي حدث؟ فقال: توسدك لهذا الحجر تنعم في الدنيا فلم لا تضع رأسك على الأرض؟ فرمى عيسى عليه السلام بالحجر ووضع رأسه على الأرض، وكان رميه للحجر توبة عن ذلك التنعم. أفترى أن عيسى عليه السلام لم يعلم أن وضع الرأس على

يكون إنساناً كاملاً ينتفع بإنسانيته ويتوصل بها إلى درجات العلى في الدنيا، فأما من قنع بأصل الحياة ورضي بأن يكون كلحم على وضم) وهو محركة ما وقيت به اللحم من الأرض كذا في المصباح. وقال صاحب الأساس: هو كل ما وقى به الأرض من خشبة أو خصفة أو غيرهما، ووضمته وضماً إذا وضعته على الوضم، وروي على العكس، ويقال للذليل هو لحم على وضم، **(وكخرقة مطروحة)** على الأرض أي متبذلة، **(فليس يشترط لمثل هذه الحياة عين ويد ورجل، فأصل الواجبات الداخلة في فتوى العامة لا توصل إلا إلى أصل النجاة، وأصل النجاة كأصل الحياة وما وراء أصل النجاة من السعادات التي بها أصل الحياة تجري مجرى الأعضاء والآلات بها تتهيأ الحياة، وفي ذلك سعى الأنبياء)** عليهم السلام **(والأولياء والعلماء والأمثل فالأمثل)** من المتبعين على أقدامهم، **(وعليه كان حرصهم وحواليه)** بفتح اللام وسكون التحتية **(كان تطوافهم، ولأجله كان رفضهم لملاذ الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى عليه السلام)** في كمال زهده **(إلى أن توسد يوماً حجراً في منامه)** أي وضع رأسه على حجر لينام عليه وجعله بمنزلة الوسادة، **(فجاءه الشيطان وقال: أما كنت تركت الدنيا للآخرة؟ فقال: نعم وما الذي حدث؟ قال: توسدك لهذا الحجر تنعم في الدنيا فلم لا تضع رأسك على الأرض؟ فرمي عيسى عليه السلام الحجر ووضع رأسه على الأرض)** أخرجه ابن عساكر عن الحسن البصري أنه مرّ إبليس يوماً بعيسى عليه السلام وهو متوسد حجراً وقد وجد لذة النوم فقال له إبليس: يا عيسى إنك لا تريد شيئاً من عرض الدنيا فهذا الحجر من عرض الدنيا، فقام عيسى عليه السلام فأخذ الحجر فرمى به وقال: هذا لك مع الدنيا.

(وكان رميه الحجر توبة عن ذلك التنعم افترى أن عيسى عليه السلام لم بعلم أن وضع

الأرض لا يسمى واجباً في فتاوى العامة؟ أفترى أن نبينا محمداً ﷺ لما شغله الثوب الذي كان عليه علم في صلاته حتى نزعه وشغله شراك نعله الذي جدده حتى أعاد الشراك الخلق. لم يعلم أن ذلك ليس واجباً في شرعه الذي شرعه لكافة عباده، فإذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك إلا لأنه رآه مؤثراً في قلبه أثراً يمنعه عن بلوغ المقام المحمود الذي قد وعد به؟ أفترى أن الصديق رضي الله عنه بعد أن شرب اللبن وعلم أنه على غير وجهه أدخل أصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج معه روحه ـ ما علم من الفقه هذا القدر؟ وهو أن ما أكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في فتوى الفقه إخراجه؟ فلم تاب عن شربه بالتدارك على حسب إمكانه بتخلية المعدة عنه؟ وهل كان ذلك إلا لسر وقر في صدره عرفه ذلك السر أن فتوى العامة حديث آخر، وأن خطر طريق الآخرة لا يعرفه إلا الصديقون، فتأمل أحوال هؤلاء الذين هم أعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله، وإياك مرة واحدة أن تغرك الحياة الدنيا، وإياك ثم إياك ألف ألف مرة أن يغرك بالله الغرور، فهذه أسرار من استنشق

الرأس على الأرض لا يسمى واجباً في فتوى العامة، افترى أن نبينا ﷺ لما شغله الثوب الذي كان عليه علم في صلاته حتى نزعه) وأرسله إلى أبي جهم وطلب منه انبجانيته وقال: « قد ألهاني »؟ وقد تقدم في كتاب الصلاة، **(وشغله شراك نعليه الذي جدده حتى أعاد الشراك الخلق)** تقدم أيضاً في كتاب الصلاة **(لم يعلم أن ذلك ليس واجباً في شرعه الذي شرعه لكافة العباد، وإذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه؟ وهل كان ذلك إلا أنه رأى مؤثراً في قلبه أثراً يمنعه من بلوغ المقام المحمود الذي قد وعد به)** الذي يحمده فيه الأولون والآخرون؟ **(افترى أن الصديق رضي الله عنه بعد أن شرب اللبن)** من يد غلامه **(وعلم أنه على غير وجهه)** لأنه أخبره عن أصله **(أدخل أصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد أن تخرج معه روحه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام، **(فما علم من الفقه هذا القدر وهو أن ما تناوله)** وفي نسخة ما أكله **(من جهل، فهو غير آثم به ولا يجب في فتوى الفقه إخراجه)** بالقيء، **(فلم تاب من شربه بالتدارك على حسب إمكانه بتخلية المعدة منه، وهل كان ذلك إلا لسر وقر في صدره)** لما ورد: « ما سبقكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام وإنما سبقكم بسر وقر في صدره ». وقد تقدم في كتاب العلم **(عرفه ذلك السر أن فتوى العامة حديث آخر، وإن خطر طريق الآخرة لا يعرفه إلا الصديقون، فتأمل)** أيها المصر **(أحوال هؤلاء الذين هم أعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبمكر الله وبمكامن الغرور بالله، وإياك مرة واحدة أن تغرك الحياة الدنيا، وإياك ثم إياك ألف ألف مرة أن يغرك بالله الغرور)** أي الشيطان، **(فهذه أسرار من استنشق مبادىء روائحها)** وكان صحيح الشم للحقائق، **(وعلم أن لزوم**

مبادىء روائحها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في طريق الله تعالى في كل نفس من أنفاسه ولو عمّر عمر نوح، وأن ذلك واجب على الفور من غير مهلة، ولقد صدق أبو سليمان الداراني حيث قال: لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على تفويت ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقاً أن يحزنه ذلك إلى الممات، فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله؟ وإنما قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهرة نفيسة وضاعت منه بغير فائدة فبكى عليها لا محالة، وإن ضاعت منه وصار ضياعها سبب هلاكه كان بكاؤه منها أشد، وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها، فإنها صالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد وتنقذك من شقاوة الأبد، وأي جوهر أنفس من هذا؟ فإذا ضيعتها في الغفلة فقد خسرت خسراناً مبيناً، وإن صرفتها إلى معصية فقد هلكت هلاكاً فاحشاً. فإن كنت لا تبكي على هذه المعصية فذلك لجهلك، ومصيبتك بجهلك أعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها أنه صاحب مصيبة، فإن نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته، والناس

التوبة النصوح ملازم للعبد السالك في طريق الله تعالى في كل نفس من أنفاسه) لا تفارقه في سائر أحواله في بدايته ووسطه ونهايته، **(ولو عمر عمر نوح)** عليه السلام وهو ألف سنة وخمسمائة وقد يضرب به المثل في التعمير، **(وأن ذلك واجب على الفور من غير مهلة)** ولا تراخ، **(ولقد صدق أبو سليمان الداراني)** رحمه الله تعالى **(حيث قال: لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على فوات)** وفي نسخة فوت وفي أخرى تفويت **(ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقاً)** أي جديراً **(أن يحزنه ذلك إلى الممات، فكيف بمن يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله)**؟ أورده صاحب القوت. **(وإنما قال)** أبو سليمان **(هذا)** الذي قال **(لأن العاقل إذا ملك جوهرة نفيسة)** رفيعة **(فضاعت منه بغير فائدة)** تؤول منها إليه **(بكى عليها لا محالة، فإن ضاعت منه وكان ضياعها بسبب هلاكه كان بكاؤه من ذلك أشد)** من الأول، **(وكل ساعة من العمر بل كل نفس)** من أنفاسه **(جوهرة نفيسة لا خلف لها ولا بدل منها لأنها صالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد وتنقذك من شقاوة الأبد، وأي جوهرة)** توجد **(في الدنيا أنفس من هذا)** وأعلى من هذا؟ **(فإذا ضيعتها في الغفلة)** عن الله تعالى **(فقد خسرت خسراناً مبيناً، وإن صرفتها إلى معصية هلكت هلاكاً فاحشاً، فإن كنت لا تبكي على هذه المعصية فذلك لجهلك)** عنها **(ومعصيتك، فجهلك أعظم من كل مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف المصاب بها أنه صاحب مصيبة فإن نوم الغفلة يحول بينه وبين معرفته والناس نيام)** في غفلتهم **(فإذا ماتوا انتبهوا)** كما روي ذلك من قول علي

نيام فإذا ماتوا انتبهوا، فعند ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه ولكل مصاب مصيبته، وقد رفع الناس عن التدارك.

قال بعض العارفين: إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للعبد أعلمه أنه قد بقي من عمرك ساعة وإنك لا تستأخر عنها طرفة عين، فيبدو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد إليه سبيلاً، وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى: ﴿وحِيلَ بينهُمْ وبيْنَ ما يشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أنْ يأتيَ أحَدَكُمُ الْمَوْتُ فيقُولُ ربِّ لولا أخرتني إلى أجلٍ قريبٍ فأصَّدَّق وأكن من الصّالحين * ولن يؤخِّر الله نفساً إذا جاء أجلُها﴾ [المنافقون: ١٠] فقيل: الأجل القريب الذي يطلبه: معناه أنه يقول عند كشف الغطاء للعبد يا ملك الموت أخرني يوماً أعتذر فيه إلى ربي وأتوب وأتزوّد صالحاً لنفسي، فيقول: فنيت الأيام فلا يوم، فيقول:

رضي الله عنه وتقدم في كتاب العلم، (**فعند ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه، ولكل مصاب مصيبته، وقد وقع اليأس عن التدارك**) لفوات وقته. (**قال بعض العارفين: إن ملك الموت** عليه السلام إذا ظهر **للعبد أعلمه أنه قد بقي من عمرك ساعة وأنك لا تتأخر عنها طرفة عين، فيبدو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت الدنيا بحذافيرها**) من أولها إلى آخرها (**لخرج منها على أن يضم لتلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها ويتدارك فيها تفريطه فلا يجد إلى ذلك سبيلاً**) نقله صاحب القوت إلا أنه قال: ويقال إن ملك الموت الخ (**وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾**) قيل التوبة، وقيل الزيادة في العمل، وقيل حسن الخاتمة فإذا كل ساعة تمضي على العبد تكون بمنزلة هذه الساعة قيمتها الدنيا كلها إذا عرف قيمة ذلك، فلذلك قيل: ليس لما بقي من عمر العبد قيمة إذا عرف وجه التقدير من الله تعالى بالتصريف والحكمة، (**وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فاصدق**) أي أزكي (**وأكن من الصالحين**) وقيل: أول من يسأل الرجعة من هذه الأمة من لم يكن أدى زكاة ماله، ولم يكن حج بيت ربه، فذلك تأويل قوله تعالى: ﴿فاصدق وأكن من الصالحين﴾ وكان ابن عباس يقول: هذه الآية من أشد شيء على أهل التوحيد هذا لقوله في أولها ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ وقيل: لا يسأل عبد الرجعة عند الموت وله عند الله مثقال ذرة من خير وفي معناه الخير من كان له عند الله في الآخرة مثقال ذرة لو أن له الدنيا وما فيها لم يحب أن يعود فيها. (**﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها**) والله خبير بما تعملـون﴾ وقد اختلف في هذه الآية (**فقيل: الأجل القريب الذي يطلبه معناه أن يقول عند كشف الغطاء: يا ملك الموت أخرني يوماً اعتذر فيه إلى ربي**) ولفظ القوت أعتب فيه ربي، (**فأتوب واتزود صالحاً لنفسي**

فأخرني ساعة فيقول: فنيت الساعات فلا ساعة، فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه وتتردد أنفاسه في شراسفه، ويتجرّع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر، فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأحوال، فإذا زهقت نفسه فإن كان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة، وإن سبق له القضاء بالشقوة والعياذ بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة ولمثل هذا يقال: ﴿وليسَتِ التوبة للّذينَ يعملُون السيئاتِ حتى إذا حضَر أحدَهُم الموتُ قال إني تُبتُ الآن﴾ [النساء: ١٨] وقوله: ﴿إنّما التوبةُ عَلَى اللهِ للذينَ يعملُونَ السُّوءَ بجهالةٍ ثمّ يتُوبُون مِنْ قريبٍ﴾ [النساء: ١٧] ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتندّم

فيقول) ملك الموت: **(فنيت الأيام فلا يوم فيقول)** العبد: **(فاخرني ساعة. فيقول: فنيت الساعات فلا ساعة)**، فتبلغ الروح الحلقوم فيؤخذ بكمظمه عند الغرغرة **(فيغلق عليه باب التوبة)** ويحجب عنه **(فيغرغر بروحه وتتردد أنفاسه في شراسفه)** وهي عظام الحلق وتنقطع الأعمال وتذهب الأوقات، **(ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر)** النفيس، ويشهد فيها المعاينة عند كشف العطاء فيمتد بصره، **(فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأهوال فإذا)** كان في آخر نفس **(وزهقت نفسه، فإن كان سبقت له من الله الحسنى)** ولفظ القوت فيدركه ما سبق له من السعادة **(فتخرج روحه على التوحيد وذلك حسن الخاتمة، وإن سبق له القضاء بالشقاوة والعياذ بالله)** تعالى **(خرجت)** ولفظ القوت: أو يدركه ما سبق له من الشقاوة فتخرج **(روحه على الشك والإضطراب)** ولفظ القوت على الشرك بالشك، **(وذلك سوء الخاتمة، ولمثل هذا قال تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾)** وقيل: هو المنافق المدمن على المعاصي المصر عليها.

وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود: « إن العبد يولد مؤمناً ويعيش مؤمناً ويموت كافراً، وإن العبد يولد كافراً ويعيش كافراً ويموت مؤمناً، وإن العبد ليعمل برهة من دهره بالسعادة ثم يدركه ما كتب له فيموت شقياً، وأن العبد ليعمل برهة من دهره بالشقاء ثم يدركه ما كتب له فيموت سعيداً ».

(وقوله تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب﴾) قيل: قبل الموت وقبل ظهور رآيات الآخرة، وقيل الغرغرة لأنه تعالى حكم أن التوبة بعد ظهور علام الآخرة لا تنفع، ومنه قوله تعالى: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾ أي قبل معاينة الآيات **(أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ [الأنعام: ١٥٨] قيل: التوبة هي كسب الإيمان بأصول الخيرات، وقيل الأعمال الصالحة وهي الإيمان وعلامة الإيقان، (و)** قيل في قوله من قريب **(معناه عن قرب عهد بالخطيئة)** لا يتمادى

عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو، ولذلك قال ﷺ: «أتبع السيئة الحسنة تمحها»، ولذلك قال لقمان لابنه: يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين:

أحدهما: أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير ريناً وطبعاً فلا يقبل المحو.

الثاني: أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر: «إن أكثر صياح أهل النار من التسويف»، فما هلك من هلك إلا بالتسويف، فيكون تسويده القلب نقداً وجلاؤه بالطاعة نسيئة إلى أن يختطفه الموت فيأتي الله بقلب غير سليم، ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم، فالقلب أمانة الله تعالى عند عبده،

فيها ولا يتباعد عن التوبة **(بأن يتندم عليها ويمحو أثرها بحسنة يردفها بها)** بأن يعقب الذنب عملاً صالحاً ولا يردفه ذنباً آخر، أن يخرج من السيئة إلى الحسنة ولا يدخل في سيئة أخرى **(قبل أن يتراكم الرين على القلب)** فيصير طبعاً **(فلا يقبل المحو)** أصلاً، **(ولذلك قال ﷺ)** لمعاذ بن جبل حين قال له أوصني فقال: «خالق الناس بخلق حسن و**(اتبع السيئة الحسنة تمحها** ») وقد تقدم قريباً. **(ولذلك قال لقمان لأبنه: لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة)** أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائده، والبيهقي عن عثمان بن زائدة، **(ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف)** أي المطل والتأخير وأصله أن يقول: لمن وعده بالوفاء: سوف افعل مرة بعد أخرى **(كان بين خطرين عظيمين)**.

(أحدهما: أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى تصير ريناً وطبعاً فلا تقبل المحو).

(الثاني: أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للإشتغال بالمحو، ولذلك ورد في الخبر: «إن أكثر صياح أهل النار من التسويف») قال العراقي: لم أجد له أصلاً **(فما هلك من هلك إلا بالتسويف)** وفي القوت: حقيقة التوبة أن لا يسوف أبداً إنما يلزم أنها في الوقت **(فيكون تسويده للقلب)** بتلك المعاصي **(نقداً)** حاضراً **(وجلاؤه بالطاعة نسيئة)**، وما زال كذلك **(إلى أن يختطفه الأجل)** بسرعة **(فيأتي الله)** يوم العرض **(بقلب غير سليم)** من الغش، **(ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم، والقلب أمانة الله عند عبده، والعمر أمانة**

والعمر أمانة الله عنده، وكذا سائر أسباب الطاعة، فمن خان في الأمانة ولم يتدارك خيانته فأمره مخطر.

قال بعض العارفين: إن لله تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه على سبيل الإلهام.

أحدهما: إذا خرج من بطن أمه يقول له: عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهراً نظيفاً واستودعتك عمرك وائتمنتك عليه، فانظر كيف تحفظ الأمانة وانظر إلي كيف تلقاني.

والثاني: عند خروج روحه يقول: عبدي ماذا صنعت في أمانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فألقاك على الوفاء، أو أضعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿أوفُوا بعهْدي أُوفِ بِعَهدِكُم﴾ [البقرة: ٤٠] وبقوله تعالى: ﴿والذين هُمْ لأماناتِهِمْ وعهْدَهِمْ راعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨، المعارج: ٣٢].

الله عنده، وكذا سائر أسباب الطاعة، فمن خان في الأمانة ولم يتدارك خيانته فأمره مخطر) جداً.

(**قال بعض العارفين**) من الصوفية: (**إن الله عز وجل أسر إلى عبده سرين يسرهما إليه على سبيل الإلهام**) ولفظ القوت: إن الله تعالى أسرّ إلى عبده سرين يسرهما إليه يوجده ذلك بإلهام يلهمه.

(**أحدهما: إذا**) ولد و(**خرج من بطن أمه يقول له: عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهراً**) سوياً (**نظيفاً استودعتك عمرك وائتمنتك عليه**) ولفظ القوت لتمسك عليه، (**فانظر كيف تحفظ الأمانة وانظر كيف تلقاني**) به كما أخرجتك.

(**و**) السر (**الثاني: عند خروج روحه يقول له: عبدي ماذا صنعت في أمانتي عندك، هل حفظتها حتى تلقاني على العهد**) والرعاية (**فالقاك على الوفاء**)؟ ولفظ القوت بالوفاء والجزاء (**أو ضيعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب؟ وإلى ذلك الإشارة بقوله عز وجل: ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾**) قيل: العهد على أمانة عبده إن كان حفظها فقد أدى الأمانة، وإن كان ضيعها فقد خان الله والله لا يحب الخائنين. (**وبقوله تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾**) ويروى عن ابن عباس مرفوعاً: «من ضيع فرائض الله خرج من أمانة الله» وإذ قد فهمت ما ساقه المصنف في هذا الفصل ظهر لك أنه لا نهاية لمراتب التوبة ومراقيها، وتسمية هذا الفصل بالإنابة أولى لأن حقيقة الإنابة تكرار الرجوع إلى الله تعالى وإن لم يتقدمها ذنب، والله أعلم.

بيان ان التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة:

اعلم أنك إذا فهمت معنى القبول لم تشك في أن كل توبة صحيحة فهي مقبولة، فالناظرون بنور البصائر المستمدون من أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم مقبول عند الله، ومتنعم في الآخرة في جوار الله تعالى، ومستعد لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله تعالى، وعلموا أن القلب خلق سليماً في الأصل، وكل مولود يولد على الفطرة وإنما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها، وعلموا أن نار الندم تحرق تلك الغبرة، وأن نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة، وأنه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون، وكما أن الثوب الوسخ لا يقبله الملك لأن يكون لباسه

فصل

في بيان ان التوبة إذا استجمعت شرائطها:

وأركانها وشهدت العلامات بصحتها **(فهي مقبولة لا محالة)** بفضل الله تعالى لا بطريق الوجوب، إذ لا يجب شيء على الخالق لأنه لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً قال الله تعالى: ﴿ولا يخاف عقباها﴾ [الشمس: ١٥] هذا حاصل ما ذكره المصنف في هذا الفصل، وقد أخر تلك الشرائط وكان الأولى تقديمها حتى يكون ما في هذا الفصل كالمتمم له، والإيمان بهذا واجب لأنه من عقود الإيمان بالله تعالى.

(أعلم) أرشدك الله تعالى **(أنك إذا فهمت معنى القبول لم تشك في أن كل توبة صحيحة)** وهي المستجمعة الشروط والأركان، **(فهي مقبولة. فالناظرون بنور البصائر)** وهو المفاض على القلوب **(المستمدون من أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم)** من المعاصي **(مقبول عند الله تعالى، ومتنعم في الآخرة في جوار الله تعالى، ومستعد لان ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله تعالى، وعلموا)** أيضاً **(أن القلب خلق سليماً في الأصل)** أي في الفطرة الأصلية، **(«وكل مولود يولد على الفطرة»)** كما رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وتمامه «فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه» الحديث وقال: حسن صحيح وقد تقدم، **(وإنما تفوته السلامة بكدورة ترهق وجهه)** أي تعلوه **(من غبرة الذنوب وظلمتها)**، وروى أحمد من حديث جابر: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فإذا أعرب عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً» **(وعلموا أن نار الندم)** المتولدة من التوجع **(تحرق تلك الغبرة وأن نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة، وأنه لا طاقة لظلام المعاصي من نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار)** بل ينسخه ويمحوه، **(بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع**

فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لأن يكون في جواره، وكما أن استعمال الثوب في الأعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة، فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب، وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه، وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول، كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول، فإنما عليك التزكية والتطهير. وأما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الأزلي الذي لا مرد له، وهو المسمى فلاحاً في قوله: ﴿قَدْ أفلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩] ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة أقوى وأجلى من المشاهدة بالبصر أن القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثراً متضاداً يستعار لأحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل، ويستعار للآخر لفظ النور كما يستعار للعلم، وأن بين النور والظلمة تضاداً ضرورياً لا يتصوّر الجمع بينهما، فكأنه لم يبق من الدين إلا قشوره ولم يعلق به إلا أسماؤه وقلبه في غطاء كثيف عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه، ومن جهل نفسه فهو بغيره أجهل وأعني به قلبه، إذ بقلبه يعرف غير قلبه، فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه، فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم أنّ الشمس تطلع والظلام لا يزول، والثوب يغسل بالصابون

بياض الصابون) المتخذ من القلي والجير والزيت، **(وكما أن الثوب الوسخ لا يقبله الملك لأن يكون لباسه، فالقلب)** المظلم لا يقبله الله تعالى و(**لا**) يليق (**أن يكون في جواره**) وحظيرته، (**وكما أن استعمال الثوب في الأعمال الخسيسة يوسخ الثوب**) ويدنسه (**وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة**) ويزيل وسخه، (**فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويزكيه، وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول، كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول فإنما عليك التزكية والتطهير**) من الأدناس والأرجاس، (**وأما القبول فمبذول قد سبق به القضاء الأزلي الذي لا مرد له وهو المسمى فلاحاً في قوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها﴾**) أي طهرها أي نفسه من الشهوات الخفية، (**ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة**) هي (**أقوى وأجلى من المشاهدة بالبصر أن القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثراً متضاداً يستعار لأحدهما لفظ الظلمة كما يستعار للجهل**) بجامع عدم الاهتداء، (**ويستعار للآخر لفظ النور كما يستعار للعلم، وأن بين النور والظلمة تضاداً ضرورياً لا يتصور الجمع بينهما، فكأنه لم يعرف من الدين إلا قشوره ولم يعلق به إلا أسماؤه**) يقال: علق إذ لصق (**وقلبه في غطاء كثيف**) أي غليظ (**عن**) معرفة (**حقيقة الدين بل**) هو في غطاء (**عن**) معرفة (**حقيقة نفسه، ومن جهله نفسه فهو بغيره أجهل واعني به**) أي بغيره (**قلبه إذ بقلبه يعرف غير قلبه، فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه؟ فمن يتوهم أن التوبة تصح لا تقبل كمن يتوهم أن الشمس تطلع والظلام لا يزول**) هذا لا

والوسخ لا يزول إلا أن يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه، فمثال ذلك أن تتراكم الذنوب حتى تصير طبعاً وريناً على القلب فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب، نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب أصلاً ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن به، فهذا حال امتناع أصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية، فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة، ولكنا نعضد جناحه بنقل الآيات والأخبار والآثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به، وقد قال تعالى: ﴿وهُوَ الَّذي يقبلُ التوبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ويعْفو عن السيئات﴾ [الشورى: ٢٥] وقال تعالى: ﴿غافر الذَّنبِ وقَابلِ التَّوبِ﴾ [غافر: ٣] إلى غير ذلك من الآيات. وقال ﷺ: «لله أفرح بتوبة

يكون، (و) كمن يتوهم أن (**الثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول**) اللهم (**إلا أن يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله**) أي أثنائه، (**فلا يقوى الصابون على قلعه. ومثال ذلك أن تتراكم الذنوب حتى يصير طبعاً وريناً على القلب، فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب**) ولا ينجع فيه تأثير ولا يوفق بعده لغيره، وقال مجاهد: القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذنب ذنباً انقبض أصبع حتى تنقبض الأصابع كلها فتشتبك على القلب، فذلك هو القفل وسيأتي هذا للمصنف قريباً. ويقال: إن لكل ذنب نباتاً ينبت في القلب، فإذا كثرت الذنوب تكاثف النبات حول القلب مثل الكم المثمرة فانضم على القلب، فذلك الغلاف ويقال: الكنان واحد الأكنة التي ذكر الله أن القلب لا يسمع معها ولا يفقه (**نعم، قد يقول باللسان**) إني (**تبت**) الآن، (**فيكون ذلك كقول القصار بلسانه: قد غسلت الثوب، وذلك**) أي مجرد هذا القول (**لا ينظف الثوب أصلاً ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يضاد الوصف المتمكن به**) الراسخ فيه، (**فهذا حال امتناع أصل التوبة وهو غير بعيد، بل هو الغالب على كافة الخلق المقبلين**) بهممهم (**على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية**) وحاصل الكلام أن توبة العبد إذا وقعت على الوجه المعتبر شرعاً فهي مقبولة إلا أنها إذا كانت توبة الكافر من كفره فهي مقطوع بقبولها؟ وإن كانت سواها من أنواع التوبة فهل قبولها مقطوع به أو مظنون؟ فيه خلاف لأهل السنة، واختار إمام الحرمين أنه مظنون. قال النووي: وهو الأصح. قال القشيري في الرسالة: التائب من الذنب على يقين ومن قبوله التوبة على خطر، فينبغي أن يكون دائم الحذر. (**فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر**) والعقول (**في قبول التوبة**) ولا يفتقر بعده إلى تنبيه، (**ولكن نعضد جناحه بنقل الآيات والأخبار والآثار**) ليتأيد بها، (**فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة لا يوثق به، وقد قال تعالى**) في كتابه العزيز: (﴿**وهو الذي يقبل التوبة عن عباده**﴾ **وقال تعالى:** ﴿**غافر الذنب وقابل التوب**﴾ **إلى غير ذلك من الآيات**) كقوله

أحدكم » الحديث والفرح وراء القبول، فهو دليل على القبول وزيادة. وقال ﷺ: « إن الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار ولمسيء النهار إلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »، وبسط اليد كناية عن طلب التوبة والطالب وراء القابل، فرب قابل ليس بطالب ولا طالب إلا وهو قابل. وقال ﷺ: « لو علمتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم

تعالى: ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ [التوبة: ١٠٤] وكقوله: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة﴾ الآية [١٧ : من سورة النساء] وكقوله فيمن رمى بنفسه في وهدة الكفر ﴿لن تقبل توبتهم﴾ [آل عمران: ٩٠] وكقوله: ﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ [النساء: ٢٧] وكقوله: ﴿والله يحب التوابين﴾ [البقرة: ٢٢٢] والحبة وراء القبول.

(**وقال ﷺ أفرح بتوبة أحدكم » الحديث**) أي إلى آخره، وقد تقدم قريباً من رواية مسلم وغيره، (**والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة**) وقد تقدم أن الفرح لغة استرواح الصدر بلذة عاجلة وهي محال في حقه تعالى، وإنما أريد بذلك الرضا والقبول تأكيداً للمعنى في ذهن السامع ومبالغة في تقريره (**وقال ﷺ: « إن الله يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل إلى النهار ولمسيء النهار إلى الليل**) ولا يزال كذلك (**حتى تطلع الشمس من مغربها »**) فإذا طلعت أغلق باب التوبة يعني يقبل التوبة من العباد ليلاً ونهاراً. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي موسى بلفظ: « يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار » الحديث. وفي رواية الطبراني: « لمسيء الليل أن يتوب بالنهار » الحديث انتهى.

قلت: لفظ مسلم: « إن الله عز وجل ليبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » وهكذا رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والنسائي، والدارقطني، والبيهقي في الصفات، وأبو الشيخ العظمة.

وأما لفظ الطبراني الذي أشار إليه العراقي، فرواه في الأوسط من حديث ابن جريج عن عطاء عن جابر بلفظ: « إن الله يعرض على عبده في كل يوم نصيحة فإن هو قبلها سعد وإن تركها شقي فإن الله باسط يده بالليل لمسيء النهار ليتوب فإن تاب تاب الله عليه، وباسط يده بالنهار لمسيء الليل فإن تاب تاب الله عليه » الحديث ورواه كذلك ابن عساكر، وابن شاهين عن ابن جريج عن الزهري مرسلاً.

(**وبسط اليد كناية عن طلب التوبة**) وقبولها وهو في حقه تعالى عبارة عن التوسع في الجود والتنزيه عن المنع عند اقتضاء الحكمة، (**والطالب وراء القابل، فرب قابل ليس بطالب**) فقبوله وإقباله على قدر حاله (**ولا طالب إلا وهو قابل**) ففي الطلب قبول وزيادة عليه. (**وقال ﷺ: « لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء**) أي لكثرتها وتراكم بعضها على بعض (**ثم ندمتم لتاب الله عليكم »**). قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ: « لو أخطأتم » وقال: « ثم تبتم » وإسناده حسن انتهى.

ندمتم لتاب الله عليكم »، وقال أيضاً: « إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة، فقيل: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: يكون نصب عينه تائباً منه فاراً حتى يدخل الجنة ». وقال ﷺ: « كفارة الذنب الندامة »، وقال ﷺ: « التائب من الذنب كمن لا ذنب له ».

قلت: لفظ ابن ماجه: « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم » قال المنذري إسناده جيد. وأخرج ابن زنجويه في فوائده عن الحسن بلاغاً « لو أخطأ أحدكم حتى تملأ خطيئته ما بين السماء والأرض ثم تاب لتاب الله عليه ». وروى أحمد، وأبو يعلى، والضياء من حديث أنس « والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفر تم الله لغفر لكم » الحديث. ورجاله ثقات ورواه ابن زنجويه من حديث أبي هريرة بلفظ: « والذي نفسي بيده لو أنكم تخطئون حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تتوبون لتاب الله عليكم » وفي أوله زيادة.

(وقال) ﷺ **(أيضاً: « إن العبد)** أي الإنسان **(ليذنب)** أي ليوقع ويفعل **(الذنب فيدخل به)** أي بسببه **(الجنة »)** لأن الذنب مستجلب للتوبة والإستغفار الذي هو موقع محبة الله تعالى: إن الله يحب التوابين ومن أحبه لم يدخله النار. **(قيل: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: « يكون)** ذنبه **(نصب عينه)** أي مستحضراً له كأنه يشاهده أبداً **(تائباً)** إلى الله **(منه فاراً)** منه إليه **(حتى يدخل)** به **(الجنة »)** لأنه كلما ذكره طار عقله حياء من ربه حيث فعله وهو بمرأى منه ومسمع، فيجد في توبته ويتضرع في إنابته بخاطر منكسر وقلب حزين، والله تعالى يحب كل قلب حزين ومن أحبه أدخله جنته ورفع منزلته. قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرسلاً، ولأبي نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة: « إن العبد ليذنب الذنب فإذا ذكره أحزنه فإذا نظر الله إليه أنه أحزنه غفر الله له » الحديث، وفيه صالح المري وهو رجل صالح لكنه مضعف في الحديث. ولابن أبي الدنيا في التوبة من حديث ابن عمر: « إن الله ينفع العبد بالذنب يذنبه » والحديث غير محفوظ قاله العقيلي انتهى.

قلت: لفظ أبي نعيم: « غفر له ما صنع » وتمامه « قبل أن تأخذ في كفارته بلا صلاة ولا صيام » وقد رواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان، وابن عساكر كلاهما من طريق عيسى بن خالد، عن صالح المري، عن هشام، عن محمد، عن أبي هريرة. قال أبو نعيم: غريب من حديث هشام وصالح لم يكتبه إلا من حديث عيسى.

(وقال ﷺ: « كفارة الذنب الندامة ») أي ندامته تغطي ذنبه، والكفارة عبارة عن الفعلة والخصلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة وهي فعالة للمبالغة كقرابة ومثالة وهي من الصفات الغالبة في الإسمية قاله الطيبي قال رزين: وكون الندامة تكفر الذنب خصيصية لهذه الأمة، وكانت بنو إسرائيل إذا أخطأ أحدهم حرم عليه كل طيب من الطعام وتصبح خطيئته مكتوبة على باب داره، والحديث قال العراقي، رواه أحمد، والطبراني، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس، وفيه يحي بن عمر بن مالك البكري ضعيف انتهى.

ويروى « ان حبشياً قال: يا رسول الله إني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة؟ قال: « نعم » فولى ثم رجع فقال: يا رسول الله أكان يراني وأنا أعملها؟ قال: « نعم » فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها روحه ».

ويروى أن الله عز وجل لما لعن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم القيامة، فقال: وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح، فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي لا حجبت عنه التوبة ما دام فيه الروح.

وقال ﷺ: « إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ » والأخبار في هذا لا تحصى.

قلت: ولكن للحديث بقية وهي: « لو لم تذنبوا لأتى الله بقوم يذنبون فيغفر لهم » ويحيى بن عمر بن مالك من رجال الترمذي قال الذهبي كان حماد بن زيد يرميه بالكذب، وأبوه عمرو بن مالك كان يسرق الحديث. وقد رواه القضاعي أيضاً في مسند الشهاب، وكلهم من هذا الطريق عن ابن الجوزي عن ابن عباس.

(وقال ﷺ: « التائب من الذنب كمن لا ذنب له ») رواه ابن ماجه من حديث ابن مسعود، وقد تقدم الكلام عليه قريباً.

(.ويروى: « أن حبشياً قال يا رسول الله إني كنت أعمل الفواحش فهل لي من توبة؟ قال: « نعم » فولى) منصرفاً **(ثم رجع)** على يديه **(فقال: يا رسول الله أكان يراني وأنا أعملها؟ قال: « نعم » فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها روحه »)** حياء من الله تعالى وحشمة منه طار به عقله ثم تبعه روحه. فقال العراقي: لم أجد له أصلاً.

(ويروي) في بعض الأخبار: **(إن الله لما لعن إبليس سأله النظرة)** بكسر الظاء أي الإمهال وذلك في قوله تعالى: ﴿فانظرني إلى يوم يبعثون﴾ [الحجر: ٣٦] **(فانظره إلى يوم القيامة)** وذلك قوله تعالى: ﴿فإنك من المنظرين﴾ [الحجر: ٣٧] **(فقال)** إبليس: **(وعزتك لاخرجت من قلب ابن آدم ما دامت فيه الروح)** أي أصحبه إلى آخر أنفاسه واغاويه، **(فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي لاحجبت عنه التوبة ما دامت فيه الروح)**. قال العراقي: رواه أحمد، وأبو يعلى، والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد: إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أزال أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني أورده المصنف بصيغة ويروى كذا، ولم يعزه إلى النبي ﷺ فذكرته احتياطاً انتهى.

قلت: ورواه كذلك ابن زنجويه وعبد بن حميد والضياء.

(وقال ﷺ: « إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ ») قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ وهو صحيح المعنى، وهو بمعنى: اتبع السيئة الحسنة تمحها. رواه الترمذي وتقدم قريباً.

وأما الآثار؛ فقد قال سعيد بن المسيب أنزل قوله تعالى: ﴿إنه كان للأوّابين غفوراً﴾ [الاسراء: ٢٥] في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب. وقال الفضيل:

قلت: بل روى أبو نعيم في الحلية من حديث شداد بن أوس «أن التوبة تغسل الحوبة وأن الحسنات يذهبن السيئات» الحديث فلعل المصنف أشار إلى هذا **(والأخبار في هذا)** الباب يعني قبول التوبة **(لا تحصى)** لكثرتها.

ومن ذلك قوله ﷺ: «إن الله عز وجل يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب» قيل: وما وقوع الحجاب؟ قال: «تخرج النفس وهي مشركة». رواه أحمد، والبخاري في التاريخ، وأبو يعلى، وابن حبان، والبغوي في الجعديات، والحاكم، والضياء من حديث أبي ذر.

وقوله ﷺ: «إن الله عز وجل يفتح أبواب سماء الدنيا ثم يبسط يده ألاعبد يسألني فأعطيه فلا يزال كذلك حتى يسطع الفجر» رواه ابن عساكر من حديث ابن مسعود.

وقوله ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» رواه ابن زنجويه، والحاكم، والبيهقي من حديث ابن عمر. ورواه ابن جرير من حديث عبادة، ومن حديث أبي أيوب بشير بن كعب، ورواه ابن زنجويه، وابن جرير عن الحسن بلاغاً. ورواه أحمد عن رجل من الصحابة بلفظ: «ما لم يغرغر بنفسه» وفي رواية له: «قبل أن يموت بضحوة» وفي أخرى له: «قبل أن يموت بنصف يوم» وفي أخرى له: «قبل أن يموت بيوم» رواه من حديث أبي ذر بلفظ: «إن الله يقول يا عبدي ما عبدتني ورجوتني فإني غافر لك على ما كان فيك، ويا عبدي إن لقيتني بقراب الأرض خطيئة ما لم تشرك بي لقيتك بقرابها مغفرة.

وقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من أحد يتوب قبل موته بيوم إلا قبل الله توبته» رواه البغوي عن رجل من الصحابة.

وقوله ﷺ: «ما من عبد يتوب إلى الله عز وجل قبل الموت بشهر إلا قبل الله منه وأدنى من ذلك وقبل موته بيوم أو ساعة يعلم الله منه التوبة والإخلاص إلا قبل الله منه». رواه الطبراني من حديث ابن عمر.

وقوله ﷺ: «من تاب قبل موته بعام يتب عليه حتى قال بشهر حتى قال بجمعة حتى قال بيوم حتى قال بساعة حتى قال بفواق». رواه الحاكم والبيهقي والخطيب في المتفق والمفترق من حديث أبي عمرو.

(وأما الآثار فقد قال سعيد بن المسيب) رحمه الله تعالى: **(أنزل قوله تعالى: ﴿إنه كان للأوابين غفوراً﴾ في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب)** وقال سعيد بن جبير **(للأوّابين)** الرجاعين إلى الخير أخرجه ابن أبي الدنيا في التوبة. وقال الضحاك: نزلت في الراجعين من الذنب إلى التوبة ومن السيئات إلى الحسنات أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب.

قال الله تعالى: بشر المذنبين بأنهم إن تابوا قبلت منهم، وحذر الصديقين أني إن وضعت عليهم عدلي عذبتهم.

وقال طلق بن حبيب: إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه محيت عنه في أم الكتاب.

ويروى: أن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أذنب فأوحى الله تعالى إليه: وعزتي لئن عدت لأعذبنك، فقال يا رب أنت أنت وأنا أنا وعزتك إن لم تعصمني لأعودن فعصمه الله تعالى.

(وقال الفضيل) ابن عياض رحمه الله تعالى: **(قال الله تعالى: بشر المذنبين بأنهم إن تابوا)** إليّ **(قبلت منهم)** توبتهم، **(وحذر الصديقين أني إن وضعت عليهم عدلي عذبتهم)**.

(وقال طلق بن حبيب) العنزي البصري العابد، قال أبو حاتم: صدوق في الحديث، وقال طاوس: هو ممن يخشى الله. وقال مالك: بلغني أن طلقاً كان من العباد كان براً بأبيه، وكان ممن دخل الكعبة في نفر كان الحجاج طلبهم فأخذهم وقتلهم، وروى له الجماعة إلا البخاري: **(إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين)**، أخرجه المزني في التهذيب إلا أنه قال: أن تقوم بها العباد وزاد بعده: وإن نعمه أكثر من أن تحصى والباقي سواء.

(وقال عبدالله بن عمر) ابن الخطاب رضي الله عنهما: **(من ذكر خطيئة ألم بها)** أي فعلها ووقع فيها **(فوجل منها قلبه محيت عنه في أم الكتاب)** أي اللوح المحفوظ، وذلك لأن الوجل إنما يحصل من الندم، والندم أعظم أركان التوبة فهو أحرى بأن تحقق به توبته وتمحى بذلك خطيئته.

(ويروى) في بعض الأخبار: **(أن نبياً من أنبياء بني إسرائيل أذنب)** ذنباً **(فأوحى الله إليه وعزتي لئن عدت لاعذبنك. فقال: يا رب أنت أنت)** في ربوبيتك **(وأنا أنا)** في عبوديتي، **(وعزتك إن لم تعصمني لأعودن فعصمه الله تعالى)**.

وقال بعضهم: إن العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادماً حتى يدخل الجنة فيقول إبليس: ليتني لم أوقعه في الذنب.

وقال حبيب بن ثابت: تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول: أما إني قد كنت مشفقاً منه؛ قال فيغفر له.

ويروى: أن رجلاً سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة؟ فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان، فقال له: إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكاً موكلاً به لا يغلق فاعمل ولا تيأس.

(وقال بعضهم: إن العبد ليذنب الذنب) أي ليفعله **(فلا يزال نادماً)** أي متحسراً على ما صدر منه **(حتى يدخل الجنة)** بسبب حزنه عليه **(فيقول إبليس: ليتني لم أوقعه في الذنب)** وشاهده ما تقدم من حديث أبي هريرة عند أبي نعيم وابن عساكر قريباً.

(وقال حبيب بن أبي ثابت) الأسدي مولاهم أبو يحي الكوفي ثقة فقيه جليل، مات سنة تسع عشرة ومائة، روى له الجماعة، وأبو ثابت اسمه قيس بن دينار وقيل هند: **(تعرض على رجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول: أما أني قد كنت مشفقاً منه)** أي خائفاً. **(قال: فيغفر له)** أي بسبب إشفاقه منه في الدنيا، وهذا يدل على قبول التوبة.

(ويروى: أن رجلاً سأل ابن مسعود) رضي الله عنه **(عن ذنب ألم به هل له من توبة، فاعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينيه تذرفان)** أي تسيلان بالدموع **(فقال له: إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإنه عليه ملك موكل به لا يغلقه)** أبداً **(فاعمل ولا تيأس)**.

وروى الطبراني في الكبير من حديث صفوان بن عسال: أن للتوبةباباً عرض ما بين مصراعيه ما بين المشرق والمغرب لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها، ولابن حبان إن من قبل المغرب باباً فتحه الله للتوبة مسيرة أربعين سنة يوم خلق الله السموات والأرض فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه. ولابن ماجه: إن من قبل المغرب باباً مفتوحاً عرضه سبعون سنة فلا يزال ذلك الباب مفتوحاً حتى تطلع الشمس نحوه، فإذا طلعت من نحوه لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً. ولابن زنجويه: إن الله جعل بالمغرب باباً مسيرة عرضه سبعون عاماً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله، وكذلك قوله: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها﴾ [الأنعام: ١٥٨] وقول ابن مسعود السابق قد روي مرفوعاً بلفظ: «للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه» أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وأبو يعلى، والطبراني، والحاكم.

وقال عبد الرحمن بن أبي القاسم: تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى: ﴿إن ينتهُوا يُغفَر لَهُم ما قَدْ سَلفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] فقال إني لأرجو أن يكون المسلم عند الله أحسن حالاً، ولقد بلغني أن توبة المسلم كإسلام بعد إسلام. وقال عبدالله بن سلام: لا أحدثكم إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل، إن العبد إذا عمل ذنباً ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفة عين.

وقال عمر رضي الله عنه: اجلسوا إلى التوّابين فإنهم أرق أفئدة.

وقال بعضهم: أنا أعلم متى يغفر الله لي. قيل: ومتى؟ قال: إذا تاب علي.

وقال آخر: أنا من أن أحرم التوبة أخوف من أن أحرم المغفرة، أي المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة.

ويروى أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين

(**وقال عبد الرحمن بن أبي القاسم: تذاكرنا مع عبد الرحيم**) بن يحي الدمشقي المعروف بالأسود (**توبة الكافر وقول الله تعالى: ﴿إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ فقال: إني لأرجو أن يكون المسلم عند الله أحسن حالاً**) من الكافر، ولقد بلغني أن توبة المسلم كإسلام بعد إسلام.

(**وقال عبدالله بن سلام**) بالتخفيف الإسرائيلي أبو يوسف رضي الله عنه حليف الأنصار. قيل: كان اسمه الحصين، فسماه النبي ﷺ عبدالله مشهور له أحاديث وفضل، مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين: (**لا أحدثكم إلا عن نبي مرسل أو كتاب منزل: إن العبد إذا عمل ذنباً ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه**) ذلك الذنب (**أسرع من طرفة عين**)، وشاهده حديث أبي هريرة السابق ذكره عند أبي نعيم: «فإذا نظر الله إليه أنه أحزنه غفر له ما صنع».

(**وقال عمر رضي الله عنه: اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرق أفئدة**) ولفظ القوت في الخبر: جالسوا التوابين فإنهم أرق أفئدة وسيأتي للمصنف قريباً.

(**وقال بعضهم: أنا أعلم متى يغفر الله لي قيل: ومتى؟ قال: إذا تاب عليّ**) نقله صاحب القوت بلفظ: وكان بعضهم يقول: قد علمت والباقي سواء.

(**وقال آخر: أنا من أحرم التوبة أخوف من أن أحرم المغفرة**) نقله صاحب القوت (**أي المغفرة من لوازم التوبة وتوابعها لا محالة**)،فإذا حرم التوبة حرم المغفرة فلذلك من حرمان التوبة كان أخوف.

(**ويروى: أنه كان في بني إسرائيل شاب عبدالله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة**

سنة، ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال: إلهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة، فإن رجعت إليك أتقبلني؟ فسمع قائلاً يقول ولا يرى شخصاً. أحببتنا فأحببناك، وتركتنا فتركناك، وعصيتنا فأمهلناك، وإن رجعت إلينا قبلناك.

وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى: إن لله عباداً نصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب، وسقوها بماء التوبة فأثمرت ندماً وحزناً، فجنوا من غير جنون وتبلدوا من غير عي ولا بكم، وإنهم هم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله، ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء، ثم تولهت قلوبهم في الملكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت، واستظلوا تحت رواق الندم وقرأوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة، وسرحت أرواحهم

ثم نظر) وجهه يوماً (**في المرآة** فرأى **الشيب في لحيته فساءه ذلك)** أي أحزنه (**فقال: إلهي أطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فإن رجعت إليك أتقبلني فسمع قائلاً يقول ولا يرى شخصه: أحببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك وإن رجعت إلينا قبلناك)** وقد قال تعالى: ﴿وإن عدتم عدنا﴾ [الإسراء: ٨] وفي الخبر: « ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة ».

(**وقال)** أبو الفيض (**ذو النوب المصري)** رحمه الله تعالى: إن لله عباداً نصبوا أشجار الخطايا نصب روامق القلوب) أي نصبوها بين أعينهم حيث ترمقها القلوب، (**وسقوها بماء التوبة)** فتفرعت (**فأثمرت ندماً وحزناً، فجنوا من غير جنون)** وفيهم قيل:

مجانين إلا أن سر فنونهم ... عزيز لدى ابدائه يسجد العقل

(**وتبلدوا من غير عي)** أي حصر لسان (**ولا بُكم وأنهم البلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله)** فجنونهم وتبلدهم إنما هو على ظهر ما يرى منهم، (**ثم شربوا بكأس الصفاء)** فتصفت بواطنهم عن الجفاء (**فورثوا الصبر على طول البلاء، ثم تولهت قلوبهم في الملكوت)** الأعلى (**وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت)** وهو عالم الملائكة المقربين، (**واستظلوا تحت رواق الندم** وقرأوا صحيفة الخطايا **فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى علوّ)** مقام (**الزهد بسلم الورع)** والتقوى (**فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا)** وفطموا نفوسهم عنها (**واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت**

في العلا حتى أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن العز والكرامة، فهذا القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة فمقبولة لا محالة.

فإن قلت: أفتقول ما قالته المعتزلة من أن قبول التوبة واجب على الله؟ فأقول: لا أعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله إلا ما يريده القائل بقوله: إن الثوب إذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ، وإن العطشان إذا شرب الماء وجب زوال العطش، وأنه إذا منع الماء مدة وجب العطش، وانه إذا دام العطش وجب الموت، وليس في شيء من ذلك ما يريده المعتزلة بالإيجاب على الله تعالى، بل أقول: خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للمعصية، والحسنة ماحية للسيئة، كما خلق الماء مزيلاً للعطش، والقدرة متسعة بخلافه لو سبقت به المشيئة، فلا واجب على الله تعالى، ولكن ما سبقت به إرادته الأزلية فواجب كونه لا محالة.

أرواحهم في العلا) والملأ الأعلى **(حتى أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادق الجزع)** أي سدوها **(وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بفناء العلم)** الحقيقي أي بساحته **(واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفطنة وأقلعوا)** أي رفعوا شراعها **(بريح النجاة)** من الخوف **(في بحر السلامة)** من الكدر **(حتى وصلوا إلى رياض الراحة)** من التعب **(ومعدن العز والكرامة)** في حظيرة القدس الأقدس. أورده ابن خميس في مناقب الأبرار في ترجمة ذي النون من طريق يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون المصري فذكر نحوه بطوله. **(فهذا القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة)** بشروطها **(فمقبولة لا محالة)**.

فإن قلت: أفتقول ما قالت المعتزلة من أن قبول التوبة واجب على الله) تعالى بناء على قاعدة مذهبهم من رعاية الصالح والأصلح؟ **(فأقول: لا أعني بما ذكرته من وجوب قبول التوبة على الله)** تعالى **(إلا ما يريده القائل بقوله: إن الثوب إذا غسل بالصابون)** مثلاً **(وجب زوال الوسخ)** عنه، **(وأن العطشان إذا شرب الماء وجب زوال العطش)** عنه، **(وأنه إذا منع الماء مدة وجب العطش، وأنه إذا دام العطش وجب الموت)** بيبس العروق ونفاد الرطوبة الغريزية، **(وليس في شيء من ذلك ما يريده المعتزلة بالإيجاب على الله تعالى، بل أقول: خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة، كما خلق الماء مزيلاً للعطش والقدرة متسعة بخلافه فلو سبقت به المشيئة فلا واجب على الله تعالى ولكن ما سبقت به الإرادة الأزلية فواجب كونه لا محالة)**. وقد سبق تقرير ذلك مع بيان قاعدة مذهبهم وما فرعوا عليها في كتاب قواعد العقائد فأغنانا عن الإعادة.

فإن قلت: فما من تائب إلا وهو شاك في قبول توبته، والشارب للماء لا يشك في زوال عطشه فلم يشك فيه؟ فأقول شكه في القبول كشكه في وجود شرائط الصحة؟ فإن للتوبة أركاناً وشروطاً دقيقة كما سيأتي، وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالذي يشك في دواء شربه للإسهال في أنه هل يسهل وذلك لشكه في حصول شروط الإسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وأدويته، فهذا وأمثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سيأتي في شروطها إن شاء الله تعالى.

الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها:

اعلم أن التوبة ترك الذنب، ولا يمكن ترك الشيء إلا بعد معرفته، وإذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل إليها إلا به واجباً، فمعرفة الذنوب إذا واجبة، والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى في ترك أو فعل وتفصيل ذلك يستدعي شرح

(فإن قلت: فما من تاب إلا وهو شاك في قبول توبته) ليس على يقين منه، **(والشارب للماء لا يشك في زوال عطشه)** بل هو على يقين منه وقد شبهت في وجوبه بوجوبه **(فلم يشك فيه؟ فاقول: شكه في القبول كشكه في وجود شرائط الصحة فإن للتوبة أركاناً وشروطاً دقيقة)** لا بد من مراعاتها في وجودها وصحتها وكمالها (كما سيأتي) ذكر ذلك قريباً، **(وليس يتحقق وجود جميع شرائطها)** بخلاف شرب الماء وهذا كالذي يشك في دواء شربه للإسهال في أنه هل يسهل) أم لا ؟ **(وذلك لشكه في حصول شروط الإسهال في الدواء باعتبار الحال)** والمزاج **(والوقت، و)** باعتبار (كيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقيره وأدويته. **فهذا وأمثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لا محالة على ما سيأتي في شروطها إن شاء الله تعالى)** قريباً والله الموفق وبه تم الركن الأول.

الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغائرها وكبائرها:

ومعرفة حدود كل منها:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن التوبة)** في الأصل رجوع إلى الله تعالى ولا يكون الرجوع إلا بترك ما كان ملتبساً به فلذلك قلنا إن التوبة **(ترك للذنب)** أي لفعله وإيقاعه، **(ولا يمكن ترك الشيء إلا بعد معرفته)** فما لا يعرف كيف يترك، **(وإذا كانت التوبة واجبة)** على ما تقرر **(كان ما لا يتوصل إليها إلا به واجباً)** أيضاً **(فمعرفة الذنوب)** بأقسامها **(إذاً واجبة والذنب)** أصله الأخذ بذنب الشيء وفي العرف الشرعي **(عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله في ترك أو فعل)** مما تستوخم عاقبته، ولذلك سمي تبعة اعتباراً بما يحصل عن عاقبته،

التكليفات من أولها إلى آخرها، وليس ذلك من غرضنا، ولكنا نشير إلى مجامعها وروابط أقسامها، والله الموفق للصواب برحمته.

بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد:

اعلم أن للإنسان أوصافاً وأخلاقاً كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب وغوائله، ولكن تنحصر مثارات الذنوب في أربع صفات: صفات ربوبية، وصفات شيطانية، وصفات بهيمية، وصفات سبعية. وذلك لأن طينة الإنسان عجنت من أخلاط مختلفة، فاقتضى كل واحد من الأخلاط في المعجنون منه أثراً من الآثار كما يقتضي السكر والخل والزعفران في السكنجبين آثاراً مختلفة.

فأما ما يقتضي النزوع إلى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنى وحب دوام البقاء وطلب الاستعلاء على الكافة حتى كأنه يريد أن يقول: أنا ربكم الأعلى، وهذا يتشعب منه جملة من كبائر الذنوب غفل عنها الخلق ولم

وهو عند أهل الله ما يحجب عن الله تعالى. (**وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات**) الشرعية (**من أولها إلى آخرها وليس ذلك من غرضنا**) الآن، (**ولكنا نشير إلى مجامعها وروابط أقسامها**) التي منها تتفرع أنواعها (**والله الموفق للصواب برحمته**) وفضله.

بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد:

(**اعلم**) أرشدك الله تعالى أن صاحب القوت قسم الذنوب إلى سبعة ضروب بعضها أعظم من ذنب لكل منها مراتب في كل مرتبة من المذنبين طبقة، وقد فصلها المصنف تفصيلاً غريباً وحصرها في ثلاث قسم فقال في القسمة الأولى: (**إن للإنسان أوصافاً وأخلاقاً كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجائب القلب وغوائله، ولكن تنحصر**) هنا (**مثارات الذنوب في أربع صفات**) هي منابعها: (**صفات ربوبية، وصفات شيطانية، وصفات بهيمية، وصفات سبعية، وذلك لأن طينة الإنسان عجنت من أخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الأخلاط في المعجون منه أثراً من الآثار كما يقتضي السكر**) أو العسل (**والخل**) وفي بعض النسخ زيادة والزعفران (**في السكنجبين آثاراً مختلفة**) ولا أعرف من الأطباء من ذكر الزعفران من جملة أجزاءالسكنجبين، وإنما هو مركب من عسل أو سكر وخل، ومنهم من يزيد فيه نعناعاً.

(**فأما ما يقتضي النزوع إلى الصفات الربوبية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحب المدح والثناء والعز والغنى وحب دوام البقاء وطلب الإستعلاء على الكافة**)، **فهذه** كلها من الصفات المختصة بالرب تعالى (**حتى كأنه يريد**) إذا اجتمعت فيه تلك الصفات (**أن يقول**) للناس: (**أنا ربكم الأعلى**) كما قاله فرعون، (**وهذا تتشعب منه جملة من كبير الذنوب**

يعدوها ذنوباً، وهي المهلكات العظيمة التي هي كالأمهات لأكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات.

الثانية: هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والأمر بالفساد والمنكر وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة إلى البدع والضلال.

الثالثة: الصفة البهيمية ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة وأكل مال الأيتام وجمع الحطام لأجل الشهوات.

الرابعة: الصفة السبعية، ومنها يتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال، ويتفرع عنها جمل من الذنوب، وهذه الصفات لها تدريج في الفطرة، فالصفة البهيمية هي التي تغلب أوّلاً ثم تتلوها الصفة السبعية ثانياً، ثم إذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية، ثم بالآخرة

غفل عنها الخلق ولم يعدوها ذنوباً وهي) في الحقيقة **(المهلكات العظيمة التي هي كالأمهات لأكثر المعاصي كما استقصيناه في ربع المهلكات)** وفيها من العموم طبقات.

(الثانية: هي الصفة الشيطانية التي منها يتشعب الحسد والبغي والحيلة والخداع والأمر بالفساد و) الإفساد **(والمنكر، وفيه يدخل الغش والنفاق والدعوة إلى البدع)** المنكرة **(والضلال)** وهي كبائر منها ما يذهب الإيمان وينبت النفاق، وست منها من كبائر البدع وهي تنغل عن المسألة القدرية والمرجئة والرافضة والإباحية والجهمية والساطخية والمعطلة.

(الثالثة: الصفة البهيمية: ومنها يتشعب الشره والكلب والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، ومنه يتشعب الزنا واللواط والسرقة وأكل مال الأيتام وجمع الحطام لأجل الشهوات).

(الرابعة:) هي **(الصفة السبعية: ومنها يتشعب الغضب والحقد)** والضغن **(والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال)** وهذه تتعلق بمظالم العباد في أمر الدنيا، **(وتتفرع عنها جمل من الذنوب)** مستكثرة كالكذب والبهتان وغيرهما. وهذه موبقات ولا بد فيها من القصاص بين يدي الله تعالى إلا أن يقع الإستحلال ويستوهبها الله من أربابها بكرمه ويعوّض المظلومين عليها في جناته بجوده، **(وهذه الصفات لها تدريج في)** أصل **(الفطرة، فالصفة البهيمية هي التي تغلب أولاً، ثم تتلوها)** الصفة **(السبعية ثانياً، ثم إذا اجتمعا استعملا العقل في الخداع والمكر والحيلة وهي الصفة الشيطانية، ثم بالآخرة تغلب الصفات الربوبية**

تغلب الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الاستيلاء على جميع الخلق. فهذه أمهات الذنوب ومنابعها ثم تتفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح، فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق وإضمار السوء للناس، وبعضها على العين والسمع، وبعضها على اللسان، وبعضها على البطن والفرج، وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع البدن، ولا حاجة إلى بيان تفصيل ذلك فإنه واضح.

قسمة ثانية: أعلم أن الذنوب تنقسم إلى ما بين العبد وبين الله تعالى وإلى ما يتعلق بحقوق العباد. فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم والواجبات الخاصة به وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتله النفس وغصبه الأموال وشتمه الأعراض وكل متناول من حق الغير، فإما نفس أو طرف أو مال أو عرض أو دين أو جاه، وتناول الدين بالإغواء والدعاء إلى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج أسباب الجراءة على الله تعالى كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالأمر فيه أغلظ، وما بين العبد وبين الله تعالى إذا لم يكن شركاً فالعفو فيه أرجى وأقرب، وقد جاء في الخبر، الدواوين ثلاثة: ديوان يغفر، وديوان لا يغفر، وديوان لا

وهي الفخر والعز والعلو وطلب الكبرياء وقصد الإستيلاء على جميع الخلق فهذه أمهات **الذنوب)** وأصولها **(ومنابعها، ثم تتفجر الذنوب)** بأنواعها **(من هذه المنابع على الجوارح، فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق وإضمار السوء للناس، وبعضها على العين والسمع، وبعضها على اللسان، وبعضها على البطن والفرج، وبعضها على اليدين والرجلين، وبعضها على جميع البدن، ولا حاجة إلى تفصيل ذلك فإنه واضح)** فهذه قسمة الذنوب بحسب الصفات.

(قسمة ثانية): للذنوب، **(اعلم)** هداك الله تعالى **(أن الذنوب تنقسم)** بالنظر الآخر **(إلى ما بين العبد وبين الله، وإلى ما يتعلق بحقوق العباد، فما يتعلق بالعبد خاصة كترك الصلاة والصوم)** والواجبات الخاصة به، **(وما يتعلق بحقوق العباد كتركه الزكاة وقتله النفس وغصبه الأموال وشتمه الأعراض وكل متناول من حقوق الغير، فأما** نفس أو **طرف أو مال أو عرض أو دين أو جاه وتناول الدين بالأغواء والدعاء إلى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج أسباب الجرأة على الله تعالى، كما يفعله بعض الوعاظ بتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما يتعلق بالعباد فالأمر فيه أغلظ)** وأشد، **(وما بين العبد وبين الله تعالى اذا لم يكن شركاً، فالعفو فيه أرجى وأقرب، وقد جاء في الخبر الدواوين ثلاثة)** جمع ديوان بالكسر وقد تفتح فارسي معرب قال في المغرب: وهو الجريدة

يترك: فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى، وأما الديوان الذي لا يغفر: فالشرك بالله تعالى وأما الديوان الذي لا يترك. فمظالم العباد، أي لا بد وأن يطالب بها حتى يعفى عنها.

قسمة ثالثة: اعلم أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، وقد كثر اختلاف الناس فيها، فقال قائلون لا صغيرة ولا كبيرة، بل كل مخالفة لله فهي كبيرة، وهذا ضعيف،

من دون الكتب إذا جمعها لأنها قطعة من دون القراطيس مجموعة؟ قال الطيبي: والمراد هنا صحائف الأعمال **(ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك، فالديوان الذي يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى)** من ترك صلاة وصوم وغيرهما مما أوجب الله عليه، فإنه تعالى كريم ومن شأن الكريم المسامحة. **(وأما الديوان الذي لا يغفر فالشرك بالله تعالى)** ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة **(وأما الديوان الذي لا يترك فمظالم العباد)** بعضهم بعضاً **(أي لا بدّ وأن يطالب بها حتى يعفي عنها)** قال العراقي: رواه أحمد والحاكم وصححه من حديث عائشة، وفيه صدقة بن موسى الدقيقي ضعفه ابن معين وغيره، وله شاهد من حديث سلمان رواه الطبراني وهو منكر قاله الذهبي انتهى.

قلت: ورواه أحمد، والحاكم من طريق صدقة بن موسى، عن عمران الجوني، عن يزيد بن بابنوس، عن عائشة. وقد رد الذهبي على الحاكم تصحيحه وقال: صدقة بن موسى ضعفه الجمهور، ويزيد بن بابنوس فيه جهالة ولفظها جميعاً: الدواوين يوم القيامة ثلاثة فديوان لا يغفر الله منه شيئاً وديوان لا يعبأ الله به شيئاً وديوان لا يترك الله منه شيئاً، فأما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئاً فالإشراك بالله قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨] وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أو صلاة تركها، فإن الله يغفر ذلك إن شاء أن يتجاوز وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فمظالم العباد بينهم القصاص لا محالة.

(قسمة ثالثة للذنوب: اعلم) هداك الله تعالى **(أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر، وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال قائلون: لا صغيرة ولا كبيرة بل كل مخالفة لله تعالى)** مما نهى عنه، **(فهي كبيرة)** وهذا مذهب ابن عباس وتبعه جماعة منهم: أبو إسحاق الأسفرايني، وأبو بكر الباقلاني، وإمام الحرمين في الإرشاد، والقشيري في المرشدة، بل حكاه ابن فورك عن الأشاعرة، واختاره في تفسيره فقال: معاصي الله عندنا كلها كبائر، وإنما يقال لبعض صغيرة وكبيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها، ثم أول الآية الآتية: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ الآية بما ينبوعنه ظاهرها وقال المعتزلة الذنوب على ضربين صغائر وكبائر، وهذا ليس بصحيح انتهى.

إذ قال تعالى: ﴿إنْ تَجْتَنِبُوا كبائِرَ مَا تُنْهونَ عنهُ نكفِّرْ عنكُم سيئاتُكم ونُدخِلْكم مدخلاً كريماً﴾ [النساء: ٣١] وقال تعالى: ﴿الذينَ يجتنبُونَ كبائِرَ الإثمِ والفواحِشَ إلاَّ اللَّمم﴾ [النجم: ٣٢] وقال ﷺ: « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة يكفرن ما بينهن إن اجتنبت الكبائر ». وفي لفظ آخر: « كفارات لما بينهن إلا الكبائر ». وقد

وربما ادعى في موضع إتفاق الأصحاب على ما ذكره واعتمد ذلك التقي السبكي. قال القاضي عبد الوهاب: لا يمكن أن يقال في معصية أنها صغيرة إلا على معنى أنها تصغر باجتناب الكبائر، **(وهذا)** القول **(ضعيف)** ويعتذر بأنهم إنما قالوا ما قالوا نظراً إلى عظمة من عصى الرب فكرهوا تسمية معصية الله صغيرة مع اتفاقهم في الحرج على أنه لا يكون بمطلق المعصية، فالخلف لفظي يرجع المطلق القسمة. ثم بين المصنف وجه ضعف هذا القول فقال: **(إذ قال تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾)** قال السدي أي الصغار **(وندخلكم مدخلاً كريماً)** قال قتادة: أي الجنة. **(وقال تعالى: ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾)** أي الصغائر، ففي الآيتين دليل على تقسيم الذنوب إلى صغار وكبائر، وفي الحديث: « إن تغفر اللهم تغفر جما، وأي عبد لك ما ألماً ».

(وقال ﷺ: « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة) فالمضاف محذوف أي صلاة الجمعة منتهية إلى الجمعة **(تكفر ما بينهن)** من الصغائر **(إن اجتنبت الكبائر »)** شرط جزاء دل عليه ما قبله. قال النووي: معناه أن الذنوب كلها تغفر إلا الكبائر فلا تغفر لا أن الذنوب تغفر ما لم تكن كبيرة، فإن كانت لا تغفر صغائره ثم كل من المذكورات صالح للتكفير، فإن لم تكن له صغائر كتب له حسنات ورفع له درجات والحديث قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة انتهى.

قلت: هذا لفظ ابن حبان، والطبراني من حديث أبي بكرة إلا أنهما قالا: « كفارات لما بينهن ما اجتنبت » والباقي سواء ويقرب من ذلك لفظ الترمذي من حديث أبي هريرة « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » وأما لفظ مسلم ففيه زيادة « ورمضان إلى رمضان » والباقي كسياق الترمذي، وهكذا هو عند أحمد، وفي رواية لمسلم: « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن ما لم تفش » وزاد ابن ماجه من حديث أبي أيوب بعد قوله إلى الجمعة « وأداء الأمانات كفارات لما بينها » قيل: وما أداء الأمانة؟ قال: « الغسل من الجنابة فإن تحت كل شعرة جنابة ». وهكذا رواه محمد بن نصر، والشاشي، والطبراني، والسراج في مسنده، والبيهقي، وابن عساكر والضياء.

(وفي لفظ آخر: « كفارات لما بينهن إلا الكبائر ») رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس بلفظ: « الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر والجمعة إلى الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ». وهنا إشكال صعب أورده ابن بزيزة، وهو أن الصغائر بنص القرآن مكفرة باجتناب

قال ﷺ فيما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص: « الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس »، واختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع إلى إحدى عشرة فما فوق ذلك، فقال ابن مسعود: هن أربع. وقال ابن عمر: هن سبع. وقال عبدالله بن عمرو: هن تسع. وكان ابن عباس إذا بلغه قول ابن

الكبائر، فما الذي تكفره الصلوات؟ وأجاب عنه البلقيني بأن معنى أن تجتنبوا الموافاة على هذه الحال من الإيمان أو التكليف إلى الموت، والذي في الحديث: « إن الصلوات الخمس تكفر ما بينها إلا في يومها إذا اجتنبت الكبائر في ذلك اليوم » فالسؤال غير وارد، وبفرض وروده فالتخلص منه أنه لا يتم اجتناب الكبائر إلا بفعل الخمس، فمن لم يفعل لم يجتنب لأن تركها من الكبائر فيتوقف التكفير على فعلها، وأحوال المكلف بالنسبة لما يصدر منه من صغيرة وكبيرة خمسة.

أحداها: أن لا يصدر منه شيء فهذا ترفع درجاته.

الثانية: يأتي بصغائر بلا إصرار فهذا يكفر عنه حزماً.

الثالثة: مثله لكن مع الإصرار فلا يكفر لأن الإصرار كبيرة.

الرابعة: يأتي بكبيرة واحدة وصغائر.

الخامسة: يأتي بكبائر وصغائر وفيه نظر يحتمل إذ لم يجتنب أن تكفر الصغائر فقط، والأرجح لا تكفر إذ مفهوم المخالفة إذا لم تتعين جهته لا يعمل به والله أعلم.

(وقد قال ﷺ فيما رواه عبدالله بن عمرو) بن العاص رضي الله عنهما **(« الكبائر الإشراك بالله)** وذلك بأن يتخذ مع الله إلهاً غيره **(وعقوق الوالدين)** الأصليين المسلمين وإن علياً **(وقتل النفس)** التي حرمها الله إلا بالحق كالقصاص والقتل بالردة والرجم **(واليمين الغموس »)** والواو في الثلاثة للعطف على السياق. قال العراقي: رواه البخاري.

قلت: ورواه كذلك أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وعند بعضهم: « أو قتل النفس » شك شعبة. فهذه الآيات والأخبار دالة على انقسام الكبائر في عظمها إلى كبير وأكبر وأخذ منها ثبوت الصغيرة لأن الكبائر بالنسبة إليها أكبر منها، ولذلك قال المصنف: لا يليق إنكار الفرق بين الكبائر والصغائر وقد عرف من تدارك الشرع، **(واختلفت الصحابة)** رضوان الله عليهم **(والتابعون)** لهم **(في عدد الكبائر من أربع إلى سبع إلى تسع إلى إحدى عشرة فما فوق ذلك. فقال ابن مسعود)** رضي الله عنه: **(هي أربع)**: الإشراك بالله، واليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله. رواه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في التوبة، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني. **(وقال)** عبدالله **(بن عمر)** بن الخطاب رضي الله عنهما: **(هي سبع)** الإشراك بالله، وقذف المحصنة، وقتل النفس المؤمنة، والفرار من الزحف، والسحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم. أخرجه علي بن الجعد في الجعديات، والبيهقي

عمر : الكبائر سبع ، يقول: هن إلى سبعين أقرب منها إلى سبع ، وقال مرة: كل ما نهى

عن طيلسة قال: سألت ابن عمر عن الكبائر فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « هي سبع » فذكره.

وقد روي نحو ذلك عن أبي هريرة « اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق والسحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ». رواه الشيخان، وأبو داود ، والنسائي، وابن أبي حاتم.

ويروى عنه أيضاً : « الكبائر سبع أولها الإشراك بالله ثم قتل النفس بغير حقها وأكل الربا وأكل مال اليتيم إلى أن يكبر والفرار من الزحف ورمي المحصنات والإنقلاب إلى الإعراب بعد الهجرة » هكذا رواه البزار ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم.

وأما لفظ حديث أبي سعيد : « الكبائر سبع الإشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وقذف المحصنة والفرار من الزحف وأكل الربا وأكل مال اليتيم والرجوع إلى الأعرابية بعد الهجرة ». ورواه الطبراني في الأوسط.

وأما حديث ابن عمر فلفظه: « هي عقوق الوالدين والإشراك بالله وقتل النفس وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وأكل الربا ». رواه ابن المنذر ، والطبراني، وابن مردويه.

(وقال عبدالله بن عمرو) بن العاص: **(هي تسع)** هكذا في القوت وهي: « الإشراك بالله، وقتل النسمة يعني بغير حق، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والذي يستسحر وإلحاد في المسجد الحرام، وبكاء الوالدين من العقوق » رواه البخاري في الأدب المفرد، وابن راهويه، وعبد بن حميد، وابن جرير، والقاضي إسماعيل في احكام القرآن، وابن المنذر بسند حسن كلهم من طريق طيلسة. قالوا عن ابن عمر ولم يقولوا عن ابن عمرو.

وقد روي مثله عن عبيد بن عمير الليثي عن أبيه رفعه: « الكبائر تسع أعظمهن الإشراك بالله، وقتل النفس بغير حق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، واستحلال البيت الحرام قبلتكم إحياء وأمواتاً » رواه أبو داود، والنسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي. **(وكان ابن عباس إذا بلغه قول ابن عمر)** رضي الله عنه: **(الكبائر سبع: يقول هي إلى سبعين أقرب منها إلى سبع)** رواه عبد الرزاق، وعبد بن حميد. ويروى عن سعيد بن جبير: أن رجلاً سأل ابن عباس كم الكبائر سبع هي؟ قال: إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع غير أنه لا كبيرة مع الإستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار. أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. **(وقال مرة)** يعني ابن عباس في حد الكبيرة: **(كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة)** ورواه عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والطبراني والبيهقي في الشعب من طرق عنه. وأخرج ابن جرير عن أبي الوليد قال: سألت ابن

الله عنه فهو كبيرة. وقال غيره: كل ما أوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر. وقال بعض السلف: كل ما أوجب عليه الحد في الدنيا فهو كبيرة، وقيل: إنها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة. وقال ابن مسعود لما سئل عنها: اقرأ من أوّل

عباس عن الكبائر قال: كل شيء عصي الله به فهو كبيرة. **(وقال غيره)** من السلف **(كل ما أوعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر)** وهذا القول أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس. وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: كل ذنب نسبه الله إلى النار فهو من الكبائر. وأخرج عن الضحاك قال: الكبائر كل موجبة أوجب الله لأهلها النار. وأخرج عن ابن عباس قال: كل ذنب حتمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب، في الروضة وأصلها الكبيرة ما لحق صاحبها بخصوصها وعيد شديد بنص كتاب أو سنة وحذف بعض المتأخرين تقييد الوعيد بكونه شديداً، وكأنه نظر إلى أن كل وعيد من الله تعالى لا يكون إلا شديداً فهو من الوصف اللازم وخرج بالخصوص ما اندرج تحت عموم فلا يكفي ذلك في كونه كبيرة بخصوصه **(وقال بعض السلف: كل ما أوجب الله عليه الحد في الدنيا)** كزنا ولواط وشرب خمر وإن قل ولم يسكر ونبيذ ولم يعتقد حله وسرقة وقذف، فهذه فيها حدود والصغائر عندهم من اللمم وهو ما لا حدّ فيه وما لم يتهدد بالنار عليه. قال صاحب القوت: وقد روي هذا عن أبي هريرة وغيره اهـ.

قلت: وبه قال البغوي وغيره. قال الرافعي: وهذان الوجهان في حد الكبيرة أكثر ما يوجد لهم وهم إلى ترجيح هذا أميل، ولكن غير موافق لما ذكروه في تفصيل الكبائر لأنهم نصوا على كبائر كثيرة ولا حدّ فيها كأكل الربا ومال اليتيم والحقوق وقطع الرحم والسحر والنميمة وشهادة الزور والسعاية والقوادة والديائة وغيرها. وبهذا يعلم أن الحد الأول منهما أصح من الثاني وإن قال الرافعي: إنهم إلى ترجيحه أميل، وأخذ صاحب الحاوي الصغير وغيره أنه الراجح فجزم به. وقال الأذرعي في القوت: عجيب قول الشيخين إن الأصحاب إلى الثاني أميل وهو في غاية البعد اهـ. لكن إذا أول على أن مراد قائله ما هو المنصوص عليه، لكن بعيد على أنه يرد على الحد الأول أيضاً بعض ما علم أنه كبيرة ولم يرد فيه وعيد شديد، وقد عدّ العز بن عبد السلام في قواعده أنواعاً من الكبائر اتفاقاً مع أنه لم يرد فيها نص.

(وقيل: إنها مبهمة لا يعرف) حقيقة **(عددها، كليلة القدر وساعة يوم الجمعة)** والصلاة الوسطى ليكون الناس على خوف ورجاء، فلا يقطعون بشيء ولا يسكنون إلى شيء كذا في القوت، واعتمده الواحدي في البسيط فقال: الصحيح أن الكبيرة ليس لها حدّ تعرفها العباد به، وإلا اقتحم الناس الصغائر واستباحوها، ولكن الله عز وجل أخفى ذلك عن العباد ليجتهدوا في اجتناب النهي عنه رجاء أن يجتنبوا الكبائر ونظائره إخفاء الصلاة الوسطى وليلة القدر وساعة الإجابة ونحو ذلك اهـ.

وليس كما قال بل الصحيح أن لها حداً معلوماً، ونقل بعضهم عن الواحدي هذه المقالة، لكن

سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية منها عند قوله: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ [النساء: ٣١] فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة إلى هنا فهو كبيرة. وقال أبو طالب

على وجه يخفي به الإعتراض عليه، فقال قال الواحدي: المفسر الكبائر كلها لا تعرف أي لا تنحصر. قالوا: لأنه ورد وصف أنواع من المعاصي بأنها كبائر وأنواع أنها صغائر وأنواع لم توصف بشيء منها. وقال الأكثرون: إنها معروفة واختلفوا هل تعرف بحد وضابط أو بالعد اهـ.

وكل ما سبق من الحدود ومما سيأتي منها للمتأخرين إنما قصدوا التقريب فقط، وإلا فهي ليست بحدود جامعة، وكيف يمكن ضبط ما لا مطمع في ضبطه، وذهب آخرون إلى تعريفها بالعد من غير ضبطها بالحد، **(و)** قد **(قال ابن مسعود)** رضي الله عنه فيها قولاً حسناً من طريق الإستنباط **(لما سئل عنها أقرأ من أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية منها عند قوله: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه)** نكفر عنكم سيئاتكم﴾ **(فكل ما نهى الله عنه في هذه السورة إلى هنا فهي كبيرة)** فاشبه هذا استدلال قول ابن عباس في استنباط ليلة القدر أنها ليلة سبع وعشرين من كون قوله تعالى هي سبعاً وعشرين كلمة قال صاحب القوت بعد أن نقل القول الأول وهو الإبهام، وهذا القول والله أعلم بحقيقة هذين القولين اهـ.

قلت: وقد استنبط ابن عباس أيضاً ليلة القدر أنها ليلة سبع وعشرين أنه عدّ حروف ليلة القدر وقد ذكرت ثلاث مرات في السورة كل كلمة منها تسعة أحرف فهي سبع وعشرون حرفاً من ضرب ثلاثة في تسعة، وأما قول ابن مسعود السابق فأخرجه عبد بن حميد، والبزار، وابن جرير عنه أنه سئل عن الكبائر فقال: ما بين أول سورة النساء إلى رأس ثلاثين آية منها. وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم قال: الكبائر من أول سورة النساء إلى قوله: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ وأخرج عبد بن حميد أنه سئل عن الكبائر فقال: افتحوا سورة النساء فكل شيء نهى الله عنه حتى تأتوا ثلاثين آية فهو كبيرة، ثم قرأ مصداق ذلك ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ من أول السورة إلى حيث بلغه. وقد روي ذلك أيضاً عن إبراهيم النخعي قال: كانوا يرون أن الكبائر فيما بين أول هذه السورة سورة النساء إلى هذا الموضع ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ أخرجه عبد بن حميد، وابن جرير.

فصل

وقد بقي من حدود الكبيرة ما لم يذكرها المصنف هنا فنقول، قال إمام الحرمين: كل جريمة على ما نقله الرافعي وعبارة إرشاده جريرة وهي بمعناها تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين، ورقة الديانة مبطلة للعدالة وكل جريمة أو جريرة لا تؤذن بذلك بل لسبق حسن الظن ظاهراً بصاحبها لا تحبط العدالة. قال: وهذا أحسن ما يتميز به أحد الضدين عن الآخر اهـ.

....

وقد تابعه القشيري في الرسالة، واختاره الإمام السبكي وغيره وفي معناه قوله: في نهايته الصادر من الشخص إن دل على الإستهانة بالدين فهو كبيرة، وإن صدر عن فلتة خاطر أو لقلة ناظر فصغيرة، ومعنى قوله لا بالدين أي لا بأصله، فإن الإستهانة بأصله كفر، ومن ثم عبّر في الأصول بقلة اكتراث ولم يقل بعدم اكتراث، والكفروان كان أكبر الكبائر فالمراد تفسير غيره بما يصدر من المسلم قال البزماوي: ورجح المتأخرون مقالة الإمام لحسن الضبط بها قياساً اهـ. وكأنه لم ير منازعة الأذرعي فيما قاله الإمام فإنه قال: وإذا تأملت بعض ما عدّ من الصغائر توقفت فيما أطلقه اهـ وكأنه أخذ ذلك من اعتراض ابن أبي الدم ضابط النهاية بأنه مدخول على أنك إذا تأملت كلام الإمام الأول ظهر لك أنه لم يجعل ذلك حداً للكبيرة خلافاً لمن فهم منه ذلك لأنه يشمل صغائر الخسة وليست بكبائر، وإنما ضبط ما يبطل العدالة من المعاصي الشامل لصغائر الخسة. نعم هذا الحد اشمل من التعريفين المتقدمين على سائر مفردات الكبائر، ولكنه غير مانع لما علمت أنه يشمل صغائر الخسة وغيرها. وقال في الخادم نقلاً عن الرافعي: التحقيق أن كل واحد من هذه الأوجه اقتصر على بعض أنواع الكبيرة، وأن مجموع هذه الأوجه يحصل به ضابط الكبيرة اهـ.

ولهذا قال الماوردي في حاويه: الكبيرة ما أوجب الحد أو توجه عليه الوعيد. وقال ابن عطية: كل ما وجب فيه أو ورد فيه توعد بالنار أو جاءت فيه لعنة ونحوه عن ابن الصلاح، واعترض قول الإمام: وكل جريمة لا تؤذن بذلك الخ بأن من أقدم على غصب ما دون نصاب السرقة أتى بصغيرة ولا يحسن في نفوس الناس الظن به، وكان القياس أن يكون كبيرة، وكذلك قبلة الأجنبية صغيرة ولا يحسن في نفوس الناس الظن بفاعلها، ويجاب بأن كون هذين صغيرتين إنما هو على قول جمع، وأما على مقابلة أنهما كبيرتان فلا اعتراض، وإنما يحسن أن لو اتفقوا على صغيرة، وأنها مما يسوء ظن أكثر الناس بفاعلها.

فصل

ومن حدود الكبيرة أنها كل فعل نص الكتاب على تحريمه أو بلفظ التحريم وهو أربعة أشياء أكل لحم الميتة والخنزير ومال اليتيم ونحوه والفرار من الزحف ورد بمنع الحصر في الأربعة.

فصل

ومن حدود الكبيرة ما قاله المصنف في بعض كتبه، كل معصية يقدم المرء عليها من غير استشعار خوف ووجد إن ندم تهاوناً واستجراء عليها فهي كبيرة، وما يحمل على فلتات النفس ولا ينفك عن ندم يمتزج بها وينقص التلذذ بها فليس بكبيرة، واعترضه العلائي بأنه بسط لعبارة الإمام وهو مشكل جداً إن كان ضابطاً للكبيرة من حيث هي، إذ يرد عليه من ارتكب نحو الزنا

....

نادماً عليه فقضيته أنه لا تنخرم به عدالته ولا يسمى كبيرة حينئذ وليس كذلك اتفاقاً وإن كان ضابطاً كما هو المنصوص عليه فهو قريب اهـ.

قال الجلال البلقيني: كان العلائي فهم أن كل من يذكر حداً يدخل المنصوص وهو ممنوع، وضابط الغزالي إنما هو لما عدا المنصوص عليه فهو قريب. وقد ذكر العلائي نفسه إن الحدود إنما هي لما عدا المنصوص عليه.

فصل

ومن حدود الكبيرة: قول العز بن عبد السلام: الأولى ضبط الكبيرة بما يشعر بتهاون مرتكبها بدينه إشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها. قال: فإذا أردت الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبيرة المنصوص عليها، فإن نقصت عن أقل الكبائر فهي صغيرة وإلا فهي كبيرة اهـ.

واعترض الأذرعي فقال: وكيف السبيل إلى الإحاطة بالكبائر المنصوص عليها حتى ينظر في أقلها مفسدة ويقيس بها مفسدة الذنب الواقع هذا متعذر اهـ.

قال الجلال البلقيني: ولا تعذر في ذلك إذا جمع ما صح من الأحاديث في ذلك، إلا أن الإحاطة بمفاسدها حتى يعلم أقلها مفسدة في غاية الندور والإستحالة إذ لا يطلع على ذلك إلا الشارع ﷺ، ثم قال ابن عبد السلام بعد ما ذكر: وكذلك من أمسك امرأة محصنة لمن يزني بها أو أمسك مسلماً لمن يقتله، فلا شك أن مفسدته أعظم من مفسدة مال اليتيم، وكذلك لو دلّ الكفار على عورة المسلمين مع علمه بأنهم يستأصلونهم بدلالته ويسبون حريمهم وأطفالهم ويغنمون أموالهم، فإن نسبة هذه المفاسد أعظم من التولي يوم الزحف بغير عذر، وكذلك لو كذب على إنسان وهو يعلم أنه يقتل بسبب كذبه وأطال في ذلك إلى أن قال: وقد ضبط بعض العلماء الكبائر بأن كل ذنب قرن به وعيد أو حد أو لعن فهو من الكبائر، فتغيير منار الأرض أي طرقها كبيرة لاقتران اللعن به، فعلى هذا كل ذنب يعلم أن مفسدته كمسفدة ما قارن به الوعيد أو اللعن أو الحد أو كان أكثر من مفسدته فهو كبيرة اهـ.

قال ابن دقيق العيد: وعلى هذا فيشترط أن لا توجد المفسدة مجردة عما يقترن بها من أمر آخر، فإنه قد يقع الغلط في ذلك ألا ترى أن السابق إلى الذهن في مفسدة الخمر إنما هو السكر وتشويش العقل، فإن أخذنا بمجرده لزم أن لا يكون شرب القطرة الواحدة منه كبيرة لخلوها عن المفسدة المذكورة لكنها كبيرة لمفسدة أخرى وهو التحري عن الشرب الكثير الموقع في المفسدة، فبهذا الإقتران يصير كبيرة.

المكي: الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الأخبار، وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم؛ أربعة في القلب وهي الشرك بالله، والإصرار على معصيته، والقنوط من رحمته، والأمن من مكره. وأربع في اللسان، وهي: شهادة الزور، وقذف المحصن، واليمين الغموس ـ وهي التي يحق بها باطلاً أو يبطل بها حقاً، وقيل هي التي يقتطع بها مال امريء مسلم باطلاً ولو سواكاً من أراك. وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في النار ـ والسحر. وهو كل كلام يغير الإنسان وسائر الأجسام عن

فصل

ومن حدود الكبيرة ما اختاره ابن الصلاح في فتاويه الكبيرة: كل ذنب عظم عظماً يصح أن يطلق عليه اسم الكبيرة ويوصف بكونه عظيماً على الإطلاق، وعليها أمارات منها إيجاب الحد، ومنها الإيعاد عليه بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب أو السنة، ومنها وصف فاعلها بالفسق، ومنها اللعن اهـ.

ولخصه البارزي في تفسير الحاوي فقال: والتحقيق أن الكبيرة كل ذنب قرن به وعيد أو لعن بنص كتاب أو سنة أو علم أن مفسدته كمفسدة ما قرن به وعيد أو حد أو أكثر من مفسدته أو أشعر بتهاون مرتكبه في دينه إشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها من ذلك لو قتل من يعتقد براءته فظهر أنه مستحق لدمه، أو وطيء امرأة ظاناً أنه زان بها، فإذا هي زوجته أو أمته. ولنرجع لشرح كلام المصنف، وقد تقدم أن ما قالوه في حدودها إنما هو على سبيل التقريب فقط، وأن بعضهم ضبطها بالعد دون الحد.

(وقال أبو طالب) محمد بن علي بن عطية الحارثي **(المكي)** رحمه الله تعالى في كتاب قوت القلوب بعد أن نقل أقوال من قال أنها خمس أو سبع أو أكثر أو أقل قال: وكان عبد الرزاق يقول: الكبائر إحدى عشرة، وهذا أكثر ما قيل في جملة عددها مجملاً ثم قال: والذي عندي في جملة ذلك مجتمعاً من التفرق: **(الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الأخبار)** الواردة بلفظ الكبائر وبلفظ أكبر الكبائر، **(وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر)** وهم العبادلة الثلاثة **(وغيرهم)** رضي الله عنهم ـ كما سيأتي بيان ذلك تفصيلها ـ **(أربعة في القلب)** أي من أعمال القلوب **(هي الشرك بالله)** تعالى، **(والإصرار على معصيته، والقنوط من رحمته، والأمر من مكره. وأربعة في اللسان)** أي من أعماله **(وهي شهادة الزور، وقذف المحصن)** وهو الحر البالغ المسلم، **(واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطل أو يبطل بها حق. وقيل هي التي يقتطع بها مال امرىء مسلم باطلاً)** ولفظ القوت ظلماً **(ولو)** كان ذلك المقتطع **(سواكاً من أراك)** إشارة إلى حقارته **(و)** إنما **(سميت غموساً لأنها تغمس صاحبها)** في غضب الله تعالى، وقيل **(في النار والسحر)** فكسر فسكون **(وهو كل)** ما كان من **(كلام)** أو فعل **(يغير الإنسان وسائر الأجسام)** عن أعيانها وينقل المعاني **(عن**

موضوعات الخلقة. وثلاث في البطن: وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا وهو يعلم. واثنتان في الفرج وهما: الزنا واللواط. واثنتان في اليدين وهما: القتل والسرقة. وواحدة في الرجلين: وهي الفرار من الزحف الواحد من اثنين والعشرة من العشرين. وواحدة في جميع الجسد وهي عقوق الوالدين، قال: وجملة عقوقهما أن يقسما عليه في حق فلا يبر قسمهما، وإن سألاه حاجة فلا يعطيهما، وأن يسباه فيضربهما، ويجوعان فلا يطعمهما: هذا ما قاله وهو قريب، ولكن ليس يحصل به تمام

موضوعات الخلقة) التي خلقت لها والسحرة هي النفاثات في العقد الذين أمر الله تعالى بالإستعاذة منهم. **(وثلاثة في البطن وهي: شرب الخمر، والمسكر من كل شراب)** أسكر ولفظ القوت شرب الخمر والمسكر من الأشربة **(وأكل مال اليتيم ظلماً وأكل الربا وهو يعلم، وإثنتان في الفرج وهما الزنا واللواط)** في الإدبار، **(وإثنتان في اليدين وهما القتل والسرقة، وواحدة في الرجلين وهي الفرار من الزحف الواحد من إثنين والعشرة من العشرين)** غير متحيزة إلى فئة ولا ممتد لكرة، **(وواحدة في جميع الجسد وهي عقوق الوالدين قال: وجملة عقوقها)** ولفظ القوت وتفسير العقوق جلة **(أن يقسما عليه في حق فلا يبرّ قسمهما وأن يسألاه)** في **(حاجة فلا يعطيهما)** وأن يؤمناه فيخونهما وأن يجوعا فيشبع ولا يطعمهما، **(وأن يسباه فيضربهما)** وذكر وهب بن منبه أصل البر بالوالدين في التوراة أن تقي ما لهما بمالك وتوفر ما لهما وتطعمهما من مالك، وأصل العقوق أن تقي مالك بمالهما وتوفر مالك وتأكل مالهما **(هذا ما قاله)** أبو طالب المكي رحمه الله تعالى.

قال ابن حجر في شرح الشمائل وعقوق الوالدين أو أحدهما وجمعهما لأن عقوق أحدهما يستلزم عقوق الآخر أو يجر إليه من العق وهو لغة القطع والمخالفة، وإما شرعاً فقيل: ضابطه أن يعصيه في جائز وليس هذا الإطلاق بمرضي والذي آل إليه أمر أئمتنا بعد طول البحث أن ضابطه أن يفعل معه ما يتأذى به تأذياً ليس بالهين، لكن هل المراد بقولهم ليس بالهين بالنسبة للوالد حتى أن من تأذى به كثيراً وهو عرفاً بخلاف ذلك كبيرة، أو بالنسبة للعرف فما عدّه أهله مما يتأذى به كثيراً ليس بكبيرة، وإن تأذى به كثيراً كل محتمل ولم يبينوه، والذي يظهر أن المراد الثاني بدليل أنه لو أمر ولده بنحو فراق حليلته لم تلزمه طاعته وإن تأذى بذلك كثيراً.

تنبيه:

وقد تقدم عن ابن عباس أن الكبائر إلى السبعمائة أقرب، وفي رواية إلى السبعين والقول الأول أكثر ما قيل فيه. وصنف الديلمي من الشافعية جزءاً ذكر فيه أكثر من أربعين، وصنف العلائي جزءاً فيه خمسة وعشرين من مجموع ما جاء في الأحاديث منصوصاً عليه أنه كبيرة، وزاد عليه الجلال البلقيني أشياء كثيرة، وكنت قد أمليت في زاوية القطب أبي محمود الحنفي قدس سره نيفاً وتسعين كبيرة مرتبة على حروف التهجي مع بيان حقائقها وحدودها وذكر ابن حجر منها في

....

شرح الشمائل جملة سردها إجمالاً، وفي كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر تفصيلاً فأوصلها في الباب الأول منه إلى ستة وستين كبيرة، وفي الباب الثاني منه إلى أربعمائة وسبع وستين كبيرة، ورتبها على ترتيب كتب الفقه وبرهن عليها بالآيات والأخبار، فهو أجمع كتاب في هذا الباب، وقد سبقه إلى ذلك الحافظ الذهبي فأورد جملة منها في كتاب ولم يرتب ولا حاجة إلى تعداد ما أورده لما فيه من التطويل الممل، وإنما ذكر هنا بيان ما ذكره صاحب القوت واستنبطه من الأخبار مع زيادة عليه، فالأربعة منها في حديث عبدالله بن عمرو وقد تقدم للمصنف، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا: يا رسول الله ما هي؟ قال: « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » ولهما من حديث أبي بكرة: « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور - أو قال وقول الزور ». ولهما من حديث أنس: سئل عن الكبائر. قال: « الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين » وقال: « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قال قول الزور أو قال شهادة الزور » ولهما من حديث ابن مسعود، سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » قلت: ثم أي؟ قال: « إن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » قلت: ثم أي؟ قال: « أن تزاني حليلة جارك ». وللطبراني من حديث سلمة بن قيس « إنما هي أربع لا تشركوا بالله شيئاً ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا » وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت: « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا » وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس: « الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر ». وفيه موقوفاً على عبدالله بن عمر « وأعظم الكبائر شرب الخمر » وكلاهما ضعيف وللبزار من حديث ابن عباس بإسناد حسن أن رجلا قال: يا رسول الله ما الكبائر » قال: « الشرك بالله واليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله ». وله من حديث بريدة: « أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين ومنع فضل الماء ومنع الفحل » وفيه صالح ابن حيان ضعفه ابن معين والنسائي وغيرهما، وله من حديث أبي هريرة: « الكبائر أولهن الإشراك بالله » وفيه الإنتقال إلى الإعراب بعد هجرته، وفيه خالد بن يوسف السمين ضعيف، وللطبراني في الكبير من حديث سهل بن أبي حتمة في الكبائر والتعرب بعد الهجرة، وفيه ابن لهيعة. وله في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري « الكبائر تسع » وفيه رجوع إلا الإعرابية بعد الهجرة، وفيه أبو بلال الأشعري ضعفه الدارقطني وللحاكم من حديث عبيد بن عمير عن أبيه « الكبائر تسع » فذكر منها « واستحلال البيت الحرام ». وللطبراني من حديث واثلة « من أكبر الكبائر أن يقول الرجل على ما لم أقل » وله أيضاً من حديثه: « إن من أكبر الكبائر أن ينتفي الرجل من والده ». ولمسلم من حديث جابر « بين الرجل وبين الإشراك والكفر ترك الصلاة » ولمسلم من حديث عبدالله بن عمر « ومن الكبائر شتم الرجل والديه ». ولأبي داود من حديث سعيد بن زيد « من أربى الربا الإستطالة في عرض المسلم بغير حق ».

....

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس أنه مر ﷺ على قبرين فقال: « إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وأنه لكبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله » الحديث. ولأحمد في هذه القصة من حديث أبي بكرة « أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس » الحديث. ولأبي داود والترمذي من حديث أنس « عرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها » وقال الترمذي: غريب. وروي ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة من حديث ابن عباس « لا صغيرة مع إصرار » وفيه أبو شيبة الخراساني يعرف به، والحديث منكر فهذه المرفوعات.

وأما الموقوفات؛ فروى الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود وقال: الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله.

وروى البيهقي فيه عن ابن عباس قال: الكبائر الإشراك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف وأكل الربا والسحر والزنا واليمين الغموس الفاجرة والغلول ومنع الزكاة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وشرب الخمر وترك الصلاة متعمداً وإيتاء الزكاة مما فرضها الله ونقض العهد وقطيعة الرحم.

وروي ابن أبي الدنيا في التوبة عن ابن عباس قال: كل ذنب أصر العبد عليه كبير. وفيه الربيع بن صبيح مختلف فيه.

وروي الديلمي عن أنس قوله: لا صغيرة مع الإصرار، وإسناده جيد قال العراقي بعد أن ساق هذه العبارة: فقد اجتمع من الموقوفات والمرفوعات ثلاثة وثلاثون أو إثنان وثلاثون إلا أن بعضها لا يصح إسناده كما تقدم، وإنما ذكرت الموقوفات حتى يعلم ما ورد في الموقوفات اهـ.

قلت: وفي الموقوفات عن ابن سيرين قال: سألت عبيدة السلماني عن الكبائر فقال: الإشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله بغير حقها وفرار يوم الزحف وأكل مال اليتيم بغير حقه وأكل الربا والبهتان، ويقولون إعرابية بعد الهجرة قيل لابن سيرين: والسحر؟ قال: إن البهتان يجمع شراً كثيراً أخرجه ابن جرير. وعن الإوزاعي قال: يقال من الكبائر أن يعمل الرجل الذنب فيحتقره. أخرجه ابن أبي الدنيا في التوبة، والبيهقي في الشعب وعن مغيرة قال: كان يقال شتم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الكبائر. أخرجه ابن أبي حاتم، ويزاد على هذا مما استنبط من الأخبار نكث الصفقة وترك السنة والتسبب إلى شتم الوالدين والإصرار في الوصية والإلحاد في البيت وهو غير استحلاله كما هو ظاهر لصدقة بفعل معصية فيه ولو سراً وسوء الظن بالله والجمع بين الصلاتين لغير عذر وقطيعة الرحم والمن بالعطية واعتباد الحر وتغيير منار الأرض وإيواء المحدث والذبح لغير الله والدياثة والقيادة، وغير ذلك مما أورده ابن حجر في الزواجر.

الشفاء، إذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه، فإنه جعل أكل الربا ومال اليتيم من الكبائر، وهي جناية على الأموال، ولم يذكر في كبائر النفوس إلا القتل، فأما فقء العين وقطع اليدين وغير ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأنواع العذاب فلم يتعرض له، وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع أطرافه لا شك في أنه أكبر من أكل ماله، كيف وفي الخبر: « من الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم »، وهذا زائد

تنبيه:

الفرد المطلق هو الكفر، فقد قال الله تعالى: ﴿إن الشرك الظلم عظيم﴾ [لقمان: ١٣] ولهذا لا يغفر بالإجماع، فحينئذ وقوع لفظ الكبيرة جمعاً في الآيات والأخبار لتنوعه كعبادة الصنم والشمس والقمر وكفر اليهود والنصارى والمجوس وأمثالهم، أو لتعدد المخاطب فوقع مقابلة الجمع بالجمع، أو لأن كفر زيد غير كفر عمرو. وقال ابن حجر في شرح الشمائل: إدعاء أن الأكبر لا يكون إلا واحداً إنما هو إن أريد الحقيقة أما إن أريد الأكبر النسبي فهو يكون متعدداً، ولا شك أن الأكبر بالنسبة إلى بقية الكبائر أمور أشار إليها النبي ﷺ بقوله: « اتقوا السبع الموبقات » الحديث وحينئذ فالأكبر هنا لتعدده في الجواب يراد به الأمر النسبي والله أعلم.

ولنعد إلى شرح كلام المصنف فإنه بعدما أورد سياق كلام أبي طالب المكي من تقسيمه الكبائر على الأعضاء قال: (**وهو قريب، ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء إذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه فإنه جعل أكل الربا و**) أكل (**مال اليتيم من الكبائر وهي جناية على الأموال ولم يذكر في كبائر النفوس إلا القتل، فأما فقء العين**) أي نخسها (**وقطع اليدين ونحو ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأنواع العذاب فلم يتعرض له، وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع أطرافه لا شك في أنه أكبر من أكل ماله. كيف وفي الخبر: « من الكبائر السبتان بالسبة ومن الكبائر استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم »**) قال العراقي: عزاه الديلمي في مسند الفردوس لأحمد، وأبي داود من حديث سعيد بن زيد، والذي عندهما من حديثه « من أربى الربا بالإستطالة في عرض المسلم بغير حق » كما تقدم اهـ.

قلت: ولفظ القوت وقد روينا عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « من الكبائر استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم بغير حق، ومن الكبائر السبتان بالسبة ». وقد رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت، وفي ذم الغضب هكذا عن الحسن بن عبد العزيز، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن زهير بن محمد، عن العلاء بن عبد الرحمن. ولفظ أبي داود: « من أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض الرجل المسلم بغير حق ومن الكبائر السبتان بالسبة ». وهكذا رواه أيضاً ابن أبي حاتم، وابن مردويه.

وأما حديث سعيد بن زيد فقد رواه أحمد وسمويه والطبراني وابن قانع والضياء بلفظ: « إن من أربى الربا الإستطالة في عرض المسلم بغير حق ». الحديث.

على قذف المحصن. وقال أبو سعيد الخدري وغيره من الصحابة: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر. وقالت طائفة: كل عمد كبيرة وكل ما نهى الله عنه فهو كبيرة، وكشف الغطاء عن هذا أن نظر الناظر في السرقة أهي كبيرة أم لا؟ لا يصح. ما لم يفهم معنى الكبيرة، والمراد بها كقول القائل: السرقة حرام أم لا؟ لا مطمع في تعريفه إلا بعد تقرير معنى الحرام أولاً ثم البحث عن وجوده في السرقة؛ فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع، وذلك لأن الكبير والصغير من المضافات، وما من ذنب إلا وهو كبير بالإضافة إلى ما دونه، وصغير بالإضافة إلى ما فوقه، فالمضاجعة مع الأجنبية كبيرة بالإضافة إلى النظرة، صغيرة بالإضافة إلى الزنا، وقطع يد المسلم كبيرة بالإضافة إلى ضربه، صغيرة بالإضافة إلى قتله. نعم للإنسان أن يطلق على ما توعد بالنار على فعله

(**وهو زائد على قذف المحصن وقال أبو سعيد الخدري وغيره من الصحابة**) رضوان الله عليهم: (**إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر**) لفظ القوت، وأما عبادة بن الصامت، وأبو سعيد الخدري وغيرهما من الصحابة فكانوا يقولون: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر وهي في بعض الألفاظ من الموبقات اهـ.

قال العراقي: رواه أحمد والبزار بسند صحيح وقال: من الموبقات بدل الكبائر، ورواه البخاري من حديث أنس وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن الصامت وقال: صحيح الإسناد.

(**وقالت طائفة**) من العلماء: (**كل عمل كبيرة**) نقله صاحب القوت، (**و**) قال آخرون: (**كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة**) كذا في القوت، ورواه البيهقي في الشعب عن ابن عباس وقد تقدم، (**وكشف الغطاء عن هذا أن نظر الناظر في السرقة هل هي كبيرة أم لا؟ لا يصح ما لم يفهم معنى الكبيرة والمراد بها**)، وهذا (**كقول القائل السرقة حرام أم لا. لا مطمع في تعريفه إلا بعد تقرير معنى الحرام أولاً ثم البحث عن وجوده في السرقة، فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس له موضوع خاص في اللغة ولا في الشرع، وذلك لأن الكبير والصغير من المضافات**) أي من الأسماء المتضايفة ويستعملان في الكمية المتصلة كالأجسام، وذلك كالكثير والقليل في الكمية المتصلة، كالعدد، (**وما من ذنب إلا وهو كبير بالإضافة إلى ما دونه وصغير بالإضافة إلى ما فوقه، فالمضاجعة مع الأجنبية كبيرة بالإضافة إلى النظرة صغيرة بالإضافة إلى الزنا، وقطع يد المسلم كبيرة بالإضافة إلى ضربه صغيرة بالإضافة إلى قتله**) ونقل ابن الرفعة وغيره عن القاضي حسين عن الحليمي أن الكبيرة كل محرم لعينه منهي عنه لمعنى في نفسه، فإن فعله على وجه بجمع وجهين أو وجوهاً من التحريم كان فاحشة، فالزنا كبيرة

خاصة اسم الكبيرة، وتعني بوصفه بالكبيرة: أن العقوبة بالنار عظيمة، وله أن يطلق على ما أوجب الحد عليه مصيراً إلى أن ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم، وله أن يطلق على ما ورد في نص الكتاب النهي عنه فيقول: تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمه، ثم يكون عظياً وكبيرة لا محالة بالإضافة، إذ منصوصات القرآن أيضاً تتفاوت درجاتها، فهذه الإطلاقات لا حرج فيها، وما نقل من ألفاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات، ولا يبعد تنزيلها على شيء من هذه الإحتمالات، نعم من المهمات أن تعلم معنى قول الله تعالى: ﴿ان تجْتَنِبُوا كَبَائِرَ ما تُنهونَ عنهُ نكفّر عنكمُ سيئآتكم﴾ [النساء: ٣١] وقول رسول الله ﷺ: « الصلوات كفارات لما بينهن إلا الكبائر »، فإن هذا إثبات حكم الكبائر. والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يعلم استعظامه إياها، وإلى ما يعلم إنها معدودة في الصغائر، وإلى ما يشك فيه، فلا يدري حكمه،

وبحليلة الجار فاحشة، والصغيرة تعاطي ما ينقص عن رتبة المنصوص عليه أو تعاطيه على وجه دون المنصوص عليه، فإن تعاطاه على وجه يجمع وجهين أو وجوهاً من التحريم كان كبيرة، فالقبلة واللمس والمفاخذة صغيرة ومع حليلة الجار كبيرة، ومن اختبارات الحليمي أنه ما من ذنب إلا وفيه صغيرة وكبيرة وقد تنقلب الصغيرة كبيرة بقرينة تضم إليها، وتنقلب الكبيرة فاحشة بقرينة تضم إليها إلا الكفر بالله فإنه أفحش الكبائر وليس من نوعه صغيرة.

(**نعم، للإنسان أن يطلق على ما توعد بالنار**) في الآخرة (**على فعله خاصة اسم الكبيرة، ونعني بوصفه بالكبيرة: أن العقوبة بالنار عظيمة، وله أن يطلق على ما أوجب الحدّ عليه**) في الدنيا (**مصيراً إلى أن ما عجل عليه في الدنيا عقوبة واجبة**) من رجم أو قتل أو ضرب (**عظيم، وله أن يطلق على ما ورد في نص الكتاب النهي عنه فيقول: تخصيصه بالذكر في القرآن يدل على عظمه ثم يكون عظياً وكبيرة لا محالة بالإضافة، إذ منصوصات القرآن أيضاً تتفاوت درجاتها. فهذه الإضافات لا حرج فيها وما نقل من ألفاظ الصحابة**) ابن مسعود وأبي سعيد وابن عمر وغيرهم (**يتردد بين هذه الجهات ولا يبعد تنزيلها على شيء من هذه الإحتمالات. نعم من المهمات أن تعلم معنى قول الله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾**) أي كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها، وقرىء (**كبير**) على إرادة الجنس (**﴿نكفر عنكم سيئاتكم﴾**) أي نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم، (**و**) معنى (**قول رسول الله ﷺ «الصلوات**) الخمس (**كفارات لما بينهن إلا الكبائر »**) رواه مسلم وقد تقدم الكلام عليه قريباً، (**فإن هذا إثبات حكم الكبائر، والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يعلم استعظامه إياها**) بالإيعاد عليها أو بإيجاب الحد في الدنيا على مرتكبها مثلاً، (**وإلى ما يعلم أنها معدودة في الصغائر**) وذلك ينقص رتبتها عن رتبة

فالطمع في معرفة حد حاصر أو عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فإن ذلك لا يمكن إلا بالسماع من رسول الله ﷺ بأن يقول: إني أردت بالكبائر عشراً أو خمساً ويفصلها فإن لم يرد هذا، بل ورد في بعض الألفاظ: «ثلاث من الكبائر»، وفي بعضها: «سبع من الكبائر»، ثم ورد: «أن السبتين بالسبة الواحدة من الكبائر»، وهو خارج عن السبع والثلاث: علم انه لم يقصد به العدد بما يحصر، فكيف يطمع في عدد ما لم يعده الشرع؟ وربما قصد الشرع ابهامه ليكون العباد منه على وجل، كما أبهم ليلة القدر ليعظم جد الناس في طلبها، نعم لنا سبيل كلي يمكننا أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق. وأما أعيانها فنعرفها بالظن والتقريب، ونعرف أيضاً أكبر الكبائر، فأما أصغر الصغائر فلا سبيل إلى معرفته وبيانه أنا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعاً

المنصوص عليها، **(وإلى ما يشك فيه فلا يدري حكمه)** أهو من الكبائر أم من الصغائر **(فالطمع في معرفة عدد خاص)** ينتهي إليه **(أوحد جامع)** للايراد **(مانع)** من دخول ما ليس فيه منه **(طلب لما لا يمكن، فإن ذلك لا يمكن إلا بالسماع من رسول الله ﷺ بأن يقول: إني أردت بالكبائر عشراً أو خمساً)** أو سبعاً **(ويفصلها، فإن لم يرد هذا بل ورد في بعض الألفاظ ثلاث من الكبائر)** وهو ما رواه أحمد والشيخان والترمذي من حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقول الزور» ورواه الطبراني في الكبير والخرائطي في مساوىء الأخلاق من حديث أبي الدرداء، وأخرجه أحمد والنسائي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه من حديث أبي أيوب «من عبدالله لا يشرك به شيئاً وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان واجتنب الكبائر فله الجنة» فسأله رجل ما الكبائر؟ قال: «الشرك بالله وقتل النفس المسلمة والفرار يوم الزحف». **(وفي بعضها سبع من الكبائر)** رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد «الكبائر سبع» وقد تقدم، وله في الكبير من حديث عبدالله بن عمرو «من صلى الصلوات الخمس واجتنب الكبائر» الحديث ثم عدّها سبعاً، وتقدم عن الصحيحين من حديث أبي هريرة: «اجتنبوا السبع الموبقات»، **(ثم ورد «أن السبتين بالسبة الواحدة من الكبائر»)** كما رواه أبو داود وابن أبي الدنيا في ذم الغضب، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من حديث أبي هريرة وتقدم. **(وهو خارج عن السبع والثلاث علم أنه لم يرد به العدد والحصر)** وإذا كان الأمر كذلك **(فكيف يطمع في عدد ما لم يعدده الشرع؟ وربما قصد الشرع إبهامه ليكون العباد منه على وجل، كما أبهم ليلة القدر ليعظم جدّ الناس في طلبها)** ولهذا اذهب بعض السلف أن الكبائر مبهمة وقطع بذلك كما تقدم. **(نعم لنا سبيل كلي يمكننا أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق، وأما أعيانها فتعرف بالظن والتقريب)** وذلك بالحدود التي ذكرت آنفاً، **(ونعرف أيضاً أكبر الكبائر، فأما أصغر الصغائر فلا سبيل)** لنا **(إلى معرفته. وبيانه أنا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر**

أن مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقائه، وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسله، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاَّ لِيعبُدون﴾ [الذاريات: ٥٦] أي ليكونوا عبيداً لي. ولا يكون العبد عبداً ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية ولا بدّ أن يعرف نفسه وربه، فهذا هو المقصود الأقصى ببعثة الأنبياء، ولكن لا يتم هذا إلا في الحياة الدنيا، وهو المعنى بقوله عليه السلام: «الدنيا مزرعة الآخرة»، فصار حفظ الدنيا أيضاً مقصوداً تابعاً للدين لأنه وسيلة إليه. والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيئان: النفوس والأموال، فكل ما يسد باب معرفة الله تعالى فهو أكبر الكبائر ويليه ما يسد باب حياة النفوس ويليه ما يسد باب المعايش التي بها حياة النفوس، فهذه ثلاث مراتب، فحفظ المعرفة على القلوب، والحياء على الأبدان، والأموال على الأشخاص ضروري في مقصود

جميعاً أن مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقائه، وأنه لا وصول لهم إلى ذلك بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسله، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي) إلا ليعرفون أو **(ليكونوا عبيداً لي)** خاصة. **(ولا يكون العبد عبداً ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية، ولا بد أن يعرف نفسه وربه)** كما يرشد إليه الخبر: من عرف نفسه عرف ربه، **(فهذا هو المقصود الأقصى ببعثة الأنبياء)** وللرسل عليهم السلام إلى الخلق ليرشدوهم إلى ذلك وكذا بارسال الكتب من السماء، **(ولكن لا يتم هذا إلا في الحياة الدنيا وهو المعنى بقوله ﷺ: «الدنيا مزرعة الآخرة»)** قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ مرفوعاً، ورواه العقيلي في الضعفاء، وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشيم «نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته» الحديث وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: وتمامه «حتى يرضى ربه وبئست الدار الدنيا لمن صدته عن آخرته وقصرت به عن رضا ربه وإذا قال العبد قبح الله الدنيا قالت الدنيا قبح الله أعصانا لربه». وقد رواه كذلك الرامهرمزي في الأمثال وهو عند الحاكم في مستدركه وصححه ولكن تعقبه الذهبي بأنه منكر وأن عبد الجبار يعني راويه لا يعرف.ويروى من قول سعيد بن عبد العزيز «الدنيا غنيمة الآخرة» أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق عقبة بن علقمة عنه، **(فصار حفظ الدنيا أيضاً تابعاً مقصوداً لحفظ الدين لأنه وسيلة إليه والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيئان النفوس والأموال، فكل ما يسدّ باب معرفة الله)** وصفاته **(فهو أكبر الكبائر، ويليه ما يسد باب حياة النفوس، ويليه ما يسد باب المعايش التي بها حياة النفوس. فهذه ثلاث مراتب فحفظ المعرفة على القلوب و)** حفظ **(الحياة على الأبدان و)** حفظ **(الأموال على الأشخاص**

الشرائع كلها، وهذه ثلاثة أمور لا يتصوّر أن يختلف فيها الملل، فلا يجوز أن الله تعالى يبعث نبياً يريد ببعثه إصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله؛ أو يأمرهم بإهلاك النفوس وإهلاك الأموال، فحصل من هذا أن الكبائر على ثلاث مراتب:

الأولى: ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر، فلا كبيرة فوق الكفر، إذ الحجاب بين الله وبين العبد هو الجهل، والوسيلة المقربة له إليه هو العلم والمعرفة، وقربه بقدر معرفته، وبعده بقدر جهله. ويتلو الجهل الذي يسمى كفراً الأمن من مكر الله والقنوط من رحمته، فإن هذا أيضاً عين الجهل، فمن عرف الله لم يتصوّر أن يكون آمناً ولا أن يكون آيساً، ويتلو هذه الرتبة: البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله وبعضها أشد من بعض، وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب

ضروري في مقصود الشرائع كلها، وهذه ثلاثة أمور لا يتصور أن تختلف فيها الملل) بأسرها، (**فلا يجوز أن الله تعالى يبعث نبياً يريد ببعثته إصلاح الخلق في دينهم ودنياهم، ثم يأمرهم بما يمنعهم عن معرفته ومعرفة رسله، أو يأمرهم بإهلاك النفوس وإهلاك الأموال، فحصل من هذا أن معرفة الكبائر على ثلاث مراتب**.

الأولى: ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر إذا الحجاب بين الله وبين العبد هو الجهل، والوسيلة المقربة إليه هو العلم والمعرفة وقربه) من ربه (**بقدر معرفته**) وعلمه، (**وبعده**) منه (**بقدر جهله**) فمن قوي جهله كان في المرتبة الأقصى من البعد، ومن قوي علمه كان في المرتبة الأعلى من القرب، (**ويتلو الجهل الذي يسمى كفراً الأمن من مكر الله**) بالإسترسال في المعاصي مع الإتكال على الرحمة (**والقنوط من رحمته**) وهو بعينه اليأس من رحمته وسوء الظن بالله تعالى لتلازم الثلاثة في معنى واحد، لكن الجلال البلقيني عدّ كل واحدة كبيرة مستقلة، ومن ثم قال أبو زرعة العراقي: وفي معنى اليأس القنوط والظاهر أنه أبلغ منه للترقي إليه في قوله تعالى: ﴿وإن مسه الشر فيئوس قنوط﴾ [فصلت: ٤٩] اهـ.

والظاهر أيضاً أن سوء الظن أبلغ منهما لأنه يأس وقنوط، وزيادة التجوير على الله تعالى بما لا يليق بجوده وكرمه. وفي حديث ابن عباس أنه ﷺ سئل عن الكبائر فقال: «الشرك بالله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله» وخرّجه البزار، وابن أبي حاتم، وأخرج ابن المنذر عن علي رضي الله عنه قال: «أكبر الكبائر الأمن من مكر الله واليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله». وأخرج ابن جرير عن أبي سعيد نحوه. (**فإن هذا أيضاً عين الجهل فمن عرف الله**) بصفاته الحسنى (**لم يتصور أن يكون آمناً**) من مكره وغضبه، (**ولا يكون آيساً**) من رحمته، (**ويتلو هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله، وبعضها أشد من بعض،**

تعلقها بذات الله سبحانه وبأفعاله وشرائعه وبأوامره ونواهيه ، ومراتب ذلك لا تنحصر . وهي تنقسم إلى ما يعلم انها للداخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة في القرآن ، وإلى ما يعلم انه لا يدخل ، وإلى ما يشك فيه وطلب دفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع .

المرتبة الثانية: النفوس إذ ببقائها وحفظها تدوم الحياة وتحصل المعرفة بالله ، فقتل النفس لا محالة من الكبائر وإن كان دون الكفر ، لأن ذلك يصدم عين المقصود وهذا يصدم وسيلة المقصود ، إذ حياة الدنيا لا تراد إلا للآخرة والتوصل إليها بمعرفة الله تعالى ، ويتلو هذه الكبيرة قطع الأطراف وكل ما يفضي إلى الهلاك حتى الضرب وبعضها أكبر من بعض ، ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط ، لأنه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات انقطع النسل ، ودفع الموجود قريب من قطع الوجود .

وأما الزنا فإنه لا يفوت أصل الوجود ولكن يشوش الأنساب ويبطل التوارث

وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه وبأفعاله وشرائعه وبأوامره ونواهيه) ومن ذلك التكذيب بالقدر أي بأن الله يقدر على عبده الخير والشر كما زعمه المعتزلة ، فإنهم يقولون : إن العبد يخلق أفعال نفسه من دون الله تعالى فهم ينكرون القدر ، فسموا بذلك قدرية ، وكذا القول بالإرجاء والإباحة ومقالة جهم والتعطيل والشطح والرفض ، وغير ذلك من البدع مما يذهب الإيمان وينبت النفاق . **(ومراتب ذلك لا تحصى وهي تنقسم إلى ما يعلم أنها داخلة تحت ذكر الكبائر المذكورة في القرآن ، وإلى ما يعلم أنه لا يدخل ، وإلى ما يشك فيه وطلب رفع الشك في القسم المتوسط طمع في غير مطمع)** .

(المرتبة الثانية : النفوس إذ ببقائها وحفظها تدوم الحياة وتحصل المعرفة بالله) تعالى ، **(فقتل النفس لا محالة من الكبائر)** كما ورد التصريح بذلك في الآية والأخبار المتقدمة ، **(وإن كان دون الكفر لأن ذلك)** أي الكفر **(يصدم عين المقصود ، وهذا)** أي القتل **(يصدم وسيلة المقصود إذ حياة الدنيا لا تراد إلا للآخرة والتوصل بها إلى معرفة الله تعالى ، ويتلو هذه الكبيرة قطع الأطراف)** كاليدين والرجلين والأنف والاذن واللسان ، **(وكل ما يفضي إلى الهلاك)** ولو بعد مدة **(حتى الضرب)** المثخن **(وبعضها أكبر من بعض)** فإن في كل ذلك صد ما لوسائل المقصود ، **(ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط)** في الإدبار **(لأنه لو اجتمع الناس على الإكتفاء بالذكور في قضاء الشهوات انقطع النسل)** أي الذرية ، **(ورفع الوجود قريب من قطع الوجود)** هذا في اللواط .

(وأما الزنا ، فإنه لا يفوت أصل الوجود ولكن يشوش الأنساب) ويخلطها **(ويبطل**

والتناصر وجملة من الأمور التي لا ينتظم العيش إلا بها. بل كيف يتم النظام مع إباحة الزنا ولا ينتظم أمور البهائم ما لم يتميز الفحل منها بأناث يختص بها عن سائر الفحول، ولذلك لا يتصور أن يكون الزنا مباحاً في أصل شرع قصد به الإصلاح، وينبغي أن يكون الزنا في الرتبة دون القتل، لأنه ليس يفوّت دوام الوجود ولا يمنع أصله ولكنه يفوت تمييز الأنساب ويحرك من الأسباب ما يكاد يفضي إلى التقاتل، وينبغي أن يكون أشد من اللواط لأن الشهوة داعية إليه من الجانبين فيكثر وقوعه ويعضم أثر الضرر بكثرته.

المرتبة الثالثة: الأموال. فإنها معايش الخلق فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاءوا حتى بالاستيلاء والسرقة وغيرهما، بل ينبغي، أن تحفظ التبقي ببقائها النفوس إلا أن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها وإن أكلت أمكن تغريمها فليس يعظم الأمر فيها. نعم إذا جرى تناولها بطريق يعسر التدارك له فينبغي أن يكون ذلك من الكبائر، وذلك بأربع طرق.

أحدها: الخفية وهي السرقة فإنه إذا لم يطلع عليه غالباً كيف يتدارك.

التوارث) المشروع **(والتناصر)** أي التعاون في الأمور المهمة، **(وجملة من الأمور التي لا ينتظم العيش إلا بها، كيف يتم النظام مع إباحة الزنا ولا تنتظم أمور البهائم ما لم يتميز الفحل منها باناث يختص)** هو **(بها عن سائر الفحول؟ وكذلك لا يتصور أن يكون الزنا مباحاً في شرع قصد به الإصلاح، وينبغي أن يكون الزنا في الرتبة دون القتل لأنه ليس يفوت دوام الوجود ولا يمنع أصله، ولكنه يفوت تمييز الأنساب ويحرك من الأسباب ما يكاد يفضي إلى التقاتل)** والتهالك، **(وينبغي أن يكون أشد من اللواط لأن الشهوة داعية إليه من الجانبين)** الذكر والأنثى بحكم الفطرة **(فيكثر وقوعه ويعظم أثر الضرر بكثرته)** بخلاف اللواط.

(المرتبة الثالثة: الأموال فإنها معايش الخلق) يتعاملون بها **(فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاءوا بالإستيلاء)** والقهر والغلبة **(والسرقة وغيرهما، بل ينبغي أن تحفظ لتبقى ببقائها النفوس إلا أن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها)** لأربابها، **(وإن أكلت أمكن تغريمها فليس يعظم الأمر فيها)** لأمكان التدارك في الحالين. **(نعم إذا جرى تناولها طريق يعسر التدارك فيه، فينبغي أن يكون ذلك من الكبائر وذلك بأربع طرق)**.

(أحدها: أخذها خفية وهي السرقة) وهي أخذ ما ليس له أخذه في خفاء **(فإنه إذا لم يطلع عليه غالباً كيف يتدارك)** وفي معناها الإختلاس والإستلال.

الثاني: أكل مال اليتيم، وهذا أيضاً من الخفية وأعني به في حق الولي والقيّم فإنه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه، فتعظيم الأمر فيه واجب، بخلاف الغضب فإنه ظاهر يعرف وبخلاف الخيانة في الوديعة فإن المودع خصم فيه ينتصف لنفسه.

الثالث: تفويتها بشهادة الزور.

الرابع: أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس فإن هذه طريق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز أن تختلف الشرائع في تحريمها أصلاً، وبعضها أشد من بعض وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس. وهذه الأربعة جديرة أن تكون مرادة بالكبائر وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها، ولكن أكثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها.

وأما أكل الربا؛ فليس فيه إلا أكل مال الغير بالتراضي مع الإخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد أن تختلف الشرائع في مثله، وإذا لم يجعل الغصب الذي هو أكل مال

(الثاني: أكل مال اليتيم، وهذا أيضاً من الخفية وأعني به في حق الولي) على ماله **(والقيم)** عليه من جهة الشرع، **(فإنه مؤتمن فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه، فتعظيم الأمر فيه واجب بخلاف الغصب فإنه ظاهر يعرف وبخلاف الخيانة في الوديعة فإن المودع خصم فيه ينتصف لنفسه)**.

(الثالث: تفويتها) أي الأموال **(بشهادة الزور)** أي الكذب بأن يشهد بما لا يتحققه. قال العز بن عبد السلام وعدّها كبيرة ظاهران وقع في مال خطير فإن وقع في قليل كزبيبة أو تمرة فمشكل كما سيأتي الكلام عليه قريباً.

(الرابع: أخذ الوديعة وغيرها باليمين الغموس) وقد تقدم معناها، **(فإن هذه طريق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز أن تختلف الشرائع في تحريمها أصلاً، وبعضها أشد من بعض، وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة بالنفوس)**. قال العز بن عبد السلام في قواعده: وإن كان الشاهد بها كاذباً أثم ثلاثة آثام: اثم المعصية، وإثم اعانة الظالم، وإثم خذلان المظلوم، وإن كان صادقاً أثم إثم المعصية لا غير لتسببه إلى براء ذمة الظالم وإيصال المظلوم إلى حقه. **(وهذه الأربعة جديرة لأن تكون مرادة بالكبائر وان لم يوجب الشرع الحد في بعضها، ولكن أكثر الوعيد عليها)** بالنار بالويل وبالعذاب الأليم **(وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها)**.

(وأما أكل الربا؛ فليس فيه إلا أكل مال الغير بالتراضي) من الجانبين **(مع الإخلال بشرط وضعه الشرع)** ورتبه، **(ولا يبعد أن تختلف الشرائع في مثله، وإذا لم يجعل الغصب**

الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر فأكل الربا أكل برضا المالك ولكن دون رضا الشرع، وإن عظم الشرع الربا بالزجر عنه فقد عظم أيضاً الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة، والمصير إلى أن أكل دانق بالخيانة أو الغصب من الكبائر فيه نظر، وذلك واقع في مظنة الشك وأكثر ميل الظن إلى أنه غير داخل تحت الكبائر، بل ينبغي أن تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضرورياً في الدين، فيبقى مما ذكره أبو طالب المكي القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين.

أما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بأن يكون من الكبائر، وقد دل عليه تشديدات

الذي هو أكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر، فأكل الربا أولى أن لا يكون من الكبائر، فأكل الربا أكل برضا المالك ولكن دون رضا الشرع، وإن عظم الشرع الربا بالزجر عنه) والوعيد عليه **(فقد عظم أيضاً الظلم بالغصب وغيره وعظم الخيانة)** وهي التفريط في الأمانة **(والمصير إلى أن أكل دانق بالخيانة أو الغصب من الكبائر فيه نظر، وذلك واقع في مظنة الشك وأكثر ميل الظن إلى أنه غير داخل تحت الكبائر، بل ينبغي أن تختص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرائع فيه ليكون ضرورياً في الدين)** اعلم انه ذكر ابن عبد السلام في القواعد: أن أخذ الأموال وتفويتها على أربابها بشهادة الزور كبيرة إن كان من مال خطير، وإلاَّ فمشكل فيجوز أنْ يجعل من الكبائر فطاماً عن المفاسد، كما جعل شرب قطرة من الخمر من الكبائر، وإن لم تتحقق المفسدة ويجوز أن يضبط ذلك المال بنصاب السرقة قال: وكذلك القول في أكل مال اليتيم، قال في الخادم: ويشهد للثاني ما نقل عن أبي سعيد الهروي اشتراطه في كون الغصب كبيرة أن يكون المغصوب ربع دينار، ولكن ذكر ابن عبد السلام نفسه أنه حكى الإجماع على أن غصب الحبة وسرقتها كبيرة، وهذا يؤيد أنه لا فرق في كون شهادة الزور كبيرة بين قليل المال وكثيره فطماً عن المفسدة، **(فيبقى مما ذكره)** الإمام **(أبو طالب المكي)** في القوت **(القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين)**.

(أما الشرب: لما يزيل العقل فهو جدير بأن يكون من الكبائر، وقد دل عليه تشديدات الشرع)، فمن ذلك ما رواه الشيخان والنسائي من حديث أبي هريرة «ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» وقد تقدم. وروى الترمذي «إذا فعلت أمتي اثنتي عشرة خصلة فقد حلّ بهم البلاء» فذكرها وفيه «وشربت الخمور». وتقدم. وروى الحاكم وصححه «اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر» وفي جامع رزين الخمر جماع الإثم، وعند ابن ماجه من حديث أبي الدرداء «ولا شرب الخمر فإنها مفتاح كل شر» وروى الطبراني من حديث ابن عباس قال: لما حرمت الخمر قالوا حرمت الخمر وجعلت عدلاً للشرك. وعند أحمد من حديث قيس بن سعد: من شرب الخمر خرج نور الإيمان من قلبه، وعند البزار سقاه الله من حميم جهنم إلى غير ذلك من

الشرع وطريق النظر أيضاً، لأن العقل محفوظ كما أن النفس محفوظة بل لا خير في النفس دون العقل، فإزالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر فلا شك في أنه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة، وإنما هو شرب ماء نجس، والقطرة وحدها في محل الشك، وإيجاب الشرع الحدّ به يدل على تعظيم أمره، فيعد ذلك من الكبائر بالشرع، وليس في قوة البشرية الوقوف على جميع أسرار الشرع، فإن ثبت إجماع في أنه كبيرة وجب الاتباع وإلا فللتوقف فيه مجال.

الأخبار الواردة فيه، (و) دل عليه (**طريق النظر أيضاً لأن العقل محفوظ، كما أن النفس محفوظة**) فكما يجب حفظ النفس يجب حفظ العقل، (**بل لا خير في النفس دون العقل فإزالة العقل**) بالمسكرات (**من الكبائر، ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر فلا شك في أنه لو شرب ماء فيه قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة، وإنما هو شرب ماء نجس، والقطرة وحدها في محل الشك، وإيجاب الشرع الحدّ به يدل على تعظيم أمره، فيعد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في القوة البشرية الوقوف على جميع أسرار الشرع، فإن ثبت إجماع في أنه كبيرة وجب الاتباع وإلاّ فللتوقف فيه مجال**).

قال ابن حجر في الزواجر: أما شرب الخمرة ولو قطرة منها فكبيرة إجماعاً، ويلحق بذلك شرب المسكر من غيرها وفي الماء من غير المسكر خلاف، والأصح الحاقه إن كان شافعياً، وأما ما اقتضاه كلام الروياني من ان شرب غير الخمر إنما يكون كبيرة إذا سكر نه فمردود بأن القدر الذي لا يسكر داخل تحت الخمر على المشهور عند الشافعية من ثبوت اللغة قياساً، وفيه الحدّ عندهم أيضاً أي والحد من العلامات القطعية الدالة على كون الشيء المحدود عليه كبيرة، فسكون الرافعي على كلام الروياني ضعيف، وكذلك قول الحليمي: لو خلط خمراً بمثلها من الماء فذهبت شدتها وشربها فصغيرة اهـ.

وقد قال الاذرعي عقبه: وفيه نظر ولا يسمح الأصحاب بذلك فيما أراه، وقد قالوا: إن شرب القطرة منها كبيرة ومعلوم أنها لا تؤثر اهـ. وهو ظاهر، وهذا في حق من يعتقد التحريم أما من يعتقد الحل فقال الشافعي: أحده وأقبل شهادته أي لأنه لم يأت كبيرة في عقيدته على أن ما نقله الرافعي عن الروياني ذكر مثله القاضي أبو سعيد الهروي، وحكى الخلاف ولم يرجح منه شيئاً فقال في تعداد الكبائر وشرب الخمر والمسكر من غيره وفي اليسير منه خلاف إذا كان شافعياً اهـ.

والأرجح ما ذكر أنه كبيرة أيضاً. وأما قول الحليمي شرب الخمر كبيرة، فإن استكثر منه حتى سكر أو جاهر به ففاحشة، فإن مزج خمراً بمثلها من الماء فذهبت شدتها وضررها فذلك من الصغائر. فمردود أيضاً، فإن الأصحاب لا يسمحون فيما قاله في مزج الخمر بمثلها بل الصواب كما

وأما القذف، فليس فيه إلا تناول الأعراض، والأعراض دون الأموال في الرتبة ولتناولها مراتب وأعظمها التناول بالقذف بالإضافة إلى فاحشة الزنا، وقد عظم الشرع أمره وأظن ظناً غالباً أن الصحابة كانوا يعدون كل ما يجب به الحد كبيرة، فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس، وهو الذي نريده بالكبيرة الآن، ولكن من حيث أنه يجوز أن تختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمته، بل كان يجوز أن يرد الشرع بأن العدل الواحد إذا رأى إنساناً يزني فله أن يشهد ويجلد المشهود

قاله الجلال البلقيني الجزم بخلاف ما قاله، وأن ذلك كبيرة لا محالة. ومرّ أن العز بن عبد السلام اختار ضبط الكبيرة بما يشعر بتهاون مرتكبها بدينه اشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها، وقرر ذلك إلى أن قال: فعلى هذا إن كانت مفسدته كمفسدة ما قرن به وعيد أو لعن أو حدّ كان أكثر مفسدة منه فهو كبير اهـ.

وذيّل عليه ابن دقيق العيد أنه لا بدّ ان توجد المفسدة مجردة عما يعتريها من أمر آخر فإنه قد يقع الغلط في ذلك قال: ألا ترى أن السابق إلى الذهن في مفسدة الخمر السكر وتشويش العقل، فإن أخذنا بمجرده لزم أن لا يكون شرب القطرة الواحدة كبيرة لخلوها عن المفسدة المذكورة لكنها كبيرة لمفسدة أخرى وهو التجرؤ على شرب الكثير الموقع في المفسدة، فهذا الاقتران يصيره كبيرة والله أعلم.

(**وأما القذف: فليس فيه إلا تناول الأعراض**) بالشتم والغيبة صريحاً أو كناية (**والأعراض دون الأموال في الرتبة**) ويدل لذلك حديث الصحيح « فإذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم واعراضهم » (**ولتناولها مراتب، وأعظمها التناول بالقذف بالاضافة**) أي النسبة (**إلى فاحشة الزنا**) كان يقول: يا زاني أو يا منكوح أو يا علق ونحو ذلك، وللمرأة يا زانية أو بغية أو قحبة أو بنتها يا بنت الزنا أو ولدها يا ولد القحبة (**وقد عظم الشرع أمره**) ففي الكتاب قوله ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ [النور: ٤] إلى آخر الآيتين صريحاً في الاولى للنص فيها على أن ذلك فسق، وضمناً في الثانية للنص فيها على أن ذلك يلعن الله فاعله في الدنيا والآخرة، وهذا من أقبح الوعيد وأشده، (**وأظن ظناً غالباً أن الصحابة**) رضوان الله عليهم (**كانوا يعدون كل ما يجب به الحد كبيرة**) كما سبق النقل عن جماعة منهم، (**فهو بهذا الاعتبار لا تكفره الصلوات الخمس**) يشير إلى حديث أبي هريرة عند مسلم « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » وقد تقدم، (**وهو الذي نريد بالكبيرة الآن، ولكن من حيث أنه يجوز أن تختلف فيه الشرائع فالقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمته، بل كان يجوز أن يرد الشرع بأن العدل الواحد إذا رأى انساناً يزني**) بامرأة أجنبية (**فله أن يشهد ويجلد المشهود عليه**) وهو الزاني (**بمجرد**

عليه بمجرد شهادته، فإن لم تقبل شهادته فحدّه ليس ضرورياً في مصالح الدنيا وإن كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات، فإذاً هذا أيضاً يلحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع، فأما من ظن أن له أن يشهد وحده أو ظن أنه يساعده على الشهادة غيره فلا ينبغي أن يجعل في حقه من الكبائر.

وأما السحر؛ فإن كان فيه كفر فكبيرة وإلاَّ فعظمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره.

شهادته) ولا يحتاج إلى ضم عدل آخر معه، **(فإن لم تقبل شهادته)** لكونه وحده **(فحدّه ليس ضرورياً في مصالح الدنيا وإن كان على الجملة من المصالح الظاهرة الواقعة في رتبة الحاجات، فإذاً هذا أيضاً يلتحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع، فأما من ظن أن له أن يشهد وحده إن ظن أنه يساعده)** على تلك **(الشهادة غيره فلا ينبغي أن يجعل في حقه من الكبائر)**.

(وأما السحر، فإن كان فيه كفر فكبيرة وإلا فعظمته على حسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره). اعلم أن السحر أقسام: أولها: سحر الكسدانيين الذين بعث إليهم إبراهيم عليه السلام مبطلاً لمقالاتهم وهم فرق ثلاث الثاني: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية. الثالث: الاستعانة بالأرواح الأرضية، وهذه الأنواع الثلاثة انكرها المعتزلة. الرابع: التخيلات والأخذ بالعيون. الخامس: الأعمال الغريبة التي تظهر من تركيب الآلات على النسب الهندسية. السادس: الاستعانة بخواص الأدوية المزيلة للعقل ونحوها. السابع: تعليق القلب بأن يدعي أنه يعرف الاسم الأعظم، وان الجن تطيعه فيعلق به قلب غيره فيتمكن الساحر أن يفعل فيه ما يشاء، وحكى عن الشافعي أنه قال: السحر يخيل ويمرض ويقتل والقصاص واجب على من قتل به وهو من عمل الشيطان، وقيل: أنه يؤثر في قلب الأعيان، وقيل: الأصح أنه كذلك لكنه يؤثر في الأبدان بالأمراض والموت والجنون. واختلف العلماء في الساحر هل يكفر أم لا وليس من محل الخلاف النوعان الأولان. وأما النوع الثالث: فالمعتزلة وحدهم كفروه، وأما بقية أنواعه فقال جماعة: انه كفر مطلقاً. وقال الشافعي وأصحابه: بعدم الكفر، وهل تقبل توبة الساحر؟ فالنوعان الأوّلان معتقد أحدهما مرتد، فإن تاب وإلاَّ قتل. وقال مالك وأبو حنيفة: لا تقبل توبتها، وأما النوع الثالث وما بعده فإن اعتقد أن فعله مباح قتل لكفره وإن اعتقد أنه حرام فعند الشافعي أنه جناية، فإذا فعله بالغير وأقرانه يقتل غالباً قتل لأنه عمد أو نادراً فهو شبه عمداً، وأخطأ من اسم غيره إليه فهو خطأ والدّيه على العاقلة إن صدقته إذ لا يقبل إقراره إليهم. وعن أبي حنيفة إن أقرّ بأني كنت أسحر مدة وقد تركت ذلك منذ زمان قبل منه ولم يقتل، وقد ظهر بالآيات والأخبار أن سائر أنواعه كفر، وقال به كثيرون فلا أقل من كونها كبيرة لاسيما مع ما ورد فيه من الوعيد الشديد والزجر البليغ.

وأما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضاً ينبغي أن يكون من حيث القياس في محل التوقف، وإذا قطع بأن سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم والظلم لهم بغصب أموالهم وإخراجهم من مساكنهم وبلادهم، وإجلائهم من أوطانهم ليس من الكبائر ـ إذ لم ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو أكبر ما قيل فيه ـ فالتوقف في هذا أيضاً غير بعيد، ولكن الحديث يدل على تسميته كبيرة فليلحق بالكبائر، فإذا رجع حاصل الأمر إلى أنا نعني بالكبيرة ما لا تكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع وذلك مما انقسم إلى ما علم أنه لا تكفره قطعاً وإلى ما ينبغي أن تكفره وإلى ما يتوقف فيه، والمتوقف فيه بعضه مظنون للنفي والإثبات وبعضه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب أو سنّة، وإذا لا مطمع فيه، فطلب رفع الشك فيه محال.

فإن قلت: فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حدّها فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده؟ فاعلم أن كل ما لا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق إليه الابهام لأن دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا من

(**وأما الفرار من الزحف**) غير متحرف لقتال أو متحيز إلى فئة (**وعقوق الوالدين**) أو أحدهما، (**فهذا أيضاً ينبغي أن يكون من حيث القياس في محل التوقف، وإذا قطع بأن السب للناس بكل شيء**) من أنواعه (**سوى الزنا**) بصريح أو كناية (**و**) سوى (**ضربهم**) المؤدي إلى الهلاك، (**و**) سوى (**الظلم لهم بغصب أموالهم**) وإن كان المغصوب عليه قليلاً، (**و**) سوى (**إخراجهم من مساكنهم وبلادهم وإجلائهم عن أوطانهم ليس من الكبائر، إذ لم ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو أكثر ما قيل فيه**) كما ذكره صاحب القوت، (**فالتوقف في هذا أيضاً غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسميته كبيرة**) وهو حديث ابن عباس « الكبائر الاشراك بالله » فساقه وفيه « وعقوق الوالدين والفرار يوم الزحف ». وقد تقدم، (**فليلتحق الكبائر، فإذا رجع حصل الأمر إلى أنا نعني بالكبيرة ما لا يكفره الصلوات الخمس بحكم الشرع، وذلك مما انقسم إلى ما علم أنه لا تكفره قطعاً وإلى ما ينبغي أن تكفره وإلى ما يتوقف فيه والمتوقف فيه بعضه مظنون للنفي والاثبات**) برجحان الاعتقاد مع احتمال النقيض، (**وبعضه مشكوك فيه**) بالتردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما (**وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب أو سنّة، وإذا لا مطمع فيه فطلب رفع الشك فيه محال**) إذ لا نص في ترجيح أحد الاحتمالين على الآخر.

(**فإن قلت: هذا**) الذي ذكرته (**إقامة برهان على استحالة معرفة حدّها، فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده، فاعلم أن كل ما يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن يتطرق إليه الإبهام، فإن دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدنيا**

حيث أنها كبيرة، بل كل موجبات الحدود معلومة بأسمائها كالسرقة والزنا وغيرهما، وإنما حكم الكبيرة أن الصلوات الخمس لا تكفرها، وهذا أمر يتعلق بالآخرة، والإبهام أليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرأون على الصغائر اعتماداً على الصلوات الخمس، وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفِّر عنكم سيئآتكم﴾ [النساء: ٣١] ولكن اجتناب الكبيرة إنما يكفر الصغيرة إذا اجتنبها مع القدرة والإرادة، كمن يتمكن من إمرأة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع فيقتصر على نظر أو لمس، فإن مجاهدة نفسه بالكف عن الوقاع أشد تأثيراً في قلبه من إقدامه على النظر في إظلامه، فهذا معنى تكفيره، فإن كان عنيناً أو لم يكن امتناعه إلا بالضرورة للعجز أو كان قادراً ولكن امتنع لخوف أمر آخر. فهذا لا يصلح للتكفير أصلاً، وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو أبيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والأوتار، نعم. من يشتهي الخمر وسماع الأوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدته النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت إليه من معصية السماع،

من حيث أنها كبيرة بل كل موجبات الحدود) الشرعية (معلومة بأسمائها كالسرقة والزنا وغيرهما) كاللواط والشرب والقذف، (وأما حكم الكبيرة أن الصلوات الخمس لا تكفرها، فهذا أمر يتعلق بالآخرة والإبهام أليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر فلا يتجرأون على) اقتراف (الصغائر اعتماداً على الصلوات الخمس، وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) نكفّر عنكم سيآتكم﴾ يعني الصغائر. (ولكن اجتناب الكبائر إنما يكفر الصغيرة إذا اجتنبها مع القدرة والإرادة كمن يتمكن من امرأة) بأن اختلى بها (ومن مواقعتها فيكف) أي يمنع (نفسه عن الوقوع) بها (فيقتصر على نظر أو لمس) أو تقبيل، (فإن مجاهدة نفسه بالكف عن الوقاع أشد تأثيراً في تنوير قلبه من إقدامه على النظر في إظلامه، فهذا معنى تكفيره فإن كان عنيناً) وهو العاجز عن إتيان النساء (أو لم يكن امتناعه إلا بالضرورة للعجز) القائم به (أو كان قادراً) على الوقاع، (ولكن أمتنع لخوف أمر آخر) من الخارج، (فهذا لا يصلح للتكفير أصلاً، وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو أبيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغائر التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والأوتار) بأنواعها. (نعم من يشتهي الخمر وسماع الأوتار فيمسك نفسه بالمجاهدة على الخمر ويطلقها في السماع) أي سماع الملاهي والأوتار، (فمجاهدة النفس بالكف) عن الخمر (ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت إليه من معصية السماع) وقد تقدم أن المعاصي ترتفع منها ظلمة إلى القلب فتظلمه كما أن

فكل هذه أحكام أخروية ويجوز أن يبقى بعضها في محل الشك وتكون من المتشابهات، فلا يعرف تفصيلها إلا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حدّ جامع بل ورد بألفاظ مختلفات، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه انه قال: قال رسول الله ﷺ: « الصلاة إلى الصلاة كفّارة، ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث: إشراك بالله، وترك السنّة، ونكث الصفقة » **قيل: ما ترك السنة؟ قيل: « الخروج عن الجماعة. ونكث الصفقة** أن يبايع رجلاً ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله »، **فهذا وأمثاله من الألفاظ لا يحيط بالعدد** كله ولا يدل على حدّ جامع فيبقى لا محالة مبهماً.

فإن قلت: الشهادة لا تقبل إلا ممن يجتنب الكبائر، والورع عن الصغائر ليس شرطاً - في قبول الشهادة وهذا من أحكام الدنيا؟ فاعلم أنا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في أن من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب في أواني

الطاعات يرتفع إليه منها نور فتنوره، (**فكل هذه أحكام أخروية وتجوز أن تبقى في محل الشك وتكون من المشتبهات، فلا يعرف تفصيلها إلا بالنص**) القاطع (**ولم يرد النص بعدد**) معلوم (**ولا حدّ جامع**) أو مانع، (**بل ورد بألفاظ مختلفة، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه انه قال: قال رسول الله ﷺ: « الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث الشرك بالله وترك السنّة ونكث الصفقة » قيل: ما ترك السنة؟ قيل « الخروج عن الجماعة ونكث الصفقة أن يبايع رجلاً ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله »**). قال العراقي: رواه الحاكم نحوه وقال: صحيح الاسناد انتهى.

قلت: ورواه أيضاً أحمد والبيهقي ولفظهم جميعاً « الصلاة المكتوبة إلى الصلاة التي قبلها كفارة لما بينهما والجمعة إلى الجمعة التي قبلها كفارة لما بينهما والشهر إلى الشهر كفارة لما بينهما إلا من ثلاث الاشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة » قيل: يا رسول الله! اما الاشراك بالله فقد عرفناه فما نكث الصفقة وترك السنة؟ قال: « أما نكث الصفقة فأن تبايع رجلاً بيمينك ثم تخالف إليه فتقاتله بسيفك وأما ترك السنة فالخروج عن الجماعة ». (**فهذا وأمثاله من الألفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حدّ جامع**) للافراد، (**فيبقى لا محالة مبهماً**).

(**فإن قلت: الشهادة لا تقبل إلا ممن يجتنب الكبائر والورع عن الصغائر ليس شرطاً في قبول الشهادة**) قال الرافعي، قال الأصحاب: يعتبر في العدالة اجتناب الكبائر فمن ارتكب كبيرة فسق وردت شهادته، وأما الصغائر فلا يشترط تجنبها بالكلية لكن بشرط أن لا يصر عليها، (**وهذا من أحكام الدنيا. فاعلم أنا لا نخصص رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في أن من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب في أواني الذهب والفضة لا تقبل**

الذهب والفضة لا تقبل شهادته، ولم يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من الكبائر. وقال الشافعي رضي الله عنه: إذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولم أرد شهادته، فقد جعله كبيرة بإيجاب الحد ولم يرد به الشهادة، فدل على أن الشهادة نفياً وإثباتاً لا تدور على الصغائر والكبائر، بل كل الذنوب تقدح في العدالة إلا ما لا يخلو الإنسان عنه غالباً بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الأقوال، وسماع الغيبة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأكل الشبهات، وسب الولد والغلام وضربهما

شهادته، ولم يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من الكبائر) لكن نقل الإمام عن الشيخ أبي محمد أن العراقيين ومعظم الأصحاب قطعوا بأن سماع الأوتار والملاهي من الكبائر وتابعه عليه المصنف في كتبه، وتوقف ابن أبي الدم فيما نسبه الإمام للعراقيين وقال: لم أر أحداً صرح به، بل جزم الماوردي وهو منهم بنقيض ما حكاه الإمام فقال: إذا قلنا بتحريم الأغاني والملاهي فهل من الصغائر دون الكبائر يفتقر إلى الاستغفار ولا ترد به الشهادة إلا بالاصرار، ومتى قلنا بكراهة شيء منها فهي من الخلاعة لا تفتقر إلى الاستغفار ولا ترد الشهادة إلا مع الإكثار انتهى.

وتابعه في المهذب، وكذا القاضي حسين فإنه قال في تعليقه، قال بعض أصحابنا: لو جلس على الديباج عند عقد النكاح لم ينعقد لأن محل الشهادة فيه كالأداء الذي صار إليه محصله أن هذا من الصغائر وما تعذر منه لا يوجب الفسق، وتابعه الفوراني في الإبانة، ورد انكار ابن أبي الدم على الإمام بما ذكر بأن مجلى صرح في ذخائره بما يوافقه فقال: إن كون ذلك هو ظاهر كلام الشامل حيث قال: من استمع إلى شيء من هذه المحرمات فسق وردت شهادته ولم يشترط تكرار السماع انتهى. هذا حاصل كلام القائلين بالحرمة ووراء ذلك أقوال فانظره من كلام المصنف.

(وقال الشافعي رحمه الله تعالى: إذا شرب الحنفي النبيذ حددته) أي أقمت عليه الحد **(ولم أرد شهادته)** لأنه يعتقد حليته، **(فقد جعله كبيرة بإيجاب الحد ولم يرد به الشهادة)** وفي الخادم للزركشي: ومن النبيذ المختلف فيه إذا شرب اليسير معتقداً تحريمه، ففي كونه كبيرة خلاف من أجل اختلاف العلماء فيه، وبهذا صرح الرافعي بأنه على وجهين، وأن الاكثرين على الرد أي رد الشهادة به لأنه فسق، ولو استعملت للتداوي على القول بالتحريم، فيحتمل أن يقال ليس بكبيرة إذا قلنا لا يجب فيه الحد كما صححه النووي، ويحتمل خلافه للجرأة انتهى. وقال غيره الاوجه الأول. **(فدل على أن الشهادة نفياً وإثباتاً لا تدور على الصغائر والكبائر، بل كل الذنوب تقدح في العدالة)** أي الصغائر والكبائر. أما الكبائر فبمجردها يخرج عن العدالة، وأما الصغائر فبوقوعها منه مرة بعد مرة **(إلا ما لا يخلو الإنسان عنه غالباً بضرورة مجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب)** الذي لا حدّ فيه ولا ضرر **(في بعض الأقوال)** ولو تعمداً، **(وسماع الغيبة والإصغاء إليها والسكوت عليها وترك الأمر بالمعروف)** والنهي عن المنكر مع عدم القدرة عليها، **(وأكل الشبهات)** وعدم التحري فيها، **(وسبّ الولد**

بحكم الغضب زائداً على حدّ المصلحة، وإكرام السلاطين الظلمة، ومصادقة الفجار، والتكاسل عن تعليم الأهل والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين، **فهذه ذنوب لا** يتصور أن ينفك الشاهد عن قليلها أو كثيرها إلا بأن يعتزل الناس ويتجرد لأمور الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك، ولو لم يقبل إلا قول مثله لعزّ وجوده وبطلت الأحكام والشهادات، وليس لبس الحرير وسماع الملاهي واللعب بالنرد ومجالسة أهل الشرب في وقت الشرب والخلوة بالأجنبيات وأمثال هذه الصغائر من هذا القبيل فإلى مثل هذا المنهاج ينبغي أن ينظر في

والغلام وضربها بحكم الغضب) الطبعي (**زائداً على حدّ المصلحة)** الشرعية، (**وإكرام السلاطين الظلمة)** وأعوانهم، (**ومصادقة الفجار)** ومجالستهم إيناساً لهم، (**والتكاسل عن تعليم الأهل والولد جميع ما يحتاجون إليه في أمر الدين، فهذه ذنوب لا يتصوّر أن ينفك الشاهد عن قليلها وكثيرها)** لاسيما في بعض ما ذكر ما قيل أنه من الكبائر (**إلا بأن يعتزل الناس)** مدة (**ويتجرد لأمور الآخرة ويجاهد نفسه مدة)** مديدة (**بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك، ولو لم يقبل الأقوال مثله لعز وجوده)** أي قلّ (**وبطلت الأحكام والشهادات، وليس لبس الحرير)** والديباج (**وسماع الملاهي)** والأوتار (**واللعب بالنرد)** وما في معناه من المنقلة والكنجفة والاربعة عشر وغيرها (**ومجالسة أهل الشرب)** بفتح فسكون جمع شارب كركب وراكب (**في وقت الشرب والخلوة بالاجنبيات)** وكذا مباشرتهن بغير الجماع، (**وأمثال هذه الصغائر)** كالنظر إلى ما لا يجوز، وهجر المسلم فوق ثلاث لغير عذر شرعي، وكثرة الخصومات وإن كان محقاً، والتبختر في المشي، والعبث في الصلاة، وكشف العورة في الحمام، وكذا في الخلوة لغير حاجة في الأصح، وارسال الريح بحضرة الناس، ومدّ الرجلين في المجالس، والإكثار من الحكايات المضحكة وغير ذلك (**من هذا القبيل)**.

أما مجالسة أهل الشرب؛ فقد نقل الاذرعي عن صاحب العدة أنه من الصغائر، وأقره الشيخان الرافعي والنووي، وتقييد المصنف بكونه وقت الشرب دال على أن مجالستهم في غير هذا الوقت مباحة، فإن قصد إيناسهم من حيث كونهم فسقة فلا شك في حرمة ذلك.

وأما لبس الحرير فقيل: أنه كبيرة.

وأما سماع الملاهي والأوتار، فقد نقل الإمام عن الشيخ أبي محمد أن سماع الأوتار مرة واحدة لا يوجب رد الشهادة، وإنما ترد بالاصرار وتبعه المصنف فقال: وما ذكرناه في سماع الأوتار مفروض فيما إذا لم يكن الإقدام عليه مرة يشعر بالانحلال وإلاّ فالمرة الواحدة لا ترد بها الشهادة.

وأما اللعب بالنرد ففيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه مكروه كراهة تنزيه، وبه قال أبو إسحاق والمروزي والاسفرايني، وحكاه ابن

قبول الشهادة وردها لا إلى الكبيرة والصغيرة، ثم آحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها لأثر في ردّ الشهادة كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس عادة، وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم، والصغيرة تكبر بالمواظبة كما أن المباح يصير صغيرة بالمواظبة

خيران، واختاره أبو الطيب وهو غلط ليس بشيء لمخالفته المنقول والدليل، وقول جماعة أنه منصوص عليه في الأم وغيره مردود، ولهذا قال صاحب البيان: إن المنصوص عليه في الأم التحريم، وبه قال أكثر الأصحاب.

الثاني: أنه حرام صغيرة وعليه مشى المصنف هنا ورجحه الرافعي.

الثالث: انه حرام كبيرة وهو الذي عليه الشافعي وأصحابه أشار إليه الروياني في الحلية، ونقل القرطبي في شرح مسلم الإجماع عليه، وكذا الموفق الحنبلي في المغني نقل الإجماع عليه.

الرابع: التفصيل بين بلد يستعظمون اللعب به فترد به الشهادة وبلد ليس كذلك فلا ترد به، وهذه التفرقة ضعيفة كما قاله البلقيني، وعلى القول بأنه صغيرة كما مشى عليه المصنف هنا فمحله حيث خلا عن القمار وإلاّ فهو كبيرة بلا نزاع كما أشار إليه الزركشي وهو واضح.

(فإلى مثـل هـذا المنهـاج ينبغـي أن ينظـر في قبـول الشهـادة وردهـا لا إلى الكبيرة والصغيرة، ثم آحاد هذه الصغائر التي لا ترد الشهادة بها لو واظب عليها لأثر في رد الشهادة) والمراد بالمواظبة هنا المداومة على نوع منها، وهذا هو الإصرار السالب للعدالة وبه قال جماعة من الأصحاب، **(كمن اتخذ الغيبة وثلب الناس)** اعراضهم **(عادة)** له، ومنهم من فسر المواظبة بالاكثار على الصغائر سواء كانت من نوع أو أنواع مختلفة، وبه فسروا الاصرار السالب للعدالة. ونقل الرافعي القولين قال: ويوافق الثاني قول الجمهور أن من تغلب طاعته معاصيه كان عدلاً، ومن تغلب معاصيه طاعته كان مردود الشهادة، وإذا قلنا به لم تضر المداومة على نوع واحد من الصغائر إذا غلبت الطاعات، وعلى الاحتمال الأوّل تضر انتهى. وتبعه النووي في الروضة وقضية كلامهما ترجيح الثاني وبه صرح ابن سراقة وغيره.

(وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم) ولو في حال فجورهم، وكلام بعض الأصحاب صريح في أن مجرد مصادقتهم حرام وإن لم يجالسهم، وكلام بعضهم أن مجرد المجالسة من غير مصادقة ولا قصد إيناس لا إثم فيها وكلام المصنف صريح في أن كلاً منهما يأثم به. **(والصغيرة تكبر)** أي تصير كبيرة **(بالمواظبة)** عليها أي تصير مثلها في رد الشهادة، **(كما أن المباح يصير كبيرة بالمواظبة عليه)** وهذا بنـاء على القول الضعيف، فإن المعتمد أنه لا تضر المداومة على نوع من الصغائر أو أنواع سواء كان مقيماً على الصغيرة أو الصغائر أو مكثرا مكرراً من فعل ذلك حيث غلبت الطاعات المعاصي. هكذا نقله الاذرعي والبلقيني والزركشي وابن العماد وغيرهم، ويؤيده قول الجمهور: من غلبت معاصيه طاعاته ردت شهادته سواء كانت المعاصي من نوع أو أنواع، ومن ثم قال الأذرعي المذهب وقول الجمهور وما تضمنته النصوص ان من كان الاغلب عليه الطاعة والمرؤة

كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام وغيره، فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر.

قبلت شهادته أو المعصية وخلاف المروءة ردت شهادته، وهذا القول الذي اعتمده المصنف مشى عليه الرافعي والنووي حيث قالا: المداومة على الصغيرة تصيرها كبيرة، لكن إن انضم إليه كون طاعاته لم تغلب معاصيه، ثم على القول من أن مطلق الإصرار على الصغيرة يصيرها كبيرة يحتاج لمعرفة ضبط الإصرار. قال ابن الصلاح: الاصرار هو التلبس بضد التوبة باستمرار النوع على المعاودة واستدامة الفعل بحيث يدخل به في حيز ما يطلق عليه الوصف بصيرورته كبيرة. وقال العز بن عبد السلام: الإصرار أن تتكرر منه الصغيرة تكرراً يشعر بقلة مبالاته بدينه إشعار ارتكاب الكبيرة بذلك. قال: وكذلك إذا اجتمعت صغائر مختلفة الأنواع بحيث يشعر مجموعها بما يشعر به أصغر الكبائر انتهى. هذا ضبط الإصرار.

وأما على القول المعتمد السابق فالمدار على غلبة الطاعات والمعاصي، وعلى هذا المعتمد كان ينبغي أن يقال شرط العدالة اجتناب الكبائر وعدم غلبة الصغائر على الطاعة، وقد أشار إلى ذلك البلقيني، (**كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام وغيرها**)، وقوله على الدوام متعلق بالقولين، فاللعب بالشطرنج مكروه عند الشافعي حرام عند غيره بشروط. قال النووي في فتاويه: الشطرنج حرام عند أكثر العلماء إن فوت به صلاة عن وقتها أو لعب به على عوض، فإن انتفى ذلك كره عند الشافعي وحرم عند غيره انتهى.

وفي كلام ابن العماد أن اللعب به من الرذائل المباحة مع الكراهة فالإكباب عليه والملازمة له يصيره صغيرة، وكذا الترنم بالغناء مع نفسه إذا كان في بعض الأوقات لإزالة الوحشة عن نفسه لا بأس به، فإن داوم عليه حتى اتخذه عادة يصير صغيرة. (**فهذا بيان حكم الصغائر والكبائر**).

ثم اعلم أنه قد تقدم ذكر الكبائر وما يتعلق بها، وأما الصغائر فحصرها متعذر، وقد ذكر ابن حجر منها في شرح الشمائل جملة فقال: هي كالغيبة في غير عالم أو حامل قرآن معأبل حكى فيه الاجماع قالوا انها كبيرة مطلقاً. نعم تباح لأسباب ستة مقررة في محلها، وكقبلة أجنبية ولعن ولو بهيمة وكذب لأحد فيه ولا ضرر وهجو مسلم ولو تعريضاً وصدقاً، واشراف على بيت غيره وهجر مسلم فوق ثلاثة عدواناً، ونحو تناج وجلوس مع فاسق لا يناسبه وتنجيس بدن أو ثوب أو ثوب عدو أو نجش واحتكار وبيع معيب علم عيبه ولم يذكره اهـ فهذه ثلاثة عشر.

وقال ابن العماد في كتاب الذريعة في إعداد الشريعة زاد على ما ذكر النظر إلى ما لا يجوز، وذكر في التطلع على بيوت الناس بأنه لو كان المؤذن إلى بيوت الجيران وجب على الناظر عزله، ثم قال: وكثرة الخصومات وإن كان محقاً. قال الرافعي: وينبغي أن لا يكون معصية إذا راعى حدّ الشرع. قال النووي: وهو الصواب والسكوت على الغيبة والصياح وشق الجيب في المصيبة والتبختر

في المشي واللعب بالقردة وبالصور ونطاح الكباش ومهارشة الديكة والجلوس إليهم وإعانتهم بدفع مال إليهم والشغل في وقت الكراهة والبيع والشراء في المسجد وإدخال الصبيان والمجانين والنجاسات إليه وإمامة قوم يكرهونه والعبث في الصلاة والضحك فيها وتخطي الرقاب يوم الجمعة ونحوه. والتغوّط مستقبل القبلة أو في طريق المسلمين والقبلة للصائم التي تحرك شهوته والوصال في الصوم على الأصح والإستمناء باليد ومباشرة الأجنبية بغير الجماع ووطء الزوجة المظاهر منها قبل التكفير ووطء الرجعية والخلوة بالأجنبية ومسامرة المرأة بغير زوج ولا محرم ولا نسوة ثقات، والبيع على بيع أخيه والخطبة والسوم على سومه وتلقي الركبان وبيع الحاضر للبادي وتصرية الحيوان واقتناء الكلب لغير الحراسة والصيد وبيع العبد المسلم للكافر، وكذا المصحف وسائر كتب العلم الشرعي وكشف العورة في الحمام، وكذا في الخلوة على الأصح والسفاهة ولبس الحرير والرقص مع التثني وسماع أشعار الشربة وضرب الكوبة والصفاقتين والحاقر إن حرمت كحرسه، كما صححه النووي واللعب بالنرد انتهى فهذه سبعة وأربعون.

قال الصيدلاني: ومما ترد به الشهادة إرسال الريح بحضرة الناس، ثم قال ابن العماد: ومن الرذائل المباحة مع الكراهة قبلة الزوجة أو الأمة بحضرة الناس، وذكر ما جرى بينهما في الخلوة والمشي مكشوف الرأس ومدّ الرجلين في المجالس، وكذا نتف اللحية على المرجح في الكفاية. قال الماوردي: وكذا خضبها ولبس فقيه قباء وقلنسوة حيث لا يعتاد ولبس تاجر ثياب ولبس حمال عمامة وطيلساناً والإكثار من الحكايات المضحكة، ومن اللعب بالحمام وشبهه، ومن اللعب بالشطرنج وبالخاتم إذا كان بغير عوض ومن الغناء وسماعه، والحرف الدنية مما لا يليق به كالحجامة والكنس والدبغ وقيم الحمام والحارس والنجال والإسكاف والقصاب، وكذلك الحائك في الأشبه لا الصباغ على الأصح وفيما ذكر نظر، والله أعلم.

فصل

وقال أصحابنا: الصحيح في حد العدالة المعتبرة في الشهادات اجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر وعليه صوابه على خطئه وصدقه على كذبه، وإن ألم بمعصية لأن في اعتبار اجتنابه الكل سدّ باب وهو مفتوح إحياء للحقوق والكبيرة كل ما يسمى فاحشة كاللواطة ونكاح منكوحة الأب أو ثبت لها بنص قاطع عقوبة في الدنيا وفي الآخرة. وقال الشمس الحلواني: كل ما كان شنَعاً بين المسلمين وفيه هتك حرمة الله والدين فهي كبيرة ولا تقبل شهادة مخنث ونائحة ومغنية ومدمن على الشرب، ومن يلعب بالطيور والطنبور، ومن يفعل كبيرة توجب الحد، ومن يأكل الربا أو يقامر بالشطرنج أو تفوته الصلاة بسببه، أو يدخل الحمام بغير إزار أو يفعل فعلاً مستخفاً كالبول والأكل على الطريق، ومن يظهر سب السلف، والله أعلم.

بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا:

اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة، والآخرة من عالم الغيب والملكوت، وأعني بالدنيا حالتك قبل الموت بالآخرة حالتك بعد الموت، فدنياك وآخرتك صفاتك وأحوالك يسمى القريب الداني منها دنيا والمتأخر آخرة، ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة، فإنا الآن نتكلم في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت، ولا يتصوّر شرح عالم الملكوت في عالم الملك إلا بضرب الأمثال، ولذلك قال تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربُها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت: ٤٣] وهذا لأن عالم الملك نوم بالإضافة إلى عالم الملكوت، ولذلك قال ﷺ: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» وما سيكون في اليقظة لا يتبين في النوم إلا بضرب الأمثال المحوجة

فصل

في بيان توزع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا:

فيها لف ونشر مرتب والدرج والدرك بمعنى واحد، لكن باعتبارين مختلفين فالدرج اعتباراً بالصعود والدرك اعتباراً بالهبوط ولذلك قيل درجات الجنة ودركات النار.

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن الدنيا من عالم الملك والشهادة**) من المحسوسات الطبيعية، (**والآخرة من علم الغيب والملكوت**) المختص بأرواح النفوس، (**وأعني بالدنيا حالتك قبل الموت وبالآخرة حالتك بعد الموت، فدنياك وآخرتك صفاتك وأحوالك يسمى القريب الداني منها دنيا**) فعلى من الدنو (**والمتأخر**) منها (**آخرة، ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة، وهي عالم الملك**) والشهادة، (**وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت**) والغيب (**ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك**) ولا يتضح (**إلا بضرب الأمثال**) لأنه أقرب إلى الوصول للإفهام، (**ولذلك قال الله تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾**) أي المتبصرون واستنبط أن من ليس بعالم لا يعقل الأحكام الإلهية من ضرب الأمثال، (**وهـذا لأن عالم الملك نوم**) أي بمنزلته (**بالإضافة إلى عالم الملكوت، ولذلك قال ﷺ: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»**) قال العراقي: لم أجده مرفوعاً، وإنما يعزى إلى علي بن أبي طالب اهـ.

قلت: وهكذا أورده الشريف الموسوي في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين، وذكره أبو نعيم في الحلية في ترجمة سفيان الثوري. رواه من طريق المعافي بن عمران عنه.

(**وما سيكون في اليقظة لا يتبين لك في النوم إلا بضرب الامثال المحوجة إلى التعبير**)

إلى التعبير، فكذلك ما سيكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا إلا في كثرة الأمثال، وأعني بكثرة الأمثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك منه إن كنت فطناً ثلاثة أمثلة.

فقد جاء رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيت كأن في يدي خاتماً أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال: إنك مؤذن تؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر، قال: صدقت. وجاء رجل آخر فقال: رأيت كأني أصب الزيت في الزيتون فقال: إن كان تحتك جارية اشتريتها ففتش عن حالها فإنها أمك سبيت في صغرك، لأن الزيتون أصل الزيت فهو يرد إلى الأصل، فنظر فإذا جاريته كانت أمه وقد سبيت في صغره. وقال له آخر: رأيت كأني أقلد الدر في أعناق الخنازير. فقال: إنك تعلم الحكمة غير أهلها فكان كما

أي القائه في عبارة (**فكذلك ما يكون في يقظة الآخرة لا يتبين في نوم الدنيا إلا بكثرة الأمثال**) أي صورتها (**وأعني بكثرة الأمثال ما تعرفه من علم التعبير ويكفيك فيه**) وفي نسخة منه (**إن كنت فطناً**) حاذقاً (**ثلاثة أمثلة**).

(**قد جاء رجل إلى**) أبي بكر محمد (**بن سيرين**) التابعي البصري الثقة رأس المعبرين رحمه الله تعالى، وكان يضاحي الحسن في علمه وورعه، وفيه القول المشهور الذي يستدل به علي أو للتخيير جالس الحسن أو ابن سيرين (**فقال: رأيت كأني في يدي خاتماً أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال له: إنك مؤذن تؤذن في شهر رمضان قبل طلوع الفجر. فقال: صدقت، وجاءه رجل آخر فقال: رأيت كأني أصبت الزيت في الزيتون فقال: إن كان تحتك جارية ففتش عن حالها فإنها أمك سبيت في صغرك لأن الزيتون أصل الزيت فهو ردّ إلى الأصل، فنظر الرجل فإذا جاريته كانت أمه وقد سبيت في صغره، وقال له آخر: رأيت كأني أقلد الدر في أعناق الخنازير، فقال: إنك تعلم الحكمة غير أهلها فكان كما قال**)، والأخير أخذه من قول عيسى عليه السلام معلم الحكمة غير أهلها كمقلد الدر في أعناق الخنازير.

ومن غرائب تعبيرات ابن سيرين ما رواه أبو نعيم في الحلية من طريق خالد بن دينار قال: كنت عند ابن سيرين فأتاه رجل فقال: يا أبا بكر رأيت في المنام كأني أشرب من بلبلة لها ثقبات، فوجدت أحدهما عذباً والآخر ملحاً. قال: اتق الله لك إمرأة وأنت تخالف إلى أختها. ومن طريق أبي قلابة أن رجلاً قال لأبي بكر: رأيت كأني أبول دماً. قال: تأتي امرأتك وهي حائض؟ قال: نعم. قال: اتق الله ولا تعد. ومن طريق أبي جعفر أن رجلاً رأى في المنام كأن في حجره صبياً يصيح، فقص رؤياه فقال له اتق الله ولا تضرب بالعود. ومن طريق حبيب المعلم أن امرأة رأت في المنام أنها تحلب حية فقصت على ابن سيرين فقال: اللبن فطرة والحية عدوّ، وليست من الفطرة في شيء هذه امرأة تدخل عليها أهل الأهواء. ومن طريق الحرث بن ثقيف قال: قال رجل لابن سيرين: إني رأيت كأني ألعق عسلاً من جام من

قال، والتعبير من أوّله إلى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الأمثال، وإنما نعني بالمثل أداء المعنى في صورة نظر إلى معناه وجده صادقاً، وإن نظر إلى صورته وجده كاذباً، فالمؤذن إن نظر إلى صورة الخاتم والختم به على الفروج رآه كاذباً فإنه لم يختم به قط، وإن نظر إلى معناه وجده صادقاً إذ صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذي يراد الختم له، وليس للأنبياء أن يتكلموا مع الخلق إلا بضرب الأمثال لأنهم كلفوا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم أنهم في النوم والنائم لا يكشف له عن شيء إلا بمثل، فإذا ماتوا انتبهوا وعرفوا أن المثل صادق، ولذلك قال ﷺ: « قلب المؤمن بين أصبعين من

جوهر فقال: أتق الله وعاود القرآن فقد كنت تحفظه ثم نسيته قال، وقال رجل لابن سيرين: رأيت كأني أحرث أرضاً لا تنبت قال: أنت رجل تعزل عن امرأتك. ومن طريق مبارك بن يزيد البصري قال: قلت لابن سيرين رأيت في المنام كأني أغسل ثوبي وهو لا ينقي. قال: أنت رجل مصارع لأخيك. قال: وقال رجل لابن سيرين: رأيت كأني أطير بين السماء والأرض قال: أنت رجل تكثر التمني. ومن طريق هشام بن حسان قال: جاء رجل إلى ابن سيرين وأنا عنده فقال: إني رأيت كأن على رأسي تاجاً من ذهب قال: فقال له ابن سيرين: اتق الله فإن أباك في أرض غربة وقد ذهب بصره وهو يريد أن تأتيه. قال: فما زاده الرجل الكلام حتى أدخل يده في محزمه فأخرج كتاباً من أبيه فيه ذهاب بصره، وأنه في أرض غربة ويأمره بالإتيان إليه، (**والتعبير من أوله إلى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الأمثال، وإنما نعني بالمثال أن أداء المعنى في صورة أن نظر إلى معناه وجده صادقاً وإن نظر إلى صورته**) الظاهرة (**وجده كاذباً، فالمؤذن إن نظر إلى صورة الخاتم والختم به على**) الأفواه (**والفروج رآه كاذباً، فإنه لم يختم به قط، وإن نظر إلى معناه وجده صادقاً إذ قد صدر منه روح الختم ومعناه وهو المنع الذي يراد الختم له وليس للأنبياء**) عليهم السلام (**أن يتكلموا مع الخلق إلا بضرب الأمثال لأنهم كلفوا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم**)، فقد روى الديلمي من طريق ابن عبد الرحمن السلمي، حدثنا محمد بن عبدالله بن قريش، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا إسماعيل بن محمد الطلمي، حدثنا عبدالله بن أبي بكر، عن أبي معشر، عن عكرمة، عن ابن عباس رفعه: « أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » وأبو معشر ضعيف، وعزاه الحافظ ابن حجر لمسند الحسن بن سفيان من حديث ابن عباس بلفظ « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم ». قال: وسند ضعيف جداً. ورواه أبو الحسن التميمي من الحنابلة في كتاب العقل له بسنده عن ابن عباس أيضاً بلفظ: « بعثنا معاشر الأنبياء نخاطب الناس على قدر عقولهم ». (**وقدر عقولهم أنهم في النوم والنائم لا يكشف له عن شيء إلا بمثل، فإذا ماتوا انتبهوا وعرفوا أن المثل صادق، ولذلك قال ﷺ: « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن »**) رواه أحمد ومسلم والدارقطني في الصفات من حديث عبدالله بن عمرو بلفظ: « إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع

أصابع الرحمن ». وهو من المثال الذي لا يعقله إلا العالمون، فأما الجاهل فلا يجاوز قدره ظاهر المثال لجهله بالتفسير الذي يسمى تأويلاً، كما يسمى تفسير ما يرى من الأمثلة في النوم تعبيراً، فيثبت لله تعالى يداً وأصبعاً. تعالى الله عن قوله علواً كبيراً، وكذلك في قوله ﷺ: « إن الله خلق آدم على صورته » فإنه لا يفهم من الصورة إلا اللون والشكل والهيئة، فيثبت لله تعالى مثل ذلك. تعالى الله عن قوله علوًّا كبيراً. ومن ههنا زل من زل في صفات الإلهية حتى في الكلام وجعلوه صوتاً وحرفاً إلى غير ذلك من الصفات، والقول فيه يطول، وكذلك قد يرد في أمر الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها الملحد بجمود

الرحمن كقلب رجل واحد يصرفه كيف يشاء اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا على طاعتك». وروى ابن خزيمة من حديث أبي ذر « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الله عز وجل فإذا شاء صرفه وإن شاء بصره» وروى الحاكم من حديث جابر: « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها هكذا». وقد تقدم ذلك في كتاب عجائب القلب وفي كتاب قواعد العقائد، **(وهو من المثال الذي لا يعقله إلا العالمون. فأما الجاهل)** العامي الذي لم تكشف بصيرته بنور الإيمان **(فلا يجاوز قدره)** وفي نسخة عقله **(ظاهر المثال لجهله بالتعبير الذي يسمى تأويلاً كما يسمى تفسير ما يرى من الأمثلة في النوم تعبيراً فيثبت لله تعالى يداً وأصبعاً تعالى عن قوله)** علواً كبيراً، وقد أمضاه جهله بحقائق الأمور حتى أوقعه في هذا الوهم، وكان يكفي في دفعه أن يعرف أن الله تعالى ليس بجسم وليس من جنس الأجسام، **(وكذلك قوله ﷺ: « إن الله خلق آدم على صورته »)** رواه أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة بلفظ: « خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعاً » الحديث. وقد تقدم في كتاب قواعد العقائد، **(فإنه لا يفهم من الصورة إلا اللون والشكل والهيئة، فيثبت لله تعالى مثل ذلك تعالى عن قوله علواً كبيراً)** مثال ذلك إذا أورد الفقيه في كلامه لفظ الظورة للمسألة بين يدي الصبي أو العامي الذي لا يفقه معنى المسألة ظن الصبي أو العامي أن المسألة يعني بها صورة في تلك الصورة أنف وفم وعين على ما عرفه واستقر عنده من معنى الصورة المعروفة، أما من عرف حقيقة المسألة المعروفة بأنها عبارة عن علوم مرتبة ترتيباً مخصوصاً، فهل يتصور أن يتوهم للمسألة عيناً وأنفاً وفماً وصورة من جنس صور الأجسام أو صورة الإنسان؟ بل تكفيه معرفته بأن المسألة منزهة عن الجسمية وعوارضها، فكذلك معرفة نفي الجسمية عن حقيقة الإلهية، وتقديسها عنها يكون قرينة في كل سمع مفهمة لفهم معنى الصورة في الحديث المذكور، ويتعجب من العارف بتقديسه عن الجسمية من يتوهم لله تعالى الصورة الجسمانية كما يتوهم بالمسألة الواقعة صورة جسمانية. **(ومن ههنا زلّ)** قدم **(من زل في صفات الإلهية)** كالإستواء والفوقية وغيرهما **(حتى في الكلام وجعلوه صوتاً وحرفاً، وغير ذلك من الصفات والقول فيه يطول)** وقد استوفيناه بتفصيله في شرح قواعد العقائد، وكذلك قد ورد في أمر الآخرة ضرب أمثلة يكذب

نظره على ظاهر المثال وتناقضه عنده، كقوله ﷺ: «يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح». فيثور الملحد الأحق ويكذب ويستدل به على كذب الأنبياء ويقول: يا سبحان الله! الموت عرض والكبش جسم، فكيف ينقلب العرض جسماً؟ وهل هذا إلا محال، ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحمقى عن معرفة أسراره فقال: ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت: ٤٣] ولا يدري المسكين أن من قال رأيت في منامي

بها الملحدون) المارقون من الدين (**لجمود نظرهم على ظاهر المثال وتناقضه عندهم، كقوله** ﷺ: «**يؤتي بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح**) أي أسود يعلو شعره بياض. وقيل: نقي البياض، وقيل ليس بخالص البياض بل فيه عفرة (**فيذبح»**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي سعيد اهـ.

قلت: وروى الترمذي وقال: حسن صحيح ولفظ: «يؤتي بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة فيشرفون ويقال يا أهل النار فيشرفون، فيقال هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت فيضطجع ويذبح، فلولا أن الله تعالى قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحاً ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها لماتوا حزناً».

وقد روى من حديث أنس وأبي هريرة وابن عمر. أما حديث أنس، فرواه أبو يعلى والضياء مختصراً بلفظ: «يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح».

وأما حديث أبي هريرة، فرواه أحمد وهناد وابن ماجه والحاكم بلفظ: «يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال يا أهل الجنة فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه فيقال: هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح على الصراط، ثم يقال للفريقين: كلا كما خلود فيما تجدون لا موت فيها أبداً».

وأما حديث ابن عمر: فرواه الطبراني في الكبير بلفظ: «يجاء بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرفون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت».

(**فيثور الملحد الأحق ويكذب**) هذا القول (**ويستدل به على كذب الانبياء**) عليهم السلام، (**ويقول**) متعجباً من قولهم: (**يا سبحان الله الموت عرض**) من الأعراض محتاج في وجوده إلى محل يقوم به، (**والكبش جسم**) من الأجسام (**فكيف ينقلب العرض جسماً؟ وهل هذا**) أي انقلاب العرض جسماً (**إلا محال**) لا يتصور وجوده في الخارج أو باطل، (**ولكن الله تعالى عزل هؤلاء الحمقي عن معرفة أسراره. فقال: ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ ولا يدري المسكين أن من قال: رأيت في منامي أنه جيء بكبش، وقيل**) لي (**هذا هو الوباء**

أنه جيء بكبش وقيل هذا هو الوباء الذي في البلد وذبح فقال المعبر : صدقت والأمر كما رأيت ، وهذا يدل على أن الوباء ينقطع ولا يعود قط ، لأن المذبوح وقع اليأس منه ، فإذن المعبر صادق في تصديقه وهو صادق في رؤيته ، وترجع حقيقة ذلك إلى أن الملك الموكل بالرؤيا وهو الذي يطلع الأرواح عند النوم على ما في اللوح المحفوظ عرفه بما في اللوح المحفوظ بمثال ضربه له ، لأن النائم إنما يحتمل المثال فكان مثاله صادقاً وكان معناه صحيحاً ، فالرسل أيضاً إنما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالإضافة إلى الآخرة نوم فيوصلون المعاني إلى أفهامهم بالأمثلة حكمة من الله ولطفاً بعباده وتيسير الإدراك ما يعجزون عن إدراكه دون ضرب المثل فقوله : « يؤتى بالموت في صورة كبش أملح » مثال ضربه ليوصل إلى الأفهام حصول اليأس من الموت ، وقد جبلت القلوب على التأثر بالأمثلة وثبوت المعاني فيها بواسطتها ، ولذلك عبر القرآن بقوله : ﴿ كن فيكون ﴾ [البقرة : ١١٧] عن نهاية القدرة ، وعبَّر ﷺ بقوله : « قلب المؤمن بين أصبعين من

الذي في البلد) وهو المرض الذي يعقبه الموت سريعاً **(وذبح)** واستعبره عند المعبر **(فقال)** له **(المعبر : صدقت والأمر كما رأيت ، وهذا يدل على أن هذا الوباء ينقطع ولا يعود)** إلى هذا البلد **(قط ، لأن المذبوح وقع اليأس منه ، فإذاً المعبر صادق في تعبيره وهو صادق في رؤيته ، وترجع حقيقته إلى أن الملك الموكل بالرؤيا وهو الذي يطلع الأرواح عند النوم على ما في اللوح المحفوظ)** قد **(عرفه بما في اللوح المحفوظ بمثال ضربه له)** حتى يدركه بفهمه ، **(لأن النائم إنما يحمل المثال ، فكان مثاله صادقاً وكان معناه صحيحاً ، فالرسل أيضاً إنما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالإضافة إلى الآخرة نوم ، فيوصلون المعاني إلى أفهامهم بالأمثلة)** المضروبة **(حكمة من الله تعالى ولطفاً بعباده وتيسير الإدراك ما يعجزون عن إدراكه دون ضرب المثل)** ، فقد روى البخاري في الصحيح عن علي موقوفاً : حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله . وروي مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن مسعود : ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة ، وروى الديلمي من حديث ابن عباس : لا تحدثوا أمتي من أحاديثي إلا ما تحتمله عقولهم فيكون فتنة عليهم ، فكان ابن عباس يخفي أشياء من حديثه ويفشيها إلى أهل العلم . وروي البيهقي في الشعب من حديث المقدام بن معدي كرب : إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يعزب عنهم ويشق عليهم ، **(فقوله)** ﷺ في الحديث السابق **(« يؤتي بالموت في صورة كبش أملح » مثال ضربه ليوصل إلى الأفهام حصول اليأس من الموت)** وثبوت الخلود إما في الجنة وإما في النار ، **(وقد جبلت القلوب على التأثر بالأمثلة وثبوت المعاني فيها بواسطتها ، وكذلك عبَّر القرآن بقوله : ﴿ كن فيكون ﴾ عن نهاية القدرة ، وعبر ﷺ بقوله : « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » عن سرعة**

أصابع الرحمن » عن سرعة التقليب ، وقد أشرنا إلى حكمة ذلك في « كتاب قواعد العقائد » من ربع العبادات ، فلنرجع الآن إلى الغرض ، فالمقصود أن تعريف توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات لا يمكن إلا بضرب المثال ، فلتفهم من المثل الذي نضربه معناه لا صورته . فنقول : الناس في الآخرة ينقسمون أصنافاً وتتفاوت درجاتهم ودركاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتاً لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها ، ولا تفارق الآخرة الدنيا إلا في هذا المعنى أصلاً البتة ، فإن مدبر الملك والملكوت واحد لا شريك له . وسنته الصادرة عن إرادته الأزلية مطردة لا تبديل لها إلا أنا إن عجزنا عن إحصاء آحاد الدرجات فلا نعجز عن إحصاء الأجناس . فنقول : الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام : هالكين ، ومعذبين ، وناجين ، وفائزين . ومثاله في الدنيا أن يستولي ملك من الملوك على إقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ، ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ، ويخلي بعضهم فهم الناجون ، ويخلع على بعضهم فهم الفائزون ، فإن كان الملك عادلاً لم يقسمهم كذلك إلا

التقليب) وعن كمال القدرة والإحاطة به ، **(وقد أشرنا إلى حكمة ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات ، فلنرجع الآن إلى الغرض ، فالمقصود أن تعرف توزع الدرجات والدركات على الحسنات والسيئات ، ولا يمكن)** معرفة ذلك **(إلا بضرب الأمثال ، فلتفهم من المثل الذي نضرب)** لك **(معناه)** المراد منه **(لا صورته ، فنقول : الناس في الآخرة ينقسمون أصنافاً وتتفاوت درجاتهم ودركاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتاً لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها . ولا تفارق الآخرة الدنيا في هذا المعنى أصلاً البتة ، فإن مدبر)** الأمور في **(الملك والملكوت واحد لا شريك له وسنته الصادرة عن إرادته الأزلية مطردة لا تبديل لها)** ولا تحويل عنها ، **(إلا أنا إن عجزنا عن إحصاء آحاد الدرجات)** لعدم حصرها **(فلا نعجز عن إحصاء الأجناس فنقول : الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام : هالكين ومعذبين وناجين وفائزين)** لأنهم لا يخلون عن سعادة أو شقاوة ، والشقاوة إن كانت بالشرك والكفر وجحود صفات الربوبية فهم الهالكون ، فإن كان مع وجود الإقرار بالربوبية نوع عصيان ومخالفة فهم المعذبون ، والسعادة إن كانت بالإيمان بالله وبما جاء به الرسل فهم الناجون ، فإن كان مع ذلك نبذ الدنيا وإقبال على الله بالكلية فهم الفائزون ، فهذا وجه الحصر في الأقسام المذكورة . **(ومثاله في الدنيا أن يستولي ملك من الملوك على إقليم)** من الأقاليم السبعة **(فيقتل بعضهم فهم الهالكون ، ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم المعذبون ، ويخلي بعضهم)** أي يتركهم **(فهم الناجون ، ويخلع على بعضهم)** أي يلبسهم خلعاً **(فهم الفائزون فإن كان الملك عادلاً لم يقسمهم كذلك إلا بالإستحقاق فلا يقتل إلا**

باستحقاق فلا يقتل إلا جاحداً لاستحقاق الملك معانداً له في أصل الدولة، ولا يعذب إلا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلوّ درجته، ولا يخلي إلا معترفاً له برتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع إلا على من أبلى عمره في الخدمة والنصرة، ثم ينبغي أن تكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة، وإهلاك الهالكين إما تحقيقاً بجز الرقبة أو تنكيلاً بالمثلة بحسب درجاتهم في المعاندة، وتعذيب المعذبين في الخفة والشدّة وطول المدة وقصرها واتحاد أنواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم، فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لا تحصى ولا تنحصر، فكذلك فافهم أن الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون، فمن هالك، ومن معذب مدة، ومن ناج يحل في دار السلامة، ومن فائز. والفائزون ينقسمون إلى من يحلون في جنات عدن أو جنات المأوى أو جنات الفردوس، والمعذبون ينقسمون إلى من يعذب قليلاً وإلى من يعذب ألف سنة إلى سبعة آلاف سنة، وذلك آخر من يخرج من

جاحداً) أي منكراً **(لاستحقاقه الملك معانداً له في أصل الدولة ولا يعذب إلا من قصر في خدمته)** والمثول بين يديه **(مع الإعتراف بملكه وعلو درجته)** واستحقاقه لتلك النعمة **(ولا يخلي إلا معترفاً له برتبة الملك لكنه لم يقصر ليعذب)** على تقصيره، **(ولم يخدم ليخلع عليه ولا يخلع)** الملك **(إلا على من أبلى عمره)** وفي نسخة قدره **(في الخدمة والنصرة)** له، **(ثم ينبغي أن تكون خلع الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة)** والنصرة، **(وإهلاك الهالكين إما تحقيقاً)** في الحال **(بجز الرقبة)** أي قطعها **(أو تنكيلاً بالمثلة)** بأن تقطع أطرافه عضواً عضواً حتى يهلك، وذلك **(بحسب درجاتهم)** ومراتبهم **(في المعاندة)** له **(وتعذيب المعذبين في الخفة والشدة وطول المدة وقصرها واتحاد أنواعها واختلافها بحسب درجات تقصيرهم)** ومراتبه، **(فتنقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لا تحصى ولا تنحصر، فكذلك فافهم أن الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون، فمن هالك)** مرة **(ومن معذب)** مرة، **(ومن ناج يحل في دار السلامة، ومن فائز والفائزون ينقسمون إلى من يحلون في جنات عدن أو جنات المأوى أو جنات الفردوس)** وهي أعلى الجنان وسيأتي ذكر الجنان في آخر الكتاب، **(والمعذبون ينقسمون إلى من يعذب قليلاً وإلى من يعذب ألف سنة إلى سبعة آلاف سنة. وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر)** قال العراقي: رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة بسند ضعيف في حديث قال فيه: وأطولهم مكثاً فيها مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة اهـ.

ولفظ القوت: وقد جاء في الخبر: إن آخر من يبقى في جهنم من الموحدين سبعة آلاف سنة» وروى أبو سعيد، وأبو هريرة عن رسول الله ﷺ: «آخر من يخرج من النار وهو أيضاً من يدخل الجنة» فلعله والله أعلم بعد سبعة آلاف سنة فيعطي من الجنة مثل الدنيا كلها عشرة آلاف سنة.

النار كما ورد في الخبر. وكذلك الهالكون الآيسون من رحمة الله تتفاوت دركاتهم، وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليها.

الرتبة الأولى: وهي رتبة الهالكين. ونعني بالهالكين الآيسين من رحمة الله تعالى، إذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه آيس من رضا الملك وإكرامه فلا تغفل عن معاني المثال، وهذه الدرجة لا تكون إلا للجاحدين والمعرضين المتجردين للدنيا المكذبين بالله ورسله وكتبه، فإن السعادة الأخروية في القرب من الله والنظر إلى وجهه وذلك لا ينال أصلاً إلا بالمعرفة التي يعبر عنها بـالإيمان والتصـديـق، والجاحـدون هـم المنكـرون، والمكذبون هم الآيسون من رحمة الله تعالى أبد الآباد، وهم الذين يكذبون برب العالمين وبأنبيائه المرسلين إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل محجوب عن محبوبه

قلت: هذا الخبر رواه أحمد وعبد بن حميد عن أبي سعيد، وأبي هريرة بها ولفظه: «آخر من يخرج من النار رجلان يقول الله لأحدهما يا ابن آدم» الحديث بطوله. وفي آخره: «فيقول أي رب أدخلني الجنة. فيقول الله عز وجل: سل وتمن فيسأل ويتمنى مقدار ثلاثة أيام من أيام الدنيا فإذا فرغ قال: لك ما سألت ومثله معه». وقال أبو هريرة: «وعشرة أمثاله». وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود: «إن آخر من يخرج من النار ويدخل الجنة رجل يحبو، فيقال: ادخل الجنة فيخيل أنها ملأى فيقول: يا رب إنها ملأى فيقال له ادخل إن لك عشرة أمثال الدنيا، فيقول: أنت الملك أتضحك بي فذلك أنقص أهل الجنة حظاً». **(وكذلك الهالكون الآيسون من رحمة الله تعالى تتفاوت دركاتهم، وهذه الدرجات والدركات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليها)** فنقول:

(الرتبة الأولى: وهي رتبة الهالكين ونعني بالهالكين الآيسين من رحمة الله تعالى إذ الذي قتله الملك في المثال الذي ضربناه) لك آنفاً **(آيس من رضا الملك وإكرامه فلا تغفل عن معاني المثال)**، فهذه الرتب قد رتبناها عليه **(وهذه الدرجة لا تكون إلا للجاحدين)** أي المنكرين **(والمعرضين)** عن الله بالكلية **(المتجردين للدنيا المكذبين بالله ورسله وكتبه)** فلا يرفعون لهم رأساً، **(فإن السعادة الأخروية)** إنما هي **(في القرب من الله)** تعالى **(والنظر إلى وجهه الكريم)** من غير حجاب، **(وذلك لا ينال أصلاً إلا بالمعرفة التي يعبر عنها بالإيمان)** بالله تعالى **(والتصديق)** لرسله وكتبه، **(والجاحدون هم المنكرون، والمكذبون هم الآيسون من رحمة الله تعالى أبد الأبد، وهم الذين يكذبون برب العالمين)** جلّ جلاله **(وبأنبيائه المرسلين)** وبالكتب المنزلة عليهم **(أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة)** كما قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ويل يومئذ للمكذبين ★ الذين يكذبون بيوم الدين ★ وما يكذب به إلا كل معتد أثيم ★ إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ★ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا

فمحول بينه وبين ما يشتهيه لا محالة فهو لا محالة يكون محترقاً مع نار جهنم بنار الفراق، ولذلك قال العارفون: ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للحور العين وإنما مطلبنا اللقاء ومهربنا من الحجاب فقط. وقالوا: من يعبد الله بعوض فهو لئيم كأن يعبده لطلب جنته أو لخوف ناره، بل العارف يعبده لذاته فلا يطلب إلا ذاته فقط، فأما الحور العين والفواكه فقد لا يشتهيها، وأما النار فقد لا يتقيها. إذ نار الفراق إذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للأجسام، فإن نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، ونار جهنم لا شغل لها إلا مع الأجسام وألم الأجسام يستحقر مع ألم الفؤاد، ولذلك قيل:

وفي فـؤاد المحـب نـار جـوى ... أحـرّ نار الجحيم أبـردُهـا

ولا ينبغي أن تنكر هذا في عالم الآخرة إذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا، فقد رؤي من غلب عليه الوجد فغدا على النار وعلى أصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به

يكسبون* كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون* ثم إنهم لصالوا الجحيم* ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون﴾ [المطففين: ١٠ - ١٧] **(وكل محجوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشتهيه)** أشار بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ [سبأ: ٥٤] ولا يكون ذلك إلا للمحجوبين **(فهو لا محالة يكون محترقاً مع نار جهنم)** أشار إليه بقوله تعالى: ﴿ثم أنهم لصالوا الجحيم﴾ **(بنار الفراق)** الحاصلة من الحجاب، **(ولذلك قال العارفون: ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للحور العين)** في الجنان، **(وإنما مطلبنا اللقاء)** أي مشاهدة الوجه الكريم **(ومهر بنا من الحجاب فقط، وقالوا)** أيضاً: **(من يعبد الله بعوض فهو لئيم)** وذلك (كان يعبده لطلب جنته أو لخوف ناره، بل العارف) الكامل **(يعبده لذاته فلا يطلب إلا ذاته)** ووجهه **(فقط، فأما الحور العين والفواكه فقد لا يشتهيها، وأما النار فقد لا يتقيها إذ نار الفراق إذا استولت ربما غلبت على النار المحرقة للأجسام، فإن نار الفراق)** هي **(نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة)** وهي بواطين القلوب **(ونار جهنم لا شغل لها إلا مع الأجسام)** فتذيبها، **(وألم الأجسام يستحقر مع الفؤاد ولذلك قيل)** قائله المتنبي:

(وفي فؤاد المحب نار جوى) وفي نسخة هوى
(أحر نار الجحيم أبردها)

(ولا ينبغي أن ينكر هذا في عالم الآخرة إذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا، فقد رؤي من غلب عليه الوجد) في السماع **(فغدا على النار وعلى أصول القصب)** بعد أن قطعت وطارت كالاسنة **(الجارحة للقدم وهو لا يحس به لفرط غلبة ما في قلبه)** وتقدم في كتاب

لفرط غلبة ما في قلبه، وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال فتصيبه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لأن الغضب نار في القلب، قال رسول الله ﷺ: «الغضب قطعة من النار»، واحتراق الفؤاد أشد من احتراق الأجساد، والأشد يبطل الإحساس بالأضعف كما نراه، فليس الهلاك من النار والسيف إلا من حيث أنه يفرق بين جزءين يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن في الأجسام، فالذي يفرق بين القلب وبين محبوبه الذي يرتبط به برابطة تأليف أشد إحكاماً من تأليف الأجسام فهو أشد إيلاماً إن كنت من أرباب البصائر وأرباب القلوب، ولا يبعد أن لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الألم ويستحقره بالإضافة إلى ألم الجسم، فالصبي لو خير بين ألم الحرمان عن الكرة والصولجان وبين ألم الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بألم الحرمان عن رتبة السلطان أصلاً ولم يعد ذلك ألماً وقال: العدو في الميدان مع الصولجان أحب إليّ من ألف سرير للسلطان مع الجلوس عليه، بل من تغلبه شهوة البطن لو خير بين الهريسة والحلواء وبين فعل جميل يقهر به الأعداء ويفرح به الأصدقاء لآثر الهريسة والحلواء، وهذا كله لفقد

الوجد والسماع، **(وترى الغضبان يستولي عليه الغضب في القتال)** فيقاتل **(فتصيبه جراحات)** في بدنه **(وهو لا يشعر بها في حال)** ويشعر بها في المستقبل بعد خمود نار الغضب، **(لأن الغضب نار في القلب)** إذا تأججت شغلت القلب عن الإحساس بالألم. **(قال رسول الله ﷺ «الغضب قطعة من النار»)** رواه الترمذي من حديث أبي سعيد بلفظ «الغضب جمرة في قلب ابن آدم» وسنده ضعيف وقد تقدم في كتاب ذم الغضب، **(واحتراق الفؤاد أشد من احتراق الأجساد، والأشد يبطل الإحساس بالأضعف)** أي فلا يحس به **(كما تراه، فليس التألم من النار والسيف إلا من حيث أنه)** أي كلا من النار والسيف **(يفرق بين جزأين يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن في الأجسام، فالذي يفرق بين القلب وبين محبوبه الذي يرتبط به)** وفي نسخة المرتبط به **(برابطة تأليف)** الحب **(أشد إحكاماً من تأليف الأجسام، فهو أشد إيلاماً إن كنت من أرباب البصائر وأرباب القلوب، ولا يبعد أن لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الألم)** ولا يحس به **(ويستحقره)** أي يجده حقيراً **(بالإضافة إلى ألم الجسم، فالصبي لو خيّر بين الم الحرمان من)** لعب **(الكرة والصولجان** وبين ألم الحرمان من رتبة السلطان لم يحس بألم الحرمان من رتبة السلطان أصلاً ولم يعد ذلك ألماً، وقال: العدو **)** أي الجري **(في الميدان مع الصولجان)** بضرب الكرة فيه **(أحب إليّ من ألف سرير للسلطان مع الجلوس عليه، بل من تغلبه** شهوة البطن لو خيّر **بين الهريسة والحلواء وبين فعل جميل يقهر به الأعداء ويفرح به الأصدقاء لآثر)** أي اختار **(الهريسة والحلواء)** ولم يلتفت إلى الفعل الجميل، **(وهذا كله لفقد المعنى الذي بوجوده يصير الجاه**

المعنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوباً. ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذيذاً، وذلك لمن استرقته صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه صفات الملائكة التي لا يناسبها ولا يلذها إلا القرب من رب العالمين ولا يؤلمها إلا البعد والحجاب، وكما لا يكون الذوق إلا في اللسان والسمع إلا في الآذان، فلا تكون هذه الصفة إلا في القلب، فمن لا قلب له ليس له هذا الحس، كمن لا سمع له ولا بصر ليس له لذة الألحان وحسن الصور والألوان، وليس لكل إنسان قلب، ولو كان لما صح قوله تعالى: ﴿إنَّ في ذلك لذكرى لمنْ كانَ لهُ قلبٌ﴾ [ق: ٣٧] فجعل من لم يتذكر بالقرآن مفلساً من القلب. ولست أعني بالقلب هذا الذي تكتنفه عظام الصدر بل أعني به السر الذي هو من عالم الأمر، وهو اللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه والصدر كرسيه، وسائر الأعضاء عالمه ومملكته، ولله الخلق والأمر جميعاً، ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى فيه: ﴿قل الرُوحُ من أمر ربي﴾ [الإسراء: ٨٥] هو الأمير والملك لأن بين عالم الأمر وعالم الخلق ترتيباً، وعالم الأمر أمير على عالم الخلق، وهو اللطيفة التي إذا صلحت صلح

محبوباً، ووجود المعنى الذي بوجوده يصير الطعام لذيذاً وذلك لمن استرقته) أي استعبدته **(صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه صفات الملائكة التي لا يناسبها ولا يلذها إلا القرب من رب العالمين، ولا يؤلمها إلا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق إلا في اللسان)** وهي قوّة منبثة في العصب المفروش على جوهر اللسان وبها تدرك الطعوم بمخالطة الرطوبة اللعابية **(والسمع إلا في الآذان فلا تكون هذه الصفة إلا في القلب فمن لا قلب له ليس له هذا الحس)** والإدراك **(كمن لا سمع له ولا بصر ليس له لذة الألحان** المطربة وحسن الصور **والألوان)** المختلفة، **(وليس لكل انسان قلب ولو كان لما صح قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ فجعل من يتذكر بالقرآن)** ولم يتعظ به **(مفلساً من القلب)** أي عارياً منه عادماً له عرى المفلس من المال، وقد تقدم الكلام عليه في فصول مقدمة كتاب العلم عند ذكر مختارات أقوال المصنف، **(ولست أعني بالقلب هذا اللحم)** الصنوبري **(التي تكتنفه عظام الصدر)** في الجهة اليسرى، **(بل أعني به السر الذي هو من عالم الأمر وهو اللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه)** المستوى عليه **(والصدر كرسيه وسائر الأعضاء عالمه ومملكته)** كما تقدم لك من قول سهل التستري في كتاب عجائب القلب، **(ولله الخلق والأمر جميعاً)** قال الله تعالى: ﴿ألاله الخلق والأمر تبارك الله ربّ العالمين﴾ [الأعراف: ٥٤] **(ولكن ذلك السر الذي/قال الله تعالى فيه: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ هو الأمر والملك)** فاللطيفة من عالم الامر واللحم الصنوبري من عالم الخلق، **(لأن بين عالم الأمر و)** بين **(عالم الخلق ترتيباً، وعالم الأمر أمير على عالم الخلق)** وحاكم عليه **(وهو اللطيفة التي إذا صلحت صلح بها سائر**

لها سائر الجسد . من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه ، وعند ذلك يشم العبد مباديء روائح المعنى المطوي تحت قوله ﷺ : « أن الله خلق آدم على صورته » ونظر بعين الرحمة إلى الحاملين له على ظاهر لفظه وإلى المتعسفين في طريق تأويله ، وإن كانت رحمته للحاملين على اللفظ أكثر من رحمته للمتعسفين في التأويل ، لأن الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة أولئك أكثر ، وإن اشتركوا في مصيبة الحرمان من حقيقة الأمر فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وهي حكمته يختص بها من يشاء : ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة : ٢٦٩] ولنعد إلى الغرض فقد أرخينا الطول وطوّلنا النفس في أمر هو أعلى من علوم المعاملات التي نقصدها في هذا الكتاب فقد ظهر أن رتبة الهلاك ليس إلا للجهال المكذبين ، وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا تدخل تحت الحصر فلذلك لم نوردها .

الرتبة الثانية: رتبة المعذبين وهذه رتبة من تحلى بأصل الإيمان ولكن قصر في الوفاء

الجسد) كما ورد ذلك في الخبر وتقدم (**من عرفها)** أي تلك اللطيفة (**فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه)** كما ورد ذلك في الخبر وتقدم ، (**وعند ذلك يشم العبد)** السالك (**مبادىء روائح المعنى المطوى تحت قوله** ﷺ : **« ان الله خلق آدم على صورته »)** تقدم الكلام عليه قريباً (**وينظر بعين الرحمة إلى الجامدين)** الواقفين (**على ظاهر لفظه)** ولا يؤوّلون ، (**وإلى المتعسفين في طريق تأويله)** الخارجين عن الحدود ، (**وإن كانت رحمته للجامد)** الواقف (**على)** ظاهر (**اللفظ أكثر من رحمته للمتعسف في التأويل ، لأن الرحمة على قدر المصيبة ومصيبة أولئك الجامدين أكثر ، وإن اشتركوا في مصيبة الحرمان من حقيقة الأمر)** إذ كل منهما لم يحقق الأمر تحقيقاً شافياً فهما مشتركان في الحرمان ، (**فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وهي حكمة)** ربانية (**يختص بها من يشاء ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ ولنعد إلى الغرض فقد أرخينا الطول)** بكسر الطاء المهملة وفتح الواو الحبل ومنه قول الشاعر :

لكاد لطول المرضى وثنياه باليد

(**وطوّلنا النفس)** محركة هو في الأصل اسم للريح الداخل والخارج في البدن من الفم والمنخر وهو كالغذاء للنفس وبانقطاعه بطلانها (**في أمر هو أعلى من علوم المعاملات التي نقصدها في هذا الكتاب فقد ظهر أن رتبة الهلاك ليس إلا للجهال المكذبين)** بالله ورسله ، (**وشهادة ذلك من كتاب الله)** تعالى (وسنة رسوله ﷺ **لا تدخل تحت الحصر فلذلك لم نوردها)** والله الموفق .

(**الرتبة الثانية: رتبة المعذبين وهذه رتبة من تحلى بأصل الإيمان)** بالله ورسله (**ولكن**

بمقتضاه، فإن رأسَ الإيمان هو التوحيد وهو أن لا يعبد إلا الله، ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه، فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة، بل معنى قولك لا إله إلا الله معنى قوله تعالى: ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ [الأنعام: ٩١] وهو أن تذر بالكلية غير الله ومعنى قوله تعالى: ﴿الذينَ قالُوا ربّنا اللهُ ثم استقامُوا﴾ [الأحقاف: ١٣] ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكمل التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من الشعر وأحد من السيف مثل الصراط الموصوف في الآخرة، فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في أمر يسير إذ لا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل، وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم، فذلك يقتضي لا محالة نقصاناً في درجات القرب، ومع كل نقصان ناران: نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان، ونار جهنم كما وصفها القرآن، فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذباً مرتين من وجهين. ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول المدة إنما يكون بسبب أمرين. أحدهما: قوة الإيمان وضعفه، والثاني: كثرة اتباع الهوى وقلته، وإذ لا يخلو بشر في

قصر الوفاء **بمقتضاه، فإن رأس الإيمان هو التوحيد**) أي هو بمنزلة الرأس من الجسد (**وهو أن لا يعبد إلا الله**) وحده، (**ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه**) فمعبوده هواه ولم يكمل توحيده (**فهو موحد بلسانه**) فقط (**لا بالحقيقة**) إذ حقيقة التوحيد أن لا يشارك في توحيده (**بل معنى قولك لا إله إلا الله**) بعينه (**معنى قوله تعالى: ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾**) فقد أمر بالتوحيد الخالص وان يتركهم فيما يخوضون، (**وهو أن تذر بالكلية غير الله**) فلا يكون للغير إلى قلبه سبيل، (**و**) أيضاً (**معنى قوله**) تعالى: (**﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾**) أي على هذا القول: (**ولما كان الصراط المستقيم**) المشار إليه في قوله تعالى ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ (**الذي لا يكمل التوحيد إلا بالاستقامة عليه**) ومن هنا أشار بعض العارفين أن المراد هنا وحدة الوجود (**أدق من الشعر واحدّ من السيف مثل الصراط الموصوف في الآخرة**) بهذا الوصف، (**فلا ينفك بشر عن الميل عن الاستقامة ولو في أثر يسير**) أي قليل تافه، (**إذ لا يخلو عن اتباع الهوى ولو في فعل قليل وذلك قادح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم، فذلك يقتضى لا محالة نقصاناً في درجات القرب، ومع كل نقصان ناران: نار الفراق لذلك الكمال الفائت بالنقصان، ونار جهنم كما وصفها القرآن**) في أي متعددة، (**فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذباً مرتين**) مرة في الدنيا ومرة في الآخرة (من وجهين) مختلفين، (**ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوتا بحسب طول المدة إنما يكون بسبب أمرين، أحدهما: قوّة الإيمان وضعفه، والثاني: كثرة اتباع الهوى وقلته إذ لا يخلو بشر في غالب الأمر**) والأحوال (**عن واحد من الأمرين قال**

غالب الأمر عن واحد من الأمرين. قال الله تعالى: ﴿وإن منكُم إلا واردُها كان على ربك حتماً مقضياً ★ ثم ننجي الذين اتقوا ونَذَر الظَّالمينَ يها جثياً﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢]، ولذلك قال الخائفون من السلف: إنما خوفنا لأنا تيقنا إنا على النار واردون وشككنا في النجاة، ولما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادي يا حنان يا منان قال الحسن: يا ليتني كنت ذلك الرجل. واعلم ان في الأخبار ما يدل على

الله تعالى: ﴿وإن منكم) أي ما منكم من أحد **(إلا واردها﴾)** أي إلا واصلها وحاضرها يعني جهنم **(الآيتين)** وهما ﴿كان على ربك حتماً مقضياً ★ ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾ فيمر بها المؤمن وهي خامدة. وفي الخبر « إذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار؟ فيقال لهم: قد وردتموها وهي خامدة ». قيل: المراد بورودها الجواز على الصراط فإنه ممدود عليها، **(ولذلك قال الخائفون من السلف: إنما خوفنا لأنا تيقنا أنا على النار واردون وشككنا في النجاة)** ووجه التيقن قوله تعالى: ﴿كان على ربك حتماً مقضياً﴾ أي كان ورودهم واجباً أوجبه الله تعالى على نفسه ومضى بأن وعد به وعداً لا يمكن تخلفه. وأخرج أحمد في الزهد عن بكر بن عبد الله المزني أنه لما نزلت هذه الآية ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ذهب عبد الله بن رواحة إلى بيته فبكى وبكى أهل بيته ببكائه، فسئل عن بكائه قال: أنزلت على رسول الله ﷺ آية نبأني فيها ربي أني وارد على النار ولم ينبئني أني صادر عنها، فذلك الذي أبكاني. وفي رواية أخرى عن قيس بن أبي حازم قال: بكى عبد الله بن رواحة فقالت له امرأته: ما يبكيك؟ قال: إني أنبئت أني وارد النار ولم أنبأ إني صادر منها. وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يقول الرجل لصاحبه: هل أتاك انك وارد؟ يقول: نعم. فيقول: هل أتاك أنك خارج؟ يقول: لا، فيقول: ففيم الضحك إذاً؟ **(ولما روى الحسن البصري رحمه الله تعالى الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد ألف عام فإنه)** وفي نسخة: وأنه **(ينادي: يا حنان يا منان. قال الحسن: يا ليتني كنت ذلك الرجل)** لشدة خوفه خاف أن يدخلها، ثم عظم خوفه فخاف أن لا يخرج منها فتمنى أن يخرج منها بعد ألف عام كذا في القوت، والحديث قال العراقي: رواه أحمد، وأبو يعلى من رواية أبي ظلال القسملي عن أنس. وأبو ظلال ضعيف واسمه هلال بن ميمون اهـ.

قلت: ويقال فيه هلال بن سرير معروف بكنيته أخرج له الترمذي. قال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه. وروى الحكيم في النوادر من حديث جابر قال لي جبريل: يا محمد إن الله تعالى يخاطبني يوم القيامة فيقول: يا جبريل مالي أرى فلاناً في صفوف أهل النار؟ فأقول: يا رب إني لم أجد له حسنة يعود عليه خيرها اليوم. فيقول الله تعالى: إني أسمعه في دار الدنيا. يقول: يا حنان يا منان فأته فاسأله فيقول: وهل من حنان منان غير الله؟ فآخذ بيده من صفوف أهل النار فادخله في صفوف أهل الجنة.

أن آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة، وأن الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة حتى قد يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون له فيها لبث، وبين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والأسبوع والشهر وسائر المدد وأن الإختلاف بالشدة لا نهاية لأعلاه، وأدناه التعذيب بالمناقشة في الحساب. كما أن الملك قد يعذب بعض المقصرين في الأعمال بالمناقشة في الحساب ثم يعفو، وقد يضرب بالسياط، وقد يعذب بنوع آخر من العذاب، ويتطرق إلى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة وهو اختلاف الأنواع، إذ ليس من يعذب بمصادرة المال فقط كمن يعذب بأخذ المال وقتل الولد واستباحة الحريم وتعذيب الأقارب والضرب وقطع اللسان واليد والأنف والأذن وغيره، فهذه الإختلافات ثابتة في عذاب الآخرة دل عليها قواطع الشرع، وهي بحسب اختلاف قوة الإيمان، وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات وقلتها. أما شدة العذاب فبشدة قبح السيئات وكثرتها

(**واعلم أن في الأخبار ما يدل على أن آخر من يخرج من النار بعد سبع آلاف سنة**) رواه الحكيم الترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم قريباً، (**وأن الاختلاف في المدة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة حتى**) قد (**يجوز بعضهم على النار كبرق خاطف ولا يكون له فيها لبث**). أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن مسعود قال: يرد الناس الصراط وورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون على الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى أن آخرهم مرا رجل تذره على موضع ابهام قدميه يمر متكفياً به الصراط، (**وبين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والاسبوع والشهر وسائر المدد**). وفي القوت: يخرجون من النار زمراً متفاوتون من اليوم والجمعة والشهر والسنة إلى ستة آلاف سنة، (**وأن الاختلاف بالشدة لا نهاية لأعلاه وأدناه التعذيب بالمناقشة في الحساب**). لما في الخبر «من نوقش الحساب عذب» (**كما أن الملك**) من ملوك الدنيا (**قد يعذب بعض المقصرين في الأعمال بالمناقشة في الحساب ثم يعفو**) فضلاً منه، (**وقد يضرب بالسياط**) وشبهها، (**وقد يعذب بأنواع أخر من العذاب ويتطرق إلى العذاب اختلاف ثالث في غير المدة والشدة وهو اختلاف الأنواع إذ ليس من يعذب بمصادرة المال**) أي أخذه منه ظلماً وتعدياً (**فقط كمن يعذب بأخذ المال وقتل الولد واستباحة الحريم وتعذيب الأقارب والضرب وقطع**) الأطراف مثل (**اللسان واليد والانف وغيره، فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الآخرة دل عليها قواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوّة الإيمان وضعفه وكثرة الطاعات وقلتها وكثرة السيئات وقلتها. أما شدة العذاب فبشدة قبح السيئات**

وأما كثرته فبكثرتها، وأما اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيئات، وقد انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿وما ربُّك بظلام للعبيد﴾ [فصلت: ٤٦]، وبقوله تعالى: ﴿اليوم تُجزَى كلُّ نفسٍ بِمَا كسبَتْ﴾ [غافر: ١٧] وبقوله تعالى: ﴿وإنَّ ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ [النجم: ٣٩] وبقوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره★ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨] إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الأعمال، وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه، وجانب العفو والرحمة أرجح، إذ قال تعالى فيما أخبر عنه نبينا ﷺ: « سبقت رحمتي غضبي »، وقال تعالى: ﴿وإن تكُ حسنة يضاعفها ويؤت من لدُنهُ أجراً عظيماً﴾ [النساء: ٤٠] فإذاً هذه الأمور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة، فإما التفصيل فلا يعرف إلا ظناً ومستنده ظواهر الأخبار ونوع حدس يستمد من أنوار الاستبصار بعين الإعتبار، فنقول: كل من أحكم أصل الإيمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع الفرائض - أعني الأركان الخمسة - ولم يكن منه إلا صغائر متفرقة لم يصر

وكثرتها وأما كثرته فبكثرتها) أي السيئات، (**وأما اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيئات، وقد انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان وهو المعنيّ**) أي المقصود (**بقوله تعالى: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾**) وبقوله تعالى: ﴿وما الله يريد ظلماً للعباد﴾ [غافر: ٣١] (**وبقوله**) تعالى: (**﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ وبقوله**) تعالى: (**﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ وبقوله**) تعالى: (**﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره★ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنّة من كون العقاب والثواب جزاء على الأعمال**) مترتباً عليها، (**وكل ذلك بعدل لا ظلم فيه**) ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ [الكهف: ٤٩] (**وجانب العفو والرحمة أرجح اذ قال تعالى فيما أخبر**) وفي نسخة حكى (**عن نبينا ﷺ: « سبقت رحمتي غضبي »**) رواه مسلم من حديث أبي هريرة. (**وقال**) الله (**تعالى: ﴿وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ فإذاً هذه الأمور الكلية من ارتباط الدرجات والدركات بالحسنات والسيئات مطوية بقواطع الشرع**) أي بدلائله القطعية (**ونور المعرفة**) الحاصل من كمال الايمان هذا على سبيل الإجمال. (**وأما التفصيل فلا يعرف إلا ظناً ومستنده ظواهر الاخبار ونوع حدس**) أي تخمين (**يستمد من أنوار الاستبصار بعين الاعتبار، فنقول: كل من أحكم أصل الإيمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع الفرائض أعني الأركان الخمسة**) من التوحيد والصلاة والزكاة والصوم والحج (**ولم تكن منه إلا صغائر متفرقة لم يصر عليها** ،فيشبه أن يكون عذابه المناقشة **فقط**،

عليها، فيشبه أن يكون عذابه المناقشة في الحساب فقط، فإنه إذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته، إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهن وكذلك، اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفر للصغائر وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع الحساب، وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه، فينبغي أن يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية، نعم التحاقه بأصحاب اليمين أو بالمقربين ونزوله في جنات عدن أو في الفردوس الأعلى، فكذلك يتبع أصناف الإيمان، لأن الإيمان إيمانان: تقليدي كإيمان العوام يصدقون بما يستمعون ويستمرون عليه، وإيمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه، فيتضح أن الكل إلى الله مرجعه ومصيره، إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله، فهذا الصنف هم المقربون

فإنه إذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته إذ ورد في الأخبار «أن الصلوات الخمس والجمعة) إلى الجمعة **(وصوم رمضان)** إلى رمضان **(كفارة لما بينهن»)** رواه أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة نحوه وقد تقدم قريباً. **(وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفر للصغائر)** وهو قوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم﴾ [النساء: ٣١] **(وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب ان لم يرفع الحساب، وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه)** بالحسنات، **(فينبغي أن يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية)** يشير إلى قوله تعالى: ﴿فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية﴾ [القارعة: ٦] **(نعم، التحاقه بأصحاب اليمين أو بالمقربين ونزوله في جنة عدن أو في الفردوس الأعلى، فكذلك يتبع أصناف الإيمان لأن الايمان إيمانات: تقليدي كايمان العوام يصدقون بما يسمعون ويستمرون عليه، وإيمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله)** عز وجل وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ [الزمر: ٢٢] **(حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه)** واجبه وممكنه، **(فيتضح أن الكل إلى الله مرجعه ومصيره إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله)** وان: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص: ٨٨] لا أنه يصيرها لكامن الأوقات، بل هو هالك أزلاً وأبداً لا يتصوّر إلا كذلك، فإن كل شيء سواه إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض، وإذا اعتبر من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأزل فيكون الموجود وجه الله فقط، ولكل شيء وجهان. وجه إلى نفسه ووجه إلى ربه، فهو باعتبار وجه نفسه عدم، وباعتبار وجه الله موجود فإذاً لا موجود إلا الله ووجهه، فإذاً كل شيء هالك إلا وجهه أزلاً وأبداً، ونزيد ذلك وضوحاً أن الوجود ينقسم إلى ما الوجود له من ذاته وإلى ماله الوجود من غيره وماله الوجود من غير موجود مستعار قوام له بنفسه، بل إذا اعتبرت

النازلون في الفردوس الأعلى، وهم على غاية القرب من الملأ الأعلى، وهم أيضاً على أصناف: فمنهم السابقون ومنهم من دونهم؛ وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى. ودرجات العارفين في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر، إذ لإحاطة بكنه جلال الله غير ممكنة وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق. وإنما يغوص فيه الغوّاصون بقدر قواهم، وبقدر ما سبق لهم من الله تعالى في الأزل؛ فالطريق إلى الله تعالى لا نهاية لمنازله؛ فالسالكون سبيل الله لا نهاية لدرجاتهم. وأما المؤمن إيماناً تقليدياً فهو من أصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين، وهم أيضاً على درجات؛ فالأعلى من درجات أصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة الأدنى من درجات المقربين، هذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى الفرائض كلها. أعني الأركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلاة والزكاة والصوم والحج؛ فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر أو أهمل بعض أركان

ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض، وإنما هو وجوده من حيث نسبته إلى غيره وذلك ليس بوجود حقيقي فاعرفه. (**فهذا الصنف هم المقربون النازلون في الفردوس الأعلى، وهم على غاية القرب من الملأ الأعلى**) والقريب إلى القريب قريب، (**وهم أيضاً على أصناف: فمنهم السابقون**) بالخيرات، (**ومنهم من دونهم**) في الرتبة (**وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى**) فكل من قويت معرفته تم له السبق وذلك بقدر ما ينكشف لهم من معلومات الله وعجائب مقدوراته وبديع آياته في الدنيا والآخرة والملك والملكوت، (**ودرجات العارفين في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر إذ الإحاطة بكنه جلال الله**) وعظمته (**غير ممكنة**) في قوّة البشر والملائكة (**وبحر المعرفة ليس له ساحل**) ينتهي إليه (**و**) لا يعرف له (**عمق**) أي قرار، (**وإنما يغوص فيه الغوّاصون بقدر قواهم**) واستعداداتهم (**وبقدر ما سبق لهم من الله تعالى في الأزل، فالطريق إلى الله تعالى لا نهاية لمنازله والسالكون لسبيل الله لا نهاية لدرجاتهم**) ونهاية معرفتهم عجزهم عن المعرفة، ومعرفتهم بالحقيقة هي أنهم لا يعرفونه وأنهم لا يمكنهم البتة معرفته، وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالى، فإذا انكشف لهم ذلك انكشافاً برهانياً فقد بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته، (**وأما المؤمن إيماناً تقليدياً فهو من أصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين، وهم أيضاً** على درجات: **فالأعلى من أصحاب اليمين تقارب رتبته رتبة الأدنى من درجات المقربين. هذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى الفرائض كلها أعني الأركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلاة والزكاة والصوم والحج**) وهي أبنية الإسلام إذا اتمت كفرت ما بعدها من السيئات وثبتت للعبد نوافله وتبدل بسيئاته حسنات، (**فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر أو أهمل بعض أركان الإسلام**) المذكورة (**فإن تاب توبة نصوحاً**

الإسلام، فإن تاب توبة نصوحاً قبل قرب الأجل التحق بمن لم يرتكب، لأن التائب من الذنب، كمن لا ذنب له، والثواب المغسول كالذي لم يتوسخ أصلاً، وإن مات قبل التوبة فهذا أمر مخطر عند الموت، إذ ربما يكون موته على الإصرار سبباً لتزلزل إيمانه فيختم له بسوء الخاتمة، لا سيما إذا كان إيمانه تقليدياً، فإن التقليد وإن كان جزماً فهو قابل للإنحلال بأدنى شك وخيال، والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الخاتمة وكلاهما إن ماتا على الإيمان يعذبان إلا أن يعفو الله عذاباً يزيد على عذاب المناقشة في الحساب، وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الإصرار، ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر، ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف أصناف السيئات، وعند انقضاء مدة العذاب ينزل البله المقلدون في درجات أصحاب اليمين، والعارفون المستبصرون في أعلى عليين! ففي الخبر: «آخر من يخرج من النار يعطي مثل الدنيا كلها

قبل قرب الأجل التحق بمن لم يرتكب ذنباً لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له) كما في الخبر وتقدم ذكره، **(والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ أصلاً، وإن مات قبل التوبة فهذا أمر مخطر عند الموت إذ ربما يكون موته على الإصرار سبباً** لتزلزل إيمانه) واضطرابه **(فيختم له بسوء الخاتمة)** عياذاً بالله منه، **(لاسيما إذا كان إيمانه تقليدياً)** لا كشفياً، **(فان التقليد وان كان جزماً فهو قابل للانحلال بأدنى شك وخيال، والعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الخاتمة، وكلاهما إن ماتا على الإيمان يعذبان إلا أن يعفو الله)** تعالى **(عذابا يزيد على عذاب المناقشة في الحساب، وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الإصرار، ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر،** ومن حيث **اختلاف النوع بحسب اختلاف أصناف السيئات، وعند انقضاء مدة العذاب ينزل البله المقلدون في درجات أصحاب اليمين، والعارفون المستبصرون في أعلى عليين)** فهذا تفاوت درجاتهم في منازلهم، **(ففي الخبر «آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف»)** قال العراقي: متفق عليه من حديث ابن مسعود انتهى.

قلت: الذي في صحيح مسلم من حديثه «آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط فهو يمشي مرة ويكبو مرة تسفعه النار مرة فإذا جاوزها التفت إليها وقال: تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئاً فما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين فترفع له شجرة فيقول: أي رب ادنني منها فنستظل بظلها ونشرب من مائها. فيقول الله: يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها؟ فيقول: لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة أخرى هي أحسن من الأولى فيقول: أي رب ادنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني

عشرة أضعاف »، فلا تظن أن المراد به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام، كأن يقابل فرسخ بفرسخين أو عشرة بعشرين؛ فإن هذا جهل بطريق ضرب الأمثال، بل هذا كقول القائل: أخذ منه جملاً وأعطاه عشرة أمثاله، وكان الجمل يساوي عشرة دنانير فأعطاه مائة دينار، فإن لم يفهم من المثل إلا المثل في الوزن والثقل فلا تكون مائة دينار لو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة الأخرى عشر عشيره، بل هو موازنة معاني

غيرها ؟ فيقول: لعلي إذا أدنيتك منها تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولين فيقول: أي رب ادنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها ولا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها ؟ قال: بلى يا رب ادنني من هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب أدخلنيها. فيقول: يا ابن آدم ما يصريني منك أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ فيقول: أي رب أتستهزىء مني وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزىء منك ولكني على ما أشاء قدير ». هكذا رواه أحمد، والطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب. وقوله « ما يصريني منك » هكذا رواه مسلم وقيده النووي بفتح الياء واسكان الصاد المهملة ومعناه يقطع مسألتك عني. وروي في غير مسلم « ما يصريك مني » وكلاهما صحيح، والمعنى أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك انتهى.

وفي رواية للطبراني « إن آخر من يخرج من النار ويدخل الجنة رجل يحبو فيقال له: أدخل الجنة فيحيل إليه انها ملأى. فيقول: يا رب إنها ملأى. فيقال له: أدخل إن لك عشرة أمثال الدنيا. فيقول: أنت الملك أتضحك بي فذلك انقص أهل الجنة حظاً ».

وفي حديث أبي هريرة وأبي سعيد معاً « آخر من يخرج من النار رجلان » الحديث بطوله وفيه « فيسأل ويتمنى فإذا فرغ قال: لك ما سألت ومثله معه ». وقال أبو هريرة « وعشرة أمثاله ». رواه أحمد، وعبد بن حميد، وقد تقدم، وفي الباب أبو أمامة الباهلي رواه الحكيم والطبراني ولكن ليس فيه ذكر عشرة أمثال الدنيا.

(فلا تظن أن المراد به تقديره بالمساحة لأطراف الأجسام كان يقابل فرسخ بفرسخين أو عشرة فراسخ بعشرين) المساحة بالكسر الذرع يقال: مسحت الأرض مسحاً أي ذرعتها، والفرسخ ثلاثة أميال بالهاشمي والجمع فراسخ، **(فإن هذا جهل بطريق ضرب الأمثال، بل هذا كقول القائل: أخذ منه جملاً وأعطاه عشرة أمثاله وكان الجمل يساوي)** في الثمن **(عشرة دنانير فأعطاه مائة دينار)** وهو عشرة أمثال، **(فإن لم يفهم من المثل إلا المثل في الوزن ولا الثقل فلا تكون مائة دينار مثلاً للجمل لأن مائة دينار إذا وضعت في كفة الميزان و)**

الأجسام وأرواحها دون أشخاصها وهياكلها ؛ فإن الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته ، فروحه المالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية ، وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والفضة ، بل لو أعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال: أعطيته عشرة أمثاله ، كان صادقاً ، ولكن لا يدرك صدقه إلا الجوهريون ؛ فإن روح الجوهرية لا تدرك بمجرد البصر بل بفطنة أخرى وراء البصر ، فلذلك يكذب به الصبي بل القروي والبدوي ويقول: ما هذه الجوهرة إلا حجر وزنه مثقال ، ووزن الجمل ألف ألف مثقال فقد كذب في قوله: إني أعطيته عشرة أمثاله ، والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لا سبيل إلى تحقيق ذلك عنده إلا بأن ينتظر به البلوغ والكمال وأن يحصل في قلبه النور الذي يدرك به أرواح الجواهر وسائر الأموال ، فعند ذلك ينكشف له الصدق ، والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر صدق رسول الله ﷺ في هذه الموازنة ، إذ يقول ﷺ : « الجنة في السموات » ، كما ورد في الأخبار .

وضع (**الجمل في الكفة** الأخرى لم يكن عُشر عشيره ، **بل هو موازنة معاني الأجسام وأرواحها دون أشخاصها وهياكلها**) أي صورها الظاهرة ، (**فإن الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروحه**) الباطني (**المالية وجسمه اللحم والدم**) اللذان بهما تركيبه ، (**ومائة دينار عشرة أمثاله بالموازنة الروحانية لا بالموازنة الجسمانية ، وهذا صادق عند من يعرف روح المالية من الذهب والإبل ، بل لو أعطاه جوهرة وزنها مثقال وقيمتها مائة دينار وقال: أعطيته عشرة أمثالها كان صادقاً ، ولكن لا يدرك صدقه إلا الجوهري**) الذي يتعاطي بيع الجواهر وشراءها ، (**فإن روح الجوهرية لا يدرك بمجرد البصر بل بفطنة أخرى وراء البصر**) وهي التي يميز بها بين الجيد منه والمغشوش وكثيراً ما يروج على من عدم هذه الفطنة الزجاج المغشوش بالجوهر ، (**ولذلك يكذب به الصبي**) الغر بالأمور (**بل القروي**) أي ساكن القرى البعيدة عن المدن (**والبدوي**) أي ساكن البراري والقفار (**ويقول**) لعدم الفطنة : (**ما هذه الجوهرة إلا حجر وزنه مثقال ووزن الجمل ألف ألف مثقال**) بل ألف ألف أرطال ، (**فقد كذب في قوله: إني أعطيته عشرة أمثاله ، والكاذب بالتحقيق هو الصبي ، ولكن لا سبيل إلى تحقيق ذلك عنده إلا بأن ينتظر به البلوغ والكمال**) بالعقل (**وان يحصل في قلبه النور الذي يدرك به أرواح الجواهر وسائر الأموال ، فعند ذلك ينكشف له الصدق إنكشافاً برهانياً** ، (**والعارف عاجز عن تفهيم المقلد القاصر**) عقله (**صدق رسول الله ﷺ في هذه الموازنة**) التي ذكرت في الأخبار السابقة ، (**إذ يقول: « الجنة في السموات » كما ورد**

والسموات من الدنيا فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا في الدنيا، وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة؛ وكذلك تفهيم البدوي وكما أن الجوهري مرحوم إذا بلي بالبدوي والقروي في تفهيم تلك الموازنة، فالعارف مرحوم إذا بلي بالبليد الأبله في تفهيم هذه الموازنة، ولذلك قال ﷺ: «إرحموا ثلاثة: عالماً بين الجهال، وغني قوم

في الأخبار) قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه «فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن» انتهى.

قلت: بل قد ورد أصرح من ذلك. وروى الشيخان من حديث أبي موسى «الجنة درة مجوّفة طولها في السماء ستون ميلاً لكل زاوية منها أهل لا يراهم الآخرون» وروى أبو نعيم، ومن طريقه الديلمي من حديث عبد الله بن سلام «الجنة في السماء والنار في الأرض».

(والسموات من الدنيا فكيف يكون عشرة امثال الدنيا في الدنيا، وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك تفهيم البدوي) فإنهما قاصران عن فهمها، **(وكما أن الجوهري مرحوم إذا بلي بالبدوي والقروي في تلك الموازنة، فالعارف)** البصير **(مرحوم إذا بلي بالأبله البليد)** الجامد الذهن **(في تفهيم هذه الموازنة ولذلك قال ﷺ: «ارحموا ثلاثة: عالماً بين الجهال، وغني قوم افتقر، وعزيز قوم ذل»)** قال العراقي رواه ابن حبان في الضعفاء من رواية عيسى بن طهمان عن أنس، وعيسى ضعيف. ورواه فيه من حديث ابن عباس إلا أنه قال: «عالم يتلاعب به الصبيان» وفيه أبو البختري واسمه وهب بن وهب أحد الكذابين انتهى.

قلت: لفظ ابن حبان في الضعفاء: «ارحموا ثلاثة: عزيز قوم ذل، وغنى قوم افتقر، وعالماً بين جهال» هكذا أورده في ترجمة عيسى وقال: إنه يتفرد بالمناكير عن أنس كأنه كان يدلس عن أبان بن عياش ويزيد الرقاشي عنه لا يجوز الإحتجاج بخبره. ورواه العسكري في الأمثال، والسليماني في الضعفاء من طريق زيد بن أبي الزرقاء عن عيسى بن طهمان بلفظ: «ارحموا ثلاثة من الناس» والباقي سواء. وقال ثانيهما: إن الحمل فيهما فيه على عيسى، لكن وجد بخط الحافظ بن حجر ما نصه: عيسى ثقة لم يتكلم فيه غير ابن حبان، وقد احتج به البخاري والنسائي والأمة ممن دونه انتهى.

وقال في التهذيب: صدوق أفرط فيه ابن حبان، والذنب فيما استنكره من حديثه لغيره، وسبقه المزي فقال في ترجمته، قال أحمد: شيخ ثقة وعنه أيضاً ليس به بأس، وكذلك قال ابن معين والنسائي، وقال أبو حاتم: لا بأس به يشبه حديثه حديث أهل الصدق ما بحديثه بأس. وقال أبو داود: لا بأس به أحاديثه مستقيمة، وقال مرة أخرى: ثقة. ورواه الخطيب من طريق جعفر بن هارون الواسطي عن سمعان عن أنس رفعه مثله لكن بلفظ: «فقيها يتلاعب به الصبيان الجهال» وسمعان مجهول لا يكاد يعرف الضعف إلا به نسخه مكذوبة. ورواه القضاعي من طريق عبدالله بن الوليد العدني، حدثنا الثوري عن مجاهد عن ابن مسعود به مرفوعاً بلفظ: «يتلعب به الحمقى والجهال» ومجاهد قال أبو زرعة عن ابن مسعود، وقد روي عن ابن عباس بلفظ: «وعالم يتلاعب

افتقر، وعزيز قوم ذل »، والأنبياء مرحومون بين الأمة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور عقول الأمة فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله القضاء الأزلي، وهو المعني بقوله عليه السلام: « البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل

به الصبيان » رواه ابن حبان في الضعفاء من طريق نوح بن الهيثم عن أبي البختري. ويروي عن أبي هريرة أيضاً، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال: إنما يعرف هذا من كلام الفضيل بن عياض وساقه من طريق الحاكم قال: سمعت إسماعيل بن محمد بن الفضل قال: سمعت جدي يقول: سمعت سعيد بن منصور يقول، قال الفضيل بن عياض » ارحموا عزيز قوم ذل، وغنياً افتقر، وعالماً بين جهال ».

(**والأنبياء مرحومون بين الأمة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور عقول الأمة**) عن إدارك ما يقولون لهم (**فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله**) تعالى (**وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله القضاء الأزلي وهو المعنى بقوله ﷺ : « البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل »**) قال العراقي: رواه الترمذي وصححه، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ فذكره دون ذكره الأولياء، وللطبراني من حديث فاطمة عمة أبي عبيدة بن حذيفة بإسناد صحيح في أثناء حديث: « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون » انتهى.

قلت: رواه الترمذي في الزهد من جامعه من طريق عاصم بن بهولة، عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل » فيبتلي الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة، وكذا هو عند النسائي، وابن ماجه في الفتن في سننه، والدارمي في الرقاق من مسنده. وأخرجه الطيالسي، وأحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، وابن أبي عمر، وابن منيع، وأبو يعلى، وابن حبان، والحاكم كلهم من حديث عاصم. وهو عند مالك في الموطأ وآخرين. وقال الترمذي إنه حسن صحيح، وصححه ابن حبان، والحاكم، وأخرجة أيضاً من طريق العلاء بن المسيب عن مصعب.

وأما حديث فاطمة بنت اليمان أخت حذيفة فلفظه عند الطبراني في الكبير « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وروى البخاري في التاريخ عن أزواج النبي ﷺ : « أشد الناس بلاء في الدنيا نبي أو صفي » وروي ابن النجار من حديث أبي هريرة « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ». وروى ابن حبان من حديث أبي سعيد « أشد النار بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الناس على قدر دينهم فمن تحقق دينه اشتد بلاؤه ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة ». ورواه ابن سعد في الطبقات، وابن ماجه، وأبو يعلى، والحاكم وصاحب الحلية، والضياء بلفظ: « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون لقد كان أحدهم يبتلي بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يحويها فيلبسها ويبتلى بالقمل حتى تقتله ولأحدهم كان أشد فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء ».

فالأمثل » فلا تظنن أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام وهو الذي ينزل بالبدن ؛ فإن بلاء نوح عليه السلام أيضاً من البلاء العظيم ، إذ بلي بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه إلى الله إلا فراراً ، ولذلك لما تأذى رسول الله ﷺ بكلام بعض الناس قال : رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر » ، فإذا لا تخلو الأنبياء عن الابتلاء بالجاحدين ، ولا تخلو الأولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ، ولذلك قلما ينفك الأولياء عن ضروب من الإيذاء وأنواع البلاء بالإخراج من البلاد والسعاية بهم إلى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين ، وواجب أن يكون أهل المعرفة عند أهل الجهل من

(فلا تظنن أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام وهو الذي ينزل بالبدن) ، وكان عليه السلام قد ابتلي سبع سنين و أشهراً بالضر في جسده كما رواه ابن جرير عن قتادة ، **(فإن بلاء نوح عليه السلام أيضاً من البلاء العظيم إذ بلي بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه إلى الله إلا فراراً)** وذلك قوله تعالى قال نوح : ﴿رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً ★ فلم يزدهم دعاني إلا فراراً﴾ [نوح : ٥ ـ ٧] أي عن الإيمان والطاعة ﴿وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً﴾ [نوح : ٥ ـ ٧] **(ولذلك لما تأذى رسول الله ﷺ بكلام بعض الناس قال : « رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر »)** قال العراقي : متفق عليه من حديث ابن مسعود انتهى .

قلت : والمراد ببعض الناس رجل من المؤلفة قلوبهم ، وذلك أنه ﷺ أعطى يوم حنين الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن مائة من الأبل ، وأعطى غيرهم أقل من ذلك فقال رجل : إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله . فقال ﷺ ذلك . وقد رواه أحمد كذلك ، وتقدم في اخلاق النبوة ، ويحكى من تعنت من آمن بموسى من بني إسرائيل أن رموه بداء الأدرة واتهموه بقتل أخيه هارون لما مات معه في التيه بعد ما رأوا منه المعجزات الظاهرة بما جاء به التنزيل ، ومن سوء أخلاقهم أنه لما سلك بهم طريق البحر قالوا له : إن صحبنا لا نراهم ، فقال : سيروا فإنهم على طريق كطريقكم . قالوا : لا نرضى حتى نراهم ، فقال : اللهم أعني على أخلاقهم السيئة ففتحت لهم كوات في الماء فتراؤوا وتسامعوا إلى غير ذلك من أذاهم له عليه السلام ، وهذا القول منه ﷺ شفقة عليهم ونصحاً في الدين لا تهديداً وتثريباً إيثار الحق الله على نفسه في ذلك المقام الذي هو غب الفتح وتمكن السلطان الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثأره المأثور .

(فإذاً كما لا يخلو الأنبياء) عليهم السلام **(عن الإبتلاء بالجاحدين)** والمعاندين **(فلا يخلو الأولياء والعلماء عن الإبتلاء بالجاهلين ، ولذلك قلما ينفك الأولياء)** وكذلك العلماء **(عن ضروب)** أي أنواع **(من الإيذاء وأنواع البلاء بالإخراج عن البلد)** تارة ، **(والسعاية بهم إلى السلاطين)** تارة ، **(والشهادة عليهم بالكفر)** تارة ، **(والخروج عن الدين)** تارة أي

الكافرين، كما يجب أن يكون المعتاض عن الجمل الكبير جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين، فإذا عرفت هذه الدقائق فآمن بقوله عليه السلام: «إنه يعطي آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات» وإياك أن تقتصر بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حماراً برجلين، لأن الحمار يشاركك في الحواس الخمس وإنما أنت مفارق للحمار بسر آلهي عرض على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنه وأشفقن منه، فإدراك ما يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف إلا في عالم ذلك السر الذي فارقت به الحمار وسائر البهائم؛ فمن ذهل عن ذلك وعطله وأهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات فهو الذي أهلك نفسه بتعطيلها ونسبها بالإعراض عنها، فلا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فكل من لم يعرف إلا المدرك بالحواس فقد نسي الله، إذ ليس ذات الله مدركاً في هذا العالم بالحواس الخمس، وكل من نسي الله أنساه الله ـ لا محالة ـ نفسه ونزل إلى رتبة البهائم وترك الترقي إلى الأفق

رميهم بالحلول والزندقة، وقد وقع كل ما ذكر لأعيان الأولياء والعلماء كما يعرف ذلك من تراجمهم في التواريخ وهم مع ذلك يصبرون على أذاهم إذا أخذ الله عليهم أن يعدلوا أو يقوموا بنواميس الشريعة والحقيقة والصدع بالحق والقيام لله في أمور الدين ومصالح المسلمين وتحمل الأذى المترتب على ذلك، إذ هم القدوة والمرجع في الأحكام وحجة الله على العوام، (**وواجب أن يكون أهل المعرفة**) بالله تعالى (**عند أهل الجهل من الكافرين، كما يجب أن يكون المعتاض عن الجمل الكبير**) في الجسم (**جوهرة صغيرة عند الجاهلين من المبذرين المضيعين**) أموالهم في غير محالها: (**فإذا عرفت هذه الدقائق فآمن بقوله ﷺ: «أنه يعطي آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات»**) كما تقدم بيان ذلك. (**وإياك أن تقتصر بتصديقك على ما يدركه البصر والحواس فقط، فتكون حماراً برجلين لأن الحمار يشاركك في الحواس الخمس**) الظاهرة، (**وإنما أنت مفارق للحمار بسر إلهي عرض على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنه وأشفقن منه**) وحملته أنت، (**فإدراك ما يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف إلا في عالم ذلك السر الذي فارقت به الحمار وسائر البهائم**) وتميزت به عنها (**فمن ذهل عن ذلك وعطله وأهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز المحسوسات**) وهي أخس الرتب، (**فهو الذي أهلك نفسه بتعطيلها ونسبها بالإعراض عنها**) وقد قال تعالى في كتابه العزيز: (**﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ [الحشر: ١٩] فكل من لم يعرف إلا المدرك بالحواس فقد نسي الله**) وجهل طريق المعرفة، (**إذ ليس ذات الله مدركاً في هذا العالم بالحواس الخمس، وكل من نسي الله أنساه الله لا محالة نفسه ونزل إلى رتبة البهائم**) وامتنع سلوكه، (**وترك الترقي إلى الأفق الأعلى وخان في الأمانة التي أودعه الله**

الأعلى وخان في الأمانة التي أودعه الله تعالى وأنعم عليه كافراً لأنعمه ومتعرّضاً لنقمته إلا أنه أسوأ حالاً من البهيمة، فإن البهيمة تتخلص بالموت. وأما هذا فعنده أمانة سترجع لا محالة إلى مودعها، فإليه مرجع الأمانة ومصيرها وتلك الأمانة كالشمس الزاهرة وإنما هبطت إلى هذا القالب الفاني وغربت فيه، وستطلع هذه الشمس عند خراب هذا القالب من مغربها وتعود إلى بارئها وخالقها إما مظلمة منكسفة وإما زاهرة مشرقة. والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن حضرة الربوبية، والمظلمة أيضاً راجعة إلى الحضرة إذ المرجع والمصير للكل إليه إلا أنها ناكسة رأسها عن جهة أعلى عليين إلى جهة أسفل سافلين، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٢] فبين أنهم عند ربهم إلا أنهم منكوسون قد انقلبت وجوههم إلى أقفيتهم وانتكست رؤوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل، وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه؛ فنعوذ بالله من الضلال والنزول إلى منازل الجهال؛ فهذا حكم انقسام من يخرج من النار ويعطي مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر، ولا يخرج من

تعالى) إياه، **(وأنعم بها عليه فغدا بذلك كافراً بنعمته ومتعرضاً لنقمته إلا أنه أسوأ حالاً من البهيمة، فإن البهيمة تتخلص بالموت)** وتصير هباء فلا تحاسب ولا تعاقب، **(وأما هذا فعنده أمانة سترجع لا محالة إلى مودعها فإليه مرجع الأمانة ومصيرها)** ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ [الشورى: ٥٣] **(وتلك الأمانة)** المودعة **(كالشمس الزاهرة)** أي المضيئة المشرقة، **(وإنما هبطت)** من الأفق الأعلى **(إلى هذا القالب)** الجسماني **(الفاني وغربت فيه)** وإليه أشار أبو علي بن سينا في عينيته:

هبطت إليك من المحل الأرفع ... هيفاء ذات تحجب وتمنع

(وستطلع هذه الشمس عند خراب هذا القالب من مغربها وتعود إلى بارئها وخالقها إما مظلمة منكسفة وإما زاهرة مشرقة، والزاهرة المشرقة غير محجوبة عن الحضرة الربوبية، والمظلمة أيضاً راجعة إلى الحضرة إذ المرجع والمصير للكل إليه إلا أنها ناكسة رأسها عن جهة أعلى عليين إلى جهة أسفل سافلين، ولذلك قال تعالى: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم﴾) أي حياء وخجلاً وذلاً وحقارة، **(فبين أنهم عند ربهم إلا أنهم منكوسون)** منجوسون **(قد انقلبت وجوههم إلى أقفيتهم)** أي إلى وراء قد وكس بهم **(وانتكست رؤوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل، وذلك حكم الله)** عز وجل **(فيمن حرمه توفيقه)** أي منعه إياه **(ولم يهده طريقه)** أي لم يره إياها، **(فنعوذ بالله من الضلال والنزول إلى منازل الجهال، فهذا حكم انقسام من يخرج من النار)** آخراً فيتمنى ويسأل **(فيعطي مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر ولا يخرج من النار إلا موحد، ولست أعني**

النار إلا موحد. ولست أعني بالتوحيد أن يقول بلسانه لا إله إلا الله، فإن اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع إلا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وأيدي الغانمين عن ماله، ومدة بقاء الرقبة والمال مدة الحياة، فحيث لا تبقى رقبة ولا مال لا ينفع القول باللسان، وإنما ينفع الصدق في التوحيد وكمال التوحيد أن لا يرى الأمور كلها إلا من الله، وعلامته أن لا يغضب على أحد من الخلق بما يجري عليه، إذ لا يرى الوسائط وإنما يرى مسبب الأسباب كما سيأتي تحقيقه في التوكل، وهذا التوحيد متفاوت، فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال، ومنهم من له مثقال. ومنهم من له مقدار خردلة وذرّة، فمن في قلبه مثقال دينار من إيمان فهو أول من يخرج من النار. وفي الخبر يقال: «أخرجوا من النار من في قلبه مثقال دينار من إيمان»، وآخر من يخرج من في قلبه

بالتوحيد أن يقول بلسانه لا إله إلا الله فإن اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع) هذا التوحيد (**إلا في عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته**) أي سيف المجاهدين، (**و**) تدفع (**أيدي الغانمين عن ماله**) وذلك قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم وأعراضهم وحسابهم على الله وجل». (**ومدة بقاء الرقبة والمال مدة الحياة**) في عالم الملك (**فحيث لا تبقى رقبة ولا مال له لا ينفع القول باللسان، وإنما ينفع الصدق في التوحيد وكمال التوحيد أن لا يرى الأمور كلها إلا من الله**) عز وجل. قال أبو عبدالله بن الجلاء: من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد، ومن حافظ على الفرائض في أول مواقيتها فهو عابد، ومن رأى الأفعال كلها من الله فهو موحد، (**وعلامته أن لا يغضب على أحد من خلقه بما يجري عليه**) من المقدرات الأزلية من خير أو شر، (**إذ لا يرى الوسائط**) لأنها تضمحل عن نظرة، (**وإنما يرى مسبب الأسباب**) وهذا هو مرتبة الفناء في الله (**كما سيأتي تحقيقه في**) كتاب (**التوكل**) إن شاء الله تعالى، (**وهذا التوحيد متفاوت**) بتفاوت الموحدين، (**فمن الناس من له من التوحيد مثل الجبال**) وهؤلاء هم الأنبياء والمقربون والصديقون، (**ومنهم من له مثقال**) وزنه درهم وثلاثة أسباع درهم، (**ومنهم من له مقدار خردلة**) والخردلة معروفة، (**و**) منهم من (**له مثقال ذرة**) وهي البهاء الذي يظهر في ضوء الشمس من كوة، (**فمن**) كان (**في قلبه**) منه (**مثقال دينار**) أي وزنه (**من إيمان فهو أول من يخرج من النار. وفي الخبر يقال: «أخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان»**) روى الطيالسي، وأحمد والشيخان والترمذي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان من حديث أنس «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من يقول لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة». وروى الترمذي وقال: حسن صحيح من حديث أبي سعيد «يخرج من النار في قلبه مثقال ذرة من الإيمان».

مثقال ذرة من إيمان، وما بين المثقال والذرة على قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة، والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرنا في الموازنة بين أعيان الأموال وبين النقود، وأكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد، فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك، فأما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير إليها، ففي الأثر: إن العبد ليوقف بين يدي الله تعالى وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة، فيقوم أصحاب المظالم فيكون قد سب عرض هذا وأخذ مال هذا وضرب هذا فيقضي من حسناته حتى لا تبقى له حسنة، فتقول الملائكة يا ربنا هذا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير، فيقول الله تعالى: ألقوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكاً إلى النار». وكما يهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو

(وما بين المثقال والذرة على قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المثقال وبين طبقة الذرة) وهؤلاء آخر الطبقات خروجاً إلى أن يبدو لبعضهم من الله تعالى ما لا يحتسبه فيعفو عن البعض ولا يجعل لمن حق عليه الوعيد مما سبق له من الكلمة الحسنى ويتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة، **(والموازنة بالمثقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرناه في الموازنة بين أعيان الأموال وبين النقود، وأكثر ما يدخل الموحدين النار مظالم العباد)** يتحملونها على رقابهم فتكون سبباً لدخولهم في النار، **(فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك)** كما تقدم في ذكر الدواوين الثلاثة في الخبر السابق، وذلك لأن حقوق العباد مبنية على المشاحة. ولفظ القوت: وأكثر ما يوقي الناس من الكبائر المظالم، وأكثر ما يدخلهم النار ذنوب غيرهم إذا طرحت عليهم، وفي الخبر: ذنب يغفر وذنب لا يترك فالذي يغفر ذنب نفسك والذي لا يترك مظالم العباد. **(فأما بقية السيئات فيتسارع العفو والتكفير إليها ففي الأثر)** والمراد به هنا الخبر كما هو نص القوت فإنه قال: وقد جاء في الخبر وليس من عادة المصنف أن يستعمل لفظ الأثر إلا في أقوال الصحابة ومن بعدهم، ولذلك لم يتعرض له العراقي: **(إن العبد ليوقف بين يدي الله عز وجل وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة فيقوم أصحاب المظالم فيكون)** ولفظ القوت فيوجد **(قد سبّ عرض هذا وأخذ)** ولفظ القوت وأكل **(مال هذا فتقتص من حسناته حتى لا تبقى له حسنة، فتقول الملائكة: يا ربنا هذا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير، فيقول الله تعالى)** ولفظ القوت فيقال: **(القوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكاً إلى النار)** هكذا في القوت.

وروى الحاكم عن أبي عثمان النهدي عن سلمان وسعد وابن مسعود وغيرهم رفعوه «يرفع للرجل الصحيفة يوم القيامة حتى يرى أنه ناج فما زال مظالم بني آدم تتبعه حتى ما بقي له حسنة ويزاد عليه من سيئاتهم». **(وكما يهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص فكذلك ينجو المظلوم بحسنة**

المظلوم بحسنة الظالم، إذ ينقل إليه عوضاً عما ظلم به وقد حكي عن ابن الجلاء أن بعض إخوانه اغتابه ثم أرسل إليه يستحله فقال: لا أفعل، ليس في صحيفتي حسنة أفضل منها، فكيف أمحوها. وقال هو وغيره: ذنوب أخواني من حسناتي أريد أن أزين بها صحيفتي، فهذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف العباد في المعاد في درجات السعادة والشقاوة، وكل ذلك حكم بظاهر أسباب يضاهي حكم الطبيب على مريض بأنه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج، وعلى مريض آخر بأن عارضه خفيف وعلاجه هين، فإن ذلك ظن يصيب في أكثر الأحوال، ولكن قد تتوب الى المشرف على الهلاك نفسه من حيث لا يشعر الطبيب، وقد يساق إلى ذي العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه، وذلك من أسرار الله تعالى الخفية في أرواح الأحياء وغموض الأسباب التي رتبها مسبب الأسباب بقدر معلوم، إذ ليس في قوّة البشر الوقوف على كنهها، فكذلك النجاة

الظالم، إذ تنقل إليه عوضاً عما ظلم به) فقد روى الخرائطي في مساوىء الأخلاق من حديث أبي أمامة «إن العبد ليعطي كتابه يوم القيامة منشوراً فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقول: رب لم أعمل هذه الحسنات، فيقول: إنها كتبت باغتياب الناس إياك، وأن العبد ليعطي كتابه يوم القيامة منشوراً فيقول: يا رب ألم أعمل حسنة يوم كذا وكذا؟ فيقال له: محيت عنك باغتيابك الناس». وفي إسناده الحسن بن دينار عن الخطيب بن حجدر، ولفظ القوت: وكثيرون يدخلون الجنة بحسنات غيرهم إذا طرحت عليهم لأنها صحيحة ثابتة وقد تبطل حسناتهم لدخول الآفات عليها.

(وقد حكي عن) أبي عبدالله محمد بن يحيى **(ابن الجلاء)** البغدادي أقام بالرملة ودمشق، صحب أبا تراب النخشبي، وذا النون، وأبا عبيد البسري، وأبا يحيى الجلاء ترجم له القشيري في الرسالة **(أن بعض إخوانه اغتابه)** أي ذكره بما يكره **(ثم أرسل إليه)** رسولاً **(ليستحله فقال: لا أفعل ليس في صحيفتي حسنة أفضل منها فكيف أمحوها)** كذا في القوت؟ **(وقال هوْ وغيره: ذنوب إخواني من حسناتي أريد أن أزين بها صحيفتي)** ذكره صاحب القوت من بقية قول ابن الجلاء السابق.

(فهذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف العباد في المعاد) أي في الآخرة **(في درجات السعـادة والشقاوة، وكل ذلك حكم بظاهر أسباب يضاحي حكم الطبيب على مريض بأنه يموت لا محالة ولا يقبل العلاج)** لشدة ما عرض له من المرض. **(وعلى مريض آخر بأن عارضـه خفيف وعلاجه هين)** أي سهل، **(فإن ذلك ظن يصيب في أكثر الأحوال ولكن قد تثوب)** أي ترجع **(إلى المشرف على الهلاك نفسه)** أي إلى الصحة **(من حيث لا يشعر الطبيب، وقد يساق إلى ذي العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه وذلك لأسرار الله الخفية في أرواح الإحياء وغموض الأسباب التي رتبها مسبب الأسباب بقدر معلوم)** لا

والفوز في الآخرة لها أسباب خفية ليس في قوّة البشر الإطلاع عليها، يعبّر عن ذلك السبب الخفي المفضي إلى النجاة بالعفو والرضا وعما يفضي إلى الهلاك بالغضب والإنتقام، ووراء ذلك سر المشيئة الإلهية الأزلية التي لا يطلع الخلق عليها، فلذلك يجب علينا أن نجوّز العفو عن العاصي وإن كثرت سيئاته الظاهرة والغضب على المطيع وإن كثرت طاعاته الظاهرة، فإن الإعتماد على التقوى والتقوى في القلب، وهو أغمض من أن يطلع عليه صاحبه فكيف غيره، ولكن قد انكشف لأرباب القلوب أنه لا عفو عن عبد إلا بسبب خفي فيه يقتضي العفو، ولا غضب إلا بسبب باطن يقتضي البعد عن الله تعالى، ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الأعمال والأوصاف، ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلاً، ولو لم يكن عدلاً لم يصح قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] ولا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] وكل ذلك صحيح، فليس للإنسان إلا ما سعى، وسعيه هو الذي يرى، وكل نفس بما كسبت رهينة، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم، ولما غيروا ما بأنفسهم غير الله ما بهم، تحقيقاً

يتبدل ولا يتغير، (**إذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهها**) أي حقيقتها، (**فكذلك النجاة والفوز في الآخرة لها أسباب خفية ليس في قوة البشر الإطلاع عليها يعبر عن ذلك السبب الخفي المفضي إلى النجاة بالعفو والرضا وعما يفضي إلى الهلاك بالغضب والإنتقام؛ ووراء ذلك سر المشيئة**) الإلهية (**الأزلية التي لا يطلع الخلق عليها**) فهم عنه محجوبون وعن إدراكه غافلون، (**فكذلك يجب علينا أن نجوز العفو عن العاصي وإن كثرت سيئاته الظاهرة و**) أن نجوز (**الغضب على المطيع وإن كثرت طاعته الظاهرة، فإن الإعتماد على التقوى والتقوى في القلب وهو أغمض من أن يطلع عليه صاحبه فكيف غيره، ولكن قد انكشف لأرباب القلوب**) والبصائر (**أنه لا عفو عن عبد إلا بسبب خفي فيه يقتضي العفو**) والمسامحة، (**ولا غضب إلا بسبب باطن يقتضي البعد عن الله تعالى، ولولا ذلك لم يكن العفو والغضب جزاء على الأعمال والأوصاف**) وقد قال الله تعالى: ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ [التحريم: ٧] (**ولو لم يكن جزاء لم يكن عدلاً ولو لم يكن عدلا لم يصح قوله تعالى: ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ ولا قوله تعالى**) ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ [الكهف: ٤٩] ولا قوله تعالى: (**﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ وكل ذلك صحيح**) لا خلاف فيه (**فإنه ليس للإنسان إلا ما سعى وسعيه هو الذي يرى**) كما قال تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى★ وأن سعيه سوف يرى★ ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ [النجم: ٣٩ - ٤١] (**و**) قال تعالى: (**﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾**) [المدثر: ٣٨] أي محبوسة. وقال تعالى: (**﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾**) [الصف: ٥] أي أمالها عن وجه الصواب، (**ولما غيروا ما بأنفسهم غير**

لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتَّى يُغَيِّروا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد : ١١] وهذا كله قد انكشف لأرباب القلوب انكشافاً أوضح من المشاهدة بالبصر، إذ البصر يمكن الغلط فيه، إذ قد يرى البعيد قريباً والكبير صغيراً ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيها، وإنما الشأن في انفتاح بصيرة القلب، وإلا فما يرى بها بعد الإنفتاح فلا يتصوّر فيه الكذب، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الفُؤَادُ ما رأى﴾ [النجم: ١١].

الرتبة الثالثة: رتبة الناجين، وأعني بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز، وهم قوم لم يخدموا فيخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا، ويشبه أن يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم تبلغهم الدعوة في أطراف البلاد، وعاشوا على

الله ما بهم تحقيقاً **لقوله تعالى ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ وهذا كله قد انشكف لأرباب القلوب**) والبصائر (**إنكشافاً أوضح من المشاهدة بالبصر، إذ البصر يمكن الغلط فيه إذ قد يرى البعيد قريباً والكبير صغيراً**) والساكن متحركاً والمتحرك ساكناً ويبصره غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد عنه ولا ما قرب منه ولا يبصر ما وراء حجاب، ويبصر من الأشياء ظاهرها لا باطنها، ومن الموجودات بعضها لا كلها ولا يبصر ما لا نهاية له. فهذه سبع نقائص لا تفارق البصر الظاهر، ومعنى كونه يبصر الكبير صغيراً أي لأنه يبصر الشمس في مقدار مجن، والكواكب في صورة دنانير منثورة على بساط أزرق، ويرى الكواكب ساكنة بل يرى الظل بين يديه ساكناً ويرى الصبي ساكناً مع أن يتحرك في الرحم على الدوام وأنواع غلط البصر كثيرة، (**ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيها**).

فإن قلت: نرى جماعة من أرباب العقول يغلطون في نظرهم، فأعلم أن فيهم خيالات وأوهاماً واعتقادات يظنون أن أحكامها أحكام العقل، فالغلط منسوب إليها فأما العقل إذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور أن يغلط بل يرى الأشياء على ما هي عليه وفي تجرده عسر، وإليه أشار بقوله: (**وإنما الشأن في انفتاح بصيرة القلب، وإلا فما يرى بها بعد الإنفتاح فلا يتصور فيه الكذب**) والغلط والوهم، (**وإليه الإشارة بقوله تعالى في حق نبيه ﷺ : ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾**) أي من عجائب الملكوت الأعلى، وذلك لأن البصر من عالم الشهادة والحس والبصيرة من عالم الملكوت لا ترى بالأبصار، إنما تشاهد ببصيرة القلب والله الموفق.

(**الرتبة الثالثة: رتبة الناجين وأعني بالناجين أصحاب السلامة فقط دون**) أصحاب (**السعادة والفوز، وهم قوم لم يخدموا فينخلع عليهم**) في مقابلة خدمتهم (**ولم يقصروا فيعذبوا، ويشبه أن يكون هذا حال المجانين**) الذين سلبت عقولهم (**والصبيان من الكفار**) يعني أولاد المشركين (**والمعتوهين**) من العته محركة وهو نقص العقل من غير جنون. وفي

البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية فلا وسيلة تقربهم ولا جناية تبعدهم، فما هم من أهل الجنة ولا من أهل النار، بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبّر الشرع عنه بالأعراف، وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقيناً من الآيات والأخبار، ومن أنوار الإعتبار، فأما الحكم على العين كالحكم مثلاً بأن

التهذيب المعتوه المدهوش من غير مس أو جن، **(والذين لم تبلغهم الدعوة)** من الأنبياء عليهم السلام **(في أطراف البلاد)** وأقاصيها كما قيل في أهل الصين: **(وعاشوا على البله وعدم المعرفة، فلم تكن لهم معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية ولا وسيلة تقربهم)** إلى الله تعالى **(ولا جناية تبعدهم)** عن الله تعالى، **(فما هم من أهل الجنة ولا من أهل النار، بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبّر الشرع عنه بالأعراف)** وأعرف الحجاب أعاليه وهو السور المضروب بين الفريقين أو بين الجنة والنار. جمع عرف بالضم من عرف الفرس، وقيل: العرف ما ارتفع من الشيء وقد اختلف فيه أقوال السلف، فقال مجاهد: الأعراف حجاب بين الجنة والنار ورسوله باب أخرجه هناد وعبد بن حميد. وقال حذيفة: هو سور بين الجنة والنار. أخرجه سعيد بن منصور، وقال ابن عباس: هو الشيء المشرف أخرجه البيهقي في المبعث وعنه أيضاً قال: سور له عرف كعرف الديك أخرجه هناد وعبد بن حميد، وقال سعيد بن جبير: جبال بين الجنة والنار. أخرجه أبو الشيخ، وقال كعب: هو في كتاب الله عمقاً ما سقطا ما قال ابن لهيعة أي: واد عميق خلف جبل مرتفع أخرجه ابن أبي حاتم **(وحلول طائفة من الخلق فيه معلوم يقيناً من الآيات والأخبار من أنواع الإعتبار)**، فالآيات قوله تعالى: ﴿فضرب بينهم بسور﴾ [الحديد: ١٣] الآية. وقوله تعالى: ﴿وبينهما حجابٌ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾ [الأعراف: ٤٦] الآية. وأما الأخبار؟ فقد قال العراقي: روى البزار من حديث أبي سعيد الخدري سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: هم رجال قتلوا في سبيل الله وهم عصاة لآبائهم، فمنعتهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنعتهم المعصية أن يدخلوا الجنة، وهم على سور بين الجنة والنار الحديث. وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف. ورواه الطبراني من رواية أبي معشر عن يحي بن شبل، عن عمر بن عبد الرحمن المدني، عن أبيه مختصراً. وأبو معشر السندي اسمه نجيح ضعيف، ويحي بن شبل لا يعرف. وللحاكم من حديث حذيفة قال: أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة الحديث. وقال: صحيح على شرط الشيخين. وروى الثعلبي عن ابن عباس قال: الأعراف موضع عال في الصراط عليه العباس وحمزة وعلي وجعفر الحديث.

قلت: حديث أبي سعيد هذا قد رواه أيضاً ابن مردويه بسند الطبراني، ولفظه: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: «هم رجال قتلوا في سبيل الله» فذكره بسياق البزار وفيه بعد قوله: «وهم على سور بين الجنة والنار حتى تزول لحومهم وشحومهم حتى يفرغ الله من حساب

....

الخلائق، فإذا فرغ من حساب خلقه فلم يبق غيرهم أدخلهم الجنة برحمته» وفي الباب عبد الرحمن المزني، ورجل من مزينة قيل: عبد الرحمن، وقيل: غيره، وأبو هريرة، وابن عباس، ومالك الهلالي.

فلفظ عبد الرحمن المزني سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال: «هم قوم قتلوا في سبيل الله في معصية آبائهم فمنعهم من النار قتلهم في سبيل الله ومنعهم من الجنة معصية آبائهم» أخرجه سعيد بن منصور، وابن منيع، وعبد الرحمن بن حميد، والحرث بن أبي أسامة في مسنديهما، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في كتاب الأضداد، والخرائطي في مساوىء الأخلاق، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردوية، والبيهقي في البعث.

ولفظه حدث رجل من مزينة أن رسول الله ﷺ سئل عن أصحاب الأعراف فقال: «إنهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن آبائهم فقتلوا في سبيل الله» أخرجه أبو الشيخ، وابن مردويه من طريق محمد بن المنكدر عنه.

ولفظ حديث أبي هريرة سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف قال: «هم قوم قتلوا في سبيل الله وهم لآبائهم عاصون فمنعوا الجنة بمعصيتهم آباءهم ومنعوا النار بقتلهم في سبيل الله» أخرجه ابن مردويه، والبيهقي في العبث.

ولفظ حديث ابن عباس: «إن أصحاب الأعراف قوم خرجوا غزاة في سبيل الله وآباؤهم وأمهاتهم ساخطون عليهم وخرجوا من عندهم بغير إذنهم فأوقفوا عن النار بشهادتهم وعن الجنة بمعصية آبائهم» أخرجه ابن مردويه.

ولفظ حديث مالك الهلالي قال: قائل يا رسول الله ما أصحاب الأعراف؟ قال: «قوم خرجوا في سبيل الله بغير إذن آبائهم فاستشهدوا فمنعتهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة فهم آخر من يدخل الجنة» أخرجه الحرث بن أبي أسامة في مسنده، وابن جرير، وابن مردويه من طريق عبدالله بن مالك الهلالي عن أبيه.

وهناك أقوال أخر في تعيين أصحاب الأعراف منها: حديث حذيفة الذي أشار إليه العراقي أخرجه عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي في البعث بلفظ: «أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم تجاوزت بهم حسناتهم عن النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة جعلوا على سور بين الجنة والنار حتى يقضي بين الناس فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربهم فقال: قوموا فادخلوا الجنة فإني غفرت لكم».

وعند ابن جرير عنه قال: «أصحاب الأعراف قوم كانت لهم أعمال أنجاهم الله بها من النار وهم آخر من يدخل الجنة فعرفوا أهل الجنة وأهل النار» وفي لفظ آخر قال: «قوم تكافأت أعمالهم

فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيئاتهم عن النار فجعلوا على الأعراف يعرفون الناس بسيماهم ».

وعند البيهقي في الشعب عنه أراه قال: قال رسول الله ﷺ: « يجمع الناس يوم القيامة فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة ويؤمر بأهل النار إلى لنار ثم يقال لأصحاب الإعراف: ما تنتظرون؟ قالوا: ننتظر أمرك. فيقال لهم: إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم فادخلوا بمغفرتي ورحمتي » وقد روي مثل هذا القول عن جماعة من الصحابة والتابعين فأخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن قتادة قال في أصحاب الأعراف ذكر لنا عن ابن عباس كان يقول استوت حسناتهم وسيئاتهم فحبسوا هناك.

وأخرج ابن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عنه قال: « أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فوقفوا هنالك على السور » الحديث.

وأخرج ابن أبي حاتم عنه قال: « من استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف». وروي مثله عن ابن مسعود أخرجه ابن جرير.

وأخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، والبيهقي في البعث عن مجاهد في أصحاب الأعراف قال: « هم قوم إستوت حسناتهم وسيئاتهم وهم على سور بين الجنة والنار وهم على طمع من دخول الجنة وهم داخلون ».

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود قال: « يحاسب الناس يوم القيامه فمن كانت حسناته أكثر من سيئته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته اكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قال: إن الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح قال: ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط » الحديث.

وأخرج أبو الشيخ، وابن مردويه، وابن عساكر عن جابر بن عبدالله رفعه « يوضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صؤابة دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صؤابه دخل النار ». قيل: يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: « أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون ».

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر عن أبي زرعة عمرو بن جرير قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف قال: « هم آخر من يفصل بينهم من العباد فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلوا الجنة فأنتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم ».

وأخرج الفريابي، وابن أبي شيبة، وهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ عن عبدالله بن الحرث بن نوفل قال: « أصحاب الأعراف أناس استوت حسناتهم وسيئاتهم فيذهب بهم إلى نهر يقال له الحياة » الحديث. وقيل: أصحاب الأعراف ناس من أهل الذنوب

الصبيان منهم، فهذا مظنون وليس بمستيقن، والإطلاع عليه تحقيقاً في عالم النبوّة، ويبعد أن ترتقي إليه رتبة الأولياء والعلماء، والأخبار في حق الصبيان أيضاً متعارضة. حتى قالت عائشة رضي الله عنها لما مات بعض الصبيان: عصفور من عصافير الجنة، فأنكر ذلك رسول الله ﷺ وقال: وما يدريك»، فإذاً الإشكال والإشتباه أغلب في هذا المقام.

حبسوا على تل بين الجنة والنار. أخرجه ابن جرير عن ابن عباس وفي لفظ قال: «الأعراف هو السور الذي بين الجنة والنار وأصحابه رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان أمرهم الله أن يقوموا على الأعراف» الحديث. وهكذا رواه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والبيهقي في البعث وقيل: هم قوم صالحون فقهاء علماء، وهكذا أخرجه ابن أبي شيبة، وهناد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد. وقيل: هم قوم كان فيهم عجب، وهكذا أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن قتادة، عن الحسن. وقيل هم قوم كان عليهم دين. وهكذا أخرجه ابن المنذر، ومن بعده عن قتادة عن مسلم بن يسار. وقيل: هم مؤمنو الجن، وهكذا أخرجه البيهقي في البعث. من حديث أنس: «إن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب فسألناه عن ثوابهم. قال: على الأعراف وليسوا في الجنة مع أمة محمد ﷺ فقلنا: وما الأعراف؟ قال: حائط في الجنة تجري فيه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار» وقيل: هم الملائكة.

أخرج سعيد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب الأضداد، وأبو الشيخ والبيهقي في البعث عن أبي مجلز قال: الأعراف مكان مرتفع عليه رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة بسيماهم وأهل النار بسيماهم، فقيل: يا أبا مجلز الله يقول رجال وأنت تقول الملائكة؟ قال: إنهم ذكور وليسوا بإناث. وأخرج أحمد في الزهد عن قتادة قال: قال سالم مولى حذيفة. وددت أني بمنزلة أصحاب الأعراف.

(وأما الحكم على العين) من الأعيان بالخصوص **(كالحكم مثلاً بأن الصبيان منهم، فهذا مظنون وليس بمستيقن والإطلاع عليه يقيناً)** وفي نسخة تحقيقاً **(في عالم النبوة)** فإن الأنبياء عليهم السلام إنما يخبرون بوحي من الله تعالى، **(ويبعد أن ترتقي إليه رتبة الأولياء والعلماء)** لقصور رتبتهم في الإنكشاف **(والأخبار)** الواردة **(في حق الصبيان أيضاً متعارضة)** كتعارضها في حق أصحاب الأعراف، **(حتى قالت عائشة رضي الله عنها لما مات بعض الصبيان)**: طوبى له **(عصفور من عصافير الجنة، فأنكر ذلك رسول الله ﷺ وقال: «وما يدريك)** أنه عصفور من عصافير الجنة»؟ قال العراقي: رواه مسلم.

قلت ولفظه: توفي صبي من الأنصار فقالت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه. فقال النبي ﷺ: «أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في

....

أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم». وعند مسلم أيضاً: إن الله خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً».

وروى الطبراني في الأوسط والصغير، والخطيب من حديث أبي هريرة: «إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً بعشائرهم وقبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وخلق النار وخلق لها أهلاً بعشائرهم وقبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم اعملوا فكل ميسر لما خلق له». وسنده ضعيف.

ولنذكر الأخبار المتعارضة في الصبيان. قال العراقي: روى الشيخان من حديث سمرة بن جندب في رؤيا النبي ﷺ وفيه: وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإبراهيم عليه السلام، وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة. قيل: يا رسول الله وأولاد المشركين. قال: «وأولاد المشركين».

وللطبراني من حديثه سألنا رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين قال: «هم خدم أهل الجنة» وفيه عباد بن منصور الناجي قاضي البصرة هو ضعيف يرويه عنه عيسى بن شعيب، وقد ضعفه ابن حبان.

وللنسائي من حديث الأسود بن سريع في غزاة لنا الحديث في قتل الذرية وفيه: «إلا إن خياركم أبناء المشركين» ثم قال: «لا تقتلوا ذرية وكل نسمة تولد على الفطرة» الحديث. وإسناده صحيح.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «كل مولود يولد على الفطرة» الحديث وفي رواية لأحمد «ليس مولود إلا يولد على هذه الملة» ولأبي داود في آخر الحديث فقالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

وللطبراني من حديث الحرث الأنصاري كانت يهود إذا هلك لهم صبي صغير قالوا: هو صديق، فقال النبي ﷺ: «كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله تعالى في بطن أمه: إلا أنه شقي أو سعيد» الحديث. وفيه عبدالله بن لهيعة.

ولأبي داود من حديث ابن مسعود: الوائدة والموؤدة في النار، وله من حديث عائشة قلت: يا رسول الله ذراري المؤمنين. فقال: «مع آبائهم» قلت: بلا عمل. قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين». قلت: وذراري المشركين؟ قال: «مع آبائهم» قلت بلا عمل. قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

وللطبراني من حديث خديجة قلت: يا رسول الله أين أطفالي منك قال: «في الجنة» قلت: بلا عمل. قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين» قلت: وأين أطفالي قبلك؟ قال: «في النار» قلت: بغير عمل؟ قال: «لقد علم الله ما كانوا عاملين» وإسناده منقطع بين عبدالله بن الحرث وخديجة. وفي

....

الصحيحين من حديث الصعب بن جثامة في أولاد المشركين هم من آبائهم وفي رواية هم منهم اهـ.

قلت: وجد بخط تلميذ الحافظ بن حجر رحمه الله تعالى بإزاء هذا السياق ما نصه: جميع الأحاديث السابقة ناطقة بأن أولاد المسلمين في الجنة، فقول الغزالي: الأخبار في الصبيان متعارضة إطلاق مردود والتعارض إنما هو في أطفال المشركين اهـ.

قلت حديث سمرة عند البخاري أن النبي ﷺ رأى في منامه جبريل عليه السلام وميكائيل أتياه فانطلقا به وذكر حديثاً طويلاً، وفيه: وأما الشيخ الخ وفي رواية بعد قوله على الفطرة وكلّ بهم إبراهيم عليه السلام يربيهم إلى يوم القيامة. وروى الطبراني في الأوسط من حديث أنس «أطفال المشركين خدم أهل الجنة» ورواه سعيد بن منصور عن سلمان موقوفاً. وروى أحمد والحاكم والبيهقي في البعث من طريق مدهل بن إسماعيل، حدثنا سفيان الثوري، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني، عن أبي حازم الأشجعي، عن أبي هريرة رفعه: «أطفال المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم إلى آبائهم يوم القيامة» وفي لفظ للديلمي: «أولاد المؤمنين» وقال الحاكم: صحيح على شرطها، وكذا صححه ابن حبان، وقد تابع مدهلاً على رفعه وكيع، لكن رواه ابن مهدي، وأبو نعيم كلاهما عن الثوري فوقفاه. وقال الدارقطني: أنه أشبه.

وروي الحكيم من حديث أنس: «كل مولود يولد من والد كافر أو مسلم فإنما يولد على الفطرة على الإسلام كلهم ولكن الشياطين أتتهم فاجتالتهم عن دينهم فهوّدتهم ونصرتهم ومجستهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً».

وروى الترمذي من حديث أبي هريرة «كل مولود يولد على الملة فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه ويشركانه». قيل: يا رسول الله فمن هلك قبل ذلك؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

وروي أبو يعلي والبغوي والباوردي والطبراني والبيهقي من حديث الأسود بن مربع: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودّانه وينصرانه ويمجسانه».

ورواه ابن عبد البر في التمهيد بلفظ: «ما بال قوم بلغوا في القتل حتى قتلوا الولدان؟ قال رجل: أو ليس إنما هم أولاد المشركين؟ فقال ﷺ: «أو ليس خياركم أولاد المشركين إنه ليس من مولود إلا وهو يولد على الفطرة فيعرب عنه لسانه ويهوّدانه أبواه أو ينصرانه».

وحديث ثابت بن الحرث الأنصاري: «ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمه إلا أنه شقي أو سعيد» أخرجه أيضاً أبو نعيم.

وحديث ابن عباس سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين» رواه الطيالسي والبخاري وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة، ورواه أبو داود والحكيم من حديث عائشة، ورواه عبد بن حميد من حديث أبي سعيد. وعند أحمد من حديث ابن عباس: «الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم».

....

وحديث خديجة أخرجه ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف عن عائشة قالت: سألت خديجة رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: « هم من آبائهم » ثم سألته بعد ذلك فقال: « الله أعلم بما كانوا عاملين » ثم سألته بعدما استحكم الإسلام فنزلت ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ [فاطر : ١٨] فقال: « هم على الفطرة » أو قال في الجنة.

وحديث الصعب بن جثامة رواه أيضاً عبد الرزاق في المصنف، وأصحاب السنن عن ابن عباس قال: حدثني الصعب بن جثامة. وأخرج عبدالله بن أحمد في زوائد المسند من حديث علي: « إن المؤمنين أولادهم في الجنة وإن المشركين أولادهم في النار ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم﴾ [الطور : ٢١] وروى أحمد والنسائي والبغوي وابن المنذر وابن مردويه والطبراني من حديث سلمة بن يزيد الجعفي: « الوائد والموءودة في النار إلا أن يدرك الوائد الإسلام فيسلم ».

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة قال: قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وإذا الموءودة سئلت﴾ [التكوير : ٨] هي المدفونة. قال: فمن قال أنهم في النار فقد كذب، بل هم في الجنة. وغير ذلك من الأخبار وهي كما قال المصنف متعارضة.

(فإذاً الأشكال والإشتباه أغلب في هذا المقام) أعلم أنه قد اختلف العلماء في أولاد المسلمين، فالأكثرون على الجزم بأنهم في الجنة، وقيل: فيهم بالتوقف، واحتج قائلهم بحديث عائشة عند مسلم الذي ذكره المصنف من قولها: طوبي له عصفور من عصافير الجنة الخ. وحكى النووي الأول عن إجماع من يعتد به من علماء المسلمين والتوقف عن بعض ولا يعتد به. قال: وأجاب العلماء عن حديث عائشة بأنه لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع، كما أنكر على سعد بن أبي وقاص في قوله اعطه إني لا راه مؤمناً. قال: « أو مسلماً » الحديث. قال: ويحتمل أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة. وذكر المازري أن بعضهم ينكر الخلاف في ذلك لقوله تعالى: ﴿واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ [الطور : ٢١] قال: وبعض المتكلمين يقف فيهم ولا يرى نصاً قاطعاً بكونهم في الجنة ولم يثبت عنده الإجماع فيقول به، واستثنى قبل ذلك من الخلاف أولاد الأنبياء عليهم السلام فقد تقرر الإجماع على أنهم في الجنة، وحكى ابن عبد البر التوقف في أولاد المسلمين عن جماعة كثيرة من أهل السنّة والحديث منهم: حماد ابن زيد، وحماد بن سلمة، وابن المبارك، وإسحاق بن راهويه وغيرهم قال: وهو شبه ما رسمه مالك في موطئه في أبواب القدر، وما أورده في غير ذلك من الأحاديث، وعلى ذلك أكثر أصحابه وليس فيه عن مالك شيء منصوص إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا إلى أن أطفال المسلمين في الجنة اهـ.

وأما أطفال المشركين ففيهم مذاهب، أحدها: أنهم في النار تبعاً لآبائهم، والثاني: أنهم في الجنة، والثالث: التوقف فيهم، والرابع: أنهم يمتحنون في الآخرة، والخامس: أنهم في البرزخ حكاه

الرتبة الرابعة: رتبة الفائزين وهم العارفون دون المقلدين، وهم المقربون السابقون، فإن المقلد وإن كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من أصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون وما يلقى هؤلاء يجاوز حد البيان، والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن، فليس بعد بيان الله بيان، والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي أجمله قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] وقوله عز وجل: « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »،

أبو العباس القرطبي عن قوم قال: واحسبهم من غير أهل السنة. وحكى النووي القول بأنهم في النار عن الأكثرين، والقول الثاني بأنهم في الجنة عن المحققين قال: وهو الصحيح، ويستدل عليه باشياء منها: حديث إبراهيم الخليل عليه السلام حين رآه النبي ﷺ في الجنة، وقوله: أولاد الناس قالوا: يا رسول الله وأولاد المشركين؟ قال: « وأولاد المشركين » رواه البخاري في صحيحه، ومنها قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ [الإسراء: ١٥] ولا يتوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قول الرسول حتى يبلغ وهو متفق عليه. قال: والجواب عن حديث الله أعلم بما كانوا عاملين» أنه ليس فيه تصريح بأنهم في النار، وحقيقة لفظه الله أعلم بما كانوا يعملون لو بلغوا، والتكليف لا يكون إلا بالبلوغ وروى ابن عبد البر في التمهيد عن عائشة قالت: سألت خديجة النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: « هم مع آبائهم » ثم سألته بعد ذلك فقال: « الله أعلم بما كانوا عاملين » ثم سألته بعد ما استحكم الإسلام فنزلت ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ :[فاطر: ١٢] فقال: « هم على الفطرة » أو قال في الجنة. وروى أيضاً عن ابن عباس قال: « لا يزال أمر هذه الأمة مواسياً أو متقارباً أو كلمة شبه ذلك وما يتبين حتى يتكلموا أو ينظروا في الأطفال والقدر » قال يحي بن آدم: فذكرته لابن المبارك قال: أفيسكت الإنسان على الجهل؟ قلت: فتأمن بالكلام فسكت، والله أعلم.

(الرتبة الرابعة: رتبة الفائزين وهم العارفون) المخصوصون **(دون المقلدين وهم المقربون السابقون، فإن المقلد وإن كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من أصحاب اليمين وهؤلاء هم المقربون)** قال الله تعالى: ﴿والسابقون السابقون★ أولئك المقربون★ في جنات النعيم﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١٢] ثم قال ﴿فأما إن كان من المقربين★ فروح وريحانٌ وجنة نعيم★ وأما إن كان من أصحاب اليمين★ فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ [الواقعة: ٨٨ ـ ٩١] **(وما يلقي هؤلاء يجاوز حد البيان، والقدر الممكن ذكره ما فصله القرآن فليس بعد الله بيان، والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي أجمله قوله تعالى ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)** جزاء بما كانوا يعملون﴾ **(وقوله ﷺ قال الله عز وجل: « أعددت لعبادي الصالحين ما لا أذن سمعت ولا عين رأت ولا خطر** على قلب بشر » **)** أغفله العراقي وسبب إغفاله أنه يوجد في بعض نسخ الكتاب وقال الله عز وجل بدون وقوله

والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصوّر أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم وأما الحور والقصور والفاكهة واللبن والعسل والخمر والحلي والأساور فإنهم لا يحرصون عليها ولو أعطوها لم يقنعوا بها، ولا يطلبون إلا لذة النظر إلى وجه الله تعالى الكريم فهي غاية السعادات ونهاية اللذات ولذلك قيل لرابعة العدوية رحمة الله عليها: كيف رغبتك في الجنة؟ فقالت: الجار ثم الدار، فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها، بل عن كل شيء سواه حتى عن أنفسهم، ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه المستوفي همه بالنظر إلى وجهه والفكر فيه، فإنه في حال الإستغراق غافل عن نفسه لا يحس بما يصيبه في بدنه ويعبر عن هذه الحالة بأنه فني عن نفسه، ومعناه أنه صار مستغرقاً بغيره وصارت همومه هماً واحداً وهو محبوبه، ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت إليه لا نفسه

ﷺ، وهو حديث قدسي رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ورواه ابن جرير من حديث أبي سعيد، ورواه أيضاً عن قتادة مرسلاً، ورواه أيضاً عن الحسن بلاغاً بلفظ: «قال ربكم أعددت لعبادي الذي آمنوا وعملوا الصالحات ما لا عين رأت» الحديث.

(والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم، وأما الحور والقصور والفاكهة واللبن والعسل والخمر والحلي والأساور) والذهب والحرير وغير ذلك مما ذكر في القرآن، **(فإنهم لا يحرصون عليها ولو أعطوها لم يقنعوا بها)** وطلبوا ما وراء ذلك، **(ولا يطلبون إلا لذة النظر إلى وجه الله الكريم فهي غاية السعادات ونهاية اللذات، ولذلك قيل لرابعة)** بنت إسماعيل **(العدوية)** البصرية العابدة المشهورة **(رحمة الله عليها)** وكانت من أقران الحسن البصري: **(كيف رغبتك في الجنة؟ فقالت: الجار ثم الدار)**. وقد روي ذلك مرفوعاً من حديث علي: «الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق والزاد قبل الرحيل». رواه الخطيب في الجامع، ورواه الطبراني من حديث رافع بن خديج بزيادة في آخره.

(فهؤلاء قوم شغلهم حب رب الدار عن الدار وزينتها بل عن كل شيء سواه حتى عن أنفسهم، ومثالهم مثال العاشق المستهتر بمعشوقه) أي المولع به المدهوش في حبه **(المستوفي همه بالنظر إلى وجهه والفكر فيه، فإنه في حالة الإستغراق غافل عن)** كل شيء سواه حتى **(عن نفسه)** فهو **(لا يحس بما يصيبه في بدنه)** من الآلام والمصائب، **(ويعبر هذه الحالة بأنه فني عن نفسه، ومعناه أن صار مستغرقاً بغيره وصارت همومه)** كلها **(هماً واحداً وهو محبوبه، يبق فيه متسع لغير محبوبه حتى يلتفت إليه لا نفسه ولا غير نفسه)**. أعلم أنه من استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً ولا رسماً ولا طللاً يقال: إنه فني عن الخلق وبقي بالحق وفناؤه عن نفسه وعن الخلق بزوال إحساسه بنفسه وبهم، فإذا فني عن الأفعال والأحوال والأخلاق فلا يجوز أن يكون فني عنه وجوداً، وإذا قيل: إنه فني عن نفسه وعن الخلق فتكون نفسه موجودة والخلق موجودون، ولكنه لا علم له بهم ولا بها ولا إحساس ولا خبر،

ولا غير نفسه، وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قرة عين لا يتصور أن تخطر في هذا العالم على قلب بشر، كما يتصوّر أن تخطر صورة الألوان والألحان على قلب الأصم والأكمه، إلا أن يرفع الحجاب عن سمعه وبصره، فعند ذلك يدرك حاله ويعلم قطعاً أنه لم يتصور أن تخطر بباله قبل ذلك صورته فالدنيا حجاب على التحقيق، وبرفعه بنكشف الغطاء، فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة: ﴿وإنَّ الدّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، فهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات على الحسنات، والله الموفق بلطفه.

فتكون نفسه موجودة والخلق موجودين، ولكنه غافل عن نفسه وعن الخلق غير محس بنفسه وبالخلق، وقد يرى الرجل يدخل على ذي سلطان أو محتشم فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه، وربما يذهل عن ذلك المحتشم حتى إذا سئل بعد خروجه من عنده عن أهل مجلسه وهيئة ذلك الصدر وهيئة نفسه لم يمكنه الأخبار عن شيء قال الله تعالى: ﴿فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن﴾ [يوسف: ٣١] لم يجدن عند لقاء يوسف على الوهلة ألم قطع الأيدي وهن أضعف الناس وقلن ﴿ما هذا بشرا﴾ ولقد كان بشراً وقلن ﴿إن هذا إلا ملك كريم﴾ ولم يكن ملكاً فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق، فما ظنك بمن يكاشف بشهود الحق سبحانه؟ فلو تغافل عن إحساسه بنفسه وابناء جنسه فأي أعجوبة فيه؟ فمن فني عن جهله بقي بعلمه، ومن فني عن شهوته بقي بإنابته، ومن فني عن رغبته بقي بزهادته، ومن فني عن مشيئته بقي بارادته. وكذلك القول في جميع صفاته فإذا فني العبد عن صفة مما جرى ذكره يرتقي عن ذلك بفنائه عن رؤية فنائه وهي مراتب ثلاث. فالأولى: فناء عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق، ثم فناؤه عن صفات الحق بشهود الحق كذا قرره القشيري في الرسالة، (**وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قرة عين لا يتصور أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم، كما لا يتصور أن تخطر صورة الألوان**) المتنوعة (**والألحان**) المختلفة (**على قلب الأصم والأكمه**) فيه لف ونشر غير مرتب، والأكمه من ولد أعمى أو عمى قبل أن يميز ويدرك (**إلا أن يرفع الحجاب عن سمعه وبصره، فعند ذلك يدرك حاله ويعلم قطعاً أنه لم يتصور أن يخطر بباله قبل ذلك صورته، فالدنيا حجاب على التحقيق وبرفعه ينكشف الغطاء**) وتتضح الحقائق، وإليه الإشارة بقول بعض السادة: إنما الكون خيال وهو حق في الحقيقة، كل من يفهم هذا حاز أسرار الطريقة، (**فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة**) المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ [النحل: ٩٧] (و) يدرك أيضاً: (**إن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون**) وكيف يعلمون والحجاب على قلوبهم، وقد تقدم الكلام على هذه الآية في كتاب العلم، (**فهذا القدر كاف في بيان توزع الدرجات**) والدركات (**على الحسنات والسيئات**) في الآخرة (**والله الموفق بلطفه**) وكرمه.

بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب:

إعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب:

منها: الإصرار والمواظبة، ولذلك قيل: لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار، فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصوّر ذلك كان العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال

فصل

في بيان ما تعظم به الصغائر من الذنوب:

هذا الفصل مشتمل على سبعة أسباب بها تكبر الصغائر وهي في الحقيقة ثمانية.

(اعلم) وفقك الله تعالى (**أن الصغيرة تكبر بأسباب**).

(**منها الإصرار**) يقال: أصر على الذنب إذا تعقد فيه وتشدد وامتنع عن الإقلاع عنه. قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ولم يصروا على ما فعلوا﴾ [آل عمران: ١٣٥] أي لم يعزموا على العود إليه، وإنما كان الإصرار تكبر به الصغيرة لأن التوبة واجبة على الفور كما تقدم، (**و**) منها (**المواظبة**) عليه لأنها تورث القساوة وتوجب الران على القلب، ولما كانت المواظبة بمعنى الملازمة والمداومة وهو أحد معاني الإصرار جعلهما المصنف سبباً واحداً وهما في الحقيقة سببان مختلفان يظهر لك بالتأمل، (**ولذلك قيل: لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الإستغفار**) رواه أبو الشيخ، ومن طريقه الديلمي في مسند الفردوس من حديث سعد بن سليمان سعدويه عن أبي شيبة الخراساني عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس به مرفوعاً لكن بتقديم الجملة الثانية على الأولى، قال ابن طاهر أبو شيبة الخراساني، قال البخاري: لا يتابع على حديثه، ومن هذا الوجه أخرجه العسكري في الأمثال والقضاعي في مسند الشهاب وسنده ضعيف، لا سيا وهو عند ابن المنذر في تفسيره عن ابن عباس من قوله. وكذا رواه البيهقي في الشعب من حديث صدقة عن قيس بن سعد عن ابن عباس مرفوعاً، وله شاهد عند البغوي. ومن طريقه الديلمي عن خلف بن هشام عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس به مرفوعاً وينظر سنده، ورواه إسحاق بن بشير أبو حذيفة في كتاب المبتدأ عن الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وحديثه منكر، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين من رواية مكحول عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وزاد في آخره « طوبى لمن وجد في كتابه استغفاراً كثيراً » وفي إسناده بشر ابن عبيد الفارسي وهو متروك، ورواه الثعلبي وابن شاهين في الترغيب من رواية بشر بن إبراهيم عن خليفة بن سليمان عن أبي سلمة عن أبي هريرة به.

(**فكبيرة واحدة تنصرم**) أي تنقطع (**ولا يتبعها مثلها لو تصور ذلك لكان العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها**) ويلازمها، (**ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على**

فتؤثر فيه، وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة لم يؤثر، ولذلك قال رسول الله ﷺ : « خير الأعمال أدومها وإن قل »، والأشياء تستبان بأضدادها وإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل فالكثير المنصرم قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره، فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في إظلام القلب، إلا أن الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر، فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة ومقدمات، وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة، فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة ولاحقة، ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق إليها عود ربما كان العفو فيها أرجى من صغيرة واظب الإنسان عليها عمره.

ومنها: أن يستصغر الذنب فإن الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله تعالى، وكلما استصغره وكبر عند الله تعالى لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه

الحجر على توال) أي تتابع **(فتؤثر فيه، وذلك القدر من الماء)** بعينه **(لوصب عليه دفعة)** واحدة **(لم يؤثر)** منه قول الشاعر:

أما ترى الحبل بتكراره ... في الصخرة الصماء قد أثرا

(ولذلك قال رسول الله ﷺ : « خير الأعمال أدومها وإن قلّ ») قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة بلفظ: « أحب الأعمال إلى الله » وقد تقدم.

قلت: ورواه أحمد بلفظ: « أحب الأعمال إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قلّ ».

(والأشياء تستبان بأضدادها فإذا كان النافع من الأعمال هو الدائم) المتتابع **(وإن قل فالكثير المنصرم** الذي ينقطع ويضمحل **قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره، فكذلك القليل من السيئات إذا دام)** وتتابع **(عظم تأثيره في إظلام القلب)** وتسويده **(إلا أن الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ،ولواحق من جملة الصغائر، فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة)** من الجانبين **(ومقدمات)** تسبقه من نظر ولمس وتقبيل ومفاخذة، **(وقلما يقتل)** إنساناً **(بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداه)** من الجانبين ومشاتمة في الأعراض، **(فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة ولاصقة ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق)** له **(عليها عود)** أي رجوع **(ربما كان العفو فيها أرجى من صغيرة واظب الإنسان عليها عمره)** وداوم.

(ومنها: أن يستصغر الذنب) أي يعده صغيراً ويحتقره فيكون أعظم من اجترامه **(فإن الذنب)** كما يقال **(كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله تعالى، وكلما استصغره كبر عند الله تعالى لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له، وذلك النفور يمنع**

وكراهيته له، وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به، واستصغاره يصدر عن الألف به وذلك يوجب شدة الأثر في القلب، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات، والمحذور تسويده بالسيئات، ولذلك لا يؤاخذ بما يجري عليه في الغفلة فإن القلب لا يتأثر بما يجري في الغفلة، وقد جاء في الخبر: «المؤمن يرى ذنبه كالجبل» فوقه» يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب مرّ على أنفه فأطاره، وقال بعضهم: الذنب الذي لا يغفر قول العبد: ليت كل ذنب عملته مثل هذا، وإنما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله، فإذا نظر إلى عظم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة، وقد أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها، وبهذا الإعتبار قال بعض العارفين، لا صغيرة، بل

من شدة تأثره به واستصغار يصدر عن الألف به) والأنس معه (**وذلك يوجب شدة الأثر في القلب، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات، ولذلك لا يؤاخذ بما يجرى عليه من الغفلة فإن القلب لا يتأثر بما يجري في الغفلة، وقد جاء في الخبر**) في كون استصغار الذنب كبيرة: (**«المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه» يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب مرّ على أنفه فأطاره**) ولفظ القوت فيطيره. قال العراقي: رواه البخاري من رواية الحارث بن سويد قال: حدثنا عبدالله بن مسعود حديثين: أحدهما عن النبي ﷺ، والآخر عن نفسه قال: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وأن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه فقال به هكذا. قال ابن شهاب بيده فوق أنفه، ثم قال: لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة ومعه راحلته الحديث.

وأما مسلم فقد أخرجه عن الحارث بن سويد قال: دخلت على عبد الله أعوده وهو مريض، فحدثنا حديثين حديثاً عن نفسه، وحديثاً عن رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة» فساقه، ولم يذكر الحديث الثاني.

(**وقال بعضهم: الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت كل ذنب عملته مثل هذا**) نقله صاحب القوت قال: وهذا كما قاله بلال بن سعد لا تنظر الخطيئة ولكن انظر من عصيت، (**وإنما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله تعالى**) وعظمته وهيبته في قلبه، (**فإذا نظر إلى عظم من عصى به رأى الصغير كبيراً وقد أوحى الله إلى بعض أنبيائه لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها**) نقله صاحب القوت إلا أنه قال: وقد حدثنا عن الله تعالى أنه أوحى إلى بعض أوليائه والباقي سواء، ثم قال: وإنما عظمت الذنوب على تعظيم المواجهة بها وكبرت في القلوب بمشاهدة ذي

كل مخالفة فهي كبيرة، وكذلك قال بعض الصحابة رضي الله عنهم للتابعين: إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات، إذ كانت معرفة الصحابة بجلال الله أتم، فكانت الصغائر عندهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى من الكبائر، وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل، ويتجاوز عن العامي في أمور لا يتجاوز في أمثالها عن العارف، لأن الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف.

ومنها: السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة، فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم

الكبرياء ومخالفة أمره إليها فلم يغفر ذنب عند ذلك، **(وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين: لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة)** وروي ذلك عن ابن عباس. أخرج ابن جرير عن أبي الوليد قال: سألت ابن عباس عن الكبائر قال: كل شيء عصى الله به فهو كبيرة، وقد تقدم. واختاره أبو إسحاق الاسفرايني، وأبو بكر الباقلاني، وإمام الحرمين في الإرشاد والقشيري في المرشدة، بل حكاه ابن فورك عن الأشاعرة واختاره في تفسيره واعتمد عليه التقي السبكي، وقد تقدم أن المصنف ضعف هذا القول. قال صاحب القوت: فكانت الصغائر عند الخائفين كبائر وهذا أحد الوجهين في قوله تعالى: ﴿ومن يعظّم حرمات الله﴾ [الحج: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿ومن يعظّم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ [الحج: ٣٢].

(وكذلك قال بعض الصحابة) أبو سعيد الخدري كما تقدم التصريح به للمنصف، وقيل أنس، وقيل عبادة بن الصامت **(للتابعين: إنكم لتعملون أعمالاً هي أعينكم أدق من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات)** وتقدم للمصنف من الكبائر بدل الموبقات، فحديث أبي سعيد رواه أحمد والبزار، وحديث أنس رواه البخاري، وحديث عبادة رواه أحمد والحاكم وقد تقدم. قال صاحب القوت: ليس يعنون ان الكبائر التي كانت على عهد رسول الله ﷺ صارت بعد صغائر، ولكن كانوا يستعظمون الصغائر لعظم الله في قلوبهم وعظم نور الإيمان، ولم يكن ذلك في قلوب من بعدهم، وإليه أشار المصنف بقوله: **(إذ كانت معرفة الصحابة أتم بجلال الله فكانت الصغائر عندهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى من الكبائر، وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العاصي في أمور لا يتجاوز في أمثالها عن العارف)** البصير، **(لأن الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف)** فكلما زادت معرفته بالله زادت خشيته له وكان أبعد الناس عن المخالفة له في أمره.

(ومنها: السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها) أي الافتخار **(واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة)** لأنه يدل على عدم التفكر في ثواب الله وعقابه، **(فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم اثرها في تسويد قلبه)**

أثرها في تسويد قلبه، حتى أن من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته إياه كما يقول: أما رأيتني كيف مزقت عرضه، ويقول المناظر في مناظرته: أما رأيتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى خجلته وكيف استخففت به وكيف لبست عليه؟ ويقول المعامل في التجارة: «أما رأيت كيف روّجت عليه الزائف وكيف خدعته وكيف غبنته في ماله وكيف استحمقته؟ فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر فإن الذنوب مهلكات، وإذا دفع العبد إليها وظفر الشيطان به في الحمل عليها فينبغي أن يكون في مصيبة وتأسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله تعالى، فالمريض الذي يفرح بأن ينكسر إناؤه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شربه لا يرجى شفاؤه.

ومنها: أن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإمهاله إياه ولا يدري أنه إنما يمهل مقتاً ليزداد بالإمهال إثماً، فيظن أن تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به، فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ المَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨].

واظلامه، (**حتى أن من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بمقارفته إياه**) وملابسته له (**كما يقول: أما رأيتني كيف مزقت عرضه**) وذلك عند المخاصمة (**ويقول المناظر في مناظرته: أما رأيتني كيف فضحته**) في المجلس، (**وكيف ذكرت مساوئه وجهله حتى اخجلته**) وسجلت عليه، (**وكيف استخففت به، وكيف ابست عليه**) في الكلام؟ (**ويقول المعامل في تجارته: أما رأيتني كيف روّجت عليه الزائف**) أي الرديء المبرح، (**وكيف خدعته، وكيف غبنته في ماله، وكيف استحمقته؟ فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر**) وتعظم، (**فان الذنوب مهلكات**) للعبد، (**وإذا دفع العبد إليها وظفر الشيطان به في الحمل عليها، فينبغي أن يكون في مصيبة وغم وتأسف بسبب غلبة العدوّ عليه**) فيا وقع فيه، (**وبسبب بعده عن الله تعالى، فالمريض الذي يفرح بأن ينكسر إناؤه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شربه لا يرجى شفاؤه**) بل لا يزال مقياً على مرضه.

(**ومنها أن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله إياه ولا يدري أنه إنما يمهل مقتاً ليزداد بالامهال إثماً فيظن أن تمكنه من المعاصي عناية من الله تعالى به، فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله**) فالاغترار بستر الله والاستخفاف بحلمه وإن كان صغيرة لكنه يكبر لأنه يتسبب منه الامن من مكر الله وهو كبيرة، (**كما قال تعالى ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها**) أي يدخلونها (**فبئس المصير﴾**) مصيرهم.

ومنها: أن يأتي الذنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه أو يأتيه في مشهد غيره فإن ذلك جناية منه على ستر الله الذي أسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه ذنبه أو أشهده فعله، فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فغلظت به، فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر، وفي الخبر: «كل الناس معافي إلا المجاهرين يبيت أحدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه، وهذا لأن من صفات الله ونعمه أنه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر؟ فالإظهار كفران لهذه النعمة. وقال بعضهم: لا تذنب فإن كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين، ولذلك قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة:

(ومنها: أن يأتي الذنب فيظهره بان) يتحدث به و**(يذكره بعد اتيانه أو يأتيه في مشهد غيره)** أي حيث يشهده ويراه **(فإن ذلك جناية منه على الله الذي أسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه ذنبه)** إذ تحدث به **(أو أشهده فعله، فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فتغلظت به)** أي بهذا الانضمام، **(فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر، وفي الخبر « كل الناس معافي إلا المجاهرين)** الذين يجاهرون بالذنب والصول به والتظاهر وهذا من الطغيان **(يبيت أحدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه »)** هكذا هو في القوت. وقال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ « كل أمتي » وقد تقدم اهـ.

قلت: لفظ المتفق عليه « كل أمتي معافى إلا المجاهرين وان من الجناية أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عز وجل عنه ». وفي رواية « وإن من الجهار » وبخط الحافظ: الإجهار.

وروى الطبراني في الأوسط من حديث أبي قتادة « كل أمتي معافى إلا المجاهرين الذي يعمل العمل بالليل فيستره ربه ثم يصبح فيقول: يا فلان إني فعلت البارحة كذا وكذا فيكشف ستر الله عز وجل ».

(وهذا لأن من صفات الله ونعمه أن يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر)، وقد ورد ذلك في دعاء مأثور: يا من أظهر الجميل وستر القبيح يا من لم يهتك الستر، **(فالإظهار كفران لهذه النعمة)** وجهل بها وإيثار لضدها ويقال: كل عاص تحت كنف الرحمن فإذا رفع عنه يده انهتك ستره. **(وقال بعضهم: لا تذنب فإن كان ولا بدّ فلا ترغب، غيرك فيه فتذنب ذنبين)** ولفظ القوت: فلا تحمل غيرك على الذنب فتكسب ذنبين وقد جعل الله ذلك وصفاً من أوصاف المنافقين، (ولذلك قال تعالى: **﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض**

٦٧]. وقال بعض السلف: ما انتهك المرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية ثم يهوّنها عليه.

ومنها: أن يكون المذنب عالماً يقتدى به فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الإبريسم وركوبه مراكب الذهب، وأخذه مال الشبهة من أموال السلاطين، ودخوله على السلاطين وتردده عليهم ومساعدته إياهم بترك الإنكار عليهم وإطلاق اللسان في الأعراض وتعديه باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه إلا الجاه كعلم الجدل والمناظرة، فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيراً في العالم آماداً متطاولة، فطوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه. وفي الخبر: «من سنَّ سنَّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئاً»، قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وآثَارَهُمْ﴾ [يس: ١٢] والآثار ما يلحق من

يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف﴾) الآية، فمن حمل أخاه على ذنب معه فقد أمر بالمنكر ونهي عن المعروف (**وقال بعض السلف: ما انتهك المرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية ثم يهوّنها عليه**) نقله صاحب القوت.

(**ومنها: أن يكون المذنب عالماً يقتدى به فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه**)، وهذا (**كلبس العالم الإبريسم**) وهو الحرير الخام (**وركوبه مراكب الذهب**) والفضة، (**وأخذه مال الشبهة من أموال السلاطين**) ومن في معناهم، (**ودخوله على السلاطين وتردده عليهم**) في قضاء حوائجه أو حوائج غيره (**ومساعدته إياهم بترك الإنكار عليهم**) فيما يظهر له من المنكرات الشرعية (**وإطلاق اللسان في الأعراض وتعديه باللسان في**) اثناء (**المناظرة وقصده الاستخفاف**) بحقوق أخيه المسلم (**واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه إلا الجاه كعلم الجدل والمناظرة، فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيراً**) شائعاً (**في العالم آماداً**) أي أزماناً (**متطاولة**) وتبقى سيئات ذنوبه عليه ما دام يعمل به فيكون وزره عليه حتى ينقرض من عامليه، (**فطوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه**) ولم يؤاخذ بها بعده، وطوبى لمن لم يعد ذنبه غيره وقد يعيش العبد أربعين سنة ثم يموت فتبقى ذنوبه بعده مائة سنة يعاقب عليها في قبره إذا كان قد اتبع عليها إلى أن تندرس أو يموت كل من عمل بهائم يسقط عنه فيستريح منها، ويقال: أعظم الذنوب من ظلم من لم يعرفه ولم يره من المتقدمين مثل أن يتكلم فيمن سلف من أهل الدين وأئمة المتقين، وهذه المعاني كلها تدخل في الذنب الواحد وهي أعظم منه. (**وفي الخبر «من سنّ سنّة سيئة**) فعمل بها بعده (**فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئاً»**) وهو قطعة من حديث رواه مسلم من حديث جرير بن عبد الله، وقد تقدم في آداب الكسب والمعاش وفي ذلك (**قال**) الله (**تعالى ﴿ونكتبُ ما قدّموا﴾**) من الأعمال

الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل، وقال ابن عباس: ويل للعالم من الأتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق. وقال بعضهم: مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق أهلها.

وفي الإسرائيليات: أن عالماً كان يضل الناس بالبدعة ثم أدركته توبة فعمل في الإصلاح دهراً، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم؛ قل له إن ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادي فأدخلتهم النار، فبهذا يتضح أن أمر العلماء مخطر فعليهم وظيفتان: إحداهما ترك الذنب، والأخرى إخفاؤه وكما تتضاعف أوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات إذا اتبعوا، فإذا ترك التجمل والميل إلى الدنيا وقنع منها باليسير ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويقتدي به العلماء والعوام فيكون له مثل ثوابهم، وإن مال إلى التجمل مالت طباع

(﴿وآثارهم﴾) أي سننهم التي عمل بها بعدهم وإليه أشار بقوله: **(والآثار ما يلحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل. وقال ابن عباس)** رضي الله عنه: **(ويل للعالم من الأتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس ويذهبون بها في الآفاق)** نقله صاحب القوت، **(وقال بعضهم: مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق أهلها)** ولفظ القوت ويغرق الخلق معها.

(وفي الاسرائيليات: إن عالماً) من علمائهم **(كان يضل الناس بالبدعة ثم أدركته توبة)** فرجع إلى الله تعالى **(فعمل في الإصلاح دهراً)** أي إصلاح نفسه، **(فأوحى الله تعالى إلى نبيهم قل له: إن ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك)** بالغاً ما بلغ، **(ولكن كيف بمن أضللت من عبادي فأدخلتهم النار)** نقله صاحب القوت قال: فأما استحلال المعصية واحلالها للغير فليس من هذه الأبواب في شيء إنما ذلك خروج عن الملة وتبديل الشريعة وهو الكفر بالله عز وجل ففي الخبر « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ». **(فبهذا يتضح أن أمر العلماء مخطر)** جداً بخلاف غيرهم من العوام **(فعليهم وظيفتان: إحداهما ترك الذنب)** مطلقاً مهما أمكنهم ذلك، **(والأخرى اخفاؤه)** إن قدر على ذلك **(وكما تتضاعف أوزارهم على الذنوب)** إذا ارتكبوها، **(فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات إذا اتبعوا)** وعمل بها بعدهم، **(فإذا ترك)** العالم **(التجمل والميل إلى الدنيا)** أي من التوسع فيها **(وقنع منها باليسير)** والبلغة **(و)** قنع **(من الطعام بالقوت)** قدر ما يسدّ به رمقه، **(ومن الكسوة بالخلق)** ومن المسكن ما يكنه من البرد والحر **(فيتبع عليه ويقتدى به العلماء)** من أمثاله **(والعوام)** المشاهدون أحواله، **(ويكون له مثل ثوابهم)** من غير أن ينقص من ثوابهم شيء، **(وإن مال إلى التجمل)**

من دونه إلى التشبه به، ولا يقدرون على التجمل إلا بخدمة السلاطين وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك، فحركات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها إما بالربح وإما بالخسران، وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها.

الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر:

قد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزماً وقصداً، وذلك الندم أورثه العلم بكون المعاصي حائلاً بينه وبين محبوبه، ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام، ولتمامها علامة، ولدوامها شروط فلا بد من بيانها: **(أما العلم)** فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وسيأتي. **(وأما الندم)** فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن وانسكاب الدمع وطول البكاء والفكر، فمن استشعر عقوبة نازلة

والتحفل **(مالت طباع من دونه)** لا محالة **(إلى التشبه به)** في أحواله **(ولا يقدرون على التجمل إلا بخدمة السلاطين)** ومعاشرة أرباب الأموال **(وجمع الحطام من الحرام)** من حيث كان **(ويكون هو السبب في جميع ذلك)**، ويكون عليهم وزرهم **(فحركات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها إما بالربح وإما بالخسران، فهذا القدر كاف في معرفة تفصيل الذنوب التي التوبة توبة منها)** والله الموفق بكرمه.

(الركن الثالث: في دوام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر:) يذكر فيه علامات صحة التوبة وطريق تمامها وكمالها.

اعلم انّا **(قد ذكرنا أن التوبة)** لها أركان أربعة وأنها **(عبارة عن ندم يورث عزماً وقصداً، وذلك الندم أورثه العلم)** فالعلم والندم والعزم والقصد هي أركانها الأربعة التي عليها أساسها **(بكون المعاصي حائلة بينه وبين محبوبه، ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتمام ولتمامها علامة ولدوامها شروط، فلا بد من بيانها)** بالتفصيل.

(أما) الركن الأوّل الذي هو **(العلم، فالنظر فيه نظر في سبب التوبة وتقويته وكماله باسباب منها مجالسة الصالحين والمذكرين بالله والسؤال عن شؤم المعاصي وما رتب عليها من العقوبات العاجلة، وملازمة الشيخ أنفع من هذا كله فإنه الدرياق النافع وسيأتي)** بيان ذلك.

(وأما) الركن الثاني الذي هو **(الندم؛ فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب)** كما تقدم في أوّل الكتاب **(وعلامته)** أي علامة صحته وكماله **(طول الحسرة والحزن)** ورقة القلب **(وانسكاب الدمع وطول البكاء)** وذبول البدن وسكون القلب، وهذا هو الإخبات الآتي

بولده أو ببعض أعزته طال عليه مصيبته وبكاؤه، وأي عزيز أعز عليه من نفسه وأي عقوبة أشد من النار وأيّ شيء أدل على نزول العقوبة من المعاصي وأي مخبر أصدق من الله ورسوله؟ ولو حدثه إنسان واحد يسمي طبيباً أن مرض ولده المريض لا يبرأ وأنه سيموت منه، لطال في الحال حزنه، فليس ولده بأعز من نفسه ولا الطبيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ولا الموت بأشد من النار ولا المرض بأدل على الموت من المعاصي على سخط الله تعالى والتعرض بها للنار، فألم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى، فعلامة صحة الندم رقة القلب وغزارة الدمع، وفي الخبر: «جالسوا التوّابين فإنهم أرق أفئدة»، ومن علامته أن تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلاً عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة.

وفي الإسرائيليات: إن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه ـ وقد سأله قبول توبة عبد بعد أن اجتهد سنين في العبادة ولم ير قبول توبته فقال ـ وعزتي وجلالي لو شفع فيه

ذكره لأن حقيقة الإخبات الإدمان والانقياد للحق بسهولة، (**فمن استشعر عقوبة نازلة بولده أو ببعض أعزته**) من أقاربه وأخصائه (**قال عليه مصيبته وبكاؤه**) واشتد عليه حزنه وعناؤه. (**وأي عزيز أعز عليه من نفسه، وأي عقوبة أشد من النار، وأي شيء أذل من نزول العقوبة من المعاصي، وأي مخبر أصدق من الله ورسوله ولو أخبره انسان واحد يسمى طبيباً أن ولده المريض لا يبرأ**) من مرضه (**وأنه سيموت منه لطال في الحال حزنه**) وعظم وجده، (**فليس ولده بأعز من نفسه، ولا الطبيب بأعلم، ولا أصدق من الله ورسوله، ولا الموت بأشد من النار، ولا المرض بأدل على الموت من المعاصي على سخط الله تعالى والتعرض بها للنار، فألم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى، فعلامة صحة الندم رقة القلب**) وذبول البدن (**وغزارة الدمع، وفي الخبر «جالسوا التوّابين فإنهم أرق أفئدة»**) هكذا في القوت. قال العراقي: لم أجده مرفوعاً وهو من قول عون بن عبد الله رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة قال «جالسوا التوّابين فإن رحمة الله إلى النادم أقرب» وقال أيضاً: «والموعظة إلى قلوبهم أسرع وهم إلى الرقة أقرب» وقال أيضاً «التائب أسرع دمعة وأرق قلباً» انتهى.

قلت: سبق للمصنف قريباً أنه من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكن بلفظ «اجلسوا إلي التوّابين».

(**ومن علامته**) أي علامة صحته (**أن تتمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلاً من حلاوتها فيتبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة**) مع التلهف والتأسف والاحتراق.

(**وفي الإسرائيليات: إن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه وقد سأله**) ذلك النبي (**قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين في العبادة فلم ير قبول توبته فقال: وعزتي وجلالي**

أهل السموات والأرض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه.

فإن قلت: فالذنوب هي أعمال مشتهاة بالطبع فكيف يجد مرارتها؟ فأقول: من تناول عسلاً كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وألمه وتناثر شعره وفلجت أعضاؤه فإذا قدم إليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن ذلك العسل أم لا؟ فإن قلت: لا، فهو جحد للمشاهدة والضرورة، بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه سم أيضاً لشبهة به، فوجد أن التائب مرارة الذنب كذلك يكون، وذلك لعلمه بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم، ولا تصح التوبة ولا تصدق إلا بمثل هذا الإيمان. ولما عز مثل هذا الإيمان عزت التوبة والتائبون، فلا ترى إلا معرضاً عن الله تعالى متهاوناً بالذنوب مصرًّا عليها، فهذا شرط تمام الندم وينبغي أن يدوم إلى الموت وينبغي أن يجد هذه المرارة في جميع الذنوب وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل، كما يجد متناول السم في العسل النفرة من الماء البارد مهما علم أن فيه مثل ذلك السم، إذ لم يكن ضرره من العسل بل مما فيه، ولم يكن ضرر التائب

لو شفع فيه أهل السموات والأرض ما قبلت توبته، وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه) نقله صاحب القوت.

(**فإن قلت: فالذنوب هي أعمال مشتهاة بالطبع**) أي أن الانسان يشتهيها بموجب طبعه الذي جبل عليه، (**فكيف يجد مرارتها**) وكيف يتمكن من قلبه؟ (**فأقول: من تناول عسلاً كان فيه سم ولم يدركه بالذوق واستلذه ثم مرض وطال مرضه وألمه وتناثر شعره وفلجت أعضاؤه**) كما هي خاصية من يتناول السمومات، (**فإذا قدم إليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر نفسه عن**) تناول (**ذلك العسل أم لا؟ فإن قلت: لا**) تنفر (**فهو جحد للمشاهدة والضرورة**) أي إنكار لها، (**بل**) الحق أنه (**ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه سم أيضاً لشبهه به، فوجد أن التائب مرارة الذنب كذلك يكون، وذلك لعلمه بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم، ولا تصح التوبة ولا تصدق إلا بمثل هذا الإيمان. ولما عزّ مثل هذا الإيمان**) أي ندر (**عزت التوبة والتائبون**) وقلّ وجودها ووجود من يتصف بها، (**فلا ترى إلا معرضاً عن الله تعالى متهاوناً بالذنوب مصراً عليها، فهذا شرط تمام الندم وينبغي أن يدوم**) هذا الشرط (**إلى الموت وينبغي أن يجد هذه المرارة في جميع الذنوب وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل، كما يجد متناول السم في العسل النفرة عن**) شرب (**الماء البارد مهما علم أن فيه مثل ذلك السم، إذ لم يكن ضرره من العسل نفسه بل مما فيه**) وهو السم، (**ولم يكن ضرر التائب من سرقته وزناه**

من سرقته وزناه من حيث إنه سرقة وزنا بل من حيث إنه مخالفة أمر الله تعالى وذلك في كل ذنب.

وأما القصد الذي ينبعث منه؛ وهو إرادة التدارك فله تعلق بالحال؛ وهو يوجب ترك كل محظور هو ملابس له وأداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال. وله تعلق بالماضي؛ وهو تدارك ما فرط. وبالمستقبل؛ وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية إلى الموت.

وشرط صحتها فيما يتعلق بالماضي أن يرد فكره إلى أوّل يوم بلغ فيه بالسن أو الاحتلام ويفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهراً شهراً ويوماً يوماً ونفساً نفساً وينظر إلى الطاعات ما الذي قصر فيه منها؟ وإلى المعاصي ما الذي قارفه منها؟

فإن كان قد ترك صلاة أو صلاها في ثوب نجس أو صلاها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية فيقضيها عن آخرها، فإن شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن أنه أداه ويقضي الباقي وله أن يأخذ فيه بغالب الظن ويصل إليه على سبيل التحري والاجتهاد.

من حيث أنه سرقة وزنا بل من حيث أنه مخالفة أمر الله تعالى وذلك جار في كل ذنب) على العموم.

(**وأما**) الركن الثالث الذي هو (**القصد**) أي الترك (**الذي ينبعث منه وهو ارادة التداول فله تعلق**) بالحال وبالماضي وبالاستقبال. اما تعلقه (**بالحال**) أي الحالة الراهنة، (**وهو موجب ترك كل محظور**) شرعي (**هو ملابس له**) والخروج عنه في الحال، (**وأداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال. وله تعلق بالماضي؛ وهو تدارك ما فرط**) منه فيما مضى من الزمان وله تعلق (**بالمستقبل، وهو دوام الطاعة ودوام ترك المعصية إلى الموت**).

(**وشرط صحتها فيما يتعلق بالماضي أن يردده فكره**) من ساعة توبته (**إلى أول يوم**) غفلته منذ (**بلغ فيه بالسن أو الاحتلام ويفتش على ما مضى من**) أحواله في (**عمره سنة سنة وشهراً شهراً ويوماً يوماً ونفساً نفساًو ينطر إلى الطاعات ما الذي قصد فيه منها وإلى المعاصي ما الذي فارقه منها**) فيقابل كل سيئة بحسنة من جنسها.

(**فإن كان قد ترك صلاة**) من الخمس (**أو صلاّها في ثوب نجس**) أو بدن نجس أو مكان نجس (**أو صلاّها بنية غير صحيحة لجهله بشرط النية**) على ما ذكر في كتاب الصلاة (**فيقضيها عن آخرها، فإن شك في عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن أنه أداه ويقضي الباقي وله أن يأخذ فيه بغالب الظن الذي يصل إليه على سبيل التحري والاجتهاد**).

وأما الصوم؛ فإن كان قد تركه في سفر ولم يقضه أو أفطر عمداً أو نسي النية بالليل ولم يقض؛ فيتعرّف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتغل بقضائه.

وأما الزكاة، فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أوّل ملكه ـ لا من زمان البلوغ فإن الزكاة واجبة في مال الصبي ـ فيؤدي ما علم بغالب الظن أنه في ذمته، فإن أداه لا على وجه يوافق مذهبه بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية أو أخرج البدل وهو على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى فيقضي جميع ذلك، فإن ذلك لا يجزيه أصلاً، وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه إلى تأمل شاف ويلزمه أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء.

وأما الحج، فإن كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له الخروج والآن قد أفلس فعليه الخروج، فإن لم يقدر مع الإفلاس فعليه أن يكتسب من الحلال قدر الزاد، فإن لم يكن له كسب ولا مال فعليه أن يسأل الناس ليصرف إليه من الزكاة أو الصدقات ما

(**وأما الصوم؛ فإن كان قد تركه في سفر أو لمرض**) عرض له (**ولم يقضه أو أفطر عمداً**) أي متعمداً (**أو نسي النية بالليل ولم يقض**) بعد (**فيتعرف مجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويشتغل بقضائه**)، وفي نسيان النية بالليل خلاف في مذهب أبي حنيفة ومالك كما تقدم في كتاب الصوم.

(**وأما الزكاة؛ فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أول ملكه**) لذلك المال (**لا من زمان البلوغ، فإن الزكاة واجبة في مال الصبي**) خلافاً لأبي حنيفة كما تقدم في كتاب الزكاة، (**فيؤدي ما علم بغالب الظن انه في ذمته، فإن أداه لأعلى وجه يوافق مذهبه بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية**) المذكورة في القرآن، بل إلى بعضها كما هو مذهب أبي حنيفة (**أو أخرج البدل**) كما هو مذهب أبي حنيفة (**وهو على**) مذهب الإمام (**الشافعي**) رحمه الله تعالى، (**فيقضي جميع ذلك، فإن ذلك لا يجزيه أصلاً**) وتقدم التفصيل في كل من المسألتين في كتاب الزكاة، (**وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه إلى تأمل شاف**) واحتياط وافٍ (**ويلزمه**) مع ذلك (**أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من**) أفواه السادة (**العلماء**)ليعمل بموجب ما يرشدونه إليه.

(**وأما الحج؛ فإن كان قد استطاع**) الزاد والراحلة مع أمن الطريق (**في بعض السنين**) من عمره (**ولم يتفق له الخروج**) تهاوناً وتكاسلاً وتسويفاً (**والآن قد أفلس**) أي صار عديم المال (**فعليه الخروج**) إلى الحج، (**فإن لم يقدر مع الإفلاس فعليه أن يكتسب من الحلال قدر الزاد**) والراحلة، (**فإن لم يكن له كسب ولا مال فعليه أن يسأل الناس ليصرف إليه من**

يحج به، فإنه إن مات قبل الحج مات عاصياً قال عليه السلام: « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً » والعجز الطارىء بعد القدرة لا يسقط عنه الحج، فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها.

وأما المعاصي؛ فيجب أن يفتش من أول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه، ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد، كنظر إلى غير محرم وقعود في مسجد مع الجنابة ومس مصحف بغير وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع ملاه وغير ذلك مما لا يتعلق بمظالم العباد، فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها وبأن يحسب مقدارها من

الزكاة أو الصدقات ما يحج به) ولا يسقط عنه الحج، **(فإن مات قبل الحج مات عاصياً . قال** ﷺ: **« من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً »)** رواه البيهقي والدارقطني في حديث أبي أمامة بلفظ « من لم يمنعه من الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر أو مرض حابس فمات ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً » وقد تقدم في كتاب الحج، **(والعجز الطارىء)** أي العارض **(بعد القدرة لا يسقط عنه الحج)** وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الحج. **(فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها)**.

(وأما المعاصي: فينبغي أن يفتش من أوّل بلوغه) إلى وقت التوبة **(عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه، ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها، ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتعلق بمظلمة العباد)**. اعلم أن الترك المتعلق بالماضي الذي هو التدارك لما فرط من أمره هل تتوقف صحة التوبة على هذا وهذا هو الغاية المقصودة، وأما من أجاز الصحة فيكتفي بالعلم والندم والعزم والترك في الحال، والصحيح الذي مشى عليه المصنف أن فيه تفصيلاً، لأن المعاصي المرجوع عنها إما أن تكون قاصرة الضرر على المذنب أو متعدية إلى غيره فالقاصرة منها ما يقبل القضاء كالصلاة والصيام والزكاة والحج وقد ذكرها المصنف، ومنها ما لا يقبل القضاء إليه الإشارة بقوله: **(كنظر إلى غير محرم)** أو لمس **(وقعود في مسجد مع الجنابة)** أي اللبث فيه على غير طهارة **(ومس مصحف بغير وضوء)** ولا تيمم **(واعتقاد بدعة)** غير مخرجة من الملة **(وشرب خمر وسماع ملاهٍ وغير ذلك)** كإلقاء المال في البحر وإنفاقه في المعصية وما أشبه ذلك **(مما لا يتعلق بمظالم العباد)** ولا يقبل القضاء، **(فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها)** والترك والعزم على أن لا يعود، **(وبأن يحسب مقدارها من حيث**

حيث الكبر ومن حيث المدة ويطلب لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذاً من قوله ﷺ : « اتق الله حيث كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها » ، بل من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود : ١١٤] فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وبمجالس الذكر ، ويكفر القعود في المسجد جنباً بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ، ويكفر مس المصحف محدثاً بإكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقبيله وبأن يكتب مصحفاً ويجعله وقفاً ، ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب حلال هو أطيب منه وأحب إليه ، وعد جميع المعاصي غير ممكن وإنما المقصود سلوك الطريق المضادة فإن المرض يعالج بضده ، فكل ظلمة ارتفعت إلى القلب بمعصية فلا يمحوها إلا نور يرتفع إليها بحسنة تضادها ، والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي أن تمحى كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها ، فإن البياض يزال بالسواد لا بالحرارة والبرودة ، وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجاء فيه أصدق والثقة به أكثر من أن يواظب على نوع واحد من العبادات وإن كان

الكثرة ومن حيث المدة ويطلب لكل سيئة منها حسنة تناسبها ، فيأتي من الحسنات مقدار تلك السيئات أخذاً من قوله ﷺ) لأبي ذر رضي الله عنه : **(« اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها)** وخالق الناس بخلق حسن » رواه الترمذي وصححه وتقدم أوله في كتاب آداب الكسب ، وبعضه في كتاب رياضة النفس ، وبعضه في هذا الكتاب قريباً ، **(بل من قوله تعالى : ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ فيكفر سماع الملاهي بسماع القرآن وبمجالس الذكر)** والعلم ، **(ويكفر القعود في المسجد جنباً بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة)** بأنواعها ، **(ويكفر مس المصحف محدثاً باكرام المصحف وكثرة القراءة منه وكثرة تقبيله)** ووضعه على العينين ورفعه في أشرف المواضع ، (وبأن يكتب مصحفاً) بخطه **(ويجعله وقفاً)** على المسلمين يقرأون فيه ، **(ويكفر شرب الخمر بالتصدق بشراب** حلال هو أطيب **منه وأحب إليه)** بان يتصدق بشرب السكر مثلاً يجعله في كيزان ويسقي الناس في المجامع أو يقف به في ممر الناس في أوقات شدة الحر والعطش . **(وعدّ جميع المعاصي غير ممكن ، وإنما المقصود سلوك طريق المضادة فإن المرض إنما يعالج بضده)** ليقاومه فيعتدل المزاج **(وكل ظلمة ارتفعت إلى القلب بمعصية فلا يمحوها إلا نور ارتفع إليها بطاعة من جنسها لكن تضادها ، والمتضادات هي المتناسبات فلذلك ينبغي أن يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها ، فإن البياض يزال بالسواد)** فإنه ضده **(لا بالحرارة والبرودة)** والحرارة تزال بالبرودة وبالعكس لا باليبوسة والرطوبة ، **(وهذا التدريج من التلطف في تحقيق طريق المحو فالرجاء فيه أصدق والثقة به أكثر من أن يواظب على نوع واحد من العبادات وإن كان ذلك أيضاً مؤثراً في**

ذلك أيضاً مؤثراً في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى ويدل على أن الشيء يكفر بضده أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والحنين إليها فلا جرم كان كل أذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له، إذ القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم قال ﷺ: « مِنَ الذُّنُوبِ ذنوب لا يكفرها إلا الهموم »، وفي لفظ آخر: « إلا الهم بطلب المعيشة ». وفي حديث عائشة رضي

المحو) وكذا إن فعل أنواعاً من العبادات ولكنها ليست من جنس المعاصي المرجوع عنها، فإنها مؤثرة في المحو كذلك، وقد روى الخطيب من حديث أنس « إذا كثرت ذنوبك فاسق الماء على الماء تتناثر كما يتناثر الورق من الشجر في الريح العاصف ». **(فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى، ويدل على أن الشيء يكفر بضده « إن حب الدنيا رأس كل خطيئة »)** كما ورد في الخبر وتقدم الكلام عليه، **(وأثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والحنين إليها، فلا جرم كان كل أذى يصيب المسلم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له، إذا القلب يتجافى بالهموم والغموم عن دار الهموم)** أي يتباعد.

(قال ﷺ: « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهموم » وفي لفظ آخر: « إلا الهم بطلب المعيشة ») ولفظ القوت: أعلم أن الغم على ما يفوت من الدنيا والهم والحرص عليها من العقوبات، والفرح والسرور بما نال من الدنيا مع ما لا ينال بما فرح من ذنبه من العقوبات، وقد كان عقوبة الذنب ذنباً مثله وأعظم منه، كما يكون ثواب الطاعة طاعة مثلها أو أفضل منها، وقد يكون دوام العوافي وإتساع الغنى من عقوبات الذنوب إذا كانا سببين إلى المعاصي، وفي إحدى الوجوه من معنى قوله: ﴿وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ [آل عمران: ١٥٢] قال: الغنى والعافية، فقد صار الفقر والمرض رحمة من الله تعالى إذا كانا سببين للعصمة. وفي الخبر: « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم بطلب المعيشة » وفي لفظ آخر: « الهموم » فالهموم والأحزان بالمباحات من حاجات الدنيا كفارات وهي على ما تقرر من قربات الآخرة للمؤمنين درجات وهي على حسب الدنيا والجمع منها والحرص عقوبات انتهى.

والحديث المذكور قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية، والخطيب في تلخيص المتشابه من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، وتقدم في النكاح انتهى.

قلت: لفظ الطبراني، وأبي نعيم: « إن من الذنوب ذنوباً لا تكفرها الصلاة ولا الوضوء ولا الحج ولا العمرة » قيل: فما يكفرها يا رسول الله؟ قال: « الهموم بطلب المعيشة ». وهكذا رواه ابن عساكر أيضاً وهو غريب جداً، وفيه يحي بن يوسف بن يعقوب الرقي وهو ضعيف. وفي لفظ: « لا تكفرها الصلاة ولا الصوم ولا الحج ويكفرها الهم في طلب المعيشة ». ورواه الخطيب في تلخيص المتشابه بنحوه من طريق يحي بن بكير، عن مالك، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة به وفي لفظ: « عرق الجبين » بدل « الهم ». وللديلمي من حديث أبي هريرة: « إن في

الله عنها: « إذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تكفرها أدخل الله تعالى عليه الهموم فتكون كفارة لذنوبه »، ويقال: إنّ الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها، وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع.

فإن قلت: همّ الإنسان غالباً بماله وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة؟ فاعلم أن الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة، فقد روي أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له: كيف تركت الشيخ

الجنة درجة لا ينالها إلا أصحاب الهموم » يعني في المعيشة. وروى الخطيب في المتفق والمفترق عن أبي عبيد عن أنس رفعه: « إن من الذنوب ذنوباً لا تكفرها الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج يكفرها الهموم في طلب المعيشة ». قال الأزدي أبو عبيد عن أنس شبه لا شيء.

(وفي حديث عائشة رضي الله عنها: « إذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تكفرها أدخل الله عليه الهموم فتكون كفارة لذنوبه ») ولفظ القوت: ولم تكن له من الأعمال ما يكفر ادخل إليه الهموم والغموم. قال العراقي: تقدم أيضاً في النكاح، وهو عند أحمد من حديث عائشة ابتلاه الله بالحزن انتهى.

قلت: ذكر هناك أن فيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه، ولفظ أحمد في المسند: « إذا كثرت ذنوب العبد فلم يكن له من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها عنه » قال المنذري: رواته ثقات إلا ليث بن أبي سليم. وقال الهيثمي: فيه ليث وهو مدلس وبقية رجاله ثقات، ولكن حسنه الحافظ السيوطي وكأنه رجح جانب التوثيق فيه والله أعلم.

(ويقال: إن الهم الذي يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب، والهم بها، وشعور القلب بوقفة الحساب وهول المطلع) ولفظ القوت ويقال: إن الهم الذي يعرض للقلب في الوقت لا يعلم العبد سببه هو كفارة الهم بالخطايا، ويقال: هو حرز العقل عند تذكرة الوقوف والمحاسبة لأجل جنايات الجسد فيلزم العقل ذلك فيظهر على العبد منه كآبة لا يعرف بها سبب غمه.

(فإن قلت: هم الإنسان غالباً بماله وولده وجاهه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة؟ فاعلم أن الحب له خطيئة والحرمان عنه كفارة ولو تمتع به لتمت الخطيئة، فقد روي) في أخبار يعقوب عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه: لولا ما سبق لك من علمي من عنايتي بك لجعلت نفسي عندك أبخل الباخلين لكثرة ترددك عليّ وطول سؤالك لي وتأخير إجابتك، ولكن من عنايتي بك أن جعلت نفسي في قلبك أني أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين، وقد سبقت لك عندي منزلة لم تكن تنالها بشيء من عملك إلا بحزنك على يوسف، فأردت أن أبلغك تلك المنزلة. وكذلك روي **(أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له)** يوسف:

الكئيب؟ فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال: فما له عند الله؟ قال: أجر مائة شهيد. فإذن الهموم أيضاً مكفرات حقوق الله فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى.

وأما مظالم العباد، ففيها أيضاً معصية وجناية على حق الله تعالى فإن الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضاً، فما يتعلق منه بحق الله تعالى تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل والإتيان بالحسنات التي هي أضدادها، فيقابل إيذاءه الناس بالإحسان إليهم، ويكفر غصب أموالهم بالتصدق بملكه الحلال، ويكفر تناول أعراضهم بالغيبة والقدح

(يا أخي كيف تركت الشيخ الكبير) وفي نسخة الكئيب؟ **(فقال: قد حزن عليك حزن مائة ثكلى. قال)** يوسف: **(فما)** ذا **(له عند الله؟ قال: أجر مائة شهيد)** كذا في القوت.

قلت: أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم عن السدي قال: أتى جبريل عليه السلام يوسف عليه السلام وهو في السجن فسلم عليه وجاءه في صورة رجل حسن الوجه طيب الريح نقي الثياب، فقال له يوسف: أيها الملك الحسن وجهه الكريم على ربه، الطيب ريحه حدثني كيف يعقوب. قال: حزن عليك حزناً شديداً. قال: فما بلغ من حزنه؟ حزن سبعين مثكلة. قال: فما بلغ من أجره؟ قال: أجر سبعين شهيداً. قال يوسف: من آوى بعدي؟ قال: إلى أخيك بنيامين. قال: فتراني ألقاه؟ قال: نعم فبكى يوسف لما لقي أبوه ثم قال: ما أبالي ما لقيت إن الله أرانيه. وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ليث بن سليم نحوه. وأخرجه من طريق ليث عن ثابت البناني نحوه، عن ليث بن سليم نحوه من طريق ليث، عن مجاهد نحوه وعن عبدالله بن أبي جعفر نحوه. وأخرجه عبد بن حميد، وأبو الشيخ عن وهب بن منبه نحوه، وأخرجه ابن جرير عن عكرمة نحوه، وفيه أجر سبعين ثكلى. وعن الحسن وفيه وجد سبعين ثكلى وأجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة من ليل ولا نهار.

(فإذاً الهموم أيضاً مكفرات حقوق الله) عز وجل، **(فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى)** والذي يقبل القضاء فتصح أيضاً توبته، ولكن يجب عليه قضاء ما فات لأن التوبة عبادة الوقت لوجوبها على الفور وقد قام بها ولا وقت لها معين والذمة مشغولة به، وهذا الحكم في المعاصي المتعدي ضررها إلى الغير وأجناسها ثلاثة: في النفس والمال والعرض، وفي كل واحد من هؤلاء حق لله وحق للعبد، أما حق الله فقد كفرته التوبة، وأما حق العبد فلا بدّ منه وإلى ذلك أشار المصنف بقوله:

(وأما مظالم العباد ففيها أيضاً معصية وجناية على حق الله فإن الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضاً) في آي كثيرة وأخبار صحيحة، **(فمتى تعلق به حق الله تعالى تداركه بالندم والتحسر وترك مثله في المستقبل)** وبه تمت أركان التوبة، وقد أشار إلى كمالها فقال: **(والإتيان بالحسنات التي هي أضدادها)** أي المعاصي **(فيقابل إيذاء الناس)** أي إن كان

فيهم بالثناء على أهل الدين وإظهار ما يعرف من خصال الخير من أقرانه وأمثاله، ويكفر قتل النفوس بإعتاق الرقاب، لأن ذلك إحياء إذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده والإعتاق إيجاد لا يقدر الإنسان على أكثر منه فيقابل الإعدام بالإيجاد وبهذا تعرف أن ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل بإعتاق رقبة، ثم إذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد إما في النفوس أو الأموال أو الإعراض أو القلوب أعني به الإيذاء المحض.

أما النفوس فإن جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية ووصولها إلى المستحق إما منه أو من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول. وإن كان عمداً موجباً للقصاص

آذاهم (**بالإحسان إليهم، ويكفر غصب أموالهم بالتصدق**) على الفقراء (**بملك الحلال، ويكفر تناول أعراضهم بالغيبة والقدح فيهم بالثناء على أهل الدين**) والصلاح (**وإظهار ما يعرف من خصال الخير من أقرانه وأمثاله**) وبث ذلك بين الناس، (**ويكفر قتل النفوس باعتاق الرقاب لأن ذلك إحياء، إذا العبد مفقود لنفسه موجود لسيده فالإعتقاق إيجاد**) أي بمنزلته (**لا يقدر الإنسان على أكثر منه**) إذ ليس في وسعه الإيجاد الحقيقي فجعل الإعتاق قائماً مقامه رحمة من الله على عباده ومنة منه عليهم (**فيقابل الإعدام**) الذي هو قتل النفس (**بالإيجاد**) الذي هو عتق الرقبة، (**وبهذا تعرف أن ما ذكرناه من سلوك طريق المضادة في التكفير والمحو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتاق رقبة**) وهذا من الأسرار الإلهية التي يدركها الإخواص البشر، (**ثم إذا فعل ذلك كله لم ينجه ولم يكفه ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد إما في النفوس أو الأموال أو الأعراض أو القلوب. أعني به الإيذاء المحض**).

(**أما النفوس: فإن جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية**) وهي المال الذي هو بدل النفس (**ووصولها إلى المستحق إما منه أو من عاقلته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول**) والخطأ قتل بمباشرة وهو أن يرمي شخصاً يظنه صيداً أو حربياً. فإذا هو مسلم. فهذا خطأ في القصد، أو يرمي غرضاً فيصيب آدمياً فهذا خطأ في الفعل ويلحق به ما يجري مجراه كان يكون في حالة النوم فتغلب على إنسان فقتله، والدية إثنا عشر ألفاً عند مالك والشافعي، وقال أبو حنيفة عشرة آلاف، وعنده دية المسلم والذمي سواء. وقال مالك: دية الذمي ستة آلاف درهم. وقال الشافعي: دية الكتابي أربعة آلاف، ودية المجوسي ثمانية ودية المرأة نصف دية الرجل عند الكل (**وإن كان عمداً موجباً للقصاص**) بأن كان بسلاح ومشابهه في تفريق الأجزاء وإلا فهو شبه العمد. قال الشافعي: هو أن يتعمد للضرب بآلة لا يقتل مثلها غالباً كالعصا والسوط والحجر الصغير، ووافقه أبو يوسف ومحمد، وقال أبو حنيفة: شبه العبد أن يتعمد الضرب بما لا يفرق

فبالقصاص، فإن لم يعرف فيجب عليه أن يتعرف عند ولي الدم ويحكمه في روحه فإن شاء عفا عنه وإن شاء قتله ولا تسقط عهدته إلا بهذا. ولا يجوز له الإخفاء وليس هذا كما لو زنى أو شرب أو سرق أو قطع الطريق أو باشر ما يجب عليه فيه حد الله تعالى فإنه لا يلزمه في التوبة أن يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله تعالى، بل عليه أن يتستر بستر الله تعالى ويقيم حد الله على نفسه بأنواع المجاهدة والتعذيب، فالعفو في محض حقوق الله تعالى قريب من التائبين النادمين، فإن رفع أمر هذه إلى الوالي حتى أقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روي أن ماعز بن مالك أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد

الأجزاء كالعصا والحجر واليد، ولهذا لو ضربه بحجر عظيم أو خشبة فهو عمد عندهم خلافاً له، ولو ضربه به بسوط صغير ووالى في الضربات حتى مات فهو عمد يقتص به عند الشافعي خلافاً لنا. (**فبالقصاص**) فتوبته بأن يقتص منه قال الله تعالى: ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى﴾ الآية [البقرة: ١٧٨] وللشافعي في موجب العمد قولان.

أحدهما: القصاص إلا إذا عفا الولي فله أن يختار أخذ الدية بغير رضا القاتل، لأن أخذ المال تعين سبباً لدفع الهلاك، فيجوز بدون رضاه كمن أصابته مخمصة فبذل له إنسان طعاماً بثمن المثل لزمه الشراء لأنه يملك ما يحيي به نفسه بعوض يعدله.

والثاني: القصاص أو الدية وينبين ذلك باختيار الولي. وقال أبو حنيفة: موجب العمد القود وهو واجب عيناً وليس للولي أخذ الدية إلا برضا القاتل، إلا أن يعفو الأولياء إذ وجوب المال عند المصالحة برضا القاتل في ماله، فيجب بدل الصلح قليلاً أو كثيراً في ماله على ما اصطلحوا عليه من تعجيل أو تأجيل أو تنجيم وإن لم يذكر شيئاً كان المال حالاً كسائر المعاوضات عند الإصطلاح أو صلح بعضهم أو عفوه فيجب بقية الدية على العاقلة، (**فإن لم يعرف**) بالقتل (**فيجب عليه أن يعترف**) به (**عند ولي الدم ويحكمه في روحه فإن شاء عفا عنه وإن شاء قتله ولا تسقط عهدته إلا بهذا، ولا يجوز له الإخفاء**) ومتى أخفي كان آثماً غير إثم القتل، (**وليس هذا كما لو زني**) بامرأة (**أو شرب**) خمراً (**أو سرق**) شيئاً ذا قيمة (**أو قطع الطريق**) على المسلمين (**أو باشر ما يجب عليه فيه حدّ لله تعالى، فإنه لا يلزمه في التوبة أن يفضح نفسه**) بين الناس (**ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله تعالى**) عنه، (**بل عليه أن يستتر بستر الله تعالى ويقيم حدّ الله على نفسه بأنواع المجاهدة والتعذيب مع الندم وهو التأسف، فعفو الله في محض حق الله تعالى قريب من التائبين النادمين**) فإن من تاب إلى الله تعالى ونزع مما صدر منه يرجى أن يعفى عنه، (**فإن رفع أمره إلى الوالي حتى أقام عليه الحد وقع موقعه وتكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روي أن ماعز بن مالك**) الأسلمي رضي الله عنه قال ابن حبان له صحبة (**أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول**

ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني، فرده فلما كان من الغد أتاه فقال: يا رسول الله إني قد زنيت فرده الثانية فلما كان في الثالثة أمر به فحفر له حفرة ثم أمر به فرجم، فكان الناس فيه فريقين: فقائل يقول لقد هلك وأحاطت به خطيئته وقائل يقول ما توبة أصدق من توبته فقال رسول الله ﷺ: «لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم»،

الله إني قد ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني) أي بإقامة الحد **(فردّه، فلما كان من الغد أتاه فقال: يا رسول الله إني قد زنيت فردّه الثانية، فلما كان في الثالثة أمر به فحفر له حفرة ثم أمر به فرجم، فكان الناس فيه فرقتين فقائل يقول: لقد هلك ولقد أحاطت به خطيئته، وقائل يقول: ما توبة أصدق)** وفي نسخة: أفضل **(من توبته. فقال رسول الله ﷺ: «لقد تاب توبة لو قسمت بين)** وفي نسخة على **(أمة لو سعتهم»)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب انتهى.

قلت: لفظ مسلم من حديث بريدة قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله طهرني. فقال: «ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه» فرجع غير بعيد ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني، فقال النبي ﷺ مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ: «مم أطهرك»؟ فقال: من الزنا. فقال رسول الله ﷺ: «أبه جنون»؟ فأخبر أنه ليس بمجنون فقال: «أشربت خمراً»؟ فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر. قال، فقال رسول الله ﷺ: «أزنيت»؟ فقال: نعم، فأمر به فرجم فكان الناس فيه فرقتين قائل يقول لقد أحاطت به خطيئته، وقائل يقول ما توبة أفضل من توبة ماعز إنه جاء إلى رسول الله ﷺ فوضع يده ثم قال: اقتلني بالحجارة. قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة، ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال: «استغفروا لماعز بن مالك، فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك. فقال رسول الله ﷺ: «لقد تاب توبة لو قسمت بين امة لوسعتهم». وأخرجه أبو داود مختصراً.

ولمسلم أيضاً من حديث بريدة أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني فردّه، فلما كان من الغداة أتاه فقال: يا رسول الله إني قد زنيت فردّه الثانية، فأرسل رسول الله ﷺ إلى قومه فقال: «تعلمون بعقله بأساً تنكرون منه شيئاً فقالوا: ما نعلمه إلا وفي العقل من صالحينا فيما نرى، فأتاه الثالثة فأرسل إليهم أيضاً فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله، فلما كان الرابعه حفر له حفرة ثم أمر به فرجم. وهذا السياق متصل بحديث الغامدية الآتي ذكره، والمصنف جمع بين البابين لما وجدهما من رواية صحابي واحد.

وروى أبو داود والنسائي عن عبد الرحمن بن الصامت أنه سمع أبا هريرة يقول: جاء الأسلمي نبي الله ﷺ فشهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراماً أربع مرات كل ذلك يعرض عنه فأقبل في الخامسة فقال: «أنكتها». هذا لفظ أبي داود، ولفظ النسائي: «نكحتها» ثم اتفقا فقالا: قال نعم.

وجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني! فردها فلما كان من الغد قالت: يا رسول الله لم تردني لعلك تريد أن ترددني كما رددت ماعزاً، فوالله إني لحبلى؛ فقال ﷺ: « أما الآن فاذهبي حتى تضعي » فلما ولدت أتت بالصبي في خرقة فقالت: هذا قد ولدته قال: « اذهبي فارضعيه حتى تفطميه » فلما فطمته أتت بالصبي وفي يده كسرة خبز فقالت: يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام! فدفع الصبي إلى رجل من

قال: « كما يغيب المرود في المكحلة والرشاء في البئر » قال: نعم. قال: « فهل تدري ما الزنا » ؟ قال: نعم أتيت منها حراماً ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً. قال: « فما تريد بهذه القول » ؟ قال: أريد أن تطهرني فأمر به فرجم، فسمع النبي ﷺ رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: انظروا إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى يرجم رجم الكلب فسكت عنهما، ثم سار ساعة حتى مرّ بجيفة حمار شائل برجله فقال: « أين فلان وفلان » ؟ فقالا: نحن ذان يا رسول الله. قال: « أنزلا فكُلا من جيفة هذا الحمار » فقالا لا: يا نبي الله من يأكل من هذا ؟ قال: « فما نلتما من عرض أخيكما آنفاً أشد من أكلكما منه، والذي نفسي بيده إنه الآن في أنهار الجنة ينغمس فيها ». وقد تقدم هذا الحديث في كتاب ذم الغيبة. وروى الترمذي وقال: حسن غريب من حديث علقمة بن وائل عن أبيه بلفظ: « لقد تاب توبة لو تابها أهل المدينة لقبل منهم » وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس بلفظ: « لقد تاب توبة لو تابها صاحب مكس لقبلت منه » يعني ماعزاً. وقال الحافظ في الإصابة في ترجمة ماعز ثبت ذكره في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة، وزيد بن خالد وغيرهما، وجاء ذكره في حديث أبي بكر الصديق، وأبي ذر، وجابر بن عبدالله، وجابر بن سمرة، وبريدة بن الحصيب، وابن عباس، ونعيم بن هزال وأبي سعيد الخدري، ونصر الأسلمي، وأبي برزة سماه بعضهم وأبهمه بعضهم، وفي بعض طرقه أن النبي ﷺ قال: « لقد تاب توبة لو تابها طائفة من أمتي لأجزأت عنهم » وفي صحيح ابن عوانة وابن حبان وغيرهما من طريق أبي الزبير عن جابر أن النبي ﷺ لما رجم ماعز بن مالك قال: « لقد رأيته يتخضخض في أنهار الجنة ويقال: إن اسمه عريب، وماعز لقب انتهى.

ثم قال مسلم عقيب حديث ماعز قال: (**وجاءت الغامدية فقالت: يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني فردّها، فلما كان من الغد قالت: يا رسول الله لم تردني لعلك تريد أن تردني كما رددت ماعزاً، فوالله إني لحبلى قال: « أمالا)** هكذا في نسخ مسلم وهو بفتح الهمزة وتشديد الميم بعدها لا نافية وفيه لغات ذكرتها في آخر شرح القاموس، ولغة النبي ﷺ بالإمالة فيه أمالي، ويوجد في سائر نسخ الكتاب الآن وهو غلط (**فاذهبي حتى تلدي » فلما ولدت أتت بالصبي في خرقة فقالت: هذا قد ولدته. قال: « اذهبي فارضعيه حتى تفطميه » فلما فطمته أتت بالصبي وفي يده كسرة خبز فقالت: يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام، فدفع الصبي إلى رجل**

المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها فأمر الناس فرجموها ، فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجهه فسبها ، فسمع رسول الله ﷺ سبه إياها فقال: « مهلاً يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت ».

من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها) حفرة **(إلى صدرها وأمر الناس فرجموها فأقبل)** وفي لفظ فيقبل وهكذا في مسلم **(خالد بن الوليد)** رضي الله عنه **(بحجر فرمى رأسها فتنضح)** أي ترشش **(الدم على وجهه فسبّها ، فسمع رسول الله ﷺ سبّه إياها فقال: « مهلاً يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ، ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت »)** . قال العراقي : رواه مسلم من حديث بريدة وهو بعض الحديث الذي قبله انتهى.

قلت : ولم يخرج البخاري عن بريدة في هذا شيئاً ولا ذكر حديث هذه المرأة ، وإنما ذكر حديث المرأة والعسير ، ورواه أبو داود والنسائي مختصراً من رواية عبدالله بن بريدة عن أبيه : أن امرأة يعني من غامد ، أتت النبي ﷺ فقالت : إني قد فجرت ، فقال: « ارجعي » فرجعت ، فلما كان الغد أتته فقالت : لعلك أن تردني كما رددت ماعز بن ماالك ، فوالله إني لحبلى ، فقال لها : « ارجعي حتى تلدي » فرجعت ، فلما كان الغد أتته فقال: « ارجعي حتى تلدي » فرجعت فلما ولدت أتته بالصبي فقالت : قد ولدت ، فقال لها : « ارجعي فارضعيه حتى تفطميه » فجاءت به وقد فطمته وفي يده شيء يأكله فأمر بالصبي فدفع إلى رجل من المسلمين وأمر بها فحفر لها فرجمت ، وكان خالد فيمن يرجمها فرجمها بحجر فوقعت قطرة من دمها على وجهه فسبها فقال له النبي ﷺ : « مهلاً يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له وأمر بها فصلى عليها ودفنت » وكذلك رواه أحمد . وحديث مسلم أتم من هذا يشتمل على قصة ماعز وقصة الغامدية . قال المنذري في مختصر أبي داود في إسناده بشر بن المهاجر الغنوي الكوفي وليس له في صحيح مسلم سوى هذا الحديث ، وقد وثقه يحيى بن معين ، وقال أحمد : منكر الحديث يجيء بالعجائب مرجىء متهم ، وقال : في أحاديث ماعز كلها أن ترد يده إنما كان في مجلس واحد إلا ذاك الشيخ بشر بن المهاجر ، وقال أبو حاتم الرازي : يكتب حديثه غيرها ولا عيب على مسلم في إخراج هذا الحديث ، فإنه أتى به في الطبقة الثانية بعد ما ساق طرق حديث ماعز ، وأتى به آخراً ليبين إطلاعه على طرق الحديث والله أعلم.

وروى مسلم ، وأبو داود ، والترمذي والنسائي من حديث عمران بن حصين أن امرأة من جهينة أتت النبي ﷺ فقالت : إنها زنت وهي حبلى ، فدعا النبي ﷺ ولياً لها فقال له رسول الله ﷺ أحسن إليها فإذا وضعت فجيء بها » فلما وضعت جاء بها فأمر بها النبي ﷺ فشكت عليها ثيابها ، ثم أمر بها فرجمت ، ثم أمرهم فصلوا عليها ، فقال عمر : يا رسول الله نصلي عليها وقد زنت ؟ قال :

وأما القصاص، وحدّ القذف: فلا بدّ من تحليل صاحبه المستحق فيه، وإن كان المتناول مالاً قد تناوله بغصب أو خيانة أو غبن في معاملة بنوع تلبيس كترويج زائف أو ستر عيب من المبيع أو نقص أجرة أجير أو منع أجرته، فكل ذلك يجب أن يفتش عنه

« والذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جاءت بنفسها لله » لم يقل أبو داود عن أبان فشكت عليها ثيابها. وحكى أبو داود عن الإوزاعي قال: فشكت عليها ثيابها - يعني بشدة - ورواه كذلك أحمد وابن جرير، وذكر الحافظ أبو بكر الخطيب في كتاب المبهمات حديث الغامدية وقال: رواه عمران بن حصين، وقال لامرأة من جهينة واسم هذه المرأة سبيعة وقيل: آسية بنت الفرج وساق شاهدها وقد جاء في بعض طرقه بأنها القريشية، وليس بين هذه النسب اجتماع. وظاهر كلام الخطيب أنها امرأة واحدة، واختلف في نسبها هكذا نقله المنذري عن الخطيب.

قلت: آسية بنت الفرج جرهمية أورد ابن منده قصتها من طريق أيوب بنت الفرج امرأة من جرهم، وكان مسكنها الحجون بمكة فذكرها بطولها، وقيل: هي سبيعة بنت الحرث الأسلمية، وقيل هي امرأة من قريش وهي غير الأسلمية أوردها هبة الله في الناسخ والمنسوخ، وروى ابن منده من رواية عبيد بن عمير عن عائشة قالت: سمعت سبيعة القرشية قالت: يا رسول الله إني زنيت فاقم عليّ حدّ الله فقال: « إذهبي حتى تضعي » فذكر الحديث. قال الحافظ في الإصابة: سنده ضعيف، وأخلق بها إن ثبت خبرها أن تكون هي سبيعة الأسلمية انتهى.

قال المنذري وذكر بعضهم أن حديث عمران بن حصين فيه أنه قد أمر برجمها حين وضعت ولم يستأن بها، وكذا روي عن علي أنه فعل بشراحة رجمها لما وضعت، وإلى هذا ذهب مالك والشافعي وأصحاب الرأي. وقال أحمد وإسحاق: تترك حتى تضع ما في بطنها ثم تترك حولين حتى تفطمه، ويشبه أن يكونا ذهبا إلى حديث بريدة، وحديث عمران أجود إسناداً. وقال بعضهم: يحتمل أن تكونا امرأتين إحداهما وجد لولدها كفيل وقبلها، والأخرى لم يوجد لولدها كفيل أو لم يقبل فوجب إمهالها حتى يستغني عنها لئلا يهلك بهلاكها، ويكون الحديث محمولاً على حالين ويرتفع الخلاف، والله أعلم.

(**وأما القصاص، وحد القذف فلا بدّ من تحليل صاحبه المستحق فيه**) فإن شاء اقتص وإن شاء عفا وكذا في حد القذف، (**وإن كان المتناول مالاً قد تناوله بغصب**) بأن استولى عليه عدواناً (**أو خيانة**) بأن كان أمانة عنده ففرط فيه (**أو غبن في معاملة بنوع تلبيس**) أي تخليط (**كترويج زائف**) أي المبهرج الرديء وترويجه تزيينه وتمشيته (**أو ستر عيب من المبيع**) سواء كان العيب خفياً أو ظاهراً (**أو نقص أجرة أجير**) استأجره بأن يعطيه أقل مما يعطي أمثاله (**أو منع أجرته**) مطلقاً (**فكل ذلك يجب أن يفتش عنه**) ويبحث (**لا من حد بلوغه**

لا من حد بلوغه بل من أول مدة وجوده، فإن ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي إخراجه بعد البلوغ إن كان الولي قد قصر فيه فإن لم يفعل كان ظالماً مطالباً به، إذ يستوي في الحقوق المالية الصبي والبالغ، وليحاسب نفسه على الحبات والدوانق من أوّل يوم حياته إلى يوم توبته قبل أن يحاسب في القيامة، وليناقش قبل أن يناقش فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة حسابه، فإذا حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الإجتهاد ممكن فليكتبه وليكتب أسامي أصحاب المظالم واحداً واحداً وليطف في نواحي العالم وليطلبهم وليستحلهم أو ليؤد حقوقهم، وهذه التوبة تشق على الظلمة على التجار فإنهم لا يقدرون على طلب المعاملين. كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يقدر عليه فإن عجز فلا يبقى له طريق إلا أن يكثر من الحسنات حتى تفيض عنه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين أرباب المظالم، ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فإنه إن لم تف بها حسناته حمل من سيئات أرباب المظالم فيهلك بسيئات غيره. فهذا طريق كل تائب في رد المظالم وهذا يوجب استغراق

بل من أول مدة وجوده، فإن ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي إخراجه بعد البلوغ إن كان الولي قد قصر فيه) فإن ادعى الولي أنه أخرج ما يجب عليه من ماله وظهرت القرائن بصدقه صدق، (**فإن لم يفعل كان ظالماً مطالباً به**) يوم القيامة (**إذ يستوي في الحقوق المالية الصبي والبالغ وليحاسب نفسه على الحبة والدانق**) أي القليل منه والأقل (**من أول يوم حياته إلى يوم توبته قبل أن يحاسب في القيامة**) بين يدي الله تعالى، (**وليناقش قبل أن يناقش فمن لم يحاسب نفسه في الدنيا طال في الآخرة حسابه، فإذا حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الإجتهاد ممكن فليكتبه**) في جريدة، (**وليكتب أسامي أصحاب المظالم**) فيها (**واحداً واحداً، وليطف في نواحي العالم**) وأطرافها (**وليطلبهم**) بأعيانهم (**وليستحلهم**) أي يطلب منهم أن يحللوا له، (**أو ليؤد حقوقهم**) المرتبة بذمته، فإن لم يجدهم بأعيانهم فورثتهم الأقرب فالأقرب، (**وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فإنهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم**) ولا المظلومين كلهم (**ولا على طلب ورثتهم**) في أقطار البلاد، (**ولكن على كل واحد منهم أن يفعل منه ما يقدر عليه**) ويستطيعه، (**فإن عجز**) عن ذلك (**فلا يبقى له طريق إلا أن يكثر من الحسنات**) في صحائف أعماله (**حتى تفيض عنه يوم القيامة فتؤخذ حسناته**) تلك (**وتوضع في موازين أرباب المظالم**) كما ورد في الخبر وتقدم ذكره. (**وليكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه، فإنه إن لم تف بها حسناته حمل من سيئة أرباب المظالم فيهلك بسيئات غيره**) كما هو الخبر السابق ذكره، (**فهذه طريق كل تائب**) عن المظالم (**في رد المظالم**) ولا يخفى أن (**هذا يوجب استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول**

العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف ؟ وربما يكون الأجل قريباً ؟ فينبغي أن يكون تشميره للحسنات والوقت ضيق أشد من تشميره الذي كان في المعاصي في متسع الأوقات. هذا حكم المظالم الثابتة في ذمته.

أما أمواله الحاضرة فليرد إلى المالك ما يعرف له مالكاً معيناً وما لا يعرف له مالكاً فعليه أن يتصدق به، فإن اختلط الحلال بالحرام فعليه أن يعرف قدر الحرام بالإجتهاد ويصدق بذلك المقدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام.

وأما الجناية: على القلوب بمشافهة الناس بما يسوؤهم أو يعيبهم في الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه أو آذى قلبه بفعل من أفعاله وليستحل واحداً واحداً منهم ومن مات أو غاب فقد فات أمره ولا يتدارك إلا بتكثير الحسنات لتؤخذ منه عوضاً في القيامة، وأما من وجده وأحله بطيب قلب منه فذلك كفارته وعليه أن يعرفه قدر جنايته وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفي وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالإحلال وادخر ذلك في القيامة ذخيرة يأخذها من حسناته أو يحمله من سيئاته، فإن كان في جملة جنايته على الغير ما لو ذكره وعرفه لتأذى بمعرفته كزناه بجاريته أو

مدة الظلم، فكيف وذلك مما لا يعرف، ربما يكون الأجل قريباً فينبغي أن يكون تشمره للحسنات والوقت ضيق **أشد من تشمره الذي كان في المعاصي في متسع الأوقات هذا حكم المظالم الثابتة فى ذمته)** وفي عهدته.

(أما أمواله الحاضرة فليرد إلى المالك ما يعرف له مالكاً معيناً وما لا يعرف له مالكاً) معيناً، **(فعليه أن يتصدق به)** على من يستحق من الفقراء، **(فإن اختلط الحلال بالحرام فعليه أن يعرف قدر الحرام بالاجتهاد ويتصدق بذلك القدر كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام فلا نعيده ثانياً)**.

(وأما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسؤهم) أي يحزنهم **(أو يعيبهم في الغيبة، فليطلب كل من تعرض له بلسانه أو آذى قلبه بفعل من أفعاله وليستحل واحداً واحداً منهم ومن مات)** منهم **(أو غاب)** غيبة طويلة، **(فقد فات أمره ولا يتدارك إلا بتكثير الحسنات لتؤخذ منه عوضاً في القيامة)** عند المحاسبة، **(وأما من وجده وأحله بطيب)** قلب **(منه وانشراح)** صدر، **(فذلك كفارته وعليه أن يعرفه قدر جنايته وتعرضه له والاستحلال المبهم لا يكفي)** كما تقدم بيانه في كتاب ذم الغيبة، **(وربما لو عرف ذلك وتعديه عليه)** ورد في نسخة وكثرة تعديه عليه **(لم تطب نفسه بالاحلال وادخر ذلك في القيامة ذخيرة يأخذها من حسناته أو يحمله من سيئاته، فإن كان في جملة جنايته على الغير ما لو**

أهله أو نسبته باللسان إلى عيب من خفايا عيوبه يعظم أذاه مهما شوفه به فقد انسدّ عليه طريق الاستحلال، فليس له إلا أن يستحل منها ثم تبقى له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغائب.

وأما الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها، ومهما ذكر جنايته وعرفه المجني عليه فلم تسمح نفسه بالاستحلال بقيت المظلمة عليه فإن هذا حقه، فعليه أن يتلطف به ويسعى في مهماته وأغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه، فإن الإنسان عبد الإحسان، وكل من نفر بسيئة مال بحسنة فإذا طاب قلبه بكثرة تودّده وتلطفه سمحت نفسه بالإحلال، فإن أبى إلا الإصرار فيكون تلطفه به واعتذاره إليه من جملة حسناته التي يمكن أن يجبر بها في القيامة جنايته، وليكن قدر سعيه في فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في أذاه، حتى إذا قاوم أحدهما الآخر أو زاد عليه أخذ ذلك منه عوضاً في القيامة بحكم الله به عليه، كمن أتلف في الدنيا مالاً فجاء بمثله فامتنع من له المال من القبول وعن الإبراء فإن الحاكم يحكم عليه بالقبض منه شاء أم

ذكره وعرفه لتأذى بمعرفته كزناه بجاريته أو) جارية (**أهله أو نسبته باللسان إلى عيب من خفايا عيوبه**) بحيث يعظم أذاه مهما شوّفه (**به، فقد أفسد عليه طريق الاستحلال فليس له إلا أن يستحل منها**) بلا تعيين جناية، (**ثم تبقى له مظلمة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغائب**).

(**فأما الذكر والتعريف فهو سيئة جديدة يجب الاستحلال منها، ومهما ذكر جناية وعرفه المجني عليه فلم تسمح نفسه بالاستحلال بقيت المظلمه عليه**) في ذمته، (**فإن هذا حقه فعليه أن يتلطف به**) في القول (**ويسعى في**) قضاء (**مهماته وأغراضه**) الدنيوية، (**ويظهر من حب له والشفقة عليه ما يستميل به قلبه، فإن الانسان عبد الإحسان**) كما هو المشهور على الألسنة، وفي معناه قولهم: الإنسان الاحسان أي يتقيد عند الإحسان فيحب المحسن إليه بطبعه، ويميل إليه بقلبه، وفي كلام علي رضي الله عنه: أحسن إلى من شئت تكن أميره أي يكون هو بمنزلة الأسير لك وأنت بمنزلة الأمير عليه، (**وكل من نفر**) عنك (**بسيئة مال**) إليك (**بحسنة فإذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال**) لا محالة، (**فإن أبى إلا الإصرار**) على عدم السماح (**فيكون تلطفه به واعتذاره إليه من جملة حسناته التي يمكن أن يجبر بها في القيامة جنايته، وليكن قدر فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في أذاه، حتى إذا قاوم أحدهما الآخر وزاد عليه أخذ ذلك منه عوضاً في القيامة بحكم الله به عليه**) وهذا (**كمن أتلف في الدنيا مالاً**) لآخر، (**فجاء**) المتلف (**بمثله فامتنع من له المال عن القبول وعن الابراء، فإن الحاكم يحكم عليه بالقبض منه شاء أم أبى**) رضي

أبى، وكذلك يحكم في صعيد القيامة أحكم الحاكمين وأعدل المقسطين.

وفي المتفق عليه من الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله ﷺ قال: « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدلّ على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ قال: لا فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال له: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ قال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذ انصف الطريق أتاه ملك الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب انه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه حكماً بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتها كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة »، وفي رواية: « فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر فجعل

أم كره، (**وكذلك يحكم في صعيد القيامة أحكم الحاكمين وأعدل المقسطين**) جلّ جلاله.

(**وفي المتفق عليه من الصحيحين**) أي فيما اتفق على إخراجه البخاري ومسلم (**عن أبي سعيد الخدري**) رضي الله عنه (**أن النبي ﷺ قال: « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض**) أي أكثرهم علماً (**فدلّ على راهب فأتاه فقال: إنه**) يعني نفسه (**قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ قال: لا. فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض**) أي أكثرهم عالماً ليذهب إليه فيستفتيه عن حاله (**فدلّ على رجل عالم فقال له: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة**) أي هل تصح توبته أو تقبل توبته؟ (**قال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا**) وسماها له (**فإن بها أناساً يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذ انصف الطريق أتاه ملك الموت**) ولفظ مسلم « أتاه الموت » (**فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه حكماً بينهم**) ولفظ مسلم: فجعلوه بينهم (**فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتها كان أدنى**) أي أقرب (**فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته**) بها (**ملائكة الرحمة؟**) هذا لفظ مسلم. ورواه كذلك ابن حبان في صحيحه إلا أنه قال: « ومن يحول بينك وبين التوبة ائت أرض كذا وكذا » وفيه « ولا ترجع إلى أرضك » والباقي سواء (**وفي رواية**) لمسلم « أن رجلاً قتل تسعة وتسعين نفساً فجعل يسأل هل له من توبة فأتى راهباً فسأله فقال: ليس لك توبة، فقتل الراهب ثم

من أهلها ». وفي رواية: « فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له »، فبهذا تعرف أنه لا خلاص إلا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال ذرة فلا بد للتائب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد المتعلق بالماضي.

وأما العزم المرتبط بالاستقبال، فهو أن يعقد مع الله عقداً مؤكداً ويعاهده بعهد وثيق أن لا يعود إلى تلك الذنوب ولا إلى أمثالها، كالذي يعلم في مرضه أن الفاكهة تضره مثلاً فيعزم عزماً جزماً أنه لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه فإن هذا العزم يتأكد في الحال وإن كان يتصوّر أن تغلبه الشهوة في تأني الحال، ولكن لا يكون تائباً ما لم يتأكد عزمه في الحال، ولا يتصوّر أن يتم ذلك للتائب في أوّل أمره إلا بالعزلة والصمت وقلة الأكل والنوم وإحراز قوت حلال، فإن كان له مال موروث حلال أو

جعل يسأل ثم خرج من قرية إلى قرية فيها قوم صالحون فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت فناء بصدره ثم مات فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب **(فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر فجعل من أهلها »)** ورواه البخاري نحوه. **(وفي رواية)**: « كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انساناً ثم خرج يسأل فأتى راهباً فسأله فقال: هل من توبة؟ قال: لا، فقتله فجعل يسأل فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت به ملائكة الرحمة وملائكة العذاب **(فأوحى الله إلى هذه ان تباعدي وإلى هــذه أن تقربي)** هكذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري: فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وإلى هذه أن تباعدي **(وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه)** ولفظ الشيخين فوجداه **(إلى هذه أقرب بشبر فغفر له »، فبهذا يعرف أنه لا خلاص)** هنالك **(إلا برجحان ميزان الحسنات ولو بمثقال ذرة، فلا بد للتائب من تكثير الحسنات. هذا حكم القصد المتعلق بالماضي)**.

(فأما العزم المرتبط بالاستقبال فهو أن يعقد مع الله عقداً مؤكداً ويعاهده بعهد وثيق أن لا يعود إلى تلك الذنوب) بعينها **(ولا إلى أمثالها)**، وعلامة صحته أن يحب أن يقذف في النار ولا يرجع فيما عنه خرج، **(كالذي يعلم في مرضه أن الفاكهة)** الرطبة **(تضره مثلاً)** إذا تناولها لسرعة استحالتها في المعدة، **(فيعزم عزماً جزماً أنه لا يتناول الفاكهة ما لم يزل مرضه)** المانع من صحة معدته، **(فإن هذا العزم يتأكد في الحال وإن كان يتصوّر أن تغلبه الشهوة في ثاني الحال ولكن لا يكون تائباً ما لم يتأكد عزمه في الحال، ولا يتصوّر أن يتم ذلك للتائب في أوّل أمره)** وفي نسخة أوّل مرة **(إلا بالعزلة)** عن الناس **(والصمت وقلة الأكل والنوم وإحراز قوت حلال، فإن كان له مال موروث حلال)** أي ورثه من أحد

كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه، فإن رأس المعاصي أكل الحرام فكيف يكون تائباً مع الإصرار عليه ولا يكتفي بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات في المأكولات والملبوسات؟ وقد قال بعضهم من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرار لم يبتل بها. وقال آخر: من تاب من ذنب واستقام سبع سنين، لم يعد إليه أبداً. ومن مهمات التائب إذا لم يكن عالماً أن يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الإستقامة وإن لم يؤثر العزلة لم تتم له الإستقامة المطلقة إلا أن يتوب عن بعض الذنوب، كالذي يتوب عن الشرب والزنا والغصب مثلاً، وليست هذه توبة مطلقة.

وقد قال بعض الناس إن هذه التوبة لا تصح، وقال قائلون تصح ولفظ الصحة في هذا المقام مجمل، بل نقول لمن قال لا تصح: إن عنيت به ان تركه بعض الذنوب لا يفيد أصلاً بل وجوده كعدمه فما أعظم خطأك؟ فإنا نعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة

موروثيه، (**أو كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه، فإن رأس المعاصي أكل الحرام، فكيف يكون تائباً مع الإصرار عليه**) أي على الحرام (**ولا يكتفي بالحلال وترك الشبهات ما لم يقدر**) وفي نسخة من لم يقدر (**على ترك الشهوات في المأكولات والملبوسات**) فإن التوسع فيها غالباً يستدعي إلى تناول ما لا يحل له فإن الحلال ضيق؟ (**قال بعضهم: من صدق في ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها**) نقله صاحب القوت، (**وقال آخر: من تاب من ذنب واستقام عليه**) وفي نسخة وأقام عليه أي على توبته من ذلك الذنب (**سبع سنين لم يعد إليه أبداً**) نقله صاحب القوت، (**ومن مهمات التائب إذا لم يكن عالماً أن يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة**) على التوبة، (**وإن لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة إلا أن يتوب عن بعض الذنوب**) فقط، (**كالذي يتوب عن الشرب**) أي شرب المسكر (**والزنا واللواط والغصب مثلاً**) ولا يتوب عن غيرها، (**وليست هذه توبة مطلقة**).

(**وقد قال بعض الناس: إن هذه التوبة لا تصح**) وهو المحكي عن المعتزلة، وإلى هذا يشير قول ابن المبارك: إن من شرط التوبة الخروج عن مظالم العباد، فإن الظاهر أنه إن أراد الخروج عن مظالم العباد مطلقاً وإن كان الصحيح خلافه أنه في ذلك الذنب الذي تاب منه. (**وقال قائلون**): إنها (**تصح**) وهو المحكى عن أهل السنة والجماعة، (**ولفظ الصحة في هذا المقام مجمل، بل نقول لمن قال لا تصح**) عن ذنب دون ذنب: (**إن عنيت به ان تركه بعض الذنوب لا يفيد أصلاً بل وجوده كعدمه فما أعظم خطاك**) في هذا! (**فإنا نعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب**) وفي نسخة العذاب (**وقلتها سبب لقلته**) ولا يتصوّر القلة

العقاب وقلتها سبب لقلته. ونقول لمن قال تصح إن أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولاً يوصل إلى النجاة أو الفوز فهذا أيضاً خطأ! بل النجاة والفوز بترك الجميع. هذا حكم الظاهر ولسنا نتكلم في خفايا أسرار عفو الله فإن قال من ذهب إلى أنها لا تصح إني أردت به أن التوبة عبارة عن الندم. وإنما يندم على السرقة مثلاً لكونها معصية لا لكونها سرقة؛ ويستحيل أن يندم عليها دون الزنا إن كان توجعه لأجل المعصية فإن العلة شاملة لهما إذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين لأن توجعه بفوات محبوبه سواء كان بالسيف أو بالسكين، فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو الزنا فكيف يتوجع على البعض دون البعض؟ فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية مفوّتة للمحبوب من حيث إنها معصية فلا يتصوّر أن يكون على بعض المعاصي دون البعض، ولو جاز هذا لجاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدنين دون الآخر فإن استحال ذلك من حيث أن المعصية في الخمرين واحدة وإنما الدنان ظروف فكذلك أعيان المعاصي آلات للمعصية والمعصية من حيث مخالفة الأمر واحدة، فإذاً معنى عدم الصحة أن الله تعالى وعد

والكثرة فيها إلا بسبب التوبة. (**ونقول لمن قال تصح**) التوبة من ذنب دون ذنب (**إن أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولاً يوصل إلى النجاة أو الفوز فهذا أيضاً خطأ: بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر**) المطابق للقواعد، (**ولسنا نتكلم في خفايا أسرار عفو**) الله تعالى، (**فإن قال من ذهب إلى أنه لا تصح إني أردت به أن التوبة عبارة عن الندم**) إذ هو معظم أركانها. (**وإنما يندم**) العبد (**على السرقة مثلاً لكونها معصية لا لكونها سرقة، ويستحيل أن يندم عليها دون الزنا إن كان توجعه لأجل المعصية فإن العلة شاملة لهما**) أي لكل من السرقة والزنا، (**إذ من يتوجع على قتل ولده بالسيف يتوجع على قتله بالسكين**) أو غيرها، (**لأن توجعه بفوات محبوبه سواءِ كان بالسيف أو بالسكين**) أو غيرهما، (**فكذلك توجع العبد بفوات محبوبه وذلك بالمعصية سواء عصى بالسرقة أو بالزنا، فكيف يتوجع على البعض دون البعض؟ فالندم حالة يوجبها العلم بكون المعصية مفوّتة للمحبوب من حيث أنها معصية فلا يتصوّر أن يكون على بعض المعاصي دون بعض، ولو جاز هذا لجاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدفين دون الآخر، فإن استحلال ذلك من حيث أن المعصية في الخمرين واحدة، وإنما الدنان ظروف**) وآلات. (**فكذلك أعينا المعاصي**) كالقتل والزنا والسرقة (**آلات للمعصية**) وظروف لها، (**والمعصية من حيث مخالفة الأمر واحدة فإذاً معنى الصحة أن الله وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لا**

التائبين رتبة وتلك الرتبة لا تنال إلا بالندم ولا يتصوّر الندم على بعض المتماثلات، فهو كالملك المرتب على الإيجاب والقبول فإنه إذا لم يتم الإيجاب والقبول نقول أن العقد لا يصح أي لم تترتب عليه الثمرة وهو الملك، وتحقيق هذا أن ثمرة مجرد الترك أن ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمرة الندم تكفير ما سبق، فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها ولا يتصوّر الندم إلا لكونها معصية وذلك يعم جميع المعاصي، وهو كلام مفهوم واقع يستنطق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطاء.

فنقول: التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو إما أن تكون عن الكبائر دون الصغائر، أو عن الصغائر دون الكبائر، أو عن كبيرة دون كبيرة. أما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فأمر ممكن لأنه يعلم أن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسخط الله ومقته، والصغائر أقرب إلى تطرق العفو إليها فلا يستحيل أن يتوب عن الأعظم ويتندم عليه، كالذي يجني على أهل الملك وحرمه ويجني على دابته فيكون خائفاً من الجناية على الأهل مستحقراً للجناية على الدابة، والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعداً عن الله تعالى. وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار الخالية ولم يكن أحد

تنال إلا بالندم ولا يتصوّر الندم على بعض المتماثلات دون بعض فهو كالملك المرتب على الإيجاب والقبول، فإنه إذا لم يتم الإيجاب والقبول يقال أن العقد لا يصح أي لا تترتب عليه الثمرة وهو الملك، ويحقق هذا أن ثمرة مجرد الترك أن ينقطع عنه عقاب ما تركه، وثمرة الندم تكفر ما سبق فترك السرقة لا يكفر السرقة بل الندم عليها يكفرها، ولا يتصوّر الندم إلا لكونها معصية، وذلك يعم جميع المعاصي. هذا تقرير كلام المانعين من الصحة وبيان علة المنع، وهذا الكلام مفهوم يستنطق المنصف بتفصيل به ينكشف الغطاء) عن وجه الحق.

(فنقول: إن التوبة عن بعض الذنوب لا تخلو إما أن تكون عن الكبائر دون الصغائر أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبيرة دون كبيرة. اما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فممكن لأنه يعلم أن الكبائر أعظم عند الله واجلب لسخط الله ومقته، والصغائر أقرب إلى تطرق العفو إليها، فلا يستحيل أن يتوب عن الأعظم ويتندم عليه كالذي يجني على أهل الملك وحرمه ويجني على دابته فيكون خائفاً من الجناية على الأهل مستحقراً للجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه مبعداً عن الله تعالى، وهذا ممكن وجوده في الشرع فقد كثر التائبون في الاعصار الخالية) أي الماضية **(ولم يكن واحد**

منهم معصوماً فلا تستدعي التوبة العصمة. والطبيب قد يحذر المريض العسل تحذيراً شديداً، ويحذره السكر تحذيراً أخف منه على وجه يشعر معه أنه ربما لا يظهر ضرر السكر أصلاً، فيتوب المريض بقبوله عن العسل دون السكر فهذا غير محال وجوده وإن أكلهما جميعاً بحكم شهوته ندم على أكل العسل دون السكر.

الثاني: أن يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضاً ممكن لإعتقاده أن بعض الكبائر أشد وأغلظ عند الله، كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه أن ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يتسارع العفو إليه، فهذا أيضاً ممكن كما في تفاوت الكبائر والصغائر، لأن الكبائر أيضاً متفاوتة في أنفسها وفي اعتقاد مرتكبها، ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلاً، إذ يتضح له أن الخمر مفتاح الشرور وأنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي

منهم معصوماً فلا تستدعي التوبة العصمة، والطبيب قد يحذر المريض) بتناول **(العسل تحذيراً شديداً ويحذره)** تناول **(السكر تحذيراً أخف منه على وجه يشعر معه أنه ربما لا يظهر ضرر السكر أصلاً فيتوب المريض بقبوله عن العسل دون السكر، فهذا غير محال وجوده وإن أكلهما جميعاً بحكم الشهوة ندم على أكل العسل دون السكر.**

الثاني: أن يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضاً ممكن لاعتقاده أن بعض الكبائر أشد وأغلظ عند الله)، وهذا (كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعلمه **أن ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله)** من الذنوب **(يتسارع العفو إليه)** كما ورد في الخبر السابق ذكره، **(فهذا أيضاً ممكن كما في تفاوت الكبائر والصغائر لأن الكبائر أيضاً متفاوتة في أنفسها وفي اعتقاد مرتكبها، ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلاً، إذ يتضح له أن الخمر مفتاح الشرور)** كلها **(وأنه إذا)** شربها **(زال عقله)** وإذا زال عقله **(ارتكب جميع المعاصي)** كالزنا والقتل والسلب والنهب والاستطالة في العرض **(وهو لا يدري)**. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر انه سئل عن الخمر فقال: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال «هي أكبر الكبائر وأم الفواحش من شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وخالته وعمته». وأخرج عبد بن حميد ورسته في كتاب الإيمان عن شعبة مولى عباس عن ابن عباس رفعه «إذا شرب الخمر سكر وزنى ونرك الصلاة». وأخرج ابن المنذر عن سالم بن عبد الله التمار عن أبيه عن عبد الله بن عمر وقال: تحدثوا عن رسول الله ﷺ: «أن ملكا من بني إسرائيل أخذ رجلاً فخيّره أن يشرب الخمر أو يقتل نفساً أو يزني أو يأكل لحم خنزير أو يقتله فأبى فاختار شرب الخمر فإنه لما شربها لم يمتنع عن شيء أراده منه».

وهو لا يدري فبحسب ترجح شرب الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركاً في المستقبل وندماً على الماضي.

الثالث: أن يتوب عن صغيرة أو صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة، كالذي يتوب عن الغيبة أو عن النظر إلى غير المحرم أو ما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر، فهو أيضاً ممكن ووجه إمكانه انه ما من مؤمن إلا وهو خائف من معاصيه ونادم على فعله ندماً إما ضعيفاً وإما قوياً، ولكن تكون لذة نفسه في تلك المعصية أقوى من ألم قلبه في الخوف منها لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة، وأسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجوداً ولكن لا يكون ملياً بتحريك العزم ولا قوياً عليه، فإن سلم عن شهوة أقوى منه بأن لم يعارضه إلا ما هو أضعف قهر الخوف الشهوة وغلبها وأوجب ذلك ترك المعصية، وقد تشتد ضراوة الفاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه، وتكون له ضراوة مّا بالغيبة وثلب الناس والنظر إلى غير المحرم، وخوفه من الله قد بلغ مبلغاً يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك؟ بل يقول هذا الفاسق في نفسه، إن قهرني الشيطاني بواسطة غلبة

الحديث، (**فبحسب ترجح شرب الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركاً في المستقبل وندماً على الماضي**).

(**الثالث: أن يتوب على صغيرة أو صغائر وهو مصرّ على كبيرة يعلم أنها كبيرة، كالذي يتوب عن الغيبة أو عن النظر إلى غير المحرم أو ما يجري مجراه**) من الصغائر، (**وهو مصرّ على شرب الخمر فهو أيضاً ممكن، ووجه إمكانه أنه ما من مؤمن إلا وهو خائف على معاصيه ونادم على فعله ندماً إما ضعيفاً وإما قوياً، ولكن تكون لذة نفسه في تلك المعصية أقوى من ألم قلبه في الخوف منها لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والغفلة**) والغرة بالله تعالى، (**وأسباب توجب قوّة الشهوة**) من السعة والفراغ وتمكن القوّة، (**فيكون الندم موجوداً ولكن لا يكون ملياً**) أي قادراً (**بتحريك العزم ولا قوياً عليه، فإن سلم عن شهوة**) هي (**أقوى منه بأن لم يعارضه إلا ما هو أضعف قهر الخوف الشهوة وغلبها**) وكسر شهوتها، (**وأوجب ذلك ترك المعصية وقد تشتد ضراوة الفاسق بالخمر**) أي لهجة وولعه بها (**فلا يقدر أن يصبر عنه**) أي عن شربها (**وتكون له ضراوة مّا بالغيبة وثلب الناس**) في الأعراض (**والنظر إلى غير المحرم، وخوفه من الله قد بلغ مبلغاً يقمع هذه الشهوة الضعيفة دون القوية فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك، بل يقول: هذا الفاسق في نفسه إن قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلا**

الشهوة في بعض المعاصي فلا ينبغي أن أخلع العذار وأرخي العنان بالكلية بل أجاهده في بعض المعاصي، فعساني أغلبه فيكون قهري له في البعض كفارة لبعض ذنوبي. ولو لم يتصوّر هذا لما تصوّر من الفاسق أن يصلي ويصوم، ولقيل له إن كانت صلاتك لغير الله فلا تصح، وإن كانت لله فاترك الفسق لله فإن أمر الله فيه واحد، فلا يتصوّر أن تقصد بصلاتك التقرب إلى الله تعالى ما لم تتقرب بترك الفسق، وهذا محال بأن يقول لله تعالى عليّ أمران ولي على المخالفة فيهما عقوبتان، وأنا مليء في أحدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في الآخر، فأنا أقهره فيما أقدر عليه، وأرجو بمجاهدتي فيه أن يكفر عني بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتي فكيف لا يتصوّر هذا وهو حال كل مسلم؟ إذ لا مسلم إلا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له إلا هذا، وإذا فهم هذا فهم أن غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب ممكن وجودها، والخوف إذا كان من فعل ماض أورث الندم والندم يورث العزم وقد قال النبي ﷺ: «الندم توبة» ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» ولم يقل التائب من الذنوب كلها، وبهذه المعاني تبين سقوط قول القائل ان التوبة عن بعض الذنوب غير ممكنة لأنها متماثلة في حق الشهوة وفي حق التعرض إلى سخط الله تعالى، نعم يجوز أن يتوب عن شرب

ينبغي أن أخلع العذار وأرخي العنان بالكلية، بل أجاهده في بعض المعاصي، فعساني أغلبه فيكون قهري له في البعض كفارة لبعض ذنوبي. ولو لم يتصوّر هذا لما تصوّر من الفاسق أن يصلي ويصوم، ولقيل له إن كانت صلاتك لغير الله فلا تصح) أصلاً **(وإن كانت لله فاترك الفسق لله فإن الأمر لله واحد)** وفي نسخة فان أمر الله فيه واحد، **(فلا يتصوّر أن تقصد بصلاتك التقرب إلى الله تعالى ما لم تتقرب إليه بترك الفسق وهذا محال، بل يقول)** الفاسق: **(لله تعالى عليّ أمران ولي على المخالفة فيهما عقوبتان، وأنا مليء)** أي قادر **(في أحدهما بقهر الشيطان عاجز عنه في)** الأمر **(الآخر، فأنا أقهره فيما أقدر عليه وأرجو بمجاهدتي فيه أن يكفر عني بعض ما عجزت عنه بفرط شهوتي)** وغلبتها عليّ **(فكيف لا يتصوّر هذا وهو حال كل مسلم. إذ لا مسلم إلا وهو جامع** بين **طاعة الله تعالى ومعصيته ولا سبب له إلا هذا، وإذا فهم هذا فهم أن غلبة الخوف للشهوة في بعض** الذنوب ممكن **وجودها، والخوف إذا كان من فعل ماض أورث الندم، والندم يورث العزم، وقد قال النبي ﷺ «الندم توبة»)** قد تقدم ذكره قريباً، **(ولم يشترط الندم على كل ذنب)** بل هو مطلق. (وقال ﷺ «التائب من الذنب كمن لا ذنب له») تقدم ذكره قريباً، **(ولم يقل** التائب من الذنوب كلها، وبهذه المعاني يتبين سقوط قول القائل: إن التوبة عن بعض، الدناءات غير ممكنة لأنها متماثلة في حق الشهوة وفي حق التعرض لسخط الله تعالى. نعم

الخمر دون النبيذ لتفاوتهما في اقتضاء السخط، ويتوب عن الكثير دون القليل لأن لكثرة الذنوب تأثيراً في كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالقدر الذي يعجز عنه ويترك بعض شهوته لله تعالى، كالمريض الذي حذره الطبيب من الفاكهة فإنه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها، فقد حصل من هذا أنه لا يمكن أن يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لا بدّ وأن يكون ما تاب عنه مخالفاً لما بقي عليه إما في شدة المعصية وإما في غلبة الشهوة، وإذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله في الخوف والندم، فيتصور اختلاف حاله في الترك فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب وإن لم يكن قد أطاع الله في جميع الأوامر والنواهي.

فإن قلت: هل تصح توبة العنين من الزنا الذي قارفه قبل طرئان العنة؟ فأقول: لا، لأن التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله، وما لا يقدر على

يجوز أن يتوب عن الخمر دون النبيذ لتفاوتهما في اقتضاء السخط) وعدم تماثلهما، (**ويتوب عن الكثير دون القليل لأن لكثرة الذنوب تأثيراً في كثرة العقوبة فيساعد العقوبة بالشهوة**) وفي نسخة فيساعد الشهوة (**بالقدر الذي يعجز عنه ويترك بعض شهوته لله تعالى، كالمريض الذي حذره الطبيب**)تناول (**الفاكهة فإنه قد يتناول قليلها، ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا أنه لا يمكن أن يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله، بل لا بدّ وأن يكون ما تاب عنه مخالفاً لما بقي إما في شدة المعصية وإما في غلبة الشهوة، وإذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصوّر اختلاف حاله في الخوف والندم فيتصوّر اختلاف حاله في الترك، فندمه على ذلك الذنب ووفاؤه بعزمه على الترك يلحقه بمن لم يذنب**) أصلاً، (**وإن لم يكن قد أطاع الله في جميع الأوامر والنواهي**).

(**فإن قلت: هل تصح توبة العنين من الزنا الذي فارقه**) أي ارتكبه (**قبل طرئان العنة**)؟ قال في المصباح: رجل عنين لا يقدر على اتيان النساء أو لا يشتهي النساء وامرأة عنينة لا تشتهي الرجال، والفقهاء يقولون به عنة، وفي كلام الجوهري: ما يشبهه ولم أجده لغيره، ولفظه: عنّ عن امرأته تعنيناً بالبناء للمفعول إذا حكم القاضي عليه بذلك أو منع منها بالسحر، والإسم العنة، وصرح بعضهم بأنه لا يقال به عنّة كما تقوله الفقهاء فإنه كلام ساقط، والمشهور في هذا المعنى كما قال ثعلب وغيره رجل عنين بين التعنين والعنينة. وقال في البارع بين العنانة بالفتح. قال الأزهري: سمي عنيناً لأن ذكره يعنّ لقُبل المرأة عن يمين وشمال أي يعرض إذا أراد إيلاجه، وسمي عنان اللجام من ذلك، والعنة بالضم حظيرة من خشب تعمل للإبل والخيل. هذا ما وجدته، فقول الفقهاء: لو عنّ عن امرأة وزنى بأخرى مخرج على المعنى الثاني دون الأوّل أي لو لم يشته امرأة واشتهى غيرها؟ (**فاقول: لا**) تصح توبته لأن التوبة كما تقدم (**عبارة عن ندم يبعث**

فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه إياه، ولكني أقول لو طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الوقاع به باقية لكانت حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها فإني أرجو أن يكون ذلك مكفراً لذنبه وما حيا عنه سيئته، إذ لا خلاف في انه لو تاب قبل طرئان العنة ومات عقيب التوبة كان من التائبين وإن لم يطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر أسباب قضاء الشهوة، ولكنه تائب باعتبار ان ندمه بلغ مبلغاً أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده، فإذا لا يستحيل أن تبلغ قوّة الندم في حق العنين هذا المبلغ إلا أنه لا يعرفه من نفسه، فإن كل من لا يشتهي شيئاً يقدر نفسه قادراً على تركه بأدنى خوف، والله تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه، بل الظاهر أنه يقبله.

والحقيقة في هذا كله ترجع إلى أن ظلمة المعصية تنمحي عن القلب بشيئين، أحدهما: حرقة الندم، والآخر: شدة المجاهدة بالترك في المستقبل. وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالاً أن يقوى الندم بحيث يقوى على محوها دون المجاهدة، ولولا هذا لقلنا أن التوبة لا تقبل ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد نفسه في عين تلك

العزم على الترك) أي ترك الذنب **(فيما يقدر على فعله)** إن كان مقدراً عليه، **(وما لا يقدر على فعله انعدم بنفسه لا بتركه إياه، ولكن أقول: إذا طرأ عليه بعد العنة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو)** فرضنا إن **(كانت شهوة الوقاع)** أي الجماع **(به باقية لكانت حرقة الندم تقمع تلك الشهوة وتغلبها وتحثه)** على تركها، **(فإني أرجو أن يكون ذلك مكفرا لذنبه)** الماضي **(وماحياً عنه سيئته)** التي سلفت، وهذا اختيار المصنف رحمه الله تعالى، **(إذا لا خلاف في أنه لو تاب قبل طرئان العنة)** عليه **(ومات عقيب التوبة كان من التائبين)** وهو ظاهر، **(وإن لم تطرأ عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتتيسر أسباب قضاء الشهوة ولكنه تائب باعتبار أن ندمه بلغ مبلغاً أوجب صرف قصده عن الزنا لو ظهر قصده، فإذاً لا يستحيل أن تبلغ قوّة الندم في حق العنين هذا المبلغ إلا أنه لا يعرفه من نفسه، فإن كل من لا يشتهي شيئاً يقدر نفسه قادراً على تركه بأدنى خوف والله مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه فعساه يقبله منه، بل الظاهر أنه يقبله)** منه.

(والحقيقة في هذا كله ترجع إلى أن ظلمة المعصية تنمحي عن القلب بشيئين: أحدهما: حرقة الندم، والآخر شدة المجاهدة بالترك في المستقبل) أي فيما سيأتي من الزمان، **(وقد امتنعت المجاهدة بزوال الشهوة، ولكن ليس محالاً أن يقوى الندم بحيث يقوى على محوها دون المجاهدة، ولولا هذا لقلنا أن التوبة لا تقبل ما لم يعش التائب بعد التوبة مدة يجاهد**

الشهوة مرات كثيرة، وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلاً.

فإن قلت: إذا فرضنا تائبين أحدهما سكنت نفسه عن النزوع إلى الذنب، والآخر بقي في نفسه نزوع إليه وهو يجاهدها ويمنعها فأيها أفضل؟ فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه، فقال أحمد بن أبي الحواري وأصحاب أبي سليمان الداراني: أن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة فضل الجهاد. وقال علماء البصرة: ذلك الآخر أفضل لأنه لو فتر في توبته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة الفتور عن المجاهدة. وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة.

والحق فيه أن الذي انقطع نزوع نفسه له حالتان:

إحداهما: أن يكون انقطاع نزوعه إليها بفتور في نفس الشهوة فقط، فالمجاهد أفضل من هذا إذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة نفسه واستيلاء دينه على شهوته فهو دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوّة الدين، وأعني بقوة الدين قوة الإرادة التي تنبعث

نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة، وذلك مما لا يدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلاً.

فإن قلت: إذا فرضنا تائبين أحدهما سكنت نفسه عن النزوع إلى الذنب) أي ترك الذنب وانكمش في الاستبدال فلم تكن نفسه تنازعه ولا تطالبه في الذنب، **(والآخر بقي في نفسه نزوع إليه)** أي ترك ذنباً وعمل في الاستقامة ونفسه تنازعه إليه، **(وهو ينازعها ويمنعها فأيها أفضل؟ فاعلم أن هذا مما اختلف العلماء فيه، فقال)** الشاميون منهم أبو الحسن **(أحمد بن أبي الحواري)** الدمشقي من كبائر المشايخ، صحب أبا سليمان الداراني، وكان الجنيد يقول هو ريحانة الشام مات سنة ثلاث ومائتين **(وأصحاب أبي سليمان الداراني)** رحمه الله: **(إن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة فضل الجهاد)** أي الذي تنازعه نفسه إلى الذنب وهو يجاهدها أفضل لأنه غلب منازعتها وله فضل مجاهدتها. **(وقال علماء البصرة: ذلك الآخر)** أي الذي سكنت نفسه عن المنازعة بشاهد من شواهد اليقين والطمأنينة **(أفضل)** ومال إلى ذلك رباح بن عمرو القيسي وهو من كبار علماء البصريين قال: **(لأنه لو فتر في توبته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة الفتور عن المجاهدة)** أي فلا يؤمن عليه الرجوع، وقد نقل صاحب القوت القولين وكأنه مال إلى قول البصريين، ولكن المصنف رحمه الله تعالى توسط بين المذهبين وقال: **(وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق فيه)** ما نذكره، وهو **(أن الذي انقطع نزوع نفسه)** وسكن **(له حالتان)**:

(أحداهما: أن يكون انقطاع نزوعه إليها) أي إلى المعاصي وفي نسخة إليه أي الى الذنب **(بفتور في نفس الشهوة فقط، فالمجاهد أفضل من هذا إذ تركه بالمجاهدة قد دلّ على قوّة**

بإشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة بإشارة الشياطين، فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعاً. وقول القائل: إن هذا أسلم إذ لو فتر لا يعود إلى الذنب فهذا صحيح، ولكن استعمال لفظ الأفضل فيه خطأ. وهو كقول القائل: العنين أفضل من الفحل لأنه في أمن من خطر الشهوة، والصبي أفضل من البالغ لأنه أسلم، والمفلس أفضل من الملك القاهر القامع لأعدائه لأن المفلس لا عدوّ له والملك ربما يغلب مرة وإن غلب مرات، وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بأن العز في الأخطار وأن العلوّ شرطه اقتحام الإغرار. بل هو كقول القائل: الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب أفضل في صناعة الاصطياد وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس، لأنه آمن من أن يجمح به فرسه فتنكسر أعضاؤه عند السقوط على الأرض وآمن من أن يعضه الكلب ويعتدي عليه، وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب إذا كان قوياً عالماً بطريق تأديبهما أعلى رتبة وأحرى بدرك سعادة الصيد.

يقينه واستيلاء) أي غلبة **(دينه على شهوته فهو دليل)** قوي **(قاطع على قوّة اليقين وعلى قوّة الدين، وأعني بقوّة الدين قوّة الإرادة التي تنبعث بإشارة اليقين وتقمع الشهوة المنبعثة بإشارة الشياطين، فهاتان قوّتان تدل المجاهدة عليهما قطعاً**والسلامـــة مطلوبة من المكلفين بالمجاهدة لا بعدم القوى والغرائز، وأما **(قول القائل)** من البصريين **(إن هذا أسلم إذ لو فتر لا يعود إلى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الأفضل فيه خطأ)** إذ لا يلزم من صحته أن يكون الأفضل، **(هو كقول القائل: العنين أفضل)** من الشهواني **(لأنه في أمن من خطر الشهوة)** لا تتحرك عليه شهوته فلا تحمله على ارتكاب مخالفة، **(والصبي أفضل من البالغ لأنه أسلم)** إذ لم يكتب عليه القلم، **(والمفلس)** أي عادم المال أفضل **(من الملك القاهر القامع لاعدائه لأن المفلس لا عدوّ له)** إذ لا مال له والعداوات إنما تنشأ بسبب الأموال غالباً **(والملك ربما يغلب عليه مرة وإن غلب)** على عدوّه **(مرات، وهذا كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بأن العز في ركوب الأخطار، وأن العلو)** في المرتبة **(شرطه اقتحام الأغوار)** من البراري والقفار، ومن أمثالهم ما استنار بالعسل من اختار الكسل، **(بل هو كقول القائل: الصياد الذي ليس له فرس ولا كلب أفضل من صناعة الاصطياد وأعلى رتبة من صاحب الكلب والفرس، لأنه آمن من أن يجمح به فرسه فتنكسر أعضاؤه عند السقوط على الأرض، وآمن من أن بعضه الكلب ويعتدي عليه وهذا خطأ، بل صاحب الفرس والكلب إذا كان قوياً عالماً بطريق تأديبهما)** ورياضتهما على الوجه الذي ينبغي **(أعلى رتبة وأحرى بدرك سعادة الصيد)** التي هي غاية القصد له.

الحالة الثانية: أن يكون بطلان النزوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة إذ بلغ مبلغاً قمع هيجان الشهوة حتى تأدبت بأدب الشرع، فلا تهيج إلا بالإشارة من الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها، فهذا أعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة وقمعها. وقول القائل: ليس لذلك فضل الجهاد قصور عن الإحاطة بمقصود الجهاد، فإن الجهاد ليس مقصوداً لعينه، بل المقصود قطع ضراوة العدو حتى لا يستجرك إلى شهواته وإن عجز عن استجرارك فلا يصدك عن سلوك طريق الدين، فإذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت وما دمت في المجاهدة فأنت بعد في طلب الظفر. ومثاله كمثال من قهر العدو واسترقه بالإضافة إلى من هو مشغول بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم. ومثاله أيضاً مثال من علم كلب الصيد وراض الفرس فهما نائمان عنده بعد ترك الكلب والضراوة والفرس الجماح بالإضافة إلى من هو مشغول بمقاساة التأديب بعد، ولقد زل في هذا فريق فظنوا أن الجهاد هو المقصود الأقصى ولم يعلموا أن ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق. وظن آخرون أن قمع الشهوات وإماطتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فعجز عنه فقال: هذا محال، فكذب

(**الحالة الثانية: أن يكون بطلان النزوع بسبب قوّة اليقين وصدق المجاهدة السابقة إذ تبلغ مبلغاً**) وفي نسخة: إذ بلغ مبلغاً (**قمع هيجان الشهوة حتى تأدبت بآداب الشرع فلا تهيج إلا بالإشارة من الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها، فهذا أعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة وقمعها، وقول القائل: ليس لذلك فضل الجهاد قصور عن الإحاطة بمقصود الجهاد، فإن الجهاد ليس مقصوداً لعينه بل**) تهذيب الأخلاق أو رياضتها، كما أن ليس المقصود من ضرب الدابة ألمها بل المقصود أدبها، ولهذا قال المصنف (**إن المقصود**) من الجهاد (**قطع ضرر العدوّ حتى لا يستجرك إلى شهواته وإن عجز عن استجرارك**) للشهوات (**فلا يصدك عن سلوك طريق الدين، فإذا قهرته وحصلت المقصود فقد ظفرت وما دمت في المجاهدة فأنت بعد في طلب الظفر** . ومثاله كمثال **من قهر العدوّ واسترقه**) أي أسره فجعله رقيقاً له (**بالإضافة إلى من هو مشغول بالجهاد في صف القتال ولا يدري كيف يسلم. ومثاله أيضاً مثال من علم كلب الصيد**) ودربه على أخذ الصيد (**وراض الفرس**) وأدّبه (**فهما قائمان**) وفي نسخة ثابتان (**عنده بعد ترك الكلب الضراوة**) بلحم الصيد (**والفرس الجماح**) عند الركض (**بالإضافة إلى من هو مشغول بمقاساة التأديب بعد، ولقد زل في هذا فريق فظنوا أن الجهاد هو المقصود الأقصى**) لذاته (**ولم يعلموا أن ذلك طلباً للخلاص من عوائق الطريق**) وموانعها، (**وظن آخرون أن قمع الشهوات وإماطتها بالكلية مقصود**) لذاته (**حتى جرب بعضهم نفسه فعجز عنه**) لصعوبته (**فقال: هذا محال فكذب**

بالشرع وسلك سبيل الإباحة واسترسل في اتباع الشهوات، وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات.

فإن قلت: فما قولك في تائبين أحدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه، والآخر جعله نصب عينيه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندماً عليه فأيهما أفضل؟ فاعلم أن هذا أيضاً قد اختلفوا فيه، فقال بعضهم: حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك. وقال

بالشرع) ورفض العمل بقواعده (**وسلك سبيل الإباحة واسترسل في اتباع الشهوات**) من حيث اتفقت، (**وكل ذلك جهل وضلال. وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس**) وتهذيب الأخلاق (**من ربع المهلكات**) فلا نعيده ثانياً.

وقد نقل صاحب القوت اختلاف علماء الشام وعلماء البصرة في التائبين المذكورين ثم قال بعد ذلك ما نصه: وقد اختلف العلماء أيضاً في عبدين سئل أحدهما بذل شيء من ماله في سبيل الله فأبت نفسه عليه وثقل ذلك عليها فجاهدها وأخرج ماله، وسئل آخر فبذل ماله مع السؤال طوعاً من غير منازعة نفس ولا ثقل عليها ولا بمجاهدة منه لها أيهما أفضل؟ فقال قوم: المجاهد لنفسه أفضل لأنه اجتمع له الإكراه والمجاهدة فحصل له عملان، وذهب إلى هذا القول أحمد بن عطاء وأصحابه. وقال آخرون: الذي سمحت نفسه بالبذل طوعاً من غير اعتراض ولا إكراه أفضل لأن مقام هذا في سخوات النفس والتحقق بالزهد أفضل، لأن جميع أعمال الأوّل من الاكراه والمجاهدة ومن بذل ماله على تلك الأحوال، ولأن الأوّل وإن غلب نفسه في الكرة لا يؤمن غلبتها له في كرة ثانية وثالثة إذ ليس السخاء من مقامها لأنها كانت محمولة عليه، وإليه ذهب أبو القاسم الجنيد وهو عندي ما قال. وسئل أبو محمد سهل عن الرجل يتوب عن الشيء فيراه أو يسمع به فيجد له حلاوة. فقال: الحلاوة طبع البشرية ولا بدّ من الطبع وليس له حيلة إلا أن يرفع قلبه إلى مولاه بالشكوى أو ينكره بقلبه ويلزم الانكار ولا يفارقه ويدعو الله أن ينسيه ذكر ذلك ويشغله بنفسه بغيره من ذكره وطاعته. وقال: فإن هو غفل عن الإنكار طرفة عين أخاف عليه أن لا يسلم وتعمل الحلاوة في قلبه، ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار ويحزن غاية الحزن فإنه لا يضره. وهذا عندي هكذا لأن التوبة لا تصح مع بقاء الشهوة فيكون العبد مراداً بالمجاهدة، وهذا حال المريدين ومحو الشهوة عن القلب وصف العارفين بدوام التولي اهـ.

(**فإن قلت: فما قولك في تائبين أحدهما نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه، والآخر جعله نصب عينيه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق ندماً عليه فأيهما أفضل؟ فاعلم أن هذا أيضاً قد اختلفوا فيه فقال بعضهم: حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك**) أي لا تنساه وهذا قول أبي محمد سهل التستري. قال القشيري في الرسالة: سمعت أبا حاتم يقول: سمعت أبا نصر السراج الصدفي يقول: سئل سهل بن عبدالله عن التوبة. فقال: أن لا تنسى ذنبك اهـ.

آخر: حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك. وكل واحد من المذهبين عندنا حق، ولكن بالإضافة إلى حالين.

وكلام المتصوّفة أبداً يكون قاصراً، فإن عادة كل واحد منهم أن يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فتختلف الأجوبة لاختلاف الأحوال، وهذا نقصان بالإضافة إلى الهمة والإرادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه أمر غيره، إذ طريقه إلى الله نفسه ومنازلة أحواله، وقد يكون طريق العبد إلى الله

قلت: ويؤيده خبر «إن العبد يذنب فيدخله ذنبه الجنة» قيل: كيف يدخله ذنبه الجنة يا رسول الله؟ قال: «لا يزال نصب عينيه تائباً منه هارباً».

(**وقال آخر**): وفي نسخة آخرون. (**حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك**). قال القشيري في الرسالة: وسئل الجنيد عن التوبة: فقال: أن تنسى ذنبك اهـ.

واختلف في معنى نسيانه الذنب فقيل: معناه أن يخرج حلاوته من قلبه خروجاً لا يبقى له في سره أثر حتى يكون كمن لم يعرفه قط، وقيل: المراد به ترك العود إليه، وقد مال السري السقطي شيخ الجنيد إلى قول سهل، وردّ عليه الجنيد ذلك فيما قال القشيري أخبرنا أبو عبدالله الشيرازي قال: سمعت أبا عبدالله بن مفلح بالأهواز يقول: سمعت سمر بن رزين يقول: سمعت الجنيد يقول: دخلت على السري يوماً فرأيته متغيراً فقلت: ما لك؟ فقال: دخل علي شاب فسألني عن التوبة. فقلت له: أن لا تنسى ذنبك فعارضني، وقال: بل التوبة أن تنسى ذنبك. فقلت: إن الأمر عندي ما قاله الشاب، فقال: لمَ؟ قلت: لأني إذا كنت في حال الجفاء فنقلني إلى حال الوفاء فذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء فسكت اهـ.

وأراد بالجفاء الذنب وبحال الصفاء التوبة، وقريب من قول الجنيد قول رويم، فإنه لما سئل عن التوبة قال: هي التوبة من التوبة نقله القشيري عن أبي نصر السراج، والمعنى التوبة من رؤية كونه تائباً، فإنه لا يرى ذلك إلا إذا كان مفرق القلب ناظراً لنفسه وتوبته فينحجب بذلك، فكمال توبته دوام شغله بربه حتى ينسى توبته كما قال الجنيد، وقد قيل في تأويل كلام رويم وجوه أخر سيأتي ذكر بعضها في محالها. (**وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالإضافة إلى حالين**) مختلفين.

(**وكلام المتصوّفة أبداً يكون قاصراً**) في حدّ ذاته غير شامل للأحوال كلها، (**فإن عادة كل واحد منهم أن يخبر عن حال نفسه فقط**) وذلك (**فيما أقامه الله تعالى فيه ولا يهمه حال غيره فتختلف الأجوبة**) منهم حين يسألون (**باختلاف الأحوال، وهذا نقصان بالإضافة إلى درجة العلم، فإن معرفة الأشياء على ما هي عليه أفضل وأعلى، ولكنه كمال بالإضافة إلى الهمة والإرادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه إلا أمره**) وفي نسخة لا يهمه أمر غيره (**إذ طريقه إلى الله نفسه ومنازلة أحواله، وقد يكون طريق**

العلم فالطرق إلى الله تعالى كثيرة وإن كانت مختلفة في القرب والبعد، والله أعلم بمن هو أهدى سبيلاً مع الاشتراك في أصل الهداية.

فأقول: تصوّر الذنب وذكره والتفجع عليه كمال في حق المبتدىء لأنه إذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا تقوى إرادته وانبعاثه لسلوك الطريق، ولأن ذلك يستخرج منه الحزن والخوف والوازع عن الرجوع إلى مثله. فهو بالإضافة إلى الغافل كمال ولكنه بالإضافة

العبد إلى الله العلم فالطرق إلى الله كثيرة) كما قيل بعدد أنفاس الخلائق، **(وإن كانت مختلفة في القرب والبعد، والله أعلم بمن هو أهدى سبيلاً مع الاشتراك في أصل الهداية)**. وبه ظهر أن كلام كل من السري والجنيد فيما ذهبا إليه صحيح، فمن قال التوبة أن لا تنسى ذنبك يقول: إنما الغرض من ذكر الذنب الحمل على الأعمال الجميلة، ولكن إذا حصل للعبد حال شريف واستغرق فيه فاشتغاله بذنبه حينئذ يفسد عليه ما هو فيه، فالسري كلم الشاب بما هو الأولى في حق التائبين، فإن ذكر ذنوبهم يهيج خوفهم ويحملهم على إصلاح أحوالهم، وكان الشاب ممن ارتفعت درجته في ذلك، فكلم السري بما يناسب حاله المستلزم باستغراق صاحبه فيه نسيان ذنبه فنبهه بذلك على مقام شريف في درجات التوبة، ولذلك اغتم وتغير لونه لإشكال الأمر عليه، وهذا شأنه تعالى يؤدب الكبار بالصغار ليعترفوا. ونقل القشيري عن أبي نصر السراج قال: أشار سهل إلى أحوال المريدين والمتعرضين تارة لهم وتارة عليهم، وأما الجنيد فإنه أشار إلى توبة المحققين فإنهم لا يذكرون ذنوبهم مما غلب على قلوبهم من عظمة الله ودوام ذكره اهـ.

وقال صاحب القوت: فأما نسيان الذنوب وذكرها فقد اختلف قول العارفين في ذلك فقال بعضهم: حقيقة التوبة تنصب ذنبك بين عينيك، وقال آخر: حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وهذان طريقان لطائفتين وحالان لأهل مقامين، فأما ذكر الذنب فطريق المريدين وحال الخائفين، ووجهة هؤلاء شهادة التوحيد ووجهة الأولين شهادة التوقف والتجريد وهي مقام في التعريف ففي أي المقامين أقيم عبد قام بشهادة وجهته وعمل بحكم حاله ومقام شهادة التوحيد أفضل عند العارفين من مقام شهادة التعريف، فكانت هذه أوسع وأكثر إلا أنها في أصحاب اليمين وفي عموم المقربين وشهادة التوحيد أضيق وأقل وأهلها أعلى وأفضل وهي في المقربين وخصوص العارفين اهـ. وقد توسط المصنف بين القولين وقرره بأحسن الوجهين فقال:

(فأقول: تصوّر الذنب وذكره) في خياله **(والتفجع عليه كمال في حق المبتدىء المريد)** وهو الذي لاحظه السري السقطي قدس سره قال: **(لأنه إذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا تقوى إرادته وانبعاثه لسلوك الطريق ولأن ذلك)** أي تصوّره كذلك **(يستخرج عنه الحزن)** من مكامنه **(والخوف الوازع)** أي المانع **(عن الرجوع إلى مثله)** في الحال والمستقبل، **(فهو بالإضافة إلى الغافل)** الذي لم يشم رائحة السلوك **(كمال)** في الجملة، **(ولكنه بالإضافة**

إلى سالك الطريق نقصان فإنه شغل مانع عن سلوك الطريق، بل سالك الطريق ينبغي أن لا يعرج على غير السلوك، فإن ظهر له مبادىء الوصول وانكشفت له أنوار المعرفة ولوامع الغيب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات إلى ما سبق من أحواله وهو الكمال. بل لو عاق المسافر عن الطريق إلى بلد من البلاد نهر حاجز طال تعب المسافر في عبوره مدة من حيث أنه كان قد خرب جسره من قبل، فلو جلس على شاطىء النهر بعد عبوره يبكي متأسفاً على تخريبه الجسر كان هذا مانعاً آخر اشتغل به بعد الفراغ من ذلك المانع. نعم إن لم يكن الوقت وقت الرحيل بأن كان ليلاً فتعذر السلوك أو كان على طريقه أنهار وهو يخاف على نفسه أن يمر بها فليطل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد بطول الحزن عزمه على أن لا يعود إلى مثله، فإن حصل له من التنبيه ما وثق بنفسه أنه لا يعود إلى مثله فسلوك الطريق أولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه، وهذا لا يعرفه إلا من عرف الطريق والمقصد والعائق وطريق السلوك

إلى سالك الطريق نقصان) في المقام **(فإنه شغل مانع عن سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغي أن لا يعرج على غير السلوك)** ولا يلتفت لسواه، **(فإن ظهر له)** في سلوكه **(مبادىء الوصول)** وفتحت له الأبواب **(وانكشفت له أنوار المعرفة و)** بدت له **(لوامع الغيب)** وأصحاب البدايات في الترقي بالقلب في زمان سيرهم يرقبون ذلك فتكون لوائح ثم لوامع ثم طوالع، واللوامع أظهر من اللوائح وليس زوالها بتلك السرعة فقد تبقى وقتين وثلاثة، واللوائح كالبروق كلما ظهرت استترت فإذا لمع قطعك عنه وجمعك به لكنه لم يسفر نور نهاره حتى كرت عليه عساكر الليل. وهذه المعاني إذا ظهرت للسالك في أثناء سيره **(استغرقه)** ظهور **(ذلك ولم يبق فيه متسع للالتفات إلى ما سبق من أحواله)** ولكنها تختلف بالقضايا، فمنها ما إذا فات لم يبق عنه أثر كالشوارق، وإذا أفلت ما يبقى أثره فإن زال وقته بقي ألمه، وإن غرب أنواره بقي آثاره فصاحبه بعد سكون غليانه يعيش في ضياء بركاته **(وهو الكمال، بل لو عاق)** أي حال **(المسافر عن)** سلوك **(الطريق إلى بلد من البلاد)** في عالم الملك **(نهر حاجز)** أي مانع **(طال تعب المسافر في عبوره مدة من حيث أنه كان قد خرب جسره من قبل فلو جلس على شاطىء النهر)** أي طرفه **(بعد عبوره يبكي متأسفاً على تخريبه الجسر كان هذا مانعاً آخر اشتغل به بعد الفراغ من ذلك المانع. نعم إن لم يكن الوقت وقت الرحيل بأن كان ليلاً فتعذر السلوك أو كان على طريقه أنهار)** حاجزة و **(هو يخاف على نفسه أن يمرّ بها)** أي جسورها **(فليطل بالليل بكاؤه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد بطول الحزن عزمه على أن لا يعود إلى مثله، فإن حصل له من التنبيه ما وثق بنفسه أنه لا يعود إلى مثله فسلوك الطريق أولى به من الاشتغال بذكر تخريب الجسر والبكاء عليه، وهذا لا يعرفه**

ـ وقد أشرنا إلى تلويحات منه في كتاب العلم وفي ربع المهلكات ـ بل نقول: شرط دوام التوبة أن يكون كثير الفكر في النعيم في الآخرة لتزيد رغبته، ولكن إن كان شاباً فلا ينبغي أن يطيل فكره في كل ما له نظير في الدنيا كالحور والقصور، فإن ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة، بل ينبغي أن يتفكر في لذة النظر إلى وجه الله تعالى فقط، فذلك لا نظير له في الدنيا. فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركاً للشهوة، فالمبتدىء أيضاً قد يستضربه فيكون النسيان أفضل له عند ذلك. ولا يصدنك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود ونياحته عليه السلام، فإن

إلا من عرف الطريق والمقصد والعائق وسلوك الطريق، وقد أشرنا إلى تلويحات) أي إشارات (**منه في كتاب العلم وفي ربع المهلكات**) فليراجع هنالك فظهر من ذلك أن تصوّر الذنب إنما يصلح للتائب الغافل حتى يتبين من نفسه الاجتهاد والمسارعة إلى التكفير، وأما السالك فربما يعوقه عن السلوك (**بل نقول: شرط التوبة**) وفي نسخة دوام التوبة (**أن يكون كثير الفكر في النعيم**) الذي أعده الله (**في الآخرة لتزيد رغبته**) في سلوكه، (**ولكن إن كان شاباً فينبغي أن لا يطيل فكره في كل ما له نظير في الدنيا كالحور والقصور، فإن ذلك الفكر ربما يحرك رغبته فيطلب العاجلة ولا يرضى بالآجلة، فينبغي أن يتفكر في لذة النظر إلى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له في الدنيا، فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركاً للشهوات فالمبتدىء أيضاً قد يستضربه فيكون النسيان أفضل له عند ذلك**).

وقال صاحب القوت: اعلم أنه لا يؤمن على ضعيف اليقين تقوى النفس عند تذكرة الذنوب، فإن نظر القلب إليها بشهوة أو ميل النفس إليها بحلاوة فيكون ذلك سبب فتنته فيفسد من حيث صلح كما لا يؤمن على معتاد خطيئة بالنظر إلى سببها حركة النفس إليها، وإن كان الأفضل الاتفاق معه ما لم يكن الاتفاق معصية لأجل مجاهدة النفس بالصبر عنها إلا أن ذلك غرور وفيه خطر فترك الاجتماع وترك الأسباب حينئذ أسلم، وما كان أسلم للمريد فهو أفضل. وفي نسيان الذنوب الذكر لما يستقبل والانكماش مع ما يفوت من الوقت خوف فوت ثان، وقد كان بعض العارفين يكره للمريد أن يكون وسواسه الجنة أو تذكر ما فيها من النعيم واللباس والأزواج، ويستحب للمريد أن يكون وسواسه ذكر الله تعالى وخواطره وهمته متعلقة بالله تعالى لا بسواه. قال: لأن المريد حيث عهد بالتوبة غير معتاد لطول الاستقامة والعصمة، فإذا ذكر نعيم الجنة لم آمن عليه لضعف قلبه أن يشتهي مثله مما يشاهد في الدنيا من اللباس وأطيب الطعام والنساء، لأن هذا حظ عاجل وذلك آجل فتطلب نفسه مثل ما ذكر من نعيم الآخرة معجلاً في الدنيا. قال: فإذا كان همه الله تعالى كان أبعد له من زينة الدنيا وشهواتها ولم يجسر العدوّ بتمثيل ذلك له من العاجل إلا أن يقوى يقينه وشغل عادته وقدوم عصمته والمعنى لقائله.

قياسك نفسك على الأنبياء قياس في غاية الاعوجاج لأنهم قد ينزلون في أقوالهم وأفعالهم إلى الدرجات اللائقة بأممهم، فإنهم ما بعثوا إلا لإرشادهم فعليهم التلبس بما تنتفع أممهم بمشاهدته وإن كان ذلك نازلاً عن ذروة مقامهم، فلقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة إلا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنياً عنها لفراغه عن المجاهدة وتأديب النفس تسهيلاً للأمر على المريد، ولذلك قال ﷺ: «أما أني لا أنسى ولكني أنسى لأشرع» وفي لفظ: «إنما أسهو لأسنّ» ولا تعجب من هذا فإن الأمم في كنف شفقة الأنبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء، وكالمواشي في كنف الرعاة: أما ترى الأب إذا أراد أن يستنطق ولده الصبي كيف ينزل إلى درجة نطق الصبي كما قال ﷺ للحسن: «كخ كخ» لما أخذ تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه؟ وما كانت فصاحته

(ولا يصدنك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكى لك من بكاء داود) عليه السلام **(ونياحته)** على ذنبه، **(فإن قياسك نفسك على الأنبياء)** عليهم السلام **(قياس في غاية الاعوجاج لأنهم قد ينزلون في أقوالهم وأفعالهم إلى الدرجات اللائقة بأممهم فإنهم ما بعثوا إلا لإرشادهم)** وهدايتهم **(فعليهم التلبس بما تنتفع أمتهم بمشاهدته وإن كان ذلك نازلاً عن ذروة مقامهم)** ولفظ القوت: وقد يعترض المريد بقصة داود عليه السلام من تذكره ونوحه على خطيئته، فإن الأنبياء لا يقاس عليهم لمجاوزتهم حدود من دونهم، وقد يقلبون في أحوال المريدين ويسلك بهم سبل المتعلمين وذلك لأجل الأمة ليكون طريقاً للأئمة اهـ.

(فلقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة إلا ويخوض معه فيها، وقد كان مستغنياً عنها لفراغه عن المجاهدة وتأديب النفس) ورياضتها، **(ولكن تسهيلاً للأمر على المريد، ولذلك قال ﷺ: «أما أني لا أنسى ولكن أنسى لأشرع»)** قال العراقي: ذكره مالك في الموطأ بلاغاً بغير اسناد، وقال ابن عبد البر: لا يوجد إلا في الموطأ مرسلاً للاسناد له، وكذا قال حمزة الكناني: إنه لم يرد من غير طريق مالك، وقال أبو الطاهر الإنماطي: وقد طال بحثي عنه وسؤالي عنه الأئمة والحفاظ، فلم أظفر به ولا سمعت عن أحد أنه ظفر به، وادعى بعض طلبة الحديث أنه وقع له مسنداً. **(وفي لفظ: «إنما أسهو لأسنّ» ولا تعجب من هذا فإن الأمم في كنف شفقة الأنبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء، وكالمواشي في كنف الرعاة)** وقد روى أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه من حديث أبي هريرة «إنما أنا لكم مثل الوالد للولد أعلمكم» الحديث. وقد تقدم في كتاب سر الطهارة. **(أما ترى الأب إذا أراد أن يستنطق ولده الصغير كيف ينزل إلى درجة نطق الصبي كما قال ﷺ للحسن)** بن علي رضي الله عنهما **(«كخ كخ»)** بفتح الكاف وكسرها وسكون المعجمة مثقلاً ومخففاً ويكسر منوّناً وغير

تقصر عن أن يقول: ارم هذه التمرة فإنها حرام ولكنه لما علم أنه لا يفهم منطقه ترك الفصاحة ونزل إلى لكنته، بل الذي يعلم شاة أو طائراً يصوت به رغاء أو صفيراً تشبهاً بالبهيمة والطائر تلطفاً في تعليمه. فإياك أن تغفل عن أمثال هذه الدقائق فإنها مزلة أقدام العارفين فضلاً عن الغافلين. نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه.

منوّن كلمة ردع الطفل في تناول شيء، وهذا قاله **(لما أخذ الحسن تمرة من تمر الصدقة ووضعها في فيه)** فزجره به، **(وما كانت فصاحته)** ﷺ **(تقصر عن أن يقول له: ارم هذه التمرة فإنها حرام، ولكنه لما علم أنه لا يفهم منطقه ترك الفصاحة ونزل إلى لكنته)**، وكان المراد بذلك ما كانت فصاحته تقصر عن الاكتفاء بكلامه الفصيح الظاهر، وهذا كان تمام الحديث في المتفق عليه عن أبي هريرة «ارم بها أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة» وقد تقدم في كتاب الحلال والحرام، فقد جمع ﷺ بين اللكنة والفصاحة، **(بل الذي يعلّم شاة أو طائراً يصوّت به رغاء وصفيراً تشبيهاً بالبهيمة والطائر تلطفاً في تعليمه)**. وروى ابن عساكر من حديث معاوية وقال: غريب جداً «من كان له صبي فليتصاب له». وإذا عرفت ذلك فاعلم أن قولهم شيئان عجيبان هما أبرد من بخ شيخ يتصابى وصبي بتشيخ ليس على إطلاقه. **(فإياك أن تغفل عن أمثال هذه الدقائق فإنها مزلة أقدام العارفين فضلاً عن الغافلين)**.

وأما كلام رويم، لما سأل عن حقيقة التوبة وقد سبق ذكره نقلاً عن القشيري وسبق الوعد بأنا نتكلم عليه، فاعلم أن المقصود من التوبة تقوى الله وهو خوفه وخشيته والقيام بأمره واجتناب نهيه، فيعمل بطاعته على نور من الله لا يريد بذلك غير الطاعة، فإن الطاعة والتوبة عز ظاهراً وباطناً، فلا يكون مقصوده العزة فمن تاب لأجله فتوبته مدخولة وسائر التوبة ثلاثة أشياء هذا أحدها، والثاني نسيان الجناية، والثالث التوبة من رؤية اليوم فإن رأى منة الإيمان والإسلام من نفسه وغفل عن منة الله عليه، فليتب من هذه الرؤية ولكن هذه الرؤية ليست التوبة ولا حيزها ولا شرطها، بل جناية أخرى حصلت له بعد التوبة فيتوب من هذه الجناية كما تاب من الجناية الأولى، فما تاب إلا من ذنب أوّلاً وآخراً، أو المراد التوبة عن نقصان اليوم وعدم توفية حقه، ووجه ثالث لطيف وهو أنه من حصل مقام الأنس بالله وصفاء وقته مع الله بحيث يكون إقباله على الله واشتغاله بذكر آلائه وأسمائه وصفاته أنفع شيء له حتى إذا نزل عن هذه الحال اشتغل بالتوبة من جناية سالفة قد تاب منها وسار مع الجناية واشتغل بها عن الله تعالى، فهذا نقص ينبغي أن يتوب إلى الله منه وهو توبة من هذه التوبة لأنه يزول من الصفاء إلى الجفاء، وهذا هو الذي لاحظه الجنيد حين خاطب شيخه السري، فالتوبة من التوبة إنما تعقل عن أحد هذه الوجوه الثلاثة، والله أعلم.

بيان أقسام العباد في دوام التوبة:

اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات.

الطبقة الأولى: أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره فيتدارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوّة، فهذا هو الاستقامة على التوبة، وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات واسم هذه التوبة: التوبة النصوح. واسم هذه النفس الساكنة: النفس المطمئنة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية، وهؤلاء هم الذين اليهم الإشارة بقوله ﷺ: «سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم

فصل

بيان أقسام العباد في دوام التوبة وانقطاعها

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن طبقات التائبين أربع**) أي الناس في التوبة على أربعة أقسام: في كل قسم طبقة وكل طبقة مقام.

(**الطبقة الأولى: أن يتوب العاصي**) من جميع ما ارتكبه من المخالفات (**ويستقيم على التوبة**) والإنابة (**إلى آخر عمره، فيتدارك ما فرط من أمره**) فيما مضى (**ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه**) أيام حياته (**إلا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات، ومما لم يكن في رتبة النبوّة**) إذ صاحب هذه الرتبة معصوم عنها، (**فهذا هو الاستقامة على التوبة**) وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات، واسم هذه التوبة التوبة النصوح التي قال فيها سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾ [التحريم: ٨]. (**واسم هذه النفس الساكنة المطمئنة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية**) التي قال الله تعالى فيها: ﴿يا أيتُها النفسُ المطمئنّة ★ ارجعي إلى ربك راضية مرضيّة ★ فأدخلي في عبادي ★ وادخلي جنتي﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠] أي راضية بما أوتيت مرضية عند الله. (**وهؤلاء هم**) المفردون (**الذين إليهم الإشارة بقوله ﷺ: «سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم أثقالهم فوردوا القيامة خفافاً»**) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وحسنه وقد تقدم.

قلت: لفظ الترمذي في ذكر الله يضع الذكر وفيه «فيأتون يوم القيامة خفافاً» وهكذا رواه الحاكم. ورواه الطبراني من حديث أبي الدرداء. وروى أحمد ومسلم وابن حبان من حديث أبي هريرة: «سيروا هذا ميدان سبق إليه المفردون» قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات» وقد تقدم ضبط المفردون والمستهترون في كتاب الأذكار والدعوات.

أوزارهم فوردوا القيامة خفافاً » فإن فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت أوزار وضعها الذكر عنهم. وأهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع إلى الشهوات، فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صراعها وإلى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه مليء بمجاهدتها وردها، ثم تتفاوت درجات النزاع أيضاً بالكثرة والقلة وباختلاف المدة وباختلاف الأنواع، وكذلك يختلفون من حيث طول العمر، فمن مختطف يموت قريباً من توبته يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة، ومن ممهل طال جهاده وصبره وتمادت استقامته وكثرت حسناته. وحال هذا أعلى وأفضل إذ كل سيئة فإنما تمحوها حسنة حتى قال بعض العلماء: إنما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفاً من الله تعالى، واشتراط هذا بعيد وإن كان لا ينكر عظم أثره لو فرض. ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف أن يسلك هذا الطريق فتهيج الشهوة وتحضر الأسباب حتى

(**فإن فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت أوزار وضعها الذكر عنهم**) وهي الذنوب التي كانت أثقلتهم، (**وأهل هذه الطبقة على رتب**) وأحوال مختلفة من شفوف بعضهم على بعض (**من حيث النزوع إلى الشهوات، فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المعرفة**) وقوّة اليقين (**يفتر نزاعها**) أي سكن منازعتها إياه (**ولم يشغله عن السلوك صراعها**) أي مصارعتها، (**وإلى من لا ينفك عن منازعة النفس**) ومصارعتها (**ولكنه مليء**) أي قادر (**بمجاهدتها وردها**) والغلبة عليها، (**ثم تتفاوت درجات النزاع أيضاً بالكثرة والقلة**) فمنهم من يكثر نزاعها له فيقابلها بالرد والكف، ومنهم من يقل(و) يتفاوت أيضاً (**باختلاف المدة واختلاف الأنواع، وكذلك يختلفون من حيث طول العمر**) وقصره، (**فمن مختطف**) مأخوذ به (**يموت قريباً من توبته**) لم يطل كثيراً (**يغبط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة**) وإليه الإشارة بقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: طوبى لمن مات في بدوات الإسلام. (**ومن مهمل**) أي متروك (**طال جهاده**) للنفس (**وصبره**) عليها (**وتمادت**) أي طالت (**استقامته وكثرت حسناته**) فعاش في سعادة، (**وحال هذا أعلى وأفضل إذ كل سيئة فإنما تمحوها حسنة**) فأفضل السعادات طول العمر في طاعة الله، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: « خير الناس من طال عمره وحسن عمله » رواه أحمد وعبد بن حميد والترمذي من حديث عبدالله بن بشير (**حتى قال بعض العلماء: إنما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة، ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفاً من الله تعالى، و**) لا يخفى أن (**اشتراط هذا بعيد وإن كان لا ينكر عظم أثره لو فرض**) ووقع، (**ولكن لا ينبغي للمريد الضعيف أن يسلك هذا الطريق فتهيج الشهوة وتحضر الأسباب حتى يتمكن ثم يطمع في**

يتمكن ثم يطمع في الانكفاف، فإنه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على المعصية وينقض توبته بل طريقها الفرار من ابتداء أسبابه الميسرة له حتى يسد طرقها على نفسه، ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فبه تسلم توبته في الابتداء .

الطبقة الثانية: تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وترك كبار الفواحش كلها، إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجويد قصد ولكن يبتلي بها في مجاري أحواله من غير أن يقدم عزماً على الإقدام عليها، ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على أن يتشمر للاحتراز من أسبابها التي تعرضه لها . وهذه النفس جديرة بأن تكون هي النفس اللوامة، إذ تلوم صاحبها على ما يستهدف له من الأحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين رأي وقصد، وهذه أيضاً رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الطبقة الأولى، وهي أغلب أحوال التائبين لأن الشر معجون بطينة الآدمي قلما ينفك عنه، وإنما غاية سعيه أن يغلب خيره شره حتى يثقل

الإنكفاف) عنها، **(فإنه لا يأمن خروج عنان الشهوة عن اختياره)** فلا يقدر على قمعها وقهرها **(فيقدم على المعصية)** قهراً عنه، **(وينقض توبته)** ويزل قدمه. **(بل طريقه الفرار من ابتداء أسبابه الميسرة له حتى يسد طرقها على نفسه)** ولا يلتفت إليها **(ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه، فبه تسلم توبته في الابتداء)** وفي بعض النسخ بما يقدر عليه فيه لتسلم توبته في الابتداء .

(الطبقة الثانية): وهي تلي الطبقة الأولى في القرب منها **(تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات)** وأصولها بأن دام على العمل فيها من غير مرة **(وترك كبائر الفواحش كلها)** بأن اجتنبها لا يسعى فيها ولا يهم بها **(إلا أنه لا ينفك)** وفي نسخة ليس ينفك **(عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجديد قصد)** لها **(ولكن يبتلي بها)** أي بدخولها عليه **(في مجاري أحواله)** عليه **(من غير)** قصد منه إليها ولا **(أن يقدم عزماً على الإقدام عليها)** ويمتحن بالهم واللمم، **(ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف)** وحزن **(وجدد عزمه على أن يتشمر للاحتراز عن أسبابها)** الباعثة عليها **(التي تعرضه لها و)** هذا من صفات المؤمنين ترجى له الاستقامة لأنه في طريقها، و **(هذه النفس جديرة بأن تكون هي النفس اللوّامة)** التي أقسم الله بها **(إذ تلوم صاحبها على ما يستهدف له من الأحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين رأي وقصد)** وصاحبها من المقتصدين. **(وهذه أيضاً رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الطبقة الأولى)** لكنها قريبة منها **(وهي أغلب أحوال التائبين)**، وصاحب هذا الحال داخل في وصف المتقين، **(لأن الشر معجون بطينة الآدمي قلما ينفك عنه)**، وهذه الذنوب تدخل على النفس من معاني صفاتها وغرائز جبلاتها وأوائل إنشائها من نبات الأرض وتركيب الأطوار من

ميزانه فترجح كفة الحسنات، فأما أن تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد. وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى إذ قال تعالى: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة﴾ [النجم: ٣٢] فكل إلمام يقع بصغيرة لا عن توطين نفسه عليه فهو جدير بأن يكون من اللمم المعفو عنه. قال تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾ [آل عمران: ١٣٥] فأثنى عليهم مع ظلمهم لأنفسهم لتندمهم ولومهم أنفسهم عليه، وإلى مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله ﷺ فيما رواه عنه علي كرّم الله وجهه: « خياركم كل مفتن توّاب ». وفي خبر آخر: « المؤمن كالسنبلة يفيء أحياناً ويميل أحياناً » وفي الخبر: « لا بدّ للمؤمن

الأرحام خلقاً من بعد خلق، ومن اختلاق الأشباح بعضها ببعض، **(وإنما غاية سعيه أن يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات، فأما أن تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى إذ قال تعالى: ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم﴾ فكل إلمام يقع بصغيرة لا عن توطين نفسه عليه فهو جدير بأن يكون من اللمم المعفو عنه، وقد قال تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾ فأثنى عليهم مع ظلمهم لأنفسهم لتندمهم ولومهم أنفسهم عليه، وإلى مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله ﷺ فيما رواه عنه علي كرم الله وجهه: « خياركم كل مفتن تواب »)** أي كل ممتحن يمتحنه الله تعالى بالذنب ثم يتوب ثم يعود ثم يتوب. قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب بسند ضعيف اهـ.

قلت: رواه الديلمي وفي سند البيهقي النعمان بن سعد. قال الذهبي: كوفي مجهول. وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس: « إن المؤمن خلق مفتناً تواباً ناسياً إذا ذكر ذكر » وفي رواية له: « إن المؤمن خلق ناسياً فإذا ذكر ذكر » وروى أحمد من حديث علي: « إن الله يحب العبد المؤمن المفتن التوّاب ».

(وفي خبر آخر: « المؤمن كالسنبلة يفيء أحياناً ويميل أحياناً ») قال العراقي: رواه أبو يعلي، وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس، والطبراني من حديث عمار بن ياسر، والبيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلاً وكلها ضعيفة وقال: « يقوم » بدل « يفيء » وفي الأمثال للرامهرمزي إسناد جيد لحديث أنس اهـ.

قلت: حديث أنس رواه أيضاً البزار والضياء ولفظهم: « مثل المؤمن مثل السنبلة تميل احياناً وتقوم احياناً ». وأما حديث عمار عند الطبراني، فلفظه مثل لفظ حديث أنس بزيادة « ومثل الكافر مثل ارز تخرو لا تشعر » وقد روي من حديث جابر بلفظ: « مثل المؤمن مثل السنبلة تستقيم مرة وتخر مرة ومثل الكافر مثل الأرزة لا تزال مستقيمة حتى تخر ولا تشعر » رواه أحمد وعبد بن

من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة » أي الحين بعد الحين ، فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين . ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناوله من الفواكه والأطعمة الحارة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار ، وكالفقيه الذي يؤيس المتفقه عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق في أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة . وذلك يدل على نقصان الطبيب والفقيه . بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات

حميد والسائسي والضياء في المختارة وفي معناه ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة « مثل المؤمن كمثل خامة الزرع من حيث أتتها الريح كفتها فإذا سكنت اعتدلت ، وكذلك المؤمن يكفي بالبلاء ومثل الفاجر كالأرزة صماء معتدلة حتى يقسمها الله عز وجل إذا شاء » ومن حديث كعب بن مالك « مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح مرة وتعدلها مرة ، ومثل المنافق كالأرزة لا تزال حتى يكون انخفافها مرة واحدة » . وكذلك رواه أحمد أيضاً ، وفي لفظ لأحمد من حديث أبي هريرة « مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تكفئه ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرزة لا تستهز حتى تستحصد » . ورواه كذلك الترمذي وقال : حسن صحيح . وروى أحمد وأبو يعلى من حديث أم ولد أبي بن كعب عن أبي بن كعب مرفوعاً : « مثل المؤمن مثل الخامة تحمر مرة وتصفر أخرى والكافر كالأرزة » .

(وفي الخبر : « لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه الفينة بعد الفينة » أي الحين بعد الحين) .
قال العراقي : رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بأسانيد حسنة انتهى .

قلت : ولفظ الطبراني في الكبير : « ما من عبد مؤمن إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة » . أو ذنب هو يقيم عليه لا يفارقه حتى يفارق الدنيا : « إن المؤمن خلق مفتناً تواباً إذا ذكر ذكر » وفي لفظ له : « ما من مسلم إلا وله ذنب يصيبه الفينة بعد الفينة إن المؤمن نساء إذا ذكر ذكر » .

(فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة المصرين) ولا يؤيس هذا عن درجة التائبين ، **(ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتناول من الفواكه والأطعمة الحارة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار)** عليها **(و)** أيضاً **(كالفقيه الذي يؤيس المتفقة عن نيل درجة الفقهاء بفتوره عن التكرار والتعليق في أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة)** والمراد بالتكرار إعادة ما يحصله في درسه مرة بعد أخرى حتى يرسخ في الذهن والتعليق أن يعلق ما يسمع من فوائد الشيوخ في أوراق ، **(وذلك يدل على نقصان)** مقام **(الطبيب والفقيه)** جميعاً **(بل الفقيه في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق من درجات السعادات بما**

المختطفات قال النبي ﷺ: «كل بني آدم خطاءون و... الخطائين التوابون المستغفرون». وقال أيضاً: «المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعة» أي واه بالذنوب راقع بالتوبة والندم. وقال تعالى: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا

يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات قال النبي ﷺ: «كل بني آدم خطاء») بتشديد الطاء من أبنية المبالغة يقال: رجل خطاء إذا كان ملازماً للخطأ. قال الطيبي في شرح المشكاة: إن أريد بلفظ: «كل» الكل من حيث هو كل فهو تغليب لأن الأنبياء ليسوا بمبالغين في الخطأ، وأن أريد به الإستغراق وإن كان واحد واحد خطأ لم يستقم إلا على التوزيع كما يقال: هو ظلام للعبيد أي يظلم كل واحد واحد، فهو ظالم بالنسبة إلى كل أحد ظلام بالنسبة إلى المجموع وإذا قلت: هو ظلم لعبده كان مبالغاً في الظلم، («وخير الخطائين المستغفرون») أي الذين يستغفرون عن ذنوبهم ويرجعون إلى الله تعالى بالتوبة والإستغفار، ولا يؤتي العبد من فعل المعصية وإن عظمت وكثرت، وإنما يؤتي من ترك التوبة والإستغفار. قال العراقي: رواه الترمذي واستغربه، والحاكم وصحح إسناده من حديث أنس وقال: «التوابون» بدل «المستغفرون» قلت: فيه علي بن مسعدة ضعفه البخاري انتهى.

قلت: ورواه كذلك أحمد وعبد بن حميد وابن ماجه والدارمي والبيهقي، ولفظ الترمذي بعد أن أخرجه غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة انتهى.

قلت: علي بن مسعدة الباهلي أبو حبيب البصري، قال ابن حبان: لا يحتج به كذا قاله الذهبي، ورد على الحاكم تصحيحه وقال: بل فيه لين، وفي أمالي أبي زرعة حديث فيه ضعف، فكأنه تبع فيه والده، وقال الحافظ في التهذيب: صدوق له أوهام، وقد روى له البخاري في الأدب المفرد، والترمذي، وابن ماجه، ومال ابن القطان إلى تصحيح الحاكم وقال: ابن مسعدة صالح الحديث وغرابته إنما هي فيمن انفرد به عن قتادة

(قال) ﷺ (أيضاً: «المؤمن واهٍ راقع فخيرهم من مات على رقعة») قال العراقي: رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف، وقالا: فسعيد بدل فخيرهم انتهى.

قلت: ورواه كذلك البزار والعسكري في الأمثال والطبراني في الصغير والأوسط كلهم من طريق ... بن خالد الخزاعي عن محمد بن المنكدر عن جابر به مرفوعاً بلفظ: «وسعيد من هلك على رقعه» وفي لفظ: «فالسعيد». قال المنذري: ضعيف. قال الهيثمي: سعيد بن خالد ضعيف. قلت: هو من رجال أبي داود. قال أبو زرعة: ضعيف (أي واه) لربه (بالذنوب راقع) له (بالتوبة والندم) فكلما انخرق دينه بالمعصية رقعه بالتقرب. قال الزمخشري شبهه بمن يهي ثوبه فيرقعه. وقد وهي الثوب إذا بلي. ومعنى من مات على رقعه أي من مات وهو راقع لدينه بالتوبة والندم ونحوه استقيموا ولن تحصوا أي لن تستطيعوا أن تستقيموا في كل شيء حتى لا تميلوا، ومنه أيضاً يا حنظلة ساعة وساعة. (وقال تعالى) في وصف المؤمنين بتلك متابعة الذنوب وبترديف

ويدرأون بالحسنة السيئة﴾ [القصص: ٥٤] فما وصفهم بعدم السيئة أصلاً.

الطبقة الثالثة: أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة، ثم تغلبه الشهوة في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة، إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة، وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان وهو يودّ لو أقدره الله تعالى على قمعها وكفاه شرها. هذا أمنيته في حال قضاء الشهوة. وعند الفراغ يتندم ويقول: ليتني لم أفعله وسأتوب عنه وأجاهد نفسي في قهرها، لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى ويوماً بعد يوم. فهذه النفس هي التي تسمى: النفس المسولة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾ [التوبة: ١٠٢] فأمره

السيئة الحسنة في قوله عز وجل: ﴿ويدرأون بالحسنة السيئة﴾ [القصص: ٥٤] وجعل هذا من نعوت العاملين الذين صبروا فقال: (**أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة**) فجعل لهم صبرين على الذنب وعلى التوبة فآتاهم أجرين، (**فما وصفهم بعدم السيئة أصلاً**) فازدراء هذا العبد على نفسه ومقته عن معرفته بها وترك نظره إليها وسكون إلى خير إن ظهر عليها يكون من كفارات ذنوبه لأنه من تدبر الخطاب في قوله تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ [النجم: ٣٢].

(**الطبقة الثالثة**): وهي تلي من هذه الثانية في الحال (**أن يتوب**) عن الذنوب (**ويستمر بالإستقامة**) على توبته (**مدة ثم تغلبه الشهوة**) وفي نسخة شهوته (**في بعض الذنوب فيقدم عليها من صدق**) عزم (**وقصد شهوة**) فيذنب ثم يحزن عليه بقصده له وسعيه فيه وإيثاره إياه (**لعجزه عن قهر الشهوة، إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات، وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة، وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان وهو يوّد أن لو أقدره الله تعالى**) أي جعله ملياً قادراً (**على قمعها**) وكفها (**وكفاه شرها هذه أمنيته**) وتمام رجائه (**في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ**) منه (**بتندم**) ويتحسر (**ويقول: ليتني لم أفعله وسأتوب منه وأجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى ويوماً بعد يوم**) ويحدث نفسه بالإستقامة ويحب منازل التوابين ويرتاح قلبه إلى مقامات الصديقين ولم يأت حينه ولا ظهر مقامه لأن الهوى يحركه والعادة تجذبه والغفلة تغمره إلا أنه يندم خلال الذنوب ويعاود هذا المتقدم المعتاد (**فهذه النفس هي التي تسمى المسوّلة**) وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿بل سولت لكم أنفسكم﴾ [يوسف: ١٨] وتوبة هذا فوت من وقت إلى وقت (**وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً**) عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾ [التوبة: ١٠٢] قيل: خلطوا عملاً

من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما تعاطاه مرجو فعسى الله أن يتوب عليه، وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره، فربما يختطف قبل التوبة ويقع أمره في المشيئة فإن تداركه الله بفضله وجبر كسره وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين، وإن غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى أن يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الأزل، لأنه مهما تعذر على المتفقه مثلاً الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على أنه سبق له في الأزل أن يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه، وإذا يسرت له أسباب المواظبة على التحصيل دل على أنه سبق له في الأزل أن يكون من جملة العالمين. فكذلك ارتباط سعادات الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الأسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الأغذية والأدوية، وارتباط حصول فقه النفس الذي به تستحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس، فكما لا يصلح لمنصب الرئاسة والقضاء والتقدم بالعلم إلاَّ نفس صارت فقيهة بطول التفقيه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين إلا قلب سليم صار طاهراً بطول التزكية

صالحاً هو الإعتراف بالذنوب والتوبة السابقة، وآخر سيئاً ما سلف من الغفلة والجهالة (**فأمره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما تعاطاه**) من المعاصي والمخالفات (**مرجو**) له الإستقامة لمحاسن عمله وتكفيرها لسالف سيئاته، (**فعسى الله أن يتوب عليه**) فيستقيم فيلحق بالسابقين (**وعاقبته مخطرة من حيث تسويفه وتأخيره**) فيخاف عليه الإنقلاب لأجل ذلك ومن حيث مداومة خطاياه، (**فربما يختطف قبل التوبة ويقع أمره في المشيئة**) وإنما كان مثل هذا مخطر لأن خفايا المكر والإلطاف دقيق لا إطلاع لأحد عليه، فهذا بين حالين (**فإن تداركه الله بفضله**) بأن نظر إليه بعين رحمته (**وجبر كسره**) وأغنى فقره (**وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين**) والمقربين لأنه قد سلك طريقهم، (**وإن غلبته شهوته وقهرته شهوته**) وهي وصف النفس (**فيخشى أن يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول في الأزل**) بأن يكون من أهل النار، فلو أنه تاب سبعين توبة لم ينقذه من النار (**لأنه مهما تعذر على المتفقه مثلاً الإحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على أنه سبق له في الأزل أن يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه، وإذا يسرت له أسباب المواظبة على التحصيل**) والتعلم (**دلّ على أنه سبق له في الأزل أن يكون من جملة العالمين، فكذلك ارتباط درجات الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الأسباب**) جل جلاله (**كارتباط المرض والصحة بتناول الأغذية والأدوية وارتباط حصول فقه النفس الذي به تستحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل والمواظبة على تفقيه النفس**) ليلاً ونهاراً، (**فكما لا يصح لمنصب الرئاسة والقضاء والتقدم بالعلم الأنفس صارت فقيهة بطول التفقه فلا يصلح الملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين إلا قلب سليم**) من الغش (**صار طاهراً بطول التزكية**

والتطهير. هكذا سبق في الأزل بتدبير رب الأرباب، ولذلك قال تعالى: ﴿ونفس وما سواها ★ فألهمها فجورها وتقواها ★ قد أفلح من زكاها ★ وقد خاب من دسّاها﴾ [الشمس: ٧ـ ١٠] فمهما وقع العبد في ذنب فصار لذنب نقداً والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان. قال ﷺ: «إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس أنه من أهلها ولا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها». فإذاً الخوف من الخاتمة قبل التوبة. وكل نفس فهو خاتمة ما

والتطهير) عن الأدناس المعنوية. (**هكذا سبق في الأزل تدبير رب الأرباب، ولذلك قال تعالى: ﴿ونفس وما سوّاها﴾**) أي ومن سواها وتسويتها بورود الروح الإنساني عليها واقتطاعها من جنس أرواح الحيوانات (**﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾**) والمراد بالهامها إفهامها وتعريف حالها والتمكن من الإتيان بها (**﴿قد أفلح من زكاها﴾**) أي أنماها بالعلم والعمل (**﴿وقد خاب من دساها﴾**) أي نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق. (**فمهما وقع العبد في ذنب فصار الذنب نقداً**) حاضراً (**والتوبة نسيئة كان هذا من علامات الخذلان**) والشقاوة. (**قال ﷺ: «إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس أنه من أهلها ولا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر**) ثم يدركه الشقاء». وفي لفظ آخر: (**«فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»**) وقد دخلت التعريت في صالح أعماله من الحسنات، ثم أحبطها عنه في آخر عمله بسبق الكتاب بالشقاوة، فأما من لم يسبق له سوء الخاتمة ووهبت له التوبة النصوح لم يدركه الشقاء. قال العراقي: وروى مسلم من حديث أبي هريرة: «إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة» الحديث. ولأحمد من رواية شهر بن حوشب عن أبي هريرة: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة». وشهر مختلف فيه انتهى.

قلت: وتمام حديث أبي هريرة عند مسلم: «ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وأن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة». وقد رواه أحمد أيضاً. وروى الشيخان من حديث سهل بن سعد: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار» الحديث زاد البخاري: «وإنما الأعمال بخواتمها».

وروى الطبراني، وأبو نعيم من حديث أكثم بن أبي الجون «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وأنه لمن أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وأنه من أهل الجنة تدركه الشقاوة أو السعادة عند خروج نفسه فيختم له بها».

وأما حديث أبي هريرة من رواية شهر ابن حوشب الذي أخرجه أحمد بلفظه: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى خان في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة» وهكذا رواه أيضاً ابن ماجه.

قبله إذ يمكن أن يكون الموت متصلاً به فليراقب الأنفاس وإلاَّ وقع في المحذورات ودامت الحسرات حين لا ينفع التحسر.

الطبقة الرابعة: أن يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود إلى مقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله، بل ينهمك انهماك الغافل في اتباع شهواته. فهذا من جملة المصرين، وهذه النفس هي النفس الأمّارة بالسوء، الفرارة من الخير، ويخاف على هذا سوء الخاتمة وأمره في مشيئة الله، فإن ختم له بالسوء شقي شقاوة ولا آخر لها، وإن ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين، ولا يستحيل أن يشمله عموم العفو بسبب خفي لا نطلع عليه، كما لا يستحيل أن يدخل الإنسان خراباً ليجد كنزاً فيتفق أن يجده، وأن

وروى أحمد أيضاً من حديث عائشة: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وأن لمكتوب في الكتاب من أهل النار فإذا كان قبل موته بحول فيعمل بعمل أهل النار» الحديث.

(**فإذاً الخوف من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس**) من الأنفاس (**فهو خاتمة ما قبله، إذ يمكن أن يكون الموت متصلاً به فيراقب الأنفاس**) ويحافظ عليها، (**وإلا وقع في المحذور**) أي الأمر الذي يحذر منه، (**ودامت الحسرات حين لا ينفع التحسر**).

(**الطبقة الرابعة**): اسوأ العبيد حالاً وأعظمهم على نفسه وبالا وأقلهم من الله وصلاً هو (**أن يتوب**) العبد عن المعاصي (**ويجري مدة على الإستقامة ثم يعود إلى مقارفة الذنب أو الذنوب**) بأن يتبع الذنب ذنباً أو أعظم منه (**من غير أن يحدث نفسه بالتوبة**) ولا ينويها، (**ومن غير أن يتـأسف على فعله**) ولا يعتقد استقامة ولا يرجو وعدا ليحسن ظنه، ولا يرجو وعيداً للتمكن منه، (**بل ينهمك إنهماك الغافل في إتباع شهواته، فهذا**) هو حقيقة الإصرار وهو (**من جملة المصرين**) والعتاة المستكبرين، وفي مثل هذا جاء الخبر «هلك المصرون قدماً إلى النار». (**وهذه النفس هي النفس الأمارة بالسوء الفرارة من**) الصالحات و(**الخير، ويخاف على هذا سوء الخاتمة**) لأنه في مقدمتها وسالك طريقها ولا يبعد عنه سوء القضاء ودرك الشقاء، ولأن العاصي يريد الكفر، كأن الحي يريد الموت، وفي مثل هذا قيل: من سوّف الله تعالى بالتوبة أكذبه وأن اللعنة خروج عن الذنب إلى ما هو أعظم منه، (**و**) هو في عموم المسلمين (**أمره في مشيئة الله**) ومن الفاسقين قال الله تعالى: ﴿وآخرون مرجون لأمر الله﴾ أي مرجون بحكمه ﴿إما يعذبهم﴾ بالإصرار ﴿وإما يتوب عليهم﴾ [التوبة: ١٠٦] بما سبق من حسن الإختيار، (**فإن ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها، وإن ختم له بالحسنى حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين**) على قدر إيمانه، (**ولا يستحيل أن يشمله عموم العفو بسبب خفي لا تطلع عليه**) لأن خفايا الألطاف دقيق لا إطلاع لا حد عليه، (**كما لا يستحيل**

يجلس في البيت ليجعله الله عالماً بالعلوم من غير تعلم كما كان الأنبياء صلوات الله عليهم. فطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار، وطلب المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بمجرد الرجاء مع خراب الأعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة، وطلب العلوم من تعليم الملائكة، وليت من اجتهد تعلم وليت من اتجر استغنى وليت من صام وصلى غفر له، فالناس كلهم محرومون إلا العالمون، والعالمون كلهم محرومون إلا العاملون، والعاملون كلهم محرومون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم. وكما أن من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعاً يزعم أنه ينتظر فضل الله بأن يرزقه كنزاً يجده تحت الأرض في بيته الخرب يعد عند ذوي البصائر من الحمقى والمغرورين ـ وإن كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله ـ فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله تعالى وهو مقصر عن الطاعة مصر على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة يعد عند أرباب القلوب من المعتوهين. والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته في صيغة

أن يدخل الإنسان) موضعاً (**خراباً ليجد كنزاً فيتفق أن يجده، ولا**) يستحيل أيضاً (**أن يجلس في البيت ليجعله الله عالماً بالعلوم**) والمعارف (**مَن غير**) سبق (**تعلم**) لها، (**كما كان الأنبياء صلوات الله عليهم**) إذ علومهم وهبية افاضية، (**وطلب المغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهد والتكرار و**) طلب (**المال بالتجارة وركوب البحار وطلبها**) أي المغفرة (**بمجرد الرجاء مع خراب الأعمال**) وفسادها (**كطلب الكنوز في الموضع الخربة وطلب العلوم من تعليم الملائكة، وليت من اجتهد تعلم، وليت من اتجر**) وركب البحار (استغنى، **وليت من صام وصلى غفر له، فالناس كلهم محرومون**) عن نيل السعادة (**إلا العالمون والعالمون محرومون إلا العاملون**) لله تعالى، (**والعاملون محرومون إلا المخلصون**) في أعمالهم لله تعالى قال تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ [الكهف: ١١٠] (**والمخلصون على خطر عظيم**) وهو منتزع من كلام أبي محمد سهل التستري رحمه الله تعالى: الناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون على خطر عظيم، وقد تقدم ذلك في آخر كتاب الغرور، (**وكما أن من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جياعاً يزعم أنه ينتظر فضل الله**) تعالى (**بأن يرزقه كنزاً يجده تحت الأرض في بيته الخرب**) كان (**يعد عند ذوي البصائر من الحمقى والمغرورين، وإن كان ما ينتظره غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله، فكذلك من ينتظر المغفرة من فضل الله تعالى وهو مقصر في الطاعة مصرّ على الذنوب غير سالك سبيل المغفرة معدود عند أرباب القلوب من المعتوهين**) أي المدهوقين من غير جنون، (**والعجب من عقل هذا المعتوه وترويجه حماقته في صيغة حسنة**) الصيغة أصلها الواو

حسنة إذ يقول: إن الله كريم وجنته ليست تضيق على مثلي ومعصيتي ليست تضره ثم تراه يركب البحار ويقتحم الأوعار في طلب الدينار، وإذ قيل له: إن الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس يضرك فاجلس في بيتك فعساه يرزقك من حيث لا تحتسب فيستحمق قائل هذا الكلام ويستهزىء به ويقول: ما هذا الهوس؟ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة وإنما ينال ذلك بالكسب، هكذا قدره مسبب الأسباب وأجرى به سنته ولا تبديل لسنة الله ولا يعلم المغرور أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأن سنته لا تبديل لها فيهما جميعاً، وأنه قد أخبر إذ قال: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ [النجم: ٣٩] فكيف يعتقد أنه كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا؟ وكيف يقول ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب المال ومقتضاه الفتور عن العمل للملك المقيم والنعيم الدائم، وأن ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد في الآخرة، وهذا يمنعه مع شدة الاجتهاد في غالب الأمر في الدنيا؟ وينسى قوله تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات: ٢٢] فنعوذ بالله من العمى والضلال فما هذا إلا انتكاس على أم الرأس وانغماس في ظلمات الجهل وصاحب هذا جدير بأن يكون داخلاً

كالقيمة وصيغة القول كذا أي: مثاله وصورته على التشبيه بالعمل والتقدير. (**إذ يقول: إن الله**) تعالى (**كريم**) أي موصوف بالكرم (**وجنته ليست تضيق على مثلي ومعصيتي ليست تضره**) وإنما شؤمها عليّ، (**ثم تراه يركب البحار ويقتحم الأوعار**) أي الأمور الصعبة (**في طلب الدينار، وإذا قيل له: إن الله كريم ودنانير خزائنه ليست تقصر عن فقرك وكسلك بترك التجارة ليس يضرك فاجلس في بيتك**) واسترح، (**فعساه**) أن (**يرزقك من حيث لا تحتسب، فيستحمق قائل هذا الكلام**) أي يعده حمقاً (**ويستهزىء به ويقول: ما هذا الهوس**) أي خفة العقل؟ (**السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة وإنما ينال ذلك بالكسب**) والسعي في الأسباب (**هكذا قدره رب الأرباب**) وفي نسخة مسبب الأسباب (**وأجرى به**) في العالم (**سنته ولا تبديل لسنة الله**) بنص القرآن، (**ولا يعلم المغرور أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد، وأن سنته لا تبديل لها فيهما جميعاً، وأنه**) تعالى (**قد أخبر**) على لسان رسله (**إذ قال: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾**) وأن سعيه سوف يرى (**فكيف يعتقد أنه تعالى كريم في الآخرة وليس بكريم في الدنيا، وكيف يقول: ليس مقتضى الكرم الفتور عن كسب الحلال ومقتضاه الفتور عن العمل للملك المقيم والنعيم الدائم، وأن ذلك بحكم الكرم يعطيه من غير جهد**) ولا مشقة (**في الآخرة، وهذا يمنعه مع شدة الإجتهاد في غالب الأمر في الدنيا وينسى قوله تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ فنعوذ بالله من العمى**) أي عمى البصيرة (**والضلال، فما هذا إلا انتكاس على أم الرأس وانغماس في ظلمات الجهل، وصاحب**

تحت قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رؤوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِم رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسمِعْنَا فأرجِعْنَا نَعْمَلْ صالحاً﴾ [السجدة: ١٢] أي أبصرنا انك صدقت إذ قلت: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ فأرجعنا نسعى وعند ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب، فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والارتياب السائق بالضرورة إلى سوء المنقلب والمآب.

هذا جدير بأن يكون داخلاً تحت قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رؤوسهم) إلى تحت (**عند ربهم**) أي في حضرة الربوبية يقولون: (**ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا**) إلى الدنيا ثانياً (**نعمل صالحاً**) فإنا لا نرى النجاة إلا لمن عمل صالحاً. وقال تعالى حكاية عنهم: ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ [فاطر: ٣٧] وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والإعتراف به، والإشعار بأن رجوعهم وإخراجهم لتلافيه، وأنهم كانوا يحسبون أنه صالح والآن تحقق لهم خلافه (**أي أبصرنا أنك صدقت إذ قلت**) في كتابك العزيز: (**﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ فارجعنا لنسعى**) في صالح الأعمال، (**وعند ذلك لا يمكن من الإنقلاب ويحق عليه العذاب**) أي يثبت، (**فنعوذ بالله من دواعي الجهل والشك والإرتياب السائق بالضرورة إلى سوء المنقلب والمآب**) والله الموفق.

تنبيه:

تقدم في تقسيم المصنف طبقات التائبين إلى أربعة، وأشار فيها أن الطبقة الأولى أهلها هم السابقون بالخيرات، وأن الثانية أهلها هم المقتصدون، وأن الثالثة والرابعة هم الظالمون أنفسهم وأمرهم في مشيئة الله تعالى، وأشار في أثناء ذلك إلى النفوس الأربعة المطمئنة واللوامة والمسوّلة والإمارة وفي سياقه من أوله إلى آخره تلميح لطيف إلى قوله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ [فاطر: ٣٢] أما النفوس، فقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز إياها بثلاثة أوصاف بالطمأنينة قال: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ [الفجر: ٢٧] وسماها لوامة فقال: [ولا أقسم بالنفس اللوّامة﴾ [القيامة: ٢] وسماها إمارة فقال: ﴿إن النفس لامارة بالسوء﴾ [الفجر: ٢٧] وهي نفس واحدة ولها صفات متغايرة، فإذا امتلأ القلب سكينة خلع الطمأنينة لأن السكينة مزيد الإيمان، وفيها ارتقاء القلب إلى مقام الروح لما منح من حظ اليقين، وعند توجه القلب إلى محل الروح وتوجه النفس إلى محل القلب، وفي ذلك طمأنينتها، وإذا انزعجت عن مقار جبلاتها ودواعي طبيعتها متطلعة إلى مقار الطمأنينية فهي اللوّامة لأنها تعود باللائمة على نفسها لنظرها وعملها بمحل الطمأنينة ثم انجذابها إلى محلها الذي كانت فيه أمارة بالسوء، وإذا قامت في

محلها لا يغشاها نور العلم والمعرفة فهي على ظلمتها أمارة بالسوء، وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب عجائب القلب، ولنتكلم على الآية المذكورة.

قال البيضاوي: ظالم لنفسه أي بالتقصير في العمل به، وقوله: مقتصد أي يعمل به في أغلب الأوقات، والسابق هو الذي يضم التعليم والإرشاد إلى العمل، ومثل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم، وقيل: الظالم المجرم، والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء، والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة، وهو معنى قوله ﷺ: «أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته» وقيل: الظالم الكافر على أن الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين، ولأن الظلم بمعنى الجهل والركون إلى الهوى مقتضى الجبلة والإقتصاد والسبق عارضان انتهى.

قلت: وهذه الأقوال كلها مسندة، والحديث المذكور رواه الفريابي، وأحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي عن أبي الدرداء سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ الآية. فإما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب، واما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم يلقاهم الله تعالى برحمته، فهم الذين يقولون: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ إلى ﴿لغوب﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥] قال البيهقي: إذا كثرت الروايات في حديث ظهر أن للحديث أصلاً.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في البعث عن ابن عباس في قوله: ﴿ثم أورثنا الكتاب﴾ الآية قال: هم أمة محمد ﷺ ورثهم كل كتاب أنزل، فظالمهم مغفور له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب.

وأخرج الطيالسي، وأحمد، وعبد بن حميد، والترمذي وحسنه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ في هذه الآية قال: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة كلهم في الجنة».

وأخرج الطيالسي، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، والحاكم، وابن مردويه عن عقبة بن صهبان قال: قلت لعائشة أرأيت قول الله تعالى: ﴿ثم أورثنا الكتاب﴾ الآية قالت: أما السابق فقد مضى في حياة رسول الله ﷺ فشهد له بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أمرهم فعمل بمثل أعمالهم حتى يلحق بهم، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك ومن اتبعنا وكل في الجنة.

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود وقال: هذه الأمة ثلاثة أثلاث: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، وثلث يحبسون بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا بالله فيقول الرب: ادخلوا هؤلاء في سعة رحمتي، ثم قرأ هذه الآية.

....

وأخرج العقيلي، وابن لال، وابن مردويه، والبيهقي من حديث عمر: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له، ثم قرأ عمر هذه الآية.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة عن عثمان أنه نزع بهذه الآية قال: إنا سابقنا أهل جهاد ألا وأن مقتصدنا ناج أهل حضرنا ألا وأن ظالمنا أهل بدونا.

وأخرج ابن مردويه والديلمي من حديث حذيفة: يبعث الله الناس على ثلاثة أصناف، وذلك في قول الله تعالى: ﴿فمنهم ظالم، لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾ فالسابق بالخيرات يدخل الجنة بلا حساب، والمقتصد يحاسب حساباً يسيراً، والظالم لنفسه يدخل الجنة برحمته.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن الحنفية قال: أعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم تعطها أمة كانت قبلها. منهم ظالم لنفسه مغفور له، ومنهم مقتصد في الجنان، ومنهم بالمكان الأعلى.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد: فمنهم ظالم لنفسه قال: هم أصحاب المشأمة، ومنهم مقتصدهم أصحاب اليمين، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله قال: هم السابقون من الناس كلهم.

وفي تفسير الكواشي وعن علي رضي الله عنه قال: الظالم أنا، والمقتصد أنا، والسابق أنا. فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: أنا ظالم بمعصيتي، ومقتصد بتوبتي، وسابق بمحبتي. وفي الآية وجوه من الإشارات.

قال الجنيد: لما ذكر الخيرات دل على ان الخلق فيه عام وخاص وأن الميراث لمن هو أصلح قرباً وأصلح نسباً، فتصحيح النسبة هو الأصل في رتبة القربة، فالظالم الذي أحبه لنفسه، والمقتصد الذي احبه له، والسابق الذي أسقط مراده لمراد الحق فيه فلا يرى لنفسه طلباً ولا فرد الغلبة سلطان الحق عليه.

وقال النصراباذي: صحح النسب وخذ الميراث ولا يأخذ ميراث الحق إلا من نسب بالحق وإلى الحق دون الأسباب والوسائط. وقال جعفر الصادق: بدأ بالظالمين إخباراً بأنه لا يتقرب إليه إلا بمحض كرمه، وأن الظلم يؤثر في الاصطفائية ثم بالمقتصدين، لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين لأنه لا يأمن أحد مكره، ومنهم في الجنة بحرمة كلمة الاخلاص في الشهادة وقال غيره: يبدأ بالميراث بذوي الفروض ثم ما يبقى فللعصبة، وإن كان صاحب الفرض أضعف استحقاقاً، كذلك قال الله تعالى ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ فقدمه على المقتصد والسابق، وتكلموا في الظالم، فمنهم من قال: هو الأفضل وأراد به من ظلم نفسه بكثرة ما حملها من الطاعة، والاكثرون على أن السابق هو الأفضل وقالوا: التقديم في الذكر لا يقتضي التقديم في الرتبة يعني فهو من باب التدلي لا من طريق الترقي. ويقال: قرن باسم الظالم قرينة، وهو قوله (**لنفسه**) وقرن باسم السابق قرينه وهو قوله (**باذن الله**) فالظالم كان له زلة والسابق كان له صولة، فالظالم رقع زلته بقوله (**لنفسه**) والسابق كسر صولته بقوله (**باذن الله**). ويقال: الظالم من زهد في دنياه، والمقتصد من رغب في

بيان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب إن جرى عليه ذنب إما عن قصد وشهوة غالبة أو عن إلمام بحكم الاتفاق:

اعلم أن الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضادها كما ذكرنا طريقه، فإن لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الواجب الثاني، وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة ليمحوها فيكون ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فالحسنات المكفرة للسيئات إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح، ولتكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق بأسبابها.

فأما بالقلب فليكفره بالتضرع إلى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل

عقباه، والسابق من آثر على الدارين مولاه، ويقال: الظالم من نجح كوكب عقله، والمقتصد من عظم بدر علمه، والسابق من أشرقت شمس معرفته. ويقال: الظالم من ترك الزلة، والمقتصد من ترك الغفلة، والسابق من ترك العلاقة. ويقال: الظالم من جاد بنفسه، والمقتصد من لم يبخل بقلبه، والسابق من جاد بروحه. ويقال: الظالم من له علم اليقين، والمقتصد من له عين اليقين، والسابق من له حق اليقين. ويقال: الظالم بترك المحرمات، والمقتصد بترك الشبهات، والسابق بترك الزيادات. ويقال: الظالم طالب النجاة، والمقتصد طالب الدرجات، والسابق طالب المناجاة. وفي الآية وجوه كثيرة غير ما ذكرتها.

فصل

في حال من عجز عن التوبة قال:

(بيان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب ان جرى عليه ذنب اما عن قصد وشهوة غالبة أو عن الما بحكم الاتفاق).

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن)** من وقع منه ذنب أو ذنوب، فإن **(الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالتكفير بحسنة تضاده كما ذكرنا طريقه)** أنفاً، **(فإن)** عجز **(ولم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة)** بل قهرته نفسه وشهوته **(فقد عجز عن أحد الواجبين، فلا ينبغي أن يترك الواجب الثاني)** ولا يعجز عنه، **(وهو أن يدرأ بالحسنة السيئة)** أي يدفعها بها **(لتمحوها)** وتزيلها **(فيكون ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً)** وهو حال المقتصدين، **(فالحسنات المكفرة)** وفي نسخة المكفرات **(للسيئات إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح، ولتكن الحسنة في محل السيئة وفيا يتعلق بأسبابها)**.

(فأما القلب: فليكفره بالتضرع إلى الله تعالى) والابتهال إليه **(في سؤال المغفرة والعفو)** عن باطن قلبه دون حركة اللسان فقط ويتذلل) في نفسه **(تذلل العبد الآبق)** عن

العبد الآبق، ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم، فما للعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على سائر العباد، وكذلك يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين والعزم على الطاعات.

وأما باللسان، فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول: رب ظلمت نفسي وعلمت سوءاً فاغفر لي ذنوبي، وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار ـ كما أوردناه في كتاب الدعوات والأذكار ـ.

وأما بالجوارح؛ فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات وفي الآثار ما يدل على أن الذنب إذا أتبع بثمانية أعمال كان العفو عنه مرجوًّا أربعة من أعمال القلوب وهي: التوبة

مولاه، (**ويكون ذلك بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بنقصان كبره فيما بينهم**) فيرى الناس كلهم خيراً منه، (**فما للعبد الآبق المذنب وجه للتكبر على العباد**) والكبر والمعصية لا يجتمعان في قلب مؤمن، (**وكذلك يضمر بقلبه الخيرات للمسلمين كلهم والعزم على الطاعات إلى آخر العمر**.

(**وأما باللسان: فبالاعتراف بالظلم**) أي يعترف بظلمه (**لنفسه، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿خلطوا عملاً صالحاً﴾ [التوبة: ١٠٢] قيل: الاعتراف بالذنوب والاستغفار**) فقد ورد فضله في الكتاب والسنة (**فيقول**) ما ورد عن النبي ﷺ نحو قوله: (**« رب ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي ذنوبي »**) روى الديلمي من حديث ابن عباس: « من قال لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ». أو يقول « رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التوّاب الرحيم » رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان من حديث ابن عمر قال: إن كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة فذكره. وقال الترمذي: حسن [illegible] غريب، وهذا لفظ أبي داود، وعند الثلاثة التوّاب الغفور. وفي رواية للنسائي « اللهم اغفر لي وارحمني وتب عليّ إنك أنت التوّاب الغفور ». (**وكذلك يكثر من ضروب الاستغفار**) كسيد الاستغفار المروي عن شداد بن أوس: « اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ بك من شر ما صنعت. أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » [illegible] البخاري والترمذي والنسائي، (**كما أوردناه في كتاب الدعوات والاذكار**).

(**وأما الجوارح؛ فبالطاعات والصدقات وأنواع العبادات**) والاستكثار منها لعله بذلك تزيد حسناته على سيئاته ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره★ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] (**وفي الآثار ما يدل على أن الذنب إذا ا[illegible] بثمانية أعمال كان العفو عنه مرجوّاً**). ولفظ القوت: ومن أحسن [illegible] يتعقب الذنب من الأعمال بعد التوبة وحل الاصرار مما

أو العزم على التوبة، وحب الاقلاع عن الذنب، وتخوّف العقاب عليه ورجاء المغفرة له. وأربعة من أعمال الجوارح وهي: أن تصلي عقيب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله تعالى بعدها سبعين مرة وتقول: سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة، ثم تتصدق بصدقة، ثم

يرجى به كفارة الخطيئة ثمانية أعمال: (**أربعة من أعمال القلوب وهي:**) اعتقاد (**التوبة**) منه، (**والعزم على التوبة**) فإن العبد إذا عزم عليها فكأنه اعتقدها، ولم يذكر صاحب القوت هذه الزيادة، (**وحب الاقلاع عن الذنب، وتخوف العقاب عليه، ورجاء المغفرة له**) ثم يحتسب على الله تعالى بحسن ظنه وصدق يقينه كفارة ذنبه، فهذه الأربعة من أعمال القلوب، (**وأربعة من أعمال الجوارح وهي: أن يصلي**) العبد (**عقب الذنب ركعتين**) وذلك بعد أن يتوضأ وإن اغتسل كان أكمل وإن أمكنه ان يغسل الثياب التي عصى الله فيها كان أكمل، فإن طهارة الظاهر عنوان طهارة الباطن، وإذا كانت الصلاة في موضع خال عن اشتغال وعن توهم الرياء والسمعة في بال كان أكمل، ويشترط أن يضع جبينه على الأرض لله والتراب لزيادة الخشوع عند الله وللتذكر إلى أصله ومرجعه، (**ثم يستغفر الله بعدها**) مع البكاء إن أمكن وإلاّ فبالتباكي وقلب حزين على ما سبق له من المعصية ويجعلها نصب عينيه (**سبعين مرة**). روى الديلمي من حديث أبي هريرة «من استغفر الله سبعين مرة في [دبر كل صلاة غفر له ما كتب من الإثم» الحديث. وروى الحسن بن سفيان من حديث أنس «من استغفر سبعين مرة غفر له سبعمائة ذنب» الحديث وروى ابن السني في عمل اليوم الليلة من حديث عائشة «من استغفر الله في كل يوم سبعين مرة لم يكتب من الكذابين» الحديث (**ويقول: سبحان الله العظيم وبحمده**) ولو (**مائة مرة**) فإن زاد أو نقص فهو بالخيار إن زاد في الاستغفار حتى صار مائة مرة فهو أفضل وأكمل، وكذلك ينبغي أن يكون مع التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير مائة لتجتمع الباقيات الصالحات، بل ويضم إليها لا حول ولا قوّة إلا بالله، كذلك ثم يرفع يديه ويحمد الله تعالى ويصلي على نبيه ﷺ ويدعو لنفسه ولوالديه ولجميع المسلمين.

روى ابن أبي شيبة وأحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة من قال: «سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر».

وروى البيهقي من حديث ابن عمر «من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة كتب الله له ألف حسنة ومن زاد زاده الله».

وروى أحمد، ومسلم، وأبو داود والترمذي، وابن حبان «من قال حين يصبح ويمسي سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحداً قال مثل ذلك أو زاد عليه».

(**ثم يتصدق بصدقة**) سراً أو علانية ليلاً أو نهاراً ليدخل في قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم﴾ [البقرة: ٢٧٤] (**ثم يصوم يوماً**)

تصوم يوماً، وفي بعض الآثار: تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصلي ركعتين، وفي بعض الأخبار: تصلي أربع ركعات. وفي الخبر: « إذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها، السر

فإنه من جملة الحسنات المكفرات للسيئات. فهذه الأعمال قد وردت بها الآثار أنها مكفرة للزلل والعثار.

(وفي بعض الآثار) أنه يشترط أن يتوضأ و**(يسبغ الوضوء)** واسباغه بإكمال شروطه وأركانه وواجباته، **(ويدخل المسجد ويصلي ركعتين)** فإن المسجد أفضل الأماكن وأشرفها ويشهد له بما عمل فيه. قال العراقي في هذه الآثار: إن من مكفرات الذنب أن يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين. رواه أصحاب السنن من حديث أبي بكر الصديق: ما عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له. هذا لفظ أبي داود، وهو في الكبرى للنسائي مرفوعاً وموقوفاً، فلعل المصنف عبر بالآثار لإرادة الوقف فذكرته احتياطاً وإلا فالآثار ليست من شرط كتابي انتهى.

قلت: وقد روى الطبراني في الأوسط من حديث أبي الدرداء « ما من عبد يذنب ذنباً فيتوضأ ثم يصلي ركعتين أو أربعاً مفروضة وغير مفروضةثم يستغفر الله إلا غفر الله له ».

وحديث أبي بكر رواه كذلك الطيالسي، وابن أبي شيبة، وأحمد والحميدي، والعدلي، وعبد بن حميد، وابن منيع، وابن السني في عمل يوم وليلة، وابن حبان، والبزار، وأبو يعلى والدارقطني في الافراد، والبيهقي والضياء كلهم من رواية علي عن أبي بكر ولفظهم جميعاً « ما من عبد يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب إلا غفر الله له ».

(وفي بعض الأخبار يصلي أربع ركعات) قال العراقي: رواه ابن مردويه في التفسير، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس قال: كان رجل من أصحاب النبي ﷺ يهوى امرأة الحديث. وفيه « فلما رآها جلس منها مجلس الرجل من أهله وحرك ذكره فإذا هو مثل الهدبة فقام نادماً فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك، فقال له النبي ﷺ: صل أربع ركعات فانزل الله تعالى: ﴿أقم الصلاة طرفي النهار﴾ [هود: ١١٤] الآية ». واسناده جيد انتهى.

قلت: ورواه كذلك البزار ولفظهم جميعا « أن رجلاً كان يهوى امرأة فاستأذن النبي ﷺ في حاجة فأذن له فانطلق في يوم مطير فإذا هو بالمرأة على غدير ماء تغسل، فلما جلس منها مجلس الرجل من المرأة ذهب يحرك ذكره فإذا هو كأنه هدبة فندم فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك، فقال النبي ﷺ: صل أربع ركعاتت، فأنزل الله: ﴿أقم الصلاة طرفي النهار﴾ الآية ».

وروى عبد الرزاق، وابن جرير عن يحيى بن جعدة أن رجلاً أقبل يريد أن يبشر النبي ﷺ بالمطر، فوجد امرأة جالسة على غدير، فدفع في صدرها وجلس بين رجليها فصار ذكره مثل

بالسر والعلانية بالعلانية » ، ولذلك قيل : صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار . وفي الخبر الصحيح : أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : إني عالجت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا المسيس فاقض علي بحكم الله تعالى . فقال ﷺ : « أو ما صليت معنا صلاة الغداة ؟ » . قال : بلى ، فقال ﷺ : « إن الحسنات يذهبن السيئات » .

الهدبة ، فقام نادماً حتى أتى النبي ﷺ فاخبره بما صنع فقال له : استغفر الله ربك وصل أربع ركعات وتلا عليه ﴿أقم الصلاة طرفي النهار﴾ الآية » .

(وفي الخبر « إذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية »)
قال العراقي : رواه البيهقي في الشعب من حديث معاذ فيه رجل لم يسم ، ورواه الطبراني من رواية عطاء بن يسار عن معاذ بلفظ و« ما عملت من سوء فاحدث لله فيه توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية » الحديث انتهى .

قلت : ورواه ابن النجار من حديثه « إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية » . ورواه أحمد في الزهد عن عطاء بن يسار مرسلاً « إذا عملت سيئة فاحدث عنها توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية » . وروى أحمد من حديث أبي ذر « إذا عملت سيئة فاتبعها بحسنة تمحها . قيل : يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله ؟ قال : هي أفضل الحسنات » .

(ولذلك قيل : صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار) .
ولفظ القوت ويقال : صدقة الليل تكفر ذنوب النهار وصدقة السر تكفر ذنوب الليل . **(وفي الخبر الصحيح أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : إني عالجت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا المسيس)** يعني الوقاع **(فاقض عليّ بحكم الله تعالى . فقال ﷺ :** « أوما **صليت معنا صلاة الغداة » ؟ قال : بلى ، قال : « فإن الحسنات يذهبن السيئات »)** قال العراقي : متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله « أو ما صليت معنا صلاة الغداة » . ورواه من حديث أنس وفيه « هل حضرت معنا الصلاة » ؟ قال : نعم . ومن حديث أبي أمامة وفيه « هل شهدت الصلاة معنا ؟ » قال : نعم الحديث اهـ .

قلت : لفظ المتفق عليه من حديث ابن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قُبلة فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له كأنه يسأل عن كفارتها فأنزلت عليه ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ الآية . فقال الرجل : يا رسول الله ألي هذه » قال : « هي لمن عمل بها من أمتي » وقد رواه كذلك أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن حبان . وروى ابن حبان وحده بلفظ قال رجل : يا رسول الله إني رأيت امرأة في البستان فضممتها إليّ وقبلتها وباشرتها وفعلت بها كل شيء إلا أني لم أجامعها فمسكت رسول الله ﷺ ، فأنزل الله : ﴿أقم الصلاة﴾ الآية . فدعاه رسول الله ﷺ فقرأها عليه ، فقال عمر : يا رسول الله أله خاصة ؟ فقال « للناس كافة » . ورواه عبد الرزاق ، وأحمد ومسلم والثلاثة : وهناد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم

وهذا يدل على أن ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة، إذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله ﷺ: «الصلوات الخمس كفارات لما بينهن إلا الكبائر» فعلى الأحوال كلها ينبغي أن يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته ويجتهد في دفعها بالحسنات.

فإن قلت: فكيف يكون الاستغفار نافعاً من غير حل عقدة الإصرار، وفي الخبر: «المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزىء بآيات الله» وكان بعضهم يقول:

والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب بلفظ: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني وجدت امرأة في بستان ففعلت بها كل شيء غير أني لم أجامعها قبلتها ولزقتها ولم أفعل غير ذلك فافعل بي ما شئت، فلم يقل رسول الله ﷺ شيئاً، فذهب الرجل فقال عمر: لقد ستر الله عليه لو ستر على نفسه، فأتبعه رسول الله ﷺ بصره فقال: «ردوه عليّ» فردوه فقرأ ﴿وأقم الصلاة﴾ الآية. فقال معاذ بن جبل: يا رسول الله أله وحده أم للناس كافة؟

وأما حديث أنس في المتفق عليه فلفظه: كنت عند النبي ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله إني أصبت حداً فأقمه عليّ، فلم يسأله عنه، وحضرت الصلاة فصلى مع النبي ﷺ، فلما قضى الصلاة قام الرجل فقال: يا رسول الله إني أصبت حداً في كتاب الله. قال «أليس قد صليت معنا؟» قال: نعم. قال «فإن الله قد غفر ذنبك» رواه كذلك أحمد.

وقد روي مثل ذلك من حديث واثلة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول إني أصبت حداً فاقمه عليّ الحديث. وفيه فقال رسول الله ﷺ «هل توضأت حين أقبلت؟» قال نعم، قال «صليت معنا؟» قال نعم. قال «فاذهب فإن الله قد غفر لك». رواه ابن حبان.

وأما حديث أبي أمامة، فرواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن جرير والطبراني وابن مردويه: إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أقم فيّ حدّ الله مرة أو مرتين، فاعرض عنه، ثم أقيمت الصلاة قال: «أين الرجل؟» قال: أنا ذا قال «أتممت الوضوء وصليت معنا آنفاً؟» قال: نعم. قال «فإنك من خطيئتك كما ولدتك أمك فلا تعد» وأنزل الله حينئذ على رسوله ﴿أقم الصلاة﴾ الآية. وقد روي مثل هذه القصة من حديث بريدة، ورواية عطاء بن أبي رباح وإبراهيم النخعي وزيد بن رومان وغيرهم.

(**وهذا يدل على أن ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة، إذ جعل الصلاة كفارة لذلك بمقتضى قوله** ﷺ **«الصلوات الخمس كفارات لما بينهن إلا الكبائر»**) تقدم قريباً، (**فعلى الأحوال كلها ينبغي ان يحاسب نفسه كل يوم ويجمع سيئاته**) فرداً فرداً ويلوم النفس ويوبخها، (**ويجتهد في دفعها بالحسنات**) على الطريق المتقدم ذكره.

(**فإن قلت: فكيف يكون الاستغفار نافعاً من غير حل عقدة الإصرار، وفي الخبر «المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزىء بآيات الله»**) قال العراقي: رواه ابن أبي

أستغفر الله من قولي أستغفر الله، وقيل: الاستغفار باللسان توبة الكذابين، وقالت رابعة العدوية: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير! فاعلم أنه قد ورد في فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر ـ ذكرناها في كتاب الاذكار والدعوات ـ حتى قرن الله الاستغفار ببقاء الرسول ﷺ فقال تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ [الأنفال: ٣٣] فكان بعض الصحابة يقول: كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار معنا، فإن ذهب هلكنا فنقول:

الدنيا في التوبة، ومن طريقه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ « كالمستهزىء بربه » وسنده ضعيف اهـ.

قلت: لفظ ابن أبي الدنيا « التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزىء بربه، ومن آذى مسلماً كان عليه من الذنب مثل كذا وكذا » وفي سنده من لا يعرف. وروي مرفوعاً. قال المنذري: ولعله أشبه بل هو الراجح، وقد رواه البيهقي وابن عساكر من هذا الطريق.

(**وكان بعضهم يقول: أستغفر الله من قولي أستغفر الله**) أي من غير توبة وندم بالقلب نقله صاحب القوت. (**وقيل: الاستغفار باللسان توبة الكذابين**) نقله صاحب القوت، وفي الرسالة قال ذو النون: الاستغفار من غير إقلاع توبة الكذابين قال وقال وبعضهم: توبة الكذابين على طرف لسانهم يعني قول أستغفر الله. (**وقالت رابعة**) بنت إسماعيل (**العدوية**) البصرية رحمها الله تعالى: (**استغفارنا هذا يحتاج إلى استغفار كثير**) وتوبتنا تحتاج إلى توبة أي في صحتها وإخلاصها من النظر إليها والسكون والإدلال بها نقله صاحب القوت. (**فاعلم أنه قد ورد في فضل الاستغفار أخبار خارجة عن الحصر**) والاستقصاء (**ذكرناها في كتاب الأذكار والدعوات، حتى**) أنه قد (**قرن الله تعالى الاستغفار**) للعباد (**ببقاء الرسول**) فيهم ودفع العذاب عنهم بوجوده فضلاً منه ونعمة، (**فقال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ نقله صاحب القوت.** (**فكان بعض الصحابة**) ولفظ القوت: وقد كان بعض السلف (**يقول: كان لنا أمانان ذهب أحدهما**) ولفظ القوت: فذهب أحدهما وبقي الآخر، (**وهو كون الرسول فينا و**) الذي (**بقي الاستغفار، فإن ذهب هلكنا**) قال العراقي: رواه أحمد من قول أبي موسى الأشعري، ورفعه الترمذي من حديثه « أنزل الله عليّ أمانين » الحديث، وضعفه. ورواه ابن مردويه في التفسير من قول ابن عباس اهـ.

قلت: لفظ الترمذي « انزل الله تعالى عليّ أمانين لأمتي ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة ».

وأما الموقوف من قول أبي موسى، فقد أخرجه أيضاً ابن جرير، وأبو الشيخ، والطبراني، وابن

الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة، كما يقول الإنسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة أستغفر الله، وكما يقول إذا سمع صفة النار نعوذ بالله منها من غير أن يتأثر به قلبه، وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له، فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله تعالى وابتهاله في سؤال المغفرة عن صدق إرادة وخلوص نية ورغبة. فهذه حسنة في نفسها فتصلح لأن تدفع بها السيئة، وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال ﷺ: «ما أصر

مردويه، والحاكم، وابن عساكر عنه قال: إنه قد مضى لسبيله، وأما الاستغفار؛ فهو كائن فيكم إلى يوم القيامة.

وأما قول ابن عباس بلفظ ابن مردويه: «إن الله جعل في هذه الامة أمانين لا يزالون معصومين من قوارع العذاب ما داما بين أظهرهم فأمان قبضه الله إليه، وأمان بقي فيكم ﴿وما كان الله ليعذبهم﴾ الآية». وهكذا رواه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ.

ورواه البيهقي في الشعب بلفظ «كان في هذه الأمة أمانان - يعني رسول الله ﷺ - وبقي أمان يعني الاستغفار» وروى أيضاً في السنن مثله، وقد روي نحو ذلك من قول أبي هريرة بلفظ «كان فيهم أمانان مضى أحدهما وبقي الآخر قال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم﴾ الآية».

وروى الديلمي من حديث عثمان بن أبي العاص رفعه «في الأرض أمانان أنا أمان والاستغفار أمان وأنا مذهوب بي وبقي أمان الاستغفار فعليكم بالاستغفار عند كل حدث وذنب».

وروى صاحب نهج البلاغة من طريق أهل البيت عن علي رضي الله عنه أنه قال «كان في الأرض أمانان من عذاب الله سبحانه فرفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به. أما الامان الذي رفع فهو رسول الله ﷺ، وأما الامان الباقي فالاستغفار قال الله عز وجل: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾».

فنقول: الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون للقلب فيه شركة، كما يقول الانسان بحكم العادة وعن رأس الغفلة أستغفر الله فيجري) على لسانه من غير أن يتعقل معناه أو يعمل بموجبه، **(وكما يقول: إذا سمع صفة النار)** وأحوال المعذبين فيها **(نعوذ بالله منها)** أو ما يشبهه **(من غير أن يتأثر به قلبه، وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان)** في الظاهر **(ولا جدوى له، فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله تعالى وابتهاله في سؤاله المغفرة)** منه **(عن صدق ارادة)** وحضور طوية **(وخلوص رغبة، فهذه حسنة في نفسها فتصلح لأن تدفع بها السيئة)** وتمحى بها، **(وعلى هذا تحمل الاخبار الواردة في فضل الاستغفار)** مما تقدم ذكرها كتاب الأذكار والدعوات، **(حتى قال ﷺ «ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة»)** رواه أبو داود

من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة» وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب، وللتوبة والاستغفار درجات وأوائلها لا تخلو عن الفائدة وإن لم تنته إلى أواخرها، ولذلك قال سهل: لا بد للعبد في كل حال من مولاه، فأحسن أحواله أن يرجع إليه في كل شيء، فإن عصى قال: يا رب استر عليّ، فإذا فرغ من المعصية قال: يا رب تب عليّ. فإذا تاب قال: يا رب ارزقني العصمة، وإذا عمل قال: يا رب تقبل مني. وسئل أيضاً عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال: أوّل الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة ثم التوبة، فالاستجابة أعمال الجوارح، والإنابة أعمال القلوب، والتوبة إقباله على مولاه بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر، فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم التنقل إلى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم الفكر ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة، ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه، ثم ينظر الله إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش. وسئل أيضاً عن قوله ﷺ: «التائب

والترمذي وضعفه، وأبو يعلى والبيهقي وابن السني في عمل يوم وليلة والدارقطني في الافراد من حديث أبي بكر وقد تقدم في الدعوات. (**وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب**) مع اللسان لا بمجرد حركة اللسان، (**وللتوبة والاستغفار درجات، وأوائلها لا تخلو عن الفائدة وإن لم تنته إلى أواخرها، وكذلك قال**) أبو محمد (**سهل**) بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى: (**لا بدّ للعبد في كل حال من مولاه فأحسن أحواله أن يرجع إليه في كل شيء فإن عصى يقول: يا رب استر عليّ، فإذا فرغ من المعصية قال: يا رب تب عليّ، فإذا تاب قال: يا رب ارزقني العصمة وإذا عمل قال: يا رب تقبل مني**) نقله صاحب القوت.

(**وسئل**) سهل (**أيضاً**) رحمه الله تعالى (**عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب. فقال: أوّل الاستغفار الاستجابة، ثم الإنابة، ثم التوبة، والاستجابة أعمال الجوارح، والإنابة أعمال القلوب، والتوبة إقباله على مولاه بأن يترك الخلق**) ولفظ القوت: وترك الخلق، (**ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه، ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر، فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه، ثم ينتقل إلى الانفراد، ثم الثبات، ثم البيان، ثم الفكر، ثم المعرفة،** ثم المناجاة، **ثم المصافاة، ثم الموالاة، ثم محادثة السر وهو الخلة، ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه، والذكر قوامه، والرضا زاده**) والتفويض مراده، (**والتوكل صاحبه، ثم ينظر الله تعالى إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش**) هكذا نقله صاحب القوت. وفي الرسالة للقشيري وقال ابن عطاء: التوبة توبة الإنابة، وتوبة الاستجابة، فتوبة الانابة أن يتوب إليه خوفاً من عقوبته، وتوبة الاستجابة أن يتوب حياء من كرمه.

حبيب الله » فقال: إنما يكون حبيباً إذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى: ﴿التائبون العابدون﴾ [التوبة: ١١٢] الآية. وقال: الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه.

والمقصود أن للتوبة ثمرتين:

إحداهما: تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له.

والثانية: نيل الدرجات حتى يصير حبيباً. وللتكفير أيضاً درجات: فبعضه محو لأصل الذنب بالكلية، وبعضه تخفيف له، ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة، فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وإن خلا عن حل عقدة الإصرار من أوائل الدرجات فليس يخلو عن الفائدة أصلاً، فلا ينبغي أن تظن أن وجودها كعدمها. بل عرف أهل المشاهدة وأرباب القلوب معرفة لا ريب فيها أن قول الله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ [الزلزلة: ٧] صدق وأنه لا تخلو ذرة من الخير عن أثر،

(**وسئل**) سهل رحمه الله تعالى (**أيضاً عن قوله ﷺ « التائب حبيب الله »**) كما تقدم في أوّل هذا الكتاب: متى يكون التائب حبيب الله؟ (**قال: إنما يكون حبيباً إذا كان فيه جميع ما ذكره الله في قوله ﴿التائبون العابدون الحامدون﴾ الآية كلها**) تمامها ﴿السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشّر المؤمنين﴾ فالعابدون هم المخلصون في عبادة الله، والحامدون على نعمة الإسلام، والسائحون هم الصائمون، والراكعون الساجدون أي المحافظون على الصلوات والحافظون لحدود الله أي أوامره ونواهيه أو معالم الشرع: (**وقال: الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه**) ولفظ القوت: ثم قال الحبيب لا يدخل إلا في شيء يحبه الحبيب.

(**والمقصود أن للتوبة ثمرتين**):

(**أحداهما: تكفر السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له**) وإليه الإشارة في الخبر التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

(**والثانية: نيل الدرجات حتى يصير حبيباً**) وإليه الإشارة في الخبر « التائب حبيب الله ». (**وللتكفير أيضاً درجات فبعضه محو لأصل الذنب بالكلية، وبعضه تخفيف له. ويتفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة، فالإستغفار بالقلب والتدارك بالحسنات وإن خلا عن حل عقدة الإصرار في أوائل الدرجات، فليس يخلو عن الفائدة أصلاً، فلا ينبغي أن تظن أن وجودها كعدمها، بل عرف أهل المشاهدة**) بعجائب عالم الملكوت (**وأرباب القلوب**) والبصائر (**معرفة لا ريب فيها**) ولا تردد (**أن قول الله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾**) حق و(**صدق وأنه لا تخلو ذرات من الخير عن أثر كما لا تخلو شعيرة تطرح في**

كما لا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن أثر، ولو خلت الشعيرة الأولى عن أثر لكانت الثانية مثلها ولكان لا يرجح الميزان بأحمال الذرات، وذلك بالضرورة محال، بل ميزان الحسنات يرجح بذرات الخير إلى أن يثقل فترفع كفة السيئات، فإياك أن تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيها وذرات المعاصي فلا تنفيها كالمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللاً بأنها لا تقدر في كل ساعة إلا على خيط واحد وتقول: أي غنى يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب؟ ولا تدري المعتوهة أن ثياب الدنيا اجتمعت خيطاً خيطاً وأن أجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذرة ذرة، فإذاً التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله أصلاً، بل أقول: الاستغفار باللسان أيضاً حسنة إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم أو فضول كلام، بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه، وإنما يكون نقصاً بالإضافة إلى عمل القلب، ولذلك قال بعضهم لشيخه أبي عثمان المغربي: إن لساني في بعض الأحوال يجري بالذكر والقرآن وقلبي غافل. فقال: اشكر الله إذ استعمل جارحة من

الميزان عن أثر ولو خلت الشعيرة الأولى عن أثر لكانت الثانية مثلها، ولكان لا يرجح الميزان بأحمال الذرات، وذلك بالضرورة محال، بل ميزان الحسنات يرجح بذرات الخيرات) إذا جمعت إلى بعضها (**إلى أن يثقل فتشيل كفة السيئات، فإياك أن تستصغر ذرات الطاعات**) وتستحقرها (**فلا تأتيها و**) تستصغر ذرات (**المعاصي فلا تتقيها، فتكون كالمرأة الخرقاء**) وهي التي إذا عملت في شيء لم ترفق فيه (**تكسل عن الغزل تعللاً بأنها لا تقدر في كل ساعة إلا على خيط واحد وتقول: أي غني يحصل بخيط وما وقع ذلك في الثياب**) أي ما قدره، (**ولا تدري المعتوهة أن ثياب الدنيا كلها إنما اجتمعت خيطاً خيطاً، وأن أجسام العالم مع إتساع أقطاره**) إنما (**اجتمعت ذرة ذرة، فإذاً التضرع والإستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله أصلاً**) بل هي محسوبة له في ميزان الحسنات. (**بل أقول**): إن (**الإستغفار باللسان أيضاً حسنة إذ حركة اللسان بها عن غفلة**) من حضور القلب (**خير من حركة اللسان في تلك الساعة بغيبة مسلم أو فضول كلام، بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه، وإنما يكون نقصاً بالإضافة إلى عمل القلب ولذلك قال بعضهم لشيخه أبي عثمان**) سعيد بن سلام (**المغربي**). قال القشيري في الرسالة: واحد عصره لم يوصف مثله قبله، صحب ابن الكاتب، وأبا عمرو، والزجاجي، ولقي النهرجوري، وابن الصائغ وغيرهم. مات بنيسابور سنة ٣٢٣، وأوصى أن يصلي عليه الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله تعالى: (**إن لساني في بعض الأحوال**) وفي نسخة: الأوقات (**يجري بالذكر والقرآن وقلبي غافل فقال: اشكر الله**) تعالى (**إذ استعمل جارحة من جوارحك في الخير وعوّده الذكر،**

جوارحك في الخير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول. وما ذكره حق فإن تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من المعاصي. فمن تعود لسانه الاستغفار إذا سمع من غيره كذباً سبق لسانه إلى ما تعود فقال: أستغفر الله. ومن تعود الفضول سبق لسانه إلى قول ما أحمقك وما أقبح كذبك! ومن تعوّد الاستعاذة إذا حدث بظهور مبادىء الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان: نعوذ بالله، وإذا تعوّد الفضول قال: لعنه الله، فيعصي في إحدى الكلمتين ويسلم في الأخرى، وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى: ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [التوبة: ١٢٠] ومعاني قوله تعالى: ﴿وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ [النساء: ٤٠] فانظر كيف ضاعفها إذ جعل الاستغفار في الغفلة عادة اللسان، حتى دفع بتلك العادة شر العصيان بالغيبة واللعن والفضول، هذا تضعيف في الدنيا لأدنى الطاعات، وتضعيف الآخرة ﴿أكبر لو كانوا يعلمون﴾ [القلم: ٣٣] فإياك وأن تلمح في الطاعات مجرد الآفات فتفتر رغبتك عن العبادات، فإن هذه مكيدة روّجها الشيطان بلعنته على المغرورين وخيل إليهم أنهم أرباب البصائر وأهل التفطن للخفايا والسرائر، فأي خير في ذكرنا، باللسان مع غفلة القلب؟ فانقسم الخلق في هذه المكيدة

ولم يستعمله في الشر ولم يعوّده الفضول وما ذكره حق) لا مرية فيه، (**فإن تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع**) اللازم (**يدفع جملة من المعاصي، فمن تعود لسانه الإستغفار إذا سمع من غيره كذباً سبق لسانه إلى ما تعوّده فقال: أستغفر الله. ومن تعوّد الفضول سبق لسانه إلى أن يقول: ما أحمقك وما أقبح كذبك، ومن تعود الإستعاذة إذا حدث**) أي أخبر (**بظهور مبادىء الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان نعوذ بالله**) أو عياذاً بالله أو العياذ بالله، (**وإذا تعود الفضول قال: لعنه الله**) أو قبحه الله أو قاتله الله، (**فيعصي في إحدى الكلمتين ويسلم في الأخرى وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى: ﴿وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ فانظر كيف ضاعفها إذ جعل الإستغفار في الغفلة عادة اللسان حتى دفع بتلك العادة شر العصيان بالغيبة، واللعن والفضول هذا تضعيف في الدنيا لأدنى الطاعات، وتضعيف الآخرة ﴿أكبر لو كانوا يعلمون﴾**) قال تعالى: ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ [الأسراء: ٢١] (**فإياك وأن تلمح في الطاعات مجرد الآفات فتفتر رغبتك**) أي تضعف (**في العبادات، فإن هذه مكيدة روّجها**) أي زينها الشيطان (**بلعنته**) أي طرده عن حضرة القرب (**على المغرورين**) والحمقى، (**وخيل إليهم**) بأن ألقى في أذهانهم (**أنهم أرباب البصائر وأهل التفطن للخفايا والسرائر فأي خير في ذكرنا باللسان مع غفلة القلب**) وقد

إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات.

أما السابق، فقال: صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق أردت بها باطلاً، فلا جرم أعذبك مرتين وأرغم أنفك من وجهين فأضيف إلى حركة اللسان حركة القلب، فكان كالذي داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه.

وأما الظالم المغرور فاستشعر في نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدقيقة ثم عجز عن الاخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعويد اللسان بالذكر فاسعف الشيطان وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاركة والموافقة كما قيل: وافق شن طبقه★ وافقه فاعتنقه.

وأما المقتصد: فلم يقدر على إرغامه بإشراك القلب في العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالإضافة إلى القلب، ولكن اهتدى إلى كماله بالإضافة إلى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير. فكان السابق كالحائك الذي ذمت حياكته فتركها وأصبح كاتباً، والظالم المتخلف كالذي ترك

تتمكن فيهم هذه الوسوسة، **(فانقسم الخلق في هذه المكيدة إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات)**.

(أما السابق: فقال صدقت يا ملعون ولكن هي كلمة حق أردت بها باطلاً) وهو تفويته عن الخير، **(فلا جرم أعذبك مرتين وأرغم أنفك)** أي الصقها بالرغام وهو التراب **(من وجهين، فاضيف إلى حركة اللسان حركة القلب)** فيتواقفان، **(فكان كالذي داوى جرح الشيطان بنثر الملح عليه)**، بل كان كمن أراد أن يصطاد فاصطيد.

(وأما الظالم المغـرور: فاستشعر لنفسه خيلاء الفطنة) وعجب الإدراك **(لهذه الدقيقة، ثم عجز عن الإخلاص بالقلب فترك مع ذلك تعديد اللسان بالذكر فاسعف الشيطان)** بمراده، **(وتدلى بحبل غروره فتمت بينهما المشاركة)** وفي نسخة: المشاكلة **(والموافقة)** فكان **(كما قيل)** في المثل: **(وافق شن طبقة★ وافقه فاعتنقه)** الشن بالفتح وعاء من ادم يوضع فيه الماء وغيره، وطبقه غطاؤه أي وافق الشن غطاؤه هكذا فسره الزمخشري في الأساس، وقال الكلبي قولهم: أوفق من طبق لشن طبق: قبيلة مـن إيـاد، وشن من ربيعة، فأوقعت طبقة بشن فانتصفت منها، فقالوا: وافق شن طبقة، وأنشد في ذلك:

لقيت شناً أياد بالغنى ... ولقد وافق شناً طبقه

(وأما المقتصد: فلم يقدر على إرغامه باشراك القلب في العمل وتفطن لنقصان حركة اللسان بالإضافة إلى القلب، ولكن اهتدى بالإضافة إلى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يشرك القلب مع اللسان في اعتياد الخير، فكان السابق كالحائك الذي

الحياكة أصلاً. وأصبح كناساً، والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة فقال: لا أنكر مذمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالإضافة إلى الكاتب لا بالإضافة إلى الكناس، فإذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياكة، ولذلك قالت رابعة العدوية: استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير، فلا تظن أنها تذم حركة اللسان من حيث أنه ذكر الله، بل تذم غفلة القلب فهو محتاج إلى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه، فإن سكت عن الاستغفار باللسان أيضاً احتاج إلى استغفارين لا إلى استغفار واحد، فهكذا ينبغي أن تفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد وإلا جهلت معنى ما قال القائل الصادق: حسنات الابرار سيئات المقربين. فإن هذه أمور تثبت بالإضافة فلا ينبغي أن تؤخذ من غير إضافة، بل ينبغي أن لا تستحقر ذرات الطاعات والمعاصي، ولذلك قال جعفر الصادق: إن الله تعالى خبأ ثلاثاً في ثلاث، رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئاً فلعل رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منها شيئاً فلعل غضبه فيه، وخبأ ولايته في عباده فلا تحقروا منهم أحداً فلعله ولي الله تعالى وزاد وخبأ إجابته في دعائه فلا تتركوا الدعاء فربما كانت الإجابة فيه.

ذمت حياكته فتركها وأصبح كاتباً، والظالم لنفسه المتخلف كالذي ترك الحياكة أصلاً وأصبح كناساً) يكنس الزبالات، **(والمقتصد كالذي عجز عن الكتابة فقال: لا أنكر مذمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالإضافة إلى الكاتب لا بالإضافة إلى الكناس، فإذا عجزت عن الكتابة فلا أترك الحياكة، ولذلك قالت رابعة العدوية)** رحمها الله تعالى: **(استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير)** نظراً إلى ذلك، **(فلا تظن أنها تذم حركة اللسان من حيث أنه ذكر الله)** تعالى **(بل)** هي **(تذم غفلة القلب، فهو محتاج إلى الإستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه، فإن سكت عن الإستغفار باللسان أيضاً احتاج إلى استغفارين لا إلى استغفار واحد، فهكذا ينبغي أن تفهم ذم ما يذم وحمد ما يحمد وإلا جهلت معنى ما قال القائل: الصادق حسنات الإبرار سيئات المقربين)** وهو من كلام أبي سعيد الخراز كما قاله ابن عساكر في ترجمته وقد تقدم، **(فإن هذه أمور تثبت بالإضافة فلا ينبغي أن تؤخذ من غير إضافة، بل ينبغي أن لا تستحقر ذرات الطاعات والمعاصي، ولذلك قال)** أبو عبدالله **(جعفر الصادق)** رحمه الله تعالى: **(إن الله خبأ ثلاثاً في ثلاث)**: خبأ **(رضاه في طاعته فلا تحقروا منها)** أي من الطاعات **(شيئاً فلعل رضاه فيه، و)** خبأ **(غضبه في معاصيه فلا تحقروا منها شيئاً فلعل غضبه فيه، و)** خبأ **(ولايته)** وفي نسخة: وليه **(في عباده فلا تحقروا منهم أحداً)** وفي نسخة: فلا تحقروا من عباد الله أحداً **(فلعله ولي الله)**، وزاد رابعاً فقال: **(و)** خبأ **(إجابته في دعائه بأسمائه فلا تتركوا شيئاً منها)** وفي نسخة: فلا تتركوا الدعاء، **(فربما كانت الإجابة فيه)**، وبه تم الركن الثالث.

الركن الرابع: في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الاصرار:

اعلم أن الناس قسمان: شاب لا صبوة له نشأ على الخير واجتناب الشر وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «تعجب ربك من شاب ليست له صبوة». وهذا عزيز نادر.

(الركن الرابع في) بيان السبب الباعث على (دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار).

(اعلم) أرشدك الله **(أن الناس قسمان)**:

الأول: (شاب لا صبوة له) وهو الميل إلى هوى النفس بمقتضى السن **(نشأ)** من صغره **(على الخير واجتناب الشر، و)** هذا **(هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «تعجب ربك من شاب ليست له صبوة»)** والعجب: كون الشيء خارجاً عن نظائره من جنسه حتى يكون نظره في صفة، ويكون استعظام الشيء واستكباره لخروجه عن العادة وبعده، وذلك مما ينزه عن مثله الباري تعالى فيؤول بمعنى يعظم قدره عنده فيحيز له أجره، وإنما عبّر بذلك تقريباً لإفهام العرب. قال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر، وفيه ابن لهيعة اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو يعلى، وتمام في فوائده، والقضاعي في مسند الشهاب كلهم من طريق ابن لهيعة، حدثنا أبو عشانة، عن عقبة بن عامر مرفوعاً بلفظ: «إن الله ليعجب من الشاب ليست له صبـوة» وسنده حسن، وضعفه الحافظ ابن حجر في فتاويه لأجل ابن لهيعة.

وأما سياق المصنف فوجدته في تاريخ مصر لابن الربيع الجيزي قال: حدثني أبي، حدثنا أبو الأسود نصر بن عبد الجبار، وأسد بن موسى ح.

وحدثنا عبدالله بن نعمة، حدثني محمد بن قدامة، ويحيى بن عبدالله بن بكير، وعمر بن خالد قالوا: وهم خمسة: حدثنا، وعند بعضهم أخبرنا عن ابن لهيعة، عن أبي عشانة، وعند بعضهم حدثنا أبو عتانة قال: سمعت عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكروه. وعند بعضهم «يعجب ربك تعالى» وعند بعضهم «عز وجل» ورويناه في خبر أبي حاتم الحضرمي من حديث الأعمش، عن إبراهيم النخعي قال: «كان يعجبهم أن لا يكون للشاب صبوة».

تنبيه:

هل الأفضل شاب لا صبوة له لكونه لم يلابس كبيرة ونجا من ضررها وخطرها، والسؤال عنها في القيامة، أو من قارف الذنوب وتاب توبة نصوحاً لكونه أقلع عن الشهوات لله بعد إلفه لها وتعوّده لذاتها، ثم فارق لذته وشهوته لله؟ قولان. وكلام المحاسبي يقتضي ترجيح الأول، والله أعلم.

(وهذا عزيز نادر) الوجود لخروجه عن العادة وبعده عن العرف.

والقسم الثاني: هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب، ثم هم ينقسمون إلى مصرين وإلى تائبين، وغرضنا أن نبين العلاج في حل عقدة الإصرار ونذكر الدواء فيه. فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء، إذ لا معنى للدواء إلاّ مناقضة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وإبطاله، ولا يبطل الشيء إلا بضده، ولا سبب للاصرار إلا الغفلة والشهوة، ولا يضاد الغفلة إلا العلم، ولا يضاد الشهوة إلا الصبر على قطع الأسباب المحركة للشهوة. والغفلة رأس الخطايا. قال تعالى: ﴿وأولئك هم الغافلون* لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ [النحل: ١٠٨، ١٠٩] فلا دواء إذاً للتوبة إلا معجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة الصبر، وكما يجمع السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل منهما غرض آخر في العلاج بمجموعهما فيقمع الأسباب المهيجة للصفراء، فهكذا ينبغي أن تفهم علاج القلب مما به من مرض الإصرار، فإذاً لهذا الدواء أصلان: أحدهما: العلم، والآخر الصبر. ولا بدّ من بيانهما.

(**والقسم الثاني: هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب**) وملابستها، (**ثم هم ينقسمون إلى مصرين**) عليها، (**وإلى تائبين**) عنها. (**وغرضنا الآن أن نبين العلاج في حل عقدة الإصرار، ونذكر الدواء فيه فاعلم إن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على أصل الداء**) وحقيقته ومن أين مبدؤه (**إذ لا معنى للدواء إلا مناقضة أسباب الداء**) ومضارتها، (**فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب**) وفي نسخة لأجل ذلك السبب (**ورفعه**) وفي نسخة ودفعه (**وإبطاله، ولا يبطل الشيء إلا بضده ومناقضه، ولا سبب للإصرار إلا الشهوة والغفلة، ولا يضاد الغفلة إلا العلم والشهوة إلا الصبر على قطع الأسباب المحركة للشهوة**) وهي أسباب كثيرة تقدم ذكرها في كتاب كسر الشهوتين، (**والغفلة رأس الخطايا**) وأمها فإن منها تنشأ (**قال الله تعالى: ﴿أولئك هم الغافلون* لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾**) دل ذلك على أن خسرانهم في أرباح معاملات الآخرة إنما سببها الغفلة، فقد جعل الله أهل الغفلة في الدنيا هم أهل الخسران في العقبى، (**فلا دواء للتوبة إذن إلا معجون**) مركب (**يعجن**) من جزأي (**حلاوة العلم ومرارة الصبر كما يجمع في السكنجبين بين حلاوة السكر**) أو العسل (**وحموضة الخل**) مع تباين مزاجيهما، (**ويقصد بكل واحد منهما**) أي من السكر والخل (**وغرض آخر في العلاج بمجموعهما، فيقمع الأسباب المهيجة للصفراء، فهكذا ينبغي أن يفهم علاج القلب مما به من مرض الإصرار، فإذاً لهذا الدواء أصلان**) بهما يتم تركيبه. (**أحدهما العلم**) وهو الجزء الأكبر، (**والآخر الصبر ولا بد من بيانهما**) ليتضح به المقصود.

فإن قلت: أينفع كل علم لحل الإصرار أم لا بد من علم مخصوص؟ فاعلم أن العلوم بجملتها أدوية لأمراض القلب ولكن لكل مرض علم يخصه، كما أن علم الطب نافع في علاج الأمراض بالجملة، ولكن يخص كل علة علم مخصوص، فكذلك دواء الإصرار فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الأبدان ليكون أقرب إلى الفهم فنقول يحتاج المريض إلى التصديق بأمور.

الأول: أن يصدق على الجملة بأن للمريض والصحة أسباباً يتوصل إليها بالاختيار على ما رتبه مسبب الأسباب، وهذا هو الإيمان بأصل الطب، فإن من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك. وهذا وزانه مما نحن فيه الإيمان بأصل الشرع وهو أن للسعادة في الآخرة سبباً هو الطاعة وللشقاوة سبباً هو المعصية. وهذا هو الإيمان بأصل الشرائع: وهذا لا بد من حصوله إما عن تحقيق أو تقليد وكلاهما من جملة الإيمان.

الثاني: أنه لا بدّ أن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لا يلبس ولا يكذب، فإن إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا

(**فإن قلت: أينفع كل علم**) يتعلمه الإنسان (**لحل عقدة الإصرار أم لا بد من علم مخصوص**) فإن العلوم تتفاوت مراتبها؟ (**فاعلم أن العلوم بجملتها أدوية لأمراض القلوب، ولكن**) ليس كل فرد من أفراد العلوم ينفع لكل مرض من أمراض القلوب، فكما أن العلوم كثيرة، فكذلك أمراض القلوب كثيرة، بل لكل (**مرض علم يخصه، كما أن علم الطب نافع في علاج الأمراض**) البدنية (**بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص**) به يستعان على إزالة تلك العلة، (**فكذلك داء الإصرار، فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الأبدان ليكون ذلك أقرب إلى الفهم. فنقول: يحتاج المريض إلى التصديق بأمور**) أربعة.

(**الأول: أن يصدق على الجملة بأن للصحة والمرض أسباباً يتوصل إليها بالاختيار على ما رتبه مسبب الأسباب**) جل جلاله، (**وهذا هو الإيمان بأصل الطب فإن من لا يؤمن به لا يشتغل بأصل العلاج ويحق عليه الهلاك**) أي يثبت، (**وهذا وزانه مما نحن فيه الإيمان بأصل الشرع وهو أن للسعادة في الآخرة سبباً هو الطاعة، وللشقاوة سبباً هو المعصية، وهذا هو الإيمان بأصل الشرائع، وهذا لا بد من حصوله إما عن تحقيق**) وبرهان (**أو**) عن (**تقليد، وكلاهما من جملة الإيمان**) وهذا على صحة إيمان المقلد كما هو مذهب أهل السنة.

(**الثاني: أنه لا بد أن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه**) بصير بمسائله (**صادق فيما يعبر عنه**) ويرويه (**لا يلبس**) أي لا يخلط (**ولا يكذب**) فيما يقول،

الإيمان، ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق الرسول ﷺ والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف.

الثالث: أنه لا بدّ أن يصغي إلى الطبيب فيما يحذره عنه من تناول الفواكه والأسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الاحتماء، فتكون شدة الخوف باعثة له على الاحتماء، ووزانه من الدين الإصغاء إلى الآيات والاخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى، والتصديق بجميع ما يلقى إلى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوّي على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج.

الرابع: أن يصغي إلى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الإحتماء عنه ليعرفه أوّلاً تفصيل ما يضره من أفعاله وأحواله ومأكوله ومشروبه، فليس على كل مريض الاحتماء عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص. ووزانه من الدين أن كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب كل ذنب، بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة! وإنما حاجته في الحال مرهقة إلى العلم

(فإن إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الإيمان، ووزانه مما نحن فيه العلم بصدق الرسول ﷺ ، والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف) .

(**الثالث: أنه لا بد وأن يصغي إلى الطبيب فيما يحذره عنه من تناول الفواكه**) الرطبة (**والأسباب المضرة على الجملة، حتى يغلب عليه الخوف في ترك الإحتماء**) عن المحذورات، (**فيكون شدة الخوف باعثاً له على الإحتماء**) منها. (**ووزانه**) مما نحن فيه (**ومن الدين الإصغاء إلى الآيات والأخبار المشتملة على الترغيب في التقوى**) والخشية، (**والتحذير من ارتكاب الذنوب وإتباع الهوى، والتصديق بجميع ما يلقي إلى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة**) وتردد (**حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج**) .

(**الرابع: أن يصغي إلى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه بنفسه الإحتماء عنه ليعرفه أولاً تفصيل ما يضره من أحواله وأفعاله ومأكوله ومشروبه، فليس على كل مريض الإحتماء عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء، بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص. ووزانه**) مما نحن فيه (**من الدين أن كل عبد فليس يبتلي بكل شهوة وارتكاب كل ذنب، بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة، وإنما حاجته في الحال مرهقة**) أولاً (**إلى**

بأنها ذنوب، ثم إلى العلم بآفاتها وقدر ضررها، ثم إلى العلم بكيفية التوصل إلى الصبر عنها، ثم إلى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها.

فهذه علوم يختص بها أطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فالعاصي إن علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم، وإن كان لا يدري أن ما يرتكبه ذنب فعلى العالم أن يعرفه ذلك، وذلك بأن يتكفل كل عالم باقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد فيعلم أهله دينهم ويميز ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم، ولا ينبغي أن يصبر إلى أن يسأل عنه، بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس إلى نفسه فإنهم ورثة الأنبياء والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحداً واحداً فيرشدونهم، فإن مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم، كما أن الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره، وهذا فرض عين على العلماء كافة. وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة فقيهاً متديناً يعلّـم الناس دينهم، فإن الخلق لا

العلم بأنها ذنوب، ثم إلى العلم بآفاتها وقدر ضررها في الدين، **ثم إلى العلم بكيفية التوصل إلى الصبر عنها، ثم إلى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها)** والضمائر كلها راجعة إلى الذنوب.

(فهذه علوم يختص بها أطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء) عليهم السلام، كما هو في حديث أبي الدرداء عند أحمد، وأبي داود، والترمذي، وابن حبان. وفي حديث البراء عند أبي نعيم والديلمي وابن النجار. **(فالعاصي إن علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم، وإن كان)** العبد **(لا يدري أن ما يرتكبه ذنب، فعلى العالم أن يعرفه)** بأن الذي ارتكبه محظور وعاقبته مخطرة، **(وذلك بأن يتكفل كل عالم بإقليم)** وهو فيه **(أو بلدة أو محلة أو مسجد فيعلم أهله دينهم)** أي أهل إقليمه أو بلدته أو محلته أو مسجده **(ويميز)** لهم **(ما يضرهم)** في الدين **(عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم، ولا ينبغي)** للعالم **(أن يصبر)** ويسكت **(إلى أن يسأل عنه، بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس إلى نفسه فإنهم)** أي العلماء **(ورثة الأنبياء)** والأنبياء عليهم السلام **(ما تركوا الناس على جهلهم، بل كانوا ينادونهم في مجامعهم)** ونواديهم **(ويدورون على أبواب دورهم في الإبتداء ويطلبون واحداً واحداً فيرشدونهم)** إلى طريق التوحيد والهداية، **(فإن مرض القلوب لا يعرفون مرضهم)** فيحتاجون إلى من يعرفهم، **(كما أن الذي ظهر على وجهه برص)** وهو لمع بيض **(ولا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره، وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة فقيهاً متديناً يعلم الناس)** أمور **(دينهم، فإن الخلق لا يولدون إلا جهالاً)** وإنما العلم بالتعلم، **(فلا بدّ من تبليغ الدعوة**

يولدون إلا جهالاً فلا بدّ من تبليغ الدعوة إليهم في الأصل والفرع. والدنيا دار المرضى إذ ليس في بطن الأرض إلا ميت ولا على ظهرها إلاَّ سقيم. ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان، والعلماء أطباء والسلاطين قوام دار المرضى، فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة والعالم يسلم إلى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي أو الذي غلب عليه الجنون إلى القيم ليقيده بالسلاسل والأغلال يكف شره عن نفسه وعن سائر الناس، وإنما صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان لثلاث علل.

إحداها: أن المريض به لا يدري أنه مريض.

والثانية: أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن، فإن عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه، وما بعد الموت غير مشاهد. وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد في هذا العالم فقلّت النفرة عن الذنوب وأن علمها مرتكبها، فلذلك تراه يتكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال.

والثالث: وهو الداء العضال، فقد الطبيب، فإن الأطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الأعصار مرضاً شديداً عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى

إليهم في الأصل والفرع، والدنيا دار المرضى إذ ليس في بطن الأرض إلا ميت ولا على ظهرها إلا سقيم. ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان، والعلماء أطباء) يداوون أولئك المرضى، **(والسلاطين قوام دار المرضى، فكل مريض لم يقبل العلاج بمداواة العالم يسلم إلى السلطان ليكف شره كما يسلم الطبيب المريض الذي لا يحتمي)** عن تناول المضرات، **(أو الذي غلب عليه الجنون)** يسلم **(إلى القيم)** بالمارستان **(ليقيده بالسلاسل والأغلال ويكف شره عن نفسه وعن سائر الناس، وإنما صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان لثلاث علل)**.

(إحداها: أن المريض به لا يدري أنه مريض) بخلاف مريض البدن، فإنه يظهر له مرضه.

(الثانية: أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم) بل إنما يشاهدها في عالم الآخرة، **(بخلاف مرض البدن فإن عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه وما بعد الموت غير مشاهد، وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد في هذا العالم فقلّت النفرة من الذنوب وأن علمها مرتكبها، فلذلك تراه يتكل على فضل الله تعالى في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال)** ولا ثقة بالله.

(الثالثة: وهي الداء العضال) المعطب **(فقد الطبيب، فإن الأطباء)** لهذا الداء **(هم العلماء وقد مرضوا في هذه الأعصار مرضاً شديداً عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة**

لا يظهر نقصانهم، فاضطروا إلى اغواء الخلق والإشارة عليهم بما يزيدهم مرضاً لأن الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافاً من أن يقال لهم فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون أنفسكم؟ فبهذا السبب عمّ الخلق الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء وهلك الخلق لفقد الأطباء، بل اشتغل الأطباء بفنون الاغواء فليتهم إن لم ينصحوا لم يغشوا وإن لم يصلحوا لم يفسدوا! وليتهم سكتوا وما نطقوا فإنهم إذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم إلا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم، ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالارجاء وتغليب أسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة، لأن ذلك ألذ في الأسماع وأخف على الطباع، فتنصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جراءة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله.

ومهما كان الطبيب جاهلاً أو خائناً أهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه، فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضادي العلة. أما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا تطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية، فتكسر سورة إسرافه في الخوف بذكر أسباب الرجاء ليعود إلى الاعتدال، وكذلك

في عموم غموض المرض حتى **لا يظهر نقصانهم، فاضطروا إلى اغواء الخلق**) وإضلالهم (**والإشارة عليهم بما يزيدهم مرضاً، لأن الداء المهلك هو حب الدنيا**) وهو رأس كل خطيئة كما ورد في الخبر، (**وقد غلب هذا الداء على الأطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافاً**) واستكباراً (**من أن يقال لهم: فما بالكم تأمرون بالعلاج**) لغيركم (**وتنسون أنفسكم**) فلا تعالجونها فيكون سبباً لفضيحتهم بينهم؟ (**فبهذا السبب عمّ على الخلق الداء وعظم الوباء**) وفشا (**وانقطع الدواء**) وأيس منه (**وهلك الخلق بفقد الأطباء، بل اشتغل الأطباء بفنون الأغواء**) وأنواع الأضلال. (**فليتهم إذ لم ينصحوا لم يغشوا، وإذ لم يصلحوا لم يفسدوا وليتهم سكتوا وما نطقوا فإنهم إذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم إلا ما يرغب العوام**) من الناس (**ويستميل قلوبهم**) إليهم (**ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالارجاء وتغليب أسباب الرجاء**) على الخوف، (**وذكر دلائل الرحمة**) وأخبارها (**لأن ذلك ألذ في الإسماع وأخف على الطباع، فتنصرف الخلق عن مجالس الوعظ**) والتذكير، (**وقد استفادوا مزيد جرأة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله**) تعالى وأمن من عذابه.

(**ومهما كان الطبيب جاهلاً أو خائناً أهلك بالدواء**) الذي يعالج خلقاً كثيراً (**حيث يضعه في غير موضعه، فالرجاء والخوف** دواءان، ولكن **لشخصين متضادي العلة. أما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا تطيق**) من الأمور الثقال (**وضيق العيش على نفسه بالكلية فيكسر سورة إسرافه**) وجوران إفراطه (**في الخوف**

المصر على الذنوب المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط واليأس استعظاماً لذنوبه التي سبقت يعالج أيضاً بأسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب. فأما معالجة المغرور المسترسل في المعاصي بذكر أسباب الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلباً للشفاء، وذلك من دأب الجهال والأغبياء، فإذاً فساد الأطباء هي المعضلة الزباء التي لا تقبل الدواء أصلاً.

فإن قلت: فاذكر الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الواعظ في طريق الوعظ مع الخلق؟ فاعلم أن ذلك يطول ولا يمكن استقصاؤه. نعم نشير إلى الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي أربعة أنواع.

الأوّل: أن يذكر ما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين، وكذلك ما ورد من الأخبار والآثار مثل قوله ﷺ: «ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما: يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا! ويقول الآخر: يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا! فيقول الآخر: يا ليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا» وفي بعض الروايات: «ليتهم تجالسوا فتذاكروا ما علموا!

بذكر أسباب الرجاء ليعود) بذلك **(إلى الإعتدال)** المحبوب، **(وكذلك المصر على الذنوب)** الملازم عليها **(المشتهي للتوبة الممتنع عنها بحكم القنوط)** من رحمة الله **(واليأس)** من روح الله **(استعظاماً لذنوبه التي سبقت)** كالذي قتل تسعة وتسعين نفساً واشتهى أن يتوب **(يعالج أيضاً بأسباب)** موصلة **(للرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب، فأما معالجة المغرور)** في أحواله **(المسترسل في المعاصي بذكر أسباب** الرجاء فيضاهي **معالجة المحرور بالعسل)** مع حرارة طبعه **(طلباً للشفاء)** وأنى له ذلك. **(وذلك من دأب الجهال والأغبياء فإذاً فساد الأطباء هو الداء المعضل الذي لا يقبل الدواء أصلاً.**

فإن قلت: فاذكر الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الواعظ في طريق الوعظ مع الخلق. فاعلم أن ذلك يطول) بيانه **(ولا يمكن استقصاؤه. نعم نشير إلى الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي أربعة أنواع).**

(الأول: أن يذكر ما في القرآن من الآيات المخوفة للمذنبين والعاصين) وهي كثيرة، **(وكذلك ما ورد من الأخبار والآثار)** المرفوعة والموقوفة **(مثل قوله ﷺ: «ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما ياليت هذا الخلق)** وفي نسخة الخلائق **(لم يخلقوا، ويقول الآخر: يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا. فيقول الآخر: يا ليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا» وفي بعض**

ويقول الآخر: يا ليتهم إذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا » وقال بعض السلف: إذا أذنب العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات، فإن تاب واستغفر لم يكتبها عليه وإن لم يستغفر كتبها. وقال بعض السلف: ما من عبد يعصي إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن

الروايات: «ليتهم تجالسوا فتذاكروا ما عملوا، ويقول الآخر: يا ليتهم إذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا») هكذا نقله صاحب القوت وقال: جمعناها من أخبار متفرقة. وقال العراقي: غريب لم أجده هكذا.

وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر: «أن ملكاً ينادي في كل يوم وليلة أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده» الحديث وفيه: «ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فتجالسوا بينهم فتذاكروا» الحديث اهـ.

قلت: وبيان تلك الأخبار المتفرقة إن تقول أما قوله: «ما من يوم» فهو أول حديث لفظه: «ما من يوم طلعت شمسه. إلا يقول» الحديث وفيه: «وما من يوم إلا ينادي مناديان من السماء يقول أحدهما: يا طالب الخير أبشر يا طالب الشر أقصر، ويقول الآخر: اللهم اعط لمنفق خلفاً اللهم اعط ممسكاً مالاً تلفا» رواه البيهقي عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن أخنس مرسلاً.

ورواه الديلمي عنه عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس وزاد، وكذلك يقول في الليل.

وروى الديلمي من حديث أبي هريرة: «إن لله ملكاً بباب من أبواب السماء يقول: من يقرض اليوم يجازى غداً، وملك بباب آخر ينادي: اللهم أعط منفقاً خلفاً وعجل لممسك تلفاً».

وأما حديث ابن عمر فلفظه بعد قوله: «قد دنا حصاده. أبناء الستين هلموا إلى الحساب ماذا قدمتم وماذا عملتم. أبناء السبعين هلموا إلى الحساب ليت الخلائق لم يخلقوا» الحديث وفيه بعد قوله: «فتذاكروا وإلا أتتكم الساعة فخذوا حذركم».

وقال صاحب الحلية: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد بن الحسن البغداي، حدثنا أحمد بن محمد بن الحسن المخزومي، حدثنا عبد الرزاق، حدثني بكار بن عبدالله عن وهب قال: فرأيت في بعض الكتب أن منادياً ينادي من السماء الرابعة كل صباح: أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده، أبناء الخمسين ماذا قدمتم وماذا أخرتم، أبناء الستين لا عذر لكم ليت الخلق لم يخلقوا. فساقه كسياق الديلمي.

وقال بعض السلف: إذا أذنب العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات، فإن تاب) إلى الله تعالى (**واستغفر**) من ذنبه (**لم يكتبها عليه، وإن لم يستغفر كتبها**) نقله صاحب القوت.

(**وقال بعض السلف: ما من عبد يعصي إلا استأذن مكانه من الأرض** أن يخسف به

يسقط عليه كسفاً فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفا عن عبدي وأمهلاه فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه، ولعله يتوب إليَّ فاغفر له ولعله يستبدل صالحاً فأبدله له حسنات فذلك معنى قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده﴾ [فاطر: ٤١]. وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم أرسل الله الطابع فيطبع على القلوب بما فيها . وفي حديث مجاهد: « القلب مثل الكف المفتوحة كلما

واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفاً) أي قطعاً **(فيقول الله تعالى للأرض والسماء: كفا عن عبدي)** أي امتنعا منه **(وامهلاه، فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه، ولعله يتوب إليَّ فاغفر له، ولعله يستبدل صالحاً فأبد له حسنات فذلك معنى قوله تعالى: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده)** إنه كان حليماً﴾ عن معاصيهم ﴿غفوراً﴾ لمساوئهم نقله صاحب القوت إلا أنه قال: وفي خبر: « ما من عبد يعصى » فساقه. قال: وقيل في تفسير ذلك إن الله تعالى إذا نظر إلى معاصي العباد وغضب فترجف الأرض وتضطرب السماء فتنزل ملائكة السماء فتمسك أطراف الأرض، وتصعد ملائكة الأرض فتمسك أطراف السماء، ولا يزالون يقرأون ﴿قل هو الله أحد﴾ حتى يسكن غضبه، فذلك قوله سبحانه ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ وقال بعض السلف: إذا ضرب الناقوس في الأرض ودعي بدعاء الجاهلية اشتد غضب الرب، فإذا نظر إلى صبيان المكاتب ورأى عمار المسجد وسمع أصوات المؤذنين، وقيل: انظر إلى المتحابين في الله، والمتزاورين فيه حلم وغفر فذلك قوله: ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾.

(وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه) كذا في نسخ الكتاب، والصواب: وفي حديث ابن عمر، وهكذا هو في القوت عن النبي ﷺ انه قال « **(الطابع)** بالكسر ما يطبع به **(معلق بقائمة من قوائم العرش)** » ولفظ القوت بساق العرش **(فإذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم أرسل الله الطابع فيطبع على القلوب بما فيها »)** قيل: هو على سبيل المجاز والاستعارة. ذكره الزمخشري، وقال البغوي في شرح السنّة: والأقوى اجراؤه على الحقيقة لفقد المانع والتأويل لا يصار إليه إلا لمانع. قال العراقي: رواه ابن عدي، وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمرو وهو منكر اهـ.

قلت: ورواه أيضاً البزار في مسنده، والبيهقي في السنن، والديلمي ولفظهم جميعاً « الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمة وعمل بالمعاصي واجترىء على الله بعث الله الطابع فيطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيئاً » وقول العراقي: هو منكر لأن فيه سليمان بن مسلم الخشاب. قال الذهبي في الميزان: لا تحل الرواية عنه إلا للاعتبار، وساق من مناكره هذا الجزء وأعاده في محل

أذنب العبد ذنباً انقبضت أصبع حتى تنقبض الأصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو الطبع ». وقال الحسن: إن بين العبد وبين الله حداً من المعاصي معلوماً إذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه بعدها الخير.

والأخبار والآثار في ذم المعاصي ومدح التائبين الا تحصى فينبغي أن يستكثر الواعظ منها إن كان وارث رسول الله ﷺ فإنه ما خلف ديناراً ولا درهماً. إنما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما أصابه.

النوع الثاني: حكايات الأنبياء والسلف الصالحين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم، فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق، مثل أحوال آدم ﷺ في عصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة حتى روي أنه لما أكل من الشجرة تطايرت الحلل

آخر وقال: هو موضوع مفترى، ووافقه الحافظ ابن حجر في اللسان، ولكن اقتصر المنذري على تضعيف هذا الخبر، وزاد الهيثمي فقال فيه سليمان الخشاب ضعيف جداً.

وفي حديث مجاهد: القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذنب العبد ذنباً تقبضت أصبع حتى تنقبض الأصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو الطبع) هكذا هو في القوت فتشبك على القلب، وفي نسخة منه كما عند المصنف. قال العراقي: كأنه أراد به قول مجاهد، وكذا ذكره المفسرون من قوله وليس بمرفوع، وقد روينا في شعب الإيمان للبيهقي من حديث حذيفة. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(إن بين العبد وبين الله حداً من المعاصي معلوماً إذا بلغه العبد طبع الله على قلبه فلم يوفقه بعدها لخير)** نقله صاحب القوت.

(والاخبار والآثار في ذم المعاصي ومدح التائبين لا تحصى، فينبغي أن يستكثر الواعظ منها) في سياق وعظه **(إن كان وارث رسول الله ﷺ فإنه)** ﷺ **(ما خلف ديناراً ولا درهماً)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث عمرو بن الحارث قال: « ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً ولا درهماً ولا أمة ». ولمسلم من حديث عائشة « ما ترك ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً » اهـ.

(إنما خلف العلم والحكمة) هذا في حديث أبي الدرداء « إن الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم » الحديث وقد تقدم في كتاب العلم، **(وورثه كل عالم بقدر ما أصابه)** وقدر له من الأزل.

(النوع الثاني: حكاية الأنبياء) عليهم السلام **(والسلف الصالحين وما جرى عليهم من المصائب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب)** عامة **(الخلق مثل أحوال آدم عليه السلام في عصيانه)** عند مخالفة الأمر **(وما لقيه من الإخراج من الجنة)** والإهباط

عن جسده وبدت عورته فاستحيا التاج والإكليل من وجهه أن يرتفعا عنه، فجاءه جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه وحلّ الإكليل عن جبينه، ونودي من فوق العرش: اهبطا من جواري فإنه لا يجاورني من عصاني. قال: فالتفت آدم إلى حوّاء باكياً وقال: هذا أوّل شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب.

وروي أن سليمان بن داود عليهما السلام لما عوقب على خطيئته لأجل التمثال الذي عبد في داره أربعين يوماً، وقيل: لأن المرأة سألته أن يحكم لأبيها فقال: نعم ولم يفعل،

إلى الأرض، وهل هي جنة الخلد أو جنة كانت في الدنيا؟ فيه خلاف كثير بين العلماء أورده ابن القيم في أوائل كتاب مفتاح عنوان دار السعادة، **(حتى روي انه)** في بعض الاخبار **(لما أكل من الشجرة)** التي نهي عن أكلها **(تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته)** وكان قبل ذلك لا يراها. رواه ابن جرير عن قتادة، **(فأستحى التاج والإكليل من وجهه أن يرتفعا عنه، فجاءه جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه وحل)** ميكائل **(الإكليل عن جبينه، ونودي من فوق العرش: اهبطا)** الضمير له ولحوّاء عليهما السلام **(من جواري، فإنه لا يجاورني من عصاني قال: فالتفت آدم إلى حواء باكياً وقال: هذا أوّل شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب)** نقل صاحب القوت.

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن مجاهد قال: أوحى الله إلى الملكين أخرجا آدم وحوّاء من جواري، فإنهما عصياني فالتفت آدم إلى حوّاء باكياً وقال: إستعدي للخروج من جوار الله. هذا أوّل شؤم المعصية، فنزع جبريل التاج وحلّ ميكائيل الإكليل عن جبينه وتعلق به عضو، فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة، فنكس رأسه يقول: العفو العفو. فقال الله تعالى: فراراً مني، فقال: بل حياء منك يا سيدي، وقد اختلف في الحلل التي كانت على آدم وحوّاء عليهما السلام؟ فقيل: هي من حلل الجنة، وقيل: من الظفر، فلما أصاب الخطيئة سلب السربال فبقي في أطراف أصابعه. ويروى عنه كان لباس آدم الظفر بمنزلة الريش على الطير، فلما عصى سقط عنه لباسه وبقيت الأظفار زينة ومنافع. رواه عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن أنس بن مالك قال: كان لباس آدم في الجنة الياقوت فلما عصى قلص فصار الظفر.

(وروي ان سليمان بن داود عليهما السلام لما عوقب على خطيئته لأجل التمثال الذي عبد في داره أربعين يوماً) قيل: إنه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب ابنته فأحبها، وكان لا يرقأ دمعها جزعاً على أبيها، فأمر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها فيسجدون لها كعادتهن في ملكه، فأخبره آصف فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج باكياً إلى الفلاة متضرعاً. فالخطيئة تغافله عن حال أهله لأن اتخاذ التماثيل كان جائزاً حينئذ والسجود للصورة بغير علمه لا يضره كذا ذكره البيضاوي. **(وقيل: لأن المرأة سألته أن يحكم**

وقيل: بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لمكانها معه فسلب ملكه أربعين يوماً فهرب تائهاً على وجهه فكان يسأل الله بكفه فلا يطعم فإذا قال: أطعموني فإني سليمان بن داود شج وطرد وضرب. وحكي انه استطعم من بيت لامرأته فطردته

لأبيها. فقال: نعم ولم يفعل، وقيل: بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لمكانها منه) هكذا ذكره في القوت. وروى الفريابي، والحكيم، والحاكم وصححه عن ابن عباس عند قوله: ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ [ص: ٣٤] الآية. قال: إن امرأة يقال لها جرادة، وكلان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة فقضى بينهم بالحق إلا أنه ودّ أن الحق كان لأهلها فأوحى الله إليه أن سيصيبك بلاء، فكان لا يدري يأتيه من السماء أم من الأرض. وروى ابن جرير عن السدي قال: كان لسليمان مائتا امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي أحظى نسائه عنده وأحبهن، فجاءته يوماً من الأيام وقالت: إن أخي بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب ان تقضي له إذا جاءك. فقال: نعم ولم يفعل، **(فسلب ملكه أربعين يوماً فهرب تائهاً على وجهه)**. روى النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم بسند قوي، عن ابن عباس قال: أراد سليمان عليه السلام أن يدخل الخلاء فأعطى جرادة خاتمه وكانت جرادة امرأته ومن أحب نسائه إليه، فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي فأعطته، فلما لبسه أتت الإنس والجن والشياطين، فلما خرج سليمان من الخلاء قال لها: هاتي خاتمي. قالت: قد أعطيته سليمان. قال: أنا سليمان. قالت: كذبت لست سليمان فجعل لا يأتي أحداً يقول أنا سليمان إلا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة، فلما رأى ذلك عرف أنه من الله تعالى.

وروى عبد بن حميد عن سعيد بن جبير قال: دخل سليمان الحمام فوضع خاتمه عند امرأة من أوثق نسائه في نفسه فأتاها الشيطان، فتمثل لها على صورة سليمان فأخذ الخاتم منها، فلما خرج سليمان أتاها فقال لها: هاتي الخاتم فقالت: قد دفعته لك، فقال: ما فعلت فانطلق سليمان هارباً في الأرض يتتبع ورق الشجر خمسين ليلة.

وروى عبد بن حميد عن ابن عباس قال: كان سليمان عليه السلام إذا دخل الخلاء اعطى خاتمه أحب نسائه إليه، فإذا هو قد خرج وقد وضع له وضوءه خرج إليه فأخذه فلبسه فدخل يوماً الخلاء، فدفع خاتمه إلى امرأته فلبث ما شاء الله وخرج عليها شيطان من صورة سليمان فدفعت إليه الخاتم فنهض به وألقاه في البحر فالتقمته سمكة، فخرج سليمان على إمرأته فسألها الخاتم فقالت: قد دفعته إليك فعلم سليمان أنه قد ابتلي فخرج وترك ملكه ولزم البحر فجعل يجوع، وروى ابن جرير عن السدي قال: ولما خرج سليمان من المخرج سألها أن تعطيه خاتمه فقالت: ألم تأخذه؛ قال: لا وخرج مكانه هارباً، **(فكان يسأل بكفه فلا يطعم، فإذا قال: أطعموني فإني سليمان بن داود شج وضرب وطرد)** كذا في القوت.

وبصقت في وجهه. وفي رواية أخرجت عجوز جرة فيها بول فصبته على رأسه إلى أن أخرج الله له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الأربعين ـ أيام العقوبة ـ قال: فجاءت الطيور فعكفت على رأسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فاعتذر إليه بعض من كان جنى عليه فقال: لا ألومكم فيما فعلتم من قبل ولا أحمدكم في عذركم الآن إن هذا أمر كان من السماء ولا بدّ منه.

وروى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد قال: سليمان عليه السلام يستطعم فيقول: أتعرفوني أنا سليمان فيكذبونه. وروى الحكيم من طريق علي بن زيد وسعيد بن المسيب أن سليمان عليه السلام احتجب عن الناس ثلاثة أيام، فلم ينظر في أمورهم ولم ينصف مظلوماً من ظالم، وكان ملكه في خاتمه، وكان إذا دخل الحمام وضع خاتمه تحت فراشه فجاءه الشيطان فأخذه فأقبل الناس على الشيطان، فقال سليمان، يا أيها الناس أنا سليمان أنا نبي الله فدفعوه فسأله بكفه أربعين يوماً.

(وحكي أنه استطعم من بيت لامرأته) في نسخة لامرأة **(فطردته وبصقت في وجهه)** ولفظ القوت: ولقد بلغني أنه استطعم من بيت فطرد وبزقت امرأة في وجهه **(وفي رواية)** قال: **(أخرجت)** ولفظ القوت فأخرجت **(عجوز جرة فيها بول فصبته على رأسه إلى أن أخرج الله له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الأربعين يوماً أيام العقوبة قال: فجاءت الطيور فعكفت على رأسه، وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله، فاعتذر إليه بعض من كان خفى عليه، فقال: لا ألومكم فيما فعلتم من قبل، ولا أحمدكم في عذركم ألا وأن هذا أمر كان من السماء ولا بدّ منه)** ولفظ القوت: فلما عرفه الصيادون غفروا بين يديه واعتذروا إليه مما كانوا طردوه وشجوه، فقال: لا ألومكم قبل فيما صنعتم ولا أحمدكم الآن فيما تصنعون هذا أمر من السماء ولا بدّ منه اهـ.

وروى النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالآجر، فجاء رجل فاشترى سمكاً فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فدعا سليمان فقال: تحمل لي هذا السمك؟ قال: نعم. قال: بكم؟ قال: بسمكة من هذا السمك، فحمل سليمان السمك ثم انطلق به إلى منزله، فلما انتهى الرجل إلى بابه أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فأخذها سليمان فشق بطنها فإذا الخاتم في جوفها، فأخذه فلبسه فلما لبس دان له الجن والانس والشياطين وعاد إلى حاله.

وروى عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس قال: أربع آيات في كتاب الله لم أدر ما هي حتى سألت كعب الأحبار فذكرها وفيه: قال ابن عباس وسألته عن قوله تعالى: ﴿وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب﴾ [ص: ٣٤] قال شيطان أخذ خاتم سليمان الذي فيه ملكه فقذف به في البحر فوقع في بطن سمكة، فانطلق سليمان يطوف إذا تصدق عليه بتلك السمكة

فاشتواها فأكلها، فإذا هي فيها خاتمه فرجع إليه ملكه، وقال مجاهد: وكان سليمان عليه السلام يستطعم فيقول: أتعرفوني أنا سليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوماً حوتاً فشق بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع إلى ملكه أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن جرير. وقال قتادة: ولما لبس سليمان خاتمه أقبل فجعل لا يستقبله جن ولا طير إلا سجد له حتى انتهى إليهم أخرجه عبد الرزاق والمذكورون قبل.

وروى عبد بن حميد وابن المنذر عن علي رضي الله عنه قال: بينما سليمان بن داود عليهم السلام جالس على شاطىء البحر وهو يعبث بخاتمه إذ سقط منه في البحر وكان ملكه في خاتمه فانطلق وخلف شيطاناً في أهله فأتي عجوزاً فآوى إليها فقالت له العجوز: ان شئت ان تنطلق فتطلب وأنا أكفي عمل البيت، وإن شئت أن تكفيني عمل البيت وانطلق فالتمس. قال: فانطلق سليمان فأتى قوماً يصيدون السمك فجلس إليهم فنبذوا إليه سمكتين، فانطلق حتى أتى العجوز فأخذت تصلحه فسقطت بطن سمكة، فإذا فيها الخاتم فأخذته وقالت لسليمان: ما هذا فأخذه سليمان فلبسه فأقبلت إليه الشياطين والجن والانس والطير والوحوش وهرب الشيطان الذي خلف في أهله الحديث.

وقال سعيد بن جبير: لم انقضت أتى سليما ساحل البحر فوجد صيادين يصيدون السمك فصادوا سمكاً كثيراً فأنتن عليهم بعضه فألقوه فأتاهم سليمان يستطعمهم فالقوا إليه انتن تلك الحيتان. قال: لا بل اطعموني من هذا قالوا: لا. فقال: اطعموني فأنا سليمان فوثب إليه بعضهم بالعصا فضربه فأتي إلى تلك الحيتان التي القوا فأخذ منها حوتين فانطلق بهما إلى الأرض يغسلهما فشق بطن احداهما، فإذا فيه الخاتم فأخذه فجعله في يده فعاد إلى ملكه، فجاءه الصيادون يسعون إليه فقال لهم: لكني قبل استطعمتكم فلم تطعموني وضربتموني فلم ألومكم إذ عاقبتموني ولم أحمدكم إذ أكرمتموني. أخرجه عبد بن حميد.

ويروى عن ابن عباس قال: لما ترك سليمان ملكه ولزم البحر فجعل يجوع فأتى يوماً على صيادين قد صادوا سمكاً بالأمس فنبذوه وصادوا يومهم سمكاً فهو بين أيديهم فقام عليهم سليمان فقال: أطعموني بارك الله فيكم فإني ابن سبيل غرثان فلم يلتفتوا إليه ثم عاد فقال لهم مثله، فرفع رجل منهم رأسه فقال: ائت ذلك السمك فخذ منه سمكة فأتاه سليمان فأخذ منه أذنى سمكة فلما أخذها إذا فيها ريح فأتى البحر فغسلها وشق بطنها فإذا بخاتمه، فحمد الله وأخذه وتختم به ونعق كل شيء حوله من جنوده، وفزع الصيادون لذلك فقاموا إليه وجعل بينهم وبينه ولم يصلوا إليه ورد الله إليه ملكه. أخرجه عبد بن حميد.

وقال الضحاك: دخل سليمان عليه السلام على امرأة تبيع السمك فاشترى منها سمكة فشق بطنها فوجد خاتمه فجعل لا يمر على شجر ولا على حجر ولا على شيء إلا سجد له حتى أتى ملكه.

وروي في الإسرائيليات: أن رجلاً تزوّج امرأة من بلدة أخرى فأرسل عبده ليحملها إليه فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم. قال: فنبأه الله ببركة تقواه فكان نبياً في بني إسرائيل. وفي قصص موسى عليه السلام انه قال للخضر عليه السلام: بم أطلعك الله على علم الغيب؟ قال: بتركي المعاصي لأجل الله تعالى. وروي أن الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام فنظر إلى قميصه نظرة وكان جديداً فكأنه أعجبه قال: فوضعته الريح فقال: لم فعلت هذا ولم آمرك؟ قالت: إنما نطيعك إذا أطعت الله. وروي أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام: أتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف؟ قال: لا. قال: لقولك لإخوته: ﴿أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾ [يوسف: ١٣]

أخرجه ابن جرير. وذكر ابن كثير في تفسيره بعد أن أورد حديث ابن عباس الذي رواه ابن أبي حاتم وقال: اسناده قوي وكأنه تلقاه ابن عباس عن أهل الكتاب ان صح عنه، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوّة سليمان عليه السلام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه وفيه منكرات من أشدها. ذكر النساء والمشهور عن مجاهد وغيره من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان، بل عصمهن الله تشريفاً لنبيه عليه السلام، وقد رويت هذه القصة عن سعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم، وجماعة من السلف وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب والله أعلم.

(وروي في الاسرائيليات: أن رجلاً تزوج امرأة من بلدة أخرى فأرسل عبده يحملها إليه فراودته عن نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم قال: فنبأه الله ببركة تقواه فكان نبياً في بني إسرائيل) ولفظ القوت: وروينا في الاسرائيليات أن رجلاً تزوّج امرأة من بلد ولم تنل يده حملها إليه فأمر عبداً له فحملها إليه فراودته نفسه وطلبته بها فجاهدها واستعصم قال: فنبأه الله فكان نبياً من بني إسرائيل، وفي نسخة فكان نبياً في بني اسرائيل.

(وفي قصص موسى عليه السلام انه قال للخضر عليه السلام: بم اطلعك الله على علم الغيب؟ قال: بتركي المعاصي لأجل الله تعالى) نقله صاحب القوت وزاد فالجزاء إليه سبحانه أيضاً يجعله غاية العطاء لا على قدر العمل لكن إذا عمل له عبده شيئاً لأجله أعطاه أجره بغير حساب.

(وروي ان الريح كانت تسير بسليمان عليه السلام فنظر إلى قميصه نظرة وكان جديداً فكأنه أعجبه. قال: فوضعته الريح فقال: لم فعلت هذا ولم آمرك؟ قالت: إنما نطيعك إذا أطعت الله) ولفظ القوت: ولقد بلغني أنه كان في مسيره والريح تحمله في جنوده إذا نظر إلى قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد فكأنه أعجبه فوضعته الريح في الأرض فقال لها: لم فعلت ولم آمرك؟ فقالت: إنما أطيعك إذا اطعت الله.

(وروي أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام) ولفظ القوت: ولقد روينا في خبر غريب أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام **(أتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف؟ قال: لا؛ قال: لقولك لأخوته ﴿إني أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون﴾ لم خفت**

لم خفت عليه الذئب ولم ترجني، ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له؟ وتدري لم رددته عليك؟ قال: لا. قال: لأنك رجوتني وقلت: ﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾ [يوسف: ٨٣] وبما قلت: ﴿اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله﴾ [يوسف: ٨٧]، وكذلك لما قال يوسف لصاحب الملك ﴿اذكرني عند ربك﴾ [يوسف: ٤٢] قال الله تعالى: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين﴾ [يوسف: ٤٢].

عليه الذئب ولم ترجني) له، **(ولم نظرت إلى غفلة اخوته ولم تنظر إلى حفظي له)** كذا في القوت زاد عليه المصنف فقال: **(وتدري لم رددته عليك قال: لا. قال: لأنك رجوتني وقلت: ﴿عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾ وبما قلت)** ﴿يا بني **(اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله﴾)** قال السدي: لما ذكر يعقوب بين يدي يوسف عليهما السلام قال: ومن يعقوب غضب روبيل وقال: أيها الملك لا تذكرن يعقوب فإنه سرى الله ابن ذبيح الله بن خليل الله، فقال يوسف: إنك إذن ان كنت صادقاً فإذا أتيتم أباكم فاقرأوا عليه مني السلام، وقولوا له: إن ملك مصر يدعو لك أن لا تموت حتى ترى ولدك يوسف حتى يعلم أبوك أن في الأرض صديقين مثله، ثم أنه أقام روبيل بمصر وأقبل التسعة إلى يعقوب فأخبروه الخبر فبكى وقال: يا بني ما تذهبون من مدة إلا تنقصتم واحداً. ذهبتم فتنقصتم يوسف، ثم ذهبتم الثانية فنقصتم شمعون، ثم ذهبتم الثالثة فنقصتم بنيامين وروبيل ﴿فصبرٌ جميلٌ عسى اللهُ أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم﴾ [يوسف: ٨٣] وقال: ما يكون في الأرض صديق إلا ابني فطمع وقال: لعله يوسف، ثم قال: ﴿يا بني أذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾ بمصر ﴿ولا تيأسوا من روح الله﴾ فإن من روح الله أن يرد يوسف.

وروى إسحاق بن راهويه في تفسيره، وابن أبي الدنيا في كتاب الفرج بعد الشدة، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه، والحاكم، والبيهقي في الشعب من حديث أنس: أتى جبريل إلى يعقوب عليه السلام وقال: إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أتدري لم أذهبت بصرك وقوست ظهرك وصنع اخوة يوسف به ما صنعوا إنكم ذبحتم شاة فأتاكم مسكين وهو صائم فلم تعطوه منها شيئاً، فكان يعقوب إذا أراد الغذاء أمر منادياً ينادي: ألا من أراد الغذاء من المساكين فليتغد مع يعقوب، وإذا كان صائماً أمر منادياً فنادى: ألا من كان صائماً من المساكين فليفطر مع يعقوب، **(وكذلك لما قال يوسف لصاحب الملك ﴿اذكرني عند ربك﴾ قال الله تعالى ﴿فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين﴾)** ولفظ القوت بعد قوله: ولم تنظر إلى حفظي له فهذا على معنى قول يوسف ﴿اذكرني عند ربك﴾ قال الله تعالى ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ الآية. فهذا مما يغيب على الخصوص من خفي سكونهم ولمح نظرهم إلى ما سوى الله تعالى.

وأمثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القرآن والأخبار ورود الأسمار، بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أن الأنبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار، فكيف يتجاوز عن غيرهم في الذنوب الكبار؟ نعم كانت سعادتهم في أن عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة، والأشقياء يمهلون ليزدادوا إثماً ولأن عذاب الآخرة أشد وأكبر، فهذا أيضاً مما ينبغي أن يكثر جنسه على أسماع المصرين فإنه نافع في تحريك دواعي التوبة.

النوع الثالث: أن يقرر عندهم أن تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب، وأن كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جناياته فرب عبد يتساهل في أمر الآخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا أكثر لفرط جهله، فينبغي أن يخوّف به فإن الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شؤمها في غالب الأمر، كما حكي في قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى أنه قد يضيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد تسقط منزلته من القلوب ويستولي عليه أعداؤه. قال ﷺ: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه». وقال ابن مسعود:

(**وأمثال هذه الحكايات لا تنحصر**) لكثرتها (**ولم يرد بها القرآن والاخبار ورود الأسمار**) أي الحكايات التي يسمر بها في المجالس، (**بل الغرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أن الأنبياء عليهم السلام**) مع جلالة قدرهم عند الله تعالى (**لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار، فكيف يتجاوز عن غيرهم في الذنوب الكبار**) فليعتبر بذلك العبد ويكون على غاية الوجل. (**نعم كانت سعادتهم في أن عوجلوا بالعقوبة**) بما ابتلوا فيه في الدنيا (**ولم يؤخروا إلى الآخرة**) فهؤلاء هم السعداء، (**وأما الاشقياء**) المحرومون (**فإنهم يمهلون**) إلى الآخرة (**ليزدادوا إثماً**) على إثم (**ولأن عذاب الآخرة أشد وأكبر**) من عذاب الدنيا، (**فهذا أيضاً مما ينبغي أن يكثر جنسه على أسماع المصرين**) على ذنوبهم، (**فإنه نافع في تحريك دواعي التوبة إن شاء الله تعالى**).

(**النوع الثالث: أن يقرر عندهم**) ويودع في أذهانهم (**ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب في الدنيا، وأن كل ما يصيب العبد من المصائب**) والبلايا (**فهو بسبب جنايته**) التي صدرت منه، (**فرب عبد يتساهل في أمر الآخرة**) ويستخفه (**ويخاف من عقوبة الله في الدنيا أكثر لفرط جهله، فينبغي أن يخوّف به فإن الذنوب كلها يتعجل في الدنيا شؤمها في غالب الأمر، كما حكى في قصة داود وسليمان عليهما السلام**) مما تقدم ذكر بعضها، (**حتى أنه قد يضيق على العبد رزقه بسب ذنوبه، وقد تسقط منزلته من القلوب ويستولي عليه أعداؤه، قال ﷺ «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»**) كذا في

إني لأحسب أن العبد ينسى العلم بالذنب يصيبه، وهو معنى قوله عليه السلام: «من قارف ذنباً فارقه عقل لا يعود إليه أبداً» وقال بعض السلف: ليست اللعنة سواداً في الوجه ونقصاناً في المال إنما اللعنة أن لا تخرج من ذنب إلا وقعت في مثله أو شر منه وهو كما قال لأن اللعنة هي الطرد والإبعاد، فإذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد أبعد والحرمان عن رزق التوفيق أعظم حرمان وكل ذنب فإنه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع من مجالسة العلماء المنكرين للذنوب، ومن مجالسة الصالحين، بل يمقته الله تعالى ليمقته الصالحون.

القوت. رواه ابن ماجه والحاكم واللفظ له وصحح اسناده إلا أنه قال الرجل بدل العبد من حديث ثوبان انتهى.

قلت: وفيه زيادة ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر، وقد رواه بهذه الزيادة أيضاً أحمد والنسائي وأبو يعلى وابن معين والروياني وابن حبان والطبراني والضياء، وأقر الذهبي تصحيح الحاكم. وقال المنذري: رجال النسائي رجال الصحيح. قال: المظهر اللام في الرجل للعهد والمعهود بعض الجنس من المسلمين، فلا يقدح فيه ما يرى من أن الكفرة والفسقة أعظم مالاً وصحة من العلماء، لأن الكلام في مسلم يريد الله رفع درجته في الآخرة فيصيبه من ذنوبه في الدنيا، وبه عرف أنه لا تناقض بينه وبين خبر: أن الرزق لا تنقصه المعصية، ولهذا وجه بعضهم الخبر بأن لله لطائف يحدثها للمؤمن ليصرف وجهه إليه عن اتباع شهوته والإنهماك في نهمته، فإذا اشتغل بذلك عن ربه حرم رزقه فيكون زجراً له إليه عما أقبل عليه وتأديباً له لأن لا يعود لمثله.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(إني لاحسب أن العبد ينسى العلم بذنب يصيبه)** ولفظ القوت. وكان ابن مسعود يقول فساقه إلا أنه قال بالذنب يصيبه، **(وهو معنى قوله ﷺ «من قارف ذنباً فارقه عقل لا يعود إليه أبداً»)** تقدم الكلام عليه. **(وقال بعض السلف: ليست اللعنة سواداً في الوجه ونقصاً في المال إنما اللعنة أن لا تخرج من ذنب إلا وقعت في مثله أو شر منه وهو كما قال، لأن اللعنة هي الطرد والابعاد، فإذاً لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد أبعد)** نقله صاحب القوت إلا أنه قال: وذلك لأن اللعنة هي الطرد والبعد، فإذا طرد من الطاعات فلم يتيسر له وبعد عن القربات فلم يوفق لها، فقد لعن. **(والحرمان عن رزق التوفيق أعظم حرمان)** ولفظ القوت: وقيل حرمان الرزق من الآخرة من قلة التوفيق للاعمال الصالحات، **(وكل ذنب فإنه يدعو إلى ذنب آخر)** ويجره إليه **(ويتضاعف فيحرم العبد به عن رزقه النافع من مجالسة العلماء المنكرين للذنوب ومن مجالسة الصالحين بل يمقته الله فيمقته الصالحون)** وقال صاحب القوت؛ وفي الخبر الذي رويناه: أن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه قيل يحرم الحلال ولا يوفق له بوقوعه في المعصية، وقيل: يحرم مجالسة العلماء ولا ينشرح قلبه لمحبة الخير وأهله، وقيل: يمقته الصالحون وأهل العلم بالله تعالى فيعرضوا عنه، وقيل: يحرم العلم

وحكي عن بعض العارفين أنه كان يمشي في الوحل جامعاً ثيابه محترزاً عن زلقة رجله حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويبكي ويقول: هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب وذنبين، فعندها يخوض في الذنوب خوضاً، وهو إشارة إلى أن الذنب تتعجل عقوبته بالانجرار إلى ذنب آخر، ولذلك قال الفضيل: ما أنكرت من تغير الزمان وجفاء الإخوان فذنوبك أورثتك ذلك. وقال بعضهم: إني لأعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري. وقال آخر: أعرف العقوبة حتى في فأر بيتي. وقال بعض الصوفية بالشام: نظرت إلى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت أنظر إليه فمرّ بي ابن الجلاء الدمشقي فأخذ بيدي فاستحييت منه فقلت: يا أبا عبدالله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار! فغمز يدي وقال: لتجدن عقوبتها بعد حين. قال: فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة. وقال

الذي لا صلاح للعمل إلا به لأجل إقامته على الجهل، ولا تكشف له الشبهات باقامته على الشبهات، بل تتلبس عليه فيجار فيها بغير عصمة من الله عز وجل ولا يوفق للأصوب والأفضل.

(**وحكي عن بعض العارفين أنه كان يمشي في الوحل جامعاً ثيابه محترزاً عن زلقة رجله حتى زلقت رجله وسقط فقام وهو يمشي في وسط الوحل ويبكي ويقول**) ولفظ القوت: وحدثت عن بعض أهل الاعتبار أنه كان يمشي في الوحل، وكان يتق وشيح ثيابه عن ساقيه ويمشي في جوانب الطريق إلى ان زلقت رجله في الوحل، فأدخل رجله في وسط الوحل وجعل يمشي في المحجة قال: فبكى. قيل له: ما يبكيك؟ فقال: (**هذا مثل العبد لا يزال يتقى الذنوب ويجانبها حتى يقع في ذنب**) منها (**وذنبين، فعندها يخوض في الذنوب خوضاً**) إلى هنا لفظ القوت، (**وهو إشارة إلى أن الذنب تتعجل عقوبته بالانجرار إلى ذنب آخر، ولذلك قال الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى. (**ما أنكرت من تغير الزمان وجفاء الإخوان فذنوبك أورثتك ذلك**) نقله صاحب القوت وهو في الحلية لأبي نعيم. (**وقال بعضهم: إني لأعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري**) نقله صاحب القوت وفي معنى الحمار الفرس والبغلة. (**وقال آخر: أعرف العقوبة حتى في فأر بيتي**) نقله صاحب القوت قال: ويقال نسيان القرآن بعد حفظه من أشد العقوبات والمنع من تلاوته وضيق الصدر بقراءته والاشتغال عنه بضده عقوبة الاصرار. (**وقال بعض الصوفية بالشام نظرت**) ذات يوم (**إلى غلام نصراني حسن الوجه، فوقفت أنظر إليه فمرّ بي ابن الجلاء الدمشقي**) هو عبد الله بن أحمد بن يحي الجلاء بغدادي الأصل، أقام بالشام صحب أبا تراب النخشبي، وذا النون المصري، وأبا عبيد البسري، وأبا يحي الجلاء ترجم له القشيري في الرسالة، (**فأخذ بيدي فاستحييت منه، فقلت: يا أبا عبد الله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار، فغمز يدي**

أبو سليمان الداراني: الاحتلام عقوبة. وقال: لا يفوت أحداً صلاة جماعة إلا بذنب يذنبه. وفي الخبر: « ما أنكرتم من زمانكم فبما غيرتم من أعمالكم »؟ وفي الخبر: « يقول الله تعالى إن أدنى ما أصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي ». وحكي عن أبي عمرو بن علوان ـ في قصة يطول ذكرها ـ قال فيها: كنت قائماً ذات يوم

وقال: لتجدن عقوبتها) أي النظرة **(بعد حين)** أي بعد مدة من الزمان. **(قال: فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة)** هكذا هو في القوت قيل: هذه العقوبة أنه نسي القرآن بعد حفظه، وأورد القشيري في الرسالة هذه القصة لابن الجلاء في ترجمته من الرسالة ما لفظه، وقال ابن الجلاء: كنت أمشي مع استاذي فرأيت حدثاً جميلاً فقلت: يا استاذي ترى يعذب الله هذه الصورة؟ فقال: سترى غبه فنسيت القرآن بعده لعشرين سنة انتهى ويحتمل تعدد الواقعة.

(وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى: **(الاحتلام عقوبة)** نقله صاحب القوت، وقد تقدم للمصنف في كتاب النكاح. **(وقال)** أبو سليمان أيضاً **(لا يفوت أحداً صلاة جماعة إلا بذنب يذنبه)** نقله صاحب القوت ولفظه: لا يفوت أحداً صلاة في جماعة إلا بذنب، فدقائق العقوبات على قدر جلائل الدرجات. قال: وحدثني بعض الأشياخ عن منصور الفقيه قال: رأيت أبا عبد الله السكري في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني في العرق حتى سقط لحم خدي، قلت: ولم ذلك؟ قال: نظرت إلى غلام مقبلاً ومدبراً. والعقوبة موضوعها الشدة والمشقة فعقاب كل أحد من حيث تشتد عليه فأهل الدنيا يعاقبون بحرمان رزق الدنيا من تعذر الاكتساب وإتلاف الأموال. وأهل الآخرة يعاقبون بحرمان رزق الآخرة من قلة التوفيق للأعمال الصالحة وتعذر فتوح العلوم الصادقة ذلك تقدير العزيز العليم.

(وفي الخبر « ما أنكرتم من زمانكم فبما غيرتم من أعمالكم ») قال العراقي: رواه البيهقي في الرقاق من حديث أبي الدرداء وقال: غريب تفرد به هكذا العقيلي وهو عبد الله بن هانيء.

قلت: هو متهم بالكذب. قال ابن أبي حاتم: روى عن أبيه أحاديث بواطيل انتهى.

قلت: وكذلك رواه الطبراني في الكبير وابن عساكر وتمامه: « فإن يك خيراً فواها واهاً وان يك شراً فواهاً واها ». وقال ابن عساكر: حديث غريب. قال الذهبي في الديوان عبد الله بن هانى بن أبي عبلة عن أبيه أتهم بالكذب وتركه أبو حاتم ولم يسمع منه، وأما أبو الزعراء عبد الله بن هانيء الراوي عن أبي مسعود فهو من رجال الترمذي والنسائي قال البخاري: لا يتابع عليه ووثقه العجلي، **(و)** قال: جاء **(في الخبر: « يقول الله تعالى إنّ أدنى ما أصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي »)** وفي نسخة « لذة مناجاتي » ولفظ القوت « حلاوة مناجاتي » وقال العراقي: غريب لم أجده.

(وحكي عن أبي عمرو بن علوان في قصة يطول ذكرها قال فيها: وكنت) لفظ القوت. وقد حدثني بعض هذه الطائفة عن أبي عمرو بن علوان في قصة تطول قال فيها: وكنت **(قائماً ذات**

أصلي فخامر قلبي هوى طاولته بفكرتي حتى تولد منه شهوة الرجال فوقعت إلى الأرض واسودّ جسدي كله فاستترت في البيت فلم أخرج ثلاثة أيام، وكنت أعالج غسله في الحمام بالصابون فلا يزداد إلا سواداً حتى انكشف بعد ثلاث، فلقيت الجنيد وكان قد وجه إلي فاشخصني من الرقة فلما أتيته قال لي: أما استحييت من الله تعالى كنت قائماً بين يديه فساررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك برقة وأخرجتك من بين يدي الله تعالى، فلولا أني دعوت الله لك وتبت إليه عنك للقيت الله بذلك اللون، قال: فعجبت كيف علم بذلك وهو ببغداد وأنا بالرقة؟

واعلم أنه لا يذنب العبد ذنباً إلا ويسود وجه قلبه فإن كان سعيداً أظهر السواد على ظاهره لينزجر، وإن كان شقياً أخفي عنه حتى ينهمك ويستوجب النار. والأخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره، بل من شؤم الذنب في الدنيا على الجملة أن يكسب ما بعده صفته، فإن ابتلي بشيء كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى

يوم **أصلي فخامر قلبي**) أي خالطه (**هوى**) أي ميل نفساني (**طاولته بفكرتي حتى تولد منه شهوة الرجل**) وفي نسخة الرجال قال: (**فوقعت إلى الأرض واسود جسدى كله فاستترت في البيـ**... **فلم أخرج ثلاثة أيام، وكنت**) في أثناء هذه الأيام (**أعالج غسله في** ...م **بالصابون**) والألوان الغاسلة، (**فلا يزداد إلا سواداً حتى انكشف بعد ثلاث**) لفظ القوت ثم انشكف عني بعد ثلاث فرجعت إلى لون البياض. قال: (**فلقيت**) أبا القاسم (**الجنيد**) رضي الله عنه (**وكان قد وجه إليّ فاشخصني من الرقة**) أي طلب شخوصي منها والرقة بلد بالعراق، (**فلما أتيته قال**) في أول مواجهتي له: (**أما استحييت من الله تعالى كنت قائماً بين يديه فساررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك برقة وأخرجتك من بين يدي الله تعالى، فلولا أني دعوت الله لك وتبت اليه عنك للقيت الله بذلك اللون! قال: فعجبت كيف علم بذلك وهو ببغداد وأنا بالرقة**) وبينهما مسافة ولم يطلع على ذلك إلا الله تعالى.

(**واعلم أنه لا يذنب العبد ذنباً إلا ويسود وجه قلبه، فإن كان سعيداً ظهر السواد على ظاهره لينزجر، وإن كان شقياً أخفى عنه حتى ينهمك ويستوجب النار**) ولفظ القوت بعد سياق قصة ابن علوان فذكر ذلك لبعض الأولياء فقال: هذا رفق من الله به وخيرة له إذ لم يسوّد قلبه وظهر السواد على جسده، ولو بطن في قلبه لأهلكه ثم قال: ما من ذنب يرتكبه يصر عليه إلا اسود القلب منه مثل سواد الجسم الذي ذكر، ولا يجلوه إلا التوبة، ولكن ليس كل عبد يصنع به صنع ابن علوان ولا يجد من يتيقظ له مثل أبي القاسم الجنيد رحمه الله تعالى. (**والأخبار كثيرة في آفات الذنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيرهما**) كسقوط الجاه والمنزلة من عيون المسلمين، (**بل من شؤم الذنب في الدنيا على الجملة أن يكسب ما بعده صفته، فإن** أبتلى

يتضاعف شقاؤه، وإن أصابته نعمة كانت استدراجاً له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه. وأما المطيع فمن بركة طاعته أن تكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته.

النوع الرابع: ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد، وكل ذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير أهله وضع الدواء في غير موضعه، بل ينبغي أن يكون العالم كالطبيب الحاذق فيستدل أولاً بالنبض والسحنة ووجود الحركات على العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها، فليستدل بقرائن الأحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه اقتداء برسول الله ﷺ حيث قال له واحد أوصني يا رسول الله ولا تكثر عليَّ قال: «لا تغضب». وقال له آخر: أوصني يا رسول الله. فقال عليه السلام: «عليك باليأس مما في أيدي الناس فإن ذلك هو الغنى، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصلّ صلاة مودع، وإياك وما يعتذر منه». وقال رجل

بشيء كان عقوبة له ويحرم جميل الرزق حتى يتضاعف شقاؤه، وإن أصابته نعمة كانت استدراجاً له ويحرم جميل الشكر حتى يعاقب على كفرانه) هذا حال العاصي. **(وأما المطيع فمن بركة طاعته أن تكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفق لشكرها، و)** تكون **(كل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته)**.

(النوع الرابع: ذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والغيبة والكبر والحسد، وكل ذلك مما لا يمكن حصره) لكثرته **(وذكره مع غير أهله مثل وضع الدواء في غير موضعه، بل ينبغي أن يكون العالم كالطبيب الحاذق)** أي العارف البصير بفن الطب **(فيستدل أولاً بالنبض والسحنة)** أي ظاهر اللون، والنبض جس الطبيب عروق يده من الاوردة والشرايين، **(ووجوه الحركات على العلل الباطنة)** وهي التي في باطن البدن ولكل منها أحكام وقواعد معروفة في كتب الفن **(ويشتغل بعلاجها)** بعد الإستدلال عليها بما ذكر، **(فليستدل)** العالم **(بقرائن الأحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه اقتداء برسول الله ﷺ حيث قال له واحد: يا رسول الله أوصني ولا تكثر علي. قال: «لا تغضب»)** رواه أحمد والبخاري والترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم الكلام عليه في كتاب ذم الغضب، **(وقال له آخر: «أوصني يا رسول الله. فقال: «عليك باليأس مما في أيدي الناس فإن ذلك هو الغني، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وصلّ صلاة مودع وإياك وما يعتذر منه»)** رواه العسكري في الأمثال من طريق القعنبي، حدثنا محمد بن أبي حميد، حدثني إسماعيل الأنصاري هو ابن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده أن

لمحمد بن واسع: أوصني؟ فقال: أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة. قال: وكيف لي بذلك؟ قال: الزم الزهد في الدنيا فكأنه ﷺ توسم في السائل الأول مخايل الغضب. فنهاه عنه، وفي السائل الآخر مخايل الطمع في الناس وطول الأمل. وتخيل

رجلاً قال: يا رسول الله أوصني وأوجز فقال: «عليك باليأس» فساقه وفيه: «وصل صلاتك وأنت مودع».

ورواه الحاكم من طريق أبي عامر العقدي حدثنا محمد بن أبي حميد به مثله وصححه. ورواه ابن ماجه من طريق عثمان بن جبير عن أبي أيوب الأنصاري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني وأوجز قال: «إذا قمت إلى صلاتك فصل صلاة مودع ولا تكلم بكلام يعتذر منه واجمع اليأس عما في أيدي الناس».

ورواه ابن منيع والقضاعي من حديث ابن عمر قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله حدثني حديثاً واجعله موجزاً لعلي أعيه فقال ﷺ: «صل صلاة مودع كأنك لا تصلي بعدها وأيس عما في أيدي الناس تعش غنياً وإياك وما يعتذر منه». وقد تقدم هذا الحديث في كتاب الصلاة.

ومن هذا الباب ما أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند من طريق محمد بن عبدالله الطفاوي سمعت العاصي بن عمر وقال: خرج أبو الغادية حبيب بن الحرث وأم الغادية مهاجرين إلى رسول الله ﷺ فأسلما، فقالت المرأة أوصني يا رسول الله. قال: «إياك وما يسوء الأذن» وكذا أخرجه أبو نعيم وابن منده كلاهما في المعرفة وهو مرسل، فالعاصي لا صحبة له، بل قال الحافظ ابن حجر في بعض تصانيفه أنه مجهول، لكن ذكره ابن حبان ولم يذكر فيه جرحا وقال: سمع من عمته أم الغادية رواه عنه تمام. ورواية تمام عنه في هذا الحديث عند ابن منده في المعرفة، والخطيب في جامعه من طريقه عن العاصي عن عمته أم الغادية قالت: خرجت مع رهط من قومي إلى رسول الله ﷺ، فلما أردت الإنصراف قلت: يا رسول الله أوصني. قال: «إياك وما يسوء الأذن» وكذا أخرجه ابن سعد في الطبقات بزيادة ثلاث، وكذا رواه العسكري في الأمثال.

(**وقال رجل لمحمد بن واسع**) البصري رحمه الله تعالى (**أوصني فقال: «أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة». قال: وكيف لي بذلك؟ قال: «الزم الزهد في الدنيا»**) أخرجه أبو نعيم في الحلية قال: حدثني أبي، حدثنا أبو الحسن بن أبان، حدثنا أبو بكر بن عبيد، حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير الغزي، حدثنا خزيمة أبو محمد قال: قال رجل لمحمد بن واسع أوصني فساقه. (**فكأنه ﷺ توسم في السائل الأول مخايل الغضب**) أي مشابهه (**فنهاه عنه، وفي السائل الآخر مخايل الطمع في الناس وطول الأمل**) وعدم حضور القلب في الصلاة وكثرة الإعتذار لإخوانه فنهاه عنها (**وتخيل محمد بن واسع في السائل مخايل الحرص على الدنيا**) فأمره بالزهد عنها.

محمد بن واسع في السائل مخايل الحرص على الدنيا . وقال رجل لمعاذ : أوصني ، فقال : كن رحيماً أكن لك بالجنة زعيماً ، فكأنه تفرس فيه آثار الفظاظة والغلظة . وقال رجل لابراهيم بن أدهم : أوصني . فقال : إياك والناس وعليك بالناس ولا بدّ من الناس فإن الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبقي النسناس وما أراهم بالناس بل غمسوا في ماء الياس . فكأنه تفرس فيه آفة المخالطة وأخبر عما كان هو الغالب على حاله في وقته ، وكان الغالب أذاه بالناس والكلام على قدر حال السائل أولى من أن يكون بحسب حال القائل . وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضي الله عنها : أن اكتبي لي كتاباً توصيني فيه ولا تكثري ، فكتبت إليه : من عائشة إلى معاوية : سلام عليك أما بعد ؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله

(وقال رجل لمعاذ بن جبل) رضي الله عنه **(أوصني فقال كن رحيماً)** أي رقيق القلب **(أكن لك بالجنة زعيماً)** أي ضامناً وكفيلاً نقله صاحب القوت . وروى أبو نعيم في الحلية من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبدالله بن سلمة قال : قال رجل لمعاذ علمني . قال : وهل أنت مطيعي ؟ قال : إني على طاعتك لحريص . قال : صم وافطر ونم واكتسب ولا تأثم ولا تموتن إلا وأنت مسلم وإياك ودعوة المظلوم ، **(فإنه تفرس فيه آثار الفظاظة والغلظة)** فقال له ما قال .

(وقال رجل لإبراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى : **(أوصني قال : إياك والناس وعليك بالناس ولا بد)** لك **(من الناس)** أي من مخالطتهم ، **(فإن الناس هم الناس)** أي الكمل منهم هم الذين يخالطون ، **(وليس كل الناس بالناس)** أي ليس كلهم يوصفون بكمال الإنسانية **(ذهب الناس وبقي النسناس)** بفتح أوله . قيل نوع من حيوانات البحر ، وقيل : نوع من جنس الخلق يثب على رجل واحدة ، وقيل : ياجوج ومأجوج كذا في المصباح ، وكأنه أراد ذهب الكرام وبقي الأرذال . **(وما أراهم بالناس بل غمسوا في ماء اليأس)** أي أؤيس من خيرهم ، **فلا فائدة** في خلطتهم وأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة مطرف بن عبدالله بن الشخير من طريق مهدي بن ميمون عن غيلان بن جرير أن مطرفاً كان يقول : هم الناس وهم النسناس ، وأرى ناساً غمسوا في ماء اليأس . **(فكأنه رحمه الله تفرس فيه)** أي في السائل **(آفة المخالطة)** بهم **(وأخبر عما كان هو الغالب على حاله في وقته وكان الغالب)** عليه **(أذاه بالناس)** فنهاه عن خلطتهم ليسلم من شرهم أو يسلموا منه ، **(والكلام على قدر حال السائل أولى من أن يكون بحسب حال القائل)** .

(و) من ذلك **(كتب معاوية رحمه الله تعالى إلى)** أم المؤمنين **(عائشة رضي الله عنها** أن اكتبي لي كتاباً توصيني فيه ولا تكثري) وذلك حين تولى الإمارة **(فكتبت إليه)** أي أمرت بكتابته **(من عائشة إلى معاوية سلام عليك أما بعد ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول من**

مؤنة الناس، ومن التمس سخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس» والسلام عليك. فانظر إلى فقهها كيف تعرضت للآفة التي تكون الولاة بصددها وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم. وكتبت إليه مرة أخرى أما بعد؛ فاتق الله فإنك إذا اتقيت الله كفاك الناس، وإذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئاً والسلام.

فإذاً على كل ناصح أن تكون عنايته مصروفة إلى تفرس الصفات الخفية وتوسم الأحوال اللائقة ليكون اشتغاله بالمهم فإن حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن التوعظ فيه تضييع زمان.

فإن قلت: فإن كان الواعظ يتكلم في جمع أو سأله من لا يدري باطن حاله أن يعظه

التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس سخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس والسلام عليك») وقد اقتصرت على هذا الحديث الجامع المانع، (**فانظر إلى فقهها كيف تعرضت للآفة التي يكون الولاة**) للأمور (**بصددها وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم**) والحديث قال العراقي: رواه الترمذي والحاكم وفي سند الترمذي من لم يسم اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن المبارك في الزهد، وفي بعض نسخ الكتاب بتقديم الجملة الثانية، ومثله عند الترمذي، وابن المبارك. ورواه ابن حبان، وابن عساكر بلفظ من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله علي وأسخط عليه الناس، ورواه أبو بكر بن لال والخرائطي في مساوىء الأخلاق بلفظ: «من التمس محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده من الناس ذاماً».

(**وكتبت**) رضي الله عنها (**إليه مرة أخرى أما بعد: فاتق الله فإنك إذا اتقيت الله كفاك الله الناس، وإذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئاً والسلام**)، وقد روي معناه من حديث واثلة وابن عباس وعلي، فحديث واثلة: من اتقى الله أهاب الله منه كل شيء ومن لم يتق الله أهابه الله من كل شيء رواه الحكيم في النوادر وحديث ابن عباس: من اتقى الله وقاه كل شيء رواه ابن النجار، وحديث علي: من اتقى الله عاش قوياً وسار في بلاده آمناً. وعند أبي الشيخ من حديث واثلة: من خاف الله أخاف منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء. وقد رواه كذلك الرافعي في تاريخه وعبد الرحمن بن محمد الكرخي في أماليه من حديث ابن عمر.

(**فإذاً على كل ناصح أن تكون عنايته مصروفة إلى تفرس الصفات**) الباطنة (**الخفية وتوسم الأحوال اللائقة**) بالمقام والأشخاص (**ليكون اشتغاله بالمهم**) المقصود، (**فإن حكاية جميع مواعظ الشرع مع كل واحد**) من الحاضرين (**غير ممكنة والإشتغال بوعظه بما هو مستغن عن الوعظ فيه تضييع زمان**) ووضع الشيء في غير موضعه.

(**فإن قلت: فإن كان الواعظ يتكلم في جمع**) من الناس (**أو سأله من لا يدري باطن**

فكيف يفعل؟ فاعلم أن طريقه في ذلك أن يعظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة إليه إما على العموم وإما على الأكثر، فإن في علوم الشرع أغذية وأدوية فالأغذية للكافة والأدوية لأرباب العلل.

ومثاله ما روي أن رجلاً قال لأبي سعيد الخدري: أوصني، قال: عليك بتقوى الله عز وجل فإنها رأس كل خير، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بالقرآن فإنه نور لك في أهل الأرض وذكر لك في أهل السماء، وعليك بالصمت إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان.

وقال رجل للحسن: أوصني، فقال: أعز أمر الله يعزك الله. وقال لقمان لابنه: يا بني زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك، وخذ من الدنيا بلاغك، وأنفق فضول كسبك لآخرتك، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالاً وعلى أعناق الرجال كلاً،

حاله أن يعظه فكيف يفعل؟ فاعلم إن طريقه في ذلك أن يعظه بما يشترك كافة) وفي نسخة عامة (**الخلق في الحاجة إليه إما على العموم وإما على الأكثر، فإن في علوم الشرع أغذية وأدوية فالأغذية للكافة)** أي العامة منهم، (**والأدوية لأرباب العلل)** الباطنة، (**ومثاله ما روي أن رجلاً قال لأبي سعيد الخدري)** رضي الله عنه: (**أوصني. قال: عليك بتقوى الله عز وجل، فإنه رأس كل خير، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بالقرآن فإنه نور لك في أهل الأرض، وذكر لك في أهل السماء، وعليك بالصمت إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان)** وقد روي ذلك مرفوعاً من حديث أبي سعيد بلفظ: «عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير وعليك بالجهاد فإنه رهبانية المسلمين، وعليك بذكر الله وتلاوة كتاب الله فإنه نور لك في الأرض وذكر لك في السماء، وأخزن لسانك الآمن إلاّ من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان» هكذا رواه ابن الضريس، وأبو يعلى، والخطيب. وعند أبي الشيخ من حديث بلفظ: «عليك بتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض، وعليك بطول الصمت فإنه مطردة للشياطين وعون لك على أمر دينك وقل الحق وإن كان مرّاً». ورواه كذلك أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أبي ذر.

(**وقال رجل للحسن)** البصري رحمه الله: (**أوصني. فقال: أعز أمر الله يعزك الله)** وهذا قد روي مرفوعاً من حديث أبي إمامة، ورواه الديلمي في مسند الفردوس. (**وقال لقمان لابنه: يا بني زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك)** أي يبغضوك فتسقط من أعينهم، (**وخذ من الدنيا بلاغك)** أي قدر ما يبلغك للآخرة (**وانفق فضول كسبك)** أي ما فضل من مالك الذي اكتسبته (**لآخرتك)** أي في سبيل الخيرات، (**ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالاً)** أي عولة على الناس محتاجاً إليهم (**وعلى أعناق الرجال كلاً)** أي ثقيلاً (**وصم صوماً**

وصم صوماً يكسر شهوتك ولا تصم صوماً يضر بصلاتك. فإن الصلاة أفضل من الصوم، ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين.

وقال أيضاً لابنه: يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير أرب ولا تسأل عما لا يعنيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك، فإن مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت، يا بني إن من يَرحم يُرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم. وقال رجل لأبي حازم: أوصني، فقال: كل ما لو جاءك

يكسر شهوتك ولا تصم صوماً يضر بصلاتك فإن الصلاة أفضل من الصوم ولا تجالس السفيه، ولا تخالط ذا الوجهين) أي الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه. وقد روي هذا الكلام عنه مفرقاً، فأخرج عبدالله بن أحمد في الزوائد، عن عبدالله بن عبد الوهاب المكي قال لقمان لابنه: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله يحي القلوب بنور الحكمة كما يحي الأرض بوابل السماء، وقد تقدم في كتاب العلم.

وروي الطبراني والرامهرمزي في الأمثال بسند ضعيف عن أبي أمامة قال: قال لقمان لابنه: عليك بمجالسة العلماء واستمع للحكماء، فإن الله يحي القلب الميت بنور الحكمة كما يحي الأرض الميتة بوابل المطر.

وروي أيضاً مرفوعاً من حديث أبي أمامة بلفظ: «جالسوا العلماء وزاحموهم بركبكم فإن الله يحي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحي الأرض بوابل السماء».

وروى ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والخطيب في تالي التلخيص عن أبي جعفر الخطمي أن حبه عمرو بن حبيب وكانت له صحبة أوصى بنيه فقال: يا بني إياكم ومجالسة السفهاء فإن مجالستهم داء إنه من يحلم على السفيه يسد بحلمه الحديث.

(وقال) لقمان **(أيضاً لابنه: يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسأل عما لا يعنيك)** أي لا يهمك، **(ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك. فإن مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت)** روى أحمد في الزهد عن شرحبيل بن مسلم أن لقمان قال: اقصر عن اللجاجة ولا أنطق فيما لا يعنيني ولا أكون ضحاكاً من غير عجب ولا مشاء إلى غير ارب **(يا بني إن من يرحم يرُحم)** أي من يرحم الناس يرحمه الله. وروى الشيخان من حديث جرير: «من لا يرحم لا يرحم» وفي رواية: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله **(ومن يصمت يسلم»)** أي من الشر. رواه الترمذي من حديث عبدالله بن عمر «ومن صمت نجا **(ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الشر يأثم ومن لا يملك لسانه يندم»)** وقد تقدم هذا في كتاب الصمت.

(وقال رجل لأبي حازم) سلمة بن دينار المدني التابعي الشهير بالأعرج **(أوصني، فقال: كل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته غنيمة فالزمه، وكل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته**

الموت عليه فرأيته غنيمة فألزمه، وكل ما لو جاءك الموت عليه فرأيته مصيبة فاجتنبه. وقال موسى للخضر عليهما السلام: أوصني، فقال: كن بساماً ولا تكن غضاباً، وكن نفاعاً ولا تكن ضراراً، وانزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعيّر الخطائين بخطاياهم، وابك على خطيئتك يا ابن عمران، وقال رجل

مصيبة فاجتنبه) وروى أبو نعيم في الحلية في ترجمة عمر بن عبد العزيز من طريق عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه قال: قال عمر بن عبد العزيز عظْني يا أبا حازم. قال: قلت اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك ثم انظر ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة، فخذ فيه الآن وما تكره أن تكون فيه تلك الساعة فدعه الآن. وروى في ترجمة أبي حازم من طريق يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال: انظر الذي تحب أن يكون معك في الآخرة فقدمه اليوم، وانظر الذي تكره أن يكون معك ثم فاتركه اليوم، وقال أيضاً: كل عمل تكره الموت لأجله فاترك ثم لا يضرك متى مت.

(وقال موسى للخضر عليهما السلام: أوصني، فقال: كن بساماً ولا تكن غضاباً، وكن نفاعاً ولا تكن ضراراً وانزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران) رواه أحمد في الزهد عن وهب بن منبه. قال: قال الخضر لموسى حين لقيه انزع عن اللجاجة ولا تمش من غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، والزم بيتك وابك على خطيئتك ورواه ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب وابن عساكر عن أبي عبدالله أظنه الملطي قال: أراد موسى أن يفارق الخضر، فقال له موسى: أوصني. قال: كن نفاعاً ولا تكن ضراراً، وكن بشاشاً ولا تكن غضاباً، وارجع عن اللجاجة ولا تمش من غير حاجة، ولا تعير امرأ بخطيئة، وابك على خطيئتك يا ابن عمران. وروى ابن أبي حاتم، وابن عساكر عن يوسف بن إسباط قال: بلغني أن موسى لما أراد أن يفارق الخضر قال له: ادع لي فقال له: يسر الله عليك طاعته.

(وقال رجل لمحمد بن كرام) بن عبدالله السجستاني الزاهد، جاور بمكة خمس سنين، وورد نيسابور وأحدث مذهباً منه أن الله جسم في مكان مماس لعرشه فوقه، وتبعه على ذلك خلق كثير بنيسابور وهراة، فحبسه طاهر بن عبدالله أمير خراسان، ثم انصرف إلى الشام، ثم عاد إلى نيسابور فحبس ثانياً، ثم خرج منها إلى القدس فمات بها سنة ٣٥٥. وكان يظهر التقشف والزهد، وسمع الحديث من علي بن حجر والطبقة، وصحب أحمد بن حرب الزاهد، وأكثر عن أحمد بن عبدالله الجويباري أحد الوضاعين، وممن روى عنه محمد بن إسماعيل بن إسحاق ومن مشهور أصحابه أبو يعقوب إسحاق بن محمشاة الزاهد الواعظ إمامهم في عصره، أسلم على يده من أهل الكتابين والمجوس نحو خمسة آلاف رجل وامرأة ومات سنة ٣٨٣. واختلف في ضبط والده، فالمشهور بالفتح والتشديد وهو لقب له. كان يحفظ الكرم بسجستان وقيل بالتخفيف وهو الذي كان يذهب إليه الحافظ ابن حجر ويدل له قول الشاعر:

لمحمد بن كرام: أوصني، فقال: اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك. وقال رجل لحامد اللفاف: أوصني، فقال: اجعل لدينك غلافاً كغلاف المصحف أن تدنسه الآفات. قال: وما غلاف الدين؟ قال: اترك طلب الدنيا إلا ما لا بدّ منه وترك كثرة الكلام إلا فيما لا بدّ منه وترك مخالطة الناس إلا فيما لا بدّ منه. وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمهم الله تعالى، أما بعد؛ فخف مما خوّفك الله واحذر مما حذرك الله وخذ مما في يديك لما بين يديك. فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن يسأله أن يعظه، فكتب إليه أما بعد؛ فإن الهول الأعظم والأمور المفظعات أمامك ولا بدّ لك من مشاهدة ذلك إما بالنجاة وإما بالعطب، واعلم أنه من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف أمن ومن أمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم، فإذا زللت فارجع، وإذا ندمت فأقلع، وإذا جهلت فاسأل، وإذا غضبت فامسك. وكتب مطرف بن عبدالله إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله أما بعد؛ فإن الدنيا

والدين دين محمد بن كرام

وفيه تحقيق أودعناه في شرح القاموس: (**أوصني. فقال: اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك. وقال رجل لحامد اللفاف**) له ذكر في الحلية لأبي نعيم: (**أوصني. فقال: اجعل لدينك غلافاً كغلاف المصحف كيلا تدنسه الآفات. قال: وما غلاف الدين؟ قال: ترك طلب الدنيا إلا ما لا بد منه وترك مخالطة الناس إلا فيما لا بدّ منه وكتب الحسن**) البصري رحمه الله تعالى (**إلى عمر بن عبد العزيز**) الأموي (**رحمه الله تعالى أما بعد؛ فخف ما خوّفك الله واحذر مما حذرك الله، وخذ مما في يديك لما بين يديك، فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن**) البصري رحمه الله تعالى (**يسأله أن يعظه، فكتب إليه أما بعد؛ فإن الهول الأعظم والأمور المفظعات**) أي الشديدات (**أمامك ولا بدّ لك من مشاهدة ذلك إما بالنجاة وإما بالعطف**) أي الهلاك، (**واعلم أن من حاسب نفسه**) في الدنيا (**ربح، ومن غفر عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن حلم غنم، ومن خاف أمن، ومن أمن اعتبر، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، فإذا زللت فارجع**) عن الزلة، (**وإذا ندمت فاقلع**) عن المعصية، (**وإذا جهلت**) في أمر (**فسل**) العلماء، (**وإذا غضبت فامسك**) والسلام. وروى صاحب نهج البلاغة عن علي رضي الله عنه أنه قال: من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم.

(**وكتب مطرف بن عبدالله**) بن الشخير من أقران الحسن البصري (**إلى عمر بن عبد**

دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له، وبها يغتر من لا علم عنده، فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء. وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عدي بن ارطأة أما بعد؛ فإن الدنيا عدوّة أولياء الله وعدوّة أعداء الله، فأما أولياؤه فغمتهم، وأما أعداؤه فغرتهم. وكتب أيضاً إلى بعض عماله أما بعد؛ فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد فإذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك، واعلم أنك لا تأتي إلى الناس شيئاً إلا كان زائلاً عنهم باقياً عليك، واعلم أن الله عز وجل آخذ للمظلومين من الظالمين والسلام.

العزيز رحمه الله أما بعد؛ فإن الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا عقل له، وبها يغتر من لا علم عنده. فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء). روى أحمد والبيهقي من طريق زويد عن أبي إسحاق عن عروة عن عائشة مرفوعاً: «الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له». ورجال أحمد رجال الصحيح غير زويد وهو ثقة. ورواه أحمد أيضاً، والشيرازي في الألقاب، والبيهقي عن ابن منصور موقوفاً.

(وكتب عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى **(إلى عدي بن ارطأة)** الفزاري كان عاملاً لعمر بن عبد العزيز على البصرة، ونقل سنة إثنين ومائة، روى له البخاري في كتاب الأدب المفرد **(أما بعد؛ فإن الدنيا عدوّة أولياء الله وعدوّة أعداء الله. أما أولياؤه فغمتهم، وأما أعداء الله فغرتهم)** أخرجه أبو نعيم في الحلية وفيه: فإن الدنيا عدوّة الله وعدوّة أولياء الله الخ. وقد تقدمت الإشارة إليه في شرح خطبة كتاب ذم الدنيا.

(وكتب) عمر بن عبد العزيز **(أيضاً إلى بعض عماله أما بعد، فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد فإذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك. واعلم أنك لا تأتي إلى الناس شيئاً إلا كان زائلاً عنهم باقياً عليك، وأعلم إن الله عز وجل آخذ للمظلومين من الظالمين والسلام)**. أخرجه أبو نعيم في الحلية، ومن كتابه إلى بعض عماله أما بعد، فاتق الله فيمن وليت أمره، ولا تأمن مكره في تأخير عقوبته، فإنه إنما يعجل بالعقوبة من يخاف الفوت والسلام.

ومن كتابه إلى رجل أما بعد؛ فإني أوصيك بتقوى الله والإنتشار لما استطعت من مالك وما رزقك الله إلى دار قرارك، فإنك والله لكأنك ذقت الموت وعاينت ما بعده بتصرف الليل والنهار فإنهما سريعان في طي الأجل ونقص العمر مستعدان بمن بقي بمثل الذي أصابه من قد مضى، فنستغفر الله لسيء أعمالنا ونعوذ به من مقته إيانا على ما نلفظ به مما يقصر عنه قوانا.

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز: أوصني. قال: أوصيك بتقوى الله وإيثاره تخف عليك المؤنة فيحسن لك من الله المعونة، وكتب أيضاً إلى رجل: أوصيك بتقوى الله الذي لا يقبل غيرها ولا

فهكذا ينبغي أن يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدري خصوص واقعته، فهذه المواعظ مثل الأغذية التي يشترك الكافة في الانتفاع بها، ولأجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ انحسم باب الاتعاظ وغلبت المعاصي واستسرى الفساد، وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون اسجاعاً وينشدون أبياتاً ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم ويتشبهون بحال غيرهم، فسقط عن قلوب العامة وقارهم ولم يكن كلامهم صادراً من القلب ليصل إلى القلب، بل القائل متصلف والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف.

يرحم إلا أهلها ولا يثيب إلا عليها، فإن الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل وكتب إلى بعض عماله أما بعد: فكان العباد قد عادوا إلى الله ثم ينبئهم بما عملوا ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذي أحسنوا بالحسنى فإنه لا معقب لحكمه ولا منازع في أمره ولا تقاطع في حقه الذي استحفظ عباده وأوصاهم به، وإني أوصيك بتقوى الله وأحثك على الشكر فيما اصطنع عندك من نعمه وآتاك من كرامته، فإن نعمه يمدها شكره ويقطعها كفره، وأكثر ذكر الموت الذي لا تدري متى يغشاك فلا مناص ولا فوت، وأكثر ذكر يوم القيامة وشدته فإن ذلك يدعوك إلى الزيادة فيما زهدت فيه والرغبة فيما رغبت فيه، وكن مما أوتيت من الدنيا على وجل فإن من لا يحذر ذلك ولا يخوفه يوشك الصرعة أن تدركه في الغفلة، وأكثر النظر في عملك في دنياك بالذي أمرت به ثم اقتصر عليه، فإن فيه لعمري شغلاً عن دنياك ولا تدرك العمل حتى تؤثره على الجهل، ولا الحق حتى تذر الباطل. فنسأل الله لنا ولك حسن معونته. وكتب إلى بعض عماله أما بعد: فالزم الحق ينزلك الحق منازل أهل الحق يوم لا يقضى بين الناس إلا بالحق وهم لا يظلمون. وقال لرجل أوصيك بتقوى الله فإنها ذخيرة الفائزين وحرز المؤمنين، وإياك والدنيا أن تفتنك فإنها قد فعلت ذلك بمن كان قبلك فإنها تغر المطمئنين إليها وتفجع الواثق بهات وتثلم الحريض عليها ولا تبقى لمن استبقاها ولا يدفع المتلف عنها من حواها لمناها مناظر بهجة ما قدمت منها أمامك لم يسبقك وما أخرت منها خلفك لم يلحقك.

(فهكذا ينبغي أن يكون وعظ العامة ووعظ من لا يدري خصوص واقعته، فهذه المواعظ مثل **الأغذية التي تشترك الكافة في الإنتفاع بها ولأجل فقد مثل هؤلاء الوعاظ انحسم باب الإتعاظ)** أي انسد **(وغلبت المعاصي واستسرى الفساد وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون أسجاعاً)** أي يزينون كلمات موزونة يتكلفون فيها **(وينشدون أبياتاً** بمناسبة ما يوردوه، **ويتكلفون ذكر ما ليس في سعة علمهم وينشبون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارهم)** وهيبتهم، **(ولم يكن كلامهم صادراً من القلب ليصل إلى القلب)** فقد روي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أنه قال: الكلام الذي يصدر عن القلب يقع على القلب، **(بل القائل متصلف)** أي متكبر، **(والمستمع متكلف وكل واحد منهما مدبر ومتخلف)** عن حلبة

فإذن كان طلب الطبيب أوّل علاج المرضى، وطلب العلماء أول علاج العاصين. **فهذا** أحد أركان العلاج وأصوله.

الأصل الثاني: الصبر: ووجه الحاجة إليه أن المريض إنما يطول مرضه لتناوله ما يضره، وإنما يتناول ذلك إما لغفلته عن مضرته وإما لشدة غلبة شهوته، فله سببان فما ذكرناه هو علاج الغفلة فيبقى علاج الشهوة ـ وطريق علاجها قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس ـ وحاصله ان المريض إذا اشتد ضراوته لمأكول مضر فطريقه أن يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره ثم يتسلى عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوّة الخوف على الألم الذي يناله في تركه، فلا بدّ على كل حال من مرارة الصبر فكذلك يعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلاً إذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه ولا حفظ قلبه أو حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته، فينبغي أن يستشعر ضرر ذنبه بأن يستقرىء المخوّفات التي جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فإذا اشتد خوفه تباعد من الأسباب المهيجة لشهوته ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهي والنظر إليه وعلاجه الهرب والعزلة، ومن داخل تناول لذائذ

السباق، (**فإذا كان طلب الطبيب أول علاج المرضى، وطلب العلماء أول علاج العاصين فهذا أحد أركان العلاج وأصوله.**

(**الأصل الثاني: الصبر. ووجه الحاجة إليه أن المريض إنما يطول مرضة لتناوله ما يضره**) من الأطعمة (**وإنما يتناول ذلك إما لغفلته عن مضرته، وإما لشدة غلبة شهوته فله سببان**) أي للمانع من التوبة سببان. أحدهما: الجهل بآفات الذنوب وما رتب عليها من العقوبات العاجلة والآجلة، (**فما ذكرناه هو علاج الغفلة**) وهو العلم لأن العلة تعالج بضدها (**فيبقى علاج الشهوة وطريق علاجها**) بالصبر لأن الصبر حبس النفس من المشتهى، وهذا يأتي في الكتاب الذي بعده (**قد ذكرناه أيضاً في كتاب رياضة النفس**) وتهذيب الأخلاق (**وحاصله أن المريض إذا اشتدت ضراوته بمأكول مضر فطريقه أن يستشعر عظم ضرره ثم يغيب ذلك عن عينه فلا يحضره**) لئلا يتعلق القلب به، (**ثم يتسل عنه بما يقرب منه في صورته**) أو خاصيته (ولا يكثر ضرره ثم يصبر بقوة الخوف على الألم الذي يناله في تركه، **فلا بد على كل** حال من مرارة الصبر فكذلك **يعالج الشهوة في المعاصي كالشاب مثلاً إذا غلبته الشهوة فصار لا يقدر على حفظ عينه ولا حفظ قلبه ولا حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته، فينبغي أن يستشعر ضرر ذنبه بأن يستقرىء المخوفات التي جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله** ﷺ، **فإذا اشتد خوفه تباعد من الأسباب المهيجة**) أي الباعثة (**لشهوته، ومهيج الشهوة من خارج هو حضور المشتهي**) بين يديه (**والنظر إليه وعلاجه الهرب والعزلة**) عن

الأطعمة وعلاجه الجوع والصوم الدائم. وكل ذلك لا يتم إلا بصبر ولا يصبر إلا عن خوف ولا يخاف إلا عن علم ولا يعلم إلا عن بصيرة وافتكار أو عن سماع وتقليد، **فأول** الأمر حضور مجالس الذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف إلى السماع ثم التفكر فيه لتمام الفهم، وينبعث من تمامه لا محالة خوفه، وإذا قوي الخوف تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعي لطلب العلاج، وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك فمن أعطى من قلبه حسن الإصغاء واستشعر الخوف فاتقى وانتظر الثواب وصدق بالحسنى فسييسره الله تعالى لليسرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى، فلا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى. وما على الأنبياء إلا شرح طرق الهدى وإنما لله الآخرة والأولى.

فإن قلت: فقد رجع الأمر كله إلى الإيمان لأن ترك الذنب لا يمكن إلا بالصبر

الخلق (و) مهيجها (**من داخل لذائذ الأطعمة وعلاجه الجوع**) في أكثر الأوقات (**والصوم الدائم، وكل ذلك لا يتم إلا بصبر ولا يصبر إلا عن خوف ولا يخاف إلا عن علم ولا يعلم إلا عن بصيرة وافتكار أو عن سماع**) من أفواه الشيوخ (**وتقليد**) لهم. (**فأول الأمر حضور مجالس الذكر، ثم الإستماع من قلب مجرد عن سائر الشواغل مصروف إلى السماع، ثم التفكر فيه لتمام الفهم وينبعث من تمامه لا محالة خوفه، وإذا قوي الخوف**) وتمكن منه (**تيسر بمعونته الصبر وانبعثت الدواعي لطلب العلاج**) للداخل والخارج (**وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك**) فلا يقدر له قدر فالمساعي أشتات مختلفة، (**فمن أعطى من قلبه حسن الإصغاء**) لأمور الطاعات (**واستشعر الخوف فاتقى**) المعاصي (**وانتظر الثواب وصدق بالحسنى**) أي بالكلمات الحسنى، (**وهي ما دل على حق**) ككلمة التوحيد (**فسييسره الله تعالى**) أي سيهديه (**لليسرى**) أي للخلة المؤدية إلى اليسر والزلف كدخول الجنة، (**وأما من بخل**) بما أمر به (**واستغنى**) بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (**وكذب بالحسنى**) بإنكار مدلولها (**فسييسره الله للعسرى**) أي للخلة المؤدية إلى العسر والشدة بدخول النار، (**فلا يغني عنه ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك**) أي مات (**وتردى**) حفرة القبر أو قعر جهنم، (**وما على الأنبياء إلا شرح طرق الهدى**) أي الإرشاد إلى الحق بشرح صفاته أو بمقتضى حكمته، (**وإنما لله الآخرة، والاولى**) فيعطي في الدارين الذي يشاء أو ثواب الهداية للمهتدين، وفي السياق تلميح لقوله تعالى: ﴿إن سعيكم لشتى★ فأما من أعطى واتقى★ وصدق بالحسنى★ فسنيسره لليسرى★ وأما من بخل واستغنى★ وكذب بالحسنى★ فسنيسره العسرى★ وما يغني عنه ماله إذا تردى★ إن علينا للهدى★ وإن لنا للآخرة والأولى﴾ [الليل: ٤ - ١٣]..

(**فإن قلت: فقد رجع الأمر كله إلى الإيمان لأن ترك الذنب لا يمكن إلا بالصبر عنه**)

عنه، والصبر لا يمكن إلا بمعرفة الخوف، والخوف لا يكون إلا بالعلم، والعلم لا يحصل إلا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب، والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الإيمان، فكان من أصر على الذنب لم يصر إلا لأنه غير مؤمن؟ فاعلم أن هذا لا يكون لفقد الإيمان، بل يكون لضعف الإيمان، إذ كل مؤمن مصدق بأن المعصية سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب في الآخرة، ولكن سبب وقوعه في الذنب أمور.

أحدها: أن العقاب الموعود غيب ليس بحاضر والنفس جبلت متأثرة بالحاضر، فتأثرها بالموعود ضعيف بالإضافة إلى تأثرها بالحاضر.

الثاني: أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة بالمخنق وقد قوي ذلك واستولى عليها بسبب الاعتياد والإلف ـ والعادة طبيعة خامسة ـ والنزوع عن العاجل لخوف الآجل شديد على النفس، ولذلك قال تعالى: ﴿كلاَّ بل تحبون العاجلة ★ وتذرون الآخرة﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١] وقال عز وجل: ﴿بل تؤثرون الحياة

على مرارته، (**والصبر لا يمكن إلا بمعرفة الخوف، والخوف لا يحصل إلا بالعلم، والعلم لا يحصل إلا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب، والتصديق بعظم ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الإيمان. فكان من أصر على الذنب لم يصر عليه إلا لأنه** غير مؤمن؟ **فاعلم أن هذا لا يكون لفقد الإيمان**) من أصله، (**بل يكون لضعف الإيمان إذ كل مؤمن مصدق بأن المعصية سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب في الآخرة، ولكن سبب وقوعه في الذنب أمور**).

(**أحدها: أن العقاب الموعود**) على الذنب (**غيب ليس بحاضر**) في الحال، (**والنفس جبلت متاثرة بالحاضر**) في الحال وفي نسخة بحب الحاضر (**فتأثرها بالموعود**) الغائب (**ضعيف بالإضافة إلى تأثرها بالحاضر**) وهذا ظاهر.

(**الثاني: أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة**) أي مقتضية (**وهي في الحال**) أي الحاضر (**آخذة بالمخنق**) كمقعد العنق لأنه موضع الخنق، (**وقد قوى ذلك واستولى**) أي غلب (**عليها بسبب الإعتياد والألف و**) قد قالوا: (**العادة طبيعة خامسة**) زيادة على الطبائع الأربع، (**والنزوع عن العاجل**) في الحال (**لخوف الآجل**) في المآل (**شديد على النفس**) ثقيل عليها، (**ولذلك قال**) الله تعالى: (**﴿كلا بل تحبون العاجلة﴾**) أي الدنيا الحاضرة (**﴿وتذرون الآخرة﴾**) وهي الآجلة أي يتركونها بمقتضى الفهم للعاجلة (**وقال عز من قائل: ﴿تؤثرون الحياة الدنيا﴾**) ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ (**وقد عبر عن شدة الأمر قول رسول

الدنيا﴾ [الأعلى: ١٩] وقد عبّر عن شدة الأمر قول رسول الله ﷺ « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ». وقوله ﷺ: « إن الله تعالى خلق النار فقال لجبريل عليه السلام: اذهب فانظر إليها فنظر إليها فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها! فحفها بالشهوات ثم قال: اذهب فانظر إليها فنظر فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها. وخلق الجنة فقال لجبريل عليه السلام: اذهب فانظر إليها فنظر فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فحفها بالمكاره. ثم قال: اذهب فانظر إليها فنظر إليها فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ». فإذاً كون الشهوة مرهقة في

الله ﷺ: « حفت الجنة بالمكاره) جمع مكرهة وهي ما يكره الإنسان ويشق عليه من القيام بحقوق العباد على وجهها وأصل الحف الدائر بالشيء المحيط، والمعنى أحاطت المكاره بنواحي الجنة فهي لا تنال إلا بقطع مفاوز المكاره والصبر عليها **(وحفت النار بالشهوات)** أي أحاطت والشهوات كل ما يلائم النفس وتدعو إليه وهو تمثيل حسن معناه يوصل إلى الجنة بارتكاب المكاره من الجهد في الطاعة والصبر على الشهوة، كما يوصل المحجوب من الشيء إليه بهتك حجابه، ويوصل إلى النار بارتكاب الشهوات، ومن المكاره الصبر على المصائب بأنواعها، فكلما صبر على واحدة قطع حجاباً من حجب الجنة، ولا يزال يقطع حجبها حتى لا يبقى بينه وبينها إلا مفارقة روحه بدنه، وهذا من جوامع الكلم في ذم الشهوات. أخرجه أحمد ومسلم وعبد بن حميد والدارمي والترمذي وأبو يعلى وابن حبان من طريق ورقاء عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً. ورواه أحمد ومسلم والترمذي أيضاً من طريق ابن سلمة عن ثابت وحميد كلاهما عن أنس مرفوعاً. ورواه القضاعي من طريق إسحاق بن محمد الفروي، عن مالك، عن سمي، عن أبي صالح عن أبي هريرة كذلك. ورواه البخاري من طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة لكن بلفظ: « حجبت النار بالشهوات وحجبت، الجنة بالمكاره، ورواه أحمد في الزهد عن ابن مسعود موقوفاً.

(وقوله ﷺ: « **إن الله**) عز وجل (**خلق النار فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر إليها**) فذهب (**فنظر إليها فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات**) أي جعلها كالسور المحيط بها (**ثم قال**) له (**اذهب فانظر إليها**) فذهب فنظر إليها (**فقال: لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها، وخلق الجنة فقال لجبريل**) عليه السلام: (**اذهب فانظر إليها**) فذهب (**فنظر إليها فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فحفها بالمكاره**) أي بالشدائد والمكروهات (**ثم قال: إذهب فانظر إليها**) فذهب (**فنظر**) إليها (**فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد »**) قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي والحاكم وصححاه من حديث أبي هريرة وقدم فيه ذكر الجنة اهـ.

الحال وكون العقاب متأخراً إلى المآل سببان ظاهران في الاسترسال مع حصول أصل الإيمان، فليس كل من يشرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذباً بأصل الطب ولا مكذباً بأن ذلك مضر في حقه، ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه ناجز فيهون عليه الألم المنتظر.

الثالث: إنه ما من مذنب مؤمن إلا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات، وقد وعد بأن ذلك يجبره إلا أن طول الأمل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكثير، فمن حيث رجاؤه التوفيق للتوبة ربما يقدم عليه مع الإيمان.

الرابع: أنه ما من مؤمن موقن إلا وهو معتقد أن الذنوب لا توجب العقوبة إيجاباً لا يمكن العفو عنها، فهو يذنب وينتظر العفو عنها اتكالاً على فضل الله تعالى. فهذه أسباب أربعة موجبة للإصرار على الذنب مع بقاء أصل الإيمان.

نعم. وقد يقدم المذنب بسبب خامس يقدح في أصل إيمانه وهو كونه شاكاً في صدق الرسل وهذا هو الكفر، كالذي يحذره الطبيب عن تناول ما يضره في المرض فإن

(**فإذا كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخراً إلى المآل سببان ظاهران في الإسترسال**) في المعاصي (**مع حصول أصل الإيمان**) وبقائه، (**فليس كل من يشرب من مرضه ماء الثلج**) أي المبرد به (**لشدة عطشه**) وكثرة لهبه (**مكذباً بأصل الطب ولا مكذباً بأن ذلك مضر في حقه، ولكن الشهوة تغلبه وألم الصبر عنه ناجز**) في الحال (**فيهون عليه الألم المنتظر**) في الحال.

(**الثالث: أنه ما من**) عبد (**مذنب مؤمن إلا وهو في الغالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وقد وعد بأن ذلك يجبره إلا أن طول الأمل غالب على الطباع**) مستول عليه، (**فلا يزال يسوف بالتوبة والتكفير**) مرة بعد أخرى، (**فمن حيث رجاؤه توفيقه للتوبة**) وفي نسخة التوفيق للتوبة (**ربما يقدم عليه مع**) بقاء أصل (**الإيمان**).

(**الرابع: أنه ما من مؤمن موقن إلا وهو معتقد أن الذنوب لا توجب العقوبة إيجاباً لا يمكن العفو عنها، فهو يذنب وينتظر العفو عنها إتكالاً على فضل الله تعالى فهذه أسباب أربعة موجبة للإصرار على الذنب مع بقاء أصل الإيمان**) في كل منها.

(**نعم قد يقدم المذنب بسبب خامس بقدح في أصل الإيمان**) ويخالفه (**وهو كونه شاكاً في صدق الرسل وهذا هو الكفر**)، وهو (**كالذي يحذره الطبيب عن تناول ما يضره في**

كان المحذر ممن لا يعتقد فيه أنه عالم بالطب فيكذبه أو يشك فيه فلا يبالي به فهذا هو الكفر.

فإن قلت: فما علاج الأسباب الخمسة؟ فأقول: هو الفكر، وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأوّل وهو تأخر العقاب أن كل ما هو آت آت وإن غدا للناظرين قريب وأن الموت أقرب إلى كل أحد من شراك نعله فما يدريه لعل الساعة قريب، والمتأخر إذا وقع صار ناجزاً ويذكر نفسه أنه أبداً في دنياه يتعب في الحال لخوف أمر في الاستقبال، إذ يركب البحار ويقاسي الأسفار لأجل الربح الذي يظن أنه قد يحتاج إليه في ثاني الحال، بل لو مرض فأخبره طبيب نصراني بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت وكان الماء البارد ألذ الأشياء عنده تركه مع أن الموت ألمه لحظة إذا لم يخف ما بعده، ومفارقته للدنيا لا بدّ منها، فكم نسبة وجوده في الدنيا إلى عدمه أزلاً وأبداً؟ فلينظر كيف يبادر إلى ترك ملاذه بقول ذمي لم تقم معجزة على طبه فيقول: كيف يليق بعقلي أن يكون قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات عندي دون قول نصراني يدعي الطب

المرض، فإن كان المحذر ممن لا يعتقد فيه أنه عالم بالطب أو حاذق فيه فيكذبه أو يشك فيه، فلا يبالي به وهذا هو الكفر).

(**فإن قلت: فما علاج الأسباب الخمسة**) المذكورة؟ (**فأقول**): علاجها الكلي (**هو الفكر**) أي استعماله، (**وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأول وهو تأخر العقاب أن كل ما هو آت آت وأن غداً للناظرين**) وفي نسخة لناظره (**قريب، وأن الموت أقرب إلى كل أحد من شراك نعله**) كما في الصحيح من حديث عائشة: أن بلالاً لما وعك بالمدينة كان يرفع عقيرته ويقول:

كل امرىء مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

وهو تحقيق لكمال تقريبه، (**فما يدريه لعل الساعة قريب، والمتأخر إذا وقع صار ناجزاً ويذكر نفسه أنه أبداً في دنياه يتعب نفسه في الحال لخوف أمر في الإستقبال إذ يركب البحار**) والأوعار (**ويقاسي الأسفار لأجل**) تحصيل (**الربح الذي يظن أنه قد يحتاج إليه في ثاني الحال، بل لو مرض وأخبره طبيب نصراني بأن شرب الماء البارد**) مثلاً (**يضره**) في مرضه (**ويسوقه إلى الموت، وكان الماء البارد ألذ الأشياء عنده تركه**) ولم يشربه، (**مع أن الموت ألمه لحظة**) واحدة (**إذا لم يخف ما بعده ومفارقته للدنيا لا بد منها فكم نسبة مدة وجوده في الدنيا**) وبقائه فيها (**إلى عدمه أزلاً وأبداً. فلينظر كيف يبادر إلى ترك ملاذه بقول ذمي لم تقم معجزته على طبه، فيقول: كيف يليق بعقلي أن يكون قول الأنبياء**)

لنفسه بلا معجزة على طبه ولا يشهد له الأعوام الخلق، وكيف يكون عذاب النار عندي أخف من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا؟ وبهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول: إذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام العمر وهي أيام قلائل فكيف أقدر على ذلك أبد الآباد؟ وإذا كنت لا أطيق ألم الصبر فكيف أطيق ألم النار؟ وإذا كنت لا أصبر على زخارف الدنيا مع كدوراتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف أصبر عن نعيم الآخرة؟ وأما تسويف التوبة فيعالجه بالفكر في أن أكثر صياح أهل النار من التسويف، لأن المسوف يبني الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء، فلعله لا يبقى وإن بقي فلا يقدر على الترك غداً كما لا يقدر عليه اليوم، فليت شعري هل عجز في الحال إلا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غداً بل تتضاعف إذ تتأكد بالاعتياد! فليست الشهوة التي أكدها الإنسان بالعادة كالتي لم يؤكدها. وعن هذا هلك المسوفون لأنهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون أن الأيام متشابهة في أن ترك الشهوات فيها أبداً شاق. وما مثال المسوّف إلا مثال من

عليهم السلام؟ (**والمؤيدون بالمعجزات**) الباهرة (**عندي دون قول نصراني طبيب يدعى الطب لنفسه بلا معجزة على طبه ولا يشهد له إلا عوام الخلق**) الذين لا عبرة بهم، (**وكيف يكون عذاب النار عندي أخف من عذاب المرض، وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا**) كما أخبر به الله تعالى في كتابه العزيز ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة﴾ [الحج: ٤٧] (**وهذا التفكر بعينه يعالج اللذة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها، ويقول: إذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام العمر وهي أيام قلائل**) بالنسبة إلى العدم، (**فكيف أقدر على ذلك أبد الأبد، وإذا كانت لا أطيق ألم الصبر، فكيف أطيق ألم النار، وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كثرة همومها وكدوراتها وتنغصها وامتزاج صفوها بكدرها. فكيف أصبر عن نعيم الآخرة**) مع سلامته من المنغصات؟ (**و**) أما (**تسويف التوبة**) أي تأخيرها من وقت إلى وقت (**فيعالجه بالفكر في أن أكثر صياح أهل النار من التسويف**) كما ورد ذلك في بعض الأخبار وتقدم ذكره (**لأن المسوف يبني الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء**) بلا فناء، (**فلعله لا يبقى وإن بقي فلا يقدر على الترك غداً كما لا يقدر عليه اليوم، فليت شعري هل عجز في الحال إلا لغلبة الشهوة والشهوة ليست تفارقه غداً بل تتضاعف**) وتزداد (**إذ تتأكد بالإعتياد، فليس الشهوة التي أكدها الإنسان بالإعتياد**) عليها وفي نسخة بالعادة (**كالتي لم يؤكدها، ومن هذا هلك المسوّفون لأنهم يظنون الفرق بين المتماثلين ولا يظنون أن الأيام متشابهة في أن ترك الشهوات فيها أبداً شاق**) أي شديد، (**وما مثال المسوّف إلا مثال من احتاج إلى قلع شجرة**) من أصلها (**فرآها**

احتاج إلى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع إلا بمشقة شديدة فقال: أؤخرها سنة ثم أعود إليها وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه، فلا حماقة في الدنيا أعظم من حماقته، إذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فأخذ ينتظر الغلبة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوي الضعيف.

وأما المعنى الرابع: وهو انتظار عفو الله تعالى، فعلاجه ما سبق وهو كمن ينفق جميع أمواله ويترك نفسه وعياله فقراء منتظراً من فضل الله تعالى أن يرزقه العثور على كنز في أرض خربة، فإن إمكان العفو عن الذنب مثل هذا الإمكان وهو مثل من يتوقع النهب من الظلمة في بلده وترك ذخائر أمواله في صحن داره، وقدر على دفنها وإخفائها فلم يفعل وقال: انتظر من فضل الله تعالى أن يسلط غفلة أو عقوبة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ إلى داري أو إذا انتهى إلى داري مات على باب الدار، فإن الموت ممكن والغفلة ممكنة، وقد حكي في الأسمار أن مثل ذلك وقع فإنا أنتظر من فضل الله مثله فمنتظر هذا منتظر أمر ممكن ولكنه في غاية الحماقة والجهل إذ قد لا يمكن ولا يكون.

وأما الخامس: وهو الشك فهذا كفر وعلاجه الأسباب التي تعرفه صدق الرسل

قوية) راسخة في لأرض **(لا تنقلع إلا بمشقة شديدة فقال: أؤخرها سنة ثم أعود إليها وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت إزداد رسوخها)** في الأرض، **(وهو كلما طال عمره)** بعد الأربعين **(إزداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا أعظم من حماقته إذ عجز مع قوّته عن مقاومة ضعيف، فأخذ ينتظر الغلبة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوى الضعيف)** .

(وأما المعنى الرابع: وهو انتظار عفو الله تعالى فعلاجه ما سبق) قريباً **(وهو كمن ينفق جميع أمواله)** على الفقراء والمساكين **(ويترك نفسه وعياله فقراء)** حالة **(منتظراً من فضل الله تعالى أن يرزقه العثور)** أي الإطلاع على كنز في أرض قرية، فإن إمكان العفو عن الذنب مثل هذا الإمكان **(وهو مثل من يتوقع النهب من الظلمة في بلده وترك ذخائر أمواله في صحن داره وقدر على دفنها وإخفائها فلم يفعل وقال: انتظر من فضل الله تعالى أن يسلط غفلة على الظالم الناهب حتى لا يتفرغ إلى داري)** بل يشتغل عنها. **(أو إذا انتهى إلى داري مات على باب الدار)** ولم يمكن من أخذ الأموال، **(فإن الموت ممكن والغفلة ممكنة، وقد حكي في الأسمار)** أي الحكايات عن الماضين ممن سمر بها **(أن مثل ذلك)** قد **(وقع فأنا أنتظر من فضل الله تعالى مثله فمنتظر هذا منتظر أمر ممكن، ولكنه في غاية الحماقة)** وقلة العقل **(والجهل، إذ قد لايمكن ولا يكون)** .

(وأما الخامس وهو الشك؛ فهذا كفر وعلاجه الأسباب التي تعرفه صدق الرسل وذلك

وذلك يطول. ولكن يمكن أن يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله فيقال له ما قاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقة ممكن أو تقول أعلم أنه محال كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة؟ فإن قال أعلم استحالته كذلك فهو أخرق معتوه وكأنه لا وجود لمثل هذا في العقلاء، وإن قال: أنا شاك فيه فيقال: لو أخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك في البيت لحظة أنه ولغت فيه حية وألقت سمها فيه وجوزت صدقه فهل تأكله أو تتركه. وإن كان ألذ الأطعمة؟ فيقول: أتركه لا محالة لأني أقول إن كذب فلا يفوتني إلا هذا الطعام والصبر عنه وإن كان شديداً فهو قريب. وإن صدق فتفوتني الحياة والموت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وإضاعته شديد. فيقال له: يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة الأولياء والعلماء والحكماء، بل جميع أصناف العقلاء ـ ولست أعني بهم جهال العوام بل ذوي الألباب ـ عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضاً فيما يقول؟ فليس في العقلاء إلا من صدق باليوم الآخر وأثبت ثواباً وعقاباً وإن اختلفوا في كيفيته، فإن صدقوا فقد أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد، وإن كذبوا فلا يفوتك إلا بعض شهوات هذه الدنيا الفانية المكدرة. فلا يبقى له توقف إن كان

يطول) بيانه، **(ولكن يمكن أن يعالج بعلم قريب يليق بحد عقله فيقال له)** وفي نسخة فيقول: **(ما قاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقه ممكن أو تقول اعلم أنه محال كما اعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين)** مختلفين **(في حالة واحدة، فإن قال: اعلم استحالته)** كذلك **(فهو أخرق معتوه)** ذاهب العقل، **(وكأنه لا وجود لمثل هذا في العقلاء، وإن قال أنا شاك فيه، فيقال: لو أخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك في البيت لحظة أنه ولغت فيه حية وألقت سمها فيه وجوزت صدقة، فهل تأكله أم تتركه، وإن كان ألذ الأطعمة فيقول: أتركه لا محالة لأني أقول إن كذب فلا يفوتني إلا هذا الطعام)** اللذيذ **(والصبر عنه، وإن كان شديداً فهو قريب وإن صدق فتفوتني الحياة)** في الدنيا **(والموت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وإضاعته شديد)** هول **(فيقال له: يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الأنبياء)** عليهم السلام **(كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات)** والآيات الدالة على ما قالوا، **(وصدق كافة الأولياء والعلماء والحكماء، بل جميع أصناف العقلاء)** من الأنس، **(ولست أعني بهم جهال العوام، بل ذوي الألباب عن صدق رجل واحد مجهول)** لا يعلم كيفاً **(لعل له غرضاً فيما يقول، فليس في العقلاء إلا من صدق باليوم الآخر وأثبت ثواباً وعقاباً)** على الطاعة والعصيان، **(وإن اختلفوا في كيفيته، فإن صدقوا فقد أشرفت على عذاب يبقى أبد الآباد، وإن كذبوا فلا يفوتك إلا بعض**

عاقلاً مع هذا الفكر إذ لا نسبة لمدة العمر إلى أبد الآباد، بل لو قدرنا الدنيا مملوءة بالذرة وقدرنا طائراً يلتقط في كل ألف ألف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص أبد الآباد شيئاً، فكيف يفتر رأي العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلاً لأجل سعادة تبقى أبد الآباد؟ ولذلك قال أبو العلاء أحمد بن سليمان التنوخي المعري:

قال المنجم والطبيب كلاهما ... لا تبعث الأموات قلت اليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر ... أو صح قولي فالخسار عليكما

ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور وكان شاكاً: إن صح ما قلت فقد تخلصنا جميعاً وإلا فقد تخلصت وهلكت! أي العاقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال.

فإن قلت: هذه الأمور جلية ولكنها ليست تنال إلا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستثقلته، وما علاج القلوب لردها إلى الفكر لا سيما من آمن بأصل الشرع وتفصيله؟ فاعلم أن المانع من الفكر أمران.

شهوات الدنيا الفانية المكدرة فلا يبقى له توقف إن كان عاقلاً مع هذا الفكر إذ لا نسبة لمدة العمر إلى أبد الآباد، بل لو قدرنا الدنيا مملوءة ذرة) وفي نسخة بالذرة **(وقدرنا طائراً يلتقط في كل ألف ألف سنة حبة واحدة منها لفنيت الذرة ولم ينقص من أبد الآباد شيء، فكيف يفتر رأي العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلاً لأجل سعادة تبقى أبد الآباد، وذلك لا منتهى له، ولذلك قال)** أديب معرة النعمان **(وأبو العلاء)** أحمد بن سليمان التنوخي **(المعري)** تقدمت ترجمته:

(قال المنجم والطبيب كلاهما ... لا تبعث الأموات قلت إليكما
إن صح قولكما فلست بخاسر ... أو صح قولي فالخسار عليكما)

فهذا كلامه مع منكر الحشر. **(وكذلك قال علي رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور وكان شاكاً)** في أمر الآخرة، **(إن صح ما قلت فقد تخلصنا جميعاً وإلا فقد تخلصت)** أنا **(وهلكت)** أنت وقد تقدم ذلك في كتاب ذم الغرور. **(أي العاقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال)**.

(فإن قلت: هذه أمور جلية، ولكنها ليست تنال إلا بالفكر، فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستثقلتها، وما علاج القلوب لردها إلى الفكر لا سيما من آمن بأصل الشرع وتفصيله؟ فاعلم أن المانع من الفكر) في هذه الأمور **(أمران)**.

أحدهما: أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأهوالها وشدائدها وحسرات العاصين في الحرمان عن النعيم المقيم، وهذا فكر لداغ مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة.

والثاني: أن الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات، وما من إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته فصار عقله مسخراً لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته، وصارت لذته في طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك.

وأما علاج هذين المانعين فهو أن يقول لقلبه: ما أشد غباوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما بعده تألماً بذكره مع استحقار ألم مواقعته، فكيف تصبر على مقاساته إذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتألم به؟ وأما الثاني: وهو كون الفكر مفوّتاً للذات الدنيا، فهو أن يتحقق فوات لذات الآخرة أشد وأعظم فإنها لا آخر لها ولا كدورة فيها، ولذات الدنيا سريعة الدثور وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن كدر، وكيف وفي التوبة عن المعاصي والاقبال على الطاعة تلذذ بمناجاة

(أحدهما: أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأهوالها وشدائدها وحسرات العاصين في الحرمان عن النعيم المقيم، وهذا فكر لداغ مؤلم للقلب) كأنه يلدغه **(فينفر القلب عنه ويتلذذ بالفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرج)** والإنبساط **(والإستراحة)**.

(والثاني: أن الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا وقضاء الشهوات، وما من إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقته) أي أسرته، **(فصار عقله مسخراً لشهوته)** أي منقاداً لها **(فهو مشغول بتدبير حيلته، وصارت لذته في طلب الحيلة فيه أو في مباشرة قضاء الشهوة والفكر يمنعه من ذلك)** فهذا سبب استثقال القلوب الفكر.

(وأما علاج هذين المانعين؛ فهو أن يقول لقلبه ما أشد غباوتك في الإحتراز من الفكر في الموت وما بعده تألماً بذكره مع استحقار ألم مواقعته، فكيف تصبر على مقاساته إذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده ومتألم به؟ وأما الثاني وهو كون الفكر مفوّتاً للذات الدنيا فهو أن يتحقق أن لذة الآخرة أشد وأعظم، فإنها لا آخر لها ولا كدورة فيها ولذات الدنيا سريعة الدثور) أي الذهاب والإنطماس، **(وهي)** مع ذلك **(مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن كدر، وكيف وفي التوبة عن المعاصي والإقبال**

الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته وطول الانس به؟ ولو لم يكن للمطيع جزء على عمله إلا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافياً، فكيف بما ينضاف إليه من نعيم الآخرة؟ نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنها بعدما يصبر عليها مدة مديدة وقد صار الخير ديدناً كما كان الشر ديدناً، فالنفس قابلة ـ ما عودتها تتعوّد ـ والخير عادة والشر لجاجة.

فإذاً هذه الأفكار هي المهيجة للخوف المهيج لقوّة الصبر عن اللذات ومهيج هذه الأفكار وعظ الوعاظ وتنبيهات تقع للقلب بأسباب تتفق لا تدخل في الحصر، فيصير الفكر موافقاً للطبع فيميل القلب إليه. ويعبر عن السبب الذي أوقع الموافقة بين الطبع والفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق، إذ التوفيق هو التأليف بين الإرادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة. وقد روي في حديث طويل أنه قام عمار بن ياسر فقال

على الطاعة تلذذ بمناجاة الله تعالى واستراحة بمعرفته وطاعته وطول الأنس به، ولو لم يكن للمطيع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الأنس بمناجاة الله تعالى لكان ذلك كافياً) ولم يحتج فيه إلى ضميمة، **(فكيف بما ينضاف إليه من نعيم الآخرة؟ نعم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة، ولكنها بعد ما يصبر عليها مدة مديدة فقد صار الخير ديدناً)** أي عادة وطبعاً، **(كما كان الشر)** قبل ذلك **(ديدناً)** وطبعاً، **(فالنفس قابلة لما عوّدتها)** راغبة ما رغبتها، **(فتعوّد الخير عادة والشر لجاجة)** والعادة من العود إلى الشيء مرة بعد أخرى وأكثر ما تستعمل في المراجعة في الشيء المضر بشؤم الطبع من غير تدبر عاقبته ويسمى فاعله لجوجا. وروى الطبراني في الكبير عن ابن مسعود موقوفاً الخير عادة وروى ابن ماجه والطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي، والقضاعي، وابن عساكر من طريق يونس بن ميسرة بن حليس عن معاوية بن أبي سفيان رفعه: «الخير عادة والشر لجاجة» زاد بعضهم فيه: «ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين».

(فإذاً هذه الأفكار هي المهيجة) أي الباعثة **(للخوف المهيج لقوّة الصبر عن اللذات)** والشهوات، **(ويهيج هذه الأفكار وعظ الواعظ وتنبيهات تقع للقلب)** على سبيل ورود الواردات **(بأسباب تتفق)** في بعض الأحوال والأحيان **(لا تدخل في الحصر)** ولا في الضبط، **(فيصير الفكر موافقاً للطبع فيميل القلب إليه)** ومعنى موافقته للطبع الرجوع إلى الخير والإمتناع عن الشر، فيكون الفكر بمنزلة الحاكم والطبع محكوماً عليه، **(ويعبر عن السبب الذي أوقع الموافقة بين الطبع والفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق إذ التوفيق هو التأليف بين الإرادة وبين المعنى الذي هو طاعة نافعة في الآخرة)** ويقرب منه قول بعضهم هو جعل الله فعل عبده موافقاً لما يحبه ويرضاه، وقول بعضهم: هو الهداية إلى وفق

لعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ماذا بني؟ فقال علي رضي الله عنه: بني على أربع دعائم: على الجفاء، والعمى، والغفلة، والشك. فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء، ومن عمي نسي الذكر، ومن غفل حاد عن الرشد، ومن شك غرته الأماني فأخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب. فما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكر، وهذا القدر في التوبة كافٍ، وإذا كان الصبر ركناً من أركان دوام التوبة فلا بدّ من بيان الصبر، فنذكره في كتاب مفرد إن شاء الله تعالى.

الشيء وقدره وما يوافقه ويعبر عنه أيضاً بالتسديد، **(وقد روي في حديث طويل)** يروى من طريق أهل البيت **(أنه قام عمار بن ياسر)** رضي الله عنه **(فقال لعلي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ماذا بني؟ فقال علي رضي الله عنه: بني على أربع دعائم: على الجفاء، والعمى، والغفلة، والشك. فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء)** أي أبغضهم، **(ومن عمي نسي الذكر، ومن غفل حاد عن الرشد، ومن شك غرته الأماني فأخذته الحسرة والندامة وبداله من الله ما لم يكن يحتسب)** ولفظ القوت بعد قوله عن الرشد وغرته الأماني، فأخذته المساءة والندامة وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، ومن شد تاه في الضلالة اهـ.

ورواه صاحب نهج البلاغة في حديث طويل عن علي رضي الله عنه قال فيه: والكفر على أربع دعائم: على التعمق، والتنازع، والزيغ، والشقاق. فمن تعمق لم ينب إلى الحق، ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق، ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلالة، ومن شاق وعرت عليه طرقه وأعضل عليه أمره وضاق مخرجه، والشك على أربع شعب: على التماري، والهول، والتردد، والإستيلاء. فمن جعل المرء ديدناً لم يصبح ليله، ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه، ومن تردد في الريب وطئته سنابك الشياطين، ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيها اهـ.

قلت: هكذا رواه قبيصة بن جابر والعلاء بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا: كنا جلوسا عند علي بن أبي طالب إذ أتاه رجل من خزاعة فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الإسلام والكفر على ماذا بنيا؟ فساقوه بطوله. ورواه الحرث عن علي مختصراً.

(فما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التفكر) إذ جعل الغفلة أحد مقامات الكفر وقرنها بالعمى والشك، وأحال صاحبها عن الرشد ووصفه بالحيرة. **(وهذا القدر في التوبة كاف)** لذوي البصائر، **(وإذا كان الصبر ركناً من أركان دوام التوبة، فلا بد من بيان الصبر فنذكره في كتاب مفرد إن شاء الله تعالى)**، وبهذا ينكشف لك سر الترتيب الذي رتبه

المصنف رحمه الله تعالى في هذا الكتاب فما أغزر علمه وأدق نظره، فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علماً ويرحمنا فيما نعلم بمنه وسعة جوده، وبه تم شرح كتاب التوبة.

(خاتمة): في ذكر ما يتعلق من التنبيهات والاشارت في التوبة. قال أبو القاسم القشيري في الرسالة: إن للتوبة أسباباً وترتيباً وأقساماً، فأوّل ذلك انتباه القلب عن رقدة الغفلة ورؤية العبد ما هو عليه من سوء الحالة ويصل إلى هذه الجملة بالتوفيق للإصغاء إلى ما يخطر بباله من زواجر الحق سبحانه بسمع قلبه، فإذا تمكن بقلبه سوء ما يصنعه وأبصر ما هو عليه من قبيح الافعال رسخ في قلبه إرادة التوبة والإقلاع عن قبيح المعاملة فيمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمة والأخذ في جميع الرجوع والتأهب لأسباب التوبة، فأوّل ذلك هجران إخوان السوء، فإنهم هم الذين يحملون على رد هذا القصد ويشوّشون عليه صحة هذا العزم، ولا يتم ذلك إلا بالمواظبة على المشاهدة التي تزيد رغبته في التوبة وتوفر دواعيه على إتمام ما عزم عليه مما يقوى خوفه ورجاءه، فعند ذلك تنحل من قلبه عقدة الإصرار على ما هو عليه من قبيح الفعال، فيقف عن تعاطي المحظورات ويكبح لجام نفسه عن متابعة الشهوات، فيفارق الزلة في الحال ويبرم العزيمة على أن لا يعود إلى مثلها في الاستقبال، فإن مضى على موجب قصده ونفذ بمقتضى عزمه، فهذا الموفق صدقاً وإن نقض التوبة مرة أو مرات وتحمله إرادته على تجديدها، وقد يكون مثل هذا كثيراً فلا ينبغي قطع الرجاء عن توبة أمثال هؤلاء، فإن لكل أجل كتاباً.

حكي عن أبي سليمان الداراني أنه قال: اختلفت إلى مجلس قاص فأثرّ كلامه في قلبي فلما قمت لم يبق في قلبي شيء. فعدت ثانيا فسمعت كلامه فبقي في قلبي كلامه في الطريق، ثم زال عن قلبي، فعدت ثالثا فبقى أثر كلامه في قلبي حتى رجعت إلى منزلي فكسرت آلات المخالفات ولازمت الطريق، فحكى هذه الحكاية ليحيى بن معاذ فقال: عصفور اصطاد كركياً أراد بالعصفور ذلك القاص وبالكركي أبا سليمان الداراني.

ويحكي عن أبي حفص الحداد أنه قال: تركت العمل كذا وكذا مرة فعدت إليه ثم تركني العمل فلم أعد بعد إليه، وقيل: ان أبا عمرو بن نجيد في ابتداء أمره اختلف إلى مجلس أبي عثمان فأثر في قلبه كلامه فتاب، ثم أنه وقعت له فترة فكان يهرب من أبي عثمان إذا رآه ويتأخر عن مجلسه فأستقبله أبو عثمان يوماً فعدا أبو عمر وعن طريقه وسلك طريقاً آخر، فتبعه أبو عثمان فما زال به يقفو أثره حتى لحقه، ثم قال له: يا بني لا تصحب من لا يحبك إلا معصوماً إنما ينفعك أبو عثمان في مثل هذه الحالة. قال: فتاب أبو عمرو وعاد إلى الإرادة وتعبد.

سمعت الشيخ أبا علي الدقاق يقول تاب بعض المريدين ثم وقعت له فترة فكان يفكر وقتاً لو عاد إلى التوبة كيف كان حكمه؟ فهتف به هاتف يا فلان أطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فأمهلناك، فإن عدت إلينا قبلناك فعاد الفتى إلى الإرادة وتعبد، فإذا ترك المعاصي وحلّ عن قلبه عقدة الإصرار وعزم على أن لا يعود إلى مثله، فعند ذلك يخلص إلى قلبه صادق الندم فيتأسف على ما

عمله ويأخذ في التحسر على ما ضيعه من أحواله وارتكبه من قبيح أعماله، فتتم توبته وتصدق مجاهدته واستبدل بمخالطة العزلة وبصحبته مع إخوان السوء التوحش عنهم والخلوة، ويصل ليله بنهاره في التلهف، ويغتبق في عموم أحواله صدق التأسف، ويمحو بصبوب عبرته آثار عثرته، ويأسو لحبس توبته كلوم حوبته يعرف من بين أمثاله بذبوله، ويستدل على صحة حاله بنحو له ولم يتم له شيء من هذا إلا بأربعة. فراغه من ارضاء خصومه والخروج عما لزمه من مظالمه، فإن أقل منزلة في التوبة إرضاء الخصوم بما أمكنه فإن اتسع ذات يده لايصال حقوقهم إليهم أو سمحت نفوسهم بإحلاله والبراءة عنه، وإلاَّ فالعزم بقلبه إلى أن يخرج عن حقوقهم عند الإمكان والرجوع إلى الله بصدق الابتهال والدعاء لهم، وللتائبين صفات وأحوال هي من خصالهم يعد ذلك من جملة التوبة لكونها من صفاتهم لا لأنها من شروط صحتها، وإلى ذلك تشير أقاويل الشيوخ في معنى التوبة ثم ساقها.

فمن ذلك قول أبي علي الدقاق: التوبة بداية والأوبة نهاية والإنابة واسطتها، فكل من تاب لخوف العقوبة فهو صاحب توبة، ومن تاب طمعاً في الثواب فهو صاحب إنابة، ومن تاب مراعاة للأمر لا لرغبة في الثواب ولا لرهبة من العقاب فهو صاحب أوبة. ويقال أيضاً: التوبة صفة المؤمنين، والإنابة صفة المقربين، والأوبة صفة الانبياء والمرسلين.

وقال الجنيد: سمعت الحرث يقول: ما قلت قط اللهم إني أسألك التوبة ولكن أقول أسألك شهوة التوبة. وسئل ذو النون المصري عن التوبة فقال: توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة. وقال أبو الحسن النوري: التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله عز وجل. وقال عبد الله بن علي التميمي: شتان ما بين تائب يتوب من الزلات، وتائب يتوب من الغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات. وكان يحي بن معاذ يقول: إلهي لا أقول تبت، ولا أعود لما أعرف من خلقي، ولا أضمن ترك الذنوب لما أعرف من ضعفي، ثم أني أقول لا أعود لعلي أموت قبل أن أعود. وسئل ابن يزدانيار عن العبد إذا خرج إلى الله عز وجل على أي أصل يخرج؟ فقال: على أن لا يعود إلى ما منه خرج، ولا يراعي غير من إليه خرج ويحفظ سره عن ملاحظة ما تبرأ منه، فقيل له: هذا حكم من خرج عن وجود، فكيف حكم من خرج عن عدم؟ فقال: وجود الحلاوة في المستأنف عوضاً عن المرارة في السالف. وقال ذو النون: حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت، ثم لا يكون لك قرار، ثم تضيق عليك نفسك. وقيل لأبي حفص: لم يبغض التائب الدنيا؟ فقال: لأنها دار باشر فيها الذنوب، فقيل له: فهي دار أيضاً قد أكرمه الله فيها بالتوبة؟ فقال: إنه من الذنب على يقين ومن قبول التوبة على خطر. وقال رجل لرابعة: إني قد أكثرت من الذنوب والمعاصي فلو تبت هل يتوب عليّ؟ فقالت: لا. لو تاب عليك لتبت. وقال يحي بن معاذ: زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها. وقال أبو عمر الانماطي: ركب علي بن عيسى الوزير في مركب عظيم، فجعل الغرباء يقولون: من هذا من هذا؟ فقالت امرأة، قائمة على الطريق: إلى متى

تقولون من هذا من هذا ؟ هو عبد سقط من عين الله تعالى ، فابتلاه بما ترون ، فسمع علي بن عيسى ذلك فرجع إلى منزله واستعفي من الوزارة وذهب إلى مكة وجاور بها إلى هنا كلام القشيري وقد اختصرت في سياقه.

وقال صاحب العوارف: توبة الاستجابة لمثلثي هي ان تستحيي من الله لقربه منك إذا تحقق بها ربما تاب في صلاته من كل خاطر يلم به سوى الله ويستغفر الله منه ، وهي لازمة لبواطن أهل القرب كما قيل:

وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

وقال: وسئل أبو يعقوب السوسي عن التوبة فقال: التوبة من كل شيء ذمه العلم إلى ما مدحه العلم. قال: وهذا وصف يعم الظاهر والباطن لم كوشف بصريح العلم لأنه لا بقاء للجهل مع العلم ، كما لا بقاء لليل مع طلوع الشمس ، وهذا يستوعب جميع أقسام التوبة بالوصف الخاص والعام ، وهذا العلم يكون علم الظاهر والباطن لتطهر الظاهر والباطن بأخص أوصاف التوبة وأعم أوصافها اهـ.

وقال صاحب القوت: قال أبو محمد سهل: ليس من الأشياء أوجب على الخلق من التوبة ، ولا عقوبة أشد عليهم من فقد علم التوبة ، وقد جهل الناس علم التوبة. وقال: من يقول ان التوبة ليس بفرض فهو كافر ، ومن رضي بقوله فهو كافر. وقال بعض علماء الشام: لا يكون المريد تائباً حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال معصية عشرين سنة. وكان إبراهيم بن أدهم يقول: منذ أربعين سنة أشتهي أن أشتهي لأترك ما أشتهي فلا اجد ما أشتهي ، وإذا اتبع العبد الذنب بالذنب ولم يجعل بين الذنبين توبة خيف عليه الملكة ، لأن هذا حال المصر ، ولأنه قد شرد عن مولاه بترك رجوعه إليه ودوام مقامه مع النفس على هواه ، وهذا مقام المقت والبعد ، فأفضل ما يعمله العبد قطع شهوات النفس أحلى ما يكون عنده الهوى ، إذ ليس لشهواتها آخر ينتظر كما ليس لبدايتها أوّل يرتسم ، فإن لم يقطع ذلك لم تكن له نهاية فإن شغل بما يستأنف من مزيد الطاعة ووجد حلاوة العبادة وإلاّ آخذ نفسه بالتصبر والمجاهدة؛ وهذه طريق الصادقين من المريدين ، ثم لا يتخذ التائب عادة من ذنب تتعذر عليه توبته ، فإن العادة جند من جنود الله تعالى لولاها لكان الناس كلهم تائبين ، ولولا الابتلاء لكان الناس كلهم مستقيمين ، وآخر شيء على التائب تمكينه خاطر السوء من قلبه بالاصغاء إليه ، فإنه سلب هلكته وكل سبب يدعو إلى معصية أو يذكر معصية فهو معصية ، وكل سبب يؤل إلى ذنب أو يؤدي إليه فهو ذنب ، وإن كان مباحاً فقطعه طاعة ، وهذا من دقائق الأعمال وقد كان يقال: من أتى عليه أربعون وهو العمر وكان مقيماً على ذنب لم يكد يتوب منه إلا القليل من المتداركين ، وقد اشترط تعالى على التائبين من المؤمنين شرطين وشرط على التائبين من المنافقين أربعة شروط لأنهم اعتلوا بالخلق في الأعمال فاشركوهم بالخالق في الإخلاص وضعف عليهم الشرط تشديد الشدة دخولهم في المقت واعتل غيرهم بوصفه فخفف عنهم شرطين فقال تعالى:

....

﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا﴾ [البقرة: ١٦٠] فقوله ﴿تابوا﴾ أي رجعوا إلى الحق من أهوائهم ﴿وأصلحوا﴾ يعني ما أفسدوا بنفوسهم ﴿وبينوا﴾ فيه وجهان.

أحدهما: بينوا ما كانوا يكتمون من الحق ويخفون من حقيقة العلم، وهذا لمن عصى بكتم العلم وستر الحق بالباطل، وقيل: بينوا توبتهم حتى تبين ذلك فيهم وظهرت أحكام التوبة فيهم. وقال تعالى في الشرطين الآخرين ﴿إنَّ المنافقين في الدركِ الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً* إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦] لأنهم كانوا يعتصمون بالناس وبالأموال وكانوا يراؤن بالأعمال، فلذلك اشترط عليهم الاعتصام بالله والاخلاص لله. وقال بعض العارفين العامة يتوبون من سيئاتهم، والصوفية يتوبون من حسناتهم يعني من تقصيرهم في أدائها لعظم ما يشهدون من حق الملك العزيز المقابل بها، ومن نظرهم إليها وإلى نفوسهم بها وهي منة إليهم واصلة. قال: وإنما حرم بعض التائبين المزيد ولم يجدوا حلاوة التوبة لتهاونهم بحال الرعاية وتسامحهم بترك حسن القيام بشاهد المراقبة، وذلك من قلة احكام أمر التوبة ولعدم القيام بحكم التوبة من الذنب الواحد، وأحكموا حال ثواب الصادقين في التوبة لم يعدموا من الله المزيد لأنهم محسنون فهي في تجديد، قال الله تعالى ﴿وسنزيد المحسنين﴾ [البقرة: ٥٨] فإذا رأيتك مستقيماً على التوبة عاملاً بالصالحات، ولم تجدك على مزيد من ميراث يوجد حلاوة أو حسن خليقة أو عزوف زهد أو خاصية معرفة، فارجع إلى باب المراقبة أو موقف الرعاية فتفقدهما وأحكم حالهما فمن قبلهما أتيت. وقال بعض العلماء: من تاب من تسعة وتسعين ذنباً ولم يتب من ذنب واحد لم يكن عندنا من التائبين.

واعلم أن حقيقة التوبة من كل ذنب عشرة أعمال إلا أن يكون العبد توّاباً يحبه الله، ولا تكون توبته نصوحاً التي شرطها الله تعالى وفسرتها النبوّة إلا أن يحكم العبد عشر توبات من كل ذنب. أولها ترك العود إلى فعل الذنب، ثم يتوب من القول به، ثم يتوب من الاجتماع مع سبب الذنب، ثم التوبة من السعي في مثله، ثم التوبة من النظر إليه، ثم التوبة من الاستماع إلى القائلين به، ثم التوبة من الهمة به، ثم التوبة من التقصير في حق التوبة، ثم التوبة من أن لا يكون أراد إلا وجه الله خالصاً بجميع ما تركه لوجهه، ثم التوبة في النظر إلى التوبة والسكون إليها والإدلال بها. وهذا مطالعة التوحيد وعلو الإشراق بالمريد، ثم يشهد بعد ذلك تقصيره كله عن القيام بحق الربوبية لعظم ما يشهد من جلاله، فتكون توبته بعد ذلك من تقصيره عن القيام بحقيقة مشاهدته، ويكون استغفاره من توبته لما ضعف قلبه ونقص همه عن معاينة مشاهده لعلو مقامه ودوام مزيده واعلامه، ولكل مقام توبة، ولكل حال من مقامات التوبة توبة، ولكل مشاهدة ومكاشفة توبة. فهذا حال التائب المنيب الذي هو من الله مقرب وعنده حبيب، وهذا مقام مفتن تواب أي مختبر بالاشياء مبتلى بها توّاب إلى الله تعالى منها راجع إليه عنها ناظر إليه بها لينظر مولاه أو ينظر بقلبه إليه أو إليها، أو

....

يعتكف عليه أو عليها أو يطمئن بوجودها إليها أو إليه أو يطالب إياه هرباً منها أو إياها، فعليه من كل مشاهدة لسواه ذنب وعليه من كل سكون إلى سواه عتب كماله من كل شهادة علو، ومن كل إظهار في الكون حكم، فذنوبه وتوباته إلى الله تعالى لا تحصى انتهى.

وروى صاحب نهج البلاغة أن علياً رضي الله عنه قال لرجل قال بحضرته: أستغفر الله ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟ الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان. أولها: الندم على ما مضى، والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عز وجل ليس عليك تبعة، والرابع: أن تعمد إلى كل فريضة ضيعتها فتؤدي حقها، والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السمت فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد. والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول أستغفر الله اهـ.

وقال صاحب القاموس في كتاب البصائر، قال الله تعالى ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ [الحجرات: ١١] قسم العباد إلى تائب وظالم ومأثم قسم ثالث البتة، وأوقع الظلم على من لم يتب ولا أظلم منه لجهله بربه وبحقه وبعيب نفسه وبآفات أعماله. واعلم أن صاحب النظر إلى الوعد والوعيد يحدث له ذلك خوفاً وخشية يحمله على التوبة. الثاني: أن ينظر إلى أمره ونهيه فيحدث له ذلك الاعتراف بكونها خطيئة والإقرار على نفسه بالذنب. والثالث: أن ينظر إلى تمكين الله تعالى إياه منها بتخليه بينه وبينها وتقديرها عليه، وأنه لو شاء لعصمه منها فيحدث له ذلك أنواعاً من المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وحكمته ورحمته ومغفرته وحلمه وكرمه، وتوجب له هذه المعرفة عبودية فهذه الأسماء لا تحصل بدون لوازمها، ويعلم ارتباط الخلق والأمر والجزاء بالوعد والوعيد بأسمائه وصفاته، وان ذلك موجب الأسماء والصفات وأثرها في الوجود، وأن كل اسم مفيض أثره، وهذا المشهد يطلعه على رياض مونقة المعارف والإيمان وأسرار القدر والحكمة ما يضيق عن التعبير نطاق الكلم، والنظر الرابع نظره إلى الآمر له بالمعصية وهو شيطانه الموكل به فيفيد النظر إليه اتخاذه عدواً وكمال الاحتراز منه والتحفظ والتيقظ لما يريده منه عدوّه وهو لا يشعر به، فإنه يريد أن يظفر به في عقبة من سبع عقبات بعضها أصعب من بعض. عقبة الكفر بالله ودينه ولقائه، ثم عقبة البدعة إما باعتقاد خلاف الحق واما بالتعبد بما لم يأذن به الله من الرسوم المحدثة. قال بعض مشايخنا: تزوّجت الحقيقة الكافرة بالبدعة الفاجرة، فولدت بينهما خسران الدنيا والآخرة. ثم عقبة الكبائر وتزيينها له، وان كان الإيمان فيه الكفاية. ثم عقبة الصغائر بأنها مغفورة ما اجتنبت الكبائر فما زال يحببها إليه حتى يصر عليها، ثم عقبة المباحات فيشغله بها عن الاستكثار من الطاعات وأقل ما يناله منه تفويت الارباح العظيمة، ثم عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة يزينها له ويشغله بها عما هو أفضل وأعظم ربحاً، ولكن أين أصحاب هذه العقبة؟ فهم الأفراد في العالم والأكثرون قد ظفر بهم في العقبة الأولى، فإن عجز عنه في هذه العقبات جاءه في عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الأذى على حسب مرتبته في الخير. قال: وورود التوبة في القرآن على ثلاثة أوجه.

....

الأوّل: بمعنى التجاوز والعفو، وهذا مقيد بعلى: ﴿فتاب عليكم﴾ [البقرة: ١٨٧] أو ﴿يتوب عليهم﴾ [آل عمران: ١٢٨] ﴿ويتوب الله على ما يشاء﴾ [التوبة: ١٥].

الثاني: بمعنى الرجوع والإنابة وهذا مقيد بالي: ﴿تبت إليك﴾ [الأعراف: ١٤٣] ﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ [البقرة: ٥٤] ﴿وتوبوا إلى الله﴾ [التحريم: ٨].

الثالث: بمعنى الندم على الزلة، وهذا غير مقيد لا بإلى ولا بعلى: ﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا﴾ [البقرة: ١٦٠] ﴿فإن تبتم فهو خير لكم﴾ [التوبة: ٣] ويقال: إن التوبة من طريق المعنى على ثلاثة أنواع: فالأوّل التوبة من ذنب يكون بين العبد وبين ربه وهذه تكون بندامة الجنان واستغفار اللسان، والثاني: التوبة من ذنب يكون بين العبد وبين طاعة الرب وهذه تكون بجبر النقصان الواقع فيها. والثالث: من ذنب يكون بين العبد وبين الخلق وهذه تكون بإرضاء الخصوم بأي وجه من الإمكان. ومن طريق اللفظ وسبيل اللطف على ثلاثة وثلاثين درجة. منها لا تكون مثمرة حتى يتم أمرها ولا تظن انك مزيد فيها، فإن أباك آدم كان مقدم التائبين، وإذا أردت التوبة فهو المريد لتوبتك، فإذا تاب فتوبته عليك جزاؤه بمحبته ولا تقبل توبة من يدخرها من الوقت، ومن توقف عن سلوك طريق الناس وسم جبين حاله بميسم الخائبين من الرجال لا يقعدهم على سرر السرور إلا التوبة ولا ينال مقام التوبة إلا بتوفيق الله، وإذا تاب المؤمن أقبل الله عليه بالقبول وكفل له نيل المأمول، ومن تاب كان في أمان الإيمان مصاحباً لسلاح الصلاح، ومن تاب وقصد الباب حصل له الفرج أفضل الأسباب إذا أقبل العبد على باب التوبة استحكم عقد إخوته مع أهل الإيمان من أثار غبار المعاصي، واتبعه برشاش الندم غلبت الحكمة الإلهية طاعته على معصيته. من لاذ بحرم التوبة قبل القدرة عليه، فلا سبيل للايذاء عليه. وعلى هذا القدر وقع الاقتصار في ذكر ما يليق بالتوبة من الإشارات والتنبيهات والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وهو يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، سيد المخلوقات، الشافع المشفع للمذنبين في العرصات، وعلى آله وصحبه الثقات ألا نجم الهداة.

كان الفراغ منه في الثاني عشر من رجب الفرد الحرام سنة ١٢٠٢، والحمد لله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

تم الجزء العاشر ويليه إن شاء الله الجزء الحادي عشر وأوله
كتاب الصبر والشكر

كتاب الصبر والشكر وهو الكتاب الثاني من ربع المنجيات من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أهل الحمد والثناء، المتفرد برداء الكبرياء، المتوحد بصفات المجد والعلاء،

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً الله ناصر كل صابر الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره، ومصباحاً يهتدى به من وفق لشكره، وسبباً للمزيد من فضله ونعمته، ودليلاً على آلائه وعظمته، أحمده على ما أخذ وأعطى، وعلى ما أبلى وابتلى، الباطن لكل خفيه، الحاضر لكل سريره، العالم بما تكن الصدور وما تخون العيون، وتخفي الظنون، وأسأله الصبر على بلوائه والشكر على نعمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله غير معدول به ولا مشكوك فيه ولا مكفور دينه، ولا مجحود تكوينه شهادة من صدقت نيته، وصفت دخلته، وخلص يقينه، وثقلت موازينه، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله ونجيه وحبيبه، وبعيثه ونجيبه المختار من خلائقه، والمفتاح لشرح حقائقه، والمختص بفضائل كراماته والمصطفى لمكارم رسالاته شهادة يوافق فيه السر الإعلان، والقلب اللسان، وصلى الله عليه وعلى آله الأنجم الهداة، وأصحابه السادة الكرام الثقات، وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.

(أما بعد) فهذا شرح **(كتاب الصبر والشكر)** وهو الثاني من الربع الرابع، والثاني والثلاثون من كتب الإحياء للإمام الهمام حجة الإسلام علم الائمة الأعلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي قدّس الله سره وضاعف بره. ونفع باسرار علومه ومتع أبصار العارفين في رياض معارفه وفهومه سلكت فيه منهاج الإيضاح والبيان، والإفصاح والتبيان لنظم عقود جواهره الفرائد الحسان، وضبط قواعد فوائده المهذبة المؤسسة الأركان، مع كشف العويصات، وتنبيه إلى الإشارات، وعزو الأخبار إلى الرواة، والآثار إلى الوعاة وتوجيه الأقوال عن الثقات، متجنباً عن الإعتساف والتطويل، مائلاً عن تكثّر القال والقيل، متوكلاً على المولى المنعم الجليل في التيسير والتسهيل، سائلاً منه أن ينفع به قارئه وكاتبه والناظر فيه، وأن يبلغنا من فضله وإحسانه ما نؤمله ونرتجيه، إنه ولي ذلك والقادر عليه لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب.

قال رحمه الله تعالى: **(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله أهل الحمد والثناء)** أصل الثناء من

المؤيـد صفـوة الأوليـاء بقـوة الصبر على السراء والضراء والشكـر على البلاء والنعماء ، والصلاة على محمد سيد الأنبياء وعلى أصحابه سادة الأصفياء وعلى آله قادة البررة الأتقياء صلاة محروسة بالدوام عن الفناء ؛ ومصونة بالتعاقب عن التصرم والإنقضاء .

أما بعد ؛ فإن الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الأخبار . وهما أيضاً وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى إذ سمى نفسه صبوراً وشكوراً ، فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الإيمان

الثني وهو العطف ومنه الإثنان لعطف أحدهما على الآخر ، والثناء لعطف المناقب في المدح وقد تقدم ذكر الحمد والثناء وبيان النسبة بينهما في أوّل كتاب العلم ، ومعنى كونه أهلا لهما أي مستحقاً لهما لكماله في ذاته وصفاته فلا يليق بهما ولا يستحقهما إلا هو جل ذكره وثناؤه . (**المنفرد**) وفي نسخة المتفرد (**برداء الكبرياء**) أي العظمة والجلال ؛ وفيه تلميح إلى الحديث القدسي ، قال الله تعالى : « الكبرياء ردائي » وقد تقدم الكلام عليه في كتاب ذم الكبر والعجب . وسبق الكلام على الإنفراد والتفرد في كتاب قواعد العقائد (**المتوحد بصفات المجد والعلاء**) المجد السعة في الكرم والجلال والعز والشرف والعلاء رفعة القدر أي هو تعالى مختص بتلك الصفات فلا يشاركه فيها أحد ، (**المؤيد صفوة الأولياء**) أي خاصتهم (**بقوّة الصبر على السراء والضراء والشكر على البلاء والنعماء**) ، والسراء والضراء حالتا المسرة والمضرة والبلاء اسم من الابتلاء بمعنى الأختبار والإمتحان ، واختيار الله تعالى لعباده ، تارة بالمسار ليشكروا ، وتارة بالمضار ليصبروا ، فصار المنحة والمحنة بلاء ، فالمحنة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر ، فصارت المنحة أعظم البلاءين (**والصلاة على**) سيدنا (**محمد سيد الأنبياء**) أي رئيسهم وزعيمهم وقد ثبتت سيادته على ولد آدم بالأخبار الصحيحة . (**وعلى أصحابه سادة الأصفياء ، وعلى آلـه قـادة البررة الأتقيـاء ، صلاة محروسـة بـالـدوام على الفناء**) . أي تدوم أبد الآباد فلا تفنى (**ومصونة**) أي محفـوظـة (**بـالتعـاقـب**) أي التـوالي والتكرار (**عن التصرم والإنقضاء**) أي الإنقطاع والانتهاء وحكم افراد الصلاة عن السلام تقدم البحث في أول كتاب العلم .

(**أما بعد فإن الإيمان نصفان ، نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الأخبار**) . قال العراقي : رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف ، اهـ قلت : وكذلك رواه البيهقي في الشعب ولكن بلفظ نصف في الصبر ونصف في الشكر . (**وهما أيضاً وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى إذ سمى نفسه صبوراً وشكوراً**) ، فالصبور هو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه ، بل ينزل الأمور بقدر معلوم ويجريها على سنن محدود يؤخرها عن آجالها المقدرة لها تأخير متكاسل ولا يقدمها على أوقاتها تقديم مستعجل ، بل يودع كل شيء في أوانه على الوجه الذي يجب أن يكون

ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن ولا سبيل إلى الوصول إلى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان، وكيف يتصوّر سلوك سبيل الإيمان دون معرفة ما به الإيمان ومن به الإيمان، والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك ما به الإيمان، فما أحوج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان. ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر إن شاء الله تعالى.

الشطر الأوّل: في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر، وبيان حده وحقيقته، وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف أساميه باختلاف متعلقاته، وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة إلى الصبر، وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه. فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده إن شاء الله تعالى.

وكما ينبغي وكل ذلك في غير مقاساة داع على مضادة الإرادة والشكور هو الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات ويعطى بالعمل في أيام معدودة نعماً في الآخرة غير محدود ومن جازى الحسنة بأضعافها يقال أنه شكور بتلك الحسنة ومن اثنى على المحسن أيضاً فيقال إنه، شكور، فإن نظرت إلى معنى الزيادة في المجازاة لم يكن الشكور المطلق إلا هو سبحانه لان زيادته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة، وإن نظرت إلى معنى الثناء فثناء كل مثن على فعل غيره والرب تعالى إذا اثنى على أعمال عباده فقد اثنى على فعل نفسه لأن أعمالهم من خلقه، وإن كان الذي أعطى فأثنى شكورا فالذي أعطى واثنى على المعطي أحق بان يكون شكوراً فثناء الله على عباده عطية منه، (**فالجهل بحقيقة الصبر والشكر جهل بكلا شطري الإيمان ثم هو غفلة عن**) معرفة (**وصفين من أوصاف الرحمن**) جل وعز (**ولا سبيل إلى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان**) به، (**وكيف يتصوّر سلوك سبيل الإيمان دون معرفة ما به الإيمان**) وهو الصبر والشكر، (**ومن به الإيمان**) وهو الصبور الشكور، (**والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك ما به الإيمان فما أحوج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان، ونحن**) بحمد الله تعالى (**نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخران شاء الله تعالى**). أي فلم يفرد لكل واحد منهما كتاباً كما فعله غيره من المتكلمين على مقامات اليقين.

الشطر الأوّل في الصبر:

وهو المقام الثاني من مقامات اليقين. (**وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقيقته، وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف أساميه باختلاف متعلقاته، وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة إلى الصبر، وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه. فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده إن شاء الله تعالى**).

بيان فضيلة الصبر:

قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً. وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئمةً يَهْدُونَ بأمْرِنـا لِمَـا صَبَـرُوا﴾ [السجـدة: ٢٤] وقـال تعـالى: ﴿وتَمَّت كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بني إسرائِيلَ بِمَا صَبَروا﴾ [الأعراف: ١٣٧] وقال تعالى: ﴿وَلَيُجزين الَّذينَ صَبَرُوا أجْرَهُم بأحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿إنَّمَا يُوفَى الصابِرُونَ أجْرَهُمْ بِغَيرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر، ولأجل كون الصوم من الصبر وإنه نصف الصبر

بيان فضيلة الصبر من الكتاب والسنة:

إعلم أنه (**قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف**) جليلة (**وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً**)، وعن الإمام أحمد أنه ذكر الله الصبر في القرآن في نحو من تسعين موضعاً، بتقديم التاء على السين نقله صاحب القاموس في البصائر وهو مقام شريف اثنى الله عليه في كتابه. (**وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها**) أي تلك الدرجات والخيرات (**ثمرة له**). ونتيجة وهو في القرآن على سبعة عشر نوعاً.

الأول: أنه جعل الصابرين أئمة المتقين وقرن الصبر باليقين، وأن بالصبر واليقين ينال الأمانة في الدين (**فقال عز من قائل: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا**) وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ قال ابن عيينة في هذه الآية: أخذوا برأس الأمر فجعلهم الله رؤساء.

النوع الثاني: انه تمم عليهم كلمة الحسنى في الدين (**و**) منه (**﴿تمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا﴾**).

النوع الثالث: إيجابه الجزاء لهم بأحسن أعمالهم (**و**) منه (**قال**) تعالى (**﴿وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾**).

النوع الرابع: مضاعفة أجرهم على كل عمل (**و**) منه (**قال تعالى: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾**).

النوع الخامس: رفع جزائهم فوق كل جزاء فجعله بلا نهاية ولا حد. (**و**) منه (**قال تعالى: ﴿إنَّما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر**)، فقد أوجب الجزاء للمتصف به بغير حساب وحدود، ذلك على أنه من أفضل المقامات. (**ولأجل كون "الصوم من الصبر فإنه نصف الصبر**)رواه ابن ماجه والبيهقي من

قال الله تعالى: « الصوم لي وأنا أجزي به » فاضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى: ﴿واصْبِرُوا إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] وعلق النصرة على الصبر فقال تعالى: ﴿بَلَى إنْ تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا ويأتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ ربكم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥] وجمع للصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]، فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول.

حديث أبي هريرة بلفظ « الصيام نصف الصبر » **(قال الله تعالى: « الصوم لي وأنا أجزي به »)** رواه الشيخان والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ قال الله عز وجل: « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به » الحديث. وعند الطبراني وابن النجار من حديث ابن مسعود بلفظ « هو له إلا الصوم هو لي » الحديث، وقد تقدم الكلام عليه مفصلا في كتاب أسرار الصوم **(فأضافه إلى نفسه)** تشريفاً له **(من بين سائر العبادات)**.

النوع السادس: (وعد الصابرين بأنه معهم) أي أوجب لهم معية تتضمن حفظهم ونصرهم وتأييدهم ليست معية عامة أعني معية العلم والإحاطة. **(فقال: ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾)** فهذا إخبار منه تعالى أنه معهم ومن كان معه الله غلب كمن كان معه عدة، وهذا كما قال: وانتم الأعلون والله معكم (و).

النوع السابع: (علق النصرة) والمدد بجنده **(على الصبر فقال تعالى: ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾)** فاشترط الصبر والتقوى لإمداده بجنده ونصره وتأييده، وفي الحديث « النصر مع الصبر والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً » رواه أبو نعيم والخطيب وابن النجار عن أنس مرفوعاً (و).

النوع الثامن: (جمع للصابرين بين أمور) ثلاثة، **(لم يجمعها لغيرهم)** وقد فرقها على جل العبادات بعد البشارة في الآخرة والعقبى **(فقال)** تعالى: **(﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين)**، وهذا من باب التدلي **(واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر يطول)**، ولكن نذكر بقية الأنواع التي سبق الوعد بها.

فمن ذلك وهو **النوع التاسع**: الأمر به وقد تقدم مثاله في سياق المصنف وهو قوله تعالى: ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ وكقوله تعالى: ﴿استعينوا بالصبر والصلاة﴾ [البقرة: ٤٥] وقوله واصبروا وصابروا وقوله: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ [النحل: ١٢٧].

النوع العاشر: النهي عن ضده كقوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا

وأما الأخبار فقد قال ﷺ : « الصبر نصف الإيمان » على ما سيأتي وجه كونه نصفاً . وقال ﷺ : « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ، ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار ، ولأن تصبروا على ما أنتم عليه أحب إلي من أن يوافيني كل امرىء منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السماء عند ذلك ، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه » ثم

تستعجل لهم﴾ [الاحقاف: ٣٥] وقوله: ﴿لا تولوهم الأدبار﴾ [الانفال: ١٥] فإن تولية الادبار ترك الصبر والمصابرة.

النوع الحادي عشر: الثناء على أهله كقوله تعالى: ﴿الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار﴾ [ال عمران: ١٧] وقوله: ﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين الباس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ [البقرة: ١٧٧] ونظائره كثيرة.

النوع الثاني عشر: إيجاب محبته لهم كقوله تعالى: ﴿والله يحب الصابرين﴾ [آل عمران: ١٤٦].

النوع الثالث عشر: إخباره بأن الصبر خير لهم كقوله تعالى: ﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ [النحل: ١٢٦] وكقوله: ﴿وإن تصبروا فهو خير لكم﴾ [النساء: ٢٥].

النوع الرابع عشر: إطلاق البشرى لأهل الصبر كقوله تعالى ﴿وبشر الصابرين﴾ [البقرة: ١٥٥].

النوع الخامس عشر: الإخبار بأن أهل الصبر مع أهل العزائم كقوله تعالى: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ [الشورى: ٤٣].

النوع السادس عشر: الإخبار بانه ما يلقى الأعمال الصالحة وجزاءها إلا أهل الصبر كقوله تعالى: ﴿ولا يلقاها إلا الصابرون﴾ [القصص: ٨٠] وقوله: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾ [فصلت: ٣٥].

النوع السابع عشر: الإخبار بأن الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب ودخول الجنة إنما نالوه بالصبر، كقوله تعالى: ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾.

(وأما الاخبار) الواردة في فضيلة الصبر **(فقد قال ﷺ « الصبر نصف الإيمان »)** رواه أبو نعيم والخطيب والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود بزيادة، « واليقين الإيمان كله » وقد تقدم **(على ما سيأتي وجه كونه نصفاً وقال ﷺ « من أقل ما أوتيتم »)** كذا في النسخ وفي القوت أن أقل ما أوتيتم **(« اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته، من قيام الليل وصيام النهار، ولأن تصبروا على ما أنتم عليه أحب إليّ من أن يوافيني كل امرىء منكم بمثل عمل جميعكم، ولكني أخاف أن تفتح الدنيا عليكم بعدي فينكر بعضكم بعضاً وينكركم أهل السماء عند ذلك، فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه » . ثم قرأ قوله**

قرأ قوله تعالى: ﴿ما عِنْدَكُمْ يَنفَدُ وما عِندَ اللهِ بَاقٍ ولَيُجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أجْرَهُمْ﴾ الآية.

وروى جابر انه سئل ﷺ عن الايمان فقال: «الصبر والسماحة». وقال أيضاً: «الصبر كنز من كنوز الجنة» وسُئل مرة: ما الإيمان؟ فقال: «الصبر».

تعالى: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا﴾ الآية) تقدم هذا الحديث في كتاب العلم مختصرا وذكر العراقي أنه لم يجده هكذا بطوله وهو هكذا في القوت وعزاه إلى أبي أمامة الباهلي من رواية شهر بن حوشب عنه وسيأتي بتمامه في آخر كتاب الزهد في الفصول التي نلحقها بخاتمته **(وروى جابر)** بن عبد الله رضي الله عنه **(انه سئل النبي ﷺ عن الايمان)** ما هو، **(فقال)**: «هو **(الصبر والسماحة»)** قال صاحب القاموس: وهذا من أجمع الكلام وأعظمه برهاناً وأوعبه لمقامات الإيمان من أولها إلى آخرها فإن النفس يراد منها شيئان بذل ما أمرت به واعطاؤه فالحامل عليه السماحة وترك ما نهيت عنه والبعد عنه فالحامل عليه الصبر اهـ.

وقد سبقه البيهقي بهذا فقال: يعني بالصبر الصبر عن محارم الله وبالسماحة أن يسمح باداء ما افترض عليه انتهى.

وتبعها امام الطائفة الحسن البصري فقال يعني الصبر عن المعصية والسماحة على اداء الفرائض.

قال العراقي: رواه الطبراني في مكارم الأخلاق وابن حبان في الضعفاء وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر ضعيف، ورواه الطبراني في الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده اهـ.

قلت: وذكر صاحب القوت أنه من رواية ابن المنذر عن جابر وقد رواه أبو يعلى كذلك وقوله في يوسف أنه ضعيف هو قول النسائي.

وروى الذهبي عنه أنه قال فيه إنه متروك ثم ساق له مما أنكر عليه هذا الخبر وأما حديث عبيد بن عمير عن أبيه وهو عمير بن واقد الليثي له صحبة فأخرجه البخاري في التاريخ بلفظ «أفضل الإيمان الصبر والسماحة».

ورواه الديلمي هكذا في مسند الفردوس من حديث معقل بن يسار، وعزاه صاحب القاموس إلى كتاب الأدب المفرد للبخاري بلفظ المصنف.

(وقال) ﷺ، **(«الصبر كنز من كنوز الجنة»)** قال العراقي غريب لم أجده اهـ.

قلت: ربما يشهد له ما رواه سعيد بن منصور والخطيب من حديث علي رضي الله عنه أربعة من كنز الجنة اخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وصلة الرحم وقول لا حول ولا قوّة إلا بالله وهذا لأن كتمان المصيبة من جملة الصبر ويحتمل أن يكون من كنوز الخير بذل من كنوز الجنة وقد روى ذلك من قول الحسن البصري الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده **(وسئل)**

وهذا يشبه قوله ﷺ : « الحج عرفة » معناه معظم الحج عرفة وقال أيضاً ﷺ : « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس » .

وقيل : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ، تخلق بأخلاقي وإن من أخلاقي أني أنا الصبور .

وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله ﷺ على الأنصار فقال: « أمؤمنون أنتم » ؟ فسكتوا فقال عمر : نعم يا رسول الله . قال : « وما علامة إيمانكم » ؟

ﷺ **(مرة ما الإيمان فقال: « الصبر »)** أي بجميع أنواعه الآتي ذكرها فيها تم مراتب الإيمان، وقد أحاله العراقي على حديث على الآتي ذكره للمصنف في الآثار ولفظه، « الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد » ولا يخفى أنهما حديثان متغايران فتأمل **(وهذا يشبه قوله ﷺ : « الحج عرفة » معناه، معظم الحج عرفة)** .

وقد تقدم في كتاب التوبة وفي كتاب الحج أي معظم أركانه فكذلك الصبر معظم أركان الإيمان **(وقال أيضاً)** ﷺ : **(« أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس »)** هكذا هو في القوت واستطرد ذكره في كتاب التوبة فقال: ثم على التائب أن يعمل في قطع معتاد إن كان، ثم ليصبر على مجاهدة النفس في الهوى، إن بلي به ثم قال: فهذه الخصال من أفضل أعمال المريدين وأزكاها، ومعها تلهم النفس المطمئنة رشدها وتقواها وبها تخرج من وصف الإمارة بالسوء إلى وصف المطمئنة إلى أخلاق الإيمان، وهذا أحد المعاني في الخبر المشهور « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس ». لأن النفس تكره خلاف الهوى والهوى ضد الحق والله تعالى يحب الحق فصار إجبار النفس على خلاف الهوى على وفاق الحق، لأن محبة الحق من أفضل الأعمال اهـ.

وقال العراقي: لا أصل له مرفوعاً ، وإنما هو من قول عمر بن عبد العزيز هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب محاسبة النفس.

(وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام) يا داود **(« تخلق باخلاقي وان من اخلاقي أني أنا الصبور »)** نقله صاحب الرسالة والتخلق باخلاق الله تعالى والتحلي بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصوّر في حقه ليصير بذلك ربانياً رفيقاً للملأ الأعلى من الملائكة على بساط القرب وسيأتي الكلام على ذلك.

(وفي حديث عطاء) بن أبي رباح التابعي المكي الثقة **(عن ابن عباس)** رضي الله عنه قال: **(لما دخل رسول الله ﷺ على الأنصار فقال: أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر)** بن الخطاب رضي الله عنه وكان مع النبي ﷺ أو كان جالساً معهم اذ ذاك فأجاب نيابة عنهم وقال: **(نعم يا رسول الله قال: وما علامة إيمانكم قالوا نشكر على الرخاء)**، أي الرخص والسعة **(ونصبر**

قالوا : نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء ، فقال ﷺ : « مؤمنون ورب الكعبة » ، وقال ﷺ : « في الصبر على ما تكره خير كثير » .

وقال المسيح عليه السلام إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون . وقال رسول الله ﷺ : « لو كان الصبر رجلاً لكان كريماً والله يحب الصابرين » . والأخبار في هذا لا تحصى .

وأما الآثار ؛ فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري : عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبران : أحدهما أفضل من الآخر . الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى . واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر .

على البلاء) ، أي الاختبار والشدة **(ونرضى بالقضاء . فقال ﷺ : « مؤمنون أنتم ورب الكعبة »)** هكذا أورده صاحب القوت .

وقال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من رواية يوسف بن ميمون وهو منكر الحديث عن عطاء اهـ .

(وقال ﷺ : « في الصبر على ما تكره خير كثير ») ولفظ القوت أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، قال العراقي : رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم **(وقال المسيح عليه السلام: إنكم لا تدركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكرهون)** ، ولفظ القوت إلا بالصبر **(وقال رسول الله ﷺ : « لو كان الصبر رجلاً لكان كريماً والله يحب الصابرين »)** قال العراقي : رواه الطبراني من حديث عائشة وفيه صبح بن دينار ضعفه العقيلي اهـ .

قلت ورواه كذلك أبو نعيم في الحلية من طريق صبح بن دينار البلدي عن المعافى بن عمران عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن عائشة ثم قال غريب تفرد به المعافى .

(والاخبار في هذا) الباب **(مما لا تحصى)** لكثرتها ومن ذلك ما رواه الديلمي بلا إسناد من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما « الصبر مفتاح الفرج ، والزهد غنى الأبد » ، وروى القضاعي من حديث ابن عمر وابن عباس « انتظار الفرج بالصبر عبادة » وروى الطبراني في الكبير من حديث الحكم بن عمير الثمالي « الصبر والإحتساب من عتق الرقاب ويدخل الله صاحبهن الجنة بغير حساب » .

(وأما الآثار) في الصبر **(فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري)** رضي الله عنه أرسلها إليه حين كان والياً بالبصرة **(عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبران ، أحدهما أفضل من الآخر الصبر في المصيبات حسن وأفضل منه الصبر على ما حرم الله تعالى ، واعلم أن الصبر ملاك الإيمان ، وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى**

وقال علي كرم الله وجهه بني الإيمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل. وقال أيضاً: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول: نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين؛

بالصبر) رواه إبراهيم بن بشار الرمادي عن سفيان عن والد إدريس بن عبد الله عن سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه، وكان أبو موسى قد أوصى إلى ابنه أبي بردة رسائل عمر التي كان يكتبها إليه.

(وقال علي رضي الله عنه بني الإيمان على أربع دعائم اليقين والصبر والجهاد والعدل). ولفظ القوت وقد جعل علي رضي الله عنه الصبر ركناً من أركان الإيمان وقرنه بالجهاد والعدل والإيمان، فقال: بني الإيمان على أربع دعائم على اليقين والصبر والجهاد والعدل اهـ.

قلت: وقد روي ذلك من حديث علي مرفوعاً قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن السندي. حدثنا الحسن بن علوية القطان. حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار. حدثنا إسحاق بن بشر، حدثنا مقاتل عن قتادة عن خلاس بن عمر وقال: كنا جلوساً عند علي بن أبي طالب إذ أتاه رجل من خزاعة فقال يا أمير المؤمنين هل سمعت رسول الله ﷺ ينعت الإسلام قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بني الإسلام على أربعة أركان. على الصبر واليقين والجهاد والعدل». الحديث. وهو طويل وقد تقدم بعضه في كتاب التوبة ثم قال صاحب الحلية كذا رواه خلاس بن عمرو مرفوعاً وخالف الرواة عن علي فقال: الإسلام. ورواه الأصبغ بن نباتة عن علي فقال: الإيمان. ورواه الحرث عن علي موقوفاً مختصراً، ورواه قبيصة بن جابر عن علي من قوله. ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن علي من قوله اهـ.

قلت وبلفظ الإيمان موقوفاً رواه صاحب نهج البلاغة **(وقال)** علي رضي الله عنه **(أيضاً الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له)**، كذا في القوت ولكن بلفظ، إنما الصبر من الإيمان وهكذا رواه البيهقي في الشعب بإسناده إليه قال الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا قطع الرأس مات الجسد ثم قال علي رافعاً صوته أما أنه لا إيمان لمن لا صبر له وروى صاحب نهج البلاغة قال علي رضي الله عنه أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلاً، لايرجونّ أحد منكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحيين أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم. ولا يستحيين أحد إذا لم يتعلم الشيء أن يتعلمه، وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر معه انتهى.

وقد روي أوله مرفوعاً من حديث أنس رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس ويزيد ضعيف، **(وكان عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنه يقول: نعم**

يعني بالعدلين الصلاة والرحمة، وبالعلاوة الهدى. والعلاوة ما يُحمل فوق العدلين على البعير، وأشار به إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وأولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧] وكان حبيب بن أبي حبيب، إذا قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ العَبْد إِنَّه أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] بكى وقال: واعجباه أعطى وأثنى أي هو المعطي للصبر وهو المثني.

وقال أبو الدرداء: ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر. هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل، وأما من حيث النظر بعين الاعتبار فلا تفهمه إلا بعد فهم حقيقة

العدلان) مثنى العدل بكسر العين والدال المهملتين وهو الحمل زنة ومعنى إذ كل منهما عديل للآخر.

قال ابن فارس العدل الذي يعادل في الوزن والقدر وعدله بالفتح ما يقوم مقامه من غير جنسه وفي المصباح عدل الشيء بالكسر مثله من جنسه ومقداره **(ونعمت العلاوة للصابرين، يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة)** بالكسر **(ما يحمل فوق العدلين على البعير)** فيكون كعدل ثالث، وفي المصباح ما يعلق على البعير بعد حمله مثل الأداوة والسفرة والجمع علاوى. **(أشار إلى قوله تعالى: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾)** كذا في القوت. وقد أخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في السنن وابن أبي الدنيا في العزاء عن عمر بن الخطاب قال: نعم العدلان ونعم العلاوة، ﴿الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ نعم العلاوة.

(وكان حبيب بن أبي حبيب) البجلي أبو عمرو البصري نزيل الكوفة صدوق يخطيء روى له الترمذي **(إذا قرأ هذه الآية: ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾)** يعني داود عليه السلام **(بكى وقال: واعجباه أعطى واثنى أي هو المعطي للصبر وهو المثني عليه)** والرب إذا أثنى على أعمال عباده فقد أثنى على فعل نفسه لأن أعماله من خلقه. **(وقال أبو الدرداء)**: رضي الله عنه **(ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر)** نقله صاحب القوت وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن علي بن حبيش حدثنا موسى بن هارون الحافظ حدثنا أبو الربيع وداود بن رشيد قالا: حدثنا بقية حدثنا يحي بن سعد عن خالد بن معدان حدثني يزيد بن رشد الهمداني أبو عثمان عن أبي الدرداء أنه كان يقول ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضى بالقدر والإخلاص للتوكل والإستسلام للرب تعالى. **(هذا بيان فضيلة الصبر من حيث النقل، فأما من حيث النظر بعين الإعتبار فلا تفهمه إلا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه، إذ معرفة**

الصبر ومعناه، إذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف، فلنذكر حقيقته ومعناه وبالله التوفيق.

بيان حقيقة الصبر ومعناه:

اعلم أن الصبر مقام من مقامات الدين ومنزل من منازل السالكين، وجميع مقامات الدين إنما تنتظم من ثلاثة أمور: معارف وأحوال وأعمال. فالمعارف هي الأصول وهي تورث الأحوال والأحوال تثمر الأعمال فالمعارف كالأشجار، والأحوال كالأغصان، والأعمال كالثمار. وهذا مطرد في جميع منازل السالكين إلى الله تعالى. واسم الإيمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على الكل كما ذكرناه في اختلاف اسم الإيمان والإسلام في

الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا تحصل قبل معرفة الموصوف)، فلا بد من معرفة الموصوف الذي هو حقيقة الصبر، (**فلنذكر حقيقته ومعناه وبالله التوفيق**).

بيان حقيقة الصبر ومعناه:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن الصبر مقام**) شريف (**من مقامات الدين**) وهو ثاني مقام من مقامات اليقين (**ومنزل**) منيف (**من منازل السالكين**) في طريق الحق لا يستغني عنه سالك ألبتة إلا رجل انسلخ من غفلته إلى حضرة ربه، فإن هذا المنزل لا يعرفه ولا يدور حوله إلى أن يرجع إلى بشريته وإنسانيته (**وجميع مقامات الدين إنما تنتظم من ثلاثة أمور معارف وأحوال وأعمال**)، وذلك لأن المقامات كلها من الإيمان بالله ولله، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي﴾ [البقرة: ١٨٦] وللإيمان بالله ولله عقود كثيرة لا نهاية لها على ما أشرنا إليه في أول كتاب التوبة، وكل عقد من هذه العقود أصل، ولذلك الأصل فرع وللفرع ثمرة (**فالمعارف هي الأصول**) الثابتة في القلوب بما أمرها الله بها من النظر والإعتبار (**وهي تورث الأحوال**) أي إن لتلك الأصول فروعا تنشأ عنها هي مواجيد القلوب وأحوال لها بسبب ما جبلها عليه من محبة سعادتها وكمالها (**والأحوال ثمرة الأعمال**)، أي أن لذلك الأحوال ثماراً هي الأعمال الناشئة عن أحوال القلوب، وبها النجاة والكمال فالعلم هو الأصل الذي هو عقد من عقود الإيمان بالله أو لله والحال ما ينشأ عنه من المواجيد والعمل هو ما تنشئه المواجيد على القلوب والجوارح من الأعمال (**فالمعارف كالأشجار**)، فإنها ثابتة في القلوب ثبوت الأشجار في الأرض (**والأحوال كالأغصان**)، فإنها متفرعة عن تلك المعارف تفرع الأغصان عن الأشجار (**والأعمال كالثمار**)، فإنها تنشأ من تلك الأحوال نشأة الثمار من الأغصان وقد بين ذلك قوله تعالى: ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ الآية. [إبراهيم: ٢٤] وتقدمت الإشارة إليه أول كتاب التوبة. (**وهذا مطرد في جميع منازل السالكين إلى الله تعالى، وإسم الإيمان تارة يختص بالمعارف**) فقط التي هي الأصول (**وتارة يطلق على الكل**) أي عليها مع ما ينشأ منها

كتاب قواعد العقائد وكذلك الصبر لا يتم إلا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة. فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمرة يصدر عنها، ولا يعرف هذا إلا بمعرفة كيفية الترتيب بين الملائكة والأنس والبهائم، فإن الصبر خاصية الإنس ولا يتصوّر ذلك في البهائم والملائكة. أما في البهائم فلنقصانها. وأما في الملائكة فلكمالها. وبيانه أن البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون إلا الشهوة، وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبراً.

وأما الملائكة عليهم السلام، فإنهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية والإبتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى تحتاج إلى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف.

ويثمر منها (**كما ذكرناه في اختلاف اسم الإيمان والإسلام في كتاب قواعد العقائد وكذا الصبر**) من جملة عقود الإيمان بالله ولله (**لا يتم إلا بمعرفة سابقة وبحالة قائمة**) تنشأ عن تلك المعرفة هي كالفرع لها (**فالصبر على التحقيق عبارة عنها**) عن تلك المعرفة والحالة (**والعمل هو كالثمرة يصدر عنها ولا يعرف هـذا إلا بمعـرفـة كيفيـة الترتيـب بين**) الموجـودات (**والملائكة والأنس والبهائم، فإن الصبر خاصية الأنس**) أي مخصوص بنوع الإنسان لتركبه من طرفي مشابهة الملائكة والبهائم (**فلا يتصوّر ذلك في البهائم والملائكة أما**) عدم تصوّره (**في البهائم فلنقصانها**) وتسفل درجتها في نفس الحياة التي بها شرفها لأن الحي هو الدرّاك الفعال، وفي إدراك البهيمة نقص وفي فعلها نقص أما إدراكها فنقصانها إنه مقصور على الحواس، وإدراك الحس قاصر لأنه لا يدرك الأشياء إلا بمماسة أو بقرب منها، فالحس معزول عن الإدراك إن لم يكن مماسة ولا قرب، فإن اللمس والذوق يحتاجان إلى المماسة والسمع والبصر والشم يحتاجون إلى القرب وكل موجود لا يتصور فيه مماسة ولا قرب فالحس معزول عن إدراكه في هذه الحالة، وأما فعلها فسيأتي في سياق المصنف قريباً.

(**وأما**) عدم تصوّره (**في الملائكة فلكمالها**) وعلو درجتها، (**وبيانه أن البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة**) أي منقادة (**لها فلا باعث لها على الحركة والسكون إلا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبراً**)، وهو إشارة إلى نقصانها في فعلها (**وأما الملائكة عليهم السلام، فإنهم جردوا للشوق إلى حضرة الربوبية والإبتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادة عنها حتى تحتاج إلى مصادمة يصرفها عن**) مطالعة (**حضرة الجلال بجند آخر يغلب الصوارف**) ولتقدسها عن الشهوة كانت داعية للقرب إلى الله تعالى.

وأما الإنسان فإنه خلق في ابتداء الصبا ناقصاً مثل البهيمة لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه، ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة النكاح، على الترتيب وليس له قوّة الصبر البتة، إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما، وليس في الصبي إلا جند الهوى كما في البهائم، ولكن الله تعالى بفضله وسعة جوده أكرم بني آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين، أحدهما يهديه، والآخر يقوّيه، فتميز بمعونة الملكين عن البهائم واختص بصفتين: إحداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله، ومعرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي إليه الهداية والتعريف. فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية إلى مصلحة العواقب بل إلى مقتضى شهواتها في الحال فقط. فلذلك لا تطلب إلا اللذيذ. وأما الدواء النافع مع كونه مضراً في الحال فلا تطلبه ولا تعرفه، فصار الإنسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغبات مكروهة في

(وأما الإنسان) فدرجته متوسطة بين الدرجتين فكأنه مركب من بهيمة وملكية، **(فإنه خلق في ابتداء الصبي ناقصاً مثل البهيمة)** أي في الإدراك إذ ليس له منه أولا إلا الحواس التي يحتاج في الإدراك بها إلى طلب القرب في المحسوس بالسعي والحركة إلى أن يشرق عليه نور العقل المتصرف في ملكوت السموات والأرض من غير حاجة إلى حركة بالبدن وطلب قرب أو مماسة مع المدرك له بل مدركه الأمور المقدسة عن قبول القرب والبعد بالمكان. **(لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو محتاج إليه)** فهي مستولية عليه **(ثم يظهر فيه شهوة اللعب والزينة)** وفي أثناء ذلك يظهر فيه شهوة الغضب وبحسب مقتضى كل هذه الشهوات يكون انبعاثه **(ثم شهوة النكاح، على الترتيب)** إلى أن يظهر فيه الرغبة في طلب الكمال والنظر للعاقبة وعصيان مقتضى تلك الشهوات **(وليس له قوة الصبر البتة إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتها ومطالبتها وليس في الصبي إلا جند الهوى كما في البهائم)**، يدعو إلى أفعال ملائمة لشهوته **(ولكن الله تعالى بفضله وسعة جوده)** وكرمه **(أكرم بني آدم ورفع درجتهم عن درجة البهائم)** إذ قد خصهم بالكمال في الإدراك وفي العقل **(فوكل به)** أي بكل واحد منهم **(عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين أحدهما يهديه والآخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن)** رتبة **(البهائم واختص بصفتين إحداهما: معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله، و)** الثانية: **(معرفة المصالح المتعلقة بالعواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي إليه الهداية والتعريف، فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية إلى مصالح العواقب بل إلى مقتضى شهواتها في الحال فقط فلذلك لا يطلب إلا اللذيذ فأما الدواء النافع مع كونه مضراً في الحال فلا تطلبه)** ولا ترغب إليه **(ولا تعرفه فصار الإنسان بنور الهداية يعرف أن إتباع الشهوات لها مغبات مكروهة في العاقبة)** يقال للأمر غب

العاقبة، ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر، فكم من مضر يعرفه الإنسان كالمرض النازل به مثلاً ولكن لا قدرة له على دفعه؟ فافتقر إلى قدرة وقوّة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوّة حتى يقطع عداوتها عن نفسه، فوكل الله تعالى به ملكاً آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود لم تروها، وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوة، فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى وذلك بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد كما أن نور الهداية أيضاً يختلف في الخلق اختلافاً لا ينحصر. فلنسمّ هذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثاً دينياً، ولنسمّ مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد. ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى. ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى. فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة. فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين، وإن تخاذل

بالكسر ومغبة أي عاقبة (**ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر، فكم من مضر يعرفه الإنسان كالمرض النازل به مثلاً ولكن لا قدرة له على دفعه فافتقر إلى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها**) من أصلها (**عن نفسه، فوكل الله تعالى له ملكاً آخر يسدده ويؤيده ويقويه بجنود**) باطنة (**لم تروها وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوات، فتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى، وذلك بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد**) والمعونة، (**كما أن نور الهداية أيضاً يختلف في الخلق اختلافاً لا ينحصر، فلنسم هذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باعثاً دينياً**)، لكون تلك القوة تبعث إلى أمور الدين (**ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى**)، لكونها تبعث إلى هوى النفس (**وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال**)، أي متوال لا ينقطع (**ومعركة هذا القتال**) أي ميدانه ومحله (**قلب العبد ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله**)، ومعرفة هذا من الإيمان لله تعالى وهو تصديق الله تعالى فيما أخبر به من عداوة النفس والشيطان والشهوات للعقل والمعرفة، والملك الملهم للخير، وأن الشهوات والنفس من حزب الشيطان والمعرفة والعقل والملائكة من جند الله وحزبه وهذا الإيمان واجب لا يستغني عنه سالك لطريق الله تعالى. (**فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة، فإن ثبت**) هذا الباعث (**حتى قهره**) أي باعث الشهوة (**واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين**) وأنزله الله في سر...

وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين. فإذن ترك الأفعال المشتهاة عمل يثمره حال يسمى: الصبر، وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال تثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة. فإذا قوي يقينه أعني المعرفة التي تسمى إيماناً وهو اليقين لكون الشهوة عدواً قاطعاً لطريق الله تعالى قوي ثبات باعث الدين، وإذا قوي ثباته تمت الأفعال على خلاف ما تتقاضاه الشهوة، فلا يتم ترك الشهوة إلا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة، وقوة المعرفة والإيمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين بإذن الله تعالى وتسخيره إياهما وهما من الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين. وإذا عرفت أن رتبة

ومتعه بالنظر إلى وجهه، **(وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين)** ووسم عليه بميسم الإبعاد عن حضرة رب العالمين. **(فإذاً ترك الأفعال المشتهاة عمل يثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لأسباب السعادات في الدنيا والآخرة، فإذا قوي يقينه أعني المعرفة التي تسمى إيماناً وهو اليقين بكون الشهوة عدواً قاطعاً لطريق الله تعالى قوي ثبات باعث الدين وإذا قوي ثباته تمت الأفعال)** الصادرة عنه، **(على خلاف ما تتقاضاه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة إلا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة، وقوة المعرفة والإيمان تقبح مغبة الشهوات وسوء عاقبتها)** والقدر الواجب من ثبات باعث الدين تقويته بالوعد والوعيد وسائر البواعث الحادثة المقوية له، إلى أن يغلب وينتصر ويفوز بالخلع السنية الموعودة له ولو لم يكن إلا قوله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [الزمر: ٢٠] وإن تغافل وتلاشى في أمره ولم يستمد بمزايا من الملك خذل وغلب وحق عليه كلمة العذاب بقضاء الله وقدره، قال الله تعالى: ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ [الأنعام: ١٠٧] ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ [البقرة: ٢٥٣] ولذلك خلقهم ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود: ١١٩].

(وهذان الملكان هما المتكفلان بهذين الجندين بإذن الله تعالى وتسخيره إياهما وهما من) جملة **(الكرام الكاتبين وهما الملكان الموكلان بكل شخص من الآدميين)** قال الله عز وجل: ﴿كلا بل تكذبون بالدين★ وإن عليكم لحافظين★ كراماً كاتبين★ يعلمون ما تفعلون﴾ [الانفطار: ٩ - ١٢] روى ابن جرير عن ابن عباس قال: «جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل وحافظين في النهار يحفظان عمله ويكتبان أثره». وروى البزار من حديث ابن عباس «أن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين منهم الكرام الكاتبون الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات الغائط والجنابة والغسل، فإن اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بحرم حائط أو بغيره» وفيه حفص بن سليمان لين الحديث وروى ابن مردويه من حديث ابن عباس قال:

الملك الهادي أعلى من رتبة الملك المقوّي لم يخف عليك أنّ جانب اليمين الذي هو أشرف الجانبين من جنبتي الدست، ينبغي أن يكون مسلماً له؛ فهو إذا صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال. وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة. فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء إليه فيكتب إعراضه سيئة، وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب إقباله له حسنة وكذا بالإسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسيء إليه فيثبت عليه سيئة، وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة. وإنما ثبتت هذه الحسنات والسيئات بإثباتها فلذلك سميا كراما كاتبين. أما الكرام فلانتفاع العبد بكرمها ولأن الملائكة كلهم كرام بررة، وأما الكاتبين فلإثباتها الحسنات والسيئات، وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فإنها وكتبتها وخطها وصحائفها وجملة ما تعلق بها من جملة عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة، وكل شيء من عالم الملكوت لا تدركه الأبصار في هذا العالم، ثم تنشر هذه الصحائف المطوية

خرج رسول الله ﷺ عند الظهيرة فرأى رجلاً يغتسل بفلاة من الأرض فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فاتقوا الله واكرموا الكرام الكاتبين الذين معكم ليس يفارقونكم إلا عند إحدى منزلتين حيث يكون الرجل عند خلائه أو يكون مع أهله لإنهم كرام كما سماهم الله فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بجزم حائط أو بغيره فإنهم لا ينظرون إليه». (**وإذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى من رتبة الملك المقوي لم يخف عليك أن جانب اليمين الذي هو أشرف الجانبين من جنبتي الدست، ينبغي أن يكون مسلماً له**). موكولا إليه. (**فهو إذا صاحب اليمين والآخر صاحب الشمال، وللعبد طوران في الغفلة والفكر وفي الإسترسال والمجاهدة فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسيء إليه فيكتب إعراضه**) عنه (**سيئة، وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب له إقباله به حسنة، وكذا بالإسترسال وهو معرض عن صاحب اليسار تارك للإستمداد منه فهو به مسيء إليه فيثبت عليه سيئة وبالمجاهدة مستمد من جنوده فيثبت له به حسنة، وإنما تثبت**) وفي نسخة ثبتت (**هذه الحسنات والسيئات بإثباتها فلذلك سميا كراماً كاتبين أما الكرام فلانتفاع العبد بكرمهما ولأن الملائكة كلهم كرام بررة**) كما وصفهم الله تعالى بذلك وهم كما وصفوا. (**وأما الكاتبين فلإثباتها الحسنات والسيئات**)، في صحائف أعمال العباد. (**وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب**) أي باطنه (**ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فإنها وكتبتها وخطها وصحائفها وجملة ما يتعلق بها من جملة عالم الغيب والملكوت لا من عالم الشهادة**) والملك. (**وكل شيء من عالم الملكوت لا تدركه الأبصار في هذا العالم**)، وإنما

عنه مرتين: مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى. وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت إذ قال ﷺ: « من مات فقد قامت قيامته » وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤] وفيها يقال: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ [الاسراء: ١٤] أما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق، وفيها يساق المتقون إلى الجنة والمجرمون إلى النار زمراً لا آحاداً. والهول الأول هو هول القيامة الصغرى. ولجميع أهوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى، مثل زلزلة الأرض

تدركه البصائر الصافية المصقولة بأنوار العرفان، (**ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى، وأعني بالقيامة الصغرى حالة الموت إذ قال ﷺ: « من مات فقد قامت قيامته »**).

قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب من حديث أنس بسند ضعيف انتهى قلت: وعند ابن لال في مكارم الأخلاق والديلمي من حديث أنس: « إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته واعبدوا الله كأنكم ترونه واستغفروه كل ساعة » وروى العسكري في الأمثال من حديث أنس: « أكثروا ذكر الموت فإنكم إن ذكرتموه في غنى كدره عليكم وإن ذكرتموه في ضيق وسعه عليكم الموت القيامة إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته يرى ماله من خير وشر ». وفيه داود بن المحبر كذاب، عن عنبسة بن عبد الرحمن متروك متهم، عن محمد بن زازان قال البخاري: لا يكتب حديثه ورواه ابن لال في المكارم بلفظ: « أكثروا ذكر الموت فإن ذلك تمحيص للذنوب وتزهيد في الدنيا الموت القيامة » وعند ابن أبي الدنيا: « فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا ». وسنده ضعيف جداً وروى الطبراني من طريق زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: يقولون القيامة القيامة وإنما قيامة الرجل موته. ومن رواية سفيان عن أبي قيس قال: شهدت جنازة فيها علقمة فلما دفن قال: أما هذا فقد قامت قيامته. (**وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعندها يقال: ﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾**) أي إفراداً (**﴿كما خلقناكم أول مرة﴾**) [الأنعام: ٩٤] أي في وقت الولادة (**وفيها يقال: ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾**) [الأسراء: ١٤] أي حاسباً (**أما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق**) من الأول إلى الآخر (**فلا يكون وحده، بل ربما يحاسب على ملأ من الخلق**) ورؤوس الأشهاد (**وفيها يساق المتقون إلى الجنة والمجرمون إلى النار زمراً لا آحاداً**)، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾ [الزمر: ٧١] الآية. (**والهول الأول وهو هول القيامة الصغرى**) يعني به هول (**الموت ولجميع أهوال القيامة الكبرى نظير، فإن للقيامة الصغرى مثل زلزلة الأرض مثلاً**) الموعود بها في القيامة الكبرى في قوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ [الزلزلة: ١]

مثلاً، فإن أرضك الخاصة بك تزلزل في الموت، فإنك تعلم أن الزلزلة إذا نزلت ببلدة صدق أن يقال: قد زلزلت أرضهم وإن لم تزلزل البلاد المحيطة بها، بل لو زلزل مسكن الإنسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه، لأنه إنما يتضرر عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره، فحصته من الزلزلة قد توفرت من غير نقصان. واعلم انك أرضي مخلوق من التراب، وحظك الخاص من التراب بدنك فقط، فأما بدن غيرك فليس بحظك. والأرض التي أنت جالس عليها بالإضافة إلى بدنك ظرف ومكان وإنما تخاف من تزلزله أن يتزلزل بدنك بسببه، وإلا فالهواء أبداً متزلزل وأنت لا تخشاه إذ ليس يتزلزل به بدنك؛ فحظك من زلزلة الأرض كلها زلزلة بدنك فقط، فهي أرضك وترابك الخاص بك، وعظامك جبال أرضك، ورأسك سماء أرضك، وقلبك شمس أرضك، وسمعك وبصرك وسائر حواسك نجوم سمائك، ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك، وشعورك نبات أرضك، وأطرافك أشجار أرضك، وهكذا إلى جميع أجزائك، فإذا انهدم بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الأرض زلزالها فإذا

(**فإن أرضك الخاصة بك بدنك تزلزل في الموت**) أي تضطرب وترتج، (**فإنك تعلم أن الزلزلة إذا أنزلت ببلدة صدق أن يقال: قد زلزلت أرضهم وإن لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الإنسان وحده فقد حصلت الزلزلة في حقه، لأنه إنما يتضرر عند زلزلة جميع الأرض بزلزلة مسكنه لا بزلزلة مسكن غيره، فحصته من الزلزلة قد توفرت عليه من غير نقصان. واعلم أنك أرضي مخلوق من التراب وحظك الخاص من التراب بدنك فقط فأما بدن غيرك فليس بحظك والأرض التي أنت جالس عليها بالإضافة إلى بدنك ظرف ومكان**) لحلولك فيه. (**وإنما تخاف من تزلزله أن يتزلزل بدنك بسببه وإلا فالهواء أبداً متزلزل وأنت لا تخشاه**) ولا تعني به، (**إذ ليس يتزلزل به بدنك فحظك من زلزلة الأرض كلها زلزلة بدنك فقط، فهي أرضك وترابك الخاص بك، وعظامك جبال أرضك**) أي بمنزلتها لصلابتها بالإضافة إلى سائر أجزاء البدن (**وأطرافك أشجار أرضك**)، أي بمنزلتها في السماء في تنويرها (**وسمعك وبصرك وسائر حواسك الظاهرة نجوم سمائك**) أي بمنزلتها (**ومفيض العرق من بدنك بحر أرضك**)، أي بمنزلته في إسالة الفوهات، (**وشعورك**) النابتة في البدن (**نبات أرضك**)، أي بمنزلته في النمو، (**وهكذا إلى جميع أجزائك**)، وقد أشار إليه المصنف في كيمياء السعادة فقال إن نفس ابن آدم مختصرة من العالم وفيها من كل صورة في العالم أثر منه لأن هذه العظام كالجبال ولحمه كالتراب وشعره كالنبات ورأسه مثل السماء وحواسه مثل الكواكب. (**فإذا انهدمت بالموت أركان بدنك فقد زلزلت زلزالـها**)أي اضطرابها المقدر لها

انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، فإذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفاً، فإذا أظلم قلبك عند الموت فقد كوّرت الشمس تكويراً، فإذا أبطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكداراً، فإذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقاً، فإذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيراً، فإذا التفت إحدى ساقيك بالأخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلاً، فإذا فارقت الروح الجسد فقد حملت الأرض فمدّت حتى ألقت ما فيها وتخلّت، ولست أطول بجميع موازنة الأحوال والأهوال ولكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى، ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء مما يخصك بل ما يخص غيرك، فإن بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التي بها تنتفع بالنظر إلى الكواكب، والأعمى يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لأنها قد كسفت في حقه دفعة واحدة، وهو حصته منها فالانجلاء بعد

(**فإذا انفصل العظام واللحوم**) من بعضها، (**فقد حملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، فإذا أرمت العظام**) أي بليت وتخربت، (**فقد نسفت الجبال نسفاً**) يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً﴾ [طه: ١٠٥] وفي نسخة فقد بست الجبال بساً (**فإذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويراً**)، أي لفت من كورت العمامة إذا لففتها بمعنى رفعت، لأن الثوب إذا أريد رفعه لف أو لف ضوءها فذهب انبساطه في الآفاق وزال أثره، (**فإذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكداراً**) أي أظلمت وانقضت، (**فإذا تشقق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقاً**) أي صارت شقة شقة أو انشقت بالغمام، (**فإذا انفجر من هول الموت عرق جبينك**) وذلك عند الموت، فإن الجبين لا تعرق إلا عند معاينة الأهوال ولا هول أعظم من الموت (**فقد فجرت البحار تفجيراً، فإذا التفت إحدى ساقيك بالأخرى وهما مطيتاك فقد عطلت العشار تعطيلاً**)، أي تركت مهملة والعشار هي النوق اللاتي أتى على حملهن عشرة أشهر جمع عشراء (**فإذا فارقت الروح الجسد فقد حملت الأرض فمدت**) أي بسطت بأن تزال جبالها وآكامها (**حتى ألقت ما فيها**) أي في جوفها (**وتخلت**) أي تكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شيء في بطنها، (**ولست أطول بجميع موازنة الأحوال والأهوال ولكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى**) وتعاين أهوالها (**ولا يفوتك من القيامة الكبرى شيء ما يخصك بل ما يخص غيرك**) أيضاً. (**فإن بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التي بها تنتفع بالنظر إلى الكواكب والأعمى**) الذي ذهب بصره (**يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها لأنها قد كسفت في حقه دفعة واحدة، فهو**

ذلك حصة غيره، ومن انشق رأسه فقد انشقت سماؤه إذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس فمن لا رأس له لا سماء له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره؟ فهذه هي القيامة الصغرى. والخوف بعد أسفل والهول بعد مؤخر وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والأرض ونسفت الجبال وتمت الأهوال، واعلم أن هذه الصغرى وإن طوّلنا في وصفها فإنا لم نذكر عشر عشير أوصافها وهي بالنسبة إلى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى، فإن للإنسان ولادتين.

إحداهما الخروج من الصلب والترائب إلى مستودع الأرحام فهو في الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم، وله في سلوكه إلى الكمال منازل وأطوار من نطفة وعلقة ومضغة [illegible] إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم. فنسبة عموم القيامة الكبرى إلى [illegible] الذي يقدم عليه العبد بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا ايضا إلى الرحم، بل أوسع وأعظم، فقس الآخرة بالأولى ﴿ما خَلقكم ولا بَعْثكم إلا كنفس واحدة﴾

حصته منها فالإنجلاء بعد ذلك حصة غيره) ممن يراه، **(ومن انشق رأسه فقد انشقت سماؤه إذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس)** لسموه أي علوه وارتفاعه ولذا سمي السحاب سماء بهذا الإعتبار **(فمن لا رأس له لا سماء له فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره؟. فهذه هي القيامة الصغرى)** المشار إليها في الحديث المذكور **(والخوف بعد أسفل والهول بعد مدخر وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى)** أي المصيبة العظمى تطم على الكل وتعم **(وارتفع الخصوص وبطلت السموات والأرض)** ومحيت آثارها **(ونسفت الجبال)** نسفاً فصارت هباء منبثاً **(وتمت الأهوال. واعلم أن هذه الصغرى وإن طولنا في وصفها فإنا لم نذكر عشر عشير أوصافها بالنسبة إلى القيامة الكبرى)** وهي **(كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى فإن للإنسان ولادتين)**.

(أحداهما الخروج من الصلب والترائب إلى مستودع الأرحام فهو في الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم) كما أخبر عنه سبحانه في كتابه العزيز **(وله في سلوكه إلى الكمال منازل)** يسلكها **(وأطوار)** ينتقل إليها **(من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم)** وسعته، **(فنسبة عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم، ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه العبد بالموت إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضاً إلى الرحم، بل أوسع وأعظم فقس الآخرة بالأولى)** قال الله تعالى: **(﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾**

[لقمان: ٢٨]. وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في اثنتين. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَنُنْشِئَكُمْ فيمَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١] فالمقرّ بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت. والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين العوراء إلى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالأعور الدجال. فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه الأهوال فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى؟ أو ما سمعت قول سيد الأنبياء: « كفى بالموت واعظاً » أو ما سمعت بكربه عليه السلام عند الموت حتى قال ﷺ: « اللهم هوّن على محمد

[لقمان: ٢٨] وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في النشأتين) الأولى والثانية، **(وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وننشئكم فيما لا تعلمون﴾ فالمقر بالقيامتين)** الصغرى والكبرى **(مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت. والمقر بالقيامة الصغرى دون الكبر ناظر بالعين العوراء إلى أحد العالمين)** عالم الملك فقط، **(وذلك هو الجهل والضلال والاقتداء بالأعور الدجال)** إذ هو ممسوخ العين اليمنى كما ورد ذلك في الأخبار **(فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين)**، قد ضربت الغفلة على بصائرنا حجباً **(وكيف تغفل وبين يديك هذه الأهوال)** والمصائب والأوحال، **(فإن كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال)** واغواء العدو الحيال، **(فلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى أو ما سمعت قول سيد الأنبياء)** ﷺ: **(« كفى بالموت واعظاً »)** قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من حديث عائشة وفيه الربيع بن بدر وهو ضعيف، ورواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض، رواه البيهقي في الزهد انتهى هكذا، هو في نسخة كتاب العراقي عقبة بن عامر والصواب عمار بن ياسر فقد رواه الطبراني والبيهقي في الشعب والقضاعي في مسند الشهاب والعسكري في الأمثال من طريق يونس بن عبيد عن الحسن عن عمار بن ياسر مرفوعاً ولفظه « كفى بالموت واعظاً وكفى بالموت غنى وكفى بالعبادة شغلاً » وعند الطبراني وحده أيضاً بلفظ « كفى بالموت واعظاً وكفى باليقين غنى » وروى العسكري في الأمثال من طريق يحي بن إسحاق عن ابن لهيعة عن جبير بن أبي حكيم عن أنس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن فلاناً جاري يؤذيني فقال: « اصبر على أذاه وكف عنه أذاك » قال: فما لبث إلا يسيرا إذ جاء فقال: يا رسول الله ان جاري ذاك مات، فقال النبي ﷺ: « كفى بالدهر واعظاً وبالموت مفرقاً » ورواه كذلك ابن السني في عمل يوم وليلة، وروى ابن أبي الدنيا في كتاب البر والصلة من رواية عبد الرحمن الحبلي مرسلاً « كفي بالموت مفرقاً » وروى ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا في ذكر الموت عن الربيع بن أنس مرسلاً « كفي بالموت مزهداً في الدنيا ومرغباً في الآخرة » **(أو ما سمعت بكربه ﷺ عند**

سكرات الموت »، أو ما تستحي من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون؟ فيأتيهم المرض نذيراً من الموت فلا ينزجرون، ويأتيهم الشيب رسولاً منه فما يعتبرون ﴿فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ أفيظنون أنهم في الدنيا خالدون ﴿أو لم يَرَوا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ القُرُون أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١] أم يحسبون أنَّ الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا ﴿وإن كُلّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢] ولكن ﴿ما تَأْتِيهِم مِنْ آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ إلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [يس: ٤٦] وذلك لأنا ﴿جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُم لاَ يُبْصِرُونَ ★ وَسَواءٌ

الموت) وقوله: « إن للموت سكرات وإن للموت فزعاً » **(حتى قال ﷺ: « اللهم هوّن على محمد سكرات الموت »)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال غريب، والنسائي في اليوم والليلة، وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ « اللهم أعني على سكرات الموت ».

(أوما تستحي من استبطائك هجوم الموت) والساعة **(اقتداء برعاع الغافلين الذين لا ينظرون)** ولفظ التنزيل ﴿ما ينظرون﴾ أي لا ينتظرون **(إلاَّ صيحةً واحدةً)** هي النفخة الأولى **(تأخُذُهُم وهم يخصمون﴾ [يس: ٤٩]** أي يختصمون في معاملاتهم ولا يخطر ببالهم أمرها، لقوله تعالى: ﴿فأخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾ [يوسف: ١٠٧] **(﴿فلا يستطيعون توصية﴾)** من شيء من أمورهم **(﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾)** [يس: ٥٠] فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم **(فيأتيهم المرض نذيراً من الموت)** أي مخوفاً منه، **(فلا ينزجرون)** ولا يتعظون **(ويأتيهم الشيب رسولاً منه)** بدنوّ أجلهم **(فما يعتبرون)** ولا ينتبهون **(﴿فيا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن﴾)** [يس: ٣٠] فإن المستهزيء بالناصح المخلص المنوط بنصحه خير الدارين أحق بأن يتحسر ويتحسر عليه **(﴿أفيظنون انهم في الدنيا خالدون ﴿ألم يروا﴾)** أي ألم يعلموا **(﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون﴾)** أي ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم وكونهم غير راجعين إليهم، **(أم يحسبون أن الموتى سافروا من عندهم فهم معدومون كلا)** حرف ردع وزجر **(﴿إن كل لمّا جيع لدينا محضرون﴾)** يوم القيام للجزاء **(ولكن ﴿ما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين﴾)** لاعتيادهم على العناد وتمرنهم عليه، **(وذلك لأنا ﴿جعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾)** أي قد أحاط بهم سدان **(﴿فأغشيناهم﴾)** أي غطّينا على أبصارهم **(﴿فهم لا يبصرون﴾)** قدامهم ووراءهم فهم

---

(١) لفظ الاية: ﴿تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾.

عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ٩ ، ١٠] ولنرجع إلى الغرض فإن هذه تلويحات تشير إلى أمور هي أعلى من علوم المعاملة فنقول: قد ظهر أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى، وهذه المقاومة من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين ولا يكتبان شيئاً على الصبيان والمجانين، إذ قد ذكرنا أن الحسنة في الإقبال على الاستفادة منها والسيئة في الإعراض عنها، وما للصبيان والمجانين سبيل إلى الاستفادة فلا يتصور منهما إقبال وإعراض، وهما لا يكتبان إلا الإقبال والإعراض من القادرين على الإقبال والإعراض. ولعمري انه قد تظهر مبادىء اشراق نور الهداية عند سنّ التمييز وتنمو على التدريج إلى سنّ البلوغ كما يبدو نور الصبح إلى [illegible]

[illegible]

يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الآخرة، بل على القيم العدل والولي البر الشفيق إن كان من الأبرار وكان على سِمَتِ الكرام الكاتبين البررة الأخيار أن يكتب على الصبي

محبوسون في مطمورة الجهالة، ممنوعون عن النظر في الآيات والدلائل، (﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ ولنرجع إلى الغرض فإن هذه تلويحات تشير إلى أمور) من علوم المكاشفة (هي أعلى من علوم المعاملة فنقول: قد ظهر أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة) بين الباعثين (من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكاتبين) وهما الملكان الموكلان بكل شخص منهم فيكتبان الآثار ويحفظان الأعمال (ولا يكتبان شيئاً على الصبيان والمجانين) ، ففي الخبر « رفع القلم عن الصبي حتى يبلغ وعن المجنون حتى يعقل » (اذ قد ذكرنا أن الحسنة في الإقبال على الإستفادة منها والسيئة في الإعـراض عنها، وما للصبيان والمجانين سبيل إلى الإستفادة فلا يتصوّر منها إقبال وإعراض، وهما لا يكتبان إلا الإقبال والإعراض من القادرين على الإقبال والإعراض، ولعمري [illegible] نور [illegible] عند [illegible] (سن التمييز، وتنمو [illegible] التدريج) شيئاً فشيئاً (إلى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح) في أول ظهوره (إلى أن يطلع قرص الشمس) بارزاً للعيون. (ولكنها هداية قاصرة لا ترشد إلى مضار الآخرة، بل إلى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزاً) ، فروى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث ابن عمر « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين » الحديث (ولا يعاقب في الآخرة ولا يكتب عليه في الصحائف ما ينشر في الآخرة، بل على القيم العدل) إن كان يتيماً (والولي البر الشفيق إن كان من الأبرار وكان على سمت الكرام الكاتبين البررة الاخيار أن يكتب على الصبي سيئة وحسنته على صحيفة قلبه،فيكتبه عليه

سيئته وحسنته على صحيفة قلبه، فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب. فكل ولي هذا سمته في حق الصبي، فقد ورث أخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي. فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقرّبين والصدّيقين وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة» وأشار إلى أصبعيه الكريمتين ﷺ.

بيان كون الصبر نصف الإيمان:

اعلم أنّ الإيمان تارة يختص في إطلاقه بالتصديقات بأصول الدين وتارة يختص بالأعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعاً، وللمعارف أبواب وللأعمال أبواب ولاشتمال لفظ الإيمان على جميعها كان الإيمان نيفاً وسبعين باباً. وباختلاف هذه

بالحفظ ثم ينشره عليه بالتعريف ثم يعذبه عليه بالضرب)، كما في مضمون الخبر السابق. **(فكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث أخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي، فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالته الملائكة فيكون مع النبيين والمقربين والصديقين)** من عباده الصالحين، **(وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين» وأشار إلى أصبعيه الكريمتين ﷺ)**، رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي وابن حبان من حديث سهل بن سعد بلفظ «أنا وكافل اليتيم في الجنة» وأشار بالسبابة والوسطى وقد تقدم ورواه أيضاً الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة وروى أبو يعلى من حديث عائشة «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين» وجمع بين السبابة والوسطى الحديث وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه وروى عبد الرزاق والحكيم والطبراني والبيهقي والخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عساكر من رواية بنت مرة البهزية عن أبيها «أنا وكافل اليتيم له أو لغيره إذا اتقى الله في الجنة كهاتين» وأشار باصبعه المسبحة والوسطى.

بيان كون الصبر نصف الإيمان:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن الإيمان تارة يختص في إطلاقه بالتصديقات بأصول الدين)** وهي المعارف، **(وتارة)** يختص في اطلاقه **(بالأعمال الصالحة الصادرة عنها)** أي عن تلك التصديقات، **(وتارة يطلق عليهما جميعاً وللمعارف والأعمال أبواب)** كثيرة، **(ولاشتمال لفظ الإيمان على جميعها)** بالإطلاق الثالث، **(كان الإيمان نيفاً وسبعين باباً)** كما في خبر أبي هريرة عند الترمذي «الإيمان بضع وسبعون باباً فأدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله» وقال: حسن صحيح. وعند ابن حبان «الإيمان سبعون أو اثنان وسبعون باباً أرفعه لا إله إلا الله وأدناه إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» وقد تقدم. **(واختلاف هذه**

الإطلاقات ذكرناها في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات، ولكن الصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقين.

أحدهما: أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعاً. فيكون للإيمان ركنان:

أحدهما: اليقين والآخر الصبر والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة، ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل. فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الإعتبار ولهذا جمع رسول الله ﷺ بينهما فقال: « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث » إلى آخره.

الإطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربع العبادات) فليراجع هناك. **(ولكن الصبر نصف الإيمان)** كما ورد في الخبر **(باعتبارين وعلى مقتضى اطلاقين أحدهما أن يطلق)** الإيمان **(على التصديقات والأعمال جميعاً، فيكون للايمان ركنان)**:

(أحدهما اليقين، والآخر الصبر، والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن المعصية ضارة والطاعة نافعة، ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل. فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الإعتبار ولهذا جمع رسول الله ﷺ بينهما) أي اليقين والصبر **(فقال: « ان من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر » الحديث)** الخ. من رواية شهر بن حوشب عن أبي أمامة مرفوعاً وقد تقدم قريباً وبهذا الإعتبار أيضاً يكون اليقين نصف الإيمان لأنه أحد ركنيه ويقرر كون الصبر نصف الإيمان بوجه آخر، وهو أنه كما سيأتي أن الصبر عن المعاصي أشرف من الصبر على الطاعات، لأن الآفات الداخلة على الطاعات من جملة المعاصي لأن للعدوّ حظاً في دخول الآفات عليها وكل أحد يقدر على القيام بالطاعة ولا يقدر على تلك المعصية إلا الصديقون، والصبر على المصائب أشرف من الصبر على المعاصي إذ لا ألم في ترك المعاصي والمصائب محك الإيمان، ولأن الصبر عن المعاصي يكون في الغالب من مشاهدة الوعد والوعيد، والصبر على المصائب في الغالب لا يكون إلا عن مشاهدة القضاء والقدر والقضاء والقدر من الإيمان بالله، والوعد والوعيد من الإيمان بالله، وما نشأ عن الإيمان بالله تعالى كان أفضل ويشرف الصبر بشرف المصبور فيه والمصبور لأجله وبه يعرف سر قوله « الصبر نصف الإيمان » لأن النصف الأول هو العلم والنصف الثاني هو العمل.

الاعتبار الثاني: أن يطلق على الأحوال المثمرة للأعمال لا على المعارف، وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيهما، وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر، وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر. فيكون الشكر أحد شطري الإيمان بهذا الاعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين بالإعتبار الأوّل.

وبهذا النظر قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر» وقد يرفع أيضاً إلى رسول الله ﷺ ولما كان الصبر صبـراً عن باعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة، وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم، وكان الصوم صبراً عن مقتضى الشهوة فقط هي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب. قال ﷺ بهذا الاعتبار: «الصوم نصف الصبر» لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعاً فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الإيمان. فهكذا ينبغي أن تفهم تقديرات

(**الأعتبار الثاني: أن يطلق**) الإيمان (**على الأحوال المثمرة للأعمال لا على المعارف، وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه العبد إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيهما، وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر، وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر. فيكون الشكر أحد شطري الإيمان بهذا الإعتبار كما أن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الأوّل**).

(**وبهذا النظر قال ابن مسعود**) رضي الله عنه (**«الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر»**) كذا في القوت وقد رواه البيهقي بنحوه (**وقد يرفع أيضاً إلى رسول الله ﷺ**) كما رواه البيهقي والديلمي من حديث أنس وقد تقدم. (**ولما كان الصبر صبراً عن بواعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب اللذيذ والغضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبراً عن مقتضى الشهوات فقط وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب قال ﷺ بهذا الإعتبار: «الصوم نصف الصبر»**) كما رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة وتقدم: (**لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي الغضب جميعاً، فيكون الصوم بهذا الإعتبار ربع الإيمان**). وباعتبار أن الصبر لا يتم إلا بعمل يثمره وعمل هو ثمرته يكون الصبر الإيمان كله كما في الحديث وباعتبار أن مدار اليقين على الإيمان بالله وبقضائه وقدره وما جاء به رسله مع الثقة بوعده ووعيده، فهو متضمن لكل ما يجب الإيمان به، يكون اليقين الإيمان كله كما في تتمة خبر ابن مسعود السابق، ولما كان الرضا بالقضاء نظام التوحيد ومنتهى درجة الزاهدين يكون الصبر الرضا كما في خبر أبي موسى الأشعري عند الحكيم وابن عساكر ومن ثم قالوا: اليقين الإيمان بالقدر

الشرع بحدود الأعمال والأحوال ونسبتها إلى الإيمان، والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان فإن اسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة.

بيان الأسامي التي تتجدد للصبر بالإضافة إلى ما عنه الصبر:

اعلم أن الصبر ضربان أحدهما ضرب بدني، كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة إما من العبادات أو من غيرها وإما بالاحتمال: كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهائلة. وذلك قد يكون محموداً إذا وافق الشرع. ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر: وهو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى. ثم هذا الضرب إن كان صبراً عن شهوة البطن

والسكون إليه. (**فهكذا ينبغي أن يفهم تقديرات الشرع لحدود الأعمال والأحوال ولنسبتها إلى الإيمان والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان وأن إسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة**) واعتبارات شتى.

بيان الاسامي التي تتجدد للصبر بالإضافة الى ما عنه الصبر:

(**إعلم**) أرشدك الله تعالى، (**أن الصبر**) في اللغة الحبس والكف في ضيق ومنه قتل فلان صبراً إذا أمسك وحبس للقتل قال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم﴾ [الكهف: ٢٨] الآية، أي احبس نفسك معهم وهو (**ضربان ضرب بدني**): ويقال له: الجسمي أيضاً وذلك (**كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها**) على قدر قوّة البدن ونهايته معلومة وأكثرها لذوي الجسوم الخشنة وليس ذلك بفضيلة تامة ولهذا قال الشاعر:

والصبر بالأرواح يعرف فضله صبر الملوك وليس بالأجسام

(**وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة، إما من العبادات**) كان يصلي حتى ترم رجلاه أو يصوم مواصلا حتى تسقط قوته (**أو من غيرها**). كالمشي الكثير ورفع الحجر الثقيل، (**وإما بالإحتمال**) وهو الأنفعالي، (**كالصبر على الضرب الشديد**) بالمقارع (**والمرض العظيم والجراحات الهائلة وذلك يكون محموداً إذا وافق الشرع**) نصاً أو قياساً أو استحباباً، (**ولكن المحمود التام هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسي**)، وذلك بأن يكف النفس (**عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى**)، وبه تتعلق الفضيلة. (**ثم هذا الصبر**) ضربان: (**إن كان صبرا عن**) تناول (**شهوة البطن والفرج سمي عفة**) فالعفة لا تتعلق إلا بالقوى الشهوية ولا تتعلق من القوى الشهوية إلا بالملاذ الحيوانية، وهي المعلقة بالغارين البطن والفرج دون الألوان الحسنة والألحان الطيبة والأشكال المنتظمة، والعفة، أس الفضائل، وإنما تتعلق بضبط القلب عن التطلع للشهوات البدنية ومن اعتقاد ما يكون جالباً للبغي والعدوان وتمامها يتعلق بحفظ الجوارح،

والفرج سمي عفة وإن كان عن إحتمال مكروه واختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر . فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر ، وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع وهو اطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها ، وإن كان في احتمال الغنى سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وإن كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن. وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلماً ويضاده التذمر . وإن كان في نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر . وإن كان في إخفاء كلام سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوماً ، وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً ويضاده الحرص. وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره، فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الإيمان قال: « هو الصبر » لأنه أكثر أعماله وأعزها كما قال: « الحج عرفة » وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمي الكل صبراً فقال تعالى: ﴿والصَّابِرِينَ في البَأْسَاء﴾ أي المصيبة ﴿والضَّرَّاء﴾ أي الفقر

(وإن كان عن احتمال مكروه) وهو الضرب الثاني: وهذا قد (اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر) وأخصر (من ذلك اختلفت أساميه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان) ذلك (في) نزول (مصيبة اقتصر) به (على اسم الصبر) ولم يتعد به هذا الأسم (وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع) والحزن (وهو إطلاق دواعي الهوى يسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود) ولدم الصدور (وشق الجيوب وغيرها) مما يشاكلها ، (وإن كان) ذلك (في احتمال الغنى) فقد (سمي ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر) ، وقال بعضهم: ضبط النفس في الأشياء الملذة والصبر يقال في الأشياء المحزنة وقال بعضهم: بل هما في الأسماء المترادفة على معنى واحد ، (وإن كان) ذلك (في حرب ومقاتلة سمي شجاعة ويضاده الجبن. وإن كان في كظم و) هو إمساك النفس عن قضاء وطر (الغضب سمي حلماً ويضاده التذمر) بالذال المعجمة. (وإن كان في بذل المال وإنفاقه سمي سخاء ويضاده التبذير، وإن كان) ذلك (في نائبة من نوائب الزمان منجرة) أي مقلقة (سمي سعة الصدر ويضاده الضجر والتبرم وضيق الصدر، وإن كان في اخفاء كلام) وإمساكه في الضمير (سمي كتمان السر وسمي صاحبه كتوماً) ويضاده الإفشاء ، (وان كان من فضول العيش سمي زهداً ويضاده الحرص وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره) محركة (فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر ولذلك لما سئل ﷺ عن الإيمان قال: « هو الصبر ») كما تقدم قريباً لأنه أكثر اعماله وأعزها (كما قال) ﷺ : « (الحج عرفة) » تقدم في كتاب التوبة وفي كتاب الحج (وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وسمي الكل صبراً) في آية واحدة (فقال ﴿والصابرين في البأساء) أي: المصيبة ﴿والضراء﴾

﴿وحِينَ البَأْس﴾ أي المحاربة ﴿اولَئِكَ الّذِينَ صَدَقُوا وأولَئِكَ هُمْ المُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧] فإذا هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعاني من الأسامي يظن أن هذه الأحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الأسامي مختلفة. والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعاني أولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الأسامي فإنها دالة على المعاني. فالمعاني هي الأصول والألفاظ هي التوابع. ومن يطلب الأصول من التوابع لا بد وأن يزل. وإلى الفريقين الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِياً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمْ﴾ [الملك: ٢٢] فإن الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه إلا بمثل هذه الإنعكاسات، نسأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه.

بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوّة والضعف:

اعلم أن باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال:

أحدها: أن يقهر داعي الهوى فلا تبقى له قوّة المنازعة ويتوصل إليه بدوام الصبر

أي الفقر (﴿**وحين البأس**﴾ **أي المحاربة**) فهذا صبر عام، ولما كان أشق شيء على النفوس وأصعبه على الطباع وفيه عزائم الأمور اشترط الله على المتقين والصادقين والصابرين الصبر على الشدائد والمكاره، وحقق بالصبر صدقهم وتقواهم وأكمل به وصفهم وأعمال برهم فقال (﴿**أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**﴾ **فإذا هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها**) فاختلفت الأسامي لذلك واستدلوا بذلك على فضيلته في نفسه وأنه مقصود لذاته. (**ومن يأخذ المعاني من الأسامي يظن أن هذه أحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الأسامي مختلفة**) وهذا نظر قاصر، (**والذي يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله**) مما أفيض به على بصيرته (**يلحظ المعاني أولاً فيطلع على حقائقها**) الأصلية، (**ثم يلاحظ الأسامي فإنها وضعت دالة على المعاني فالمعاني هي الأصول والألفاظ هي التوابع، ومن يطلب الأصول من التوابع لا بد وأن يزل**) قدمه، (**وإلى الفريقين الإشارة بقوله تعالى:** ﴿**أفمن يمشي مكباً**﴾) يعثر كل ساعة ويخر (﴿**على وجهه أهدى**﴾) لوعرة طريقه واختلاف أجزائه ولذلك قابله بقوله: (﴿**أم من يمشي سوياً**﴾) قائماً سالماً من العثار (﴿**على صراط مستقيم**﴾) مستوي الأجزاء والجهة. (**فإن الكفار لم يغلطوا فيما غلطوا فيه إلا بمثل هذه الانعكاسات**) فكان سبباً لعثارهم (**نسأل الله حسن التوفيق بكرمه ولطفه آمين**).

بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوّة والضعف:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن باعث الدين بالاضافة إلى باعث الهوى له ثلاثة أحوال إحداها أن يقهر داعي الهوى**) ويصدمه مرة (**فلا تبقى له قوة المنازعة**) مع باعث الدين

وعند هذا يقال من صبر ظفر. والواصلون إلى هذه الرتبة هم الأقلون فلا جرم هم الصديقون المقربون ﴿الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: ٣٠] فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى باعث الدين وإياهم ينادي المنادي: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ★ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨].

الحالة الثانية: أن تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه إلى جند الشياطين، ولا يجاهد ليأسه من المجاهدة، وهؤلاء هم الغافلون وهم الأكثرون، وهم الذين استرقتهم شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم فحكموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى وأمر من أمور الله. وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت

أصلاً، **(ويتوصل إليه بدوام الصبر)** في أحواله كلها **(وعند هذا يقال من صبر ظفر)** أي نال الفوز والفلاح أو المراد من صبر على مخاتلة عدوّه ظفر به، **(والواصلون إلى هذه الرتبة هم الأقلون)** لصعوبة القيام بالدوام، **(فلا جرم هم الصديقون المقربون الذين)** وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز فقال: ﴿الذين **(قالوا ربنا الله﴾)** أقروا بربوبية المعبود وقيامه بهوإحاطته عليه وذلك خلاصة التوحيد **(﴿ثم استقاموا﴾)** على هذا الإقرار تتنزل عليهم الملائكة الآية. **(فهؤلاء لازموا الطريق المستقيم)** في التوحيد **(واستووا على الصراط القويم واطمأنت نفوسهم على مقتضى بواعث الدين وإياهم ينادي: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾)** وهؤلاء هم السابقون.

(الحالة الثانية: أن تغلب دواعي الهوى وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه إلى جند الشيطان) فيستولي عليها **(ولا يجاهد ليأسه عن المجاهدة وهؤلاء هم الغافلون)** الظالمون لأنفسهم، **(وهم الأكثرون وهم الذين استرقتهم شهوتهم)**. أي تملكتهم وجعلتهم كالأرقاء، **(وغلبت عليهم شقوتهم)** وسوء حظهم، **(فحكموا أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى)** والمراد بها اللطيفة الربانية لا المضغة اللحمانية بدليل قوله: **(وأمر من أوامره وإليهم الإشارة بقوله تعالى ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حقّ القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾)** وكذلك قوله تعالى: ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ [الأنعام: ١٠٧] وقوله: ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقوله: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] **(وهؤلاء هم الذين اشتروا**

صفقتهم، وقيل لمن قصد إرشادهم ﴿فأَعْرِضْ عَمَّنْ تولَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدِ إلاَّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا ★ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾ [السجدة: ١٣] وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالأماني وهو غاية الحمق كما قال ﷺ: « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قال أنا مشتاق إلى التوبة ولكنها قد تعذرت علي فلست أطمع فيها، أو لم يكن مشتاقاً إلى التوبة ولكن قال: إن الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به إلى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقاً لشهوته، فلا يستعمل عقله إلا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته، فقد صار عقله في يد شهواته كمسلم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها، ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلماً ويسلمه إلى الكفار ويجعله أسيراً عندهم، لأنه بفاحش جنايته يشبه أنه سخر ما كان حقه أن لا يستسخر، وسلط ما حقه أن يتسلط عليه وإنما استحق المسلم أن يكون متسلطاً لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وإنما استحق الكافر أن يكون مسلطاً عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه.

الحياة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم) وبارت تجارتهم. **(وقيل: لمن قصد ارشادهم)** بلسان الوحي **(﴿فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ★ ذلك مبلغهم من العلم﴾ وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالأماني وهو غاية الحمق)** ونهاية الجهل، **(كما قال ﷺ « الكيّس من دان نفسه)** أي ملكها **(وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله)** الأماني » رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وقد تقدم في ذم الغرور. **(وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قال: أنا مشتاق إلى التوبة ولكنها قد تعذرت عليَّ فلست أطمع فيها أو لم يكن مشتاقاً إلى التوبة، ولكن قال: ان الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به إلى توبتي وهذا المسكين قد صار عقله رقيقاً)** أي مملوكاً **(لشهوته فلا يستعمل عقله إلا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته، فقد صار عقله في يد شهواته كمسلم أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه)** أي يستخدمونه **(في رعاية الخنازير وحفظ الخمور وحملها)** من موضع إلى موضع، **(ومحله عند الله تعالى محل من يقهر مسلماً أو يسلمه إلى الكفار ويجعله أسيراً عندهم، لأن تفاحش جنايته سببه أن سخر ما كان حقه ان لا يستسخره، وسلط من كان حقه أن يتسلط عليه وإنما استحق المسلم أن يكون متسلطاً لما فيه من معرفة الله وباعث الدين وإنما يستحق الكافر أن يكون مسلطاً عليه لما فيه من الجهل بالدين وباعث الشياطين وحق المسلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه. فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة**

فمهما سخر المعنى الشريف الذي هو من حزب الله وجند الملائكة للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلماً لكافر، بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه فأخذ أعز أولاده وسلمه إلى أبغض أعدائه، فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه لنقمته؛ لأن الهوى أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى والعقل أعز موجود خلق على وجه الأرض.

الحالة الثالثة: أن يكون الحرب سجالاً بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه، وهذا من المجاهدين يعد مثله لا من الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢] هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق إليه أيضاً ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه: فإنه إما أن يغلب جميع الشهوات أو لا يغلب شيئاً منها، أو يغلب بعضها دون بعض. وتنزيل قوله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾ على من عجز من بعض الشهوات دون بعض أولى. والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقاً يشبهون بالأنعام بل هم أضل

للمعنى الخسيس الذي هو من حزب الشياطين المبعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلماً لكافر) أي جعله رقيقاً له، **(بل هو كمن قصد الملك المنعم عليه)** المحسن له **(فأخذ أعز أولاده وسلمه إلى)** يد **(بعض أعدائه فانظر كيف يكون كفرانه لنعمته واستيجابه)** أي استحقاقه **(لنقمته لأن الهوى أبغض إله عبد في الأرض عند الله تعالى)** وقد روي ذلك من حديث أبي امامة بلفظ « ابغض إله عبد عند الله في الأرض هو الهوى »هكذارواه الطبراني في الكبير بإسناد ضعيف. **(والعقل أعز موجود خلق في الأرض)** وقد وردت فيه أخبار تقدم ذكرها في آخر كتاب العلم.

(الحالة الثالثة: أن يكون الحرب سجالاً) ودولاً **(بين الجندين فتارة له اليد)** أي الغلبة والقهر **(عليها وتارة لها عليه، وهذا من المجاهدين يعدّ لا من الظافرين، اوأهل هذه الحالة هم الذين)** قال الله تعالى فيهم: ﴿وآخرون **(اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم)** ان الله غفور رحيم﴾ **(هذا باعتبار القوة والضعف وتتطرق إليه ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصبر عنه، فإنه)** لا يخلو **(إما أن يغلب جميع الشهوات، أو لا يغلب شيئاً منها، أو يغلب بعضها دون بعض)**. فالحالة الأولى للسابقين، والثانية للظالمين، والثالثة للمقتصدين **(وتنزيل قوله تعالى)** ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم **(خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً)** عسى أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾ **(على من غلب بعض الشهوات دون بعض أولى)** من تنزيله على الحالة الثانية. **(والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقاً يشبهون بالأنعام بل هم أضل، إذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى**

سبيلاً، إذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التي بها تجاهد مقتضى الشهوات، وهذا قد خلق ذلك له وعطله فهو الناقص حقاً المدبر يقيناً، ولذلك قيل:

ولم أر في عيوب الناس عيباً ... كنقص القادرين على التمام

وينقسم الصبر أيضاً باعتبار اليسر والعسر إلى ما يشق على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبراً، وإلى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بأدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر. وإذا دامت التقوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥ ـ ٧] ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره، فإن الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حملة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته أعياء ولا لغوب ولا تضطرب فيه نفسه ولا ينبهر. ولا يقوى على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا

الشهوات، وهذا قد خلق له وعطله) أي أهمله (**فهو الناقص حقاً المدبر يقيناً، ولذلك قيل**):

(**ولم أر في عيوب الناس شيئاً ... كنقص القادرين على التمام**)

وفي نسخة نقصاً بدل شيئاً فإنه قبيح بذي العقل أن يكون بهيمة، وقد أمكنه أن يكون إنساناً أو إنساناً وقد أمكنه أن يكون ملكاً، وأن يرضى بقنية معارة وحياة مستردة، وله أن يتخذ قنية مخلدة وحياة مؤبدة (**وينقسم الصبر أيضاً باعتبار اليسر والعسر إلى ما يشق على النفس، فلا يمكن الدوام عليه إلا بجهد جهيد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبراً**) وصاحبه متصبر أي متكلف الصبر وحامل نفسه عليه، (**وإلى ما يكون من غير شدة تعب، بل يحصل بأدنى تحامل على النفس ويخص ذلك باسم الصبر**) وإلى ما يكتسب الصبر ويبتلي به ويخص ذلك باسم الإصطبار فالمراتب ثلاثة وهي في الوصف والكيف، وهناك مرتبتان أخريان في القدر والكم وهما الصبور والصبار، فالصبور العظيم الصبر الذي صبره أشد من صبر غيره. والصبار الشديد الصبر فكملت المراتب خمسة وأعمها الصابر (**وإذا دامت التقوى وقوي التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر**) وسهل عليه، (**ولذلك قال تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى* وصدق بالحسنى* فسنيسره لليسرى﴾**) فتيسيره للحالة اليسرى هو إدامته على الصبر على طاعته وتسهيله عليه. (**ومثال هذه القسمة قدرة المصارع على غيره، فإن الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حملة عليه وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعته**) إياه (**إعياء ولا لغوب**) أي تعب، (**ولا تضطرب في نفسه ولا ينبهر**) أي لا ينقطع نفسه من الضعف، (**ولا يقوى على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين**) وهو كناية عن

تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فإنه على التحقيق صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين. ومهما أذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول المواظبة أورث ذلك مقام الرضا ـ كما سيأتي في كتاب الرضا ـ فالرضا أعلى من الصبر ولذلك قال ﷺ: « اعبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ».

وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاثة مقامات:

أولها: ترك الشهوة وهذه درجة التائبين.

وثانيها: الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين.

وثالثها: المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين.

وسنبين في كتاب المحبة أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى

الشدة، (**فهكذا تكون المصادمة بين باعث الدين وباعث الهوى، فإنه على الحقيقة صراع بين جنود الملائكة وجنود الشياطين. ومهما اندفعت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى**) أي غلب وقهر (**وتيسر الصبر بطول المواظبة أورث ذلك مقام الرضا**) وباعتبار ذلك يكون الصبر الرضا أي ينفتح له بابه (**كما سيأتي في آخر كتاب الرضا**) إن شاء الله تعالى (**فالرضا أعلى مقاماً من الصبر، ولذلك قال ﷺ: « اعبد الله على الرضا فإن لم تستطع ففي الصبر خير كثير »**) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث ابن عباس.

(**وقال بعض العارفين: أهل الصبر على ثلاث مقامات**).

(**أولها: ترك الشكوى وهذه درجة التائبين**).

(**والثانية: الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين**).

(**والثالثة: المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين**) وهذه المراتب كما تراها على طريق الترقي، فالتحقق بالصبر يفتح باب الوصول إلى التلذذ بالبلوى، وهذه حالة التائبين، ثم إلى مقام الرضا ثم إلى مقام المحبة. (**وسنبين في كتاب المحبة**) إن شاء الله تعالى (**أن مقام المحبة أعلى من مقام الرضا، كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر**) أعلم أن متعلقات الرضا والصبر والشكر والمحبة متحدة لا اختلاف فيها، فإذا اتحدت أعمال المقامات فلا يصح التفاضل فيها إلا بأسبابها وأحوالها التي هي[1] حداث على الأعمال، فانظر فليس الخبر كالعيان إن السالك لا يدعى باسم عمله إنما يدعى باسم حاله فتقول: هذا حاله الصبر وهذا حاله الرضا وهذا حاله

---

(١) هكذا في الأصل.

من مقام الصبر، وكان هذا الانقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا.

واعلم أن الصبر أيضاً ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض ونفل ومكروه ومحرم. فالصبر عن المحظورات فرض. وعلى المكاره نفل. والصبر على الأذى المحظور محظور كمن تقطع يده أو يد ولده وهو يصبر عليه ساكتاً. وكمن يقصد حريمه بشهوة محذورة فتهيج غيرته فيصبر عن إظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم. والصبر المكروه وهو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر فكون الصبر نصف الإيمان لا ينبغي أن يخيل إليك أنّ جميعه محمود بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة.

الشكر وهذا حاله المحبة، لأن حال الصبر تصدر عنه الطاعة بعد ألم ومدافعة العدو والداعي إلى المعصية وبعد مشقة ومقاساة، وحال الرضا تصدر عنه الطاعة باستسلام وانقياد وإذعان بلا منازع، وحال الشكر تصدر عنه الطاعة بفرح وسرور واهتمام، وحال المحبة تصدر عنه الطاعة بحلاوة وطلاوة ولو بذل روحه ما أحس بالملل ولهذا الكلام بقية يأتي ذكرها بعد، (**وكان هذا الإنقسام يجري في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا**) لا في صبر عام شامل لجميع أفراده، فقد روي عن الحسن وغيره: الصبر على ثلاثة معان: صبر عن المعصية وهو أفضلها، وصبر على الطاعة، وصبر على المصائب. وقد روي ذلك من حديث ابن عباس: «الصبر ثلاثة فصبر على المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية» الحديث. فهذه التقاسيم باعتبار متعلق الصبر.

(**واعلم أن الصبر أيضاً ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض ونفل ومكروه ومحرم. فالصبر عن المحظورات فرض. وعلى المكاره نفل والصبر على الأذى المحظور محظور كمن تقطع يده أو يد ولده وهو يصبر عليه ساكتاً، وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن إظهار الغيرة ويسكت على ما يجري على أهله فهذا الصبر محرم. والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع**) وهذا يدلك أن الصبر لا يراد لذاته. ولفظ القوت: الصبر فرض ونفل يعرف ذلك بمعرفة الأحكام فما كان أمراً وإيجاباً فالصبر عليه أو عنه فرض، وما كان حثاً وندباً فالصبر عليه أو عنه ندب وفضل. (**فليكن الشرع محك الصبر**) فما كان المصبور عليه أو عنه من المأمورات فهو فرض أو من المندوبات فهو فضل، (**فيكون الصبر نصف الإيمان. ولا ينبغي أن يخيل إليك أن جميعه محمود، بل المراد منه**) أي من الصبر المحمود (**أنواع من الصبر مخصوصة**) وقال القطب الجيلاني قدس سره في فتوح الغيب: لا بد للعبد من أمر يفعله ونهي يجتنبه وقد يصبر عليه، وذلك متعلق بطرفين: طرف من جهة الرب، وطرف من جهة العبد.

بيان مظان الحاجة إلى الصبر وأن العبد لا يستغني عنه في حال من الأحوال:

اعلم أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين: أحدهما هو الذي يوافق هواه. والآخر: هو الذي لا يوافقه بل يكرهه. وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو إذاً لا يستغني قط عن الصبر.

النوع الأول: ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا. وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إليها والانهماك في ملاذها المباحة منها أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان، فإن الإنسان ليطغى أن رآه

فالأول: هو أن له سبحانه على عبده حكمين كوني قدري وشرعي ديني. فالكوني متعلق بخلقه والشرعي بأمره، فالأول يتوقف حصول الثواب فيه على الصبر، والثاني لا يتم إلا به فرجع الدين كله إلى هذه القواعد الثلاثة الصبر على المقدور، وترك المحظور، وفعل المأمور.

وأما الطرف الثاني: فإن العبد لا ينفك عن هذه الثلاثة أيضاً، ولا يسقط عنه ما بقي التكليف، فقيام عبودية القدر على ساق الصبر ولا يستوي إلا عليه كما لا تستوي السنبلة إلا على ساقها. وهذه الثلاثة قد وقعت الإشارة إليها بآية ﴿أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك﴾ [لقمان: ١٧].

بيان مظان الحاجة إلى استعمال الصبر في الطاعات وغيرها وأن العبد لا يستغني عنه في حال من الأحوال:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن جميع ما يلقاه العبد في هذه الحياة**) الدنيا (**لا يخلو من نوعين أحدهما: هو الذي يوافق هواه، والآخر: هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما، وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما، فهو إذا لا يستغني قط عن الصبر**).

(**النوع الأول: ما يوافق الهوى وهو الصحة**) في البدن (**والسلامة**) من الآفات (**والمال والجاه وكثرة العشيرة**) من بنيه وبني عمه، (**وإتساع الأسباب**) المحصلة لذلك (**وكثرة الإتباع**) من المماليك والأجراء (**والأنصار**) والأعوان (**وجميع ملاذ الدنيا، وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور، فإنه إن لم يضبط نفسه عن الإسترسال والركون إليها والإنهماك في ملاذها المباحة أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان، فإن الإنسان ليطغى إن رآه استغنى**) كما قال الله تعالى في كتابه العزيز ردعاً لمن كفر بنعمة الله لطغيانه: ﴿كلا إن الإنسان

استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن، والعوافي لا يصبر عليها إلا صديق. وقال سهل: الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر، ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال. والزوج والولد فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] وقال ﷺ: «الولد مبخلة مجبنة محزنة». ولما نظر عليه السلام إلى ولده الحسن رضي الله عنه يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال: «صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] إني لما رأيت ابني يتعثر لم أملك نفسي أن أخذته» ففي ذلك

ليطغى﴾ أي يتجاوز عن الحدود ﴿أن رآه استغنى﴾ [العلق: ٦، ٧] أي رأى نفسه. واستغنى مفعوله الثاني لأنه بمعنى علم، ولذا جاز أن يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد قاله البيضاوي (**حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها إلا صديق**) ولفظ القوت: ويقال إن البلاء والفقر يصبر عليهما المؤمن والباقي سواء. (**وقال سهل: الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء**) ولفظ القوت وكان سهل يقول: الصبر على العوافي أشد من الصبر على البلاء، (**و**) كذلك (**لما فتحت أموال الدنيا**) من سائر البلاد (**على الصحابة رضي الله عنهم**) وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه فنالوا من العيش واتسعوا (**قالوا: ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر**)، فعظموا الإختبار بالسراء وهو ما سر على الإختبار بالضراء وهو ما ضر. قال الطبراني: حدثنا عبد الرحمن بن جابر الطائي، حدثنا بشر بن شبيب بن أبي حمزة، عن أبيه، عن الزهري، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: قال عبد الرحمن بن عوف: بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر. (**وكذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾**) لأن فيها ما يسر فيشغل عن ذكر الله تعالى. (**وقال عز وجل: ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾**) لأن في الأزواج والأولاد ما يفرح به فيوافق فيهم الهوى ويخالف بودهم المولى فصاروا أعداء في العقبى لما يؤل إليه من شأنهم (**وقال ﷺ: «الولد مبخلة مجبنة محزنة»**) رواه أبو يعلى الموصلي من حديث أبي سعيد بلفظ: «الولد ثمر القلب وأنه مبخلة مجبنة محزنة» وقد تقدم. ورواه أحمد، وابن سعد، والطبراني من حديث يعلى بن مرة العامري: «الولد مبخلة مجبنة وإن آخر وطأة وطئها فوج» وتقدم أيضاً. (**ولما نظر ﷺ إلى ولده الحسن**) رضي الله عنه (**يتعثر في قميصه نزل عن المنبر واحتضنه وقال: صدق الله: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ إني لما رأيت ابني**) هذا (**يتعثر**) في قميصه (**لم أملك نفسي**

عبرة لأولي الأبصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية، ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع إلى القرب وأن لا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التنعم واللذة واللهو واللعب، وأن يرعى حقوق الله في ماله بالإنفاق وفي بدنه ببذل المعونة للخلق وفي لسانه ببذل الصدق، وكذلك في

أن أخذته») قال العراقي: رواه أصحاب السنن من حديث بريدة وقالوا الحسن والحسين وقال الترمذي: حسن غريب انتهى.

قلت: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأبو يعلى، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، والضياء كلهم من حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه رفعه قال: «صدق الله ورسوله ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما».

وروى ابن ماجه من حديث يوسف بن عبدالله بن سلام قال: جاء الحسن والحسين يستبقان إلى النبي ﷺ فضمهما إليه وقال: «الولد مبخلة مجبنة».

وروى العسكري في الأمثال، والحاكم في صحيحه من طريق معمر، عن ابن خثيم، عن محمد بن الأسود بن خلف، عن أبيه، أن النبي ﷺ أخذ حسناً فقبله ثم أقبل عليهم فقال: «إن الولد مجبنة مبخلة» وأحسبه قال: «مجهلة» وتقدم. وروى العسكري من حديث عمر بن عبد العزيز قال: زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم أن رسول الله ﷺ خرج وهو محتضن حسناً وحسيناً وهو يقول: إنكم لتجبنون وتجهلون وإنكم لمن ريحان الله».

(ففي ذلك عبرة لأولي الأبصار وقد جمع الله بين ما سرّ وضرّ) وجعلهما من وصف المتقين ومدحهما بالإحسان معهما، فقال تعالى: ﴿أعدت للمتقين★ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران: ١٣٤] **(فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية، ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده أي بمنزلة الوديعة، وعسى أن يسترجع على القرب)** إلى المودع **(وأن لا يرسل نفسه في الفرح بها)** والركون إليها، **(ولا ينهمك في التنعيم واللذة واللهو واللعب، وأن يؤد حقوق الله تعالى في ماله بالإنفاق منه)** في المواضع اللائقة، **(وفي بدنه ببذل المعونة للخلق)** على قدر استطاعته، **(وفي لسانه ببذل الصدق، وكذلك في سائر ما أنعم الله به عليه)**. وقال صاحب القوت: ومن الصبر صبر على العوافي أن لا يجريها في مخالفة، والصبر على الغنى أن لا يبذل في الهوى، والصبر على النعمة أن لا يستعين بها على معصية، فحاجة المؤمن على الصبر في هذه المعاني ومطالبته بالصبر عليها لحاجته ومطالبته بالصبر على المكاره والفقر والصبر على الشدائد والضر اهـ.

سائر ما أنعم الله به عليه وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي وإنما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدرة ومن العصمة أن لا تقدر، والصبر على الحجامة والفصد إذا تولاه غيرك أيسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك، والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها، فلهذا عظمت فتنة السراء.

النوع الثاني: ما لا يوافق الهوى والطبع، وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي، أو لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب أو لا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في إزالته كالتشفي من المؤذي بالانتقام منه فهذه ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان:

الضرب الأول: الطاعة، والعبد يحتاج إلى الصبر عليها، فالصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية، ولذلك قال بعض العارفين: ما من نفس إلا وهي مضمرة ما أظهره فرعون من قوله: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾

(**وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر كما سيأتي**) إن شاء الله تعالى، (**وإنما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدرة**) والتمكن (**ومن العصمة أن لا تقدر**) هو من قول علي رضي الله عنه كما تقدم، والمشهور على الألسنة أن لا تجد. (**والصبر على الحجامة والفصد إذا تولاه غيرك أيسر من الصبر على فصدك نفسك وحجامتك نفسك، والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة**) المشتهاة (**وقدر عليها**) من غير مانع حقيقي أو حكمي، (**فلهذا عظمت فتنة السراء**).

(**النوع الثاني: ما لا يوافق الهوى والطبع**) ولا يلائمه، (**وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي، أو لا يرتبط باختياره كالمصائب والنوائب أو لا يرتبط**) أوله. (**باختياره ولكن له اختيار في إزالته كالتشفي من المؤذي بالإنتقام منه. فهذه ثلاثة أقسام**).

(**القسم الأول: ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونه طاعة أو معصية وهما ضربان**).

(**الضرب الأول: الطاعة. والعبد يحتاج إلى الصبر فالصبر على الطاعة شديد**) وفيه مشقة، (**لأن النفس بطبعها تنفر عن**) ذل (**العبودية وتشتهي**) عز (**الربوبية، ولذلك قال بعض العارفين: ما من نفس إلا وهي مضمرة ما أظهره فرعون من قوله: ﴿أنا ربكم**

[النازعات: ٢٤] ولكن فرعون وجد له مجالاً وقبولاً فأظهره إذ استخف قومه فأطاعوه، وما من أحد إلا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته، وإن كان ممتنعاً من إظهاره فإن استشاطته وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر إلا عن إضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء.

فإذاً العبودية شاقة على النفس مطلقاً. ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة. ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة. ومنها ما يكره بسببهما جميعاً كالحج والجهاد. فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد. ويحتاج المطيع إلى الصبر على طاعته في ثلاث أحوال:

الأولى: قبل الطاعة، وذلك في تصحيح النية والإخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات وعند العزم على الإخلاص والوفاء. وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص وآفات الرياء ومكايد النفس. وقد نبه عليه صلوات الله عليه إذ قال: « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا

الأعلى﴾ ولكن فرعون وجد له مجالاً وقبولاً فاظهر) ما كان مضمراً في قلبه **(إذ استخف قومه)** أي وجدهم أخِفَّـاء العقول **(فأطاعوه)** وامتثلوا له، **(وما من أحد إلا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته، وإن كان ممتنعاً من إظهاره)** بلسانه **(فإن امتعاضه)** أي احتقاره **(وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر إلا عن إضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء)** يشير إلى الحديث القدسي المتقدم بذكر: « من نازعني رداء الكبرياء قصمته ».

(فإذاً العبودية شاقة على النفس مطلقاً، ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة. ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة. ومنها ما يكره بسببها جميعاً كالحج والجهاد) فإنهما عبادتان مشتركتان في المال والبدن، **(فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد، ويحتاج المطيع إلى الصبر على طاعته في ثلاثة أحوال)**.

(الأولى: قبل الطاعة) أي قبل الشروع فيها، **(وذلك في تصحيح النية والإخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات، وعند العزم على الإخلاص، وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص)** على ما سيأتي بيانه في كتاب الإخلاص، **(وآفات الرياء ومكائد النفس)** على ما تقدم في كتاب ذم الرياء **(وقد نبه عليه ﷺ إذ قال: « إنما الأعمال بالنية ولكل امرىء ما نوى »)** متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم. **(وقال تعالى: ﴿وماأمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ ولهذا المعنى قدم الله تعالى**

لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة : ٥] ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل فقال تعالى : ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [هود : ١١] .

الحالة الثانية : حالة العمل : كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ ، وهذا أيضاً من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى : ﴿نِعمَ أَجْرُ العَامِلِينَ٭ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [العنكبوت : ٥٨ ، ٥٩] أي صبروا إلى تمام العمل .

الحالة الثالثة : بعد الفراغ من العمل ، إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء والصبر عن النظر إليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره كما قال تعالى : ﴿وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد : ٣٣] وكما قال تعالى : ﴿لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بالمِنِّ والأَذَى﴾ [البقرة : ٢٦٤] فمن لم يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى فقد أبطل عمله .

والطاعات تنقسم إلى فرض ونفل وهو محتاج إلى الصبر عليهما جميعاً وقد جمعهما الله

الصبر على العمل فقال) جل ذكره : (**﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات﴾**) أشار إليه صاحب القوت وهذا يسمى الصبر لله .

(الحالة الثانية : حالة العمل كيلا يغفل عن الله تعالى في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ، ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ) منه ، ويتأنى ويترك العجلة حتى ينقضي صحيح الأركان كامل السنن والهيئات . **(وهذا أيضاً من شدائد الصبر ، ولعله المراد بقوله تعالى : ﴿نعم أجر العاملين الذين صبروا﴾ أي صبروا إلى تمام العمل)** وهذا يسمى الصبر مع الله .

(الحالة الثالثة : الصبر بعد الفراغ من العمل إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه) لغيره (و) عن **(التظاهر به للسمعة والرياء ، والصبر عن النظر إليه بعين العجب ومن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره ، كما قال تعالى : ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ وكما قال تعالى : ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ فمن لم يصبر بعد الصدقة على المن والأذى فقد أبطل عمله)** وأحبط أجره . وقال بعض السلف : لا يتم المعروف إلا بثلاث : تعجيله وتصغيره وكتمه وكذلك الصبر بترك التكبر به على أحد من العباد والإدلال به على الله ، بل رؤية المنة والفضل وما أحوج العبادة إلى الصبر في عدم دخول هذه الآفات عليها ، وهذا القسم يسمى الصبر بالله وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ .

(والطاعات تنقسم إلى فرض ونفل وهو محتاج إلى الصبر عليهما جميعاً وقد جمعهما الله

تعالى في قوله: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى﴾ [النحل: ٩٠]. فالعدل هو الفرض والإحسان هو النفل، وإيتاء ذي القربى هو المروءة وصلة الرحم. وكل ذلك يحتاج إلى صبر.

الضرب الثاني: المعاصي. فما أحوج العبد إلى الصبر عنها وقد جمع الله تعالى أنواع المعاصي في قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْي﴾ [النحل: ٩٠]. وقال ﷺ: «المهاجر من هجر السوء، والمجاهد من جاهد هواه» والمعاصي مقتضى باعث الهوى.

وأشد أنواع الصبر عن المعاصي: الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة، فإنّ العادة طبيعة خامسة، فإذا انضافت العادة إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشياطين

تعالى في قوله: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾ فالعدل هو الفرض، والإحسان هو النفل وإيتاء ذي القربى هو المروءة وصلة الرحم، وكل ذلك يحتاج إلى صبر).

(**الضرب الثاني: المعاصي. فما أحوج العبد إلى الصبر عنها، وقد جمع الله أنواع المعاصي في قوله: ﴿وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾**) وقال صاحب القوت: ومن الصبر كف الأذى عن الخلق وهو مقام العادلين يدخل في قوله: ﴿إن الله يأمر بالعدل﴾ ثم احتمال الأذى من الخلق وهو مقام المحسنين يدخل في قوله تعالى: ﴿والإحسان﴾ ومن الصبر الصبر على الإنفاق وإعطاء أهل الحقوق حقوقهم الأقرب فالأقرب وهذا مقام المقربين يدخل في قوله تعالى: ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ومنه الصبر عن الفحشاء وهو الأمر الفاحش في العلم والإيمان، والصبر على المنكر وهو ما أنكره العلماء، والصبر عن البغي وهو التطاول والعلو ومجاوزة الحد بالكبر والإسراف في أمور الدنيا. فهذه الآية جامعة لمعنى الصبر وهو قطب القرآن. ثلاث منها الصبر على العدل والإحسان والإعطاء، وثلاث منها الصبر عن الفحشاء والمنكر والبغي، وكان ابن مسعود يقول: هذه الآية أجمع آية في كتاب الله لأمر ونهي.

(**وقال ﷺ: «المهاجر من هجر السوء، والمجاهد من جاهد هواه»**) قال العراقي: رواه ابن ماجه بالشطر الأول، والنسائي في الكبرى بالشطر الثاني كلاهما من حديث فضالة بن عبيد بإسنادين جيدين وقد تقدما. (**والمعاصي مقتضى باعث الهوى**) وفي نسخة بواعث الهوى.

(**وأشد أنواع الصبر عن المعاصي الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة**) للطبع (**بالعادة**) واعتاد عليها وأنس بها، (**فإن العادة**) كما قالوا (**طبيعة خامسة**) زائدة على الطباع الأربعة، (**فإذا انضافت إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى**

على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها، ثم إن كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس، كالصبر عن معاصيْ اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس، تعريضاً وتصريحاً. وأنواع المزح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها الازراء والاستحقار وذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصبهم، فإن ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس. فللنفس فيه شهوتان: إحداهما نفي الغير، والأخرى إثبات نفسه. وبها تتم له الربوبية التي هي في طبعه، وهي ضد ما أمر به من العبودية. ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتاداً في المحاورات يعسر الصبر عنها، وهي أكثر الموبقات حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب لكثرة تكريرها وعموم الأنس بها فترى الإنسان يلبس حريراً مثلاً فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في أعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر من أن الغيبة أشد من الزنا، ومن لم يملك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر على ذلك فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيره، فالصبر على

فلا يقوى باعث الدين على قمعها) وإزالتها، **(ثم إن كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه اثقل على النفس)** وأشد **(كالصبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضاً وتصريحاً، وأنواع المزح المؤذي للقلوب وضروب الكلمات التي يقصد بها الإزراء والإستحقار، و)** من ذلك **(ذكر الموتى والقدح فيهم وفي علومهم وسيرهم)** وأحوالهم **(ومناصبهم، فإن ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس)** ومدح لها، **(فللنفس فيه شهوتان. إحداهما: نفي الغير، والأخرى: إثبات نفسه وبها)** أي بهذه الشهوة وفي نسخة بهما **(تتم له الربوبية التي هي)** في طبعه وهي ضد ما أمر به من العبودية في قوله: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] **(ولاجتماع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتاداً في المحاورات يعسر الصبر عنها حتى بطل استنكارها واستقباحها من القلوب)** وذلك **(لكثرة تكريرها وعموم الإنس بها، فترى الإنسان يلبس حريراً مثلاً فيستبعد غاية الإستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في أعراض الناس فلا يستنكر ذلك مع ما ورد في الخبر من «أن الغيبة أشد من الزنا»)**. رواه ابن النجار من حديث جابر، والديلمي من حديث أبي سعيد، وتمام الحديث: «وإن الرجل يزني فيتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه» وقد تقدم في آفات اللسان. **(ومن لم يملك لسانه)** وفي نسخة نفسه **(في المحاورات ولم يقدر على الصبر فيجب عليه العزلة والإنفراد)** عن الناس **(فلا ينجيه)** من ذلك **(غيره، فالصبر على**

الإنفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة، وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوّتها وضعفها. وأيسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوساوس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلاً إلا بأن يغلب على القلب همٌّ آخر في الدين يستغرقه، كمن أصبح وهمومه هم واحد، وإلا فإن لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوسواس عنه.

القسم الثاني: ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه، كما لو أوذي بفعل أو قول وجني عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجباً وتارة يكون فضيلة. قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم ما كنا نعد إيمان الرجل إيماناً إذا لم يصبر على الأذى. وقال تعالى: ﴿وَلَنَصبِرَنَّ عَلَى ما آذَيْتُمونَا وعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

الإنفراد أهون من الصبر على السكوت مع المخالطة) معهم، **(وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان حركة الخواطر)** من الباطن **(باختلاج الوساوس فلا جرم يبقى حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلاً إلا بأن يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه)** ويستولي عليه **(كمن أصبح وهمومه هم واحد)** أي اجتمعت في هم واحد ولم تتشعب به، **(وإلا فإن لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور فتور الوسواس عنه)** أبداً.

(القسم الثاني: ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه، كما لو أوذي بفعل أو قول وجني عليه في نفسه أو ماله فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجباً وتارة يكون فضيلة. قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم: ما كنا نعد إيمان الرجل إيماناً إذا لم يصبر على الأذى) ولفظ القوت قال بعض العلماء: ما كنا نعد إيمان من لم يؤذ فيحتمل الأذى ويصبر عليه إيماناً، وقد فعل الله ذلك قال اختباراً. وأخبر أن ذلك ليس منه عذاباً وإنما هو فتنة وبلاء من الناس، فصار ذلك فتنة عليهم وابتلاء لهم، فصار رحمة للمؤذي وخيراً في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ [العنكبوت: ١٠] أي ليس ذلك عذاباً إنما هو رحمة باطنة كقوله تعالى: ﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن ★ كلا﴾ [الفجر: ١٦، ١٧] أي لم أهنك بالفقر كما لم أكرم الآخر بالنعم إكراماً، وعلى هذا خاطب نبيه محمداً ﷺ بالصبر الذي أمره به فقال: ﴿فاصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود﴾ [ص: ١٧] فسلاه به وفضله عليه، ومن الصبر حبس النفس عن المكافأة على الأذى توكلاً على المولى **(قال)** الله **(عز وجل: ﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾)** وهذا صبر أهل الخصوص، وقد قال بعض أهل المعرفة: لا يثبت لعبد مقام في التوكل حتى يؤذى ويصبر على الأذى، وقد ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ولنصبرن على ما

الْمُتَوَكِّلُون﴾ [ابراهيم: ١٢] وقسّم رسول الله ﷺ مرة مالا ، فقال بعض الأعراب من المسلمين: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر به رسول الله ﷺ فاحمرّت وجنتاه ثم قال: « يرحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر ». وقال تعالى: ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [الأحزاب: ٤٨] وقال تعالى: ﴿واصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾ [المزمل: ١٠] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ★ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٧ ، ٩٨] الآية. وقال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىً كَثِيراً وإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦] أي تصبروا عن المكافأة. ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابِرِينَ﴾

آذيتمونا﴾ الآية. **(وقسم رسول الله ﷺ مرة مالاً فقال بعض الأعراب من المسلمين: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر به رسول الله ﷺ فاحمرت وجنتاه ثم قال: « رحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر »)** قال ذلك يوم حنين إذ أعطى الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة من الإبل وأعطى غيرهم أقل من ذلك فقال رجل: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله فقاله ﷺ رواه أحمد والشيخان من حديث ابن مسعود وقد تقدم **(وقال تعالى)** لحبيبه ﷺ : **(﴿فدع أذاهم وتوكل على الله﴾ وقال تعالى: ﴿فاصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً﴾)** بعد قوله: ﴿فاتخذه وكيلاً﴾ ففيها أن مقام التوكل لا يثبت حتى يصبر على الاذى وهو أول مقام الرضا. **(وقال)** تعالى: **(ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك﴾ الآية. وقال)** تعالى: ﴿لتبلون في أموالكم وأنفسكم **(ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾)** ففي أول الآية إشارة إلى المقام الثاني من مقامات الرضا وهو صبر النفس على أحكام البلاء ، وفي السياق الذي يليه إشارة إلى أول مقام الرضا وهو الصبر على الأذى وفي آخره قرن التقوى بالصبر. والتقوى جمع كل خير كما أن الصبر داخل في كل خير وبرّ ، فمن جمعها أوتي عزائم الأمور وكان من المحسنين **(أي إن تصبروا عن)** الأذى **(والمكافأة)** وتتقوا عند الإبتلاء والمكاره ، وكذلك قوله تعالى: ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ [يوسف: ٩٠] **(ولذلك مدح الله تعالى العافين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾)** وقال تعالى: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمة فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ [الشورى: ٤١] الآية ثم قال: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ [الشورى: ٤٣] فالأول عني به المكافأة والإنتصار بالحق من العدل والعدل حسن ، والثاني: هو الصبر والعفو من الإحسان والفضل وهو أحسن ومن

[النحل: ١٢٦] . وقال ﷺ : « صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك » . ورأيت في الانجيل قال عيسى ابن مريم عليه السلام : لقد قيل لكم من قبل إن السن بالسن والأنف بالأنف ، وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشرّ بالشرّ بل من ضرب خدك الأيمن فحوّل إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداءك فاعطه إزارك ومن سخرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين . وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لأنه يتعاون فيه باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعاً » .

القسم الثالث: ما لا يدخل تحت حصر الاختيار أوّله وآخره ؛ كالمصائب مثل موت الاعزة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الأعضاء . وبالجملة سائر أنواع البلاء ، فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر . قال ابن عباس رضي الله عنهما : الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على اداء فرائض الله تعالى فله ثلاثمائة

ذلك قوله تعالى : ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ [الزمر : ١٨] الآية . فاستماع القول هو العدل وإتباع الأحسن هو العفو وفيه المدح بالهداية والعقل وهذا مقام المحسنين . قيل : هم الذين لا يظلمون فإذا ظلموا لم ينتصروا ، فالمدح بالوصف لأهل هذا المقام هو بالإخبات وهو الخشوع والطمأنينة إلى الجزاء من الله في الآخرة لقرب اللقاء وسرعة فناء الدنيا . (**وقال ﷺ : « صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك »**) رواه ابن النجار من حديث علي بلفظ : « صل من قطعك وأحسن إلى من أساء إليك وقل الحق ولو على نفسك » . وقد تقدم . (**ورأيت في الإنجيل قال عيسى بن مريم عليه السلام: لقد قيل لكم**) يعني في التوراة وغيره من كتب السماء (**من قبل إن السن بالسن والأنف بالأنف، وأنا أقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحول إليه الخد الأيسر ، ومن أخذ رداءك فاعطه إزارك ، ومن سخرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين، وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى، فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر**) ، وقد تقدم أنه أول مقام من مقامات الرضا ، (**لأنه يتعاون فيه على باعث الدين وباعث الشهوة والغضب جميعاً** .

(**القسم الثالث: ما لا يدخل تحت حصر الإختيار أوله وآخره كالمصائب مثل موت الأعزة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعمى العين وفساد الأعضاء . وبالجملة سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر**) ، وهو ثاني مقام من مقامات الرضا المقرب التام لقوله ﷺ : « نحن معاشر الأنبياء أكثر الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل » . ولقوله سبحانه في المجمل : ﴿ولربك فاصبر﴾ [المدثر : ٧] ثم فسره في الكلام المفسر فقال : ﴿فاصبر لحكم ربك فإنك باعيننا﴾ [الطور : ٤٨] (**وقال ابن عباس**) رضي الله عنهما . (**الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه**) باعتبار متعلقه : (**صبر على إداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة**) أي

درجة، وصبر عن محارم الله تعالى فله ستمائة درجة، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة. وإنما فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لأن كل مؤمن يقدر على الصبر عن المحارم.

منزلة عالية في الجنة، **(وصبر عن محارم الله فله ستمائة درجة، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة)** ولفظ القوت: وروينا عن ابن عباس الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه: صبر على أداء فرائض الله، وصبر على محارم الله، وصبر في المصيبة عند الصدمة الأولى، فمن صبر على أداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة، ومن صبر عن محارم الله فله ستمائة درجة، ومن صبر في المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة اهـ.

قلت: وهذا قد روي مرفوعاً من حديث علي رضي الله عنه رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر، وأبو الشيخ في كتاب الثواب، والديلمي في مسند الفردوس كلهم من طريق عبدالله بن محمد بن زيرك، عن عمر بن علي، عن عمر بن يونس اليماني، عن مدرك بن محمد السدوسي، عن رجل يقال له علي، عن علي رضي الله عنه رفعه «. الصبر ثلاثة فصبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرض إلى منتهى الأرضين، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش مرتين». وهذا صريح في أن الصبر على المقدور أدنى المراتب، ثم الصبر على المأمور ثم عن المحظور، وله وجه وذلك لأن الصبر على مجرد القدر يأتي به البر والفاجر والمؤمن والكافر، فلا بد لكل منهم الصبر عليه اختياراً أو إضطراراً، والصبر على الأوامر فوقه ودون الصبر عن المحرمات، فإن الأوامر أكثرها محبوب للنفس لما فيها من العدل والإحسان والإخلاص والبر، والصبر على المخالفات صبر على مخالفة هوى النفس وحملها على خير طبعها وهو أشق شيء وأصعبه، والصبر عن المعاصي التي أكثرها محاب للنفوس فقد ترك المحبوب العاجل في هذه الدار لمحبوب آجل في دار أخرى، ولا يصبر على ذلك إلا الصديقون. وهذه الثلاثة محاب النفوس الزكية الفاضلة قالوا: والناس من باب جهة النفس عن لذاتها وحميتها مع قيام داعي التناول وقوله خطب مهول، ولهذا كان باب قربان النهي مسدوداً وباب الأمر مقيداً بالمستطاع، ومن ثم كانت عامة العقوبات على المنهيات. وأما ترك المأمور فلم يرتب الله عليه حداً معيناً، وأعظم المأمورات الصلاة وقد اختلف هل فيه حد أم لا؟ وبهذا استبان سر الترتيب الواقع في حديث علي رضي الله عنه. وأما الترتيب الواقع في خبر ابن عباس على ما ذكره المصنف تبعاً لصاحب القوت فله أيضاً وجه، وقد أشار إليه المصنف بقوله: **(وإنما فضلت هذه المرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض، لأن كل مؤمن يقدر على الصبر على المحارم)**.

فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء لأنه بضاعة الصديقين فإن ذلك شديد على النفس. ولذلك قال ﷺ: « اسألك من اليقين ما تهوّن علي به مصائب الدنيا »، فهذا صبر مستنده حسن اليقين.

(**فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء لأنه بضاعة الصديقين فإن ذلك شديد على النفس**)، وذكر صاحب القوت عقب قول ابن عباس السابق ما نصه: وهذا يحتاج إلى تفسير لم يقصد ابن عباس أن الصبر على المصيبة أفضل من الصبر على المحارم ومن الصبر على أداء الفرائض، لأن الصبر في ذلك من مزيد أحوال المسلمين والصبر على المصيبة من مقامات اليقين، فإنما فضل المقام في اليقين على المقام في الإسلام، (**ولذلك قال ﷺ: « اللهم إني أسألك من اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا »**) رواه الترمذي والنسائي والحاكم وصححه من حديث ابن عمر وحسنه الترمذي، وقد تقدم في كتاب الدعوات، (**فهذا صبر مستنده حسن اليقين**). وأحسن الناس صبراً عند المصائب أكثرهم يقيناً، وأكثر الناس جزعاً وسخطاً في المصائب أقلهم يقيناً وأكثرهم حباً للدنيا. ومثله ما رواه سلمة بن وردان عن أنس رفعه: « من ترك المراء وهو محق بنى الله له في أعلى الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له في وسط الجنة، ومن ترك الكذب بنى له في ربض الجنة ». فقد علمت أن ترك الكذب والمراء مبطلاً فرض وواجب، فينبغي أن يكون أفضل ولكن المعنى فيه أن الكذب باطل يتركه المسلمون والمراء والعبد محق صادق، ثم لا يماري زهداً في التظاهر ورغبة في الصمت والسلامة فلا يصبر على هذا إلا المتقون وهم خصوص المؤمنين، فمقامه من اليقين والزهد وإيثار الصمت والخمول على الكلام والشهرة أفضل اليقين، فصار هذا الموقن مقامه أفضل من عموم المؤمنين الذي يتركون الكذب والمماراة وإن كان أفرض وأوجب، فهذا بيان ذلك ومعناه. ويقال: من علامة التسليم للقضاء حسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين، فأما إشتراط الصبر في المصيبة الأولى فكأنه يقال كل شيء يبدو صغيراً ثم يكبر إلا المصيبة فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر، فاشترط الثواب لها عند أول كبرها قبل صغرها، وفي صدقة القلب أول ما يبعثه الشيء فينظر إلى نظر الله عز وجل فيستحي فيحسن الصبر كما قال تعالى: ﴿فإنك باعيننا﴾ [الطور: ٤٨] وهذا مقام المتوكلين على الله تعالى. كل هذا السياق في كتاب القوت.

وقال بعض من اختصر الإحياء وزاد عليه ما نصه: أما آداب الصبر فقد تقدم أن حقيقة الصبر ثبات باعث الدين في محاربة باعث الهوى ومقابلته، فليبدأ في ذلك بالأهم فالأهم فالمجاهدة الباطنة كالمجاهدة الظاهرة. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذي آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ [التوبة: ١٢٣] فالبداية بترك المحظورات وهو واجب، ثم بالمكروهات وهو مستحب، ثم بفضول المباحات الشاغلة عن رب الأرض والسموات وهي قربة.

وقال أبو سليمان: والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره وقال النبي ﷺ: « قال الله عز وجل إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة أن انصب له ميزاناً أو أنشر

فإن قيل: لم فرقت بين المستحب والقربة وهما واحد؟ فأقول: بينهما عند التحقيق فرق، وذلك أن الله تعالى بمنه وفضله أثابنا على كل حسنة ثواباً عاجلاً وثواباً آجلاً، ومن جملة الثواب العاجل أن يثيبك على تلك الحسنة حسنة تناسبها وتليها في الدرجة فإذا تركت مكروهاً لله أثابك الله عليه بترك مكروه هو أدق منه في الرتبة، وإذا تركت مباحاً شاغلاً فتح لقلبك بسببه باباً إليه، فحقيقة القربة نفحة من نفحات الرحمة تكشف لقلب العبد وجود الله وجماله فيترك فضول المباحات بسبب ذلك ويعرف هذا من يفرق بين حق النفس وحظها، فإن كنت من أهل الذوق وإلا فالتصديق به واجب تقليداً، ثم البداءة بالواجب من الطاعات ويقدم الأوجب على الواجب وما يفوت على ما لا يفوت وهذا واجب، ثم يقدم الفضائل فأفضلها ويترك الفاضل للأفضل إذا لم يمكن الجمع بينهما والدعاء للظالم والشفقة عليه من هذا النوع وهو من مقامات المحسنين، ثم الصبر على المصائب بالثبت عند الصدمة الأولى لأن كل شيء يوجد صغيراً ثم يأخذ في النماء والزيادة إلا المصيبة فإنها تبدو عظيمة ثم تصغر وتأخذ في النقصان وهذا واجب، فإن غفل وجزع ثم رجع عن غفلته وندم واسترجع كان ندمه واسترجاعه توبة له. وقد قلنا إن التوبة تصح من كل ذنب ويدخل في هذا النوع الصبر على اللعن ومكافأة الجاني بما هو معصية حرام ومكافأته بما هو مباح مكروه لذهاب الملائكة وعدم إجابتها عنه وإن تألم في باطنه، ولكن ترك المكافأة عليه في الظاهر فهو أحسن حالاً من الأول ولا يدخل في نهي التحريم، لأن الألم لم يدخل تحت اختيار العبد والرب تعالى لا يكلف العباد ولا يؤاخذهم إلا بما يدخل تحت اختيارهم، ويستحب علاج الألم وتكسبه إلى أن يستوي عند القلب وجود الأذى وعدمه كما تكتسب الطاعة والمشقة ويجتنب المعاصي، فإن فرح بالجناية ودعا للجاني فهذه هي القربة الصديقية ولا يحصل هذا إلا لعبد فتح نوراً لتوحيد قلبه فارتفعت عن قلبه رؤية الوسائط وشاهد المتوحد بالأفعال، ويعرفه إيمانه أن سيده اختار له ذلك ليزكي قلبه وينمي له نوره. إلى هنا كلامه.

(وكان أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى: **(يقول: والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره)**؟ نقله صاحب الرسالة، قال: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا جعفر الرازي يقول: سمعت عباساً يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سألت أبا سليمان عن الصبر فقال: فذكره. **(وقال ﷺ: « قال الله عز وجل: إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن انصب له ميزاناً أو انشر له ديواناً »)** قال العراقي: رواه ابن عدي في الكامل من حديث أنس بسند ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحكيم في النوادر، والديلمي في مسند الفردوس.

له ديواناً » ، وقال ﷺ : « انتظار الفرج بالصبر عبادة » ، وقال ﷺ : « ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم آجرني في مصيبتي وأعقبني خيراً منها إلا فعل الله به ذلك » ، وقال أنس : حدثني رسول الله ﷺ : « إن الله

(وقال ﷺ : « انتظار الفرج بالصبر عبادة ») رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث ابن عمر وابن عباس وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة من حديث ابن عمر دون قوله بالصبر ، وكذا رواه أبو سعيد الماليني في مسند الصوفية من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة ، وللترمذي من حديث ابن مسعود : « أفضل العبادة انتظار الفرج » وتقدم في الدعوات انتهى.

قلت : وممن رواه دون قوله بالصبر ابن عدي والخطيب من حديث أنس بسند ضعيف ، ورواه الترمذي وحسنه من حديث ابن مسعود في أثناء حديث ، وقد روي من حديث علي بمثل لفظ القضاعي رواه ابن عبد البر والبيهقي ، وروى ابن أبي الدنيا وابن عساكر من حديث علي بلفظ : « انتظار الفرج عبادة ومن رضي بالقليل من الرزق رضي الله عنه بالقليل من العمل ».

(وقال ﷺ : « ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم آجرني) بالمد **(في مصيبتي واعقبني خيراً منها إلا فعل الله به ذلك »)** قال العراقي : رواه مسلم من حديث أم سلمة انتهى.

قلت : لفظ مسلم : « ما من عبد يصيب مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم آجرني في مصيبتي واخلف خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته واخلف له خيراً منها » قالت : فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله خيراً منه رسول الله ﷺ .

وروى أحمد عن أم سلمة قالت : أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله ﷺ فقال : لقد سمعت من رسول الله ﷺ قولاً سررت به . قال : « لا يصيب أحداً من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول : اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا فعل ذلك به » قالت أم سلمة : فحفظت ذلك منه ، فلما توفي أبو سلمة استرجعت وقلت : اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منه ثم رجعت إلى نفسي وقلت : من أين لي خيراً من أبي سلمة فأبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه رسول الله ﷺ .

ورواه الطيالسي ، وأبو نعيم في الحلية بلفظ : « ما من عبد يصاب بمصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم عندك احتسبت مصيبتي فآجرني منها واعقبني منها خيراً إلا أعطاه الله ذلك ».

وروى ابن سعد في الطبقات من حديث أم سلمة : « ما من عبد يصاب بمصيبة فيفرح إلى ما أمره الله به من قول إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم آجرني في مصيبتي هذه وعوضني خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته وكان قـناً أن يعوضه الله منها خيراً منها ».

وروى أحمد وابن ماجه من حديث الحسين بن علي : « ما من مسلم ولا مسلمة يصاب مصيبة

عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه؟ قال: سبحانك لا علم لنا، إلا ما علمتنا. قال تعالى: جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي» وقال ﷺ: «يقول الله عز وجل إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني إلى عوّاده أبدلته لحماً خيراً من لحمه

فيذكرها وإن طال عهدها فيحدث لذلك استرجاعاً إلا جعله الله له عند ذلك فاعطاه مثل أجرها يوم أصيب».

(وقال أنس) رضي الله عنه. **(حدثني رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه؟)** أي عينيه ويقال للعين كريمة لكونها مكرمة عند صاحبها **(قال)** جبريل: **(سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا. قال)** الله عز وجل: **(جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي»)** قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من رواية أبي ظلال القسملي واسمه هلال أحد الضعفاء عن أنس. ورواه البخاري بلفظ: «إن الله عز وجل قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عـوضته منهما الجنة». ورواه ابن عدي وأبو يعلى بلفظ: «إذا أخذت كريمتي عبد لم أرض له ثواباً دون الجنة». قلت: يا رسول الله وإن كانت واحدة؟ قال: «وإن كانت واحدة». وفيه سعد بن سليم. قال ابن عدي: ضعيف انتهى.

قلت: وروى الترمذي من حديث أنس وقال: حسن غريب بلفظ: «إن الله تعالى يقول إذا أخذت كريمتي عبد في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة». ورواه من حديث أبي هريرة. وقال: حسن صحيح بلفظ: «يقول الله عز وجل من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة». ورواه هناد كذلك. وروى الطبراني في الكبير، وابن السني في عمل يوم وليلة، وابن عساكر من حديث أبي أمامة: «إن الله تعالى يقول يا ابن آدم إذا أخذت منك كريمتيك فصبرت واحتسبت عند الصدمة الأولى لم أرض لك ثواباً دون الجنة». ورواه أحمد وابن ماجه بلفظ: «يقول الله تعالى يا ابن آدم» وروى عبد بن حميد، وسمويه، وابن عساكر من حديث أنس: «قال الله عز وجل وعزتي لا أقبض كريمتي عبد فيصبر لحكمي ويرضى بقضائي فارضى له بثواب دون الجنة». وحديث أنس عند البخاري رواه أيضاً أحمد وزاد يعني عينيه. ورواه كذلك الطبراني في الكبير من حديث جرير وفي لفظ له من حديثه: «قال الله عز وجل من سلبت كريمتيه عوّضته منهما الجنة». وروى ابن حبان، والطبراني، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر من حديث العرباض بن سارية: «قال الله عز وجل إذا سلبت من عبدي كريمتيه وهو بهما ضنين لم أرض له بهما ثواباً دون الجنة إذا حمدني عليهما». ورواه الطبراني وحده من حديث أبي أمامة نحوه بلفظ: «قال ربكم» وروى أحمد وأبو يعلى من حديث أنس: «قال ربكم من أذهبت كريمتيه ثم صبر واحتسب كان ثوابه الجنة». وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس بلفظ: «يقول الله لا أذهب بصفيتي عبد فارضى له ثواباً دون الجنة».

(وقال ﷺ: «يقول الله عز وجل إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشكني إلى عوّاده

ودماً خيراً من دمه فإذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له وإن توفيته فإلى رحمتي »، **وقال داود** عليه السلام : يا رب ما جزاء الحزين الذي يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك **قال جزاؤه** أن ألبسه لباس الإيمان فلا أنزعه عنه أبداً . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خطبته : ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوّضه منها الصبر إلا كان ما عوضه منها أفضل مما انتزع منه وقرأ : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر :

أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه فإذا أبرأته أبرأته ولا ذنب له وإن توفيته فإلى رحمتي ») قال العراقي : رواه مالك في الموطأ من حديث عطاء بن يسار مرسلاً . وقال ابن عبد البر في التمهيد : رواه عباد بن كثير عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد انتهى وعباد ابن كثير ضعيف ورواه البيهقي موقوفاً على أبي هريرة انتهى.

قلت : وقد رواه الحاكم مرفوعاً من حديث أبي هريرة بلفظ : « قال الله تعالى إذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني إلى عوّاده أطلقته من إساري ثم أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه ثم يستأنف العمل ». وقد رواه البيهقي كذلك .

ورواه الطبراني وابن عساكر من حديث أنس بلفظ : « ثلاث من كنوز البر إخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وكتمان الشكوى يقول الله تعالى إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر لم يشكني إلى عوّاده ثم أبرأته أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وإن أرسلته أرسلته ولا ذنب عليه وإن توفيته توفيته إلى رحمتي ».

(وقال داود عليه السلام) في بعض مخاطباته مع الله عز وجل : **(يا رب ما جزاء الحزين الذي يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن ألبسه لباس الإيمان فلا أنزعه عنه أبداً)** رواه الديلمي ، وابن عساكر من حديث ابن مسعود ، وفيه جسر بن فرقد ضعيف ولفظه : قال داود عليه السلام : إلهي ما جزاء من شيع ميتاً إلى قبره ابتغاء مرضاتك ؟ قال : جزاؤه تشيعه ملائكتي فتصلي على روحه في الأرواح. قال: اللهم فما جزاء من يعزي حزيناً ابتغاء مرضاتك ؟ قال : أن ألبسه لباس التقوى واستره به من النار فأدخله الجنة . الحديث .

(وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خطبته: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه وعوّض منها الصبر إلا كان ما عوّضه منها أفضل مما انتزع منه وقرأ قوله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾) أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال : حدثنا أبو محمد أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا سعيد بن غانم عن محمد بن عمرو قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب فقال : ما أنعم الله على عبد نعمة ثم انتزعها منه فعاضه مما انتزع منه الصبر إلا ما كان عاضه خيراً مما انتزع منه ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ وقد نقله كذلك صاحب العوارف .

١٠] وسئل فضيل عن الصبر فقال: هو الرضا بقضاء الله، قيل: وكيف ذلك؟ قال: الراضي لا يتمنى فوق منزلته. وقيل حبس الشبلي رحمه الله في المارستان فدخل عليه جماعة فقال: من أنتم؟ قالوا: أحباؤك جاؤوك زائرين، فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يهربون فقال: لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي. وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها ﴿فاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِكَ فَإِنَّكَ بأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] ويقال ان امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها: أما تجدين الوجع؟ فقالت: إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه. وقال داود لسليمان عليهما

(**وسئل فضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى (**عن الصبر. فقال: هو الرضا بقضاء الله. قيل: وكيف ذلك؟ قال: الراضي لا يتمنى فوق منزلته**) وكأنه يشير إلى ثاني مقام من مقامات الصبر الذي هو درجة الزاهدين، وإليه يشير ما رواه الحكيم والديلمي وابن عساكر من حديث أبي موسى الأشعري: الصبر الرضا. وفي لفظ: الصبر رضا يعني أن التحقق بالصبر هو الذي يفتح الوصول إلى مقام الرضا.

(**وقيل: حبس الشبلي رحمه الله تعالى**) وقتاً (**في المارستان**) هو دار المرضى (**فدخل عليه جماعة فقال**) لهم: (**من أنتم؟ قالوا: أحباؤك جاءوك زائرين، فأخذ يرميهم بالحجارة**) اختباراً لمحبتهم له، (**فأخذوا يهربون منه. فقال**) لهم: (**لو كنتم أحبائي**) صادقين (**لصبرتم على بلائي**) اعتباراً بنفسه فيما هو فيه من بلاء السجن في المارستان ونسبته إلى الجنون وليس بمجنون نقله القشيري في الرسالة.

(**وكان بعض العارفين في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها**) أي يقرأ ما فيها (**وكان فيها ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾**) ولفظ القشيري في الرسالة. وقال بعضهم: كنت بمكة فرأيت فقيراً طاف بالبيت وأخرج من جيبه رقعة ونظر فيها ومرّ، ولما كان بالغد فعل مثل ذلك فترقبته أياماً وهو يفعل مثل ذلك فيوماً من الأيام طاف ونظر في الرقعة وتباعد قليلاً وسقط ميتاً فأخرجت الرقعة من جيبه فإذا فيها ﴿واصبر لحكم ربك فإنّك بأعيننا﴾.

(**وقيل: إن امرأة فتح**) بن شخرف (**الموصلي**) وكانت من العارفات (**عثرت**) أي وقعت برجلها (**فانقطع ظفرها فضحكت، فقيل لها: أما تجدين ألم الوجع؟ فقالت: إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه**). أورد المصنف هذه القصة هنا استدلالاً بها على الصبر على البلايا، ومعلوم أن المستلذ بالبلية لا يعد صابراً حقيقة، ولذلك لم يوصف سيدنا أيوب عليه السلام بالصبار فقال تعالى: ﴿إنا وجدناه صابراً﴾ [ص: ٤٤] ولم يقل صباراً لكونه كان يستلذ ما نزل به في بعض أحيانه.

(**وقال داود لسليمان عليهما السلام**) يختبره بم يستدل على تقوى المؤمن؟ فقال: (**يستدل**

السلام: يستدل على تقوى المؤمنَ بثلاث: حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر فيما قد فات. وقال نبينا ﷺ: «من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك»، ويروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوماً وفي كمه صرة فافتقدها فإذا هي قد أخذت من كمه فقال: بارك الله له فيها لعله أحوج إليها مني. وروي عن بعضهم أنه قال مررت على سالم مولى أبي حذيفة في القتلى وبه رمق فقلت له أسقيك ماء؟ فقال: جرني قليلاً إلى العدو واجعل الماء في الترس فإني صائم فإن عشت إلى الليل شربته. فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى.

فإن قلت: فبماذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الأمر إلى اختياره، فهو مضطر

على تقوى المؤمن بثلاث) خصال: الأولى: **(حسن التوكل فيما لم ينل، و)** الثانية: **(حسن الرضا فيما قد نال، و)** الثالثة: **(حسن الصبر فيما قد فات. وقال نبينا ﷺ: «من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك»)** قال العراقي: لم أجده مرفوعاً، وإنما رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات من رواية سفيان عن بعض الفقهاء. قال: «من الصبر أن لا تحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولا تزكي نفسك» انتهى.

قلت: وقال صاحب القوت: وقد روينا عن النبي ﷺ حديثاً مقطوعاً: «الصبر في ثلاث: الصبر عن تزكية النفس، والصبر عن شكوى المصيبة، والصبر على الرضا بقضاء الله خيره وشره».

(ويروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوماً) إلى السوق فساوم شيئاً من الطعام **(و)** كانت **(في كمه صرة)** فيها دراهم فأراد أن يدفع لصاحب الطعام منها فضرب بيده عليها **(فافتقدها فإذا هي قد أخذت من كمه)** أي اختلست أو انحلت الصرة فوقعت الدراهم، **(فقال: بارك الله له فيها لعله أحوج إليها مني)** فهذا من الصبر على المصيبة وعدم إظهار الجزع، وقد دفع مثل هذا لابن مسعود رضي الله عنه.

(وروي عن بعضهم أنه قال: مررت على سالم مولى أبي حذيفة) بن عتبة بن ربيعة بن عتبة بن عبد شمس أحد السابقين الأولين وكان من أكثرهم قرآناً **(في القتلى)** وكان معه لواء المهاجرين. روى ابن المبارك في كتاب الجهاد له أنه قال حينئذ: بئس حامل القرآن أنا يعني إن فررت فقطعت يمينه فأخذه بيساره فاعتنقه إلى أن صرع فقال لأصحابه: ما فعل أبو حذيفة يعني مولاه؟ قيل: قتل. قال: فاضجعوني بجنبه **(وبه رمق)** أي بقية الروح **(فقلت: أسقيك ماء؟ فقال: جرني قليلاً إلى)** جهة **(العدو واجعل الماء في الترس فإني صائم فإن عشت إلى الليل شربته)** ومات على حالته ولم يشرب الماء، فارسل عمر ميراثه إلى مولاته ثبيتة. **(فهكذا كان صبر سالكي طريق الآخرة على بلاء الله تعالى)**.

(فإن قلت: فبماذا تنال درجة الصبر في المصائب وليس الأمر إلى اختياره فهو مضطر

شاء أم أبى فإن كان المراد به أن لا تكون في نفسه كراهية المصيبة، فذلك غير داخل في الاختيار؟ فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم، وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يجتنب جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمراً على عادته، ويعتقد أن ذلك كان وديعة فاسترجعت كما روي عن الرميصاء أم سليم رحمها الله انها قالت: توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غائب فقمت فسجيته في ناحية البيت فقدم أبو طلحة فقمت فهيأت له افطاره فجعل يأكل، فقال: كيف الصبي؟ فقلت: بأحسن حال بحمد الله ومنه فإنه لم يكن منذ اشتكى بأسكن منه الليلة، ثم تصنعت له أحسن ما كنت أتصنع له قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته، ثم قلت: ألا تعجب من جيراننا قال: ما لهم؟ قلت: أعيروا عارية فلما طلبت منهم

شاء أم أبى، فإن كان المراد به أن لا تكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل في الاختيار؟ فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود) والهلع والتسخط (**والمبالغة في الشكوى وإظهار الكآبة)** أي الحزن (**وتغير العادة في الملبس والمفرش والمطعم، وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يجتنب جيعها)** فإنه يفسد واجب الصبر ويحبط عمله في أجر المصيبة، بل يأثم على فعله (**و**) عليه (**أن يظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقي مستمراً على عادته)** في سائر أحواله، ومن فعل شيئاً مما تقدم ذكره فلا ثواب له على مصيبة لأن نفس المصيبة لا ثواب عليها، لأن الله لا يثيب العباد إلا على ما يدخل تحت إختيارهم، وإنما الثواب على الصبر لا على المصيبة بل هو آثم في تسخطه على قضاء ربه، (**و**) عليه أن (**يعتقد أن ذلك كان وديعة)** عنده (**فاسترجعت، كما روي عن الرميصاء أم سليم رضي الله عنها)** هي ابنة ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصارية وهي أم أنس خادم رسول الله ﷺ. اشتهرت بكنيتها واختلف في اسمها على أقوال: سهلة، أو رميلة، أو رميثة، أو مليكة أو الرميصاء، أو العميصاء. وقيل: بل هما لقبان لها (**أنها قالت: توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة)** زيد بن سهل (**غائب)** وكانت قد أسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار فغضب زوجها مالك بن النضر وخرج إلى الشام فمات بها، فتزوجت بعده أبا طلحة وكان صداقها الإسلام (**فقمت فسجيته)** أي غطيته (**في ناحية البيت، فقدم أبو طلحة)** من غيبته (**فقمت فهيأت له إفطاره فجعل يأكل. فقال: كيف الصبي؟)** وكان مريضاً (**فقلت: بأحسن حال بحمد الله، فإنه لم يكن منذ اشتكى خيراً منه الليلة، ثم تصنعت له أحسن ما كنت أتصنع قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته)** يعني خالطها (**فقلت: ألا تعجب من جيراننا؟ قال: ما لهم؟ قلت: أعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا. فقال:**

واسترجعت جزعوا ، فقال: بئس ما صنعوا فقلت: هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وإن الله قد قبضه إليه ، فحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله ﷺ فأخبره ،فقال: « اللهم بارك لهما في ليلتهما » قال الراوي: فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأوا القرآن .وروى جابر أنه عليه السلام قال: « رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة » وقد قيل: الصبر الجميل هو أن لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ، ولا يخرجه عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع ، إذ يكون من جميع الحاضرين لأجل الموت سواء ، ولأن البكاء توجع القلب على الميت فإن ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الإنسان إلى الموت ، ولذلك لما مات ابراهيم ولد النبي ﷺ

بئس ما صنعوا . فقلت: هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وأن الله تعالى قبضه إليه فحمد الله واسترجع، ثم غدا على رسول الله ﷺ فاخبره فقال: « اللهم بارك لهما في ليلتهما » . قال الراوي: فلقد رأيت لهما بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرأوا القرآن) قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير ، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية ، والقصة في الصحيحين من حديث أنس مع اختلاف انتهى .

قلت : قصتها في الصحيح: لما مات ولدها من أبي طلحة فقالت لما دخل: لا يذكر أحد ذلك لأبي طلحة قبل ، فلما جاء وسأل عن ولده قالت: هو أسكن ما كان فظن أنه عوفي وقام وأكل ، ثم تزينت له وتطيبت فنام معها وأصاب معها ، فلما أصبحت قالت له: احتسب ولدك فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: « بارك الله لكما في ليلتكما » فجاءت بولد وهو عبدالله بن أبي طلحة فأنجب ورزق أولاداً قرأوا القرآن منهم عشرة كملاً .

(وروى جابر) بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه **(أنه ﷺ قال: « رأيتني دخلت الجنة فإذا بالرميصاء امرأة أبي طلحة »)** قال العراقي: رواه النسائي في الكبرى بإسناد صحيح انتهى .

قلت: رواه من طريق عبد العزيز بن أبي سلمة عن محمد بن المنكدر عن جابر ، وقال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا محمد بن عبدالله الأنصاري ، حدثنا حميد عن أنس قال: قال نبي الله ﷺ : « دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فإذا أنا بالغميصاء بنت ملحان » . ومن طريق حماد بن ثابت عن أنس نحوه ، لكن قال: الرميصاء . أوردهما في ترجمة أم سليم ، وقد رواه أيضاً أحمد ومسلم والنسائي وأبو يعلى وابن حبان كلهم من حديث أنس بالروايتين .

(وقد قيل) في قوله تعالى: ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ [المعارج: ٥] **(الصبر الجميل هو أن لا يعرف صاحب المصيبة إذ يشبه غيره)** ولفظ القشيري في الرسالة: هو أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدري من هو ، **(ولا يخرجه من حدّ الصابرين توجع القلب)** ورقته **(ولا فيضان العين بالدمع على الميت ، فإن ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان إلى الموت ،**

فاضت عيناه فقيل له: أما نهيتنا عن هذا فقال: « إن هذه رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » بل ذلك أيضاً لا يخرج عن مقام الرضا، فالمقدم على الحجامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عيناه إذا عظم ألمه وسيأتي ذلك في كتاب الرضا إن شاء الله تعالى. وكتب ابن أبي نجيح يعزي بعض الخلفاء: إن أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقاه له؛ واعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك -هو المأجور فيك. واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه. فإذا مهما دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين. نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب. وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والأوجاع والصدقة. فقد

ولذلك لما مات إبراهيم ولد النبي ﷺ) من مارية القبطية (فاضت عيناه) بالدموع (فقيل له: أما نهيتنا عن هذا؟ فقال: « إن هذه رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ») قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس باختلاف، (بل ذلك أيضاً لا يخرج عن مقام الرضا، فالمقدم على الحجامة والفصد راض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تفيض عينه) بالدمع (إذ عظم ألمه ـ وسيأتي في كتاب الرضا ان شاء الله تعالى ـ) ومما لا يخرجه من حد الصابرين أيضاً حكاية المصيبة للتداوي، وللعالم يتعلم منه الصبر والرضا والصديق ليعرف الحال لا على قصد الشكوى لأن هذا مما تعم به البلوى.

(وكتب ابن أبي نجيح) هكذا هو في النسخ أبو يسار المكي الثقفي مولاهم وأبو نجيح كعظيم اسمه يسار، روى له الجماعة. وفي نسخة القوت ابن أبي يحي وهو عبد الله بن محمد بن أبي يحي الأسلمي لقبه سحبل وقد ينسب إلى جده روى له أبو داود (يعزي بعض الخلفاء، فكتب: إن أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقاه، واعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فيك، واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون فيه) والحمد لله رب العالمين، كذا نقله صاحب القوت، (فإذا دفع الكراهة بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين. نعم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصيبات، وقد قيل: من كنوز البر كتمان المصائب والأوجاع والصدقة) ففي إظهار المصيبة والوجع والتحدث بها قدح في الصبر مفوّت للأجر، وكتمانها رأس الصبر، وقد شكا الأحنف بن قيس إلى عمه وجع ضرسه وكدره فقال: مه لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة فما شكوتها لأحد، فكتمان هؤلاء الثلاثة كنز يذخر لصاحبه ليوم فاقته لا يطلع على ثوابه ملك ولا يدفع إلى خصمائه، بل يعوّضهم الله من باقي أعماله أو خزائن فضله ليبقى له كنزه، وذلك إذا كان صبراً منه ورضا عن ربه وحياء منه أن يشكو أو

ظهر لك بهذه التقسيمات أن وجوب الصبر عام في جميع الأحوال والأفعال، فإن الذي كفى الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغني عن الصبر على العزلة والانفراد ظاهراً، وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطناً، فإن اختلاج الخواطر لا يسكن. وأكثر جولان الخواطر إنما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بدّ وأن يحصل منه ما هو مقدر، فهو كيفما كان تضييع زمان. وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فإذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنساً بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى ليستفيد بالمعرفة محبة الله تعالى فهو مغبون، هذا إن كان فكره ووسواسه في المباحات

يستغني بأحد من خلقه، وهذا قد روي مرفوعاً. وإنما تبع المصنف فيه صاحب القوت حيث لم يصرح برفعه، فقد رواه أبو نعيم في الحلية، وكذا البيهقي من حديث زافر بن سليمان، عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن نافع عن ابن عمر رفعه. ثم قال أبو نعيم: غريب تفرد به زافر عن عبد العزيز انتهى.

وقال الذهبي: زافر بن سليمان قال ابن عدي: لا يتابع على حديثه، وعبد العزيز بن أبي رواد يروي عن نافع عن ابن عمر نسخة موضوعة. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات.

وروى الطبراني من حديث أنس «ثلاث من كنوز البر: كتمان الشكوى، وكتمان المصيبة، وكتمان الصدقة». ورواه الطبراني أيضاً، وابن عساكر من حديثه «ثلاث من كنوز البر: إخفاء الصدقة، وكتمان المصيبة، وكتمان الشكوى يقول الله تعالى: إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر» الحديث. وقد تقدم قريباً، وبهذا ظهر أن الحديث له أصل، وإيراد ابن الجوزي إياه في الموضوعات فيه نظر.

(فقد ظهر لك بهذه التقسيمات أن وجوب الصبر عام في جميع الأحوال والأفعال) لا يخص منها حال دون حال ولا فعل دون فعل، **(فإن الذي كفى الشهوات كلها واعتزل وحده فلا يستغني عن الصبر على العزلة والإنفراد ظاهراً، وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطناً، فإن اختلاج الخواطر لا يسكن)** أبداً، **(وأكثر جولان الخواطر إنما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بدّ وأن يحصل منه ما هو مقدر)** من الأزل **(فهو كيفما كان تضييع زمان)** فأي فائدة في شيء فات ولم يمكن تلافيه؟ أم أي فائدة في شيء هو غيب لا يدري كيف يكون؟ وإليه أشار القائل:

ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي أنت فيها

(وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره) وكل منهما نفيس، **(فإذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيده به أنساً بالله تعالى أو عن فكر يستفيده به معرفة الله تعالى ليستفيد بالمعرفة محبة الله تعالى)** ويحظى بمزيد القرب منه **(فهو مغبون)** أي خسر **(هذا إذا كان**

مقصوراً عليه، ولا يكون ذلك غالباً، بل يتفكر في وجوه الحيل لقضاء الشهوات، إذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو من يتوهم انه ينازعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور أمارة له منه، بل يقدر المخالفة من أخلص الناس في حبه حتى في أهله وولده، ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته، ولا يزال في شغل دائم، فللشيطان جندان: جند يطير وجند يسير، والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيّار، والشهوة عبارة عن حركة جنده السيار. وهذا لأن الشيطان خلق من النار وخلق الإنسان من صلصال كالفخار، والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين، والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة، فلا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها. وقد كلف الملعون المخلوق من النار أن يطمئن عن حركته ساجداً لما خلق الله من الطين فأبى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بأن قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] فإذاً حيث لم يسجد الملعون لأبينا آدم صلوات الله عليه وسلامه فلا

فكره ووسواسه في المباحات) الشرعية **(وكان ذلك مقصوراً عليه ولا يكون ذلك غالباً بل يتفكر في وجوه الحيل)** وأنواع الخداع **(لقضاء الشهوات)** النفسية، **(إذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو من يتوهم أنه ينازعه ويخالف أمره أو غرضه بظهور أمارة)** أي علامة **(له منه)** تدل على ذلك، **(بل يقدر المخالفة من أخلص من حبه)** وأحبهم إليه **(حتى في أهله وولده ويتوهم مخالفتهم له)** في أمره أو غرضه، **(ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية قهرهم وجوابهم عما يتعللون به في مخالفته)** فيطول الحال ويكثر الاشتغال، **(ولا يزال في شغل دائم)** لا ينتهي إلى حدّ؛ **(فللشيطان جندان: جند يطير وجند يسير، والوسواس)** العارض منه **(عبارة عن حركة جنده الطيارة، والشهوة عبارة عن حركة جنده السيارة. وهذا لأن الشيطان خلق من النار وخلق الإنسان من صلصال كالفخار)** كما هو نص الكتاب العزيز. **(والفخار قد اجتمع فيه مع النار الطين)** إذ لا يكون فخاراً يصلصل إلاّ بدخوله في النار، **(والطين طبيعته السكون)** والاستقرار والبرودة، **(والنار طبعها الحركة)** والإضطراب والحرارة. **(فلا يتصوّر نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها، وقد كلف الملعون المخلوق من النار أن يطمئن عن حركته ساجداً لما خلق من الطين فأبى)** أي امتنع **(واستكبر واستعصى، وعبّر عن سبب استعصائه بأن قال: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾)** وأن النار أشرف من الطين فكيف يسجد الشريف للمشروف؟ **(فإذاً حيث لم يسجد الملعون لأبينا آدم عليه السلام فلا ينبغي أن يطمع في سجوده لأولاده)** وقد وقع ذلك في مراجعته لبعض

ينبغي أن يطمع في سجوده لأولاده. ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه فقد أظهر انقياده وإذعانه. وانقياده بالإذعان سجود منه فهو روح السجود وإنما وضع الجبهة على الأرض قالبه وعلامته الدالة عليه بالاصطلاح. ولو جعل وضع الجبهة على الأرض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك، كما أن الانبطاح بين يدي المعظم المحترم يرى استخفافاً بالعادة، فلا ينبغي أن يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب؛ فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق أن الشيطان من المنظرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس إلى يوم الدين إلا أن تصبح وهمومك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالاً فيك، فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين.

ولا تظنن إنه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه

الأنبياء حين قال له: ألا تطلب من الله أن يتوب علي؟ فقال: نعم فرفع يديه وسأله ذلك وراجعه في قبول توبة إبليس، فجاء الخطاب نعم أن أسجد لقبر آدم عليه السلام، فقال له ذلك النبي فقال: أنا لم أسجد له وهو حي فكيف أسجد له وهو ميت؟ **(ومهما كف عن القلب وسواسه وعداونه وطيرانه وجولانه فقد أظهر انقياده وإذعانه)** في الجملة، **(فانقياده بالاذعان سجود منه فهو روح السجود)** ومعناه في الباطن، **(وإنما وضع الجبهة على الأرض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك، كما أن الانكاح بين يدي)** الرجل **(المعظم المحترم يرى استخفافاً بالعادة، فلا ينبغي أن يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب، فتكون ممن قيده عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب)** والملكوت. **(وتحقق أن الشيطان من المنظرين)** أي من الذين قد أمهلوا **(فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس إلى يوم الدين إلا أن تصبح وهمومك كلهاهم واحد لا تتشعب بك في الأودية فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد الملعون مجالاً فيك)** ولا يتمكن منك ما دمت كذلك كأنك في حصن منيع، **(فعند ذلك تكون من عباد الله المخلصين)** ﴿إنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الاسراء: ٦٥] **(الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين)** كما في الكتاب العزيز.

(ولا تظنن أنه يخلو عنه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم) كما في الخبر «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» رواه أحمد والشيخان من حديث أنس وقد تقدم ذكره، ونقدم أيضاً الاختلاف فيه أنه هل هو على حقيقته بأن جعل له قوّة وقدرة على الجري في باطن الانسان في مجاري دمه أو على الاستعارة لكثرة إغوائه ووسوسته؟ وانه لا يفارق

مثل الهواء في القدح فإنك إن أردت أن يخلو القدح عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو بغيره فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين يخلو عن جولان الشيطان وإلا فمن غفل عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين إلا الشيطان ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] وقال ﷺ: «إن الله تعالى يبغض الشاب الفارغ»، وهذا لأن الشاب إذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغاً. ولم يبق قلبه فارغاً، بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ، ثم تزدوج أفراخه أيضاً وتبيض مرة أخرى وتفرخ، وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالداً أسرع من توالد سائر الحيوانات لأن طبعه من النار، وإذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده، فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسري شيئاً فشيئاً على الاتصال. فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار، وكما لا تبقى النار إذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال إذا لم تكن شهوة،

الانسان كما لا يفارقه دمه. (**وسيلانه مثل الهواء في القدح فإنك إن أردت أن يخلو القدح عن الهواء من غير أن تشغله بالماء أو بغيره فقد طمعت في غير مطمع، بل بقدر ما يخلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة، فذلك القلب المشغول بفكر مهم في الدين يخلو عن جولان الشياطين**) فيه، (**وإلاّ فمن غفل عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين إلا الشيطان، ولذلك قال**) الله (**تعالى ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن﴾**) أي يغفل عنه ولم يهتد إلى طريقه **﴿نقيّض له شيطاناً فهو له قرين﴾** أي مقارن له لا يفارقه في أحواله (**وقال ﷺ: «إن الله يبغض الشاب الفارغ»**) قال العراقي: غريب لم أجده.

قلت: روى صاحب الحلية في ترجمة ابن مسعود أنه قال: «إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في عمل دنيا ولا آخرة» وفي لفظه له «إني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة». (**وهذا لأن الشاب إذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بمباح يستعين به على دينه كان ظاهره فارغاً ولم يبق قلبه فارغاً، بل يعشش فيه الشيطان ويبيض ويفرخ ثم تزدوج أفراخه أيضاً وتبيض مرة أخرى وتفرخ، وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالداً أسرع من توالد سائر الحيوانات لأن طبعه من النار، وإذا وجد الحلفاء اليابسة كثر توالده فلا يزال تتولد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسري شيئاً فشيئاً**) وقليلاً فقليلاً (**على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار، وكما لا تبقى النار إذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبقى للشيطان مجال إذا لم تكن شهوة**) ولذلك قالوا:

فإذاً إذا تأملت علمت أن أعدى عدوّك شهوتك وهي صفة نفسك، ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوّف ما هو؟ فقال: هي نفسك إن لم تشغلها شغلتك فإذاً حقيقة الصبر وكماله: الصبر عن كل حركة مذمومة، وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك، وهذا صبر دائم لا يقطعه إلا الموت نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه.

بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه:

إعلم أن الذي أنزل الداء أنزل الدواء ووعد الشفاء، فالصبر وإن كان شاقاً أو ممتنعاً فتحصيله ممكن بمعجون العلم والعمل. فالعلم والعمل هما الأخلاط التي منها تركب الأدوية لأمراض القلوب كلها، ولكن يحتاج كل مرض إلى علم آخر وعمل آخر، وكما

النار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله، **(فإذاً إذا تأملت علمت ان اعدى عدوّك شهوتك وهي صفة نفسك)** ففي الخبر «اعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك» وفي رواية «زوجتك التي تضاجعك». وروى العسكري عن سعيد بن أبي هلال مرسلاً ليس عدوّك الذي إن قتلته كان لك نوراً وإن قتلك دخلت الجنة، ولكن أعدى الأعداء لك نفسك التي بين جنبيك. **(ولذلك قال)** أبو المغيث **(الحسين بن منصور)** بن أبي بكر بن عمر بن عبد الله بن الليث بن أبي بكر بن أبي صالح بن عبد الله بن أبي أيوب الانصاري **(الحلاج)**. صحب الجنيد والثوري وغيرهما واختلف الناس فيه فأفتى كثير من العلماء بإباحة دمه، فقتل يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٣٠٩. **(حين كان يصلب)** وذلك ببغداد. **(وقد سئل عن التصوّف فقيل)** له: ما هو؟ **(فقال: هو نفسك إن لم تشغلها)** بالذكر والفكر **(شغلتك)** بما يبعدك عن حضرة الله، **(فإذا حقيقة الصبر وكماله الصبر عن كل حركة مذمومة)** ذمها الشارع، **(وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك)** لما فيه من الوساوس والخطرات، **(وهذا صبر دائم لا يقطعه إلا الموت)** نسأل الله حسن التوفيق بمنه وكرمه.

بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه:

(اعلم) هداك الله تعالى **(أن الذي أنزل الداء أنزل الدواء ووعد الشفاء)**. روى أبو نعيم في الطلب من حديث أبي هريرة «إن الذي أنزل الداء أنزل معه الدواء» ورواه ابن السني والحاكم بلفظ «إن الذي أنزل الداء أنزل الشفاء». **(فالصبر وإن كان شاقاً)** على النفس **(أو ممتنعاً فتحصيله ممكن بمعجون)** مركب من **(العلم والعمل. فالعلم والعمل هما الأخلاط التي منها تركب الأدوية)** النافعة **(لأمراض القلوب كلها، ولكن يحتاج كل مرض إلى علم آخر**

أن أقسام الصبر مختلفة فأقسام العلل المانعة منه مختلفة، وإذا اختلفت العلل اختلف العلاج إذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها. وإستيفاء ذلك مما يطول ولكنا نعرف الطريق في بعض الأمثلة.

فنقول: إذا افتقر إلى الصبر عن شهوة الوقاع مثلاً وقد غلبت عليه الشهوة بحيث ليس يملك معها فرجه، أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه، أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه إذ لا تزال تحدثه بمقتضيات الشهوات ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر والأعمال الصالحة، فنقول: قد قدمنا أن الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى، وكل متصارعين أردنا أن يغلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه إلا تقوية من أردنا أن تكون له اليد العليا وتضعيف الآخر، فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة.

فأما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة أمور:

أحدها: أن ننظر إلى مادة قوتها وهي الأغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث

وعمل آخر، وكما أن أقسام الصبر مختلفة فأقسام العلل المانعة منه مختلفة وإذا اختلفت العلل اختلف العلاج إذ معنى العلاج مضادة العلة وقمعها) لأن النفس إن كانت زكية طاهرة مهذبة الأخلاق فينبغي أن يسعى لحفظها وجلب مزيد قوّة إليها واكتساب زيادة صفاء لها، فإن كانت ناقصة عادمة الكمال والصفاء وجب العلاج بضد العلة المطلوب زوالها، فيعالج مرض الجهل بالعلم، ومرض البخل بالسخاء، ومرض الكبر بالتواضع، ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفاً. **(واستيفاء ذلك مما يطول، ولكنا نعرف الطريق في بعض الأمثلة.**

فنقول: إذا افتقر إلى الصبر عن شهوة الوقاع مثلاً وقد غلبت عليه بحيث لا يملك معها فرجه) في حال يقظته ونومه، **(أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه)** بالتطلع، **(أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه إذ لا تزال تحدثه)** في سره **(بمقتضيات الشهوة ويصرفه ذلك عن المواظبة على الذكر والفكر)** والمراقبة **(والأعمال الصالحة، فنقول)** في علاجه: **(قد قدمنا أن الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى، وكل متصارعين أردنا أن يغلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه إلا تقوية من أردنا أن تكون له اليد العليا)** أي الغلبة **(وتضعيف الآخر، فلزمنا ههنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة، فأما باعث الشهوة فسبيل تضعيفه ثلاثة أمور).**

(أحدها: أن تنظر إلى مادة قوّتها وهي الأغذية الطيبة اللذيذة المحركة للشهوة من

نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصاد عند الافطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسه فيحترز عن اللحم والأطعمة المهيجة للشهوة.

الثاني: قطع أسبابه المهيجة له في الحال فإنه إنما يهيج بالنظر إلى مظان الشهوة إذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالعزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة والفرار منها بالكلية، قال رسول الله ﷺ: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس» وهو سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه إلا تغميض الأجفان أو الهروب من صوب رميه. فإنه إنما يرمي هذا السهم عن قوس الصور فإذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه.

الثالث: تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالنكاح فإن كل ما يشتهيه الطبع ففي المباحات من جنسه ما يغني عن المحظورات منه؛ وهذا هو العلاج

حيث نوعها ومن حيث كثرتها، فلا بدّ من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصار عند الإفطار على طعام قليل في نفسه ضعيف في جنسة فيحترز عن) تناول (**اللحم**) في المأكولات (**و**) عن (**الأطعمة المهيجة للشهوة**) في طبعها أو بملابسة الابازير.

(**الثاني: قطع أسبابه المهيجة له في الحال فإنه إنما يهيج بالنظر إلى مظان الشهوة إذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة**)، ومن ذلك قولهم: من أدار ناظره اتعب خاطره، (**وهذا يحصل**) علاجه (**بالعزلة**) عن الناس مرة (**والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور**) الجميلة (**المشتهاة**) بالطبع، (**والفرار منها بالكلية قال رسول الله ﷺ «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس»**) رواه الحاكم والبيهقي من حديث حذيفة بلفظ «النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة فمن تركها من خوف الله أثابه إيماناً يجد حلاوته في قلبه». وروى الحكيم الترمذي في النوادر من حديث علي «النظر إلى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس فمن صرف بصره عنها رزقه الله عبادة يجد حلاوتها». وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر «نظر المؤمن في محاسن المرأة سهم من سهام إبابس مسموم من تركها من خشية الله ورجاء ما عنده آتاه الله بذلك عبادة تبلغه لذتها». وقد تقدم ذكر هذا الحديث مراراً. (**وهذا سهم يسدده الملعون ولا ترس يمنع منه**) ويتترس به (**إلا تغميض الأجفان والهرب من صوب رميه**)، وقد روى الديلمي من حديث أبي هريرة: «يقول الله تعالى يا ابن آدم إن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليه فقد اعنتك عليه بطبقين فاطبقهما عليه». الحديث، (**فإنه يرمي هذا السهم عن قوس الصور، فإذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه**) وامنت من شره.

(**الثالث: تسلية النفس بالمباحات من الجنس الذي يشتهيه وذلك بالنكاح**) مع حليلته، (**فإن كل ما يشتهيه الطبع ففي المباحات من جنسه ما يغني عن المحظور منه، وهذا هو**

الأنفع في حق الأكثر. فإن قطع الغذاء يضعف عن سائر الأعمال، ثم قد لا يقمع الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال ﷺ: «عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم. فإن الصوم له وجاء».

فهذه ثلاثة أسباب فالعلاج الأول وهو قطع الطعام: يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح وعن الكلب الضاري ليضعف فتسقط قوّته والثاني: يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها. والثالث: يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يميل إليه طبعها حتى يبقى معها من القوّة ما تصبر به على التأديب.

وأما تقوية باعث الدين فإنما تكون بطريقين:

أحدهما: إطلاعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا، وذلك بأن يكثر فكره في الاخبار التي أوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة.

العلاج الأنفع) والدواء الأكبر **(في حق الأكثر، فإن قطع الغذاء)** مطلقاً **(يضعف عن سائر الأعمال)** الصالحة التي تستدعي القوّة، **(ثم قد لا تقمع الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال ﷺ)**: «يا أيها الناس **(عليكم بالباءة)** أي النكاح **(فإن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)**» رواه الطبراني في الأوسط، والضياء من حديث أنس، وقد تقدم في كتاب النكاح.

(فهذه ثلاثة أسباب فالعلاج الأول: وهو قطع الطعام يضاهي قطع العلف عن البهيمة الجموح) أي العاصية عن التأديب **(وعن الكلب الضاري)** أي اللهج يأكل لحم الصيد **(ليضعف فتسقط قوّته، و)** العلاج **(الثاني: يضاهي تغييب اللحم عن الكلب وتغييب الشعير عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها)** بالعين والحس. **(و)** العلاج **(الثالث: يضاهي تسليتها بشيء قليل مما يميل إليه طبعها حتى يبقى معها من القوّة ما تصبر على التأديب)** والرياضة.

(وأما تقوية باعث الدين؛ فإنما يكون بطريقين):

(أحدها: إطلاعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا) والقدر الواجب منه تقويته بالوعد والوعيد أو بما رأيته من البواعث الحادثة المقوية له إلى أن يغلب وينتصر ويفوز بالخلع السنية الموعودة له، **(وذلك بأن يكثر فكره في الأخبار التي أوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة)**.

وفي الاثر إن ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما فات وإنه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة، إذ فاته ما لا يبقى معه إلا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر. ومن أسلم خسيساً في نفيس فلا ينبغي أن يحزن لفوات الخسيس في الحال. وهذا من باب المعارف وهو من الإيمان فتارة يضعف وتارة يقوى، فإن قوي قوّى باعث الدين وهيجه تهييجاً شديداً وإن ضعف ضعفه. وإنما قوّة الإيمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر وأقل ما أوتي الناس الصبر وعزيمة اليقين.

والثاني: أن يعوّد هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجاً قليلاً قليلاً حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجرىء عليها وتقوى منته في مصارعتها، فإن الاعتياد والممارسة للأعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الأعمال، ولذلك تزيد قوّة الحالين والفلاحين والمقاتلين. وبالجملة فقوّة الممارسين للأعمال الشاقة تزيد على قوّة الخياطين

(وفي الأثر: إن ثواب الصبر على المصيبة أكثر مما فات وأنه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة إذ فاته ما لا يبقى معه إلا مدة الحياة وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدهر) كأنه يشير إلى أثر ابن عباس المتقدم: إن من صبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة تبعاً لصاحب القوت، وقد تقدم الكلام عليه، وان المروي من حديثه على خلاف ذلك. **(ومن أسلم خسيساً في نفيس فلا ينبغي أن يحزن بفوات الخسيس في الحال. وهذا من باب المعارف وهو من الإيمان)** بالترغيب والترهيب، وبالقضاء والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى، والإيمان بهذا واجب والشريعة طافحة بهذا، والقرآن من فاتحته إلى خاتمته ترغيب وترهيب وتذكير يتذكر به اللبيب، فإذا قرأ العبد القرآن بالتدبر والإصغاء أحضر قلبه وتفكر فيما رتب الله تعالى على الطاعات من الجزاء والكرامات وعلى المخالفات قوى إيمانه ويقينه، وإليه أشار المصنف بقوله: **(فتارة يضعف وتارة يقوى، فإن قوي قوى باعث الدين وهيجه تهييجاً شديداً وإن ضعف ضعفه وإنما قوّة الإيمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر، وأقل ما أوتي الناس الصبر وعزيمة اليقين)** كما روي ذلك من حديث شهر بن حوشب عن أبي امامة رفعه، وقد تقدم ذكره، وإذا قوي يقينه انهزم كيد الشيطان وحزبه، وإذا قوي يقينه بالقضاء والقدر صبر على ما ابتلاه الله، وان اتسعت معرفته حتى يرى المصيبة نعمة حصل منه الشكر عوضاً عن الصبر وارتفع بذلك درجته عند الله تعالى.

(والثاني: أن يعوّد هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجاً قليلاً حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجريء عليها وتقوى منته) أي قوّته **(في مصارعتها، فإن الاعتياد والممارسة للأعمال الشاقة يؤكد القوى التي تصدر عنها تلك الأعمال، ولذلك تزيد قوّة الحمالين)** للأحمال الثقيلة، **(والفلاحين)** لمعاناة أعمال الاعراض، **(والمقاتلين)** في الحروب. **(وبالجملة**

والعطارين والفقهاء والصالحين، وذلك لأن قواهم لم تتأكد بالممارسة.

فالعلاج الأول: يضاهي إطماع المصارع بالخلعة عند الغلبة ووعده بأنواع الكرامة كما وعد فرعون سحرته عند إغرائه إياهم بموسى حيث قال: ﴿وَإِنَّكُمْ إذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٢].

والثاني: يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك منذ الصبا حتى يأنس به ويستجرىء عليه وتقوى فيه منته. فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وإن ضعفت، ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد.

فهذا منهاج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه، وإنما أشدها كف الباطن عن حديث النفس، وإنما يشتد ذلك على من تفرغ له بأن قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة وجلس للمراقبة والذكر والفكر، فإن الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب إلى جانب. وهذا لا علاج له البتة إلا قطع العلائق كلها ظاهراً وباطناً بالفرار عن

فقوّة الممارسين للأعمال الشاقة تزيد على قوّة الخياطين والعطارين) وهم الصيادلة **(والفقهاء)** في المدارس **(والصالحين)** في الزوايا، **(وذلك لأن قواهم لم تتأكد بالممارسة)** والمزاولة.

(فالعلاج الأول: يضاهي أطماع المصارع بالخلعة عند الغلبة ووعده بأنواع الكرامة) والأنعام، **(كما وعد فرعون سحرته عند إغرائه إياهم بموسى)** عليه السلام **(حيث قال: ﴿وإنّكم إذاً لمن المقربين﴾)**.

(و) العلاج **(الثاني أيضاً: يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك)** منذ زمن الصبا **(حتى يأنس به ويستجرىء عليه وتقوى فيه منته، فمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وإن ضعفت، ومن عوّد نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد.**

فهذا منهاج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاؤه، وإنما أشدها كف الباطن عن حديث النفس) وتوارد الهواجس على الخواطر، **(وإنما يشتد ذلك على من تفرغ له)** بهمته بالكلية **(بأن قمع الشهوات الظاهرة وآثر العزلة)** والانفراد عن الخلق **(وجلس للمراقبة والذكر والفكر؛ فإن الوساوس لا تزال تجاذبه من جانب إلى جانب)** وتحول بينه وبين شغله **(وهذا لا علاج له البتة إلا قطع العلائق كلها ظاهراً وباطناً بالفرار عن الأهل والولد**

الأهل والولد والمال والجاه والرفقاء والأصدقاء، ثم الإعتزال إلى زاوية بعد إحراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به، ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تصر الهموم هماً واحداً وهو الله تعالى. ثم إذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات والأرض وعجائب صنع الله تعالى وسائر أبواب معرفة الله تعالى حتى إذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه، وإن لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه إلا الأوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة: من القراءة والأذكار والصلوات، ويحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور فإن الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الأوراد الظاهرة، ثم إذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الأوقات إلا بعضها إذ لا يخلو في جميع أوقاته عن حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وإيذاء من إنسان وطغيان من مخالط، إذ لا يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض أسباب المعيشة فهذا أحد الأنواع الشاغلة.

وأما النوع الثاني: فهو ضروري أشد ضرورة من الأول وهو اشتغاله بالمطعم

والمال والجاه والرفقاء والأصدقاء) والأقارب والمعارف، **(ثم الاعتزال)** عنهم **(إلى زاوية)** من زوايا البلد **(بعد إحراز قدر يسير من القوت)** يقيم به صلبه **(وبعد القناعة به)** واتخاذ رفيق صالح يعينه على أحواله، **(ثم ترك ذلك كله لا يكفي ما لم تصر الهموم هماً واحداً وهو الله تعالى)** فلا يكون له همّ إلا هو ولا شغل إلا به، **(ثم إذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير بالباطن في ملكوت السموات والأرض وعجائب صنع الله تعالى فيها، وسائر أبواب معرفة الله تعالى حتى إذا استولى ذلك على قلبه)** وغلب **(دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووسواسه)** وما يغمر قلبه من همزاته، **(وإن لم يكن له سير بالباطن فلا ينجيه إلا الأوراد المتواصلة المرتبة في كل لحظة)** أو في كل وقت مخصوص **(من القراءة والأذكار والصلوات، ويحتاج مع ذلك إلى تكليف القلب الحضور)** إذ القراءة والأذكار من غير حضور القلب لا تجدي نفعاً، **(فإن الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الأوراد الظاهرة)**الجارية على اللسان في منزلة حديث النفس، **(ثم إذا فعل ذلك كله لم يسلم من الأوقات إلا بعضها)** أي بالشرط المذكور، **(إذ لا يخلو في جميع أوقاته من حوادث تتجدد فتشغله عن الفكر والذكر من مرض وخوف وايذاء من اناس وطغيان من مخالط إذ لا يستغني عن مخالطة من يعينه في بعض أسباب المعيشة)** بحسب الضرورة الطارئة. **(فهذا أحد الأنواع الشاغلة)** عن الذكر والفكر.

(وأما النوع الثاني: فهو ضروري أشد ضرورة من الأول وهو إشتغاله بالمطعم والملبس

والملبس وأسباب المعاش، فإن تهيئة ذلك أيضاً تحوج إلى شغل إن تولاه بنفسه، وإن تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب ممن يتولاه. ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الأوقات وإن لم تهجم به ملمة أو واقعة، وفي تلك الأوقات يصفو القلب ويتيسر له الفكر، وينكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والأرض ما لا يقدر على عشر عشيره في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق. والانتهاء إلى هذا هو أقصى المقامات التي يمكن أن تنال بالاكتساب والجهد فأما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يراد من لطف الله تعالى في الأحوال والأعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق. فقد يقل الجهد ويجل الصيد وقد يطول الجهد ويقل الحظ. والمعوّل وراء هذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فإنها توازي أعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد نعم اختيار العبد في أن يتعرض لتلك الجذبة بأن يقطع عن قلبه جواذب الدنيا، فإن المجذوب إلى أسفل سافلين لا ينجذب إلى أعلى عليين. وكل مهموم بالدنيا فهو

وأسباب المعاش، فإن تهيئة ذلك أيضاً يحوج إلى شغل إن تولاه بنفسه) يشغله عم هو بصدده، **(وإن تولاه غيره فلا يخلو عن شغل قلب بمن يتولاه)** في بعض الأحوال والأحيان ضرورة، **(ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الأوقات إن لم تهجم به ملمة وواقعة)** من ملمات الدهر ووقائعه، **(وفي تلك الأوقات يصفو القلب)** عن الكدر **(ويتيسر الفكر)** فيتوجه على قلبه بفكره وهو ذاكر ويراقب عليه، **(وينكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والأرض ما لا يقدر على عشر عشيره في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق)** وذلك الإنكشاف لا حدّ له فيقف عليه **(والإنتهاء إلى هذا)** المقام **(هو أقصى المقامات التي يمكن أن تنال بالإكتساب والجهد)** بقدر الطاقة البشرية **(فأما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يراد من لطف الله في الأعمال والأحوال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق)** المقسوم، **(فقد يقل الجهد ويجل الصيد)** أي يعظم ﴿وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ [الحديد: ٢١] **(وقد يطول الجهد ويقل الحظ)** فلا ينال مقدار جهده، **(والمعوّل وراء هذا الإجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فإنها توازي أعمال الثقلين)**، وعلى هذا بناء سلوك الشيخ أبي علي الفارمدي قدس سره وهو شيخ المصنف، فالجذب عنده مقدم على السلوك، وإليه ذهب بعض الشيوخ في الطريقة العلية النقشبندية، ومن يتيسر له هذا الحال أولاً يأمرونه بمراقبة الجلالة ثم بذكر النفي والإثبات، وذهب بعضهم إلى أن السلوك مقدم على الجذب وأن الجذب نتيجة السلوك، فمن قال بذلك يأمر المريد أولاً بذكر النفي والإثبات ثم بمراقبة الجلالة، **(وليس ذلك باختيار العبد)** أي حصول الجذبة الإلهية لكونه من واردات الحق. **(نعم اختيار العبد في أن يتعرض لتلك الجذبة بأن يقطع عن قلبه جواذب الدنيا)** فيتخلى عنها فيكون حرياً بورود الجذبة الإلهية إليه، **(فإن المجذوب إلى أسفل السافلين لا ينجذب إلى**

منجذب إليها ، فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله ﷺ : « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها » وذلك لأن تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية إذ قال الله تعالى : ﴿وفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات : ٢٢] وهذا من أعلى أنواع الرزق . والأمور السماوية غائبة عنا فلا ندري متى ييسر الله تعالى أسباب الرزق . فما علينا إلا تفريغ المحل والإنتظار لنزول الرحمة وبلوغ الكتاب أجله كالذي يصلح الأرض وينقيها من الحشيش ويبث البذر فيها ، وكل ذلك لا ينفعه إلا بمطر . ولا يدري متى يقدر الله أسباب المطر إلا أنه يثق بفضل الله تعالى ورحمته أنه لا يخلي سنة عن مطر ، فكذلك قلما تخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات . فينبغي أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الإرادة والإخلاص وعرّضه لمهاب رياح الرحمة وكما يقوى انتظار الأمطار في أوقات الربيع وعند ظهور الغيم

أعلى عليين وكل منهوم على الدنيا) حريص على تحصيلها **(فهو منجذب إليها)** لا يلوي على غيرها **(فقطع العلائق الجاذبة هو المراد بقوله ﷺ : « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها »)** رواه الطبراني في الكبير ، وابن النجار من حديث محمد بن سلمة بلفظ : « فتعرضوا له لعله أن تصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعده أبداً » وقد تقدم في الجمعة . والمراد بالنفحات هنا التجليات المقربات والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الأكدار والأخلاق الذميمة والطلب منه في كل وقت فإنه لا يدري في أي وقت يكون فتح خزائن المنى ، **(وذلك لأن تلك النفحات والجذبات لها أسباب سماوية إذ قال تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾)** والرزق رزقان: ظاهر وهي الأقوات والأطعمة وذلك الظواهر وهي الأبدان، وباطن وهي المعارف والمكاشفات وذلك القلوب والأسرار . **(وهذا من أعلى أنواع الرزق)** وأشرفها فإن ثمرته حياة الأبد . وثمرة الرزق الظاهر قوة الجسد إلى مدة قريبة الأمد ، والله تعالى هو المتولي بخلق الرزقين والمتفضل بالإيصال إلى كلا الفريقين، **(والأمور السماوية غائبة عنا فلا ندري متى ييسر الله تعالى أسباب الرزق)** المعنوي ، **(فما علينا إلا تفريغ المحل)** عن المشغلات **(والإنتظار لنزول الرحمة)** فيه **(وبلوغ الكتاب أجله)** أي منتهاه الذي قدر له ، **(كالذي يصلح الأرض وينقيها من الحشيش ويبث فيها البذر وكل ذلك لا ينفعه)** وفي نسخة لا ينفعها **(إلا بمطر ، ولا يدري متى يقدر الله أسباب المطر إلا أنه يثق بفضل الله تعالى ورحمته أن لا يخلي سنة عن مطر)** كما جرت به سنته ، **(فكذلك قلما يخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات)** الإلهية **(ونفحة من النفحات)** الرحمانية ، **(فينبغي أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيها بذر الإرادة والإخلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة، وكما يقوى انتظار الأمطار في أوقات الربيع وعند ظهور الغيث فيقوى**

فيقوى انتظار تلك النفحات في الأوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان، فإن الهمم والأنفاس أسباب بحكم تقدير الله تعالى لاستدرار رحمته حتى تستدرّ بها الأمطار في أوقات الاستسقاء وهي لاستدرار أمطار المكاشفات ولطائف المعارف من خزائن الملكوت أشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من أقطار الجبال والبحار، بل الأحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك، وإنما أنت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجاباً بينك وبينها، فلا تحتاج إلا إلى أن تنكسر الشهوة ويرفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف من باطن القلب. وإظهار ماء الأرض بحفر القنى أسهل وأقرب من استنزال الماء إليها من مكان بعيد منخفض عنها. ولكونه حاضراً في القلب ومنسياً بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الإيمان تذكراً فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقال تعالى: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُـو الأَلْبَـابِ﴾ [ص: ٢٩]، وقـال تعـالى: ﴿وَلَقَد يَسَّرْنا القُرْآنَ للذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧ - ٢٢ - ٣٢ - ٤٠]، فهذا

انتظار تلك النفحات في الأوقات الشريفة وعند اجتماع الهمم، وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان) فإن هذه أيام شريفة وأوقات منيفة تجتمع فيها الهموم وتتوجه القلوب بحضورها إلى الله تعالى، فانتظار النفحات الإلهية يكون قوياً **(فإن الهمم والأنفاس أسباب بحكم تقدير الله لاستدرار)** أخلاق **(رحمته)** وفيوضاته **(حتى)** أنه **(تستدر بها)** أي بالهمم والأنفاس **(الأمطار في أوقات الإستسقاء)** عند حصول الجدب **(وهي لاستدرار أمطار المكاشفات)** الإلهية **(ولطائف المعارف)** السبحانية **(من خزائن الملكوت)** الغيبة **(أشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء)** عن السماء **(واستجرار الغيوم من أقطار البحار والجبال، بل الأحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك، وإنما أنت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك فصار ذلك حجاباً بينك وبينها فلا تحتاج)** إلى شيء من خارج **(إلا إلى أن تنكسر الشهوة)** والشبق **(ويرفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف)** المتنوعة **(من باطن القلب)** مما يلي عالم الملكوت **(وإظهار ماء الأرض بحفر القنى أسهل وأقرب من استنزال الماء إليها من مكان بعيد منخفض عنها)** وأولى بوصف الدوام والثبات لحصول الإمدادات التي لا تنقطع إذ المستنزل من المكان الآخر قد ينقطع ولا يثبت، **(ولكونه حاضراً في القلب ومنسياً بالشغل عنه سمى الله تعالى جميع معارف الإيمان)** ذكراً **(وتذكراً)** وتذكرة وذكرى، **(فقال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾)** والمراد به القرآن لكونه يذكر باللسان وبالقلب. **(وقال تعالى: ﴿وليتذكر أولو الألباب﴾)** أي ليتعظوا. **(وقال تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾)** ولا يكون الذكر إلا

هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل وهو آخر درجات الصبر وإنما الصبر عن العلائق كلها مقدّم على الصبر عن الخواطر.

قال الجنيد رحمه الله: السير من الدنيا إلى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في حب الحق شديد، والسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله أشد فذكر شدّة الصبر عن شواغل القلب ثم شدّة هجران الخلق.

وأشد العلائق على النفس علاقة الخلق وحب الجاه، فإنّ لذة الرياسة والغلبة

بعد النسيان. وقال تعالى: ﴿إن في ذلك تذكرة﴾[1] [المزمل: ١٩] وقال تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى﴾ [ق: ٣٧] **(فهذا هو علاج الصبر عن الوساوس والشواغل)** الجاذبة من طريق الحق **(وهو آخر درجات الصبر)** وأشدها على السالكين وفيها تزل أقدام الأقوياء فضلاً عن الضعفاء، **(وإنما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الخواطر)** فإذا فرغ منها استقبله هذا الباب العظيم الهائل فإن وجد شيخاً كاملاً فليعتصم به ولا يفارقه وهو بعد هذا المنزل إما هالك أو مالك لأنه يرى الخواطر تأتيه كأمواج البحر تبهر أبصار القلوب رؤيتها فكيف التوسط في لججها ؟.

ومن أجل هذه **(قال الجنيد)** قدس سره: **(المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل)** هين **(على المؤمن وهجران الخلق في حب الحق شديد، والمسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله أشد)** هكذا رواه القشيري في الرسالة سماعاً عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: سمعت الحسين بن يحيي يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت الجنيد يقول فذكره، والمعنى أن المسير من الدنيا سهل وإن كان فيه صعوبة ما من حيث فراق محبوبه، وذلك لكمال الجزاء وهجران الخلق في طاعة الله شديد لمخالفته هوى النفس من حظوظها والمسير من النفس بعدم الإلتفات لهواها إلى الله تعالى بالعمل المحض أمره شديد للمخالفة المذكورة والصبر مع الله حتى لا يرجع الصابر إلى الإلتفات لهواها أشد مما ذكر، **(فذكر شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق)** فانظر فما أغزر علمه فإنه ليس في الطريق عائق رابع. إما العائق الأول للدنيا، والعائق الثاني إقبال الخلق على المريد، والعائق الثالث حوم الشياطين بين القلب وبين الملكوت وليس له علاج إلا الإعتماد على الله، ثم الإعتصام بالشيخ المفيد، ثم الإقبال على معاني الذكر بكنه الهمة، فمن كان لله كان الله له ثم تخفيفه العلائق ما استطاع فإنه لا مطمع في الورع قبل القناعة، ولا في الزهد قبل الورع، ولا في فراغ القلب قبل الزهد، ولا في الفكر قبل المعرفة، ولا في المعرفة قبل الفكر، ولا في المحبة قبل المعرفة.

(وأشد العلائق على النفس علقة الخلق وحب الجاه فإن لذة الرئاسة والغلبة والإستعلاء

---

(١) وتصوير الآية: « إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً ».

والاستعلاء والاستتباع أغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء، وكيف لا تكون أغلب اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهي الربوبية؟ والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لأمور الربوبية، وعنه العبارة بقوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٥٨] وليس القلب مذموماً على حبه ذلك وإنما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الأمر إذ حسده على كونه من عالم الأمر فأضله وأغواه، وكيف يكون مذموماً عليه وهو يطلب سعادة الآخرة؟ فليس يطلب إلا بقاء لا فناء فيه. وعزاً لا ذل فيه وأمناً لا خوف فيه وغنًى لا فقر فيه وكمالاً لا نقصان فيه؟ وهذه كلها من أوصاف الربوبية وليس مذموماً على طلب ذلك بل حق كل عبد أن يطلب ملكاً عظيماً لا آخر له. وطالب الملك طالب للعلو والعز والكمال لا محالة. ولكن الملك ملكان: ملك مشوب بأنواع الآلام وملحوق بسرعة الانصرام ولكنه عاجل وهو في الدنيا وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل. وقد خلق الإنسان عجولاً راغباً في العاجلة فجاء الشيطان وتوسل إليه بواسطة العجلة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة، وتوسل إليه بواسطة

والإستتباع أغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا يكون أعلى اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهي الربوبية، والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لأمور الربوبية وعنه العبارة بقوله تعالى: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ وليس القلب مذموماً على حبه ذلك، وإنما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد) من رحمة الله تعالى **(عن عالم الأمر إذ حسده على كونه من عالم الأمر فأضله وأغواه)** عن طريق الرشد، **(وكيف يكون مذموماً عليه وهو يطلب سعادة الآخرة)** وهو أعلى النعم الموهوبة وأشرفها؟ **(ومن يطلب سعادة الآخرة ليس يطلب إلا بقاء لا فناء فيه. وعزاً لا ذل فيه وأمناً لا خوف فيه وغنى لا فقر فيه وكمالاً لا نقصان فيه)**، أو قدرة لا عجز فيها، وعلماً لا جهل فيه، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة﴾ الآية [هود: ١٠٨] ولا يمكن الوصول لذلك إلا باكتساب الفضائل النفيسة واستعمالها. **(وهذه كلها من أوصاف الربوبية وليس مذموماً على طلب ذلك، بل حق كل عبد أن يطلب ملكاً عظيماً لا آخر له، وطالب الملك طالب للعز والعلو والكمال لا محالة، ولكن الملك ملكان: ملك مشوب بأنواع الآلام)** والأكدار **(وملحوق بسرعة الإنصرام)** أي الإنقطاع **(ولكنه عاجل وهو في الدنيا، وملك مخلد دائم لا يشوبه كدر ولا ألم)** أي لا يخالطه **(ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل)** أي متأخر **(وقد خلق الإنسان عجولاً راغباً العاجلة)** كما في نص القرآن، **(فجاء الشيطان وتوصل إليه بواسطة العجلة التي في طبعه**

الحمق فوعده بالغرور في الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال ﷺ: « والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر إمكانه. ولم يتدل الموفق بحبل غروره إذ علم مداخل مكره فأعرض عن العاجلة فعبر عن المخذولين بقوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ ويَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾ [الإنسان: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿فاعْرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يَرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠] ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق أرسل الله الملائكة إلى الرسل وأوحوا إليهم ما تم على الخلق من إهلاك العدو وإغوائه، فاشتغلوا بدعوة الخلق إلى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا أصل له إن سلم ولا دوام له أصلاً فنادوا فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا في سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إلى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بالحياةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا في الآخِرَةِ إلاَّ قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]

فاستغواه بالعاجلة وزين له الحاضرة وتوسل إليه بواسطة الحمق) وهو فساد جوهر العقل، **(فوعده بالغرور في الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال ﷺ: « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق)** وفي رواية والفاجر **(من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله)** الأماني ». رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وقد تقدم. **(فانخدع المخذول بغروره واشتغل بطلب عز الدنيا وملكها على قدر إمكانه ولم يتدل الموفق بحبل غروره)** ولم ينخدع **(إذ علم مداخل مكره)** ومطاوي خدعه **(فأعرض عن العاجلة فعبر عن المخذولين، وقيل)** وفي نسخة فعبر تعالى عن المخذولين وقال: **(﴿كلا بل يحبون العاجلة ويذرون الآخرة﴾)** أي يدعونها **(وقال تعالى: ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً)** وقال تعالى: **﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلاّ الحياة الدنيا * ذلك مبلغهم من العلم﴾)** في آيات كثيرة تشير إلى أحوال المخذولين ممن آثر الدنيا على الآخرة. **(ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق)** وانتشر خدعه إياهم **(أرسل الله الملائكة إلى الرسل)** عليهم السلام **(وأوحى)** وفي نسخة فأوحوا **(إليهم ما تم على الخلق من إهلاك العدو وإغوائه)** وإضلاله **(فاشتغلوا بدعوة الخلق إلى الملك الحقيقي عن الملك المجازي الذي لا أصل له إن سلم)** من الكدورات **(ولا دوام له أصلاً فنادوا فيهم)** بما حكى الله تعالى عنهم في كتابه العزيز: **(﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله)** أي في جهاد أعداء الله **(أثـاقلتم إلى الأرض)** فامتنعتم من الخروج **(أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾ فالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن**

فالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان وصحف موسى وإبراهيم وكل كتاب منزل ما أنزل إلا لدعوة الخلق إلى الملك الدائم المخلد ، والمراد منهم أن يكونوا ملوكاً في الدنيا ملوكاً في الآخرة أما ملك الدنيا ؛ فالزهد فيها والقناعة باليسير منها . وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لا فناء فيه وعزاً لا ذلّ فيه وقرة عين أخفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس . والشيطان يدعوهم إلى ملك الدنيا لعلمه بأن ملك الآخرة يفوت إذ الدنيا والآخر ضرّتان ، ولعلمه بأن الدنيا لا تسلم له أيضاً ولو كانت تسلم له لكان يحسده أيضاً ، ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات وكذا سائر أسباب الجاه . ثم مهما تسلم وتتم الأسباب ينقضي العمر ﴿حتَّى إذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُها أنَّهُم قَادِرُونَ عَلَيْهَا أتَاهَا أمْرُنَا لَيْلاً أوْ نَهاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصيداً كأن لَمْ تَغْنَ بالأَمْس﴾

وصحف موسى) عليه السلام **(وكل كتاب منزل ما أنزل إلا لدعوة الخلق إلى الملك الدائم المخلد)** روى عبد بن حميد ، وابن مردويه ، وأبو نعيم ، وابن عساكر من حديث أبي ذر قال : قلت يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب؟ قال : « مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث خمسين صحيفة ، وعلى إدريس ثلاثين ، وعلى إبراهيم عشر صحائف ،وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف ، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان » قلت : يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال : « أمثال كلها » قلت : فما كانت صحف موسى؟ قال : « كانت عبراً كلها » قلت ، فهل أنزل الله عليك شيئاً مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال : « نعم : ﴿قد أفلح من تزكى★ وذكر اسم ربه فصلى★ بل تؤثرون الحياة الدنيا★ والآخرة خيرٌ وأبقى★ إن هذا لفي الصحف الأولى★ صحف إبراهيم وموسى﴾ » [الأعلى : ١٤ - ١٩] **(والمراد منهم أن يكونوا ملوكاً في الدنيا ملوكاً في الآخرة أما ملك الدنيا ، فبالزهد فيها والقناعة باليسير منها)** بقدر ما يبلغه إلى الآخرة **(وأما ملك الآخرة : فبالقرب من الله تعالى يدرك بقاء لا فناء فيه وعزاً لا ذل فيه وقرة عين أخفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس)** يشير إلى قوله تعالى : ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾ [السجدة : ١٧] **(والشيطان قد يدعوهم إلى ملك الدنيا لعلمه بأن ملك الآخرة يفوت به إذ الدنيا والآخرة ضرتان)** أي بمنزلتها إن أرضيت إحداهما سخطت الأخرى ، وهكذا مثلهما علي رضي الله عنه ، وتقدم في كتاب العلم ، **(ولعلمه بأن الدنيا لا تسلم له أيضاً)** لأنه يفارقها عن قرب ، **(ولو كانت تسلم لكان يحسده أيضاً ، ولكن ملك الدنيا لا يخلو عن المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبيرات ، وكذلك سائر أسباب الجاه)** والرئاسات ، **(ثم مهما تسلم وتتم الأسباب)** لما يوافق راحته وهواه **(ينقضي العمر)** وينتهي **(﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً)** أي محصوداً منكسراً

[يونس: ٢٤] فضرب الله تعالى لها مثلاً فقال تعالى: ﴿واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحيَاةِ الدُّنْيَا كماءٍ أنزَلْنَاهُ مِنَ السَّماءِ فاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأرْضِ فأصْبَحَ هَشِيماً تذْرُوه الرِّيَاح﴾ [الكهف: ٤٥] والزهد في الدنيا لما أن كان ملكاً حاضراً حسده الشيطان عليه فصده عنه.

ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين وإشارة الإيمان، وهذا ملك بالإستحقاق إذ به يصير صاحبه حراً وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبداً لفرجه وبطنه وسائر أغراضه، فيكون مسخراً مثل البهيمة مملوكاً يستجره زمام الشهوة آخذاً بمختنقه إلى حيث يريد ويهوى. فما أعظم اغترار الإنسان إذ ظن أنه ينال الملك بأن يصير مملوكاً. وينال الربوبية بأن يصير عبداً. ومثل هذا هل يكون إلا معكوساً في الدنيا منكوساً في الآخرة؟ ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد: هل من حاجة؟ قال: كيف أطلب منك حاجة وملكي أعظم من ملكك؟ فقال كيف؟ قال: من أنت عبده فهو عبد لي! فقال كيف ذلك؟ قال: أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك، وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيد لي، فهذا إذا هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق إلى الملك في

(كان لم تغن بالأمس﴾ فضرب الله تعالى لها مثلاً فقال: ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فاصبح هشيماً) أي يابساً متكسراً **(تذروه الرياح)** وكان الله على كل شيء مقتدراً﴾ **(والزهد في الدنيا لما أن كان ملكاً حاضراً حسده الشيطان عليه فصدّه عنه)** أي منعه.

(ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث الدين ولإشارة الإيمان) فلا يخالفان مقتضاهما، **(وهذا ملك بالإستحقاق إذ به يصير صاحبه حراً)** كاملاً **(وباستيلاء الشهوة عليه يصير عبداً لفرجه وبطنه وسائر أغراضه)** ومهماته، **(فيكون مسخراً مثل البهيمة مملوكاً يستجره زمام الشهوة آخذاً بمختنقه)** أي حلقومه **(إلى حيث يريد ويهوى، فما أعظم اغترار الإنسان إذ ظن أنه ينال الملك بأن يصير مملوكاً! وينال الربوبية بأن يصير عبداً. ومثل هذا هل يكون إلا معكوساً في الدنيا منكوساً في الآخرة)** مكباً على وجهه، **(ولهذا قال بعض الملوك لبعض الزهاد: هل من حاجة)** لك إلينا؟ **(قال: كيف أطلب منك حاجة وملكي أعظم من ملكك؟ قال)**: كيف ذلك؟ **(قال: من أنت عبده فهو عبدي. فقال: كيف ذلك؟ قال: أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيدي، فهذا إذاً هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق إلى**

الآخرة. فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعاً، والذين وفقوا للاشتداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا والآخرة جميعاً.

فإذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الغلط في ذلك وكيفية تعمية الشيطان وتلبيسه يسهل عليك النزوع عن الملك والجاه والإعراض عنه والصبر عند فواته! إذ تصير بتركه ملكاً في الحال وترجو به ملكاً في الآخرة ومن كوشف بهذه الأمور بعد أن ألف الجاه وأنس به ورسخت فيه بالعادة مباشرة أسبابه فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف، بل لا بد وأن يضيف إليه العمل وعمله في ثلاثة أمور:

أحدها: أن يهرب عن موضع الجاه كي لا يشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور المحركة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الأرض إذ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ واسعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

الثاني: أن يكلف نفسه في أعماله أفعالاً تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل وزي

الملك في الآخرة، فالمخدوعون بغرور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعاً والذين وفقوا للإشتداد على الصراط المستقيم) فلم يفرطوا ولم يفرطوا **(فازوا بالدنيا والآخرة جميعاً)**.

(فإذا عرفت الآن معنى الملك والربوبية ومعنى التسخر والعبودية ومدخل الغلط) والإشتباه **(في ذلك وكيف تعمية الشيطان وتلبيسه)** وخدعه ومكره **(فيسهل عليك النزوع من الملك والجاه والإعراض عنها والصبر عند فواته إذ تصير بتركه ملكاً في الحال وترجو به ملكاً في الآخرة، ومن كوشف بهذه الأمور بعد أن ألف الجاه وأنس به ورسخ فيه بالعادة مباشرة أسبابه، فلا يكفيه في العلاج مجرد العلم والكشف، بل لا بد وأن يضيف إليه العمل وعمله في ثلاثة أمور.**

أحدها: **أن يهرب عن موضع الجاه حتى لا يشاهد أسبابه فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة عن مشاهدة الصور)** الحسان **(المحركة للشهوة ومن لم يفعل هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الأرض إذ قال الله تعالى: ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾)**.

(الثاني: أن يكلف نفسه في أعماله أفعالاً تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل) وهو

الحشمة بزي التواضع، وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه، فينبغي أن يبدلها بنقائضها حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد ما رسخ فيه من قبل باعتياد ضده. فلا معنى للمعالجة إلا المضادة.

الثالث: أن يرعى في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبذل، فإن الطبع نفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه إلا بالتدريج، فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض، ثم إذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض، إلى أن يقنع بالبقية. وهكذا يفعل شيئاً فشيئاً إلى أن يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه. وإلى هذا التدريج الإشارة بقوله ﷺ: « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى »

خلاف التصوّن (**وزي الحشمة بزي التواضع، وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن وملبس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه، فينبغي أن يبدلها بما يناقضها**) وفي نسخة بنقائضها (**حتى يترسخ باعتياد ذلك ضد ما قد رسخ فيه من قبل باعتياد ضده. فلا معنى للمعالجة إلا المضادة**).

(**الثالث: أن يرعى في ذلك التلطف والتدريج فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبذل**) وترك التكلف، (**فإن الطبع نفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه إلا بالتدريج فيترك البعض ويسلي نفسه بالبعض، ثم إذا قنعت نفسه بذلك البعض ابتدأ بترك البعض من ذلك البعض إلى أن يقنع بالبقية، وهكذا يفعل شيئاً فشيئاً إلى أن يقمع تلك الصفات التي رسخت فيه، وإلى هذا التدريج الإشارة بقوله ﷺ: « إن هذا الدين متين**) أي صلب شديد (**فأوغل فيه برفق**) أي سر فيه من غير تحمل ما لا تطيق والإيغال: السير الشديد والوغول: الدخول في الشيء (**ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله تعالى فإن المنبت**) وهو من انقطع به في السفر وعطبت راحلته (**لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى »**) أي فلا هو قطع الأرض التي قصدها ولا هو أبقى ظهره ينتفع به. رواه أحمد والبزار والبيهقي والعسكري في الأمثال من حديث جابر وضعف، وقد روي مختصراً من حديث أنس: « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » رواه هكذا أحمد والضياء ويروى: « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله إلى عباده فإن المنبت لا يقطع سفراً ولا يستبقي ظهراً » رواه البيهقي من حديث عائشة. ويروى أيضاً مثل سياق المصنف إلا أنه قال بعد قوله برفق: « ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك فإن المنبت لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقى فاعمل عمل امرىء يظن أن لن يموت أبداً واحذر حذر من يخشى أن يموت غداً ». وفي لفظ: « يظن أنه لن يموت إلا هرماً » رواه البيهقي والعسكري من حديث ابن عمر. وقال البيهقي: روي هذا الحديث من طرق موصولاً ومرسلاً ومرفوعاً وموقوفاً، وفيه اضطراب. ورجح البخاري في التاريخ أرساله وقد تقدم في كتاب ترتيب الأوراد. (**وبقوله**

وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: « لاتشادّوا هذا الدين فإن من يشادّه يغلبه ».

فإذاً ما ذكرناه من علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضفه إلى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات، فاتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الأقسام التي فصلناها من قبل، فإن تفصيل الآحاد يطول. ومن راعى التدريج ترقى به الصبر إلى حال يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه، فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوباً عنده ممقوتاً وما كان مكروهاً عنده مشرباً هنيئاً لا يصبر عنه. وهذا لا يعرف إلا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات، فإن الصبي يحمل على التعلم في الابتداء قهراً. فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم، حتى إذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الأمر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب. وإلى هذا يشير ما حكي عن بعض العارفين أنه سأل الشبلي عن الصبر أيه أشد؟ فقال: الصبر في الله تعالى، فقال: لا، فقال الصبر لله، فقال: لا، فقال: الصبر مع الله، فقال: لا، قال: فايش؟ قال: الصبر عن الله، فصرخ الشبلي

ﷺ: « **لا تشادوا هذا الدين فإن من يشاده يغلبه** ») رواه البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ: « لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا » وقد تقدم أيضاً في كتاب ترتيب الأوراد.

(**فإذاً ما ذكرناه في علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضفه إلى ما ذكرناه من قوانين طرق المجاهدة في كتاب رياضة النفس من ربع المهلكات، واتخذه دستورك لتعرف به علاج الصبر في جميع الأقسام التي فصلناها من قبل، فإن تفصيل الآحاد يطول. ومن راعى التدريج**) والتلطف (**يرقى به الصبر إلى حالة لا يشق عليه الصبر دونه كما كان يشق عليه الصبر معه فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوباً عنده ممقوتاً، وما كان مكروهاً عنده مشرباً هنيئاً لا يصبر عنه، وهذا لا يعرف إلا بالتجربة والذوق**) الصحيح (**وله نظير في العادات، فإن الصبي يحمل على التعلم في الإبتداء قهراً**) عليه (**فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم، حتى إذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الأمر فصار يشق عليه الصبر عن العلم والصبر على اللعب، وإلى هذا يشير ما حكي عن بعض العارفين أنه سال**) أبا بكر (**الشبلي**) قدس سره (**في الصبر أيه أشد؟ فقال: الصبر في الله**) وهو الصبر على تغيير الأخلاق المذمومة والإتصاف بالمحمودة والإشتغال بأنواع الطاعات. (**فقال: لا. قال: الصبر لله**) تعالى وهو الصبر على ما يرد على القلب من الله تعالى وهو متأدب معه في حمل ما يرد منه راض بذلك. (**قال لا. قال: الصبر مع الله**) وهو الصبر على ذلك مع التبرىء من الحول والقوة. (**قال: لا. قال: فايش**) أي أي شيء هو؟ (**قال الصبر**

صرخة كادت روحه تتلف. وقد قيل في معنى قوله تعالى: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠] اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله، وقيل: الصبر لله غناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء. وقد قيل في معناه:

والصبر عنك مذموم عواقبه ... والصبر في سائر الأشياء محمودُ

وقيل أيضاً:

عن الله) وهو أن يبعد الله العبد عنه بعد تقريبه إليه فيلازم الباب ويتمرغ في التراب، **(فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه)** أن **(تتلف)** لأن قلبه لم يحمل البعد ولا سماع ذكره، فهذا الصبر مذموم. وهذا قد أورده القشيري في الرسالة سماعاً عن محمد بن الحسين قال: سمعت علي بن عبدالله البصري يقول: وقف رجل على الشبلي فقال: أي صبر أشد على الصابرين فذكره. وقال بعضهم: الصبر لله ما كان في أول العبادات، والصبر مع الله ما كان في أثنائها، والصبر بالله ما كان بعد الفراغ منها. **(وقد قيل في معنى قوله تعالى: ﴿اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ أي اصبروا في الله)** تعالى أي في طاعته، **(وصابروا بالله)** تعالى أي بعونه، **(ورابطوا مع الله)** تعالى أي بالأدب معه ودوام تعظيمه نقله القشيري. وقيل: الصبر دون المصابرة، والمصابرة دون المرابطة. وقيل: اصبروا بنفوسكم على طاعة الله وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله. وقيل: حالك التي أنت فيها رباطك وما دون الله تعالى اعداؤك، فاحسن المرابطة في رباط حالك. وقيل: المصابرة هي الصبر على الصبر حتى يستغرق الصبر في الصبر فيعجز الصبر عن الصبر كما قيل:

صابر الصبر فاستغاث به الصـ ... ـبر فصاح المحب بالصبر صبرا

كل ذلك نقله القشيري.

(وقيل: الصبر لله عناء) أي مشقة وكلفة، **(والصبر بالله بقاء)** أي عون منه، **(والصبر مع الله وفاء)** لما امتحن به، **(والصبر عن الله جفاء)** أي بعد وإعراض عنه نقله القشيري، وزاد بعد قوله بقاء، والصبر في الله بلاء أي اختبار وامتحان بما ينزل من القضاء **(وقد قيل في ذلك)** شعر:

(والصبر عنك فمذموم عواقبه ... والصبر في سائر الأشياء محمود)

نقله القشيري وأورد أيضاً:

وكيف الصبر عمن حل مني ... بمنزلة اليمين من الشمالِ
إذا لعب الرجال بكل شيء ... رأيت الحب يلعب بالرجالِ

الصبر يجمل في المواطن كلها … إلا عليك فإنه لا يجمل

هذا آخر ما أردنا شرحه من علوم الصبر وأسراره.

(وقيل أيضاً) :

(والصبر يحمد في المواطن كلها … إلا عليك فإنه لا يحمد)

أورده القشيري بعد قوله: وقال يحي بن معاذ الرازي: صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين واعجبا كيف يصبرون وأنشد فذكره.

وقال الشيخ عبدالله الأنصاري: ومن أضعف الصبر الصبر لله وهو صبر العامة، وفوقه الصبر بالله وهو صبر المريدين وفوقه الصبر على أحكام الله وهو صبر السالكين ومعنى كلامه: إن صبر العامة لله أي رجاء ثوابه وخوف عقابه، وصبر المريدين بالله أي بقوة الله ومعونته بهم لا يرون لأنفسهم صبراً ولا قوة عليه بل حالهم التحقق بلا حول ولا قوة إلا بالله علماً ومعرفة وحالا وفوقها الصبر على الله أي على أحكامه هذا تقرير كلامه.

قال صاحب البصائر. والصواب أن الصبر لله فوق الصبر بالله وأعلى درجة وأجل شأناً، فإن الصبر لله متعلق بالإلهية، والصبر به متعلق بربوبيته وما تعلق بالإلهية أكمل وأعلى مما تعلق بربوبيته، ولأن الصبر له عبادة والصبر به استعانة والإستعانة وسيلة والعبادة غاية والغاية مرادة لنفسها والوسيلة مرادة لغيرها، ولأن الصبر به مشترك بين المؤمن والكافر والبر والفاجر، فكل من شهد الحقيقة الكونية صبر به، وأما الصبر به فمنزلة الأنبياء والرسل والصديقين ولأن الصبر له صبر فيما هو حق له محبوب مرضي لديه، والصبر قد يكون في ذلك وقد يكون فيما هو مسخوط له وقد يكون في مكروه أو مباح، فأين هذا من هذا، وأما تسمية الصبر على أحكامه صبراً عليه فلا مشاحة في العبارة بعد معرفة المعنى والله أعلم.

(هذا آخر ما أردنا شرحه في علوم الصبر وإسراره) وقد بقي في الباب بعض مهمات لم يشر إليها المصنف مما هو في كتب الشيوخ. قال القشيري في الرسالة، قال أبو القاسم الحكيم: قوله تعالى: ﴿واصبر﴾ أمر بالعبادة وقوله: ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ [النحل: ١٢٧] عبودية فمن ترقى من درجة لك إلى درجة بك، فقد انتقل من درجة العبادة إلى درجة العبودية. قال ﷺ: «بك أحيا وبك أموت». وقال ذو النون المصري: الصبر التباعد عن المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة. وقال ابن عطاء: الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وقيل: هو الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى. وقال أبو عثمان الصبار: الذي عوّد نفسه الهجوم على المكاره. وقيل: الصبر المقام مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية. وقال عمرو بن عثمان: الصبر هو الثبات على أحكام الكتاب والسنّة. وقال رويم: الصبر ترك الشكوى. وقال ذو النون: الصبر هو الإستغاثة بالله. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: أنشدني أبو بكر الرازي قال: انشدني ابن عطاء لنفسه:

سأصبر كي ترضى وأتلف حسرة … وحسبي أن ترضى ويتلفني صبري

وسمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول: الصبر كإسمه. وقال علي رضي الله عنه: الصبر مطية لا تكبو. وقال أبو محمد الحريري: الصبر أن لا تفرق بين حال النعمة والمحبة مع سكون الخاطر فيهما، والصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان اثقال المحنة، وانشد بعضهم:

صبرت ولم اطلع هواك على صبري ... وأخفيت ما بي منك عن موضع الصبرِ
مخافة أن يشكو ضميري صبابتي ... إلى دمعتي سراً فتجري ولا أدري

وقيل: تجرع الصبر فإن قتلك قتلك شهيداً وإن أحياك أحياك عزيزاً. وقيل: الصبر على الطلب عنوان الظفر والصبر في المحن عنوان الفرج. وفي بعض الأخبار: بعيني ما يتحمل المتحملون لأجلي. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت. وكان ابن شبرمة إذا نزل به بلاء قال سحابة ثم تنقشع. وسئل السري عن الصبر فجعل يتكلم فيه فدبّ على رجله عقرب وهي تضربه بابرتها ضربات كثيرة وهو ساكن، فقيل له: لم لم تنحها؟ فقال: استحييت من الله تعالى أن أتكلم في الصبر ولا لي صبر. وفي بعض الأخبار: الفقراء الصُبَّر هم جلساء الله يوم القيامة. وأوحى الله إلى بعض أنبيائه أنزلت بعبدي بلائي فدعاني فماطلته بالإجابة فشكاني فقلت: عبدي كيف أرحمك من شيء به أرحمك. وسمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول: إن الصبر حدّه أن لا تعترض على التقدير فأما إظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر. قال الله تعالى في قصة أيوب عليه السلام: ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أوّاب﴾ [ص: ٤٤] مع ما أخبر عنه أنه قال: ﴿مسّني الضرّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] وسمعته يقول استخرج منه هذه المقالة يعني قوله: مسنى الضر ليكون منفساً لضعفاء هذه الأمة، وسمعته يقول: حقيقة الصبر الخروج عن البلاء على حسب الدخول فيه مثل أيوب عليه السلام قال في آخر بلائه ﴿مسني الضر﴾ الآية. فحفظ أدب الخطاب حيث عرض بقوله ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ ولم يصرح بقوله: ارحمني.

اعلم ان الصبر على ضربين: صبر العابدين وصبر المحبين، فصبر العابدين أحسنه أن يكون محفوظاً، وصبر المحبين أحسنه أن يكون مرفوضاً وفي معناه أنشد:

تبين يوم البين ان اعتزامه ... على الصبر من إحدى الظنون الكواذب

وفي هذا المعنى سمعت الاستاذ أبا علي يقول: أصبح يعقوب عليه السلام وقد وعد الصبر من نفسه فقال: ﴿فصبر جميل﴾ [يوسف: ٨٣] أي فشأني صبر جميل ثم لم يمس حتى قال ﴿يا أسَفَا على يوسف﴾ [يوسف: ٨٤] إلى هنا كله كلام القشيري.

وقال صاحب العوارف: لكل شيء جوهر وجوهر الانسان العقل، وجوهر العقل الصبر، فالصبر عرك النفس وبالعرك تلين، والصبر جار في الصابر مجرى الأنفاس لأنه يحتاج إلى الصبر عن كل منهي ومكروه ومذموم ظاهراً وباطناً، والعلم يدل والصبر يقبل فلا تنفع دلالة العلم بغير قبول الصبر، ومن كان العلم سياسته في الظاهر والباطن لا يتم له ذلك إلا إذا كان الصبر مستقره

ومسكنه، والعلم والصبر متلازمان كالروح والجسد لا يستقل أحدهما بدون الآخر ومصدرهما الغريزة العقلية وهما متقاربان لاتحاد مصدرهما وبالصبر تحامل على النفس وبالعلم ترقى إلى الروح وهما البرزخ والفرقان بين الروح والجسد ليستقر كل واحد منهما في مستقره، وفي ذلك صريح العدل وصحة الاعتدال، وبانفصال أحدهما عن الآخر - أعني العلم والصبر ميل أحدهما إلى الآخر أعني النفس والروح - وبيان ذلك يدق وناهيك بشرف الصبر قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ [النحل: ١٢٧] أضاف الصبر إلى نفسه لشريف مكانه وتكميل النعمة به، ثم نقل مراجعة الرجل مع الشبلي في أشد الصبر كما تقدم ذكره، ثم قال: وعندي في معنى الصبر عن الله وجه ولكونه من أشد الصبر على الصابرين وجه، وذلك أن الصبر عن الله يكون في أخص معاملة المشاهدة، ثم يرجع العبد عن مولاه استحياء واجلالاً وتنطف بصيرته خجلاً وذوباناً ويتغير في مفاوز استكانته وتخفيه لإحساسه بعظيم أمر التجلي، وهذا من أشد الصبر لأنه يود استدامة هذا الحال تأدية لحق الجلال، والروح تود أن تكتحل بصيرتها بأشعة نور الجمال، وكما أن النفس منازعة لعموم حال الصبر فالروح في هذا الصبر منازعة فاشتد الصبر عن الله تعالى لذلك وقال جعفر الصادق رحمه الله تعالى: أمر الله تعالى أنبياءه بالصبر وجعل الحظ الأعلى للرسول ﷺ حيث جعل صبره بالله لا بنفسه فقال: ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ إلى هنا كلام صاحب العوارف.

وقال صاحب القوت في شرح مقام الصبر، قال بعض الصحابة: ماذا جعل الله من الشفاء والفضل في التقوى والصبر؟ قلت: وهذا تصحيف من صاحب القوت أو من الكاتب نبه على ذلك أبو الحسن نصر بن أحمد الفارسي قال: إنما هو من قول النبي ﷺ ماذا في الامرين من الشفاء الثقاء، والصبر يعني بالثقاء حب الرشاد، والصبر هو المرثم. قال صاحب القوت: وكان سهل يقول: الصبر تصديق الصدق وأفضل منازل الطاعة الصبر عن المعصية ثم الصبر على الطاعة وقال في معنى قوله تعالى ﴿استعينوا بالله واصبروا﴾ [الأعراف: ١٢٨] أي استعينوا بالله على أمر الله واصبروا على أدب الله، وكان يقول الصالحون في المؤمنين قليل والصابرون في الصالحين قليل، فجعل الصبر خاصية الصدق وجعل الصابرين خصوص الصادقين، وكذلك الله سبحانه رفع الصابرين على الصادقين في ترتيب المقامات فجعل الصبر مقاماً في الصدق في قوله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ [الأحزاب: ٣٥] الآية على أن الواو للجمع. والصبر ينقسم إلى عملين: أحدهما: لا صلاح للدين إلا به، والثاني: هو أصل فساد الدين. ثم يتنوّع الصبر فيكون صابراً على الذي فيه صلاح الدين فيكمل به إيمانه، ويكون صابراً عن الذي فيه فساد الدين فيحسن به يقينه. وكان ميمون بن مهران يقول: الإيمان والتصديق والمعرفة والصبر شيء واحد، ثم قال: فمن صبر عن الطمع في الخلق أخرجه الصبر إلى الورع، ومن صبر على الورع في الدين أدخله الصبر في الزهد، ومن طمع في التصديق الكاذب أدخله الطمع في حب الدنيا، ومن استشعر حب الدنيا أخرجه حبها من حقيقة الدين. وقد روينا: يؤتى بأشكر أهل

الأرض فيجزيه جزاء الشاكرين، ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال: أترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر؟ فيقول: نعم يا رب. فيقول الله: كلا أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الأجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين. وجاء في الخبر: إن لأبواب الجنة مصراعين يأتي عليها زحام إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد لا يدخل منه إلا الصابرون أهل البلاء في الدنيا واحد بعد واحد، وللصبر معنيان: أحدهما منوط بالآخر لا يتم كل واحد منهما إلا بصاحبه، فمن كان التقوى مقامه كان الصبر حاله فصار الصبر أفضل الأحوال من حيث كان التقوى أفضل المقامات إذ الأتقى هو الاكرم عند الله، والأكرم عند الله هو الأفضل، وقيل لسفيان الثوري: ما أفضل الأعمال؟ قال: الصبر عند الابتلاء. وقال بعض العلماء: لا يطمئن طامع في مدح الله تعالى وحسن ثنائه عليه قبل أن يبتليه فيصبر له، ولا يطمعن أحد في حقيقة الإيمان وحسن اليقين قبل أن يمدحه الله تعالى ويثني عليه، ولو أظهر الله تعالى على جوارحه سائر الأعمال ثم لم يمدحه بوصف ولم يثن عليه بخير لم يؤمن عليه سوء الخاتمة، وذلك من أخلاق الله تعالى انه إذا أحب عبداً أو رضي عمله مدحه ووصفه، فمن ابتلاه بكراهة ومشقة أو هوى أو شهوة فصبر لذلك أو صبر عن ذلك فإنه تعالى يمدحه ويثني عليه بكرمه وجوده، فيدخل هذا العبد في أسماء الموصوفين ويصير واحداً من الممدوحين، فعندها يثبت قدمه من الزلل ويختم له بما سبق له من صالح العمل، وأفضل الصبر الصبر على الله تعالى بالمجالسة والإصغاء إليه وعكوف الهمم عليه وقوّة الوجد به، وهذا لخصوص المقربين أو حياء منه أو حباً له أو تسليماً له أو تفويضاً إليه وهو السكون تحت جريان الاقدار وشهودها من الانعام ومن حسن تدبير الاقتسام وشهود المشيئة له والحكمة فيها والقصد بالابتلاء بها وهو داخل في قوله تعالى: ﴿ولربك فاصبر﴾ [المدثر: ٧] وفي قوله تعالى: ﴿فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ [الطور: ٤٨] وقال سهل في تأويل قول علي رضي الله عنه: ان الله يحب كل عبد نؤمة. قال: هو الساكن تحت جريان الأحكام عن الكراهة والاعتراض. وقال عمر بن عبد العزيز: أصبحت ومالي سرور إلا في مواضع القدر. ويقال: من علامات اليقين التسليم للقضاء بحسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين، والصبر أيضاً على إظهار الكرامات وهي الأخبار بكشف القدرة والآيات داخل في حسن الأدب من المعاملات، وهذا في معنى الحياء من الله تعالى وهذا طريق المحبين لله تعالى وهو حقيقة الزهد. ومن فضائل الصبر حبس النفس عن حب الحمد والمدح والرئاسة، وقد روينا في خبر مقطوع: الصبر في ثلاث: الصبر عن تزكية النفس، والصبر عن شكوى المصيبة، والصبر على الرضا بقضاء الله تعالى خيره وشره.

واعلم ان أكثر معاصي الخلق في شيئين: قلة الصبر عما يحبون، أو قلة الصبر عما يكرهون، وقد قرن الله الكراهة بالخير والمحبة بالشر في قوله تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾ [البقرة: ٢١٦] وهو الصبر وهو أول فريضة مثل أول الاخلاص، والصبر أيضاً حيلة من لا حيلة له لأن الأمر إذا كان بيد غيرك لم يكن لك إلا

الصبر عليه ولأن الشيء إذا كان لا يأتيك إلا قليلاً قليلاً وأنت تحتاج إليه لم يكن لك إلا الصبر عليه، وإلا انقطع ذلك القليل. وأصل قلة الصبر ضعف اليقين بحسن جزاء من صبرت له لأنه لو قوي يقينه كان الآجل من الوعد عاجلاً إذا كان الواعد صادقاً، فحسن صبره لقوّة الثقة بالاعطاء ولا يصبر العبد إلا لأجل معنيين: مشاهدة العوض وهو أدناهما وهذا حال المؤمنين ومقام أصحاب اليمين، أو النظر إلى المعوّض وهو حال الموقنين ومقام المقربين، فمن شهد العوض غني بالصبر، ومن نظر إلى المعوّض حمله النظر، والتصبر على الصبر هو مجاهدة النفس وحملها على الصبر وترغيبها فيه وهو التعمل للصبر بمنزلة التزهد وهو أن يعمل في أسباب الزهد لتحصيل الزهد والزهد والصبر هو التحقق بالوصف وذلك هو المقام. إلى هنا كلام صاحب القوت.

وقال صاحب البصائر نقلاً عن بعض المشايخ: كان صبر يوسف عليه السلام عن طاعة امرأة العزيز أكمل من صبره على إلقاء اخوته إياه في الجب وبيعهم وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها ليس للعبد حيلة فيها عن الصبر، وأما صبره عن المعصية فصبر اختيار ورضا ومحاربة للنفس، ولاسيا مع أسباب تقوى معها داعية الموافقة فإنه كان شاباً وداعية الشاب إليها قوية، وكان عزباً ليس له ما يعوضه ويرد شهوته، وغريباً والغريب لا يستحي في بلد غربته مما يستحي منه بين أصحابه وأهله، ويحسبونه مملوكاً والمملوك ليس وازعه كوازع الحر والمرأة جميلة وذات منصب وقد غاب الرقيب وهي الداعية له إلى نفسها والحريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك توعدته بالسجن إن لم يفعل، فمع هذه الدواعي كلها صبر اختياراً وإيثاراً لما عند الله. وأين هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسبه، والصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرمات، فإن مصلحة فعل الطاعة أحب إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية.

واعلم أن الشكوى إلى الله عز وجل لا تنافي الصبر، فإن يعقوب عليه السلام وعد بالصبر الجميل والنبي إذا وعد لا يخلف ثم قال: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ [يوسف: ٨٦] وكذلك أيوب عليه السلام أخبر الله عنه انه وجد صابراً مع قوله: ﴿مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ [الأنبياء: ٨٣] وإنما ينافي الصبر شكوى الله لا الشكوى إلى الله، كما رؤي بعضهم يشكو إلى آخر فاقة وضرورة فقال: يا هذا تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ثم أنشد:

وإذا اعترتـك بليـة فـاصبر لها ... صبر الكريم فـإنـه بـك أرحـمُ
وإذا شكـوت إلى ابـن آدم لا كما ... تشكـو الرحيم إلى الذي لا يـرحـمُ

والله أعلم.

الشطر الثاني من الكتاب
في الشكر

وله ثلاثة أركان:

الأول: في فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه وأحكامه.
الثاني: في حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة.
الثالث: في بيان الأفضل من الشكر والصبر.

الركن الأول في نفس الشكر

بيان فضيلة الشكر:

اعلم أن الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه مع أنه قال: ﴿ولَذِكْرُ اللهِ أكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فقال تعالى: ﴿فاذْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ واشْكُرُوا لي وَلاَ تَكْفُرُون﴾

(**الشطر الثاني من الكتاب في الشكر**) وهو المقام الثالث من مقامات اليقين (**وله أركان ثلاثة**):

(**الأول: في فضيلة الشكر وحقيقته وأقسامه وأحكامه.**

الثاني: في حقيقة النعمة وأقسامها الخاصة والعامة.

الثالث: في بيان الأفضل من الشكر والصبر).

الركن الأول في نفس الشكر، وفيه بيان فضيلته وحقيقته وأحكامه وأقسامه.

بيان فضيلة الشكر:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**ان الله تعالى قرن الشكر بالذكر في كتابه**) العزيز وأمر به (**مع أنه**) تعالى عظم الذكر حيث (**قال﴿ولذكر الله أكبر﴾ فقال تعالى ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾**) فصار الشكر أكبر لاقترانه به ورضى بالشكر مجازاة من عباده لفرط كرمه لأن قوله تعالى: ﴿فإذكروني أذكركم واشكروا لي﴾ خرج في لفظ المجازاة لتحقق الامر وتعظيم الشكر، لأن الفاء للشرط والجزاء والكاف المتقدمة للتمثيل فقوله تعالى: ﴿فاذكروني﴾ متصل بقوله: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم فاذكروني واشكروا لي﴾ والمعنى كمثل ما أرسلت فيكم رسولاً منكم فاشكروا وهم يكتفون عن مثل بالكاف كما يكتفون عن سوف بالسين، وهذا تفضيل للشكر عظيم لا يعلمه إلا العلماء بالله تعالى: (**وقال تعالى ﴿ما**

[البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿وسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال عز وجل اخباراً عن إبليس اللعين: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، قيل هو طريق الشكر ولعلوّ رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال: ولا تجد أكثرهم شاكرين، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن، فقال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزيدَنَّكُم﴾ [إبراهيم: ٧]، واستثنى في خمسة أشياء في الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ﴾ [التوبة: ٢٨]، وقال: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تدعُونَ إليهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١]، وقال: ﴿وَيَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، وقال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال: ﴿وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [التوبة: ١٥]، وهو خلق من أخلاق الربوبية إذ قال تعالى: ﴿واللهُ شَكُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧]، وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل

يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾) فقرن الشكر بالإيمان ورفع بوجودهما العذاب. (**وقال تعالى: ﴿وسنجزي الشاكرين﴾**) وقال أيضاً ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ [آل عمران: ١٤٤] (**وقال عز وجل اخبارا عن إبليس اللعين ﴿لاقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ قيل: هو**) طريق (**الشكر**) هذا أحد الوجوه في الآية نقله صاحب القوت وقال: فلولا أن الشكر طريق قريب يوصل إلى الله تعالى لما عمل العدوّ في قطعه، (**ولعلو رتبة الشكر طعن اللعين في الخلق فقال: ولا تجد أكثرهم شاكرين**) فلولا أن الشاكر حبيب رب العالمين ما قال ذلك، (**و**) كذلك (**قال تعالى ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾**) كما قال تعالى: ﴿ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين﴾ [سبأ: ٢٠] وفي الآية تنبيه على أن توفية شكر الله صعب ولذلك لم يثن بالشكر من أوليائه الاعلى اثنين قال في وصف إبراهيم عليه السلام شاكراً لأنعمه. وقال في نوح عليه السلام: ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾(**وقد قطع الله تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن**) فيه (**فقال**) ﴿وإذ تأذن ربكم (**لئن شكرتم لأزيدنكم﴾**) ﴿ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ (**واستثنى في خمسة أشياء في الإغناء والإجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى: ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء﴾ وقال**) تعالى: (**﴿فيكشف ما تدعون إليه ان شاء﴾ وقال**) تعالى (**﴿ويرزق من يشاء﴾ وقال**) تعالى (**﴿ويتوب الله على من يشاء﴾**) وقال أيضاً ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ [التوبة: ٢٧] فالشاكر على مزيد والشكور في نهاية المزيد وهو الذي يكثر شكره على القليل من العطاء ويتكرر منه الشكر والثناء على الشيء الواحد من النعم (**وهو خلق من اخلاق الربوبية إذ قال تعالى: ﴿والله**

الجنة، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾[الزمر: ٧٤]، وقال: ﴿وآخِرَ دَعْوَاهُمْ أن الحمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وأما الأخبار: فقد قال رسول الله ﷺ: « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر »

شكور حليم﴾) لأنه سماه باسم من أسمائه والمزيد هو إلى المنعم يجعله ما شاء، فافضل المزيد حسن اليقين ومشاهد الصفات وأول المزيد شهود النعمة انها من المنعم بها من غير حول ولا قوّة إلا بالله وأوسط المزيد دوام الحال ومتابعة الخدمة والاستعمال وقد يكون المزيد اخلاقاً، وقد يكون علوماً، وقد يكون في الآخرة تثبيتاً عند فراق الدنيا. وقال صاحب البصائر: وإذا وصف الله بالشكر في قوله: ﴿إنه شكور حليم﴾ فإنما يعني به انعامه على عباده وجزاءه بما أقامه من العبادة، **(وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة)** وختام تمنيهم **(فقال تعالى ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾)** نتبوأ من الجنة حيث نشاء **(وقال: ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾)** فلولا أنه أحب الاعمال إليه ما بقاهم عليه لديه، ومما يدل على فضيلة الشكر من الآيات قوله تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾ [سبأ: ١٣] واختلف فيه، فقيل: هو منصوب على التمييز، والمعنى: اعملوا ما تعملونه شكرا لله، وقيل: هو مفعول لقوله اعملوا ولم يقل اشكروا لينبَّه على التزام الأنواع الثلاثة من الشكر بالقلب واللسان وسائر الجوارح، وقال الله تعالى: ﴿واشكروا الله إن كنتم اياه تعبدون﴾ [البقرة: ١٧٢] وقال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم﴾ إلى قوله ﴿لعلكم تشكرون﴾ [النحل: ٧٨] وقال تعالى: ﴿إنّ في ذلك لآية لكل صبار شكور﴾ [إبراهيم: ٥] وقال تعالى: ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ [الزمر: ٧] فجعل رضاه عن عباده مشروطاً بالشكر وهي منقبة عظيمة له.

(وأما الاخبار فقد قال ﷺ: « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر ») قال العراقي: علقه البخاري وأسنده الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة. ورواه ابن ماجه من حديث سنان بن سنة وفي إسناده اختلاف اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة، ولفظ الترمذي حسن غريب، وأما لفظ ابن ماجه من حديث سنان بن سنة الأسلمي وله صحبة « الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر » وقد رواه كذلك أحمد والدارمي والبغوي والطبراني والضياء وسنة ضبطوه بالفتح على الصواب، وقد أشار الحافظ إلى الاختلاف الواقع في سنده في الإصابة فراجعه.

تنبيه:

قال الطيبي قد تقرر في علم المعاني أن التشبيه يستدعي جهة جامعة والشكر نتيجة النعماء، كما أن الصبر نتيجة البلاء فكيف شبه الشاكر بالصابر؟

وجوابه: أنه ورد الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر فقد يتوهم أن ثواب شكر الطاعم يقصر عن ثواب صبر الصائم فأزيل توهمه به يعني هما سيان في الثواب، ولأن الشاكر لما رأى

وروي عن عطاء أنه قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ فبكت وقالت: وأي شأنه لم يكن عجباً؟ أتاني ليلة فدخل معي في فراشي أو قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم قال: « يا ابنة أبي بكر ذريني أتعبد لربي » قلت: قلت إني أحب قربك لكني أوثر هواك فأذنت له، فقام إلى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك يبكي حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة، فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال: « أفلا أكون عبداً شكوراً » ولم لا أفعل ذلك وقد أنزل الله تعالى علي ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

النعمة من الله تعالى وحبس نفسه على محبة المنعم بالقلب وإظهارها باللسان نال درجة الصابر، فالتشبيه واقع في حبس النفس بالمحبة والجهة الجامعة حبس النفس مطلقاً.

(**وروي عن عطاء بن أبي رباح**) فيما أخرجه أبو القاسم القشيري في الرسالة فقال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان الاهوازي، أخبرنا أبو الحسن الصفار، حدثنا الاسقاطي، حدثنا منجاب، حدثنا يعلى عن أبي جناب عن عطاء (**قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها**) مع عبيد بن عمير (**فقلت:**) يا أم المؤمنين (**أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ فبكت وقالت: وأي**) شيء من (**شأنه لم يكن عجباً؟**) أنه (**أتاني ليلة فدخل معي في فراشي أو قالت في لحافي حتى مسّ جلدي جلده ثم قال: « يا ابنة أبي بكر ذريني**) أي اتركيني (**أتعبد لربي » . قالت: قلت إني أحب قربك مني**) ثم وافقته في مطلوبه (**لكني أؤثر هواك فأذنت له**) فيه (**فقام إلى قربة**) من (**ماء**) وكانت معلقة فحلّها (**فتوضأ**) منها (**فلم يكثر صب الماء**) أي توضأ وضوءاً خفيفاً. ولفظ الرسالة فأكثر صب الماء أي على أعضائه فأحسن وضوءه، (**ثم قام يصلي فبكى**) وهو قائم (**حتى سالت دموعه على صدره، ثم ركع فبكى**) وهو راكع، (**ثم رفع رأسه فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه**) بالمد أي أعلمه (**بالصلاة**) أي صلاة الفجر، (**فقلت: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال « أفلا أكون عبداً شكوراً ولم لا أفعل ذلك**) أي أبكي (**وقد أنزل الله عليّ ﴿ إنَّ في خلق السموات والأرض ﴾ الآية »**). قال العراقي: رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق رسول الله ﷺ، ومن طريقه ابن الجوزي وفيه ابن جناب واسمه يحي بن أبي حية ضعفه الجمهور، ورواه ابن حبان في صحيحه وفي رواية عبد الملك بن سليمان عن عطاء دون قولها: وأي شأنه لم يكن عجباً، وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصراً على آخر الحديث اهـ.

قلت: لقد أبعد الشيخ النجعة، وهذا قد أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي الدنيا في التفكر، وابن حبان في صحيحه، وابن عساكر كلهم من طريق عطاء قال:

وَالأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] الآية »؟، وهذا يدل على أنّ البكاء ينبغي أن لا ينقطع أبداً وإلى هذا السر يشير ما روي أنه مر بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه فأنطقه الله تعالى فقال: منذ سمعت قوله تعالى: ﴿وَقُودُها النَّاسُ والحِجَارَة﴾ [البقرة: ٢٤ ـ التحريم: ٦]، فأنا أبكي من خوفه، فسأله أن يجيره من النار فأجاره، ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال: لم تبكي الآن فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور! وقلب العبد كالحجارة أو أشدّ قسوة ولا تزول قسوته إلا بالبكاء

قلت لعائشة أخبريني الحديث وفي آخره ثم قال: « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ». ولفظ الصحيح أنه ﷺ قام حتى تورمت قدماه فقيل له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال « أفلا أكون عبداً شكوراً »، قال ابن حجر في شرح الشمائل: وقد ظن من سأله ﷺ في سبب تحمله المشقة في العبادة أن سببها إما خوف الذنب أو رجاء المغفرة، فأفادهم أن لها سبباً آخر أتم وأكمل هو الشكر على التأهل لها مع المغفرة وإجزال النعمة، وهو أعني الشكر الاعتراف بالنعمة والقيام في الخدمة ببذل المجهود، فمن أدام ذلك كان شكوراً وقليل ما هم، ولم يفز أحد بكمال هذه المرتبة غير نبينا ﷺ ثم سائر الأنبياء عليهم السلام، وإنما ألزموا بذلك في الجد في العبادة وعظيم الخشية لعلمهم بعظيم نعمة ربهم عليهم ابتداء بها فضلاً ومنة من غير سابقة توجب استحقاقها أداء لبعض الشكر، وإلاّ فحقوقه تعالى أعظم من أن يقوم بها أحد من خلقه.

(**وهذا يدل على أن البكاء ينبغي أن لا ينقطع أبداً وإلى هذا السر يشير ما روي**) في بعض الأخبار (**أنه مرَّ بعض الأنبياء**) من بني إسرائيل (**بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب منه**) لمخالفته العادة (**فأنطقه الله تعالى**) معه فسأله عن سبب ذلك (**فقال: منذ سمعت قوله**) تعالى: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً (**وقودها الناس والحجارة﴾ فأنا أبكي من خوفه**) أي من خوفي إياه أن يجعلني من تلك الحجارة. قال: (**فسأله**) تعالى (**أن يجيره من النار فأجاره**) بوحي منه إليه وعلم الحجر بذلك، (**ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك**) الحال (**فقال: لم تبكي الآن**) وقد غفر الله لك بدعائي (**فقال: ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور**) هكذا نقله القشيري في الرسالة وأنشدوا في المعنى:

هجم السرور عليّ حتى أنني ... من فرط ما قد سرني أبكاني
يا عين صار الدمع عندي عادة ... تبكين في فرح وفي أحزان

ويقال: إن دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة، (**وقلب العبد كالحجارة**) أي في شدته ويبسه (**أو أشد قسوة**) منها وذلك بنص القرآن. (**ولا تزول قسوته إلا بالبكاء في حال**

في حال الخوف والشكر جميعاً. وروي عنه ﷺ أنه قال: « ينادي يوم القيامة ليقم الحمادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة ، قيل : ومن الحمادون ؟ قال : الذين يشكرون الله تعالى على كل حال » وفي لفظ آخر : « الذين يشكرون الله على السراء والضراء » وقال ﷺ : « الحمد رداء الرحمن » وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام إني رضيت بالشكر مكافأة من أوليائي في كلام طويل وأوحى الله تعالى إليه أيضاً في صفة الصابرين : إن دارهم دار السلام إذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام ، وعند الشكر أستزيدهم ، وبالنظر إليّ أزيدهم. ولما نـزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه : أي المال نتخذ ؟ فقال عليه السلام : « ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً » فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلاً عن المال. وقال ابن مسعود : الشكر نصف الإيمان.

الخوف والشكر جميعاً) فإنه يلينه ويزيل صلابته. (**وروي عنه ﷺ أنه قال « ينادي يوم القيامة ليقم الحمادون)** أي كثيرو الحمد لله تعالى على نعمه (**فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة » قيل)** : يا رسول الله (**ومن الحمادون » قال: « الذين يشكرون الله تعـالى على كل حال » . وفي لفظ آخر: « الذين يشكرون الله على السراء والضراء »)** قال العراقي: رواه الطبراني، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ « أول من يدعى إلى الجنة الحمادون » الحديث. وفيه قيس بن الربيع ضعفه الجمهور اهـ.

قلت: لفظ الطبراني « أوّل من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحمادون الذين يحمدون الله على السراء والضراء ». ورواه كذلك أبو الشيخ والحاكم وابن مردويه.

(**وقال ﷺ « الحمد رداء الرحمن »)** هكذا هو في القوت. وقال العراقي: لم أجد له أصلاً. وفي الصحيح: « الكبرياء رداؤه ». وقد تقدم في العلم، (**وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام: إني رضيت بالشكر مكافأة من أوليائي في كلام طويل)** هكذا هو في القوت. قال: وقد روينا في أخبار أيوب عليه السلام: إن الله سبحانه أوحى إليه فذكره. (**وأوحى الله إليـه أيضاً في صفة الصابرين أن دارهم دار السلام إذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام، وعند الشكر استزيدهم وبالنظر إليَّ أزيدهم)** نقله صاحب القوت فقال: وروينا في مناجاة أيوب عليه السلام إن الله تعالى أوحى إليه في صفة الصابرين فذكره وهذا غاية الفضل. (**ولما نزل في الكنوز ما نزل)** وهو قوله تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ [التوبة: ٣٤] الآية (**قال عمر رضي الله عنه: فأي المال نتخذ؟ فقال ﷺ : « ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً » فأمر باقتناء القلب الشاكر)** واتخاذه مالاً في الآخرة (**بدلاً عن المال)** في الدنيا ، وشكر القلب هو مشاهدة المنعم في النعمة وظهور المعطي عند العطاء حتى ترى النعمة عنده منه والعطاء عنه ، لأن الشكر عند الشاكرين معرفة القلب ووصفه لا وصف اللسان. كذا في القوت ، وقد عزاه إلى ثوبان وعمر رضي الله عنهما.

بيان حد الشكر وحقيقته:

اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضاً ينتظم من علم وحال وعمل، فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل فأما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم، والحال هو الفرح الحاصل بإنعامه، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه. ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك

قلت: رواه أحمد، والترمذي وحسنه، وابن ماجه، وأبو نعيم في الحلية من حديث ثوبان «ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكرا وزوجة مؤمنة تعين على أمر الآخرة». وقد تقدم في كتاب النكاح.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(الشكر نصف الإيمان)**. وقد روي من حديث أنس مرفوعاً «الإيمان نصفان: نصف في الصبر ونصف في الشكر» رواه الديلمي، والبيهقي وقد تقدم قريباً.

ومن الأخبار الواردة في الشكر أنه ﷺ قال لمعاذ «إني أحبك فلا تنس أن تقول في دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك». وفي الترمذي من بعض دعائه المشهور: «رب اجعلني لك شكاراً لك ذكاراً لك رهاباً لك مطواعاً لك مخباباً إليك أوّاهاً منيباً، وفي حديث عمر: الحمد على النعمة أمان لزوالها. وفي حديث ابن عمر: والحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده.

بيان حدّ الشكر وحقيقته:

(اعلم) أنهم قد اختلفوا في الفرق بين الحمد والشكر أيهما أفضل. وفي الحديث المتقدم: الحمد رأس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره، والفرق بينهما أن الشكر أعم من جهة أنواعه وأسبابه وأخص من جهة متعلقاته، والحمد أعم من جهة المتعلقات وأخص من جهة الأسباب، ومعنى هذا أن الشكر يكون بالقلب خضوعاً واستكانة، وباللسان ثناء واعترافاً، وبالجوارح طاعة وانقياداً، ومتعلقه النعم دون الأوصاف الذاتية فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه وهو المحمود بها كما هو محمود على إحسانه وعدله والشكر يكون على الإحسان والنعم، فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس فإن الشكر يقع بالجوارح والحمد باللسان، فإذا عرفت ذلك فاعلم **(أن الشكر من جملة مقامات السالكين)** وهو الثالث من مقامات اليقين، **(وهو أيضاً)** كما تقدم **(ينتظم من علم وحال وعمل، فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل)** وبه يتضح الفرق بين المقامات والأحوال، وقد تقدم الكلام عليه في شرح كتاب التوبة. **(أما العلم؛ فهو معرفة النعمة من المنعم، وأما الحال فهو الفرح الحاصل بانعامه، والعمل هو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه. ويتعلق ذلك العمل بالقلب وبالجوارح وباللسان ولا بدّ من بيان ذلك ليحصل**

ليحصل بمجموعه الإحاطة بحقيقة الشكر فإن كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الإحاطة بكمال معانيه.

فالأصل الأول: العلم وهو علم بثلاثة أمور بعين النعمة، ووجه كونها نعمة في حقه، وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام ويصدر الانعام منه عليه. فإنه لا بدّ من: نعمة، ومنعم، ومنعم عليه تصل إليه النعمة من المنعم بقصد وإرادة، فهذه الأمور لا بد من معرفتها. هذا في حق غير الله تعالى، فأما في حق الله تعالى فلا يتم إلا بأن يعرف أن النعم، كلها من الله وهو المنعم، والوسائط مسخرون من جهته.

وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس إذ دخل التقديس والتوحيد فيها. بل الرتبة الأولى في معارف الإيمان التقديس. ثم إذا عرف ذاتاً مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس: وهو التوحيد. ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط، فالكل نعمة منه، فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة إذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد: كمال القدرة والإنفراد بالفعل. وعن هذا عبر رسول الله ﷺ حيث قال: «من قال سبحان الله فله عشر حسنات، ومن قال لا إله إلا الله فله عشرون حسنة، ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة» وقال ﷺ: «أفضل الذكر لا إله إلا الله

بمجموعه الإحاطة بحقيقة الشكر فإن كل ما قيل في حدّ الشكر) على ما سيأتي بيانه **(قاصر عن الإحاطة بكمال معانيه)**.

(فالأصل الأول: العلم وهو العلم بثلاثة أمور بعين النعمة، ووجه كونها نعمة في حقه، وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الإنعام ويصدر الإنعام منه عليه، فإنه لا بد من: نعمة، ومنعم، ومنعم عليه تصل إليه النعمة من المنعم بقصد وإرادة، فهذه الأمور لا بدّ من معرفتها، هذا في حق غير الله) تعالى **(والوسائط مسخرون من جهته)**.

(وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس إذ دخل التقديس والتوحيد فيها، بل الرتبة الاولى في معارف الإيمان التقديس) وأعني به تنزيه الرب عن الجسمية وتوابعها، **(ثم إذا عرف ذاتاً مقدسةً فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد)** وهي الرتبة الثانية، **(ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط)** وأنه هو الذي أفاض الوجود عليه، **(بل الكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة)** من رتب الإيمان، **(إذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والانفراد بالفعل، وعن هذا عبّر رسول الله ﷺ قال: «من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله فله عشرون حسنة، ومن قال الحمد لله فله ثلاثون حسنة»)** تقدم في كتاب الأذكار

وأفضل الدعاء الحمد لله» وقال: «ليس شيء من الأذكار يضاعف مثل ما يضاعف الحمد لله»، ولا تظنن أن هذه الحسنات بإزاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب «فسبحان الله» كلمة تدل على التقديس «ولا إله إلا الله» كلمة تدل على التوحيد «والحمد لله» كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق. فالحسنات بإزاء هذه المعارف التي هي من أبواب الإيمان واليقين.

واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الافعال، فمن أنعم عليك ملك من الملوك بشيء، فإن رأى لوزيره أو وكيله دخلاً في تيسير ذلك وإيصاله إليه فهو إشراك به في النعمة، فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه، بل منه بوجه ومن غيره بوجه، فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحداً في حق الملك نعم لا يغص من توحيده في حق الملك وكمال شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وللكاغد الذي كتبه

والدعوات. قال صاحب القوت ليس لأن الحمد أعلى من التوحيد ولكن لفضل مقام الشكر ولان الله تعالى افتتح به كلامه في كتابه. (**وقال** ﷺ **«أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله»**) قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه، والنسائي في اليوم والليلة، وابن ماجه، وابن حبان من حديث جابر انتهى.

قلت: ورواه كذلك الحاكم، وعند البيهقي وابن النجار «أفضل الدعاء لا إله إلا الله وأفضل الذكر الحمد لله».

(**وقال**) ﷺ: (**«ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله»**) هكذا هو في القوت. وقال العراقي: لم أجده مرفوعاً، وإنما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن إبراهيم النخعي قال: يقال إن الحمد أكثر الكلام تضعيفاً، (**ولا نظن أن هذه الحسنات بإزاء تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب «فسبحان الله» كلمة تدل على التقديس**) إذ التسبيح لغة التقديس والتنزيه. يقال: سبحت الله أي نزهته عما يقوله الجاحدون (**«ولا إله إلا الله» كلمة تدل على التوحيد**) إذ معناها لا معبود بحق إلا الله (**«والحمد لله» كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق**) لا غيره وهو المنعم المطلق. (**فالحسنات بإزاء هذه المعارف التي هي من أبواب الإيمان واليقين**) ومنها يدخل إليها.

(**واعلم أن تمام هذه المعرفة ينفي الشرك في الأعمال، فمن أنعم عليه ملك من الملوك بشيء فإن رأى لوزيره أو وكيله دخلاً في تيسير ذلك وإيصاله**) إليه فهو إشراكه به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه، (**فيتوزع**) أي ينقسم (**فرحه عليهما فلا يكون موحداً في حق الملك**) في الحقيقة. (**نعم لا يغض من توحيده في حق الملك وكمال شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكاغد**

عليه، فإنه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما، لأنه لا يثبت لهما دخلاً من حيث هما موجودان بأنفسهما، بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك. وقد يعلم أن الوكيل الموصل والخازن أيضاً مضطرّان من جهة الملك في الإيصال، وإنه لو رد الأمر إليه ولم يكن من جهة الملك إرهاق وأمر جزم يخاف عاقبته لما سلم إليه شيئاً، فإذا عرف ذلك كان نظره إلى الخازن الموصل كنظره إلى القلم والكاغد، فلا يورث ذلك شركاً في توحيده من إضافة النعمة إلى الملك. وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلاً في يد الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها، فإن الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها ليفعل شاءت أم أبت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلاً إلى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لما أعطاك ذرة مما في يده. فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر إذ سلط الله عليه الإرادة وهيج عليه الدواعي! وألقى في نفسه أنّ خيره في الدنيا والآخرة في أن يعطيك ما أعطاك، وأن غرضه المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل إلا به. وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد سبيلاً إلى تركه فهو إذاً إنما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك ولو لم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك، ولو لم يعلم أن منفعته في منفعتك لما

الذي كتبه عليه، فإنه لا يفرح بالقلم والكاغد ولا يشكرهما، لأنه لا يثبت لهما دخلاً من حيث هما موجودان بأنفسهما، بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك، وقد يعلم أن الوكيل الموصل أو الخازن أيضاً مضطـران **من جهة الملك في الإيصال، فإنه لو ردّ الأمر إليه ولم يكن من جهة الملك إرهاق وأمر جزم يخاف عاقبته)** لو خالفه **(لما سلم شيئاً)** من تلك النعمة، **(فإذا عرف ذلك كان نظره إلى الخازن الموصل كنظره إلى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركاً في توحيده من إضافة النعمة إلى الملك، وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفعاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلاً في يد الكاتب والحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها، فإن الله تعالى هو المسلط للدواعي عليها لتفعل شاءت أم أبت كالخازن المضطر الذي لا يجد سبيلاً إلى مخالفة الملك ولو خلي ونفسه لما أعطاه ذرة مما في يده)** أي قليلاً من النعمة **(فهو مضطر)** لا محالة **(إذ سلط الله عليه الإرادة وهيج عليه الدواعي)** والبواعث **(وألقى في نفسه أن خيره في الدنيا والآخرة في أن يعطيك ما أعطاك، وأن الغرض المقصود عنده في الحال والمآل لا يحصل إلا به، وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد فلا يجد سبيلاً إلى تركه فهو إذاً إنما يعطيك لغرض نفسه لا لغرضك، ولو لم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك ولو لم يعلم أن منفعته في**

نفعك فهو إذاً إنما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعماً عليك بل اتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى هو يرجوها. وإنما الذي أنعم عليك هو الذي سخره لك وألقى في قلبه من الاعتقادات والإرادات ما صار به مضطر إلى الإيصال. إليك فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله، وكنت موحداً وقدرت على شكره، بل كنت بهذه المعرفة بمجرّدها شاكراً. ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته: إلهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك؟ فقال الله عز وجل: علم أن كل ذلك مني فكانت معرفته شكراً. فإذاً لا تشكر إلا بأن تعرف أن الكل منه، فإن خالجك ريب في هذا لم تكن عارفاً لا بالنعمة ولا بالمنعم، فلا تفرح بالمنعم وحده بل وبغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك؛ فهذا بيان هذا الأصل.

الأصل الثاني: الحال المستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع، وهو أيضاً في نفسه شكر على تجرّده كما أن المعرفة شكر ولكن إنما يكون شكراً إذا كان حاوياً شرطه، وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالإنعام،

منفعتك لما نفعك، فهو إذاً إنما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعماً عليك بل اتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى هو يرجوها) في نفسه، **(وإنما الذي أنعم عليك هو الذي سخره لك وألقى في قلبه من الاعتقادات والإرادات ما صار به مضطراً إلى الإيصال إليك، فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت الله تعالى وعرفت فعله وكنت موحداً وقدرت على شكره، بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكراً، ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته: إلهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك؟ فقال الله عز وجل: علم أن كل ذلك مني فكانت معرفته شكراً)** نقله القشيري في الرسالة، ورواه الحكيم في النوادر عن الحسن مرسلاً بلفظ قال موسى: يا رب كيف شكرك؟ قال: علم أن ذلك مني فكان ذلك شكره، **(فإذاً لا تشكر إلا بأن تعرف أن الكل منه، فإن خالجك ريب)** أي داخلك شك **(في هذا لم تكن عارفاً بالنعمة ولا بالمنعم، فلا تفرح بالمنعم وحده بل بغيره فبنقصان معرفتك ينقص حالك في الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك. فهذا بيان هذا الأصل)**.

(الأصل الثاني: الحالةالمستمدة من أصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم مع هيئة التواضع والخشوع) وفي نسخة مع هيئة الخضوع والتواضع، **(وهو أيضاً في نفسه شكر على تجرده)** أي بمفرده **(كما أن المعرفة شكر)** بمفردها، **(وإنما تكون)** تلك الحالة **(شكراً إذا كان جامعاً شروطه)** أي الشكر، **(وشروطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالإنعام، ولعل**

ولعل هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلاً فنقول: الملك الذي يريد الخروج إلى سفر فانعم بفرس على إنسان يتصوّر أن يفرح المنعم عليه بالفرس من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يفرح بالفرس من حيث أنه فرس وإنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وإنه جواد نفيس، وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء فأخذه لكان فرحة مثل ذلك الفرح.

الوجه الثاني: أن يفرح به لا من حيث أنه فرس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه، حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء أو أعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلاً لاستغنائه عن الفرس أصلاً أو استحقاره له بالإضافة إلى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك.

الوجه الثالث: أن يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه، وربما يرتقي إلى درجة الوزارة من حيث انه ليس يقنع بأن يكون محله في قلب الملك أن يعطيه فرساً ويعتني به هذا القدر من العناية، بل هو طالب لأن لا ينعم الملك بشيء من ماله على أحد إلا بواسطته، ثم إنه ليس يريد من الوزارة

هذا مما يتعذر عليك فهمه فنضرب لك مثلاً) ليتضح لك به فهم المقصود **(فنقول: الملك الذي يريد الخروج إلى سفر فأنعم بفرس)** من أفراسه المتزينة **(على إنسان يتصوّر أن يفرح المنعم عليه بالفرس)** المذكور **(من ثلاثة أوجه)**.

(أحدها: أن يفرح بالفرس من حيث أنه فرس وأنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وانه جواد نفيس) للكر والفر، **(وهذا فرح من لاحظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط ولو وجده في صحراء)** مجاناً **(فأخذه لكان مثل ذلك الفرح)**.

(الوجه الثاني: أن يفرح به لا من حيث أنه فرس، بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه واهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفرس في صحراء وأعطاه غير الملك لكان لا يفرح به أصلاً لاستغنائه عن الفرس أو لاستحقاره له بالإضافة إلى مطلوبه من نيل المحل) أي المنزلة **(في قلب الملك)**.

(الوجه الثالث: أن يفرح به ليركبه فيخرج في خدمة الملك ويحتمل المشقة في السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه ويرتقي إلى درجة الوزارة) وهي درجة تتلو درجة الملك **(من حيث أنه ليس يقنع بأن يكون محله في قلب الملك أو يعطيه فرساً يعتني به هذا القدر من العناية، بل هو طالب أن لا ينعم الملك بشيء من ماله على أحد إلا بواسطته)** وعلى يده،

الوزارة أيضاً بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه، حتى لو خيّر بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب، فهذه ثلاث درجات، فالأولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلاً لأن نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي، وهذا حال كل من فرح بنعمة من حيث انها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر والثانية داخلة في معنى الشكر من حيث أنه فرح بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الإنعام في المستقبل، وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه وإنما الشكر التام في الفرح الثالث، وهو أن يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى من حيث أنه يقدر بها على التوصل إلى القرب منه تعالى والنزول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام، فهذا هو الرتبة العليا، وأمارته أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للآخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصدّه عن سبيله، لأنه ليس يريد النعمة لأنها لذيذة كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لأنه جواد ومهملج بل من حيث إنه يحمله في صحبة

(**ثم أنه ليس يريد من الوزارة نفس الوزارة أيضاً بل مشاهدة الملك**) في غالب أحواله (**والقرب منه**) في سائر أحيانه (**حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب**) منه (**لاختار القرب**) على الوزارة. (**فهذه ثلاث درجات**).

(**الأولى: لا يدخل فيها معنى الشكر أصلاً لأن نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس لا بالمعطي، وهذا حال من فرح بنعمة من حيث أنها لذيذة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر**) فإنه رؤية للنعمة لا للمنعم.

(**والثانية: داخلة**) وفي نسخة والثاني داخل (**في معنى الشكر من حيث أنه فرح بالمنعم، ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستحثه على الإنعام في المستقبل، وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله ويشكرونه خوفاً من عقابه ورجاء لثوابه، وإنما الشكر التام في الفرح**).

(**الثالث: وهو أن يكون فرح العبد بنعم الله تعالى من حيث أنه يقدر بها على التوصل إلى القرب منه تعالى والنزول في جواره والنظر إلى وجهه على الدوام**) من غير انقطاع ولا انصرام، (**فهذا هو الرتبة العليا**) التي إليها تنتهي الآمال والأماني (**وإمارته أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للآخرة معينة عليها ويحزن بكل نعمة تلهيه**) أي تشغله (**عن ذكر الله تعالى وتصده**) أي تمنعه (**عن سبيله، فإنه ليس يريد النعمة لأنها لذيذة**) وموافقة لطبعه (**كما لم يرد صاحب الفرس الفرس لأنه جواد**) وأصيل (**ومهملج**) أي سريع السير في

الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه، ولذلك قال الشبلي رحمه الله: الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة. وقال الخوّاص رحمه الله: شكر العامة على المطعم والملبس والمشرب. وشكر الخاصة على واردات القلوب، وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلب، فإن القلب لا يلتذ في حال الصحة إلا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه، وإنما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الحلوة ويستحلي الأشياء المرة كما قيل:

ومن يكُ ذا فم مرٍّ مريض   يجد مراً به الماء الزلالا

فإذاً هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى فإن لم تكن إبل فمعزى، فإن لم يكن هذا فالدرجة الثانية، أما الأولى فخارجة عن كل حساب، فكم من فرق بين من يريد الملك

الركض، **(بل من حيث أنه يحمله في صحبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه)** ومكانته لديه، **(ولذلك قال الشبلي رحمه الله تعالى: الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة)** نقله القشيري في الرسالة أي بأن يكون السابق منها إلى القلب رؤية المنعم، وهذا كما قال بعضهم: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله أي الغالب على القلب رؤية الله ومراقبته، فأي حدث فيه لا يكون مذكراً له رؤية الله فإنه ذاكر غير غافل عنه.

(وقال الخوّاص) هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد من اقران الجنيد: **(شكر العامة)** يكون **(على المطعم والملبس والمشرب)** ونحوها من النعم الظاهرة، **(وشكر الخاصة)** يكون **(على واردات القلوب)** مما يرد عليها من المعاني التي يعرفها الأولياء تصرف الغفلات عن القلوب بالورع والزهد وغيرهما، وهذا القول نسبه القشيري في الرسالة إلى أبي عثمان سعيد بن إسماعيل الجبري تلميذ أبي حفص الحداد، ولفظه وقال أبو عثمان: شكر العامة على المطعم والملبس، وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني. **(وهذه رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات في البطن والفرج ومدركات الحواس)** الظاهرة **(من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلب، فإن القلب لا يلتذ في حال الصحة إلا بذكر الله تعالى ومعرفته ولقائه)** وهي اللذة المعنوية، **(وإنما يلتذ بغيره إذا مرض بسوء العادات)** وتمكنت منه **(كما يلتذ بعض الناس بأكل الطين)** وذلك لفساد مزاجه، **(وكما يستبشع بعض المرضى الأشياء الحلوة)** ويستكرهها **(ويستحلي الأشياء المرة)** البشعة **(حتى قيل)** قائله المتنبي:

(ومن يك ذا فم مرّ مريض   يجد مراً به الماء الزلالا)

(فإذاً هذا شرط الفرح بنعمة الله تعالى، فإن لم تكن إبل فمعزى) وهو جار مجرى الأمثال، **(فإن لم يكن هذا فالدرجة الثانية)** بأن يفرح بالنعمة لا من حيث انها نعمة، بل من حيث أنه يستدل بها على عناية المنعم به. **(أما)** الدرجة **(الأولى فخارجة عن كل حساب)**

للفرس ومن يريد الفرس للملك، وكم من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله ليصل بها إليه.

الأصل الثالث: العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم. وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح أما بالقلب فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق. وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه، وأما بالجوارح؛ فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته، حتى أن شكر العينين: أن تستر كل عيب تراه لمسلم، وشكر الأذنين: أن تستر كل عيب تسمعه فيه، فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء والشكر باللسان: لإظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به؛ فقد قال ﷺ لرجل: «كيف أصبحت» قال: بخير، فأعاده ﷺ السؤال

وذلك بأن يفرح بالنعمة من حيث أنها نعمة فقط ويكون نظره مقصوراً عليها، (**فكم من فرق بين من يريد الملك للفرس وبين من يريد الفرس للملك، وكم من فرق بين من يريد الله فينعم عليه وبين من يريد نعم الله تعالى ليصل بها إليه**).

(**الأصل الثالث: العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم، وهذا العمل يتعلق بالقلب وباللسان وبالجوارح. أما بالقلب فقصد الخير**) والصلاح (**وإضماره لكافة الخلق**) أي عامتهم، (**وأما باللسان فإظهار الشكر لله بالتحميدات الدالة عليه**) بأي صيغة كانت، (**وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته**) قال القشيري في الرسالة: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت الاستاذ أبا سهل الصعلوكي يقول: سمعت المرتعش يقول: سمعت الجنيد يقول: كنت بين يدي السري ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي: يا غلام ما الشكر؟ فقلت: أن لا تعصي الله تعالى بنعمه. فقال: يوشك ان يكون حظك من الله لسانك. قال الجنيدي فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السري (**حتى أن شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم، وشكر الأذنين ان تستر كل عيب تسمعه**) ولفظ الرسالة وقيل: شكر العينين أن تستر عيباً تراه بصاحبك، وشكر الأذنين أن تستر عيباً تسمعه فيه، (**فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه الأعضاء**) وهو بيان لشكر هذه الأفعال. وقال صاحب القوت: وأما شكر الجوارح للمنعم المفضل فهو أن لا يعصيه بنعمة من نعمه وأن يستعين بنعمته على طاعته ولا يستعين بها على معاصيه، فيكون قد كفرها كما قال تعالى ﴿بدلوا نعمة الله كفرا﴾ [إبراهيم: ٢٨] قيل: استعانوا بنعمه على معاصيه فيكون قد كفرها، فالخلق لا يقدرون على تبديل نعمة الله، ولكن معناه بدلوا شكر نعمة الله كفراً وهذا من المضمر معناه لظهور دليله عليه لأنه أمرهم بالطاعة بالنعم فخالفوه فعصوه بها فكان ذلك تبديلها لما أمر، (**والشكرُ باللسان لإظهار الرضا على الله تعالى وهو مأمور به، فقد قال ﷺ لرجل «كيف أصبحت»؟ فقال: بخير، فأعاد**) عليه (**السؤال**) ثانية كيف أنت فقال: بخير (**حتى**

حتى قال: في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره، فقال ﷺ: « هذا الذي أردت منك »، وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعاً والمستنطق له به مطيعاً وما كان قصدهم الرياء بإظهار الشوق، وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت، فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك وبيده كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء؛ فالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف إلى الشكوى أن تكون شكواه إلى الله تعالى، فهو المبلي والقادر على إزالة البلاء. وذل العبد لمولاه عز، والشكوى إلى غيره ذل، وإظهار الذل للعبد مع كونه عبداً مثله ذل قبيح. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ

قال) الرجل **(في)** المرة **(الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال)** ﷺ **(« هذا الذي أردت منك »)** يعني إظهار الحمد والشكر والثناء. قال العراقي: رواه الطبراني في الدعاء من رواية الفضيل بن عمرو مرفوعاً نحوه. قال في الثالثة: بخير أحمد الله وهذا معضل. ورواه في المعجم الكبير من حديث عبد الله بن عمرو وليس فيه تكرار السؤال وقال: أحمد الله إليك وفيه رشدين ابن سعد ضعفه الجمهور لسوء حفظه، ورواه مالك في الموطأ موقوفاً على عمر بإسناد صحيح. **(وكان السلف يتساءلون)** إذا التقوا **(عن أحوالهم ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطيعاً)** بشكره **(والمستنطق له به مطيعاً)** باستخراجه إياه منه فيكون شريكه في ذلك لأنه سبب ذكره تعالى، **(وما كان قصدهم الرياء بإظهار الشوق، وكل عبد سئل عن حال فهو بين أن يشكر الله)** تعالى **(أو يشكو أو يسكت، فالشكر طاعة والشكوى معصية قبيحة من أهل الدين)** فمن علمت أنه يشكو مولاه ويتكره عندك قضاء إذا سألته عن حاله فلا تسأله فتكون أنت سبباً لشكواه وشريكاً في جهله وما أقبح بالعبد أن يشكو مولاه، **(وكيف لا تقبح الشكوى من ملك الملوك)** الذي ليس كمثله شيء **(وبيده)** ملكوت **(كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء)** ومثله كل شيء، **(والأحرى بالعبد إذا لم يحسن الصبر إلى القضاء والبلاء وأفضى به الضعف)** أي ضعف اليقين **(إلى الشكوى)** ولا بدّ **(أن تكون شكواه إلى الله تعالى فهو المبلي والقادر على إزالة البلاء، ولذا قال يعقوب عليه السلام: إنما أشكو بثي)** وحزني إلى الله **(وذل العبد لمولاه عز والشكوى ذل وإظهار الذل للعبيد مع كونهم أذلاء قبيح)** ولفظ القوت: ويعلم أن الذل والصبر عند المنع عز وشرف وهو أفضل وأنفس عند العلماء من التعزز بالعبيد والشرف بهم، وأن الطمع التذلل إليهم والاستشراف إلى عبد مملوك مثلك ذل ذليل وحسن الذل للعزيز كحسن الذل للحبيب وقبح الذل للذليل كقبح الذل للعدوّ، وقد **(قال تعالى: ﴿ إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله**

الرِّزقَ وَاعبُدُوه واشْكُرُوا لَهُ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إنَّ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، فالشكر باللسان من جملة الشكر. وقد روي أن وفداً قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فقام شاب ليتكلم، فقال عمر: الكبر الكبر! فقال: يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك! فقال: تكلم، فقال: لسنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة، أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك، وأما الرهبة فقد أمننا منها عدلك، وإنما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف. فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته.

فأما قول من قال: إن الشكر هو الإعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع فهو نظر

الرزق﴾ وقال تعالى: ﴿إن الذين تدعوهم من دون الله عباد أمثالكم﴾) والعبادة هي الخدمة، والطاعة بذل ولا يحسن بالعبد المقبل أن يظهر فقره وفاقته إلى غير مولاه الذي يلي تدبيره ويتولاه لأنه عليم خبير بحاله يسمعه ويراه وهو أعلم بما يصلحه منه، (**فالشكر باللسان**) وحسن الثناء وجميل البشر للنعماء وتعديد النعم والآلاء (**من جلة الشكر**) لأن معنى الشكر في اللغة هو الكشف والإظهار. يقال: كثر وشكر بمعنى إذا كشف عن ثغره وأظهر فيكون إظهار الشكر وكشفه باللسان ما ذكرناه، (**وقد روي أن وفداً قدموا على عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى في أيام خلافته (**فقام شاب**) من الوفد (**ليتكلم فقال عمر: الكبـر الكبر**) بضم الكاف فيهما أي قدموا للتكلم الأكبر فالاكبر، وهذا اللفظ قد روي مرفوعاً في حديث سهل بن أبي حثمة رواه الشيخان، وأبو داود، (**فقال: يا أمير المؤمنين لو كان الأمر**) أي التقدم ههنا (**بالسن لكان**) غيرك مقدماً عليك إذ (**في المسلمين من هو أسن منك**) لعرف فضله ورفعته على من معه، (**فقال: تكلم. فقال**): يا أمير المؤمنين (**لسنا وفد الرغبة**) أي لطلب شيء منك (**ولا وفد الرهبة**) أي الخوف لشيء نطلب منك خلاصه، (**أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك**) ونحن ببلادنا، (**وأما الرهبة فقد أمننا منها عدلك**) ونحن كذلك ببلادنا، (**وإنما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف**) على ما نحن عليه من فضلك وأمنك نقله القشيري في الرسالة، ولفظه: وقيل قدم وفد على عمر بن عبد العزيز وكان فيهم شاب فأخذ يخطب فقال عمر: الكبر الكبر. فقال الشاب: يا أمير المؤمنين لو كان الأمر بالسن فذكره، وفائدة ذلك التأكيد في طلب تبليغ الشكر لمن يستحقه، فإذا كان المنعم حاضراً والنعم متوالية والقلب واللسان صامت عن الشكر كان من أقبـح القبائح عادة وشرعاً (**فهذه هي أصول معاني الشكر المحيطة بمجموع حقيقته**).

(**فأما قول من قال إن الشكر هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع**) نقله القشيري في الرسالة ولفظه: وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق فذكره، (**فهو نظر إلى فعل**

إلى فعل اللسان مع بعض أحوال القلب. وقول من قال إن الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى مجرد عمل اللسان. وقول القائل: إن الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة جامع لأكثر معاني الشكر لا يشذ منه إلا عمل اللسان. وقول حمدون القصار شكر النعمة: أن ترى نفسك في الشكر طفيلياً، إشارة إلى أن معنى المعرفة من معاني الشكر فقط وقول الجنيد الشكر: أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص وهؤلاء أقوالهم تعرب عن أحوالهم؛ فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق، ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين

اللسان مع بعض أحوال القلب) فالاعتراف من جلة أحوال القلب والخضوع ظهوره على اللسان، وهو أيضاً سبب للشكر لا نفسه، وقد ذكر القشيري أيضاً ان الشكر ينقسم إلى ثلاثة أقسام: شكر باللسان فهو اعتراف بالنعمة بنعت الاستكانة، وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاق والخدمة، وسيأتي ذكر القسم الثالث. **(وقول من قال: إن الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه)** ولفظ الرسالة: ويحتمل أن يقال حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه إليه وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بذكر إحسانه له **(نظر إلى مجرد عمل اللسان)** لأن الثناء والمدح من عمل اللسان خاصة، **(وقول القائل: إن الشكر هو اعتكاف على بساط الشهود)** أي حضور الفضل ورؤيته **(بإدامة حفظ الحرمة)**، وهذا هو القسم الثالث من أقسام الشكر وهو شكر القلب كما في الرسالة، وحقيقة الشكر إنما تحصل باجتماع هذه الثلاثة مع الإمكان وهو **(جامع لأكثر معاني الشكر لا يشذ منه إلا عمل اللسان)** الذي هو الاعتراف بالنعمة بنعت الخضوع وقريب منه قول أبي بكر الوراق شكر النعمة مشاهدة المنة وحفظ الحرمة، ولكن هذا سبب للشكر لا نفسه وليس بجامع كالقول السابق، **(وقول حمدون القصار)** وهو أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمارة النيسابوري منه انتشر مذهب الملامتية بنيسابور صحب أبا تراب النخشبي، ومسلم الباروسي مات سنة احدى وتسعين ومائتين **(شكر النعمة أن ترى نفسك في الشكر طفيلياً)** نقله القشيري أي تضيف النعمة إلى فاعلها وتبرأ من إضافتها إليك، وهو **(إشارة إلى أن معنى المعرفة من معاني الشكر فقط)** كأنه يرجع إلى الاعتراف بالنعمة وإضافتها للمنعم، ويقرب منه قول بعضهم: الشكر إضافة النعم إلى موليها بنعت الاستكانة، هذا أيضاً يرجع إلى معنى الاعتراف وليس بجامع حقيقة الشكر. **(وقول الجنيد)** قدس سره: **(إن الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة)** نقله القشيري أي لأن من لم ير ذلك ورأى أن النعمة فضل من الله تعالى استحيا من الله أن يكون شكره جزاء عليها لأنه إذا لاحظ شكره نعمة أخرى احتاج إلى شكر فهو يتبرأ من أن يكون شاكراً أبداً، وهو **(إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص)**، ويقرب منه قول يحي بن معاذ لست بشاكر ما دمت تشكر وغاية الشكر التحير. **(وهؤلاء)** السادة **(أقوالهم تعرب)** أي تفصح **(عن أحوالهم)** التي هي ثمرات أعمالهم، **(فلذلك تختلف أجوبتهم ولا تتفق، ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالين)**

لأنهم لا يتكلمون إلا عن حالتهم الراهنة الغالبة عليهم اشتغالاً بما يهمهم عما لا يهمهم، أو يتكلمون بما يرونه لائقاً بحائل السائل، اقتصاراً على ذكر القدر الذي يحتاج إليه، وإعراضاً عما لا يحتاج إليه؛ فلا ينبغي أن تظن أن ما ذكرناه طعن عليهم وأنه لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحناها كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل أصلاً إلا أن تعرض منازعة من حيث اللفظ في أن اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني، أم يتناول بعضها مقصوداً وبقية المعاني تكون من توابعه ولوازمه؟ ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء، والله الموفق برحمته.

بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى:

لعلك يخطر ببالك أنّ الشكر إنما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر، فإنا نشكر الملوك إما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم، أو بالخدمة التي هي إعانة لهم على بعض أغراضهم أو بالمثول بين أيديهم

مختلفتين (**لأنهم لا يتكلمون إلا عن حالتهم الراهنة**) أي الثابتة في الحال (**الغالبة عليهم**) في الوقت (**اشتغالاً بما يهمهم عما لا يهمهم، أو يتكلمون بما يرونه لائقاً بحال السائل اقتصاراً**) منهم (**على ذكر القدر الذي يحتاج إليه وإعراضاً عما لا يحتاج إليه**) فمن ذلك قول بعضهم: حقيقة الشكر نطق القلب وإقراره بإنعام الرب، وقيل: هو الاستقامة في عموم الأحوال. وقال أبو عثمان: الشكر معرفة العجز عن الشكر، وقال رويم: الشكر استفراغ الطاعة. وقيل: الشكر التلذذ بثنائه على ما لم يستوجبه من عطائه. وقيل: هو قيد موجود وصيد مفقود. وقيل: هو الغيبة عن الشكر برؤية المنعم، (**فلا ينبغي أن تظن أن ما ذكرناه طعن عليهم وأنه لو عرض عليهم جامع المعاني التي شرحناها كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل أصلاً إلا أن تعرض منازعة من حيث اللفظ في أن إسم الشكر في وضع اللسان**) الذي هو الكشف والإظهار. (**هل يشمل جميع المعاني**) المذكورة (**أو يتناول بعضاً مقصوداً**) بالذات (**وبقية المعاني تكون من توابعها ولوازمها؟ ولسنا نقصد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء**) والله الموفق برحمته.

بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى:

أعلم أنه (**لعلك يخطر ببالك**) ويسبق إلى ذهنك (**أن الشكر إنما يعقل في حق منعم هو صاحب حظ في الشكر**) ينتفع به، (**فإنا نشكر الملوك إما بالثناء ليزيد محلهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فتزيد به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التي هي إعانة لهم على**

في صورة الخدم ، وذلك تكثير لسوادهم وسبب لزيادة جاههم ، فلا يكونون شاكرين لهم إلا بشيء من ذلك ، وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين :

أحدهما : أن الله تعالى منزه عن الحظوظ والأغراض مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والإعانة ، وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والإطراء ، وعن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه ركعاً سجداً ؛ فشكرنا إياه بما لاحظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بأن ننام في بيوتنا أو نسجد أو نركع ، إذ لاحظ للملك فيه وهو غائب لا علم له ، ولا حظ لله تعالى في أفعالنا كلها .

الوجه الثاني : أن كل ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا ، إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وداعيتنا وسائر الأمور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة بنعمة ، ولو أعطانا الملك مركوباً فأخذنا مركوباً آخر له وركبناه ، وأعطانا الملك مركوباً آخر لم يكن الثاني شكراً للأوّل منا بل كان الثاني يحتاج إلى شكر كما يحتاج الأوّل ثم لا يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدي إلى أن يكون الشكر محالاً في حق الله تعالى من هذين الوجهين . ولسنا

بعض أغراضهم أو بالمثـول بين أيديهم في صورة الخدم، وذلك تكثير لسوادهم) أي جماعتهم ، **(وسبب لزيادة جاههم فلا نكون شاكرين لهم إلا بشيء من ذلك، وهذا محال في حق الله تعالى من وجهين) .**

(أحدهما : أن الله تعالى منزه عن الحظوظ والأغراض مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والإعانة وعن نشر الجاه والحشمة بالثناء والإطراء) في المدح ، **(ومن تكثير سواد الخدم بالمثول بين يديه راكعاً وساجداً فشكرنا إياه بما لاحظ له فيه يضاهي شكرنا الملك المنعم علينا بأن ننام في بيوتنا أو نسجد أو نركع إذ لاحظ للملك فيه ولاحظ لله تعالى في أعمالنا كلها)** لغناه عنها .

(والوجه الثاني : أن كل ما نتعاطاه باختيارنا فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا ودواعينا وسائر الأمور التي هي أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته، فكيف نشكر نعمة بنعمة ولو أعطانا الملك مركوباً فأخذنا مركوباً آخر له وركبناه وأعطانا مركوباً آخر لم يكن الثاني شكراً للأول منا بل كان الثاني يحتاج إلى شكر كما يحتاج الأول، ثم لا يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدي إلى أن يكون الشكر محالاً في حق الله تعالى من هذين الوجهين) . أما الوجه الأول فظاهـر ، وأما

نشك في الأمرين جميعاً »، والشرع قد ورد به فكيف السبيل إلى الجمع؟ فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام وكذلك لموسى عليه السلام فقال: يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك؟ وفي لفظ آخر: وشكري لك نعمة أخرى منك توجب علي الشكر لك؟ فأوحى الله تعالى إليه: إذا عرفت هذا فقد شكرتني. وفي خبر آخر: إذا عرفت أن النعمة مني رضيت منك بذلك شكراً.

فإن قلت: فقد فهمت السؤال وفهمي قاصر عن إدراك معنى ما أوحى إليهم، فإني أعلم استحالة الشكر لله تعالى، فأما كون العلم باستحالة الشكر شكراً فلا أفهمه، فإنّ هذا العلم أيضاً نعمة منه فكيف صار شكراً؟ وكأن الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر فقد شكر، وأن قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الأولى، والفهم قاصر عن درك السر فيه فإن أمكن تعريف ذلك بمثال فهومهم في نفسه.

فاعلم أن هذا قرع باب من المعارف وهي أعلى من علوم المعاملة ولكنا نشير منها إلى

الثاني فلأنه يستلزم أن لا يتناهى. (**ولسنا نشك في الأمرين جميعاً والشرع قد ورد به**) فإنه قد ثبت كلاً من تقديس الله تعالى عن الحظوظ والأغراض وتنزيهه عن الإحتياج إلى الإعانة وتكثير السواد، وأن جميع حركاتنا وسكناتنا من خلق الله تعالى ومن نعمه علينا، (**فكيف السبيل إلى الجمع؟ فاعلم أن هذا الخاطر قد خطر لداود عليه السلام، وكذلك لموسى عليه السلام فقال: يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك**) وفي القوت وفي أخبار موسى وداود عليهما السلام: يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع شكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك؟ (**وفي لفظ آخر: وشكرك نعمة أخرى منك توجب علي الشكر لك فأوحى الله تعالى إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني، وفي لفظ آخر: إذا عرفت أن النعم مني**) فقد (**رضيت منك بذلك شكراً**) هذا كله لفظ القوت ولفظ الرسالة وقيل: قال داود عليه السلام: الهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك توجب شكراً فأوحى الله إليه الآن قد شكرتني.

(**فإن قلت: فقد فهمت السؤال**) أي سؤال موسى عليه السلام (**وفهمي قاصر عن إدراك معنى ما أوحى**) إليه جواباً لسؤالهم (**فإني أعلم استحالة الشكر لله تعالى، فأما كون العلم باستحالة الشكر شكراً فلا أفهمه فإن هذا العلم أيضاً نعمة منه، فكيف صار شكراً، وكان الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر فقد شكر**) وهو غير ظاهر (**وأن قبول الخلعة الثانية من الملك شكر للخلعة الأولى، والفهم قاصر عن درك السر فيه**) لدقته وغموضه (**فإن أمكن تعريف ذلك بمثال فهو مهم في نفسه؟**).

(**فاعلم أن هذا قرع باب من**) أبواب (**المعارف**) الذوقية (**وهي أعلى علوم المعاملة**)

ملامح ونقول: ههنا نظران: نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعاً أنه الشاكر وأنه المشكور وأنه المحب وأنه المحبوب، وهذا نظر من عرف أنه ليس من الوجود غيره وأن كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق في كل حال أزلاً وأبداً، لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام، ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال أن يوجد، إذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه، وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره؛ فإن اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره لم يكن له وجود البتة، وإنما الموجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدّر عدم غيره بقي موجوداً، فإن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم، ولا

لتعلقها بعالم الغيب ولا يليق بكشف أسرارها، (**ولكنا نشير إلى ملامح**) وإشارات (**ونقول: ههنا نظر أن نظر بعين التوحيد المحض وهو النظر يعرفك قطعاً أنه الشاكر وأنه المشكور**) فأما المشكور فظاهر، وأما كونه الشاكر فإنه هو الموفق لعبيده لأن يشكروا وهو الذي ألهم على ألسنتهم وقلوبهم الثناء له، فبهذا الإعتبار يسمى شاكراً (**فإنه المحب وأنه المحبوب**) كما يشير لذلك قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] (**وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره وأن كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق في كل حال أزلاً وأبداً**) وهذا النظر لمن ترقى من حضيض المجاز إلى ذروة الحقيقة واستكمل معراجه، فرأى بالمشاهدة العيانية أن ليس في الوجود إلا الله وأن كل شيء هالك أزلاً وأبداً لا يتصور إلا كذلك، (**لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير**) ان اعتبر في ذاته من حيث ذاته (**فلا وجود له بل هو**) عدم محض و(**محال أن يوجد**) وإذا اعتبر من الوجه الذي يسري إليه الوجود من الأول رؤي موجوداً في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجوده، فيكون الموجود وجه الله فقط ولكل شيء وجهان: وجه إلى نفسه ووجه إلى ربه، فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله موجود، فإذاً لا موجود إلا الله ووجهه، فإذا كل شيء هالك إلا وجهه ازلاً وأبداً، وقد أشار إليه المصنف بقوله: (**إذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه**) أو بذاته (**وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره، فإن اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره لم يكن له وجود البتة، وإنما الموجود هو القائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره يعني موجوداً فإن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده ووجود غيره فهو قيوم**)، وبيان ذلك أن الأشياء تنقسم إلى ما لا يقوم بنفسه ويفتقر إلى محل كالاعراض والأوصاف فيقال فيها إنها ليست قائمة بأنفسها وإلى ما لا يحتاج إلى محل، فيقال قائم بنفسه كالجواهر إلا أن الجوهر وإن استغنى عن محل يقوم به فليس مستغنياً عن أمور لا بدّ منها لوجوده، ويكون شرطاً في وجوده فلا يكون قائماً بنفسه لأنه محتاج في قوامه إلى وجود غيره، وإن لم يحتج مع ذلك إلى محل فإن كان موجوداً يكفي ذاته بذاته ولا قوام له بغيره، ولا يشترط في

قيوم إلا واحد، ولا يتصور أن يكون غير ذلك؛ فإذا ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد، فإن نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره وإليه مرجعه، فهو الشاكر وهو المشكور، وهو المحب وهو المحبوب، ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ العَبدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، فقال واعجباه أعطى وأثنى إشارة إلى أنه إذا أثنى على إعطائه فعلى نفسه أثنى، فهو المثني وهو المثنى عليه، ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد الميهني حيث قرىء بين يديه ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، فقال: لعمري يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لأنه إنما يحب نفسه، أشار به إلى أنه المحب وانه المحبوب، وهذه رتبة عالية لا تفهمها إلا بمثال على حد عقلك فلا يخفى عليك أنّ المصنف إذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه، والصانع إذا أحب صنعته فقد أحب نفسه، والوالد إذا أحب ولده من حيث أنه ولده

دوام وجوده وجود غيره فهو القائم بنفسه مطلقاً فإن كان مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يتصور للأشياء وجود ولا دوام وجود إلا به فهو القيوم لأن قوامه بذاته وقوام كل شيء به، (**ولا قيوم إلا واحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك، فإذاً ليس في الوجود غير الحي القيوم وهو الواحد الصمد**) الفرد الأحد جلّ شأنه، (**فإن نظرت من هذا المقام عرفت أن الكل منه مصدره وإليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب**) فإنك إن نظرت إلى معنى الثناء فثناء كل مثن على فعل غيره والله تعالى إذا اثنى على أعمال عباده، فقد أثنى على فعل نفسه لأن أعمالهم من خلقه قال الله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦] وإن كان الذي أعطى فأثنى شكوراً فالذي أعطى وأثنى على المعطي أحق أن يكون شكوراً. (**ومن ههنا نظر حبيب بن أبي حبيب**) البجلي البصري أبو عمر نزيل الكوفة تقدم ذكره (**حيث قرأ**) قوله تعالى: (**﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ فقال: واعجباه أعطى وأثنى**) فهذا ثناء الله على عباده وهو (**إشارة إلى أنه إذا أثنى على إعطائه فعلى نفسه أثنى فهو المثني وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر الشيخ أبو سعيد**) الفضل بن أحمد بن محمد المعروف بابن أبي الحسن (**الميهني**) صاحب كرامات حدث عن أبي علي زاهر بن أحمد السرخسي، وعنه أبو القاسم سلمان بن ناصر الأنصاري مات بميهنة وهي بكسر الميم وسكون المثناة التحتية وهاء مفتوحة ونون. قرية بخابران بين سرخس وأبيورد سنة ٣٣٠ (**حيث قرىء بين يديه**) قوله تعالى: (**﴿يحبهم ويحبونه﴾ فقال: لعمري يحبهم ودعه يحبهم ودعهم يحبونه فبحق يحبهم لأنه إنما يحب نفسه**)، فهو قد (**أشار به إلى أنه المحب وأنه المحبوب**) وفي تقديم يحبهم إشارة إلى أنه لولا سبق محبته لنا لما أحببناه، (**وهذه رتبة عالية لا تفهمها إلا بمثال على حدّ عقلك فلا يخفى عليك أن المصنف إذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع إذا أحب صنعته فقد أحب نفسه، والوالد إذا أحب ولده من حيث أنه ولده فقد أحب نفسه**)،

فقد أحب نفسه ، وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعته ؛ فإن أحبه فما أحب إلا نفسه وإذا لم يحب إلا نفسه فبحق أحب ما أحب وهذا كله نظر بعين التوحيد ، وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أي فني عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى ، فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول : كيف فني وطول ظله أربعة أذرع ولعله يأكل في كل يوم أرطالاً من الخبز ، فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعاني كلامهم ، وضرورة قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُون وإذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ★ وَإِذَا انْقَلَبُوا إلى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَاكِهِينَ ★ وإذَا رَأَوهُمْ قَالُوا إنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ [المطففين : ٢٩ ـ ٣٣] ثم بين إن ضحك العارفين عليهم غدا أعظم ، إذ قال تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ★ عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين : ٣٤ ، ٣٥] وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله

وكل ما في الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله وصنعته) بيد قدرته وبديع حكمته ، **(فإن أحبه فما أحب إلا نفسه)** بهذا الإعتبار ، **(فإذاً لا يحب إلا نفسه فبحق أحب ما أحب)** وهو يفتح باباً عظيماً من علوم المكاشفة ، **(وهذا كله نظر بعين التوحيد)** المحض وهو الذي أشار إليه حبيب بن أبي حبيب وأبو سعيد الميهني **(وتعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس أي فني عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى)** وذلك عند استيلاء أمر الحق سبحانه عليه ، فيغلب كون الحق على كونه فيسلب عنه اختياره وإرادته فلا يرى للغير وجوداً إلا بالحق ، **(فمن لا يفهم هذا)** ولا يذوقه **(ينكر عليهم)** بجمود ذهنه **(ويقول : كيف فني وطول ظله أربعة أذرع ، ولعله يأكل في كل يوم عدة أرطال من الخبز)** ويشرب كذا وكذا من الماء **(فيضحك عليهم الجهال لجهلهم بمعاني كلامهم)** وغفلتهم عن أحوالهم . **(وضرورة قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين)** أي يكونوا ممن يضحك عليهم ، **(وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون ★)** أي يستهزؤن **(وإذا مرّوا بهم يتغامزون ★)** أي يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون باعينهم **(وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين ★)** أي ملتذين بالسخرية **(وإذ رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون ★)** فنسبوهم إلى الضلال **(وما أرسلوا عليهم)** أي على المؤمنين **(حافظين)** يحفظون عليهم أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم ، **(ثم بيّن أن ضحك العارفين عليهم أعظم إذ قال تعالى : ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾** حين يرونهم أذلاء مغلولين في النار ، وقيل يفتح لهم باب الجنة فيقال لهم : أخرجوا إليها فإذا وصلوا أغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم حال كونهم **(﴿على الأرائك ينظرون﴾)** هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ، **(وكذلك أمة نوح عليه السلام)** لما أراد الله إهلاكهم بالغرق وأمر نوح عليه السلام بعمل السفينة **(كانوا**

بعمل السفينة فقال: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَا فإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود : ٣٨] فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: نظر من لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه وهؤلاء قسمان: قسم لم يثبتوا إلا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون وعما هم في كلتا العينين لأنهم نفوا ما هو الثابت تحقيقاً وهو القيوم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم فهو قائم به، ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم، ولو عرفوا لعلموا أنهم من حيث هم هم لا ثبات لهم ولا وجود لهم وإنما وجودهم من حيث أوجدوا لا من حيث وجدوا، وفرق بين الموجود وبين الموجد، وليس في الوجود إلا موجود واحد وموجد، فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو، والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان، وإذا كان كل من عليها فان، فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

الفريق الثاني: ليس بهم عمى ولكن بهم عور، لأنهم يبصرون بإحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه، والعين الأخرى إن تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق؛ فأثبت موجوداً آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقاً كما أن الذي قبله جاحد

يضحكون عليه عند إشتغاله بعمل السفينة) ويستهزؤن به (**فقال**) عليه السلام: (**﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ فهذا أحد** النظرين) المذكورين.

(**النظر الثاني: نظر من لم يبلغ إلى مقام الفناء عن نفسه، وهؤلاء قسمان: قسم لم يثبتوا إلا وجود أنفسهم وانكروا أن يكون لهم رب يعبد وهؤلاء هم العميان المنكوسون**) المحجوبون بمحض الظلمة، (**وعماهم في كلتي العينين لأنهم نفوا ما هو الثابت تحقيقاً وهو القيوم**) المطلق (**الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت، وكل قائم فهو قائم به ولم يقتصروا على هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا لعلموا أنهم من حيث هم لا ثبات لهم**) ولا دوام لوجودهم، بل (**ولا وجود لهم وإنما وجودهم من حيث أوجدوا**) من الوجه الذي يلي الموجد (**لا من حيث وجدوا وفرق بين الموجود**) بنفسه (**وبين الموجد**) بإيجاد غيره، (**وليس في الوجود إلا موجود واحد وموجد، فالموجود حق والموجد باطل من حيث هو هو والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان، وإذا كان كل من عليها فان**) وزائل مضمحل أزلاً وأبداً، (**فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام**).

(**الفريق الثاني: ليس بهم عمى ولكن بهم عور، لأنهم يبصرون بإحدى العينين وجود الموجود الحق فلا ينكرونه، والعين الأخرى إن تم عماها لم يبصر بها فناء غير الموجود الحق فأثبت موجوداً آخر مع الله تعالى وهذا مشرك تحقيقاً**) لأنه أشرك مع الله تعالى موجوداً

تحقيقاً ، فإن جاوز حد العمى إلى العمش أدرك تفاوتاً بين الموجودين ، فأثبت عبداً ورباً فبهذا القدر من اثبات التفاوت والبعض من الموجود الآخر دخل في حد التوحيد ، ثم ان كحل بصره بما يزيد في أنواره فيقل عمشه وبقدر ما يزيد في بصره يظهر لـه نقصـان مـا أثبته سوى الله تعالى ؛ فإن بقي في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به النقصان إلى المحو ، فينمحي عن رؤية ما سوى الله فلا يرى إلا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد ، وحيث أدرك نقصاً في وجود ما سوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد ، وبينهما درجات لا تحصى، فبهذا تتفاوت درجات الموحدين ، وكتب الله المنزلة على ألسنة رسله هي الكحل الذي به يحصل أنوار الأبصار ، والأنبياء هم الكحالون ، وقد جاؤوا داعين إلى التوحيد المحض ، وترجمته قول « لا إله إلا الله » ومعناه أن لا يرى إلا الواحد الحق ، والواصلون إلى كمال التوحيد هم الأقلون ، والجاحدون والمشركون أيضاً قليلون ، وهم على الطرف الأقصى المقابل لطرف التوحيد ، إذ عبدة الأوثان قالوا : ﴿ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إلى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر : ٣] فكانوا داخلين في أوائل أبواب التوحيد دخولاً ضعيفاً

آخر ، (**كما كان الذي قبله جاحداً تحقيقاً**) لأنه جحد ما هو الحق الثابت ، (**فإن جاوز حد العمى إلى العمش**) وهو ضعف البصر بسيلان الدمع (**أدرك تفاوتاً بين الموجودين فأثبت عبداً ورباً**) وقسم الموجود إلى واجب وممكن (**فبهذا القدر من إثبات التفاوت**) بين الموجودين (**والبعض من الموجود الآخر دخل في حد التوحيد**) أي أوائله ، (**ثم إن كحل بصره بما يزيد في أنواره فيقل عمشه**) وسيلان دمعه (**وبقدر ما يزيد في بصره يظهر له نقصان ما أثبته سوى الله تعالى ، فإن بقي في سلوكه كذلك فلا يزال يفضي به النقصان إلى المحو فينمحي عن رؤية ما سوى الله تعالى فلا يرى**) في الوجود (**إلا الله تعالى فيكون**) بذلك (**قد بلغ كمال التوحيد**) فإذا كمال التوحيد المحو عن رؤية ما سوى الله تعالى ذاتاً وفعلاً (**وحيث أدرك نقصاً في وجود ما سوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى ، فبهذا تتفاوت درجات الموحدين**) وتختلف مشاربهم وأذواقهم (**وكتب الله المنزلة على رسله هي الكحل الذي تحصل به أنوار الأبصار**) وبهذا الإعتبار سميت أنواراً (**والأنبياء**) عليهم السلام (**هم الكحالون وقد جاؤوا داعين إلى التوحيد المحض وترجمته قول لا إله إلا الله**) الدالة على التوحيد (**ومعناه**) في الحقيقة (**أن لا يرى إلا الواحد الحق**) ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ [الأنعام : ٩١] (**والواصلون إلى كمال التوحيد الأقلون والجاحدون والمشركون أيضاً قليلون وهم على الطرف الأقصى لطرف التوحيد ، إذ عبدة الأوثان قالوا : ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ فكانوا داخلين في أوائل أبواب التوحيد دخولاً ضعيفاً**) بهذا الخيال القائم في أذهانهم (**والمتوسطون هم الأكثرون ،**

والمتوسطون هم الأكثرون، وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض الأحوال فتلوح له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت، وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زماناً ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز.

لكل إلى شأو العلا حركاتُ ولكن عزيز في الرجال ثباتُ

ولما أمر الله تعالى نبيه ﷺ بطلب القرب فقيل له: ﴿واسْجُدْ واقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩] قال في سجوده: «أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»، فقوله ﷺ: «أعوذ بعفوك من عقابك» كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكأنه لم ير إلا الله وأفعاله، فاستعاذ بفعله من فعله، ثم اقترب ففني عن مشاهدة الأفعال، وترقى إلى مصادر الأفعال وهي الصفات فقال: «أعوذ برضاك من سخطك» وهما صفتان، ثم رأى ذلك نقصاناً في التوحيد فاقترب ورقي من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات فقال: «أعوذ بك منك» وهذا فرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة، ولكنه رأى نفسه فاراً منه إليه ومستعيذاً

وفيهم من تنفتح بصيرته في بعض الأحوال والأحيان (**فتلوح له حقائق التوحيد، ولكن كالبرق الخاطف**) يذهب سريعاً و(**لا يثبت**) فهو أشبه شيء بالأحوال (**وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زماناً**) فيكون أشبه شيء بالمقامات، (**ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز**) كما قيل:

(لكل إلى شأو العلا حركات ولكن عزيز في الرجال ثبات)

(**ولما أمر الله تعالى نبيه ﷺ بطلب القرب فقيل له:**) كلا لا تطعه و(﴿**اسجد واقترب**﴾) أي دم على سجودك وتقرب من ربك. وقال مجاهد: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ألا تسمعون يقول: ﴿اسجد واقترب﴾ أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر ولما سجد (**قال في سجوده: «أعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»**) رواه مسلم من حديث عائشة بلفظ: «أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك» والباقي سواء وقد تقدم (**فقوله: أعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكأنه لم ير إلا الله وأفعاله فاستعاذ بفعله عن فعله**) وهذا قسم من الفناء المطلق، وهو أن يتجلى الحق لعبده بطريق الأفعال ويسلب عنه اختياره وإرادته فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلاً إلا بالحق (**ثم اقترب ففني عن مشاهدة الأفعال وترقى إلى مصادر الأفعال وهي الصفات فقال «أعوذ برضاك من سخطك» وهما**) أي الرضا والسخط (**صفتان**) من صفات الله (**ثم رأى نقصاناً في التوحيد فاقترب من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات فقال: «أعوذ بك منك» وهذا فرار منه إليه في غير رؤية فعل وصفة**)،

ومثنياً، ففني عن مشاهدة نفسه إذ رأى ذلك نقصاناً واقترب فقال: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» فقوله ﷺ: «لا أحصي» خبر عن فناء نفسه وخروج عن مشاهدتها، وقوله: «أنت كما أثنيت على نفسك» بيان أنه المثني والمثنى عليه وأن الكل منه بدا وإليه يعود وأن كل شيء هالك إلا وجهه؛ فكان أول مقاماته نهاية مقامات الموحدين وهو أن لا يرى إلا الله تعالى وأفعاله، فيستعيذ بفعل من فعل: فانظر إلى ماذا انتهت نهايته إذا انتهى إلى الواجد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق، ولقد كان ﷺ لا يرقي من رتبة إلى أخرى إلا ويرى الأولى بعداً بالإضافة إلى الثانية، فكان يستغفر الله من الأولى ويرى ذلك نقصاً في سلوكه وتقصيراً في مقامه وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة» فكانْ ذلك لترقيه إلى سبعين مقاماً بعضها فوق البعض: أولها وإن كان مجاوزاً أقصى غايات الخلق ولكن كان نقصاناً بالإضافة إلى آخرها، فكان استغفاره لذلك. ولما قالت عائشة رضي الله عنها: أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما

ولكن رأى نفسه فاراً منه إليه ومستعيذاً ومثنياً ففني عن مشاهدة نفسه إذ رأى ذلك نقصاناً واقترب فقال: «أنت كما أثنيت على نفسك لا أحصي ثناء عليك») أي إني لا أطيق بمحامدك وصفات إلهيتك وإنما أنت المحيط بها وحدك (**فقوله: لا أحصي خبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدتها. وقوله: أنت كما أثنيت على نفسك بيان أنه المثني وهو المثني عليه**) وهو الذي أشار إليه الصديق رضي الله عنه حيث قال: العجز عن درك الإدراك إدراك (**وأن الكل منه بدا وإليه يعود وأن كل شيء هالك إلا وجهه**) وأنه لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته إلا بالحيرة والدهشة (**فكان أول مقامه**) ﷺ (**نهاية مقام الموحدين وهو أن لا يرى**) في الوجود (**إلا الله وأفعاله فيستعيذ بفعل من فعل، فانظر إلى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق**) وهذا المقام غاية ما ينتهي إليه من تم له مقام الفناء المطلق، (**ولقد كان ﷺ لا يرقي من رتبة إلى أخرى إلا ويرى الأولى بعداً**) من الله تعالى (**بالإضافة إلى الثانية فكان يستغفر الله تعالى من الأولى، ويرى ذلك نقصاً في سلوكه وتقصيراً في مقامه**) وهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، (**وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة»**) رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان من حديث الأغر بن بشار المزني بلفظ: «إنه ليغان على قلبي وإني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة». وقد تقدم في كتاب التوبة وقبله في كتاب الدعوات، (**فكان ذلك لترقيه إلى سبعين مقاماً بعضها فوق البعض أوائلها وإن كان مجاوزاً أقصى غايات الخلق، ولكن كان نقصاً بالإضافة إلى أواخرها فكان استغفاره لذلك**) وقد تقدم الكلام عليه. (**ولما قالت عائشة رضي الله عنها**) للنبي ﷺ: (**قد غفر الله لك ما تقدم من**

تأخر فما هذا البكاء في السجود. وما هذا الجهد الشديد قال: « أفلا أكون عبداً شكوراً » معناه أفلا أكون طالباً للمزيد في المقامات فإن الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [ابراهيم: ٧]. وإذ تغلغلنا في بحار المكاشفة فلنقبض العنان، ولنرجع إلى ما يليق بعلوم المعاملة؛ فنقول: الأنبياء عليهم السلام بعثوا لدعوة الخلق إلى كمال التوحيد الذي وصفناه، ولكن بينهم وبين الوصول إليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وإنما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك المقام بالإضافة إلى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور، ولا يعرف ذلك إلا بمثال فأقول: يمكنك أن تفهم أنَّ ملكاً من الملوك أرسل إلى عبد قد بعد منه مركوباً وملبوساً ونقداً لأجل

ذنبك وما تأخر فما هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد؟ فقال: « أفلا أكون عبداً شكوراً ») رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب أخلاق النبي ﷺ وهو بقية حديث عطاء عنها المتقدم قبل هذا بتسعة أحاديث وهو عند مسلم من رواية عروة عنها مختصراً، وهو كذلك في الصحيحين مختصراً من حديث المغيرة بن شعبة. وقوله: « أفلا » الفاء للسببية من محذوف أي أأترك تلك الكلفة نظراً إلى تلك المغفرة فلا أكون عبداً شكوراً لا بل ألزمها وإن غفر لي لأكون عبداً شكوراً، فالمعنى أن المغفرة سبب ذلك التكلف شكراً، فكيف أتركه بل أفعله لأكون مبالغاً في الشكر بحسب الإمكان البشري ومن ثم أتى بلفظ العبودية لأنها أخص أوصافه ﷺ، ولذا ذكرها في أعلى المقامات وأفضل الأحوال إذ هي مقتضى النسبة المستلزمة للقيام بأعلى الخدمة وهو الشكر إذ العبد إذا لاحظ كونه عبداً وأن مالكه مع ذلك أنعم عليه بما لم يكن في حسابه علم تأكد وجوب الشكر والمبالغة فيه عليه أو (**معناه. أفلا أكون طالباً للمزيد في المقامات فإن الشكر سبب الزيادة حيث قال: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾**) وقد تقدم قريباً. وقيل: تقدير الكلام إذا أنعم علي بالأنعام الواسع أفلا أكون عبداً شكوراً أي أيصير هذا الإنعام سبباً لخروجي عن دائرة المبالغين في الشكر والإستفهام لإنكار سببية مثل هذا الإنعام لعدم كونه عبداً شكوراً ولا يخفي تكلفه، ويصح أن يكون التقدير غفر لي ما تقدم وما تأخر لعلمه بأني أكون مبالغاً في عبادته فأكون عبداً شكوراً فلا أكون كذلك وهذا قريب من الأول (**وإذ**) قد (**تغلغلنا في بحار**) علوم (**المكاشفة فلنقبض العنان ولنرجع إلى ما يليق بعلوم المعاملة فنقول: الأنبياء**) عليهم السلام (**بعثوا لدعوة الخلق إلى كمال التوحيد الذي وصفناه**) آنفاً (**ولكن بينهم وبين الوصول إليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة، وإنما الشرع كله**) من أوله إلى آخره (**تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك المقام بالإضافة إلى تلك المشاهدة الشكر والشاكر والمشكور ولا تعرف ذلك إلا بمثال**) يضرب لك. (**فأقول: يمكنك أن تفهم أن ملكاً من الملوك أرسل إلى**

زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك، ثم يكون له حالتان:

إحداهما: أن يكون قصده من وصول العبد إلى حضرته أن يقوم ببعض مهماته ويكون له عناية في خدمته.

والثانية: أن لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به إليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لأنه لا يقوى على القيام بخدمة تغني فيه غناء، وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الإنعام عليه بالمركوب والزاد أن يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع الملك به، فمنزل العباد من الله تعالى في المنزلة الثانية لا في المنزلة الأولى فإن الأولى محال على الله تعالى، والثانية غير محال، ثم اعلم أن العبد لا يكون شاكراً في الحالة الأولى بمجرد الركوب والوصول إلى حضرته ما لم يقم بخدمته التي أرادها الملك منه. وأما في الحالة الثانية فلا يحتاج إلى الخدمة أصلاً ومع ذلك يتصور أن يكون شاكراً وكافراً ويكون شكره بأن يستعمل ما أنفذه إليه مولاه فيما أحبه لأجله لا لأجل نفسه، وكفره أن لا يستعمل ذلك فيه بأن يعطله أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه؛ فمهما لبس العبد الثوب وركب الفرس ولم ينفق الزاد إلا في الطريق فقد شكر

عبد قد بعد منه مركوباً أو ملبوساً ونقداً) من المال **(لأجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم تكون له حالتان) .**

(إحداهما: أن يكون قصده من وصول العبد إلى حضرته أن يقوم) ذلك العبد **(ببعض مهماته ويكون له غناء في خدمته) .**

(الثانية: أن لا يكون للملك حظ في العبد ولا حاجة به إليه بل حضوره لا يزيد في ملكه لأنه لا يقوى على القيام بخدمة تغني فيه غناء وغيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الإنعام عليه بالمركوب والزاد أن يحظى العبد بالقرب منه وينال سعادة حضرته لينتفع هو في نفسه لا لينتفع به وبانتفاعه، فمنزلة العباد من الله تعالى المنزلة الثانية لا في المنزلة الأولى، فإن الأولى محال على الله تعالى) لتنزيهه عن الإفتقار والإحتياج إلى معين، **(والثانية غير محال ثم أعلم أن العبد لا يكون شاكراً في الحالة الأولى بمجرد الركوب والوصول إلى حضرته ما لم يقم بخدمته التي أرادها الملك منه. وأما الحالة الثانية فلا يحتاج إلى الخدمة أصلاً ومع ذلك يتصور أن يكون شاكراً أو كافراً ويكون شكره بأن يستعمل ما أنفذه إليه مولاه فيما أحبه لأجله لا لأجل نفسه وكفره أن لا يستعمل ذلك فيه بأن يعطله)** أي يهمله **(أو يستعمله فيما يزيد في بعده منه، فمهما لبس العبد الثوب وركب**

مولاه إذ استعمل نعمته في محبته : أي فيما أحبه لعبده لا لنفسه ، وإن ركبه واستدبر حضرته وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته : أي استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه ، وإن جلس ولم يركب إلا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضاً نعمته إذ أهملها وعطلها وإن كان هذا دون ما لو بعد منه ، فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون إلى استعمال الشهوات لتكمل بها أبدانهم فيبعدون بها عن حضرته ، وإنما سعادتهم في القرب منه فأعدّ لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب ، وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى إذ قال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ★ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ★ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [التين: ٤ ، ٥ ، ٦] الآية ، فإذاً نعم الله تعالى آلات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين، خلقها الله تعالى لأجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب ، والله تعالى غني عنه قرب أم بعد ، والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكره لموافقة محبة مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفر لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له ، فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية ، وإن عطلها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو أيضاً كفران للنعمة بالتضييع ، وكل ما خلق في الدنيا إنما خلق آلة للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل

الفرس ولم ينفق الزاد إلا في الطريق) الذي يوصله إليه **(فقد شكر مولاه إذا استعمل نعمته في محبته أي فيما أحبه لعبده لا لنفسه وإن ركبه واستدبر حضرته وأخذ يبعد منه فقد كفر نعمته أي استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وإن جلس ولم يركب لا في طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضاً نعمته)** في هذه الصورة **(إذ أهملها وعطلها ، وإن كان هذا دون ما لو بعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون إلى الشهوات)** أي استعمالها **(لتكمل بها أبدانهم فيبعدون بها من حضرته ، وإنما سعادتهم في القرب منها فأعدّ لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر تعالى إذ قال: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم★ ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا﴾ [التين: ٤ ، ٥] الآية . فإذا نعم الله)** تعالى **(آلات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين خلقها الله تعالى لأجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله تعالى غني عنه قرب أم بعد ، والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكره لموافقته محبة مولاه وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفره لاقتحامه ما يكرهه مولاه ولا يرضاه له ، فإن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر والمعصية)** كما هو بنص القرآن ، **(وإن عطلها)** وأهملها **(ولم يستعملها في طاعته ولا معصيته فهو أيضاً كفران للنعمة بالتضييع، وكل ما خلق في الدنيا إنما خلق آلة للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل**

القرب من الله تعالى، فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة، وكل كسلان ترك الاستعمال أو عاص استعملها في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى؛ فالمعصية والطاعة تشملها المشيئة ولكن لا تشملها المحبة والكراهة، بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه. ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من إفشائه، وقد انحل بهذا الاشكال الأول: وهو أنه إذا لم يكن للمشكور حظ فكيف يكون الشكر؛ وبهذا أيضاً ينحل الثاني؛ فإنا لم نعن بالشكر إلا انصراف نعمة الله في جهة محبة الله فإذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله فقد حصل المراد، وفعلك عطاء من الله تعالى، ومن حيث أنت محله فقد أثنى عليك، وثناؤه نعمة أخرى منه إليك فهو الذي أعطى وهو الذي أثنى وصار أحد فعليه سبباً لانصراف فعله الثاني إلى جهة محبته، فله الشكر على كل حال وأنت موصوف بأنك شاكر بمعنى انك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجد له، كما أنك موصوف بأنك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق للعلم وموجده، ولكن بمعنى أنك محل له وقد وجد بالقدرة الأزلية فيك؛ فوصفك بأنك شاكر إثبات شيئية لك وأنت شيء، إذ جعلك

القرب من الله تعالى، فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك الإستعمال أو عاص استعملها في طريق البعد) عن حضرة الله تعالى (**فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى، فالمعصية والطاعة تشملها المشيئة)** الأزلية (**ولكن لا تشملها المحبة والكراهة، بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه)** وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب قواعد العقائد (**ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من إفشائه)** وإظهاره، وروى الطبراني من حديث ابن مسعود إذا ذكر القدر فامسكوا وسيأتي قريباً (**وقد انحل بهذا)** الذي أوردناه (**الإشكال الأول وهو أنه إذا لم يكن للمشكور)** حظ فكيف يكون الشكر وبهذا أيضاً ينحل الإشكال (**الثاني، فإنا لم نعن بالشكر إلا انصراف نعمة الله في جهة محبة الله)** تعالى (**فإذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله)** تعالى (**فقد حصل المراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت محله فقد أثنى عليك وثناؤه نعمة أخرى منه إليك فهو الذي أعطى وهو الذي أثنى)** كما بينه قول حبيب بن أبي حبيب السابق ذكره، (**وصار أحد فعليه سبباً لانصراف فعله الثاني إلى جهة محبته، فله الشكر على كل حال وأنت موصوف بأنك شاكر بمعنى أنك محل المعنى الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجد له، كما أنك موصوف بأنك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق العلم وموجده ولكن بمعنى أنك محل له)** ومظهر لتجليه، (**وقد وجد بالقدرة الأزلية فيك فوصفك بأنك شاكر إثبات شيئية لك وأنت شيء)** لثبوتك في الأعيان (**إذ جعلك خالق**

خالق الأشياء شيئاً وإنما أنت لا شيء إذ كنت أنت ظاناً لنفسك شيئاً من ذاتك ؛ فأما باعتبار النظر إلى الذي جعل الأشياء أشياء فأنت شيء إذ جعلك شيئاً ، فإن قطع النظر عن جعله كنت لا شيء تحقيقاً ، وإلى هذا أشار ﷺ حيث قال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » لما قيل له : يا رسول الله ففيم العمل إذا كانت الأشياء قد فرغ منها من قبل ؟ فتبين أن الخلق مجاري قدرة الله تعالى ومحل أفعاله وإن كانوا هم أيضاً من أفعاله ، ولكن بعض أفعاله محل للبعض . وقوله : اعملوا » وإن كان جارياً على لسان الرسول ﷺ فهو فعل من أفعاله ، وهو سبب لعلم الخلق أن العمل نافع وعلمهم فعل من أفعال الله تعالى ، والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة إلى الحركة والطاعة ، وانبعاث الداعية أيضاً من أفعال

الأشياء شيئاً وإنما أنت لا شيء) في الحقيقة **(إذ كنت أنت أنت)** في الأزل **(ظاناً لنفسك شيئية من ذلك فأما باعتبار النظر إلى الذي جعل الأشياء أشياء)** أي موجدة في الأعيان ، **(فأنت شيء إذ جعلك شيئاً فإن قطع النظر عن جعله شيئاً كنت لا شيء تحقيقاً وإلى هذا أشار ﷺ حيث قال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »)** أي اعملوا بظاهر ما أمرتم فكل من خلق مهيء ومصروف لأمر خلق ذلك الأمر له فلا يقدر ألبتة على عمل غيره ، وهذا القول قاله **(لما قيل له ففيم العمل إذا كانت الأشياء قد فرغ منها من قبل)** ؟ رواه الطبراني من حديث ابن عباس وعمران بن حصين بلفظ : قال رجل يا رسول الله أنعمل فيما جرت به المقادير وجف به القلم أو شيء نستأنفه ؟ فقال : « بل بما جرت به المقادير وجف به القلم » قال : ففيم العمل ؟ قال « اعملوا » الخ . ورجاله ثقات وروى الشيخان من حديث علي قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال : « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة » فقالوا : يا رسول الله أفلا نتكل على ما كتب ؟ فقال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » . **(فبيّن)** ﷺ **(أن الخلق مجاري قدر الله ومحل أفعاله وإن كانوا هم أيضاً من أفعاله ، ولكن بعض أفعاله محل للبعض وقوله : « اعملوا »)** من الأسلوب الحكيم منعهم عن الإتكال وترك العمل وأمرهم بإمساك ما يجب على العبد من امتثال أمر ربه وعبوديته عاجلاً وتفويض الأمر إليه آجلاً يعني أنتم عبيد ولا بدّ لكم من العبودية فعليكم بما أمرتم به وإياكم والتصرف في الأمور الإلهية لآية : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات : ٥٦] فلا تجعلوا العبادة وتركها سبباً مستقلاً لدخول الجنة والنار ، بل هو أمارات وعلامات ولا بد في الإيجاب من لطف الله وخذلانه ، وهذا القول **(وإن كان جارياً على لسان رسول الله ﷺ فهو فعل من أفعاله وهو سبب لعلم الخلق بأن العلم نافع وعلمهم فعل من أفعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة إلى الحركة والطاعة وانبعاث الداعية أيضاً من أفعال الله تعالى وهو سبب لحركة الأعضاء وهي أيضاً من أفعال الله تعالى**

الله تعالى، وهو سبب لحركة الأعضاء وهي أيضاً من أفعال الله تعالى، ولكن بعض أفعاله سبب للبعض أي الأول شرط للثاني كما كان خلق الجسم سبباً لخلق العرض إذ لا يخلق العرض قبله، وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الإرادة والكل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض: أي هو شرط، ومعنى كونه شرطاً أنه لا يستعدّ لقبول فعل الحياة إلا جوهر ولا يستعدّ لقبول العلم إلا ذو حياة ولا لقبول الإرادة إلا ذو علم. فيكون بعض أفعاله سبباً للبعض بهذا المعنى لا بمعنى أن بعض أفعاله موجد لغيره بل ممهد شرط الحصول لغيره، وهذا إذا حقق ارتقى إلى درجة التوحيد الذي ذكرناه.

فإن قلت: فلم قال الله تعالى اعملوا وإلا فأنتم معاقبون مذمومون على العصيان، وما إلينا شيء فكيف ندم وإنما الكل إلى الله تعالى؟ فاعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقاد فينا، والاعتقاد سبب لهيجان الخوف، وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي عن دار الغرور، وذلك سبب للوصول إلى جوار الله، والله تعالى مسبب الأسباب ومرتبها، فمن سبق له في الأزل السعادة يسر له هذه الأسباب حتى

ولكن بعض أفعاله سبب للبعض أي الأول شرط للثاني كما كان خلق جوهر الجسم سبباً لخلق العرض)لأجل أن يقوم به (**إذ لا يخلق العرض قبله**) لعدم استقلاله بالقيام (**و**) كما كان (**خلق الحياة شرطاً لخلق العلم وخلق العلم شرطاً لخلق الإرادة والكل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب للبعض أي هي شرط، ومعنى كونه شرطاً أنه لا يستعد لقبول فعل الحياة إلا جوهر ولا يستعد لقبول**) صفة (**العلم إلا ذو حياة ولا لقبول الإرادة إلا ذو علم فيكون بعض أفعاله سبباً للبعض بهذا المعنى لا بمعنى أن بعض أفعاله موجد لغيره**) كما يقوله من قال بالتولد ويرد عليهم قوله تعالى: ﴿تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾ [إبراهيم: ٢٥] ففيه دليل على أن لا يصدر منا فعل من أفعالنا إلا وهو موجود بقدرته على ما قدرته مشيئته، (**بل ممهد شرط الحصول لغيره وهذا إذا حقق ارتقى إلى درجة التوحيد الذي ذكرناه**) وهو توحيد الأفعال.

(**فإن قلت: فلم قال الله تعالى**) على لسان رسوله ﷺ (**اعملوا وإلا فأنتم معاقبون ومذمومون على العصيان وما إلينا شيء فكيف ندم وإنما الكل إلى الله تعالى؟ فاعلم أن هذا القول من الله سبب لحصول اعتقاد فينا والإعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجافي**) أي التباعد (**عن دار الغرور، وذلك سبب الوصول إلى جوار الله**) تعالى في دار كرامته (**والله تعالى مسبب الأسباب ومرتبها**) على أبدع نظام (**فمن سبق له**

يقوده بسلسلتها إلى الجنة، ويعبر عن مثله بأن كلا ميسر لما خلق له، ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ وكلام العلماء؛ فإذا لم يسمع لم يعلم وإذا لم يعلم لم يخف، وإذا لم يخف لم يترك الركون إلى الدنيا، وإذا لم يترك الركون إلى الدنيا بقي في حزب الشيطان، وإن جهنم لموعدهم أجمعين، فإذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل؛ فما من أحد إلا وهو مقود إلى الجنة بسلاسل الأسباب، وهو تسليط العلم والخوف عليه. وما من مخذول إلا وهو مقود إلى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والأمن والغرور عليه، فالمتقون يساقون إلى الجنة قهراً، والمجرمون يقادون إلى النار قهراً ولا قاهر إلا الله الواحد القهار، ولا قادر إلا الملك الجبار، وإذا انكشف الغطاء عن أعين الغافلين فشاهدوا الأمر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الواحِدِ القَهَّارِ﴾ [المؤمن: ١٦] ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لا ذلك اليوم على الخصوص، ولكن الغافلين لا يسمعون

في الأزل السعادة) الموعودة (**يسر له هذه الأسباب حتى تقوده بسلسلتها إلى الجنة)** وفي نسخة إلى الخير (**ويعبر عن مثله بأن كلا ميسر لما خلق له ومن لم تسبق له من الله الحسنى بعد عن سماع كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وكلام العلماء، فإذا لم يسمع لم يعلم فإذا لم يعلم لم يخف، وإذا لم يخف لم يترك الركون إلى الدنيا، وإذا لم يترك الركون إلى الدنيا بقي في حزب الشيطان)** فإذا صار في ذلك الحزب شمله قوله تعالى: (**﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ [الحجر: ٤٣] فإذا عرفت هذا تعجبت من أقوام يقادون إلى الجنة بالسلاسل)** يشير إلى ما رواه أحمد، وأبو داود من حديث أبي هريرة عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل، وعند البخاري عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل، وعند أبي نعيم في الحلية: عجبت لأقوام يقادون إلى الجنة في السلاسل وهم كارهون، ورواه الطبراني من حديث أبي أمامة بهذا اللفظ إلا أنه قال يساقون، (**فما من أحد إلا وهو مقود إلى الجنة بسلاسل الأسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخذول إلا وهو مقود إلى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والأمن والغرور عليه فالمتقون يساقون إلى الجنة قهراً والمجرمون يقادون إلى النار بالسلاسل وهو تسليط الغفلة والأمن والغرور عليه فالمتقون يساقون إلى الجنة قهراً والمجرمون يقادون إلى النار قهراً ولا قاهر إلا الواحد القهار ولا قادر إلا الملك الجبار)** جلّ شأنه، (**فإذا انكشف الغطاء عن أعين الغافلين وشاهدوا الأمر كذلك سمعوا عند ذلك نداء المنادي ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لاذلك اليوم على الخصوص)** وقال في مشكاة الأنوار عند ذكر حقيقة الحقائق: إن أهل المشاهدة العيانية لا يفتقرون إلى قيام القيامة ليسمعوا نداء الباري ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبداً، (**ولكن الغافلين لا يسمعون**

هذا النداء إلا ذلك اليوم، فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الأحوال حيث لا ينفعهم الكشف؛ فنعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعمى فإنه أصل أسباب الهلاك.

بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه:

اعلم أنّ فعل الشكر وترك الكفر لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى عما يكرهه، إذ معنى الشكر استعمال نعمه تعالى في محابه، ومعنى الكفر نقيض ذلك إما بترك الاستعمال أو باستعمالها في مكارهه. ولتمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدركان.

أحدهما: السمع ومستنده الآيات والأخبار.

والثاني: بصيرة القلب، وهو النظر بعين الاعتبار، وهذا الأخير عسير، وهو لأجل ذلك عزيز. فلذلك أرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق، ومعرفة ذلك تنبني على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد، فمن لا يطلع على أحكام الشرع في

هذا النداء إلا ذلك اليوم فهو نبأ عما يتحدد للغافلين من كشف الأحوال حيث لا ينفعهم الكشف، فنعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعماء فإنه أصل أسباب الهلاك) الأبدي والله الموفق بفضله.

بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه:

(اعلم) أرشدك الله تعالى **(أن فعل الشكر وترك الكفر لا يتم إلا بمعرفة ما يحبه)** الله **(تعالى عما يكرهه إذ معنى الشكر استعماله نعمه في محابه)** ومراضيه. قال القشيري في الرسالة: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت الحسين بن يحيي يقول: سمعت جعفر بن نضير يقول: سمعت الجند يقول: كان السري إذا أراد أن ينفعني سألني فقال لي يوماً: يا أبا القاسم إيش الشكر؟ فقلت: أن لا يستعان بشيء من نعم الله تعالى على معاصيه. فقال: من أي لك هذا فقلت: من مجالستك. **(ومعنى الكفر نقيض ذلك)** إذ حقيقته ستر نعمة المنعم، فترك أداء شكرها **(إما بترك الإستعمال)** فيدعها معطلة **(أو باستعماله)** إياها **(في مكارهه)** ومساخطه **(ولتمييز ما يحبه الله)** تعالى **(عما يكرهه مدركان)**.

(أحدهما: السمع ومستنده الآيات والأخبار) من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ.

(والثاني: بصيرة القلب وهو النظر بعين الإعتبار وهذا الأخير عسير) صعب المنال **(وهو لأجل ذلك عزيز)** الوجود، **(فلذلك أرسل الله الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق، ومعرفة ذلك تنبني على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد، فمن لا يطلع على أحكام الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلاً)** لعدم إحاطته بجميع

جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلاً. وأما الثاني وهو النظر بعين الاعتبار فهو إدراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه، إذ ما خلق شيئاً في العالم إلا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب، وتلك الحكمة منقسمة إلى جلية وخفية. أما الجلية فكالعلم بأن الحكمة في خلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين الليل والنهار، فيكون النهار معاشاً والليل لباساً فتتيسر الحركة عند الإبصار، والسكون عند الاستتار، فهذا من جملة حكم الشمس لا كل الحكم فيها بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة، وكذلك معرفة الحكمة في الغيم ونزول الامطار وذلك لانشقاق الأرض، بأنواع النبات مطعماً للخلق ومرعى للأنعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي تحتملها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه، إذ قال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ★ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ★ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا﴾ [عبس: ٢٥، ٢٨] الآية.

وأما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها والثوابت فخفية لا يطلع عليها كافة

الأحكام. (**وأما الثاني وهو النظر بعين الإعتبار فهو إدراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه إذ ما خلق شيئاً في العالم إلا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود، وذلك المقصود هو المحبوب، وتلك الحكمة منقسمة إلى جلية وخفية. أما الجلية فكالعلم بأن الحكمة في خلق الشمس أن يحصل به الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشاً**) أي ظرفاً للحركة في المعيشة أي وقت معاش ينقلبون لتحصيل المعيشة أو حياة يبعثون فيها عن النوم، (**والليل لباساً**) أي غطاء يستر بظلمته من أراد الإختفاء، (**فتتيسر الحركة عند الأبصار**) بنور النهار (**والسكون عند الإستتار**) بظلمة الليل، (**فهذا من جملة حكمة الشمس لا كل الحكم فيها، بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة**) لا يطلع عليها إلا أهل البصيرة، (**وكذلك معرفة الحكمة في الغيم**) وهو السحاب المسخر بين السماء والأرض (**ونزول الأمطار**) منه، وذلك (**كانشقاق الأرض بأنواع النبات مطعماً للخلق ومرعى للأنعام، وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجلية التي تحتملها أفهام الخلق دون الدقيق الذي يقصرون عن فهمه إذ قال تعالى**) في تعداد النعم الخارجية ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه (**أنَّا صببنا الماء صباً★**) أي من السحب (**ثم شققنا الأرض شقاً★**) أي بالنبات أو بالكرات وأسند الشق إلى نفسه وهو من إسناد الفعل إلى السبب (**فأنبتنا فيها حباً★**) كالحنطة والشعير (**وعنبا وقضبا**) يعني الرطبة (**وزيتونا ونخلاً﴾ الآية**) وتمامها ﴿وحدائق غلبا★ وفاكهة وأبا★ متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ أي فإن الأنواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف.

(**وأما الحكمة في سائر الكواكب السيارة منها**) وهي السبعة التي تقطع الفلك

الخلق، والقدر الذي يحتمله فهم الخلق انها زينة للسماء لتستلذ العين بالنظر إليها، وأشار إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦] فجميع أجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لا تخلو ذرّة من ذرّاته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة إلى عشرة إلى ألف إلى عشرة آلاف، وكذا أعضاء الحيوان تنقسم إلى ما يعرف حكمته كالعلم بأن العين للابصار لا للبطش واليد للبطش لا للمشي والرجل للمشي، لا للشم، فأما الأعضاء الباطنة من الأمعاء والمرارة والكبد والكلية وآحاد العروق والأعصاب والعضلات وما فيها من التجاويف والالتفاف والاشتباك والانحراف والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها سائر الناس، والذين يعرفونها لا يعرفون منها إلا قدراً يسيراً بالإضافة إلى ما في علم الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الاسراء: ٥٨] فإذاً كل من استعمل شيئاً في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أريد به فقد كفر نعمة الله تعالى، فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد إذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره، ومن نظر إلى وجه غير

(والثوابت) التي لا تسير (**فخفية لا يطلع عليها كافة الخلق والقدر الذي يحتمله فهم الخلق أنها زينة السماء لتستلذ العين بالنظر إليها، وأشار إليه بقوله تعالى: ﴿إنا زينا السماء الدنيا**) أي القربى منكم (**بزينة الكواكب﴾**) أي زينة الكواكب والإضافة للبيان ويعضده قراءة من قرأ بتنوين زينة وجر الكواكب على إبدالها منه وفي الآية وجوه أخر. (**فجميع أجزاء العالم سماؤه وكواكبه ورياحه وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لا تخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من حكمة واحدة إلى عشرة إلى ألف**) وفي نسخة من حكمة واحدة إلى عشرة آلاف، (**وكذلك أعضاء الحيوان**) وفي نسخة الحيوانات (**تنقسم إلى ما يعرف حكمته كالعلم بأن العين للإبصار لا للبطش، واليد للبطش لا للمشي، والرجل للمشي لا للشم، فأما الأعضاء الباطنة من الأمعاء والمرارة والكبد والكلية وآحاد العروق**) المختلفة والأعصاب والعضلات (**وما فيها من التجاويف والإلتفات والإشتباك والإنحراف**) والإلتواء (**والدقة والغلظ وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها كافة الناس والذين يعرفونها**) كأهل التشريح (**لا يعرفون منها إلا قدراً يسيراً بالإضافة إلى ما في علم الله تعالى: ﴿فما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ فإذاً كل من استعمل شيئاً في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى فمن ضرب غيره بيده فقد كفر نعمة اليد إذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه لا ليهلك بها غيره، ومن نظر إلى وجه غير محرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس إذ**

المحرم فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس، إذ الأبصار يتم بهما وإنما خلقتا ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما، فقد استعملهما في غير ما أريدتا به، وهذا لأن المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بها على الوصول إلى الله تعالى ولا وصول إليه إلا بمحبته والأنس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا، ولا أنس إلا بدوام الذكر ولا محبة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر، ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام البدن، ولا يبقى البدن إلا بالغذاء، ولا يتم الغذاء إلا بالأرض والماء والهواء، ولا يتم ذلك إلا بخلق السماء والأرض وخلق سائر الأعضاء ظاهراً وباطناً، فكل ذلك لأجل البدن والبدن مطية النفس، والراجع إلى الله تعالى هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة، فلذلك قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُون ★ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧] الآية، فكل من استعمل شيئاً في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الأسباب التي لا بدّ منها لإقدامه على تلك المعصية، ولنذكر مثالاً واحداً للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى تعتبر بها وتعلم طريقة الشكر والكفران على المنعم، فنقول: من نعم الله تعالى خلق الدراهم

الإبصار يتم بهما، وإنما خلقتا **ليبصر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضره فيهما فقد استعملها في غير ما أريدا له، وهذا لأن المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بها على الوصول إلى الله تعالى ولا وصول إليه إلا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي)** أي التباعد (**عن غرور الدنيا ولا أنس إلا بدوام الذكر ولا محبة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر**) والمراقبة لجلاله وكماله، (**ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام البدن**) الذي هو بمنزلة المركب له (**ولا يبقى البدن إلا بالأرض**) في استقراره عليها (**والماء والهواء والغذاء**) في انتعاشه بها (**ولا يتم ذلك إلا بخلق السماء والأرض وخلق سائر الأعضاء ظاهراً وباطناً فكل ذلك لأجل**) بقاء (**البدن والبدن مطية النفس**) تركب عليه وتستعين به إلى الوصول إلى الآخرة (**والراجع إلى الله تعال هي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة**) كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة★ ارجعي إلى ربك﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] في أحد وجوه التفسير (**فلذلك قال الله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**) أي ليدوموا على العبادة والمعرفة (**فكل من استعمل شيئاً في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله**) تعالى (**في جميع الأسباب التي لا بد منها لإقدامه على تلك المعصية ولنذكر مثالاً واحداً للحكم الخفية التي ليست في غاية الخفاء حتى يعتبر بها ويعلم طريق الشكر والكفران على المنعم فنقول: من**) جلة (**نعم الله تعالى خلق الدراهم والدنانير وبهما قوام الدنيا**) وملاكها (**وهما حجران**) كسائر الحجارة (**لا منفعة في**

والدنانير وبهما قوام الدنيا وهما حجران لا منفعة في أعيانهما ولكن يضطر الخلق إليهما من حيث أن كل إنسان محتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته، وقد يعجز عما يحتاج إليه ويملك ما يستغني عنه. كمن يملك الزعفران مثلاً وهو محتاج إلى جمل يركبه، ومن يملك الجمل ربما يستغني عنه ويحتاج إلى الزعفران، فلا بدّ بينهما من معاوضة ولا بدّ في مقدار العوض من تقدير، إذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران، ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطي منه مثله في الوزن أو الصورة. وكذا من يشتري داراً بثياب أو عبداً بخف أو دقيقاً بحمار فهذه الأشياء لا تناسب فيها، فلا يدري أن الجمل كم يسوي بالزعفران فتتعذر المعاملات جداً فافتقرت هذه الأعيان المتنافرة المتباعدة إلى متوسط بينهما يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته ومنزلته حتى إذا تقرّرت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي، فخلق الله تعالى الدنانير والدراهم حاكمين ومتوسطين بين سائر الأموال حتى تقدّر الأموال بهما، فيقال: هذا الجمل يسوي مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوي مائة، فهما من حيث إنهما مساويان بشيء واحد إذاً متساويان، وإنما أمكن التعديل بالنقدين إذ لا غرض في أعيانهما ولو كان في أعيانهما غرض ربما اقتضى

أعيانهما ولكن يضطر الخلق إليهما من حيث أن كل إنسان محتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه) ومسكنه **(وسائر حاجاته)** اللازمة، **(وقد يعجز عما يحتاج إليه ويملك ما يستغني عنه، كمن يملك الزعفران مثلاً وهو محتاج إلى جمل يركبه،** ومن يملك الجمل **ربما يستغني عنه)** في بعض الأحيان **(ويحتاج إلى الزعفران)** لحاجة دعته إليه، **(فلا بد بينهما من معاوضة ولا بدّ في مقدار العوض من تقدير)** يرجع إليه، **(إذ لا يبذل صاحب الجمل جمله بكل مقدار من الزعفران. ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يعطي منه مثله في الوزن أو الصورة. وكذا من يشتري داراً بثياب أو عبداً بخف أو دقيقاً بحمار فهذه أشياء لا تناسب فيها، فلا يدري أن الجمل كم يسوي بالزعفران فتتعذر المعاملات جداً)** ويشتبه أمرها **(فافتقرت هذه الأعيان المتنافرة المتباعدة إلى متوسط بينهما يحكم فيها بحكم عدل)** وسط **(فيعرف عن كل واحد رتبته ومنزلته، حتى إذا تقررت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من غير المساوي، فخلق الله الدنانير والدراهم حاكمين متوسطين بين سائر الأموال حتى تقدر الأموال بهما)** في المعاملات **(فيقال: هذا الجمل يسوي مائة مثلاً، وهذا القدر من الزعفران يسوي مائة فهما من حيث أنهما متساويان بشيء واحد إذا متساويان، وإنما أمكن التعديل بالتقدير)** والتخمين **(إذ لا غرض في أعيانهما ولو كان في أعيانهما غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحاً ولم يقتض**

خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحاً ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الأمر ، فإذاً خلقهما الله تعالى لتتداولهما الأيدي ويكونا حاكمين بين الأموال بالعدل ولحكمة أخرى وهي التوسل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما عزيزان في أنفسهما ولا غرض في أعيانهما ونسبتهما إلى سائر الأموال نسبة واحدة فمن ملكهما ، فكأنه ملك كل شيء ، لا كمن ملك ثوباً فإنه لم يملك إلا الثوب ، فلو احتاج إلى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لأن غرضه في دابة مثلاً فاحتيج إلى شيء هو في صورته كأنه ليس بشيء وهو في معناه كأنه كل الأشياء ، والشيء إنما تستوي نسبته إلى المختلفات إذ لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها ، كالمرآة لا لون لها ، وتحكي كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة إلى كل غرض ، وكالحرف لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره فهذه هي الحكمة الثانية ، وفيهما أيضاً حكم يطول ذكرها فكل من عمل فيهما عملاً لا يليق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما ، فإذاً من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه ، لأنه إذا كنز فقد ضيع الحكم ولا يحصل

ذلك في حق من لا غرض له فلا ينتظم الأمر ، فإذا خلقهما الله تعالى لتتداولهما الأيدي ويكونا حاكمين بين الأموال بالعدل) والسوية **(ولحكمة أخرى وهي التوصل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما شيئان عزيزان في أنفسهما ولا غرض في أعيانهما ونسبتهما إلى سائر الأموال نسبة واحدة ، فمن ملكهما فكأنه ملك كل شيء لا كمن ملك ثوباً فإنه لا يملك إلا الثوب)** فقط ، **(فلو احتاج إلى طعام ربما يرغب صاحب الطعام في الثوب لأن غرضه في ذاته مثلاً فاحتيج إلى شيء هو في صورته كأنه ليس بشيء وهو في معناه كأنه كل الأشياء)** وإليه يشير قول الشاعر :

وإذا صحّ كاف الكيس فالكل حاصل

(والشيء إنما تستوي نسبته إلى المختلفات إذا لم تكن له صورة خاصة يفيدها بخصوصها كالمرآة لا لون لها وتحكي كل لون) عند مقابلتها ، **(فكذلك النقد لا عرض فيه وهو وسيلة إلى كل غرض وكالحرف)** الذي هو أحد أقسام الكلمة الثلاثة **(لا معنى له في نفسه وتظهر به المعاني في غيره ، فهذه هي الحكمة الثانية وفيهما أيضاً حكم)** خفية **(يطول ذكرها ، فكل من عمل فيهما عملاً لا يليق بالحكام بل يخالف الغرض المقصود بالحكام فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما فإذاً من كنزهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما ، وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن يمتنع عليه الحكم بسببه لأنه إذا كنز فقد ضيع ولا يحصل**

الغرض المقصود به، وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة إذ لا غرض للآحاد في أعيانها فإنها حجران، وإنما خلقا لتتداولها الأيدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة المقادير مقوّمة للمراتب، فأخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الأسطر الإلهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط إلهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر بل بعين البصيرة أخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسول الله ﷺ حتى وصل إليهم بواسطة الحرف والصوت المعني الذي عجزوا عن إدراكه، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَها فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرهُمْ بِعَذَابٍ أليم﴾ [التوبة: ٣٤]، وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالاً ممن كنز لأن مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والمكس والأعمال التي يقوم بها أخساء الناس، والحبس أهون منه، وذلك أن الخزف والحديد والرصاص والنحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات عن أن تتبدّد، وإنما الأواني لحفظ المائعات، ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي أريد به النقود فمن لم ينكشف هذا انكشف له بالترجمة الإلهية وقيل له:

الغرض المقصود به، وما خلقت الدراهم والدنانير لزيد خاصة ولا لعمرو خاصة إذ لا غرض للآحاد في أعيانها فإنها حجران، وإنما خلقا لتتداولها الأيدي فيكونا حاكمين بين الناس وعلامة معرفة للمقادير مقومة للمراتب، فأخبر الله تعالى الذين يعجزون عن قراءة الأسطر الإلهية المكتوبة على صفحات الموجودات بخط إلهي لا حرف فيه ولا صوت الذي لا يدرك بعين البصر) الظاهر **(بل بعين البصيرة)** الباطنة **(أخبر هؤلاء العاجزين بكلام سمعوه من رسوله)** المرسل إليهم **(حتى وصل إليهم بواسطة الحرف والصوت المعنى الذي عجزوا عن إدراكه)** وفهم معناه، **(فقال: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾)** وقد تقدم الكلام على الآية في كتاب الزكاة. **(وكل من اتخذ من الدراهم والدنانير آنية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالاً ممن كنز)** ولم ينفق **(لأن مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والكنس و)** غيرها من **(الأعمال التي يقوم بها أخساء الناس)** وأرذياؤهم، **(والحبس أهون منه وذلك أن الخزف والحديد والرصاص والنحاس)** وغيرها من المتطرقات **(ينوب مناب الذهب والفضة في حفظ المائعات أن تتبدد)** أي تتفرق **(وإنما)** تتخذ **(الأواني لحفظ المائعات)** والحفظ يحصل بغيرها **(ولا يكفي الخزف والحديد)** والرصاص **(في المقصود الذي أريد به النقود)** في الغالب وإن كان يتعامل ببعضها في بعض الأقطار لكن على سبيل التبعية لها **(فمن لم ينكشف له هذا)** المعنى **(كشف له بالترجمة الإلهية، وقيل: إنه من شرب في آنية من ذهب أو فضة**

من شرب من آنية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم، وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لأنهما خلقا لغيرهما لا لنفسهما إذ لا غرض في عينهما، فإذا اتجر في عينهما فقد اتخذهما مقصوداً على خلاف وضع الحكمة، إذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعاماً ودابة، إذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب، فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به إلى مقصوده فإنهما وسيلتان إلى الغير لا غرض في أعيانهما، وموقعهما في الأموال كموقع الحرف من الكلام، كما قال النحويون: إن الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره، وكموقع المرآة من الألوان؛ فأما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد متقيداً عنده وينزل منزلة المكنوز، وتقييد الحاكم والبريد الموصل إلى الغير ظلم، كما أن حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا اتخاذ النقد مقصوداً للادخار وهو ظلم.

فإن قلت: فلم جاز بيع أحد النقدين بالآخر؛ ولم جاز بيع الدرهم بمثله؛ فاعلم أن

فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم) لم يصرح المصنف بكونه حديثاً وهو متفق عليه من حديث أم سلمة كما قاله العراقي، ولفظ مسلم: من شرب في إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه ناراً من جهنم. وروى البيهقي في المعرفة، والخطيب، وابن عساكر من حديث ابن عمر: من شرب في إناء ذهب أو فضة أو إناء فيه شيء من ذلك إنما يجرجر في بطنه نار جهنم. وروى ابن ماجه من حديث عائشة: من شرب في إناء فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم. **(وكل من عامل معاملة الربا على الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم)** أي تعدى، ووضع الشيء في غير موضعه **(لأنهما خلقا لغيرهما لا لأنفسهما إذ لا غرض في عينهما فإذا اتَّجر في عينهما فقد اتخذهما مقصوداً على خلاف وضع الحكمة)** الإلهية **(إذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم، ومن معه ثوب ولا نقد معه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعاماً ودابة إذ ربما لا يباع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بنقد آخر ليحصل النقد فيتوصل به إلى مقصوده، فإنهما وسيلتان إلى الغير لا غرض في أعيانهما وموقعهما في الأموال كموقع الحرف في الكلام كما قاله النحويون: إن الحرف هو الذي جاء لمعنى في غيره)** كما عرفه ابن الحاجب في كافيته، **(وكموقع من الألوان فأما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد فيتخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد متقيداً عنده ويتنزل منزلة المكنوز وتقييد الحاكم والبريد الموصل إلى الغير ظلم كما أن حبسه ظلم فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا اتخاذ النقد مقصود للإدخار وهو ظلم.**

(فإن قلت: فلم جاز بيع أحد النقدين بالآخر) أي بيع الذهب بالفضة والفضة بالذهب

أحد النقدين يخالف الآخر في مقصود التوسل إذ قد تيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدراهم تتفرق في الحاجات قليلاً قليلاً، ففي المنع منه ما يشوش المقصود الخاص به؛ وهو تيسر التوسل به إلى غيره. وأما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث إن ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا ولا يشتغل به تاجر فإنه عبث يجري مجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه، ونحن لا نخاف على العقلاء أن يصرفوا أوقاتهم إلى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه، فلا نمنع مما لا تتشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر، وذلك أيضاً لا يتصوّر جريانه إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء فلا ينتظم العقد؛ وإن طلب زيادة في الرديء فذلك مما قد يقصده فلا جرم نمنعه منه ونحكم بأن جيدها ورديئها سواء لأن الجودة والرداءة ينبغي أن ينظر إليهما فيما يقصد في عينه، وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مضافات دقيقة في صفاته وإنما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقها أن لا تقصد. وأما إذا باع درهماً بدرهم مثله نسيئة فإنما لم يجز ذلك لأنه لا يقدم على هذا إلا مسامح قاصد للإحسان ففي القرض وهو مكرمة مندوحة عنه لتبقى صورة المساحة فيكون له حمد وأجر. والمعاوضة لا حمد فيها

متفاضلين يداً بيد وهو بالاتفاق لا بيع الذهب بالذهب منفرداً والورق بالورق منفرداً أو تبرهما ومضروبهما وحليهما إلا مثلاً وزناً بوزن يداً بيد (**ولم جاز بيع الدراهم بمثله؛ فاعلم أن أحد النقدين يخالف الآخـر في مقصود التوسل إذ قد يتيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدراهم فتفرق في الحاجات قليلاً قليلاً، ففي المنع منه ما يشوّش المقصود الخاص به وهو سر التوسل به إلى غيره، وأما بيع الدرهم بدرهم يماثله فجائز من حيث أن ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساويا**) في أوصافهما (**ولا يشتغل به تاجر فإنه حيث جرى مجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذه بعينه عبثاً ولعباً ونحن لا نخاف على العقلاء بأن يصرفوا أوقاتهم إلى وضع الدراهم على الأرض وأخذها فلا نمنع مما لا تتشوّف النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود**) من الآخر. (**وذلك أيضاً لا يتصوّر جريانه إذ صاحب الجيد لا يرضى بمثله من الرديء**) الدون (**فلا ينتظم العقد وإن طلب زيادة في الرديء فذلك مما قد يقصد في عينه وما لا غرض في عينه فلا ينبغي أن ينظر إلى مضافات دقيقة في صفاته، وإنما الذي ظلم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحقها أن لا تقصد، وأما إذا باع درهماً بدرهم مثله نسيئة فإنما لم يجز ذلك**) من طريق الزيادة والنساء جميعاً (**لأنه لا يقدم على هذا إلا مسامح قاصد للإحسان، ففي القرض وهو مكرمة**) قد حث عليه الشارع ووردت في فضله أخبار (**مندوحة عنه**) أي متسع (**لتبقى**

ولا أجر، فهو أيضاً ظلم لأنه إضاعة خصوص المسامحة وإخراجها في معرض المعاوضة، وكذلك الأطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف عن جهتها فإن فتح باب المعاملة فيها يوجب تقييدها في الأيدي ويؤخر عنها الأكل الذي أريدت له، فما خلق الله الطعام إلا ليؤكل والحاجة إلى الأطعمة شديدة فينبغي أن تخرج عن يد المستغني عنها إلى المحتاج ولا يعامل على الأطعمة إلا مستغن عنها؛ إذ من معه طعام فلم لا يأكله إن كان محتاجاً ولم يجعله بضاعة تجارة وإن جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام يكون محتاجاً إليه، فأما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضاً مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لعن المحتكر، وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب؛ نعم بائع البر بالتمر معذور؛ إذ أحدهما لا يسدّ مسدّ الآخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور. ولكنه عابث فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لا تسمح به إلا عند التفاوت في الجودة؛ ومقابلة الجيد بمثله من الرديء لا يرضى بها صاحب الجيد.

صورة المسامحة فيكون له حمد وأجر) معاً، (والمعاوضة لا حمد فيها ولا أجر فهو أيضاً ظلم لأنه إضاعة خصوص المسامحة وإخراجها في معرض المعاوضة، وكذلك الأطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا ينبغي أن تصرف عن جهتها) التي خلقت لها، (فإن فتح باب المعاملة فيها يوجب تغييرها في الأيدي ويؤخر عنها الأكل الذي أريدت له فما خلق الطعام إلا ليؤكل، والحاجة إلى الاطعمة شديدة فينبغي أن تخرج عن يد المستغني عنها إلى المحتاج) إليها (ولا يتعامل على الأطعمة أي فيستغنى عنها إذ من معه الطعام فلم لا يأكله إن كان محتاجاً ولم يجعله بضاعة تجارة وإن جعله بضاعة تجارة فليبعه ممن يطلبه بعوض غير الطعام ليكون محتاجاً إليه، فأما من يطلبه بعين ذلك الطعام فهو أيضاً مستغن عنه، ولهذا ورد في الشرع «لعن المحتكر» وورد فيه من التشديدات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب) والمعاش. من ذلك حديث ابن عمر «المحتكر ملعون» رواه الحاكم، ومنها حديث أبي هريرة «من احتكر حكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطىء وقد برئت منه ذمة الله ورسوله» رواه أحمد. (نعم بائع البر بالتمر معذور إذ أحدهما لا يسد مسد الآخر في الغرض وبائع صاع من البر بصاع) منه (غير معذور) لأنهما جنس واحد، (ولكنه عابث فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لا تسمح به إلا عند التفاوت في الجودة) وبيع صاع من البر بصاع من شعير مبني على اختلافهم هل هو جنس واحد أو جنسان، فقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد في أظهر روايتيه هما جنسان، فعلى هذا يجوز بالمفاضلة والمماثلة لأن أحدهما لا يسد مسد الآخرة، وقال مالك وأحمد في الرواية الأخرى: هما جنس واحد فلا يجوز بيع بعضهما ببعض إلا مثلاً بمثل

وأما جيد برديئين فقد يقصد، ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات والجيد يساوي الرديء في أصل الفائدة ويخالفه في وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام، فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا، وقد انكشف لنا هذا بعد الإعراض عن فن الفقه فلنلحق هذا بفن الفقهيات، فإنه أقوى من جميع ما أوردناه في الخلافيات، وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله في التخصيص بالأطعمة دون المكيلات، إذ لو دخل الجص فيه لكانت الثياب والدواب أولى بالدخول؛ ولولا الملح لكان مذهب مالك رحمه الله أقوم المذاهب فيه إذ خصصه بالأقوات، ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بد

يداً بيد ومع جوازه يكون عابثاً. (**ومقابلة الجيد بمثله من الرديء لا يرضى به صاحب الجيد**).

(**وأما جيد برديئين فقد يقصد، ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات يضطر إليها الإنسان أبداً والجيد يساوي الرديء في أصل الفائدة**) الذي هو الغذاء (**ويخالفه في وجوه التنعم أسقط الشرع غرض التنعم فيما هو القوام، فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا**) وقد أشار إلى نحو ذلك القفال في محاسن الشريعة، (**وقد انكشف لنا هذا بعض الإعراض عن**) الاشتغال في (**فن الفقه**) وذلك عند خروجه من دار السلام ببغداد، (**فلنلحق هذا بفن الفقهيات فإنه أقوى من جميع ما أوردناه في الخلافيات، وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله تعالى**) على غيره (**في التخصيص بالأطعمة دون المكيلات، إذ لو دخل الجص فيه لكان الثياب والدواب أولى بالدخول فيه، ولولا الملح لكان مذهب مالك رحمه الله تعالى أقوى المذاهب فيه إذ خصصه بالأقوات**) وتفصيل ذلك أنهم اختلفوا في علة جريان الربا المحرم في غير الأعيان الستة المنصوص عليها، فقال أبو حنيفة وأحمد: العلة في الذهب والفضة والوزن والجنس وكل ما جمعه الوزن والجنس فالتحريم ثابت فيه إذا باعه متفاضلاً لاالذهب والفضة، ثم يتعدى منها إلى الحديد والرصاص والنحاس وما أشبهه. وقال مالك والشافعي: العلة في الذهب والفضة الثمينة فلا يجري الربا عندهما في الحديد والنحاس وما أشبههما، وقال أبو حنيفة في أظهر الروايات عنه وهي اختيار الخرقي من الحنابلة وشيوخ أصحابه العلة في الأعيان الأربعة الباقية الكيل والجنس، فكل ما جمعه الكيل والجنس فالتحريم فيه ثابت إذا بيع متفاضلاً كالحنطة والشعير والنورة والجص والأشنان وما أشبهه، وعن أحمد رواية ثانية في علية الأعيان الأربعة انها مأكول مكيل أو مأكول موزون، فعلى هذه الرواية لا ربا فيما يؤكل وليس بمكيل ولا موزون مثل الرمان والسفرجل والبطيخ والخيار ولا في غير المأكول مما يكال ويوزن كالنورة والجص والاشنان، وعنه رواية ثالثة في علة الأعيان الأربعة أنه مأكول جنس، فعلى هذه الرواية يحرم ما كان مأكولاً خاصة ويدخل في التحريم سائر المأكولات ويخرج منه ما ليس مأكولاً. وقال مالك: العلة في الأعيان الأربعة كونها مقتاتة وما يصلح للقوت في جنس مدخر فيدخل تحريم الربا في ذلك كله

أن يضبط بحد وتحديد هذا كان ممكناً بالقوت وكان ممكناً بالمطعوم. فرأي الشرع التحديد بجنس المطعوم أحرى لكل ما هو ضرورة البقاء ؛ وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم، ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحدّ لتحير الخلق في إتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والأشخاص. فعين المعنى بكمال قوّته يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص. فيكون الحد ضرورياً، فلذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١]، ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد، كما يحدّ شرع عيسى ابن مريم عليه السلام تحريم الخمر بالسكر، وقد حده شرعنا بكونه من جنس المسكر ؛ لأن قليله يدعو إلى كثيره، والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس كما دخل أصل المعنى بالجملة الأصلية، فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين، فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي أن يصرف عنها، ولا يعرف هذا إلا من قد عرف الحكمة ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ

كالأقوات المدخرة واللحوم والألبان والخلول والزيوت والعنب والزبيب والزيتون والعسل والسكر. وقال الشافعي في الجديد: إن العلة في الأعيان الأربعة أنها مطعومة جنس، فعلى هذا يجري الربا عنده في الرمان والسفرجل والبيض ونحوه كالرواية الثالثة عن أحمد. وقال في القديم: مطعومة مكيلة أو موزونة فعلى هذا لا يجري الربا بمجرد الطعم في المطعومات ذكر ذلك كله الوزير في الإفصاح وتقدم في كتاب آداب الكسب، (**ولكن كل معنى يرعاه الشرع فلا بدّ وأن يضبط بحد وتحديد هذا كان ممكناً بالقوت**) كما ذهب إليه مالك، (**وكان ممكناً بالمطعوم**) كما ذهب إليه الشافعي (**فرأى الشرع التحديد بجنس المطعوم أحرى**) أي أشمل (**لكل ما هو ضرورة البقاء**) ودوام العيش، (**وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا يقوى فيها أصل المعنى الباعث على الحكم، ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يحد لتحير الخلق في اتباع**) وفي نسخة في تتبع (**جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والاشخاص، فعين المعنى بكمال قوته يختلف بالأحوال والأشخاص فيكون الحد ضرورياً، فلذلك قال**) الله (**تعالى ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ ولأن أصول هذه المعاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما يحد شرع عيسى عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حدّه شرعنا بكونه من جنس المسكر لأن قليله يدعو إلى كثيره، والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس**) وفي نسخة بحكمة الجسم لها (**كما دخل أصل المعنى بالحكمة الأصلية، فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم النقدين، فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فلا ينبغي أن يصرف عنها، ولا يعرف هذا، إلا**)

فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩]، ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشهوات وملاعب الشياطين، بل لا يتذكر إلا أولو الألباب ولذلك قال ﷺ: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء» وإذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكوتك، وكل فعل صادر منك فإنه إما شكر وإما كفر إذ لا يتصوّر أن ينفك عنهما، وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تناطق به عوام الناس بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالحظر، فأقول مثلاً: لو استنجيت باليمنى فقد كفرت نعمة اليدين: إذ خلق الله لك اليدين، وجعل إحداهما أقوى من الأخرى، فاستحق الأقوى بمزيد رجحانه في الغالب التشريف والتفضيل، وتفضيل الناقص عدول عن العدل، والله لا يأمر إلا بالعدل، ثم أحوجك من أعطاك اليدين إلى أعمال: بعضها شريف كأخذ المصحف، وبعضها خسيس كإزالة النجاسة، فإذا أخذت المصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل،

من قد عرف الحكمة) وأتى من بابها (**ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً**) يشير إلى قوله تعالى: ﴿**ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً**﴾ (**ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابل الشهوات**) ومقارها (**وملاعب الشياطين**) ومحال وساوسها (**بل لا يذكر إلا أولو الألباب**) أشار به إلى تمام الآية المذكورة، (**ولذلك قال ﷺ «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء»**) رواه أحمد من حديث أبي هريرة بنحوه وقد تقدم في كتاب أسرار الصوم، (**وإذا عرفت هذا المثال فقس عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكونك وكل فعل صادر منك فإنه**) لا يخلو (**إما شكر وإما كفر إذ لا يتصوّر أن ينفك عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تناطق به عوام الناس**) وهم المشتغلون بالعلوم الظاهرة (**بالكراهة وبعضه بالحظر وكل ذلك عند أرباب القلوب**) وهم المشتغلون بعلوم الآخرة (**موصوف بالحظر. فأقول مثلاً: لو استنجيت باليمين فقد كفرت نعمة اليدين إذ خلق الله لك اليدين وجعل إحداهما أقوى من الأخرى**) وهي اليمنى، وهذا هو الأغلب فلا يناقضه الأعسر، وهو الذي يسراه أقوى من اليمنى لندوره (**فاستحق الأقوى بمزيد رجحانه في الغالب التشريف والتفضيل وتفضيل الناقص عدول عن**) منهج (**العدل والله**) تعالى (**لا يأمر إلا بالعدل**) لقوله تعالى: ﴿إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل: ٩٠] (**ثم أحوجك من أعطاك اليدين إلى أعمال بعضها شريف كأخذ المصحف وبعضها خسيس كإزالة النجاسة، فإذا أخذت المصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو خسيس فغضضت من حقه**) أي نقصت (**وظلمته وعدلت عن**

وكذلك إذا بصقت مثلاً في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم لأنه خلق الجهات لتكون متسعك في حركاتك وقسم الجهات إلى ما لم يشرفها وإلى ما شرفها بأن وضع فيها بيتاً أضافه إلى نفسه استمالة لقلبك إليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذا عبدت ربك، وكذلك انقسمت أفعالك إلى ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمي البصاق. فإذا رميت بصاقك إلى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها كمال عبادتك، وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت؛ لأن الخف وقاية للرجل، فللرجل فيه حظ، والبداءة في الحظوظ ينبغي أن تكون بالأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الخف والرجل، وهذا عند العارفين كبيرة وإن سماه الفقيه مكروهاً حتى أن بعضهم كان قد جمع إكراراً من الحنطة وكان يتصدّق بها، فسئل عن سببه فقال: لبست المداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهواً فأريد أن أكفره بالصدقة، نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الأمر في هذه الأمور لأنه مسكين، بلي بإصلاح العوام الذين

العدل، وكذلك إذا بصقت مثلاً في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة فقد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم لأنه خلق الجهات لتكون متسعك في حركاتك وقسم الجهات إلى ما لم يشرفها وإلى ما شرفها بأن وضع فيها بيتاً أضافه إلى نفسه) تشريفاً له بذلك **(واستمالة لقلبك إليه ليتقيد به قلبك)** ويحترمه **(فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذا عبدت ربك وكذلك انقسمت أفعالك إلى ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمي البصاق، فإذا رميت بصاقك إلى جهة القبلة فقد ظلمتها وكفرت نعمة الله عليك بوضع القبلة التي يوضعها كمال عبادتك، وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى فقد ظلمت لأن الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والبداءة في الحظوظ ينبغي أن يكون بالأشرفية فهو العدل والوفاء بالحكمة ونقيضه ظلم وكفران لنعمة الرجل والخف، وهذا عند العارفين كبيرة)** لما فيه من مناقضة مقام العدل والوفاء، **(وإنما سماه الفقيه مكروهاً)** وخفف أمره على العامة **(حتى أن بعضهم)** أي من العارفين **(كان قد جمع إكراراً)** جمع كر بالضم أي احمالاً **(من الحنطة وكان يتصدق بها)** الى المحتاجين، **(فسئل عن سببه فقال: لبست المداس)** أي النعل **(مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهواً)** من غير اختيار **(فأريد أن أكفره بالصدقة)** ولعله وجد الحنطة عزيزة، فلذلك اختار التصدق بها أو لكونها مما يعم النفع بها أكثر من غيرها. **(نعم الفقيه لا يقدر على تفخيم الأمر في هذه الأمور لأنه مسكين بلي)** أي امتحن **(باصلاح العوام**

تقرب درجتهم من درجة الإنعام وهم مغموسون في ظلمات أطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها ؛ فقبيح أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ القدح بيساره فقد تعدّى من وجهين: أحدهما : الشرب والآخر الأخذ باليسار ، ومن باع خمراً في وقت النداء يوم الجمعة فقبيح أن يقال خان من وجهين : أحدهما : بيع الخمر ، والآخر البيع في وقت النداء . ومن قضى حاجته في محراب المسجد مستدبر القبلة فقبيح أن يذكر تركه الأدب في قضاء الحاجة من حيث أنه لم يجعل القبلة عن يمينه ، فالمعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض ، فينمحق بعضها في جنب البعض ، فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه ، ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده لم يبق لاستعمال السكين بغير إذنه حكم ونكاية في نفسه ، فكل ما راعاه الأنبياء والأولياء من الآداب وتسامحنا فيه في الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة ، وإلا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد إلى درجات القرب ، نعم بعضها يؤثر في العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين ،

الذين تقرب درجتهم من درجة الإنعام) في بلادتهم وحرصهم **(وهم منغمسون)** وفي نسخة مغموسون **(في ظلمات)** وهمية **(أطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها ، فقبيح أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ القدح بيساره فقد تعدى)** الحد الشرعي **(من وجهين أحدهما : الشرب والآخر الأخذ باليسار ، ومن باع حرا)** وفي نسخة خمراً **(في وقت النداء)** وهو الأذان الثاني **(يوم الجمعة فقبيح أن يقال خالف من وجهين أحدهما بيع الحر)** وفي نسخة الخمر، **(والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى** حاجته **في محراب المسجد مستدبر القبلة فقبيح أن يذكر تركه الأدب في قضاء** الحاجة **من حيث لم يجلّ القبلة عن يمينه ، فالمعاصي كلها ظلمات وبعضها فوق بعض)** في القبح ، **(فينمحق بعضها)** ويضمحل **(في جنب البعض ، فالسيد قد يعاقب عبده إذا استعمل سكينه بغير إذنه ، ولكن لو قتل بتلك السكين أعز أولاده لم يبق)** وفي نسخة لم يكن **(لاستعمال السكين بغير إذنه حكم ونكاية في نفسه ، فكل ما راعاه الأنبياء الأولياء من الآداب)** الظاهرة **(وتسامحنا فيه في الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة ، وإلاّ فكل هذه المكاره عدول من العدل)** المأمور به **(وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد إلى درجات القرب . نعم بعضها يؤثر في العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين كما)** أن عالم القرب هو مستقر الملائكة ، **(وكذلك من**

وكذلك من كسر غصناً من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة ومن غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى في خلق الأشجار وخلق اليد أما اليد فإنها لم تخلق للعبث بل للطاعة والأعمال المعينة على الطاعة. وأما الشجر فإنما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق إليه الماء وخلق فيه قوّة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه، فينتفع به عباده، فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل، فإن كان له غرض صحيح فله ذلك، إذ الشجر والحيوان جعلا فداء لأغراض الإنسان، فإنها جميعاً فانيان هالكان. ففناء الأخس في بقاء الأشرف مدّة ما أقرب إلى العدل من تضييعها جميعاً وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَا في السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] نعم إذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضاً وإن كان محتاجاً لأنّ كل شجرة بعينها لا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحدة، ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلماً، فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الأرض وساق إليه الماء وقام بالتعهد فهو أولى به من غيره فيرجح جانبه بذلك، فإن نبت ذلك في موات الأرض لا بسقي آدمي اختص بمغرسه أو بغرسه، فلا بدّ من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى أخذه،

كسر غصناً من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمة من غير غرض صحيح فقد كفر نعمة الله في خلق الأشجار وخلق اليد . أما اليد فإنها لم تخلق للعبث) بها **(بل للطاعة والأعمال المعينة على الطاعة، وأما الشجر فإنما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق إليها)** أي إلى عروقها **(الماء)** من باطن الأرض **(وخلق فيها قوّة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نشوه فينتفع به عباده)** بظله وثمره **(فكسره قبل منتهى نشوّه لا على وجه ينتفع به عباده مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل، فإن كان له غرض صحيح فله ذلك إذ الشجر والحيوان جعل)** كل منهما **(فداء لأغراض الإنسان فإنها جميعاً فانيان هالكان وافناء الأخس)** رتبة **(في بقاء الأشرف مدة ما أقرب إلى العدول من تضييعها جميعاً وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿وسخَّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ نعم إن كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضاً وإن كان محتاجاً)** إليه **(لأن كل شجرة بعينها فلا تفي بحاجات عباد الله كلهم بل تفي بحاجة واحد، ولو خصص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلماً فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البذر ووضعه في الأرض وساق إليه الماء وقام بالتعهد)** والخدمة في نموّه ونشأته **(فهو أولى به من غيره فترجح جانبه بذلك، فإن نبت في موات الأرض)** من نفسه **(لا بسقي آدمي اختص بمغرسه)** أي منبته بالملكية **(أو بغرسه)** بأن وضع بذره في تلك الأرض وتعهده بالسقي، **(فلا بدّ من طلب اختصاص آخر وهو السبق**

فللسابق خاصية السبق، فالعدل هو أن يكون أولى به وعبَّر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك، وهو مجاز محض، إذ لا ملك إلا لملك الملوك الذي له ما في السموات والأرض، وكيف يكون العبد مالكاً وهو في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره، نعم الخلق عباد الله والأرض مائدة الله وقد أذن لهم في الأكل من مائدته بقدر حاجتهم، كالملك ينصب مائدة لعبيده، فمن أخذ لقمة بيمينه واحتوت عليه براجمه فجاء عبد آخر وأراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لا لأن اللقمة صارت ملكاً له بالأخذ باليد، فإن اليد وصاحب اليد أيضاً مملوك ولكن إذا كانت كل لقمة بعينها لا تفي بحاجة كل العبيد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والإختصاص، والأخذ اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لا يدلي بذلك الإختصاص عن مزاحمته، فهكذا ينبغي أن تفهم أمر الله في عباده، ولذلك نقول: من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكنزه وأمسكه وفي عباد الله من يحتاج إليه فهو ظالم، وهو من الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، وإنما سبيل الله طاعته وزاد الخلق في طاعته

إلى أخذه **فللسابق خاصية السبق، فالعدل أن يكون هو أولى به**) وهو ترجيح في حقه (**وعبّر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك وهو**) في الحقيقة (**مجاز محض**) أي خالص لا شوب للحقيقة فيه، (**إذ لا ملك**) حقيقة (**إلا لملك الملوك**) جل شأنه (**الذي له ما في السموات والأرض**) وما في يد العبد فهو مستعار مردود، (**وكيف يكون العبد مالكاً و**) هو (**في نفسه ليس يملك نفسه بل هو ملك غيره**) لأن وجوده مستعار من وجود غيره وماله الوجود من غيره موجود مستعار لا قوام له بنفسه، بل إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض، وإنما وجوده من حيث نسبته إلى غيره وذلك ليس بوجود حقيقي ونسبة المستعار إلى المستعير مجاز محض. (**نعم الخلق عباد الله والأرض مائدة الله**) المفروشة، (**وقد أذن لهم في الأكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدته لعبيده**) فهم شركاء فيها، (**فمن أخذ لقمة بيمينه واحتوت عليها براجمه**) أي مفاصل أصابعه (**فجاء عبد آخر وأراد انتزاعها من يده لم يمكن منه لا لأن اللقمة صارت ملكاً له بالأخذ باليد، فإن اليد وصاحب اليد أيضاً مملوك، ولكن إذا كانت لقمة بعينها لا تفي بحاجة كل العبيد، فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والأخذ اختصاص ينفرد به العبد فمنع من لا يدلي**) أي لا يتقرب (**بذلك الاختصاص عن مزاحمته**) وانتزاع اللقمة منه. (**فهكذا ينبغي أن تفهم أمر الله في عباده، ولذلك نقول: من أخذ من أموال الدنيا أكثر من حاجته وكنزه وأمسكه**) ولم ينفقه، (**وفي عباد الله من يحتاج إليه فهو ظالم**) ولو أدى زكاة ما كنزه وهو أحد الوجوه في الآية (**وهو من الذين**) قال الله تعالى في حقهم: ﴿والذين (**يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله**) فبشرهم بعذاب أليم﴾ (**وإنما سبيل الله طاعته وزاد الخلق**

أموال الدنيا، إذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم، نعم لا يدخل هذا في حد فتاوي الفقه لأن مقادير الحاجات خفيفة والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة، وأواخر الأعمار غير معلومة، فتكليف العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم، وهو بحكم نقصانهم لا يطيقونه، فتركنا الإعتراض عليهم في اللعب واللهو وإباحتنا ذلك إياهم لا يدل على أن اللهو واللعب حق، فكذلك إباحتنا للعوام حفظ الأموال والإقتصار في الإنفاق على قدر الزكاة لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على أنه غاية الحق وقد أشار القرآن إليه، إذ قال تعالى: ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا﴾ [محمد: ٣٧] بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله إلا بقدر زاد الراكب، فكل عباد الله ركاب لمطايا الأبدان إلى حضرة الملك الديان، فمن أخذ زيادة عليه ثم منعه عن راكب آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الأسباب التي بها عرف أن ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا والآخرة فمن فهم حكمة الله تعالى

في الطاعة) وفي نسخة في طاعته (**أموال الدنيا إذ بها تندفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم. نعم هذا لا يدخل في حدّ فتاوى الفقه لأن مقادير الحاجات خفية**) لا تدرك (**والنفوس في استشعار الفقر في الاستقبال مختلفة وأواخر الأعمار غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجري مجرى تكليف الصبيان الوقار والتؤدة والسكوت عن كل كلام غير مهم وهو بحكم نقصانهم**) في عقولهم (**لا يطيقونه فتركنا الاعتراض عليهم في اللعب واللهو واباحتنا ذلك إياهم لا يدل على أن اللهو واللعب حق، فكذلك إباحتنا للعوام حفظ الأموال والاقتصار في الانفاق على قدر الزكوات لضرورة ما جبلوا عليه من البخل لا يدل على أنه غاية الحق**) وإلى هذا يشير ما ورد كل مال أدى زكاته فليس بكنز، (**وقد أشار القرآن إليه إذ قال تعالى: ﴿إنْ يسألكموها فيحفكم﴾**) أي يبالغ في سؤالكم حتى لا تبقوا منها شيئاً إلا وقد صرفتموه في سبيل الحق (**﴿تبخلوا﴾**) وذلك بمقتضى الجبلية (**بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله إلا بقدر زاد الراكب**) كما ورد ذلك في الخبر بلفظ «وليكن زاد أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب» فإن الراكب لا يحمل من الزاد إلا قدر كفايته فقط، (**فكل عباد الله ركاب لمطايا الأبدان إلى حضرة الملك الديان**) وسنوهم منازلهم، (**فمتى أخذ زيادة عليه ومنعه عن راكب آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدل خارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل وسائر الأسباب التي بها عرف أن ما سوى زاد الراكب وبال عليه في الدنيا**

في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر، واستقصاء ذلك يحتاج إلى مجلدات ثم لا تفي إلا بالقليل، وإنما أوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] وفرح إبليس لعنه الله بقوله: ﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧] فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كله وأموراً أخر وراء ذلك تنقضي الأعمار دون استقصاء مباديها؛ فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير.

فإن قلت: فقد رجع حاصل هذا الكلام إلى أن لله تعالى حكمة في كل شيء وإنه جعل بعض أفعال العباد سبباً لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالهم مانعاً من تمام الحكمة فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة إلى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الأسباب من أن تنساق إلى الغاية المرادة بها فهو كفران، وهذا كله مفهوم، ولكن الإشكال باق: وهو أن فعل العبد المنقسم إلى ما يتمم الحكمة وإلى ما يرفعها هو أيضاً من فعل الله تعالى، فأين العبد في البيّن حتى يكون شاكراً مرة وكافراً أخرى؟ فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من

والآخرة فمن فهم حكمة الله) تعالى **(في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر، واستقصاء ذلك يحتاج إلى مجلدات ثم لا تفي إلا بالقليل)** لكثر أنواع الموجودات فتكثر الحكم **(وإنما أوردنا هذا القدر لتعلم علة الصدق في قوله تعالى: ﴿وقليلٌ من عبادي الشكور﴾ و)** تعلم **(** فرح إبليس لعنه الله بقوله: **﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف هذا)** الذي أوردناه **(كله وأموراً أخر وراء هذا تنقضي الأعمار دون استقصاء مبادئها، فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة)** وهي لسان العرب، **(وبهذا يتبين لك الفـرق بين المعنى والتفسير)** فإن التفسير بيان لظاهر اللفظ والمعنى هو ما يكون بياناً لباطنه.

(فإن قلت: رجع حاصل الكلام إلى أن لله تعالى حكمة في كل شيء وأنه جعل بعض أفعال العباد سبباً لتمام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالهم مانعاً من تمام الحكمة، فكل فعل وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة إلى غايتها فهو شكر وكل ما خالف ومنع الاسباب من أن تنساق إلى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الاشكال باق وهو أن فعل العبد ينقسم إلى ما يتمم الحكمة وإلى ما يدفعها هو أيضاً من فعل الله تعالى فأين العبد في البين حتى يكون شاكراً مرة وكافراً أخرى؟ فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم المكاشفات وقد رمزنا فيما

علوم المكاشفات، وقد رمزنا فيما سبق إلى تلويحات بمباديها، ونحن الآن نعبّر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الإيضاع في السير فضلاً عن أن يجول في جو الملكوت جولان الطير فنقول: إن لله عز وجل في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبّر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها، فلم يكن لها في العالم عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات عن أن يمتد طرف فهمهم إلى مبادىء إشراقها، فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس، ولكن لضعف في أبصار الخفافيش، فاضطر الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها إلى أن يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة تفهم من مبادىء حقائقها شيئاً ضعيفاً جداً، فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق، والإختراع، ثم الخلق ينقسم في الوجود إلى أقسام وخصوص صفات، ومصدر انقسام هذه الأقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة المشيئة، فهي توهم منها أمراً مجملاً عند المتناطقين باللغات التي

سبق إلى تلويحات) أي إشارات **(بمبادئها)** أي أوائلها، **(ونحن الآن نعبر بعبارة وجيزة)** مختصرة **(عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير ويجحدها من عجز عن الإيضاع)** أي الإسراع **(في السير فضلاً عن أن يجول في جو الملكوت جولان الطير فنقول: إن لله تعالى في جلاله وكبريائه صفة عنها يصدر الخلق والاختراع، وتلك الصفة أعلى وأجل من أن تلمحها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنه جلالها وخصوص حقيقتها)** التي هي هي من حيث هي هي، **(فلم تكن لها عبارة لعلو شأنها وانحطاط رتبة واضعي اللغات من أن يمتد طرفهم إلى مبادىء إشراقها فانخفضت عن ذروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش)** جمع طائر معروف **(عن نور الشمس لا لغموض في نور الشمس، ولكن لضعف أبصار الخفافيش)** فإنها لا تحتمل نورها، **(فاضطر الذين فتحت أبصارهم لملاحظة جلالها إلى أن يستعيروا من حضيض عالم المتناطقين باللغات عبارة توهم من مبادىء حقائقها شيئاً ضعيفاً جداً فاستعاروا لها إسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على النطق فقلنا لله تعالى صفة هي القدرة عنها يصدر الخلق والاختراع، ثم الخلق ينقسم في الوجود إلى أقسام وخصوص صفات ومصدر إنقسام هذه الاقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعيرت لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة المشيئة)** وهي معنى يكون الفعل مراداً وهي أهم من وجه من الارادة وقد يستعمل كل منهما مقام الآخر **(فهي توهم امراً مجملاً)** في إيجاد معدوم أو إعدام موجود **(عند المتناطقين باللغات التي هي حروف**

هي حروف وأصوات المتفاهمين بها، وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الأفعال الصادرة من القدرة إلى ما ينساق إلى المنتهى الذي هو غاية حكمتها وإلى ما يقف دون الغاية، وكان لكل واحد نسبة إلى صفة المشيئة لرجوعها إلى الاختصاصات التي بها تم القسمة والاختلافات، فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة، واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة، وقيل: إنهما جميعاً داخلان في وصف المشيئة، ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة يوهم لفظ المحبة والكراهة منهما أمراً مجملاً عند طالبي الفهم من الألفاظ واللغات، ثم انقسم عباده الذين هم أيضاً من خلقه واختراعه إلى من سبقت له المشيئة الأزلية أن يستعمله لاستيقاف حكمته دون غايتها، ويكون ذلك قهراً في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم وإلى من سبقت لهم في الأزل أن يستعملهم لسياقة حكمته إلى غايتها في بعض الأمور، فكان لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة، فاستعير لنسبة المستعملين في إتمام الحكمة بهم عبارة الرضا، واستعير للذين استوقف بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب، فظهر على من غضب عليه في الأزل فعل وقفت الحكمة به دون غايتها، فاستعير له الكفران، وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في

وأصوات للمتفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة، ثم انقسمت الأفعال الصادرة من القدرة إلى ما [ينساق] إلى المنتهى الذي هو غاية حكمتها وإلى ما يقف دون الغاية وكان لكل واحد نسبة إلى صفة المشيئة لرجوعها إلى الاختصاصات التي بها تم القسمة والاختلاف، واستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة، واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة، وقيل انهما جميعاً داخلان في وصف المشيئة، ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة يوهم) وفي نسخة يفهم (لفظ المحبة والكراهة منها أمر مجملاً عند طالبي الفهم من الالفاظ واللغات، ثم انقسم عباده الذين هم أيضاً من خلقه واختراعه إلى من سبقت له في المشيئة الازلية ان يستعمله لاستيعاب حكمته دون غايتها، ويكون ذلك قهراً في حقهم بتسليط الدواعي والبواعث عليهم، وإلى من سبقت لهم في الأزل أن يستعملهم لسياقة حكمته إلى غايتها في بعض الأمور فإن لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستعملين في إتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين استوقف بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الغضب، فظهر على من غضب عليه في الأزل بحكم مشيئته فعل وقفت الحكمة به دون غايتها، فاستعير له الكفران وأردف ذلك بنقمة اللعن والمذمة زيادة في النكال) أي العذاب، (وظهر على من

النكال، وظهر على من ارتضاه في الأزل فعل انساقت بسببه الحكمة إلى غايتها، فاستعير له عبارة الشكر وأردف بخلعة الثناء والإطراء زيادة في الرضا والقبول والإقبال فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجمال ثم أثنى، وأعطى النكال ثم قبح وأردى، وكان مثاله أن ينظف الملك عبده الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه، فإذا تمم زينته قال يا جميل ما أجملك وأجمل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحقيقة هو المجمل وهو المثني على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال، وكأنه لم يثن من حيث المعنى إلا على نفسه، وإنما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة، فهكذا كانت الأمور في أزل الأزل، وهكذا تتسلسل الأسباب والمسببات بتقدير رب الأرباب ومسبب الأسباب، ولم يكن ذلك عن اتفاق وبحث بل عن إرادة وحكمة وحكم حق وأمر جزم استعير له لفظ القضاء، وقيل انه كلمح بالبصر أو هو أقرب، ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير، فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء بإزاء الأمر الواحد الكلي، ولفظ القدر بإزاء التفصيل المتمادي إلى غير نهاية. وقيل إنَّ شيئاً من ذلك ليس خارجاً عن القضاء والقدر، فخطر لبعض العباد أن القسمة لماذا

ارتضاه في الأزل) بحكم مشيئته **(فعل انساقت بسببه الحكمة إلى غايتها فاستعير له عبارة الشكر وأردف)** ذلك **(بخلعة الثناء والاطراء زيادة في الرضا والقبول والإقبال، فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجمال ثم أثنى)** عليه **(وأعطى النكال ثم قبح وأزرى)** عليه **(وكان مثاله أن ينظف الملك عبده الوسخ من أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه، فإذا تمم زينته قال)** له **(يا جميل ما أجملك وأجمل ثيابك وأنظف وجهك، فيكون بالحقيقة هو المجمل)** أي معطي الجمال **(وهو المثني على الجمال فهو المثنى عليه بكل حال وكأنه لم يثن من حيث المعنى)** إذ أثنى **(إلاّ على نفسه، وإنما العبد هدف الثناء من حيث الظاهر والصورة، فهكذا كانت الأمور في أزل الأزل، وهكذا تسلسلت الأسباب والمسببات بتقدير رب الأرباب ومسبب الأسباب، ولم يكن ذلك عن اتفاق وبحث بل عن ارادة وحكمة وحكم حق وأمر جزم استعير له لفظ القضاء)** وهو فصل الأمر قولاً أو فعلاً، **(وقيل إنه كلمح البصر أو هو أقرب)** وإليه الاشارة بقوله تعالى ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ **(ففاضت بحار المقادير بحكم ذلك القضاء الجزم وبما سبق به التقدير فاستعير لترتب آحاد المقدورات بعضها على بعض لفظ القدر)** محركة، **(فكان لفظ القضاء بإزاء الأمر الواحد الكلي)** الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية من الازل إلى الأبد **(ولفظ القدر بازاء التفصيل المتمادي إلى غير نهاية)** فالقضاء أخص من القدر **(وقيل إن شيئاً من ذلك ليس خارجاً عن القضاء والقدر)** وقال المصنف في المقصد الأسنى: معنى الحكمة ترتيب

اقتضت هذا التفصيل، وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل، وكان بعضهم لقصوره لا يطيق ملاحظة كنه هذا الأمر والإحتواء على مجامعه، فألجموا عما لم يطيقوا خوض غمرته بلجام المنع وقيل لهم اسكتوا فما لهذا خلقتم ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٣] وامتلأت مشكاة بعضهم نوراً مقتبساً من نور الله تعالى في السموات والأرض وكان زيتهم أولاً صافياً يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، فمسته نار فاشتعل نوراً على نور، فأشرقت أقطار الملكوت بين أيديهم بنور ربها فأدركوا الأمور كلها كما هي عليه فقيل لهم: تأدبوا بآداب الله تعالى واسكتوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا

الأسباب وتوجيهها إلى المسببات، وهو تعالى الحكيم المطلق لأنه سبب كل الأسباب جملتها وتفصيلها ومن الحكم يتشعب القضاء والقدر فتدبيره أصل وضع الأسباب لتتوجه إلى المسببات هو حكمه وإيجاده للأسباب الكلية الاصلية الثابتة المستقرة التي لا تحول ولا تزول إلى وقت معلوم ووضعه إياها ونصبه لها هو قضاؤه وتوجيه هذه الأسباب بحركاتها المتناسبة المحدودة المقدرة المحسوبة إلى المسببات الحادثة منها لحظة بعد لحظة هو قدره، فالحكم هو التدبير الأولى الكلي والأمر الأزلي الذي هو كلمح البصر والقضاء هو الوضع الكلي للأسباب الكلية الدائمة والقدر هو توجيه الأسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة إلى مسبباتها المعدودة المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص، ولذلك لا يخرج شيء عن قضائه وقدره (**فخطر لبعض العباد أن القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفصيل، وكان بعضهم لقصوره**) في العرفان (**لا يطيق ملاحظة كنه هذا الأمر والاحتواء**) أي الاشتمال وفي نسخة الاحتراز من الحوز والمعنى واحد (**على مجامعه، فألجموا عما لم يطيقوا خوض غمرته**) وهي معظم الماء (**بلجام المنع، وقيل لهم**) بلسان الحال: (اسكتوا **فما لهذا خلقتم**) فلا تخوضوا فيه قال الله تعالى: ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ ففيه اشارة إلى هذا الالجام، (**وامتلأت مشكاة بعضهم نوراً مقتبساً من نور الله تعالى**) المنتشر ضياؤه (**في السموات والأرض**) يشير إلى قوله تعالى ﴿الله نور السموات الأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ [النور : ٣٥] الآية والمشكاة هي الكوة في الحائط يوضع فيها المصباح، (**وكان زيتهم**) وهو الاستعداد (**أولا صافياً**) من كدورات الأوهام ﴿يكاد يضيء﴾ أي يشعل لكمال صفائه ﴿ولو لم تمسسه نار﴾ بعد (**فمسته نار فاشتعل نوراً على نور فأشرقت أقطار الملكوت**) وهو عالم الغيب المختص (**بين أيديهم بنور ربها**) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ [الزمر : ٦٩] **فأدركوا الأمور كلها كما هي عليها**) بكنهها وحقيقتها (**فقيل لهم: تأدبوا بآداب الله واسكتوا وإذا ذكر القدر فامسكوا**) وهو بعض حديث ابي مسعود رواه الطبراني، وأبو نعيم، وابن صصري في أماليه وحسنه بلفظ « إذا ذكر أصحابي فامسكوا، وإذا ذكرت النجوم فامسكوا، وإذا ذكر القدر فامسكوا ». ورواه الطبراني أيضاً من حديث ثوبان، وابن عدي من

فإن للحيطان آذاناً وحواليكم ضعفاء الأبصار، فسيروا بسير أضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لأبصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم، فتخلقوا بأخلاق الله تعالى وانزلوا إلى سماء الدنيا من منتهى علوّكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل، فيحيا به حياة يحتملها شخصه وحاله وإن كان لا يحيا به حياة المترددين في كمال نور الشمس، وكونوا كمن قيل لهم:

شربنا شراباً طيباً عند طيب ... كذاك شراب الطيبين يطيبُ

شربنا وأهرقنا على الأرض فضلة ... وللأرض من كأس الكرام نصيبُ

فهكذا كان أول هذا الأمر وآخره، ولا تفهمه إلا إذا كنت أهلاً له، وإذا كنت أهلاً له فتحت العين وأبصرت فلا تحتاج إلى قائد يقودك، والأعمى يمكن أن يقاد ولكن إلى حد ما؛ فإذا ضاق الطريق وصار أحدّ من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه ولم يقدر على أن يستجرّ وراءه أعمى، وإذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلاً ولم يمكن العبور إلا بالسباحة، فقد يقدر الماهر بصنعة السباحة أن يعبر بنفسه

حديث عمر ولم يصرح المصنف بكونه حديثاً وقد تقدم في كتاب العلم، **(فإن للحيطان آذاناً)** وهو مثل مشهور **(وحواليكم ضعفاء الأبصار فسيروا بسير أضعفكم ولا تكشفوا حجاب الشمس لأبصار الخفافيش)** فإنهم لا يطيقون، **(فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا بأخلاق الله تعالى)** وتحلوا بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقكم، **(وانزلوا إلى السماء الدنيا منتهى علوكم ليأنس بكم الضعفاء ويقتبسوا من بقايا أنواركم المشرقة من وراء حجابكم، كما تقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل)** وهو ظلامه واختلاطه **(فيحيا به حياة يحتملها شخصه وحاله، وإن كان لا يحيا به حياة المترددين في كمال نور الشمس فكانوا)** وفي نسخة كانوا **(كما قيل)**:

(شربنا شراباً عند طيب ... كذاك شراب الطيبين يطيب)

(شربنا وأهرقنا على الأرض فضلة **)** أي سكبنا عليها ما فضل منها

وللارض من كاس الكرام نصيب **)**

فهكذا كان أول الامر وآخره فلا تفهمه إلا إذا كنت أهلاً له وإذا كنت أهلاً له) وساعدتك العناية **(فتحت العين وأبصرت)** الطريق **(فلا تحتاج إلى قائد يقودك)** وهو المرشد **(والأعمى يمكن أن يقاد ولكن إلى حد ما فإذا ضاق الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه و)** لكن لم يقدر على أن يستجر وراءه أعمى لضيق الطريق، **(وإذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلاً ولم يمكن العبور إلا بالسباحة فقد يقدر**

وربما لم يقدر على أن يستجرّ وراءه آخر، فهذه أمور نسبة السير عليها إلى السير على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الماء إلى المشي على الأرض، والسباحة يمكن أن تتعلم؛ فأما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعليم بل ينال بقوّة اليقين، ولذلك قيل للنبي ﷺ: إن عيسى عليه السلام يقال إنه مشى على الماء! فقال ﷺ: «لو ازداد يقيناً لمشى على الهواء»، فهذه رموز وإشارات إلى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران، لا يليق بعلم المعاملة أكثر منها، وقد ضرب الله تعالى مثلاً لذلك تقريباً إلى أفهام الخلق إذ عرّف أنه ما خلق الجن والأنس إلا ليعبدوه، فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم، ثم أخبر أن له عبدين يحب أحدهما وإسمه جبريل وروح القدس

الماهر بصنعة السباحة أن يعبر بنفسه وبما لم يقدر على أن يستجر وراءه) رجلاً **(آخر)** لعدم قوته أو خوفه من الهلاك، **(فهذه أمور نسبة السير عليها إلى السير على ما هو مجال جماهير الخلق كنسبة المشي على الماء إلى المشي على الأرض والسباحة)** على الماء **(يمكن أن تتعلم، فأما المشي على الماء فلا يكتسب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين، ولذلك قيل للنبي ﷺ: إن عيسى عليه السلام يقال أنه مشى على الماء فقال: لوازداد يقيناً لمشى على الهواء)** قال العراقي: هذا حديث منكر لا يعرف هكذا، والمعروف ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول بكر بن عبدالله المزني قال: فقد الحواريون نبيهم فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه، فلما انتهوا إلى البحر إذا هو قد أقبل يمشي على الماء فذكر حديثاً فيه أن عيسى قال: لو أن لابن آدم اليقين قدر شعيرة مشى على الماء وروى الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل: لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال انتهى.

قلت: روى ابن أبي الدنيا أيضاً، وابن عساكر عن فضيل بن عياض قال: قيل لعيسى بن مريم بأي شيء تمشي على الماء؟ قال: بالايمان واليقين، قالوا: فإنا آمنا كما آمنت وأيقنا كما أيقنت، قال: فامشوا إذاً فمشوا معه فجاء الموج فغرقوا فقال لهم عيسى: مالكم؟ فقالوا: خفنا الموج قال: ألا خفتم رب الموج؟ فأخرجهم ثم ضرب بيده إلى الأرض فقبض منها فإذا في إحدى يديه ذهب وفي الأخرى مدر فقال: أيهما أحلى في قلوبكم؟ قالوا: الذهب قال: فإنهما عندي سواء.

(فهذه رموز واشارات إلى معنى الكراهة والمحبة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بعلم المعاملة أكثر منها، وقد ضرب الله تعالى مثلاً لذلك تقريباً إلى افهام الخلق إذ عرف) على لسان رسوله ﷺ ﴿أنه ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه﴾ وذلك في قوله تعالى ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] **(فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم، ثم أخبر)** تعالى **(أن له عبدين يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والأمين)** وقد ذكر بهذه الاسماء في القرآن فجبريل سريانية معناه عبدالله وسمي روح القدس لأن الروح ما به

والأمين، وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين: ويبغض الآخر واسمه إبليس وهو اللعين المنظر إلى يوم الدين، ثم أحال الإرشاد إلى جبريل فقال تعالى: ﴿قُلْ نزلهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] وقال تعالى: ﴿يُلْقِي الرُوحَ مِنْ أَمْرِه عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥] وأحال الإغواء على إبليس فقال تعالى: ﴿ليضلَّ عَنْ سَبِيلِه﴾ [الزمر: ٨] والإغواء هو استيقاف العباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه إلى العبد الذي غضب عليه، والإرشاد سياقه لهم إلى الغاية فانظر كيف نسبه إلى العبد الذي أحبه، وعندك في العادة له مثال فالملك إذا كان محتاجاً إلى من يسقيه الشراب وإلى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات وكان له عبدان فلا يعين للحجامة والتنظيف إلا أقبحهما وأخسهما ولا يفوّض حمل الشراب الطيّب إلا إلى أحسنهما وأكملهما وأحبهما إليه ولا ينبغي أن تقول: « هذا فعلي »، ولم يكون فعله دون فعلي ؟ ». فإنك أخطأت إذ أضفت ذلك إلى نفسك، بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب إتماماً للعدل، فإن عدله تارة يتم بأمور لا مدخل لك فيها، وتارة يتم فيك فإنك أيضاً من أفعاله، فداعيتك وقدرتك

حياة الأنفس، وأضيف إلى القدس لنزاهته وصفاء إشراقه وسمي الأمين لأمانته في تبليغ وحي الله تعالى إلى رسله (**وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين**) قال تعالى: ﴿مطاع ثم أمين﴾ [التكوير: ٢١] (**ويبغض الآخر واسمه ابليس**) إفعيل من البلس وهو التحير (**وهو اللعين المنظر**) أي المطرود الممهل (**إلى يوم الدين، ثم أحال الارشاد إلى جبريل فقال: ﴿قل**) يا محمد (**نزله روح القدس من ربك بالحق﴾ وقال تعالى (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾**) قال تعالى ﴿نزل به الروح الامين﴾ ﴿وأيدناه بروح القدس﴾(**وأحال الاغواء إلى ابليس فقال: ﴿ليضلهم عن سبيله﴾ والاغواء هو استيقاف العبادة دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسبه إلى العبد الذي أبغضه**) وفي نسخة غضب عليه (**والارشاد**) هو (**سياقه لهم إلى الغاية فانظر كيف نسبه إلى العبد الذي أحبه وعندك في العادة له مثال فالملك إذا كان محتاجاً إلى من يسقيه الشراب وإلى من يحجمه وينظف فناء منزله عن القاذورات**) والأوساخ (**وكان له عبدان فلا يعين للحجامة والتنظيف إلا أقبحهما وأخسهما ولا يفوض حمل الشراب الطيب إلا إلى أحسنهما**) وجهاً (**وأكملهما**) عقلاً(**وأحبهما إليه فلا ينبغي أن تقول هذا فعلي ولن يكون فعله دون فعلي فإنك أخطأت إذا أضفت ذلك إلى نفسك**) جهلاً منك، (**بل هو الذي صرف داعيتك لتخصيص الفعل المكروه بالشخص المكروه والفعل المحبوب بالشخص المحبوب إتماماً للعدل، فإنه تارة يتم بأمور لا مدخل لك فيها، وتارة يتم بك فإنك أيضاً من أفعاله**) بل كل ما في الوجود هو من أفعال الله تعالى (**فداعيتك**

وعلمك وعملك وسائر أسباب حركاتك في التعبير هو فعله الذي رتبه بالعدل ترتيباً تصدر منه الأفعال المعتدلة، إلا أنك لا ترى إلا نفسك فتظن أنّ ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت، فلذلك تضيفه إلى نفسك، وإنما أنت مثل الصبي الذي ينظر ليلاً إلى لعب المشعبذ الذي يخرج صوراً من وراء حجاب ترقص وتزعق وتقوم وتقعد وهي مؤلفة من خرق لا تتحرك بأنفسها وإنما تحركها خيوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤوسها في يد المشعبذ وهو محتجب عن أبصار الصبيان، فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد. وأما العقلاء فإنهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بتحرك، ولكنهم ربما لا يعلمون كيف تفصيله، والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعبذ الذي الأمر إليه والجاذبة بيده، فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة إلى العلماء، ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون انها المتحركة فيحيلون عليها، والعلماء يعلمون أنهم محركون إلا أنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون، إلا العارفون والعلماء الراسخون فإنهم

وقدرتك وعلمك وسائر أسباب حركاتك في التعيين هو الذي رتبه بالعدل ترتيباً تصدر منه الأفعال المعتدلة) ولن يعرف العادل من لم يعرف عدله ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله، فمن أراد فهم ذلك فليحط علماً بأفعال الله تعالى كلها، وليتك تفي بمعرفة عجائب نفسك فتتفرغ للتأمل فيها وفيما يكتنفها من الاجسام **(إلا أنك لا ترى إلا نفسك فتظن أن ما يظهر عليك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والملكوت، فلذلك تضيفه إلى نفسك)** وتنسى ترتيب الأسباب وتوجهها إلى المسببات بأقصى وجوه العدل، **(وإنما أنت مثل الصبي الذي ينظر ليلاً إلى لعب المشعبذ)** ويقال المشعوذ من الشعبذة والشعوذة وهو أن يرى الانسان منه ما ليس له حقيقة و قد بينه بقوله: **(الذي يخرج صوراً)** مختلفة الأشكال **(من وراء حجاب)** رفيع **(ترقص وتزعق وتقوم وتقعد)** وتمشي وتقف **(وهي مؤلفة من صور لا تتحرك بأنفسها، وإنما تحركها خيوط شعريه دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤسها في يد المشعبذ وهو محتجب)** وراء حجاب **(عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الخرق ترقص وتلعب وتقوم وتقعد، وأما العقلاء)** المميزون **(فإنهم يعلمون أن ذلك تحريك وليس بتحرك، ولكنهم ربما لا يعلمون تفصيله والذي يعلم بعض تفصيله لا يعلمه كما يعلمه المشعبذ الذي الأمر إليه والجاذبة بيديه، فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان إلا العلماء)** وفي نسخة بالنسبة إلى العلماء **(ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها المتحركة فيحيلون عليها والعلماء يعرفون أنهم محركون إلا أنهم لا يعلمون كيفية التحريك وهم الاكثرون)** فيكتفون بالعلم الإجمالي **(إلا العارفون)** منهم **(والعلماء الراسخون فإنهم أدركوا بحدة أبصارهم خيوطاً دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير**

أدركوا بحدة أبصارهم خيوطاً دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الأبصار الظاهرة، ثم شاهدوا رؤوس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها، وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسموات، وشاهدوا أيضاً ملائكة السموات مصروفة إلى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كي لا يعصوا الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقيل: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل إليهم من القدر والأمر فقيل: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [الطلاق: ١٢] وهذه أمور لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم، وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحتملها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] فقال: لو ذكرت ما أعرفه من معنى هذه الآية لرجمتموني، وفي لفظ آخر: لقلتم انه كافر.

معلقة من السماء متشبثة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الأبصار الظاهرة، ثم شاهدوا رؤوس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها وشاهدوا **لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين** للسموات، وشاهدوا **أيضاً أبصار ملائكة السموات مصروفة إلى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من** حضرة الربوبية كيلا يعصوا الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) فهم مسخرون لذلك (وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن فقال ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ وقال ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ [الحجر: ٢١] (وعبر عن انتظار ملائكة السموات لماينزل **عليهم من الأمر والقدر فقال ﴿خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله أحاط بكل شيء علماً﴾ وقال تعالى: ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾ وأوحى في كل سماء أمرها، (وهذه أمور)** الهية **(لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم)** بتعليم الله إياهم وتفهيم الأمور الالهية بالأمور العرفية عسير جداً، وإنما نذكر الأمثلة لأجل التنبيه عليها، **(وعبر ابن عباس)** رضي الله عنه **(عن اختصاص الراسخين في العلم بعلوم لا تحملها أفهام الخلق حيث قرأ تعالى: ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾ فقال: لو ذكرت ما أعرفه)** وفي نسخة ما عرفت فيه **(من معنى هذه الآية لرجمتموني، وفي لفظ آخر لقلتم إنه كافر)** وذلك لأن أفهامهم قاصرة لا تحتمل المعاني الدقيقة من أسرار الربوبية، وإليه يشير ما ورد إفشاء سر الربوبية كفر.

ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع إلى مقاصد الشكر فنقول:

إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون العبد مستعملاً في إتمام حكمة الله تعالى، فأشكر العباد أحبهم إلى الله وأقربهم إليه وأقربهم إلى الله الملائكة ولهم أيضاً ترتيب، وما منهم إلا وله مقام معلوم، وأعلاهم في رتبة القرب ملك إسمه إسرافيل عليه السلام، وإنما علو درجتهم لأنهم في أنفسهم كرام بررة، وقد أصلح الله تعالى بهم الأنبياء عليهم السلام، وهم أشرف مخلوق على وجه الأرض، ويلي درجتهم درجة الأنبياء فإنهم في أنفسهم أخيار، وقد هدى الله بهم سائر الخلق وتمم بهم حكمته، وأعلاهم رتبة نبينا ﷺ إذ أكمل الله به الدين وختم به النبيين، ويليهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فإنهم في

(**ولنقتصر على هذا القدر فقد خرج عنان الكلام عن قبضة الاختيار، وامتزج بعلم المعاملة ما ليس منه فلنرجع إلى مقاصد الشكر فنقول: إذا رجع حقيقة الشكر إلى كون العبد مستعملاً في إتمام حكمة الله تعالى فأشكر العباد**) أي أكثرهم شكراً (**أحبهم إلى الله تعالى وأقربهم إليه وأقربهم إلى الله تعالى الملائكة**) وذلك بالسعي في اكتساب الممكن من هذه الصفة والمتخلق بها يصير رفيقاً للملأ الاعلى من الملائكة فإنهم على بساط القرب، فمن ضرب إلى شبه من صفاتهم نال شيئاً من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم إلى الله تعالى، (**ولهم**) أي للملائكة (**أيضاً ترتيب وما منهم إلا وله مقام معلوم**) في بساط القرب وكلهم مقربون ودرجات قربهم متفاوتة (**وأعلاهم في رتبة القرب إسرافيل عليه السلام**) وهو صاحب الصور وقال المصنف في مشكاة الانوار: قد انكشف لأرباب البصائر أن الانوار الملكوتية إنما وجدت على الترتيب بحيث يقتبس بعضها من بعض، وأن المقرب هو الأقرب إلى النور الأقصى، فلا يبعد أن يكون رتبة إسرافيل فوق رتبة جبريل، فإن فيهم الأقرب بقرب درجة من حضرة الربوبية التي هي منبع الأنوار كلها وأن فيهم الأدنى، وبينهما درجات تستعصي على الإحصاء، وإنما المعلوم كثرتهم وترتيبهم في مقاماتهم في صفوفهم وأنهم كما وصفوا به انفسهم إذ قالوا: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون﴾ [الصافات: ١٦٤ - ١٦٦] (**وإنما علو درجتهم لأنهم في أنفسهم كرام بررة وقد أصلح الله بهم الانبياء**) بإيصال الوحي إليهم (**وهم**) أي الأنبياء (**أشرف مخلوق على وجه الأرض ويلي درجتهم درجة الانبياء فإنهم في أنفسهم أخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق**) إلى ما فيه نجاتهم وعصمتهم (**وتمم بهم حكمته**) في الخلق، (**وأعلاهم رتبة نبينا محمد ﷺ وعليهم إذ أكمل به الدين**) الذي ارتضاه (**وختم به النبيين**) والمرسلين كما يشير إلى كل منهما قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٣] وقوله تعالى: ﴿وخاتم النبيين﴾ [الأحزاب: ٤٠] (**ويليهم العلماء الذين هم ورثة الانبياء**) ورثوا منهم علما وحكمة (**فإنهم في أنفسهم**

أنفسهم صالحون، وقد أصلح الله بهم سائر الخلق، ودرجة كل واحد منهم بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيره، ثم يليهم السلاطين بالعدل لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم، ولأجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا محمد ﷺ كان أفضل من سائر الأنبياء فإنه أكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء، ثم يلي العلماء والسلاطين الصالحون الذين أصلحوا دينهم ونفوسهم فقط، فلم تتم حكمة الله بهم بل فيهم ومن عدا هؤلاء فهمج رعاع.

واعلم أن السلطان به قوام الدين فلا ينبغي أن يستحقر وإن كان ظالماً فاسقاً قال عمرو بن العاص رحمه الله: إمام غشوم خير من فتنة تدوم. وقال النبي ﷺ: « سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون، ويفسدون وما يصلح الله بهم أكثر، فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر » وقال سهل: من

صالحون، وقد أصلح الله بهم سائر الخلق) بإرشادهم إياهم إلى طريق الحق **(ودرجة كل واحد بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيره، ثم يليهم)** أي يلي درجة الأنبياء **(السلاطين بالعدل لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم)** فكل من العلماء والسلاطين في درجة واحدة ولكن مع اعتبارين مختلفين، **(ولأجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا ﷺ كان أفضل من سائر الأنبياء)** عليهم السلام **(فإنه أكمل الله به صلاح دينهم ودنياهم)** ومعاشهم ومعادهم، **(ولم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء)** فقد روى أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني والبيهقي من حديث ابن عمر « بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبدالله وحده لا شريك له وجعل رزقي في ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري » الحديث، **(ثم يلي العلماء الصالحون الذين أصلحوا دينهم)** وفي نسخة أنفسهم **(فقط، فلم تتم حكمة الله بهم إلا فيهم)** فهؤلاء كذلك لهم درجة ما في القرب **(ومن عدا هؤلاء فهمج رعاع)** لايعبأ بهم.

(واعلم أن السلطان) المتولي لأمور المملكة أهم من أن يكون خليفة أو ملكاً وإن كان في مصطلح أهل الفن فرق بين الثلاثة تقدمت الإشارة إليه في كتاب العلم **(به قوام الدين)** ونظامه وملاكه، **(فلا ينبغي أن يستحقر)** أو يهان **(وإن كان ظالماً)** غشوماً **(فاسقاً)** متعدياً للحدود الشرعية، **(قال عمرو بن العاص رحمه الله تعالى: إمام غشوم خير من فتنة تدوم)** والغشوم هو الظالم، **(وقال النبي ﷺ « سيكون عليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فإن أحسنوا فلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر »)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أم سلمة « تستعمل عليكم أمراء فيعرفون وينكرون » ورواه الترمذي بلفظ « سيكون أمراء » وقال: حسن صحيح، وللبزار بسند ضعيف من حديث ابن عمر: « السلطان ظل الله في الارض يأوي إليه كل مظلوم من عباده فإن عدل كان له الأجر وعلى الرعية الشكر، وإن جار أو حاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر ». وأما قوله « وما يصلح الله

أنكر إمامة السلطان فهو زنديق، ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع. ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل. وسئل: أي الناس خير؟ فقال: السلطان، فقيل: كنا نرى أن شر الناس السلطان! فقال: مهلاً إن لله تعالى كل يوم نظرتين: نظرة إلى سلامة أموال المسلمين، ونظرة إلى سلامة أبدانهم، فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنبه، وكان يقول الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصاً يقصون.

بهم أكثر» فلم أجده بهذا اللفظ إلا أنه يؤخذ من حديث ابن مسعود حين فزع إليه الناس لما أنكر واسيرة الوليد بن عقبة، فقال عبدالله اصبروا فإن جور إمامكم خمسين سنة خير من هرج سنة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكر حديثاً فيه «والامارة الفاجرة خير من الهرج» رواه الطبراني في الكبير باسناد لا بأس به انتهى.

قلت: بل هو في حديث الربيع بن عميلة عن ابن مسعود رفعه «سيليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر فمن عمل منهم بطاعة الله فلهم الأجر وعليكم الشكر ومن عمل منهم بمعصية الله فعليهم الوزر وعليكم الصبر». رواه هكذا البيهقي في الشعب، وأبو نعيم في العادلين، وإبن النجار في التاريخ، وقد نبه على ذلك الحافظ السخاوي، في هامش المغني مختصراً، ووجدت بعض سياق المصيف في حديث أبي هريرة «سيليكم بعدي ولاة فيليكم البرّ ببرّه ويليكم الفاجر بفجوره فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق وصلوا وراءهم فإن أحسنوا فلكم ولهم وإن أساؤا فلكم وعليهم» رواه إبن جرير، والدارقطني، وابن النجار باسناد ضعيف، وفي خبر آخر «سيكون من بعدي أمراء فأدوا إليهم طاعتهم فإن الامير مثل المجن يتقى به فإن صلحوا واتقوا وأمروكم بخير فلكم، ولهم وإن أساؤا وأمروكم به فعليهم وأنتم منه براء وأن الامير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم» رواه الطبراني في الكبير عن شريح بن عبيد قال أخبرني جبير بن نفير، وكثير بن مرة، وعمر بن الأسود، والمقدام بن معدي كرب وأبو امامة.

(وقال سهل) التستري رحمه الله تعالى: **(من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجبه فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل، وسئل)** أيضاً: **(أي الناس خير؟ فقال: السلطان فقيل)** له: **(إنا كنا نرى أن شر الناس السلطان فقال: مهلاً إن لله تعالى كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال المسلمين ونظرة إلى سلامة أبدانهم فيطلع في صحيفته فيغفر له جميع ذنبه، وكان)** أيضاً **(يقول الخشبات السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصاً يقص)** وفي نسخة قاصاً يقصون وروى صاحب الحلية في ترجمة عبدالله بن المبارك من قوله:

الله يدفع بالسلطان معضلة ... عن ديننا رحمة منه ورضوانا
لولا الائمة لم تأمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

الركن الثاني من أركان الشكر ما عليه الشكر

وهو النعمة، فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها ومجامعها فيما يخص ويعم فإن إحصاء نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تَحْصُوهَا﴾ [ابراهيم: ٣٤] فنقدم أموراً كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم. ثم نشتغل بذكر الآحاد، والله الموفق للصواب.

بيان حقيقة النعمة وأقسامها:

اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فإنه يسمى نعمة، ولكن النعمة بالحقيقة هي السعادة الأخروية، وتسمية ما سواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز، كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض، وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقاً ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط فإن تسميته نعمة صحيحة وصدق لأجل أنه يفضي إلى النعمة الحقيقية والاسباب المعينة واللذات المسماة

الركن الثاني من أركان الشكر ما عليه الشكر:

وهـو النعمة، فلنذكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأوصافها ومجامعها فيما يخص ويعم فإن إحصاء نعم الله تعالى) الموهوبة والمكتسبة (**على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ فنقدم أموراً كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم، ثم نشتغل بذكر الآحاد والله الموفق للصواب**).

بيان حقيقة النعمة وأقسامها:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر**) أي مختار (**فإنه يسمى نعمة، ولكن النعمة هي السعادة الأخروية**) وإليها الاشارة بقوله تعالى ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة﴾ [هود: ١٠٨] الآية وذلك هو الخير المحض والفضيلة الصدق وهو أربعة أشياء بقاء بلا فناء، وقدرة بلا عجز، وعلم بلا جهل وغنى بلا فقر. (**وتسمية ما سواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز**) إما لكونه معاوناً في بلوغ ذلك أو قائماً فيه (**كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط**) محض (**وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقاً**) في حد ذاته، (**ولكن يكون إطلاقه على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط**) متعددة (**فإن تسميته نعمة صحيح وصدق لأجل أنه يفضي إلى النعمة الحقيقية**) وكل ما أفضى إلى

نعمة نشرحها بتقسيمات:

القسمة الأولى: إن الأمور كلها بالإضافة إلينا تنقسم إلى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعاً: كالعلم وحسن الخلق وإلى ما هو ضار فيهما جميعاً كالجهل وسوء الخلق، وإلى ما ينفع في الحال ويضر في المآل: كالتلذذ باتباع الشهوات، وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس، فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقاً كالعلم وحسن الخلق والضارّ فيهما هو البلاء تحقيقاً وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي البصائر وتظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع إذا وجد عسلاً فيه سم فإنه يعدّه نعمة إن كان جاهلاً، وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه. والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي الألباب بلاء عند الجهال: ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة، فالصبي الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعدّه نعمة ويتقلد المنة ممن

النعمة نعمة، كما أن كل ما أعان على خير وسعادة فهو خير وسعادة (**والأسباب المعينة**) على الخير (**واللذات المسماة نعمة نشرحها بتقسيمات**).

(**القسمة الأولى:**

(**إن الأمور**) التي هي معينة ونافعة في بلوغ السعادة الأخروية (**كلها بالاضافة إلينا**) متفاوتة الأحوال وهي (**تنقسم إلى ما هو نافع**) في جميع الأحوال على كل وجه (**في الدنيا والآخرة جميعاً كالعلم وحسن الخلق، وإلى ما هو ضار فيهما جميعاً**) في سائر الأحوال وعلى كل وجه (**كالجهل وسوء الخلق، وإلى ما ينفع في الحال و**) ولكن (**يضر في المآل**) فهو نفع في حال دونٌ حال وعلى وجه دون وجه، وذلك (**كالتلذذ باتباع الشهوات**) والإخلاد إليها (**وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في المآل**)-فهو ضرر في حال دون حال وعلى وجه دون وجه، وذلك (**كقمع الشهوات ومخالفة النفس**) فالأقسام أربعة، (**فالنافع في الحال وفي المآل هو النعمة تحقيقاً كالعلم وحسن الخلق، والضار منهما هو البلاء تحقيقاً وهو ضدهما**) كالجهل وسوء الخلق، (**والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي الأبصار ويظنه الجهال نعمة ومثاله الجائع إذا وجد عسلاً فيه سم**) ساعة (**فإنه يعده نعمة إن كان جاهلاً**) به، (**وإذا علمه علم أن ذلك بلاء سيق إليه**) فيجتنبه (**والضار في الحال النافع في المآل نعمة، عند ذوي الألباب بلاء عند الجهال، ومثاله الدواء البشع**) أي الكريه (**في الحال المر مذاقه**) أي طعمه (**إلا أنه شاف من الأمراض والأسقام وجالب للصحة والسلامة، فالصبي الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء**) سيق إليه (**والعاقل**) الكامل (**يعده**

يهديه إليه ويقربه منه ويهيء له أسبابه، **فلذلك** تمنع الأم ولدها من الحجامة والأب يدعوه إليها فإن الأب لكمال عقله يلمح العاقبة، والأم لفرط حبها وقصورها تلحظ الحال، والصبي لجهله يتقلد منة من أمه دون أبيه ويأنس إليها وإلى شفقتها ويقدر الأب عدواً له، ولو عقل لعلم أن الأم عدواً باطناً في صورة صديق، لأن منعها إياه من الحجامة يسوقه إلى أمراض وآلام أشدّ من الحجامة، ولكن الصديق الجاهل شر من العدوّ العاقل. وكل إنسان فإنه صديق نفسه ولكنه صديق جاهل، فلذلك تعمل به ما لا يعمل به العدوّ.

قسمة ثانية: اعلم أن الأسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها، فقلما يصفو خيرها كالمال والأهل والولد والأقارب والجاه وسائر الأسباب، ولكن تنقسم إلى ما نفعه

نعمة ويتقلد المنّة **ممن يهديه إليه ويقربه منه ويهيء له أسبابه**) ويمكنه منه، (**فلذلك تمنع الأم ولدها من الحجامة**) في البلاد الحارة (**والأب يدعوه إليها فإن الأب لكمال عقله يلمح العاقبة**) أي المآل (**والأم لفـرط حبها**) له (**وقصورها**) في عقلها (**تلحظ الحال**) دون المآل (**والصبي لجهله يتقلد منة أمه دون أبيه ويأنس إليها و**) يميل (**إلى شفقتها ويقدر الأب عدواً له، ولو عقل لعلم أن الأم عدو باطن في صورة صديق**) فهي كما قال القائل:

إذا امتحـن الدنيـا لبيـب تكشفـت ... لـه عـن عـدو في ثيـاب صـديـق

(**لأن منعها إياه**) اي ولدها (**من الحجامة**) في الوقت المحتاج (**يسوقه إلى أمراض وآلام أشد من الحجامة**) فيما بعد، (**ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل**) فإن عقل العدو ربما يصده عن كثير مما يعادي به، (**وكل إنسان فإنه صديق نفسه، ولكنه صديق جاهل، فلذلك يعمل به ما لا يعمل به العدو**) فحق العاقل أن يعرف تلك الأمـور بحقائقها حتى لا يقع الخطأ عليه في إختياره الوضيع على الرفيع وتقديمه الخسيس على النفيس والناس في مُتحريَاتها طالب خير وهارب من شركما قال الشاعر:

كـل يحاول حيلـة يـرجـو بها ... دفـع المضرة واجتلاب المنفعـة
والمرء يغلـط في تصرف حـالـه ... فلـربما اختـار العنـاء على الدعـة

لكن يحسب الشحم فيمن شحمه ورم ويقدر في الشيء أنه رزق نافع وحشوه سم ناقع، فلذلك يحق على العاقل أن يجلي بصيرته ويعرف من كل ما يطلب حقيقته لئلا يـكون كمن يريد حبلاً ينتطق به، فرأى حية فظنّها مبتغاه فأخذها فلدغته.

(**قسمة ثانية**):

(**اعلم أن الأسباب الدنيوية مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقلما يصفو خيرها**) لشدة الاختلاط، وذلك (**كالمال والأهل والولد والأقارب والجاه وسائر الأسباب، ولكن ينقسم**)

أكثر من ضره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الأسباب، وإلى ما ضره أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع، وإلى ما يكافىء ضرره نفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص، فرب إنسان صالح ينتفع بالمال الصالح وإن كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه إلى الخيرات، فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه، ورب إنسان يستضر بالقليل أيضاً إذ لا يزال مستصغراً له شاكياً من ربه طالباً للزيادة عليه، فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه.

قسمة ثالثة: اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما هو مؤثر لذاته لا لغيره وإلى مؤثر لغيره، وإلى مؤثر لذاته ولغيره.

فالأول: ما يؤثر لذاته لا لغيره: كلذة النظر إلى وجه الله تعالى وسعادة لقائه، وبالجملة سعادة الأخرى التي لا انقضاء لها فإنها لا تطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها.

الثاني: ما يقصد لغيره ولا غرض أصلاً في ذاته كالدراهم والدنانير فإن الحاجة لو

ذلك (**إلى ما نفعه أكثر من ضرره كقدر الكفاية من المال والجاه وسائر الأسباب وإلى ما ضرره أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير**) الزائد في الكفاية (**والجاه الواسع**) عند ذوي الأموال (**وإلى ما يكافىء**) أي يقابل (**ضرره نفعه، وهذه أمور تختلف باختلاف الأشخاص فرب إنسان صالح ينتفع بالمال الصالح وإن كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه إلى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقه**) إذ لم يطغه، (**ورب إنسان يستتر بالقليل**) من المال (**أيضاً إذ لا يزال مستصغراً له**)أي مستحقراً (**شاكياً من ربه**) في خلوته وجلوته غير راض عنه فيما قسمه له (**طالباً للزيادة عليه فيكون ذلك مع الخذلان**) وقلة التوفيق (**بلاء في حقه**) فحق العاقل أن يتحرى في تلك الأمور ويعطي النعم استحقاقها.

(**قسمة ثالثة**):

(**اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما هو مؤثر لذاته وإلى**) ما هو (**مؤثر لغيره**) لا لذاته (**وإلى**) ما هو (**مؤثر لذاته ولغيره**) معاً.

(**فالأول**) من الأقسام (**ما يؤثر لذاته لا لغيره**) وهو (**كلذة النظر إلى وجه الله تعالى وسعادة لقائه**) وكذلك السعادة النفسية (**وبالجملة سعادة الآخرة التي لا انقضاء لها فإنها لا تطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراءها بل تطلب لذاتها**).

(**الثاني**) من الأقسام (**ما يقصد لغيره ولا غرض أيضاً في ذاته**) وهذا (**كالدراهم**

كانت لا تنقضي بها لكانت هي والحصباء بمثابة واحدة، ولكن لما كانت وسيلة إلى اللذات سريعة الإيصال إليها صارت عند الجهال محبوبة في نفسها حتى يجمعوها ويكنزرها ويتصارفوا عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة، ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصاً فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول محبة الأصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولاً بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده، وهو غاية الجهل والضلال.

الثالث: ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فإنها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين إلى لقاء الله تعالى، أو ليتوصل بها إلى استيفاء لذات الدنيا، وتقصد أيضاً لذاتها فإن الإنسان وإن استغنى عن الشيء الذي تراد سلامة الرجل لأجله فيريد أيضاً سلامة الرجل من حيث أنها سلامة، فإذاً المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقاً وما يؤثر لذاته ولغيره أيضاً فهو نعمة ولكن دون الأوّل، فأما ما لا يؤثر إلا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في أنفسهما من حيث إنهما جوهران فأنهما نعمة، بل من

والدنانير، فإن الحاجات) الضرورية **(لو كانت لا تنقضي بها لكانت هي والحصباء بمثابة واحدة)** أي بمنزلة سواء، **(ولكن لما كانت وسيلة إلى اللذات سريعة الإيصال إليها)** كما قال القائل:

إذا كنت في حاجة مرسلاً ... فارسل رسولاً هو الدرهم

(صارت عند الجهال محبوبة في أنفسها حتى) أنهم **(يجمعونها ويكنزونها)** ويتقاتلون عندها **(ويتصارفون عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة)** لذاتها، **(ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصاً فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه ثم ينسى في محبة الرسول)** الذي هو الواسطة **(محبة الأصل)** الذي هو المحبوب، **(فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولاً بتعهد الرسول ومراعاته وتفقده وهو غاية الجهل والضلال)**.

(الثالث) من الأقسام: **(ما يقصد لذاته ولغيره كالصحة والسلامة فإنها تقصد ليقدر بسببها على الذكر والفكر الموصلين إلى لقاء الله تعالى)** وهو قصد العارفين، **(أو ليتوصل بها إلى استيفاء لذات)** الدنيا وهو قصد الجاهلين **(وتقصد أيضاً لذاتها، فإن الاسان وإن استغنى عن الشيء الذي تراد سلامة الرجل لأجله فيريد أيضاً سلامة الرجل)** وصحتها **(من حيث أنها سلامة، فإذاً المؤثر لذاته فقط هو الخير والنعمة تحقيقاً وما يؤثر لذاته ولغيره أيضاً فهو نعمة ولكن دون الأولى)** في الرتبة، **(فأما مالا يؤثر الا لغيره كالنقدين فلا يوصفان في أنفسها من حيث أنهما جوهران بأنهما نعمة، بل من حيث هما وسيلتان**

حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمراً ليس يمكنه أن يتوصل إليه إلا بهما، فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته، استوى عنده الذهب والمدر، فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة، بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة.

قسمة رابعة: اعلم أنّ الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى نافع ولذيذ وجميل، فاللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال، والنافع هو الذي يفيد في المآل، والجميل هو الذي يستحسن في سائر الأحوال: والشرور أيضاً تنقسم إلى ضارّ وقبيح ومؤلم، وكل واحد من القسمين ضربان: مطلق ومقيد، فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الأوصاف الثلاثة أما في الخير فكالعلم والحكمة فإنها نافعة وجميلة ولذيذة عند أهل العلم والحكمة، وأما في الشر فكالجهل فإنه ضارّ وقبيح ومؤلم، وإنما يحس الجاهل بألم جهله إذا عرف أنه جاهل، وذلك بأن يرى غيره عالماً ويرى نفسه جاهلاً فيدرك ألم النقص فتنبعث منه شهوة العلم اللذيذة، ثم قد يمنعه الحسد، والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فيتجاذبه متضادّان فيعظم ألمه، فإنه إن ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان، وإن اشتغل بالتعلم تألم بترك

فيكونان نعمة في حق من يقصد أمراً ليس يمكنه أن يتوصل إليه إلا بهما، فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته استوى عنده الذهب والمدر، فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة، بل ربما شغله وجودهما) عنده **(عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة)** فحق العاقل أن يكتفي بالقدر الضروري منهما.

(قسمة رابعة):

(اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى نافع ولذيذ وجميل، فاللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال، والنافع هو الذي يفيد في المآل، والجميل هو الذي يستحسن في سائر الأحوال، والشرور أيضاً تنقسم إلى ضار ونافع وقبيح ومؤلم، وكل واحد من القسمين ضربان: مطلق ومقيد، والمطلق هو الذي اجتمع فيه الأوصاف الثلاثة. أما في الخير فكالعلم والحكمة فإنها نافعة وجميلة ولذيذة عند أهل العلم والحكمة، وأما في الشر فكالجهل فإنه ضار وقبيح ومؤلم وإنما يحس الجاهل بألم جهله إذا عرف أنه جاهل) وذلك **(بأن يرى غيره عالماً ويرى نفسه جاهلاً، فيدرك ألم النقص فتنبعث** منه شهوة العلم **اللذيذة ثم قد يمنعه الحسد والكبر)** وإيثار الراحة والدعة وغيرها من **(الشهوات البدنية من التعلم فيتجاذبه متضادان فيعظم ألمه، فإنه إن ترك التعلم تألم بالجهل ودرك النقصان وإن اشتغل بالتعلم تألم**

الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم، ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة.

والضرب الثاني: المقيد، وهو الذي جمع بعض هذه الأوصاف دون بعض، فرب نافع مؤلم كقطع الأصبع المتأكلة والسلعة الخارجة من البدن، ورب نافع قبيح كالحمق فإنه بالإضافة إلى بعض الأحوال نافع، فقد قيل: استراح من لا عقل له فإنه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال إلى أن يحين وقت هلاكه، ورب نافع من وجه ضارّ من وجه كإلقاء المال في البحر عند خوف الغرق، فإنه ضارّ للمال نافع للنفس في نجاتها. والنافع قسمان: ضروري كالإيمان وحسن الخلق في الإيصال إلى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم والعمل إذ لا يقوم مقامهما ألبتة غيرهما، وإلى ما لا يكون ضرورياً كالسكنجبين مثلاً في تسكين

بترك الشهوات أو بترك الكبر وذل التعلم، ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا محالة).

(والضرب الثاني مقيد؛ وهو الذي جمع بعض هذه الأوصاف دون بعض) أي شيئاً من أوصاف الخيرات وشيئاً من أوصاف الشرور، **(فرب نافع)** مؤذ **(مؤلم كقطع الاصبع الزائدة)** وفي نسخة المتأكلة **(والسلعة الخارجة من البدن)** كجدع قصير أنفه، فإنه وإن نفعه في إدراك الثأر فقد آذاه، **(ورب نافع قبيح كالحمق)** وهو فساد جوهر العقل، **(فإنه بالإضافة إلى بعض الأحوال نافع، وقد قيل: استراح من لا عقل له فإنه لا يهتم بالعاقبة فيستريح في الحال إلى أن يحين وقت هلاكه)**، فهذا وإن نفعه باعتبار ذلك فهو جداً قبيح، **(ورب نافع من وجه آخر كالقاء المال في البحر عند خوف الغرق)** أي كمن في سفينة فخاف الغرق فألقى متاعه في الماء فتخلصت السفينة، **(فإنه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها)**، والوجهان مختلفان وكل ما نفعه وجماله ولذته أطول مدة وأعم عائدة فهو أفضل.

فإن قيل: ما الفرق بين الخير والسعادة والفضيلة والنافع؟ فاعلم أن الخير المطلق هو المختار من أجل نفسه والمختار غيره لأجله هو الذي يتشوفه كل عاقل بل الكل بلا شهوية ويضاده الشر وهو المحترز من أجل نفسه والمحترز غيره من أجله، والسعادة المطلقة حسن الحياة في الآخرة وهي الأربع التي تقدم ذكرها، وقد يقال لما يتوصل به إلى هذه الأربع سعادة ويضادها الشقاوة. وأما الفضيلة، فإسم لما يحصل به الانسان مزية على الغير بأن يتوصل به إلى السعادة ويضادها الرذيلة. وأما النافع فهو ما يعين على بلوغ الفضيلة والسعادة والخير، **(و)** إذا علمت ذلك فاعلم أن **(النافع قسمان ضروري)** وهو مالا يمكن الوصول أي المطلوب إلا به **(كالايمان وحسن الخلق في الايصال إلى سعادة الآخرة، وأعني بهما العلم والعمل)** الصالح للمكلفين **(إذ لا يقوم مقامهما ألبتة غيرهما مالا يكون ضرورياً)** وهو الذي قد يسد غيره مسده **(كالسكنجبين مثلاً في**

الصفراء فإنه قد يمكن تسكينها أيضاً بما يقوم مقامه.

قسمة خامسة: اعلم أن النعمة يعبر بها عن كل لذيذ، واللذات بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته لغيره ثلاثة أنواع: عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات، وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات.

أما العقلية فكلذة العلم والحكمة إذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم والذوق ولا البطن ولا الفرج، وإنما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل، وهذه أقل اللذات وجوداً وهي أشرفها، أما قلتها فلأن العلم لا يستلذه إلا عالم والحكمة لا يستلذها إلا حكيم، وما أقل أهل العلم والحكمة وما أكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسومهم. وأما شرفها فلأنها لازمة لا تزول أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة، ودائمة لا تمل، فالطعام يشبع منه فيمل، وشهوة الوقاع يفرغ منها فتستثقل، والعلم والحكمة قط لا يتصوّر أن تمل وتستثقل ومن قدر على الشريف الباقي أبد الآباد إذا رضي بالخسيس

تسكين الصفراء فإنه قد يمكن تسكينها أيضاً بما يقوم مقامه)، وكل نافع فقد يسمى فضيلة وسعادة وخيراً لكونه مبلغاً إلى ذلك، والله أعلم.

(قسمة خامسة):

(اعلم أن النعمة يعبر بها عن كل لذيذ واللذات بالإضافة إلى الانسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته لغيره ثلاثة أنواع) لذة (عقلية، و) لذة (بدنية) وهي على قسمين: إما (مشتركة مع بعض الحيوانات و) إما (بدنية مشتركة) مع جميع الحيوانات.

(أما) اللذة (العقلية فكلذة العلم والحكمة إذ ليس يستلذها السمع والبصر والشم ولا البطن ولا الفرج وإنما يستلذها القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل، وهذه أقل اللذات وجوداً وهي أشرفها. أما قلتها فلأن العلم لا يستلذه إلا عالم والحكمة لا يستلذها إلا حكيم، وما أقل أهل العلم والحكمة وما أكثر المتسمين باسمهم والمترسمين برسمهم. وأما شرفها فلأنها لازمة لا تزول أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمل، فالطعام يشبع منه فيمل، وشهوة الوقاع يفرغ منها فتستثقل) ولو أنه لا يمل منها. (والعلم والحكمة قط لا يتصور أن تمل وتستثقل) فحق العاقل أن يرغب إلى الله في أن يعطيه ما فيه مصلحة مما لا سبيل له بنفسه إلى اكتسابه، وأن يبذل جهده مستعيناً بالله في اكتساب ماله كسبه وبلوغ الأعلى فالأعلى منه على الترتيب فبذلك يشرف، (ومن قدر على الشريف الباقي أبد الآباد إذا رضي بالخسيس الفاني في أقرب الآماد فهو مصاب في عقله محروم في عقله محروم بشقاوته وإدباره)، ومن ضيع أنفس المقتنيات مع التمكن من تحصيلة فهو دنيء الهمة راض بخسيس الحال،

الفاني في أقرب الآماد فهو مصاب في عقله محروم لشقاوته وأدباره وأقل أمر فيه: أن العلم والعقل لا يحتاج إلى أعوان وحفظة بخلاف المال، إذ العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزيد بالإنفاق والمال ينقص بالإنفاق، والمال يسرق والولاية يعزل عنها، والعلم لا تمتد إليه أيدي السراق بالأخذ ولا أيدي السلاطين بالعزل، فيكون صاحبه في روح الأمن أبداً، وصاحب المال والجاه في كرب الخوف أبداً، ثم العلم نافع ولذيذ وجميل في كل حال أبداً، والمال تارة يجذب إلى الهلاك وتارة يجذب إلى النجاة، ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في مواضع وإن سماه خيراً في مواضع. وأما قصور أكثر الخلق عن إدراك لذة العلم، فإما لعدم الذوق فمن لم يذق لم يعرف ولم يشتق، إذ الشوق تبع الذوق، وأما لفساد أمزجتهم ومرض قلوبهم بسبب أتباع الشهوات، كالمريض الذي لا

(**وأقل أمر فيه أن**) كلاً من (**العلم والعقل**) إذا حصل لا يغيب و (**لا يحتاج**) في حفظه (**إلى أعوان وحفظه بخلاف المال**) وغيره من المقتنيات الحالية، (**إذ العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالإنفاق والمال يصرف والولاية يعزل عنها، والعلم لا تمتد إليه أيدي السراق بالأخذ ولا أيدي السلاطين بالعزل فيكون صاحبه في روح الأمن أبداً، وصاحب المال والجاه في كرب الخوف أبداً**) وتقدم الكلام على ضده المجمل تفضيلاً في كتاب العلم. (**ثم العلم نافع ولذيذ وجميل**) عاجلاً وآجلاً ومطلقاً (**في كل حال أبداً**) أي في كل زمان وكل مكان، ولذا كان أفضل الفضائل النفسية، (**والمال**) وكذا الجاه وهما من الخيرات المتوسطة (**تارة يجذب إلى الهلاك**) إذا كان مع الجهل، (**وتارة يجذب إلى النجاة**) إذا كان مع العلم، (**ولذلك ذم الله تعالى المال في القرآن في مواضع**) كثيرة ونبه على كونه سبباً للشر فقال ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ [التغابن: ١٥] وقال تعالى ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ [التوبة: ٨٥] الآية ولذلك قيل: السعيد هو الخير العاقل غنياً كان أو فقيراً قوياً كان أو ضعيفاً، (**وإن سماه خيراً في مواضع**) كقوله تعالى ﴿إن ترك خيراً﴾ [البقرة: ١٨٠] ولكنه قد يكون خيراً لبعض الناس وشرا لبعضهم، فمعلوم أنه كان شراً لمن قال تعالى فيه: ﴿الذي جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده﴾ [الهمزة: ٢، ٣] (**وأما قصور أكثر الخلق عن إدراك لذة العلم**) والحكمة (**فإما لعدم الذوق**) وهو تناول الشيء بالفم لادراك الطعم هذا هو الأصل (**ومن لم يذق لم يعرف ولم يشتق إذ الشوق تبع للذوق**) وإليه الاشارة بقول القائل:

ولو يذوق عاذلي صبابتي ... صبا معي لكنه ما ذاقها

(**وإما لفساد أمزجتهم وتمرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات**) فإن لها تأثيراً ظاهراً في تغيير الأمزجة (**كالمريض الذي لا يدرك حلاوة العسل ويراه مراً**) كما قال المتنبي:

ومن يكن ذا فم مر مريض ... يجد مراً به الماء الزلالا

يدرك حلاوة العسل ويراه مراً، وإما لقصور فطنتهم إذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم، كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ إلا اللبن، وذلك لا يدل على أنها ليست لذيذة ولا استطابته للبن تدل على أنه ألذ الأشياء، فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة، إما من لم يحي باطنه كالطفل وإما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات، وإما من مرض بسبب اتباع الشهوات: وقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠] إشارة إلى مرض العقول. وقوله عز وجل: ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠] إشارة إلى من لم يحي حياة باطنة، وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى وإن كان عند الجهال من الأحياء، ولذلك كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وإن كانوا موتى بالأبدان.

الثانية: لذة يشارك الإنسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرئاسة والغلبة والإستيلاء، وذلك موجود في الأسد والنمر وبعض الحيوانات.

الثالثة: ما يشارك فيها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج، وهذه أكثرها وجوداً وهي أخسها ولذلك اشترك فيها كل ما دب ودرج حتى الديدان والحشرات، ومن

(**وإما لقصور فطرتهم**) التي فطروا عليها (**إذ لم تخلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة العسل والطيور السمان ولا يستلذ إلا اللبن، وذلك لا يدل على أنها ليست لذيذة ولا استطابته اللبن يدل على أنه ألذ الأشياء، فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة إما من لم يحي بعد باطنه كالطفل**) فإنه غير متهيء لذلك، (**وأما من مات بعد الحياة باتباع الشهوات**) فإنها تميت القلوب (**وأما من مرض بسبب اتباع الشهوات**) ولم يمت بعد، فكل هؤلاء قاصرون عن درك اللذة المعنوية (**وقوله تعالى**) في حق المنافقين، ﴿**في قلوبهم مرض**﴾ اشارة إلى مرض العقول وقوله تعالى: (﴿**لينذر من كان حياً**﴾ **إشارة الى من حي حياة باطنة**) وليس المراد به الحياة الظاهرة، (**وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموتى**) أي يعد منهم (**وإن كان**) هو (**عند الجهال**) يعد (**من الاحياء، ولذلك كان الشهداء**) في سبيل الله (**أحياء عند ربهم يرزقون فرحين**) كما أخبر بذلك عنهم الله تعالى. (**وإن كانوا موتى بالأبدان**).

(**الثانية: لذة يشارك الإنسان فيها بعض الحيوانات كلذة الرئاسة والغلبة والاستيلاء**) والقهر، (**وذلك موجود في الأسد والنمر وبعض الحيوانات**) من السباع والوحوش.

(**الثالثة: ما يشاركه بها سائر الحيوانات كلذة البطن والفرج، وهذه أكثرها وجوداً وهي أخسها**) رتبة، (**ولذلك اشترك فيها كل ما دب**) على الأرض (**ودرج حتى الديدان**

جاوز هذه الرتبة تشبثت به لذة الغلبة، وهو أشدّها التصاقاً بالمتغافلين، فإن جاوز ذلك ارتقى إلى الثالثة فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة، لا سيا لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله، وهذه رتبة الصدّيقين، ولا ينال تمامها إلا بخروج استيلاء حب الرياسة من القلب، وآخر ما يخرج من رؤوس الصدّيقين حب الرئاسة، وأما شره البطن والفرج فكسره مما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرئاسة لا يقوى على كسرها إلا الصدّيقون. فأما قمعها بالكلية، حتى لا يقع بها الإحساس على الدوام وفي اختلاف الأحوال فيشبه أن يكون خارجاً عن مقدور البشر، نعم تغلب لذة معرفة الله تعالى في أحوال لا يقع معها الإحساس بلذة الرئاسة والغلبة، ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود إليه الصفات البشرية فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على العدول عن العدل، وعند هذا تنقسم القلوب إلى أربعةأقسام: قلب لا يحب إلا الله تعالى ولا يستريح إلا بزيادة المعرفة به والفكر فيه، وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الأنس بالله وإنما لذته بالجاه والرئاسة والمال وسائر الشهوات البدنية، وقلب أغلب أحواله الأنس بالله سبحانه والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه في بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية. وقلب أغلب أحواله التلذذ

والحشرات، ومن جاوز هذه الرتبة تشبثت به لذة الغلبة وهي أشدها التصاقاً بالمتغافلين، فإن جاوز ذلك إرتقى إلى الثالث فصار أغلب اللذات عليه لذة العلم والحكمة لا سيا لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه رتبة الصديقين) وخرج العارفون من الدنيا ولم يذوقوا أطيب من هذا، **(ولا ينال تمامها إلا خروج استيلاء حب الرئاسة من القلب وآخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرئاسة)** كما قاله سهل رحمه الله تعالى، **(وأما شره البطن والفرج فكسره)** وقهره **(مما يقوى عليه الصالحون)** من عباد الله تعالى، **(وشهوة الرئاسة لا يقوى على كسرها)** وفي نسخة قهرها **(إلا الصديقون فأما قمعها بالكلية حتى لا يقع بها الإحساس على الدوام وفي اختلاف الأحوال فيشبه أن يكون خارجاً عن مقدور البشر)** إذ لا بد من معاودة في بعض الأحوال بمقتضى ما جبل عليه البشر، **(ثم تغلب لذة معرفة الله تعالى في أحوال لا يقع معها الاحساس بلذة الرئاسة والغلبة، ولكن ذلك لا يدوم طول العمر بل تعتريه الفترات فتعود إليه الصفات البشرية فتكون موجودة لكن تكون مقهورة)** بالعقل **(لا تقوى على حمل النفوس على العدول عن)** منهج **(العدل)** المأثور به، **(وعند هذا تنقسم القلوب إلى أربعة أقسام: قلب لا يحب إلا الله ولا يستريح إلا بزيادة المعرفة به والفكر فيه، وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الأنس بالله وإنما لذته بالجاه والرئاسة والمال وسائر الشهوات البدنية، وقلب أغلب أحواله الإنس بالله والتلذذ بمعرفته والفكر فيه، ولكن قد يعتريه في بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية، وقلب أغلب**

بالصفات البشرية ويعتريه في بعض الأحوال تلذذ بالعلم والمعرفة. أما الأول فإن كان ممكناً في الوجود فهو في غاية البعد وأما الثاني فالدنيا طافحة به. وأما الثالث والرابع فموجودان ولكن على غاية الندور، ولا يتصوّر أن يكون ذلك إلا نادراً شاذاً، وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة، وإنما تكون كثرته في الأعصار القريبة من أعصار الأنبياء عليهم السلام، فلا يزال يزداد العهد طولاً وتزداد مثل هذه القلوب قلة، إلى أن تقرب الساعة ويقضي الله أمراً كان مفعولاً، وإنما وجب أن يكون هذا نادراً لأنه مبادىء ملك الآخرة والملك عزيز والملوك لا يكثرون، فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال إلا نادراً وأكثر الناس من دونهم، فكذا في ملك الآخرة، فإن الدنيا مرآة الآخرة، فإنها عبارة عن عالم الشهادة، والآخرة عبارة عن عالم الغيب، وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب، كما أنّ الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة، والصورة في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود فإنها أولى في حق رؤيتك، فإنك لا ترى نفسك، وترى صورتك في المرآة أولاً فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانياً على سبيل المحاكاة؛ فانقلب التابع في الوجود متبوعاً في حق المعرفة وانقلب المتأخر متقدماً؛ وهذا نوع من الإنعكاس ولكن الإنعكاس والإنتكاس ضرورة هذا العالم، فكذلك عالم الملك

أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه في بعض الأحوال تلذذ بالعلم والمعرفة. أما الأول وإن كان ممكناً في الوجود) لا يستحيله العقل (**فهو في غاية البعد، وأما الثاني: فالدنيا طافحة به**) أي ممتلئة (**وأما الثالث والرابع، فموجود ولكن على غاية الندور ولا يتصور أن يكون إلا نادراً شاذاً**) قليل الوجود، (**وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة، وإنما تكون كثرته في الأعصار القريبة من أعصار الأنبياء عليهم السلام**) لكثرة الأنوار فيها، (**فلا يزال يزداد العهد طولاً وتزداد مثل هذه القلوب قلة إلى أن تقرب الساعة ويقضي الله أمراً كان مفعولاً، وإنما وجب أن يكون هذا نادراً لأنه مبادىء ملك الآخرة والملك عزيز والملوك**) يقلون و (**لا يكثرون، فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال**) في الدنيا (**إلا نادراً وأكثر الناس من دونهم، فكذا في ملك الآخرة فإن الدنيا مرآة الآخرة**) بها يتراءى ما في الآخرة، (**فإنها عالم الشهادة والآخرة عبارة عن عالم الغيب**) المختص، (**وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب، كما إن الصورة في المرآة تابعة لصورة الناظر في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود فإنها أول في حق رؤيتك فإنك لا ترى نفسك وترى صورتك في المرآة أولاً فتعرف بها صورتك التي هي قائمة بك ثانياً على سبيل المحاكاة فانقلب التابع في الوجود متبوعاً في المعرفة، وانقلب المتأخر متقدماً وهذا نوع من الانعكاس**) غريب المعنى، (**ولكن الانعكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم، فكذلك عالم الملك والشهادة**

والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت، فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك إلا ويعبر به إلى عالم الملكوت فيسمي عبوره عبرة، وقد أمر الحق به تعالى فقال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢] ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وسينفتح إلى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس مملوء ناراً من شأنها أن تطلع على الأفئدة إلا أن بينه وبين إدراك ألمها حجاباً، فإذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك، وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا الجنة والنار مخلوقتان، ولكن الجحيم تدرك مرة بإدراك يسمى علم اليقين، ومرة بإدراك آخر يسمى عين اليقين، وعين اليقين لا يكون إلا في الآخرة، وعلم اليقين قد

محاك لعالم الغيب والملكوت) وفي هذا العالم عجائب تستحقر إليها بالاضافة إلى عالم الشهادة وهو بالاضافة إلى عالم الملكوت كالقشرة بالاضافة إلى اللب، وكالصورة والقالب بالإضافة إلى الروح، وكالظلمة بالاضافة الى النور ،وكالسفل بالاضافة إلى العلو، ولذلك يسمى العالم العلوي والروحاني والنوراني في مقابلته العالم السفلي والجسماني والظلماني قال الله تعالى ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ [الأنعام: ٥٩]أي من عنده تنزل أسباب الموجودات في عالم الشهادة إذ عالم الشهادة أثر من آثار ذلك العالم يجري منه مجرى الظل بالاضافة إلى الشخص، ومجرى الثمر بالإضافة إلى المثمر، والمسبب بالاضافة إلى السبب ومفاتيح معرفة المسببات لا تؤثر من الاسباب، ولذلك كان عالم الشهادة مثالاً لعالم الملكوت والمشبه لا يخلو من مؤازاة الشبه ومحاكاته نوعاً من المحاكاة على قرب أو على بعد فلو لم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقي من أحدهما إلى الآخر فجعلت الرحمة الإلهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شيء من هذا العالم إلا وهو مثال شيء من ذلك العالم، وربما كان الشيء الواحد مثالاً من الملكوت، وربما كان للشيء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة وإنما يكون مثالاً إذا ماثله نوعاً من المطابقة، **(فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك)** والشهادة **(إلا ويعبر به إلى عالم الملكوت فسمي عبوره)** ذلك **(عبرة)** وهو بالكسر من الاعتبار، **(وقد أمر الخلق به فقال ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ [الحشر: ٢] ومنهم من عميت بصيرته فلم يعبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستفتح إلى حبسه أبواب جهنم وهذا الحبس ممتلىء ناراً)** أوقدها الله تعالى **(شأنها أن تطلع على الافئدة)** أي تعلو أوساط القلوب وتشتمل عليه **(إلا أن بينه وبين إدراك ألمها حجاباً، فإذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك)** الألم، **(وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم)** من أهل السنة والجماعة **(استنطقهم بالحق، فقالوا الجنة والنار مخلوقتان)** وهما موجودتان الآن، فالجنة فوق السموات والنار تحت الارضين، **(ولكن الجحيم تدرك مرة بادراك يسمى علم اليقين)**، وهو ما أعطاه الدليل مقصور الأمر على ما هو عليه، **(ومرة بادراك آخر يسمى عين اليقين)** وهو ما اعطته المشاهدة والكشف، **(وعين اليقين لا**

يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين، فلذلك قال الله تعالى: ﴿كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ ★ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [التكاثر: ٥، ٦] أي في الدنيا ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ اليَقِينِ﴾ أي في الآخرة، فإذاً قد ظهر أن القلب الصالح لملك الآخرة لا يكون إلا عزيزاً كالشخص الصالح لملك الدنيا.

قسمة سادسة: حاوية لمجامع النعم: اعلم أن النعم تنقسم إلى ما هي غاية مطلوبة لذاتها وإلى ما هي مطلوبة لأجل الغاية؛ أما الغاية فإنها سعادة الآخرة ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور: بقاء لا فناء له، وسرور لا غم فيه، وعلم لا جهل معه، وغنى لا فقر بعده، وهي النعمة الحقيقية، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لا عيش إلا عيش الآخرة» وقال ذلك مرّة في الشدة تسلية للنفس، وذلك في وقت حفر الخندق في شدّة الضر؛ وقال ذلك مرة في السرور منعاً للنفس من الركون إلى سرور الدنيا؛ وذلك عند إحداق الناس به في حجة الوداع. وقال رجل: اللهم إني أسألك تمام النعمة، فقال النبي ﷺ:

يكون إلا في الآخرة) لأنها محل الشهود والكشف، **(وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين)** وهو مشاهدة الغيوب بصفات القلوب وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار، **(فلذلك قال تعالى ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم﴾ أي في الدنيا ﴿ثم لترونها عين اليقين﴾ أي في الآخرة، فإذا قد ظهر أن القلب الصالح لملك الآخرة لا يكون إلا عزيزاً كالشخص الصالح لملك الدنيا)**.

قسمة سادسة حاوية لجميع النعم الموهوبة والمكتسبة:

(اعلم ان النعم) وإن كانت لا تحصى مفصلة فإنها بالقول المجمل خمسة أنواع، وبيان ذلك أنها **(تنقسم إلى ما هي غاية مطلوبة لذاتها وإلى ما هي مطلوبة لأجل الغاية، أما الغاية فإنها سعادة الآخرة)** وهي أعلاها وأشرفها وإياها قصد بقوله تعالى: ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة﴾ [هود: ١٠٨] الآية **(ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور: بقاء لا فناء له، وسرور لا غم فيه، وعلم لا جهل معه، وغنى لا فقر بعده)** ومنهم من ذكر بدل الجملة الثانية وقدرة لا عجز عنها **(وهي الخير)** المحض والفضيلة الصرف **(والنعمة الحقيقية، ولذلك قال ﷺ)** «اللهم **(لا عيش إلا عيش الآخرة» وقال ذلك)** مرتين **(مرة في)** حال **(الشدة تسلية للنفس وذلك وقت حفر الخندق في شدة الضر)** وهذا قد رواه الطيالسي وأحمد والشيخان والثلاثة من حديث أنس، ورواه أيضاً أحمد والشيخان من حديث سهل بن سعد، وفي لفظ «اللهم لا خير إلا خير الآخرة» روى الحاكم من حديث أنس «اللهمّ لا خير إلا خير الآخرة» فبارك في الأنصار والمهاجرة. **(وقال ذلك مرة في)** حال **(السرور منعاً للنفس من الركون إلى سرور الدنيا، وذلك عند إحداق الناس به في حجة الوداع)** يروى ذلك مرسلاً، ورواه الحاكم متصلاً

« وهل تعلم ما تمام النعمة؟ » قال: لا. قال: « تمام النعمة دخول الجنة ».

وأما الوسائل؛ فتنقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس: وإلى ما يليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني، وإلى ما يليه في القرب. ويجاوز إلى غير البدن كالأسباب المطيفة بالبدن من المال والأهل والعشيرة، وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية، فهي إذا أربعة أنواع:

النوع الأول وهو الأخص: الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها إلى الإيمان وحسن الخلق وينقسم الإيمان إلى علم المكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله، وإلى علوم المعاملة، وحسن الخلق ينقسم إلى قسمين: ترك مقتضى الشهوات والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والإقدام

وصححه وتقدم في كتاب الحج، وروى الحاكم والبيهقي من حديث ابن عباس: « لبيك اللهم لبيك إنما الخير خير الآخرة »، (**وقال رجل: اللهم إني أسألك تمام النعمة، فقال ﷺ: « وهل تعلم ما تمام النعمة »؟ قال: لا قال: « دخول الجنة »**) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث معاذ بسند حسن انتهى.

قلت: ورواه الطبراني بلفظ « أتدري ما تمام النعمة تمام النعمة دخول الجنة والنجاة من النار » (**وأما الوسائل**) التي يتوصل بها إلى الغاية (**فتنقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس**) وهو الأول (**وإلى ما يليه في القرب كفضائل البدن**) وهو الثاني، (**وإلى ما يليه في القرب ويجاوز إلى غير البدن**) كالأسباب المطيفة بالبدن من المال (**والأهل والعشيرة**) وهو الثالث، (**وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجة عن النفس وبين الحاصلة للنفس كالتوفيق والهداية**) وهو الرابع، (**فهي إذاً أربعة أنواع**) النفسية والبدنية والخارجية والتوفيقية وهي مع السعادة الآخروية خمسة أنواع.

(**النوع الأول: وهو الأخص**) الأقرب (**الفضائل النفسية**) ولا يمكن الوصول إلى السعادة الآخروية إلا باكتسابها واستعمالها كما قال تعالى: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾ [الإسراء: ١٩] الآية وأصول ذلك أربعة أشياء: العقل وكماله العلم، والعفة وكمالها الورع، والشجاعة وكمالها المجاهدة، والعدالة وكمالها الانصاف، وقد فصله المصنف بقوله: (**ويرجع حاصلها مع انشعاب أطرافها إلى**) أصلين عظيمين: (**الايمان وحسن الخلق، وينقسم الايمان إلى علم المكاشفة وهو العلم بالله وصفاته و ملائكته ورسله، وإلى علم المعاملة**) وهو مجاهدة البدن في الطاعات. (**وحسن الخلق ينقسم إلى قسمين**): أحدهما ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه (**العفة، و**) الثاني (**مراعاة العدل في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمتنع أصلاً ولا يقدم كيف شاء، بل يكون**

حتى لا يمتنع أصلاً ولا يقدم كيف شاء، بل يكون إقدامه وإحجامه بالميزان العدل الذي أنزله الله تعالى على لسان رسوله ﷺ، إذ قال تعالى: ﴿ألاَّ تَطْغَوا في المِيزَانِ ★ وأقيمُوا الوَزْنَ بالقِسْطِ وَلاَ تُخسِرُوا المِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٨، ٩] فمن خصى نفسه ليزيل شهوة النكاح، أو ترك النكاح مع القدرة والأمن من الآفات أو ترك الأكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر الميزان. ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان، وإنما العدل أن يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فتعتدل به كفتا الميزان، فإذاً الفضائل الخاصة بالنفس المقرّبة إلى الله تعالى أربعة: علم مكاشفة، وعلم معاملة، وعفة، وعدالة، ولا يتم هذا في غالب الأمر إلا بالنوع الثاني: وهو الفضائل البدنية وهي أربعة: الصحة، والقوة، والجمال، وطول العمر، ولا تتهيأ هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي أربعة: المال، والأهل، والجاه، وكرم العشيرة، ولا ينتفع بشيء من هذه الأسباب الخارجة والبدنية إلا بالنوع الرابع وهي الأسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة: هداية الله، ورشده، وتسديده، وتأييده، فمجموع هذه النعم ست عشرة إذ قسمناها إلى

إقدامه وإحجامه بالميزان العدل الذي أنزل الله على لسان رسوله ﷺ إذ قال تعالى) ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان ★ **(ألا تطغوا في الميزان ★)** أي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانفاق **(وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾)** أي لا تنقصوه **(فمن خصى نفسه لترك شهوة النكاح، أو ترك النكاح مع القدرة والأمن من الآفات أو ترك الأكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر الميزان)** فإن كل ذلك غير مناسب لميزان العدالة. **(ومن انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان)** واعتدى **(وإنما العدل)** الحقيقي الذي به قامت السموات والأرض **(أن يخلو وزنه وتقديره عن الطغيان** والخسران **فتعتدل به كفتا الميزان)** على السواء، **(فاذاً الفضائل الخاصة بالنفس المقربة إلى الله تعالى أربعة: علم مكاشفة، وعلم معاملة، وعفة، وعدالة)** فكمال علم المكاشفة العلم، وكمال علم المعاملة المجاهدة، وكمال العفة الورع، وكمال العدالة الإنصاف وهي المعبر عنه بالدين **(ولا يتم هذا في غالب الأمر إلا بالنوع الثاني وهو الفضائل البدنية وهي أربعة)** أشياء **(الصحة والقوة والجمال وطول العمر، ولا تهيأ هذه الامور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهي النعم الخارجة المطيفة بالبدن وهي أربعة)** أشياء: **(المال والأهل والجاه)** ومنهم من ذكر العز بدله **(وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه الأسباب الخارجة والبدنية)** ولا سبيل إلى تحصيلها **(إلا بالنوع الرابع)** الذي هو توفيق الله عز وجل **(وهي الأسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة وهي أربعة)** أشياء: **(هداية الله رشده وتسديده وتأييده، فمجموع**

أربعة وقسمنا كل واحدة من الأربعة إلى أربعة، وهذه الجملة يحتاج البعض منها إلى البعض إما حاجة ضرورية أو نافعة. أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة إلى الإيمان وحسن الخلق إذ لا سبيل إلى الوصول إلى سعادة الآخرة ألبتة إلا بها، فليس للإنسان إلا ما سعى وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزوّد من الدنيا، فكذلك حاجة الفضائل النفسية تكسب هذه العلوم وتهذيب الأخلاق إلى صحة البدن ضروري. وأما الحاجة النافعة على الجملة فكحاجة هذه النعم النفسية والبدنية إلى النعم الخارجة مثل المال والعز والأهل، فإن ذلك لو عدم ربما تطرّق الخلل إلى بعض النعم الداخلة.

فإن قلت: فما وجه الحاجة لطريق الآخرة إلى النعم الخارجة من المال والأهل والجاه والعشيرة؟ فاعلم أن هذه الأسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود. أما

هذه النعم ست عشرة إذ قسمناها إلى أربعة، وقسمنا كل واحد من الأربعة إلى أربعة) ويجمع ذلك خمسة أنواع هي عشرون ضرباً ليس للإنسان مدخل في اكتسابها إلا فيما هو نفسي فقط. ثم أشار المصنف إلى حاجة بعض هذه الفضائل إلى بعض فقال: **(وهذه الجملة يحتاج البعض منها إلى بعض إما حاجة ضرورية)** بحيث لو لم يوجد ذلك لم يصح وجود الآخر، **(أو)** حاجة **(نافعة)** بحيث لو لم توجد لاختل حال الآخر.

(أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة إلى الإيمان وحسن الخلق) وهي الفضائل النفسية **(إذ لا سبيل الى الوصول إلى سعادة الآخرة)** الحقيقة **(ألبتة إلا بها)** أي باكتسابها، (﴿ **فليس للإنسان إلا ما سعى** ★) وان سعيه سوف يرى ★ ثم يجزاه الجزاء الاوفى﴾ **(وليس لأحد في الآخرة إلا ما تزود من الدنيا)** ولذلك قال الله تعالى ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾ [الإسراء: ١٩] الآية فبين أن لا مطمع لمن أراد الوصول إليها إلا بالسعي، **(فكذلك حاجة الفضائل النفسية تكسب العلوم)** النافعة، **(وتهذيب الاخلاق)** وتصفيتها من الرذائل **(إلى صحة البدن وقوته ضروري)** لأنه لا سبيل إلى تحصيلها إلا بها. **(وأما الحاجة النافعة؛ على الجملةفكحاجة هذه النعم)** والفضائل **(النفسية والبدنية إلى النعم الخارجة)** المطيفة بالإنسان **(مثل المال والعز والأهل)** وكرم العشيرة فإنها لا تغني عنها، **(فإن ذلك لو عدم)** وأمكن ان يتصور حصولها لمن ليس له ذلك **(ربما تطرق الخلل إلى بعض النعم الداخلة)**.

فإن قلت: فما وجه الحاجة لطريق الآخرة) وحصول سعادتها **(إلى النعم الخارجة)** المطيفة بالبدن **(من المال والأهل والجاه والعشيرة)** وما نفعها في بلوغها؟ **(فاعلم أن الاسباب جارية مجرى الجناح)** للطائر **(المبلغ)** لحاجته **(و)** بمنزلة **(الآلة المسهلة للمقصود)**، وإن لم تكن

المال فالفقير في طلب العلم والكمال وليس له كفاية كساع إلى الهيجا بغير سلاح، وكبازي يروم الصيد بلا جناح، ولذلك قال ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح» وقال ﷺ: «نعم العون على تقوى الله، المال»، وكيف لا ومن عدم المال صار مستغرق الأوقات في طلب الأقوات وفي تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة، ثم يتعرض لأنواع من الأذى تشغله عن الذكر والفكر ولا تندفع إلا بسلاح المال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وإفاضة الخيرات.

وقال بعض الحكماء: وقد قيل له ما النعيم؟ فقال: الغنى فإني رأيت الفقير لا عيش له. قيل: زدنا، قال: الأمن، فإني رأيت الخائف لا عيش له. قيل: زدنا! قال: العافية،

الحاجة إليها في بلوغ ذلك ضرورية. (**فأما المال فالفقير**) المعدم (**في طلب العلم والكمال**) وتحرى المكارم (**وليس له كفاية**) هو (**كساع إلى الهيجاء بغير سلاح**)، والهيجاء: ميدان الحرب فمن سعى إليها بغير سلاح فأحرى به أن يخفق سعيه وهو مصراع بيت (**وكبازٍ يروم الصيد بلا جناح**)، فكيف يصطاد وفضله مغطى كماء تحت أرض ونار كامنة في صخر، وما أصدق ما قال الشاعر:

والمرء يرفعه الغنى والفقر منقصة وذل

وقال آخر:

فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

(**ولذلك قال ﷺ «نعم المال الصالح للرجل الصالح»**) رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني من حديث عمرو بن العاص بسند حسن وقد تقدم. (**وقال**) ﷺ (**نعم العون على تقوى الله المال»**). قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية محمد بن المنكدر عن جابر، ورواه أبو القاسم البغوي من رواية ابن المنكدر مرسلاً، ومن طريقه رواه القضاعي في مسند الشهاب هكذا مرسلا انتهى.

قلت رواه أيضاً ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث جابر.

(**كيف ومن عدم المال صار مستغرق الأوقات في طلب القوت وفي تهيئة اللباس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض**) بسبب قلة المال (**لأنواع الأذى تشغله عن الذكر والفكر**) والمراقبة (**ولا تندفع إلا بسلاح المال ثم مع ذلك**) بفقدان المال بشكل بلوغ الفضائل، فمن ذلك أنه (**يحرم فضيلة الحج والزكاة والصدقات وإفاضة الخيرات**) وكثيراً من القرب.

(**وقال بعض الحكماء: و**) قد (**قيل له ما النعيم؟ فقال: الغنى فإني رأيت الفقير لا عيش له قيل: زدنا، قال: العافية فإني رأيت المريض لا عيش له، قيل: زدنا، قال:**)

فإني رأيت المريض لا عيش له، قيل: زدنا! قال: الشباب، فإني رأيت الهرم لا عيش له. وكأنّ ما ذكره إشارة إلى نعيم الدنيا ولكن من حيث أنه معين على الآخرة فهو نعمة، ولذلك قال ﷺ: «من أصبح معافى في بدنه آمناً في سربه عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها». وأما الأهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة إليهما إذ قال ﷺ: «نعم العون على الدين المرأة الصالحة» وقال ﷺ في الولد: «إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له». الحديث. وقد ذكرنا فوائد الأهل

الشباب، فاني، رأيت الهرم لا عيش له) نقله صاحب القوت، إلا أنه زاد بعد العافية قيل :زدنا، قال: الأمن، فإني رأيت الخائف لا عيش له، ويقال في آخره قيل: زدنا، قال لا أجد مزيداً ثم قال وبعض ما ذكره هو أحد الوجوه في قوله تعالى: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ [الأحقاف: ٢٠] قيل الشباب، وقيل الفراغ، ويقال: الامن والصحة. **(وكان ما ذكر اشارة إلى نعيم الدنيا ولكنه من حيث أنه معين على الآخرة فهو نعمة، ولذلك قال ﷺ «من أصبح معافى في بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»)** هكذا أورده صاحب القوت، وقد رواه الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء بهذا السياق، ولم يقل بحذافيرها وفي آخره زيادة. ورواه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي وقال: حسن غريب، وابن ماجه، والطبراني من رواية سلمة بن عبيدالله بن محيص الخطمى عن أبيه رفعه «من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا» وقد تقدم في كتاب الكسب والمعاش.

(وأما الأهل) كالزوجة والأقارب **(والولد الصالح)** وتقييده به موافقة لما في الحديث **(فلا يخفى وجه الحاجة إليهما)** فالمرأة مزرعة الرجل قيضها الله ليزرع فيها زرعه كما قال تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ [البقرة: ٢٢٣] **(إذ قال ﷺ «نعم العون على الدين المرأة الصالحة»)** قال العراقي: لم أجده له اسناداً، ولمسلم من حديث عبدالله بن عمر «والدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد وهناد والنسائي، ورواه أبو نعيم وابن عساكر من حديث جابر. وروى أيضاً أحمد ومسلم وأبو يعلى والحارث بن أبي أسامة من حديث عبد الله بن عمر بلفظ «وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة».

(وقال ﷺ في الولد) أي في نفعه **(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له» الحديث)** رواه أحمد، والبخاري في الأدب المفرد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي والنسائي من حديث أبي هريرة «إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاثة من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» وقد تقدم في كتاب النكاح. **(وقد ذكرنا فوائد الأهل والولد في كتاب النكاح)** فلتراجع هناك.

والولد في كتاب النكاح. وأما الأقارب فمهما كثر أولاد الرجل وأقاربه كانوا له مثل الأعين والأيدي فيتيسر له بسببهم من الأمور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله، وكل ما يفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين، فهو إذا نعمة. وأما العز والجاه، فبه يدفع الإنسان عن نفسه الذل والضيم، ولا يستغني عنه مسلم فإنه لا ينفك عن عدوّ يـؤذيه وظالم يشوّش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه، وقلبه رأس ماله. وإنما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه، ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان. قال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١] ولا معنى للجاه إلا ملك القلوب، كما لا معنى للغنى إلا ملك الدراهم، ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الأذى عنه فكما يحتاج الإنسان إلى سقف يدفع عنه المطر، وجبة تدفع عنه البرد، وكلب يدفع الذئب عن ماشيته، فيحتاج أيضاً إلى من يدفع الشر به عن نفسه، وعلى هذا القصد كان الأنبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة

(**وأما الأقارب**) فنعم العون على بلوغ السعادة (**فمهما كثر أولاد الرجل وأقاربه**) وخالصوه (**كانوا له مثل الأعين**) والآذان (**والأيدي فيتيسر له بسببهم من الأمور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله**) وقد قال تعالى حاكياً عن لوط عليه السلام ﴿ولو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ [هود: ٨٠] قال الشاعر:

ألم تـر أن جمع القـوم يخشى وأن حريم واحـدهم مبـاح

(**وأما العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضيم**) ويتأبى عن تحملها ومن لا عز له لا يمكنه أن يذود عن حريمه (**ولا يستغني عنه مسلم، فإنه لا ينفك**) في دهره (**عن عدو يؤذيه و**) إن لم يكن له عدو فلا يخلو عن (**ظالم**) غشوم (**يشوش عليه علمه وعمله وفراغه ويشغل قلبه، و**) من المعلوم أن (**قلبه رأس ماله**) الذي يتجر به، (**وإنما تندفع هذه الشواغل بالعز والجاه، ولذلك قيل: الدين والسلطان**) اخوان (**توأمان**) وقربان مؤتلفان ومؤديان إلى عمارة البلاد وصلاح العباد، وقيل أيضاً: الدين أس والسلطان حارس ومالا أس له فمهدوم وما لا حارس له فضائع، وسمى الله تعالى الحجة سلطاناً لقهرها أولي البصائر (**قال الله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ ولا معنى للجاه إلا ملك القلوب**) كما تقدم في كتاب ذم الجاه، (**كما لا معنى للغنى إلا ملك الدراهم، ومن ملك الدراهم تسخرت له أرباب القلوب لدفع الأذى عنه**) فاذاً الجاه تبع للمال، (**فكما يحتاج الانسان**) في تعيشه (**إلى سقف**) يظله من حر الشمس و (**يدفع عنه المطر، و**) إلى (**جبة و**) هي المقطعة من الصوف (**تدفع عنه البرد**) إذا لبسها، (**وكلب يدفع الذئب**) العادي (**عن ماشيته**) ان كان من أصحاب المواشي، (**فيحتاج أيضاً إلى من يدفع الشر به عن نفسه**). **ويحكى أن الشافعي رحمه الله تعالى لما ودعه مالك رحمه الله تعالى أوصاه بكلمات منها: واتخذ**

يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه، وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم أو الاستئثار والاستكثار في الدنيا بمتابعتهم، ولا تظنن أن نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ حيث نصره وأكمل دينه وأظهره على جميع أعدائه ومكن في القلوب حبه حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر إلى الهرب والهجرة.

فإن قلت: كرم العشيرة وشرف الأهل هو من النعم أم لا؟ فأقول: نعم ولذلك قال رسول الله ﷺ: «الأئمة من قريش»، ولذلك كان ﷺ من أكرم الناس أرومة في

لنفسك جاها لئلا تطاك الأراذل. **(وعلى هذا القصد كان الأنبياء)** عليهم السلام **(الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم الجاه)** لتمشية أمورهم الدينية، **(وكذلك علماء الدين)** سلفاً وخلفاً **(لا على قصد التناول من خزائنهم أو الاستئثار والاستكثار في الدنيا بمتابعتهم)** حاشاهم الله عن ذلك، **(ولا تظنن أن نعمة الله)** تعالى **(على رسوله)** ﷺ **(حيث نصره وأكمل دينه)** وأتم عليه نعمته **(وأظهره على جميع أعدائه ومكن له في القلوب حتى اتسع به عزه وجاهه كانت)** تلك **(أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى افتقر إلى الهرب والهجرة)** من محل مولده. قال العراقي: رواه الشيخان من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم أشد من أحد؟ قال «لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يالـيل». الحديث وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث أنس «لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتى علي ثلاثون ما بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه ابط بلال». قال الترمذي: يعني هذا حين خرج النبي ﷺ من مكة ومعه بلال، وللبخاري عن عروة قال: سألت عبدالله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ. قال: رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر فدفعه عنه الحديث. وللبزار وأبي يعلى من حديث أنس قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ حتى غشي عليه، فقام أبو بكر ينادي: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(فان قلت: فكرم العشيرة وشرف الآباء من النعم أم لا؟ فاقول: نعم) والمراد بكرم العشيرة الحسب والشرف، والشرف أخص مآثر الآباء والعشيرة، ولذلك قيل للعلوية أشراف. **(ولذلك قال ﷺ «الائمة من قريش»)** قال العراقي: رواه النسائي والحاكم من حديث أنس باسناد صحيح ا ه. قلت: ورواه كذلك ابن أبي شيبة والبيهقي، ورويـاه أيضاً من حـديث علي، ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث أبي برزة بزيادة في آخره، ورواه الطيـالسي وأحمد والنسائي والطبراني وأبو نعيم والبيهقي والضياء من حديث أنس أيضاً بزيادة في آخره، ورواه الحـاكم من حديث علي بزيادة في آخره.

نسب آدم عليه السلام وقال ﷺ : « تخيروا لنطفكم الأكفاء »، وقال ﷺ : « إياكم وخضراء الدمن » فقيل : وما خضراء الدمن ؟ قال : « المرأة الحسناء في المنبت السوء » فهذا أيضاً من النعم ولست أعني به الانتساب إلى الظلمة وأرباب الدنيا ، بل الانتساب إلى شجرة رسول الله ﷺ وإلى أئمة العلماء وإلى الصالحين والأبرار المتوسمين بالعلم والعمل. فإن

(ولذلك كان ﷺ من أكرم الناس أرومة في نسب آدم) الأرومة بالضم الأصل. قال العراقي : وهذا معلوم فروى مسلم من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم » وفي رواية الترمذي « إن الله اصطفى من ولد ابراهيم إسماعيل » وله من حديث العباس وحسنه وابن عباس والمطلب بن ربيعة وصححه والمطلب بن أبي وداعة وحسنه « إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم » وفي حديث بن عباس « إن الله خلق الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسماً » وللبزار من حديث ابن عباس « ما بال أقوام يبتذلون أصلي فوالله أنا أفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً ».

واعلم ان الأخلاق نتائج الأمزجة ومزاج الأب كثيراً ما يتأدى إلى الابن كالألوان والخلق والصور ، **(ولذلك قال ﷺ « تخيروا لنطفكم) وانكحوا (الأكفاء)** وانكحوا إليهم » رواه ابن ماجه من حديث عائشة ، وقد تقدم في كتاب النكاح ، وفي لفظ « اطلبوا مواضع الأكفاء لنطفكم فإن الرجل ربما أشبه أخواله ». **(وقال) ﷺ (إياكم وخضراء الدمن » فقيل: وما خضراء الدمن؟ قال: « المرأة الحسناء في المنبت السوء »)** رواه الدارقطني في الأفراد ، والرامهرمزي ، والعسكري في الأمثال ، وابن عدي والقضاعي والخطيب في إيضاح الملتبس ، والديلمي من حديث أبي سعيد وقد تقدم أيضاً في كتاب النكاح . **(فهذا أيضاً من النعم ولست أعني به الانتساب إلى الظلمة وأرباب الدنيا ، بل الانتساب إلى شجرة رسول الله ﷺ وإلى أئمة العلماء الصالحين الأبرار المتوسمين بالعلم والعمل)** ، ومن الناس لا يعد شرف الأصل فضيلة وقال: كما يأتي للمصنف يعد المرء بنفسه لا بأبيه ، واستدل بقول علي رضي الله عنه : الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرىء ما يحسنه ، وقول الشاعر :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً   يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا   ليس الفتى من يقول كان أبي

وقول الآخر :

بجد كل جد لا بمجد   وهل جد بلا جد بمجد

وقول الحكيم : الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية وليس كما ظن ، لأن كرم الاعمام والأخوال مخيلة لكرم المرء ومظنة له ، فالفرع وإن كان قد يفسد أحياناً فمعلوم ، أن أصله يورثه الفضيلة والرذيلة وأنه لا يكون من النخل الحنظل ولا من الحنظل النخل ، ولذلك قال الشاعر :

قلت: فما معنى الفضائل البدنية؟ فأقول: لا خفاء بشدة الحاجة إلى الصحة والقوة وإلى طول العمر أو لا يتم علم وعمل إلا بها، ولذلك قال ﷺ: «أفضل السعادات طول العمر في طاعة

وما يك من خير أتوه فإنما | توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطمي إلا وشيجه | وتغرس إلا في منابتها النخل

وقيل:

إن السرى إذا سرى فبنفسه | وابن السرى إذا سرى اسراهما

وما ذكر من نحو قول علي رضي الله عنه: الناس ابناء ما يحسنون وقيمة كل امرىء ما يحسنه، فحث للناس على اقتباس العلم ونهي عن الاقتصار على مآثر الآباء، فان المآثر الموروثة قليلة الفناء ما لم يضامها فضيلة النفس لأن ذلك إنما يحمد لكي يوجد الفرع مثله، ومتى اختلف الفرع وتخلف فإنه يخبر بأحد شيئين: امابتكذيب من يدعي الشرف لعنصره أو بتكذيبه في انتسابه إلى ذلك العنصر، وما فيهما حظ لمختار فالمحمود أن يكون الأصل في الفصل راسخاً والفرع به شامخاً كما قال الشاعر:

زانوا قديمهم بحسن حديثهم | وكريم اخلاق وحسن خصال

ومن لم يجتمع له الأمران فلان يكون المرء شريف النفس دنيء الأصل أولى من أن يكون دنيء النفس شريف الأصل قال الشاعر:

فما الشرف الموروث لا در دره | بمحتسب الا بآخر مكتسب
اذا الغصن لم يثمر وإن كان شعبه | من المثمرات اعتده الناس في الحطب

ومتى كان عنصره في الحقيقة سنيا وهو في نفسه دنيا، فذلك آت إما من إهماله نفسه وشؤمها وإما لتعوده عادات قبيحة وصحبة أشرار وغير ذلك من العوارض المفسدة للعناصر الكريمة فليس سبب الرذيلة شيئاً واحداً.

(**فان قلت: فما غناء الفضائل البدنية**) وهي الصحة والقوة والجمال وطول العمر وقد ذكرت أنه لا سبيل إلى تحصيل الفضائل النفسية إلا بها وأنها لا تغني عنها فما غناؤها؟ (**فأقول: لاخفاء بشدة الحاجة إلى الصحة والى القوة وإلى طول العمر إذ لا يتم علم ولا عمل إلا بها**) أي بهذه الثلاثة: فأما الحاجة إلى الأولين فواضح، وأما طول العمر فلولاه لقل حظ الانسان من السعادات الدنيوية التي لولاها لما نيلت السعادات الاخروية. (**ولذلك قال ﷺ «أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله»**) وفي النسخ: «أفضل السعادة طول العمر في عبادة الله» قال العراقي: غريب بهذا اللفظ، وللترمذي من حديث أبي بكر: إن رجلاً قال يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: من طال عمره وحسن عمله» وقال: حسن صحيح اهـ.

الله تعالى »، وإنما يستحقر من جملته أمر الجمال، فيقال يكفي أن يكون البدن سليماً من الأمراض الشاغلة عن تحرّي الخيرات، ولعمري الجمال قليل الغناء، ولكنه من الخيرات أيضاً. أما في الدنيا فلا يخفي نفعه فيها، وأما في الآخرة فمن وجهين:

أحدهما: أن القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل إلى الإجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع، فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه، إذ هونوع قدرة، إذ يقدر الجميل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح، وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فمعين على الآخرة بواسطتها.

والثاني: أن الجمال في الأكثر يدل على فضيلة النفس، لأن نور النفس إذا تم إشراقه

قلت ورواه كذلك أحمد وابن زنجويه والطبراني والحاكم والبيهقي وفي آخره زيادة « وشر الناس من طال عمره وساء عمله ». والجملة الاولى فقط رواها أيضاً عبدالله بن بسر مرفوعاً أخرجه أحمد وعبد بن حميد والترمذي وقال: حسن غريب، والطبراني والبيهقي والضياء، واعلم أنه قد استهان قوم بذلك وقالوا: كفى أن يكون صحيح البدن بريئاً عن الأمراض الشاغلة عن تحري الفضائل العقلية وليس كذلك، فالبدن للنفس بمنزلة الآلة للصانع والسفينة للربان اللتين بهما صار صانعاً ورباناً، وجميع أجزاء البدن بالقول المجمل أربعة: العظام التي تجري للبدن مجرى الألواح للسفينة، والعصب الذي يجري مجرى الرباط الذي تشد به الألواح، واللحم الذي يجري مجرى الحشو للرباطات، والجلد الذي يجري مجرى الغشاء لجميعها، فإذا اعتدلت هذه الأربعة بأن تعتدل فيها القوى الأربع وهي الجاذبة والممسكة والهاضمة والدافعة سمى ذلك الصحة، ولولا صحة البدن لما حصل انتفاع به، وأما القوة فهي جودة تركيب هذه الأركان الأربعة وهي العظام والعصب واللحم والجلد وما يتبعها وبها يصلح البدن للسعي والتصرف في أمور الدنيا والآخرة.

(**وإنما يستحقر من جملته**) أي من جملة هذا النوع (**أمر الجمال فيقال: يكفي أن يكون البدن**) صحيحاً قوياً (**سليماً من الأمراض الشاغلة عن تحري الخيرات**) والفضائل النفسية، (**ولعمري الجمال قليل الغنى ولكنه من الخيرات أيضاً أما في الدنيا فلا يخفى نفعه فيها وأما في الآخرة فمن وجهين.**

أحدهما: ان القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل إلى الاجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع فكأنه من هذا الوجه جناح مبلغ كالمال والجاه إذ هو نوع قدرة إذ يقدر الجميل الوجه على تنجيز حاجات) أي تيسيرها (**لا يقدر عليها القبيح، وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فهو معين الآخرة بواسطتها**)، فبهذا الاعتبار صار الجمال ينتفع به في أمور الآخرة.

(**والثاني: أن الجمال في الأكثر يدل على فضيلة النفس لأن نور النفس إذا تم اشراقه**)

تأدى إلى البدن، فالمنظر والمخبر كثيراً ما يتلازمان، ولذلك عوّل أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيئات البدن فقالوا: الوجه والعين مرآة الباطن. ولذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والغم، ولذلك قيل: طلاقة الوجه عنوان ما في النفس. وقيل: ما في الأرض قبيح إلا ووجهه أحسن ما فيه. واستعرض المأمون جيشاً فعرض عليه رجل قبيح، فاستنطقه فإذا هو ألكن، فأسقط اسمه من الديوان وقال: الروح إذا أشرقت على الظاهر فصباحة، أو على الباطن ففصاحة، وهذا ليس له ظاهر ولا باطن، وقد قال ﷺ: «اطلبوا الخير عند صباح الوجوه» وقال عمر رضي الله تعالى عنه: إذا

بالايمان (**تأدى إلى البدن**) إشراقها، وكل شخص فله حكمان: أحدهما من قبل جسمه وهو منظره، والآخر من قبل نفسه وهو مخبره، (**فالمخبر والمنظر كثيراً ما يتلازمان، ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس**) وأحوالها الباطنة (**على هيئات البدن**) ونزعوا إليها (**أولاً فقالوا الوجه والعين مرآة الباطن**) أي تظهر فيها آثار النفس كالمرآة يستدل بها عليها، (**ولذلك يظهر فيه**) أي في كل من الوجه والعين. والاولى فيهما ليرجع الضمير إليهما (**أثر الغضب والسرور والغم**) والرضا والسخط، ولذلك عبر بالوجه عن الجملةوعن أنفس القوم فقيل: فلان وجه القوم وعينهم، وحتى قال الله تعالى ﴿كل شيء هالك الاوجهه﴾ [القصص: ٨٨] وكون الوجه المقبول في دلالته على فضيلة النفس وان لم يكن حكماً لازماً فهو على الاعم والاكثر،، (**ولذلك قيل: طلاقة الوجة عنوان ما في النفس**) وقل صورة حسنة تتبعها نفس رديئة فنقش الخواتيم تبدو من الطين (**وقيل: ما في الأرض قبيح إلا ووجهه أحسن ما فيه، و**) حكي أنه (**استعرض المأمون**) هو عبدالله ابن هارون العباسي (**جيشاً فعرض عليه رجل قبيح**) الوجه (**فاستنطقه فاذا هو الكن فاسقط اسمه**) أي أمر باسقاطه (**من الديوان**) اي جريدة الخراج (**وقال: إن الروح إن أشرقت على الظاهر فصباحة أو على الباطن ففصاحة، وهذا**) أراه (**ليس له ظاهر ولا باطن، وقد قال ﷺ «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه»**) قال العراقي: رواه أبو يعلى من رواية اسماعيل بن عياش عن جبرة بنت محمد ابن سباع عن أمها عن عائشة، وجبرة وأمها لا أعرف حالها. ورواه ابن حبان من وجه آخر في الضعفاء من حديثها، ورواه البزار والطبراني وابن عدي وابن حبان في الضعفاء، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وله طرق كلها ضعيفة اهـ.

قلت وجدت بخط تلميذه الحافظ ابن حجر في هامش الكتاب ما لفظه: جبرة بفتح الجيم وسكون الموحدة قاله الذهبي وقال مشهورة وهي من أتباع التابعين، والحديث المذكور أخرجه أبو يعلى والدارقطني في المؤتلف في ترجمة جبرة في حرف الجيم من طريق إسماعيل بن عياش عنها عن أبيها محمد بن ثابت وليس لأمها في هذا الحديث رواية وكأنه وقع في النسخة التي نقل منها شيخنا تصحيف أبيها فصار عن أمها و أمها غير معروفة كما قال شيخنا، وقول الذهبي: إن جبرة مشهورة يريد برواية الحديث لأنها معروفة بالتوثيق اهـ.

بعثتم رسولاً فاطلبوا حسن الوجه حسن الإسم. وقال الفقهاء: إذا تساوت درجات

قلت: ورواه البخاري في التاريخ فقال: حدثني إبراهيم هو المنذر، حدثنا عبد الرحمن ابن أبي بكر المليكي عن امرأته جبرة ابنة محمد بن ثابت بن سباع عن أبيها عن عائشة، والمليكي صدوق لكنه ينفرد بما لا يتابع عليه مما لا يحتمل حتى قيل أنه متروك، ولكنه لم يتهم بالكذب بل توبع، فرواه أبو يعلى في مسنده فقال: حدثنا داود بن رشيد، حدثنا إسماعيل عن جبرة به.

ومن طرق هذا الحديث ما رواه تمام والطبراني والبيهقي والخطيب من طريق سفيان الثوري، عن طلحة بن عمر، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس رفعه «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه» ولفظ تمام إلتمسوا وطلحة متروك الحديث إلا أنه لم يتهم بكذب، وقيل عنه عن عطاء عن أبي هريرة بدل ابن عباس الا أن ذلك أثبت، وأخرج الطبراني حديث ابن عباس من طريق مجاهد عنه وقال: أراه رفعه ورجاله موثقون إلا عبدالله بن خراش بن حوشب مع ان ابـن حبان وثقه، ولكنه ربما أخطأ وضعفه غيره، وبما ذكرنا ظهر أنه لا يتهيأ الحكم على المتن بالوضع كما أشار إليه الحافظ بن حجر.

ومن طرق هذا الحديث ما رواه الطبراني من طريق يزيد بن خصيفة عن أبيه عن جده مرفوعاً بلفظ «التمسوا» وكذا هو عند أبي يعلى، وله طرق عن أنس وجابر وبـن عمر ويزيد المستملي وأبي بكرة وأبي هريرة ولفظ اكثرهم: «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه» ولفظ «المستملي» اذا طلبتم الحاجات فاطلبوها إلى الحسان الوجوه» فحديث أنس أخرجه ابن عساكر، وحديث جابر أخرجه الطبراني في الاوسط، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر. وحديث ابن عمر رواه ابن عدي، وحديث أبي بكرة رواه تمام في فوائده، وحديث أبي هريرة رواه تمام والخطيب في رواة مالك، وفي لفظ «اطلبوا الحوائج إلى حسان الوجوه» رواه ابن أبي الدنيا من حديث ابن عمرو، ورواه الخرائطي في إعتلال القلوب وتمام عن جابر، ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة، ورواه الخرائطي من حديث عائشة، ويروى من الزيادة على لفظ الباب «وتسموا بخياركم وإذا أتاكم كريم قوم فاكرموه» رواه ابن عساكر من حديث عائشة بسند ضعيف. وعن ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج عن عمرو بن دينار مرسلاً: اطلبوا حوائجكم عند حسان الوجوه فإن قضى حاجتك قضاها بوجه طليق وإن ردك ردك بوجه طليق، فرب حسن الوجه ذميمه عند طلب الحاجة ورب ذميم الوجه حسنه عند طلب الحاجة، ونحوه قيل لابن عباس: كم رجل قبيح الوجه قضاء للحوائج. قال: إنما نعني حسن الوجه عند الطلب.

(وقال عمر رضي الله عنه: إذا بعثتم رسولاً فاطلبوا حسن الوجه حسن الإسم) وقد روي معنى ذلك مرفوعاً. رواه البزار من حديث قتادة، عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه رفعه «إذا أبردتم إلي بريداً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم» وقال: لا نعلم رواه بهذا الاسناد إلا قتادة وله أيضاً من حديث عمر بن أبي خثعم عن يحي بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رفعه «إذا بعثتم إلي رجلاً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم» ومن الأشعار القديمة في معنى الحديث السابق ما

المصلين فأحسنهم وجهاً أولاهم بالإمامة، وقال تعالى ممتناً بذلك: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي العِلْمِ والجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] ولسنا نعني بالجمال ما يحرك الشهوة فإن ذلك أنوثة، وإنما نعني به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الأعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر إليه.

يروى عن ابن عباس أنه أنشد قول الشاعر:

اين شرط النبي إذ قال يوماً ... اطلبوا الخير في صباح الوجوه

ولابن رواحة أو حسان كما رواه العسكري في الأمثال:

قد سمعنا نبينا قال قولاً ... هو لمن يطلب الحوائج راحه

اغتدوا واطلبوا الحوائج ممن ... زين الله وجهه بصباحه

وأنشد ابن عائشة أبياتاً منها:

دل على معروفه وجهه ... يدرك هذا هادياً من دليل

ومنها:

يدل على معروفه حسن وجهه ... وما زال حسن الوجه احدى الشواهد

(وقال الفقهاء: إذا تساوت درجات المصلين) في الأقرأ والأعلم والأصلح **(فأحسنهم وجهاً أولاهم بالإمامة)**، فكل من كان أكمل فهو أفضل، لأن المقصود كثرة الجماعة ورغبة الناس فيه أكثر واجتماعهم أوفر وفي سياق كتب أصحابنا: الأحق بالإمامة الأعلم بالسنة ثم الاقرأ ثم الأورع ثم الأسن، فإن استووا في السن فاحسنهم خلقاً فإن استووا فأصبحهم وجهاً. **(وقال تعالى ممتنا بذلك)** ﴿إن الله اصطفاه عليكم﴾ **(وزاده بسطة في العلم والجسم)** [البقرة: ٢٤٧] وقال وزاده في الخلق بسطة فكفاك هذا من البيان في فضل كمال الجسم، **(ولسنا نعني بالجمال)** ههنا **(مايحرك الشهوة)** أي ما يتعلق به شهوة الرجال والنساء **(فإن ذلك أنوثة)** وفي بعض النسخ أنثوية، **(وإنما تعني به)** معنيين أخريين.

أحدهما: **(ارتفاع القامة)**، وامتدادها **(على الاستقامة)** الذي يكون من الحرارة الغريزية فإن الحرارة إذا حصلت رفعت اجزاء الجسم إلى العلو كالنبات إذا نجم كلما كان أطلب للعلو في منبته كان أشرق في جنسه، ولذلك كثر المدح بطول القامة نحو قوله:

كان درور القنطرية علقت ... علائقها فيه بجذع مقوم

وقول الآخر:

أشم طويل الساعدين كأنما ... نياط نجادا سيفه بلواء

والثاني: أن يكون مقدداً قوي العصب طويل الأطراف الذراع ممتدها رحب **(مع الاعتدال في اللحم)** والشحم بأن لا يكون مثقلاً بهما ولا فارغاً عنهما، **(وتناسب الاعضاء وتناصف خلقة الوجه بحيث لا تنبو الطباع عن النظر إليه)** كما قال الشاعر:

فإن قلت: فقد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز النعم، وقد ذم الله تعالى المال والجاه، وكذا رسول الله ﷺ وكذا العلماء. قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ﴾، [التغابن: ١٤]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] وقال علي كرّم الله وجهه في ذم النسب: الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرىء ما يحسنه. وقيل: المرء بنفسه لا بأبيه. فما معنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعاً؟ فاعلم أن من يأخذ العلوم من الألفاظ المنقولة المؤوّلة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى إلى إدراك العلوم على ما هي عليه، ثم ينزل النقل على وفق ما ظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى، فهذه نعم معينة على أمر الآخرة لا سبيل إلى جحده إلا أنّ فيها فتناً ومخاوف، فمثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع، فإن أصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة، وإن

فتى قد قدّ السيف لا متضائل ولا دهل لباته ومبادنه

(**فان قلت. فقد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز النعم**) وجعلتها من الخيرات والفضائل، (**وقد ذم الله تعالى المال والجاه، وكذا رسوله ﷺ، وكذا العلماء قال تعالى ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ وقال تعالى ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾**) وقال ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه». رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح، والدارمي والطبراني من حديث كعب بن مالك، وقد تقدم في كتاب ذم الجاه والبخل. (**وقال علي رضي الله عنه في ذم النسب: الناس أبناء ما يحسنون، و**) قال أيضاً: (**قيمة كل إمرىء ما يحسنه**) رواهما الشريف الموسوي في نهج البلاغة وهما من جوامع كلمه، (**وقيل: المرء بنفسه لا بأبيه**) ومثله قول الآخر: الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية ومثله من أسجاع الحريري:

تبا لمفتخر بعظم نخر

(**فما معنى كونها نعمة مع كونه مذمومةشرعاً؟ فاعلم أن من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المؤولة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى إلى إدراك الأمور على ما هي عليه، ثم تنزيل النقل على وفق ما ظهر له بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى، فهذه**) المذكورات (**نعم معينة على أمر الآخرة لا سبيل إلى جحدها**) وإنكارها (**إلا أن فيها فتناً ومخاوف، فمثال المال**) إذا نظرت إليه (**مثال الحية التي فيها ترياق نافع**) وذلك في لحمها ماعدا رأسها وذنبها (**وسم ناقع**) وذلك في أطرافها، (**فإن أصابها المعزم**) أي صاحب العزيمة (**الذي يعرف وجه الاحتراز عن سمها**) ويتقيه (**و**) يعرف (**طريق استخراج ترياقها النافع**) بأن يمسكها من محل رقبتها فيجمع بينه وبين

أصابها السوادي الغر فهي عليه بلاء وهلاك، وهو مثل البحر الذي تحته أصناف الجواهر واللآلىء، فمن ظفر بالبحر فإن كان عالماً بالسباحة وطريق الغوص وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمه، وإن خاضه جاهلاً بذلك فقد هلك، فلذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيراً، ومدحه رسول الله ﷺ وقال: «نعم العون على تقوى الله تعالى المال» وكذلك مدح الجاه والعز، إذ منّ الله تعالى على رسوله ﷺ بأن أظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق، وهو المعنى بالجاه، ولكن المنقول في مدحها قليل، والمنقول في ذم المال والجاه كثير، وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه، إذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب. ومعنى الجاه ملك القلوب، وإنما كثر هذا وقل ذاك لأن الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه، فوجب تحذيرهم فإنهم يهلكون باسم المال قبل الوصول إلى ترياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره، ولو كانا في أعيانها مذمومين بالإضافة إلى كل أحد لما تصوّر أن ينضاف إلى النبوّة الملك كما

ذنبها فيقطعها بسكين حادة في ضربة واحدة، ثم يستقطر ما بقي من لحمها فهذا هو الذي يدخل في الترياق (**كانت نعمة**) في حقه لأنه يقاوم المسمومات كلها، (**وإن أصابها السوادي الغر**) بكسر الغين المعجمة أي الغبي الجاهل بطرق عزائمها وإمساكها (**فهي عليه بلاء وهلاك**) فإنه لا يأمن من أن تنطوي عليه فتنهشه (**وهو**) أيضاً (**مثل البحر الذي تحته أصناف الجواهر واللآلىء، فمن ظفر بالبحر فإن كان عالماً بالسباحة وطريق الغوص**) فيه (**وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر**) من حيوان وغيره (**فقد ظفر بنعمه**) وهي حوز الجواهر واللآلىء، (**وإن خاضه جاهلاً بذلك فقد هلك**) أي عرض نفسه للهلاك، (**فلذلك مدح الله تعالى المال**) في مواضع من كتابه العزيز (**وسماه خيراً**) وذلك قوله تعالى ﴿إن ترك خيراً﴾ [البقرة: ١٨٠] وقد ذكر المفسرون أن المراد به المال (**ومدحه رسول الله ﷺ وقال: «نعم العون على تقوى الله المال»**) وقد تقدم قريباً، (**وكذلك مدح الجاه والعز إذ من الله تعالى على رسوله ﷺ بأن أظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق**) أجمعين، (**و**) هذا (**هو المعنى**) أي المقصود (**بالجاه ولكن المنقول في مدحها**) أي العز والجاه (**قليل والمنقول في ذم الجاه والمال كثير وحيث ذم الرياء فهو ذم الجاه إذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه ملك القلوب**) والاجتلاب والملك قريبان، (**وإنما كثر هذا**) يعني ذم المال والجاه (**وقل ذاك**) يعني مدح العز والجاه، (**لأن الناس أكثرهم جهال بطريق الرقية لحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه، فوجب تحذيرهم فإنهم يهلكون باسم المال قبل الوصول إلى ترياقه، ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره**) أي الاطلاع والأخذ، (**ولو كانا في أعيانها مذمومين بالاضافة إلى كل أحد لما تصور أن ينضاف إلى النبوة الملك**)

كان لرسولنا ﷺ ، ولا أن ينضاف إليها الغنى كما كان لسليمان عليه السلام ؛ فالناس كلهم صبيان والأموال حيات الأنبياء والعارفون معزمون ، فقد يضر الصبي ما لا يضر المعزم . نعم المعـزم لو كان له ولد يريد بقاءه وصلاحه وقد وجد حية وعلم أنه لو أخذها لأجل ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية إذا رآها ليلعب بها فيهلك ، فله غرض في الترياق وله غرض في حفظ الولد ، فواجب عليه أن يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد ، فإذا كان يقدر على الصبر عن الترياق ولا يستضر به ضرراً كثيراً ، ولو أخذها لأخذها الصبي ويعظم ضرره بهلاكه فواجب عليه أن يهرب عن الحية إذا رآها ، ويشير على الصبي بالهرب ويقبح صورتها في عينه ويعرّفه أن فيها سماً قاتلاً لا ينجو منه أحد ولا يحدّثه أصلاً بما فيها من نفع الترياق ، فإن ذلك ربما يغرّه فيقدم عليه من غير تمام المعرفة . وكذلك الغوّاص إذا علم أنه لو غاص في البحر بمرأى من ولده لاتبعه وهلك . فواجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والنهر . فإن كان لا

الذي لا يتم إلا بالمال والجاه (**كما كان لرسولنا ﷺ أن ينضاف إليها**) أي إلى النبوة (**الغنى**) فإنه كناية عن وفر المال (**كما كان لسليمان عليه السلام، فالناس كلهم**) في هذه الدار (**صبيان**) مغفلون (**والأموال حيات**) أي بمنزلتها (**والانبياء**) عليهم السلام (**والعارفون**) من علماء الآخرة (**معزمون**) أي أصحاب عزائم ورقى (**فقد يضر الصبي ما لا يضر المعزم**) لمعرفة ماله وعليه ، فهؤلاء إذا تناولوا المال جرى مجرى راق يتناول الحية قد عرف نفعها وضررها وأمن سمها وشرها فيتحرون الوجه الذي ينتفعون به وينفع غيرهم وغيرهم ليس كذلك ، فما أسرع الهلاك إليه . فكما لا يجوز للجاهل بالرقية غير العارف بنفع الحية أن يقتدي بالراقي في تناول الحية والتصرف فيها ، كذلك لا يجوز للجاهل أن يقتدي بالعارفين في تناول أعراض الدنيا . (**نعم المعزم لو كان له ولد يريد بقاءه وإصلاحه وقد وجد حية وعلم أنه لو أخذها لأجل ترياقها لاقتدى به ولده وأخذ الحية إذا رآها ليلعب بها فيهلك، وله غرض في**) تحصيل (**الترياق، وله غرض في حفظ الولد ، فواجب عليه أن يزن غرضه في الترياق بغرضه في حفظ الولد ، فإذا كان يقدر على الصبر من الترياق ولا يستضر به ضرراً كثيراً ولو أخذها لأخذها الصبي ويعظم ضرره بهلاكه، فواجب عليه أن يهرب عن الحية إذا رآها**) ويرى ذلك الصبي (**ويشير على الصبي بالهرب**) من بين يديها (**ويقبّح صورتها في عينه ويعرفه**) أنها عدوة ابن آدم (**أن فيها سماً قاتلاً لا ينجو منه أحد**) ولا يقبل دواء (**ولا يحدثه أصلاً بما فيها من نفع الترياق، فإن ذلك ربما يغره**) أي يوقعه في الغرور (**فيقدم عليه من غير تمام المعرفة، وكذلك الغواص إذا علم أنه لو غاص في البحر بمرأى من ولده لاتبعه**) وسلك طريقه(**أو هلك، فوجب عليه أن يحذر الصبي ساحل البحر والنهر**) ويعرفه ان السلامة في

ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما رأى والده يحوم حول الساحل. فواجب عليه أن يبعد من الساحل مع الصبي ولا يقرب منه بين يديه. فكذلك الأمة في حجر الأنبياء عليهم السلام كالصبيان الأغبياء. ولذلك قال ﷺ: « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده ». وقال ﷺ: « إنكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم » وحظهم الأوفر في حفظ أولادهم عن المهالك، فإنهم لم يبعثوا إلا لذلك وليس لهم في المال حظ إلا بقدر القوت، فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل فلم يمسكوه بل أنفقوه، فإن الإنفاق فيه الترياق، وفي الإمساك السم، ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا إلى سم الإمساك ورغبوا عن ترياق الأنفاق، فلذلك قبحت الأموال والمعنى به تقبيح إمساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون إلى الدنيا ولذاتها؛ فأما أخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل إلى الخيرات فليس بمذموم،

الساحل، **(فإن كان لا ينزجر الصبي بمجرد الزجر مهما رأى والده يحوم حول الساحل، فواجب عليه أن يبعد عن الساحل مع الصبي فلا يقرب منه بين يديه)** أصلاً فيكون زجراً له كلياً، **(فكذلك الأمة في حجر الأنبياء عليهم السلام كالصبيان والاغبياء، ولذلك قال ﷺ « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده»)** أي في الشفقة والرحمة وارادة الخير، رواه مسلم من حديث أبي هريرة دون قوله لولده وقد تقدم، **(وقال ﷺ « إنكم تتهافتون على النار تهافت الفراش وأنا آخذ بحجزكم »)** قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ « مثلي ومثل الناس » ولفظ مسلم « ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه » ولمسلم من حديث جابر « وأنا آخذ بحجزكم وأنتم تفلتون من يدي » اهـ.

قلت: حديث أبي هريرة رواه أيضاً أحمد والترمذي وفي لفظ بعضهم « مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما اضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها » وحديث جابر رواه أيضاً الطيالسي وأحمد وأوله: « مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبهن عنها ».

(وحظهم الأوفر في حفظ أولادهم من المهالك فإنهم لم يبعثوا إلا لذلك وليس لهم في المال حظ إلا بقدر القوت، فلا جرم اقتصروا على قدر القوت وما فضل) عنه **(فلم يمسكوه بل انفقوه)** في سبيله، **(فإن الانفاق فيه هو الترياق)** وفيه الشفاء **(وفي الإمساك السم)** وفيه الهلاك، **(ولو فتح للناس باب كسب المال ورغبوا فيه لمالوا إلى سم الامساك ورغبوا عن ترياق الانفاق، ولذلك قبحت الأموال والمعنى به تقبيح إمساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها بما يوجب الركون إلى الدنيا)** والميل إلى اعراضها **(ولذاتها)** الحاصلة، **(فأما أخذها بقدر الكفاية وصرف الفاضل)** منها **(إلى الخيرات)**

وحق كل مسافر أن لا يحمل إلا بقدر زاده في السفر إذا صمم العزم على أن يختص بما يحمله، فأما إذا سمحت نفسه باطعام الطعام وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار. وقوله عليه السلام: «ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب» معناه

الدينية (**فليس بمذموم وحق كل مسافر**) في طريق بعيدة (**أن يحمل إلا بقدر**) ما يكفيه من (**زاده في السفر إذا صمم العزم على أن يختص بما يحمله**) لا يشاركه فيه غيره، (**فأما إن سمحت نفسه بالطعام يطعمه**) الغير (**وتوسيع الزاد على الرفقاء فلا بأس بالاستكثار**) منه، (**وقوله ﷺ «ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب»**) قال العراقي: رواه ابن ماجه والحاكم من حديث سلمان لفظ الحاكم وقال: بلغة ومال مثل زاد الراكب وقال: صحيح الاسناد.

قلت: هو من رواية سفيان عن أشياخه غير مسمين، وقال ابن ماجه: عهد الى أن يكفي أحدكم مثل زاد الراكب اهـ.

ورواه كذلك أحمد وابن سعد وهناد وأبو يعلى وابن أبي الدنيا والروياني والبغوي والطبراني وابن حبان والبيهقي وابن عساكر والضياء كلهم من حديث سلمان زادوا «حتى يلقاني». ورواه ابن عساكر من حديث عمر وأبي الدرداء، وفي لفظ لابن ماجه وابن حبان والطبراني من حديث سلمان «ليكف الرجل منكم زاد الراكب» وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية، ونوع طرقه قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا محمد بن شعيب التاجر، حدثنا محمد بن عيسى الدامغاني، حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: دخل سعد على سلمان يعوده فقال: ابشر أبا عبدالله توفي رسول الله ﷺ وهو راض عنك، قال: كيف يا سعد وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول «لتكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب». كذا رواه الدامغاني عن جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر.

وقال أبو معاوية وغيره، عن الاعمش، عن أبي سفيان، عن أشياخه، حدثنا محمد بن أحمد أبو أحمد، حدثنا عبدالله بن شيرويه، حدثنا اسحاق بن راهويه، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن أشياخه أن سعد بن أبي وقاص دخل على سلمان يعوده، فبكى سلمان فقال له سعد: ما يبكيك تلقى أصحابك، وترد على رسول الله ﷺ الحوض، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض، فقال: ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا فقال «ليكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب» وهذه الأساور حولي وإنما حوله مطهرة أو اجانة ونحوها، فقال له سعد: عهد علينا عهداً نأخذ به بعدك فقال له: أذكر ربك عند همك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت. رواه مورق العجلي، والحسن البصري، وسعيد بن المسيب، وعامر بن عبدالله عن سلمان حدثنا أبي، حدثنا زكريا الساجي، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، عن حبيب عن الحسن. وحميد عن مورق العجلي أن سلمان لما حضرته الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: عهد عهده إلينا رسول الله

لأنفسكم خاصة وإلا فقد كان فيمن يروي هذا الحديث ويعمل به من يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يمسك منها حبة. ولما ذكر رسول الله

ﷺ فقال « ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب » قالا : فلما مات نظروا في بيته فلم يروا في بيته إلا اكافاً ووطاء ومتاعاً قوم نحواً من عشرين درهماً.

وممن رواه عن الحسن السري بن يحي، والربيع بن صبيح، والفضل بن دلهم، ومنصور بن زاذان وغيرهم عن الحسن، حدثنا أبو بحر محمد بن الحسن بن كوثر، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا عبد الصمد بن حسان، حدثنا السري بن يحي عن الحسن قال: لما حضر سلمان الوفاة جعل يبكي فقيل له: يا أبا عبدالله ما يبكيك؟ أليس فارقت رسول الله وهو عنك راض؟ فقال: والله ما بي جزع ولكن رسول الله عهد إلينا عهداً فقال « ليكن متاع أحدكم من الدنيا كزاد الراكب ».

وحديث سعيد بن المسيب حدثناه أبي قال: حدثنا زكريا الساجي ،حدثنا هدبة بن خالد، حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب أن سعد بن مالك وعبدالله بن مسعود دخلا على سلمان يعودانه فبكى فقالا : ما يبكيك أبا عبدالله؟ فقال عهد عهده إلينا رسول الله ﷺ فلم يحفظه أحد منا قال « ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب ».

وحديث عامر بن عبدالله حدثناه أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسي بن سفيان، حدثنا حرملة بن يحي، حدثنا ابن وهب قال: أخبرني أبو هانىء عن أبي عبد الرحمن الفيلي، عن عامر بن عبدالله، عن سلمان الخير أنه حين حضره الموت عرفنا به بعض الجزع فقالوا : ما يجزعك أبا عبدالله وقد كان لك سابقة في الخير شهدت مع رسول الله ﷺ مغازي حسنة وفتوحاً عظاماً؟ فقال: يحزنني أن حبيبي محمداً ﷺ عهد إلينا حين فارقنا فقال « ليكف المؤمن كزاد الراكب » فهذا الذي أحزنني، قال: فجمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر ديناراً ،قال عامر بن عبدالله: ديناراً واتفق الباقون على بضعة عشر درهماً.

ورواه أنس بن مالك، عن سلمان، حدثناه عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا أحمد بن عمرو البزاز، حدثنا الحسن بن أبي الربيع الجرجاني، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: دخلت على سلمان فقلت له: لم تبكي؟ فقال: إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً أن يكون زادك في الدنيا كزاد الراكب » حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثني محمد بن عبيد بن ميمون الجدعاني، حدثنا عتاب بن بشير، عن علي بن بذيمة قال: بيع متاع سلمان فبلغ أربعة عشر درهماً.

(معناه لأنفسكم خاصة وإلا فقد كان فيمن يرويْ هذا الحديث ويعمل به يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد ويفرقها في موضعه ولا يمسك منه حبة) وكأنه يشير إلى ما رواه أبو نعيم في الحلية، عن أبي بكر بن مالك، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا سيار، حدثنا جعفر، حدثنا هشام، حدثنا الحسن قال: كان عطاء سلمان خمسة آلاف درهم

ﷺ أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدّة استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في أن يخرج عن جميع ما يملكه، فأذن له فنزل جبريل عليه السلام، وقال: مره بأن يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف. الحديث. فإذاً النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج دواؤها بدائها ومرجوّها بمخوفها ونفعها بضرها؛ فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله أن يقرب منها متقياً داءها ومستخرجاً دوائها ومن لا يثق بها فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظانّ الأخطار، فلا تعدل بالسلامة شيئاً في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى وهداه لطريقه.

وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها، وإذا خرج عطاؤه أمضاه ويأكل من سفيف يده. وروى أحمد في الزهد من طريق عبدالله بن بريدة قال: كان سلمان يعمل بيديه، فإذا أصاب شيئاً اشترى به لحماً أو سمكاً ثم يدعو المجذمين فيأكلونه معه.

(ولما ذكر رسول الله ﷺ أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه) وكان من أغنياء الصحابة (في أن يخرج من جميع ما يملكه، فأذن له فنزل جبريل عليه السلام وقال: مره بأن يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف الحديث). قال العراقي: رواه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وقال صحيح الاسناد. قلت: كلا فيه خالد بن أبي ضعيف جداً اهـ.

قلت أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن علي بن حبش، حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه، عن عطاء بن أبي رباح، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفاً فاقرض الله يطلق لك قدميك». قال ابن عوف: وما الذي أقرض الله قال: تتبرأ مما أمسيت فيه». قال: من كله أجمع يا رسول الله؟ قال «نعم». خرج ابن عوف وهو يهم بذلك، فأتاه جبريل فقال: مر ابن عوف فليضف الضيف وليطعم لسكين وليعط السائل فإذا فعل ذلك كانت كفارة لما هو فيه.

(فاذاً النعم الدنيوية مشوبة قد امتزج داؤها بدوائها ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها، فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته فله أن يقرب منها متقياً داءها ومستخرجاً دواءها، ومن لا يثق بها فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الأخطار فلا تعدل بالسلامة شيئاً في حق هؤلاء وهم الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى وهداه الطريقة.

فإن قلت: فما معنى النعم التوفيقية الراجعة إلى الهداية والرشد والتأييد والتسديد؟ فاعلم أن التوفيق لا يستغني عنه أحد: وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين إرادة العبد وبين قضاء الله وقدره، وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة، ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره، كما أن الإلحاد عبارة عن الميل فخصص بمن مال إلى الباطل عن الحق وكذا الارتداد، ولا خفاء بالحاجة إلى التوفيق ولذلك قيل:

إذا لم يكن عـون مـن الله للفتى   فأكثر ما يجنـي عليـه اجتهـاده

فأما الهداية فلا سبيل لأحد إلى طلب السعادة إلا بها، لأن داعية الإنسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحاً فمن أين ينفعه مجرد الإرادة؟ فلا فائدة في الإرادة والقدرة والأسباب إلا بعد الهداية، ولذلك قال تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُم وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أبداً

فإن قلت: فما معنى النعم التوفيقية) التي لا تتحصل الفضائل الخارجية إلا بها (**وهي الراجعة إلى**) أربعة أشياء (**الهداية والرشد والتأييد والتسديد؟ فاعلم أن التوفيق لا يستغني عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلفيق بين إرادة العبد**) وفعله (**وبين قضاء الله وقدره**) والاتفاق ومطاوعة التوفيق يقال: وفقه فاتفق (و) لكن (**هذا يشمل الخير والشر**) جميعاً (**وما هو سعادة وما هو شقاوة**) فيقال: اتفاق جيد واتفاق رديء، فالتوفيق وإن كان في الأصل موضوعاً على وجه يصلح استعماله فيهما جميعاً، (**ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة**) فقط (**من جملة قضاء الله وقدره كما أن الإلحاد**) في الأصل (**عبارة عن الجميل**) ومنه اللحد في القبر، (**فخصص بمن يميل إلى الباطل عن الحق وكذا الارتداد**) وأشباههما، (**ولا خفاء بالحاجة إلى التوفيق**) كما قال الحكيم الذي لا يستغني الإنسان عنه في كل حال التوفيق (**ولذلك قيل**):

(**إذا لم يكن عـون مـن الله للفتى   فأكثر ما يجنـي عليـه اجتهـاده**)

(**وأما الهداية فلا سبب لأحد إلى طلب السعادة**) ولا إلى شيء من الفضائل (**إلا بها**) أي بهداية الله ورحمته ويجب على كل إنسان أن يعلم ذلك (**لأن داعية الانسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته، ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحاً فمن أين ينفعه مجرد الارادة؟ فلا فائدة في الإرادة والقدرة والأسباب إلا بعد الهداية**) فهي مبدأ الخيرات ومنتهاها، كما (**قال**) الله (**تعالى ﴿ربنا الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى﴾ وقال تعالى**) مخاطباً للناس: (**﴿ولولا فضل الله عليكم و رحمته ما زكا منكم من أحد أبداً**

وَلَكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور : ٢١] ، وقال ﷺ : « ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى » أي بهدايته فقيل ولا أنت يا رسول الله؟ قال: « ولا أنا ».

وللهداية ثلاث منازل:

الأولى: معرفة طريق الخير والشر المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد : ١٠] وقد أنعم الله تعالى به على كافة عباده بعضه بالعقل وبعضه على لسان الرسل ،ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾

ولكن الله يزكي من يشاء﴾ وقال ﷺ : « ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى أي بهدايته » فقيل: ولا أنت يارسول الله: قال « ولا أنا ») تنبيهاً على أنه لو توهمت رحمته مرتفعة ابتداء وانتهاء ما كان لنا سبيل إلى ذلك. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة « لن يدخل أحدكم عمله الجنة » قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال « و لا أنا إلا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة ». وفي رواية لمسلم « ما من أحد يدخله عمله الجنة » الحديث. واتفقا عليه من حديث عائشة وانفرد به مسلم من حديث جابر وقد تقدم انتهى .

قلت: وتمام حديث أبي هريرة عند الشيخين « فسددوا وقاربوا ولا يتمن أحدكم الموت اما محسن فلعله يزداد خيراً وإما مسيء فلعله يستعتب ». وفي لفظ لهما « لن ينجي أحداً منكم عمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله. قال: « و لا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ولكن سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد تبلغوا ».

وروى ابن قانع والطبراني والضياء من حديث شريك بن طارق « لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله » قالوا : و لا أنت يا رسول الله. قال « و لا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمة وفضل » وفي لفظ للطبراني « ما من أحد يدخل الجنة بعمل وقال إلا برحمة منه » وروى أحمد وعبد بن حميد من حديث أبي سعيد « لن يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله ». قالوا ولا أنت يارسول الله. قال « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله ».

(**وللهداية ثلاث منازل**) في الدنيا.

(**الأولى: معرفة طريق الخير والشر المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وهديناه النجدين﴾**) هذا هو المشهور في التفسير. وقيل: طريق الثواب والعقاب، وقيل: طريق العقل والشرع. وقال مجاهد: الثديين، وكذلك قوله تعالى ﴿إنا هديناه السبيل﴾ [الإنسان: ٣] وقوله تعالى: ﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾) [الصافات: ١١٨] (**وقد أنعم الله به على كافة عباده**) المكلفين (**بعضه بالعقل**) والفطنة والمعارف الضرورية فعم به كل مكلف بل كل شيء حسب احتماله كما قال تعالى: ﴿أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [طه : ٥٠] فهذا القسم الأول من المنزلة الأولى، وأشار إلى القسم الثاني بقوله: (**وبعضه على لسان الرسل**) أي الهداية التي جعلت للناس بدعائه إياهم على ألسنة الانبياء والرسل وانزال القرآن، (**ولذلك قال الله تعالى**) ﴿وجعلناهم

[فصلت : ١٧] ، فأسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول ، وهي مبذولة ولا يمنع منها إلا الحسد والكبر وحب الدنيا والأسباب التي تعمي القلوب وإن كانت لا تعمي الأبصار . قال تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج : ٤٦] ومن جملة المعميات : الإلف والعادة وحب استصحابها ، وعنه العبارة بقوله تعالى : ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ [الزخرف : ٢٢] الآية . وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا القُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف : ٣١] وقوله تعالى : ﴿أَبَشَراً مِنَّا واحِداً نَتَّبِعُهُ﴾ [القمر : ٢٤] فهذه المعميات هي التي منعت الاهتداء .

والهداية الثانية : وراء هذه الهداية العامة ، وهي التي يمدّ الله تعالى بها العبد حالاً بعد حال ، وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى : ﴿والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

أئمة يهدون بأمرنا﴾ [الأنبياء : ٧٣] ولما كانت الهداية والتعليم يقتضي شيئين تعريفاً من المعرف وتعرفاً في المعرف وبهما تتم الهداية والتعليم ، فإنه متى حصل البذل من الهادي والمعلم ولم يصح القبول صح أن يقال : لم يهتد ولم يعلم اعتباراً بعدم القبول ، وصح أن يقال هدى وعلم اعتباراً ببذله ، وعلى الاعتبار الثاني ينزل قوله تعالى : (﴿ **وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾ فأسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول**) التي هي مبدأ الهداية (**وهي مبذولة**) لهم ، (**ولا يمنع منها إلا الحسد والكبر وحب الدنيا والأسباب التي تعمي القلوب**) أي تعطى على بصيرتها (**وإن كانت لا تعمي الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**) وعمى عين القلب الباطنة أشد من عمى العين الظاهرة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿أم على قلوب اقفالها﴾ [محمد ﷺ : ٢٤] (**ومن جملة المعميات الإلف والعادة**) بالشيء (**وحب استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى : ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة**) وإنا على آثارهم مقتدون﴾ وكذا قوله ﷺ « حبك للشيء يعمي ويصم » (**وعن الكبر والحسد العبارة بقوله تعالى ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾**) وقد تقدم الكلام عليه (**وقوله تعالى ﴿أبشراً منا واحداً نتبعه**) إنا إذاً لفي ضلال وسعر﴾ فكل ذلك منشؤه التكبر على المؤمنين والتحاسد على ما أعطاهم الله تعالى ، (**فهذه المعميات التي منعت الاهتداء**) وأشدها حب الدنيا فإنه رأس كل خطيئة .

(**والهداية الثانية : وراءها هذه الهداية العامة**) التي هي الأولى (**وهي التي يمد الله تعالى بها العبد حالاً بعد بحسب استزادته**) من العلم والعمل الصالح وهو التوفيق الذي يختص به من اهتدى (**وهي ثمرة المجاهدة قال تعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [التغابن :**

[العنكبوت: ٦٩] وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُم هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

والهداية الثالثة وراء الثانية: وهو النور الذي يشرق في عالم النبوّة والولاية بعد كمال المجاهدة، فيهتدي بها إلى ما لا يهتدي إليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وإمكان تعلم العلوم وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدّمات، وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الإضافة إليه وإن كان الكل من جهته تعالى، فقال تعالى: ﴿قُل إنَّ هُدَى الله هُوَ الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٧١] وهو المسمى حياة في قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيتاً فأحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ في النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، والمعنى بقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ للإسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢].

١١] **وهو المراد بقوله تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾**) وآتاهم تقواهم. وقوله تعالى ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾.

(**والهداية الثالثة: وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيهتدي بها الى ما لا يهتدي إليه بالعقل الذي يحصل به التكليف وإمكان تعلم العلوم به**) وعبر بعضهم عن هذه الهداية بنور الولاية التي هي في أفق نور النبوة، ولعل هذا التعبير أوفق للمقام من تعبير المصنف.(**وهو الهدى المطلق وما عداه حجاب له ومقدمات، وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الإضافة إليه وإن كان الكل من جهته تعالى فقال تعالى: ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾**) فأضاف ذلك إلى لفظ الله تعظيما له كقوله: بيت الله، ثم قال: هو الهدى فجعله الهدى المطلق، وكذلك قوله تعالى ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة: ٢] فالهدى والهداية في موضوع اللغة واحد، ولكن قد خص الله لفظ الهدى بما تولاه وأعطاه واختص هو بـه دون ما هو إلى الانسان (**وهو المسمى حياة في قوله تعالى ﴿أومن كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس﴾ و**) نوراً (**بقوله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه﴾**) وبقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ [الأنفال: ٢٩] أي نوراً تفرقون به بين الحق والباطل وبتحري هذه المنازل الثلاثة يتوصل إلى الهداية للجنة في الآخرة وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف: ٤٣] الآية. وهذه الهدايات الأربع مرتبة، فمن لم يحصل له الأولى لا يحصل له الثانية، بل لا يصح تكليفه. ومن لم يحصل له الثانية لا يحصل له الثالثة والرابعة، والانسان لا يقدر أن يهدي أحداً إلا بالدعاء أو تعريف الطرق دون سائر الهدايات، وإلى سائر الهدايات أشار بقوله ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ [القصص: ٥٦] وكل هداية ذكر الله فيها. أنه منع الكافرين والظالمين فهي الهداية الثالثة التي هي التوفيق الذي يختص به المهتدون، والرابعة التي هي الثواب في الآخرة وإدخال الجنة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿كيف يهدي الله قوماً

وأما الرشد فنعني به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند توجهه إلى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده، ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٥١]، فالرشد عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة محركة إليها، فالصبي إذا بلغ خبيراً بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء ولكنه مع ذلك يبذر ولا يريد الاستنماء لا يسمى رشيداً لا لعدم هدايته بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته، فكم من شخص يقدم على ما يعلم انه يضره فقد أعطى الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري أنه يضره ولكن ما أعطى

كفروا بعد إيمانهم﴾ إلى قوله ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [آل عمران: ٨٦] وكل هداية نفاها عن النبي ﷺ وعن البشر وذكر أنهم غير قادرين عليها فهي ما عدا المختص به من الدعاء وتعريف الطريق، وذلك كاعطاء العقل والتوفيق وإدخال الجنة، وإلى هذا المعنى أشار بقوله ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ [يونس: ٩٩] وقوله: ﴿ومن يهد الله فهو المهتد﴾ [الاسراء: ٩٧] أي طالب الهدى ومتحريه هو الذي يوفقه ويهديه إلى طريق الجنة لا من ضاده فتحرى طريق الضلالة والكفر كقوله ﴿والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ [التوبة: ٣٧] وقوله ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ [الزمر: ٣] الكاذب الكفار هو الذي لا يقبل هدايته، فان ذلك راجع إلى هذا وإن لم يكن موضوعاً لذلك ومن لم يقبل هدايته لم يهتد وأما قوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦] فقد قيل عنى به الهداية العامة التي هي العقل وألسنة الانبياء، وأمرنا بأن نقول ولكن بألسنتنا وإن كان قد فعل ليعطينا ثواباً كما أمرنا أن نقول: اللهم صل على محمد وإن كان قد صلى عليه بقوله ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ [الأحزاب: ٥٦] وقيل إن ذلك دعاء يحفظنا من استغواء الغواة واستهواء الشهوات، وقيل: هو سؤال للتوفيق الموعود في قوله ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾ [محمد: ١٧]

(**وأما الرشد فنعني به العناية الالهية التي تعين الانسان**) في أموره (**عند توجهه إلى مقاصده فتقويه على ما فيه**) كذا في النسخ ونص الذريعة فتقربه مما فيه (**صلاحه وتفتره**) أي تكسله (**عما فيه فساده و**) أكثر ما (**يكون ذلك من الباطن كما قال تعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنّا به عالمين﴾**) وكثيراً ما يكون ذلك بتقوية العزم أو فسخه، وإليه يوجه قوله تعالى ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ [الأنفال: ٢٤] (**فالرشد عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة محركة إليها، فالصبي إذا بلغ خبيراً بحفظ المال وطرق التجارة والاستنماء**) أي كيفية نمو المال، (**ولكنه مع ذلك يبذر فيه تبذيراً و لا يريد الاستنماء لا يسمى رشيداً لا لعدم هدايته، بل لقصور هدايته عن تحريك داعيته، فكم من شخص يقدم على ما يعلم أنه يضره وأعطي الهداية وميز بها عن الجاهل الذي لا يدري أنه يضره،**

الرشد، فالرشد بهذا الاعتبار أكمل من مجرّد الهداية إلى وجوه الأعمال وهي نعمة عظيمة.

وأما التسديد، فهو توجيه حركاته إلى صوب المطلوب وتيسرها عليه ليشتدّ في صوب الصواب في أسرع وقت، فإن الهداية بمجرّدها لا تكفي، بل لا بدّ من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد لا يكفي، بل لا بدّ من تيسر الحركات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم المراد مما انبعثت الداعية إليه فالهداية محض التعريف، والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك، والتسديد إعانة ونصرة بتحريك الأعضاء في صوب السداد، وأما التأييد فكأنه جامع للكل، وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج وهو المراد بقوله عز وجل: ﴿إِذْ أَيَّدْتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [المائدة: ١١٠] وتقرب منه العصمة، وهي عبارة عن جود إلهي

ولكن ما أعطي الرشد فالرشد أكمل من مجرد الهداية إلى وجوه الأعمال وهي نعمة)عظيمة من النعم التوفيقية.

(**وأما التسديد: فهو توجيه حركاته إلى صوب**) الغرض (**المطلوب وتيسيرها عليه**) بأن تقوم إرادته وحركته نحوه (**ليستدفي صوب الصواب**) ويهجم عليه (**في أسرع وقت**)يمكن الوصول اليه وهو المراد بقوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ في أحد الوجوه، (**فإن الهداية بمجردها لا تكفي، بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي الرشد، والرشد لا يكفي بل لا بد من تيسير الحركات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم المراد، فما انبعثت الداعية إليه فالهداية محض التعريف**)) والدلالة بلطف، (**والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتتحرك، والتسديد إعانة ونصرة وتحريك الأعضاء في صوب السداد**) ، والنصرة من الله تعالى معونة للأنبياء والأولياء وصالحي العباد بما يؤدي إلى صلاحهم عاجلاً وآجلا، وذلك تارة يكون من خارج بمن يقيضه الله تعالى فيعينه، وتارة من داخل بأن يقوي قلوب الأولياء أو يلقي رعباً في قلوب الأعداء وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ [غافر: ٥١] الآية وقوله تعالى ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين★ إنهم لهم المنصورون★ وإن جندنا لهم الغالبون﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣] وأما ما يختص بسعادة الدنيا ولا يعتبر فيه العاقبة فيقال لها الدول والدولة، وعلى هذا قوله تعالى ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ [آل عمران: ١٤٠]وقوله في وصف الفيء ﴿كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ [الحشر: ٧].

(**وأما التأييد، فكأنه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالبصيرة من داخل وبقوة البطش ومساعدة الأسباب من خارج وهو المراد بقوله تعالى ﴿إذ أيدتك بروح القدس﴾**) وهو مثال للأول (**وتقرب منه العصمة وهي عبارة عن وجود إلهي**) أي فيض من فيوضاته

يسبح في الباطن يقوى به الإنسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع من باطنه غير محسوس، وإياه عنى بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤]، فهذه هي مجامع النعم، ولن تتثبت إلا بما يخوّله الله من الفهم الصافي الثاقب والسمع الواعي والقلب البصير المتواضع المراعي والمعلم الناصح والمال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الأعداء، ويستدعي كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر أسباباً، وتستدعي تلك الأسباب أسباباً إلى أن تنتهي بالآخرة إلى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب، وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها فلنذكر منها أنموذجاً ليعلم به معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] وبالله التوفيق.

(يسبح في الباطن) أي يعرض فيه **(يقوي به الانسان على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع)** له **(من باطنه غير محسوس)** أي وإن لم يكن منعاً محسوساً **(وإياه عنى بقوله تعالى ﴿لقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾)** وقد روي ان يوسف عليه السلام رأى صورة يعقوب عليه السلام وهو عاض على إبهامه، فأحجم وليس ذلك بمانع ينافي التكليف كما توهمه بعض المتكلمين فإن ذلك كان تصوراً منه وتذكراً لما كان قد حذره منه، وعلى هذا قال: ﴿لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ [يوسف: ٢٤] الآية ومن عصمته تعالى ان يكرر الوعيد على من يريد عصمته لئلا يغفل ساعة عن مراعاة نفسه كقوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل★ لأخذنا منه باليمين★ ثم لقطعنا منه الوتين﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٦] **(فهذه هي مجامع النعم ولن تستثبت إلا بما يخوله الله)** أي بنعمه **(من الفهم الصافي الثابت والسمع الواعي)** لما يحفظه، **والقلب البصير المتواضع المراعي و)** تقييض **(المعلم الناصح)** له والتوفيق الموافق **(و)** امداد من **(المال الزائد على ما يقصر عن المهمات بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته)** وهكذا في النسخ، ولفظ الذريعة وامداده من المال بما لا يقعد به عن مغزاه قلته و لا يشغله عنه كثرته، **(و)** من العشيرة و **(العز الذي يصونه عن سفه السفهاء وظلم الأعداء)** وعن الغض منه من جهة الاغنياء، وأن يخوله من كبر الهمة وقوة العزيمة ما يحفظه عن التشوق للمنازل الدنية والتأخر عن بلوغ كل منزلة سنية، **(ويستدعي كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر أسباباً، و تستدعي تلك الأسباب أسباباً إلى أن تنتهي بالآخرة إلى دليل المتحيرين وملجأ المضطرين، وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب)** جل جلاله وعم نواله، **(وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاءها)** أي طلب نهايتها، **(فلنذكر منها أنموذجا ليعلم به معنى قوله تعالى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ وبالله التوفيق)** وهو حسبي ونعم الوكيل.

بيان وجه الأنموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والإحصاء:

اعلم أنا جمعنا النعم في ستة عشر ضرباً، وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة، فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصي الأسباب التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها، ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل، فلا يخفى أن الأكل فعل، وكل فعل من هذا النوع فهو حركة، وكل حركة لا بدّ لها من جسم متحرّك هو آلتها، ولا بدّ لها من قدرة على الحركة، ولا بدّ من إرادة للحركة، ولا بدّ من علم بالمراد وادراك له، ولا بدّ للأكل من مأكول، ولا بدّ للمأكول من أصل منه يحصل، ولا بدّ له من صانع يصلحه، فلنذكر أسباب الادراك، ثم أسباب الإرادات، ثم أسباب القدرة، ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح لا على سبيل الاستقصاء.

الطرف الأول: في نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك: اعلم أنّ الله تعالى

بيان وجه الانموذج في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن حد الحصر والاحصاء:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أنا جمعنا**) فيما تقدم (**النعم**) الموهوبة والمكتسبة (**في ستة عشر ضرباً**) من ضرب أربعة في أربعة، فالأربعة أصول ولكل أصل أربعة، (**وجعلنا صحة البدن**) وسلامته من الأسقام (**نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتأخرة**) لأنها من جملة الفضائل البدنية المكملة للفضائل النفسية، (**فهذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصي الأسباب التي بها تمت هذه النعمة**) أي نطلب نهايتها (**لم نقدر عليها، ولكن الأكل أحد أسباب الصحة، فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل ولا يخفى أن الأكل فعل**) لأنه هيئة حاصلة للآكل بسبب كونه آكلاً، (**وكل فعل من هذا النوع فهو حركة**) لأنه خروج من الفعل إلى القوة بالتدريج، (**وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك**) وتكون تلك الحركة عارضة لذاته والجسم ماله طول وعرض وعمق (**هو**) أي ذلك الجسم (**آلتها و لا بد لها**) أي لتلك الحركة (**من قدرة على الحركة، ولا بد لها من إرادة للحركة، و لا بد**) مع ذلك (**من علم بالمراد**) وإدراك له، و لا بد للأكل من مأكول، و لا بد للمأكول من أصل منه يحصل وجوده، (**و لا بد من صانع يصلحه**) ويهيئه للأكل (**فلنذكر أسباب الإدراك أولاً، ثم أسباب الإرادات، ثم أسباب القدرة، ثم أسباب المأكول على سبيل التلويح**) والإشارة (**لا على سبيل الاستقصاء**) والاحاطة.

الطرف الأول في بيان نعم الله تعالى في خلق أسباب الادراك:

(**اعلم أن الله تعالى خلق النبات**) وهو ما يخرج من الأرض من الناميات سواء كان له ساق

خلق النبات وهو أكمل وجوداً من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنمي ولا تغذي، فإن النبات خلق فيه قوّة بها يجتذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التي في الأرض وهي له آلات، فبها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة، ثم تغلظ أصولها. ثم تتشعب، ولا تزال تستدق وتتشعب إلى عروق شعرية تنبسط في أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر، إلا أنّ النبات مع هذا الكمال ناقص فإنه إذا أعوزه غذاء يساق إليه ويماس أصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر، فإن الطلب إنما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال إليه والنبات عاجز عن ذلك، فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق الله آلات الإحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء، فانظر إلى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الادراك،

كالشجر أم لا كالنجم لكن خص عرفاً بما لا ساق له، **(وهو أكمل وجوداً من الحجر والمدر والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي تنمو))** نمواً **(و لا تغذي، فإن النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التي)** مي **(في)** باطن **(الأرض وهي له آلات بها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي تراها في كل ورقة تغلظ أصولها)** وهي منابت الأوراق، **(ثم تتشعب وتتفرق ولا تزال تستدق وتتشعب)** أي تنقسم **(إلى عروق)** دقيقة **(شعرية)** أي مثل الشعر في الدقة **(تنبسط في أجزاء الورقة حتى تغيب عن البصر، إلا أن النبات مع هذا الكمال)** بالإضافة إلى الجواهر المذكورة **(ناقص فإنه لو أعوزه)** أي أحوجه **(غذاء يساق إليه ويماس أصله جف ويبس)** وذهبت نضارته **(ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فإن الطلب إنما يكون لمعرفة المطلوب و بالانتقال إليه، والنبات عاجز عن ذلك)** أي لا قدرة له على الانتقال من موضعه، **(فمن نعمة الله عليك أن خلق لك آلة الإحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء، فانظر إلى ترتيب حكمة الله)** تعالى **(في خلق الحواس الخمس)** الظاهرة **(التي هي آلة الادراك)** وتحقيق المقام أن الافعال الصادرة إنما تصدر عن القوى لا عن الجسم، فإن الجسم لا يفعل من حيث الجسمية بل بالقوة التي فيه أو بقوة متعلقة به، فالقوة مبدأ الفعل وكل فاعل إما قوة أو ذو قوة تفعل بقوته فالفاعل هو القوة والجسم آلة في الافعال، فباستعماله على الوجه الأليق تستكمل إذا عرفت هذا.

فاعلم أن النفس قد عرف تجردها وكونها في أول إنشائه ناقصة محتاجة إلى الاستكمال بالأجسام ولم يمكنها معرفة الجسم وما فيه من المعاني من غير آلة جزئية، فخلق الباري جل جلاله حواس ظاهرة تدرك بواسطتها الأجسام وعوارفها المكتسبة من الفيض العقلي بحسب استعدادها من الألوان والأشكل والطعوم والروائح وغير ذلك، وحواس باطنة تدرك بها أنواعاً أخرى من المعارف، وهذه الحواس آلات للنفس تستخدمها في مهاتها ومقاصدها ويحصل لها شعور بالمحسوسات بواسطتها، فالحواس الظاهرة خمسة. **(فأولها حاسة اللمس)** وهي منبثة في جميع

فأوّلها حاسة اللمس وإنما خلقت لك حتى إذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه، وهذا أوّل حس يخلق للحيوان، ولا يتصوّر حيوان إلا ويكون له هذا الحس، لأنه إن لم يحس أصلاً فليس بحيوان، وأنقص درجات الحس أن يحس بما يلاصقه ويماسه، فإن الإحساس بما يبعد منه إحساس أتم لا محالة، وهذا الحس موجود لكل حيوان، حتى الدودة التي في البطن فإنها إذا غرز فيها ابرة انقبضت للهرب، لا كالنبات فإنّ النبات يقطع فلا ينقبض إذ لا يحس بالقطع، إلا أنك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصاً كالدودة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك، بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه إلى نفسك فقط، فافتقرت إلى حس تدرك به ما بعد عنك، فخلق لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية، فتحتاج إلى أن تطوف كثيراً من الجوانب فربما تعثر على الغذاء الذي شممت ريحه، وربما لم تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك إلا هذا، فخلق لك البصر لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها، إلا أنه لو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصاً، إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب، فتبصر غذاء ليس بينك

البدن تدرك بها الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحوها عند الاتصال به، **(وإنما خلقت لك)** هذه القوة **(حتى إذا مستك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه، وهذا أول حس يخلق للحيوان و لا يتصور حيوان إلا ويكون له هذا الحس لأنه إن لم يحس أصلاً فليس بحيوان)** ولذلك قالوا: الحيوان جسم نام حساس متحرك **(وأنقص درجات الحس أن يحس بما يلاصقه ويماسه)** ويتصل به، **(فإن الاحساس بما يبعد منه إحساس أتم لا محالة، وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين، فإنها إذا غرز فيها ابرة انقبضت للهرب لا كالنبات، فإن النبات يقطع فلا ينقبض إذ لا يحس بالقطع إلا أنك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصاً كالدود لا يقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يمس بدنك فتحس به فتجذبه إلى نفسك فقط، فافتقرت إلى حس)** آخر **(تدرك به ما بعد عنك فخلق لك الشم)** وهي قوة مودعة في الزائدتين الناتئتين في مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي بها تدرك الروائح بطريق وصول الهواء المتكيف بكيفية ذي الرائحة إلى الخيشوم **(إلا أنك تدري به الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية فتحتاج أن تطوف كثيراً من الجوانب، فربما تعثر على الغذاء الذي شمت ريحه، وربما لم تعثر فتكون في غاية النقصان لو لم يخلق لك إلا هذا فخلق لك البصر)** وهي قوة مودعة في العصبتين المجوفتين اللتين يلتقيان ثم يفترقان تتأدى إلى العين بها الأضواء والألوان والأشكال، **(لتدرك به ما بعد عنك وتدرك جهته فتقصد تلك الجهة بعينها إلا أنه لو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصاً إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران**

وبينه حجاب وتبصر عدوًّا لا حجاب بينك وبينه، وأما ما بينك وبينـه حجاب فلا تبصره، وقد لا ينكشف الحجاب إلا بعد قرب العدوّ فتعجز عن الهرب، فخلق لك السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات، لأنك لا تدرك بالبصر إلا شيئاً حاضراً وأما الغائب فلا يمكنك معرفته إلا بكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع، فاشتدّت إليه حاجتك فخلق لك ذلك، وميزت بفهم الكلام عن سائر الحيوانات، وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حس

والحجب، فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدواً لا حجاب بينك وبينه، وأما ما بينك وبينه حجاب فلا تبصره وقد لا ينكشف الحجاب إلا بعد قرب العدو) منك **(فتعجز عن الهرب)** من بين يديه، **(فخلق لك السمع)** وهو قوة مودعة في القصب المفروش في مقعر الصماخ به تدرك الأصوات بطريق وصول الهواء المتكيفة بكيفية الصوت إلى الصماخ **(حتى تدرك به الأصوات)** والنغمات اللذيذة والبشعة الحاصلة من تصادم الاجسام **(من وراء الجدران عند جريان الحركات)** بواسطة الروح المودع في العصب على حد مخصوص من القرب والبعد وشدة الصوت ورفعته، **(لانك لا تدرك بالبصر إلا شيئاً حاضراً، وأما الغائب فلا يمكنك معرفته إلا بكلام ينتظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فاشتدت إليه حاجتك، فخلق لك ذلك وميزت بفهم الكلام من سائر الحيوانات)**، وقاعدة تشكل الهواء بمقاطع الحروف غير صحيحة لكون الهواء غير حافظ للشكل لأنه سريع الالتئام، ثم يتشوش ما عند أذنه من الهواء ينبغي أن لا يسمع شيئاً لتشوش التموجات واضطرابها، وقول القائل بأن الصوت يخرق الهواء وينفذ فيه غير سديد فإنه إذا تشوش الهواء المجاور للأذن بالكلية لا يبقى للبعض قوة النفوذ والامتياز عن الباقي، وأما ما قيل أن الصوت متعلق بقلع أو قرع لا كيف اتفق، بل عند حركة من الهواء بعنف، فلا ينبغي أن تفهم كونهما داخلين في حقيقة الصوت لبقاء بعد الفراغ عنهما، والصواب أن الصوت لا يعرف بشيء أصلاً، وكذا بساط جميع المحسوسات فإن التعريفات لا بد و أن تنتهي إلى معلومات مستغنية عن التعريف لكون التسلسل باطلاً، وإذا وجبت النهاية ولا شيء أظهر من المحسوسات لأن جميع علومنا منتزعة منها وهي المعلومات الأولية، وبها تعرف مركباتها فحقيقة الصوت لا تعرف لمن لا سمع له، وكذلك الضوء لمن لا بصر له، ومن كان له فهو مستغن عن التعريف، فالصوت أمر بسيط صورته في العقل كصورته في الحس، وحقيقته أنه صوت فقط، وكذا اللون وسائر المحسوسات، وأما أن سبب الصوت قلع أو قرع وأن الهواء شرط وإذا لم يكن على سبيل حصول المقاطع كان على وجه آخر شرطاً فهو بحث آخر لا مدخل له في حقيقة الصوت والله أعلم.

(وكل ذلك ما كان يغنيك لو لم يكن لك حسن الذوق) وهي قوة منبثة قي العصب المفروش على جرم اللسان تدرك بها الطعوم بمخالطة الرطوبة اللعابية وبسائط الطعوم هي الحلاوة والمرارة والحموضة والعفوصة والحرافة والملوحة والدسومة وواحـد لا طعم له ويسمى التفه **(إذ**

الذوق، إذ يصل الغذاء إليك فلا تدرك انه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك، كالشجرة يصب في أصلها كل مائع ولا ذوق لها فتجذبه وربما يكون ذلك سبب جفافها، ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدّمة دماغك إدراك آخر يسمى حساً مشتركاً تتأدى إليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه، ولولاه لطال الأمر عليك فإنك إذا أكلت شيئاً أصفر مثلاً فوجدته مرًّا مخالفاً لك فتركته، فإذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف أنه مر مضر ما لم تذقه ثانياً لولا الحس المشترك إذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك المرارة فكيف تمتنع عنه والذوق يدرك المرارة ولا يدرك الصفرة، فلا بدّ من حاكم تجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعاً، حتى إذا أدرك الصفرة حكم بأنه مر فتمتنع عن

يصل الغذاء إليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله فتهلك كالشجرة يضرب في أصلها كل مائع و لا ذوق لها فتجذبه، ربما يكون ذلك سبب جفافها) أي يبسها وليست النفس داركة بمجرد هذه الآلات، بل هذه محال لها خواص واستعدادات مختلفة وأمزجة مخصوصة إذا وصل إليها الروح النفساني اللطيف وجال فيها استعد بـذلك لأن تفيض النفس عليه هيئة مستعدة بتلك الهيئة لأن يكون مرآة للنفس تشاهد بواسطة استعماله على وجوه مخصوصة العالم الحسي وخواصه لمناسبة ما بين النفس، وذلك الروح الذي حصل له بتردده في تلك الآلة هيئة مخصوصة تقتضي أن تشاهد به النفس عند الاستعمال نوعاً من المعلومات.**(ثم كل ذلك لا يكفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك إدراك آخر يسمى حساً مشتركاً تتأدى إليه هذه المحسوسات الخمس وتجتمع فيه)**، وهذا على رأي المشائين فإنهم يزعمون أن الحواس الباطنة أيضاً خمسة. **أولها**:الحس المشترك وهو الذي تجتمع عنده مثل جميع المحسوسات الظاهرة فيدركها مشاهدة، والصور التي يراها النائمون والمحروررون فيه يتمثل على رأيهم ومحله البطن المقدم من الدماغ. **والثانية**: الخيال وهي خزانة الحس المشترك ومحله البطن المقدم أيضاً، ولكنه يميل إلى اليسار قليلاً. **والثالثة**: الوهم ومحله البطن الأوسط من الدماغ، **والرابعة** الحافظة وهي خزانة الوهم ومحلها في البطن المؤخر منه. **والخامسة**: المدركة ومحلها البطن الأوسط منه أيضاً، وأما الاشراقيون فلا يثبتون إدراك شيء منها إلا المتخيلة فقط، وقد تقدم الكلام عليه **(ولولاه لطال الأمر عليك، فإنك اذا أكلت شيئاً أصفر مثلاً فوجدته مراً مخالفاً لك فتركته فإذا رأيته مرة أخرى فلا تعرف أنه مر ما لم تذقه ثانياً، لولا الحس المشترك إذ العين تبصر الصفرة و لا تدرك المرارة، فكيف تمتنع عنه، والذوق يدرك المرارة و لا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم تجتمع عنده الصفرة والمرارة جميعاً، حتى إذا أدرك الصفرة حكم بأنه مر فيمتنع من تناوله ثانياً)**، وكل ذلك على رأي المشائين. وأما أفلاطون وجماعة من الأقدمين، فقد أقاموا دلائل أبطلوا بها الحافظة والخيال وانطباع الأشباح في العين وهي بعينها تبطل الحس المشترك أيضاً، وكل صورة في الدماغ فلا تبقي إلا المتخيلة وهي بعينها المتوهمة التي حكمـها لا يخالف حكم المتوهمة.

تناوله ثانياً، وهذا كله تشاركك فيه الحيوانات، إذ للشاة هذه الحواس كلها؛ فلو لم يكن لك إلا هذا لكنت ناقصاً؛ فإنّ البهيمة يحتال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها وكيف تتخلص إذا قيدت، وقد تلقي نفسها في بئر ولا تدري أن ذلك يهلكها، ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض وتموت، إذ ليس لها إلا الإحساس بالحاضر، فأما إدراك العواقب فلا، فميزك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل، فبه تدرك مضرة الأطعمة ومنفعتها في الحال والمآل، وبه تدرك كيفية طبخ الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها، فتنتفع بعقلك في الأكل الذي هو سبب صحتك وهو أحسن فوائد العقل، وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله ومعرفة الحكمة في عالمه، وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس الخمس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار الموكلين بنواحي المملكة، وقد وكلت كل واحدة منها بأمر تختص به، فواحدة منها بأخبار الألوان، والأخرى بأخبار الأصوات، والأخرى بأخبار

(**وهذا كله تشاركك فيه الحيوانات إذ للشاة هذه الحواس كلها، فلو لم يكن لك إلا هذا كنت ناقصاً فإن البهيمة تحتال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها، وكيف تتخلص إذا قيدت، وقد تلقي نفسها في بئر و لا تدري أن ذلك يهلكها، ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه في الحال ويضرها في ثاني الحال فتمرض وتموت إذ ليس لها إلا الإحساس بالحاضر**) فقط، (**فاما إدراك العواقب فلا، فميزك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل**) وهو الاستدراك المحض لإدراك المعقولات وهو قوة محضة خالية عن الفعل كما في الأطفال، ويقال له: العقل الهيولاني لأن النفس في هذه المرتبة تشبه الهيولى الأولى الخالية في حد ذاتها عن الصور كلها (**فبه تدرك مضرة الأطعمة ومنفعتها ومايضره في المآل وبه تدرك كيفية طبخ الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها فتنتفع بعقلك في الأكل الذي هو سبب صحتك، وهو أخس فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى فيه معرفة الله تعالى**) بطريق أسمائه وصفاته (**ومعرفة أفعاله، ومعرفة الحكمة في عالمه**) الحسي، (**وعند ذلك تنقلب فائدة الحواس في حقك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار الموكلين بنواحي المملكة، وقد وكلت كل واحدة منها**) أي من تلك الحواس (**بأمر مختص بها**) دون غيرها. (**فواحدة منها**) موكلة (**بأخبار الألوان**) والأشكال والمقادير وغيرها وهي حاسة البصر فإن النفس تشعر بما ذكر إذا وقعت العين في مقابلة الشيء، (**والاخرى باخبار الأصوات**) الثقيلة والخفيفة الحاصلة عن تصادم الأجسام وهي حاسة السمع،

الروائح، والأخرى بأخبار الطعوم، والأخرى بأخبار الحرّ والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها، وهذه البرد والجواسيس يقتصون الأخبار من أقطار المملكة ويسلمونها إلى الحس المشترك، والحس المشترك قاعد في مقدّمة الدماغ، مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فيأخذها وهي مختومة ويسلمها، إذ ليس له إلا أخذها وجمعها وحفظها؛ فأما معرفة حقائق ما فيها فلا، ولكن إذا صادف القلب العاقل الذي هو الأمير والملك سلم الإنهاءات إليه مختومة، فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها بأحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الأحكام والمصالح يحرّك الجنود وهي الأعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في اتمام التدبيرات التي تعنّ له، فهذه سياقة نعمة الله عليك في الادراكات، ولا تظنن أنا استوفيناها؛ فإنّ

(والأخرى باخبار الروائح) الطيبة والكريهة بواسطة انتقال الهواء الواصل إلى الانف من الجسم ذي الرائحة وهي حاسة الشم، **(والأخرى باخبار الطعوم)** من الحلاوة والمرارة والحموضة والعفوصة والقبض والحرافة والملوحة والدسومة وهي حاسة الذوق، **(والأخرى باخبار الحر والبرد)** والرطوبة واليبوسة ويعبرون عنها بالكيفيات الأربع، **(والخشونة والملاسة واللين والصلابة وغيرها)** من الثقل والخفة وهي حاسة اللمس، وهي أدون هذه الإدراكات، ثم الذوق، ثم الشم **(وهذه البرد)** بضمتين جمع بريد الرسول **(والجواسيس يقتصون الأخبار)** أي يتتبعونها **(من أقطار المملكة)** وأطرافها **(ويسلمونها إلى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ، مثل صاحب القصص والكتب)** الواردة **(على باب الملك يجمع القصص والكتب)** الواردة من نواحي العالم فيأخذها من يد الجواسيس **(وهي مختومة ويسلمها)** إلى الملك، **(إذ ليس له إلا أخذها وجمعها وحفظها)** إلى وقت الحاجة. **(وأما معرفة حقائق ما فيها فلا، ولكن إذا صادف القلب العاقل الذي هو الأمير والملك سلم الإنهاءات)** وهو رفع القصص لأنه يذكر فيها دائماً وانهى إليه كذا وكذا **(إليه مختومة، فيفضها الملك)** وفي نسخة فيفتشها **(ويطلع منها على أسرار المملكة ويحكم فيها بأحكام عجيبة لا يمكن استقصاؤها)** في هذا المقام. وقد يفض صاحب الأخبار عن تلك القصص فيسقط منها ما يراه حشواً ويرفع الباقي صافياً إلى حضرة الملك فيميزه ويرفعه ويعرف مضاره ومنافعه ويسلمه إلى خازنه وهي القوة الحافظة إلى وقت حاجته، فحينئذ يتقدم بإخراجه **(وبحسب ما يلوح له من الأحكام والمصالح يحرك الجنود وهي الأعضاء مرة في الطلب ومرة في الهرب ومرة في إتمام تدبيرات تعن له)** أي تعرض، **(فهذه سياقة نعمة الله)** تعالى **(عليك في الإدراكات، ولا تظنن أننا استوفيناها، فإن الحواس الظاهرة)** الخمس **(هي بعض**

الحواس الظاهرة وهي بعض الادراكات، والبصر واحد من جملة الحواس، والعين آلة واحدة له، وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية، وبعض الأغشية كأنها نسج العنكبوت وبعضها كالمشيمة، وبعض تلك الرطوبات كأنه بياض البيض وبعضها كأنه الجمد، ولكل واحدة من هذه الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب، لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر أو صفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وعجز عنه الأطباء والكحالون كلهم، فهذا

الإدراكات، والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركبت العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية، وبعض الاغشية كأنها نسج العنكبوت، وبعضها كالمشيمة،وبعض تلك الرطوبات كأنه بياض البيض، وبعضها كأنه الجمد، ولكل واحد من الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلفت طبقة واحدة من جملة العشر أو صفة واحدة من صفات كل طبقة، لاختل البصر وعجز الأطباء والكحالون كلهم).

وبيان ذلك أن كلاً من العين مركب من سبع طبقات وثلاث رطوبات وهي: العصب والعضل والعروق، وقد سمى المصنف الكل طبقات وفيه تسامح لا يضر، وكيفية تركيبها أن العصبة المجوّفة التي هي أول العصب الخارج من الدماغ تخرج من القحف إلى قعر العين وعليها غشاءان هما غشاء الدماغ، فإذا برزت عن العين وصارت في جوفة عظم العين فارقها الغشاء الغليظ وصار غشاءً ولباساً على عظم العين، ويسمى هذا الغشاء الطبقة الصلبية، ثم يفارقها الغشاء الرقيق فيصير غشاء ولباساً بعد الصلبية، وتسمى الطبقة المشيمية لشبهها بالمشيمة لأنها ذات عروق كثيرة، ثم تصير هذه العصبية نفسها إلى المجوفة عريضة ويصير منها غشاء بعد الأولين ويسمى الطبقة الشبكية، ثم يتكون في وسط هذا الغشاء جسم رطب لين في لون الزجاج الذائب وقوامه وتسمى الرطوبة الزجاجية، ويتكون في وسط هذا الجسم جسم آخر مستدير إلا أن في جانبه الخارجي أدنى تفرطح لتظهر فيه أشباح المرئيات، وفي جانب الداخل نتوّ ليتوصل بالعصبة المجوفة كما ينبغي وتسمى الرطوبة الجليدية تشبيهاً بالجليد في صفائه، ويسمى البردية أيضاً لشبهها بالبردة في شكلها وصفائها وشفيفها، ويحفظ الزجاجية من الجليدية بمقدار النصف، ويعلو النصف الآخر جسم شبيه بنسيج العنكبوت شديد الصقال والصفاء يسمى الطبقة العنكبوتية، ثم يعلو هذه الطبقة جسم سائل في لون بياض البيض وقوامه يسمى الرطوبة البيضية، ويعلو البيضية جسم رقيق مـخمل الداخل أملس الخارج ويختلف لونه في الأبدان، فربما كان شديد السواد، وربما كان دون ذلك في وسطه حيث يحاذي الجليدية ثقب يتسع ويضيق في حال دون حال بمقدار حاجة الجليدية إلى الضوء، فيضيق عند الضوء الشديد ويتسع في الظلمة ويسمى هذا الثقب الحدقة، وهذا الغشاء الطبقة العنبية في خمل باطنها و ملاسة ظاهرها، والثقب الذي في وسطها وبعضهم يقول: إن لون هذه الطبقة هو الاسمانجوني ليكون نور الباصرة فيها

في حس واحد، فقس به حاسة السمع وسائر الحواس؛ بل لا يمكن أن تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع أنّ جملته لا تزيد على جوزة صغيرة؛ فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائبه، فهذه مرامز إلى نعم الله تعالى بخلق الإدراكات.

معتدلاً إذ لا لون أنسب وأوفق لنور الباصرة من هذا، لأن لون السواد يقبض النور المذكور والبياض يفرقه،وهذا اللون متوسط بين السواد والبياض، و لا نجد في الالوان ما هو في حاق الوسط بينهما مثل هذا اللون، ويعلو هذه الطبقة جسم كثيف صلب صاف شفاف يشبه صحيفة رقيقة من قرن أبيض ويسمى الطبقة القرنية غير انها تتلون بلون الطبقة التي تحتها المسماة بالعنبية، كما إذا الصق وراء جام من زجاج شيء ذو لون فيخيل ذلك المكان من الزجاج بلون ذلك الشيء ولونها مختلف في الناس، ففي بعض يكون زرقاء، وفي بعض يكون شهلاء، وفي بعض يكون سوداء، ويعلو هذه الطبقة ويغشيها لا كلها بل إلى موضع سواد العين جسم أبيض اللون صلب يسمى الطبقة الملتحمة وهي التي تلي الهواء وهو بياض العين ونباته من الجلد الذي على القحف من خارج، وجوهره من لحم أبيض دسم، وقد امتزج بعضلة العين وأحكم على القرنية، فلهذا يسمى بالملتحمة، ونبات القرنية من الصلبية، ونبات العنبية من المشيمة، ونبات العنكبوتية من الشبكية. وهكذا رتب بعضهم هذه الطبقات والرطوبات أعني جعل الأول الطبقة الصلبية، ثم الطبقة المشيمية، ثم الطبقة الشبكية، ثم الرطوبة الجليدية، ثم الطبقة العنكبوتية، ثم الرطوبة البيضية، ثم باقي الطبقات، وبعضهم جعل الرطوبة البيضية تالية للرطوبة الجليدية بين الزجاجية والبيضية ليأخذ الغذاء من الزجاجية وتدفع البيضية عنها أشعة الشمس ونحوها، وجعل الطبقات الأربع أعني العنكبوتية والعنبية والقرنية والملتحمة تالية للرطوبات الثلاث المتتالية، وأشرف أجزاء العين إنما هو الرطوبة الجليدية وسائر الطبقات والرطوبات لأجل مصلحته، فالزجاجية والطبقات الثلاث المتصلة بها قد أحاطت بنصف الجليدية من جانب الرطوبة البيضية، والطبقات الأربع المتصلة بها محيطة بنصفها الآخر من جانب آخر وهي موضوعة في الوسط صيانة لها وحرزاً.

(**فهذا في حس واحد فقس به حاسة السمع وسائر الحواس**). ومن أعجب ما في حاسة السمع أن في داخلها فضاء موضوعاً مجوفاً ذا تقعير إليه ثقبة، وقد انبسط غشاء منتسج من ليف عصب الحس المذكور على محيط ذلك الفضاء كانبساط الجلد على الطبل، وبهذا الغشاء يكون السمع عند ما يقرعه الصوت لأن في ذلك الفضاء هواء راكداً، فكلما وصل الهواء الخارجي المتموج إلى العصب حرك الهواء الداخل فيصادمان في العصب معاً فيدرك الصوت، (**بل لا يمكن أن تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمه في جسم البصر وطبقاته**) المذكورة (**في مجلدات كثيرة**) قد تكلف ببيان بعضها أهل التشريح، (**مع أن جملته لا تزيد على جوزة صغيرة**) أي في المقدار، (**فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعضائه وعجائبه**) التي ركبها الله تعالى فيه (**فهذه مرامز**) أي إشارات (**إلى نعم الله تعالى بخلق الإدراكات**) والله أعلم.

الطرف الثاني: في أصناف النعم في خلق الإرادات: اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق إليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلاً، فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الأشياء له وقد سقطت شهوته فلا يتناوله، فيبقى البصر والإدراك معطلاً في حقه، فاضطررت إلى أن يكون لك ميل إلى ما يوافقك يسمى شهوة ونفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة؛ فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلها بك كالمتقاضي الذي يضطرك إلى التناول حتى تتناول وتغتذى فتبقى بالغذاء، وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات دون النبات. ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكت نفسك، فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لتترك الأكل بها، لا كالزرع فإنه لا يزال يجتذب الماء إذا انصب في أسفله حتى يفسد فيحتاج إلى آدمي يقدّر غذاء بقدر الحاجة، فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى، وكما خلقت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك، ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله تعالى في خلق الرحم وخلق دم الحيض، وتأليف

الطرف الثاني في بيان أصناف النعم التي في خلق الإدراكات:

(**أعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق إليه وشهوة له تستحثك على الحركة لكان البصر معطلاً**) مهملاً، (**فكم من مريض يرى الطعام وهو أنفع الأشياء له، وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى البصر والإدراك معطلاً في حقه فاضطررت إلى أن يكون لك ميل إلى ما يوافقك**) ويلائم مزاجك يسمى شهوة (و) أن تكون (**نفرة عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة وتهرب بالكراهة، فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام عليك ووكلها بك كالمتقاضي**) أي المطالب (**الذي يضطرك**) أي يلجئك (**إلى التناول**) منه (**حتى تتناول وتغتذي فتبقى بالغذاء، وهذا**) القدر (**مما يشاركك فيه الحيوان دون النبات، ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة**) منه (**أشرفت**) وتجاوزت (**وأهلكت نفسك فخلق الله سبحانه لك الكراهة عند الشبع لتترك بها الأكل لا كالزرع فإنه لايزال يجتذب الماء إذا انصب في أسافله حتى يفسد فيحتاج إلى آدمي يقدر غذاءه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى**) حتى يصلح، (**وكما خلق لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به بدنك خلق لك شهوة الوقاع حتى تجامع فيبقى به نسلك**) وهاتان هما الشهوتان وإحداهما تحدث عن الأخرى، (**ولو قصصنا عليك عجائب صنع الله في خلق الرحم وخلق دم الحيض، وتأليف الجنين من النطفة ودم الحيض**) في الرحم الذي هو من

الجنين من المني ودم الحيض، وكيفية خلق الانثيين والعروق السالكة إليها من الفقار الذي هو مستقر النطفة، وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم إلى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الإناث، وكيفية إدارتها في أطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظماً ولحماً ودماً، وكيفية قسمة أجزائها إلى رأس ويد ورجل وبطن وظهر وسائر الأعضاء؛ لقضيت من أنواع نعم الله تعالى عليك في مبدأ خلقك كل العجب، فضلاً عما تراه الآن، ولكنا لسنا نريد أن نتعرّض إلا لنعم الله تعالى في الأكل وحده كي لا يطول الكلام؛ فإذاً شهوة الطعام أحد ضروب الإرادات، وذلك لا يكفيك، فإنه تأتيك المهلكات من الجوانب، فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك، لبقيت عرضة للآفات ولأخذ منك كل ما حصلته من الغذاء، فإن كل واحد يشتهي ما في يديك فتحتاج إلى داعية في دفعه ومقاتلته وهي داعية الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يوافقك، ثم هذا لا يكفيك إذ الشهوة والغضب لا يدعوان إلا إلى

المرأة بمنزلة الذكر من الرجل، **(وكيفية خلق الإنثيين)** وهما ركبا من لحم أبيض غدوي دسم ومن عروق وشريانيات وهما آلتا المني ومعدناه إذ المني ينزل إليهما من جمع الأعضاء من كل عضو جزء **(والعروق السالكة إليها من الفقار الذي هو مستقر النطفة)** وهي فقرات الظهر، **(وكيفية انصباب ماء المرأة من الترائب)** وهي ضلوع صدرها أو مـأوى الترقوتين أو ما بين الثديين والترقوتين أو أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته **(بواسطة العروق وكيفية انقسام مقعر الرحم إلى قوالب تقع النطفة في بعضها فتتشكل بشكل الذكور وتقع في بعضها فتتشكل بشكل الأناث)** وهو مربوط برباطات مسلسلة متصلة بخرز الظهر وبجانب السرة والمثانة تحفظه على وضعه، وله زائدتان يسميان قرني الرحم وخلف هاتين الزائدتين بيضتا المرأة ينصب منهما مني المرأة إلى تجويف الرحم، **(وكيفية إدارتها في أطوار خلقها مضغة وعلقة ثم عظماً ولحماً ودماً وكيفية قسمة أجزائها إلى رأس ورجل وبطن وظهر ويد وسائر الأعضاء لقضيت من أنواع نعم الله عليك في مبدأ خلقك كل العجب، فضلاً عما تراه الآن. ولكنا لسنا نريد أن نتعرض إلا لنعم الله تعالى في الأكل وحده كيلا يطول الكلام)** ويتسع المجال يخرج عن مقصود الكتاب، **(فإذاً شهوة الطعام أحد ضروب الإرادات، وذلك لا يكفيك فإنه تأتيك المهلكات من الجوانب)** الأربعة، **(فلو لم يخلق فيك الغضب الذي به تدفع كل ما يضارك ولا يوافقك لبقيت عرضة للآفات)** وهدفاً للمهلكات، **(ولأخذ منك كل ما حصلت من الغذاء فإن كل أحد يشتهي ما في يدك فتحتاج إلى داعية في دفعه)** عنك **(ومقاتلته وهي داعية الغضب الذي به تدفع كل ما يضادك ولا يـوافقك، ثم هذا لا**

ما يضر وينفع في الحال، وأما في المآل فلا يكفي فيه هذه الإرادة فخلق الله تعالى لك إرادة أخرى مسخرة تحت إشارة العقل المعرّف للعواقب، كما خلق الشهوة والغضب مسخرة تحت إدراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل، إذ كان مجرّد المعرفة بأن هذه الشهوة مثلاً تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن لك ميل إلى العمل بموجب المعرفة، وهذه الإرادة أفردت بها عن البهائم إكراماً لبني آدم كما أفردت بمعرفة العواقب، وقد سمينا هذه الإرادة باعثاً دينياً وفصلناه في كتاب الصبر تفصيلاً أوفى من هذا.

الطرف الثالث: في نعم الله تعالى في خلق القدرة وآلة الحركة: اعلم أن الحس لا يفيد إلا الإدراك، والإرادة لا معنى لها إلا الميل إلى الطلب والهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن فيك آلة الطلب والهرب، فكم من مريض مشتاق إلى شيء بعيد عنه مدرك له ولكنه لا يمكنه أن يمشي إليه لفقد رجله، أو لا يمكنه أن يتناوله لفقد يده أو لفلج وخدر فيهما، فلا بدّ من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلباً وبمقتضى الكراهية هرباً، فلذلك خلق الله تعالى لك

يكفيك إذ الشهوة والغضب لا يدعوان إلا إلى ما يضر وينفع في الحال، أما في المآل فلا تكفي هذه الإرادة فخلق الله لك إرادة أخرى مسخرة) أي منقادة **(تحت إشارة العقل المعرف للعواقب كما خلق الشهوة والغضب مسخرين تحت إدراك الحس المدرك للحالة الحاضرة فتم بها انتفاعك بالعقل، إذ كان مجرد المعرفة بأن هذه الشهوة مثلاً تضرك لا يغنيك في الاحتراز عنها ما لم يكن ميل إلى العمل بموجب المعرفة، وهذه الإرادة)** قد **(أفردت بها عن البهائم)** وميزت بها عنها **(إكراماً لبني آدم كما أفردت بمعرفة العواقب)** التي هي من خواص العقل، **(وقد سمينا هذه الإرادة باعثاً دينياً وفصلناه في كتاب الصبر أوفى من هذا)** فراجعه والله أعلم.

الطرف الثالث في بيان نعم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن الحس لا يفيد إلا الإدراك)** وقد تقدم أن كل حاسة لها إدراك خاص، **(والإرادة لا معنى لها إلا الميل إلى الطلب أو)** إلى **(الهرب، وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن فيك آلة الطلب والهرب، فكم من زمن)** وهو المريض الذي يطول به المرض زماناً طويلاً **(مشتاق إلى شيء بعيد عنه مدرك له، ولكنه لا يمكنه أن يمشي إليه لفقد رجله أو لا يمكنه أن يتناوله لفقد يده أو لفلج وخدر فيها)** خاصة مع صحة الجسم، **(فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بمقتضى الشهوة طلباً، وبمقتضى**

الأعضاء التي تنظر إلى ظاهرها ولا تعرف أسرارها؛ فمنها ما هو للطلب والهرب كالرجل للإنسان والجناح للطير والقوائم للدواب، ومنها ما هو للدفع كالأسلحة للإنسان والقرون للحيوان، وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافاً كثيراً؛ فمنها ما يكثر أعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة، ومنها ما خلق له أربع قوائم، ومنها ما له رجلان، ومنها ما يدب وذكر ذلك يطول فلنذكر الأعضاء التي بها يتم الأكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول: رؤيتك الطعام من بعد وحركتك إليه لا تكفي ما لم تتمكن من أن تأخذه؛ فافتقرت إلى آلة باطشة؛ فأنعم الله تعالى عليك بخلق اليدين وهما طويلتان ممتدّتان إلى الأشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتدّ وتنثني إليك فلا تكون كخشبة منصوبة؛ ثم جعل رأس اليد عريضاً بخلق الكف، ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هي الأصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الإبهام في جانب ويدور على الأربعة الباقية، ولو كانت مجتمعة أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها وضعاً إن بسطتها كانت لك مجرفة وإن ضممتها

الكراهة هرباً فلذلك خلق الله تعالى لك الأعضاء التي تنظر إلى ظاهرها ولا تعرف أسرارها) وما خلقت له، **(فمنها ما هو للطلب والهرب كالرجل للإنسان)** فإنه بها يطلب ما يريد ويهرب عما لا يريد، **(والجناح للطير والقوائم للدواب. ومنها ما هي للدفع)** عنه **(كالأسلحة للإنسان والقرون للحيوانات وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافاً كثيراً فمنها ما يكثر اعداؤه ويبعد غذاؤه فيحتاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجناح ليطير بسرعة)** لتحصيل غذائه ولئلا يدركه الطالب، **(ومنها ما خلق له أربع قوائم)** ولا زيادة عليها وما وجد في بعضها من زيادات الأرجل فهي بمنزلة الزائدة أو المعينة، **(ومنها ما له رجلان)** كبني آدم والطيور، **(ومنها ما يدب)** على بطنه كالحيات وما أشبهها، **(وذكر ذلك يطول)** ولم يخلق للحيات ما يكون بمنزلة السلاح لها فعوض عنها بالهيبة فلا تخرج على جماعة إلا ويتفرقون من هيبتها. **(فلنذكر الأعضاء التي بها يتم الأكل فقط ليقاس عليها غيرها، فنقول: رؤيتك الطعام من بعد وحركتك إليه لا تكفي ما لم تأخذه)** وفي نسخة ما لم تتمكن من أخذه **(فافتقرت)** لا محالة **(إلى آلة باطشة، فأنعم الله عليك بخلق اليدين وهما طويلتان ممتدتان إلى الأشياء ومشتملتان على مفاصل كثيرة لتتحرك في الجهات فتمتد وتنثني إليك)** بسهولة، **(فلا تكون كخشبة منصوبة)** تمتد ولا تنثني، **(ثم جعل رأس اليد عريضاً بخلق الكف، ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هي: الأصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الأبهام في جانب ويدور على الأربعة الباقية، ولو كانت مجتمعة، أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعها)** الحكيم تعالى شأنه **(وضعاً إن بسطتها كانت لك مجرفة، وإن ضممتها**

كانت لك مغرفة، وإن جمعتها كانت لك آلة للضرب، وإن نشرتها ثم قبضتها كانت

كانت لك مغرفة، وإن جمعتها كانت آلة للضرب، وإن نشرتها ثم قبضتها كانت آلة في القبض).

وبيان ذلك أن للساعدين أربعة عظام لكل إثنان هما الزندان طولهما من المرفق إلى الرسغ أحدهما كبير موضوع في الأسفل يلي الخنصر ويقال له الزند الأسفل ويسمى باسم جملة الساعد ذراعاً، وثانيهما صغير موضوع فوق ما يلي الأبهام ويقال له الزند الأعلى، وإنما جعل كذلك لأن الحامل يجب أن يكون أقوى من المحمول. وقولنا فوق وأسفل إنما هو عندما يكون الساعد منصوباً بحيث يقبل باطنه وباطن الكف على البدن، وإنما ألف الساعد من عظمين لاحتياجه إلى مفصلين ينبسط وينقبض بأحدهما وهو المفصل الملتئم بين الزند الأسفل وذلك لأن الزند الأسفل له في أعلاه رأسان فيما بينهما حزّ شبيه بسني اليونان هكذا (>) فينبسط الساعد به انبساطاً يصير جملة اليد ممدودة وتنقبض بحيث يلحق الكف الكتف، فإذا أريد البسط دخل رأس الزند الأسفل الذي هو من خلف في نقر له مهيأة في طرف الحز من العضد من خلف واستقر فيها، فيمنع الساعد أن ينثني إلى خلف، وإذا أريد القبض دخل رأس الزند الأسفل من قدام في نقرة أخرى في طرف ذلك الحز من قدام فاستقر فيها فلا تنقبض اليد ولا ينثني أكثر من ذلك، وينكب بالمفصل الآخر على وجهه وينقلب على قفاه وهو المفصل الملتئم بين الزند الأعلى والعضد، إذ الطرف الوحشي من طرف العضد مما يلي الساعد يدخل في نقرة فيها طرف الزند الأعلى، فيدور الزند عليه. وأما عظام رسغ اليدين فهي ستة عشر لكل ثمانية. وهي عظام صلبة صلدة عديمة المخ وسبعة منها نضدت صفين، فالصف الأعلى من ثلاثة والأسفل من أربعة، وذلك لأن أعلى الرسغ موصول بعضو ضيق الطرف ليس بين عظميه في هذا الجانب فرجة أعني الساعد، وأسفله بعضو عريض أعني مشط الكف، وأما الثامن فإنما خلق لحفظ عصبة هناك تأتي الكف لا للرسغ خاصة، وللرسغ مفصلان: أحدهما كبير يلتئم بدخول الثلاثة العليا في حفرة في طرف الساعد محفورة في رأس الزندين جميعاً، وبهذا المفصل يكون انقباض الرسغ وانبساطه، والثاني صغير يلتئم بدخول زائدة في طرف الزند الأسفل مما يلي الخنصر في نقرة العظم وانبساطه، والثاني صغير يلتئم فيدور الرسغ على تلك الزائدة، وبهذا المفصل ينكب الرسغ وينقلب. وأما عظام الكفين فهي ثمانية لكل أربعة وهي كالمتوسط بين أربعة الرسغ، والأصابع الأربع سوى الأبهام وطرفها الذي يلي الرسغ متصل به اتصالاً محكماً بما ربطته، وتبقى بحيث لا تظهر فيه حركة ورؤوس العظام في هذا الطرف متصل بعضها ببعض أيضاً اتصالاً شديداً بعظام الرسغ، حتى لو كشط جلدة الكف وجدت هذه العظام متصلة ببعد وصولها عن الحس، وأما رؤوس التي في الطرف الآخر فبينها فرج ما دامت الأصابع منفرجة وهي تنضم بانضمام الأصابع. وأما عظام أصابع اليدين فهي ثلاثون لكل خمسة عشر، وكل أصبع مؤلف من ثلاثة عظام تسمى الأنامل والسلاميات يتصل بعضها ببعض بمفاصل موثقة بربط، وكذا الإبهام إلا أن العظم الأول منه مربوط بالرسغ لا بالمشط كالأربع

لك آلة في القبض، ثم خلق لها أظفاراً وأسند إليها رؤوس الأصابع حتى لا تتفتت وحتى تلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تحويها الأصابع فتأخذها برؤوس أظفارك، ثم هب انك أخذت الطعام باليدين فمن أين يكفيك هذا ما لم يصل إلى المعدة وهي في الباطن، فلا بدّ وأن يكون من الظاهر دهليز إليها حتى يدخل الطعام منه، فجعل الفم منفذاً إلى المعدة مع ما فيه من الحكم الكثيرة سوى كونه منفذاً للطعام إلى المعدة، ثم إن وضعت الطعام في الفم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج إلى طاحونة تطحن بها الطعام فخلق لك اللحيين من عظمين وركب فيهما الأسنان وطبق الأضراس من العليا

الأخر، وقيل: هو متصل بطرف الزند الأعلى بمفصل واسع سلس لأنه يحتاج إلى حركة واسعة ليلقي به الأصابع الأربع.

(**ثم خلق لها أظفاراً**) وهي إما من العظام وإما أجسام عظيمة موصولة بالسلاميات الأخيرة من الأصابع مربوطة اللحم والجلد برباطات من جنس الأوتار وقد يصير إليها عصب ووريد وشرانيات يؤدي إليها الحياة والغذاء، (**وأسند إليها رؤوس الأصابع حتى لا تتفتت**) ولا تهن عند الشد على الشيء هذا أحد منافع الأظفار، (**و**) الثانية من منافعها (**حتى تلتقط بها الأشياء الدقيقة**) الصغيرة (**التي لا تحويها إلا الأصابع فتأخذها برؤوس أظفارك**) والمنفعة الثالثة أن تتمكن من الحك والتنقية، والرابعة أن تكون سلاحاً لك في بعض الأوقات، وإليه يشير ما ورد في الخبر. وأما الظفر فمدى الحبشة، والثلاثة الأولى أولى بنوع الإنسان، والرابعة ببعض الحيوانات، ولذا وردت السنة في تقليمها متى طالت وخلقت مستديرة الأطراف من عظام لينة لتتطامن تحت ما يصاكها فلا تنصدع وخلقت ناتئة دائماً في كل ذلك حكم خفية لا يعلم بها إلا الراسخون في العلم. (**ثم هبْ أنك أخذت الطعام باليد فمن أين يكفيك هذا ما لم يصل إلى المعدة وهي في الباطن فلا بد وأن يكون من الظاهر دهليز إليها حتى يدخل الطعام منه فجعل الفم منفذ الطعام إلى المعدة مع ما فيه**) أي في الفم (**من الحكم الكثيرة**) ما بين ظاهرة وخفية (**سوى كونه منفذاً للطعام إلى المعدة**) وأجلها النطق الذي هو سبب السعادات كلها (**ثم إن وضعت الطعام في الفم وهو**) أي الطعام (**قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه**) لضيق المدخل (**فتحتاج إلى طاحونة تطحن بها الطعام، فخلق لك اللحيين من عظمين**) هذا على الإجمال، وبالتفصيل فعظام اللحي الأعلى أربعة عشر ستة في العينين لكل ثلاثة وإثنان في الوجنتين وهما كبيران، (**وركب فيهما**) أكثر (**الأسنان**) سوى الثنايا والرباعيات العليا، وإثنان صغيران وفيهما ثقبتان من المنخرين إلى الفم، وإثنان في طرف اللحي وفيهما بقية الأسنان، وإثنان في الأنف. وأما عظام اللحي الأسفل فطرف كل منها من أسفل في موضع الذقن يلتحم بصاحبه والآخر من فوق له

على السفلى لتطحن بها الطعام طحناً، ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسر وتارة إلى القطع ثم يحتاج إلى طحن بعد ذلك، فقسم الأسنان إلى عريضة طواحين كالأضراس، وإلى حادة قواطع كالرباعيات وإلى ما يصلح للكسر كالأنياب، ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلاً بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرحى، ولولا ذلك لما تيسر إلا ضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلاً، وبذلك لا يتم الطحن. فجعل اللحي الأسفل متحرّكاً حركة دورية، واللحي الأعلى ثابتاً لا يتحرّك. فانظر إلى عجيب صنع الله تعالى، فإن كل رحى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الأسفل

شعبتان، **(وطبق الأضراس من العليا على السفلى لتطحن بها الطعام طحناً، ثم الطعام تارة يحتاج إلى الكسر، وتارة إلى القطع، ثم يحتاج إلى الطحن بعد ذلك فقسم الإسنان إلى عريضة طواحين كالأضراس، وإلى حادة قواطع كالرباعيات، وإلى ما يصلح للكسر كالأنياب)** .

اعلم أن الأسنان إثنان وثلاثون وفي كل لحي ستة عشر أربعة من قدّام وهي الثنيتان والرباعيتان، ويقال لها القطاعة إذ يقطع بها ما يؤكل من الطعام اللين وهي عراض حادة الرؤوس، وإثنتان من جانبي الأربع ويقال لهما النابان وهما حادتا الرؤوس عريضتا الأصول يكسر بهما ما صلب من الطعام، ولكل من هذه الست أصل واحد وخمس في كل من الجانبين وهي عراض خشنة الرؤوس وتسمى الأضراس والطواحين لأنها تطحن الطعام وتسحق، ولكل منها إذا كان من فوق ثلاثة أصول، وقد يكون لأقصاها أربعة، وإن كان من أسفل أصلان وقد يكون لأقصاها ثلاثة أصول، وإنما جعل أصول الأضراس أكثر لشدة عملها ودوامه، وإنما جعل أصول الفوقانية منها أكثر من أصول التحتانية لتعلقها، وربما عدمت النواجذ منها في بعض الناس وهي الأربعة الطرفانية فتكون أسنانه ثمانية وعشرين، والنواجذ تنبت في الأكثر في وسط زمان النمو وهو بعد البلوغ إلى الوقوف، وذلك الوقوف قريب من ثلاثين سنة، ولذلك تسمى أسنان الحلم.

ثم جعل مفصل اللحيين متخلخلاً بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرحى، ولولاه لما تيسّر إلا ضرب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين مثلاً، وبذلك لا يتم الطحن فجعل اللحي الأسفل متحركاً حركة دورية واللحي الأعلى ثابتاً لا يتحرك) أي أن الثنايا والرباعيات تماس وتتلاقى في حالة العض، ولو لم يكن كذلك لم يتم العض على الأشياء، وذلك يكون بجذب الفك إلى قدام حتى يلاقي بعضها بعضاً، وعند المضغ والطحن برجع الفك إلى مكانه فتدخل الثنايا والرباعيات السفلانيات إلى داخل، وتحيد عن موازاة العالية فيتم بذلك للأضراس وقوع بعضها على بعض، وذلك لأنه لا يمكن عن تلاقي الثنايا والرباعيات التي في اللحي الأعلى وفي اللحي الأسفل أن تتلاقى الاضراس. **(فانظر إلى عجيب صنع الله تعالى)** وبديع حكمته، **(فإن كل رحى صنعه الخلق فيثبت منه الحجر الأسفل ويدور**

ويدور الأعلى إلا هذا الرحى الذي صنعه الله تعالى، إذ يدور منه الأسفل على الأعلى فسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه وأتم برهانه وأوسع امتنانه ثم هب أنك وضعت الطعام في فضاء الفم فكيف يتحرك الطعام إلى ما تحت الأسنان، أو كيف تستجرّه الأسنان إلى نفسها، أو كيف يتصرف باليد في داخل الفم؟ فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان، فإنه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة كالمجرفة التي ترد الطعام إلى الرحى، هذا مع ما فيه من فائدة الذوق وعجائب قوّة النطق والحكم التي لسنا نطنب بذكرها، ثم هب أنك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الابتلاع إلا بأن ينزلق إلى الحلق بنوع رطوبة، فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عيناً يفيض اللعاب منها وينصب بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام، فانظر كيف سخرها لهذا الأمر فإنك ترى الطعام من بعد فيثور الحنكان للخدمة

الأعلى) ولو تحرك الأسفل لفسد **(إلا هذا الرحى الذي صنعه الله تعالى إذ يدور منه الأسفل على الأعلى)**، وسر ذلك أن الله تعالى قد وضع خزائن الحواس في اللحي الأعلى، فلو دار الفك الأعلى لخيف من تطرق الخلل والفساد على تلك الخزائن، وقد استثنى مما ذكر التمساح فقد قالوا: كل حيوان يتحرك فكه الأسفل عند المضغ إلا التمساح، **(فسبحانه ما أعظم شأنه وأتم برهانه وأوسع امتنانه، ثم هب أنك وضعت الطعام في فضاء الفم، فكيف يتحرك الطعام إلى ما تحت الأسنان أو كيف تستجره الأسنان إلى نفسها أو كيف ينصرف باليدين في داخل الفم، فانظر كيف أنعم الله عليك بخلق اللسان)** وركبه من لحم وعروق وشريانات وعصب حساس وغشاء متصل بغشاء المريء، **(فإنه يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة)** إلى طحن أو كسر أو مضغ، **(كالمجرفة التي ترد الطعام إلى الرحى)** وذلك أن جوهره لحم أبيض رخو مجلل بالغشاء المذكور، وقد التفت به عروق صغار كثيرة فيها دم هو سبب حمرة لونه وتحته عروق وشريانات وأعصاب كثيرة فوق ما يستحقه قدره من العظم. **(هذا مع ما فيه من فائدة الذوق)** إذ موضع قوته العصب المفروش عليه، **(وعجائب قوة النطق)** وهي القوة الإنسانية التي يكون بها الكلام، **(والحكم التي لسنا نطنب بذكرها. ثم هب أنك قطعت الطعام وطحنته وهو يابس فلا تقدر على الإبتلاع)** والإزدراد **(إلا بأن يتزلق إلى الحلق)** وهو الفضاء الذي في أقصى الفم وفيه مجريان: أحدهما قصبة الرئة، والثاني المريء ولا يكون التزلق إلا **(بنوع رطوبة. فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها)** وهما فوهتان وهما ساكبتا اللعاب وبهما يبقى في اللسان وما حوله النداوة الطبيعية، **(و)** هذا اللعاب **(ينصب بقدر الحاجة حتى يتعجن به الطعام. فانظر كيف سخرها لهذا الأمر، فإنك ترى الطعام من بعد فيثور الحنكان للخدمة وينصب اللعاب حتى**

وينصب اللعاب حتى تتحلب أشداقك والطعام بعد بعيد عنك ، ثم هذا الطعام المطحون المنعجن من يوصله إلى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا يد في المعدة حتى تمتدّ فتجتذب الطعام ، فانظر كيف هيأ الله تعالى المرىء والحنجرة وجعل على رأسها طبقات تنفتح لأخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى يتقلب الطعام بضغطه فيهوي إلى المعدة في دهليز المريء ، فإذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لأن يصير لحماً وعظماً ودماً على هذه الهيئة بل لا بدّ وأن يطبخ طبخاً تاماً حتى تتشابه أجزاؤه ، فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتغلق عليه الأبواب ، فلا يزال لابثاً فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط بالمعدة من

تتحلب أشداقك والطعام بعد بعيد عنك، ثم هذا الطعام المطحون المتعجن من يوصله إلى المعدة وهو في الفم ولا تقدر على أن تدفعه باليد ولا في المعدة يد حتى تمتد فتجتذب الطعام، فانظر كيف هيأ الله تعالى المريء والحنجرة) فالمريء هو منفذ الطعام، والشراب متصل بالحلقوم الذي يجري فيه الطعام والشراب وهو مؤلف من لحم وأغشية، والحنجرة مؤلفة من غضاريف ثلاثة، (**وجعل على رأسها طبقات)** منها داخلة وهي شبيهة بالأغشية، ومنها خارجة وهي أكثر حمية (**تنفتح لأخذ الطعام، ثم تنطبق وتنضغط حتى ينقلب الطعام بضغطته فتهوي إلى المعدة في دهليز المريء)** وأعلم أن في الحنجرة رطوبة دسمة لزجة كائنة في تضاعيف غضاريف الحنجرة بها يكون الصوت صافياً ، فإذا عرض لأحد حمى محرقة تحترق تلك الرطوبة فلا يقدر على إخراج الصوت، وكذا من تكلم كثيراً أو سافر في هواء حار يابس، فإنهما لا يقدران على التكلم إلا إذا بلاّ حلقهما بالماء أو بشيء آخر رطب، (**فإذا**) ورد (**طعام على المعدة وهو خبز وفاكهة مقطعة، فلا يصلح لأن يصير لحماً وعظماً ودماً على هذه الهيئة، بل لا بد وأن يطبخ طبخاً تاماً تتشابه أجزاؤه، فخلق الله تعالى المعدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام فتحتوي عليه وتنغلق عليه الأبواب، فلا يزال لابثاً فيها حتى يتم الهضم والنضج**) .

اعلم أن المعدة جسم مستديرة الهيئة مركب من اللحم والعصب والعروق والشرايين والغشاءين وهي مؤلفة من طبقتين، والطبقة الظاهرة لحمية، وكلما بعدت المعدة عن المريء اتسعت وصار المريء كالعنق، ولها من أسفل ثقب أضيق من فمها يسمى البوّاب، وعند اشتمال المعدة على الغذاء وانضمامها ينغلق البواب بحيث لا يخرج عنه أصلاً حتى الماء إلى أن يتم الهضم، ثم ينفتح ليصير ما في المعدة إلى الأمعاء الإثني عشر، ويبقى مفتوحاً إلى أن يتم فعل الدافعة ومبدأ الإتساع يسمى فم المعدة، وهو عندما ينقطع عظام القص وهو عار عن اللحم وباقيه هو العضو المسمى بالمعدة، وموضعها فوق السرة وهي مربوطة مع الفقار ومع غيرها من الأحشاء بأربطة وثيقة تمسكه، وكذا جميع الأحشاء قد أحكم ربطها ودعائمها بقدر شرفها وشدة الحاجة إليها والخوف عليها، فإذا ورد الغذاء في البدن تهضمه الطبيعة هضوماً أربعة أي تعده لأن يصير جزءاً من البدن وابتداء الهضم

الأعضاء الباطنة، إذ من جانبها الأيمن الكبد ومن الأيسر الطحال، ومن قدّام الترائب ومن خلف لحم الصلب فتتعدّى الحرارة إليها من تسخين هذه الأعضاء عن الجوانب حتى ينطبخ الطعام ويصير مائعاً متشابهاً يصلح للنفوذ في تجاويف العروق، وعند ذلك يشبه ماء الشعير في تشابه أجزائه ورقته، وهو بعد لا يصلح للتغذية؛ فخلق الله تعالى بينها

الأول عند المضغ بسبب أن سطح الفم متصل بسطح المعدة، بل لأنها سطح واحد وفيه منه قوة هاضمة، فإذا لاقى الممضوغ أحاله إحالة ما، ويعين على ذلك الريق المستفيد بالنضج الواقع فيه حرارة غريزية، ثم إذا ورد على المعدة انهضم الهضم التام الأول لا بحرارة المعدة وحدها، بل **(وبالحرارة التي تحيط بالمعدة من الأعضاء الباطنة)** أيضاً **(إذ من جانبها الأيمن الكبد ومن الأيسر الطحال)** فإن الطحال قد يسخن به لا بجوهره بل بالشرايين والأوردة الكثيرة التي فيه، **(ومن قدام الترب)** الشحمي القابل للحرارة المؤديها إلى المعدة، **(ومن خلف لحم الصلب)** أي العرق العظيم الممتد على الصلب من خلف المعدة، ومن فوق القلب بتوسط تسخينه للحجاب لأنه حاجز بين القلب والمعدة، فهو يسخن الحجاب ثم يسخن الحجاب المعدة، ومن تحت المرارة بما فيها من الصفراء **(فتتعدى الحرارة إليها من تسخين هذه الأعضاء من الجانب حتى ينطبخ الطعام ويصير)** بذاته في كثير من الحيوان كجوارح الصيد والجمل والحية من غير شرب ماء وبمعونة ما يخالطه من المشروب في اكثره **(مائعاً متشابهاً)** أي كيلوساً وهو جوهر سيال **(يصلح للنفوذ في تجاويف العروق، وعند ذلك يشبه ماء الشعير)** وهو الكشك الثخين **(في تشابه أجزائه، وهو بعد لا يصلح للتغذية)**.

اعلم أن جسم المعدة مؤلف من ثلاث طبقات: إحداها يأخذ ليفه طولاً، والثانية يأخذ ليفه عرضاً، والثالثة يأخذ ليفه وراباً، وليس في المريء ليف مورب لعدم الإحتياج إلى الماسكة هناك، ويوجد اللحم في الطبقة الخارجة عند قعر المعدة أكثر ليكون أسخن فيجود الهضم، وذلك أن قعرها بعيد عن القلب والكبد المسخنين بالمجاورة، فاحتيج إلى فضل تسخين، وقد وصل إلى فم المعدة شعبة من عصب الحس وانبسط فيه وبواسطته يدري ألم الجوع والحاجة إلى الغذاء، ولهذا لا يحس بألم الجوع إلا في فم المعدة، والشريان والأجوف قد أتيا من القلب والكبد إلى محدب المعدة ونسجت شعبها بعضها ببعض، وأصل الشرب وهو عضو مؤلف من طبقتين غشائيين يراكب إحداهما على الأخرى، وتخلل بينهما شحم كثير وشعب دقاق في العروق والشرايين، إذ هو يبتدىء من فم المعدة ويمر منتهاها إلى معاء قولون، وأنه كجراب لو أوعى شيئاً سيالاً لأمسكه وتنتسج طبقاته من الصفاق ومن شظايا العروق والشريان، ثم تترشح إليها رطوبة لزجة دهنه هي الشحم وهو كبطانة للصفاق وظهارة للمعدة ومنفعته تقوية الأحشاء وتسخينها، وفوق الشرب غشاء قوي يسمى الصفاق يحفظ الأمعاء على أوضاعها، فوق الصفاق تكون عضلات البطن المسماة بالمراق، والصفاق والمراق يحفظان حرارة الأحشاء، وقد نبت أصل الصفاق من فوق الحجاب، ثم انبسط

وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهي إلى الكبد، والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم، وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في أجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في أجزائها حتى تستولي عليه قوّة الكبد فتصبغه بلون الدم، فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الأعضاء، إلا أن حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فيتولد من هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما يطبخ: إحداهما شبيهة بالدردي والعكر وهو الخلط السوداوي، والأخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء، ولو لم

إلى الأضلاع من داخل البطن، ثم نزل إلى أسفل المثانة، وهناك يوجد فيه منفذان ضيقان تنفذ فيهما العروق والرباطات النازلة إلى الانثيين، وقد ظن بعض الناس أن المعدة تغتذي من الكيلوس وهو خطأ لأن الكيلوس لا يصلح للغذاء دون أن يصير إلى الكبد وينهضم فيها ويستحيل إلى الدم، وباقي الأخلاط، ثم يمتاز الدم عنها كما فيكون غذاء للأعضاء وإليه أشار المصنف بقوله: (**فخلق الله بينها وبين الكبد مجاري من العروق وجعل لها فوهات كثيرة حتى ينصب الطعام فيها فينتهيأ إلى الكبد**) يشير إلى أن ذلك الكيلوس بعد ذلك ينجذب لطيفه بواسطة جاذبة الكبد دافعة المعدة والأمعاء من أواخر المعدة، ومن الأمعاء فيندفع من طريق العروق المسماة باساريقا وهي عروق دقائق صلاب متصلة بالأمعاء كلها، ويأخذ المعدة إلى العرق المسمى بباب الكبد وينفذ في الكبد في اجزاء وفروع للباب داخلة متصغرة متضائلة كالشعر ملاقية لفوهات اجزاء أصل العرق الطالع من هدية الكبد. (**والكبد جسم**) مركب من اللحم والعروق والشرايين والغشاء الذي يسترها ويحفظها على وضعها، وليس لها في نفسها حس، ولكن لغشائها حس كثير (**معجون من طينة الدم**) أي لونه ولحمه شبيه بالدم الجامد (**حتى كأنه دم وفيه عروق كثيرة شعرية منتشرة في أجزاء الكبد**) ونباتها منه وشكله هلالي وموضعه الجانب الأيمن تحت الضلوع العالية من ضلوع الخلف، وظهره ملاصق بتلك الضلوع في بعض الناس دون بعض، وبطنه ملاصق بالمعدة أعلاه فيما بين حجاب الصدر، وأسفله إلى الخاصرة مربوط بأربطة تتصل بالغشاء الذي عليه وله تقعير في الجانب الذي يلي المعدة وله قوة مصاصة بها يجذب الكيلوس من المعدة، وآلته لهذا العمل العروق المسماة بالماساريقا وفيها القوة المصاصة كما في الكبد، (**فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في أجزائها**) أي يتفرق في ليف هذه العروق فيصير الكبد كأنها بكليتها ملاقية لكلية هذا الكيلوس، (**حتى تستولي عليه قوة الكبد فتصبغه بلون الدم فيستقر فيها ريثما يحصل له نضج آخر**) وهذا هو الهضم الثاني، (**ويحصل له هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الأعضاء إلا أن حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فتتولد من هذا الدم فضلتان، كما يتولد في جميع ما يطبخ إحداهما شبيهة بالدردي والعكر**) وهو ما يتبقى في أسفل الزيت (**وهو الخلط السوداوي**)والمراد بالخلط الكيموس وهو جسم رطب يستحيل إليه الغذاء أولاً،

تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الأعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقاً ممدوداً إلى الكبد داخلاً في تجويفه، فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال العكر السوداوي، فيبقى الدم صافياً ليس فيها إلا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية، ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعداً إلى

(والأخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء) أي في كل انطباخ لمثل هذا الكيلوس يحصل شيء كالرغوة وشيء كالرسوب، وربما كان معهما إما شيء إلى الإحتراق إن أفرط الطبخ أو شيء كالقيح إن قصر الطبخ، فالرغوة هي الصفراء والرسوب هو السوداء وهما طبيعيان، والمحترق لطيفة صفراء محترقة وكثيفة سوداء ردية وهما غير طبيعيين، وأما الشيء المتصفي من هذه الجملة نضيجاً فهو الدم، ثم الصفراء إما طبيعية وهي رغوة الدم حمراء اللون ناصعته بحيث تضرب إلى صفرة كشعر الزعفران، فإذا تولدت في الكبد انقسمت قسمان: قسم يذهب مع الدم ليخالط الدم في تغذية الأعضاء التي يستحق أن يكون في غذائها جزء صالح من الصفراء مثل الرئة ويلطف الدم لينفذ في المسالك الضيقة، وقسم يتصفى إلى المرارة ليخلص البدن من الفضل ويغذي المرارة وأن ينصب منه قسط من المرارة إلى الأمعاء ليغسلها من الثفل والبلغم اللزج، وإلى عضل المقعدة ليحس بالحاجة إلى التبرز، وأما غير طبيعية إما لاختلاطها بالبلغم الغليظ وهي المخية، وإما لأحتراقها في نفسها وهي الرمادية، وهذان الصنفان يعرفان بالصفراء المحترقة، والثاني منهما ينقسم إلى كراثي وزنجاري، ولكل منهما أحكام وهما إنما يتولدان في المعدة غالبان وقد ينصبان من العروق والكبد إلى المعدة نادراً. **(ولو لم تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الأعضاء فخلق الله تعالى المرارة والطحال، وجعل لكل واحد منهما عنقاً ممدوداً إلى الكبد داخلاً في تجويفه فتجذب المرارة الفضلة الصفراوية ويجلب الطحال العكر السوداوي، فيبقى الدم صافياً ليس فيه إلا زيادة رقة ورطوبة لما فيه من المائية، ولولاها لما انتشر في تلك العروق الشعرية ولا خرج منها متصاعداً إلى الأعضاء)** .

اعلم أن المرارة عضو عصباني ذو طبقة واحدة وهي كخريطة منسوجة من الأنواع الثلاث من الليف المستقيم والعريض والمورب معلقة من الكبد من ناحية المعدة وهي وعاء الصفراء وبالوعتها وهي موضوعة على الزائدة الكبيرة من زوائد الكبد، وله منفذان: أحدهما متصل إلى تعقير الكبد فيه يصير الصفراء إليها، والثاني متصل إلى الأمعاء الاثني عشر ينفذ فيه ما فضل من الصفراء، وينزل إلى الأمعاء المذكورة، ثم يصير إلى الأمعاء الأخر لدفع الثفل وتنظيف الأمعاء من الرطوبات الغليظة بواسطة الحدة. وأما الطحال؛ فهو عضو مستطيل الشكل كاللسان سخيف اللحم كمد اللون وهو وعاء السوداء وبالوعتها وموضعه في الجانب الأيسر من ضلوع الخلف والمعدة، ويلزم المعدة من جانب وضلوع الخلف من آخر وأكثره تحت المعدة وقد ربط بربط متصلة بالغشاء الذي عليه وجعل متخلخلاً ليستقر السوداء المنجذب إليه في تضاعيفه، وجعل فيه الشرايين الكثيرة وينبت عنه قناتان: إحداهما عن طرفه ويتصل بالكبد عند تقعيره، والثانية من داخله وتتصل بالمعدة، وبها

الأعضاء . فخلق الله سبحانه الكليتين وأخرج من كل واحد منها عنقاً طويلاً إلى الكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى أن عنقها ليس داخلاً في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدبة الكبد حتى يجذب مائيتها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد ، إذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق ، فإذا انفصلت منه المائية فقد صار الدم صافياً من الفضلات الثلاث نقياً من كل ما يفسد الغذاء ، ثم إن الله تعالى أطلع من

يندفع شيء من السوداء إلى المعدة لتنبيه شهوة الطعام ، ثم أن الدم بعدما دام في الكبد يكون أرق مما ينبغي لفضل المائية المحتاج إليها لترقيق الكيلوس وتنفيذه في المسالك الضيقة ، وتنفصل عنها كما تنفصل عن الكبد فينجذب عنه في عرق نازل إلى الكليتين ، وإليه أشار المصنف بقوله :

(فخلق الله سبحانه الكليتين، وأخرج من كل واحدة) منها **(عنقاً طويلاً إلى الكبد)** وكل منها مركب من لحم مكتنز صلب قليل الحمرة وعروق وشراينات وهما موضوعتان عن جنبتي خرز الصلب بالقرب من الكبد اليمنى وشكلها كنصف دائرة ومحدبها إلى طرق خرز الظهر ليتمكن الإنسان من الانحناء بسهولة، وجوهرهما مندمج صلب لئلا ينفذ فيهما إلا الماء الرقيق ومزاجها يميل إلى البرودة والرطوبة بسبب الأوردة والشراينات فيهما، وتنكسر بذلك حدة الصفراء النازلة إليهما مع الماء ، فلا تحرق المثانة إذا نزلت إليها ولا حس لهما لئلا يحسا بحدة الصفراء الممزوجة بالماء النازل إليهما فيحفظ الماء ريثما ينطبخ فينهضم قدر من الدم المخالط لذلك أيضاً بحيث يصلح لأن يكون غذاء لهما . **(ومن عجائب حكمة الله تعالى أن عنقها ليس داخلاً في تجويف الكبد بل متصل بالعروق الطالعة من حدبة الكبد)** وهو عرق عظيم أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، **(حتى يجذب مائيتها بعد الطلوع من العروق الدقيقة)** الشعرية **(التي في الكبد، إذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظ ولم يخرج من العروق)** فيغذي الكليتين الدسومة والدموية من تلك المائية، ويندفع باقيها إلى المثانة والإحليل، **(فإذا انفصلت من المائية)** الفضلية عن الدم عند خروجه من الكبد ، **(فقد صار الدم صافياً من الفضلات الثلاث نقياً من كل ما يفسد الغذاء)** وصارت المائية إلى هذين المنفذين فتجذبها الكليتان، فيكون الغذاء الواصل إلى الأعضاء بلا مائية فضلية، والثاني من كل منهما يمر متسفلاً حتى يصل بالمثانة ويسميان الحالبين، وهما مجرى البول، وإنما جعل الكليتين اثنتين لأن أكثر أعضاء البدن زوج، والدماغ ينقسم بقسمين. وكذا الأعصاب والعضلات والعروق والشرايين، فكأن البدن بدنان وإن كان في الحقيقة واحداً فجعل الكليتين اثنتين ليعمل كل منهما عمله من جانب، ولما كان القلب أشرف الأعضاء ، وكذا الرئة لأنها خادمة للقلب وجب أن يكون غذاؤهما أصفى وانضج من غذاء جميع الأعضاء ، فلهذا قدر الخالق تعالى شأنه أن العرق الذي يوصل غذاء هذين العضوين إليهما نزل من الكبد إلى الكليتين ونفذ فيهما ثم خرج منهما ورجع إلى فوق لتجذب الكليتان بقوتها المصاصة المائية المصاحبة للدم الذي فيهما لغذائية هذين العضوين الشريفين، ولينضج الدم المذكور في هذه المسافة

الكبد عروقاً ، ثم قسمها بعد الطلوع أقساماً ، وشعب كل قسم بشعب ، وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق إلى القدم ظاهراً وباطناً ، فيجري الدم الصافي فيها ويصل إلى سائر الأعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية كعروق الأوراق والأشجار بحيث لا تدرك بالأبصار ، فيصل منها الغذاء بالرشح إلى سائر الأعضاء ، ولو حلت بالمرارة آفة فلم تجذب الفضلة الصفراوية فسد الدم وحصل منه الأمراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة ، وإن حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداويّ حدثت الأمراض السوداوية كالبهق والجذام والماليخوليا وغيرها ، وإن لم تندفع المائية نحو الكلى حدث منه

الطويلة ويتصل غذاؤهما إليهما صافياً نضيجاً . (ثم ان الله تعالى أطلع من الكبد عروقاً ثم قسمها بعد الطلوع أقساماً وشعب كل قسم بشعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق إلى القدم ظاهراً وباطناً فيجري الدم الصافي فيها) بعد اندفاعه في العرق العظيم الطالع من حدبة الكبد المسمى بالأجوف ، فيسلك في الأوردة المتشعبة منه ، ثم في جداول الأوردة ، ثم في سواقي الجداول ، ثم في رواضع السواقي ثم في العروق الشعرية الكثيفة فينهضم بالهضم الثالث ، (ويصل إلى سائر الأعضاء حتى تصير العروق المنقسمة شعرية) أي كهيئة الشعر في الدقة ، (كعروق الأوراق) الظاهرة فيها (والأشجار) المستبطنة في الأرض (بحيث لا تدرك بالأبصار) لدقتها وخفائها ، (فيصل منها الغذاء بالرشح إلى سائر الأعضاء) فيحصل لنصيب كل عضو عنده هضم رابع ، (ولو حل بالمرارة آفة فسد الدم وحصل منه الأمراض الصفراوية) وذلك بأن يتفق قصور في جذبها الصفراء من الكبد بدم الكبد فترتفع الصفراء في الكبد ، فحدثت الحميات الحادة وإن اتفق دفعها إلى أعضاء البول قبل الوقت اللائق بذلك حدثت قرحة المثانة وحرقتها ، وإن تفرقت في جميع البدن حدثت أمراض (كاليرقان) وهو محركة تغير فاحش في اللون إلى صفرة أو سواد أو هما معا بجريان الخلط إلى الجلد ، (والبثور) وهي من جنس الأورام وهي أنواع ومنها صفراوية كالنملة (والحمرة) والنار الفارسية ، وان نزلت إلى الأمعاء تولد السحج والإسهال الصفراوي ، (وإن حلت بالطحال آفة فلم يجذب الخلط السوداوي) الحامض العفص لضعفه (حدثت الأمراض السوداوية) في البدن ، (كالبهق) الأسود (والجذام والماليخوليا وغيرها) كالقوبا والدوالي وداء الفيل ، وإن قصر في الجذب فلم يستوف ما ينبغي جذبه تولد ورم الكبد وسقوط شهوة الطعام ، وإن اندفع إلى المعدة أكثر مما ينبغي تولد الشهوة الكلبية ، وإن كان فيما ينجذب إلى المعدة حموضة من غير عفوصة تولد الغثيان ، فإن كان كثيراً تولد القيء وإن نزل ذلك أي الحامض من المعدة إلى الامعاء تولد السحج السوداوي المهلك ، (وإن لم تندفع المائية نحو الكلى حدث منه الاستسقاء وغيره) من الأمراض إذ الماء لا يصلح للغذائية بل هو مركب الغذاء ، أعني الدم ، فإذا انفصل عن الدم زالت الحاجة إليه ، وكل شيء زالت الحاجة إليه إذا بقي في البدن يتولد منه مرض .

الاستسقاء وغيره. ثم انظر إلى حكمة الفاطر الحكيم كيف رتب المنافع على هذه الفضلات الخسيسة: أما المرارة فإنها تجذب بأحد عنقيها وتقذف بالعنق الآخر إلى الأمعاء ليحصل له في نقل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث في الأمعاء لذع يحركها للدفع، فتنضغط حتى يندفع الثفل وينزلق وتكون صفرته لذلك. وأما الطحال فإنه يحيل تلك الفضلة إحالة يحصل بها فيه حموضة وقبض، ثم يرسل منها في كل يوم شيئاً إلى فم المعدة فيحرّك الشهوة بحموضته وينبهها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثفل، وأما الكلية فإنها تغتذي بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي إلى المثانة ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الأسباب التي أعدت للأكل. ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد إلى القلب والدماغ

(ثم انظر إلى حكمة الفاطر الحكيم) جل شأنه **(كيف رتب منافع على هذه الفضلات الثلاث الخسيسة)** وهي الصفراوية والسوداوية والبلغمية، **(فأما المرارة)** التي هي وعاء الصفرة **(فإنها تجذب بأحد عنقيها وتقذف بعنق آخر إلى الأمعاء)**. قد تقدم أن المرارة عضو عصباني ذو طبقة واحدة وله منفذان: أحدهما هو الجاذب للصفراء، والثاني ينفذ فيه الصفراء ثم يصير إلى الأمعاء الاثني عشر ثم إلى الامعاء الاخر، **(فيحصل له في نقل الطعام رطوبة مزلقة ويحدث في الأمعاء لذع يحركها للدفع فتنضغط حتى يندفع الثفل وينزلق)** وتنظف الأمعاء من الرطوبات الغليظة بواسطة الحدة، **(وتكون صفرته لذلك)**، وقد سمى المصنف هذين المنفذين عنقين وهما عند الأطباء منفذان. قالوا: وفي بعض الناس يوجد منفذ آخر صغير منها إلى قعر المعدة ينفذ فيه بعض من الصفراء فيدخل المعدة، وقد يكون هذا المنفذ في بعض النـاس كبيراً حتى يكون أكبر من المنفذ المتصل بالمعي المذكور، فبهذا السبب ينصب في المعدة صفراء كثير وصاحبه يكون دائماً مبتلى بمرارة الفم وسوء الهضم وفساد الغذاء في المعدة والدوّار ويبوسة الطبع والغثيان. **(وأما الطحال فإنه يحيل تلك الفضلة إحالة يحصل بها فيه حموضة وقبض، ثم يرسل منها كل يوم شيئاً إلى فم المعدة فيحرك الشهوة بحموضة وينبهها ويثيرها)** أي يحركها، **(ويخرج الباقي مع الثفل. وأما الكلية فإنها تغتذي بما في تلك المائية من دم وترسل الباقي إلى المثانة)** من الحالبين ويسميها الاطباء البرنجين، ثم في الغذاء جوهر صالح لأن يتشبه بالمغتذي، وجوهر غير صالح له وهو الفضلة ففي كل هضم يحصل فضلة ففضلة الهضم الأول تندفع إلى طريق الامعاء وهي البخر، وفضـلة الهضم الثاني يندفع أكثرها بالبول وباقيها من الطحال والمرارة، وفضلة الهضمين الآخرين يندفع بالتحلل الذي لا يحس بالعرق والوسخ الخارج من منافذ طبيعية محسوسة كالأنف والأذن وغير محسوسة كالمسام أو خارجة عن الطبع كما في الأورام المنفجرة والبثرات والجدري، وبما ينبت من زوائد البدن كالشعر والظفر.

(ولنقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الأسباب التي أعدت للأكل، ولو ذكرنا كيفية احتياج الكبد إلى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الأعضاء

واحتياج كل واحد من هذه الأعضاء الرئيسة إلى صاحبه وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الحس وكيفية انشعاب العروق السواكن من الكبد إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء، ثم كيفية تركب الأعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام، وكل ذلك محتاج إليه للأكل ولأمور أخر سواه، بل في الآدمي آلاف من

الرئيسة إلى صاحبه، وكيفية انشعاب العروق الضوارب من القلب إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء، ثم كيفية تركب الأعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطال الكلام، وكل ذلك محتاج إليه للأكل ولأمور أخر سواه)، ومجمل القول في العروق أن الكبد مقعر الباطن محدب الظاهر، ويطلع من محدبه عرق عظيم يسمى الأجوف لسعة تجويفه بالنسبة إلى تجاويف ماساريقا، وذلك يسهل نفوذ الدم فيه، وأصل التشعب شعب كثيرة دقيقة جداً كالشعر مستقر، فإذا طلع ليس يمر كبير شيء حتى ينقسم قسمين:

الأول: وهو الأعظم يأخذ نحو أعالي البدن ليسقي الأعضاء العالية فيمر حتى يلاصق الحجاب، وينقسم منه هناك عرقان يتفرقان، ثم ينفذ الحجاب فإذا نفذه انقسمت منه عروق دقيقة واتصلت بالغشاء الذي يقسم الصدر بقسمين، وبغلاف القلب وبالقوّة المسماة بالغوثة وتفرقت فيها، ثم يتشعب فيها شعبة عظيمة تتصل بالأذن اليمنى من أذن القلب، وتنقسم هذه الشعبة ثلاثة أقسام، وإذا جاوز بالقلب مرّ على استقامته إلى أن يجاوز الترقوتين، وينقسم حينئذ في مسلكه هذا شعب صغار في كل واحد من الجانبين يسقي ما يحاذيها، ويخرج منها شعب إلى خارج فيسقي العضل، وعند محاذاته للإبط يخرج منه إلى خارج شعبة عظيمة يأتي اليد من ناحية الإبط وهو المسمى بالباسليق، فإذا حاذى بالترقوتين الوسط منها موضع اللبة انقسم قسمين: قسم آخذ إلى ناحية اليمين، وقسم آخذ إلى ناحية اليسار، وانقسم كل منها إلى قسمين: أحدهما ركب الكتف وجاء إلى اليد من الجانب الوحشي وهو العرق المسمى بالقيفال، والثاني: انقسم إلى قسمين في كل جانب وهما الوداج الغائر والوداج الظاهر، ولا يتم ذبح الحيوان إلا بقطع هذين، ويتشعب من العرق الكتفي في مروره بالعضد شعب صغار ويسقي ظاهر العضد ومن الإبطي شعب صغار يسقي باطنه، فإذا قاربا مفصل المرفق انقسما فيكون منها العرق المسمى بالأكحل، ومن الابطي العرق الذي بين البنصر والخنصر المسمى بالأسيلم.

والقسم **الثاني:** من الأجوف يأخذ نحو أسافل البدن فيركب خرز الظهر آخذاً إلى الأسفل ويتشعب منه شعب يأتي لفائف الكل وأغشيتها، ثم شعبتان يصيران إلى الانثيين، فإذا بلغ آخر الخرز انقسم قسمين: أحدهما آخذ نحو الرجل اليمنى، والثاني نحو اليسرى حتى إذا بلغا منشأ الركبة انقسم ثلاثة أقسام منها المابض والصافن وعرق النسا، ويتشعب من كل منها شعب كثيرة،

العضلات والعروق والأعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته، ولا شيء منها إلا وفيه حكمة اثنتان أو ثلاث أو أربع إلى عشر وزيادة، وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرّك أو تحرك عرق ساكن، لهلكت يا مسكين، فانظر إلى نعمة الله تعالى عليك أولاً لتقوى بعدها على الشكر. فإنك لا تعرف من نعمة الله سبحانه إلا الأكل وهو أخسها، ثم لا تعرف منها إلا أنك تجوع فتأكل، والحمار أيضاً يعلم أنه يجوع فيأكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستنهض

فهذا معرفة العروق السواكن المسماة بالأوردة. وأما الضوارب المسماة بالشرايين، فمنبتها التجويف الأيسر من القلب، ويخرج من هذا التجويف شريانان: أحدهما صغير غير متضاعف يسمى الشريان الوريدي، والثاني كبير جداً ويسمى الأبهر، وفي الأوردة عرق مضاعف يسمى الوريد الشرياني وهو شعبة من الأجوف متصلة بالأذن اليمنى من أذني القلب كما تقدم ذكرها. وهي أعظم عروق القلب لأن سائر عروقه يوصل إليه نسيم الهواء، وهذا يوصل إليه الغذاء، والأبهر عند طلوعه يتشعب منه شعبتان: إحداهما تأخذ نحو أعالي البدن ويتشعب منها شعب صغار في العضد، والثانية تصعد إلى ظاهر الوجه والرأس، وتتفرق فيما هنالك من الأعضاء الظاهرة، وقد يظهر بعض هذا القسم خلف الأذن من الصدغ. وأما الأعضاء فهي أجسام كثيفة متكوّنة من الرطوبات المحمودة وهي إما مفردة أو مركبة، فالمفردة هي التي أي جزء محسوس أخذت منها كان مشاركاً للكل في الطبع والمزاج، ولذلك يسمى متشابه الأعضاء وهي العظم ثم الغضروف، ثم الوتر، ثم العصب، ثم الوتر، ثم الرباط، ثم الأوردة وهي العروق السواكن ثم الأغشية، ثم اللحم ثم الشحم ثم المخ ثم الجلد ثم الشعر. والمركبة هي التي تكون فيها أجزاء محسوسة متخالفة بالطبع والمزاج، وتركبها إما أن يكون أوّلياً كالعضل لأنه مركب من الأعضاء المفردة التي هي العصب والرباط واللحم والغشاء، أو ثانياً كالعين لأنها مركبة من الأعضاء المركبة التي هي الطبقات، أو ثالثاً كالوجه لأنه مركب من الأنف والخد وغيرهما، وكل واحد منها مركب ثانياً أو رابعاً كالرأس فإنه مركب من الدماغ والوجه والأذن، ومن الأعضاء المركبة الأعضاء الرئيسة وهي القلب والدماغ والكبد والانثيان. وأما العظام فجملتها مائتان وثمانية وأربعون سوى السمسمانيات وسوى العظم الشبيه باللام، وسوى العظم الذي في القلب فإنها عند بعض الناس من جنس الغضروف، (**بل في الآدمي آلاف من العضلات والعروق والأعصاب مختلفة بالصغر والكبر والدقة والغلظة وكثرة الانقسام وقلته**) على ما هو مودع في كتب التشريح، (**ولا شيء منها إلا وفيه حكمة**) واحدة (**أو اثنتان أو ثلاث أو أربع إلى عشرة وزيادة**) على ذلك، (**وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جملتها عرق متحرك أو تحرك عرق ساكن لهلكت يا مسكين، فانظر إلى نعمة الله تعالى عليك أوّلاً لتقوى بعدها على الشكر**) عليها، (**فإنك لا تعرف من نعمة الله سبحانه إلا الأكل وهو أخسها**) أي أقلها مقداراً، (**ثم لا تعرف منها إلا أنك تجوع فتأكل، والحمار يعلم أيضاً أنه يجوع فيأكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع ويستريح فينهض ويرمح،**

فينهض ويرمح، فإذا لم تعرف أنت من نفسك إلا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك؟ وهذا الذي رمزنا إليه على الإيجاز قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط، فقس على الإجمال ما أهملناه من جملة ما عرفناه حذراً من التطويل وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالإضافة إلى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من بحر، إلا أن من علم شيئاً من هذا أدرك شمة من معاني قوله تعالى: ﴿وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١١١] ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الأعضاء وقوام منافعها وإدراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الأخلاط الأربعة ومستقره القلب، ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي إلى جزء من أجزاء البدن إلا ويحدث عند وصوله في تلك الأجزاء ما يحتاج إليه من قوّة حس وإدراك

فإذا لم تعرف أنت من نفسك إلا ما يعرفه الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك؟ وهذا الذي رمزنا إليه بالإيجاز) أي الاختصار **(قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله فقط. فقس على الإجمال ما أهملناه)** أي تركنا ذكره **(من جملة ما عرفناه حذراً من التطويل)** الذي يمل الخواطر، **(وجملة ما عرفناه وعرفه الخلق كلهم بالإضافة إلى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة في بحر إلا أن من علم شيئاً من هذا)**بقوة عرفانه **(أدرك شمة من معاني قوله تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الأعضاء وقوام منافعها وإدراكاتها وقواها ببخار لطيف يتصاعد من الأخلاط الأربعة ومستقره القلب، ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب، فلا ينتهي إلى جزء من أجزاء البدن إلا ويحدث عند وصوله في تلك الأجزاء ما يحتاج إليه من قوة حس وإدراك وقوّة حركة أو غيرها)**.

اعلم أن الروح عند الأطباء جسم لطيف بخاري يتولد من الدم الوارد على القلب في البطن الأيسر منه، وفائدة وجوده في البدن أن يكون حاملاً للقوى حتى ينتقل ويجري في البدن بتوسطه، لأن القوى لكونها من الأعراض لا تنتقل بدون المحال، ولذلك صار أصنافها كاصنافها، فإن الروح إذا تولد في القلب يسمى روحاً حيوانياً لكونه عاملاً للقوّة الحيوانية، فينفذ في الشرايين إلى الأعضاء فيفيدها الحياة، وجزء صالح من هذا الروح يصعد إلى الدماغ فيغيره إلى مزاج أحدّ يصير به روحاً نفسانياً أي روحاً صالحاً، لأن يكون مركباً للقوى النفسانية، فتصدر أفعالها عنه. وجزء ليس بكثير في المقدار من هذا الروح أي الحيواني يصير إلى جانب الكبد فيغيره تغيراً يصير به روحاً طبيعياً. أي روحاً يستعد لقبول القوى الطبيعية فتصدر أفعال منه. وأما القوى فهي هيئات في الجسم الحيواني بها يمكن أن يفعل أفعاله بالذات وهي ثلاثة أجناس: أحدها: القوى الطبيعية، والثانية: القوى النفسانية، والثالثة: القوى الحيوانية. ومن القوى الطبيعية ما هي متصرفة لأجل الشخص وهي الغاذية والنامية، ومنها ما هي متصرفة لأجل النوع وهي قوّتان المولدة والمصوّرة

وقوّة حركة وغيرها ، كالسراج الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل إلى جزء إلا ويحصل بسبب وصوله ضوء على أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ، ولكنه جعل السراج سبباً له بحكمته ، وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الأطباء الروح ، ومحله القلب ، ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة ، والدم الأسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة ، والغذاء له كالزيت ، والحياة الظاهرة في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما أن السراج إذا انقطع زيته انطفأ ، فسراج الروح أيضاً ينطفىء مهما انقطع غذاؤه ، وكما أن الفتيلة قد تحترق فتصير رماداً بحيث لا تقبل الزيت فينطفىء السراج مع كثرة الزيت فكذلك الدم الذي تشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفىء مع جود الغذاء ، فإنه لا يقبل الغذاء الذي يبقى به الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولاً تتشبث النار به ، وكما أن السراج تارة ينطفىء بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كريح عاصف فكذلك الروح تارة تنطفىء بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل ، وكما أن انطفاء السراج بفناء الزيت أو بفساد الفتيلة أو بريح عاصف أو باطفاء إنسان لا يكون إلا

والغاذية تخدمها قوى أربع : الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة . وأما القوى النفسانية فمنها محركة وهي الشوقية والغضبية والفاعلة والمدركة . وأما القوّة الحيوانية فهي مبدأ لحركة القلب والشرايين ولحركة الجوهر الروحي اللطيف إلى الأعضاء فهي (**كالسراج الذي يدار في أطراف البيت ، فلا يصل إلى جزء إلا ويحصل بسبب وصوله ضوء على أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ، ولكنه جعل السراج سبباً له بحكمته ، وهذا البخار اللطيف هو الذي يسميه الأطباء الروح ومحله القلب**) ، ثم يجول في البدن بتوسطه وهذا هو المسمى بالروح الحيواني عندهم كما تقدم . (**ومثاله : جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة**) وهو موضع السراج ، (**والدم الأسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة ، والغذاء له كالزيت ، والحياة الظاهرة له في سائر أعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت ، وكما أن السراج إذا انقطع زيته انطفأ**) وذهب نوره (**فسراج الروح أيضاً ينطفىء مهما انقطع غذاؤه ، وكما أن الفتيلة قد تحترق فتصير رماداً بحيث لا تقبل الزيت فينطفىء السراج مع كثرة الزيت ، فكذلك الدم الذي تشبث به هذا البخار في القلب قد يحترق بفرط حرارة القلب فينطفىء مع وجود الغذاء ، فإنه لا يقبل الغذاء الذي تبقى به الروْح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولاً يتشبث النار به ، وكما أن السراج تارة ينطفىء بسبب من داخل كما ذكرناه ، وتارة**) ينطفىء (**بسبب من خارج كريح عاصف**) أو اطفاء إنسان ، (**فكذلك الروح تارة تنطفىء بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما أن انطفاء السراج بفناء الزيت أو**

بأسباب مقدّرة في علم الله مرتبة ويكون كل ذلك بقدر، فكذلك انطفاء الروح، وكما أن انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذي أجل له في أم الكتاب، فكذلك انطفاء الروح، وكما أن السراج إذا انطفأ أظلم البيت كله فالروح إذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقته أنواره التي كان يستفيدها من الروح وهي أنوار الإحساسات والقدر والإرادات وسائر ما يجمعها معنى لفظ الحياة، فهذا أيضاً رمز وجيز إلى عالم آخر من عوامل نعم الله تعالى وعجائب صنعه وحكمته ليعلم أنه ﴿لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] عز وجل: فتعساً لمن كفر بالله تعساً، وسحقاً لمن كفر نعمته سحقاً.

فإن قلت: فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله ﷺ سئل عن الروح فلم يزد عن أن قال: «قل الروح من أمر ربي» فلم يصفه لهم على هذا الوجه. فاعلم أن هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح، فإن الروح يطلق لمعان كثيرة لا نطوّل بذكرها ونحن

بفساد الفتيلة أو بريح عاصف أو بإطفاء إنسان لا يكون إلا بأسباب مقدرة مرتبة في علم الله تعالى ويكون كل ذلك بقدر، فكذلك انطفاء الروح، وكما أن انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذي أجل له في أم الكتاب، فكذلك انطفاء الروح، وكما أن السراج إذا انطفأ أظلم البيت كله، فالروح إذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقت أنواره التي كان يستفيدها من الروح وهي أنوار الإحساسات) الظاهرة والباطنة **(والقدر)** وهي القوى **(والإرادات وسائر ما يجمعه معنى لفظ الحياة، فهذا أيضاً رمز وجيز إلى عالم آخر من عوالم نعم الله تعالى وعجائب صنعه و)** بدائع **(حكمته، ليعلم أنه ﴿لو كان البحر)** مع سعته **(مداداً)** والشجر أقلاماً والبحر يمدها **(لكلمات ربه)** أي لاحصائها **(لنفد البحر)** أي فرغ وفني **(قبل أن تنفد كلماته﴾)** وفي بعض النسخ: ﴿قبل أن تنفد كلمات ربّي﴾ الآية. **(فتعساً لمن كفر بالله تعساً، وسحقا لمن كفر نعمته سحقاً)** يقال: تعس تعساً من حد نفع أكب على وجهه وعثر، وقيل: هلك، وقيل لزمه الشر وهو تاعس وتعس من حد تعب لغة فيه فهو تعيس ويقرأ هذا بالحركة وبالهمزة، فيقال تعسه الله وأتعسه، والسحق: بالضم البعد يقال في الدعاء سحقاً له وبعداً.

(فإن قلت: فقد وصفت الروح ومثلته ورسول الله ﷺ سئل عن الروح) وكان السائل له عنه طائفة من اليهود **(فلم يزد أن قال «قل الروح من أمر ربي» فلم يصفه لهم على هذا الوجه)** وهو متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم في شرح عجائب القلب. **(فاعلم أن هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح، فإن الروح تطلق لمعان كثيرة لا نطيل**

إنما وصفنا من جملتها جسماً لطيفاً تسميه الأطباء روحاً، وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الأعضاء وكيفية حصول الإحساس والقوى في الأعضاء به، حتى إذا خدر بعض الأعضاء علموا أن ذلك لوقوع سدّة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر بل منابت الأعصاب ومواقع السدّة فيها ويعالجونها بما يفتح السدّة، فإن هذا الجسم بلطفه ينفذ في شباك العصب وبواسطته يتأدى من القلب إلى سائر الأعضاء وما يرتقي إليه معرفة الأطباء فأمره سهل نازل. وأما الروح التي هي الأصل وهي التي إذا أفسدت فسد لها سائر البدن، فذلك سر من أسرار الله تعالى لم نصفه، ولا رخصة في وصفه، إلا بأن يقال: هو أمر رباني كما قال تعالى: ﴿قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الاسراء: ٨٥] والأمور الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيها عقول أكثر الخلق، وأما الأوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن إدراك الأصوات، وتتزلزل في ذكر مبادىء وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقها، فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم النبوّة والولاية، نسبته إلى العقل نسبة العقل إلى الوهم

بذكرها) وقد ذكرنا شيئاً منها في شرح عجائب القلب، **(ونحن إنما وصفنا من جملتها جسماً لطيفاً)** بخارياً يتولد من الدم الوارد على القلب في البطن الأيسر منه **(تسميه الأطباء روحاً، وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الأعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الأعضاء به)** وقسموه إلى حيواني ونفساني وطبيعي: **(حتى إذا خدر بعض الأعضاء علموا أن ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يعالجون موضع الخدر، بل)** ينظرون **(منابت الأعصاب ومواقع السدة فيها ويعالجونها بما يفتح السدة)** فيزول الخدر، **(فإن هذا الجسم بلطفه ينفذ في شباك العصب وبواسطته يتأدى من القلب إلى سائر الأعضاء)** على الوجه الذي تقدم ذكره، **(وما ترتقي إليه معرفة الأطباء فأمره سهل نازل)** الدرجة **(وأما الروح التي هي الأصل وهي التي إذا فسدت فسد لها سائر البدن، فذلك سر من أسرار الله تعالى)** المكتومة التي لا يطلع عليها إلا هو **(لم نصفه ولا رخصة في وصفه إلا بأن يقال: هو أمر رباني كما قال تعالى ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ والأمور الربانية لا تحتمل العقول وصفها)** ولا تمثيلها، **(بل تتحير فيها عقول أكثر الخلق، وأما الأوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن إدراك الأصوات)** فإنه من ادراكات السمع والبصر قاصر عنه، **(وتتزلزل في ذكر مبادىء وصفها معاقد العقول المفيدة بالجوهر والعرض المحبوسة في مضيقها، فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل يشرق ذلك في عالم النبوّة والولاية)** بهتنكشف حقائقه، **(ونسبته إلى العقل نسبة العقل إلى الوهم**

والخيال، وقد خلق الله تعالى الخلق أطواراً، فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات لأن ذلك طور لـم يبلغه بعد، فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها؛ لأن ذلك طور لم يبلغه بعد، وإنه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية، فيها يلحظ جناب الحق بنور الإيمان واليقين، وذلك المشرب أعز من أن يكون شريعة لكل وارد، بل لا يطلع عليه إلا واحد بعد واحد، ولجناب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب، وعلى أوّل الميدان عتبة هي مستقر ذلك الأمر الرباني، فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال أن يصل الميدان، فكيف بالانتهاء إلى ما وراءه من المشاهدات العالية، ولذلك قيل: من لم يعرف نفسه لم يعرف ربه. وأنى يصادف هذا في خزانة الأطباء؟ ومن أين للطبيب أن يلاحظه؟ بل المعنى المسمى روحاً عند الطبيب بالإضافة إلى هذا الأمر الرباني كالكرة التي يحركها صولجان الملك بالإضافة إلى الملك فمن عرف الروح الطبي فظن أنه أدرك الأمر الرباني كان كمن رأى الكرة التي يحرّكها صولجان الملك فظن أنه رأى الملك، ولا يشك في أنّ خطأه فاحش وهذا الخطأ أفحش منه جداً، ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها

والخيال، وقد خلق الله تعالى الخلق أطواراً) مختلفة، **(فلا يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات، لأن ذلك طور لم يبلغه بعد، فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها لأن ذلك طور لم يبلغه، وأنه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق)** تعالى **(بنور الإيمان واليقين)**، ثم يختلف ادراك ذلك بحسب قوّة الإيمان وضعفها، **(وذلك المشرب أعز من أن يكون شريعة لكل وارد بل لا يطلع عليه إلا واحد بعد واحد)** وفي نسخة إلا واحداً بعد واحد، **(ولجناب الحق)** تعالى **(صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان وحب)** أي واسع، **(وعلى أوّل الميدان عتبة هي مستقر ذلك الأمر الرباني، فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحافظ العتبة مشاهدة استحال أن يصل إلى الميدان)** وأن يكون من رجاله، **(فكيف بالانتهاء إلى ما وراءه من المشاهدات العالية، ولذلك قيل: من لم يعرف نفسه)** معرفة كلية **(لم يعرف ربه)** وهو المفهوم من قولهم: من عرف نفسه عرف ربه **(وأنّى يصادف هذا في خزانة الأطباء ومن أين للطبيب أن يلاحظه؟ بل بالمعنى الذي يسمى روحاً عند الطبيب بالإضافة إلى هذا الأمر الرباني كالكرة)** في الميدان **(التي يحركها صولجان الملك بالإضافة إلى الملك فمن عرف الروح الطبيبي وظن أنه أدرك الأمر الرباني كان كمن رأى الكرة التي يحركها صولجان الملك فظن أنه رأى الملك ولا يشك في أنه خطأ فاحش وهذا الخطأ أفحش منه جداً، ولما كانت العقول التي بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولاً قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الأمر لم يأذن الله**

تدرك مصالح الدنيا عقولاً قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الأمر لم يأذن الله تعالى لرسوله ﷺ أن يتحدث عنه، بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم، ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الأمر شيئاً لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته، أما نسبته ففي قوله تعالى: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ وأما فعله فقد ذكر في قوله تعالى: ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ* ارْجِعِي إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً* فادْخُلِي في عِبَادي وادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧، ٣٠] ولنرجع الآن إلى الغرض، فإن المقصود ذكر نعم الله تعالى في الأكل، فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الأكل.

الطرف الرابع: في نعم الله تعالى في الأصول التي يحصل منها الأطعمة وتصير صالحة لأن يصلحها الآدمي بعد ذلك بصنعته:

اعلم أن الأطعمة كثيرة، ولله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متوالية لا تتناهى، وذكر ذلك في كل طعام مما يطول، فإن الأطعمة إما أدوية وإما فواكه وإما أغذية، فلنأخذ الأغذية فإنها الأصل، ولنأخذ من جملتها حبة من البر ولندع سائر الأغذية فنقول: إذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها فنيت وبقيت جائعاً، فما أحوجك إلى أن تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك! فخلق الله تعالى في

تعالى لرسوله ﷺ أن يتحدث عنه بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم) كما ورد ذلك في الخبر (ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الأمر شيئاً لكن ذكر نسبته وفعله ولم يذكر ذاته. أما نسبته ففي قوله تعالى:) ﴿قل الروح (من أمر ربي﴾ وأما فعله فقد ذكره في قوله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة* ارجعي إلى ربك راضية مرضية* فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ ولنرجع الآن إلى الغرض فإن المقصود ذكر نعم الله تعالى في الأكل، فقد ذكرنا بعض نعم الله تعالى في آلات الأكل) وبالله التوفيق.

الطرف الرابع: في بيان نعم الله تعالى في الأصول التي منها تحصل الأطعمة وتصير صالحة لأن يصلحها الآدمي بعد ذلك بصنعته ومعالجته:

(اعلم) وفقك الله تعالى (أن الأطعمة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجائب كثيرة لا تحصى وأسباب متوالية) أي متتابعة (لا تتناهى، وذكر ذلك في كل طعام مما يطول) بيانه، (فإن الأطعمة) لا تخلو (إما أدوية وإما فواكه وإما أغذية، فلنأخذ الأغذية فإنها الأصل) في قوام الأبدان، (ولنأخذ من جملتها حبة من البر) وهوأشرف الحبوب (ولندع سائر الأغذية فنقول: إذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها فنيت وبقيت جائعاً، فما أحوجك إلى أن تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك: فخلق الله

حبة الحنطة من القوى ما يغتذي به كما خلق فيك، فإن النبات إنما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء لأنه يغتذي بالماء ويجتذب إلى باطنه بواسطة العروق كما تغتذي أنت وتجتذب، ولسنا نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء إلى نفسه، ولكن نشير إلى غذائه فنقول: كما أن الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج إلى طعام مخصوص، فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شيء بل تحتاج إلى شيء مخصوص، بدليل أنك لو تركتها في البيت لم تزد لأنه ليس يحيط بها إلا هواء، ومجرد الهواء لا يصلح لغذائها، ولو تركتها في الماء لم تزد، ولو تركتها في أرض لا ماء فيها لم تزد، بل لا بدّ من أرض فيها ماء يمتزج ماؤها بالأرض فيصير طيناً، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ إلى طَعَامِهِ★ أَنَّا صَبَبْنَا الماءَ صَبًّا★ ثُمَّ شَقَقنَا الأرْضَ شَقًّا★ فأنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا★ وَعِنَباً وَقَضْباً★ وَزَيْتُوناً﴾ [عبس: ٢٤، ٢٩] ثم لا يكفي الماء والتراب، إذ لو تركت في أرض ندية صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء، فيحتاج إلى تركها في أرض رخوة متخلخلة يتغلغل الهواء إليها، ثم الهواء لا يتحرك إليها بنفسه فيحتاج إلى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الأرض حتى ينفذ فيها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢] وإنما القاحها في إيقاع الازدواج بين

تعالى في حب الحنطة من القوى ما تغتذي كما خلق فيك) من تلك القوى، (فإن النبات إنما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء لأنه يغتذي بالماء ويجتذب إلى باطنه بواسطة العروق) المستنبطة في الأرض، (كما تغتذي وتجتذب، ولسنا نطنب في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء إلى نفسه، ولكن نشير إلى غذائه فنقول: كما أن الخشب والتراب لا يغذيك بل تحتاج إلى طعام مخصوص، فكذلك الحبة لا تغتذي بكل شيء بل تحتاج إلى شيء مخصوص بدليل لو أنك تركتها في البيت لم تزد ولو تركتها في أرض لا ماء فيها لم تزد) أيضاً، (بل لا بد من أرض فيها ماء يمتزج ماؤها بالأرض فيصير طيناً) رخواً، (وإليه الإشارة بقوله تعالى) في جملة تعدد النعم: (﴿أنّا صببنا الماء صباً﴾) أي من السحاب (﴿ثم شققنا الأرض شقاً﴾) ونسبة الشق إليه مجاز (﴿فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضبا★ وزيتوناً) ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وأبا﴾ (ثم لا يكفي الماء والتراب إذ لو تركت في أرض ندية) بالماء لكنها (صلبة متراكمة لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج إلى تركها في أرض رخوة، متخلخلة يتخلخل الهواء إليها ثم الهواء لا يتحرك إليها بنفسه فيحتاج إلى ريح تحرك الهواء وتضربه بقهر وعنف على الأرض حتى ينفذ فيها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾) أي ذات لقاح وقد ألقحت الريح السحاب، (وإنما القاحها في إيقاع

الهواء والماء والأرض ، ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط وشتاء شات ، فتحتاج إلى حرارة الربيع والصيف ؛ فقد بان احتياج غذائه إلى هذه الأربعة ، فانظر إلى ماذا يحتاج كل واحد ، إذ يحتاج الماء لينساق إلى أرض الزراعة من البحار والعيون والأنهار والسواقي ، فانظر كيف خلق الله البحار وفجر العيون وأجرى منها الأنهار ، ثم الأرض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع إليها ، فانظر كيف خلق الله تعالى الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها بإذنه إلى أقطار الأرض وهي سحب ثقال حوامل بالماء ، ثم انظر كيف يرسله مدراراً على الأراضي في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة ، وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجاً ، فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ، ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والأمطار لا يمكن احصاؤها ، وأما الحرارة فإنها لا تحصل بين الماء والأرض وكلاهما باردان ، فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الأرض مسخنة للأرض في وقت دون وقت ، ليحصل البرد عند الحاجة إلى البرد ، والحر عند الحاجة إلى الحر ! فهذه إحدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ، ثم النبات إذا ارتفع عن الأرض كان في الفواكه انعقاد وصلابة ، فتفتقر إلى رطوبة تنضجها ، فانظر كيف خلق القمر وجعل من

الأزدواج بين الهواء والماء والأرض ، ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد مفرط أو شتاء شات فتحتاج إلى حرارة الربيع والصيف ، فقد بان احتياج غذائه إلى هذه الأربعة فانظر إلى ماذا يحتاج كل واحد إذ يحتاج الماء لينساق إلى أرض الزراعة من البحار والعيون والأنهار والسواقي ، فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون وأجرى منها الأنهار ، ثم الأرض ربما تكون مرتفعة والمياه لا ترتفع إليها) لغور العيون والأنهار في الأرض ، **(فانظر كيف خلق الله تعالى الغيوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها بإذنه إلى أقطار العالم وهي سحب ثقال حوامل بالماء ، ثم انظر كيف يرسله مدراراً على الأراضي في وقت الربيع والخريف حسب الحاجة)** إليه ، **(وانظر كيف خلق الجبال حافظة للمياه تتفجر منها العيون تدريجاً فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد وهلك الزرع والمواشي ، ونعم الله في الجبال والسحاب والبحار والأمطار لا يمكن احصاؤها ، وأما الحرارة فإنها لا تحصل بين الماء والأرض وكلاهما باردان)** طبعاً **(فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع بعدها عن الأرض)** إذ هي في الفلك الرابع **(مسخنة للأرض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة إلى البرد ، و)** يحصل **(الحر عند الحاجة إلى الحر ، فهذه إحدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ، ثم النبات ، إذا ارتفع عن الأرض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فتفتقر إلى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل**

خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين، فهو ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم! ولذلك لو كانت الأشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة، حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد إذا ظلتها شجرة كبيرة، وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له بالليل فتغلب على رأسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب رأسك يرطب الفاكهة أيضاً، ولا نطوّل فيما لا مطمع في استقصائه، بل نقول: كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب، فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوّة البشر بإحصائها، ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثاً وباطلاً ولم يصح قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾ [آل عمران: ١٩١] وقوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨] وكما أنه ليس في أعضاء بدنك عضو إلا لفائدة فليس في أعضاء بدن العالم عضو إلا لفائدة، والعالم كله كشخص واحد، وآحاد أجسامه كالأعضاء له وهي متعاونة تعاون أعضاء بدنك في جملة بدنك، وشرح ذلك يطول، ولا ينبغي أن تظن أنّ الإيمان بأن النجوم والشمس والقمر

من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه ويصبغها) أي يلونها ألواناً مختلفة (**بتقدير الفاطر الحكيم)** جل جلاله فالشمس طباخ والقمر صباغ، (**ولذلك لو كانت الأشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة)** لا ينتفع بها، (**حتى أن الشجرة الصغيرة تفسد إذا أظلتها شجرة كبيرة)** حتى أن بعض أغصانها البارزة إلى السماء أحسن وأنور من التي تحت الظلال (**وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف له رأسك بالليل)** عند نومك، (**فتغلب على رأسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام)** وهو عندهم عبارة عن تحلب فضول رطبة من بطني الدماغ المقدمين إلى المنخرين (**فكما يرطب رأسك يرطب الفاكهة أيضاً ولا نطول فيما لا مطمع في استقصائه، بل نقول كل كوكب في السماء فقد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوّة البشر بإحصائها، ولم لم يكن كذلك لكان خلقها عبثاً وباطلاً ولم يصح قوله تعالى: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾و)** كذا (**قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ وكما أنه ليس في أعضاء بدنك عضو إلا لفائدة)** خاصة، (**فليس في أعضاء بدن العالم عضو إلا لفائدة)** وحكمة (**والعالم كله)** إذا تصورته (**كشخص واحد وآحاد أجسامه كالأعضاء له وهي متعاونة تعاون أعضاء بدنك في جملة بدنك، وشرح ذلك يطول ولا ينبغي أن تظن أن الإيمان بأن النجوم والشمس والقمر مسخرات بأمر الله)**

مسخرات بأمر الله سبحانه في أمور جعلت أسباباً لها بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي من تصديق المنجمين وعن علم النجوم بل المنهي عنه في النجوم أمران:

أحدهما: أن تصدق بأنها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها: وهذا كفر.

والثاني: تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لأنهم يقولون ذلك عن جهل، فإن علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الأنبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق إلا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ، فاعتقاد كون الكواكب أسباباً لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الأرض وفي النبات وفي الحيوان ليس قادحاً في الدين بل هو حق، ولكن دعوى العلم

منقادات به **(في أمور جعلت أسباباً لها بحكم الحكمة)** الإلهية **(مخالف للشرع، كما ورد من النهي عن تصديق المنجمين)**. روى أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت يا رسول الله أموراً كنا نصنعها في الجاهلية، كنا نأتي الكهان. قال: « فلا تأتوا الكهان » الحديث. قال ابن الأثير في النهاية: إن منهم من كان يسمي الطبيب والمنجم كاهناً. قلت: وبهذا يتم الإستدلال بالحديث.

(وعن علم النجوم) روى أحمد وأبو داود وابن ماجه بسند صحيح والبيهقي من حديث ابن عباس: « من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر » زاد ما زاد، وللطبراني من حديث ابن مسعود وثوبان « إذا ذكر النجوم فامسكوا » وإسنادهما ضعيف وقد تقدم قريباً في كتاب العلم، **(بل المنهي عنه في النجوم أمران)**.

(أحدهما: أن تصدق بأنها فاعلة لآثارها مستقلة بها وأنها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر) والعياذ بالله منه.

(والثاني: تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لأنهم يقولون ذلك عن جهل، فإن علم أحكام النجوم كانت معجزة لبعض الأنبياء) قيل: هو إدريس، وقيل هو دانيال **(عليهم السلام، ثم اندرس ذلك العلم)** وانمحى بانقطاع نبوته، وقد ورد مثل ذلك في الخط. روى أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال: قلت يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام إلى أن قال ومنا رجال يخطون فقال: « كان نبي من أنبياء **يخط فمن وافق خطه فذاك** ». **(فلم يبق إلا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ، فاعتقاد كون الكواكب أسباباً لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الأرض وفي النبات والحيوان ليس بقادح في الدين بل**

بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين، ولذلك إذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك: أخرج الثوب وابسطه فإن الشمس قد طلعت وحمي النهار والهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الإنكار عليه بحوالته حمى الهواء على طلوع الشمس، وإذا سألت عن تغيير وجه الإنسان فقال: قرعتني الشمس في الطريق فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه بذلك، وقس بهذا سائر الآثار، إلا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول. فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه، والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس، وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر، فإذاً الكواكب ما خلقت عبثاً، بل فيها حكم كثيرة لا تحصى، ولهذا نظر رسول الله ﷺ إلى السماء وقرأ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١] ثم قال ﷺ: «ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته» ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل، ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضاً، فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو

هو الحق) عند أهل الحق، **(ولكن دعوى العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين)** إذ قد سد بابه بموت ذلك النبي الذي كان ذلك علماً على نبوته، **(وكذلك إذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك أخرج الثوب وابسطه فإن الشمس قد طلعت وحمي النهار والهواء، لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الإنكار عليه بحوالته حمو الهواء على طلوع الشمس، وإذا سألت عن تغير وجه الإنسان)** أي عن انقلاب لونه **(فقال قرعتني الشمس)** أي ضربتني بحرّها وأنا سالك **(في الطريق)** فأثرت **(فاسود وجهي)** وفيه يقول الشاعر:

جاء الحبيب الذي أهوى من السفر والشمس قد أثرت في وجهه أثراً

(لم يلزمك تكذيبه. وقس بهذا سائر الآثار إلا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول، فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه ولا القول بحدس وتخمين، والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء والحرارة بطلوع الشمس، وبعضه) معلوم **(لبعض الناس كحصول الزكام بشروق القمر)** عند تعرية الرأس، **(فإن الكواكب ما خلقت عبثاً بل فيها حكم كثيرة لا تحصى، ولهذا نظر رسول الله ﷺ إلى السماء وقرأ قوله تعالى: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾ الآية ثم قال: «ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته»)** محركة وهو ما أسبل من اللحية، **(ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل)** فيها **(ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضاً، فمن قنع بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته)** قال العراقي: رواه الثعلبي من حديث ابن عباس بلفظ: «ولم يتفكر فيها» وفيه أبو خباب يحيى بن أبي حية ضعيف اهـ.

الذي مسح بها سبلته ، فلله تعالى في ملكوت السموات ، والآفاق والأنفس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى ؛ فإن من أحب عالماً فلا يزال مشغولاً بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حباً له ، فكذلك الأمر في عجائب صنع الله تعالى ، فإن العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده ، فإن تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف ، بل من الذي سخّر المصنف لتصنيفه بما أنعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه ، كما إذا رأيت لعب المشعوذ ترقص وتتحرك حركات موزونة متناسبة فلا تعجب من اللعب فإنها خرق محرّكة لا متحرّكة ، ولكن تعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط دقيقة خفية عن الأبصار ، فـإذاً المقصـود أن غـذاء النبـات لا يتم إلا بـالماء والهواء والشمس والقمـر والكواكب ، ولا يتم ذلك إلا بالأفلاك التي هي مركوزة فيـها ، ولا تتم الأفلاك إلا

قلت : ورواه عبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، وابن أبي الدنيا في التفكر ، وابن حبان في صحيحه ، وابن عساكر من رواية عطاء قال : قلت لعائشة أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ الحديث بطوله ، وقد تقدم ذكره قريباً في بيان فضيلة الشكر وفي آخره : « ولم لا أفعل وقد أنزل الله علي هذه الليلة : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾ الآية ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها » . وقد أشار العراقي هناك أنه أخرجه أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله ﷺ ، ومن طريقه ابن الجوزي وروى الديلمي من حديث عائشة « ويل لمن قرأ هذه الآية ثم لم يتفكر فيها » يعني : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾ الآية . وروى ابن أبي الدنيا في التفكر عن سفيان رفعه : « من قرأ آخر سورة آل عمران فلم يتفكر فيها ويله فعد بأصابعه عشراً » قيل للأوزاعي : ما غاية التفكّر فيهن ؟ قال : يقرأهـن وهـو يعقلهـن ، (**فلله تعالى في ملكوت السماء والآفاق والانفس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبوب لله تعالى ، فإن من أحب عالماً فلا يزال مشغولاً بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه**) وغرائبه (**حباً له ، فكذلك الأمر في عجائب صنع الله تعالى فإن العالم كله في تصنيفه**) وتركيبه على أبدع نظام (**بل تصنيف المصنفين**) من عباده (**من تصنيفه الذي صنفه بواسطة قلوب عباده**) فإنه الذي ألهم ذلك وأرشده إليه ، (**فإن تعجبت من تصنيف فلا تتعجب من المصنف ، بل من الذي سخر المصنف لتأليفه بما أنعم عليه من هدايته وتسديده**) وتوفيقه (**وتعريفه**) إياه ، ولولا ذلك لما تم له التصنيف . (**كما إذا رأيت لعب**) بضم ففتح جمع لعبة (**المشعوذ**) وهي التي تعمل من خرق على هيئة بني آدم (**ترقص وتتحرك**) وتقوم وتقعد (**حركات موزونة متناسبة فلا تعجب من اللعب فإنها خرق محركة**) يحركها غيرها (**لا متحركة**) بأنفسها ، (**ولكن تعجب من حذق المشعوذ المحرك لها بروابط**) شعرية (**دقيقة خفية عن الأبصار ، فإذا المقصود أن غذاء النبات لا يتم إلا بالماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ، ولا يتم ذلك**

بحركاتها، ولا تتم حركاتها إلا بملائكة سماوية يحركونها، وكذلك يتمادى ذلك إلى أسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيهاً بما ذكرناه على ما أهملناه، ولنقتصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات.

الطرف الخامس: في نعم الله تعالى في الأسباب الموصلة للأطعمة إليك:

اعلم أن هذه الأطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لأجلها توجد في بعض الأماكن دون بعض، والناس منتشرون على وجه الأرض وقد تبعد عنهم الأطعمة ويحول بينهم بينها البحار والبراري، فانظر كيف سخر الله تعالى التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشهوة الربح مع أنهم لا يغنيهم في غالب الأمر شيء؛ بل يجمعون فإما أن تغرق بها السفن أو تنهبها قطاع الطريق أو يموتوا في بعض البلاد فيأخذها السلاطين، وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم وهم أشدّ أعدائهم لو عرفوا؛ فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح ويركبوا الأخطار ويغرّروا بالأرواح في ركوب البحر فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من

إلا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا تتم الأفلاك إلا بحركاتها ولا تتم حركاتها إلا بملائكة سماوية يحركونها) بأمر الله سبحانه، **(وكذلك يتمادى ذلك إلى أسباب)** أخر **(بعيدة)** يتوقف عليها **(تركنا ذكرها تنبيهاً بما ذكرناه على ما أهملناه)** أي تركناه، **(ولنقتصر على هذا)** القدر **(من ذكر أسباب غذاء النبات)** وبالله التوفيق.

الطرف الخامس: في بيان نعم الله تعالى في الأسباب الموصلة للأطعمة إليك:

(اعلم) أرشدك الله تعالى **(أن هذه الأطعمة كلها لا توجد في كل مكان، بل لها شروط مخصوصة لأجلها توجد في بعض الأماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الأرض)** شرقها وغربها وشمالها وجنوبها، **(وقد تبعد عنهم الأطعمة)** ولا يمكنهم تحصيلها **(وتحول بينهم وبينها البحار والبراري، فانظر كيف سخر الله التجار وسلط عليهم حرص حب المال وشره الربح، مع أنهم لا يغنيهم في غالب الأمر شيئاً بل يجمعون فأما أن تغرق بها)** أي بتلك الأطعمة **(السفن)** إن كانوا في البحر **(أو تنهبها قطاع الطريق)** إن كانوا في البر **(أو يموتون في بعض البلاد فيأخذها السلاطين)** ظلماً وعدواناً **(وأحسن أحوالهم أن يأخذها ورثتهم وهم أشد أعدائهم لو عرفوا)** فإنهم يتمنون موتهم لأجل المال، **(فانظر كيف سلط الله الجهل والغفلة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح ويركبوا الأخطار)** أي الأمور الصعبة **(ويغرر بالأرواح في ركوب البحر فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من أقصى**

أقصى الشرق والغرب إليك! وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها! وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري، وانظر إلى الإبل كيف خلقت، وإلى الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة، وإلى الحمار كيف جعل صبوراً على التعب وإلى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الأعباء الثقيلة على الجوع والعطش، وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا إليك الأطعمة وسائر الحوائج! وتأمل ما يحتاج إليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وما تحتاج إليه السفن فقد خلق الله تعالى جميع ذلك إلى حدّ الحاجة وفوق الحاجة واحصاء ذلك غير ممكن، ويتمادى ذلك إلى أمور خارجة عن الحصر نرى تركها طلباً للإيجاز.

الطرف السادس: في إصلاح الأطعمة:

اعلم أنّ الذي ينبت في الأرض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن أن يقضم ويؤكل، وهو كذلك بل لا بدّ في كل واحد من إصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بإلقاء

الشرق والغرب إليك، فانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن) وهي علم مستقل **(وكيفية الركوب فيها)** وتمشيتها فوق الماء بالمجاديف، **(وانظر كيف خلق الحيوانات)** بأنواعها **(وسخرها للركوب والحمل في البراري)** كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشاً﴾ [الأنعام: ١٤٢] وقوله تعالى: ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾ [النحل: ٧] **(فانظر إلى الإبل كيف خلقت، وإلى الفرس كيف أمدت بسرعة الحركة)** في الركض، **(وإلى الحمار كيف جعل صبوراً على التعب، وإلى الجمال كيف تقطع البراري وتطوي المراحل تحت الأعباء)** أي الأحمال **(الثقيلة على الجوع والعطش، وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا إليك الأطعمة وسائر الحوائج)** ولولا ذلك وكلفت أنت ذلك لتعبت تعباً شديداً **(وتحمل ما تحتاج إليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وما تحتاج إليه السفن، فقد خلق الله جميع ذلك إلى حد الحاجة وفوق الحاجة وإحصاء ذلك غير ممكن ويتمادى ذلك إلى أمور خارجة عن الحصر نرى تركها)** الآن **(طلباً للإيجاز)** وبالله التوفيق.

الطرف السادس: في بيان إصلاح الأطعمة:

(اعلم) ارشدك الله تعالى **(أن الذي ينبت في الأرض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن أن يقضم ويؤكل وهو كذلك، بل لا بد في كل واحد من إصلاح وطبخ وتركيب**

البعض وابقاء البعض إلى أمور أخر لا تحصى، واستقصاء ذلك في كل طعام يطول، فلنعين رغيفاً واحداً، ولننظر إلى ما يحتاج إليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل من بعد إلقاء البذر في الأرض فأول ما يحتاج إليه الحراث ليزرع ويصلح الأرض ثم الثور الذي يثير الأرض والفدان وجميع أسبابه، ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدّة، ثم تنقية الأرض من الحشيش، ثم الحصاد، ثم الفرك والتنقية، ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز، فتأمل عدد هذه الأفعال التي ذكرناها وما لم نذكره، وعدد الأشخاص القائمين بها، وعدد الآلات التي يحتاج إليها من الحديد والخشب والحجر وغيره! وانظر إلى أعمال الصنّاع في إصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار، وحدّاد وغيرهما! وانظر إلى حاجة الحدّاد إلى الحديد والرصاص والنحاس! وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار والمعادن! وكيف جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة! فإن فتشت علمت أنّ رغيفاً واحداً لا يستدير بحيث يصلح لأكلك يا مسكين ما لم يعمل عليه أكثر من ألف صانع، فابتدىء من الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء إلى آخر الأعمال من جهة الملائكة حتى تنتهي النوبة إلى عمل الإنسان فإذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف

وتنظيف بالقاء البعض وإبقاء البعض إلى أمور أخر لا تحصى، واستقصاء ذلك في كل طعام يطول فلنعين رغيفاً واحداً ولننظر إلى ما يحتاج إليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل من بعد إلقاء البذر في الأرض، فأول ما يحتاج إليه الحراث ليزرع ويصلح الأرض ثم الثور الذي به يثير الأرض والفدان) وهو الخشب الذي يوضع على عنقي الثورين **(وجميع أسبابه)** وآلاته، **(ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة)** معلومة **(ثم تنقيه الأرض من الحشيش)** الذي ينبت في أصول الزرع، فإن تركه مما يضعف قوة الزرع وقوة الأرض **(ثم الحصاد)** بالمناجل، **(ثم الفرك)** حتى تخلص الحبة من قشرها **(والتنقية)** مما يجاوره، **(ثم الطحن)** بين الحجرين، **(ثم العجن)** بالماء، **(ثم الخبز)** في التنور. **(فتأمل عدد هذه الأفعال التي ذكرناها وما لم نذكره، وعدد الأشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج إليها من الحديد والخشب والحجر وغيره، وانظر إلى أعمال الصناع في إصلاح آلات الحراثة والطحن والخبز من نجار وحداد وغيره، وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد والرصاص والنحاس)** منفرداً ومجموعاً، **(وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار والمعادن)** التي يستخرج منها كل ما ذكر **(وكيف جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة، فإن فتشت علمت أن رغيفاً واحداً لا يستدير بحيث)** يحصر بين يديك و **(يصلح لأكلك يا مسكين ما لم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فابتدىء من الملك الذي يزجي)** أي يسوق **(السحاب لينزل الماء)** على الأرض التي أمر بها **(إلى آخر الأعمال من جهة الملائكة حتى**

صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق، ثم تأمل كثرة أعمال الانسان في تلك الآلات، حتى أن الإبرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للإبرة إلا بعد أن تمر على يد الإبري خمساً وعشرين مرة ويتعاطى في كل مرة منها عملاً، فلو لم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر العباد وافتقرت إلى عمل المنجل الذي تحصد به البر مثلاً بعد نباته لنفد عمرك وعجزت عنه أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة لأن يعمل هذه الأعمال العجيبة والصنائع الغريبة! فانظر إلى المقراض مثلاً وهما جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فيتناولان الشيء معاً ويقطعانه بسرعة، ولو لم

تنتهي النوبة إلى عمل الإنسان، فإذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع التي بها تتم مصلحة الخلق) ويكمل نظامهم، وقد تقدم أن أصول الصناعات التي لا قوام للعالم دونها أربعة: الزراعة والحياكة والبناية والسياسة، ومنها ما هي مرشحة لكل واحد وخادمة له كالحدادة للزراعة والقصارة والخياطة للحياكة، ويدخل تحت كل قسم من ذلك أنواع لا تحصى. وفي القوت يقال: إن الرغيف لا يستدير حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صنعة من السماء والأرض وما بينهما من الأجسام والأعراض والأفلاك والرياح والليل والنهار وبني آدم وصنائعهم والبهائم ومعادن الأرض، أولها ميكائيل الذي يكيل الماء من الخزائن فيفرقه على السحاب، ثم السحاب التي تحمله وترسله، ثم الرياح التي تحمل السحاب والرعد والبرق، والملكان اللذان يسوقان السحاب وآخرها الخباز فإذا استدار رغيف طلبه سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع، فهذه كلها نعم في حضور رغيف فكيف بما زاد عليه مما وراءه، **(حتى أن الإبرة التي هي آلة صغيرة فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك)** في الوقت الشاتي **(لا تكمل صورتها من حديدة تصلح للإبرة إلا بعد أن تمر على يد الإبري)** بكسر الهمزة ففتح منسوب إلى الأبر جمع الابرة **(خمساً وعشرين مرة، ويتعاطى في كل مرة منها عملاً)** مستقلاً **(فلو لم يجمع الله تعالى البلاد)** وفي نسخة العباد **(ولم يسخر العباد وافتقرت إلى عمل المنجل)** بكسر الميم **(الذي تحصد به البر مثلاً بعد نباته)** وتهيئته لأن يحصد **(لنفد عمرك)** أي فني وذهب **(وعجزت عنه. أفلا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نطفة قذرة)** أي متغيرة **(لأن يعمل هذه الأعمال العجيبة والصنائع الغريبة)**، وهذا يدل على أن أصول الصناعات والمكاسب مأخوذة من وحي إما بسماع من الملأ الأعلى وهذا هو الحق أو بإلهام من الله تعالى في قلبه، **(فانظر إلى المقراض مثلاً وهو جلمان متطابقان ينطبق أحدهما على الآخر فيتناولان الشيء معاً ويقطعانه بسرعة)**، وأصل الجلم القطع ومنه الجلم محركة المقراض ويقال له أيضاً الجلمان بالتثنية كما يقال فيه المقراض والمقراضان والقلم والقلمان، ويجوز أن يجعل الجلمان والقلمان إسماً واحداً على فعلان كالشرطان والدبران، وتجعل النون حرف إعراب، ويجوزان يبقيا

يكشف الله تعالى طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا إلى استنباط الطريق فيه بفكرنا ، ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا عمر نوح وأوتي أكمل العقول لقصر عمره عن استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وحدها فضلاً عن غيرها ، فسبحان من ألحق ذوي الأبصار بالعميان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان ، فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلاً أو عن الحدّاد ، أو عن الحجام الذي هو أخس الأعمال ، أو عن الحائك ، أو عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الأذى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ولنوجز القول في هذه الطبقة أيضاً ، فإن الغرض التنبيه على النعم دون الاستقصاء .

الطرف السابع : في إصلاح المصلحين :

اعلم أن هؤلاء الصناع المصلحين للأطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبدّدوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض بل كانوا كالوحش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد فانظر كيف ألف الله تعالى بين قلوبهم

على بابها في إعراب المثنى ، **(ولو لم يكشف الله تعالى طريق اتخاذه بفضله وكرمه لمن قبلنا)** من أهل الحكمة **(وافتقرنا إلى استنباط الطريق فيه بفكرنا ، ثم إلى استخراج الحديد من الحجر)** بالإذابة **(وإلى تحصيل الآلات التي بها يعمل المقراض وعمر الواحد منا)** دهر طويلاً مثل **(عمر نوح)** عليه السلام **(وأوتي أكمل العقول لقصر عمره من استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وحدها فضلاً عن غيرها)** ويقال : إن الحكيم الذي استنبط طريق عمل المقراض لما أتم عمله مات فرحاً ، **(فسبحان من ألحق ذوي الأبصار بالعميان ، وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان ، فانظر الآن . لو خلا بلدك عن الطحان مثلاً أو عن الحداد أو عن الحجام الذي هو أخس الأعمال أو عن الحائك أو عن واحد من جملة الصناع ما يصيبك من الأذى)** والتعب ، **(وكيف تضطرب عليك أمورك كلها)** ولا ينتظم حالك ، **(فسبحان من سخر بعض العباد لبعض حتى نفذت به مشيئته وتمت به حكمته ، ولنوجز القول في هذه الطبقة أيضاً ، فإن الغرض التنبيه على النعم دون الإستقصاء)** وبالله التوفيق .

الطرف السابع : في بيان إصلاح المصلحين :

(اعلم) هداك الله تعالى **(أن هؤلاء الصناع المصلحين للأطعمة)** خصوصاً **(وغيرها)** عموماً **(لو تفرقت آراؤهم وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم بعض ، بل كانوا كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض**

وسلط الأنس والمحبة عليهم و ﴿لَو أَنْفَقْتَ ما في الأرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] فلاجل الإلف وتعارف الأرواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة مجاورة ورتبوا الأسواق والخانات وسائر الأصناف البقاع مما يطول إحصاؤه، ثم هذه المحبة تزول بأغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها، ففي جبلة الإنسان الغيظ والحسد والمنافسة، وذلك مما يؤدي إلى التقاتل والتنافر، فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين وأمدّهم بالقوة والعدّة والأسباب وألقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعاً وكرهاً، وكيف هدى السلاطين إلى طريق إصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد تتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض، فرتبوا الرؤساء والقضاة والشحن وزعماء الأسواق، واضطروا الخلق إلى قانون العدل وألزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحدّاد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحدّاد، وصار الحجام ينتفع بالحرّاث، والحرّاث بالحجام، وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم

واحد، **فانظر كيف ألف الله تعالى بين قلوبهم**) مع اختلاف أشكالهم وأجناسهم (**وسلط الإنس والمحبة عليهم: ﴿ولو أنفقت ما في الأرض**) من الأموال (**جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم﴾ فلأجل**) هذا (**الإلف وتعارف الأرواح اجتمعوا وائتلفوا**) وتعاونوا (**وبنوا المدن والبلاد**) والقرى (**ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة**) بعضها بقرب بعض، (**ورتبوا الأسواق**) لمعاملاتهم (**والخانات**) لسكنى من يرد عليهم، (**وسائر أصناف البقاع**) كالحمامات وغيرها (**مما يطول إحصاؤها، ثم هذه المحبة**) قد (**تزول بأغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها، ففي جبلة الإنسان الغيظ والحسد**) والأنفة (**والمنافسة، وذلك مما يؤدي إلى التقاتل والتنافر، فانظر كيف سلط الله تعالى السلاطين**) والملوك والأمراء (**وأمدهم بالقوة**) الظاهرة والعدة من السلاح وغيره (**والأسباب**) والآلات (**وألقى رعبهم في قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعاً وكرهاً**) ولم يخالفوهم فيما يأمرونهم، (و) انظر (**كيف هدى السلاطين إلى طريق إصلاح البلاد حتى رتبوا أجزاء البلد-كأنها شخص واحد يتعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها بالبعض، فرتبوا الرؤساء**) وهم الأمراء (**والقضاة والشحن**) جمع شحنة بالكسر وهو الحاكم على البلد (**وزعماء الأسواق**) والمحلات وهم رؤساؤها (**واضطروا الخلق**) أي ألجأوهم (**إلى قانون العدل وألزموهم التساعد والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالقصاب والخباز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد، وصار الحجام ينتفع بالحراث والحراث بالحجام، وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه، كما يتعاون جميع**

واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه، كما يتعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض. وانظر كيف بعث الأنبياء عليهم السلام حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من أحكام الإمامة والسلطنة وأحكام الفقه ما اهتدوا به إلى إصلاح الدنيا فضلاً عما أرشدوهم إليه من إصلاح الدين، وانظر كيف أصلح الله تعالى الأنبياء بالملائكة وكيف أصلح الملائكة بعضهم ببعض إلى أن ينتهي إلى الملك المقرّب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالخباز يخبز العجين والطحان يصلح الحب بالطحن والحرّاث يصلحه بالحصاد، والحداد يصلح آلات الحراثة والنجار يصلح آلات الحدّاد وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الأطعمة والسلطان يصلح الصناع، والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم، والعلماء يصلحون السلاطين، والملائكة يصلحون الأنبياء إلى أن ينتهي إلى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف، وكل ذلك نعم من رب الأرباب ومسبب الأسباب، ولولا فضله

أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض. وانظر كيف بعث الأنبياء) والرسل عليهم السلام **(حتى أصلحوا السلاطين المصلحين للرعايا وعرفوهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم)** وترتيبهم، **(وكشفوا من أحكام الإمامة والسلطنة وأحكام الفقه ما اهتدوا به إلى صلاح الدنيا فضلاً عما أرشدهم إليه من إصلاح الدين، وانظر كيف أصلح الله الأنبياء بالملائكة)** عليهم السلام **(وكيف أصلح الملائكة بعضهم ببعض إلى أن ينتهي إلى الملك المقرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى)** وهو إسرافيل عليه السلام. **(فالخباز يخبز العجين، والطحان يصلح الحب بالطحن، والحراث بالحصاد، والحداد يصلح آلات الحراثة، والنجار يصلح آلات الحداد، وكذا جميع أرباب الصناعات المصلحين لآلات الأطعمة والسلطان يصلح الصناع)** بعدله فيهم **(والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم)** لما ورد العلماء ورثة الأنبياء **(والعلماء يصلحون السلاطين)** كما قال القائل:

إن الملوك ليحكمون على الورى ... وعلى الملوك لتحكم العلماء

ومجمل القول فيه أن السياسة أربعة أضرب: الأول: سياسة الأنبياء وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم، والثاني: سياسة الولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون باطنهم، والثالث: الحكماء وحكمهم على باطن الخواص، والرابع: الفقهاء والوعاظ وحكمهم على بواطن العامة، **(والملائكة يصلحون الأنبياء)** عليهم السلام وهكذا الأمر **(إلى أن ينتهي إلى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف، وكل ذلك نعم من رب الأرباب ومسبب الأسباب)** جلّ شأنه، **(ولولا فضله وكرمه إذ قال**

وكرمه إذ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] لما اهتدينا إلى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعم الله تعالى، ولولا عزله إيانا عن أن نطمح بعين الطمع إلى الإحاطة بكنه نعمه لتشوّفنا إلى طلب الإحاطة والاستقصاء، ولكنه تعالى عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] فإن تكلمنا فبإذنه انبسطنا، وإن سكتنا فبقهره انقبضنا، إذ لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى، لأنا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار وأسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الأعمار.

الطرف الثامن: في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام:

ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة الله في خلق الملائكة بإصلاح الأنبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحي إليهم، ولا تظننّ أنهم مقتصرون في أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات، الملائكة الأرضية والسماوية وحملة العرش، فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع إلى الأكل

تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا**) أي لأجلنا (**لنهديهم سبلنا**﴾ **لما اهتدينا إلى معرفة هذه النبذة اليسيرة من نعمة الله تعالى، ولولا عزله إيانا عن أن نطمح بعين الطمع إلى الاحاطة بكنه نعمه لتشوّفنا إلى طلب الإحاطة والاستقصاء**) وطلب الغايات، (**ولكنه تعالى عزلنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ فإن تكلمنا فبإذنه انبسطنا، وإن سكتنا فبقهره انقبضنا إذ لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى لأنا في كل لحظة من لحظات العمر نسمع بسمع القلوب نداء الملك الجبار: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾**) وهو إشارة إلى مقام العارفين الذين ترقوا من حضيض المجاز إلى ارتفاع الحقيقة واستكملوا معراجهم، فرأوا بالمشاهدة العيانية أن ليس في الوجود إلا الله وإن كل شيء هالك إلا وجهه، ولم يفتقر هؤلاء إلى قيام القيامة ليسمعوا النداء المذكور بل هؤلاء لا يفارق سمعهم أبداً، (**فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار وأسمعنا هذا النداء قبل انقضاء الأعمار**) وبالله التوفيق.

الطرف الثامن: في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام:

اعلم أنه (**ليس يخفي عليك ما سبق من نعمة الله في خلق الملائكة بإصلاح الأنبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحي إليهم**) بالأمانة، (**ولا تظنن أنهم مقتصرون في أفعالهم على ذلك القدر**) يقال: اقصر واقتصر بمعنى واحد (**بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات: الملائكة الأرضية والسماوية وحملة العرش**). قال المصنف في مشكاة الأنوار: قد انكشف لأرباب البصائر أن الأنوار الملكوتية

والغذاء الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والإرشاد وغيرهما. واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يغتذي إلا بأن يوكل به سبعة من الملائكة هو أقله إلى عشرة إلى مائة إلى ما وراء ذلك وبيانه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء قد تلف، وذلك الغذاء يصير دماً في آخر الأمر، ثم يصير لحماً وعظماً، وإذا صار لحماً وعظماً تم اغتذاؤك، والدم واللحم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار، فهي لا تتحرك بأنفسها ولا تتغير بأنفسها، ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في أطوارها كما أن البر بنفسه لا يصير طحيناً ثم عجيناً ثم خبزاً مستديراً مخبوزاً إلا بصنّاع، فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحماً وعظماً وعروقاً وعصباً إلا بصنّاع والصنّاع في الباطن هم الملائكة كما أن الصنّاع في الظاهر هم أهل البلد، وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تغفل عن نعمه الباطنة، فأقول: لا بدّ من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم، فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه، ولا بدّ من ملك آخر يمسك الغذاء في

وجدت على ترتيب بعضها أعلى من بعض، وأن المقرب هو الأقرب إلى النور الأقصى، فلا يبعد أن تكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبريل عليهما السلام وأن فيهم الأقــرب بقرب درجته من حضرة الربوبية التي هي منبع الأنوار كلها، وأن فيهم الأدنى وبينهما درجات تستعصي على الاحصاء وإنما المعلوم كثرتهم وترتيبهم في مقاماتهم في صفوفهم. (**فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع إلى الأكل والغذاء الذي ذكرناه دون ما يجاوز ذلك من الهداية والإرشاد وغيرهما. واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يغتذي إلا بأن يوكل به سبعة من الملائكة هو أقله إلى عشرة إلى مائة إلى وراء ذلك**) مما لا نهاية له. (**وبيانه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء قد تلف**) وهلك، (**وذلك الغذاء يصير دماً**) صالحاً (**في آخر الأمر**) وذلك بعد الهضوم الأربعة على الترتيب الذي ذكرناه آنفاً، (**ثم يصير**) ذلك الدم الحاصل من الغذاء (**لحماً وعظماً تم اغتذاؤك واللحم والدم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير بأنفسها، ومجرد الطبع لا يكفي في ترددها في أطوارها**) السبعة، (**كما أن البر بنفسه لا يصير دقيقاً ثم** عجينــاً ثم خبزاً مستديراً مخبوزاً إلا بصناع، **فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحماً وعظماً وعرقاً وعصباً ومخاً إلا بصناع، والصناع في الباطن هم الملائكة، كما أن الصناع في الظاهر هم أهل البلد، وقد أسبغ الله عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تغفل عن نعمة الباطنة**) وقد اختلف في تفسير النعم الظاهرة والباطنة على أقوال. وأشار إليها التاج السبكي في مفيد النعم، وألف فيها الجلال السيوطي رسالة ذكر فيها ما أورده السبكي وزاد. (**فأقول: لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم، فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه بل لا بدّ من ملك آخر**

جواره، ولا بدّ من ثالث يخلع عنه صورة الدم، ولا بدّ من رابع يكسوه صورة اللحم والعروق أو العظم، ولا بدّ من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء، ولا بدّ من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلاً، ولا بدّ من سابع يرعى المقادير في الإلصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يزيل عرضه وبالمجوّف ما لا يبطل تجويفه، ويحفظ على كل واحد قدر حاجته، فإنه لو جمع مثلاً من الغذاء على أنف الصبي ما يجمع على فخذه لكبر أنفه وبطل تجويفه وتشوّهت صورته وخلقته، بل ينبغي أن يسوق إلى الأجفان مع رقتها وإلى الحدقة مع صفائها وإلى الأفخاذ مع غلظها وإلى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل وإلا بطلت الصورة وربا بعض المواضع وضعف بعض المواضع، بل لو لم يراع هذا الملك العدل في القسمة والتقسيط فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به إلا إحدى الرجلين مثلاً لبقيت تلك الرجل كما كانت في حدّ الصغر وكبر جميع البدن، فكنت ترى شخصاً في ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فمراعاة هذه الهندسة في هذه القسمة مفوّضة إلى ملك من الملائكة، ولا تظننّ أن الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فإن محيل

يمسك الغذاء في جواره، ولا بدّ من ثالث يخلع عنه صورة الدم، ولا بدّ من رابع يكسوه صورة اللحم والعرق والعظم) والعصب، **(ولا بدّ من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء)** إلى مخارج البراز، **(ولا بدّ من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلاً، ولا بدّ من سابع يرعى المقادير في الإلصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته وبالعريض ما لا يزيل عرضه وبالمجوّف ما لا يطيل تجويفه، ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فإنه لو جمع مثلاً من الغذاء على أنف الصبي ما يجمع على فخذه لكبر أنفه وبطل تجويفه)** اللائق به **(وتشوّهت)** لذلك **(صورته)** الظاهرة فإن الجمال في الأنف، **(بل ينبغي أن يسوق إلى الأجفان مع رقتها، وإلى الحدقة مع صفائها، وإلى الفخذ مع غلظها، وإلى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل وإلا لبطلت الصورة)** المعهودة **(وربا)** أي كبر وعظم **(بعض المواضع وضعف بعض المواضع، بل لو لم يراع هذا الملك)** الموكل **(العدل في القسمة والتقسيط)** بأن يعطي كل جزء قسطه الحقيق به **(فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به إلا إحدى الرجلين مثلاً لبقيت تلك الرجل كما كانت في حدّ الصغر وكبر جميع البدن، فكنت ترى شخصاً في ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع به البتة فمراعاة هذه الهندسة في بيان القسمة مفوّضة إلى ملك من الملائكة ولا تظنن أن الدم**

هذه الأمور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول، فهذه هي الملائكة الأرضية وقد شغلوا بك وأنت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد، وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من أجزائك الذي لا يتجزأ حتى يفتقر بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك، تركنا تفصيل ذلك للإيجاز، والملائكة الأرضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه إلا الله تعالى ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش والمنعم على جلتهم بالتأييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام، والأخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والأرض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجرّ من جانب إلى جانب أكثر من أن تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به.

بطبعه يهندس شكل نفسه) كما ذهب إليه الطبائعيون، (**فإن محيل هذه الأمور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول**) فالقول به باطل كالقول بالتولد، (**فهذه هي الملائكة الأرضية وقد شغلوا بك وأنت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد، وهم يعملون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من أجزائك التي لا تتجزأ يفتقر بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك للإيجاز، والملائكة الأرضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه إلا الله تعالى ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش**) فإنهم المقربون لقربهم من النور الأقصى وهم على ترتيب كذلك، (**والمنعم على جلتهم بالتأييد والهداية والتسديد**) الملك (**المهيمن القدوس المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والاكرام**) جلّ شأنه، (**والاخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسموات والأرض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحاب ينجر من جانب إلى جانب أكثر من أن تحصى، فلذلك ترك الاستشهاد به**) قال العراقي: ففي الصحيحين من حديث أبي ذر قصة الإسراء قال جبريل لخازن السماء الدنيا: افتح، وفيه حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح الحديث ولهما من حديث أبي هريرة «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق». وللنسائي من حديث ابن مسعود «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام» وفي الصحيحين من حديث عائشة في قصة عرضه على ابن عبد ياليل فناداني ملك الجبال إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين الحديث. ولهما من حديث أنس «إن الله وكل بالرحمة ملكاً» الحديث. وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث بريدة الأسلمي «ما من نبت ينبت إلا ويحفه ملك موكل به حتى يحصد» الحديث. وفيه محمد بن صالح الطبري وأبو الحسن البكراوي واسمه عثمان بن عبد الرحمن وكلاهما ضعيف. وللطبراني من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف: «إن لله ملائكة ينزلون في كل ليلة يحبسون الكلال عن دواب الغزاة إلا دابة

فإن قلت: فهلا فوضت هذه الأفعال إلى ملك واحد ولم أفتقر إلى سبعة أملاك، والحنطة أيضاً تحتاج إلى من يطحن أوّلاً ثم إلى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانياً، ثم إلى من يصب الماء عليه ثالثاً، ثم إلى من يعجن رابعاً، ثم إلى من يقطعه كرات مدوّرة خامساً، ثم إلى من يرقها رغفاناً عريضة سادساً، ثم إلى من يلصقها بالتنوَر سابعاً ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به فهلا كانت أعمال الملائكة باطناً كأعمال الإنس ظاهراً؟ فاعلم أن خلقة الملائكة تخالف خلقة الإنس، وما من واحد منهم إلا وهو وحداني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة، فلا يكون لكل واحد منهم إلا فعل واحد وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] فلذلك

في عنقها جرس». وللترمذي وحسنه من حديث ابن عباس قالت اليهود: يا أبا القاسم خبرنا عن الرعد. قال: ملك موكل بالسحاب، ولمسلم من حديث أبي هريرة «بينا رجل بفلاة من الأرض سمع من سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة» الحديث انتهى.

قلت: حديث ابن مسعود رواه كذلك عبد الرزاق وأحمد وابن حبان والطبراني، وأبو الشيخ في العظمة، وأبو نعيم في الحلية، والحاكم، والبيهقي. وحديث بريدة الأسلمي تمامه «فأيما امرىء وطيء ذلك النبت يلعنه ذلك الملك».؛ وحديث ابن عباس في الرعد لفظه عند الترمذي «الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله والصوت الذي تستمعون زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمره». وحديث أبي هريرة عند مسلم لفظه عنده، وعند أحمد «بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحوّل الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان للإسم الذي سمع في السحابة. فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ قال: إني سمعت صوتاً في السحابة التي هذا ماؤها يقول: اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها؟ قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالي ثلثاً وأرد فيها ثلثاً.

(**فإن قلت: فهلا فوّضت هذه الأفعال**) كلها (**إلى ملك واحد ولم افتقر إلى سبعة أملاك والحنطة أيضاً تحتاج إلى من يطحن أوّلاً، ثم إلى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانياً، ثم إلى من يصب الماء عليه**) ثالثاً، (**ثم إلى من يعجن رابعاً، ثم إلى من يقطعه كراة مدوّرة خامساً، ثم إلى من يرققها رغفاناً عريضة سادساً، ثم إلى من يلصقها بالتنور سابعاً ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد ويستقل به، فهلا كانت أعمال الملائكة باطناً كأعمال الانس ظاهراً؟ فاعلم ان خلقة الملائكة تخالف خلقة الانس وما من واحد منهم إلا وهو وحداني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة، فلا يكون لكل واحد منهم إلا فعل واحد وإليه الإشارة بقوله تعالى**) حكاية عنهم إذ وصفوا به أنفسهم إذ قالوا: (﴿**وما منا إلا له**

ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعين مرتبة كل واحد منهم وفعله مثال الحواس الخمس، فإن البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات ولا الشم يزاحمها ولا هما ينازعان الشم، وليس كاليد والرجل فإنك قد تبطش بأصابع الرجل بطشاً ضعيفاً فتزاحم به اليد، وقد تضرب غيرك برأسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالإنسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز، فإن هذا نوع من الإعوجاج والعدول عن العدل سببه اختلاف صفات الإنسان واختلاف دواعيه، فإنه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل ولذلك ترى الإنسان يطيع الله مرة ويعصيه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته، وذلك غير ممكن في طباع الملائكة، بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم، فلا جرم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، والراكع منهم راكع أبداً، والساجد منهم ساجد أبداً والقائم قائم أبداً لا اختلاف في أفعالهم ولا فتور، ولكل واحد مقام معلوم

مقام معلوم﴾) أي فلا نتعداه، (**فلذلك ليس بينها تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعيين مرتبة كل واحد وفعله مثال الحواس الخمس، فإن البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات**) فإنه ليس من إدراكاته (**ولا الشم يزاحمها**) فيما خصا به (**ولا هما ينازعان الشم**) فيما خص به (**وليس كاليد والرجل، فإنك قد تبطش بأصابع الرجل بطشاً ضعيفاً فتزاحم به اليد**) فإن الرجل إنما وضعت ليمشي بها وليس من خواصها البطش وإنما هو لليد، (**وقد تضرب غيرك برأسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب**) كما هو عادة المغاربة (**ولا كالإنسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز، فإن هذا نوع من الإعوجاج والعدول**) أي الصرف (**عن**) طريق (**العدل سببه اختلاف صفات الإنسان واختلاف دواعيه، فإنه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل، ولذلك ترى الإنسان يطيع الله مرة ويعصيه أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته، وذلك غير ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم، فلا جرم**) هم كما وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز (﴿**لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾) [التحريم: ٦] كما قال تعالى: (﴿**يسبحون الليل والنهار لا يفترون**﴾ [الأنبياء: ٢٠] **والراكع منهم راكع أبداً والساجد منهم ساجد أبداً والقائم منهم قائم أبداً لا اختلاف في أفعالهم ولا فتور، ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه**). وقد روى أبو الشيخ في العظمة، والبيهقي والخطيب وابن عساكر من حديث رجل من الصحابة: إن لله ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته ما منهم ملك تقطر من عينه دمعة إلا وقعت ملكاً قائماً يسبح وملائكة سجوداً منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة وصفوفاً لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم فنظروا إليه وقالو: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك.

لا يتعداه، وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك، فإنك مهما جزمت الإرادة بفتح الأجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك أخرى، بل كأنه منتظر لأمرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلاً بإشارتك، فهذا يشبهه من وجه لكن يخالفه من وجه، إذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحاً واطباقاً والملائكة احياء عالمون بما يعملون، فإذاً هذه نعمة الله عليك في الملائكة الأرضية والسماوية وحاجتك إليهما في غرض الأكل فقط دون ما عداها من الحركات والحاجات كلها؛ فإنا لم نطوّل بذكرها؛ فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها، فكيف آحاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات، فإذا قد أسبغ الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة، ثم قال: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، فترك باطن الإثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة واضمار الشر للناس إلى غير ذلك من آثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة،

وروى الديلمي من حديث ابن عمر: إن لله ملائكة في السماء الدنيا خشوعاً منذ خلقت السموات والأرض إلى أن تقوم الساعة يقولون سبحان ذي الملكوت فإذا كان يوم القيامة يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ولله ملائكة في السماء الثانية ركوعاً منذ خلقت السموات والأرض إلى أن تقوم الساعة فإذا كان يوم القيامة يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ولله ملائكة في السماء السادسة سجوداً منذ خلقت السموات والأرض إلى ان تقوم الساعة يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، (**وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك فإنك مهما جزمت الارادة بفتح الأجفان لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك أخرى، بل كان منتظراً لأمرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلاً باشارتك، فهذا يشبه من وجه لكن يخالفه من وجه**) آخر، (**إذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحاً واطباقاً والملائكة أحياء عالمون بما يفعلون**)، ولا يلزم من التشبيه أن يكون المشبه عين المشبه به من سائر الوجوه كما هو المقرر، (**فإذاً هذه نعمة الله عليك في الملائكة الأرضية والسمائية وحاجتك إليهما في غرض الأكل فقط دون ما عداها من الحركات والحاجات كلها، فإنا لم نطوّل بذكرها. فهذه طبقة أخرى من طبقات النعم ومجامع الطبقات لا يمكن احصاؤها فكيف آحاد ما يدخل تحت مجامع الطبقات، فإذاً قد أسبغ الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة ثم قال**) تعالى: (**﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾**) ففيه تنبيه لأولي الألباب الذي وصل لهم القول ليتذكروا أن يذروا ظاهر الإثم شكراً لظاهر النعم، ويذروا باطن الإثم شكراً لباطن النعم، (**فترك باطن الإثم مما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة**) المخالفة (**وإضمار الشر للناس إلى غير ذلك من آثام القلوب**) مما تقدم ذكرها، (**هو الشكر للنعم الباطنة**) مثل معافاة القلوب وسلامة العقود (**وترك الإثم**

وترك الإثم الظاهر بالجوارح شكر للنعمة الظاهرة بل أقول: كل من عصى الله تعالى ولو في تطريفة واحدة بأن فتح جفنه مثلاً حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والأرض وما بينهما، فإن كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والأرض والحيوانات والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وإن انتفع غيره أيضاً به فإن لله تعالى في كل تطريفة بالجفن نعمتين في نفس الجفن، إذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الأعلى وارتفاع الجفن الأسفل وعلى كل جفن شعور سود، ونعمة الله تعالى في سوادها أنها تجمع ضوء العين إذ البياض يفرّق الضوء والسواد يجمعه، ونعمة الله

الظاهر بالجوارح) من معاني حظوظ النفوس (**شكر للنعمة الظاهرة**) مثل عوافي الأجسام ووجود الكفايات من الأموال، (**بل أقول: كل من عصى الله تعالى ولو في تطريفة واحدة بأن فتح جفنه مثلاً حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والأرض وما بينهما، فإن كل ما خلقه الله تعالى حتى الملائكة والسموات والأرض والحيوان والنبات بجملته نعمة على كل واحد من العباد قد تم به انتفاعه وان انتفع غيره أيضاً به، فإن لله تعالى في كل تطريفة بالجفن نعمتين في نفس الجفن إذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الأعلى وارتفاع الجفن الأسفل**).

اعلم أن منفعة العضل أن الانسان إذا أراد أن يقرب عضواً من آخر حرك العضل فتشنجت وزاد في عرضها ونقص من طولها، وإذا أراد التبعيد حركها فاسترخت وزاد في طولها ونقص في عرضها فحصل المقصود، والعضو الذي يحرك عضواً كبيراً يكون كبيراً كالذي في الفخذ والذي يحرك عضواً صغيراً يكون صغيراً كالعضلات المحركة للأجفان العليا فإنها صغار جداً وليس لها أوتار، فإذا علمت ذلك فللعين أربع وعشرون عضلة: ثلاثة لتحريك الجفن رأسها معلق في العظم الحاوي للعين ووترها يميز في وسط طي الغشاء الذي يكون منه الجفن ويتصل بوسط حافة الجفن وهو يفتحه، والثانية والثالثة موضوعتان في موق العين مدفونتان في حفرتها ووتراهما يأتيان حافة الجفن ويتصلان به من جانبه وهما يغمضان العين باطباقهما الجفن وذلك إذا فعل كل منهما فعلها، فإن نال إحداهما آفة انطبق بعض الجفن ويبقى باقيه مفتوحاً وواحدة. وقيل: اثنتان، وقيل ثلاثة قد عمّ العصبة المجوّفة التي يكون بها البصر وتثبتها حتى لا تنالها بسبب لينها عند التحديق الشديد أن تنقطع، وست عضلات تحرك العين أربعة إلى الاستقامة الواحدة تميلها إلى فوق، والثانية تحفظها إلى أسفل، والثالثة تحركها يمنة، والرابعة تحركها يسرة، واثنتان على الاستدارة. فهذه عشرة أو احدى عشرة أو اثنتا عشرة لعين وللأخرى مثلها، (**وعلى كل جفن شعور سود ونعمة الله فيّ سوادها أنه**) أي الشعر الأسود (**يجمع ضوء العين إذ البياض يفرق الضوء**

في ترتيبها صفاً واحداً أن يكون مانعاً للهوام من الدبيب إلى باطن العين ومتشبثاً للأقذاء التي تتناثر في الهواء ، وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين قوام نصبها ، وله في اشتباك الأهداب نعمة أعظم من الكل : وهو أنّ غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يبصر ، فيجمع الأجفان مقدار ما تتشابك الأهداب فينظر من وراء شباك الشعر ، فيكون شباك الشعر مانعاً من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل، ثم إن أصاب الحدقة غبار فقد خلق أطراف الأجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فيطبقها مرة أو مرتين وقد انصقلت الحدقة من الغبار وخرجت الاقذاء إلى زوايا العين والأجفان ، والذباب لما لم يكن لحدقته جفن خلق له يدين ، فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما من الغبار وإذ تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره إلى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب، ولعلنا نستأنف له كتاباً مقصوداً فيه إن أمهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجائب صنع الله تعالى ، فلنرجع إلى غرضنا فنقول : من نظر إلى غير محرم قد كفر بفتح العين نعمة الله تعالى في الأجفان ،

والسواد يجمعه) فلا لون أنسب وأوفق لنور الباصرة من السواد ، **(ونعمة الله في ترتيبها صفاً واحداً أن يكون مانعاً للهـوام من الدبيب إلى باطن العين ومتشبثاً للاقذاء التي تتناثر في الهواء)** فتتعلق به ولا تصل إلى الداخل ، **(وله في كل شعرة منها نعمتان من حيث لين أصلها ومع اللين قوام نصبها)** وله في منابت الشعر نعمة أخرى وهو أن جعل بين كل شعرة فاصلاً لئلا يلتزق مع بعضه ، **(وله في اشتباك الأهداب نعمة أعظم من الكل وهو أن غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يبصر فيجمع الأجفان مقدار ما تتشابك الأهداب فينظر من وراء شباك الشعر فيكون شباك الشعر مانعاً من وصول القذى من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل، ثم إن أصاب الحدقة غبار فقد خلق أطراف الأجفان حادة منطبقة على الحدقة كالمصقلة للمرآة فيطبقها مرة أو مرتين وقد انصقلت الحدقة عن الغبار وخرجت الأقذاء إلى زوايا العين والأجفان)** وبقيت الحدقة صافية ، **(والذباب لما لم يكن لحدقتيه جفن خلق له يدين)** زائدتين **(فتراه على الدوام يمسح بهما حدقتيه ليصقلهما عن الغبار)** وهذا أحسن الوجوه ، وقيل : إنما يفعل ذلك لكونه لم يقع على جسد النبي ﷺ فهو أبداً يلطم وجهه وفيه نظر ، **(وإذ تركنا الاستقصاء لتفاصيل النعم لافتقاره إلى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب، ولعلنا نستأنف كتاباً مقصوداً فيه إن أمهل الزمان وساعد التوفيق نسميه عجائب صنع الله تعالى)** وقد حقق الله تعالى مأموله ويسر له تأليفه ، وقد عده ابن السبكي في جملة مؤلفاته كما تقدم ذلك في مقدمة كتاب العلم .

(فلنرجع إلى غرضنا فنقول : من نظر إلى غير محرم قد كفر بفتح العين) في حيث لا

ولا تقوم الأجفان إلا بعين، ولا العين إلا برأس، ولا الرأس إلا بجميع البدن، ولا البدن إلا بالغذاء، ولا الغذاء إلا بالماء والأرض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر، ولا يقوم شيء من ذلك إلا بالسموات، ولا السموات إلا بالملائكة، فإنّ الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض، فإذاً قد كفر كل نعمة في الوجود من منتهى الثريا إلى منتهى الثرى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد إلا ويلعنه، ولذلك ورد في الأخبار أن البقعة التي يجتمع فيها الناس إما أن تلعنهم إذا تفرقوا أو تستغفر لهم وكذلك ورد أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر وأن الملائكة يلعنون العصاة في ألفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها، وكل ذلك إشارة إلى أن العاصي بتطريفة واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت، وقد أهلك نفسه إلا أن يتبع السيئة بحسنة تمحوها، فيتبدل اللعن بالاستغفار، فعسى الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه. وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام: « يا أيوب ما من عبد لي من الآدميين إلا ومعه ملكان، فإذا شكرني على نعمائي قال الملكان: اللهم زده نعماً على

يحل (**نعمة الله تعالى في الأجفان ولا تقوم الاجفان إلا بعين ولا العين إلا برأس ولا الرأس الا بجميع البدن ولا البدن إلا بالغذاء ولا الغذاء إلا بالماء والأرض والهواء والمطر والغيم والشمس والقمر، ولا يقوم شيء من ذلك إلا بالسموات ولا السموات إلا بالملائكة، فإن الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبعض ارتباط أعضاء البدن بعضها ببعض، فإذا قد كفر كل نعمة لله في الوجود من منتهى الثريا إلى منتهى الثرى، فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد إلا ويلعنه بكفران النعمة، ولذلك ورد في الأخبار: إن البقعة التي يجتمع فيها الناس إما أن تلعنهم إذا تفرقوا أو تستغفر لهم**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً. (**وكذلك ورد « إن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر »**) تقدم في كتاب العلم (**« وان الملائكة يلعنون العصاة »**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة: « أن الملائكة لتلعن أحدكم إذا أشار إلى أخيه بحديدة وإن كان أخاه لأبيه وأمه » اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو نعيم في الحلية (**في ألفاظ كثيرة لا يمكن احصاؤها، وكل ذلك اشارة إلى أن العاصي ولو بتطريفة واحدة جنى على جميع ما في الملك والملكوت وقد أهلك نفسه، إلا أن يتبع السيئة بحسنة تمحوها**) كما ورد ذلك في حديث أبي ذر « واتبع السيئة الحسنة تمحها »، (**فيستبدل اللعن بالاستغفار، فعسى الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه**) بفضله وكرمه، وورد في بعض الأخبار: (**أوحى الله إلى أيوب عليه السلام: يا أيوب ما من عبد لي من الآدميين إلا ومعه ملكان فإذا شكرني على نعمائي قال الملكان: اللهم زده نعماً**

نعم، فإنك أهل الحمد والشكر، فكن من الشاكرين قريباً فكفى بالشاكرين علوّ رتبة عندي أني أشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكي عليهم » وكما عرفت أن في كل طرفة عين نعماً كثيرة فاعلم أن في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين، إذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك، وبانقباضه يجمع الروح الهواء إلى القلب ولو سدّ متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك، بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قريب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات، فعليك في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك، بل في كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصوّر احصاء ذلك أم لا ؟ ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى: ﴿وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] قال إلهي كيف أشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان: أن لينت

على نعم فإنك أهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريباً) وزدهم شكراً وزدهم من النعماء (فكفى بالشاكرين). يا أيوب (علو رتبة عندي إني أشكر شكرهم وملائكتي يدعون لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكي عليهم) فكن لي يا أيوب شاكراً ولآلائي ذاكراً ولا تذكرني حتى أذكرك ولا تشكر لي حتى أشكر أعمالك. أنا أوفق أوليائي لصالح الأعمال وأشكرهم على وفقتهم واقتفيتهم الشكر ورضيت به مكافأة، فرضيت بالقليل عن الكثير وتقبلت القليل وجازيت عليه بالجزيل، وشر العبيد عندي من لم يشكرني إلا وقت حاجته ولم يتفرغ بين يدي إلا في وقت عقوبته. كذا أورده بكماله صاحب القوت.

(وكما عرفت أن في كل طرفة عين نعما كثيرة فاعلم أن في كل نفس ينبسط وينقبض نعمتين إذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك وبانقباضه يجمع روح الهواء إلى القلب ولو سدّ متنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك، بل اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة) لكل منهما اثنتا عشرة ساعة (وفي كل ساعة قريب من ألف نفس، وكل نفس قريب من عشر لحظات، فعليك في كل لحظة آلاف آلاف نعمة في كل جزء من أجزاء بدنك، بل في كل جزء من أجزاء العالم. فانظر هل يتصوّر احصاء ذلك أم لا) ؟ ولفظ القوت ويقال: إن تحت كل شعرة في جسم العبد نعمة، وفي جسم الانسان ثلاثمائة وستون مفصلاً، وكذلك العظام. وفي كل طرفة نعمتان، وفي كل نفس نعمتان، وفي كل دقيقة تأتي عليه من عمره نعم لا تحصى، والدقيقة جزء من اثني عشر جزءاً من شعيرة، والشعيرة جزء من اثني عشر جزءاً من ساعة والأنفاس أربعة وعشرون ألف نفس في اليوم والليلة، (ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعالى: ﴿وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ قال: إلهي كيف أشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان أن لينت أصلها وإن

أصلها، وأن طمست رأسها؟ وكذا ورد في الأثر أن من لم يعرف نعم الله إلا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه. وجميع ما ذكرناه يرجع إلى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به، فإن البصير لا تقع عينه في العالم على شيء ولا يلم خاطره بموجود إلا ويتحقق أن لله فيه نعمة عليه، فلنترك الاستقصاء والتفصيل فإنه طمع في غير مطمع.

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر:

اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة، فإنهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم، ولا يتصوّر شكر النعمة إلا بعد معرفتها، ثم أنهم إن عرفوا

طمست رأسها) نقله صاحب القوت. **(وكذلك ورد في الأثر: من لم يعرف نعم الله)** عليه **(إلا في مطعمه ومشربه فقد قلّ علمه وحضر عذابه)** نقله صاحب القوت، وهو في الحلية من قول أبي الدرداء رواه من طريق أحمد بن حنبل، حدثنا اسماعيل بن إبراهيم، حدثنا يونس بن عبيد عن الحسن قال أبو الدرداء: من لم يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قلّ علمه وحضر عذابه، ومن لم يكن غنياً في الدنيا فلا دنيا له. قال صاحب القوت ويقال: إن في باطن الجسم من النعم سبعة أضعاف النعم الذي في ظاهره، وأن في القلب من النعم أضعاف ما في الجسم كله من النعم، وأن نعم الإيمان بالله والعلم واليقين أضعاف نعم الاجسام والقلوب. فهذه كلها نعم مضاعفة على نعم مترادفة لا يحصيها إلا من أنعم بها ولا يعلمها إلا من خلقها ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [الملك: ١٤] سوى نعم المطعم والمشرب والملبس والمنكح من دخول ذلك وخروجه وكثرة تكرره وتزايده بان أدخل مهناه، وأخرج اذاه وبقي في الجسم قواه وبأن طيب مدخله ويسّر مخرجه وبقي منفعته وما أحال من صورته وغيّر من صفته للتزهيد والذم والاعتبار والتذكرة، وتلك أيضاً نعم. **(وجميع ما ذكرناه يرجع إلى المطعم والمشرب فاعتبر ما سواه من النعم به، فإن البصير لا تقع عينه في العالم على شيء ولا يلم خاطره بموجود إلا ويتحقق أن لله فيه نعمة عليه، فلنترك الاستقصاء والتفصيل فإنه طمع في غير مطمع)** وبالله التوفيق.

بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر:

(اعلم) هداك الله تعالى **(أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجهل والغفلة فإنهم منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة إلابعد معرفتها)** إذ من لم يعرفها كيف يقوم بشكرها، فالشكر فرع المعرفة فإذا جهل النعمة لم يعرفها وإذا لم يعرفها لم يشكر عليها وإذا لم يشكر انقطع مزيده ومن انقطع عنه المزيد في نقصان ما ادعى، وأيضاً فإن لم يشكر النعم لجهله بها كفرها فإن كفرها أدركه العذاب الشديد إلا أن تداركه نعمة من ربه، **(ثم أنهم**

نعمة ظنوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه: الحمد لله، الشكر لله. ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عز وجل فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين إلا غلبة الشهوة واستيلاء الشيطان. أما الغفلة عن النعم فلها أسباب، وأحد أسبابها أن الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة، فلذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لأنها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع أحوالهم، فلا يرى كل واحد لنفسه منهم اختصاصاً به فلا يعدّه نعمة، ولا تراهم يشكرون الله على روح الهواء، ولو أخذ بمختنقهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت حمام فيه هواء حارّ أو في بئر فيه هواء ثقل برطوبة الماء ماتوا غماً؛ فإن ابتلي أحد منهم بشيء من ذلك ثم نجا ربما قدّر ذلك نعمة وشكر الله عليها. وهذا غاية الجهل إذ صار شكرهم موقوفاً على أن تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الأحوال، والنعمة في جميع الأحوال أولى بأن تشكر في بعضها؛ فلا ترى البصير يشكر صحة بصره إلا أن تعمى عينه، فعند ذلك لو أعيد عليه بصره أحس به وشكره وعدّه نعمة، ولما كانت رحمة الله واسعة عمم الخلق وبذل لهم في جميع الأحوال

إن عرفوا نعمة ظنوا أن الشكر عليها) مجرد (أن يقول بلسانه الحمد لله الشكر لله) من غير فهم معنى ما يقول (ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله عز وجل، فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المعرفتين) الأولى معرفة النعمة والثانية معرفة معنى الشكر عليها (إلا غلبة الشهوة وإستيلاء الشيطان) عليه، (أما الغفلة عن النعم فلها أسباب، وأحد أسبابها أن الناس بجهلهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة فلذلك لا يشكرون على جلة ما ذكرناه من النعم لأنها عامة للخلق مبذولة لهم في جميع أحوالهم، فلا يرى كل واحد لنفسه اختصاصاً به فلا يعده نعمة ولا تراهم يشكرون الله على روح الهواء) هو برودته، (ولو أخذ بمخنقهم) هو محل القلادة من العنق (لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو حبسوا في بيت حمام فيه هواء حار) ولا منفذ له (أو في بئر فيه هواء ثقل برطوبة الماء ماتوا غماً فإن ابتلي واحد منهم بشيء من ذلك ثم نجا ربما قدر ذلك نعمة وشكر الله عليها، وهذا غاية الجهل إذ صار شكرهم موقوفاً على أن تسلب عنهم النعمة) برهة (ثم ترد عليهم في بعض الأحوال والنعمة في جميع الأحوال أولى بأن تشكر من النعمة في بعضها فلا يرى البصير يشكر صحة بصره إلى أن تعمى عينه فعند ذلك لو أعيد عليه) نوره (أحس به وشكره وعده نعمة، ولما كانت رحمة الله واسعة عم الخلق) وكل من السعة والعموم من مقتضيات هذه الصفة. (وبذل لهم في جميع الأحوال فلم يعده الجاهلون نعمة) فغفلوا عن الشكر عليها،

فلم يعدّه الجاهل نعمة، وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه أن يضرب دائماً، حتى إذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة، فإن ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر، فصار الناس لا يشكرون إلا المال الذي يتطرّق الاختصاص إليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم، كما شكا بعضهم فقره إلى بعض أرباب البصائر وأظهر شدة اغتمامه به فقال له: أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفاً؟ فقال: لا، فقال: أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فقال: أما تستحيي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفاً! وحكى ان بعض القراء اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعاً، فرأى في المنام كأنّ قائلاً يقول له: تود أنا أنسيناك من القرآن سورة الأنعام وإن لك ألف دينار؟ قال: لا، قال: فسورة هود؟ قال: لا، قال: فسورة يوسف؟ قال: لا، فعدّد عليه سوراً ثم قال: فمعك قيمة مائة ألف دينار وأنت تشكو، فأصبح وقد سري عنه، ودخل ابن

(**وهذا الجاهل مثل العبد السوء حقه أن يضرب دائماً**) لمخالفة سيره في أوامره ونواهيه (**حتى إذا ترك ضربه ساعة تقلد به منة فإن ترك ضربه على الدوام غلبه البطر وترك الشكر، فصار الناس لا يشكرون إلا المال الذي يتطرق الإختصاص إليه من حيث الكثرة والقلة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم**) في سائر أحوالهم، (**كما شكا بعضهم فقره إلى بعض أرباب البصائر وأظهر شدة اغتمامه به**) ولفظ القوت: وحدثت عن رجل شكا إلى بعض أهل المدينة فقره وأظهر لذلك غمه (**فقال له الرجل: أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم؟ فقال: لا. فقال: أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف؟ قال: لا. فقال: أيسرك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفاً؟ قال: لا. قال: أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف؟ قال: لا. فقال: أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفاً**) قال صاحب القوت: وهذا كما قال لأن في الإنسان قيم هذه الأشياء من الجوارح وزيادة من المال لأنها ديات جوارحه لو قطعت.

(**وحكي أن بعض القراء**) أي العلماء. ولفظ القوت: وحدثني بعض الشيوخ في معناه أن بعض القراء المقربين (**اشتد به الفقر حتى**) أحزنه و(**ضاق به ذراعاً**) قال: (**فرأى في المنام كأن قائلاً يقول له: تود أنّا أنسيناك من القرآن سورة الأنعام وأن لك ألف دينار؟ قال: لا. قال: فسورة هود؟ قال: لا. قال: فسورة يوسف؟ قال: لا. فعدد عليه سوراً ثم قال: فمعك قيمة مائة ألف دينار**) هكذا في القوت وفي بعض نسخ الكتاب قيمة ما يبلغ آلافاً، (**وأنك تشكو**) الفقر (**فأصبح وقد سرى عنه همه**) أي انكشف وزال.

السماك على بعض الخلفاء وبيده كوز ماء يشربه ، فقال له : عظني ! فقال : لو لم تعط هذه الشربة إلا ببذل جميع أموالك وإلا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه ؟ قال : نعم ، فقال : لو لم تعط إلا بملكك كله فهل كنت تتركه ؟ قال : نعم ، قال : فلا تفرح بملك لا يساوي شربة ماء . فبهذا تبين أن نعمة الله تعالى على العبد في شربة عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها ، وإذا كانت الطباع مائلة إلى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة فلنذكر إشارة وجيزة إلى النعم الخاصة فنقول : ما من عبد إلا ولو أمعن النظر في أحواله رأى من الله نعمة أو نعماً كثيرة تخصه لا تشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس وربما لا يشاركه فيها أحد ، وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة أمور : في العقل والخلق ، والعلم .

أما العقل ، فما من عبد لله تعالى إلا وهو راضٍ عن الله في عقله يعتقد أنه أعقل الناس ، وقل من يسأل الله العقل ، وإن من شرف العقل أن يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به ، فإذا كان اعتقاده أنه أعقل الناس . فواجب عليه أن يشكره ، لأنه إن كان كذلك فالشكر واجب عليه ، وإن لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة في

(ودخل) محمد بن صبيح (بن السماك) الواعظ البغدادي تقدمت ترجمته مراراً (على بعض الخلفاء) العباسية (وبيده كوز ماء يشربه فقال له : عظني . فقال : لو لم تعط هذه الشربة إلا ببذل جميع أموالك وإلا بقيت عطشاناً فهل كنت تعطيه ؟ قال : نعم ، فقال : لو لم تعط إلا بملك كله فهل كنت تتركه ؟ قال : نعم . قال : فلا تفرح بملك لا يسوي شربة ماء ، فبهذا تبين أن نعمة الله تعالى على العبد في شربة ماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها ، وإذا كانت الطباع مائلة إلى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا النعم العامة) المبذولة للخلق كلهم ، (فلنذكر إشارة وجيزة إلى النعم الخاصة فنقول : ما من عبد إلا ولو أمعن النظر في أحواله) وتأمل بصاً في بصيرته (رأى من الله تعالى نعمة أو نعماً كثيرة تخصه لا يشاركه فيها الناس كافة بل يشاركه عدد يسير من الناس ، وربما) يتفق أنه (لا يشاركه فيها أحد وذلك يعترف به كل عبد في ثلاثة أمور : في العقل والخلق والعلم) .

(أما العقل فما من عبد لله تعالى إلا وهو راض عن الله تعالى في عقله يعتقد أنه أعقل الناس ، و) لذا (قلما يسأل الله العقل) ومن المعلوم (أن من شرف العقل أن يفرح به الخالي عنه كما يفرح به المتصف به ، فإذا كان اعتقاده أنه أعقل الناس فواجب عليه أن يشكره لأنه إذا كان كذلك) في حقيقة الأمر (فالشكر واجب عليه ، وإن لم يكن) كذلك (ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة في حقه ، فمن وضع كنزاً تحت الأرض فهو يفرح به ويشكر

حقه، فمن وضع كنزاً تحت الأرض فهو يفرح به ويشكر عليه، فإن أخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لأنه في حقه كالباقي.

وأما الخلق، فما من عبد إلا ويرى من غيره عيوباً يكرهها واخلاقاً يذمها، وإنما يذمها من حيث يرى نفسه بريئاً عنها، فإذا لم يشتغل بذم الغير فينبغي أن يشتغل بشكر الله تعالى إذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيء.

وأما العلم؛ فما من أحد إلا ويعرف من بواطن أمور نفسه وخفايا أفكاره ما هو منفرد به، ولو كشف الغطاء حتى اطلع عليه أحد من الخلق لافتضح، فكيف لو اطلع الناس كافة؟ فإذن لكل عبداً علم بأمر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله، فلم لا يشكر ستر الله الجميل الذي أرسله على وجه مساويه فأظهر الجميل وستر القبيح وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد؛ فهذه ثلاثة من النعم خاصة يعترف بها كل عبد إما مطلقاً، وإما في بعض الأمور فلننزل عن هذه الطبقة إلى طبقة أخرى أعم منها قليلاً، فنقول: ما من عبد إلا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو

عليه، فإن أخذ الكنز من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويبقى شكره لأنه في حقه كالباقي) فكذلك العقل فإنه بمنزلة الكنز المدفون.

(**وأما الخلق، فما من عبد إلا ويرى من غيره عيوباً يكرهها وأخلاقاً يذمها وإنما يذمها من حيث يرى نفسه بريئاً عنها**) خالصاً منها، (**فإن لم يشتغل بذم الغير فينبغي أن يشتغل بشكر الله تعالى إذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيء**) ففيه نعمتان عليها شكران فتحسب كل ما وجه إلى غيرك من المذام نعماً عليك بمثل ما وجه إليك من المحاسن لأن النفوس كنفس واحد والمشيئة والقدرة واحدة، فقد رحمت بأنك من أحسن الخلق فذلك من فضل الله عليك.

(**وأما العلم؛ فما من أحد إلا ويعرف من بواطن أمور نفسه وخفايا أفكاره ما هو منفرد به ولو انكشف الغطاء**) وزال الحجاب (**حتى اطلع عليه أحد من الخلق لافتضح**) حاله عنده، (**فكيف لو اطلع الناس كافة، فإذاً لكل عبد علم بأمر خاص لا يشاركه فيه أحد من عباد الله، فلم لا يشرك ستر الله الجميل الذي أرسله على وجه مساويه، فأظهر الجميل وستر القبيح وأخفى ذلك من أعين الناس وخصص علمه به حتى لا يطلع عليه أحد**) فلا تدري أي النعمتين أعظم إظهار الجميل أو ستر القبيح، وقد مدح الله سبحانه بهما في الدعاء المأثور: يا من أظهر الجميل وستر القبيح. (**فهذه ثلاث من النعم خاصة يعترف بها كل عبد إما مطلقاً وإما في بعض الأمور، فلننزل عن هذه الطبقة إلى طبقة أخرى أعم منها قليلاً فنقول: ما من عبد**

شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو أقاربه أو عزه أو جاهه أو في سائر محابه أموراً لو سلب ذلك منه وأعطى ما خصص به غيره لكان لا يرضى به، وذلك مثل أن جعله مؤمناً لا كافراً وحياً لا جماداً وإنساناً لا بهيمة وذكراً لا أنثى وصحيحاً لا مريضاً وسليماً لا معيباً؛ فإنّ كل هذه خصائص، وإن كان فيها عموم أيضاً، فإن هذه الأحوال لو بدلت بأضدادها لم يرض بها، بل له أمور لا يبدّلها بأحوال الآدميين أيضاً، وذلك إما أن يكون بحيث لا يبدله بما خص به أحد من الخلق أو لا يبدله بما خص به الأكثر، فإذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فإذاً حاله أحسن من حال غيره وإذا كان لا يعرف شخص يرتضي لنفسه حالة بدلاً عن حال نفسه إما على الجملة وإما في أمر خاص، فإذاً لله تعالى عليه نعم ليست له على أحد من عباده سواه، وإن كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر إلى عدد المغبوطين عنده فإنه لا محالة يراهم أقل بالإضافة إلى غيرهم، فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير ممن هو فوقه، فما باله ينظر إلى من فوقه ليزدري نعم الله تعالى على نفسه، ولا ينظر إلى

إلا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه وأقاربه أو عزه أو جاهه أو في سائر محابه) الدنيوية **(أموراً لو أسلب ذلك منه وأعطى ما خصص به غيره لكان لا يرضى به، وذلك مثل أن جعله مؤمناً لا كافراً وحياً لا جماداً وإنساناً لابهيمة وذكراً لا أنثى وصحيحاً لا مريضاً وسليماً لا معيباً، فإن كل هذه خصائص وإن كان فيها عموم أيضاً، فإن هذه الأحوال لو بدلت بأضدادها لم يرض به)** وفي القوت: وأول نعمة عقلناها أن جعلنا موجدين دون سائر المعدومات، ثم جعلنا حيواناً دون سائر الموات، ثم جعلنا بشراً دون سائر الحيوان، ثم إن جعلنا ذكوراً دون الإناث، ثم تصويرنا في أحسن تقويم، ثم عوافي القلب من الزيغ عن السنة ومن الميل إلى دواعي النفس الأمارة بالسوء، ثم صحة الأجسام، ثم كثيف الستر، ثم حسن الكفاية للحاجات، ثم صنوف ما أظهر من الأزواج للاوقات، **(بل له أمور لا يبدلها بأحوال الآدميين أيضاً وذلك إما أن يكون بحيث لا يبدله بما خص به أحد من الخلق أو لا يبدله بما خص به الأكثر، فإذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فإذا حاله أحسن من حال غيره، فإن كان لا يعرف شخصاً يرتضي لنفسه حاله بدلاً عن حال نفسه إما على الجملة وإما في أمر خاص، فإذاً لله تعالى نعم ليست له على أحد من عباده سواه وإن كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فلينظر إلى عدد المغبوطين عنده، فإنه لا محالة يراهم أقل بالإضافة إلى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير ممن هو فوقه فما باله ينظر إلى من هو فوقه ليزدري)** أي يحتقر **(نعم الله على نفسه ولا ينظر إلى من هو دونه ليستعظم نعم الله عليه،**

من دونه ليستعظم نعم الله عليه، وما باله لا يسوي دنياه بدينه؛ أليس إذا لامته نفسه على سيئة يقارفها يعتذر إليها بأن في الفساق كثرة! فينظر أبداً في الدين إلى من دونه لا إلى من فوقه، فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك، فإذا كان حال أكثر الخلق في الدين خيراً منه، وحاله في الدنيا خير من حال أكثر الخلق، فكيف لا يلزمه الشكر ولهذا قال ﷺ: «من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبه الله صابراً وشاكراً، ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه وفي الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله صابراً ولا شاكراً»، فإذاً كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى

وما باله لا يسوى دنياه بدينه أليس) هو (**إذا لامته نفسه**) وعاتبته (**على سيئة يقارفها يعتذر إليها بأن في الفساق كثرة فينظر أبداً في الدين إلى من دونه لا إلى من فوقه، فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك، فإذا كان حال أكثر الخلق في الدين خيراً منه وحاله في الدنيا خيراً من حال أكثر الخلق، فكيف لا يلزمه الشكر**) وفي القوت: وفي الشكر مقامات عن مشاهدين أعلاهما: الذي يشكر على المكاره والبلاء والشدائد واللأواء، والمقام الثاني :أن ينظر إلى من هو دونه ممن فضل هو عليه في أمور الدنيا وفي أحوال الدين فيعظم نعمة الله عليه بسلامة قلبه وعافيته مما ابتلى الآخر به ويعظم نعمة الدنيا عليه لما أغناه الله وكفاه فيما أحوج إليه والجاه، فليشكر على ذلك ثم ينظر إلى من هو فوقه في الدين ممن فضل عليه بعلم الإيمان ويحسن اليقين فيمقت نفسه ويزري عليها وينافس في مثل ما رأى من أحوال من هو فوقه فيرغب فيها، فإذا كان كذلك كان من الشاكرين ودخل تحت اسم الممدوحين، (**ولهذا قال ﷺ: «من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتبه الله صابراً وشاكراً، ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه وفي الدين إلى من هو دونه لم يكتبه الله لا صابراً ولا شاكراً»**) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عبدالله بن عمرو وقال: غريب وفيه المثنى بن الصباح ضعيف انتهى.

قلت: ورواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب من حديث أنس لكن بتقديم الجملة الثانية على الأولى، وروى أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة: «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم» أما البخاري فرواه من طريق الأعرج، والباقون من طريق همام وأبي صالح ثلاثتهم عن أبي هريرة. وفي لفظ المسلم «إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل ممن فضل عليه» ولأحمد وابن حبان في اثناء حديث عن أبي ذر «أوصاني خليلي ﷺ أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي». وعند هناد والبيهقي: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والجسم فلينظر إلى من هو دونه في المال والجسم»، (**فإذاً كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيا من خص بالسنة والإيمان**

على نفسه نعماً كثيرة لا سيما من خص بالسنة والإيمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والأمن وغير ذلك، ولذلك قيل:

من شاء عيشاً رحيباً يستطيل به   في دينه ثم في دنياه إقبالا
فلينظرن إلى من فوقه ورعاً   ولينظرن إلى من دونه مالا

وقال ﷺ: «من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله» وهذا إشارة إلى نعمة العلم وقال عليه السلام: «إن القرآن هو الغنى الذي لا غنى بعده ولا فقر معه» وقال عليه السلام: «من آتاه الله القرآن فظن أن أحداً أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله» وقال ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» وقال عليه السلام: «كفى باليقين غنى»، وقال بعض السلف:

والعلم والقرآن) ولفظ القوت: ومن أفضل النعم وأجلها نعمة الإيمان بالله تعالى ثم نعمة الرسول ثم نعمة القرآن **(ثم الفراغ والصحة والأمن)**، وبكل من هذه الثلاثة الأخيرة فسر قوله تعالى: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ [الأحقاف: ٢٠] **(وغير ذلك)** كنعمة الغنى والشباب، **(ولذلك قيل)**.

(من شاء عيشاً رحيباً يستطيب به   في دينه ثم في دنياه إقبالاً
فلينظرن إلى من فوقه ورعاً   ولينظرن إلى من دونه مالاً)

(وقال ﷺ: «من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله») هكذا في القوت. وقال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ، **(وهذا)** إن صح فهو **(إشارة إلى نعمة العلم. وقال ﷺ: «إن القرآن هو الغني الذي لا غني بعده ولا فقر بعده»)** قال العراقي: رواه أبو يعلى والطبراني من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ: «أن القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه» قال الدارقطني: رواه أبو معاوية عن الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن الحسن مرسلاً وهو أشبه بالصواب انتهى.

قلت: ورواه محمد بن نصر البيهقي والخطيب بلفظ: «القرآن» بدون «إن» وسنده ضعيف.

(وقال) ﷺ: **(«من آتاه الله القرآن فظن أن أحداً أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله»)** قال العراقي: رواه البخاري في التاريخ من حديث رجاء الغنوي بلفظ: «من آتاه الله حفظ كتابه وظن أن أحداً أولى منه فقد صغر أعظم النعم» ورجاء مختلف في صحبته وورد من حديث عبدالله بن عمرو وجابر والبراء نحوه وكلها ضعيفة، وقد تقدم في فضل القرآن انتهى.

قلت: ورواه البيهقي كذلك ولفظه: «من أعطاه الله» ورواه ابن حبان وقال: رجاء تابعي ثقة يروي المراسيل، وأورده صاحب القوت وقال في لفظ آخر فقد استخف بما أنزل الله.

(وقال ﷺ: «كفى باليقين غني») قال العراقي: رواه الطبراني من حديث عمار بن ياسر، ورواه ابن أبي الدنيا في القناعة موقوفاً عليه وقد تقدم انتهى).

(وأورده صاحب القوت وقال: القرآن هو حق اليقين (وقال بعض السلف، يقول الله

يقول الله تعالى في بعض الكتب المنزلة: « إن عبداً أغنيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نعمتي: عن سلطان يأتيه، وطبيب يداويه، وعما في يد أخيه » وعبر الشاعر عن هذا فقال:

إذا ما القوت يأتيك كذا الصحة الأمنُ
وأصبحت أخا حزن فلا فارقك الحزن

بل أرشق العبارات وأفصح الكلمات كلام أفصح من نطق بالضاد حيث عبر ﷺ عن هذا المعنى فقال: « من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث؛ مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الإيمان الذي به وصولهم إلى النعيم المقيم والملك العظيم، بل البصير ينبغي أن لا يفرح إلا بالمعرفة واليقين والإيمان، بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الأرض من المشرق إلى المغرب من أموال وأتباع وأنصار وقيل له خذها عوضاً عن علمك بل عن عشر عشير علمك: لم يأخذه، وذلك لرجائه ان نعمة العلم تفضي به إلى قرب الله تعالى في الآخرة، بل لو قيل له لك في

تعالى: « **إن عبداً أغنيته عن ثلاث لقد أتممت عليه نعمتي**) أغنيته (**عن سلطان يأتيه**) أي جعلته غنياً، (**و**) أغنيته (**عن طبيب يداويه**) أي جعلته صحيحاً سليماً، (**و**) أغنيته (**عما في يد أخيه** ») أي جعلته قانعاً بما في يده نقله صاحب القوت. (**وعبَّر الشاعر عن هذا فقال:**

إذا القوت تأتي لك والصحة والأمن
وأصبحت أخا حزن فلا فارقك الحزن)

كذا هو في القوت. وفي بعض نسخ الكتاب: إذا ما القوت يأتي لك، وفي أخرى إذا القوت يأتيك كذا الصحة، (**بل أرشق العبارات وأفصح الكلمات أفصح من نطق بالضاد**) يشير إلى ما اشتهر على الألسنة أنا أفصح من نطق بالضاد. قال ابن كثير: صحيح ولكن لا أصل له (**حيث عبَّر ﷺ عن هذا المعنى فقال: « من أصبح آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها »**) تقدم الكلام عليه غير مرة. (**ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث**) وهي الأمن والصحة والقوت، (**مع أنها وبال عليهم في الإيمان الذي به وصولهم إلى النعيم المقيم والملك العظيم**) الذي لا يفنى، (**فإن البصير**) أي صاحب البصيرة (**ينبغي أن لا يفرح إلا بالمعرفة واليقين والإيمان**) فإنها من أفضل النعم الباطنة، (**بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الأرض من المشرق إلى المغرب من أموال**) وأعراض (**وأتباع وأنصار وقيل له خذها عوضاً عن علمك**) ومعرفتك (**بل عن عشر عشير علمك لم يأخذه**) ولم يقبله، (**وذلك لرجائه أن نعمة العلم تفضي به إلى قرب الله سبحانه وتعالى في الآخرة**) وما ذكر في عوضه

الآخرة ما ترجوه بكماله، فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلاً عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذه، لعلمه بأن لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تغصب ولا ينافس فيها وأنها صافية لا كدورة فيها، ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدّرة مشوّشة لا يفي مرجوها بمخوفها ولا لذتها بألمها ولا فرحها بغمها، هكذا كانت إلى الآن، وهكذا تكون ما بقي الزمان إذ ما خلقت لذات الدنيا إلا لتجلب بها العقول الناقصة وتخدع، حتى إذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليها واستعصت، كالمرأة الجميل ظاهرها تتزين للشاب الشبق الغني، حتى إذا تقيد بها قلبه استعصت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في تعب قائم وعناء دائم، وكل ذلك باغتراره بلذة النظر إليها في لحظة، ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره، فهكذا وقعت أرباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها، ولا ينبغي أن نقول إنّ المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها، فإنّ المقبل عليها أيضاً متألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها، وتألم المعرض يفضي إلى لذة في الآخرة وتألم المقبل يفضي إلى الألم في الآخرة، فليقرأ المعرض

فكله فان ولا يقربه إلى جوار الله تعالى، (**بل لو قيل له: لك في الآخرة ما ترجوه بكماله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلاً عن التذاذك بالعلم في الدنيا وفرحك به لكان لا يأخذه لعلمه بأن لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تغصب ولا ينافس فيها، وأنها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة ومكدرة ومشوشة لا يفي مرجوها بمخوفها ولا ألمها بلذتها ولا فرحها بغمها**) فإنها إن حلت أوحلت أو جلت أوجلت أو كست أوكست، (**هكذا رؤي**) من أول الزمان (**إلى الآن، وهكذا يكون ما بقي الزمان**) ودار الملوان (**إذ ما خلقت لذات الدنيا إلا لتجلب بها العقول الناقصة وتخدع حتى إذا انخدعت وتقيدت بها أبت عليها**) وامتنعت (**واستعصت**) فهي (**كالمرأة الجميل ظاهرها تتزين للشاب الشبق**) الكثير الشهوة (**الغبي**) الغافل عن العواقب (**حتى إذا تقيد بها قلبه**) وعلق بها باطنه (**استصعبت عليه**) وجمحت (**واحتجبت عنه**) ولم تواصله، (**فلا يزال معها في تعب قائم وعناء دائم، وكل ذلك لاغتراره بلذة النظر إليها في لحظته، ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره**) في ماله وعرضه وجسده، (**فهكذا وقعة أرباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها**) وخدعها، (**ولا ينبغي أن تقول: إن المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فإن المقبل عليها أيضاً متألم بالصبر عليها و**) على (**حفظها وتحصيلها ودفع اللصوص عنها وتألم المعرض**) عنها (**يفضي إلى لذة في الآخرة**) وهي القرب من جوار الله تعالى (**وتألم**) المقبل عليها (**يفضي إلى ألم في الآخرة**) وهو البعد عن جوار الله تعالى، (**فليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى: ﴿ولا تهنوا**) أي لا تضعفوا (**في إبتغاء القوم**)

عن الدنيا على نفسه قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ القَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ، فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، فإذاً إنما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة.

فإن قلت: فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر؟ فأقول: أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا إليه من أصناف نعم الله تعالى العامة. وأما القلوب البليدة التي لا تعدّ النعمة نعمة إلا إذا خصتها أو شعرت بالبلاء معها، فسبيله أن ينظر أبداً إلى من دونه ويفعل ما كان يفعله بعض الصوفية، إذ كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود، فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الأمراض ويشكر الله تعالى، ويشاهد الجناة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعذبون بأنواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنايات ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الأمن، ويحضر المقابر فيعلم أن أحب الأشياء

أي طلبهم ومقاتلتهم لإعـلاء كلمة الحق (**أن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾**) وهو إشارة إلى تلك اللذة، (**فإذاً إنما انسد طريق الشكر على الخلق لجهلهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة**)، وبانسداد طريق الشكر حرموا طريق المزيد وأورثهم ذلك النقصان أبداً.

(**فإن قلت: فما علاج هذه القلوب الغافلة حتى تشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر؟ فأقول: أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيما رمزنا إليه من أصناف نعم الله تعالى العامة**) المبذولة على الخلق، (**وأما القلوب**) الجامدة (**البليدة التي لا تعد النعمة نعمة إلا إذا خصصتها أو شعر بالبلاء معها فسبيله أن ينظر أبداً إلى من هو دونه**) في أمور الدنيا (**ويفعل ما كان يفعله بعض**) السادة (**الصوفية إذ كان يحضر كل يوم دار المرضى**) وهي المارستان (**والمقابر والمواضع التي تقام فيها الحدود**) الشرعية، (**فكان يحضر دار المرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم، ثم يتأمل في صحته وسلامته**) من تلك البلايا (**فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره ببلاء الأمراض و**) كان يحضر المواضع التي تقام فيها الحدود (**يشاهد الجناة**) هم الجانون على أنفسهم (**الذين يقتلون**) قصاصاً (**وتقطع أطرافهم**) في السرقة (**ويعذبون بأنواع العذاب**) في حد الخمر والقذف وغير ذلك، أو من طريق السياسة (**ليشكر الله تعالى على عصمته**) وحفظه (**من الجنايات**) الشرعية، (**ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الأمن**) حيث لا يطالبه أحد بدم أو ذمة أو غير ذلك (**و**) كان (**يحضر المقابر فيعلم ان أحب الأشياء إلى الموتى أن يردوا إلى الدنيا ولو يوماً واحداً**) كما

إلى الموتى أن يردوا إلى الدنيا ولو يوماً واحداً؛ أما من عصى الله فليتدارك، وأما من أطاع فليزد في طاعته، فإن يوم القيامة يوم التغابن، فالمطيع مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول: كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غبني إذ ضيعت بعض الأوقات في المباحات، وأما العاصي فغبنه ظاهر، فإذا شاهد المقابر وعلم أنّ أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقي لهم من العمر ما بقي له، فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهي أهل القبور العود لأجله ليكون ذلك معرفته لنعم الله تعالى في بقية العمر، بل الإمهال في كل نفس من الأنفاس، وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر إلى ما خلق العمر لأجله وهو التزود من الدنيا للآخرة، فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر. وقد كان الربيع بن خيثم مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيداً للمعرفة، فكان قد حفر في داره قبراً فكان يضع غلاً في عنقه وينام في لحده ثم يقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُون * لَعَلِّي أعْمَلُ صَالِحاً﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] ثم يقوم ويقول: يا ربيع قد أعطيت ما سألت، فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد، ومما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر: أن تعرف النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد، ولذلك كان

ورد ذلك في الأخبار. (**أما من عصى الله فليتدارك، وأما من أطاع الله فليزد في طاعته وأن يوم القيامة**) هو (**يوم التغابن**) كما سماه الله تعالى في كتابه ذلك يوم التغابن، (**فالمطيع مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول: كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فما أعظم غبني**) وخسارتي (**إذ ضيعت بعض الأوقات في المباحات، وأما العاصي فغبنه ظاهر**) يرى غيره يحسن الجزاء على أعماله وهذا قد ضيع عمره في الغفلة والعصيان فلا أغبن منه، (**فإذا شاهد المقابر وعلم أن أحب الأشياء إليهم**) أي إلى أصحاب المقابر (**أن يكون قد بقي لهم في العمر ما بقي له فيصرف بقية العمر إلى ما يشتهي أهل القبور العود**) إلى الدنيا (**لأجله ليكون ذلك معرفة لنعم الله تعالى في بقية العمر، بل في الأمهال في كل نفس من الأنفاس، وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر إلى ما خلق لأجله وهو التزود من الدنيا للآخرة**) كما هو حقيقة الشكر عند العارفين، (**فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشعر بنعم الله تعالى فعساها تشكر، وكان الربيع بن خيثم**) الثوري الكوفي الفقيه الزاهد (**مع تمام استبصاره يستعين بهذه الطريق تأكيداً للمعرفة**) الحاصلة (**له، فكان قد حفر في داره قبراً فكان يضع غلاً في عنقه وينام في لحده ثم يقول**) هذه الآية: (**رب ارجعون * لعلي اعمل صالحاً﴾ ثم يقوم ويقول**) مخاطباً لنفسه: (**يا ربيع قد أعطيت ما سألت فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد، ومما ينبغي أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد، ولذلك قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: عليكم**)

الفضيل بن عياض رحمه الله يقول: عليكم بملازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم. وقال بعض السلف: النعم وحشية فقيدوها بالشكر. وفي الخبر: «ما عظمت نعمة الله تعالى على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال»، وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّر مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] فهذا تمام هذا الركن.

الركن الثالث: من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر:

بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد:

لعلك تقول: ما ذكرته في النعم إشارة إلى أن لله تعالى في كل موجود نعمة، وهذا

بملازمة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم) نقله صاحب القوت. **(وقال بعض السلف: النعم وحشية فقيدوها بالشكر)** نقله صاحب القوت. **(وفي الخبر: «ما عظمت نعمة الله على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال»)** قال العراقي: رواه ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بن جبل بلفظ: «إلا عظمت مؤنة الناس إليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة» الحديث. ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وقال: إنه موضوع على حجاج الأعور انتهى.

قلت: حديث معاذ ورواه أيضاً أبو سعيد السمان في مشيخته، وأبو إسحاق المستملي في معجمه، والبيهقي وضعفه والخطيب وابن النجار وفيه أحمد بن معدان العبدي. قال أبو حاتم: مجهول، والحديث الذي رواه باطل. ورواه الشيرازي في الألقاب عن عمر بن الخطاب موقوفاً. ورواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج من حديث عائشة بلفظ: إلا اشتدت عليه مؤنة الناس». وتقدم في كتاب ذم البخل والمال بلفظ: «من عظمت» وتقدم الكلام عليه هناك فراجعه. **(وقال الله سبحانه ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾)** قيل: لا يغير نعمه عليهم حتى يغيروها بتضييع الشكر فيعاقبهم بالتغير والوجه الآخر لا يغير ما بهم من عقوبة حتى يغيروا معاصيهم بالتوبة، فذكر بذلك السبب الأول من حكمه، ثم ذكر السبب الثاني من حكمته وهو مسبب الأسباب بمشيئته وحكمته **(فهذا تمام هذا الركن)** الثاني، وبالله التوفيق.

الركن الثالث

من كتاب الصبر والشكر فيما يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر

بيان اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد:

(اعلم) أيها السالك **(لعلك تقول ماذكرته في النعم إشارة إلى أن لله تعالى في كل**

يشير إلى أن البلاء لا وجود له أصلاً فما معنى الصبر إذاً. وإن كان البلاء موجوداً فما معنى الشكر على البلاء. وقد ادّعى مدّعون أنا نشكر على البلاء فضلاً عن الشكر على النعمة، فكيف يتصوّر الشكر على البلاء، وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر على البلاء يستدعي ألماً والشكر يستدعي فرحاً وهما يتضادّان، وما معنى ما ذكرتموه من أن لله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده؟ فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة، والقول بإثبات النعمة يوجب القول بإثبات البلاء لأنهما متضادّان: ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء، ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه: أما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول في جوار الله تعالى، وأما في الدنيا فكالإيمان وحسن الخلق وما يعين عليهما، وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه: كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه، فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد، أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى إما مدّة وإما أبداً، وأما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق. وأما المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين، بل في الدنيا، فالشكر المطلق للنعمة المطلقة، أما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه

موجود نعمة، وهذا يشير إلى أن البلاء لا وجود له أصلاً فما معنى الصبر إذاً، وإن كان البلاء موجوداً فما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون أنا نشكر على البلاء فضلاً عن الشكر على النعمة؟ فكيف يتصور الشكر على البلاء، وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر يستدعي ألماً والشكر يستدعي فرحاً وهما يتضادان)، فكيف يجتمعان **(وما معنى ماذكرتموه أن لله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده؟ فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة، والقول باثبات النعمة يوجب القول باثبات البلاء لأنهما متضادان، ففقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء، ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فكسعادة العبد بالنزول)** والقرب **(في جوار الله تعالى، وأما في الدنيا فبالإيمان وحسن الخلق وما يعين عليهما وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه)** آخر، ولذا عد من الخيرات المتوسطة، **(فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعالى إما مدة)** من الزمن **(وإما أبداً في الدنيا، فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق، وأما)** البلاء **(المقيد فكالفقر والمرض والخوف وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا، فالشكر المطلق للنعمة المطلقة. أما البلاء المطلق في الدين فقد لا يؤمر بالصبر عليه، فإن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه. وكذلك المعصية، حق الكافر ان**

وكذا المعصية، بل حق الكافر أن يترك كفره وكذا حق العاصي، نعم الكافر قد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بسبب غشية أو غيرها فلا صبر عليه، والعاصي يعرف أنه عاص فعليه ترك المعصية، بل كل بلاء يقدر الإنسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الإنسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بإزالة الألم، وإنما الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته، فإذا يرجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس ببلاء مطلق، بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فلذلك يتصوّر أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر، فإن الغنى مثلاً يجوز أن يكون سبباً لهلاك الإنسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل أولاده، والصحة أيضاً كذلك؛ فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية إلا ويجوز أن تصير بلاء ولكن بالإضافة إليه، فكذلك ما من بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة إلى حاله، فرب عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض، ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغوا في الأَرْض﴾ [الشورى: ٣٧] وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إنّ الإنْسَانَ لَيَطْغَى ★ أنْ رآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦، ٧] وقال ﷺ: «إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه»، وكذلك الزوجة والولد والقريب، وكل ما ذكرناه

يترك كفره، وكذا حق العاصي، نعم الكافر قد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتألم بها بسبب غشية) أصابته **(أو غيرها)** مما يذهل العقل **(فلا صبر عليه، والعاصي يعرف أنه عاص فعليه ترك المعصية بل كل بلاء يقدر الانسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه، فلو ترك الانسان الماء مع طول العطش حتى عظم تألمه فإنه لا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بإزالة الألم، وإنما الصبر على ألم ليس للعبد إزالته، فإذاً يرجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس ببلاء مطلق، بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فلذلك يتصور أن تجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فإن الغنى مثلاً يجوز أن يكون سبب هلاك الانسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل وتقتل أولاده)** وانصاره ويؤخذ منه ذلك المال، **(والصحة أيضاً كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية الا ويجوز أن تصير بلاء، ولكن بالإضافة إليه فكذلك ما من بلاء)** من البلايا التي تصيب العبد **(إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالأضافة إلى حاله، فرب عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغى)** وتجاوز الحدود. **(قال الله تعالى ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾)** ولكن ينزل بقدر ما يشاء. **(وقال تعالى: ﴿كلا إن الانسان ليطغى ★ أن رآه استغنى﴾)** فجعل الطغيان ثمرة الاستغناء. **(وقال ﷺ «إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه)** الطعام والشراب يخاف عليه». رواه أحمد وابن عساكر من حديث

في الأقسام الستة عشر من النعم سوى الإيمان وحسن الخلق فإنها يتصوّر أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون أضدادها إذاً نعماً في حقهم. إذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فإنها صفة من صفات الله تعالى، ولكن قد تكون على العبد في بعض الأمور بلاء ويكون فقدها نعمة، مثاله: جهل الإنسان بأجله فإنه نعمة عليه، إذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش وطال بذلك غمه؛ وكذلك، جهله بما يضمره الناس عليه من معارفه وأقاربه نعمة عليه، إذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال ألمه وحقده وحسده واشتغاله بالإنتقام، وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه، إذ لو عرفها أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالاً عليه في الدنيا والآخرة، بل جهله بالخصال المحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فإنه ربما يكون ولياً لله تعالى وهو يضطر إلى إيذائه وإهانته، ولو عرف ذلك وآذى كان إثمه لا محالة أعظم، فليس من آذى نبياً أو ولياً وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف.

محمود بن لبيد بلفظ « كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه ». ورواه كذلك الحاكم من حديث أبي سعيد. وروى الديلمي من حديث أنس « إن الله ليحمي المؤمن من الدنيا نظراً وشفقة عليه كما يحمي المريض أهله الطعام ». وروى الروياني، وأبو الشيخ في الثواب، والحسن بن سفيان، وابن عساكر، وابن النجار من حديث حذيفة « إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي المريض أهله الطعام » وقد تقدم. (**وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ماذكرناه من الأقسام الستة عشر من النعم**) من ضرب أربعة في أربعة (**سوى الإيمان وحسن الخلق، فإنها تتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس يفكون أضدادها إذا نعما في حقهم إذ قد سبق أن المعرفة كمال ونعمة فإنها صفة من صفات الله تعالى**) باعتبار كونها مرادفة للعمل، (**ولكن قد تكون على العبد في بعض الأمور بلاء ويكون فقدها نعمة مثاله جهل الانسان بأجله فإنه نعمة عليه إذ لو عرفه ربما تنغص عليه العيش**) أي تكدر (**وطال بذلك غمه**) ولم يتهن في أحواله فابهامه من النعم اللطيفة، (**وكذلك جهله بما يضمره الناس**) أي يخفونه (**عليه**) في قلوبهم (**من معارفه وأقاربه نعمة عليه إذ لو رفع الستر**) وانكشف الحال (**واطلع عليه لطال ألمه وحقده وحسده واشتغاله بالانتقام**) منهم ليشفي غيظه فيهم، (**وكذلك جهله بالصفات المذمومة من غيره نعمة عليه إذ لو عرفها**) بما فيه (**أبغضه وآذاه وكان ذلك وبالاً عليه في الدنيا والآخرة**). اما في الدنيا فلاشتغاله بابغاضه وتضييع أوقاته، وأما في الآخرة فلما يترتب عليه من المؤاخذات، (**بل جهله بالخصال في غيره قد يكون نعمة عليه فإنه ربما يكون ولياً لله تعالى وهو يضطر إلى ايذائه وإهانته ولو عرف ذلك وآذى كان إثمه لا محالة أعظم، فليس من آذى نبياً أو ولياً وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف**).

ومنها : إبهام الله تعالى أمر القيامة ، وإبهامه ليلة القدر ، وساعة يوم الجمعة ، وإبهامه

ولفظ القوت : ومن كبائر النعم ثلاث : من جهلها أضاع الشكر عليها ومعرفتها شكر العارفين.

أولها : استتار الله عز وجل بقدرته وعزته عن الأبصار ، ولو ظهر للعباد العيان لكانت معاصيهم كفراً لأنهم لم يكونوا ينقصون من المعاصي المكتوبه عليهم جناح بعوضة ولأنه تعالى كان يظهر بوصف لا يمتنعون معه من المعاصي ، ووراء هذا سائر الغيوب إلا أنهم كانوا يكفرون بالمواجهة لانتهاك حرمة المشاهدة ، وأيضاً لما كان لهم في الإيمان من عظيم درجات مالهم الآن ، لأنهم حينئذ يؤمنون بالشهادة وهم اليوم يؤمنون بالغيب فرفعت لهم الدرجات بحق اليقين ، ولذلك مدحهم الله تعالى ووصفهم.

والنعمة الثانية : إخفاء القدر والآيات عن عموم الخلق لأنها من سر الغيب وصلاح العبيد واستقامة الدنيا والدين ، ولو ظهرت لهم لكانت خطاياهم الصغائر كبائر مع معاينة الآيات ولما ضوعفت لهم على أعمالهم الحسنات كمضاعفتها الآن للايمان بالغيب.

والنعمة الثالثة : تغييب الآجال عنهم إذ لو علموا بها لما كانوا يزدادون ولا ينقصون من أعمالهم الخير والشر ذرة ، فكان ذلك مع علمهم بالأجل أشد مطالبة لهم وأوقع للحجة عليهم وأخفى ذلك عنهم معذرة لهم من حيث لا يعلمون ولطفاً بهم ونظرا إليهم من حيث لا يحتسبون ، ثم بعد ذلك من لطائف النعم شمول ستره لهم احتجب بعضهم عن بعض وسترهم عند العلماء والصالحين ، ولولا ذلك لما نظروا إليهم ثم حجب الصالحين عنهم ، ولو أظهر عليهم آيات يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين من ولاية الله تعالى لهم وقربهم منه لبطل ثواب المحسنين إليهم ولحرم قبول إحسانهم عليهم ولحبطت أعمال المسيئين إليهم ففي حجب ذلك وستره ما عمل العاملون لهم في الخير والشر على الرجاء وحسن الظن بالغيب وراء حجاب اليقين وتأخرت عقوبات المؤذين لهم عن المعاجلة لما ستر عليهم من عظيم شأنهم عند الله وجليل قدرهم ، ففي ستر هذا نعم عظيمة على الصالحين في نفوسهم من سلامة دينهم وقلة فتنتهم ونعم جليلة على المتهتكين لحرمتهم المصغرين لشعائر الله من أجلهم إذا كانوا ساروا إليهم من وراء حجاب ، فهذا هو لطف خفي من لطف المنعم اللطيف الوهاب كما جاء في الخبر يقول الله تعالى « من آذى ولياً من أوليائي فقد بارزني بالمحاربة » ثم ان المثابر لولي يكون مثل ذلك مثل من آذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته قبل أن يخبره أنه رسول الله وان الله تعالى نبأه فلا يكون وزره وزر من انتهك حرمة نبي قد كان أعلمه أنه نبي الله لعظيم حرمة النبوة. وروينا عن جعفر الصادق وغيره من السلف في معنى هذه النعم التي أوجبنا الشكر في إخفائها قال : إن الله تعالى خبأ ثلاثاً في ثلاث : رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئاً لعل رضاه فيه ، وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقروا منه شيئاً لعل غضبه فيها ، وخبأ ولايته في عباده المؤمنين فلا تحقروا منهم أحداً لعله ولي الله عز وجل اهـ.

(ومنها إبهام الله تعالى أمر القيامة) متى تقوم ، **(وإبهامه ليلة القدر)** في أي ليلة من ليالي

بعض الكبائر، فكل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد، فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم. وحيث قلنا إن لله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق، وذلك مطرد في حق كل أحد، ولا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام التي يخلقها في بعض الناس، وهي أيضاً قد تكون نعمة في حق المتألم بها، فإن لم تكن نعمة في حقه كالألم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووسمه بشرته فإنه يتألم به وهو عاص به، وألم الكفار في النار فهو أيضاً نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم، لأن مصائب قوم عند قوم فوائد. ولولا أن الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لما عرف المتنعمون قدر نعمه لأكثر فرحهم بها، ففرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا تفكروا في آلام أهل النار. أما ترى أهل الدنيا ليس يشتدّ فرحهم بنور الشمس مع شدّة حاجتهم إليها من حيث أنها عامة مبذولة، ولا يشتدّ فرحهم بالنظر إلى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يجتهدون في عمارته، ولكن زينة السماء لما عمت لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها، فإذاً قد صح ما ذكرناه من أن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا

شهر رمضان، (**وابهامه ساعة الجمعة**) التي لا يوافقها عبد مسلم ودعا الله بشيء إلا استجيب له، (**وابهامه بعض الكبائر**) كما تقدم ذلك في كتاب التوبة، (**فكل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد**) وقد زيد على ماذكر الصلاة الوسطى، فإن الله تعالى أخفاها كذلك لطفاً منه ومنة لتوفير الدواعي على الاجتهاد. (**فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم؟ وحيث قلنا أن الله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق**) لا خطأ فيه (**وذلك مطرد في حق كل أحد**) إطراداً شائعاً (**ولا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام التي يخلقها في بعض الناس وهي أيضاً قد تكون نعمة في حق المتألم بها، فإن لم تكن نعمة في حقه كالألم الحاصل من المعصية كقطعه يد نفسه ووسمه بشرته**) بالنارأو النيلج(**فإنه يتألم به وهو عاص به، وألم الكفار في النار فهو أيضاً نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم لأن مصائب قوم عند قوم فوائد**) وهو نصف مصراع بيت، (**ولولا أن الله خلق العذاب وعذب به طائفة**) من العباد (**لما عرف المتنعمون قدر نعمه ولا كثر فرحهم بها، ففرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا تفكروا في آلام أهل النار**) وسمعوا تضاغيهم فيها فيحمدون الله تعالى على ما هم فيه من النعيم ويشتد فرحهم. (**أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم إليها من حيث أنها عامة مبذولة**) ولا بضوء القمر كذلك، (**ولا يشتد فرحهم بالنظر إلى زينة السماء**) الدنيا (**وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يجتهدون في عمارته**) وترتيبه، (**ولكن زينة السماء لما عمت**) على الخلق (**لم يشعروا بها ولم يفرحوا بسببها فإذاً قد صح ماذكرناه من أن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا وفيه**

وفيه حكمة، ولا خلق شيئاً إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على بعضهم، فإذاً في خلق الله تعالى البلاء نعمة أيضاً إما على المبتلي، أو على غير المبتلي، فإذاً كل حالة لا توصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة، فيجتمع فيها على العبد وظيفتان: الصبر والشكر جميعاً.

فإن قلت: فهما متضادان فكيف يجتمعان؟ إذ لا صبر إلا على غم، ولا شكر إلا على فرح؟ فاعلم أن الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر، فيكون الصبر من حيث الاغتمام، والشكر من حيث الفرح. وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور ينبغي أن يفرح العاقل بها ويشكر عليها.

أحدها: أن كل مصيبة ومرض فيتصوّر أن يكون أكبر منها، إذ مقدورات الله تعالى لا تتناهى فلو ضعفها الله تعالى وزادها ماذا كان يرده ويحجزه، فليشكر إذ لم تكن أعظم منها في الدنيا.

الثاني: أنه كان يمكن أن تكون مصيبته في دينه: قال رجل لسهل رضي الله تعالى عنه: دخل اللص بيتي وأخذ متاعي! فقال: اشكر الله تعالى، لو دخل الشيطان قلبك

حكمة) إما ظاهرة وإما باطنة (**ولا خلق شيئاً إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على بعضهم، فإذاً في خلق الله تعالى البلاء نعمة أيضاً إما على المبتلي**) به (**أو على غير المبتلي، فإذاً كل حالة لا توصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان: الصبر والشكر جميعاً**) فهذا وجه اجتماعهما في محل واحد.

فإن قلت: فهما متضادان فكيف يجتمعان إذ لا صبر إلا على غم ولا شكر إلا على فرح؟ فاعلم أن الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح، وفي كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور) ولفظ القوت ويقال: ما من مصيبة إلا ولله تعالى فيها خمس نعم اهـ. (**ينبغي أن يفرح العاقل بها ويشكر عليها.**

أحدها: أن كل مصيبة ومرض فيتصور أن يكون أكبر منها إذ مقدورات الله لا تتناهى فلو ضعفها الله وزادها ماذا كان يرده ويحجزه) عن ذلك، (**فليشكر إذ لم تكن أعظم منها في الدنيا.**

الثاني: أنه كان يمكن ان تكون مصيبته في دينه) حكي أنه (**قال رجل لسهل**) بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى: (**دخل اللص بيتي وأخذ متاعي**) فقال له على وجه التذكير بما

فأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع ؟ ولذلك استعاذ عيسى عليه الصلاة والسلام في دعائه إذ قال: اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى علي فيه أربع نعم إذ لم يكن في ديني، وإذ لم يكن أعظم منه، وإذ لم أحرم الرضا به، وإذ أرجو الثواب عليه. وكان لبعض أرباب القلوب صديق فحبسه السلطان، فأرسل إليه يعلمه ويشكو إليه، فقال له: اشكر الله فضربه؛ فأرسل إليه يعلمه ويشكو إليه، فقال: اشكر الله، فجيء بمجوسي فحبس عنده وكان مبطوناً فقيد وجعل حلقة من قيده في رجله وحلقة في رجل المجوسي، فأرسل إليه فقال: أشكر الله، فكان المجوسي يحتاج إلى أن يقوم مرات وهو يحتاج أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضي حاجته، فكتب إليه بذلك فقال: اشكر الله، فقال: إلى متى هذا، وأي بلاء أعظم من هذا ؟ فقال: لو جعل الزنار الذي في وسطه على وسطك ماذا

فوق ذلك من البلايا: (**اشكر الله لو دخل**) اللص الذي هو (**الشيطان قلبك فافسد**) عليك (**التوحيد ماذا كنت تصنع**) ؟ عرفه بذلك نعمة الله عليه فيما عرفه عنه من البلاء الذي هو أعظم من بلائه، فإن بلاء الآخرة أشد من بلاء الدنيا أورده القشيري في الرسالة، (**ولذلك استعاذ عيسى عليه السلام في دعائه إذ قال: اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني**) أي لأنها أعظم من مصيبة الدنيا. (**وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما ابتليت ببلاء إلا وكان لله تعالى علي فيه أربع نعم:**) أولها: (**إذ**) لم يكن ذلك البلاء (**في ديني، و**) الثانية (**إذ لم يكن أعظم منه، و**) الثالثة (**إذ لم أحرم الرضا به،و**) الرابعة (**إذ أرجو الثواب عليه، و**) قيل: (**كان لبعض أرباب القلوب صديق**) فابتلي بكذب عليه أو بغيره (**فحبسه السلطان فأرسل إليه**) أي إلى صاحبه بذلك (**فقال**) له صاحبه أي كتب إليه: (**اشكر الله تعالى فضربه**) السلطان فكتب إليه يخبره، (**فقال**) أي فكتب إليه: (**اشكر الله تعالى فجيء**) إليه في الحبس (**بمجوسي فحبس عنده وكان مبطوناً فقيد وجعل حلقة من قيده في رجله وحلقة**) من رجل هذا (**في رجل المجوسي**) بحيث لا يمشي أحدهما إلا يمشي الآخر، (**فأرسل إليه**) يخبره يخبره (**فقال**) أي فكتب اليه في الجواب: (**اشكر الله تعالى فكان المجوسي يحتاج أن يقوم**) بسبب بطنه لبيت الخلاء (**مرات**) عديدة بالليل (**وهو**) أي هذا الصديق (**يحتاج أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضي حاجته**) ثم يرجعا مكانهما ،(**فكتب إليه بذلك فقال**) أي فكتب إليه في الجواب: (**أشكر الله تعالى. فقال**) أي فكتب إليه:(**إلى متى**) تقول (**هذا**) يعني قولك اشكر الله، (**وأي بلاء أعظم من هذا**) البلاء ؟ (**فقال**) أي فكتب إليه يقول: (**لو جعل الزنار الذي في وسطه على وسطك**) كما وضع القيد الذي في رجله في رجلك والزنار كرمان علامة الشرك (**ماذا كنت تصنع؟**) نبهه بذلك على أنه ما من بلاء إلا وفوقه ما هو

كنت تصنع ؟ فإذاً ما من إنسان قد أصيب ببلاء إلا ولو تأمل حق التأمل في سوء أدبه ظاهراً وباطناً في حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلاً وآجلاً ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر، ومن استحق عليك أن يقطع يديك فترك إحداهما فهو مستحق للشكر، ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طشت من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر، فقيل له: ما هذه السجدة؟ فقال: كنت أنتظر أن تصب علي النار، فالاقتصار على الرماد نعمة، وقيل لبعضهم: ألا تخرج إلى الاستسقاء فقد احتبست الأمطار! فقال: أنتم تستبطئون المطر وأنا أستبطىء الحجر.

أعظم منه من بلايا الدين والدنيا وعلى أن كل ذلك بقضائه وقدره، وقد سلمك الله من بلاء الشرك فاشكر الله تعالى على ذلك. أورده القشيري في الرسالة.

وفي القوت:وكذلك إذا رأيت مبتلى في دينه بصفات المنافقين أو مبتلى بنفسه بأخلاق المتكبرين أو منهمكاً فيما عليه من أفعال الفاسقين عددت جميع ذلك نعماً عليك من الله تعالى إذ لم يجعلك كذلك لأنك قد كنت أنت ذاك لولا فضل الله عليك ورحمته، فتحسب كل ما وجه إلى غيرك من الشر أو صرف عنه من الخير نعماً عليك بمثل ما وجه به من الخير إليك وصرف من الشر عنك لأن النفوس كنفس واحدة في الأمر بالسوء والمشيئة والقدرة واحدة فقد رحمك بما صرف من السوء عنك فذلك من نعم الله عليك.

فاذاً ما من إنسان قد أصيب ببلاء إلا ولو تأمل حق التأمل في سوء أدبه ظاهراً وباطناً في حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلاً وآجلاً، ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة) مثلاً **(فهو مستحق للشكر، و)** كذا **(من إستحق عليك أن يقطع يديك)** جميعاً **(فترك إحداهما فهو مستحق للشكر)** ولو ضربك مائة سوط كاملاً أو قطع يديك جميعاً ماذا كنت تصنع؟ **(ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طست من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر)** ولم يتغير حاله الذي كان عليه **(فقيل له)** أي قال له أصحابه الذين شاهدوا ذلك منه: **(ما هذه السجدة)** في هذه الحالة؟ **(فقال: كنت أنتظر أن تصب علي النار فالاقتصار على الرماد نعمة)** هذا نظر العارفين بالله حيث جعل صب الرماد عليه مصالحة عن النار التي كان يستحقها **(وقيل لبعضهم: ألا تخرج إلى الاستسقاء فقد احتبست الأمطار؟ فقال: أنتم تستبطئون المطر وأنا أستبطىء الحجر)**.قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو عمر وعثمان بن محمد العثماني، حدثنا إسماعيل بن علي، حدثنا هارون بن حميد، حدثنا سيار، حدثنا جعفر قال: قلنا لمالك بن دينار ألا تدعو لك قارئاً يقرأ؟ قال: إن الثكلى لا تحتاج إلى نائحة. فقلنا له: ألا تستسقي؟ قال: أنتم تستبطئون المطر لكني أستبطىء الحجارة.

فإن قلت : كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيتهم على معصيتي ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار ؟ فاعلم أن الكافر قد خبىء له ما هو أكثر وإنما أمهل حتى يستكثر من الإثم ويطول عليه العقاب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وأما المعاصي فمن أين تعلم أن في العالم من هو أعصى منه، ورب خاطر بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته أعظم وأطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح، ولذلك قال تعالى في مثله: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]، فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك، ثم لعله قد أخرت عقوبته إلى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك.

وهذا هو الوجه الثالث: في الشكر وهو أنه ما من عقوبة إلا وكان يتصوّر أن تؤخر إلى الآخرة ومصائب الدنيا يتسلى عنها بأسباب أخر تهوّن المصيبة فيخف وقعها، ومصيبة الآخرة تدوم، وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلي، إذ أسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانياً، إذ قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذ أذنب ذنباً فأصابته شدّة أو بلاء في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانياً».

(**فإن قلت: كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت معصيهم على معصيتي ولم يصابوا بما أصبت به حتى الكفار؟ فاعلم أن الكافر قد خبىء له**) من العذاب (**أكثر وإنما أمهل**) وترك (**حتى يستكثر من الإثم ويطول عليه العقاب كما قال تعالى ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾ وقال تعالى: ﴿وأملي لهم إن كيدي متين﴾ [الأعراف: ١٨٣]**) (**وأما العاصي؟ فمن أين يعلم أن في العالم من هو أعصى منه ورب خاطر**) يخطر (**بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته**) ماهو (**أعظم وأطم من شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح، ولذلك قال تعالى في مثله ﴿وتحسبونه هيناً وهو عندالله عظيم﴾ فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك، ثم لعله قد أخرت عقوبته إلى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا، فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك.**)

(**وهكذا هو الوجه الثالث في الشكر**) على المصيبة من الوجوه الخمسة، (**وهو أنه ما من عقوبة إلا وكان يتصور أن تؤخر إلى الآخرة**) فيعظم عذابها، (**ومصائب الدنيا يتسلى عنها بأسباب أخر تهون المصيبة فيخف وقعها**) أي أثرها (**ومصيبة الآخرة تدوم وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالتسلي**) عنها بأسباب أخر (**إذ أسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الآخرة عن المعذبين**) لانقطاع الأحساب والأنساب، (**ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانياً**) إذ الجمع بين العقوبتين مما يخالف الكرم (**إذ قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا أذنب ذنباً فأصابته شدة أو بلاء في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانياً»**) قال العراقي: رواه

الرابع: أن هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب وكان لا بدّ من وصولها إليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها فهذه نعمة.

الخامس: أن ثوابها أكثر فإن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين:

أحدهما: الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة في حق الصبي، فإنه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والأدب، فكان يخسر جميع عمره، فكذلك المال والأهل والأقارب والأعضاء حتى العين التي هي أعز الأشياء قد تكون سبباً لهلاك الإنسان في بعض الأحوال، بل العقل الذي

الترمذي، وإبن ماجه من حديث علي «من أصاب في الدنيا ذنباً عوقب به فالله أعدل من أن يثنّي عقوبته على عبده» الحديث لفظ إبن ماجه. وقال الترمذي: «من أصاب حداً فعجل عقوبته في الدنيا» وقال: حسن وللشيخين من حديث عبادة بن الصامت «ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارة له». الحديث اهـ.

قلت: وتمام الحديث عند الترمذي «ومن أصاب حداً فستره الله عليه فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه». وقال: حسن غريب، ورواه كذلك إبن أبي الدنيا في حسن الظن والحاكم والبيهقي، وقد روي ذلك أيضاً من حديث خزيمة بن ثابت ولفظه «من أصاب منكم ذنباً مما نهى الله تعالى عنه فأقيم عليه حده فهو كفارة ذنبه» ورواه الحسن بن سفيان، وأبو نعيم، وفي لفظه «من أصاب ذنباً فأقيم عليه حد ذلك الذنب فهو كفارته» رواه أحمد والدارمي وابن جرير والدارقطني والطبراني وأبو نعيم والبيهقي والضياء. ورواه ابن النجار بلفظ «من أذنب ذنباً» ورواه أحمد وإبن جرير وصححه من حديث علي بلفظ «من أذنب في الدنيا ذنباً فعوقب به فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده» الحديث.

(**الرابع: أن هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب**) لامحالة، (**وكان لا بد من وصولها وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها، فهذه نعمة**) إن تأملت فيها.

(**الخامس: أن ثوابها أكثر منها فإن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة**) نقله صاحب القوت، وذلك (**من وجهين:**

(**أحدها الوجه الذي يكون به الدواء الكريه نعمة في حق المريض ويكون المنع من أسباب اللعب نعمة في حق الصبي، فإنه لو خلي واللعب كان يمنعه ذلك عن العلم والأدب**) أي عن تحصيلها (**فكان يخسر جميع عمره**) ويندم على جهله، (**فكذلك المال والأهل والأقارب**) ففي الخبر «سيأتي زمان يكون هلاك أحدكم على يدي زوجته وولده» (**والأعضاء حتى العين التي هي أعز الأشياء قد تكون سبباً لهلاك الإنسان في بعض الأحوال**) إذا لم

هو أعز الأمور قد يكون سبباً لهلاكه، فالملحدة غدا يتمنون لو كانوا مجانين أو صبياناً ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله تعالى، فما من شيء من هذه الأسباب يوجد من العبد إلا ويتصوّر أن يكون له فيه خيرة دينية، فعليه أن يحسن الظن بالله تعالى ويقدّر فيه الخيرة ويشكره عليه، فإن حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد، وغدا يشكره العباد على البلايا إذا رأوا ثواب الله على البلايا، كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاذه وأباه على ضربه وتأديبه، إذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب، والبلاء من الله تعالى تأديب وعنايته بعباده أتم وأوفر من عناية الآباء بالأولاد، فقد روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: أوصني قال: «لا تتهم الله في شيء قضاه عليك» ونظر ﷺ إلى السماء فضحك فسئل فقال: «عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن: إن قضي له بالسراء رضي وكان خيراً له وإن قضي له بالضراء رضي وكان خيراً له».

يغضها عن الحرام، (**بل العقل الذي هو أعز الأمور قد يكون سبباً لهلاكه، فالملحدة**) الخارجون عن عقائد الجماعة (**غداً يتمنون أن لو كانوا مجانين أو صبياناً ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله**) عز وجل، فإن الذي أمامهم من زيغ عقائدهم إنما هو من تغليبهم جهة العقل على النقل، (**فما من شيء من هذه الأسباب يوجد من العبد إلا ويتصور أن يكون له فيه خيرة دينية فعليه أن يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فإن حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد وغداً يشكره العباد على البلايا**) والمصائب التي أصابتهم في الدنيا، (**إذا رأوا ثواب البلاء**) مضاعفاً (**كما يشكر الصبي بعد**) زمان (**العقل والبلوغ**) إلى مراتب الرجال (**أستاذه وأباه على ضربة وتأديبه إذ يدرك ثمرة ما استفاد من التأديب**) والضرب وهو العلم والمعرفة، (**والبلاء من الله تعالى**) على عباده (**تأديب**) لهم (**وعنايته بعباده أتم وأوفر من عناية الآباء بالأولاد، فقد روي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: أوصني قال «لا تتهم الله في شيء قضاه عليك»**) قال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث عبادة بزيادة في أوله وفي إسناده إبن لهيعة، (**ونظر رسول الله ﷺ إلى السماء فضحك فسئل**) عن ضحكه (**فقال: «عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن إن قضى له بالسراء رضي وكان خيراً له وإن قضى له بالضراء رضي وكان خيراً له»**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث صهيب دون نظره إلى السماء وضحكه عجباً لأمر المؤمن إن أمره كلّه خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له. وللنسائي في اليوم والليلة من حديث سعد بن أبي وقاص: «عجبت من قضاء الله للمؤمن إن أصابه خير حمد ربه وشكر» الحديث إنتهى.

قلت: حديث صهيب رواه كذلك أحمد والدارمي وابن حبان، وعند الطبراني «عجبت من قضاء الله للمسلم كله خير إن أصابته سراء فشكر آجره الله عز وجل وإن أصابته ضراء فصبر آجره

الوجه الثاني: إن رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا، ورأس أسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور، ومواتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسبابها وأنسه بها حتى تصير كالجنة في حقه، فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته وإذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن إليها ولم يأنس بها وصارت سجناً عليه، وكانت نجاته منها غاية اللذة كالخلاص من السجن، ولذلك قال ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد إلا الحياة الدنيا ورضي بها واطمأن إليها، والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين إلى الخروج منها، والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي،

الله عز وجل فكل قضاء قضاه الله للمسلم خير». وأما حديث سعد بن أبي وقاص فتمامه «وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر يؤجر المؤمن في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته». ورواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والبيهقي في الضياء، وفي لفظ للطيالسي «عجبت للمسلم إذا أصابته مصيبة احتسب وصبر، وإذا أصابه خير حمد الله وشكر إن المسلم يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه». ورواه كذلك عبد بن حميد والبيهقي وفي الباب عن أنس «عجباً للمؤمن إن الله لا يقضي له قضاء إلا كان خيراً له». رواه كذلك إبن أبي شيبة وأبو يعلى وإبن منيع. وأما التبسم والنظر إلى السماء فقد روي من وجه آخر من حديث ابن مسعود قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فتبسم. قلنا يارسول الله: مم تبسمت؟ قال «عجبت للمؤمن وجزعه من السقم لو كان يعلم ماله من السقم لأحب أن يكون سقيماً حتى يلقى ربه عز وجل» ثم تبسم الثانية ورفع رأسه إلى السماء فنظر إليها فقالوا: مم تبسمت؟ قال «عجبت للملكين نزلا من السماء يلتمسان مؤمناً في مصلاه». الحديث.

(**الوجه الثاني: أن رأس الخطايا المهلكة حب الدنيا**) كما ورد معنى ذلك في الخبر (**ورأس أسباب النجاة التجافي بالقلب عن دار الغرور**) بان يبعد عنها وعن الأسباب التي تقربه إليها (**ومؤاتاة النعم على وفق المراد من غير امتزاج ببلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسبابها وأنسه بها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مفارقته**) لما لتعلق قلبه بها، (**وإذا كثرت عليه المصائب انزعج قلبه من الدنيا ولم يسكن إليها ولم يأنس بها وصارت سجناً عليه وكان نجاته منها**) بالموت (**غاية اللذة كالخلاص من السجن**) فيفرح كما يفرح الذي خرج من سجن، (**ولذلك قال ﷺ «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»**) رواه مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم. (**و**) ليس المراد بالكافر هنا من أشرك بالله في توحيده ولم يصدق رسوله، بل (**الكافر كل من أعرض عن الله تعالى**) بقلبه (**فلم يرد إلا الحياة الدنيا ورضي بها واطمأن اليها**) وهذا المعنى يتصوّر في بعض من تحلى بظاهر الايمان، (**والمؤمن**) هنا (**كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين إلى**

وبقدر حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب إلا الواحد الحق، فإذاً في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به، وأما التألم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة إلى الحجامة بمن يتولى حجامتك مجاناً، أو يسقيك دواء نافعاً بشعاً مجاناً، فإنك تتألم وتفرح فتصبر على الألم وتشكره على سبب الفرح، فكل بلاء في الأمور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل، بل من دخل دار ملك للنضارة وعلم انه يخرج منها لا محالة، فرأى وجهاً حسناً لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبالاً وبلاء عليه لأنه يورث الأنس بمنزل لا يمكنه المقام فيه ولو كان عليه في المقام خطر من أن يطلع عليه الملك فيعذبه فأصابه ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه، والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد، فكل ما يحقق أنسهم بالمنزل فهو بلاء، وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة؛ فمن عرف هذا تصوّر منه أن يشكر على البلايا، ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصوّر منه الشكر؛ لأن الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة، ومن لا يؤمن بأن ثواب المصيبة أكبر

الخروج منها والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي وبقدر حب الدنيا في القلب) وتمكنه منه **(يسري فيه الشرك الخفي)** أخفى من دبيب النمل، **(بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب إلا الواحد الحق)** ولا يريد سواه، **(فإذاً في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به، وأما التألم فهو ضروري وذلك يضاهي فرحك عند الحاجة إلى الحجامة فمن يتولى حجامتك مجاناً)** بلا عوض **(أو يسقيك دواء نافعاً بشعاً)** أي كريهاً **(وهو مجان)** من غير عوض، **(فإنك تتألم وتفرح وتصبر على الألم وتشكره على سبب الفرح، فكل بلاء في الأمور الدنيوية مثاله الدواء الذي يؤلم في الحال)** ببشاعته **(وينفع في المآل)**، فالصبر يتعلق بالأول والشكر يتعلق بالثاني، **(بل من دخل دار ملك للنضارة)** أي التفرج **(وعلم أنه يخرج منها لامحالة فرأى وجهاً حسناً لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبالاً وبلاء عليه لأنه يورثه الأنس بمنزل لا يمكنه المقام فيه، ولو كان عليه في المقام خطر من أن يطلع عليه الملك فيعذبه فأصابه ما يكره حتى نفره عن المقام كان ذلك نعمة عليه)** يجب مقابلتها بالشكر، **(والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون منها من باب اللحد، فكل ما يحقق أنسهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزعج قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه أن يشكر على البلاء، ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصوّر منه الشكر على المصيبة)** وبه اتضح معنى الوجه الخامس.

من المصيبة لم يتصور منه الشكر على المصيبة. وحكي أن اعرابياً عزى ابن عباس على أبيه فقال:

اصْبر نكن بك صابرين فإنما صبرُ الرعية بعد صبر الراسِ
خير من العباس أجرك بعده والله خير منك للعباسِ

فقال ابن عباس: ما عزاني أحد أحسن من تعزيته.

والأخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة، قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يصب منه» وقال ﷺ: «قال الله تعالى: «إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً» وقال عليه السلام: «ما من عبد أصيب بمصيبة

(وحكي ان اعرابياً عزى ابن عباس على أبيه) رضي الله عنهما (فقال): ولفظ القوت: وحدثت أن العباس لما توفي قعد عبد الله للتعزية فدخل الناس أفواجاً يعزونه، فكان فيمن دخل اعرابي فأنشأ يقول:

(اصبر نكن بك صابرين فإنما صبر الرعية بعد صبر الرأسِ
خير من العباس أجرك بعده والله خير منك للعباسِ

(فقال ابن عباس) رضي الله عنه: (ما عزاني أحد أحسن من تعزيته) واستحسن ذلك، ثم قال صاحب القوت: وعندنا في قوله تعالى: ﴿إن الانسان لظلوم كفار﴾ [إبراهيم: ٣٤] وقيل: ظلوم بالسخط كفار بالنعم، وفي قوله تعالى: ﴿إن الانسان لربه لكنود﴾ [العاديات: ٦] قيل وهو الذي يشكو المصائب وينسى النعم، ولو علم أن مع كل مصيبة عشر نعم بحذائها وزيادة. قلت شكواه وبدلها شكراً، ثم إن المصائب لا تخلو من ثلاثة أقسام كلها نعم من الله تعالى. إما أن تكون درجة وهذا للمقربين والمحسنين، أو تكون كفارة وهذا لخصوص أصحاب اليمين وللأبرار، أو تكون عقوبة وهذا للكافة من المسلمين، فتعجيل العقوبة في الدنيا رحمة ونعمة ومعرفة هذه النعم طريق للشاكرين.

(والأخبار الواردة في الصبر على المصائب كثيرة). منها (قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يصب منه») أي نيل منه بالمصائب ويبتليه بها. قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة انتهى.

قلت: ورواه كذلك أحمد والنسائي وابن حبان وقد تقدم الكلام على هذا الحديث.

(وقال ﷺ: قال الله تعالى: «إذا وجهت إلى عبدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له

فقال: كما أمره الله تعالى: ﴿إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] اللهم آجرني في مصيبتي وأعقبني خيراً منها إلا فعل الله ذلك به »، وقال ﷺ: « قال الله تعالى: « من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي » وروي أن رجلاً قال: يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي فقال ﷺ: « لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه وإن الله إذا أحب عبداً ابتلاه وإذا ابتلاه صبّره »، وقال رسول الله ﷺ: « إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يبتلي ببلاء في جسمه

ديواناً ») رواه الحكيم في النوادر والديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس وقد أغفله العراقي. **(وقال ﷺ: « ما من عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله تعالى إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم آجرني في مصيبتي وأعقبني خيراً منها إلا فعل الله له ذلك »)** رواه الطيالسي وأحمد وأبو نعيم في الحلية من رواية أم سلمة عن أبي سلمة بلفظ: « ما من عبد يصاب بمصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبتي فأجرني فيها وأعقبني منها خيراً إلا أعطاه الله ذلك ». ورواه ابن سعد في الطبقات بلفظ « ما من عبد يصاب بمصيبة فيفزع إلى ما أمره الله به من قول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم آجرني في مصيبتي هذه وعِضني خيراً منها إلا آجره الله في مصيبته وكان قنّا أن يعوّضه الله خيراً منها ». وقد أغفله العراقي: **(وقال ﷺ: قال الله تعالى: « من سلبت كريمتيه فجزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي »)** رواه الطبراني في الكبير والأوسط من حديث جرير بلفظ: « عوّضته عنهما الجنة ». ورواه أبو يعلى وابن حبان والضياء من حديث بن عباس قال الله تعالى: « إذا أخذت كريمتي عبد فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة » وقد تقدم الكلام عليه. وأغفله العراقي.

(وروي أن رجلاً قال: يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي. فقال ﷺ: « لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه وإذا ابتلاه صبّره ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات من حديث أبي سعيد الخدري باسناد فيه لين انتهى.

قلت: الجملة الأولى وقد رويت من حديث عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي بلفظ: « لا خير في مال لا يرزأ وجسد لا ينال منه ». والجملة الثانية روي نحوها من حديث أبي عتبة الخولاني بلفظ: « إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً ابتلاه فإذا ابتلاه اقتناه » قالوا: يا رسول الله وما اقتناه؟ قال « لم يترك له مالاً ولا ولداً » رواه الطبراني، وابن عساكر. وروى البيهقي من حديث أبي هريرة « إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه ليسمع صوته » وعند هناد ليسمع تضرعه. وعن الحسن مرسلاً: إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم. رواه البيهقي وروى أحمد من حديث محمود بن لبيد: إن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع.

(وقال ﷺ « إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمل حتى يبتلى

فيبلغها بذلك »، وعن خباب بن الأرث قال: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردائه

بلاء في جسمه فيبلغها بذلك») قال العراقي: رواه أبو داود في رواية ابن داسة وابن العبد من حديث محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده، وليس في رواية اللؤلؤي. ورواه أحمد وأبو يعلى والطبراني من هذا الوجه، ومحمد بن خالد لم يرو عنه إلا أبو المليح الحسن بن عمر الرقي، وكذلك لم يرو عن خالد إلا ابنه محمد. وذكر أبو نعيم أن ابن منده سمى جده اللجلاج بن حكيم فالله أعلم، وعلى هذا فابنه خالد بن اللجلاج هو غير خالد بن اللجلاج العامري ذاك مشهور روى عنه جماعة ورواه ابن منده وأبو نعيم وابن عبد البز في الصحابة من رواية عبد الله بن أبي إياس بن أبي فاطمة عن أبيه عن جده. ورواه البيهقي في رواية إبراهيم السلمي عن أبيه عن جده فالله أعلم انتهى.

ورواه كذلك هناد بن السري من حديث ابن مسعود، ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة، وصححه الحاكم وتعقب. وقال الحافظ في الإصابة: روى ابن شاهين من طريق الوليد بن صالح عن أبي المليح الرقي، حدثنا محمد بن خالد بن زيد بن جارية بالجيم، عن أبيه، عن جده سمعت النبي ﷺ يقول: « إذا كان للعبد عند الله درجة لم ينله إياها ابتلاه في الدنيا ثم صبره على البلاء لينيله تلك الدرجة ». قال: وقد رواه ابن منده في ترجمة اللجلاج بن حكيم السلمي، وزعم أنه أخو الحجاف بن حكيم وأنه في أهل الجزيرة وساق حديثه من طريق أبي المليح أيضاً إلا أنه لم يسم والد خالد، بل قال عن محمد بن خالد عن أبيه عن جده. وكذا أورده البخاري في ترجمة محمد بن خالد، وأخرجه أبو داود من رواية ابن داسة عنه في السنن، ولم أر والد خالد سمي إلا في رواية ابن شاهين. وقال البغوي في الكنى: أبو خالد السلمي جد محمد بن خالد، ثم أورد له هذا الحديث من طريق أبي المليح عن محمد بن خالد السلمي عن جده وكانت له صحبة. وأما حديث أبي فاطمة فقال الحافظ في الإصابة في ترجمة أبي فاطمة الضمري، قال البخاري، قال ابن أبي أويس: حدثني أخي عن حماد بن أبي حميد عن مسلم بن عقيل مولى الزرقيين دخلت على عبيد وابن أبي إياس بن أبي فاطمة الضمري، فقال: يا أبا عقيل حدثني أبي عن جدي قال: اقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: « أيكم يحب ان يصح فلا يسقم » الحديث. وفيه « ان الله ليبتلي المؤمن وما يبتليه إلا لكرامته عليه أو لعلة له فإن له منزلة عنده فلا يبلغه تلك المنزلة إلا ببلائه له » هكذا أورده في ترجمة أبي عقيل المذكور، ووقع لن يعلو في المعرفة لابن منده من طريق أبي عامر العقدي عن محمد بن أبي حميد وهو حماد عن مسلم بن عقيل عن عبد الله بن أبي إياس عن أبيه عن جده. قال ابن منده: رواه رشدين بن سعد عن زهرة بن معبد عن عبد الله. قال الحافظ: إلا أنه سمى أباه أنساً بدل إياس. كذا قال: وقد ساقه الحاكم أبو أحمد من طريق رشدين فقال إياس، فلعل الوهم في النسخة.

(وعن خباب بن الأرتّ) بتشديد المثناة بن جندلة بن سعد بن خزيمة التميمي، ويقال الخزاعي أبو عبد الله أسلم سادس ستة وكان من المستضعفين شهد بدراً وما بعدها، ونزل الكوفة

في ظل الكعبة فشكونا إليه فقلنا: يا رسول الله ألا تدعو الله تستنصره؟ فجلس محمراً لونه ثم قال: «إن من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له في الأرض حفيرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه» وعن علي كرّم الله وجهه. قال: أيما رجل حبسه السلطان ظلماً فمات فهو شهيد، وإن ضربه فمات فهو شهيد، وقال عليه السلام: «من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك» وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى، ألا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض

ومات بها سنة سبع وثلاثين منصرف علي من صفين عن ثلاث وستين سنة. **(قال: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسد بردائه في ظل الكعبة فشكونا إليه، فقلنا: يا رسول الله ألا تدعو الله تستنصره لنا؟ فجلس محمراً لونه ثم قال: «إن من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيحفر له في الأرض حفرة ويجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعله فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه»)** قال العراقي: رواه البخاري.

قلت: ورواه كذلك أحمد وأبو داود والنسائي. وقال أبو نعيم في الحلية. حدثنا عبد الله بن جعفر بن إسحاق الموصلي، حدثنا محمد بن أحمد بن المثنى، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن خباب قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو مضطجع في بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تدعو الله ألا تستنصر الله لنا فجلس محمراً وجهه ثم قال: «والله إن من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيشق باثنين ما يصرفه عن دينه شيء أو يمشط بأمشاط الحديد ما بين عصب ولحم ما يصرفه عن دينه شيء وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تعجلون».

(وعن علي كرم الله وجهه قال: «إيما رجل حبسه السلطان فمات فهو شهيد فان ضربه فمات فهو شهيد). هذا أثر أورده في خلال الأخبار.

(وقال ﷺ «من اجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك») تقدم الكلام عليه. وروى صاحب الحلية عن أبي الدرداء قال: ثلاث من ملاك أمر ابن آدم: لا تشك مصيبتك ولا تحدث بوجعك ولا تزك نفسك بلسانك.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(تولدون للموت وتعمرون للخراب وتحرصون على ما يفنى وتذرون ما يبقى. ألا حبذا المكروهات الثلاث الفقر والمرض والموت)**. وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق شعبة عن معاوية بن قسدة قال: قال أبو الدرداء: ثلاث أحبهن ويكرههن الناس: الفقر والمرض والموت. ومن طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن نشيخ عن أبي الدرداء قال: أحب الموت اشتياقاً إلى ربي، وأحب الفقر تواضعاً لربي، وأحب المرض تكفيراً

والموت. وعن أنس قال، قال رسول الله ﷺ: « إذا أراد الله بعبد خيراً وأراد أن يصافيه صب عليه البلاء صباً وثجه عليه ثجاً فإذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف وإن دعاه ثانياً فقال يا رب قال الله تعالى: لبيك عبدي وسعديك لا تسألني شيئاً إلا أعطيتك أو دفعت عنك ما هو خير وأدخرت لك عندي ما هو أفضل منه، فإذا كان يوم القيامة جيء بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان: أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، يصب عليهم الأجر صباً كما كان يصب عليهم البلاء صباً فيودّ أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب »، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. وعن ابن عباس

لخطيئتي. ومن طريق سعيد بن أبي هلال إن أبا الدرداء كان يقول: « يا معشر أهل دمشق ألا تستحيون تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تبلغون » الحديث.

(**وعن أنس**) رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا أراد الله بعبد خيراً وأراد أن يصافيه صبّ عليه البلاء صباً وثجه عليه ثجاً فإذا دعاه قالت الملائكة صوت معروف فإن دعاه ثانياً فقال: يا رب. قال الله تعالى: لبيك عبدي وسعديك لا تسألني شيئاً إلا أعطيتك أو دفعت عنك ما هو خير أو ادخرت لك عندي ما هو أفضل منه، فإذا كان يوم القيامة جيء بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان أهل الصيام والصدقة والحج، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صباً كما كانوا يصب عليهم البلاء صباً فيود أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت تقرض أجسادهم بالمقاريض لما يرون ما يذهب به أهل البلاء من الثواب »، فذلك قوله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات من رواية بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشي عن أنس أخصر منه دون قوله: « فإذا كان يوم القيامة » الخ. وبكر بن خنيس والرقاشي ضعيفان. ورواه الاصبهاني في الترغيب والترهيب بتمامه، وأدخل بين بكر وبين الرقاشي ضرار بن عمرو وهو أيضاً ضعيف اهـ.

قلت: وروى الطبراني في الكبير من حديث أنس « إذا أحب الله عبداً صبّ عليه البلاء صباً وثجه ثجاً ». وروى البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلاً « إذا أحب الله عبداً ألصق به البلاء فإن الله يريد أن يصافيه ». وروى الديلمي من حديث علي « إذا رأيتم العبد ألم به الفقر والمرض فإن الله يريد أن يصافيه ». وروى ابن النجار في تاريخه من حديث عمر بن الخطاب « إذا كان يوم القيامة جيء بأهل البلاء فلا ينشر لهم ديوان ولا ينصب لهم ميزان ولا يوضع لهم صراط ويصب عليهم الأجر صباً ». وروى الطبراني من حديث ابن عباس « يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب

رضي الله تعالى عنهما قال: شكا نبي من الأنبياء عليهم السلام إلى ربه فقال: يا رب، العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء، ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجتريء عليك وعلى معاصيك تزوي عنه البلاء وتبسط له الدنيا، فأوحى الله تعالى إليه: «أنّ العباد لي والبلاء لي وكل يسبّح بحـمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب، فازوي عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه، حتى يلقاني فاجزيه بحسناته. ويكون الكافر له الحسنات فابسط له في الرزق وأزوي عنه البلاء فأجزيه بحسناته في الدنيا، حتى يلقاني فأجزيه بسيئاته». ورويانه لما نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِـهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: كيف الفرح بعد هذه الآية؟ فقال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟ ألست يصيبك الأذى؟ ألست تحزن؟ فهذا مما تجزون به» يعني أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك. وعن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم الرجل يعطيه الله

ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان فيصب عليهم الأجر صباً، حتى أن أهل العافية في الدنيا ليتمنون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله لهم».

(**وعن ابن عباس**) رضي الله عنه (**قال: شكا نبي من الأنبياء**) يعني من بني إسرائيل (**إلى ربه فقال: يا رب المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوي عنه الدنيا**) أي تصرفها عنه (**وتعرض له البلاء**) من الفقر والمرض، (**ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترىء عليك وعلى معاصيك تزوي عنه البلاء**) أي تصرفه عنه (**وتبسط له الدنيا، فأوحى الله إليه أن العباد لي والبلاء لي وكل يسبح بحمدي**) كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ [الاسراء: ٤٤] (**فيكون المؤمن عليه من الذنوب فازوي عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون**) ذلك (**كفارة لذنوبه حتى يلقاني فاجزيه بحسناته، ويكون الكافر له الحسنات فابسط له في الرزق وأزوي عنه البلاء فاجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني**) في الآخرة (**فأجزيه بسيئاته**). وهذا أيضاً أثر أورده في خلال الاخبار.

(**وروي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: كيف الفرح بعد هذه الآية؟ فقال رسول الله ﷺ «غفر الله لك يا أبا بكر ألست تمرض أليس يصيبك الأذى أليس تحزن فهذا ما تجزون به» يعني أن جميع ما يصيبك**) من المرض والأذى والحزن (**يكون كفارة لذنوبك**). قال العراقي: رواه أحمد من رواية من لم يسم عن أبي بكر، ورواه الترمذي من وجه آخر بلفظ آخر وضعفه قال: وليس له إسناد صحيح. وقال الدارقطني: وروي أيضاً من حديث عمر، ومن حديث الزبير قال: ليس فيها شيء يثبت.

ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا أن ذلك استدراج، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]، يعني لما تركوا ما أمروا به فتحنا عليهم أبواب الخير ﴿حَتَّى إذا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ [الأنعام: ٤٤] أي بما أعطوا من الخير أخذناهم بغتة».

وعن الحسن البصري رحمه الله: أن رجلاً من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية، فكلمها ثم تركها، فجعل الرجل يلتفت إليها وهو يمشي فصدمه حائط فأثر في وجهه فأتى النبي ﷺ فأخبره، فقال ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا» وقال علي كرم الله وجهه ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن قالوا: بلى فقرأ عليهم: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو

(وعن عقبة بن عامر) الجهني رضي الله عنه، **(عن النبي ﷺ انه قال :إذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصيته فاعلموا ان ذلك استدراج، وقرأ قوله تعالى: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ يعني لما تركوا ما أمروا)** به **(فتحنا عليهم أبواب الخير ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ أي بما أعطوا من الخير أخذناهم بغتة»)** أي فجأة. قال العراقي: رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن.

(وعن الحسن) بن يسار **(البصري رحمه الله تعالى أن رجلاً من الصحابة رضي الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها، فجعل الرجل يلتفت إليها وهو يمشي فصدمه حائط فأثر في وجهه فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً عجّل له عقوبة ذنبه في الدنيا»)** قال العراقي: رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح من رواية الحسن عن عبد الله بن مغفل مرفوعاً متصلاً، ووصله الطبراني أيضاً من رواية الحسن عن عمار بن ياسر، ورواه أيضاً من حديث ابن عباس، وقد روى الترمذي وابن ماجه المرفوع منه من حديث أنس وحسنه الترمذي اهـ.

قلت: ورواه هناد بن السري من مرسل الحسن «إذا أراد الله بعبد خيراً عجّل له عقوبته في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد شراً أخّر عقوبته إلى يوم القيامة حتى يأتيه كأنه غيره فيطرحه في النار». ورواه الحاكم من حديث أنس، وابن عدي من حديث أبي هريرة بلفظ «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة». وحديث الحسن عن عبد الله بن مغفل قد رواه أيضاً الحاكم والبيهقي.

(وقال علي كرم الله وجهه: ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن؟ قالوا: بلى. فقرأ عليهم) قوله تعالى: **(﴿ومَا أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾ قال: فالمصائب في**

عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، **فالمصائب في الدنيا بكسب الأوزار، فإذا عاقبه الله في الدنيا** فالله أكرم من أن يعذبه ثانياً، **وإن عفا عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه يوم** القيامة. وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ **قال: « ما تجرّع عبد قط جرعتين** أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم، **وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا قطرت قطرة** أحب إلى الله من قطرة دم اهريقت في سبيل الله، **أو قطرة دمع في سواد الليل وهو** ساجد ولا يراه إلا الله. وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله تعالى من خطوة إلى صلاة الفريضة وخطوة إلى صلة الرحم ». وعن أبي الدرداء **قال: توفي ابن لسليمان بن داود**

الدنيا بكسب الأوزار) أي بسبب ارتكابها، (**فإذا عاقبه الله في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه ثانياً وإن عفا عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة**) تقدم قريباً حديث علي من رواية الترمذي بلفظ: « من أصاب في الدنيا ذنباً عوقب به والله اعدل من أن يثني عقوبته على عبده، ومن أصاب حداً فيستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من ان يعود في شيء قد عفا عنه » ومن رواية ابن ماجه إلا أنه قال: « من أصاب حداً فعجل عقوبته في الدنيا فالله أعدل » الحديث. وقد رواه أيضاً ابن أبي الدنيا في حسن الظن، والحاكم والبيهقي.

(**وعن أنس**) رضي الله عنه، (**عن النبي ﷺ قال « ما تجرع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم و**) من (**جرعة مصيبة يصبر الرجل لها، ولا قطرت قطرة أحب إلى الله من قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله، وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله من خطوة إلى الصلاة الفريضة و**) من (**خطوة إلى صلة الرحم »**) قال العراقي: رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث علي بن أبي طالب دون ذكر القطرتين، وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكي منكر الحديث. وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر باسناد جيد « ما من جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله ». وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي امامة « ما قطر في الأرض قطرة أحب إلى الله عز وجل من دم رجل مسلم في سبيل الله أو قطرة دمع في سواد الليل » الحديث وفيه محمد بن صدقة وهو الفدكي منكر الحديث اهـ.

قلت: وروى ابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث ابن عباس « ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظمها عبد إلا ملأ الله جوفه إيماناً » ويروى حديث ابن عمر بلفظ: « ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله » هكذا رواه أحمد وابن أبي الدنيا في ذم الغضب، والطبراني والبيهقي: وروى ابن المبارك في الزهد عن الحسن مرسلاً « ما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ كظمها رجل أو جرعة صبر على مصيبة وما قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم اهريقت في سبيل الله ». وروى أبو الشيخ من حديث ابن عمر: « ما من خطوة أعظم أجراً من خطوة مشاها رجل إلى صف يسده ».

عليهما السلام فوجد عليه وجداً شديداً فأتاه ملكان فجثيا بين يديه في زي الخصوم، فقال أحدهما: بذرت بذراً فلما استحصد مرّ به هذا فأفسده، فقال للآخر: ما تقول؟ فقال: أخذت الجادة فأتيت على زرع فنظرت يميناً وشمالاً فإذا الطريق عليه، فقال سليمان عليه السلام: ولم بذرت على الطريق، أما علمت أن لا بدّ للناس من الطريق؟ قال: فلم تحزن عن ولدك، أما علمت أن الموت سبيل الآخرة؟ فتاب سليمان إلى ربه ولم يجزع على ولد بعد ذلك. ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض فقال: يا بني، لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك، فقال: يا أبت لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نعي إليه ابنة له، فاسترجع وقال: عورة سترها الله تعالى، ومؤنة كفاها الله، وأجر قد ساقه الله، ثم نزل فصلى ركعتين ثم قال: قد صنعنا ما أمر الله تعالى: قال تعالى: ﴿واسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلاَةِ﴾ [البقرة: ٤٥] وعن ابن المبارك أنه مات له ابن فعزاه مجوسي يعرفه، فقال

وتمام حديث أبي أمامة عند الديلمي بعد قوله سواد الليل من خشية الله لا يراه أحد إلا الله عز وجل.

(**وعن أبي الدرداء**) رضي الله عنه (**قال: توفي ابن لسليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجداً شديداً فأتياه ملكان فجثيا بين يديه في زي الخصوم فقال أحدهما: بذرت بذراً فلما استحصد**) أي حان أن يحصد (**مرّ به هذا فأفسده. فقال سليمان للآخر: ما تقول؟ فقال: أخذت الجادة**) أي شارع الطريق الذي يسلكه الناس (**فأتيت على زرع فنظرت يميناً وشمالاً فإذا الطريق عليه، فقال سليمان عليه السلام**) للرجل المدعي: (**ولم بذرت على الطريق أما علمت أن لا بدّ للناس من الطريق؟ قال**) الرجل: (**فلم تحزن على ولدك أما علمت أن الموت سبيل الآخرة**) لا بدّ للناس من المرور عليها، (**فتاب سليمان**) عليه السلام (**إلى ربه**) لما نبهه على ذلك (**ولم يجزع على ولد بعد ذلك. ودخل عمر بن عبد العزيز**) الأموي رحمه الله تعالى (**على ابن له مريض**) قيل هو عبد الملك (**فقال**) له: (**يا بني لأن تكون في ميزاني أحب إليّ من أن أكون في ميزانك فقال: يا أبت لأن يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب**) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**و**) يروى (**عن ابن عباس**) رضي الله عنه (**أنه نعي إليه ابنة له**) أي أخبر بموتها (**فاسترجع**) أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون وصبر (**وقال: عورة سترها الله**) تعالى (**ومؤنة كفاها الله**) تعالى (**وأجر ساقه الله**) تعالى، (**ثم نزل**) عن سريره (**فصلّى ركعتين ثم قال: قد صنعنا ما أمر الله**) تعالى قال الله تعالى ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة**﴾.

(**و**) يحكى (**عن ابن المبارك**) عبد الله رحمه الله تعالى (**أنه مات ابن له فعزاه مجوسي**

له: ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام، فقال ابن المبارك: اكتبوا عنه هذه. وقال بعض العلماء: إن الله ليبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على الأرض وما له ذنب. وقال الفضيل: إن الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير. وقال حاتم الأصم: إن الله عز وجل يحتج يوم القيامة على الخلق بأربعة أنفس على أربعة أجناس على الأغنياء بسليمان وعلى الفقراء بالمسيح وعلى العبيد بيوسف وعلى المرضى بأيوب صلوات الله عليهم. وروي أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني إسرائيل واختفى في الشجرة فعرفوا ذلك، فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار إلى رأس زكريا، فأنَّ منه أَنَّةً، فأوحى الله تعالى إليه يا زكريا لئن صعدت منك أنّه ثانية لأمحونَّك من ديوان النبوّة، فعض زكريا عليه السلام

يعرفه فقال له: ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام) يعني الصبر. (**فقال ابن المبارك)** لأصحابه: (**اكتبوا عنه هذه)** القولة أي فإنها من الحكم.

(**وقال بعض العلماء: إن الله عز وجل ليبتلي العبد بالبلاء حتى يمشي على الأرض وما له ذنب)** ومضى هذا في الحديث المرفوع. روى الطبراني من رواية محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رفعه « إن الله يبتلي عبده بالسقم حتى يكفر عنه كل ذنب » وروى الحاكم وتمام وابن عساكر من حديث أبي هريرة « إن الله ليبتلي عبده المؤمن بالسقم حتى يخفق يكفر ذلك عنه كل ذنب ».

(**وقال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: (**إن الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالخير)**. وقد روي نحو ذلك في المرفوع روى الروياني وأبو الشيخ والحسن بن سفيان وابن عساكر وابن النجار من حديث حذيفة « إن الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالخير » الحديث.

(**وقال حاتم الأصم)** رحمه الله تعالى: (**إن الله عز وجل يحتج يوم القيامة على الخلق بأربعة أنفس على أربعة أجناس: على الأغنياء بسليمان)** بن داود، (**وعلى الفقراء بالمسيح)** عيسى بن مريم، (**وعلى العبيد)** أي الأرقاء (**بيوسف)** بن يعقوب، (**وعلى المرضى بأيوب صلوات الله عليهم)** أجمعين.

(**وروي أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني إسرائيل)** لما أحسّ منهم الشر (**واختفى في الشجرة)** فإنها انشقت بنصفين فدخل في بطنها ثم التأمت (**فعرفوا ذلك)**، وذلك أن ابليس أمسك طرفاً من ثوبه فبقي بارزاً، فلما جاء بنو اسرائيل يفتشون عليه فأخبرهم أنه في بطن الشجرة فلم يصدقوه فأراهم طرف ثوبه فعرفوه، (**فجيء بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار إلى رأس زكريا)** عليه السلام (**فأنّ منه أنة)** أي من ألم ما لقي من المنشار، (**فأوحى الله تعالى إليه)** ان (**يا زكريا لئن صعدت منك أنة ثانية لأمحونّك من ديوان**

على الصبر حتى قطع شطرين. وقال أبو مسعود البلخي: من أصيب بمصيبة فمزق ثوباً أو ضرب صدراً فكأنما أخذ رمحاً يريد أن يقاتل به ربه عز وجل. وقال لقمان رحمه الله لابنه: يا بني إن الذهب يجرّب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء، فإذا أحب الله قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط. وقال الأحنف بن قيس أصبحت يوماً أشتكي ضرسي، فقلت لعمي ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثاً، فقال: لقد أكثرت من ضرسك في ليلة واحدة، وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد. وأوحى الله تعالى إلى عزير عليه السلام: « إذا نزلت بك بلية فلا

النبوّة، فعض زكريا عليه السلام على الصبر حتى قطع بشطرين) ولم يئن. ويقال: إنه كان يذكر حين وصل المنشار إلى حلقه الشريف فما زال يذكر من حلقه حتى نشر، وسموا هذا الذكر ذكر المنشار وهو من أذكار أتباع القطب بابا أحمد الميسوي قدس سره.

(وقال أبو مسعود البلخي) رحمه الله تعالى: **(من أصيب بمصيبة فمزق ثوباً أو ضرب صدراً فكأنما أخذ رمحاً يريد أن يقاتل به ربه عز وجل)** هكذا في النسخ، وأبو مسعود هذا لم أعرف من حاله شيئاً وفي بعض النسخ ابن مسعود فليحرر.

(وقال لقمان) رحمه الله تعالى **(لابنه: يا بني إن الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء، وإذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط)** يستأنس للشطر الأول بما رواه الطبراني والحاكم من حديث أبي أمامة: « إن الله ليجرب أحدكم بالبلاء وهو أعلم به كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار، فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز فذاك الذي حماه الله من الشبهات، ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك، فذاك الذي يشك بعض الشك، ومنهم من يخرج كالذهب الأسود فذاك الذي قد افتتن » قال الحاكم: صحيح وقد تعقب بعفير بن معدان وهو ضعيف. وأما الشطر الثاني: فقد رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي والضياء من حديث أنس: « إذا أحب الله قوماً ابتلاهم » ورواه أحمد في الزهد عن وهب بن منبه مرسلاً، وروى أحمد والبيهقي من حديث محمود بن لبيد « إذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع ».

(وقال) أبو بحر **(الأحنف بن قيس)** بن معاوية التميمي السعدي البصري وكان احنف الرجلين جميعاً واسمه صخر ثقة مأمون قليل الحديث: **(اصبحت يوماً اشتكي ضرسي فقلت لعمي)** صعصعة بن معاوية بن حصين التميمي له صحبة **(ما نمت البارحة من وجع الضرس حتى قلتها ثلاثاً. فقال: اكثرت من ضرسك في ليلة واحدة، وقد ذهبت عيني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد)** قال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن سلام، عن الأحنف بن قيس أنه قال لأصحابه أتعجبون من حلمي وخلقي وإنما هذا شيء استفدته من عمي صعصعة بن معاوية شكوت إليه وجعاً في بطني فأسكتني مرتين ثم قال لي: يا ابن أخي لا تشك الذي نزل بك إلى أحد فإن

تشكني إلى خلقي واشك إلي كما لا أشكوك إلى ملائكتي إذا صعدت مساويك وفضائحك » نسأل الله من عظيم لطفه وكرمه ستره الجميل في الدنيا والآخرة.

بيان فضل النعمة على البلاء:

لعلك تقول: هذه الأخبار تدل على أن البلاء خير في الدنيا من النعم، فهل لنا أنْ نسأل الله البلاء؟ فأقول: لا وجه لذلك. لما روي عن رسول الله ﷺ: إنه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة، وكان يقول هو والأنبياء عليهم السلام: « ربنا

الناس رجلان: إما صديق فيسوءه وإما عدوّ فيسره، ولكن أشك الذي نزل بك إلى الذي ابتلاك ولا تشك قط إلى مخلوق مثلك لا يستطيع أن يدفع عن نفسه مثل الذي نزل بك. يا ابن أخي إن لي عشرين سنة لا أرى بعيني هذه سهلاً ولا جبلاً فما شكوت ذلك لزوجتي ولا غيرها اهـ.

وروى المزي في تهذيب الكمال عن الأحنف قال: ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما شكوتها لأحد. **(وأوحى الله إلى عزير عليه السلام)**: يا عزير: **(إذا نزلت بك بلية فلا تشكني إلى خلقي كما لا أشكوك إلى ملائكتي إذا صعدت بمساوئك وفضائحك)** رواه الديلمي من حديث أبي هريرة بلفظ: « أوحى الله تعالى إلى أخي العزير إن أصابتك مصيبة فلا تشكني إلى خلقي فقد أصابني منك مصائب كثيرة ولم أشكك إلى ملائكتي يا عزير اعصني بقدر طاقتك على عذابي وسلني حوائجك على مقدار عملك لي ولا تأمن من مكري حتى تدخل جنتي فاهتز عزير يبكي فأوحى الله تعالى إليه لا تبك يا عزير فإن عصيتني بجهلك غفرت لك بحلمي لأني كريم لا أعجل بالعقوبة على عبادي وأنا أرحم الراحمين ».

بيان فضل النعمة على البلاء:

(لعلك تقول:) إن **(هذه الأخبار)** التي سقتها بتمامها **(تدل على أن البلاء خير في الدنيا من النعيم)** لما يترتب عليه من الثواب الجزيل، **(فهل لنا أن نسأل الله البلاء)** لحوز ذلك الثواب الموعود؟ **(فأقول: لا وجه لذلك لما روي عن رسول الله ﷺ إنه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا والآخرة)** قال العراقي: رواه أحمد من حديث بسر بن أبي أرطاة بلفظ: « أجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة » وإسناده جيد. ولأبي داود من حديث عائشة: « اللهم إني أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة » وفيه بقية وهو مدلس ورواه بالعنعنة اهـ.

قلت: حديث بسر بن أبي أرطاة رواه أيضاً ابن حبان والباوردي وابن قانع وابن أبي عاصم والطبراني والحاكم والضياء ولفظه: « اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة » وفي لفظ للطبراني: « اللهم أحسن عاقبتي في الأمور كلها واجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة من كان ذلك دعاء مات قبل أن يصيبه البلاء ». وروى مسلم وأبو داود والترمذي من حديث ابن عمر: « اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحوّل عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع

آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة » وكانوا يستعيذون من شماتة الأعداء وغيرها. وقال علي كرّم الله وجهه: اللهم إني أسألك الصبر، فقال ﷺ: « لقد سألت الله البلاء فاسأله العافية »، وروى الصديق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « سلوا الله العافية، فما أعطي أحد أفضل من العافية إلا اليقين »، وأشار باليقين إلى عافية القلب عن مرض الجهل والشك، فعافية القلب أعلى من عافية البدن. وقال الحسن رحمه الله:

سخطك » **(وكان يقول هو والأنبياء عليهم السلام: « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة »)** قال العراقي: رواه الشيخان من حديث أنس كان أكثر دعوة يدعو بها النبي ﷺ يقول: « اللهم آتنا » الحديث. ولأبي داود والنسائي من حديث عبدالله بن السائب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ما بين الركعتين: « ربنا آتنا » الحديث اهـ.

قلت: عند الشيخين بزيادة وقنا عذاب النار » وكذلك رواه أحمد وأبو داود. وأما دعوة الأنبياء عليهم السلام كذلك فقد تقدم في كتاب الحج.

(وكانوا يستعيذون من شماتة الأعداء وغيره) رواه أحمد والنسائي والطبراني والحاكم من حديث عبدالله بن عمرو: « : اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماته الأعداء » وقد تقدم في كتاب الدعوات.

(وقال علي كرم الله وجهه) في مرضه: **(اللهم إني أسألك الصبر، فقال ﷺ: « لقد سألت الله البلاء فاسأله العافية »)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث معاذ في أثناء حديث وحسنه ولم يسم علياً وإنما قال: سمع رجلاً، وله وللنسائي في اليوم والليلة من حديث علي: كنت شاكيـاً فمر بي رسول الله ﷺ وأنا أقول الحديث وفيه: وإن كان بلاء فصبرني فضربه برجله وقال: « اللهم عافه واشفه » وقال: حسن صحيح.

(وروى) أبو بكر **(الصديق رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « سلوا الله العافية فما أعطي أحد أفضل من العافية إلا اليقين »)** أورده صاحب القوت إلا أنه قال: « فما أعطى عبد ». وقال العراقي: رواه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة بإسناد جيد وقد تقدم.

قلت: ورواه أحمد والحميدي والعوفي في مسانيدهم، والترمذي وحسنه والضياء بلفظ: « سلوا الله العفو والعافية فإن أحداً لم يعط بعد اليقين خيراً من العافية ». ورواه ابن أبي شيبة وأحمد أيضاً والحاكم بلفظ: « سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فإنه ما أوتي العبد بعد اليقين خيراً من العافية ». ورواه البيهقي في الشعب بلفظ: « سلوا الله اليقين والعافية ».

(وأشار باليقين إلى عافية القلب من مرض الجهل والشك، فعافية القلب أعلى من عافية البدن) ولفظ القوت بعد إيراد حديث أبي بكر رضي الله عنه، ففضَّل العافية على كل عطاء ورفع اليقين فوق العافية لأن بالعافية يتم نعيم الدنيا واليقين معه وجود نعيم الآخرة، فلليقين فضل على

الخير الذي لا شر فيه: العافية مع الشكر فكم من منعم عليه غير شاكر. وقال مطرّف بن عبدالله: لأن أعافى فأشكر، أحب إلي من أن أبتلى فأصبر. وقال ﷺ في دعائه: «وعافيتك أحب إليّ»، وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل واستشهاد، وهذا لأن البلاء صار نعمة باعتبارين: أحدهما بالإضافة إلى ما هو أكثر منه إما في الدنيا أو في الدين،والآخر بالإضافة إلى ما يرجى من الثواب؛ فينبغي أن يسأل الله تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء، ويسأله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته فإنه قادر

العافية كفضل الدوام على الإنتقال، والعافية سلامة الأبدان من العلل والأسقام، واليقين سلامة الأديان من الزيغ والأهواء. فهاتان نعمتان يستوعبان عظيم الشكر من العبد كما استوعب القلب والجسم جسيم النعمة من الملك، ومن أقوى المعاني في قوله عز وجل ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ [الشعراء: ٨٩] أي سالم من الشك والشرك، والسالم الصحيح المعافى بوجود عافية اليقين في القلوب عدم الشك والنفاق وهي أمراض القلوب كما قال: ﴿في قلوبهم مرض﴾ [البقرة: ١٠] قيل: شك ونفاق. وعافية القلب أيضاً من الكبائر كما قال تعالى: ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ [الأحزاب: ٣٢] يعني الزنا.

(**وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: الخير الذي لا شر فيه العافية مع الشكر**) والصبر عند المصيبة، (**فكم من منعم عليه غير شاكر**) وكم من مبتلى غير صابر نقله صاحب القوت. وروي نحوه عن مطرف بن عبدالله أنه كان يقول: نظرت ما خير لا شر فيه ولا آفة، ولكل شيء آفة فما وجدته إلا أن يعافى عبد فيشكر. (**وقال مطرف بن عبدالله**) بن الشخير البصري رحمه الله تعالى من ثقات التابعين تقدمت ترجمته: (**لأن أعافى فاشكر أحب إليَّ من أن ابتلى فأصبر**) أي لأن مقام العوافي أقرب إلى السلامة، فلذلك اختار حال الشكر على الصبر لأن الصبر حال أهل البلاء كذا في القوت. وهذا القول رواه أبو نعيم في الحلية، حدثنا إبراهيم بن عبدالله، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا أبو عوان عن قتادة قال، قال مطرف لأن أعافى فذكره. (**و**) معنى ذلك فيما (**قال ﷺ في دعائه: «وعافيتك أحب إليَّ**) كذا في القوت. قال العراقي: رواه ابن الجوزي في السيرة في دعائه يوم خرج إلى الطائف بلفظ: «وعافيتك أوسع لي» وكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء من رواية حسان بن عطية مرسلاً، ورواه أبو عبدالله بن منده من حديث عبدالله بن جعفر مسنداً وفيه من يجهل، (**وهذا أظهر من أن يحتاج إلى**) إقامة (**دليل واستشهاد، وهذا لأن البلاء صار نعمة باعتبارين. أحدهما: بالإضافة إلى ما هو أكثر منه إما في الدنيا أو في الدين و**) الإعتبار (**الآخر بالإضافة إلى ما يرجى من الثواب**) وقد يفترقان وقد يجتمعان، (**فينبغي أن يسأل الله تعالى تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من البلاء ويسأله الثواب في الآخرة على الشكر على النعمة**) وروى الطبراني من

على أن يعطي على الشكر ما لا يعطيه على الصبر . فإن قلت: فقد قال بعضهم: أود أن أكون جسراً على النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون وأكون أنا في النار . وقال سمنون رحمه الله تعالى:

وليس لي في سـواك حـظ   فكيفما شئـت فـاختبرني

فهذا من هؤلاء سؤال للبلاء! فاعلم أنه حكي عن سمنون المحب رحمه الله أنه بلي بعد هذا البيت بعلة الحصر، فكان بعد ذلك يدور على أبواب المكاتب ويقول للصبيان: ادعوا لعمكم الكذاب، وأما محبة الإنسان ليكون هو في النار دون سائر الخلق فغير

حـديث أن النـبي ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك النعمة وتمامها. فقال: «أتدري ما تمام النعمة دخول الجنة والنجاة من النار» **(فإنه)** تعالى **(قادر على أن يعطي على الشكر ما يعطيه على الصبر . فإن قلت: فقد قال بعضهم: أودّ أن أكون جسراً على النار يعبر علي الخلق كلهم فينجون وأكون أنا في النار)** فهل هذا القول صحيح أم لا؟ **(وقال سمنون)** بن حمزة البغدادي أبو الحسن، وقيل أبو القاسم، ويعرف بالمحب صحب السري وأبا أحمد القلانسي ومحمد بن علي القصاب، وأكثر كلامه في المحبة وكان كبير الشأن مات قبل الجنيد كما قيل **(رحمه الله تعالى)**:

(وليس لي في سـواك حـظ   فكيفما شئـت فـاختبرني)
إن كـان يـرجـو سـواك قلبي   لا نلـت سـؤلي ولا التمني

ومن هذا الوادي قوله أيضاً

وكان فؤادي خالياً قبل حبكم   وكان يذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هـواك أجـابـه   فلست أراه عـن فنـائـك يبرح
رميت ببين منك إن كنت كاذباً   وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرح
وإن كان شيء في البلاد بأسرها   إذا غبت عـن عيني بعيني يصلح
فإن شئت واصلني وإن شئت لا تصل   فلست أرى قلبي لغيرك يصلح

(فهذا) وأمثال ذلك **(من كلام هؤلاء)** المحبين الهائمين **(سؤال للبلاء)** وتعرض له. **(فاعلم أنه حكي عن سمنون)** قائل هذا الكلام **(أنه بلي بعد)** إنشاده **(هذا البيت بعلة الحصر)** أي احتباس البول من ساعته فمكث أربعة عشر يوماً يلتوي كما تلتوي الحية على الرمل يتقلب يميناً وشمالاً واعترف بالعجز من نفسه، **(فكان بعد ذلك يدور على أبواب المكاتب)** التي فيها الصبيان يتعلمون القرآن **(ويقول للصبيان)** لكونهم لم يذنبوا وهم مشتغلون بتعلم كتاب الله تعالى رجاء إجابة دعائهم: **(ادعوا لعمكم الكذاب)** في دعواه نقله القشيري في الرسالة، ثم قال: وقيل بل أنشد هذه الأبيات فقال بعض أصحابه لبعض: سمعت البارحة وكنت بالرستاق

ممكنة، ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظنّ المحب بنفسه حباً لمثل ذلك فمن شرب كأس المحبة سكر، ومن سكر توسع في الكلام، ولو زايله سكره علم أن ما غلب عليه كان حالة لا حقيقة لها، فما سمعته من هذا الفن فهو من كلام العشاق الذين أفرط حبهم، وكلام العشاق يستلذ سماعه ولا يعوّل عليه، كما حكي أن فاختة كان يراودها زوجها فتمنعه، فقال: ما الذي يمنعك عني، ولو أردت أن أقلب لك الكونين مع ملك سليمان ظهراً لبطن لفعلته لأجلك؟ فسمعه سليمان عليه السلام فاستدعاه وعاتبه فقال: يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى، وهو كما قال. وقال الشاعر:

أريد وصاله ويريد هجري   فاترك ما أريد لما يريد

وهو أيضاً محال، ومعناه إني أريد ما لا يريد، لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر،

صوت أستاذنا سمنون يدعو الله ويتضرع إليه ويسأله الشفاء، فقال آخر: وأنا أيضاً كنت سمعت هذا البارحة وكنت بالموضع الفلاني، فقال ثالث ورابع مثل هذا: فأخبر سمنون وكان قد امتحن بعلة الحصر وكان يصبر ولا يجزع، فلما سمعهم يقولون هذا ولم يكن هو دعا ولا نطق بشيء علم بأن المقصود إظهار الجزع تأدباً بالعبودية وستر الحالة فأخذ يطوف على المكاتب ويقول: ادعوا لعمكم الكذاب اهـ.

قال الشارح: يقال أنه لما أطلق بوله قال: يا رب تبت إليك وأنشد:

أنا راضٍ بطول صدك عني   ليس إلا لأن ذاك هواكا
فامتحن بالجفا ضميري على الود   ودعني معلقاً برجاكا

(**وأما محبة الإنسان ليكون هو في النار دون سائر الخلق فغير ممكن، ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن المحب بنفسه حباً لمثل ذلك، فمن شرب كأس المحبة سكر، ومن سكر توسع في الكلام، ولوزايله سكره**) أي فارقه (**علم أن ما غلب عليه كان حالة**) عارضة (**لا حقيقة لها فما تسمعه من هذا الفن فهو من كلام العشاق**) في حال الإستغراق (**الذين أفرط بهم حبهم**) وأشربوا قلوبهم إياه (**وكلام**) العشاق المهيمين (**يستلذ سماعه ولا يعول عليه**) ولا يستشهد به على مقام، (**كما حكي أن فاختة**) طائر معروف (**كان يراودها زوجها**) للسفاد (**فتمنعه**) منه (**فقال**) لها: (**ما يمنعك عني ولو أردت أقلب لك ملك سليمان ظهراً لبطن لفعلت لأجلك فسمعه سليمان عليه السلام**) لأنه كان قد أوتي منطق الطير (**فاستدعاه وعاتبه فقال: يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى وهو كما قال**) ومن هذا القبيل كلام الليل يمحوه النهار (**وقول الشاعر**):

(**أريد وصاله ويريد هجري   فاترك ما أريد لما يريد**)

(**هو أيضاً محال، ومعناه: أني أريد ما لا أريد لأن من أراد الوصال ما أراد الهجر**

فكيف أراد الهجر الذي لم يرده، بل لا يصدق هذا الكلام إلا بتأويلين.

أحدهما: أن يكون ذلك في بعض الأحوال حتى يكتسب به رضاه الذي يتوصل به إلى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة إلى الرضا والرضا وسيلة إلى وصال المحبوب، والوسيلة إلى المحبوب محبوبة، فيكون مثاله مثال محب المال إذا أسلم درهماً في درهمين فهو يحب الدرهمين يترك الدرهم في الحال.

الثاني: أن يصير رضاه عنده مطلوباً من حيث أنه رضاه فقط ويكون له لذة في استشعاره رضا محبوبه منه تزيد تلك اللذة على لذته في مشاهدته مع كراهته، فعند ذلك يتصوّر أن يريد ما فيه الرضا، فلذلك قد انتهى حال بعض المحبين إلى أن صارت لذتهم في البلاء مع استشعارهم رضا الله عنهم أكثر من لذتهم في العافية من غير شعور الرضا، فهؤلاء إذا قدروا رضاه في البلاء صار البلاء أحب إليهم من العافية، وهذه حالة لا يبعد وقوعها في غلبات الحب ولكنها لا تثبت، وإن ثبتت مثلاً فهل هي حالة صحيحة أم

الذي لم يرده) ولا يبعد أنه أراد أن لا تكون له إرادة بدون إرادة الله، وان تكون إرادته تابعة لإرادته وصلاً أو هجراً قرباً أو بعداً. وفيه قال أبو يزيد قدس سره لما قيل له ما تريد؟ قال: أريد أن لا أريد.

واعترضه صاحب منازل السالكين فقال: هذه أيضاً إرادة ونوقش بأنها ارادة مطلوبة وبأنها داخلة في قوله أريد.

والحاصل أنه من باب كمال الرضا، **(بل لا تصدق في الكلام إلا بتأويلين)**.

(أحدهما: أن يكون ذلك في بعض الأحوال حتى يكتسب به رضاه الذي يتوصل به إلى مراد الوصال في الإستقبال فيكون الهجران وسيلة الرضا، والرضا وسيلة الوصال إلى المحبوب، والوسيلة إلى المحبوب محبوبة فيكون مثاله مثال محب المال إذا أسلم درهماً في درهمين فهو محب الدرهمين بترك الدرهم في الحال).

(الثاني: أن يصير رضاه عنده مطلوباً من حيث أنه رضاه فقط وتكون له لذة في استشعاره رضا محبوبه منه تزيد تلك اللذة على لذته في مشاهدته مع كراهته، فعند ذلك يتصور أن يريد ما فيه الرضا، فلذلك قد انتهى حال بعض المحببين إلى أن صارت لذتهم في استشعارهم رضا الله تعالى عنهم أكثر من لذتهم في العافية من غير شعور الرضا، فهؤلاء إذا قدروا رضاه في البلاء أحب إليهم من العافية، وهذه حالة لا يبعد وقوعها في غلبات الحب) وجذبات الشوق، **(ولكنها لا تثبت)** بل تزول وتنتقل وهكذا شأن الأحوال، **(وإن ثبتت مثلاً فهي حالة صحيحة)** مستقلة **(أم حالة اقتضتها حالة أخرى وردت على**

حالة اقتضتها حالة أخرى وردت على القلب فمالت به عن الاعتدال؟ هذا فيه نظر، وذكر تحقيقه لا يليق بما نحن فيه، وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء فنسأل الله تعالى المنان بفضله على جميع خلقه العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين.

بيان الأفضل من الصبر والشكر:

اعلم أنّ الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون: الصبر أفضل من الشكر. وقال آخرون: الشكر أفضل. وقال آخرون: هما سيّان. وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الأحوال، واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل، فلا معنى للتطويل

القلب فمالت به عن الإعتدال هذا فيه نظر) ومحل تأمل، والذي يظهر أن الحق القول الثاني وأنها تنشأ عن حالة أخرى ترد على القلب، **(وذكر تحقيقه)** بالتفصيل **(لا يليق بما نحن فيه)** لأنه من علوم المكاشفة، **(وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء، فنسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين)**.

بيان الأفضل من الصبر والشكر:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن الناس اختلفوا في ذلك فقال قائلون: الصبر أفضل من الشكر)** وهم الأكثرون، وظاهر الكتاب والسنة يدلان عليه. **(وقال آخرون: الشكر أفضل)** من الصبر وقد ذهب إليه بعض العارفين ورجحوه بسبع ترجيحات، وسيأتي ذكرها في آخر الباب، **(وقال آخرون: هما سيان)** أي مستويان في الدرجة والمقام **(لا فضيلة لأحدهما على الآخر)** إذ كل منهما مقام، وليس يمكن الترجيح بين مقامين لأن في كل مقام طبقات متفاوتة وهذا مذهب القدماء من العلماء إذ سئل بعضهم عن عبدين ابتلي أحدهما فصبر وأنعم على الآخر فشكر، فقال: كلاهما سواء لأن الله تعالى أثنى على عبدين أحدهما صابر والآخر شاكر بثناء واحد، فقال في وصف أيوب عليه السلام ﴿نعم العبد إنه أوّاب﴾ [ص: ٤٤] وقال في وصف سليمان عليه السلام: ﴿نعم العبد إنه أوّاب﴾ [ص: ٣٠] وهذا المذهب مرجوح كما سيأتي بيانه. **(وقال آخرون: يختلف ذلك باختلاف الأحوال)** وهذا مذهب المحققين من أهل المعرفة يقولون: إنه لا يجتمع عبـدان في مقام بالسواء لا بد أن يكون أحدهما بعمل أو علم أو وجد أو مشاهدة لتفاوت أوجه بمشاهدات، وإن كان الصواب والقصد واحداً وقال الله تعالى: ﴿ولكل وجهة هو موليها﴾ [البقرة: ١٤٨] وقال تعالى: ﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ [الإسراء: ٨٤] قيل: اقصد وأقرب طريقاً، **(واستدل كل فريق بكلام، شديد**

بالنقل، بل المبادرة إلى إظهار الحق أولى. فنقول: في بيان ذلك مقامان:

المقام الأول: البيان على سبيل التساهل: وهو أن ينظر إلى ظاهر الأمر ولا يطلب بالتفتيش بحقيقته وهو البيان الذي ينبغي أن يخاطب به عوام الخلق لقصور أفهامهم عن درك الحقائق الغامضة، وهذا الفن من الكلام الذي ينبغي أن يعتمده الوعاظ، إذ مقصود كلامهم من مخاطبة العوام إصلاحهم، والظئر المشفقة لا ينبغي أن تصلح الصبي الطفل بالطيور السمان وضروب الحلاوات، بل باللبن اللطيف، وعليها أن تؤخر عنه أطايب الأطعمة إلى أن يصير محتملاً لها بقوّته، ويفارق الضعف الذي هو عليه في بنيته فنقول: هذا المقام في البيان يأبى البحث والتفصيل ومقتضاه النظر إلى الظاهر المفهوم من موارد الشرع، وذلك يقتضي تفضيل الصبر، فإن الشكر وإن وردت أخبار كثيرة في فضله فإذا أضيف إليه ما ورد في فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر أكثر، بل فيه ألفاظ صريحة في التفضيل كقوله ﷺ: «من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر»، وفي الخبر:

الإضطراب بعيد عن التحصيل، فلا معنى للتطويل بالنقل بل المبادرة إلى إظهار الحق أولى. فنقول: في بيان ذلك مقامان.

(**المقام الأول: البيان على سبيل التساهل وهو أن ينظر إلى ظاهر الأمر ولا يطلب بالتفتيش**) والبحث (**بحقيقته، وهو البيان الذي ينبغي أن يخاطب به عوام الخلق لقصور أفهامهم عن درك الحقائق الغامضة**) أي الخفية، (**وهذا الفن**) أي النوع من الكلام (**هو الذي ينبغي أن يعتمده الوعاظ**) في وعظهم (**إذ**) هم حكام العامة، و(**مقصود كلامهم من مخاطبة العوام إصلاحهم**) بحسب حالهم، (**والظئر المشفقة**) وهي بالكسر وسكون الهمزة المرأة تحضن ولد غيرها (**لا ينبغي أن تصلح الصبي الطفل**) الرضيع (**بالطيور السمان وضروب الحلاوات**) فإنها تضر بمعدته، (**بل باللبن اللطيف. وعليها أن تؤخر عنه أطايب الأطعمة**) ولذائذ الأغذية (**إلى أن يصير محتملاً لها بقوته**) التي تنمو فيه على التدريج، (**ويفارق الضعف الذي هو عليه في بنيته، فنقول: هذا المقام في البيان يأبى البحث والتفصيل، ومقتضاه النظر إلى الظاهر المفهوم من مورد الشرع**) من الكتاب والسنة، (**وذلك يقتضي تفضيل الصبر**) على الشكر، (**فإن الشكر وإن وردت أخبار كثيرة في فضله**) مما تقدم بعضها (**فإذا أضيف إليه ما ورد في فضيلة الصبر كان فضائل الصبر أكثر، بل ألفاظ صريحة في التفضيل**) أما من الكتاب فكقوله تعالى: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ [القصص: ٥٤] فالشكر يؤتى أجره مرة، فأشبه مقام الصبر مقام الخوف وأشبه مقام الشكر مقام الرجاء، وقد قال تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن: ٤٦] وقد اتفقوا على تفضيل الخوف على الرجاء من حيث

« يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين، ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له: أما ترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر، فيقول: نعم يا رب، فيقول الله تعالى: كلا، أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الأجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين » وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وأما قوله: « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر »، فهو دليل على أنّ الفضيلة في الصبر، إذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر، فألحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته، ولولا أنه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان إلحاق الشكر به مبالغة في الشكر، وهو كقوله ﷺ: « الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة

اتفق أهل المعرفة على فضل العلم على العمل، فالصبر من مقامه الخوف وقرب حال الصابر في الفضل من مقامه، والشكر حال من مقامات الرجاء كذلك يقرب حال الشاكرين من قربه، ومن السنة (**كقوله ﷺ: « من أفضل ماأوتيتم اليقين وعزيمة الصبر »**) ومن أوتي خصلة منها لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار، وقد تقدم الكلام عليه في مبحث الصبر فقرب الصبر باليقين الذي لا شيء أعز منه ولا أجل وارتفاع الأعمال وعلو العلوم به. (**وفي الخبر: « يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين، ويؤتى بأصبر أهل الأرض فيقال له: أما ترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشاكر؟ فيقول: نعم يا رب. فيقول الله تعالى: كلا، أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لأضعفن لك الأجر**) عليه (**فيعطي أضعاف جزاء الشاكرين »**) كذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: لم أجد له أصلاً، (**وقد**) يفضل الصبر على الشكر بوجه آخر، وهو أن الصبر حال البلاء والشكر حال النعمة والبلاء أفضل لأنه على النفس أشق. (**قال الله تعالى: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾**)والشاكر يؤتى أجره بحساب لأنه إنما هو تحقيق الوصف ونفي ما عداه، وقد رفع علي رضي الله عنه الصبر على أرفع مقامات اليقين فقال: في حديثه الطويل الذي وصف فيه شعب الإيمان والصبر على أربع دعائم؛ على الشوق والإشفاق والزهد والتقريب، فمن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات، فجعل هذه المقامات أركان الصبر لأنها توجد عنه ويحتاج إليه في جميعها وجعل الزهد أحد أركانه. (**وأما قوله**) ﷺ: (**« الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر »**) رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم، (**فهو دليل على الفضيلة في الصبر إذ ذكر ذلك في معرض المبالغة لرفع درجة الشكر، فألحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته، لولا أنه فهم من علو درجة الصبر لما كان إلحاق الشكر به مبالغة في الشكر وهو كقوله ﷺ الجمعة حج المساكين وجهاد المرأة حسن التبعل »**) قال العراقي: رواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده بالشطر الأول من حديث أبي موسى بسند ضعيف، والطبراني بالشطر الثاني من حديثه بسند

حسن التبعل » وكقوله ﷺ : « شارب الخمر كعابد الوثن » وأبداً المشبه به ينبغي أن يكون أعلى رتبة ، فكذلك قوله ﷺ : « الصبر نصف الإيمان » لا يدل على أنّ الشكر مثله ، وهو كقوله عليه السلام : « الصوم نصف الصبر » فإنّ كل ما ينقسم قسمين يسمى أحدهما نصفاً وإن كان بينهما تفاوت ، كما قال الإيمان هو العلم والعمل ، فالعمل هو نصف الإيمان فلا يدل ذلك على أنّ العمل يساوي العلم . وفي الخبر عن النبي ﷺ : « آخر

ضعيف أيضاً : إن امرأة قالت : كتب الله الجهاد على الرجال فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة ؟ قال : طاعة أزواجهن . وفي رواية : ما جزاء غزوة المرأة ؟ قال : طاعة الزوج . الحديث اهـ .

قلت : وروى الشطر الأول أيضاً ابن زنجويه في ترغيبه والقضاعي في مسند الشهاب ، وابن عساكر . وفي لفظ للآخرين : الفقراء بدل المساكين . وروى الطبراني في الكبير من حديث بن عباس : « جهاد المرأة حسن التبعل لزوجها وجهاد الضعفاء الحج » .

(وكقوله ﷺ شارب الخمر كعابد الوثن ») قال العراقي : رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ : « مدمن الخمر » ورواه بلفظ : « شارب الخمر » الحرث بن أبي أسامة من حديث عبدالله بن عمرو ، وكلاهما ضعيف . وقال ابن عدي : إن حديث أبي هريرة أخطأ فيه محمد بن سليمان بن الأصبهاني اهـ .

قلت : ورواه بلفظ المصنف البزار من حديث عبدالله بن عمرو وفي مسنده قطر بن خليفة صدوق ، ووثقه أحمد وابن معين . ورواه بلفظ : « مدمن » البخاري في تاريخه ، وابن حبان من حديث أبي هريرة . ومن رواية محمد بن عبدالله عن أبيه .

(وأبداً المشبه به أعلى رتبة) من المشبه وإلاّ لما حسن وجه التشبيه ، **(فكذلك قوله)** ﷺ : **(« الصبر نصف الإيمان »)** رواه أبو نعيم ، والخطيب ، والبيهقي من حديث بن مسعود وقد تقدم . **(لا يدل على أن الشكر مثله ، وهو كقوله)** ﷺ : **(« الصوم نصف الصبر »)** رواه ابن ماجه والبيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم ، **(فإن كل ما ينقسم بنصفين يسمى أحدهما نصفاً وإن كان بينهما تفاوت)** في الدرجات **(كما يقال : « الإيمان هو العلم والعمل »)** وروى ابن النجار من حديث عبدالله بن أبي أوفى الأيمان قول وعمل . وروى ابن ماجه والطبراني وهمام والبيهقي والخطيب وابن عساكر من حديث علي : « الأيمان عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان » . **(فالعمل هو نصف الإيمان فلا يدل على أن العمل يساوي العلم)** وقد اتفق أهل المعرفة على أن العلم أفضل من العمل ، ثم أشار المصنف إلى نوع آخر من الإستدلال على تفضيل الصبر بحال سيدنا سليمان عليه السلام وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، وفي أثناء ذلك الأشعار بالرد على من يقول : إنهما سيان ، وبيان ذلك أنه قد تقدم قول من قال : إن الصبر والشكر سيّان لا ترجيح لأحدهما على الآخر ، وأنه استدل بحال أيوب وسليمان عليهما السلام حيث أثنى عليهما بثناء واحد وفي هذا غفلة عن لطائف الأفهام وذهاب عن حقيقة تدبر الكلام ، إذ بين ثناء الله تعالى على أيوب عليه السلام في الفضل على ثنائه على سليمان عليه السلام ثلاثة عشر معنى ، وشرك سليمان عليه

السلام بعد ذلك في وصفين آخرين، وأفرد أيوب عليه السلام بفضل ثناء ثلاثة عشر أول ذلك قوله تعالى في مدحه (**واذكر**) فهذه كلمة مباهاة باهي بأيوب عليه السلام عند رسوله المصطفى ﷺ وشرفه وفضله بقوله تعالى: واذكر يا محمد فأمره بذكره والإقتداء به كقوله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ [الأحقاف: ٣٥] قيل: هم أهل الشدائد والبلاء منهم أيوب عليه السلام قرضوا بالمقاريض ونشروا بالمناشير وكانوا سبعين نبياً، وقيل: هم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وهؤلاء آباء الأنبياء وأفاضلهم كقوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم﴾ [ص: ٤٥] وكقوله: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾ [مريم: ٤١] يعني أصحاب القوة والتمكين وأهل البصائر واليقين، ثم رفع أيوب إلى مقامهم فضمه إليهم وجعله سلوة له ﷺ ثم ذكره إياه وذكر به ثم قال: (**عبدنا**) فأضافه إليه إضافة تخصيص وتقريب ولم يدخل بينه وبينه لام تعريف فيقول: عبداً لنا فألحقه بنظرائه من أهل البلاء في قوله: ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾ وهم أهل البلاء الذين باهى بهم الأنبياء وجعل من ذرياتهم الأصفياء فأضاف أيوب إليهم في حسن الثناء وفي لفظ التذكرة به في الثناء ثم قال: ﴿نادى ربه﴾ فأفرده بنفسه لنفسه وانفرد له في الخطاب بوصفه وقال: ﴿مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ [ص: ٤١] فوصفه بمواجهة التملق له ولطيف المناجاة فظهر له بوصف الرحمة فاستراح إليه فناداه فشكا إليه واستغاث به فأشبه مقامه مقام موسى ويونس عليهما السلام في قولهما ﴿تُبْتُ إليك﴾ [الأحقاف: ١٥] وفي قول الآخر: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧] هذا خطاب المشاهدة ونظر المواجهة، ثم وصفه بالاستجابة له وأهله بكشف الضر عنه وجعل كلامه سبباً لتنفيذ قدرته ومكاناً لمجاري حكمته ومفتاحاً لفتح إجابته ثم قال بعد ذلك كله (**ووهبنا له أهله**) ﴿ ص: ٤٣] فزاد على سليمان عليه السلام في الوصف إذ كان بين من وهب لأهله وبين من وهب له أهله فضل في المدح لأنه قال في وصف سليمان ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾ [ص: ٣٠] فاشبه فضل أيوب في ذلك على سليمان كفضل موسى على هارون عليهم السلام لأنه قال في فضل موسى عليه السلام وتفضيله على هارون عليه السلام: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ [مريم: ٥٣] وكذلك قال في مدح داود ﴿ووهبنا لداود سليمان﴾ فوهب لموسى أخاه كما وهب لداود ابنه، وأشبه مقام أيوب في المباهاة والتذكرة به مقام داود عليه السلام لأنه قال أيضاً في وصفه لنبيه ﷺ: ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود﴾ [ص: ١٧] وكذلك قال في نعت أيوب ﴿واذكر عبدنا أيوب﴾ [ص: ٤١] فقد شبه أيوب بداود وموسى عليهما السلام في المعنى ورفعه إليهما في المقام وهما في نفوسنا أفضل من سليمان عليه السلام، فأشبه أن يكون حال أيوب أعلى من حال سليمان عليهما السلام، وعلم الله المقدم ولكن هذا ألقي في قلوبنا والله أعلم. ثم قال بعد ذلك ﴿رحمة منا﴾ فذكر نفسه ووصفه عند عبده تشريفاً له وتعظيماً، ثم قال: ﴿وذكرى لأولي الألباب﴾ [ص: ٤٣] فجعله إماماً للعقلاء وقدوة لأهل الصبر والبلاء وتذكرة وسلوة من الكروب للأصفياء، ثم قال عز وجل ﴿إنا وجدناه صابراً﴾ فذكر نفسه سبحانه ذكراً ثانياً لعبده، ووصل اسمه باسمه حباً له وقرباً منه، لأن النون

الأنبياء دخولاً الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه. وآخر أصحابي دخولاً الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه». وفي خبر آخر: «يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفاً» وفي الخبر: «أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد، وأوّل من يدخله أهل البلاء أمامهم أيوب عليه السلام» وكل ما ورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر، لأن الصبر حال الفقير، والشكر حال الغنى، فهذا هو

والألف في وجدناه اسمه تعالى والهاء اسم عبده أيوب، ثم قال: ﴿صابراً﴾ فوصفه بالصبر فأظهر مكانه في القوة، ثم قال في آخر أوصافه ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ [ص: ٣٠] فهذا أول وصف سليمان وآخره ههنا شركه في الثناء، وزاد أيوب بما تقدم في المدح والوصف الذي لا يقوم له شيء وذلك من قوله تعالى ﴿واذكر عبدنا أيوب﴾ إلى قوله ﴿أوّاب﴾ [ص: ٤١ - ٤٤] وجعل في أول وصف سليمان بأنه وهبه لأبيه داود فصار حسنة من حسنات داود واشتمل قوله: ﴿نعم العبد أنه أوّاب﴾ على أول وصفه، وأوسطه وهو آخر وصف أيوب عليهم السلام أجمعين. **(و)** قد جاء **(في الخبر عن النبي ﷺ)** أنه قال: **(« آخر الأنبياء دخولاً الجنة سليمان ابن داود)** عليهما السلام **(لمكان ملكه. وآخر أصحابي دخولاً الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه »)** هكذا أورده صاحب القوت، وبمعنى الشطر الأول حديث معاذ الآتي ذكره بعد بحديث، وروى البزار من حديث أنس: « آخر من يدخل الجنة من أغنياء أمتي عبد الرحمن بن عوف ».وفيه أغلب بن تميم ضعيف قاله العراقي. **(وفي خبر آخر)** ولفظ القوت: وفي لفظ آخر **(يدخل سليمان)** بن داود الجنة **(بعد الأنبياء بأربعين خريفاً »)** قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية دينار عن أنس بن مالك ودينار الحبشي أحد الكذابين على أنس والحديث منكر. وروى الطبراني في الأوسط من حديث معاذ بن جبل: « يدخل الأنبياء كلهم قبل داود وسليمان الجنة بأربعين عاماً » وقال: لم يروه إلا شعيب بن خالد وهو كوفي ثقة.

(وفي الخبر « أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد، وأول من يدخله أهل البلاء إمامهم أيوب عليه السلام ») وهكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: لم أجد له أصلاً ولا في الأحاديث الواردة في مصاريع أبواب الجنة مفرقة، ثم قال صاحب القوت: وقد زاد أيوب على سليمان عليهما السلام بعموم هذه الآثار لأنه سيد أهل البلاء وتذكرة وعبرة لأولى النهى، وإمام أهل الصبر والضر والإبتلاء. ثم أشار المصنف إلى تفصيل آخر في تفضيل الصبر فقال:

(وكل ماورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لأن الصبر حال الفقر، والشكر حال الغنى) فمن فضل الشكر على الصبر في المعنى فكأنه فضل الغنى على الفقر، وليس هذا مذهب أحد من القدماء إنما هذه طريقة علماء الدنيا طرقوا لنفوسهم بذلك وطرقوا للخلق إلى نفوسهم من ذلك لأن من فضل الغنى على الفقر فقد فضل الرغبة على الزهد، والعز على الذل، والكبر على التواضع. وفي هذا تفضيل الراغبين والأغنياء على

المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ اللائق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم.

المقام الثاني: هو البيان الذي نقصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الأمور وبطريق الكشف والإيضاح فنقول فيه: كل أمرين مبهمين لا تمكن الموازنة بينهما مع الإبهام ما لم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما، وكل مكشوف يشتمل على أقسام لا تمكن الموازنة بين الجملة والجملة، بل يجب أن تفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان. والصبر والشكر أقسامها وشعبها كثيرة فلا يتبين حكمها في الرجحان والنقصان مع الإجمال فنقول: قد ذكرنا أن هذه المقامات تنتظم من أمور ثلاثة: علوم، وأحوال، وأعمال، والشكر والصبر وسائر المقامات هي كذلك وهذه الثلاثة إذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين في الظواهر ان العلوم تراد للأحوال، والأحوال تراد للأعمال، والأعمال هي الأفضل، وأما أرباب البصائر فالأمر عندهم بالعكس من ذلك فإن الأعمال تراد للأحوال والأحوال تراد للعلوم؛ فالأفضل العلوم، ثم الأحوال ثم

الزاهدين والفقراء، ويخرج ذلك إلى تفضيل أبناء الدنيا على أبناء الآخرة **(فهذا هو المقام الذي يقنع العوام ويكفيهم في الوعظ اللائق بهم والتعريف لما فيه صلاح دينهم)** إذ ليس فيه صرف عن ظواهر الكتاب والسنة.

(المقام الثاني: وهو البيان الذي نقصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بحقائق الأمور بطريق الكشف والإيضاح) والتبيين والإفصاح، **(فنقول: فيه كل أمرين مبهمين)** أي معلومي الحقائق **(لا يمكن الموازنة بينهما مع)** وجود **(الإبهام)** فيهما **(مالم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما)** فيرتفع الإبهام، **(وكل مكشوف)** معلوم بحقيقته **(يشتمل على أقسام)** متنوعة **(لا يمكن الموازنة بين الجملة والجملة، بل يجب أن تفرد الآحاد بالموازنة حتى يتبين الرجحان)** وبه يتوصل إلى الموازنة بين الجملة والجملة، **(والصبر والشكر أقسامها وشعبها كثيرة)** كما تقدم ذكرها، **(فلا يتبين حكمها في الرجحان والنقصان مع الإجمال، فنقول: قد ذكرنا)** في كتاب التوبة**(أن هذه المقامات)** التسعة من مقامات اليقين **(تنتظم من أمور ثلاثة: علوم وأحوال وأعمال)**. فالعلوم هي الأصول، والأحوال ما تنشأ عنها من المواجيد، والأعمال ماتنشئها المواجيد على القلوب والجوارح من الأعمال، **(والشكر والصبر وسائر المقامات)** مما ذكر ومما سيذكر **(هي كذلك)** لابد في إنتظامها إلى الأمور المذكورة، **(وهذه الثلاثة إذا وزن البعض منها بالبعض لاح للناظرين إلى الظواهر أن العلوم تراد للأحوال، والأحوال تراد للأعمال، والأعمال هي الأفضل)** فهذا نظر أرباب الظواهر. **(وأما أرباب البصائر فالأمر عندهم بالعكس من ذلك فإن الأعمال)** عندهم **(إنما تراد للأحوال والأحوال)** إنما **(تراد للعلوم، فالأفضل العلوم)** وهي المعارف في كل مقام، **(ثم**

الأعمال، لأن كل مراد لغيره فذلك الغير لا محالة أفضل منه: وأما آحاد هذه الثلاثة فالأعمال قد تتساوى وقد تتفاوت إذا أضيف بعضها إلى بعض، وكذا آحاد الأحوال إذا أضيف بعضها إلى بعض وكذا آحاد المعارف، وأفضل المعارف علوم المكاشفة وهي أرفع من علوم المعاملة، بل علوم المعاملة دون المعاملة لأنها تراد للمعاملة؛ ففائدتها اصلاح العمل، وإنما فضل العالم بالمعاملة على العابد إذا كان علمه مما يعم نفعه فيكون بالإضافة إلى عمل خاص أفضل؛ وإلا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر؛ فنقول: فائدة إصلاح العمل إصلاح حال القلب، وفائدة إصلاح حال القلب أن ينكشف له جلال الله تعالى في ذاته، وصفاته، وأفعاله، فأرفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه وهي الغاية التي تطلب لذاتها، فإن السعادة تنال بها بل هي عين السعادة، ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بأنها عين السعادة وإنما يشعر بها في الآخرة فهي المعرفة الحرّة التي لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها. وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالإضافة إليها فإنها إنما تراد لأجلها. ولما كانت مرادة لأجلها كان تفاوتها بحسب نفعها في الإفضاء إلى معرفة الله تعالى، فإن بعض المعارف يفضي إلى بعض إما

الأحوال) الناشئة عن مواجيد تلك المعارف، **(ثم الأعمال)** على هذا الترتيب **(لأن كل مراد لغيره فذلك الغير لامحالة أفضل منه. وأما آحاد هذه الثلاثة فالأعمال قد تتساوى وقد تتفاوت إذا أضيف بعضها إلى بعض، وكذا الأحوال وآحاد المعارف)** أي إذا أضيف بعضها إلى بعض، **(وأفضل المعارف علوم المكاشفة وهي أرفع)** رتبة **(من علوم المعاملة بل علوم المعاملة دون المعاملة)** نفسها **(فإنها)** أي تلك العلوم **(تراد للمعاملة ففائدتها إصلاح العمل وإنما فضل العالم بالمعاملة على العابد إذا كان علمه مما يعم نفعه)** على الكل، **(فيكون بالإضافة إلى عمل خاص أفضل وإلا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر)** وإذا عرفت ذلك **(فنقول: فائدة إصلاح العمل إصلاح حال القلب، وفائدة اصلاح حال القلب أن ينكشف له جلال الله تعالى)** وعظمته **(في ذاته وصفاته وأفعاله فأرفع علوم المكاشفة معرفة الله سبحانه)** في ذاته وصفاته وأفعاله **(وهي الغاية التي تطلب لذاتها فإن السعادة تنال بها)** وهي القرب من جوار الله تعالى، **(بل هي عين السعادة ولكن قد لايشعر القلب في الدنيا بأنها عين السعادة وإنما يشعر بها في الآخرة)** عند معاينة الحقائق **(فهي المعرفة الحرة التي لا قيد عليها فلا تتقيد بغيرها)** وجعلها حرة نظراً إلى إنفكاكها عن ربقة التقييد بالغير، **(وكل ماعداها من المعارف)** بمنزلة **(عبيد وخدم بالإضافة إليها فإنها إنما تراد لأجلها)** لا لذاتها، **(ولما كانت مرادة لأجلها كان تفاوتها بحسب نفعها في الإفضاء إلى معرفة الله تعالى، فإن بعض المعارف يفضي إلى بعض إما بواسطة)** واحدة **(أو بوسائط**

بواسطة أو بوسائط كثيرة، فكلما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهي أفضل. وأما الأحوال فنعني بها أحوال القلب في تصفيته وتطهيره عن شوائب الدنيا وشواغل الخلق، حتى إذا طهر وصفا اتضح له حقيقة الحق، فإذا فضائل الأحوال بقدر تأثيرها في إصلاح القلب وتطهيره، واعداده لأن تحصل له علوم المكاشفة، وكما أن تصقيل المرآة يحتاج إلى أن يتقدم على تمامه أحوال للمرآة بعضها أقرب إلى الصقالة من بعض، فكذلك أحوال القلب، فالحالة القريبة أو المقرّبة من صفاء القلب هي أفضل مما دونها لا محالة بسبب القرب من المقصود، وهكذا ترتيب الأعمال فإن تأثيرها في تأكيد صفاء القلب وجلب الأحوال إليه، وكل عمل إما أن يجلب إليه حالة مانعة من المكاشفة موجبة لظلمة القلب جاذبة إلى زخارف الدنيا، وإما أن يجلب إليه حالة مهيئة للمكاشفة موجبة لصفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه. واسم الأول المعصية، واسم الثاني الطاعة، والمعاصي من حيث التأثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة، وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الأحوال، وذلك انا بالقول المطلق ربما نقول الصلاة النافلة أفضل من كل عبادة نافلة، وإن الحج أفضل من الصدقة، وأنّ قيام الليل أفضل من غيره. ولكن التحقيق فيه أن الغني الذي

كثيرة، فكلما كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهي أفضل). فهذه معرفة الموازنة في العلوم والمعارف، **(وأما الأحوال فنعني بها أحوال القلب في تصفيته وتطهيره من شوائب الدنيا وشواغل الخلق حتى إذا طهر وصفا)** عنها **(إتضح له حقيقة الحق)** وهذا إنما ينشأ من مواجيد المعارف، **(فإذاً فضائل الأحوال بقدر تأثيرها في إصلاح القلب وتطهيره وإعداده)** أي تهيئته، **(لأن تحصل له علوم المكاشفة)** التي هي المرادة لذاتها، **(وكما أن تصقيل المرآة)** عن الكدورات **(يحتاج إلى أن يتقدم على تمامه أحوال للمرآة بعضها أقرب إلى الصقالة من بعض، فكذلك أحوال القلب، فالحالة القريبة من صفاء القلب هي أفضل مما دونها لامحالة بسبب القرب من المقصود)** فهذا معرفة الموازنة في الأحوال، **(وهكذا ترتيب الأعمال فإن تأثيرها في تأكد صفاء القلب)** وطهارته من الأدناس **(وجلب الأحوال إليه وكل عمل، فإما أن يجلب إليه حالة مانعة من المكاشفة موجبة ظلمة القلب جاذبة إلى زخارف الدنيا)** وبهجاتها، **(وإما أن يجلب)** إليه **(حالة مهيئة للمكاشفة موجبة صفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه، وإسم الأول المعصية وإسم الثاني الطاعة، والمعاصي)** بأسرها **(من حيث التأثير في ظلمة القلب وقساوته متفاوتة، وكذا الطاعات في تنوير القلب وتصفيته فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها، وذلك يختلف باختلاف الأحوال، وذلك أنا بالقول المطلق ربما نقول: الصلاة أفضل من كل عبادة نافلة، وأن الحج أفضل من الصدقة،**

معه مال وقد غلبه البخل وحب المال على إمساكه فإخراج الدرهم له أفضل من قيام ليال وصيام أيام، لأن الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فأراد كسرها أو منعه الشبع عن صفاء الفكر من علوم المكاشفة فأراد تصفية القلب بالجوع، فأما هذا المدبر إذ لم تكن حاله هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه، فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله إلى حال غيره، وهو كالمريض الذي يشكو وجع لبطن إذا استعمل دواء الصداع لم ينتفع به، بل حقه أن ينظر في المهلك الذي استولى عليه، والشح المطاع من جملة المهلكات، ولا يزيل صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة، بل لا يزيله إلا إخراج المال، فعليه أن يتصدق بما معه، وتفصيل هذا مما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع إليه، فإذاً باعتبار هذه الأحوال يختلف، وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب المطلق فيه خطأ، إذ لو قال لنا قائل: الخبز أفضل أم الماء لم يكن فيه جواب حق إلا أن الخبز للجائع أفضل، والماء للعطشان أفضل، فإن اجتمعا فلينظر إلى الأغلب فإن كان العطش هو الأغلب فالماء أفضل، وإن كان الجوع أغلب فالخبز

وأن قيام الليل أفضل من غيره) وهو على إطلاقه صحيح، **(ولكن التحقيق فيه أن الغني الذي معه مال كثير وقد غلبه البخل وحب المال على إمساكه فأخراج درهم له أفضل من قيام ليال وصيام أيام، لأن الصيام يليق بمن غلبه شهوة البطن فأراد كسرها)** برياضة الصوم **(أو منعه الشبع عن صفاء الفكر في علوم المكاشفة فأراد تصفية القلب بالجوع)** لينفتح له باب المعرفة في الله تعالى، **(فأما هذا المدبـر إن لم تكن حاله هذه الحال فليس يستضر بشهوة بطنه ولا هو مشتغل بنوع فكر يمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله إلى حال غيره، وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن، إذا استعمل دواء الصداع لم ينتفع به)** لإختلاف العلتين، **(بل حقه أن ينظر في المهلك الذي استولى عليه)** وغلب طبعه **(والشح المطاع)** وهو الذي يكون هو مغلوباً له وذاك حاكماً عليه بمنزلة الأمير المطاع فيعمل بموجب أوامره ولا يطيع باعث الدين أبداً وهو **(من جملة المهلكات)** كما ورد ذلك في الخبر «ثلاث منجيات وثلاث مهلكات» الحديث وقد تقدم في كتاب ذم البخل، **(ولا يزيل صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة)** منه لانفكاك الجهتين، **(بل لا يزيله إلا إخراج المال)** عن ملكه، **(فعليه أن يتصدق بما معه)** هذا هو الأفضل في حقه. **(وتفصيل هذا مما ذكرناه في ربع المهلكات فليرجع إليه)** فإنه مهم، **(فإذاً باعتبار هذه الأحوال يختلف وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب المطلق فيه خطأ إذ لو قال لنا قائل: الخبز أفضل أم الماء لم يكن فيه جواب حق إلا أن الخبز للجائع أفضل والماء للعطشان أفضل، فإن إجتمعا فلينظر إلى الأغلب، فإن كان العطش هو الأغلب فالماء أفضل، فإن تساويا**

أفضل، فإن تساويا فهما متساويان، وكذا إذا قيل السكنجبين أفضل أم شراب اللينوفر؟ لم يصح الجواب عنه مطلقاً أصلاً، نعم لو قيل لنا: السكنجبين أفضل أم عدم الصفراء؟ فنقول: عدم الصفراء، لأن السكنجبين مراد له، وما يراد لغيره فذلك الغير أفضل منه لا محالة، فإذاً في بذل المال عمل وهو الإنفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب، ويتهيأ القلب بسبب خروج حب الدنيا منه لمعرفة الله تعالى وحبه، فالأفضل المعرفة، ودونها الحال، ودونها العمل.

فإن قلت، فقد حث الشرع على الأعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ١٠٤] فكيف لا يكون الفعل والإنفاق هو الأفضل؟ فاعلم ان الطبيب إذا أثنى على الدواء لم يدل على أن الدواء مراد لعينه، أو على أنه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به، ولكن الأعمال علاج لمرض القلوب، ومرض القلوب مما لا يشعر به غالباً فهو كبرص على وجه من لا مرآة معه، فإنه لا يشعر به، ولو ذكر له لا

فهما متساويان) لا فضيلة لأحدهما على الآخر، **(وكذا إذا قيل السكنجبين أفضل أم شراب اللينوفر)** وفي نسخة النيلوفر وهو نبات يخرج في البرك والأنهار عند زيادة الماء وله زهر إسمانجوني والشراب المتخذ منه مبرد مرطب نافع للسعال والشوصة وذات الجنب مقو للقلب مسكن للعطش مزيل للسهر الكائن من الحرارة ملين للطبيعة نافع من الصداع وهو مع حلاوته لا يستحيل صفراء بخلاف سائر الأشربة الحلوة **(لم يصح الجواب عنه مطلقاً أصلاً. نعم لو قيل لنا السكنجبين أفضل أم عدم الصفراء؟ فنقول: عدم الصفراء)** أفضل **(لأن السكنجبين مراد له وما يراد لغيره فذلك الغير أفضل منه لامحالة، فإذاً في بذل المال عمل وهو الإنفاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب، ويتهيأ القلب بسبب خروج حب الدنيا منه)** أي من القلب **(لمعرفة الله تعالى وحبه، فالأفضل المعرفة ودونها الحال ودونها العمل)** على هذا الترتيب.

(فإن قلت: فقد حث الشرع على الأعمال وبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات في قوله تعالى ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾) وقال تعالى: **(﴿ويأخذ الصدقات﴾)** وغير ذلك مما ورد الحث عليه في الكتاب والسنة **(فكيف لا يكون الفعل والإنفاق هو الأفضل؟ فاعلم أن الطبيب إذا أثنى على الدواء لم يدل على أن الدواء مراد لعينه أو على أنه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به، ولكن الأعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلب مما لا يشعر به غالباً)** لخفائه عنا، **(فهو كبرص على وجه من لا مرآة معه فإنه لا يشعر به، ولو ذكر له لا يصدق به والسبيل معه المبالغة في الثناء على غسل الوجه بماء**

يصدق به. والسبيل معه المبالغة في الثناء على غسل الوجه بماء الورد مثلاً إن كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحثه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول مرضه، فإنه لو ذكر له أن المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا عيب فيه. ولنضرب مثلاً أقرب من هذا فنقول: من له ولد علمه العلم والقرآن وأراد أن يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه، وعلم أنه لو أمره بالتكرار والدراسة ليبقى له محفوظاً لقال إنه محفوظ ولا حاجة بي إلى تكرار ودراسة، لأنه يظن أن ما يحفظه في حال يبقى كذلك أبداً، وكان له عبيد فأمر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل لتتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم، فربما يظن الصبي المسكين أن المقصود تعليم العبيد القرآن وإنه قد استخدم لتعليمهم فيشكل عليه الأمر فيقول: ما بالي قد استخدمت لأجل العبيد وأنا أجل منهم وأعز عند الوالد، واعلم أن أبي لو أراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفي به، واعلم أنه لا نقصان لأبي بفقد هؤلاء العبيد فضلاً عن عدم علمهم بالقرآن، فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم اعتماداً على استغناء أبيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبراً محروماً من حيث لا يدري، وقد انخدع بمثل هذا الخيال طائفة وسلكوا طريق الإباحة وقالوا: إن الله تعالى غني عن

الورد مثلاً إن كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحثه فرط الثناء على المواظبة عليه فيزول برصه، فإنه لو ذكر له أن المقصود زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا عيب فيه، ولنضرب مثلاً أقرب من هذا فنقول: من له ولد علمه العلم أو القرآن وأراد أن يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه، وعلم أنه لو أمره بالتكرار والدراسة ليبقى) في ذهنه **(محفوظاً لقال: إنه محفوظ ولا حاجة إلى تكرار ودراسة لأنه يظن أن ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبداً)** وليس كما ظن، **(وكان له عبيد فأمر الولد بتعليم العبيد ووعده على ذلك بالجميل لتتوفر داعيته على كثرة التكرار بالتعليم، فربما يظن الصبي المسكين أن المقصود تعليم القرآن)** فقط **(وأنه قد أستخدم لتعليمهم فيشكل عليه الأمر فيقول: ما بالي قد أستخدمت لأجل العبيد وأنا أجل منهم)** قدراً **(و أعز عند الوالد، وأعلم أن أبي لو أراد تعليم العبيد لقدر عليه دون تكليفي به)** بأن يكلف به غيري، **(واعلم أنه لانقصان لأبي بفقد هؤلاء العبيد فضلاً عن عدم علمهم بالقرآن، فربما يتكاسل هذا المسكين فيترك تعليمهم إعتماداً على إستغناء أبيه وعلى كرمه في العفو عنه فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبراً محروماً من حيث لا يدري، وقد انخدع بهذا الخيال طائفة)** ممن خفت عقولهم **(وسلكوا طريق الإباحة وقالوا: إن الله تعالى غني عن عبادتنا**

عبادتنا وعن أن يستقرض منا، فأي معنى لقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ [البقرة: ٢٤٥] ولو شاء الله إطعام المساكين لأطعمهم فلا حاجة بنا إلى صرف أموالنا إليهم، كما قال تعالى حكاية عن الكفار: ﴿وَإذا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ﴾ [يس: ٤٧]، وقالوا أيضاً: ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ ما أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم، فسبحان من إذا شاء أهلك بالصدق وإذا شاء أسعد بالجهل: ﴿يُضلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ [البقرة: ٢٦] فهؤلاء لما ظنوا أنهم استخدموا لأجل المساكين والفقراء أو لأجل الله تعالى، ثم قالوا لا حظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي أموالنا سواء أنفقنا أو أمسكنا: هلكوا كما هلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لأجل العبيد ولم يشعر بأنه كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه وتأكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا، وإنما كان ذلك من الوالد تلطفاً به في استجراره إلى ما فيه سعادته، فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق، فإذاً المسكين الآخذ لمالك يستوفي بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك، فإنه مهلك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك؛ فالحجام خادم لك لا أنت خادم للحجام. ولا يخرج الحجام عن

وعن أن يستقرض منا. وأي معنى لقوله ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ ولو شاء الله إطعام المساكين أطعمهم فلا حاجة منا إلى صرف أموالنا إليهم، كما قال تعالى حكاية عن الكفار ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ **(وقالوا أيضاً ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾ فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكوا بصدقهم، فسبحان من إذا شاء أهلك بالصدق وإذا شاء أسعد بالجهل يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً)** يعني القرآن، **(فهؤلاء لما ظنوا إذ ظنوا أنهم أستخدموا لأجل المساكين والفقراء أو لأجل الله تعالى ثم قالوا: لاحظ لنا في المساكين ولا حظ لله فينا وفي أموالنا سواء أنفقنا أو أمسكنا هلكوا كما هلك الصبي لما ظن أن مقصود الوالد إستخدامه لأجل العبيد ولم يشعر بأنه كان المقصود ثبات صفة العلم في نفسه وتأكده في قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا، وإنما كان ذلك من الوالد تلطفاً به في إستجراره إلى ما فيه سعادته، فهذا المثال يبين لك ضلال من ضل من هذا الطريق)** وإستولى الشيطان على عقله، **(فإذاً المسكين الآخذ لمالك يستوفي بواسطة المال خبث البخل وحب الدنيا من باطنك فإنه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج الدم منك ليخرج بخروج الدم العلة المهلكة من باطنك)** الحاصلة من تبيغ الدم، **(فالحجام**

كونه خادماً بأن يكون له غرض في أن يصنع شيئاً بالدم، ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها عن خبائث الصفات امتنع رسول الله ﷺ من أخذها وانتهى عنها، كما نهى عن كسب الحجام وسماها أوساخ أموال الناس، وشرف أهل بيته بالصيانة عنها، والمقصود أن الأعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربع المهلكات. والقلب بحسب تأثيرها مستعداً لقبول الهداية ونور المعرفة، فهذا هو القول الكلي والقانون الأصلي الذي ينبغي أن يرجع إليه في معرفة فضائل الأعمال والأحوال والمعارف، ولنرجع الآن إلى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فنقول: في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل، فلا يجوز أن تقابل المعرفة في أحدهما بالحال، أو العمل في الآخر، بل يقابل كل واحد منها بنظيره حتى يظهر التناسب، وبعد التناسب يظهر الفضل، ومهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا إلى معرفة واحدة، إذ معرفة الشاكر: أن يرى نعمة العينين مثلاً من الله تعالى ومعرفة الصابر: أن يرى العمى من الله، وهما معرفتان

خادم لك لا أنت خادم للحجام ولا يخرج الحجام عن كونه خادماً) لك (**بأن يكون له غرض في أن يصنع شيئاً بالدم، ولما كانت الصدقات مطهرة للبواطن ومزكية لها من خبائث الصفات**) لقوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ [التوبة: ١٠٣]الآية (**إمتنع رسول الله ﷺ من أخذها وانتهى عنها كما نهى عن كسب الحجام**) رواه إبن ماجه من حديث ابن مسعود وقد تقدم، (**وسماها**) أي الصدقات (**أوساخ الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث عبد المطلب بن ربيعة « إن هذه الصدقة لا تحل لنا إنما هي أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد » وفي رواية له « أوساخ الناس » اهـ.

قلت: رواه أبو داود والنسائي بلفظ « إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد ».

(**والمقصود أن الأعمال مؤثرات في القلب كما سبق في ربع المهلكات والقلب، بحسب تأثرها يستعد لقبول الهداية ونور المعرفة، فهذا هو القول الكلي والقانوني الأصلي الذي ينبغي أن يرجع إليه في معرفة فضائل الأعمال والأحوال والمعارف. فلنرجع الآن إلى خصوص ما نحن فيه من الصبر والشكر فنقول: في كل واحد منهما معرفة وحال وعمل**) إذ تقدم أن المقامات لا تنتظم إلا بهؤلاء الثلاثة، (**فلا يجوز أن تقابل المعرفة في أحدهما بالحال والعمل في الآخر، بل يقابل كل واحد بنظيره متى يظهر التناسب وبعد التناسب يظهر الفضل**) والترجيح. (**ومهما قوبلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر ربما رجعا إلى معرفة واحدة إذ معرفة الشاكر أن يرى نعمة العينين مثلاً من الله تعالى**) فيشكر، (**ومعرفة**

متلازمتان متساويتان هذا إن اعتبرتا في البلاء والمصائب. وقد بينا أن الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية، وفيهما يتحد الصبر والشكر لأنّ الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة، لأن الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ما هو المقصود منها بالحكمة والصبر يرجع إلى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى. فالصبر والشكر فيه إسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين فثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبراً بالإضافة إلى باعث الهوى، ويسمى شكراً بالإضافة إلى باعث الدين، إذ باعث الدين إنما خلق لهذه الحكمة وهو أن يصرع به باعث الشهوة، فقد صرفه إلى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معنى واحد، فكيف يفضل الشيء على نفسه؛ فإذا مجاري الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلاء وقد ظهر حكمهما في الطاعة والمعصية وأما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة والنعمة إمـا أن تقع ضرورية كالعينين مثلاً، وإما أن تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال، أما العينان فصبر الأعمى عنهما بأن لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى في بعض المعاصي،

الصابر أن يرى العمى من الله) فيصبر، (**وهما معرفتان متلازمتان متساويتان هذا إن إعتبرته في البلاء والمصائب، وقد بينا أن الصبر قد يكون عن الطاعة وعن المعصية، وفيهما يتحد الصبر والشكر لأن الصبر على الطاعة**) هو عين شكر الطاعة (**لأن الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ما هو مقصود منها بالحكمة، والصبر يرجع إلى ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى**) ومقاومته، (**فالصبر والشكر فيه إسمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين، فثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى يسمى صبراً بالاضافة إلى باعث الهوى؟ ويسمى شكراً بالاضافة إلى باعث الدين، إذ باعث الدين إنما خلق لهذه الحكمة وهو أن يصرع به باعث الشهوة**) أي يقهر ويكسر، (**فقد صرفه إلى مقصود الحكمة فهما عبارتان عن معبر واحد، فكيف يفضل الشيء على نفسه**) وهذا فيه تأييد لقول من ذهب إلى أنهما سيان، ومما يدل عليه إنهم قالوا: إن متعلقات كل من الصبر والشكر والرضا والمحبة متحدة لا اختلاف فيها، وإذا اتحدت أعمال المقامات فلا يصح التفاضل فيها إلاّ بأسبـابها وأحوالها التي هي حوادث عن الأعمال، (**فإذاً مجاري الصبر ثلاثة: الطاعة والمعصية والبلايا، وقد ظهر حكمها في الطاعة والمعصية، أما البلاء فهو عبارة عن فقد نعمة، والنعمة إما أن تكون تقع ضرورية كالعينين مثلاً وإما إن تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال. أما العينان فصبر الأعمى عنهما أن لا يظهر الشكوى ويضمر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العمى في معنى المعاصي**) وفي نسخة بعض المعاصي،

وشكر البصير عليهما من حيث العمل بأمرين: أحدهما أن لا يستعين بهما على معصية، والآخر أن يستعملها في الطاعة، وكل واحد من الأمرين لا يخلو عن الصبر؛ فإن الأعمى كفى الصبر عن الصور الجميلة لأنه لا يراها، والبصير إذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكراً لنعمة العينين، وإن اتبع النظر كفر نعمة العينين؛ فقد دخل الصبر في شكره، وكذا إذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بدّ أيضاً فيه من صبر على الطاعة، ثم قد يشكرها بالنظر إلى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر، ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام مثلاً وقد كان ضريراً من الأنبياء فوق رتبة موسى عليهما السلام وغيره من الأنبياء لأنه صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر مثلاً، ولكان الكمال في أن يسلب الإنسان الأطراف كلها ويترك كلحم على وضم وذلك محال جداً لأنّ كل واحد من هذه الأعضاء آلة في الدين يفوت بفوتها ذلك الركن من الدين، وشكرها باستعمالها فيما هي آلة فيه من الدين، وذلك لا يكون إلا بصبر وأما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فإنه إذا لم يؤت إلا قدر الضرورة وهو محتاج إلى ما وراءه، ففي الصبر عنه مجاهدة وهو جهاد الفقر، ووجود الزيادة نعمة وشكرها أن تصرف إلى الخيرات أو أن

(**وشكر البصير عليهما من حيث العمل بأمرين: أحدهما أن لا يستعين بهما على معصية، والآخر أن يستعملها في الطاعة، وكل واحد من الأمرين لا يخلو عن الصبر فإن الأعمى**) قد (**كفى الصبر عن الصور الجميلة لأنه لا يراها، والبصير إذا وقع بصره على جميل فصبر كان شاكراً لنعمة العينين وإن أتبع النظر**) مرة بعد (**الأولى كفر نعمة العينين، فقد دخل الصبر في شكره، وكذا إذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد فيه أيضاً من الصبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر إلى عجائب صنع الله تعالى ليتوصل به إلى معرفة الله سبحانه، فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر، ولولا هذا لكانت رتبة شعيب عليه السلام مثلاً وقد كان ضريراً من الأنبياء فوق رتبة موسى عليه السلام لأنه**) أي شعيباً (**صبر على فقد البصر وموسى عليه السلام لم يصبر، ولكان الكمال في أن يسلب الإنسان الأطراف كلها ويترك كلحم على وضم**) أي اللوح من الخشب الذي كان يوضع عليه لحم الجزور ويقسم، (**وذلك محال جداً لأن كل واحد من هذه الأعضاء آلة في الدين فيفوت بفواتها ذلك الركن من الدين، وشكرها استعمالها فيما هي فيه آلة من الدين وذلك لا يكون إلا بصبر، وأما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على الكفاية من المال فإنه إذا لم يؤت إلا قدر الضرورة وهو محتاج إلى ما وراءه ففي الصبر عنه مجاهدة**) شديدة (**وهو جهاد الفقراء**) أي بمنزلة الجهاد لهم، (**ووجود الزيادة نعمة وشكرها أن تصرف إلى الخيرات**

لا تستعمل في المعصية، فإن أضيف الصبر إلى الشكر الذي هو صرف إلى الطاعة، فالشكر أفضل، لأنه تضمن الصبر أيضاً وفيه فرح بنعمة الله تعالى، وفيه احتمال ألم في صرفه إلى الفقراء وترك صرفه إلى التنعم المباح، وكان الحاصل يرجع إلى شيئين أفضل من شيء واحد وأن الجملة أعلى رتبة من البعض، وهذا فيه خلل إذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين أبعاضها، وأما إذا كان شكره بأن لا يستعين به على معصية بل يصرفه إلى التنعم المباح فالصبر ههنا أفضل من الشكر، والفقير الصابر أفضل من الغني الممسك ماله الصارف إياه إلى المباحات لا من الغني الصارف ماله إلى الخيرات، لأنّ الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها وأحسن الرضا على بلاء الله تعالى، وهذه الحالة تستدعي لا محالة قوّة؛ والغني أتبع نهمته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على المباح، والمباح فيه مندوحة عن الحرام، ولكن لا بدّ من قوّة في الصبر عن الحرام أيضاً، إلا أن القوّة التي عنها يصدر صبر الفقير أعلى وأتم من هذه القوّة التي يصدر عنها الاقتصار في التنعم على المباح، والشرف لتلك القوّة التي يدل العمل عليها، فإن الأعمال لا تراد إلا لأحوال القلوب، وتلك القوّة حالة للقلب تختلف بحسب قوّة اليقين والإيمان، فما دل على زيادة قوّة في الإيمان فهو أفضل لا محالة، وجميع ما ورد من تفضيل أجر الصبر على أجر الشكر في

وأن لا تستعمل في المعصية، فإن أضيف الصبر إلى الشكر الذي هو صرف إلى الطاعة فالشكر أفضل لأنه تضمن الصبر أيضاً) . والحاصل أن الشكر داخل في الصبر والصبر جامع للشكر، لأن من صبر عن أن يعصي الله بنعمته فقد شكرها ومن صبر نفسه على طاعة الله فقد شكر نعمته، **(وفيه فرح بنعمة الله تعالى وفيه إحتمال ألم في صرفه إلى الفقراء وترك صرفه إلى التنعم المباح، وكان الحاصل يرجع إلى أن شيئين أفضل من شيء واحد، وأن الجملة أعلى رتبة من البعض وهذا فيه خلل إذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين أبعاضها. وأما إذا كان شكره بأن لا يستعين به على معصية بل يصرفه إلى التنعم المباح فالصبر ههنا أفضل من الشكر، والفقير الصابر أفضل من الغني الممسك ماله الصارف إياه إلى المباحات لا من الغني الصارف ماله إلى الخيرات)** الأخروية **(لأن الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهمتها)** أي قوتها **(وأحسن الرضا على بلاء أمر الله تعالى. وهذه الحالة تستدعي لا محالة قوة، والغني إتبع نهمته وأطاع شهوته ولكنه إقتصر على المباح وفي المباح مندوحة عن الحرام)** أي سعة عنه، **(ولكن لابد من قوة في الصبر عن الحرام أيضاً إلا أن القوة التي يصدر عنها صبر الفقير أعلى وأتم من هذه القوة التي يصدر عنها الإقتصار في النعم على المباح والشرف لتلك القوة التي يدل العمل عليها، فإن الأعمال لا تراد إلا لأحوال القلب وتلك القوة حالة للقلب تختلف بحسب قوة اليقين والإيمان، فما دل على زيادة قوة في الإيمان**

الآيات والأخبار إنما أريد به هذه الرتبة على الخصوص لأنّ السابق إلى إفهام الناس من النعمة الأموال والغنى بها ، والسابق إلى الإفهام من الشكر أن يقول الإنسان الحمد لله ؛ ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا أن يصرفها إلى الطاعة ، فإذاً الصبر أفضل من الشكر ، أي الصبر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة ، وإلى هذا المعنى على الخصوص أشار الجنيد رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر : أيهما أفضل ؟ فقال ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم ، وإنما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما ، فبشرط الغني يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها ، والفقير يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتقبضها وتزعجها ، فإذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وأزعجها أتم حالاً ممن متع صفته ونعمها . والأمر على ما قاله ، وهو صحيح من جملة أقسام الصبر والشكر في القسم الأخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه . ويقال : كان أبو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال : الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر ، فدعا عليه الجنيد فأصابه ما أصابه من البلاء من قتل

فهو أفضل لا محالة ، وجميع ماورد من تفضيل أجر الشكر في الآيات والأخبار إنما أريد به هذه الرتبة على الخصوص لأن السابق إلى أفهام الناس من النعمة الأموال والغنى بها والسابق إلى الافهام من الشكر أن يقول الإنسان الحمدلله ولا يستعين بالنعمة على المعصية لا أن يصرفها إلى الطاعة ، فإذاً الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي تفهمه العامة أفضل من الشكر الذي تفهمه العامة وإلى هذا المعنى على الخصوص أشار) سيد الطائفة **(الجنيد رحمه الله تعالى حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل ؟ فقال : ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقر بالعدم)** كذا في النسخ ، ولفظ القوت : وقد سئل الجنيد عن غني شاكر وفقير صابر أيهما أفضل ؟ قال : ليس مدح الغني بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم ، **(وإنما المدح في الإثنين قيامهما بشروط ماعليهما ، فشرط الغني تصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها ، والفقير تصحبه فيما عليه أشياء تؤلم صفته وتقبضها وتزعجها فإذا كان الإثنان قائمين لله عز وجل بشرط ماعليهما كان الذي آلم صفته وأزعجها أتم حالة ممن متع صفته ونعمها)** هذا نقل كلام الجنيد . **(والأمر على ما قاله اهو صحيح من جُلة أقسام الصبر والشكر في القسم الأخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواه . ويقال : كان أبو العباس)** أحمد ابن محمد بن سهل **(بن عطاء)** الأدمي من كبار مشايخ الصوفية وعلمائهم ، وكان كبير الشأن وهو من أقران الجنيد ، وصحب إبراهيم المارستاني مات سنة تسع وثلاثمائة **(قد خالفه في ذلك)** أي فيما ذهب إليه من تفضيل الصابر على الشاكر **(وقال : الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد)** فيما يقال **(فأصابه ما أصابه من البلاء من قتل أولاده وتلف أمواله**

أولاده وإتلاف أمواله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان، يقول: دعوة الجنيد أصابتني، ورجع إلى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر. ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت أنّ لكل واحد من القولين وجهاً في بعض الأحوال، فرب فقير صابر أفضل من غني شاكر كما سبق، ورب غني شاكر أفضل من فقير صابر. وذلك هو الغني الذي يرى

وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول: دعوة الجنيد أصابتني، ورجع إلى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر) هكذا نقله صاحب القوت. وقال القشيري في الرسالة، وقيل إن يحيى بن معاذ الرازي تكلم ببلخ في تفضيل الغني على الفقير وأعطى ثلاثين ألف درهم فقال بعض المشايخ لا بارك الله له في هذا المال. فخرج إلى نيسابور ووقع عليه اللص وأخذ ذلك المال منه.

(ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت أن لكل واحد من القولين وجهاً في بعض الأحوال. فربّ فقير صابر أفضل من غني شاكر كما سبق) تقريره، **(ورب غني شاكر أفضل من فقير صابر)**.

قال صاحب القوت: فأما تفصيل التفضيل فعلى ثلاثة أوجه.

أحدها: أن المقامات أعلى من الأحوال، وقد يكون الصبر والشكر حالين وقد يكونان مقامين، فمن كان مقامه الصبر وكان حاله الشكر عليه فهو أفضل لأنه صاحب مقام، ومن كان مقامه الشكر وكان حاله الصبر عليه فحاله مزيد لمقامه فقد صار مزيداً للشاكر في مقامه.

الوجه الثاني: من التفضيل: المقربون أعلى مقاماً من أصحاب اليمين، فالصابرون من المقربين أفضل من الشاكرين من أصحاب اليمين، والشاكرون والمقربون أفضل من الصابرين من أصحاب اليمين.

فإن قيل: فإن كان الشاكر والصابر من المقربين فأيها أفضل عندك؟ فقد قلنا: إن اثنين لا يتفقان في مقام من كل وجه لانفراد الوجه بمعاني لطائف اللطيفة بمثل ما انفردت الوجوه بلطيفة الصفة مع تشابه الصفات واشتباه الأدوات، وأفضلهما حينئذ اعرفهما لأنه أحبهما إليه تعالى وأقربهما منه وأحسنهما يقيناً لأن اليقين أعز ما أنزل الله عز وجل، ثم قال وجه آخر من بيان التفضيل.

نقول: إن الصبر عما يوجب الشكر أفضل، وأن الشكر على ما يوجب الصبر أفضل، وهذا يختلف باختلاف الأحوال تفسيره: إن الصبر عن حظ النفس وعن التنعم والترفة أفضل إن كان عبداً حاله النعمة، فالصبر عن النعيم والغنى مقام في المعرفة وهو أفضل لأن فيه الزهد المجمع على تفضيله، ونقول: إن الشكر على الفقر والبلاء والمصائب أفضل إن كان عبداً حاله الجهد والبلاء فالشكر عليه مقام له في المعرفة، فهو حينئذ أفضل لأن فيه الرضا المتفق على فضله. وقال في موضع آخر من كتابه: ومن الناس من يقول: الصبر أفضل من الشكر وليس يمكن بينهما تفضيل عند أهل التحصيل من قبل أن الشكر مقام لجملة من الموقنين، والترجيح بين جماعة على جماعة لا

نفسه مثل الفقير، إذ لا يمسك لنفسه من المال إلا قدر الضرورة والباقي يصرفه إلى الخيرات أو يمسكه، على اعتقاد أنه خازن للمحتاجين والمساكين، وإنما ينتظر حاجة تسنح حتى يصرف إليها، ثم إذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت ولا لتقليد منة بل اداءً لحق الله تعالى في تفقد عباده، فهذا أفضل من الفقير الصابر.

فإن قلت: فهذا لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر، لأنّ هذا يستشعر لذة القدرة وذاك يستشعر ألم الصبر، فإن كان متألماً بفراق المال فينجبر ذلك بلذته في القدرة

يصح من قبل تفاوتهم في اليقين والمشاهدات لأن بعض الصابرين أفضل من بعض الشاكرين بفضل معرفته وحسن صبره وخصوص الشاكرين أفضل من عموم الصابرين لحسن يقينه وعلو شهادته، ولكن تفصيل ذلك من طريق الأحوال والمقامات إنا نقول والله أعلم أن لصبر عن النعيم أفضل لأن فيه الزهد والخوف وهما أعلى المقامات، وأن الشكر على المكاره أفضل لأن فيه البلاء والرضا، وأن الصبر على الشدائد والضراء أفضل من الشكر على النعم والسراء من قبل أنه أشق على النفس، وأن الصبر مع حال الغنى والمقدرة أن يعصي بذلك أفضل من الشكر على النعم من قبل أن الصبر عن المعاصي بالنعم أفضل من الطاعة لمن جاهد نفسه فيها، فإذا شكر على ما يصبر عليه فقد صار البلاء عنده نعمة وهذا فضل لأنها مشاهدة المقربين، وإذا صبر عما يشكر عليه من النعم كان أفضل لأنها حال الزاهدين. وفي الخبر: «نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل» يعني الأقرب شبهاً بنا فالأقرب، فرفع أهل البلاء إليه ووصف نفسه به وجعلهم الأمثل فالأمثل منه، فمن كان به ﷺ أمثل كان هو الأفضل، فقد كان ﷺ شاكراً على شدة بلائه، وكذلك الشاكر من الصابرين يكون أفضل لشكره على البلاء إذ هو الأمثل والأقرب إلى وصف الأنبياء، وكل مقام من مقامات اليقين يحتاج إلى صبر وإلى شكر وأحدهما لا يتم إلا بالآخر لأن الصبر يحتاج إلى شكر عليه ليكمل، والشكر يحتاج إلى صبر عليه ليستوجب المزيد، وقد قرن الله تعالى بينهما ووصف المؤمنين بهما فقال: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ [إبراهيم: ٥] اهـ كلام صاحب القوت.

وربما أفرط بعض الصوفية وقال: الفقير الشاكر أفضل من الغني الشاكر (و) أما قولهم: الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر، فإن (**ذلك هو الغني الذي يرى نفسه مثل الفقير إذ لا يمسك لنفسه من المال إلا قدر الضرورة والباقي يصرفه إلى الخيرات أو يمسكه على اعتقاد أنه خازن للمحتاجين والمساكين، وإنما ينتظر حاجة تسنح**) أي تعرض (**حتى يصرف**) ذلك (**إليها، ثم إذا صرف لم يصرفه لطلب جاه وصيت**) أي شهرة بين الناس (**ولا لتقليد مِنَّة،** بل أداء لحق الله تعالى في تفقد عباده. **فهذا أفضل من الفقير الصابر**) بهذا الإعتبار.

(**فإن قلت: فهذا**) الذي ذكرته (**لا يثقل على النفس والفقير يثقل عليه الفقر لأن هذا يستشعر** لذة القدرة) والملك، (**وذلك يستشعر ألم الصبر**) على العدم، (**فإن كان متألماً**

على الإنفاق؟ فاعلم أنّ الذي نراه أن من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكمل حالاً ممن ينفقه وهو بخيل به وإنما يقتطعه عن نفسه قهراً، وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة، فإيلام النفس ليس مطلوباً لعينه بل لتأديبها، وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد، والكلب المتأدب أكمل من الكلب المحتاج إلى الضرب وإن كان صابراً على الضرب، ولذلك يحتاج إلى الإيلام والمجاهدة في البداية ولا يحتاج إليهما في النهاية، بل النهاية أن يصير ما كان مؤلماً في حقه لذيذاً عنده، كما يصير التعلم عند الصبي العاقل لذيذاً، وقد كان مؤلماً له أولاً ولكن لما كان الناس كلهم إلا الأقلين في البداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان، أطلق الجنيد القول بأن الذي يؤلم صفته أفضل، وهو كما قال صحيح فيما أراده من عموم الخلق، فإذاً إذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لإرادة الأكثر فأطلق القول بأن الصبر أفضل من الشكر فإنه صحيح بالمعنى السابق إلى الإفهام؛

لفراق المال فينجبر ذلك بلذته في القدرة على الإنفاق؟ فاعلم أن الذي نراه أن من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكمل حالاً ممن ينفقه وهو بخيل به، وإنما يقتطعه عن نفسه قهراً، وقد ذكرنا تفصيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة) فليراجع هناك. **(فإيلام النفس ليس مطلوباً لعينه بل لتأديبها)** أي لتتأدب، **(وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب المتأدب أكمل من الكلب المحتاج إلى الضرب وإن كان صابراً على الضرب، ولذلك يحتاج إلى الإيلام والمجاهدة في البداية)** أي في ابتداء السلوك، **(ولا يحتاج إليهما في النهاية بل النهاية أن يصير ما كان مؤلماً في حقه لذيذاً عنده)** وهو مقام الرضا وينشأ عن المحبة، **(كما يصير التعلم عند الصبي العاقل لذيذاً وقد كان مؤلماً له أولاً، ولكن لما كان الناس كلهم إلا الأقلين في)** درجة **(البداية بل قبل البداية بكثير كالصبيان)** في نقصهم **(أطلق الجنيد)** رحمه الله تعالى **(القول بأن الذي يؤلم صفته أفضل، وهو كما قال صحيح فيما أراده من عموم الخلق، فإذاً إذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لإرادة الأكثر فاطلق القول بأن الصبر أفضل من الشكر لأنه صحيح بالمعنى السابق إلى الأفهام)** وإليه ذهب أكثر الصوفية قديماً وحديثاً.

ورأيت الكمال أبا بكر محمد بن إسحاق الصوفي قد جنح في كتابه مقاصد المنجيات إلى تفضيل الشكر على الصبر وترجيحه عليه وكلامه فيه غريب، فأحببت أن أورده بتمامه ولا أترك منه شيئاً لتمام الفائدة إذ هو من وادي كلام المصنف فقال: الفرع الثاني في فضل الشكر على الصبر اختلف العلماء في ذلك بين المرجح لأحدهما والمسوّي لهما، ولا شك أن الصبر مقام محمود تعرف فضيلته بالشرع والتجربة، ولكن قد تقرر أن المقامات منازل ولها ترتيب في السلوك كالشرط والمشروط والوسيلة والمقصود، ومن النوادر أن يصل السالك إلى مقصود قبل الدخول في وسيلته ولا شك أن الصبر منزل يضع التائب قدمه الأول فيه، وقد قطع عقبات كثيرة فيصفو قلب السالك وتحلوله

العبادة وينكشف له الوجود فيرى نعم الله الدارة عليه ظاهرة وباطنة ،فيفرح بنعم الله ويسلك الطريق بحال الشكر بعد أن كان سالكاً بحال الصبر ونفس السلوك لا يختلف ، وإنما تختلف الأحوال الباعثة عليه والعمل الواحد لا يحث عليه حالان شرعيان لأن سوادين لا يكونان في محل واحد في زمن واحد احترازاً بذلك عن وازع الطبع ، فإنه يحث وازع الشرع في زمان واحد . نعم يكون أحدهما للسالك والثاني فعلاً لحقيقته وقوته واستيلائه ، وقد ترجح الشكر عندي بهذه المقدمة وبترجيحات سبعة هي معروضة عليك ، فسنذكر أولاً حقيقة التفاضل ، ثم نورد فيها بما وعدنا به حقيقة التفاضل بين الأشياء الفضيلة مأخوذة من الفضل وهو الزيادة فمهما تشارك شيئان في أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه ، ولا يصح التفاضل بين عملين من حيث أن أحدهما أشق على فاعله ، فقد قال ﷺ : « الإيمان بضع وسبعون أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » وليس سد رأس البئر من الطريق باسهل من قول لا إله إلا الله وقد أثنى الله على أعمال الملائكة بعدم السآمة والملل والإنقطاع ، وأن تسبيحهم يجري منا مجرى النفس وذلك غاية الملاذ ، ولا من حيث كثرة الثناء على أحدهما دون الآخر فقد شوقنا ربنا جل جلاله إلى الجنة وما فيها أكثر مما شوّقنا من النظر إلى وجهه تعالى ، ولا قائل بأن لذات الجنة أفضل من لذة النظر إلى وجهه تعالى ، فعلى هذا تعرف أن حقيقة التفاضل وزن ذات الشيئين وصفاتها بميزان البراهين فأيها رجح فهو الأفضل . مثال ذلك الشكر أرجح من الصبر بسبعة أسباب .

أحدها : أن الله تعالى تسمّى بهما جميعاً فجاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي : « الصبور » وجاء في كتاب الله « الشكور » فكما قيل في الصبور مضمن في الشكور وزاد عليه بثنائه على نفسه وعلى عباده بكلامه القديم ، ولا يوجد مثل هذا في اسمه الصبور .

الثاني : النظر في سببهما وسبب الصبر معرفة الآلاء ، وسبب الشكر معرفة ذي النعماء وشتان بين المعرفتين .

الثالث : النظر في حالها فحال الصبر استدعاء المكايدة والمجاهدة للغلبة ، وحال الشكر استدعاء الفرح برؤية المنة ، والخادم الفرح أفضل من المتكلف عند المخدوم .

الرابع : النظر في أعمالهما فعمل الصبر محنة وابتلاء ، وعمل الشكر نعمة مشكور عليها عند الشاكر ، وفرق بين من شهد التكاليف محنة وابتلاء فيصبر عليه أو بين من يراها نعمة تشوقه إلى جوار الله تعالى فيشكر عليها .

الخامس : النظر في علاجهما . وعلاج الصبر رؤية الجزاء للظفر ، وعلاج الشكر رؤية المريد لطاعة المجيد .

السادس : النظر في استدامتهما في السلوك ، فالشكر مستحب للسالك في كل مقام وحال ، والأحوال والمقامات لا نهاية لها فالشكر على ذلك لا نهاية له والصبر ينقطع عنه أول مقام من مقامات الرضا بالإجماع من مشايخ السلوك .

فإذا أردت التحقيق، ففصل، فإن للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية، ووراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر، ووراء الشكر على البلاء وهو وراء الرضا، إذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا ألم فيه ولا فرح، والشكر لا يمكن إلا على محبوب مفروح به، وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا أقصاها، ويدخل في جملتها أمور دونها؛ فإنّ حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر، ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر، والإعتذار من قلة الشكر شكر، والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره شكر، والاعتراف بأنّ النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر، والعلم بأن الشكر أيضاً نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر، وحسن التواضع للنعم والتذلل فيها شكر، وشكر الوسائط شكر، إذ قال عليه السلام: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»، وقد ذكرنا حقيقة ذلك

السابع: النظر في الإستدامة المطلقة إذ لو فرضنا أن الصبر دائم لكان إلى الموت، والشكر في الآخرة من المؤمن والكافر قال الله تعالى: ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ [فاطر: ٣٤] وقال تعالى: ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده﴾ [الإسراء: ٥٢] فهذا يعم المؤمن والكافر. فهذه سبع ترجيحات كافية للمتأمل. فهكذا ينبغي أن يكون الترجيح بين شيئين إذا رجح أحدهما عمل في الإرتقاء إليه، والله أعلم انتهى كلامه.

(**فإذا أردت التحقيق ففصل فإن للصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهة ووراءها الرضا**) بمقدور الله تعالى (**وهو مقام وراء الصبر، ووراءه الشكر على البلاء وهو**) مقام (**وراء الرضا، إذ الصبر مع التألم والرضا يمكن بما لا ألم فيه ولا فرح، والشكر لا يمكن إلا على محبوب مفروح به، وكذلك للشكر درجات كثيرة ذكرنا أقصاها ويدخل في جملتها أمور دونها**) أي دون تلك الدرجات، (**فإن**) توفيقنا للحسنى وتيسيرنا لليسرى، ثم صرف الكفر وأخلاق الكفرة وأعمالهم، ثم تزيين الإيمان وتحبيبه إلينا وتكريه الفسوق والعصيان فضلاً منه ومنة من جملة النعم بعد الإيمان، فشكر ذلك لا يقام به إلا بما وهب وأنعم به من المعرفة بذلك والمعونة و(**حياء العبد من تتابع نعم الله عليه شكر ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكر، والإعتذار من قلة الشكر شكر، والمعرفة بعظيم حلم الله وكنف ستره شكر، والإعتراف بأن النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق**) من العبد بل مضاف إلى نعمه (**شكر، والعلم بأن الشكر أيضاً نعمة من نعم الله وموهبة منه شكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الوسائط**) بالدعاء لهم وحسن الثناء عليهم بأنهم ظروف للعطاء وأسباب المعطي تخلقاً بأخلاق المولى (**شكر إذ قال ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»**) رواه أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد، وابن جرير من حديث أبي هريرة، والطبراني من حديث

في كتاب أسرار الزكاة وقلة الاعتراض وحسن الأدب بين يدي المنعم شكر ، وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها شكر ، وما يندرج من الأعمال والأحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها ؛ وهي درجات مختلفة فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدهما على الآخر إلا على سبيل إرادة الخصوص باللفظ العام كما ورد في الأخبار والآثار . وقد روي عن بعضهم أنه قال : رأيت في بعض الأسفار شيخاً كبيراً قد طعن في السن فسألته عن حاله فقال : إني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهواني ؛ فاتفق انها زوّجت مني ، فليلة زفافها قلت : تعالي حتى نحيي هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما جمعنا ، فصلينا تلك الليلة ولم يتفرّغ أحدنا إلى صاحبه ؛ فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك ، فصلينا طول الليل ، فمنذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة ، أليس كذلك يا فلانة ؟ قالت العجوز : هو كما يقول الشيخ ؛

جرير قد تقدم في كتاب الزكاة . (**وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب أسرار الزكاة**) فليرجع إليه ، (**وقلة الإعتراض وحسن الأدب بين يدي المنعم شكر ، وتلقي النعم بحسن القبول واستعظام صغيرها**) وتعظم حقيرها (**شكر ، لأن طائفة هلكت باستصغار الأشياء واستحقار وجود المنافع بها جهلاً بحكمة الله تعالى**) واستصغار النعمة وكان ذلك كفراً بالنعم ، (**وما يندرج من الأعمال والأحوال تحت إسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها وهي درجات مختلفة ، فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدها على الآخر إلا على سبيل إرادة الخصوص في اللفظ العام كما ورد في الأخبار والآثار**) على ما تقدم ذكرها .

(**وقد روي**) كذا في النسخ ، والأولى حكي كما هو نص الرسالة (**عن بعضهم أنه قال : رأيت في بعض الأسفار شيخاً كبيراً قد طعن في السن**) كثيراً وعنده عجوز (**فسألته عن حاله فقال : إني كنت في ابتداء عمري أهوى**) أي أحب (**ابنة عم لي وهي كذلك تهواني**) أي تحبني (**فاتفق أنها زوجت مني فليلة زفافها**) وفي بعض نسخ الرسالة : فلما زفت إليّ بالليل (**قلت : تعالى حتى نحيي هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما جمعنا**) أي على اجتماعنا على وجه حلال ، (**فصليا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدنا إلى صاحبه**) لينال شهوته منه ، (**فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك**) مع زيادة أي قال كل منا لصاحبه : تعالي نحيي هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما من علينا به من الإجتماع وما وفقنا له من الشكر ، (**فصلينا طول الليلة**) ودمنا على ذلك ، (**فمنذ سبعين أو ثمانين سنة ونحن على تلك الحالة**) . وفي بعض نسخ الرسالة على تلك الصفة (**كل ليلة**) ثم قال هو لها : (**أليس**) الأمر (**كذلك يا فلانة**) وسماها باسمها (**قالت**) له (**العجوز : هو كما يقول الشيخ**) وهكذا يكون حال من عرف مقدار النعم ورغب في تواليها عليه فيشكرها بالقلب والعقل واللسان . هكذا أورد هذه القصة القشيري في الرسالة .

فانظر إليهما لو صبرا على بلاء الفرقة، أن لو لم يجمع الله بينهما، وانسب صبر الفرقة إلى شكر الوصال على هذا الوجه، فلا يخفى عليك أنّ هذا الشكر أفضل فإذاً لا وقوف على حقائق المفضلات إلا بتفصيل كما سبق. والله أعلم.

(فانظر إليهما لو صبرا على بلاء الفرقة لو لم يجمع الله بينهما وانسب صبر الفرقة إلى شكر الوصال على هذا الوجه)، وفائدة ذكر العجوز والشيخ الإعلام بأنهما داما على الإشتغال بالله من حالة الصبا إلى تلك الحالة، **(فلا يخفى عليك أن هذا الشكر أفضل، فإذاً لا وقوف على حقائق المفضلات إلا بتفصيل كما سبق)**. وأما ترجيح بعض على بعض على الإطلاق من غير إطلاع على حقائق المفضلات فلا تحقق فيه لأن من اطلع على مقاصد الشريعة ووسائلها عرف الفاضل والأفضل من نفس الحقائق واطلع على حكمة الشرع في ذلك، **(والله تعالى أعلم)**.

وبه تم كتاب الصبر والشكر والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد أفضل المخلوقات وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى ما بعد يوم المهات. قال مؤلفه: وكان الفراغ من تحرير ذلك في الثالثة من ليلة الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة ١٢٠٠، وكتبه مؤلفه المذكور استأذنا أبو الفيض سيدي محمد مرتضى الحسيني غفر الله له بمنه وكرمه حامداً ومصلياً ومستغفراً.

كتاب الخوف والرجاء
وهو الكتاب الثالث من ربع المنجيات
من كتب إحياء علوم الدين
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المرجوّ لطفه وثوابه المخوف مكره وعقابه، الذي عمر قلوب أوليائه بروح

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر

الحمد لله الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر، والرجاء بالخوف والخوف بالرجاء والذكر، أحمده على آلائه كما أحمده على بلائه، وأستعينه على هذه النفوس البطء عما أمرت به، السراع إلى ما نهيت عنه، واستغفره مما أحاط به علمه وأحصاه كتابه، علم غير قاصر وكتاب غير مغادر، وأومن به إيمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود، إيماناً نفى إخلاصه الشرك، ويقينه الشك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ﷺ شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل، لا يخف ميزان توضعان فيه ولا يثقل ميزان ترفعان منه، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأئمة الأبرار، وعلى من تبعهم بإحسان، إلى ما بعد يوم القرار، أما بعد فهذا شرح:

كتاب الرجاء والخوف

وهو الثالث من الربع الرابع، والثالث والثلاثون من كتب الأحياء للإمام الهمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي أفاض الله علينا من لطائف علومه، وأذاقنا حلاوة فهومه، وأجزل قراه، وجعل جنة الفردوس مأواه. جلوت فيه عن عرائس حقائقه المخدرة، ونفائس رقائقه المضنونة المسترة، وسلكت فيه منهاج الإيضاح لعباراته والإفصاح عن مرمى إشاراته. ممتطياً عزائم الإعتقاد والإنتصاف. متجنباً عن التطويل والإعتساف. راجياً من المولى الكريم الإعانة والتوفيق والهداية إلى سواء الطريق إنه لا رب غيره ولا خير إلا خيره، الكافي الكفيل وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(بسم الله الرحمن الرحيم)** رجاء كل خائف من العذاب الأليم.

(الحمد لله المرجوّ لطفه) أي رفقه ورأفته **(وثوابه)** أي جزاؤه ويستعمل في الشر والخير،

رجائه حتى ساقهم بلطائف آلائه إلى النزول بفنائه، والعدول عن دار بلائه التي هي مستقرّ أعدائه، وضرب بسياط التخويف وزجره العنيف وجوه المعرضين عن حضرته إلى دار ثوابه وكرامته، وصدّهم عن التعرّض لأئمته والتهدّف لسخطه ونقمته، قوداً لأصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وأزمة الرفق واللطف إلى جنته، والصلاة على محمد سيد أنبيائه وخير خليقته وعلى آله وأصحابه وعترته.

أما بعد: فإن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقرّبون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود، فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح

لكن المتعارف في الخير واستعماله في الشر استعارة كاستعارة البشارة فيه، **(المخوف مكره)** وهو ارداف النعم مع المخالفة وإبقاء الحال مع سوء الأدب، **(وعقابه)** وهو الإيلام الذي يتعقب به جرم سابق وفي المرجوّ والمخوف براعة الإستهلال وبين الثواب والعقاب حسن المقابلة، **(الذي عمر قلوب أوليائه بروح رجائه)** الروح بالفتح ما تلذ به النفس أصله من الريح، **(حتى ساقهم بلطائف آلائه إلى النزول)** أي الإستقرار **(بفنائه)** أي ساحة حضرته وهي جنة القرب **(والعدول)** أي الصرف **(عن دار بلائه)** أي امتحانه **(التي هي مستقر أعدائه)** وهي نار البعد وبين الأولياء والأعداء حسن المقابلة، **(وصرف بسياط التخويف وزجره العنيف)** أي الشديد **(وجوه المعرضين عن حضرته إلى دار ثوابه وكرامته)**. وهي الجنة فإنها تسمى دار الثواب ودار الكرامة، **(وصدّهم)** أي منعهم **(عن التعرض لائمته)** وهي الملامة اسم من اللوم **(والتهدف)** وهو التعرض للهدف **(لسخطه ونقمته)** أي غضبه وانتقامه، **(قوداً)** أي جذباً **(لأصناف الخلق)** على تباينهم وكثرتهم **(بسلاسل القهر والعنف)** تارة **(وأزمة الرفق واللطف)** أخرى **(إلى جنته)** والأزمة: جمع زمام وهو ما يقاد به وفيه إيماء إلى الخبر الوارد عجب ربنا من قوم يقادون بالسلاسل إلى الجنة وقد تقدم، **(والصلاة)** والسلام **(على)** سيدنا **(محمد سيد أنبيائه وخير خليقته)** أي مخلوقاته **(وعلى آله وأصحابه وعترته)** العترة نسل الإنسان، وقيل: أقارب الرجل الأدنون.

(أما بعد: فإن الرجاء والخوف جناحان) أي بمنزلتهما للطائر **(بهما يطير المقربون)** إلى الحضرة الذين تم سلوكهم **(إلى كل مقام محمود)** وفيه إشارة إلى أنهما حالان، وقد يكون المقام حالاً وبالعكس كما سيأتي. ونقل القشيري عن أبي علي الروذباري قال: الخوف والرجاء هما كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه. وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهب صار الطائر في حدّ الموت، وفي قوله مقام محمود إشارة لما سيأتي أن الرجاء مقام محمود كما أن ضده مذموم، **(ومطيتان)** أي بمنزلتهما والمطية ما يمتطى ظهرها أي يركب **(بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة)** وهي الثنية بين الجبلين، **(كؤود)** أي صعبة المرتقي والمنحدر **(فلا يقود)** أي لا يسوق **(إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء)** أي

الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوفاً بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء. ولا يصدّ عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفاً بلطائف الشهوات وعجائب اللذات إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف، فلا بدّ إذا من بيان حقيقتهما وفضيلتهما وسبيل التوصل إلى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما. ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد يشتمل على شطرين الشطر الأول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف.

أما الشطر الأول: فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء، وبيان فضيلة الرجاء، وبيان دواء الرجاء، والطريق الذي يجتلب به الرجاء.

بيان حقيقة الرجاء:

اعلم أنّ الرجاء من جملة مقامات السالكين، وأحوال الطالبين، وإنما يسمى الوصف

الأطراف، (**ثقيل الأعباء**) أي الأحمال (**محفوفاً بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء، ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفاً بلطائف الشهوات وعجائب اللذات إلا سياط التخويف وسطوات التعنيف**) وفي الفقرتين تلميح إلى حديث: « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ». (**فلا بدّ إذاً من بيان حقائقهما**) أي الرجاء والخوف (**وفضيلتهما وسبيل التوصل إلى الجمع بينهما مع تضادهما وتعاندهما**)، وليس المراد بالتضاد هنا أنهما مما يستحيل اجتماعهما في موضع واحد، وإنما يتعاقبان كالسواد والبياض، فسيأتي للمصنف قريباً أن الخوف ليس بضد للرجاء، بل هو رفيق له، وإنما المراد به هنا معنى التعاند والتصاعب وإلا لما أمكن الجمع بينهما. (**ونحن نجمع ذكرهما في كتاب واحد**) إذ لا بد للمؤمن من اجتماعهما وعدم انفكاك أحدهما، وهذا بخلاف غير المصنف كالقشيري وصاحب القوت فإنهما ذكرا كل واحد منهما في باب مستقل (**يشتمل**) ذلك الكتاب (**على شطرين**):

(**الشطر الأول: في الرجاء**) وإنما قدمه إيماء إلى أن الوصول به أرجى للسالك كما لا يخفى.

(**والشطر الثاني: في الخوف**).

(**أما الشطر الأول: فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء، وبيان فضيلة الرجاء، وبيان دواء الرجاء والطريق الذي يجتلب به الرجاء**). وإنما قدم القشيري باب الخوف على باب الرجاء، وتبعه صاحب عين العلم لأن الخوف حال أهل الابتداء، بخلاف الرجاء فإنه حال أهل الانتهاء ولكل وجهة.

بيان حقيقة الرجاء:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن الرجاء**) بالمد لغة الأمل وهو (**من جملة مقامات السالكين**

مقاماً إذا ثبت وأقام، وإنما يسمى حالاً إذا كان عارضاً سريع الزوال، وكما أن الصفرة تنقسم إلى ثابتة كصفرة الذهب، وإلى سريعة الزوال كصفرة الوجل، وإلى ما هو بينهما كصفرة المريض، فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام، فالذي هو غير ثابت يسمى حالاً لأنه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من أوصاف القلب، وغرضنا الآن حقيقة الرجاء، فالرجاء أيضاً يتم من حال وعلم وعمل، فالعلم سبب يثمر الحال. والحال يقتضي العمل، وكان الرجاء إسم للحال من جملة الثلاثة، وبيانه: أن كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فيقسم إلى موجود في الحال وإلى موجود فيما مضى وإلى منتظر في الاستقبال، فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكراً وتذكراً، وإن كان

وأحوال الطالبين) وهو المقام الرابع من مقامات اليقين، والسالك والطالب واحد إلا أنه خص السلوك بطلب طريق الحق، فالطالب أعم وهو واجب لأنه من عقود الايمان بكمال الله تعالى، ثم اعلم أن هذا العلم الذي نحن بصدده يترتب على قواعد شتى لو وضعها المصنف في موضع واحد لاختلّ نظام الترتيب وعسر البناء عليها عند الحاجة إليها، فاختار أن يضع في كل كتاب قاعدة مناسبة له ويبني عليه أمثاله، فقد أشار إلى القاعدة المناسبة لهذا الباب ولما يأتي بعده من الأحوال في انقسام أحوال القلوب بقوله: **(وإنما يسمى الوصف مقاماً إذا ثبت وأقام)** كأنه أشار به إلى وجه تسميته أي يسمى المقام مقاماً لثبوته واستقراره، **(وإنما يسمى حالاً إذا كان عارضاً سريع الزوال)** أي يسمى الحال حالاً لتحوّله وسرعة زواله، **(كما أن الصفرة تنقسم إلى ثابتة كصفرة الذهب)** هذا أصل لونه الذي لا يتغير عنه وقد يحمر لعارض فيثبت فيه، **(وإلى سريعة الزوال كصفرة الوجل)** فإن الإنسان إذا عراه خوف يصفر لونه، فإذا زال الخوف رجع إلى لونه **(وإلى ما هو بينهما كصفرة المريض)** فتارة تثبت وتارة تزول، **(فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام، فالذي هو غير ثابت يسمى حالاً لأنه يحول على القرب)** واختلفت إشارات الشيوخ في الحال والمقام ووجود الإشتباه فيهما لمكان تشابههما في أنفسهما وتداخلهما، فتراءى للبعض الشيء حالاً وتراءى للبعض مقاماً، وكلا الرؤيتين صحيح لوجود تداخلهما، وأحسن ما يفرق به بينهما ما أشار إليه المصنف على أن اللفظ والعبارة عنهما مشعر بالفرق، وقد يكون الشيء بعينه حالاً ثم يصير مقاماً والعبد بالأحوال يرتقي إلى المقامات، **(وهذا جار في كل وصف من أوصاف القلب)** فما يعرف وصف من أوصافه إلا وفيه حال ومقام. **(وغرضنا الآن حقيقة الرجاء، فالرجاء أيضاً يتم من حال وعلم وعمل)** فإنه ما من مقام إلا وهو ينتظم من هؤلاء الثلاثة، والعمل ميراث الحال، والحال ميراث العلم، **(فالعلم سبب يثمر الحال)** أي بمنزلة شجرة والحال ثمرتها، **(والحال يقتضي العمل)** فإنه بمنزلة الغصن. **(وكان الرجاء إسم للحال من جملة الثلاثة)** المذكورة، **(وبيانه: أن كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم إلى موجود في الحال، وإلى موجود فيما مضى)** من الزمان، **(وإلى منتظر في الإستقبال)** أي فيما

ما خطر بقلبك موجوداً في الحال سمي وجداً وذوقاً وإدراكاً ، وإنما سمي وجداً لأنها حالة تجدها من نفسك ، وإن كان قد خطر ببالك وجود شيء في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظاراً وتوقعاً ، فإن كان المنتظر مكروهاً حصل منه ألم في القلب سمي خوفاً وإشفاقاً ، وإن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الارتياح رجاء ، فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بدّ وأن يكون له سبب ، فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق ، وإن كان ذلك

سيأتي ، **(فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى سمي ذكراً وتذكراً)** وندماً وأسفاً ، فالذكر وجود الشيء في القلب أو اللسان وذلك لأن الشيء له أربع درجات : وجوده في ذاته ، ووجوده في قلب الإنسان ، ووجوده في لفظه ، ووجوده في كتابته . فوجوده في ذاته هو سبب لوجوده في قلب الإنسان ، ووجوده في قلبه هو سبب لوجوده في لسانه ،ووجوده في كتابته . ويقال : للوجودين الأولين الذكر ، وأما التذكر فهو محاولة القوّة العقلية لاسترجاع ما فات بالنسيان ، **(وإن كان ما خطر بقلبك موجوداً في الحال سمي وجداً وذوقاً وإدراكاً)** وفرحاً وسروراً ، **(وإنما سمي وجداً لأنها حالة تجدها من نفسك)** وإنما سمي ذوقاً على التشبيه بالذوق الذي هو تناول الشيء بالفم لإدراك الطعم ، وإنما سمي إدراكاً لأنه أحاط عليه علماً بكماله ، **(وإن كان قد خطر ببالك وجود شيء في الإستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي انتظاراً له أو توقعاً)** فالإنتظار هو الثبات لتوقع ما يكون في الحال ، والتوقع تفعل من الوقوع بمعنى الحصول أي تكلف حصول الشيء في يده ، **(فإن كان المنتظر مكروهاً حصل منه ألم في القلب سمي خوفاً وإشفاقاً)** وحزناً وقبضاً وغماً وكمداً ، وقد اختلفت عباراتهم في الخوف فقيل : وهو توقع مكروه أو فوت محبوب ، وقيل هو حذر النفس من أمور ظاهرها تضره ، وقيل توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة . وأما الإشفاق فعناية مختلطة بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه ، فـإذا عدى « بمن » فمعنى الخوف فيه أظهر أو « بعن » فمعنى العناية فيه أظهر ، **(وإن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب وارتياح سمي ذلك الإرتياح رجاء ، فـالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده)** عن إمارة مظنونة ومعلومة هذا هو معناه العرفي . وقال بعضهم : هو ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة ، وقيل : هو ترقب الإنتفاع بما تقدم له سبب ما . وقيل : تعلق القلب بحصول محبوب مستقبلاً . وقال القشيري في الرسالة : هو تعليق القلب بمحبوب سيحصل في المستقبل ، وكما أن الخوف يقع في مستقبل الزمان فكذلك الرجاء يحصل لما تؤمل في الإستقبال ، **(ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بدّ ولأن يكون له سبب)** ما تقدمه ، **(فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق ، وإن كان ذلك انتظاراً مع انخرام أسبابه واضطرابها فاسم الغـرور والحمق**

انتظاراً مع انخرام أسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحمق عليه أصدق من اسم الرجاء، وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب. وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه، أما ما يقطع به فلا إذ لا يقال: أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب، لأن ذلك مقطوع به، نعم يقال: «أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه. وقد علم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالأرض، والإيمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها، والقلب المستهتر بالدنيا المستغرق بها كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد، ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان، وقلما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه، كما لا ينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع، فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير عفن ولا مسوّس، ثم أمده بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته، ثم نقى الشوك عن الأرض والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده، ثم

عليه أصدق من اسم الرجاء، وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الإنتفاء، فاسم التمني أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب) وطلب لما لا طمع في وقوعه كليت الشباب يعود. وقال القشيري: والفرق بين الرجاء والتمني أن التمني يصاحبه الكسل ولا يسلك طريق الجهد والجد وبعكسه صاحب الرجاء. **(وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه)** ويكون التوقع عن إمارة إما مظنونة أو معلومة، **(أما ما يقطع به فلا إذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع، وأخاف غروبها وقت الغروب لأن ذلك)** أي طلوعها وغروبها في وقتها **(مقطوع به. نعم يقال: أرجو نزول المطر وأخاف انقطاعه)** فإن نزوله وانقطاعه ليس لهما وقت معين يقطع به، **(وقد علم أرباب القلوب)** ممن نوّر الله بصيرته **(أن الدنيا مزرعة للآخرة)** كما ورد ذلك في الخبر، **(والقلب كالأرض)** في قبوله لما يرد عليه، **(والإيمان كالبذر فيه، والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها، فالقلب المستهتر بالدنيا)** أي المولع بها **(المستغرق بها كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر)** أي لا يزيد نمواً، **(ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا ما زرع)** فإن من زرع حصد، **(ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان، وقلما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء اخلاقه كما لا ينمو بذر في أرض سبخة، فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع، فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير عفن ولا مسوّس ثم أمده بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته)** وهو في

جلس منتظراً من فضل الله تعالى دفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته: سمي انتظاره رجاء. وإن بث البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب إليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر أصلاً، ثم انتظر الحصاد منه: سمي انتظاره حمقاً وغروراً لا رجاء. وإن بث البذر في أرض طيبة لكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا تمتنع أيضاً: سمي انتظاره تمنياً لا رجاء، فإذاً اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات، فالعبد إذا بث بذر الإيمان، وسقاه بماء الطاعات، وطهر القلب عن شوك الأخلاق الرديئة، وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة، كان انتظاره رجاء حقيقياً محموداً في نفسه باعثاً له على المواظبة والقيام بمقتضى أسباب الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت، وإن قطع عن بذر الإيمان تعهده بماء الطاعات، أو ترك القلب مشحوناً برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة، فانتظاره حمق وغرور، قال ﷺ: «الأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة» وقال تعالى:

مبدأ نشأته، (**ثم نقى الأرض من الشوك والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده**) بعد النبات بأن يصفر أوراقه ويضعف قوته، (**ثم جلس منتظراً من فضل الله تعالى دفع الصواعق**) من الرياح المحرقة (**والآفات المفسدة**) من الدود والجليد وغيرهما (**إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمي انتظاره رجاء، وإن بث البذر في أرض صلبة**) لا تنبت أو (**سبخة**) أو (**مرتفعة لا ينصب إليها الماء و**) هو مع ذلك (**لم يشتغل بتعهد البذر أصلاً، ثم انتظر الحصاد سمي انتظاره حمقاً وغروراً لا رجاء، وإن بث البذر في أرض طيبة ولكن لا ماء لها ولكن ينتظر مياه الأمطار حيث لا تغلب الأمطار ولا تمتنع أيضاً**) كالأراضي المصرية (**سمي انتظاره تمنياً لا رجاء، فإذاً اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات**) والموانع، (**فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الأخلاق الردية وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة**) المفضية إلى المغفرة والرحمة الكاملة الشاملة (**كان انتظاره رجاء حقيقياً محموداً في نفسه باعثاً على المواظبة والقيام بمقتضى الإيمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت، وإن قطع عن بذر الإيمان تعهده بماء الطاعات وترك القلب مشحوناً برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة**) وعلو الدرجات، (**فانتظاره حمق وغرور**) في الحالات. (**قال ﷺ**): «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، و(**الأحمق**) وفي لفظ

﴿فخلف مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾ [مريم: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الكِتَابَ يأخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيقولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩]، وذم الله تعالى صاحب البستان إذ دخل جنته وقال: ﴿مَا أظُنُّ أنْ تَبِيدَ هَذِهِ أبَداً * وَمَا أظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُّ إلى رَبِّي لأجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلباً﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦]، فإذا العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة، وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة. وأما العاصي فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة. وأما قبول التوبة إذا كان كارهاً للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهي التوبة ويشتاق إليها، فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة؛ لأن كراهيته للمعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب الذي قد

العاجز (**من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله**) رواه أحمد والترمذي وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس، والحاكم من حديث شداد بن أوس قد تقدم (**وقال تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾**) هو اسم واد في جهنم. (**وقال تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا﴾ وذم الله تعالى صاحب البستان**) بفلسطين واسمه أبو فطرس (**إذ دخل جنته وقال: ﴿ما أظن أن تبيد هذه أبداً * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً﴾**) فكل ذلك يدل على انتظار المغفرة والدرجات العالية مع الإنهماك في الشهوات النفسية حمق وغرور وعجز. ثم أشار المصنف إلى مظان الحاجة إلى استعمال الرجاء وأن لاستعماله مواطن بقوله:

(**فإذاً العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي**) إلا الصغائر التي لا يخلو من مثلها البشر غير الأنبياء (**حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة، وما تمام النعمة إلا بدخول الجنة**) كما في الخبر الآتي قريباً. هذا هو الموطن الأول.

(**وأما العاصي فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير، فحقيق بأن يرجو قبول التوبة**) وهذا هو الموطن الثاني.

(**وأما قبول التوبة إذا كان كارهاً للمعصية تسوءه السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها فيشتهي التوبة ويشتاق إليها، فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة لأن كراهية المعصية وحرصه على التوبة يجري مجرى السبب**) المغلب لجانب الرجاء (**الذي قد يفضي إلى التوبة**) وهذا هو الموطن الثالث.

يفضي إلى التوبة، وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هَاجَرُوا أو جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]، معناه أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله، وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضاً قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء، فأما من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع، فرجاؤه المغفرة حمق كرجاء من بث البذر في أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهده بسقي ولا تنقية. قال يحي بن معاذ: من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزء بغير عمل، والتمني على الله عز وجل مع الإفراط:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبسِ

فإذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته فقد علمت أنها حالة أثمرها العلم بجريان أكثر الأسباب، وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الأسباب على حسب الإمكان، فإن من

(وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب) وتمهدها بتمامها، **(ولذلك قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا)** أي السيئات واللذات **(وجاهدوا في سبيل الله)** أي بتكثير الطاعات **(أولئك يرجون رحمة الله﴾ معناه أولئك يستحقون أن يرجوا)** رحمة ربهم. **(وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضاً قد يرجو، ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء)** مشيراً لبعد منزلتهم بلفظ «أولئك». **(فأما من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع)** إليه، **(فرجاؤه المغفرة حمق)** وغرور كما قيل: الغرة بالله أن يعمل الرجل بمعصية الله ويتمنى مغفرته، ورجاؤه **(كرجاء من بث البذر في أرض سبخة وعزم على أن لا يتعهده بسقي ولا تنقية)** وإصلاح. **(قال يحي بن معاذ)** الرازي رحمه الله تعالى: **(من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله عز وجل مع الإفراط في أمل، وأنشد)**:

ما بال دينك ترضى أن تدنسه ... وثوبك الدهر مغسول من الدنسِ

(ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبسِ)

(فإذا عرفت حقيقة الرجاء ومظنته، فقد علمت أنها حالة أثمرها العلم بجريان أكثر الأسباب، وهذه الحالة تثمر الجهد للقيام ببقية الأسباب على حسب الإمكان، فإن من

حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه، فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الأرض وتعهدها وتنحية كل حشيش ينبت فيها، فلا يفتر عن تعهدها أصلاً إلى وقت الحصاد، وهذا لأن الرجاء يضاده اليأس، واليأس يمنع من التعهد، فمن عرف أن الأرض سبخة وأن الماء معوز وأن البذر لا ينبت: فيترك لا محالة تفقد الأرض والتعب في تعهدها والرجاء محمود، لأنه باعث، واليأس مذموم وهو ضدّه لأنه صارف عن العمل، والخوف ليس بضدّ للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه، بل هو باعث آخر بطريق الرهبة كما أن الرجاء باعث بطريق الرغبة، فإذاً حال الرجاء يورث طول المجاهدة بالأعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال. ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له، فإن هذه الأحوال لا بد وأن تظهر

حسن بذره وطابت أرضه وغزر ماؤه صدق رجاؤه، فلا يزال يحمله صدق الرجاء على تفقد الأرض وتعهده وتنحية كل حشيش ينبت فيها، فلا يفتر عن تعهدها أصلاً إلى وقت الحصاد، وهذا لأن الرجاء يضاده اليأس واليأس يمنع من التعهد، فمن عرف ان الأرض سبخة وأن الماء معوز) أي قليل الوجود، (**وأن البذر لا ينبت، فيترك لا محالة تفقد الأرض والتعب في تعهدها، والرجاء محمود**) مقامه (**لأنه باعث**) على العمل حاث عليه كالخوف، (**واليأس**) الذي هو ضده (**مذموم وهو ضده لأنه صارف عن العمل**). ولفظ القشيري: فالرجاء محمود والتمني معلول، (**والخوف ليس بضدّ للرجاء**) كما يتبادر إلى الأذهان، (**بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه، بل هو**) أي الخوف باعث آخر بطريق الرهبة، كما أن الرجاء (**باعث بطريق الرغبة**) لأن السبب الموجب للخوف هو بعينه سبب الرجاء لأن الصفات القديمة تعلقت بكل موجود في الوجود، ومتعلقاتها لا تنقضي سرمداً فهي التي يصدر عنها كل ما ساء وسر ونفع وضر فقد قهر وجبر واعطى ومنع. كل ذلك على أتم أنواع الكمال، فمن عرف ذلك من صفاته تعالى خافه ورجاه، وهذا هو الرجاء لذاته الذي لا يتوقع بحسنة ولا يندفع بنسيئة إنما ينشأ من فضل الله الذي هو فضله لمن اختصه في أزله من عباده، كما أن الخوف ينشأ عن عدل الله الذي هو عدله لمن أبعده عن حضرته في أزله، وينتفع بهذا الرجاء من أخرجه خوف الذنوب والعيوب إلى اليأس والقنوط، وينتفع بالخوف الذي يراد لذاته من أخرجه رؤية كثرة الأعمال إلى الإدلال والأمن والاغترار، (**فإذا حال الرجاء يورث طول المجاهدة-بالأعمال والمواظبة على الطاعات كيفما تقلبت الأحوال**) ولاستعماله مواطن ثلاثة قد أشار إليها المصنف قريباً.

(**و**) أما علاماته فهي ما تصدر (**من آثاره**) من (**التلذذ بدوام الاقبال على الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له**) عند الدعاء والسؤال، ولذلك ألحق الحليمي رحمه الله تعالى الدعاء بالرجاء، وذكر له أركاناً وآدابا، وقد تقدم بيان ذلك تفصيلاً في كتاب الدعوات

على كل من يرجو ملكاً من الملوك أو شخصاً من الأشخاص، فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى ؟ فإن كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما أثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل، ويدل على إثماره لهذه الأعمال حديث زيد الخيل، إذ قال لرسول الله ﷺ : جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد ؟ فقال: « كيف أصبحت ؟ قال: أصبحت أحب الخير وأهله، وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأيقنت بثوابه، وإذا فاتني منه شيء حزنت عليه وحننت إليه. فقال « هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك للأخرى هيأك لها ثم لا يبالي في أي أوديتها هلكت » فقد ذكر ﷺ علامة من أريد به الخير فمن ارتجى أن يكون مراداً بالخير من غير هذه العلامات فهو مغـرور.

فليراجع من هناك. (**فإن هذه الأحوال لا بدّ وأن تظهر في كل من يرجو ملكاً من الملوك أو شخصاً من الأشخاص، فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فإن كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني**) ، فليستأنف التوبة والإقبال على العمل بالجد والاجتهاد حتى تظهر عليه تلك الأحوال، (**فهذا هو البيان**) المفصح (**لحال الرجاء ولما أثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل، ويدل على إثماره لهذه الأعمال حديث زيد الخيل**) بن مهلهل بن زيد بن منهب الطائي رضي الله عنه (**إذ قال لرسول الله ﷺ : جئت لاسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد؟ فقال « كيف أصبحت » ؟ قال: أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأيقنت بثوابه، وإذا فاتني منه شيء حزنت عليه وحننت إليه. فقال: « هذه علامة الله فيمن يريد ولو أراد للأخرى هيأك لها ثم لا يبالي في أي أوديتها هلكت »**). قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود بسند ضعيف، وفيه أنه قال له « أنت زيد الخير » وكذا قال ابن أبي حاتم سماه النبي ﷺ الخير سمعت أبي يقول ذلك اهـ.

قلـت: ورواه ابن شاهين من طريق سنين مولى بني هاشم عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ فأقبل راكب حتى أناخ، فقال: يا رسول الله إني أتيتك من مسيرة تسع أسألك عن خصلتين. فقال « ما اسمك ». قال: أنا زيد الخيل. قال « بل أنت زيد الخير سل ». قال: أسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فذكر الحديث بطوله. وأخرجه ابن عدي في ترجمة سنين وضعفه، (**فقد ذكر ﷺ علامة من أريد به الخير فمن ارتجى أن يكون مراداً بالخير من غير هذه العلامات فهو مغرور**) في وادي الملامات، وبالله التوفيق.

بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه:

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف، لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم لـه، والحب يغلب بالرجاء، واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه، والآخر رجاء لثوابه، ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لا سيما في وقت الموت: قال تعالى: ﴿لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾ [الزمر: ٥٣] فحرم أصل اليأس، وفي أخبار يعقوب عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه: أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف؟ قال: لا، قال: لأنك قلت أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني؟ ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له وقال ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظنّ بالله تعالى»، وقال ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي

بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه:

(**اعلم**) أرشدك الله تعالى (**أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف، لأن أقرب العباد إلى الله أحبهم**) أي أكثرهم حباً (**له**) وأنساً به، (**والحب يغلب بالرجاء**) لا بالخوف، ويحتمل أن يكون هذا وجه تقديم الرجاء على الخوف في الذكر، (**واعتبر ذلك بملكين يخدم احدهما خوفاً من عقابه والآخر رجاء لثوابه، فالراجي ثوابه أكثر حباً له من الخائف من عقابه**) وهو اعتبار صحيح، (**ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن**) بالله تعالى (**رغائب**) أي مرغبات (**لاسيما في وقت الموت**) سواء عرف نفسه بالاساءة أم لا. وقال القشيري: ومن عرف نفسه بالإساءة فينبغي أن يكون خوفه غالباً على رجائه انتهى. وهذا غير مقيد وقت الموت. وفي القوت: ولولا أن الرجاء وحسن الظن من فواضل المقامات ما طلبه العلماء في آخر الأوقات عند فراق العمر ولقاء المولى لتكون الخاتمة به وهم يسألون الله حسن الخاتمة لطول الحياة، وكذلك قيل: إن الخوف أفضل ما دام حياً فإذا حضر الموت فالرجاء أفضل. (**قال تعالى: ﴿لا تقنطوا من رحمة الله**) إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ (**فحرم أصل اليأس**) الذي هو ضد الرجاء والقنوط بمعناه قال تعالى: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ [يوسف: ٨٧] (**وفي أخبار يعقوب عليه السلام: أن الله تعالى أوحي إليه أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف هذه المدة؟ قال: لا. قال: لأنك قلت**) لأخوته: ﴿**أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون**﴾ [**يوسف: ١٣**] **لم خفت الذئب**) عليه (**ولم ترجني، ولم نظرت إلى غفلة إخوتـه ولم تنظـر إلى حفظي له**)؟ نقله صاحب القوت. زاد في رواية عن الله تعالى إنه أوحى إليه من سبق عنايتي بك أن جعلت نفسي عندك أرحم الراحمين فرجوتني، ولولا ذلك لكنت أجعل نفسي عندك أبخل الباخلين. (**وقال ﷺ «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث جابر اهـ.

بي فليظن بي ما شاء » ودخل ﷺ على رجل وهو في النزع فقال: « كيف تجدك؟ » فقال: أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال ﷺ: « ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وأمنه مما يخاف »، وقال علي رضي الله عنه لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه: يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك.

قلت: ورواه كذلك الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان. وروى ابن جميع في معجمه، والخطيب، وابن عساكر من حديث أنس « لا يموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بالله تعالى فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة » قال الذهبي: فيه أبو نواس الشاعر فسقه ظاهر فليس بأهل أن يروى عنه.

(وقال ﷺ: « يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ») قال العراقي: رواه ابن حبان من حديث واثلة بن الأسقع وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة دون قوله « فليظن بي ما شاء » اهـ.

قلت: وبمثل رواية الصحيحين رواه الطبراني عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وحديث واثلة رواه أيضاً ابن أبي الدنيا والحكيم وابن عدي والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي وتمام، ولفظهم « قال الله عز وجل » والباقي سواء. وفي رواية للطبراني في الأوسط، وأبي نعيم في الحلية، وابن عساكر « إن الله عز وجل يقول أنا عند ظن عبدي بي إن خيراً فخير وإن شراً فشر » ورواه كذلك الشيرازي في الألقاب من حديث أنس، وروى أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة « قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيراً له وإن ظن شراً فله » ورواية الصحيحين من حديث أبي هريرة: « قال الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله » ورواية الصحيحين من حديث أبي هريرة: « يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي » الحديث. وفي رواية لمسلم يقول الله تعالى: « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة » الحديث.

(ودخل ﷺ على رجل وهو في النزع) أي حالة نزوع الروح منه **(فقال: « كيف تجدك » فقال: أجدني أخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي. فقال ﷺ « ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وآمنه مما يخاف »)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال غريب، والنسائي في الكبرى، وابن ماجه من حديث أنس. وقال النووي: إسناده جيد اهـ.

قلت: وروى البيهقي من مرسل سعيد بن المسيب رفعه « ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب مؤمن إلا أعطاه الله الرجاء وآمنه الخوف ».

(وقال علي رضي الله عنه لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط: يا هذا يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك) كذا في القوت. ورواه الشريف الموسوي في نهج البلاغة. قال صاحب القوت:

وقال سفيان: من أذنب ذنباً فعلم ان الله تعالى قدّره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه، قال: لأن الله عز وجل عير قوماً فقال: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ [فصلت: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً﴾ [الفتح: ١٢] وقال ﷺ: « إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكر؟ فإن لقنه الله حجته قال: رب رجوتك وخفت الناس. قال: فيقول الله تعالى: قد غفرته لك ». وفي الخبر الصحيح: « أن رجلاً كان يداين الناس فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر فلقي الله ولم يعمل خيراً قط، فقال الله عز وجل: من أحق بذلك منا » فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه أن يعفو عنه مع إفلاسه عن الطاعات. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ

صدق رضي الله عنه لأن اليأس من روح الله الذي يستريح إليه المكروب من الذنوب، والقنوط من رحمة الله التي يرجوها بالغيوب أعظم من ذنوبه، وهو أشد من جميع عيوبه لأنه قطع بهواه على صفات الله المرجوّة، وحكم على كرم الله بصفاته المذمومة وكان ذلك من أكبر الكبائر وإن كانت ذنوبه كبائر.

(**وقال سفيان**) الثوري رحمه الله تعالى: (**من أذنب ذنباً فعلم أن الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه. قال**) سفيان: (**لأن الله عز وجل عيَّر**) أي عاب (**قوماً فقال**) تعالى: (**﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم**) فأصبحتم من الخاسرين﴾ (**وقال تعالى**) في مثله: **﴿وظننتم ظنّ السوء وكنتم قوماً بوراً﴾** أي هلكى، ففي دليل خطابه أن من ظن ظناً حسناً كان من أهل النجاة هكذا أورده صاحب القوت، ثم قال: وقد جاء في الأثر: من أذنب ذنباً فأحزنه ذلك غفر له ذنبه وان لم يستغفر. قلت: وقول سفيان المذكور سيأتي معناه في أحاديث الرجاء قريباً.

(**وقال ﷺ: « إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإن لقنه الله حجته قال: رب رجوتك وخفت الناس. قال؟ فيقول الله تعالى قد غفرت لك »**) قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد، وقد تقدم في كتاب الأمر بالمعروف.

(**وفي الخبر الصحيح « أن رجلاً كان يداين الناس**) أي يعاملهم بالدين (**فيسامح الغني ويتجاوز عن المعسر فلقي الله**) تعالى (**ولم يعمل خيراً قط. فقال الله عز وجل: من أحق بذلك منا فعفا عنه لحسن ظنه ورجائه أن يعفو عنه مع إفلاسه عن الطاعات »**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي مسعود « حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسراً فكان يأمر غلمانه ان يتجاوزوا عن المعسر، فقال قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه ». واتفقا عليه من حديث حذيفة وأبي هريرة بنحوه اهـ.

كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ [فاطر : ٢٩] ولما قال ﷺ : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتجأرون إلى ربكم » فهبط جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقول لك لم تقنط عبادي ؟ فخرج عليهم ورجاهم وشوّقهم » . وفي الخبر :

قلت : حديث أبي مسعود رواه كذلك أحمد والبخاري في الأدب المفرد والترمذي وقال حسن صحيح ، والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو مسعود . راويه هو عقبة بن عمرو البدوي الصحابي رضي الله عنه .

ورواه أحمد والشيخان وابن ماجه من حديث حذيفة وأبي مسعود معاً « ان رجلاً ممن كان قبلكم أتاه ملك الموت ليقبض نفسه فقال له : هل عملت من خير ؟ قال : ما أعلم . قال له : انظر . قال : ما أعلم شيئاً غير أني كنت أبايع الناس وأحارفهم فانظر المعسر وأتجاوز عن الموسر فادخله الله الجنة » .

وروى البزار وابن حبان والحاكم وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة « أن رجلاً لم يعمل خيراً قط وكان يداين الناس فيقول لرسوله خذ ما تيسر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله ان يتجاوز عنا ، فلما هلك قال الله عز وجل : هل عملت خيراً قط ؟ قال : لا إلا أنه كان لي غلام وكنت أداين الناس فإذا بعثته يتقاضى قلت له خذ ما تيسّر واترك ما عسر وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا . قال الله تعالى : قد تجاوزت عنك » . وفي رواية لأحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن حبان : « كان رجل تاجر يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فلقي الله فتجاوز عنه » .

(ولما قال) لهم **(ﷺ)** يعظهم : **(« لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولخرجتم إلى الصعدات تلدمون)** أي تضربون **(صدوركم وتجأرون)** أي تتضرعون **(إلى ربكم فهبط جبريل عليه السلام فقال : إن ربك يقول لم تقنط عبادي)** ؟ قال : **(فخرج عليهم)** رسول الله ﷺ **(فرجاهم وشوّقهم »)** هكذا هو سياق القوت .

ولفظ القشيري في الرسالة : وفي بعض التفاسير أن رسول الله ﷺ دخل على أصحابه من باب بني شيبة فرآهم يضحكون فقال : « تضحكون لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » ثم مرَّ ورجع القهقري وقال « نزل علي جبريل وأتى بقوله نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم » اهـ .

وقال العراقي : رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة ، وأوّله متفق عليه من حديث أنس . ورواه بزيادة « ولخرجتم إلى الصعدات » أحمد والحاكم وقد تقدم اهـ .

قلت : أما المتفق عليه من حديث أنس إلى قوله كثيراً رواه أيضاً أحمد والدارمي والنسائي والترمذي وابن ماجه وابن حبان . ورواه أيضاً أحمد والبخاري والترمذي من حديث أبي هريرة ورواه .

« أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام . أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى خلقي فقال: يا رب، كيف أحببك إلى خلقك؟ قال: اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي وإحساني وذكرهم ذلك فإنهم لا يعرفون مني إلا الجميل. ورؤي أبان بن أبي عياش في النوم وكان يكثر ذكر أبواب الرجاء فقال: أوقفني الله تعالى بين يديه فقال: ما الذي حملك على ذلك؟ فقلت أردت أن أحببك إلى خلقك، فقال: قد غفرت لك. ورؤي يحيى بن أكثم بعد موته في النوم، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني الله بين يديه

ابن عساكر والطبراني من حديث سمرة. ورواه ابن عساكر أيضاً من حديث أبي الدرداء ورواه بزيادة « ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تنجون أو لا تنجون » الطبراني والحاكم والبيهقي من حديث أبي الدرداء ورواه بزيادة « ولما ساغ لكم الطعام والشراب » بعد قوله كثيرا الحاكم من حديث أبي ذر.

وروى الحاكم من حديث أبي هريرة « لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلا يظهر النفاق وترتفع الأمانة » الحديث.

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق حزام بن حكيم قال: قال أبو الدرداء « لو تعلمون ما أنتم راؤن بعد الموت لما أكلتم طعاماً على شهوة ولا شربتم شراباً على شهوة ولا دخلتم بيتاً تستظلون فيه ولخرجتم إلى الصعدات تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم ».

(وفي الخبر: إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام): يا داود **(أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى خلقي. فقال: يا رب)** هذا أحبك وأحب من يحبك و**(كيف أحببك إلى خلقك؟ قال: أذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وذكرهم ذلك فإنهم لا يعرفون مني إلا الجميل)** هكذا هو في القوت إلا أنه قال: أوحى الله إلى داود وغيره من الأنبياء ثم ساقه ولم يقل وفي الخبر، ولذلك قال العراقي: لم أجد له أصلاً وكأنه من الإسرائيليات.

(ورؤي أبان بن أبي عياش) البصري أبو إسماعيل العبدي واسم أبيه فيروز، روى له أبو داود، مات في حدود الأربعين **(في النوم)** بعد موته **(وكان يكثر ذكر أبواب الرجاء)** والرخص فقال له الرائي: ما فعل الله بك؟ **(فقال: أوقفني الله تعالى بين يديه فقال: ما الذي حملك على ذلك)** أي على أن حدثت عني بما حدثت به من الرخص؟ قال: **(فقلت يا رب أحببت أن أحببك إلى خلقك. فقال: قد غفرت لك)** هكذا أورده صاحب القوت.

(ورؤي) القاضي **(يحيى بن أكثم)** بن محمد بن قطن التميمي المروزي أبو محمد فقيه صدوق، روى له الترمذي وكان يرى الرواية بالإجازة والوجادة، ولذلك كثر فيه الكلام، مات عن ثلاث وثمانين سنة في أواخر سنة اثنتين وأربعين ومائة **(بعد موته في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟**

وقال: يا شيخ السوء فعلت وفعلت، قال فأخذني من الرعب ما يعلم الله، ثم قلت: يا رب ما هكذا حدثت عنك، فقال: وما حدثت عني؟ فقلت: حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك ﷺ عن جبريل عليه السلام أنك قلت: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء، وكنت أظنك أن لا تعذبني فقال الله عز وجل: صدق جبريل وصدق نبيي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال: فألبست ومشي بين يدي الولدان إلى الجنة فقلت: يا لها من فرحة.

وفي الخبر: «أنّ رجلاً من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشدّد عليهم، قال: فيقول

فقال: أوقفني بين يديه وقال: يا شيخ السوء فعلت وفعلت. قال: فاخذني من الرعب) والفزع **(ما يعلم الله، ثم قلت: يا رب ما هكذا حدثت عنك. فقال: وما حدثت عني؟ فقلت: حدثني عبد الرزاق)** بن همام بن نافع الحميري مولاهم أبو بكر الصغاني ثقة حافظ مصنف شهير عمي في آخر عمره مات سنة إحدى عشرة ومائة عن خمس وثمانين سنة روى له الجماعة، **(عن معمر)** ابن راشد الأزدي مولاهم بن عروة البصري نزيل اليمن ثقة ثبت فاضل مات سنة أربع وخمسين عن ثمان وخمسين سنة روى له الجماعة، **(عن الزهري)** هو أبو بكر بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب المدني الفقيه الثبت المشهور، **(عن أنس)** بن مالك رضي الله عنه، **(عن نبيك ﷺ أنك قلت)** تباركت وتعاليت: **(أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء، و)** قد **(كنت أظن بك أن لا تعذبني. فقال عز وجل: صدق نبيي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت أنت. قال: فألبست)** أي من خلع الجنة **(ومشى بين يدي الولدان إلى الجنة فقلت: يا لها من فرحة)**! هكذا أورده صاحب القوت.

وحديث «أنا عند ظن عبدي بي» تقدم ذكره قريباً من رواية واثلة بن الأسقع عند ابن حبان بهذا السياق وليس هو من حديث أنس.

وأورده القشيري من وجه آخر فقال: سمعت ابن الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد المركي قال: حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد الأديب قال: حدثنا الفضل بن صدقة، حدثنا أبو عبد الله الحسن بن عبد الله بن سعيد قال: كان يحيى بن أكثم القاضي صديقاً لي وكان يودّني وأودّه فمات يحيى فكنت اشتهي أن أراه في المنام فأقول له ما فعل الله بك، فرأيته ليلة في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي إلا أنه وبخني ثم قال لي: يا يحيى خلطت عليّ في دار الدنيا. فقلت: يا رب اتكلت على حديث حدثني به أبو معاوية الضرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «أنك قلت أني لاستحي ان أعذب ذا شيبة بالنار». فقال: قد عفوت عنك يا يحيى وصدق نبيي إلا أنك خلطت عليّ في دار الدنيا.

(وفي الخبر «أن رجلاً من بني اسرائيل كان يقنط الناس) من رحمة الله تعالى **(ويشدد**

له الله تعالى يوم القيامة. اليوم أؤيسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها، وقال ﷺ: «إن رجلاً يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان، فيقول الله تعالى لجبريل: اذهب فأتني بعبدي. قال فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله تعالى له: كيف وجدت مكانك؟ فيقول: شر مكان. قال فيقول ردّوه إلى مكانه قال: فيمشي ويلتفت إلى ورائه فيقول الله عز وجل: إلى أي شيء تلتفت! فيقول لقد رجوت أن لا تعيدني إليها بعد إذ أخرجتني منها، فيقول الله تعالى: اذهبوا به إلى الجنة» فدل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاته، نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه.

عليهم) بالإنذار والتخويف **(قال: فيقول الله تعالى له يوم القيامة: اليوم أؤيسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها»)** كذا في القوت. وقال العراقي: رواه البيهقي في الشعب عن زيد بن زيد بن أسلم فذكره مقطوعاً.

(وقال ﷺ: «إن رجلاً يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان، فيقول الله تعالى لجبريل) عليه السلام: **(اذهب فأتني بعبدي. قال: فيجيء به فيوقفه على ربه، فيقول الله تعالى له: كيف وجدت مكانك؟ فيقول: شر مكان. فيقول: ردوه إلى مكانه. قال: فيمشي ويلتفت إلى ورائه فيقول الله عز وجل: إلى أي شيء تلتفت؟ فيقول: لقد رجوت أن لا تعيدني إليها بعد إذ أخرجتني منها. فيقول الله تعالى: اذهبوا به إلى الجنة»)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله، والبيهقي في الشعب وضعفه من حديث أنس اهـ.

قلت: وروى أحمد من حديث عبادة بن الصامت وفضالة بن عبيدة معاً «إذا كان يوم القيامة وفرغ الله تعالى من قضاء الخلق، فيبقى رجلان فيؤمر بهما إلى النار فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تعالى: ردوه فيردونه فيقول له: لم التفت؟ فيقول: كنت أرجو أن تدخلني الجنة فيؤمر به إلى الجنة، فيقول: لقد أعطاني الله عز وجل حتى لو أطعمت أهل الجنة ما نقص ما عندي شيئاً».

وأما لفظ حديث أنس عند البيهقي «أن عبداً في جهنم ينادي ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله لجبريل: اذهب ائتني بعبدي هذا فينطلق جبريل فيجد أهل النار مكبين يبكون فيرجع إلى ربه عز وجل فيخبره، فيقول: ائتني به فإنه في مكان كذا وكذا فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول له: يا عبدي كيف وجدت مكانك ومقيلك؟ فيقول: يا رب شر مكان وشر مقيل. فيقول: ردوا عبدي فيقول: يا رب ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تعيدني فيها. فيقول: دعوا عبدي». وقد رواه كذلك أحمد وابن خزيمة.

(فدلّ هذا على ان رجاءه كان سبب نجاته) من النار، ولفظ القوت: وروينا في خبر عن رسول الله ﷺ «أن رجلاً يخرج من النار فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول له: كيف وجدت

بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويغلب:

اعلم أنّ هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين: إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادة، وإما رجل غلب عليه الخوف فاسرف في المواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله، وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال إلى طرفي الافراط والتفريط، فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال، فأما العاصي المغرور المتمني على الله مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فأدوية الرجاء تنقلب سموماً مهلكة في حقه وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء لمن غلب عليه البرد، وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة، بل المغرور لا يستعمل في حقه إلا أدوية الخوف والأسباب المهيجة له، فلهذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلطفاً ناظراً إلى مواقع العلل معالجاً لكل علة بما يضادها لا بما يزيد فيها، فإنّ

مكانك» الحديث. ثم قال: فقد صار الرجاء طريقه إلى الجنة كما كان الخوف طريق صاحبه في الدنيا إليها، روينا أن الآخر سعى مبادراً إلى النار لما قال ردوه فقيل له في ذلك فقال: لقد ذقت من وبال معصيتك في الدنيا ما خفت من عذابك في الآخرة. وقال: خفت أن أعصيه في الآخرة كما عصيته في الدنيا. فقال: اذهبوا به إلى الجنة. نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه.

بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويغلب:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين: إما رجل غلب عليه اليأس)** من روح الله تعالى **(فترك العبادة)** من أصلها، **(وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف في المواظبة على العبادة فاضر بنفسه وأهله)**، وهذا هو الموطن الرابع من مواطن استعمال الرجاء، وقد تقدمت الإشارة للمواطن الثلاثة، ثم هذا العبد الذي أورثه الافراط في الخوف إلى القنوط إما بسبب كثرة الذنوب أو بسبب الجهل بجود الله وكرمه وقبوله للتوبة من العبد المذنب إذا رجع إليه، فهذا داء عظيم يجب دواؤه بالرجاء كما يشير إليه المصنف فيما بعد **(وهذان رجلان مائلان عن)** حدّ **(الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفريط فيحتاجان إلى علاج)** يردهما إلى الاعتدال، **(فأما العاصي المغرور المتمني على الله)** المغفرة والدرجات العالية **(مع الإعراض عن العبادة واقتحام المعاصي فأدوية الرجاء تنقلب سموماً مهلكة في حقه وتنزل منزلة العسل الذي هو شفاء)** للناس بنص القرآن أي **(لمن غلب عليه البرد)** منهم في مزاجه إما من اصله أو من عارض **(وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة)** في مزاجه، إما من طبع أو من عارض، وهذا مما اتفق عليه العارفون بالطب، والمتكلمون على الخواص. **(بل المغرور)** المتمني **(لا يستعمل في حقه إلا أدوية الخوف والأسباب المهيجة له)** لتكون مزيلة لمرض غروره والأمراض لا تعالج إلا باضدادها، **(فلهذا يجب ان يكون واعظ)** العامة من **(الخلق)** وكذا الاستاذ والمعلم حكيماً بصيراً **(متلطفاً)** عارفاً بنبضهم **(ناظراً إلى مواقع العلل معالجاً لكل علة**

المطلوب هو العدل والقصد في الصفات والأخلاق كلها وخير الأمور أوساطها ، فإذا جاوز الوسط إلى أحد الطرفين عولج بما يرده إلى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط ، وهذا الزمان زمان لا ينبغي أن يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء ، بل المبالغة في التخويف أيضاً تكاد أن لا تردهم إلى جادة الحق وسنن الصواب ، فأما ذكر أسباب الرجاء فيهلكهم ويرديهم بالكلية ، ولكنها لما كانت أخف على القلوب وألذ عند النفوس ، ولم يكن غرض الوعاظ إلا استمالة القلوب واستنطاق الخلق بالثناء كيفما كانوا مالوا إلى الرجاء حتى ازداد الفساد فساداً وازداد المنهمكون في طغيانهم تمادياً . قال عليّ كرّم الله وجهه إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله . ونحن نذكر أسباب الرجاء لتستعمل في حق الآيس أو فيمن غلب عليه الخوف

بما يضادها لا بما يزيد فيها) ويهيجها ، **(فإن المطلوب)** في كل شيء **(هو العدل والقصد في الصفات والأخلاق كلها وخير الأمور أوساطها)** كما ورد ذلك في الخبر ، وتقدم ذكره ، **(فإذا جاوز الوسط إلى أحد الطرفين عولج بما يرده إلى الوسط لا بما يريد في ميله عن الوسط ، وهذا الزمان)** يعني به زمانه الذي كان فيه وهو رأس الاربعمائة بعد الهجرة **(زمان لا ينبغي ان يستعمل فيه مع الخلق أسباب الرجاء)** وما يترخص فيه ، **(بل المبالغة في التخويف)** والتحذير **(أيضاً تكاد)** أي تقرب **(لا تردهم إلى جادة الحق وسنن الصواب)** أي طريقه ، **(فأما ذكر أسباب الرجاء)** والرخص **(فتهلكهم وترديهم)** أي توقعهم في الردى **(بالكلية ، ولكنها لما كانت أخف)** وقعاً **(على القلوب وألذ عند النفوس)** وأروح عند الأسماع **(ولم يكن غرض الوعاظ)** وأرباب الكراسي **(إلا استمالة القلوب)** إليهم **(واستنطاق الخلق بالثناء)** عليهم كيفما كانوا **(مالوا إلى الرجاء)** والرخص ، حتى ازداد الفساد فساداً وازداد المنهمكون في الطغيان تمادياً ، قال علي كرم الله وجهه : إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله تعالى . ولفظه في نهج البلاغة : الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله .

وقال أبو نعيم في الحلية : حدثنا أبي ، حدثنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن الحكم ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا شجاع بن الوليد ، عن زياد بن خيثمة ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم بن حمزة عن علي رضي الله عنه قال : ألا إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ، ولا يؤمنهم من عذاب الله ، ولا يرخص لهم في معصية الله ، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ، ولا خير في عبادة لا علم فيها ، ولا خير في علم لا فهم فيه ، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها .

(ونحن نذكر أسباب الرجل ليستعمل في حق الآيس) من روح الله **(وفيمن غلب عليه الخوف)** وأفرط عليه حتى أخرجه إلى القنوط من رحمة الله **(اقتداء بكتاب الله)** عز وجل

اقتداء بكتاب الله تعالى وسنَّة رسوله ﷺ فإنهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعاً لأنهما جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الأنبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لا استعمال الأخرق الذي يظن أن كل شيء من الأدوية صالح لكل مريض كيفما كان. وحال الرجاء يغلب بشيئين، أحدهما الاعتبار، والآخر: استقراء الآيات والأخبار والآثار.

أما الاعتبار، فهو أن يتأمل جميع ما ذكرناه في أصناف النعم من كتاب الشكر حتى إذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة الإنسان حتى أعد له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج إليه كالأصابع والأظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف

(**وسنّة رسوله ﷺ، فإنهما مشتملان على الخوف والرجاء جميعاً لأنهما جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف المرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورثة الأنبياء**) كما ورد ذلك في الخبر، وذلك (**بحسب الحاجة**) والاضطرار (**استعمال الطبيب الحاذق**) الذي يضع الهناء مواضع النقب (**لا استعمال الأخرق**) الجاهل (**الذي يظن أن كل شيء من الأدوية صالح لكل مريض كيفما كان، وحال الرجاء يغلب بفنين: أحدهما الاعتبار**) وهو افتعال من العبرة (**والآخر استقراء الآيات والأخبار والآثار**) أي تتبعها.

(**أما الاعتبار، فهو**) استقراء أول الوجود فإنك ترى الوجود من قمة العرش إلى منتهى الفرش خيراً كله ولم يكن فيه من الشر إلا ما ينسب إلى جنس المكلفين، والمكلفون في جزء يسير من الأرض والأرض جزء يسير من الدنيا وما الدنيا في الآخرة إلا كما يضع أحدكم أصبعه في اليم، وهذا ظاهر في الاستقراء لأن عالم الآخرة أوسع من عالم الدنيا، بل ملك من الملائكة يعدل الخلق أجمع، فموجبات الرحمة في الوجود أكثر من موجبات الغضب، ولذلك آثار كثيرة أثنى بها على نفسه فقال: الرحمن الرحيم الفتاح الكريم الجواد الأكرم التوّاب الوهاب العفو الغفور الشكور الصمد المجيب الودود البر الرزاق اللطيف الرؤوف المحسن المنعم المنان الرفيق الهادي، مع ما يضاف إلى هذا من الرضا والمحبة والذكر والمشي والهرولة، وما أشبه هذا. فالنظر إلى آثار هذه الأفعال وما ورد من الأخبار في فضائل الأعمال شفاء للإياس وترويح للخائف وترغيب للمعتدل.

ومن الاعتبار أيضاً (**أن يتامل جميع ما ذكرناه في أصناف النعم**) الستة عشر (**من كتاب الشكر، حتى إذا علم لطائف نعم الله لعباده في الدنيا وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة الانسان**) أي خلقته (**حتى أعدَّ له في الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء، وما هو محتاج إليه كالاصابع والأظفار، وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين**) أي كونهما على صورة القوس ثم سواهما، (**واختلاف ألوان العينين**) من بياض وسواد (**وحمرة**

ألوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك مما كان لا ينثلم بفقده غرض مقصود، وإنما كان يفوّت به مزية جمال، فالعناية الإلهية إذا لم تقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن تفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم إلى الهلاك المؤبد، بل إذا نظر الإنسان نظراً شافياً علم أن أكثر الخلق قد هيىء له أسباب السعادة في الدنيا، حتى انه يكره الانتقال من الدنيا بالموت وإن أخبر بأنه لا يعذب بعد الموت أبداً مثلاً أو لا يحشر أصلاً فليست كراهتهم للعدم إلا لأنّ أسباب النعم أغلب لا محالة، وإنما الذي يتمنى الموت نادر، ثم لا يتمناه إلا في حال نادرة وواقعة هاجمة غريبة، فإذا كان حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة فسنة الله لا تجد لها تبديلاً، فالغالب أنَّ أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم، فهذا إذا تؤمل حق التأمل قوي به أسباب الرجاء، ومن الاعتبار أيضاً النظر في حكمة الشريعة وسننها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها، حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة في البقرة من أقوى أسباب الرجاء. فقيل له: وما

الشفتين، وغير ذلك مما لا ينثلم بفقده غرض مقصود) أي لا ينقص ولا يفوت، (وإنما كان يفوت به مزية جمال) الصورة، (فالعناية الإلهية إذا لم تقصر عن عباده في أمثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده أن يفوتهم المزايد والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم إلى الهلاك المؤبد، بل إذا نظر الإنسان نظراً شافياً علم أن أكثر الخلق قد هُيىء له أسباب السعادة في الدنيا حتى أنـه يكره الانتقال من الدنيا بالموت) ومفارقتها، (وإن أخبر بأنه لا يعذب بعد الموت مثلاً أو لا يحشر أصلاً فليس كراهتهم للعدم) الذي هو الموت (إلا لأن أسباب النعم أغلب لا محالة، وإنما الذي يتمنى الموت نادر) قليل، (ثم) إذا فرض تمنيه فإنه (لا يتمناه إلا في حالة نادرة وواقعة هاجمة غريبة) هجمت عليه ولم ير منها الانفكاك، فاختار بطن الأرض على ظهرها، (فإذا حال أكثر الخلق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة، فسنّة الله لا تجد لها تبديلاً) ولن تجد لسنة الله تحويلاً. (فالغالب أن أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو غفور رحيم لطيف بعباده متعطف عليهم، فهذا) الذي ذكرناه مع ما سبق من غلبة الرحمة (إذا تؤمل حق التأمل قوي به أسباب الرجاء) للآيسين.

(ومن الاعتبار أيضاً: النظر في حكمة الشريعة) المطهرة (وسننها في) أحكام (مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها، حتى كان بعض العارفين يرى آية المداينة) الطويلة المذكورة (في) سورة (البقرة من أقوى أسباب الرجاء) وهي قوله تعالى: ﴿يـا أيُّها الَّذين آمَنُوا إذا تَدَايَنْتُم بدين إلى أجل مسمّى فاكتبوه﴾ إلى قوله ﴿والله بما تعملون عليم﴾ [البقرة: ٢٨٢،

فيها من الرجاء ؟ فقال : الدنيا كلها قليل ، ورزق الإنسان منها قليل والدين قليل من رزقه ، فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدي عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه ، فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه .

الفن الثاني : استقراء الآيات والأخبار :

فما ورد في الرجاء خارج عن الحصر أما الآيات فقد قال تعالى : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر : ٥٣] وفي قراءة رسول الله ﷺ : (ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم) وقال تعالى : ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ [الشورى : ٥] وأخبر تعالى أن النار أعدها لأعدائه وإنما خوف بها أولياءه فقال : ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾

٢٨٣] (**فقيل له : وما فيها من الرجاء ؟ فقال : الدنيا كلها قليل**) بالنسبة إلى الآخرة ، (**ورزق الانسان منها قليل**) بالإضافة إلى رزق سائر الحيوانات ، (**والدين قليل من رزقه ، فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية ليهدي عباده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه ، فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه**) في دنياه وعقباه . ولفظ القوت : وكان بعض الراجين من العارفين إذا تلا هذه الآية ، آية الدين التي في سورة البقرة يسر بذلك ويستبشر لها ويعظم رجاؤه عندها ، فقيل له في ذلك أنها ليس فيها رجاء ولا ما يوجب رجاء الاستبشار ، فقال : بل فيها رجاء عظيم ، فقال : إن الدنيا كلها قليل ورزق الإنسان فيها قليل ، وهذا الدين من رزقه فقليل من قليل ، ثم ان الله احتاط في ذلك ودقق النظر إلي بأن وكد ديني بالشهود والكتاب ، وأنزل الله فيه أطول آية ، ولو فاتني ذلك لم أبال به ، فكيف يكون فعله بي في الآخرة التي لا عوض لي من نفسي فيها .

الفن الثاني : استقراء الآيات القرآنية والاخبار النبوية :

(**فما ورد في الرجاء**) من ذلك كثير (**خارج عن الحصر**) والضبط ولكن يذكر هنا من كل ذلك ما ينفع الراجين . (**أما الآيات فقد قال الله تعالى ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾**) وهذه أرجى آية في القرآن (و) روينا (**في قراءة رسول الله ﷺ ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم**) وفي المشهورة المتواترة بحذفها . قال العراقي : رواه الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد وقال : حسن غريب . (**وقال تعالى**) مخبراً عن الملائكة الحافين حول العرش (**﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض﴾ وأخبر تعالى ان النار أعدها لأعدائه ، وإنما خوّف بها أولياءه فقال لهم : ﴿من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوّف الله به عباده﴾ و**) مثله (**قال**)

[الزمر: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى ★ لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى ★ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [الليل: ١٤، ١٦]، وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] ويقال: إن النبي ﷺ لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له: أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥]، قال: لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار». وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول: أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية، ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾.

تعالى: (**﴿واتقو النار التي أعدت للكافرين﴾ وقال تعالى ﴿فأنذرتكم ناراً تلظى★ لا يصلاها إلا الأشقى★ الذي كذب وتولى﴾ وقال تعالى**) في عفوه عن الظالمين: (**﴿وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ ويقال: إن النبي ﷺ لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له: أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية**) يعني: (**﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾**) هكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ. وروى ابن أبي حاتم والثعلبي في تفسيريهما من رواية علي بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال: لما أنزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «لولا عفو الله وتجاوزه ما تهنى أحد العيش» الحديث. (**و**) جاء (**في تفسير قوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ قال: «لا يرضى محمد**)ﷺ (**وأحد من أمته في النار»**) هكذا أورده صاحب القوت، والقائل لذلك ابن عباس. رواه الخطيب في تلخيص المتشابه بسنده عنه. ورواه ابن جرير من طريق السدي عن ابن عباس بلفظ: «من رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار» ورواه البيهقي في الشعب من طريق سعيد بن جبير عنه قال: «رضاه أن تدخل أمته الجنة كلهم».

(**وكان أبو جعفر محمد بن علي**) بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم (**يقول: أنتم يا أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ الآية. ونحن أهل البيت نقول: أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾**) وعده ربه تعالى أن يرضيه في أمته. هكذا أورده صاحب القوت. وروى ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شريح قال: قلت لأبي جعفر بن علي بن الحسين: أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي؟ قال أي والله حدثني عمي محمد بن الحنفية، عن علي أن رسول الله ﷺ قال: «أشفع لأمتي حتى يناديني ربي رضيت يا محمد، فأقول: نعم يا رب رضيت». ثم أقبل علي فقال:

وأما الأخبار، فقد روى أبو موسى عنه ﷺ أنه قال: « أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل الله عقابها في الدنيا: الزلازل والفتن، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب فقيل: هذا فداؤك من النار ». وفي لفظ

إنكم تقولون يا معشر أهل العراق إن أرجى آية في كتاب الله ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ الآية. قلت: إنا لنقول كذلك، ولكنا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ وهي الشفاعة. ومن الآيات الدالة على الرجاء قوله تعالى: ﴿الله لطيف بعباده يرزق من يشاء﴾ [الشورى: ١٩] وقوله تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ [الأحزاب: ٤٣] وقوله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ فدخلت جهنم وغيرها في توسعة الرحمة من حيث كن شيئاً. وقوله تعالى: ﴿فسأكتبها للذين يتقون﴾ [الأعراف: ١٥٦] معناه خصوص الرحمة وصفوها لا كنهها إذ لا نهاية للرحمة لأنها صفة الراحم الذي لا حدّ له، ولأنه لم يخرج عن رحمته كل شيء كما لم يخرج من حكمته وقدرته شيء لأن جهنم والنار الكبرى ليس كنه عذابه ولا كلية تعذيبه، فمن ظن ذلك به فلم يعرفه، ولأنه انما أظهر من عذابه مقدار طاقة الخلق كما أنه أظهر من ملكه ونعمه مقدار مصالح الخلق ولا يصلح للخلق ولا يطيقون إظهار أكثر مما أظهر من النعيم والعذاب، بل لا ينبغي لهم أن يعرفوا فوق ما أبدى لأن نهاية تعذيبه وتنعيمه من نهاية ملكه الذي هو قائم به وملكه عن غاية قدرته وسلطانه، ولا نهاية لذلك ولا يطيق الخلق كله إظهار ذلك أيضاً عن تعالي صفاته ونهاية معاني أسمائه المتناهيات، ولا سبيل إلى كشف ذلك من الغيوب. فسبحان من لا نهاية لقدرته ولا حدّ لعظمته ولا أمد لسلطانه، وكذلك شهدوا ما سمعوا من قوله تعالى: ﴿إنّه كان حليماً غفوراً﴾ [الإسراء: ٤٤] ﴿وكان الله عليماً حليماً﴾ [الأحزاب: ٥١] فعلموا ان المغفرة على سعة كمال الحلم لسعة العلم، فلما رأوا عظيم علمه رجوا عظيم مغفرته، ولما شهدوا كثيف ستره أملوا جميل عفوه.

(**وأما الأخبار فقد روى أبو موسى**) عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه (**عنه ﷺ أنه قال « أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل عقابها في الدنيا: الزلازل والفتن، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب فقيل: هذا فداؤك من النار »**) قال صاحب القوت: رويناه في حديث أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى. وقال العراقي: رواه أبو داود دون قوله « فإذا كان يوم القيامة » الخ. فرواها ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف وهي صحيحة من حديث أبي موسى كما يأتي في الحديث الذي يليه انتهى.

قلت: لفظ أبي داود « أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا ». ورواه كذلك الطبراني والحاكم. وروى الحاكم في السكنى من حديث أنس « أمتي أمة مرحومة مغفور لها متاب عليها ». وروى الخطيب في المتفق والمفترق، وابن النجار من حديث ابن عباس: « أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة إذا كان يوم القيامة

آخر: « يأتي كل رجل من هذه الأمة بيهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول: هذا فدائي من النار فيلقى فيها » وقال ﷺ: « الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار »

أعطى الله كل رجل من أمتي رجلاً من أهل الأديان فكان فداءه من النار » وفيه عبد الله بن ضرار عن أبيه قال ابن معين، لا يكتب حديثه.

(وفي لفظ آخر « يأتي كل رجل من هذه الأمة بيهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول هذا فدائي من النار فيلقى فيها »). كذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي موسى: « إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول: هذا فداؤك من النار ». وفي رواية « لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه من النار يهودياً أو نصرانياً انتهى.

قلت: في لفظ لمسلم « أعطى الله كل رجل من هذه الأمة رجلاً من الكفار فيقال له: هذا فداؤك من النار » رواه هكذا عن أبي بردة عن أبي موسى. وفي لفظ للطبراني في الكبير وفي الأوسط والحاكم في الكنى « إذا كان يوم القيامة بعث الله إلى كل مؤمن ملكاً معه كافر فيقول الملك للمؤمن: يا مؤمن هاك هذا الكافر فهذا فداؤك من النار ». وفي لفظ لأحمد « إذا كان يوم القيامة لم يبق مؤمن إلا أتي بيهودي أو نصراني حتى يدفع إليه فيقال له: هذا فداؤك من النار ». وعند أبي نعيم في الحلية « إذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد ثم يرفع لكل قوم آلهتهم » الحديث. وفيه فيقال لأهل التوحيد: « ارفعوا رؤوسكم فقد أوجب الله لكم الجنة وجعل مكان كل رجل منهم يهودياً أو نصرانياً في النار ». وأما الرواية الثانية لمسلم: « لا يموت رجل » الحديث فقد رواه كذلك ابن حبان والطبراني.

(وقال ﷺ: « الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار ») قال العراقي: رواه أحمد من رواية أبي صالح الأشعري عن أبي أمامة، وأبو صالح لا يعرف ولا يعرف اسمه انتهى.

قلت: ويقال: هو الأنصاري روى له ابن ماجه في كتاب التفسير له، وقد رواه أيضاً الطبراني، وابن مردويه، وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات ولفظ الكل: « الحمى كير من جهنم فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار » وفي الصحيحين « الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء ». وروى الطبراني وابن قانع وابن مردويه والشيرازي في الألقاب وابن عساكر من حديث أبي ريحانة الأنصاري: « الحمى كير من جهنم وهي نصيب المؤمن من النار ». وعند ابن النجار « من كير جهنم وهي حظ المؤمن من النار ». وروى الطبراني في الأوسط من حديث أنس « الحمى حظ المؤمن من النار » وزاد ابن عساكر من حديث عثمان بن عثمان « يوم القيامة ». وروى البزار من حديث عائشة « الحمى حظ كل مؤمن من النار » ورواه كذلك القضاعي من حديث ابن مسعود بزيادة « وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة ».

وروي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحريم: ٨] أنّ الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام: «إني أجعل حساب أمتك إليك. قال: «لا يا رب أنت أرحم بهم مني» فقال: إذاً لا نخزيك فيهم» وروي عن أنس أنّ رسول الله ﷺ سأل ربه في ذنوب أمته فقال: «يا رب اجعل حسابهم إليّ لئلا يطلع على مساويهم غيري» فأوحى الله تعالى إليه: هم أمتك وهم عبادي، وأنا أرحم بهم منك، لا أجعل حسابهم إلى غيري لئلا تنظر إلى مساويهم أنت ولا غيرك. وقال ﷺ: «حياتي خير لكم وموتي خير لكم، أما حياتي فأسن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع. وأما موتي فإن أعمالكم تعرض عليّ، فما رأيت منها حسناً حمدت الله عليه، وما رأيت منها سيئاً

(**وروي في تفسير قوله تعالى ﴿يـوم لا يخزي الله النبي والذيـن آمنـوا﴾**) الآيـة (**أن الله تعالى أوحى إلى نبيه ﷺ أني أجعل حساب أمتك إليك. قال «لا يا رب أنت خير لهم مني» فقال: «إذاً لا نخزيك فيهم»**) هكذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله.

قلت: روى أحمد وابن عساكر من حديث حذيفة إن ربي استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم؟ فقلت: «ما شئت يا رب هم خلقك وعبادك» فاستشارني الثانية، فقلت له كذلك. فاستشارني الثالثة فقلت له كذلك، فقال تعالى «إني لن أخزيك في أمتك يا أحمد» الحديث.

(**وروي عن أنس**) بن مالك رضي الله عنه (**أن رسول الله ﷺ سأله ربه في ذنوب أمته فقال: «يا رب اجعل حسابهم إليّ لئلا يطلع على مساوئهم غيري فأوحى الله تعالى إليه هم أمتك وهم عبادي وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم إلى غيري لئلا تنظر إلى مساوئهم أنت ولا غيرك»**) هكذا أورده صاحب القوت عن سلمة بن وردان عن أنس. وقال العراقي: لم أقف له على أصل.

(**وقال ﷺ «حياتي**) أي في الدنيا (**خير لكم وموتي خير لكم**) ولفظ: خير أريد به التفضيل لا الأفضلية فلا توصل بمن وليست بمعنى الأفضل، وإنما المقصود أن في كل من حياته وموته خير إلا أن هذا خير من هذا ولا هذا خير من هذا كما توهم. (**أما حياتي فأسنّ لكم السنن وأشرع لكم الشرائع، وأما موتي فإن أعمالكم تعرض علي فما رأيت منها حسناً حمدت الله عليه وما رأيت منها شيئاً أستغفر الله لكم»**) أي أطلب لكم مغفرة الصغائر وتخفيف عقوبات الكبائر هكذا هو في القوت. وقال العراقي: رواه البزار من حديث ابن مسعود ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبد المجيد بن عبد العزيز بن رواد وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائي فقد ضعفه كثيرون، وفي رواية الحرث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه باسناد ضعيف انتهى.

استغفرت الله تعالى لكم »، وقال ﷺ يوماً: « يا كريم العفو » فقال جبريل عليه السلام: أتدري ما تفسير: يا كريم العفو؟ هو إن عفا عن السيئات برحمته بدّلها حسنات بكرمه. وسمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم أني أسألك تمام النعمة. فقال: « هل تدري ما تمام النعمة؟ » قال: لا، قال: « دخول الجنة »، قال العلماء: قد أتم الله علينا نعمته برضاه الإسلام لنا، إذ قال تعالى: ﴿وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكُم الإسلامَ ديناً﴾ [المائدة: ٣] وفي الخبر: « إذا أذنب العبد ذنباً فاستغفر الله يقول الله عز وجل لملائكته:

قلت: لفظ الحرث بن أبي أسامة « حياتي خير لكم ينزل علي الوحي من السماء فأخبركم بما يحل لكم وما يحرم عليكم، وموتي خير لكم تعرض علي أعمالكم كل خميس فما كان من حسن حمدت الله عليه وما كان من ذنب استوهبت لكم ذنوبكم ». ورواه الحرث أيضاً مختصراً بلفظ « حياتي خير لكم ومماتي خير لكم ». ورواه كذلك أبو نصر اليونارتي في معجمه، وابن النجار. وروى ابن سعد في الطبقات، عن بكر بن عبد الله المزني مرسلاً « حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم تعرض علي أعمالكم فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم ».

(وقال ﷺ يوماً: « يا كريم العفو » فقال جبريل عليه السلام: أتدري ما تفسير يا كريم العفو؟ هو إن عفا عن السيئات برحمته بدلها حسنات بكرمه) هكذا هو في القوت. وقال العراقي: لم أجده عن النبي ﷺ، والموجود أن هذا كان بين إبراهيم الخليل وجبريل عليهما السلام. هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة من قول عتبة بن الوليد. ورواه البيهقي في الشعب من رواية عتبة بن الوليد قال: حدثني بعض الزهاد فذكره.

(وسمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال: « وهل تدري ما تمام النعمة؟ » قال: لا قال: « دخول الجنة »). رواه الطبراني من حديث معاذ بزيادة « والنجاة من النار » وقد تقدم. ورواه ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري في الأدب والترمذي والبيهقي في الأسماء بلفظ: « يا ابن آدم هل تدري ما تمام النعمة فإن من تمام النعمة الفوز من النار ودخول الجنة » وفي لفظ للترمذي: « من تمام النعمة دخول الجنة والفوز من النار ».

(قال العلماء: قد أتم نعمته برضاه الإسلام لنا إذ قال). ولفظ القوت: وقد أخبرنا الله عز وجل أنه قد أتم نعمته علينا برضاه الإسلام لنا، فهذا دليل على دخول الجنة. فقال تعالى: **﴿وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾** وقد أشركنا في ذلك مع رسول الله ﷺ، فنحن نرجو المغفرة لذنوبنا بفضله تعالى فقال: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك.

(وفي الخبر « إذا أذنب العبد ذنباً فاستغفر يقول الله عز وجل لملائكته، انظروا إلى

انظروا إلى عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنوب، ويأخذ بالذنب، أشهدكم أني قد غفرت له»، وفي الخبر: «لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرني ورجاني»، وفي الخبر: «لو لقيني عبدي بقراب الأرض ذنوباً لقيته بقراب

عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم أني قد غفرت له») كذا في القوت. وقال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة: «إن عبداً أذنب ذنباً فقال: أي رب أذنبت ذنباً فاغفر لي» الحديث. وفي رواية «أذنب عبد ذنباً فقال» الحديث انتهى.

قلت: لفظ المتفق عليه «إن عبداً أصاب ذنباً فقال: رب أذنبت فاغفره، فقال ربه: اعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً فقال: رب أذنبت آخر فاغفره لي. قال ربه: علم عبدي ان له رباً يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليعمل ما شاء». ورواه كذلك أحمد وابن حبان. وروى الحاكم من حديث أنس «من أذنب ذنباً فعلم أن له رباً إن شاء أن يغفر له غفر له وإن شاء أن يعذبه عذبه كان حقاً على الله أن يغفره». وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي فقال: كلا، والله كيف يكون صحيحاً وفيه جابر بن مرزوق وهو نكرة. ورواه أبو نعيم في الحلية من وجه آخر وهذا قد تقدم للمصنف. وروى الطبراني في الصغير والأوسط بسند ضعيف حديث ابن مسعود «من أذنب ذنباً فعلم أن له رباً غفر له وإن لم يستغفر» وهذا أيضاً قد تقدم.

(وفي الخبر «لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرني ورجاني») كذا أورده صاحب القوت. وقال العراقي: رواه الترمذي من حديث أنس « يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك» وقال: حسن انتهى.

قلت لفظ الترمذي: «قال الله عز وجل يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم ولو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة». وقال حسن غريب، وقد رواه كذلك الضياء في المختارة، ورواه الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس، ورواه ابن النجار من حديث أبي هريرة، ورواه البيهقي من حديث أبي ذر، وروى ابن أبي الدنيا في كتاب العسر، والحكيم، وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس «ولا أزال أغفر لعبدي ما استغفرني».

(وفي الخبر «لو لقيني عبدي بقراب الأرض ذنوباً لقيته بقرابها مغفرة) ما لم يشرك بي شيئاً» كذا لفظ القوت. وقال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي ذر «ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة». وللترمذي من حديث أنس الذي قبله «يا ابن آدم لو لقيتني، الحديث» انتهى.

قلت: لفظ حديث مسلم: «يقول الله عز وجل من عمل حسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر، ومن عمل قراب الأرض خطيئة ثم لقيني لا يشرك بي شيئاً جعلت له مثلها مغفرة» الحديث. ورواه كذلك أحمد وابن ماجه وأبو عوانة. وفي لفظ للطيالسي

الأرض مغفرة ». وفي الحديث: « إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات، فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبها سيئة »، وفي لفظ آخر: « فإذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال وهو أمير عليه: ألق هذه السيئة حتى ألقي من حسناته واحدة من تضعيف العشرة. وأرفع له تسع حسنات، فتلقى عنه السيئة » وروى أنس في حديث أنه عليه الصلاة والسلام قال: « إذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه » فقال اعرابي: وإن تاب عنه؟ قال: « محي عنه » قال: فإن عاد؟ قال النبي ﷺ: « يكتب عليه » قال الأعرابي: فإن تاب؟ قال: « محي من صحيفته » قال: إلى متى؟ قال: « إلى أن يستغفر ويتوب إلى الله عز وجل، إن الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من

قال ربكم عز وجل: « الحسنة بعشر والسيئة بواحدة أو أغفرها، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بقراب الأرض مغفرة » الحديث. وروى الطبراني والبيهقي من حديث أبي الدرداء: « قال الله عز وجل يا ابن آدم مهما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئاً غفرت لك على ما كان فيك، وإن استقبلتني بملء السماء والأرض خطايا وذنوباً استقبلتك بملئهن من المغفرة واغفر لك ولا أبالي » ورواه كذلك الشيرازي في الألقاب.

(وفي الحديث: « إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلاَّ كتبها سيئة » . وفي لفظ آخر: « فإذا كتبها عليه وعمل حسنة قال لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألق هذه السيئة حتى ألقي من حسناته واحدة من تضعيف العشرة وأرفع له تسع حسنات فيلقي عنه هذه السيئة ») هكذا أورده صاحب القوت وزاد: يقال إن الله تعالى جعل في قلب صاحب اليمين من الرحمة للعبد أضعاف ما جعل في قلب صاحب الشمال مع أنه أمره عليه، فإذا علم العبد الحسنة فرح بها ملك اليمين ويقال: فرح بها الملائكة فيكتب للعبد بفرحهم الحسنات انتهى.

وقا العراقي: رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند فيه لين باللفظ الأول، ورواه أيضاً أطول منه، وفيه أن صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، وليس فيه أنه يأمر صاحب الشمال بالقاء السيئة حتى يلقي من حسناته واحدة ولم أجد لذلك أصلاً.

(وروى أنس) رضي الله عنه **(في حديث طويل أنه ﷺ قال « إذا أذنب العبد ذنباً كتب عليه » فقال اعرابي)** كان حاضر المجلس: **(فإن تاب عنه؟ قال)** ﷺ: **(« محي عنه »)** من صحيفته **(قال)** الاعرابي: **(فإن عاد)** إلى الذنب؟ **(قال ﷺ « يكتب عليه » قال الاعرابي: فإن تاب؟ قال)** ﷺ **(« محي من صحيفته » قال)** الاعرابي: **(إلى متى)** يا رسول الله؟ **(قال)** ﷺ: **(إلى أن يستغفر ويتوب إلى الله عز وجل، إن الله لا يمل من**

الاستغفار، فإذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل أن يعملها، فإن عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه وتعالى إلى سبعمائة ضعف، وإذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فإذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عز وجل».

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني لا أصوم إلا الشهر لا أزيد عليه، ولا أصلي إلا الخمس لا أزيد عليها، وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوّع:

المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار، فإذا همّ العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل أن يعملها فإن عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله إلى سبعمائة ضعف، فإذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فإذا عملها كتبت خطيئة واحدة وراءها حسن عفو الله عز وجل») هكذا هو في القوت. وقال العراقي: رواه البزار والبيهقي في الشعب بلفظ: جاء رجل فقال: يا رسول الله إني أذنبت. قال «استغفر ربك». قال: فاستغفر ربي ثم أعود. قال: «فإذا عدت فاستغفر ربك ثلاث مرات أو أربعاً» قال: «استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المسجور». وفيه أبو بدر بشار بن الحكم المصري منكر الحديث. وروى الطبراني والبيهقي فيه أيضاً من حديث عقبة بن عامر: أحدنا يذنب. قال يكتب عليه» قال: ثم يستغفر منه ويتوب. قال «يغفر له ويتاب عليه» قال: فيعود الحديث. وفيه «ولا يمل حتى تملوا» وإسناده حسن. ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة بسند ضعيف، وسمى الرجل السائل حبيب بن حبيب بن الحرث وليس في الحديثين قوله في آخره «فإذا هم العبد بحسنة» الخ.

وفي الصحيحين بنحوه من حديث بن عباس عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه «فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن همّ بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، فإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة» زاد مسلم في رواية «أو محاها الله ولا يهلك على الله إلا هالك». ولهما نحوه من حديث أبي هريرة انتهى.

قلت: حديث أبي هريرة هذا رواه كذلك أحمد، وأما حديث بن عباس في الصحيحين فأوله «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك فمن همّ بحسنة» الحديث. وروى الديلمي من حديث عبد الله بن أبي أوفى «من همّ بذنب ثم تركه كانت له حسنة» وروى هناد من حديث أنس «إذا همّ الرجل بحسنة فعملها كتبت له عشر حسنات وإذا همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، وإذا هم بسيئة فعملها كتبت عليه سيئة وإذا همّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة لتركه السيئة».

(وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني لا أصوم إلا الشهر) أي شهر رمضان **(لا أزيد عليه، ولا أصلي إلا الخمس لا أزيد عليها، وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا**

أين أنا إذا مت؟ فتبسم رسول الله ﷺ وقال: « نعم معي، إذا حفظت قلبك من اثنتين: الغل والحسد، ولسانك من اثنتين: الغيبة والكذب، وعينيك من اثنتين: النظر إلى ما حرم الله، وأن تزدري بهما مسلماً. دخلت معي الجنة على راحتي هاتين »، وفي الحديث الطويل لأنس أنّ الأعرابي قال: يا رسول الله، من يلي حساب الخلق؟ فقال: « الله تبارك وتعالى » قال: هو بنفسه؟ قال: « نعم » فتبسم الأعرابي؛ فقال ﷺ: « ممّ ضحكت يا أعرابي؟ » فقال: إن الكريم إذا قدر عفا، وإذا حاسب سامح، فقال النبي ﷺ: « صدق الأعرابي، ألا لا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الأكرمين »، ثم قال: « فقه الأعرابي » وفيه أيضاً: « أن الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبداً هدمها حجراً حجراً ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من أولياء الله تعالى » قال الأعرابي: ومن أولياء الله تعالى؟ قال: « المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿اللهُ وليُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] »، وفي بعض الأخبار: « المؤمن أفضل من الكعبة »، و « المؤمن طيب طاهر »،

أتطوّع أين أنا إذا مت؟ فقال النبي ﷺ: « معي في الجنة ». قال: يا رسول الله معك، فتبسم رسول الله ﷺ فقال: « نعم معي إن حفظت قلبك من إثنتين الغل والحسد، ولسانك من إثنتين الغيبة والكذب، وعينيك من اثنتين النظر إلى ما حرم الله وأن تزدري بهما مسلماً دخلت معي الجنة على راحتي هاتين ») كذا في القوت وتقدم في كتاب ذم الحقد والحسد.

(**وفي الحديث الطويل لأنس**) رضي الله عنه (**أن الأعرابي قال لرسول الله ﷺ**): يا رسول الله (**من يلي حساب الخلق**) يوم القيامة؟ (**فقال ﷺ**): (**الله تبارك وتعالى » قال: هو بنفسه؟ قال: « نعم » فتبسم الأعرابي فقال ﷺ: « مم ضحكت يا إعرابي »؟ قال: إن الكريم إذا قدر عفا**) وفي لفظ: تجاوز، (**وإذا حاسب سامح. فقال النبي ﷺ: « صدق الأعرابي ألا لا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الأكرمين » ثم قال: « فقه الإعرابي »**) هكذا هو في القوت: وقال العراقي: لم أجد له أصلاً (**وفيه أيضاً**) أي في حديث أنس المذكور: (**إن الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولو أن عبداً هدمها حجراً حجراً ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من أولياء الله تعالى » . قال الأعرابي: ومن أولياء الله تعالى؟ قال: « المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى. أما سمعت قول الله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور » ﴾**) هكذا في القوت (**وفي بعض الأخبار**) ولفظ القوت وفي الخبر المنفرد: (**« المؤمن أفضل من الكعبة**) قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ: « ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفسي بيده لحرمة المؤمن أعظم حرمة منك ماله ودمه وإن تظن به

و « المؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة » ، **وفي الخبر : « خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطاً يسوق الله به عباده إلى الجنة » ، وفي خبر آخر : « يقول الله عز وجل : إنما خلقت الخلق ليربحوا عليَّ ولم أخلقهم لأربح عليهم » ، وفي حديث أبي سعيد الخدري عن**

إلا خيراً » وشيخه نصر بن محمد بن سليمان الحمصي ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان وقد تقدم انتهى .

قلت : لفظ بن ماجه : رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة وهو يقول : « ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وإن يظن به إلا خيراً » ولابن أبي شيبة من طريق مجالد عن الشعبي عن ابن عباس أن النبي ﷺ نظر إلى الكعبة فقال : « ما أعظمك وأعظم حرمتك والمسلم أعظم حرمة منك فقد حرم الله دمه وماله وعرضه وأن يظن به ظن السوء » وعنه البيهقي من طريق مجاهد عن ابن عباس نحوه ، وفيه حفص بن عبد الرحمن ، وقال صاحب القوت : وفي الخبر المشهور عن ابن عمر وأبي هريرة وكعب الأحبار أنه ﷺ نظر إلى الكعبة فقال : « ما أشرفك وأعظمك وللمؤمن أعظم درجة عند الله منك » .

(و) قال ﷺ (« المؤمن طيب طاهر ») قال العراقي : لم أجده بهذا اللفظ وفي الصحيحين من حديث حذيفة : « المؤمن لا ينجس » . **(و) قال ﷺ : (« المؤمن أكرم على الله من الملائكة »)** قال العراقي : رواه ابن ماجه من رواية أبي المهزم يزيد بن سفيان عن أبي هريرة بلفظ : « المؤمن أكرم من بعض ملائكته » وأبو المهزم تركه شعبة وضعفه بن معين . ورواه ابن حبان في الضعفاء ، والبيهقي في الشعب من هذا الوجه بلفظ المصنف انتهى .

قلت : ونحو هذا الحديث قول عمرو بن العاص : « ليس شيء أكرم على الله من ابن آدم . قلت : الملائكة . قال : أولئك كمنزلة الشمس والقمر أولئك مجبورون » أخرجه البيهقي وقال : إن الصحيح وقفه ، رفعه بعضهم وهو ضعيف . وروى ابن النجار عن حكامة حدثنا أبي عن أخيه مالك بن دينار عن أنس رفعه : « المؤمن أكرم من الله من الملائكة المقربين » .

(وفي الخبر : « خلق الله جهنم من فضل رحمته سوطاً يسوق الله عباده إلى الجنة ») كذا في القوت وقال العراقي : لم أجده مرفوعاً هكذا ، ويغني عنه ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة « عجب ربنا من قوم يجاء بهم إلى الجنة بالسلاسل » . **(وفي خبر آخر : « يقول الله عز وجل إنما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم أخلقهم لأربح عليهم »)** كذا في القوت وقال العراقي : لم أقف له على أصل .

قلت : ولفظ القشيري في الرسالة وقيل : أوحى الله إلى داود عليه السلام قل لهم إني لم أخلقهم لأربح عليهم وإنما خلقتهم ليربحوا علي انتهى ، فظهر أنه خبر إسرائيلي .

رسول الله ﷺ: « ما خلق الله تعالى شيئاً إلا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه »، وفي الخبر المشهور: « إن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق. إن رحمتي تغلب غضبي »، وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك أنه ﷺ قال: « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة »، « ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار »، « ومن لقي الله لا يشرك به شيئاً حرمت عليه النار »، « ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من

(**وفي حديث أبي سعيد الخدري**) رضي الله عنه (**عن رسول الله ﷺ**) أنه قال: (**« ما خلق الله شيئاً إلا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه »**) أورده صاحب القوت من رواية عطاء بن يسار عن أبي سعيد. وقال العراقي: رواه أبو الشيخ في الثواب وفيه عبد الرحيم بن كردم جهله أبو حاتم. وقال صاحب الميزان: ليس بواهٍ ولا هو بمجهول انتهى.

قلت: لفظ أبي الشيخ: « ما خلق الله من شيء إلا وقد خلق له ما يغلبه وخلق رحمته تغلب غضبه ». ورواه كذلك الحاكم وصححه وتعقب (**وفي الخبر المشهور « إن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي تغلب غضبي »**) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة وفي لفظ لابن ماجه: « إن الله تعالى لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي ». وقد تقدم.

(**وعن معاذ بن جبل وأنس بن مالك**) رضي الله عنهما (**أنه ﷺ قال: « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار، ومن لقي الله لا يشرك به شيئاً حرمت عليه النار ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان »**) هذه أربعة أحاديث ساقها جملة واحدة تبعاً لصاحب القوت.

أما الحديث الأول، فقال العراقي: رواه الطبراني في الدعاء بلفظ: « من شهد » من حديث معاذ وهو في اليوم والليلة للنسائي بلفظ: « من مات يشهد » من حديث معاذ ومن حديث أنس وتقدم في الأذكار انتهى.

قلت: ورواه الحاكم من حديث أنس بلفظ: « من قال لا إله إلا الله وجبت له الجنة » وروى النسائي والطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر بلفظ: « من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة » وروياه كذلك من حديث عمر، ورواه تمام في فوائد من رواية جابر عن عمر، وروى أحمد ومسلم والنسائي وابن حبان وابن خزيمة من حديث عثمان: « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة ».

وأما الحديث الثاني، فقال العراقي: رواه أبو داود والحاكم وصححه من حديث معاذ بلفظ: « دخل الجنة » انتهى.

قلت ورواه كذلك أحمد والطبراني والبيهقي كلهم من حديث معاذ، ورواه ابن سعد في الطبقات من حديث أبي سعيد الخدري.

إيمان». وفي خبر آخر: «لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد» ولما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، قال: «أتدرون أي يوم هذا؟ هذا يوم يقال لآدم عليه الصلاة والسلام: قم فابعث بعث النار من ذرّيتك، فيقول: كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة»، قال: فابلس القوم وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم عن الاشتغال والعمل، فخرج عليهم رسول الله ﷺ وقال: «ما لكم لا تعملون»؟ فقالوا: ومن يشتغل بعمل

وأما الحديث الثالث: فقال العراقي: رواه الشيخان من حديث أنس أنه ﷺ قال لمعاذ: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار» وفي رواية: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة». ورواه أحمد من حديث معاذ بلفظ: «جعله الله في الجنة» وللنسائي من حديث أبي عمر الأنصاري في أثناء حديث فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله لا يلقى الله عبد مؤمن بهما إلا حجب عن النار يوم القيامة» انتهى.

قلت: حديث أنس عند الشيخين رواه أيضاً الحاكم عن معاذ وسعيد بن الحرث بن عبد المطلب معاً، ولفظه: «من لقي الله وهو لا يشرك به شيئاً دخل لجنة». ورواه أيضاً أحمد من حديث معاذ وأبي الدرداء معاً، وروى البيهقي وابن عساكر من حديث جابر: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقي الله يشرك به شيئاً دخل النار».

وأما الحديث الرابع، فقال العراقي: رواه أحمد من حديث سهل بن بيضاء: «من شهد أن لا إله إلا الله حرمه الله على النار» وفيه انقطاع وله من حديث عثمان بن عفان: «إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار» قال عمر بن الخطاب: هي كلمة الاخلاص وإسناده صحيح، ولكن هذا ونحوه مخالف لما ثبت في الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من الموحدين النار وإخراجهم بالشفاعة. نعم لا يبقى في النار من في قلبه وزن ذرة من إيمان كما هو متفق عليه من حديث أبي سعيد وفيه: «من وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه» وقال مسلم: «من خير» بدل «إيمان».

(**وفي خبر آخر: «لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أيس من جنته أحد**) ولفظ القوت: «من رحمته» بدل «من جنته» قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة.

(**ولما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ قال: «أتدرون أي يوم هذا؟ هذا يوم يقال**) فيه (**لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك، فيقول**) آدم: (**كم؟ فيقال**) له: (**من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، قال**) الراوي: (**فأبلس القوم**) أي وقعوا في حيرة (**وجعلوا يبكون وتعطلوا يومهم**) ذلك (**عن الأشغال والعمل، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «ما لكم لا**

بعدما حدثتنا بهذا ؟ فقال: « كم أنتم في الأمم ؟ أين تاويل وتاريس ومنسك ويأجوج ومأجوج أمم لا يحصيها إلا الله تعالى ، إنما أنتم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، وكالرقمة في ذراع الدابة » ، فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف

تعملون) وتصنعون » ؟ **(فقالوا : ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثتنا بهذا . فقال: « كم أنتم في الأمم ؟ أين بأويل)** بالباء الموحدة وفي بعض النسخ بالتاء الفوقية **(وتاريس)** بالفوقية آخره سين مهملة وتبت **(ومنسك ويأجوج ومأجوج)** وهؤلاء كلهم من أولاد آدم **(أمم لا يحصيها إلا الله تعالى)** ، ولكل هؤلاء بقية إلى يوم القيامة في مشارق الشمس كما أن يأجوج ومأجوج في مغاربها **(إنما أنتم في سائر الأمم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود وكالرقمة في ذراع الدابة »)** هكذا هو في سياق القوت والرقمة الشية. قال العراقي : رواه الترمذي من حديث عمران بن حصين وقال : حسن صحيح.

قلت : هو من رواية الحسن البصري عن عمران ولم يسمع منه . وفي الصحيحين نحوه من حديث أبي سعيد اهـ.

قلت : ورواه كذلك ابن جرير وابن مردويه من حديث عمران ولفظهم : « كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فتفاوت بين أصحابه في السير فرفع رسول الله ﷺ بهاتين الآيتين : ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ إلى قوله : ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فلما سمع ذلك أصحابه حثوا المطي وعرفوا أنه عنده قول يقوله فقال : هل تدرون أي يوم ذلك ». قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : « ذلك يوم ينادي الله فيه آدم فيقول يا آدم ابعث بعث النار فيقول أي رب ما بعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحداً في الجنة » فتعبس القوم حتى ما أبدوا بضاحكة ، فلما رأى رسول الله ﷺ الذي بأصحابه قال : « اعملوا وبشروا فوالذي نفس محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء إلا أكثرتاه يأجوج ومأجوج ومن مات من بني آدم ومن بني إبليس » . فسري عن القوم . ثم قال : « اعملوا وبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير وكالرقمة في ذراع الدابة ».

وفي لفظ للترمذي قال : لما نزلت ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ إلى قوله : ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ أنزلت عليه هذه وهو في سفر فقال : « أتدرون أي يوم ذلك » . قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « ذلك يوم يقول الله لآدم : ابعث بعث النار . قال : يا رب وما بعث النار ؟ وقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحداً إلى الجنة » فانشأ المسلمون يبكـون . فقال رسول الله ﷺ : « قربوا وسدّدوا فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان جاهلية فيوحده العدة من الجاهلية فإن تمت وإلا أكملت من المنافقين وما مثلكم إلا كمثل الرقمة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير » ثم قال : « إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » فكبروا ثم قال : « إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » فكبروا . قال : « لا أدري قال الثلثين أم لا » . ورواه كذلك سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه من

طرق عن الحسن وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

وقد روي عن الحسن البصري أيضاً مرسلاً قال: بلغني أن رسول الله ﷺ لما قفل من غزوة العسيرة ومعه أصحابه بعد ما شارف المدينة قرأ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ فذكر نحو حديث عمران إلا أنه زاد فيه «لم يكن رسولاً إلا كان بينهما فترة من الجاهلية فهم أهل النار وإنكم بين ظهراني خليقتين لا يعادّهما أحد من أهل الأرض إلا كثر وهم يأجوج ومأجوج وهم أهل النار وتكمل العدة من المنافقين».

وأما حديث أبي سعيد الخدري فلفظه في الصحيحين: «يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك ربنا وسعديك فيقول إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً لى النار. فيقول: يا رب وما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعند ذلك يشيب الصغير. ﴿وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ [الحج: ٢] قال: فشق ذلك على الناس. فقالوا: يا رسول الله من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ويبقى الواحد فأينا ذلك الواحد؟ فقال: من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم واحد وهل أنتم في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض». وقد رواه كذلك أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات. وفي الباب أنس وابن عباس وأبو موسى.

أما حديث أنس، فرواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه ولفظه: «نزلت ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ إلى قوله ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ على النبي ﷺ وهو في مسير له فرفع بها صوته حتى ثاب إليه أصحابه فقال: أتدرون أي يوم هذا؟ هذا يوم يقول الله لآدم يا آدم فابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فكبر ذلك على المسلمين. فقال النبي ﷺ: «سددوا وقاربوا وابشروا فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة وإن معكم لخليقتين ما كانتا في شيء قط إلا أكثر تاه يأجوج ومأجوج، ومن هلك من كفرة الجن والإنس».

وأما حديث ابن عباس، فرواه البزار وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه ولفظه: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية وأصحابه عنده ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ فقال: هل تدرون أي يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذلك يوم يقول الله: يا آدم قم فابعث بعث النار فيقول: رب كم؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحداً إلى الجنة، ثم قال: اعملوا وابشروا فشق ذلك على القوم، فقال رسول

ويقودهم بأزمة الرجاء إلى الله تعالى، إذ ساقهم بسياط الخوف أوّلاً، فلما خرج ذلك بهم عن حدّ الاعتدال إلى افراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم إلى الاعتدال، والقصد والآخر لم يكن مناقضاً للأوّل ولكن ذكر في الأوّل ما رآه سبباً للشفاء واقتصر عليه، فلما احتاجوا إلى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الأمر، فعلى الواعظ أن يقتدي بسيد الوعاظ فيتلطف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة العلل الباطنة، وإن لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه، وفي الخبر: «لو لم تذنبوا لخلق الله

الله ﷺ: «إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، ثم قال: اعملوا وابشروا فإنكم بين خليقتين لم تكونا مع أحد إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج وإنما أنتم في الأمم كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة وإنما أمتي جزء من ألف جزء».

ورواه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه بلفظ: «بينا رسول الله ﷺ في مسيره في غزوة بني المصطلق إذ أنزل الله عليه ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ إلى قوله ﴿شديد﴾ فلما أنزلت عليه وقف على ناقته ثم رفع به صوته فتلاها على أصحابه فقال لهم: تعلمون أين ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذلك يوم يقول الله لآدم يا آدم ابعث بعث النار من ولدك، فيقول: يا رب من كل كم؟ فيقول: من كل الف تسعماية وتسعة وتسعين إلى النار وواحداً إلى الجنة، فبكى المسلمون بكاء شديداً ودخل عليهم أمر شديد، فقال: والذي نفس محمد بيده ما أنتم في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في الشاة السوداء وإني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، بل أرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة».

وأما حديث أبي موسى فهو نحو من حديث ابن عباس أخرجه ابن مردويه في التفسير.

(فانظر كيف كان) ﷺ **(يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأزمة الرجاء إلى الله تعالى إذ ساقهم بسياط الخوف أولاً، فلما خرج ذلك بهم عن حد الإعتدال إلى)** حد **(إفراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم إلى الإعتدال والقصد، والآخر لم يكن مناقضاً للأول، ولكن ذكر في الأول ما رآه سبباً للشفاء واقتصر عليه، فلما احتاجوا إلى المعالجة بالرجاء ذكر تمام الأمر فعلى الواعظ)** على العامة **(أن يقتدي بسيد الوعاظ)** ﷺ **(فيتلطف في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة)** إليها **(بعد ملاحظة العلل الباطنة، وإن لم يراع ذلك كل ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه)**. قال صاحب القوت: مقام الرجاء هو جند من جنود الله تعالى يستخرج من بعض العباد ما لا يستخرج غيره لأن بعض القلوب تلين وتستجيب عن مشاهدة الكرمة والإحسان ويقبل ويطمئن معاملة النعم والإمتنان ما لا يوجد ذلك منها عند التخويف والترهيب، بل قد يقطعها ذلك ويوحشها إذ جعل الرجاء طريقها فوجدت فيه قلوبها، ومثل الرجاء في الأحوال مثل العوافي والغنى في الإنسان من الناس من يقبل قلبه ويجتمع همه عندهما ويوجد نشاطه وتحسن معاملته بهما كما قيل عن الله تعالى: إن من عبادي ما

خلقاً يذنبون فيغفر لهم » وفي لفظ آخر: « لذهب بكم وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم أنه هو الغفور الرحيم » وفي الخبر: « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل: وما هو؟ قال: العجب »، وقال ﷺ: « والذي نفسي بيده لله ارحم بعبده المؤمن

لا يصلحه إلا الغنى ولو افقرته لأفسده ذلك، ومن عبادي ما لا يصلحه إلا الصحة ولو اسقمته لأفسده ذلك إن أدبر عبادي بعلمي إني بهم عليم خبير، فكذلك من عبادي من لا يصلحه إلا الرجاء ولا يستقيم قلبه إلا عليه ولا تحسن معاملته إلا بوجود حسن الظن به فهو طريقه إليه ومقامه منه ومنه علمه به وعنده يجد قلبه معه.

(وفي الخبر: « لو لم تذنبوا لخلق الله خلقاً يذنبون فيغفر لهم ») قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي أيوب اهـ.

قلت: لفظه عند مسلم: « لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقاً يذنبون فيغفر لهم » وقد رواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والترمذي وقال حسن غريب وأما سياق المصنف، فقد رواه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو إلاّ أنه قال: « ثم يغفر لهم ».

وفي لفظ آخر: **(« لذهب بكم وجاء بخلق آخر فيذنبون فيغفر لهم إنه هو الغفور الرحيم »)** كذا في القوت قال: أي وصفه سبحانه المغفرة والرحمة ولا بد أن يخلق مقتضى وصفه حتى يحق وصفه عليه هذا كما يقول في علم المغفرة إن لله سبحانه من كل اسم وصفا ومن كل وصف فعلا، وفي هذا سر المغفرة ومنه معرفة الخصوص. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة قريباً منه اهـ.

قلت: ورواه أحمد والطبراني من حديث ابن عباس: « لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم » وروى الشيرازي في الألقاب من حديث أبي هريرة لولا أنكم أيتها الأمة تذنبون لاتخذ الله عباداً يذنبون فيغفر لهم » وروى ابن عساكر من حديث أنس: إن أصحاب النبي ﷺ شكوا إليه إنا نصيب من الذنوب. فقال لهم: « لولا أنكم تذنبون لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم ».

(وفي الخبر: « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب » قيل: وما هو؟ قال: « العجب ») كذا في القوت. قال العراقي: رواه البزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أنس، وتقدم في ذم الكبر والعجب اهـ.

قلت: وفي لفظ لو لم تكونوا تذنبون لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب ». هكذا رواه الخرائطي في مساوىء الأخلاق، والحاكم في تاريخه، وأبو نعيم، ورواه الديلمي من حديث أبي سعيد. قال صاحب القوت: ولعمري إن العجب من صفات النفس المتكبرة وهو يحبط الأعمال وهو من كبار أعمال القلوب والذنوب من أخلاق النفس الشهوانية، ولأن يبتلى العبد الشهواني بعشر شهوات من شهوات النفس خير له من أن يبتلى بصفة من صفات النفس مثل الكبر

من الوالدة الشفيقة بولدها »، وفي الخبر: « ليغفرنّ الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد، حتى أن ابليس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه »، وفي الخبر: « أن لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعاً وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فيها يتراحم الخلق، فتحن الوالدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها. فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والأرض. قال: فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك »، وفي الخبر: « ما منكم

والعجب والبغي والحسد وحب المدح وطلب الذكر لأن هذه منها معاني صفات الربوبية، ومنها أخلاق الأبالسة، وبها هلك إبليس، وشهوات النفس من وصف الخلقة وبها عصى آدم ربه فاجتباه بعدها وهدى.

(وقال ﷺ: « والذي نفسي بيده لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها ») قال العراقي: متفق عليه من حديث عمر بنحوه **(وفي الخبر: « ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد حتى أن إبليس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله من حديث حذيفة بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: ورواه الطبراني في الشعب بلفظ: « والذي نفسي بيده ليغفرن الله » الحديث.

(وفي الخبر: « إن لله مائة رحمة ادخر منها تسعاً وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا واحدة فيها يتراحم الخلق فتحن الوالدة إلى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسعة والتسعين ثم يبسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والأرض قال فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك ») قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة.

قلت: لفظ مسلم: « إن لله عز وجل مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ». ورواه كذلك ابن ماجه ورواه مسلم أيضاً من حديث سلمان، وعند البيهقي من حديث أبي هريرة: « إن لله تعالى مائة رحمة قسم منها رحمة في دار الدنيا فمن ثم يعطف الرجل على ولده والطير على فراخه فإذا كان يوم القيامة صيرها مائة رحمة فعاد بها على الخلق ». وعند مسدد من حديث سلمان: « إن لله تعالى مائة رحمة منها رحمة تتراحم بها الخلق وتسعة وتسعين ليوم القيامة ». وعند الحاكم من حديث أبي هريرة: « إن الله تعالى مائة رحمة قسم منها رحمة بين أهل الدنيا فوسعتهم إلى آجالهم وأخر تسعاً وتسعين رحمة لأوليائه وإن الله قابض تلك الرحمة التي قسمها بين أهل الدنيا إلى التسع والتسعين فيكملها مائة رحمة لأوليائه يوم القيامة ».

من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار » قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته »، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: « اعملوا وابشروا واعلموا أن أحداً لم ينجه عمله »، وقال ﷺ: « إني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي. أترونها للمطيعين المتقين بل هي للمتلوثين المخلطين »، وقال عليه

(وفي الخبر: « ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار » قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ») متفق عليه من حديث أبي هريرة. وعند ابن حبان: « ما منكم من أحد ينجيه عمله » قالوا: ولا أنت ». الحديث وفي آخره: « ولكن سددوا » وعند الطبراني من حديث أبي موسى « ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ». قيل: ولا أنت الحديث. ورواه كذلك ابن حباب والبغوي وابن قانع والطبراني أيضاً من حديث شريك بن طارق. قال البغوي: ولا أعلم له غيره وهذا الحديث قد تقدم.

(وقال ﷺ: « اعملوا وبشروا واعلموا أن أحداً لن ينجيه عمله ») قد تقدم أيضاً.
(وقال ﷺ: « إني أختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ») قال العراقي: رواه الشيخان من حديث أبي هريرة: « لكل نبي دعوة وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي » ورواه مسلم من حديث أنس، وللترمذي من حديثه وصححه، وابن ماجه من حديث جابر: « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ». اهـ.

قلت: لفظ الصحيحين من حديث أبي هريرة: « لكل نبي دعوة يدعو بها فأريد أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ». وقد رواه أحمد كذلك. وفي لفظ المسلم من حديث جابر: « لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته وإني قد خبأت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة ».ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة، وفي لفظ لمسلم من حديث أبي هريرة: « لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني أختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ». ورواه كذلك الترمذي وابن ماجه. وفي لفظ للشيخين من حديث أبي هريرة: « لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وإني أريد إن شاء الله أن أدخر دعوتي شفاعة لأمتي بوم القيامة » وفي لفظ لمسلم: « لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له فيؤتاها وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ».

وأما حديث: « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » فقد رواه أنس وجابر وابن عمر وكعب بن عجرة وابن عباس.

فحديث أنس رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح غريب، وابن أبي عاصم والبزار وأبو يعلى وابن خزيمة وابن حبان وصححاه، والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وقال: إنه إسناد صحيح، والضياء في المختارة كلهم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عنه ورواه أيضاً أحمد وأبو داود وابن خزيمة والبيهقي من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بلفظ: « الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي ». ورواه البيهقي من طريق يزيد الرقاشي عن أنس بلفظ:

الصلاة والسلام: « بعثت بالحنيفية السمحة السهلة »، وقال ﷺ وعلى كل عبد مصطفى:

« قلنا يا رسول الله لمن تشفع؟ قال: لأهل الكبائر من أمتي وأهل العظائم وأهل الدماء ». ومن طريق زياد النميري عن أنس بلفظ: « إن شفاعتي أو أن الشفاعة لأهل الكبائر »

وأما حديث جابر، فرواه الطيالسي والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم في صحاحهم والبيهقي وأبو نعيم في الحلية والضياء كلهم من طريق زهير بن محمد عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عنه، وقد رواه عن زهير عمرو بن أبي سلمة ومحمد بن ثابت البناني والوليد بن مسلم.

وأما حديث ابن عمر، فرواه الخطيب في التاريخ.

وأما حديث كعب بن عجرة: فرواه الدارقطني في الإفراد والخطيب في التاريخ وفي البعث للبيهقي من طريق الشعبي عنه قال: قلت يا رسول الله الشفاعة الشفاعة. فقال: « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ».

وأما حديث ابن عباس، فرواه الطبراني في الكبير، وقد روي عن أبي الدرداء ولكن بلفظ: « الذنوب » بدل « الكبائر » رواه الخطيب في التاريخ ولفظه: « شفاعتي لأهل الذنوب من أمتي » قال أبو الدرداء: وإن زنى وإن سرق؟ قال: « نعم وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء ».

(« أترونها للمطيعين المتقين بل هي للمتلوثين المخلطين ») قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي موسى، وأحمد من حديث ابن عمر: « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعلم وأكفى أترونها للمتقين » الحديث وفيه من لم يسم اهـ.

قلت: رواه كذلك من حديث ابن عمر الحسن بن عرفة في جزئه، والطبراني و بن النجار من حديث أبي موسى رواه أيضاً الطبراني ولفظ الجميع: « شطر أمتي » بدل « نصف » وفيه « أفترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين ».

(وقال ﷺ: « بعثت بالحنيفية السمحة السهلة ») قال العراقي: رواه أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف دون قوله: « السهلة » وله وللطبراني من حديث ابن عباس: « أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة » وفيه محمد بن إسحاق رواه بالعنعنة اهـ.

قلت: ترجم البخاري في صحيحه باب أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة، وقد رواه أيضاً بدون لفظ: « السهلة » الديلمي من حديث عائشة، وابن سعد في الطبقات عن حبيب بن أبي ثابت مرسلاً، ورواه الخطيب وابن النجار من حديث جابر بزيادة: « ومن خالف سنتي فليس مني ».

وأما حديث إبن عباس « أحب الدين » الخ. فرواه أيضاً البخاري في الأدب المفرد، والبزار من طريق داود بن الحصين عن عكرمة عنه قيل لرسول الله ﷺ :أي الأديان أحب إلى الله تعالى؟ قال « الحنيفية السمحة ». وله طرق. ورواه البزار أيضاً عن عمر بن عبد العزيز عن أبيه عن

« أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا سماحة » ، ويدل على معناه استجابة الله تعالى للمؤمنين في قولهم: ﴿وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وروى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥] ، قال: « يا جبريل، وما الصفح الجميل؟ » قال عليه السلام: « إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه » فقال: « يا جبريل فالله تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه » فبكى جبريل وبكى النبي ﷺ فبعث الله تعالى إليهما ميكائيل عليه السلام وقال: إن ربكما يقرئكما السلام ويقول: كيف أعاتب من عفوت عنه، هذا ما لا يشبه كرمي.

جده، ورواه بزيادة « فإذا رأيت أمتي لا يقولون للظالم أنت ظالم فقد تودع » منهم الحاكم والنرسي في الغرائب وابن عساكر وأبو موسى المديني في المعرفة من حديث أسعد بن عبدالله بن مالك الخزاعي.

(وقال ﷺ « أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا سماحة ») قال العراقي: رواه أبو عبيد في غريب الحديث وأحمد اهـ.

قلت: رواه الديلمي من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في حديث الحبشة ولعبهم، فنظرت عائشة إليهم قالت: فقال رسول الله ﷺ « لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة وإني بعثت بالحنيفية السمحة ». رواه أحمد هكذا من طريق ابن أبي الزناد عن أبيه قال: قال لي عروة إن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ يومئذ تعني يوم الحبشة لتعلم وذكره بلفظ « إني أرسلت » بدل « بعثت » وسنده حسن.

(ويدل على معناه إستجابة الله للمؤمنين في قولهم) ﴿ربنا (ولا تحمل علينا إصراً) كما حملته على الذين من قبلنا﴾ فقال: قد فعلت (وقال) الله عز وجل ومن أحسن من الله قيلاً (﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) ﴾) فهذه العلوم هي أسباب قوة الرجاء في أولي الألباب. كيف وقد جاء ما يغلب حكم الرجاء من غير اغترار ما روي عن الله تعالى: أنا إلى الرحمة والعفو أقرب مني إلى العقوبة.

وروى) أبو القاسم (محمد بن) على بن أبي طالب الهاشمي المدني ابن (الحنفية) منسوب إلى أمه من بني حنيفة ثقة عالم مات بعد الثمانين (عن) أبيه (علي رضي الله عنه أنه قال: لما نزل قوله تعالى ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ قال) ﷺ: (« يا جبريل وما الصفح الجميل » ؟ قال: إذا عفوت عمن ظلمك فلا تعاتبه فقال: « يا جبريل فالله تعالى أكرم من أن يعاتب من عفا عنه » فبكى جبريل وبكى النبي ﷺ فبعث الله إليهما ميكائيل عليه السلام وقال: إن ربكما يقرئكما السلام ويقول: كيف أعاتب من عفوت عنه هذا مالا يشبه كرمي) هكذا

والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى:

وأما الآثار: فقد قال علي كرّم الله وجهه: من أذنب ذنباً فستره الله عليه في الدنيا فالله أكرم أن يكشف ستره في الآخرة، ومن أذنب ذنباً فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى أعدل من أن يثني عقوبته على عبده في الآخرة. وقال الثوري: ما أحب أن يجعل حسابي إلى أبوي لأني أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما. وقال بعض السلف: للمؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه، وكتب محمد بن مصعب إلى أسود بن سالم بخطه: إن العبد إذا كان مسرفاً على نفسه فرفع يديه يدعو يقول يا ربي

هو في القوت. وقال العراقي: رواه ابن مردويه في التفسير موقوفاً على علي مختصراً. قال الرضا بغير عتاب ولم يذكر بقية الحديث. وفي إسناده انتهى.

قلت وكذلك رواه ابن النحاس من قول علي، ورواه البيهقي في الشعب من قول ابن عباس.

(**والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى**) وبعضها لايصلح ذكره لعموم الناس.

(**أما الآثار: فقد قال علي كرم الله وجهه: من أذنب ذنباً فستره الله عليه في الدنيا فالله أكرم أن يكشف ستره في الآخرة، ومن أذنب ذنباً فعوقب عليه في الدنيا فالله تعالى أعدل من أن يثني عقوبته على عبده في الآخرة**) .) وفي لفظ آخر لايذنب عبد في الدنيا فيستره عليه إلا غفره له في الآخرة، هكذا هو في القوت، وأورده الشريف الموسوي في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين.

قلت: وقد روي ذلك مرفوعاً من حديث علي رضي الله عنه بلفظ « من أذنب في الدنيا ذنباً فعوقب به فالله أعدل من أن يثني عقوبته علي عبده، ومن أذنب ذنباً في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه » هكذا رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن جرير والحاكم وصححاه وقد تقدم.

(**وقال**) سفيان (**الثوري**) رحمه الله تعالى: (**ما أحب أن يجعل حسابي إلى أبوي لأني أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما**) كذا في القوت، وأخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**وقال بعض السلف: المؤمن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه**) نقله صاحب القوت. ويشهد له ماجاء في الأثر إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله ملائكته وبقاع الأرض معاصيه وبدلها حسنات حتى يرد القيامة وليس شيء عليه.

(**وكتب محمد بن مصعب**) بن صدقة القرقساني صدوق، روى له الترمذي وابن ماجه، مات سنة ثمان وثمانين (**إلى الأسود بن سالم بخطه**) هكذا في النسخ بأن الكاتب هو محمد بن مصعب والمكتوب إليه هو الأسود بن سالم، والذي في القوت: وحدثت عن محمد بن مصعب قال:

حجبت الملائكة صوته، وكذا الثانية والثالثة، حتى إذا قال الرابعة: يا ربي، قال الله تعالى: حتى متى تحجبون عني صوت عبدي، قد علم عبدي أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيري، أشهدكم إني قد غفرت له، وقال ابراهيم بن أدهم رحمة الله عليه: خلالي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة، فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت: يا ربي اعصمني حتى لا أعصيك أبداً، فهتف بي هاتف من البيت: يا ابراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك، فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر؟ وكان الحسن يقول:

كتب الي أسود بن سالم بخطه (**أن العبد إذا كان مسرفاً على نفسه فرفع يده يدعو ويقول: يا رب**) فإذا قال يا رب (**حجبت الملائكة صوته، وكذا**) إذا قال المرة (**الثانية**): يا رب حجبت الملائكة صوته، (**و**) كذا إذا قال المرة (**الثالثة**):) يارب حجبت الملائكة صوته (**حتى إذا قال**) المرة (**الرابعة: يارب قال**) ولفظ القوت يقول: (**الله تعالى حتى متى تحجبون صوت عبدي عني أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيري أشهدكم أني قد غفرت له**). أورده صاحب القوت، ويشهد له الخبر الذي تقدم قريباً « إذا أذنب العبد فاستغفر الله يقول الله لملائكته أنظروا إلى عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم أني قد غفرت له ».

(**وقال**) أبو إسحاق (**إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى: (**خلالي الطواف**) ذات (**ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت: يارب إعصمني حتى لا أعصيك أبداً فهتف بي هاتف من البيت يا إبراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فإذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر**) ؟ أي إن وصفه سبحانه المغفرة والرحمة، ولا بد أن يخلق مقتضى وصفه حتى يحق وصفه عليه هذا كما يقول في علم المغفرة إن له سبحانه من كل اسم وصفاً ومن كل وصف فعلاً، وفي هذا سر المعرفة ومنه معرفة الخصوص، ثم هذا الذي ساقه المصنف هو سياق صاحب القوت.

ولفظ القشيري في الرسالة: ويحكى عن ابراهيم بن أدهم رضي الله أنه قال: كنت أنتظر مدة من الزمان أن يخلو المطاف لي فكانت ليلة بها مطر شديد فخلا المطاف فدخلت الطواف وكنت أقول: اللهم اعصمني اللهم اعصمني فسمعت هاتفاً يقول لي: يا ابن أدهم أنت تسألني العصمة وكل الناس يسألوني العصمة، فإذا عصمتكم فلمن أرحم؟ إنتهى.

وفي ذلك دلالة على أنه سبق في علمه أنه لا بد من وقوع المعصية والرحمة وقد تقع الرحمة ولا معصية فمن رحمته عصمة الأنبياء وحفظ الأولياء، وقد قال الله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً﴾ [يونس: ٩٩] وأراد بما ذكر أن ينبه ابن أدهم على أن لا يسأله ما ليس له به علم كما في قصة نوح عليه السلام إذ سؤال العبد العصمةعما لا علم به، فقد يكون في معلومه

لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب، وقال الجنيد رحمه الله تعالى: إن بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين. ولقي مالك بن دينار أباناً فقال له: إلى كم تحدث الناس بالرخص؟ فقال: يا أبا يحيى، إني لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح. وفي حديث ربعي بن حراش عن أخيه، وكان من خيار التابعين، وهو ممن تكلم بعد الموت قال: لما مات أخي سجى بثوبه وألقيناه على نعشه، فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعداً،

أنه ممن يعصى فسؤاله المغفرة أولى به وأقرب للعبودية، ويجوز أن يسأل العبد ربه أن يحفظه ويصونه عن سائر المعاصي. وأما العصمة فمن خصائص الأنبياء وقد إختلف في جواز سؤالها لغيرهم فقائل بالمنع وقائل بالجواز كما أوردناه في شرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي فليراجع.

(**وكان الحسن**) البصري رحمه الله تعالى (**يقول: لو لم يذنب المؤمن لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب**) نقله صاحب القوت.

(**وقال**) أبو القاسم (**الجنيد**) قدس سره: (**إن بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين**) نقله صاحب القوت. (**و**) يروى أنه (**لقي**) أبو يحي (**مالك بن دينار**) البصري (**أباناً**) وهو ابن أبي عياش المتقدم ذكره قريباً، وكان أبان ممن يحدث العامة بأحاديث الرجاء والرخص (**فقال له: كم تحدث الناس بالرخص**) ولا تخوفهم؟ (**فقال: يا أبا يحي إني لأرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ماتخرق به كساءك هذا من الفرح**) نقله صاحب القوت.

(**وفي حديث ربعي**) بكسر الراء وسكون الموحدة وكسر العين المهملة وياء النسبة (**ابن حراش**) بكسر الحاء المهملة وآخره شين معجمة، وهو ابن حجش بن عمرو بن عبدالله بن بجاد بن عبد بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس العبسي أبو مريم الكوفي (**عن أخيه**) مسعود بن حراش. قال ابن المديني: بنو حراش ثلاثة: ربعى وربيع ومسعود ولم يرو عن مسعود شيء إلا كلامه بعد الموت، (**وكان ربعي من خيار التابعين**) قدم الشام وسمع خطبة عمر بالجابية. وقال العجلي: تابعى ثقة من خيار الناس لم يكذب كذبة قط. كان له إبنان عاصيان على الحجاج فقيل للحجاج إن أباهما لم يكذب كذبة قط لو أرسلت إليه فسألته عنهما، فأرسل إليه فقال: أين إبناك؟ قال: هما في البيت، فقال: قد عفونا عنهما بصدقك. وروي أن ربعاً آلى أن لايضحك حتى يعلم أين مصيره فما ضحك إلا بعد موته، وآلى أخوه ربعي بعده أن لايضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أو في النار قال غاسله: فلم يزل متبسماً على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا. قال أبو نعيم وغير واحد: مات في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مائة وصلى عليه عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، روى له الجماعة (**وهو**) أي أخوه وهو مسعود (**ممن تكلم بعد الموت**) على الصحيح كما تقدم عن ابن المديني، ولكن روى البيهقي بإسناده في الدلائل عن ربعي أن المتكلم بعد الموت أخوه الربيع (**قال**) ربعي: (**لما مات أخي مسعود أو الربيع سجي بثوبه وألقيناه على**

وقال: إني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان وربي غير غضبان، وإني رأيت الأمر أيسر مما تظنون فلا تفتروا، وأن محمداً ﷺ ينتظرني وأصحابه حتى أرجع إليهم. قال: ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصاة وقعت في طشت فحملناه ودفناه.

وفي الحديث أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله تعالى، فكان أحدهما يسرف على نفسه، وكان الآخر عابداً وكان يعظه ويزجره، فكان يقول دعني وربي، أبعثت عليّ رقيباً حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال: لا يغفر الله لك. قال: فيقول الله تعالى يوم القيامة أيستطيع أحد أن يحظر رحمتي على عبادي، اذهب أنت فقد غفرت لك، ثم يقول للعابد وأنت فقد أوجبت لك النار. قال: فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته.

نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعداً وقال: إني لقيت ربي عز وجل فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان وإني رأيت الأمر أيسر مما تظنون فلا تفتروا) أي لا تكسلوا. وفي بعض النسخ: ولا تغتروا من الإغترار **(إن محمداً ﷺ ينتظرني وأصحابه حتى أرجع إليهم. قال)** ربعي: **(ثم طرح نفسه فكأنه كانت حصاة وقعت في طست فحملناه ودفناه)** كذا هو في سياق القوت.

(وفي الحديث أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه) أي بالمعاصي، **(وكان الآخر عابداً وكان)** هذا العابد **(يعظه ويزجره)** وينهاه، **(فكان يقول: دعني وربي أبعثت علي رقيباً)** أي تراقب أحوالي وأعمالي **(حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال: لا يغفر الله لك. قال: فيقول الله تعالى يوم القيامة، أيستطيع أحد أن يحظر)** أي يمنع **(رحمتي على عبادي)** ولفظ القوت: أتستطيع أن تحظر رحمتي على عبادي **(إذهب فقد غفرت لك، ثم يقول للعابد: وأنت فقد أوجبت لك النار. قال)** ﷺ: **(«فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته»).)** هكذا هو في القوت. وقال العراقي: رواه أبو داود من حديث أبي هريرة باسناد جيد اهـ.

قلت: لفظ أبي داود: كان رجلان في بني إسرائيل متواخيان وكان أحدهما مذنباً والآخر مجتهداً في العبادة، وكان لايزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: اقصر فوجده يوماً على ذنب فقال له: اقصر، فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيباً. فقال: والله لا يغفر لك أو لا يدخلك الله الجنة، فقبض روحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً أو كنت على مافي يدي قادراً، وقال للمذنب: إذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: إذهبوا به إلى النار. وهكذا رواه أحمد أيضاً.

وروي أيضاً أن لصاً كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة، فمر عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بني إسرائيل من الحواريين، فقال اللص في نفسه: هذا نبي الله يمرّ وإلى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما ثالثاً، قال: فنزل فجعل يريد أن يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظماً للحواري ويقول في نفسه: مثلي لا يمشي إلى جنب هذا العابد: قال: وأحس الحواري به، فقال في نفسه: هذا يمشي إلى جانبي، فضم نفسه ومشى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام، فمشى بجنبه فبقي اللص خلفه، فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام. قل لهما ليستأنفا العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما؛ أما الحواري فقد أحبطت حسناته لعجبه بنفسه، وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما ازدرى على نفسه، فأخبرهما بذلك وضم اللص إليه في سياحته وجعله من حواريه.

وروي عن مسروق أن نبياً من الأنبياء كان ساجداً فوطىء عنقه بعض العصاة حتى ألزق الحصى بجبهته، قال: فرفع النبي عليه الصلاة والسلام رأسه مغضباً فقال: «اذهب فلن يغفر الله لك» فأوحى الله تعالى إليه: تتألى عليَّ في عبادي، إني قد غفرت له.

(**وروي أيضاً**) في معناه: (**أن لصاً كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة فمر عيسى عليه السلام وخلفه عابد من عباد بني إسرائيل**) من الحواريين فقال اللص في نفسه: هذا نبي الله يمر وإلى جنبه حواريه لونزلت فكنت معهما ثالثاً. قال: (**فنزل فجعل يريد أن يدنو من الحواري ويزدري نفسه تعظماً للحواري ويقول في نفسه**: مثلي **لا يمشي إلى جنب هذا العابد. قال: وأحس الحواري به فقال في نفسه: هذا يمشي إلى جانبي**) قال: (**فضم نفسه ومشى**) وتقدم (**إلى عيسى عليه السلام فمشى بجنبه فبقى اللص خلفه**) قال: (**فأوحى الله إلى عيسى عليه السلام قل لهما ليستأنفا العمل فقد أحبطت ماسلف من أعمالهما. أما الحواري فقد أحبطت عمله وحسناته لعجبه بنفسه، وأما الآخر فقد أحبطت سيئآته بما إزدرى على نفسه**) قال: (**فأخبرهما بذلك وضم اللص إليه في سياحته وجعله من حواريه**) هكذا نقله صاحب القوت.

(**وروي عن**) أبي عائشة (**مسروق**) بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم، مات سنة إثنتين وستين (**أن نبياً من الأنبياء**) من بني إسرائيل (**كان**) يوماً (**ساجداً فوطىء عنقه بعض العتاة**) جمع العاتي وهو المتمرد (**حتى التزق الحصى بجبهته**) من شدة وطأته. (**قال؛ فرفع النبي عليه السلام رأسه مغضباً فقال: إذهب فلن يغفر الله لك، فأوحى الله تعالى إليه: تتألى علي في عبادي إني قد غفرت له**) نقله صاحب القوت وأغفله العراقي لأنه ليس على شرطه، وقد رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود: كان رجل يصلي فلما سجد أتاه رجل فوطيء على رقبته فقال الذي تحته: والله لا يغفر الله لك أبداً. فقال الله عز وجل:

ويقرب من هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته، فنزل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شيء﴾ [آل عمران: ١٢٨] الآية، فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للإسلام. وروي في الأثر أن رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة، قال: فإذا أدخلا الجنة رفع أحدهما في الدرجات العلى على صاحبه، فيقول: يا رب ما كان هذا في الدنيا بأكثر مني عبادة فرفعته علي في عليين فيقول الله سبحانه: إنه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألني النجاة من النار، فأعطيت كل عبد سؤله، وهذا يدل

تألّى علي عبدي أني لا أغفر لعبدي فإني قد غفرت له. وروى مسلم وأبو عوانة وابن حبان والطبراني من حديث جندب أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان. قال الله تعالى: من ذا الذي يتالى علي أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك.

(ويقرب من هذا ماروى ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقنت على المشركين ويلعنهم في صلاته فنزل عليه قوله تعالى:) ﴿ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم﴾ إلى قوله تعالى (**﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ [آل عمران: ١٢٧، ١٢٨] الآية فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للاسلام**) هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن عمر أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر يقول «اللهم العن فلاناً و فلاناً بعدما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل الله عز وجل عليه ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ إلى قوله ﴿فإنهم ظالمون﴾» ورواه الترمذي. وسماهم أبا سفيان والحرث بن هشام وصفوان بن أمية وزاد: فتاب عليهم فأسلموا فحسن اسلامهم. وقال: حسن غريب وفي رواية له أربعة نفر ولم يسمهم وقال: و هداهم الله للإسلام، وقال حسن غريب صحيح.

قلت: وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الصلاة مبسوطاً.

(وروي في الأثر أن رجلين كانا من العابدين) من عباد بني اسرائيل **(متساويين في العبادة قال: فإذا أدخلا الجنة رفع أحدهما في الدرجات العلى على صاحبه، فيقول: يارب ما كان هذا في الدنيا بأكثر مني عبادة فرفعته علي في)** أعلى **(عليين فيقول الله سبحانه: إنه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألني النجاة من النار فأعطيت كل عبد سؤله)** هكذا أورده صاحب القوت، وتبعه المصنف نظراً إلى قوله. وروي في الأثر فأورده في خلال الأخبار المرفوعة على أنه ليس بمرفوع، ولذا لم يتعرض له العراقي، وقد رواه العقيلي والخطيب من حديث أبي هريرة بلفظ «أن رجلاً دخل الجنة فرأى عبده فوق درجته فقال: يا رب هذا عبدي فوق درجتي. فقال له: نعم جزيته بعمله وجزيتك بعملك». **(وهذا يدل على أن العبادة**

على أن العبادة على الرجاء أفضل، لأن المحبة أغلب على الراجي منها على الخائف، فكم من فرق في الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لإنعامه وإكرامه. ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن، ولذلك قال ﷺ: « سلوا الله الدرجات العلى فإنما تسألون كريماً »، وقال: « إذا سألتم الله فأعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى؛ فإن الله تعالى لا يتعاظمه شيء ». وقال بكر بن سليم الصوّاف: دخلنا على مالك بن أنس في

على الرجاء أفضل لأن المحبة أغلب على الرجاء منها على الخائف، فكم من فرق في الملوك بين من يخدم اتقاء لعقابه وبين من يخدم ارتجاء لانعامه واكرامه، ولذلك أمر الله تعالى بحسن الظن) و لطف التماق له و قوة الطمع فيه، فقد قيل في قوله تعالى ﴿وأحسنوا ان الله يحب المحسنين﴾ [البقرة: ١٩٥] أي احسنوا الظن بالله . وفي الخبر: « حسن الظن بالله من حسن عبادة الله عز وجل » رواه أبو داود بن حبان من حديث أبي هريرة، **(ولذلك قال ﷺ « سلوا الله الدرجات العلى فإنما تسألون كريماً)** قال العراقي. لم أجده بهذا اللفظ، و للترمذي من حديث ابن مسعود « سلوا الله فضله فإن الله يحب أن يُسأل » انتهى.

قلت: هو بقية من الحديث الذي يتلوه كما يدل له سياق صاحب القوت على ما نذكره، وحديث ابن مسعود هذا رواه أيضاً الطبراني و ابن عدي و البيهقي بزيادة « و أفضل العبادة انتظار الفرج ». و رواه ابن جرير عن حكيم بن جبير عن رجل لم يسم.

(وقال) ﷺ: (« إذا سألتم الله فأعظموا الرغبة و سلوا الفردوس الأعلى فإن الله لا يتعاظمه شيء ») قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة « إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم و ليعظم الرغبة فإن الله عز وجل لا يتعاظمه شيء أعطاه». وللبخاري من حديث أبي هريرة في أثناء حديث « فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة و أعلى الجنة ». و رواه الترمذي من حديث معاذ و عبادة بن الصامت انتهى.

قلت: و لفظ القوت: و من الرجاء افتعال الطاعات و حسن الموافقات ينوي بها و يسأل مولاه الكريم عظيم الرغائب و جليل المواهب لما وهب له من حسن الظن به، كما روي عن النبي ﷺ « إذا سألتم الله تعالى فاعظموا الرغبة و سلوه الفردوس الأعلى فإن الله لا يتعاظمه شيء » و في حديث آخر « فاكثروا و سلوا الدرجات العلى فإنما تسألون جواداً كريماً »اهـ.

أما حديث أبي هريرة عند مسلم، فقد رواه البخاري في الأدب المفرد من حديث أبي سعيد، وروى ابن أبي شيبة و الشيخان و النسائي من حديث أنس « إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة في الدعاء ولا يقل اللهم إن شئت فاعطني فإن الله لامستكره له ». و روى ابن حبان من حديث أبي هريرة « إذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فإنه لا يتعاظم على الله شيء » و روى الطبراني من حديث العرباض « إذا سألتم الله تعالى فسلوه الفردوس فإنه سر الجنة » وروى ابن حبان من حديث عائشة « إذا

العشية التي قبض فيها فقلنا: يا أبا عبدالله، كيف تجدك؟ قال: لا أدري ما أقول لكم إلا أنكم ستعاينون من عفو الله ما لم يكن لكم في حساب، ثم ما برحنا حتى أغمضناه. وقال يحي بن معاذ في مناجاته: يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي إياك مع الأعمال؛ لأني أعتمد في الأعمال على الإخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف، وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف. وقيل إن مجوسياً استضاف ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال: « إن أسلمت أضفتك » فمرّ المجوسي، فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم لم تطعمه إلا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره، فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك؟ فمر إبراهيم يسعى خلف

سأل أحدكم ليكثر فإنما يسأل ربه ». و روى عبد بن حميد في تفسيره و الطبراني و الحاكم و صححه وتعقب، وابن مردويه من حديث أبي أمامة « سلوا الله الفردوس فإنها سرة الجنة » الحديث.

(وقال بكر بن سليم الصواف) أبو سليمان الطائفي سكن المدينة مقبول روى له البخاري في الأدب المفرد وابن ماجه: **(دخلنا على)** أبي عبدالله **(مالك بن أنس)** الإمام رضي الله عنه **(في العشية التي قبض فيها، فقلنا: يا أبا عبدالله كيف تجدك؟ قال: لا أدري ما أقول لكم)** أي مما رأيت الآن من إكرام الله ومن صور الملائكة الذين يعالجون الروح بحيث عجزت أن أعبر عنه بلساني. **(ألا إنكم ستعاينون من عفو الله مالم يكن لكم في حساب، ثم مابرحنا)** من مكاننا **(حتى أغمضناه)** هكذا هو في القوت، وهو في كتاب حسن الظن بالله لأبي بكر بن أبي الدنيا، ومن طريقه أخرجه القشيري في الرسالة فقال: و سمعته يعني أبا عبد الرحمٰن السلمي يقول: حدثنا أبو العباس البغدادي، حدثنا الحسن بن صفوان، حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثت عن بكر بن سليم الصواف قال: دخلنا على مالك بن أنس فساقه.

(وقال يحي بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى **(في مناجاته: يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي إياك مع الأعمال لأني أعبد)** هكذا في النسخ، و لفظ الرسالة لأني أجدني اعتمد **(في الأعمال على الإخلاص و كيف أحرزها)** أي احفظها من الآفة **(وآنا بالآفة)** من الرياء و العجب و الكبر و غيرها **(معروف، و أجدني في الذنوب اعتمد على عفوك و كيف لا تغفرها و أنت بالجود موصوف)** هكذا أورده القشيري في الرسالة.

(وقيل إن مجوسياً استضاف إبراهيم الخليل عليه السلام) أي طلب منه أن يضيفه **(فقال)** له: إن **(أسلمت استضفتك)** كذا في النسخ، والأولى أضفتك كما هو نص الرسالة **(فمر المجوسي)** أي جاوزه وهو يقول: إذا أسلمت أي منة تكون لك علي؟ **(فأوحى الله تعالى إليه يا ابراهيم لم تطعمه إلا بتغيير دينه، و نحن)** من منذ **(سبعين سنة نطعمه على كفره، فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك)** من الحرج؟ **(فمر ابراهيم)** عليه السلام **(يسعى خلف**

المجوسي فرده وأضافه، فقال له المجوسي ما السبب فيا بدا لك؟ فذكر له فقال له المجوسي: أهكذا يعاملني ثم قال: اعرض علي الإسلام فأسلم. ورأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكي أبا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بوعيد الأبد، فقال له: كيف حالك؟ فقال: وجدنا الأمر أهون مما توهمنا. ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف، فقال له: يا أستاذ بم نلت هذا؟ فقال: بحسن ظني

المجوسي فرده وأضافه فقال له المجوسي: ما السبب فيا) أي في الذي (**بدا لك فذكر له**) ذلك (**فقال له المجوسي: أهكذا يعاملني**) وفي رواية نعم الرب رب يعاتب نبيه في عدوه، (**ثم قال: اعرض علي الإسلام**) فعرضه عليه (**فأسلم**) . ووجه تعلق هذا بالرجاء أنه تعالى يجعل الأسباب الضعيفة موصلة لغفران الذنوب العظيمة، فإذا علم العبد بذلك تعلق قلبه بمحبوبه من جلب نفع أو دفع ضر، وفيا ذكره إشارة إلى أن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضه حيث بسطها لأعدائه وبسط رحمته الدنيوية تعم الكافر و المسلم بخلاف الاخروية، كما قال تعالى ﴿وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا و الآخرة عند ربك للمتقين﴾ [الزخرف: ٣٥] و لما رأى المجوسي فضل الله تعالى عليه في معاتبته نبيه لأجل عدوه و شكر ذلك جازاه بتوفيقه للإسلام.

(**و**) قال القشيري في الرسالة سمعت الشيخ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول: (**رأى الاستاذ أبو سهل**) محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون بن موسى بن عيسى العجلي (**الصعلوكي**) فتح الصاد و سكون العين المهملتين (**النيسابوري**) إمام الشافعية في عصره، تفقه على أبي الثقفي بنيسابور، و روى عن أبي بكر بن خزيمة و أبي العباس السراج و عبد الرحمن بن أبي حاتم، و عنه الحاكم أبو عبدالله وأبو حفص عمر بن أحمد بن مسرور الزاهد، و توفي سنة ٣٩٦ عن ثلاث و سبعين بنيسابور. (**أباسهل الزجاجي في المنام و كان يقول بوعيد الأبد**) أي يعتقد بأن الله تعالى إذا توعد على معصية بعقاب فلا بد من وقوعه وهو غفلة منه عن شرطه، فإن ذلك يغفره إذا شاء كما قال ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨] (**فقال له: كيف حالك؟ فقال: وجدنا الأمر أهون**) وفي رواية: أسهل (**مما توهمنا**) يحتمل أن يكون الله غفر له اعتقاده المذكور لغفلته عن شرطه، و يحتمل أنه تاب عن اعتقاده قبل موته ولم يعلم الرائي حاله، فلما رآه في المنام و سأله عن حاله أخبره بما ذكر.

(**و رأى بعضهم أبا سهل الصعلوكي في المنام**) و لفظ الرسالة: سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول: رأيت أبا سهل الصعلوكي في المنام (**على هيئة حسنة لا توصف فقال: بم نلت هذا؟ فقال: بحسن ظني بربي بحسن ظني بربي**) مرتين هكذا أورده القشيري في كتاب الرجاء ثم أعاده في آخر الكتاب.

بربي، وحكي أن أبا العباس بن سريج رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت، وإذا الجبار سبحانه يقول: أين العلماء؟ قال: فجاؤوا، ثم قال: ماذا عملتم فيما علمتم؟ قال: فقلنا يا رب قصرنا وأسأنا؛ قال: فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جواباً غيره، فقلت أما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه، فقال: اذهبوا به فقد غفرت لكم، ومات بعد ذلك بثلاث ليال. وقيل: كان رجل شريب جمع قوماً من ندمائه ودفع إلى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشتري شيئاً من الفواكه للمجلس فمر الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيئاً ويقول من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات، قال: فدفع الغلام إليه الدراهم فقال منصور: ما الذي تريد أن أدعو لك فقال لي سيد أريد أن أتخلص منه، فدعا منصور وقال: الأخرى. فقال: أن يخلف الله عليَّ دراهمي، فدعا، ثم قال:

(**و حكي أن أبا العباس**) أحمد بن عمر (**بن سريج**) بسين مضمومة و آخره جيم البغدادي أحد أئمة الشافعية (**رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت، وإذا الجبار تعالى سبحانه وتعالى يقول: أين العلماء؟ قال: فجاؤوا. ثم قال: ماذا عملتم فيما علمتم؟ قال: فقلنا يا رب قصرنا وأسأنا. قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب و أراد جواباً غيره فقلت: أما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه**)وذلك قوله تعالى:﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (**فقال: إذهبوا به فقد غفرت لكم و مات بعد ذلك بثلاث ليال**) حكاه القشيري في الرسالة، وفيه دلالة على جواز الغفران لمن لم يشرك بالله كالآية التي أشار إليها، وهي بشرى عظيمة لابن سريج وهو أنه مغفور له، وقد اعترف هو ومن معه بالتقصير ومن اعترف بتقصيره رجا المغفرة.

(**وقيل: كان رجل شريب**) أي كثير الشرب للخمر (**جمع قوماً من ندمائه**) أي جماعة ممن ينادمونه في الشرب (**ودفع الى غلامه**) وكان صالحاً ينكر عليه ذلك (**أربعة دراهم وأمره أن يشتري**) بها (**شيئاً من الفواكه للمجلس**) أي لأهل مجلسه، (**فمر الغلام بباب مجلس**) الشيخ أبي السري (**منصور بن عمار**) الواعظ أصله من مرو و أقام بالبصرة، وكان من المذكرين ترجمه القشيري في الرسالة، (**وهو يسأل لفقير شيئاً و يقول: من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات. قال: فدفع إليه الغلام الدراهم**) لأنه رأى أن هذا أولى مما أمر به سيده وهان عليه مشقة الضرب و الألم من سيده حتى لا يقع في هذا المنكر الشديد، و ظن منصور أنه مالك الدراهم (**فقال**) له (**منصور: ماالذي تريد**) مني؟ (**أن أدعو لك**) به، (**فقال: لي سيد أريد أن أتخلص منه**) بالعتق لأخلص مما يدخلني فيه مما لا أحبه، (**فدعا**) له (**منصور**) بذلك (**وقال: ما**) الدعاء (**الآخر؟ فقال: أن يخلف**) الله (**علي دراهمي**) التي

الأخرى. قال: أن يتوب الله على سيدي، فدعا، ثم قال: الأخرى، فقال أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم فدعا منصور، فرجع الغلام فقال له سيده: لم أبطأت؟ فقص عليه القصة. قال: وبم دعا، فقال: سألت لنفسي العتق. فقال له: اذهب فأنت حرّ. قال: وايشَ الثاني؟ قال: أن يخلف الله عليّ الدراهم، قال: لك أربعة آلاف درهم، وايش الثالث؟ قال: أن يتوب الله عليك. قال: تبت إلى الله تعالى. قال: وايش الرابع؟ قال: أن يغفر الله لي ولك وللقوم وللمذكر، قال هذا الواحد ليس إليَّ، فلما بات تلك الليلة رأى في المنام كأن قائلاً يقول له: أنت فعلت ما كان إليك، أفترى أني لا أفعل ما إلي، قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار وللقوم الحاضرين أجمعين. وروي عن عبد الوهاب بن عبد الحميد الثقفي قال: رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة يحملون جنازة، قال: فأخذت مكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت، فقلت للمرأة: من

دفعتها للفقير وأردها إلى سيدي وأقول لا أعصي ما أمرتني به، (**فدعا**) له بذلك، (**ثم قال**) له: (**ما**) الدعاء (**الآخر فقال: أن يتوب الله على سيدي**) بأن يوفقه للتوبة مما هو مرتكبه لاستريح من ضرره بالكلية (**فدعا**) بذلك، (**ثم قال: وما الآخر؟ فقال: أن يغفر الله لي ولسيدي ولك وللقوم**) أي جلسائه، (**فدعا منصور**) بذلك. (**فرجع الغلام**) إلى سيده (**فقال له سيده: لم أبطأت؟ فقص عليه القصة**) فأثر فيه صدقه و استحسن فعله (**فقال: وبم دعا؟ قال: سألت لنفسي العتق**) فدعا لي به. (**قال: اذهب فأنت حر**) لوجه الله تعالى. (**قال: وايش**) المدعو به(**الثاني**) أي أي شيء هو؟ (**قال: أن يخلف الله علي الدراهم**) لأردها لك (**قال: لك أربعة آلاف درهم. قال: وايش الثالث؟ قال: أن يتوب الله عليك. قال: تبت إلى الله تعالى. قال: وايش الرابع؟ قال أن يغفر الله لي ولك و للقوم و للمذكر**) أي الواعظ وهو منصور. (**قال: هذا الواحد ليس إلي**) بل إلى الله تعالى، (**فلما بات تلك الليلة رأى في المنام كأن قائلاً يقول**) له: (**أنت فعلت ما كان إليك أفترى أني لا أفعل ما إلي قد غفرت لك و للغلام و لمنصور بن عمار و للقوم الحاضرين أجمعين**) أورده هكذا القشيري في الرسالة، وفيه دلالة على أنه تعالى أكرم الأكرمين، وأنه يجازي بالخير الكثير على العمل اليسير، وهو وضع الاستدلال على الرجاء لأن سيد الغلام لما تكرم باليسير غفر الله له ولغلامه و لمن كان سبباً في ذلك.

(**وروي عن**) أبي محمد (**عبد الوهاب بن عبد المجيد**) بن الصلت بن عبيد الله بن الحكم بن أبي العاص (**الثقفي**) البصري قدم بغداد في زمن المنصور وحدث بها. قال ابن معين: ثقة مات سنة أربع وتسعين ومائة روى له الجماعة (**قال: رأيت ثلاثة من الرجال وامرأة يحملون جنازة. قال: فأخذت مكان المرأة وذهبنا إلى المقبرة وصلينا عليها ودفنا الميت، فقلت**

كان هذا الميت منك؟ قالت: ابني، قلت: ولم يكن لكم جيران؟ قالت: بلى ولكن صغروا أمره. قلت: وايش كان هذا؟ قالت مخنثاً، قال فرحمتها وذهبت بها إلى منزلي وأعطيتها دراهم وحنطة وثياباً. قال: فرأيت تلك الليلة كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكرني، فقلت من أنت؟ فقال: المخنث الذي دفنتموني اليوم رحمني ربي باحتقار الناس إياي. وقال ابراهيم الأطروش: كنا قعوداً ببغداد مع معروف الكرخي على دجلة، إذ مرَّ أحداث في زورق يضربون بالدف ويشربون ويلعبون، فقالوا لمعروف: أما تراهم يعصون الله مجاهرين، ادع الله عليهم، فرفع يديه وقال إلهي كما فرّحتهم في الدنيا ففرّحهم في الآخرة، فقال القوم: إنما سألناك أن تدعو عليهم! فقال: إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم، وكان بعض السلف يقول في

للمرأة: ما كان هذا الميت منك) أي ما نسبته منك؟ **(قالت)** هو **(ابني قلت: ولم يكن لكم جيران)** يحملونها؟ **(قالت: بلى ولكن صغّروا أمره)** وحقروه. **(قلت: وايش كان هذا؟ قالت)**: هو **(مخنث)** بالمثلثة وبكسر النون وبفتحها **(قال: فرحمتها وذهبت بها إلى منزلي وأعطيتها دراهم وحنطة وثياباً. قال)**: ونمت **(فرأيت تلك الليلة كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجعل يتشكر لي فقلت: من أنت؟ فقال)**: أنا **(المخنث الذي دفنتموني)** اليوم **(رحمني ربي باحتقار الناس إياي)** وكلامهم فيّ حكاه القشيري في الرسالة، وفيه دلالة على أنه تعالى يجازي بالخير الكثير على العمل اليسير.

(وقال) القشيري في الرسالة: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا بكر الحربي يقول: سمعت **(إبراهيم الأطروش)** يقول: **(كنا قعوداً ببغداد مع)** أبي محفوظ **(معروف)** بن فيروز **(الكرخي)** قدس سره **(على الدجلة)** وهي نهر ببغداد **(إذ مرّ بنا أحداث)** أي شبّان **(في زورق)** أي سفينة صغيرة **(يضربون بالدف ويشربون)** الخمر **(ويلعبون)** بالملاهي **(فقالوا لمعروف: أما تراهم)** كيف **(يعصون الله مجاهرين ادع الله عليهم فرفع يديه وقال: إلهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة، فقال القوم: إنما سألناك أن تدعو عليهم. فقال: إذا فرحهم في الآخرة فقد تاب عليهم)** أي وإذا تابوا زال عنكم ما تكرهون فيحصل مطلوبكم من الدعاء عليهم، وهذا من كمال المعرفة والسياسة في تغيير المنكر الذي لا يتمكن العبد من إزالته بقوّة الجاه والسطوة، فسلك معروف في إزالته مسلك السؤال وطلب الفضل من الله في أن يغير أحوالهم عما هي عليه، لأنه تعالى هو الفاعل بهم ما هم فيه فقال ما قال، فأعلمهم بذلك أن التغيير في هذا الوقت لمثل هؤلاء إنما هو بالدعاء لهم بالتوبة، وبيّن ذلك بقوله إذا فرحهم في الآخرة فقد تاب عليهم.

دعائه: يا رب وأي أهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم داراً سبحانك ما أحلمك وعزتك إنك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدرّ الرزق حتى كأنك يا ربنا لا تغضب.

(**وكان بعض السلف يقول في دعائه: يا رب وأي أهل دهر**) أي زمان (**لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة**) أي تامة (**ورزقك عليهم داراً**) أي واسعاً متصلاً. (**سبحانك ما أحلمك وعزتك أنك لتعطي ثم تسبغ النعمة حتى كأنك يا ربنا إنما تطاع سبحانك ما أحلمك تعصى وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى كأنك يا ربنا لا تغضب**) وقد بقي مما يتعلق بالرجاء من كتابي القوت والرسالة وغيرهما مما لم يذكره المصنف، وقد أحببت أن أسوقه لتمام الفائدة.

قال صاحب القوت، عن بعض السلف: كل عاص فإنه يعصي تحت كنف الرحمن فمن ألقي عليه كنفه ستر عورته ومن رفع عنه كنفه افتضح، والرجاء اسم لقوّة الطمع في الشيء بمنزلة الخوف إسم لقوّة الحذر من الشيء، ولذلك أقام الله الطمع مقام الرجاء في التسمية، وأقام الحذر مقام الخوف فقال تعالى ﴿يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾ [السجدة: ١٦] وقال تعالى: ﴿يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾ [الزمر: ٩] وهو وصف من أوصاف المؤمنين وخلق من أخلاق الإيمان لا يصح إلا به كما لا يصح الايمان إلا بالخوف، فالرجاء بمنزلة أحد جناحي الطائر لا يطير إلا بجناحيه، كذلك لا يؤمن حتى يرجو من آمن به ويخافه. وكان ابن مسعود يحلف بالله ما أحسن عبد ظنه بالله إلا أعطاه الله ذلك لأن الخير كله بيده أي: فإذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه ما يظنه لأن الذي حسن ظنه به هو الذي أراد أن يحققه له. وروينا عن يوسف بن اسباط قال: سمعت سفيان الثوري يقول في قول الله تعالى ﴿وأحسنوا ان الله يحب المحسنين﴾ [البقرة: ١٩٥] قال: أي أحسنوا بالله الظن، والرجاء مقام جليل وحال شريف نبيل لا يصلح إلا للكرماء من أهل العلم والحياء وهو حال يحول عليهم بعد مقام الخوف يروّحون به الكرب ويستريحون إليه من مقارفة الذنب، ومن لم يعرف الخوف لم يعرف الرجاء، ومن لم يقم في مقامات الخوف لم يرفع إلى مقامات أهل الرجاء على صحة وصفاء، ورجاء كل عبد من حقيقة خوفه ومكاشفته عن اخلاق مرجوّة في معنى ما كان كوشف به من صفات مخوّفة، فإن كان أقيم مقام المخوّفات من المخلوقات مثل الذنوب والعيوب والأسباب رفع من حيث تلك المقامات إلى مقامات الرجاء بتحقيق الوعد وغفران الذنب وتشويق الجنان وما فيها من الأوصاف الحسان، وهذه مواجهات أصحاب اليمين، وإن كان أقيم مقام مخاوف الصفات عن مشاهدة معاني الذات مثل سابق العلم وسوء الخاتمة وخفي المكر وباطن الاستدراج وبطش القدرة وحكم الكبر والجبرية رفع من حيث هذه المقامات إلى مقام المحبة والرضا فرجاً من معاني الأخلاق والأسماء الكرم والإحسان والفضل والعطف واللطف

....

والامتنان، وليس يصلح أن نخبر بكل ما نعلم من شهادة أهل الرجاء في مقامات الرجاء من قبل أنه لا يصلح لعموم المؤمنين وهو يفسد من لم يرد به أشد الفساد، فليس يصلح إلا بخصوصه ولا يجذب ولا يستجيب له من المحبين، ولا محبة إلا بعد نصح القلب من المخافة، فالمؤمن بين الخوف والرجاء كالطائر بين جناحيه، وكلسان الميزان بين كفتيه، ومنه قول مطرف: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا، وللمؤمن في اعتدال الخوف والرجاء مقامات: أعلاهما: مقام المقربين وهو ما حال عليهم من مقام مشاهدة الصفات المخوفة والأخلاق المرجوّة، والثاني: مقام أصحاب اليمين وهو ما عرفوه من بدائع الأحكام وتفاوت الأقسام من ذلك أنه تعالى أنعم على الخلق بفضله عن كرمه اختياراً لا إجباراً، فلما أعلمهم ذلك رجوا تمام النعمة من حيث ابتدأوها، ومن ههنا طمع السحرة في المغفرة لما ابتدأوا بالإيمان، فقالوا ﴿إنّا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا إن كنّا أوّل المؤمنين﴾ [الشعراء: ٥١] أي من حيث جعلنا أوّل المؤمنين من هذا المكان نرجو بأن يغفر لنا بأن جعلنا مؤمنين به فرجوه منه، وقد ذم الله تعالى عبداً أوجده نعمة ثم سلبها فأيس من عودها عليه فقال تعالى: ﴿ولئن أذقنا الانسان منّا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور﴾ [هود: ٩] ثم استثنى عباده الصابرين عليه الصالحين له فقال تعالى: ﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات﴾ [هود: ١١] ثم إن الخلق خلقوا على أربع طبقات كل طبقة طائفة، فمنهم من يعيش مؤمناً ويموت مؤمناً فمن ههنا رجاؤهم لأنفسهم وغيرهم من المؤمنين إذ قد أعطاهم فرجوا أن يتم عليهم نعمته وأن لا يسلبهم بفضل ما به بدأهم، ومنهم من يعيش مؤمناً ويموت كافراً فهذا موضع خوفهم عليه وعلى غيرهم لمكان علمهم بهذا الحكم ولغيب حكم الله تعالى بعلمه السابق فيهم، ومن الناس من يعيش كافراً ويموت مؤمناً، ومن الناس من يعيش كافراً ويموت كافراً، فهذان الحكمان أوجبا رجاءهم، الثاني للمشرك إذ رأوه فلم يقطعوا لظاهره أيضاً خوف هذا الرجاء خوفاً ثانياً أن يموت على تلك الحالة، وإن كان ذلك هو حقيقة عند الله تعالى، فعلم المؤمن بهذه الأحكام الأربعة وزن خوفه ورجائه معاً، فاعتدل حاله بذلك الاعتدال إيمانه به، وحكم على الخلق بالظاهر ووكل إلى علام غيوب السرائر، ولم يقطع على عبد بظاهره من الشربل يرجو له ما يظن عند الله من الخير، ولم يشهد لنفسه ولا لغيره بظاهر الخير، بل يخاف أن يكون قد استسر عند الله باطن شر إلا أن حال التمام أن يخاف العبد على نفسه ويرجو لغيره، لأن ذلك هو وجد المؤمنين من قبل أنهم مأمورون بحسن الظن، فهم يحسنون الظن بالناس ويخرجون لهم المعاذير بسلامة الصدور وتسليم ما غاب إلى من إليه تصير الأمور، ثم هم في ذلك يسيئون الظن بنفوسهم لمعرفتهم بصفاتها ويوقعون الملام عليها ولا يحتجون لها لباطن الإشفاق منهم عليهم ولخوف التزكية منهم لهم، فمن غلب عليه هذان المعنيان فقد مكر به حتى يحسن الظن بنفسه ويسيء ظنه بغيره، فيكون خائفاً على الناس راجياً لنفسه عاذراً لنفسه محتجاً لها لائم الناس ذاماً لهم. فهذه من أخلاق المنافقين، ثم ان للراجي حالاً من مقامه، وللحال علامة من رجائه، فمن علامة الرجاء عن مشاهدة المرجو دوام المعاملة وحسن التقرب إليه وكثرة التحبب بالنوافل لحسن ظنه به وجميل أمنه منه، وأنه يتقبل صالح ما

أمر به تفضلاً منه من حيث كرمه لا من حيث الواجب عليه، ولا الاستحقاق منافاته أيضاً يكفر سيء ما عمله إحساناً منه ورحمة من حيث لطفه بنا وعطفه علينا لأخلاقه السنية وألطافه الخفية، لا من حيث اللزوم بل من حيث حسن الظن به. ومقام الرجاء كسائر مقامات اليقين منها فرض ونفل، فعلى العبد فرض أن يرجو مولاه وخالقه ومعبوده ورازقه من حيث كرمه وفضله لا من حيث نظره إلى صفات نفسه ولؤمه، وقد كان سهل يقول: من سأل الله شيئاً فنظر إلى نفسه وأعماله لا يرى الإجابة حتى يكون ناظراً إلى الله وحده وإلى لطفه وكرمه ويكون موقناً بالإجابة، ولا يقبل الله عملاً ولا دعاء إلا من موقن بالإجابة مخلص، فإذا شهد التوحيد ونظر إلى الوحدانية له فقد فتح له باباً من العبادة، ثم يتفاوت الراجون في فضائل الرجاء فالمقربون منهم رجوا النصيب الأعلى من القرب والتجلي لمعاني الصفات مما عرفوه، وهذا من علمهم به، وأصحاب اليمين من الراجين رجوا النصيب الأوفر من مزيده والفضل الأجزل من عطائه يقيناً بما وعد.

ومن الرجاء انشراح الصدر بأعمال البر وسرعة السبق والمبادرة بها خوف فوتها ورجاء قبولها، ثم مهاجرة السوء ومجاهدة النفس رجاء انتجاز الموعود، ومنه قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله﴾ [البقرة: ٢١٨] ومن الرجاء كثرة التلاوة لكلام الله تعالى وإقام الصلاة التي هي خدمة المعبود وبذل المال سراً وعلانية، وأن لا يشتغل عن ذلك بتجارة الدنيا كما وصف المحققين من الراجين إذا يقول تعالى: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾ [فاطر: ٢٩] ومن الرجاء: القنوت في ساعات الليل وهو طول القيام للتهجد والدعاء عند تجافي الجنوب عن المضاجع لما وقر في الصدور والقلوب من المخاوف، وكذلك وصف الله تعالى الراجين بهذا في قوله: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر: ٩] فسمى أهل الرجاء والحذر وأهل التهجد آناء الليل علماء، وحصل من دليل الكلام أن من لم يخف ولم يرج غير عالم لنفيه المساواة بينهما، وهذا مما حذف خبره اكتفاء بأحد وصفيه إذ في الكلام دليل عليه، فالرجاء هو أوّل مقام من اليقين عند المقربين وهو ظاهر أوصاف الصديقين، ولا يكمل في قلب عبد ولا يتحقق به صاحبه حتى تجتمع فيه هذه الأوصاف: الإيمان بالله، والمهاجرة إليه، والمجاهدة فيه، وتلاوة القرآن، وإقام الصلاة، والانفاق في سبيل الله، ثم السجود آناء الليل والقيام والحذر مع ذلك كله. فهذه جل أوصاف الراجين وهو أوّل أحوال الموقنين، ثم تتزايد الأعمال في ذلك ظاهراً وباطناً بالجوارح والقلوب عن تزايد الأنوار والعلوم ومكاشفات الغيوب بالأوصاف المرجوّة، وفصل الخطاب أن الخوف والرجاء طريقان إلى مقامين، فالخوف طريق العلماء إلى مقام العلم، والرجاء طريق العاملين إلى مقام العمل، وقد وصف الله الراجين مع الأعمال الصالحة لقوّة رجائهم بالخوف تكملة لصدق الرجاء وتتمة لعظيم الغبطة به، فقال تعالى مخبراً عنهم في حال وفائهم وأعمال برهم ﴿إنّا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمنّ الله علينا﴾ [الطور: ٢٦، ٢٧] وقال تعالى: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً﴾ [الإنسان: ٧] من قبل أن

الخوف مرتبط بالرجاء، فمن تحقق بالرجاء صارعه الخوف أن يقطع به دون ما رجا. وقال أهل العربية في قوله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ [الجاثية: ١٤] أي الذين لا يخافون عقوبات الله تعالى، فإذا كان هذا أمره بالمغفرة لمن لا يرجو، فكيف يكون عفوه وفضله على من رجوه؟ وبعضهم يقول في معنى قوله تعالى: ﴿وترجون من الله ما لا يرجون﴾ [النساء: ١٠٤] أي تخافون منه ما لا يخافون، فلولا أنهما عند العلماء كشيء واحد ما فسر أحدهما بالآخر. ومن الرجاء الانس بالله تعالى في الخلوات، ومن الانس به الانس بالعلماء والتقرب إلى الاولياء وارتفاع الوحشة بمجالسة أهل الخير وسعة الصدور والروح عندهم، ومن الرجاء سقوط ثقل المعاونة على البر والتقوى لوجود حلاوة الأعمال والمسارعة إليها والحث لأهلها عليها والحزن على فوتها والفرح بدركها.

ومن الرجاء التلذذ بدوام حسن الإقبال والتنعم بمناجاة ذي الجلال وحسن الاصغاء إلى محادثة القريب والتلطف في التملق للحبيب وحسن الظن به في العفو الجميل ومنال الفضل الجزيل، وقال بعض العارفين: للتوحيد نور وللشرك نار، ونور التوحيد أحرق لسان الموحدين من نار الشرك لحسنات المشرك، وقد كان يحي بن معاذ يقول في مقامات الرجاء: إذا كان توحيد ساعة يحبط ذنوب خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة ماذا يصنع بالذنوب؟ وقد قال سهل: لا يصح الخوف إلا لأهل الرجاء، وقال مرة: العلماء مقطوعون إلا الخائفين والخائفون مقطوعون إلا الراجين، وكان يجعل الرجاء مقاماً في المحبة وهو عند العلماء أول مقام المحبة، ثم يعلو في الحب على قدر ارتفاعه في الرجاء وحسن الظن. وفي الخبر: « إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يفزعهم وينفرهم ». وقال بشر الحافي: سكون النفس إلى المدح أضر عليها من المعاصي، ورأى يوسف بن الحسن مخنثاً فأعرض عنه ازراء عليه، فالتفت المخنث إليه فقال: وأنت أيضاً يكفيك ما بك، ففزع من قوله وقال: أي شيء تعلم بي؟ قال: لأن عندك أنك خير مني فاعترف يوسف بذلك فتاب واستغفر. وكان بعض الراجين يفهم من قوله تعالى إذا تلا ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ [الزمر: ٤٧] يرجو بذلك بوادي الجود والكرم والإحسان ما لم يحتسبه في الدنيا قط، ويقال: إن حملة العرش يتجاوبون بأصوات: سبحانك على حلمك بعد علمك، سبحانك على عفوك بعد قدرتك، فللراجين من العارفين فهوم من السمع للكلام نحو علو نظرهم عن سمو علومهم بمعاني الصفات، فكل صاحب مقام يشهد من مقامه ويسمع من حيث شهادته، فأعلاهم شهادة الصديقين، ثم الشهداء، ثم الصالحين، ثم خصوص المؤمنين، فبه تبارك وتعالى استدلوا عليه، وبه نظروا إليه هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون، وكان سهل يقول: المؤمن يعيش في سعة الرحمة، والمؤمن يعيش في سعة الحلم فصفاته تعالى كاملات، فمن شهد ترجيح بعضها على بعض دخل عليه النقص من مشاهدته لقصور علمه عن تمام علم من فوقه من الشهداء، ولأجل مقامه المراد به دون طريق الصديقين من الأقوياء، فعاد ذلك على العبد فصار مقاماً له في القرب والبعد، تعالى وصف المشهود عن النقصان والحد. ومثل الرجاء من الخوف مثل الرخصة من

العزائم، وفي الخبر: إن الله تعالى يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه. وفي لفظ آخر أبلغ من هذا وأوكد: إن الله تعالى يحب أن تقبل رخصة كما يكره أن تؤتى معصيته. وفي الخبر: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض نفسك إلى عبادة الله تعالى وخير الدين أيسره» وقال: «هلك المتعمقون هلك المتنطعون». وفي أخبار داود عليه السلام: إن الله تعالى نظر إليه منتبذاً وحدانياً فقال: مالك وحدانياً؟ فقال: عاديت الخلق فيك. قال: أو ما علمت أن محبتي أن تعطف على عبادي وتأخذ عليهم بالفضل، هنالك أكتبك من أوليائي وأحبائي ولا تنظر إلى عبيدي نظرة جفاء ولا قسوة، فإذا أنت قد أبطلت أجرك فاحفظ عني ثلاثاً: خالص حبيبي مخالصة، وخالق أهل الدنيا مخالقة، ودينك فقلدنيه. وروينا عن الضحاك: أن العبد ليدنو من ربه عند العرض فيقول له: عبدي أتحصي عملك؟ فيقول: إلهي كيف أحصيه من دونك وأنت الحافظ للأشياء، فيذكره الله تعالى جميع ذنوبه في الدنيا ويقول: لم اجعل للذنوب رائحة توجد منك، ولم أجعل في وجهك شبهاً، وأنا أغفرها لك اليوم على ما كان منك بإيمانك بي وتصديقك المرسلين.

ومن الرجاء شدة الشوق إلى ما شوّق إليه لكريم وسرعة التنافس في كل نفيس ندب إليه الرحيم، والاخبار في حقيقة الرجاء تزيد المقترين اغتراراً وتزيد المستدرجين بالستر والنعم خساراً، وهو مزيد التوّابين الصادقين وقرة عين للمحبين المخلصين وسرور لأهل الكرم والحياء وروح وارتياح لذوي العصمة والوفاء ينصع به كرمهم ويشتد عنده حياؤهم وترتاح إليه عقولهم، فهؤلاء يستخرج منهم الرجاء وحسن الظن من العبادات ما لا يستخرجه الخوف إن المخاوف تقطع عن أكثر المعاملات، فصار الرجاء طريقاً لأهله وصاروا واجدين به، كما قال عمر رضي الله عنه: رحم الله صهيباً لو لم يخف الله لم يعصه أي يترك المعاصي للرجاء لا للخوف، فصار الرجاء طريقه، فهؤلاء هم الراجون حقاً وهذه علامتهم، ولمثل هؤلاء ذكرنا الأسباب التي توجب الرجاء وتولد حسن الظن في قلوب أهل الصفاء المعصومين من الهوى الموفقين لحسن خدمة المولى. فهذه جل أحكام الرجاء وأوصاف الراجين، فمن تحقق بجميعها فقد استحق درجات أهل الرجاء، وهو عند الله تعالى من المقربين، ومن كان فيه وصف من هذه الأوصاف فله مقام من الرجاء.

واعلم أن مقامات اليقين لا يزيل بعضها في بعض، فمن غلب عليه حال منها عن وجد مشاهدته وصف بما غلب عليه واستحق ما سوى ذلك من المقامات فيه، ومن عمل بشرط مقام منها فقام بحكم الله فيه نقل إلى ما سواه، وكان المقام الأول له علماً. والثاني الذي أقيم فيه له وجداً فكتم الوجد لأنه سره وعبّر عن العلم لأنه قد جاوزه، فصار علانيته، ومقام الرجاء هو جند من جنود الله يستخرج من بعض العباد ما لا يستخرج غيره، لأن بعض القلوب تلين وتستجيب عن مشاهدة الكرم والإحسان ويقبل ويطمئن معاملة النعم والامتنان ما لا يوجد ذلك منها عند التخويف والترهيب، بل قد يقطعها ذلك ويوحشها إذ قد جعل الرجاء طريقها فوجدت فيه قلوبها. إلى هنا انتهى كلام صاحب القوت، وقد حذفت منها أشياء كثيرة.

وقال القشيري في الرسالة: قال الله تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء الله فإنَّ أجل الله لآت﴾ [العنكبوت: ٥] وأسند عن العلاء بن زيد قال: دخلت على مالك بن دينار، فرأيت عنده شهر بن حوشب، فلما خرجنا من عنده قلت لشهر: يرحمك الله زوّدني زوّدك الله. فقال نعم حدثتني عمتي أم الدرداء، عن أبي الدرداء، عن نبي الله ﷺ، عن جبريل عليه السلام قال: «قال ربكم عز وجل عبدي ما عبدتني ورجوتني ولم تشرك بي شيئاً غفرت لك ما كان منك، ولو استقبلتني بملء الأرض خطايا وذنوباً استقبلتك بملئهن مغفرة فاغفر لك ولا أبالي». وتكلموا في الرجاء فقال شاه الكرماني: علامة الرجاء حسن الطاعة، وقيل: الرجاء هو ثقة الجود من القديم، وقيل: هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى، وسئل أحمد بن عاصم الانطاكي: ما علامة الرجاء في العبد؟ قال: أن يكون إذا أحاط به الإحسان ألهم الشكر راجياً لتمام النعمة من الله عليه في الدنيا، وتمام عفوه في الآخرة. وقال أبو عبد الله بن خفيف: الرجاء استبشار بوجود فضله، وقيل: ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجوّ المحبوب، وقيل: هو رؤية الجلال بعين الجمال، وقيل: هو قرب القلب من ملاطفة الرب، وقيل: سرور الفؤاد بحسن المعاد. وقال يحيى بن معاذ: إلهي أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحب الساعات إلي ساعة يكون فيها لقاؤك. وكلموا ذا النون المصري وهو في النزع فقال: لا تشغلوني فقد تعجبت من كثرة لطف الله تعالى معي. وأسند عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تعالى ليضحك من يأس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم» فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أويضحك ربنا عز وجل؟ قال: «والذي نفسي بيده إنه ليضحك» فقال: لايعدمنا خيراً إذا ضحك. ورؤي مالك بن دينار في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: قدمت على ربي بذنوب كثيرة محاها عني حسن ظني بالله تعالى. وقيل: كان ابن المبارك يقاتل علجاً مرة فدخل وقت صلاة العلج فاستمهله فأمهله، فلما سجد للشمس أراد ابن المبارك أن يضربه بالسيف، فسمع من الهواء قائلاً يقول: ﴿وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولاً﴾ [الإسراء: ٣٤] فأمسك، فلما سلم المجوسي قال: لم أمسكت عما هممت به؟ فذكر له ما سمع، فقال المجوسي: نعم الرب رب يعاتب وليه في عدوّه وأسلم وحسن إسلامه. وقيل: إنما أوقعهم في الذنب حين سمى نفسه عفوّاً. وقيل: لو قال لا أغفر الذنوب لم يذنب مسلم قط، ولكنه لما قال ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨] طمعوا في مغفرته. وقيل: حج رياح القيسي حجات كثيرة فقال يوماً وقد وقف تحت الميزاب، إلهي وهبت من حجاتي كذا وكذا لرسول الله ﷺ وعشرة من أصحابه العشرة واثنتين من والدي والباقي من المسلمين ولم يحبس شيئاً لنفسه، فسمع هاتفاً يقول: يا هذا تتسخى علينا لاغفرن لك ولأبويك ولمن شهد شهادة الحق. سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول: مرّ أبو عمرو البيكندي يوماً بسكة فرأى قوماً أرادوا إخراج شاب من المحلة لفساده وامرأة تبكي فقيل: إنها أمه فرحمها أبو عمرو فتشفع له إليهم وقال: هبوه مني في هذه المرة، فإن عاد إلى فساده فشأنكم وإياه فوهبوه منه، فمضى أبو عمرو فلما كان بعد أيام اجتاز بتلك السكة، فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب فقال في نفسه: لعل

فهذه هي الأسباب التي بها يجلب روح الرجاء إلى قلوب الخائفين والآيسين، فأما الحمقى المغرورون فلا ينبغي أن يسمعوا شيئاً من ذلك، بل يسمعون ما سنورده في أسباب الخوف فإن أكثر الناس لا يصلح إلا على الخوف، كالعبد السوء والصبي العرم لا يستقيم إلا بالسوط والعصا وإظهار الخشونة في الكلام. وأما ضدّ ذلك فيسدّ عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا.

الشاب عاد إلى فساده فنفي من المحلة فدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب، فخرجت العجوز وقالت: إنه مات فسألها عن حاله، فقالت: لما قرب أجله قال لي: لا تخبري الجيران بموتي، فلقد آذيتهم فإنهم سيشتموني ولا يحضرون جنازتي، فإذا دفنتيني فهذا خاتم لي مكتوب عليه «بسم الله الرحمن الرحيم» فادفنيه معي، فإذا فرغت من دفني تشفعي لي إلى ربي. قالت: ففعلت وصيته، فلما انصرفت عن رأس قبره سمعت صوته يقول: انصرفي يا أماه فقد قدمت على رب كريم. انتهى كلام القشيري، ولنعد إلى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى:

(**فهذه هي الأسباب التي بها يجلب روح الرجاء إلى قلوب الخائفين والآيسين، وأما الحمقى المغرورون، فلا ينبغي أن يسمعوا شيئاً من ذلك**) فإنها تزيدهم اغتراراً بالله، (**بل يسمعون ما سنورده في أسباب الخوف، فإن أكثر الناس لا يصلح إلا على الخوف كالعبد السوء والصبي العرم**) أي النشيط (**لا يستقيم إلا بالسوط والعصا وإظهار الخشونة في الكلام**) ولفظ القوت: وأكثر النفوس لا تصلح إلا على الخوف، كعبيد السوء لا يستقيمون إلا بالسوط والعصا يواجهون بالسيف صلتاً، (**وأما ضد ذلك فيسد عليهم باب الصلاح في الدنيا والدين**) نسأله تعالى التوفيق.

فصل

في بيان لواحق الرجاء:

اعلم أن من لواحق الرجاء الرغبة، ولنبسط الكلام في الرغبة. اعلم أنه لما كانت حقيقة الرجاء تعلق القلب بمأمول يحصل في الاستقبال بعد جريان أسبابه كانت الرغبة استيلاء هذا الحال على الراجي حتى كأنه يشاهد بها المأمول، فالرغبة كمال الرجاء ومنتهى حقيقته وهي تعلقه بضد كل ما يذكر من المخاوف في كتاب الخوف، ولا تزال مصحوبة لك ما دام لك حظ واختيار، فإذا ارتقيت عن ذلك بالفناء بالتوحيد فحينئذ لا رغبة ولا رهبة إلى أن ترجع إلى بشريتك وانسانيتك، فافهم ذلك الكلام على البسط. اعلم أن القلوب كما تنقبض بالخوف تنبسط بروح الرجاء، وهذا يدل على فضيلة الرجاء على الخوف كما سيأتي الكلام عليه، لأن القلوب إذا انبسطت انشرحت وإذا انشرحت انفتح لها طرق الهدى. قال الله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ [الزمر: ٢٢] فيهدي الله بذلك النور إلى حضرته فيبقى مبسوطاً لديه مستوراً حاله عن الخلق برداء العلم وجلباب التقوى، فأعزز بهذا المقام ما أجله، وبالله التوفيق.

الشطر الثاني

من الكتاب في الخوف

وفيه بيان حقيقة الخوف، وبيان درجاته، وبيان أقسام المخاوف، وبيان فضيلة الخوف، وبيان الأفضل من الخوف والرجاء، وبيان دواء الخوف، وبيان معنى سوء الخاتمة، وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء صلوات الله عليهم والصالحين رحمة الله عليهم، ونسأل الله حسن التوفيق.

بيان حقيقة الخوف:

اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال، وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء، ومن أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته

الشطر الثاني من الكتاب في الخوف

(وفيه بيان حقيقة الخوف، وبيان درجات الخوف، وبيان أقسام المخاوف، وبيان فضيلة الخوف، وبيان الأفضل من الخوف والرجاء، وبيان دواء الخوف، وبيان معنى سوء الخاتمة، وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء) عليهم السلام **(والصالحين)** رحمهم الله تعالى.

بيان حقيقة الخوف:

(اعلم) رحمك الله تعالى **(أن الخوف)** هو الخامس من مقامات اليقين، وهو باب عظيم من أبواب الإيمان، وقد تقدم أن أحوال القلوب تنقسم إلى مقامات وأحوال وحالات متوسطة بينهما، وهذا بالنسبة إلى الثبات وسرعة الزوال، وأن الحالة المتوسطة متى دامت ألحقت بالمقام، ومتى زالت ألحقت بالحال، وكذلك أحوال القلب، وأن الخوف لا يتعلق إلا بمشكوك فيه أو مظنون، فالخوف **(عبارة عن تألم القلب واحتراقه)** وانزعاجه **(بسبب توقع مكروه في الاستقبال، وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء)** فلا يعاد ثانياً، وله لواحق الحزن والقبض والإشفاق والخشوع، فحقيقة الحزن ألم يطرق القلب وتوجع لحاصل مكروه أو على فائت محبوب، فإن كان المحبوب والمكروه محمودين كان له حكمهما في الوجوب والفضيلة، وإن كانا مكروهين كان له حكمهما في الحظر والكراهة، وحقيقة القبض همّ يطرق القلب تارة يعلم سببه وتارة لا، فأما ما يعلم سببه فحكمه حكم الحزن، وما لم يعلم سببه فهو عقوبة من الله بسبب الإفراط في البسط يتأدب به المريدون المائلون عن الاعتدال، وحقيقة الاشفاق إتحاد الخوف والرجاء واعتدالهما، وسيجيء حكم

مشاهداً لجمال الحق على الدوام: لم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فإنها زمامان يمنعان النفس عن الخروج إلى رعوناتها وإلى هذا أشار الواسطي حيث قال: الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال أيضاً: إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاه ولا لخوف، وبالجملة فالمحب

ذلك. وحقيقة الخشوع سكون القلب والجوارح وعدم حركتها لما عاين القلب من عظيم أو مفزع، وإذا عرفت هذه الحقائق فاعلم أن (**من انس بالله وملك الحق قلبه**) بأن لم يبق فيه سواه (**وصار ابن وقته**) بل وأبا وقته (**مشاهداً لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات إلى المستقبل**) من الأيام، (**فلم يكن له خوف ولا رجاء، بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء، فإنها**) كما قال الواسطي: (**زمامان**) مستوليان (**يمنعان النفس عن الخروج إلى رعوناتها**) أي سكونها إلى حالتها واستحسانها ما هي عليه من طاعتها أو جزعها أو يأسها من فضل ربها عند مخالفتها، فهما يصدانها عن ذلك لأنها إن استحسنت أحوالها وركنت إلى أعمالها زجرها الخوف، وإن يئست من فضل ربها وقنطت لسوء حالها جذبها الرجاء للسلامة. ولفظ قول الواسطي: زمامان على النفوس لئلا تخرج إلى رعوناتها كذا في الرسالة، (**وإلى هذا أشار**) أبو الحسن بنان بن محمد الحمال (**الواسطي**) نزيل مصر والمتوفى بها سنة عشر وثلاثمائة، وكان كبير الشأن صاحب الكرامات رحمه الله تعالى (**حيث قال: الخوف حجاب بين الله وبين العبد**) قال القشيري: وهذا اللفظ فيه اشكال أي لأن الخوف مطلوب فكيف يكون حجاباً بين الخائف وربه معناه أن الخائف متطلع لوقت ثان، وأبناء الوقت لا تطلع لهم في المستقبل وحسنات الابرار سيئات المقربين انتهى

فعدوا التطلع لوقت ثان حجاباً وهفوة لأن تطلع العبد إلى غير وقته تفرقة واشتغاله بوقته جمع، واعترضه بعضهم بأن ذلك لا يدل على تفرقة خارجة عن مقام الخوف لأن متعلق كل مقام من ضرورة التخلق به ملاحظة فهو جمع لا تفرقة قال: والأولى أن يقال: العبد إذا وقف وسكن مع حالته في الخوف استحسن مقامه فيه، وكونه استعان به على خلاصه من المكروهات ونشط به في الطاعات، فوقوفه معه مع استحسانه له حجاب بينه وبين ربه بمعنى أنه منعه من انتقاله إلى ما هو أعلى منه وأقرب إلى ربه.

(**وقال**) الواسطي (**أيضاً: إذا ظهر الحق على السرائر**) بأن أظهر الله لصاحبها من جلاله وجماله ما شغله عن إحساسه بنفسه فضلاً عن غيره من المخلوقات (**لا يبقى فيها**) أي في تلك السرائر (**فضلة**) من الإحسان (**لرجاء ولا خوف**) نقله القشيري، ويؤيده ظاهر قوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [يونس: ٦٢] هذا بالنسبة إلى الخواص الكرام، وأما بالنسبة إلى الصلحاء من العوام، فمعناه لا خوف عليهم بلحوق العقاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب في العقبى: قال القشيري بعد أن نقل كلام الواسطي السابق: وهذا فيه إشكال أي على من لم يعرف إصطلاح القوم، لأن الخوف والرجاء مطلوبان، فكيف يثني بفقدهما؟ وجوابه: أن معناه

إذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصاً في الشهود، وإنما دوام الشهود غاية المقامات ولكنا الآن إنما نتكلم في أوائل المقامات فنقول: حال الخوف ينتظم أيضاً من علم وحال وعمل.

أما العلم: فهو العلم بالسبب المفضي إلى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلاً. ويجوّز العفو والإفلات، ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوّة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله وهو تفاحش جنايته وكون الملك في نفسه حقوداً غضوباً منتقماً وكونه محفوفاً بمن يحثه على الإنتقام خالياً عمن يتشفع إليه في حقه، وكان هذا الخائف عاطلاً عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك، فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوّة الخوف وشدة تألم القلب، وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف، وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف بل عن صفة المخوّف كالذي وقع في مخالب سبع فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي حرصه وسطوته على الإفتراس غالباً، وإن كان افتراسه بالإختيار، وقد يكون من صفة جبلية

إذا اصطلمت شواهد الحق تعالى الأسرار ملكتها فلا يبقى فيها مساغ لذكر حدثان، والخوف والرجاء من آثار بقاء الإحساس بأحكام البشرية.

(**وبالجملة؛ فالمحب إذا أشغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق**) في المستقبل (**كان ذلك نقصاً في الشهود**) إذا القلب ليس له إلا وجهة واحدة، (**وإنما دوام الشهود غاية المقامات**) ونهاية الدرجات (**ولكنا الآن إنما نتكلم في أوائل المقامات فنقول: حال الخوف ينتظم أيضاً من علم وحال وعمل**) لأنه من المقامات، وكل مقام فهو كذلك.

(**أما العلم: فهو العلم بالسبب المفضي إلى المكروه**) وإنما بدأ به لأن كل ما لا ينكشف سببه لا تتضح حقيقته ولا تعرف فضيلته، (**وذلك كمن جنى على ملك**) من الملوك (**ثم وقع في يده**) أي في حوزته (**فيخاف القتل مثلاً ويجوز العفو والإفلات**) أي الخلاص، (**ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية**) أي الموصلة (**إلى قتله وهو تفاحش جنايته، وكون الملك في نفسه حقوداً غضوباً منتقماً وكونه محفوفاً بمن يحثه على الإنتقام خالياً عمن يتشفع إليه في حقه، وكان هذا الخائف عاطلاً**) عارياً (**عن كل وسيلة وحسنة تمحو أثر جنايته عند الملك، فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب، وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف، وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية قارفها الخائف**) أي لابسها، (**بل من صفة المخوف كالذي وقع في مخالب سبع فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي سطوته وحرصه على الإفتراس غالباً، وإن كان افتراسه**

للمخوّف منه، كخوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فإن الماء يخاف لأنه بطبعه مجبول على السيلان والإغراق، وكذا النار على الإحراق؛ فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لإحراق القلب وتألمه، وذلك الإحراق هو الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته، وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع، وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي، وتارة يكون بهما جميعاً. وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وأنه ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ

بالإختيار، **وقد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فإن الماء يخاف** منه (**لأنه بطبعه مجبول على السيلان والإغراق، وكذا النار**) مجبولة بطبعها (**على الإحراق، فالعلم بأسباب المكروه وهو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب وتألمه**) وانزعاجه، (**وذلك الإحتراق هو الخوف. فكذا الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته**) القديمة من العلم والإرادة والقدرة والكلام. أما العلم؛ فالعلم بالسعيد والشقي وإنه في ذلك على أتم أنواع الكمال، وأما الإرادة فبتخصيصها ما كشفه العلم من الأسعاد والاشقاء، وأما القدرة فإيجادها نفس الاسعاد والأشقاء في الوقت الذي خصصته الإرادة من غير تقدم ولا تأخر، وأما الكلام فاخباره إيانا بالأسباب المسعدة والأسباب المشقية والأسباب منها ما اطلع عليه العباد من أن الطاعة مسعدة وأن المعصية مشقية، ومنها ما خفي فلا إطلاع لأحد عليه، وذلك لخفي المكر والألطاف الموجبات للتقريب والأبعاد، فهذه أبواب من الإيمان يجب التصديق بها كلها، (**و**) مما يجب عليه في معرفته في توحيد الأفعال (**أنه**) تعالى (**لو أهلك العالمين**) جميعاً (**لم يبال ولم يمنعه مانع**) لوحدة ذاته، ففي الحديث: «لما خلق الله آدم ومسح على ظهره فاستخرج منه ذريته فقبض قبضة فقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقبض أخرى فقال هؤلاء في النار ولا أبالي». (**وتارة يكون**) الخوف (**لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي**) أي ارتكابها وملابستها، وذلك يستدعي أن يعرف أولاً أن كل ما سوى الله تعالى قابل للإهلاك والإتلاف والعقاب لما تقدمه من نقص العدم وما لحقه بعد الإيجاد من نقص الإفتقار إلى الله تعالى، وكيف لا وذات الإنسان أضعف ذوات العالم كله. الكلمة الطيبة تنعش قلبه وقرصة البقة تزعج بدنه، وليس فيه جزء ثالث. فإذا عرف العبد هذا أحس بذله وعجزه وقبوله تأثر بالمحقـرات، فكيف يقهر جبار السموات؟ ثم علمه أن لسيده عليه نعماً تترى ظاهرة وباطنة عقلية وحسية، ثم علمه بكثرة جنايته على منهاج سيده وشريعته، وأن النعم قابلة السلب والذهاب والجنايات مرتب عليها العذاب هذه معرفته بنفسه في هذا الباب ولي باب علاج الكبر، فإن لكل باب معرفة تناسبه والإيمان بالإعتراف بذل العبودية وكثرة النعم واستحقاق لعقوبة على الجنايات واجب وهو فرض عين، (**وتارة يكون**) الخوف (**بهما جميعاً وبحسب معرفته بعيوب نفسه**) على ما ذكرناه (**ومعرفته بجلال الله تعالى وتعاليه واستغنائه**) على ما

يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٣] تكون قوّة خوفه ؛ فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه ؛ ولذلك قال ﷺ : « أنا أخوفكم لله » ، وكذلك قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٨] ثم إذا كملت المعرفة أورثت جلال الخوف واحتراق القلب ، ثم يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات . أما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء ، وقد تنشق به المرارة فيفضي إلى الموت ، أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل ، أو يقوى فيورث القنوط واليأس . وأما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافياً لما فرط واستعداداً للمستقبل ، ولذلك قيل : ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه . وقال أبو القاسم الحكيم : من خاف شيئاً هرب منه ، ومن خاف الله هرب إليه . وقيل

سردناه ، (**وإنه ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ تكون قوة خوفه**) ومن نقصت معرفته فيهما يضعف خوفه (**فأخوف الناس لربهم أعرفهم بنفسه وبربه ، ولذلك قال ﷺ : « أنا أخوفكم لله »**) قال العراقي : رواه البخاري من حديث أنس : « والله إني لأخشاكم لله واتقاكم له » . وللشيخين من حديث عائشة : « والله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية » انتهى .

قلت : وروى أحمد من حديث رجل من الأنصار : « أنا أتقاكم لله وأعلمكم بحدود الله » .

(**ولذلك قال الله تعالى : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾**) وهم العارفون بأنفسهم وبربهم ، (**ثم إذا كملت المعرفة أورثت حالة الخوف واحتراق القلب ثم تفيض أثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات . أما في البُدن فبالنحول والصفار**) مع الكدرة (**والغشية والزعقة والبكاء وقد**) يغلب ذلك عليه حتى (**تنشق به المرارة فتفضي إلى الموت أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل**) ويصير لا يعي ، (**أو يقوى فيورث القنوط والياس . وأما في الجوارح : فبكفها عن المعاصي وبقيدها في الطاعات تلافياً**) أي تداركاً (**لما فرط**) منه (**واستعداده للمستقبل ، ولذلك قيل : الخائف من يبكي ويمسح عينيه**) ويتألم على حاله وما هو فيه من فساد دينه ، (**بل**) الخائف (**من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه**) أي بسببه ، ولفظ القشيري في الرسالة ، وقيل : ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه إنما الخائف من يترك ما يخاف أن يعذب عليه . انتهى . فالخوف المحمود ما صان العبد عن الإخلال بشيء من المأمورات أو الوقوع في شيء من المنهيات .

(**وقال أبو القاسم الحكيم : من خاف شيئاً هرب منه ، ومن خاف الله هرب إليه**) نقله القشيري في الرسالة ، والحكيم هذا هو أبو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم السمرقندي ، ولي قضاء سمرقند مدة ودونت حكمته وانتشر في الأرض ذكره ، روى عنه أبو جعفر بن منيب السمرقندي وغيره ، ومعنى قوله : إن الخوف حقيقة إنما يكون من الله لأنه الفاعل

لذي النون: متى يكون العبد خائفاً؟ قال: إذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام. وأما في الصفات فبأن يقمع الشهوات ويكدّر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سماً، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح، ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرّغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات، ويكون حاله حال من وقع في مخالب سبع ضار لا يدري أنه يغفل عنه فيفلت أو يهجم عليه فيهلك،

لكل مخوف، فإذا خاف العبد غير الله مع غفلته عن الله هرب منه، وإذا ذكر الله وخشي أن يسلطه عليه هرب إلى الله أي رجع إليه فلا يهرب من المخوفات إلا الغافل عن الله، وإلا فمن علم أنها مسخرة بيد الله هرب ورجع إلى الله القادر على خلاصه منها لا غيره.

(**وقيل لذي النون**) المصري قدس سره: (**متى يكون العبد خائفاً**) ولفظ الرسالة: متى يتيسر على العبد سبيل الخوف؟ (**قال: إذا أنزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي**) من كل شيء (**مخافة طول السقام**) أي متى أنزلها منزلته وعرف ضعفها وعجزها عن تحصيل ما ينفعها ودفع ما يضرها إلا بالله، وأدام النظر في ذلك سهل عليه أم الخوف أي عمل بمقتضاه وبعد عما يخشاه ولم يلتفت لما يطرقه من المشقة في ارتكاب المخالفة لهواه لما يؤمله في عقباه، ولذلك شبهه بالمريض الذي يحتاج إلى الأدوية ويتحمل في تناولها ما تكرهه نفسه وتأباه رجاء العافية من سقمه وبلواه.

(**وأما في الصفات. فهو بأن يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه**) ويحبه (**إذا عرف أن يه سماً فتحترق الشهوات بالخوف**) قال القشيري: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول إذا سكن الخوف القلب أحرق مواضع الشهوات منه وطرد رغبة الدنيا عنه: (**وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والإستكانة ويفارقه الكبر والحسد والحقد**) وسائر أوصاف الرعونة، (**بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شغل إلا المراقبة المحاسبة والمجاهدة**) والتفكر (**والضنة بالأنفاس واللحظات**) أي البخل بها فلا تمر في غير ذكر الله (**ومؤاخذة النفس في الخطرات**) التي تمر (**والخطوات التي يخطو بها والكلمات**)، وعلى هذه الأصول بناء السادة النقشبندية في طريقتهم العلية التي منها حفظ الأنفاس والعقل في النفس والنظر على القدم والتذكر والرجوع، وغير ذلك مما هو مذكور في محله. (**ويكون حاله حال من وقع في مخاليب سبع ضار لا يدري أن يغفل عنه فيفلت**) أي يخلص (**أو يهجم**

فيكون ظاهره وباطنه مشغولاً بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره. هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه، وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين وقوّة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوّة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه، وقوّة الخوف بحسب قوّة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال، وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال: أن يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعاً، فإن زادت قوّته كف عما يتطرّق إليه إمكان التحريم فيكف أيضاً عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى، إذ التقوى: أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى، فإذا انضم إليه التجرّد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفساً من أنفاسه فهو الصدق، وصاحبه جدير بأن يسمى صديقاً، ويدخل في الصدق التقوى، ويدخل في التقوى الورع، ويدخل في الورع العفة فإنها عبارة عن الإمتناع عن مقتضى

عليه فيهلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولاً بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره. هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه، وهكذا كان حال جماعة من الصحابة) رضوان الله عليهم منهم: أبو بكر الصديق، سلمان الفارسي، وأبو ذر الغفار، وأبو الدرداء، (**والتابعين**) منهم: القاسم بن محمد بن أبي بكر، والحسن البصري، وكميل بن زياد، ومطرف بن عبيد الله وغيرهم. (**وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله**) وعظمته (**وصفاته**) الحسنى (**وأفعاله، و**) بحسب قوة المعرفة (**بعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال، وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يمتنع عن المحظورات**) الشرعية، (**ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعاً**) وحقيقته مجانبة الشيء حذراً من ضرره، وله درجات أربع ذكرت في كتاب الحلال والحرام، (**فإن زادته قوة كف عما يتطرق إليه إمكان التحريم، فيكف أيضاً عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى**) وهذه هي الدرجة الثالثة من درجات الورع، وهي ما لا تحرمه الفتوى ولا شبهة في حله، ولكن يخاف أداءه إلى محرم وهو ورع المتقين، (**إذ التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى، فإذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه، ولا يجمع ما لا يأكله، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه، ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفساً من أنفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بأن يسمى صديقاً**) وهو فعيل من الصدق للمبالغة فيه، (**ويدخل في الصدق التقوى، ويدخل في التقوى الورع، ويدخل في الورع**

الشهوات خاصة، فإذاً الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والإقدام ويتجدّد له بسبب الكف إسم العفة، وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فإنه أعم لأنه كف عن كل محظور، وأعلى منه التقوى فإنه إسم للكف عن المحظور والشبهة جميعاً، ووراءه إسم الصديق والمقرّب، وتجري الرتبة الآخرة مما قبلها مجرى الأخص من الأعم، فإذا ذكرت الأخص فقد ذكرت الكل، كما أنك تقول: الإنسان إما عربي وإما عجمي، والعربي إما

العفة، فإنها عبارة عن الإمتناع عن مقتضى الشهوات خاصة، فإذا الخوف يؤثر الجوارح بالكف والإقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة، وأعلى منه الورع فإنه أعم لأنه كف عن كل محظور، وأعلى منه التقوى فإنه اسم للكف عن المحظور والشبهة جيعاً ووراءه اسم الصديق والمقرب، وتجري الرتبة الآخرة مما قبلها مجرى الأخص من الأعم، فإذا ذكرت الأخص فقد ذكرت الكل).

وقال صاحب القوت: الخوف إسم جامع لمقامات المتقين، ثم يشتمل على أهل طبقات خمس في كل طبقة ثلاث مقامات. فالمقام الأول: من الخوف وهو التقوى، وفي هذا المقام المتقون والصالحون والعاملون، والمقام الثاني: هو الحذر وفي هذا المقام الزاهدون والورعون والخاشعون. والمقام الثالث: هو الخشية وفي هذا طبقات العالمين والعابدين والمحسنين. والمقام الرابع: الوجل وهذا للذاكرين والمخبتين والعارفين. والمقام الخامس: وهو الإشفاق وهو للصديقين والشاهدين والمحبين وخصوص المقربين، وخوف هؤلاء عن معرفة الصفات لأجل الموصوف لا عن مشاهدة الإكتساب لاجل العقوبات. وقال في موضع آخر: إن الخائف بوصف ما غلب عليه من الحال عما قوي عليه من الشهادة، ويندرج الرجاء في مقامه فيكون الرجاء له مشهوداً والخوف منه وجداً، ويوصف الراجي بما قوي عليه من الحال عن غلبة شهادته، وينطوي الخوف في مقامه فيصير الخوف له علماً والرجاء له وجداً، ولكنه للمخوف تعالى فيتناهى الخوف ولا نهاية للمرجوّ فينقضي منه الرجاء، فأما الشهيد الموقن العالم المقرب فبالحالين جميعاً يوصف مع اعتدالها، وبالوصفين جميعاً يعرف مع استوائهما، ثم يغلب عليه الوصف التام والحال الكامل من القيام بشهادة التوحيد والتحقيق بحق المعرفة لموجب المزيد، فإذا عرف به اندرج الوصفان فيه فيقال: صديق لأنه تحقق بالصدق في جميع معانيه، فأغني من أن يقال مخلص، ثم يقال: عارف لأنه قد رسخ في العلم رسوخ الجبل فكفى أن يقال صادق، ثم يقال: مقرب لأنه أشهد القرب فاقترب فلم يحتج أن يقال عالم، وهذه أسماء الكمال وصفات التمام لا يفتقر إلى ذكر حال ولا يوصف بصفة مقال كما يقال في غيره من ذكر الأحوال خائف أو راج لوجودهما فيه بالكف واعتدالهما عنده بالسواء، لأن الخوف والرجاء قد فاضا عليه ثم عاصا فيه، فإذا قلت عارف أو مقرب أو صديق فقد دخل فيه حال محب ووصف خائف ومقام راجٍ ونعت عالم وسمة عامل لا محالة.

(كما أنك تقول) في تعالي الأنساب واندراجها في عوالي الأحساب: **(الإنسان إما عربي**

قرشي أو غيره، والقرشي إما هاشمي أو غيره، والهاشمي إما علوي أو غيره، والعلوي إما حسني أو حسيني، فإذا ذكرت أنه حسني مثلاً فقد وصفته بالجميع، وإن وصفته بأنه علوي وصفته بما هو فوقه مما هو أعم منه، فكذلك إذا قلت صدّيق فقد قلت أنه تقي وورع وعفيف، فلا ينبغي أن تظنّ أن كثرة هذه الأسامي تدل على معاني كثيرة متباينة، فيختلط عليك كما اختلط على من طلب المعاني من الألفاظ ولم يتبع الألفاظ المعاني، فهذه إشارة إلى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمعرفة الموجبة له ومن جانب السفل كالأعمال الصادرة منه كفاً وإقداماً.

وإما عجمي والعربي إما قرشي أو غيره، والقرشي إما هاشمي أو غيره والهاشمي: إما علوي أو غيره، والعلوي: إما حسني أو حسيني، فإذا ذكرت أنه حسني مثلاً فقد وصفته بالجميع، وإن وصفته بأنه علوي وصفته بما هو فوقه مما هو أعم منه). ولفظ القوت: فإن قلت: فلان هاشمي استغنيت أن تقول عربي أو قرشي، لأن كل هاشمي عربي قرشي لا محالة، ثم تصفه بعد ذلك بوصف التمام والكمال أيضاً، كما ذكرناه في قولنا عارف، فتندرج الأنساب فيه فنقول: فلان حسني فاكتفيت أن تقول قرشي أو هاشمي أو علوي، وإن كان قرشياً هاشمياً علوياً لا يشك أنه قد عرف أن كل حسني فهو قرشي هاشمي علوي لا محالة، فأما أن تقول: فلان عر أو قرشي أو هاشمي فهو مقصور على ما وسمته به، لأنه قد يكون علوياً وهو الغاية في الحسب، ثم لا يكون حسنياً فتنقص رتبة منزلته، ويكون قرشياً غير هاشمي فينحط درجة، وقد يكون عربياً غير قرشي فينزل مرتبة فيلزمه وصف ما عرفته حسب، فإذا قلت: حسني لأدخلت الأحساب كلها فيه وغنيت أن تصفه بما دونها.

(فكذلك إذا قلت: صديق فقد قلت أنه تقي وورع وعفيف) ولفظ القوت: كذلك قولنا عارف أو موقن أو مقرب أو صديق هو اسم التمام والكمال في السمات التي عرفت بها كل المقامات تدخل الأحوال والمقامات في هذه السمات، فاكتفيت أن تقول: هو مؤمن أو صالح أو عابد أو زاهد أو خائف أو راج، كما رتبنا في الأحساب من قولنا فلان حسني دخل فيه كل حسب رفيع، وكفينا أن نقول عربي أو قرشي أو هاشمي أو علوي أن جميع ذلك داخل فيه لأن العارف لا يرسم بحال دون حال إذ قد غاصت فيه الأحوال، ولا يرسم بمقام دون مقام إذ قد استوعب كل مقام بحقيقة معناه عارف بالمعروف الذي هو بكل نهاية وفضل موصوف وغموض غربته عند ابناء جنسه أن ينكروه، فإن تعرف ا ليهم به أو عرفوه بهم فليس بعارف.

(فلا ينبغي أن تظن أن كثرة هذه الأسامي تدل على معان كثيرة متباينة ليختلط عليك كما اختلط على من طلب المعاني من الألفاظ ولم يتبع الألفاظ بالمعاني فهذه إشارة إلى مجامع معاني الخوف وما يكتنفه من جانبه كالمعرفة الموجبة له، ومن جانب السفل كالأعمال الصادرة منه كفاً وإقداماً) ودخل فيه ما يتعلق بثمرته وعلمه الذي هو الورع، والله الموفق.

بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف:

اعلم أن الخوف محمود، وربما يظن أن كل ما هو خوف محمود، فكل ما كان أقوى وأكثر كان أحمد! وهو غلط، بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بها رتبة القرب من الله تعالى، والأصلح للبهيمة أن لا يخلو عن سوط وكذا الصبي، ولكن ذلك لا يدل على أن المبالغة في الضرب محمودة، وكذلك الخوف له قصور وله إفراط وله اعتدال. والمحمود هو الإعتدال والوسط.

فأما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وتفيض الدموع، وكذلك عند مشاهدة سبب هائل، فإذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الغفلة، فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالقضيب الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يؤلمها ألماً مبرحاً فلا يسوقها إلى المقصد ولا يصلح لرياضتها، وهكذا خوف الناس كلهم إلا العارفين والعلماء،

بيان درجات الخوف واختلافـه **في القوة والضعف:**

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن الخوف محمود**) ومطلوب وفرض عين، (**وربما يظن أن كل ما هو محمود، فكلما كان أقوى وأكثر كان أحمد وهو غلط، بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بها رتبة القرب من الله تعالى**) قال القشيري: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمد بن علي الحيري يقول: سمعت محفوظاً يقول: سمعت أبا حفص يقول: الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه. (**والأصلح للبهيمة أن لا تخلو عن سوط، وكذا الصبي**) العرم، (**ولكن ذلك لا يدل على أن المبـالغـة في الضرب محمود**) كما هو ظاهر، (**وكذلك الخوف له قصور**) وهو مرتبة التفريط (**وله إفراط**) وهو مرتبة التجاوز، (**وله اعتدال**) وهو مرتبة الوسط، (**والمحمود**) من ذلك (**هو الإعتدال والوسط**) فخير الأمور أوساطها.

(**فأما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء تخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فتورث البكاء وتفيض الدموع، وكذلك عند مشاهدة سبب هائل**) عظيم مخوف، (**فإذا غاب ذلك السبب عن الحس**) والمشاهدة (**رجع القلب إلى الغفلة، فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع، وهو كالقضيب الضعيـف الذي تضرب به دابة قويه لا يؤلمها ألماً مبرحاً فلا يسوقهاإلى المقصد ولا يصلح لرياضتها، وهكذا خوف الناس كلهم إلا العارفون والعلماء**) ولذا قال سهل: الناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا

ولست أعني بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين بأسمائهم فإنهم أبعد الناس عن الخوف، بل أعني العلماء بالله وبأيامه وأفعاله، وذلك مما قد عز وجوده الآن؛ ولذلك قال الفضيل بن عياض: إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فإنك إن قلت: «لا» كفرت، وإن قلت: «نعم» كذبت، وأشار به إلى أن الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفاً.

وأما المفرط فإنه الذي يقوى ويجاوز حدّ الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط، وهو مذموم أيضاً لأنه يمنع من العمل، وقد يخرج الخوف أيضاً إلى المرض والضعف وإلى الوله والدهشة وزوال العقل، فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل، ولولاه لما كان الخوف كمالاً لأنه بالحقيقة نقصان لأن منشأه الجهل والعجز.

وأما الجهل فإنه ليس يدري عاقبة أمره ولو عرف لم يكن خائفاً لأن المخوف هو الذي يتردد فيه.

وأما العجز فهو أنه متعرض لمحذور لا يقدر على دفعه؛ فإذاً هو محمود بالإضافة إلى نقص الآدمي، وإنما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة، وكل ما يجوز أن يوصف

المخلصون والمخلصون على خطر. (**ولست أعني بالعلماء المترسمين برسوم العلماء والمتسمين باسمائهم، فإنهم أبعد الناس عن الخوف بل أعني به العلماء بالله**) وبآلائه (**وبآياته وأفعاله، وذلك مما قد عز وجوده الآن، ولذلك قال الفضيل بن عياض**) رحمه الله تعالى، (**إذ قيل لك هل تخاف فاسكت فإنك إن قلت لا كفرت، وإن قلت نعم كذبت**) إذ ليس وصفك وصف من يخاف الله نقله صاحب القوت (**وأشار به إلى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويقيدها بالطاعات، وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة خاطر لا يستحق أن يسمى خوفاً.**

وأما المفرط: فهو الذي يقوى ويجاوز جد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضاً لأنه لا يمنع من العمل) وربما أورثه الكفر، (**فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط وهو الحمل على العمل، ولولاه لما كان الخوف كمالاً لأنه بالحقيقة نقصان، لأن منشأه الجهل والعجز.**

أما الجهل: فإنه ليس يدري عاقبة أمره ولو عرف لم يكن خائفاً لأن المخوف هو الذي يتردد فيه.

وأما العجز: فهو أنه متعرض لمحذور ولا يقدر على دفعه، فإذاً هو محمود بالإضافة إلى نقص الآدمي، وإنما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة، وكل ما يجوز أن يوصف الله

الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله به فليس بكمال في ذاته، وإنما يصير محموداً بالإضافة إلى نقص هو أعظم منه، كما يكون احتمال ألم الدواء محموداً لأنه أهون من ألم المرض والموت، فما يخرج إلى القنوط فهو مذموم، وقد يخرج الخوف أيضاً إلى المرض والضعف وإلى الوله والدهشة وزوال العقل، وقد يخرج إلى الموت، وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضواً من أعضائها، وإنما ذكر رسول الله ﷺ أسباب الرجاء وأكثر منها ليعالج به صدمة الخوف المفرط المفضي إلى القنوط أو أحد هذه الأمور، فكل ما يراد لأمر فالمحمود منه ما يفضي إلى المراد المقصود منه، وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم، وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الأسباب الموصلة إلى الله تعالى، وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل، فكل ما يقدح في هذه الأسباب فهو مذموم.

فإن قلت: من خاف فمات من خوفه فهو شهيد، فكيف يكون حاله مذموماً! فاعلم

تعالى به، و) أما (ما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس كمالاً في ذاته، وإنما يصير محموداً بالإضافة إلى نقص أعظم منه كما يكون احتمال ألم الدواء محموداً لأنه أهون من ألم المرض والموت، فما يخرج إلى القنوط فهو مذموم) لما تقدم أنه يمنع العمل، (وقد يخرج الخوف أيضاً إلى المرض والضعف) الشديدين (و) إلى (ألم الوله) والحيرة (والدهشة وزوال العقل، وقد يخرج إلى الموت إذا أثر في المرارة، وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة أو يمرضها أو يكسر عضواً من أعضائها، وإنما ذكر رسول الله ﷺ أسباب الرجاء) فيما تقدم من الأخبار، (وأكثر منها ليعالج بها صدمة الخوف المفرط المفضي إلى القنوط أو أحد هذه الأمور) المذكورة، (فكل ما يراد لأمر فالمحمود منه ما يفضي إلى المراد المقصود منه وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم)، إلا أن ما يفضي منه إلى اليأس والقنوط فهو حرام وإن لم يوجب ذلك، ولكن أدى إلى فساد العقل وضعف البدن فإنه مكروه لخروجه عن الإعتدال المحبوب. (وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والفكر والذكر وسائر الأسباب الموصلة إلى الله تعالى، وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل، فكل ما يقدح في هذه الأسباب فهو مذموم) والقدر الواجب ما يحث على فعل الواجبات وترك المحظورات، ويستحب استيلاؤه على القلب حتى ينفي بذلك كل سبب يشغل عن الله.

(فإن قلت: فمن خاف فمات من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموماً) وقد ذكرت أن الخوف إذا تجاوز عن حد الإعتدال حتى أدى إلى الموت فهو مذموم؟ (فاعلم أن

أن معنى كونه شهيداً أنّ له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف، فهو بالإضافة إليه فضيلة، فأما بالإضافة إلى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبله فليس بفضيلة، بل للسالك إلى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء، ولولا هذا لكانت رتبة صبي يقتل أو مجنون يفترسه سبع أعلى من رتبة نبي أو ولي يموت حتف أنفه، وهو محال، فلا ينبغي أن يظن هذا، بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى؛ فكل ما أبطل العمر أو العقل أو الصحة التي يتعطل العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالإضافة إلى أمور، وإن كان بعض أقسامها فضيلة بالإضافة إلى أمور أخر! كما كانت الشهادة فضيلة بالإضافة إلى ما دونها لا بالإضافة إلى درجة المتقين والصديقين، فإذن الخوف إن لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه، مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة، وإن أثر فله درجات بحسب ظهور أثره، فإن لم يحمل إلا على العفة وهي الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة، فإذا أثمر الورع فهو أعلى، وأقصى

معنى كونه شهيداً أن له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف، فهو بالإضافة إليه فضيلة. فأما بالإضافة إلى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة) لما ورد: « طوبى لمن طال عمره وحسن عمله » **(بل للسالك إلى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء)**، ولذا ورد: « يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء » وقال صاحب القوت: إذا جاوز الخوف الحد خرج به إلى أن يسري إلى النفس فيحرقها فيكون له شهادة، وليس هذا بأرفع مقامات الخائفين في باب العلوم والمشاهدات عن مكاشفة تجلي الصفات، إلا أنه قد قال بعضهم: ما شهداء بدر بأعظم أجراً ممن مات وجداً. وهذه صفات المريدين إذ للعلماء الموقنين بكل شهادة من اليقين أجر شهيد وبكل معاينة قدرة من مقتدر ليلة قدر، ومن كل قصد محجة بتعظيم عظيم حجة، وبكل عمارة قلب بحال محبة عمرة. **(لولا هذا لكانت رتبة صبي يقتل أو مجنون يفترسه سبع أعلى من رتبة نبي أو ولي يموت حتف أنفه وهو محال، فلا ينبغي أن يظن هذا بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله)** كما ورد معناه في الخبر، **(فكل ما أبطل العمر أو العقل أو الصحة التي يتعطل العمر بتعطيلها فهو خسران ونقصان بالإضافة إلى أمور، وإن كان بعض أقسامها فضيلة بالإضافة إلى أمور أخرى كما كانت الشهادة فضيلة بالإضافة إلى ما دونها لا بالإضافة إلى درجة النبيين والصديقين، فإن الخوف إذا لم يؤثر في العمل فإن وجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وإن أثر فله درجات بحسب ظهور أثره، وإن لم يحمل إلا على العفة وهو الكف عن مقتضى**

درجاته أن يثمر درجات الصديقين، وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع؛ فهذا أقصى ما يحمد منه، وذلك مع بقاء الصحة والعقل؛ فإن جاوز هذا إلى إزالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه إن قدر عليه؛ ولو كان محموداً لما وجب علاجه بأسباب الرجاء وبغيره حتى يزول، ولذلك كان سهل

الشهوات فله درجة **فإن أثمر الورع فهو أعلى)** لعلو مرتبة الورع على العفة، **(وأقصى درجاته)** أي الخوف **(أن يثمر درجات الصديقين، وهو أن)** يستولي على القلب حتى **(يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لغير الله فيه متسع، فهذا أقصى ما يحمد منه)** لأن الغاية المقصودة أن يموت العبد محباً لله تعالى، ولا تحصل المحبة إلا بالذكر والفكر، ولا يحصلان إلا بفراغ القلب عن شواغل الدنيا وعلائقها ولا يكف عنها إلا الخوف، فإذا عرفت منزلته من الدين فلا تتعداها، **(وذلك مع بقاء الصحة والعقل)**.

وجملة القول في تفصيل هذه المخاوف أن للخوف سبع مفائض يفيض إليه من القلب، فإلى أي مفيض فاض من القلب إليه أتلف صاحبه به إلا ما يستثني، فقد يفيض الخوف من القلب إلى المرارة فيخرقها وهؤلاء هم الذين يموتون من الغشي وهم ضعفاء العمال، وقد يطير الخوف من القلب إلى الدماغ فيخرق العقل فيتيه العبد فيذهب الحال ويسقط المقام وقد يحل الخوف الرئة فيثقبها فيذهب الأكل والشرب حتى يسل الجسم وينشف الدم وهذا لأهل الجوع والطيّ والإصفرار، وقد يسكن الخوف الكبد فيورث الكمد ويحدث الفكر الطويل والسهر وهذا من أفضلها، وفي هذا الخوف العلم والمشاهدة وهو من خوف العالمين، وقد يقدح الخوف في الفرائص وهي لحمة الكتف ومنه يكون الاضطراب والارتعاش واختلاف الحركة، وقد يبدد الخوف من القلب مغشى العقل فيمحى سلطانه كقهر سلطان القدرة محو الشمس إذا برزت ضوء القمر البادي الذي يبدو على السر من خزائن الملكوت فيضعف لحمة العقل ويضطرب الجسم لضعفه فلا يتمكن العبد من القرار لضعف صفته. وهؤلاء أشبه بالفضل وأدخل في العلم، وقد سلك في هذه الطريق أفاضل أهل القلوب وهم من التابعين كثير منهم: الربيع بن خيثم، وأويس القرني، وزرارة بن أوفى ونظراؤهم، ولم ينكر هذا عليهم الصحابة ممن عرفه مثل: عمر، وابن مسعود، وحذيفة رضي الله عنهم، وقد كان عمر يغشى عليه حتى يقع ويضطرب كالبعير، وكان سعيد بن جريج من خيار الصحابة ومن أمراء الأجناد وكان يغشى عليه. وقد يفيض الخوف من القلب إلى النفس فيحرق الشهوات ويطفىء شعل الهوى وهذا أحمد المخاوف وأعلاها، وهؤلاء أفضل الخائفين وأرفعهم مقاماً وهو خوف النبيين والصديقين وخصوص الشهداء، وليس فوق هذا وصف يغبط عليه خائف ولا يفرح به عارف.

(فإن جاوز هذا) عن حدّ الاعتدال **(إلى إزالة العقل والصحة فهو مرض يجب علاجه إن قدر عليه، ولو كان محموداً لما وجب علاجه بأسباب الرجاء وبغيره حتى يزول)** أي إن

رحمه الله يقول للمريدين الملازمين للجوع أياماً كثيرة ؛ احفظوا عقولكم فإنه لم يكن لله تعالى ولي ناقص العقل.

جاوز الخوف هذه الأوصاف فقد خرج عن حدّه وجاوز قدره، فحينئذ يجب معالجته بما يزيله، ثم إن لم يعصم العبد من مجاوزة حد الخوف خرج به إلى أحد ثلاثة معان.

خيرها أن يسري إلى النفس فيحرقها فيتلف العبد.

وأوسطها: أن يعلـــو إلى الدماغ فتنحل عقدة العقل لذوبه فتضطرب الطبائع لانحلال عقدة العقل، ثم تختلط المزاجات فيكون منه الوسواس والهذيان والوله والتره وهذا مكروه عند العلماء وعاقبته غير محمودة، وقد أصاب ذلك بعض المحبين في مقام المحبة فانطبق عليهم فولهوا بوجده، ومنهم من فزع ذلك من قلبه فسرى عنهم فنطقوا بعلم وصفه، **(ولذلك كان)** أبو محمد **(سهل)** التستري رحمه الله تعالى **(يقول للمريدين الملازمين للجوع أياماً كثيرة)** من أهل عبادان: **(احفظوا عقولكم)** باستعمال الدسم ، **(فإنه لم يكن ولي لله ناقص العقل)** نقله صاحب القوت. وقد ذكر في كتاب رياضة النفس، ويؤيده ما اشتهر على لسان العامة ما اتخذ الله ولياً جاهلاً ولو اتخذه لعلمه.

قال صاحب القوت: وحدثني بعض إخواني قال: كنا حول أبي الحسن بن سالم، فدخل شاب عريان فوقف على الحلقة يهذي فزجرناه نطرده، فقال لنا الشيخ: دعوه حتى يقضي ما في نفسه. قال: وكان يتكلم بوساوس من معاني التوحيد وبهذيان مختلط من علوم المعارف إلى أن فتر وسكن ثم انصرف، فقال لنا أبو الحسن: لا بارك الله في العلماء السوء، ثم قال: لم يكن في أصحابنا أحسن عقلاً ولا أكثر تعبداً ولا اجتهاداً من هذا الشاب، وكنت انهاه عن العسف بنفسه والحمل عليها وآمره بأكل الدسم والحلواء فكان مستقيم الأمر، ففارقنا وذهب إلى أهل عبادان فقالوا له: إن ابن سالم قد ركن إلى الدنيا وترك العبادة والاجتهاد وأمروه بالجوع الدائم والطيّ وترك الدسم والحلاوة حتى أحرق دماغه وزال عقله فذهب الحال وبطلت العبادة.

والمعنى الثالث: من مذموم الخوف وهو شرها في المجاورة أن يعظـم ويقـوى فيـذهـب الرجـاء إذ لم يواجه بعلم الاخلاق من الجود والكرم والإفضال وقديم الاحسان وخفي الامتنان، فهذه المعاني بها تعديل المقام من فرط الاهتمام وترويح الحال من كروب الاثقال، فلا يساعده القدر بذلك فيخرجه وجده إلى القنوط من رحمة الله ويعطف به همه على الإياس من روح الله وتوقعه شهادته على الهرب من قرب الله دخلت عليهم المشاهدة من قبل المواجهة بالانصاف والعدل بمعيار العقل واتلاف الحد، فجاوزت بهم العلم باخلاقه المرجوّة من الكرم وخفي الألطاف، فبعدت بهم الحدود من قبل قوّة نظرهم إلى الاكتساب والحكم على الحاكم الراحم بعقولهم وعلومهم من غير تفويض منهم إلى مشيئة ولا استسلام، فحجبوا بذلك على صحة ما ذكرناه: إن أكثر هذه كانت في البصريين والعسكريين وأهل عبادان، وكان مذهبهم القدر فوقعوا في غاية الخطر، والله الموفق.

بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه:

اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه، والمكروه إما أن يكون مكروهاً في ذاته كالنار، وإما أن يكون مكروهاً لأنه يفضي إلى المكروه، كما تكره المعاصي لإدائها إلى مكروه في الآخرة، وكما يكره المريض الفواكه المضرة لأدائها إلى الموت، فلا بدّ لكل خائف من أن يتمثل في نفسه مكروهاً من أحد القسمين ويقوي انتظاره في قلبه حتى يحرق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه، ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة، فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروهاً لذاته، بل لغيره: كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة، أو خوف نقض التوبة ونكث العهد، أو خوف ضعف القوّة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى، أو خوف زوال رقة القلب وتبدّلها بالقساوة، أو خوف الميل عن الإستقامة، أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة، أو خوف أن يكله الله تعالى إلى حسناته التي اتكل عليها وتعزز بها في عباد

بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منها:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن الخوف المتحقق لا يكون**) وفي نسخة: إن الخوف لا يتحقق (**إلا بانتظار مكروه**) في الاستقبال، (**و**) ذلك (**المكروه**) لا يخلو (**إما أن يكون مكروهاً في ذاته كالنار**) مثلاً، (**واما أن يكون مكروهاً**)لا لذاته بل (**لأنه يفضي إلى المكروه**) فتكون كراهته عارضة (**كما تكره المعاصي**) لا لذاتها ولكن (**لادائها إلى مكروه في الآخرة**) وهو العتاب والعذاب، (**و**) هذا (**كما يكره المريض الفواكه المضرة لادائها إلى الموت فلا بدّ لكل خائف من أن يتمثل في نفسه مكروه من أحد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعار ذلك المكروه، ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة، فالذين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروهاً لذاته بل لغيره كالذين يغلب عليهم خوف الموت قبل التوبة، أو خوف نقض التوبة**) بعد العصمة، (**أو**) خوف (**نكث العهد**) بالخيانة، (**أو خوف ضعف القوّة عن الوفاء بتمام حقوق الله تعالى**)، أو خوف وهن العزم بعد القوة أو خوف قلة الوفاء بترك المعاملة بالصفا، (**أو خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالقساوة**)، أو خوف حدوث الفترة بعد الشره عن المعاملة، أو خوف ظهور الصفة بعد استتار الشهوة والآفة، (**أو خوف الميل عن الاستقامة، أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة**)، أو خوف الجنايات والاكساب، أو خوف الوعد وسوء العقاب، أو خوف التقصيرعن الأمر بتسبيب الاسباب، أو خوف مجاوزة الحد، أو خوف سلب المزيد، أو خوف حجاب اليقظة عن القلب بالغفلة، أو خوف قطع الفتنة من العقل بالوسوسة، (**أو خوف أن يكله الله إلى حسناته التى اتكل عليها وتعزز بها في عباد الله، أو**

الله، أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه، أو خوف الإشتغال عن الله بغير الله أو خوف الإستدراج بتواتر النعم. أو خوف انكشاف غوائل طاعاته حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب، أو خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة والغش وإضمار السوء، أو خوف ما لا يدري أنه يحدث في بقية عمره، أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والإفتضاح قبل الموت، أو خوف الإغترار بزخارف الدنيا، أو خوف اطلاع الله على سريرته في حال غفلته عنه. أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء، أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل. فهذه كلها مخاوف العارفين، ولكل واحد خصوص فائدة. وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي إلى المخوف، فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة، والذي يخاف من اطلاع الله تعالى على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس، وهكذا إلى بقية الأقسام.

وأغلب هذه المخاوف على اليقين خوف الخاتمة، فإن الأمر فيه مخطر، وأعلى الأقسام وأدلها على كمال المعرفة خوف السابقة؛ لأن الخاتمة تتبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد

خوف البطر بكثرة نعم الله عليه، أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله، أو خوف الاستدراج بتواتر النعم، أو خوف انكشاف غوائل طاعته حيث يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب، أو خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والخيانة واضمار السوء)، أو خوف الوقوع في الفتنة بتسبيب الخدعة بالمحنة انا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر، أو خوف البلوى بعرد جري العادة، أو خوف الرجوع عن قصد الإرادة، أو خوف استذلال المهانة بعد الكرامة، أو خوف الحور بعد الكور وهو الرجوع عن المحجة بعد ايقاع الحكم عليه إلى طريق الهدى، (**أو خوف ما لا يدري أنه يحدث في بقيه عمره، أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا أو الافتضاح قبل الموت، أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا، أو خوف إطلاع الله على سريرته في حال غفلته عنه، أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السوء)** أو اطلاع الله عليهم عندما سلف من ذنوبهم ونظره إليهم على قبيح أعمالهم فيعرض عنهم ويمقتهم، (**أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل. فهذه كلها مخاوف العارفين)** وطرقات الطالبين وبعضها أعلى من بعض وفيها ما هو أشد من بعض، (**ولكل واحدة خصوص فائدة. وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضي إلى المخوف، فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام من العادة، والذي يخاف من إطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس)** والخطرات (**وهكذا إلى بقية الأقسام)** المذكورة.

(**وأغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فإن الأمر فيه مخطر)** أي صعب ذو خطر (**وأعلى الأقسام وأدلها على كمال المعرفة خوف السابقة، لأن الخاتمة تبع السابقة وفرع**

تخلل أسباب كثيرة، فالخاتمة تظهر ما سبق به القضاء في أم الكتاب، والخائف من الخاتمة بالإضافة إلى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون فيه حز الرقبة ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة إليه ولم يصل التوقيع إليهما بعد، فيرتبط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره وأنه عماذا يظهر، ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيته وأنه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا التفات إلى السبب فهو أعلى من الإلتفات إلى ما هو فرع، فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزلي الذي جرى بتوقيعه القلم أعلى من الإلتفات إلى ما يظهر في الأبد؛ وإليه أشار النبي ﷺ حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال: «هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص» ثم قبض كفه اليسرى وقال: «هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص،

يتفرع عنها بعد تخلل أسباب كثيرة، فالخاتمة تظهر ما سبق به من القضاء في أم الكتاب) قال صاحب القوت: وقد نوع بعض العارفين خوف المؤمنين على مقامين. فقال: قلوب الابرار معلقة بالخاتمة. يقولون: ليت شعري ماذا يختم لنا به؟ وقلوب المقربين معلقة بالسابقة يقولون: ترى ماذا سبق الينا منه؟ وهذان المقامان عن مشاهدتين. إحداهما أعلى وأنفذ من الأخرى لحالين. أحدهما: أتم وأكمل، وهذا كما قيل: ذنوب المقربين حسنات الأبرار أي ما يرغب فيه الأبرار فهو عندهم باب قد زهد فيه المقربون فهو عندهم حجاب، ومن حقت عليه كلمة العذاب وسبق له من مدده الختم بسوء الاكتساب لم ينفعه شيء فهو في بطالة لا أجر له ولا عاقبة من قبل أن سوء الخاتمة قد يكون في وسط العمر فلا ينتظر بها آخره إذ هما في سبق العلم سواء، فالخاتمة حينئذ فاتحة والوقتان واحد فينظر إليه نظرة بعد فهو يزداد باعماله بُعداً، فإذا انقطعت الآجال وتناهت الأعمال تناهى في الأبعاد فحل في دار البعد.

(والخائف من الخاتمة بالإضافة إلى الخائف من السابقة، كرجلين وقع الملك في حقهما بتوقيع يحتمل أن يكون فيه جز الرقبة) أي هلاكه، **(ويحتمل أن يكون فيه تسليم الوزارة إليها ولم يصل التوقيع إليهما بعد، فيرتبط قلب أحدهما بحالة وصول التوقيع ونشره، وأنه عما ذا يظهر ويرتبط قلب الآخر بحالة توقيع الملك وكيفيته، وأنه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة أو غضب، وهذا التفات إلى السبب وهو أعلى من الالتفات إلى ما هو فرع، فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزلي الذي جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات إلى ما هو يظهر في الأبد)** بعدما كان في حيز العدم، **(وإليه أشار النبي ﷺ حيث كان)** ذات يوم **(على المنبر فقبض كفه اليمنى** ثم قال: **«هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة باسمائهم واسماء آبائهم وانسابهم لا يزاد فيهم ولا ينقص» ثم قبض كفه اليسرى وقال: «هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار باسمائهم واسماء آبائهم وأنسابهم لا يزاد فيه ولا ينقص، وليعملن أهل**

وليعملن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال: كأنهم منهم بل هم هم، ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة، وليعملن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال: كأنهم منهم بل هم هم، ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة، السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والأعمال بالخواتيم»! وهذا كانقسام الخائفين

السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة)، وهذا يكون عند بلوغ الروح التراقي وتكون النفس قد خرجت من جميع الجسد واجتمعت في القلب إلى الحلقوم، وهذا هو شبر كما في الرواية الأخرى، وفواق الناقة: هو ما بين الحلبتين، وقيل: هو شوط من عدوها بين سيرين **(وليعملن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة)**، وهذا من تقليبات القلوب عن حقيقة وجهة التوحيد إلى وجهة الضلال والشرك عندما يبدو من زوال عقل الدنيا وذهاب علم المعقول فيبدو له من الله ما لم يكن يحتسب. **(السعيد من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والأعمال بالخواتيم») قال العراقي**: رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال: حسن صحيح غريب اهـ.

قلت: وروى الطبراني والبزار من حديث ابن عمر «وإن العبد يلبث مؤمناً أحقاباً ثم أحقاباً ثم يموت والله عز وجل عليه ساخط، وإن العبد يلبث كافراً احقاباً ثم احقاباً ثم يموت والله عز وجل عنه راض».

وروى الخطيب من حديث عائشة «إن العبد ليعمل الزمن الطويل من عمره أوكله بعمل أهل الجنة وأنه لمكتوب عند الله من أهل النار، وأن العبد ليعمل الزمن الطويل من عمره أو أكثره بعمل أهل النار وأنه لمكتوب عند الله من أهل الجنة».

وروى الطبراني من حديث بن مسعود «إن العبد يولد مؤمناً ويعيش مؤمناً ويموت كافراً، وإن العبد يولد كافراً ويعيش كافراً ويموت مؤمناً، وإن العبد ليعمل برهة من دهره بالسعادة ثم يدركه ما كتب له فيموت شقياً، وإن العبد ليعمل برهة من دهره بالشقاء ثم يدركه ما كتب له فيموت سعيداً».

وقال صاحب القوت بعد أن ذكر خوف أهل الخصوص: وقد جاء معنى ما ذكرناه في حديثين: أحدهما عام والآخر خاص، وكل من لم يستعمل قلبه في بدايته ويجعل الخوف حشو إرادته لم ينجب في خاتمته ولم يكن إماماً للمتقين عند علو معرفته، وأعلى الخوف أن يكون قلبه معلقاً بخوف الخاتم ولا يسكن إلى علم ولا عمل ولا يقطع على النجاة بشيء من العلوم وإن علت ولا لسبب من الأعمال وان جلبت لعلمه بتحقيق الخواتم، فقد قيل: إنما يوزن من الأعمال خواتيمها. وعن النبي ﷺ: «إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى يقال أنه من أهل الجنة» وفي خبر آخر «حتى ما يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر» وفي لفظ آخر «إلا فواق ناقة ثم يسبق عليه

إلى من يخاف معصيته وجنايته، وإلى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله وأوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة، فهذا أعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه وإن كان في طاعة الصدّيقين، وأما الآخر فهو في عرصة الغرور والأمن، إن واظب على الطاعات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين والصدّيقين، وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى، وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جناية؛ بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته، ولولا أنه مخوّف في نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيلها ومهد له أسبابها، فإن تيسير

الكتاب فيختم له بعمل أهل النار » قال: ولا يتأتى في هذا المقدار من الوقت شيء من عمل الجسم بالجوارح إنما هو من أعمال القلوب بمشاهدة العقول، وهو شرك التوحيد الذي لم يكن في الحياة الدنيا مشاهداً له ظهر له بيان ذلك عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفه وبدت فيه حاله كما تظهر له أعماله السيئة فيستحليها قلبه أو ينطق بها لسانه أو يخامرها وجده، فتكون هي خاتمته التي تخرج عليها روحه، وذلك هو سابقته التي سبقت له من الكتاب كما قال تعالى: ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ [الأعراف: ٣٧] يكون عند مفارقة الروح الجسد ﴿إنّا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ [هود: ١٠٩] اهـ.

وروى البزار من حديث أبي هريرة « السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه » وسنده صحيح. وروى مسلم وابن ماجه وابن عساكر من حديث معاوية « إنما الأعمال بخواتيمها » الحديث وقد تقدم ومن هنا خوف العارفين حيث أنهم لم يعرفوا أنهم من أي القبضتين المذكورتين، ومن أي الفريقين المذكورين في قوله تعالى: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ [الشورى: ٧] وفي قوله تعالى: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ [هود: ١٠٥] وقوله تعالى: ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ [التغابن: ٢] وقوله: ﴿إما شاكراً واما كفوراً﴾ [الانسان: ٣].

(وهذا كانقسام الخائفين إلى من يخاف معصيته وجنايته، وإلى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله) وعظمته **(وأوصافه التي تقتضي الهيبة لا محالة، فهذا أعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه)** ويدوم ويستمر، **(وإن كان في طاعة الصديقين، وأما الآخر)** وهو الذي يخاف معصيته وجنايته **(فهو في عرصة الغرور والأمن إن واظب على الطاعات، فالخوف من المعصية)** والجناية **(خوف الصالحين)** المؤمنين، **(والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين، وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى، فكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جناية، بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته)**، ومن ذلك قول عمر في صهيب رضي الله عنه، نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه. **(ولولا أنه مخوف في نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيلها ومهد له أسبابها، فإن**

أسباب المعصية إبعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها أن يسخر للمعصية وتجري عليه أسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعات ومهد له سبيل القربات ، فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شاء أم أبى وكذا المطيع فالذي يرفع محمداً ﷺ إلى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع أبا جهل في أسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بأن يخاف منه لصفة جلاله ، فإنّ من أطاع الله أطاع بأن سلط عليه إرادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضرورياً ، والذي عصى عصى لأنه سلط عليه إرادة قوية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة ، فكان الفعل بعد الإرادة والقدرة ضرورياً ، فليت شعري ما الذي وجب إكرام هذا وتخصيصه بتسليط إرادة الطاعات عليه ، وما الذي أوجب إهانة الآخر وإبعاده بتسليط دواعي المعصية عليه ، وكيف يحال ذلك على العبد ؟ وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ، ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز

تيسير أسباب المعصية إبعاد) وطرد عن الحضرة **(ولم تسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها أن يسخر للمعصية وتجري عليه أسبابها ، ولا سبق قبل الطاعة له وسيلة توسل بها من يسرت له الطاعات ومهد له سبيل القربات ، فالعاصي قد قضي عليه بالمعصية شاء أم أبى وكذا المطيع)** قد قضي عليه بالطاعة شاء أم أبى ، **(فالذي يرفع محمداً ﷺ إلى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده)** بل هو محض عناية وفضل ، **(ويضع أبا جهل)** وأضرابه **(في أسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده ، جدير بأن يخاف منه لصفة جلاله ، فإن من أطاع الله أطاع بأن سلط عليه ارادة الطاعة)** وسهل له سبيلها **(وآتاه الله القدرة)** عليها **(وبعد خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضرورياً ، والذي عصى عصى لأنه سلط عليه إرادة قوية جازمة وآتاه الاسباب والقدرة ، وكان الفعل بعد القدرة والارادة ضرورياً ، فليت شعري ما الذي أوجب إكرام هذا وتخصصه بتسليط ارادة الطاعات عليه ، وما الذي أوجب إهانة الآخر وإبعاده بتسليط دواعي المعصية عليه ، وكيف يحال ذلك على العبد ؟ وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جناية ولا وسيلة ، فالخوف ممن يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد جزم عند كل عاقل)** وهذا هو الخوف الذي يراد لذاته إلى ان ينكشف عند الخاتمة بما سبق به القضاء الأزلي وهو خوف العارفين ، ويجب اعتقاد ذلك لأنه من عقود الإيمان بالله إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، لان أحكام الرب تعالى في العباد على ما اقتضته ارادته ومشيئته لا رعاية لإصلاح العباد ، وكلما زادت المعرفة بهذا زاد الخوف . **(ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه)** ، وقد جاء في

إفشاؤه ولا يمكن تفهم الخوف منه في صفاته جل جلاله إلا بمثال لولا أذن الشرع لم يستجرىء على ذكره ذو بصيرة، فقد جاء في الخبر: إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وإن كان لا يقف بك على سببه، فإنّ الوقوف على سببه وقوف على سر القدر، ولا يكشف ذلك إلا لأهله. والحاصل أن السبع يخاف لا لجناية سبقت إليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته؛ ولأنه يفعل ما يفعل ولا يبالي، فإن قتلك لم يرق قلبه ولم يتألم بقتلك، وإن خلاك لم يخلك شفقة عليك وإبقاء على روحك بل أنت عنده أخس من أن

الخبر «القدر سر الله فلا تفشوه» فهنا خطاب لمن كوشف به، وفي لفظ آخر «ستر الله» فهذا خطاب لمن لم يكاشف به، وهذا نهي عن السؤال عنه وهو داخل في قوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ [الإسراء: ٣٦] أي لا تتبع نفسك علم ما لم تكلف ولا تسأل عما لا يجعل من علمك ولم يوكل إليك فتصنع بما لا يعنيك كما كلفته وقوله تعالى في قصة نوح عليه السلام: ﴿لا تسألنا ما ليس لك به علم﴾ [هود: ٤٦] أي عما ليس من علمك الذي جعلته علماً لك هذا هو علمي وسري في خلقي وهو من معنى قوله: ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ [الأنبياء: ٢٣] أي ليس هو مما يصلح ان تتعلمه وتسأل عنه لأني لم أتعبدك به.

قال صاحب القوت: وليس يصلح أن يكشف سر المخاوف من الخاتمة والسابقة لأن ذلك يكون من حقائق معنى الصفات التي ظهرت عن حقيقة الذات فأظهرت بدائع الأفعال وغرائب المآل، وأعادت الأحكام على من أظهر بها وجعل لها ممن حقت عليه الكلمات وجعل نصيبه من معاني هذه السرائر من الصفات، فيؤدي ذلك منا إلى كشف باطن الأوصاف وهو من سر القدر وقد نهى عن إفشائه في غير خير.

(**ولا يمكن تفهم الخوف منه في صفاته إلا بمثال لولا أذن الشرع**) بضرب الامثلة (**لم يستجرىء على ذكره ذو بصيرة**) ولم يقدم عليه لصعوبة المقام، (**فقد جاء في الخبر: إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً، ولعل المصنف قصد بايراده أنه من الاسرائيليات، فإنه عبّر عنه بقوله جاء في الخبر، وكثيراً ما يعبر بذلك عن الإسرائيليات التي هي غير مرفوعة، (**فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وإن كان لا يقف بك على سببه، فإن الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك إلا لأهله**) ممن له علم باسراره المخفية ممن كوشف بها. (**والحاصل أن السبع يخاف لا لجناية من الإنسان سبقت إليه بل لصفته وبطشه وسطوته و**) ما ألبس وجهه من (**كبره وهيبته، ولأنه يفعل ما يفعل ولا يبالي، فإن قتلك لم يرق قلبه ولم يتألم لقتلك، وإن خلاّك**) أي تركك (**لم يخلك شفقة عليك وابقاء على روحك، بل أنت عنده أخس من**

يلتفت إليك حياً كنت أو ميتاً بل إهلاك ألف مثلك وإهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة، إذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته، ولله المثل الأعلى، ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة أنه صادق في قوله: « هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي » ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة.

أن يلتفت إليك حياً كنت أو ميتاً، بل إهلاك ألف مثلك وإهلاك نملة عنده على وتيرة واحدة) أي طريقة واحدة **(إذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته ﴿ولله المثل الاعلى﴾)** وكذلك مثل النبي ﷺ للرجل الذي أوصاه بالحياء مثل له بالرجل الصالح في قوله: استح من الله كما تستحي من الرجل الصالح، فإنما تستحـي من الرجل الصالح لوصفه لانه يقتضي الحياء، ويوجب على الناظر إليه الاستحياء، فالحياء أيضاً وإن كان ألطف فهو باب من الخوف لانه يمنع ويردع كما يرتدع من المخافة ويمتنع، **(ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة انه صادق في قوله)** تعالى، فيما رواه أحمد وابن سعد والحكيم والحاكم من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه بسند رجاله ثقات ان النبي ﷺ قال « إن الله تعالى خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره، فقال: **(هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي»)** قيل: يا رسول الله على ماذا نعمل؟ قال « على مواقع القدر » وفي حديث عمر بـن الخطاب: « إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره بشماله فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ قال: إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار » رواه مالك وأحمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والآجري في الشريعة وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات والضياء في المختارة، والمعنى لا أبالي من ملامة أحد إذ لا يجب على الله شيء لا من إثابة المطيع ولا من تعذيب العاصي، أو لا أبالي من طاعة مطيع ولا من معصية عاص، او لا أبالي لعدم تأثير الاثابة والتعذيب في زيادة ملكي ونقصانه، أو لا أبالي لأني متصرف في ملكي أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد بالعدل، أو لأني متفضل غير مائل عادل غير جائر.

(ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة) وبالله التوفيق.

الطبقة الثانية من الخائفين: أن يتمثل في أنفسهم ما هو المكروه، وذلك مثل سكرات الموت وشدته، أو سؤال منكر ونكير، أو عذاب القبر أو هول المطلع، أو هيبة الموقف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف الستر والسؤال عن النقير والقطمير، أو الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه، أو الخوف من النار وأغلالها وأهوالها، أو الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم وعن نقصان الدرجات، أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى، وكل هذه الأسباب مكروهة في نفسها فهي لا محالة مخوفة وتختلف أحوال الخائفين فيها. وأعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العاملين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين، ومن لم تكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بألم البعد

الطبقة الثانية من الخائفين:

(أن يتمثل في أنفسهم ما هو المكروه) في ذاته. اعلم ان الخوف الذي يراد لغيره على قسمين لأنا قدمنا أن الله تعالى على العبد نعماً يخاف سلبها، وله جنايات يخاف العقوبة عليها، فمن القسم الثاني الذي هو خوف العقوبات المرتبة على الجنايات وهو السوط الذي يساق به الأخساء من العبيد ولهتنا تلك العبيد، **(وذلك مثل)** خوف ما يقع في الدنيا من خسف وكسف ومحنة وفقر و**(سكرات الموت وشدته، أو)** ما يقع في الآخرة إما من **(سؤال منكر ونكير)** في القبر، **(أو)** من **(عذاب القبر، أو)** من **(هول المطلع، أو)** من **(هيبة الموقف بين يدي الله تعالى، أو)** من **(الحياء من كشف الستر، أو السؤال)** في الموقف **(عن النقير والقطمير، أو الخوف من)** مزلة **(الصراط وحدته وكيفية العبور عليه)** باختلاف الأحوال، أو خوف المحشر والميزان، **(أو الخوف من النار وأغلالها)** وأنكالها **(وأهوالها)** وأشار المصنف إلى القسم الأول وهو خوف سلب النعم بقوله: **(أو الخوف من الحرمان من الجنة دار النعيم والملك المقيم، و)** نحو ذلك مثل الخوف **(عن نقصان الدرجات)** العلى **(والخوف من الحجاب عن الله تعالى)** وهو يكف عن شاغل الأكوان، وكذلك الخوف من الفراق وهو يكف عن ملابسة الشهوات، ثم خوف قلع أسباب الاتصال وهو يحث على معرفة النعمة ورؤية المنة، ثم خوف نسيانه وهو يحث على اليقظة وعدم الغفلة، ثم قطع أسباب الخير والتلاقي وهو يحث على مجالسة الصالحين والمذكرين والتوابين، **(وكل هذه الأسباب مكروهة في نفسها فهي لا محالة مخوفة)** وتحث على ترك المحظورات وفعل الطاعات، فإن لم تحث عليها فلا فائدة فيه وتزداد المعصية به غلظة لأنها مخالفة على مشاهدة الوعيد وكل حال يراد لغيره ففائدته أن يؤدي إلى مقصوده فإن لم يؤد كان العمل حجة، **(وتختلف أحوال الخائفين فيها وأعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى)** فإنه أشد العذاب عند أولي الألباب **(وهو خوف العارفين وما قبل ذلك)** هو **(خوف العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العاملين)** من المؤمنين، **(ومن لم تكمل**

والفراق، وإذا ذكر له أن العارف لا يخاف النار وإنما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكراً وتعجب منه في نفسه، وربما أنكر لذة النظر إلى وجه الله الكريم لولا منع الشرع إياه من إنكاره، فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد، وإلا فباطنه لا يصدق به لأنه لا يعرف إلا لذة البطن والفرج والعين بالنظر إلى الألوان والوجوه الحسان، وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم، فأما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم، وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهلاً له ومن كان أهلاً له استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره، فإلى هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين، نسأل الله تعالى حسن التوفيق بكرمه.

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه:

اعلم أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار، وتارة بالآيات والأخبار.

أما الاعتبار، فسبيله أن فضيلة الشيء بقدر غنائه في الإفضاء إلى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة، إذ لا مقصود سوى السعادة، ولا سعادة للعبد إلا في لقاء مولاه والقرب

معرفته ولم تنفتح بصيرته) لم يهتد إلى الكمال **(ولم يشعر بلذة الوصال ولا بألم البعد والفراق، وإذا ذكر له أن العارف لا يخاف النار إنما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكراً وتعجب منه في نفسه)** كما قال الشاعر:

ولو يذوق عاذلي صبابتي ... صبا معي لكنه ما ذاقها

(وربما أنكر لذة النظر إلى وجه الله الكريم) في دار النعيم **(لولا منع الشرع إياه من إنكاره فيكون اعترافه به باللسان عن ضرورة التقليد وإلاَّ بباطنه لا يصدق به لأنه لا يعرف)** هو **(إلا لذة البطن والفرج والعين بالنظر إلى الألوان)** المختلفة من الزهور وغيرها **(والوجوه الحسان، وبالجملة كل لذة تشاركه فيها البهائم، فأما لذة العارفين فلا يدركها غيرهم)** لأن فهومهم لا تحتمل ذلك، **(وتفصيل ذلك وشرحه)** يطول ومع طوله فإنه **(حرام على من ليس أهلاً له، ومن كان أهلاً له استبصر بنفسه واستغنى عن أن يشرحه له غيره وإلى هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين)** وبالله التوفيق.

بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه:

(اعلم أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والإعتبار وتارة بالآيات والأخبار).

(أما الإعتبار: فسبيله) أن تعرف **(أن فضيلة الشيء بقدر غنائه في الإفضاء إلى سعادة لقاء الله تعالى إذ لا مقصود سوى السعادة)** إذ هي الغاية المطلوبة، **(ولا سعادة للعبد إلاَّ في**

منه، فكل ما أعان عليه فله فضيلة، وفضيلته بقدر غايته، وقد ظهر أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا، ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة، ولا تحصل المعرفة، إلا بدوام الفكر، ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر، ولا تتيسر المواظبة على الذكر والفكر إلا بانقطاع حب الدنيا من القلب، ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات إلا بقمع الشهوات، ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف، فالخوف هو النار المحرقة للشهوات، فإن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات، ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق، وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب إلى الله زلفى.

وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن

لقاء مولاه والقرب منه، فكل ما أعان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر إعانته، وقد ظهر أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والإنس به في الدنيا) فيموت على ذلك، **(ولا تحصل المحبة إلا بالمعرفة)** لأنها فرعها فمن لم يعرف لم يحب، **(ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر)** في مشاهدة جلاله تعالى، **(ولا يحصل الإنس إلا بالمحبة ودوام الذكر)** لآلاء الله تعالى، **(ولا يتيسر الذكر والفكر إلا بانقلاع حب الدنيا من القلب)** وفراغه منه، **(ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات الدنيا وشهواتها، ولا يمكن ترك المشتهيات إلا بقمع الشهوات)** وكف النفس عنها، **(ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار الخوف)** فإذا عرفت منزلته من الدين فلا تتعداها، **(فالخوف هو النار المحرقة للشهوات)** والمزيل لآثار آفتها، **(فإذاً فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة بقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات)** وهو القدر الواجب منه، وأما استيلاؤه على القلب فهو مستحب **(ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق)** قريباً. نعم يستحب اكتسابه وتذكاره عند وجود أسبابه مثل قراءتك ملك يوم الدين وغير المغضوب عليهم، وعند تذكر ما أعدّه الله للعصاة وعند الكسوف والخسوف والصواعق والزلازل يكون هذا تعبداً لله تعالى، ولو كنت فيما هو أشرف منه كما تنتقل من قراءة القرآن إلى إجابة المؤذن من أجل أنها عبادة الوقت فالعالم هو القائم بما هو أولى بالوقت، **(وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب إلى الله زلفى)** وفي هذا القدر مقنع لأهل التأمل والاعتبار وعبرة لأولي الأبصار.

(وأما بطريق الإقتباس من الآيات والأخبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن

الحصر، وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع مقامات أهل الجنان، قال الله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] وصفهم بالعلم لخشيتهم، وقال عز وجل: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨]، وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف، لأن الخوف ثمرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى عليه أفضل الصلاة والسلام: وأما الخائفون فإن لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه، فانظر كيف أفردهم بمرافقة الرفيق الأعلى، وذلك لأنهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الأنبياء لأنهم ورثة الأنبياء. ومرافقة الرفيق الأعلى للأنبياء ومن يلحق بهم، ولذلك لما خير رسول الله ﷺ في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول: «أسألك الرفيق الأعلى»،

الحصر) والإحصاء (**وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين**) ما فرقه على المؤمنين (**بين الهدي والعلم والرحمة والرضوان وهي مجامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى: ﴿هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾**) والرهبة من لواحق الخوف ومقام من مقاماته. (**وقال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ فوصفهم بالعلم لخشيتهم**) أي جعل الخشية مقاماً في العلم حققه بها والخشية مقام من مقامات الخوف. وقال تعالى: ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت: ٤٣] فرفع العلم عن العقل وجعله مقاماً فيه. (**وقال تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾**) والخشية كما ذكر من مقامات الخوف فخص الرضوان بأهل الخشية، (**وكل ما دل على فضيلة الخوف لأن الخوف ثمرة العلم**) بالله تعالى. (**ولذلك جاء في خبر موسى عليه السلام: وأما الخائفون فإن لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه**) كذا في القوت وهو من الإسرائيليات، (**فانظر كيف أفردهم**) من غير مشاركة (**بمرافقة الرفيق الأعلى**) كما حققهم اليوم بشهادة التصديق وهذا مقام من النبوة فهم مع الأنبياء في الرتبة، (**وذلك لأنهم العلماء والعلماء لهم رتبة مرافقة الأنبياء لأنهم ورثة الأنبياء**) كما ورد بذلك الخبر، (**ومرافقة الرفيق الأعلى للأنبياء ومن يلحق بهم**) قال الله تعالى: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين﴾ [النساء: ٦٩] ثم قال في وصف منازلهم ﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾ [النساء: ٦٩] بمعنى رفقاً عبّر عن جماعتهم بالواحد لأنهم كأنهم واحد وقد يكون رفيقاً مقام في الجنة لعلو عليين، وإليه أشار بقوله: (**ولذلك لما خير رسول الله ﷺ في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول: «أسألك الرفيق الأعلى»**) قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير» فلما نزل به ورأسه في

فإذن إن نظر إلى مثمره فهو العلم وإن نظر إلى ثمرته فالورع والتقوى، ولا يخفى ما ورد في فضائلها، حتى أنّ العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة بها، كما صار الحمد مخصوصاً بالله تعالى والصلاة برسول الله ﷺ، حتى يقال الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة على سيدنا محمد ﷺ وآله أجمعين. وقد خصص الله تعالى التقوى بالإضافة إلى نفسه فقال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] وإنما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق ولذلك قال تعالى: ﴿إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ولذلك أوصى الله تعالى الأولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وإِيَّاكُمْ أن اتَّقُوا اللهَ﴾ [النساء: ١٣١] وقال عز وجل: ﴿وَخَافُون إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان، فلذلك لا

حجري غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال: « اللهم الرفيق الأعلى » فعلمت أنه لا يختارنا. وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح. الحديث. انتهى.

ورواه أحمد مختصراً ورواه الترمذي في الشمائل مطولاً، ثم جاء في خبر موسى عليه السلام فأولئك هم الرفيق الأعلى، فدل على أنهم مع الأنبياء بتفسير النبي لذلك، وشرف مقامهم فوق كل مقام لطلب رسول الله ﷺ ذلك، (**فأما إن نظر إلى مثمره**) الذي هو السبب (**فهو العلم**) أو إلى حقيقته فالخشية، (**وإن نظر إلى ثمرته فالورع والتقوى**) والكف عما سوى الله (**ولا يخفي ما ورد في فضائلها**) أي الورع والتقوى، وبعد إذ فهمت سببه وحقيقته وثمرته سهل عليك معرفة فضيلته، (**حتى أن العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة به كما صار الحمد مخصوصاً بالله تعالى والصلاة**) مخصوصة (**برسول الله ﷺ، حتى يقال: الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على سيدنا محمد وآله أجمعين، وقد خصص الله التقوى بالإضافة إلى نفسه**) تشريفاً ومعنى وصله به وأكرم عباده عليه تعظيماً له، (**فقال**) في هذين المعنيين: (**﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ وإنما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق، وقال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**) وفي القوت: والخوف اسم لحقيقة التقوى والتقوى معنى جامع للعبادة ينتظم هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ [البقرة: ٢١] (**ولذلك أوصي الله تعالى الأولين والآخرين بالتقوى فقال: ﴿لقد وصينا الذي أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾**) وهذه الآية قطب القرآن لأن مدار القرآن كله على هذا. (**وقال عز وجل: ﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ فأمر بالخوف**) منه (**وأوجبه وشرطه**) ولفظ الرسالة: والخوف من الله تعالى، هو أن يخاف أن يعاقبه الله إما في الدنيا وإما في الآخرة، وقد فرض الله على العباد أن يخافوه فقال: (**﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ وقال: ﴿فأياي**

يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف، ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه، وقال رسول الله ﷺ في فضيلة التقوى: « إذا جمع الله الأوّلين والآخرين لميقات يوم معلوم فإذا هم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم فيقول يا أيها الناس إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يوم هذا فانصتوا إليّ اليوم، إنما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس: إني قد جعلت نسباً وجعلتم نسباً، فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم، قلت: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وأبيتم إلا أن تقولوا فلان ابن فلان وفلان أغنى من فلان، فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي، أين المتقون؟ فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب ». وقال عليه الصلاة والسلام: « رأس الحكمة مخافة الله »، وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود: « إن أردت أن

فارهبون﴾ [النحل: ٥١] فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وعن ضعف، ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه) كما أن قوة خوفه تكون بحسب قوة معرفته وإيمانه. **(وقال ﷺ في فضيلة التقوى: « إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم يا أيها الناس إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا فانصتوا إلي اليوم إنما هي أعمالكم ترد عليكم أيها الناس إني جعلت نسباً وجعلتم نسباً فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وابيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان، فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي الا أين المتقون؟ فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب »)** قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط، والحاكم في المستدرك بسند ضعيف، والثعلبي في التفسير مقتصراً على آخره: « إني جعلت نسباً » الحديث من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت ورواه كذلك ابن مردويه مطولاً، ولفظ الحاكم: « إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أمرتكم فضيّعتم ما عهدت إليكم ورفعتم أنسابكم فاليوم أرفع نسبي وأضع انسابكم أين المتقون ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ » وقد صححه وتعقب، ورواه كذلك ابن مردويه، والبيهقي. وفي الباب عن علي حديثه عند الخطيب ولفظه: « إذا كان يوم القيامة وقف العباد بين يدي الله تعالى غرلاً، بُهماً فيقول الله تعالى: عبادي أمرتكم فضيعتم أمري ورفعت أنسابكم فتفاخرتم بها. اليوم أضع أنسابكم. أنا الملك الديان أين المتقون إن أكرمكم عند الله أتقاكم ».

(وقال ﷺ: « رأس الحكمة) أي أصلها وأسها (مخافة الله ») وفي لفظ « خشية الله » قال العراقي: رواه ابن لال في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الشعب وضعفه من حديث ابن مسعود، ورواه في دلائل النبوة من حديث عقبة بن عامر ولا يصح أيضاً اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الحكيم في النوادر من حديث ابن مسعود.

تلقاني فأكثر من الخوف بعدي »، وقال الفضيل: من خاف الله دله الخوف على كل خير. وقال الشبلي رحمه الله: ما خفت الله يوماً إلا رأيت له باباً من الحكمة والعبرة ما رأيته قط. وقال يحي بن معاذ: ما من مؤمن يعمل سيئة إلا ويلحقها حسنتان: خوف العقاب ورجاء العفو كثعلب بين أسدين. وفي خبر موسى عليه الصلاة والسلام وأما الورعون فإنه لا يبقى أحد إلا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه إلا الورعين فإني استحي منهم وأجلهم إن أوقفهم للحساب. والورع والتقوى اسام اشتقت من معان شرطها الخوف، فإن خلت عن الخوف لم تسم بهذه الأسامي، وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يخفى، وقد جعله الله تعالى مخصوصاً بالخائفين فقال: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ [الأعلى: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]،

(وقال ﷺ لابن مسعود: « إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف بعدي ») قال العراقي لم أقف له على أصل. (وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: (من خاف دله الخوف على كل خير) أي أرشده إلى كل ما فيه خير إما ظاهراً وإما باطناً. (وقال) أبو بكر (الشبلي) رحمه الله تعالى: (ما خفت الله يوماً إلا رأيت له باباً من الحكمة والعبرة ما رأيته قط)، فالحكمة هي أسرار المعارف المكتوبة والعبرة اسم من الإعتبار (وقال يحي بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى: (ما من مؤمن يعمل سيئة إلا وتلحقه حسنتان: خوف العقاب ورجاء العفو وكثعلب بين أسدين) فإن خاف منها محيت له وإن أقدم على رجائه رحم له. (وفي خبر موسى عليه السلام: وأما الورعون فإنه لا يبقى أحد إلا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه إلا الورعين فإني استحييهم وأجلهم أن أوقفهم للحساب) كذا في القوت، وروى الحكيم في النوادر من حديث ابن عباس قال الله تعالى: يا موسى إنه لن يلقاني عبدي في حاضر القيامة إلا فتشته عما في يديه إلا ما كان من الورعين فإني استحييهم وأجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب. ولم يتعرض له العراقي هنا لكونه من الإسرائيليات وليس من المرفوع، لكن تقدم للمصنف في أوائل الكتاب هذا الخبر بعينه، وقال هناك في الخبر ثم ساق هذا: « وأما الورعون فإني استحييهم » وقال العراقي: هناك لم أقف له على أصل وقد دللناك على أصله. (والورع والتقوى أسام اشتقت من معان شرطها الخوف، فإن خلا عن الخوف لم يسم بهذه الأسامي وكذلك ما ورد في فضائل الذكر لا يخفى وقد جعله الله مخصوصاً بالخائفين فقال: ﴿سيذكر من يخشى﴾) والخشية من مقامات الخوف ثم قال: ﴿ويتجنبها الاشقى﴾ [الأعلى: ١١] أي يتجنب التذكرة الشقي، فجعل من عدم الخوف شقياً وحرمه التذكرة فخوف عموم المؤمنين بظاهر القلب عن ظاهر العلم بالعقد وخوف خصوصهم وهم الموقنون بباطن القلب عن باطن العلم بالوجد، فأما خوف اليقين فهو للصديقين من شهداء العارفين عن مشاهدة ما أمر به من الصفات المخوفة. (وقال تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ وقال ﷺ: « قال الله عز

وقال ﷺ: «قال الله عز وجل: وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فإن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة»، وقال ﷺ: «من خاف الله تعالى خافه كل شيء، ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء»، وقال ﷺ: «أتمكم عقلاً أشدكم خوفاً لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه نظراً»، وقال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه: مسكين ابن آدم لو خاف النار كما

وجل وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فإن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة») قال العراقي: رواه ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة، ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية الحسن مرسلاً اهـ.

قلت: وروى أبو نعيم في الحلية من حديث شداد بن أوس: «قال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي وإن هو خافني في الدنيا امنته يوم أجمع عبادي». وأما حديث أبي هريرة، فقد رواه كذلك ابن المبارك في الزهد وكلهم من رواية سلمة عنه، ومرسل الحسن رواه كذلك الحكيم في النواد ولكن لفظه: «يقول الله وعزتي» وعند ابن عساكر من حديث أنس: «يقول الله عز وجل وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق خلقي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع لعبدي أمنين فمن خافني في الدنيا أمنته اليوم ومن أمنني في الدينا أخفته اليوم».

(وقال ﷺ: «من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوّفه من كل شيء») قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف جداً، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين بإسناد معضل وقد تقدم اهـ.

قلت: ورواه أبو الشيخ أيضاً من حديث واثلة بلفظ: «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء» ورواه الحكيم بلفظ: «من اتقى الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يتق الله أهابه من كل شيء» ورواه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم الكرجي في أماليه، والرافعي في تاريخه من حديث ابن عمر.

(وقال ﷺ: «أتمكم عقلاً أشدكم خوفاً لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله به ونهى عنه نظراً») قال العراقي: لم أقف له على أصل ولم يصح في فضل العقل شيء. **(وقال يحيى بن معاذ)** الرازي رحمه الله تعالى: **(مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة)** نقله القشيري في الرسالة. أي لأن خوفه من الفقر يحمله على أن يشح بما معه على نفسه وعياله ويخل بقيامه بكثير من الواجبات كفرض ولده ووالده وحق زكاته، ويقع في كثير من المحرمات لتحصيل المال كالتلبيس والغش في العيوب وتعاطي المعاملات الفاسدة، فلو خاف من النار كما يخاف من الفقر لهرب من أسباب دخولها وتعاطي أسباب دخول الجنة ولما غلبت عليه الشهوات.

يخاف الفقر دخل الجنة. وقال ذو النون رحمه الله تعالى: من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه. وقال ذو النون أيضاً: ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فإذا غلب الرجاء تشوّش القلب وكان أبو الحسين الضرير يقول: علامة السعادة خوف الشقاوة، لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده، فإذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين، وقيل ليحي بن معاذ من آمن الخلق غداً؟ فقال: أشدهم خوفاً اليوم. وقال سهل رحمه الله: لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال. وقيل للحسن، يا أبا سعيد، كيف نصنع؟ نجالس أقواماً يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير! فقال: والله إنك إن تخالط أقواماً يخوّفونك حتى يدركك أمن خير لك من أن تصحب قوماً يؤمنونك حتى يدركك الخوف. وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب. وقالت

(وقال ذو النون) المصري رحمه الله تعالى: **(من خاف الله ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه)** وهو داخل القلب. **(وقال)** أيضاً: **(ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء)** أي في حال صحته وقوة شبابه، **(فإذا غلب الرجاء)** في القلب **(تشوش القلب)** أي اضطرب وآل أمره إلى الفساد، ومثله قول الداراني: إذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب، **(وكان أبو الحسين الضرير)** رحمه الله تعالى **(يقول: علامة السعادة خوف الشقاوة)** أي مخافة أن تدركه، **(لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده، فإذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين، وقيل ليحي بن معاذ)** الرازي رحمه الله تعالى: **(من آمن الخلق غداً)** أي من أكثرهم أمنا في يوم القيامة؟ **(فقال: أشدهم خوفاً اليوم)** أي في الدنيا **(وقال)** أبو محمد **(سهل)** التستري رحمه الله تعالى: **(لا تجد الخوف)** أي لا تكون خائفاً خوفاً حقيقياً **(حتى تأكل الحلال. وقيل للحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(يا أبا سعيد)** وهي كنية الحسن **(كيف نصنع نجالس أقواماً يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير)** أي تزول من مواضعها من شدة الخوف. **(قال)** الحسن: **(والله إنك إن تخالط أقواماً يخوفونك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب قوماً يؤمنونك حتى يدركك الخوف)** فيه استحسان لتغليب جانب الخوف على الرجاء.

(وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى: **(ما فارق الخوف قلباً إلا خرب)**. قال القشيري: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت الحسين بن أحمد الصفار يقول: سمعت محمد بن المسيب يقول: سمعت هاشم بن خالد يقول: سمعت أبا سليمان الداراني يقول ذلك. والمعنى أن الخوف درجات، ومن انتقل من مقام شريف إن لم يحذر مما يفسده عليه أو لا يكمل أولا يرقيه إلى ما هو أعلى منه فسدّ عليه ما هو فيه فلا يستغني مقام عن الخوف.

(و) قال القشيري في الرسالة: أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي، أخبرنا أحمد بن عبيد، حدثنا محمد بن عثمان، حدثنا القاسم بن محمد، حدثنا يحي بن يمان عن مالك بن مغول، عن عبد الرحمن بن

عائشة رضي الله عنها: قلت يا رسول الله ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ ما آتَوا وقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] هو الرجل يسرق ويزني؟ قال: « لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه » والتشديدات الواردة في الأمن من مكر الله وعذابه لا تنحصر، وكل ذلك ثناء على الخوف، لأنّ مذمة الشيء ثناء على ضدّه الذي ينفيه، وضدّ الخوف الأمن، كما أن ضدّ الرجاء اليأس، وكما دلت مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الأمن على فضيلة الخوف المضاد له بل نقول: كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لأنهما متلازمان، فإنّ كل من رجا محبوباً فلا بدّ وأن يخاف فواته، فإن كان لا يخاف فواته فهو إذا لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجياً، فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر، نعم يجوز أن يغلب أحدهما على

سعيد بن وهب قال: (**قالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله**) قوله تعالى: (**﴿الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة﴾ أهو الرجل يسرق ويزني**) ويشرب الخمر؟ (**قال: « لا بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه »**) ففيه دليل على أن الخوف يكون مع كمال طاعة العبد لكونه لا يعرف صحة عمله ولا قبوله لخفاء ما يطرق الأعمال من الآفات. قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد.

قلت بل منقطع بين عائشة وبين عبد الرحمن بن سعيد بن وهب. قال الترمذي: وروي عن عبد الرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة اهـ.

قلت: لفظ الترمذي رواه كذلك الفريابي وأحمد وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين، وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب، واللفظ الثاني الذي أشار له الترمذي رواه ابن أبي الدنيا وابن جرير وابن الأنباري في المصاحف، وابن مردويه عن أبي هريرة قالت عائشة: يا رسول الله: ﴿والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة﴾ هم الذين يخطئون ويعملون بالمعاصي. وفي لفظ: هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه. قال: « لا ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وقلوبهم وجلة ».

(والتشديدات الواردة في الأمن من مكر الله وعذابه لا تنحصر، وكل ذلك ثناء على الخوف لأن مذمة الشيء ثناء على ضده الذي يتقيه وضد الخوف الأمن كما أن ضد الرجاء اليأس، وكما دل مذمة القنوط على فضيلة الرجاء، فكذلك تدل مذمة الأمن عل فضيلة الخوف المضاد له، بل نقول: كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لأنهما متلازمان، فإن كل من رجا محبوباً فلا بد وأن يخاف فواته، فإن كان لا يخاف فواته فهو إذاً لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجياً. فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر) ولفظ القوت في باب الرجاء: ومن علامة صحة الرجاء في العبد كون الخوف باطناً

الآخر وهما مجتمعان، ويجوز أن يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال لغفلته عنه، وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه، إذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فإذا المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة؛ فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء؛ وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف،والتقديران يتقابلان لا محالة إذا كان ذلك الأمر المنتظر مشكوكاً فيه، نعم أحد طرفي الشك قد يترجح على الآخر بحضور بعض الأسباب ويسمى ذلك ظناً. فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر، فإذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وخفي بالإضافة إليه، وكذا بالعكس، وعلى كل حال فهما متلازمان، ولذلك قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال عز وجل: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ [السجدة: ١٦]، ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء فقال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للهِ وِقَاراً﴾ [نوح: ١٣] أي لا تخافون، وكثيراً ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى

في رجائه لأنه لما تحقق برجاء شيء خاف فوته لعظم المرجو في قلبه وشدة اغتباطه به، فهو لا ينفك في حال رجائه من الخوف لفوت الرجاء. (**نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان**) وهذا خلاف ما قاله بعضهم أنه لا يجوز أن يتغلب أحدهما على الآخر لاستوائهما في التعلق بالأسباب فتأمل ذلك. (**ويجوز أن يشتغل القلب بأحدهما ولا يلتفت إلى الآخر في الحال لغفلته عنه، وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه**) أو مظنون (**إذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف**) كما سبق، (**فإذاً المحبوب الذي يجوز وجوده ويجوز عدمه لا محالة، فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف، والتقدير أن يتقابلان لا محالة إذا كان ذلك الأمر المنتظر مشكوكاً فيه. نعم أحد طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الأسباب ويسمى ذلك ظناً**) وهذا هو المراد لغيره، وأما المراد لذاته فإنه مبني على الشك، (**فإذا غلب على الظن وجود المحبوب قوي الرجاء وغلب الخوف بالإضافة إليه وكذا بالعكس**)، فهذا معنى غلبة أحدهما على الآخر، ولو استويا في التعلق بالأسباب. (**وعلى كل حال فهما**) وصفان (**متلازمان**) لا ينفك أحدهما عن الآخر، (**وكذلك قال تعالى: ﴿ويدعوننا رغباً ورهباً﴾ وقال عز وجل: ﴿يدعون بهم خوفاً وطمعاً﴾ ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء**) وسموه به (**فقال تعالى**) على هذه اللغة: (**﴿مالكم لا ترجون لله وقاراً﴾ أي لا تخافون**) لله عظمة اجمعوا على هذا التفسير وهو مخرج على قولهم: مالك لا ترجو كذا وهم يريدون. مالك لا تخاف وهو أيضاً أحد وجهي تفسير قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ [الكهف: ١١٠] أي يخاف من لقائه. (**وكثيراً ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى الخوف**) كما في قوله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ [الجاثية: ١٤] أي يخافون عقوبات الله. وكذا قوله تعالى: ﴿وترجون من الله

الخوف وذلك لتلازمها، إذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه، بل أقول: كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو إظهار لفضيلة الخشية، فإنّ البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ [التوبة: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾ [الإسراء: ١٠٩]، وقال عز وجل: ﴿أَفَمِنْ هَـٰذَا الحَدِيثِ تَعْجَبُونْ* وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونْ* وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ - ٦١]، وقال ﷺ: «ما من عبد مؤمن تخرج من عينيه دمعة وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئاً من حر وجهه إلا حرمه الله على النار»، وقال ﷺ: «إذا

ما لا ترجون﴾ [النساء: ١٠٤] أي يخافون منه ما لا يخافون (لتلازمها) ولولا أنهما كشيء واحد لما فسر أحدهما بالآخر (إذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه أي من مذهبهم) ان الشيء إذا كان لازماً للشيء أو وصفاً له أو سبباً عنه أن يعبروا عنه به، ومثل أحدهما من الآخر مثل اليوم من الليلة لما لم ينفك أحدهما عن الآخر جاز أن يعبر عن المدة بأحدهما فيقال: ثلاثة أيام، ويقال ثلاث ليال ومنهم قوله تعالى مخبراً عن قصة واحدة: ﴿قال آيتك ألاّ تكلّم الناس ثلاث ليال سويّاً﴾ [مريم: ١٠] ثم قال: ﴿ثلاث أيام إلا رمزاً﴾ [آل عمران: ٤١] فلما لم يكن اليوم ينفك عن ليلته، والليلة لا تنفك عن يومها أخبر عن أحدهما بالآخر لأن أحدهما متصل بصاحبه فصارا كشيء واحد، فكيف وأن الليل والنهار أحدهما لبسة والآخر مندرج لا يظهر إلا أحدهما بحكمة الله تعالى وقدرته لتفاوت أحكامه فيهما وافتراق انعامه بهما، فإذا ظهر النهار اندرج الليل فيه بقدرة الله تعالى، وإذا ظهر الليل استتر النهار لحكمة الله تعالى وهو حقيقة إيلاجه أحدهما في الآخر، وتحقيق تكويره أحدهما على صاحبه، فكذلك حقيقة الرجاء من الخوف في معاني الملكوت إذا ظهر الخوف كان العبد خائفاً وظهرت عليه أحكام الخوف من مشاهدة التجلي بوصف الخوف، فسمي العبد خائفاً لغلبته عليه ويظهر الرجاء من خوفه، وإذا ظهر الرجاء كان العبد خائفاً راجياً وظهرت منه أحكام الرجاء من مشاهدة تجلي الربوبية بوصف مرجو فوصف العبد به لأنه الأغلب عليه وبان الخوف في رجائه، (بل أقول: كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو إظهار لفضيلة الخشية فإن البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى: ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً﴾) وفي حديث أنس: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» وقد سبق. (وقال تعالى) في وصفه الباكين من العلماء في السجود لمزيد اليقين بالخشوع ﴿ويخرون للأذقان (يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ وقال عز وجل: ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون* وأنتم سامدون) أي رافعون رؤوسكم متحيرون ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ [النجم: ٦٢] (وقال ﷺ: «ما من عبد مؤمن تخرج من عينيه دمعة وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئاً من حرّ وجهه إلا حرمه الله على النار») قال العراقي: رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث بن مسعود بسند ضعيف اهـ.

قلت: وروى ابن النجار من حديث انس: «ما من عين خرج منها مثل الذباب من الدموع من

اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها »، وقال ﷺ : « لا يلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع »، وقال عقبة بن عامر : ما النجاة يا رسول الله ؟ قال : « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابكِ على خطيئتك » وقالت عائشة رضي الله عنها : قلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب ؟ قال : نعم من ذكر ذنوبه فبكى »، وقال ﷺ : « ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم اهريقت في سبيل الله

مخافة الله إلا أمنها الله يوم الفزع الأكبر ». وعند الحاكم : « من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذبه الله يوم القيامة ».

وقال ﷺ : « إذا اقشعر جلد المؤمن من خشية الله تتحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة ورقها ») قال العراقي : رواه الطبراني والبيهقي من حديث العباس بسند ضعيف اهـ.

قلت : ولفظها جلد العبد وفيه عن الشجرة البالية ورقها . ورواه كذلك الحكيم في النوادر ، وأبو بكر الشافعي وسمويه في فوائده والخطيب.

(وقال ﷺ : « لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ») قال العراقي : رواه الترمذي وقال : حسن صحيح ، والنسائي ، وابن ماجه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت : وزاد الترمذي والنسائي : « ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبداً » وقد رواه كذلك أحمد وهناد والحاكم والبيهقي . وقال القشيري في الرسالة : أخبرنا أبو بكر بن عبدوس الحيري ، أنبأنا أبو بكر بن دلويه الدقاق ، حدثنا محمد بن يزيد ، حدثنا عامر بن أبي الفرات ، حدثنا المسعودي ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ فذكره . وعند البيهقي وحده : « لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصرّ على معصية الله ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم ».

(وقال عقبة بن عامر) الجهني رضي الله عنه ، قلت **(ما النجاة يا رسول الله ؟ قال : « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك »)** رواه ابن أبي الدنيا في الصمت ، والترمذي وحسنه ، وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في الشعب ، وقد تقدم في كتاب الصمت . ورواه أحمد من حديث أبي أمامة ، والطبراني من حديث ابن مسعود ولفظها : « أملك » بدل « أمسك ».

(وقالت عائشة رضي الله عنها : قلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب ؟ قال : « نعم من ذكر ذنوبه فبكى ») أغفله العراقي **(وقال ﷺ : ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم اهريقت في سبيل الله تعالى »)** قال العراقي : رواه الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن غريب وقد تقدم . **(وقال**

سبحانه »، وقال ﷺ: « اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان بذروف الدمع قبل أن تصير الدموع دماً والأضراس جمراً »، وقال ﷺ: « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله » وذكر منهم: « رجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ».

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: من استطاع أن يبكي فليبكِ ومن لم يستطع فليتباك. وكان محمد بن المنكدر رحمه الله إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مسته الدموع.

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا

ﷺ: **« اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان)** القلب **(بذروف الدمع)** وفي لفظ الدموع **(قبل أن تصير)** وفي لفظ تكون **(الدموع دماً والأضراس جمراً »)** قال العراقي رواه الطبراني في الكبير وفي الدعاء، وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بإسناد حسن ورواه الحسن المروزي في زياداته على الزهد والرقائق لابن المبارك من رواية سالم بن عبد الله مرسلاً دون ذكر أبيه، وذكر الدارقطني في العلل ان من قال فيه عن أبيه وهم وإنما هو عند سالم بن عبد الله مرسلاً. قال: وسالم هذا يشبه أن يكون سالم بن عبد الله المحاربي وليس بابن عمر اهـ.

وما ذكره من أنه سالم المحاربي هو الذي يدل عليه كلام البخاري في التاريخ، ومسلم في الكنى، وابن أبي حاتم عن أبيه، وأبي أحمد الحاكم فإن الراوي له عن سالم ثابت بن شريح أبو سلمة، وإنما ذكروا له رواية عن سالم المحاربي والله أعلم. نعم حكى ابن عساكر في تاريخه الخلاف في أن الذي يروي عنه سالم المحاربي أو سالم بن عبدالله بن عمر اهـ.

قلت: ومن جزم أنه سالم المحاربي لا ابن عمر أبو زرعة كما هو بخط الحافظ ابن حجر.

(وقال ﷺ: « سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله ذكر منهم رجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ») رواه أحمد والشيخان والنسائي وابن حبان من حديث أبي هريرة. ورواه الترمذي عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد، ورواه مسلم عنهما معاً وقد تقدم مراراً.

(وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك) أي ليتكلف البكاء، **(وكان)** أبو عبد الله **(محمد بن المنكدر)** بن عبد الله بن الهدير التيمي من حفاظ التابعين مات سنة ثلاثين ومائة عن نيف وسبعين سنة، روى له الجماعة. قال ابن حبان: من سادات القراء لا يتمالك من البكاء إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ **(إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مسته الدموع.**

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فوالذي

فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته، وصلى حتى ينكسر صلبه.

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: **ما تغرغرت عين بمائها إلا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيامة، فإن سالت دموعه اطفأ الله بأول قطرة منها بحاراً من النيران، ولو أن رجلاً بكى في أمة ما عذبت تلك الأمة، وقال أبو سليمان: البكاء من الخوف، والرجاء والطرب من الشوق.**

وقال كعب الأحبار رضي الله عنه: **والذي نفسي بيده، لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب إليَّ من أن أتصدّق بجبل من ذهب.**

وقال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: **لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إليَّ من أن أتصدق بألف دينار.**

نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر ظهره). رواه أحمد في الزهد، حدثنا وكيع، حدثنا عبد الجبار بن الورد، عن ابن أبي مليكة، عن عبد الله بن عمر وقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولو تعلمون حق العلم لصرخ أحدكم حتى ينقطع صوته ولسجد حتى ينقطع صلبه» ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه. وروي من طريق قسامة بن زهير قال: خطبنا أبو موسى الأشعري بالبصرة فقال: أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت.

(وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى: **(ما تغرغرت عين بمائها إلا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيامة، فإن سالت دموعه أطفأ الله بأوّل قطرة منها بحاراً من النيران، ولو أن رجلاً بكى في أمة ما عذبت تلك الأمة)** نقله صاحب القوت أي إذا كان بكاؤه من خشية الله تعالى. **(وقال أبو سليمان)** رحمه الله تعالى **(أيضاً: البكاء من الخوف)** أي منشأه منه لأنه إنما يخاف أن يحل به مكروه أو يفوته محبوب كما تقدم فمنه يحصل البكاء، **(والرجاء من الطرب والشوق)** لما يؤمله في الاستقبال.

(وقال كعب الأحبار) رحمه الله تعالى: **(والذي نفسي بيده لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بجبل من ذهب)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقال عبد الله بن عمر) بن الخطاب رضي الله عنهما: **(لأن أدمع دمعة من خشية الله أحب إليَّ من أن أتصدق بجبل من ذهب)** وفي لفظ بألف دينار أخرجه أبو نعيم في الحلية.

وروي عن حنظلة قال: كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فدنت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عند رسول الله ﷺ وأخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقلت في نفسي: قد نافقت حيث تحوّل عني ما كنت فيه من الخوف والرقة، فخرجت وجعلت أنادي: نافق حنظلة، فاستقبلني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: كلا لم ينافق حنظلة، فدخلت على رسول الله ﷺ وأنا أقول: نافق حنظلة؛ فقال رسول الله ﷺ: «كلا لم ينافق حنظلة» فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا، فرجعت إلى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه. فقال ﷺ: «يا حنظلة لو أنكم كنتم أبداً على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فراشكم؛ ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»،

(**وروي عن**) أبي ربعي (**حنظلة**) بن الربيع بن صيفي بن رياح بن الحرث بن معاوية بن مجاشع التميمي الاسدي المعروف بالكاتب أخو رباح بن الربيع وابن أخي أكثم بن صيفي حكيم العرب، نزل الكوفة ثم انتقل إلى قرقيسيا، له ولأخيه وصحبة قال الواقدي: كتب للنبي ﷺ مرة كتاباً فسمي بذلك الكاتب، وكانت الكتابة في العرب قليلة. وقال ابن البرقي: سمي الكاتب لأنه كتب للنبي ﷺ الوحي وتوفي بعد علي وكان معتزلاً للفتنة حتى مات، جاء عنه حديثان، روى له مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه (**قال: كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون**) أي سالت دموعها (**وعرفنا أنفسنا**) أي كرهناها، (**فرجعت إلى أهلي فدنت مني المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنت عليه عند رسول الله ﷺ وأخذنا ما في الدنيا، ثم تذكرت ما كنت فيه فقلت في نفسي: قد نافقت حتى تحوّل عني ما كنت فيه من الخوف والرقة، فخرجت وجعلت أنادي نافق حنظلة، فاستقبلني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فاخبرته الخبر، فقال: كلا لم ينافق حنظلة، فدخلت على رسول الله ﷺ وأنا أقول: نافق حنظلة، فقال رسول الله ﷺ: كلا لم ينافق، فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وعزفنا أنفسنا، فرجعت إلى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه، فقال: «يا حنظلة لو أنكم كنتم أبداً على تلك الحال لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»**) قال العراقي: رواه مسلم مختصراً اهـ.

قلت: ولفظه: حدثنا يحي بن يحي التميمي، وقطن بن نسير واللفظ ليحي، أخبرنا جعفر بن سليمان، عن سعيد بن إياس الجريري، عن أبي عثمان النهدي، عن حنظلة الأسيدي قال: وكان من كتّاب رسول الله ﷺ قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت نافق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول؟ قال: قلت نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة

فإذاً كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الأمن فهو دلالة على فضل الخوف؛ لأن جملة ذلك متعلق به إما تعلق السبب أو تعلق المسبب.

كانا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً. قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: «وما ذاك»؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار كانا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً. فقال رسول الله ﷺ «والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات.

(فإذا كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الأمن، فهو دلالة على فضل الخوف لأن جملة ذلك متعلق به إما تعلق السبب أو تعلق المسبب) وهذه عباراتهم في الخوف.

قال القشيري في الرسالة: سمعت أبا علي الدقاق يقول: الخوف على مراتب الخوف والخشية والهيبة، فالخوف من شروط الإيمان وقضيته قال الله تعالى: ﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٧٥] والخشية من شرط العلم قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] والهيبة من شرط المعرفة. قال الله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ [آل عمران: ٢٨] وقال أبو القاسم الحكيم: الخوف على ضربين: رهبة وخشية، فصاحب الرهب يلتجىء إلى الرب إذا خاف ورهب وهرب يصح أن يقال هما واحد مثل جذب وجبذ، فإذا هرب انجذب في مقتضى هواه كالرهبان الذين اتبعوا أهواءهم، فإذا كبحهم لجام العلم وقاموا بحق الشرع فهو الخشية. وقال أبو حفص: الخوف سراج القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر. سمعت أبا علي الدقاق يقول: الخوف أن لا تعلل نفسك بعسى وسوف. وقال أبو عمرو الدمشقي: الخائف من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان. وقال ابن الجلاء: الخائف من يأمن المخوفات، وقيل للفضيل: ما لنا لا نرى خائفاً؟ فقال: لو كنت خائفاً لرأيت الخائفين إن الخائف لا يراه إلا الخائفون وأن الثكلى تحب أن ترى الثكلى. وقال شاه الكرماني: علامة الخوف الحزن الدائم. وقال معاذ بن جبل: إن المؤمن لا يطمئن قلبه ولا يسكن روعه حتى يخلف جسر جهنم خلفه. وقال بشر الحافي: الخوف ملك لا يسكن إلا في قلب متق. وقال أبو عثمان الحيري: عيب الخائف في خوفه السكون لأنه أمر خفي. وقال النوري: الخائف هرب من ربه إلى ربه. وقال بعضهم: علامة الخوف التحير على باب الغيب. وقال الجنيد: الخوف توقع العقوبة مع مجاري الأنفاس. وقال أبو سليمان الداراني: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب. وقال أبو عثمان: صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً. وقال ذو النون الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق. وقال حاتم الأصم: لكل شيء زينة وزينة العبادة الخوف وعلامة الخوف قصر الأمل. وقال رجل لبشر: أراك تخاف الموت. فقال: القدوم على الله شديد. وقال ابن المبارك: الذي يهيج الخوف حتى يسكن في

بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما:

اعلم أنّ الأخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما ينظر الناظر إليهما، فيعتريه شك في أن الأفضل أيهما؟ وقول القائل: الخوف أفضل أم الرجاء؟ سؤال فاسد يضاهي قول القائل: الخبز أفضل أم الماء؟ وجوابه أن يقال: الخبز أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان، فإن اجتمعا نظر إلى الأغلب؛ فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل، وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل، وإن استويا فهما متساويان، وهذا لأنّ كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالإضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه، والخوف والرجاء دواءان يداوى بهما القلوب، ففضلهما بحسب الداء الموجود؛ فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاغترار به فالخوف أفضل، وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله، فالرجاء أفضل، وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل، ويجوز أن يقال مطلقاً، الخوف أفضل على التأويل الذي يقال فيه الخبز أفضل من السكنجبين،

القلب دوام المراقبة في السر والعلانية. وقيل: الخوف قوّة العلم بمجاري الأحكام. وقيل: الخوف حركة القلب بجلال الرب. وقال الحسين: من خاف من شيء سوى الله أو رجا سواه أغلق علي أبواب كل شيء وسلط عليه المخافة وحجب بسبعين حجاباً أيسره الشك، ا أوجب شدة خوفهم فكرتهم في العواقب وخشية تغير أحوالهم. قال الله تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ [الزمر: ٤٧].

بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدالهما:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن الأخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت، وربما ينظر الناظر إليهما فيعتريه شك في أن الأفضل أيهما؟ وقول القائل: الخوف أفضل أم الرجاء؟ سؤال فاسد**) فإن أعمال المقامات إذا تحدث فلا يصح التفاضل فيها إلا بأسبابها وأحوالها التي هي حوات على الأعمال، بل (**يضاهي**) قوله (**قول القائل: الخبز أفضل أم الماء؟ وجوابه أن يقال: الخبز أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان فإن اجتمعا نظر إلى الأغلب، فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل، وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل، وان استويا فهما متساويان، وهذا لأن كل ما يراد لمقصود ففضله يظهر بالإضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه، والخوف والرجاء دواءان يداوي بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود، فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاغترار به، فالخوف أفضل. وان كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى فالرجاء أفضل. وكذلك إن كان الغالب على العبد المعصية فالخوف أفضل، ويجوز أن يقال مطلق الخوف**) الذي يراد لذاته هو (**أفضل**) مطلقاً (**على التأويل الذي يقال فيه الخبز أفضل من السكنجبين إذ يعالج بالخبز**

إذ يعالج بالخبز مرض الجوع، وبالسكنجبين مرض الصفراء، ومرض الجوع أغلب وأكثر فالحاجة إلى الخبز أكثر فهو أفضل، فبهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل؛ لأنّ المعاصي والاغترار على الخلق أغلب، وإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لأنه مستقى من بحر الرحمة، ومستقى الخوف من بحر الغضب، ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب، وليس وراء المحبة مقام، وأما الخوف فمستنده الإلتفات إلى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجاء. وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لا لفظ الأفضل فنقول: أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء، وذلك لأجل غلبة المعاصي فأما التقي الذي ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه، ولذلك قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا. وروي أن علياً كرّم الله وجهه قال لبعض ولده: يا بني خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك، وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك، ولذلك قال عمر

مرض الجوع، وبالسكنجبين مرض الصفراء، ومرض الجوع أغلب وأكثر، فالحاجة إلى الخبز أكثر، فبهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل لأن المعاصي والاغترار على الخلق أغلب) فالخوف يربط زمام ابتهاج المحبين وانبساطهم عن الافراط إلى الاعتدال. **(فإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء)** أفضل **(لأنه مستق من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب)**، وشتان بينهما **(لأن من لاحظ من صفات لله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب)** وموجبات الرحمة في الوجود أكثر من موجبات الغضب **(وليس وراء المحبة مقام)** لأنها من الغايات. **(وأما الخوف فمستنده الالتفات إلى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة ممازجتها للرجاء، وعلى الجملة فما يراد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لا الأفضل فنقول: أكثر الخلق الخوف لهم أصلح من الرجاء، وذلك لأجل غلبة المعاصي)** وكثرة الاغترار، **(فأما التقي الذي ترك ظاهر الإثم وباطنه وخفيه وجليه، فالأصلح أن يعتدل خوفه ورجاؤه، ولذلك قيل: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا)** هو قول مطرف بن عبد الله. رواه أبو نعيم في الحلية، حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا سفيان قال: قال مطرف: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لوجدا سواء لا يزيد أحدهما على صاحبه.

(وروي أن علياً كرم الله وجهه قال لبعض ولده) يعظه: يا بني **(خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك وارج الله رجاء ترى أنك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك)**، وكما أوصى لقمان ابنه فقال: يا بني خف الله خوفاً لا تيأس فيه من

رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل. وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي، فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوي خوفه ورجاؤه؛ فأما العاصي إذا ظن أنه الرجل الذي استثنى من الذين أمروا بدخول النار كان ذلك دليلاً على اغتراره.

فإن قلت: مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي أن يتساوى خوفه ورجاؤه بل ينبغي أن يغلب رجاؤه كما سبق في أول كتاب الرجاء، وأن قوّته ينبغي أن تكون بحسب قوّة أسبابه كما مثل بالزرع والبذر، ومعلوم أن بث البذر الصحيح في أرض نقية وواظب على

رحمته وارجه رجاء لا تأمن مكره. وفي لفظ آخر: وارجه رجاء أشد من خوفك فقال: وكيف أستطيع ذلك وإنما لي قلب واحد؟ قال: أما علمت أن المؤمن كذي قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر. وفي القوت: وكان علي رضي الله عنه يقول: عليكم بالنمط الأوسط يرجع إليه العالي ويرتفع عنه الداني، وهذا قول فصل غير شطط ولا هزل وهو طريق أهل السنّة ومذهب أولى المعرفة فصدق الرجاء واعتدال الخوف به من حقيقة العلم بالله والمؤمن حقاً هو المعتدل بين الرجاء والخوف، **(ولذلك قال عمر رضي الله عنه: لو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لخشيت أن أكون ذلك الرجل، ولو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون ذلك الرجل)**. رواه أبو نعيم في الحلية عن محمد بن معمر، حدثنا أبو شعيب عبد الله بن الحسن الحراني، حدثنا يحي بن عبد الله البابلتي، حدثنا الاوزاعي، حدثنا يحي بن كثير عن عمر بن الخطاب قال: لو نادى منادٍ من السماء أيها الناس إنكم داخلون الجنة كلكم أجمعون إلا رجلاً واحداً لخفت أن أكون أنا هو، ولو نادى مناد أيها الناس إنكم داخلون النار إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا هو، **(وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء، ولكن على سبيل التقاوم والتساوي)** لأنهما لا يبنيان على سابقة ولا وسيلة بل على كمال العلم والإرادة بخفي المكر والألطاف والشك فيما يصدر عنهما متساوٍ فلا يغلب أحدهما الآخر، **(فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوي خوفه ورجاؤه)**.

(فإن قلت: مثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يساوي خوفه رجاءه، بل ينبغي أن يغلب رجاؤه كما سبق أوّل كتاب الرجاء، وأن قوّته ينبغي أن تكون بحسب قوّة أسبابه كما مثل بالبذر والزرع) ومرّ في كتاب الرجاء. **(ومعلوم أن من بثّ البذر الصحيح)** عن التسويس **(في أرض نقية)** صالحة **(وواظب على تعهدها)** ومراعاتها، **(وجاء بشروط**

تعهدها وجاء بشروط الزراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الإدراك ولم يكن خوفه مساوياً لرجائه، فهكذا ينبغي أن تكون أحوال المتقين! فاعلم أن من يأخذ المعارف من الألفاظ والأمثلة يكثر زلله، وذلك وإن أوردناه مثالاً فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه، لأن سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة، إذ علم بالتجربة صحة الأرض ونقاؤها، وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها، وإنما مثال مسألتنا بذر لم يجرّب جنسه وقد بث في أرض غريبة لم يعهدها لزارع ولم يختبرها، وهي في بلاد، ليس يدري أتكثر الصواعق فيها أم لا فمثل هذا الزارع وإن أدى كنه مجهوده وجاء بكل مقدوره فلا يغلب رجاؤه على خوفه، والبذر في مسألتنا هو الإيمان وشرط صحته دقيقة، والأرض القلب وخفايا خبثه وصفائه من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخفايا الأخلاق فيه غامضة، والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب إليها في مستقبل الزمان وإن سلم في الحال، وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة، إذ قد يعرض من الأسباب ما لا يطاق مخالفته ولم يجرب مثله، والصواعق هي أهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده، وذلك مما لم يجرب مثله، ثم الحصاد والإدراك عند المنصرف من القيامة إلى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الأمور فإن كان ضعيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما

الزراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الإدراك ولم يكن خوفه مساوياً لرجائه، فهكذا ينبغي أن تكون أحوال المتقين! فاعلم أن من يأخذ المعارف من الألفاظ والأمثلة يكثر زلله) أي خطأه، (**وذلك وإن أوردناه مثالاً فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لأن سبب غلبة الرجاء العلم الحاصل بالتجربة إذا علم بالتجربة صحة الأرض ونقاؤها**) عن المؤذيات (**وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق المهلكة في تلك البقاع وغيرها، وإنما مثال مسألتنا بذر لم يجرب جنسه وقد بثّ في أرض غريبة لم يعهدها الزارع ولم يختبرها وهي في بلاد ليس يدري أتكثر بها الصواعق أم لا. فمثل هذا الزارع وإن أدى كنه مجهوده**) أي خالصه (**وجاء بكل مقصوده فلا يغلب رجاؤه على خوفه، والبذر في مسألتنا هو الإيمان. وشروط صحته دقيقة والأرض القلب وخفايا خبثه وصفاؤه من الشرك الخفي والنفاق والرياء وخفايا الأخلاق فيه غامضة، والآفات هي الشهوات وزخارف الدنيا والتفات القلب إليها في مستقبل الزمان، وإن سلم في الحال فذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة إذ قد يعرض من الأسباب ما لا تطاق مخالفته ولم يجرب مثله، والصواعق هي أهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده، وذلك مما لم يجرب، ثم الحصاد والإدراك عند المنصرف من القيامة إلى الجنة وذلك مما لا يجرب، فمن عرف حقائق هذه الأمور فإن كان**

سيحكى في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين، وإن كان قوي القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه، فأما أن يغلب رجاؤه فلا، ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه أنه هل يعرف به من آثار النفاق شيئاً، إذ كان قد خصه رسول الله ﷺ بعلم المنافقين، فمن ذا الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي، وإن اعتقد نقاء قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه وإخفاء عيبه عنه، وإن وثق به فمن أين يثق ببقائه على ذلك إلى تمام حسن الخاتمة؟ وقد قال ﷺ: « إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر » وفي رواية: « إلا قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار » وقدر فواق الناقة لا يحتمل عملاً بالجوارح إنما

ضعيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما ستحكي في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين) ومن بعدهم، **(وإن كان قوي القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه)** فصار في الاعتدال، **(فاما أن يغلب رجاؤه)** على خوفه **(فلا ولقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تفتيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة)** بن اليمان **(رضي الله عنه أنه هل يعرف بـه مـن آثـار النفـاق شيئـاً إذ كـان رسـول الله ﷺ قـد خصّـه بعلم المنافقين)**. قال العراقي: روى مسلم من حديث حذيفة « في أصحابي اثنا عشر منافقاً ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » الحديث اهـ. قلت: ورواه كذلك أحمد.

(فمن الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفي وإن اعتقد نقاء قلبه عن ذلك، فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه وإخفاء عيبه منه وإن وثق به، فمن أين يثق ببقائه على ذلك إلى تمام حسن الخاتمة، وقد قال ﷺ: « إن الرجل ليعمـل عمـل أهل الجنة خمسين سنة) حتى يقال أنه من أهل الجنة. وفي لفظ: **(حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر، وفي رواية إلا قدر فواق ناقة فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار »)** هكذا هو في القوت وقد سبق ذكره قريباً. وقال العراقي: روى مسلم من حديث أبي هريرة « إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار » وللطبراني في الأوسط « سبعين سنة » وإسناده حسن: وللشيخين في اثناء حديث لابن مسعود « إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع » الحديث. ليس فيه زمن العمل بخمسين سنة ولا ذكر شبر ولا فواق ناقة اهـ.

قلـت: وتمام حديث أبي هريرة « فيجعله من أهل النار إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم الله عمله بعمل أهل الجنة فيجعله الله من أهل الجنة فيدخله الجنة » ورواه كذلك أحمد.

هو بمقدار خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء، فكيف يؤمن ذلك؟ فإذن أقصى غايات المؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه. وغلبة الرجاء في غالب الناس تكون مستندة للاغترار وقلة المعرفة، ولذلك جمع الله تعالى بينهما في وصف من أثنى عليهم فقال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ [السجدة: ١٦]، وقال عز وجل: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وأين مثل عمر رضي الله عنه؟ فالخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم الأصلح لهم غلبة الخوف، بشرط أن لا يخرجهم إلى اليأس وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة فيكون ذلك سبباً للتكاسل عن العمل وداعياً إلى الإنهماك في المعاصي، فإن ذلك قنوط وليس بخوف، إنما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا ويدعوه إلى التجافي عن دار الغرور فهو الخوف المحمود، دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث ودون اليأس الموجب للقنوط.

(**وقدر فواق ناقة**) وكذا الشبر (**لا يحتمل عملاً**) أي لا يتأتى في هذا المقدار من الوقت شيء من عمل الجسم (**بالجوارح إن هو**) من أعمال القلوب بمشاهدة العقول (**بمقدار خاطر يختلج في القلب عند الموت فيقتضي خاتمة السوء**) وذلك هو شرك التوحيد الذي لم يكن في الحياة الدنيا شاهداً له ظهر له بيان ذلك عن كشف الغطاء، فغلب عليه وصفه وبدت فيه حاله كما تظهر له أعماله السيئة فيستحليها قلبه أو ينطق بها لسانه أو يخامرها وجده، فتكون هي خاتمته التي تخرج عليها روحه وذلك هو سابقته التي سبقت له من الكتاب كما قال تعالى: ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ [الأعراف: ٣٧] ﴿وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ [هود: ١٠٩] (**فكيف يؤمن ذلك، فإذاً أقصى غايات المؤمن أن يعتدل خوفه ورجاؤه**).

(**وأما غلبة الرجاء في غالب الناس يكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة، ولذلك جمع الله بينهما في وصف من اثنى عليهم فقال تعالى: ﴿يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾**) والطمع هو الرجاء. (**وقال عز وجل ﴿ويدعوننا رغباً ورهباً﴾**) والرغبة من الرجاء والرهبة من الخوف. (**وأين مثل عمر رضي عنه**) في قوّته وثباته؟ (**فالخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم الأصلح لهم غلبة الخوف**) على الرجاء (**بشرط أن لا يخرجهم**) إلى اليأس من روح الله (**وترك العمل وقطع الطمع من المغفرة، فيكون ذلك سبباً للتكاسل عن العمل وداعياً إلى الانهماك في المعاصي فإن ذلك قنوط**) وهو كفر (**وليس بخوف، وإنما الخوف هو الذي يحث على العمل ويكدر جميع الشهوات**) ويستأصلها (**ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا**) أي الميل إليها (**ويدعوه إلى التجافي عن دار الغرور**)، وإذا تحقق ذلك (**فهو الخوف المحمود**) شرعاً (**دون حديث النفس الذي لا يؤثر الكف**) عن المنهيات (**والحث**) على المأمورات (**ودون اليأس الموجب للقنوط. وقد قال يحي بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالى:

وقد قال يحيى بن معاذ: من عبد الله تعالى بمحض الخوف غرق في بحار الأفكار، ومن عبده بمحض الرجاء تاه في مفازة الاغترار، ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محجة الأذكار. وقال مكحول الدمشقي: من عبد الله بالخوف فهو حروري، ومن عبده بالرجاء فهو مرجىء، ومن عبده بالمحبة فهو زنديق، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد، فإذاً لا بدّ من الجمع بين هذه الأمور، وغلبة الخوف هو الأصلح ولكن قبل الإشراف على الموت، أما عند الموت فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن، لأن الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل، وقد انقضى وقت العمل، فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم لا يطيق أسباب الخوف، فإن ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته، وأما روح الرجاء فإنه يقوي قلبه ويحبب إليه ربه الذي إليه رجاؤه، ولا ينبغي أن يفارق أحد الدنيا إلا محباً لله تعالى ليكون محباً للقاء الله تعالى، فإن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، والرجاء تقارنه المحبة، فمن ارتجى كرمه فهو محبوب،

(**من عبد الله تعالى بمحض الخوف**) أي دون الرجاء (**غرق في بحار الأفكار**) إذ الخوف يحمله إلى كل واد، (**ومن عبده بمحض الرجاء**) أي دون الخوف (**تاه في مفاوز الاغترار، ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محجة الأذكار**) نقله صاحب القوت.

(**وقال مكحول الدمشقي**) هكذا في سائر النسخ ولفظ القوت: وقال مكحول النسفي في معناه إلا أنه أفرط فيه: (**من عبد الله بالخوف فهو حروري، ومن عبده بالرجاء فهو مرجىء ومن عبده بالمحبة فهو زنديق**) كذا في النسخ ولفظ القوت: فهو جهمي أي يتجهم عليه بالمقال ويتجاوز الحد في الأفعال. (**ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد**) شبه هذه المقامات من معاني المقالات للمبالغة من طريق المعنى لا على التحقيق أي أنه إذا انفرد بحال منها لا بدّ وأن يخرج من معيار علم أو عن سنّة أو معروف أو معتاد مألوف، فإذا جمعها فقد استقام على العلم والسنّة وهو وصف العالم العارف الظاهري الباطني. (**فإذاً لا بدّ من الجمع بين هذه الأمور وغلبة الخوف هو الأصلح، ولكن**) عن صحة طواعيته وذلك إلى (**قبل الإشراف على الموت، أما عند الموت**) وشدة المرض (**فالأصلح**) في حقه تغليب جانب (**الرجاء وحسن الظن**) بالله تعالى (**لأن الخوف**) كما سبق (**جار مجرى السوط الباعث على العمل**) بالجوارح، (**وقد انقضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل**) ولا يتأتى منه، (**ثم**) هو لا (**يطيق أسباب الخوف، فإن ذلك يقطع نياط قلبه**) وهو بكسر النون عرق معلق به القلب (**ويعين على تعجيل موته. وأما روح الرجاء فإنه يقوي قلبه ويحبب إليه ربه الذي إليه رجاؤه، ولا ينبغي أن يفارق أحد الدنيا إلا محباً لله تعالى ليكون محباً للقاء الله تعالى فإن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**) ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه كما ورد ذلك في الخبر وتقدم. (**والرجاء تقارنه المحبة فمن ارتجى كرمه فهو محبوب، والمقصود من**

والمقصود من العلوم والأعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة، فإن المصير إليه والقدوم بالموت عليه، ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته، ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه، فمهما كان القلب الغالب عليه عند الموت حب الأهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقاء والأصحاب، فهذا رجل محابه كلها في الدنيا، فالدنيا جنته، إذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب، فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه، ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه، فإذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا إذاً سجنه، لأن السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترواح إلى محابه، فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفى حال من أفلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر، فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته من الثواب والعقاب فضلاً عما أعده الله لعباده الصالحين مما لم تره عين ولم تسمعه أذن ولا خطر على قلب بشر، وفضلاً عما أعده الله تعالى للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا إليها من الأنكال والسلاسل والأغلال

العلوم) والمعارف (والأعمال كلها معرفة الله تعالى) وإليه يشير تفسير ابن عباس للعبادة بها (حتى تثمر) تلك المعرفة (المحبة) المحضة (فإن المصير إليه والقدوم بالموت عليه و) لا يخفى انه (من قدم على محبوبه عظم سروره) وذلك (على قدر محبته) من قبل. (ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه، فمهما كان الغالب على القلب عند الموت حب الأهل والمال والولد والمسكن والعقار والرفقاء والأصحاب)، وبالجملة كل ما يشغله عن الله تعالى (فهذا رجل محابه كلها في الدنيا، فالدنيا) إذاً (جنته) التي يتمتع بها (إذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه، ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه) فإنه يتكدر عيشه ولا يصفو خاطره، (فأما إذا لم يكن له محبوب سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب، فالدنيا إذاً سجنه إذ السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الانسراح إلى محابه فموته قدوم على محبوبه وخلاص من السجن، ولا يخفي حال من أفلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر) وهذا هو معنى الخبر السابق ذكره «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». (فهذا أول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقب موته من الثواب والعقاب. فضلاً عما أعد الله لعباده الصالحين مما لم تره عين ولا خطر على قلب بشر) كما في خبر أبي هريرة، (وفضلاً عما أعد الله للذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا إليها من الأنكال والسلاسل والأغلال وضروب الخزي والنكال،

وضروب الخزي والنكال؛ فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين، ولا مطمع في إجابة هذا الدعاء إلا باكتساب حب الله تعالى، ولا سبيل إليه إلا بإخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن، فالأولى إن تدعو بما دعا به نبينا ﷺ إذ قال: «اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إليّ من الماء البارد»، والغرض أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أجلب للمحبة وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لأنه أحرق لنار الشهوات وأقمع لمحبة الدنيا عن القلب، ولذلك قال ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه»، وقال تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»، ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة قال لابنه: يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به، وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه. وقال أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه لابنه عند الموت: أذكر لي

فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين) من عباده **(ولا مطمع في إجابة هذا الدعاء إلا باكتساب حب الله تعالى، ولا سبيل إليه إلا باخراج حب غيره)** من كل ما يشغله عنه **(من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى الله تعالى من جاه ومال ووطن)** وأهل وأصحاب، **(فالأولى أن ندعو بما دعا به نبينا ﷺ إذا قال «اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إليّ من الماء البارد»)** رواه الترمذي من حديث أبي الدرداء وقد تقدم في كتاب الأذكار والدعوات.

(والغرض أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أجلب للمحبة) و الانس، **(و غلبة الخوف قبل الموت أصلح لأنه أحرق لنار الشهوات و أقمع لمحبة الدنيا عن القلب، ولذلك قال ﷺ «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه»)** رواه مسلم من حديث جابر وقد تقدم قريباً، **(وقال)** ﷺ: **(«قال الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء»)** رواه ابن أبي الدنيا و الحاكم و ابن حبان و ابن عدي و الطبراني و الحاكم و البيهقي و تمام كلهم من حديث واثلة، وقد تقدم قريباً في فضيلة الرجاء.

(ولما حضر سليمان) بن طرخان **(التيمي الوفاة)** ولفظ القوت: ولما احتضر سليمان التيمي **(قال لابنه)**: يا بني **(حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به)** كذا في القوت، و ابنه المعتمر بن سليمان وهذا قد أخرجه المزني في التهذيب بسنده إلى المعتمر قال: قال أبي عند موته: يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى وانا حسن الظن به. قال ابن سعد: كان سليمان من العباد المجتهدين وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد فيصليان في هذا المسجد مرة وفي هذا المسجد مرة حتى يصبحا. **(وكذلك لما حضر سفيان الثوري الوفاة واشتد**

الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن، والمقصود من ذلك كله أن يحبب الله تعالى إلى نفسه، ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام: أن حببني إلى عبادي فقال: بماذا؟ قال: بأن تذكر لهم آلائي ونعمائي، فإذاً غاية السعادة أن يموت محباً لله تعالى، وإنما تحصل المحبة بالمعرفة بإخراج حب الدنيا من القلب حتى تصير الدنيا كلها كالسجن المانع من المحبوب، ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني في المنام وهو يطير، فسأله؟ فقال: الآن أفلت، فلما أصبح سأل عن حاله فقيل له: إنه مات البارحة.

بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف:

اعلم أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء، لأن أول مقامات الدين

جزعه جع) ولفظ القلوب: وكذلك لما حضر الثوري الوفاة جعل **(العلماء حوله يرجونه، و)** كذلك **(قال أحمد بن حنبل)** رحمه الله تعالى **(لابنه)** عبد الله **(عند الموت: أذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن)**، فلولا أن الرجاء وحسن الظن من فواضل المقامات ما طلبه العلماء في آخر الأوقات عند فراق العمر ولقاء المولى لتكون الخاتمة به وهم يسألون الله حسن الخاتمة لطول الحياة.

(والمقصود من ذلك كله أن يحبب الله تعالى إلى نفسه، ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: أن حببني إلى عبادي فقال: بماذا؟ قال: بأن تذكرهم آلائي و نعمائي) تقدم ذكره قريباً، **(فإذاً غاية السعادة)** و نهاية الفوز **(أن يموت العبد)** حالة كونه **(محباً لله تعالى)** أي يفارق هذا العالم وهو متصف بهذا الوصف، **(وانما تحصل المحبة بالمعرفة)** فإن من لم يعرف كيف يحب **(و باخراج حب الدنيا من القلب)** بأن لا يميل إليها باطنا، وإن كان لا بد له منها في الظاهر بحسب عروض الحاجات الضرورية **(حتى تصير الدنيا كالسجن المانع من المحبوب)** أي من وصاله و مشاهدته و ملاقاته، **(ولذلك رأى بعض الصالحين أبا سليمان الداراني)** رحمه الله تعالى **(في المنام وهو يطير)** في الهواء **(فسأله)** عن حاله **(فقال: الآن أفلت)** أي خلصت من السجن، **(فلما أصبح سأل عن حاله فقيل: إنه مات البارحة)**، فدلت رؤياه على أنه كان محبوساً كالطير في القفص، فلما مات وصل إلى مطلوبه كما يفلت الطير بعد حبسه، والله الموفق.

بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن ماذكرنا في دواء الصبر و شرحناه في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا الغرض، لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف و الرجاء**

اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله تعالى، وباليوم الآخر والجنة والنار، وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر، فإن الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوّة الرجاء، والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف، ولذلك قال علي كرم الله وجهه: من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام، ويؤدي دوام الذكر إلى الأنس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة والأنس إلى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات، فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين، وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء، ولا بعدهما مقام سوى الصبر، وبه المجاهدة والتجرد لله ظاهراً وباطناً، ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق إلا الهداية والمعرفة، ولا مقام بعد المعرفة إلا

لأن أول مقامات الدين) هو (**اليقين الذي هو عبارة عن قوة الايمان بالله تعالى و اليوم الآخر**) و الجنة و النار. وله درجات و مراتب قد تقدم ذكرها في كتاب العلم. (**وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار و**) يثير (**الرجاء للجنة، و الرجاء و الخوف يقويان على الصبر فإن الجنة قد حفت بالمكاره**) أي شدائد الأمور مما تكرهها النفوس (**فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء، و النار قد حفت بالشهوات**) أي الملاذ النفسية من كل ما تميل إليه النفوس (**فلا يصبر على قمعها**) أي دفعها و منعها (**إلا بقوة الخوف، ولذلك قال علي كرم الله وجهه: من اشتاق إلى الجنة سلا**) وفي لفظ: تبتل (**عن الشهوات**) أي انقطع عنها، (**ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات**) كذا في القوت. وقد روي مرفوعاً من طريقه بلفظ «من اشتاق إلى الجنة سابق إلى الخيرات، ومن اشفق من النار لها عن الشهوات، ومن ترقب الموت صبر عن اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات» رواه البيهقي و تمام و ابن عساكر و ابن النجار. (**ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف و الرجاء إلى مقام المجاهدة و التجرد لذكر الله و الفكر فيه على الدوام**) أي كل من الذكر و الفكر من غير انقطاع بل يكون بإزائهما، فإذا سئم من الذكر اشتغل بالمراقبة والتفكر، ثم إذا أراد أن ينفصل عنه فليعد إلى الذكر حتى يثبت له الدوام ولا يتخلل بينهما الشيطان (**و يؤدي دوام الذكر إلى الانس**) بالله تعالى، (**و دوام الفكر**) يؤدي (**إلى كمال المعرفة**) بالله تعالى، (**ويؤدي كمال المعرفة و الأنس إلى المحبة**) وهو أعلى المقامات، (**و يتبعها**) أي المحبة (**مقام الرضا و التوكل و سائر المقامات**) الآتي ذكرها. (**فهذا هو الترتيب في سلوك منازل**) السائرين (**في الدين**) وفي عروج مقامات الطائرين إليه، (**فليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف و الرجاء، و ليس بعدهما مقام سوى الصبر وبه المجاهدة و التجرد لله ظاهراً و باطناً، ولا مقام بعد المجاهدة**

المحبة والأنس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل، فإذاً فيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية، ولكنا نفرد الخوف بكلام جلي فنقول: الخوف يحصل بطريقين مختلفين أحدهما أعلى من الآخر ومثاله: أن الصبي إذا كان في بيت فدخل عليه سبع أوحية ربما كان لا يخاف، وربما مد اليد إلى الحية ليأخذها ويلعب بها، ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف من الحية وهرب منها، فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو ترتعد فرائصه ويحتال في الهرب منها قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه في الهرب، فخوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته، وأما خوف الابن فإيمان بمجرد التقليد لأنه يحسن الظن بأبيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف في نفسه، فيعلم أن السبع مخوف ولا يعرف وجهه، وإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين:

أحدهما: الخوف من عذابه، والثاني الخوف منه. فأما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سر

لمن فتح له الطريق) و أذن له بالدخول فيه **(إلا الهداية و المعرفة)** لقوله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] **(ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة و الانس ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب)** كيف كان **(والثقة بعنايته وهو)** بعينه مقام **(التوكل، فإذاً فيما ذكرناه في علاج الصبر كفاية، ولكنا نفرد الخوف بكلام جلي)** أي إجمالي **(فنقول الخوف يحصل بطريقين مختلفين أحدهما أعلى من الآخر)** و تقريب ذلك إلى الأذهان إنما يكون بمثال يضرب له في الظاهر فيقيس الغائب على الشاهد. **(و مثاله: أن الصبي إذا كان في بيت فدخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يخاف و ربما مد اليد إلى الحية ليأخذها و يلعب بها، ولكن إذا كان معه أبوه وهو عاقل خاف)** في الحال **(من الحية)** أو من السبع **(و هرب منها، فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو ترتعد فرائصه و يحتال في الهرب قام معه و غلب عليه الخوف ووافقه في الهرب، فخوف الأب عن بصيرة)** و عقل **(و معرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها، وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته. وأما خوف الابن فايمان بمجرد التقليد)** و التبعية، **(لأنه يحسن الظن بأبيه و يعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف في نفسه، فيعلم أن السبع مخوف)** وأن الحية مخوفة **(ولا يعرف وجهه)** لجهله. **(وإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين:**

أحدهما: الخوف من عذابه، و الثاني: الخوف منه في ذاته. فاما الخوف منه) تعالى في ذاته **(فهو خوف العلماء)** بالله **(و أرباب القلوب)** والبصائر النافذة **(العارفين من صفاته)** تعالى **(ما يقتضى الهيبة و الخوف والحذر)** وهي صفات الربوبية **(المطلعين على سر**

قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] وقوله عز وجل: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وأما الأول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار، وكونهما جزاءين على الطاعة والمعصية وضعفه بسبب الغفلة وسبب ضعف الإيمان، وإنما تزول الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر في أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة، وتزول أيضاً بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم، فإن فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو عن تأثير، وأما الثاني وهو الأعلى فأن يكون الله هو المخوّف أعني أن يخاف البعد والحجاب عنه ويرجو القرب منه.

قال ذو النون رحمه الله تعالى: خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي وهذه خشية العلماء حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] ولعموم المؤمنين أيضاً حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد يضاهي خوف الصبي من الحية تقليداً لأبيه، وذلك لا يستند إلى بصيرة فلا جرم يضعف ويزول على قرب حتى أن الصبي ربما يرى المعزم يقدم على أخذ الحية فينظر إليه ويغتر به

قوله تعالى ﴿و يحذركم الله نفسه﴾ [آل عمران: ٢٨] و قوله تعالى ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ [آل عمران: ١٠٢].

(**فأما الاول فهو خوف عموم الخلق**) أي الخوف من عذابه (**وهو حاصل باصل الايمان بالجنة و النار وكونهما جزاءين على الطاعة و المعصية**) وقد يقوى ذلك وقد يضعف، (**وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الإيمان، وإنما تزول الغفلة بالوعظ والتذكير وملازمة الفكر في أهوال يوم القيامة و أصناف العذاب في الآخرة، و تزول أيضاً بالنظر إلى الخائفين و مجالستهم ومشاهدة أحوالهم**) في حركاتهم وسكناتهم، (**فإن فاتت المشاهدة فالسماع**) أي التلقف من الافواه (**لا يخلو عن تأثير**).

(**وأما الثاني: وهو الأعلى**) مقاماً (**فأن يكون الله**) عز وجل (**هو المخوف. أعني أن يخاف البعد**) عنه (**و الحجاب منه و يرجو القرب منه**) ؛ويدل لذلك ما (**قال ذو النون**) المصري رحمه الله تعالى: (**خوف النار عند خوف الفراق كقطرات قطرت في بحر لجي**) أي فما يكون مقدارها بالنسبة إلى البحر المتلاطم الأمواج، (**وهذه خشية العلماء حيث قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾**) وهو مقام كمل العارفين، (**و لعموم المؤمنين أيضاً حظ من هذه الخشية ولكن هو بمجرد التقليد**) لغيره (**يضاهي خوف الصبي من الحية**) أو السبع (**تقليداً لأبيه**) إذا رآه قد هرب منها، (**وذلك لا يستند إلى بصيرة فلا جرم يضعف و يزول على قرب، حتى ان الصبي ربما يرى المعزم**) وهو الذي يمسك الحيات

فيتجرأ على أخذها تقليداً له كما احترز من أخذها تقليداً لأبيه، والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الإستمرار، فإذاً من ارتقى إلى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف، كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقعاً في مخالبه لا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف إلى قلبه، بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى، ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام: خفني كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري إلا معرفة السبع ومعرفة الوقوع في مخالبه، فلا يحتاج إلى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالي ويحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة، وأبعد إبليس من غير جريمة سالفة، بل صفته ما ترجمه قوله تعالى: « هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي ». وإن خطر ببالك أنه لا يعاقب إلا على معصية ولا يثيب إلا على طاعة فتأمل أنه لم يمد المطيع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء

بالعزائم، (**فينظر إليه و يغتر به فيتجرأ على أخذها تقليداً له**) فيكون فيه هلاكه. (**والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها المؤكدة لها على الدوام، و بالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات و اجتناب المعاصي مدة طويلة على استمرار**) و ملازمة، (**فإذاً من ارتقى إلى ذروة المعرفة**) أي صار في أعلاها (**و عرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف، كما أن من عرف السبع ورأى نفسه واقفاً في مخالبه لا يحتاج إلى جلب الخوف إلى قلبه، بل يخافه بالضرورة شاء أم أبى، ولذلك أوحى الله تعالى إلى نبيه**) داود (**عليه السلام: خفني كما تخاف السبع الضاري**) وهو من الإسرائيلية، وقد تقدم الكلام عليه قريباً. (**ولا حيلة في جلب الخوف من السبع الضاري إلا معرفة السبع و معرفة الوقوع في مخالبه فلا يحتاج إلى حيلة سواه فمن عرف الله تعالى عرف أنه يفعل مايشاء ولا يبالي و يحكم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة**) إلى حضرته (**من غير وسيلة**) منهم (**سابقة**) تستدعي قربهم، (**و أبعد إبليس من غير جريمة سالفة**) توجب إبعاده (**بل صفته على ما ترجم قوله تعالى**) في الحديث القدسي المتقدم بذكره « قبض قبضة من بني آدم فقال: (**« هؤلاء في الجنة ولا أبالي**) و قبض أخرى منهم فقال: (**هؤلاء في النار ولا أبالي »**) لكن يشترط في هذه المعرفة أن يكون الفكر فيها بإمعان فإنه هو المستجلب للخوف، وإلا فالفكر الخفيف لا ينضج قساوة القلب. أرأيت لو أوقدت ناراً تحت قدر ثم أخمدت قبل الإنضاج ثم أوقدت ثم أخمدت فني الوقود وما حصل الإنضاج، فلا بد من الإقبال بكنه الهمة على الفكر المحتاج اليه حتى ينضج القلب على الفور لئلا يفنى الزمان ولا يتحصل المقصود. (**وإن خطر ببالك أنه لا يعاقب إلا على معصية ولا يثيب إلا على طاعة فتأمل أنه لم يمد المطيع بأسباب**

أم أبى ولم يمد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصي شاء أم أبى، فإنه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعاً بها بالضرورة، فإن كان أبعده لأنه عصاه فلم حمله على المعصية هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل إلى غير نهاية أو يقف لا محالة على أول لا علة له من جهة العبد بل قضى عليه في الأزل، وعن هذا المعنى عبر ﷺ إذ قال: «احتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عند ربهما، فحج آدم موسى عليه السلام قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض. فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجياً، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى: بأربعين عاماً قال آدم: فهل وجدت فيها ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، قال: نعم. قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله عليّ قبل أن أعمله وقبل أن يخلقني بأربعين سنة قال ﷺ: « فحج آدم موسى » فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو

الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى، ولم يمد العاصي بدواعي المعصية حتى يعصي شاء أم أبى، فإنه مهما خلق الغفلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان الفعل واقعاً بالضرورة، فإن كان أبعده لأنه عصاه فلم حمله على المعصية، هل ذلك لمعصية سابقة حتى يتسلسل لغير نهاية أو يقف لا محالة على أول لا غاية له من جهة العبد، بل قضى عليه في الازل؟ وعن هذا المعنى عبر ﷺ إذ قال: احتج آدم و موسى عليهما السلام عند ربهما فحج آدم موسى) رواه الخطيب من حديث أنس دون قوله: عند ربهما. وفي لفظ آخر :احتج آدم و موسى **(فقال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده و نفخ فيك من روحه و أسجد لك ملائكته و أسكنك جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الارض)** و لفظ الجماعة بعد قوله: جنته أخرجت الناس من الجنة بذنبك و أشقيتهم. **(فقال آدم: أنت موسى)** و لفظ الجماعة فقال آدم: يا موسى أنت **(الذي اصطفاك الله برسالته و كلامه و أعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء و قربك نجيا، فبكم وجدت الله قد كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال: باربعين عاماً. قال آدم: فهل وجدت فيها ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ [طه: ١٢١] قال: نعم. قال: أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي قبل أن أعمله قبل ان يخلقني بإربعين سنة).**

ولفظ الجماعة بعد قوله: و كلامه و أنزل عليك التوراة أتلومني على أمر كتبه الله علي قبل ان يخلقني. **(قال ﷺ: « فحج آدم موسى »).** أي غلب عليه في الحجة. و رواه أحمد والشيخان وأبو داود و الترمذي و ابن ماجه من حديث أبي هريرة. رواه عبد ابن حميد و أبو يعلى و ابن مردويه من حديث أبي سعيد، و رواه أبو بكر في الغيلانيات، و الخطيب من حديث أبي

من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر، ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين، ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف، فإن كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع، والسبع قد يغفل بالإتفاق فيخليه، وقد يهجم عليه فيفترسه وذلك بحسب ما يتفق، ولذلك الإتفاق أسباب مرتبة بقدر معلوم، لكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه سمي اتفاقاً وإن أضيف إلى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقاً، والواقع في مخالب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع، لأن السبع مسخر: إن سلط عليه الجوع افترس وإن سلط عليه الغفلة خلي وترك، فإنما يخاف خالق السبع وخالق صفاته، فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع بل إذا كشف الغطاء على أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى، لأن المهلك بواسطة السبع هو الله. فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا، وأن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلاً يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الأزلي ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها أهلاً سخروا لأسبابها شاؤوا أم أبوا وخلق النار وخلق لها أهلاً سخروا لأسبابها شاؤوا أم أبوا فلا يرى أحد نفسه في ملتطم

موسى، ورواه النسائي وأبو يعلى والطبراني والآجري في الشريعة والضياء من حديث جندب البجلي. (**فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص العارفين المطلعين على سر القدر، ومن سمع هذا فآمن به وصدق بمجرد السماع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف**)، ولكن يختلف في قوته و ضعفه بحسب اختلاف المقامات والرتب، (**فإن كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في مخالب السبع قد يغفل بالاتفاق فيخليه**) و يتركه، (**وقد يهجم عليه فيفترسه، وذلك بحسب مايتفق ولذلك الاتفاق أسباب**) كثيرة (**مرتبة بقدر معلوم**) وحد ينتهي إليه، (**لكن إذا أضيف لمن لا يعرفه سمي اتفاقاً، وإن أضيف إلى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقاً، و الواقع في مخاليب السبع لو كملت معرفته لكان لا يخاف السبع لأن السبع مسخر إن سلط الله عليه الجوع افترس، وإن سلط عليه الغفلة خلي و ترك، فإنما يخاف خالق السبع و خالق صفاته**) من البطش و السطوة و الجرأة، (**فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع، بل إذا كشف الغطاء علم ان الخوف من السبع هو غير الخوف من الله تعالى لأن المهلك بواسطة السبع هو الله تعالى**) فهو مثال غير منطبق على الممثل به من كل وجه عند التأمل. (**فاعلم أن سباع الآخرة مثل سباع الدنيا، وأن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب، وخلق لكل واحد أهلاً يسوقه القدر المتفرع عن القضاء الجزم الأزلي إلى ما خلق له فخلق الجنة وخلق لها أهلاً سخروا لأسبابها شاؤوا أم أبوا، وخلق النار وخلق لها أهلاً سخروا لأسبابها شاؤوا أم أبوا**) وروى مسلم من حديث عائشة: إن الله تعالى خلق الجنة وخلق

أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة، **فهذه مخاوف العارفين بسر القدر، فمن قعد به القصور عن الارتفاع إلى مقام الإستبصار فسبيله أن يعالج نفسه بسماع الأخبار والآثار فيطالع أحوال الخائفين العارفين وأقوالهم، وينسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجين المغرورين فلا يتمارى في أن الإقتداء بهم أولى لأنهم الأنبياء والأولياء والعلماء.**

وأما الآمنون فهم الفراعنة والجهال والأغبياء، أما رسولنا ﷺ فهو سيد الأولين والآخرين وكان أشد الناس خوفاً، حتى روي أنه كان يصلي على طفل: ففي رواية أنه سمع في دعائه يقول: «اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار»، وفي رواية ثانية: أنه سمع قائلاً يقول: هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال: «ما يدريك أنه كذلك، والله إني رسول الله وما أدري ما يصنع بي؟ إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم». وروي أنه ﷺ قال ذلك أيضاً، على جنازة عثمان بن مظعون

النار فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً، (**فلا يرى أحد نفسه في ملتطم أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة، فهذه مخاوف العارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع إلى مقام الاستبصار**) و الاعتبار، (**فسبيله أن يعالج بسماع الأخبار و الآثار، و يطالع أحوال الخائفين و أقوالهم**) و يجالس الصالحين و المذكرين بأيام الله و ذكر الأمم المغضوب عليهم والفكر في آثار الصفات الموجبة للخوف فقد أثنى بها على نفسه و خوف بها عباده، (**و ينسب عقولهم و مناصبهم إلى مناصب الراجين المغرورين**) و عقولهم (**فلا يتمارى**) أي لا يشك (**في أن الاقتداء بهم أولى لأنهم الأنبياء و الأولياء والعلماء**) والصالحون من عباده.

(**و أما الآمنون فهم الفراعنة الجهال الأغبياء، أما رسولنا ﷺ فهو سيد الأولين والآخرين**). روى الترمذي و ابن ماجه من حديث أبي سعيد «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر» الحديث. و رواه الطبراني من حديث عبدالله بن سلام. (**و كان أشد الناس خوفاً**) تقدم قبل هذا بخمسة و عشرين حديثاً قوله «والله إني لأخشاكم لله» و قوله «إني لأعلمهم بالله و أشدهم له خشية» (**حتى روى أنه كان يصلي على طفل**) منفوس، (**ففي رواية أنه سمع في دعائه**) لـه (**يقول «اللهم قه عذاب القبر و عذاب النار»**) كذا في القوت. و قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس «إن النبي ﷺ صلى على صبي أو صبية و قال: لو كان أحد نجا من ضمة القبر لنجا هذا الصبي» و اختلف في إسناده، فرواه في الكبير من حديث أبي أيوب أن صبياً دفن فقال رسول الله ﷺ «لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي». (**وفي رواية ثانية أنه سمع قائلة تقول: هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة فغضب و قال: «ما يدريك أنه كذلك والله إني رسول الله ﷺ وما أدري ما يصنع بي ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وخلق النار وخلق لها أهلاً لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم»**) كذا في القوت، وقال العراقي: رواه مسلم

وكان من المهاجرين الأوّلين لما قالت أم سلمة: هنيئاً لك الجنة، فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك: والله لا أزكي أحداً بعد عثمان، وقال محمد بن خولة الحنفية: والله لا أزكي أحداً غير رسول الله ﷺ ولا أبي الذي ولدني، قال: فثارت الشيعة عليه، فأخذ يذكر من فضائل علي ومناقبه وروي في حديث آخر عن رجل من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله ﷺ وقتلت في سبيل

من حديث عائشة قالت: توفي صبي فقلت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة الحديث. و ليس فيه فغضب وقد تقدم. و روي أنه ﷺ قال ذلك أيضاً على جنازة عثمان بن مظعون) رضي الله عنه **(و كان من المهاجرين الأولين من)** الشهداء وهو أول من مات بالمدينة **(لما قالت أم سلمة)** رضي الله عنها **(هنيئاً لك الجنة)** فقال لها ﷺ ما قال. **(فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك: والله ما أزكي أحداً بعد عثمان)** كذا في القوت. و قال العراقي: رواه البخاري من حديث أم العلاء الأنصارية وهي القائلة رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال « وما يدريك » الحديث. و ورد أن التي قالت ذلك أم خارجة بن زيد ولم أجد فيه ذكر أم سلمة اهـ.

قلت: لفظ الصحيح عن أم العلاء قالت: لما مات عثمان بن مظعون قلت شهادتي عليك أبا السائب لقد أكرمك الله الحديث. و قوله: و ورد أن التي قالت ذلك أم خارجة بن زيد.

قلت: قال ابن عبد البر في ترجمة أم العلاء الانصارية ،يقال:انها والدة خارجة بن زيد بن ثابت الراوي عنها روى حديثها الشيخان من رواية الزهري عن خارجة بن زيد عن أم العلاء الانصارية. قالت: طار لنا عثمان بن مظعون في السكنى لما اقترعت الانصار، فذكر الحديث في فضل عثمان بن مظعون، وفيه: أنها رأت لعثمان عيناً جارية فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: « ذاك عمله » وفي الحديث قولها المتقدم: شهادتي عليك أبا السائب لقد أكرمك الله، و الحديث المذكور الذي جاء فيه التصريح بأنه من قول أم خارجة بن زيد رواه أحمد و الطبراني من طريق يزيد بن أبي حبيب عن سالم بن النضر، عن خارجة بن زيد، عن أمه أن عثمان بن مظعون لما قبض قالت أم خارجة: طبت أبا السائب الحديث. قال الحافظ: فهذا ظاهر في أن أم العلاء هي والدة خارجة المذكور.

(و) أعجب من ذلك ما روي أنه **(قال)** أبو القاسم **(محمد بن)** علي بن أبي طالب وهو ابن **(خولة الحنفية)** وهي ابنة جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبد الله بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الديل بن حنيفة من سبي أهل الردة: **(والله لا أزكي أحداً غير رسول الله ﷺ ولا أبي الذي ولدني: قال: فثارت الشيعة عليه)** حين سمعوا ذلك منه، **(فأخذ يذكر فضائل علي ومناقبه)** نقله صاحب القوت.

(وروي في حديث آخر أن رجلاً من أهل الصفة استشهد فقالت أمه: هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله ﷺ وقتلت في سبيل الله. فقال ﷺ: « وما

الله، فقال ﷺ: «وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره»، وفي حديث آخر: «أنه دخل ﷺ على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول: هنيئاً لك الجنة، فقال ﷺ: «من هذه المتألية على الله تعالى؟»»، فقال المريض: هي أمي يا رسول الله، فقال: «وما يدريك، لعل فلاناً كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه» وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو ﷺ يقول: شيبتني هود وأخواتها» سورة الواقعة وإذا الشمس كوّرت وعم يتساءلون فقال العلماء: لعل ذلك لما في سورة هود من الابعاد كقوله تعالى: ﴿أَلاَ بُعْداً لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠] ﴿أَلاَ بُعْداً لِثُمُودَ﴾ [هود: ٦٨] ﴿أَلاَ بُعْداً لِمدينَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودْ﴾ [هود: ٩٥] مع علمه ﷺ بأنه لو شاء الله ما أشركوا إذ لو شاء لآتى كل نفس هداها وفي سورة الواقعة: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ★ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٢-٣] أي جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة

يدريك فلعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره») كذا في القوت. وقال العراقي: رواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ: «أن أمه قالت هنيئاً لك يا بني الجنة». ورواه البيهقي في الشعب إلا أنه قال: فقالت أمه هنيئاً لك الشهادة، وهو عند الترمذي إلا أنه قال: «إن رجلاً قال له ابشر بالجنة» وقد تقدم في ذم المال والبخل مع اختلاف.

(وفي حديث آخر أنه ﷺ دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول: هنيئاً لك الجنة. فقال ﷺ: «من هذه المتألية على الله»؟ فقال المريض: هي أمي يا رسول الله. فقال: «وما يدريك لعل فلاناً كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه»). كذا في القوت و بيض له العراقي.

(وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو ﷺ يقول «شيبتني هود و أخواتها») رواه الطبراني من حديث عقبة بن عامر، و الترمذي في الشمائل، و أبو يعلى، و الطبراني من حديث أبي حجيفة وفي لفظ «شيبتني هود **(و سورة الواقعة)** و المرسلات **(وإذا الشمس كورت وعم يتساءلون»)** .رواه الترمذي و الحاكم من حديث ابن عباس، ورواه الحاكم أيضاً عنه عن أبي بكر. وفي لفظ «شيبتني هود وأخواتها الواقعة والحاقة وإذا الشمس كورت». رواه الطبراني و ابن مردويه من حديث سهل بن سعد وقد تقدم الكلام عليه في كتاب السماع. **(فقال العلماء: لعل ذلك لما في سورة هود من الأبعاد كقوله تعالى ﴿ألا بعداً لعاد قوم هود﴾ ﴿ألا بعدا لثمود﴾ ﴿ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود﴾)** فهذا هو الذي شيبه ﷺ، **(مع علمه ﷺ بأنه لو شاء الله ما أشركوا إذ لو شاء لآتى كل نفس هداها)** كما قال تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني﴾ [السجدة: ١٣] **(وفي سورة الواقعة)** قوله تعالى: ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾أي وقعت السابقة ممن سبقت له السابقة وحقت الحاقة بمن حقت عليه الحاقة. **(أي جف القلم بما هو كائن)** روى أحمد من حديث ابن عمرو: «إن الله خلق خلقه في

حتى نزلت الواقعة: إما خافضة قوماً كانوا مرفوعين في الدنيا، وإما رافعة قوماً كانوا مخفوضين في الدنيا. وفي سورة التكوير أهوال يوم القيامة وانكشاف الخاتمة، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ★ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ★ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٢-١٤] وفي عم يتساءلون: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ: ٤٠] الآية، وقوله تعالى: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾

ظلمة» الحديث. وفيه: فلذلك أقول «جف القلم بما هو كائن». **(و تمت السابقة حتى نزلت الواقعة إما خافضة قوماً كانوا مرفوعين في الدنيا، وإما رافعة قوما كانوا مخفوضين في الدنيا)** حين ظهرت الحقائق و كشفت عواقب الخلائق وفيها ﴿فأما إن كان من المقربين ★ فروح وريحان وجنة نعيم ★ وإما كان من أصحاب اليمين ★ فسلام لك من أصحاب اليمين ★ و أما إن كان من المكذبين الضالين ★ فنزل من حميم ★ وتصلية جحيم﴾ فهذا هو حق اليقين الحاقة ما الحاقة إذا وقعت الواقعة بمن حقت عليه الكلمة. **(وفي سورة التكوير أهوال يوم القيامة)** وهي خواتم المصير لمن أيقن **(وانكشاف الخاتمة)** وفيها تجلي معاني الغضب لمن عاين آخر ذلك **(وهو قوله تعالى: ﴿وإذا الجحيم سعرت ★ وإذا الجنة أزلفت ★ علمت نفس ما أحضرت﴾)** هذا فصل الخطاب أي عند تسعير النيران واقتراب الجنان، حينئذ يتبين للنفس ما أحضرت من شر يصلح له الجحيم و خير يصلح للنعيم، و يعلم إذ ذاك من أي أهل الدارين يكون، وفي أي المنزلين يحل؟ فكم من قلوب قد تقطعت حسرات على الأبعاد من الجنان بعد اقترابها، وكم من نفوس تصاعدت زفرات عند يقينها معاينة النيران أنها تصيبها، وكم من أبصار ذليلة خاشعة لمشاهدة الأهوال، وكم من عقول طاشت لمعاينة الزلزال. **(وفي عم يتساءلون ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ الآية و قوله تعالى ﴿لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن و قال صواباً﴾)** وهذا الذي عزاه المصنف لبعض العلماء ساقه صاحب القوت وجهاً بقوله، ولعل المشهور في هذا الحديث الذي صرح به العلماء أن المراد منه أن في هذه السور من أهوال يوم القيامة و تباين أحوال السعداء والأشقياء والأمر بالاستقامة كما أمر مما يليق تعالى مقامه الذي لا يمكن بشراً أن يتحمله، ومن غير ذلك مما لا يستوعب بعضه إلا ديوان حافل ما يوجب استيلاء سلطان الخوف والحزن سيما على أتباعه وأمته بعظيم رأفته ورحمته لهم ودوام الفكر فيما يصلحهم وتتابع الغم مما ينوبهم أو يصدر عنهم واشتغال القلب والبدن بأحوالهم ومصالحهم الظاهرة والباطنة، وهذا كله مستوجب لضعف القوى البدنية، وضعفها مستلزم لضعف الحرارة الغريزية، وبضعفها يسرع الشيب ويظهر قبل وقته، ولكن لما كان عنده ﷺ من انشراح الصدر واتساع القلب وتوالي أنوار اليقين والقرب ما يسليه كل هم وحزن لم يقدر ذلك أن يستولي إلا على قدر يسير من شعره الشريف ليكون فيه مظهر الجلال والجمال، وليتبين أن جماله ﷺ غالب على جلاله والله أعلم.

[النبأ : ٣٨] والقرآن من أوّله إلى آخره مخاوف لمن قرأه بتدبر ، ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه : ٨٢]، لكان كافياً ، إذ علق المغفرة على أربعة شروط يعجز العبد عن آحادها ، وأشد منه قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص : ٦٧] ، وقوله تعالى : ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب : ٨] وقوله تعالى : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّها الثَّقَلاَنِ﴾ [الرحمن : ٣١] ، وقوله عز وجل : ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ﴾ [الأعـراف : ٩٩] الآيـة ، وقوله : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود : ١٠٢] وقوله تعالى : ﴿يَوْم نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إلى الرَّحْمٰنِ وَفْداً﴾ [مريم : ٨٥] الآيتين . وقوله تعالى : ﴿وإِنَّ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ [مريم : ٧١] الآية ، وقوله : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت : ٤٠] الآية ، وقوله : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيد حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ [الشورى : ٢٠] الآية ، وقوله : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهَ﴾ [الزلزلة : ٧] الآيتين . وقوله تعالى : ﴿وَقَدِمْنَا إلى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ [الفرقان : ٢٣] الآية ، وكذلك قوله تعالى : ﴿والعَصرِ ★ إنّ الإنسان لَفِي

(**والقرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأ بتدبر**) لتأمل (**ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ لكان كافياً**) في المقصود (**إذ علق المغفرة**) على (**أربع شروط يعجز العبد عن آحادها وهي: التوبة ثم الإيمان ثم العمل الصالح ثم الإهتداء وأشد منه قوله تعالى: ﴿فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين﴾**) أي من وجدت فيه هذه الشروط الثلاثة فعسى ولعل أن يعد من زمرة أهل الفلاح أي الفوز والنجاة. (**وقول تعالى: ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ وقوله تعالى: ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾ وقوله تعالى: ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ الآية. وقوله تعالى: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ وقوله تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ الآيتين. وقوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ الآية. وقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾ الآيـة. وقوله تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾ الآية. وقوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ الآيتين. وقوله تعالى ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل﴾ الآية**). فهذه المخاوف وهي من المحكمات ليس فيها أمر ولا زجر وردت في السوابق الأول والخواتم الأخر، وجاءت بالخبر عن قديم الخبر فيها سرائر الغيوب وغرائب الفهوم ومخاوف القلوب وزواجر النفوس وبصائر العقول لمن كان له قلب، وهـي من آي المطلع لأهل الإشراق على شرفات العرش والأعراف، (**وكذا قوله تعالى: ﴿والعصر ★**

خُسْرٍ﴾ [العصر : ١ ـ ٢] إلى آخر السورة، فهذه أربعة شروط للخلاص من الخسران، وإنما كان خوف الأنبياء مع ما فاض عليهم من النعم لأنهم لم يأمنوا مكر الله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، حتى روي أن النبي وجبريل عليهما الصلاة والسلام بكيا خوفاً من الله تعالى فأوحى الله إليهما لمَ تبكيان وقد أمنتكما؟ فقالا: ومن يأمن مكرك؟ وكأنهما إذ علما أن الله هو علام الغيوب وأنه لا وقوف لهما على غاية الأمور لم يأمنا أن يكون قوله: « قد أمنتكما » ابتلاء وامتحاناً لهما ومكراً بهما حتى إن سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمنا من المكر وما وفيا بقولهما كما أنّ إبراهيم ﷺ لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله، وكانت هذه من الدعاوي العظام

إن الإنسان لفي خسر﴾ إلى آخر السورة. فهذه أربعة شروط للخلاص من الخسران) وهي الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، (**وإنما كان خوف الأنبياء مع ما فاض عليهم من النعم**) الظاهرة والباطنة (**لأنهم لم يأمنوا مكر الله تعالى: ﴿ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾**) وقد كثرت الأخبار فيمن عبدالله واجتهد أكثر عمره ثم أحبط ذلك بعجب ساعة أو كلمة أو بازرائه على غيره وجاءت الأخبار بأعمال ترفع إلى السماء ويبني بها الدرجات العلى، ثم ينظر الله إلى صاحبها نظرة بعد أو بمقته فتنهدم الدرجات وتسقط المنازل، (**حتى روي**) في الخبر المشهور: (**أن النبي ﷺ وجبريل عليه السلام بكيا خوفاً من الله عز وجل، فأوحى الله إليهما لم تبكيان وقد أمنتكما فقالا: ومن يأمن مكرك**) كذا في القوت. وقال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط وابن شاهين في شرح السنة من حديث عمر، ورويناه في مجلس من أمالي أبي سعيد النقاش بسند ضعيف، (**وكأنهما إذ علما أن الله هو علام الغيوب وأنه لا وقوف لهما على غاية الأمور ولم يأمنا أن يكون قوله: « قد أمنتكما » ابتلاء وامتحاناً ومكراً بهما حتى أن سكن خوفهما ظهر أنهما قد أمنا من المكر وما وفيا بقولهما**) وعبارة القوت: فلولا أنهما علما أن مكره لا نهاية له لأن حكمه لا غاية له لم يقولا: ومن يأمن مكرك مع قوله: وقد أمنتكما، ولكن قد انتهى مكره بقوله: ولكانا وقفا على آخر مكره لكن خافا من بقية المكر الذي هو غيب عنهما، وعلما أنهما لا يقفان عن كنه غيب الله تعالى إذ هو علام الغيوب، فلا نهاية لعلام في علم ولا غاية للغيوب بوصف، فلم يحكم عليهما القول لعنايته بهما وفضل نظره لهما ولأنهما على مزيد من معرفة الصفات، إذ المكر عن الوصف واظهار القول لا يقضي على باطن الوصف، فكأنهما خافا أن يكون قوله عز وجل قد أمنتكما مكري مكراً منه بالقول على وصف مخصوص عن حكمه قد استأثر بعلمه يختبر بذلك حالهما، وينظر كيف يعملان تعبداً منه لهما به إذ الإبتلاء وصفه من قبل أن المبتلى إسمه قد يترك مقتضى وصفه لتحقيق اسمه ولا يبدل سننه التي قد خلت في عباده، (**كما أن**) خليله (**إبراهيم ﷺ**) اختبره (**لما وضع في المنجنيق**) وأهوى به في الهواء (**قال: حسبي**

فامتحن وعورض بجبريل في الهواء، حتى قال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فكان ذلك وفاء بحقيقة قوله حسبي الله، فأخبر الله تعالى عنه فقال: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧] أي بموجب قوله حسبي الله، وبمثل هذا أخبر عن موسى ﷺ حيث قال: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ۞ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٥ ـ ٤٦]، ومع هذا لما ألقي السحرة سحرهم أوجس موسى في نفسه خيفة، إذ لم يأمن مكر الله والتبس الأمر عليه حتى جدد عليه الأمن وقيل له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه: ٦٨] ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال ﷺ: « اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك »، فقال أبو بكر رضي الله تعالى

الله، وكانت) هذه القولة (**من الدعاوي العظام فامتحن وعورض بجبريل في الهواء حتى قال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا**) : فابت لنفسه حاجة كما هو مقتضى وصف الخلة، (**فكان ذلك وفاء بمقتضى قوله: حسبي الله**) وصدق القول بالعمل، (**فأخبر الله تعالى عنه فقال: ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ أي بموجب قوله حسبي الله**) ولأن الله تعالى لا يدخل تحت الأحكام ولا يلزمه ما حكم به على الأنام ولا يختبر صدقه تعالى، ولا يجوز أن يوصف بضد الصدق إن بدل الكلم هو بتبديل منه لأن أحكامه قائم به، فله أن يبدل منه به ما شاء بما شاء وهو الصادق في الكلامين العادل في الحكمين الحاكم في الحالين، لأنه حاكم عليه ولا حكم يلزمه فيه، لأنه قد جاوز العلوم والعقول التي هي أماكن للحدود من الأمر والنهي وفات الرسوم التي هو أواسط الأحكام والأقدار وفي مشاهدة ما ذكرنا علم دقيق من علوم التوحيد ومقام رفيع من أحوال الموحد، (**وبمثل هذا**) المعنى (**أخبر عن**) كليمه (**موسى ﷺ حيث قال: ﴿إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغي﴾**) يعني فرعون (**﴿قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ ومع هذا لما ألقى السحرة سحرهم أوجس موسى في نفسه خيفة، إذ لم يأمن مكر الله والتباس الأمر عليه**) بأن يكون قد أسرّ عنه في غيبه وقد استأثر عن نفسه تعالى ما لم يظهره له في القول لمعرفته عليه السلام بخفي المكر وباطن الوصف، ولعلمه أنه لم يعطه الحكم إذ هو محكوم عليه مقهور فخاف خوفاً ثانياً (**حتى جدد عليه الأمن**) بحكم ثان، (**وقيل له: ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾**) لا تخف إنك من الآمنين فاطمأن إلى القائل، ولم يسكن إلى الإظهار الأول لعلمه بسعة علمه أنه هو علام الغيوب التي لا نهاية لها، ولأن القول أحكام والحاكم لا تحكم عليه الأحكام كما لا تعود عليه الأحكام، وإنما تفصل الأحكام من الحاكم العلام ثم تعود على الحكومات أبداً، ولأنه جلت قدرته لا يلزمه ما ألزم الخلق الذي هم تحت الحكم ولا يدخل تحت معيار العقل والعلم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. (**ولما ضعفت شوكة المسلمين يوم بدر قال ﷺ**) في دعائه: (**« اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك » فقال أبو بكر رضي**

عنه دع عنك مناشدتك ربك فإنه واف بما وعدك، فكان مقام الصدّيق رضي الله عنه مقام الثقة، بوعد الله وكان مقام رسول الله ﷺ مقام الخوف من مكر الله وهو أتم لأنه لا يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر، وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى، ومن عرف حقيقة المعرفة وقصور معرفته عن الإحاطة بكنه الأمور عظم خوفه لا محالة، ولذلك قال المسيح ﷺ لما قيل له: ﴿أَأَنْتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُون اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمتَهُ تَعْلَم مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقال: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وإِنْ تَغْفِر لَهُمْ﴾ [المائدة: ١١٨] الآية، فوض الأمر إلى المشيئة وأخرج نفسه بالكلية من البين، لعلمه بأنه ليس له من الأمر شيء وإن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطاً يخرج عن حد المعقولات والمألوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس ولا حسبان فضلاً عن التحقيق والاستيقان وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين، إذ الطامة الكبرى هي ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالي بك إن أهلكك فقد أهلك

الله عنه: «دع مناشدتك ربك فإنه واف لك بما وعدك) قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن عباس بلفظ: «اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم» الحديث (فكان مقام الصديق) رضي الله عنه (مقام الثقة بوعد الله، وكان مقام رسول الله ﷺ مقام الخوف من مكر الله لأنه لم يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنه بالمكر، وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى، ومن عرف حقيقة المعرفة و) عرف (قصور معرفته عن الإحاطة بكنه الأمور عظم خوفه لا محالة، ولذلك قال المسيح) عيسى بن مريم (ﷺ لما قيل له: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾) وقد علم أنه لم يقله، فلما عرض له بالقول فزع فخاف أن يكون قاله وإن الله يؤاخذه به إذ جعله سبباً له (﴿قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ وقال) مثل هذا في يوم القيامة (﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم﴾ الآية فوض الأمر إلى المشيئة) لعزته وحكمته (وأخرج نفسه بالكلية من البين لعلمه بأنه ليس له من الأمر شيء) وأن الله يتحكم في خلقه كيف شاء من غير سبب منهم، (فإن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطاً يخرج عن حد المعقولات والمألوفات، فلا يمكن الحكم عليها بقياس وحدس) أي تخمين (وحسبان، فضلاً عن التحقيق والإستيقان، وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين)، ولذلك لا يصلح أن يكشف حقيقة تفصيله في كتاب خشيه الإنكار (إذ الطامة الكبرى هو

أمثالك ممن لا يحصى ولم يزل في الدنيا يعذبهم بأنواع الآلام والأمراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق، ثم يخلد العقاب عليهم أبد الآباد ثم يخبر عنه ويقول: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [هود: ١١٩] الآية؛ فكيف لا يخاف ما حق من القول في الأزل ولا يطمع في تداركه ولو كان الأمر أنفاً لكانت الأطماع تمتد إلى حيلة فيه، ولكن ليس إلا التسليم فيه واستقراء خفي أسباب السابقة من جلي الأسباب الظاهرة على القلب والجوارح؛ فمن يسرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة، إذ كل ميسر لما خلق له وإن كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعاً وبظاهره وباطنه على الله مقبلاً؛ كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقاً به؛ ولكنّ خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشعالاً ولا يمكنها من الإنطفاء، وكيف يؤمن تغير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وإن القلب أشدّ تقلباً من

ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالي بك إن أهلكك فقد أهلك أمثالك ممن لا يحصى ولم يزل في الدنيا يعذبهم بأنواع الآلام والأمراض ويمرض مع ذلك قلوبهم بالكفر والنفاق، ثم يخلد العقاب عليهم أبد الآباد ثم يخبر عنه ويقول: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هُداها ولكن حق الفصل مني لأملأنَّ جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ وقال تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك لأملأنَّ جهنم﴾ الآية. فكيف لا يخاف ما حق من القول في الأزل ولا مطمع في تداركه ولو كان الأمر أنفاً) وفي نسخة معايناً **(لكانت الأطماع تمتد إلى حيلة، ولكن ليس إلا التسليم واستقراء خفي أسباب السابقة من جلي الأسباب الظاهرة على القلب والجوارح، فمن يسرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة، إذ كل ميسر لما خلق له)** كما ورد ذلك في الخبر: « اعملوا فكل ميسر لما خلق له ». **(وإن كانت الخيرات كلها ميسرة وكان القلب بالكلية منقطعاً عن الدنيا وبظاهره وباطنه على الله مقبلاً كان هذا يقتضي تخفيف الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقاً به، ولكن خطر الخاتمة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف اشتعالاً ولا يمكنها من الإنطفاء، وكيف يؤمن تغيير الحال وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن)**. روى الحاكم من حديث جابر: « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها كيف شاء ». وقد تقدم في قواعد العقائد، **(وأنه أشدّ تقلباً من**

القدر في غليانها ، وقد قال مقلب القلوب عز وجل: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ [المعارج: ٢٨] ، فأجهل الناس من أمنه وهو ينادي بالتحذير من الأمن ، ولولا أن الله لطف بعباده العارفين إذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف. فأسباب الرجاء رحمة لخواص الله وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه إذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب. قال بعض العارفين: لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد ، لأني لا أدري ما ظهر له من التقلب. وقال بعضهم: لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الإسلام؛ لأني لا أدري ما يعرض لقلبي بين باب الحجرة وباب الدار. وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد أمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه. وكان سهل يقول: خوف الصديقين

القدر في غليانها) كما في الخبر وتقدم في عجائب القلب. **(وقد قال مقلب القلوب)** جل جلاله: **(﴿إن عذاب ربهم غير مأمون﴾ فأجهل الناس من أمنه وهو ينادي بالتحذير من الأمن)** وأعلمهم من خاف من الأمن حتى يخرج من دار الخوف إلى مقام أمين، وهذا خوف لا يقوم له شيء وكرب ولا يوازيه مقام ولا عمل، **(لولا أن الله لطيف بعباده العارفين إذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف)** ولأخرجهم إلى القنوط، ولولا أنه روحها بروح الإنسان بحسن الظن لأدخلهم في اليأس، ولكن إذا كان هو المعدل والمروح كيف لا يعتدل الخوف والرجاء حكمة بالغة وحكم نافذ لعلم سابق وقدر جار حقيقته ما شاء الله لا قوة إلا بالله، **(فأسباب الرجاء رحمة من الله تعالى)** لعباده، **(وأسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه إذ لو انكشف الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب من خوف تقلب القلوب. قال بعض العارفين: لو حال بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لأني لا أدري ما ظهر له من التقلب)** كذا في القوت. **(وقال بعضهم: لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الإسلام)** دون الشهادة. قيل: ولم؟ قال: **(لأني لا أدري ما يعرض لقلبي)** من المشاهدة فيما **(بين باب الحجرة وباب الدار)** فيغيره عن التوحيد. كذا في القوت. قال: وروينا عن زهير بن نعيم البابي قال: ما أكثر همي ذنوبي إنما أخاف ما هو أعظم علي من الذنوب أن أسلب التوحيد وأموت على غيره. **(وكان أبو الدرداء)** رضي الله عنه **(يحلف بالله ما أحد آمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه)** وقال مرة: فما سلبه عبد فوجد له فقداً. قال صاحب القوت: فهذا على أمرين أحدهما: أن يخفى ذلك عليه فلا يعلم بسلب إيمانه مكر الله به. والثاني: أن يظلم قلبه ويسود لطول الغفلة وكثافة الرين فلا يبالي بفقده إذ قد هيأ قلبه على قلة المبالاة وترك الاكتراث لذلك، فيهون عليه فقد الإيمان وقد كان بعض العلماء يقول: من أعطي التوحيد أعطيه

من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة، وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] ولما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع، فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإنّ عفو الله أعظم من ذنوبك، فقال: أو على ذنوبي أبكي لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا.

وحكي عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض إخوانه فقال: إذا حضرتني الوفاة فاقعد عند رأسي فإن رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتريه لوزاً وسكراً وانثره على صبيان أهل البلد، وقل هذا عرس المنفلت، وإن مت على غير التوحيد فاعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة. قال: وبم أعلم ذلك؟ فذكر له علامة، فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرقه.

بكماله ومن منعه منعه بكماله إذ كان التوحيد في نفسه لا يتبعض. (**وكان**) أبو محمد (**سهل**) التستري رحمه الله (**يقول: خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة**) وهمة (**وعند كل حركة**) يخافون البعد من الله تعالى، (**وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال**): ﴿ويؤتون ما أتوا (**وقلوبهم وجلة**﴾) ولفظ القوت: وهم الذين مدح الله وجلة قلوبهم. وقال أيضاً: لا يصح خوفه حتى يخاف من الحسنات كما يخاف السيئات. وقال أيضاً: أعلى الخوف أن يخاف سبق علم الله تعالى فيه ويحذر أن يكون منه حدث خلاف السنّة يجره إلى الكفر. وقال أيضاً. خوف التعظيم ميراث خوف السابقة. (**ولما احتضر سفيان**) الثوري رحمه الله تعالى (**جعل يبكي ويجزع فقيل له: يا أبا عبدالله عليك بالرجاء فإن عفو الله أعظم من ذنوبك. فقال: أو على ذنوبي أبكي لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا**). وقال مرة: ذنوبي أهون من هذا ورفع حبة من الأرض، إنما أخاف أن أسلب التوحيد في آخر الوقت، وقد كان رحمه الله أحد الخائفين كما سيأتي في الحكايات.

(**وحكي عن بعض الخائفين**) ولفظ القوت: وحدثني إخواني عن بعض الصادقين وكان خائفاً (**أنه أوصى بعض إخوانه**) فقال: (**إذا حضرتني الوفاة فاقعد عند رأسي**) فإذا عاينت فانظر إليّ (**فإن رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتر به لوزاً وسكراً وانثره على صبيان أهل البلد وقل: هذا عرس المتفلت**) الحاذق، (**وإن مت على غير التوحيد فاعلم الناس**) أي مت على غير الإسلام (**حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الموت**) فأكون قد خدعتهم حياً وميتاً (**قال**) له صاحبه: (**وبم أعلم ذلك؟ فذكر له علامة**) وهي أنه قال له: ضع أصبعك في كفي فإن أمسكتها وشددت عليها فاعلم أني قدمت على التوحيد، وإن أرسلتها ونبذتها فاعلم أن حالي سيئة ففعل، (**فرأى علامة التوحيد عند موته**) بأن قبض على أصبعه وشدّها فلم يخرجها من

وكان سهل يقول: المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر. وكان أبو يزيد يقول: إذا توجهت إلى المسجد كأن في وسطي زناراً أخاف أن يذهب بي إلى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع عني الزنار، فهذا لي في كل يوم خمس مرات.

كفه إلا بعد موته. قال: فنفذ وصيته **(فاشترى السكر واللوز وفرقه عند موته)** كما أمر. قال: ولم أحدث بذلك أحداً إلا خصوص إخواني من العلماء، وذلك أن العبد مهما عمل في حياته من سوء أعيد ذكره عليه عند فراق الحياة وقلب قلبه فيه وأشهد وجده إياه عند آخر ساعة من وفاته، فإن استحلى ذلك بقلبه واستهوته نفسه وقف معه وسكن إليه، فإذا وقف معه حسب عليه وجعل عملاً من أعماله إلا أنه من أعمال القلوب في الوقت، وقد تقدم سعيه فيه وهواه قبل الوقت وكان ذلك فاتبع سبباً، وإن قل وكان هو الخاتمة فسبحان متيح الأسباب وجاعلها أبواباً ومقيض القرناء وجاعلها حجاجاً.

(وكان) أبو محمد **(سهل)** التستري رحمه الله **(يقول: المريد يخاف أن يبتلي بالمعاصي، والعارف يخاف أن يبتلي بالكفر)** نقله صاحب القوت. قال: **(و)** كذلك **(كان أبو يزيد)** البسطامي رحمه الله تعالى قبله **(يقول: إذا ذهبت إلى المسجد كأن في وسطي زناراً أخاف أن يذهب بي إلى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فينقطع علي الزنار، فهذا لي في كل يوم خمس مرات)** هذا لعلمهم بسرعة تقلب القلوب في قدرة الغيوب كذا في القوت.

وقال القشيري في الرسالة، وقال أبو يزيد: منذ ثلاثين سنة أصلي واعتقادي في نفسي عند كل صلاة أصليها كأني مجوسي أريد أن أقطع زناري اهـ.

قال الشارح: فسره في موضع آخر فقال: كنت إثنتي عشرة سنة حداد نفسي وخمس سنين مرآة قلبي وسنة نظر فيما بينهما، فإذا في وسطي زنار ظاهر فعملت في قطعه إثنتي عشرة سنة، ثم نظرت فإذا في وسطى زنار باطني فعملت في قطعة خمس سنين فلما قطعه رأى الخلق كلهم وهو منهم موتى، فكبر عليهم أربع تكبيرات، وذلك لأن الحداد شأنه أن يحمي الحديد ويطرقه ليصفيه ويخرج وسخه فقال: كنت أعدل جوارحي وخواطري بالخوف والرجاء هذه المدة حتى اعتدلت على الشريعة، فرأيت في نفسي التفاتاً إلى الخلق ليعرفوا ما أنا عليه من الطاعة الخالصة فشبه نفسه حيث التفت في عمله إلى غير الله بعلامة الشرك وهي الزنار الظاهر فعمل في قطعه، فلما تخلص منه أعجب بنفسه وهواه وحمد نفسه على ذلك ونسي منه ربه عليه، فلما أدرك ذلك رأى زناراً باطناً حيث جعل لنفسه أثراً في طاعته، فلما منّ الله برؤية فضله عليه وأن جميع الخلق كالموتى في أنهم لا يضرون ولا ينفعون كبر عليهم أربع تكبيرات فذكر الله وحده واستند إليه دون غيره فقوله: كأني في صلاتي مجوسي يعني في المدة التي كان يعمل فيها في قطع الزنار الظاهر مع ما قبلها، والله أعلم.

وروي عن المسيح عليه الصلاة والسلام أنه قال: يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر. وروي في أخبار الأنبياء أن نبياً شكا إلى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف فأوحى الله تعالى إليه عبدي، أما رضيت أن عصمت قلبك أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا؟ فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال: بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر. فإذا كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخاف الضعفاء؟ ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات المذمومة، ولذلك اشتدّ خوف الصحابة من النفاق حتى قال الحسن: لو أعلم أني بريء من النفاق كان أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس وما عنوا به النفاق الذي هو ضدّ أصل الإيمان بل المراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلماً منافقاً وله علامات كثيرة قال ﷺ: «أربع من كن فيه فهو منافق خالص وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن

(و) قد (روي) معنى ذلك (عن المسيح عليه السلام أنه قال: يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر) كذا في القوت. (وروي في أخبار الأنبياء) عليهم السلام (أن نبياً) منهم (شكا إلى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين وكان لباسه الصوف، فأوحى الله) تعالى (إليه عبدي أما رضيت أن عصمت قلبك) أي حفظته من (أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا، فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال: بلى قد رضيت يا رب فاعصمني من الكفر) فلم يذكر نعمته عليه بنبوته وعرضه للكفر، وجوز دخوله عليه بعد النبوة فاعترف بذلك فاعتصم كذا في القوت. (وإذا كان خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوّة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء) بل هم بطريق الأولى، (ولسوء الخاتمة والنفاق أسباب تتقدم على الموت مثل: البدعة والكبر وجملة من الصفات المذمومة) وقد روي في معنى حديث: «من غش أمتي لعنة الله» قيل: وما غش أمتك؟ قال: «ان يبتدع لهم بدعة فيتبع عليها فإذا فعل ذلك فقد غشهم». (ولذلك اشتد خوف الصحابة) رضوان الله عليهم (من النفاق) كما هو معروف من سيرهم وأحوالهم (حتى قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: (لو أعلم أني بريء من النفاق كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس) هذا مع فضله وزهده وورعه نقله صاحب القوت. (وما عنوا به النفاق الذي هو ضد أصل الإيمان) كما يتبادر إلى الأذهان، (بل المراد به ما يجتمع مع أصل الإيمان فيكون مسلماً منافقاً وله علامات كثيرة. قال ﷺ: «أربع) خصال (من كن فيه) أي وجدت (فهو منافق خالص وإن صلّى وصام وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة

خان، وإذا خاصم فجر» وفي لفظ آخر: «وإذا عاهد غدر». وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شيء منه إلا صديق، إذ قال الحسن: إنّ من النفاق

من النفاق حتى يدعها) أي يتركها **(من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإذا خاصم فجر» وفي لفظ آخر: «وإذا عاهد غدر»).**

ولفظ القوت: ومن المخاوف: خوف النفاق قد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يخافون النفاق قد كان يكون فيهم شعبة منه أو دقيقة من حيث لا يعلمون، هذا لأن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من كن فيه فهو منافق» وفي حديث عبدالله بن عمرو «أربع» ورويناها «خمساً» من ثلاثة أحاديث جمعناها، فكانت: «خمس خصال من كن فيه فهو منافق خالص وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم» وفي لفظ آخر: «أربع من كن فيه فقد أدمج النفاق من فرقه إلى قدمه، ومن كانت فيه واحدة منهن ففيه شعبة من نفاق حتى يدعها من إذا حدث كذب وإذا وعد اخلف وإذا ائتمن خان وإذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر» قال: فجعل بعضنا ينظر إلى بعض تعجباً إذا لم يكن الرجل كفؤاً لها. قال: إني كنت وعدته أن أزوجه ابنتي وأخاف أن ألقى الله بثلث النفاق، وقد كانوا يقولون: الكذب باب من النفاق.

ومن عزائم الأخبار وشدائدها خبران وردا بأربعة أخلاق أنها لا توجد في مؤمن. أحدهما: قوله ﷺ: «يجبل المؤمن على كل خلق إلا الخيانة» وبمعناها الكذب مجانب الإيمان، وقد يدخل الكذب في الأفعال والأحوال دخوله في المقال، وليس يعرى من الكذب اليوم إلا الصديقون دون الصادقين.

والخبر الآخر قوله ﷺ: «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق» وليس يعرى من البخل على مذهب أهل المعرفة في هذا الوقت الأبدال، فقد سئل بعضهم عن البخل فقال: هو أن تملك الشيء فتدعي ملكه لتمنع الغير أن يأخذه منك. قال بعض العارفين: البخل من لم يؤثر بالشيء مع الحاجة إليه، فوجود هذه الأخلاق الدنية وهي من صفات النفس وجبلة الطبع وآفات العقل موجب للخوف من النفاق، فإن هذه علامة نقص أو فقد اليقين إذ العلامات قد توجد والدلائل في الحال قد تشهد ويتأخر حكمها ووقوع حقائقها إلى المآل اهـ.

والحديث المذكور قد تقدم في قواعد العقائد، وقد رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبدالله بن عمر: «وأربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» وفي لفظ للشيخين: «إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر» رواه كذلك الخرائطي في مساوىء الأخلاق، وابن عساكر من رواية مسروق عن ابن مسعود.

(وقد فسر الصحابة) رضي الله عنهم **(والتابعون النفاق بتفسير لا يخلو عن شيء منه**

اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف المدخل والمخرج، ومن الذي يخلو عن هذه المعاني بل صارت هذه الأمور مألوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكراً بالكلية، بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوّة، فكيف الظن بزماننا! حتى قال حذيفة رضي الله تعالى عنه: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقاً إني لأسمعها من أحدكم في اليوم عشر مرات. وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر وقال بعضهم: علامة النفاق أن تكره من الناس ما تأتي

إلا صديق، إذ قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: (**إن من النفاق**) لفظ القوت، وكان يقول: كانوا يعدون (**اختلاف السر والعلانية**) وإختلاف الظاهر والباطن (**واختلاف اللسان والقلب**) نفاقاً (**و**) قال مرة: كانوا يعدون (**اختلاف**) القول والعمل (**والمدخل والمخرج**) نفاقاً، (**ومن الذي يخلو من هذه المعاني بل صارت هذه الأمور مألوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكراً بالكلية، بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة**) فكيف الظن بزماننا؟ حتى قال حذيفة بن اليمان (**رضي الله عنه: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقاً**) حتى يلقى الله و(**إني لأسمعها من أحدكم**) ليتكلم بها (**في اليوم**) ولفظ القوت: في المجلس (**الواحد عشر مرات**) ولفظ القوت: خمس مرات. رواه أحمد عن عبدالله بن نمير، حدثنا رزين الجهني، حدثنا أبو الرقاد قال: خرجت مع مولاي وأنا غلام فدفعت إلى حذيفة، ويقول: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير بها منافقاً وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتحضن على الخير أو ليسحتنكم الله جميعاً بعذاب أو ليؤمرن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم. وقد رواه أبو نعيم في الحلية من طريقه، وتقدم في قواعد العقائد.

(**وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر**). وفي لفظ: من الموبقات. قال العراقي: رواه البخاري من حديث أنس، والبزار من حديث أبي سعيد، وأحمد، والحاكم من حديث عبادة وصحح إسناده وتقدم في التوبة.

قلت: وأخرج أبو نعيم في الحلية عن حذيفة قال: المنافقون اليوم شر منهم على عهد رسول الله ﷺ كانوا إذ ذاك يسرونه وهم اليوم يعلنونه. قال صاحب القوت: وهذا كما قال إعلان المعاصي والجهار بها أعظم من التستر والتخفي لأنها إذا أسرت لم تضر إلا صاحبها، وإذا أعلنت ضرت العامة ونكأت في الإسلام وأوهنت شأن الدين.

(**وقال بعضهم: علامة النفاق أن يكره من الناس ما يأتي مثله**) نقله صاحب القوت.

مثله، وأن تحب على شيء من الجور، وأن تبغض على شيء من الحق وقيل: من النفاق، إنه إذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك. وقال رجل لابن عمر رحمه الله: إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم فيما يقولون، فإذا خرجنا تكلمنا فيهم، فقال كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ. وروي أنه سمع رجلاً يذم الحجاج ويقع فيه، فقال: أرأيت لو كان الحجاج حاضراً أكنت تتكلم بما تكلمت به؟ قال: لا. قال: كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ. وأشدّ من ذلك ما روي أنّ نفراً قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه، فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه، فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه، فقال:

قال: (**و**) روينا مسنداً: « من النفاق (**أن يحب على شيء من الجور وإن يبغض على شيء من الحق** ») وسئل وهب: من المنافق؟ قال: الذي يحب المدح ويكره الذم. وروي مسنداً من طريق أهل البيت: « من علامة المنافق أن يحب أن يحمد في جميع أموره ». (**وقيل: من النفاق أنه إذا مدح بشيء ليس فيه أعجبه ذلك**) كذا في القوت.

وعلامات النفاق أكثر من أن تحصى هي سبعون علامة ولا يعرى من النفاق إلا طبقات ثلاث: الصديقون والشهداء والصالحون، وهؤلاء الذين ضمهم الله إلى الأنبياء ووصفهم بكمال النعمة عليهم، وعافاهم من الخبرة بالبلوى، ووقاهم آفة الأهوال كمال إيمانهم وصفاء يقينهم وحقيقة معرفتهم دقائق النفاق وخفايا الشرك عن نقصان التوحيد وضعف اليقين وترادف الشهوات وتزايد العادات عن قوة النفس وتظاهر صفاتها. فهذه أوجبت المخاوف على المؤمنين خشية مقت الله تعالى وخوف حبوط الأعمال من حيث لا يشعرون.

(**وقال رجل لابن عمر**) رضي الله عنهما: (**إنا ندخل على هؤلاء الأمراء فنصدقهم بما يقولون**) ويعلم الله في قلوبنا خلاف ذلك. وقال مرة: ندخل عليهم فنمدحهم، (**فإذا خرجنا تكلمنا فيهم. فقال**) ابن عمر: (**كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ**) كذا نقله صاحب القوت. (**وروي**) عنه من طريق آخر (**أنه سمع رجلاً يذم الحجاج ويقع فيه**) ولفظ القوت: يسبّ الحجاج ويذمه، (**فقال**) له: (**أرأيت لو كان الحجاج حاضراً كنت تتكلم بما تكلمت به؟ قال: لا. قال**) ابن عمر: أما هذا فقد (**كنا نعدّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ**) كذا في القوت وقد تقدم في قواعد العقائد. قال العراقي: ولم أجد فيه ذكر الحجاج.

قلت: ذكر الحجاج فيه في الغيلانيات. قال صاحب القوت: ولعمري لقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: « يكون بعدي أمراء من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولن يرد على الحوض ولكن من كره وأنكر ».

(**وأشد من ذلك ما روي: أن نفراً قعدوا على باب حذيفة**) رضي الله عنه (**ينتظرونه فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه، فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه. فقال: تكلموا فيما**

تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا، فقال: كنا نعد هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ. وهذا حذيفة كان قد خص بعلم المنافقين وأسباب النفاق، وكان يقول: إنه يأتي على القلب ساعة يمتلىء بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز إبرة، ويأتي عليه ساعة يمتلىء بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة، فقد عرفت بهذا أنّ خوف العارفين من سوء الخاتمة، وأن سببه أمور تتقدمه: منها البدع، ومنها المعاصي، ومنها النفاق، ومتى يخلو العبد عن شيء من جملة ذلك! وإن ظنّ أنه قد خلا عنه فهو النفاق، إذ قيل: من أمن النفاق فهو منافق. وقال بعضهم لبعض العارفين: إني أخاف على نفسي النفاق،

كنتم تقولون فسكتوا) في القوت: أفيضوا بدل تكلموا. **(فقال:)** قد **(كنا نعد)** مثل **(هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **(وهذا حذيفة)** رضي الله عنه **(كان)** قد **(خص بعلم المنافقين)** حتى أن عمر رضي الله عنه كان يقول له: هل تعلم فيّ شيئاً من النفاق؟ **(وكان يقول: إنه تأتي على القلب ساعة يمتلىء بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز إبرة، وتأتي عليه ساعة يمتلىء بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة)** يعني بهذا عند قوّة صفات النفس بالهوى، وامتلائها بالشهوة يغيب الإيمان ويحتجب احتجاب الشمس تحت السحاب فيرتفع حكمه عن إظهار أحكامه الموجبة لمقتضاه من الورع او الزهد أو المراقبة أو المخافة، كما يرتفع حكم شعاع الشمس إذا حجبت بكثف السحاب على الأرض ولم يقع منها ضوء، وعلى هذا المعنى قوله ﷺ: « لا يزني الزاني وهو مؤمن » الحديث. وفي الخبر الآخر: « مثل الإيمان كالقميص يلبسه أحياناً ويخلع أحياناً » وقد يكون امتلاء القلب بالنفاق بدلاً عن امتلائه بالإيمان في وقت دخول الشك عليه لأنه برفع اليقين وعدم اليقين هو مكان لوجود النفاق أو في وقت إنكار القدرة من قدرة الله تعالى وحين تكذيبه فإنه من آياته، فوجود ذلك نقص للإيمان وينقص الإيمان دخول النفاق فإنه بغت الموت في هذه الساعة التي يمتلىء القلب فيها نفاقاً حتى لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة أليس يكون ذلك خاتمته بالنفاق؟ وكذلك أن فجأه الأمر بغتة عند إحدى الخصال الخمس المذكورة في حديث عبد الله بن عمرو: أليس ذلك يصير في آخر عمره من سوء الخاتمة.

(فقد عرفت بهذا أن خوف العارفين من سوء الخاتمة، وأن سببه أمور متقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق)، وقد يتخوف الخصوص إذا جعلوا سبباً لبلاء أن يلحقهم منه ذنب وإن لم يكن فيه قصد ولا عليهم منه حكم من ذلك قول مريم الصديقة ﴿يا ليتني مت قبل هذا﴾ [مريم: ٢٣] لما جعلت محنة للأمة، وعلى ذلك قول عيسى عليه السلام لما سئل الشفاعة إني لست هناك إني أخاف لأني قد عبدت من دون الله تعالى، ومن أعجب ما أضيف إلى العبد فعله مما لا يفعله إلا أنه أجرى عليه وجعل مكاناً فيه، **(ومتى يخلو العبد عن شيء من جملة ذلك وإن ظن أنه قد خلا عنه فهو النفاق إذ قيل: من أمن النفاق فهو منافق)** كذا في القوت.

فقال: لو كنت منافقاً لما خفت النفاق، فلا يزال العارف بين التفات إلى السابقة والخاتمة خائفاً منهما. ولذلك قال ﷺ: «العبد المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار» والله المستعان.

بيان معنى سوء الخاتمة:

فإن قلت: إن أكثر هؤلاء يرجع خوفهم إلى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة؟

فاعلم أن سوء الخاتمة على رتبتين إحداهما أعظم من الأخرى، فأما الرتبة العظيمة الهائلة؛ فأن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله: إما الشك وإما الجحود، فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجاباً بينه وبين الله تعالى أبداً وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب

(**وقال بعضهم لبعض العارفين: إني أخاف على نفسي النفاق. قال: لو كنت منافقاً لما خفت النفاق**) ولفظ القوت: جاء رجل إلى حذيفة باكياً قال: هلكت. قال: مالك؟ قال: إني أخاف النفاق. فقال له: لو كنت منافقاً لم تخف النفاق. إن المنافق قد أمن النفاق فجعل خوف النفاق أمنه وحسب الآمن منه علماً لوجوده، (**فلا يزال العارف بين الالتفات إلى السابقة فالخاتمة خائفاً منهما، ولذلك قال ﷺ: «العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار»**) قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن رجل من الصحابة، وقد تقدم في ذم الدنيا. وذكره ابن المبارك في الزهد بلاغاً وذكره صاحب الفردوس من حديث جابر ولم يخرجه ولده في مسند الفردوس اهـ.

قلت: لفظ ابن المبارك في كتاب الزهد المؤمن عبد بين مخافتين من ذنب قد مضى لا يدري ما يصنع الله فيه ومن عمر قد بقي لا يدري ماذا يصيب فيه من المهلكات.

بيان معنى سوء الخاتمة:

(**فإن قلت: إن أكثر هؤلاء**) أي الصالحين (**يرجع خوفهم إلى سوء الخاتمة فما معنى سوء الخاتمة؟ فاعلم**) هداك الله تعالى (**أن سوء الخاتمة على رتبتين: إحداهما أعظم من الأخرى، فأما الرتبة العظيمة الهائلة فأن يغلب على القلب عند سكرات الموت**) وشدائده (**وظهور أهواله: إما الشك وإما الجحود، فتقبض الروح على حالة غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجاباً بينه وبين الله تعالى أبداً، وذلك**)

المخلد. والثانية وهي دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها. فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحال فيكون استغراق قلبه به منكساً رأسه إلى الدنيا وصارفاً وجهه إليها. ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب. ومهما حصل الحجاب نزل العذاب إذ نارالله الموقدة لا تأخذ إلا المحجوبين عنه؛ فأما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف همه إلى الله تعالى فتقول له النار: جزيا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي، فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا، فالأمر مخطر؛ لأن المرء يموت على ما عاش عليه، ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه، إذ لا تصرف في القلوب إلا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال، فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع إلى الدنيا ليتدارك، وعند ذلك تعظم الحسرة، إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة، فإنه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له

يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد) الملازم. (و) الرتبة الثانية وهي دونها) أي دون الأولى (أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه) أي يغمره (حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره، فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه به منكساً رأسه إلى الدنيا وصارفاً وجهه إليها، ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب، ومهما حصل الحجاب) عن الله تعالى (نزل العذاب) لا محالة (إذ نار الله الموقدة) المشار إليها في الآية (لا تأخذ إلا المحجوبين عنه، فأما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المصروف إلى الله تعالى) المشار إليه في قوله تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون★ إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] أي سليم عن حب الدنيا (تقول له النار: جزيا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي) روي ذلك من حديث يعلى بن منبه. تقول النار للمؤمن: يوم القيامة جزيا مؤمن فقد أطفا نورك لهبي. رواه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي والخطيب وضعفه البيهقي، ورواه الحكيم في النوادر بلفظ: ان النار تقول (فمهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فإن الأمر مخطر لأن المرء يموت على ما عاش عليه) كما أنه يبعث على ما مات عليه، (ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه إذ لا تصرف في القلوب إلا بأعمال الجوارح، وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع إلى الدنيا ليتدارك، وعند ذلك تعظم الحسرة) حيث لا تنفع (إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة، وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة فإنه يمحق عن القلب هذه الحالة التي

عند الموت، فإن كان إيمانه في القوة إلى حدّ مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب، وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار، ولو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بدّ وأن يخرجه من النار ولو بعد آلاف سنين.

فإن قلت: فما ذكرته يقتضي أن تسرع النار إليه عقيب موته، فما باله يؤخر إلى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة.

فاعلم أن كل من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الإيمان، بل الصحيح عند ذوي الأبصار ما صحت به الأخبار وهو: أن القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، وأنه قد يفتح إلى قبر المعذب سبعون باباً من الجحيم، كما وردت به الأخبار فلا تفارقه روحه إلا وقد نزل به البلاء إن كان قد شقي بسوء الخاتمة، وإنما تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات، فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعده، ثم المناقشة في الحساب والافتضاح على ملأ من الأشهاد في القيامة، ثم بعد ذلك خطر الصراط وهوان الزبانية،

عرضت عند الموت، فإن كان إيمانه في القوّة إلى حبة مثقال أخرجه من النار في زمان أقرب) كما في الخبر: «أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان». **(وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن إلا مثقال حبة فلا بدّ وان يخرجه من النار ولو بعد حين ولو بعد آلاف سنين)**، فقد روي من مرسل الحسن: يخرج من النار رجل بعد ألف عام وقد تقدم ذلك.

(فإن قلت: فما ذكرته يقتضي أن تسرع النار إليه عقيب موته فما باله يؤخر إلى يوم القيامة ويمهل طول هذه المدة؟ فاعلم أن من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن و) عن **(نور الإيمان، بل الصحيح عند ذوي الأبصار ما صحت به الأخبار، وهو أن القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة)**. رواه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب وتقدم في الأذكار، **(وأنه قد يفتح إلى قبر المعذب سبعون باباً من الجحيم كما وردت به الأخبار)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً **(فلا تفارقه روحه إلا وقد نزل البلاء به إن كان قد شقي بسوء الخاتمة، وإنما تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات، فيكون سؤال منكر ونكير عند الوضع في القبر)** تقدم في قواعد العقائد **(والتعذيب بعده)** تقدم فيه أيضاً، **(ثم المناقشة في الحساب)** تقدم فيه أيضاً **(والإفضاح على ملأ من الأشهاد في القيامة)** قال العراقي: روى أحمد والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد جيد: «من انتقى من ولده ليفضحه في الدنيا فضحه الله على رؤوس الأشهاد». وفي الصحيحين من حديث ابن عمر «أما الكافر والمنافق فينادى بهم على رؤوس الخلائق هؤلاء

إلى آخر ما وردت به الأخبار، فلا يزال الشقي متردداً في جميع أحواله بين أصناف العذاب وهو في جملة الأحوال معذب إلا أن يتغمده الله برحمته، ولا تظنن أن محل الإيمان يأكله التراب، بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها إلى أن يبلغ الكتاب أجله فتجتمع الأجزاء المتفرقة وتعاد إليها الروح التي هي محل الإيمان، وقد كانت من وقت الموت إلى الإعادة إما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش إن كانت سعيدة، وإما على حالة تضاد هذه الحالة إن كانت والعياذ بالله شقية.

فإن قلت: فما السبب الذي يفضي إلى سوء الخاتمة؟

الذين كذبوا على ربهم» وللطبراني والعقيلي في الضعفاء من حديث الفضل بن عباس فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وهو حديث طويل منكر اهـ.

قلت: حديث ابن عمر الذي عند أحمد والطبراني قد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية وعند الكل بعد قوله الاشهاد قصاص بقصاص. وأما الحديث الاخير فقد رواه أيضاً القضاعي كلهم من رواية القاسم بن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبيه عن عطاء عن ابن عباس عن أخيه الفضل به مرفوعاً، **(ثم بعد ذلك خطر الصراط)** تقدم في قواعد العقائد **(وهول الزبانية)** قال العراقي: روى الطبراني من حديث أنس «الزبانية يوم القيامة أسرع إلى فسقة حملة القرآن منها إلى عبدة الأوثان والنيران». قال صاحب الميزان: حديث منكر. وروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم معضلاً في خزنة جهنم ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب اهـ.

قلت: وبقية حديث أنس عند الطبراني بعد قوله النيران فيقولون: يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان فيقولون ليس من يعلم كمن لا يعلم **(إلى آخر ما وردت به الأخبار فلا يزال الشقي مردداً في جميع أحواله بين أصناف العذاب)** وأنواعه **(وهو في جملة الأحوال معذب إلا أن يتغمده الله برحمته)** ويتداركه بلطفه وكرمه. **(ولا تظن أن محل الإيمان يأكله التراب، بل التراب يأكل جميع الجوارح ويبددها)** أي يفرقها **(إلى أن يبلغ الكتاب أجله فتجتمع الاجزاء المتفرقة وتعاد إليها الروح التي هي محل الإيمان، وقد كانت من وقت الموت إلى الإعادة إما في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش إن كانت سعيدة، وإما على حالة تضاد هذه الحال إن كانت والعياذ بالله شقية)** فقد روى الطبراني من حديث كعب بن مالك وأم مبشر معاً أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر تعلق في شجر الجنة حتى يردها الله إلى أجسادها يوم القيامة. وروى الطبراني من حديث كعب بن مالك وحده «أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تعلق حيث شاءت». وروى ابن زنجويه في فوائده من رواية نعيم بن سالم عن أنس رفعه «أرواح الشهداء تجعل في حواصل طير خضر معلقة في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث شاءت» الحديث.

(فإن قلت: فما السبب الذي يفضي إلى سوء الخاتمة؟ فاعلم أن أسباب هذه الأمور لا

فاعلم أن أسباب هذه الأمور لا يمكن إحصاؤها على التفصيل، ولكن يمكن الإشارة إلى مجامعها أما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين:

أحدهما: يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الأعمال: كالمبتدع الزاهد فإنّ عاقبته مخطرة جداً، وإن كانت أعماله صالحة ولست أعني مذهباً فأقول أنه بدعة؛ فإنّ بيان ذلك يطول القول فيه بل أعني بالبدعة: أن يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه، إما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصم وعليه يعوّل وبه يغتر، وإما أخذاً بالتقليد ممن هذا حاله، فإذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه ربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلاً، إذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادىء سكراته منه، فقد ينكشف به بعض الأمور، فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعاً به متيقناً له عند نفسه لم يظن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لالتجائه فيه إلى رأيه الفاسد وعقله الناقص، بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له، إذ لم يكن عنده فرق بين إيمانه

يمكن إحصاؤها على التفصيل، ولكـن يمكـن الإشـارة إلى مجامعهـا، أمـا الختم على الشـك والجحود فينحصر سببه في فنين.

أحدهما: يتصوّر مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الأعمال كالمبتدع الزاهد) دخلت عليه المشاهدة من قبل المواجهة بالانصاف والعدل بمعيار العقل وإتلاف الحد من قبل قوّة النظر في الاكتساب، (**فإن عاقبته مخطرة جداً وإن كانت أعماله صالحة**) ويدلك على ذلك أن أكثر هذه المخاوف كانت في البصريين وأهل عبادان والعسكر وكان مذهبهم القدر فوقعوا في غاية الخطر. (**ولست أعني مذهباً فأقول إنه بدعة فإن بيان ذلك يطول القول فيه، بل أعني بالبدعة أن يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف**) ما هو (**الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه إما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصم وعليه يعول وبه يغتر**) وذلك مثل أصحاب عمرو بن عبيد وعطاء الغزال والعطوية والفوطية وأصحاب المنزلة بين المنزلتين، (**وإما أخذاً بالتقليد فمن هذا حاله، فإذا قرب الموت وظهرت له ناصية ملك الموت واضطرب القلب بما فيه، فربما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلاً**) فيتمنى أنه لم يعط عقلاً (**إذ حال الموت حال كشف الغطاء ومبادىء سكراته منه فقد ينكشف به بعض الأمور، فمهما بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعاً به**) وجازماً (**متيقناً له عند نفسه لم يظن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد لالتجائه فيه إلى رأيه الفاسد وعقله الناقص، بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له إن لم يكن عنده فرق بين**

بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد ، فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سبباً لبطلان بقية اعتقاداته أو لشكه فيها ، فإن اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه . فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى : ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر : ٤٧] ، وبقوله عز وجل : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ★ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [الكهف : ١٠٣ ـ ١٠٤] ، وكما أنه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن القلب ، فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الأمور ، إذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب من أن ينظر إلى الملكوت ، فيطالع ما في اللوح المحفوظ لتنكشف له الأمور على ما هي عليه ، فيكون مثل هذه الحال سبباً للكشف ، ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات ، وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئاً على خلاف ما هو به إما تقليداً وإما نظراً بالرأي والمعقول ، فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا الخطر ، بل لا ينجي منه إلا

إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة ، وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سبباً لبطلان بقية اعتقاداته و) سبباً (**لشكه فيها ، فإن اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل أن يتثبت ويعود إلى أصل الإيمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعياذ بالله منه ، فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى : ﴿ وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾**) وبقوله تعالى : ﴿وبدالهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ [الجاثية : ٣٣] (**وبقوله تعالى : ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ★ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾**) فكم من مغبوط في أحواله تقلبت عليه الحال ومشى بمقارفة قبيح الأعمال فبدل بالانس وحشة وبالحضور غيبة ، (**وكما أنه قد ينكشف في النوم ما سيكون في المستقبل وذلك لسبب خفة اشتغال الدنيا عن القلب ، فكذلك ينكشف في سكرات الموت بعض الأمور**) مما كان محجوباً عنه ، (**إذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي المانعة للقلب أن ينظر إلى الملكوت فيطالع**) عجائب هذا العالم ويطالع (**ما في اللوح المحفوظ لتنكشف له الأمور على ما هي عليه ، فيكون مثل هذه الحال سبب الكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات ، وكل من اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئاً على خلاف ما هو به إما تقليداً**) لآبائه ومشايخه (**وإما نظراً بالرأي والمعقول ، فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي . أعني لا يكفي لدفع هذا الخطر ، بل لا ينجى منه إلا الاعتقاد الحق ، والبله**) الغافلون (**بمعزل عن هذا الخطر . أعني الذين**

الإعتقاد الحق، والبله بمعزل عن هذا الخطر، أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيماناً مجملاً راسخاً كالأعراب والسوادية وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالاً ولا صغوا إلى أصناف المتكلمين في تقليد أقاويلهم المختلفة، ولذلك قال ﷺ: «أكثر أهل الجنة البله». ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الأمور، وأمروا الخلق أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جميعاً وبكل ما جاء من الظواهر مع اعتقاد نفي التشبيه، ومنعوهم عن الخوض في التأويل لأن الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤدة ومسالكه وعرة. والعقول عن درك جلال الله تعالى قاصرة، وهداية الله تعالى بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة، وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم

آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيماناً مجملاً راسخاً) قوياً (**كالاعراب**) سكان البادية (**والسوادية**) ساكني الريف (**وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر ولم يشرعوا في الكلام استقلالاً ولا أصغوا إلى أصناف المتكلمين في تقليد أقاويلهم المختلفة، ولذلك قال ﷺ: «أكثر أهل الجنة البله»**) رواه البيهقي في الشعب والبزار والديلمي والخلعي في فوائده كلهم من طريق سلامة بن روح بن خالد قال: قال عقيل، حدثني ابن شهاب عن أنس مرفوعاً وسلامة فيه لين ولم يسمع من جد أبيه عقيل إنما أخذ من كتبه وعدّ هذا الحديث في إفراده، ولكن هو عند القضاعي من طريق يحي بن أيوب، حدثنا عقيل به، وهو في الكنجروذيات من طريق محمد بن العلاء الإيلي عن يونس بن يزيد عن الزهري. وقال العسكري: إنه غريب من حديث الزهري وهو من حديث يونس عنه أغرب لا أعلمه إلا من هذا الوجه، وله شاهد عند البيهقي أيضاً من حديث مصعب بن ماهان عن الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر وقال عقبه إنه بهذا الإسناد منكر، وجاء عن سهل التستري في تفسيره قال: هم الذين ولهت قلوبهم وشغلت بالله عز وجل، وعن أبي عثمان هو الأبله في دنياه الفقيه في دينه، وعن الاوزاعي قال: هو الأعمى عن الشر البصير بالخير أخرجها البيهقي في الشعب وقد تقدم هذا الحديث.

(**ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الأمور وأمروا الخلق أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جميعاً وبكل ما جاء من الظواهر**) في الكتاب والسنّة (**مع اعتقاد نفي التشبيه**) واثبات التنزيه والتقديس (**ومنعوهم في الخوض عن التأويل**) وفتح هذا الباب رأساً، (**لأن الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤدة**) أي متعبة (**ومسالكه وعرة**) أي صعبة، (**والعقول عن درك جلال الله تعالى**) وعظمته (**قاصرة، وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة**) فلا تهتدي إليها، (**وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم**) وآرائهم

مضطرب ومتعارض، والقلوب لما ألقي إليها في مبدأ النشأة آلفة وبه متعلقة، والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين في أول الأمر، ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة، وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة، فإذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعي الكمال أو الإحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين إليهم، وتأكد ذلك بطول الألف فيهم. فانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم، فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم، ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظنّ وحسبان، وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنه صفو الإيمان، ويظن أن ما وقع به من حدس وتخمين علم اليقين وعين اليقين ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨] وينبغي أن ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء.

أحسنت ظنك بالأيام إذ حَسُنَتْ ولم تخفِ سُوءَ ما يأتي به القـدرُ
وسالمتـك الليـالي فـاغتررت بها وعند صَفْوِ الليالي يحدث الكَـدرُ

(مضطرب) ومنتقض **(ومتعارض والقلوب لما ألقى إليها في مبدأ النشأة آلفة وبه متعلقة)** وآنسة، **(والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة)** عن الآباء **(أو المأخوذة بحسن الظن من المعلمين في أوّل الأمر، ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة، وعن تمام الفكر صارفة، فإذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي والمعقول مع تفاوت الناس في قرائحهم واختلافهم في طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعي الكمال والإحاطة بكنه الحق انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغبن إليهم)** المستمعين لهم، **(وتأكذ ذلك بطول الألف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم، فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة)** من العبادة من صلاة وصيام وقراءة وأذكار، **(ولا يتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم، ولكن الآن قد استرخى العنان وفشي الهذيان)** وثارت التعصبات **(ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان، وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنه صفو الإيمان ويظن أن ما قنع به من حدس وتخمين)** هو **(علم اليقين وحق اليقين)** كلا **(ولتعلمن نبأه بعد حين، وينبغي أن ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء هذان البيتان)** :

(أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدرُ
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدرُ)

واعلم يقيناً أن كل من فارق الإيمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث، فقد تعرّض لهذا الخطر ومثاله مثال من انكسرت سفينته وهو في ملتطم الأمواج يرميه موج إلى موج، فربما يتفق أن يلقيه إلى الساحل وذلك بعيد، والهلاك عليه أغلب وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم إما مع الأدلة التي حرّروها في تعصباتهم أو دون الأدلة، فإنه إن كان شاكاً فيه فهو فاسد الدين، وإن كان واثقاً به فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص، وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين، إلا إذا جاوز حدود المعقول إلى نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية والنبوّة وذلك هو الكبريت الأحمر، وأنى يتيسر، وإنما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام أو الذين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يخوضوا في هذا الفضول فهذا أحد الأسباب المخطرة في سوء الخاتمة.

وأما السبب الثاني: فهو ضعف الإيمان في الأصل، ثم استيلاء حب الدنيا على القلب، ومهما ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى وقوي حب الدنيا، فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس، ولا يظهر له أثر في

وقال القشيري في الرسالة: سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق ينشدهما كثيراً اهـ. أنشدني إياهما الشيخ الأديب عبد الله بن عبد الله بن سلامة المؤذن قال: انشدني إياهما شيخنا أبو المكارم محمد بن سالم بن أحمد الحنفي قدس سره قبل موته بيسير فكان آخر ما سمعه منه.

(واعلم يقيناً أن كل من فارق الإيمان الساذج بالله ورسله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر، ومثاله مثال من تكسرت سفينه وهو في ملتطم الأمواج يرميه موج إلى موج، فربما يتفق أن يلقيه إلى الساحل) فينجو **(وذلك بعيد والهلاك عليه أغلب وكل نازل على عقيدة تلقفها من الباحثين ببضاعة عقولهم إما مع الأدلة التي حرروها في تعصباتهم أو دون الأدلة إن كان شاكاً فيه فهو فاسد الدين، وإن كان واثقاً به فهو آمن من مكر الله مغتر بعقله الناقص، وكل خائض في البحث فلا ينفك عن هاتين الحالتين)** لا محالة **(إلا إذا جاوز حدود المعقول إلى نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم النبوّة والولاية وذلك هو الكبريت الأحمر)** في عزة وجوده **(وأني يتيسر)** ذلك **(وإنما يسلم عن هذا الخطر البله من العوام والذين شغلهم خوف النار بطاعة الله)** تعالى **(فلم يخوضوا في هذا الفضول. فهذاأحد الأسباب المخطرة في سوء الخاتمة.**

وأما السبب الثاني: فهو ضعف الإيمان في الأصل ثم استيلاء حب الدنيا على القلب) وغلبته عليه، **(ومهما ضعف الإيمان ضعف حب الله تعالى وقوي حب الدنيا)** لأنهما ضدان، **(فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث نفس لا يظهر**

مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان ، فيورث ذلك الإنهاك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة النفوس على القلب ، فلا يزال يطفىء ما فيه من نور الإيمان على ضعفه حتى يصير طبعاً وريناً ، فإذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب أعني حب الله ضعفاً لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب ، فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ، ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بإنكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك ، من حيث أنه من الله فيخشى أن يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب ، كما أنّ الذي يحب ولده حباً إذا أخذ ولده أمواله التي هي أحب إليه من ولده وأحرقها انقلب ذلك الحب الضعيف بغضاً ، فإن اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكاً مؤبداً والسبب الذي يفضي إلى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون إليها والفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى ؛ فمن وجد في قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضاً فهو أبعد عن هذا الخطر ، وحب الدنيا رأس كل خطيئة ، وهو الداء والعضال قد عم أصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله

له أثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان، فيورث ذلك الانهاك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتتراكم ظلمة الذنوب على القلب ولا يزال يطفىء ما فيه من نور الإيمان على ضعفه حتى يصير طبعاً وريناً) وإليه يشير قوله تعالى ﴿ فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ [المنافقون: ٣] وقوله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [المطففين: ١٤] (**فإذا جاءت سكرات الموت**) وشداته (**ازداد ذلك الحب، أعني حب الله تعالى ضعفاً لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوب الغالب على القلب، فيتألم القلب باستشعار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره**) أي يتحرك (**بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهته ذلك من حيث أنه من الله فيخشى أن يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب، كما أن الذي يحب ولده حباً ضعيفاً إذا أخذ ولده أمواله التي هي أحب إليه من ولده وأحرقها**) وأتلفها (**انقلب ذلك الحب الضعيف بغضاً، فإن اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء وهلك هلاكاً مؤبداً، والسبب الذي يفضي إلى مثل هذه الخاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون إليها والفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان الموجب لضعف حب الله تعالى، فمن وجد في قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان يحب الدنيا أيضاً فهو أبعد عن هذا الخطر**) لأن العبرة بالغالب، (**وحب الدنيا رأس كل خطيئة**) كما ورد. (**وهو الداء العضال**) أي الصعب، (**وقد عم أصناف الخلق**) واستغرقهم (**وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى إذ لا يحبه إلا**

تعالى إذ لا يحبه إلا من عرفه، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وأبْنَاؤُكُمْ وإخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ في سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بأمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤] الآية، فإذاً كل من فارقته روحه في حالة خطرة الإنكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفريقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه، فيكون موته قدوماً على ما أبغضه وفراقاً لما أحبه، فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الآبق إذا قدم به على مولاه قهراً، فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال، وأما الذي يتوفى على الحب فإنه يقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن المشتاق إلى مولاه الذي تحمل مشاق الأعمال ووعثاء الأسفار طمعاً في لقائه، فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرّد القدوم فضلاً عما يستحقه من لطائف الإكرام وبدائع الإنعام!

وأما الخاتمة الثانية: التي هي دون الأولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها أيضاً سببان:

أحدهما: كثرة المعاصي وإن قوي الإيمان والآخر ضعف الإيمان وإن قلت المعاصي

من عرفه) فالمحبة ثمرة المعرفة، **(ولهذا قال تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ الآية)** أي إلى آخرها **(فإذاً من فارقته روحه في حالة خطرة الانكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفريقه بينه وبين أهله وماله وسائر محابه)** الدنيوية، **(فيكون موته قدوماً على ما أبغضه وفراقاً لما أحبه، فيقدم على الله قدوم العبد المبغض)** الممقوت **(الآبق إذا قدم به على مولاه قهراً)** وجراً **(فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال)** وأنواع الهوان، **(وأما الذي يتوفى على الحب فإنه يقدم على الله قدوم العبد المحسن)** المطيع **(المشتاق إلى مولاه الذي تحمل مشاق الأعمال ووعثاء الأسفار)** من شدائدها **(طمعاً في لقائه)** ورجاء في مشاهدته، **(فلا يخفي ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلاً عما يستحقه من لطائف الإكرام وبدائع الأنعام.**

(وأما الخاتمة الثانية: التي هي دون الأولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها أيضاً سببان).

(أحدهما: كثرة المعاصي وإن قوي الإيمان، والآخر ضعف الإيمان وإن قلت المعاصي

وذلك لأن مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الإلف والعادة، وجميع ما ألفه الإنسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته، فإن كان ميله الأكثر إلى الطاعات كان أكثر ما يحضره ذكر طاعة الله، وإن كان ميله الأكثر إلى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت. فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي، فيتقيد بها قلبه ويصير محجوباً عن الله تعالى، فالذي لا يقارف الذنب إلا الفيئة بعد الفيئة فهو أبعد عن هذا الخطر، والذي لم يقارف ذنباً أصلاً فهو بعيد جداً عن هذا الخطر، والذي غلبت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جداً ونعرّف هذا بمثال: وهو أنه لا يخفى عليك أن الإنسان يرى في منامه جملة من الأحوال التي عهدها طول عمره، حتى أنه لا يرى إلا ما يماثل مشاهداته في اليقظة، وحتى أن المراهق الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع إذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما رأى عند الإحتلام صورة الوقاع، ثم لا يخفى أن الذي قضى عمره في الفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة، والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه. لأنه إنما يظهر في حالة

وذلك لأن مقارفة المعاصي) أي ملابستها **(سبب غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الألف والعادة وجميع ما ألفه الإنسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته، فإن كان ميله الأكثر إلى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند موته، فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فتقيد بها قلبه ويصير محجوباً عن الله تعالى)** لاشتغاله بما تقيد به قلبه، **(والذي لا يقارف الذنب إلا الفيئة بعد الفيئة)** أي المرة بعد المرة، **(فهو أبعد عن هذا الخطر، والذي لم يقارف ذنباً أصلاً فهو بعيد جداً عن هذا الخطر، والذي غلبت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جداً، ويعرف هذا بمثال وهو: أنه لا يخفى عليك أن الإنسان يرى في منامه جملة من الأحوال التي عهدها طول عمره حتى أنه لا يرى إلا ما يماثل مشاهداته)** أو يقاربها **(في اليقظة وحتى أن المراهق)** وهو من قارب الإحتلام **(الذي يحتلم لا يرى صورة الوقاع إذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما رأى عند الإحتلام صورة الوقاع)** لأنه يعهده قبل ذلك، **(ثم لا يخفى أن الذي قضى عمره في الفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة، والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه لأنه إنما يظهر في حالة**

النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الإلف أو بسبب آخر من الأسباب، والموت شبيه النوم ولكنه فوقه، ولكن سكرات الموت وما يتقدّمه من الغشية قريب من النوم، فيقتضي ذلك تذكر المألوف وعوده إلى القلب وأحد الأسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الالف، فطول الإلف بالمعاصي والطاعات أيضاً مرجح، وكذلك تخالف أيضاً منامات الصالحين منامات الفساق، فتكون غلبة الإلف سبباً لأن تتمثل صورة فاحشة في قلبه وتميل إليها نفسه، فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سبب سوء خاتمته، وإن كان أصل الإيمان باقياً بحيث يرجى له الخلاص منها، وكما أن ما يخطر في اليقظة إنما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى، فكذلك آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالى نعرف بعضها ولا نعرف بعضها، كما أنا نعلم أن الخاطر ينتقل من الشيء إلى ما يناسبه إما بالمشابهة وإما بالمضادة وإما بالمقارنة بأن يكون قد ورد على الحس منه. أما بالمشابهة فبأن ينظر إلى جميل فيتذكر جميلاً آخر، وأما بالمضادة فبأن ينظر إلى جميل فيتذكر قبيحاً ويتأمل في شدة التفاوت بينهما، وأما بالمقارنة فبأن ينظر إلى فرس قد رآه من قبل مع إنسان فيتذكر ذلك الإنسان، وقد ينتقل الخاطر من شيء إلى شيء ولا يدري وجه مناسبته له وإنما يكون ذلك بواسطة وواسطتين، مثل أن ينتقل من شيء إلى

النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الإلف أو بسبب آخر من الأسباب والموت شبه النوم)، ولذلك قيل: إنه أخوه **(ولكنه فوقه)** بمراتب، **(ولكن سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية قريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المألوف وعوده إلى القلب، وأحد الأسباب المرجحة لحصول ذكره في القلب طول الإلف وطول الإلف بالمعاصي والطاعات أيضاً مرجح، ولذلك تخالف منامات الصالحين منامات الفساق فيكون غلبة الإلف سبباً لأن يتمثل في قلبه صورة فاحشة وتميل إليها نفسه، فربما تقبض عليها روحه فيكون ذلك سوء الخاتمة، وإن كان أصل الإيمان باقياً بحيث يرجى له الخلاص منها)** بسببه، **(وكما أن ما يخطر في اليقظة إنما يخطر بسبب خاص يعلمه الله تعالى فكذلك آحاد المنامات لها أسباب عند الله تعالى يعرف بعضها)** بتعريف الله إياه، **(ولا يعرف بعضها كما أنا نعلم أن الخاطر ينتقل من الشيء إلى ما يناسبه إما بالمشابهة أو بالمضادة أو بالمقاربة بأن يكون قد ورد على الحس معه، أما بالمشابهة فبان ينظر إلى جميل فيتذكر جميلاً آخر)** سواه وهو مشابه في جماله، **(وأما بالمضادة فبأن ينظر إلى جميل فيتذكر قبيحاً ويتأمل في شدة التفاوت بينهما)** في الجمال والقبح، **(وأما بالمقاربة فبأن ينظر إلى فرس)** كان **(قد رآه من قبل مع إنسان فيتذكر ذلك الإنسان)** بانتقال الخاطر إليه، **(وقد ينتقل الخاطر من شيء إلى شيء ولا يدري وجه مناسبته له، وإنما يكون ذلك بواسطة وبواسطتين)** وأكثر **(مثل أن ينتقل من**

شيء ثان، ومنه إلى شيء ثالث، ثم ينسى الثاني، ولا يكون بين الثالث والأوّل مناسبة، ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والأوّل مناسبة، فكذلك لانتقالات الخواطر في المنامات أسباب من هذا الجنس، وكذلك عند سكرات الموت، فعلى هذا والعلم عند الله من كانت الخياطة أكثر أشغاله، فإنك تراه يومىء إلى رأسه كأنه يأخذ ابرته ليخيط بها ويبل أصبعه التي لها عادة بالكشتبان ويأخذ الإزار من فوقه ويقدره ويشبره كأنه يتعاطى تفصيله، ثم يمد يده إلى المقـراض. ومن أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصي والشهوات فلا طريق له إلا المجاهدة طول العمر في فطامة نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب، فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدّة وذخيرة لحالة سكرات الموت، فإنه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه، ولذلك نقل عن بقّال أنه كان يلقن عند الموت كلمتي الشهادة فيقول خمسة ستة أربعة، فكان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت. وقال بعض العارفين من السلف: العرش جوهرة تتلألأ نوراً، فلا يكون العبد على حال إلا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها، فإذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش، فربما يرى نفسه على صورة

شيء إلى شيء ثان ومنه إلى ثالث. ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والأول مناسبة) ظاهرة توجب انتقال الخاطر إليه، **(ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والأول مناسبة)** إما قريبة أو بعيدة، **(فكذلك لانتقالات الخواطر في المنامات أسباب من هذا الجنس، وكذلك عند سكرات الموت، فإن الخواطر تنتقل فيها في أمور بعضها مرتبط بالبعض بأسباب مختلفة، ومن أراد أن يكف خاطره من الإنتقالات إلى المعاصي والشهوات فلا طريق له إلا المجاهدة طول العمر في فطامه نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب، فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الإختيار)** والمراد بطول العمر هنا معظمه وهو أيام السلوك حتى يتمرن على الفطام والقمع، وإلا فإن شغل عمره كله فيه فمتى يتفرغ لمعرفة الله تعالى **(ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت، فإنه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه)** كما في الخبر. **(وكذلك نقل عن بقال)** وهو من يبيع الفواكه اليابسة وغيرها فقيل: **(إنه كان يلقن عند الموت كلمتا الشهادة فيقول: خمسة ستة أربعة فكان مشغول النفس بالحسابْ الذي طال إلفه به قبل الموت)** فغلب على لسانه ولم يوفق للشهادتين. **(وقال بعض العارفين من السلف: إن العرش جوهرة تتلألأ نوراً فلا يكون العبد على حال)** من أحواله **(إلا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها فإذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من**

معصية، وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكره صحيح، وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك، فإن النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهي جزء من أجزاء النبوّة، فإذا رجع سوء الخاتمة إلى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله، والاتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الاختيار دخولاً كلياً، وإن كان لطول الإلف فيه تأثير، فبهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة، لأنه لو أراد الإنسان أن لا يرى في المنام إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك، وإن كانت كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه، ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط، وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة، حتى سمعت الشيخ أبا علي الفارمذي رحمة الله عليه يصف لي وجوب حسن أدب المريد لشيخه وأن لا يكون في قلبه إنكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال: حكيت لشيخي أبي القاسم الكركاني مناماً لي وقلت: رأيتك قلت لي كذا. فقلت: لم ذاك؟ قال:

العرش فربما يرى نفسه على صورة معصية، وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذه من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف) نقله صاحب القوت. **(وما ذكره صحيح، وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فإن النائم يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من أجزاء النبوة)** كما ورد ذلك في الخبر، **(فإذاً يرجع سوء الخاتمة إلى أحوال القلب واختلاج الخواطر ومقلب القلوب هو الله تعالى والإتفاقات المقتضية لسوء الخواطر غير داخلة تحت الإختيار دخولاً كلياً وإن كان لطول الإلف فيه تأثير، فلهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لأنه لو أراد الإنسان لا يرى في المنام إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك)** ولم يمكنه، **(وإن كان كثرة الصلاح والمواظبة عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالكلية تحت الضبط، وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلبت في اليقظة حتى سمعت الشيخ أبا علي)** الفضل بن محمد بن علي **(الفارمذي)** فاء وألف وميم وذال معجمة نسبة إلى فارمذ قرية بطوس، وهو لسان خراسان وشيخها وصاحب الطريقة والحقيقة بها حسن الوعظ. روى عن محمد ابن‌عبدالله بن باكويه الشيرازي، وابن مسرور عنه عبد الغافر الفارسي، وأبو الخير جامع الشفا،، وتوفي بطوس سنة سبع وسبعين وأربعمائة، وأولاده: أبو المحاسن علي، وأبو الفضل محمد، وأبو بكر عبد الواحد كلهم علماء فضلاء زهاد **(رحمه الله تعالى يصف لي وجوب حسن أدب المريد لشيخه أن لا يكون في قلبه إنكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال: حكيت لشيخي أبي القاسم)** عبد الرحمن بن علي **(الكركاني)** الطوسي وكركان تعريب جرجان قال

فهجرني شهراً ولم يكلمني وقال: لولا أنه كان في باطنك تجويز المطالبة وإنكار ما أقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في النوم وهو كما قال؛ إذ قلما يرى الإنسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه؛ فهذا هو القدر الذي نسمح بذكره في علم المعاملة من أسرار أمر الخاتمة، وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة، وقد ظهر لك بهذا أنّ الأمن من سوء الخاتمة بأن ترى الأشياء كما هي عليه من غير جهل وتزجي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية؛ فإن كنت تعلم أن ذلك محال أو عسير فلا بدّ وأن يغلب عليك من الخوف ما غلب على العارفين حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم به حزنك وقلقك، كما سنحكيه من أحوال الأنبياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الأسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك، وقد عرفت بهذا أن أعمال العمر كلها ضائعة إن لم يسلم في النفس الأخير الذي عليه خروج الروح، وإن سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر

ياقوت المشترك: جميع العرب لا يقولونها إلا بالكاف وهي بين طبرستان وخراسان، وقيل من خراسان، وقيل من طبرستان والله أعلم اهـ.

وكان أبو علي الفارمذي قد صاهر أبا القاسم الكركاني هذا، والمصنف رحمه الله تعالى قد أخذ عن كل من الفارمذي ويوسف النساج وهما جميعاً عن أبي القاسم الكركاني هذا، وقد دفن الكركاني والنساج كلاهما في قبر واحد بطوس، وكل هؤلاء الثلاثة من كبار مشايخ السلسلة النقشبندية، وللكركاني في الأخذ طريقان: أحدهما عن أبي عثمان سعيد بن سلام المغربي، عن أبي الحسن علي ابن أحمد الكاتب المصري، عن أبي علي الروذبادي، عن الجنيد بسنده والثاني وعليه المدار في سند السلسلة أنه أخذ عن روحانية أبي يزيد البسطامي، عن روحانية جعفر الصادق بسنده **(مناماً لي وقلت: رأيتك كأنك قلت لي كذا، فقلت: لم ذلك؟ قال: فهجرني شهراً ولم يكلمني وقال: لولا أنه كان في باطنك تجويز المطالبة وإنكار ما أقول لك وإلا ما جرى ذلك على لسانك في النوم وهو كما قال إذ قلما يرى الإنسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه، فهذا هو القدر الذي نسمح بذكره في علم المعاملة من أسرار الخاتمة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكاشفة)** ولا يليق ذكره هنا **(وقد ظهر لك بهذا أن الأمن من سوء الخاتمة بأن يرى الأشياء كما هي عليه من غير جهل وتزجي)** أي تسويق **(جميع العمر في طاعة الله عز وجل من غير معصية، فإن كنت تعلم أن ذلك محال أو عسير فلا بدَّ وأن يغلب عليك من الخوف كما غلب على العارفين)** من عباده **(حتى يطول بسببه بكاؤك ونياحتك ويدوم حزنك وقلقك)** وانزعاجك، **(كما سنحكيه)** فيما بعد **(من أحوال الأنبياء)** عليهم السلام **(والأولياء والسلف الصالحين ليكون ذلك أحد الأسباب المهيجة لنار الخوف من قلبك. وقد عرفت بهذا أن أعمال العمر كلها ضائعة إن لم تسلم في النفس الأخير الذي عليه خروج**

مشكلة جداً، ولذلك كان مطرف بن عبدالله يقول: أني لا أعجب ممن هلك كيف هلك، ولكني أعجب ممن نجا كيف نجا! ولذلك قال حامد اللفاف: إذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقد مات على الخير والإسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا: كيف نجا هذا من دنيا فسد فيها خيارنا. وكان الثوري يوماً يبكي فقيل له علامَ تبكي؟ فقال: بكينا على الذنوب زماناً، فالآن نبكي على الإسلام. وبالجملة؛ من وقعت سفينته في لجة البحر وهجمت عليه الريح العاصفة واضطربت الأمواج كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك، وقلب المؤمن أشدّ اضطراباً من السفينة، وأمواج الخواطر أعظم التطاماً من أمواج البحر، وإنما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب»، ولا يتسع فواق الناقة لأعمال توجب الشقاوة، بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف. وقال سهل: رأيت

الروح وأن سلامته مع اضطراب أمواج الخواطر مشكل جداً، ولذلك كان مطرف بن عبدالله) بن الشخير العامري البصري التابعي رحمه الله تعالى (**يقول: إني لا أعجب ممن هلك كيف هلك، ولكن أعجب ممن نجا كيف نجا**) نقله صاحب القوت، وهو في الحلية في ترجمة يحي بن أبي كثير سليمان عليه السلام قال لابنه: لا تعجب ممن هلك كيف هلك ولكن اعجب ممن نجا كيف نجا. (**ولذلك قال حامد اللفاف**) له ذكر في الحلية في ترجمة حاتم الأصم: (**إذا صعدت الملائكة بروح العبد المؤمن وقد مات على الخير والإسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا: كيف نجا من دنيا فسد فيها خيارنا**) يشيرون بذلك إلى إبليس وهاروت وماروت. (**وكان**) سفيان (**الثوري**) رحمه الله تعالى (**يوماً يبكي فقيل له: علام تبكي؟ فقال: بكينا على الذنوب زماناً فالآن نبكي على الإسلام**) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**وبالجملة؛ من وقعت سفينته في لجة البحر**) أي وسطه (**وهجمت عليه الرياح العاصفة**) المختلفة (**واضطربت الأمواج من سائر**) النواحي (**كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك، وقلب المؤمن أشد اضطراباً من السفينة وأمواج الخواطر أعظم التطاماً من أمواج البحر، وإنما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط، وهو الذي قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا فواق ناقة فيختم له بما سبق من الكتاب»**) تقدم الكلام عليه قريباً. (**ولا يتسع فواق ناقة لأعمال توجب الشقاوة**) إذ الروح تكون قريباً من الصدر، (**بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف**) وفي القوت: ولا يتأتى في هذا المقدار من الوقت شيء من عمل الجسم بالجوارح إنما هو من أعمال القلوب بمشاهدة العقول، وفواق الناقة هو ما بين الحلبتين وهذا

كأني أدخلت الجنة، فرأيت ثلاثمائة نبي فسألتهم: ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا؟ قالوا: سوء الخاتمة ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطاً عليها وكان موت الفجأة مكروهاً، أما الموت فجأة فلأنه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن أمثاله إلا أن يدفع بالكراهة أو بنور المعرفة. وأما الشهادة؛ فلأنها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والأهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب، إذ لا يهجم على صف القتال موطناً نفسه على الموت إلا حباً لله وطلباً لمرضاته وبائعاً دنياه بآخرته وراضياً بالبيع الذي بايعه الله به إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، والبائع راغب عن المبيع لا محالة ومخرج حبه عن القلب، ومجرّد حب العوض المطلوب في قلبه، ومثل هـذه الحـالة قد يغلب على القلب في بعض الأحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها، فصف القتال سبب لزهوق الروح على مثل هذه الحالة، هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة، فإن من

من تقليبات القلوب عن حقيقة وجهة التوحيد إلى وجهة الضلال والشرك عند ما يبدو من زوال العقل وذهاب علم المعقول فيبدو له من الله ما لم يكن يحتسب.

(**وقال**) أبو محمد (**سهل**) التستري رحمه الله تعالى: (**رأيت كأني أدخلت الجنة فرأيت**) ولفظ القوت: فلقيت فيها (**ثلاثمائة نبي فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا؟ قالوا: سوء الخاتمة**) أي فالخاتمة من مكر الله عز وجل الذي لا يوصف ولا يفطن له ولا عليه بوقت ولا نهاية لمكره لأن مشيئته وأحكامه لا غاية لها، (**ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مغبوطاً عليها وكان موت الفجأة مكروهاً. أما الموت فجأة فلأنه يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يخلو عن أمثالها إلى أن يدفع بالكراهة أو بنور المعرفة**) وقد لا يصادق ذلك في تلك الساعة. (**وأما الشهادة، فلأنها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب سوى حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والأهل والمال والولد وجميع الشهوات عن القلب إذ لا يهجم على صف القتال موطناً نفسه على الموت إلا حباً وطلباً لمرضاته وبائعاً دنياه بآخرته وراضياً بالبيع الذي بايعه الله به. إذ قال تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾**) إلى آخر الآية. (**والبائع راغب عن المبيع**) الذي هو النفس والمال (**لا محالة ومخرج حبه عن القلب ومجرد حب العوض المطلوب في قلبه**) وهو الجنة. (**ومثل هذه الحالة قد تغلب على القلب في بعض الأحوال، ولكن لا يتفق زهوق الروح على مثل هذه الحالة، هذا فيمن ليس يقصد الغلبة والغنيمة وحسن الصيت بالشجاعة**) أي ليقال فلان شجاع لا يطاق. (**فإن من هذا حاله وإن قتل في المعركة**

هذا حاله وإن قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كما دلت عليه الأخبار. وإذا بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها، فواظب على ذكر الله تعالى واخرج من قلبك حب الدنيا، واحرس عن فعل المعاصي جوارحك وعن الفكر فيها قلبك، واحترز عن مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهدك، فإن ذلك أيضاً يؤثر في قلبك ويصرف إليه فكرك وخواطرك وإياك أن تسوف وتقول سأستعدّ لها إذا جاءت الخاتمة فإن كل نفس من أنفاسك خاتمتك، إذ يمكن أن تخطف فيه روحك، فراقب قلبك في كل تطريفة، وإياك أن تهمله لحظة فلعل تلك اللحظة خاتمتك، إذ يمكن أن تختطف فيها روحك، هذا ما دمت في يقظتك وأما إذا نمت فإياكَ أن تنام إلا على طهارة الظاهر والباطن وأن يغلبك النوم إلا بعد غلبة ذكر الله على قلبك، لست أقول على لسانك، فإن حركة اللسان بمجرّدها ضعيفة الأثر.

واعلم قطعاً أنه لا يغلب عند النوم على قلبك إلا ما كان قبل النوم غالباً عليه، وإنه

فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة) أي رتبة الشهادة **(كما دلت عليه الأخبار)** قال العراقي في المتفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري أن رجلاً قال: يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ فقال: « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وفي رواية: « الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ,ويقاتل رياء » وفي رواية: « يقاتل غضباً » اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد وأصحاب السنن.

(وإذ بان لك معنى سوء الخاتمة وما هو مخوف فيها فاشتغل بالإستعداد لها فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا وأحرس عن فعل المعاصي جوارحك) الظاهرة **(ومن الفكر فيها قلبك، واحترز من مشاهدة المعاصي ومشاهدة أهلها جهدك)** وطاقتك، **(فإن ذلك أيضاً يؤثر في قلبك)** تأثيراً يحول بينك وبين ذكر الله **(ويصرف إليه فكرك وخواطرك)** فيشغلك عن الله. **(وإياك أن تسوّف وتقول: سأستعد لها إذا جاءت الخاتمة)** عند زهوق الروح **(فإن كل نفس من أنفاسك)** هي **(خاتمتك إذ يمكن أن يختطف فيها روحك)** بغتة، **(هذا ما دمت في يقظتك وأما إذا نمت فإياك أن تنام إلا على طهارة الظاهر والباطن وأن يغلبك النوم إلا بعد غلبة ذكر الله على قلبك)** إما نفياً وإثباتاً، وإما اقتصاراً على لفظة الله مع كمال المراقبة، **(لست أقول على لسانك فإن حركة اللسان بمجردها ضعيفة الأثر)** بل ولا تأثير لها في تجلية القلب أصلاً.

(وأعلم قطعاً أنه لا يغلب عند النوم على قلبك إلا ما كان غالباً عليه قبل النوم، ولا

لا يغلب في النوم إلا ما كان غالباً قبل النوم، ولا ينبعث عن نومك إلا ما غلب على قلبك في نومك، والموت والبعث شبيه النوم واليقظة، فكما لا ينام العبد إلا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ إلا على ما كان عليه في نومه، فكذلك لا يموت المرء إلا على ما عاش عليه ولا يحشر إلا على ما مات عليه، وتحقق قطعاً ويقيناً أنّ الموت والبعث حالتان من أحوالك كما أنّ النوم واليقظة حالتان من أحوالك، وآمن بهذا تصديقاً باعتقاد القلب إن لم تكن أهلاً لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة، وراقب أنفاسك ولحظاتك، وإياك أن تغفل عن الله طرفة عين فإنك إذا فعلت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم، فكيف إذا لم تفعل؟ والناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم.

واعلم أن ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك مطعم وملبس ومسكن والباقي كله فضول، والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك ويسد رمقك، فينبغي أن يكون تناولك تناول مضطرّ كاره له؛ ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك، إذ لا فرق بين إدخال الطعام في البطن وإخراجه فهما ضرورتان في

تبعث عن نومك إلا على ما غلب على قلبك في نومك، والموت والبعث يشبه النوم واليقظة، فكما لا ينام العبد إلا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ إلا على ما كان عليه في نومه، فكذلك لا يموت المرء إلا على ما عاش عليه ولا يحشر إلا على ما مات عليه) وقد وردت بذلك الأخبار وتقدم ذكرها. **(وتحقق يقيناً وقطعاً أن الموت والبعث حالتان من أحوالك كما أن النوم واليقظة حالتان من أحوالك، وآمن بهذا تصديقاً باعتقاد القلب إن لم تكن أهلاً لمشاهدة ذلك بعين اليقين ونور البصيرة وراقب أنفاسك ولحظاتك)** كلها أن تمر في غير ذكر الله، **(وإياك أن تغفل عن الله لحظة عين)** وفي نسخة طرفة عين، **(فإنك إذا فعلت ذلك كله)** أي من الإيمان القلبي ومراقبة الأنفاس واللحظات **(كنت مع ذلك في خطر عظيم، فكيف إذا لم تفعل فالناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم)** هذا من قول أبي محمد سهل التستري رحمه الله تعالى وقد تقدم مراراً.

(واعلم أن ذلك لا يتيسر لك ما لم تقنع من الدنيا بقدر ضرورتك) فقط **(وضرورتك)** إنما هي **(مطعم وملبس ومسكن)** والمشرب داخل في المطعم **(والباقي كله فضول)** ولكل من الثلاثة حد محدود، **(والضرورة من المطعم ما يقيم صلبك)** في طاعة الله **(ويسد رمقك، فينبغي أن يكون تناولك)** لما تأكله **(تناول مضطر كاره له، ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك إذ لا فرق بين إدخال الطعام في البطن وإخراجه فهما**

الجبلة، وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي يشتغل بها قلبك فلا ينبغي أن يكون تناول الطعام من همتك، واعلم أنه إن كان همتك ما يدخل بطنك فقيمتك ما يخرج من بطنك، وإذا لم يكن قصدك من الطعام إلا التقوى على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء حاجتك، فعلامة ذلك تظهر في ثلاثة أمور: من مأكولك في وقته وقدره وجنسه، أما الوقت فأقله أن يكتفي في اليوم والليلة بمرة واحدة فيواظب على الصوم، وأما قدره فبأن لا يزيد على ثلث البطن، وأما جنسه فأن لا يطلب لذائذ الأطعمة بل يقنع بما يتفق، فإن قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك مؤنة الشهوات اللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات وأمكنك أن لا تأكل إلا من حله، فإن الحلال يعز ولا يفي بجميع الشهوات، وأما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحرّ والبرد وستر العورة؛ فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدانق فطلبك غيره فضول منك يضيع فيه زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرة والطمع أخرى من الحرام والشبهة، وقس بهذا ما تدفع به الحرّ والبرد عن بدنك؛ فكل ما حصل مقصود اللباس إن لم تكتف به في خساسة قدره وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده. بل كنت ممن لا

ضروريان في الجبلة، وكما لا يكون قضاء الحاجة من همتك التي يشتغل بها قلبك فلا ينبغي أن يكون تناول الطعام من همتك. واعلم أنه إن كان همتك ما يدخل بطنك، فقيمتك ما يخرج من بطنك) هكذا قرره الحكماء. (**وإذا لم يكن قصدك من الطعام إلا التقوى على عبادة الله)** وطاعته (**كقصدك من قضاء حاجتك، فعلامة ذلك تظهر في ثلاثة أمور من مأكولك في وقته وقدره وجنسه، أما الوقت فأقله أن يكتفي في اليوم والليلة)** وهما أربع وعشرون ساعة (**بمرة واحدة)** ويكون ذلك وقت غروب الشمس، (**فيواظب على الصوم. وأما قدره فبأن لا يزيد على ثلث البطن)** كما ورد ذلك في الخبر. (**وأما جنسه فأن لا يطلب اللذائذ من الأطعمة بل يقنع بما يتفق)** ويتيسر، (**فإن قدرت على هذه الثلاث وسقط عنك مؤنة الشهوات اللذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشبهات)** والمحرمات، (**وأمكنك أن لا تأكل إلا من حله فإن الحلال يعز)** أي يقل (**وجدانه و)** إذا وجد فإنه (**لا يفي بجميع الشهوات)** واللذات. (**وأما ملبسك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكل ما دفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدانق)**فقد حصل المقصود وحينئذ، (**فطلبك غيره فضول منك يضيع زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تحصيله بالكسب مرة والطمع)** لما في أيدي الناس (**أخرى)** سواء كان من الحلال أو (**من الحرام والشبهة. وقس بهذا ما تدفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود اللباس إن لم تكتف به في خساسة قدره جنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يملأ بطنه إلا التراب)**

يملأ بطنه إلا التراب وكذلك المسكن إن اكتفيت بمقصوده كفتك السماء سقفاً والأرض مستقراً ؛ فإن غلبك حر أو برد فعليك بالمساجد ، فإن طلبت مسكناً خاصاً طال عليك وانصرف إليه أكثر عمرك وعمرك هو بضاعتك ، ثم إن تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلاً بينك وبين الأبصار ومن السقف سوى كونه دافعاً للأمطار ، فأخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف فقد تورطت في مهواة يبعد رقيك منها ، وهكذا جميع ضرورات أمورك إن اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزوّد لآخرتك والاستعداد لخاتمتك ، وإن جاوزت حدّ الضرورة إلى أودية الأماني تشعبت همومك ولم يبال الله في أي وادٍ أهلكك ؛ فاقبل هذه النصيحة ممن هو أحوج إلى النصيحة منك .

واعلم أن متسع التدبير والتزوّد والاحتياط هذا العمر القصير ، فإذا دفعته يوماً بيوم في تسويفك أو غفلتك اختطفت فجأة في غير وقت إرادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك ، فإن كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت إليه بضعف خوفك إذ لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية في تخويفك فإنا سنورد عليك من أحوال الخائفين ما نرجو

وفي الخبر : « ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب » . (**وكذلك المسكن إن اكتفيت بمقصوده كفاك السماء سقفاً والأرض مستقراً ، فإن غلبك حر أو برد فعليك بالمساجد**) فإنها مأوى المساكين ، (**فإن طلبت مسكناً خاصاً**) لا يشاركك فيه أحد (**طال عليك**) أمره (**وانصرف إليه أكثر عمرك**) في تحصيله وإحضاره (**وعمرك هو بضاعتك**) التي بها تربح في معاملاتك ، (**ثم إن تيسر لك فقصدت من الحائط سوى كونه حائلاً بينك وبين الأبصار**) أي من الأجنبي (**ومن السقف سوى**) كونه (**دافعاً للأمطار فأخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف ، فقد تورطت في مهواة يبعد رقيك**) أي صعودك (**منها ، وهكذا جميع ضرورات أمورك إن اقتصرت عليها تفرغت لله وقدرت على التزوّد لآخرتك والإستعداد لخاتمتك ، وإن جاوزت حدّ الضرورة إلى أودية الأماني**) والآمال الكاذبة (**تشعبت همومك**) أي كثرت واختلفت (**ولم يبال الله في أي واد أهلكك**) وقد روى ابن ماجه ، والحكيم ، والشاشي ، والبيهقي من حديث أبي مسعود : « من جعل الهموم هماً واحداً هم المعاد كفاه الله سائر همومه ، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك » .

(**فاقبل هذه النصيحة ممن هو أحوج إلى النصيحة منك واعلم أن متسع التدبير والتزود والإحتياط هو هذا العمر القصير ، فإذا دفعته يوماً بيوم في تسويفك وإعلالك وغفلتك اختطفت فجأة في غير وقت إرادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك**) حيث لا ينفعك ذلك ، (**فإن كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت إليه لضعف خوفك إذ لم يكن فيما وصفناه من أمر الخاتمة كفاية في تخويفك فإنا سنورد عليك من أحوال الخائفين ما نرجو أن يزيل**

أن يزيل بعض القساوة عن قلبك، فإنك تتحقق أنّ عقل الأنبياء والأولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعملك ومكانك، فتأمل مع كلال بصيرتك وعمش عين قلبك في أحوالهم لم اشتدّ بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشياً عليه وبعضهم يخرّ ميتاً إلى الأرض ولا غرو إن كان ذلك لا يؤثر في قلبك فإن قلوب الغافلين مثل الحجارة أو أشدّ قوة ﴿وإنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وإنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

بيان أحوال الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف:

روت عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفاً من عذاب الله. وقرأ ﷺ آية في سورة الواقعة فصعق، وقال تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾ [الأعراف: ١٤٣] ورأى رسول الله ﷺ صورة جبريل عليه السلام بالأبطح فصعق.

بعض القساوة من قلبك فإنك تتحقق أن عقل الأنبياء) عليهم السلام **(والأولياء وعلمهم ومكانتهم عند الله تعالى لم يكن عقلك وعلمك ومكانك، فتأمل مع كلال بصيرتك)** أي ضعفها **(وعمش عين قلبك في)** جملة من **(أحوالهم)** وسيرهم **(ثم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم** يضعف **وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مغشياً عليه وبعضهم يخر ميتاً إلى الأرض، ولا غرو إن كان ذلك لا يؤثر في قلبك فإن قلوب الغافلين مثل الحجارة)** في شدتها وصلابتها **(أو أشد قسوة)** منها **(﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعلمون﴾)** [البقرة: ٧٤].

بيان أحوال الخائفين وأحوال الملائكة والأنبياء عليهم السلام في الخوف:

(روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفاً من عذاب الله) قال العراقي: متفق عليه من حديثها. **(وقرأ ﷺ آية في سورة الحاقة فصعق)**. رواه حمزة الزيات عن حمران بن أعين كذا في القوت. قال العراقي: المعروف فيما روي من هذه القصة أنه قرىء عليه: ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً ★ وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً﴾ [المزمل: ١٢، ١٣] فصعق مما رواه ابن عدي والبيهقي في الشعب مرسلاً. وهكذا ذكره المصنف على الصواب في كتاب السماع وقد تقدم. **(وقال الله عزل وجل: ﴿فخر موسى صعقاً﴾ ورأى رسول الله**

وروي أنه عليه السلام كان إذا دخل في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل. وقال ﷺ: «ما جاءني جبريل قط إلا وهو يرعد فرقاً من الجبار»، وقيل لما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان، فأوحى الله إليهما: ما لكما تبكيان كل هذا البكاء؟ فقالا: يا رب ما نأمن مكرك؛ فقال الله تعالى هكذا كونا، لا تأمنا مكري. وعن محمد بن المنكدر قال: لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها، فلما خلق بنو آدم عادت. وعن أنس أنه عليه السلام سأل جبريل: «ما لي لا أرى

ﷺ **صورة جبريل عليه السلام بالأبطح فصعق)** قال العراقي: روى البزار من حديث ابن عباس بسند جيد سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال: أدع ربك فدعا ربه فطلع عليه من قبل المشرق فجعل يرتفع ويشير، فلما رآه صعق. ورواه ابن المبارك عن الحسن مرسلاً بلفظ: «فغشي عليه. وفي الصحيحين من حديث عائشة رأى جبريل في صورته مرتين. ولهما عن ابن مسعود: رأى جبريل له ستمائة جناح.

(وروي أنه ﷺ كان إذا دخل في الصلاة سمع لصدره أزيز كازيز المرجل) رواه أبو داود و الترمذي في الشمائل و النسائي من حديث عبدالله بن الشخير، و تقدم في كتاب السماع. **(وقال ﷺ: « ما جاءني جبريل قط إلا وهو يرعد فرقاً من الجبار »)** وفي بعض النسخ: إلا وهو ترعد فرائصه من الجبار، قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ. و روى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن بن عباس قال: إن جبريل عليه السلام يوم القيامة لقائم بين يدي الجبار تبارك و تعالى ترعد فرائصه فرقاً من عذاب الله الحديث. وفيه زميل بن سماك الحنفي يحتاج إلى معرفة اهـ.

قلت: بخط الشمس الداودي لعله أبو زميل سماك بن الوليد الراوي عن ابن عباس عند مسلم وغيره.

(وقيل: لما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبريل و ميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله إليهما مالكما تبكيان كل هذا البكاء؟ قالا: يا رب ما نأمن مكرك. فقال الله عز وجل: هكذا كونا لا تأمنا مكري) و تقدم قريباً أن النبي ﷺ و جبريل عليه السلام بكيا خوفاً من الله عز وجل فأوحى الله إليهما: لم تبكيان وقد أمنتكما؟ فقالا: ومن يأمن مكرك: وتقدم أنه من حديث عمر عند الطبراني في الأوسط.

(وعن) أبي بكر **(محمد بن المنكدر)** بن الهدير التيمي التابعي قال: **(لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها، فلما خلق بنو آدم عادت)** أخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة طاوس من كلامه بلفظ: فلما خلق آدم علية السلام سكنت.

(وعن أنس) رضي الله عنه **(أنه ﷺ سأل جبريل عليه السلام مالي لا أرى ميكائيل**

ميكائيل يضحك؟ » فقال جبريل: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار. ويقال: إنّ لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله عليهم فيعذبهم بها. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار، فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال: « يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟ » فقلت يا رسول الله لا أشتهيه فقال: « لكني أشتهيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاماً ولم أجده ولو سألت ربي لأعطاني ملك قيصر وكسرى فكيف بك يا بـن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين في قلوبهم؟ » قال: فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت: ﴿وَكَأَيِّن مِنْ دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَها اللهُ يَرْزُقُهَا وَإيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠] قال فقال رسول الله ﷺ: إن الله لم يأمركم بكنز المال ولا باتباع الشهوات، من كنز دنانير يريد بها حياة فانية فإنّ الحياة بيد الله، ألا وأني لا أكنز ديناراً ولا درهماً ولا أخبأ رزقاً لغد ».

يضحك؟ فقال جبريل) عليه السلام: **(ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار)** .قال العراقي: رواه أحمد و ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية ثابت عن أنس باسناد جيد، ورواه ابن شاهين في السنة من حديث ثابت مرسلاً، و ورد ذلك أيضاً في إسرافيل رواه البيهقي في الشعب، وفي حق جبريل رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين.

(ويقال: إن لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله عليهم فيعذبهم) رواه ابن أبن الدنيا في كتاب الخائفين. **(وقال ابن عمر رضي الله عنهما: خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار)** جمع حائط وهو حش النخل، **(فجعل يلتقط من التمر و يأكل فقال: « يا ابن عمر مالك لا تأكل » ؟ فقلت: لا اشتهيه. فقال)** ﷺ: **(« لكن اشتهيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاماً ولم أجده ولو سألت ربي لأعطاني ملك قيصر و كسرى فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم و يضعف اليقين في قلوبهم » قال: فوالله مابرحنا)** من مكاننا **(ولا قمنا حتى نزلت)** هذه الآية: **(﴿و كأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ فقال رسول الله ﷺ « إن الله لم يأمركم بكنز المال ولا باتباع الشهوات، من كنز دنانير يريد بها حياة فانية فإن الحياة بيد الله، ألا وأني لا أكنز ديناراً ولا درهماً ولا أخبأ رزقاً لغد »)**قال العراقي: رواه ابن مردويه في التفسير، والبيهقي في الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر. قال البيهقي: هذا إسناد مجهول، و الجراح بـن منهال ضعيف اهـ.

قلت: و رواه كذلك عبد بن حميد، و ابن أبي حاتم في تفسيريهما، و ابن عساكر في التاريخ كلهم من هذا الطريق.

وقال أبو الدرداء كان يسمع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن ﷺ إذا قام في الصلاة من مسيرة ميل خوفاً من ربه. وقال مجاهد: بكى داود عليه السلام أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى رأسه، فنودي: يا داود أجائع أنت فتطعم؟ أم ظمآن فتسقى؟ أم عار فتكسى؟ فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حرّ خوفه، ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة فقال: يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة، فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره إلا رآها فأبكته، قال: وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فإذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه. ويروى عنه عليه السلام أنه ما رفع رأسه إلى السماء

(**وقال أبو الدرداء**) رضي الله عنه: (**كان يسمع أزيز قلب ابراهيم خليل الرحمٰن عليه السلام إذا قام إلى الصلاة من مسيرة ميل خوفا من ربه**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين. (**وقال مجاهد**) رحمه الله تعالى: (**بكى داود عليه السلام أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى رأسه فنودي: يا داود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى؟ فنحب نحبة**) أي صرخ صرخة (**هاج**) أي يبس منها (**العود فاحترق من خوفه، ثم أنزل الله عليه التوبة والمغفرة فقال: يا رب اجعل خطيئتي في كفي، فصارت خطيئته في كفه مكتوبة، فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب إلا رآها فأبكته. قال: وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فإذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض القدح من دموعه**) .رواه ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر بلفظ: لما أصاب داود الخطيئة خر لله ساجداً أربعين يوماً وأربعين ليلة، وكانت خطيئته في يده ينظر إليها لكيلا يغفل حتى نبت البقل حوله من دموعه ما غطى رأسه فنودي: اجائع فتطعم أم عريان فتكسى أم مظلم فتنتصر؟ قال: فنحب نحبة أهاج مايليه من البقل حين لم يذكر ذنبه، فعند ذلك غفر الله له.

ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير بلفظ: لما أصاب داود الخطيئة خر لله ساجداً أربعين يوماً حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطى رأسه ثم نادى: رب قرح الجبين وجدت الأعين وداود لم يرجع إليه في طيته شيء فنودي: اجائع فتطعم أو مريض فتشفى أو مظلوم فينتصر لك؟ فنحب نحباً هاج كل شيء ، نبت، فعند ذلك غفر له وكان يؤتى بالإناء فيشرب فيذكر خطيئته فينتحب فتكاد مفاصله يزول بعضها من بعض فما يشرب بعض الاناء حتى يملأه من دموعه.

وروى أحمد في الزهد عن أبي عمران الجوني قال: سجد داود أربعين ليلة ويوماً لا يرفع رأسه إلا إلى صلاة فريضة حتى يبس وقرحت جبهته وكفاه وركبتاه.

حتى مات حياء من الله عز وجل، وكان يقول في مناجاته: إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبها، وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلي روحي، سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني، فبؤساً للقانطين من رحمتك.

و روى الحاكم، و ابن جرير عن السدي قال: مكث داود ساجداً أربعين يوماً يبكي لا يرفع رأسه إلا لحاجة ثم يقع ساجداً يبكي حتى نبت العشب من دموع عينيه فأوحى الله إليه بعد أربعين يوماً: يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك.

وروى أحمد، وعبد بن حميد، عن يونس بن خباب أن داود بكى أربعين ليلة حتى نبت العشب حوله من دموعه، ثم قال: قرح الجبين ورقأ الدمع خطيئتي علي كما هي فنودي: أن يا داود أجائع فتطعم أم ظمآن فتسقى أم مظلوم فينتصر لك؟ فنحب نحبة هاج ما هنالك من الخضرة فغفر له عند ذلك.

وروى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، عن عبيدالله بن عمير الليثي أن داود سجد حتى نبت ما حوله خضراً من دموعه فأوحى الله إليه: أن يا داود أتريد أن أزيدك في مالك و عمرك؟ فقال: يا رب أهذا تزيد علي أريد أن تغفر لي.

وروى عبد بن حميد عن كعب قال: سجد داود نبي الله أربعين يوماً و أربعين ليلة لا يرفع رأسه حتى رقأ دمعه و يبس، فكان من آخر دعائه وهو ساجد ان قال: يا رب رزقتني العافية فسألتك علماً فلما ابتليتنى لم أصبر فإن تعذبني فأنا أهل ذلك و إن تغفر لي فأنت أهل ذلك.

وروى الحكيم وابن جرير وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أنس رفعه قال: « سجد داود أربعين ليلة حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه و أكلت الأرض جبينه وهو يقول في سجوده: رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق و المغرب، رب إن لم ترحم ضعف داود و تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخلوف من بعدي » الحديث. وروى أحمد والحكيم و ابن جرير عن عطاء الخراساني أن داود عليه السلام نقش خطيئته منقوشة في كفه.

(و يروى عنه عليه السلام انه ما رفع رأسه) بعد الخطيئة **(إلى السماء حتى مات حياء من الله عز وجل)** رواه ابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، وعبد بن حميد من طريق عطاء بن السائب، عن أبي عبدالله الجدلي. و روى ابن جرير والحاكم عن السدي أنه ما استطاع بعد الخطيئة أن يملأ عينيه من السماء حياء من ربه عز وجل حتى قبض، **(و كان)** عليه السلام **(يقول في مناجاته)** :سبحانك **(إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبها، و إذا ذكرت رحمتك إرتدت إلي روحي. سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم عليك يدلني فبؤساً للقانطين من رحمتك))** .رواه أحمد في الزهد عن عثمان بن أبي العالية قال: كان من دعاء داود عليه السلام فذكره.

وقال الفضيل: بلغني أنّ داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخاً واضعاً يده على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت إليه السباع فقال: ارجعوا لا أريدكم، إنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني إلا بالبكاء، ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء. وكان يعاتب في كثرة البكاء فيقول: دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تخريق العظام واشتعال الحشى وقبل أن يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. وقال عبد العزيز بن عمر: لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال: إلهي بح صوتي في صفاء أصوات الصدّيقين. وروي أنه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتدّ غمه، فقال: يا رب أما ترحم بكائي؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك، فقال: إلهي وسيدي كيف أنسى ذنبي وكنت إذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح وأظلني الطير على رأسي وأنست الوحوش إلى محرابي، إلهي وسيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية، يا داود

(**وقال الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى: (**بلغني أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخاً واضعاً يده على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت إليه السباع فقال: ارجعوا لا أريدكم إنما أريد كل بكاء على خطيئته فلا يستقبلني إلا بالبكاء، ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء**) ؟رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الخائفين، (**و كان**) عليه السلام (**يعاتب في كثرة البكاء فيقول: دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تخريق العظام واشتعال الحشى، وقبل ان يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون**) .رواه أحمد في الزهد فقال: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن جابر عن اسماعيل بن عبيدالله بن ابي المهاجر أن داود النبي عليه السلام كان يعاتب في كثرة البكاء فذكره إلا انه قال: واشتعال اللحى بدل الحشى. و رواه أبو نعيم في الحلية من طريقه.

(**وقال عبد العزيز بن عمر**) بن عبد العزيز بن مروان الأموي أبو محمد المدني نزيل الكوفة صدوق مات في حدود الخمسين روى له الجماعة: (**لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال: الهي بح صوتي عن صفاء أصوات الصديقين. و روي أنه عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك ضاق ذرعه واشتد غمه قال: يا رب أما ترحم بكائي؟ فأوحى الله إليه: يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال: إلهي وسيدي كيف أنسى ذنبي و كنت إذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح و أظلني الطير على رأسي وأنست الوحوش إلى محرابي. إلهي و سيدي فما هذه الوحشة التي بيني وبينك، فأوحى الله تعالى إليه: يا داود ذاك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية. يا داود آدم خلق من خلقي**

آدم خلق من خلقي خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتي وألبسته ثوب كرامتي وتوجته بتاج وقاري وشكا إليّ الوحدة فزوجته حواء أمتي وأسكنته جنتي، عصاني فطردته عن جواري عرياناً ذليلاً، يا داود اسمع مني والحق أقول: أطعتنا فأطعناك، وسألتنا فأعطيناك، وعصيتنا فأمهلناك، وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلناك.

وقال يحي بن أبي كثير: بلغنا أنّ داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعاً لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء، فإذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له المنبر إلى البرية، فأمر سليمان أن ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع والبيع، فينادي فيها ألا من أراد أن يسمع نوح داود على نفسه فليأتِ قال فتأتي الوحوش من البراري والآكام وتأتي السباع من الغياض وتأتي الهوام من الجبال وتأتي الطير من الأوكار وتأتي العذارى من خدورهن. وتجتمع الناس لذلك اليوم، ويأتي داود حتى يرقى المنبر ويحيط به بنو إسرائيل وكل صنف على حدته محيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه، فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ، ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطائفة من

خلقته بيدي و نفخت فيه من روحي و أسجدت له ملائكتي و ألبسته ثوب كرامتي و توجته بتاج وقاري، و شكا إلي الوحدة فزوجته حواء أمتي و أسكنته جنتي عصاني فطردته عن جواري عرياناً ذليلاً. يا داود اسمع مني الحق أقول أطعتنا فأطعناك و عصيتنا فأمهلناك وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلناك) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين.

(**وقال يحي بن أبي كثير**) الطائي مولاهم أبو نصر اليامي ثقة ثبت كثير الإرسال مات سنة اثنتين و ثلاثين روى له الجماعة: (**بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعاً لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء، فإذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له المنبر**) وهو الكرسي الذي يقعد عليه (**إلى البرية**) أي الصحراء (**فأمر سليمان أن ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض و الآكام و الجبال و البراري والصوامع والبيع فينادي فيها: ألا من أراد أن يسمع نوح داود عليه السلام على نفسه فليأت. قال: فتأتي الوحوش من البراري و الآكام، و تأتي السباع من الغياض، وتأتي الهوام من الجبال، و تأتي الطير من الاوكار، و تأتي العذارى من خدورهن و يجتمع الناس لذلك اليوم، و يأتي داود حتى يرقى المنبر و تحيط به بنو اسرائيل وكل صنف على حدته يحيطون به، و سليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ، ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع**

الوحوش والسباع والناس، ثم يأخذ في أهوال القيامة وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة، فإذا رأى سليمان كثرة الموتى قال يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني إسرائيل ومن الوحوش والهوام، فيأخذ في الدعاء، فبينما هو كذلك إذ ناداه بعض عباد بني إسرائيل: يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك؛ قال فيخر داود مغشياً عليه فإذا نظر سليمان إلى ما أصابه أتى بسرير فحمله عليه ثم أمر منادياً ينادي ألا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير فليحمله فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتي بالسرير وتحمل قريبها وتقول: يا من قتله ذكر النار، يا من قتله خوف الله ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول: يا إله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجي ربه، فيأتي سليمان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول، يا أبتاه تقوّ بهذا على ما تريد، فيأكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج إلى بني إسرائيل فيكون بينهم.

وقال يزيد الرقاشي: خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوّفهم فخرج في أربعين

والناس، ثم يأخذ في ذكر أهوال القيامة) وشدائدها (وعلى النياحة على نفسه فيموت من كل نوح طائفة، فإذا رأى سليمان عليه السلام كثرة الموتى قال: يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق و ماتت طوائف من بني اسرائيل ومن الوحوش و الهوام فيأخذ في الدعاء) لنفسه، (فبينما هو كذلك إذ ناداه بعض عباد اسرائيل: يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك. قال: فيخر داود مغشياً عليه، فإذا نظر سليمان إلى ذلك أتى بسرير فحمله عليه ثم أمر منادياً ينادي: ألا من كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرير فليحمله، فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الله والجنة والنار، فكانت المرأة تأتي بالسرير وتحمل قريبها) عليه (و تقول: يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله، ثم أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأغلق بابه ويقول: يا إله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يناجي، فيأتي سليمان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير فيقول: يا أبتاه تقو بهذا على ما تريد، فيأكل من ذلك القرص ماشاء ثم يخرج إلى بني اسرائيل فيكون بينهم) أخرجه بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين.

وروى ابن أبي شيبة، و أحمد، و عبد بن حميد عن صفوان بن محرز قال: كان لداود عليه السلام يوم يتأوه فيه فيقول: أوه من عذاب الله أوه من عذاب الله أوه من عذاب الله.

(وقال) أبو عمرو (يزيد) بن ابان (الرقاشي) بالتخفيف البصري القاص بالتشديد

ألفاً فمات منهم ثلاثون ألفاً وما رجع إلا في عشرة آلاف، قال: وكان له جاريتان اتخذهما، حتى إذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: دخل يحي بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج، فنظر إلى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر والصوف، ونظر إلى مجتهديهم قد خرقوا التراقي وسلكوا فيها السلاسل وشدّوا أنفسهم إلى أطراف بيت المقدس، فهاله ذلك، فرجع إلى أبويه فمرّ بصبيان يلعبون، فقالوا له: يا يحي، هلم بنا لنلعب فقال: إني لم أخلق للعب، قال: فأتى أبويه فسألهما ان يدرعاه الشعر ففعلا، فرجع إلى بيت المقدس وكان يخدمه نهاراً ويصبح فيه ليلاً، حتى أتت عليه خمس عشرة سنة، فخرج ولزم أطواد الأرض وغيران الشعاب، فخرج أبواه في طلبه فأدركاه على بحيرة الأردن وقد أنقع رجليه في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول: وعزتك وجلالك لا أذوق

زاهد ضعيف، روى له البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه: **(خرج داود)** عليه السلام **(ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم فخرج في أربعين ألفاً فمات منهم ثلاثون ألفاً وما رجع إلا عشرة آلاف)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين. **(قال)** يزيد: **(وكان له)** عليه السلام **(جاريتان اتخذهما حتى إذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه و مفاصله فيموت)**. وروى ابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، وعبد بن حميد من طريق ثابت عن صفوان بن عروة قال: كان داود عليه السلام إذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله لا يشدها إلا الله فإذا ذكر رحمته تراجعت.

(وقال ابن عمر رضي الله عنهما: دخل يحي بن زكريا عليهما السلام بيت المقدس وهو ابن ثمان حجج، فنظر إلى عبادهم قد لبسوا مدارع الشعر و الصوف) وهي الجبب منها ضيقة الكمين، **(و نظر إلى مجتهديهم قد خرقوا التراقي)** جمع ترقوة وهي عظم الرقبة **(وسلكوا فيها السلاسل وشدوا أنفسهم إلى أطراف بيت المقدس فهاله ذلك)** لأنه لم يكن رأى قبل ذلك مثله، **(فرجع إلى أبويه فمر بصبيان يلعبون فقالوا: يا يحي هلم بنا لنلعب. فقال: إني لم أخلق للعب. قال: فأتى أبويه فسألهما أن يدرعاه الشعر ففعلا فرجع إلى بيت المقدس و كان يخدمه نهاراً و يصبح فيه ليلاً)** أي يسرج السرج، **(حتى أتت عليه خمس عشرة سنة فخرج)** هائماً **(و لزم أطواد الأرض)** أي جبالها **(وغيران الشعاب)** جمع غور وهي المنخفضة من الأراضي والشعاب الثنايا بين الجبلين، **(فخرّج أبواه في طلبه فأدركاه على بحيرة الأردن)**. وهي على أميال بيت المقدس **(وقد أنقع رجليه في الماء حتى كاد العطش يذبحه وهو يقول: و عزتك و جلالك لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك. فسأله أبواه أن**

بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك، فسأله أبواه إن يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه. فمدح بالبر فرده أبواه إلى بيت المقدس، فكان إذا قام يصلي بكى حتى يبكي معه الشجر والمدر ويبكي زكريا عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه، فلم يزل يبكي حتى خرقت دموعه لحم خدّيه وبدت أضراسه للناظرين، فقالت له أمه: يا بني لو أذنت لي أن اتخذ لك شيئاً تواري به أضراسك عن الناظرين فأذن لها، فعمدت إلى قطعتي لبود فألصقتهما على خدّيه، فكان إذا قام يصلي بكي فإذا استنقعت دموعه في القطعتين أتت إليه أمه فعصرتهما، فإذا رأى دموعه تسيل على ذراعي أمه قال: اللهم هذه دموعي وهذه أمي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين، فقال له زكريا يوماً: يا بني إنما سألت ربي أن يهبك لي لتقر عيناي بك فقال يحي يا أبت إن جبريل عليه السلام أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء. فقال زكريا عليه السلام: يا بني فابكِ.

يفطر على قرص كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن [illegible] فمد- بالبر) يعني في قوله تعالى: ﴿وبرا بوالديه﴾ [مريم: ١٤] أي [illegible] **(فرده إلى بيت المقدس فكان إذا قام يصلي بكى حتى تبكي معه الشجر و[illegible]، ويبكي ز[illegible] عليه السلام لبكائه حتى يغمى عليه، فلم يزل يبكي حتى أخرقت [illegible]مرعه لحم خ[illegible]يه)** أي شقته **(وبدت أضراسه للناظرين فقالت له أمه: ي[illegible]نت لي أن اتخذ شيئاً يواري أضراسك فأذن لها فعمدت إلى قطعتي لبود فألصقت[illegible] على [illegible]، فكان إذا قام يصلي بكى فإذا استنقعت من دموعه في القطعتين أتت إليه امه فعصرتها، فإذا رأى دموعه تسيل على ذراعي أمه قال: اللهم هذه دموعي وهذه أمي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا يوماً: أنا سألت ربي أن يهبك لي لتقر عيناي، فقال يحي: يا أبت إن جبريل عليه السلام أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء. فقال زكريا عليه السلام: يا بني فابك)**. روى أحمد في الزهد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والخرائطي، وابن عساكر عن معمر بن راشد قال: بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب. قال: ما للعب خلقت فهو قوله ﴿وآتيناه الحكم صبيا﴾ [مريم: ١٢].

وروى عبد الرزاق، وعبد بن حميد من طريق معمر عن قتادة قال: جاء الغلمان إلى يحي بن زكريا فقالوا: اخرج بنا يلعب. فقال: ما للعب خلقت. قال: فانزل الله ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾.

وروى الحاكم في التاريخ من طريق نبتل بن سعيد عن الضحاك عن بـن عباس رفعه قال الغلمان ليحي بن زكريا: اذهب بنا نلعب. فقال يحي: ما للعب خلقنا اذهبوا نصلي.

وروى إسحاق بن بشر في المبتدأ، وابن عساكر عن بن عباس قال: مر يحي بن زكريا على

وقال المسيح عليه السلام: معاشر الحواريين، خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا، بحق أقول لكم: إن أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل.

وقيل كان الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلاً في ميل، فيأتيه جبريل فيقول له: ربك يقرئك السلام ويقول: هل رأيت خليلاً يخاف خليله؟ فيقول يا جبريل إني إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلقي، فهذه أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك والتأمل فيها فإنهم أعرف خلق الله بالله وصفاته،

صبية أتراب له يلعبون على شاطىء نهر بطين وبماء، فقالوا يا يحي تعال حتى نلعب. فقال: سبحان الله أوللعب خلقنا.

وروى ابن أبي حاتم من طريق عبد الرحمٰن بن القاسم قال: قال مالك: بلغني أنه لم يكن ليحي عيشة إلا عشب الأرض وإن كان ليبكي من خشية الله حتى لو كان على خده القار لأذابه، ولقد كان الدمع اتخذ في وجهه مجرى.

وروى ابن أبي شيبة، و أحمد في الزهد، وابن عساكر عن أبي إدريس الخولاني قال: كان يحي ابن زكريا يأكل العشب وإن كان ليبكي من خشية الله تعالى حتى لو كان القار على عينه لحرقه، ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه.

(وقال المسيح عليه السلام: معاشر الحواريين خشية الله و حب الفردوس يورثان الصبر على المشقة و يباعدان عن الدنيا) .قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا عبدالله بن أحمد بن عقبة، حدثنا حماد بن الحسن، حدثنا سيار، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا مالك بن دينار قال: قال عيسى عليه السلام: خشية الله وحب الفردوس يباعدان من زهرة الدنيا ويورثان الصبر على المشقة.

حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا حاجب بن أبي بكر، حدثنا حماد بن الحسن، حدثنا سيار، حدثنا جعفر، حدثنا مالك قال: قال عيسى عليه السلام: **(بحق أقول لكم: إن أكل الشعير و النوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل)** . ولفظ الحلية: لقليل في طلب الفردوس. وأخرجه ابن عساكر في ترجمة مالك بلفظ: أكل الشعير مع الرماد والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس.

(وكان الخليل صلوات الله وسلامه عليه إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلاً في ميل، فيأتيه جبريل) عليه السلام **(فيقول له: ربك يقرئك السلام ويقول: هل رأيت خليلاً يخاف خليله؟ فيقول: يا جبريل إني إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلقي)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين. **(فهذه أحوال الأنبياء عليهم السلام فدونك والتأمل**

صلوات الله عليهم أجمعين وعلى كل عباد الله المقرّبين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف الصالحين في شدة الخوف:

روي أنّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لطائر: ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشراً. وقال أبو ذرّ رضي الله عنه: وددت لو أني شجرة تعضد وكذلك قال طلحة. وقال عثمان رضي الله عنه: وددت إني إذا مت لم أبعث. وقالت عائشة رضي الله عنها. وددت إني كنت نسياً منسياً. وروي أن عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشياً عليه، فكان يعاد أياماً وأخذ يوماً تبنة من الأرض فقال: يا

فيها فإنهم أعرف خلق الله بالله وصفاته). وقس نفسك وتأمل في القصور عن لحوق درجاتهم **(صلوات الله)** وسلامه **(عليهم أجمعين وعلى كل عبد مصطفى وعلى عباد الله المقربين وحسبنا الله ونعم الوكيل)**.

بيان أحوال الصحابة و التابعين و السلف الصالحين في شدة الخوف:

(روي أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال) يوماً **(لطائر: ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشراً)** نقله صاحب القوت. **(و قال أبو ذر رضي الله عنه: وددت لو أني شجرة تعضد)** كذا في القوت. و قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو محمد بن حبان، حدثنا أبو يحي الرازي، حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبي ذر قال: والله لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم ولا تقاررتم على فرشكم، والله لوددت أن الله خلقني يوم خلقني شجرة تعضد ويؤكل ثمرها. **(و كذا قال طلحة)** بن عبيدالله التيمي رضي الله عنه أحد العشرة. و لفظ القوت: و قول طلحة: وددت أني لم أخلق. **(و قال عثمان رضي الله عنه: وددت أني إذا مت لم أبعث)** كذا في القوت. و روي ذلك عن بن مسعود قال صاحب الحلية بسنده عن مسروق قال رجل عند عبدالله: ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين أكون من المقربين أحب الي قال: فقال عبدالله: لكن ههنا رجلاً ود أنه ذا مات لم يبعث - يعني نفسه - وفي الزهد لأحمد من طريق عبدالله بن الردمي قال: بلغني أن عثمان رضي الله عنه قال: لو أني بين الجنة والنار ولا أدري إلى أيتها يؤمر بي لاخترت أن أكون رماداً قبل أن أعلم إلى أيتها أصير. وفي الحلية من طريق السري بن يحي عن الحسن قال: قال ابن مسعود: لو وقفت بين الجنة والنار فقيل لي اختر نخيرك من أيها تكون أحب إليك أم تكون رماداً لأحببت أن أكون رماداً. **(و قالت عائشة رضي الله عنها: وددت أني كنت)** حيضة **(نسياً منسياً)** كذا في القوت. **(وروي أن عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشياً عليه، فكان يعاد أياماً)** رواه هشام عن الحسن بلفظ: إن عمر كان يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط و يعاد، و رواه أبو بكر بن أبي شيبة، عن عفان، عن جعفر بن سليمان،

ليتني كنت هذه التبنة، يا ليتني لم أك شيئاً مذكوراً، يا ليتني كنت نسياً منسياً، يا ليتني لم تلدني أمي. وكان في وجه عمر رضي الله عنه خطان أسودان من الدموع وقال رضي الله عنه: من خاف الله لم يشف غيظه، ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون. ولما قرأ عمر رضي الله عنه: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وانتهى إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠] خر مغشياً عليه، ومر يوماً بدار إنسان وهو يصلي ويقرأ سورة: ﴿والطور﴾ فوقف يستمع، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ* مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور: ٧ - ٨] نزل عن حماره واستند إلى حائط ومكث زماناً، ورجع إلى منزله فمرض شهراً يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه. وقال

عن هشام، عن الحسن قال: كان عمر يمر بالآية في ورده فتخنقه العبرة فيبكي حتى يسقط ثم يلزم بيتـه حتى يعاد يحسبونه مريضاً. **(و أخذ يوماً تبنة من الأرض فقال: ياليتني كنت هذه التبنة ياليتني لم أك شيئاً مذكوراً. ياليتني كنت نسياً منسياً. ياليتني لم تلدني أمي)** رواه شعبة عن عاصم بن عبيدالله، عن عبدالله بن عامر بن ربيعة بلفظ: أخذ عمر تبنة فقال: ليتني كنت هذه ليتني لم أخلق ليتني لم أك شيئاً. وفي لفظ: رأيت عمر أخذ تبنة من الأرض فقال: ياليتني هذه التبنة ليتني لم أك شيئاً ليت أمي لم تلدني ليتني كنت نسياً منسياً. **(و كان في وجه عمر رضي الله عنه خطان أسودان من)** آثار **(الدموع)** رواه صاحب الحلية من طريق عبدالله بن عيسى قال: كان في وجه عمر خطان أسودان من البكاء. **(و قال عمر رضي الله عنه: من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد و لولا يوم القيامة لكان غير ما ترون)**. رواه صاحب الحلية عن محمد بن علي بن حبيش، حدثنا عبدالله بن محمد البغوي، حدثنا أبو نصر التمار، حدثنا بقية عن إبراهيم بن أدهم عن أبي عبدالله قال: قال عمر: من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يصنع ما يريد و لولا القيامة لكان غير ما ترون. ومن طريق أحمد بن علي الأبار، حدثنا عبيد بن هشام الجيلي، حدثنا بقية فقال في حديثه عن أبي عبدالله الخراساني، وفيه: من اتقى الله لم يقل كلما علم.

قلت: وقد روى سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعاً « من اتقى الله كل لسانه ولم يشف غيظه » وقد تقدم.

(ولما قرأ عمر رضي الله عنه ﴿إذا الشمس كورت﴾ و انتهى إلى قوله تعالى ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ خر مغشياً عليه. و مر يوماً بدار انسان وهو يصلي ويقرأ سورة (والطور) فوقف يسمع فلما بلغ قوله ﴿إن عذاب ربك لواقع* ماله من دافع﴾ نزل عن حماره و استند إلى حائط و مكث زماناً) يتأمل فيه، **(و رجع إلى منزله فمرض شهراً يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه)** و مثل هذا من أحوال عمر رضي الله عنه معروف. روى ابن جريج، عن بن أبي مليكة أخبرني علقمة بن وقاص قال: كان عمر يقرأ في العشاء الآخرة سورة

علي كرّم الله وجهه: وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يقلب يده: لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فلم أرَ اليوم شيئاً يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثاً صفراً غبراً بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله تمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم، والله فكأني بالقوم باتوا غافلين، ثم قام فما رؤي بعد ذلك ضاحكاً حتى ضربه ابن ملجم. وقال عمران بن حصين: وددت أن أكون رماداً تنسفني الرياح في يوم عاصف. وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: وددت أني كبش فيذبحني أهلي فيأكلون لحمي ويحسون مرقى. وكان علي بن الحسين

يوسف و أنا في مؤخر الصف، حتى إذا ذكر يوسف، سمعت نشيجه. وعن عبدالله بن شداد قال: سمعت عمر يقرأ في الصبح بسورة يوسف فسمعت نشيجه و إني لفي آخر الصفوف وهو يقرأ ﴿إنما أشكو بثي وحـزني إلى الله﴾ [يوسف: ٨٦] وعن ابن عمر قال: سمعت حنين عمر من وراء ثلاث صفوف.

(وقال علي كرم الله وجهه، وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة) أي تغير لون من غم **(وهو يقلب يده)** ظهراً لبطن: **(لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فلم أر اليوم شيئاً يشبههم. لقد كانوا يصبحون شعثاً صفراً غبراً بين أعينهم أمثال ركب المعزى)** أي من أثر السجود. **(قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله فمادوا)** أي اهتزوا **(كما تميد الشجرة في يوم الريح)** أي تهتز يميناً وشمالاً، **(وهملت أعينهم الدموع حتى تبل ثيابهم والله كأني بالقوم باتوا غافلين)** أي عن ذكر الله تعالى. **(ثم قام)** من موضعه **(فما رؤي بعد ذلك ضاحكاً حتى ضربه ابن ملجم)** عبد الرحمن المرادي رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن جعفر وعلي بن أحمد قالا: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا محمد بن يزيد أبو هاشم، حدثنا المحاربي، عن مالك بن مغول، عن رجل من جعفي عن السدي عن أبي أراكة قال: صلى علي الغداة ثم لبث في مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كان عليه كآبة ثم قال: لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحداً يشبههم، والله إن كانوا ليصبحون شعثاً غبراً صفراً بين أعينهم مثل ركب المعزي قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح، فأنهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم، والله لكان القوم باتوا غافلين.

(وقال عمران بن الحصين) رضي الله عنه **(وددت أني أكون رماداً تنسفني الرياح في يوم عاصف)** وقد روي مثل ذلك عن ابن مسعود قال: ليتني أني أكون رماداً. وفي رواية عنه: ليتني كنت بعرة، ليتني لم أك شيئاً وقد تقدم قريباً.

(وقال أبو عبيدة) عامر **(بن الجراح)** رضي الله عنه **(وددت أني كبش فيذبحني أهلي**

رضي الله عنه إذا توضأ اصفرّ لونه، **فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء** فيقول أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟ **وقال موسى بن مسعود: كنا إذا جلسنا إلى** الثوري كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه. **وقرأ مضر القارىء يوماً:** ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩] الآية، **فبكى عبد الواحد بن زيد** حتى غشي عليه، فلما أفاق قال وعزتك لا عصيتك جهدي أبداً، **فأعني بتوفيقك على**

فيأكلون لحمي ويحسون مرقي) هذا قد روي عن عمر رضي الله عنه رواه هناد في الزهد من طريق الضحاك قال، قال عمر: ليتني كنت كبش أهلي سمنوني ما بدا لهم حتى إذا كنت أسمن ما أكون زارهم بعض من يحبون فجعلوا بعضي شواء وبعضي قديداً ثم أكلوني فأخرجوني عذرة ولم أك بشراً.

(وكان) زين العابدين **(علي)** بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه **(إذا توضأ أصفر لونه فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟)** رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا العتبي، حدثنا أبي قال: كان علي بن الحسين إذا فرغ من وضوئه وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة ونفضة فقيل له في ذلك فقال: ويحكم أتدرون إلى من أقوم ومن أريد أن أناجي؟ وقد روي مثل ذلك عن عطاء السلمي أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقال موسى بن مسعود) أبو حذيفة النهدي البصري. قال العجلي: ثقة صدوق. وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: صدوق معروف بالثوري، وقيل: إن الثوري تزوج أمه لما قدم البصرة مات سنة عشرين ومائتين وله إثنتان وتسعون سنة. روى عنه البخاري، وروى له أبو داود والترمذي وابن ماجه: **(كنا إذا جلسنا إلى)** سفيان **(الثوري كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقرأ مضر القارىء يوماً) قوله تعالى: **(﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعلمون﴾ فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه، فلما أفاق قال: وعزتك لاعصيتك جهدي أبداً فأعني بتوفيقك على عبادتك)**. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا علي بن سعيد، حدثنا محمد بن إدريس، حدثنا عبدالله بن عبيد، عن مضر القارىء قال: سمعت عبد الواحد بن زيد يقول.: وعزتك ما أعلم لمحبتك فرجاً دون لقائك والإشتفاء من النظر إلى جلال وجهك في دار كرامتك، فيا من أحل الصادقين محل الكرامة وأورث البطالين منزل الندامة اجعلني ومن حضرني من أفضل أوليائك زلفاً وأعظمهم منزلة وقربة تفضلاً منك علي وعلى إخواني يوم تجزي الصادقين بصدقهم جنات قطوفها دانية متدلية عليهم ثمرها.

طاعتك. وكان المسور بن مخرمة لا يقوى أن يسمع شيئاً من القرآن، لشدّة خوفه، ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل أياماً، حتى أتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ [مريم: ٨٥-٨٦] فقال أنا من المجرمين ولست من المتقين، أعد عليّ القول أيها القارىء، فأعادها عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة. وقرىء عند يحيى البكاء ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠] فصاح صيحة مكث منها مريضاً أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة. وقال مالك بن دينار: بينا أنا أطوف بالبيت إذ أنا بجويرية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول: يا رب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها: يا رب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار؟ وتبكي فما زال ذلك مقامها حتى

(**وكان المسور بن مخرمة**) بن نوفل القرشي أبو عبد الرحمن الزهري له ولأبيه صحبه، وأمه الشفاء بنت عوف أخت عبد الرحمن بن عوف، توفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثمان سنين، ومات بمكة في فتنة ابن الزبير سنة أربع وسبعين وهو يومئذ ابن ثلاث وستين، روى له الجماعة. (**لا يقوى أن يسمع القرآن لشدة خوفه، ولقد كان يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل أياماً، حتى أتى عليه رجل من خثعم**) بن أنمار (**فقرأ عليه**) قوله تعالى: (**﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا * ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾ فقال: أنا من المجرمين ولست من المتقين أعد علي القول أيها القارىء، فعاد عليه فشق شهقة فلحق بالآخرة**). هكذا ذكره المصنف في سبب موته، والذي ثبت من قول عمرو بن علي الفلاس أنه أصابه المنجنيق في فتنة ابن الزبير وهو يصلي في الحجر. فمكث خمسة أيام ثم مات، فلعل هذه القصة إن صحت كانت في أثناء هذه الأيام الخمسة أو حصل التصحيف من النساخ في صاحب القصة.

(**وقرىء عند يحيى البكاء**) هو يحيى بن مسلم أو ابن سليم مصغراً وهو ابن خليّة البصري المعروف بالبكاء لكثرة بكائه، الحداني مولاهم ضعيف مات سنة ثلاثين ومائة، روى له الترمذي وابن ماجه، وله ذكر في الحلية في ترجمة محمد بن واسع، أخرج من طريق حماد بن زيد قال: دخلنا على محمد بن واسع نعوده في مرضه فجاء يحيى البكاء يستأذن عليه فقالوا: يا أبا عبدالله هذا أخوك أبو سلمة على الباب. قال: من أبو سلمة؟ قالوا: يحيى. قال: من يحيى؟ قالوا: يحيى البكاء. قال حماد وقد علم أنه يحيى البكاء فقال: إن شر أيامكم يوم نسبتم إليّ البكاء (**﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم﴾**) الآية (**فصاح صيحة ومكث منها مريضاً أربعة أشهر يعاد من أطراف البصرة**) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين.

(**وقال**) أبو محمد (**مالك بن دينار**) البصري رحمه الله تعالى: (**بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بجويرية**) أي صبية (**متعبدة وهي متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول: يا رب كم شهوة ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها. يا رب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار؟ وتبكي، فما زال**

طلع الفجر ، قال مالك : فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخاً أقول : ثكلت مالكاً أمه . ورويِ أن الفضيل رؤي يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة ، حتى إذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : واسوأتاه منك وإن غفرت ، ثم انقلب مع الناس . وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الخائفين ؟ فقال : قلوبهم بالخوف قرحة ، وأعينهم باكية ، يقولون : كيف نفرح والموت من ورائنا ، والقبر أمامنا ، والقيامة موعدنا ، وعلى جهنم طريقنا ، وبين يدي الله ربنا موقفنا ، ومرّ الحسن بشاب وهو مستغرق في ضحكه وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن : يا فتى ، هل مررت بالصراط ؟ قال : لا . قال : فهل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار ؟ قال : لا . قال : فما هذا الضحك ؟ قال : فما رؤي ذلك الفتى بعدها ضاحكاً . وكان حماد بن عبد ربه إذا جلس جلس مستوفزاً على قدميه ، فيقال له : لو اطمأننت ؟

ذلك مقامها حتى طلع الفجر . قال مالك : فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخاً أقول ثكلت مالكاً أمه) . أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين .

(وروي أن الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى **(رؤي يوم عرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة حتى إذا كادت الشمس تغرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : واسوأتاه منك إن غفرت ثم انقلب مع الناس)** أخرجه أبو نعيم في الحلية فقال : حدثنا محمد بن إبراهيم ، حدثنا الفضل بن محمد الجندي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال : وقفت مع الفضيل بن عياض بعرفات فلم أسمع من دعائه شيئاً إلا أنه واضع يده اليمنى على خده وواضع رأسه يبكي بكاء خفياً ، فلم يزل كذلك حتى أفاض الإمام ، فرفع رأسه إلى السماء وقال : واسوأتاه والله منك إن عفوت ثلاث مرات .

(وسئل ابن عباس رضي الله عن الخائفين) أي عن وصفهم **(فقال)** : هم الذين **(قلوبهم بالخوف قرحة وأعينهم)** منه **(باكية يقولون : كيف نفرح والموت من ورائنا والقبر والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي الله ربنا موقفنا)** وهذا منه رضي الله عنه بيان عن الخائفين من صفاته .

(ومرّ الحسن) البصري رحمه الله تعالى **(بشاب وهو مستغرق في ضحكة وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن : يا فتى هل مررت بالصراط ؟ قال : لا . قال : فهل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار ؟ قال : لا . قال : فما هذا الضحك ؟ قال : فما رؤي ذلك الفتى بعدها ضاحكاً)** نقله صاحب القوت .

(وكان حماد بن عبد ربه إذا جلس جلس مستوفزاً على قدميه فيقال له : لو اطمأننت .

فيقول تلك جلسة الأمن، وأنا غير آمن إذ عصيت الله تعالى. وقال عمر بن عبد العزيز: إنما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كي لا يموتوا من خشية الله تعالى، وقال مالك بن دينار: لقد هممت إذا أنا مت آمرهم أن يقيدوني ويغلوني ثم ينطلقوا بي إلى ربي كما ينطلق بالعبد الآبق إلى سيده. وقال حاتم الأصم: لا تغتر بموضع صالح، فلا مكان أصلح من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام فيها ما لقي: ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبده لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقي، ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله من المصطفى ﷺ ولم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه. وقال السري: إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مرات مخافة أن يكون قد اسودّ وجهي. وقال أبو حفص: منذ أربعين سنة اعتقادي

فيقول: تلك جلسة الآمن وأنا غير آمن إذا عصيت الله تعالى. وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى: **(إنما جعل الله هذه الغفلة في قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله تعالى)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقال) أبو يحي **(مالك بن دينار)** البصري رحمه الله تعالى: **(لقد هممت إذا أنا مت آمرهم أن يقيدوني ويغلوني ثم ينطلقوا بي إلى ربي كما ينطلق بالعبد الآبق إلى سيده)**. ولفظ الحلية: لقد هممت أن آمر إذا مت فأغل وأدفع إلى ربي مغلولاً كما يدفع البعد الآبق إلى مولاه. رواه عن أبي بكر بن مالك، عن عبدالله بن أحمد، حدثني عبدالله بن عمر القواريري، حدثنا جعفر بن سليمان قال، قال مالك بن دينار فساقه.

(وقال حاتم) بن علوان **(الأصم)** رحمه الله تعالى. **(لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة، وقد لقي آدم عليه السلام فيها ما لقي)** أي من الهبوط منها والبعد عن حظيرتها بسبب المخالفة، **(ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبده)** حتى كان يلقب بطاوس الملائكة **(لقي ما لقي)** من اللعن والطرد بسبب الكبر، **(ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام)** بن باعوراء من علماء بني إسرائيل **(كان يحسن إسم الله الأعظم)** هذا هو المشهور، وقال بعضهم: بل كان أوتي النبوة **(فانظر ماذا لقي)** من الإنسلاخ عن الآيات، فكان علمه سبب هلاكه كما قال تعالى: ﴿آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾ [الأعراف: ١٧٥] **(ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله تعالى من المصطفى ﷺ، و)** مع ذلك **(لم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه)** مع كمال قربهم إليه نقله القشيري في الرسالة.

(وقال السري) بن المغلس السقطي رحمه الله تعالى: **(إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مرات مخافة أن يكون قد أسود وجهي)** نقله القشيري في الرسالة بلفظ كذا وكذا مرة مخافة أن يكون قد اسودّ لما أخافه من العقوبة. هكذا أورده في باب الخوف، وذكر في ترجمته من أول الكتاب

في نفسي أن الله ينظر إلي نظر السخط وأعمالي تدل على ذلك. وخرج ابن المبارك يوماً على أصحابه فقال: إني اجترأت البارحة على الله سألته الجنة. وقالت أم محمد بن كعب القرظي لابنها: يا بني إني أعرفك صغيراً طيباً وكبيراً طيباً، وكأنك أحدثت حدثاً موبقاً لما أراك تصنع في ليلك ونهارك! فقال: يا أماه، ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع علي وأنا على بعض ذنوبي، فمقتني وقال: وعزتي وجلالي لا غفرت لك. وقال الفضيل: إني لا أغبط نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً، ولا عبداً صالحاً، أليس هؤلاء

بلفظ مخافة أن يكون قد اسوّد خوفاً من الله أن يسوّد صورتي لما اتعاطاه، وإنما خص الأنف لأن الشخصَ لا يرى من وجهه غير أنفه.

(**وقال أبو حفص**) عمر بن مسلم الحداد رحمه الله تعالى نيسابوري من كبار الأئمة ترجم له القشيري في الرسالة وقال: مات سنة نيف وستين ومائتين: (**منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي أن الله ينظر إلي نظر السخط**) والمقت (**وأعمالي تدل على ذلك**) أي لكثرة الغفلات ولسوء الأدب في المعاملة مع الله تعالى ومع الخلق. نقله القشيري في الرسالة.

(**وخرج**) عبدالله (**بن المبارك**) رحمه الله تعالى (**يوماً على أصحابه فقال لهم: إني قد اجترأت البارحة**) على الله حيث (**سألته الجنة**) وأنا حقير في نفسي ولا تصلح أحوالي لسؤالها، وكان حقي استعيذه من النار نقله القشيري في الرسالة.

(**وقالت أم محمد بن كعب**) ابن سليم بن عمرو بن إياس بن حيان بن قرظة (**القرظي**) المدني من حلفاء الأوس، وكان أبوه من سبي قريظة، سكن الكوفة ثم تحول إلى المدينة فسكنها. قال ابن سعد: كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً مات سنة ثمان ومائة روى له الجماعة (**لابنها**) المذكور: (**يا بني إني أعرفك صغيراً طيباً وكبيراً طيباً وكأنك أحدثت حدثاً موبقاً**) أي آذنبت ذنباً مهلكاً (**لما أراك تصنع في ليلك ونهارك**) أي من الإجتهاد في العبادة والبكاء من الخوف. (**فقال**) محمد. (**يا أماه ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع علي وأنا على بعض ذنوبي فمقتني. وقال: وعزتي لا غفرت لك**). رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي كثير البصري قال: قالت أم محمد بن كعب لمحمد: يا بني لولا أني أعرفك صغيراً طيباً وكثيراً طيباً لظننت أنك أذنبت ذنباً موبقاً لما أراك تصنع بنفسك بالليل والنهار. قال: يا أمتاه وما يؤمنني أن يكون الله عز وجل اطلع علي وأنا في بعض ذنوبي فمقتني. وقال: إذهب لا أغفر لك مع أن عجائب القران ترد بي على أمور حتى أنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي.

(**وقال الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى: (**إني لا أغبط نبياً مرسلاً ولا ملكاً مقرباً ولا عبداً صالحاً أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة**) أي يشاهدون أهوالها. (**إنما أغبط من لم**

يعاينون يوم القيامة، إنما أغبط من لم يخلق. وروي أن فتى من الأنصار دخلته خشية النار، فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت، فجاء النبي ﷺ فدخل عليه واعتنقه فخرّ ميتاً، فقال ﷺ: «جهّزوا صاحبكم فإن الفرق من النار فتت كبده» وروي عن بن أبي ميسرة أنه كان إذا أوى إلى فراشه يقول: يا ليت أمي لم تلدني فقالت له أمه: يا ميسرة إن الله تعالى قد أحسن إليك. هداك إلى الإسلام قال أجل ولكن الله قد بيّن لنا أنا واردو النار ولم يبين لنا أنا صادرون عنها. وقيل لفرقد السنجي: أخبرنا بأعجب شيء بلغك عن بني إسرائيل! فقال: بلغني أنه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح، فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعاً في يوم واحد. وكان عطاء

يخلق) قال أبو نعيم في الحلية. حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثني محمد بن عيسى، عن فضيل بن عياض قال: ما أغبط ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً يعاين القيامة وأهوالها ما أغبط إلا من لم يكن شيئاً.

(روي أن فتى من الأنصار دخلته خشية النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت) أي عن حضوره الجماعة مع رسول الله ﷺ، **(فجاء النبي ﷺ فدخل عليه واعتنقه)** فكشف له عن الحجاب الذي كان بينه وبين الله تعالى فلم يحتمله **(فخر ميتاً. فقال ﷺ: «جهزوا صاحبكم فإن الفرق من النار)** أي الخوف منها **(فتت كبده»)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من حديث حذيفة، والبيهقي في الشعب من حديث سهل بن سعد بإسنادين فيهما نظر.

(وروي عن) ميسرة **(بن أبي ميسرة)** عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي **(أنه كان إذا أوى إلى فراشه يقول: يا ليت أمي لم تلدني، فقالت له أمه)** حين سمعت منه ذلك مراراً. **(يا ميسرة إن الله تعالى قد أحسن إليك)** حيث **(هداك للإسلام. قال: أجل ولكن الله قد بيّن لنا أنا واردو النار)** وهو قوله تعالى: ﴿وإن منكم الاورادها كان على ربك حتماً مقضياً﴾ [مريم: ٧١] **(ولم يبين لنا أنا صادرون عنها)** أي: فهذا سبب خوفي منها.

(وقيل لفرقد) بن يعقوب **(السبخي)** بفتح المهملة والموحدة وبخاء معجمة بصري صدوق في حديثه لين مات سنة إحدى وثلاثين، روى له الترمذي وابن ماجه: **(أخبرنا)** يا أبا يعقوب **(بأعجب شيء بلغك عن بني إسرائيل. قال: بلغني أنه دخل بيت المقدس خمسمائة عذراء لباسهن الصوف والمسوح)** يتعبدن الله عز وجل، **(فتذاكرن ثواب الله وعقابه فمتن جميعاً في يوم واحد)** أي غلب عليهن الخوف ففتت كبدهن فمتن، وهكذا شأن الخوف إذا أفاض من القلب إلى الكبد.

(وكان عطاء السليمي) بفتح المهملة وكسر اللام نسبة إلى سليمة بن مالك بن فهم بطن من

السلمي من الخائفين ولم يكن يسأل الله الجنة أبداً إنما كان يسأل الله العفو. وقيل له في مرضه: ألا تشتهي شيئاً؟ فقال: إن خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعاً للشهوة ويقال: أنه ما رفع رأسه إلى السماء ولا ضحك أربعين سنة. وأنه رفع رأسه يوماً ففزع فسقط فانفتق في بطنه فتق، وكان يمس جسده في بعض الليل مخافة أن يكون قد مسخ وكان إذا أصابتهم ريح أو برق أو غلاء طعام قال: هذا من أجلي يصيبهم، لو مات عطاء

الأزد زاهد مشهور ويقال له العبدي أيضاً **(من الخائفين)** المشهورين بالخوف حتى يقال: إنه نسي القرآن من الخوف، وكان إذا رأى تنوراً يسجر يسقط مغشياً عليه من الخوف، وإذا فرغ من وضوئه ارتعد وبكى شديداً، وكان لدموعه حوله أثر البلل كأنه أثر الوضوء، **(ولم يكن يسأل الله الجنة أبداً إنما كان يسأل العفو)** رواه صاحب الحلية من طريق أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان يقول: كان عطاء السليمي قد اشتد خوفه وكان لا يسأل الله أبداً الجنة، فإذا ذكرت عنده قال: نسأل الله العفو، **(وقيل له في مرضه: ألا تشتهي شيئاً؟ فقال: إن خوف جهنم لم يدع في قلبي موضعاً للشهوة)** نقله صاحب القوت. وروى صاحب الحلية من طريق مسكين أبي فاطمة عن صالح المري قال: قلت لعطاء السليمي: إنك قد ضعفت فلو صنعنا لك سويقاً. قال: فصنعنا له سويقاً وتكلفناه. فقال: يا أبا بشر إني إذا ذكرت النار لم أبتغه. وفي رواية إذا أردت أن أشربه ذكرت هذه الآية ﴿يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان﴾ [إبراهيم: ١٧] وفي رواية قال له صالح: يا شيخ قد خدعك إبليس. قال: فقال لي ويحك يا صالح إني والله إذا ذكرت جهنم ما يسيغني طعام ولا شراب. قال: قلت أنت والله في واد لا عاتبتك في هذا أبداً. **(ويقال إنه ما رفع رأسه إلى السماء ولا ضحك أربعين سنة، وأنه رفع رأسه يوماً فسقط فانفتق في بطنه فتق)** رواه أبو نعيم في الحلية من طريق عبدالله بن عبيدة قال: سمعت غفيرة وكانت متعبدة قد ذهب بصرها من البكاء تقول. لم يرفع عطاء رأسه إلى السماء ولم يضحك أربعين سنة، فرفع رأسه مرة فسقط ففتق فتقاً في بطنه. **(وكان يمس جسده في بعض الليل مخافة أن يكون قد مسخ)** رواه كذلك من الطريق المذكورة عن خزيمة بن زرعة حدثنا محمد بن كثير، عن إبراهيم بن آدم قال: كان عطاء يمس جسده بالليل خوفاً من ذنوبه مخافة أن يكون قد مسخ **(وكان إذا أصابتهم ريح أو برق أو غلاء طعام قال: هذا من أجلي يصيبهم. لو مات عطاء لاستراح الناس)** رواه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد من الطريق المذكور، عن يحيى بن راشد، حدثنا مرجان بن وداع الراسبي قال: كان عطاء إذا هبت ريح وبرق ورعد قال: من أجلي يصيبكم. لو مات عطاء استراح الناس. قال: وكنا ندخل على عطاء فإذا قلنا له زاد الطعام. قال: هذا من أجلي يصيبكم لو مت أنا لأستراح الناس. ورواه صاحب الحلية من طريق أحمد بن إسحاق الحضرمي، حدثنا إبراهيم بن يعقوب قال: كان عطاء السليمي إذا سمع صوت الرعد قام وقعد وأخذ ببطنه كأنه امرأة ماخض ويقول: قد كنت أرجو أن أموت قبل أن يجيء الشتاء.

لاستراح الناس. وقال عطاء: خرجنا مع عتبة الغلام وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم في رؤوسهم جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الأوتار، ويصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ وكأنهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين، فبينما هم يمشون إذ مر أحدهم بمكان فخّر مغشياً عليه، فجلس اصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقاً، فجاؤوا بماء فمسحوا وجهه فأفاق وسألوه عن أمره؟ فقال: إني ذكرت أني كنت عصيت الله في ذلك المكان. وقال صالح المري: قرأت على رجل من المتعبدين: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وأطَعْنَا الرَّسُولا﴾ [الأحزاب: ٣٣] فصعق ثم أفاق فقال: زدني يا صالح فإني أجد غماً فقرأت: ﴿كُلَّمَا أرادُوا أنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]

(**وقال عطاء السليمي: خرجنا مع عتبة**) بن أبان (**الغلام**) نسير (**وفينا كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور العشاء قد تورمت أقدامهم من طول القيامة وغارت أعينهم في رؤسهم ولصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الأوتار يصبحون كأن جلودهم قشور البطيخ، وكأنهم قد أخرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله المطيعين وكيف أهان العاصين، فبينا هم يمشون إذ مرّ**) عتبة (**بمكان**) هناك (**فخرّ مغشياً عليه فجلس أصحابه حوله يبكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقاً، فجيء بماء فمسحوا وجهه فأفاق وسألوه عن أمره فقال: إني ذكرت أني كنت عصيت الله**) عز وجل (**في ذلك المكان**). ورواه أبو نعيم في الحلية أخصر منه قال: حدثنا أحمد بن بندار، حدثنا جعفر بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن عبدالله الجيلي، حدثني محمد بن الحسين، حدثنا عبيد الله بن محمد بن حفص التيمي، حدثني أبو حسن بن اليسع قال: لقي عبد الواحد بن زيد بن عتبة الغلام في رحبة العصابين في يوم شاتٍ شديد البرد، فإذا هو يرفض عرقاً فقال له عبد الواحد: عتبة: قال: نعم. قال: فما شأنك مالك تعرق في مثل هذا اليوم؟ قال: خير. قال: لتخبرني. قال: خير. قال: فقال للإنس الذي بيني وبينك والإخاء إلا ما أخبرتني. قال: إني والله ذكرت ذنباً أصبته في هذا المكان فهذا الذي رأيت من أجل ذلك.

(**وقال**) أبو بشر (**صالح**) ابن بشر (**المري**) رحمه الله تعالى (**قرأت على رجل من المتعبّدين**) يوماً قوله تعالى: (﴿ **يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا** ﴾) إلى آخره (**فصعق ثم أفاق فقال: زدني يا صالح فإني أجد غماً، فقرأت**) عليه قوله تعالى: (﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها** ﴾) الآية (**فخرَّ ميتاً**) وهذا من شدة الخوف الذي غلب على القلب فاض منه إلى المرارة فانشقت ومات.

فخر ميتاً. وروي أن زرارة بن أبي أوفى صلى بالناس الغداة فلما قرأ: ﴿فإذا نُقِرَ في النَّاقور﴾ [المدثر: ٨] خر مغشياً عليه فحمل ميتاً.

ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال: عظني يا يزيد: فقال يا أمير المؤمنين، اعلم أنك لست أول خليفة يموت، فبكى ثم قال: زدني، قال: يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت فبكى ثم قال زدني يا يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل، فخر مغشياً عليه. وقال ميمون بن مهران: لما نزلت هذه الآية: ﴿وإنَّ جهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣] صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه وخرج هارباً ثلاثة أيام لا يقدرون عليه. ورأى داود الطائي امرأة

(**وروي أن**) أبا حاجب (**زرارة بن أوفى**) العامري الحرشي البصري قاضيها ثقة عابد، روى له الجماعة (**صلى بالناس الغداة، فلما قرأ ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ خر مغشياً عليه فحمل ميتاً**) روى المزي في التهذيب من طريق أبي خباب القصاب قال: صلى بنا زرارة الفجر، فلما بلغ ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ شهق شهقة ومات. ومن طريق بهز: أمنا زرارة في مسجد بني قشير فقرأ حتى إذا بلغ ﴿فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير﴾ خرّ ميتاً قال: فكنت فيمن حمله، وقد تقدم في تلاوة القرآن.

(**ودخل يزيد**) بن أبان (**الرقاشي**) القاص (**على عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى (**فقال**) له. (**عظني يا يزيد. فقال: يا أمير المؤمنين اعلم أنك لست أول خليفة يموت فبكى، ثم قال: زدني قال: يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت فبكى، ثم قال: زدني يا يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل ألا فاعلم فخر مغشياً عليه**) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**وقال ميمون بن مهران**) الجزري كاتب عمر بن عبد العزيز (**لما نزلت هذه الآية ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ صاح سلمان الفارسي**) رضي الله عنه (**ووضع يده على رأسه وخرج هارباً ثلاثة أيام لا يقدر عليه**) قال العراقي: لم أقف له على أصل.

قلت: وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عمرو بن ميمون قال: خرجت بأبي أقوده في بعض سكك البصرة الحديث وفيه: ثم دفعنا إلى منزل الحسن فطرقت الباب فخرجت الينا جارية سداسية فقالت: من هذا؟ فقلت: ميمون بن مهران اراد لقاء الحسن. فقالت: كاتب عمر بن عبد العزيز؟ فقلت لها: نعم. فقالت يا شقي ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء؟ قال: فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاء فخرج إليه فاعتنقا فدخلنا. فقال ميمون: يا أبا سعيد إني قد أنست من قلبي غلظة فقرأ الحسن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم★ أفرأيت إن متعناهم سنين★ ثم جاءهم ما كانوا يوعدون★ ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾ [الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧] قال: فسقط الشيخ فأريته يفحص برجليه كما تفحص الشاة المذبوحة فاقام طويلاً ثم أفاق، فجاءت الجارية فقالت: قد أتعبتم الشيخ قوموا تفرقوا، فأخذت بيد أبي فخرجت به.

تبكي على رأس قبر ولدها وهي تقول: يا ابناه، ليت شعري أي خديك بدأ به الدود أولاً؟ فصعق داود وسقط مكانه. وقيل مرض سفيان الثوري فعرض دليله على طبيب ذمي فقال: هذا رجل قطع الخوف كبده، ثم جاء وجس عروقه ثم قال: ما علمت أن في الملة الحنيفية مثله. وقال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه: سألت الله عز وجل أن يفتح علي باباً من الخوف، ففتح فخفت على عقلي؛ فقلت: يا رب علي قدر ما أطيق، فسكن قلبي. وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته، وصلى حتى ينكسر صلبه، وكأنه أشار إلى

(ورأى داود) بن نصير **(الطائي)** رحمه الله تعالى **(امرأة تبكي على رأس قبر ولدها وهي تقول: يا ابناه ليت شعري أي خديك بدأ به الدود أولاً؟ فصعق داود وسقط مكانه)**. أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(وقيل: مرض سفيان الثوري) مرضة **(فعرض دليله)** أي ما يستدل به على مرضه وهي القارورة **(على طبيب ذمي، فقال:)** صاحب **(هذا رجل قطع الخوف كبده ثم جاء)** إليه **(وجس نبضه، ثم قال: ما علمت أن في الملة الحنيفية مثله)** في كمال خوفه هذا لفظ القشيري في الرسالة. ولفظ القوت: ولقد كان سفيان أحد الخائفين كان يبول الدم من شدة الخوف، وكان يمرض المرضات من المخافة، وعرض بوله على بعض أطباء الكتابيين فقال: هذا بول راهب من الرهبان. وروى أبو نعيم في الحلية من طريق علي بن غنام قال: مرض سفيان الثوري بالكوفة، فبعث بمائه إلى متطبب بالكوفة، فلما نظر إليه قال: ويلك بول من هذا؟ فقالوا: ما تسأل انظر ما ترى فيه. قال: أرى بول رجل قد أحرق الحزن والخوف جوفه.

(وقال أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى: **(سألت الله عز وجل أن يفتح علي باب الخوف ففتح)** علي بابه **(فخفت على عقلي فقلت: يا رب)** اعطني **(على قدر ما أطيق)** وأقدر عليه **(فسكن قلبي)** نقله القشيري في الرسالة إلا أنه قال: فسكن ذلك. وروى أبو نعيم في الحلية في ترجمة الفضيل قال: سأل داود عليه السلام ربه أن يلقي الخوف في قلبه فلم يحتمله قلبه وطاش عقله حتى ما كان يعقل صلاة ولا ينتفع بشيء فقال له: نحبك أن ندعك كما أنت أو نردك إلى ما كنت عليه؟ قال: ردني فرد إليه عقله.

(وقال عبدالله بن عمرو بن العاص) رضي الله عنهما: **(ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه)** رواه أحمد في الزهد عن وكيع، حدثنا عبد الجبار بن الورد، عن ابن أبي مليكة عنه قال: لو تعلمون فذكره وفيه: ولو تعلمون حق العلم لصرخ أحدكم حتى ينقطع صوته ويسجد حتى ينقطع

معنى قوله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»، وقال العنبري: اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوّة وهو يبكي ولحيته ترجف، فقال: عليكم بالقرآن، عليكم بالسلام ويحكم! ليس هذا زمان حديث، إنما هو زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق، إنما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر. ورؤي الفضيل يوماً وهو يمشي فقيل له: إلى أين؟ قال: لا أدري، وكان يمشي والها من الخوف. وقال ذر بن عمر

صلبه. ورواه أبو نعيم في الحلية من هذا الطريق وقد تقدم قريباً (**وكأنه أشار إلى معنى قوله** ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً**) تقدم مراراً.

(**وقال العنبري**) هو عبيد الله بن الحسن بن حصين بن أبي الحرّ من بني العنبر بن عمرو بن تميم التميمي البصري القاضي. قال النسائي: فقيه بصري ثقة. وقال ابن حبان: من سادات أهل البصرة فقهاً وعلماً ولي القضاء سنة سبع وخمسين ومات سنة ثمان وستين ومائة روى له مسلم حديثاً واحداً والبخاري في الأدب المفرد. (**اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض**) رحمه الله تعالى (**فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف**) أي تضطرب (**فقال: عليكم بالقرآن**) أي بتلاوته (**عليكم بالصلاة. ويحكم ليس هذا زمان حديث إنما هذا زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق إنما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر**). وروى أبو نعيم في الحلية من طريق الحسين بن زياد قال: سمعت الفضيل يقول: احفظ لسانك واقبل على شأنك واعرف زمانك واخف مكانك. ومن طريق يزيد بن خنيس قال، قال رجل: مررت ذات يوم بفضيل بن عياض فقلت له: أوصني بوصية ينفعني الله بها. قال: يا عبد الله اخف مكانك واحفظ لسانك واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات كما أمرك.

(**ورؤي الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى (**يوماً وهو يمشي فقيل له: إلى أين؟ قال: لا أدري وكان يمشي والهاً من الخوف**) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(**وقال ذر بن عمر لأبيه عمر بن ذر**) بن عبدالله بن زرارة الهمداني المرهبي الكوفي، وكان عمر يكنى أبا ذر وهو ثقة في الحديث. وقال العجلي: عمر بن ذر القاص كان ثقة بليغاً. وقال سفيان بن عيينة: لما مات ذر بن عمر قعد عمر على شفير قبره وهو يقول: يا بني شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، فليت شعري ما قلت وما قيل لك. اللهم إنك أمرته بطاعتك وأمرته ببري فقد وهبت له ما قصر فيه من حقي، فهب له ما قصر فيه من حقك. وعن ابن السماك قال: لما دفن عمر ابنه وقف على قبره فبكى وقال: اللهم إني أشهدك أني قد تصدقت بما تثيبني عليه من مصيبتي فيه عليه فأبكى من حضر، ثم قال: شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ثم ولّى وهو يقول: انطلقنا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك، ولكن نستودعك ارحم الراحمين. مات عمر سنة ثلاث وخمسين

لأبيه عمر بن ذر : ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد ، فإذا تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب ، فقال : يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة . وحكي أنَّ قوماً وقفوا بعابد وهو يبكي فقالوا : ما الذي يبكيك يرحمك الله ؟ قال : قرحة يجدها الخائفون في قلوبهم قالوا : وما هي ؟ قال : روعة النداء بالعرض على الله عز وجل . وكان الخواص يبكي ويقول في مناجاته : قد كبرت وضعف جسمي عن خدمتك فاعتقني . وقال صالح المري : قدم علينا ابن السماك مـرة فقال : أرني شيئاً من بعض عجائب عبادكم ، فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خص له ، فاستأذنا عليه ، فإذا رجل يعمل خوصاً ، فقرأت عليه ، ﴿ إذ الأَغْلاَلُ في أَعْنَـاقِهِـمْ وَالسَّلاَسِـلُ يُسْحَبُـونَ ★ في الحَمِيمِ ثُمَّ في النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر : ٧١ ـ ٧٢] فشهق الرجل شهقة وخرّ مغشياً عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله ، وذهبنا إلى آخر فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية

ومائة ، روى له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في كتاب التفسير له ، ووالده ذر بن عبدالله يكنى أبا عمر ثقة من أقران النخعي وسعيد بن جبير روى له الجماعة : (**ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد فإذا تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب ؟ فقال : يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة**) رواه أبو نعيم في الحلية فقال : حدثنا أبو بكر بن مالك ، حدثنا عبدالله بن أحمد قال : أخبرت عن ابن السماك قال ، قال ذر لأبيه : ما بال فذكره .

(**وحكي أن قوماً وقفوا بعابد**) فـي صومعته (**وهو يبكي فقالوا : ما الذي يبكيك يرحمك الله ؟ قال : روعة يجدها الخائفون في قلوبهم . قالوا : وما هي ؟ قال : روعة النداء بالعرض على الله عز وجل**) نقله صاحب القوت .

(**وكان**) أبو إسحاق إبـراهيم بـن أحمد (**الخواص**) رحمه الله تعـالى (**يبكـي ويقـول في مناجاته : إلهي قد كبرت**) سناً (**وضعف جسمي في خدمتك فاعتقني**) ،فهذا منه يدل على شدة خوفه عن التقصير في الطاعات .

(**وقال**) أبو بشر (**صالح**) بن بشر (**المري**) رحمه الله تعالى . (**قدم علينا**) البصرة (**ابن السماك**) محمد بن صبيح البغدادي القاص (**مـرة فقـال**) لي : (**أرني شيئاً من بعض عجائب عبادكم ، فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء**) وهو (**في خص له**) وهو بيت من قصب ، (فاستأذنا عليه) فأذن لنا (**فإذا**) هو (**رجل يعمل خوصاً**) له ، (**فقرأت**) عليه قوله تعالى : (**﴿ إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون﴾ فشهق الرجل شهقة**) فإذا هو قد يبس (**وخر مغشياً عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا إلى آخر**) فاستأذنا عليه فأذن لنا ، (**فقرأت**) عليه (**هذه الآية**) يعني المذكورة آنفاً

فشهق شهقة وخرّ مغشياً عليه، فذهبنا واستأذنا على ثالث، فقال: ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا، فقرأت: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤] فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يبس. فتركناه على حاله وخرجنا فأدرته على ستة أنفس كل نخرج من عنده ونتركه مغشياً عليه، ثم أتيت به إلى السابع فاستأذنا. فإذا امرأة من داخل الخص تقول: ادخلوا، فدخلنا فإذا شيخ فان جالس في مصلاه فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا، فقلت بصوت عال: ألا إن للخلق غداً مقاماً فقال الشيخ: بين يدي من ويحك! ثم بقي مبهوتاً فاتحاً فاه شاخصاً بصره يصيح بصوت له ضعيف أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت، فقالت امرأته: اخرجوا فإنكم لا تنتفعون به الساعة، فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم؛ فإذا ثلاثة قد أفاقوا، وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى. وأما الشيخ فإنه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوتاً متحيراً لا يؤدي فرضاً فلما كان بعد ثلاث عقل. وكان يزيد بن الأسود يرى أنه من الأبدال، وكان قد حلف أنه

(**فشهق شهقة وخرّ مغشياً عليه**) فخرجنا من عنده وتركناه على حاله، (**واستأذنا على ثالث فقال: ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا**)، فدخلنا فإذا رجل جالس في مصلّى له (**فقرأت**) عليه هذه الآية؟ (**﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ فشهق شهقة بدر الدم من منخريه وجعل يتشحط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله، فخرجنا**) من عنده (**فأدرته على ستة أنفس كل**) واحد منهم (**نخرج من عنده ونتركه**) على حاله (**مغشياً عليه، ثم أتيت به إلى السابع فاستأذنا فإذا امرأة**) له (**من داخل الخص**) أي من ورائه كما هو نص الحلية (**تقول**) لنا: (**ادخلوا فدخلنا فإذا شيخ فان جالس في مصلاه، فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا**) ولفظ الحلية. فلم يعقل سلامنا (**فقلت بصوت عال: إن للخلق**) غداً (**مقاماً، فقال الشيخ: بين يدي من؟ ويحك ثم بقي مبهوتاً فاتحاً فاه شاخصاً بصره**) إلى السماء (**يصيح بصوت له ضعيف: أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت**، فقالت امرأته: **اخرجوا**) عنه (**فإنكم لا تنتفعون به الساعة، فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم فإذا ثلاثة**) منهم (**قد أفاقوا**) من غشيتهم فيما بعد، (**وثلاثة**) منهم (**قد لحقوا بالله عز وجل. وأما الشيخ**) وهو السابع (**فإنه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوتاً متحيراً لا يؤدي فرضاً، فلما كان بعد ثلاث**) ولفظ الحلية بعد ثالثة (**عقل**) أي رجع إلى عقله. رواه صاحب الحلية عن محمد بن أحمد بن عمر، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن محمد بن عبيد، حدثنا عبد الرحمن بن يحيى الدبيلي، عن عثمان بن عثمان عن صالح المري قال: قدم علينا ابن السماك مرة فقال: فساقه سواء.

(**وكان يزيد بن الأسود**) هكذا في النسخ والصواب الأسود بن يزيد وهو ابن قيس النخعي الكوفي خال إبراهيم النخعي وابن أخي علقمة بن قيس الذي روى عن ابن مسعود وكان أسن من

لا يضحك أبداً ولا ينام مضطجعاً ولا يأكل سمناً أبداً فما رؤي ضاحكاً ولا مضطجعاً ولا أكل سميناً حتى مات رحمه الله. وقال الحجاج لسعيد بن جبير: بلغني أنك لم تضحك قط! فقال: كيف أضحك وجهنم قد سعرت والأغلال قد نصبت والزبانية قد أعدّت. وقال رجل للحسن: يا أبا سعيد كيف أصبحت؟ قال: بخير، قال: كيف حالك؟ فتبسم الحسن وقال تسألني عن حالي؟ ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق كل إنسان منهم بخشبة؟ على أي حال يكون؟ قال الرجل: على حال شديدة. قال الحسن حالي أشدّ من حالهم. ودخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز عليه فسلمت عليه ثم قامت إلى مسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها

علقمة (يرى أنه من الابدال) قال أحمد: ويحيى ثقة زاد أحمد من أهل الخير. وقال ابن سعد: ثقة وله أحاديث صالحة. وقال ميمون أبو حمزة: سافر ثمانين حجة وعمرة لم يجمع بينهما وسافر ابنه عبد الرحمن أيضاً كذلك. وقال غيره: وكان عبد الرحمن بن الأسود يصلي كل يوم سبعمائة ركعة وكانوا يقولون إنه أقل أهل بيته اجتهاداً. قال: وكانوا يسمون آل الأسود من أهل الجنة. (**وكان قد حلف أنه لا يضحك أبداً ولا ينام مضطجعاً ولا يأكل سميناً أبداً، فما رؤي ضاحكاً ولا مضطجعاً ولا أكل سميناً حتى مات رحمه الله تعالى**) بالكوفة سنة خمس وسبعين روى له الجماعة.

(**وقال الحجاج**) بن يوسف الثقفي (**لسعيد بن جبير**) بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي التابعي الشهير حين أتى به إليه فسأله عن اسمه فقال: سعيد بن جبير. قال: أنت شقي بن كسير. قال: بل أمي كانت أعلم باسمي منك. قال: شقيت أنت وشقيت أمك. قال: الغيب يعلمه غيرك في قصة طويلة في آخرها. قال الحجاج: يا غلام السيف والنطع فلما ولّى ضحك فقال الحجاج: أليس قد (**بلغني أنك لم تضحك قط؟ قال: كيف أضحك وجهنم قد سعرت والأغلال قد نصبت والزبانية قد أعدت**). قال: فما أضحكك عند القتل؟ قال: من جرأتك على الله تعالى ومن حلم الله عنك. رواه المزي في التهذيب من طريق عون بن أبي شداد العبدي قال: بلغني أن الحجاج لما ذكر له سعيد فساق القصة مطوّلة.

(**وقال رجل للحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**يا أبا سعيد كيف أصبحت؟ قال: بخير، قال: كيف حالك؟ فتبسم الحسن وقال: تسألني عن حالي ما ظنك بناس ركبوا السفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت**) بهم (**سفينتهم فتعلق كل انسان منهم بخشبة على أي حال يكون؟ قال الرجل: على حالة شديدة. قال الحسن: حالي أشد من حالهم**) نقله صاحب القوت.

(**و**) يروى أنه (**دخلت مولاة لعمر بن عبد العزيز**) الأموي (**على عمر رحمه الله تعالى فسلمت عليه ثم قامت إلى مسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عيناها فرقدت**

فرقدت فاستبكت في منامها، ثم انتبهت فقالت: يا أمير المؤمنين إني والله رأيت عجباً، قال: وما ذلك؟ قالت: رأيت النار وهي تزفر على أهلها ثم جيء بالصراط فوضع على متنها، فقال: هيه، قالت: فجيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه إلا يسيراً حتى انكفأ به الصراط، فهوى إلى جهنم فقال عمر هيه، قالت: ثم جيء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى إلا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم فقال عمر: هيه قالت: ثم جيء بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه إلا يسيراً حتى انكفأ به الصراط فهوى كذلك، فقال عمر: هيه. قالت: ثم جيء بك والله يا أمير المؤمنين فصاح عمر رحمة الله عليه صيحة خرّ مغشياً عليه فقامت إليه فجعلت تنادي في أذنه يا أمير المؤمنين، إني رأيتك والله قد نجوت! إني رأيتك والله قد نجوت! قال: وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه. ويحكى أن أويساً القرني رحمه الله كان يحضر عند القاص فيبكي من كلامه، فإذا ذكر النار صرخ أويس ثم يقوم منطلقاً فيتبعه الناس فيقولون مجنون مجنون. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك

فاستبكت في منامها) أي انتبهت باكية مذعورة فسئلت عن ذلك. **(فقالت: يا أمير المؤمنين إني والله رأيت عجباً قال: وما ذاك؟ . قالت: رأيت النار وهي تزفر على أهلها)** أي تلتهب وتصوّت، **(ثم جيء بالصراط فوضع على متنها)** أي ظهرها **(فقال: هيه)** بالكسر كلمة استزادة. **(قالت: فجيء بعبد الملك بن مروان فحمل عليه فما مضى عليه إلا يسيراً حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم)** أي سقط فيها. **(فقال)** عمر: **(هيه)** أي زيدي **(قالت: ثم جيء بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فما مضى إلا يسيراً حتى انكفأ به الصراط فهوى، فقال عمر: هيه. قالت: ثم جيء بسليمان بن عبد الملك فما مضى عليه إلا يسيراً حتى انكفأ به الصراط فهوى. فقال عمر: هيه. قالت: ثم جيء بك والله يا أمير المؤمنين فصاح عمر رحمة الله عليه صيحة خرّ)** منها **(مغشياً عليه، فقامت إليه فجعلت تنادي في أذنه: يا أمير المؤمنين إني رأيتك والله حتى نجوت إني رأيتك والله حتى نجوت. قال: وهي تنادي وهو يصيح ويفحص برجليه)** أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(ويحكى أن أويساً) بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو **(القرني رحمه الله تعالى كان يحضر عند القاص)** فيسمعه **(فيبكي من كلامه، فإذا ذكر النار صرخ أويس)** من شدة خوفه **(ثم يقوم منطلقاً فيتبعه الناس فيقولون: مجنون مجنون)** وما به جنون، وإنما هو الخوف من النار، وقد تقدم هذا وما يتعلق بأويس رحمه الله تعالى مطوّلاً.

(وقال معاذ بن جبل) رضي الله عنه: **(إن المؤمن لا تسكن روعته حتى يترك جسر جهنم وراءه)** نقله صاحب القوت.

جسر جهنم وراءه، وكان طاوس يفرش له الفراش فيضطجع ويتقلى كما تتقلى الحبة في المقلى، ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول: طير ذكر جهنم نوم الخائفين.

وقال الحسن البصري رحمه الله: يخرج من النار رجل بعد ألف عام، يا ليتني كنت ذلك الرجل، وإنما قال ذلك لخوفه من الخلود. وسوء الخاتمة. وروي انه ما ضحك أربعين سنة؛ قال: وكنت إذا رأيته قاعداً كأنه أسير قد قدّم لتضرب عنقه، وإذا تكلم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها، فإذا سكت كأنّ النار تسعر بين عينيه. وعوتب في شدّة حزنه وخوفه فقال: لا يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع فيّ على بعض ما يكره فمقتني فقال: اذهب فلا غفرت لك. فأنا أعمل في غير معتمل.

وعن ابن السماك قال: وعظت يوماً في مجلس، فقام شاب من القوم فقال: يا أبا العباس، لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي أن لا نسمع غيرها. قلت: وما هي رحمك الله؟ قال قولك: لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين إما في الجنة أو في النار ثم غاب عني ففقدته في المجلس الآخر فلم أره فسألت عنه فأخبرت أنه مريض يعاد، فأتيته أعوده

(**وكان طاوس**) بن كيسان اليماني التابعي (**يفرش له الفراش فيضطجع ويتقلّى كما تتقلى الحبة في المقلى**) كناية عن كثرة التقلب والأضطراب، (**ثم يثب**) عنه قائماً (**فيدرجه**) أي يطويه (**ويستقبل القبلة**) راكعاً ساجداً تالياً (**حتى الصباح ويقول: طير ذكر جهنم نوم الخائفين**) عن أعينهم.

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**يخرج من النار رجل بعد ألف عام، ويا ليتني كنت ذلك الرجل**) يقول: هذا وهو إمام العلماء (**وإنما قال ذلك لخوفه**) الشديد (**من الخلود**) من الأبدية (**وسوء الخاتمة**) قال: فبعد أن أخرج منها بوقت لا أبالي كذا في القوت. (**و**) عن مشاهدة معنى ما تقدم كان خوف الحسن وحزنه حتى (**روي أنه ما ضحك أربعين سنة. قال**) الراوي: (**وكنت إذا رأيته قاعداً كأنه أسير قد قدم ليضرب عنقه، وإذا تكلم كأنه يعاين الآخرة**) أي يشاهدها رأي العين (**فيخبر عن مشاهدتها، فإذا سكت كأن النار تسعر بين عينيه. وعوتب في شدة حزنه فقال: مـا يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع علي في بعض ما يكره. فمقتني. فقال: اذهب فلا غفرت لك فأنا أعمل في غير معمل**) كذا في القوت.

(**وعن**) أبي العباس محمد بن صبيح (**ابن السماك**) البغدادي الواعظ (**قال: وعظت يوماً في مجلس فقام شاب من القوم فقال: يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبالي أن نسمع غيرها. قلت: وما هي رحمك الله؟ قال: قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين إما في الجنة أو في النار، ثم غاب عني فتفقدته في المجلس فلم أره، فسألت عنه**

فقلت: يا أخي ما الذي أرى بك؟ فقال: يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين إما في الجنة أو في النار. قال: ثم مات رحمه الله فرأيته في المنام فقلت: يا أخي ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني وأدخلني الجنة قلت بماذا؟ قال بالكلمة. فهذه مخاوف الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين، ونحن أجدر بالخوف منهم، لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة، وإلا فليس أمننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا، بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدّتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا، فلا قرب الرحيل ينبهنا، ولا كثرة الذنوب تحركنا، ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوّفنا، ولا خطر الخاتمة يزعجنا، فنسأل الله تعالى أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا فيصلحنا، إن كان تحريك اللسان بمجرّد السؤال دون الاستعداد ينفعنا، ومن العجائب أنا إذا أردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري وخاطرنا، وإن أردنا طلب رتبة العلم تفقهنا وتعبنا في حفظه وتكراره وسهرنا،

فأخبرت أنه مريض يعاد فأتيته أعوده فقلت له: يا أخي ما الذي أرى بك؟ فقال: يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلودين إما في الجنة أو في النار ثم مات رحمه الله، فرأيته في المنام فقلت: يا أخي ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني وأدخلني الجنة. قلت: بماذا؟ قال: بالكلمة) أي التي ذكرت، وقد بشر العلاء بن زياد العدوي بالجنة وكان من العباد فغلق عليه بابه سبعاً ولم يذق طعاماً وجعل يبكي ويقول: أنا في قصة طويلة حتى دخل عليه الحسن فجعل يعذله في شدة خوفه وكثرة بكائه وقال: يا أخي من أهل الجنة إن شاء الله تعالى أقاتل نفسك فما ظنك برجل يعذله الحسن في الخوف وقد كان من فوقهم من علية الصحابة يتمنون أنهم لم يخلقوا بشراً وكانوا قد بشروا بالجنة يقيناً في غير خبر كما تقدم قريباً من أقوالهم الدالة على ذلك.

(**فهذه مخاوف الأنبياء والأولياء والعلماء**) والصالحين (**ونحن أجدر بالخوف منهم**) و(**لكن ليس الخوف**) يكون (**بكثرة الذنوب**) ولو كان كذلك لكنا أكثر خوفاً منهم، (**بل**) إنما يكون (**بصفاء القلوب وكمال المعرفة**) وشدة التعظيم لله عز وجل (**وإلاّ فليس أمننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعتنا بل قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا**) فعميت بصائرنا، (**فلا قُرب الرحيل ينبهنا، ولا كثرة الذنوب تحركنا، ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوّفنا، ولا خطر الخاتمة يزعجنا**)؛ ولا وعظ الواعظين يؤثر فينا. (**فنسأل الله تعالى أن يتدارك بفضله وجوده أحوالنا**) مما فرطنا فيه، (**فيصلحنا إن كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد**) والتزود للمعاد (**ينفعنا ومن العجائب أنا إذاً أردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا واتجرنا وركبنا البحار والبراري**) والقفار (**وخاطرنا**) بأنفسنا وأموالنا، (**وإن أردنا رتبة العلم تفقهنا وتعبنا في**

ونجتهد في طلب أرزاقنا ولا نثق بضمان الله لنا ولا نجلس في بيوتنا فنقول: اللهم ارزقنا، ثم إذا طمحت أعيننا نحو الملك الدائم المقيم قنعنا بأن نقول بألسنتنا: اللهم اغفر لنا وارحمنا، والذي إليه رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا ويقول: ﴿وأن ليسَ للإِنْسَانِ إلاَّ مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] ﴿وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥] ﴿وَيَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] ثم كل ذلك لا ينبهنا ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا فما هذه إلا محنة هائلة إن لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح يتداركنا بها ويجبرنا، فنسأل الله تعالى أن يتوب علينا، بل نسأله أن يشوّق إلى التوبة سرائر قلوبنا، وأن لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل، إذا سمعنا الوعظ بكينا، وإذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا؛ فلا علامة للخذلان أعظم من هذا. فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بالتوفيق والرشد بمنه وفضله.

ولنقتصر من حكاية أحوال الخائفين على ما أوردناه فإن القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكفي، والكثير منه وإن أفيض على القلب الغافل فلا يغني ولقد صدق الراهب

حفظة وتكراره وسهرنا) في تحصيله، **(ونجتهد في طلب أرزاقنا)** بكل ممكن، **(ولا نثق بضمان الله لنا)** يشير إلى قوله تعالى ﴿فـوربِّ السمَّاء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ [الذاريات: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾ [طه: ١٣٢] **(ولا نجلس في بيوتنا فنقول: اللهم ارزقنا ثم إذا طمحت أعيننا نحو الملك الدائم المقيم)** الذي لا يحول ولا يزول **(قنعنا بأن نقول بألسنتنا: اللهم اغفر لنا وارحمنا، والذي إليه رجاؤنا وبه اعتزازنا ينادينا ويقول: ﴿وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سعى)** وأن سعيه سوف يرى﴾ **(﴿ولا يغرّنكم بالله الغرور﴾ و﴿يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم﴾ ثم كل ذلك لا ينبهنا)** عن غفلتنا **(ولا يخرجنا عن أودية غرورنا وأمانينا)** الكاذبة **(فما هذه إلا محنة هائلة)** مخوّفة **(إن لم يتفضل الله علينا بتوبة نصوح)** أي خالصة **(يتداركنا بها ويجبرنا، فنسأل الله تعالى أن يتوب علينا)** توبة نصوحاً، **(بل نسأله أن يشوّق إلى التوبة سرائر قلوبنا، وأن لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول)** بلسانه، **(ولا يعمل)** بجوارحه ويسمع باذنه، **(ولا يقبل)** بقلبه. **(إذا سمعنا الوعظ بكينا وإذا جاء وقت العمل بما سمعناه عصينا فلا علامة للخذلان أعظم من هذا، فنسأل الله تعالى أن يمن بالتوفيق والرشد)** والهداية **(علينا بمنه وفضله)** وكرمه وجوده.

(ولنقتصر من حكاية أحوال الخائفين على ما أوردناه، فإن القليل من هذا يصادف القلب القابل) لما يلقي إليه **(فيكفي)** ويغني **(والكثير منه، وإن أفيض منه على القلب الغافل فلا يغني)** ولا يكفي، **(ولقد صدق الراهب)** أي العابد من الكتابيين **(الذي حكى**

الذي حكي عنه عيسى بن مالك الخولاني، وكان من خيار العباد أنه رآه على بيت المقدس واقفاً كهيئة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرقأ دمعه من كثرة البكاء، فقال عيسى: فما رأيته هالني منظره فقلت: أيها الراهب أوصني بوصية احفظها عنك، فقال: يا أخي بماذا أوصيك، إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام فهو خائف حذر يخاف أن يغفل فتفترسه السباع أو يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل، فهو في المخافة ليله وإن أمن المغترون، وفي الحزن نهاره وإن فرح البطالون. ثم ولى وتركني فقلت: لو زدتني شيئاً عسى ينفعني؟ فقال الظمآن يجزيه من الماء أيسره، وقد صدق فإن القلب الصافي يحركه أدنى مخافة، والقلب الجامد تنبو عنه كل المواعظ، وما ذكر من تقديره انه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي أن يظن أنه تقدير بل هو تحقيق، فإنك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيته مشحوناً بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها، وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك إن غفلت عنها لحظة، إلا أنك محجوب العين عن مشاهدتها؛ فإذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها

عنه عيسى بن مالك الخولاني) منسوب إلى خولان بالفتح واسمه أنكل قبيلة من قضاعة نزلت الشام، **(وكان من خيار العباد أنه رآه على باب بيت المقدس واقفاً)** على قدميه **(كهيئة المحزون من شدة الوله ما يكاد يرقأ دمعه من كثرة البكاء فقال عيسى لما رأيته)** على الوصف المذكور: **(هالني منظره)** أي أفزعني **(فقلت: أيها الراهب أوصني بوصية أحفظها عنك. فقال: يا أخي بماذا أوصيك إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشته السباع والهوام)** أي تناولته من كل طرف، **(فهو خائف حذر يخاف أن يغفل فتفترسه السباع أو يسهو فتنهشه الهوام فهو مذعور القلب وجل فهو في المخافة في ليله وإن أمن المغترون، وفي الحزن في نهاره وإن فرح البطالون، ثم ولّى)** ذاهباً **(وتركني فقلت)** له. **(لو زدتني شيئاً)** من هذا الجنس **(عسى ينفعني. فقال: الظمآن يجزيه من الماء شربة)** ولو قليلة وقد صدق الراهب فيما قاله، **(فإن القلب الصافي)** الواعي لما يلقى إليه **(يحركه أدنى مخافة)** ويكفيه، **(والقلب الجامد)** الكدر **(ينبوعنه كل المواعظ)** فلا يقبلها **(وما ذكره من تقديره أنه احتوشته السباع والهوام، فلا ينبغي أن يظن أنه تقدير بل هو تحقيق، فإنك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيته مشحوناً بأصناف السباع وأنواع الهوام)** المختلفة الأوصاف والأشكال **(مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك إن غفلت عنها لحظة إلا أنك محجوب العين عن مشاهدتها)** فلا تدركها، **(فإذا انكشف الغطاء)** وارتفع الحجاب **(ووضعت في قبرك**

وأشكالها الموافقة لمعانيها ، فترى بعينك العقارب والحيات وقد أحدقت بك في قبرك ، وإنما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشف لك صورها ، فإن أردت أن تقتلها وتقهرها وأنت قادر عليها قبل الموت فافعل ، وإلا فوطّن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلاً عن ظاهر بشرتك ، والسلام .

عاينتها وقد تمثلت لك بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها فترى بعينك العقارب والحيات وقد أحدقت بك) أي أحاطت **(في قبرك ، وإنما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشف لك صورتها ، فإن أردت أن تقتلها وتقهرها وأنت قادر عليها)** في الدنيا **(قبل الموت فافعل وإلاّ فوطّن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك)** أي باطنه ، **(فضلاً عن ظاهر بشرتك وجسمك والسلام)** وبه تم كتاب الرجاء والخوف .

ولنذكر بعض ما يتعلق بمقام الخوف مما ذكره أبو طالب المكي في القوت قال: الخوف اسم جامع لحقيقة الإيمان وهو علم لوجود الإيقان وهو سبب اجتناب كل نهي ومفتاح كل أمر ، وليس يحرق شهوات النفوس ويزيل آثارها إلا مقام الخوف ، وقد قال ذو النون المصري: لا يسقى المحب كأس المحبة إلا من بعد أن ينضج الخوف قلبه . وقال سهل : كمال الإيمان بالعلم وكمال العلم بالخوف وقال مرة: العلم كسب الإيمان والخوف كسب المعرفة ، وكل مؤمن بالله خائف ولكن خوفه على قدر قربه ، وشكا واعظ إلى بعض الحكماء : ألا ترى إلى هؤلاء أعظهم واذكر فلا يرقون فقال: كيف ينتفع بالموعظة من لم يكن في قلبه من الله مخافة ، وقد قال الله تعالى في تصديق ذلك ﴿سيذكر من يخشى★ ويتجنبها الأشقى﴾ [الأعلى: ١٠ ، ١١] أي يتجنب التذكرة الشقي فجعل من عدم الخوف شقياً وحرمه التذكرة ، فخوّف عموم المؤمنين بظاهر القلب عن ظاهر العلم بالعقل ، وخوف خصوصهم وهم الموقنون بباطن القلب عن باطن العلم بالوجد ، فأما خوف اليقين فهو للصديقين من شهداء العارفين عن مشاهدة ما أمر به من الصفات المخوفة ، وقد جاء في الخبر « إن العبد إذا أدخل في قبره لم يبق شيء كان يخافه دون الله تعالى الأمثل له يفزعه ويرعبه إلى يوم القيامة » . فأول خوف اليقين المحاسبة للنفس في كل وقت والمراقبة للرقيب في كل حين والورع عن الاقدام على الشبهات من كل شيء من العلوم بغير يقين بها ، ومن الأعمال بغير فقه فيها ، ثم سجن اللسان وخزن الكلام أن لا يدخل في دين الله ولا في العلم ما لم يشرعه الله في كتابه أو يذكره الرسول في سنته أو لم ينطق به الائمة من السلف في سيرهم مما لم يكن أصله موجوداً في الكتاب والسنّة وتسميته واضحة في العلم فيجتنب ذلك كله ولا يقف ما ليس له به علم خوفاً من المسألة عنه ولا يدخل فيه لدقيق هوى يدخل عليه ولا لعظيم حظ دنيا يدخل فيه ، وأن ينصح نفسه لله لأنها أولى الخلق ثم ينصح الخلق في الله . وثمرة الخوف العلم بالله والحياء من الله وهو أعلى مثوبات أهل المزيد ، وأكثر ما يقع سوء الخاتمة بثلاثة طوائف :أهل البدع والزيغ في الدين لأن إيمانهم مرتبط بالمعقول فأول آية تظهر لهم من قدرة الله تعالى أن يطيح عقله عند معاينتها فيذهب إيمانه ولا يثبت لشهادتها كما تحترق الفتيلة فيسقط المصباح .

الطبقة الثانية: أهل الكبر والانكار لآيات الله وكراماته لأوليائه في الحياة الدنيا لأنهم لم يكن لهم يقين يحمل القدرة ويمده الإيمان، فيعتورهم الشك ويقوى عليهم لفقد اليقين.

والطبقة الثالثة: ثلاثة أصناف متفرقون متفاوتون في سوء الخاتمة، وجميعهم دون تينك الطائفتين في سوء الخاتمة، لأن سوء الختم على مقامات أيضاً، كمقامات اليقين والشرك في عمر الحياة. منهم المدعي المتظاهر الذي لم يزل إلى نفسه وعمله ناظراً، والفاسق المعلن، والمقر المدمن تتصل بهم المعاصي إلى آخر العمر ويدوم تقليبهم فيها إلى كشف الغطاء، فإذا رأوا الآيات تابوا إلى الله بقلوبهم، وقد انقطعت أعمال الجوارح فليس يتأثر منهم فلا تقبل توبتهم ولا تقال عثرتهم ولا ترحم عبرتهم، وقد كان عبد الواحد بن زيد يقول: ما صدق خائف قط ظن أنه لا يدخل النار وما ظن أنه يدخل النار إلا خاف أن لا يخرج منها أبداً، وكان سهل يقول: خوف التعظيم من ميراث خوف السابقة. وقال زهير بن نعيم البابي: ما أكثر همي ذنوبي إنما أخاف ما هو أعظم علي من الذنوب أن أسلب التوحيد وأموت على غيره. وروى ابن المبارك عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة قال: كان رجل يعتزل الناس إنما هو وحده، فجاءه أبو الدرداء فقال: أنشدك الله ما يحملك على ان تعتزل الناس؟ قال: إني أخشى أن يسلب ديني وأنا لا أشعر. قال: أترى في الحي مائة يخافون ما تخاف فلم يزل ينقص حتى بلغ عشرة؟ قال: فحدثت بذلك رجلاً من أهل الشام فقال: ذلك شرحبيل بن السمط هو من أصحاب رسول الله ﷺ. وكان سفيان الثوري يلتفت إلى حماد بن سلمة فيقول: يا أبا سلمة ترجو لمثلي العفو أو يغفر لمثلي؟ فيقول له حماد: نعم أرجو له. وكان بعض السلف يقول: لو أني أعلم أنه يختم له بالسعادة كان أحب إلي مما طلعت عليه الشمس في حياتي اجعله في سبيل الله. وقال بعض العارفين: إن الله تعالى إذا أعطى عبداً معرفة ثم لم يشكره عليها ولم يحسن معاملته بها لم يسلبه إياها، بل أبقاها عليه ليحاسبه على قدرها، ولكن يرفع منه البركة ويقطع عنه المزيد، فمثل عيش هذا في الدنيا كمثل البخيل الغني يعيش عيش الفقراء ويحاسب حساب الأغنياء، كذلك العالم البطال يحيا حياة الجهال ويحاسب غداً محاسبة العلماء، ومن أعلى المخاوف خوف سلب الإيمان الذي هو عنده وديعة وفي خزانة المؤمن يظهره كيف شاء ويبديه ويعيده إلى الغيب متى شاء، ويخفيه ذلك من صفة المكر وحكم الماكر وكثافة الستر ولطف الساتر لا تدري أهبة وهبه لك فيبقيه عليك بكرمه وفضله أم وديعة وعارية أودعك اياه وأعارك، فيأخذه إذا لا محالة بحكمته وعدله، وقد أخفى عنك حقيقة ذلك واستأثر بعاقبته. وكان يحيى يقول: ينبغي أن يشغلك خوف قوت تأكله لا تدري أحلال هو أم حرام عن تمني الفضول، وينبغي أن يشغلك خوف ذهاب الإيمان عن تمني درجات الأبدال، فإذا لم تعطها استقللت ما قد أعطيت وأنت قد أعطيت خير شيء في خزائن الله الإيمان به، ولعمري أن الخوف على فقد الإيمان علامة الغبطة بوجوده. وقال بعض العارفين: إنما قطع بالقوم عند الوصول. وقال آخر: واخطراه ومن المخاوف خوف قطع المزيد من علم الإيمان مع تبقية المعرفة المبتدأة تكون مستدرجاً بها ممنوعاً من المزيد، وقد لا يكون بها مدرجاً إلا أن توقف المزيد عنه هو لعلة واقفة من الهوى فيه، وقد يقسي

قلبه ويجري عنه وذلك من النقصان الذي يعرفه أهل التمام لأن عين الوجه من الملك للدنيا وعين القلب من الملكوت للآخرة فيمنعه ما ينفعه عنده ويعطيه ما يضره به ويفتتن عند الخلق كمن أعطي الصف المأكول. وقال مجاهد: إن الرجل لتبكي عيناه وقلبه أقسى من الحجارة. وقال مالك بن دينار: قرأت في التوراة إذا استكمل العبد النفاق ملك عينه فيبكي كما شاء.

وسئل أبو محمد سهل: هل يعطي الله أحداً من المؤمنين من الخوف زنة مثقال؟ فقال: من المؤمنين من يعطى من الخوف وزن جبل أحد. فقيل: فكيف يكون حالهم يأكلون وينكحون وينامون؟ قال: نعم يفعلون ذلك والمشاهدة لا تفارقهم. قيل له: فأين الخوف؟ قال: يحمله حجاب القدرة بلطيف الحكمة ويستتر القلب تحت الحجاب في التصريف بصفات البشرية، فيكون مثل هذا العبد مثل المرسلين. وقال أيضاً: الخوف مباينة النهي، والخشية الورع والاشفاق وهو الزهد. وكان يقول: دخول الخوف على الجاهل يدعوه إلى العلم، ودخوله على العالم يدعوه إلى الزهد، ودخوله على العامل يدعوه إلى الإخلاص، فقد صار الخوف يصلح للكافة إذ دخوله على العام يخرجه عن الحرام ودخوله على الخاص يدخله في الورع والزهد. وقال أيضاً: الاخلاص فريضة لا تنال إلا بالخوف، ولا ينال الخوف إلا بالزهد. وقال: إنه لا يصح علم الرجاء إلا للخائف يعني لتعتدل شهادتاه بتقدمة الخوف فيكون بشهادته قائماً، وإخلاء قلبه من الخوف وانفراده بحال الرجاء يخرجه إلى الأمن والاغترار. وكان يقول: الخوف ذكر والمحبة أنثى ألا ترى أن أكثر الناس يدعون المحبة. يريد بهذا أن فضل الخوف على الرجاء كفضل الذكر على الانثى وهو كما قال: لأن الخوف حال العلماء، والرجاء وصف العمال، ففضله عليه كفضل العلم على العمل. وكان الحسن يقول: ما عبد الله بشيء أفضل من طول الحزن والخوف. وقال بعض السلف: حسبك من الخوف اجتناب المعاصي. وكان الثوري يقول: ما أحب أني عرفت الأمر حق معرفته إذا لطاش عقلي. ومما يدلك على أن الخوف اسم لحقيقة العلم بالله تعالى في إحدى القراءتين من قراءة أبيّ أو عبد الله في معنى قوله تعالى: ﴿فخشينا ان يرهقهما طغياناً﴾ [الكهف: ٨٠] فخاف ربك قال الفراء: معناه فعلم ربك. وقال: الخوف من أسماء العلم، ومن معنى هذا أيضاً سمي الحياء بمعنى الخشية وهي من الخوف، فجعل الحياء اسم الخشية ومن ذلك فسر قوله تعالى: ﴿وتخشى الناس﴾ [الأحزاب: ٣٧] أي تستحييهم. ومما يدل على باطن الخوف كثرة الاستغفار في كل حال، والخوف من يسير الأعمال.

ومن نقل عنه المخافة من حقير الأمر الذي لعله والله أعلم زنة ذرة من الشر أكثر من أن يحصى، كما روي أن رجلاً قال لعطاء السليمي: ما هذا الخوف كله؟ قال: لعظيم، فقلت: وما هو؟ قال اصطدت حماماً لجارتي منذ أربعين سنة فأنا أبكي منذ ذلك أما أني قد تصدقت بثمنه مرات. وقال ضيغم الراسبي: ذنب أذنبته أنا أبكي عليه منذ أربعين سنة، وذلك أنه زارني أخ لي فاشتريت سمكاً بدانق فأراد أن يغسل يده فأخذت قطعة طين من حائط جاري فغسلت به يده، وقال آخر: تكلمت بكلمة أنا أبكي عليها منذ كذا. قيل: وما هي؟ قال: رأيت درهماً في يد رجل

....

فقلت: هذا الدرهم جرجاني ولعله لم يضرب بجرجان، وقال بعضهم: وصفت لنا امرأة من العوابد فأتينا منزلها فإذا هي قد غلقت بابها لا يدخل عليها أحد فسألنا عنها فقيل لنا: هي تبكي في جوف بيت قد غلقت عليها الباب منذ ثلاثة أيام لا ندري ما شأنها. قال: فسألناها بعد وقت، فقالت: قتلت نملة هذا لأنه قيل: إن الأبرار لا يؤذون الذر ولا يقتلون النمل. وبكى نصر بن جرير على معصية ثلاثين سنة، وإلى هنا انتهى بنا الكلام عن مقام الخوف، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

قال مؤلفه: نجز من تحرير ذلك في الساعة الثالثة من ليلة الأحد سابع عشري شهر رمضان من شهور سنة ١٢٠٠، وهي ليلة القدر على يد العبد لله أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه بمنه وكرمه. أقول قولي هذا وأنا أستغفر الله العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولاحول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

كتاب الفقر والزهد وهو الكتاب الرابع
من ربع المنجيات
من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر

الحمد لله الذي أظهر من آثار جلال كبريائه ما حير مقل العيون من عجائب قدرته، وردعت عظمته العقول فلم تجد مساغاً إلى بلوغ غاية ملكوته ومدى سلطنته، هو الله الحق المبين، أحق وأبين مما ترى العيون؛ لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها، ولم تقم عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلاً أحمده على ما وفق من الطاعة وزاد عنه من المعصية، وأسأله لمنته تماماً وبحبله اعتصاماً واشهد أن لا إله إلا هو وأن محمداً عبده الذي أرسله داعياً إلى الحق شاهداً على الخلق، فبلغ رسالات ربه غير وانٍ ولا مقصر، وجاهد في الله أعداءه غير واهن ولا معذر، إمام من اتقى، وبصر من اهتدى، اختاره من كرماء الأنبياء، ومشكاة الضياء وذؤابة العلياء، وسرة البطحاء، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه مصابيح الظلمة وينابيع الحكمة وسلم تسليماً كثيراً وبعد فهذا شرح:

كتاب الفقر والزهد

وهو الرابع من الربع الرابع الموسوم بالمنجيات من كتب الإمام حجة الإسلام قطب الائمة الأعلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي تغمده الله بغفرانه وأسكنه بحبوحة جنانه، سلكت فيه طريق الإيضاح لحل ألفاظه الأنيقة الرائقة، وفك معانيها البديعة الشائقة، بحيث تسفر مطالبه، وتعذب مشاربه، وتورق أغصان آماله وتطلع كواكب إقباله، وتظهر منه خبايا الأسرار، وتبدو خفايا حقائقه من وراء الاستار، شافي بيانه تلين به جلامد القلوب القاسية، وصادق برهانه تتصدع به أفئدة النفوس القاصية، وعلى الله الكريم جل شأنه مساعفة الآمال، وحسن التسديد في الأقوال والأفعال. قال المصنف رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تسبح له الرمال، وتسجد له الظلال، وتتدكدك من هيبته الجبال. خلق الإنسان من الطين اللازب والصلصال، وزين صورته بأحسن تقويم وأتم اعتدال،

بسم الله الرحمن الرحيم

(**الحمد لله الذي تسبّح له الرمال**) جمع الرمل معروف والتسبيح تنزيه الله تعالى وأصله المر السريع في العبادة، وجعل ذلك في فعل الخير كما جعل الأبعاد في الشر فقيل: أبعده الله وجعل التسبيح عاماً في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية وقوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ [الإسراء: ٤٤] كقوله: ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال﴾ [الرعد: ١٥] وإليه أشار المصنف بقوله: (**وتسجد له الظلال**) جمع الظل هو الفيء، وقيل: أعم من الفيء ويجمع أيضاً على أظلال وظلول وأظلة والاخير جمع الجمع، وهذا يقتضي أن يكون تسبيحاً على الحقيقة وسجوداً له على وجه لا نفقهه بدلالة قوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ ودلالة قوله: ﴿ومن فيهن﴾ بعد ذكر السموات والأرض، ولا يصح أن يكوت تقديره ﴿يسبح له من في السموات﴾ [النور: ٤١] و﴿يسجد له من في السموات﴾ [الحج: ١٨] لأن هذا مما نفقهه، ولأنه محال أن يكون ذلك تقديره ثم يعطف عليه بقوله ﴿ومن فيهن﴾ والأشياء تسبح وتسجد بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار، ولا خلاف في ان السموات والأرض والدواب مسبحات بالتسخير من حيث أن أحوالها تدل على حكمة الله تعالى، وإنما الخلاف في ﴿والأرض﴾ هل تسبح باختيار والآية تقتضي ذلك وقوله تعالى: ﴿ويتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون﴾ [النحل: ٤٨] أي انشاؤه يدل على وحدانية الله وينبيء عن حكمته. وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿وظلالهم بالغدوّ والآصال﴾ [الرعد: ١٥] أما ظلك فيسجد، وأما أنت فتفكر به (**وتتدكدك من هيبته الجبال**) أي تندق وتنهدم حتى تصير بمنزلة الأرض اللينة، وإليه الاشارة بقوله تعالى: ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ [البقرة: ٧٤] (**خلق الإنسان**) أي آدم عليه السلام وبنوه (**من الطين اللازب**) أي اللاصق تقول منه لزب لزوباً، وهو كما قال الله تعالى: ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ [الصافات: ١١] (**والصلصال**): وهو الطين الحر خلط بالرمل فصار يتصلصل إذا جف، فإذا طبخ بالنار فهو الفخار، وقيل: هو الطين المنتن من قولهم: صل اللحم إذا تغيرت رائحته، وإلى كل منهما الإشارة بقوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ [الرحمن: ١٤] وقوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون﴾ [الحجر: ٢٦] وقيل: صلصال أصله صلال فقلبت إحدى اللامين صاداً، (**وزين صورته**) وهي ما تنتقش به الأعيان وتتميز به عن غيرها، وذلك ضربان: أحدهما: محسوس تدركه الخاصة فقط كالصورة التي اختص بها الإنسان من العقل والفهم والرؤية

وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال، وأذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والآصال، ثم كحل بصيرة المخلص في خدمته بنور العبرة حتى لاحظ بضيائه حضرة الجلال، فلاح له من البهجة والبهاء والكمال، ما استقبح دون مبادىء اشراقه كل حسن وجمال، واستثقل كل ما صرفه عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال، وتمثل له ظاهر الدنيا في صورة امرأة جميلة تميس وتختال، وانكشف له باطنها عن عجوز شوهاء عجنت من طينة الخزي وضربت في قالب النكال، وهي متلفقة بجلبابها لتخفي قبائح أسرارها

والمعاني التي خص بها، وكانتصاب القامة الدال على استيلائه على كل ما في العالم (**بأحسن تقويم وأتم اعتدال**) وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين: ٤] وتقويم الشيء تثقيفه والاعتدال توسط حال بين حالين في كم أو كيف وكل ما تناسب فقد اعتدل، (**وعظم قلبه بنور الهداية**) أي حفظه به (**عن ورطات الضلال**) أي من الوقوع فيها كما قال تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾ [الزمر: ٢٢] والورطات محركة جمع الورطة بسكون الراء اسم لما ضاق وشق، وقد يعبر بها عن الهلاك والأصل فيها الوحل يقع فيه الغنم فلا يقدر على التخلص، وقيل: أصلها أرض مطمئنة لا طريق فيها يرشد إلى الخلاص، والضلال العدول عن الطريق المستقيم عمداً أو سهواً قليلاً أو كثيراً. (**وأذن له في قرع باب الخدمة بالغدو والآصال**) وهو إيتاء الصلوات الخمس، فإنه طاعة المولى عز وجل وخدمته، ومن سهل له فيه فقد أذن في قرع باب خدمته، (**ثم كحل بصيرة المخلص في خدمته**) بأن لم يشرك فيها أحداً سواه (**بنور العبرة**) اسم من الاعتبار، (**حتى لاحظ بضيائه حضرة الجلال**)، فالحق تعالى بذاته نور لا يدرك ويدرك به ومن حيث أسماؤه نور يدرك فإذا تجلى للقلب من حيث كونه يدرك به شاهدت البصيرة المنوّرة الاغيار بنوره، فإن الأنوار الأسمائية من حيث تعلقها بالكون مخالطة بسواه، (**فلاح له من البهجة**) أي حسن اللون وظهور السرور (**والبهاء**) أي الجمال وحسن الهيئة (**والكمال**) أي الانتهاء إلى غاية ليس وراءها مزيد (**ما استقبح دون مبادىء إشراقه**) أي فيما يشرق من أنواره في أوائله (**كل حسن وجمال**) صار مشاهداً له في الظاهر، (**واستثقل كل ما صرفه**) أي منعه وحجبه (**عن مشاهدته وملازمته غاية الاستثقال**) أي عده ثقيلاً إلى الغاية كما هو شأن كل صارف عن الشهود، (**وتمثل له ظاهر الدنيا**) فيما يراه بعين البصر (**في صورة امرأة جميلة**) حسناء (**تميس**) في بردها (**وتختال**) أي تعجب بنفسها مرحاً، (**وانكشف له باطنها**) بعين البصيرة (**عن عجوز شوهاء**) قبيحة الخلقة هتاء (**عجنت من طينة الخزي**) أي الذل والانكسار والهوان، (**وضربت في قالب النكال**) أي طبعت عليه والقالب بفتح اللام، ومنهم من يكسرها والنكال العقوبة الغليظة (**وهي متلفعة بجلبابها**) يقال: تلفعت المرأة بمرطها مثل تلحفت زنة ومعنى والتفعت كذلك (**لتخفي قبائح أسرارها بلطائف السحر**) أي الخداع والتخييلات التي لا

بلطائف السحر والاحتيال، وقد نصبت حبائلها في مدارج الرجال، **فهي تقتنصهم** بضروب المكر والاغتيال، **ثم لا تجتزي معهم بالخلف في مواعيد الوصال، بل تقيدهم مع** قطع الوصال بالسلاسل والأغلال، **وتبليهم بأنواع البلايا والأنكال، فلما انكشف** للعارفين منها قبائح الأسرار والأفعال، زهدوا **فيها زهد المبغض لها فتركوها وتركوا** التفاخر والتكاثر بالأموال، وأقبلوا بكنه **هممهم على حضرة الجلال، واثقين منها بوصال** ليس دونه انفصال، ومشاهدة أبدية **لا يعتريها فناء ولا زوال، والصلاة على سيدنا محمد** سيد الأنبياء وعلى آله خير آل.

وأما بعد: فإن الدنيا عدوّة لله عز وجل **بغرورها ضل من ضل، وبمكرها زل من**

حقيقة لها (**والاحتيال**) افتعال من الحيلة وهي ما يتوصل به إلى حالة ما من خفية وكثر استعماله فيما في تعاطيه خبث، (**وقد نصبت حبائلها**) جمع حبيلة وهي الأحبولة التي ينصبها الصائد (**في مدارج الرجال**) أي في مسالكهم حيث يدرجون (**فهي تقتنصهم بضروب**) أي أنواع (**المكر**) أي الخداع (**والاغتيال**) افتعال من الغيلة بالكسر وهو الأخذ على غرة، (**ثم لا تجزي**) أي لا تكتفي (**معهم بالخلف في مواعيد الوصال**) أي تعدهم بوصالها وتمنيهم ثم تخلف موعدها معهم، ويا ليتها لو اكتفت على هذا القدر، لا (**بل تقيدهم مع قطع**) حبال (**الوصال بالسلاسل والأغلال**) جمع الغل بالضم وهو طوق من حديث يجعل في العنق، (**وتبليهم بأنواع البلايا والأنكال**) جمع نكل بالكسر القيد الشديد أو جمع نكلة بالضم ما نكلت به غيرك كائناً ما كان، (**فلما انكشف للعارفين منها قبائح الأسرار**) مما تبطنه (**والأفعال**) مما تظهره (**زهدوا فيها**) أي رغبوا عنها. يقال: زهد في الشيء زهداً وزهادة إذا رغب عنه (**زهد المبغض لها**) العارف بقبائحها، (**فتركوها**) ولم يلتفتوا إليها (**وتركوا التفاخر والتكاثر بالأموال وأقبلوا بكنه هممهم**) أي خالصها (**على حضرة الجلال**) وهي حضرة الحق سبحانه باعتبار احتجابه عنا بعزته، (**واثقين منها بوصال**) دائم (**ليس دونه انفصال**) أي انقطاع، (**ومشاهدة أبدية**) أي مطالعة لصورة الجمال بصفة الدوام (**لا يعتريها فناء ولا زوال**) أي نقصان عن حدها، وإلاَّ فقد يقع التفات إلى ما ارتقى عنه من مقام فيكون غينا على القلب، (**والصلاة**) الكاملة (**على سيدنا**) ومولانا (**محمد**) أبي القاسم (**وعلى آله**) وصحبه (**خير**) صحب (**وآل**) وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.

(**أما بعد؛ فإن الدنيا عدوة لله عز وجل**) وعدوة لأوليائه كما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى بعض ولاته وقد تقدم في كتاب ذم الدنيا، (**بغرورها ضلّ من ضلّ**) عن الصراط المستقيم، (**وبمكرها**) أي خداعها (**زلّ من زلّ**) عن المنهج القويم (**فحبها رأس الخطايا والسيئات**) كما ورد في الخبر «حب الدنيا رأس كل خطيئة» ويروى ذلك أيضاً من قول عيسى عليه السلام وقد

زل، فحبها رأس الخطايا والسيئات، وبغضها أم الطاعات وأس القربات. وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات.

ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فإنه رأس المنجيات، فلا مطمع في النجاة إلا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها لكن مقاطعتها إما أن تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقراً. وإما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهداً ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات وحظ في الإعانة على الفوز والنجاة. ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما وأقسامهما وشروطهما وأحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منه، ونبدأ بذكر الفقر.

الشطر الأوّل من الكتاب في الفقر:

وفيه بيان حقيقة الفقر، وبيان فضيلة الفقر مطلقاً، وبيان خصوص فضيلة الفقراء، وبيان فضيلة الفقير على الغني، وبيان أدب الفقير في فقره، وبيان أدبه في قبوله العطاء،

تقدم. (و) إنما كان كذلك لأنه كان أساسها، فينبغي في دليله أن يكون (**بغضها أم الطاعات وأس القربات**)، ولكن لا يسع العامة لأنهم مرادون بالعمارة وصلح ذلك لنفر من الخاصة، لا ب نقصان عددهم من الكافة لا ينقص عمارة الدنيا إذا المراد عمارتها بأهلها من أهل الهوى والشهوات، (**وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها وذم الحب لها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات**) فليراجع هناك.

(**ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها: فإنه رأس المنجيات**) وأساسها، (**فلا مطمع في النجاة إلا بالانقطاع عن الدنيا**) أي عن أعراضها، (**والبعد منها، ولكن مقاطعتها**) لا يخلو (**إما ان تكون بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقراً. واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك زهداً، ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادات**) الأخروية (**وحظ في الإعانة على الفوز والنجاة. ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودرجاتهما وأقسامهما وشروطهما وأحكامهما، ونذكر الفقر في شطر من الكتاب، والزهد في شطر آخر منه، ونبدأ بذكر الفقر**)، وإنما بدا بذكر الفقر بناء على تقدم وجود أصله في كل مخلوق كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿والله الغنيّ وأنتم الفقراء﴾ [محمد ﷺ: ٣٨] والزهد عارض من جهة عدم ميله إلى الغنى المضر لوصول نيله.

الشطر الأول من الكتاب في الفقر

(**وفيه بيان حقيقة الفقر، وبيان فضيلة الفقر مطلقاً، وبيان فضيلة خصوص الفقراء، وبيان فضل الفقير على الغني، وبيان آداب الفقير في فقره، وبيان أدبه في قبول العطاء،**

وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة، وبيان مقدار الغنى المحرّم للسؤال، وبيان أحوال السائلين والله الموفق للصواب بلطفه وكرمه.

بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه:

اعلم أنّ الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه، أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقراً وإن كان المحتاج إليه موجوداً مقدوراً عليه لم يكن المحتاج فقيراً، وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجود مستفاد من فضل الله تعالى. وجوده فإن كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفاداً له من غيره فهو الغنى المطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الموجود إلا واحداً فليس في الوجود إلا غني واحد وكل من عداه فإنهم محتاجون إليه ليمد وجودهم بالدوام وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى: ﴿والله الغنيّ وأنتُمُ

وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة، وبيـان مقـدار الغني المحـرم للسـؤال، وبيـان أحـوال السائلين) تتضمنها فصول تسعة.

بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساميه:

(**اعلم**) أغناك الله تعالى (**أن الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه**) مالاً أو غيره، (**أما فقد ما لا حاجة إليه فلا يسمى فقراً وإن كان المحتاج إليه موجوداً مقدوراً عليه لم يكن المحتاج فقيراً**) فالفقير هو الفاقد المحتاج والفقر هو الفقد والاحتياج. قال أهل اللغة: هو فعيل بمعنى فاعل وفسروه بقليل المال. قال ابن السراج: ولم يقولوا فقر أي: بالضم لأنهم استغنوا عنه بافتقر. وقال في المؤنث، فقيرة وجمعها فقراء ومثله سفيه وسفهاء ولا ثالث لهما، ويتعدى بالهمزة فيقال أفقرته فافتقر. وقال بعضهم: الفقر هو عدم الشيء بعد وجوده فهو أخص من العدم لأن العدم يقال فيه وفيما لم يوجد بعد ذكره الراغب، (**وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام الوجود مستفاد من فضل الله تعالى، فإن كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفاداً له من غيره فهو الغني المطلق، ولا يتصوّر أن يكون مثل هذا الموجود إلا واحداً فليس في الوجود إلا غني واحد وكل من عداه فإنهم محتاجون إليه ليمد وجودهم بالدوام**) لما تقدم أن الفقر عبارة عن الفقد والإحتياج، ولكن الاحتياج على ضربين: احتياج مطلق واحتياج مقيد، وقد أشار المصنف إلى القسم الأول وهو افتقار العبد إلى موجد يوجده، واحتياجه إلى بقاء بعد الإيجاد، واحتياجه إلى هدايته إلى موجده بعد الابقاء، وهذا هو الفقر إلى الله تعالى لأن إيجاده وإبقاءه وهدايته بالله تعالى الذي هو واجب بذاته غني عن الاحتياج إلى غيره. وهذا الفقر واجب لأنه من عقود الايمان بالله، والحال الذي ينشأ عن هذه المعرفة شهوده فقره وحاجته على الدوام كشهوده

الفُقَراء﴾ [محمد ﷺ : ٣٨] هذا معنى الفقر مطلقاً، ولكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق بل الفقر من المال على الخصوص، وإلا ففقر العبد بالإضافة إلى أصناف حاجاته لا ينحصر، لأن حاجاته لا حصر لها. ومن جملة حاجاته ما يتوصل إليه بالمال، وهو الذي نريد الآن بيانه فقط، فنقول: كل فاقد للمال فإنا نسميه فقيراً بالإضافة إلى المال الذي فقده إذا كان ذلك المفقود محتاجاً إليه في حقه، ثم يتصور أن يكون له خمسة أحوال عند الفقر. ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم لنتوصل بالتمييز إلى ذكر أحكامها.

الحالة الأولى: وهي العليا. أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذى به وهرب من أخذه مبغضاً له ومحترزاً من شره وشغله وهو الزهد، واسم صاحبه الزاهد.

الثانية: أن يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح لحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى

لعبوديته، (**وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى: ﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾ هذا معنى الفقر مطلقاً**) قال المصنف في المقصد الأسنى: الغني هو الذي لا تعلق له بغيره لا في ذاته ولا في صفاته، بل يكون منزهاً عن العلاقة مع الاغيار، فمن تعلق ذاته أو صفات ذاته بأمر خارج من ذاته يوقف عليه وجوده وكماله فهو محتاج فقير إلى الكسب، ولا يتصور أن يكون غنياً مطلقاً إلا الله تعالى، (**لكنا لسنا نقصد بيان الفقر المطلق، بل الفقر من المال على الخصوص**) وهو الذي اقتصر عليه أئمة اللغة في تفسيره، (**وإلا ففقر العبد بالإضافة إلى أصناف حاجاته لا تنحصر لأن حاجاته لا حصر لها. ومن جملة حاجاته ما يتوصل إليه بالمال وهو الذي نريد الآن بيانه فقط**)، وهذا هو الفقر المقيد الذي هو القسم الثاني من الاحتياج وهو احتياجه إلى الوسائل التي تقوم بها ذاته ويستعان على تحصيلها بالمال، فالمال هو المفقود المحتاج إليه في هذه المواضع. (**فنقول: كل فاقد للمال فإما أن نسميه فقيراً بالإضافة إلى المال الذي فقده إذا كان ذلك المفقود محتاجاً إليه في حقه، ثم يتصور أن يكون له خمسة أحوال عند الفقد، ونحن نميزها ونخصص كل حال باسم ليتوصل بالتمييز إلى ذكر أحكامها**).

(**الحالة الأولى: وهي العليا**) المبغض للمال الكاره له (**بحيث أن يكون لو أتاه المال لكرهه وتأذى به**) وتركه (**وهرب من أخذه مبغضاً له**) ومستثقلاً ومستحقراً (**ومحترزاً من شره وشغله**) عما هو الأهم وهو القرب من الله تعالى، (**و**) هذا (**هو الزهد**) بالضم (**واسم صاحبه الزاهد**) يقال: زهد فيه وعنه زهداً وزهادة بمعنى تركه وأعرض عنه، وجمع الزاهد زهاد. **يقال** للمبالغة زهيد بكسر الزاي وتشديد الهاء وزهيد يزهد بفتحتين لغة فيه.

(**الحالة الثانية: أن يكون**) ذلك الفاقد (**بحيث لا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ولا**)

بها ويزهد فيه لو أتاه، وصاحب هذه الحالة يسمى راضياً.

الثالثة: أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطلبه، بل إن أتاه صفواً عفواً أخذه وفرح به، وإن افتقر إلى تعب في طلبه لم يشتغل به، وصاحب هذه الحالة نسميه قانعاً، إذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة.

الرابعة: أن يكون تركه الطلب لعجزه، وإلا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلاً إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه، أو هو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسميه بالحريص.

الخامسة: أن يكون ما فقده من المال مضطراً إليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب، ويسمى صاحب هذه الحالة مضطراً كيفما كانت رغبته في الطلب إما ضعيفة وإما قوية، وقلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة، فهذه خمسة أحوال: أعلاها الزهد والاضطرار إن انضم إليه الزهد وتصوّر ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتي

يبغضه ولا (**يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه**) أي بتركه (**لو أتاه، وصاحب هذه الحالة يسمى راضياً**).

(**الحالة الثالثة: أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة له فيه، ولكن لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطالبه**) أي يسرع ويتحرك، (**بل إن أتاه صفواً عفواً**) أي من غير تعب (**أخذه وفرح به، وان افتقر**) إلى معالجة (**تعب في طلبه**) ومشقة (**لم يشتغل به**) ولم يلتفت إليه، (**وصاحب هذه الحالة نسميه قانعاً إذا قنع نفسه بالموجود**) الحاضر (**حتى ترك الطلب مع ما فيه من الرغبة الضعيفة**).

(**الحالة الرابعة: أن يكون تركه الطلب لعجزه**) عن تحصيله (**وإلاَّ فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبيلاً إلى طلبه ولو بالتعب لطلبه أو هو مشغول بالطلب**) في الحال، وصاحب هذه الحالة يسمى الحريص ورغبته هي الرغبة المذمومة وهو من حرص القصار الثوب إذا قشره بالدق.

(**الحالة الخامسة: أن يكون ما فقد من المال مضطراً إليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب، ويسمى صاحب هذه الحالة مضطراً كيفما كانت رغبته في الطلب إما ضعيفة وإما قوية قلما تنفك هذه الحالة عن الرغبة**) إلا أنها ليست مذمومة. (**فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد**) وهي الحالة الأولى، (**والاضطرار إن انضم إليه الزهد وتصوّر ذلك**) بأن يكون كارهاً للمال مع اضطراره (**فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتي بيانه**) في الشطر الثاني،

بيانه، ووراء هذه الأحوال الخمسة حالة هي أعلى من الزهد وهي أن يستوي عنده وجود المال وفقده، فإن وجده لم يفرح به ولم يتأذ، وإن فقده فكذلك، بل حاله كما كان حال عائشة رضي الله تعالى عنها إذا أتاها مائة ألف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها: ما استطعت فيما فرقت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه، فقالت: لو ذكرتيني لفعلت، فمن هذه حاله لو كانت الدنيا بحذافيرها في يده وخزائنه لم تضره، إذ هو يرى الأموال في خزانة الله تعالى لا في يد نفسه، فلا يفرق بين أن تكون في يده أو في يد غيره، وينبغي أن يسمى صاحب هذه الحالة المستغني، لأنه غني

وإن انضم إلى حالة الاضطرار جزع وشكوى حرم ذلك وبين الدرجتين أوساط مختلفة المراتب، فأي فقد قارنه رضاً أو قناعة كان له فضل الراضي والقانع وإن قارنه حرص كان لا له ولا عليه إلا أن يجره الحرص إلى أخذ المال من شبهة أو حرام، فهذا هو الفقر الحرام الذي يستعاذ منه كما سيأتي، ثم أن الفقر له لواحق ثلاثة التبتل والغناء والتجريد، وقد أشار المصنف إلى هذه اللواحق بطريق التلويح فقال: (**ووراء هذه الأحوال الخمسة حالة هي أعلى من الزهد وهو أن يستوي عنده وجود المال وفقده**)، وتقرير ذلك أنه قد سبق أن الفقد مطلق ومقيد. فاعلم أن المطلق يراد لذاته لتعلقه بالله تعالى، والمقيد يراد لغيره لتعلقه بالمال، والحكمة في ذلك أن المال لما كان ملهياً عن الله تعالى وشاغلاً عن طاعته ومميلاً بصاحبه إلى جانب الترفه ومحرضاً له على المعصية أثنى الشرع على الفقر ليتفرغ العباد بالتبتل إلى الله تعالى والانقطاع إليه، لأن حقيقة التبتل الانقطاع إلى الله تعالى، فمن قطع تعلق قلبه عن الأغيار شغلاً به وانقطاعاً إليه فهو المتبتل، فإن وجدنا هذه صفته واستولى ذلك على قلبه حتى صار همه هماً واحداً واستوى عنده وجود المال وعدمه، (**فإن وجد لم يفرح به ولم يتأذ وإن فقد فكذلك**) أي لا يفرحه وجوده إن وجد ولا يحزنه فقده إن فقد، (**بل حاله**) حال الغني عن دخول المال في يده وعن بقائه وعن خروجه من يده، فإنه ليس يتأذى به فيحتاج إلى الخروج ولا يفرح به فيحتاج إلى البقاء وليس فاقداً له فيحتاج إلى الدخول، وهذا (**كما كان حال عائشة رضي الله عنها إذا أتاها مائة ألف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها: ما استطعت فيما فرقت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحماً نفطر عليه. فقالت: لو ذكرتني لفعلت**) رواه هشام بن عروة عن أبيه أن معاوية بعث إلى عائشة مرة بمائة ألف. قال: فوالله ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فرقتها، فقالت مولاة لها: لو اشتريت لنا من هذه الدراهم بدرهم لحماً؟ فقالت: لو قلت لي قبل أن أفرقها فعلت. ورواه محمد بن المنكدر التيمي وهو ابن خالة عائشة عن أم درة مولاة عائشة نحو هذه القصة إلا أنها قالت: بعث إليها ابن الزبير بمال في غرارتين. قالت: أراه ثمانين ومائة ألف، وقد تقدم ذلك كله في كتاب ذم الدنيا (**فمن هذه حاله فلو كانت الدنيا بحذافيرها**) أي بتمامها (**في يده وخزانته لم يضره إذ هو يرى الأموال في خزانة الله تعالى لا في يد نفسه، فلا يفرق بين أن تكون في يده أو في يد غيره، وينبغي أن يسمى صاحب هذه الحالة المستغني**) لا الغني (**لأنه**

عن فقد المال ووجوده جميعاً ، وليفهم من هذا الإسم معنى يفارق اسم الغني المطلق على الله تعالى وعلى من كثر ماله من العباد ، فإن من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير إلى بقاء المال في يده ، وإنما هو غني عن دخول المال في يده لا عن بقائه ، فهو إذاً فقير من وجه ، وأما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده أيضاً ، فإنه ليس يتأذى به ليحتاج إلى إخراجه ، وليس يفرح به ليحتاج إلى بقائه . وليس فاقداً له ليحتاج إلى الدخول في يده فغناه إلى العموم أميل ، فهو إلى الغني الذي هو وصف الله تعالى أقرب ، وإنما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان ، ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنياً بل مستغنياً ، ليبقى الغني اسماً لمن له الغنى المطلق عن كل شيء . وأما هذا العبد فإن استغنى عن المال وجوداً أو عدماً فلم يستغن عن أشياء أخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه ، فإن القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغني عنه حر ، والله تعالى هو الذي أعتقه من هذا الرق فهو محتاج إلى دوام هذا العتق ، والقلوب متقلبة بين الرق

غني عن فقد المال ووجوده جميعاً ، وليفهم من هذا الإسم معنى يفارق اسم الغني المطلق على الله وعلى من كثر ماله من العباد ، فإن من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير إلى بقاء المال في يده ، وإنما هو غني عن دخول المال في يده لا عن بقائه فهو إذاً فقير من وجه ، وأما هذا الشخص فهو غني عن دخول المال في يده وعن بقائه في يده وعن خروجه من يده أيضاً ، فإنه ليس يتأذى به فيحتاج إلى إخراجه وليس يفرح به ليحتاج إلى بقائه وليس فاقداً له ليحتاج إلى الدخول في يده ، فغناه إلى العموم أميل فهو إلى الغني الذي هو وصف الله تعالى أقرب ، وإنما قرب العبد من الله تعالى بقرب الصفات لا بقرب المكان) والمراد بقرب الصفات قرب المرتبة والدرجة ، وذلك بالسعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلي بمحاسنها ، وبه يصير العبد ربانياً قريباً من الملأ الأعلى من الملائكة ، فإنهم على بساط القرب فمن ضرب إلى شبه من صفاتهم نال شيئاً من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم إلى الحق سبحانه وتعالى ، وطلب القرب من الله تعالى بالصفة أمر غامض تكاد تشمئز القلوب عن قبوله والتصديق به ، وقد تقدم تلويح إلى ذلك فيما مضى في مواضع من هذا الكتاب ، وهذا الذي ذكرناه هو الحظ الثالث من حظوظ المقربين في معاني أسماء الله تعالى ، **(ولكنا لا نسمي صاحب هذه الحالة غنياً بل مستغنياً)** وهو اصطلاح من المصنف رحمه الله تعالى انفرد به عمن تقدمه من الشيوخ ، وذلك **(ليبقى الغني إسماً لمن له الغنى المطلق عن كل شيء وأما هذا العبد فإن كان استغنى عن المال وجوداً وعدماً فلم يستغن عن أشياء أخر سواه ، ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليبقي استغناؤه الذي زين الله به قلبه ، فإن القلب المقيد بحب المال رقيق)** أي بمنزلته **(والمستغني عنه حر)** أي بمنزلته ، **(والله تعالى هو الذي أعتقه عن هذا**

والحرية في أوقات متقاربة، لأنها بين أصبعين من أصابع الرحمن، فلذلك لم يكن اسم الغني مطلقاً عليه مع هذا الكمال إلا مجازاً.

واعلم أن الزهد درجة هي كمال الأبرار وصاحب هذه الحالة من المقربين، فلا جرم صار الزهد في حقه نقصاناً، إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين، وهذا لأن الكاره للدنيا مشغول بالدنيا، كما أن الراغب فيها مشغول بها، والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى، إذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجاباً، فإنه أقرب إليك من حبل الوريد، وليس هو في مكان حتى تكون السموات والأرض حجاباً بينك وبينه، فلا حجاب بينك وبينه إلا شغلك بغيره، وشغلك بنفسك وشهواتك شغل بغيره، وأنت لا تزال مشغولاً بنفسك وبشهوات نفسك فكذلك لا تزال محجوباً عنه، فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى، والمشغول

الرق فهو محتاج إلى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق والحرية في أوقات متقاربة لأنها بين أصبعين من أصابع الرحمن) يقلبها كيف شاء كما ورد ذلك في الخبر وتقدم، **(فلذلك لم يكن إسم الغني مطلقاً عليه مع هذا الكمال إلا مجازاً)**، وقد أشار إلى ذلك المصنف في المقصد الأسنى حيث قال: والله تعالى هو الغني وهو المغني أيضاً، ولكن الذي أغناه لا يتصوّر أن يصير باغنائه غنياً مطلقاً، فإن أقل أموره أنه يحتاج إلى المغني فلا يكون غنياً بل يستغني من غير الله تعالى بأن يمده الله تعالى بما يحتاج إليه بأن يقطع عنه أصل الحاجة، والغني الحقيقي هو الذي لا حاجة له إلى أحد أصلاً والذي يحتاج ومعه ما يحتاج إليه فهو غني بالمال وهو غاية ما يدخل في الإمكان في حق غير الله تعالى، فأما فقد الحاجة فلا، ولكن إذا لم تبق حاجة إلا لله تعالى سمي غنياً، ولو لم تبق أصل الحاجة لما صح قوله تعالى: ﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾ [محمد ﷺ: ٣٨] ولولا أنه يتصور أنه يستغني عن كل شيء سوى الله تعالى لما صح لله تعالى وصف المغني.

(واعلم ان الزهد درجة هي كمال الابرار، وصاحب هذه الحالة من المقربين فلا جرم صار الزهد في حقه نقصاناً إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين) وهو قول أبي سعيد الخراز، وقد تقدم. وحاصله أن هذه الحالة هي أعلى الدرجات وهي أعلى من درجة الزهد، بل الزهد حال الأبرار وهذه حالة المقربين وهذا لأن الزاهد **(الكاره للدنيا مشغول)** عن الله **(بالدنيا)** أي يبغضها، **(كما أن الراغب فيها مشغول)** عن الله **(بها)** أي يحبها **(والشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى، إذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجاباً فإنه)** تعالى **(أقرب إليك من حبل الوريد)** كما هو نص القرآن، **(وليس هو في مكان حتى تكون السموات والأرض حجاباً بينك وبينه)** تعالى الله عن ذلك، **(فإنه أقرب إليك منك فلا حجاب بينك وبينه إلا شغلك بغيره وشغلك بنفسك وبشهواتك شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولاً بنفسك وبشهوات نفسك، فلذلك لا تزال محجوباً عنه، فالمشغول بحب نفسه**

ببغض نفسه أيضاً مشغول عن الله تعالى، بل كل ما سوى الله، مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمعشوق، فإن التفت قلب العاشق إلى الرقيب وإلى بغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حال اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه، ولو استغرقه العشق لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت إليه، فكما أن النظر إلى غير المعشوق لحبه عند حضور المعشوق شرك في العشق ونقص فيه فكذا النظر إلى غير المحبوب لبغضه شرك فيه ونقص، ولكن أحدهما أخف من الآخر، بل الكمال في أن لا يلتفت القلب إلى غير المحبوب بغضاً وحباً، فإنه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضاً بغض وحب في حالة واحدة؛ فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن

مشغول عن الله، والمشغول ببغض نفسه أيضاً مشغول عن الله تعالى)، وأما صاحب هذه الحالة فهو المستغرق الذي لا يشغله شيء عن الله تعالى، ومن قال: إن الغنى أفضل من الفقر فإن أراد هذا فهو الصواب، وإن أراد الغنى بالاعراض الدنياوية كان زيفاً، فليس ذلك من وصف الله تعالى بل الرب تعالى إذا أراد أن يحجب العبد عن معرفته وطاعته خوّله بذلك حتى يشغله بأخس جزء من الدنيا. قال الإمام أبو العباس الاقليشي رحمه الله تعالى: فمن افتقر إلى الله تعالى الافتقار الحقيقي وسأله الغنى الباقي لا العرضي أغنى نفسه الفقيرة بعلومه المنيرة، فاستفاد وأفاد وأنفق من مال لا يخاف عليه النفاد، فهذا هو الغني في الدنيا والآخرة والباقي غناه أبد الآباد، ومن حرم هذا الغنى ولو نال جميع ملك الدنيا فهو فقير، ولذلك قيل: من جهل الله فهو فقير، ولقد أجاد القائل حيث يقول:

ومـــن ينفـــق الأيـــام في جمع مـــالـــه ... مخافـــة فقـــر فـــالـــذي فعـــل الفقـــر

انتهى. وهذا القدر كاف في معرفة حقائق التبتّل والغنى الذي الفقر مطلوب لها. وأما التجريد الذي هو أحد لواحق الفقر فسيأتي بيانه في آخر الفصل.

ثم زاد المصنف في بيان حال كل من المشغولين بالحب و بالبغض وأكده بمثال فقال: **(بل كل ماسوى الله تعالى مثاله مثال الرقيب)** وهو المراقب لحال العاشق المنتظر لتتبع حركاته وسكناته و يعبر عنه بالعاذل **(الحاضر في مجلس)** من مجالس السرور و اللهو. **(جمع العاشق و المعشوق فإن التفت قلب العاشق إلى حب الرقيب وإلى بغضه واستثقاله و كراهة حضوره)** في ذلك المجلس **(فهو في حالة اشتغال قلبه ببغضه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه)** لشغله به، **(ولو استغرقه العشق)** بأن ملكه ظاهراً و باطناً **(لغفل عن غير المعشوق ولم يلتفت إليه)** كما هو الاستغراق، **(فكما أن النظر إلى غير المعشوق لحبه عند حضوره المعشوق شرك في العشق و نقص فيه، فكذا النظر إلى غير المحبوب لبغضه شرك فيه و نقص، ولكن أحدهما أخف من الآخر)** لأن المبغض مقبل و الراغب مدبر، **(بل الكمال في أن لا يلتفت القلب إلى غير المحبوب بغضاً و حباً فإنه كما لا يجتمع في القلب حبان في حالة واحدة، فلا يجتمع أيضاً بغض و حب في حالة واحدة، فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله تعالى**

الله كالمشغول بحبها ، إلا أن المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سالك في طريق البعد ، والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك في طريق القرب ، إذ يرجى له أن ينتهي حاله إلى أن تزول هذه الغفلة وتتبدل بالشهود ؛ فالكمال له مرتقب لأن بغض الدنيا مطية توصل إلى الله تعالى فالمحب والمبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها وتسييرها ، ولكن أحدهما مستقبل الكعبة والآخر مستدبر لها فهما سيان ، بالإضافة إلى الحال في أن كل واحد منهما محجوب عن الكعبة ومشغول عنها ، ولكن حال المستقبل محمود بالإضافة إلى المستدبر إذ يرجى له الوصول إليها ، وليس محموداً بالإضافة إلى المعتكف في الكعبة الملازم لها الذي لا يخرج منها حتى يفتقر إلى الاشتغال بالدابة في الوصول إليها ، فلا ينبغي أن تظن أن بغض الدنيا مقصود في عينه ، بل الدنيا عائق عن الله تعالى ، ولا وصول إليه إلا بدفع العائق ، ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : من زهد في الدنيا واقتصر عليه فقد استعجل الراحة ، بل ينبغي أن يشتغل بالآخرة ، فبين أن سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج ، فإذاً قد ظهر أن الزهد في الدنيا إن أريد به عدم الرغبة في وجودها

كالمشغول بحبها إلا أن المشغول بحبها غافل وهو في غفلته سالك في طريق البعد ، والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك في طريق القرب اذ يرجى له أن ينتهي حاله إلى أن تزول هذه الغفلة و تتبدل بالشهود) و ارتفاع الحجاب من البين ، **(فالكمال له مرتقب)** أي منتظر **(لأن بغض الدنيا مطية توصل إلى الله تعالى)** كما أن حبها مطية توصل إلى البعد عن الحضرة الالهية ، **(فالمحب و المبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة و علفها و تسييرها)** و خدمتها ، **(ولكن أحدهما مستقبل الكعبة)** بأن وجه وجهه إليها **(و الآخر مستدبر لها فهما سيان)** أي مستويان **(بالاضافة إلى الحال في أن كل واحد منهما محجوب عن الكعبة و مشغول عنها ، ولكن حال المستقبل محمود بالإضافة إلى المستدبر إذ يرجى له الوصول إليها وليس محمودا بالاضافة إلى المعتكف في الكعبة الملازم لها)** ليلاً ونهاراً **(الذي لا يخرج منها حتى يفتقر إلى الاشتغال بالدابة)** بالعلف و التسيير **(في الوصول اليها ، فلا ينبغي أن تظن)** في نفسك **(أن بغض الدنيا مقصود في عينه)** أي لذاته ، **(بل بغض الدنيا عائق عن الله)** شاغل عن الوصول إليه **(ولا وصول إليه إلا بدفع العائق ، ولذلك قال أبو سليمان الداراني)** رحمه الله تعالى : **(من زهد في الدنيا و اقتصر عليه)** أي صار مشغولاً به **(فقد استعجل الراحة)** لنفسه ، **(بل ينبغي أن يشتغل بالآخرة)** نقله صاحب القوت . **(فبين)** رحمة الله تعالى **(أن سلوك طريق الآخرة وراء الزهد ، كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع الغريم العائق عن الحج ، فاذاً قد ظهر أن الزهد في الدنيا ، إن أريد به عدم**

وعدمها فهو غاية الكمال، وإن أريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالإضافة إلى درجة الراضي والقانع والحريص، ونقصان بالإضافة إلى درجة المستغني، بل الكمال في حق المال أن يستوي عندك المال والماء، وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بأن تكون على شاطىء البحر، ولا قلته تؤذيك إلا في قدر الضرورة مع أن المال محتاج إليه كما أن الماء محتاج إليه فلا يكون قلبك مشغولاً بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير، بل تقول: أشرب منه بقدر الحاجة وأسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا أبخل به على أحد، فهكذا ينبغي أن يكون المال لأن الخبز والماء واحد في الحاجة، وإنما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر، وإذا عرفت الله تعالى ووثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت أن قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة ما دمت حياً كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سيأتي بيانه في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى.

قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان الداراني قال مالك بن دينار للمغيرة: إذهب إلى البيت فخذ الركوة التي أهديتها لي فإن العدوّ يوسوس لي أن اللص قد

الرغبة في وجودها و عدمها فهو غاية الكمال، فإن أريد به الرغبة في عدمها فهو كمال بالإضافة إلى درجة الراضي و القانع و الحريص و نقصان بالإضافة إلى درجة المستغني) بالمعنى الذي سبق، (**بل الكمال في حق المال أن يستوي عندك المال و الماء و كثرة الماء في جوارك لا تؤذيك بأن تكون على شاطىء البحر ولا قلته تؤذيك إلا في قدر الضرورة**) الداعية، (**مع أن الماء محتاج إليه فلا يكون قلبك مشغولاً بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا ببغض الماء الكثير، بل تقول أشرب منه بقدر الحاجة و أسقي منه عباد الله بقدر الحاجة ولا أبخل به على أحد، فهكذا ينبغي أن يكون الماء لأن الخبز و الماء واحد في الحاجة**) أي فإن كلاً منها يحتاج إليه في دفع الجوع و العطش، (**وإنما الفرق بينهما في قلة أحدهما و كثرة الآخر، وإذا عرفت الله تعالى و وثقت بتدبيره الذي دبر به العالم علمت أن قدر حاجتك من الخبز يأتيك لا محالة مادمت حياً كما يأتيك قدر حاجتك من الماء على ما سيأتي بيانه في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى**).

(**قال أحمد بن أبي الحواري**) الدمشقي رحمه الله تعالى، (**قلت لأبي سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى، (**قال مالك بن دينار**) البصري رحمه الله تعالى (**للمغيرة: اذهب إلى البيت فخذ الركوة التي**) كنت (**أهديتها لي فإن العدو يوسوس لي أن اللص قد أخذها**) هكذا هو في القوت.

ورواه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد إلا أنه قال: الذي أهدى له الركوة هو الحرث بن نبهان الجرمي لا المغيرة، وهذا لفظه قال: حدثني علي بن مسلم، حدثنا سيار، حدثنا الحرث بن

أخذها ، قال أبو سليمان : هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زهد في الدنيا ما غلبه من أخذها فبين أن كراهية كون الركوة في بيته التفات إليها سببه الضعف والنقصان .

فإن قلت : فما بال الأنبياء والأولياء هربوا من المال ونفروا منه كل النفار ؟ فأقول : كما هربوا من الماء على معنى أنهم ما شربوا أكثر من حاجتهم ففروا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب والزوايا يدبرونه مع أنفسهم بل تركوه في الأنهار والآبار والبراري للمحتاجين إليه ، لا أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه وقد حملت خزائن الأرض إلى رسول الله ﷺ وإلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها إذ كان يستوي عندهم المال والماء والذهب والحجر ، وما نقل عنهم من امتناع ، فأما

نبهان الجرمي قال : قدمت من مكة فاهديت إلى مالك بن دينار ركوة قال : و كانت عنده قال : فجئت يوماً فجلست في مجلسه فقال : يا حارث بن نبهان تعال فخذ تلك الركوة فقد شغلت على قلبي إني إذا دخلت المسجد جاءني الشيطان فقال لي : يا مالك إن الركوة قد سرقت فقد شغلت علي قلبي . و رواه أبو نعيم في الحلية من طريقه .

(**قال أبو سليمان**) رحمه الله تعالى : (**هذا من ضعف قلوب الصوفية**) هو (**قد زهد في الدنيا ما عليه من أخذها فبين أن كراهية كون الركوة في بيته التفات إليها سببه الضعف و النقصان**) في المقام إذ كماله أن لا يبالي من أخذ متاع الدنيا . و لفظ القوت : فأراد أبو سليمان منه حقيقة الرضا بجريان الأحكام ، و أراد مالك من نفسه حقيقة الزهد بأن يصرف عن قلبه الاهتمام ، و سيأتي في كتاب التوكل له مزيد بيان .

فان قلت : فما بال الأنبياء) عليهم السلام (**والأولياء هربوا من المال**) كل الهرب ، (**ونفروا منه كل النفار**) وقد استوى عندهم وجوده وعدمه ؟ (**فأقول : قد هربوا من الماء على معنى أنهم ما شربوا**) منه (**أكثر من حاجتهم**) إليه في دفع العطش ، (**ففروا عما وراءه ولم يجمعوه في القرب**) والزوايا (**يديرونه مع أنفسهم**) أو على ظهورهم ، (**بل تركوه في الأنهار و الآبار و البراري للمحتاجين إليه لا**) على معنى (**أنهم كانت قلوبهم مشغولة بحبه أو بغضه ، فقد حملت خزائن الأرض إلى رسول الله ﷺ وإلى أبي بكر و عمر رضي الله عنهما ، فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها إذ كان يستوي عندهم المال والماء والذهب والحجر**) .

قال العراقي : وهذا معروف وقد تقدم في آداب المعيشة عن البخاري تعليقه مجزوماً من حديث أنس : أتى النبي ﷺ بمال من البحرين وكان أكثره مال أتى به ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة ولم يلتفت إليه ، فلما قضى الصلاة فجلس إليه فما كان يرى أحداً إلا أعطاه و وصله عمر بن محمد البحيري في صحيحه من هذا الوجه . وفي الصحيحين من حديث عمرو بن عوف . قدم أبو عبيدة

أن ينقل عمن خاف أن لو أخذه أن يخدعه المال ويقيد قلبه فيدعوه إلى الشهوات، وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال والهرب منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق، لأن كلهم ضعفاء إلا الأنبياء والأولياء، وأما أن ينقل عن قوي بلغ الكمال ولكن أظهر الفرار والنفار نزولاً إلى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك، إذ لو اقتدوا به في الأخذ لهلكوا كما يفر الرجل المعزم بين يدي أولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها ولكن لعلمه أنه لو أخذها أخذها أولاده إذا رأوها فيهلكون، والسير بسير الضعفاء ضرورة الأنبياء والأولياء والعلماء، فقد عرفت إذاً أن المراتب ست وأعلاها رتبة المستغني ثم الزاهد ثم

بمال من البحرين فسمعت الانصار قدومه الحديث. و لهما من حديث جابر: لو جاءنا مال البحرين أعطيتك هكذا ثلاثا ،فلم يقدم حتى توفي النبي ﷺ فأمر أبو بكر منادياً فنادى: من كان له على رسول الله ﷺ عدة أو دين فليأتنا. فقلت: إن النبي ﷺ وعدني فحثا لي ثلاثاً انتهى.

قلت: وأما سيرة عمر رضي الله عنه: فقد روى سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال، حدثنا زهير بن حيان قال: قال ابن عباس: دعاني عمر فأتيته فإذا بين يديه نطع عليه الذهب منثور فقال: فأقسم هذا بين قومك والله أعلم حيث روى هذا عن نبيه وعن أبي بكر لخير أم لشر. قال: فأكببت عليه أقسم و أزيل قال: فسمعت بكاء، وإذا صوت عمر يبكي و يقول في بكائه: كلا والذي نفسي بيده ما حبسه عن نبيه وعن أبي بكر إرادة الشر لهما و أعطاه عمر إرادة الخير له. و قال سعيد بن عامر الضبعي، قال محمد بن عمرو، حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قدمت من البحرين فلقيت عمر فسألني عن الناس فأخبرته، ثم قال: بم جئت؟ قلت: جئت بخمسمائة ألف. قال: ويحك هل تدري ما تقول؟ قلت: نعم. قال: إرجع فنم فإنك ناعس. قال: فأصبحت فأتيته، فقال: ماذا جئت به؟ قلت: خمسمائة ألف، فصعد المنبر فحمدالله و أثنى عليه ثم قال: قد جاءنا مال كثير فإن شئتم أن نكيلكم كيلاً وإن شئتم أن نعد عداً.

(وما ينقل عنهم من امتناع فإما أن ينقل عمن يخاف أن لو أخذه أن يخدعه المال) ويزيله عن مقامه **(و يقيد قلبه فيدعوه إلى الشهوات)** النفسية، **(وهذا حال الضعفاء فلا جرم البغض للمال و الهرب منه في حقه كمال، وهذا حكم جميع الخلق لأنهم كلهم ضعفاء إلا الأنبياء)** عليهم السلام **(و الأولياء)** من بعدهم، **(وأما أن ينقل عن قوي بلغ)** رتبة **(الكمال، ولكن أظهر الفرار و النفار نزولاً)** منه **(إلى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك إذ لو اقتدوا به في الأخذ لهلكوا)**،وهذا **(كما يفر الرجل بين يدي أولاده من الحية لا لضعفه عن أخذها، ولكن لعلمه أنه لو أخذها أخذها أولاده إذا رأوها فيهلكوا، و السير بسير الضعفاء ضرورة الأنبياء و الأولياء و العلماء)** إذ هم القدوة، **(فقد عرفت أن المراتب إذاً ست وأن أعلاها رتبة المستغني)** بالمعنى الذي ذكره المصنف اصطلاحاً منه، **(ثم**

الراضي ثم القانع ثم الحريص. وأما المضطر فيتصوّر في حقه أيضاً الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الأحوال، واسم الفقير يطلق على هذه الخمسة. أما تسمية المستغني فقيراً فلا وجه لها بهذا المعنى، بل إن سمي فقيراً فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجاً إلى الله تعالى في جميع أموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة، فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وأقربها فإنه أحق باسم العبد من الغافلين وإن كان اسم العبد عاماً للخلق، فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر إلى الله تعالى فهو أحق باسم الفقير، فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين، وإذا عرفت هذا الاشتراك فهمت أن قول رسول الله ﷺ: «أعوذ بك من الفقر»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «كاد الفقر أن يكون كفراً» لا يناقض قوله: «أحيني مسكيناً

الزاهد، ثم الراضي، ثم القانع، ثم الحريص، وأما المضطر فيتصور في حقه أيضاً الزهد والرضا والقناعة، و درجته تختلف بحسب اختلاف هذه الأحوال) كما سبق التلويح إليه، **(واسم الفقير يطلق على هذه الخمسة)** المذكورة ما عدا الأول. **(أما تسمية المستغني فقيراً فبمعنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجاً إلى الله تعالى في جميع أموره عامة وفي بقاء استغنائه عن المال خاصة)** وهذا المعنى أجل من أن يسمى فقراً بل هو حقيقة العبودية ولبها و عزل النفس عن مزاحمة الربوبية، وإليه يشير كلام المشايخ كما يأتي بيانه. فالفقر الحقيقي دوام الافتقار إلى الله تعالى في كل حال، وأن يشهد العبد في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقته إلى الله تعالى من كل وجه، فالفقر ذاتي للعبد، وإنما يتجدد له شهوده حالاً وإلا فهو حقيقة كما قال بعضهم: الفقر لي وصف ذات لازم أبداً كما الغنى أبداً وصف له ذاتي، وإليه أشار المصنف بقوله: **(فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية و أقر بها. فإنه أحق باسم العبد من الغافلين، وإن كان اسم العبد عاماً للخلق فكذلك اسم الفقير عام، ومن عرف نفسه بالفقر إلى الله تعالى)** في كل حالاته **(فهو أحق باسم الفقير)** من غيره، **(فاسم الفقير مشترك بين هذين المعنيين، وإذا عرفت هذا الاشتراك فهمت أن قول رسول الله ﷺ)**: «اللهم إني **(أعوذ بك من الفقر)** وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات». رواه الطبراني من حديث عثمان بن أبي العاص، وقد تقدم في الأذكار والدعوات، وعند النسائي من حديث أبي سعيد الخدري: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر» فقال رجل: و يعتدلان؟ قال «نعم» وقد صححه ابن حبان. وروى أبو داود والنسائي و ابن ماجه من حديث أبي هريرة «اللهم إني أعوذ بك من الفقر و القلة والذلة». وروى الطبراني عن بلال بن سعد عن أبيه مرفوعاً «اللهم إني أعيذهم بك من الكفر والضلالة والفقر الذي يصيب بني آدم».

(وقوله ﷺ «كاد الفقر أن يكون كفراً) رواه الكشي، وابن السكن، و صاحب الحلية، والبيهقي في الشعب، وابن عدي في الكامل من حديث يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً

وأمتني مسكيناً» إذ فقر المضطر هو الذي استعاذ منه، والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار إلى الله تعالى هو الذي سأله في دعائه ﷺ وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء.

وقد تقدم في ذم الغضب (**لا يناقض قوله**) ﷺ: (**«اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً»**) واحشرني في زمرة المساكين» رواه عبد بن حميد، وابن ماجه من حديث أبي سعيد، و الشيرازي في الألقاب من حديث بن عباس، والبيهقي في الشعب، و تمام، و الطبراني، وابن عساكر، والضياء من حديث عبادة بن الصامت. ورواه الترمذي و حسنه و البيهقي من حديث أنس بزيادة «يوم القيامة». ورواه ابن الجوزي في الموضوعات فأخطأ. ورواه الحاكم من حديث أبي سعيد بزيادة «وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة». وعند ابن عدي والبيهقي بلفظ «اللهم توفني فقيراً ولا توفني غنياً واحشرني في زمر المساكين فإن أشقى الأشقياء» الخ. (**إذ فقر المضطر هو الذي استعاذ منه و الفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة و الذلة و الافتقار إلى الله تعالى هو الذي سأله في دعائه ﷺ وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض و السماء**) وإلى هذا المعنى يشير كلام المشايخ كما سيأتي ذلك مفرقاً في سياق المصنف، وهذا الذي يشيرون إليه لا تنافيه الجدة ولا الأملاك، فقد كان رسول الله ﷺ و أنبياؤه عليهم السلام في ذروة الفقر مع جدتهم و ملكهم كابراهيم عليه السلام كان يكنى أبا الضيفان، وكانت الأموال والمواشي، وكذلك كان سليمان و داود عليهما السلام، وكذلك كان نبينا ﷺ. قال تعالى ﴿و وجدك عائلاً فأغنى﴾ [الضحى: ٨] وكانوا أغنياء في فقرهم فقراء في غناهم.

ثم اعلم أن الفقر الذي هو خلو اليد من المال وسيلة التبتل و الانقطاع وهما الوسيلة إلى الغنى بالله تعالى وهو تعلق القلب به، و الغنى بالله وسيلة إلى تجريده عما سوى الحق من اعراض و أغراض بل نفس و حال، فالتجريد على ثلاث درجات.

الأولى تجريد عين الكشف عن نسب اليقين، وذلك أن اليقين مكسوب في البداية و موهوب في النهاية فالتجريد إرتقاء العبد من المكسوب إلى الموهوب.

الثانية: تجريد الجمع عن درك العلم لأن العالم بالسكر ليس بسكران، فهذا حذر من أن يكون عنده علم الحال لا غيبه.

الثالثة: تجريد إخلاص عن شهود التجريد ومقصوده بذلك تجريده عن رؤية تجريده، وهذا التقسيم لصاحب منازل السائرين ولا يجب من ذلك الاعتقاد تجريد القدم عن الحدث و يستحب علمه وما ذكرنا هو قربة و معرفة و مستعان بالنظر إلى السلب مثل ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١] ﴿وليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] وما كنت متخذ المضلين عضداً وما أشبه هذا والله أعلم.

بيان فضيلة الفقر مطلقاً:

أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أُخرِجُوا من دِيَارهم وأموالهم﴾ [الحشر: ٨] الآية. وقال تعالى: ﴿للفقراء الذين أُحْصِرُوا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض﴾ [البقرة: ٢٧٣] ساق الكلام في معرض المدح، ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والإحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر.

بيان فضيلة الفقر مطلقاً من الآيات والاخبار والآثار:

(أما من الآيات؛ فيدل عليه قوله تعالى ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم و أموالهم﴾ الآية و قوله ﴿للفقراء الذين احصروا في سبيل الله) أي حبسوا و منعوا **(لا يستطيعون ضرباً في الأرض﴾ ساق الكلام في معرض المدح، ثم قدم و صفهم بالفقر على و صفهم بالهجرة والإحصار)** أي الصدقات لهؤلاء، وكانوا فقراء المهاجرين نحو أربعمائة نفس لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر، وكانوا قد حبسوا أنفسهم على الجهاد وكانوا وقفاً على كل سرية يبعثها رسول الله ﷺ وهم أهل الصفة. هذا أحد الاقوال في إحصارهم في سبيل الله و قيل: هو حبسهم أنفسهم في طاعة الله، وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد، وقيل لما عادوا أعداء الله وجاهدوهم احصروا عن الضرب في الأرض لطلب المعاش فلا يستطيعون ضرباً في الارض، والصحيح أنه لفقرهم وعجزهم و ضعفهم لا يستطيعون ضرباً في الأرض، ولكمال عفتهم وصيانتهم يحسبهم من لم يعرف حالهم أغنياء. **(وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر)**.

ومن المواضع التي ذكر الله فيها الفقر قوله تعالى ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ [التوبة: ٦٠] الآية و قوله تعالى ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ [فاطر: ١٥] و قوله تعالى ﴿رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ [القصص: ٢٤] و المراد في الآية الأولى و الثانية خواص الفقراء، وفي قوله ﴿انما الصدقات﴾ الآية فقراء المسلمين خاصتهم و عامتهم، وفي قوله ﴿يا أيها الناس﴾ الآية الفقر العام لأهل الأرض كلهم غنيهم و فقيرهم مؤمنهم و كافرهم، وفي الآية الاخيرة الفقر إلى الله المشار إليه بقوله: اللهم اغنني بالافتقار إليك، وبهذا ألمّ الشاعر بقوله:

ويعجبني فقري إليك ولم يكن ... ليعجبني لولا محبتك الفقرا

و الفقراء الموصوفون في الآية الثانية يقابلهم أصحاب الجدة، ومن ليس محصراً في سبيل الله ومن لا يكتم فقره ضعفاً فمقابلهم أكثر من مقابل الصنف الثاني، و الصنف الثاني يقابل أصحاب الجدة و يدخل فيهم المتضعف وغيره والمحصر وغيره، و الصنف الثالث لا مقابل لهم بل الله وحده الغني وكل ماسواه فقير إليه، و مراد المشايخ بالفقر شيء أخص من هذا كله وهو الافتقار إلى الله في كل حالة، وهذا المعنى أجل من أن يسمى فقراً بل هو حقيقة العبودية ولبّها و عزل النفس عن مزاحمة الربوبية كما تقدمت الإشارة إليه.

وأما الأخبار، في مدح الفقر فأكثر من أن تحصى: روى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أي الناس خير؟» فقالوا: موسر من المال يعطي حق الله في نفسه وماله. فقال: «نعم الرجل هذا وليس به» قالوا: فمن خير الناس يا رسول الله؟ قال: «فقير يعطي جهده». وقال ﷺ لبلال: «ألق الله فقيراً ولا تلقه غنياً». وقال ﷺ: «إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال». وفي الخبر المشهور: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائها بخمسمائة عام». وفي حديث آخر: «بأربعين

(**وأما الأخبار في مدح الفقر؛ فأكثر من تحصى**). منه (**ما روى عبدالله بن عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه. «أي الناس خير؟» قالوا**): رجل (**موسر**) أي صاحب مال (**يعطي حق الله في نفسه**) أي بأداء ما افترض الله عليه من الطاعات (**و ماله**) أي باخراج ما افترض عليه من الزكاة. (**قال**) ﷺ: (**«نعم الرجل هذا وليس به»**) أي ليس بالذي أريده (**قالوا: فمن خير الناس يا رسول الله؟ قال «فقير يعطي جهده»**) أي طاقته. قال صاحب القوت: رويناه عن إسماعيل بن عياش، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر. وقال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف مقتصراً على المرفوع منه دون سؤاله لأصحابه و سؤالهم له انتهى.

قلت: هكذا رواه أبو نعيم في الحلية، ومن طريقه الديلمي و لفظهما «مؤمن فقير يعطي جهده».

(**وقال ﷺ لبلال**) رضي الله عنه: (**«الق الله فقيراً ولا تلقه غنياً»**) قال العراقي: رواه الحاكم في كتاب علامات أهل التحقيق من حديث بلال، و رواه الطبراني من حديث أبي سعيد بلفظ «مت فقيراً ولا تمت غنياً» اهـ.

قلت: ظاهره أنه عند الطبراني من حديث أبي سعيد الخدري وليس كذلك، بل هو من رواية أبي سعيد الخدري عن بلال. هكذا رواه الطبراني و الحاكم جميعاً، و عندهما زيادة قال: و كيف لي يا رسول الله بذلك؟ قال: «إذا رزقت فلا تخبأ لغد، وإذا سئلت فلا تمنع» قال: و كيف لي بذلك؟ قال: «هو ذاك و إلا فالنار». و صححه الحاكم و تعقب. و روى الخطيب من حديث عائشة: «يا بلال رددت السائل وهذا التمر عندك إن أردت أن تلقى الله عز وجل وهو عنك راض فلا تخبأ شيئاً رزقته ولا تمنع شيئاً سئلته».

(**وقال ﷺ «إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال»**) رواه ابن ماجه من حديث عمران بن حصين وقد تقدم.

(**وفي الخبر المشهور «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام»**) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم. (**وفي حديث آخر «بأربعين خريفاً» أي أربعين**

خريفاً » أي أربعين سنة. فيكون المراد به تقدير تقدم الفقير الحريص على الغني الحريص، والتقدير بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقر يعرفك بالضرورة تفاوتاً بين الفقراء في درجاتهم، وكأن الفقير الحريص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد إذ هذه نسبة الأربعين إلى خمسمائة، ولا تظنن أن تقدير رسول الله ﷺ يجري على لسانه جزافاً وبالإتفاق، بل لا يستنطق ﷺ إلا بحقيقة الحق فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وهذا كقوله ﷺ: « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة ». فإنه تقدير تحقيق لا محالة ولكن ليس في قوة غيره أن يعرف علة تلك النسبة إلا

سنة). رواه مسلم من حديث عبدالله بن عمرو، ألا أنه قال: « فقراء المهاجرين ». و رواه الترمذي من حديث جابر و أنس وقد تقدم في ذم الدنيا. (**فيكون المراد به**) أي بأربعين خريفاً (**تقدير تقدم الفقير الحريص على الغني الحريص، و**) يكون (**التقدير بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب، وما ذكرناه**) آنفاً (**من اختلاف درجات الفقر يعرفك بالضرورة تفاوتاً بين الفقراء في درجاتهم، وكان الفقير الحريص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد إذ هذه نسبة الأربعين إلى خمسمائة، ولا تظنن أن تقدير رسول الله ﷺ يجري على لسانه جزافاً**) أي مجاناً (**و بالاتفاق**) من غير قصد نكتة أو فائدة، (**بل لا يستنطق ﷺ إلا بحقيقة الحق فإنه**) ﷺ (**لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وهذا**) بعينه (**كقوله ﷺ: « الرؤيا الصالحة جزء من ستة و أربعين جزءاً من النبوة »**) قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي سعيد، ورواه هو ومسلم من حديث أبي هريرة، وعبادة بن الصامت، وأنس بلفظ « رؤيا المؤمن جزء » الحديث وقد تقدم اهـ.

قلت: قوله: « جزء من ستة و أربعين جزءاً » هي الرواية المشهورة كما قاله النووي، وفي رواية لمسلم من حديث أبي هريرة أيضاً « من خمسة و أربعين ». و رواه ابن ماجه بلفظ « سبعين ». وفي حديث ابن عمر « جزء من سبعين جزءاً » وهو في صحيح مسلم وغيره. و قال ابن عبد البر لا يختلف في صحته. قال: وروي عن ابن عباس مرفوعاً مثله، و ذكر ابن عبد البر أيضاً من حديث ابن عمرو « من تسعة و أربعين جزءاً » و روي من حديث عبادة « من أربعة و أربعين » و روى ابن عباس عن العباس بن عبد المطلب مرفوعاً « من خمسين جزءاً » و روى ابن عبد البر من حديث أنس « من ستة و عشرين » ومن حديث أبي رزين العقيلي « من أربعين جزءاً » فهذه ثمان روايات أقلها ستة وعشرين وأكثرها سبعين، وأصحها و أشهرها ستة و أربعين. وهذه الروايات كلها مشهورة فلا سبيل إلى أخذ أحدها و طرح الباقي.

(**فإنه تقدير تحقيق لا محالة، ولكن ليس في قوة غيره أن يعرف علة تلك النسبة إلا**

بتخمين، فأما بالتحقيق فلا ، إذ يعلم أن النبوّة عبارة عما يختص به إلنبي ويفارق به غيره وهو يختص بأنواع من الخواص.

أحدها : أنه يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله وصفاته والملائكة والدار الآخرة لا كما يعلمه غيره بل مخالفاً له بكثرة المعلومات وبزيادة اليقين والتحقيق والكشف.

والثاني : أن له في نفسه صفة بها تتم له الأفعال الخارقة للعادات كما أن لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بإرادتنا وباختيارنا وهي القدرة وإن كانت القدرة والمقدور جميعاً من فعل الله تعالى.

والثالث: أن له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم كما أن للبصير صفة بها يفارق الأعمى حتى يدرك بها المبصرات.

والرابع : أن له صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب إما في اليقظة أو في المنام إذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى ما فيه من الغيب ، فهذه كمالات وصفات يعلم ثبوتها الأنبياء ويعلم انقسام كل واحد منها إلى أقسام ، وربما يمكننا أن نقسمها إلى أربعين وإلى خمسين وإلى ستين ، ويمكننا أيضاً أن نتكلف تقسيمها إلى ستة وأربعين بحيث تقع الرؤيا

بتخمين) وظن ، **(فأما بالتحقيق فلا)** إذ ليس في وسعه ذلك **(إذ يعلم أن النبوة عبارة عما يختص به النبي و يفارق به غيره)** فلا يشاركه فيه **(وهو يختص بانواع من الخواص)** .

(أحدها : أنه يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله) تعالى **(و صفاته)** وأفعاله **(والملائكة والدار الآخرة لا كما يعلمه غيره، بل مخالفة بكثرة المعلومات و بزيادة اليقين و التحقيق و الكشف .**

و الثاني أنه له في نفسه صفة بها تتم له الأفعال الخارقة للعادات، كما أن لنا صفة بها تتم الحركات المقرونة بارادتنا و اختيارنا وهي القدرة، وإن كانت القدرة و المقدور جميعاً من فعل الله تعالى) .

(و الثالث: أن له صفة بها يبصر الملائكة و يشاهدهم) عياناً في صورهم، **(كما أن للبصير صفة بها يفارق الأعمى حيث يدرك بها المبصرات)** .

(و الرابع: أن له صفة بها يدرك ما يكون في الغيب إما في اليقظة أو في المنام) أو فيما بينهما، **(إذ بها يطالع اللوح المحفوظ فيرى مافيه من الغيب، فهذه كمالات و صفات يعلم ثبوتها الانبياء و يعلم انقسام كل واحد منه إلى أقسام)** كثيرة، **(و ربما يمكننا أن نقسمها إلى أربعين وإلى خمسين وإلى ستين، و يمكننا أيضاً أن نتكلف تقسيمها إلى ستة و أربعين بحيث**

الصحيحة جزءاً واحداً من جملتها ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يمكن إلا بظن وتخمين فلا ندري تحقيقاً أنه الذي أراده رسول الله ﷺ أم لا . وإنما المعلوم مجامع الصفات التي بها تتم النبوّة وأصل انقسامها ، وذلك لا يرشدنا إلى معرفة علة التقدير ، فكذلك نعلم أن الفقراء لهم درجات كما سبق ، فأما لِمَ كان هذا الفقير الحريص مثلاً على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يبق له التقدم بأكثر من أربعين سنة إلى الجنة واقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام فليس في قوة البشر غير الأنبياء الوقوف على ذلك إلا بنوع من التخمين ولا وثوق به ، والغرض التنبيه على منهاج التقدير في أمثال هذه الأمور ، فإن الضعيف الإيمان قد يظن أن ذلك يجري من رسول الله ﷺ على سبيل الاتفاق ، وحاشا منصب النبوّة عن ذلك .

تقع الرؤيا الصحيحة) وفي نسخة الصادقة **(واحدة من جملتها)** بل و أكثر من الستة والأربعين ،وذلك لأن المراد من هذا الحديث أن المنام الصادق خصلة من خصال النبوة كما في الحديث الآخر « التؤدة والاقتصاد وحسن السمت جزء من ستة وعشرين جزءاً من النبوّة » أي النبـوّة ـ مجموع خصال مبلغ أجزائها ستة و عشرين هذه الثلاثة الأشياء جزء واحد منها ، وعلى مقتضى هذه التجزئة كل جزء من الستة و العشرين ثلاثة أجزاء في نفسه ، فإذا ضربنا ثلاثة في ستة و عشرين صَحَّ لنا أن عدد خصال النبوة من حيث آحادها ثمانية و سبعون ، و يصح أن يسمى كل اثنين من الثمانية و السبعين جزءاً خصلة ، فيكون جميعها بهذا الاعتبار تسعة و ثلاثين جزءاً ، و يصح أن يسمى كل أربعة منها جزءاً ، فيكون مجموع أجزائها بهذا الاعتبار تسعة عشر جزءاً و نصف جزء فتختلف أسماء العدد المجزأ بحسب اختلاف اعتبار الأجزاء ، وعلى هذا فلا يكون اختلاف أعداد أجزاء النبوة في أحاديث الرؤيا المذكورة اضطراباً ، وإنما هو اختلاف مقادير تلك الأجزاء المذكورة ، **(ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقسيمات الممكنة لا يكون إلا بظن وتخمين ولا ندري تحقيقاً أنه الذي أراده ﷺ أم لا ، وإنما المعلوم)** في الجملة **(مجامع الصفات التي بها تتم النبوة و أصل انقسامها ، وذلك لا يرشدنا إلى معرفة علة التقدير ، فكذلك نعلم أن الفقراء لهم درجات كما سبق)** قريباً ، **(فأما لم كان هذا الفقير الحريص مثلاً على نصف سدس درجة الفقير الزاهد حتى لم يقتض له التقدم بأكثر من أربعين سنة إلى الجنة و اقتضى ذلك التقدم بخمسمائة عام ، فليس في قوة أحد غير الأنبياء)** عليهم السلام **(الوقوف على ذلك)** بحقيقته **(إلا بنوع من التخمين ولا وثوق به ، و الغرض)** كله من سياق هذا الكلام **(التنبيه على منهاج التقدير في أمثال هذه الأمور)** الواردة في صحاح الأخبار ، **(فإن الضعيف الإيمان قد يظن أن ذلك يجري من رسول الله ﷺ على سبيل الاتفاق وحاشا منصب النبوة من ذلك)** ، بل كلامه كله حكم و فوائد و تلويحات عرفها من عرف و جهلها من جهل .

ولنرجع إلى نقل الأخبار فقد قال ﷺ أيضاً : « خير هذه الأمة فقراؤها وأسرعها تضجعاً في الجنة ضعفاؤها » ، وقال ﷺ : « إن لي حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني : الفقر والجهاد » . وروي أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول : أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهباً ، وتكون معك أينما كنت ، فأطرق رسول الله ﷺ ساعة ثم قال : « يا جبريل ، إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له » فقال له جبريل : يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت .

وروي أن المسيح ﷺ مرّ في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه وقال : يا نائم قم فاذكر الله تعالى ، فقال : ما تريد مني ؟ إني قد تركت الدنيا لأهلها ، فقال له : فنم إذاً يا حبيبي .

(ولنرجع إلى نقل الاخبار ؛ فقد قال ﷺ أيضاً « خير هذه الأمة فقراؤها وأسرعها تضجعاً) أي اضطجاعاً **(في الجنة ضعفاؤها »)** كذا في القوت . قال العراقي : لم أجد له أصلاً . **(وقال ﷺ : « إن لي حرفتين اثنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني : الفقر والجهاد »)** قال العراقي : لم أجد له أصلاً . **(وروي أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول : أتحب أن اجعل هذه الجبال ذهباً وتكون معك أينما كنت ؟ فأطرق رسول الله ﷺ ساعة ثم قال : « يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له » . فقال له جبريل : يا محمد ثبتك الله بالقول الثابت)** . قال العراقي : هذا ملفق من حديثين ، فروى الترمذي من حديث أبي أمامة « عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً . قلت : لا يا رب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً » الحديث . وقال : حسن . ولأحمد من حديث عائشة « الدنيا دار من لا دار له » الحديث وقد تقدم في ذم الدنيا اهـ .

قلت : وتمام حديث أبي أمامة عند الترمذي « فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك » وقد رواه كذلك أحمد وابن سعد والطبراني والبيهقي ، وحديث عائشة « الدنيا دار من لا دار له » رواه كذلك الشيرازي في الألقاب ، والبيهقي ، ورواه البيهقي أيضاً عن ابن مسعود موقوفاً عليه .

(روي أن المسيح عليه السلام مرّ في) أثناء **(سياحته)** في الأرض **(برجل نائم ملتف في عباءة)** له وهي كساء من صوف **(فأيقظه وقال له : يا نائم قم فاذكر الله تعالى . فقال : ما تريد مني إني قد تركت الدنيا لأهلها ؟ فقال له : فنم إذاً يا حبيبي)** نقله صاحب القوت .

ومرَّ موسى ﷺ برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بعباءة، فقال: يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى أما علمت أني إذا نظرت إلى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها.

وعن أبي رافع أنه قال: ورد على رسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه، فأرسلني إلى رجل من يهود خيبر وقال: قل له يقول لك محمد أسلفني أو بعني دقيقاً إلى هلال رجب» قال: فأتيته فقال: لا والله إلا برهن، فأخبرت رسول الله ﷺ بذلك فقال: «أما والله إني لأمين في أهل السماء أمين في أهل الأرض ولو باعني أو أسلفني لأديت إليه، اذهب بدرعي هذا إليه فارهنه، فلما خرجت نزلت هذه الآية: ﴿ولا تمدنَّ عينيْك إلى ما متَّعنا به أزواجاً مِنْهم زهرة الحياةِ الدُّنيا﴾ [طه: ١٣١] الآية. وهذه الآية تعزية لرسول الله ﷺ عن الدنيا، وقال ﷺ: «الفقر أزين بالمؤمن من

(ومرّ موسى عليه السلام برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو مؤتزر بعباءة) له، (فقال) موسى (يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع) نظراً إلى ظاهر حاله، (فأوحى الله إليه: يا موسى أما علمت أني إذا نظرت إلى عبد بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها) أي صرفتها عنه وضيقتها عليه. نقله صاحب القوت.

(وعن أبي رافع) مولى رسول الله ﷺ (أنه ورد على رسول الله ﷺ ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه) أي من قراه، (فأرسلني إلى رجل من اليهود) وهو أبو السحاء (وقال: «قل له يقول لك محمد) ﷺ اسلفني - أو قال - (بعني دقيقاً إلى هلال رجب» فقال) أبو رافع: (فاتيته) وقلت له ذلك، (فقال) اليهودي: (لا والله) لا أسلفه (إلا برهن) وثيق، فرجعت (فأخبرت رسول الله ﷺ فقال: «أما والله إني لأمين في أهل السماء أمين في أهل الأرض ولو باعني أو أسلفني لاديت إليه اذهب بدرعي هذا إليه فارهنه) عنده» (فلما خرجت) من عنده (نزلت هذه الآية ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة﴾ [طه: ١٣١] الآية. وهذه الآية تعزية لرسول الله ﷺ عن الدنيا). قال العراقي: رواه الطبراني بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن أبي شيبة، وابن راهويه، والبزار، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وأبو نعيم في المعرفة، وفيه «اذهب بدرعي الحديد» فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذهٔ الآية كأنه يعزيه عن الدنيا. وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان في قوله ﴿ولا تمدن عينيك﴾ الآية قال: تعزية لرسول الله ﷺ.

(وقال ﷺ: «الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس») قال العراقي:

العذار الحسن على خد الفرس ». وقال ﷺ : « من أصبح منكم معافى في جسمه آمناً في سربه عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ».

وقال كعب الأحبار ، قال الله تعالى لموسى عليه السلام : يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين.

وقال عطاء الخراساني : مر نبي من الأنبياء بساحل فإذا هو برجل يصطاد حيتاناً ، فقال بسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء ، ثم مر بآخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحيتان ما كان يتقاعس من كثرتها . فقال النبي ﷺ : يا رب ما هذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك ، فقال الله تعالى للملائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما ، فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذاك من الهوان قال : رضيت يا

رواه الطبراني من حديث شداد بن أوس بسند ضعيف ، والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم رواه ابن عدي في الكامل هكذا اهـ.

قلت : ورواه ابن المبارك في الزهد من حديث سعد بن مسعود بلفظ « للفقر أزين للمؤمن من العذار الجيد على خد الفرس ».

(وقال) ﷺ (« من أصبح منكم معافي في جسمه آمناً في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها ») رواه البخاري في الأدب ، والترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، والطبراني من حديث سلمة بن عبيد الله بن محصن الخطمي عن أبيه رفعه بلفظ : « من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا » وقد تقدم.

(وقال كعب الأحبار) رحمه الله تعالى ، **(قال الله تعالى لموسى عليه السلام : يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين)** ، وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته . رواه أبو نعيم في الحلية من قول كعب غير مرفوع باسناد ضعيف وقد تقدم.

(وقال عطاء الخراساني) ، وهو أبو عثمان عطاء بن أبي سليم واسم أبيه ميسرة ، وقيل عبد الله . صدوق مات سنة خمس وثلاثين ، روى له مسلم والأربعة ولم يصح أن البخاري أخرج له . **(مرّ نبي من الأنبياء بساحل)** أي ساحل البحر ، **(فإذا هو برجل يصطاد حيتاناً فقال : بسم الله وألقى الشبكة)** في الماء **(فلم يخرج منها)** حوت واحد ، **(ثم مرّ آخر فقال : باسم الشيطان وألقى الشبكة)** في الماء **(فخرج فيها من الحيتان ما يكاد لا يتقايس من كثرتها)** كذا في النسخ . ولفظ القوت : حتى جعل الرجل يتقاعس من كثرتها ، **(فقال)** ذلك **(النبي عليه السلام : يا رب ما هذا وقد علمت أن كل هذا بيدك؟ فقال الله تعالى للملائكة : اكشفوا لعبدي عن منزلتيهما)** عندي فكشفوا له عنهما ، **(فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة**

رب. وقال نبينا ﷺ: « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، وأطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء »، وفي لفظ آخر: « فقلت أين الأغنياء؟ فقيل حبسهم الجد »، وفي حديث آخر: « فرأيت أكثر أهل النار النساء فقلت ما شأنهم؟ فقيل شغلهن الاحمران الذهب والزعفران »، وقال ﷺ: « تحفة المؤمن في الدنيا الفقر »، وفي

ولذاك من الهوان قال: رضيت يا رب) نقله صاحب القوت. **(وقال نبينا ﷺ: « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، وأطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء » وفي لفظ: فقلت أين الأغنياء؟ فقيل: حبسهم الجد)**. قال العراقي: رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو باسناد جيد، وللشيخين من حديث اسامة بن زيد: « قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين وإذا أصحاب الجد محبوسرن » اهـ.

قلت: وتمام حديث أسامة « إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامة من يدخلها النساء » وهكذا رواه أيضاً أحمد والنسائي والحرث وأبو عوانة وابن حبان وأبو نعيم في المعرفة.

(وفي حديث آخر « فرأيت أكثر أهل النار النساء ») روي ذلك من حديث اسامة وابن عباس وعمران بن الحصين والأضبط السلمي وابن عمرو.

أما حديث أسامة فرواه الشيخان وقد ذكر قبل هذا.

وحديث ابن عباس رواه الطيالسي وأحمد وهناد ومسلم والترمذي ولفظهم: « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء ». ورواه الطبراني وزاد « والمساكين ».

وحديث عمران رواه أحمد والبخاري والترمذي باللفظ المذكور، ورواه الطبراني وزاد « والضعفاء ».

وحديث الأضبط رواه ابن منده وأبو نعيم في المعرفة عن عبد الرحمن بن حارثة بن الاضبط عن جده باللفظ المذكور.

وحديث ابن عمرو رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بلفظ « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء **(فقلت: ما شأنهن؟ فقال: « شغلهن الأحمران الذهب والزعفران »)** والحديث بهذه الزيادة قد تقدم في كتاب آداب النكاح.

(وقال ﷺ « تحفة المؤمن في الدنيا الفقر ») قال العراقي: رواه محمد بن خفيف الشيروزي في شرف الفقراء والديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ ابن جبل بسند لا بأس به، ورواه الديلمي أيضاً من حديث ابن عمر بسند ضعيف.

الخبر: «آخر الأنبياء دخولاً الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولاً الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه»، وفي حديث آخر: «رأيته دخل الجنة زحفاً».

وقال المسيح ﷺ: بشدة يدخل الغني الجنة.

وفي خبر آخر عن أهل البيت رضي الله عنهم أنه ﷺ قال: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه، فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه. قيل: وما اقتناه؟ قال: لم يترك له أهلاً ولا مالاً».

وفي الخبر إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته».

(وفي الخبر «آخر الأنبياء دخولاً الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه، وآخر أصحابي دخولاً الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه») تقدم. وقال العراقي: هو في الأوسط للطبراني باسناد فرد وفيه نكارة. **(وفي حديث آخر رأيته)** يعني عبد الرحمن بن عوف **(دخل الجنة زحفاً)** رواه أحمد والطبراني من حديث عائشة بلفظ «حبوا» بدل «زحفا». ورواه أبو نعيم عن الطبراني وقد تقدم، ورواه الفريابي من طريق عطاء بن رباح، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال له: «يا ابن عوف إنك من الاغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفاً» الحديث وقد تقدم، ورواه أحمد من طريقه.

(وقال المسيح عليه السلام) وقد قال له رجل احملني معك في سياحتك فقال: اخرج مالك والحقني. قال: لا أستطيع. فقال عليه السلام: **(بشدة يدخل الغني الجنة)** أو قال بعجب كذا في القوت.

(وفي خبر عن آل البيت عليهم السلام أنه ﷺ قال: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه» قيل: وما اقتناه؟ قال «لم يترك له أهلاً ولا مالاً») قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أبي عنبسة الخولاني اهـ.

قلت: لفظ الطبراني في الكبير وفي الأوسط «لا يترك مالاً ولا ولداً» ورواه أبو نعيم في الحلية، والديلمي من طريقه من حديث ابن مسعود: «إذا أحب الله عبداً اقتناه لنفسه ولم يشغله بزوجة ولا ولد» وسياق المصنف مشعر بأنه من رواية جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن جده عن أبيه عن النبي ﷺ، وهكذا هو في نهج البلاغة للشريف الموسوي.

(وفي الخبر «إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنب عجلت عقوبته») قال العراقي: رواه الديلمي في مسنده الفردوس من رواية مكحول عن أبي الدراء ولم يسمع منه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوحى الله إلى موسى عليه السلام

وقال موسى عليه السلام: يا رب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك؟ فقال: كل فقير فقير، فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد، ويمكن أن يراد به الشديد الضر.

وقال المسيح صلوات الله عليه وسلامه: إني لأحب المسكنة وأبغض النعماء، وكان أحب الأسامي إليه صلوات الله عليه أن يقال له يا مسكين. ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي ﷺ: «اجعل لنا يوماً ولهم يوماً يجيئون إليك ولا نجيء، ونجيء إليك ولا يجيئون، يعنون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين أجابهم النبي ﷺ إلى ذلك، وذلك لأنهم شكوا إليه التأذي برائحتهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر، فإذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم، فاشتد ذلك على الأغنياء

يا موسى» فذكره بزيادة في أوله، ورواه أبو نعيم في الحلية من قول كعب الأحبار غير مرفوع باسناد ضعيف اهـ.

قلت: قول كعب قد تقدم للمصنف قريباً. وأما المرفوع من حديث أبي الدرداء، فقد رواه الديلمي بلفظ «أوحى الله إلى موسى بن عمران يا موسى إرضَ بكسرة خبز تسدّ بها جوعتك وخرقة تواري بها عورتك واصبر على المصيبات، وإذا رأيت الدنيا مقبلة فقل انا لله وإنا إليه راجعون، وإذا رأيت الدنيا مدبرة والفقر مقبلاً، فقل مرحباً بشعار الصالحين. ورواه كذلك أبو عثمان الصابوني في المائتين وقد تقدم أيضاً.

(**وقال موسى عليه السلام: يا رب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك؟ قال: كل فقير فقير**) نقله صاحب القوت، (**فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد، ويمكن أن يراد به الشديد الضر**) فإن الفقير في اللغة من يشكو فقار ظهره، وروى الدارقطني في الأفراد، وابن عساكر من حديث عمر قال موسى: يا رب وددت أني أعلم من تحب من عبادك فأحبه. قال: إذا رأيت عبدي يكثر ذكري فأنا أذنت له في ذلك، وإذا رأيت عبدي لا يذكرني فأنا حجبته عن ذلك وأنا أبغضه.

(**وقال المسيح عليه السلام «إني لأحب المسكنة وأبغض النعماء»**) ولفظ القوت: الغنى وإن في المال داء كبيراً. قيل: (**وكان أحب الأسامي إليه أن يقال له: يا مسكين**) نقله صاحب القوت، (**ولما قالت سادات العرب وأغنياؤهم للنبي ﷺ: اجعل لنا يوماً ولهم يوماً يجيئون إليك ولا نجيء، ونجيء إليك ولا يجيئون يعنون بذلك الفقراء**) من الصحابة (**مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبي هريرة، وأصحاب الصفة من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين، فأجابهم النبي ﷺ إلى ذلك، وذلك لانهم شكوا إليه التأذي برائحتهم، وكان لباس القوم الصوف شدة الحر، فإذا عرقوا فاحت الروائح من**

منهم الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم، فأجابهم رسول الله ﷺ أن لا يجمعهم وإياهم مجلس واحد، فنزل عليه قوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم﴾، يعني الفقراء ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ يعني الأغنياء، ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ يعني الأغنياء ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف: ٢٨ - ٢٩] الآية.

ثيابهم فاشتد ذلك على الأغنياء منهم: الاقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن) حصن بن (**بدر الفزاري، وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم. فأجابهم رسول الله ﷺ أن لا يجمعهم وإياهم مجلس واحد، فنزل عليه قوله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم﴾ يعني الفقراء ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ يعني الأغنياء ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ يعني الأغنياء ﴿وقل الحق من ربكم﴾ مع الفقراء ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ الآية)** قال العراقي: تقدم من حديث خباب، وليس فيه أنه كان لباسهم الصوف وتفوح ريحهم إذا عرقوا، وهذه الزيادة من حديث سلمان اهـ.

قلت: أما حديث سلمان، فرواه الحسن بن سفيان في مسنده، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من طريق سلمة بن عبد الله عن عمه عن سلمان قال: جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ عيينه بن حصن والأقرع بن حابس وذووهم فقالوا: يا رسول الله إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم. يعنون أبا ذر وسلمان وفقراء المسلمين، وكان عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك، فانزل الله: ﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك﴾ إلى قوله ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ [الكهف: ٢٧ - ٢٩] يتهددهم بالنار، فقام نبي الله ﷺ يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكر الله فقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم المهات».

وأما حديث خباب؛ فرواه أبو بكر بن أبي شيبة، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي الكنود عن خباب قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري، فوجد النبي ﷺ قاعداً مع بلال وعمار وصهيب وخباب في إناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حقروهم فخلوا به، فقالوا: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي إن ترانا العرب قعوداً مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك فاقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعدهم إن شئت. قال: نعم. قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً فدعا بالصحيفة ليكتب لهم ودعا علياً ليكتب، فلما أراد ذلك ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل عليه السلام فقال: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة﴾ إلى قوله ﴿من الظالمين﴾ [الأنعام: ٥٢] ثم ذكر

واستأذن ابن أم مكتوم على النبي ﷺ وعنده رجل من أشراف قريش، فشق ذلك على النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وتولّى ★ أن جاءه الأعمى ★ وما يدريك لعله يَزَّكَّى ★ أو يَذَّكَّرُ فتنفعه الذكرى﴾ يعني ابن أم مكتوم ﴿أما من استغنى فأنت له تصدَّى﴾ [عبس: ١ - ٦] يعني هذا الشريف.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله تعالى إليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا، فيقول: وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة، أخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف، فمن أطعمك في أو كساك في يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك، والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ بيده ويدخله الجنة».

الأقرع وصاحبه فقال ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾ إلى ﴿الشاكرين﴾ [الانعام: ٥٣] ثم قال ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون﴾ [الأنعام: ٥٤] الآية. فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة ودعانا فأتيناه وهو يقول «سلام عليكم» فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبه الحديث. وقد رواه كذلك ابن ماجه، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل.

(واستأذن) عبد الله (ابن أم مكتوم) الاعمى رضي الله عنه (على النبي ﷺ) يوماً (وعنده رجل من أشراف قريش، فشق ذلك على النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿عبس وتولى ★ أن جاءه الأعمى ★ وما يدريك لعله يزكي ★ أو يذّكر فتنفعه الذكرى﴾ يعني ابن أم مكتوم ﴿اما من استغنى ★ فأنت له تصدّى﴾ يعني هذا الشريف) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عائشة وقال: غريب. قلت: ورجاله رجال الصحيح اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن المنذر وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه ولفظهم قالت عائشة: أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أنشدني وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: «أترى بما أقول بأساً»؟ فيقول: لا. ففي هذا أنزلت، والمراد بذلك الشريف أمية بن خلف كما وقع التصريح به عند سعيد بن منصور عن أبي مالك.

(وعن النبي ﷺ أنه قال: «يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله إليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول: وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك عليّ ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف فمن أطعمك فيّ أو كساك فيّ يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس قد ألجمهم العرق، فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذه بيده ويدخله الجنة») قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب

وقال عليه الصلاة والسلام: « أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي فإن لهم دولة » قالوا: يا رسول الله، وما دولتهم؟ قال: إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوباً فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة »، وقال

من حديث أنس بسند ضعيف « يقول الله عز وجل يوم القيامة ادنوا مني أحبائي، فتقول الملائكة ومن أحباؤك؟ فيقول: فقراء المسلمين فيدنون منه فيقول: أما أنـي لم أزو الدنيا عنكم لهوان كان بكم عليّ ولكن أردت بذلك أن أضعف لكم كرامتي اليوم فتمنوا عليّ ما شئتم اليوم » الحديث دون آخر الحديث، وأما أوّل الحديث، فرواه أبو نعيم في الحلية وسيأتي في الحديث الذي بعده اهـ.

قلت: وتمام حديث أنس عند أبي الشيخ « فيؤمر بهم إلى الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً ».

(وقال ﷺ: « أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي فإن لهم دولة » قالوا: يا رسول الله وما دولتهم؟ قال « إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم كسرة وسقاكم شربة أو كساهم ثوباً فخذوا بيده ثم أفيضوا به إلى الجنة ») قال العراقي: رواه أبو نعيم من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف « اتخذوا عند الفقراء ايادي فإن لهم دولة يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ سيروا إلى الفقراء فيعتذر إليهم كما يعتذر أحدكم إلى أخيه في الدنيا » اهـ.

وفي المقاصد للحافظ السخاوي: رواه أبو نعيم في ترجمة وهب بن منبه من الحلية، كما عزاه الديلمي ثم العراقي في تخريج الاحياء عن الحسين بن علي، ولم أره في النسخة التي عندي. وقال شيخنا: إنه لا أصل له. نعم في الحلية من حديث إبراهيم بن فارس عن وهب ومن قوله « اتخذوا اليد عن المساكين فإن لهم يوم القيامة دولة » وفي قضاء الحوائج لأبي النرسي بسند فيه مجاهيل عن أبي عبد الرحمن السلمي التابعي رفعه مرسلاً « اتخذوا عند الفقراء أيادي فإن لهم دولة » قيل: يا رسول الله وما دولتهم؟ قال: « ينادي منادٍ يوم القيامة يا معشر الفقراء قوموا فلا يبقى فقير إلا قام حتى إذا اجتمعوا قيل ادخلوا في صفوف أهل القيامة فمن صنع إليكم معروفاً فاوردوه الجنة » قال: « فجعل يجتمع على الرجل كذا وكذا من الناس فيقول له الرجل: ألم أكسك فيصدقه، فيقول له الآخر ألم أكسك فيصدقه، فيقول له الآخر يا فلان ألم أكلم لك »؟ قال: « ولا يزالون يخبرونه بما صنعوا إليه وهو يصدقهم بما صنعوا إليه حتى يذهب بهم جميعاً فيدخلهم الجنة ». فيقول قوم لم يكونوا يصنعون المعروف: يا ليتنا كنا نصنع المعروف حتى ندخل الجنة. وبسند واهٍ عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رفعه « إن للمساكين دولة » قيل: يا رسول الله وما دولتهم؟ قال « إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا من أطعمكم في الله تعالى لقمة أو كساكم ثوباً أو سقاكم شربة فادخلوه الجنة » اهـ.

قلت: حديث ابن عباس هذا رواه ابن عدي في الكامل وقال منكر، وابن عساكر في التاريخ من طريق ميمون بن مهران. وروى ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، والخطيب من حديث أنس

ﷺ: « دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال، ونظرت في أعلاها فإذا فقراء أمتي وأولادهم، ونظرت في أسفلها فإذا فيه من الأغنياء والنساء قليل، فقلت يا رب ما شأنهم؟ قال أما النساء فأضرّ بهنّ الأحمران الذهب والحرير، وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب، وتفقدت أصحابي فلم أرَ عبد الرحمن بن عوف، ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت: ما خلفك عني؟ قال: يا رسول الله والله ما وصلت إليك حتى لقيت المشيبات وظننت إني لا أراك، فقلت: ولِمَ؟ قال: كنت أحاسب بمالي؟ »، فانظر

« إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الجنة وأهل النار صفوفاً فينظر الرجل من صفوف أهل النار إلى الرجل من صفوف أهل الجنة فيقول: يا فلان أما تذكر يوم اصطنعت إليك في الدنيا معروفاً، فيأخذ بيده فيقول: اللهم هذا اصطنع إلي في الدنيا معروفاً فيقال له خذ بيده فادخله الجنة برحمة الله ».

(وقال ﷺ: « دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فنظرت فإذا بلال، ونظرت في أعلاها فإذا فقراء أمتي وأولادهم، ونظرت في أسفلها فإذا فيهم من الأغنياء والنساء قليل قلت: يا رب ما شأنهم؟ قال: أما النساء فأضرهم الأحمران الذهب والحرير) وفي لفظ « الزعفران » بدل « الحرير » (وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب، وتفقدت أصحابي فلم أر عبد الرحمن بن عوف، ثم جاءني بعد ذلك يبكي فقلت: ما خلفك عني؟ قال: يا رسول الله أما والله ما وصلت إليك حتى لقيت المشيبات) أي الأمور التي تشيب من شدتها (وظننت أني لا أراك. فقلت: ولم؟ قال: كنت أحاسب بمالي ») قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف نحوه، وقصة بلال في الصحيح من طريق آخر اهـ.

قلت: لفظ الطبراني « دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي قلت ما هذه الخشفة؟ فقيل: هذا بلال يمشي أمامك ». ورواه كذلك ابن عدي، وابن عساكر، وفي رواية لابن عساكر: « دخلت الجنة فرأيت خشخة أمامي فقلت: من هذا؟ قال: أنا بلال. قلت: بم سبقتني إلى الجنة؟ قال: ما أحدثت إلا توضأت وما توضأت إلا رأيت أن لله عليّ ركعتين ». وقد رواه الروياني كذلك. وقد روي ذلك من حديث جابر وابن عباس وسهل بن سعد.

أما حديث جابر فلفظه « دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي قلت: ما هذه الخشفة؟ فقيل: هذا بلال. فقلت: طوبى لبلال طوبى لبلال » رواه الطيالسي، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر.

وأما حديث ابن عباس فلفظه « دخلت الجنة ليلة أسري بي فسمعت في جانبها وخشاً فقلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا بلال المؤذن ». رواه أحمد وأبو يعلى وابن عساكر.

وأما حديث سهل بن سعد فلفظه « دخلت الجنة فإذا حس فنظرت فإذا هو بلال ». رواه أحمد والطبراني وابن عساكر. ورواه صاحب الحلية من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي

إلى هذا وعبد الرحمن صاحب السابقة العظيمة مع رسول الله ﷺ وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من أهل الجنة، وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «إلا من قال بالمال هكذا وهكذا»، ومع هذا فقد استضر بالغنى إلى هذا الحد.

ودخل رسول الله ﷺ على رجل فقير فلم ير له شيئاً فقال: «لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم».

وقال ﷺ: «ألا أخبركم بملوك أهل الجنة؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره».

أوفى أن رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن عوف: «ما أبطأ بك عني؟ فقلت: ما زلت بعدك أحاسب وإنما ذلك لكثرة مالي فقال: هذه مائة راحلة جاءتني من مصر وهي صدقة على أرامل أهل المدينة».

(فانظر إلى هذا وعبد الرحمن) بن عوف رضي الله عنه **(صاحب السابقة العظيمة)** فإنه هاجر الهجرتين وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها **(مع رسول الله ﷺ، وهو من العشرة المخصوصين بأنهم من أهل الجنة)** رواه أصحاب السنن الأربعة من حديث سعيد بن زيد. قال الترمذي: حسن صحيح ولفظهم: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة. وقد رواه كذلك ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن منيع، وابن أبي عاصم، وأبو نعيم في الحلية والضياء. ورواه أيضاً أحمد والترمذي وأبو نعيم في المعرفة، وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده. **(وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «إلا من قال بالمال هكذا وهكذا»)** متفق عليه من حديث أبي ذر في أثناء حديث تقدم. **(ومع هذا فقد استضر بالغنى إلى هذا الحد)**.

(ودخل ﷺ على رجل فقير ولم ير له شيئاً فقال «لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم»). قال العراقي: لم أجده.

(وقال ﷺ: «ألا أخبركم بملوك أهل الجنة»؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال «كل ضعيف مستضعف أغبر أشعث ذي طمرين لو أقسم على الله لأبرّه») قال العراقي: متفق عليه من حديث حارثة بن وهب مختصراً، ولم يقولا ملوك، وقد تقدم ولابن ماجه بسند جيد من حديث معاذ «ألا أخبركم عن ملوك الجنة» الحديث دون قوله أغبر أشعث.

وقال عمران بن حصين: كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة وجاه، فقال: «يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاهاً، فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة، فقرع الباب وقال: «السلام عليكم أأدخل؟» فقالت: ادخل يا رسول الله. قال: «أنا ومن معي؟» قالت: ومن معك يا رسول الله؟ قال: «عمران» فقالت فاطمة: والذي بعثك بالحق نبياً ما علي إلا عباءة. قال: «اصنعي بها هكذا وهكذا» وأشار بيده، فقالت: هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي؟ فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال: «شدي بها على رأسك، ثم أذنت له فدخل فقال: السلام عليكم يا ابنتاه، كيف أصبحت؟ قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعاً على ما بي إني لست أقدر على طعام آكله فقد أضربي الجوع، فبكى رسول الله ﷺ وقال: «لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاماً منذ ثلاث، وإني لأكرم على الله منك، ولو سألت ربي لأطعمني ولكني آثرت الآخرة على الدنيا» ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها: «أبشري فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة» قالت: فأين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران؟ قال: آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك، إنكن في بيوت من قصب لا أذى فيها ولا

(وقال عمران بن الحصين) رضي الله عنه: **(كانت لي من رسول الله ﷺ منزلة وجاه فقال: يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاهاً فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم بأبي أنت وأمي فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب وقال: «السلام عليكم أدخل؟» قالت: أدخل بأبي أنت وأمي يا رسول الله. قال: «أنا ومن معي» . قالت: ومن معك يا رسول الله؟ قال «عمران» . قالت فاطمة: والذي بعثك بالحق نبياً ما عليَّ إلا عباءة. قال «اصنعي بها هكذا وهكذا» وأشار بيده، قالت: هذا جسدي قد واريته فكيف برأسي؟ فألقى إليها ملاءة كانت عليه خلقة فقال: «شدي بها رأسك» ثم أذنت له فدخل فقال: «السلام عليكم يا ابنتاه كيف أصبحت»؟ قالت: أصبحت والله وجعة وزادني وجعاً على ما بي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أضرّ بي الجوع، فبكى رسول الله وقال: «لا تجزعي يا ابنتاه فوالله ما ذقت طعاماً منذ ثلاث وأني لأكرم على الله منك ولو سألت ربي لأطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها: ابشري فوالله انك لسيدة نساء أهل الجنة» قالت: فأين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران؟ قال «آسية سيدة نساء عالمها، ومريم سيدة نساء عالمها، وخديجة سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك إنكن في بيوت من قصب لا أذى فيها**

صخب ولا نصب » ثم قال لها : اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوّجتك سيداً في الدنيا سيداً في الآخرة » .

وروي عن علي كرّم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جميع الدراهم رماهم الله بأربع خصال : بالقحط من الزمان ، والجور من السلطان والخيانة من ولاة الأحكام ، والشوكة من الأعداء » .

وأما الآثار ، فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه : ذو الدرهمين أشد حبساً أو قال أشد حساباً من ذي الدرهم . وأرسل عمر رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر بألف دينار ، فجاء حزيناً كئيباً فقالت امرأته : أحدث أمر ؟ قال : أشد من ذلك ، ثم قال : أريني

ولا صحب ولا نصب» ثم قال لها «اقنعي بابن عمك فوالله لقد زوّجتك سيداً في الدنيا سيداً في الآخرة») تقدم هذا بعينه في آخر كتاب ذم البخل وحب المال . وذكر العراقي هناك أنه رواه أحمد من حديث معقل بن يسار ولم يروه من حديث عمران بن حصين .

(وروي عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أبغض الناس فقراءهم وأظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع الدراهم رماهم الله بأربع خصال : بالقحط من الزمان ، والجور من السلطان ، والخيانة من ولاة الأحكام ، والشوكة من الأعداء ») قال العراقي : رواه الديلمي باسناد فيه جهالة وهو منكر اهـ .

قلت : ورواه أيضاً الحاكم وصححه وتعقب بلفظ : « إذا أبغض المسلمون علماءهم وأظهروا عمارة أسواقهم وتألبوا على جمع الدراهم » الحديث وفيه والوصلة من العدو .

(وأما الآثار) ؛ فقد **(قال أبو الدرداء)** رضي الله عنه : كذا في النسخ والصواب أبو ذر **(ذو الدرهمين أشد حبساً أو)** قال **(أشد حساباً من ذي الدرهم)** الواحد . رواه أحمد في الزهد ، عن يحيى بن سعيد ، حدثني سليمان ، عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه عن أبي ذر قال : ذو الدرهمين أشد حساباً من ذي درهم .

(وأرسل عمر رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر) بن خديم الجمحي رضي الله عنه **(بألف دينار)** وفي رواية بأربعمائة دينار ، **(فجاء حزيناً كئيباً فقالت إمرأته)** : ما شأنك مات أمير المؤمنين؟ قال : أعظم من ذلك . قالت : **(أحدث)** في الإسلام **(أمر؟ قال : أشد من ذلك)** . قالت : فما هو ؟ قال : أتتني الدنيا قد كنت مع رسول الله ﷺ فلم تفتح الدنيا علي وخلفت في أيام أبي بكر فلم تفتح علي ، وخلفت في أيام عمر إلا وأشد أيامي أيام عمر ، **(ثم)** حدثها فقالت : نفسي فداؤك فاصنع بها ما بدا لك . **(قال)** : أتساعديني على ما أريد ؟ قالت : نعم . قال : **(أرني**

درعك الخلق فشقه وجعله صرراً وفرقه، ثم قام يصلي ويبكي إلى الغداة، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، حتى ان الرجل من الأغنياء يدخل غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج». وقال أبو هريرة: ثلاثة

درعك الخلق فشقه وجعله صرراً وفرقه) على جيش من المسلمين خرجوا يريدون الغزو ولم يترك لأهله منها ديناراً فقالت له امرأته: لو حبست منها ما تستعين به. فقال لها: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وإن امرأة من أهل الجنة أشرفت إلى الأرض» الحديث وفيه: «والله ما كنت لاختارك عليهن فكنت» ورواه مالك بن دينار عن شهر بن حوشب قال فيه: **(ثم قام يصلي ويبكي إلى الغداة ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى أن الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده ويخرج»)**
قال العراقي: روى أحمد القصة الموقوفة دون المرفوع، فرواه الطبراني دون القصة إلا أنه قال «بسبعين عاماً» وفي إسناده يزيد بن أبي زياد تكلم فيه. وفي رواية له بأربعين سنة، وأما دخولهم قبلهم بخمسمائة عام فهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه وتقدم قريباً اهـ.

قلت: لفظ الطبراني، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل، حدثنا مسعود بن سعد، حدثنا يزيد بن أبي زياد، عن عبد الرحمن بن سابط الجمحي قال: دعا عمر بن الخطاب رجلاً من بني جمح يقال له سعيد بن عامر بن خديم فقال له: إني مستعملك على أرض كذا وكذا، فساق الحديث وفيه: وما أنا بمتخلف عن العنق الأول بعد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول «يجمع الله الناس للحساب فيجيء فقراء المؤمنين يزفون كما تزف الحمام فيقال لهم: قفوا عند الحساب، فيقولون: ما عندنا حساب ولا أتيتمونا شيئاً. فيقول ربهم: صدق عبادي فيفتح لهم باب الجنة فيدخلونها قبل الناس بسبعين عاماً».

ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق جرير، حدثنا يزيد بن أبي زياد، ورواه من طريق أبي معاوية عن موسى الصغير عن عبد الرحمن بن سابط وفيه: فبلغ عمر أنه يمر به كذا وكذا لا يدخن في بيته فأرسل إليه عمر بمال فأخذه فصره صرراً فتصدق به يميناً وشمالاً الحديث. ورواه أبو نعيم أيضاً من طريق خالد بن معدان قال: استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر بن خديم الجمحي فساق الحديث وفيه: فبعث إليه عمر بألف دينار وقال: استعن بها على أمرك، فقالت امرأته الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك. فقال لها: فهل لك في خير من ذلك ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها؟ قالت: نعم فدعا رجلاً من أهله يثق به فصررها صرراً ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى يتيم آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى مبتلى آل فلان، فبقيت منها ذهبية فقال: انفقي هذه ثم عاد إلى عمله. وروي المرفوع من حديث سعيد بن عامر الحكيم الترمذي في النوادر «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة سنة حتى أن الرجل من الأغنياء ليدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيستخرج».

يدخلون الجنة بغير حساب: رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه، ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين، ورجل دعا بشرابه فلا يقال له أيها تريد.

وقيل: جاء فقير إلى مجلس الثوري رحمه الله فقال له: تخط، لو كنت غنياً لما قربتك، وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه للفقراء وأعراضه عن الأغنياء. وقال المؤمل: ما رأيت الغني أذل منه في مجلس الثوري، ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله.

وقال بعض الحكماء: مسكين ابن آدم لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً، ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعاً، ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعاً.

وقال ابن عباس: ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر.

وقال لقمان عليه السلام لابنه لا تحقرن أحد الخلقان ثيابه فإن ربك وربه واحد.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب: رجل يريد أن يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه، ورجل لم ينصب على مستوقد قدرين، ورجل دعا بشرابه فلا يقال أيها تريد)**، وهذا قد رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي سعيد، وفيه رجل غسل ثيابه فلم يجد له خلفاً، ورجل لم ينصب على مستوقده قدران، ورجل دعا بشراب فلم يقل له أيها تريد.

(وقيل: جاء فقير إلى مجلس) سفيان **(الثوري)** رحمه الله تعالى **(فقال له)** الثوري: **(تخط لو كنت غنياً لما قربتك)** رواه أبو نعيم في الحلية، **(وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم فقراء لكثرة تقريبه للفقير وإعراضه عن الأغنياء)** رواه أبو نعيم في الحلية. **(وقال المؤمل)** بن إسماعيل البصري أبو عبد الرحمن نزيل مكة: **(ما رأيت الغني أذل منه في مجلس الثورى ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري)** رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال بعض الحكماء: مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر لنجا منهما جميعاً، ولو رغب في الجنة كما يرغب في الغنى لفاز بهما جميعاً، ولو خاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين جميعاً) نقله صاحب القوت وقد تقدم نحوه في كتاب الخوف.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنهما: **(ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر)**.

(وقال لقمان عليه السلام لابنه) وهو يعظه **(يا بني لا تحقرن أحد الخلقان ثيابه فإن ربك وربه واحد)**.

وقال يحي بن معاذ: حبك الفقراء من أخلاق المرسلين، وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين، وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين.

وفي الأخبار عن الكتب السالفة: أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام: إحذر أن أمقتك فتسقط عن عيني فاصب عليك الدنيا صباً.

ولقد كانت عائشة رضي الله تعالى عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد يوجهها إليها معاوية وابن عامر وغيرهما، وإن درعهالمرقوع، وتقول لها الجارية: لو اشتريت لك بدرهم لحماً تفطرين عليه! وكانت صائمة، فقالت: لو ذكرتيني لفعلت، وكان قد أوصاها رسول الله ﷺ وقال: «إن أردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء، وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعي درعك حتى ترقعيه».

وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم، فأبى عليه أن يقبلها، فألح

(**وقال يحي بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالى: (**حبك للفقراء من أخلاق المرسلين وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين**) نقله صا :ب القوت.

(**وفي الأخبار عن الكتب السالفة أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه احذر ان أمقتك فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صباً**) نقله صاحب القوت.

(**ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد يوجهها إليها معاوية**) بن أبي سفيان (**وابن عامر**) عبد الله (**وغيرهما، وأن درعها لمرقوع، وتقول لها الجارية: لو اشتريت لك بدرهم لحماً تفطرين عليه وكانت صائمة فقالت: لو ذكرتيني لفعلت**) تقدم وأن الذي أرسل إليها مائة ألف درهم هو عبدالله بن الزبير وأن الجارية هي مولاتها أم درة، (**وكان قد أوصاها رسول الله ﷺ وقال: «ان أردت اللحوق بي فعليك بعيش الفقراء وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعي درعك حتى ترقعيه»**) قال العراقي: رواه الترمذي وقال غريب والحاكم وصححه نحوه من حديثها اهـ.

قلت: لفظ الحاكم «إن أردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلقي ثوباً حتى ترقعيه». وقد رواه البيهقي كذلك.

(**وجاء رجل إلى إبراهيم**) بن أدهم رحمه الله تعالى (**بعشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبلها فألح عليه الرجل فقال له إبراهيم: أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة**

عليه الرجل، فقال له ابراهيم: أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم؟ لا أفعل ذلك أبداً رضي الله عنه.

بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقانعين والصادقين:

قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن هدي إلى الإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به»، وقال ﷺ: «يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا»، فالأول القانع وهذا الراضي، ويكاد يشعر هذا بمفهومه: أن الحريص لا ثواب له على فقره ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثواباً كما سيأتي تحقيقه فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله في حبس الدنيا عنه، ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله، فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر.

آلاف درهم لا أفعل ذلك أبداً) رواه القشيري في الرسالة بلفظ: إن رجلاً أتى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها وقال: تريد أن تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل، والله الموفق.

بيان فضل خصوص الفقراء من الراضين القانعين والصابرين:

وفي نسخة: والصادقين.

(**قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن هدي للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به»**) رواه ابن المبارك في الزهد، والترمذي وقال: صحيح، والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث فضالة بن عبيد وقد تقدم. وروى البيهقي من حديث أبي الحويرث، والديلمي من حديث عبد الله بن حنطب بن الحرث: «طوبى لمن رزقه الله الكفاف ثم صبر عليه». (**وقال ﷺ: «يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلاَّ فلا»**) قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو ضعيف جداً، وأحمد بن الحسن بن أبان المضري متهم بالكذب ووضع الحديث اهـ.

قلت: وهو بضم الميم وفتح الضاد المعجمة ويعرف بالابلي، وقد روى عن أبي عاصم قال الدارقطني: كذاب.

(**فالأول القانع وهذا**) وفي نسخة والثاني (**الراضي ويكاد يشعر هذا بمفهومه بان الحريص**) الذي هو أحد أقسام الفقير (**لا ثواب له على فقره، ولكن العمومات الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثواباً كما سيأتي تحقيقه**) قريباً. (**فلعل المراد بعدم الرضا هو الكراهة لفعل الله تعالى في حبس الدنيا عنه، ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه إنكار على الله تعالى ولا كراهة في فعله فتلك الكراهة هي التي تحبط ثواب الفقر.**)

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « إن لكل شيء مفتاحاً ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم، هم جلساء الله تعالى يوم القيامة ».

وروي عن علي كرّم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال: « أحب العباد إلى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى ». وقال ﷺ: « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً »، وقال: « ما من أحد غني ولا فقير إلا ودّ يوم القيامة أنه كان أوتي قوتاً في الدنيا »، وأوحى الله تعالى إلى إسماعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم. قال: ومن هم؟ قال: الفقراء الصادقون، وقال ﷺ: « لا أحد أفضل من الفقير إذا كان

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: « إن لكل شيء مفتاحاً ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم، هم جلساء الله تعالى يوم القيامة ») قال العراقي: رواه الدارقطني في غرائب مالك، وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق، وابن عدي في الكامل، وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: وأورده القشيري في الرسالة فقال: أخبرنا أبو عبد الله السلمي، أخبرنا إبراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء البزاز حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد البغدادي، حدثنا عثمان بن معبد، حدثنا عمر بن راشد، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: « لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين » الحديث.

(وروي عن علي رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: « أحب العباد إلى الله تعالى الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى ») قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ وتقدم من رواية عند ابن ماجه، أن الله يحب الفقير المتعفف اهـ.

قلت: وروى الديلمي من حديث ابن عمر « يقول الله عز وجل الشاب المؤمن بقدري الراضي بكتابي القانع برزقي التارك لشهوته من أجلي هو عندي كبعض ملائكتي ».

(وقال ﷺ: « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً ») وفي بعض النسخ رزق بدل قوت. قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بلفظ قوتاً اهـ.

قلت: لفظ مسلم « اللهم ارزق آل محمد كفافاً » ولفظ المتفق عليه « اللهم ارزق آل محمد قوتاً » وعند أحمد والترمذي وابن ماجه وأبي يعلى والبيهقي « اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتاً ».

(وقال) ﷺ: **(« ما من أحد غني ولا فقير إلا ودّ يوم القيامة أنه كان أوتي قوتاً في الدنيا »)** رواه ابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم. **(وأوحى الله إلى إسماعيل عليه السلام: اطلبني عند المنكسرة قلوبهم. قال: ومن هم؟ قال: الفقراء الصادقون)**. وتقدم للمصنف في حقوق المسلم قال موسى عليه السلام: إلهي أين أبغيك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي.
(وقال ﷺ « لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضياً ») قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ.

راضياً »، وقال ﷺ: « يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي؟ فتقول الملائكة: ومن هم يا ربنا؟ فيقول: فقراء المسلمين القانعون بعطائي الراضون بقدري، أدخلوهم الجنة. فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون »، فهذا في القانع والراضي. وأما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب إن شاء الله تعالى.

وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى ان القناعة يضادها الطمع. وقد قال عمر رضي الله تعالى عنه: إن الطمع فقر واليأس غنى، وإنه من يئس عما في أيدي الناس وقنع استغنى عنهم.

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: ما من يوم إلا وملك ينادي من تحت العرش: يا ابن آدم، قليل يكفيك خير من كثير يطغيك.

(وقال ﷺ « يقول الله تعالى يوم القيامة أين صفوتي من خلقي؟ فتقول الملائكة: ومن هم يا ربنا؟ فيقول: فقراء المسلمين القانعون بعطائي الراضون بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون ») قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس. (فهذا) ما ورد (في القانع والراضي، وأما الزاهد فسنذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب إن شاء الله تعالى).

(وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثيرة ولا يخفى أن القناعة يضادها الطمع) فإن القناعة هي إلا جزاء باليسير من الاعراض المحتاج إليها، والطمع نزوع النفس إلى الشيء شهوة به، (وقد قال عمر رضي الله عنه: إن الطمع فقر واليأس غني وأنه من يئس عما في أيدي الناس وقنع استغنى عنهم) رواه أحمد في الزهد قال: حدثنا أبو معاوية ووكيع عن هشام بن عروة عن أبيه قال، قال عمر في خطبته: تعلمون أن الطمع فقر وأن اليأس غنى وأن الرجل إذا يئس من شيء استغني عنه. ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه، ورواه أيضاً عن أبيه، حدثنا إبراهيم بن محمد، حدثنا أحمد بن سعيد، حدثنا ابن وهب، عن الثوري، عن هشام، عن أبيه، عن زبيد بن الصلت عن عمر مثله.

(وقال) عبد الله (ابن مسعود) رضي الله عنه: (ما من يوم إلا وملك ينادي من تحت العرش: يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك). روى أبو داود الطيالسي من حديث أبي الدرداء: ما طلعت شمس إلا وبجنبيها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الثقلين يا أيها الناس هلموا إلى ربكم ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى. تفرد به قتادة عن خليد البصري عن أبي الدرداء.

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: ما من أحد إلا وفي عقله نقص، وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحاً مسروراً والليل والنهار دائبان في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص.

وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك.

وقيل: كان ابراهيم بن أدهم من أهل النعم بخراسان فبينما هو يشرف من قصر له ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله، فلما أكل نام، فقال لبعض غلمانه: إذا قام فجئني به، فلما قام جاء به إليه فقال ابراهيم: أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع؟ قال: نعم. قال: فشبعت؟ قال: نعم، قال: ثم نمت طيباً؟ قال: نعم. فقال ابراهيم في نفسه، فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر.

ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو يأكل ملحاً وبقلاً فقال له: يا عبد الله أرضيت من الدنيا بهذا؟ فقال: ألا أدلك على من رضي بشر من هذا؟ قال: بلى. قال من رضي بالدنيا عوضاً عن الآخرة.

(**وقال أبو الدرداء**) رضي الله عنه. (**ما من أحد إلا وفي عقله نقص وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحاً مسروراً والليل والنهار دائبات في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك. ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص.**

وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك) أي عدم تعلق النفس بالآمال والرضا بما يسر له في الحال وهذا أحسن ما عرف به الغنى.

(**وقيل: كان إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى (**من أهل النعم بخراسان**) إذ كان والده من أمراء بلخ، (**فبينما هو يشرف من قصره ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله فلما أكل نام، فقال**) إبراهيم (**لبعض غلمانه: إذا قام**) هذا الرجل من نومه (**فجئني به**) فانتظره، (**فلما قام جاء به إليه فقال**) له (**إبراهيم: أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع؟ قال: نعم. قال: فشبعت؟ قال: نعم. قال: ثم نمت طيباً؟ قال: نعم. فقال إبراهيم في نفسه: فما أصنع أنا بالدنيا والنفس تقنع بهذا القدر**). وهذا أحد أسباب توبته وخروجه من ملك أبيه.

(**ومرّ رجل بعامر بن عبد قيس**) وكان من الصديقين (**وهو يأكل ملحاً وبقلاً فقال له: يا عبد الله**) وفي نسخة يا أبا عبد الله (**أرضيت من الدنيا بهذا؟ فقال: ألا أدلك على من رضي بشرّ من هذا. قال: بلى. قال: من رضي بالدنيا عوضاً عن الآخرة**) ولفظ القوت: وكان عامر بن عبد قيس إذاعوتب في تقلله من الدنيا يقول: بل أنتم والله رضيتم بالقليل، وكان

وكان محمد بن واسع رحمة الله عليه يخرج خبزاً يابساً فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول: من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج إلى أحد.

وقال الحسن رحمه الله: لعن الله أقواماً قسم لهم الله تعالى ثم لم يصدقوه ثم قرأ: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون⋆ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ [الذاريات: ٢٢ - ٢٣] الآية. وكان أبو ذر رضي الله عنه يوماً جالساً في الناس فأتته امرأته فقالت له: أتجلس بين هؤلاء؟ والله ما في البيت هفة ولا سفة، فقال: يا هذه، إن بين أيدينا عقبة كؤداً لا ينجو منها إلاّ كل مخف، فرجعت وهي راضية.

غيره يقول: إذا قيل له أزهد الناس، فقال أنتم أزهد مني لأني زهدت في قليل يفنى وأنتم زهدتم في كثير يبقى.

(وكان محمد بن واسع البصري رحمه الله) تعالى **(يخرج خبزاً يابساً فيبله بالماء ويأكله بالملح ويقول: من رضي من الدنيا بهذا لم يحتج إلى أحد)** قال أحمد في الزهد: حدثنا وكيع عن رجل قال: قال لمحمد بن واسع ابنه ليس كل ساعة تبقى لنا. قال: فدعا بخبز وملح ثم جعل يأكل، فقال: تراني أقنع بهذا وأرضي به أعينهم وادخل معهم أو ألي لهم. وقال عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد: حدثني سفيان بن وكيع قال: سمعت أبي يقول: بلغني أن محمد بن واسع أريد على القضاء فأبى، فعاتبته امرأته قال: لك عيال وأنت محتاج. قال: ما دمت ترينني أصبر على الخل والبقل فلا تطمعين في هذا مني.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(لعن الله أقواماً أقسم لهم الله ثم لم يصدقوه ثم قرأ)** هذه الآية. **(﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون⋆ فورب السماء والأرض إنه لحق﴾ الآية)**.

(وكان أبو الدرداء) رضي الله عنه وفي بعض النسخ أبو ذر **(جالساً في الناس فأتته امرأته فقالت له: تجلس بين هؤلاء والله ما في البيت هفة ولا سفة)** أي ما يهف ويسف **(فقال: يا هذه إن بين أيدينا عقبة كؤداً لا ينجو منها إلا كل مخف فرجعت وهي راضية)** رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي معاوية عن موسى الصغير عن هلال بن يساف عن أم الدرداء قالت، قلت لأبي الدرداء: مالك لا تطلب لأضيافك كما يطلب غيرك لأضيافهم؟ فقال: لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن امامكم عقبة كؤداً لا يجوزها المثقلون فأنا أحب ان أتخفف لتلك العقبة، تفرد به موسى الصغير عن هلال.

وروى الحرث بن أبي أسامة في مسنده من طريق أبي أسماء الرحبي أنه دخل على أبي ذر وهو بالربذة وعنده امرأة سوداء شعثة ليس عليها أثر المجاسد والخلوق. قال: فقال الا تنظرون إلى ما تأمرني به هذه السوداء؟ تأمرني أن آتي العراق فإذا أتيت العراق مالوا علي بدنياهم وأن خليلي عهد

وقال ذو النون رحمه الله: أقرب الناس إلى الكفر ذو فاقة لا صبر له.

وقيل لبعض الحكماء: ما مالك؟ فقال: التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس.

ويروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة المنزلة: يا ابن آدم، لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت، فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا محسن إليك.

وقد قيل في القناعة:

اضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس ... واقنع بيأس فإن العز في اليأس
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ... إن الغني من استغنى عن الناس

وقد قيل في هذا المعنى أيضاً:

يا جامعاً مانعاً والدهر يرمقه ... مقدراً أي باب منه يغلقه
مفكراً كيف تأتيه منيته ... أغادياً أم بها يسري فتطرقه

إليَّ أن دون جسر جهنم طريقاً ذا دحض ومزلة وإناء إن نأن عليه وفي أحمالنا اقتدار أحرى أن ننجو من أن نأتي عليه ونحن مواقير.

(**وقال ذو النون**) المصري رحمه الله تعالى: (**أقرب الناس إلى الكفر ذو فاقة لا صبر له**) وهو معنى حديث كاد الفقر أن يكون كفراً.

(**وقيل لبعض الحكماء: ما مالك؟ قال: التجمل في الظاهر والقصد في الباطن واليأس مما في أيدي الناس.**

ويروى أن الله عز وجل قال في بعض الكتب السالفة المنزلة: يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت، فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا محسن إليك.

وقد قيل في القناعة):

(اضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس ... واقنع بيأس فإن العزّ في اليأسِ
واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ... إن الغني من استغنى عنْ الناسِ)

وقد قيل في هذا المعنى أيضاً:

(يا جامعاً مانعاً والدهر يرمقه ... مقدّراً أي باب منه يغلقه
مفكراً كيف تأتيه منيته ... أغاديا أم بها يسري فيطرقه)

جمعت مالاً فقل لي هل جمعت لـه — يـا جـامـع المال أيـامـاً تفـرقـه
المال عنـدك مخزون لـوارثـه — مـا المال مـالـك إلا يـوم تنفقـه
أرفـه ببـال فتى يغـدو على ثقـة — إن الذي قسم الأرزاق يـرزقـه
فالعرض منه مصـون مـا يـدنسـه — والوجـه منـه جـديـد ليس يخلقـه
إن القناعـة مـن يحلـل بسـاحتهـا — لم يلـق في ظلهـا همـا يـؤرقـه

بيان فضيلة الفقر على الغنى:

اعلم أن الناس قد اختلفوا في هذا ، فذهب الجنيد والخوّاص والأكثرون إلى تفضيل الفقر. وقال ابن عطاء: الغني الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر. ويقال إن الجنيد دعا علي بن عطاء لمخالفته إياه في هذا فأصابته محنة، وقد ذكرنا ذلك في كتاب

أي يأتيه ليلاً:

(جمعت مالاً فقل لي هل جمعت لـه — يا جامع المال أياماً تفرقه)
(المال عنـدك مخزون لـوارثـه — ما المال مالك إلا يوم تنفقه)
(ارفـه ببـال فتى يغـدو على ثقـة — إن الذي قسم الأرزاق يرزقه)
(فـالعـرض منـه مصـون مـا يـدنسـه — والوجـه منـه جـديـد ليس يخلقـه)
(إن القنـاعـة مـن يحلـل بسـاحتهـا — ولم يلـق في ظلهـا همـاً يـؤرقـه)

أي يحزنه ويقلقه.

بيان فضيلة الفقر على الغنى:

(اعلم) هداك الله تعالى (أن الناس قد اختلفوا في هذه، فذهب) أبو القاسم (الجنيد و) إبراهيم بن أحمد (الخوّاص) مات قبل العشرين وثلاثمائة (والأكثرون) من المشايخ (إلى تفضيل الفقر) على الغنى وهو الحق الذي لا محيد عنه. (وقال) أبو العباس أحمد بن محمد (بن عطاء) الآدمي المتوفى سنة ٣٠٩: (الغني الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر. ويقال: إن الجنيد) رحمه الله تعالى(دعا علي بن عطاء) وباهله في هذه المسألة (لمخالفته إياه في هذا) وانكاره له أشد الإنكار (فأصابته محنة) واستجيب فيه دعاء الجنيد، وكان الجنيد يقول: الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر وإن تساويا في المقام بحكم حالها لأن الغني التقي يمنع نفسه وينعم صفته، والفقير الصابر قد أدخل على صفته الآلام والمكاره، فقد زاد عليه بذلك وهذا كما قال. وكذلك كان أحمد بن حنبل يقول: ما أعدل بالفقر شيئاً وكان يفضل حال الفقر ويعظم شأن الفقير الصابر. وقال المروزي وذكر بعض الفقراء فجعل يمدحه ويكثر السؤال عنه فقلت له: يحتاج إلى علم. فقال: ويحك اسكت صبره على الفقر ومقاساته للضر خير من كثير من

الصبر ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ، ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الأعمال والأحوال وإن ذلك لا يمكن إلا بتفصيل.

فأما الفقر والغنى إذا أخذ مطلقاً لم يسترب من قرأ الأخبار والآثار في تفضيل الفقر ، ولا بد فيه من تفضيل فنقول إنما يتصور الشك في مقامين:

أحدهما : فقير صابر ليس بحريص على الطلب ، بل هو قانع أو راضٍ بالإضافة إلى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصاً على إمساك المال.

والثاني : فقير حريص مع غني حريص ، إذ لا يخفى أن الفقير القانع أفضل من الغني الحريص الممسك ، وأن الغني المنفق ماله في الخيرات أفضل من الفقير الحريص ، أما الأول فربما يظن أن الغني أفضل من الفقير ، لأنهما تساويا في ضعف الحرص على المال ، والغني متقرب بالصدقات والخيرات والفقير عاجز عنه ، وهذا هو الذي ظنه ابن عطاء فيما نحسبه ، فأما الغني المتمتع بالمال وإن كان في مباح فلا يتصور أن يفضل على الفقير القانع ،

العلم ثم قال: هؤلاء خير منا . **(وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر ، ووجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الأعمال والأحوال، وأن ذلك لا يمكن إلا بتفصيل)** .

(**وأما الفقر والغنى إذا أخذ مطلقاً لم يسترب**) أي لم يشك (**من قرأ**) وفي نسخة رأى (**الأخبار و**) طالع (**الآثار في تفضيل الفقر**) مطلقاً ، ومنها ما تخص الراضين بالفقر والقانعين من الفقراء ، والبصيرة تعضد ذلك لما فيه من عدم المشغلات والعجز عن قضاء الأوطار المذمومة وتخفة الحساب في القيامة وهذا يصح أن يكون مسلكاً في تفضيله على الغنى (**و**) لكن (**لا بد فيه من تفصيل**) يرفع عنه نقاب الخفاء (**فنقول: إنما يتصور الشك في مقامين**) .

(**أحدهما**) : في (**فقير صابر وليس بحريص على الطلب بل هو قانع راض بالإضافة إلى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصاً على إمساك المال**) .

(**والثاني**) : في (**فقير حريص**) على الطلب (**مع غني حريص**) على إمساك المال (**إذ لا يخفى أن الفقير القانع أفضل من الغني الحريص الممسك**) على المال (**وأن الغني المنفق ماله في الخيرات أفضل من الفقير الحريص**) فهذه أربع مقامات ، وإنما الشك في المقامين الأولين (**أما الأول؛ فربما يظن أن الغني أفضل من الفقير لأنهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني**) زائد عليه فإنه (**متقرب بالصدقات والخيرات، والفقير عاجز عنه**) لفقد المال (**وهذا هو الذي ظنه**) أبو العباس (**بن عطاء**) فيما ذهب إليه (**فيما نحسبه ، فأما الغني المتمتع بالمال وإن كان في مباح**) شرعي (**فلا يتصوّر أن يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له**)

وقد يشهد له ما روي في الخبر: أن الفقراء شكوا إلى رسول الله ﷺ سبق الأغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد، فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما ناله الأغنياء، فتعلم الأغنياء ذلك فكانوا يقولونه، فعاد الفقراء إلى رسول الله ﷺ فأخبروه، فقال عليه السلام: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

وقد استشهد ابن عطاء أيضاً لما سئل عن ذلك فقال: الغني أفضل! إنه وصف الحق أما دليله الأول ففيه نظر، لأن الخبر قد ورد مفصلاً تفصيلاً يدل على خلاف ذلك: وهو أن ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني، وأن فوزهم بذلك الثواب فضل

أي لابن عطاء (**ما روي في الخبر أن الفقراء شكوا إلى رسول الله ﷺ سبق الأغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد، فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم أنهم ينالون بها فوق ما ناله الأغنياء، فتعلم الاغنياء ذلك فكانوا يقولون فعادوا إلى رسول الله ﷺ فقال «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه اهـ.

قلت: لفظها «ألا أحدثكم بحديث إن أخذتم به أدركتم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلاَّ من عمل مثله؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين» وفي لفظ للبخاري: «قال الفقراء ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا، وانفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال فقال: ألا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم ولم يأت بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله؟ تسبحون في دبر كل صلاة عشراً وتحمدون عشراً وتكبرون عشراً» ورواه مسلم نحوه، وهو بهذا اللفظ عند الطيالسي من حديث أبي الدرداء. وروى ابن ماجه من حيث أبي ذر «ألا أخبركم بأمر إذا فعلتموه أدركتم من قبلكم وفيتم من بعدكم؟ تحمدون الله في دبر كل صلاة وتسبحونه وتكبرونه ثلاثاً وثلاثين وثلاثاً وثلاثين وأربعاً وثلاثين» وروى ابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة.

(**وقد استشهد ابن عطاء أيضاً لما سئل عن ذلك**) سأله بعض الشيوخ عن الوصفين ايهما أفضل؟ (**فقال: الغني أفضل لأنه وصف الحق. أما دليله الأول**) وهو التمسك بحديث أبي هريرة (**ففيه نظر لأن الخبر**) المذكور (**قد روي مفصلاً تفصيلاً يدل على خلاف ذلك، وهو أن ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني وأن فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء**) و بيانه: أن هذا عند أولي الألباب في تدبر الخطاب يعني به الفقراء لأنه قيل لهم في أول الكلام: إن ذلك لم يسبقكم أحد قبلكم ولم يدرككم أحد بعدكم، فثبت هذا القول من الرسول وصح، فما جاء بعده يكون محمولاً عليه و مفسراً له، ولم يجز أن ينقلب الخطاب لأنه أخبار عن شيء فكيف يرجع عنه أو ينسخ الخبر عن أمر بقول آخر؟ فلما فعل الأغنياء ما أمر به الفقراء من الذكر وقف الفقراء في قول رسول الله ﷺ لنظرهم إلى مزيد الأغنياء عليهم بفضل القول، فرجعوا إليه يستفتون منه الخبر و يستثبتون عنه ما به أخبر فقال: لا تعجبوا فإن الذي

الله يؤتيه من يشاء، فقد روى زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بعث الفقراء رسولاً إلى رسول الله ﷺ فقال: إني رسول الفقراء إليك، فقال: « مرحباً بك وبمن جئت من عندهم قوم أحبهم » قال: يا رسول الله إن الأغنياء ذهبوا بالخير يحجون ولا نقدر عليه، ويعتمرون ولا نقدر عليه، وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم، فقال النبي ﷺ: « بلغ عني الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء: أما خصلة واحدة، فإن في الجنة غرفاً ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء، لا يدخلها إلا نبي فقير، أو شهيد فقير، أو مؤمن فقير، والثانية: يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام، والثالثة: إذا قال الغني: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم، وكذلك أعمال البر كلها » فرجع إليهم

قلت كما قلت هو فضل الله يؤتيه من يشاء فأنتم ممن يشاء أن يؤتيه فضله، فثبتهم في القول الاول، ولم يرجع هو عن قوله إلى نقيضه، فصح هذا التأويل عن مآله الذي يؤل إليه باستنباط باطن العلم عنه، و بطل حمل ابن عطاء ومن وافقه الخبر على ظاهره ولما يأتهم تأويله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه إذ لم يعطوا حقيقة خبره وهو حيطته، إذ تأويل الحق الذي هو مآله وحقيقته عند الله تعليم من الله ليس على ظاهر الخطاب يستنبطه أولو الالباب، وقد قال: فقهه في الدين وعلمه التأويل شهد لبطلان تأويلهم قول الرسول في أول الكلام لا يسبقكم من قبلكم ولا يلحقكم من بعدكم، فكان قوله الثاني مواطئاً لقوله الأول إذ لم يناقض الأول بالآخر، فهذا من سحر البيان في قوله « إن من البيان لسحراً »، (**فقد**) جاء دليل ما قلناه مفسراً مكشوفاً في الخبر الذي (**روى زيد بن أسلم**) العدوي التابعي مولى عمر مات سنة ست وثلاثين (**عن أنس بن مالك**) رضي الله عنه (**قال: بعث الفقراء رسولاً إلى رسول الله ﷺ فقال: إني رسول الفقراء إليك. فقال « مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم أحبهم » فقال: قالوا يا رسول الله إن الأغنياء ذهبوا بالجنة**) أي بالدرجات فيها (**يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم. فقال رسول الله ﷺ « بلغ عني الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء. أما خصلة واحدة فإن في الجنة غرفاً ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير، والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام، الثالثة: إذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم، وكذلك أعمال البر كلها » فرجع إليهم**) بهذا الجواب (**فقالوا: رضينا رضينا**). هكذا نقله صاحب القوت. وقال العراقي: لم أجده هكذا بهذا السياق، والمعروف في هذا المعنى ما رواه ابن ماجه

فأخبرهم بما قال رسول الله ﷺ: « فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على أن قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » أي مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم.

وأما قوله: إن الغنى وصف الحق، فقد أجابه بعض الشيوخ فقال: أترى أن الله تعالى غني بالأسباب والأعراض، فانقطع ولم ينطق، وأجاب آخرون فقالوا: إن التكبر من صفات الحق فينبغي أن يكون أفضل من التواضع، ثم قالوا: بل هذا يدل على أن الفقر أفضل لأن صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء، وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينازع فيها، ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا ﷺ: « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قصمته». وقال سهل: حب العز والبقاء شرك في

من حديث ابن عمر « اشتكى فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ ما فضل به عليهم أغنياؤهم فقال: يا معشر الفقراء ألا أبشركم إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام » واسناده ضعيف، (**فهذا يدل على أن قوله**) في الخبر الاول (**« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » أي مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم**).

(**وأما قوله: إن الغنى وصف الحق فقد أجابه بعض الشيوخ**) وهو الذي سأله عن الوصفين أيهما أفضل؟ (**فقال: أترى أن الله تعالى غني بالأسباب والأعراض، فانقطع**) ابن عطاء (**ولم ينطق**) بحرف إذ كان ذلك تسجيلاً عليه، وهذا كما قاله الشيخ لأن الحق سبحانه غني بوصفه، فالفقير أحق بهذا المعنى لأنه غني بوصفه بالايمان لا بالاسباب لانفراده عنها فهو الافضل وإلى الحق أقرب، فأما الغني فإنه متشتت مجتمع بالأسباب فهو مفضول بلا ارتياب وقد خالفه الخواص ابراهيم فوفق للصواب وكان فوقه في المعرفة فقال في كتابه شرف الفقر: والفقر صفة للحق يصف به الفقراء فوافق في التأويل يعني أنه تعالى متخل عن الاسباب منفرد عنها. (**و أجاب آخرون فقالوا**): هذا غلط فاحش من جهة المعنى المذكور دخل على ابن عطاء لأنه إن كان فضل الغنى على الفقر لأنه صفة الحق فإن (**التكبر من صفات الحق، فينبغي أن يكون أفضل من التواضع**) الذي هو من صفات العبد، وكذلك الحمد والعز لأن ذلك كله صفة الحق، فلما أجمعوا على ذم من كان هذا وصفه كان من وصف بالغنى في معناه (**ثم قالوا: بل هذا يدل على أن الفقراء أفضل لأن صفات العبودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء**)، والغنى صفة الحق مقترن بالعز والكبر، (**وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينازع فيها**) ولا يشارك، بل ينبغي أن يسلم صفات الحق للحق، فبطل قول ابن عطاء، (**ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا ﷺ: « الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته »**) تقدم في ذم الكبر وفي العلم (**وقال**) أبو محمد (**سهل**) بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى مخالفاً له وموافقاً لما ذهب إليه الجنيد: (**حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لأنهما من صفات**

الربوبية ومنازعة فيها لأنها من صفات الرب تعالى، **فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل** الغني والفقر، وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويلات **وبكلمات قاصرة لا تبعد** مناقضتها، إذ كما يناقض قول من فضل الغني بأنه صفة الحق بالتكبر، **فكذلك يناقض** قول من ذم الغني لأنه وصف للعبد بالعلم والمعرفة فإنه وصف الرب تعالى، **والجهل** والغفلة وصف العبد، وليس لأحد أن يفضل الغفلة على العلم، **فكشف الغطاء عن هذا** هو ما ذكرناه في كتاب الصبر: وهو أن ما لا يراد لعينه بل يراد لغيره **فينبغي أن يضاف** إلى مقصوده، إذ به يظهر فضله، والدنيا ليست محذورة لعينها ولكن **لكونها عائقة عن**

الرب تعالى) ولفظه عند صاحب القوت. قال سهل: من أحب الغنى والبقاء والعز فقد نازع الله تعالى صفاته، وهذه صفات الربوبية يخشى عليه الهلكة، فإذا ثبت ذلك كان الفقر أفضل لأنه وصف العبودية فمن جعله وصفه فقد تحقق بالعبودية، وأخلاق العبودية هي أخلاق الايمان وهي التي أحبها الله تعالى من المؤمنين مثل الخوف والذل والتواضع والفقر مضاف اليها، وأوصاف الربوبية ابتلى بها قلوب أعدائه الجبارين والمتكبرين مثل العز والكبر والبقاء والغنى مضموم إليها. وكان الحسن يقول: ما رأيت الله تعالى جعل البقاء إلا لأبغض خلقه اليه وهو إبليس، وكذلك كان العلماء يقولون: لا ترغبوا في البقاء في هذا الدار فإن شرار الخلق أطولهم بقاء وهم الشياطين، والغنى إنما يراد للبقاء، **(فمن هذا الجنس تكلموا في تفضيل الغنى والفقر. وحاصل ذلك تعلق بعمومات تقبل التأويل وبكلمات قاصرة لا تبعد مناقضتها إذ كما يناقض قول من فضل الغنى)** على الفقر **(بأنه صفة الحق بالتكبر)** والعز والبقاء، **(فكذلك يناقض قول من ذم الغنى)** وفضل الفقر **(بأنه وصف العبد بالعلم)** والمعرفة **(والقدرة فإنه وصف الرب تعالى والجهل)** والغفلة، **(والعجز وصف العبد وليس لأحد أن يفضل الغفلة والعجز على العلم والقدرة، فكشف الغطاء عن هذا هو ماذكرناه في كتاب الصبر، وهو أن مالا يراد لعينه بل يراد لغيره، فينبغي أن يضاف إلى مقصوده إذ به يظهر فضله)** وايضاح ذلك أنه تقدم أن الفقر مطلق ومقيد. والمطلق يراد لذاته والمقيد يراد لغيره والغنى كذلك، فالغنى المراد لذاته والفقر المراد لذاته سيان في أصل المقام، لأن من افتقر إلى الله استغنى به، ومن استغنى بالله افتقر إلى الله، فالتفاوت في كمال المقام لا في أصله، فم يبق إلا المقيد من كل واحد، وقد قلنا: ان المقيد ماله تعلق إلا بوجود المال وفقده، فلنذكر آفات المال وفوائده فمن تخلى من آفاته وتحلى بفوائده فهو الافضل وإلا فالعكس وللمال فوائد ثلاث.

الأولى: أن ينفقه على نفسه إما في عبادة أو في الاستعانة على عبادة والقلب إذا انصرف إلى ذلك لم يتفرغ للدين والفقير محروم من فضل ذلك.

الثانية: ما يقي به العرض ويتحصل به المروءة وحسن الخلق وما يتقي به إضاعة الأوقات

الوصول إلى الله تعالى ولا الفقر مطلوباً لعينه لكن لأن فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه، وكم من غني لم يشغله الغنى عن الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن المقصد، وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والانس به، ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته، وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن، والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغني قد يكون من الشواغل، وإنما الشاغل على التحقيق حب الدنيا، إذ لا يجتمع معه حب الله في القلب، والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه أو في وصاله، وربما يكون شغله في الفراق أكثر، وربما يكون شغله في الوصال أكثر، والدنيا معشوقة

كالخادم، فإن الاوقات التي يصرفها في خدمة نفسه إذا تولاها غيره استفاد عمراً جديداً ليصرفه في الفكر والعلم ويستفيد من الفكر والعلم محبة الله والانس به.

الثالثة: وهو ما يتعدى نفعه كبناء المساجد والرباطات وحفر الآبار في الطرق وغير ذلك مما هو مستجلب لأدعية الصالحين. وللمال أيضاً آفات ثلاث.

الأولى: أنه يجر إلى المعصية، ومن العصمة أن لا يجد والصبر مع القدرة شديد.

الثانية: أنه يجر إلى التنعم بالمباح ومتى تعودت النفس ذلك تولد منها آفات عظيمة والفقير بمعزل عن ذلك.

الثالثة: وهي التي لا ينفك عنها أحد وهي أنه يلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله عز وجل وكل ما شغل عن الله تعالى فهو خسران، فالأفضل من قامت به هذه الفوائد وسلم من هذه الآفات، ومن لم يكن كذلك وإلا ففي الفقر السلامة الكبرى، وهذا حاصل ما يذكره المصنف فلنشرع فيه قال:

(والدنيا ليست محذورة لعينها) أي لذاتها، **(ولكن لكونها عائقة عن الوصول إلى الله تعالى، ولا الفقر مطلوباً لعينه لكن لأن فيه فقد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه، وكم من غني لم يشغله الغنى عن الله تعالى مثل سليمان عليه السلام)** وكذا داود وإبراهيم عليهما السلام فإنهم كانوا أصحاب جدة، **(و)** مثل **(عثمان)** بن عفان، **(وعبد الرحمن بن عوف)** رضي الله عنهما فإنهما من أغنياء الصحابة، فهؤلاء كلهم لم يشغلهم الغنى عن الله تعالى. **(وكم من فقير شغله الفقر وصرفه عن القصد)** كغالب أبناء الدنيا. **(وغاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والإنس به، ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته، وسلوك سبيل المعرفة مع)** وجود **(الشواغل)** الصارفة **(غير ممكن، والفقر قد يكون من الشواغل، كما أن الغنى قد يكون من الشواغل، وإنما الشاغل على التحقيق حب الدنيا)** وهو أساس كل خطيئة **(إذ يجتمع معه حب الله في القلب والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه أو في وصاله، وربما يكون شغله في الفراق أكثر، وربما يكون شغله في الوصال أكثر)**

الغافلين، المحروم منها مشغول بطلبها، والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها، فإذاً إن فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد، إذ كل واحد غير متمتع إلا بقدر الحاجة، ووجود قدر الحاجة أفضل من فقده، إذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة. وإن أخذت الأمر باعتبار الأكبر فالفقير عن الخطر أبعد، إذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء، ومن العصمة أن لا يقدر، ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم: بلينا بفتنة الضراء فصبرنا، وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر. وهذه خلقة الآدميين كلهم إلا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الاعصار الكثيرة إلا نادراً.

ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر ـ والضراء أصلح للكل دون ذلك النادر ـ زجر الشرع عن الغني وذمه، وفضل الفقر ومدحه، حتى قال المسيح عليه السلام: لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم.

وقال بعض العلماء: تقليب الأموال يمص حلاوة الإيمان.

باختلاف الأشخاص و الأحوال، **(و الدنيا معشوقة الغافلين)** والمغترين. **(المحروم عنها مشغول بطلبها)** بأي وجه انفق **(و القادر عليها مشغول بحفظها)** ورعايتها وتنميتها وبالتمتع بها **فإذاً إن فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى** استوى الفاقد والواجد اذ كل واحد غير متمتع الا بقدر الحاجة الضرورية ووجود قدر الحاجة **أفضل من فقده إذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة، وإن أخذت الأمر باعتبار الأكثر فالفقير عن الخطر أبعد)** والداعية لا تتحرك باستشعار القدرة. فإن صبر بالصبر مع القدرة شديد **(إذ فتنة السراء أشد من فتنة الضراء، ومن العصمة أن لا يقدر)** وهو من قول علي رضي الله عنه كما تقدم. **(ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم: بلينا بفتنة الضراء فصبرنا، و بلينا بفتنة السراء فلم نصبر)** روى ذلك من قول عبد الرحمن بن عوف كما في الحلية وقد تقدم. **(وهذه خلقة الآدميين كلهم إلا الشاذ الفذ الذي لا يوجد في الأعصار الكثيرة إلا نادراً)** والنادر كالمهدوم.

(ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر و الضراء أصلح للكل دون ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى و ذمه، و فضل الفقر و مدحه حتى قال المسيح عليه السلام: لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم) نقله صاحب القوت.

(و قال بعض العلماء: تقليب الأموال يمص حلاوة الايمان) نقله صاحب القوت.

وفي الخبر: « لكل أمة عجلاً وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم » وكان أصل عجل قوم موسى من حلية الذهب والفضة، أيضاً واستواء المال والماء، والذهب والحجر إنما يتصور للأنبياء عليهم السلام والأولياء؛ ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة، إذ كان النبي ﷺ يقول للدنيا: « إليك عني » إذ كانت تتمثل له بزينتها. وكان علي كرم الله وجهه يقول: يا صفراء غري غيري » ويا بيضاء غري غيري، وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادىء الاغترار بها لولا أن رأى برهان ربه، وذلك هو الغني المطلق، إذ قال عليه الصلاة والسلام: « ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى

(**وفي الخبر « إن لكل أمة عجلاً و عجل هذه الأمة الدينار و الدرهم »**) قال صاحب القوت: رويناه من طريق. و قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من حديث حذيفة باسناد فيه جهالة اهـ.

قلت: لفظ الديلمي « لكل أمة عجل يعبدونه و عجل أمتي الدراهم و الدنانير » وروي أيضاً من حديث أبي هريرة لكل شيء آفة تفسده و أعظم الآفات آفة تصيب أمتي حبهم الدنيا و حبهم الدينار و الدراهم. وفي القوت وفي الأثر « لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتي هذا المال ».

(**وكان أصل عجل قوم موسى**) عليه السلام (**من حلية الذهب و الفضة أيضاً**) كما هو بنص القرآن، (**فاستواء المال و الماء و الذهب و الحجر إنما يتصور للأنبياء و الأولياء**). روى ابن أبي الدنيا و ابن عساكر عن فضيل بن عياض قال: ضرب عيسى عليه السلام بيده إلى الأرض فقبض منها ثم بسطها فإذا في إحدى يديه ذهب وفي الاخرى مدر فقال لأصحابه: أيهما أحلى في قلوبكم؟ قالوا: الذهب. قال: فإنهما عندي سواء. (**ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى**) عليهم (**بطول المجاهدة إذ كان النبي ﷺ يقول للدنيا « إليك عني إليك عني » إذ كانت تتمثل له بزينتها**) رواه الحاكم مع اختلاف وقد تقدم في ذم الدنيا.

(**وكان علي رضي الله عنه يقول: يا صفراء غري غيري و يا بيضاء غري غيري**) رواه أحمد في الزهد: حدثنا وهب بن اسماعيل، حدثنا محمد بن قيس عن علي بن ربيعة الوالبي، عن علي ابن أبي طالب قال: جاءه ابن النباج فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المسلمين من صفراء و بيضاء. فقال: الله أكبر فقام متوكئاً على ابن النباج حتى قام على بيت مال المسلمين فقال: هذا خبائي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه. يا ابن النباج علي بأسباع الكوفة قال: فنودي في الناس فأعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول: يا صفراء و يا بيضاء غري غيري هاوها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه و صلى فيه ركعتين، (**وذلك لاستشعاره في نفسه ظهور مبادىء الاغترار بها لولا أن رأى برهان ربه، وذلك هو المطلق إذ قال ﷺ « ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس »**) متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم. (**واذا كان**

غنى النفس » وإذ كان ذلك بعيداً ، فإذاً الأصلح لكافة الخلق فقد المال وإن تصدقوا به وصرفوه إلى الخيرات ، لأنهم لا ينفكون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستشعار راحة في بذلها ، وكل ذلك يورث الأنس بهذا العالم ، وبقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة . وبقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ، ومهما انقطعت أسباب الأنس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها ، والقلب إذا تجافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمناً بالله انصرف لا محالة إلى الله إذ لا يتصور قلب فارغ ، وليس في الوجود إلا الله تعالى وغيره ، فمن أقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ، ويكون إقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر ، وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر ، ومثلهما مثل المشرق والمغرب ، فإنهما جهتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر ، بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر ، فعين حب الدنيا هو عين بغض الله تعالى ، فينبغي أن يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوبه عن الدنيا وأنسه بها ، فإذاً فضل الفقير والغني بحسب تعلق قلبيهما بالمال فقط ، فإن تساويا فيه تساوت درجتهما ، إلا أن هذا مزلة قدم وموضع غرور ، فإن الغني ربما يظن أنه منقطع القلب عن

ذلك بعيداً فإذاً الاصلح لكافة الخلق فقد المال وإن تصدقوا به و صرفوه إلى الخيـرات) ووجوه البر ، (لأنهم لا ينفكون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليـها واستشعار راحة في بذلها) وصرفها ، (وكل ذلك يورث الانس بهذا العالم ، و بقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة ، وبقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفات المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه ، ومهما انقطعت أسباب الانس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا و زهرتها) أي تباعد ، (و القلب إذا تجافي عما سوى الله تعالى وكان مؤمناً بالله انصرف لا محالة إلى الله إذ لا يتصور قلب فارغ) عن شغل ، (وليس في الوجود إلا الله تعالى و غيره ، فمن أقبل على غيره فقد تجافى عنه ، ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ويكون إقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر ، و قربه من أحدهما بقدر بعده عن الآخر ، و مثلها مثل المشرق و المغرب فإنهما جهتان متقابلتان فالمتردد بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما يبعد من الآخر ، بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر ، فعين حب الدنيا هو عين بغض الله ، فينبغي أن يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوفه عن الدنيا أو أنسه بها . فإذاً فضل الفقير و الغني بحسب تعلق قلبهما بالمال فقط ، فإن تساويا فيه تساوت درجتهما إلا أن هذا مزلة القدم و موضع غرور ، فإن الغني ربما يظن) في نفسه (أنه منقطع القلب عن المال و يكون حبه دفيناً في باطنه) كامناً (وهو لا يشعر به ، وإنما

المال، ويكون حبه دفيناً في باطنه وهو لا يشعر به، وإنما يشعر به إذا فقده فليجرب نفسه بتفريقه أو إذا سرق منه، فإن وجد لقلبه إليه التفاتاً فليعلم أنه كان مغروراً، فكم من رجل باع سرية له لظنه أنه منقطع القلب عنها فبعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتعلت من قلبه النار، التي كانت مستكنة فيه، فتحقق إذاً أنه كان مغروراً، وأن العشق مستكناً في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد، وهذا حال كل الأغنياء إلا الأنبياء والأولياء، وإذا كان ذلك محالاً أو بعيداً فلنطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل، لأن علاقة الفقير وأنسه بالدنيا أضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته، فإن حركات اللسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الأنس بالمذكور، ولا يكون تأثيرها في إثارة الانس في قلب فارغ من غير المذكور كتأثيرها في قلب مشغول، ولذلك قال بعض السلف: مثل من تعبد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفىء النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك.

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها، أفضل من عبادة غني ألف عام.

يشعر به إذا فقده فليجرب نفسه بتفريقه وإذا سرق منه، فإن وجد لقلبه إليه التفاتاً) ولنفسه ميلاً (**فليعلم أنه كان مغروراً، فكم من رجل باع سرية له**) أي جارية (**لظنه أنه منقطع القلب عنها**) وقد سلا حبها. (**فبعد لزوم البيع و تسليم الجارية اشتغلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه، فتحقق أنه إذاً كان مغروراً وأن العشق كان مستكناً في الفؤاد استكنان النار تحت الرماد أو**) استكنانها في قلب (**الزناد، وهذا حال كل الأغنياء إلا الأنبياء و الأولياء**) فقد عصمهم الله تعالى عن الغرور. (**وإن كان ذلك محالاً أو بعيداً فلنطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الخلق و أفضل لأن علاقة الفقير و أنسه بالدنيا أضعف، و بقدر ضعف علاقته**) بها (**يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته فإن حركات اللسان**) بالأذكار (**ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور، فلا يكون تأثيره في إثارة الانس في قلب فارغ عن غير المذكور كتأثيره في قلب مشغول**) وهذا هو المراد من الخبر « ان تموت و لسانك رطب بذكر الله » (**ولذلك قال بعض السلف: مثل من تعبّد وهو في طلب الدنيا مثل من يطفىء النار بالحلفاء**). وكان يحي بن معاذ يقول: إذا كان التعبد والاجتهاد على غير زهد لم يكن للعمل ميراث يعني من حكمة ولا معرفة، (**و**) قال آخر: مثل من زهد في الدنيا مع التنعم فيها (**مثل من يغسل يده من الغمر بالسمك**) كذا في القوت. **وقال: أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى: تنفس فقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غني ألف عام**).

وعن الضحاك قال: من دخل السوق فرأى شيئاً يشتهيه فصبر واحتسب، كان خيراً له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى.

وقال رجل لبشر بن الحرث رحمه الله: أدع الله فقد أضرَّ بي العيال فقال: إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادعُ الله لي في ذلك الوقت، فإن دعاءك أفضل من دعائي. وكان يقول: مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة، ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء. وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الأغنياء. وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: اللهم إني أسألك الذل عند النصف من نفسي، والزهد فيما جاوز الكفاف، وإذا كان مثل الصديق رضي الله عنه في كمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في أن فقد المال أصلح من وجوده هذا، مع أن أحسن أحوال الغني أن يأخذ حلالاً وينفق طيباً، ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره، ومن نوقش الحساب فقد عذب، ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة إذ كان مشغولاً بالحساب كما رآه رسول الله ﷺ، ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ما

(**وعن الضحاك**) بن مزاحم الهلالي المفسر المشهور صدوق كثير الارسال روى له أصحاب السنن الاربعة مات بعد المائة (**قال: من دخل السوق فرأى شيئاً يشتهيه فصبر و احتسب كان خيراً له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى**).

(**وقال رجل لبشر بن الحرث**) الحافي رحمه الله تعالى: (**ادع الله لي فقد أضر بي العيال فقال**) بشر: (**إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت، فإن دعاءك أفضل من دعائي**) كذا في القوت. (**وكان**) بشر (**يقول: مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة، و مثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر في جيد الحسناء**) كذا في القوت، (**وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء**) لأنهم ليسوا أهلاً لأن يؤخذ عنهم ذلك، (**وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: اللهم إني أسألك الذل عند النصف من نفسي**) النصف محركة اسم من الانتصاف، (**والزهد فيما جاوز الكفاف**) نقله صاحب القوت، (**واذا كان مثل الصديق**) رضي الله عنه (**في حال كماله**) ومع شدته وقوته (**يحذر من الدنيا و وجودها، فكيف يشك في أن فقد المال أصلح من وجوده**) أو يتردد فيه؟ (**هذا مع ان أحسن أحوال الغني أن يأخذ حلالاً و ينفق طيباً، ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة و يطول انتظاره، ومن نوقش الحساب عذب**) كما ورد في الخبر و تقدم. (**ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف**) رضي الله عنه (**عن الجنة إذ كان مشغولاً بالحساب كما رآه رسول الله ﷺ**) فيما رواه الطبراني من حديث أبي امامة وقد تقدم قريباً. (**ولهذا قال**

أحب أن لي حانوتاً على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة وذكر وأربح كل يوم خمسين ديناراً وأتصدق بها في سبيل الله تعالى . قيل : وما تكره ؟ قال : سوء الحساب . ولذلك قال سفيان رحمه الله : إختار الفقراء ثلاثة أشياء ، واختار الأغنياء ثلاثة أشياء ، اختار الفقراء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب ، واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب ، وما ذكره ابن عطاء من أن الغنى وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح ، ولكن إذا كان العبد غنياً عن وجود المال وعدمه جميعاً بأن يستوي عنده كلاهما ، فإما إذا كان غنياً بوجوده ومفتقراً إلى بقائه فلا يضاهي غناه غنى الله تعالى ، لأن الله تعالى غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بأن يسرق ، وما ذكر من الرد عليه بأن الله ليس غنياً بالأعراض والأسباب صحيح في ذم غني يريد بقاء المال ، وما ذكر من أن صفات الحق لا تليق بالعبد غير صحيح ، بل العلم من صفاته وهو أفضل

أبو الدرداء) رضي الله عنه : **(ما أحب أن لي حانوتاً على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة، وذكر و أربح كل يوم خمسين ديناراً و أتصدق بها في سبيل الله . قيل : وما تكره؟ قال : سوء الحساب)** رواه أبو نعيم في الحلية فقال : حدثنا أبو عمرو بن حمدان ، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن عبدالله ، حدثنا عمر بن زرارة ، حدثنا المحاربي ، عن العلاء بن المسيب ، عن عمرو بن مرة قال : قال أبو الدرداء : والذي نفس أبي الدرداء بيده ما أحب لي اليوم حانوتاً على باب المسجد لا تخطئني فيه صلاة أربح فيه كل يوم أربعين ديناراً و أتصدق بها كلها في سبيل الله . قيل له : يا أبا الدرداء وما تكره من ذلك ؟ قال : شدة الحساب . و رواه محمد بن جنيد التمار عن المحاربي فقال عن عمرو بن مرة عن أبيه . **(ولذلك قال شقيق)** بن إبراهيم البلخي رحمه الله تعالى : **(اختار الفقراء ثلاثة أشياء ، و)** اختار **(الاغنياء ثلاثة أشياء . اختار الفقراء راحة النفس و فراغ القلب و خفة الحساب ، واختار الاغنياء تعب النفس و شغل القلب و شدة الحساب) ،** فإن الفقراء فقدوا المال فارتاحت نفوسهم و تفرغت قلوبهم لله تعالى و سيخفف حسابهم غداً بخلاف الاغنياء الواجدي المال ، فإنهم اتعبوا أنفسهم في حفظه . و تنميته وشغلوا قلوبهم بحبه و سيشتد حسابهم غداً . **(وما ذكره ابن عطاء) .** رحمه الله تعالى في جواب السائل لما سأله أي الوصفين أفضل **(من أن الغنى وصف الحق)** تعالى ، **(فهو بذلك أفضل)** لأن أوصاف الحق كلها مفضلة . **(صحيح ولكن إذا كان العبد غنياً عن وجود المال و عدمه جميعاً بأن يستوي عنده كلاهما فيكون كالماء ، فأما إذا كان غنياً بوجوده و مفتقراً إلى بقائه فلا يضاهي غناه غنى الله تعالى)** لأن الله تعالى **(غني بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور أن يسرق)** أو يفرق أو يصيبه غير ذلك من حوادث الدهر ، **(وما ذكر في الرد عليه)** أي على ابن عطاء **(بأن الله ليس غنياً بالأسباب و الأعراض)** هو أيضاً **(صحيح)** لكن **(في ذم غني يريد بقاء المال، و)** أما **(ما ذكر من أن صفات الحق تعالى لا تليق بالعبد)** فهذا

شيء للعبد ، بل منتهى العبد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى ، وقد سمعت بعض المشايخ يقول : إن سالك الطريق إلى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق تصير الأسماء التسعة والتسعون أوصافاً له : أي يكون له من كل واحد نصيب ، وأما التكبر فلا يليق بالعبد ،

(غير صحيح، بل العلم من صفاته وهو أفضل شيء للعبد، بل منتهى) كمال **(العبد)** وسعادته **(أن يتخلق بأخلاق الله تعالى)** وأن يتخلق بمعاني صفاته وأسمائه بقدر ما يتصور في حقه، ومن لم يكن له منها حظ إلا بأن يسمع لفظاً و يفهم في اللغة تفسيره و وصفه و يعتقد بالقلب وجود معناه لله تعالى فهو مبخوس الحظ نازل الدرجة ليس يحسن به أن يتبجح بما ناله، فقد روى الطيالسي والحكيم و أبو يعلى من حديث عثمان باسناد ضعيف: إن لله مائة خلق وسبعة عشر خلقاً فمن أتى الله بخلق واحد منها دخل الجنة. و حظوظ المقربين من معاني أسماء الله تعالى ثلاثة:

الأول: أن ينكشف لهم اتصاف الله تعالى بها انكشافاً يجري مجرى اليقين الحاصل للانسان بصفاته الباطنة التي يدركها بمشاهدة باطنة.

الثاني إستعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه ينبعث منه شوقهم إلى الإتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ليتقربوا بها من الحق قرباً بالصفة لا بالمكان.

الثالث: السعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات و التخلق بها و التحلي بمحاسنها، وبه يصير العبد ربانياً رفيقاً للملأ الأعلى من الملائكة.

(وقد سمعت بعض المشايخ يقول: إن سالك الطريق إلى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق تصير الأسماء التسعة و التسعون أوصافاً له أي يكون له من كل واحد نصيب) و لفظ المصنف في خاتمة المقصد الأسنى: ولقد سمعت الشيخ أبا علي الفارمدي يحكي عن شيخه أبي القاسم الكركاني قدس الله روحها أنه قال: إن الاسماء التسعة و التسعين تصير أوصافاً للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل ثم قال: وهذا الذي ذكره إن أراد به شيئاً يناسب ما أوردناه في التنبيهات يعني في أول المقصد الأسنى فهو صحيح، ولا يظن به إلا ذلك ويكون في اللفظ نوع من التوسع و الإستعارة و إلا فإن معاني الأسماء هي صفات الله تعالى و صفاته لا تصير صفة لغيره، ولكن معناه من يحصل ما يناسب تلك الأوصاف، ومن أراد غير ذلك فهو باطل لأن قول القائل: إن أسماء الله تعالى صارت أوصافاً له لا يخلو إما أن عنى به عين تلك الصفات أو مثلها فإن عنى به مثلها فإما إن عنى به مثلها مطلقاً من كل وجه، وإما عنى به مثلها من حيث الإسم والمشاركة في عموم الصفات دون خواص المعاني، وهذان قسمان وإن عنى به عينها فإما أن يكون بطريق الانتقال لصفات الرب إلى العبد أو بالانتقال، فإن لم يكن بالانتقال فإما أن يكون باتحاد ذات العبد بذات الرب حتى يكون هو هو فيكون صفاته صفاته، وإما أن يكون بطريق الحلول. وهذه أقسام ثلاثة وهو الانتقال و الإتحاد و الحلول، و قسمان متقدمان، فهذه خمسة أقسام الصحيح منها

فإن التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى ، وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي فيليق به . نعم قد يراد بالتكبر الزهو والصلف والايذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى ، وإنما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل شيء وإنه يعلم أنه كذلك ، والعبد مأمور بأنه يطلب أعلى المراتب إن قدر عليه ، ولكن بالإستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتلبيس ، فعلى العبد أن يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر ، والمطيع أكبر من العاصي ، والعالم أكبر من الجاهل ، والإنسان أكبر من البهيمة والجماد والنبات ، وأقرب إلى الله تعالى منها فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها لكانت صفة التكبر حاصلة له ولائقة به وفضيلة في حقه ، إلا أنه لا سبيل له إلى معرفته فإن ذلك موقوف على الخاتمة ، وليس

قسم واحد ، وهو أن يثبت للعبد من هذه الصفات أمور تناسبها على الجملة و تشاركها في الإسم ، ولكن لا تماثلها مماثلة تامة . و بقية الأقسام كلها محال و باطل و حيث يطلق الاتحاد و يقول هو هو لا يكون إلا بطريق التوسع اللائق بعادة الصوفية ، وعليه ينبغي أن يحمل قول الشيخ أبي يزيد حيث قال : انسلخت نفسي عن نفسي كما تنسلخ الحية عن جلدها ، فنظرت فإذا أنا هو فيكون معناه أن ينسلخ من شهوات نفسه و هواها و همها فلا يبقي فيه متسع لغير الله ، ولا يكون همه سوى الله ، وإذا لم يجد في القلب إلا جلال الله و جماله حتى صار مستغرقاً به يصير كأنه هو لا أنه هو تحقيقاً ، و فرق بين قولنا هو هو ، وبين قولنا كأنه هو ، وهذه مزلة قدم ، فإن من ليس له قدم راسخ في المعقولات ربما لم يتميز له أحدهما عن الآخر . هذا حاصل ما ذكره المصنف في خاتمة المقصد الأسنى .

(وأما التكبر فلا يليق بالعبد ، فإن التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى) بل اللائق منه في صفات الله تعالى رؤية الكل حقيراً بالإضافة إلى ذاته ، ولا يتصور ذلك على الإطلاق إلا لله تعالى . **(وأما التكبر على من يستحق كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والمطيع على العاصي يليق به . نعم قد يراد بالتكبر الزهوة و الصلف)** و التيه **(و الإيذاء ، وليس ذلك من وصف الله تعالى ، وإنما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل شيء وأنه يعلم أنه كذلك)** ولا يرى العظمة و الكبرياء إلا لنفسه فينظر إلى غيره نظر الملوك إلى العبيد ، **(والعبد مأمور بأن يطلب أعلى المراتب إن قدر عليه ، ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل و التلبيس ، فعلى أن يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر ، والمطيع أكبر من العاصي ، والعالم أكبر من الجاهل ، و الإنسان أكبر من البهيمة و الجماد والنبات ، وأقرب إلى الله تعالى منها ، فلو رأى نفسه بهذه الصفة رؤية محققة لا شك فيها لكان صفة الكبر حاصلة له ولائقة به وفضيلة في حقه إلا أنه لا سبيل له إلى معرفته فإن ذلك موقف على الخاتمة ، وليس يدري الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق ،**

يدري الخاتمة كيف تكون وكيف تتفق. فلجهله بذلك وجب أن لا يعتقد لنفسه رتبة فوق رتبة الكافر؛ إذ ربما يختم للكافر بالإيمان، وقد يختم له بالكفر، فلم يكن ذلك لائقاً به لقصور علمه، عن معرفة العاقبة ولما تصوّر أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كمالاً في حقه لأنه من صفات الله تعالى، ولما كانت معرفة بعض الأشياء قد تضره صار ذلك العلم نقصاناً في حقه إذ ليس من أوصاف الله تعالى علم يضره، فمعرفة الأمور التي لا ضرر فيها هي التي تتصور في العبد من صفات الله تعالى، فلا جرم هو منتهى الفضيلة وبه فضل الأنبياء والأولياء والعلماء، فإذاً لو استوى عنده وجود المال وعدمه فهذا نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة، أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلاً، فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال الغني الشاكر.

المقام الثاني في نسبة حال الفقير الحريص إلى حال الغني الحريص:

ولنفرض هذا في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده، فله حالة الفقد وحالة الوجود، فأي حالتيه أفضل؟ فيقول: ننظر فإن كان مطلوبه ما لا بد

فلجهله بذلك وجب أن لا يعتقد لنفسه رتبة الكافر) ولا يفضل نفسه عليه **(إذ ربما يختم للكافر بالايمان)** فينجو، **(وقد يختم له بالكفر)** فيهلك، **(فلم يكن ذلك لائقاً به لقصور علمه عن معرفة العاقبة)**. وقال المصنف في المقصد الأسنى: حظ العبد من اسمه تعالى المتكبر أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق و بتكبر على كل شيء سوى الحق تعالى فيكون مستحقراً للدنيا والآخرة مترفعاً عن كل ما يشغله عن الحق تعالى. **(ولما تصور أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كمالاً في حقه لأنه من صفات الله تعالى، ولما كان معرفة بعض الأشياء قد تضره صار ذلك نقصاً في حقه إذ ليس من أوصاف الله تعالى علم يضره، فمعرفة الأمور التي لا ضرر فيها هي التي تتصور في العبد من صفات الله تعالى، فلا جرم هو منتهى الفضيلة)** و غاية الكمال، **(وبه فضل الأنبياء و الأولياء و العلماء، فإذاً لو استوى عنده وجود المال و عدمه فهو نوع من الغنى يضاهي بوجه من الوجوه الغنى الذي يوصف به الله سبحانه فهو فضيلة)** و كمال، **(أما الغنى بوجود المال فلا فضيلة فيه أصلاً، فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال الغني الشاكر)** وبه تم بيان المقام الأول.

المقام الثاني في بيان نسبة حال الفقير الحريص إلى حال الغني الحريص:

(ولنفرض ذلك في شخص واحد هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقر وحالة الوجود، فأي حالية أفضل؟ فنقول: ننظر فإن كان مطلوبه ما لا بدّ منه في

منه في المعيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه فحال الوجود أفضل، لأن الفقر يشغله بالطلب، وطالب القوت لا يقدر على الفكر والذكر إلا قدرة مدخوله بشغل؛ والمكفي هو القادر ولذلك قال ﷺ: « اللهم إجعل قوت آل محمد كفافاً » وقال: « كاد الفقر أن يكون كفراً » أي الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وإن كان المطلوب فوق الحاجة أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين؛ فحالة الفقر أفضل وأصلح، لأنهما استويا في الحرص وحب المال، واستويا في أن كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين، واستويا في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى ولكن إفترقا في أن الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه في قلبه ويطمئن إلى الدنيا والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذي يبغي الخلاص منه ومهما استوت الأمور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما أشد ركوناً إلى الدنيا؛ فحاله أشد لا محالة؛ إذ يلتفت قلبه إلى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد أنسه بالدنيا، وقد قال ﷺ: « إن روح القدس

المعيشة كان قصده أن يسلك سبيل الدين) لحج وجهاد وصلة وقربات **(ويستعين به عليه)** كمطعم وملبس ومسكن ونحو ذلك، **(فحال الوجود أفضل)** في حقه **(لأن الفقر يشغله بالطلب)**، والقلب إذا انصرف إلى ذلك لم يتفرغ للدين، **(وطالب القوت لا يقدر على الفكر والذكر إلا قدرة مدخوله بشغل والمكفي هو القادر)** وليس هذا من حظوظ الدنيا، فإن أخذ الكفاية من الدنيا على نية التقوى على سلوك سبيل الدين كان ذلك كفاية، وهذه إحدى فوائد المال المشار إليها في الاجمال. **(ولذلك قال ﷺ: « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً »)** تقدم قريباً. **(وقال)** ﷺ: **(« كاد الفقر أن يكون كفراً »)** تقدم مراراً **(أي الفقر مع الاضطرار فيما لا بدّ منه)** فهذا هو الذي يكاد أن يكون كفراً، **(وإن كان المطلوب فوق الحاجة)** الضرورية **(أو كان المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن المقصود الاستعانة به على سلوك سبيل الدين فحالة الفقد أفضل وأصلح)** في حقه **(لأنهما استويا في الحرص وحب المال واستويا في آن كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق الدين واستويا في ان كل واحد منهما ليس يتعرض لمعصية بسبب الفقر والغنى، ولكن افترقا في أن الواجد يأنس بما وجده فيتأكد حبه في قلبه)** ويطمئن **(إلى الدنيا، والفاقد المضطر يتجافى قلبه عن الدنيا وتكون الدنيا عنده كالسجن الذي يبغي الخلاص منه، ومهما استوت الأمور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما أشد ركوناً إلى الدنيا)** أي ميلاً إليها **(فحاله أشد لا محالة إذ يلتفت قلبه إلى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد أنسه بالدنيا. وقد قال ﷺ « إن روح القدس)** أي جبريل عليه السلام **(نفث في روعي)** أي ألقى فيه **(أحبب ما أحببت**

نفث في روعي : أحبب من أحببت فإنك مفارقه » ، وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد ، فينبغي أن تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ، ولا تحب ما يفارقك وهو الدنيا ، فإنك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى ، فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه ، وفراقك لما تحبه ، وكل من فارق محبوباً فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه وقدر أنسه به وأنس الواجد للدنيا القادر عليها أكثر من أنس الفاقد لها ، وإن كان حريصاً عليها فإذاً قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الاشرف والأفضل والأصلح لكافة الخلق إلا في موضعين أحدهما : غنى مثل غنى عائشة رضي الله عنها يستوي عنده الوجود والعدم ، فيكون الوجود مزيداً له ؛ إذ يستفيد به أدعية الفقراء والمساكين وجميع هممهم ، والثاني الفقر عن مقدار الضرورة فإن ذلك يكاد أن يكون كفراً ، أو لا خير فيه بوجه من الوجوه إلا إذا كان وجوده يبقي حياته ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر والمعاصي ولو مات جوعاً لكانت معاصيه أقل ؛ فالأصلح له أن يموت جوعاً ولا يجد ما يضطر إليه أيضاً ؛ فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر . ويبقى

فإنك مفارقه) وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به » . رواه الشيرازي في الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه . ورواه الطبراني في الأصغر والأوسط من حديث علي ، وقد تقدم في آخر الباب السابع من كتاب العلم . (**وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد ، فينبغي أن تحب من لا يفارقك**) أبداً (**وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك**) ولو بعد حين (**وهو الدنيا فإنك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى ، فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما تحبه ، وكل من فارق محبوباً فيكون أذاه في فراقه بقدر حبه**) له (**وقدر أنسه به**) وألفته (**معه وأنس الواجد للدنيا بالدنيا أكثر من أنس الفاقد لها وإن كان حريصاً عليها**) وملتفتاً لتحصيلها ، (**فإذاً قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الأشرف والأفضل والأصلح لكافة الخلق إلا في موضعين . أحدهما : غني مثل غنى عائشة**) رضي الله عنها (**يستوي عنده الوجود والعدم فيكون الوجود**) مع هذا الحال (**مزيداً له**) في حاله (**إذ يستفيد به**) حينئذ (**أدعية الفقراء والمساكين وجمع هممهم**) وتوجهات بواطنهم وفيه فضيلة ظاهرة ، (**والثاني : الفقر عن مقدار الضرورة**) الماسة (**فإن ذلك يكاد أن يكون كفراً**) كما ورد الخبر (**فلا خير فيه**) أي في الكفر أو في هذا الفقر (**بوجه من الوجوه إلا إذا كان وجوده يبقي حياته ، ثم يستعين بقوته وحياته على الكفر**) أو ما يفضي إليه (**و**) على (**المعاصي**) أو ما يفضي إليها ، (**ولو مات جوعاً لكانت معاصيه أقل فالأصلح له أن يموت جوعاً ولا يجد ما يضطر إليه أيضاً ، فهذا تفصيل القول في الغنى والفقر ، ويبقى النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه وفي غني**

النظر في فقير حريص متكالب على طلب المال ليس له هم سواه. وفي غنى دونه في الحرص، على حفظ المال، ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده كتفجع الفقير بفقره، فهذا في محل النظر والأظهر، أن بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما لفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقده؛ والعلم عند الله تعالى فيه.

بيان آداب الفقير في فقره:

اعلم أن للفقير آداباً في باطنه وظاهره ومخالطته وأفعاله ينبغي أن يراعيها.

فأما أدب باطنه فأن لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر، أعني أنه لا يكون كارهاً فعل الله تعالى من حيث أنه فعله ـ وإن كان كارهاً للفقر ـ كالمحجوم ويكون كارهاً للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارهاً فعل الحجام ولا كارهاً للحجام، بل ربما يتقلد منه منة، فهذا أقل درجاته وهو واجب، ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر، وهو معنى قوله عليه السلام: «يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا» وأرفع من هذا أن لا يكون كارهاً للفقر، بل يكون راضياً به،

هو دونه في الحرص على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لو فقده) بسرقة أو تفريق أو غير ذلك، **(كتفجع الفقير بفقده. فهذا في محل النظر)** والتأمل **(والأظهر)** في القولين **(أن بعدهما عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما بفقد المال وقربهما)** من الله تعالى **(بقدر ضعف تفجعهما بفقده والعلم عند الله تعالى فيه)** والله الموفق.

بيان آداب الفقير في فقره:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن للفقير آداباً في باطنه وظاهره ومخالطته)** مع الناس **(وأفعاله ينبغي أن يراعيها)** ويحافظ عليها، **(فأما أدب باطنه فأن لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر)** لأنه تعالى قسم لمصلحته. **(أعني أنه لا يكون كارهاً فعل الله تعالى من حيث أنه فعله، وإن كان كارهاً للفقر)** فإن قلت: الطباع تنفر من المؤلم، فأقول: الشرع لا يؤاخذ العباد على النفرة الطبيعية، وهذا **(كالمحجوم يكون كارهاً للحجامة لتألمه بها ولا يكون كارهاً فعل الحجام ولا كارهاً للحجام)** فالنفرة من حديدة الحجام طبيعية لا خلاص منها إلا بالاستغراق وذلك مقام الصديقين، **(بل ربما يتقلد منه منة)** ويعطيه أجرة وهذه أفعال أختياريه، فهكذا ينبغي أن تفهم هذه المسألة **(وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب الفقر وهو معنى قوله ﷺ: «يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلاّ فلا»)** رواه الديلمي من حديث أبي هريرة وقد تقدم قريباً. **(وأرفع من هذا أن لا يكون كارهاً للفقر بل يكون راضياً به وأرفع منه أن يكون طالباً له وفرحاً**

وأرفع منه أن يكون طالباً له وفرحاً به لعلمه بغوائل الغنى، ويكون متوكلاً في باطنه على الله تعالى واثقاً به في قدر ضرورته أنه يأتيه لا محالة ويكون كارهاً للزيادة على الكفاف. وقد قال علي كرّم الله وجهه: إن لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر؛ فمن علامات الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله، ويشكر الله تعالى على فقره، ومن علاماته ـ إذا كان عقوبة ـ أن يسوء عليه خلقه ويعصي ربه بترك طاعته ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء، وهذا يدل على أن كل فقير فليس بمحمود، بل الذي لا يتسخط ويرضى أو يفرح بالفقر ويرضى لعلمه بثمرته، إذ قيل: ما أعطى عبد شيئاً من الدنيا إلا قيل له: خذه على ثلاثة أثلاث: شغل وهم وطول حساب.

وأما أدب ظاهره: فأن يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر، بل يستر **فقره ويستر أنه يستره ففي الحديث: «إن الله تعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال»، وقال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] وقال سفيان: أفضل الأعمال التجمل عند المحنة. وقال بعضهم: ستر الفقر من كنوز البر.**

به) ومحباً له **(لعلمه بغوائل الغنى)** وتهاويله **(ويكون متوكلاً في باطنه على الله واثقاً به في قدر ضرورته أنه يأتيه لا محالة)** على كل حال، **(ويكون كارهاً للزيادة على الكفاف وقد قال علي رضي الله عنه: إن لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر، فمن علامة الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع فيه ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره، ومن علامته إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء)** نقله صاحب القوت، **(وهذا يدل على أن كل فقر ليس محموداً)** بل بعض الفقر مذموم وهذا منه، **(بل الذي لا يتسخط ويرضى)** بما قضاه له مولاه **(أو يفرح بالفقر ويرضى لعلمه بثمرته)** فهذا هو المحمود **(إذ قيل: ما أعطي عبد شيئاً من الدنيا إلا قيل له خذه على ثلاثة أثلاث)**: ثلث **(شغل)** به، **(و)** ثلث **(هم)** ملازم وهذان في الدنيا، **(و)** ثلث **(طول حساب)** وهذا في الآخرة. وروى الطبراني من حديث ابن مسعود: من أشرب قلبه حب الدنيا التاط منها بثلاث: شقاء لا ينفد عناه، وحرص لا يبلغ غناه، وأمل لا يبلغ منتهاه.

(وأما أدب ظاهره) وفي نسخة وأما أدبه في ظاهره **(فأن يظهر التعفف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر)** لأحد **(بل يستر فقره و)** أعلى من ذلك أن **(يستر أنه يستره، ففي الحديث: «إن الله تعالى يحب)** عبده المؤمن **(الفقير المتعفف أبا العيال»)** رواه ابن ماجه والطبراني وابن عدي والبيهقي من حديث عمران بن حصين وقد تقدم. **(وقال)** تعالى: **(﴿يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف﴾ وقال سفيان)** الثوري رحمه الله تعالى: **(أفضل الأعمال التجمل عند المحنة)** رواه أبو نعيم في الحلية. **(وقال بعضهم: ستر الفقر من كنوز**

وأما في أعماله ، فأدبه أن لا يتواضع لغني لأجل غناه ، بل يتكبر عليه . قال علي كرّم الله وجهه : ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله تعالى ، وأحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل ، فهذه رتبة ، وأقل منها أن لا يخالط الأغنياء ولا يرغب في مجالستهم لأن ذلك من مبادىء الطمع . قال الثوري رحمه الله : إذا خالط الفقير الأغنياء فاعلم أنه مراء ، وإذا خالط السلطان فاعلم أنه لص . وقال بعض العارفين : إذا خالط الفقير الأغنياء انحلت عروته ، فإذا طمع فيهم انقطعت عصمته ، فإذا سكن إليهم ضل . وينبغي

البر) وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر : « من كنوز البر كتمان المصائب والأمراض والصدقة » . وروى الطبراني وابن عساكر من حديث أنس « ثلاث من كنوز البر : إخفاء الصدقة وكتمان الشكوى وكتمان المصيبة » .

(**وأما في أعماله فأدبه**) وفي بعض النسخ وأما أدبه في أعماله (**أن لا يتواضع لغني لأجل غناه**) فقد روى الديلمي من حديث أبي ذر « لعن الله فقيراً تواضع لغني من أجل ماله من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه » . وروى البيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود « من دخل على غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه » وللطبراني في الصغير من حديث أنس « من تضعضع لغني لينال مما في يديه أسخط الله عز وجل » (**بل يتكبر عليه**) لله تعالى إن كان ذلك الغني ممن يفتخر بغناه فإن التكبر عليه حينئذ ربما يكون بمنزلة الصدقة إذا كان الفقر واثقاً بالله عز وجل ، والمعنى فيه والله أعلم أن ينظر إلى زيهم وهيئاتهم بنظر الحقارة والاعراض ليصغر في عيونهم بذلك ما عظم في نفوسهم من أمر الدنيا ، فليس المراد بالتكبر هنا معناه الظاهر الذي هو التطاول والتفاخر ، والتظاهر فهو من أكثف حجب القلب وأقوى صفات النفس . (**قال علي كرم الله وجهه : ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله وأحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله تعالى**) وقد رأى بعض الصوفية علياً رضي الله عنه في المنام وطلب أن يسمع منه شيئاً فقاله له ذلك وقد تقدم . (**فهذه رتبة ، وأقل منها أن لا يخالط الأغنياء ولا يرغب في مجالستهم لأن ذلك من مبادىء الطمع**) والطباع تسرق العادات بالمجالسة فيورث ذلك بغض الفقر ومحبة الدنيا . (**قال**) سفيان (**الثوري**) رحمه الله تعالى : (**إذا خالط الفقير الأغنياء فاعلم أنه مراء وإذا خالط السلطان فاعلم أنه لص**) رواه أبو نعيم في الحلية ، وروى الديلمي من حديث أبي هريرة : « إذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم أنه لص » وقد تقدم في الأمر بالمعروف . (**وقال بعض العارفين : إذا مال الفقير إلى الأغنياء انحلت عروته**) أي عروة فقره إذ بميله إليهم يبغض الفقر ويحب الدنيا ، (**فإذا طمع فيهم انقطعت عصمته**) أي عصمة فقره بل تنكسر زجاجة زهده . (**فإذا سكن إليهم ضل**) عن طريق الوصول إلى الله تعالى وصار ذلك السكون من أكثف الحجب . وكان سهل التستري رحمه الله تعالى يقول : يلقي الله في قلب الفقير الرغبة في أبناء الدنيا والطمع فيهم حتى يخرج إليهم ويلقي في قلوبهم المنع له والجفاء عليهم

أن لا يسكت عن ذكر الحق مداهنة للأغنياء وطمعاً في العطاء.

وأما أدبه في أفعاله، فأن لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة، ولا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه، فإن ذلك جهد المقل، وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غني. روى زيد بن أسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم» قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدّق بها، وأخرج رجل درهماً من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه، فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف»، وينبغي أن لا يدّخر مالاً بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار ثلاث درجات.

إحداها: أن لا يدّخر إلا ليومه وليلته وهي درجة الصدّيقين.

يؤذيه بذلك لئلا يستحليه ويعتاده فيرده بذلك إليه بعد ان منعه منهم، ثم يفتح له من عنده رزقاً من حيث لا يحتسب الغنى. (**ولا ينبغي أن يسكت عند ذكر الحق مداهنة للأغنياء وطمعاً في العطاء**) وهذا واجب. روى البيهقي في الشعب من قول ابن مسعود: من خضع لغني ووضع له نفسه اعظاماً له وطمعاً فيما قبله ذهب ثلثا مروءته وشطر دينه.

(**وأما أدبه في أفعاله: فأن لا يفتر بسبب الفقر عن عبادة الله**) عز وجل أي لا يمنعه عنها لأن الفقر أفرغ للشواغل فهو أزيد للعبادة (و) أن (**لا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه فإن ذلك جهد المقل**) وهو أفضل الصدقات كما في الخبر، (**وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غني. روى زيد بن اسلم**) العدوي مولاهم التابعي المدني مرسلاً (**قال قال رسول الله ﷺ: «درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة الف درهم» قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال «أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف فتصدق بهاوأخرج رجل درهماً من درهمين لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف»**) قال العراقي رواه النسائي من حديث أبي هريرة متصلاً، وتقدم في الزكاة والأصل له من رواية زيد بن أسلم مرسلاً اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن حبان والحاكم، ورواه النسائي أيضاً من حديث أبي ذر ولفظهم جميعاً «سبق درهم مائة ألـف رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به، ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها».

(**وينبغي أن لا يدخر مالاً بل يأخذ**) منه (**قدر الحاجة ويخرج الباقي**) في سبيل الله تعالى (**وفي الادخار ثلاث درجات**).

(**إحداها: ان يدخر ليومه وليلته وهي درجة الصديقين**).

والثانية: أن يدخر لأربعين يوماً فإن ما زاد عليه داخل في طول الأمل، وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة في أمل الحياة أربعين يوماً. وهذه درجة المتقين.

والثالثة: أن يدّخر لسنته وهي أقصى المراتب وهي رتبة الصالحين، ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية، فغنى الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه في قوت سنته، وغنى الخصوص في أربعين يوماً، وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة، وقد قسم النبي ﷺ نساءه على مثل هذه الأقسام؛ فبعضهن كان يأتيها قوت سنة عند حصول ما يحصل، وبعضهن قوت أربعين يوماً وبعضهن يوماً وليلة وهو قسم عائشة وحفصة.

بيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه بغير سؤال:

ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور: نفس المال، وغرض المعطي، وغرضه في الأخذ.

أما نفس المال، فينبغي أن يكون حلالاً خالياً عن الشبهات كلها، فإن كان فيه

(**والثانية: أن يدخره لأربعين يوماً**) ولا يزيد (**فإن ما زاد عليه داخل في طول الامل**) وهو مذموم، (**وقد فهم العلماء ذلك**) الحد (**من ميعاد الله تعالى لموسى عليه السلام**) إذ كان ميقاته أربعين ليلة (**ففهم منه الرخصة في أمل الحياة أربعين يوماً**) ويأتي للمصنف في كتاب التوكل ما يرده (**وهذه درجة المتقين**).

(**والثالثة: أن يدخر لسنته وهي أقصى المراتب**) والدرجات في الرخصة (**وهي رتبة الصالحين**) من خواص المؤمنين، (**ومن زاد في الادخار على هذا**) القدر (**فهو واقع في غمار العموم**) من المؤمنين (**خارج عن حيز الخصوص بالكلية، فغنى الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه**) وفقد يقينه (**في قوت سنته، وغنى الخصوص في أربعين يوماً وغنى خصوص الخصوص في يوم وليلة. وقد قسم النبي ﷺ لنسائه على مثل هذه الأقسام، فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل، وبعضهن قوت أربعين يوماً، وبعضهن يوماً وليلة منهن عائشة وحفصة**) والله الموفق.

بيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه من غير سؤال:

اعلم أنه (**ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه**) من غير سؤال (**ثلاثة أمور: نفس المال وغرض المعطي وغرضه في الاخذ، أما نفس المال فينبغي أن يكون حلالاً**) طيباً (**خالياً**

شبهة فليحترز من أخذه، وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب.

وأما غرض المعطي، فلا يخلو إما أن يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهداية، أو الثواب وهو الصدقة والزكاة، أو الذكر والرياء والسمعة إما على التجرد، وإما ممزوجاً ببقية الأغراض.

أما الأوّل - وهو الهدية - فلا بأس بقبولها، فإن قبولها سنة رسول الله ﷺ، ولكن ينبغي أن لا يكون فيها منة، فإن كان فيها منة فالأولى تركها، فإن علم أن بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض؛ فقد أهدي إلى رسول الله ﷺ سمن واقط وكبش، فقبل السمن والاقط ورد الكبش، وكان ﷺ يقبل من بعض الناس ويرد على

عن الشبهات كلها، **فإن كان فيه شبهة فليحترز من أخذه**) وليجتنبه إلا أنهم أجازوا أخذها للحاجة القريبة من الضرورة ولطيب قلب المعطي إن كان والداً أو قريباً أو صديقاً، وإن كان حراماً فلا يأخذه لحاجته ولا لطيب قلب المعطي، (**وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب**) فلينظر هناك.

(**وأما غرض المعطي، فلا يخلو إما أن يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو**) كان غرضه (**الثواب**) المجرد (**وهو الصدقة والزكاة أو**) كان غرضه (**الذكر والرياء والسمعة إما على التجرد وإما ممزوجاً ببقية الاغراض**).

(**أما الأوّل وهو الهدية فلا بأس بقبولها فإن قبولها سنّة رسول الله ﷺ**) فقد روى أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي من حديث عائشة «كان ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها» وقد تقدم. (**ولكن ينبغي أن لا تكون فيها منة فإن كان فيها منة فالأولى**) للمخلصين من الصادقين (**تركها فإن علم أن بعضها مما تعظم فيه المنة فليرد البعض دون البعض**) وذلك ممن يرى المنة للآخذ، (**فقد أهدي إلى رسول الله ﷺ**) من رجل أو امرأة (**سمن وإقط وكبش فقبل السمن والإقط ورد الكبش**) قال العراقي: رواه أحمد في أثناء حديث ليعلى بن مرة فأهدت إليه كبشين وشيئاً من سمن وإقط فقال النبي ﷺ «خذ السمن والإقط وأحد الكبشين ورد عليها الآخر». وإسناده جيد. وقال وكيع مرة عن يعلى بن مرة عن أبيه انتهى.

قلت: هو يعلى بن مرة بن وهب بن جار الثقفي له ولأبيه صحبة، وهو الذي أمره النبي ﷺ بقطع أعناب ثقيف، ووالده ذكره البغوي وغيره في الصحابة له في ابن ماجه حديث اختلف في اسناده على الأعمش.

(**وكان ﷺ يقبل من بعض الناس ويرد على بعض**) قال العراقي: روى أبو داود

بعض، وقال: « لقد هممت أن لا أتهب إلا من قرشي أو ثقفي أو أنصاري أو دوسي »، وفعل هذا جماعة من التابعين. وجاءت إلى فتح الموصلي صرة فيها خمسون درهماً فقال: حدثنا عطاء عن النبي ﷺ أنه قال: « من أتاه رزق من غير مسألة فرده فإنما يرده على الله ». ثم فتح الصرة فأخذ منها درهماً ورد سائرها. وكان الحسن يروي هذا الحديث أيضاً ولكن حمل إليه رجل كيساً ورزمة من رقيق ثياب خراسان، فرد ذلك وقال: من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق. وهذا يدل على أن أمر العالم والواعظ أشد في قبول العطاء. وقد كان الحسن يقبل من أصحابه. وكان إبراهيم التيمي يسأل من أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض

والترمذي من حديث أبي هريرة « وايم الله لا أقبل بعد يومي هذا من أحد هدية إلا أن يكون مهاجراً » الحديث وفيه محمد بن إسحاق ورواه بالعنعنة. **(وقال)** ﷺ **« (لقد هممت ان لا أتهب)** أي لا أقبل الهبة **(إلا من قرشي أو ثقفي أو انصاري أو دوسي »)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال: روي من غير وجه عن أبي هريرة. قلت: ورجاله ثقات انتهى.

قلت: ورواه كذلك عبد الرزاق وابن أبي شيبة والنسائي والبيهقي ولفظهم « لقد هممت أن لا أقبل هدية ». وأما لفظ المصنف، فرواه أحمد والطبراني والبزار من حديث ابن عباس « لقد هممت أن لا أتهب هبة إلا من أنصاري أو قرشي أو ثقفي » ورجاله أحمد رجال الصحيح.

(وفعل هذا جماعة من التابعين) فقبلوا من البعض وردوا على البعض، **(و)** يحكي أنه **(جاءت إلى فتح)** بن شخرف **(الموصلي)** رحمه الله تعالى من أحد أصدقائه **(صرة فيها خمسون درهماً فقال: حدثنا عطاء)** إن كان هو ابن أبي رباح فإن فتحاً لم يدركه **(عن النبي ﷺ)** مرسلاً **(من أتاه رزق من غير مسألة فرده فإنما يرده على الله)** عز وجل. قال العراقي: لم أجده مرسلاً هكذا. وسيأتي بعد هذا بحديث ما يصحح معناه، **(ثم فتح الصرة وأخذ منها درهماً ورد سائرها)** أي باقيها يحتمل أنه أخذ درهماً قدر حاجته ورد ما لم يحتج إليه، ويحتمل أنه أخذ الدرهم لتطييب قلب صديقه. **(وكان الحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(يروي هذا الحديث أيضاً)** عن جماعة من الصحابة، **(ولكن)** روى أنه **(حمل إليه رجل كيساً)** فيه دراهم **(ورزمة من رقيق ثياب خراسان فرّد ذلك)** كله **(وقال)**: يا هذا **(من جلس مجلسي هذا)** أي في التعليم والتذكير **(وقبل من الناس مثل هذا)** الذي أهدي إليه **(لقي الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلاق)** أي حظ ونصيب من الثواب، **(وهذا)** بظاهره **(يدل على أمر العالم)** الذي انتصب لإفادة الناس، **(والواعظ)** الذي انتصب للتذكير **(أشد في قبول العطاء)** من غيرهما. **(وقد كان الحسن)** رحمه الله تعالى مع ذلك **(يقبل من أصحابه)** تطييباً لقلوبهم. **(وكان إبراهيم)** بن يزيد **(التيمي)** مع روعه **(يسأل أصحابه الدرهم والدرهمين**

عليه غيرهم المئين فلا يأخذها. وكان بعضهم إذا أعطاه صديقه شيئاً يقول: أتركه عندك وانظر إن كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل القبول فأخبرني حتى آخذه وإلا فلا، وأمارة هذا أن يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى المنّة على نفسه في قبول صديقه هديته، فإن علم أنه يمازجه منة فأخذه مباح ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين. وقال بشر: ما سألت أحداً قط شيئاً إلا سرياً السقطي لأنه قد صح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده فأكون عوناً له على ما يحب. وجاء خراساني إلى الجنيد رحمه الله بمال وسأله أن يأكله فقال: أفرّقه على الفقراء، فقال: ما أريد هذا. قال ومتى أعيش حتى آكل هذا؟ قال: ما أريد أن تنفقه في الخل والبقل بل في الحلاوات والطيبات، فقبل ذلك منه، فقال الخراساني: ما أجد في بغداد أمن عليّ منك، فقال الجنيد: ولا ينبغي أن يقبل إلا من مثلك.

الثاني: أن يكون للثواب المجرد وذلك صدقة أو زكاة، فعليه أن ينظر في صفات

ونحوه) ويأخذ منهم وكانوا يعرفون له المنة والفضل في قبوله منهم، **(ويعرض عليه غيرهم المئين)** من الدراهم من غير سؤال **(فلا يأخذ)** منهم. **(وكان بعضهم إذا أعطاه صديقه شيئاً يقول)** له **(أتركه عندك وانظر إن كنت بعد قبوله في قلبك أفضل مني قبل القبول فأخبرني حتى آخذ وإلاّ فلا)** آخذ اختباراً لصداقته، **(وإمارة هذا أن يشق عليه الرد لو رده عليه (ويفرح بالقبول ويرى المنة على نفسه)** والفضل **(في قبول صديقه هديته، فإن علم أنه يمازجه منة فأخذه مباح)** في ظاهر الشرع، **(ولكنه مكروه عند الفقراء الصادقين)** فإن صدقتهم في فقرهم يحملهم على رد ما فيه منة. **(وقال بشر)** بن الحرث رحمه الله تعالى. **(ما سألت أحداً قط شيئاً إلاّ سرياً السقطي)** رحمه الله تعالى **(لأنه قد صح عندي زهده في الدنيا)** وتسلية نفسه عنها **(فهو يفرح بخروج الشيء من يده)** ويرى للآخذ منه **(ويتبرم)** أي يتضجر **(ببقائه عنده، فأكون عوناً على ما يحب)** نقله صاحب القوت. **(وجاء)** رجل **(خراساني إلى الجنيد)** رحمه الله تعالى **(بمال)** هدية **(وسأله أن يأكله)** أي يصرفه على ما يأكله **(فقال)**: أقبله و**(أفرقه على الفقراء. فقال: ما أريد هذا)** إنما أريد أن تصرفه على أكلك. **(قال)** الجنيد. هذا مال كثير **(ومتى أعيش حتى آكل)** وفي نسخة: إلى أن آكل **(هذا. قال)** الرجل: **(ما أريد أن تنفقه في الخل والبقل)** وما أشبه ذلك، **(بل)** تنفقه **(في الحلاوات والطيبات)** من لذائذ الأطعمة، **(فقبل ذلك منه)** تطييباً لخاطره وعرف منه صدق ارادته. **(فقال الخراساني: ما أحد في بغداد أمن عليّ منك)** أي أكثر منة منك عليّ حيث قبلته مني. **(فقال الجنيد: ولا ينبغي أن يقبل إلا من مثلك)**، وهذا يدل على أنه يجوز قبول العطاء ممن يرى للآخذ منة ولو كان زائداً على قدر حاجته.

(الثاني: أن يكون للثواب المجرد وذلك صدقة أو زكاة) فإن كان **(زكاة فعليه أن**

نفسه هل هو مستحق للزكاة؟ فإن اشتبه عليه فهو محل شبهة، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة. وإن كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر إلى باطنه، فإن كان مقارفاً لمعصية في السر يعلم أن المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرّب إلى الله بالتصدق عليه، فهذا حرام أخذه كما لو أعطاه لظنه أنه عالم أو علوي ولم يكن، فإنّ أخذه حرام محض لا شبهة فيه.

الثالث: أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة، فينبغي أن يرد عليه قصده الفاسد ولا يقبله، إذ يكون معيناً له على غرضه الفاسد. وكان سفيان الثوري يرد ما يعطى ويقول: لو علمت أنهم لا يذكرون ذلك افتخاراً به لأخذت. وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة فقال: إنما أرد صلتهم إشفاقاً عليهم ونصحاً لهم لأنهم يذكرون ذلك ويحبون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم.

ينظر في صفات نفسه أنه هل هو مستحق للزكاة) أم لا؟ فإن كان مستحقاً أخذ وإلاّ فلا وهذا واجب، (**فإن اشتبه عليه**) ذلك (**فهو محل شبهة**) أي شبهة صفة الاستحقاق وهي آفة، وأيضاً فيه تضييق على الفقراء فهي آفة ثانية فلا يترجح أخذها على الصدقة، ولكن في قبولها فوائد الاعانة على الواجب وعدم المنة وعدم الأخذ بالدين والأخذ للحاجة وأبعد من التكبر، وفي الصدقة عكس ذلك. (**وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة**) فليطلب من هناك، (**وإن كانت صدقة وكان يعطيه لدينه**) أي يظن فيه الصلاح، (**فإن كان مقارفاً لمعصية في السر**) ولم يتب منها أو كان مصراً على معصية وهو (**يعلم أن المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب إلى الله تعالى بالتصدق عليه فهذا حرام أخذه**) أي لا يحل له القبول (**كما لو أعطاه لظنه أنه عالم أو علوي**) أي شريف هاشمي، (**ولم يكن**) كذلك، (**فإن أخذه حرام محض لا شبهة فيه**) وفي قبول الصدقة للمتصف بالوصف الذي يعطى بسببه فائدة عظيمة إذا كان المتصدق لا يسمح بتلك الصدقة إلا لزيد بعينه فقبولها إعانة له على البر وتوسع على الفقراء، ومن أخذ لله انتفى عنه الكبر والمنة، وهذه علامات باطنة بين العبد وربه والقيام بها يبلغ درجة الصديقين وإهمالها يبلغ درجة الغافلين.

(**الثالث: أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة، فينبغي أن يرد عليه قصده**) ولا يعان فيه (**ولا يقبله**) منه (**إذ يكون**) في قبوله منه (**معيناً على غرضه الفاسد**) وهو حرام، (**وكان سفيان الثوري**) رحمه الله تعالى (**يرد ما يعطى ويقول: لو علمت أنهم لا يذكرون ذلك افتخاراً به**) بين الناس (**لأخذت وعوتب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة**) من أصدقائه (**فقال: إنما أرد صلتهم اشفاقاً عليهم ونصحاً لهم لأنهم يذكرون ذلك**) بين الناس (**ويحبون أن يعلم بهم**) ليذكروا به، (**فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم**) لفساد نياتهم.

وأما غرضه في الأخذ فينبغي أن ينظر: أهو محتاج إليه فيما لا بدّ له منه أو هو مستغن عنه، فإن كان محتاجاً إليه وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المعطي فالأفضل له الأخذ، قال النبي ﷺ: « ما المعطي من سعة بأعظم أجراً من الآخذ إذا كان محتاجاً »، وقال ﷺ: « من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولااستشراف فإنما هو رزق ساقه الله إليه »، وفي لفظ آخر: « فلا يرده ». وقال بعض العلماء: من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط. وقد كان سري السقطي يوصل إلى أحمد بن حنبل رحمة الله عليهما شيئاً فرده مرة، فقال له السري: يا أحمد، إحذر آفة الرد فإنها أشد من آفة الأخذ، فقال أحمد: أعد عليّ ما قلت! فأعاده، فقال أحمد: ما رددت عليك إلا لأن

(وأما غرضه) أي الفقير **(في الأخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج إليه فيما لا بدّ منه أو هو مستغن عنه، فإن كان محتاجاً وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في المعطي)** ومن استشراف النفس **(فالأفضل له الأخذ)** فإن رد ذلك عوقب باستشراف نفس أو طمع أو أخذ شبهة. **(قال النبي ﷺ: « ما المعطي من سعة بأعظم أجراً من الآخذ إذا كان محتاجاً إليه»)** رواه الطبراني من حديث ابن عمر وقد تقدم في كتاب الزكاة. وفي لفظ « ما الذي يعطي من سعة بأعظم أجراً من الذي يقبل من حاجة » رواه صاحب الحلية من حديث أنس. **(وقال ﷺ: « من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فإنما هو رزق ساقه الله إليه» وفي لفظ آخر « فلا يرده »)** قال العراقي: روى أحمد وأبو يعلى والطبراني بإسناد جيد من حديث خالد بن عدي الجهني « من بلغه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يرده فإنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه » ولأحمد وأبي داود الطيالسي من حديث أبي هريرة « من آتاه الله من هذا المال شيئاً من غير أن يسأله فليقبله » الحديث. وفي الصحيحين من حديث عمر: « ما اتاك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه » الحديث انتهى.

قلت: حديث خالد بن عدي الجهني رواه كذلك ابن أبي شيبة وابن سعد وابن حبان والباوردي والحكيم وأبو نعيم والبيهقي والضياء بلفظ: « ما جاءه عن أخيه معروف » والباقي سواء. قال البغوي: لا أعلم له غيره. ويروى من حديث زيد بن خالد الجهني نحوه، رواه كذلك ابن حبان والحاكم وحديث أبي هريرة تمامه بعد قوله فلقبله فإنما هو رزق ساقه الله. وتمام حديث عمر فخذه وتموّله وما لا فلا تتبعه نفسك، وقد رواه كذلك النسائي، ورواه أحمد والطبراني من حديث أبي الدرداء نحوه، ثم أشار المصنف إلى آفات الرد وعقوباته فقال:

(وقال بعض العلماء: من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط، وقد كان سري السقطي) رحمه الله تعالى **(يوصل إلى)** الإمام **(أحمد بن حنبل)** رحمه الله تعالى **(شيئاً)** من باب الهدية **(فرده مرة)** ولم يأخذه **(فقال له السري: يا أحمد احذر آفة الرد فإنها أشد من آفة الأخذ. فقال له أحمد: أعد عليّ ما قلت فأعاده)** ما قال **(فقال أحمد: ما رددت عليك إلا)** أنه **(عندي**

عندي قوت شهر، فاحبسه لي عندك، فإذا كان بعد شهر فأنفذه إليّ، وقد قال بعض العلماء: يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول في شبهة أو غيره؛ فأما إذا كان ما أتاه زائد على حاجته فلا يخلو إما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه والتكفل بأمور الفقراء والإنفاق عليهم لما في طبعه من الرفق والسخاء، فإن كان مشغولاً بنفسه فلا وجه لأخذه وإمساكه إن كان طالباً طريق الآخرة، فإن ذلك محض اتباع الهوى، وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان أو داع إليه، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ثم له مقامان:

أحدهما: أن يأخذ في العلانية ويرد في السر، أو يأخذ في العلانية ويفرق في السر، وهذا مقام الصديقين، وهو شاق على النفس لا يطيقه إلا من اطمأنت نفسه بالرياضة.

والثاني: أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو أحوج منه، أو يأخذ ويوصل إلى من هو أحوج منه، فيفعل كليهما في السر أو كليهما في العلانية؛ وقد ذكرنا

قوت شهر فاحبسه لي عندك فإذا كان بعد شهر فانفذه لي) فأنا أقبله. نقله صاحب القوت، وهذا يدل على جواز الرد إذا كان لغير حاجة (**وقد قال بعض العلماء: يخاف في الرد مع الحاجة**) إليه (**عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول في شبهة أو غيره**) من العقوبات. (**فأما إذا كان ما أتاه زائداً على**) قدر (**حاجته فلا يخلو إما أن يكون حاله الإشتغال بنفسه أو التكفل بأمور الفقراء**) والقيام بمهاتهم (**والإنفاق عليهم لما**) جبل (**في طبعه من الرفق والسخاء، فإن كان مشغولاً فلا وجه لأخذه لإمساكه**) عنده (**إن كان طالباً طريق الآخرة فإن ذلك محض إتباع الهوى**) وإنما هو اختبار وابتلاء من الله تعالى. (**وكل عمل ليس لله فهو في سبيل الشيطان أو داع إليه ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع في الحمى**) وهو لا يشعر، وقد ورد ذلك في الخبر وتقدم هذا وجه الأولوية في عدم أخذه. (**ثم**) إن جوّزنا (**له**) الأخذ فله في الإخفاء والإظهار والأخذ والرد (**مقامات**) وأحوال:

(**أحدها: أن يأخذ في العلانية ويـرد في السر**) بحيث لا يطلع عليه أحد. (**أو يأخذ في العلانية ويفرق في السر وهذا مقام الصديقين**) من الزاهدين ويسمونه الزهد في الزهد لأنه ينشأ عن الزهد في المال والجاه وفي إظهار الأخذ آفة عظيمة فليأخذ حذره ومنها وهي احثاث المعطي وغيره على العطاء. (**وهو شاق على النفس لا يطيقه إلا من اطمأنت نفسه بالرياضة**) والتهذيب، وهذا الذي ذكره المصنف مقاماً للصديقين أشبه أن يكون حالاً لهم، ولكن قد يكون الحال مقاماً وبالعكس كما تقدم.

(**والثاني: أن يترك**) رأساً (**ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل إلى من هو أحوج منه فيفعل كليهما في السر أو كليهما في العلانية**) تركه علانية

هل الأفضل إظهار الأخذ أو اخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه. وأما امتناع أحمد بن حنبل عن قبول عطاء سري السقطي رحمها الله، فإنما كان لاستغنائه عنه، إذ كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل بأخذه، وصرفه إلى غيره، فإن في ذلك آفات وأخطاراً، والورع يكون حذراً من مظان الآفات، إذ لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه. وقال بعض المجاورين بمكة: كانت عندي دراهم أعددتها للإنفاق في سبيل الله، فسمعت فقيراً قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي، أنا جائع كما ترى عريان كما ترى، فما ترى فيما ترى يا من يرى

وعدم تولي صرفه بنفسه، وتركه سراً كذلك أو أخذه علانية وتولى صرفه بنفسه وأخذه سراً وتولى صرفه بنفسه فهي أربع مقامات. فإذا أضيفت إلى المقامين الأولين صارت ستة، والأخذ في العلانية والإخراج فيها أيضاً هو مقام المقربين لأنهم لا يشهدون مع الله غير الله لأن كل ما سوى الله من الله وبالله ولله وإلى الله فلا غير حينئذ، لأن الغير هو المضاهي الظاهر ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا. ومن شاهد الوجود على ما وصفنا انتفت عنه الآفات الداخلة على غيره من العمال، وهذا لا يخفى في الأخذ والعطاء تخوفاً على نفسه لا لأجل المعطي والآخذ لأن من المتصدقين من يقصد إظهار الصدقة ونشرها فلا يعان على قصده، ومن المتصدق عليهم من يشتهي ستر حاله فيعان عليه لأن ستر حال المؤمن واجب، وأما الأخذ في السر فهو مقام الصالحين من الزاهدين فإن سلم من آفاته. ومن آفاته خوف الجاه وإسقاط المنزلة من القلوب والنظر إليه بعين الرغبة والحسد في أن يرى المعطي بعين الإحسان وأما الأخذ في السر والإخراج في العلانية فإن سلم من الآفات التي ذكرت في الإخفاء ومن آفة الرياء في الإخراج فهو على خير والسلامة في مثل هذه الحالة بعيدة. وأما من يأخذ سراً ولا يخرج سراً ولا علانية، فهذا الذي يأكل الدنيا بالدين. نسأل الله أن يعيذنا من شره فإنه إذا مات فضح أهل الطريق.

(**وقد ذكرنا هل الأفضل إظهار الأخذ وإخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه، وأما امتناع أحمد عن قبول عطاء سري السقطي رحمها الله تعالى فإنما كان لاستغنائه عنه إذ كان عنده قوت شهر ولم ير لنفسه أن يشتغل بأخذه وصرفه إلى غيره، فإن في ذلك آفات وأخطاراً**) أعظمها الإشتغال بغير الله تعالى (**والورع**) من شأنه (**يكون حذراً من مظان الأخطار**) وفي نسخة الآفات فيجتنب عنها (**إذا لم يأمن مكيدة الشيطان على نفسه**) ومن يكون في الورع مثل أحمد رحمه الله تعالى. (**وقال بعض المجاورين بمكة: كانت عندي دراهم أعددتها للإنفاق في سبيل الله فسمعت**) مرة (**فقيراً قد فرغ من طوافه**) وصلاته وتعلق بأستار الكعبة (**وهو يقول بصوت خفي**): يا رب إني (**جائع كما ترى**) يا رب إني (**عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى**) قيل:

ولا يرى، فنظرت فإذا عليه خلقان لا تكاد تواريه، فقلت في نفسي: لا أجد لدراهمي موضعاً أحسن من هذا، فحملتها إليه، فنظر إليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال: أربعة ثمن مئزرين، ودرهم أنفقه ثلاثاً فلا حاجة بي إلى الباقي فرده. قال: فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان، فهجس في نفسي منه شيء، فالتفت إليّ فأخذ بيدي، فأطافني معه أسبوعاً كل شوط منها على جوهر من معادن الأرض يتخشخش تحت أقدامنا إلى الكعبين: منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر، ولم يظهر ذلك للناس، فقال: هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وآخذ من أيدي الخلق لأن هذه أثقال وفتنة، وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة. والمقصود من هذا: أن الزيادة على قدر الحاجة، إنما تأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه، وقدر الحاجة يأتيك رفقاً بك، فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والإبتلاء. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ما عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَها لَنبلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عملاً﴾ [الكهف: ٧] وقد قال ﷺ: «لا حق لابن آدم إلا في ثلاث: طعام يقيم صلبه، وثوب يواري عورته، وبيت يكنه، فما زاد هو حساب»، فإذا أنت في أخذ قدر

أنه كان من فقراء العجم ودعا بالعجمية وهذه ترجمته (**فنظرت فإذا عليه خلقان**) أي ثياب رثة (**لا تكاد تواريه**) لقصرها وتقطعها (**فقلت في نفسي: لا أجد لدراهمي موضعاً أحسن من هذا فحملتها إليه فنظر إليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال: أربعة ثمن مئزرين، ودرهم أنفقه ثلاثاً ولا حاجة لي إلى الباقي فردّه**) إلي. (**قال: فرأيته الليلة الثانية يطوف وعليه مئزران جديدان فهجس في نفسي شيء**) أي ساء ظني فيه، (**فالتفت إلي فأخذ بيدي فأطافني معه اسبوعاً كل شوط منها على جوهر من معادن الأرض يتخشخش**) أي يتحرك مع صوت (**تحت أقدامنا إلى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس، فقال**) لي: (**هذا كله قد أعطانيه**) ربي (**فزهدت فيه وآخذ من أيدي الخلق لأن هذه أثقال وفتنة**) وامتحان، (**وذلك**) أي الأخذ من أيدي الخلق (**للعباد فيه رحمة ونعمة**) أورده صاحب القوت في كتاب التوكل، وفيه ثم قال له: نحن مكاشفون بسر الملك وظاهر لنا كنوز الأرض، ولكن لا نأخذ منه شيئاً زهداً فيه، ولان له أثقالاً فتركه أفضل، ونأخذ أرزاقنا من أيدي الناس وبالأسباب لأنه أحب إلى الله لمنافع العباد ولأن الحكمة والأحكام في هذا أكثر. (**والمقصود من ذكر هذا أن الزيادة على قدر الحاجة إنما تأتيك ابتلاء**) واختباراً (**وفتنة لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك**) من حيث كان (**رفقاً بك**) وشفقة عليك، (**فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والإبتلاء. قال الله تعالى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم﴾**) أي نختبرهم (**﴿أيهم أحسن عملاً﴾**) أيهم أزهد في الدنيا. (**وقال ﷺ: «لا حق لابن آدم إلاّ في ثلاث: طعام يقيم صلبه، وثوب يواري عورته، وبيت**

الحاجة هذه الثلاث مثاب، وفيما زاد عليه إن لم تعص الله متعرض للحساب، وإن عصيت الله فأنت متعرض للعقاب.

ومن الاختبار أيضاً: أن تعزم على ترك لذة من اللذات تقرباً إلى الله تعالى وكسراً لصفة النفس فتأتيك عفواً صفواً لتمتحن بها قوّة عقلك، فالأولى الامتناع عنها فإن النفس إذا رخص لها في نقض العزم ألفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها، فرد ذلك مهم وهو الزهد، فإن أخذته وصرفته إلى محتاج فهو غاية الزهد، ولا يقدر عليه إلا الصديقون. وأما إذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء فخذ ما زاد على حاجتك فإنه غير زائد على حاجة الفقراء، وبادر به إلى الصرف إليهم ولا تدّخره، فإن إمساكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار، فربما يحلو في قلبك فتمسكه فيكون فتنة عليك.

يكنه) من الحر والبرد **(فما زاد فهو حساب»)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عثمان بن عفان إلا أنه قال: وجلف الخبز والماء بدل قوله طعام يقيم صلبه وقال صحيح انتهى.

قلت: لفظه في جامعه: «ليس لابن آدم حق فيما سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء» وقال حسن صحيح، وهكذا رواه ابنه عبد بن حميد والحاكم والضياء. وروى ابن النجار من حديث ثوبان: «يكفيك من الدنيا ما سد جوعتك ووارى عورتك فإن كان لك شيء يظلك فذاك وإن كانت لك دابة تركبها فبخ» **(فإذا أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب)** لأن لك فيها حقاً وقد أذن لك الله في أخذها، **(وفيما زاد عليه إن لم تعص الله متعرض للحساب)** فيم أخذته وفيم صرفته، **(وإن عصيت الله فأنت متعرض للعقاب)** فهذا معنى قوله: «حلالها حساب وحرامها عقاب».

(ومن الإختبار أيضاً: أن تعزم على ترك لذة من اللذات) الدنيوية **(تقرباً إلى الله تعالى وكسراً لصفة النفس)** أي لثورتها **(فتأتيك)** تلك اللذة **(عفواً صفواً)** من غير تبعة ولا كدورة **(ليمتحن بها قوة عقلك)** هل تلابسها أو تتركها، **(فالأولى الإمتناع عنها فإن النفس إذ رخص لها في نقض العزم ألفت نقض العهد وعادت لعادتها)** القديمة **(وصرفته إلى محتاج)** سراً **(فهو غاية الزهد)** ويسمى زهد الزهد، **(ولا يقدر عليه إلا الصديقون)** من الزاهدين وقد أشرنا إلى ذلك في أول الفصل. **(وإما إذا كان حالك السخاء والبذل والتكفل بحقوق الفقراء وتعهد جماعة من الصلحاء)** بالخدمة وقضاء الحوائج **(فخذ ما زاد على حاجتك فإنه غير زائد على حاجة الفقراء)** إذ حاجاتهم كثيرة **(وبادر به إلى الصرف إليهم ولا تدخر لغد فإن إمساكه ولـو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار)** من الله تعالى، **(فربما يحلو في قلبك فتمسكه ويكون فتنة عليك)** إلا لأمر ضروري لا بد منه.

وقد تصدى لخدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب وذلك هو الهلاك ومن كـان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله أن يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة ، فإن رزقه الله من حلال قضاه ، وإن مات قبل القضاء قضاه الله تعالى عنه وأرضى غرماءه ، وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على إقراضه على بصيرة ، ودين مثل هذا الرجل واجب أن يقضي من مال بيت المال ومن الزكاة ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ ﴾ [الطلاق : ٧] قيل معناه : ليبع أحد ثوبيه . وقيل معناه : فليستقرض بجاهه ، فذلك مما آتاه الله . وقال بعضهم : إن لله تعالى عباداً ينفقون على قدر بضائعهم ، ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى . ومات بعضهم فأوصى بماله لثلاث طوائف : الأقوياء ، والأسخياء ، والأغنياء ، فقيل : من هؤلاء ؟ فقال : أما الأقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى ، وأما الأسخياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى ، وأما الأغنياء فهم أهل الإنقطاع إلى الله تعالى .

(**وقد تصدى لخدمة الفقراء**) في الربط (**والزوايا جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع في المال والتنعم في المطعم والمشرب**) والملبس (**وذلك هو**) عين (**الهلاك**) ويليه أن يتخذها وسيلة إلى تحصيل الجاه ، (**ومن كان غرضه الرفق**) بالفقراء (**وطلب الثواب**) من الله تعالى (**فله أن يستقرض على حسن الظن بالله لا على اعتماد السلاطين الظلمة**) أن يأتي منهم شيء فيؤديه منه ، (**فإن رزقه الله من حلال قضاه وإن مات قبل القضاء قضى الله تعالى عنه وأرضى عنه غرماءه ، وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يغر المقرض ولا يخدعه بالمواعيد بل يشكف حاله عنده**) أي يظهره له بأنه لا يملك شيئاً من متاع الدنيا والذي يستقرضه إنما هو لأجل الصرف على مواضع الثواب ، وأن سداده إنما هو من الفيض المطلق لا عن جهة معلومة معينة (**ليقدم**) المقرض (**على إقراضه**) وهو (**على بصيرة**) ويقين من أمره ، (**ودين مثل هذا الرجل**) إذا عجز أو مات (**واجب أن يقضي من بيت المال ومن الزكوات**) بعد أن يرفع أمره إلى ولي الأمر ، (**فقد قال تعالى : ﴿ ومن قدر عليه رزقه**) أي ضيق وحبس (**فلينفق مما آتاه الله ﴾ قيل : معناه ليبع أحد ثوبيه**) ويكتفي بالثوب الواحد (**وقيل : معناه فليستقرض بجاهه فذلك**) مما (**قد آتاه الله . وقال بعضهم : لله تعالى عباد ينفقون على قدر بضائعهم**) الموجودة عندهم ، (**ولله عباد ينفقون على قدر حسن الظن بالله تعالى**) وهؤلاء أعلى مقاماً . (**ومات بعضهم فأوصى بماله**) أي ثلثه (**لثلاث طوائف الأقوياء والأسخياء والأغنياء فقيل**) له (**من هؤلاء ؟ فقال : أما الأقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى ، وأما الأسخياء فهم أهل حسن الظن بالله تعالى ، وأما الأغنياء فهم أهل الإنقطاع إلى**

فإذاً مهما وجدت هذه الشروط فيه وفي المال وفي المعطي فليأخذه، وينبغي أن يرى ما يأخذه من الله لا من المعطي؛ لأن المعطي واسطة قد سخر للعطاء، وهو مضطر إليه بما سلط عليه من الدواعي والإرادات والاعتقادات.

وقد حكي أن بعض الناس دعا شقيقاً في خمسين من أصحابه، فوضع الرجل مائدة حسنة، فلما قعد قال لأصحابه: إن هذا الرجل يقول: من لم يرني صنعت هذا الطعام وقدّمته فطعامي عليه حرام، فقاموا كلهم وخرجوا إلا شاباً منهم كان دونهم في الدرجة، فقال صاحب المنزل الشقيق: ما قصدت بهذا؟ قال: أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم. وقال موسى عليه السلام: يا رب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني إسرائيل يغديني هذا يوماً ويعشيني هذا ليلة فأوحى الله تعالى إليه هكذا أصنع بأوليائي، أجري أرزاقهم على أيدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم. فلا ينبغي أن يرى المعطي

الله تعالى) انقطعوا إلى الله تعالى فأغناهم عن غيره، **(فإذاً مهما وجدت هذه الشروط فيه في المال وفي المعطي فليأخذ)** وهو الأفضل، **(وينبغي أن يرى ما ياخذه من الله)** تعالى **(لا من المعطي إنما المعطي)** في الظاهر **(واسطة قد سخر للعطاء وهو مضطر إليه بما سلط عليه من الدواعي)** والبواعث **(والإرادات والإعتقادات)** والمعطي الحق في الحقيقة هو الله تعالى هذا هو التوحيد الكامل وقد تقدم تحقيق ذلك في أسرار الزكاة.

(وقد حكي أن بعض الناس) من المعتقدين **(دعا شقيقاً)** بن إبراهيم البلخي رحمه الله تعالى **(في خمسين من أصحابه)** فأتى بهم إلى منزله **(فوضع الرجل مائدة حسنة، فلما قعد)** شقيق **(قال لأصحابه: إن هذا الرجل يقول)** يعني صاحب المائدة: **(من لم يرني صنعت هذا الطعام وقدمته فطعامي عليه حرام، فقاموا كلهم)** ولم يأكلوا **(وخرجوا)** من المنزل وكانوا ممن ينظرون إلى الحقائق **(إلا شاباً كان دونهم في الدرجة. فقال صاحب المنزل لشقيق: ماذا قصدت بهذا؟ قال: أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم)** هل كمل توحيدهم أم لا؟ فإن كمال التوحيد أن لا يرى في الوجود فاعلاً إلا الله ولا ينكر الوسائط فإنهم مسخرون بإذن الله تعالى، ولما كان الشاب لم يكمل في معرفته بعد أكل من الطعام ولم يقم فإن مقامه يعطي أن الذي صنع الطعام وقدمه إليه هو صاحب المنزل ولا يعدو علمه ذلك.

(وقال موسى عليه السلام: يا رب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني إسرائيل يغديني هذا يوماً ويعشيني هذا ليلة، فأوحى الله تعالى إليه هكذا أصنع بأوليائي أجري أرزاقهم على أيدي البطالين) وفي لفظ العاصين **(من عبادي ليؤجروا فيهم)** نقله صاحب القوت وقال: فعلم هذا للمتوكلين ومعرفة هذه الحكمة لمن أوصل إليهم قسمهم من المؤملين مقام للجمع في

إلا من حيث إنه مسخر مأجور من الله تعالى، نسأل الله حسن التوفيق لما يرضاه.

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة؛ وآداب الفقير المضطر فيه:

اعلم أنه قد وردت مناة كثيرة في السؤال وتشديدات، وورد فيه أيضاً ما يدل على الرخصة إذ قال ﷺ: «للسائل حق ولو جاء على فرس»، وفي الحديث: «ردوا السائل

المعرفة واليقين فهو حال للمعطي الموصل وطريق للآخذ المتوكل، (**فلا ينبغي أن يرى المعطي إلا من حيث أنه مسخر مأجور من الله تعالى**) لا أنه المعطي حقيقة، والله الموفق.

بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير المضطر إليه:

(**اعلم**) أغناك الله تعالى (**أنه قد وردت مناة في السؤال وتشديدات**) عظيمة تدل على تحريمه والمراد بالسؤال هنا سؤال الناس عامة ويكون ذلك لنفسه، وخرج بذلك ما إذا كان يسأل لغيره فهذا غير داخل في تلك التشديدات بل هو معونة، وخرج من ذلك أيضاً ما إذا كان لنفسه لكنه سأل الأقارب والأصدقاء فهو طريق القوم وعليه العمل لأن الأصدقاء يفرحون بذلك ويرون الفضل والمنة للصديق القاصد وإليه يشير قوله: (**وورد فيه أيضاً ما يدل على الرخصة إذ قال ﷺ: «للسائل حق ولو جاء على فرس»**) قال العراقي: رواه أبو داود من حديث الحسين بن علي ومن حديث علي. وفي الأول يعلى بن أبي يحيى جهله أبو حاتم ووثقه ابن حبان، وفي الثاني شيخ لم يسم وسكت عليهما أبو داود انتهى.

قلت: ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة والطبراني والباوردي وابن قانع وأبو نعيم في الحلية والبيهقي والضياء كلهم عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها. والرواية الثانية رواها أيضاً البيهقي وقال السخاوي في المقاصد هو من رواية فاطمة بنت الحسين ابن علي واختلف عليها فقيل عنها عن أبيها عن علي، وقيل بدون علي، وقيل عنها عن جدتها فاطمة الكبرى وهذه الرواية عند إسحاق بن راهويه، وعلى كل حال ففي الباب عن الهرماس عند الطبراني وفيه عثمان بن فائد وهو ضعيف، وعن ابن عباس وعن زيد بن أسلم رفعه مرسلاً بلفظ: «اعطوا السائل ولو جاء على فرس» أخرجه مالك في الموطأ هكذا، ووصله ابن عدي من طريق عبدالله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة ولكن عبدالله ضعيف، بل رواه ابن عدي أيضاً من طريق عمر بن يزيد المدائني عن عطاء عن أبي هريرة وعمر ضعيف أيضاً، وللدارقطني في الإفراد من طريق الحسن بن علي الهاشمي عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا يمنعن أحدكم السائل أن يعطيه وإن كان في يده قلباء من ذهب» وقال: تفرد به الحسن عن الأعرج وهو في مسند الضياء. ثم قال العراقي: وأما ما ذكر عن ابن الصلاح في علوم الحديث أنه بلغه عن أحمد بن حنبل أنه قال: أربعة أحاديث تدور في الأسواق ليس لها أصل منها: «للسائل حق» الحديث فإنه لا يصح عن أحمد، وقد أخرج حديث الحسين بن علي في مسنده انتهى.

ولو بظلف محرق»، ولو كان السؤال حراماً مطلقاً لما جاز إعانة المتعدّي على عدوانه والإعطاء إعانة، فالكاشف للغطاء فيه أن السؤال حرام في الأصل وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة، فإن كان عنها بد فهو حرام، وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة.

قلت: ووجدت بخط الحافظ نقلاً عن خط ابن رجب الحنبلي ما نصه: ورد ذلك عن أحمد بمجرد روايته له في مسنده فيه نظر فكم من حديث قال فيه أحمد لا يصح، وقد أخرجه في مسنده ومن كتب العلل لعبدالله بن أحمد والأشرم والخلال علم صحة هذا انتهى. وبخط الحافظ أيضاً الصحيح عن أحمد أنه أنكر حديث لو صدق السائل ما أفلح من رده كذا نقل عنه مهنا، وكذا قال ابن المديني: ثلاثة أشياء لا تصح عن النبي ﷺ منها: «لو صدق السائل».

(وفي الحديث: «ردوا السائل ولو بظلف محرق») قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح والنسائي واللفظ له من حديث أم بجيد، وقال ابن عبد البر مضطرب انتهى.

قلت: رواه بهذا اللفظ أيضاً مالك وأحمد والبخاري في التاريخ وابن ماجه وابن حبان والبيهقي كلهم من طريق ابن بجيد الأنصاري عن جدته، ورواه ابن سعد والطبراني من رواية عمرو بن معاذ الأنصاري عن جدته حواء. هكذا هو في الجامع الكبير للسيوطي.

وقال الحافظ في الإصابة: حواء أم بجيد بموحدة وجيم مصغر صحابية روى حديثها مالك عن زيد بن أسلم عن ابن بجيد الأنصاري عن جدته عن النبي ﷺ إنها سمعته يقول: «ردوا السائل ولو بظلف محرق» هكذا أخرجه أحمد في مسنده عن روح بن عبادة عن مالك، وترجم لها حواء جدة عمرو بن معاذ ورواه أصحاب الموطأ فيه عن مالك عن زيد بلفظ: «يا نساء المؤمنات لا تحقرن إحداكن لجارتها ولو كراعاً محرقاً» ورواه مالك أيضاً عن زيد بن أسلم عن عمرو بن معاذ عن جدته حواء عن النبي ﷺ قال: «لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة» وأخرجه من طريق سعيد المقبري عن عبد الرحمن بن بجيد الأنصاري عن جدته مثله. وقال الليث: حدثني سعيد المقبري، عن عبد الرحمن بن بجيد، عن جدته وكانت ممن بايع رسول الله ﷺ أنها قالت لرسول الله ﷺ: إن المسكين ليقوم على بابي فلا أجد له شيئاً أعطيه فقال لها: «إن لم تجدي له شيئاً تعطيه إياه إلا ظلفاً محرقاً فادفعيه إليه في يده» هكذا أخرجه ابن سعد عن أبي الوليد عن الليث وقال في القسم الثالث: فرق ابن سعد بين حواء جدة عمرو بن معاذ الأنصارية، وبين حواء أم بجيد وهما واحدة.

(ولو كان السؤال حراماً مطلقاً لما جاز إعانة المعتدي على عدوانه والإعطاء إعانة فالكاشف للغطاء فيه) عن وجه الصواب **(أن السؤال حرام في الأصل)** وإنما يباح بضرورة داعية له **(أو حاجة مهمة قريبة من الضرورة فإن كان عنها)** أي عن تلك الحاجة وفي نسخة عنه أي عن السؤال **(بد فهو حرام)** والحاجة الخفيفة فيها تردد، **(وإنما قلنا: إن الأصل فيه التحريم لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة)** وهي في الحقيقة آفات مهلكة.

الأول: إظهار الشكوى من الله تعالى، إذ السؤال إظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى، وكما أن العبد المملوك لو سأل لكان سؤاله تشنيعاً على سيده، فكذلك سؤال العباد تشنيع على الله تعالى، وهذا ينبغي أن يحرم ولا يحل إلا لضرورة كما تحل الميتة.

الثاني: أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله، بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فإن فيه عزه، فأما سائر الخلق فإنهم عباد أمثاله فلا ينبغي أن يذل لهم إلا لضرورة، وفي السؤال ذل للسائل بالإضافة إلى المسؤول.

الثالث: أنه لا ينفك عن ايذاء المسؤول غالباً، لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه، فإن بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ، وإن منع ربما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع إذ يرى نفسه في صورة البخلاء، ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه، وكلاهما مؤذيان، والسائل هو السبب في الإيذاء والإيذاء حرام

(**أما الأول: إظهار الشكوى من الله تعالى**) لقصور النعمة (**إذ السؤال إظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى، وكما أن العبد المملوك**) لرجل (**لو سأل**) الناس (**لكان سؤاله تشنيعاً على سيده، فكذا سؤال العباد تشنيع على الله تعالى وهذا ينبغي أن يحرم**) لما في ضمنه في الشكاية من الله تعالى، (**ولا يحل إلا لضرورة**) ماسة (**كما تحل الميتة**) عند الضرورة.

(**والثاني: أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى**) وقد قيل: ثلاث من الذل: الدين ولو درهماً، والبنت ولو مريم، والسؤال ولو أين الطريق. (**وليس للمؤمن أن يذل نفسه**) كما ورد في الخبر أي إلا في عبادة كتعليم علم أو غيره وقد تقدم في كتاب العلم، (**بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فإن فيه عزه**) بل هو عين العبودية، (**فأما سائر الخلق فإنهم عباداً مثاله فلا ينبغي أن يذل لهم إلا لضرورة**) دعته لذلك، (**وفي السؤال للسائل بالإضافة إلى المسؤول منه**) ومن دعاء الإمام أحمد: اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك.

(**الثالث: أنه لا ينفك عن إيذاء المسؤول**) غالباً) لتردده بين العطاء والمنع (**لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلب منه**) وإنما يستحي أو يرائي، (**فإن بذل حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ**) بلا خلاف بين الأمة، وعلى هذا قولهم: ما أخذ بسيف المحاباة فهو حرام (**وإن منع ربما استحيا وتأذى في نفسه بالمنع إذ يرى نفسه**) حينئذ (**في صورة البخلاء، ففي البذل**) على الوجه المذكور (**نقصان ماله وفي المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان**) أحدهما في الظاهر والثاني في الباطن. (**والسائل هو السبب في الإيذاء**) المذكور

إلا بضرورة، ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله ﷺ: « مسألة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها »، فانظر كيف سماها فاحشة، ولا يخفى أن الفاحشة إنما تباح لضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيره. وقال ﷺ: « من سأل عن غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم ». ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع وليس عليه لحم » وفي لفظ آخر: « كانت

(**والإيذاء حرام إلا لضرورة**) فلأجل هذه المفاسد كان السؤال حراماً في الأصل فلا يباح إلا لضرورة أو حاجة مهمة كما ذكر، وكل ذلك يحرم مع الغنى كما سيأتي ذلك. (**ومهما فهمت هذه المحذورات الثلاث فقد فهمت قوله ﷺ حيث قال: « مسألة الناس من الفواحش ما أحل**) أي ما أبيح (**من الفواحش غيرها »**) قال العراقي: لم أجد له أصلاً. (**فانظر كيف سماها فاحشة**) وهي ما تفاحش جرمها فتوجب الحد في الدنيا والعذاب في العقبى، (**ولا يخفي أن الفاحشة إنما تباح لضرورة كما يباح شرب الخمر لمن غص بلقمة وهو لا يجد غيرها**) أي غير الخمر. (**وقال ﷺ: « من سأل عن غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم، ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس له لحم »**) قال العراقي: رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية مقتصراً على ما ذكر منه وتقدم في الزكاة. ولمسلم من حديث أبي هريرة: « من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً » الحديث وللبزار والطبراني من حديث ابن مسعود وابن عمر: « لا يزال العبد يسأل وهو غني حتى يخلق وجهه » وفي إسناده لين. وللشيخين من حديث ابن عمر: « ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم » انتهى.

قلت: لفظ حديث سهل بن الحنظلية عند أبي داود وابن حبان: « من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من جمر جهنم ». ورواه كذلك أحمد وابن خزيمة وابن جرير والطبراني والحاكم والبيهقي وروى عبدالله بن أحمد في زوائد المسند من حديث علي: « من سأل مسألة عن ظهر غنى استكثر بها من رضف جهنم » وروى ابن حبان وابن شاهين وتمام والضياء من حديث عمر: « من سأل ليثري ماله فإنما هو رضف من النار يلقمه من شاء فليقل ومن شاء فليكثر ». ولفظ حديث أبي هريرة عند مسلم « من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمر جهنم فليستقل منه أو ليستكثر ». وقد رواه كذلك أحمد وابن ماجه. وروى أحمد وابن جرير في التهذيب وابن قانع والطبراني وأبو نعيم والضياء من حديث حبشي بن جنادة: « من سأل من غير فقر فإنما يأكل الجمر » وفي رواية لابن جرير والطبراني: « من سأل الناس ليثري به ماله كان خموشاً في وجهه ورضفاً من جهنم يأكله يوم القيامة فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر ». وفي رواية أخرى للطبراني: « من سأل الناس في غير مصيبة حاجته فكأنما يلقم الرضفة ». وقول المصنف: « ومن سأل وله ما يغنيه » الحديث يقرب منه ما رواه الديلمي من حديث أنس: « من سأل الناس وعنده ما يكفيه جاء يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم ».

مسألته خدوشاً وكدوحاً في وجهه »، وهذه الألفاظ صريحة في التحريم والتشديد. وبايع رسول الله ﷺ قوماً على الإسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة: « لا تسألوا الناس شيئاً »، وكان ﷺ يأمر كثيراً بالتعفف عن السؤال ويقول: « من سألنا أعطيناه، ومن استغنى أغناه الله، وقال من لم يسألنا فهو أحب إلينا »، وقال ﷺ: « استعفوا عن الناس وما قلّ من السؤال فهو خير » قالوا: ومنك يا رسول الله؟ قال:

(وفي لفظ آخر): « من سأل وله ما يغنيه (كانت مسألته خدوشاً وكدوحاً في وجهه ») قال العراقي: رواه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود وتقدم في الزكاة انتهى.

قلت: رواه أحمد بلفظ: « من سأل مسألة وهو عنها غني جاءت يوم القيامة كدوحاً في وجهه » وفي رواية له: « من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح » ورواه كذلك أبو داود والترمذي وقال: حسن، والنسائي وابن ماجه وابن جرير والحاكم والبيهقي. وحديث ابن عمر عند الشيخين: « ما يزال الرجل يسأل » الحديث. رواه أيضاً النسائي كلهم من طريق حمزة بن عبدالله بن عمر عن أبيه.

(وهذه الألفاظ صريحة في التحريم والتشديد. وبايع رسول الله ﷺ قوماً على الإسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة) كذا في النسخ والصواب خفية: **(ولا تسألوا الناس شيئاً »)** رواه مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي، وقد تقدم في كتاب ذم البخل وحب المال. وروى أبو داود والنسائي من حديث ثوبان: « من يتكفل لي أن لا يسأل الناس فاتكفل له بالجنة فكأن تسقط علاقة سوطه فلا يأمر أحداً يناوله إياه وينزل هو فيأخذه ».

(وكان ﷺ يأمر كثيراً بالتعفف عن السؤال ويقول: « من سالنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله تعالى ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في القناعة، والحرث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري وفيه حصين بن هلال لم أر من تكلم فيه وباقيهم ثقات انتهى.

قلت: ورواه ابن جرير في تهذيبه بلفظ: « من استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن سألنا شيئاً فوجدناه أعطيناه ». ورواه أحمد والنسائي والبيهقي والضياء بلفظ: « من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله ومن استكفى كفاه الله ومن سأل قيمة وله قيمة فقد ألحف ».

(وقال ﷺ: « استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير » قالوا: ومنك؟ قال: « ومني ») قال العراقي: رواه البزار والطبراني من حديث ابن عباس: « استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك » وإسناده صحيح وله في حديث لعدي الجذامي: « فتعففوا ولو بحزم الحطب » وفيه من لم يسم وليس فيه وما قل من السؤال الخ انتهى.

« ومني » . وسمع عمر رضي الله عنه سائلاً يسأل بعد المغرب فقال لواحد من قومه : عشّ الرجل فعشاه ثم سمعه ثانياً يسأل فقال : ألم أقل لك عشّ الرجل ؟ قال : قد عشيته ، فنظر عمر فإذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزاً فقال : لست سائلاً ولكنك تاجر ، ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدي إبل الصدقة وضربه بالدرّة وقال : لا تعد . ولولا أن سؤاله كان حراماً لما ضربه ولا أخذ مخلاته ، ولعل الفقيه الضعيف المنة الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول : أما ضربه فهو تأديب وقد ورد الشرع بالتعزير ، وأما أخذه ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف استجازه؟ وهو استبعاد مصدره القصور في الفقه ، فأين يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده؟ أفترى أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة أو علم ذلك ولكن أقدم عليه غضباً في معصية الله وحاشاه ، أو أراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبي الله ، وهيهات فإن ذلك أيضاً معصية ، بل الفقه الذي لاح له فيه أنه رآه مستغنياً عن السؤال وعلم أن من أعطاه شيئاً فإنما أعطاه على اعتقاد أنه

قلت : حديث ابن عباس رواه أيضاً ابن جرير في تهذيبه ، و العسكري في الأمثال ، و البيهقي . و لابن عدي من حديث أبي هريرة « استغنوا بغنى الله » .

(**و سمع عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه سائلاً يسأل**) الناس (**بعد المغرب فقال لواحد من قومه: عش الرجل**) فأخذه (**فعشاه ثم سمعه ثانية فقال: ألم أقل لك عش الرجل؟ قال: قد عشيته فنظر إليه عمر فإذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزاً فقال: لست سائلاً ولكنك تاجر ثم أخذ المخلاة و نثرها بين يدي إبل الصدقة و ضربه بالدرة و قال: لا تعد**) إلى صنيعك هذا . (**ولولا أن سؤاله كان حراماً لما ضربه ولا أخذ مخلاته**) ولما أنكر عليه فعله و نهاه عنه ، (**ولعل الفقيه الضعيف المنة**) بضم الميم أي القوة (**الضيق الحوصلة**) بتشديد اللام (**يستبعد هذا من فعل عمر**) رضي الله عنه(**و يقول: أما ضربه فهو تأديب وقد ورد الشرع بالتعزير**) فهو لابأس به ، (**فأما أخذ ماله**) وهو كسر الخبز التي كانت في المخلاة (**فهو مصادرة، و الشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف استجازه؟ وهذا إستبعاد مصدره القصور في الفقه فأين يظهر فقه الفقهاء كلهم في حوصلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه و اطلاعه على أسرار دين الله و مصالح عباده؟ أفترى أنه لم يعلم أن المصادرة بالمال غير جائزة، أو**) أنه(**علم ذلك ولكن أقدم عليه غضباً في معصية الله وحاشاه**) من ذلك ، (**أو**) أنه (**أراد الزجر بالمصلحة بغير طريق شرعها نبي الله**) ﷺ . (**وهيهات فإن ذلك أيضاً معصية بل الفقه الذي لاح له فيه أنه رآه مستغنياً عن السؤال ، وعلم أن من أعطاه شيئاً فإنما أعطاه على إعتقاد أنه محتاج وقد كان كاذباً فلم يدخل في ملكه**

محتاج، وقد كان كاذباً فلم يدخل في ملكه بأخذه مع التلبيس وعسر تمييز ذلك ورده إلى أصحابه إذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم، فبقي مالاً لا مالك له فوجب صرفه إلى المصالح، وإبل الصدقة وعلفها من المصالح ويتنزل أخذ السائل مع إظهار الحاجة كاذباً كأخذ العلوي بقوله: إني علوي وهو كاذب، فإنه لا يملك ما يأخذه، وكأخذ الصوفي الصالح الذي يعطي لصلاحه وهو في الباطن مقارف لمعصية لو عرفها المعطي لما أعطاه وقد ذكرنا في مواضع أن ما أخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى مالكه فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر.

فإذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة، فاعلم أن الشيء إما أن يكون مضطراً إليه، أو محتاجاً إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغني عنه؛ فهذه أربعة أحوال:

أما المضطر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتاً أو مرضاً وسؤال العاري وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في المسؤول

بأخذه مع التلبيس) و التخليط **(و عسر تمييزه ذلك و رده إلى أصحابه، إذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم فبقي مالاً لا مالك له فوجب صرفه إلى المصالح و إبل الصدقة و علفها من المصالح و يتنزل أخذ السائل مع إظهار الحاجة كاذباً كأخذ العلوي)** الشيء **(بقوله: إني علوي وهو كاذب)** في دعواه **(فإنه لا يملك ما يأخذه، و كأخذ الصوفي و المصالح الذي يعطى لصلاحه)** و تصوفه **(وهو في الباطن مقارف لمعصيته لو عرفها المعطي لما أعطاه. وقد ذكرنا في مواضع أن ما أخذوه على هذا الوجه لا يملكونه وهو حرام عليهم و يجب عليهم الرد إلى مالكه)** لعدم تحقق الإستحقاق، **(فاستدل عمر رضي الله عنه على صحة هذا المعنى الذي يغفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بغفلتك عن هذا الفقه على بطلان فعل عمر)** رضي الله عنه.

(فإذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشيء إنما يكون مضطراً إليه أو محتاجاً إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغني عنه؛ فهذه أربعة أحوال) وهي في الحقيقة ثلاثة: الاضطرار أو الاحتياج أو الاستغناء، و الاحتياج على قسمين: إما مهم أو خفيف.

(أما المضطر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتاً أو مرضاً) يؤدي إلى الموت، **(و سؤال العاري و بدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو)** أي هذا السؤال **(مباح مهما وجد بقية الشروط في المسؤول)** أي الطعام أو الثوب **(بكونه مباحاً و)** في **(المسؤول**

بكونه مباحاً، والمسؤول منه بكونه راضياً في الباطن وفي السائل بكونه عاجزاً عن الكسب فإن القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال إلا إذا استغرق طلب العلم أوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة.

وأما المستغني فهو الذي يطلب شيئاً وعنده مثله وأمثاله، فسؤاله حرام قطعاً وهذان طرفان واضحان.

وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف وكمن له جبة لا قميص تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذياً لا ينتهي إلى حدّ الضرورة، وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة، فهذا أيضاً ينبغي أن تسترسل عليه الإباحة لأنها أيضاً حاجة محققة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارة للأولى ولا يسمى سؤله مكروهاً مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتي قميص والبرد يؤذيني أذى أطيقه ولكن يشق عليَّ، فإذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤاله إن شاء الله تعالى.

وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصاً ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الخروق

منه بكونه راضياً في الباطن) غير مستحي في إعطائه ولا مراء، **(وفي السائل بكونه عاجزاً عن الكسب فإن القادر على الكسب وهو بطال ليس له السؤال إلا إذا استغرق في طلب العلم)** أوقاته بحيث لم يتفرغ للكسب، **(وكل من له خط.)** يقرأ **(فهو قادر على الكسب بالوراقة)** أي النساخة.

(وأما المستغني وهو الذي يطلب شيئاً وعنده مثله أو أمثاله فسؤاله حرام قطعاً، وهذان طرفان واضحان) وهما الاضطرار و الاستغناء. فالاضطرار مبيح و الاستغناء محرم.

(وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض الذي يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف، وكمن له جبة لا قميص تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذياً لا ينتهي إلى حد الضرورة، وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على المشي بمشقة؛ فهذا أيضاً ينبغي أن يسترسل الاباحة لأنه أيضاً حاجة محققة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك الأولى، ولا يسمى سؤاله مكروهاً مهما صدق في السؤال و قال: ليس تحت جبتي قميص و البرد يؤذيني أذى أطيقه، ولكن يشق علي، فإذا صدق فصدقه يكون كفارة لسؤله إن شاء الله تعالى).

(وأما الحاجة الخفيفة فمثل سؤاله قميصاً ليلبسه فوق ثيابه عند خروجه) من منزله

من ثيابه عن أعين الناس وكمن يسأل لأجل الأدم وهو واجد للخبز ، وكمن يسأل الكراء لفرس في الطريق وهو واجد كراء الحمار ، أو يسأل كراء المحمل وهو قادر على الراحلة ؛ فهذا ونحوه إن كان فيه تلبيس حال بإظهار حاجة غير هذه فهو حرام ، وإن لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة من الشكوى والذل وإيذاء المسؤول فهو حرام ، لأن مثل هذه الحاجة لا تصلح لأن تباح بها هذه المحذورات وإن لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة .

فإن قلت : فكيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المحذورات ؟ فاعلم أن الشكوى تندفع بأن يظهر الشكر لله والاستغناء عن الخلق ولا يسأل سؤال محتاج ، ولكن يقول : أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضول من النفس فيخرج به عن حدّ الشكوى ، وأما الذل فبأن يسأل أباه أو قريبه أو صديقه الذي يعلم أنه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله أو الرجل السخي الذي قد أعدّ ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله ويتقلد منه منة بقبوله فيسقط عنه الذل بذلك فإن الذل لازم للمنة لا محالة ، وأما الإيذاء فسبيل الخلاص عنه أن لا

لحاجته (**ليستر به الخروق من ثيابه عن أعين الناس**) كيلا يزدروا به ، (**وكمن يسأل لأجل الأدم وهو واجد للخبز ، وكمن يسأل لكراء الفرس في الطريق وهو واجد كراء الحمار ، أو يسأل كراء الجمل وهو قادر على الراحلة ؛ فهذا إن كان فيه تلبيس حال باظهار حاجة غير هذه فهو حرام وإن لم يكن وكان فيه شيء من المحذورات الثلاثة**) المذكورة (**من الشكوى أو الذل أو إيذاء المسؤول فهو حرام**) لاشتماله على الأمور المحرمة (**لأن مثل هذه الحاجة لا تصلح لأن تباح بها المحظورات ، فإن لم يكن فيها شيء مباح من ذلك فهو مباح مع الكراهة**) ولذلك قلنا إن الحاجة الخفيفة فيها تردد .

(**فإن قلت: فكيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المحظورات**) الثلاث ؟ (**فاعلم أن الشكوى تندفع بأن يظهر الشكر لله**) تعالى بلسانه ، (**و الاستغناء عن الخلق**) بأن لا يلتفت لما في أيديهم (**ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول: أنا**) بحمد الله تعالى (**مستغن بما أملكه ولكن تطالبني رعونة النفس بثوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة و فضول من النفس ، فيخرج به عن حد الشكوى، وأما الذل فأن يسأل أباه أو قريبه**) في النسب (**أو صديقه الذي يعلم أنه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب سؤاله**) ولا يحتقره وهو سبيل العارفين (أو) يسأل (**الرجل السخي الذي قد أعد ماله لمثل هذه المكارم فيفرح بوجود مثله و يتقلد منة بقبوله**) منه ذلك (**فيسقط عنه الذل بذلك ، فإن الذل لازم للمنة لا محالة ،**)

يعين شخصاً بالسؤال بعينه بل يلقي الكلام عرضاً بحيث لا يقدم على البذل إلاّ متبرع بصدق الرغبة، وإن كان في القوم شخص مرموق لو لم يبذل لكان يلام، فهذا إيذاء، فإنه ربما يبذل كرهاً خوفاً من الملامة، ويكون الأحب إليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير الملامة، وأما إذا كان يسأل شخصاً معيناً فينبغي أن لا يصرح بل يعرض تعريضاً يبقى له سبيلاً إلى التغافل إن أراد فإذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وأنه غير متأذٍ به، وينبغي أن يسأل من لا يستحيي منه لو ردّه أو تغافل عنه، فإن الحياء من السائل يؤذي كما أن الرياء مع غير السائل يؤذي.

فإن قلت: فإذا أخذ مع العلم بأن باعث المعطي هو الحياء منه أو من الحاضرين ولولاه لما ابتدأه به فهل هو حلال أو شبهة؟ فأقول: ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الأمة، وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة إذ لا فرق بين أن يضرب ظاهره بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام، وضرب الباطن أشد نكاية في قلوب العقلاء، ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر قد رضي به، وقد قال ﷺ: «إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر». فإن هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات

وأما الإيذاء فسبيل الخلاص عنه أن لا يعين شخصاً بالسؤال بعينه بل يلقى الكلام عرضاً بحيث لا يقدم على البذل إلا متبرع بصدق الرغبة وإن كان في القوم شخص مرموق) أي منظور إليه (**لو لم يبذل لكان يلام؛ فهذا إيذاء فإنه ربما يبذل كرهاً**) لا عن رضا قلبه (**خوفاً من الملامة ويكون الأحب إليه في الباطن الخلاص، لو قدر عليه من غير ملامة، وأما إذا كان يسأل معيناً فينبغي أن أن لا يصرح**) باسمه (**بل يعرض له تعريضاً يبقى له سبيل إلى التغافل إن أراد**) ذلك، (**فإذا لم يتغافل مع القدرة عليه فذلك لرغبته وأنه غير متأذ به، وينبغي أن يسأل من لا يستحيي منه لو رده أو تغافل، فإن الحياء من السائل يؤذي كما أن الرياء مع غير السائل يؤذي**).

(**فإن قلت: فإذا أخذ مع العلم فإن باعث المعطي هو الحياء منه أو من الحاضرين**) في المجلس (**ولولاه لما أعطاه**) وفي نسخة لما ابتدأه به (**فهو حلال أو شبهة؟ فأقول: ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الأمة، وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والمصادرة، إذ فرق بين أن يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياء وخوف الملام وضرب الباطن أشد نكاية في قلوب العقلاء**) من ضرب الجلد الظاهر وفي ذلك قيل:

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامة

(**ولا يجوز أن يقال هذا في الظاهر قد رضي، وقد قال ﷺ «إنما أنا أحكم بالظاهر**

إذ لا يمكن ردهم إلى البواطن وقرائن الأحوال، فاضطروا إلى الحكم بظاهر القول باللسان مع أنه ترجمان كثير الكذب، ولكن الضرورة دعت إليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله تعالى والحاكم فيه أحكم الحاكمين، والقلوب عنده كالألسنة عند سائر الحكام فلا تنظر في مثل هذا إلا إلى قلبك وإن أفتوك وأفتوك، فإن المفتي معلم للقاضي والسلطان ليحكم في عالم الشهادة، ومفتي القلوب هم علماء الآخرة، وبفتواهم النجاة من سطوة سلطان الآخرة، كما أن بفتوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا، فإذاً ما أخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه رد إلى صاحبه، فإن كان يستحي من أن يسترده ولم يسترده فعليه أن يثيبه على ذلك بما يساوي قيمته في معرض الهدية والمقابلة ليتفصّى عن عهدته، فإن لم يقبل هديته فعليه أن يرد ذلك إلى ورثته، فإن تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الأذى.

فإن قلت: فهذا أمر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل إلى الخلاص منه فربما

والله يتولى السرائر ») قال العراقي: لم أجد أصلاً، وكذا قال المزي لما سئل عنه، **(فإن هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات إذ لا يمكن ردهم في البواطن وقرائن الأحوال فأضطروا إلى الحكم بظاهر القول باللسان مع أنه ترجمان كثير الكذب، ولكن الضرورة دعت إليه وهذا سؤال عما بين العبد وبين الله، والحاكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كالألسنة عند سائر الحكام، فلا تنظر في مثل هذا إلا إلى قلبك)** ولا تستفت إلا منه **(وإن أفتوك وأفتوك)** كما ورد ذلك في خبر وابصة بن معبد وغيره، **(فإن المفتي معلم للقاضي والسلطان)** ومن في معناهما من الحكام **(ليحكموا)** بفتواه **(في عالم الشهادة، ومفتي القلوب هم علماء الآخرة وبفتواهم النجاة عن سطو سلطان الآخرة كما أن بفتوى الفقيه النجاة عن سطوة سلطان الدنيا، فإذا ما يأخذه مع الكراهة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه رده إلى صاحبه)** إن أمكنه، **(فإن كان يستحي من أن يسترده)** فلم يسترده **(فعليه أن يثيبه على ذلك)** أي يجازيه **(بما يساوي قيمته)** في الوقت **(في معرض الهدية والمقابلة ليتفصى)** أي يتخلص **(عن عهدته، فإن لم يقبل هديته فعليه أن يرد ذلك إلى ورثته)** بعد موته ولا يجوز له أن يملكه بحال من الأحوال، **(فإن تلف في يده)** قبل الاسترداد **(فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه)** تصرف الملاك ثانياً **(وبالسؤال الذي حصل به الأذى)** أولاً.

(فإن قلت: فهذا أمر باطن يعسر الاطلاع عليه فكيف السبيل فيه فربما يظن السائل

يظن السائل أنه راضٍ ولا يكون هو في الباطن راضياً؟ فأقول: لهذا ترك المتقون السؤال رأساً فما كانوا يأخذون من أحد شيئاً أصلاً فكان بشر لا يأخذ من أحد أصلاً إلا من السري رحمة الله عليهما وقال: لأني علمت أنه يفرح بخروج المال من يده فأنا أعينه على ما يحب وإنما عظم النكير في السؤال وتأكد الأمر بالتعفف لهذا، لأن الأذى إنما يحل بضرورة وهو أن يكون السائل مشرفاً على الهلاك ولم يبق له سبيل إلى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح له ذلك كما يباح له أكل لحم الخنزير وأكل لحم الميتة فكان الامتناع طريق الورعين، ومن أرباب القلوب من كان واثقاً ببصيرته في الاطلاع على قرائن الأحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض، ومنهم من كان لا يأخذ إلا من أصدقائه، ومنهم من كان يأخذ مما يعطى بعضاً ويرد بعضاً، كما فعل رسول الله ﷺ في الكبش والسمن والإقط، وكان هذا فيما يأتيهم من غير سؤال، فإن ذلك لا يكون إلا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعاً في جاه أو طلباً للرياء والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك، فأما السؤال فقد امتنعوا عنه رأساً إلا في موضعين.

أحدهما: الضرورة فقد سأل ثلاثة من الأنبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى

أنه راض ولا يكون هو في الباطن راضياً؟ فأقول: لهذا) السر (**ترك المتقون السؤال رأساً فما كانوا يأخذون من أحد شيئاً أصلاً فكان بشر**) الحافي رحمه الله تعالى (**لا يأخذ إلا من السري**) السقطي رحمه الله تعالى (**وقال**) لما سئل عن ذلك: (**لأني علمت أنه يفرح بخروج المال من يده فأنا أعينه على ما يحب**) وقد تقدم قريباً، وأين مثل السري حتى يؤخذ منه؟ (**وإنما عظم النكير في السؤال و**) اشتد (**الأمر بالتعفف لهذا لأن الأذى إنما يحل**) أي يصير مباحاً (**بضرورة وهو أن يكون مشرفاً على الهلاك ولم يبق له سبيل إلى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح له ذلك كما يباح له لحم الخنزير وأكل الميتة، فكان الامتناع**) عن السؤال (**طريق الورعين، ومن أرباب القلوب من كان واثقاً ببصيرته في الإطلاع على قرائن الأحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض، ومنهم من كان لا يأخذ إلا من أصدقائه، ومنهم من كان يأخذ مما يعطى ويرد بعضاً كما فعل رسول الله ﷺ في الكبش**) حيث رده (**والإقط**) والسمن حيث أخذهما، (**وكان هذا فيما يأتيهم من غير سؤال فإن ذلك لا يكون إلا عن رغبة، ولكن قد تكون رغبته طمعاً في جاه أو طمعاً للرياء والسمعة فكانوا يحترزون من ذلك. وأما السؤال فقد امتنعوا عنه رأساً إلا في موضعين**):

(**أحدهما: الضرورة فقد سأل ثلاثة من الأنبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى**

والخضر عليهم السلام ولا شك في أنهم ما سألوا إلا من علموا أنه يرغب في إعطائهم.

والثاني: السؤال من الأصدقاء والإخوان فقد كانوا يأخذون مالهم بغير سؤال واستئذان لأن أرباب القلوب علموا أن المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان، وكانوا قد وثقوا بإخوانهم أنهم كانوا يفرحون بمباسطتهم فإذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار إخوانهم على ما يريدونه وإلاّ فكانوا يستغنون عن السؤال، وحدّ إباحة السؤال أن تعلم أن المسؤول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتدأك دون السؤال فلا يكون لسؤالك تأثيراً لا في تعريف حاجتك، فأما في تحريكه بالحياء وإثارة داعيته بالحيل فلا. ويتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك في الكراهة ويعلم ذلك بقرينة الأحوال فالأخذ في الحالة الأولى حلال طلق وفي الثانية حرام سحت، ويتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حزاز القلب فإنه الإثم، وليدع ما يريبه إلى ما لا يريبه وإدراك ذلك بقرائن الأحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته، فإن قوي الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على الكراهة وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله ﷺ: « إن

والخضر عليهم السلام) أما سؤال سليمان فقد تقدم بيانه في كتاب الصبر، وأما قصة موسى والخضر فمذكورة في القرآن، (**ولا شك أنهم ما سألوا إلا من علموا أنه يرغب فيهم**).

(**والثاني السؤال من الأصدقاء والإخوان فقد كانوا يأخذون مالهم بغير سؤال واستئذان**) كما تقدم في آداب الصحبة والأخوة، (**لأن أرباب القلوب**) قد علموا (**أن المطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا باخوانهم أنهم كانوا يفرحون ببساطتهم، فإذا كانوا يسألون الإخوان عند شكهم في اقتدار إخوانهم على ما يريدونه وإلا فكانوا يستغنون عن السؤال، وحد إباحة السؤال أن تعلم أن المسؤول بصفة لو علم ما بك من الحاجة لابتدأك**) بالعطاء (**دون السؤال، فلا يكون لسؤالك تأثير إلا في تعريف حاجتك فأما في تحريكه بالحياء وإثارة داعيته بالحيل**) والخداع (**فلا، وتتصدى للسائل حالة لا يشك فيها في الرضا الباطن وحالة لا يشك**) فيها (**في الكراهة، ويعلم ذلك بقرينة الاحوال، فالأخذ في الحالة الاولى حلال طلق، وفي الثانية حرام سحت وتتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حزاز القلب**) وهي الشبهات التي تحز في القلب وتحك كما في حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم، (**فإنه الإثم**) كما في الخبر. والإثم ما حاك في في الصدر (**وليدع ما يريبه إلى مالا يريبه**) كما في حديث الحسن وقد تقدم كل ذلك في العلم، (**وإدراك ذلك بقرائن الأحوال سهل على من قويت فطنته وضعف حرصه وشهوته، فإن قوي الحرص وضعفت الفطنة تراءى له ما يوافق غرضه فلا يتفطن للقرائن الدالة على**

أطيب ما أكل الرجل من كسبه » وقد أوتي جوامع الكلم لأن من لا كسب له ولا مال ورثه من كسب أبيه أو أحد قرابته ، فيأكل من أيدي الناس ، وإن أعطي بغير سؤال فإنما يعطي بدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف لا يعطي بدينه فيكون ما يأخذه حراماً ، وإن أعطي بسؤال فأين من يطيب قلبه بالعطاء إذ سئل وأين من يقتصر في السؤال على حدّ الضرورة ، فإذا فتشت أحوال من يأكل من أيدي الناس علمت أن جميع ما يأكله أو أكثره سحت وأن الطيب هو الكسب الذي اكتسبته بحلالك أنت أو مورثك فإذاً بعيد أن يجتمع الورع مع الأكل من أيدي الناس . فنسأل الله تعالى أن يقطع طمعنا عن غيره وأن يغنينا بحلاله عن حرامه وبفضله عمن سواه بمنه وسعة جوده ، فإنه على ما يشاء قدير .

بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال :

اعلم أن قوله ﷺ من سأل عن ظهر غنى ، فإنما يسأل جمراً فليستقل منه أو ليستكثر »

الكراهة ، وبهذه الدقائق يطلع على سر قوله ﷺ حيث قال « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه ») رواه أحمد وعبد الرزاق وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث عائشة وتمامه : « وأن ولده من كسبه فكلوا من أموالهم » . وروى ابن أبي شيبة والبخاري في التاريخ بلفظ إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وأن أولادكم من كسبكم » وقد تقدم في آداب الطعام ، **(وقد أوتي)** ﷺ **(جوامع الكلم)** واختصر له الكلام اختصاراً رواه أبو يعلى والبيهقي من حديث عمر ، ورواه الدارقطني من حديث ابن عباس وقد تقدم **(لأن من لا كسب له ولا مال مما ورثه من كسب أبيه أو أحد أقربيه فيأكل من أيدي الناس ، وإن أعطي بغير سؤال فإنما يعطى بدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشفت لا يعطى بدينه فيكون ما يأخذه حراماً ، وإن أعطى لسؤال فأين من يطيب قلبه بالعطاء إذ سئل وأين من اقتصر في السؤال على حد الضرورة ، فإذا فتشت أحوال من يأكل من أيدي الناس علمت أن جميع ما يأكله أو أكثره سحت ، وأن الطيب)** الصافي وفي نسخة وأن أطيب ما تأكل **(هو الكسب الذي اكتسبته أنت أو مورثك ، فإذاً بعيد أن يجتمع الورع مع الأكل من أيدي الناس)** لما فيه ما يضاده **(فنسأل الله تعالى أن يقطع طمعنا عن غيره وأن يغنينا بحلاله عن حرامه وبفضله عمن سواه)** يشير إلى الدعاء المأثور : « اللهم أغننا بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك » **(بمنه وكرمه وجوده)** زاد بعض النسخ إنه على مايشاء قدير .

بيان مقدار الغنى المحرم للسؤال :

(إعلم) أغناك الله تعالى **(أن قوله ﷺ « من سأل عن ظهر غنى فإنما يسأل جمراً »**

صريح في التحريم ولكن حدّ الغنى مشكل وتقديره عسير، وليس إلينا وضع المقادير بل يستدرك ذلك بالتوقيف، وقد ورد في الحديث: « استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره » قالوا: وما هو؟ قال: « غداء يوم وعشاء ليلة ». وفي حديث آخر: « من سأل وله خمسون درهماً أو عدلها من الذهب فقد سأل إلحافاً ». وورد في لفظ آخر: « أربعون درهماً »

فليستقل منه أو ليستكثر ») رواه أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية وقدوقد ذكر قريباً وفي كتاب الزكاة ولفظها « من سأل شيئاً وعنده مايغنيه فإنما يستكثر من جر جهنم » وأما قوله: فليستقل منه أو ليستكثر » ففي حديث أبي هريرة عند أحمد ومسلم وابن ماجه، وفي حديث حبشي بن جنادة عند ابن جرير والطبراني، وفي حديث عمر عند ابن حبان كما ذكر كل ذلك قريباً (**صريح في التحريم**) أي تحريم السؤال، (**ولكن حد الغنى مشكل وتقديره عسير وليس إلينا وضع المقادير بل يدرك ذلك بالتوقيف**) من الشرع. (**وقد ورد في الحديث**) الآخر (**« إستغنوا بغنى الله تعالى عن غيره »**) رواه ابن عدي من حديث أبي هريرة وليس فيه عن غيره وقد تقدم قريباً (**قالوا: وما هو**) أي غنى الله تعالى؟ (**قال: « غداء يوم وعشاء ليلة »**) هو من بقية حديث أبي هريرة عند ابن عدي كما يرشد إليه كلام العراقي، وتبعه المناوي والموجود منه في الجامع الكبير والصغير للسيوطي هو ماذكرت، وادعى المناوي أن السيوطي ترك تلك الزيادة سهواً وليس كما ظن، بل هذا التقدير وقع في حديث سهل بن الحنظلية قالوا: وما يغنيه يا رسول الله؟ قال: قدر ما يغديه أو يعشيه ». رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة وابن حبان وابن جرير والطبراني والحاكم في حديث علي قالوا: وما ظهر غنى؟ قال: « عشاء ليلة » رواه عبدالله بن أحمد وإسناده حسن، وهذا هو المختار من مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه.

(**وفي حديث آخر « من سأل وله خمسون درهماً أو عدلها من الذهب فقد سأل إلحافاً »**) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير في تهذيبه والحاكم والبيهقي من حديث ابن مسعود « من سأل الناس وله مايغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح » قيل: يارسول الله وما الغنى؟ قال « خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب » وفي رواية لأحمد: « ولا تحل الصدقة لمن له خمسون درهماً أو عرضها من الذهب ». رواه أحمد والبيهقي من حديث رجل من بني أسد: « من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافاً »ا وقد تقدم هذا للمصنف في كتاب الزكاة فقال: وروى عطاء بن يسار منقطعاً « من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال » قال العراقي: هناك رواه أبو داود والنسائي من رواية عطاء عن رجل من بني أسد متصلاً وليس بمنقطع كما ذكره الصنف لأن الرجل صحابي فلا يضر عدم تسميته وتقدم الكلام عليه هناك. وروى أبو داود وابن خزيمة وابن حبان والدارقطني من حديث أبي سعيد « من سأل وله قيمة أوقية فقد ألحف ». (**وورد في لفظ آخر « أربعون درهماً »**) رواه النسائي والبيهقي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: « من سأل وله أربعون درهما فهو الملحف ».

ومهما اختلفت التقديرات وصحت الأخبار فينبغي أن يقطع بورودها على أحوال مختلفة، فإن الحق في نفسه لا يكون إلا واحداً والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب ولا يتم ذلك إلا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين، فنقول قال رسول الله ﷺ: «لا حق لابن آدم إلا في ثلاث: طعام يقيم صلبه، وثوب يواري به عورته، وبيت يكنه فما زاد فهو حساب». فلنجعل هذه الثلاث أصلاً في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الأجناس والمقادير والأوقات، فأما الأجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكراء للمسافر إذا كان لا يقدر على المشي، وكذلك ما يجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفالته كالدابة أيضاً. وأما المقادير فالثوب يراعى فيه ما يليق بذوي الدين وهو ثوب واحد وقميص ومنديل وسراويل ومداس، وأما الثاني من كل جنس فهو مستغنى عنه وليقس على هذا أثاث البيت جميعه ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب وكون الأواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف، فإن ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على أخس

(ومهما اختلف التقت التقديرات وصحت الاخبار فينبغي أن يقطع بورودها على أحوال مختلفة) جمعاً بين الأخبار كيلا تتضاد، **(فإن الحق في نفسه لايكون إلا واحداً)** كما هو مذهب الأصوليين، **(والتقدير ممتنع وغاية الممكن فيه تقريب، ولا يتم ذلك إلا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين. فنقول: قال ﷺ «لا حق لابن آدم إلا في ثلاث: طعام يقيم صلبه، وثوب يواري عورته، وبيت يكنه فما زاد فهو حساب»)** رواه الترمذي من حديث عثمان بن عفان نحوه وقد ذكر قريباً، **(فليجعل هذه الثلاث أصلاً في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الأجناس والمقادير والأوقات. فأما الأجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها ما في معناها حتى يلحق بها الكراء للمسافر إذا كان لا يقدر على المشي، وكذلك مايجري مجراه من المهمات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من)** يكون **(تحت كفالته كالدابة أيضاً، وأما المقادير فالثوب يراعى فيه مايليق بذوي الدين)** والمروءات **(وهو ثوب واحد وقميص)** يواري جسده **(ومنديل يربط)** به رأسه **(وسراويل)** أو إزار **(ومداس)** في رجليه، فهؤلاء كلهن بمنزلة ثوب واحد لا يستغنى عنها، فإن فرضنا ثوباً واحداً عريضاً طويلاً فالتحف به من رأسه إلى قدمه فهو كذلك إلا أنه ليس من ثياب ذوي الدين في الاعصار المتأخرة، **(وأما الباقي من كل جنس فهو مستغنى عنه وليقس على هذا أثاث البيت جميعه)** أي يراعى فيه مايكفيه، **(ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب)** ورفعتها **(وكون الأواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف فإن ذلك مستغنى عنه، فيقتصر من العدد على نوع واحد من النوع على أخس أجناسه مالم يكن في غاية البعد عن العادة، وأما الطعام فقدره في اليوم مد)**

أجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادة. وأما الطعام فقدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشعير. والأدم على الدوام فضلة، وقطعه بالكلية إضرار ففي طلبه في بعض الأحوال رخصة. وأما المسكن فأقله ما يجزىء من حيث المقدار وذلك من غير زينة فأما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى. وأما بالإضافة إلى الأوقات فما يحتاج إليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه ومأوى يكنه فلا شك فيه، فأما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات.

إحداها: ما يحتاج إليه في غد.

والثانية: ما يحتاج إليه في أربعين يوماً أو خمسين يوماً.

والثالثة: ما يحتاج إليه في السنة، ولنقطع بأن من معه ما يكفيه له ولعياله إن كان له عيال لسنة فسؤاله حرام، فإن ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهماً في الحديث، فإن خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة إذا اقتصد، أما المعيل فربما لا يكفيه ذلك، وإن كان يحتاج إليه قبل السنة، فإن كان قادراً على السؤال ولا تفوته فرصته فلا

بالضم (**وهو ماقدره الشرع**) وهما حفنتان بالكفين هما قوت الحافن غداء وعشاء كفافاً لا إقتاراً ولا إسرافاً، (**ونوعه مايقتات**) من طعام بلده (**ولو كان من الشعير والأدم على الدوام فضله وقطعه بالكلية إضرار، ففي طلبه في بعض الأحوال رخصة. وأما المسكن فأقله ما يجزى من حيث المقدار، وذلك من غير زينة فأما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غني، وأما بالإضافة إلى الأوقات فما يحتاج إليه في الحال من طعام يوم وليلة**) وهو المعبر عنه بالغداء والعشاء، (**وثوب يلبسه ومأوى يكنه فلا شك فيه، فأما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات**).

(**إحداها: ما يحتاج إليه في غداء**).

(**والثانية: ما يحتاج إليه في أربعين يوماً أو خمسين**).

(**والثالثة: ما يحتاج إليه في السنة**) وقد تقدم ذكرها قريباً. (**ولنقطع بأن من معه ما يكفيه**) أوله (**ولعياله إن كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فإن ذلك غاية الغنى**) في حقه، (**وعليه ينزل التقسيم بخمسين درهماً في الحديث**) المروي عن ابن مسعود (**فإن خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة إذا اقتصد**) بأن يأكل في كل شهر خمسين نصفاً فضة على أن خمسة دنانير صرفها ستمائة نصف فضة وتجعل الدرهم كناية عن النصف الفضة بمعاملة مصر الجارية الآن، وهذه الكفاية متيسرة إن كانت الأسعار متراخية، (**أما المعيل فربما لا يكفيه ذلك وإن كان يحتاج إليه قبل السنة فإن كان قادراً على السؤال ولا تفوته فرصة فلا يحل له السؤال لأنه**)

يحل له السؤال لأنه مستغن في الحال وربما لا يعيش إلى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة، وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر. وإن كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر فيباح له السؤال لأن أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطراً عاجزاً عما يعينه فإن كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفاً وكان ما لأجله السؤال خارجاً عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي فيها يحتاج إلى السؤال، وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى، فيستفتي فيه قلبه ويعمل به إن كان سالكاً طريق الآخرة، وكل من كان يقينه أقوى وثقته بمجيء الرزق في المستقبل أتم وقناعته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله تعالى أعلى، فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعيالك إلا من ضعف اليقين والإصغاء إلى تخويف الشيطان، وقد قال تعالى: ﴿فلا تخافُوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال عز وجل: ﴿الشيطان يعدكم الفقْرَ ويأمُرُكم بالفحشاء، واللهُ يعدكم مغفرة منه وفضلاً﴾ [البقرة:

مستغن في الحال وربما لا يعيش إلى الغد فيكون قد سأل ما لا يحتاج إليه فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة، وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر) وهو المروي عن سهل بن الحنظلية، (وإن كان تفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر فيباح له السؤال) حينئذ (لأن أمل البقاء سنة غير بعيد بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطراً عاجزاً عمن يعينه فإن كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفاً وكان ما لأجله السؤال خارجاً عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون بحسب درجات ضعف الإضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي يحتاج فيها إلى السؤال، وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستفتي فيه قلبه ويعمل به إن كان سالكاً سبيل الآخرة، وكلما كان يقينه أقوى وثقته بمجيء الرزق في المستقبل أتم وقناعته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله أعلى) وهو داخل في حد قولهم الصوفي ابن وقته أي يقنع بما تيسر له من كل شيء في وقته سواء كان قوتاً ظاهراً أو معنوياً ولا يعلق قلبه بما سيأتي: (فلا يكون خوف الإستقبال وقد آتاك الله قوتاً يومك لك ولعيالك إلا من ضعف اليقين) بالله تعالى (والإصغاء إلى تخويف الشيطان، وقد قال تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾) أي موقنين فعبر عن اليقين هنا بالإيمان لأن اليقين الإيمان كله. (وقال عز وجل: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً﴾ والسؤال من) جملة (الفحشاء الذي أبيح بالضرورة) وإليه يشير خير مسألة الناس

٢٦٨] والسؤال من الفحشاء التي أبيحت بالضرورة وحال من يسأل لحاجة متراخية عن يومه وإن كان مما يحتاج إليه في السنة أشد من حال من ملك مالاً موروثاً وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الأمل وعدم الثقة بفضل الله. وهذه الخصلة من أمهات المهلكات نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه.

بيان أحوال السائلين:

كان بشر رحمه الله يقول: الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل وإن أعطي لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين. وفقير لا يسأل وإن أعطي أخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس. وفقير يسأل عند الحاجة فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين.

فإذاً قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى أنه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة.

من الفواحش ثبت وروده كما تقدم، **(وحال من يسأل لحاجة متراخية عن يومه وإن كان مما يحتاج إليه في السنة أشد من حال من ملك مالاً موروثاً وادّخره لحاجة وراء السنة، وكلاهما مباح في الفتوى الظاهرة)** نظراً إلى ظاهر الحال **(ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الأمل وعدم الثـقة بالله تعـالى وهذه الخصلة)** المتضمنة لهذه الأوصاف الثلاث **(من أمهات المهلكات)** وأصول المرديات فنسأل الله تعالى حسن التوفيق بلطفه وكرمه.

بيان أحوال السائلين من السالكين:

(كان بشر) بن الحرث الحافي **(رحمه الله تعالى يقول: الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل وإن أعطي لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين)** لكمال تجرده عن العلائق، **(وفقير لا يسأل وإن أعطي أخذ)** على قدر حاجته وردّ الباقي **(فهذا من المقربين في جنات الفردوس)** وهو أنزل درجة من الأوّل، **(وفقير يسأل عند الحاجة)** وفي نسخة عند فاقته **(فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين)** وهو أنزل درجة من الذي قبله، وهذا القول رواه القشيري في الرسالة في باب التوكل فقال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن الحسن المخرمي يقول: حدثنا أحمد بن محمد بن صالح، حدثنا محمد بن عبدون، حدثنا الحسن الخياط قال: كنت عند بشر الحافي فجاءه نفر فسلموا عليه فقال: من أنتم ثم ساق القصة، وفي آخرها ثم قال بشر: أحسن الفقراء ثلاثة: فقير لا يسأل وإن أعطي لا يأخذ فذاك من جملة الروحانيين، وفقير لا يسأل وإن أعطي قبل فذاك توضع له موائد في حظائر القدس، وفقير يسأل وإن أعطي قبل قدر الكفاية فكفارته صدقته.

(فإذاً قد اتفق كلهم على ذم السـؤال) مطلقـاً **(وعلى أنـه مـع الحاجـة يحط المرتبـة**

قال شقيق البلخي لابراهيم بن أدهم حين قدم عليه من خراسان: كيف تركت الفقراء من أصحابك؟ قال: تركتهم إن أعطوا شكروا وإن منعوا صبروا، وظن أنه لما وصفهم بترك السؤال قد أثنى عليهم غاية الثناء، فقال شقيق: هكذا تركت كلاب بلخ عندنا، فقال له ابراهيم: فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحاق؟ فقال: الفقراء عندنا إن منعوا شكروا وإن أعطوا آثروا فقبّل رأسه وقال: صدقت يا أستاذ.

والدرجة) ثم هذا الذي يسأل لا يخلو من أن يسأل لنفسه أو لغيره، فإن سأل لغيره فهو معونة وإن سأل لنفسه فلا يخلو من أن يسأل الأقارب والأصدقاء أو سائر الناس. الأوّل طريق القوم والثاني حرام وقد تقدم تفصيل ذلك.

(**قال شقيق**) بن إبراهيم (**البلخي**) رحمه الله تعالى (**لإبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى (**حين قدم عليه من خراسان: كيف تركت الفقراء من أصحابك؟ قال: تركتهم إن أعطوا شكروا وإن منعوا**) من الإعطاء (**صبروا، وظن أنه لما وصفهم بترك السؤال فقد أثنى عليهم غاية الثناء فقال شقيق: هكذا تركت كلاب بلخ عندنا**) إن اعطوا أكلوا وشكروا وإن منعوا صبروا، (**فقال له إبراهيم: فكيف الفقراء عندك با أبا إسحاق؟ فقال: الفقراء عندنا إن منعوا شكروا**) وعلموا أن المنع منة من الله عليهم لئلا يشغلهم بسواه (**وإن اعطوا آثروا**) غيرهم على أنفسهم ولم يتعلقوا بما لاح لهم من العطاء (**فقبَّل رأسه وقال: صدقت يا أستاذ**) هكذا سياق هذه القصة في النسخة وهو مزال عن الأصل، والصواب أن السائل هو إبراهيم والمسؤول هو شقيق. وقوله فقال شقيق صوابه، فقال إبراهيم وقوله، فقال له إبراهيم صوابه فقال له شقيق بدليل قوله يا أبا إسحاق فإنه كنية إبراهيم، وأما كنية شقيق فأبو علي.

وقد رواه أبو نعيم في الحلية على الصواب حيث قال: سمعت أبا القاسم عبد السلام بن محمد المخرمي البغدادي الصوفي يقول: حدثني أحمد بن محمد الخزاعي، عن حذيفة المرعشي قال: دخلنا مكة مع إبراهيم بن أدهم فإذا شقيق البلخي قد حج تلك السنة فاجتمعنا في شق الطواف فقال إبراهيم لشقيق: على أي شيء أصلتم أصلكم؟ فقال: أصلنا أصلنا على أنا اذا رزقنا أكلنا وإذا منعنا صبرنا. فقال إبراهيم: هكذا تفعل كلاب بلخ، فقال له شقيق: فعلام أصلتم؟ قال: أصلنا على أنا إذا رزقنا آثرنا وإذا منعنا شكرنا وحمدنا، فقام شقيق فجلس بين يدي إبراهيم فقال: يا أستاذأنت أستاذنا. ثم راجعت نسخة أخرى من الكتاب صحيحة بخط العجم، فإذا فيها على الصواب، كما أشرت إليه. وقال إبراهيم بن أدهم لشقيق حين قدم عليه فساقها، وفيه فقال إبراهيم: هكذا تركت كلاب بلخ وفيه فقال له شقيق: فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحاق؟

وذكر القشيري في باب الفتوة من الرسالة هذه القصة لشقيق مع جعفر الصادق فقال: وقيل سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد عن الفتوة فقال: ما تقول أنت؟ فقال: إن أعطينا شكرنا وإن

فإذاً درجات أرباب الأحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة، فلا بدّ لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها. فإنه إذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها إلى قلاعها، ومن أسفل سافلين إلى أعلى عليين. وقد خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم رد إلى أسفل سافلين، ثم أمر أن يترقى إلى أعلى عليين، ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الرقي قطعاً، وإنما الشك فيمن عرف ذلك فإنه لا يقدر عليه وأرباب الأحوال قد تغلبهم حالة تقتضي أن يكون السؤال مزيداً لهم في درجاتهم ولكن بالإضافة إلى حالهم فإن مثل هذه الأعمال بالنيات، وذلك كما روي أن بعضهم رأى أبا إسحاق النوري رحمه الله يمد يده ويسأل الناس في بعض المواضع قال: فاستعظمت ذلك واستقبحته له فأتيت الجنيد رحمه الله فأخبرته بذلك فقال: لا يعظم هذا عليك فإن النوري لم يسأل الناس إلا ليعطيهم وإنما سألهم ليثيبهم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضرهم، وكأنه أشار به إلى قوله ﷺ: «يد المعطي هي العليا»

منعنا صبرنا، فقال جعفر: الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل، فقال شقيق: يا ابن رسول الله ما الفتوة عندكم؟ قال: إن أعطينا آثرنا وإن منعنا شكرنا. وفي بعض النسخ فقال شقيق: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

(**فإذاً درجات أرباب الأحوال**) من السالكين (**في الرضا والصبر والشكر والسؤال**) والإيثار والفتوة (**كثيرة**) مختلفة، (**فلا بدّ لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها ودرجاتها فإنه إذا لم يعلم لم يقدر في الرقي من حضيضها إلى يفاعها**) أي ذروتها (**ومن أسفل السافلين إلى أعلى عليين، وقد خلق الإنسان في أحسن تقويم**) بنص القرآن (**ثم رد إلى أسفل السافلين**) بنص القرآن أيضاً، (**ثم أمر أن يترقى إلى أعلى عليين، ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الترقي مطلقاً وإنما الشك فيمن عرف ذلك فإنه ربما يقدر عليه**) فالترقي تابع للمعرفة والتمييز، (**وأرباب الأحوال**) في أثناء سلوكهم (**قد تغلبهم حالة تقتضي أن يكون السؤال مزيداً في درجاتهم**) في بعض الأحيان وبعض المواطن، (**فإن مثل هذه الأعمال**) لا يطلع عليها وهي مربوطة (**بالنيات**) ففي الخبر: «إنما الأعمال بالنيات». (**وذلك كما روي أن بعضهم رأى أبا الحسن**) أحمد بن محمد (**النوري**) رحمه الله تعالى بغدادي المولد والمنشأ بغوي الأصل، وكان من أقران الجنيد وكان كبير الشأن مات سنة خمس وتسعين ومائتين (**يمد يده ويسأل الناس في بعض المواطن قال**) الرائي: (**فاستعظمت ذلك واستقبحته له**) أي عددته قبيحاً من مثله، (**فأتيت الجنيد**) رحمه الله تعالى (**فأخبرته بذلك فقال: لا يعظم هذا عليك**) ولا تتعجب منه، (**فإن النوري لم يسأل الناس إلا ليعطيهم**) لا ليأخذ منهم فإنه في غنى عن ذلك (**إنما سألهم ليثيبهم من الآخرة فيؤجرون من حيث لا**

فقال بعضهم: يد المعطي هي يد الآخذ للمال لأنه يعطي الثواب والقدر له لا لما يأخذه، ثم قال الجنيد: هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على المائة ثم قال: احملها إليه، فقلت في نفسي: إنما يوزن الشيء ليعرف مقداره، فكيف خلط به مجهولاً وهو رجل حكيم؟ واستحييت أن أساله فذهبت بالصرة إلى النوري فقال: هات الميزان فوزن مائة درهم وقال ردّها عليه وقل له: أنا لا أقبل منك شيئاً وأخذ ما زاد على المائة قال: فزاد تعجبي فسألته فقال: الجنيد حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلباً لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كان لله تبارك وتعالى ورددت ما جعله لنفسه. قال: فرددتها إلى الجنيد فبكى وقال: أخذ ماله

يضره) قال المصنف: **(وكأنه)** أي الجنيد **(أشار)** بذلك **(إلى قوله ﷺ: «يد المعطي هي العليا»)** قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: وروى الطيالسي والنسائي والبغوي وابن قانع والباوردي والطبراني والبيهقي والضياء من حديث ثعلبة بن زهدم الحنظلي: «يد المعطي العليا وابدأ بمن تعول». ورواه أحمد والطبراني أيضاً من حديث أبي رمثة، ورواه النسائي أيضاً وابن حبان والحاكم من حديث طارق المحاربي، ورواه أحمد أيضاً من حديث رجل من بني يربوع.

(فقال بعضهم: يد المعطي هي يد الآخذ للمال لأنه يعطي الثواب والقدر له لا لما يأخذه)، وظاهر هذا يخالفه ما رواه الطبراني من حديث رافع بن خديج: «يد المعطي العليا ويد الآخذ السفلى إلى يوم القيامة» وما رواه مالك والشيخان والنسائي من حديث ابن عمر: «واليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة» إلا أن يقال أن المراد بالمعطي الآخذ إذا كان من غير سؤال، والآخذ بالسؤال هو الذي اقتضى كون يده سفلى وهو وجيه إلا أنه لا يطابق واقعة حال النوري فتأمل.

(ثم قال الجنيد) رحمه الله تعالى: **(هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة)** من الدراهم **(فألقاها على المائة)** جزافاً **(ثم قال: احملها إليه)** أي إلى النوري **(فقلت في نفسي: إنما يوزن الشيء ليعرف مقداره فكيف خلط** به مجهولاً وهو رجل حكيم؟ **واستحييت أن أساله فذهبت بالصرة إلى النوري)** فاستشرف **(على)** باطن **(الأمر فقال: هات الميزان فوزن مائة درهم وقال: ردها عليه وقل له أنا لا أقبل منك شيئاً وأخذ ما زاد على المائة. قال)** الرجل: **(فزاد تعجبي فسألته)** يعني النوري **(فقال)**: أبو القاسم **(الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلباً لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فأخذت ما كان لله تعالى ورددت ما جعله لنفسه قال: فرددتها)** أي الصرة المذكورة **(إلى الجنيد)** رحمه الله تعالى **(فبكى وقال: أخذ ماله وردّ ما لنا والله**

وردّ مالنا والله المستعان، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت لله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الأسرار وذلك نتيجة أكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة فمن أنكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل، كمن ينكر مثلاً كون الدواء مسهلاً قبل شربه ومن أنكره بعد أن طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فأنكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة لعلة في باطنه فأخذ ينكر كون الدواء مسهلاً، وهذا وإن كان في الجهل دون الأوّل ولكنه ليس خالياً عن حظ وافر من الجهل، بل البصير أحد رجلين: أما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل إلى عين اليقين، وإما رجل لم يسلك الطريق أو سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصدق به فهو صاحب علم اليقين، وإن لم يكن واصلاً إلى عين اليقين. ولعلم اليقين أيضاً رتبة وإن كان دون عين اليقين، ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة في زمرة الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى القلوب الضعيفة واتباع الشياطين.

المستعان). أي: فمن كان بهذه المثابة من المعرفة والإستشراف على الخواطر كيف لا يكون السؤال مزيداً في درجاته. (**فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت لله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد قلب صاحبه من غير مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الأسرار، وذلك نتيجة أكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والإقبال على الله بكنه الهمة**) أي خالصها، (**فمن أنكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل**) وهو (**كمن ينكر مثلاً كون الدواء مسهلاً**) للبطن (**قبل شربه**) واستعماله، (**ومن أنكره بعد أن طال اجتهاده حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فانكر ذلك لغيره كان كمن شرب المسهل فلم يؤثر في حقه خاصة لعلة في باطنه**) كاليبس البالغ وتحجر المعدة، (**وأخذ ينكر كون الدواء مسهلاً وهذا وإن كان في الجهل دون الأوّل ولكنه ليس خالياً عن حظ وافر من الجهل**) بل ضرره أشد، (**بل البصير السالك أحد رجلين: إما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والمعرفة وقد وصل إلى**) مرتبة (**عين اليقين**) وهو مقام المشاهدة والكشف، (**وإما رجل لم يسلك الطريق**) رأساً فهذا لا كلام فيه (**أو سلك ولم يصل**) لقصوره في جهده (**ولكن آمن بذلك وصدق به**) وسلم لأهله، (**فهذا صاحب علم اليقين**) تصديقه اعطاه الدليل بتصور الأمر على ما هو عليه، (**وإن لم يكن واصلاً، إلى عين اليقين ولعلم اليقين أيضاً رتبة**) بالإضافة إلى ما قبله (**وإن كان دون عين اليقين، ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين ويحشر يوم القيامة في زمرة**

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين: ﴿آمنا به كل من عند ربنا وما يذكَّر إلا أولوا الالباب﴾ [آل عمران: ٧].

الجاحدين المستكبرين الذين هم قتلى العقول الضعيفة وأتباع الشياطين، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراسخين في العلم القائلين: ﴿آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾) ولنذكر ما يتعلق بالفقر مما ذكره القشيري وصاحب القوت وصاحب البصائر وغيرهم تكميلاً للباب وتكثيراً للفوائد.

قال القشيري في الرسالة: الفقر شعار الأولياء وحلية الأصفياء واختبار الحق سبحانه لخواصه من الأتقياء والأنبياء والفقراء صفوة الله من عباده ومواضع أسراره بين خلقه بهم يصون الخلق وببركاتهم يبسط الرزق. قال معاذ النسفي: ما أهلك قوماً وإن عملوا ما عملوا حتى أهانوا الفقراء وأذلوهم، وقيل: لو لم تكن للفقير فضيلة غير إرادته سعة المسلمين ورخص أسعارهم لكفاه ذلك لأنه لا يحتاج إلى شرائها والغني يحتاج إلى بيعها، وهذا لعوام الفقراء فكيف حال خواصهم. وسئل يحي بن معاذ عن الفقر فقال: حقيقته أن لا تستغني إلا بالله ورسمه عدم الأسباب كلها. وقال إبراهيم القصار: الفقر لباس يورث الرضا إذا تحقق العبد فيه، وقدم على الأستاذ أبي علي الدقاق فقير في سنة خمس أو أربع وتسعين وثلاثمائة من زوزن وعليه مسح وقلنسوة مسح، قال له بعض أصحابنا: بكم اشتريت هذا المسح على وجه المطايبة؟ فقال: اشتريته بالدنيا فطلب بالآخرة فلم أبعه. سمعت الأستاذ أبا علي يقول: قام فقير في مجلس يطلب شيئاً وقال: إني جائع منذ ثلاث وكان هناك بعض المشايخ فصاح عليه قال: كذبت إن الفقر سر وهو لا يضع سره عند من يحمله إلى من يذيعه. وقال حمدون القصار: إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة أشياء: رجل مؤمن قتل مؤمناً، ورجل يموت على الكفر، ورجل قلبه فيه خوف الفقر. وقال الجنيد: يا معشر الفقراء إنكم تعرفون بالله وتكرمون بالله، فانظروا كيف تكونون مع الله إذا خلوتم به. وسئل محمل بن عبدالله الفرغاني عن الإفتقار إلى الله أتم أم الإستغناء بالله؟ فقال: إذا صح الإفتقار إلى الله فقد صح الإستغناء بالله وإذا صح الإستغناء بالله فقد كمل الغنى به، فلا يقال أيهما أتم الإفتقار أم الغنى لأنهما حالتان لا يتم إحداهما إلا بالأخرى. وسئل رويم عن نعت الفقير فقال: إرسال النفس في أحكام الله، وقيل: نعت الفقير ثلاثة أشياء: حفظ سره، وإداء فرضه، وصيانة فرجه. وقيل للخراز: لم تأخر عن الفقراء رفق الأغنياء؟ فقال: لثلاث خصال لأن ما في أيديهم غير طيب ولأنهم غير موفقين ولأن الفقراء مرادون للبلاء. وقيل: أوحى الله إلى موسى عليه السلام إذا رأيت الفقراء فسائلهم كما تسائل الأغنياء فإن لم تفعل فاجعل كل شيء علمتك تحت التراب. وروي عن أبي الدرداء قال: لأن أقع من فوق قصر فانحطم أحب إليَّ من مجالسة الغني لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إياكم ومجالسة الموتى» قيل: ومن الموتى؟ قال: «الأغنياء». وقيل للربيع بن خيثم: قد غلا السعر. فقال: نحن أهون على الله من أن يجيعنا إنما يجيع أولياءه. وقال إبراهيم بن أدهم: طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى وطلب الناس الغنى فاستقبلهم

....

الفقر، وقيل ليحيي بن معاذ: ما الفقر؟ قال: خوف الفقر. قيل: فما الغنى؟ قال: الأمن بالله. وقال ابن الكرنبي: إن الفقير الصادق ليحترز من الغني حذراً أن يدخله الغنى فيفسد عليه فقره كما أن الغني ليحترز من الفقر حذراً أن يدخل عليه فيفسد غناه عليه. وسئل أبو حفص بماذا يقدم الفقير على ربه؟ فقال: وماذا للفقير أن يقدم به على ربه سوى فقره. وقيل: أوحى الله إلى موسى عليه السلام أتريد أن يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الخلق أجمع؟ قال: نعم. قال: عد المريض وكن لثياب الفقراء فالياً، فجعل موسى عليه السلام على نفسه في كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يفلي ثيابهم ويعود المرضى. وقال سهل: خمسة أشياء من جوهر النفس: فقير يظهر الغنى، وجائع يظهر الشبع، ومحزون يظهر الفرح، ورجل بينه وبين رجل عداوة فيظهر له المحبة، ورجل يصوم بالنهار و ويقوم بالليل ولا يظهر ضعفاً. وقال بشر: أفضل المقامات اعتقاد الصبر على الفقر إلى القبر. وقال ذو النون: علامة سخط الله على العبد خوفه من الفقر. وقال الشبلي: أدنى علامات الفقر أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها في يوم ثم خطر بباله أن لو أمسك منها قوت يوم ما صدق في فقره. سمعت الأستاذ أبا علي يقول: تكلم الناس في الفقر والغنى أيها أفضل. وعندي أن الأفضل أن يعطى الرجل كفايته ثم يصان فيه. وسئل ابن الجلاء: متى يستحق الفقير إسم الفقر؟ فقال: إذا لم يبق عليه بقية منه، فقيل: كيف ذاك؟ فقال: إذا كان له فليس له، وإذا لم يكن له فهو له.

قلت: وهو من أحسن العبارات من معنى الفقر الذي يشير إليه القوم وهو أن يصير كله لله لا تبقى عليه بقية من نفسه وحظه وهواه، فلو بقي عليه شيء في أحكام نفسه ففقره مدخول فيه اهـ.

ثم قال القشيري: وقيل صحة الفقر أن لا يستغني الفقير في فقره بشيء إلا لمن إليه فقره. وقال ابن المبارك: إظهار الغنى في الفقر أحسن من الفقر. وقال بنان المصري: كنت بمكة قاعداً وبين يدي شاب فجاءه إنسان وحمل إليه كيساً فيه دراهم ووضعه بين يديه فقال: لا حاجة الي فيه. فقال: فرقه على المساكين، فلما كان العشاء رأيته في الوادي يطلب شيئاً فقلت: لو تركت لنفسك شيئاً مما كان معك؟ فقال: لم أعلم أني أعيش إلى هذا الوقت وقال أبو حفص: أحسن ما يتواصل به العبد إلى مولاه دوام الفقر إليه على جميع الأحوال وملازمة السنة في جميع الأفعال وطلب القوت من وجه حلال. وقال المرتعش: ينبغي للفقير أن لا تسبق همته خطوته. وقال أبو علي الروذباري: كان أربعة في زمانهم واحد كان لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان يوسف بن أسباط ورث سبعين ألف درهم لم يأخذ منها شيئاً، وكان يعمل الخوص بيده وآخر كان يقبل من الإخوان والسلطان جميعاً وهو أبو إسحاق الفزاري، فكان ما يأخذ من الإخوان ينفقه في المستورين الذين لا يتحركون والذي يأخذه من السلطان كان يخرجه في أهل طرسوس، والثالث كان يأخذ من الإخوان ولا يأخذ من السلطان وهو ابن المبارك يأخذ من الإخوان ويكافىء عليه، والرابع كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان وهو مخلد بن الحسين كان يقول: السلطان لا يمن والإخوان يمنون. سمعت أبا علي الدقاق يقول في الخبر: من تواضع لغني لأجل غناه ذهب

ثلثا دينه إنما ذلك لأن المرء بقلبه ولسانه ونفسه، فإذا تواضع لغني بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه، فلو اعتقد فضله بقلبه كما تواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه كله. وقيل: أول ما يلزم الفقير في فقره أربعة أشياء: علم يسوسه وورع يحجزه ويقين يحمله وذكر يؤنسه. وقيل: من أراد الفقر لشرف الفقر مات فقيراً ومن أراد الفقر لئلا يشتغل عن الله تعالى مات غنياً. وقال النوري: نعت الفقير السكون عند العدم والإيثار عند الوجود وسئل الشبلي عن حقيقة الفقير فقال: أن لا يستغني بشيء دون الله. وقال الجنيد: إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه، فقيل: وهل يكون فقير يوحشه العلم؟ فقال: نعم إذا كان الفقير صادقاً في فقره فطرحت عليه علمك ذاب كما يذوب الرصاص في النار وقال مظفر القرميسيني: الفقير هو الذي لا تكون له إلى الله حاجة وكأنه يشير إلى سقوط المطالبات وانتفاء الإختيار والرضا بما يجري الحق. وقال ابن خفيف: الفقر عدم الأملاك والخروج عن أحكام الصفات. وقال أبو حفص: لا يصح لأحد الفقر حتى يكون العطاء أحب إليه من الأخذ وليس السخاء أن يعطي الواجد المعدم، وإنما السخاء أن يعطي المعدم الواجد. وقال ابن الجلاء: لولا شرف التواضع لكان حكم الفقير إذا مشى أن يتبختر. وقال يوسف بن أسباط: منذ أربعين سنة ما ملكت قميصين، وقال بعضهم: رأيت كأن القيامة قامت فيقال: ادخلوا مالك بن دينار ومحمد بن واسع الجنة، فنظرت أيهما يتقدم فتقدم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدمه فقيل لي: إنه كان له قميص واحد ولمالك بن دينار قميصان. وقال محمد المسوحي: الفقير الذي لا يرى لنفسه حاجة إلى الشيء من الأسباب. وسئل متى يستريح الفقير؟ فقال: إذا لم ير لنفسه غير الوقت الذي هو فيه، وتذاكروا عند يحي بن معاذ الفقر والغنى فقال: لا يوزن غداً الفقر ولا الغنى وإنما يوزن الصبر والشكر. وقيل: أوحى الله إلى بعض الأنبياء إذا أردت أن تعرف رضاي عنك فانظر كيف رضا الفقراء عنك. وقال الزقاق: من لم يصحبه التقي في فقره أكل الحرام النص. وقال أبو بكر بن طاهر: من حكم الفقير أن لا تكون له رغبة فإن كان ولا بد تجاوز رغبته كفايته، وسئل أبو بكر المصري عن الفقير الصابر فقال: الذي لا يملك ولا يملك وقال ذو النون: دوام الفقر إلى الله مع التخليط أحب إليّ من دوام الصفاء مع العجب، ومكث أبو جعفر الحذاء عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشاءين فيتصدق من الأبواب، وقال محمد بن علي الكتاني: كان عندنا بمكة فتى عليه أطمار رثة وكان لا يداخلنا ولا يجالسنا فوقع محبته في قلبي ففتح لي بمائة درهم من وجه حلال فحملتها إليه ووضعتها على طرف سجادته وقلت: إنه فتح لي ذلك من وجه حلال تصرفه في بعض أمورك فنظر إليّ شزراً ثم قال: اشتريت هذه الجلسة مع الله على الفراغ بسبعين ألف دينار غير الضياع والمستغلات تريد أن تخدعني عنها بهذه وقام وبددها وقعدت التقطها فلا رأيت كعزه حين مر ولا كذلي حين كنت ألتقطها. وقال ابن خفيف: ما وجبت عليّ زكاة الفطر أربعين سنة ولي قبول عظيم بين الخاص والعام. وسئل عن الفقير يجوع ثلاثة أيام ثم يخرج ويسأل مقدار كفايته إيش يقال فيه؟ فقال مكدي كلوا واسكتوا فلو دخل فقير من هذا الباب لفضحكم كلكم. وسئل الدقي

عن سوء أدب الفقراء مع الله في أحوالهم فقال: انحطاطهم من الحقيقة إلى العلم، وقال: خير النساج دخلت بعض المساجد وإذا فيه فقير فلما رآني تعلق بي وقال: أيها الشيخ تعطف عليّ فإن محنتي عظيمة، فقلت، وما هي؟ فقال: فقدت البلاء وقرنت بالعافية فنظرت فإذا هو قد فتح عليه بشيء من الدنيا. وقال أبو بكر الوراق: طوبى للفقير في الدنيا والآخرة لا يطلب السلطان منه في الدنيا الخراج ولا الجبار في الآخرة الحساب: إلى هنا كلام القشيري.

وقال السهروردي في العوارف، قال ابن الجلاء: الفقر أن لا يكون لك وإذا كان لك لا يكون لك حتى تؤثر، وقال بعضهم: نعت الفقير السكون عند العدم والإضطراب عند الوجود، وتقدم مثله في قول النوري إلا أنه قال: والبذل بذل الإضطراب وقال الدراج: فتشت كفن أستاذي أريد مكحلة فوجدت فيها قطعة فتحيرت، فلما جاء قلت إني وجدت في كفنك قطعة. قال: قد رأيتها ردّها، ثم قال: خذها فاشترِ بها شيئاً، فقلت: ما كان من أمر هذه القطعة بحق معبودك؟ فقال: ما رزقني الله تعالى من الدنيا لا صفراء ولا بيضاء غيرها فأردت أن أوصي أن تشد في كفني فأردها إلى الله تعالى. وقال إبراهيم الخوّاص: الفقر رداء الشرف ولباس المرسلين وجلباب الصالحين. وسئل سهل عن الفقير الصادق فقال: لا يسأل ولا يرد ولا يحبس. وقال أبو علي الروذباري: سألني الزقاق، فقال: يا أبا علي لم ترك الفقراء أخذ البلغة في وقت الحاجة؟ قال: قلت لأنهم مستغنون بالمعطي عن العطايا. قال: نعم ولكن وقع لي شيء آخر فقلت: هات فافدني قال: لأنهم قوم لا ينفعهم الوجود إذا له فاقتهم ولا تضرهم الفاقة إذا له وجودهم. وقال بعضهم: الفقر وقوف الحاجة على القلب ومحوها عما سوى الرب. وقال المسوحي: الفقير الذي لا تغنيه النعم ولا تغيره المحن. وقال أبو بكر الطوسي: بقيت مدة أسأل عن معنى اختيار أصحابنا لهذا الفقر على سائر الأشياء فلم يجبني أحد بجواب يقنعني حتى سألت نصر بن الحمامي فقال لي: لأنه أول منازل التوحيد فقنعت بذلك. وقال: فارس. قلت لبعض الفقراء مرة ورأيت عليه أثر الجوع والضر: لم لا تسأل فيطعموك؟ فقال: أخاف أن أسألهم فيمنعوني فلا يفلحون اهـ.

وقال صاحب البصائر: الفقر له بداية ونهاية وظاهر وباطن، فبدايته الذل ونهايته العز وظاهره العدم وباطنه الغنى، كما قال رجل لآخر: فقر وذل فقال: لا بل فقر وعز. فقال: فقر وثرى. فقال: لا بل فقر وعرش وكلاهما مصيب. وأما مسألة الفقير الصابر الغني الشاكر وترجيح أحدهما على الآخر فعند المحققين أن التفضيل لا يرجع إلى ذات الفقر والغنى، وإنما يرجع إلى الأعمال والأحوال والحقائق، فالمسألة فاسدة من أصلها. وأن التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الإيمان لا بفقر وغنى. قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] ولم يقل أفقركم أو أغناكم، ثم اعلم أن الفقر والغنى ابتلاء من الله للعباد فليس كل من أعطاه ووسع عليه قد أكرمه، ولا كل من ضيق عليه قد أهانه والألزم أن يكرم العبد بطاعته ومحبته ومعرفته وأن يهان إذا سلب ذلك ولا يقع التفاضل بالغنى والفقر بل بالتقوى. وقال بعضهم: هذه المسألة محال أيضاً من وجه آخر وهو

....

أن كلاً من الغنى والفقر لا بدّ له من صبر وشكر، فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر، بل قد يكون قسط الغنى من الصبر أوفى لأنه يصبر عن قدرة فصبره أتم من صبر من يصبر عن عجز ويكون شكر الفقير أتم لأن الشكر هو استفراغ الوسع في طاعته، والفقير أعظم فراغاً بالشكر من الغني وكلاهما لا تقوم قائمة إيمانه إلا على ساق الصبر والشكر. نعم الذي رجع الناس إليه في المسألة أنهم ذكروا نوعاً من الشكر ونوعاً من الصبر وأخذوا في الترجيح فجردوا غنياً منفقاً متصدقاً باذلاً ماله في وجوه القرب شاكراً الله عليه وفقيراً متفرغاً لطاعة الله تعالى ولأوراد العبادات صابراً على فقره هل هو أكمل من ذلك الغنى أم بالعكس؟ فالصواب في مثل هذا أن أكملهما أطوعهما فإن تساوت طاعتهما تساوت درجتهما والله أعلم. اهـ.

وقال صاحب القوت، قال الله تعالى: ﴿سلامٌ عليكم بما صبرتم﴾ [الرعد: ٢٤] قيل: على الفقر وقد سمى الله الفقراء الصابرين محسنين ووضع عنهم السبيل يوم الدين فقال تعالى: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ [التوبة: ٩١] ثم أوقع الحجة والمطالبة على الأغنياء وسماهم ظالمين ووصفهم بأوصاف النساء وجعلهم من المخلفين فقال: من المعنيين في الآيتين ﴿إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ [التوبة: ٩٣] يعني بطلب العلوّ فيها ضد الفقراء الصادقين الذين قال في ذكرهم: ﴿نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض﴾ [القصص: ٨٣] وقد يحتج متوهم لفضل الأغنياء الممسكين لفضول الغنى عل الفقراء عنده بقوله تعالى مخبراً عن الفقراء ﴿تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألاَّ يجدوا ما ينفقون﴾ [التوبة: ٩٢] ولا يعلم أن هذا عند أهل التدبر للقرآن مزيد للفقراء لتمام حالهم لما كانوا محسنين كما قال: ﴿تماماً على الذي أحسن﴾ [الأنعام: ١٥٤] وقال ﴿سنزيد المحسنين﴾ [البقرة: ٥٨] فكان مزيدهم الحزن والإشفاق وخوف التقصير لمشاهدة عظيم حق الربوبية عليهم حتى كأنهم مسيئون، حتى بشرهم الله بأنهم محسنون لما قال ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ [التوبة: ٩١] لأنه أضافهم إليه في الوصف وعطف بهم عليه في المعنى، وأيضاً فلم يكن بكاؤهم على فوت الدنيا ولا على طلب الغنى، والله تعالى يمدحهم بصبرهم عن الدنيا ويذم الدنيا إليهم، لكن لما كان حزنهم على طلب المزيد من الفقر ليجدوا الإنفاق فيخرجوه فيفتقروا منه فيزدادوا فقراً من الدنيا ببذل المال على فقرهم فعلى كثرة الإنفاق وخيفة الفقر من الدنيا كان حزنهم، فهذا فضل ثان للفقر لا على الجمع والإدخار والموضع إلا على الذي فضل به الفقراء من هذه الآية عند أهل الإستنباط والدراية هو مشاركتهم الرسول في حاله، ووصف الله ورسوله ﷺ بمثل حالهم من قوله تعالى: ﴿قلت لا أجد ما أحملكم عليه﴾ [التوبة: ٩٢] ثم نعتهم بمثله لأنهم هم الأمثل فالأمثل به فقال تعالى: ﴿أن لا يجدوا ما ينفقون﴾ [التوبة: ٩٢] فمن كان برسول الله ﷺ أمثل فهو الأفضل، وجعل ابن مسعود الفقر حقيقة الإيمان أو عبر عن ذروة الإيمان فقال: لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته، ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى، والتواضع أحب إليه من الشرف، والذل أحب إليه من العز. وأما وهب بن منبه فإنه جعل هذه الخصال الثلاث من استكمال العقل

الشطر الثاني من الكتاب
في الزهد

وفيه بيان حقيقة الزهد، وبيان فضيلة الزهد، وبيان درجات الزهد وأقسامه، وبيان تفضيل الزهد في المطعم والملبس والمسكن والأثاث وضروب المعيشة، وبيان علامة الزهد.

بيان حقيقة الزهد:

اعلم أن الزهد مقام شريف من مقامات السالكين، وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات، لأن أبواب الإيمان كلها كما قال السلف ترجع إلى عقد وقول وعمل، وكأن القول لظهوره أقيم مقام الحال إذ به يظهر الحال الباطن وإلاَّ فليس القول مراداً لعينه، وإن لم يكن صادراً عن حال سمي إسلاماً ولم يسم إيماناً والعلم هو السبب في الحال يجري مجرى المثمر، والعمل يجري من

فقال: لا يستكمل العبد العقل حتى تكون فيه هذه الخصال فذكرها وكان أبو سليمان يقول: ما من شيء إلا وهو مطروح في الخزائن إلا الفقر مع المعرفة فإنه مخزون مختوم عليه لا يعطاه إلا من طبع بطابع الشهداء، وبه تم الكلام على الفقر بعون الله تعالى.

الشطر الثاني من الكتاب: في الزهد

(وفيه بيان حقيقة الزهد، وبيان فضيلة الزهد، وبيان درجات الزهد وأقسامه، وبيان تفضيل الزهد في المطعم والملبس والمسكن والأثاث وضرورات المعيشة، وبيان علامة الزهد) وذلك في فصول خمسة مرتبة.

بيان حقيقة الزهد:

(اعلم) هداك الله تعالى **(أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين)** وهو السادس من مقامات اليقين على ما رتبه صاحب القوت ولم يعد الفقر منها، وإنما ذكره في ضمن مقام الزهد، ونحن قلدناه في سياقه، وأما السهروردي وشيخ الإسلام الهروي وغيرهما من مشايخ القوم عدوا الفقر من جملة مقامات الدين وهي مائة مقام في سياق منازل السائرين. **(وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات)** المذكورة والآتية، **(لأن أبواب الإيمان كلها كما قال السلف ترجع إلى عقد وقول وعمل)**، فالعقد يرجع إلى القلب، والقول يرجع إلى اللسان، والعمل يرجع إلى الجوارح. **(وكان القول لظهوره أقيم مقام الحال إذ به يظهر الحال الباطن وإلاَّ فليس القول مراداً لعينه وان لم يكن صادراً عن حال سمي إسلاماً ولم يسم إيماناً)** فالعلم هو الأصل الذي هو عقد من عقود الإيمان بالله أو لله، والحال ما ينشأ عنه من المواجيد والعمل هو ما تنشئه المواجيد على القلوب والجوارح من الأعمال، **(والعلم هو السبب في**

الحال مجرى الثمرة، فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل.

أما الحال فنعني بها ما يسمى زهداً وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره، فإنما عدل عنه لرغبته عنه، وإنما عدل إلى غيره لرغبته في غيره، فحاله بالإضافة إلى المعدول عنه يسمى زهداً، وبالإضافة إلى المعدول إليه يسمى رغبة وحباً، فإذاً يستدعي حال الزهد مرغوباً

الحال يجري مجرى المثمر، والعمل من الحال) يجري **(مجرى الثمرة. فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل)**.

(أما الحال؛ فنعني به) هنا **(ما يسمى زهداً وهو)** الآلة التي لا يستغني عنها عابد ولا عارف لأن الدنيا عدوّة محبوبة. أما كونها عدوّة فلأنها قاطعة شاغلة، وأما كونها محبوبة فلأن أصل الحياة وكمالها لا يتأتى إلا بها، وأصل الحياة هو المقصود للعبادة والمعرفة، وكمال الحياة بالتنعيم هو القاطع إن كان محظوراً والشاغل ان كان مباحاً. وأما الزهد فلا يتعلق إلا بترك المباح وترك المباح منوط بثلاث آفات.

الآفة الأولى: أن الانهماك فيه يحمل على ترك الواجبات وفعل المحظوارت، ولا يقدر على فعل الواجبات وترك المحظورات إلا بترك فضول الشهوات المباحات.

الآفة الثانية: اعتياد النفس وإلفها به فيشق عليها مفارقته والمفارقة للدنيا ضرورة.

الآفة الثالثة: الاشتغال به عن معرفة الله التي ما خلقت إلا لأجلها، والقلب لا يتسع لحالين إما اقبال على الدنيا أو على الآخرة أو على الله تعالى، فإذا عرفت هذا عرفت أن الزهد في الدنيا ضرورة السالك، فأما السبب الموجب للزهد فقد قال الله تعالى: ﴿لعلكم تتفكرون* في الدنيا والآخرة﴾ [البقرة: ٢١٩، ٢٢٠] وقال ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باقٍ﴾ [النحل: ٩٦] فقد عرفك طريق الفكر في الآية الأولى، وهو أن تنظر إلى فناء الدنيا وسرعة ذهابها حتى كأنها لم تكن، وفي بقاء الآخرة وثباتها حتى كأنها لم تزل مع ما اشتملت عليه الدنيا من الخساسة والقذارة والمكابدة ومحاضرة الشركاء، وكذلك ما اشتملت عليه الآخرة من النفاسة والبهاء وعدم الآفات، والإيمان بهاتين المعرفتين واجب لأنها من عقود الإيمان بالله، فإذا أضفت المعرفة بالآخرة إلى المعرفة بالدنيا وكانت إرادتك مائلة إلى الدنيا انصرفت إرادتك من الدنيا إلى الآخرة، فحينئذ تعرف حقيقة الزهد بالذوق إن كنت مصدقاً بها برهاناً أو تقليداً، فحقيقة الزهد انصراف الإرادة عن الدنيا حقارة لاستعظام ما عاين من نفاسة الآخرة وإليه أشار المصنف بقوله وهو: **(عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبيع وغيره فإنما عدل عنه لرغبته عنه، وإنما عدل إلى غيره لرغبته في غيره، فحاله بالاضافة إلى المعدول عنه يسمى زهداً وبالإضافة إلى المعدول إليه يسمى رغبة وحباً، فإذاً يستدعي حال الزهد مرغوباً عنه ومرغوباً فيه هو خير من المرغوب**

عنه ومرغوباً فيه هو خير من المرغوب عنه، وشرط المرغوب عنه أن يكون هو أيضاً مرغوباً فيه بوجه من الوجوه، فمن رغب عما ليس مطلوباً في نفسه لا يسمى زاهداً إذ تارك الحجر والتراب وما أشبهه لا يسمى زاهداً وإنما يسمى زاهداً من ترك الدراهم والدنانير لأن التراب والحجر ليسا في مظنة الرغبة، وشر المرغوب فيه أن يكون عنده خيراً من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة، فالبائع لا يقدم على البيع إلا والمشترى عنده خير من المبيع، فيكون حاله بالإضافة إلى البيع زهداً فيه، وبالإضافة إلى العوض عنه رغبة فيه وحباً، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وشَرَوْهُ بثمنٍ بخْسٍ دَرَاهِمَ معدودةٍ وكانوا فيه من الزَّاهدين﴾ [يوسف: ٢٠] معناه باعوه، فقد يطلق الشراء بمعنى البيع ووصف إخوة يوسف بالزهد فيه، إذ طمعوا أن يخلو لهم وجه أبيهم، وكان ذلك عندهم أحب إليهم من يوسف فباعوه طمعاً في العوض، فإذاً كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضاً زاهد ولكن في الآخرة، ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد في الدنيا، كما خصص اسم الإلحاد بمن يميل

عنه) فهذا شرط المرغوب فيه، **(وشرط المرغوب عنه أن يكون هو أيضاً مرغوباً فيه)** ولو **(بوجه من الوجوه، فمن رغب عما ليس مطلوباً)** هو **(في نفسه لا يسمى زهداً)** في الحقيقة **(إذ تارك الحجر والتراب والحشرات)** وما أشبه ذلك من المحقرات **(لا يسمى زاهداً وإنما يسمى زاهداً من ترك الدراهم والدنانير لأن)** الدراهم والدنانير مطلوبة في نفسها و**(الحجر والتراب ليسا في مظنة الرغبة)** إليهما، **(وشرط المرغوب فيه أن يكون عنده خيراً من المرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة)** وإنما قال عنده لأنه إذا كان في نفس الأمر خيراً منه إلا أنه ليس عنده ذلك فلا تغلب رغبته، فلذلك اشترط أن يكون ذلك عنده لأجل غلبة رغبته، **(فالبائع لا يقدم على البيع إلا والمشترى عنده خير من المبيع فيكون حاله بالإضافة إلى المبيع زاهداً فيه وبالإضافة إلى العوض عنه رغبة وحباً، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وشروه)** أي يوسف **(بثمن بخس)** ناقص **(دراهم معدودةٍ)** قليلة **(وكانوا فيه)** أي يوسف **(من الزاهدين﴾)** أي ممن يرغب عما في يده فيبيعه بثمن طفيف **(أي باعوه)** هو تفسير لشروه، **(فقد يطلق الشراء بمعنى البيع)** فيقولون: شريت بمعنى بعت، كما يقولون: ابتعت بمعنى اشتريت، وهما من الأضداد. **(ووصف اخوة يوسف بالزهد فيه إذ طمعوا أن يخلو له وجه أبيهم)** منه، **(وكان ذلك عندهم أحب من يوسف فباعوه طمعاً في العوض)**، فلما باعوه وخرج من أيديهم كانوا من الزاهدين، **(فإذاً كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضاً زاهد ولكن في الآخرة)** هذا ما تقتضيه اللغة، **(ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزاهد بمن يزهد في الدنيا كما خصص**

إلى الباطل خاصة وإن كان هو للميل في وضع اللسان، ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور إلا بالعدول إلى شيء هو أحب منه، وإلاَّ فترك المحبوب بغير الاحب محال، والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس ولا يحب إلا الله تعالى فهو الزاهد المطلق، والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والأنهار والفواكه فهو أيضاً زاهد ولكنه دون الأوّل، والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقاً، ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين، وهو زهد صحيح، كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة، فإن التوبة عبارة عن ترك المحظورات، والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس، ولا يبعد أن يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات، والمقتصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهداً وإن كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه، ولكن العادة تخصص هذا الاسم بترك المباحات، فإذاً الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولاً

اسم الالحاد بمن يميل إلى الباطل خاصة وان كان هو للميل في وضع اللسان) العربي، وكذا تخصيص اسم الحنيف بمن يميل إلى الحق وإن كان في أصل اللسان بمعنى الميل أيضاً، (ولما كان الزهد) عبارة عن (رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصوّر إلا بالعدول إلى شيء هو أحب منه، وإلاَّ فترك المحبوب بغير الأحب محال) وبهذا يفارق الفقر فإن حقيقة الفقر الفقد والاحتياج، (والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس) وحتى نسيم الأسحار (ولا يحب إلا الله تعالى فهو الزاهد المطلق) وهذا أعلى المراتب، (والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ في الآخرة بل طمع في الحور والقصور والأنهار والفواكه فهو أيضاً زاهد ولكنه دون الأوّل، والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق إسم الزاهد مطلقاً، ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي دون البعض في التائبين وهو زهد صحيح، كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة) وقد ذكر وجه ذلك في كتاب التوبة، (فإن التوبة عبارة عن ترك المحظورات، والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس، ولا يبعد أن يقدر على ترك بعض المباحات دون بعض كما لا يبعد ذلك في المحظورات) أي يترك بعضاً منها دون بعض، (والمقتصر على ترك المحظورات دون المباحات لا يسمى زاهداً) وإنما يسمى تائباً (وإن كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه، ولكن العادة تخصص هذا الاسم) أي الزهد (بترك المباحات، فإذاً الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا) وإعراضه عنها (عدولاً إلى

إلى الآخرة، أو عن غير الله تعالى عدولاً إلى الله تعالى وهي الدرجة العليا، وكما يشترط في المرغوب فيه أن يكون خيراً عنده فيشترط في المرغوب عنه أن يكون مقدوراً عليه، فإن ترك ما لا يقدر عليه محال، وبالترك يتبين زوال الرغبة، ولذلك قيل لابن المبارك: يا زاهد، فقال: الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها، وأما أنا فماذا زهدت؟

وأما العلم الذي هو مثمر لهذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيراً بالإضافة إلى

الآخرة أو) عن رغبته **(عن غير الله تعالى عدولاً إلى الله وهي الدرجة العليا)** في مراتب الزهد، **(وكما يشترط في المرغوب فيه أن يكون خيراً عنده)** لتغلب رغبته **(فيشترط في المرغوب عنه أن يكون مقدوراً عليه)** وبهذا يفارق الفقر، **(فإن ترك ما لا يقدر عليه محال)**.

فإن قلت: هذا يرد عليكم في الزهد في نعيم الجنة بالنسبة إلى التنعم بمشاهدة الله تعالى فإن نعيم الجنة غير مقدور عليه؟

فأقول: نعيم الجنة ضربان: حسّي وعقلي، فالحسي ما يتلذذ به سائر البدن من مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومسموع ومنكوح، فلا تختلف اللذات الحسية في أصل ذلك إنما الاختلاف في كمال اللذة لأن قوّة اللذة على قدر الشوق وعلى كمال الملتذ به، فقد عرفت لذات الآخرة بالمقايسة على لذات الدنيا. وأما العقلي: فهو كسلام الملائكة وتبشيرها وتعظيمها وهذا أيضاً موجود في الدنيا بتعظيم العباد بعضهم بعضاً، فلا يختلف أيضاً في أصل اللذة إنما يختلف في كمالها لأن اللذة بتعظيم العظيم عظيمة، فلما ذاق العارفون في الدنيا اللذات المحسوسة والمعقولة كما وصفنا وذاقوا لذة معرفة الله تعالى بمطالعة جماله وكماله واستغرقهم ذلك في وقت الانس بمجالسته ومودادته ومصافاته استحقروا عند اللذة بهذه المعرفة جميع اللذات العقلية والحسية، وصارت لذة المعرفة عندهم بالنسبة إلى اللذة العقلية كنسبة الحسية، ولا تؤثر لذة الحس على لذة العقل إلا بهيمة لم يخلق لها الإدراك الانساني.

(وبالترك يتبين زوال الرغبة، ولذلك قيل لابن المبارك) عبد الله رحمه الله تعالى: **(يا زاهد)** فأنكر على القائل **(فقال: إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز)** أي هو حقيق أن يسمى زاهداً **(إذ جاءته الدنيا راغمة)** أي صاغرة ذليلة **(فتركها)** وزهد عنها، **(وأما أنا ففيماذا زهدت)**؟ ولفظ القوت: وقد كان مالك بن دينار يقول: إذا قيل له إنك زاهد. قال: إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز جاءته الدنيا وملكها فتزهد فيها فأما أنا في أي شيء زهدت؟ اهـ. فهذا ما يتعلق بالحال بقي الكلام على طرفيه العلم والعمل فقال:

(وأما العلم الذي هو مثمر هذا الحال فهو العلم بكون المتروك حقيراً بالاضافة إلى

المأخوذ كعلم التاجر بأن العوض خير من المبيع فيرغب فيه، وما لم يتحقق هذا العلم لم يتصور أن تزول الرغبة عن المبيع، فكذلك من عرف أن ما عند الله باق وأن الآخرة خير وأبقى، أي لذاتها خير في أنفسها وأبقى، كما تكون الجواهر خيراً وأبقى من الثلج مثلاً، ولا يعسر على مالك الثلج بيعه بالجواهر واللآلىء، فهكذا مثال الدنيا والآخرة، فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان إلى الانقراض، والآخرة كالجوهر الذي لا فناء له، فبقدر قوّة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع والمعاملة، حتى أن من قوي يقينه يبيع نفسه وماله، كما قال الله تعالى: ﴿إنَّ الله اشترى من الْمُؤمنين أنفُسَهُم وأمْوَالَهُم بأنَّ لَهُمُ الجنَّة﴾ [التوبة: ١١١] ثم بيّن

المأخوذ)، وهذا (**كعلم التاجر بأن العوض خير من البيع فيرغب فيه، وما لم يتحقق هذا العلم لا يتصوّر أن تزول الرغبة عن المبيع، فكذلك من عرف أن**) ما عندكم ينفد و (**ما عند الله باق وان الآخرة خير وأبقى أي لذاتها خير في أنفسها وأبقى**) بالإضافة إلى لذات الدنيا. وفي قوله تعالى: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ [النحل: ٩٦] إشارة حسنة حيث أضاف الدنيا إلينا ليذلنا بها لأنا أهل الغنى وليزهدنا فيها زهدنا في أنفسنا الأمارة بالسوء، وأضاف الآخرة إلى الآخر الأعلى ليعزنا بها ويشرفنا إليها لأنه أهل البقاء، فخص بها أهله إذ منحها البقاء والايمان بهذه المعرفة واجب لأنه من عقود الإيمان بالله، ثم مثل للذات الآخرة، مثالاً في عالم الملك فقال: (**كما تكون الجواهر**) واللآلى (**خيراً من الثلج مثلاً وهي أبقى كما يكون الجوهر أبقى من الثلج ولا يعسر عل مالك الثلج بيعه بالجواهر واللآلى، فهكذا مثال الدنيا والآخرة. فالدنيا كالثلج الموضوع في الشمس لا يزال في الذوبان إلى الانقراض، والآخرة كالجوهر الذي لا فناء له، فبقدر قوة اليقين والمعرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة**) بخساسة الدنيا وقذارتها وفنائها ونفاسة الآخرة وشرفها وبقائها (**تقوى الرغبة في البيع والمعاملة، حتى أن من قوي يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾**) فلما اشتراها باعوها، فالعبد إذا باع نفسه وماله من الله تعالى وخرج من هواه إلى سبيل مولاه فهو من الزاهدين، وهذا كما قال تعالى: ﴿ونهى النفس عن الهوى★ فإن الجنة هي المأوى﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] فإذا كان العوض واحداً هو الجنة ذكر في المعنيين كان بيع النفس والمال وإخراجها لله عز وجل بمعنى النهي عن الهوى فيها الذي هو الحياة الدنيا وهو اقتناؤه للنفس وحبس النفس عليه. أعني المال. فاستبدال ذلك بضده من إخراج الهوى من النفس وادخال الفقر على المال هو الزهد في الدنيا إذ ليس ذلك من أمر النفس الأمارة بالسوء لأنه نهاية الخير، فصار نهياً لها عن الهوى الذي هو اقتناء المال للجمع والمنع لمتعة النفس به، وهذا هو الدنيا بوصف النفس الأمارة بالسوء لأن هذا سوء كله، فمن كان بهذا الوصف فنفسه غير مرحومة لأمرها بالسوء، وإذا لم تكن مرحومة لم يكن صاحبها بائعاً،

أن صفقتهم رابحة فقال تعالى: ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾ [التوبة: ١١١] فليس يحتاج من العلم في الزهد إلا إلى هذا القدر، وهو أن الآخرة خير وأبقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا، إما لضعف علمه ويقينه، وإما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهوراً في يد الشيطان، وإما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوماً بعد يوم إلى أن يختطفه الموت ولا يبقى معه إلا الحسرة بعد الفوت، وإلى تعريف خساسة الدنيا الإشارة بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدّنيا قليلٌ﴾ [النساء: ٧٧] وإلى تعريف

وإذا لم يبعها لم تكن مشتراة. (**ثم بيّن ان صفقتهم رابحة فقال تعالى: ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾**) فمن باع حياة نفسه وفرق مجموع ماله فاشتراه المولى الكريم منه فعوّضه داره وأسكنه عنده في جواره فقد ربحت صفقته واهتدى سبيله، فإيمان الزاهدين قد أمرهم باخراج المال والنفس التي هي الهوى ولدخول اليقين على إيمان التصديق، (**فليس يحتاج من العلم في الزهد إلا إلى هذا القدر وهو أن الآخرة خير وأبقى**) وصفها بالخيرية لبقائها في المآل ومنحها وصفين من صفاته ليرغب فيها كما قال ﴿والله خير وأبقى﴾ فإذا شهد العبد بعين قلبه ويقين إيمانه ما صدق به مما علمه بفهم سمعه وإدراك خبره أن ما يفنى آخره كأنه لم يكن وما يبقى آخره كأنه لم يزل كان من المتفكرين في مثل هذه الآي المشاهدين لها كما قال تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون★ في الدنيا والآخرة﴾ [البقرة: ٢١٩ - ٢٢٠] (**وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا إما لضعف علمه ويقينه، وإما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهوراً في يد الشيطان، وإما لاغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوماً بعد يوم**) وحيناً بعد حين (**إلى أن يختطفه الموت ولا يبقى إلا الحسرة بعد الفوت**) ومن دامت غفلته عظمت في الآخرة حسرته وخسارته. ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿أولئك هم الغافلون﴾ [الأعراف: ١٧٩] ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون﴾ [هود: ٢٢] مع قوله ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الامر وهم في غفلة﴾ [مريم: ٣٩] فهذه صفات الجاهلين وأخلاق نفوس المشركين لفقد حقيقة العلم ووجد عدم اليقين وبمعنى ما ذكرناه ذكرهم خالقهم، فمن دخل في بعض مداخلهم ووقع به التهديد والوعيد والتخويف الشديد لهم في قوله مخبراً عنهم: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها﴾ [هود: ١٥] الآية وقوله تعالى: ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ [يونس: ٧] فما أعظم حسرة الفوت على من خسر ما ربحه الزاهدون بعد الموت، (**وإلى تعريف خساسة الدنيا الاشارة بقوله تعالى: ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾**) والآخرة خير لمن اتقى﴾ والمراد بالدنيا هنا هو حب البقاء لمتعة النفس كما يدل عليه قوله تعالى مخبراً عنهم ﴿وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا إلى أجل قريب﴾ [النساء: ٧٧] فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لأنه المشي بالسيف إلى السيف والفناء بين السيفين، فقالوا: هلا أبقيتنا إلى وقت آخر وهو أجلنا بالموت لا بالقتل، وهذا هو حب البقاء. ففسر حب البقاء بأنه الدنيا فقال تعالى: ﴿قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى﴾ فانكشف الناس وافتضح

نفاسة الآخرة الإشارة بقوله عز وجل: ﴿وقالَ الّذِين أُوتوا العِلْمَ ويْلَكُم ثوابُ الله خيرٌ﴾ [القصص: ٨٠] فنبه على أن العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه، ولما لم يتصور الزهد إلا بمعاوضة ورغبة عن المحبوب في أحب منه قال رجل في دعائه: اللهم أرني الدنيا كما تراها، فقال له النبي ﷺ: « لا تقل هكذا، ولكن قل أرني الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك »، وهذا لأن الله تعالى يراها حقيرة كما هي، وكل مخلوق فهو بالإضافة إلى جلاله حقير. والعبد يراها حقيرة في حق نفسه بالإضافة إلى ما هو خير له، ولا يتصور أن يرى بائع الفرس وإن رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الأرض مثلاً، لأنه مستغن عن الحشرات أصلاً وليس مستغنياً عن الفرس، والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه، فيرى الكل في درجة واحدة بالإضافة إلى جلاله، ويراه متفاوتاً بالإضافة إلى غيره، والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالإضافة إلى نفسه لا إلى غيره.

المنافقون وابتلي هنالك المؤمنون عند فرض القتال، وظهر المحبون الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، فعندها ربح الذين هم لأنفسهم وأموالهم بائعون وخسر الذين هم لحياة الآخرة مشترون. (**وإلى تعريف نفاسة الآخرة الإشارة بقوله عز وجل**) إذ وصف قارون ﴿فخرج على قومه﴾ إلى قوله: (﴿**وقال الذين أوتوا العلم**) فجعل أهل الزهد علماء (**ويلكم ثواب الله خير**) لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون﴾ (**فنبه على أن العلم بنفاسة الجوهر هو المرغب عن عوضه، ولما لم يتصوّر الزهد إلا بمعاوضة ورغبة في محبوب عمن أحب منه قال رجل في دعائه: اللهم أرني الدنيا كما تراها، فقال له النبي ﷺ « لا تقل هكذا**) فإن الله لا يراها كما تراها (**ولكن قل**) اللهم (**أرني الدنيا كما أريتها الصالحين من عبادك »**) ولفظ القوت كما يراها الصالح من عبادك. وقال العراقي: ذكره صاحب الفردوس مختصراً « اللهم أرني الدنيا كما تريها صالح عبادك » ولم يخرجه ولده.

(**وهذا لأن الله تعالى يراها حقيرة كما هي**) ولذلك لم ينظر إليها منذ خلقها لحقارتها كما ورد ذلك في الخبر وتقدم في ذم الدنيا، (**وكل مخلوق فهو بالإضافة إلى جلاله**) وكبريائه وعظمته (**حقير، والعبد يراها حقيرة في حق نفسه بالإضافة إلى ما هو خير له، ولا يتصوّر أن يرى بائع الفرس وإن رغب عن فرسه كما يرى حشرات الأرض مثلاً لأنه مستغن عن الحشرات أصلاً وليس مستغنياً عن الفرس، والله تعالى غني بذاته عن كل ما سواه، فيرى الكل في درجة واحدة بالإضافة إلى جلاله، ويراه متفاوتاً بالإضافة إلى غيره**) وفي نسخة ويراها متفاوتة بالإضافة إلى غيره. (**والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالإضافة الى نفسه لا إلى غيره**) . وساق صاحب القوت هذا الحديث واستنبط منه معنى آخر فقال: وإظهار سر الملكوت معصية إذ الله تعالى لم يأمر به ولم يأذن فيه، فسبحان من خصّ الشاهدين الذين عنده في ظله بمعنى من شهادته كما أعطاهم حيطة بشيء من علمه فأحاط علمهم بما شاء لما أحاط لهم ما شاء ولذلك قال

وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك واحد لأنه بيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو أدنى، فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع وإخراجه من اليد وأخذ العوض، فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلائقها، فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات، ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات، وإلاَّ كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن، فإذا وفى بشرط الجانبين في الأخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به، فإن الذي بايعه بهذا البيع وفى بالعهد، فمن سلم حاضراً في غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى في طلب الغائب سلم إليه الغائب حين فراغه من سعيه إن كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد، وما دام ممسكاً للدنيا لا يصح زهده أصلاً، ولذلك لم يصف الله تعالى إخوة يوسف بالزهد في بنيامين وإن كانوا قد قالوا: ﴿ليوسُفُ وأخوه أحبّ إلى أبينا منّا﴾ [يوسف: ٨] وعزموا على

صاحب السر الذي عنده حقيقة الخبر للرجل الذي قال: اللهم أرني الدنيا كما تراها. فقال: «لا تقل» ثم ساق الحديث. ثم قال «فهذا على نحو ما أمر الآخر به إذ قال له: أوصني. قال: استحي من الله كما تستحي من رجل صالح، فهذا الذي يمكنه معرفته إذ كان حقيقة الحق ممتنعة وكنه صفاته الموجبة للحياءوغيره محتجبة فردّه إلى ما يعلم وخاطبه بما يعقل اهـ. هذا ما يتعلق بأحد طرفي الحال وهو العلم، ثم شرع في بيان الطرف الثاني الذي هو العمل فقال:

(**وأما العمل الصادر عن حال الزهد فهو ترك وأخذ لأنه بيع ومعاملة واستبدال الذي هو خير بالذي هو أدنى**) هو تذكير الدنيا من الدناءة وهي الخساسة، (**فكما أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك المبيع واخراجه من اليد وأخذ العوض، فكذلك الزهد يوجب ترك المزهود فيه بالكلية وهي الدنيا بأسرها**) أي بتمامها (**مع أسبابها ومقدماتها وعلائقها، فيخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات، ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات وإلاَّ كان كمن سلم المبيع ولم يأخذ الثمن فإذا وفى بشرط الجانبين في الأخذ والترك فليستبشر ببيعه الذي بايع به فإن الذي بايعه بهذا البيع وفى بالعهد**) وهو الله سبحانه وتعالى، (**فمن سلم حاضراً في غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى في طلب الغائب سلم إليه الغائب حين فراغه من سعيه إن كان العاقد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالعهد**) وكان معروفاً بذلك، (**وما دام ممسكاً للدنيا لا يصح زهده أصلاً، ولذلك لم يصف الله إخوة يوسف**) عليه السلام (**بالزهد في بنيامين**) وهو أخو يوسف لأمه راحيل، وقد كان زهدهم فيه يقارب زهدهم في يوسف لأنه كان نظيره عند أبيه، (**وإن كانواقد**) همّوا بالزهد فيه أيضاً ليخل لهم وجه أبيهم منهما الم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿إذ (**قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا**﴾ **وعزموا على**

إبعاده كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم فترك، ولا وصفهم أيضاً بالزهد في يوسف عند العزم على إخراجه، بل عند التسليم والبيع، فعلامة الرغبة الإمساك، وعلامة الزهد الإخراج. فإن أخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهداً مطلقاً، وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد، لأن ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه، وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل إليك أن الدنيا وإن لم تأتك فأنت زاهد فيها، فلا ينبغي أن تتدلى بحبل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله، فإنك إذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها، فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي عند تعذرها، فلما تيسرت له أسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها، وإذا كان هذا غرور

إبعاده كما عزموا على يوسف)، فقد جاء في الخبر: انهم أرادوا أن يلقوا أخاهم معه في الجب حين ألقى نفسه عليه، **(حتى تشفع فيه أحدهم)** وهو يهوذا فشفع فيه ورحمه ومنعه وكان شديداً بينهم منيعاً مهيباً فيهم، وقد قيل في السير: إن أخاهم الأكبر روبيل هو استوهبه منهم وقال: دعوه يكون فيه سلوة وعزاء للشيخ الكبير من يوسف لا تفجعوه ولا تفقدوه إياهما معاً فوهبوه له، ثم ان الله عز وجل لم يقل مع ارادتهم لذلك وهممهم به وعزمهم عليه، وكانوا فيهما من الزاهدين من قبل ان يتحققوا بالزهد فيه كالزهد في يوسف إذ لم يخرجوه من أيديهم، **(ولا وصفهم أيضاً بالزهد في يوسف عند العزم على إخراجه)** من الجب، **(بل عند التسليم والبيع، فعلامة الرغبة الإمساك، وعلامة الزهد الإخراج)** فإذا كان الشيء موجوداً عندك وأنت ممسكه لنفسك، ثم توهمت أنك زاهد فيه لخواطر الإرادة أو لإرادة الزهادة فقد كذبت على نفسك بتسميتك إيانا زاهداً، **(فإن أخرجت عن يدك بعض الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيما أخرجت فقط ولست زاهداً مطلقاً، وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصوّر منك الزهد)** فإن زهدك فيما لا تملك غير جائز، وكذا الزهد في معدوم باطل، وكما أن التصرف في مال غيرك غير جائز فكذلك لم يصح زهدك فيه، **(لأن مالا تقدر عليه لا تقدر على تركه)** ولعله لو كان موجوداً تغيَّر قلبك به وتقلب فيه، إذ ليس الخبر كالمعاينة لأن الخبر قد يوهم ويشبه، والمعاينة تكشف الحقيقة وتحكم على الخلقة، **(وربما يستهويك الشيطان بغروره ويخيل إليك أن الدنيا وإن لم تأتك فأنت زاهد فيها، فلا ينبغي أن تتدلى بحبل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموثق غليظ من الله تعالى، فإنك إذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها)** لأن للنفس بدوات لما أطبعت عليه من الشهوات والملل والتقليبات وحب المتعة بالموجود وادخار المحصول، فلا تجعل ظناً معدوماً كيقين موجود، **(فكم من ظان بنفسه كراهة المعاصي وبغضها عند تعذرها)** أو تعذر أسبابها، **(فإذا تيسرت له أسبابها من غير)** مانع **(مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها، وإذا كان غرور النفس في المحظورات)** التي الترك عنها

النفس في المحظورات، فإياك أن تثق بوعدها في المباحات، والموثق الغليظ الذي تأخذه عليها، أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة، فإذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والأعذار ظاهراً وباطناً فلا بأس أن تثق بها وثوقاً ما، ولكن تكون من تغيرها أيضاً على حذر، فإنها سريعة النقض للعهد، قريبة الرجوع إلى مقتضى الطبع.

وبالجملة؛ فلا أمان منها إلا عند الترك بالإضافة إلى ما ترك فقط وذلك عند القدرة. قال ابن أبي ليلى لابن شبرمة: ألا ترى إلى ابن الحائك هذا لا نفتي في مسألة إلاّ رد علينا ـ يعني أبا حنيفة ـ فقال ابن شبرمة: لا أدري أهو ابن الحائك أم ما هو؟ لكن اعلم أن الدنيا غدت إليه فهرب منها، وهربت منا فطلبناها، وكذلك قال جميع المسلمين

عبارة عن التوبة (**فإياك أن تثق بوعدها في المباحات**) الذي الترك عنها عبارة عن الزهد، ولكن قد يكون لك مقام من الزهد في المعدوم بقيامك بشرطه، وهو أن لا تحب وجود الشيء ولا تأسى على فقده وتكون مغتبطاً بعدمك مسروراً بفقدك يعلم الله من غيبك ويطلع على سرك، إنك لا تفرح بوجوده لو وجدته وتخرجه إن دخل عليك لأن قلبك قانع بالله راض به عن الله بحالك التي هي العدم من الدنيا، غير محب للاستبدال بها من الغنى، فإذا كنت بهذا الوصف حسب لك جميع ذلك زهداً فكان لك بأحد هذه المعاني ثواب الزاهدين، وإن لم تكن للدنيا من الواجدين ولا لإخراجها من الغافلين وهذا زهد الفقراء الصابرين وهو التحقق بالفقر، (**والموثق الغليظ الذي تأخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة، فإذا وفت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف**) أي الموانع (**والأعذار ظاهراً وباطناً**) وتلك الأعذار تختلف باختلاف الأشخاص والأزمان، (**فلا بأس أن تثق بها وثوقاً مّا**) أي أدنى وثوق، (**ولكن تكون من تغيرها أيضاً على حذر فإنها سريعة النقض للعهد قريبة الرجوع إلى مقتضى الطبع**) فإنها طبعت على الشهوات والملل والتقلبات.

(**وبالجملة؛ فلا أمان منها إلا عند الترك بالأضافة إلى ما ترك فقط وذلك عند القدرة. قال ابن أبي ليلى**) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي القاضي، أبو عبد الرحمن صدوق سيء الحفظ جداً مات سنة ثمان وأربعين، روى له أصحاب السنن (**لابن شبرمة**) هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيلي بن حسان الضبي أبو شبرمة الكوفي القاضي ثقة فقيه، مات سنة أربع وأربعين، روى له البخاري في صحيحه تعليقاً، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه: (**ألا ترى إلى هذا ابن الحائك لا نفتي في مسألة إلا ردَّ علينا يعني أبا حنيفة**) الإمام رحمه الله تعالى ـ (**فقال ابن شبرمة: لا أدري أهو ابن الحائك أم ما هو؟ لكن اعلم أن الدنيا غدت**) أي صارت (**إليه فهرب منها**) كأنه يعني القضاء (**وهربت منا فطلبناها**)،

على عهد رسول الله ﷺ : انا نحب ربنا ولو علمنا في أي شيء محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى: ﴿ولو أنَّا كتبنا عليهم أن اقتلُوا أنْفُسَكُم أو أخْرُجُوا من ديارِكُم ما فعلُوه إلا قليلٌ منهم﴾ [النساء : ٦٦] قال ابن مسعود رحمه الله. قال لي رسول الله ﷺ : أنـت منهـم

فإن كلاً منهما تولى قضاء الكوفة وأباها الإمام وضرب وامتحن لذلك، ولقد أنصف ابن شبرمة في جوابه. وأما ابن أبي ليلى، فكان يحسد الإمام دائماً ويعاديه لما يرى له من القدر والمنزلة عند الخاص والعام. سامح الله عن الجميع وجعلهم إخواناً على سرر متقابلين. **(ولذلك قال جميع المسلمين على عهد رسول الله ﷺ : إنا نحب ربنا ولو علمنا في أي شيء محبته لفعلناه حتى نزل قوله تعالى ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ قال ابن مسعود)** رضي الله عنه: **(قال لي رسول الله ﷺ : أنت منهم يعني من القليل)** قال العراقي: لم أقف له على أصل اهـ.

قلت: سياق هذه العبارة في القوت قال: وقد كان الناس مستورين بإظهار الزهد في البقاء ومظنوناً بهم حب الباقي الأعلى حتى نزلت ﴿ألم تـر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله﴾ [النساء : ٧٧] الآية وحتى نزل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ كانوا قالوا: إنا نحب ربنا ولو علمنا في أي شيء محبته لفعلناه، فلذلك قال: ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون★ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾ [الصف: ٢ ، ٣] وكذلك قال رسول الله ﷺ نزلت: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ [النساء : ٦٦] قال ابن مسعود: قال لي رسول الله ﷺ قيل: « فأنت منهم » أي من القليل الذي كان يفعل ذلك اهـ.

ففي سياق المصنف سقط ظاهر يبينه سياق القوت ولذلك قال العراقي: لم أقف له على أصل أي لا أصل لهذه القصة في نزول قوله تعالى: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم﴾ الآية وسياق صاحب القوت صحيح، فروى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال فنعمل به فأخبر الله نبيه: أن أحب الأعمال إيمان بالله لا شك فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به، فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾.

وروى ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر عن عبد الرحمن بن سابط قال: كان عبدالله بن رواحة مع نفر من أصحـابه يذكرون الله تعالى، فهشوا للذكر واشتاقوا فقالوا: لو نعلم الذي هو أحب إليك فعلناه، فأنزل الله تعالى هذه الآية إلى قوله ﴿مرصوص﴾ فلما كان يوم مؤتة وكان ابن رواحة أحد الأمراء نادى في القوم: يا أهل المجلس الذين وعدتم ربكم قولكم لو نعلم الذي هو أحب إليك فعلنا، ثم تقدم فقاتل حتى قتل.

ـ يعني من القليل ـ قال: وما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى: ﴿منكم من يريدُ الدُّنيا ومنْكُم من يريدُ الآخرة﴾ [آل عمران: ١٥٢] واعلم أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوّة على سبيل استمالة القلوب وعلى سبيل الطمع، فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات، وإنما الزهد أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة؛ فأما كل نوع من الترك فإنه يتصوّر ممن لا يؤمن بالآخرة؛ فذلك قد يكون مروءة وفتوّة وسخاء وحسن خلق، ولكن لا يكون زهداً؛ إذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي ألذ وأهنأ من المال، وكما أن ترك المال على سبيل السلم طمعاً في العوض ليس من الزهد، فكذلك

وروى عبد بن حميد، وابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية عند قولهم: والله لو نعلم أحب الأعمال لفعلناه، فدلهم على أحب الأعمال إليه.

وروى ابن مردويه عن أبي هريرة قالوا: لو كنا نعلم أحب الأعمال إلى الله فنزلت هذه الآية.

وروى ابن المنذر وابن عساكر عن مجاهد قال: نزلت في نفر من الأنصار منهم عبدالله بن رواحة قالوا في مجلس لهم: لو نعلم أي عمل أحب إلى الله لعملناه حتى نموت، فقال ابن رواحة: لا أبرح حبيساً حتى أموت فقتل شهيداً. ورواه مالك في تفسيره عن زيد بن أسلم نحوه.

وروى ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: قال المؤمنون: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به فدلهم على أحب الأعمال فقال: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبي ﷺ مدبرين فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾.

(وقال) ابن مسعود أيضاً: **(ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى: ﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾)** ولفظ القوت ما أحسب أن فينا أحداً يريد الدنيا حتى نزلت. وقال العراقي: رواه البيهقي في الدلائل بإسناد حسن.

(واعلم أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء) والجود والفتوة، **(وعلى سبيل استمالة القلوب ولا على سبيل الطمع، فذلك كله من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات، وإنما الزهد أن تترك الدنيا لعملك بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة، فأما كل نوع من الترك فإنه يتصور ممن لا يعرف بالآخرة، فذلك قد يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهداً، إذ حسن الذكر)** والثناء الطيب **(وميل القلوب)** إليه بالمحبة **(من حظوظ العاجلة)** أي الدنيا **(وهي ألذ وأهنأ من المال، وكما أن ترك المال على سبيل السلم طمعاً في العوض ليس من الزهد، فكذلك تركه طمعاً**

تركه طمعاً في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء واستثقالاً له لما في حفظ المال من المشقة والعناء. والحاجة إلى التذلل للسلاطين والأغنياء ليس من الزهد أصلاً، بل هو استعجال حظ آخر للنفس؛ بل الزاهد من أتته الدنيا راغمة صفواً عفواً وهو قادر على التنعم بها من غير نقصان جاه وقبح اسم ولا فوات حظ للنفس، فتركها خوفاً من أن يأنس بها، فيكون آنساً بغير الله ومحباً لما سوى الله، ويكون مشركاً في حب الله تعالى غيره. أو تركها طمعاً في ثواب الله في الآخرة فترك التمتع بأشربة الدنيا طمعاً في أشربة الجنة، وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعاً في الحور العين، وترك التفرج في البساتين طمعاً في بساتين الجنة وأشجارها، وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعاً في زينة الجنة، وترك المطاعم اللذيذة طمعاً في فواكه الجنة وخوفاً من أن يقال له: ﴿أذهبتُم

في الذكر والثناء والإشتهار بالفتوة والسخاء) والبذل **(واستثقالاً له لما في حفظ المال من المشقة والعناء والحاجة إلى التذلل للسلاطين والأغنياء ليس من الزهد أصلاً، بل هو استعجال حظ آخر للنفس)** في الدنيا. ولفظ القوت: من جاد بمكله لله كان زاهداً فيه لوجه الله ووقع أجره على الله، ومن جاد بماله لأجل الناس كان أيضاً زاهداً في ذلك موصوفاً بالسخاء ولكن ذلك لنفسه ولأجل هواه فهو موصوف بظاهر المروءة وبمعنى الفتوة ولا أجر له، إذ لم يكن من عمال الله فبطل أجره لأنه عمل لأجل نفسه لا لوجه ربه، وحصل في الدنيا شكره وذكره تعويضاً له من حرث الآخرة لأن هذا حرث الدنيا، فلم يكن له في الآخرة أضعاف كثيرة وهذا هو الربا الذي أربى في أموال الناس لأنه عمل لأجل الناس ففي نصيبه مما كسب وذهب خلاقه في الآخرة إذ لم يحتسبه لفناء الدنيا وأهلها لأنه عمل لأجلهم وطلب ما عندهم من الذكر والثناء منهم، والباقيات الصالحات ما يراد به الباقي يبقى ببقائه لصالحي أوليائه، وكان ابن مالك يقول: ما رأيت من الفتوة والقراءة فرقاً إلا في شيء وأنه ما حظرت القراءة شيئاً إلا قبحته الفتوة، وإنما يفترقان في أن القراءة يراد بها وجه الله، والفتوة يراد بها وجوه الناس ومدحهم، وقد كان استأذنا سفيان الثوري يقول: من لم يحسن يتفتي لم يحسن يتقرى أي من لم يعرف أحكام التفتي فيقوم به ويصبر عليه، ويراعى حسن الأدب فيه حتى يستحق وصف فتى لم يحكم أوصاف التقري ولم يقم بحسن الرعاية فيه حتى يوصف بأنه قارىء، **(بل الزاهد من أتته الدنيا راغمة صفواً عفواً وهو قادر على التنعيم بها من غير)** مانع من **(نقصان جاه وقبح اسم)** بسببها **(ولا فوات حظ للنفس فتركها خوفاً من أن يأنس بها)** ويحبها، **(فيكون آنساً بغير الله ومحباً لما سوى الله ويكون مشركاً في حب الله غيره أو تركها طمعاً في ثواب الله في الآخرة، فترك التمتع بأشربة الدنيا طمعاً في أشربة الجنة، وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعاً في الحور العين، وترك التفرج في البساتين طمعاً في بساتين الجنة وأشجارها، وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعاً في زينة الجنة، وترك المطاعم اللذيذة طمعاً في فواكه الجنة وخوفاً من**

طيِّباتِكُم في حياتِكُم الدُّنيا﴾ [الأحقاف: ٢٠] فآثر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفواً صفواً لعلمه بأن ما في الآخرة خير وأبقى، وأن ما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة أصلاً.

بيان فضيلة الزهد:

قال الله تعالى: ﴿فخرَجَ على قومِهِ في زينته﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وقال الذين أُوتُوا العِلْمَ ويْلَكُمْ ثوابُ الله خير لمن آمن﴾ [القصص: ٧٩، ٨٠] فنسب الزهد إلى العلماء

أن يقال له: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ فآثر في جميع ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا عفواً صفواً) من غير تعب (**لعلمه بأن ما في الآخرة خير وأبقى**)، وما يفنى آخره كأنه لم يكن وما يبقى آخره كأنه لم يزل، (**وإن ما سوى هذا فمعاملات دنياوية لا جدوى لها في الآخرة أصلاً**) والله الموفق.

تنبيه:

اعلم أن الزهد على قسمين: مراد لذاته وهو الزهد فيما سوى الله تعالى من كل ما يشغل عن عين الشهود وهو من عقود الإيمان بالله لتعلقه بالجلال والكمال، ومراد لغيره وهو فراغ القلب لهذه المعرفة، وكلما ازددت تركاً للدنيا ازددت بالله معرفة، والقدر الواجب من الزهد المراد لغيره ما يحث على الفراغ لأوقات الواجبات وهو لعمري سبب لإقامة الإخلاص الذي هو شرط في صحة العبادات، فلا يقدر على ترك جملة من الشرور الظاهرة والباطنة إلا بترك الدنيا إلا أن ما ينهى عنه لغيره غير ما ينهى عنه لأجل نفسه، والمباحات منهي عنها لأدائها إلى ما ذكرنا في الغالب، ومن أهل التمكين من يعطى قوة يدبر بها العالمين ولا يشغله شيء عن الله، فمنهم من وصل إلى هذا المقام الشريف بالكسب والإجتهاد وهو المسمى مريداً، ومنهم من وصل إليه بنفس نفخ الرحمة في كشف الحجاب عن قلبه حتى وقف على حقيقة الأمر بغير مدافع ولا منازع وهو المسمى عند القوم مراداً وكل منهما مراد إلا أن هذا مراد بوسائط كثيرة، وهذا مراد بغير واسطة. وقد أخبر الله عن كلا الحالين فقال: ﴿الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ [الشورى: ١٣] وينبغي أن يجري بينهما الخلاف الجاري في التفاضل بين أفاضل المؤمنين وأفاضل الملائكة لمناسبة الجذب والترقي. هذا إذا اتحدت المعرفتان فإن اختلفتا كانت الفضيلة على حسب المعرفة فافهم والله أعلم.

بيان فضيلة الزهد:

(**قال الله تعالى**): إذ وصف قارون: (**﴿فخرج على قومه في زينته﴾**) من خيول وبغال وغلمان عليها بزة حسنة من أصفر وأحمر وأخضر (**إلى قوله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير**) لمن آمن وعمل صالح ولا يلقاها إلا الصابرون﴾ (**فنسب الزهد إلى**

ووصف أهله بالعلم وهو غاية الثناء، وقال تعالى: ﴿أولئك يُؤْتَون أجرَهُم مرّتَين بما صبروا﴾ [القصص: ٥٤] جاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال عز وجل: ﴿إنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأرْضِ زينة لها لنبلُوهُم أيُّهم أحسنُ عملاً﴾ [الكهف: ٧] قيل: معناه أيهم أزهد فيها، فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال. وقال تعالى: ﴿مَنْ كان يريدُ حَرْثَ الآخرة نَزِد له في حَرْثِهِ، ومَنْ كان يرِيدُ حرث الدُّنيا نُؤْتِهِ مِنها ومَا لَهُ في الآخِرةِ من نصيب﴾ [الشورى: ٢٠] وقال تعالى: ﴿ولا تَمُدَّنَّ عينَيْك إلى ما مَتَّعْنا به أزواجاً مِنْهُم زَهْرَةَ الحياةِ الدنيا لِنَفْتِـنَهُم فيه ورِزْقُ ربِّكَ خير وأبقى﴾ [طه: ١٣١] وقال

العلماء) أي سماهم كذلك وخصه بهم وشرط له الصبر، **(ووصف أهله بالعلم)** إذ جاء في التفسير أن المراد بهم الزاهدون في الدنيا **(وهو غاية الثناء)** ونهاية المدح، وهذه الآية كافية في بيان فضل الزهد والزاهدين **(وقال تعالى: ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ وجاء في التفسير)** صبروا **(على الزهد في الدنيا)** وقال تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤] قيل على الفقر ويشهد للصبر عن الدنيا في هاتين الآيتين قوله تعالى في وصف العلماء الزاهدين لما قال: ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير﴾ قال عقيب ذلك في بقية ثنائه عليهم: ﴿ولا يلقاها إلا الصابرون﴾ أي عن زينة الدنيا التي خرج فيها من وعظه الزاهدون الصابرون عنها، ثم قال في مدحهم بوصف آخر: ﴿يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ فقد حصل للزاهد أمران بصبره على الفقر وبوجود زهده، وللفقير المعدم أجر واحد على الغنى لوجود فقره وعدم زهده، فلحق بمقام الخوف الذي أعطى به الخائف جنتين، ففضل بالأخرى على مقام الرجاء إذ الخوف مقتضى العلم بالله لقوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] ولذلك قال عيسى عليه السلام: خشية الله وحب الفردوس يباعدان عن زهرة الدنيا ويورثان الصبر على المشقة، فجعل الخشية لله تعالى والحب له يدلان على الزهد في الدنيا يورثانه ويسهلان الصبر على شدائدها إيثاراً لمحبة الله على محبة نفوسهم فيها وخيفة من الله أن يحاسبهم على التكاثر منها. **(وقال عز وجل: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض)** من المعادن والجواهر والنبات **(زينةً لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾ قيل: معناه أيهم أزهد فيها)** رواه ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري، ورواه عن الحسن فقال: أيهم أشد تركاً للدنيا، **(فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال. وقال تعالى: ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب﴾)** معنى نزد له في حرثه أي لا نحاسبه بما نعطيه منها بعد أن لا يريدها وأن لا يكون من همه، فما أدخل عليه منها يخرج منه العبد من غير محاسبة، فهذا مجاز الدنيا لأن الرزق لا يزاد فيه ذرة على ما قسم له أول مرة فجعل ذلك له مجعل المجازاة على زهده فيها وجرى مجرى المكافاة لخروج همه منها. **(وقال تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير**

تعالى: ﴿الذين يَسْتحِبُّون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ [إبراهيم: ٣] فوصف الكفار بذلك، فمفهومه أن المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا.

وأما الأخبار: فما ورد منها في ذم الدنيا كثير، وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات، إذ حب الدنيا من المهلكات، ونحن الآن نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فإنه من المنجيات، وهو المعنى بالزهد، وقد قال رسول الله ﷺ: « من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرّق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة »، وقال ﷺ: « إذا رأيتم العبد وقد أعطي صمتاً وزهداً في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقي الحكمة »، وقال تعالى: ﴿ومَنْ يُؤتَ

وأبقى﴾) فأمره بأن لا يمد عينه إلى زهرة الحياة الدنيا وهو عين الزهد، ووصف رزق الآخرة بما وصف به نفسه بوصفين من الخيرية والبقاء حيث قال: ﴿والله خير وأبقى﴾ [طه: ٧٣] وهذا غاية الثناء. (**وقال تعالى: ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾**) قد (**وصف الكفار بذلك،فمفهومه أن المؤمن هو الذي يتصف بنقيضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا**). فهذه الآيات كلها دالة على الزهد بمنطوقها ومفهومها.

(**وأما الأخبار، فما ورد منها في ذم الدنيا كثير، وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربع المهلكات، إذ حب الدنيا من المهلكات**) إذ هو أس الخطايا. (**ونحن الآن نقتصر على فضيلة بغض الدنيا فإنه من المنجيات**) فناسب إيراده هنا (**وهو المعني بالزهد**) أي وهو المراد به إذا أطلقوا لفظه، (**وقد قال رسول الله ﷺ: « من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه أمره وفرق عليه ضيعته**) أي عياله وما يخاف عليه من الضياع، (**وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة**) وإن لم يردها » قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بسند جيد، والترمذي من حديث أنس بسند ضعيف نحوه اهـ.

قلت: حديثه رواه أيضاً ابن النجار ولفظه: « من أراد الآخرة وسعى لها سعيها كتب الله له غناه في قلبه وكف عليه ضيعته فيصبح غنياً ويمسي غنياً، ومن أراد الدنيا وسعى لها سعيها فشا الله ضيعته وكتب فقره في قلبه فيصبح فقيراً ويمسي فقيراً ».

(**وقال ﷺ: « إذا رأيتم العبد قد أعطي صمتاً وزهداً في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة »**) قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي خلاَّد بسند فيه ضعف اهـ.

قلت: لفظ ابن ماجه: « إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهداً في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه

الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] ولذلك قيل: من زهد في الدنيا أربعين يوماً أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه. وعن بعض الصحابة أنه قال قلنا: يا رسول الله، أيّ الناس خير؟ قال: « كل مؤمن محموم القلب صدوق اللسان » قلنا: يا رسول الله وما محموم القلب؟ قال: « التقي النقي الذي لا غلّ فيه ولا غش ولا بغي ولا

يلقي الحكمة ». وكذلك رواه ابن سعد والطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي وابن عساكر، ورواه أيضاً الطبراني والبيهقي من حديث أبي هريرة.

وقال القشيري في الرسالة: أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني، حدثنا أبو الحسن عبدالله بن أحمد بن يعقوب المقري، ببغداد، حدثنا جعفر بن مشاجع، حدثنا زيد بن إسماعيل، حدثنا كثير بن هشام، حدثنا الحكم بن هشام عن يحي بن سعيد، عن أي فروة، عن أبي خلاد وكانت له صحبة قال، قال النبي ﷺ: « إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهداً في الدنيا وقلة منطق فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة » انتهى.

أخرجه البزار من طريق الحكم بن هشام عن يحي بن سعيد بن أبان القرشي عن أبي فروة عن أبي خلاد، وأخرجه ابن منده من طريق هشام بن عمار عن الحكم وقال في رواية عن ابن خلاد، ويقال اسمه عبد الرحمن بن زهير وكانت له صحبة، وأخرجه ابن ماجه عن هشام بن عمار قال أبو الحسن القطان: أبو فروة لا يعرف وليس هو الجزري. قال الحافظ: قد ذكر البخاري أن أحمد بن إبراهيم رواه عن الحكم فقال عن أبي فروة الجزري، ورجح البخاري أن الحديث عن أبي فروة عن أبي مريم عن أبي خلاد وأخرجه سمويه في فوائده من طريقين عن الحكم بن هشام وقال في سياقه: وكان له صحبة ولم يذكر تسميته، ووقع في رواية لابن أبي عاصم عن أبي خالد والصواب عن أبي خلاد وقال فيها عنه سمعت رسول الله ﷺ.

(وقال) الله **(تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾)** فهذا الخير الكثير هو ظاهر عطاء الزاهدين وأوله، فكيف بباطن عطائهم ونهايته؟ **(ولذلك قيل: من زهد في الدنيا أربعين يوماً أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه)**، وهذا وصف من صفات الأبدال الذين هم خلائف الأنبياء وهم الصديقون والشهداء والملحقون بهم المرفوعون إلى الرفيق الأعلى. ثم هذا القول هكذا أورده صاحب القوت، وتبعه المصنف، وقد روي مرفوعاً نحوه أخرجه ابن عدي في الكامل من حديث أبي موسى بلفظ: « من زهد في الدنيا أربعين يوماً وأخلص فيها للعبادة أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وقال: حديث منكر. وقال الذهبي: باطل وأورده ابن الجوزي في الموضوعات.

وعن بعض الصحابة أنه قال قلنا يا رسول الله **(أي الناس خير؟ قال: « كل مؤمن مخموم القلب صدوق اللسان » قلنا: يا رسول الله وما مخموم القلب؟ قال: « التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد » . قيل: يا رسول الله فمن على أثره قال: « الذي يشنأ**

حسد » قلنا : يا رسول الله ، فمن على أثره؟ قال : « الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة » ، ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا . وقال ﷺ : « إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا » ، فجعل الزهد سبباً للمحبة ، فمن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات ، فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل المقامات ، ومفهومه أيضاً أن محب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى ، وفي خبر من طريق أهل البيت : « الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة ، فإن صادفا قلباً فيه الإيمان والحياء أقاما فيه وإلا ارتحلا » ،

الدنيا) أي يبغضها **(ويحب الآخرة »)** قال العراقي : رواه ابن ماجه بإسناد صحيح من حديث عبدالله بن عمر ، ودون قوله قيل يا رسول الله فمن على أثره وقد تقدم ، ورواه بهذه الزيادة بالإسناد المذكور الخرائطي في مكارم الأخلاق اهـ .

قلت : لفظ الخرائطي : « خير الناس ذو القلب المحموم واللسان الصادق » قيل : قد عرفنا اللسان الصادق فما القلب المحموم؟ قال : « هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد » قيل : فمن على أثره؟ قال : « الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة » قيل : فمن على أثره؟ قال : « مؤمن في خلق حسن » . وهكذا رواه الحكيم والطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي كلهم من حديث عبدالله بن عمر . ورواه أحمد في الزهد عن أسد بن وداعة مرسلاً ، وقد تقدم في ذم الدنيا . وأورده صاحب القوت ثم قال : والشيء يعرف بضده كما يعرف بمثله ، فضد الشنآن المحبة وضد الزهد الرغبة .

(ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا) وأن الراغب فيها والمحب لها ، كيف **(و)** قد **(قال ﷺ : « إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا »)** قال العراقي : رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف نحوه وقد تقدم .

قلت : كأنه يشير إلى حديث سهل بن سعد : « ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد ما في أيدي الناس يحبك الناس » هذا الذي رواه ابن ماجه ، ورواه أيضاً الطبراني والحاكم ، ورواه ابن عساكر من حديث ابن عمر وقد تقدم .

(فجعل الزهد سبباً للمحبة) أي محبة الله التي لا مثل لها ، **(فمن أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات ، فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل المقامات)** وصار الزاهد حبيب الله **(ومفهومه أيضاً أن محب الدنيا)** الراغب لها **(متعرض لبغض الله)** مبغض عند الله **(وفي خبر)** مروي **(من طريق أهل البيت)** أسنده جعفر الصادق عن آبائه الأخيار إلى الرسول المختار قال فيه : **(« الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليلة فإن صادفا قلباً فيه الإيمان والحياء أقاما فيه وإلا ارتحلا »)** هكذا في النسخ ، وقد قال العراقي : لم أجد له أصلاً .

قلت : والحديث مزال من أصله وصوابه : « الإيمان والحياء يجولان في القلوب كل ليلة فإذا صادفا قلباً فيه الزهد والورع أقاما فيه وإلا ارتحلا » وهكذا أورده صاحب القوت غير أنه قال :

ولما قال حارثة لرسول الله ﷺ: أنا مؤمن حقاً قال: «وما حقيقة إيمانك»؟ قال: عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها، وكأني بالجنة والنار، وكأني بعرش ربي بارزاً، فقال ﷺ: «عرفت فالزم، عبد نوّر الله قلبه بالإيمان»؛ فانظر كيف بدأ في إظهار حقيقة الإيمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين، وكيف زكاه رسول الله ﷺ إذ قال: عبد نوّر الله قلبه بالإيمان. ولما سئل رسول الله ﷺ عن معنى

يطوفان بدل يجولان، ثم قال: وكأنه أراد بهذا محض الإيمان وخالصه الذي هو يقين المعاينة والحياء الذي هو نظر المشاهدة إن وجود ذلك على حقيقته في مكان الزهد فيما آمن بفنائه لوجود مكان الرغبة فيما آمنا ببقائه إذا تفكر في ذلك تفكر أولي الألباب فيما شهدوا من بيان الآيات في الخطاب.

(**ولما قال حارثة**) بن مالك الأنصاري ويقال له أيضاً الحرث (**لرسول الله ﷺ: أنا مؤمن حقاً قال: «وما حقيقة إيمانك»**)؟ فابتدأ بالزهد وجعله علماً لحقيقة الإيمان وقرنه بمشاهدة الإيقان. (**قال: عزفت نفسي عن الدنيا**) أي انصرفت يقال: عزف عن الشيء عزفاً وعزوفاً وعزيفاً من باب قتل وضرب انصرف عنه، (**فاستوى عندي حجرها وذهبها**) ثم ذكر المشاهدة بعد الزهد، فكانت عدته. فكما أن الشهادة بعد الزهادة كذلك حقيقة الإيمان بعد الزهد وهو إيمان الموقنين، وهذا تحقيق التصديق ثم قال: (**وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزاً**) أي ظاهراً (**فقال ﷺ: «عرفت فالزم، عبد نور الله قلبه بالإيمان» فانظر كيف بدأ إظهار حقيقة الإيمان بعزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين، وكيف زكاه رسول الله ﷺ إذ قال: «عبد نـوّر الله قلبه بالإيمان»**) قال العراقي: رواه البزار من حديث أنس، والطبراني من حديث الحرث بن مالك، وكلا الحديثين ضعيف انتهى.

قلت: قال الحافظ في الإصابة في ترجمة الحارث بن مالك الأنصاري: روى حديثه ابن المبارك في الزهد عن معمر عن صالح بـن مسمار أن النبي ﷺ قـال: «يـا حـارث بـن مـالـك كيـف أصبحت»؟ قال: أصبحت مؤمناً حقاً قال: «إن لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك» قال: عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي وكأني انظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أسمع عواء أهل النار. فقال: «مؤمن نور الله قلبه» وهو معضل. وكذا أخرجه عبد الرزاق عن معمر بن صالح عن مسمار وجعفر بن برقان أن النبي ﷺ قال للحارث.

وأخرجه في التفسير عن الثوري عن عمرو بن قيس الملائي عن زيد السلمي قال: قال رسول الله ﷺ للحارث: «كيف أصبحت يا حارث» قال: من المؤمنين. قال: «اعلم ما تقول» فذكر نحوه وزاد في آخره فقال: يا رسول الله ادع لي بالشهادة فدعا له، فأغير على سرح المدينة فخرج فقاتل فقتل.

وجاء موصولاً من طريق أخرى أخرجه الطبراني من طريق سعيد بن أبي هلال، عن محمد بن

الشرح في قوله تعالى: ﴿فمَنْ يرد الله أن يهدِيَهُ يَشرَحُ صدرَهُ للإسلام﴾ [الأنعام: ١٢٥] وقيل له: ما هذا الشرح؟ قال: « إن النور إذا دخل في القلب انشرح له الصدر وانفسح ». قيل: يا رسول الله. وهل لذلك من علامة؟ قال: « نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله » فانظر كيف جعل الزهد شرطاً للإسلام وهو التجافي عن دار الغرور. وقال ﷺ: « استحيوا من الله حق

أبي الجهم، وابن منده من طريق سليمان بن سعيد عن الربيع بن لوط كلاهما عن الحارث بن مالك الأنصاري أنه جاء إلى النبي ﷺ فقال: « يا رسول الله أنا من المؤمنين حقاً فقال: « انظر ما تقول » الحديث. وفي آخره: « من سره أن ينظر إلى من نور الله قلبه فلينظر إلى الحارث بن مالك ». قال ابن منده: رواه زيد بن أبي أنيسة عن عبد الكريم بن الحارث عن الحرث بـن مالك ورواه جرير بن عتبة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ دخل المسجد فإذا الحرث بن مالك فحركه برجله فذكر الحديث. ورواه البيهقي في الشعب من طريق يوسف بن عطية الصفار، وهو حديث ضعيف جداً عن أنس أن النبي ﷺ لقي الحارث يوماً فقال: « كيف أصبحت يا حارث »؟ قال: أصبحت مؤمناً حقـاً الحديث بطوله. وفي آخره قال: « يا حارث عرفت فالزم ». قال البيهقي: هذا منكر وقد ضبط فيه يوسف فقال مرة الحارث ومرة حارثة.

وقال أبو عاصم حشيش بن أصرم في كتاب الإستقامة له: حدثنا عبد العزيز بن أبان، أنبأنا مالك بن مغول، عن فضيل بن غزوان قال: أغير على سرح المدينة فخرج الحارث بن مالك فقتل منهم ثمانية ثم قتل وهو الذي قال له النبي ﷺ: « كيف أصبحت يا حارثة ».

ورواه ابن أبي شيبة عن ابن نمير عن مالك بن مغول بالمرفوع، ولم يذكر فضيل بن غزوان قال ابن صاعد بعد أن أخرجه عن الحسين بن الحسن المروزي عن ابن المبارك: لا اعلم صالح بن مسمار أسند إلا حديثاً واحداً وهذا الحديث لا يثبت موصولاً.

(ولما سئل رسول الله ﷺ معنى الشرح في قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ وقيل له: ما هذا الشرح؟ فقال: « إن النور إذا دخل في القلب انشرح له الصدر وانفسح » قيل: يا رسول الله وهل لذلك من علامة؟ قال: « نعم، التجافي) أي التباعد **(عن دار الغرور والإنابة)** أي الرجوع **(إلى دار الخلود والإستعداد للموت قبل نزوله » فانظر كيف جعل الزهد)** في علامة شرح الصدر بالنور وهو نور التصديق الذي هو عموم وصف المؤمنين لأنه هو التحقيق بالإسلام، فهذا هو الزهد جعله **(شرطاً للإسلام)** أي لحقيقته **(وهو التجافي عن دار الغرور)**.

وهذا الحديث: رواه ابن المبارك في الزهد وعبد الرزاق والفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات، عن أبي جعفر المدايني هو عبدالله بن المسور من ولد جعفر بن أبي طالب قال: سئل النبي ﷺ عن هذه

الحياء» قالوا: إنا لنستحي منه تعالى، **فقال:** «ليس كذلك. تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون»، **فبيّن أن ذلك يناقض الحياء من الله تعالى، ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا: إنا مؤمنون قال: «وما علامة إيمانكم؟» فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون،**

الآية قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال: «نور يقذف فيه فينشرح له» قالوا: فهل لذلك من إمارة يعرف بها؟ قال: «نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والإستعداد للموت قبل لقاء الموت».

ورواه عبد بن حميد عن الفضيل أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال: كيف الشرح؟ قال: «إذا أراد الله بعبد خيراً قذف في قلبه النور فانفسح لذلك صدره» فقال: يا رسول الله هل لذلك من آية يعرف بها؟ قال: «نعم» قال: فما آية ذلك؟ قال: «التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود وحسن الإستعداد للموت قبل نزول الموت».

ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذكر الموت عن الحسن نحوه. وقد روي ذلك من حديث ابن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، وابن جرير، وأبو الشيخ، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي في الشعب من طرق، وقد تقدم في كتاب ذم الدنيا.

(وقال ﷺ: «استحيوا من الله حق الحياء» قالوا: إنا نستحي منه. فقال:) «ليس كذلك **(تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون» فبيّن أن ذلك يناقض الحياء من الله تعالى)**، فقد فسر الحياء من الله تعالى بالزهد في الدنيا. قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أم الوليد ابنة عمر بن الخطاب بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: أم الوليد هذه ذكرها الدارقطني في الأخوة وقال: روى حديثها الطبراني وفيها نظر انتهى.

قال الحافظ: حديثها أنها قالت: اطلع رسول الله ﷺ ذات عشية فقال: «أيها الناس الا تستحيون» قالوا: مم ذاك يا رسول الله قال: «تجمعون ما لا تأكلون وتبنون ما لا تعمرون وتؤملون ما لا تدركون» أخرجه الطبراني من رواية عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي، عن الوازع بن نافع، عن سالم بن عبدالله بن عمر عنها. وقال ابن منده: رواه سعيد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن ثابت عن الوزاع بن نافع. قال الحافظ: والطريقان ضعيفان.

(ولما قدم عليه) ﷺ **(بعض الوفود)** من العرب قال لهم: «ما أنتم»؟ **(قالوا: إنا مؤمنون. قال: «وما علامة إيمانكم»؟ فذكروا الصبر على البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمواقع القضاء، وترك الشماتة بالمصيبة إذا نزلت بالأعداء، فقال ﷺ: «إن كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون»**

ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون » فجعل الزهد تكملة لإيمانهم. وقال جابر رضي الله عنه: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط بها غيرها وجبت له الجنة »، فقام إليه علي كرّم الله وجهه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها؟ صفه لنا فسره لنا، فقال: « حب الدنيا طلباً لها واتباعاً لها، وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون عمل الجبابرة، فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة ». وفي الخبر: « السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن، والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك »، وقال أيضاً: « السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من

فجعل الزهد تكملة لإيمانهم) وعلوا لمقامهم وتماماً على إحسانهم. قال العراقي: رواه الخطيب وابن عساكر في تاريخيهما بإسناد ضعيف من حديث جابر.

(وقال جابر) بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه: **(خطبنا رسول الله ﷺ فقال: « من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط بها)** أي معها **(غيرها وجبت له الجنة »، فقام)** إليه **(علي)** بن أبي طالب **(كرم الله وجهه فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها صفه لنا فسّره لنا. فقال: « حب الدنيا طلباً لها وإتباعاً لها، وقوم يقولون قول الأنبياء ويعملون عمل الجبابرة، فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة »)** قال صاحب القوت: رويناه عن ابن المنكدر عن جابر. وقال العراقي: لم أره من حديث جابر، وقد رواه الحكيم في النوادر من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف نحوه انتهى.

ثم قال صاحب القوت: فلذلك كان علي رضي الله عنه يجعل الزهد مقاماً في الصبر، ويجعل الصبر عمدة الإيمان، وفسر بذلك مقام اليقين الذي شرح فيه شعبة في حديثين رويناهما. أولهما قوله في الحديث الطويل الذي رواه عكرمة وعتبة بن حميد والحارث الأعور وقبيصة بن جابر الأسدي في مباني الإيمان أنه قال: « الإيمان على أربع شعب » وفي لفظ حديث بعضهم: « اليقين على أربع دعائم على الصبر واليقين والجهاد والعدل » ثم قال فيه: « والصبر على اربع شعب: على الشوق والشفقة والزهادة والترقب. فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات » ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن ترقب الموت سارع في الخيرات ». فاقام الزهد مقام اليقين إذ هو مقتضاه، فلما أوجب اليقين الزهد في الدنيا اقتضى الزهد تهوين مصائبها وتيسير شأنها وتسهيل أمرها فصغرت بعد كبرها وهانت بعد صعوبة حالها، فاستبدل بها الرغبة في الآخرة فسارع إليها بقدر هربه من الدنيا، ونافس فيها بقدر عزوفه عن ضدها عند التحقيق بإرادة الآخرة وسعى لها سعيها لما ركب طريقها وصار ابن سبيلها، فوجب حقه على الراغبين في الدنيا كما وجب ابن السبيل الذي ركب الطريق فتدبر.

(وفي الخبر: « السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن، والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك ») قال صاحب القوت: رويناه في خبر مقطوع. وقال العراقي: ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء ولم يخرجه ولده في مسنده، وقال أيضاً: « السخي قريب من الله

الجنة، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار»، والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا، والسخاء ثمرة الزهد، والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة.

وروي عن ابن المسيب عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فأنطق بها لسانه وعرّفه داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالماً إلى

قريب من الناس قريب من الجنة، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار والجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل» رواه الترمذي وقال غريب، والدارقطني في الافراد، وابن عدي والبيهقي والخرائطي في مكارم الأخلاق، والخطيب في كتاب ذم البخلاء من حديث أبي هريرة. ورواه البيهقي من حديث جابر بن عبد الله، ورواه الدارقطني والطبراني في الأوسط، والخطيب من حديث عائشة. قال الدارقطني: له طرق ولا يثبت منها شيء. قال السيوطي: وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ولم يصب وقد تقدم ذلك في ذم البخل. قال صاحب القوت: الخبر الأوّل مفسر للخبر المجمل الثاني بأي معنى كان السخي قريباً من الله لأن السخاء من اليقين، والسخي موقن فصار من المقربين، وبأي معنى كان البخيل بعيداً من الله بعيداً من الناس قريباً من النار أي بالشك لأنه ضد اليقين فصار به من المبعدين، فالسخاء أيضاً وصف الزاهد لا يكون الزاهد إلا سخياً لأنه لما زهد في الدنيا سخت نفسه بها وطابت عنها للاستبدال بها والتعويض عنها. (**والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا**)، ووصف الراغب فيها لا يكون الحريص لا بخيلاً ولا يكون البخيل زاهداً، (**و**) قد يكون (**السخاء**) سبباً للزهد إذا سخت نفسه عن الشيء زهدت فيه كما إذا زهدت في شيء أخرجه إلى غيره، فصار السخاء (**ثمرة الزهد**) فنفس الزهد سخاء وعين البخل رغبة (**والثناء على الثمرة ثناء على المثمر لا محالة**).

(**وروى**) سعيد بن (**بن المسيب**) رحمه الله تعالى، (**عن أبي ذر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها. وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام»**) ولفظ القوت: «وبصره داءها ودواءها فبنور الحكمة أبصرت داء الدنيا وعرفت دواءها فوضعت الدواء على معاقر الداء فبرىء ولا ترى ذلك قبل نور الحكمة، وبالزهد في الدنيا إذا خرجت منها ورثت الحكمة فأخرجت من ظلمات الهوى إلى نور التقوى، إذ لا يبصر العبد عيب ما فيه ولا يعرف قبحه حتى يفارقه إلى هاديه». وزاد في موضع آخر «ومن حرص عليها توّهه الله فيها ولم يبال في أي أوديتها يهلكه». وقال العراقي: لم أره من حديث أبي ذر.

وروه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا من حديث صفوان بن أبي سليم مرسلاً، ولابن عدي في الكامل من حديث أبي موسى الأشعري: «من زهد في الدنيا أربعين يوماً وأخلص فيها العبادة أجرى الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» وقال حديث منكر. ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب، وأبو نعيم في الحلية مختصراً من حديث أبي أيوب «من أخلص لله» الحديث وكلها ضعيفة انتهى.

دار السلام »، وروي أنه ﷺ مرّ في أصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من أحب أموالهم إليهم وأنفسها عندهم لأنها تجمع الظهر واللحم واللبن والوبر، ولعظمها في قلوبهم قال الله تعالى: ﴿وإذا العِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤] قال: فاعرض عنها رسول الله ﷺ وغض بصره، فقيل له: يا رسول الله هذه أنفس أموالنا لِمَ لا تنظر إليها فقال: « قد نهاني الله عن ذلك » ثم تلا قوله تعالى: ﴿ولا تمدنّ عينيك إلى

قلت: حديث أبي موسى الأشعري تقدم الكلام عليه قريباً. أما حديث أبي أيوب « من أخلص العبادة لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » فقد رواه الشيخ وأبو نعيم عن مكحول عن أبي أيوب، ورواه هناد في الزهد، وأبو نعيم أيضاً عن مكحول مرسلاً. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات. وروى ابن ماجه من حديث ابن مسعود « من جعل الهموم هماً واحداً هم المعاد كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك ».

(**وروي أنه ﷺ مرّ في أصحابه بعشار من النوق حفل وهي**) النوق (**الحوامل**) وهو تفسير للعشار. يقال: عشرت الناقة مشدداً فهي عشراء أتى على حملها عشرة أشهر وجمعه عشار ومثله نفساء ونفاس ولا ثالث لهما. وأما الحفل فهي جمع حافلة وهي التي ترك حلبها حتى اجتمع اللبن في ضرعها وهي محفلة أيضاً وأصله في الشاة (**وكانت من أحب أموالهم إليهم وأنفسها عندهم**) وأهمها وأكرمها عليهم (**لأنها تجمع الظهر**) للركوب عليها (**واللحم**) لأكلهم (**واللبن**) لشربهم (**والوبر**) للبسهم وكنهم والولد فهي خمسة، وهي الراحلة من الابل التي ضرب بها المثل في قلة وجودها مع الكثرة، فإن التي تجمع هذه الخمس من الإبل الحمولة قليل، فكذلك المؤمن الجامع للخصال الخمس عزيز قليل بين الجملة يجمع الزهد والعلم والعمل والخوف والورع، (**ولعظمها في قلوبهم قال الله تعالى**) في خطابه لهم بتعطيلها عند تكوير شمسها ﴿إذا الشمس كوّرت﴾ (**﴿وإذا العشار عطلت﴾**) ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ يعني يومئذ تشهد ما قدمت من مثاقيل الذر من الخير والشر. (**قال: فاعرض عنها رسول الله ﷺ**) أعني عن العشار الحوامل (**وغضّ بصره فقيل له: يا رسول الله هذه أنفس أموالنا**) وكرائمها أعرضت عنها (**لم لا تنظر إليها؟ فقال: « قد نهاني الله عن ذلك » ثم تلا قوله تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به﴾ الآية**) وتمامها ﴿أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ هكذا أورده صاحب القوت بعد أن قال: وقد نهى الله رسوله أن يوسع نظره إلى أبناء الدنيا مقتاً لهم، وأخبر أن ما أظهره من زينة الدنيا وزهرتها فتنة لهم، وأعلمه أن الزهد والقناعة خير وأبقى تنتظم هذه المعاني في قوله تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به﴾ الآية وفي خبر أنه ﷺ فساقه. وقال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: وروى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن قتادة قال: ﴿وإذا العشار عطلت﴾ أي سيّبها

ما متعنا به﴾ [طه: ١٣١] الآية. وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله: «ألا تستطعم الله فيطعمك؟ قالت: وبكيت لما رأيت به من الجوع. فقال: يا عائشة، والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض؛ ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها؛ يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله لم يرض لأولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها، ثم لم يرض لي إلا أن يكلفني ما كلفهم؛ فقال: ﴿فاصْبر كما صَبَر أولُوا العَزْم مِنَ الرُّسل﴾ [الأحقاف: ٣٥] والله ما لي بد من طاعته وإني والله لأصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوّة إلا بالله».

أهلوها أتاهم ما شغلهم عنها فلم تصر ولم تحلب ولم يكن في الدنيا مال أعجب إليهم منها. وروى ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن عروة أنه كان إذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا فإذا رجع إلى أهله فدخل الدار قرأ ﴿ولا تمدن عينيك﴾ إلى قوله ﴿نحن نرزقك﴾ ثم يقول: الصلاة الصلاة رحمكم الله. وقال صاحب القوت، بعد أن أورد قصة العشار، وبمعناه روينا في الاسرائيليات أن عيسى عليه السلام مرّ في الحواريين على شجرة خضرة نضرة تحتها غدير فنظروا إليها فأعرض هو فلم ينظر، فلما جاوزها قال: بحق أقول لكم لقد نقص من عقولكم بمقدار نظركم إلى الدنيا.

(**وروي عن مسروق**) بن الأجدع الهمداني التابعي الكوفي (**عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك؟ قالت: وبكيت لما رأيت به من الجوع فقال: «يا عائشة والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض، ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها. يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولالآل محمد. يا عائشة إن الله لم يرض لأولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ثم لم يرض لي إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ والله مالي بدّ من طاعته وإني والله لأصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوّة إلا بالله»**) قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من رواية عباد بن عباد عن مجاهد عن الشعبي عن مسروق مختصراً «إن الله لم يرض من أولي العزم إلا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها، ثم لم يرض لي إلا أن كلفني ما كلفهم فقال: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾» ومجالد مختلف في الاحتجاج به.

وروي عن عمر رضى الله عنه، أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها: البس ألين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق، ومرّ بصنعة طعام تطعمه وتطعم من حضر، فقال عمر: يا حفصة، ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته؟ فقالت: بلى قال: ناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ لبث في النبوّة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة، وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ لبث في النبوّة كذا وكذا سنة لم يشبع من التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر؟ وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ قرّبتم إليه يوماً طعاماً على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض؟ وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة أربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال: « منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها ». وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان يضع ثيابه لتغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فلم يجد ثوباً يخرج به إلى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة؟ وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسول الله ﷺ صنعت له امرأة من بني ظفر كساءين إزاراً ورداء وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر، فخرج إلى

(وروي عن عمر) بن الخطاب **(رضي الله عنه أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها)**: يا أبت **(البس لين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق، ومر بصنعة طعام تطعمه)** أي تأكله **(وتطعم من حضر)** منهم **(قال عمر: يا حفصة ألست تعلمين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته؟ فقالت: بلى. قال: ناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ لبث في النبوّة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة، وناشدتك الله هل تعلمين أن النبي ﷺ لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر. وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ قربتم إليه طعاماً على مائدة فيها ارتفاع فشق عليه ذلك حتى تغير لونه، ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض. وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان ينام على عباءة مثنية فثنيت له ليلة أربع طاقات فنام عليها، فلما استيقظ قال: « منعتموني قيام الليلة بهذا العباءة اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها » وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ كان يضع قميصه فيغسل فيأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة فما يجد ثوباً يخرج به إلى الصلاة حتى تجف ثيابه فيخرج بها إلى الصلاة، وناشدتك الله هل تعلمين أن رسول الله ﷺ صنعت له امرأة من بني ظفر)**

الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه إلى عنقه فصلى كذلك؟ فما زال يقول حتى أبكاها وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب حتى ظننا أن نفسه ستخرج، وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو أنه قال: كان لي صاحبان سلكا طريقاً، فإن سلكت غير طريقهما سلك بي طريق غير طريقهما؟ وإني والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلّي أدرك معهما عيشهما الرغيد.

قبيلة من الأنصار (**كساءين إزاراً ورداء وبعثت إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره قد عقد طرفيه على عنقه فصلى كذلك، فما زال**) عمر (**يقول**) لها من هذا الجنس (**حتى أبكاها وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب حتى ظننا أن نفسه ستخرج**). قال العراقي: لم أجده هكذا مجموعاً في حديث وهو مفرق في عدة أحاديث، فروى البزار من حديث ابن عمران بن حصين قال: ما شبع رسول الله ﷺ وأهله غداء وعشاء من خبز شعير حتى لحق بربه، وفيه عمرو بن عبيد العذري متروك الحديث. وللترمذي من حديث عائشة: ما شبع من طعام فما أشاء أن أبكي إلا بكيت قلت: لم؟ قلت: أذكر الحال التي فارق رسول الله ﷺ عليها الدنيا، والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم. قال: حديث حسن. وللشيخين من حديثها: ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعاً حتى قبض. وللبخاري من حديث أنس: كان لا يأكل على خوان الحديث، وتقدم في آداب الأكل، وللترمذي في الشمائل من حديث حفصة انها سئلت ما كان فراش النبي ﷺ؟ قالت: مسح نثنيه بثنيتين فينام عليه الحديث. ولابن سعد في الطبقات من حديث عائشة أنها كانت تفرش للنبي ﷺ عباءة باثنتين الحديث. وتقدما في آداب المعيشة. وللبزار من حديث أبي الدرداء قال: كان رسول الله ﷺ لا ينخل له الدقيق ولم يكن له إلا قميص واحد، وفيه سعيد بن ميسرة كذبه القطان، وضعفه البخاري. ولابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت صلّى في شملة قد عقد عليها زاد الغطريقي في جزئه المشهور فعقدها في عنقه ما عليه غيرها واسناده ضعيف وتقدم في آداب المعيشة.

(**وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر**) رضي الله عنه (**وهو انه قال: كان لي صاحبان سلكا طريقاً فإن سلكت غير طـريقهما سلك بي طريق غير طريقهما وإني والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلي أدرك معهما العيش الرغيد**).

أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا عبد الله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا سليمان بن خالد، أخبرنا محمد بن أحمد بن علي، أخبرنا زكريا بن محمد، أخبرنا محمد بن الحسين بن أبي بكر المراغي، أخبرنا عبد الرحيم بن الحسين الحافظ، أخبرنا عبد الوهاب بن علي السبكي، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرنا جماعة قالوا: أخبرنا ابن اللتي، أخبرنا أبو الوقت، أنبأنا أبو الحسن المظفري، أنبأنا ابن أعين أنبأنا إبراهيم بن خزيم، حدثنا عبد بن حميد، حدثنا محمد بن بشر، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أخيه، عن مصعب بن سعد قال: قالت حفصة لأبيها. قد

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: « لقد كان الأنبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس إلا العباءة، وإن كان أحدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم».

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت

أوسع الله الرزق فلو أنك أكلت طعاماً ألين من طعامك ولبست ثوباً ألين من ثوبك. فقال: سأخاصمك إلى نفسك، فجعل يذكرها ما كان فيه رسول الله ﷺ وما كانت فيه من الجهد حتى أبكاها فقال: قد قلت لك أنه كان لي صاحبان سلكا طريقاً وإني إن سلكت غير طريقهما سلك بي غير طريقهما، وإني والله لأشاركنهما في مثل عيشهما لعلي أن أدرك معهما عيشهما الرخي. وكذلك رواه النسائي من طريق ابن المبارك عن إسماعيل.

ورواه يزيد بن هارون عن إسماعيل عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال، قالت حفصة لعمر: يا أمير المؤمنين لو لبست ثوباً هو ألين من ثوبك، وأكلت طعاماً هو ألين من طعامك فقد وسع الله الرزق وأكثر من الخير فقال: إني سأخاصمك إلى نفسك، أما تذكرين ما كان رسول الله ﷺ يلقى من شدة العيش فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها: أما والله إن قلت ذلك لك إني والله لئن استطعت لاشاركهما بمثل عيشهما الشديد لعلي أدرك معهما عيشهما الرخي. هكذا رواه أحمد في الزهد عنه، ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه، ورواه معمر عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد أن حفصة وابن مطيع وابن عمر كلموا عمر فقالو: لو أكلت طعاماً طيباً كان أقوى لك على الحق، قال: أكلكم على هذا الرأي؟ قالوا: نعم. قال: قد علمت أنه ليس منكم إلا ناصح ولكن تركت صاحبي على جادة فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المنزل. قال: وأصاب الناس سنة فما أكل عامئذ سمناً ولا سميناً.

(وعن أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه، **(عن النبي ﷺ انه قال « لقد كان الأنبياء قبلي يبتلى أحدهم بالفقر فلا يلبس إلا العباء، وإن كان أحدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان أحب إليهم من العطاء إليكم »)** قال العراقي: رواه ابن ماجه باسناد صحيح في أثناء حديث أوله: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك الحديث دون قوله « وان كان أحدهم ليبتلى بالقمل » اهـ.

قلت: وروى أحمد باسناد صحيح ان كان النبي من أنبياء الله ليعرى حتى ما يجد ما يواري به عورته إلا العباءة يدرعها.

(وعن ابن عباس) رضي الله عنه، **(عن النبي ﷺ قال « لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى في بطنه من الهزال »)** أي كان غالب طعامه من بقول الأرض

خضرة البقل ترى في بطنه من الهزال؛ فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة.

وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه قال: لما نزل قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّة ولا ينفِقُونها في سبيل الله﴾ [التوبة: ٣٤] قال ﷺ: «تباً للدنيا تباً للدينار والدرهم» فقلنا: يا رسول الله نهانا الله عن كنز الذهب والفضة فأي شيء ندخر؟ فقال ﷺ: «ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته».

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث: هماً لا يفارق قلبه أبداً، وفقراً لا يستغني أبداً، وحرصاً لا يشبع أبداً».

زهداً في الدنيا حتى ترى خضرتها في جلدة بطنه، (**فهذا ما كان اختاره أنبياء الله ورسله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق الفوز في الآخرة**) فيقتضي أن ما اختاروه هو أعلى الدرجات وأفضل المقامات.

(**وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ قال ﷺ: «تباً للدنيا تباً للدينار والدرهم» فقلنا: نهانا الله عن كنز الذهب والفضة فأي شيء ندخر؟ فقال ﷺ: «ليتخذ أحدكم لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة صالحة تعينه على أمر آخرته»**) رواه الترمذي وابن ماجه دون قوله «تبا للدينار والدرهم» وتقدم في النكاح وفي ذم الدنيا. قال العراقي: وهو من حديث ثوبان، وإنما قال المصنف: إنه حديث عمر لأن عمر هو الذي سأل النبي ﷺ أي المال نتخذ كما في رواية ابن ماجه، وكما رواه البزار من حديث ابن عباس.

(**وفي حديث حذيفة**) بن اليمان رضي الله عنه (**عن رسول الله ﷺ**) قال: (**«من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث: هماً لا يفارق قلبه أبداً، وفقراً لا يستغني** به أبداً، **وحرصاً لا يشبع أبداً»**) هكذا هو في القوت. وقال العراقي: لم أجده من حديث حذيفة، وللطبراني من حديث ابن مسعود بسند حسن «من أشرب قلبه حب الدنيا التاط منها بثلاث: شقاء لا ينفد عناه، وحرص لا يبلغ غناه، وأمل لا يبلغ منتهاه» وفي آخره زيادة انتهى.

قلت: وتلك الزيادة «فالدنيا طالبة ومطلوبة فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يأتيه الموت فيأخذه، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه» ورواه كذلك أبو نعيم في الحلية من طريقه، ورواه ابن عساكر عن شعيب بن صالح قال عيسى بن مريم عليه السلام: والله ما

وقال النبي ﷺ : « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف ، وحتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته » .

وقال المسيح ﷺ : « الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها . وقيل له : يا نبي الله لو أمرتنا أن نبني بيتاً نعبد الله فيه ؟ قال : اذهبوا فابنوا بيتاً على الماء ، فقالوا : كيف يستقيم بنيان على الماء ؟ قال : وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا ؟

سكنت الدنيا في قلب عبد إلاّ التاط قلبه منها بثلاث : شغل لا ينفك عناه ، وفقر لا يدرك غناه ، وأمل لا يبلغ منتهاه ثم ساقه بتلك الزيادة .

(وقال ﷺ : « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف ، وحتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته ») قال صاحب القوت : رويناه مرسلاً عن علي بن معبد عن علي بن أبي طلحة قال ، قال رسول الله ﷺ فساقه . قال العراقي : لم أجد له إسناداً ، وذكره صاحب الفردوس من رواية علي بن أبي طلحة مرسلاً « لا يستكمل عبد الايمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته وحتى يكون أن يعرف في ذات الله أحب إليه من أن يعرف في غير ذات الله » ولم يخرجه ولده في مسنده ، وعلي بن أبي طلحة أخرج له مسلم . وروى عن ابن عباس لكن روايته عنه مرسلة والحديث إذاً معضل .

(وقال المسيح عليه السلام : الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها) هذا قد رواه صاحب الفردوس من حديث ابن عمر إلا أنه قال : قنطرة الآخرة ولم يذكر له سنداً . وأما قول عيسى عليه السلام فأخرجه أبو نعيم في الحلية في ترجمة وهيب قال : بلغني أن عيسى عليه السلام قال ، قبل أن يرفع : يا معشر الحواريين إني قد كببت لكم الدنيا فلا تنعشوها بعدي فإنه لا خير في دار قد عصي الله فيها ، ولا خير في دار لا تدرك الآخرة إلا بتركها فاعبروها ولا تعمروها . وأخرجه ابن عساكر عن يحي بن سعيد قال : كان عيسى عليه السلام يقول : أعبروا الدنيا ولا تعمروها وهو في القوت بلفظ : الدنيا قنطرة يعبر عليها إلى الآخرة والباقي سواء . **(وقيل له : يا نبي الله لو أمرتنا أن نبني بيتاً نعبد الله فيه . قال : اذهبوا فابنوا بيتاً على الماء ، فقالوا : وكيف يستقيم بنيان على الماء ؟ قال : وكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا)** . قال صاحب القوت : ورويناه بمعنى آخر قالوا : انا نريد أن نبني بيتاً نجتمع فيه نتعبد ونتدارس فاختر لنا موضعاً نبني فيه . فقال : تعالوا فمشوا معه فوقف على قنطرة فقال : ابنوا ههنا . فقالوا : نبني على قنطرة وهي مدرجة للناس لا يدعونا فيها . فقال : كذلك الدنيا مدرجة الموتى وأنتم تبنون عليها ولا يدعونكم فيها انتهى .

وروى أحمد في الزهد عن سفيان الثوري قيل لعيسى عليه السلام : الا تبني بيتاً ؟ قال : ابني على طريق السبيل .

وقال نبينا ﷺ: «إن ربي عز وجل عرض عليَّ أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يا رب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك».

وعن ابن عباس رضي الله عنهم قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم يمشي وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي ﷺ: «يا جبريل، والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق، فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدّة من السماء أفظعته، فقال رسول الله ﷺ: «أمر الله القيامة أن تقوم»؟ قال: لا، ولكن هذا إسرافيل عليه السلام قد نزل إليك حين سمع كلامك، فأتاه إسرافيل فقال: إن الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الأرض وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة فعلت، وإن شئت نبياً ملكاً، وإن شئت نبياً عبداً. فأومأ إليه جبريل أن تواضع لله فقال: «نبيا عبداً» ثلاثاً.

(وقال نبينا ﷺ: «إن ربي عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً. قلت: لا يا رب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً، فأما اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك») رواه أحمد والترمذي وابن سعد والطبراني والبيهقي من حديث أبي أمامة، وقد تقدم في كتاب رياضة النفس وتهذيب الأخلاق. وفي القوت: والفقر اختيار رسول الله ﷺ عن حسن اختيار الله لما خيره من أن يجري له الأودية مالاً ويجعل له ذهباً وفضة ولا ينقصه ذلك من درجته عند الله شيئاً، فاختار بحسن توفيق الله وعصمته له الأحب إلى الله والأخير عند الله، إذا قد ضمن له إن أعطاه لا ينقصه فلم يبق إلا محبة الله فكانت آثر عنده من ترك نقيضه فقال «لا حاجة لي بذلك بل أجوع يوماً وأشبع يوماً أحمدك إذا شبعت وأتضرع إليك إذا جعت».

(وعن ابن عباس) رضي الله عنه، (قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم يمشي وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي ﷺ: «والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء أفظعته، فقال رسول الله ﷺ: أمر الله القيامة أن تقوم؟ قال: لا. ولكن هذا اسرافيل عليه السلام قد نزل إليك حين سمع كلامك فأتاه اسرافيل فقال: إن الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني بمفاتيح الأرض وأمرني أن أعرض عليك إن أحببت أن تسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضة وإن شئت نبياً ملكاً وإن شئت نبياً عبداً) فرفع رأسه إلى جبريل كأنه يستشيره، (فأوحى إليه جبريل أن تواضع لله، فقال:) بل (نبياً عبداً» ثلاثاً) قد تقدم في

وقال ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه».

وقال ﷺ لرجل: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس».

وقال صلوات الله عليه: «من أراد أن يؤتيه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا»، وقال ﷺ: «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات، ومن خاف من النار لها عن الشهوات، ومن ترقب الموت ترك اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات».

ذم الكبر مختصراً. **(وقال ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه»)**. قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس دون قوله «ورغبه في الآخرة» وزاد «فقهه في الدين» وإسناده ضعيف جداً انتهى.

قلت: لفظ الديلمي «إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين وزهده في الدنيا وبصره عيوبه». ورواه كذلك البيهقي في الشعب، ورواه البيهقي أيضاً عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً.

(وقال ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس») رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث سهل بن سعد، ورواه ابن عساكر من حديث ابن عمرو قد تقدم. وروى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس «ازهد في الدنيا يحبك الله، وأما الناس فانبذ إليهم هذا فيحبونك» وقد تقدم أيضاً.

(وقال ﷺ: «من أراد أن يؤتيه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا») قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: بل له أصل أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث علي بلفظ «من زهد في الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيراً وكشف عنه العمى».

قال: حدثنا أبو ذر محمد بن الحسين بن يوسف الوراق، حدثنا محمد بن الحسين بن حفص، حدثنا علي بن حفص العبسي، حدثنا نصير بن حمزة، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن محمد بن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ فساقه.

(وقال ﷺ: «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات، ومن خاف من النار لها عن الشهوات، ومن ترقب الموت ترك اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات») قال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث علي انتهى.

ويروى عن نبينا وعن المسيح عليهما السلام : « أربع لا يدركن إلا بتعب : الصمت وهو أول العبادة ، والتواضع ، وكثرة الذكر ، وقلة الشيء » ، وإيراد جميع الأخبار الواردة في مدح بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن ، فإن الأنبياء ما بعثوا إلا لصرف الناس عن الدنيا إلى الآخرة ، وإليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق ، وفيما أوردناه كفاية والله المستعان .

وأما الآثار ؛ فقد جاء في الأثر : لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يسألوا ما نقص من دنياهم . وفي لفظ آخر : ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم ، فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى : كذبتم ، لستم بها صادقين .

قلت : وكذلك البيهقي وتمام وابن عساكر وابن النجار مرفوعاً من حديثه ، وأما صاحب الحلية فأورده من طريق خلاس بن عمرو عنه مرفوعاً بلفظ « وللصبر أربع شعب : الشوق والشفقة والزهادة والترقب ، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد في الدنيا تهاون بالمصيبات ، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات » قال : ورواه كذلك الاصبغ بن نباتة عن علي مرفوعاً ، ورواه الحارث عن علي موقوفاً مختصراً ، ورواه قبيصة بن جابر عن علي من قوله ، ورواه العلاء بن عبد الرحمن عن علي من قوله .

(**ويروى عن نبينا ، وعن المسيح صلى الله عليهما وسلم : « أربع لا يدركن إلا بعجب ؛ الصمت وهو أول العبادة ، والتواضع ، وكثرة الذكر ، وقلة الشيء »**) قال العراقي : رواه الطبراني والحاكم من حديث أنس وقد تقدم انتهى .

قلت : ذكر في كتاب الصمت ، ورواه البيهقي أيضاً وصححه الحاكم وتعقب ، ورواه ابن عساكر عن أنس مرفوعاً . ويروى « لا يصبن إلا بعجب » وفي رواية « وذكر الله » بدل « وكثرة الذكر » . وأما قول عيسى عليه السلام : فرواه ابن أبي الدنيا في الصمت .

(**وايراد جميع الاخبار الواردة في بغض الدنيا وذم حبها لا يمكن**) لكثرتها (**فإن الأنبياء**) عليهم السلام (**ما بعثوا إلا لصرف وجوه الناس عن**) حب (**الدنيا الى الآخرة ، فإليه يرجع أكثر كلامهم مع الخلق**) لمن تتبع السياق . (**وفيما أوردناه كفاية والله المستعان**) .

(**وأما الآثار ؛ فقد جاء في الأثر لا تزال**) كلمة (**لا إله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله**) أي غضبه (**ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم**) بسلامه دينهم . (**وفي لفظ آخر : ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم ، فإن فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى : كذبتم لستم بها صادقين**) . وفي لفظ آخر : فإذا قالوها ردت عليهم أو رد المصنف هذا في الآثار على أنه ليس

وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال: تابعنا الأعمال كلها فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا.

وقال بعض الصحابة لصدر من التابعين: أنتم أكثر أعمالاً واجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا خيراً منكم. قيل: ولم ذلك؟ قال: كانوا أزهد في الدنيا منكم.

وقال عمر رضي الله عنه: الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد.

بمرفوع متصل وليس كذلك، بل روي ذلك من حديث زيد بن أرقم «لا تزال لا إله إلا الله تحجب غضب الرب عن الناس ما لم يبالوا ما ذهب من دينهم إذا صلحت لهم دنياهم، فإذا قالوها قيل كذبتم لستم من أهلها» رواه ابن النجار في تاريخه. وروى الحاكم في تاريخه من رواية أبان عن أنس رفعه «لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها حتى يستخفوا بحقها، والاستخفاف بحقها أن يظهر العمل بالمعاصي فلا ينكروه ولا يغيروه».

(وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه قال: تابعنا الأعمال كلها فلم نر في أمر الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا) ولفظ القوت: تابعنا الأعمال كلها بعضها على أثر بعض، لم نر أبلغ في أمر الآخرة من زهادة في الدنيا.

(وقال بعض الصحابة لصدر من التابعين) أي للصدر الأول منهم لما رأوا شدة اجتهادهم في العبادة: **(أنتم أكثر أعمالاً واجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ و)** هم **(كانوا خيرا منكم. قيل: ولم ذاك؟ قال: كانوا أزهد في الدنيا منكم)**. نقله صاحب القوت قال: وكذلك قال أبو الدرداء لما وصف الأبدال فذكر قلوبهم ومواجيدهم وعلم اليقين منهم وأحوال الصديقين فيهم فقال له صاحبه: والله ما سمعت صفة أحسن من هذه ولا أعجب إليّ منها، فكيف لي أن أكون من أهلها؟ فقال: يا ابن أخي ما بينك وبين أن تكون من أوسطهم أو في أوسطها حالاً إلا أن تزهد في الدنيا، فبقدر زهدك فيها وبغضك لها يدخل حب الآخرة والرغبة والروح في قلبك، وبقدر ذلك يحبك ربك.

قلت: والمراد ببعض الصحابة هو عبد الله بن مسعود قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا محمد بن شبل، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال: أنتم أكثر صلاة وصياماً واجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيراً منكم. قالوا: لم يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: هم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة.

(وقال عمر) بن الخطاب **(رضي الله عنه: الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد)** وهذا

وقال بلال بن سعد كفى به ذُنباً أن الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها.

وقال رجل لسفيان: اشتهي أن أرى عالماً زاهداً، فقال: ويحك. تلك ضالة لا توجد.

وقال وهب بن منبه: إن للجنة ثمانية أبواب، فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون يقولون: وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل الزاهدين في الدنيا العاشقين للجنة.

وقال يوسف بن اسباط رحمه الله: إني لأشتهي من الله ثلاث خصال: أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم، ولا يكون عليَّ دين، ولا على عظمي لحم فأعطي ذلك كله.

وروي أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء بجوائز فقبلوها، وأرسل إلى الفضيل بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه: قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه فبكى الفضيل

قد روي مرفوعاً من حديث أبي هريرة رواه ابن لال في مكارم الأخلاق ولفظه «الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة في الدنيا تتعب القلب والبدن».

(**وقال بلال بن سعد**) ابن تميم الأشعري أو الكندي أبو عمرو أو أبو زرعة الدمشقي ثقة عابد فاضل مات في خلافة هشام، روى له البخاري في كتاب الأدب، وأبو داود في كتاب القدر والنسائي: (**كفى به ذنباً أن الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها**) نقله صاحب القوت عن بعض السلف. قال: والآخر يقول كفى من الذنوب التي لا نقتر منها ولا نتوب حبنا للدنيا ولأبنائها.

(**وقال رجل لسفيان**) الثوري: (**اشتهي أن أرى عالماً زاهداً**) في الدنيا (**فقال: ويحك تلك ضالة لا توجد**) رواه أبو نعيم في الحلية.

(**وقال وهب بن منبه**) رحمه الله تعالى: (**للجنة ثمانية أبواب، فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون**) أي الملائكة الموكلون بالأبواب (**يقولون: وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل**) الناس كلهم (**إلا الزاهدين في الدنيا والعاشقين في الجنة**) أي المحبين لها.

(**وقال يوسف بن أسباط**) الشيباني رحمه الله تعالى: (**إني لأشتهي من الله ثلاث خصال: أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم ولا يكون عليَّ دين ولا على عظمي لحم فأعطي ذلك كله**) ترجم له أبو نعيم في الحلية وهو من أقران حذيفة المرعشي.

(**وروي أن بعض الخلفاء**) من بني العباس (**أرسل إلى الفقهاء بجوائز**) أي عطايا (**فقبلوها، وأرسل إلى الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى (**بعشرة آلاف فلم يقبلها فقال له بنوه**): يا ابتاه (**قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه**) أي من الخصاصة، (**فبكى**

وقال: أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها، فلما هرمت ذبحوها لأجل أن ينتفعوا بجلدها، وكذلك أنتم أردتم ذبحي على كبر سني، موتوا يا أهلي جوعاً خير لكم من أن تذبحوا فضيلاً.

وقال عبيد بن عمير: كان المسيح ابن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر، وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدّخر لغد، أينما أدركه المساء نام.

الفضيل وقال: أتدرون ما مثلي ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت) أي اسنت وعجزت عن العمل **(قيل: ألا تنتفعون بجلدها، وكذلك أنتم أردتم ذبحي على كبر سني. موتوا يا أهلي جوعاً خير لكم من أن تذبحوا فضيلاً)** رواه أبو نعيم في الحلية نحوه في قصة طويلة قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا أبو عمر الجرمي النحوي، حدثنا الفضل بن الربيع قال: حج أمير المؤمنين ـ يعني هارون الرشيد ـ فأتاني فخرجت مسرعاً فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت لي أتيتك. فقال لي: ويحك قد حك في نفسي شيء فانظر لي رجلاً أسأله، فذكر لقيه لجماعة من الفقهاء منهم: سفيان بن عيينة، وعبد الرزاق بن همام وأنه أعطاهما الجوائز، ولقي الفضيل ابن عياض فذكر قصة طويلة تقدم بعضها في وعظ العلماء الملوك، وذكر وعظه له وفيه: فبكى هارون وقال: له عليك دين؟ قال: نعم دين لربي لم يحاسبني عليه، فالويل إن ساءلني وناقشني. قال: إنما أعني من دين العباد هذه ألف دينار خذها فانفقها على عيالك وتقوَّ بها على عبادتك، فقال: سبحان الله! أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت قال: فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال فتفرحنا به؟ فقال لها: مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه.

(وقال عبيد بن عمير) بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي القاص من كبار التابعين مجمع على ثقته، روى له الجماعة: **(كان المسيح عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغد أينما أدركه المساء نام)** روى ابن عساكر نحوه عن مجاهد ولفظه: كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يخبأ اليوم لغد ويبيت حيث أواه الليل، لم يكن له ولد فيموت ولا بيت فيخرب. ورواه أحمد في الزهد عن سفيان: كان عيسى عليه السلام لا يخبأ عشاء لغداء ولا غداء لعشاء يقول: مع كل يوم وليلة رزقها، ليس له بيت يخرب. وروى ابن عساكر عن كعب أن عيسى عليه السلام كان يأكل الشعير ويمشي على رجليه ولا يركب الدواب ولا يسكن البيوت ولا يصطبح بالسراج ولا يلبس القطن ولم يمس النساء ولم يمس الطيب ولم يمزج شرابه بشيء قط ولم يبرده ولم يدهن رأسه قط، ولم يجعل بين الأرض وجلده شيئاً قط إلا لباسه، ولم يهتم لغداء قط ولا لعشاء قط، ولا اشتهى شيئاً من شهوات الدنيا.

وقالت امرأة أبي حازم لأبي حازم: هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بدّ لنا من الطعام والثياب والحطب! فقال لها أبو حازم: من هذا كله بدّ، ولكن لا بدّ لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة أو النار.

وقيل للحسن: لم لا تغسل ثيابك؟ قال: الأمر أعجل من ذلك.

وقال ابراهيم بن أدهم: قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية: فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب. الفرح بالموجود، والحزن على المفقود، والسرور بالمدح، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والعجب يحبط العمل.

(**وقالت امرأة أبي حازم لأبي حازم**) مسلمة بن دينار الأعرج المدني التابعي العابد الفقيه: (**هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بدّ لنا من الطعام والثياب والحطب، فقال أبو حازم: من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم إلى الجنة أو النار**).

(**وقيل للحسن**) البصري رحمه الله تعالى وقد رؤي عليه ثوب وسخ: (**لم لا تغسل ثيابك؟ قال: الأمر أعجل من ذلك**) نقله صاحب القوت.

(**وقال إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى: (**قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترتفع هذه الحجب**). الأول: (**الفرح بالموجود، و**) الثاني: (**الحزن على المفقود، و**) الثالث: (**السرور بالمدح، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص**) والحريص محروم، (**وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والعجب يحبط العمل**) نقله صاحب القوت. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو عمر وعثمان بن محمد العثماني، حدثنا العباس بن أحمد الرملي، عن بعض أشياخه قال: قال إبراهيم بن أدهم: على القلب ثلاثة أغطية: الفرح والحزن والسرور، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص والحريص محروم وساقه إلى آخره كسياق صاحب القوت، ثم قال: ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [الحديد: ٢٣] ثم قال صاحب القوت: وهذان الوصفان هما أتم حالاً من الزهد من أعطى أحدهما تبعه الآخر، لأن الذي لا يأسى على ما فاته من الدنيا هو الذي لا يفرح بما أتاه منها لأنه مثله، والذي لا يفرح بما أتاه منها هو الذي لا يحزن على ما فاته منها إذ هو نحوه، والأسى على المفقود بعد الفرح بالموجود، وهذان الوصفان هما ثمرة اليقين بما أمر به من ستر النصيب في الكتاب المبين ومشاهدة التوفية للنصيب لا محالة مع الزهد لقوله تعالى: ﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ [الأعراف: ٣٧] ثم أحكمه وفرغ منه لقوله تعالى: ﴿وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص﴾ [هود: ١٠٩] وكذلك كان أول الخبر عن فقد

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبداً سرمداً.

وقال بعض السلف: نعمة الله علينا فيما صرف عنا أكثر من نعمته فيما صرف إلينا، وكأنه التفت إلى معنى قوله ﷺ: «إن الله يحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه» فإذا فهم هذا علم أن النعمة في المنع المؤدي إلى الصحة أكبر منها في الإعطاء المؤدي إلى السقم.

وكان الثوري يقول: الدنيا دار التواء لا دار استواء، ودار ترح لا دار فرح، من

الأسى على الفوت وترك الوجد بالفرح على ما لا يفوت، فأول الكلام قوله: ﴿ما أصابكم من مصيبة في الأرض﴾ فهذا المنفصل عن النفس ﴿ولا في أنفسكم﴾ وهذا المتصل بالجسم ﴿إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ نخلق النفس والمصيبة معاً ثم عقبه بقوله: ﴿لكيلا تأسوا﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣] على الفوات فيقطعكم الحزن عن المغيب ولا تفرح بما لك بما قد كتب في الكتاب، فيشغلك السبب عن ولي الأسباب، وهذا وصف عبد غير متملك لملك وسيما عبد قائم بحكم رب ونعت عبد موقن محب قد شغلته مشاهدة الآخرة عن التفرغ لمتعة الدنيا، وقد فرغته، معاينة الغيب عن الإشتغال بما يغني والله أعلم.

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبداً سرمداً**) رواه مسروق عنه كما في القوت.

قلت: وقد روي نحوه مرفوعاً من حديث أنس: «ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط» رواه أبو نعيم. وروى ابن النجار عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده: «ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم» وروى الشيرازي في الألقاب من طريق مالك بن دينار عن الحسن عن أنس عن علي رفعه: «ركعتان من عالم بالله خير من اسلف ركعة من متجاهل بالله».

(**وقال بعض السلف: نعمة الله علينا فيما صرف عنا**) من الدنيا (**أكثر من نعمته**) علينا (**فيما صرف إلينا**) نقله صاحب القوت، (**وكأنه التفت إلى معنى قوله ﷺ: «إن الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه»**) رواه أحمد، وابن عساكر من حديث محمود بن لبيد. ورواه الحاكم من حديث أبي سعيد الخدري، وقد تقدم. وكان الفضيل يمثل حال المؤمن في الدنيا بالطفل مع أمه يقول: إن الله يحمي عبده المؤمن من الدنيا ويعلله عنها ويمررها عليه مرة بالجوع ومرة بالعرى ومرة بالحاجة والغم والكروب، كما تصنع الوالدة الشفيقة بولدها تعلله مرة تسقيه صبراً ومرة حضضاً ومرة تجرعه ألوان الأشربة والأغذية تريد بذلك ما هو خير له من حيث لا يعلم، (**وإذ فهم هذا علم أن النعمة في المنع المؤدي إلى الصحة أكثر منها في الإعطاء المؤدي إلى السقم**).

(**وكان**) سفيان (**الثوري**) رحمه الله تعالى (**يقول: الدنيا دار التواء**) أي الهلاك (**لا

عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء.

وقال سهل: لا يخلص العمل المتعبد حتى لا يفزع من أربعة أشياء: الجوع والعرى، والقر، والذل.

وقال الحسن البصري: أدركت أقواماً وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يأسفون على شيء منها أدبر، ولهي كانت في أعينهم أهون من التراب. كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له قدر، ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئاً، ولا أمر من في بيته بصنعة طعام قط، فإذا كان الليل فقيام على أقدامهم يفترشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم. كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم فلم يزالوا على ذلك، ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة رحمة الله عليهم ورضوانه.

دار استواء) أي اعتدال وإقامة، **(ودار ترح)** أي تعب وحزن **(لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخاء)** أي بسعة **(ولم يحزن على شقاء)** أي الضيق والتعب كذا في القوت.

(وقال) أبو محمد **(سهل)** التستري رحمه الله تعالى: **(لا يخلص العمل المتعبد حتى لا يفزع)** أي لا يجزع ولا يخاف **(من أربعة أشياء: الجوع والعرى والفقر والذل)** نقله صاحب القوت. ولفظه: لا يصح التعبد لأحد ولا يخلص له عمله حتى لا يجزع ولا يفر من أربعة أشياء والباقي سواء.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(أدركت أقواماً وصحبت طوائف ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا)** إذا **(أقبل)** عليهم، **(ولا يأسفون على شيء منها)** إذا **(أدبر)** عنهم، **(ولهي كانت في أعينهم أهون من التراب)** فضلاً عن أن تكون مساوية له. **(كان أحدهم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة)** أو أقل أو أكثر **(لم يطوله ثوب، ولم تنصب له قدر، ولم يجعل بينه وبين الأرض شيئاً)** سوى الثوب الذي على جسده **(ولا أمر من في بيته بصنعة طعام قط)** وإنما يأكل كل ما وجد وتيسر، **(فإذا كان الليل فقيام على أقدمهم)** في العبادة **(يفترشون وجوههم)** تذللاً **(تجري دموعهم على خدودهم)** تخوفاً، **(يناجون ربهم في فكاك رقابهم)** من النار، **(كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا في شكرها)** حيث أنعم الله عليهم بها **(وسألوا الله أن يقبلها)** منهم، **(وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم، فلم يزالوا على ذلك)** الحال والدؤب **(ووالله ما سلموا)** مع ذلك **(من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة رحمة الله عليهم ورضوانه)** والله الموفق.

بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلى نفسه، وإلى المرغوب عنه، وإلى المرغوب فيه:

اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوّته على درجات ثلاث:

الدرجة الأولى: وهي السفلى منها: أن يزهد في الدنيا وهو لها مشتهٍ وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفتة، ولكنه يجاهدها ويكفها، وهذا يسمى المتزهد، وهو مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد، والمتزهد يذيب أولاً نفسه ثم كيسه والزاهد أولاً يذيب كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعات لا في الصبر على ما فارقه؛

بيان درجات الزهد وأقسامه وذلك بالإضافة إلى نفسه وإلى المرغوب عنه وإلى المرغوب فيه:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاثة**) وهي درجات الزاهد في بدايته.

(**الدرجة الأولى: وهي السفلى منها: أن يزهد في الدنيا وهو لها مشتهٍ وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفتة، ولكنه يجاهد ويكفها**) ويجنبها الأسباب التي ذكرناها مع قصر الأمل، (**وهذا يسمى المتزهد**) وهو الذي يتصنع للزهد ويعمل في أسبابه من التقلل ورثاثة الحال في كل شيء، فمثله مثل الصابر الذي يحمل على نفسه بالصبر ويصابرها على العلم والبر فيكون له مقام من الصبر، (**وهو**) أي الزهد بالمعنى المذكور (**مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والإجتهاد**). قال صاحب القوت: إن العبد قد جاهد نفسه على الزهد كما يجاهدها على مخالفة الهوى، وكما يجاهدها في الصبر على مر الحق بأن يخرج المرغوب وينفق المحبوب ويتصبر على كراهة النفس لذوق ذلك ولقلة عادته بجريانه عليه كما يتصبر على ذوق مرارة الدواء خشية أن يقتله الداء فيكون له مقام في الزهد ينال به البر ويستوجب مدحاً فيه، وقد قال بعض البصريين من أهل المعرفة: إن من أكره نفسه على إخراج المحبوب من ماله وحمل عليها بالزهد فيه حتى بذله على تكره من النفس أن هذا أفضل ممن سمحت له نفسه ببذل ماله طوعاً من غير كراهة ولا وجد ثقل قالوا: الفضل المجاهدة فيه ولكراهة النفس وإكراهها اهـ.

(**والمتزهد**) غير الزاهد فإن المتزهد (**يذيب أولاً نفسه**) بأن يجاهدها على الزهد (**ثم كيسه**) بإخراج المرغوب منه، (**والزاهد أولاً يذيب كيسه**) بإخراج المحبوب من اليد في سبيل المطلوب (**ثم يذيب نفسه في الطاعة**) ويوطنها عليها (**لا في الصبر على ما فارقه**)، وهذا من قول أبي حاتم الأصم الزاهد يذهب كيسه قبل نفسه، والمتزهد يذهب نفسه قبل كيسه نقله

والمتزهد على خطر، فإنه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها في قليل أو كثير.

الدرجة الثانية: الذي يترك الدنيا طوعاً لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه، كالذي يترك درهماً لأجل درهمين، فإنه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل، ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت إليه، كما يرى البائع المبيع ويلتفت إليه فيكاد يكون معجباً بنفسه ويزهده، ويظن في نفسه أنه ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه وهذا أيضاً نقصان.

الدرجة الثالثة: وهي العليا؛ أن يزهد طوعاً ويزهد في زهده فلا يرى زهده؛ إذ لا يرى أنه ترك شيئاً، إذ عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خزفة وأخذ جوهرة، فلا يرى ذلك معاوضة، ولا يرى نفسه تاركاً شيئاً، والدنيا بالإضافة إلى الله تعالى ونعيم الآخرة أخس من خزفة بالإضافة إلى جوهرة، فهذا هو الكمال في الزهد.

القشيري. (**والمتزهد على خطر**) لا يأمن على حاله، (**فإنه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا والإستراحة بها في قليل أو كثير**).

(**الدرجة الثانية: الذي يترك الدنيا طوعاً**) أي اختياراً وجعله طاعة مع القدرة (**لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذي يترك درهماً لأجل**) تحصيل (**درهمين، فإنه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل، ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت إليه**) لأنه ترك شيئاً لشيء، (**كما يرى البائع المبيع ويلتفت إليه فيكاد يكون معجباً بنفسه وبزهده، ويظن أنه ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه وهذا أيضاً نقصان**).

(**الدرجة الثالثة: وهي العليا**) منها (**أن يزهد طوعاً**) أي اختياراً (**ويزهد في زهده، فلا يرى زهده إذ لا يرى أنه ترك شيئاً إذ عرف أن الدنيا لا شيء**) في الحقيقة، كما ورد في الخبر: إن الله تعالى يقول للدنيا يوم القيامة اسكتي يا لا شيء» (**فيكون كمن ترك خزفة وأخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركاً شيئاً**) كما قال بعض الزاهدين لبعض العارفين: لم يبق عليّ من الدنيا إلاّ مصّ النوى، فهذا يرى هذا بعيداً عن الرغبة فقال: يا هذا نظرك إلى مص النوى لزهدك هو بقية من الدنيا أراد منه نسيان ذلك بالزهد في زهده على ترك النظر إلى وصفه لما يستغرقه في الجريان عليه، فلا يبقى بغير مجريه ويكون بحكم المجرى فيه، فهذا مقام فوق الزهد متصل بغيره من القرب المصطلح. (**والدنيا بالإضافة إلى الله تعالى ونعيم الآخرة أخس من خزفة بالإضافة إلى جوهرة، فهذا هو الكمال في الزهد** وسببه كمال

وسببه كمال المعرفة، ومثل هذا الزهد آمن من خطر الالتفات إلى الدنيا، كما أن تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الإقالة في البيع.

قال أبو يزيد رحمه الله تعالى لأبي موسى عبد الرحيم: في أي شيء تتكلم؟ قال: في الزهد، قال: في أي شيء؟ قال: في الدنيا. فنفض يده وقال: ظننت أنه يتكلم في شيء الدنيا لا شيء، إيش يزهد فيها.

ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فألقى إليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته، أفترى أنه

المعرفة) وإنما تتفاوت مراتب الزهد بتفاوت المعرفة، **(ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الإلتفات إلى الدنيا، كما أن تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الإقالة في البيع)** وفي القوت، وقال أبو سعيد بن الإعرابي عن أشياخه: إنما الزهد عندهم خروج قدر الدنيا من القلب إذ هي لا شيء، وهذا لعمري هو الزهد في الزهد لأنه زهد، ثم لم ينظر إلى زهده فزهد فيه إذا لم يره شيئاً لأنه زهد في لا شيء، وهذا يشبه ما يقال: إن حقيقة الزهد هو الزهد في النفس لأنه قد يزهد في الدنيا لنفسه طلباً للعوض، فيكون ذلك رغبة على صفة، فإذا زهد في النفس التي يريد لها الأعواض على الزهد فهو حقيقة الزهد، وهو يشبه قول من قال: إن حقيقة الزهد في الغنى هو الزهد في البقاء لأن العبد ربما زهد في الغنى ولم يزهد في البقاء، فيكون فيه بقية من الرغبة، فإذا زهد في البقاء فهو حقيقة الزهد في الغنى، إذ كان الغنى يراد للبقاء وإذ لا متعة بالبقاء بغير غنى.

(قال أبو يزيد) البسطامي وهو من أعلى الطوائف إشارة وأغلقهم عبارة **(لأبي موسى)** هارون بن سليمان الكوفي مولى عمرو بن حريث المخزومي، روى له أبو داود والترمذي والنسائي **(عبد الرحيم)** بن يحيى الأسود الأرموي الدمشقي: **(في أي شيء تتكلم؟ قال)** فقلت: **(في الزهد. قال)** أبو يزيد **(في أي شيء؟ قال)** فقلت: **(في الدنيا، فنفض يده)** وأعرض **(وقال: ظننت أنه يتكلم في شيء. الدنيا لا شيء إيش يزهد فيها؟)** أورده صاحب القوت ولفظه، ثم قال: يتكلم بالزهد في لا شيء، وأي شيء الدنيا حتى تذكر بالزهد فيها؟ ثم قال: وكانت رابعة رحمها الله تعالى من قبله إذا ذكر جلساؤها الدنيا تقول: نوهتم بالدنيا إذ تذكرونها أي قدر لها حتى نقطع الوقت بذكرها، ولكن من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

(ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات) العيانية **(والمكاشفات)** الربانية **(مثل من منعه من باب الملك كلب)** جاثم **(على بابه، فألقى إليه لقمة من خبز فشغله)** بها، **(ودخل الباب ونال القرب)** والإتصال **(من الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته. افترى أنه يرى لنفسه يداً عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى كلبه في**

يرى لنفسه يداً عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى كلبه في مقابلة ما قد ناله؟ فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع، والدنيا كلقمة خبز إن أكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع، ثم يبقى ثقلها في المعدة، ثم تنتهي إلى النتن والقذر، ثم يحتاج بعد ذلك إلى إخراج ذلك الثفل فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت إليها. ونسبة الدنيا كلها أعني ما يسلم لكل شخص منها وإن عمّر مائة سنة بالإضافة إلى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالإضافة إلى ملك الدنيا، إذ لا نسبة للمتناهي إلى ما لا نهاية له، والدنيا متناهية على القرب، ولو كانت تتمادى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لا نسبة لها إلى نعيم الأبد، فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية، فأي نسبة لها إلى نعيم الأبد، فإذاً لا يلتفت الزاهد إلى زهده إلا إذا التفت إلى ما زهد فيه، ولا يلتفت إلى ما زهد فيه إلاَّ لأنه يراه شيئاً معتداً به، ولا يراه شيئاً معتداً به إلا لقصور معرفته، فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة، فهذا تفاوت درجات الزهد، وكل درجة من هذه أيضاً لها درجات، إذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت أيضاً باختلاف قدر المشقة في الصبر، وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته إلى زهده.

مقابلة ما قد ناله) من القرب؟ **(فالشيطان كلب)** جاثم **(على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول، مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع)** والإذن حاصل، **(والدنيا)** بأسرها **(كلقمة خبز إن أكلت فلذتها في حال المضغ)** فقط **(وتنقضي)** تلك اللذة **(على القرب بالإبتلاع، ثم يبقى ثفلها في المعدة، ثم ينتهي إلى النتن والقذر، ثم يحتاج بعد ذلك إلى إخراج ذلك الثفل)** من كل وجه ولو بعلاج، **(فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت إليها؟ ونسبة الدنيا كلها أعني ما يسلم منها لكل شخص منها وإن عمر مائة سنة بالإضافة إلى نعيم الآخرة أقل من لقمة بالإضافة إلى ملك الدنيا، إذ لا نسبة للمتناهي إلى ما لا نهاية له، والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تتادى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لا نسبة لها إلى نعيم الأبد)** بوجه من الوجوه، **(فكيف ومدة العمر قصيرة ولذات الدنيا مكدرة غير صافية، فأي نسبة لها إلى نعيم الأبد؟ فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه لها أيضاً درجات إذ تصبر المتزهد يختلف ويتفاوت أيضاً باختلاف قدر المشقة في الصبر، وكذلك درجة المعجب بزهده بقدر التفاته إلى زهده)**.

ثم اعلم أن المصنف رحمه الله تعالى ذكر للزاهد ثلاث درجات وهي أحواله في بدايته وبقيت عليه درجتان، فالمجموع خمسة.

وأما أقسام الزهد بالإضافة إلى المرغوب فيه فهو أيضاً على ثلاث درجات:

الدرجة السفلى: أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر، ومناقشة الحساب، وخطر الصراط، وسائر ما بين يدي العبد من الأهوال كما وردت به الأخبار، إذ فيها «إن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بعير

الأولى منها: أن يزهد في رؤيته لزهده لعلمه بتوفيق الله ومنته ورؤية التوفيق واجبة، وهي من عقود الإيمان بالله ولله لترددها بين الصفات الذاتية والفعلية، وهكذا في كل حال قال الله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾ [النور: ٢١].

الثانية منها: وهو مقام العارفين والمقربين من الزهاد، وهو أن لا يكون له اختيار في إخراج الدنيا ولا في إدخارها لأنه إذا علم مراد الله في الإخراج أخرج، وإذا علم مراد الله في الإدخار ادّخر لأن بواعثه في الأدّخار والإخراج تهذبت وسكنت وصار عبداً مفقوداً لنفسه موجوداً لسيده، فصار كفه خزانة من خزائن الله كمحل الوديعة المنتظر بها قدوم مالكها عرفها وردها إليه والله أعلم.

(وأما أقسام الزهد بالإضافة إلى المرغوب فيه فهو أيضاً على ثلاث درجات).

(الدرجة السفلى: أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام، كعذاب القبر، ومناقشة الحساب، وخطر الصراط، وسائر ما بين يدي العبد من الأهوال والشدائد، كما وردت به الأخبار) وتقدم ذكرها في آخر قواعد العقائد. **(وفي الخبر: «إن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة من الإبل عطاشا)** من الحمض **(على عرقه لصدرت رواء»)** قال العراقي: رواه أحمد من حديث ابن عباس: «التقي مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير» الحديث وفيه: «إني احتبست بعدك محتبساً فظيعاً كريهاً ما وصلت إليك حتى سال مني العرق ما لو ورده ألف بعير كلها آكلة حمض لصدرت عنه رواء» وفيه دويد غير منسوب يحتاج إلى معرفة. قال أحمد: هذا حديث منكر اهـ.

قلت: بقية الحديث بعد قوله: «ومؤمن فقير كانا في الدنيا فأدخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة فلقيه الفقير فقال: «أي أخي ماذا حبسك والله لقد احتبست حتى خفت عليك»؟ فقال: أي أخي إني حبست بعدك محبساً فظيعاً كريهاً ما وصلت إليك حتى سال مني من العرق» ثم ساق الحديث. قول العراقي: نقلاً عن أحمد هذا حديث منكر يظهر في بادىء الرأي أنه قاله في المسند، وليس كذلك بل ذكره عنه الخلال في العلل وليس هو في المسند نبه عليه

عطاشاً على عرقه لصدرت رواء » **فهذا هو زهد الخائفين**، وكأنهم رضوا بالعدم لو أعدموا، فإن الخلاص من الألم يحصل بمجرد العدم.

الدرجة الثانية: أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها، وهذا زهد الراجين؛ فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الألم، بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد لا آخر له.

الدرجة الثالثة: وهي العليا. أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه، فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا إلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها، بل هو مستغرق الهم بالله تعالى، وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد، وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى؛ لأن من طلب غير الله فقد عبده، وكل مطلوب معبود، وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه، وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا زهد المحبين وهم العارفون لأنه لا يحب الله تعالى خاصة إلا من عرفه، وكما أن من عرف

الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى. وروى الطبراني من حديث ابن مسعود: « إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول: رب أرحني ولو إلى النار ». (**فهذا أزهد الخائفين، وكأنهم رضوا بالعدم لو أعدموا فإن الخلاص من الألم يحصل بمجرد العدم**) لأن احتباس الغني إنما كان لسبب غناه.

(**الدرجة الثانية: أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها، وهذا زهد الراجين فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الألم، بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد**) قائم (**لا آخر له**).

(الدرجة الثالثة: وهي العليا) منها: (**أن لا تكون له رغبة إلا في الله ولقائه، فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا إلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها، بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد**). وروى الحاكم من حديث ابن عمر: « من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة » الحديث وقد تقدم. (**وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لأن من طلب غير الله فقد عبده**) روى هناد في الزهد من حديث حذيفة: « من أصبح وأكبر همه غير الله فليس من الله في شيء (**وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه وطلب غير الله من الشرك الخفي وهذا ازهد المحبين**)، وصاحب هذا المقام قد سباه الحسب وشغفه الشوق، فهو داخل في الخلق منفصل منهم غير مضيع لما ألزمه الله من حقوقهم فأنى لإبليس أن يطمع في هذا ومعه من الله عصمة وتأييد فلولا القدر لرفعه إليه من حبه له، (**وهم العارفون**) المتمكنون الداخلون مع الخلق بالأجسام، الخارجون بالقلوب واحدهم منقطع إلى ربه بهمه، ناظر إلى مولاه بنظره إليه بما

الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب إلا الدينار، فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر إلى نقش القصور وخضرة الأشجار غير ممكن، فلا يحب إلا لذة النظر ولا يؤثر غيره، ولا تظنن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم، بل تلك اللذة بالإضافة إلى لذة نعيم أهل الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به، والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك، وذلك لقصوره عن إدراك لذة الملك لا لأن اللعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق.

وأما انقسامه بالإضافة إلى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الأقاويل، ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول فلا نشتغل بنقل الأقاويل، ولكن نشير إلى كلام محيط بالتفاصيل

تولاه فتوحد له بوصفه من حيث اتجه له واحدة بوجهه، وتخلق له بخلقه ألبسه من نوره فيحجبه به عن خلقه فهو ظاهري باطني نبوي رباني ينظر بعين التعديل، ظاهره حكمة وباطنه قدرة، فهذا مقام زائد على حال الزهد وهي صفات، فهذه الصفات يتحقق الموصوف بها بعد حقيقة زهده في الدنيا، فهي ثمرة حب الله تعالى له عن فرع بغضه للدنيا عن أصل معرفته بمقت الله لها، **(لأنه لا يحب الله خاصة إلا من عرفه)** إذ المحبة ثمرة المعرفة، **(وكما أن من عرف الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب إلا الدينار)** لعزته، **(فكذلك من عرف الله وعرف لذة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التنعم بالحور العين والنظر إلى نقش القصور وخضرة الأشجار)** وجريان الأنهار من تحتها **(غير ممكن، فلا يحب إلا لذة النظر)** إلى وجهه الكريم **(ولا يؤثر غيره)** عليها، **(ولا تظنن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبقي للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم، بل تلك اللذة بالإضافة إلى لذة نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والإستيلاء على أطراف الأرض ورقاب الخلق بالإضافة إلى الإستيلاء على عصفور واللعب بـه والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب اللعب بالعصفور التارك للذة الملك، وذلك لقصوره عن إدراك لذة الملك لا لأن اللعب بالعصفور في نفسه أعلى وألذ من الإستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق)**، فهذا ما يتعلق بأقسام الزهد بالإضافة إلى المرغوب فيه.

(وأما انقسامه بالإضافة إلى المرغوب عنه فقد كثرت فيه الأقاويل) واختلف المشايخ فيه، **(ولعل المذكور فيه يزيد على مائة قول)** رويت عنهم بالأسانيد المعتبرة **(فلا نشتغل بنقل تلك الأقاويل)** فإنه لا يفيد السالك في طريق الحق بل تشتبه عليه الأحوال بالأحوال فيقع

حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الإحاطة بالكل. فنقول: المرغوب عنه بالزهد له إجمال وتفصيل، ولتفصيله مراتب بعضها أشرح لآحاد الأقسام وبعضها أجمل للجمل.

أما الإجمال في الدرجة الأولى؛ فهو كل ما سوى الله، فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد فيه حتى يزهد في نفسه أيضاً، والإجمال في الدرجة الثانية: أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة، وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرئاسة والمال والجاه وغيرها. وفي الدرجة الثالثة: أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النفس. وفي الدرجة الرابعة: أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه إذ الأموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه، وإن كثرت أسبابه فيرجع إلى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب، إذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها، كما أن معنى المال ملك الأعيان والقدرة عليها فإن جاوزت هذا التفصيل إلى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر. وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاس

بذلك في حيرة وضلال، (**ولكن نشير إلى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الإحاطة بالكل فنقول: المرغوب عنه بالزهد إجمال وتفصيل، ولتفصيله مراتب بعضها أشرح لآحاد الأقسام وبعضها أجمل للجمل.**

(**أما الإجمال في الدرجة الأولى**) من الدرجات الثلاث: (**فهو**) أي المرغوب عنه (**كل ما سوى الله، فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه أيضاً**) فإنه أيضاً مما سوى الله، (**والإجمال في الدرجة الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيها متعة**) أي بقاء لها وإمساك لقوتها (**وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها**) من كل ما تقتضيه النفس، (**وفي الدرجة الثالثة أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما إذ إليهما ترجع حظوظ النفس**) كما تقدم ذلك في ذم المال والجاه، (**وفي الدرجة الرابعة أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم، إذ الأموال وإن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم والجاه، وإن كثرت أسبابه فيرجع إلى العلم والقدرة وأعني به كل علم وقدرة مقصوده ملك القلوب، إذ معنى الجاه**) كما سبق (**هو ملك القلوب والقدرة عليها كما أن بمعنى المال**) هو (**ملك الأعيان والقدرة عليها، فإن جاوزت هذا التفصيل إلى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه من الزهد عن الحصر. وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال**) تعالى: (﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء**

حبّ الشَّهواتِ مَن النِّساءِ والبنينَ والقناطِيرَ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهب والفِضَّة والخَيْل المسوَّمة والأنْعَام والْحَرْثِ ذلِكَ متاعُ الحياة الدنيا﴾ [آل عمران : ١٤] ثم رده في آية أخرى إلى خمسة فقال عز وجل : ﴿اعلمُوا أنَّما الحياةُ الدُّنْيا لَعِبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكُم وتكاثُرٌ في الأموال والأولاد﴾ [الحديد : ٢٠] ثم ردّه تعالى في موضع آخر إلى اثنين فقال تعالى : ﴿إنّما الحياة الدُّنيا لَعِبٌ ولهوٌ﴾ [محمد ﷺ : ٣٦] ثم رد الكل إلى واحد في موضع آخر فقال : ﴿ونَهَى النَّفسَ عن الهوى ★ فإن الجنَّة هي المأوى﴾ [النازعات : ٤٠ ، ٤١] فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا ، فينبغي أن يكون الزهد

والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث﴾ ثم قال: ﴿ذلك متاع الحياة الدنيا﴾) فوصف حب الشهوات بالتزيين، ثم نسق الأوصاف السبعة على الحب لها ، ثم أشار إليها بقوله : ﴿ذلك﴾ فذا إشارة إلى الكاف والكاف كناية عن المذكور المتقدم المنسوق واللام بين ذلك والكاف للتمكين والتوكيد ، فحصل من تدبر الخطاب أن هذه السبعة جملة الدنيا المرغوب عنها ، وأن الدنيا هي هذه الأوصاف السبعة وما تفرع من الشهوات رد إلى أصل من أصول هذه الجمل ، فمن أحب جميعها فقد أحب جملة الدنيا نهاية الحب ، ومن أحب أصلاً منها أو فرعاً من أصل فقد أحب بعض الدنيا فعلمنا بنص الكلام أن الشهوة دنيا ، وفهمنا من دليله أن الحاجات التي تقع ضرورات ليست بدنيا ، فإذا لم تكن الحاجة دنيا دّل أنها لا تسمى شهوة (**ثم رده**) أي مجموع هذه الأوصاف السبعة (**في آية أخرى إلى خمسة**) معان ، (**فقال تعالى: ﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾**) فهذه الخمسة وصف من أحب تلك السبعة (**ثم رده**) أي مجموع تلك الخمسة (**في موضع آخر**) من كتابه العزيز (**إلى**) معنيين (**إثنين**) هما جامعان للسبعة، (**فقال**) تعالى : (**﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ ثم رد الكل**) من الموضعين (**إلى**) وصف (**واحد في موضع آخر**) من كتابه العزيز وعبّر عنه بمعنيين، فصارت الدنيا ترجع إلى شيئين جامعين مختصرين يصلح أن يكون كل واحد منهما هو الدنيا ، فالوصف الواحد الذي رد الإثنين إليه اللذان هما اللهو واللعب هو الهوى ، وأنه رجعت السبعة فيه ، (**فقال**) تعالى : (**﴿ونهى النفس عن الهوى ★ فإن الجنة هي المأوى﴾**) فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى بدليل قوله تعالى : ﴿فأما من طغى ★ وآثر الحياة الدنيا ★ فإن الجحيم هي المأوى﴾ [النازعات : ٣٧ ـ ٣٩] (**فالهوى لفظ جامع يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا**) إذ كانت الجنة ضد الجحيم كان الهوى هو الدنيا ، لأن النهي عنه ضد الإيثار له ، فمن نهى نفسه عن الهوى فإنه لم يؤثر الدنيا ، وإذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزهد كانت له الجنة التي هي ضد الجحيم التي هي لمن لم ينه نفسه عن الهوى بإيثاره الدنيا ، فصارت الدنيا هي طاعة الهوى وإيثاره في كل شيء (**فينبغي أن يكون الزهد عنه**) أي يكون الزهد عبارة عن

فيه، وإذا فهمت طريق الإجمال والتفصيل عرفت أن البعض من هذه لا يخالف البعض وإنما يفارقه في الشرح مرة والإجمال أخرى.

فالحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها، ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر أمله لا محالة، لأنه إنما يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء؛ فإنّ من أراد شيئاً أراد دوامه، ولا معنى لحب الحياة إلا حب دوام ما هو موجود أو ممكن في هذه الحياة، فإذا رغب عنها لم يردها، ولذلك لما كتب عليهم القتال ﴿قالوا ربَّنا لِمَ كتبت علينا القِتَالَ لَوْلاَ أَخَّرْتَنا إلى أجلٍ قريب﴾ [النساء: ٧٧] فقال تعالى: ﴿قل متاعُ الدنيا قليل﴾ أي لستم تريدون البقاء إلا لمتاع الدنيا، فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين. أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص وانتظروا إحدى الحسنيين، وكانوا إذا

مخالفة الهوى من كل شيء، (**وإذا فهمت طريق الإجمال والتفصيل عرفت أن البعض من هذه لا يخالف البعض، وإنما يفارقه في الشرح مرة والإجمال أخرى**)، وأما المعنى الآخر الذي عبَّر به عن هذا الوصف الذي هو الهوى فجعله دنيا أيضاً وهو حب البقاء لمتعة النفس، فقد أشار إليه المصنف بقوله:

(**فالحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها، ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر أمله لا محالة، لأنه يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء، فإن من أراد شيئاً أراد دوامه، ولا معنى لحب الحياة إلا حب دوام ما هو موجود أو ممكن في هذه الحياة، فإذا رغب عنها لم يردها**) واستنبط هذا المعنى من كلام الله تعالى كما أشار إليه المصنف بقوله: (**ولذلك لما كتب عليهم القتال**) أي فرض الجهاد في سبيل الله أخبر عنهم الله تعالى بقوله: (**وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب**﴾) فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لأنه المشي بالسيف إلى السيف والفناء بين السيفين فقالوا: هلا أبقيتنا إلى وقت آخر وهو أجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء، ففسر حب البقاء بأنه هو الدنيا، فقال تعالى: (﴿**قل متاع الدنيا قليل**) والآخرة خير لمن اتقى﴾ (**أي لستم تريدون البقاء إلا لمتاع الدنيا**) فانكشف الناس، (**فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين**) بالإفتضاح وابتلي هنالك المؤمنون عند فرض القتال (**أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله**) كما أخبر عنهم الله تعالى في كتابه: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ أي مصطفين (﴿**كأنهم بنيان مرصوص**﴾) [الصف: ٤] في تراصهم من غير فرجة، والرص: اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه، (**وانتظروا إحدى الحسنيين**) مثنى الحسنى تأنيث الأحسن، كما قال تعالى: ﴿تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين﴾ [التوبة: ٥٢]

دعوا إلى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون إليه مبادرة الظمآن إلى الماء البارد حرصاً على نصرة دين الله أو نيل رتبة الشهادة، وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة، حتى أن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه لما احتضر للموت على فراشه كان يقول: كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعاً في الشهادة وأنا الآن أموت موت العجائز، فلما مات عدّ على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات، هكذا كان حال الصادقين في الإيمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين. وأما المنافقون، ففروا من الزحف خوفاً من الموت فقيل لهم: ﴿إن الموت الذي تفرّون منه فإنهُ مُلاَقِيكم﴾ [الجمعة: ٨] فإيثارهم البقاء على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، ﴿فأولئك الذين اشترُوا الضَّلالة بالهُدى فمَا ربحت

(وكانوا إذا دعوا إلى القتال يستنشقون رائحة الجنة) ويرون الحور العين عياناً **(ويبادرون إليه)** أي إلى القتال **(مبادرة الظمآن)** في الهاجرة **(إلى الماء البارد حرصاً على نصرة دين الله)** لتكون كلمة الله هي العليا **(أو نيل رتبة الشهادة، وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة)** لعلو رتبتها عندهم، **(حتى أن)** سيف الله أبا سليمان **(خالد بن الوليد)** بن المغيرة بن عبدالله المخزومي القرشي **(رضي الله عنه لما احتضر للموت على فراشه)** بالمدينة على الأصح أو بمدينة حمص على الأشهر **(كان يقول: كم غررت بروحي وهجمت على الصفوف طمعاً في الشهادة وأنا الآن أموت موت العجائز، فلما مات عد على جسده ثمانمائة ثقب من آثار الجراحات)** في سبيل الله. شهد غزوة مؤتة وكان الأمير الثالث، وأبلى في غزوة الفتح بلاء حسناً، ثم شهد حنيناً والطائف في هدم القرى واليرموك، وأسر أكيدر رومة، وقاتل أهل الردة قتالاً عظيماً، وافتتح دمشق.

قال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا محمد بن عبيد، حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي خالد، عن زياد مولى آل خالد قال: قال خالد عند موته: ما كان في الأرض ليلة أحب إلي من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد. وروى أبو يعلى من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم قال، قال خالد: ما ليلة يهدى إليَّ فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بغلام أحب إليَّ من ليلة شديدة الجليد فذكر نحوه. وقال ابن المبارك في كتاب الجهاد، عن حماد بن زيد، حدثنا عبدالله بن المختار، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل، ثم شك حماد في أبي وائل قال: لما حضرت خالد الوفاة قال: لقد طلبت القتل مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا متترس والسماء تهيلني ننتظر إلى صبح حتى نغير على الكفار.

(وكذا كان حال الصادقين في الإيمان. وأما المنافقون ففروا من الزحف خوفاً من الموت فقيل لهم: ﴿إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾ فإيثارهم البقاء) في الدنيا **(على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ﴿فأولئك الذين اشتروا الضلالة**

تِجَارَتهم وما كانوا مهتَدين﴾ [البقرة : ١٦] وأما المخلصون ، **فإن الله تعالى اشترى منهم** أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، فلما رأوا أنهم تركوا **تمتع عشرين سنة مثلاً أو ثلاثين سنة بتمتع** الأبد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به ، **فهذا بيان المزهود فيه** .

وإذا فهمت هذا علمت أن هذا ما ذكره المتكلمون في حدّ الزهد لم يشيروا به إلا إلى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالباً على نفسه أو على من كان يخاطبه ،

بالهدى) يعني رغبوا في البقاء الأدنى لما اشتروه ببيع البقاء الآخر الأعلى الأبقى إذ باعوه **(﴿فما ربحت تجارتهم﴾)** فمن اشترى ثلاثين سنة أو أربعين سنة بألف ألف وبأبد الآباد فكيف تربح تجارته **(وما كانوا مهتدين)** أي ممن هدى سبيله ، فهذه تجارة من رغب في حياة دنية فاشتراها ببقاء أبد الآباد ، فقد صار بائعاً للحياة الغالية بما استبدل به من اشتراء الحياة الدانية . **(وأما المخلصون : فإن الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)** فهم لأنفسهم وأموالهم بائعون كما قال الله تعالى : ﴿إن الله اشترى من المؤمنين﴾ [التوبة : ١١١] الآية . **(فلما رأو أنهم تركوا تمتع عشرين سنة أو ثلاثين سنة بتمتع الأبد استبشروا ببيعهم الذي بايعوا به)** كما قال تعالى : ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾ [التوبة : ١١١] فشتان بين التجارتين وفرقان ما بين الربحين ، **(فهذا بيان المزهود فيه)** فإذا كان حب البقاء هو الدنيا ينبغي أن يكون حب لقاء الله الباقي هو الزهد ، فصار الزهد في الدنيا هو الزهد في البقاء وصار الرغبة في البقاء مثل إتباع الهوى الذي هو الدنيا فمن زهد في الحياة الفانية للمتعة بها وفي ماله المجموع بالجهاد للنفس والإنفاق في سبيل الله فقد زهد في الدنيا ، ومن زهد فيها أحبه الله تعالى ، ولذلك صار الجهاد من أفضل الأعمال لأنه حقيقة الزهد في الدنيا ، ولأن الله يحب من زهد فيها بأنه قد قتل نفسه فيها فاستعجل الخروج إليه منها ، ثم كان مخالفة الهوى أفضل الجهاد لأنه هو حقيقة الرغبة في الدنيا ، فالزاهد في هوى نفسه هو حبيب ربه ، والراغب في حب البقاء لنفسه منافق في دين ربه ، وبه كشف الله الكاذبين ووصفهم بمرض القلوب ، وظهر مما ذكرنا أن حقيقة الدنيا هو حب البقاء لطاعة الهوى ومرافقة الهوى في حب العرض لأجل البقاء من الدنيا ، فدخل أحد هذين في الآخر لأن حب البقاء لأجل المتعة هو من الهوى الذي هو صفة النفس الأمارة بالسوء وطاعة الهوى الذي هو عيش النفس إنما يكون لحب البقاء لأن العبد لو أيقن بالموت ساعة لآثر الحق على الهوى ولو أيس من البقاء لما رغب في العرض الأدنى ، فصار حب البقاء من الهوى وصار إيثار الهوى إنما هو لحب البقاء فكان ذلك هو حقيقة الدنيا ، فصار أقصر الناس أملاً للبقاء أزهدهم في الدنيا وصار أرغب الناس في الدنيا أطولهم أملاً .

(وإذا فهمت هذا علمت أن ما ذكره المتكلمون) من الصوفية **(في حد الزهد لم يشيروا به إلا إلى بعض أقسامه فذكر كل واحد منهم ما رآه غالباً على نفسه)** إذ كان مقاماً

فقال بشر رحمه الله تعالى: الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس، وهذا إشارة إلى الزهد في الجاه خاصة. وقال قاسم الجوعي: الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف، فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد، وهذا إشارة إلى الزهد في شهوة واحدة، ولعمري هي أغلب الشهوات على الأكثر وهي المهيجة لأكثر الشهوات. وقال الفضيل: الزهد في الدنيا هو القناعة، وهذا إشارة إلى المال خاصة. وقال الثوري: الزهد هو قصر الأمل، وهو جامع لجميع الشهوات، فإن من يميل إلى الشهوات يحدّث نفسه بالبقاء فيطول أمله، ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها. وقال أويس: إذا خرج الزاهد يطلب

له أقيم فيه أو حالاً له (**أو على من كان يخاطبه**) فخاطبه على قدر حاله أو مقامه، (**فقال بشر**) بن الحرث الحافي رحمه الله تعالى: (**الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس**) وفي ملاقاتهم، إد الرغبة هي فيهم وفيما عندهم نقله صاحب القوت. وقال في موضع آخر: وكان بشر يقول: الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس لأنه كان يقول: حب لقاء الناس هو من الدنيا لأنه المرغوب فيه عندهم ويتسبب إليه بهم، فلذلك صار الزهد فقدهم، ولذلك قال بعض الحكماء: إذا طلب الزاهد الناس فاهرب منه، وإذا هرب من الناس فاطلبه، وهذا هو حال الزاهد العابد المشغول بنفسه (**وهذا إشارة إلى الزهد في الجاه خاصة**)، ومثله قول السري: مارست كل شيء من أمر الزهد فنلت منه ما أريد إلا الزهد في الناس فإني لم أبلغه ولم أطقه. رواه القشيري عن أبي عبدالله الصوفي، سمعت أبا الطيب السامري يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول فذكره.

(**وقال قاسم**) بن عثمان (**الجوعي**) الدمشقي منسوب إلى ربيعة الجوع، وقيل: كان يجوع كثيراً وقد سبق ذكره: (**الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد**)، فكأن الدنيا عنده هو الشبع وأكل الشهوات وتناول المطعوم من غير الحاجات عن فضول الكفايات نقله صاحب القوت. (**وهذا اشارة إلى الزهد في شهوة واحدة**) وهي شهوة البطن، (**ولعمري هي أغلب الشهوات على الأكثر وهي المهيجة لأكثر الشهوات**).

(**وقال الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى: (**الزهد هو القناعة**) وكانت الدنيا عنده هي الحرص والشره والضراعة وفي لفظ له: القناعة هي الزهد، (**وهذا إشارة إلى المال خاصة**).

(**وقال**) سفيان (**الثوري**) رحمه الله تعالى: (**الزهد هو قصر الأمل**) وانتظار الموت، فصارت الدنيا عنده طول الأمل ونسيان قرب الأجل كذا في القوت. وقال القشيري في الرسالة: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: حدثنا أحمد بن إسماعيل الأزدي، حدثنا عمران بن موسى الأسفنجي، حدثنا الدورقي، حدثنا وكيع قال، قال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء اهـ وهو (**جامع لجميع الشهوات، فإن من يميل إلى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول أمله، ومن قصر أمله**) واستشعر سرعة موته وفراقه للدنيا (**فكأنه رغب**

ذهب الزهد عنه، وما قصد بهذا حدّ الزهد ولكن جعل التوكل شرطاً في الزهد. وقال أويس أيضاً: الزهد هو ترك الطلب للمضمون، وهو إشارة إلى الرزق، وقال أهل الحديث: الدنيا هو العمل بالرأي والمعقول، والزهد إنما هو اتباع العلم ولزوم السنة، وهذا إن أريد به الرأي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح، ولكنه إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أو إلى بعض ما هو من فضول الشهوات، فإن من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة، وقد طوّلوها حتى ينقضي عمر الإنسان في

عن الشهوات كلها)، وقد روي مثل قول سفيان أيضاً عن أحمد بن حنبل وعيسى بن يونس وغيرهما. قال القشيري: وهذا الذي قالوه يحمل على أنه من أمارات الزهد والأسباب الباعثة والمعاني الموجبة له.

(وقال أويس) بن عامر (القرني) رحمه الله تعالى وهو سيد التابعين في قول لرجل سأله عن الزهد: (إذا خرجت تطلب) أي الرزق (ذهب الزهد). ولفظ القوت: إذا خرج العبد يطلب ذهب الزهد، وقال مرة لبعض من سأله عن الزهد: في أي شيء خرجت؟ فقال: أطلب المعاش، فقال له: فأين الزهد؟ يعني أن الزهد عنده أن يقطع العبد بدوام الشغل بالله عن التفرغ بطلب ما سوى الله، وأن ينسى في جنب ذكر الله ترك الطلب شغلاً مما يرد عليه من المطلوب فلا يبقى فيه فراغ المرغوب، فهذا غاية الزهد وهو طريق طائفة من الأبدال اقتطعوا عن الخلق وأريدوا بهذه الحال كذا في القوت (وما قصد بهذا حد الزهد ولكن جعل التوكل شرطاً في الزهد) أي لا يكمل مقام الزهد إلا بالتوكل على الله تعالى. (وقال أويس) رحمه الله تعالى (أيضاً: الزهد هو ترك الطلب للمضمون) أي الذي ضمنه الله تعالى لعباده وأقسم عليه (وهو إشارة إلى الرزق) وهو بمعنى ما تقدم. قال هرم بن حيان لقيته على شاطىء الفرات يغسل كسراً وخرقاً قد التقطها من المنبوذ وكان ذلك أكله ولبسه، قال: فسألته عن الزهد أي شيء هو؟ فقال: في أي شيء خرجت؟ قلت: أطلب المعاش، قال: إذا وقع الطلب ذهب الزهد.

(وقال) بعض العلماء من (أهل الحديث: الدنيا هو العمل بالرأي والمعقول والزهد إنما هو إتباع العلم وطريق السنة) قال صاحب القوت: وهذا القول من الظواهر يشبه قول علماء الظاهر كما روينا عن سفيان قال قالوا للزهري: ما الزهد؟ قال: ما لا يغلب الحرام صبره ولا يمنع الحلال شكره يعني أن يكون العبد صابراً عن الحرام حتى لا تغلبه شهوة الحرام، ويكون شاكراً في الحلال حتى لا يغلبه الحلال فيشغله عن الشكر اهـ.

(وهذا إن أريد به الرأي الفاسد والمعقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح، ولكنه إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أو إلى بعض ما هو من فضول الشهوات فإن من العلوم ما لا فائدة فيه في الآخرة) بل يكون وبالاً فيها وسبباً لهلاكه، (وقد طوّلوها) أي تلك العلوم (حتى ينقضى عمر الإنسان في الإستقلال بواحد منها، فشرط الزاهد أن يكون

الاشتغال بواحد منها، فشرط الزاهد أن يكون الفضول أوّل مرغوب عنه عنده، وقال الحسن: الزاهد الذي إذا رأى أحداً قال: هذا أفضل مني، فذهب إلى أن الزهد هو التواضع، وهذا إشارة إلى نفي الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد، وقال بعضهم: الزهد هو طلب الحلال، وأين هذا ممن يقول: الزهد هو ترك الطلب كما قال أويس، ولا شك في أنه أراد به ترك طلب الحلال، وقد كان يوسف بن اسباط يقول: من صبر على الأذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ بأصل الزهد.

وفي الزهد أقاويل وراء ما نقلناه فلم نر في نقلها فائدة، فإن من طلب كشف حقائق

الفضول أول مرغوب عنه عنده) وإلا لم يخلص له الزهد. وقال صاحب القوت: ومن الزهد عند الزاهدين ترك فضول العلوم التي معلوماتها تؤل إلى الدنيا وتدعو إلى الجاه والمنزلة عند أبنائها وفيما لا نفع فيه في الآخرة ولا قربة به عند الله، وقد يشغل عن عبادة الله تعالى ويفرق الهم عند اجتماعه بين يدي الله تعالى ويقسي انقلب ويحجب عن التفكر في آلائه وعظمته، وقد أحدثت علوم كثيرة لم تكن تعرف فيما سلف اتخذها الغافلون علماً وجعلها البطالون شغلاً انقطعوا بها عن الله وحجبوا بها عن مشاهدة علم الحقيقة لا يستطيع ذكره لكثرة أهلها إلا أن يسأل عن شيء أعلم هو أم كلام أو حق أو تشبيه أو صدق وحكمة أو زخرف وغرور؟ أسنة هو أم بدعة؟ أعتيق أم محدث وتشديق فحينئذ يخبر بصواب ذلك.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(الزاهد الذي إذا رأى أحداً قال هذا أفضل مني)** قال صاحب القوت: **(فذهب إلى أن الزهد هو التواضع)**، وقد قال يوسف بن اسباط: غاية التواضع أن تخرج من بيتك فلا ترى أحداً إلا رأيت أنه خير منك رواه أبو نعيم في الحلية **(وهذا إشارة إلى نفي الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد وقال بعضهم الزهد)** إنما هو **(طلب الحلال)** وأنه واجب مفترض في مثل زماننا هذا لاختلاط الأشياء وغلبة الشهوات وهو قول عاد في أهل الشام وطريقة عبادهم مثل: إبراهيم بن أدهم، وسليمان، والخواص، ويوسف بن إسباط وحذيفة المرعشي، وأبي إسحاق الفزاري، وشعيب بن حرب، والداراني، ووهيب بن الورد، وفضيل بن عياض، وهم عشرة معروفون بأكل الحلال قالوا فقد تعين فرض الزهد ووجب تفقد المطاعم والسؤال عنها لقلة المتقين وفقد الورعين. **(وأين هذا ممن يقول: الزهد هو ترك الطلب كما قول أويس)** رحمه الله تعالى وذكر قريباً، **(ولا شك في أنه)** أي أويساً **(أراد به)** ترك **(طلب الحلال)** ولكل من القولين وجه، **(وقد كان يوسف بن إسباط)** الشيباني رحمه الله تعالى **(يقول: من صبر على الأذى وترك الشهوات وأكل الخبز من الحلال فقد أخذ بأصل الزهد)** نقله صاحب القوت.

(وفي الزهد أقاويل) كثيرة **(وراء ما نقلناه فلم نر في نقلها فائدة)** مع أن بعضها عند التأمل يرجع إلى بعض ما ذكر، فمن ذلك قول بعضهم: الزهد أن لا تفرح بموجود من الدنيا ولا

تتأسف على مفقود منها نزع بذلك إلى قوله تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [الحديد: ٢٣] وقال أبو عثمان: الزهد أن تترك الدنيا ثم لا تبالي من أخذها. وقال أبو علي الدقاق: الزهد أن تترك الدنيا كما هي لا تقول أبني رباطاً ولا أعمر مسجداً. وقال ابن الجلاء: الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينيك فيسهل عليك الإعراض عنها. وقال الجنيد: الزهد خلو القلب مما خلت منه اليد. وقال ابن المبارك: الزهد هو الثقة بالله مع حب الفقر، وبه قال شقيق البلخي ويوسف بن إسباط. قال القشيري: وهذا أيضاً من أمارات الزهد، فإنه لا يقوى العبد على الزهد إلا بالثقة بالله. وقال عبدالله بن زيد: الزهد ترك الدينار والدرهم. وسأل رويم الجنيد عن الزهد فقال: هو استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب ويروى عنه أيضاً الزهد خلو اليد من الملك وخلو القلب من التتبع. وقال الشبلي: الزهد أن تزهد فيما سوى الله تعالى. وقال ذو النون: الزهد في الدنيا هو الزهد في النفس. وقال الحسن البصري: الزهد في الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض ما فيها. وقال بعضهم: الزهد في الدنيا هو ترك ما فيها على من فيها، فهذه ثلاثة عشر قولاً نقلها القشيري في الرسالة.

وفي القوت وقالت طائفة: الزهد هو بعض المحمدة وأن لا تحب أن تحمد على شيء من أعمالك. وقال آخرون: الدنيا هي الأكل واللباس والمال، والزهد هو ترك فضول هذه الأشياء. وقال آخرون: حقيقة الدنيا هو حب الشرف والعلو وطلب العز والرئاسة فينبغي أن يكون الزهد عند هؤلاء هو حب الخمول والذلة وطلب الخضوع والضعة. وقال آخرون: الزهد مفارقة حظوظ النفس في كل شيء، وكان سفيان يقول: الزهد في الدنيا هو الصبر على الحق في كل شيء، وسئل حاتم الأصم عن الزهد فقال: رأسه الثقة بالله ووسطه الصبر وآخره الإخلاص فأدخل فيه التوكل وجعله أوله لأنه لا يزهد حتى يثق بالله في الرزق ويتوكل عليه فيه، وجعل الصبر حالاً منه أراد الثبات لئلا يميل أو يخرج فيرجع إلى الرغبة، وجعل نهايته الإخلاص وهذا إخلاص الصادقين أن تريد بذلك وجه الله وحده وابتغاء مرضاته لا تطلعاً إلى عوض ولا تطلباً لسبب هو دون الله تعالى، وكذلك جعل أحمد بن حنبل الإخلاص هو الزهد ففسره به لأنه إذا بلغ حقيقة الإخلاص لله وحده فقد زهد فيما سواه فاتفقا بمعنى تقاربا فيه، وأما أحدهما ففسر الزهد بالإخلاص جعله نهايته وهو حاتم، وأحمد عبر عن الإخلاص بالزهد لأنه حقيقته، وأما أيوب السختياني فإنه سئل عن الزهد ما هو؟ فقال: هو أن تقعد في بيتك فإن كان قعودك لله رضا وإلا خرجت تنفق درهمك فإن كان رضا وإلا أمسكت تمسك مالك، فإن كان رضا وإلا أخرجته تسكت، فإن كان سكوتك لله رضا وإلا تكلمت تتكلم، فإن كان كلامك لله رضا وإلا سكت هذا هو الزهد وإلا فلا تلعبوا، وهذا مقام المحاسبة للنفس وحال المراقب للرب ووصف المراعي للوقت، فجعل الدنيا هي ترك موافقة رضا الله تعالى في كل شيء إذ جعل الزهد فيها هو إتباع مرضاته في الأشياء. وقال مجاهد: الزهد الأثرة لله على ما سواه إذا أتاه شيء من الدنيا استعمل الخوف والحياء فيؤدي إلى كل ذي حق حقه. وكان ابن عيينة يقول: حد الزهد أن يكون شاكراً عند الرخاء

الأمور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد إلا الحيرة، وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه، فقد وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته، وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته، وهؤلاء كلهم اقتصروا لا لقصور في البصيرة لكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة، فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة، والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف، وقد يكون سبب الاقتصار الإخبار عن الحالة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والأحوال تختلف،

صابراً عند البلاء، فهذا قد صير الشاكر على النعمة والصابر على البلية زاهداً وجمع له الزهد بإجتماع الشكر والصبر وهذا زهد عموم المؤمنين وقيل ليحيى بن معاذ: متى يكون الرجل زاهداً؟ فقال: إذا بلغ حرصه في ترك الدنيا حرص الطالب لها كان زاهداً. وقال الداراني: الزهد التخلي من الدنيا والإشتغال بالعبادة فأما من تركها وتبطل فإنما طلب الراحة لنفسه. وقال سهل: أول الزهد التوكل وأوسطه إظهار القدرة. وقال أيضاً لا يزهد البعد زهداً حقيقياً لا رجعة بعده إلا بعد مشاهدة قدرة. وقال بعضهم: الزهد هو إخفاء الزهد. وقال سهل: لا ينال الزهد إلا بالخوف لأن من خاف ترك فجعل الزهد مقاماً في الخوف رفعة عليه. وفي الخبر: إنما الزهد أن تكون بما في يد الله تعالى أوثق منك بما في يدك. فهذا مقام التوكل. وقال قوم: الزهد هو ترك الأدخار فكانت الدنيا عندهم الجمع، وقال بعضهم: الدنيا ما شغل القلب واهتم به فجعلوا الزهد ترك الاهتمام بطرح النفس تحت تصريف الأحكام وهذا هو التفويض والرضا. وقال الداراني: التورع أول الزهد. وقال أبو هشام المغازلي: الزهد قطع الآمال وإعطاء المجهود وخلع الراحة. وقال ابن السماك: الزهد أن لا يفرح بشيء من الدنيا أتاه ولا يحزن على شيء منها فاته لا يبالي على عسر أصبح أم يسر. وقال طيفور البسطامي: الزهد أن لا يملك ولا يملك. وقال علماء الظاهر: الزهد في الدنيا موافقة العلم والقيام بأحكام الشرع وأخذ الشيء من وجهه ووضعه في حقه، وما خالف العلم فهو جهل كله وهوى فذكروا فرض الزهد وظاهره ولم يعرفوا غرائبه وباطنه. ذلك مبلغهم من العلم ونصيبهم من الفهم وهو مقامهم من المقال وطريقهم المشوب بالإعتلال. وقال الجنيد: الزهد معنيان ظاهر وباطن، فالظاهر نفض ما في الأيدي من الأملاك وترك طلب المفقود، والباطن زوال الرغبة عن القلب ووجود العزوف والإنصراف عن ذكر ذلك فهذه الأقوال مع ما ذكره المصنف تنيف على أربعين قولاً وإنما لم ير المصنف في نقلها فائدة.

(فإن من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد إلا الحيرة، وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه وثق بالحق واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته، وهؤلاء كلهم اقتصروا في البصيرة، لكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروه بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف، وقد يكون سبب الإقتصار الأخبار عن الحاجة الراهنة التي هي مقام العبد في نفسه والأحوال

فلا جرم الأقوال المخبرة عنها تختلف، وأما الحق في نفسه فلا يكون إلا واحداً ولا يتصوّر أن يختلف، وإنما الجامع من هذه الأقاويل الكامل في نفسه وإن لم يكن فيه تفصيل ما قاله أبو سليمان الداراني إذ قال: سمعنا في الزهد كلاماً كثيراً، والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل، وقد فصل مرة وقال: من تزوّج أو سافر في طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا فجعل جميع ذلك ضداً للزهد، وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى: ﴿إلا من أتى الله بقلبٍ سليم﴾ [الشعراء: ٨٩] فقال: هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال: إنما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة فهذا بيان انقسام الزهد بالإضافة إلى أصناف المزهود فيه، فأما بالإضافة إلى أحكامه فينقسم إلى فرض ونفل وسلامة، كما قاله ابراهيم بن أدهم، فالفرض: هو الزهد

تختلف فلا جرم الأقوال المخبرة عنها تختلف، وأما الحق في نفسه فلا يكون إلا واحداً ولا يتصور أن يختلف) على الصحيح من مذهب الأصوليين، **(وإنما الجامع من هذه الأقاويل الكامل في نفسه وإن لم يكن فيه تفصيل ما قاله)** قارىء أهل الشام الإمام **(أبو سليمان)** أحمد بن محمد بن عبد الرحمن **(الداراني)** رحمه الله تعالى **(إذ قال: سمعنا في الزهد كلاماً كثيراً، والزهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل)** ولفظ القشيري، قال الداراني: الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى، ولفظ القوت وكان الداراني أبو سليمان يقول: الدنيا كل ما شغل عن الله وكان الزهد عنده دوام التفرغ لله تعالى بحسن الإقبال عليه اهـ.

وقال شارح الرسالة: أراد بترك ما يشغل عن الله أي بقلبه وإلا فهو من ثمرات الزهد، فقد يترك الإنسان ما يشغله عن الله لا لزهده بل لشغله بما هو أشرف منه اهـ هذا على سبيل الأجمال.

(وقد فصل مرة وقال: من تزوج أو سافر في طلب المعيشة أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا) ولفظ القوت: من تزوج أو كتب الحديث أو طلب معاشاً فقد ركن إلى الدنيا، **(فجعل جميع ذلك ضداً للزهد)**، ويقرب من قول الداراني قول داود الطائي: كل ما شغلك عن الله تعالى من أهل أو مال فهو عليك مشؤم. **(وقرأ أبو سليمان)** الداراني **(قوله تعالى: ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ قال: هو القلب الذي ليس فيه غير الله)** فهذا زهد الصديقين، وإنما تكون هذه الثلاث دنيا لمن أراد الدنيا العاجل متعة النفس بها، فأما من أراد بها الآخرة فهي طرقات له إلى الآخرة. **(وقال)** مرة **(إنما زهدوا في الدنيا لتفرغ قلوبهم عن همومها للآخرة)** فإذا رزق العبد فراغ القلب مع وجود هذه الثلاث التي ذكرت كن له قربات إلى المذكور، وقد كان رحمه الله تعالى ذا عيال ولم يكن يشغله ذلك عن أوقاته مع الله ولا يدخلون عليه في مقامه فيخرجونه من المقام كذا في القوت.

(فهذا بيان أقسام الزهد بالإضافة إلى أصناف المزهود فيه، فأما بالإضافة إلى أحكامه فينقسم إلى فرض ونفل وسلامة كما قاله إبراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى **(فالفرض: هو**

في الحرام. والنفل: هو الزهد في الحلال. والسلامة: هو الزهد في الشبهات. وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وذلك من الزهد، إذ قيل لمالك بن

الزهد في الحرام، والنفل هو الزهد في الحلال، والسلامة هو الزهد في الشبهات) فكأنه جعل الورع زهداً وهو التوسط بين الزهدين زهد عموم بداية وزهد خصوص نهاية. **(وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال والحرام)**.

وقال سلام بن أبي مطيع: الزهد على ثلاثة وجوه. واحد أن يخلص العمل لله والقول فلا يريد بشيء منه الدنيا ولا ما عند الخلق، والثاني: ترك ما لا يصلح القلب والدين، والثالث: الحلال أن يزهد في فضله وهذا تطوع.

وقال القشيري: اختلف الناس في الزهد فمنهم من قال: الزهد في الحرام لأن الحلال مباح من قبل الله تعالى، فإذا أنعم الله على عبد بمال من حلال وتعبده بالشكر عليه فتركه باختياره وبحق لا يقدم على إمساكه بحق إذنه، ومنهم من قال: الزهد في الحرام واجب وفي الحلال فضيلة، فإن إقلال المال والعبد صابر في حال راض بما قسم الله له قانع بما يعطيه أتم من توسعه وتبسطه في الدنيا، ومنهم من قال: إذا أنفق ماله في الطاعة وعلم من حاله الصبر وترك التعرض لما ينهاه الشرع عنه في حال التيسر، فحينئذ يكون زهده في المال الحلال أتم منه في الحرام، ومنهم من قال: ينبغي أن يختار ترك الحلال بتكلفه ولا طلب الفضول فيما يحتاج إليه ويراعي القسمة فإن رزقه الله مالاً من حلال شكره وإن وفقه الله على حد الكفاف لم يتكلف في طلب ما هو فضول المال، فالصبر أحسن بصاحب الفقر والشكر أليق بصاحب المال.

وقال صاحب القوت: وكان الشاميون من العلماء يقولون: ليس الزهادة في الدنيا تحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن أن يكون ذامك ومادحك سواء وتكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء وتكون بما في يد الله أوثق منك بما في يد غيرك، فهذا مقام التوكل وحال الرضا. **(وذلك من الزهد إذ قيل لمالك بن أنس: ما الزهد؟ قال: التقوى)** فأصل التقوى إتقاء الشرك ثم بعده إتقاء المعاصي والسيئات ثم بعده اتقاء الشبهات ثم يدع بعده الفضلات كذلك، وقال أبو حفص: التقوى في الحلال المحض لا غير، وقال الداراني: الورع أول الزهد كما أن القناعة طرف الرضا. وقال ابن عطاء: للتقوى ظاهر وباطن فظاهره محافظة الحدود وباطنه النية والإخلاص، وكان سهل يقول: أزهد الناس في الدنيا أصفاهم مطعماً وقال أيضاً: أقصى مقام من الورع أو في مقام من الزهد، وتحقيق ذلك أن الدنيا هي نصيب كل عبد من الهوى وما دنا من قلبه من الشهوات، فمن زهد في نصيبه وملكه من هواه المذموم فهذا هو الزهد المفترض، ومن زهد في نصيبه من المباح وهو فضول الحاجات من كل شيء فهذا هو الزهد المفضل يرجع ذلك إلى حظوظ جوارحه التي هي أبواب الدنيا منه وطرقها إليه، فالزهد في محرماتها زهد المسلمين به يحسن إسلامهم، والزهد في شبهاتها زهد الورعين به يكمل إيمانهم، والزهد في حلالها من فضل

أنس: ما الزهد؟ قال: التقوى، وأما بالإضافة إلى خفايا ما يتركه فلا نهاية للزهد فيه، إذ لا نهاية لما تتمتع به النفس في الخطرات واللحظات وسائر الحالات، لا سيما خفايا الرياء فإن ذلك لا يطلع عليه إلا سماسرة العلماء، بل الأمور الظاهرة أيضاً درجات الزهد فيها لا تتناهى، فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام إذ توسد حجراً في نومه فقال له الشيطان: أما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك؟ قال: وما الذي تجدد؟ قال: توسدك الحجر: أي تنعمت برفع رأسك عن الأرض في النوم، فرمى الحجر وقال: خذه

حاجات النفس زهد الزاهد به يصفو يقينهم، وفي حديث عمرو بن ميمون عن الزبير أن النبي ﷺ قال: «يا زبير اجهد نفسك عند نزول الشهوات والشبهات بالورع الصادق وعن محارم الله وادخل الجنة بغير حساب».

(وأما بالإضافة إلى خفايا ما يتركه فلا نهاية للزهد فيه، إذ لا نهاية لما تتمتع به النفس في الخطرات واللحظات وسائر الحالات لا سيا خفايا الرياء فإن ذلك لا يطلع عليه إلا سماسرة العلماء) أي نقادهم وجهابذتهم. وفي القوت: ومن أفضل الزهد الزهد في الرئاسة على الناس وفي المنزلة والجاه عندهم، والزهد في حب الثناء والمدح منهم لأن هذه المعاني هي أكبر أبواب الدنيا عند العلماء، فالزهد فيها هو زهد العلماء كان سفيان الثوري يقول: الزهد في الرئاسة ومدح الخلق أشد من الزهد في الدينار والدرهم قال: لأن الدينار والدرهم قد يبذلان في طلب ذلك وكان يقول هذا باب غامض لا يتبصر به إلا سماسرة العلماء. وقال الفضيل: نقل الصخور من الجبال أيسر من إزالة رئاسة قد ثبتت في قلب جاهل.

قلت: وقال أحمد بن أبي الحواري: حدثنا إسحاق بن خلف قال: الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة، والزهد في الرئاسة في الذهب والفضة لأنك تبذلها في طلب الرئاسة وقد روي عن يوسف بن إسباط نحوه كما في الحلية.

(بل الأمور الظاهرة أيضاً درجات الزهد فيها لا تتناهى، فمن أقصى درجاتها زهد عيسى عليه السلام إذ توسد حجراً في نومه فقال له الشيطان: أما كنت تركت الدنيا فما الذي بدا لك؟ قال: وما الذي تجدد؟ قال: توسدك الحجر أي تنعمت برفع رأسك عن الأرض في النوم فرمى الحجر وقال: خذه فيما تركته لك). ولفظ القوت: ولا نهاية للزهد عند طائفة من العارفين لأنه قد يقع عن نهاية معارفهم بدقائق أبواب الدنيا وخفايا لوائح الهوى. وقال بعضهم: نهاية الزهد أن تزهد في كل شيء وتتورع عن كل شيء للنفس فيه متعة وبه راحة، فهذا كما روي عن عيسى عليه السلام أنه وضع تحت رأسه حجراً فكأنه لما ارتفع رأسه عن الأرض استراح بذلك فعارضه إبليس فقال: يا ابن مريم أليس تزعم أنك زهدت في الدنيا؟ قال: نعم. قال: فهذا الذي وطأته تحت رأسك من أي شيء هو؟ قال: فرمى عيسى بالحجر وقال: هذا لك مع ما تركت اهـ.

مع ما تركته لك. وروي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه لبس المسوح حتى ثقب جلده تركاً للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس، فسألته أمه أن يلبس مكان المسح جبة من صوف ففعل، فأوحى الله تعالى إليه: يا يحيى، آثرت علي الدنيا، فبكى ونزع الصوف وعاد إلى ما كان عليه. وقال أحمد رحمه الله تعالى: الزهد زهد أويس، بلغ من العرى أن جلس في قوصرة. وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط إنسان فأقامه صاحب الحائط، فقال: ما أقمتني أنت إنما أقامني الذي لم يرض لي أن أتنعم بظل الحائط. فإذاً درجات الزهد ظاهراً وباطناً لا حصر لها، وأقل درجاته: الزهد في كل شبهة ومحظور، وقال قوم: الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور، فليس

قلت أخرجه ابن عساكر عن الحسن البصري قال: إن عيسى عليه السلام مر به إبليس يوماً وهو متوسد حجراً وقد وجد لذة النوم فقال له: يا عيسى تزعم أنك لا تريد شيئاً من عرض الدنيا فهذا الحجر من عرض الدنيا. فقام عيسى عليه السلام فأخذ الحجر فرمى به وقال: هذا لك مع الدنيا.

(و) مثله **(روي عن يحي بن زكريا عليهما السلام أنه لبس المسوح حتى نقب جلده)** أي أثر فيه لخشونته، وكان عليه السلام قد طلب من أمه ذلك حين مرَّ ببيت المقدس ورأى الرهبان لابسين كذلك **(تركاً للتنعم بلين اللباس واستراحة حس اللمس، فسألته أمه أن يلبس مكان المسح جبة من صوف)** لأنه ألين من الشعر **(ففعل)** طاعة لأمة لأنه كان باراً بها، **(فأوحى الله تعالى إليه: يا يحي آثرت عليَّ الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد إلى ما كان عليه)** ولبس مدرعته من الشعر نقله صاحب القوت.

(وقال أحمد) بن حنبل رحمه الله تعالى: **(الزهد زهد أويس)** القرني رحمه الله تعالى **(بلغ من العري إلى أن جلس في قوصرة)** نقله صاحب القوت. والقوصرة بالتخفيف والتثقيل وعاء التمر يتخذ من قصب.

(وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط إنسان فأقامه صاحب الحائط فقال: ما أقمتني أنت إنما أقامني الذي لم يرض لي أن أتنعم بظل الحائط) رواه ابن عساكر عن أبي سليمان الداراني قال: بينا عيسى عليه السلام يمشي في يوم صائف وقد مسه الحر والشمس والعطش، فجلس في ظل خيمة فخرج إليه صاحب الخيمة فقال: يا عبدالله قم من ظلنا فقام عيسى وجلس في الشمس وقال: ليس أنت الذي أقمتني إنما أقامني الذي لم يرد أن أصيب من الدنيا شيئاً **(فإذاً درجات الزهد ظاهراً وباطناً لا حصر لها)** إذ لا نهاية لمعارف الزاهدين بدقائق أبواب الدنيا وخفايا لوائح الهوى **(وأقل درجاته: الزهد في كل شبهة ومحظور)** وهو زهد الورعين به يكمل إيمانهم كما سبق قريباً.
(وقال قوم: «الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور، فليس ذلك من درجاته

ذلك من درجاته في شيء، ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصوّر الزهد الآن.

فإن قلت: مهما كان الصحيح هو أن الزهد ترك ما سوى الله فكيف يتصوّر ذلك مع الأكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك اشتغال بما سوى الله تعالى؟

فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الإقبال بكل القلب عليه ذكراً وفكراً، ولا يتصور ذلك إلا مع البقاء، ولا بقاء إلا بضروريات النفس؛ فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلاً بغير الله؛ فإن ما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه؛ فالمشتغل بعلف الناقة وبسقيها في طريق الحج ليس معرضاً عن الحج، ولكن ينبغي أن يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج، ولا غرض لك في تنعم ناقتك باللذات، بل غرضك

في شيء، ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن) روي ذلك عن جماعة، منهم: يوسف بن إسباط.

قال صاحب الحلية: حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة، حدثنا المسيب بن واضح سألت يوسف بن إسباط عن الزهد ما هو؟ قال: أن تزهد فيما أحل الله فأما ما حرم الله فإن ارتكبته عذبك الله.

وحدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا الحسين بن منصور، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا سهل أبو الحسن، سمعت يوسف بن إسباط يقول: لو أن رجلاً في ترك الدنيا مثل أبي ذر وسلمان وأبي الدرداء ما قلنا له زاهد، لأن الزهد لا يكون إلا في الحلال المحض والحلال المحض لا يعرف اليوم.

(فإن قلت: مهما كان الصحيح هو أن الزهد هو ترك ما سوى الله، فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وكل ذلك إشتغال بما سوى الله تعالى؟ فاعلم أن معنى) العزوف و**(الإنصراف من الدنيا إلى الله تعالى هو الإقبال بكل القلب عليه ذكراً وفكراً)** والتوجه بكنه الهمة إليه، **(ولا يتصور ذلك إلا مع البقاء ولا بقاء إلا بضروريات النفس)** مما تحتاج إليه إضطراراً، **(فمهما اقتصرت من الدنيا على دفع المهلكات عن البدن وكان)** قصدك و**(غرضك الإستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلاً بغير الله، فإن ما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه، فالمشتغل بعلف الناقة وبسقيها)** ورعايتها في خدمتها **(في طريق الحج ليس معرضاً عن الحج، ولكن ينبغي أن يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحج، ولا غرض لك في تنعم ناقتك**

مقصور على دفع المهلكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك، فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالأكل والشرب، وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن، فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ بل التقوّي على طاعة الله تعالى، فذلك لا يناقض الزهد، بل هو شرط الزهد، وإن قلت: فلا بدّ وأن أتلذذ بالأكل عند الجوع؛ فاعلم أن ذلك لا يضرك إذا لم يكن قصدك التلذذ، فإن شارب الماء البارد قد يستلذ الشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش، ومن يقضي حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصوداً عنده ومطلوباً بالقصد، فلا يكون القلب منصرفاً إليه، فالإنسان قد يستريح في قيام الليل بتنسم الأسحار وصوت الأطيار، ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره، ولقد كان في الخائفين من طلب موضعاً لا يصيبه فيه نسيم الأسحار خيفة من الاستراحة به وأنس القلب معه، فيكون فيه أنس بالدنيا ونقصان في الإنس بالله بقدر وقوع الإنس بغير الله، ولذلك كان داود الطائي له حب مكشوف فيه ماؤه فكان لا

باللذات بل غرضك مقصور على دفع المهلكات عنها حتى) تحملك و**(تسير بك إلى مقصدك، فكذلك ينبغي أن تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش المهلك بالأكل والشرب، وعن الحر والبرد المهلك باللباس والمسكن، فتقتصر على قدر الضرورة ولا تقصد التلذذ)** والتنعم، **(بل التقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا يناقض الزهد بل هو شرط الزهد)** لأنه به حصوله **(وإن قلت: فلا بدّ وأن أتلذذ بأكل ذلك عند الجوع! فاعلم أن ذلك لا يضرك إذا لم يكن قصدك التلذذ، فإن شارب الماء البارد قد يتلذذ بالشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش، ومن يقضي حاجته يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصوداً عنده ومطلوباً بالقصد فلا يكون القلب منصرفاً إليه، فالإنسان قد يستريح في قيام الليل بتنسم الأسحار وصوت الطيور)** الناغية، **(ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الإستراحة فما يصيبه من ذلك بغير قصده لا يضره ولقد كان في الخائفين)** من الزاهدين **(من طلب)** لنفسه **(موضعاً لا يصيبه فيه نسيم الأسحار خيفة من الإستراحة به وأنس القلب معه فيكون فيه أنس إلى الدنيا ونقصان)** في الأنس بالله **(بقدر وقوع الأنس بغير الله)** ويروى أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام أن برخ يعني الأسود الذي كان موسى استسقى لبني إسرائيل نعم العبد هو إلا أن فيه عيباً قال: وما هو؟ قال: يعجبه نسيم السحر فيسكن إليه ومن أحبني لم يعجبه شيء أو لم يسكن إلى الشيء، فعابه باستراحة النفس إلى روح الفضاء ونقصه عن التمام بسكون قلبه إلى نسيم السحر.

(ولذلك كان) أبو سليمان **(داود)** بن نصير **(الطائي)** رحمه الله تعالى **(له حب مكسور)**

يرفعه من الشمس، ويشرب الماء الحار ويقول: من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا، **فهذه** مخاوف المحتاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط، فإنه وإن كان شاقاً فمدّته قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأييد، لا يثقل على أهل المعرفة القاهرين لأنفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وهو بضم الحاء المهملة الخابية للماء جمعه حباب بالكسر وحببة مثل عنبة **(فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس، ويشرب الماء الحار ويقول: من وجد لذة الماء البارد شق عليه مفارقة الدنيا)**.

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا إسحاق بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أحمد بن أبو الحواري قال: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: كان داود الطائي له دنان: دن للماء ودن للخبز، فأما دن الماء فكان قد جعله في الأرض لئلا يصيبه الروح فيبرد.

وروي من طريق حفص بن عمر الجعفي قال: دخل رجل على داود الطائي فقال: يا أبا سليمان أنا عطشان. قال: اخرج واشرب فجعل يدور في الدار لا يجد ماء فرجع إليه، فقال: يا أبا سليمان ليس في الدار حب ولا جرة. فقال: اللهم غفراً بل هناك ماء. قال: فخرج يلتمس فإذا دن من هذا الأصيص الذي يفعل فيه الطين وقطعة خزفة أسفل كوز فأخذ تلك الخزفة يغرف بها فإذا ماء حار كأنه يغلي لم يقدر أن يسيغه فرجع إليه، فقال: يا أبا سليمان مثل هذا الحر الناس يكادون ينسلخون ودنّ مدفون في الأرض وكوز مكسور فلو كانت جريرة وقلة. فقال داود: حب حيري وجرة ملارية وقلال منقشة وجارية حسناء وأثاث وناض وفضول لو أردت هذا الذي يشغل القلب لم أسجن نفسي ههنا إنما أطلقت نفسي عن هذه الشهوات وسجنت نفسي حتى يخرجني مولاي من سجن الدنيا إلى روح الآخرة.

روي من طريق سهل بن سليمان النيلي، حدثنا عبدالله الأعرج أو غير قال: أتيت داود فصليت مع المغرب ثم تبعته إلى داره فذكر الحديث وفيه: ثم قام داود إلى شن في الدار في يوم صائف فأخذ يشرب منه فقلت: يا أبا سليمان لو أمرت أن يبرد لك هذا الماء. فقال: أما علمت أن الذي يبرد له الماء في الصيف ويسخن له في الشتاء لا يحب لقاء الله.

(فهذه مخاوف المحتاطين) لدينهم **(والحزم في جميع ذلك الإحتياط فإنه وإن كان شاقاً فمدته قريبة والإحتماء مدة يسيرة للتنعم على التأييد لا يثقل على أهل المعرفة القاهرين أنفسهم بسياسة الشرع المعتصمين بعروة اليقين في معرفة المضادة التي بين الدنيا والدين)** والله الموفق.

بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة:

اعلم أن ما الناس منهمكون فيه ينقسم إلى فضول وإلى مهمّ؛ فالفضول كالخيل المسوّمة مثلاً، إذ غالب الناس إنما يقتنيها للترفه بركوبها وهو قادر على المشي، والمهم كالأكل والشرب، ولسنا نقدر على تفصيل أصناف الفضول فإن ذلك لا ينحصر، وإنما ينحصر المهم الضروري، والمهم أيضاً يتطرق إليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته، فلا بدّ من بيان وجه الزهد فيه، والمهمات ستة أمور: المطعم، والملبس، والمسكن، واثاثه، والمنكح والمال. والجاه يطلب لأغراض. وهذه الستة من جملتها، وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرياء من ربع المهلكات، ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الستة.

الأول المطعم: ولا بدّ للإنسان من قوت حلال يقيم صلبه ولكن له طول وعرض، فلا بدّ من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد؛ فأما طوله فبالإضافة إلى جملة العمر، فإن من يملك طعام يومه فلا يقنع به، وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه ووقت

بيان تفصيل الزهد فيما هو من ضروريات الحياة:

(اعلم) وفقك الله تعالى (**أن ما الناس منهمكون فيه ينقسم إلى فضول**) وهو ما زاد على الحاجة (**وإلى مهم**) ضروري (**والفضول كالخيل المسوّمة**) أي المعلمة أو المرعية كما في الصحاح. وقال الأزهري: هي المرسلة وعليها ركبانها (**إذ غالب الناس إنما يقتنيها**) ويتخذها (**للترفة بركوبها وهو قادر على رجليه**) أو على خيل أقل منها، (**والمهم كالأكل والشرب، ولسنا نقدر على تفصيل أصناف الفضول فإن ذلك لا ينحصر**) لكثرتها (**وإنما ينحصر المهم الضروري**) الذي لا بدّ منه، (**والمهم**) الضروري (**أيضاً تتطرق إليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته، فلا بد من بيان وجه الزهد فيه والمهمات ستة أمور:**) الأول: (**المطعم**) والمشرب تابع له، (**و**) الثاني (**الملبس، و**) الثالث (**المسكن، و**) الرابع (**أثاثه، و**) الخامس (**المنكح، و**) السادس (**المال، و**) أما (**الجاه**) فإنه (**يطلب لأغراض. وهذه الستة من جملتها**) أي الأغراض، (**وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الخلق له وكيفية الإحتراز عنه في كتاب الرياء من ربع المهلكات**) فلا نعيده، (**ونحن الآن نقتصر على بيان هذه المهمات الستة**).

(**الأول المطعم:**) فنقول (**ولا بدّ للإنسان من قوت حلال يقيم صلبه**) ويقوّيه على العبادة (**ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد، فأما طوله فبالإضافة إلى جملة العمر**) وفي نسخة جيع العمر (**فإن من يملك طعام يومه فلا يقنع به،**

تناوله إما طوله فلا يقصر إلا بقصر الأمل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض، ومن هذا حاله فإذا استقل بما تناوله لم يدّخر من غدائه لعشائه، وهذه هي الدرجة العليا.

الدرجة الثانية: أن يدخر لشهر أو أربعين يوماً.

الدرجة الثالثة: أن يدخر لسنة فقط، وهذه رتبة ضعفاء الزهاد، ومن ادّخر لأكثر من ذلك فتسميته زاهداً محال؛ لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جداً فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من أيدي الناس، كداود الطائي فإنه ورث عشرين ديناراً فأمسكها وأنفقها في عشرين سنة؛ فهذا لا يضاد أصل الزهد إلا عند من جعل التوكل شرط الزهـد. أما عرضه فبالإضافة إلى المقدار، وأقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل، وأوسطه رطل، وأعلاه مدّ واحد: وهو ما قدره الله تعالى في إطعام المسكين في الكفارة، وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن

وأما عرضه ففي مقدار الطعام، وجنسه ووقت تناوله، وأما طوله فلا يقصر إلا بقصر الأمل وأقل درجات الزهد فيه الإقتصار على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض، ومن هذا حاله إذا استقل بما تناوله لم يدخر من غدائه لعشائه) ولا من عشائه لغدائه (**وهذه هي الدرجة العليا**) كما سبق في الأدخار.

(**الثانية: أن يدخر لشهر أو أربعين يوماً**) وهي الدرجة الوسطى.

(**الثالثة**) أن (**يدخر لسنة فقط**) وهي إثنا عشر شهراً. (**وهذه رتبة ضعفاء الزهاد، ومن ادخر لأكثـر من ذلك فتسميته زاهداً محال لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جداً فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من أيدي الناس كداود**) بن نصير (**الطائي**) رحمه الله تعالى (**فإنه ورث عشرين ديناراً فأمسكها**) لنفسه (**وأنفقها في عشرين سنة**) رواه أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا عبدالله بن محمد بن العباس، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سهل بن عاصم، حدثنا عثمان بن زفر، أخبرني ابن عم لداود قال: ورث داود الطائي من أبيه عشرين ديناراً فأكلها في عشرين سنة كل سنة ديناراً منه يصل ومنه يتصدق (**فهذا لا يضاد أصل الزهد إلا عند من جعل التوكل شرط الزهد**) وسيأتي جواب أبي سليمان الداراني عن هذا.

(**وأما عرضه فبالإضافة إلى المقدار وأقل درجاته في اليوم والليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مدّ واحد**) وهو رطل وثلث بالبغدادي عند أهل الحجاز فهو ربع صاع لأن الصاع خمسة أرطال وثلث، والمدّ رطلان عند أهل العراق، (**وهو ما قدره الله في إطعام المساكين في**

والاشتغال به، ومن لم يقدر على الاقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب، وأما بالإضافة إلى الجنس فأقله كل ما يقوت، ولو الخبز من النخالة، وأوسطه خبز الشعير والذرة، وأعلاه خبز البر غير منخول، فإذا ميز من النخالة وصار حواري فقد دخل في التنعم وخرج عن آخر أبواب الزهد فضلاً عن أوائله.

وأما الأدم: فأقله الملح أو البقل والخل، وأوسطه الزيت أو يسير من الأدهان أي دهن كان، وأعلاه اللحم أي لحم كان، وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين، فإن صار دائماً أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج عن آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهداً في البطن أصلاً، وأما بالإضافة إلى الوقت فأقله في اليوم والليلة مرة وهو أن يكون صائماً، وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل، ويأكل ليلة ولا يشرب، وأعلاه أن ينتهي إلى أن يطوي ثلاثة أيام أو أسبوعاً وما زاد عليه، وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربع المهلكات، ولينظر إلى أحوال رسول الله ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الأدم.

قالت عائشة رضي الله عنها: كانت تأتي علينا أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول

الكفارة وما وراء ذلك فهو من إتساع البطن والإشتغال به، ومن لم يقدر على الإقتصار على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب، وأما بالإضافة إلى الجنس فأقله كل ما يقوت ولو) كان **(الخبز)** المتخذ **(من النخالة وأوسطه خبز الشعير والذرة)** والدخن **(وأعلاه خبز البر)** من دقيق **(غير منخول، فإذا ميزت النخالة وصار حواري فقد دخل في التنعم وخرج من آخر أبواب الزهد فضلاً عن أوائله)**.

(وأما الأدم فأقله الملح) الجريش **(أو البقل)** من نبات الأرض **(والخل)** منفرداً ومجموعاً **(وأوسطه الزيت أو يسير من الأدهان أي دهن كان، وأعلاه اللحم أي لحم كان وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين فإن صار دائماً)** في كل يوم **(أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج من آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهداً في البطن أصلاً، وأما بالإضافة إلى الوقت فأقله في اليوم والليلة مرة)** واحدة، **(وهو أن يكون صائماً)** فيفطر عليه، **(وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة)** عند الإفطار **(ولا يأكل ويأكل كل ليلة)** عند الإفطار **(ولا يشرب، وأعلاه أن ينتهي إلى أن يطوي ثلاثة أيام)** تباعاً **(وأسبوعاً)** تباعاً **(وما زاد عليه)** فلا حدّ له، **(وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام** وكسر شرهه **في ربع المهلكات فلا نعيده، ولينظر في أحوال رسول الله ﷺ والصحابة)** رضوان الله عليهم **(في كيفية زهدهم في المطاعم وتركهم الآدم)**.

(قالت عائشة رضي الله عنها: كانت تأتي علينا أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول

الله ﷺ مصباح ولا نار. قيل لها: فبم كنتم تعيشون؟ قالت: بالأسودين التمر والماء. وهذا ترك اللحم والمرقة والأدم.

وقال الحسن: كان رسول الله ﷺ يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق أصابعه ويأكل على الأرض. ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما تأكل العبيد، وأجلس كما تجلس العبيد».

وقال المسيح عليه السلام: بحق أقول لكم، إنه من طلب الفردوس فخبز الشعير له، والنوم على المزابل مع الكلاب كثير.

الله ﷺ مصباح ولا نار. قيل لها: فبم كنتم تعيشون؟ قالت: بالأسودين التمر والماء). ولفظ القوت: قد جاءت الأخبار في وصف النبي ﷺ وحال أهل بيته وأزواجه أن كان يأتي عليهم الهلال بعد الهلال ثلاثة أهلة ولا توقد في بيوت أزواجه ولا يرى دخان لخبز ولا طبخ. قال عروة: فقلت لعائشة: يا أمه فما كان تعيشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء، وكان لنا جيران من الأنصار يرسلون إلينا باللبن في الحين بعد الحين اهـ.

قال العراقي: روى ابن ماجه من حديث عائشة: «يأتي على آل محمد الشهر ما يرى في بيت من بيوته دخان» الحديث. وفي رواية له: ما يوقد فيه بنار، ولأحمد كان يمر بنا هلال وهلال ما يوقد في بيت من بيوته نار، وفي رواية ثلاثة أهلة.

(**وهذا**) أي تعيشهم بالأسودين (**ترك اللحم والمرقة والأدم**).

(**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**كان رسول الله ﷺ يركب الحمار ويلبس الصوف وينتعل المخصوف ويلعق أصابعه ويأكل على الأرض ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد، وأجلس كما تجلس العبيد»**) قال العراقي: تقدم دون قوله: «إنما أنا عبد» فإنه ليس من حديث الحسن إنما هو من حديث عائشة وقد تقدم اهـ.

قلت: وروى ابن عساكر من حديث أبي أيوب: كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول: «من رغب عن سنتي فليس مني» وروى الطبراني من حديث ابن عباس: «كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير» وروى ابن ماجه من حديث أنس: «كان يردف خلفه ويضع طعامه على الأرض ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار». وروى أبو يعلى من حديث عائشة بسند حسن: «آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» وعند ابن عدي «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد».

(**وقال عيسى عليه السلام: بحق أقول لكم أنه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير**). رواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر في التاريخ بلفظ:

وقال الفضيل: ما شبع رسول الله ﷺ منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر.

وكان المسيح ﷺ يقول: يا بني إسرائيل، عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير، وإياكم وخبز البر، فإنكم لن تقوموا بشكره. وقد ذكرنا سيرة الأنبياء والسلف في المطعم والمشرب في ربع المهلكات فلا نعيده.

ولما أتى النبي ﷺ أهل قباء، أتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل، فوضع القدح من يده وقال: «أما إني لست أحرمه ولكن أتركه تواضعاً لله تعالى».

وأتي عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال: اعزلوا عني حسابها. وقد قال يحي بن معاذ الرازي: الزاهد الصادق قوته ما وجد، ولباسه ما ستر، ومسكنه حيث أدرك، الدنيا سجنه، والقبر مضجعه، والخلوة مجلسه، والاعتبار فكرته،

قال عيسى عليه السلام: أكل الشعير مع الرماد والنوم على المزابل مع الكلاب لقليل في طلب الفردوس.

(**وقال الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى: (**ما شبع رسول الله ﷺ منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر**) ولفظ القوت، وفي الخبر: ما شبع رسول الله ﷺ وأهل بيته من خبز ثلاثة أيام حتى لحق بالله عز وجل وتقدم في أخلاق النبوة.

(**وكان عيسى عليه السلام يقول: يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشعير، وإياكم وخبز البر، فإنكم لن تقوموا بشكره**) كذا في القوت. وروى ابن عساكر من طريق كعب الأحبار نحوه. (**وقد ذكرنا سيرة الأنبياء**) عليهم السلام (**والسلف**) الصالح (**في المطعم في ربع المهلكات فلا نعيده**) ثانياً.

(**ولما أتى النبي ﷺ أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده وقال: «أما أني لست أحرمه ولكن أتركه تواضعاً لله تعالى»**) رواه الحكيم في النوادر عن أبي جعفر محمد بن علي أن النبي ﷺ أتاه أوس ابن خولة بقدح فيه لبن وعسل فوضعه وقال فذكره وفي آخره: «فإنه من تواضع لله رفعه الله ومن اقتصد أغناه الله ومن بذر افقره الله» وقد تقدم.

(**وأتي عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف**) فذاقها فإذا ماء وعسل (**فقال: اعزلوا عني حسابها**) واعزلوا عني مؤنتها. رواه جعفر بن سليمان حدثنا حوشب عن الحسن وقد تقدم، (**وقد قال يحي بن معاذ الرازي**) رحمه الله تعالى: (**الزاهد الصادق قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث أدرك**) أي حيث يدركه الليل يأوي، (**الدنيا سجنه، والقبر مضجعه، والخلوة مجلسه، والإعتبار فكرته، والقرآن**

والقرآن حديثه، والرب أنيسه، والذكر رفيقه، والزهد قرينه، والحزن شأنه والحياء شعاره، والجوع إدامه، والحكمة كلامه، والتراب فرشه، والتقوى زاده، والصمت غنيمته، والصبر معتمده، والتوكل حسبه، والعقل دليله، والعبادة حرفته، والجنة مبلغه إن شاء الله تعالى.

المهم الثاني: الملبس: وأقل درجاته: ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة. وهو كساء يتغطى به. وأوسطه: قميص وقلنسوة ونعلان، وأعلاه: أن يكون معه منديل وسراويل. وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حدّ الزهد. وشرط الزاهد: أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه: بل يلزمه القعود في البيت. فإذا صار صاحب قميصين وسروالين ومنديلين فقد خرج من جميع أبواب الزهد من حيث المقدار. أما الجنس فأقله المسوح الخشنة وأوسطه الصوف الخشن وأعلاه القطن الغليظ. وأما من حيث الوقت، فأقصاه ما يستر سنة، وأقله ما يبقى يوماً. حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر إن كان يتسارع الجفاف إليه، وأوسطه ما يتماسك عليه شهراً وما يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد، إلا إذا كان المطلوب خشونته،

حديثه، والرب أنيسه، والذكر رفيقه، والزهد قرينه، والحزن شأنه، والحياء شعاره، والجوع إدامه، والحكمة كلامه، والتراب فراشه، والتقوى زاده، والصمت غنيمته، والصبر معتمده، والتوكل حسبه، والعقل دليله، والعبادة حرفته، والجنة مبلغه إن شاء الله تعالى) فقد أدرج فيه جملة من المقامات الإعتبار والحزن والحياء والصبر والتوكل والتقوى. وقال ذو النون المصري: الزاهد قوته ما وجد وثوبه ما ستر وبيته ما آواه وماله وقته.

(المهم الثاني: الملبس: وأقل درجاته ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة. وهو كساء يتغطى به وأوسطه قميص وقلنسوة ونعلان، وأعلاه أن يكون منديل) لربط الرأس **(وسراويل. وما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز حدّ الزهد. وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه القعود في البيت)** حتى يجف، **(فإذا صار صاحب قميصين** وسروالين **ومنديلين فقد خرج من جميع أبواب الزهد من حيث المقدار. أما الجنس فأقله المسوح الخشنة)** وهي ثياب تنسج من الشعر **(وأوسطه الصوف الخشن وأعلاه القطن الغليظ)** وهو الكرباس. **(وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يستر سنة، وأقله ما يبقى يوماً حتى رقع بعضهم ثوبه بورق الشجر وإن كان يتسارع الجفاف إليه)** فيتكسر، **(وأوسطه ما يتماسك عليه شهراً وما يقاربه فطلب ما يبقى أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد)** لما سبق أن الزهد عبارة عن قصر الأمل، **(إلا إذا كان المطلوب**

ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه، فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به، فإن أمسكه لم يكن زاهداً بل كان محباً للدنيا، ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء والصحابة كيف تركوا الملابس. قال أبو بردة: أخرجت لنا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت: قبض رسول الله ﷺ في هذين. وقال ﷺ: « إن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالي ما لبس ». وقال عمرو بن الأسود العنسي: لا ألبس مشهوراً أبداً، ولا أنام بليل على دثار أبداً ولا أركب على مأثور أبداً، ولا أملأ جوفي من طعام

خشونته) وفي نسخة جشوبته أي غلظه، **(ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به، فإن أمسكه لم يكن زاهداً بل كان محباً للدنيا)** ومحبة الدنيا تخالف صفة الزهد، **(ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء)** عليهم السلام **(والصحابة)** رضوان الله عليهم **(كيف تركوا الملابس)** واعرضوا عنها. **(قال أبو بردة)** هانىء بن نيار رضي الله عنه: **(أخرجت لنا عائشة رضي الله عنها كساء ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت: قبض رسول الله ﷺ في هذين)** رواه الشيخان وتقدم في آداب المعيشة **(وقال ﷺ: « إن الله يحب المبتذل الذي لا يبالي ما لبس »)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً اهـ.

قلت: وجدت بخط الحافظ السخاوي ما لفظه: هذا عجيب فهو في مسند الفردوس من طريق يعقوب بن عتبة بن المغيرة عن أبي هريرة ولفظ: « إن الله عز وجل يحب المؤمن المبتذل الذي لا يبالي ما لبس ». اهـ.

قلت: ورواه كذلك من هذا الطريق ابن النجار في تاريخه.

(وقال عمرو بن الأسود العنسي) بالنون، ويقال الهمداني، ويقال له عمير بالتصغير وهو به أشهر وهو والد حكيم بن عمير يكنى أبا عياض وأبا عبد الرحمن، سكن داريا من دمشق وسكن حمص أيضاً، له روايات عن عمر ومعاذ وابن مسعود وعبادة بن الصامت وأم حرام بنت ملحان وأبي هريرة وعائشة وغيرهم، وقال ابن حبان: عمير بن الأسود كان من عباد أهل الشام وكان يقسم على الله فيبرّه وقال ابن عبد البر: اجمعوا على أن عمرو بن الأسود كان من العلماء الثقات وأنه مات في خلافة معاوية وكان يقول: **(لا ألبس مشهوراً أبداً)** أي ثوب شهرة **(ولا أنام بليل على دثار أبداً ولا أركب على مأثور أبداً)** أي ليناً سهلاً. يقال: وثر الشيء وثارة لان وسهل فهو وثير وفراش وثير ثخين لين، ووثر مركبه بالتشديد وطأه. ومنه ميثرة السرج بكسر الميم وأصلها الواو والجمع مواثر ومياثر على الأصل ولفظ المفرد، **(ولا أملأ جوفي من طعام أبداً)** رواه أبو نعيم في الحلية حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا مسلم بن سعيد، حدثنا مجاشع بن عمرو بن حسان، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن يحي بن جابر الطائي قال، قال عمرو بن الأسود: لا ألبس مشهوراً أبداً ولا أملأ جوفي من طعام بالنهار أبداً حتى القاه. **(فقال**

أبداً فقال عمر: من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله ﷺ فلينظر إلى عمرو بن الأسود.

وفي الخبر: «ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيباً» واشترى رسول الله ﷺ ثوباً بأربعة دراهم. وكانت قيمة ثوبيه عشرة، وكان إزاره أربعة أذرع ونصفاً. واشترى سراويل بثلاثة دراهم. وكان يلبس شملتين

عمر) رضي الله عنه: **(من سرّه أن ينظر إلى هدي رسول الله ﷺ فلينظر إلى عمرو بن الأسود)** رواه أبو نعيم في الحلية من طريق يحي بن جابر الطائي بالسند المذكور قال: وكان عمر بن الخطاب يقول فذكره. وقال العراقي: رواه أحمد بإسناد جيد عن عمر لكن في الإصابة لتلميذه بسند لين قال: وأورده ابن أبي عاصم في الوحدان بهذا الأثر، وليس في ذلك ما يقتضي أن له صحبة، ولكن يقتضي أن له إدراكاً، وقد خرج الطبراني في مسند الشاميين من وجه آخر أنّ عمرو بن الأسود قدم المدينة فرآه عبدالله بن عمر يصلي فقال: من سره أن ينظر إلى أشبه الناس صلاة برسول الله ﷺ فلينظر إلى هذا.

(وفي الخبر: «ما من عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله عنه حتى ينزعه وإن كان عنده حبيباً») قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي ذر بإسناد جيد دون قوله: «وإن كان عنده حبيباً» اهـ.

قلت: وفي رواية لابن ماجه: «من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه» وقد رواه كذلك أيضاً في المختارة وروى الطبراني من حديث أبي سعيد: «من لبس ثوباً مشهوراً من الثياب أعرض الله عنه يوم القيامة». ورواه هو وتمام وابن عساكر من حديث أم سلمة بإسناد لين «من لبس ثوباً يباهي به ليراه الناس لم ينظر الله إليه حتى ينزعه». وروى الحارث والطبراني من حديث أنس: «من لبس رداء شهرة أو ركب ذا شهرة أعرض الله عنه وإن كان له ولياً».

(واشترى رسول الله ﷺ ثوباً بأربعة دراهم) كذا في القوت. وقال العراقي: روى أبو يعلى من حديث أبي هريرة قال: دخلت يوماً السوق مع رسول الله ﷺ فجلس إلى البزازين فاشترى سراويل بأربعة دراهم الحديث وإسناده ضعيف.

(وكان قيمة ثوبيه) ﷺ **(عشرة)** إلى دينار كذا في القوت وقال العراقي: لم أجده. **(وكان إزاره)** ﷺ **(أربعة أذرع ونصفاً)** ولفظ القوت: وكان طول إزاره أربعة أذرع ونصفاً وفي خبر سبعة أشبار. وقال العراقي: روى أبو الشيخ وفي كتاب أخلاق رسول الله ﷺ من رواية عروة بن الزبير مرسلاً «كان رداء النبي ﷺ أربعة أذرع وعرضه ذراعان ونصف» الحديث. وفيه ابن لهيعة. وفي طبقات ابن سعد من حديث أبي هريرة: «وكان له إزار من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين وشبر» وفيه محمد بن عمر الواقدي.

بيضاوين من صوف، وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد، وربما كان يلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ. وفي الخبر: كان قميص رسول الله ﷺ كأنه قميص زيات. ولبس رسول الله ﷺ يوماً واحداً ثوباً سيراء من سندس قيمته مائتا درهم، فكان أصحابه يلمسونه ويقولون: يا رسول الله أنزل عليك هذا من الجنة

(واشترى سراويل بثلاثة دراهم) كذا في القوت. وقال العراقي: المعروف أنه اشتراه بأربعة دراهم كما تقدم عند أبي يعلى وشراؤه للسراويل عند أصحاب السنن من حديث سويد بن قيس إلا أنه لم يذكر فيه مقدار ثمنه. قال الترمذي: صحيح انتهى زاد صاحب القوت بعد قوله بثلاثة دراهم « وكان كم قميصه إلى أطراف أصابعه » وقيل مرة إلى الرسغ فإذا تشنج وقلص صار إلى أنصاف ساقيه وكذلك الإزار إلى عضلة الساق. **(وكان)** ﷺ **(يلبس شملتين بيضاوين من صوف)** ومرة سوداوين من شعر، **(وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد)** يشير إلى قول أهل اللغة قالوا: الحلة بالضم لا تكون إلا ثوبين من جنس واحد. قال المرزوقي: وكانوا يأتزرون ببرد ويرتدون بآخر ويسميان حلة والجمع حلل مثل غرفة وغرف، **(وربما كان)** ﷺ يلبس **(بردين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ)** من قرية باليمن تسمى سحول وفيها كفن مع الثالث مثلهما، وربما كانت البردة مخططة بتلوين الأصابع كبرود أهل اليمن اليوم، وربما كانتا خضراوين كلهما من خيط واحد، وربما كانت شملته بيضاء لا شيمة فيها غير ضبطها الأبيض كل ذلك في القوت. وقال العراقي: تقدم في آداب المعيشة وأخلاق النبوة لبسه للشملة والبردة والحبرة، وأما لبسه للحلة ففي الصحيحين من حديث البراء: رأيته في حلة حمراء، لأبي داود من حديث ابن عباس حين خرج إلى الحرورية وعليه أحسن ما يكون، وقال رأيت رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من حلل اليمن وقال: رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل. وفي الصحيحين من حديث عائشة « أنه ﷺ قبض في ثوبين أحدهما إزار غليظ مما يصنع باليمن » وتقدم في آداب المعيشة، ولأبي داود والترمذي والنسائي من حديث أبي رمثة « وعليه بردان أخضران » سكت عليه أبو داود واستغربه الترمذي، وللبزار من حديث قدامة الكلابي وعليه حلة حبرة وفيه عريف بن إبراهيم لا يعرف قاله الذهبي.

(وفي الخبر: كان قميص رسول الله ﷺ كأنه قميص زيات) قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل من حديث أنس بسند ضعيف كان يكثر دهن رأسه ولحيته كان ثوبه ثوب زيات، **(و)** قد **(لبس ﷺ يوماً واحداً ثوباً سيراء)** بكسر السين وفتح التحتية ممدوداً ضرب من البرود فيه خطوط صفر **(من سندس)** فنعل من سدس إسم لمارق من الديباج **(قيمته مائتا درهم)** فلبسه وخطب فيه، **(فكان أصحابه يلمسونه)** بأيديهم **(ويقولون: يارسول الله أنزل هذا عليك من الجنة تعجباً)** من لونه ولينه، **(وكان قد أهداه له المقوقس)** جريج بن

تعجباً ، وكان قد أهداه إليه المقوقس ملك الاسكندرية ، فأراد أن يكرمه بلبسه ، ثم نزعه وأرسل به إلى رجل من المشركين وصله به ، ثم حرم لبس الحرير والديباج . وكأنه إنما لبسه أولاً تأكيداً للتحريم ، كما لبس خاتماً من ذهب يوماً ثم نزعه ، فحرم لبسه على الرجال ، وكما قال لعائشة في شأن بريرة : « اشترطي لأهلها الولاء » ، فلما اشترطته صعد عليه السلام المنبر فحرّمه ، وكما أباح المتعة ثلاثاً ثم حرمها لتـأكيد أمر النكاح ، وقد صلى رسول الله ﷺ في خميصة لها علم ، فلما سلم قال : « شغلني النظر إلى هذه ، اذهبوا بها إلى أبي جهم وائتوني بانبجانيته » . يعني كساء ، فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم ، وكان

ميناء (**ملك الاسكندرية ، فأراد أن يكرمه بلبسه**) ويرى رسله قبول هديته (**ثم نزعه**) وقد لبس نحوه من قميص معمد بحرير أهداه إليه النجاشي ملك الحبشة ، فخطب فيه مرة ثم نزعه حين نزل من المنبر ، (**وأرسل به إلى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لباس الحرير والديباج**) بعد ذلك ، (**وكان إنما لبسه أولاً**) ولفظ القوت فقد يكون لبسه إياه (**تأكيداً للتحريم ، كما لبس خاتماً من ذهب يوماً**) واحداً (**ثم نزعه**) ورمى به كما في الصحيحين وتقدم ، (**فحرم لبسه على الرجال**) ولفظ القوت وحرم لبس الحرير والذهب على الذكور ، (**وكما قال لعائشة**) رضي الله عنها (**في شأن بريدة**) مولاة لقوم من الأنصار وكانت تخدم عائشة قبل أن تشتريها (**« اشترطي لأهلها الولاء »**) وذلك حين أرادت أن تشتريها منهم ، وطلبوا منها أن يكون الولاء لهم فأقرها ﷺ على هذا الشرط أولاً ، (**فلما اشترطته**) بعد أن اشترتها وأعتقتها (**صعد ﷺ المنبر فحرمه**) وقال « إنما الولاء لمن أعتق » لينوه بذلك . فهـذه حكمـة مـن الحكيم وتعليم مـن العليم . وقصة بريرة في الصحيحين ، وقد جمع العز بن جماعة فوائد هذا الحديث في رسالة فزادت على ثلاثمائة ولخصها الحافظ في فتح الباري ، (**وكما أباح المتعة**) أي متعة النساء (**ثلاثاً**) وذلك في غزوة أوطاس ، (**ثم حرمها لتأكيد أمر النكاح**) وحديث إباحة المتعة رواه مسلم عن سلمة بن الأكوع ، قال صاحب القوت : وقد يحتج بمثل هذا علماء الدنيا ويطرقوا به لأنفسهم ويدعون الناس منه إليهم سراً ويظهرون الدعوة إلى الله علانية تأولاً بمتشابه الحديث ، كما تأول أهل الزيغ متشابه القرآن على أهوائهم إبتغاء الفتنة وطلباً للدنيا ، لأن حديث رسول الله ﷺ على معاني كلام الله تعالى منه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام ، فعدل علماء الدنيا وأهل الأهواء عن المحكم السائر من فعل رسول الله ﷺ ، وقوله إلى ما ذكرناه ونبذوا المحكم وراءهم ظهرياً . (**وقد صلى رسول الله ﷺ في خميصة**) وهي كساء أسود مربع (**لها علم ، فلما سلم قال « شغلني النظر إلى هذه إذهبوا بها إلى أبي جهم**) بن حذيفة بن غانم القرشي العدوى رضي الله عنه من مسلة الفتح وكان معمري قرشي ومن مشيختهم (**وائتـوني بانبجانيته » يعني كساءه**) هو في الصحيحين من طريق عروة عن عائشة قالت صلى النبي ﷺ في خميصة لها أعلام « إذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهم وائتوني بانبجانية أبي جهم فإنها ألهتني آنفاً عن صلاتي » . وقـد تقـدم في كتـاب الصلاة . وذكـر الزبير

شراك نعله قد أخلق فأبدل بسير جديد فصلى فيه، فلما سلم قال: «أعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فإني نظرت إليه في الصلاة» ولبس خاتماً من ذهب ونظر إليه على المنبر نظرة فرمى به فقال: «شغلني هذا عنكم، نظرة إليه ونظرة إليكم». وكان ﷺ قد احتذى مرة نعلين جديدين، فأعجبه حسنها، فخرَّ ساجداً وقال: «أعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية أن يمقتني» ثم خرج بهما فدفعهما إلى أوّل مسكين رآه.

بن بكار من وجه آخر مرسل أن النبي ﷺ أتي بخميصتين سوداوين فلبس إحداهما وبعث الأخرى إلى أبي جهم فصلى في تلك الخميصة وبعث إليه التي لبسها هو ولبس هو التي كانت عند أبي جهم بعد أن لبسها أبو جهم لبسات، **(فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم)** كذا في القوت قال: وفي هذا حجة على من كان إذا أعجبه الشيء واستحسنه كسره وأحرقه، وفيه شاهد ومحجة لمن أخرج عن يده ما يستحسنه ويخاف فتنته لحصول الزهد بالإخراج ولانتفاع الغير به وفيه حجة على من ادعى الزهد بلبس الناعم، وأن ذلك لا يضر الزاهد ولا يخرجه عن حقيقة الزهد فيه إبطال لمن ادعى أن النظر إلى الزينة لا يشغله، وأن الرونق والفتنة لا تدخل عليه إذ لا يقدر أن يقول: إنه غير مقام الرسول فاعتبروا يا ذوي البصائر والعقول تمويه الراغبين بالزهد مع استعمال الفضول.

(وكان شراك نعله) ﷺ **(قد خلق فأبدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم)** من الصلاة **(قال «أعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الشراك الجديد فإني نظرت إليه في الصلاة»)** تقدم في كتاب الصلاة. **(ولبس)** ﷺ مرة **(خاتماً ونظر إليه)** وهو **(على المنبر نظرة فرمى به وقال: «شغلني هذا عنكم نظرة إليه ونظرة إليكم»)** قال: فلا يدري من أخذه. رواه الشيخان وقد تقدم. قال صاحب القوت: وقد يحتج بهذا لما كرهناه من إتلاف المال المنظور إليه وليس فيه حجة له لأنه ﷺ لم يتلفه إذ لم يرم به في بر ولا بحر ولا مضيعة ولا أفسده، وإنما نزعه ورمى به بين المسلمين ووهبه لمن أخذه فجاز ذلك عن وجد الوقت وحده.

(وكان ﷺ قد احتذى مرة نعلين جديدتين فأعجبه حسنهما فخرّ ساجداً وقال «أعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية أن يمقتني» ثم خرج بهما فدفعهما إلى أول مسكين رآه)، وأمر علياً فاحتذى له نعلين سبتيتين قال: فرأيته وقد لبسهما يعني جرداوين. وقد تقدم في كتاب الصلاة.

قال صاحب القوت: وهذا مثل الحديث الآخر في إخراج الخميصة زهداً فيها وإخراج النعل ولم يقطعها فيكون فساداً، إذ هو ﷺ ينهى عن إضاعة المال إلا أن فيه شاهداً لمن إذا استحسن شيئاً خاف المقت عليه إلا أنه لا يبلغ فيه إتلافه فيكون إفساداً، وفيه دليل على دخول التغيير والرد إلى الصفة بالمناظرة الحسنة خلاف من ادعى البراءة من ذلك، وفيه شاهد آخر لمن تطرق بالحسن من الأشياء إلى الله تعالى، وشهد الحسن الأعلى بها وكان المحاسن طريقاً له إلى الحسن الجميل، لأنه ﷺ لما قال «أعجبني حسنهما» خرّ ساجداً فكان ذلك اقتراباً له من القريب وتقرباً منه وتطرقاً إلى الحبيب، وقد قال تعالى ﴿واسجد واقترب﴾ [العلق: ١٩].

وعن سنان بن سعد قال: حيكت لرسول الله ﷺ جبة صوف من صوف أنمار وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال: « انظروا ما أحسنها ! ما ألينها »! قال: فقام إليه أعرابي فقال: يا رسول الله هبها لي، وكان رسول الله ﷺ إذا سئل شيئاً لم يبخل به، قال: فدفعها إليه وأمر أن يحاك له واحدة أخرى، فمات ﷺ وهي في المحاكة.

وعن جابر قال دخل رسول الله ﷺ على فاطمة رضي الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من وبر الإبل، فلما نظر إليها بكى وقال: « يا فاطمة، تجرّعي مرارة الدنيا لنعيم الأبد »، فأنزل عليه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥] وقال ﷺ: « إنّ من خيار أمتي فيما أنبأني الملأ الأعلى قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة الله تعالى، ويبكون سراً من خوف عذابه، مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة، يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان، أجسامهم في الأرض وأفئدتهم عند العرش »،

(**وعن سنان بن سعد**) هكذا في سائر النسخ، والصواب سهل بن سعد كما نبه عليه العراقي، وليس في الصحابة من اسمه سنان بن سعد (**قال: حيكت لرسول الله ﷺ جبة صوف من صوف أنمار جعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال: « أنظروا ما أحسنها ما ألينها » قال: فقام إليه إعرابي فقال: يا رسول الله هبها لي، وكان رسول الله ﷺ إذا سئل شيئاً لم يبخل به قال: فدفعها إليه وأمر أن تحاك له واحدة أخرى، فمات ﷺ وهي في المحاكة**) قال العراقي: رواه أبو داود الطيالسي، والطبراني من حديث سهل بن سعد دون قوله: وأمر أن تحاك له أخرى، فهي عند الطبراني فقط وفيه زمعة بن صالح ضعيف.

(**وعن جابر**) رضي الله عنه (**قال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة رضي الله عنها وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من خملة الإبل، فلما نظر إليها بكى وقال « يافاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الأبد » فأنزل عليه ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾**) قال العراقي: رواه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك العسكري في المواعظ، وابن مردويه، وابن النجار.

(**وقال ﷺ « إن خيار أمتي فيما أنبأني الملأ الأعلى قوماً يضحكون جهراً من سعة رحمة الله ويبكون سراً من خوف عذابه، مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة، يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان. أجسامهم في الأرض**) وقلوبهم في الآخرة (**وأفئدتهم عند العرش »**) قال صاحب القوت: رويناه من حديث عياض بن غنم عن النبي ﷺ قال، وفي رواية أخرى: تفتح عليهم الدنيا فيزهدون في حلالها ويتبلغون بالسير منها ليسوا من الدنيا وليست الدنيا منهم في شيء اهـ.

قلت: رواه أبو نعيم من طريق مكحول عن غياض بن غنم، ورواه هو أيضاً من وجه آخر

فهذه كانت سيرة رسول الله ﷺ في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه، إذ قال: « من أحبني فليستن بسنتي »، وقال: « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ ». وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ

والحاكم وصححه وتعقب، والبيهقي في الشعب وضعفه، وابن النجار من حديث عياض بن سليمان وكانت له صحبة ولفظه « خيار أمتي فيما أنبأني الملأ الأعلى قوم يضحكون جهراً من سعة رحمة ربهم، ويبكون سرا من خوف عذاب ربهم، يذكرون ربهم بالغداة والعشي في البيوت الطيبة المساجد، ويدعونه بألسنتهم رغباً ورهباً، ويسألونه بأيديهم خفضاً ورفعاً، ويقبلون بقلوبهم عوداً وبدءاً، فمؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة، يدبون في الأرض حفاة على أقدامهم كدبيب النمل بلا مرح ولا بذخ، يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة، يقرأون القرآن ويقربون القربان ويلبسون الخلقان، عليهم من الله شهود حاضرة وعين حافظة، يتوسمون العباد ويتفكرون في البلاد، أرواحهم في الدنيا وقلوبهم في الآخرة، ليس لهم هم إلا ما أمامهم، أعدوا الجهاز لقبورهم والجواز لسبيلهم والاستعداد لمقامهم » ثم تلا ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ [إبراهيم: ١٤] قال الذهبي: هذا حديث عجيب منكر، وعياض لا يدرى من هو. قال ابن النجار. ذكره أبو موسى المديني في الصحابة اهـ.

قلت: رواه الحاكم في المستدرك من طريق الوليدبن مسلم عن حمزة بن عماد بن أبي حميد عن مكحول عن عياض بن سليمان. ورواه أبو موسى المديني في الذيل من هذا الوجه لكن وقع عنده حماد عن أبي حميد.

(فهذه كانت سيرة رسول الله ﷺ في الملابس وقد أوصى أمته عامة باتباعه إذ قال « من أحبني فليستن بسنتي ») رواه يعلى من حديث ابن عباس بلفظ: « من أحب فطرتي فليستن بسنتي » وفي رواية بزيادة « وإن من سنتي النكاح » ورواه ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من حديث أبي هريرة، والبيهقي أيضاً والضياء من حديث عبيدالله بن سعد، وقد تقدم في كتاب النكاح.

(وقال) ﷺ: **(« عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ »)** قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه من حديث العرباض بن سارية، **(و)** قد **(قال)** الله **(تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾)** وقد كان أبو محمد سهل يقول: من علامة حب الله تعالى حب النبي ﷺ، ومن علامة حب النبي ﷺ حب السنة، ومن علامة حب السنة بغض الدنيا، فإن القوم كانوا زاهدين. وقال مرة: من علامة حب السنة بغض الدنيا، ومن علامة بغضها أن لا تأخذ منه الإزدراء أو بلغة.

وقال ﷺ « إن أقرب الناس مني مجلساً يوم القيامة من كان على مثل ما أنا عليه اليوم من الدنيا » فلذلك كان أبو ذر يقول لأصحابه: أنا أحبكم إلى رسول الله ﷺ وأقربكم منه غداً

الله﴾ [آل عمران: ٣١] ، وأوصى رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها خاصة وقال: « إن أردت اللحوق بي فإياك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعي ثوباً حتى ترقعيه » ، وعدّ على قميص عمر رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم. واشترى علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه ثوباً بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال: الحمد لله الذي كساني هذا من رياشه. وقال الثوري وغيره: ألبس من الثياب ما لا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال، وكان الفقير ليمرّ بي وأنا أصلى فأدعه

مجلساً. قالوا: كيف ذلك؟ قال: لأني اليوم على مثل ما فارقته عليه وكلكم قد غيرتم، هذا لزهده. وكان مالك بن دينار في التابعين بدلاً عن أبي ذر في الزهد لأنه زاد على أصحابه في التزهد والتقشف بلبس الخشن وأكل الخشن وترك الادخار وبذاذة الحال، ولم يكن يغلق بابه إنما كان يشده بشريط وقال: لولا الكلاب لما شددته بشريط، وأما الحسن البصري فإن مالك بن دينار كان يقول: أيها الناس معلمي والله الحسن به تأدب ومنه تعلم، ولم يفارقه حتى مات فهو بدل عنه والحسن كان بدلاً عن صاحب السر حذيفة بن اليمان. وكان الإمام أبو محمد سهل لم يكن في عصره مثله، فكان بدلاً عنهم وخلفاً منهم، ثم الله أعلم حيث يجعل رسالاته ولا قوة إلا به.

(وأوصى رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها خاصة وقال) يا عائشة **(إذا أردت اللحوق بي فإياك ومجالسة الأغنياء و)** أن **(لا تنزعي ثوباً حتى ترقعيه »)** رواه الترمذي وقال: غريب والحاكم وصححه من حديث عائشة وقد تقدم.

(وعد على قميص عمر) بن الخطاب **(رضي الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من أدم)** رواه جعفر بن سليمان، حدثنا مالك بن دينار، حدثنا الحسن أن عمر خطب وهو خليفة وعليه إزار فيه إثنتاعشرة رقعة. وروى عفان، عن مهدي بن ميمون، حدثنا الجريري، عن أبي عثمان قال: رأيت عمر يطوف عليه إزار فيه إثنتا عشرة رقعة إحداهن من أدم أحمر. وروى أسد بن موسى، الغني في مجلس قط أذل منه عند الثوري، وقال آخر: كنا إذا جلسنا عند سفيان تمنينا أنا فقراء لما نرى يرمي الجمرة عليه إزار فيه إثنتاعشرة رقعة بعضها من أدم.

(واشترى علي رضي الله عنه ثوباً بثلاثة دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال: الحمدلله الذي كساني هذا من رياشه) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي سعيد الازدي، وكان إماماً من أئمة الأزد. قال: رأيت علياً أتى السوق وقال: من عنده قميص صالح بثلاثة دراهم؟ فقال رجل: عندي فجاء به فأعجبه فقال: لعله خير من ذاك. قال: لا، ذاك ثمنه قال: فرأيت علياً يقرض رباط الدراهم من ثوبه فأعطاه فلبسه، وإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه فأمر به فقطع ما فضل من أطراف أصابعه.

(وقال) سفيان **(الثوري وغيره: إلبس من الثياب مالا يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال)** نقله صاحب القوت، **(وكان)** الثوري رحمه الله تعالى **(يقول: إن الفقير ليمر بي**

يجوز، ويمرّ بي واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البزة فأمقته ولا أدعه يجوز. وقال بعضهم: قوّمت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانق. وقال ابن شبرمة: خير ثيابي ما خدمني وشرها ما خدمته. وقال بعض السلف: البس من الثياب ما يخلطك بالسوقة، ولا تلبس منها ما يشهرك فينظر إليك. وقال أبو سليمان الداراني: الثياب ثلاثة: ثوب لله وهو ما يستر العورة، وثوب للنفس وهو ما يطلب لينه، وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه. وقال بعضهم: من رق ثوبه رق دينه. وكان جمهور العلماء من التابعين

وأنا أصلي فأدعه) أي أتركه **(يجوز)** أي يمر، **(ويمر بي واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البزة فأمقته ولا أدعه يجوز)** نقله صاحب القوت، وتقدم للمصنف عن المؤمل قال: مارأيت الغني في مجلس قط أذل منه عند الثوري، وقال آخر: كنا إذا جلسنا عند سفيان تمنينا أنا فقراء لما نرى من إقباله عليهم وإعظامه لهم. رواه أبو نعيم في الحلية، وكذلك كان العلماء يقولون في وصف العالم: إنما العالم هو الذي يقوم الفقير من عنده غنياً، ويقوم الغني من عنده فقيراً، ولا يستحي الفقير من فقره ويزري الغني بغناه على نفسه.

(وقال بعضهم: قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانق) نقله صاحب القوت قال: فهكذا كان علماء الآخرة الزاهدون في الدنيا ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ [الأعراف: ١٦٩] الآية.

(وقال) عبدالله **(بن شبرمة)** الكوفي قاضيها: **(خير ثيابي ماخدمني وشرها ماخدمته)** نقله صاحب القوت. **(وقال بعض السلف: ألبس من الثياب مايخلطك بالسوقة ولا تلبس منها مايشهرك فينظر إليك)**، وبعضهم يقول: شر الثياب مايرفع الناس من رؤوسهم فينظرون إلى صاحبها، وكانوا يقولون: كثرة الثياب على ظهر ابن آدم عقوبة من الله له.

(وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى: **(الثياب ثلاثة: ثوب لله وهو مايستر العورة)** وتؤدى فيه الفريضة، **(وثوب للنفس وهو مايطلب لينه)** ونقاؤه، **(وثوب للناس وهو مايطلب جوهره وحسنه)** وهو شرها، ثم قال: وقد يكون الواحد لله تعالى وللنفس نقله صاحب القوت.

(وقال بعضهم: من رق ثوبه فقد رق دينه) فإن الثوب الرقيق يحوجه إلى إحضار ثمن كثير والحلال ضيق فيحتاج أن يمد يده إلى الشبهات بل إلى الحرام المحض، وهذا هو رقة الدين. وقد كان بعض العلماء يكره أن يكون على الرجل من الثياب مايجاوز قيمة أربعين درهماً، وبعضهم يقول إلى المائة وبعده سرفاً فيما جاوزها.

(وكان جمهور العلماء) و **(من)** خيار **(التابعين قيمة ثيابهم مابين العشرين إلى**

قيمة ثيابهم ما بين العشرين إلى الثلاثين درهماً، وكان الخواص لا يلبس أكثر من قطعتين قميص ومئزر تحته، وربما يعطف ذيل قميصه على رأسه.

وقال بعض السلف: أول النسك الزي، وفي الخبر: «البذاذة من الإيمان»، وفي الخبر: «من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعاً لله تعالى وابتغاء لوجهه كان حقاً على الله أن يدخر له من عبقري الجنة في تخات الياقوت». وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: قل

الثلاثين) درهماً، وكان المتقدمون من الصحابة أثمان أزرهم إثني عشر درهماً، وكانوا يلبسون ثوبين قيمة نيف وعشرين إلى الأربعين، وكان الأحنف بن قيس يقول: ماكذبت كذبة منذ علمت أن الكذب يضر أهله إلا مرة واحدة فإن عمر بن الخطاب نظر إلى إزاري من العيبة فجسه فوجده ناعماً فقال: بكم أخذت هذا؟ ففزعت منه فقلت: بعشرين. قال: كثير فهلا بعشرة وقدمت عشرة لغد ليوم فقرك وفاقتك. قال: وقد كنت اشتريته بثلاثين وأخفيت عشرة رهبة منه.

(وكان) سليمان **(الخواص)** رحمه الله تعالى أحد زهاد عصره وكان **(لا يلبس أكثر من قطعتين)** مئزرين أو **(قميص ومئزر تحته، وربما يعطف ذيل قميصه على رأسه)** أو يحله من وسطه فيغطي به رأسه. أي فكذلك يستحب للفقير وهو حد اللباس من الحاجة نقله صاحب القوت.

(وقال بعض السلف: أول النسك الزي) حتى يشبه القلب القلب أي: إذا رأيت إثنين زيهما واحد وشمائلهما واحد في اللبسة والآداب فاعلم أن قلب أحدهما على قلب الآخر في المجانسة أو يقاربه في الحال والهمة، وإن كان أحدهما ظاهره ظاهر أبناء الآخرة فإن باطنه باطن أهل الآخرة، وقد اتفقا من جهة أو دخلا من باب كذا في القوت. **(وفي الخبر «ألبذاذة من الإيمان»)** رواه أحمد وابن ماجه والطبراني والحاكم في الكنى وفي المستدرك، والبيهقي وأبو نعيم والضياء من حديث عبدالله بن أبي أمامة ثعلبة الحارثي عن أبيه مرفوعاً. وقد سئل الإمام أحمد عن البذاذة فقال: هي التقارب في اللباس ويقرب منه الإبتذال وهو التقارب والدنو في كل من المستعمل، والمبتذل كالملبوس منه. يقال: فلان متبذذ إذا لم يبال مالبس أو استعمل مافيه ضعة ودنوّ. **(وفي الخبر «من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعاً لله تعالى)** خيره الله من حلل الإيمان أيها شاء» وفي لفظ آخر «من ترك زينة لله ووضع ثياباً حسنة تواضعاً لله **(وابتغاء لوجهه كان حقاً على الله أن يدخر له من عبقري الجنة في تخات الياقوت»)** الحديث. رواه الترمذي وحسنه والطبراني وأبو نعيم والحاكم والبيهقي والضياء من حديث سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه مرفوعاً، والحديث الثاني رواه أبو علي الذهلي في فوائده، وابن النجار من حديث ابن عباس. ورواه أبو سعد الماليني في مسند الصوفية، وأبو نعيم في الحلية بلفظ «من ترك زينة الدنيا لله» وهذا قد تقدم في ذم الدنيا.

(وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: قل لأوليائي لا يلبسوا ملابس أعدائي)، ولا

لأوليائي لا يلبسوا ملابس أعدائي ولا يدخلوا مداخل أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي. ونظر رافع بن خديج إلى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ، فقال: انظروا إلى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رقاق. وجاء عبدالله بن عامر بن ربيعة إلى أبي ذر في بزته، فجعل يتكلم في الزهد، فوضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يضرط به فغضب ابن عامر. فشكاه إلى عمر فقال: أنت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة. وقال علي كرّم الله وجهه: إن الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره. ولما عوتب في خشونة لباسه قال: هو أقرب إلى التواضع وأجدر أن يقتدي به المسلم.

يركبوا مراكب أعدائي، **(ولا يدخلوا مداخل أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي)** ورد ذلك في الخبر كما في القوت.

(ونظر رافع بن خديج) بن رافع بن عدي الحارثي الأوسي الأنصاري أول مشاهده أحد ثم الخندق، مات سنة ثلاث وسبعين أو أربع وسبعين، وقيل: قبل ذلك، روى له الجماعة، **(إلى بشر بن مروان)** بن الحكم بن العاص أخي عبدالملك **(على منبر الكوفة)** إذ كان والياً عليها من طرف أخيه **(وهو يعظ)** الناس في خطبته **(فقال)** رافع: **(أنظروا إلى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق)** قيل: **(و)** ما **(كان عليه)**؟ قال: **(ثياب رقاق)** نقله صاحب القوت.

(وجاء عبدالله بن عامر بن ربيعة) القرشي له رؤية، وقد روى عن الصحابة **(إلى أبي ذر)** رضي الله عنه **(في بزته فجعل يتكلم في الزهد، فوضع أبو ذر)** رضي الله عنه **(راحته على فيه وجعل يضرط به)** كالمستهزىء، **(فغضب ابن عامر فشكاه إلى عمر)** رضي الله عنه. كذا في النسخ، ولفظ القوت: فأتى ابن عمر فشكا إليه وقال: ألم تر مالقيت من أبي ذر: قال: وما ذاك؟ قال: جعلت أقول في الزهد فأخذ يهزأ بي، **(فقال)** ابن عمر: **(أنت صنعت بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة)** ولفظ القوت: تأتي أبا ذر في هذه البزة وتتكلم في الزهد.

(وقال علي رضي الله عنه: إن الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره) نقله صاحب القوت، **(ولما عوتب رضي الله عنه في خشونة لباسه قال: هو أقرب إلى التواضع وأجدر أن يقتدي به المسلم)** ولفظ القوت: وعوتب رضي الله عنه في لباسه وكان يلبس الخشن من الكرابيس قيمة قميصه ثلاثة دراهم إلى خمسة. ويقطع مافضل من أطراف أصابعه فقال: هذا الذي أدنى إلى التواضع وأجدر أن يقتدي بي المسلم.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثنا علي بن حكيم ح.

ونهى ﷺ عن التنعم وقال: « إن لله تعالى عباداً ليسوا بالمتنعمين ». وروؤي فضالة بن عبيد وهو والي مصر أشعث حافياً فقيل له: أنت الأمير وتفعل هذا ؟ فقال: نهانا رسول الله ﷺ عن الإرفاء، وأمرنا أن نحتفي أحياناً. وقال علي لعمر رضي الله عنهما: إن أردت أن تلحق بصاحبيك فأرقع القميص ونكس الإزار واخصف النعل وكل دون الشبع. وقال عمر: اخشوشنوا وإياكم وزي العجم كسرى وقيصر، وقال علي كرّم الله

وحدثنا محمد بن علي، حدثنا أبو القاسم البغوي، حدثنا علي بن الجعد قالا: حدثنا شريك، عن عثمان بن أبي زرعة عن زيد بن وهب قال: قدم على علي رضي الله عنه وفد من أهل البصرة فيهم رجل من رؤوس الخوارج يقال له الجعد بن بعجة، فعاتب علياً في لبوسه فقال: مالك وللبوسي إن لبوسي أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي بي المسلم.

(ونهى ﷺ عن التنعم وقال « ألا إن عباد الله ليسوا بالمتنعمين ») رواه أحمد وأبو نعيم من حديث معاذ بلفظ « إياك والتنعم فإن لله عباداً ليسوا بالمتنعمين » وقد تقدم.

(وروؤي فضالة بن عبيد) بن ناقد بن قيس الأنصاري الأوسي، أول مشاهدة أحد وشهد فتح مصر، ثم نزل دمشق وولي قضاءها، ومات سنة ثمان وخمسين، روى له مسلم والأربعة **(وهو والي مصر أشعث)** أغبر **(حافياً فقيل له: أنت الأمير وتفعل هذا ؟ فقال: نهانا رسول الله ﷺ عن الإرفاه)** أي التنعم، **(وأمرنا أن نحتفي أحياناً)** ويروى نتحفى. رواه أبو داود باسناد جيد، والإحتفاء البذاذة والتبذل.

(وقال علي لعمر رضي الله عنهما: إن أردت أن تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الإزار واخصف النعل وكل دون الشبع) نقله صاحب القوت.

(وقال عمر رضي الله عنه: اخشوشنوا وإياكم وزي العجم كسرى وقيصر) ولفظ القوت: وكان عمر يقول: إخلولقوا واخشوشنوا وتمعددوا وإياكم وزي العجم كسرى وقيصر واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزواً وعليكم بالمعدية الأولى سنة أبيكم إسماعيل انتهى.

رواه ابن حبان في صحيحه من طريق أبي عثمان قال: أتانا كتاب عمر ونحن بأذربيجان: ياعتبة بن فرقد إياكم والتنعم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير، فإن رسول الله ﷺ نهانا عنه إلا هكذا، ورفع رسول الله أصبعيه.

وقد رواه أحمد في مسنده، حدثنا حسن بن موسى، حدثنا زهير، حدثنا عاصم الأحول عن ابن عثمان فذكره، وبه قال: حدثنا يزيد أنبأنا عاصم عن أبي عثمان أن عمر قال: اتزروا وارتدوا وانتعلوا والقوا الخفاف والسراويلات والقوا الركب وانزوا نزواً وعليك بالمعدية وارموا الأغراض وذروا التنعم وزي العجم، وإياكم والحرير.

وقال أبو نعيم في الغريب: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن أبي العدبس الأسدي عن

وجهه: من تزيّا بزي قوم فهو منهم. وقال رسول الله ﷺ: «إن من شرار أمتي الذين

عمر أنه قال: اخشوشنوا وتمعددوا واجعلوا الرأس رأسين. ومعنى تمعددوا اتبعوا معد بن عدنان في الفصاحة، وقيل: تشبهوا بعيشه من الغلظ والتقشف فكونوا مثله ودعوا التنعم وزي الأعاجم.

وقال الرامهرمزي في الأمثال: المعنى اقتدوا بمعد بن عدنان، والبسوا الخشن من الثياب، وامشوا حفاة فهو حث على التواضع ونهي عن الإفراط في الترفه والتنعم. وقد روى الرامهرمزي في الأمثال، عن عبدالله بن سعيد، عن أبيه، عن رجل من أسلم يقال له ابن الأدرع له صحبة رفعة: تمعددوا واخشوشنوا وامشوا حفاة. ويروى: تمعددوا واخشوشنوا وانتضلوا وامشوا حفاة. رواه الحاكم في الكنى، والبغوي، والطبراني، وابن منده من حديث أبي حدرد.

قال ابن عساكر: إعتقد البغوي إن ابن أبي حدرد هو عبدالله فأخرجه في ترجمته، وإنما هو القعقاع بن عبدالله بن أبي حدرد. وكذلك رواه صفوان بن عيسى، ويحي بن زكريا بن أبي زائدة، عن عبدالله بن سعيد المقبري، فيكون الحديث مرسلاً لأن القعقاع لا صحبة له، وعبدالله بن سعيد ضعيف بمرة هذا كلام الحافظ السيوطي في الجامع الكبير.

وقال الحافظ السخاوي في المقاصد: رواه أبو الشيخ في السبق، وابن شاهين في الصحابة، والطبراني في الكبير، وعنه أبو نعيم في المعرفة كلهم من طريق يحي بن زكريا بن أبي زائدة عن عبدالله بن سعيد المقبري عن أبيه عن القعقاع بن أبي حدرد رفعه: تمعددوا واخشوشنوا واخلولقوا وانتضلوا وامشوا حفاة. وهو عند الشيخ فقط من طريق صفوان بن عيسى، عن عبدالله بن سعيد المقبري، عن أبيه، عن عبدالله بن أبي حدرد، عن النبي ﷺ. وكذا أخرجه أبو نعيم في المعرفة من طريق صفوان، لكن جعله عن القعقاع كالأول. ورواه أيضاً من طريق إسماعيل بن زكريا، عن عبدالله بن سعيد، عن أبيه، عن القعقاع بن أبي حدرد. وكذا أخرجه البغوي في معجم الصحابة في ترجمة القعقاع، لكنه لم يسمه إذ ساقه، بل قال عن ابن أبي حدرد، وأعاده في عبد الله من العبادلة من حديث إسماعيل أيضاً ولم يسمه. كذلك رواه الطبراني في الكبير من طريق منده بن علي، عن عبدالله بن سعيد، عن أبيه، عن عبدالله بن أبي حدرد. وأبو الشيخ أيضاً من طريق سعد بن سعيد ابن أبي سعيد المقبري، عن أخيه عبد الله، عن جده، عن أبي هريرة رفعه مثله. ورواه الرامهرمزي في الأمثال من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الرحمن، عن عبد الله بن سعيد، عن أبيه عن رجل من أسلم يقال له ابن الأدرع رفعه «تمعددوا» الحديث. فهذا مافيه من الإختلاف ومداره على عبدالله بن سعيد وهو ضعيف.

(وقال علي رضي الله عنه: من تزيّا بزي قوم فهو منهم) وقد روي نحوه مرفوعاً من حديث ابن عمر «من تشبه بقوم فهو منهم» رواه أحمد وأبو داود والطبراني من طريق ابن منيب الجرشي عنه، وفي السند ضعف. ورواه البزار من حديث حذيفة وأبي هريرة. ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان من حديث أنس، وهو عند القضاعي من حديث طاوس مرسلاً. وله شاهد جيد

غذوا بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون في الكلام ». وقال ﷺ : « أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ إزاره بطراً ». وقال أبو سليمان الداراني ،

من قول الحسن البصري « قلما تشبه رجل بقوم إلا كان منهم ». رواه العسكري في الامثال من طريق حماد عن حميد الطويل قال: كان الحسن يقول فذكره. ومن قول عمر بن عامر البجلي « من تشبه بقوم لحق بهم» ورواه العسكري أيضاً من طريق زافر عنه.

(وقال ﷺ « إن من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون بالكلام ») قال العراقي: رواه الطبراني باسناد ضعيف من حديث أبي أمامة « سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام » الحديث وآخره: « أولئك شرار أمتي » وقد تقدم.

قلت: وتمامه: « ويشربون ألوان الشراب ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام فأولئك شرار أمتي » وقد رواه أبو نعيم في الحلية كذلك.

وروى ابن عدي والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الله بن الحسن عن أمه عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها رفعته « شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام ». وقد رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة كذلك وتقدم.

وروى الحاكم من حديث عبد الله بن جعفر « شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذوا به يأكلون من الطعام ألواناً ويلبسون من الثياب ألواناً ويركبون من الدواب ألواناً يتشدقون في الكلام » وقد صححه الحاكم وتعقب وتقدم.

(وقال ﷺ : « أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار ولا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطراً ») قال العراقي: رواه مالك وأبو داود والنسائي وابن حبان من حديث أبي سعيد ، ورواه النسائي أيضاً من حديث أبي هريرة: قال محمد بن يحيى الذهلي: كلا الحديثين محفوظ انتهى.

قلت: لفظ مالك في الموطأ « أزرة المؤمن إلى نصف الساق ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار من جرّ إزاره بطراً لم ينظر الله إليه ». وكذلك رواه الطيالسي، وأحمد ، وابن ماجه ، وأبو يعلى ، وابن حبان ، والبيهقي ، والضياء من حديث أبي سعيد . ورواه الطبراني من حديث ابن عمر . وفي رواية « أزرة المؤمن إلى نصف الساق وليس عليه حرج فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار » ورواه كذلك الطبراني من حديث عبد الله بن مغفل ، وفي رواية أزرة المؤمن إلى عضلة ساقيه ثم إلى الكعبين فما كان أسفل من ذلك ففي النار » رواه كذلك أحمد من حديث أبي هريرة ، واقتصر النسائي من حديث أبي هريرة وابن عمر على الجملة الأولى فقط ، وكذلك النسائي والبيهقي من حديث أبي سعيد ، وكذلك ابن أبي عاصم

قال رسول الله ﷺ : « لا يلبس الشعر من أمتي إلا مراء أو أحمق » وقال الأوزاعي : لباس الصوف في السفر سنّة ، وفي الحضر بدعة . ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة : ما دعاك إلى مدرعة الصوف ؟ فسكت . فقال : أكلمك ولا تجيبني ! فقال : أكره أن أقول زهداً فأزكي نفسي ، أو فقراً فأشكو ربي . وقال أبو سليمان لما اتخذ الله ابراهيم خليلاً أوحى إليه : أن وارعورتك من الأرض وكان لا يتخذ من كل شيء إلا واحداً سوى السراويل ، فإنه كان يتخذ سراويلين فإذا غسل أحدهما لبس الآخر حتى لا يأتي عليه حال إلا وعورته مستورة . وقيل لسلمان الفارسي رضي الله عنه : ما لك لا تلبس الجيد من الثياب ؟ فقال : وما للعبد والثوب الحسن ، فإذا عتق فله والله ثياب لا تبلى أبداً . ويروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان له جبة شعر وكساء

وسمويه والضياء من حديث أنس ، وروى الطيالسي ومسلم من حديث ابن عمر « من جرّ إزاره يريد بذلك الخيلاء فإن الله لا ينظر إليه يوم القيامة » . وروى أحمد والستة من حديثه « من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » . وروى أحمد من حديث أبي سعيد « من جرّ ثيابه من الخيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » الحديث .

(**وقال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى ، (**قال رسول الله ﷺ « لا يلبس الشعر من أمتي إلا مراء أو أحمق**) قال العراقي : لم أجد له اسناداً . (**وقال**) أبو عمرو (**الاوزاعي**) رحمه الله تعالى : (**لباس الصوف في السفر سنّة وفي الحضر بدعة**) كذا في القوت . (**ودخل محمد بن واسع**) أبو يحيى البصري العابد رحمه الله تعالى (**على قتيبة بن مسلم**) الباهلي صاحب خراسان ، وكان أمير الجيش ، وكان محمد بن واسع قد خرج معه (**وعليه جبة صوف فقال له قتيبة**) : يا أبا يحيى (**ما دعاك إلى مدرعة الصوف**) وكان استحقرها ؟ (**فسكت**) محمد بن واسع ولم يجب ، (**فقال**) قتيبة : (**أكلمك ولا تجيبني . فقال : أكره أن أقول**) لبستها (**زهداً**) وتقشفاً (**فازكي نفسي ، أو**) لبستها (**فقراً**) وقلة (**فأشكو ربي . وقال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى : (**لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً أوحى الله إليه أن وار عورتك من الأرض ، وكان**) عليه السلام (**لا يتخذ من كل شيء**) من الثياب (**إلا واحدا سوى السراويل ، فإنه كان يتخذ سراويلين فإذا غسل أحدهما لبس الآخر حتى لا يأتي إليه حال إلا وعورته مستورة ، وقيل لسلمان الفارسي**) رضي الله عنه : (**ما لك لا تلبس الجيد من الثياب ؟ فقال : ما للعبد والثوب الحسن فإذا اعتق**) أي من رقّ النار (**فله والله ثياب لا تبلى أبداً**) . وروى أبو نعيم في الحلية عن الحسن قال : كان عطاء سلمان خمسة آلاف درهم وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين ، وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها ، وإذا خرج عطاؤه أمضاه ويأكل من سفيف يده . (**ويروى عن عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله

شعر يلبسها من الليل إذا قام يصلي. وقال الحسن لفرقد السبخي: تحسب أن لك فضلاً على الناس بكسائك، بلغني أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية نفاقاً. وقال يحي بن معين: رأيت أبا معاوية الأسود وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت: إنك تكسي خيراً من هذا! فقال: ما ضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة، فجعل يحي بن معين يحدث بها ويبكي.

تعالى (**أنه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسها من الليل إذا قام يصلي**) تقشفاً وزهداً رواه أبو نعيم في الحلية. (**وقال الحسن**) البصري (**لفرقد**) بن يعقوب (**السبخي**) بفتح المهملة والموحدة وبخاء معجمة أبي يعقوب البصري العابد صدوق لين الحديث مات سنة إحدى وثلاثين، روى له الترمذي وابن ماجه: (**تحسب أن لك فضلاً على الناس بكسائك: «بلغني ان أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية نفاقاً**) أي يلبسونها وباطنهم مخالف لظاهرهم، فالحسن رحمه الله تعالى خاطب فرقداً ينبهه أن لا يغره لبس الصوف.

(**وقال يحي بن معين**) بن عوف الغطفاني مولاهم أبو زكريا البغدادي ثقة حافظ مشهور إمام الجرح والتعديل. مات سنة ثلاث وثلاثين عن بضع وسبعين سنة، روى له الجماعة: (**رأيت أبا معاوية**) يمان (**الأسود**) رحمه الله تعالى ترجم له أبونعيم في الحلية وروى من طريق بشر بن الحرث سمعت المعاف بن عمران يقول: كان عشرة ممن مضى من أهل العلم ينظرون في الحلال النظر الشديد لا يدخلون بطونهم إلا ما يعرفون من الحلال وإلا استفوا التراب، ثم عدّ بشر منهم أبا معاوية الأسود (**وهو يلتقط الخرق من المزابل ويغسلها ويلفقها ويلبسها فقلت**) له: (**إنك تكسى خيراً من هذا. فقال: ما أضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة، فجعل يحي بن معين يحدث بها ويبكي**) رواه أبو نعيم في الحلية من غير هذا الوجه قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن معبد، حدثنا أحمد بن مهدي، حدثنا أبو موسى الفارقي قال: كنت أسمع أبا معاوية الأسود إذا قام من الليل يستقي الماء يقول: ما ضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة.

حدثنا محمد بن عمر بن مسلم املاء، حدثنا عبد الله بن بشر بن صالح، حدثنا يوسف بن معبد، حدثنا ابراهيم بن مهدي، سمعت أبا معاوية بن الأسود يقول: ما ضرهم ما أصابهم في دنياهم جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة.

حدثنا محمد بن أحمد بن شاهين، سمعت عبد الله بن أبي داود، وسمعت أبا حمزة نصر بن الفرج وكان خادم أبي معاوية الأسود فقيل له: أي شيء يتكلم به أبو معاوية ويتمثل؟ فقال: كان يجيء ويذهب ويقول: ما ضرهم ما نالهم في الدنيا جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة.

حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال: كتب إلى أبو موسى بن المثنى،

المهم الثالث: المسكن: وللزهد فيه أيضاً ثلاث درجات:

أعلاها: أن لا يطلب موضعاً خاصاً لنفسه فيقنع بزوايا المساجد كأصحاب الصفة.

وأوسطها: أن يطلب موضعاً خاصاً لنفسه مثل كوخ مبني من سعف أو خص أو ما يشبهه.

وأدناها: أن يطلب حجرة مبنية إما بشراء أو إجارة، فإن كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد، فإن طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالكلية حدّ الزهد في المسكن، فاختلاف جنس البناء بأن يكون من الجص أو القصب أو بالطين أو بالآجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالإضافة

حدثني عمرو بن أسلم، حدثنا أبو معاوية الأسود قال: شمروا طلاباً وشمروا هرباً لم يضرهم ما أصابهم في الدنيا جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة.

(**المهم الثالث: المسكن: وللزهد أيضاً فيه ثلاث درجات**).

(**أعلاها: أن لا يطلب موضعاً خاصاً لنفسه فيقنع بزوايا المساجد**) فيأوي إليها إن كان متجرداً عن العيال وذلك (**كأصحاب الصفة**) رضوان الله عليهم، وهم أناس من فقراء الصحابة ليس لهم مسكن يأوون إليه كانوا يسكنون في صفة المسجد، وكان عددهم يختلف بحسب اختلاف الأوقات والأحوال، فربما تفرق عنها وانفض قادموها من الغرباء فيقل عددهم، وربما يجتمع فيها واردوها من الوفود فينضم إليهم فيكثروا، والمشهور من أخبارهم غلبة الفقر عليهم وايثارهم القلة واختيارهم لها، فلم يجتمع لهم ثوبان ولا حضرهم من الأطعمة لونان. وقال أبو هريرة: رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب، فمنهم من يبلغ ركبته، ومنهم من هو أسفل من ذلك، فإذا ركع أحدهم قبض عليه مخافة أن تبدو عورته. رواه أحمد في الزهد.

(**وأوسطها: أن يطلب موضعاً خاصاً لنفسه مثل كوخ مبني من سعف**) النخل وجريده، (**أو خص**) وهو بالضم بيت من قصب فارسي والجمع أخصاص، (**أو ما يشبهه**).

(وأدناها: أن يطلب **حجرة مبنية**) بطين ولبن (**إما بشراء أو إجارة**) أو استعارة، (**فإن كان قدر سعة المسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم تكن فيه زينة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهد، فإن طلب التشييد والتجصيص والسعة وارتفاع السقف أكثر من ستة أذرع فقد جاوز بالكلية حدّ الزهد في المسكن واختلاف جنس البناء بأن يكون من الجص أو القصب أو بالطين أو بالآجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله**

إلى الأوقات بأن يكون مملوكاً أو مستأجراً أو مستعاراً ، وللزهد مدخل في جميع ذلك . وبالجملة ؛ كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حدّ الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد ودفع الأعين والأذى وأقل الدرجات فيه معلوم ، وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جداً ، وقد قيل : أول شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله ﷺ التدريز والتشييد ، يعني بالتدريز : كف دروز الثياب فإنها كانت تشلّ شلاً ، والتشييد : هو البنيان بالجص والآجر ، وإنما كانوا يبنون بالسعف والجريد . وقد جاء في الخبر : « يأتي على الناس زمان يوشون ثيابهم كما توشى البرود اليمانية » . وأمر رسول الله ﷺ العباس أن يهدم عليّة كان قد علا بها .

بالإضافة إلى الأوقات بأن يكون مملوكاً أو مستأجراً أو مستعاراً ، وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة ، كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حدّ الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آلة الدين ووسيلته) بها يصل إليه بل لا يعد من الدنيا ، **(وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن دفع المطر والبرد و)** حر الشمس و**(دفع الأعين)** لئلا تتطلع إليه **(والأيدي)** لئلا تصل إليه ، **(وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا ، وطالب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جداً ، وقد قيل)** : أوّل بدعة حدثت بعد رسول الله ﷺ المناخل والموائد ، و**(أوّل شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله ﷺ التدريز والتشييد ، يعني بالتدريز كف دروز الثياب فإنها كانت تشلّ شلاً)** والشلالة هي الخياطة الخفيفة ، والتدريز هي الكفافة وهي إعادة الخياطة على الشلالة . **(والتشييد : هو البنيان بالجص والآجر)** يقال : شيد بناءه إذا بناه بالشيد بالكسر وهو الجص ، ولا يتم ذلك إلا بالآجر ، **(وإنما كانوا يبنون بالسعف والجريد)** وأعلاه بالطين والرهوص كذا في القوت. قال العراقي : أما شلّ الثياب من غير كف ، فروى الحاكم والطبراني أن عمر قطع ما فضل عن الأصابع من الكم من غير كف ، وقال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ . وأما البناء ففي الصحيحين من حديث أنس في قصة بناء مسجد المدينة : « فصفوا النخل قبلة المسجد وجعلوا عضادتيه الحجارة » الحديث . ولهما من حديث أبي سعيد « وكان المسجد على عريش فوكف المسجد » الحديث .

(وقد جاء في الخبر « يأتي على الناس زمان يوشون) أي يزينون **(ثيابهم)** كذا في النسخ وفي بعضها بنيانهم **(كما توشى البرود اليمانية)** فإنها تخطط بالألوان المختلفة من الحرير » أورده صاحب القوت وأغفله العراقي . **(وأمر رسول الله ﷺ)** عمه **(العباس)** بن عبد المطلب رضي الله عنه **(أن يهدم عليته)** بكسر العين واللام والياء المشددتين هي الغرفة

ومرّ عليه السلام بجنبذة معلاة فقال: «لمن هذه» قالوا :لفـلان، فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان، فسأل الرجل أصحابه عن تغير وجهه ﷺ فأخبر فذهب فهدمها، فمرّ رسول الله ﷺ بالموضع فلم يرها فأخبر بأنه هدمه فدعا له بخير.

وقال الحسن: مات رسول الله ﷺ ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة. وقال النبي ﷺ: «إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله في الماء والطين». وقال عبدالله بن عمر:

المشرفة وجمعها علالي (كان قد علا بها) أي رفع بناءها. قال العراقي: رواه الطبراني من رواية أبي العالية أن العباس بنى غرفة فقال له النبي ﷺ: «اهدمها» الحديث وهو منقطع.

(ومرّ ﷺ) يوماً (بجنبذة معلاة) أي قبة مرتفعة (فقال: لمن هذه؟ قالوا: لفلان) وسموا رجلاً من أصحابه، (فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان) فاستنكر ذلك من فعل رسول الله ﷺ، (فسأل الرجل أصحابه عن تغيير وجه رسول الله ﷺ فأخبر) بالسبب، (فذهب فهدمها فمر رسول الله ﷺ بالموضع فلم يرها) فسأل عنها (فأخبر بأنه هدمها فدعا له بخير) أورده صاحب القوت. وقال العراقي: رواه أبو داود من حديث أنس باسناد جيد بلفظ «فرأى قبة مشرفة» الحديث. والجنبذة: القبة انتهى.

قلت: ورواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس أن رسول ﷺ مرّ ببنية قبة لرجل من الأنصار فقال: «ما هذا»؟ قالوا: قبة فقال: «كل بناء ـ وأشار بيده على رأسه ـ أكبر من هذا فهو وبال على صاحبه يوم القيامة». وروى في الكبير من حديث واثلة «كل بنيان وبال على صاحبه إلا ما كان هكذا» وأشار بكفه الحديث.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: (مات رسول الله ﷺ ولم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة). قال العراقي: رواه ابن حبان في الثقات، وأبو نعيم في الحلية هكذا مرسلاً، وللطبراني في الأوسط من حديث عائشة «من سأل عني أو سرّه أن ينظر إليّ فلينظر أشعث شاحب مشمر لم يضع لبنة على لبنة» الحديث. واسناده ضعيف انتهى.

قلت: وتمامه: ولا قصبة على قصبة رفع له علم فشمر إليه اليوم المضمار وغداً السباق والغاية الجنة والنار، وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية.

(وقال) ﷺ: («إذا أراد الله بعبد شراً أهلك ماله في الماء والطين») قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عائشة باسناد جيد بلفظ خضر له في الطين واللبن حتى يبني انتهى.

قلت: ورواه كذلك الطبراني في معاجيمه الثلاثة، والخطيب من حديث جابر ورجاله رجال الصحيح، خلا شيخ الطبراني. قال الهيتمي: لم أجد من ضعفه وله في الأوسط عن أبي بشير الانصاري: إذا أراد الله بعبد هواناً أنفق ماله في البنيان. وفي لفظ له بزيادة: ,والماء والطين، وهكذا رواه بهذه الزيادة الحسن بن سفيان، وابن أبي الدنيا والبغوي وأبو نعيم في المعرفة. والبيهقي

مرّ علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصاً فقال: «ما هذا؟» قلنا: خص لنا قد وهى، فقال: «أرى الأمر أعجل من ذلك». واتخذ نوح عليه السلام بيتاً من قصب فقيل له: لو بنيت؟ فقال: هذا كثير لمن يموت. وقال الحسن: دخلنا على صفوان بن محيريز وهو في بيت من قصب قد مال عليه فقيل له: لو أصلحته؟ فقال: كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله. وقال النبي ﷺ: «من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة». وفي الخبر: «كل نفقة للعبد يؤجر عليها إلا ما أنفقه في الماء والطين» وفي قوله تعالى:

كلهم عن محمد بن بشير الانصاري. قال البغوي: وماله غيره. ورواه أيضاً ابن عدي من حديث أنس.

(وقال عبد الله بن عمرو بن العاص) رضي الله عنهما: **(مرَّ علينا رسول الله ﷺ ونحن نعالج خصاً فقال: ما هذا؟ قلنا: خص لنا قد وهي. قال: أرى الأمر أعجل من ذلك)**. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه انتهى.

قلت: ورواه أحمد كذلك ولفظه قال: الأمر أسرع من ذلك.

(واتخذ نوح عليه السلام بيتاً من قصب) بأن ربط بعضه على بعض **(فقيل له: لو بنيت)** بالطين؟ **(فقال: هذا كثير لمن يموت)** ومن هنا قولهم المشهور: بيت العنكبوت كثير لمن يموت.

(وقال الحسن البصري) رحمه الله تعالى: **(دخلنا على صفوان بن محيريز)** هكذا في النسخ وهو غلط والصواب صفوان بن محرز، وهو ابن زياد المازني البصري العابد ثقة له فضل وورع. قال ابن حبان: في الثقات مات سنة أربع وسبعين في ولاية عبد الملك قال: وكان من العباد اتخذ لنفسه سرباً يبكي فيه. وقال الواقدي: توفي في ولاية بشر بن مروان، روى له الجماعة غير أبي داود، **(وهو في بيت من قصب قد مال عليه، فقيل له)**: أي قال له أحد أصحاب الحسن: **(لو أصلحته؟ فقال: كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله. وقال ﷺ: «من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة»)** قال العراقي: رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد فيه لين وانقطاع اهـ.

قلت: لكن بلفظ «كلف يوم القيامة أن يحمله على عنقه» وقد رواه كذلك أبو نعيم في الحلية، والبيهقي، وابن عساكر.

(وفي الخبر «كل نفقة) ينفقها **(العبد يؤجر عليها إلا ما أنفقه في الماء والطين»)** قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث خباب بن الأرت بإسناد جيد بلفظ «الا في التراب» أو قال في البناء انتهى.

قلت: ورواه الطبراني بلفظ «كل نفقة ينفقها العبد يؤجر عليها إلا البنيان».

﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً﴾ [القصص: ٨٣] إنه الرئاسة والتطاول في البنيان. وقال ﷺ: «كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلاّ ما أكن من حر وبرد». وقال ﷺ: «للرجل الذي شكا إليه ضيق منزله: «اتسع في السماء» أي في الجنة. ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام إلى صرح قد بني بجص وآجر فكبّر وقال: ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبني بنيان هامان لفرعون، يعني قول فرعون: ﴿فأوقِد لي يا هامان على الطين﴾ [القصص: ٣٨] يعني به الآجر. ويقال: إن فرعون هو أوّل من بني له بالجص والآجر، وأوّل من عمله هامان، ثم تبعها الجبابرة، وهذا هو الزخرف. ورأى بعض السلف جامعاً في بعض الأمصار فقال:

(وفي قوله تعالى: ﴿**تلك الدّار الآخرة نجعلها للّذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً**﴾) قيل: هو حب الكثرة وطلب (**الرئاسة والتطاول في البنيان، و**) كذلك (**قال** ﷺ **«كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكن من حرّ وبرد»**) وفي لفظ: «إلا مسجداً من بيوت الله». قال العراقي: رواه أبو داود من حديث أنس باسناد جيد: «إلا مالا وإلا ما لا يعني ما لا بد منه» انتهى.

قلت: سبق ذكره قريباً في حديث القبة عند الطبراني في الأوسط وفي الكبير. قال صاحب القوت: ولذلك جعل التطاول في البنيان من أشراط الساعة وقرب توقع وقوعها في خبر الجساسة: أن الدجال سأل هل تطاول الناس في البنيان؟ قالوا: نعم. قال: الآن دنا خروجي في أشياء عددها.

(**وقال** ﷺ **للرجل الذي شكا إليه ضيق منزله «اتسع في السماء»**) قال المصنف: (**أي في الجنة**) قال العراقي: رواه أبو داود في المراسيل من رواية اليسع بن المغيرة قال: شكا خالد بن الوليد فذكره، وقد وصله الطبراني فقال: عن اليسع بن المغيرة عن أبيه عن خالد بن الوليد إلا أنه قال «ارفع إلى السماء وسأل الله السعة» وفي اسناده لين انتهى.

ولفظ القوت: وشكا العباس إلى رسول الله ﷺ ضيق منزله فقال: «يا عم اتسع في السماء» ـ يعني في طلب الآخرة ـ «ولا تطلب سعة الأرض بالدنيا».

(**ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام**) حين توجه إليه (**إلى صرح**) عال (**قد بني بجص وآجر فكبّر**) أي قال: الله أكبر (**وقال: ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني قول فرعون: ﴿فاوقد لي يا هامان على الطين﴾ يعني به الآجر. ويقال: إن فرعون أوّل من بني له بالجص والآجر، وأوّل من عمله هامان ثم تبعها الجبابرة وهذا هو أوّل الزخرف**) كل ذلك في القوت إلا أنه قال: وهذا من الزخرف.

(**ورأى بعض السلف**) مسجداً (**جامعاً في بعض الامصار فقال: أدركت هذا المسجد**

أدركت هذا المسجد مبنياً من الجريد والسعف ، ثم رأيته مبنياً من رهص ، ثم رأيته الآن مبنياً باللبن ، فكان أصحاب السعف خيراً من أصحاب الرهص ، وكان أصحاب الرهص خيراً من أصحاب اللبن . وكان في السلف من يبني داره مراراً في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده في أحكام البنيان ، وكان منهم من إذا حجّ أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه ، فإذا رجع أعاده ، وكانت بيوتهم من الحشيش والجلود وهي عادة العرب الآن ببلاد اليمن ، وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة . قال الحسن : كنت إذا دخلت بيوت رسول الله ﷺ ضربت بيدي السقف . وقال عمرو بن دينار : إذا أعلى العبد البناء فوق ستة أذرع ناداه ملك : إلى أين يا أفسق الفاسقين؟ وقد نهى سفيان عن النظر إلى بناء مشيد وقال: لولا نظر الناس لما شيدوا فالنظر إليه معين عليه . وقال الفضيل : إني لا أعجب ممن بنى وترك ولكن أعجب ممن نظر إليه ولم يعتبر . وقال ابن مسعود رضي الله

مبنياً من الجريد والسعف ثم رأيته) بعد سنين **(مبنياً من رهوص، ثم رأيته الآن مبنياً باللبن)** والآجر ، **(فكان أصحاب السعف خيراً من أصحاب الرهوص، وكان أصحاب الرهوص خيراً من أصحاب اللبن)** نقله صاحب القوت.

(وكان في السلف من يبني داره مراراً في مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله وزهده في أحكام البنيان) واتقانه ، **(وكان منهم من إذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه، فإذا رجع أعاده، و)** العذر في ذلك أنه **(كانت بيوتهم من الحشيش)** والثمام **(والجلود)** وهي عادة العرب إلى **(الآن ببلاد اليمن)** كل ذلك في القوت. **(وكان ارتفاع بناء السقف)** ولفظ القوت: وكان سمك بناء الصحابة **(قامة وبسطة . قال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى : **(كنت إذا دخلت بيوت)** أصحاب **(رسول الله ﷺ ضربت بيدي إلى السقف)** كذا في القوت.

(وقال عمرو بن دينار) المكيّ أبو محمد الأثرم الجهمي مولاهم ثقة ثبت مات سنة ست وعشرين ومائة ، روى له الجماعة : **(إذا أعلى العبد البنيان فوق ستة أذرع ناداه ملك)** الهواء : **(إلى أين يا أفسق الفاسقين)**؟ كذا في القوت.

(وقد نهى سفيان) الثوري رحمه الله تعالى **(عن النظر إلى بناء مشيد وقال لولا نظر الناس لما شيدوه فالنظر إليه معين عليه)** ولفظ القوت وقال بعضهم: كنت أمشي مع سفيان في طريق فنظرت إلى باب مشيد بالجص فقال: لا تنظر إليه ، فقلت : يا أبا عبد الله ما تكره من النظر إليه؟ فقال: إذا نظرت إليه كنت عوناً له على بنائه لأنه إنما بناه لينظر إليه ، ولو كان كل من يمرّ به لا ينظر إليه ما عمله.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى : **(إني لا أعجب ممن بني وترك، ولكني أعجب ممن نظر إليه ولم يعتبره)** رواه أبو نعيم في الحلية. **(وقال ابن مسعود)** رضي الله

عنه: يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين، يصلون إلى قبلتكم ويموتون على غير دينكم.

المهم الرابع: أثاث البيت: وللزهد فيه أيضاً درجات.

أعلاها: حال عيسى المسيح صلوات الله عليه وسلامه وعلى كل عبد مصطفى إذ كان لا يصحبه إلا مشط وكوز فرأى إنساناً يمشط لحيته بأصابعه، فرمى بالمشط. ورآى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز، وهذا حكم كل أثاث فإنه إنما يراد لمقصود، فإذا استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة، وما لا يستغني عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف ولا يبالي بأن يكون مكسور الطرف إذا كان المقصود يحصل به.

وأوسطها: أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ المتاع فيها. وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء للتخفيف.

عنه: (**يأتي قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين**) وهي خيل الروم، (**يصلون إلى قبلتكم ويموتون على غير دينكم**) وهذا من جملة الأخبار بما سيقع.

(**المهم الرابع: أثاث البيت**) أي متاعه: (**وللزهد فيه أيضاً درجات**).

(**أعلاها: حال عيسى المسيح عليه السلام إذ كان لا يصحبه**) منه (**إلا مشط وكوز**) فالمشط للحيته والكوز لشربه، وبينما هو يمشي (**فرأى انساناً**) قد غسل وجهه وهو (**يمشط لحيته باصبعه**) يخللها به (**فرمى بالمشط**) إذا رأى الاصابع كافية، (**ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز**) إذ رأى كفيه كافية، وصحب زاهد مسواكاً فرأى رجلاً يتسوّك بأصابعه فرمي بالمسواك. (**وهذا حكم كل أثاث فإنه إنما يراد لمقصود، فإذا استغنى عنه فإنه وبال في الدنيا والآخرة، وما لا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي فيه الخزف**) في آلات الشرب والطبخ والعجن والغسل وغيرها، (**ولا يبالي بأن يكون مكسور الطرف إذا كان المقصود يحصل به**)، وذلك في الزهد ولا يتشاءم بالشرب من شربة مكسورة الطرف أو من ابريق كذلك فإنه من الجهل بالسنّة.

(**وأوسطها: أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح في نفسه، ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصده كالذي معه قصعة يأكل فيها**) الطعام (**ويشرب فيها**) الماء (**ويحفظ المتاع فيها**). فهذه ثلاثة مقاصد في آلة واحدة. (**وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء للتخفيف.**

وأعلاها: أن يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس فإن زاد في العدد أو في نفاسة الجنس خرج عن جميع أبواب الزهد وركن إلى طلب الفضول، ولينظر إلى سيرة رسول الله ﷺ وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجعين، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: كان ضجاع رسول الله ﷺ الذي ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف. وقال الفضيل: ما كان من فراش رسول الله ﷺ إلا عباءة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله ﷺ وهو نائم على سرير مرمول بشريط فجلس فرأى أثر الشريط في جنبه عليه الصلاة والسلام، فدمعت عينا عمر فقال له النبي ﷺ: «ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب»؟ قال: ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله نائم على سرير

وأعلاه: أن يكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس النازل الخسيس، فإن زاد في العدد) بأن اتخذ صحنين أو ابريقين أو قصعتين أو قدرين، **(أو)** زاد **(في نفاسة الجنس)** بأن اتخذ من خزف الصين الساج أو المموّه بالنقوش، فقد **(خرج عن جميع أبواب الزهد)** آخرها وأوّلها، **(وركن إلى طلب الفضول. ولينظر إلى سيرة رسول الله ﷺ وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقد قالت عائشة رضي الله عنها: كان ضجاع رسول الله ﷺ الذي ينام عليه وسادة من أدم)** أي جلد مدبوغ **(حشوها ليف)** النخل. قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه انتهى.

قلت: ولفظهم: كانت وسادته التي ينام عليها من أدم حشوها ليف، وكذلك رواه أحمد.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: **(ما كان فراش رسول الله ﷺ إلا عباءة مثنية ووسادة من أدم حشوها ليف)** قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل من حديث حفصة بقصة العباءة وقد تقدم. ومن حديث عائشة بقصة الوسادة وقد تقدم قبله بعض طرقه.

(وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله ﷺ وهو نائم على سرير) من جريد **(مرمول)** أي منسوج **(بشريط، فجلس)** ولفظ القوت **(فقعد فرؤي أثر)** حبال **(الشريط في جنبه)** عليه السلام **(فدمعت عينا عمر)**. ولفظ القوت: فأدرت عيني في بيت رسول الله ﷺ فما رأيت إلا صاعين من شعير مصبوب في زاوية البيت واهب في ناحية منه غير مدبوغة. قال: فلم أملك عيني فبكيت، **(فقال النبي ﷺ: «ما الذي أبكاك يا ابن الخطاب»)**؟ ولفظ القوت قال «فما يبكيك يا ابن الخطاب»؟ **(قال)**، فقلت **(ذكرت كسرى وقيصر وما هما فيه من الملك)** ونعيم الدنيا، **(وذكرتك وأنت حبيب الله وصفيه ورسوله)**. ولفظ القوت: وأنت رسول الله ﷺ وخيرته من خلقه على ما أرى **(نائم على سرير

مرمول بالشريط؟ فقال ﷺ: «أما ترضى يا عمر أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة؟» قال: بلى يا رسول الله. قال: «فذلك كذلك». ودخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال: يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعاً ولا غير ذلك من الأثاث. فقال: إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا. فقال: إنه لا بدّ لك من متاع ما دمت ههنا، فقال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه.

ولما قدم عمير بن سعيد أمير حمص على عمر رضي الله عنهما قال له: ما معك من الدنيا؟ فقال: معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حية إن لقيتها، ومعي جرابي أحمل فيه

مرمول بالشريط. فقال ﷺ): «أي شك أنت يا عمر، **(أما ترضى أن تكون لهم)** وفي نسخة لهما **(الدنيا ولنا الآخرة» قال)**: قلت **(بلى يا رسول الله. قال «فذلك كذلك»)** وفي لفظ: فقلت رضيت، وفي لفظ آخر: أولئك قد عجلت لهم طيباتهم في الدنيا فدلّ قوله ﷺ: «أي شك أنت» على أن القلة والزهد من اليقين لأنه ضد الشك فمن شك في ذلك أو رغب فهو غير موقن. قال العراقي: هو متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وقد تقدم.

(ودخل رجل على أبي ذر) رضي الله عنه، **(فجعل يقلب بصره في بيته فقال: يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعاً ولا غير ذلك من الاثاث. فقال: إن لنا بيتاً نوجه إليه صالح متاعنا. فقال: إنه لا بدّ لك من متاع ما دمت ههنا. فقال: إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه)**. وقد روى صاحب الحلية في ترجمة أبي الدرداء نحو هذه القصة، عن خالد بن جدير الأسلمي أنه دخل على أبي الدرداء، فرأى تحته فراشاً من جلد أو صوف وعليه كساء صوف وسبتية صوف وهو وجع وقد عرق فقال: لو شئت لكسيت مما يبعث به أمير المؤمنين. قال: إن لنا داراً وإنا لنطمئن إليها ولها نعمل. ومن طريق الاوزاعي عن حسان بن عطية أن أصحاباً لأبي الدرداء تضيفوه فضيفهم، فمنهم من بات على لبده، ومنهم من بات على ثيابه كما هو، فلما أصبح غدا عليهم فعرف ذلك منهم فقال: إن لنا داراً لها نجمع وإليها نرجع.

(ولما قدم عمير بن سعد) بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي هكذا نسبه الواقدي، وتبعه ابن عبدالبر وكان يقال له نسيج وحده. قيل: كان عمر يسميه بذلك لاعجابه به صحب رسول الله ﷺ وشهد فتوح الشام، واستعمله عمر على حمص إلى أن مات وكان من الزهاد، روى عنه راشد بن سعد، وحبيب بن عبيد وابنه عبد الرحمن بن عمير. قال ابن سعد: مات في خلافة عمر، وقيل في خلافة عثمان، وقيل في خلافة معاوية، وكان **(أمير حمص)** استعمله عمر **(على عمر)** بن الخطاب **(رضي الله عنهما)** أي عن عمر وعن عمير **(قال له: ما معك من الدنيا؟ فقال: معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حية إن لقيتها،**

طعامي، ومعي قصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوبي، ومعي مطهرتي أحمل فيها شرابي وطهوري للصلاة، فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي، فقال عمر: صدقت رحمك الله. وقدم رسول الله ﷺ من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فرأى على باب منزلها ستراً، وفي يديها قلبين من فضة فرجع، فدخل عليها أبو رافع

ومعي جرابي أحمل فيها طعامي، ومعي قصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوبي، ومعي مطهرتي أحمل فيها شرابي ووضوئي للصلاة، فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي، فقال عمر: صدقت رحمك الله) رواه أبو نعيم في الحلية، حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن المرزبان الأدمي، حدثنا محمد بن حكيم الرازي، حدثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة، حدثني أبي عن جدي عن عمير بن سعد الأنصاري قال: بعثه عمر بن الخطاب عاملاً على حمص فمكث حولاً يأتيه خبره فقال عمر لكاتبه: اكتب إلى عمير فوالله ما أراه إلا قد خاننا إذا جاءك كتابي هذا، فاقبل واقبل بما جبيت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا. قال: فأخذ عمير جرابه فجعل فيه زاده وقصعته وعلق أداوته وأخذ عنزته ثم أقبل يمشي من حمص حتى دخل المدينة. قال: فقدم وقد شحب لونه واغبر وجهه وطالت شعرته، فدخل على عمر وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله. فقال عمر: ما شأنك؟ فقال عمير: ما ترى من شأني ألست تراني صحيح البدن ظاهر الدم معي الدنيا أجرها بقرنها. قال: وما معك؟ فظن عمر أنه قد جاء بمال فقال: معي جرابي أجعل فيه زادي، وقصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي، وثيابي وأداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي، وعنزتي أتوكأ عليها وأجاهد بها عدواً إن عرضني، فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي. قال عمر: فجئت تمشي؟ قال: نعم. قال: ما كان لك أحد يتبرع لك بدابة تركبها؟ قال: ما فعلوا وما سألتهم ذلك. فقال عمر: بئس المسلمون خرجت من عندهم. فقال عمير: اتق الله يا عمر قد نهاك الله عن الغيبة وقد رأيتهم يصلون صلاة الغداة. قال عمر: فأين بعثتك وأي شيء صنعت؟ قال: وما سؤالك يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: سبحان الله! فقال عمير: أما لولا أني اخشى أن أغمك ما أخبرتك بعثتني حتى أتيت البلد فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيئهم حتى إذا جمعوه وضعته مواضعه ولو نالك منه شيء لأتيت به قال، فما جئتنا بشيء قال: لا، قال: جددوا لعمير عهداً. قال: إني ذلك لشيء لا عملت لك ولا لأحد بعدك ثم ساق الحديث بطوله، وفيه وفاته بالمدينة وشهود عمر جنازته. وقوله: وددت لو أن رجلاً مثل عمير بن سعد أستعين به في أعمال المسلمين. وروى الواقدي هذا القول عن عمر، ولفظه: وددت لو أن لي رجالاً مثل عمير بن سعيد أستعين بهم على أعمال المسلمين.

(**وقدم رسول الله ﷺ من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها**) وكان من أول من يدخل عليها من أهله إذا قدم من سفر، (**فرأى على باب منزلها ستراً وفي يديها قلبين من فضة**) مثنى قلب بضم فسكون وهو السوار، (**فرجع**) ولم يدخل، (**فدخل عليها أبو رافع**)

وهي تبكي فأخبرته برجوع رسول الله ﷺ، فسأله أبو رافع فقال: «من أجل الستر والسوارين» فأرسلت بهما بلالاً إلى رسول الله ﷺ وقالت: قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى، فقال: «اذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصفة» فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم، فدخل عليها ﷺ فقال: «بأبي أنت قد أحسنت». ورأى رسول الله ﷺ على باب عائشة ستراً فهتكه وقال: «كلما رأيته ذكرت الدنيا ارسلي به إلى آل فلان». وفرشت له عائشة ذات ليلة فراشاً جديداً وقد كان ﷺ ينام على عباءة مثنية،

مولى رسول الله ﷺ (**وهي تبكي، فأخبرته برجوع رسول الله ﷺ**) وقالت: لأمر ما رجع، فقال: أنا أسأله ما ردّه، (**فسأله أبو رافع فقال: «من أجل الستر والسوارين»**) فأخبرها فهتكت الستر ونزعت السوارين، (**فأرسلت بهما بلالاً إلى رسول الله ﷺ وقالت: قد تصدقت بهما فضعهما حيث ترى، فقال: «اذهب فبعه وادفعه إلى أهل الصفة» فباع**) بلال (**القلبين بدرهمين ونصف، وتصدق بهما عليهم، فدخل عليها ﷺ**) وضمها إليه (**فقال: «بأبي أنت وأمي قد أحسنت**) أنت مني» كذا في القوت. وقال في موضع آخر، ونظر ﷺ إلى فاطمة رضي الله عنها في عنقها عقد من حرز فيه شيء من ذهب وعلى بابها ستر فرجع ولم يدخل فقال: «مالي وللدنيا» فنزعت ذلك وأرسلت به إلى بعض الفقراء، ورأى ﷺ في يد الحسن والحسين رضي الله عنهما قلبين من فضة قد زينتهما بهما فاطمة رضي الله عنها، فنزعهما وأمر بلالاً، أن يتصدق بثمنهما على أهل الصفة. وقال العراقي: لم أره مجموعاً. ولأبي داود وابن ماجه من حديث سفينة بإسناد جيد أنه ﷺ جاء فوضع يديه على عضادتي الباب، فرأى القرام قد ضرب في ناحية البيت فرجع فقالت فاطمة: لعلي انظر ما أرجعه الحديث. وللنسائي من حديث بإسناد صحيح قال: جاءت ابنة هبيرة إلى النبي ﷺ وفي يديها فتح من ذهب. الحديث. وفيه وجد في يد فاطمة سلسلة من ذهب، وفيه يقول الناس: فاطمة بنت محمد في يدها سلسلة من نار وأنه خرج ولم يقعد فأمرت بالسلسلة فبيعت فاشترت بثمنها عبداً فاعتقته، فلما سمع ذلك قال: «الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار» انتهى.

قلت: وروى أبو نعيم في الحلية من طريق شريك عن عبدالله بن محمد بن عقيل، عن علي بن الحسين، عن أبي رافع قال: لما ولدت فاطمة حسناً قالت: يا رسول الله ألا أعق على ابني؟ قال: «لا ولكن احلقي رأسه وتصدقي بوزن شعره ورقاً أو فضة على الأوفاض والمساكين» يعني بالأوفاض أهل الصفة.

(**ورأى رسول الله ﷺ على باب عائشة**) رضي الله عنها (**ستراً فهتكه وقال: «كلما رأيته ذكرت الدنيا ارسلي به إلى آل فلان»**) وفي القوت ستراً فيه صورة، وفيه: «إني إذا رأيته ذكرت الدنيا» وقال العراقي: رواه الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديثها.

(**وفرشت له عائشة**) رضي الله عنها (**ذات ليلة فراشاً جديداً، وقد كان ﷺ ينام على**

فما زال يتقلب ليلته، فلما أصبح قال لها: «أعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني قد أسهرني الليلة». وكذلك أتته دنانير خمسة أو ستة ليلاً فبيتها، فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل. قالت عائشة رضي الله عنها: فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال: «ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده». وقال الحسن: أدركت سبعين من الأخيار ما لأحدهم إلا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوباً قط. كان إذا أراد النوم باشر الأرض بجسمه وجعل ثوبه فوقه.

عباءة مثنية فما زال يتقلب ليلته، فلما أصبح قال لها: «أعيدي العباءة الخلقة ونحي هذا الفراش عني قد أسهرني الليلة») كذا في القوت، وفي موضع آخر منه: وأهدت لعائشة امرأة فراشاً ففرشته لرسول الله ﷺ، وكان فراشه عباءة مطوية فلما اضطجع عليها أنكر لينه وتوطئته ووطاءه فسألها فاخبرته فقال: «ردي العباءة ونحي هذا» انتهى.

وقال العراقي: روى أبو الشيخ ابن حيان في كتاب أخلاق النبي ﷺ من حديثها قالت: دخلت علي امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ عباءة مثنية، فانطلقت فبعثت إليّ بفراش حشوه صوف، فدخل عليّ رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا» الحديث. وفيه: أنه أمرها برده ثلاث مرات فردته، وفيه مجالد بن سعيد مختلف فيه، والمعروف حديث حفصة المتقدم ذكره من الشمائل.

(وكذلك أتته دنانير ستة أو خمسة ليلاً فبيّتها فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل. قالت عائشة) رضي الله عنها: **(فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه، ثم قال: «ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده»)** كذا في القوت. قال: وروى الحسن أن النبي ﷺ لم يكن يبيت عنده مالاً ولا يقبله إن جاءه ليلاً أو عشاءً، لم يبيته وإن جاءه غدوة لم ينتظر به القابلة.

قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة بإسناد حسن أنه قال في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة ما فعلت بالذهب»؟ فجاءت ما بين الخمسة إلى الثمانية إلى التسعة فجعل يقلبها بيده ويقول: «ما ظن محمد» الحديث، وفيه رواية سبعة أو تسعة دنانير، وله من حديث أم سلمة بإسناد صحيح دخل عليّ رسول الله ﷺ وهو ساهم الوجه قالت: فحسبت ذلك من وجع فقلت: يا نبي الله ما لك ساهم الوجه؟ فقال: «من أجل الدنانير السبعة التي أتتنا أمس أمسينا وهي في خصم الفراش» وفي رواية: «أمسينا ولم ننفقها».

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(أدركت سبعين)** رجلاً **(من الأخيار ما لأحدهم إلا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوباً قط. كان إذا أراد النوم باشر الأرض بجسده وجعل ثوبه فوقه)** نقله صاحب القوت.

المهم الخامس: المنكح: وقد قال قائلون: **لا معنى للزهد في أصل النكاح ولا في** كثرته وإليه ذهب سهل بن عبدالله وقال: **قد حبب إلى سيد الزاهدين النساء فكيف** نزهد فيهن؟ ووافقه على هذا القول ابن عيينة وقال: **كان أزهد الصحابة علي بن أبي** طالب رضي الله عنه وكان له أربع نسوة وبضع عشرة سرية، **والصحيح ما قاله أبو** سليمان الداراني رحمه الله إذ قال: **كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك** مشؤوم، والمرأة قد تكون شاغلاً عن الله تعالى. وكشف الحق فيه أنه **قد** تكون العزوبة أفضل في بعض الأحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة **فهو** واجب، **فكيف يكون تركه من** الزهد وإن لم يكن عليه آفة في تركه ولا فعله ولكن ترك النكاح احترازاً عن ميل القلب إليهن والانس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد، **فإن** علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازاً من لذة النظر والمضاجعة والمواقعة فليس

(**المهم الخامس: المنكح: وقد قال قائلون**) من الصوفية: (**لا معنى للزهد في أصل النكاح ولا في كثرته، وإليه ذهب**) أبو محمد (**سهل بن عبدالله**) التستري رحمه الله تعالى، (**وقال قد حبب إلى سيد الزاهدين**) ﷺ (**النساء**) فكيف نزهد فيها ولا معنى لمحبتهن إلا النكاح؟ كأنه يشير إلى الخبر المشهور: « حبب إليَّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة » ولفظ سهل: لا يصح الزهد في النساء لأنه قد حبب إلى سيد الزاهدين، (**ووافقه**) في ذلك الإمام أبو محمد سفيان (**بن عيينة**) الهلالي مولاهم المكي رحمه الله تعالى (**وقال**): ليس في كثرة النساء دنيا. (**كان أزهد الصحابة**) وأعلاهم شأناً فيه (**علي بن أبي طالب**) رضي الله عنه (**كان له أربع نسوة**) بالصداق (**وبضع عشرة سرية**) مات عنهن، (**والصحيح**) في ذلك (**ما قاله أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى (**إذ قال: كل ما شغلك عن الله من أهل ومال فهو عليك مشؤوم**) هكذا نقله القشيري، ويروى أيضاً من قول داود الطائي كما تقدم قريباً. ونقل القشيري أيضاً عن الداراني قال: الزهد ترك ما يشغل عن الله تعالى. وقال أحمد بن حنبل: زهد العارفين ترك العبد ما يشغل عن الله تعالى، (**والمرأة قد تكون شاغلة عن الله تعالى**) فيكون الزهد تركها، (**وكشف الحق فيه أنه قد تكون العزوبة أفضل**) للسالك (**في بعض الأحوال كما سبق**) بيانه (**في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة**) عن شبق كشبق الحمار لا يرعوى ولا ينتهي إلا بالسفاد. (**فهو واجب**) حينئذ، (**فكيف يكون تركه من الزهد وإن لم تكن عليه آفة في فعله ولا تركه، ولكن ترك النكاح احترازاً من ميل القلب إليهن والأنس بهن بحيث يشتغل عن ذكر الله فترك ذلك من الزهد**) إذ الإنس بغير الله من الدنيا، (**وإن علم أن المرأة لا تشغله عن ذكر الله تعالى، ولكن ترك ذلك احترازاً من لذة النظر**) إليها (**والمضاجعة**) لها (**والمواقعة**)

هذا من الزهد أصلاً ، فإن الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير أمة محمد ﷺ من القربات ، واللذة التي تلحق الإنسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تضره ، إذ لم تكن هي المقصد والمطلب ، وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازاً من لذة الأكل والشرب ، وليس ذلك من الزهد في شيء ، لأن في ترك ذلك فوات بدنه ، فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله ، فلا يجوز أن يترك النكاح زهداً في لذته من غير خوف آفة أخرى ، وهذا ما عناه سهل لا محالة ، ولأجله نكح رسول الله ﷺ . وإذا ثبت هذا فمن حاله حال رسول الله ﷺ في أنه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بإصلاحهن والإنفاق عليهن فلا معنى لزهده فيهن حذراً من مجرد لذة الوقاع والنظر ، ولكن أنى يتصور ذلك لغير الأنبياء والأولياء فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان ، فينبغي أن يترك الأصل إن كان يشغله وإن لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة منهن أو جمال المرأة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع قلبه في ذلك .

قال أبو سليمان : الزهد في النساء أن يختار المرأة الدون أو اليتيمة على المرأة الجميلة والشريفة .

بها ، (**فليس هذا من الزهد أصلاً ، فإن الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير**) سواد (**أمة محمد ﷺ من القربات**) لما في الخبر « تزوجوا تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم » وتقدم . (**واللذة التي تلحق الإنسان فيما هو من ضرورة الوجود لا تضره إذ لم تكن**) تلك اللذة (**هي المقصد والمطلب ، وهذا كمن ترك أكل الخبز وشرب الماء احترازاً من لذة الأكل والشرب ، وليس ذلك من الزهد في شيء لأن في ترك ذلك فوات بدنه**) لما يعتريه من الضعف ووهن القوى ، (**فكذلك في ترك النكاح انقطاع نسله ، فلا يجوز أن يترك النكاح زهداً في لذته من غير خوف آفة أخرى**) تعرض عليه ، (**وهذا ما عناه**) أي قصده (**سهل**) التستري رحمه الله تعالى من قوله : لا يصح الزهد في النساء (**لا محالة ، ولأجله نكح رسول الله ﷺ . وإذا ثبت هذا فمن**) كان (**حاله حال رسول الله ﷺ في أنه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بإصلاحهن والإنفاق عليهن**) كما تقدم ذلك في النكاح ، (**فلا معنى لزهده فيهن حذراً من مجرد لذة الوقاع والنظر ، ولكن أنى يتصور ذلك لغير الأنبياء**) عليهم السلام (**والأولياء**) الذين على قدمهم ، (**فأكثر الناس يشغلهم كثرة النسوان ، فينبغي أن يترك الأصل إن كان يشغله**) عن الله تعالى ، (**وإن لم يشغله وكان يخاف من أن يشغله الكثرة منهن أو جمال المرأة فلينكح واحدة**) وليقتصر عليها ، أو لينكح (**غير جميلة**) أي مشهورة بالجمال بحيث يشار إليها ، (**وليراع قلبه في ذلك**) .

(**قال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى : (**الزهد في النساء أن يختار المرأة الدون أو اليتيمة على الجميلة والشريفة**) نقله صاحب القوت . ويروى عنه أيضاً : الزهد في النساء أن تختار

وقال الجنيد رحمه الله: أحب للمريد المبتدىء أن لا يشغل قلبه بثلاث وإلا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزوّج، وقال: أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع

المرأة الدميمة والقريبة الأمر من كبر وغير منظر على الشابة الحسناء، وذهب إلى ذلك مالك بن دينار فكان يقول: يترك الرجل اليتيمة أو الضعيفة لله فإن أطعمها أو كساها أو فرحها أجر في ذلك وكان له في ثواب الآخرة، ويتزوج ابنة فلان وفلان.

وبالجملة: الإقتصاد في شأن النساء والتقلل وأخذ الحاجة والكفاية منهن كالقول في شأن الدنيا. من ذلك أن لا ينكح المرأة لما ينكح أبناء الدنيا من المعاني الثلاث: لا لحسنها ولا لحسبها ولا لمالها فلم يبق إلا الدين والصلاح، فهذه زوجة أخروية ليست من الدنيا، وقد جعل رسول الله ﷺ في وصف الفقراء أنهم لا تفتح لهم الأبواب ولا ينكحون المتمتعات أو المتنعمات، فدل أنهم ينكحون المتبذلات، وذلك في خبر أبي سلام الحبشي رفعه: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم» قيل: من هم» قال: الشعث رؤساً الدنس ثياباً الذين لا تفتح لهم السدد ولا ينكحون المتنعمات» فلما سمع ذلك عمر بن عبد العزيز منه بكى حتى أخضل لحيته وقال: لست منهم قد فتحت لي السدد يعني الأبواب، ونكحت المتنعمات يعني أم البنين بنت عبد الملك، ولكن لا جرم والله لا أدهن رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي حتى يدنس. وكان يحيى بن معاذ الرازي يتكلم في تزويج الزاهد فيقول: الكيس من الزهاد من إذا أراد التزويج لله، وعلى الزاهد أن يلقى المرأة بهذه الخصال فإن هي إجابته وإلا ترك أولها: في شأن الكفاية والمعاش فيقول: لا أسعى في طلب دنيا ولو كسب دانقين، والثانية: أن يعلمها أنه ليس عنده مال وأن يده في مالها إن كان عندها كيده في ماله في إخراجه والثالثة: يقول إن أردت الخروج إلى حج أو زيارة أو غزو لزمت الرضا وكنت عوناً في إنفاذه، والرابعة إن تزوجه عليك ثلاثاً لم تعرضي بوجهك ولم تتغيري، والخامسة خفة الصداق، والسادسة: خذوهات، والسابعة: سرعة البناء فإن وافق منها هذه الخصال فليتقدم ولا يتوقف وكانت امرأته زاهدة وكان يحكي عنها زهد النساء قال: قالت لي أهلي: ما زهد النساء؟ قلت: ترك الزينة والرياء. قالت: أعلى من هذا. قلت: ما هو؟ قالت: تطيب نفسها لزوجها بأن يتزوج عليها من شاء من النساء، فإن الزوج من الدنيا وهو يشتد على النساء وتعلق قلبها به من الدنيا قال: فقلت لها: هي بضاعتكم أنتم بها أعرف. قال: وقلت لها قد أذن الله في تزويج أربعة من النساء. فقالت: ليس يفرض عليك أن تتزوج بأربعة وفرض عليك أن تعدل بين إثنين.

(**وقال الجنيد**) رحمه الله تعالى: (**أحب للمريد المبتدىء**) في إرادته وسلوكه (**أن لا يشغل قلبه بثلاث**) خصال (**وإلا تغير حاله**) ونقص مزيده من سلوكه: (**التكسب، وطلب الحديث، والتزويج**) نقله صاحب القوت أي: فإن في هذه الخصال ركوناً إلى الدنيا، وهو مثل قول أبي سليمان الذي تقدم قريباً، من تزوج أو سافر أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا. (**وقال**) الجنيد أيضاً: (**أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه**) نقله صاحب

همه، فإذا ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل فما شغل عن الله فهو محذور فيهما جميعاً.

المهم السادس: ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة وهو المال والجاه: أما الجاه؛ فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به إلى الاستعانة في الأغراض والأعمال، وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقر إلى من يخدمه افتقر إلى جاه لا محالة في قلب خادمه، لأنه إن لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه، وهذا له أول قريب ولكن يتمادى به إلى هاوية لا عمق لها، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، وإنما يحتاج إلى المحل في القلوب إما لجلب نفع أو لدفع ضر أو لخلاص من ظلم، فأما النفع فيغني عنه المال فإن من يخدم بأجرة يخدم وإن لم يكن عنده للمستأجر قدر وإنما يحتاج إلى الجاه في قلب من يخدم بغير أجرة، وأما دفع الضر فيحتاج لأجله إلى الجاه في بلد لا يكمل فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم إلا بمحل له في قلوبهم أو محل له عند السلطان، وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما إذا انضم إليه الخوف وسوء الظن بالعواقب، والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد أن لا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلاً فإن

القوت. أي: فإن الإشتغال بالقراءة والكتابة يشتت همه ويغير حاله، (**فإذا ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل فما يشغل عن الله فهو محذور فيهما جميعاً**).

(**المهم السادس: ما يكون وسيلة إلى هذه الخمسة**) من المهات المذكورة، (**وهو المال والجاه. أما الجاه: فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل به إلى الإستعانة في الأغراض والأعمال، وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وافتقر إلى من يخدمه افتقر إلى جاه لا محالة في قلب خادمه**) ليتوصل به إلى قضاء حاجاته، (**لأنه إن لم يكن له عنده محل وقدر لم يقم بخدمته**) بل لم يعتن به أصلاً، (**وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاه**) كما سبق بيان ذلك في كتاب ذم الجاه (**وهذاله أول قريب، ولكن يتمادى**) أي ينجر (**إلى هاوية لا عمق لها**) أي لا آخر، (**ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه**) كما في الخبر، (**و**) هذا إن طلبه بالعبادات حرم قليله و كثيره، وكان كطالب المال بسبب محرم والقدر المباح منه، (**فإنما يحتاج إلى المحل في القلوب**) لإحدى ثلاث: (**إما لجلب نفع، أو لدفع ضرر، أو لخلاص من ظلم. أما النفع فيغني عنه المال، فإن من يخدم بأجرة يخدم وإن لم يكن عنده للمستأجر قدر، وإنما يحتاج إلى الجاه في قلب من يخدم بغير أجرة، وأما دفع الضرر فيحتاج لأجله إلى الجاه في بلد لا يكمل فيه العدل، أو يكون بين جيران يظلمونه فلا يقدر على دفع شرهم إلا بمحل له في قلوبهم أو بمحل له عند السلطان**) فهو كالحش من البيت يراد لغيره لا لذاته، بل يراد لدفع الأذى لأنه صفة الكمال، (**وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما إذا انضم إليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك**) بل حق الزاهد أن لا

اشتغاله بالدين والعبادة يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع به عند الأذى ولو كان بين الكفار، فكيف بين المسلمين؟ فأما التوهمات والتقديرات التي تحوج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة، إذ من طلب الجاه أيضاً لم يخل عن أذى في بعض الأحوال فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه، فإذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلاً واليسير منه داع إلى الكثير، وضراوته أشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره.

وأما المال؛ فهو ضروري في المعيشة أعني القليل منه، فإن كان كسوباً فإذا اكتسب حاجة يومه فينبغي أن يترك الكسب. كان بعضهم إذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام، هذا شرط الزهد، فإن جاوز ذلك إلى ما يكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حدّ ضعفاء الزهاد وأقويائهم جميعاً، وإن كانت له ضيعة ولم يكن له قوّة يقين في التوكل فأمسك منها مقدار ما يكفي ريعه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنته، ولكن يكون من ضعفاء الزهاد فإن شرط التوكل في الزهد كما شرطه أويس القرني رحمه الله فلا يكون هذا من الزهاد. وقولنا:

يسعى (**لطلب المحل في القلوب**) أصلاً، (**فإن اشتغاله بالدين والعبادة**) من ذكر ومراقبة وعزلة (**يمهد له من المحل في القلوب ما يدفع عنه به الأذى، ولو كان بين**) أظهر (**الكفار، فكيف بين المسلمين؟ وأما التوهمات والتقديرات التي تحوج إلى زيادة في الجاه على الحاصل بغير كسب، فهي أوهام كاذبة**) وتقديرات باطلة، (**إذ من طلب الجاه أيضاً لم يخل عن أذى في بعض الأحوال، فعلاج ذلك بالإحتمال والصبر أولى من علاجه بطلب الجاه، فإذا طلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلاً واليسير منه داع إلى الكثير وضرواته أشد من ضراوة الخمر**) في عسر الإنفكاك منه، (**فليحترز من قليله وكثيره**).

(**وأما المال: فهو ضروري في المعيشة أعني القليل منه، فإنه كان كسوباً فإذا اكتسب حاجة يومه**) مما يكتفي به، (**فينبغي أن يترك الكسب**) في ذلك اليوم. (**كان بعضهم**) أي من المتكسبين الزاهدين (**إذا اكتسب حبتين رفع سفطه وقام**) والسفط محرك وعاء المتاع (**هذا شرط الزاهد، فإن جاوز ذلك إلى ما يكفيه أكثر من سنة فقد خرج عن حدّ ضعفاء الزهاد وأقويائهم جميعاً، وإن كانت له ضيعة**) مثل أرض يستغلها (**ولم تكن له قوة يقين في التوكل فأمسك منها مقدار ما يكفي ريعه**) وهو ما يفيض من غلال الضيعة (**لسنة واحدة فلا يخرج بهذا المقدار عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنة، ولكن يكون من ضعفاء الزهاد**) لا من أقويائهم، (**فإن شرط التوكل في الزهد**) بأن لا يكمل إلا به (**كما شرطه أويس القرني**) رحمه الله تعالى فيما فهم من كلامه السابق ذكره، (**فلا يكون**

إنه خرج من حدّ الزهاد نعني به أن ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات المحمودة لا يناله، وإلا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالإضافة إلى ما زهد فيه من الفضول والكثرة، وأمر المنفرد في جميع ذلك أخف من أمر المعيل.

وقد قال أبو سليمان: لا ينبغي أن يرهق الرجل أهله إلى الزهد بل يدعوهم إليه، فإن أجابوا وإلاّ تركهم وفعل بنفسه ما شاء معناه أن التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله، نعم لا ينبغي أن يجيبهم أيضاً فيما يخرج عن حدّ الاعتدال، وليتعلم من رسول الله ﷺ إذا انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها بسبب ستر وقلبين، لأن ذلك من الزينة لا من الحاجة، فإذاً ما يضطر الإنسان إليه من جاه ومال ليس بمحذور، بل الزائد على الحاجة سم قاتل، والمقتصر على الضرورة دواء نافع، وما

هذا من الزهاد) لفقد وصف التوكل فيه **(وقولنا: إنه خرج عن حدّ الزهاد نعني به أن ما وعد للزاهدين في الدار الآخرة من المقامات المحمودة لا يناله، وإلا فاسم الزهد قد لا يفارقه بالإضافة إلى ما زهد فيه من الفضول والكثرة)** فإطلاق الزهد عليه بهذا الإعتبار فقط، وعل الجملة فللزهد مخصوص موعود عند الله، فمتى ما نال منه شيئاً أخذ من ذلك الثواب بقسطه. **(وأمر)** الأعزب **(المنفرد في جميع ذلك أخذ من أمر المعيل)** أي ذي العيال كما قيل:

مـا للمعـالي والمعيـل وإنما ... يسعى إليهـن الفـريـد القـادرُ

(وقد قال أبو سليمان) الداراني رحمه الله تعالى: **(لا ينبغي أن يرهق الرجل أهله)** أي يكلفهم **(إلى الزهد بل يدعوهم إليه فإن أجابوا وإلا تركهم، وفعل بنفسه ما شاء. معناه أن التضييق المشروط على الزاهد يخصه ولا يلزمه كل ذلك في عياله)** هذا ما فهم من كلامه. **(نعم، لا ينبغي أن يجيبهم أيضاً فيما يخرج عن حدّ الإعتدال، وليتعلم من رسول الله ﷺ إذا انصرف من بيت فاطمة رضي الله عنها بسبب ستر)** كانت علقته في ناحية البيت **(وقلبين)** في يدها أو يد الحسن أو الحسين كما تقدم الكلام عليه قريباً، **(لأن ذلك من الزينة لا من الحاجة)**، وكذلك لما تزينت أم سلمة بخرص من ذهب جعلته في أذنها قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ رفعت قناعي عن أذني رجاء أن ينظر إلى زينتي قالت: فأعرض ولم يلتفت فقلت: يا رسول الله إنما تزينت لك. فقال: « عن زينتك اعرض ما ضرك لو جعلتيه من فضة ثم لطختيه بالزعفران فكان كأنه ذهب » فأمرها بفعل من لا يحب الدنيا لعينها، وإنما يدخل فيها الظاهر مرافقهالأن الفضة والزعفران وإن أشبهت الذهب في اللون فإنما هو متاع في الوقت لأن لها قيمة الذهب وقدره لا وجود حلاوته في قنيته، فكذلك حال الزاهد في حلاوة الدنيا لعينها فيستعمل الدنيا فيما قرب ودنا ويبدل دقيقاً منها ذا قيمة بيسير دونه، **(فإذاً ما يضطر الإنسان إليه من جاه ومال ليس بمحذور، بل الزائد على الحاجة سم قاتل والمقصر على الضرورة دواء نافع**

بينهما درجات متشابهة فما يقرب من الزيادة وإن لم يكن سماً قاتلاً فهو مضر، وما يقرب من الضرورة فهو وإن لم يكن دواء نافعاً لكنه قليل الضرر وسم محظور شربه، والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه أمره، فمن احتاط فإنما يحتاط لنفسه ومن تساهل فإنما يتساهل على نفسه ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه ورد نفسه إلى مضيق الضرورة، فهو الآخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة. والمقتصر على قدر الضرورة والمهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا، بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط.

ويدل عليه ما روي أن ابراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئاً فلم يقرضه فرجع مهموماً، فأوحى الله تعالى إليه: لو سألت خليلك لأعطاك، فقال: يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت أن أسألك منها شيئاً، فأوحى الله تعالى إليه: ليس الحاجة من الدنيا، فإذاً قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال في الآخرة وهو في الدنيا أيضاً كذلك يعرفه من يخبر أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة

وما بينهما درجات متشابهة، فما يقرب من الزيادة وإن لم يكن سماً قاتلاً فهو مضرّ، وما يقرب من الضرورة فهو وإن لم يكن دواء نافعاً ولكنه قليل الضرر والسم محظور شربه، والدواء فرض تناوله وما بينهما مشتبه أمره، فمن احتاط فإنما يحتاط لنفسه ومن تساهل فإنما يتساهل على نفسه، ومن استبرأ لدينه وترك ما يريبه إلى ما لا يريبه ورد نفسه إلى مضيق الضرورة، فهو الآخذ بالحزم وهو من الفرقة الناجية لا محالة)، وهم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ حين سئل عنهم: «ما أنا عليه وأصحابي». **(والمقتصر على قدر الضرورة و)** على **(المهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا، بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة المشروط)**.

(ويدل عليه ما روي أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئاً فلم يقرضه) ولفظ القوت فتوارى عنه، **(فرجع مهموماً فأوحى الله إليه: لو سألت خليلك لأعطاك)** ولفظ القوت: لو بخليلك أنزلت حاجتك لقضاها لك يعني نفسه تعالى. **(فقال: يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت أن اسألك منها شيئاً)** فتمقتني، فأوحى الله إليه): أما علمت أنه **(ليس الحاجة من الدنيا)**، وفي لفظ القوت: ليس هو من الدنيا. نقله صاحب القوت، وقد روي مرفوعاً نحوه: «من نظر إلى زهرة الدنيا أصبح ممقوتاً في ملكوت السماء، ومن صبر على القوت نزل في الفردوس حيث أحب» فدل ذلك على أن القوت ليس هو من الدنيا لأنه استثناه بمدحه على الصبر عليه بعد ذمها. وفي خبر آخر: «لا يعذب الله مؤمناً جعل رزقه في الدنيا قوتاً». **(فإذاً قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال في الآخرة وهو في الدنيا**

في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه، وغاية سعادته به أن يسلم لورثته فيأكلونه، وربما يكونون أعداء له وقد يستعينون به على المعصية فيكون هو معيناً لهم عليها، ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حياً ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصاً فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه، فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فإنما يحكم على قلبه بسلاسل تقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والأهل والولد وشماتة الأعداء ومراءاة الأصدقاء. وسائر حظوظ الدنيا، فلو خطر له أنه قد أخطأ فيه فقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيداً بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها ولو ترك محبوباً من محابه باختياره كاد أن يكون قاتلاً لنفسه وساعياً في هلاكه إلى أن يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة واحدة، فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها فهي تجاذبه إلى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه إلى الآخرة، فيكون أهون

أيضاً كذلك يعرفه من يختبر أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة) والتعب (في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال الذل فيه) في معاملاته، (وغاية سعادته به أن يسلم لورثته) إذا مات (فيأكلونه وهم أعداؤه) إذ كانوا يتمنون موته وينتظرونه، (وربما يستعينون على المعصية فيكون معيناً لهم عليها) إذ ورثهم ما أطغاهم فهو جمع مالاً لذريته يغنيهم في الدنيا بفقره في الآخرة وينجيهم به من الذل الذي بذل نفسه وهلكته في عاقبته فصار نعيمه لهم وشقاؤه عليه ترفهوا فيه بعده وهلك هو به، (وكذلك يشبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز إذ لا يزال ينسج على نفسه) لجهله وعدم معرفته بنفسه (حتى يقتلها ثم يروم الخروج فلا يجد مخلصاً فيموت ويهلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه) فصار عمله وكدحه لغيره ومتنعماً به ومات هو فيه، (فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فإنما يحكم على قلبه بسلاسل تقيده بما يشتهيه حتى تتظاهر عليه السلاسل) أي تتفاوت (فيقيده المال والجاه والأهل والولد وشماتة الأعداء ومراءاة الأصدقاء، وسائر حظوظ الدنيا. فلو فطن له أنه قد أخطأ فيه بقصد الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيداً بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها) عنه، (ولو ترك محبوباً من محابه باختياره كاد يكون قاتلاً لنفسه وساعياً في هلاكه إلى أن يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة واحدة) فمن حرص على الدنيا بالباطل فقد قتل نفسه، وقد قيل: بعداً وسحقاً لقتيل الدنيا لا يقاد له منها، فإن قوي حرصه عليها واشتد عشقه لها قتل غيره لغلبة هواه وقلة مبالاته لمن صحبه وولاه واطراحه لأحكام مولاه، (فتبقى السلاسل في قلبه معلقة بالدنيا التي فاتته وخلفها) وراء ظهره، (فهي) أي تلك السلاسل (تجاذبه إلى الدنيا ومخالب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه إلى الآخرة، فيكون أهون أحواله عند

أحواله عند الموت أن يكون كشخص ينشر بالمنشار ويفصل أحد جانبيه عن الآخر بالمجاذبة من الجانبين، والذي ينشر بالمنشار إنما يترك المؤلم ببدنه ويألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أثره، فما ظنك بألم يتمكن أولاً من صميم القلب مخصوصاً به لا بطريق السراية إليه من غيره، فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول في أعلى عليين وجوار رب العالمين، فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى، وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم إذ النار غير مسلطة إلا على محجوب، قال الله تعالى: ﴿كلاَّ إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ★ ثم إنهم لصالو الجحيم﴾ [المطففين: ١٥ ، ١٦] فرتب العذاب بالنار على ألم الحجاب، وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار، فكيف إذا أضيفت العلاوة إليه؟ فنسأل الله تعالى أن يقرر في أسماعنا ما نفث في روع رسول الله ﷺ حيث قيل له: أحبب من أحببت، فإنك مفارقه. وفي معنى ما ذكرناه من المثال قول الشاعر:

كدود كدود القز ينسج دائماً ويهلك غماً وسط ما هو ناسجُه

ولما انكشف لأولياء الله تعالى ان العبد مهلك نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه إهلاك

الموت أن يكون كشخص ينشر بالمنشار ويفصل أحد جانبيه من الآخر بالمجاذبة من الجانبين، والذي ينشر بالمنشار إنما ينزل المؤلم ببدنه ويألم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث أثره، فما ظنك بألم يتمكن أولاً من صميم القلب مخصوصاً به لا بطريق السراية إليه من غيره، فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرة فوت النزول في أعلى عليين وجوار رب العالمين، فبالنزوع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم، إذ النار غير مسلطة إلا على محجوب)، ولذا قالوا: أشد العذاب الحجاب (قال الله تعالى: ﴿كلاَّ إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾) أي عن رؤيته ولقائه (﴿ثم إنهم لصالو الجحيم﴾ فرتب العذاب بالنار عل ألم الحجاب، وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار، فكيف إذا أضيف العلاوة إليه)؟ فيكون أشد فأشد. (فنسأل الله أن يقذف) وفي نسخة يقرر (في أسماعنا ما نفث في روع رسول الله ﷺ حيث قيل له: أحبب ما أحببت فإنك مفارقه) رواه الطيالسي والشيرازي والبيهقي من حديث جابر قال لي جبريل: «يا محمد عش ما شئت فإنك ميت واحبب من أحببت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك ملاقيه» وقد تقدم. (وفي معنى ما ذكرنا من المثال قال الشاعر):

ألم تر أن المرء طول حياته معنى بأمر لا يزال يعالجه
(كدود كدود القز ينسج دائماً ويهلك غماً وسط ما هو ناسجه)

والكدود: فعول من الكد وهو التعب. (ولما انكشف لأولياء الله تعالى أن العبد مهلك

دود القز نفسه: رفضوا الدنيا بالكلية حتى قال الحسن: رأيت سبعين بدرياً كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم. وفي لفظ آخر: كانوا بالبلاء أشد فرحاً منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم قالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب، وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول: أخاف أن يفسد على قلبي فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده، والذين أمات حب الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم إذ قال تعالى: ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ [يونس: ٧] وقال عز وجل: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتّبع هواه وكان أمْرُه فرطاً﴾ [الكهف: ٢٨] وقال تعالى: ﴿فاعرض عمَّن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلاَّ الحياة الدنيا ★ ذلك مبلغهم من العلم﴾ [النجم: ٢٩ ، ٣٠] فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم،

نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه إهلاك دود القز نفسه) بنسجه على نفسه **(رفضوا الدنيا بالكلية)** حلالها وحرامها ولم يتعلقوا باعراضها، **(حتى قال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(رأيت سبعين بدرياً)** أي ممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ **(كانوا)** والله **(فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم)** كذا في القوت، مع أنهم ممن قد اطلع الله عليهم فغفر لهم. **(وفي لفظ آخر: كانوا بالبلاء)** والشدة تصيبهم **(أشد فرحاً منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين)**.

ألا إن سرّ جنـــــــــونهم عـزيـز لـدي أبـوابـه يسجـد العقـل

(ولو رأوا خياركم لقالوا: ما لهؤلاء من خلاق) أي من نصيب، **(ولو رأوا شراركم قالوا: ما يؤمن من هؤلاء بيوم الحساب)** كذا في القوت وتقدم ذكره أيضاً في كتاب عجائب القلب. قال: **(وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول)**: لا حاجة لي به **(أخاف أن يفسد عليَّ قلبي، فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف من فساده)** ومن تغيره وابعاده ويعمل في أسباب صلاحه ورشاده، **(والذين أمات حبّ الدنيا قلوبهم)** فهم يتقلبون في ظلمات الهوى، فربما انقلبوا على وجوههم فهم ممن خسر الدنيا والآخرة، أو يكونون من أهل الرضا بالدنيا وأهل الغفلة عن آيات الله فهم ممن رضي بلا شيء، **(فقد أخبر الله تعالى عنهم)** في كتابه العزيز: **(إذ قال تعالى: ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والّذين هُم عن آياتنا غافلون﴾ وقال تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾)** أي مجاوزاً لما نهي عنه مقصراً عما أمر به، وقيل: مقدما إلى الهلاك. فهؤلاء يستحقون الإعراض من الحبيب، ويستوجبون المقت من القريب، كمثل من أمر الله تعالى بالإعراض عنهم **(و)** ترك القبول منهم إذ **(قال تعالى: ﴿وأعرض عمن تولّى عن ذكرنا ولم يُرد إلاَّ الحياة الدنيا ★ ذلك مبلغُهم من العلم﴾ فأحال ذلك كله على الغفلة وعدم العلم، ولذلك قال رجل**

ولذلك قال رجل لعيسى عليه السلام: احملني معك في سياحتك. فقال: أخرج مالك والحقني. فقال: لا أستطيع، فقال عيسى عليه السلام: بعجب يدخل الغني الجنة ـ أو قال بشدة ـ وقال بعضهم: ما من يوم ذر شارقه إلا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات: ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب، يقول أحدهما بالمشرق: يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر، ويقول الآخر: اللهم أعط منفقاً خلفاً واعط ممسكاً تلفاً، ويقول اللذان بالمغرب، أحدهما: لدوا للموت وابنوا للخراب. ويقول الآخر: كلوا وتمتعوا لطول الحساب.

لعيسى عليه السلام: احملني معك في سياحتك. فقال: أخرج مالك والحقني. فقال: لا أستطيع. فقال عليه السلام: بعجب يدخل الغني الجنة ـ أو قال بشدة) . نقله صاحب القوت وتقدم قوله: بعجب يدخل الغني الجنة قريباً. (**وقال بعضهم: ما من يوم ذر شارقه**) أي طلعت شمسه (**إلا وأربعة أملاك ينادون في الآفاق بأربعة أصوات، ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب. يقول أحدهم بالمشرق: يا باغي الخير**) أي طالبه (**هلمّ**) أي أقبل، (**ويا باغي الشر**) أي طالبه (**اقصر، ويقول الآخر: اللهم اعط منفقاً خلفاً**) أي عوضاً (**واعط ممسكاً**) أي بخيلاً (**تلفاً**) أي هلاكاً. (**ويقول اللذان بالمغرب أحدهما: لدوا للموت وابنوا للخراب، ويقول الآخر: وتمتعوا لطول الحساب**) هكذا عزاه المصنف لبعضهم تبعاً لصاحب القوت. وقد روي ذلك مرسلاً من حديث عثمان بن محمد بن المغيرة بن الاخنس، رواه البيهقي في الشعب ولفظه: « ما من يوم طلعت شمسه إلا يقول من استطاع أن يعمل فيّ خيراً فليعمله فإني غير مكر عليكم أبداً، وما من يوم إلا ينادي مناديان من السماء يقول أحدهما: يا طالب الخير ابشر يا طالب الشر أقصر، ويقول أحدهما: اللهم اعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم اعط ممسكاً تلفاً ». ورواه الديلمي عن عثمان بن محمد المذكور، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس مرفوعاً وزاد بعد قوله « أبداً » وكذلك يقول الليل. وروى الحاكم في المستدرك من حديث أبي سعيد « ما من صباح إلا وملكان يناديان. يقول أحدهما: اللهم اعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم اعط ممسكاً تلفاً. وملكان موكلان بالصور ينتظران متى يؤمران فينفخان، وملكان يناديان: يا باغي الخير هلمّ، ويقول الآخر: يا باغي الشر اقصر، وملكان يناديان. يقول أحدهما: ويل للرجال من النساء، ويقول الآخر: ويل للنساء من الرجل ». وقد صححه الحاكم وتعقب. وروى البيهقي من حديث الزبير: « ما من صباح يصبحه العباد إلا وصارخ يصرخ: يا أيها الناس لدوا للتراب واجمعوا للفناء وابنوا للخراب ». وروى الديلمي من حديث أبي هريرة « إن لله تعالى ملكاً بباب من أبواب السماء يقول: من يقرض اليوم يجاز غداً، وملك آخر بباب آخر ينادي: اللهم اعط منفقاً خلفاً وعجل لممسك تلفاً ».

بيان علامات الزهد:

اعلم أنه قد يظن أن تارك المال زاهد وليس كذلك، فإن ترك المال وإظهار الخشونة سهل على من أحب المدح بالزهد، فكم من الرهابين من ردوا أنفسهم كل يوم إلى قدر يسير من الطعام ولازموا ديراً لا باب له، وإنما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم إليه ومدحهم له، فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة، بل لا بدّ من الزهد في المال والجاه جميعاً حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا، بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الأصواف الفاخرة والثياب الرفيعة، كما قال الخوّاص في وصف المدعين إذ قال: وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموّهون بذلك على الناس ليهدي إليهم مثل لباسهم لئلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما تعطى المساكين، ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم وأنهم على السنّة، وأن الأشياء داخلة إليهم وهم خارجون منها، وإنما يأخذون بعلة غيرهم. هذا إذا طولبوا بالحقائق وألجئوا إلى المضايق، وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا بتهذيب

بيان علامات الزهد:

(اعلم) وفقك الله تعالى لولا الامتحان لكثر الصادقون، ولا بد لكل مؤثر من أثر يدل عليه، فكذلك لا بدّ لكل مقام من علامة تدل على صحته، وإليه أشار المصنف بقوله: (**إنه قد يظن أن تارك المال زاهد وليس كذلك، فإن ترك المال وإظهار الخشونة**) في العيش (**سهل على من أحب المدح بالزهد، فكم في الرهابين**) جمع رهبان جمع راهب (**من ردوا أنفسهم كل يوم إلى قدر يسير من الطعام ولازموا ديراً لا باب له**) ولا منفذ للهواء فيه، (**وإنما مسرة أحدهم**) وفي نسخة مشرب أحدهم (**معرفة الناس حاله ونظرهم إليه ومدحهم له**) بترك الدنيا والزهد فيها، (**فذلك لا يدل على الزهد دلالة قاطعة، بل لا بدّ من الزهد في المال والجاه جميعاً حتى يكمل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا، بل قد يدعي جماعة الزهد مع لبس الأصواف الفاخرة والثياب الرفيعة، كما قال**) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد (**الخوّاص**) رحمه الله تعالى هو من أقران الجنيد والنوري مات بالري سنة ٢٩١ (**في وصف المدعين**) في الزهد (**إذ قال: وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموّهون بذلك على الناس ليهدي إليهم مثل لباسهم لئلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين، ويحتجون لنفوسهم باتباع العلم، وأنهم على السنّة، وأن الأشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها، وإنما يأخذون بعلة غيرهم هذا إذا طولبوا بالحقائق وألجئوا إلى المضايق**) قال: (**وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية**

أخلاق نفوسهم، فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالاً لهم فهم مائلون إلى الدنيا متبعون للهوى، فهذا كله كلام الخوّاص رحمه الله.

فإذاً معرفة الزهد أمر مشكل، بل حال الزهد على الزاهد مشكل، وينبغي أن يعول في باطنه على ثلاث علامات.

العلامة الأولى: أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى: ﴿لكيلا تأسَوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [الحديد: ٢٣] بل ينبغي أن يكون بالضد من ذلك: وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده.

أسرارهم ولا بتهذيب أخلاق نفوسهم، فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالاً لهم مائلون إلى الدنيا متبعون للهوى، فهذا كله كلام الخوّاص) أورده في كتاب شرف الفقراء. ونقله صاحب القوت، وتقدم أن الخواص كان لا يلبس أكثر من قطعتين مئزرين أو قميص ومئزر تحته، وربما يعطف ذيل قميصه على رأسه أو يحله من وسطه فيغطي به رأسه، وقد كان يحيى بن معاذ الرازي يصف الزاهدين من العارفين والمتحققين بالحال المستحقين لاسم الزهد، ومعناه في نتف من كلامه هي من أحوال أهل المعرفة زادوا بها على مقام الزاهدين من المؤمنين، وكان يقول في وصفهم: الزهد مع الغنى أفضل من الزهد مع الفقر، يزهد الرجل، وفي قصره أمثال التصاوير من النساء، لو نظر الزاهد الفقير إلى وصيفة منهن غشي عليه وقال: إذا زهد في الدنيا حجبه عن العامة، وإذا عرف حجب عن الزهاد وقال: إذا حجب العارف لعزته اصطيد بالطعمة، يدعى إلى طعام فيجيب فيظفرون به بذلك، وكذلك اصطيد أبوه آدم بالطعمة من الشجرة وكان يقول: لا يمكن العابد والزاهد أن يستتر عن الخلق والعارف مستور كأنه رجل من الناس وهو أفضل ما تحمله الأرض لا يعرفه إلا مثله ولا يصبر على معاشرته إلا شكله. هذا كله كلام يحيى بن معاذ وسيأتي باقي كلامه بعد.

(فإذاً معرفة الزهد مشكل، بل حال الزهد على الزاهد مشكل، وينبغي أن يعوّل في باطنه على ثلاث علامات):

(الأولى: أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى: ﴿لكيلا تأسوا) أي تحزنوا **(على ما فاتكم ولا تفرحوا)** على النعمة **(بما أتاكم﴾)** فرح بطر، **(بل ينبغي أن يكون)** الزاهد بإعراضه عن الدنيا وقلة رغبته فيها **(بالضد من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده)** لاكتفائه بما ينفعه، وقد جعل بعضهم هذا المعنى حداً للزهد كما تقدم في أوّل السياق وهو في الحقيقة من ثمراته أو من علاماته.

العلامة الثانية: أن يستوي عنده ذامه ومادحه، فالأوّل علامة الزهد في المال، والثاني علامة الزهد في الجاه.

العلامة الثالثة: أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة، إذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة إما محبة الدنيا وإما محبة الله وهما في القلب كالماء والهواء في القدح، فالماء إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان. وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره، ولذلك قيل لبعضهم: إلى ماذا أفضى بهم الزهد؟ فقال: إلى الانس بالله. فأما الأنس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان.

(الثانية: أن يستوي عنده ذامّه ومادحه) فلا يفرح إذا سمع بمدحه ولا يحزن إذا سمع بذمه، وكان يونس بن ميسرة يذهب إلى هذا ويقول: ليس الزهادة في الدنيا تحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن أن يكون ذامك ومادحك سواء **(فالأولى علامة الزهد في المال، والثانية علامة الزهد في الجاه)** لأن معنى الجاه ملك القلوب، فإذا استوى عنده الذم والمدح لم يفتقر إلى ملك القلوب.

(الثالثة: أن يكون أنسه بالله تعالى) لا بشيء من الأشياء، **(والغالب على قلبه حلاوة الطاعة)** فإن الأنس بالله والدنيا لا يجتمعان، **(إذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة إما محبة الدنيا وإما محبة الله، وهما في القلب كالماء والهواء في القدح، فالماء إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان)**، وقد كان عمر رضي الله عنه يقول: إذا ذكر الدنيا والآخرة إن هما إلا بمنزلة قدحين لك ملء أحدهما فما هو إلا أن يفرغ أحدهما في الآخر. يعني أنك إذا امتلأت بالدنيا تفرغت من الآخرة، وإن امتلأت بالآخرة تفرغت من الدنيا وإن كان لك ثلث قدح الآخرة أدركت ثلثي قدح الدنيا وإن كان لك ثلثا قدح الآخرة يكون لك ثلثه من الدنيا. قال صاحب القوت: وهذا تمثيل حسن وتعديل صحيح. **(وكل من أنس بالله تعالى اشتغل به ولم يشتغل بغيره، ولذلك قيل لبعضهم: إلى ماذا أفضى بهم الزهد؟ فقال: إلى الانس بالله)**، والمراد بالبعض أبو محمد سباع الموصلي، ففي القوت قال مضر بن عيسى، قلت لسباع الموصلي: يا أبا محمد إلى أي شيء أفضى بهم الزهد؟ قال: إلى الانس بالله. أي لزوال وحشة الدنيا وخروج ظلمة النفس بالهوى وقع الانس بالنور ولا يجد الانس بالحبيب والوجد بالقريب غير زاهد. **(فأما الانس بالله وبالدنيا لا يجتمعان)**. وقال صاحب القوت: قوت الزهد الذي لا بدّ منه وبه تظهر صفة الزاهد ويفضل به على الراغب هو أن لا يفرح بعاجل موجود من حظ النفس ولا يحزن على مفقود من ذلك، وأن يأخذ الحاجة من كل شيء ولا يتناول عند الحاجة إلا سدّ الفاقة ولا يطلب الشيء قبل الحاجة، وأوّل الزهد دخول غم الآخرة في القلب ثم وجود حلاوة المعاملة للرب، ولا يدخل غم الآخرة في قلبه حتى يخرج هم الدنيا، ولا يدخل حلاوة المعاملة حتى يخرج حلاوة الهوى، وكل من ترك المعصية لم يجد حلاوة الطاعة رجع إليها، ومن ترك الدنيا ولم يجد حلاوة الزهد رجع فيها، وكل

وقد قال أهل المعرفة: إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعاً وعمل لهما، وإذا بطن الإيمان في سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لها، ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام: اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي. وقال أبو سليمان: من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين، ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين، والزاهد لا بدّ وأن يكون في أحد هذين المقامين، ومقامه الأوّل أن يشغل نفسه بنفسه، وعند ذلك يستوي عنده المدح والذم والوجود والعدم، ولا يستدل بإمساكه قليلاً من المال على فقد زهده أصلاً.

من وجد حلاوة الطاعة ولم يجد حلاوة المعرفة لم يدم عليها، وكل من وجد حلاوة الزهد ولم يذق حلاوة اليقين لم يؤمن عليه دخول التفتين ورغب في الدنيا ولو بعد حين.

(**وقد قال أهل المعرفة**) في تنويع الإيمان في القلب فجعلوه على مقامين، وجعلوا لهما زهدين حيث قالوا: (**إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعاً وعمل لهما**) وكل منهما يتجاذبان، (**وإذا بطن الإيمان في سويداء القلب**) أي باطنه (**وباشره**) أحب الآخرة وحدها وعمل لها و(**أبغض الدنيا، فلم ينظر إليها ولم يعمل لها**) نقله صاحب القوت، (**ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام: اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي**) أي يخالطه.

(**وقال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى: (**من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين، ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين**). ولهذين المقامين دليل من السنة، وهو ما روي عن النبي ﷺ انه سئل أي الناس خير؟ فقال: من يشنأ الدنيا ويحب الآخرة. قيل: فإن لم يكن؟ قال: مؤمن في خلق حسن، والشاهد الآخر من الخبر الثاني أن النبي ﷺ سأل أصحابه: أتدرون من خير الناس؟ قالوا: مؤمن موسر من المال يعطي حق الله في نفسه وماله. فقال: نعم الرجل هذا وليس به خير الناس فقير يعطي جهده وقد تقدم هذا، (**والزهد لا بدّ وأن يكون في أحد هذين المقامين، ومقامه الأوّل أن يشغل نفسه بنفسه، وعند ذلك يستوي عنده المدح والذم والوجود والعدم**) وهذا مقام المشاهدة للآخرة، ويكون بعد الزهد الذي يكون عن حقيقة الإيمان ثم تستوي الأشياء عنده ويستوي عدمها ووجودها، وعنده يكون استواء المدح والذم لاستواء قلبه في المشاهدة، وقد روي من حديث الحسن أن النبي ﷺ قال لرجل: «هل استويت؟» قال: وكيف استوي؟ قال «يستوي عندك المدح والذم» فهذا يكون لسقوط قدر النفس وذهاب رؤية الخلق فعندها بسقط الرياء والرغبة فيثبت الاخلاص والزهادة. (**ولا يستدل بامساكه قليلاً من المال على فقد زهده أصلاً**). وقد روي عن السفيانيين أنهما سئلا: أيكون الرجل زاهداً وله مال؟ قالا: نعم، إذا كان ممن إذا ابتلي فصبر، وإذا أنعم عليه شكر. قال ابن أبي الحواري: فقلت لابن عيينة: يا أبا محمد قد أنعم عليه فشكر وابتلي فصبر وحبس النعمة

قال ابن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان: أكان داود الطائي زاهداً؟ قال: نعم. قلت: قد بلغني أنه ورث عن أبيه عشرين ديناراً فأنفقها في عشرين سنة، فكيف كان زاهداً وهو يمسك الدنانير؟ فقال: أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية فإن الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس، ولا يتم الزهد إلا بالزهد في جميعها، فكل من ترك من الدنيا شيئاً مع القدرة عليه خوفاً على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه، وآخره أن يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجراً كما فعله المسيح عليه السلام، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مبادئه نصيباً وإن قلّ، فإن أمثالنا لا تستجرىء على الطمع في غاياته وإن كان قطع الرجاء عن فضل الله غير مأذون فيه. وإذا لاحظنا

كيف يكون زاهداً؟ فضربني بيده وقال: اسكت من لم تمنعه النعماء من الشكر ولا البلوى من الصبر، فذلك الزهد، ووافقها الزهري كذلك: وقد فصل أبو سليمان ذلك.

(**قال**) أبو الحسن أحمد (**ابن أبي الحواري**) الدمشقي، صحب أبا سليمان الداراني وغيره، وكان يسميه الجنيد ريحانة الشام مات سنة ٢٣٠. (**قلت لأبي سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى: (**أكان داود**) بن نصير (**الطائي**) أبو سليمان (**زاهداً؟ قال: نعم. قلت: قد بلغني أنه ورث عن أبيه عشرين ديناراً فأنفقها في عشرين سنة، فكيف كان زاهداً وهو يمسك الدنانير**)؟ رواه كذلك عثمان بن زفر عن ابن عم لداود وقد تقدم. وروى أبو نعيم في الحلية، عن أبي محمد بن حيان، حدثنا إسحاق بن حسان، حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال، قال أبو سليمان الداراني: ورث داود الطائي من أبيه دنانير فكان ينفق منها حتى كفن بآخرها (**فقال: أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية، فإن الزهد ليس له غاية**) ينتهي السالك إليها (**لكثرة صفات النفس، ولا يتم الزهد إلا بالزهد في جميعها**) والحب للجليل والانس باللطيف هما غاية الطالبين، فمن لم يتحقق بالزهد لم يبلغ مقام الحب ولم يدرك حال الانس وسرائر الغيب الملكوتية في مقام الحب والخلة اليقينية، وغيابات السر العزية الجبروتية في حال الانس، (**فكل من ترك من الدنيا شيئاً مع القدرة عليه خوفاً على قلبه وعلى دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه**) وهذا أوّله وله درجات، (**وآخره أن يترك كل ما سوى الله**) تعالى (**حتى لا يتوسد حجراً**) أي لا يضع رأسه على شيء مرتفع ولو حجراً، فإنه من جملة نعيم الدنيا لحصول الراحة للنفس بسببه، (**كما فعله المسيح**) عيسى (**عليه السلام**) وتقدم ذكره قريباً، وبين هذين مقامات ولتلك المقامات درجات، وقد عين بعضهم للزهد أربعة وعشرين مقاماً ونوعه، ومنهم من أوصل إلى ثلاثة وسبعين مقاماً. (**فنسأل الله تعالى أن يرزقنا من مبادئه**) أي الزهد (**نصيباً وإن قلّ فإن أمثالنا لا يستجريء على الطمع في غاياته وإن كان قطع الرجاء عن فضل الله**) تعالى (**غير مأذون فيه، وإذا لاحظنا عجائب نعم الله تعالى علينا**) ظاهرة

عجائب نعم الله تعالى علينا علمنا أن الله تعالى لا يتعاظمه شيء فلا بعد في أن لعظم السؤال اعتماداً على الجود المجاوز لكل كمال.

فإذاً علامة الزهد استواء الفقر والغنى، والعز والذل، والمدح والذم، وذلك لغلبة الانس بالله ويتفرع عن هذه العلامات علامات أخـر لا محالة مثل: أن يترك الدنيا ولا يبالي من أخذها. وقيل: علامته أن يترك الدنيا كما هي فلا يقول: أبني رباطاً أو أعمر مسجداً.

وقال يحي بن معاذ: علامة الزهد السخاء بالموجود.

وباطنة (علمنا ان الله تعالى لا يتعاظمه شيء فلا بُعد في أن نعظم السؤال اعتماداً على الجود) الإلهي (المجاوز لكل كمال) فما لا يدرك كله لا يترك كله ومن فاته من الكمال وبله لا يفوته ظله.

(فإذاً علامة الزهد استواء الفقر والغنى، والعز والذل، والمدح والذم لغلبة الانس بالله) المتوحد بالافعال. وقال يحي بن معاذ: لا يكمل للزاهد زهده إلا باستواء الحال في هذه الخصال: الموجود، والمقصود، والسفر والحضر، والعـز والذل، والمدح والذم، والغنـى والفقـر. (وتتفرع عن هذه العلامات علامات أخر لا محالة مثل أن يترك الدنيا ولا يبالي من أخذها) أي لا يكترث نقله القشيري عن أبي عثمان المغربي وجعله حداً للزهد وهو من علاماته.

(وقيل: علامته أن يترك الدنيا كما هي) وليس من علاماته خلو اليد من المال، لأنه قد يمسكه لغرض ديني، وقيل: لا يستحب ذلك (فلا يقول: أبني) بها (رباطاً أو أعمر) بها (مسجداً) أو نحوه مما ترتاح النفس إليه من حب الثناء عليها به نقله القشيري قال: سمعت أبا على الدقاق يقول ذلك، وقد جعله حداً للزهد وهو من علاماته.

وبالجملة، فشرط الزهد أن لا يكون بقلبه التفات للدنيا إذا اعرض عنها. وقال محمد بن إسحاق الصوفي. والصحيح عندي إذا وجد في نفسه هذه العلامات فليخرج الدنيا إلى الأحوج والأولى، فإن لم يوجد ذلك وعلم وجود الأفضل والمحتاج في ثاني الحال فلا يضره ابقاء المال في يده حتى يجد موضعه، وإياك أن تغتر بهذا قبل وجدان العلامات فيهلكك سم المال قبل أن تنتفع بدرياقه. نعم إلا أن يكون متبوعاً يخاف من اقتداء الغير به فيتركها في الوقت تأسياً بالأنبياء عليهم السلام فافهم ذلك.

(وقال) أبو زكريا (يحي بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى: (علامة الزهد السخاء بالموجود) وقال مرة الزهد يورث السخاء بالملك، والحب يورث السخاء بالروح نقله القشيري. فالزاهد لا كلفة عليه في بذل الموجود وإن جلّ، والمحب يسهل عليه بذل روحه لله وشتان بين المقامين.

وقال ابن خفيف: علامته وجود الراحة في الخروج من الملك. وقال أيضاً: الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف.

وقال أبو سليمان: الصوف علم من أعلام الزهد فلا ينبغي أن يلبس صوفاً بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم.

وقال أحمد بن حنبل وسفيان رحمهما الله: علامة الزهد قصر الأمل. وقال سري: لا يطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه.

(**وقال**) أبو عبيد الله محمد (**بن خفيف**) الشيرازي المعروف بالشيخ الكبير وهو رئيس الطريقة البكرية: (**علامة الزهد وجود الراحة في الخروج من الملك**) نقله القشيري، ولعله بما يلحق القلب عند وجوده من التشويش في حفظه ومن خوفه على قلبه من تعلقه به وكيف يصرفه. (**وقال أيضاً: الزهد هو عزوف النفس**) أي انصرافها (**عن الدنيا بلا تكلف**) فيه، لأن قلبه امتلأ بصغر قدرها وما يترتب عليها من ضررها بخلاف المتزهد، فإنه يتكلف للاعراض عنها فقوله: بلا تكلف إشارة إلى الفرق بين الزاهد والمتزهد، ثم إن هذا القول الذي عزاه المصنف لابن خفيف قد عزاه القشيري لغيره وهذا لفظه بعد أن ذكر قوله الأوّل. وقال أيضاً: الزهد سلو القلب عن الأسباب ونفض الأيدي من الأملاك، وقيل: الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف ولعل في سياق المصنف سقطاً فتأمل.

(**وقال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى: (**الصوف**) أي لبسه (**علم من أعلام الزهد فلا ينبغي**) للزاهد (**أن يلبس صوفاً بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم**) نقله القشيري. أي: رغبة لبس صوف بخمسة دراهم. أشار بذلك إلى أن الزهد في القلب ليس بلبس الغليظ ولا بأكل الخشن وإن كان ذلك علامة له، لأن الزهد ضد الرغبة هو من أعمال القلوب. وفي القوت قال أحمد بن أبي الحواري: لبست عباءة فنظر إلي وقال: هذا يكون آخر الزهد جعلتموه أوله. أما يستحي أحدهم يلبس عباءة بدرهمين وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم وقال: لو ستر زهده بثوبين أبيضين كان أحب إليَّ.

(**وقال أحمد بن حنبل وسفيان**) الثوري وعيسى بن يونس وغيرهم: (**علامة الزهد إنما هو قصر الأمل**) قال القشيري: وهذا الذي قالوه يحمل على أنه من إشارات الزهد والأسباب الباعثة عليه والمعاني الموجبة له انتهى أي عرفاً، فإن العبد متى أقصر أمله واستشعر سرعة موته وفراقه للدنيا قلّت رغبته فيها وفترت همته عن تحصيلها، وقد جاء في الخبر «كفى بذكر الموت مزهداً» وتقدم في أوّل الباب: إن هذا حدّ للزهد والصحيح أنه من العلامات.

(**وقا السري**) السقطي رحمه الله تعالى: (**لا يطيب عيش الزاهد إذا اشتغل عن نفسه**) أي بغيرها من الشهوات لأن شغله بنفسه إنما هو باعراضها عن محبوباته الدنيوية، فإذا عدل عنها

وقال النصراباذي: الزاهد غريب في الدنيا، والعارف غريب في الآخرة.

وقال يحي بن معاذ: علامة الزهد ثلاث: عمل بلا علاقة، وقول بلا طمع، وعز بلا رئاسة. وقال أيضاً: الزاهد لله يسعطك الخل والخردل، والعارف يشمك المسك والعنبر.

إلى غيرها فقد اشتغل عنها وعن اعراضها عن ذلك، فلا يكون زاهداً، ومتى زهد في شيء من الدنيا وبقي عليه شيء لم يزهد فيه لم يكمل زهده، ولذلك لما سئل الجنيد عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا التنعم بمص النواة قال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم. أشار به إلى ان من بقي عليه ما ذكر لم تكمل حريته من رق الشهوات، (**ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه**) عن مولاه لأن شغله إنما هو بمولاه عمن سواه نقله القشيري.

(**وقال**) القشيري: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت (**النصراباذي يقول**)، وهو أبو القاسم ابراهيم بن محمد شيخ خراسان في وقته، وصحب الشبلي وأبا علي الروذباري والمرتعش، وكان إماماً محدثاً صوفياً مات بمكة سنة ٣٦٧، (**الزاهد غريب في الدنيا، والعارف**) بالله (**غريب في الآخرة**) أي لأن أكثر العمال لها إنما يعملون خوفاً من العقاب أو رجاء للثواب بخلاف العارفين فإنه بمعرفة جلال الله وعظمته وبحسن وجوب عبوديته لحق أمره ونهيه لا يترك العمل أصلاً، وهذا غريب قليل في ابناء الآخرة.

(**وقال يحي بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالى: (**علامة الزهد ثلاث**): احداها (**عمل بلا علاقة**) أي خالصاً لله تعالى لا لعلة من علل الدنيا ولا لخوف العقاب ورجاء الثواب في الآخرة. فكمال زهده في الحظوظ العاجلة والآجلة أن يكون عمله لوجه ربه خاصة دون غيره. (**و**) الثانية: (**قول بلا طمع**) أي عاجل ولا آجل، فيخلص في أقواله كما يخلص في أعماله. (**و**) الثالثة. (**عز بلا رئاسة**) بأن يكون عزيزاً عن أن يذل نفسه في طلب الدنيا فيتعاطى الأمور الخسيسة التي تزري بقدره فلا يكون عزه إلا بمولاه، وربما أغناه به بفضله عمن سواه. وهذا القول نقله القشيري ولفظه. وقال يحي بن معاذ: لا يبلغ أحد حقيقة الزهد حتى تكون فيه ثلاث خصال فذكرها، ولا يخفى أن المراد بحقيقته هي غلبة أحواله على القلب، فلا يكون حداً جامعاً للزهد، ولذلك عبّر المصنّف عنها بالعلامة.

(**وقال أيضاً: الزاهد لله**) لكون قلبه امتلأ بهوان الدنيا عند الله وكثرة آفاتها بحيث أنك تجد أكثر كلامه في بيان نقائصها كأنه (**يسعطك**) يا طالبها (**الخل والخردل**) من حيث أنه يؤلمك بكلامه وينكد عليك ما أنت فيه ويصغر قدرك، (**والعارف**) بالله لكون قلبه قد امتلأ بمعرفته وبجماله وبجلاله وتوالي إنعامه وإفضاله على خلقه بحيث أنك تجد أكثر كلامه في بيان ذلك كأنه (**يشمك المسك والعنبر**) من حيث أنه يرغبك في نيل المقامات، ويشرح صدرك بذكر فضل الله ونعمه على خلقه، فكل من الزاهد والعارف تكلم بما غلب عليه من أحواله وهذا القول نقله القشيري هكذا، ولفظ القوت ننشر عليك المسك والعنبر، (**وقال له**) أي ليحي بن معاذ:

وقال له رجل: متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين؟ فقال: إذا صرت من رياضتك لنفسك في السر إلى حدّ لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح. وقال أيضاً: الدنيا كالعروس ومن يطلبها ماشطتها، والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها، والعارف يشتغل بالله تعالى ولا يلتفت إليها. وقال السري: مارست كل شيء من أمر الزهد فنلت منه ما أريد إلا الزهد في الناس فإني لم أبلغه ولم أطقه.

(**رجل متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين**) وفي بعض نسخ الرسالة: وسئل أيضاً متى أبلغ حقيقة الزهد وأقعد مع الزاهدين (**فقال: إذا صرت**) أي وصلت (**من رياضتك لنفسك في السر إلى حدّ لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك في بساط الزاهدين جهل، ثم لا آمن عليك أن تفتضح**) بينهم نقله القشيري في الرسالة، وهو تنبيه على أنه لا ينبغي للعبد أن يقطع الأسباب ويتجرد عنها حتى يجد من نفسه قوّة على الصبر على ألم الجوع نحو ثلاثة أيام، ولا يجد منها الضعف عن عبادته، وإلاّ كان مغروراً ومعرضاً نفسه إلى سؤال الخلق، ولا يخفى أن هذا من علامات الزهد لا أنه من حقيقته.

(**وقال أيضاً: الدنيا كالعروس**) المجلوة تراها الأبصار وتحبها القلوب وتمدحها الألسن من حيث أن الله تعالى خلقها وجلها بالمال والبنين وغيرها، (**ومن يطلبها**) ويعمرها (**ماشطتها**) من حيث أنه يديرها حسناً للمغرورين، (**والزاهد فيها يسخم**) أي يسود (**وجهها وينتف شعرها**) الذي هو من جلة الزينة (**ويخرق ثوبها**) من حيث أنه لما عرف نقصها وفناءها وقطعها للعبد عن عبادته اشتغل بتزهيد الخلق فيها وتقبيح محاسنها، (**والعارف**) بالله (**يشتغل بالله**) تعالى لا يلتفت إليها لكمال شغله بالله وبمعرفته وجماله وجلاله ومناجاته عن ذمها فضلاً عن مدحها، وهذا القول نقله القشيري أيضاً، وليحيي بن معاذ نتف كلام في مقام الزهد والمحبة غير ما ذكره المصنف وقد تقدم بعضه، وسيأتي بعضه في خاتمة الكتاب.

(**وقال السري**) السقطي رحمه الله تعالى: (**مارست كل شيء من أمر الزهد**) فنلت منه ما أريده كالزهد في المطعم والملبس والمنام وفضول الكلام (**إلا الزهد في الناس**) أي في لقائهم والتبسط معهم والاستئناس بمحادثتهم، (**فإني لم أبلغه ولم أطقه**) أي لعزته نقله القشيري، وهذا أيضاً من علامات الزهد، وقد جعله بعض حداً له كما تقدم.

وقال الفضيل رحمه الله: جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا.

فهذا ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه، وإذا كان الزهد لا يتم إلا بالتوكل فلنشرع في بيانه إن شاء الله تعالى.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: **(جعل الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا)** ولذلك جعل أساس كل خطيئة. وقال بعضهم: أصول الشر ثلاثة: الحرص والحسد وحب الدنيا، وفروعه ستة: طلب الرئاسة والفخر والثناء وحب الراحة والطعام والنوم، **(وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا)** فإذا أعرض العبد عنها تيسرت له الخيرات كلها، وهذا القول نقله القشيري في الرسالة بسنده قال: سمعت محمد بن عبد الله يقول: حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا محمد بن جعفر قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول فذكره، وعزاه صاحب القوت إلى سفيان الثوري والفضيل أي أن هذا القول قد روي عن كل منهما.

(فهذا ما أردنا أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه) وثمراته، **(وإذا كان الزهد لا يتم إلا بالتوكل)** لكونه شرطاً فيه، **(فلنشرع في بيانه إن شاء الله تعالى)**. ولنختم هذا الباب بفصول فيها بيان لما أبهمه المصنف، وتفصيل لما أجمله ومزيداً لما أشار إليه تارة وتركه أخرى فنقول:

فصل

الورع لا يوصل إليه إلا بعد الزهد في الدنيا لأنه إذا لم يزهد في شيء لم يمكنه أن يرع عنه، فإذا أعطى الزهد فيه وعوض من الرغبة بدلاً منه سهل عليه الورع عنه فتركه زهداً في الدنيا ورغبة فيما وعد الله وخيفة من المطالبة به وحباً لموافقة محبة الله بتركه. ألم تسمع إلى حسان بن أبي سنان وكان من خيار التابعين إذ يقول: ما زاولت شيئاً أيسر من الورع عليَّ. قيل: وكيف ونحن نظن أنه من أشد الأعمال؟ فقال: إذا رابني أمر تركته، فلما وهب له الزهد فيه وعوض عنه محبة الله به هان عليه الورع.

فصل

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته، ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى، والتواضع أحب إليه من الشرف، والذل أحب إليه من العز، وحتى يكون مادحه وذامه عنده سواء؛ فهذا هو تفسير حقيقة الزهد في النفس وهو يستوعب كلية الزهد في الدنيا، والثلاث الأخر التي قرنها بالفقر هن من إخبات الفقير إذا كان صادقاً زاهداً. كان ذليلاً في نفسه متواضعاً بنفسه لا يكترث بمدح ولاذم لسقوط نفسه عنده وإطراح الخلق عنده، فهذا علم وجود اليقين الذي ضده علامة النفاق أن يكره الذم ويحب المدح.

....

وأما وهب بن منبه فقد جعل الزهد من استكمال العقل فقال: لا يستكمل العبد العقل حتى تكون فيه هذه الخصال: يكون الفقر أحب إليه من الغنى، والذل أحب إليه من العز، والتواضع أحب إليه من الشرف، فهذا عقل العالمين بالله وهم عقلاء الموقنين وهو عقل هداية الآخرة المنوط بمعرفة الآخرة، لا عقل الواله على الدنيا المرتبط بالعكوف على الخلق لقوة مشاهدة الخلق بعين اليقين ولضعف شاهد المعقول باستجلاب حظوظ النفس من الفضول، فلذلك جعل ابن مسعود هذه الثلاث من حقيقة الإيمان وذروته. ولعمري أن كمال الإيمان وأعلاه هو بكمال العقل ونهاه، فالعقل مكان الإيمان مثله كالفتيلة مكان المصباح، فإذا حقق الإيمان وكمل زيد في تحقيق العقل وتكميله وكان معه الزهد بحقيقته.

فصل

قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: إنما فضل الله الأنبياء بما أعطاهم من العلم به وما زهدوا في الدنيا مع القيام والصبر عليه، فجعل العلم بالله معياراً على النبوة تفاضل الأنبياء وهو علم اليقين الكاشف لعين اليقين المتجلي به وصف الوحدانية وجعل سبب ذلك الزهد، فالزهد مقتضى اليقين لأنه موجب الزهد فهو عنه ولذلك فسروا الزهد باليقين.

فصل

قال رسول الله ﷺ: «الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق بما في يد الله وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها ارغب فيها لو أنها أبقيت لك». رواه الترمذي. وقال غريب ضعيف من حديث أبي ذر ورواه البيهقي في الزهد كذلك. ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي الدرداء.

وروى الديلمي من حديث ابن عباس: «الزهد في زماني هذا في الدنانير والدراهم، وليأتين على الناس زمان الزهد في الناس أنفع لهم من الزهد في الدنانير والدراهم».

وروي أيضاً من حديث أبي هريرة: «الزهد أن تحب ما يحب خالقك وأن تبغض ما يبغض خالقك وأن تتحرج من حلال الدنيا كما تتحرج من حرامها فإن حلالها حساب وحرامها عذاب وأن ترحم جميع المسلمين كما ترحم لنفسك وأن تتحرج عن الكلام فيما لا يعنيك كما تتحرج من الحرام وأن تتحرج من كثرة الأكل كما تتحرج من الميتة التي قد اشتد نتنها وأن تتحرج من حطام الدنيا وزينتها كما تتحرج من النار وأن تقصر أملك من الدنيا»، فهذا هو الزهد في الدنيا. فهذه الأخبار الثلاثة جامعة لحقائق الزهد.

فصل

قال سهل التستري رحمه الله تعالى: الصديقون في بدايتهم طلبوا الدنيا من الله فمنعهم، فلما تمكنوا من أحوالهم عرضها عليهم فامتنعوا منها، فالحال الأول: موضع العصمة إن منعهم منها

لضعفهم لئلا يهلكوا بقبولها ، فلما تمكن منهم ومكنهم عنده ردّها عليهم لأنهم قد صلحوا للأخذ آخذين ما آتاهم ربهم أنهم كانوا قبل ذلك محسنين ، فلما ذاقوا حلاوة الزهد وجدوا نعيم الحب لم يكن عندهم للدنيا ولا في قلوبهم قدر ، فاعرضوا عنها لما عرضها عليهم بحسن إقبالهم عليه .

فصل

كان عون بن عبيد الله المسعودي يحكي عن طريقة السلف فقال : إن من كان قبلكم كانوا إنما يجعلون لدنياهم ما فضل من آخرتهم ، وأنكم تجعلون آخرتكم ما فضل عن دنياكم أي لرجحان كفة الآخرة في قلوبهم وغلبة أمرها عليهم ولقوة يقينهم يقدمون شأنها فيبدأون بأن ينقلوا من دار عنها يرتحلون إلى دار فيها يقيمون أحسن ما يدخرون ، ويقدمون لدار الحياة والبقاء المؤبد من محل الموت والفناء المؤقت المحدود أجود ما يقتنون ، إذ دارهم أمامهم وحياتهم بعد موتهم لأنهم خلقوا للآخرة لا للدنيا وللبقاء لا للفناء ، ثم يجعلون ما فضل من عيشهم لدنياهم لأنه متاع في الحال وبلاغ إلى وقت وحين ، وهذا علامة حسن اليقين وهو يقين الزهد الذي صار الزهاد به زاهدين ، لا يقين الإيمان الذي صار به المسلمون مؤمنين بنفي الشرك بالصاحبة والولد .

فصل

أصل الرغبة في الدنيا من ضعف اليقين ، لأن العبد لو قوي يقينه نظر بنوره إلى الآجل فغاب في نظره العاجل فزهد فيما غاب وأحب الحاضر فآثر ما هو أعود عليه وأبقى وأنفع له ولمولاه أرضى وقدم ما يفنى وينقطع إلى ما يدوم ويتصل ، وهذا هو صورة الزهد وشهادة الموقن ، لأن الحاضر لا يحب ما غاب وانتقل . ألم تسمع إلى وصفه تعالى إبراهيم عليه السلام في قوله : ﴿لا أحب الآفلين﴾ [الأنعام : ٧٦] بعد قوله : ﴿ليكون من الموقنين﴾ فالموقن مأمور باتباع ملة إبراهيم ، وليس يشهد الوعد والوعيد بنور العقل إنما يشهد بنور اليقين .

فصل

الزهد يكون بمعنيين : إن كان الشيء موجوداً فالزهد فيه إخراجه وخروج القلب منه ولا يصح الزهد مع تبقيته للنفس لأن ذلك دليل الرغبة فيه وهذا زهد الأغنياء ، وإن لم يكن الشيء موجوداً وكان العدم هو الحال ، فالزهد هو الرضا بالحال والغبطة بالفقد وهذا زهد الفقراء ، وكذلك في القدرة على الهوى لا يصح إلا مع وجود الإبتلاء به ، فمتى قدر عليه فصبر عنه لمجاهدة نفس أو مدافعة وقت أو قطع سبب فذلك زهده فيه ، فأما أن يريد أن يزهد فيه أو يهم بتركه أو يعزم على قطعه فليس ذلك زهداً فيه ، بل نيات وإرادات من غير حقيقة ، فمن أخرج من يده الشيء طوعاً ونفسه تتبعه فله مقام في الزهد بالمجاهدة ، ومن أمسك الشيء وأظهرت نفسه الزهد فيه بالإرادة والهمة فذلك تأميل وتمن يدخل في باب نيات الخير لا في المسارعة إلى الخيرات ولا المسابقة بالقربات بالسعي لها والمنافسة فيها ، ولا مقام في المنافسة لمن لم يتبع الإرادة بالسعي والمعاملة ، ولا

مقام في الزهد لمن لم يردف الإرادة بإخراج المزهود فيه، لأن الإمساك علامة الرغبة والرغبة ضد الزهادة، فكيف يوصف بالشيء وضده في حالة قائمة؟ فالممسك للشيء المتوهم للزهد بإظهار نفسه ذلك بأحد وصفين: إما أن لا يعرف الزهد أو لا يعرف خفي شهوة النفس ولطيف تمنيها من معدن حسن ظنها بوصفها. هذا إن لم يموّه على الراغبين ولم يكذب على وجده لأجل خفي الرغبة فيهم، والمخرج للشيء عن يده المخرج لقلبه منه هو المتحقق بالزهد فيه، والممسك للشيء المغتبط بإمساكه الذي همه فيه وقلبه عاكف عليه هو المتحقق بالرغبة فيه، وكذلك كل من أمل شيئاً وادخره لنفسه لا يكون زاهداً فيه حتى يخرجه من يده وقلبه استصغاراً له وتعوضاً منه.

فصل

قد يصح الزهد للعارف في الشيء مع وجوده عنده إذا لم يقتنه لمتعة النفس ولم يتملكه ويسكن إليه، بل كان موقوفاً في خزانة الله تعالى التي هي يده منتظراً لحكم الله فيه وصحة ذلك استواء وجوده وعدمه والمسارعة إذا رأى حكماً لله أن ينفذه ويكون كأنه لغيره من إخوانه أو سبيل من سبل الله، وقد يصح الزهد مع الوجود لمن دون العارف من المريدين إذا أمسك الشيء لأوقات حاجته واستعان به على آخرته أو يكف به نفسه عن الرغبة والطمع ويقمع طبعه عن الشره والضرع، ويكون سبباً لقطع التشرف وحسم النفس من التصنع والتكلف، وقد يكون هذا المقام للخصوص من العلماء بهذه النيات زائداً على مقامات من الزهد للمريدين.

قال عبد الرحمن بن مهدي: خرج محمد بن يوسف الأصبهاني إلى مكة ومعه مائة دينار وليس معه إلا كساء أدبت وما رأيت مثله، وكذلك يحي بن سعيد القطان ما رأيت مثله وقدمه على الثوري، ولما قدم عبد الجليل الزاهد إلى واسط اجتمع إليه أهل العراق يسألونه عن الزهد فقال: اصبروا حتى أبيع دقاق تمر حملته من البصرة وأتفرغ لكم للمسائل، وكان يتجر فيجعل ثلثاً لأهله وعياله، وثلثاً لإخوانه الفقراء، وثلثا يرده في تجارته، وكذلك كان حال جماعة من زاهدي السلف فلم يكن ذلك ينقصهم عند العلماء وكان مزيداً في حالهم وطريقاً لهم إلى مقامهم من الزهد وهو وصف الأقوياء من الزهاد.

فصل

خالص الزهد إخراج الموجود من القلب، ثم إخراج ما خرج من القلب عن اليد وهو عدم الوجود على الإستصغار له والإحتقار والتقالل، فبهذا يتم الزهد ثم ينسى زهده في زهده فيكون حينئذ زاهداً في زهده لرغبته في مزهده، وبهذا يكمل الزهد وهذا لبه وحقيقته وهو أعز الأحوال في مقامات اليقين وهو الزهد في النفس لا النفس لأجل الزهد ولا للرغبة في الزهد للزهد، وهذه مشاهدة الصديقين وزهد المقربين عند وجود عين اليقين، ودون هذا مقامات إخراج المرغوب فيه عن اليد مع نظره إليه، وعلى مجاهدة النفس فيه وهو زهد المؤمنين والورع من الزهد، كما أن الزهد

من الإيمان والقناعة باب من الزهد والرضا باليسير من الأشياء حال من الزهد والتقلل في الأشياء مفتاح الزهد.

فصل

قال بعض السلف: أبى أهل العلم بالله أن يسمعوا الحكمة والوعظ إلا من الزاهدين في الدنيا وقالوا: ليس أهل الدنيا لذلك أهلاً ولا يليق بهم، وفعله رجاء بن حيوة عالم الشام: بلغنا أنه كان يجلس إلى رجل زاهد ببيت المقدس فيستمع إليه، فجاء يوماً إلى مجلسه وقد اجتمع الناس فجلس وراءهم وهو يحسب أنه فيهم، فلما أبطأ تكلم شيخ في المجلس وهو مؤذن ببيت المقدس لابأس به، فأنكر رجاء صوته فقال: من هذا المتكلم؟ فقال الشيخ: أنا رحمك الله. فقال: اسكت عافاك الله فإنا نهينا أن نسمع الزهد إلا من أهله، وقال نحوه سلمان لعمر بن الخطاب، وذلك أنه حمل إليه أبراد فكسا الصحابة برداً برداً، فلما كان في يوم الجمعة خرج في بردين فخطب، فلما قال في وعظه: ألا اسمعوا فقام سلمان فقال: والله لا نسمع. قال: ولم، قال: لأنك كسوتنا برداً برداً وخرجت علينا في حلة. فقال: رحمك الله إني غسلت ثوبي ولم يكن لي غيره فاستعرت هذا وهو برد عبدالله بن عمر. فقال: قل الآن حتى نسمع. وهذا أبو عبدالله أحمد بن حنبل وهو من أئمة الدين لما سئل عن الصدق ما هو؟ قال: هو الإخلاص. قال: فما الإخلاص؟ قال: هو الزهد، فقيل: يا أبا عبدالله وأي شيء الزهد؟ فسكت. فقال: سلوا الزهاد سلوا بشراً. وقال أبو طالب الوراق: دخلت عليه في جماعة من أصحاب الحديث كنت قد نسخت لهم كتاب الزهد الذي جمعه لأقرأه لهم عليه ففرش لنا في الدار حصير جديد ونزل إلينا من غرفة له، فلما قعد وأخذ الأصل بيده أطبقه ثم قال: يا أبا طالب الزهد لا يقرأ إلا على الزهد وكشط الحصير الجديد من تحتنا وقعدنا على التراب.

فصل

يروى أن عمر رضي الله عنه خطب الناس فقال: أنشد الله رجلاً علم في عيباً إلا أخبرني به، فقام شاب في المجلس فقال: يا أمير المؤمنين فيك عيبان إثنان. قال ما هما رحمك الله؟ قال: تذيل بين البردين وتجمع بين الأدمين. قال: فما أذال بين البردين ولا جمع بين الآدمين حتى لقي الله عز وجل. هكذا يروى تذيل بالذال المعجمة وله معنيان: أشهرهما أي تجمع بين ذيل ثوبك فيتفق ذيل البرد الأعلى مع ذيل البرد الأسفل لطوله، واغرب الوجهين أن معنى تذيل تضع ثوبين معاً أي نتركهما موضوعين لك ولا يبعد أن يكون بالدال المهملة، والمعنى تبدل بردا ببرد دولة هذا ودولة هذا، وأراد أن يكون له واحد لا يذيله بآخر.

فصل

تقدم قول الأحنف بن قيس: ما كذبت كذبة إلا مرة وله قصة، وهي أنه وفد مع قومه من

البصرة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: فلما قاربوا دخول المدينة نزعوا ثياب سفرهم ومهنتهم ولبس كل واحد ثوبين جديدين أو غسيلين أو قال أبيضين. قال: وفعلت مثل ذلك، فلما دخلنا أطراف المدينة نريد الدخول إلى عمر جعل أهل المدينة يرمقوننا بأبصارهم ويعرضون، وجعلوا يلحظوننا وتنبو أبصارهم عنا فسمعتهم يقولون: أبناء دنيا. قال: فعلمت أن القوم ليسوا وأمثالنا وأنهم أهل الآخرة، فعطفت رأس راحلتي ونزعت ثوبي ورددتها إلى العيبة، ثم أخرجت ما كنت خلعته من ثياب سفري وبذلتي فلبسته، ثم دخلنا على عمر قال: فجعل الناس تنبو أعينهم عن أصحابي وينظرون إلي من بينهم كأنهم يغبطوني. قال: فلما نظر إليهم عمر وكان أول يوم رأيته، فإذا رجل عليه خلق مرقوع وعلى كنفه درة، فلما قفلنا من بعيد أخذ كفاً من حصى فحصبنا به قال: ثم لحظني بعينه، فقال: هذا نعم فأدناني وقربني من بينهم وقال: من أنت لله درك أو قال أبوك؟ فقلت: أنا الأحنف بن قيس التميمي. فقال: أنت سيد قومك؟ قال: وأعجبه هيئتي فقام واتكأ على يدي فجعل يسألني عن الطريق وعن الركاب وكيف كنا نسير بها إلى أن وافى رحلنا وموضع مناخنا، فرمق عيبتي فرأى طرف الثوب خارجاً فلمسه وذكر أول الخبر الذي تقدم ذكره.

فصل

روينا في الإسرائيليات أن موسى عليه السلام وصف الزهد لبني إسرائيل فقام إليه رجل منهم فقال: يا نبي الله أنا منهم. قال: أنت إذاً تغديت تجد ما تتعشى. قال: نعم. قال: اجلس فلست منهم، ثم قام إليه آخر فقال: يا نبي الله أنا منهم. قال: أنت إذا تغديت تجد ما تتعشى. قال: لا. قال: فلك ما تبيع؟ قال: نعم. قال: اجلس فلست منهم، فقام إليه آخر فقال: يا نبي الله أنا منهم. قال: أنت إذا تغديت تجد ما تتعشى؟ قال: لا. قال: فلك ما تبيع؟ قال: لا. قال: فلك من يقرضك؟ قال: نعم. قال: اجلس فلست منهم، ثم قام آخر فقال: أنا منهم. فقال له مثل ذلك إلى أن قال: فلك من يقرضك؟ قال: لا ولا أملك من الدنيا إلا هذه الشملة من الصوف ولقد آذاني فيه الدواب وأنا استحي من ربي عز وجل أن أنزعها فأفليها واتعرى بين يديه. قال: اجلس أنت منهم، فهذا الذي أراده موسى عليه السلام من الزهد هو حقيقته، وهو زهد أولي العزم من الزهاد، وهذه الحال من عزائم الأمور وتفصيل مقاماته أن للزهد في حال الفقر مقامات.

فالمقام الأول: هو أن لا يجد الفقير معلوماً غير ما حل في جوفه وعلى ظهره، وهذا هو حال الفقير الأول الذي قال له موسى: لست منهم يعني من أولي العزم من الزهاد، إذ لم يكن حاله حال عزيمة الزهد لأجل وجد العوض المعتاد وهو فضل ما يبيعه من العوض فقام له مقام المعلوم من النقد.

المقام الثاني: من الفقر في الزهد هو فقد العوض الذي هو عوض عن الناض وهذا حال الثاني.

المقام الثالث: هو أن يعدم الأعراض والأعواض وليس هو حقيقة الفقر لأجل بقاء الأسباب

التي تقوم مقام الأعواض، وهو الجاه الذي يستقرض به فيقرض وهو أيضاً سبب به يعرف لأجل معرفته افترض، فهذا يحجبه عن حقيقة الفقر وينقصه عن عزيمة الزهد، فحسب موسى عليه السلام وجود الجاه له رغبة منه هي دون الله تعالى حتى يكون بالوصف الذي وصف الله به أولياءه في الغاية من قوله تعالى: ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ [التوبة: ١١٨] فهذا مثل فقد المعلوم الذي تقوم به الأشياء وهو بمعنى حال الأول، ثم قال: ﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ [التوبة: ١١٨] فلم يبق له عوض يقوم مقام المعلوم الذي له قيمة شيء فيبيعه وهذا بمعنى حال الثاني، ثم قال: وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، فهذا سقوط الأعواض بعد فقد الأعراض، وعدم الجاه الذي هو سبب الإستقراض فلم يبق له جاه يعول عليه ولا معرفة من الخلق ولا سبب بينه وبينهم ينظر به إليه، ولم يبق بينه وبين الله إلى الله مأوى يسكن فيه ولا ظل يستظل به ولا ملجأ يستند إليه حينئذ قال الله تعالى بعد بلوغ الغاية: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ [التوبة: ١١٨] أي عطف عليهم لينعطفوا عليه ونظر إليهم لينظروا إليه، وهذا وصف الثالث الذي قال له موسى عليه السلام: أنت منهم إذ قد تحقق بالفقر وبلغ عزيمة الأمر فلم يجد دون الله سبباً منفصلاً من مال ولا معنى متصلاً من حال وهو الجاه والمنزلة الذي يقوم مقام الأعراض ويتسبب به إلى الأسباب، فهذا وصف فقير ونعت غريب غريب الدار في وطنه غريب الوجد من مسكنه غريب العلم من دمنه غريب الحال من أمته غريب في غربته غريب في تغربه غريب بمغربه لا يعرفه ابناء جنسه، متوحد بأنيسه عن أنسه، قد طمست نفسه في رمسه وشغل بيومه عن غده وأمسه، فهذا من وحش الملل في داره وأنسه لزواره، قد قرت عينه بقراره وفرّ من إيلافه وفراره وصفت روحه من إقذاره فهو موضع نظره ومعقل خبره وغيث بلاده وروح عباده، ومن خالص وداده قد زهد في زهده وعدم وجوده بوجده وفنيت نفسه عن جهده وبقيت روحه بموجده، وكذلك روينا أن داود عليه السلام سأل ربه عن المعرفة وكأنه تشوق إليها، فأوحى الله إليه: لا بدّ لك من سبد ولبد، ومن عرفني لم يسكن إلى سبد ولبد، والله الموفق.

فصل

قال صاحب القوت: حدثني عبد الكريم بن أحمد، حدثني جعفر بن محمد، حدثنا الخواص عبدالله بن الحسين، حدثني سعدون بن عبد الرحمن المكي، عن المغيرة بن قيس، عن شهر بن حوشب عن أبي أمامة قال: أتينا على أهل ماء في سفر لنا مع رسول الله ﷺ وأسود مولى لهم ميت بالأمس ليس له ثوب يكفنونه وما عندهم غاسل يحسن غسله قد قطع له لا يدرون كيف يأتون، فهجمنا عليهم من الغد ظهراً وقد أروح وترك القوم خباءهم وخرجوا كراهية لجواره، فكان أول من نزل منا رسول الله ﷺ ثم مشى حتى دخل عليه، فجاءه القوم يعتذرون إليه من تركهم إياه، فانطلق النبي ﷺ حتى قام على بئر لهم عادية فتفل فيها فاستحالت عذباً فأسقينا، وأمر علياً وأبا أمامة فغسلاه وكفنه رسول الله ﷺ في بردة له ما زاده عليها، ثم صلى عليه، وولي إدخاله في قبره

علي وأبو أمامة، فلما فرغ النبي ﷺ قال لأصحابه: «أنه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية». فقلنا: ما هي يا رسول الله؟ قال: «إنه كان إذا جاءه الشتاء ادّخر حلة الصيف لصيفه وإذا جاءه الصيف ادّخر حلة الشتاء لشتائه من قابل» ثم قال: «من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار» الحديث. وقد تقدم مراراً مختصراً على قوله: «من أقل ما أوتيتم اليقين» الخ وسبق قول العراقي أنه لم يجده فتنبه لذلك.

فصل

الزاهد في الدنيا مسجون مضيق عليه وليس كل من أراد وصل إلى المسجون، وكلما كان السجن أضيق عليه وأشد كان الوصول إلى الزهد أبعد وأشق، ولذلك صار أولياء الله محجوبين عن الناس لا يصل إليهم كل إنسان إلا من توصل أو توسل على قدر تضايق السجون.

فصل

في سياق كلام يحيى بن معاذ الرازي في الزهد والمعرفة وقد تقدم بعضه، ونذكر الآن ما وعدناه به قال: حبك الدنيا حب بلاء وحبك الآخرة حب بلوى ومن رضي باختيار الله دام فرحه، لأن العارف من أخذ الآخرة بيمينه والدنيا بشماله وأقبل على الله بقلبه لا يلهيه شيء، وما دام يخاف من وقوع الدنيا عليه فإنه لم يصل بعد، وقعد إليه مرة رجل من الزهاد فجعل يحدثه الزاهد بأحاديث من فضل القلة والفقر ويحيى ينظر إلى وجهه كالمتعجب، فلما قام قال: لو لم يعللوا المساكين بمثل هذه الأحاديث لتفقأت مرارتهم من الغم وكانوا لا يصبرون على الفقر. هيهات! لم يتقدم القوم عند الله بفقر ولا غنى ولكن بالعلم والمعرفة. قيل له: وما عبادة العارف؟ قال: الدنيا دار سير إلى الله تعالى، فإن لم يسر بأعمال جوارحه فهو سائر بقلبه خطو القدم ذراع وخطو القلب ألف فرسخ. وقال أيضاً التماسك العطر في حوانيت الصيادلة جهل إنما هو الشغل بالله عن الدنيا والآخرة معاً. وقال: طلبوا العبودية في الزهد فلم يروها الزاهد ألج من يرى يثبت على ترك الشيء أربعين سنة، ولكنه كلما كان ألج كان أصدق بما لم يوافق نفسه هواه في الأخذ، فلا سبيل له إليه إلا بالترك حتى يترك أخلاق العبيد ويتخلق معه بأخلاق الأحرار، ولا يوجد صدق العبودية إلا في منازل المحبة والمعرفة. وقال في تفسير قول عيسى عليه السلام: يا عبيد الدنيا أنتم عبيد أتقياء ـ يعني الزهاد ـ ولا أحرار أقوياء يعني العارفين وقال: خض بحار المعرفة إليه تستهين جهد الزهد والعبادة في جنب ما تدفع إليه مما لا قوام للعقل عليه، فإن البهاء مع العبادة، والكفاية مع الزهد، والبصيرة مع العلم، والجوائز السنية مع المعرفة. وحكى مرة فقال: التقى أحمد بن حرب وابن حضرويه وأبو حامد فقالوا لأحمد بن حرب: إن جعلت لك الدنيا فما أنت صانع بها؟ قال: كنت أرضي بها خصمائي لئلا تلحقني تبعة يوم القيامة. قالوا لابن خضرويه: فما كنت صانعاً بها أنت؟

قال: كنت اجعلها كلها لقمة وأضعها في فم مؤمن فاستريح منها. قالوا لأبي حامد: فما كنت تصنع بها أنت؟ قال: كنت اجعلها لطلاب الآخرة فأحوز ثواب ذلك. قال يحي: أما ابن حرب فانطقه لسان العصاة ودرجته درجة التوابين، وأما ابن خضرويه فانطقه لسان المحبة ودرجته درجة المشتاقين، وأما أبو حامد فانطقه لسان الشفقة ودرجته درجة الزاهدين. قيل ليحي بعد ذلك: ما كنت صانعاً بها؟ قال: وما حكم العبد في مال سيده انتظر قضاءه فيها فاصرفها فيه فهو أعرف بالتدبير. وكان يقول: الزاهد عيشه إلى يوم واحد والعارف أسقط الأمل أصلاً لأن حياته بيد غيره. وقال: من صدق في الترك عذر في الأخذ يعني الدنيا ـ وقال: الصوف لباس العجم ما رأيته على أحد استبرع عقله. وقال: نفور العارفين من الزاهدين أكثر من نفور الزاهدين من الراغبين، وكان يقول: الدنيا كلها لا تعدل عند ربها جناح بعوضة، فكم مقدار تركت منها ينبغي لك أن تضعها على طبق وتقول: ما صنعت شيئاً لأنه لو عرف قدر المزهود من المعرفة لم يذكر الزهد. وقال: ترى الزاهد إذا دخل في الزهد جوّع نفسه وباع شيأه كله من الخوف من الدنيا لا يشك حتى إذا قوي يقينه ورأى الأمر كائناً وجوده بغير الأسباب عرف من بعد وندم على كثير مما كان باع من كتب ومتاع. وقال: الزهد كله غصن من أغصان شجرة المعرفة. وقال: إنما يتركون ويحزنون ليفرح ويأخذون ويفرحون ليفرح فما عليهم تركوا وأخذوا وحزنوا وفرحوا إذا كان فرحه موجوداً لهم في الحالتين، فقيل له: هو يفرح؟ قال: نعم أليس في الخبر: «الله أفرح بتوبة عبده من رجل أضل بعيره» الحديث. وقال: يا زاهد إن كنت تعجب ممن ترك الجنة في جنب دنياه، فالعارف أشد تعجباً حين شغلتك الجنة عن خالقها وكل حالة تفخر بها في سيرك إليه إلا كسرها عليك الوصول ليكون فخرك به لا بغيره.

قال صاحب القوت وجملة الأمر أن يحي بن معاذ لم يكن يتكلم بلسان الزهد ولم يكن عمله يصلح للمريدين ولا للسالكين، لأنه لم يكن من علماء الطريق، وقد هلك بمثل هذا فريق توهموا مقام المعرفة وتظننوا حال العارف حتى فاتهم بذلك مقام الزهد ولم يدركوا حال العارفين، وأولى الأشياء بالعاقل مراعاته لما هو حاصل ومعرفته بقدر حاله وأعمال نفسه في سر اختلاله. وقال في موضع آخر: وأما طريق يحي بن معاذ وبعض العارفين في شأن الدنيا، فإن من لم يتملك الملك لم يضره ما ملك بعد أن لا ينظر إلى نفسه فيه كما لا يشهده له، بل يجده في خزانة الله التي هي يده وتمليكه ويكون موقوفاً فيها إلى تنفيذ حكم الله فيه من وضعه في مواضعه وإخراجه في أوقاته إلى أهله، فهذا مستودع يؤدي الأمانة فيه ووكيل مستخلف يطيع الموكل به، فمقام هذا من التوحيد وشهادته بعين اليقين يزيد على مقامات الزاهدين، وهذا وصف الصحابة الأعلمين وكان يقول: لا تأمن مكره ولا تغترن انظر أن لا تكون قد تركت الزهد والعبادة ظناً منك بأنك قد وصلت إلى درجة الحب والمعرفة فتصير في القيامة عارياً منها كلها لا في منازل العارفين ظهرت ولا فضل الزهد والعبادة أدركت. هذا مع قوله: إذا صح الزهد خرج شهوة النساء من قلبه فلم يردهن، فإذا أقيم مقام المعرفة ردوها عليه. وقال مرة: إذا زهد ترك الشهوات فإذا عرف عاودها ويكون وجده

أفضل من تركه. وقال: إذا صح زهده لم يلحظ من الدنيا مشتهياً له، فإذا لحظة قالوا: خذه فيجعلونه عليه لأن قلبه قد وقع عليه. قال: وكذلك إذا عرف لم يلحظ من الآخرة شيئاً بقلبه، فإن وقع قلبه على شيء منها جعل له كأنه يقول: إذا صح تركه للدنيا والآخرة لأجل الله فإنه يردهما عليه، إذ الله تعالى لا يعبأ بهما شيئاً، وكان يقول: الزهد يورث السخاء بالنفس عن الآخرة وحب الله يشغل عن الدارين جميعاً. وقال: ترك الدنيا مهر الآخرة ونفسك خير من الدنيا فلا تبعها بها، ومن علامة المعرفة بهذا بيع الدنيا كلها في جنبها، وقيل له: ما غاية الزهد؟ فقال: أن لا يصحب من الدنيا ما يلزمه حفظه.

فصل

الزهد لا ينقص من الرزق، ولكنه يزيد في الصبر ويديم الجوع والفقر، فيكون هذا رزقاً للزاهد من الآخرة على هذه الصفة من حرمان نصيبه من الدنيا وحمايته عن التوسع فيها، ويكون الزهد سببه فيكون ما صرف عنه ومنعه من الدنيا من الغنى والتوسع رزقه من الآخرة والدرجات العلى بحسن اختيار من الله تعالى وحيطة نظر، ولعل بطالاً لاعباً يحتج لتوسعه بهواه فيقول: إن الزهد في الدنيا لما لم ينقص من رزقي شيئاً قد فتح لي مقاماً مع التوسع والاستكثار لأني إنما آكل رزقي وآخذ قسمي، فلي من الزهد مقام ومن الرضا والتوكل حال يزخرف على من لا يعرف الزهد ويغر بمقاله من لا يعرف طرائق الزاهدين، ولعله ممن يأكل الدنيا بالدين، فسمي الاحتجاج لنفسه بهواه والاعتزاز عند الجاهلين زهداً خيفة لومهم إياه، فكان ذلك معه احتجازاً عن الزهد لزهده في الزهد وقوّة رغبته في الرغبة، ولا يعلم المغرور بدار الغرور أنه وإن كان يأكل رزقه من الدنيا ويأخذ قسمه من العطاء فبحكم البعد والبغض وبوصف الرغبة والحرص، لأن السارق والغاصب أيضاً يأكل رزقه ويأخذ قسمه ولكن بحكم المقت وسوء الاختيار، إذ كان الله سبحانه يرزق الحرام للظالمين كما يرزق الحلال للمتقين، وإنما بينهما سوء القضاء للأعداء وحسن التوفيق والاختيار للأولياء، فقد حرم المدعي لذلك رزقه من الزهد وبخس نصيبه الأوفر من حب الفقر ونقص حظه الأفضل من الآخرة إذ كانت الدنيا ضدها وجعل ما صرف فيه وما صرف إليه سبباً لنقصان مرتبته من طريق الزاهدين، وأنه قد اختبر بالدنيا وبما فتح عليه من السراء ليظهر صدقه من كذبه، فوقع في الفتنة ولم يفطن للابتلاء وصارت مشاهدته هذه عن وجوده حجاباً له عن علوم العارفين، فاستدرج بعلمه هذا وعدل به إليه عن علوم الخائفين ومشاهدة الورعين الزاهدين، هذا إذا كان صادقاً في مشاهدته تلك، وإن كان كاذباً في دعواه فهم من أولياء الشيطان ومن المحرومين الغافلين قد مكر به وعدل عن علوم الموقنين، وقد قال بعض العارفين: من كتم ما يجده من أفات نفسه عوقب بادعاء منزلة لم يبلغها، نعوذ بالله من الاغترار بعلم الاظهار، ونسأله التوفيق لمشاهدة علم التحقيق.

فصل

الزهد في الدنيا على ثلاثة أحوال: رجل قد غلبها موجودة ومفقودة، ورجل قد غلبته موجودة ومفقودة، ورجل قد غلبها مفقودة وغلبته موجودة.

تفسيره: أن من الناس من قهر هواه وملك نفسه وشهوته وهو قادر عليها وهي موجودة له، فذلك أحرى أن يغلب نفسه فيما فقد من الدنيا وغاب عنه وهذا مقام الصديقين.

والثاني: قد غلبته نفسه وأهواه الهوى وأمالته الشهوات موجودة إذا قدر عليها ومفقودة له بالاهتمام بها والفكر والخواطر فيها والارادة لها، فهذا ساقط لاقط لا مقام ولا وصف وهذا حال الجاهلين ونعت الغافلين.

والثالث: قد غلبته نفسه في الموجود من الهوى والحاضر من الشهوة، فإذا غاب ذلك عنه غلبها في العدم وملكها عند الفقد، وهذا حال المجاهدين وطريق السائرين ونعت المريدين. وقد قيل ليحيى بن معاذ: أيصل العبد إلى درجة يسلم فيها من الذنب ومن الزهد إلى درجة يستغني فيها عن الدنيا؟ فقال: هذا لا يكون لا يستغني عن الدنيا أحد، وإنما وقع التفاضل بين الناس على القليل والكثير، فأزهدهم فيها أقلهم حظاً منها كما لا يسلم من الذنب أحد، ولكن أفضلهم أقلهم ذنباً. وكان رحمه الله يقول في العدل قولاً فصلاً قال: إن زهادكم يأمرونكم بأن يكون الدرهم أول شيء تتركونه من الدنيا، وأنا آمركم أن يكون الدرهم آخر شيء تتركونه منها. قيل له: لم ذلك؟ قال: لأن الدرهم معلق على شهوة النفس والشهوة معلقة على النفس، فترك الدرهم من قبل إزالة الشهوة عن النفس بالسياسة خطأ ودخول في الطمع لمن عنده الدرهم ووقوع البلاء، حتى إذا زالت بحسن السياسة هذه الشهوة عن نفسك ذهب عنك حب الدرهم شئت أم أبيت ضرورة، إذ كانت علة حبك له الشهوة والشهوة قد ذهبت وبالدرهم يتم أمر هذه السياسة، فلهذا قلت: أجعل الدرهم آخر شيء تتركه بعد الفراغ من النفس. واعلم أن إمساك الدرهم على هذا التدبير لا يكون علاقة ولكنه يكون سياسة يصلح به، وكان يقول: راحة الأبدان في زهد القلوب، ومشقة الأبدان في حرص القلوب، وقال: طلبت الدنيا فلم أسترح، وطلبت العلو فلم أسترح، وطلبت العبادة والعلم فلم أسترح، ودخلت في الزهد واستوطنت الثقة بالله فاسترحت. وكان يقول: ما دامت شهوة النفس معك فأنت مطية الدنيا وتساق المطية حيث يريد صاحبها لا حيث تريد هي، وإذا ذهبت الشهوة فالدنيا مطيته يسوقها حيث يريد. وقال بعض أهل المعرفة: إن الله لا يرضى ممن عرفه أن يعلق بشيء دونه، فإن فعل ذلك غمه الله ولوعه من ذلك حتى يرجع إليه، ويقال: إن من صح زهده في الدنيا حتى يستوي عنده ذهبها وحجرها مشى على الماء، وفيه قال الشاعر:

لو كان زهدك في الدنيا كزهدك في وصلي مشيت بلا شك على الماء

وقال يحيى بن معاذ: أولياء الآخرة ثلاثة: قانع وزاهد وصديق، فالقانع المحترف الطالب للحلال المنفق على السبيل والسنة، النازل عن جناح الرغبة في طلب الفضول من حطام الدنيا،

والزاهد التارك للطلب ومعه شهوته، فإن أصاب نعيم الدنيا من غير كلفة أكل ونكح وإن منع صبر ورضي، والصديق هو واجد النعيم لا يريده لمزايلة الشهوة إياه. وقال أيضاً: ليس بزاهد من استخدم غيره بما يصل هو إلى فعله. وقد قال أبو سليمان لأحمد بن أبي الحواري: إذ قال قلت لبعض أصحابنا: اسقني ماء فناولني شربة، فقال لي أبو سليمان: رأيت من زهد في الدنيا يستخدم ويقول: اسقني ماء، وكان يحيى بن معاذ يدخل العلم والعبادة في الزهد يجعل الثلاثة كالشيء الواحد لا يتم بعضه إلا ببعض، فقال: الزهد والعبادة والعلم مثل الثوب وسداه الزهد ولحمته العبادة ونساجه العلم لا يلتحم الثوب بغير هذه الثلاث. كذا لا يلتحم أمر الآخرة إلا بثلاثها، وكان يحيى بن معاذ يقول: إذا وصل فرح فإذا اتصل استأنس فقيل له: نراك تفرق بين الوصول والاتصال فتجعل الاتصال أعلى وأقرب فقال: اضرب لكم مثلاً رجل سار طريقاً وقصد ملكاً كريماً، ثم وصل إليه حتى إذا قدم عليه فقد وصل ثم يتصل بمنادمة الملك شيئاً بعد شيء يتقرب به إليه ويقرب منه حتى يدنيه الملك ويؤنسه، فالسير والتعب لقطع المنازل والفرح في الوصول والانس في الاتصال، والاتصال كان مقام أبي يزيد، والوصول كان مقام يحيى بن معاذ رحمة الله عليهما.

فصل

قال أبو يزيد البسطامي: حقيقة الزهد لا يكون إلا عند ظهور القدرة والعاجز لا يصح زهده وهو أن يعطيه كن ويطلعه على الاسم ويقدره على الأشياء باظهار الكون فيزهد في ذلك حباً لله تعالى أن يعمل عمله، ويتركه حباً لله تعالى أن يقوم مقام القدرة، وكشف هذا المقام يخرج إلى علم غريب لا يعرف وسر عجيب لا يوصف. وفقنا الله وإياكم لما يحب، وبلغنا ما نؤمل منه بفضله ورحمته.

وهذا آخر شرح كتاب الفقر والزهد ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. نجز ذلك على يد مسوده أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني تاب الله عليه بمنه، في ضحوة نهار الأربعاء لتسع بقين من شوّال سنة ١٢٠٠ حامداً لله مصلياً مسلماً مستغفراً.

(انتهى الجزء الحادي عشر ويليه إن شاء الله الجزء الثاني عشر
وأوله كتاب التوحيد والتوكل)

كتاب التوحيد والتوكل
وهو الكتاب الخامس من ربع المنجيات
من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر

الحمد الذي من توكل عليه كفاه ما نابه، ومن عمل صالحاً هداه لتوحيده وأثابه، ومن لجأ إليه بفقره وزهده نفى عنه ما أرابه، أحمده على عظيم إحسانه، وتوالي فضله وامتنانه، حمداً يكون موجباً لحسن المزيد، ومقرباً إلى الثواب العتيد، وأومن به إيمان من رجاه موقناً، وخضع له مذعناً، وأخلص له موحداً، ولاذ به راغباً مجتهداً، وأشهد أن لا إله إلا الله إلهاً ألهم الصواب، وأجزل للمتوكل عليه الثواب، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، الذي بعثه بالحق، وأرسله رحمة للخلق، واختصه بعقائل كراماته، واصطفاه لمكارم رسالاته، وأوضح به اشراط الهدى، وجلا به غربيب العمى، صلى الله عليه وعلى آله الأبرار، معادن العلوم والأسرار، وعلى أصحابه الاماثل الاخيار، وعلى كل انسان من التابعين لهم باحسان، ما افتر روض بسيم، ولاح وجه وسيم، وسلم تسليماً كثيراً كثيراً وبعد فهذا شرح:

كتاب التوحيد والتوكل

وهو الخامس من المنجيات والخامس والثلاثون من كتب الاحياء للإمام الرباني، والغوث الصمداني، حجةالاسلام أبي حامد المستوجب للمحامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي روى الله بالرحمة ثراه، وأجزل من المغفرة قراه، يلعب بالباب أولي النهى، ويشوّق الأحباب إلى بلوغ درجة المنتهى، إذ قد بين ما أبهمه من الفوائد الرجيحة، لذوي الأفهام الصحيحة، ورفع نقاب كلماته الفصيحة، وأرى في تلطيف الطباع ما أورده على سبيل النصيحة وقد أعرضت فيه عن التطويل اختصاراً، واقتصرت على ما سأورده اقتصاراً ايثاراً في التخفيف، لا رغبة في التطفيف، على ان صوت المصنف جهير، وفضله بين العلماء شهير، فكم له من إشارات تلفى وحكم تثبت ولا تنفى، وباقيات تقرب إلى الله زلفى، والله تعالى أسأله الاعانة والامداد، والهداية إلى سبيل السداد، إنه ولي كل احسان، والمليّ بكل امتنان.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مدبر الملك والملكوت، المنفرد بالعزة والجبروت. الرافع للسماء بغير عماد، المقدر فيها أرزاق العباد، الذي صرف أعين ذوي القلوب والألباب، عن ملاحظة الوسائط والأسباب إلى مسبب الأسباب، ورفع هممهم عن الإلتفات إلى ما عداه والإعتماد على مدبر سواه، فلم يعبدوا إلا إياه علماً بأنه الواحد الفرد الصمد الإله وتحقيقاً بأن جميع أصناف الخلق عباد أمثالهم لا يبتغي عندهم الرزق، وأنه ما من ذرة إلا إلى الله خلقها، وما من دابة إلا على الله رزقها، فلما تحققوا أنه لرزق عباده ضامن وبه كفيل توكلوا عليه فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(بسم الله الرحمن الرحيم)** معين كل موحد متوكل ذي قلب سليم.

(الحمد لله المدبر للملك) وهو عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية **(والملكوت)** وهو عالم الغيب المختص بأرواح النفس، **(المنفرد بالعزة)** وهي الغلبة الآتية على كلية الظاهر والباطن **(والجبروت)** وهو عالم الأسماء والصفات الإلهية، **(الرافع للسماء بغير عماد)** تعتمد عليه **(المقدر فيها أرزاق العباد)** وأقواتهم الحسية والمعنوية يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات: ٢٢] **(الذي صرف أعين ذوي القلوب والألباب)** المشاهدين بأنوار الغيوب حقائق الأمور **(عن ملاحظة الوسائط والأسباب)** الجلية والخفية **(إلى مسبب الأسباب)** وأصل السبب ما يتوصل به إلى الاستعلاء، ثم استعير لكل شيء يتوصل ما إلى أمر من الأمور، فقيل: هذا سبب هذا وهذا مسبب على هذا، **(ورفع هممهم عن الالتفات إلى ما عداه و)** عن **(الاعتماد على مدبر سواه فلم يعبدوا إلاّ إياه)** كل ذلك لكمال توحيدهم ومزيد توكلهم كما بينه المصنف بقوله: **(علماً)** منهم يقينياً **(بأنه)** تعالى **(الواحد)** فلا يصح عليه التجزىء ولا التكثر ولا بينه وبين غيره نسبة بوجه **(الفرد)** فلا يختلط به غيره **(الصمد)** الذي يصمد إليه في الأمور ويعتمد عليه **(الإله)** جل وتقدس عن الأشباه **(وتحققاً)** منهم **(بأن)** جميع **(أصناف الخلق)** أحمرها وأسودها **(عباد أمثالهم لا يبتغي)** أي لا يتطلب **(عندهم الرزق)** كما أخبر به سبحانه في كتابه وهو الحق في آيتين الأولى: قوله تعالى: ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم﴾ [الأعراف: ١٩٤] والثانية قوله تعالى: ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه﴾ [العنكبوت: ١٧] **(وأنه ما من ذرة)** من ذرات الوجود **(إلاّ إلى الله خلقها)** أي ابداعها وتقديرها كما تعالى تعالى: **(﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾)** [هود: ٦] ويعلم مستقرها ومستودعها، **(فلما تحققوا أنه لرزق عباده ضامن)** أي ملتزم باعطائه إياهم **(وبه كفيل)** محيط بجميع جهاته **(توكلوا**

والصلاة على محمد قاطع الأباطيل، الهادي إلى سواء السبيل، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين، بل هو من معالي درجات المقربين وهو في نفسه غامض من حيث العلم، ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والإعتماد عليها شرك في التوحيد، والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع، والإعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسباباً تغيير في وجه العقل، وإنغماس في غمرة الجهل، وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض والعسر، ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء إلا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بأنوار الحقائق فأبصروا وتحققوا ثم نطقوا بالإعراب عما شاهدوه من حيث

عليه) في سائر الأمور ولم يخشوا أحداً سواه، كما قال تعالى في شأنهم ﴿فزادهم إيماناً **(وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾)** [آل عمران: ١٧٣] فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، **(والصلاة على)** سيدنا **(محمد قاطع)** خبيثات **(الأباطيل)** بسيف الحق. والأباطيل: جمع باطل وهو كل ما يضاد الحق، **(الهادي)** أي المرشد **(إلى سواء السبيل)** وهو سبيل التوحيد التوكل **(وعلى آله)** وصحبه **(وسلم تسليماً كثيراً)** وفي بعض النسخ: وعلى آله وأصحابه دون قوله وسلم تسليماً كثيراً وفي الجمل المذكورة من أول الخطبة إلى آخرها براعة الاستهلال مما لا يخفى على الممارس المتأمل لما تضمنه هذا الكتاب.

(أما بعد: فإن التوكل منزل) منيف **(من منازل الدين ومقام)** شريف **(من مقامات الموقنين)** وهو السابع من مقامات اليقين على النسق الذي أورده صاحب القوت، **(بل هو من معالي درجات المقربين)** ولفظ القوت: من أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقربين، **(وهو في نفسه غامض من حيث العلم)** ولغموضه اختلفت أقوال المشايخ في حدّه، **(ثم هو شاق من حيث العمل)** به **(ووجه غموضه من حيث الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها)** بعد ملاحظتها **(شرك في التوحيد)** عند أهله، **(والتثاقل)** وفي نسخة التباعد **(عنها)** أي عن الأسباب **(بالكلية طعن في السنّة وقدح في الشرع)** فإن غالب المأمورات الشرعية مبناها على الأسباب، **(والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسباباً تغيير في وجه العقل)** فإن العاقل كيف يعتمد على شيء وهو لا يرى به، **(وانغماس في غمرة الجهل)** والغمرة معظم الماء، **(وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع في غاية الغموض)** أي الخفاء **(والعسر)** أي الشدة، **(ولا يقوى على كشف هذا الغطاء)** أي رفع هذا الحجاب **(مع شدة الخفاء إلا سماسرة العلماء)** أي الجهابذة النقاد **(الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بأنوار الحقائق فأبصروا وتحققوا ثم نطقوا بالإعراب)** أي الاظهار والافصاح

استنطقوا . ونحن الآن نبدأ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة . ثم نـردفه بالتوحيد في الشطر الأوّل من الكتاب ، ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني .

بيان فضيلة التوكل:

أما من الآيات: فقد قال تعالى : ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة :

(**عما شاهدوه**) بصيرتهم (**من حيث استنطقوا**) أي طلبوا لبيانه ، (**ونحن الآن نبتدىء بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقدمة**) والتوطئة . (**ثم نردفه بالتوحيد في الشطر الأوّل من الكتاب ، ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني**) منه بعون الله تعالى وحسن توفيقه .

بيان فضيلة التوكل ولواحقه التفويض والتسليم والثقة والرضا :

(**أما من الآيات**) القـرآنيـة ، (**فقـد قـال الله تعـالى : ﴿وعلى الله فتـوكّلـوا إن كنتم مؤمنين﴾**) فمع شرفه قد أوجبه على سائر المؤمنين ، لأن الايمان يوجب على المؤمن مدلوله ، ومدلولات الإيمان هي الناشئة عن نفس الإيمان بحسب الملاحظات ، فمن لاحظ عن زيد أنه قائم بالأمر عوّل عليه واعتمد على كفايته ، وإن لاحظ مع كونه قائماً بالأمر أنه حكيم في علمه وأفعاله فيما يقدم ويؤخر وفيما يرفع ويخفض سلم الأمر إليه واستسلم لحكمه ، لأن التفويض معناه ترك اختيار العبد لحسن اختيار الله له . والاستسلام هو انقياد العبد وإذ عانه لما اختاره الله له وبما حكم به عليه من الأمر والنهي وملازمة الحدود التي حدّها له ، وإن لاحظ مع ذلك كمال صدقه ووفاء وعده وثق به لأن الثقة نتيجة التصديق ومعناه الربط على القلب وعدم الانفصام على ما حواه من التصديقات ، فالثقة إذاً على هذا مكملة لجميع المقامات والأحوال ، ولهذا قال أبو إسماعيل الهروي : الثقة سواد عين التوكل ، ونقطة دائرة التفويض ، وسويداء قلب التسليم ، وإن لاحظ بعد ذلك ألوهيته مال إليه بوجهه وانصرف إليه بكليته ، وإن لاحظ المعنى الجامع لصفات ألوهيته هو المعبر عنه بقولك (**الله**) حصل الدهش والتحير ، فهكذا ينبغـي أن يفهـم ملاحظـة مـدلـولات الإيمان .

وقال صاحب القوت . وقد أمر الله بالتوكل وقرنه بالإيمان ليدل بذلك انهما شيئان إذ التوكل على الوكيل هو من الإيمان بالمؤمن ، لانه عن حقيقة الإيمان وهو اليقين وبمشاهدة الوكيل وهو الحسب الحسيب ونعم الوكيل ، فأمر بالتوكل قولاً وفعلاً بعد الإخبار عن محبته للمتوكل عليه ، فقال تعالى : ﴿قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا﴾ [الملك : ٢٩] مع اشتراط التوكل للإيمان بعد الامر به في قوله تعالى : ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ وفي قوله : ﴿إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ [يونس : ٨٤] فلم يخرج عموم المسلمين من شرط عموم المتوكل ، كما لم يخرج خصوص المؤمنين من شرط وجود الإسلام ، وكما كل مؤمن حقاً مسلم لا بدّ عملاً ، كذلك كل مسلم صدقاً يكون على الله متوكلاً ، فقد صار المتوكل من عباد الرحمن الذين أضافهم إلى وصف الرحمة ، ومن عباد التخصيص الذين ضمن لهم الكفاية وهم الذين وصفهم في الكتاب

٢٣] وقال عز وجل: ﴿وعلى الله فليتوكَّلِ الْمُتَوكِّلُونَ﴾ [ابراهيم: ١٢] وقال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق: ٣] وقال سبحانه وتعالى: ﴿إن الله يحبُّ المتوكِّلين﴾ [آل عمران: ١٥٩] وأعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملابسه، فمن الله تعالى حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه، فقد فاز الفوز العظيم، فإن المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب. وقال تعالى: ﴿أليس الله بكافٍ عبدَه﴾ [الزمر: ٣٦] فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب لهذه الآية، فإنه سؤال في معرض استنطاق بالحق، كقوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ [الإنسان: ١] وقال عز وجل: ﴿ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم﴾ [الأنفال: ٤٩] أي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ إلى ذمامه وحماه، وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره.

بالهون والسكينة ونعتهم بالسلامة والخوف وذكرهم بالسجود والقيام ومدحهم بالاقتصاد والقوام في قوله تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾ [الفرقان: ٦٣] إلى آخر الآيات.

(**وقال عز وجل: ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾**) فرفع المتوكلين إليه وجعل مزيدهم منه (**وقال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾**) أي كافيه عمن سواه. (**وقال تعالى: ﴿إن الله يحبّ المتوكلين﴾**) فجعل المتوكل حبيبه وألقى عليه محبته، (**فأعظم بمقام موسوم بمحبة الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله ملابسه، فمن**) كان (**الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه**) فهو شافيه ومعافيه فلا تسأل عما هو فيه، (**فقد**) تناهى من كان بهذا الوصف في حسن المراعاة و(**فاز الفوز العظيم**) الأبدي المقيم، (**فإن المحبوب**) المراعي (**لا يعذب**) بنار الفراق (**ولا يبعد**) عن حضرة الوصال (**ولا يحجب**)عن المشاهدة، (**و**)هذا الذي (**كفاه في هذا الدار المهات ووقاه بتفويض أمره إليه السيئات كما قال تعالى: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾**) مع قوله: ﴿وأفوِّضُ أمري إلى الله﴾ [غافر: ٤٤] فوقاه الله سيئات ما مكروا، (**وطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب لهذه الآية، فإنه سؤال في معرض استنطاق بالحق كقوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾**) قال أبو يعقوب السوسي: أوّل التوكل المعرفة بالوكيل وانه عزيز حكيم يعطي لعزته ويمنع بحكمته فيصبر العبد لعزه ويرضى بحكمه ويستسلم لحكمته، كذلك أخبر عن نفسه ونبه المتوكلين عليه، إذ (**قال تعالى: ﴿ومن يتوكّل على الله فإن الله عزيز حكيم﴾ أي عزيز لا يذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ إلى ذمامه وحماه وحكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره**) وفي القوت: عزيز يعز عن الذل لعباده، حكيم يعلم من حكمته

وقال، تعالى: ﴿إن الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم﴾ [الأعراف: ١٩٤] بيّن أن كل ما سوى الله تعالى عبد مسخر حاجته مثل حاجتكم، فكيف يتوكل عليه؟ وقال تعالى: ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه﴾ [العنكبوت: ١٧] وقال عز وجل: ﴿ولله خزائنُ السّموات والأرض ولكنّ المنافقينَ لا يفقهون﴾ [المنافقون: ٧] وقال عز وجل: ﴿يدبّرُ الأمْرَ ما من شفيعٍ إلا من بعد إذنه﴾ [يونس: ٣] وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الأغيار والتوكل على الواحد القهار.

وأما الأخبار: فقد قال ﷺ فيما رواه ابن مسعود: «أُريت الأمم في الموسم فرأيت

فيغنيه عن التعلم من خلقه، (و) لما أيقن المتوكل أن بيد الوكيل ملكوت كل شيء وأنه يملك السمع والبصر ويقلب القلوب والابصار بتقليب الليل والنهار فكّ أسره من الوثاق فترك دعاء مثله من العباد واعتزلهم وذهب إلى ربه فهداه وعمن سواه أغناه إذ سمع ما (قال تعالى: ﴿إن الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم﴾) وقال تعالى: ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ [الصافات: ٩٩] وقال تعالى: ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له﴾ [مريم: ٤٩] (بيَّن أن كل ما سوى الله تعالى عبد مسخر حاجته مثل حاجتكم فكيف يتوكل عليه. وقال تعالى: ﴿ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه﴾) فطلب الرزق من حيث العبادة فكان المعبود هو الرزاق، (و) إذا شهد العبد ربه قائماً بالقسط والتدبير قيوماً بالتصريف والمقادير، عنده خزائن كل شيء غابت الرسوم في نور شهادة الواحد القيوم، ثم شهد الوكيل قابضاً على نواصي المماليك والموكلين بالأسباب، ورأى عنده خزائن السموات والأرض ارتقى في الأسباب إلى العزيز الوهاب كما (قال تعالى ﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾) فغابت خزائن الارض من الأيدي والقلوب، والأسباب في خزائن السماء من الاقدار والأحكام والأبواب، وغابت الخزائن السمائيات في ملكوت القبضة وعزة القدرة، فمن خزائن السموات ما حكمه من الأقسام والأرزاق، ومن خزائن الأرض ما رسمه من الأعلام والارفاق، ثم قال تعالى: ﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾) وذلك لقولهم: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، فشهدوا أن الخلق ينفقون فمنعوهم من الاعطاء فرد الحق شهادتهم وأضاف الخزائن والعطاء إليه ووصفهم معطين النفقة عنه. (وقال تعالى): ﴿ثم استوى على العرش (يدبر الامر ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾) وغير ذلك من الآيات وهي كثيرة، (وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الاغيار والتوكل على الواحد القهار.

وأما الأخبار؛ فقد قال ﷺ فيما رواه عنه ابن مسعود) رضي الله عنه وهو فيما رواه المصنف عن إمام الحرمين عن أبيه عن أبي القاسم القشيري قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن بن

أمتي قد ملأوا السهل والجبل فأعجبتني كثرتهم وهيئاتهم، فقيل لي: أرضيت؟ قلت: نعم. قال: ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب. قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون». فقام عكاشة وقال: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعله منهم». فقام آخر فقال: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم، فقال ﷺ: «سبقك بها

فورك، حدثنا عبد الله بن أحمد بن جعفر الاصبهاني، حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن مهدلة، عن زر بن حبيش، عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: (**«أريت الأمم في الموسم فرأيت أمتي قد ملأوا السهل والجبل فأعجبتني كثرتهم وهيئتهم، فقيل لي: رضيت؟ قلت: نعم، قال: ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب. قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة**) بن محصن الأسدي رضي الله عنه (**وقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «اللهم اجعله منهم» فقام آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال ﷺ: «سبقك بها عكاشة»**) هكذا رواه القشيري في الرسالة. وقال العراقي: رواه ابن منيع باسناد حسن واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس اهـ.

قلت: رواه الشيخان من طريق حصين بن عبد الرحمن، وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس بلفظ «عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: انظر إلى الافق الآخر فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون» ثم ذكر قول عكاشة، وقوله ﷺ: «أنت منهم» إلى آخره. ورواه كذلك أحمد.

وأما لفظ حديث بن مسعود: «عرضت علي الأنبياء بأممها فجعل النبي يمر ومعه الثلاثة والنبي ومعه العصابة والنبي ومعه النفر والنبي وليس معه أحد حتى عرض علي موسى معه كبكبة من بني اسرائيل فاعجبوني فقلت: من هؤلاء؟ فقيل: هذا أخوك موسى ومعه بنو اسرائيل. قلت: فأين أمتي؟ قيل: انظر عن يمينك فنظرت فإذا الظراب قد سدّ بوجوه الرجال، ثم قيل لي: انظر عن يسارك فنظرت فإذا الافق قد سد بوجوه الرجال. فقيل لي: أرضيت؟ فقلت: رضيت يا رب رضيت يا رب. فقيل: إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب فدي لكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين ألفاً فافعلوا، فإن قصرتم فكونوا من أهل الظراب، فإن قصرتم فكونوا من أهل الأفق فإني قد رأيت أناساً يتهارشون كثيراً إني أرجو أن يكون من يتبعني ربع أهل الجنة، إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة» فقام عكاشة فقال: ادع الله لي يا رسول الله أن

عكاشة ». وقال ﷺ: « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً ». وقال ﷺ: « من انقطع إلى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها ». وقال

يجعلني من السبعين ألفاً فدعا له، فقام آخر فقال: ادع الله لي أن يجعلني منهم فقال: « قد سبقك بها عكاشة » فقيل: من هؤلاء السبعون ألفاً؟ فقال « هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ». رواه هكذا عبد الرزاق وأحمد والطبراني والحاكم.

وعند الطبراني وعمر بن شبة من طريق نافع مولى بنت شجاع عن أم قيس ابنة محصن قالت: أخذ رسول الله ﷺ بيدي حتى أتينا البقيع فقال: « يا أم قيس يبعث من هذه المقبرة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب » فقام رجل فقال: أنا منهم؟ قال: « نعم » فقام آخر فقال: أنا منهم؟ فقال: « سبقك بها عكاشة ». وأم قيس هذه أخت عكاشة صحابية طال عمرها.

وللطبراني في الكبير مختصراً: « يا أم قيس أترين هذه المقبرة يبعث الله منها سبعين ألفاً يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب ـ عين البقيع ـ » وقد روى الديلمي حديث ابن مسعود مختصراً « يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحدمنهم في سبعين ألفاً وجوههم كالقمر ليلة البدر ».

(وقال ﷺ: « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله) بأن تعلموا يقيناً أن لا فاعل إلا الله وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع من الله ثم تسعون في الطلب على الوجه الجميل **(لرزقكم كما ترزق الطير)** ضم المثناه الفوقية على صيغة المجهول زاد في رواية في جوّ السماء **(تغدو خماصاً)** جمع خميص أي ضامرة البطون من الجوع **(وتروح)** أي ترجع **(بطاناً »)** جمع بطين أي ممتلئة البطون، وإنما مثل بالطير لأن الأركان المجتمعة في الأبدان طوائر تطير إلى أوكارها ومراكزها، فأخبر بأن الرزق في التوكل على الله لا بالحيل والعلاج. **قال العراقي**: رواه الترمذي والحاكم وصححاه من حديث عمر وقد تقدم اهـ.

قلت: ورواه أيضاً ابن المبارك والطيالسي وأحمد والنسائي وابن ماجه وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي والضياء. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح، وأقره الذهبي.

(وقال ﷺ: « من انقطع إلى الله عز وجل) بأن كان اعتماده عليه لا على الأسباب **(كفاه الله تعالى كل مؤنة)** أي مشقة **(ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكّله الله إليها »)** قال العراقي: رواه الطبراني في الصغير وابن أبي الدنيا، ومن طريق البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن عمران بن الحصين ولم يسمع منه وفيه إبراهيم بن الاشعث تكلم فيه أبو حاتم اهـ.

قلت: ورواه كذلك الحكيم في النوادر، وابن أبي حاتم، والخطيب وإبراهيم بن الأشعث خادم الفضيل. قال أبو حاتم: كنا نظن به الخير فقد جاء بمثل هذا الحديث.

ﷺ : « من سرّه أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يديه ». ويروى عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال: « قوموا إلى الصلاة » ويقول: « بهذا أمرني ربي عز وجل ». قال عز وجل: ﴿وأمر أهلَكَ بالصّلاة واصْطَبِرْ عليها﴾ [الآية: ١٣٢ ، من سورة طه]، وقال ﷺ : « لم يتوكل على الله من استرقى واكتوى ».

(**وقال ﷺ : « من سرَّه أن يكون عند الله أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يده »**) قال العراقي: رواه الحاكم والبيهقي في الزهد من حديث ابن عباس باسناد ضعيف اهـ.

قلت: لفظ الحاكم والبيهقي « من سرّه أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ». ورواه كذلك عبد بن حميد وإسحاق بن راهويه وابن أبي الدنيـا في التوكل وأبو يعلى والطبراني وصاحب الحلية كلهم من طريق هشام بن زياد أبي المقدام عن محمد القرظي عن ابن عباس. قال البيهقي في الزهد: تكلموا في هشام بسبب هذا الحديث.

(**ويروى عن رسول الله ﷺ أنه**) كان (**إذا أصاب أهله خصاصة**) أي فقر وحاجة (**قال « قوموا إلى الصلاة » و**) كان (**يقول « بهذا أمرني ربي » . قال عز وجل: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾**) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث محمد بن حمزة عن عبد الله بن سلام قال: كان النبي ﷺ إذا نزل بأهله الضيـق أمرهم بالصلاة ثم قرأ هذه الآية. ومحمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بـن سلام إنما ذكروا له روايته عن أبيه عن جده فيبعد سماعه من أبي جده اهـ.

قلت: وبهذا اللفـظ رواه أبو عبيدة في المصنف، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وصاحب الحلية والبيهقي في الشعب، وقد صحح البيهقي في إسناده، وكأنه أثبت سماعه من أبي جده أو أنه سقط في سياق الطبراني عن أبيه.

وأما لفظ المصنف؛ فرواه أحمد في الزهد وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن ثابت قال: « كان النبي ﷺ إذا أصابت أهله خصاصة نادى أهله بالصلاة صلوا صلوا » قال ثابت: كانت الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة.

وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد عن معمر عن رجل من قريش قال: « كان النبي ﷺ إذا دخل على أهله بعض الضيق في الرزق أمر أهله بالصلاة» ثم قرأ هذه الآية: ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ الآية.

(**وقال ﷺ: « لم يتوكل على الله من استرقى واكتوى »**) قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى وابن ماجه والطبراني واللفظ إلا أنه قال « أو اكتوى » من حديث

وروي أنه لما قال جبريل لإبراهيم عليهما السلام وقد رمي إلى النار بالمنجنيق: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وفاء بقوله: حسبي الله ونعم الوكيل، إذ قال ذلك حين أخذ ليرمى فأنزل الله تعالى: ﴿وابراهيمُ الّذين وفى﴾ [النجم: ٣٧].

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والأرض إلا جعلت له مخرجاً.

وأما الآثار؛ فقد قال سعيد بن جبير: لدغتني عقرب فأقسمت على أمي لتسترقين، فناولت الراقي يدي التي لم تلدغ.

المغيرة بن شعبة. وقال الترمذي: «من استرقى أو اكتوى فقد برىء من التوكل». وقال النسائي: «ما توكل من اكتوى أو استرقى» اهـ.

قلت: وبلفظ الترمذي رواه أحمد والحاكم والبيهقي، وبلفظ المصنف رواه الطيالسي والبيهقي إلا أنه بلفظ «أو».

(وروي أنه لما قال جبريل لإبراهيم عليهما السلام وقد رمي إلى النار بالمنجنيق: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، وفاء بقوله: حسبي الله ونعم الوكيل إذ قال ذلك حين أخذ ليرمى) روى عبد بن حميد عن سليمان بن صرد، وكان قد أدرك النبي ﷺ أنه لما ذهب بإبراهيم ليطرح في النار قال: ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ [الصافات: ٩٩] فلما طرح في النار قال: حسبي الله ونعم الوكيل، فقال الله: ﴿يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ [الأنبياء: ٦٩] وروى ابن جرير عن معتمر بن سليمان عن بعض أصحابه قال: جاء جبريل إلى إبراهيم وهو يوثق ليلقى في النار. قال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، ورواه أحمد من وجه آخر فزاد قال: فسل من لك إليه حاجة. فقال: أحب الامرين إليّ أحبهما إليه.

(وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي فتكيده السموات والأرض إلا جعلت له مخرجاً) رواه تمام وابن عساكر والديلمي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رفعه بلفظ: «وعزتي يا داود ما من عبد يعتصم بي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده السموات بمن فيها والأرض بمن فيها إلا جعلت له من بين ذلك مخرجاً، وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء بين يديه وأرسخت الهوى من تحت قدميه، وما من عبد يطيعني إلا وأنا معطيه قبل أن يسألني ومستجيب له قبل أن يدعوني وغافر له قبل أن يستغفرني». وفيه يوسف بن الغر متروك يكذب. وقال البيهقي: هو في عداد من يضع الحديث، ورواه صاحب القوت فقال: وفي أخبار وهب وكعب من الكتب السالفة يقول الله تعالى: أقسم بعزتي فذكر نحو ما ذكرناه.

(واما الآثار: فقد قال سعيد بن جبير) التابعي رحمه الله تعالى: **(لدغتني عقرب)** مرة **(فأقسمت على أمي لتسترقين)** وكان باراً بأمه **(فناولت الراقي يده التي لم تلدغ)** ولم أناول يدي التي لدغت فراراً من الاسترقاء وبروراً بقسم أمي.

وقرأ الخواص قوله تعالى: ﴿وتوكّل على الحي الذي لا يموت﴾ [الفرقان: ٥٨] إلى آخرها. فقال: ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى.

وقيل لبعض العلماء في منامه: من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته. وقال بعض العلماء: لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك، ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك.

وقال يحي بن معاذ: في وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد.

وقال ابراهيم بن أدهم: سألت بعض الرهبان من أين تأكل؟ فقال لي: ليس هذا العلم عندي، ولكن سل ربي من أين يطعمني؟

وقال هرم بن حيان لأويس القرني: أين تأمرني أن أكون؟ فأومأ إلى الشام. قال هرم: كيف المعيشة؟ قال أويس: أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة.

(وقرأ) إبراهيم بن أحمد **(الخوّاص)** رحمه الله تعالى **(قوله تعالى: ﴿وتوكل على الحيّ الذي لا يموت﴾ إلى آخرها فقال: ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية)** إن فهم معناها **(أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى)** نقله صاحب القوت.

(وقيل لبعض العلماء في منامه: من وثق بالله تعالى فقد أحرز قوته. وقال بعض العلماء: لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك) نقله صاحب القوت وهذا هو توكل العموم.

(وقال يحي بن معاذ) الرازي الزاهد رحمه الله تعالى: **(وجود العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد)** نقله صاحب القوت.

(وقال إبراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى: **(سألت بعض الرهبان من أيت تأكل؟ فقال: ليس هذا العلم عندي، ولكن سل ربي من أين يطعمني)** رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال هرم بن حيان) العبدي، قال ابن عبد البر وهو من صغار الصحابة، وفي الزهد لأحمد أنه كان يصحب حممة الدوسي، وحممة مات في خلافة عثمان، وفيه عن الحسن أنه لما مات دفن في يوم صائف فجاءت سحابة فرشت قبره وما حوله، وعدّه ابن أبي حاتم في الزهاد الثمانية من كبار التابعين. وقال ابن سعد: ثقة له فضل وكان على عبد القيس في الفتوح، وأورده أبو نعيم في الحلية وقد تقدم **(لأويس)** بن عامر **(القرني)** رحمه الله تعالى **(أين تأمروني أن أكون؟ فأومأ إلى الشام. قال هرم: كيف المعيشة؟ قال أويس: أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة)**. ولفظ القوت، وقال أبو السليل، قال رجل لأويس: أصحبك استأنس

وقال بعضهم: متى رضيت بالله وكيلاً وجدت إلى كل خير سبيلاً. نسأل الله تعالى: حسن الأدب.

بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل:

اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان وجميع أبواب الإيمان لا تنتظم إلا بعلم وحال وعمل، والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل، وعمل هو الثمرة، وحال هو المراد باسم التوكل.

فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الأصل وهو المسمى إيماناً في أصل اللسان، إذ الإيمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم، وإذا قوي سمي يقيناً، ولكن أبواب اليقين كثيرة، ونحن إنما نحتاج منها إلى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» والإيمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك: (له

بك؟ فقال سبحان الله ما ظننت أن أحداً يعرف الله يستوحش معه. فقال له الرجل: ما المعيشة؟ قال أويس: أف خالط القلوب الشك فما تنفع بموعظة.

(**وقال بعضهم: متى رضيت بالله وكيلاً وجدت إلى كل خير سبيلاً**) والوكيل هو الموكول إليه الأمور كلها.

بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل:

(**اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان**) وهو عماد المؤمنين وموطن المقربين ووسيلة المحبين ولا يستغني عنه عابد في عبادته ولا ذو عادة في عاداته لتعلقه بسائر الأحوال عبادة أو عادة، وجلة ما يحتاج إليه من أمر الدنيا والآخرة. ولذلك أوجبه الله تعالى على سائر المؤمنين لأن حقيقته اعتماد القلب على الله تعالى في جلب المنافع أو حفظها ودفع المضار أو قطعها كما سيأتي، (**وجميع أبواب الإيمان لا ينتظم إلا بعلم وحال وعمل**) كما سبق ذلك في شرح كتاب التوبة، (**والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل**) الذي ينبني عليه حاله، (**وعمل هو الثمرة وحال**) هو يثمر العمل و(**هو المراد باسم التوكل**) ويحتاج شرح كل من ذلك على انفراده.

(**فلنبدأ ببيان العلم الذي هو الأصل**) الذي ينبني عليه حال التوكل، (**وهو المسمى إيماناً في أصل اللسان**) وله مراتب وبعضها أشرف من بعض، (**إذ الإيمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم، وإذا قوي**) نوره في القلب (**سمي يقيناً ولكن أبواب اليقين كثيرة**) وقد ذكر بعضها وبعضها سيذكر. (**ونحن إنما نحتاج منها إلى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له»**) قائم بنفسه، (**والايمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك له الملك**) وهذا الايمان من لازم التوحيد، فإن

الملك) والإيمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك : (وله الحمد) فمن قال : (لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) تم له الإيمان الذي هو أصل التوكل. أعني أن يصير معنى هذا القول وصفاً لازماً لقلبه غالباً عليه ، فأما التوحيد فهو الأصل والقول فيه يطول ، وهو من علم المكاشفة ، ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالأعمال بواسطة الأحوال ، ولا يتم علم المعاملة إلا بها فإذاً لا نتعرض إلا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة ، وإلا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له ، فنقول : للتوحيد أربع مراتب ، وهو ينقسم إلى لب ، وإلى لب اللب ، وإلى قشر ، وإلى قشر القشر . ولنمثل ذلك تقريباً إلى الأفهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فإن له قشرتين وله لب وللب دهن هو لب اللب .

فالرتبة الأولى من التوحيد : هي أن يقول الإنسان بلسانه : « لا إله إلا الله » وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين.

من علم أنه قائم بنفسه علم أنه مقيم لغيره ، **(والإيمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك وله الحمد)** وهو من لازم الايمان بالقدرة ، فإن من علم أنه مقيم لغيره علم أنه متولي أمورهم وكافيهم وحسبهم ، وإذا علم ذلك علم سعة جوده وحكمته وكمال قدرته وينتج ذلك ان الوجود كله في قبضته وملكه وتحت قهره وأسره ، وأنه المنفرد بإيجاده المتوحد بخلق حركات العالم وسكناته ، **(فمن قال « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » تم له أصل الإيمان الذي هو أصل التوكل . أعني أن يصير معنى هذا القول وصفاً لازماً لقلبه غالباً عليه)** وفيه قد وردت آثار ، « فمن قالها عشراً كان كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل » . رواه الشيخان والنسائي من حديث أبي هريرة. وروى الترمذي من حديث أبي أيوب بلفظ « كانت له عدل أربع رقاب من ولد إسماعيل » . ورواه البيهقي بلفظ « كان له عدل نسمة » ورواه الطبراني بلفظ « كن له كعدل عشر رقاب » . **(فاما التوحيد فهو الأصل ، والقول فيه يطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالأعمال بواسطة الأحوال)** ، فإن الأحوال هي التي تثمر الأعمال وهي مواجيد القلوب ، **(ولا يتم علم المعاملة إلا بها)** أي بالأعمال التي هي نتيجة عن الأحوال ، **(فإذاً لا نتعرض إلا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة)** فقط ، **(وإلاّ فالتوحيد هو البحر الخضم)** أي العميق الواسع **(الذي لا ساحل له)** فينتهي إليه . **(فنقول : للتوحيد أربع مراتب ، وهو ينقسم إلى : لب ولب اللب وقشر وقشر القشر ، ولنمثل ذلك تقريباً إلى الأفهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فإن له قشرتين وله لب وللب لب وهو الدهن وهو لب اللب .**

(فالرتبة الأولى : من التوحيد أن يقول الإنسان بلسانه : « لا إله إلا الله » وقلبه غافل عنه) أي

والثانية: أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام.

والثالثة: أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقربين، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار.

والرابعة: أن لا يرى في الوجود إلا واحداً وهي مشاهدة الصديقين وتسمية الصوفية الفناء في التوحيد لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً فلا يرى نفسه أيضاً، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقاً بالتوحيد كان فانياً عن نفسه في توحيده، بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه والخلق.

فالأول: موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان.

والثاني: موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد

عن معناه المقصود (**أو منكر له كتوحيد المنافقين**) فإنهم كانوا كذلك كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون إما غفلة أو إنكاراً، ومنهم من كان يجمع بينهما.

(**والثانية: أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما يصدق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام**).

(**والثالثة: أن يشاهد ذلك بطريق الكشف**) عن المعاينة (**بواسطة**) فيضان (**نور الحق**) في قلبه (**وهو مقام المقربين، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة**) مختلفة الأنواع والأجناس (**ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار**).

(**والرابعة: أن لا يرى في الوجود**) في سائر مراتبه (**إلا واحداً وهي مشاهدة الصديقين وتسميه**) طائفة (**الصوفية**) قدس الله أسرارهم (**الفناء في التوحيد**) وهو مقام شريف عال وهو الفناء عن النفس وعن الخلق بزوال احساسه بنفسه وبهم، (**لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً فلا يرى نفسه أيضاً، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقاً في التوحيد كان فانياً عن نفسه في توحيده فمعنى أنه فني عن رؤية نفسه والخلق**)، وإذا فني عن نفسه وعن الخلق فتكون نفسه موجودة والخلق موجودون، ولكنه لا علم له بهم ولا بها ولا إحساس ولا خبر غافل عن نفسه وعن الخلق غير محس بهم وبها، وقد نرى الرجل يدخل على ذي سلطان أو محتشم فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه، وربما يذهل عن ذلك المحتشم حتى إذا سئل بعد خروجه من عنده عن أهل مجلسه وهيئة ذلك الصدر وهيئة نفسه لم يمكنه الإخبار عن شيء.

(**فالأول: موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان**) فلا يهراق دمه، وإليه الإشارة في الخبر: « فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم ».

(**والثاني: موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد**

عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح، ولكنه **يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفي عليه ولم تضعف بالمعاصي عقدته، ولهذا العقد حيل يقصد بها** تضعيفه وتحليله تسمى بدعة، وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها أيضاً أحكام هذه العقدة وشدّها على القلب وتسمى كلاماً، والعارف به يسمى متكلماً وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام، وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث أنه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته.

والثالث: موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلاً واحداً إذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فاعلاً بالحقيقة إلا واحداً وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه إلا أنه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة، فإن تلك رتبة العوام والمتكلمين إذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به يدفع حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة.

عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه) أي في القلب **(انشراح و)** لا **(انفساح، ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفي عليه)** ولم يتخلل بينه وبين ذلك الاعتقاد شيء **(ولم تضعف بالمعاصي عقدته)** فإن المعاصي تضعف عقدة الإيمان وتحلها شيئاً فشيئاً، **(ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة)** وهي أعظم حالاً من المعاصي لكون صاحب البدعة لا يعتقدها معصية فلا يتوب منها، إذ لو علم أنها معصية لتاب عنها **(وله حيل يقصد بها دفع حيل التحليل والتضعيف، ويقصد بها أيضاً أحكام هذه العقدة وشدّها على القلب وتسمى كلاماً، والعارف بها)** بهذين القصدين **(يسمى متكلماً وهو في مقابلة المبتدع)** فلا يكون المتكلم مبتدعاً كما لا يكون المبتدع متكلماً وما وقع في سياق بعضهم، وبه قال جمهور متكلمي المعتزلة، وما أشبه ذلك فنظرا إلى ظاهر اللفظ أو أن هذا الذي ذكره المصنف اصطلاح له فلا معارضة. **(ومقصده)** أي المتكلم **(دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام، وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث أنه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته)**.

(والثالث: موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلاً واحداً إذ انكشف له الحق كما هو عليه، ولا يرى فاعلاً بالحقيقة إلا واحداً وقدانكشفتله الحقيقة كما هي عليها إلا أنه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فإن ذلك رتبة العوام والمتكلمين إذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد) إذ هما سواء فيه، **(بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به تدفع حيل المبتدع في تحليل هذه العقدة)** وقد تقدم الكلام في المراد بالعوام من هم في شرح قواعد العقائد.

والرابع: موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكل من حيث أنه كثير، بل من حيث أنه واحد، وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد، فالأول كالقشرة العليا من الجوز، والثاني كالقشرة السفلى، والثالث كاللب، والرابع كالدهن المستخرج من اللب. وكما أن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل إن أكل فهو مر المذاق، وإن نظر إلى باطنه فهو كريه المنظر، وإن اتخذ حطباً أطفأ النار وأكثر الدخان، وإن ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح إلا أن يترك مدة على الجوز للصون ثم يرمي به عنه، فكذلك التوحيد بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن، لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن، وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة، فإنهم لم يؤمروا بشق القلوب، والسيف إنما يصيب جسم البدن وهو القشرة، وإنما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده، وكما أن القشرة السفلى ظاهرة النفع بالإضافة إلى القشرة العليا، فإنها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار، وإذا فصلت أمكن أن ينتفع بها حطباً لكنها نازلة القدر بالإضافة إلى اللب، وكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف

(والرابع: موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث أنه كثير، بل من حيث أنه واحد) فتضمحل الكثرة في جنب الوحدة **(وهذه الغاية القصوى في التوحيد)** وليس بعده مقام للسالك ينتهي إليه، **(فالأول كالقشرة العليا من الجوز، والثاني كالقشرة السفلى)** منه، **(والثالث كاللب)** الذي داخل القشرتين، **(والرابع كالدهن المستخرج من اللب)** وهو خلاصة الخلاصة. **(وكما أن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل إن أكل فهو مرّ المذاق، وإن نظر إلى باطنها فهو كريه المنظر، وإن اتخذ حطباً أطفأ النار)** لرطوبته **(وأكثر الدخان)** وسوّد الألوان، **(وإن ترك في البيت ضيق المكان فلا يصلح)** لشيء **(إلا أن يترك مدة على الجوز للصوان)** أي الحفظ على باطنه من طروّ الآفات، **(ثم يرمي به عنه، فكذلك التوحيد)** الحاصل **(بمجرد اللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى)** أي الفائدة **(كثير الضرر مذموم الظاهر)** لمرارته **(والباطن)** لبشاعته، **(لكنه ينفع مدة في حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت والقشرة السفلى هي القلب والبدن، وتوحيد المنافق يصون بدنه عن سيف الغزاة)** والحكام **(فإنهم لم يؤمروا بشق القلوب)** كما في خبر أسامة: « هلا شققت قلبه ». **(والسيف إنما يصيب جسم البدن وهو القشر وإنما يتجرد عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده)** أي بعد الموت. **(وكما أن القشرة السفلى ظاهرة النفع بالإضافة إلى القشرة العليا فإنها تصون اللب وتحرسه عن الفساد عند الادخار، وإذا فصلت أمكن ان ينتفع بها حطباً)** للوقود **(لكنها نازلة القدر)** وفي نسخة تافهة القدر

كثير النفع بالإضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالإضافة إلى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه، إذ ذاك الشرح هو المراد بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ للإسلام﴾ [الأنعام: ١٢٥] وبقوله عز وجل: ﴿أفمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ للإسْلاَمِ فهو على نورٍ من ربِّه﴾ [الزمر: ٢٢] وكما أن اللب نفيس في نفسه بالإضافة إلى القشر وكله المقصود، ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالإضافة إلى الدهن المستخرج منه، فكذلك توحيد العقل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات إلى الكثرة بالإضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق.

فإن قلت: كيف يتصور أن لا يشاهد إلا واحداً وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة. فكيف يكون الكثير واحداً؟

فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات. وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب. فقد قال العارفون إفشاء سر الربوبية كفر، ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة، نعم ذكر ما

(**بالإضافة إلى اللب، وكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف**) بواسطة نور (**الحق كثير النفع بالإضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالإضافة إلى الكشف والمشاهدة التي تحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه، إذا ذلك الشرح هو المراد بقوله تعالى: ﴿فمن يُرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ وقوله عز وجل ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه﴾**) وقد تقدم الكلام على الآيتين مراراً. (**وكما أن اللب نفيس في نفسه بالإضافة إلى القشر وكأنه المقصود**) من القشرتين، (**ولكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالإضافة إلى الدهن المستخرج منه، فكذلك توحيد العقل مقصد عال للسالكين**) يتعبون حتى يحصلونه (**لكنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات إلى الكثرة بالإضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق**)، ومثال شرف بعض هذه المراتب على البعض مثال دار لها علو وسفل، وكلما ارتقيت من أسفلها إلى أعلاها ازددت علماً بالدار، وكلما ازددت علماً ازددت لبانيها ومالكها محبة والمحبة موجبة لمجاورة المحبوب وملازمته وموافقته.

(**فإن قلت: كيف يتصوّر أن لا يشاهد إلاّ واحداً وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة، فكيف يكون الكثير واحداً**).

(**فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز ان تسطر في كتاب**) فيطلع عليه من ليس بأهل لمزاولتها فيقع في وحلة لا يكاد يتخلص منها، (**فقد قال العارفون: إفشاء سر الربوبية كفر**) وقد نسب هذا القول لسهل التستري، وقيل لأبي يزيد البسطامي، وهي من جلة الأسئلة التي سئل عنها المصنف وأجاب في كتاب سماه «الاملاء على مشكلات الإحياء»

قال فيه في تقرير السؤال، وما معنى قول من تقدم من أهل هذا الشأن إفشاء سر الربوبية كفر، وأين أصل ما قالوه في الشرع إذ الإيمان والكفر والهداية والضلال والتقريب والتبعيد والصديقية وسائر مقامات الولاية ودركات المخالفة إنما هي مآخذ شرعية وأحكام نبوية، فقال في الجواب عنه: إنه يخرج على وجهين:

أحدهما: أن يكون المراد به كفراً دون كفر ويسمى ذلك تغليظاً لما أتى به المفشي وتعظيماً لما ارتكبه، ويعترض هذا بأن يقال: لا يسمى هذا كفراً لأنه ضد الكفر، إذ الكافر الذي يسمى هذا على معناه ساتر، وهذا المفشي للسرّ ناشر وأين النشر من الستر، والإظهار من التغطية، والاعلان من الكتم، واندفاع هذا بأن يقال: ليس الكفر الشرعي تابعاً للاشتقاق، وإنما هو حكم بمخالفة الأمر وارتكاب النهي، فمن رد إحسان محسن أو جحد نعمة متفضل فيقال عليه كافر لجهتين: **إحداهما:** لجهة الاشتقاق ويكون إذ ذاك اسماً يبنى على وصف. **والثانية:** من جهة الشرع ويكون إذا ذاك حكماً يوجب عقوبة، والشرع قد ورد بشكر المنعم فافهم، لا تذهب مع الالفاظ ولا تسترقك العبارات ولا تحجبك التسميات وتفطن لخداعها واحترس من استدراجها، فإذاً من أظهر ما أمر بكتمه كان كمن كتم ما أمر بنشره وفي مخالفة الأمر فيهما حكم واحد على هذا الاعتبار، ويدل على ذلك من جهة الشرع قوله ﷺ: «لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم» وفي ارتكاب النهي عصيان ويسمى في باب القياس على المذكور كفراناً.

والوجه الثاني: أن يكون معناه كفر السامع لا المخبر بخلاف الوجه الأول، ويكون هذا مطابقاً للحديث المذكور «لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم» أتريدون ان يكذب الله ورسوله؟ فمن حدث أحداً بما لم يصله عقله ربما سارع إلى التكذيب وهو الأكثر، ومن كذب بقدرة الله تعالى وبما أوجد بها فقد كفر ولو لم يقصد الكفر، فإن أكثر اليهود والنصارى وسائر النحل ما قصدت الكفر إلا بظنها بأنفسها وهي كفار بلا ريب، وهذا وجه واضح قريب ولا يلتفت إلى ما مال إليه بعض من لا يعرف وجوه التأويل، ولا يعقل كلام أولي الحكم ولا الراسخين في العلم، إذ ظن أن قائل ذلك أراد الكفر الذي هو نقيض الإيمان والإسلام يتعلق بمخبره ويلحق قائله، وهذا لا يخرج إلا على مذاهب أهل الاهواء الذين يكفرون بالمعاصي، وأهل السنن لا يرضون بذلك، وكيف يقال لمن آمن بالله واليوم الآخر وعبد الله تعالى بالقول الذي يبرّ منه والعمل الذي يقصد به المتعبد لوجهه والكفر الذي يستزيد به إيماناً والمعرفة له سبحانه، ثم يكرمه الله تعالى ذلك بفوائد المزيد وينيله ما شرف من المنح ويريه أعلام الرضا ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه، والإيمان لا يخرج عنه إلا بنبذه واطراحه وتركه واعتقاد ما لا يتم الإيمان معه ولا يحصل بمقارنته وليس في افشاء الولي شيء مما يناقض الإيمان، اللهم إلاّ أن يريد بافشائه وقوع الكفر من

يكسر سورة استبعادك ممكن، وهو أن الشيء قد يكون كثيراً بنوع مشاهدة واعتبار، ويكون واحداً بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار، وهذا كما أن الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ نقول: إنه إنسان واحد؛ فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد، وكم من شخص يشاهد إنساناً ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه، والفرق بينهما انه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفريق وكأنه في عين الجمع، والملتفت إلى الكثرة في تفرقة، فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة، فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد، وباعتبارات أخر سواه كثير، وبعضها أشد كثرة من بعض، ومثاله

السامع له فهذا عابس متمرد وليس بولي، ومن أراد من خلق الله أن يكفر بالله فهو لا محالة كافر، وعلى هذا يخرج قوله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ [الأنعام: ١٠٨] ثم انه من سب أحداً منهم على معنى ما يجد له من العداوة والبغضاء قيل له أثمت وأخطأت من غير تكفير، وإن كان إنما فعل ذلك ليسمع سب الله وسب رسوله ﷺ فهو كافر بالاجماع. انتهى نص الاملاء.

(ثم غير متعلق بعلم المعاملة، نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن، وهو أن الشيء قد يكون كثيراً بنوع مشاهدة واعتبار، ويكون واحداً بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار، وهذا كما أن الانسان كثير إن التفت إلى روحه وجسمه وأطرافه وعروقه وعظامه واحشائه، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد، إذ تقول: إنه انسان واحد فهو بالإضافة إلى الانسانية واحد، وكم من شخص يشاهد انساناً ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه، والفرق بينهما أنه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق، وكأنه في عين الجمع والملتفت إلى الكثرة في تفرقة) قال القشيري: من أثبت نفسه وأثبت الخلق ولكن شاهداً لكل قائماً بالحق فهذا هو الجمع، وإذا كان مختطفاً عن شهود الخلق مصطلماً عن نفسه مأخوذاً بالكلية عن الاحساس بكل غير بما ظهر واستوى من سلطان الحقيقة، فذلك جمع الجمع، فالتفرقة شهود الأغيار لله والجمع شهود الأغيار بالله وجمع الجمع الاستهلاك بالكلية، وفناء الاحساس بما سوى الله عند غلبات الحقيقة انتهى.

(فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة، وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد، وباعتبارات أخر سواها كثير بعضها أشد كثرة من بعض، ومثال الإنسان) في الكثرة والوحدة **(وإن كان لا يطابق الغرض)**

الإنسان وإن كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحداً ، ويستبين بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به إيمان تصديق ، فيكون لك من حيث أنك مؤمن بهذا التوحيد نصيب ، وإن لم يكن ما آمنت به صفتك كما أنك إذا آمنت بالنبوّة وإن لم تكن نبياً كان لك نصيب منه بقدر قوة إيمانك . وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر ، والدوام نادر عزيز وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص يدور في الأسفار فقال : فيمــاذا أنت ؟ فقال : أدور في الاسفار لأصحّـح حالتي في التوكل وقد كان من المتوكلين ، فقال الحسين : قد أفنيت عمرك في عمران باطنك ، فأين الفناء في التوحيد ؟ فكأن الخوّاص كان في تصحيح

الذي هو اثبات الفناء في التوحيد ، **(ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحداً وتستفيد بهذا الكلام وترك الانكار والجحود لمقام لم تبلغه)** لقصورك **(وتؤمن به إيمان تصديق ، فيكون لك من حيث أنك مؤمن بهذا التوحيد)** الذي هو الغاية القصوى **(نصيب)** وحظ ، **(وإن لم يكن ما أمنت به صفتك)** ومقامك ، **(كما أنك إذا آمنت بالنبوّة)** وهو أعلى مقامات السالكين **(وان لم تكن نبياً)** متحققاً بهذا المقام **(كان لك نصيب منه بقدر قوة ايمانك)** به وتصديقك له وعدم إنكارك عليه . **(وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق)** وهو مقام الفناء بشهود الفناء بالاستهلاك في وجوه الحق **(تارة تدوم)** في سائر الأحوال ، **(وتـارة تظهـر كـالبرق الخاطـف)** ثم تغيب **(وهـو الاكثر)** في أحـوال السالكين **(والدوام نادر عزيز)** ، لكنها إذا غابت بقيت آثارها فصاحبها بعد سكون غليانه يعيش في بركات ضيائها إلى أن تلوح ثانية يزجي وقته على انتظار عودها ويعيش بما وجد في حين كونه ، **(وإلى هذا أشار)** أبو المغيث **(الحسين)** بن منصور **(الحلاج)** رحمه الله تعالى **(حيث رأى)** إبراهيم بن أحمد **(الخواص)** رحمه الله تعالى **(يدور في الأسفار)** وقد ذكر صاحب القوت له العجائب مما وقعت له في أسفاره **(فقال)** له : **(فماذا أنت؟ فقال: أدور في الأسفار لأصحح حالي في التوكل، وقد كان من)** نبلاء **(المتوكلين)** وله كتاب في تحقيق مقامات التوكل ، **(فقال الحسين: قد أفنيت عمرك في عمران باطنك)** أي في مشاهدة الخلق قائماً بالحق ، **(فأين)** أنت من **(الفناء في التوحيد)** ؟ رواه القشيري قال : سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت عبد الله بن محمد يقول ، قال الحسين بن منصور لإبراهيم الخواص : ماذا صنعت في هذه الأسفار وقطع هذه المفاوز ؟ قال : بقيت في التوكل لأصحح نفسي عليه . فقال الحسين : أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد اهـ .

(فكأن الخواص) رحمه الله تعالى **(كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد فطالبه)**

المقام الثالث في التوحيد ، نطالبه بالمقام الرابع ، **فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الاجمال.**

الحلاج (**بالمقام الرابع**) الذي هو آخر المقامات فيه، وكأنه شم من الخواص التفاتاً لما أقيم فيه فنبهه على ان المقصود وراء ذلك ، (**فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الإجمال**) وقد اعترض على المصنف في تقسيمه لهذه المقامات، وأجاب عنه وهذا لفظه في الاملاء : ذكرت رزقك ذكره وجعلك تعقل بهيبته وأمره كيف جاز انقسام التوحيد على أربع مراتب، ولفظة التوحيد تنافي التقسيم المشهور كما ينافي التكرير بالتعديد ، وإن صح انقسامه على وجه لا يدفع فهل تصح تلك القسمة فيما يوجد وفيما يقدر ، ورغبت في مزيد البيان في تحقيق كل مرتبة وانقسام طبقات أهلها فيها ، وإن كان يقع بينهم التفاوت، وما وجه تمثيلها بالجوز والقشور واللبوب، ولم كان الأوّل لا ينفع والآخر الذي هو الرابع لا يحل إفشاؤه، ثم ساق الاسئلة بتمامها ، ثم قال في الجواب ما لفظه: جرى الرسم في الاحياء بتقسيم التوحيد على أربع مراتب تشبيهاً بالجوز لموافقة الغرض في التمثيل به ، وذكر بأن المعترض وسوس بالخواطر بأن لفظ التوحيد ينافي التقسيم إذ لا يخلو ان يتعلق بلفظ الواحد الذي ليس بزائد عليه ، فذلك لا ينقسم لا بالحس ولا بالعقل ولا بغير ذلك ، وأما أن يتعلق بوصف المكلفين الذي يوجب لهم حكمهم إذ وجد فيهم ، فذلك لا ينقسم من حيث انتسابهم إليه بالعقد وذلك لضيق المجال فيه ، ولهذا لا تتصور فيه مذاهب ، وإنما التوحيد مسلك حق بين مسلكين باطلين: أحدهما شرك ، والآخر تلاش، وكلا الطرفين كفر والوسط إيمان محض، وهو أحدّ من السيف وأضيق من خط الظل، ولهذا قال أكثر المتكلمين بتماثل إيمان جميع المؤمنين من الملائكة والنبيين والمرسلين وسائر عموم المسلمين، وإنما تختلف طرق إيمانهم التي هي علومهم ومذهبهم في ذلك معروف ، ونحن لا نسلم في هذه الإجابة بشيء من انحاء الجدال ومقابلة الأقوال بالأقوال ، بل نقصد إزالة عين الإشكال ورد ما طعن به أهل الضلال والاضلال.

فاعلم أن التقسيم في الاطلاق يستعمل انحاء لا يتوجه ههنا بشيء مما قدح به المعترض وهجس به الخاطر ، وإنما المستعمل ههنا من أنحائه ما يتميز به بعض الاشخاص بما اختص به من الأحوال، وكل حالة منها يسمى توحيداً على جهة ينفرد بها لا يشاركها فيها غيرها ، فمن وحد بلسانه سمي لأجله موحداً ما دام الظن به إن كان قلبه موافقاً للسانه ، وإن علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ما شرع من الحكم، ومن وحد بقلبه على طريق الركون إليه والميل إلى اعتقاده والسكون نحوه بلا علم يصحبه فيه ولا برهان يربطه به سمي أيضاً موحداً على معنى أنه يعتقد التوحيد ، كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعي شافعياً والحنبلي حنبلياً ، ومن رزق علم التوحيد وما تحقق به عنده وتنتفي من أجله شكوكه العارضة له فيسمى موحداً من جهة أنه عارف به كما يقال جدلياً ونحوياً وفقيهاً ، ومعناه أي يعرف الجدل والنحو والفقه ، وأما من استغرق علم التوحيد قلبه واستولى على جملته حتى لا يوجد فيه فضل لغيره إلا على طريق التبعية ، ويكون شهود التوحيد لكل ما عداه سابقاً له مع الذكر والتذكير مصاحباً من غير أن يعتريه ذهول عنه ولا نسيان له

....

لأجل اشتغاله بغيره كالعادة في سائر العلوم، فهذا يسمى موحداً ويكون القصد بما يسمى به من ذلك المبالغة فيه. فهذا أربع مراتب يصح إطلاق اسم التوحيد عليها.

فأما الصنف الأوّل وهم أرباب النطق المجرد فلا يضربون في التوحيد بسهم ولا يفوزون منه بنصيب ولا يكون لهم شيء من أحكام أهله إلا في الحياة الأولى، إذ الظن بهم أن قلب أحدهم موافق للسانه كما نعيد القول عليه بعد هذا إن شاء الله عز وجل.

وأما الصنف الثاني: وهم أرباب الإعتقاد الذين سمعوا النبي ﷺ أو الوارث أو المبلغ يخبر عن توحيد الله عز وجل ويأمر به، ويلزم البشر قول لا إله إلا الله المنبىء عنه فقبلوا ذلك واعتقدوه على الجملة من غير تفصيل ولا دليل فنسبوا إلى التوحيد، فكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم الذي هو منهم وبمنزلة من كثر سواد قوم فهو منهم.

وأما الصنف الثالث والرابع: فهم أرباب البصائر السليمة الذين نظروا بها إلى أنفسهم، ثم إلى سائر أنواع المخلوقات فتأملوها فرأوا على كل نوع خطاً منطبعاً فيها ليس بعربي ولا سرياني ولا عبراني ولا غير ذلك من أجناس الخطوط، فبادر إلى قراءته من لم يستعجم عليه وتعلمه منهم من استعجم عليه، فإذا هو الخط الإلهي المكتوب على صفحة كل مخلوق المنطبع فيه من مفرد ومركب وصفة وموصوف وحجر وجماد وناطق وصامت ومتحرك وساكن ومظلم ونير، وهو الذي يسمى تارة بعلامة وتارة بسمة وتارة بأثر القدرة وتارة بآية، كما قال الشاعر ولا أدري عن سماع أو رؤية قلب:

فواعجباً كيف يعصى الإله   أم كيف يجحده جاحدُ
وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحدُ

فلما قرأوا ذلك الخط وجدوا تفسيره حدوث المكتوب وشرحه أبدية ملكه والتصريف له بالقدرة على حكم الإرادة بما ثبت في سابق العلم من غير مزيد ولا نقص، فتركوا الكتابة والمكتوب ونزلوا منها إلى معرفة الكاتب الذي أحدث الأشياء وكوّنها، ولم يخرج عن ملكه شيء منها ولا استغنت بأنفسها عن حوله وقوته طرفة عين ولا أقل من ذلك ولا افتقرت إلى الحرية عن رق استعباده، فوجدوه كما وصف نفسه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فحصلت التفرقة لهم والجمع وعقلت نفس كل واحد منهم توحيد خالقها بذاته واتحاده من غير وعقلت أنها عقلت توحيده، سبحان من يسرها لذلك وفتح عليها بما ليس في وسعها أن تدركه إلا به وهو اللطيف الخبير، لكن الصنف الثاني لم يعد كل منهم أن عرف نفسه موحداً لربه فيما لم يزل وهم المقربون، والصنف الرابع لم يقصد كل واحد منهم أن عرف ربه موحداً بنفسه فيما لم يزل وهم الصديقون وبينهما تفاوت كثير، وأما طريق معرفة صحة هذا التقسيم فلأن العقلاء بأسرهم لا يخلو كل واحد منهم أن يوجد في أثر التوحيد بأحد الأنحاء المذكورة عنده أو لا يوجد، فأما من عدم عنده فهو كافر إن كان في زمن الدعوة أو على أقرب يمكن وصول عملها إليه، أو في فترة لا يتوجه عليه فيها التكليف وهذا

صنف مبعد عن مقام هذا الكلام، وأما من يوجد فيه فلا يخلو أن يكون مقلداً في عقده أو عالماً به، فالمقلدون هم العوام وهم أهل المرتبة الثانية في الكتاب، وأما العلماء بحقيقة عقدهم فلا يخلو كل واحد منهم أن يكون بلغ الغاية التي أعدت لصنفه دون النبوة أو لم يبلغ ولكنه قريب من البلوغ، فالذي لم يبلغ وكان على قرب هم المقربون وهم أهل المرتبة الثالثة، والذين بلغوا الغاية التي أعدت لهم هم الصديقون وهم أهل المرتبة الرابعة، وهذا تقسيم ظاهر الصحة إذ هو دائر بين النفي والإثبات ومحصور بين المبادىء والغايات ولم يدخل أهل المرتبة الأولى في شيء من تصحيح هذا التقسيم، إذ ليس هو من أهله إلا بانتساب كاذب ودعوى غير صادقة، ثم لا بدّ من الوفاء بما وعدناك به من ابداء بحث ومزيد شرح وبسط بيان تعرف منه بإذن الله تعالى حقيقة كل مرتبة ومقام وانقسام أهله فيه بحسب الطاقة والإمكان بما يجريه الواحد الحق على القلب واللسان.

بيان أهل النطق المجرد وتمييز فرقهم:

اعلم أن أرباب النطق المجرد أربعة أصناف:

أحدهم: نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول ﷺ، ثم لم يعتقدوا معنى ما نطقوا به لما لم يعلموه ولا تصوروا صحته ولا فساده ولا صدقه ولا كذبه ولا خطأه ولا صوابه، إذ لم يبحثوا عليه ولا أرادوا فهمه إما لبعد همتهم وقلة اكتراثهم، وإما لنفورهم عن البحث وخوفهم أنهم إن تكلفوا البحث عما نطقوا به أن يبدو لهم ما يلزمهم الإعتقاد والعمل وما بعد ذلك، فإن التزموه فارقوا راحة أبدانهم العاجلة وفراغ أنفسهم، وإن لم يلتزموا شيئاً من ذلك وقد حصل لهم العلم فيكون عيشهم منغصاً وملاذهم مكدرة من خوف عقاب ترك ما علموا لزومه، فإذا سئل هذا الصنف عن معنى ما نطقوا به هل اعتقدوه؟ فيقولون: لا نعلم فيه ما نعتقد وما دعانا إلى النطق به شيء إلا مساعدة الجماهير وانخراطنا بإظهار القول في الجم الغفير، ولا نعرف هل ما قلناه بالحقيقة من قبيل العرف أو النكير. ولا شك أن هذا الصنف الذي أخبر النبي ﷺ عن حالة مساءلة الملكين أحدهم في القبر إذ يقولان له: من ربك ومن نبيك وما دينك؟ فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، فيقولان له: لا دريت ولا تليت، وسماه النبي ﷺ الشاك والمرتاب.

الصنف الثاني: نطقوا كما نطق الذين من قبلهم ولكنهم أضافوا إلى قولهم ما لا يحصل معه الإيمان ولا ينتظم به معنى التوحيد، وذلك ما قالت السبائية طائفة من الشيعة القدماء أن علياً رضي الله عنه هو الإله، وبلغ أمرهم علياً رضي الله عنه وكانوا في زمنه فحرق منهم جماعة وأمثال من نطق بالشهادتين كثيراً، ثم صحب نطقه مثل هذا النكير ويسمون الزنادقة وهم في النار كما في الخبر.

الصنف الثالث: نطقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم، ولكنهم أسروا التكذيب واعتقدوا الرد واستبطنوا خلاف ما ظهر منهم من الإقرار، وإذا رجعوا إلى أهل الألحاد أعلنوا عندهم بكلمة الكفر، فهؤلاء المنافقون الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿وإذا لقوا الذين

آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن* الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾ [البقرة: ١٤ ، ١٥].

الصنف الرابع: قوم لم يعرفوا التوحيد ولا نشأوا عليه ولا عرفوا أهله ولا سكنوا بين أظهرهم، ولكنهم حين وصلوا إلينا أو وصل أحد منا إليهم خوطبوا بالأمر المقتضي للنطق بالشهادتين والإقرار بهما قالوا: لا نعلم مقتضى هذا اللفظ ولا نعقل معنى المأمور به من النطق، وأمروا أن يظهروا الرضا بالقول ثم يتفهموا بمهلة فسكنوا إلى ما قيل لهم ونطقوا بالشهادتين ظاهراً وهم على الجهل بما يعتقدون، وإن اخترم أحد منهم من حينه من قبل أن يتأتى استفهام أو تصور يمكن أن يكون له معتقداً، فهذا يرجى أن لا تضيق عنه سعة رحمته تعالى والحكم عليه بالنار والخلود فيها مع الكفار تحكم على غيب الله تعالى، وربما كان من هذا الصنف في الحكم عند الله عز وجل قوم رزقوا بعد الفهم وغيب الذهن وفرط البلادة أن يدعوا إلى النطق فيجيبوا مساعدة ومحاكاة ثم يدعوا إلى تفهم المعنى من كل وجه، فلا يتأتى منهم قبول لما يعرض عليهم تفهيمه كأنما يخاطب بهيمة، ومثل هذا أيضاً في الوجود كثير ولا حكم على مثله بخلود في النار، ولا يبعد أن يكون مع هذا الصنف بأسره. أعني المخترم قبل تحصيل العقد مع هذا البليد البعيد بعض من ذكره النبي ﷺ في حديث الشفاعة، فيخرج من النار أقواماً لم يعملوا حسنة قط ويدخلون الجنة وتكون في أعناقهم سمات ويسمون عتقاء الله، والحديث فيه طول وهو صحيح. وإنما اختصرت منه قدر الحاجة على المعنى، وحكم الصنف الأول والثاني والثالث أجمعين، أعني أهل النطق المذكورين قبل في التوحيد أن لا تجب لهم حرمة ولا تكون لهم عصمة ولا ينسبون إلى إيمان ولا إسلام، بل هم أجمعون من زمرة الكافرين وجملة الهالكين، فإن عثر عليهم في الدنيا قتلوا فيها بسيوف الموحدين، وإن لم يعثر عليهم فهم صائرون إلى جهنم خالدون فيها تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون.

فصل

ولما كان اللفظ المنبىء عن التوحيد إذا انفرد عن العقد وتجرد عنه لم يقع له في حكم الشرع منفعة ولا لصاحبه بسببه نجاة إلا مدة حياته عن السيف أن يراق دمه واليد أن تسلط على ماله، إذ لم يعلم في حاله حسن أن يشبه بقشر الجوز الأعلى فهو لا يحمل في الأكمام، ولا يرفع إلى البيوت، ولا يحضر في مجالس الطعام، ولا تشتهيه النفوس إلا ما دام منطوياً على مطعمه صواناً على لبه، فإذا أزيل عنه بكسر أو علم منه أنه منطوٍ على فراغ أو سوس أو طعم فاسد لم يصلح لشيء ولم يبق فيه غرض لأحد، وهذا لا خفاء لصحته والغرض بالتمثيل تقريب ما غمض إلى فهم الطالب، وتسهيل ما اعتاص على المتعلم والسامع، وليس من شرط المثال أن يكون مطابقاً للممثل به من كل الوجوه فكان يكون هو هو، ولكنه من شرطه أن يكون مطابقاً للوجه المراد منه.

فصل

وأما الإعتقاد المجرد عن تحصينه بالعلم وتوثيقه بالأدلة وشده بالبراهين؛ فقد انقسموا في الوجود إلى ثلاثة أصناف.

أحدهم: صنف اعتقدوا مضمون ما أقروا به وحشوا به قلوبهم من غير ترديد ولا تكذيب أسروه في أنفسهم، ولكنهم غير عارفين باستدلال على ما اعتقدوه، وذلك لفرط بعدهم وغلظ طبائعهم واعتياص طرق ذلك عليهم ويقع عليهم اسم موحدين، وتحققنا وجود أمثالهم كثيراً على عهد النبي ﷺ والسلف الصالحين، ثم لم يبلغنا أنه اعترض أحد إسلامهم ولا أوجب عليهم الخروج منه والمروق عنه، ولا كلفوا مع قصوره وبعدهم عن فهم ذلك بعلم الأدلة وقراءة طرق البراهين وترتيب الحجاج، بل تركوا على ما هم عليه، وهؤلاء عندي معذورون ببعدهم ومقبولون بما توافقوا عليه من إقرارهم وعقدهم، والله تعالى قد عذرهم مع غيرهم بقوله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦] ولا يخرجون عن مقتضى هذه الآية بحال، وسنبدي طريقاً من الإعتقاد تعرف صحة إسلامهم وسلامة توحيدهم إن شاء الله تعالى.

الصنف الثاني: اعتقدوا الحق مع ما ظهر منهم من النطق، واعتقدوا إلى ذلك أنواعاً من المخايل قام في نفوسهم أنها أدلة وظنوها براهين وليست كذلك، وقد وقع في هذا كثير ممن يشار إليه فضلاً من دونهم، فإن وقع إلى هذا الصنف من يزعزع عليهم تلك المخايل بالقدح ويبطلها عليهم بالمعارضة والإعتراض لم يلتفتوا إليه ولا أصغوا إلى ما يأتي به ويترفعوا أن يجاوبوه لما يحملون عليه من سوء الفهم أو رداءة الإعتقاد، وعندهم أن جميع تلك المخايل في باب الإستدلال أرسخ من شوامخ الجبال، فمنهم من يعتقد دليله مذهب شيخه الرفيع القدر المطلع على العلوم ومنهم من يكون دليله خبر آحاد، ومنهم من يكون دليله بعض محتملات آية وحديث صحيح، ولعمري أنه لينبغي إذا صادفوا السنّة باعتقادهم ولم يقعوا في شيء من الضلال أن يتركوا على ما هم عليه ولا يحركوا بأمر آخر، بل يغبطوا بذلك ويسلم لهم لئلا يكونوا إذا تتبع الحال معهم ربما تلقفوا شبهة ورسخ في نفوسهم بدعة يعسر انحلالها أو يقع في تكفير مسلم أو تضليله بلا سبب كبير، وهؤلاء أثبت إيماناً من الصنف الأول وأوثق باطاً منهم وأحسن حالاً.

الصنف الثالث: أقروا واعتقدوا كما فعل الذين من قبلهم وقد عدموا العلم أيضاً، ولكن لعدم سلوكهم سبيله من القدرة عليه، ومعهم من الذكاء والفطنة والتيقظ ما لو نظروا لعلموا، ولو استدلوا لتحققوا ولو طلبوا لأدركوا سبيل المعارف ووصلوا، ولكنهم آثروا الراحة ومالوا إلى الدعة واستبعدوا طريق العلم واستثقلوا الأعمال الموصلة إليه وقنعوا بالقعود في حضيض الجهل، فهؤلاء فيهم إشكال عند كثير من الناس في البديهة وتردد وفي حالهم نظر وهل يسمون عصاة، وغير ذلك مما يحتاج لأي تمييز آخر ليس هذا مقامه، والإلتفات إلى هذا الصنف أوجب خلاف المتكلمين في العوام من غير تفريق بين بليد بعيد ومتيقظ فطن، فمنهم من لم ير أنهم مؤمنون ولكن لم يحفظ عنهم إطلاق اسم الكفار عليهم، ومنهم من أوجب لهم الإيمان، ولكن أوجب عليهم المعرفة وقدرها لهم وعجزهم عن العبارة ووجوب العبارة في الشرع ساقط على هذا النحو، وهؤلاء لا يخالفوا المذكورين قبلهم لأن أولئك سلبوا الإيمان عمن لم يصدر اعتقاده عن دليل، وهؤلاء أوجبوا الإيمان لمن أضافوا إليه المعرفة المشروطة في صحة الإيمان، وإنما فروا عن الشناعة الظاهرة فتستروا

عن الجمهور بهذا الإحتمال، ومنهم من أوجب لهم الإيمان مع عدم المعرفة المشروطة عند أولئك، وأي الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب؟ ليس من غرضنا في هذا الموضع وإنما غرضنا تقييد ما أشاعه في الأحياء أهل الغلو والإغلاء، فلا نفتح مثل هذا الباب وقد أبدينا وجه ذلك في مراقي الزيف ما يغني فيها بإذن الله تعالى.

فصل

بقي في أصناف أهل الإعتقاد تفصيل آخر من جهة أخرى، وهو من تتمة ما مضى فلتعلم أن ما منهم صنف إلا وله على التقريب ثلاثة أحوال، لا يستبد أحدهم عن أحدها بحكم الإحتمال الضروري: فأحد الحالات لهم أن يعتقد أحدهم جميع أركان الإيمان على ما يكمل عليه في الغالب لكنه على طريق التقليد كما سبق.

الحالة الثانية: أن لا يعتقد إلا بعض الأركان مما فيه خلاف إذا انفرد ولم ينضف إليه في اعتقاده سواه هل يكون به مؤمناً أو مسلماً مثل أن يعتقد وجود الواحد فقط، أو يعتقد أنه موجود حي لا غير، وأمثال هذه التقديرات ويخلو عن اعتقاد باقي الصفات خلواً كاملاً لا يخطر بباله، ولا يعتقد فيها حقاً ولا باطلاً ولا صواباً ولا خطأ، ولكن القدر الذي اعتقده من الأركان موافق للحق غير مشوب بغيره.

الحالة الثالثة: أن يعتقد الوجود كما قلنا أو الوجود والوحدانية والحياة، ويكون فيما يعتقده في باقي الصفات على ما لا يوافق الحق بما هو بدعة أو ضلالة وليس بكفر صراح، فالذي يدل عليه العلم ويستنبط من ظواهر الشرع أن أرباب الحالة الأولى والله أعلم على سبيل نجاة ومسلك خلاص ووصف إيمان وإسلام، وسواء في ذلك الصنف الأول والثاني من أهل الإعتقاد، ويبقى الصنف الثالث على محتملات النظر كما نبهناك عليه.

وأما أهل الحالة الثانية، فالمتقدمون من السلف لم يشتهر عنهم في صورة هذه المسألة ما يخرج صاحب هذا العقد عن حكم الإيمان أو الإسلام والمتأخرون مختلفون، وكثير خاف أن يخرج من اعتقد وجود الله عز وجل وإظهار الإقرار به وبنبيه ﷺ من الإسلام، ولا يبعد أن يكون كثير ممن أسلم من الأجلاف والرعيان وضعفاء النساء والأتباع هذا عقده بلا مزيد عليه، والحكم على من هو بمثل هذا بالخلود في النار عسير جداً مع ثبوت الشرع بأنه من قال: «لا إله إلا الله» دخل الجنة.

وأما أرباب الحالة الثالثة، وهي اعتقاد المبتدعة في الصفات أو في بعضها فإن حكما بصحة ايمان أهل الحالة المذكورة قبل هذه وإسلامهم حققنا أمر هؤلاء فيما اعتقدوه، إذ لم يقعوا فيه بوجه قصد يقطعهم عن اتصال العذر، لأن هؤلاء قد حصل لهم في العقد ما هو شرط الخلاص والنجاة من الهلاك الدائم وأصيبوا فيما وراء ذلك، فإن أمكن ردهم في دار الدنيا وزجرهم عنه إن أظهروا التمنع عن الإقلاع والرجوع بالعقوبة المؤلمة دون قتل كان ذلك، وإن ماتوا فالموت لم يقصر بهم

اعتقادهم عن أرباب الحالة الثانية المذكورة قبلهم، والله أعلم بالناجي والهالك من خلقه والمطيع والعاصي من عباده.

فصل

ولما كان الإعتقاد المجرد عن العلم بصحته ضعيفاً وتفرده عن المعرفة مريب ألقى عليه شبه القشر الثاني من الجوز لأن ذلك القشر يؤكل مع ما هو عليه صوان، وإذا انفرد أمكن أن يكون طعاماً للمحتاج وبلاغاً للجائع، وبالجملة فهو لمن لا شيء معه خير من فقده، وكذلك اعتقاد التوحيد وإن كان مجرداً عن سبيل المعرفة وغير منوط بشيء من الأدلة ضعيفاً، فهو في الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عز وجل خير من التعطيل والكفر.

بيان المرتبة الثالثة وهي توحيد المقربين:

اعلم أن الكلام في هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود.

أحدها: أن نتكلم في الأسباب التي توصل إليه والمسالك التي يعبر عليها نحوه والأحوال التي نتخذها لحصوله، كما قدره العزيز العليم واختار ذلك ورضيه وسماه الصراط المستقيم.

والحد الثاني: أن يكون الكلام في تفسير ذلك التوحيد ونفسه وحقيقته وكيف يتصور السالك إليه والطالب له قبل وصوله إليه وانكشافه له بالمشاهدة.

والحد الثالث: في ثمرات ذلك التوحيد وما يلقى أهله به ويطلعون عليه بسببه ويكرمون به لأجله ويتحققون من فوائد المزيد من جهته.

فأما الحد الأول: فالكلام عليه والكشف لدقائقه والصغير والكبير مأمور به مشدد في أمره متوعد بالنار على كتمه، وبه بعث الرسل وأنزلت الكتب، وجميعه محصور في إثنين العلم بالعبرة والعمل بالسّنة، وهما مبنيان على إثنين الحرص الشديد والنية الخالصة، وشرط في تحصيلها إثنان: نظافة الباطن وسلامة الجوارح، ويسمى جميع ذلك بعلم المعاملة.

وأما الحد الثاني: فالكلام فيه أكثر ما يكون على طريقة ضرب الأمثال تنبيهاً بالرمز تارة وتارة بالتصريح، ولكن على الجملة بما يناسب علوم الظواهر ولكن يشرف بذلك اللبيب الحاذق على بعض المراد ويفهم منه كثيراً من المقصد وينكشف له جل ما يشار إليه إذا كان سالماً من شرك التصعب، بعيداً عن هوة الهوى، نظيفاً من دنس التقليد.

وأما الحد الثالث؛ فلا سبيل إلى ذكر شيء منه إلا مع أهله مع علمهم به على سبيل التذاكر لا على سبيل التعليم. والحد الأول قد تقرر علمه في كتب الرواية والدراية، وهو غير محجوب عن طالب قد أمر الجهال به أن يتعلموه والعلماء به أن يبذلوه فلا نعيد فيه ههنا قولاً، وحكم الحد الثالث الكتم فلم يكن لنا سبيل إلى تعدي محدودات الشرع، فلنثن العنان إلى الكلام بالذي يليق

....

بهذا المقام فنقول: أرباب الفن الثالث في التوحيد وهم المقربون على ثلاثة أصناف على الجملة، وكلهم نظروا إلى المخلوقات فرأوا علامات الحدوث فيها لائحة، وعاينوا حالات الإفتقار إلى المحدث عليها واضحة، وسمعوا جميعها يدل على توحيده وتفريده راشدة ناصحة، ثم رأوا الله عز وجل بإيمان قلوبهم وشاهدوه بغيب أرواحهم ولاحظوا جلاله وجماله يخفي أسرارهم، وهم مع ذلك في درجات القرب على حظ وكلهم إنما عرفوا الله عز وجل بمخلوقاته ولسبب انقسامهم في المعرفة اختلفت أحوالهم في الخوف والرجاء والقبض والبسط والفناء والبقاء، وإنما سموا بالمقربين لبعدهم عن ظلمات الجهل وقربهم من نيرات المعرفة والعلم، فلا أبعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم، والبعد والقرب هنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز في لسان الجمهور، وعلى الحقيقة عند المستعلمين لهما في هذا الفن إحدى الحالتين: عمى البصيرة وانطماس القلب، وخلوه عن معرفة الرب سبحانه فسمي هذا بعداً مأخوذاً من البعد عن محل الراحة وموضع العمارة والأنس والإنقطاع في مهامه الفقر وأمكنة الخوف، والحالة الثانية عن إيقاد الباطن واشتعال القلب وانفساح الصدر بنور اليقين والمعرفة والعقل وعمارة السر بمشاهدة ما غاب عنه.

فصل

المرتبة الرابعة: وهو توحيد الصديقين وهم قوم رأوا الله تعالى وحده، ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به، فلم يروا في الدارين غيره ولا اطلعوا في الوجود على سواه، وأهل هذه المرتبة في حال حصولهم فيها صنفان: مريدون ومرادون، فالمريدون في الغالب لا بدّلهم أن يحلوا في المرتبة الثالثة وهي توحيد المقربين، ومنها ينتقلون وعليها يعبرون إلى المرتبة الرابعة والله أعلم.

وأما المرادون، فهم في الغالب مبتدئون بمقامهم الأخير وهي المرتبة الرابعة ومتمكنون فيها، ومن أهل هذه المقام يكون القطب والأوتاد والبدلاء، ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النجباء والنقباء والشهداء والصالحون والله أعلم.

فإن قلت: أليس الوجود يشترك فيه الحادث والقديم والمألوه والإله، ثم المعلوم أن الإله واحد والحوادث كثيرة، فكيف صاحب هذه المرتبة يرى الأشياء شيئاً واحداً أذلك على طريق قلب الأعيان، فيقول: الحوادث قديمة ثم يتحد بالواحد فترجع هي هو، وفي هذا من الإستحالة والمروق عن مصدر العقل ما يغني عن إطالة القول فيه، وإن كان على طريق التخييل للولي لما لا حقيقة له، فكيف يحتج به أو يعد حالاً لولي أو فضيلة لبشر.

والجواب عن ذلك أن الحادث لم ينتقل إلى القديم ولم يتحد بالفاعل ولا اعترى الولي تخييل فتخيل ما لا حقيقة له، وإنما هو ولي مجتبي وصديق مرتضى خصه الله بمعرفته على سبيل اليقين والكشف التام وكشف لقلبه ما لو رآه ببصره عياناً ما ازداد يقيناً، وإن أنكرت أن يكون وهب الله المعرفة على هذا السبيل لأحد من خلقه ما أعظم مصيبتك وما أعظم العزاء فيك حين قست الخلق بمقدارك وكلتهم بمعيارك وفضلت نفسك على الجميع، إذ لا سبيل لإنكارك إن صح إلا

فإن قلت: فلا بد لهذا من شرح بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه.

فأقول: أما الرابع فلا يجوز الخوض في بيانه، وليس التوكل أيضاً مبنياً عليه، بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث. وأما الأول: وهو النفاق فواضح، وأما الثاني: وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم المسلمين، وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه

أنك تخيل أن يرزق أحد ما لم ترزق أو يخص من المعرفة ما لم تخص، فإذا تقررت هذه القاعدة فصار ما كشف لقلبه لا يخرج منه وما اطلع عليه لا يغيب عنه في حال من أحواله، وهذا موجود فيمن كثر اهتمامه بشيء وثبت في قلبه حاله أنه إذا نام واشتغل لم يفقده في شغله ونومه كما لا يفقده في يقظته وفراغه، ولهذا والله أعلم إذا رأى الولي المتمكن في رتبة الصديقية مخلوقاً حياً كان أو جماداً صغيراً أو كبيراً لم يره من حيث هو، وإنما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرة وميزه بالإرادة على سابق العلم القديم، ثم أدام القهر عليه في الوجود، ثم لما كانت الصفات المشهور آثارها في المخلوقات ليست لغير الموصوف الذي هو الله عز وجل فني الولي عن غيره وصار لم ير سواه، ومعنى ذلك أن لا يتميز بالذكر في سر القلب وحين المعرفة ولا بالإدراك في ظاهر الحس دون ما كان موجباً به وصادراً عنه فأنى يبعد هذا على من أصحبه الله توفيقه وفتح له منهاجه وطريقه؟ وعلى هذا جاء المثل في الأحياء برؤية من يرى إنساناً، والإنسان المرئي لا شك ذو اجزاء كثيرة ثم لا يراه الرائي مع ذلك إلا واحداً ولا يخطر ببالك شيء من اجزائه من حيث أن أجزاء الإنسان الظاهرة لا حراك لها ولا سكون ولا قبض ولا بسط ولا تصرف فيما يظهر إلا بمعاني ما كان إنساناً من أجله وهو الراكب للجسد المستولي على سائر الأجزاء المصدق بقدرة الله تعالى للأعضاء الملقب بالروح تارة وبالقلب أخرى، وقد يعبر عنه بالنفس فإذا رأى اليد من الإنسان مثلاً لم يرها من حيث أنها لحم وعصب وعضل وغير ذلك من مجموع أشخاص الجواهر، وإنما يراها من حيث ما ظهر عليها من آثار صفاته التي هي القدرة والعلم والإرادة والحياة والصفات التي لا تقوم بنفسها دون الموصوف، فلهذا لم يشاهد غير المعنى الحامل للصفات المشهود أثرها في الأعضاء والجواهر فظهر صحة رؤية الرائي الإنسان واحداً وهو ذو أجزاء كثيرة، ومثل هذا يعتري الداخلين على الملوك والمحبين مع من شغفوا بحبه من المخلوقين والأمثال غير هذا كثير من هذا المعنى، وارجو أن لا يحتاج إليها مع هذا الوضوح ولا فهم إلا بالله ولا شرح إلا منه ولا نور إلا من عنده، وله الحول والقوة وهو العلي العظيم اهـ. ما ذكره المصنف في الرد على المعترض، وقد حذفت منه فصولاً كثيرة مما لا تعلق لها بما نحن فيه، ولنعد إلى شرح كلام المصنف بعون الله وتوفيقه.

(**فإن قلت: لا بد لهذا من شرح**) وبيان (**بمقدار ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه**).

(**فأقول: أما الرابع**) الذي هو منتهى المراتب (**فلا يجوز الخوض في بيانه**) لأنه من جملة علوم المكاشفة، (**وليس التوكل**) الذي نحن فيه (**مبنياً عليه، بل يحصل التوكل بالتوحيد الثالث. وأما الأول: وهو النفاق واضح، وأما الثاني وهو الإعتقاد فهو موجود في**

مذكور في علم الكلام، وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه. وأما الثالث: فهو الذي يبنى عليه التوكل، إذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا يحتمله أمثال هذا الكتاب.

وحاصله: أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى، وإن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم فالمنفرد بإبداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه، وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره، بل كان منه خوفك وإليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك، فإنه الفاعل على الانفراد دون غيره، وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والأرض، وإذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا إيضاحاً أتم من

عموم المسلمين وطريق تأكيده) وشدة عقده وحراسته **(بالكلام ودفع حيل المبتدعة فيه مذكور في)** الكتب المصنفة في علم **(الكلام، وذكرنا في كتاب الاقتصاد في الإعتقاد القدر المهم منه، وأما الثالث: فهو الذي يبنى عليه التوكل)** دون الثاني، **(إذ مجرد التوحيد بالإعتقاد لا يورث حال التوكل)** إذ الإعتقاد علم والأحوال إنما هي ثمرات الأعمال، **(فلنذكر منه القدر الذي يرتبط التوكل به دون تفصيله الذي لا تحتمله أمثال هذا الكتاب، وحاصله)** أنك إذا علمت أن الله تعالى واحد لا شريك له، وأنه قائم بنفسه مقيم لغيره، وأنه متولي أمورهم وكافيهم وحسيبهم علمت سعة حكمته وعلمه وكمال قدرته، فتستفيد من هذا **(أن ينكشف لك)** أن الوجود كله في قبضته وملكه وتحت قهره وأسره، و **(أن لا فاعل إلا الله وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم)** من كل حركات العالم وسكناته، **(فالمنفرد بإبداعه واختراعه هو الله عز وجل)** وحده **(لا شريك له فيه)** وهو المتوحد بخلق ذلك كله، **(وإذا انكشف لك هذا)** رأيت النواصي بيده يقلبها كيف شاء وحينئذ **(لم تنظر إلى غيره، بل كان منه خوفك وإليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك، فإنه الفاعل على الإنفراد دون غيره، وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة في ملكوت السموات والأرض)** وحينئذ ينكشف لك تحقيق قوله تعالى ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود: ٦] وكذلك قوله تعالى: ﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ [هود: ٥٦] وحينئذ تتحقق ان بيده الملك والملكوت وله العزة والجبروت، فحينئذ ترجع إليه ويعتمد قلبك عليه فتزداد نوراً بتوجهك واهتمامك لقوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] فيشرق في قلبك بهدايته ما أشرق في قلوب أنبيائه؛ **(وإذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحاً أتم من المشاهدة**

المشاهدة بالبصر ، وإنما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يبتغي به أن يطرق إلى قلبك شائبة الشرك بسببين: أحدهما الالتفات إلى اختيار الحيوانات. والثاني الالتفات إلى الجمادات، أما الالتفات إلى الجمادات فكاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه؛ وعلى الغيم في نزول المطر، وعلى البرد في اجتماع الغيم، وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها، وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الأمور، ولذلك قال تعالى: ﴿فإذا رَكِبُوا في الفُلْك دعَوُا اللهَ مُخلصين له الدّين فلما نَجّاهُم إلى البرّ إذا هُمْ يُشركون﴾ [العنكبوت: ٦٥]، قيل: معناه أنهم يقولون: لولا استواء الريح لما نجونا. ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء، والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك، وكذلك محركه، وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل، فالتفات العبد في النجاة إلى الريح يضاهي التفات من أخذ لتحز رقبته فكتب الملك توقيعاً بالعفو عنه وتخليته، فأخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول: لولا القلم لما تخلصت، فيرى نجاته من

بالبصر ، وإنما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقام ينبغي به أن يطرق إلى قلبك شائبة الشرك لسببين: أحدهما: الالتفات إلى الحيوانات، والثاني) الالتفات **(إلى الجمادات. أما الالتفات إلى الجمادات كاعتمادك على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه، وعلى الغيم في نزول المطر، وعلى البرد في اجتماع الغيم، وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها)** في البحر، **(وهذا)** كله **(شرك في التوحيد وجهل بحقائق الأمور، ولذلك قال تعالى)** في حق مثل هؤلاء: **(﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين مما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ قيل: معناه)** أي معنى قوله يشركون **(أنهم يقولون: لولا استواء الريح لما نجونا)** فينسبون النجاة إلى استواء الريح واعتدالها فهذا شركهم. وقال صاحب القوت: وقد رويناه في تفسير هذه الآية قالوا: كان الملاح فارهاً ومثله في قوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ [يوسف: ١٠٦] قيل: قالوا لولا نباح الكلب وزقاء الديك لأخذنا السرق، **(ومن انكشف له أمر العالم كما عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك، وكذلك محركه)** لا يتحرك بنفسه، **(وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه عز وجل)** إذ الحركة من أمارات الحدوث والباري تعالى منزه عن ذلك، **(فالتفات العبد في النجاة)** من شدة البحر **(إلى)** استواء **(الريح يضاهي التفات من أخذ لتجز)** أي تقطع **(رقبته)** لأمر ما **(فكتب الملك توقيعاً)** أي كاغداً يكتب فيه **(بالعفو عنه وتخليته)** عن القتل، **(فأخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع)** المذكور، **(ويقول: لولا القلم لما تخلصت)** من القتل **(فيرى**

القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل. ومن علم أن القلم لا حكم له في نفسه وإنما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت إليه ولم يشكر إلا الكاتب، بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب من أن يخطر بباله القلم والحبر والدواة والشمس والقمر والنجوم والمطر والغيم والأرض، وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب، بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك أن الملك الموقع هو كاتب التوقيع، والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى: ﴿وما رميتَ إذ رميتَ ولكنَّ الله رمى﴾ [الأنفال: ١٧] فإذا انكشف لك أن جميع ما في السموات والأرض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائباً وأيس عن مزج توحيدك بهذا الشرك، فأتاك في المهلكة الثانية وهي الالتفات إلى اختيار الحيوانات في الأفعال الاختيارية ويقول: كيف ترى الكل من الله وهذا الإنسان يعطيك رزقك باختياره؛ فإن شاء أعطاك وإن شاء قطع عنك، وهذا الشخص الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك إن شاء حز رقبتك وإن شاء عفا عنك، فكيف لا تخافه، وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه، ويقول له أيضاً نعم إن كنت لا ترى القلم لأنه مسخر فكيف

نجاته من القلم لا من محرك القلم وهو غاية الجهل، ومن علم أن القلم لا حكم له في نفسه، وإنما هو مسخر في يد الكاتب لم يلتفت إليه ولم يشكر إلا الكاتب) لأنه هو الأصل، (بل ربما يدهشه فرح وشكر الملك الموقع من أن يخطر بباله القلم والحبر والدواة، فالشمس، والقمر والنجوم والمطر والغيم) والريح (والأرض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة) مقهورة تحت الأسر (كتسخير القلم في يد الكاتب) يحركه كيف شاء، (بل هذا تمثيل في حقك لاعتقادك أن الملك الموقع) على الرقعة (هو كاتب التوقيع، والحق) عند أهل الحق (أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾) وهذا مقام الجمع وقد تقدم الكلام على هذه الآية مراراً، (فإذا انكشف لك أن جميع ما في السموات والارض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائباً وأيس عن مزج توحيدك بهذا الشرك) وسلمت من أغوائه، (فربما يأتيك في المهلكة الثانية وهي الالتفات إلى اختيار الحيوانات في الأفعال الاختيارية ويقول) بوسوسته في الصدر: (كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره، فإن شاء أعطاك وإن شاء قطع عنك، و) يقول له أيضاً: (هذا الشخص هو الذي يجز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك إن شاء جز رقبتك وإن شاء عفا عنك: فكيف لا تخافه وكيف لا ترجوه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه؛ فيقول: نعم) وفي نسخة ويقول له أيضاً: نعم (إن كنت لا ترى القلم أنه مسخر لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له؟ وعند هذا زلت أقدام الأكثرين إلا عباد الله

لا ترى الكاتب بالقلم وهو المسخر له، وعند هذا زل أقدام الأكثرين إلا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخراً مضطراً، كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخراً، وعرفوا أن غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلاً لو كانت تدب على الكاغد فترى رأس القلم يسود الكاغد، ولم يمتد بصرها إلى اليد والأصابع فضلاً عن صاحب اليد فغلطت وظنت أن القلم هو المسود للبياض، وذلك لقصور بصرها عن مجاورة رأس القلم لضيق حدقتها، فكذلك من لم ينشرح لنور الله تعالى صدره للإسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والأرض ومشاهدة كونه قاهراً وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض، بل أرباب القلوب والمشاهدات قد أنطق الله في حقهم كل ذرة في السموات والأرض بقدرته التي بها نطق كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع معزولون، ولست أعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الأصوات، فإن الحمار شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهائم، وإنما أريد به سمعاً يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عربي ولا عجمي.

المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان) كما قال تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر: ٤٢] **(فشاهدوا بنور البصائر كون الكاتب مسخراً مضطراً كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم مسخراً وعرفوا أن غلط الضعفاء في ذلك كغلط النملة مثلاً لو كانت تدب على الكاغد، فترى رأس القلم يسود الكاغد ولم يمتد بصرها إلى اليد والأصابع فضلاً عن صاحب اليد، فغلطت وظنت أن القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لضيق حدقتها، فكذلك من لم ينشرح بنور الله صدره)** ولم ينفسح **(قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والارض ومشاهدة كونه قاهراً)** وفي نسخة قهاراً **(وراء الكل فوقف في الطريق على الكاتب وهو جهل محض، بل أرباب القلوب والمشاهدات قد أنطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في السموات والأرض بقدرته التي نطق بها كل شيء حتى سمعوا تقديسها وتسبيحا لله تعالى وشهادتها على أنفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت يسمعه الذين هم عن السمع لمعزولون)** وهم أهل الحجاب، **(ولست أعني بالسمع الظاهر الذي لا يجاوز الأصوات، فإن الحمار)** وهو أبلد الحيوانات **(شريك فيه ولا قدر لما يشارك فيه البهائم، وإنما أريد به سمعاً)** باطناً **(يدرك به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا عربي ولا عجمي)**.

فإن قلت: فهذه أعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نطقها وإنها كيف نطقت وبماذا نطقت، وكيف سبحت وقدست، وكيف شهدت على نفسها بالعجز؟

فاعلم أن لكل ذرة في السموات والأرض مع أرباب القلوب مناجاة في السر، وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى، فإنها كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له ﴿قل لو كان البحرُ مداداً لكلمات ربِّي لنفِد البحرُ﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية، ثم انها تتناجى بأسرار الملك والملكوت، وإفشاء السر لؤم، بل صدور الأحرار قبور الأسرار، وهل رأيت قط أميناً على أسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى بسره على ملأ من الخلق، ولو جاز افشاء كل سر لنا لما قال ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكون ولا يضحكون. ولما نهى عن إفشاء سر القدر ولما قال: إذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر

(فإن قلت: فهذه أعجوبة لا يقبلها العقل فصف لي كيفية نطقها وأنها كيف نطقت وبماذا نطقت، وكيف سبحت وقدست، وكيف شهدت على أنفسها بالعجز).

(فاعلم أن لكل ذرة في السموات والأرض مع أرباب القلوب مناجاة في السر، وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فإنها كلمات تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له و) ذلك في قوله تعالى: ﴿قل **(لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي﴾ الآية. ثم إنها تناجي بأسرار الملك والملكوت، وإفشاء السر لؤم)** أي يدل على لؤم الطبيعة، **(بل صدور الأحرار قبور الأسرار)** كما في الأمثال السائرة، **(وهل رأيت قط أميناً على أسرار الملك قد نوجي بخفاياه فنادى بسره على ملأ من الخلق، ولو جاز إفشاء كل سر لنا لما قال ﷺ «لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»)** رواه أحمد والدارمي والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان من حديث أنس بلفظ «لو تعلمون ما أعلم» وقد تقدم، **(بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكون ولا يضحكون، ولما نهى عن إفشاء سر القدر)** قال العراقي: رواه ابن عدي وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر: «القدر سر الله فلا تفشوا لله عز وجل سره» هذا لفظ أبي نعيم. وقال ابن عدي «لا تكلموا في القدر فإنه سر الله» الحديث وهو ضعيف وقد تقدم انتهى.

قلت: وتمامه «فلا تفشوا لله سره».

(ولما قال) ﷺ: **(«إذا ذكر النجوم فامسكوا، وإذا ذكر القدر فامسكوا، وإذا ذكر أصحابي فامسكوا»)** رواه الطبراني وابن حبان في الضعفاء، وأبو نعيم في الحلية، وابن صصري في أماليه من حديث ابن مسعود بلفظ «إذا ذكر أصحابي فامسكوا، وإذا ذكرت النجوم

أصحابي فأمسكوا » ، ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الأسرار ، فإذاً عن حكايات مناجاة ذوات الملك والملكوت لقلوب أرباب المشاهدات مــانعــان .

أحدهما : استحالة افشاء السر .

والثاني: خروج كلماتها عن الحصر والنهاية، ولكنا في المثال الذي كنا فيه ـ وهي حركة القلم ـ نحكي من مناجاتها قدراً يسيراً يفهم به على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه ونرد كلماتها إلى الحروف والأصوات وإن لم تكن هي حروفاً وأصواتاً ، ولكن هي ضرورة التفهيم فنقول: قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر : ما بال وجهك كان أبيض مشرقاً والآن قد ظهر عليه السواد ؟ فلم سودت وجهك ؟ وما السبب فيه ؟ فقال الكاغد : ما أنصفتني في هذه المقالة ! فإني ما سودت وجهي بنفسي ولكن سل الحبر فإنه كان مجموعاً في المحبرة التي هي مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلماً وعدواناً ؛ فقال: صدقت ، فسأل الحبر عن ذلك ؟ فقال: ما انصفتني فإني كنت في المحبرة وادعاً ساكناً عازماً على أن لا أبرح منها ، فاعتدى عليّ القلم بطمعه الفاسد ، واختطفني من وطني وأجلاني عن بلادي وفرق

فامسكوا ، وإذا ذكر القدر فامسكوا » وقد تقدم ، (**ولما خص**) ﷺ (**حذيفة**) بن اليمان رضي الله عنهما (**ببعض الأسرار**) وقد تقدم . (**فإذاً عن حكاية مناجاة ذرات الملك والملكوت لقلوب أرباب المشاهدات**) العيانية (**مانعان**) .

(**أحدهما : استحالة إفشاء السر**) لما ورد فيه من النهي .

(**والثاني: خروج كلماتها عن الحصر والنهاية**)لكونها مستمدة من كلمات الله تعالى ، (**ولكنا في المثال الذي كنا فيه وهي حركة القلم ومناجاته نذكر قدراً يسيراً يفهم به على**) طريق (**الإجمال كيفية انتهاء التوكل عليه، ونرد كلماتها إلى الحروف والأصوات وإن لم تكن هي حروفاً وأصواتاً**) كما هو شأن الكلمات الالهية عند أهل الحق، (**ولكن هذه ضرورة التفهيم . فنقول، قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى**) أي بعين البصيرة (**للكاغد، وقد رآه اسود وجهه بالحبر ما بال وجهك كان أبيض مشرقاً**) أي منيراً (**والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك، وما السبب فيه؟ فقال الكاغد: ما أنصفتني في هذه المقالة فإني ما سودت وجهي بنفسي، ولكن سل الحبر فإنه كان مجموعاً في المحبرة التي هي مستقره ووطنه**) ومحل إقامته ،(**فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلماً وعدواناً**) فهذا السواد الذي تراه منه . (**فقال**) الناظر للكاغد (**صدقت، فسأل الحبر ذلك فقال: ما أنصفتني فإني كنت في المحبرة وادعاً ساكناً عازماً على أن لا أبرح عنها**) أي لا أزول عنه (**فاعتدى على**

جمعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء فالسؤال عليه لا علي! فقال: صدقت، ثم سال القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه وإخراج الحبر من أوطانه فقال: سل اليد والأصابع فإني كنت قصباً نابتاً على شط الأنهار متنزهاً بين خضرة الأشجار، فجاءتني اليد بسكين فنحت عني قشري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من أصلي وفصلت بين أنابيبي ثم برتني وشقت رأسي ثم غمستني في سواد الحبر ومرارته وهي تستخدمني وتمشيني على قمة رأسي ولقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك، فتنح عني وسل من قهرني، فقال: صدقت، ثم سأل اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له، فقالت اليد: ما أنا إلا لحم وعظم ودم، وهل رأيت لحماً يظلم أو جسماً يتحرك بنفسه؟ أنا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والعزة، فهي التي ترددني، وتجول بي في نواحي الأرض، أما ترى المدر والحجر والشجر لا يتعدى شيء منها مكانه ولا يتحرك بنفسه إذا لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر، أما ترى أيدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم

القلم بطمعه) وفي نسخة بطبعه **(الفاسد)** فأخذني **(واختطفني من وطني)** ومستقري **(وأجلاني عن بلادي)** أي أبعدني عنها، **(وفرق جمعي وبددني كما ترى على ساحة بيضاء)** يعني على صفحة الكاغد، **(فالسؤال)** يتوجه **(عليه لا علي، فقال)** الناظر: **(صدقت، ثم سأل القلم عن السبب في ظلمه وعدوانه وإخراج الحبر من أوطانه. فقال: سل اليد والأصابع فإني كنت قصباً نابتاً على شط الأنهار متنزهاً بين خضرة الأشجار)** متمايلاً طرباً عند نسائم الأسحار، **(فجاءتني اليد بسكين)** حاد **(فنحت عني قشري)** أي أزالته **(وفرقت عني ثيابي)** هي تلك القشور التي عليه بمنزلة الثياب، **(واقتلعتني من أصلي وفصلت بين أنابيبي)** جمع أنبوب بالضم هو ما بين الكعبين من القصب والقنا، **(ثم برتني وشقت رأسي وغمستني في سواد الحبر ومرارته)** كانوا يدخلون في تركيبه شيئاً مراً لئلا تقع عليه الذباب ولا تقطعه الأرضة **(وهي تستخدمني وتمشيني على قمة رأسي)** وقمة كل شيء أعلاه، **(ولقد نثرت الملح على جرحي بسؤالك وعتابك)** وهو كناية عن شدة التألم **(فتنح عني وسل من قهرني، فقال: صدقت ثم)** التفت و **(سأل اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم)** واقتطاعها إياه عن منبته وموضع أصله وجعه **(واستخدامها له)** كيف تشاء، **(فقالت اليد: ما أنا إلا لحم وعظم ودم)** ركبت بالعروق والأعصاب، **(وهل رأيت لحماً يظلم)** أو يعتدي **(أو جسماً يتحرك بنفسه)** من غير محرك، **(وإنما أنا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة والقوة، فهي التي ترددني وتجول بي في نواحي الأرض، أما ترى المدر والشجر والحجر لا يتعدى شيء منها مكانه)** الذي أقيم فيه، **(ولا يتحرك بنفسه إذا لم يركبه مثل هذا الفارس القوي القاهر، أما ترى أيدي الموتى تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لا معاملة بينها وبين**

والدم، ثم لا معاملة بينها وبين القلم، فأنا أيضاً من حيث أنا لا معاملة بيني وبين القلم، فسل القدرة عن شأني فإني مركب أزعجني من ركبني، فقال: صدقت، ثم سأل القدرة عن شأنها في استعالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها فقالت: دع عنك لومي ومعاتبتي، فكم من لائم ملوم، وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمري؟ وكيف ظننت أني ظلمت اليد لما ركبتها وقد كنت لها راكبة قبل التحريك، وما كنت أحركها ولا استسخرها، بل كنت نائمة ساكنة نوماً ظن الظانون بي أني ميتة أو معدومة، لأني ما كنت أتحرك ولا أحرك حتى جاءني موكل أزعجني وأرهقني إلى ما تراه مني فكانت لي قوّة على مساعدته، ولم تكن لي قوة على مخالفته، وهذا الموكل يسمى الإرادة، ولا أعرفه إلا باسمه وهجومه وصيالـه، إذ أزعجني من غمرة النوم وأرهقني إلى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورائي، فقال: صدقت، ثم سأل الإرادة ما الذي جرأك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتها إلى التحريك وأرهقتها إليه ارهاقاً لم تجد عنه مخلصاً ولا مناصاً، فقالت الإرادة: لا تعجل علي فلعل لنا عذراً وأنت تلوم، فإني ما انتهضت بنفسي ولكن أنهضت وما انبعثت ولكني بعثت بحكم قاهر وأمر جازم، وقد كنت ساكنة قبل مجيئه ولكن ورد على حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل

القلم. فأنا أيضاً من حيث أنا لا معاملة بيني وبين القلم، فسل القدرة عن شأني فإني مركب أزعجني من ركبني. فقال: صدقت ثم سأل القدرة عن شأنها في استعالها اليد وكثرة استخدامها وترديدها) في نواحي الأرض (**فقالت: دع عنك لومي**) فإن اللوم إغراء (**و**) دع (**معاتبتي**) فالعتب ازراء، (**فكم من لائم**) غيره هو (**مليم**) في نفسه أو المراد كم من لائم غير مليم، (**وكم من ملوم لا ذنب له، وكيف خفي عليك أمري وكيف ظننت أني ظلمت اليد لما ركبتها ولقد كنت راكبة إياها قبل التحريك، وما كنت أحركها ولا أستسخرها بل كنت نائمة ساكنة نوماً ظن الظانون بي أني ميتة أو معدومة**) نظراً إلى ظاهر سكوني، (**لأني ما كنت أتحرك ولا أحرك حتى جاءني موكل أزعجني وأرهقني إلى ما تراه مني، فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته، وهذا الموكل يسمى الإرادة ولا أعرفه إلا باسمه وهجومه وصيالته**) وبطشه، (**إذ أزعجني من غمرة النوم وأرهقني إلى ما كان لي مندوحة**) أي سعة (**عنه لو خلاني ورائي**) أي لو تركني وشأني، (**فقال: صدقت ثم سأل الإرادة ما الذي جرك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة حتى صرفتيها إلى التحريك وأرهقتيها إليه إرهاقاً لم تجد عنه مخلصاً ومناصاً، فقالت الإرادة: لا تعجل علي فلعل لنا عذراً وأنت تلوم**) وهو مصراع بيت من غير فاء من فلعل، (**فإني ما انتهضت بنفسي ولكني انتهضت وما انبعثت ولكن بعثت بحكم قاهر وأمر جازم، وقد كنت ساكنة قبل مجيئه**

بالأشخاص للقدرة، فأشخصتها باضطرار فإني مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل، ولا أدري بأي جرم وقفت عليه وسخرت له وألزمت طاعته، لكني أدري اني في دعة وسكون ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر، وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقفت عليه وقفاً وألزمت طاعته إلزاماً، بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المخافة، لعمري ما دام هو في التردد مع نفسه والتجبر في حكمه فأنا ساكنة لكن مع استشعار، وانتظار لحكمه فإذا انجزم حكمه أزعجت بطبع وقهر تحت طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه، فسل العلم عن شأني ودع عني عتابك، فإني كما قال القائل:

متى ترحلت عن قوم وقد قدروا   ان لا تفارقهم فالراحلون همُ

فقال: صدقت، واقبل على العلم والعقل والقلب مطالباً لهم ومعاتباً إياهم على استنهاض الإرادة وتسخيرها لأشخاص القدرة، فقال العقل أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكن أشعلت، وقال القلب: أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكن بسطت، وقال العلم: أما أنا فنقش نقشت في بياض لوح القلب لما أشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي، فكم كان هذا اللوح قبل خالياً عني، فسلم القلم عني لأن الخط لا يكون إلا بالقلم، فعند ذلك تتعتع السائل ولم يقنعه جواب وقال: قد طال تعبي في هذا الطريق

ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالأشخاص للقدرة فأشخصتها باضطرار فإني) إذاً (**مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل، ولا أدري بأي جرم وقعت عليه وسخرت له وألزمت طاعته، لكني أدري أني كنت في دعة**) أي راحة (**وسكون ما لم يرد علي هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم، وقد وقفت عليه وقفاً وألزمت طاعته إلزاماً بل لا يبقى لي معه مهما جزم حكمه طاقة في المخالفة، لعمري مادام هو في التردد على نفسه والتجبر في حكمه فأنا ساكن لكن مع استشعار وانتظار لحكمه، فإذا انجزم حكمه أزعجت بطبع وقهر تحت طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأني ودع عني عتابك فإني كما قال القائل:**

متى ترحلت عن قوم وقد قدروا   أن لا أفارقهم فالراحلون هم)

وفي نسخة أن لا تفارقهم، (**فقال: صدقت. وأقبل على العلم والعقل والقلب مطالباً لهم ومعاتباً إياهم على استنهاض الإرادة وتسخيرها لأشخاص القدرة، فقال العقل؛ أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكني اشعلت. وقال القلب: أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكن بسطت. وقال العلم: أما أنا كنقش نقشت في بياض لوح القلب لما أشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي، فكم كان هذا اللوح خالياً عني فسل القلم**) عني، (**فإن الخط لا يكون إلا بالقلم فعند هذا تتعتع السائل**) أي اضطرب (**ولم يقنعه جوابه وقال: قد طال**

وكثرت منازلتي ولا يزال يحيلني من طمعت به في معرفة هذا الأمر منه على غيره، ولكني كنت أطيب نفسه بكثرة الترداد لما كنت أسمع كلاماً مقبولاً في الفؤاد وعذراً ظاهراً في دفع السؤال، فأما قولك: إني خط ونقش وإنما خطني قلم فلست أفهمه فإني لا أعلم قلماً إلا من القصب، ولا لوحاً إلا من الحديد أو الخشب، ولا خطا إلا بالحبر، ولا سراجاً إلا من النار، وإني لأسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد من ذلك شيئاً. اسمع جعجعة ولا أرى طحناً، فقال له العلم: إن صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف، واعلم أن المهالك في الطريق التي توجهت إليها كثيرة. فالصواب لك أن تنصرف وتدع ما أنت فيه، فما هذا بعشك، فادرج عنه فكل ميسر لما خلق له، وإن كنت راغباً في استتمام الطريق إلى المقصد فألق سمعك وأنت شهيد.

واعلم أن العوالم في طريقك هذا ثلاثة: عالم الملك والشهادة أولها ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم، وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة، والثاني عالم

تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلتي ولا يزال يحيلني من طمعت به في معرفة هذا الأمر على غيره، ولكني كنت أطيب نفساً بكثرة الترداد لما كنت أسمع كلاماً مقبولاً في الفؤاد **وعذراً ظاهراً في دفع السؤال، فأما قولك:)** أيها العلم **(إني خط ونقش وإنما خطني قلم فلست أفهمه، فإني لا أعلم قلماً إلا من القصب ولا لوحاً إلا من الحديد أو الخشب ولا خطاً إلا بالحبر ولا سراجاً إلا من النار، وإني لا أسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا أشاهد منه شيئاًأسمع جعجعة ولا أرى طحناً)** وهو مثل مشهور يضرب للجبان يوعد ولا يوقع، وللبخيل يعد ولا ينجز، ولمن يكثر الكلام ولا يعمل.والجعجعة: صوت الرحى والطحن بالكسر إسم بمعنى المطحون، **(فقال له العلم: إن صدقت فيما قلت فبضاعتك مزجاة)** تدفع بها الأيام لقلتها، **(وزادك قليل ومركبك ضعيف هزيل، والهلاك في الطريق الذياتوجهت إليه كثير. فالصواب لك أن تنصرف وتدع ما أنت فيه، فما هذا بعشك فادرج عنه)**. وأصل المثل: ليس بعشك فادرجي، **(وكل ميسر لما خلق له)** كما في الخبر، **(وإن كنت راغباً في استتمام الطريق إلى المقصد)** العالي **(فالق سمعك وأنت شهيد)** أي شاهد بقلبك.

(واعلم أن العوالم في طريقك هذه ثلاثة: عالم الملك والشهادة أولها)، وهو عبارة عن عالم المحسوسات الطبيعية، والملك بالضم التصرف بالأمر والنهي في الجمهور، والعالم كل ما سوى الله تعالى من الموجودات، وسمي عالم الشهادة بالإضافة إلى الملكوت الذي هو عالم الغيب، **(ولقد كان الكاغد والحبر والقلم واليد من هذا العالم، وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة)**.

الملكوت وهو ورائي، فإذا جاوزتني انتهيت إلى منازله وفيه المهامة الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة، لا أدري كيف تسلم فيها، والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت، ولقد قطعت منها ثلاثة منازل في أوائلها منزل القدرة والإرادة والعلم، وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت، لأن عالم الملك أسهل منه طريقاً، وعالم الملكوت أوعر منه منهجاً، وإنما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الأرض والماء، فلا هي في حد اضطراب الماء، ولا هي في حد سكون الأرض وثباتها، وكل من يمشي على الأرض يمشي في عالم الملك والشهادة؛

(**والثاني: عالم الملكوت**) وهو فعلوت من الملك وهو عالم الغيب المختص بأرواح النفوس كما تقدم مراراً (**وهو ورائي فإذا جاوزتني انتهيت إلى منازله وفيه المهامة الفيح**) جمع أفيح وهو الواسع، (**والجبال الشاهقة**) أي المرتفعة، (**والبحار المغرقة**) لتلاطم أمواجها. (**ولا أدري كيف تسلم فيها**) وإليه الإشارة بقول القائل:

كيف الوصول إلى سعاد ودونها ... قلل الجبال ودونهن حتوف

(**والثالث: عالم الجبروت وهو بين عالم الملك والملكوت**)وهو البرزخ المحيط بالآيات الجمة هذا هو قول الأكثرين. وعند أبي طالب المكي. عالم الجبروت عالم العظمة أي عالم الأسماء والصفات الإلهية ويقرب منه قول من قال: الجبروت هو حضرة الاسماء، كما أن الملكوت حضرة الصفات من حيث كونها وسائط التصرف بين الأسماء والافعال كاللطف والقهر المتوسطين بين اللطيف والملطوف والقهار والمقهور، وقال بعضهم: عالم الملك هو الظاهر المحسوس، وعالم الملكوت هو الباطن في العقول، وعالم الجبروت هو المتوسط بينهما الآخذ بطرف من كل منهما، وذهب بعضهم إلى أن عالم الملك هو المدرك بالعقول وعالم الجبروت هو المدرك بالمواهب. وقال بعضهم: كل عالم اتفق أهله على كلمة حق فهو عالم الملك وليس ذلك إلا العالم العلوي وعالم الملكوت باعتبار أنوار أهله وتباين مقاماتهم وأحوالهم، وعالم الجبروت باعتبار الأنوار التي تهب عليهم لتقي بها ذواتهم وأرواحهم ومعارفهم وتدوم بها مقاماتهم، فتلك الأنوار كالحافظة لجميع ما سبق من أحوالهم. وقال القاشاني: عالم الأمر وعالم الملكوت، وعالم الغيب هو عالم الأرواح والروحانيات، لأنها وجدت بأمر الحق بلا واسطة مادة ومدة، (**ولقد قطعت منها ثلاثة منازل إذ في أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت**) آخذ بطرف من كل منها، (**لان عالم الملك أسهل منه**) أي من عالم الجبروت (**طريقاً**) لتعلمه بالظاهر المحسوس (**وعالم الملكوت أوعر منه**) أي من عالم الجبروت (**منهجاً**) أي مسلكاً، (**وإنما عالم الجبروت بين عالم الملك والملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الأرض والماء، فلا هو في حد إضطراب الماء**) وتلاعبه (**ولا هو في حد سكون الأرض وثباتها، وكل من يمشي على الأرض**

فإن جاوزت قوّته إلى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت؛ فإن انتهى إلى أن يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع؛ فإن كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الأرض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك إلا الماء الصافي، وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء. أما سمعت قول رسول الله ﷺ في عيسى عليه السلام: «لو زاد يقيناً لمشى على الهواء، لما قيل له انه كان يمشي على الماء، فقال السالك السائل: قد تحيرت في أمري واستشعر قلبي خوفاً مما وصفته من خطر الطريق، ولست أدري أطيق قطع هذه المهامة التي وصفتها أم لا؟ فهل لذلك من علامة؟ قال: نعم، افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوي فإن ظهر لك القلم الذي به أكتتب في لوح القلب فيشبه أن تكون أهلاً لهذا الطريق، فإن كل من جاوز عالم الجبروت وقرع باباً من أبواب الملكوت كوشف بالقلم، أما ترى أن النبي ﷺ في أول أمره كوشف بالقلم إذ أنزل عليه: ﴿اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم * علم الإنسان

يمشي في عالم الملك والشهادة؛ فإن جاوزت قوته إلى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت. فإن انتهى إلى أن يمشي على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع) أي اضطراب، **(فإن كنت لا تقدر على المشي على الماء فانصرف فقد جاوزت الأرض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك إلا الماء الصافي)** من ملابسة كدورات الأرض، وهكذا شأن مياه القدرة فإنها صافية أبداً **(وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم في لوح القلب وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء، أما سمعت قول رسول الله ﷺ في عيسى عليه السلام «لو ازداد يقيناً لمشى على الهواء» لما قيل له: إنه كان يمشي على الماء)**. وروى ابن أبي الدنيا، وابن عساكر عن فضيل بن عياض قال: قيل لعيسى عليه السلام: بأي شيء تمشي على الماء؟ قال: بالإيمان واليقين، وقد تقدم في آخر كتاب الصبر والشكر لأن المحفوظ «لو ازداد أحدكم يقيناً لمشى على الهواء».

(فقال السالك السائل: قد تحيرت في أمري واستشعر قلبي خوفاً مما) وفي نسخة بما **(وصفته من خطر الطريق، ولست أدري أطيق قطع هذه المهامة التي وصفتها أم لا. فهل لذلك من علامة)**؟ استدل بها على سلوك هذا الطريق. **(قال: نعم، افتح بصرك واجمع ضوء عينيك وحدقه نحوي)** أي اصرفه إليّ **(فإن ظهر لك القلم الذي به انكتبت في لوح القلب فيشبه أن تكون أهلاً لهذا الطريق، فإن كل من جاوز عالم الجبروت وقرع أول باب من أبواب الملكوت كوشف بالقلم، أما ترى أن النبي ﷺ في أول أمره كوشف بالقلم إذ أنزل عليه ﴿إقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم﴾)** وهو أول ما نزل

ما لم يعلم﴾ [العلق: ٣ ـ ٥] فقال السالك: لقد فتحت بصري وحدقته، فوالله ما أرى قصباً ولا خشباً، ولا أعلم قلماً إلا كذلك، فقال العلم: لقد أبعدت النجعة، أما سمعت أن متاع البيت يشبه رب البيت، أما علمت أن الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات، فكذلك لا تشبه يده الأيدي ولا قلمه الأقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط، وهذه أمور إلهية من عالم الملكوت، فليس الله تعالى في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره، ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الأيدي، ولا قلمه من قصب، ولا لوحه من خشب، ولا كلامه بصوت وحرف، ولا خطه رقم ورسم، ولا حبره زاج وعفص، فإن كنت لا تشاهد هذا هكذا فما أراك إلا مخنثاً بين فحولة التنزيه وأنوثة التشبيه، مذبذباً بين هذا وذا لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء فكيف نزهت ذاته وصفاته تعالى عن الأجسام وصفاتها؟ ونزهت كلامه عن معاني الحروف والأصوات وأخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه؟ فإن كنت قد فهمت من قوله ﷺ: « إن الله خلق

من القرآن بمكة كما رواه ابن مردويه عن ابن عباس والحاكم عن أبي موسى والبيهقي عن عائشة. وقال مجاهد: أول ما نزل من القرآن ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ ثم ﴿ ن والقلم ﴾ كما رواه عبد بن حميد، ورواه ابن أبي شيبة عن عبيد بن عمير مثله.

(فقال السالك: قد فتحت بصري وحدقته، فوالله ما أرى قصباً ولا خشباً ولا أعلم قلماً إلا كذلك، فقال العلم: لقد أبعدت النجعة) يقال: نجع القوم وانتجعوا إذا ذهبوا لطلب الكلأ في موضعه، ثم كثر استعماله في كل طلب، والاسم النجعة بالضم. **(أما سمعت أن متاع البيت يشبه رب البيت، أما علمت أن الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الذوات، وكذلك لا تشبه يده الأيدي، ولا قلمه الاقلام، ولا كلامه سائر الكلام، ولا خطه سائر الخطوط؟ وهذه أمور إلهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته بجسم ولا هو في مكان)** تعالى الله عن ذلك، **(بخلاف غيره، ولا يده لحم ولا عظم ودم، بخلاف الأيدي، ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه صوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا حبره زاج وعفص، فإن كنت لا تشاهد هذا هكذا فما أراك إلا مخنثاً)** وفي نسخة متحيراً **(بين فحولة التنزيه وأنوثة التشبيه، مذبذباً بين هذا وذا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فكيف نزهت ذاته وصفاته عن الأجسام وصفاتها، ونزهت كلامه عن مباني الحروف والأصوات، وأخذت تتوقف في يده وقلمه ولوحه وخطه. فإن كنت قد فهمت من قوله ﷺ « إن الله قد خلق آدم على صورته »)** رواه أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة بلفظ: « خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعاً » ثم قال: « اذهب فسلم على أولئك النفر » الحديث. وفي آخره: « فكل من يدخل الجنة على صورة آدم في طوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن » وهو عند البخاري وحده في كتاب الاستئذان بلفظ المصنف، وعند مسلم وحده « إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن

آدم على صورته » الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبهاً مطلقاً، كما يقال: كن يهودياً صرفاً وإلا فلا تلعب بالتوراة، وإن فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر لا بالأبصار فكن منزهاً صرفاً ومقدساً فحلاً، واطو الطريق فإنك بالواد

الله خلق آدم على صورته ». وعند الطبراني « على صورة وجهه » وعند الدارقطني: « فإن وجه الانسان على صورة الرحمن » وقد تقدم في قواعد العقائد. **(الصورة الظاهرة المدركة بالبصر فكن مشبهاً مطلقاً)** فقد أثبت له ما هو من أوصاف الاجسام، **(كما يقال)** في الأقوال السائرة: **(كن يهودياً صرفاً)** أي خالصاً **(وإلاّ فلا تلعب بالتوراة وإن فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالبصيرة لا بالابصار فكن منزهاً صرفاً ومقدساً فحلاً)**، فالتنزيه من أوصاف الفحولية، والتشبيه من أوصاف الانوثية، وعلى هذا فالمنزه فحل والمشبه مؤنث. وهذا الذي ساقه المصنف هو على ظواهر قواعد الشريعة وعليه أكثر المتكلمين والمنصوص عند أرباب العرفان هو الجمع بين التنزيه والتشبيه، وقد أشار إلى ذلك الشيخ الأكبر قدس سره في مواضع من كتابه الفصوص، وقد طعن عليه علماء الرسوم طعناً كلياً ومنشؤه عدم الفهم، ونحن نسوق كلامه قال في فص نوح عليه السلام.

اعلم أن التنزيه عند أهل الحقائق في الجناب الإلهي عين التحديد والتقييد، فالمنزه أما جاهل وإما صاحب سوء أدب: ولكن إذا أطلقاه وقالا به، فالقائل بالشرائع المؤمن إذا نزهه ووقف عند التنزيه ولم ير غير ذلك فقد أساء الادب وأكذب الحق والرسل عليهم السلام وهو لا يشعر، ويتخيل أنه في الحاصل وهو في الفائت وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض ولاسيما، وقد علم ان ألسنة الشرائع الإلهية إذا نطقت في الحق بما نطقت به إنما جاءت به في العموم على المفهوم الأول، وعلى الخصوص على كل مفهوم يفهم من وجوه ذلك اللفظ بأي لسان كان في وضع ذلك اللسان، فإن للحق في كل خلق ظهوراً خاصاً فهو الظاهر في كل مفهوم وهو الباطن من كل فهم، إلا عن فهم من قال إن العالم صورته وهويته وهو الاسم الظاهر، كما أنه بالمعنى روح ما ظهر فهو الباطن فنسبته لما ظهر من صور للعالم نسبة الروح المدبر للصورة فيؤخذ في حدّ الانسان مثلاً باطنه وظاهره، وكذلك كل محدود فالحق محدود بكل حدّ وصور العالم لا تنضبط ولا يحاط بها، ولا تعلم حدود كل صورة منها إلا قدر ما حصل لكل عالم من صوره، فكذلك يجهل حدّ الله تعالى فإنه لا يعلم حدّه إلا من يعلم حدّ كل صورة وهذا محال حصوله فحد الحق محال، وكذلك من شبهه ومن نزهه فقد قيده وحدّده وما عرفه، ومن جمع في معرفته بين التنزيه والتشبيه ووصفه بالوصفين فقد عرفه على الإجمال لأنه يستحيل ذلك على التفصيل لعدم الإحاطة بما في العالم من الصور فقد عرفه مجملاً لا على التفصيل، ولذلك ربط النبي ﷺ معرفة الحق بمعرفة النفس فقال « من عرف نفسه عرف ربه » ثم قال:

فإن قلت بالتنزيه كنت مقيداً ... وإن قلت بالتشبيه كنت محدّدا
وإن قلت بالأمرين كنت مسدداً ... وكنت إماماً في المعارف سيّدا

فمن قال بالاشفاع كان مشرّكاً ومن قال بالإفراد كان موحّداً
وإياك والتشبيه إن كنت ثانياً وإياك والتنزيه إن كنت مفردا

قال الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فنزه ﴿وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١] فشبه، قال الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ فشبه وثنى ﴿وهو السميع البصير﴾ فنزه وأفرد انتهى نصه مع اختصاره، وتقرير هذا الكلام من وجهين.

الوجه الأول: فاعلم أن الأنبياء عليهم السلام نزهوا الحق تعالى وبالغوا فيه، ومع هذا فقد بلغوا عن الله تعالى ومن عند أنفسهم كلمات تدل على التشبيه، فالتنزيه وارد عنهم والتشبيه أيضاً صادر عنهم فوجب الجمع بينهما.

فإن قيل: إن أوّلنا أو توقفنا أو أحلنا علم ذلك على الله تعالى مع الجزم بأنه منزه عن شائبة الإمكان ارتفع التشبيه مطلقاً ولم يبق منه أثر وبقي التنزيه المجرد الذي ليس فيه رائحة من التشبيه، فكيف يجب الجمع بينهما؟ وإن لاحظنا التشبيه الصرف ولم نضم إليه التنزيه المحض لزم الجمع بين النقيضين لأن التنزيه ينفي التشبيه والتشبيه برفع التنزيه والجمع بين الاثبات والنفي في أمر واحد من وجه واحد محال؟

والجواب عنه في مقامين.

المقام الأول: لما كانت هذه العبارات التشبيهية صادرة عن الأنبياء عليهم السلام من غير شك وجب علينا الإيمان بها سواء أولنا أم توقفنا، ونحن نعني بالتشبيه مجرد الإيمان بتلك العبارات وليس هذا اصطلاحاً مجرداً، فإن تلك الألفاظ تدل على التشبيه بلا شك. غاية ما في الباب أننا إما نؤوّل أو نتوقف ونكل علمها إلى الله تعالى، وهذا لا ينافي التشبيه بهذا المعنى.

المقام الثاني: أن أهل السنّة أثبتوا الصفات الزائدة بقياس الغائب على الشاهد، فهي معان مشتركة بيننا وبين الله تعالى، وهذا القدر من التشبيه وافٍ كافٍ، ولهذا سمت المعتزلة أهل السنّة مشبهة وهذا بواسطة قياس الغائب على الشاهد الذي هو عين التشبيه، وهذا المقام أقوى وأظهر من الأوّل لأن فيه التشبيه واضح بغير شبهة، وكلما ذكرنا التشبيه فهذا المعنى هو مرادنا به لا غير.

الوجه الثاني: إعلم أن الذات كما تقرر عندهم مبدأ جميع الأحكام والآثار، ولها وجه العينية بالنسبة إلى الأشياء، ولها أيضاً وجه الغيرية. فوجه العينية تشبيه، ووجه الغيرية تنزيه، وفي الواقع أنه عين من وجه وغير من وجه، لا جرم كان التنزيه فقط تحديداً وتقييداً، والتشبيه فقط أيضاً تحديداً وتقييداً، وكلا الطرفين إفراط وتفريط، وكمال الاعتدال هو أن نسبة الذات من حيث هي تنزيه ومن حيث العينية تشبيه بحيث لا يكون هذا مانعاً من ذاك ولا ذاك من هذا، فإذاً المنزه الصرف إن علم هذا المعنى أو لم يعلم وجرد التنزيه على التشبيه فهو قليل الأدب، والتشبيه الصرف الخالي عن التنزيه كفر وضلال؛ فالتنزيه من حيث الذات المنزه عن الكيف والتشبيه من حيث المعية والمقارنة

المقدس طوى، واستمع بسر قلبك لما يوحى، فلعلك تجد على النار هدى، ولعلك من سرادقات العرش تنادي بما نودي به موسى ﴿إني أنا ربك﴾ [طه: ١٢] فلما سمع

ومبدئيته لسائر الاحكام. وقال قدس سره في هذا الفصل أيضاً: لو أن نوحاً عليه السلام جمع في دعوته بين التشبيه والتنزيه كما جمع محمد ﷺ في آية ﴿ليس كمثله شي﴾ لقبلوا وأجابوا دعوته كما أجابت أمة محمد محمداً ﷺ، فإنه شبه ونزه في آية بل في نصف آية على تقدير أن تكون الكاف غير زائدة، فإثبات المثل تشبيه ونفي مثل المثل تنزيه، فما دعا محمد ﷺ قومه ليلاً ونهاراً بل دعاهم ليلا في نهار ونهاراً في ليل. يعني شبه في تنزيه ونزه في تشبيه اهـ.

ويوضحه ما قاله الفخر الرازي في كتابه تأسيس التقديس: وليس في القرآن ما يدل على التنزيه بطريق التصريح إلا قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ ودلالته على التنزيه ضعيفة اهـ.

وكان مراده بضعف الدلالة تعقيبة بـ ﴿هو السميع البصير﴾ مع وجود الكاف لأن المعنى مع وجوده ليس مثل مثله شيء.

وأما قول الشيخ قدس سره في قوله تعالى: ﴿إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾ [نوح: ٥] يعني ليل التنزيه ونهار التشبيه فهو من باب الإشارة لا من باب العبارة والتفسير إذ التنزيه نفي المماثلة والمشابهة وهو أمر سلبي عدمي فلا يدرك من الذات المنزهة إلا السلب، وأما هي في حدّ ذاته فلم تدرك كما أن الظلمة عبارة عن الليل لأنها أمر عدمي ولا يبصر فيها شيء فهو عدم الادراك، فالليل يناسب التنزيه والنهار عبارة عن النور والنور أمر وجودي وهو يدرك ويدرك بواسطته الأشياء أيضاً، والتشبيه اثبات صفات وجودية حقيقية مثل السمع والبصر والكلام واليدين وغيرهما والصفات الوجودية لها ظهور، فالنهار يناسب النور وقس قوله في قوله تعالى: ﴿ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم اسراراً﴾ [نوح: ٩] ان الاعلان تشبيه والاسرار تنزيه، والدعوة قد تكون الى التنزيه فقط وقد تكون إلى التشبيه فقط، والكمال في الجمع بينهما والتنزيه فقط مرتبة عظيمة. ومن مراتب الكمال والتشبيه فقط نوعان: أحدهما: مذموم وهو تشبيه الحق بالخلق في الذات كما تقوله المجسمة وهو كفر، والثاني: محمود وهو التشبيه بمعنى اثبات الصفات الثبوتية له، وهذا التشبيه أيضاً مرتبة عظيمة، ومن مراتب الكمال وأكملها الجمع بينهما، وهذه المرتبة من خواص أمة محمد ﷺ، فافهم ذلك بتدبر ولا تعجل بالانكار والله أعلم. ولنعد إلى شرح كلام المصنف رحمه الله تعالى:

(**واطو الطريق**) الطيّ خلاف النشر. يقال: طويته طيـاً فانطوى، وطيّ الطريق قطع المسافة فيه بسرعة، (**فإنك بالواد المقدس طوى**) عطف بيان للوادي وهو اسم بقعة بالقرب من جبل الطور، (**واستمع بسرّ قلبك لما يوحى**) أي لما يلقى إليك وحياً أو إلهاماً أو نفثاً في الروع، (**فلعلك تجد على النار**) المتوقدة في شجرة خضراء (**هدى**) أي هادياً يدلك على طريق سلوكك إلى مولاك، (**ولعلك من سرادقات العرش تنادي بما نودي به موسى**) عليه السلام: (**﴿إني أنا ربك الأعلى﴾**) وذلك من جميع جهاتك وجميع أعضائك، (**فلما سمع السالك من**

السالك من العلم ذلك استشعر قصور نفسه وإنه مخنث بين التشبيه والتنزيه، **فاشتعل قلبه** ناراً من حدة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص، ولقد كان زينة الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، فلما نفخ فيه العلم بحدته اشتعل زيته فأصبح نوراً على نور، فقال له العلم: اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك لعلك تجد على النار هدى، ففتح بصره فانكشف له القلم الإلهي، فإذا هو كما وصفه العلم في التنزيه: ما هو من خشب ولا قصب، ولا له رأس ولا ذنب، وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم أصناف العلوم، وكأن له في كل قلب رأساً ولا رأس له، فقضى منه العجب وقال: نعم الرفيق العلم، فجزاه الله تعالى عني خير، إذ الآن ظهر لي صدق أنبائه عن أوصاف القلم؛ فإني أراه قلما لا كالأقلام؛ فعند هذا ودع العلم وشكره وقال: قد طال مقامي عندك ومرادتي لك، وأنا عازم على أن أسافر إلى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر إليه وقال له: ما بالك أيها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الإرادات إلى أشخاص القدر وصرفه إلى المقدورات؟ فقال: أو قد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب القلم إذ سألته فأحالك على اليد؟ قال لم أنس ذلك. قال: فجوابي

العلم ذلك استشعر قصور نفسه وأنه مخنث بين التشبيه والتنزيه) لم يكمل في أحد المقامين فضلاً عن الجمع بينهما **(فاشتعل قلبه ناراً من حدة غضبه على نفسه لما رآها بعين النقص، ولقد كان زيته الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار، فلما نفخ فيه العلم بحدته)** مسته النار و**(اشتعل زيته فاصبح نوراً على نوره)** الذي كان فيه، **(فقال له العلم: اغتنم الآن هذه الفرصة وافتح بصرك فلعلك تجد على هذه النار)** التي اوقدت في شجرة قلبك **(هدى، فانفتح بصره وانكشف له القلم الإلهي، وإذا هو كما وصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم أصناف العلوم)** وأنواع المعارف والفهوم، **(وكأن له في كل قلب رأساً ولا رأس له فقضى)** السالك **(منه العجب، وقال: نعم الرفيق العلم فجزاه الله عني خيراً إذ الآن ظهر لي صدق أنبائه)** أي أخباره **(عن أوصاف القلم، فإني أراه قلماً لا كالأقلام، فعند هذا ودع العلم وشكره وقال: قد طال مقامي عندك ومرادّتي لك)** في السؤال والجواب، **(وأنا عازم)** الآن **(على أن أسافر إلى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر إليه وقال)** له: **(ما بالك تخط على الدوام في القلوب من العلوم)** والمعارف **(ما تبعث به الارادات إلى أشخاص القدرة وصرفها إلى المقدورات» فقال)** له القلم: **(أو قد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وسمعت من جواب القلم)** الظاهر **(إذ سألته فأحالك على اليد)** وصدقته على جوابه، **(قال)** السالك: **(لم أنس ذلك)** وفي نسخة قال: لا والمعنى واحد. **(قال)** القلم الباطن: **(فجوابي مثل**

مثل جوابه. قال: كيف وأنت لا تشبهه؟ قال القلم: أما سمعت أن الله تعالى خلق آدم على صورته؟ قال: نعم. قال: فسل عن شأني الملقب بيمين الملك فإني في قبضته، وهو الذي يرددني وأنا مقهور مسخر، فلا فرق بين القلم الإلهي وقلم الآدمي في معنى التسخير، وإنما الفرق في ظاهر الصورة فقال: فمن يمين الملك؟ فقال القلم: أما سمعت قوله تعالى: ﴿والسمواتُ مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] قال: نعم. قال: والأقلام أيضاً في قبضة يمينه هو الذي يرددها، فسافر السالك من عنده إلى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه، بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه، والجملة فيه انه يمين لا كالأيمان، ويد لا كالأيدي، واصبع لا كالأصابع، فرأى القلم محركاً في قبضته، فظهر له عذر القلم، فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه للقلم، فقال: جوابي مثل ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة وهي الحوالة على القدرة ذا اليد لا حكم لها في نفسها وإنما محركها القدرة لا

جوابه. قال: كيف وأنت لا تشبهه؟ قال القلم: أما سمعت) بواسطة الرسل (**أن الله تعالى خلق آدم على صورته؟ قال: نعم. قال: فسل عن شأني الملقب بيمين الملك فإني في قبضته وهو الذي يرددني وأنا مقهور مسخر. فلا فرق**) إذاً (**بين القلم الإلهي و**) بين (**قلم الآدمي في معنى التسخير، وإنما الفرق في ظاهر الصورة. فقال: فمن يمين الملك؟ فقال القلم: أما سمعت قول الله تعالى ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾؟ قال: نعم. قال: والأقلام أيضاً في قبضة يمينه هو الذي يرددها، فسافر السالك من عنده إلى اليمين حتى شاهده ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه، بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه**) وإذا جاز وصف شيء منها لم تحتمله العقول لقصورها عن فهمها. (**والجملة فيه أنه يمين لا كالأيمان، ويد لا كالأيدي، وأصبع لا كالأصابع**) هذا هو مذهب السلف من أكابر المحدثين والفقهاء والمتكلمين. قالوا: إن اليدين والاستواء والوجه واليمين والجنب والقدم وأمثالها كلها صفات حقيقية قائمة بذات الحق جل جلاله، كما يقول به سائر أهل السنّة في الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام من أنها صفات حقيقية وقائمة بذات الحق تعالى، ومع هذا يقولون: إن سمعه لا كسمعنا وبصره لا كبصرنا وكلامه لا ككلامنا. وقال الإمام أحمد، إن يديه ليست كيدينا ولكن له يدان هما صفتات حقيقيتان، وكذا قال في الوجه. ووافقهم الإمام أبو الحسن الأشعري في هذا المعنى، لكنه في بعضها دون جميع المتشابهات، وقد تقدم التفصيل في ذلك شرح قواعد العقائد. (**فرأى القلم محركاً في قبضته فظهر له عذر القلم، فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه للقلم. فقال: جوابي مثل ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة**) والملك (**وهو الحوالة على القدرة، إذ**

محالة، فسافر السالك إلى عالم القدرة ورأى فيه من العجائب ما استحقر عندها ما قبله وسألها عن تحريك اليمين فقالت: إنما أنا صفة فاسأل القادر، إذ العمدة على الموصوفات لا على الصفات، وعند هذا كاد أن يزيغ ويطلق بالجراءة لسان السؤال، فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة ﴿لا يُسألُ عمَّا يفعلُ وهم يُسألون﴾ [الأنبياء: ٢٣] فغشيته هيبة الحضرة، فخر صعقاً يضطرب في غشيته، فلما أفاق قال: سبحانك ما أعظم شأنك تبت إليك وتوكلت عليك وآمنت بأنك الملك الجبار الواحد القهار، فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ إلا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك، وما لي إلا أن أسألك وأتضرع إليك وأبتهل بين يديك، فأقول: اشرح لي صدري لأعرفك وأحلل عقدة من لساني لأثني عليك، فنودي من وراء الحجاب: إياك أن تطمع في الثناء وتزيد على سيد الأنبياء، بل ارجع إليه فما آتاك فخذه وما نهاك عنه

اليد لا حكم لها في نفسها وإنما محركها القدرة لا محالة، فسافر) السالك (إلى عالم القدرة ورأى فيها من العجائب ما استحقر عندها ما) رأى (قبله، وسألها عن تحريك اليمين فقالت: إنما أنا صفة فسل القادر إذ العهدة على الموصوفات لا على الصفات) فإن الموصوفات هي التي قامت بها تلك الصفات، (وعند هذا كاد) السالك (أن يزيغ) أي يميل (ويطلق بالجرأة لسان السؤال)، فأدركته العناية الإلهية (فثبت بالقول الثابت) في قلبه، (ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة) الربانية: (﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ فغشيته هيبة الحضرة) فلم يستطع القيام معها، (فخرَّ صعقاً) مندهشاً (يضطرب في غشيته تلك مدة) كما جرى ذلك لموسى عليه السلام حين سأل الرؤية، (فلما أفاق) من غشيته (قال: سبحانك ما أعظم شأنك) وأجل سلطانك (تبت إليك) أي رجعت عما كنت عازماً عليه في السؤال عن مثل هذه الحقائق (وتوكلت عليك)، فلا يتم مقام التوكل إلا بعد ملاحظة عظمة شأنه وألوهيته والانصراف إليه بكليته، (وآمنت بانك الملك الجبار الواحد القهار، فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ إلا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك).
أشار بالأول إلى المقام الموسوي إذ قال عقب إفاقته: سبحانك تبت إليك، وبالثاني إلى المقام المحمدي إذ قال: أعوذ بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك، (ومالى إلا أن أسألك وأتضرع إليك وأبتهل بين يديك. فاقول:) رب (اشرح لي صدري لأعرفك) كما ينبغي أن تعرف، فالنور إذا دخل الصدر انشرح له وانفتح فانكشفت له أسرار المعرفة، (واحلل عقدة من لساني) أي رقة تمنع عن كمال الافصاح والافهام (لأثني عليك) بما أنت أهله وهذا أيضاً اشارة إلى المقام الموسوي، (فنودي من وراء الحجاب: إياك أن تطمع في الثناء) أي في الوصول إلى غاياته (وتزيد على سيد الانبياء) محمد ﷺ، (بل ارجع إليه) واقتد به (فما آتاك فخذه وما نهاك) عنه (فانته عنه) كما قال تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم

فانتهِ عنه، وما قاله لك فقله، فإنه ما زاد في هذه الحضرة على أن قال: « سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » فقال: إلهي، إن لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك؟ فنودي: إياك أن تتخطى رقاب الصديقين، فارجع إلى الصديق الأكبر فاقتد به؛ فإن أصحاب سيد الأنبياء كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، أما سمعته يقول: العجز عن درك الإدراك إدراك؛ فيكفيك نصيباً من حضرتنا أن تعرف انك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا؛ فعند

عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧] **(وما قاله فقله)** فما بلغ أحد مقاماً ما بلغه هو وليس لغيره الا اتباعه، كما هو الخبر « لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي » **(فإنه)** لما لاحظ المعنى الجامع لصفات الالوهية كاد أن يحصل له الدهش والتحير، فأدركته المنح حتى تحقق في تحيره، ولذلك **(ما زاد في هذه الحضرة على أن قال: « سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »)** فهو المثني على نفسه وهو المثنى عليه أزلاً وأبداً وجميع المحامد راجعة إليه، **(فقال)** السالك، **(إلهي إن لم تكن للسان جراءة في الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك)** أي في منتهى درجتها؟ **(فنودي: إياك أن تتخطى رقاب الصديقين فارجع إلى الصديق الأكبر)** رضي الله عنه **(فاقتد به)** واسلك سبيله، **(فإن أصحاب سيد الأنبياء)** ﷺ **(كالنجوم)** المشرقة في السماء **(بأيهم)** أيها المسافرون في سلوك طريق الحق **(اقتديتم اهتديتم)** إلى من إليه السلوك. يشير إلى ما رواه عبد بن حميد من حديث ابن عمر « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ورواه غيره من حديث أبي هريرة وأسانيد ضعيفة. وقال أحمد: لا يصح، وقال البزار: منكر. وقال البيهقي في كتاب الاعتقاد: رويناه في حديث موصول باسناد غير قوي في حديث آخر منقطع. قال: والحديث الصحيح يؤدي بعض معناه وهو حديث أبي موسى المرفوع « النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهبت أتى أمتي ما يوعدون ». **(أما سمعته يقول: العجز عن درك الإدراك إدراك، فيكفيك نصيباً من حضرتنا أن تعرف أنك محروم عن حضرتنا عاجز عن ملاحظة جمالنا وجلالنا)**.

قال المصنف في المقصد الأسنى، فإن قلت: فما نهاية معرفة العارفين بالله تعالى؟ فأقول نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هي أنهم لا يعرفونه، وأنهم لا يمكنهم البتة معرفته، وأنه يستحيل أن يعرف المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالى، فإذا انكشف لهم ذلك انكشافاً برهانياً فقد عرفوه أي بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته، وهو الذي أشار إليه الصديق الأكبر حيث قال: العجز عن درك الإدراك أدراك، بل هو الذي عناه رسول الله ﷺ حيث قال « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » ولم يرد به أنه عرف منه ما لا يطاوعه لسانه في العبارة عنه، بل معناه أني لا أحيط بمحامدك وصفات الهيتك، وإنما أنت المحيط بها وحدك فإذاً لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته إلا بالحيرة والدهشة، وأما اتساع المعرفة فإنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته.

هذا رجع السالك واعتذر عن أسئلته ومعاتباته وقال لليمين والقلم والعلم والإرادة والقدرة وما بعدها: اقبلوا عذري فإني كنت غريباً حديث العهد بالدخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة، فما كان إنكاري عليكم إلا عن قصور وجهل، الآن قد صح عندي عذركم وانكشف لي أن المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار، فما أنتم إلا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن؛ فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له: كيف يكون هو الأوّل والآخر وهما وصفان متناقضان، وكيف يكون هو الظاهر والباطن؛ فالأوّل ليس بآخر، والظاهر ليس بباطن، فقال: هو الأول بالإضافة إلى الموجودات، إذ صدر منه الكل على ترتيبه واحداً بعد واحد، وهو الآخر بالإضافة إلى سير السائرين إليه فإنهم لا يزالون مترقين من منزل إلى منزل إلى أن يقع الانتهاء إلى تلك الحضرة، فيكون ذلك آخر السفر، فهو آخر في المشاهدة أوّل في الوجود، وهو باطن بالإضافة إلى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لإدراكه بالحواس الخمس، ظاهر بالإضافة إلى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت فهكذا كان توحيد

(فعند هذا رجع السالك واعتذر عن أسئلته ومعاتباته، وقال لليمين والقلم والعلم والإرادة والقدرة وما بعدها: اقبلوا عذري إني كنت غريباً حديث العهد بالدخول في هذه البلاد و) في الكلام السائر **(لكل داخل دهشة)** وتمامه فتلقوه بمرحبا، **(فما كان إنكاري عليكم إلا من قصور وجهل)** مني، **(والآن قد صح عندي عذركم وانكشف لي أن المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار، فما أنتم إلا مسخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الأول والآخر والظاهر والباطن، فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة)** الذي هو أوّل عوالم السير **(استبعد منه ذلك، وقيل له: كيف يكون هو الأول والآخر وهما وصفات متناقضان، وكيف يكون هو الظاهر والباطن والأول ليس بآخر والظاهر ليس بباطن؟ فقال: هو الأول بالإضافة إلى الموجودات إذ صدر منه الكل على الترتيب واحداً بعد واحد وهو الآخر بالاضافة إلى سير السائرين إليه، فإنهم لا يزالون مترقين من منزل إلى منزل)** ومن مقام إلى مقام **(إلى أن يقع الانتهاء إلى تلك الحضرة، فيكون ذلك آخر السفر هو آخر في المشاهدة أوّل في الوجود وهو باطن بالإضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لإدراكه بالحواس الخمس، ظاهر بالإضافة إلى من يطلبه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت)**.

قال المصنف في المقصد الأسنى: اعلم أن الأول يكون أوّلاً بالإضافة إلى شيء، وأن الآخر يكون آخراً بالإضافة إلى شيء، وهما متناقضان فلا يتصوّر أن يكون الشيء الواحد من وجه

السالكين لطريق التوحيد في الفعل: أعني من انكشف له أن الفاعل واحد.

بالإضافة إلى شيء واحد أوّلاً آخراً جميعاً، بل إذا نظرت إلى ترتيب الوجود ولاحظت سلسلة الموجودات المترتبة فالله تعالى بالإضافة إليها أوّل، إذ الموجودات كلها استفادت الوجود منه، وأما هو فموجود بذاته وما استفاد الوجود من غيره، ومهما نظرت إلى ترتيب السلوك ولاحظت مراتب السائرين إليه فهو آخر إذا هو آخر ما ترتقي إليه درجات العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهي مرقاة إلى معرفته، والمنزل الاقصى هي معرفة الله سبحانه فهو آخر بالاضافة إلى السلوك إليه أوّل بالإضافة إلى الوجود، فمنه المبدأ أوّلاً وإليه المرجع والمصير آخراً. وأما الظاهر والباطن؛ فهما أيضاً من المضافات فإن الظاهر يكون ظاهراً من وجه، وباطناً من وجه آخر، ولا يكون من وجه واحد ظاهراً وباطناً، بل يكون ظاهراً من وجه وبالاضافة إلى إدراك، وباطناً من وجه، وبالإضافة إلى ادراك فإن الظهور والبطون إنما يكون بالإضافة إلى الإدراكات، والله سبحانه باطن إن طلب من ادراك الحواس وخزانة الخيال وظاهران طلب من خزانة العقل بطريق الاستدلال.

فإن قلت: أما كونه باطناً بالإضافة إلى إدراك الحواس فظاهر، وأما كونه ظاهراً بالإضافة إلى إدراك العقل فغامض إذ الظاهر ما لا يتمارى فيه ولا يختلف الناس في إدراكه، وهذا مما وقع الريب الكثير للخلق، فكيف يكون ظاهراً.

فاعلم أنه إنما يخفي مع ظهوره لشدة ظهوره فظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره، وكل ما جاوز من حدّه انعكس على ضده، فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره وخفي عليهم بشدة ظهوره، فهو الظاهر الذي لا أظهر منه، والباطن الذي لا أبطن منه، ولا تعجبن من هذا في صفات الله تعالى فإن المعنى الذي به الإنسان انسان ظاهر باطن، فإنه ظاهر إن استدل عليه بأفعاله المرتبة المحكمة، باطن إن طلب من إدراك الحس فإن الحس إنما يتعلق بظاهر بشرته، وليس الإنسان إنساناً بالبشرة المرئية، بل لو تبدلت تلك البشرة بل سائر أجزائه فهو هو والأجزاء متبدلة، ولعل أجزاء كل إنسان بعد كبر سنه غير الأجزاء التي كانت فيه عند صغره فإنها تحللت بطول الزمان وتبدلت بأمثالها بطريق الإغتذاء، وهويته لم تتبدل فتلك الهوية باطنة عن الحواس ظاهرة للعقل بطريق الإستدلال عليها بآثارها وأفعالها.

(فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في الفعل. أعني من انكشف له أن الفاعل واحد) وحيث انتهى بنا الكلام إلى هنا، فلنورد ما اعترض على المصنف في هذا السياق من أوله إلى هنا.

قال المعترض في جملة كلامه: وكيف يتصور مخاطبة العقلاء للجمادات والجمادات للعقلاء، وبماذا تسمع تلك المخاطبة، أبحاسة الاذن أم بسمع القلب، وما الفرق بين القلم المحسوس والقلم الإلهي، وما حدّ عالم الملك وعالم الجبروت وعالم الملكوت، وما معنى أن الله تعالى خلق آدم على صورته، وما الفرق بين الصورة الظاهرة التي معتقدها يكون مشبهاً صرفاً والصورة الباطنة التي

يكون معتقدها منزهاً فحلاً، وما معنى فاطو الطريق فإنك بالواد المقدس طوى، ولعله ببغداد وأصفهان أو نيسابور أو طبرستان في غير الوادي الذي سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى، وما معنى فاستمع بسر قلبك لما يوحي أهل يكون سماع القلب بغير سره، وكيف يسمع ما يوحي من ليس بنبي، أذلك على طريق التعميم، أم على طريق التخصيص، ومن له بالتسلق إلى مثل ذلك المقام حتى يسمع أسرار الإله وإن كان على سبيل التخصيص فالنبوة ليست محجورة على أحد إلا من قعد عن سلوك تلك الطريق، وما يسمع في النداء إذا سمع هل اسم موسى أو اسم نفسه، وما معنى الأمر للسالك بالرجوع ونهيه أن يتخطى رقاب الصديقين، وما الذي أوصلهم إلى مقامهم وهو في المرتبة الثالثة وهي توحيد المقربين، وما معنى انصراف السالك بعد وصوله إلى ذلك الرفيق الأعلى، وإلى أين وجهته في الإنصراف وكيف صفة انصرافه، وما الذي يمنعه من البقاء في الذي وصل إليه وهو أرفع من الذي خلفه، وأين هذا من قول أبي سليمان الداراني المذكور في غير الإحياء لو وصلوا ما رجعوا ما وصل من رجع؟

وقد أجاب المصنف عن هذه الأسئلة في الإملاء بما نصه: أما خطاب العقلاء للجمادات، فغير مستنكر قديماً ندب الناس الديار وسألوا الأطلال واستخبروا الآثار، وقد جاء في أشعار العرب وكلامهم كثيراً، وفي الحديث: «اسكن حراء فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان». وقال بعضهم: سل الأرض تخبر عمن شق أنهارها وفجّر بحارها وفتق أهواءها ورتق أجوافها وأرسى جبالها، إن لم تجبك حواراً اجابتك اعتباراً وإنما الذي يتوقف على الأذهان ويتحير في قبوله السامعون ويتعجب منه كلام الجمادات والحيوانات الصامتات، ففي هذا وقع الإنكار واضطرب النظار وكذب في تصحيح وجوده ذوو السمع من أهل الإعتبار، ولكن لتعلم أن تلقى الكلام للعقلاء ممن لم يعهد عنه في المشهور يكون على جهات من ذلك سماع الكلام الذاتي، كما يتلقى أهل النطق إذا قصدوا إلى نظم اللفظ، وذلك أكثر ما يكون للأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين في بعض الأوقات، كحنين الجذع للنبي ﷺ، وكان بمكة حجر يسلم عليه قبل مبعثه ﷺ في طريقه.

ومنها تلقي الكلام في حس السامع من غير أن يكون له وجود في خارج الحس ويعتري هذا في سائر الحواس كمثل ما يسمع النائم في منامه من مثال شخص من غير مثال، والمثال المرئي للنائم ليس له وجود في غير سمعه، وأما ما يجده غير النائم في اليقظة فمنها خاصة وعامة. والعامة تشهد بصحة الخاصة كما جاء في الحديث عن اليهود: «آخر الزمان الحجر ينادي المسلم يا مسلم خلفي يهودي فاقتله». فإن لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقاً ويذهب عنه معنى الحجرية أو يوكل بالحجر من يتكلم عنه ممن يستتر عن الأبصار في العادة من الملائكة الجن، أو يكون ككلام يخلقه الله تعالى في آذان السامع ليفيده العلم باختفاء اليهودي حتى يقتله، وكما قال في العرض الأكبر: إذا نودي فيه باسم كل واحد على الخصوص في الخلائق مثل المنادي اسم به كثير، وقد قالت العلماء: إنه لا يسمع النداء في ذلك الجمع إلا من نودي، فيحتمل أن ذلك النداء يخلق للمنادى في حاسة

إذنه ليتحرك إلى الحساب، وحدّه دون من يشاركه في اسمه ولا يكون نداء من خارج، والأمثلة كثيرة في الشرع، وفيما سمعت منه مقنع.

ومنها تلقي الكلام في العقل وهو المستفاد بالمعرفة المسموع بالقلب المفهوم بالتقدير عن اللفظ المسمى بلسان الحال، كما قال قيس:

وأجهشت للتوباد حين رأيته ... وكبّر للرحمن حين رآني
فقلت له أين الذين عهدتهم ... حواليك في عيش وخفض جنان
فقال مضوا واستودعوني بلادهم ... ومن ذا الذي يبقى على الحدثان

وفي أمثال العوام قال الحائط للوتد: لم تشقني؟ فقال الوتد للحائط: سل من يدقني. فلو كانت العبارة يتأتى منها ما عبرت إلا بما قد استعير لها، وعلى هذا المعنى حمل كثير من العلماء قوله عز وجل عن السماء والأرض حين قالت: ﴿أتينا طائعين﴾ [فصلت: ١١] وقوله عز وجل عن السموات والأرض والجبال ﴿فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ومنها تلقي الكلام في الخيال مثل قوله ﷺ: «كأني أنظر إلى يونس بن متى عليه عباءتان قطوانيتان يلبي وتجيبه الجبال والله يقول لبيك يا يونس». فقوله: «كأني» يدل على أنه تجلي حالة سبقت لم يكن لها في الحال وجود ذاتي لأن يونس عليه السلام قدمات، وتلك الحالة منه قد سلفت. وفي هذا الحديث إخبار عن الوجود الخيالي في البصر والوجود الخيالي في السمع.

ومنها تلقي الكلام بالشبه، وهو أن يسمع السامع كلاماً وأصواتاً من شخص حاضر فيلقي عليه شبه غيره بما غاب عنه، كقوله ﷺ في صوت أبي موسى الأشعري وقد سمعه يترنم بالقرآن: «لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داود» ومزامير آل داود قد عدمت وذهبت، وإنما شبه صوته بها، وكما إذا سمع المريد صوت مزمار وعود فجاء على غير قصد بتخييل صرير أبواب الجنة وتشبيهها بها فجاء صوته من ذلك، فهذه مراتب الوجود فأنت إذا أحسنت التصرف بين إثباتها ولم يعترك غلط في بعضها ببعض، ولا اشتبهت عليك وسمعت بمن نظر بمشكاة نور الله تعالى إلى الكاغد، وقد رآه اسودّ وجهه بالحبر فقال له: ما بال وجهك وكان أبيض مشرقاً مونقاً والآن قد ظهر عليه السواد فلم سوّدت وجهك؟ فقال الكاغد: ما أنصفتني في هذه المطالبة فإني ما سوّدت وجهي بنفسي، لكن سل الحبر فإنه كان مجموعاً في المحبرة التي هي مستقره ووطنه، فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظلماً وعدواناً، فقال: ما أنصفت؟ قال: صدقت ثم أنت إذا سمعت أمثال هذه المراجعات اعمل الفكر وحدّد النظر وحل الكلام إلى أجزائه التي انتظم منها جملة ما بلغك، فتسأل عن معنى الناظر ومعنى نور الله سبحانه وما سبب إن لم يعرف الناظر الكتابة والمكتوب، وبأي لسان خاطب الكاغد وهو ليس من أهل النطق، وفيما ذا صدق الناظر الكاغد ولم صدقه بمجرد قوله دون دليل ولا شاهد. فيبدو لك ههنا أن الناظر هو ناظر القلب فيما أورده عليه الحس والمشكاة، استعارة نقلت من مشكاة الزجاجة التي أعمرت بسراج النار إلى حبر المعرفة الملقب بسر القلب تشبيهاً لأنها

مسرجة الرب تعالى يشعلها بنوره، ونوره المذكور ههنا عبارة عن صفاء الباطن واشتعال السر بطلوع نيرات كتب المعارف المذهبة بإذن الله تعالى طلم جهالات القلوب، ووجه إضافته إلى الله تعالى على سبيل الإشارة بالذكر لأجل التخصيص بالشرف والكاغد، والحبر كناية عن أنفسهما لا عن غيرهما وجعلها مبدأ طريقه وأول سلوكه، إذ هما في عالم الملك والشهادة الذي هو محل جملة الناظر في حال نظره، وأما سبب أنه لم يعرف الكتابة ولا المكتوب فلأجل أنه كان أمياً لا يقرأ الكتاب الصناعي، وإنما يروم معرفة قراءة الخط الإلهي الذي هو أبين وأدل على ما يفهم منه. وأما مخاطبة الناظر للكاغد وهو جماد، فقد سبق الكلام على مثله ومراجعة الكاغد له، فعلى قدر حال الناظر إن كان مراداً فيتلقى الكلام في الحس بما ينبه على المطلوب من الحق وهو من الإلقاء في الروع فيودعه الحس المشترك المحفوظ فيه على الإنسان صور الأشياء المحسوسة، وإن كان مريداً فيتلقاه بلسان الحال المسموع بسمع القلب بواسطة المعرفة والعقل وتصديق الناظر للكاغد في عذره، وإحالته على الحبر لم يكن بمجرد قوله بل بشهادة أولى الرضا والعدل وهو البحث والتجربة، وهذا سبيل إلى اليد، وهو آخر ما سئل عن أجزاء عالم الملك، وأما ما يسمعه في علم الجبروت وذلك من القدرة المحدثة إلى العقل والعلم الموجودين في الإنســان فمستقره في القوّة الوهمية المدركة جميع ما يستدعي وجوده جسماً، ولكن قد يعرض له أن يكون في جسم كما تدرك السخلة عداوة الذئب وعطف أمها فتتبع العطف وتنفر عن العداوة، وأما ما يسمعه في حدّ عالم الملكوت وذلك من العلم الإلهي، إلى ما وراء ذلك مما هو داخل فيه معدود منه فسر القلب الذي يأخذ به عن الملائكة يسمع ما بعد مكانه ودق معناه وغرب عن القلوب من جهة الفكر تصوره، فأما أي شيء حقائق هذه المذكورات وماكنه واحد منها على نحو معرفتك لأجزاء عالم الملك والشهادة، فذلك من علم لا ينتفع بسماعه مع عدم الشهادة، والله قد عرفك بأسمائها فإن كنت مؤمناً فصدق بوجودها على الجملة كعلمك أنك لا تخبر بتسميات ليس لها مسميات إلى أن يلحق الله تعالى بأولي المشاهدات ويخصك بخالص الكرامات، ومن كفر فإن الله غني حميد.

فصل

والفرق بين القلم المحسوس في عالم الملك وبين القلم الإلهي في عالم الملكوت، أن القلم المحسوس كما علمته مجسماً بطيء الحركة بالفعل سريع الإنتقال بالهلاك مخلفاً عن مثله في الظاهر مجعولاً تحت قهر سلطان الآدمي الضعيف الجاهل في أكثر أوقاته، مصرفاً بين أحوال متنافية كالعلم والجهل والظلم والعدل والشك والصدق. وأما القلم الإلهي فعبارة عن خلق لله تعالى في عالم الملكوت مختص بخلاف خصائص الجواهر الحسية الكائنة في عالم الملك يرى أنه من أوصاف ما سمي به القلم المحسوس كلها مصرف بيمين الخالق بحكم إرادته على ما سبق به علمه في أزل الأزل، وإنما سمي بهذا الإسم لأجل شبهه لعمل ما يشتهي به غير أنه لا يكتب إلا حقاً بحق، والفرق بين يمين الآدمي ويمين الله عز وجل أن يمين الآدمي كما علمت مركب من عصب استعصى بقاؤها، وعضل تعضل ادلاؤها، وعظام يعظم بلاؤها، ولحم ممتد وجلد غير ذي جلد موصولة بمثلها في الضعف والإنفصال

ملقبة باليد وهي عاجزة عن كل حال، ويمين الله تعالى عند بعض أهل التأويل هي عبارة عن قدرته، وعند بعضهم صفة لله تعالى غير القدرة وليست بجارحة ولا جسم، وعند آخرين أنها عبارة عن خلق الله تعالى وهي واسطة بين القلم الإلهي الناقش للعلوم المحدثة وغيرها وبين قدرته التي هي صفة لها صرف اليمين الكاتبة بالقلم المذكور بالخط الإلهي المثبوت على صفحات المخلوقات الذي ليس بعربي ولا عجمي، يقرأه الاميون إذا شرحت له صدورهم ويستعجم على القارئين إذا كانوا عبيد شهواتهم، ولم يشارك يمين الآدمي إلا في بعض الأسم لأجل الشبه اللطيف الذي بينهما في الفعل وتقريباً إلى كل ناقص الفهم عساه يعقل ما أنزل على رسل الله من الذكر.

فصل

وحد عالم الملك ما ظهر للحواس ويكون بقدرة الله عز وجل بعضه من بعض وصحبه التغير، وحدّ عالم الملكوت ما أوجد الله سبحانه من غير زيادة ولا نقصان منه، وحدّ عالم الجبروت هو ما بين العالمين مما أشبه أن يكون في الظاهر من عالم الملك فجبر بالقدرة الأزلية بما هو من عالم الملكوت.

فصل

ومعنى أن الله خلق آدم على صورته، فذلك على ما جاء في الأحاديث، وللعلماء فيه وجهان: فمنهم من يروي للحديث سبباً وهو أن رجلاً ضرب غلامه، فرآه النبي ﷺ فنهاه وقال: «إن الله خلق آدم على صورته» وتأوّلوا عود الضمير على المضروب، وعلى هذا لا يكون للحديث مدخل في هذا الموضع، ويكون الإيماء به إلى غير هذا المعنى المذكور في السبب الحادث، وإثباته في غير موطن دليل السبب المنقول مما يعز ويعسر، فليبق السبب على حاله ولينظر في وجه للحديث غير هذا مما يحتمله ويحسن الإحتجاج به في هذا الموطن، والوجه الآخر أن يكون الضمير في صورته عائداً على الله سبحانه، ويكون في معنى الحديث على صورة هي مضافة إلى الله سبحانه، وهذا المضروب على صورة آدم فإذاً هو العبد المضروب على الصورة المضافة إلى الله عز وجل، ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى الإضافة وعلى أي جهة يحتمل في الإعتقاد العلمي على الله سبحانه ففيها وجهان: أحدهما أن يكون إضافة ملك الله تعالى كما يضاف العبد والبيت والناقة واليمين على أحد الأوجه، والوجه الآخر: أن تكون إضافة تخصيص به عز وجل، فمن حملها على إضافة الملك له رأى أن المراد بصورته هو العالم الأكبر بجملته لكنه مختصر صغير، فإن العالم إذا فصلت أجزاؤه وفصلت أجزاء آدم عليه السلام بمثله وجدت أجزاء آدم مشابهة للعالم الأكبر، وإذا شابهت جملة أجزاء أخرى، فالجملتان بلا شك متشابهتان، فمن نظر إلى تحليل صورة العالم الأكبر فقسمه على أنحاء من القسمة وقسم آدم عليه السلام كذلك فوجد كل نحوين منها يشتبهان، فمن ذلك انقسم قسمين ظاهر محسوس كعالم الملك، والثاني باطن معقول كعالم الملكوت، والإنسان كذلك انقسم إلى ظاهر محسوس كاللحم والعظم والدم وسائر أنواع الجواهر المحسوسة، وإلى باطن كالروح والعقل والعلم والإرادة والقدرة وأشباه ذلك. وقسمة أخرى وذلك أن العالم قد انقسم

بالعوالم إلى عالم الملك وهو الظاهر المحسوس، وإلى عالم الملكوت وهو الباطن في العقول، وإلى عالم الجبروت وهو المتوسط الذي أخذ بطرف من كل عالم منها، وهو الإنسان انقسم إلى ما يشابه هذه القسمة، فالمشابه لعالم الملك الأجزاء المحسوسة وقد علمتها، والمشابه لعالم الملكوت فمثل الروح والعقل والقدرة والإرادة وأشباه ذلك. والمشابه لعالم الجبروت كالإدراكات بالحواس والقوى الموجودة بأجزاء البدن وقسمة أخرى، وذلك أن العالم انحل إلى ما علم من أجزائه بالإستقراء، فرأس الإنسان سماء العالم من حيث أن كل ما علا فهو سماه، وحواسه تشابه حواس الكواكب والنجوم من حيث أن الكواكب أجسام مشفة تستمد من نور الشمس فتضيء لها، والحواس أجسام لطيفة تستمد من رواح فتضيء بذلك المدركات، وروح الإنسان مشابهة للشمس فيضيء العالم وهو نباته وحركة حيوانه وحياته فيما يظهر بتلك الشمس، وكذلك روح الإنسان به حصل في الظاهر عن أجزاء بدنه ونبات شعره وخلق حيوانه وجعلت الشمس وسط العالم تطلع بالنهار وتغرب بالليل وجعلت الروح وسط العالم وهي تغرب بالنوم وتطلع باليقظة، ونفس الإنسان تشابه القمر من حيث أن القمر يستمد من الشمس ونفسه تستمد من الروح، والقمر خالف الشمس والروح خالف النفس والقمر آية ممحوّة والنفس مثلها، ومحو القمر في أن لا يكون ضياؤه منه، ومحو النفس في أن لا يكون عقلها منها، ويعتري الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوف، ويعتري النفس والروح وسائر الحواس غيب وذهول، وفي العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان، وفي الإنسان نبات وهو الشعر ومياه وهي العروق والدموع والريق والدم، وفيه جبال وهي العظام وحيوان وهي هوام الجسم، فحصلت المشابهة على كل حال. ولما كانت أجزاء العالم كثيرة ومنها ما هي لنا غير معروفة ولا معلومة كان في جميعها تطويل، وفيما ذكرنا يحصل به لذوي العقول تنبيه. فهذا آخر الكلام في أخذ وجهي الأضافة الذي في ضمير صورته.

والوجه الآخر هو أن من حمل الإضافة إلى الله تعالى على معنى التخصيص به، فذلك لأن الله عز وجل أنبأنا بأنه حي قادر سميع بصير عالم مريد متكلم فاعل، وخلق آدم عليه السلام حياً قادراً سميعاً بصيراً عالماً مريداً متكلماً فاعلاً، وكانت لآدم عليه السلام صورة محسوسة مكوّنة مخلوقة مقدرة بالفعل وهي لله سبحانه وتعالى مضافة باللفظ، وذلك أن هذه الأسماء لم تجتمع مع صفات آدم إلا في الأسماء التي هي عبارة بلفظ فقط لا يفهم من ذلك نفي الصفات، فليس هو مرادنا. وانما مرادنا تباين ما بين الصورتين بأبعد وجوه الإمكان حتى لم تجتمع مع صفات الله عز وجل وتطلق عليها حالة الوجود، فافهم هذا فإنه من أدق ما يقرع سمعك ويلج قلبك ويبهر عقلك، ولهذا قيل لك: فإن كنت تعتقد الصورة الظاهرة ومعناه أن حملت إحدى الصورتين على الأخرى في الوجود تكن مشبهاً مطلقاً ومعناه لتتيقن أنك من المشبهين لا من المنزهين، فقرّ على نفسك بالتشبيه معتقداً ولا تنكره كما قيل: كن يهودياً وإلا فلا تلعب بالتوراة أي تتلبس بدينهم وتريد أن لا تنتسب إليهم وتعتكف على قراءة التوراة ولا تعمل بها، وإن كنت لا تعتقد الصورة فكن منزهاً فحلاً مقدساً مخلصاً أي ليس تعتقد من الصورة المضافة إلى الله تعالى إلا الأسماء دون

المعاني وتلك المعاني المسماة لا يقع إليه اسم الصورة، وقد حفظ عن الشبلي كلام في معنى ما ذكرناه من هذا الوجه قولاً بليغاً مختصراً حين سئل عن معنى الحديث فقال: خلقه الله على معنى الأسماء والصفات لا على الذات.

فإن قلت: فكذا قال ابن قتيبة في كتابه المعروف بتناقض الحديث حيث قال: صورة لا كالصورة، فلم أخذ عليه في ذلك وأقيمت عليه الشناعة به واطرح قوله ولم يرض به أكثر العلماء وأهل التحقيق؟

فاعلم أن الذي ارتكبه ابن قتيبة رحمه الله تعالى نحن أشد إعراضاً منه وأبعد الناس عن تسويغ قوله، وليس هو الذي الممنا به وأفدناك به بحول الله وقوّته، بل يدل منك أنك لم تفهم غرضنا وذهلت عن عقل مرادنا حين لم تفرق بين قولنا وبين ما قاله ابن قتيبة: ألم نخبرك أنا أثبتنا الصورة في التسميات وهو أثبتها في حالة الذات، والذي يغلب على الظن في ابن قتيبة رحمه الله تعالى أنه لم يقرع سمعه هذه الدقائق التي أشرنا إليها وأخرجناها إلى حيز الوجود بتأييد الله تعالى بالعبارة عنها، وإنما ظهر له شيء لم يكن له به إلف فتحير وعلاه الدهش فتوقف بين ظاهر الحديث الذي عند ذوي القصور تشبيه وبين التأويل لم ينفه، فأثبت المعنى المرغوب عنه وأزال نفي ما خاف من الوقوع فيه، فلم يتأت له اجتماع ما رام ولا نظام ما اقترف فقال: هو صورة لا كالصورة ولكل ساقطة لاقطة فتبادر الناس إلى الأخذ عنه.

فصل

ومعنى فاطو الطريق فإنك بالوادي المقدس طوى، أي: دم على ما أنت عليه من البحث والطلب فإنك على هداية ورشد، الوادي المقدس عبارة عن مقام الكلام مع الله تعالى في الوادي، وإنما يقدس الوادي بما أنزل الله فيه من الذكر وسمع كلام الله سبحانه، وأقيم ذكر الوادي مقام ما حصل فخذ المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وإلاّ فالمقصود منه ما نفي لا ما ظهر بالقول، إذ المواضع لا تأثير لها وإنما هي ظروف.

فصل

ومعنى فاستمع بسر قلبك لما يوحى، فلعلك تجد على النار هدى، ولعلك من سرادقات العرش تنادى بما نودي به موسى ﴿إني أنا ربك الأعلى﴾ فرغ قلبك لما يرد عليك من فوائد المزيد ومواريث الصدق وثمار المعارف وأرباح سلوك الطريق وبشارات قرب الوصول وسر القلب كما تقول إذن الرأس وسمع الأذن وما يوحي أي: ما يرد من الله عز وجل بواسطة ملك أو إلقاء في روع أو مكاشفة بحقيقة أو ضرب مثل مع العلم بتأويله: «ولعل» حرف ترج، والمعنى أن لم ترد لك آفة تقطعك عن سماع الوحي من إعجاب بحال أو إضافة دعوى إلى النفس أو قنوع بما وصلت إليه واستبداد به عن غيره، وسرادقات المجد هي حجب الملكوت، وما نودي به موسى عليه السلام هو

علم التوحيد الذي وقعت العبارة اللطيفة عنه بقوله: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ فالمنادي باسمه أزلاً وأبداً هو اسم موسى لا إسم السالك، لأنه الموجود في كلام الله تعالى في أزل الآزال قبل أن يخلق موسى، وكلام الله صفة له لا تتغير كما لا يتغير هو وقد زل قوم وعظم افتراؤهم حين حملوا صدور هذا القول عن اعتقاد اكتساب النبوة، وعياذا بالله من أن يحتمل هذا القول ما حملوا من المذهب السوء وهم يعرفون أن كثيراً ممن يكون بحضرة ملك من الملوك الدنيوية وهو يخاطب إنساناً آخر قد ولاه ولاية كبيرة، وفوّض إليه عملاً عظيماً، وحباه حباءً خطيراً وهو يناديه باسمه ويأمره بما يمتثل من أمره، ثم إن السامع للملك الحاضر غير المولى لم يشارك المولى والمخلوع عليه والمفوض إليه في شيء مما ولى وأعطى ولم يجب له بسماعه ومشاهدته أكثر من حظوة القربة وشرف الحضور ومنزلة المكاشفة من غير وصول إلى درجة المخاطب بالولاية والمفوض إليه الأمر، كذلك هذا السلك المذكور إذا وصل في طريقه ذلك بحيث يصل بالمكاشفة والمشاهدة واليقين التام الذي يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل العلوم، فلا يمتنع أن يسمع لغيره ما يوحى من غير أن يقصد هو بذلك، إذ هو محل سماع الوحي على الدوام وموضع الملائكة وكف بها إنها حضرة الربوبية، وموسى عليه السلام لم يستحق الرسالة ولا النبوة ولا استوجب التكليم وسماع الوحي مقصوداً بذلك بحلوله في هذا المقام الذي هو المرتبة الثالثة فقط، بل قد استحق ذلك بفضل الله تعالى حين خصه بمعنى آخر يربي على ذلك المقام أضعافاً يجاوز المرتبة الرابعة، لأن آخر مقامات الأولياء أول مقامات الأنبياء، وموسى عليه السلام نبي مرسل فمقامه أعلى بكثير مما نحن آخذون في أطرافه، لأن هذا المقام الذي هو المرتبة الثالثة ليس من غايات مقام الولاية، بل هو أول مباديها أقرب منه إلى غاياتها، فمن لم يفهم درجات المقامات وخصائص النبوات وأحوال الولايات كيف يتعرض للكلام فيها والطعن على أهلها؟ هـذا لا يصلح إلا لمن لا يظن أنه مؤاخذ بكلامه ومحاسب بظنه ويقينه، مكتوبة عليه خطراته محفوظة عليه لحظاته محصاة منه يقظاته وغفلاته ﴿فما يلفظ من قول الالديـه رقيب عتيد﴾ [ق: ١٨].

فإن قلت: أراك قد أوجبت له سماع نداء الله تعالى ونداء الله كلامه والله تعالى يقول: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾ [البقرة: ٢٥٣] فقد نبه أن تكليم الله تعالى لمن كلمه من الرسل إنما هو على سبيل المبالغة في التفضيل، وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بنبي ولا رسول.

فنقول: إذ قيدنا التشعيب وقصدنا درء الشك العارض في مسالك الحقائق، فنقول ليس في الآية ما يرد ما قلناه ولا يكسره، فما أوجبنا أن يكلمه قصداً ولا يتحراه بالخطاب عمداً، وإنما قلنا أن يجوز أن يسمع ما يخاطب الله عز وجل غيره ممن هو أعلى منه، فليس من سمع كلام الإنسان مثلاً مما يكلم به غير السامع. يقال: إنه كلمة، وقد حكى أن طائفة من بني إسرائيل سمعوا كلام الله الذي خاطب به موسى عليه السلام حين كلمه ثم إذا ثبتت ذلك لم تجب لهم درجة موسى عليه السلام ولا المشاركة في نبوته ورسالته على أنا نقول: نفس ورود الخطاب إلى السامعين من الله

عز وجل لا يمكن الإختلاف فيه، فيكون النبي المرسل يسمع كلام الله الذاتي القديم بلا حجاب في السمع ولا واسطة بينه وبين القلب ومن دونه يسمعه على غير تلك الصورة مما يلقى في روعه، وبما ينادي به في سمعه أو سره، أو أشباه ذلك مما ذكر أن قوم موسى عليه السلام حين سمعوا كلام الله تعالى مع موسى أنهم سمعوا صوتاً كالناقور وهو القرن، فإذا صح ذلك فبتباين المقامات اختلف ورود الخطاب، فموسى عليه السلام سمع كلام الله بالحقيقة التي هي صفة بلا كيف ولا صورة نظم بحروف أصوات، والذين كانوا معه أيضاً سمعوا صوتاً مخلوقاً جعل لهم علامة ودلالة عليه كما تسمى التلاوة، وهذه الحروف المكتوبة بها القرآن كلام الله عز وجل إذ هى دلالة عليه.

فإن قلت: فما ينفي على السامع إذا سمع كلام الله تعالى يستفيد به معرفة وحدانيته وفقه أمره ونهيه وفهم مراده وحكمه بما يلحقه العلم الضروري، فما أرى فاته النبي المرسل إلا بأن شغل بإصلاح الخلق دونه، ولو كان عوضاً منه أجزأ عنه وقام مقامه.

فاعلم أن هذا الذي أوجب عثورك ودوام زللك وإعراضك عن العلوم بالجهل، وعلى الحقائق بالمخايل أنت بعيد عن غور المطالب قعيد في شرك المعاطب، فقيد صوب الصواب عنيد عند صحب الصاحب أن الذي استحق به الناظر السالك الواصل إلى المرتبة الثالثة سماع نداء الله تعالى معنى ومقام وحال، وخاصة أعلى من تلك الأول وأجل وأكبر، وبينهما ما بين من استحق المواجهة بالخطاب والقصد، وبين من لا يستحق أكثر من سماعه حين يخاطب به غيره. هذا مع الإشارة باختلاف ورود الخطاب إليهما مما يوجب ويقرر تباين ما بينهما، فإن فهمت الآن وإلا فدعني لا تدر بحالي.

فإن قيل: ألم يقل الله تعالى: ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً ★ إلا من ارتضى من رسول﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] وسماع كلام الله تعالى بحجاب أو بغير حجاب، وعلم ما في الملكوت ومشاهدة الملائكة وما غاب عن المشاهدة والحس من أجل الغيوب، فكيف يطلع عليها من ليس برسول؟

قلنا: في الكلام تقديم وتأخير وحذف يصح على صحة تقدير الشرع الصادق والمشاهدة الضرورية، وهو أن يكون معناه إلا من ارتضى من رسول، ومن اتبع الرسول باخلاص واستقامة أو عمل بما جاء به لأن النبي ﷺ قال: « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » وهل ينفي ما غاب عنه أن ينكشف إليه، وقال: « إن يكن منكم محدثون فعمر » أو كما قال. وقال: « المؤمن ينظر بنور الله » وفي القرآن العزيز ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ [النمل: ٤٠] فعلم ما غاب عن غيره من إمكان إتيان ما وعده به وزاد أنه قدر عليه ولم يكن نبياً ولا رسولاً، وقد نبأ الله سبحانه عن ذي القرنين من إخباره عن الغيب وصدقه فيه حين قال ﴿فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا﴾ [الكهف: ٩٨] وإن كان وقع الإختلاف في نبوة ذي القرنين فالاجاع على أنه ليس برسول وهو خلاف الشروط في الآية، وإن أراد أحد المدافعة بالاخبار لما أخبر به ذو القرنين وما ظهر على يد الذي عنده علم من الكتاب وأراد أن يروّجه على غمر لا يفرق بين السنة والحقائق فما يصنع فيما جرى للخضر، وما أنبأ الله

سبحانه عنه وأظهر عليه من العلوم الغيبية وهو بعد أن يكون نبياً، فليس برسول على الوفاق من الجميع والله تعالى يقول ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ فدل على أن في الآية حذفاً ينضاف معناه إلى ما ظهر من الكلام، فكان سعد رضي الله عنه يرى الملائكة عليهم السلام وهو غيب الله، وأعلم أبو بكر رضي الله عنه بما في البطن وهو من غيب الله، وشواهد الشرع كثيرة جداً تعجز العقول وتبهر المعاند، ويحتمل أن يكون المراد من الآية بالرسول المذكور فيها ملك الوحي الذي بواسطته تنزل العلوم وتنكشف الغيوب، فمتى لم يرسل الله ملكاً باعلام غيب إما بخطاب مشافهة أو القاء معنى في روع أو ضرب مثل في يقظة أو منام لم يكن إلى علم الغيب سبيل، ويكون تقدير الآية ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ أن يرسله إلى من يشاء من عباده في يقظة أو منام، فإنه يطلع على ذلك أيضاً وتكون فائدة الاخبار بهذا في الآية الامتنان على من رزقه الله تعالى علم شيء من مكنوناته وإعلامه أنه لم يصل إليها بنفسه لا بمخلوق سواه إلا بالله عز وجل حين أرسل إليه الملك بذلك وبعثه إليه حتى يبرأ المؤمن من حوله ومن قوته ويرجع إلى الله سبحانه وحده، ويتحقق أنه لا يرد عليه شيء من علم أو معرفة أو غير ذلك إلا بإرادته ومشيئته، ويحتمل وجهاً آخر، وهو أن يكون والله أعلم إلا من ارتضى من رسول يريد من سائر خلقه وأصناف عباده، ويكون معنى من رسول على يد رسول من الملائكة.

فصل

ومعنى ولا تتخطى رقاب الصديقين، وما الذي أوصله إلى مقامهم أو جاوز به ذلك، وهو في المرتبة الثالثة حال المقربين، فاعلم أنه ما وصل حيث ظننت فكيف يجاوزه وإنما خاصة من في مرتبة الصديقية عدم السؤال لكثرة التحقيق بالأحوال وخاصة من هو مرتبه القرب كثرة السؤال طمعاً في بلوغ الآمال وأمثالها فيما أشير إليه مثال إنسانين دخلا في بستان وأحدهما يعرف جميع أنواع نبات البستان ويتحقق أنواع تلك الثمار ويعلم أسماءها ومنافعها فهو لا يسأل عن شيء يراه ولا يحتاج إلى أن يخبر به، والثاني لا يعرف مما رأى شيئاً أو يعرف بعضها ويجهل أكثر مما يعرف فهو يسأل ليصل إلى علم الباقي، وكذلك من تكلمنا عليه حين أكثر السؤال عساه يتجاوز سؤاله حاله ويتخلف مقامه إلى ما هو أعلى منه وكان غير مراد لذلك، إما في ذلك الوقت أو أبد الأبد، وتلك العلوم لا تنال بالكسب وإنما تنال بالمنح الإلهية فقيل له: لا تتخطى رقاب الصديقين بالسؤال، فذلك مما لا يخطى به وليس هو من الطرق الموصلة إلى مقامهم، فارجع إلى الصديق الأكبر فاقتد به في أحواله وسيرته، فعساك ترزق مقامه، فإن لم يكن فتبقى على حال القرب وهو تلو الصديقية هذا معناه.

فصل

ومعنى انصراف السالك الناظر بعد وصوله إلى الرفيق الأعلى أنه لما وصل إليه بالسؤال صرف إلى ما لاق به من الأحوال ليحكم ما بقي عليه من الأعمال، كما قال ﷺ للذي سأله أن يعلمه من

فإن قلت: فقد انتهى هذا التوحيد إلى أنه يبتني على الإيمان بعالم الملكوت، فمن لم يفهم ذلك أو يجحده فما طريقه؟

فأقول: أما الجاحد فلا علاج له إلا أن يقال له: انكارك لعالم الملكوت كإنكار السمنية لعالم الجبروت، وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس، فأنكروا القدرة والإرادة والعلم لأنها لا تدرك بالحواس الخمس، فلازموا حضيض عالم الشهادة بالحواس الخمس، فإن قال: وأنا منهم فإني لا أهتدي إلا إلى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئاً سواه، فيقال: إنكارك لما شاهدناه مما وراء الحواس الخمس كإنكار السوفسطائية للحواس الخمس، فإنهم قالوا: ما نراه لا نثق به، فلعلنا نراه في المنام، فإن

غرائب العلم: « اذهب فاحكم ما هنالك »، وكذلك أعلمك من غرائب العلم، فأما صفة انصرافه فإنه نهض بالبحث ورجع بالتذكير وفوائد المزيد، ووجه آخر إن لم يستطع المقام في ذلك الموضع بعد وصوله إليه، فذلك لتعلق جزء المعرفة بالبدن ومسكنه عالم الملك ولم يفارقه بعد الموت وطول الغيب عنه لا يمكن في العادة، ولو أمكن لهلك الجسم وتفرقت الأوصال والله تعالى أراد عمارة الدنيا قدر ما سبق في علمه ولم تجد لسنة الله تبديلا، ومعنى قول أبي سليمان الداراني: لو وصلوا ما رجعوا ما رجع إلى حالة الانتقاص من وصل إلى حالة الاخلاص، والذي طمع الناظر في الحصول فيه بسؤاله وتماديه إلى حال القرب منه إذا لم يصلح لذلك ولم يضف له ولم يخلص في أعماله. انتهى لفظ الاملاء، ولنعد إلى شرح كلام المصنف.

(فان قلت: فقد انتهى هذا التوحيد) المشار إليه **(إلى أنه ينبني على الايمان بعالم الملكوت، فمن لا يفهم ذلك أو يجحده فما طريقه؟)**.

فأقول: أما الجاحد فلا علاج له إلا أن يقال: إنكارك لعالم الملكوت كانكار السمنية) بضم السين المهملة وفتح الميم المخففة **(لعالم الجبروت)** وهم فرقة تعبد الأصنام وتقول بالتناسخ وتنكر حصول العلم بالاخبار، **(وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس، وأنكروا القدرة والارادة والعلم لأنها لا تدرك بالحواس الخمس)** قيل: نسبة إلى سومنات بلدة من الهند على غير قياس كما في المصباح، أو نسبة إلى صنم كانوا يعبدونه اسمه كذلك وسميت البلدة به، **(ولازموا حضيض عالم الشهادة)** وأنكروا تحقيق الحقائق واتصافها بالوجود في نفس الأمر، **(فإن قال: وأنا منهم فإني لا أهتدي إلا إلى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئاً سواه. فيقال: إنكارك لما شاهدناه مجاوزاً للحواس الخمس كانكار السوفسطائية للحواس الخمس)** وهم طائفة من حكماء اليونان ينكرون حقائق الأشياء، ويزعمون أنه ليس ههنا ماهيات مختلفة وحقائق متمايزة، فضلاً عن اتصافها بالوجود واثبات بعض إلى بعض على وجوه شتى، بل كلها أوهام لا أصل لها، وسوفسطا كلمة يونانية معناها طالب الحكمة، **(فإنهم قالوا: ما نراه لا نثق به فلعلنا نراه في المنام)** شبه الخيالات الباطلة، **(فإن قال: أنا منهم)** ومن جلتهم **(فإني**

قال: وأنا من جملتهم فإني شاك أيضاً في المحسوسات فيقال: هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك أياماً قلائل، وما كل مريض يقوى على علاجه الأطباء. هذا حكم الجاحد. وأما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم، فطريق السالكين معه أن ينظروا إلى عينه التي يشاهد بها عالم الملكوت، فإن وجدوها صحيحة في الأصل وقد نزل فيها ماء أسود يقبل الإزالة والتنقية اشتغلوا بتنقيته اشتغال الكحال بالأبصار الظاهرة، فإذا استوى بصره أرشد إلى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك ﷺ بخواص أصحابه، فإن كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بشهادة التوحيد كلموه بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد إلى حضيض فهمه فإن في عالم الشهادة أيضاً توحيداً، إذ يعلم كل أحد أن المنزل يفسد بصاحبين، والبلد يفسد بأميرين، فيقال له على حد عقله: إله العالم واحد والمدبر

شاك في المحسوسات أيضاً فيقال: هذا شخص قد **(فسد مزاجه)** واختل نظام تركيبه **(وامتنع علاجه فيترك)** ولا يعالج، **(فما كل مريض يقوى على علاجه الأطباء)**، وفي حكم هذين إن كان يرفض الشهادة القوية والمشاهد الجلية لشبهة فاسدة ومغلطة كامدة فيكون من العنادية وهم أسوأ حلاً من السمنية والسوفسطائية، وأمثل طريقة من هؤلاء اللاأدرية حيث توقفوا عند اشتباه الأمر لديهم والتباس الحال عليهم ولكنهم لا يخلون عن الجحود أيضاً، **(هذا حكم الجاحد، وأما الذي لا يجحد ولكن لا يفهم)** لجفاء في طبعه وبلادة في فهمه، **(فطريق السالكين فيه أن ينظروا إلى عينه التي بها يشاهد عالم الملكوت، فإن وجدوها صحيحة في الأصل وقد نزل فيها ماء أسود)** أو أصفر منعه عن النظر **(يقبل الإزالة والتنقية اشتغلوا)** أولاً **(بتنقيته)** وإزالته بنحو القدح وغيره مثل **(اشتغال الكحال)** الحاذق **(بالأبصار الظاهرة)** بمداواتها بالأكحال اللطيفة، **(فإذا استوى بصره)** وقوي نوره **(أرشد إلى الطريق ليسلكه)** بلا مانع، **(كما فعل ذلك رسول الله ﷺ بخواص أصحابه)** أزال بنظره إليهم العلل الباطنة فأشرقت الأنوار في صدورهم وأعينهم ثم أرشدهم، **(فإن كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك السبيل الذي ذكرناه في التوحيد، ولم يمكنه أن يسمع كلام ذرات الملك والملكوت بشهادة التوحيد)** كما سبق من قول الشاعر:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

(كلموه بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد إلى حضيض فهمه، فإن في عالم الشهادة أيضاً توحيداً إذ يعلم كل أحد أن المنزل يفسد بصاحبين، والبلد يفسد بأميرين) وأن السفينة تفسد برئيسين ومن المحال عقلاً اتفاق الحاكمين المشتركين على تدبير واحد لا يعارض بعضهم بعضاً، **(فيقال له على حد عقله إله العالم واحد والمدبر)** في الكائنات **(واحد، إذ لو كان**

واحد إذ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، فيكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة، فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر، عقله وقد كلف الله الأنبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم، ولذلك نزل القرآن بلسان العرب على حد عادتهم في المحاورة.

فإن قلت: فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عماداً للتوكل وأصلا فيه؟

فأقول: نعم، فإن الاعتقاد إذا قوي عمل عمل الكشف في إثارة الأحوال إلا أنه في الغالب يضعف ويتسارع إليه الاضطراب والتزلزل غالباً، ولذلك يحتاج صاحبه إلى متكلم يحرسه بكلامه، أو إلى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقنها من أستاذه أو

فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) أي لغالب بعضهم بعضاً، ففسد نظام العوالم بسببه ولم يبق على طريقة واحدة لكن الشمس والقمر تجريان بحسبان واحد، والجوار الخنس والبروج من الكواكب وسائر النجوم لم تختل أحوالها فيما خلقت له ولم تختل مراكزها ومسالكها، والسماء قائمة قياماً لا يختلف، والسحاب يجري بالماء لمنافع أهل الأرض في أوقات الحاجة إليه، والحبوب والثمار تخرج على وتيرة واحدة، والبشر كلهم وكل جنس من الحيوان على ما هو عليه من الصورة المخصوصة بكل جنس، فانتفاء لازم التعدد وهو الفساد معلوم قطعاً ويقيناً، فالملزوم وهو التعدد منتف قطعاً ويقيناً، فهذه الأدلة عقلية محضة على وحدانية الباري جل جلاله، **(فيكون ذلك على ذوق ما رآه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه، فهذا الطريق اللائق بقدر عقله)** ولا يجدي معه إلا ذلك فيصل عقله إلى إدراكه بطريق العبارة تكميلاً للحجة، **(وقد كلف الله الأنبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم)** وذلك فيما ورد «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم». رواه الديلمي من حديث ابن عباس، **(ولذلك نزل القرآن على لسان العرب وعلى حد عادتهم في المحاورة)**، وهذا يشير إلى أن الملازمة في الآية عادية والحجة إقناعية على ما هو الأليق بالخطابيات، وقد سبق لهذا البحث المام بالتفصيل في شرح الكتاب الثاني عند ذكر برهان التمانع.

(فإن قلت: فمثل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عماداً للتوكل وأصلاً فيه؟)

(فأقول: نعم فإن الاعتقاد إذا قوي) في القلب ورسخ **(عمل عمل الكشف في إثارة الأحوال)** من مكامنها **(إلا أنه في الغالب يضعف ويتسارع إليه الاضطراب والتزلزل غالباً)** وقل معتقد ثبت في اعتقاده، **(ولذلك يحتاج صاحبه إلى متكلم يحرسه بكلامه)** بأن يثبته بالأدلة القوية وينفي عنه ما يرد عليه من الشكوك، **(أو إلى أن يتعلم هو الكلام ليحرس**

من أبويه أو من أهل بلده. وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقيناً وإن كان يزداد وضوحاً، كما أن الذي يرى إنساناً في وقت الأسفار لا يزداد يقيناً عند طلوع الشمس بأنه إنسان ولكن يزداد وضوحاً في تفصيل خلقته وما مثال المكاشفين والمعتقدين إلا كسحرة فرعون مع أصحاب السامري؛ فإن سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى عليه السلام، ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الأمر فلم يكترثوا بقول فرعون ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُم وأرجُلَكُم من خلافٍ﴾ [الأعراف: ١٢٤]، بل ﴿قالوا لن نُؤثِرَكَ على ما جاءنا من البيّنات والذي فطرنا

به العقيدة التي تلقفها من أستاذه أو من أبويه أو من أهل بلده، وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك) أي من الاضطراب والنزول وهو الذي هداه الله بنور العقل المجرد عن الأمور العادية وشرح صدره، **(بل لو كشف الغطاء)** عن حقائق الأمور **(لما ازداد يقيناً)** فيها عما كان قد ظهر له، وهذا القول قد نسب إلى علي رضي الله عنه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً. وهذا المقام لا يخص به إلا الآحاد من هذه الأمة، **(ولكن يزداد وضوحاً)** وترقياً، وهذا **(كما أن الذي يرى إنساناً في وقت الأسفار)** قبل طلوع الشمس **(لا يزداد يقيناً عند طلوع الشمس بأنه إنسان، ولكن يزداد وضوحاً في تفصيل خلقته. وما مثال المكاشفين)** المشاهدين الذين انكشف لهم سر الطريق **(والمعتقدين إلا كسحرة فرعون)** الذين كان جمعهم لمقاومة موسى عليه السلام، وكان أكثرهم من صعيد مصر وكانوا زهاء سبعين ألفاً **(مع أصحاب السامري)** منسوب إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها السامرة، والسامري: هذا اسمه موسى بن ظفر كان علجاً منافقاً من كرمان، وقيل من باجرمي. قال المسعودي: السامرة فرقة من اليهود تخالفهم في أكثر الأحكام وينكرون نبوة داود عليه السلام وما بعد من الأنبياء وقالوا: لا نبي بعد موسى، وجعلوا رؤساءهم من ولد هارون بن عمران، ويقولون: لا مساس، ويزعمون أن نابلس هي بيت المقدس وهم صنفان: الكوشان والدوشان، **(فإن سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم و)** كثرة **(تجربتهم، فرأوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الأمر)** وتحققوا أنه ليس بسحر، وإنما هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته فألقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتاباً وتعظيماً لما رأوا، **(فلم يكترثوا بقول فرعون)** لأنهم لما ﴿قالوا آمنا برب هارون وموسى﴾ قال فرعون لا ﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ [طه: ٧٠، ٧١] **(﴿فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف)** ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ [طه: ٧١] **(بل ﴿قالوا لن نؤثرك)** أي لن نختارك **(على ما جاءنا)** موسى به **(من البينات)** المعجزات الواضحات **(والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض)** أي ما

فاقض ما أنت قاضٍ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ [طه: ٧٢] فإن البيان والكشف يمنع التغيير. وأما أصحاب السامري لما كان إيمانهم عن النظر إلى ظاهر الثعبان فلما نظروا إلى عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله: ﴿هذا إلهكم وإله موسى﴾ [طه: ٨٨] ونسوا أنه لا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً. فكل من آمن بالنظر إلى ثعبان يكفر لا محالة إذا نظر إلى عجل، لأن كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير. وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فلذلك لا تجد فيه اختلافاً وتضاداً أصلاً.

فإن قلت: ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الوسائط والأسباب مسخرات، وكل ذلك ظاهر إلا في حركات الإنسان فإنه يتحرك إن شاء ويسكن إن شاء، فكيف يكون مسخراً؟

أنت قاضيه أو صانعه أو حاكم به (**إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾**) أي إنما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه في هذه الحياة الدنيا، (**فان البيان والكشف يمنع التغيير**) كما هو شأن عالم الملكوت. (**وأما أصحاب السامري**) وكانوا زهاء خمسمائة ألف (**لما كان إيمانهم عن النظر إلى ظاهر الثعبان**) وهو العصا التي كانت في يمينه أمر بالقائها فإذا هي ثعبان مبين، فتلقفت ما ألقوا من الحبال والعصي وقد دهنوها بالزئبق، فلما أحست بحر الشمس تحركت، (**فلما نظروا إلى عجل السامري**) الذي كان اتخذ من حلي القوم وكانوا استعاروا أحمالاً منها من القبط لعيدهم، ثم لم يردوها مخافة أن يعلم بهم ، وقيل: هي ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم فأخذوه، وأوهم لهم السامري أن موسى إنما أخلف معكم ميعاده لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم، فالرأي أن تحفروا حفيرة وتسجروا فيها ناراً ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا فأخرج لهم عجلاً جسداً من تلك الحلي المذابة، (**وسمعوا خواره**) أي صوته وكان قد قبض قبضة من أثر حافر فرس جبريل عليه السلام فنبذها في جوفه فحمي وظهر له صوت (**تغيروا وسمعوا قوله ﴿هذا إلهكم وإله موسى﴾**) وهو من قول السامري قال ذلك أول ما رآه فسمعوه واتبعوه، (**ونسوا أنه**) أي العجل (**لا يرجع إليهم قولاً**) أي كلاماً ولا يرد عليهم جواباً، (**ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً**) أي لا يقدر على انفاعهم وإضراهم، (**وكل من آمن بالنظر إلى ثعبان يكفر لا محالة إذا نظر إلى عجل لأن كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير، وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى، فلذلك لا تجد فيه اختلافاً وتضاداً أصلاً.**

(**فإن قلت: ما ذكرته من التوحيد ظاهر مما ثبت أن الوسائط والأسباب مسخرات وكل ذلك ظاهر**) لا مرية فيه (**إلا في حركات الانسان، فإنه يتحرك إن شاء ويسكن إن شاء فكيف يكون مسخراً**) فإن من شأن المسخرات لا يكون له اختيار أصلاً؟

فاعلم أنه لو كان مع هذا يشاء ان أراد أن يشاء ، ولا يشاء ان لم يرد أن يشاء، لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط ، ولكن علم أنه يفعل ما يشاء إذا شاء أن يشأ أم لم يشأ فليست المشيئة إليه ، إذ لو كانت إليه لافتقرت إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية ، وإذا لم تكن المشيئة إليه فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انجزام المشيئة فالمشيئة تحدث ضرورة في القلب . فهذه ضرورات ترتب بعضها على بعض . وليس للعبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة إلى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة ، فهو مضطر في الجميع .

فإن قلت : فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار ، وأنت لا تنكر الإختيار فكيف يكون مجبوراً مختاراً ؟

فأقول لو انكشف الغطاء لعرفت أنه في عين الاختيار مجبور ، فهو إذاً مجبور على الاختيار ، فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار ، فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين

(فاعلم أنه لو كان مع هذا يشاء إن أراد أن يشاء ولا يشاء إن لم يرد أن يشاء لكان هذا مزلة القدم وموقع الغلط ، ولكن علمت أنه يفعل ما يشاء إذا شاء ويشاء شاء أم لم يشأ ، فليست المشيئة إليه ، إذ لو كانت إليه لافتقرت إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية) والتسلسل باطل ، (وإذا لم تكن المشيئة) إليه (فمهما وجدت المشيئة التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة تحدث ضرورة في القلب . فهذه ضروريات ترتب بعضها على بعض ، وليس للعبد أن يدفع وجود المشيئة ولا انصراف القدرة إلى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشيئة للقدرة ، فهو مضطر في الجميع) .

(**فإن قلت: فهذا جبر محض**) وهو إسناد فعل العبد إلى الله تعالى من غير أن تثبت للعبد قدرة لا مؤثرة ولا كاسبة ، وهو مذهب جهم بن صفوان وأتباعه ، (**والجبر يناقض الاختيار**) وهو طلب ما فيه خير ، (**وأنت لا تنكر الاختيار ، فكيف يكون مجبراً مختاراً**) ؟

(**فأقول: لو انكشف الغطاء لعرفت أنه في عين الاختيار مجبر**) لأنه تعالى أجبر الناس على أمور لا انفكاك لهم منها حسبما تقتضيه الحكمة الالهية لا على ما يتوهمه الغواة كاكراههم على المرض والموت والبعث ، وسخر كلاً منهم لحرفة يتعاطاها وطريقة من الأعمال والأخلاق يتحراها ، فإما راض بصنعته لا يبغي عنها حولاً ، وإما كاره يكابدها مع كراهته كأنه لا يجد عنها بدلاً ، (**فهو إذاً مجبر على اختيار**) أي في صورة مخير ، (**فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار ،**

شرحاً وجيزاً يليق بما ذكر متطفلاً وتابعاً فإن هذا الكتاب لم نقصد به إلا علم المعاملة، ولكني أقول لفظ الفعل في الإنسان يطلق على ثلاثة أوجه، إذ يقال: الإنسان يكتب بالأصابع ويتنفس بالرئة والحنجرة ويخرق الماء إذا وقف عليه بجسمه فينسب إليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة، وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور فاعرب لك عنها بثلاث عبارات؛ فنسمي خرقه للماء عند وقوعه على وجهه فعلاً طبيعياً، ونسمي تنفسه فعلاً إرادياً، ونسمي كتابته فعلاً اختيارياً، والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لأنه مهما وقف على وجه الماء أو تخطي من السطح للهواء انخرق الهواء لا محالة فيكون الخرق بعد التخطي ضرورياً، والتنفس في معناه فإن نسبة حركة الحنجرة إلى إرادة التنفس كنسبة انخراق الماء إلى ثقل البدن، فمهما كان الثقل موجوداً وجد الانخراق بعده، وليس الثقل إليه، وكذلك الإرادة ليست إليه، ولذلك لو قصد عين الإنسان بإبرة طبق الأجفان، اضطراراً ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تغميض الأجفان اضطراراً فعل إرادي، ولكنه إذا تمثل صورة الابرة في مشاهدته

فلنشرح الاختيار بلسان المتكلمين شرحاً وجيزاً يليق بما ذكر متطفلاً وتابعاً، فإن هذا الكتاب لم نقصد به إلا) بيان **(علم المعاملة)**، ومباحث علم الكلام إنما تذكر فيه على سبيل التبعية، **(ولكني أقول لفظ الفعل في الانسان)** الذي هو التأثير من جهة مؤثر أعم من أن يكون بايجاده أو تغيره، وبعلم أو بغيره، وبقصد أو بغيره **(يطلق على ثلاثة أوجه، إذ يقال الانسان يكتب بالأصبع، ويتنفس بالرئة والحنجرة، ويخرق الماء إذا وقف عليه بجسمه فينسب إليه الخرق في الماء والتنفس والكتابة وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطرار والجبر واحد)** فإنه مضطر مجبر في كل منها، **(ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور، فأعرب لك عنه بثلاث عبارات، فيسمى خرقه للماء عند وقوعه على وجهه)** أي وجه الماء **(فعلاً طبيعياً)** نسب إلى طبيعة الإنسان وهو المزاج المركب من الأخلاط، **(ويسمى تنفسه في الماء فعلاً إرادياً)** منسوب إلى الإرادة وهي قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل، **(ويسمي كتابته فعلاً اختيارياً والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لأنه مهما وقف على وجه الماء أو تخطى من السطح للهواء انخرق)** كل من الماء والهواء **(لا محالة، فيكون الخرق بعد التخطي)** والوقوع **(ضرورياً، والتنفس)** من الرئة وإن لم يكن مثله فهو **(في معناه، فإن نسبة حركة الحنجرة إلى إرادة التنفس كنسبة انخراق الماء إلى ثقل البدن، فمهما كان الثقل موجوداً وجد الانخراق بعده وليس الثقل إليه، فكذلك الإرادة ليست إليه، وكذلك لو قصد عين الانسان بابرة طبق الأجفان)** عليها **(اضطراراً، ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تغميض الأجفان اضطراراً فعل إرادي، ولكنه إذا تمثل صورة الإبرة في مشاهدته بالإدراك حدثت الإرادة**

بالادراك حدثت الإرادة بالتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها، ولو أراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع انه فعل بالقدرة والإرادة، فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضرورياً. وأما الثالث ـ وهو الاختياري ـ فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق، وهو الذي يقال فيه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، وتارة يشاء وتارة لا يشاء، فيظن من هذا أن الأمر إليه، وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه وبيانه: أن الإرادة تبع للعلم الذي يحكم بأن الشيء موافق لك، والأشياء تنقسم إلى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بأنه يوافقك من غير تحير وتردد، وإلى ما قد يتردد العقل فيه؛ فالذي تقطع به من غير تردد أن يقصد عينك مثلاً بإبرة أو بدنك بسيف، فلا يكون في علمك تردد في أن دفع ذلك خير لك وموافق فلا جرم تنبعث الإرادة بالعلم. والقدرة بالإرادة، وتحصل حركة الأجفان بالدفع، وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة، ويكون ذلك بالإرادة، ومن الأشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري انه موافق أم لا فيحتاج إلى روية وفكر حتى يتميز أن الخير في الفعل أو الترك، فإذا حصل بالفكر والروية العلم بأن أحدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر، فانبعثت الإرادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان؛ فإذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل انه خير

بالتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها، ولو أرادت أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع أنه فعل بالقدرة والإرادة فقد التحق هذا بالفعل الطبيعي في كونه ضرورياً) فصار حكمه في ظهور الجبر فيه، (**وأما الثالث وهو الاختيار فهو مظنة الالتباس كالكتابة والنطق وهو الذي يقال فيه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وتارة يشاء وتارة لا يشاء، فيظن من هذا)** في بادى الرأي (**أن الأمر إليه وهذا للجهل بمعنى الاختيار فلنكشف عنه**) بإيضاح، (**وبيانه أن الإرادة تبع للعلم الذي يحكم بأن الشيء موافق لك والأشياء تنقسم إلى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بأنه يوافقك من غير تحير وتردد، وإلى ما قد يتردد العقل فيه، فالذي تقطع به من غير تردد**) ولا تحير (**أن يقصد عينك مثلاً بابرة أو بدنك بسيف فلا يكون في علمك تردد في أن دفع ذلك خير لك وموافق**) لك، (**فلا جرم تنبعث الإرادة بالعلم، و**) تنبعث (**القدرة بالإرادة، وتحصل حركة الأجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف، ولكن من غير روية وفكرة، ويكون ذلك بالإرادة. ومن الأشياء ما يتوقف التمييز والعقل فيه فلا يدري أنه موافق أم لا، فيحتاج إلى روية وفكر حتى يتميز أن الخير في الفعل أو الترك، فإذا حصل بالفكر والروية العلم بأن أحدهما خير التحق ذلك بالذي يقطع به من غير روية وفكر، فانبعثت الإرادة ههنا كما تنبعث لدفع السيف والسنان، فإذا انبعثت لفعل ما ظهر للعقل أنه خير** سميت هذه الإرادة اختياراً مشتقاً من

سميت هذه الإرادة اختياراً مشتقاً من الخير ، أي هو انبعاث إلى ما ظهر للعقل انه خير وهو عين تلك الإرادة ، ولم ينتظر افي انبعاثها إلى ما انتظرت تلك الإرادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه ، إلا أن الخيرية في دفع السيف ظهرت من غيرْ روية بل على البديهة وهذا افتقر إلى الروية ، فالاختيار عبارة عن ارادة خاصة وهي التي انبعث بإشارة العقل فيما له في إدراكه توقف ، وعن هذا قيل ان العقل يحتاج إليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ولا يتصور أن تنبعث الإرادة إلا بحكم الحس والتخييل أو بحكم جزم من العقل ، ولذلك لو أراد الإنسان ان يحز رقبة نفسه مثلاً لم يمكنه لا لعدم القدرة في اليد ولا لعدم السكين ولكن لفقد الإرادة الداعية المشخصة للقدرة وإنما فقدت الإرادة لأنها تنبعث بحكم العقل أو الحس بكون الفعل موافقاً ، وقتله نفسه ليس موافقاً له فلا يمكنه مع قوة الأعضاء أن يقتل نفسه إلا إذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق ؛ فإن العقل هنا يتوقف في الحكم ويتردد ؛ لأنه تردد بين شر الشرين ، فإن ترجح له بعد الروية أن ترك القتل أقل شراً لم يمكنه قتل نفسه وإن حكم بأن القتل أقل شراً وكان حكمه جزماً لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الإرادة والقدرة وأهلك نفسه ، كالذي يتبع بالسيف

الخير) افتعال منه (**أي هو انبعاث إلى ما ظهر للعقل أنه خير**) يشير إلى أنه لازم ، ومن قال أنه متعد فإن معناه طلب الخير (**وهو عين تلك الإرادة ولم ينتظر في انبعاثها إلى ما انتظرت تلك الإرادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه، إلا أن الخيرية في دفع السيف**) عنه (**ظهرت من غير روية**) وفكر ، (**بل على البديهة وهذا افتقر إلى الروية**) والفكر ، (**فالاختيار عبارة عن إرادة خاصة وهي التي انبعثت باشارة العقل فيما له في إدراكه توقف، وعن هذا قيل: إن العقل محتاج إليه للتمييز بين خير الخيرين وشر الشرين، ولا يتصور أن تنبعث الإرادة إلا بحكم الحس والتخيل، أو بحكم جزم من العقل، ولذلك لو أراد الإنسان أن يحز رقبة نفسه مثلاً لم يمكنه**)

ذلك وهذا (**لا لعدم القدرة في يده ولا لعدم السكين**) أو السيف (**ولكن لفقد الإرادة الداعية المشخصة للقدرة، وإنما فقدت الإرادة لأنها تنبعث بحكم العقل أو الحس بكون الفعل موافقاً**) له ، (**وقتله نفسه ليس موافقاً**) له (**فلا يمكنه مع قوة الأعضاء أن يقتل نفسه إلا إذا كان في عقوبة مؤلمة لا تطاق**) لشدتها ، (**فإن العقل ههنا يتوقف في الحكم ويتردد لأنه متردد بين شر الشرين، فإن ترجح له بعد الروية**) والفكر (**أن ترك القتل أقل شراً لم يمكنه قتل نفسه وإن حكم بأن القتل أقل شراً وكان حكمه جزماً لا ميل فيه ولا صارف منه انبعثت الإرادة والقدرة وأهلك نفسه، كالذي يتبع بالسيف**) وقد شهره

للقتل فإنه يرمي بنفسه من السطح مثلاً وإن كان مهلكاً ولا يبالي ولا يمكنه أن لا يرمي نفسه، فإن كان يتبع بضرب خفيف فإن انتهى إلى طرف السطح حكم العقل بأن الضرب أهون من الرمي فوقفت أعضاؤه فلا يمكنه أن يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية البتة، لأن داعية الإرادة مسخرة بحكم العقل والحس، والقدرة مسخرة للداعية، والحركة مسخرة للقدرة، والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري، فإنما هو محل ومجرى لهذه الأمور، فإما أن يكون منه فكلا ولما، فإذا معنى كونه مجبوراً أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه، ومعنى كونه مختاراً انه محل لإرادة حدثت فيه جبراً بعد حكم العقل بكون الفعل خيراً محضاً موافقاً وحدث الحكم أيضاً جبراً فإذا هو مجبور على الاختيار، ففعل النار في الاحراق مثلاً جبر محض، وفعل الله تعالى اختيار محض، وفعل الإنسان على منزلة بين المنزلتين فإنه جبر على الاختيار، فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة، لأنه لما كان فناً ثالثاً وائتموا فيه بكتاب الله تعالى فسموه كسباً وليس مناقضاً للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه، وفعل الله تعالى يسمى اختياراً

(**للقتل فإنه يرمي نفسه من**) أعلى (**السطح مثلاً، وإن كان مهلكاً ولا يبالي**) من ذلك (**ولا يمكنه أن لا يرمي نفسه فإن كان يتبع بضرب خفيف**) غير مهلك كعصا أو حجر أو نحوها، (فإن انتهى إلى طرف السطح حكم العقل بأن الضرب أهون من الرمي فوقفت **أعضاؤه فلا يمكنه أن يرمي نفسه ولا تنبعث له داعية ألبته لأن داعية الإرادة مسخرة لحكم العقل، والحس والقدرة مسخرة للداعية، والحركة مسخرة للقدرة، والكل يصدر منه بالضرورة فيه من حيث لا يدري، فإنما هو محل ومجرى لهذه الأمور، وأما أن يكون منه فكلا ولا، فإذاً معنى كونه مجبراً أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لا منه، ومعنى كونه مختاراً أنه محل الإرادة حدثت فيه جبراً بعد حكم العقل بكون الفعل خيراً موافقاً وحدث الحكم أيضاً جبراً، فإذاً هو مجبر على الاختيار ففعل النار في الإحراق مثلاً جبر محض، وفعل الله تعالى اختيار محض، وفعل الانسان منزلة بين المنزلتين فإنه جبر على الاختيار، فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لما كان فناً ثالثاً**) أي نوعاً آخر، (**وائتموا**) أي اقتدوا (**فيه بكتاب الله تعالى فسموه كسباً**) يشير إلى قوله تعالى ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [البقرة: ٢٨٦] والمراد بأهل الحق هنا الأشاعرة فإنهم الذين سموا ذلك كسباً، لذلك ضربوا به المثل فقالوا: أدق من كسب الأشعري.

وأما الماتريدية؛ فإنهم استمروا على إطلاقهم بلفظ الاختيار وقد تقدمت الإشارة إلى هذا في شرح قواعد العقائد، (**وليس مناقضاً للجبر ولا للاختيار، بل هو جامع بينهما عند من فهمه**) وحاصل ما ذكره في الكسب بعد نقل أقوال تقدم ذكرها في محلها أن للقدرة بالنسبة إلى

بشرط أن لا يفهم من الاختيار إرادة بعد تحير وتردد ، فإن ذلك في حقه محال وجميع الألفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى إلا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه .

فإن قلت ؛ فهل تقول ان العلم ولد الإرادة ، والإرادة ولدت القدرة ، والقدرة ولدت

المقدور تعلقين، فمعنى الكسب أن يخلق الله تعالى في العبد قدرة متعلقة بالفعل تعلقاً لا يترتب عليه وجود المقدور ، ومن ههنا قيل: لم يثبت من معنى الكسب غير مقارنة بالقدرة للفعل، والذي يلوح بالتأمل الصادق أن الانسان إذا فعل فعلاً اختيارياً فلا محالة يتصوره أولاً بوجه ملائم، وهذا التصور ليس من قبل نفسه عند غير المعبر له على أنه قد يقع ذلك في نفسه من غير توهم اختيار منه ، ثم ينبعث من ذلك التصور شوق إليه فتشتاق نفسه إلى حصوله، وهذا الشوق أيضاً من قبل الفياض لكنه يتفاوت قوة وضعفاً حسب تفاوت التفات النفس إلى ذلك المتصور واستحسانه، فربما يعرض عنه ويتصوره بوجه غير ملائم على وجه ما ، فيضعف شوقه إليه وتقل رغبته فيه وربما يعجبه ذلك الأمر زيادة إعجاب فيديم ملاحظته إياه ذلك الوجه ويكب عليها فيكمل شوقه إليه على حسب ذلك ، فينبعث منه طلب إلى فعله وقصد إلى تحصيله ليترتب منه الفعل عليه، إما بخلقه تعالى على مجرى عادته أو بتأثير قدرة العبد ، ثم إن تمكن الانسان من الفعل والترك إنما يتوهم من أمرين من هذه الأمور .

الأول: الاعراض عن تصور المطلوب على الوجه الملائم والالتفات إلى وجه آخر له وترك ذلك ، وينبغي لمن يقول بكون الانسان قادراً أن يقول بذلك ، إذ ليس فيه ما ينافي استبداد الخالق بخلق الموجودات، لكن الاظهر أن ذلك أيضاً تابع للهيئات المزاجية والعوارض النفسانية الجبلية المكتسبة الخلقية أو غير الخلقية، كما هو مذهب الحكماء وإمام الحرمين وإن كان له أن يغير تلك الهيئات ويبدلها بتوفيق الله تعالى بأن يتأمل في أفعاله وما هو داع إليها من أحواله.

والثاني: الطلب المنبعث عن الشوق المسمى بالقصد والإرادة، فينبغي أن لا يسند ذلك إلى الانسان ولا يجعل متمكناً من تركه مثل الحياء والكسل ترتب سائر العاديات على أسبابها والله أعلم.

(وفعل الله تعالى يسمى اختياراً بشرط أن لا يفهم من الاختيار إرادة بعد تحير وتردد ، فإن ذلك في حقه محال) لأنه أحدى الذات واحدى الصفات وأمره واحد وعلمه بنفسه وبالاشياء واحد ، فلا يصح لديه تردد ولا إمكان حكمين مختلفين، بل لا يمكن غير ما هو المعلوم المراد في نفسه فالاختيار الإلهي إنما هو بين الجبر والاختيار المفهومين للناس، **(وجميع الألفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى إلا على نوع من الاستعارة والتجوّز)** إذا كانت حقائقها توهم ما لا يليق بذاته تعالى، **(وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم ويطول القول فيه)** .

(فإن قلت: فهل تقول إن العلم ولد الارادة ، والارادة ولدت القدرة ، والقدرة ولدت

الحركة، وإن كل متأخر حدث من المتقدم، فإن قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله تعالى، وإن أبيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض؟

فاعلم أن القول بأن بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض، سواء عبر عنه بالتولد أو بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الأزلية، وهو الأصل الذي لم يقف كافة الخلق عليه إلا الراسخون في العلم فإنهم وقفوا على كنه معناه، والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق، وبيان ذلك يطول، ولكن بعض المقدورات مترتب على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط فلا تصدر من القدرة الأزلية إرادة إلا بعد علم ولا علم إلا بعد حياة ولا حياة إلا بعد محل الحياة، وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في

الحركة، وأن كل متأخر حدث من متقدم، فإن قلت ذلك) واتخذته مذهباً **(فقد حكمت بحدوث شيء لا من قدرة الله تعالى)** وذلك باطل، **(وإن أبيت ذلك فما معنى ترتب البعض من هذا على البعض)**.

(فاعلم أن القول بأن بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد أو غيره) والقول بالتولد باطل لا يصدر منا فعل من أفعالنا إلا وهو موجود بقدرته على ما قدرته مشيئته، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿تؤتي اكلها كل حين بإذن ربها﴾ [إبراهيم: ٢٥] والقول بالتولد هو قول ثمامة المعتزلي، فإنه زعم أن الأفعال المتولدة لا يقدر عليها أحد، إذ لا فاعل لها عنده. والجواب أنه لو جاز ثبوت فعل لا فاعل له ولا قادر قدر على إحداثه لم ينكر أن يكون ذلك حكم سائر الأفعال، فلا يكون في الفعل دليل على إثبات فاعل ولا صانع قادر، كما أنه لو جاز حدوث جسم لا من محدث لم ينكر حدوث جميع الأجسام لا من محدث أحدثها ولم يكن حينئذ في حدوث الأجسام دلالة على محدثها، **(بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يعبر عنه بالقدرة الأزلية)** وهي الصفة التي لأجلها يكون القادر قادراً، **(وهو الأصل الذي لم تقف كافة الخلق عليه إلا الراسخون في العلم فإنهم وقفوا على كنه معناه، والكافة)** ممن غيرهم **(وقفوا على مجرد لفظه من نوع تشبيه بقدرتنا)** على قياس الغائب على الشاهد **(وهو بعيد عن الحق، وبيان ذلك يطول)** وقد سبقت مباحث القدرة في شرح الكتاب الثاني من هذه الكتب، **(ولكن بعض المقدورات مترتبة على البعض في الحدوث ترتب المشروط على الشرط، فلا تصدر من القدرة إرادة إلا بعد علم، ولا علم إلا بعد حياة، ولا حياة إلا بعد محل الحياة)** فوجود الحياة شرط في وجود القدرة والعلم والارادة، وحدث القدرة والارادة فيما ليس بحي محال، وكل نوع من الإدراك مختص بالحي وما لا حياة فيه لا يصح أن يكون مدركاً، **(وكما لا يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة، فكذلك في سائر**

سائر درجات الترتيب، ولكن بعض الشروط ربما ظهرت للعامة وبعضها لم يظهر إلا للخواص المكاشفين بنور الحق وإلا فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر إلا بالحق واللزوم، وكذلك جميع أفعال الله تعالى، ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثاً يضاهي فعل المجانين ـ تعالى الله عن قول الجاهلين علواً كبيراً وإلى هذا أشار قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجنَّ والانسَ إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] وقوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ★ ما خلقناهما إلا بالحق﴾ [الدخان: ٣٨ ـ ٣٩] فكل ما بين السماء والأرض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون إلا كما حدث، وعلى هذا الترتيب الذي وجد فما تأخر متأخر إلا لانتظار شرطه، والمشروط قبل الشرط محال، والمحال لا يوصف بكونه مقدوراً، فلا يتأخر العلم عن النطفة إلا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر عنها الإرادة بعد العلم إلا لفقد شرط العلم، وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق، بل كل ذلك بحكمة وتدبير، وتفهيم ذلك عسير، ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالاً يقرب مبادىء الحق من الأفهام الضعيفة، وذلك بأن تقدر إنساناً محدثاً قد انغمس في الماء إلى رقبته فالحدث لا يرتفع عن أعضائه وإن كان الماء هو الرافع

درجات الترتيب، ولكن بعض الشروط مما ظهرت للعامة وبعضها لم تظهر إلا للخواص المكاشفين بنور الحق، وإلاَّ فلا يتقدم متقدم ولا يتأخر متأخر إلا بالحق واللزوم) فهمه من فهمه وجهله من جهله، (**وكذلك جميع أفعال الله تعالى، ولولا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثاً**) لا فائدة فيه (**يضاهي فعل المجانين**، تعالى الله عن قول الجاهلين علواً كبيراً، وإلى **هذا أشار قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ★ ما خلقناهما إلا بالحق﴾ فكل ما بين السماء والأرض حادث**) بقدرة القادر (**على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون إلا كما حدث، وعلى هذا الترتيب الذي وجد**) وهذا أحد الوجوه في تصحيح قول المصنف الآتي ليس في الإمكان أبدع مما كان، (**فما تأخر متأخر إلا لانتظار شرطه، والمشروط قبل الشرط محال، والمحال لا يوصف بكونه مقدراً**) فإن كل ما استحال وجوده لم يوصف أحد بالقدرة عليه، وكل ما صح حدوثه وتوهم كونه ولم يستحل في العقل وجوده فالله قادر على إيجاده واحداثه، (**فلا يتأخر العلم عن النطفة إلا لفقد شرط الحياة ولا تتأخر عنها الإرادة بعد العلم إلا لفقد شرط العلم، وكل ذلك منهاج الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق، بل كل ذلك بحكمة**) بالغة (**وتدبير**) خفي (**وتفهيم ذلك عسير، ولكنا نضرب لتوقف المقدور مع وجود القدرة على وجود الشرط مثالاً يقرب مبادىء الحق من الأفهام الضعيفة**) القاصرة عن المدارك الخفية، (**وذلك بان تقدر إنساناً محدثاً قد انغمس في ماء إلى رقبته فالحدث لا يرتفع عن أعضائه وإن كان الماء هو الرافع**

للحدث وهو ملاق له، فقدر القدرة الأزلية حاضرة ملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للأعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظاراً للشرط وهو غسل الوجه، فإذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر أعضائه وارتفع الحدث، فربما يظن الجاهل أن الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه، لأنه حدث عقيبه، إذ يقول: كان الماء ملاقياً ولم يكن رافعاً والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل، بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند غسل الوجه، فإذا غسل الوجه هو الرافع للحدث عن اليدين وهو جهل يضاهي ظن من يظن أن الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالإرادة والإرادة بالعلم، وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي لها لا بغسل الوجه، والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شيء، ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر العلة، فهكذا ينبغي أن تفهم صدور المقدورات عن القدرة الأزلية مع أن القدرة قديمة والمقدورات حادثة، وهذا قرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات، فلنترك جميع ذلك فإن مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل، فإن الفاعل بالحقيقة واحد فهو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد، ولم نقدر على أن نذكر من بحار التوحيد إلا

للحدث وهو ملاق له، فقدر القدرة الأزلية حاضرة وملاقية للمقدورات متعلقة بها ملاقاة الماء للأعضاء ولكن لا يحصل بها المقدور كما لا يحصل رفع الحدث بالماء انتظاراً للشرط وهو غسل الوجه، فإذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل الماء في سائر الأعضاء وارتفع **الحدث، فربما يظن الجاهل أن الحدث ارتفع عن اليدين برفعه عن الوجه، لأن حدث عقيبه، إذ يقول كان الماء ملاقياً ولم يكن رافعاً والماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه** ما لم يحصل من قبل، بل حصل ارتفاع الحدث عن اليدين عند غسل الوجه، فإذاً غسل الوجه **هو الرافع للحدث عن اليد وهو جهل يضاهي ظن من يظن أن الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالارادة والارادة بالعلم، وكل ذلك خطأ به عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحدث عن اليد بالماء الملاقي له لا بغسل الوجه، والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيها شيء، ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر العلة، فهكذا ينبغي أن تفهم صدور المقدورات عن القدرة الأزلية مع أن القدرة قديمة والمقدورات حادثة، وهذا قرع باب لعالم آخر من عوالم المكاشفات، فلنترك جميع ذلك فإن مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل)** وهو الذي يبنى عليه التوكل. **(فالفاعل في الحقيقة واحد فهو)** القائم بنفسه وهو **(المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد)** وإليه التفويض والاسناد، **(ولم نقدر أن نذكر من بحار التوحيد إلا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد، واستيفاء ذلك في**

قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد، واستيفاء ذلك في عمر نوح محال كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه، وكل ذلك ينطوي تحت قول لا إله إلا الله، وما أخف مؤنته على اللسان! وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب! وما أعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم؟

فإن قلت: فكيف الجمع بين التوحيد والشرع، ومعنى التوحيد. أن لا فاعل إلا الله تعالى، ومعنى الشرع إثبات الأفعال للعباد فإن كان العبد فاعلاً فكيف يكون الله تعالى فاعلاً؟ وإن كان الله تعالى فاعلاً فكيف يكون العبد فاعلاً؟ ومفعول بين فاعلين غير مفهوم؟

فأقول: نعم ذلك غير مفهوم إذا كان للفاعل معنى واحد، وإن كان له معنيان ويكون الإسم مجملاً مردداً بينهما لم يتناقض، كما يقال: قتل الأمير فلاناً، ويقال: قتله الجلاد، ولكن الأمير قاتل بمعنى، والجلاد قاتل بمعنى آخر؛ فكذلك العبد فاعل بمعنى، والله عز وجل فاعل بمعنى آخر، فمعنى كون الله تعالى فاعلاً أنه المخترع الموجد. ومعنى كون العبد فاعلاً أنه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد أن خلق فيه الإرادة بعد أن خلق

عمر نوح) عليه السلام والمراد به العمر الطويل **(محال كاستيفاء ماء البحر بأخذ القطرات منه، وكل ذلك منوط تحت قولك لا إله إلا الله)** لاشتماله على سائر مقامات التوحيد، **(وما أخف مؤنته على اللسان)** إذ هو أربعة عشر حرفاً، **(وما أسهل اعتقاد مفهوم لفظه على القلب)** سواء كان المنفي معبوداً أو مقصوداً أو موجوداً، **(وما أعز حقيقته ولبه عند العلماء الراسخين، فكيف عند غيرهم)** ممن لا رسوخ له في علوم الحقيقة.

(فإن قلت: فكيف الجمع بين التوحيد والشرع، ومعنى التوحيد أن لا فاعل) حقيقة **(إلا الله)** ومعنوية نفي الافعال مطلقاً لغير الله تعالى لأن حقيقة الفاعل هو الذي لا يستعين بغيره من آلة ولا سبب، **(ومعنى الشرع اثبات الأفعال للعباد، فإن كان العبد فاعلاً فكيف يكون الله فاعلاً، وإن كان الله تعالى فاعلاً فكيف يكون العبد فاعلاً ومفعول بين فاعلين غير مفهوم)** عند أهل المعرفة إذ ظهور الفعل من فاعلين شرك؟

(فاقول: نعم ذلك غير مفهوم إذا كان للفاعل معنى واحد، وإن كان له معنيان ويكون الإسم مجملاً مردداً بينهما لم يتناقض، كما يقال: قتل الأمير فلاناً، ويقال: قتله **الجلاد، ولكن الأمير قاتل بمعنى)** هو أمره بذلك، **(والجلاد قاتل بمعنى آخر)** هو مباشرته له، **(فكذلك العبد فاعل بمعنى والله تعالى فاعل بمعنى آخر، فمعنى كون الله تعالى فاعلاً أنه المخترع الموجد)** لتلك الأفعال، **(ومعنى كون العبد فاعلاً أنه المحل الذي خلق فيه**

فيه العلم، فارتبطت القدرة بالإرادة، والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط، وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع، وكل ما له ارتباط بقدرة فإن محل القدرة يسمى فاعلاً له كيفما كان الارتباط، كما يسمى الجلاد قاتلاً والأمير قاتلاً؛ لأن القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين، فلذلك سمي فعلاً لهما، فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين، ولأجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الأفعال في القرآن مرة إلى الملائكة ومرة إلى العباد، ونسبها بعينها مرة أخرى إلى نفسه، فقال تعالى في الموت: ﴿قُلْ يتوفاكُم مَلَكُ الموتِ﴾ [السجدة: ١١] ثم قال عز وجل: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ [الزمر: ٤٢] وقال تعالى: ﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾ [الواقعة: ٦٣] أضاف إلينا، ثم قال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنا الماء صباً ★ ثم شَقَقْنا الأرض شقاً ★

القدرة بعد أن خلق فيه الإرادة بعد أن خلق فيه العلم)، فالفاعل الثاني هو المظهر الذي فعل بيده وأجرى الفعل بواسطته هو ثانٍ ومحدث مفعول والأوّل القديم هو الفاعل الأصل، **(فارتبطت القدرة بالإرادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط، وارتبط بقدرة الله تعالى ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع، وكل ماله ارتباط بقدرة فإن محل القدرة يسمى فاعلاً له كيفما كان الارتباط، كما يسمى الجلاد قاتلاً والأمير قاتلاً لأن القتل ارتباطلابقدرتهما، ولكن على وجهين مختلفين، فلذلك سمي فعلاً لهما، فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين ولأجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الأفعال في القرآن مرة إلى الملائكة ومرة إلى العباد)** لأنهم وسائط ومحال قدرته ومظاهر حكمته، **(ونسبها)** أي تلك الأفعال بعينها **(مرة أخرى إلى نفسه)** لأنها من اختراعه وخلقه وآياته عن قدرته وحكمته وهو الحكيم القادر لأنه تعالى ذو قدرة وحكمة، فأظهر أشياء عن وصف القدرة وأجرى أشياء على معاني الحكمة، فلا يسقط المتوكل ما أثبت من حكمته لأجل ما شهد هو من قدرته من قبل أن الله تعالى حكيم، فالحكمة صفته. ولا يثبت المتوكل الأشياء حاكمة جاعلة نافعة ضارة فيشرك في توحيده من قبل أن الله سبحانه قادر والقدرة صفته، وأنه حاكم جاعل نافع ضار لا شريك له في أسمائه ولا ظهير له في أحكامه، كما قال: ﴿إن الحكم إلا لله﴾ [يوسف: ٤٠] ﴿ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ [الكهف: ٢٦] ولقوله تعالى: ﴿وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير﴾ [سبأ: ٢٢] وكما هو الفاعل لكل شيء وحده لأنه الأوّل، كذلك هو القائم بهم المتمم له بعد ظهوره وحده لأنه هو الآخر، **(فقال تعالى في الموت ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾)** الذي وكل بكم﴾ فاضاف التوفي إليه باعتبار انه مظهر لذلك وهذا هو التفصيل، **(ثم قال عز وجل)** في التوحيد: **(﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾)** ففي الأوّل أظهر الأواسط أسباباً وأثبت نفسه فيها وفي الثاني رفعها وأظهر نفسه، **(وقال)** تعالى: **﴿أفرأيتم ما تحرثون﴾** فذكر الأواسط لأن الحرث عمل ونحن عبيد عمال ولانه صنعتنا وحكمها عائد علينا، ولذلك **(أضاف إلينا، ثم قال تعالى: ﴿أنا صببنا الماء صباً ★ ثم شققنا الأرض شقاً﴾)** الآيات فاضاف تلك

فانْبَتنا فيها حباً ★ وعنباً﴾ [عبس: ٢٥ ـ ٢٨] وقال عز وجل: ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً﴾ [مريم: ١٧] ثم قال تعالى: ﴿فنفَخْنا فيها من روحنا﴾ [الأنبياء: ٩١] وكان النافخ جبريل عليه السلام، وكما قال تعالى: ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ [القيامة: ١٨] قيل في التفسير: معناه إذا قرأه عليك جبريل. وقال تعالى: ﴿قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم﴾ [التوبة: ١٤] فأضاف القتل إليهم والتعذيب إلى نفسه، والتعذيب هو عين القتل، بل صرح وقال تعالى: ﴿فَلَمْ تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ [الأنفال: ١٧] وقال تعالى: ﴿وما رميت إذ رميتَ ولكن الله رَمى﴾ [الأنفال: ١٧] وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهراً، ولكن معناه ﴿وما رميت﴾ بالمعنى الذي يكون الرب به رامياً ﴿إذ رميت﴾ بالمعنى الذي يكون العبد به رامياً إذ هما معنيان مختلفان. وقال الله تعالى: ﴿الذي علم بالقلم ★ علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ [العلق: ٤، ٥] ثم قال: ﴿الرحمن ★ علّم القرآن﴾ [الرحمن: ١، ٢] وقال: ﴿علمه البيان﴾ [الرحمن: ٤]، وقال: ﴿إنّ علينا بيانه﴾ [القيامة: ١٩] وقال: ﴿أفرأيتم ما

الافعال إلى نفسه لأنها آياته عن قدرته وحكمته وهو الحكيم القادر. (**وقال عز وجل**) في التفصيل: (﴿**فارسلنا إليها**) أي إلى مريم (**روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً**﴾) أي صورة رجل أجمل ما يكون » (**ثم قال**) تعالى في التوحيد: (﴿**فنفخنا فيها من روحنا**﴾ **وكان النافخ جبريل عليه السلام**) فأضاف النفخ إليه هنا، (**و**) كذلك (**قال الله تعالى**) في التفصيل والأمر ﴿اقتلوا المشركين﴾ وفي مثله من ذكر الواسطة لأجل الأمر: (﴿**قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم**﴾ **فاضاف القتل إليهم والتعذيب إلى نفسه، والتعذيب هو عين القتل**) ففي آية واحدة تفصيل وتوحيد، ولكن بطريق التلويح في التوحيد، (**بل صرح**) في التوحيد (**وقال** ﴿**فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم**﴾ **و**)كذلك (**قال**) تعالى في نفي الأولية والآخرية من فعل الخلق للتوحيد: (﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله** رمى﴾ **هو جمع بين النفي والاثبات ظاهراً**) فالنفي قوله (**وما رميت**) واثبات المكان للتفصيل قوله (**اذ رميت**) (**ولكن معناه**) باطناً (**إذ رميت بالمعنى الذي يكون به العبد رامياً فما رميت بالمعنى الذي يكون به الرب رامياً إذ هما معنيان مختلفان. وقال الله تعالى: ﴿الذي علم بالقلم ★ علم الانسان ما لم يعلم﴾ ثم قال ﴿الرحمن**★ علم القرآن﴾) ومثله في اثبات الأسباب ورفع حقيقتها قوله تعالى: ﴿يا آدم أنبئهم باسمائهم﴾ فاثبت رسمه مكانا للعلم، ثم رفع حكمه اظهاراً للعالم فقال: ﴿فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ [البقرة: ٢٣] (**وقال**) تعالى: ﴿**علمه البيان**﴾ وهو شرح المجمل والمبهم من الكلام، (**وقال**) تعالى: (﴿**إن علينا بيانه**﴾) أي كشف مشكله ومبهمه، (**وقال**) تعالى

تمنون ★ أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ [الواقعة : ٥٨ ، ٥٩] ثم قال رسول الله ﷺ في وصف ملك الأرحام : « إنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسداً ، فيقول : يا رب أذكر أم أنثى ، أسوي أم معوج ؟ فيقول الله تعالى ما شاء ويخلق الملك » وفي لفظ آخر : « ويصور الملك ثم ينفخ فيه الروح بالسعادة أو بالشقاوة » ، وقد قال بعض السلف : إن الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الأرواح في الأجساد ، وأنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحاً يلج في جسم ، ولذلك سمي روحاً ، وما ذكره

(﴿أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾) أضاف الامناء إلينا لأنه عمل من الأعمال وهو صفتنا وحكمه عائد علينا ، كما أضاف إلينا الحرث في التي بعدها لذلك ، وأضاف الخلق إليه لأنها آياته عن قدرته وحكمته وهو الحكيم القادر ، وكما أضاف الزرع إليه في التي بعدها لذلك ، (ثم قال رسول الله ﷺ) في جعل الله تعالى بحكمته وعزته عن مباشرة الأشياء بنفسه للخلقة والحياة واسطة ، وذلك (في وصف ملك الأرحام « أنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصوّرها جسداً فيقول: يا رب أذكر أم أنثى؟ أسوي) أي معتدل (أم معوّج؟ فيقول الله تعالى ما شاء ويخلق الملك ») وفي لفظ : ويطبع الملك ، (وفي لفظ آخر : « ويصوّر الملك ثم ينفخ فيها الروح بالسعادة أو بالشقاوة ») قال العراقي : رواه البزار وابن عدي من حديث عائشة « إن الله تبارك وتعالى حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكاً فيدخل الرحم فيقول : يا رب ماذا » الحديث . وفي آخره « فما من شيء إلا وهو يخلق معه في الرحم » وفي سنده جهالة . وقال ابن عدي : انه منكر وأصله متفق عليه من حديث ابن مسعود انتهى .

قلت : وتمام الحديث عند البزار بعد قوله « ماذا » فيقول « غلام أو جارية أو ما شاء الله أن يخلق في الرحم ، فيقول يا رب شقي أم سعيد ؟ فيقول : شقي أو سعيد ، فيقول : يا رب ما أجله ما خلائقه فما من شيء إلا ويخلق معه في الرحم » إلا أن الهيثمي قال : إن رجال اسناد البزار ثقات .

وحديث ابن مسعود الذي أشار إليه العراقي في المتفق عليه لفظه قال رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه ملكاً ويؤمر بأربع كلمات ، ويقال : اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح » الحديث . وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ، ورواه ابن جميع في مجمعه ، والحلبي في فوائده بلفظ « ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد » .

(وقد قال بعض السلف : إن الملك الاعظم الذي يقال له الروح هو الذي يولج الأرواح في الأجساد ، و) قيل : (إنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحاً يلج في الجسم ، ولذلك سمي روحاً) هكذا نقل القولين صاحب القوت بقوله ويقال وقيل ، (وما

في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب ببصائرهم، فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم إلا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرد، وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الأدلة والآيات في الأرض والسموات، ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أنه على كل شيء شَهِيد﴾ [فصلت: ٥٣] وقال: ﴿شَهِدَ الله أنه لا إله إلا هو﴾ [آل عمران: ١٨]، فبين أنه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضاً بل طرق الاستدلال مختلفة، فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر إلى الموجودات، وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما قال بعضهم: عرفت ربي بربي، ولولا ربي لما عرفت ربي، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أو لَم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ وقد وصف الله تعالى

ذكره) أي بعض السلف **(في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب ببصائرهم، فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم إلا بالنقل)** الصريح **(والحكم به دون النقل تخمين مجرد)**. ثم قال صاحب القوت: فصار العبد يظهر بين أربعة وهي: حدود الحكمة ظاهران وهما الأبواب، وباطنان وهما ملك الأرحام وملك الأرواح، ثم إن الله تعالى قال في وصف نفسه **(البارىء المصوّر)** كما قال **(الخالق)** ومفهوم الحديث السابق أن المصوّر هو الملك، فالحديث يدل على التفصيل، ووصفه تعالى نفسه يدل على التوحيد.

(وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الأدلة والآيات في الأرض والسموات) في عدة آيات وهو مقام التفصيل **(ثم قال)** تعالى: **(﴿أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾)** وهذا مقام التوحيد. **(وقال)** أيضاً في مقام التوحيد **(﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ فبيّن أنه الدليل على نفسه)** وقال أيضاً فيما روى عنه تعالى في الاسرائيليات: «انا الدليل على نفسي لا دليل أدل علي مني». **(وذلك ليس متناقضاً، بل طرق الاستدلال مختلفة، فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر إلى الموجودات)** وهو من أهل المرتبة الثالثة من التوحيد، وإليه الاشارة بقوله تعالى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ [فصلت: ٥٣] **(وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله)** وهو من أهل المرتبة الرابعة في التوحيد، وهو قوم رأوا الله سبحانه وتعالى ثم رأوا الأشياء بعد ذلك به، فلم يروا في الدارين غيره ولا اطلعوا في الوجود على سواه، **(كما قال بعضهم: عرفت ربي بربي، ولولا ربي لما عرفت ربي)** ومقام من قبله لولا المربي لما عرفت ربي، **(وهو معنى قوله تعالى: ﴿أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾)** وقال المصنف في المقصد الاسنى: ولما كان أكثر الخلق يرون كل شيء سواه فيستشهدون بما يرون عليه وهم المخاطبون بقوله تعالى: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ [الأعراف: ١٨٥] وما خلق الله من شيء والصديقون لا يرون شيئاً سواه فيستشهدون به عليه وهم المخاطبون بقوله تعالى: ﴿أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد﴾.

(وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه) هو **(المحيي والمميت، ثم)** جعل للاحياء واسطة كما

نفسه بأنه المحيي والمميت، ثم فوض الموت والحياة إلى ملكين. ففي الخبر: «أن ملكي الموت والحياة تناظرا، فقال ملك الموت: أنا أميت الأحياء وقال ملك الحياة: أنا أحيي الموتى، فأوحى الله تعالى إليهما: كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع، وأنا المميت والمحيي لا يميت ولا يحيي سواي». فإذاً الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا

جعل للموت وهو اسرافيل صاحب الصور ينفخ فيه النفخة الثانية فيحيي كل ميت، و(**فوض الموت والحياة إلى ملكين، ففي الخبر «إن ملكي الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت: أنا أميت الأحياء، وقال ملك الحياة: أنا أحيي الموتى، فأوحى الله تعالى إليهما: كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع فأنا المحيي و**) أنا (**المميت لا يميت ولا يحيي سواي**) هكذا نقله صاحب القوت مصدراً بقوله. وفي بعض الأخبار، وكأنه يعني به الاسرائيليات، ولذلك قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

وفي الباب مما لم يذكره المصنف قوله تعالى في التفصيل ﴿انهم اتخذوا الشياطين أولياء﴾ [الأعراف: ٣٠] وقال في التوحيد ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء﴾ [الأعراف: ٢٧] كما قال في المتشابه: ﴿وأضلَّهم السّامري﴾ [طه: ٨٥] وقال في المحكم ﴿إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء﴾ [الأعراف: ١٥٥] وقال تعالى: ﴿فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه﴾ [القيامة: ١٨] قال أهل التفسير: فإذا قرأه عليك جبريل فخذ عنه بعد قوله تعالى: ﴿لا تحرّك به لسانك لتعجل به﴾ [القيامة: ١٦] وكذلك قال جبريل عليه السلام: ﴿لأهب لك غلاما زكيا﴾ [مريم: ١٩] لان الله تعالى وهب له أن يهب لها فذكر نفسه وهو يشهد ربه، ثم قال في الحرف الاخير ﴿ليهب لك﴾ يعني الله سبحانه وتعالى، ومثله قول موسى عليه السلام لا أملك إلا نفسي وأخي لأجل أن الله تعالى قال ﴿ووهبنا لـه من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ [مريم: ٥٣] وهو في الحقيقة لا يملك نفسه ولا أخاه إذ لا مالك أصلاً إلا الله تعالى، وهذا على أحد الوجهين إذا كان وأخي في موضع نصب، والوجه الآخر أن يكون في موضع رفع فيكون المعنى وأخي أيضاً لا يملك إلا نفسه. وقال تعالى في التفصيل لتثبيت الاحكام وتفضيل الانام: ﴿أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ [إبراهيم: ٥٠] وقال ﴿لتخرج النّاس من الظّلمات إلى النور﴾ [إبراهيم: ١] وفي مثله ﴿وإنّك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى: ٥٢] ثم رفعه في التوحيد وأثبت نفسه فقال: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [البقرة: ٢٥٧] وقال في مثله ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ [القصص: ٥٦].

قال صاحب القوت: ولم يمنع وجود هذه الأواسط أن يكون الله تعالى هو الأوّل في كل شيء، وهو الفاعل لكل شيء وحده لا شريك له في شيء وأن الكون كله مكان لجريان الأفعال: الإرادة أوله والقدرة من ورائه، لم يقل أحد من المسلمين الملك خلقني ولا عزرائيل أماتني ولا إسرافيل أحياني، وكذلك أيضاً لا يصلح أن يقول الموقن المشاهد للتوحيد: فلان أعطاني أو منعني، كما لا يقول فلان رزقني وفلان قدر عليّ، وإن جعل واسطة في الرزق وسبباً للتقدير، وإلاّ كان عندهم

تتناقض هذه المعاني إذا فهمت، ولذلك قال ﷺ للذي ناوله التمرة: «خذها، لو لم تأتها لأتتك»، أضاف الإتيان إليه وإلى التمرة، ومعلوم أن التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الإنسان إليها. وكذلك لما قال التائب: أتوب إلى الله تعالى ولا أتوب إلى محمد، فقال ﷺ: «عرف الحق لأهله»، فكل من أضاف الكل إلى الله تعالى فهو

مشركاً في أسماء الله غيره، إذ كان الله هو المانع المعطي الضار النافع كما هو المحيي المميت لا شريك له في ملكه ولا ظهير له من عباده في خلقه ورزقه، وهذا عندهم يقدح في حقيقة توحيد العبد وهو من الشرك الخفي، وقد قال بعضهم في معنى قوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ [يوسف: ١٠٦] قال مؤمن بالله باقراره إن الله هو المقدر والمدبر ومشرك في الاعتماد على الأسباب ورد الأفعال إليها، ثم قال: ومثل الأواسط من الأول مثل الآلة بيد الصانع ألا ترى انه لا يقال: الشفرة حذت النعل، ولا السوط ضرب العبد، وإنما يقال: الحذاء حذى النعل، وفلان ضرب العبد بالسوط وإن كانت هذه الاواسط مباشرة للافعال إلا انها آلة بيد صانعها، وكذلك الخليقة يباشرون الأسباب في ظاهر العيان والله من ورائهم محيط القادر الفاعل بلطائف القدرة وخفايا المشيئة، ألم تر إلى قولهم: الأمير أعطاني كذا وخلع عليّ كذا وان لم يناوله بيده، ولا يصلح أن يقال: خادم الأمير أعطاني لأجل أنه جرى على يده وإن كان باشر العطاء بنفسه، إذ قد علم ان الخادم لا يملك ولا يتصرف في ملك الأمير إلا بأمره.

(فإذاً العقل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني إذا فهمت، ولذلك قال ﷺ للذي ناوله التمرة «خذها لو لم تأتها لأتتك») قال العراقي: رواه ابن حبان في كتاب روضة العقلاء من رواية هذيل بن شرحبيل، ووصله الطبراني عن هذيل عن ابن عمر ورجاله رجال الصحيح. **(أضاف الاتيان إليه وإلى التمرة، ومعلوم ان التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الانسان إليها)** فوجوه الاتيان مختلفة، ولم يقل لأتاك بها رجل، إذ لا بغية في ذكر ذلك كما لا بغية في قول المعطى أن يبتدأ من غير أن يسأل عند إرادة إظهار العطاء الأمير أعطاني على يد عبده فلان؟ فإن هذا لغو لا يحتاج إلى ذكر العبد مع ذكر الملك. **(وكذلك لما قال التائب: أتوب إلى الله ولا أتوب إلى محمد، فقال ﷺ «عرف الحق لأهله»)** وهو الأيسر الذي قال: اللهم إني أتوب إليك. رواه أحمد عن الأسود بن سريع به مرفوعاً، وقد رواه كذلك الطبراني والبيهقي والحاكم والضياء، وتقدم في كتاب الزكاة.

قال صاحب القوت: وإنما ذكر الله تعالى الأسباب لأن الأسماء متعلقة بها، والاحكام عائدة إلى الاسماء بالثواب والعقاب، فلم يصلح أن لا يذكر فتعود الأحكام على الحاكم تعالى عن ذلك أنه هو يبدىء ويعيد، يبدىء الأحكام من الحاكم ويعيدها على المحكوم، وهذا هو سبب إظهار المكان من الموت والحياة لئلا يكون تعالى محكوماً وهو الجليل الحاكم، ولا يكون مأموراً وهو العزيز الآمر، وتوجهت الأوامر منه قبل المأمورات، ومن هذا قوله عز وجل: ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله

المحقق الذي عرف الحق والحقيقة، ومن أضافه إلى غيره فهو المتجوز والمستعير في كلامه، وللتجوز وجه كما أن للحقيقة وجهاً، واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع، ولكن ظن أن الإنسان مخترع بقدرته فسماه فاعلاً بحركته وظن أنه تحقيق، وتوهم أن نسبته إلى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل إلى الأمير فإنه مجاز بالإضافة إلى نسبته إلى الجلاد، فلما انكشف الحق لأهله عرفوا أن الأمر بالعكس وقالوا: إن الفاعل قد وضعته أيها اللغوي للمخترع فلا فاعل إلا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز، أي

باق﴾ [النحل: ٩٦] وجميعها عنده في خزائنه إلا أنه أضاف الدنيا إلينا لرجوع الأحكام علينا، وليزهدنا فيها، وأضاف الآخرة إليه تخصيصاً لها وتفضيلاً ليرغبنا فيها، وقد قال تعالى مخبراً عن عيسى عليه السلام: ﴿وإذ تخلق من الطين﴾ [المائدة: ١١٠] ومثله قال: ﴿فارزقوهم منه﴾ [النساء: ٨] فسماه خالقا إذ خلق الله على يده وسماهم رازقين لما جرى على أيديهم رزق أهلهم فهو عندي كقوله في مريم: ﴿وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنياً﴾ [مريم: ٢٥] وقد علمت أن الرطب لم يتساقط بهزها ولا فعل ولا جعل لهزها في الرطب، ولكن أراد أن يظهر كرامتها ويجعل الآية منه بيدها، ومثله قوله تعالى: ﴿اركض برجلك﴾ [ص: ٤٢] هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله، فنبعت عينان أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل، فشرب من إحداهما فغسل ما في جوفه من البلاء، واغتسل من الاخرى فزال ما في جسمه من السقم والأذى ولا فعل لرجليه في اظهار العينين، ولكن الله عزّ وجل خلق ذلك على يده وأجراه بواسطته تكرمة له وآية وهبها له. ونحو ذلك قوله تعالى لإبراهيم: ﴿ثم ادعهن يأتينك سعياً﴾ [البقرة: ٢٦] فجعل كيفية احياء الموتى بيده تعالى بدعوته عليه السلام وكان ذلك جواباً لمسألته ﴿أرني كيف تحي الموتى﴾ [البقرة: ٢٦] ولا مكان له في الاحياء، وكان الله في الدعوة كيف شاء، وكذلك الموقن العارف ينطق عن الله فيكون الله تعالى المظهر لبيانه والمجري على لسانه، كما كلم موسى عليه السلام من الشجرة وكان هو المكلم لعبده وصارت الشجرة حجاباً أوجده والله غالب على أمره، وكما ينطق الروحاني من الملائكة على ألسنة النبيين، وينطق الجناني من الأرواح على ألسنة المجانين، والله من ورائهم محيط.

(فكل من أضاف الكل إلى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة لأهله، ومن أضافه إلى غيره فهو المتجوّز والمستعير في كلامه وللتجوّز وجه، كما أن للحقيقة وجهاً واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع) وهو المبتدع من غير سبب، (ولكن ظن أن الإنسان مخترع **بقدرته فسمّاه فاعلاً بحركته، وظن أنه تحقيق وتوهم أن نسبته إلى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل إلى الأمير، فإنه مجاز بالاضافة إلى نسبته إلى الجلاد، فلما انكشف الحق لأهله عرفوا أن الامر بالعكس وقالوا: إن الفاعل قد وضعته أيها اللغوي للمخترع فلا فاعل إلا الله، فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز أي تجوّز به عما وضعه اللغوي له**).

تجوز به عما وضعه اللغوي له، ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الأعراب **قصداً** أو اتفاقاً صدقه رسول الله ﷺ فقال: « **أصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد: ألا كل** شيء ما خلا الله باطلٌ »، أي كل ما لا قوام له بنفسه ـ وإنما قوامه بغيره ـ **فهو** باعتبار نفسه باطل، وإنما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه، فإذاً لا حق بالحقيقة إلى الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء، فإنه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته، فهو الحق وما سواه

ولفظ القوت: وعند أهل المعرفة أن لا فاعل حقيقة إلا الله، لأن حقيقة الفاعل هو الذي لا يستعين بغيره من آلة ولا سبب انتهى.

ولا يخفى أن هذا اصطلاح لهم، وكون أن واضع اللغة وضع الفعل للاختراع فيه تأمل، وإنما الفعل عندهم عبارة عن الهيئة العارضة للمؤثر في غيره بسبب التأثير أولاً كالهيئة الحاصلة للقاطع بسبب كونه قاطعاً، وقيل: هو التأثير من جهة مؤثر، وقيل هو ما ظهر من داعية من الموقع؛ فهذه حدود الفعل التي وضعها فقهاء اللغة. وأما الاختراع فهو ابتداع شيء بلا سبب ولم يظن أحد منهم أن الإنسان يخترع شيئاً بلا سبب فيسمى لذلك فاعلاً، فضلاً عن أن يظن أن نسبته إليه على الحقيقة فتأمل ذلك.

(ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الاعراب) إما **(قصداً أو إتفاقاً صدقه رسول الله ﷺ فقال « اصدق بيت قاله شاعر)** وفي نسخة قالته العرب **(قول لبيد:**
ألا كل شيْء ما خلا الله باطل ») وكـــل نعيم لا محالـــة زائـــل

قال العراقي متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ « قاله الشاعر » وفي رواية لمسلم « أشعر كلمة تكلمت بها العرب » انتهى.

قلت: لفظ الصحيحين: « أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل ». وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم، ورواه كذلك أحمد وابن ماجه، وفي رواية لمسلم: « أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد « ألا كل شيء ما خلا الله باطل ».

وقد رواه الترمذي كذلك. قال صاحب القوت، قال الشاعر ذلك، وهو يعلم أن في الأشياء أواسط حق وأسباب صدق، ثم لم يمنعه ذلك أن قال هذا إيثاراً منه للتوحيد للمتوحد هذا مع قرب عهدهم بتكذيب الرسل وإبطال الكتب، ولكن لما كانت الأشياء بعد أن لم تكن ولا تكون بعد أن كانت أشبهت الباطل الذي لا حقيقة له أولية ولا ثبات له آخرية، وكان الله تعالى الأول الأزلي والآخر الأبدي فهو الحق ولا هكذا سواه انتهى.

وقد زاده المصنف وضوحاً بقوله: **(أي كل ما لا قوام له بنفسه وإنما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل، وإنما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه، فإذاً لا حق بالحقيقة إلا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء فإنه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل)**.

باطل، ولذلك قال سهل: يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون، فلما كنت اليوم صرت تقول: أنا وأنا. كن الآن كما لم تكن فإنه اليوم كما كان.

فإن قلت: فقد ظهر الآن أن الكل جبر، فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضا، وكيف غضبه على فعل نفسه؟

فاعلم أن معنى ذلك قد أشرنا إليه في كتاب الشكر فلا نطوّل بإعادته، فهذا هو

وقال المصنف في المقصد: الحق في مقابلة الباطل والأشياء قد تستبان بأضدادها، وكل ما يخبر عنه فإما باطل مطلقاً وإما حق مطلقاً وإما حق من وجه باطل من وجه، فالممتنع لذاته هو الباطل مطلقاً والواجب لذاته هو الحق مطلقاً والممكن لذاته الواجب بغيره فهو حق من وجه باطل من وجه، فهو من حيث ذاته لا وجود له فهو باطل، وهو من جهة غيره مستفيد للوجود فهو من هذا الوجه الذي يلي مفيد الوجود موجود، فهو من ذلك الوجه حق ومن جهة نفسه باطل، فكذلك كل شيء هالك إلا وجهه، وهو كذلك أزلاً وأبداً ليس ذلك في حال دون حال لأن كل ما سواه أزلاً وأبداً من حيث ذاته لا يستحق الوجود وهو من جهته تعالى يستحق، فهو باطل بذاته حق بغيره، وعند هذا تعرف أن الحق المطلق هو الموجود الحقيقي بذاته الذي منه يوجد كل حقيقة، ثم قال: وحظ العبد من هذا الإسم أن يرى نفسه باطلاً ولا يرى غير الله حقاً، والعبد وإن كان حقاً لنفسه بل هو حق لغيره وهو الله تعالى فهو موجود به لا بذاته بل هو بذاته باطل لو لا إيجاد الحق له. وقوله: فإذاً لا حق بالحقيقة إلا الحي القيوم الخ. الحي الكامل المطلق هو الذي تندرج المدركات بأسرها تحت إدراكه والموجودات جميعها تحت فعله حتى لا يشذ عن علمه مدرك ولا عن فعله مفعول، وذلك هو الله تعالى. والقيوم هو الذي قوامه بذاته وقيام كل شيء به وليس ذلك إلا لله تعالى وما كان محتاجاً في قوامه إلى وجود غيره لا يكون قائماً بنفسه والقائم بنفسه مطلقاً إذا قام به كل موجود فهو القيوم، لأن قوامه بذاته وقوام كل شيء به وليس ذلك إلا الله سبحانه وتعالى.

(ولذلك قال سهل) التستري رحمه الله تعالى: **(يا مسكين كان)** الله تعالى أزلا وأبداً **(ولم تكن)** أنت متصفاً بالوجود، **(ويكون)** كما كان **(ولا تكون)** أنت بل تفنى، **(فلما كنت اليوم)** بين العدمين صرت **(تقول أنا وأنا كن)** فيما أنت فيه **(الآن كما لم تكن، فإنه اليوم كما كان)** في الأزل نقله صاحب القوت وهو إشارة إلى مقام إسقاط التدبير كما سيأتي الكلام عليه عند قوله: التوكل ترك التدبير.

(فإن قلت: فقد ظهر الآن أن الكل جبر) في صورة اختيار، **(فما معنى الثواب والعقاب والغضب والرضا، وكيف غضبه على فعل نفسه)؟**

(فاعلم أن معنى ذلك قد أشرنا في كتاب الشكر) من الركن الثالث منه عند قوله: وفي

القدر الذي رأينا الرمز إليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل ولا يتم هذا إلا بالإيمان بالرحمة والحكمة، فإن التوحيد يورث النظر إلى مسبب الأسباب، والإيمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الأسباب، ولا يتم حال التوكل كما سيأتي إلا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكفيل، وهو الإيمان أيضاً باب عظيم من أبواب الايمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول، فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقاداً قاطعاً لا يستريب فيه. وهو أن يصدق تصديقاً يقينياً لا ضعف فيه ولا ريب أن الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتملـه نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها، ثم زاد مثل عدد جميعهم علماً وحكمة وعقلاً ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلعهم على أسرار الملكوت وعرّفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر، ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم، لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزاد فيما دبر الله سبحانه الخلق في الدنيا

كل فقر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا أمور الدنيا خمسة أمور ينبغي أن يفرح العاقل بها إلى آخره راجعه هناك، **(فلا نطيل بإعادته)** ثانياً، **(فهذا هو القدر الذي رأينا الرمز إليه من التوحيد الذي يورث حال التوكل)** والتسليم ويثمره إذا ثبت في النفس ثبوتاً اعتقادياً أو كشفياً أو ذوقياً أو عرفانياً نتج عنه حال التوكل، **(ولا يتم هذا إلا بالإيمان بالرحمة والحكمة، فإن التوحيد يورث النظر إلى مسبب الأسباب)** بأن الوجود بأسره في قبضته وقدرته وتحت قهره وأسره، **(والإيمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث بمسبب الأسباب)** وينكشف لك أن الرزق لا يتعدى المرزوقين لإنه مخلوق لهم، **(ولا يتم حال التوكل كما سيأتي)** قريباً **(إلا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكفيل، وهذا الإيمان أيضاً باب عظيم من أبواب الإيمان)** أي الإيمان بسعة الرحمة والجود والحكمة. **(وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول، فلنذكر حاصله ليعتقده الطالب لمقام التوكل اعتقاداً قاطعاً لا يستريب فيه)** أي لا يداخله الريب والشك فيه، **(وهو أن يصدق تصديقاً يقينياً لا ضعف فيه ولا ريب أن الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها، ثم زاد مثل عدد جميعهم علماً وحكمة** وعقلاً ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلعهم على أسرار الملكوت، وعرفهم دقائق **اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر، والنفع والضر، ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلوم والحكم، لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون**

والآخرة جناح بعوضة ولا أن ينقص منها جناح بعوضة، ولا أن يرفع منها ذرة ولا أن يخفض منها ذرة، ولا أن يدفع مرض أو عيب أو نقص أو فقر أو ضر عمن بلي به، ولا أن يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع عمن أنعم به عليه، بل كل ما خلق الله تعالى من السموات والأرض ـ إن رجعوا فيها البصر وطوّلوا فيها النظر ـ ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور، وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية، فكله عدل محض لا جور فيه، وحق صرف لا ظلم فيه، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي،

والتظاهر عليه أن يزداد فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة، ولا أن ينقص منها جناح بعوضة، ولا أن يرفع منها ذرة، ولا أن يخفض منها ذرة، ولا أن يدفع مرض أو عيب أو نقص أو فقر أو ضر عمن بلي به، ولا أن يزال صحة أو كمال أو غنى أو نفع عمن أنعم به عليه، بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والأرض إذا ارجعوا فيها البصر وطوّلوا فيها النظر ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور) هذا السياق منتزع من القوت، ولفظه: اعلم يقيناً أن الله تعال لو جعل الخلائق كلهم من أهل السموات والأرضين على علم أعلمهم به وعقل أعقلهم عنه وحكمة أحكمهم عنده، ثم زاد كل واحد من الخلائق مثل عدد جميعهم وأضعافه علماً وحكماً وعقلاً، ثم كشف لهم العواقب واطلعهم على السرائر وأعلمهم بواطن النعم وعرفهم دقائق العقوبات والنقم، ثم قال لهم: دبروا الملك بما أعطيتكم من العلوم والعقول على مشاهدتكم عواقب الأمور وإطلاعكم على سرائر المقدور، ثم اعانهم على ذلك وقوّاهم له لما زاد تدبيرهم على ما تراه الآن من تدبير الله من الخير والشر والنفع والضر جناح بعوضة، ولا نقص عن ذرة، ولا أوجبت العقول المكاشفات، ولا العلوم المشاهدات غير هذا التدبير، ولا قضت بغير هذا التقدير الذي يعاينه ويتقلب فيه ولكن لا يبصرون انتهى.

ويشهد لهذا السياق ما في الحلية في ترجمة وهب بن منبه قال: ألم يفكر ابن آدم ثم يتفهم ويعتبر ثم يبصر ثم يعقل ويتفقه، حتى يعلم أن لله علماً به يعلم العالم وحكمة بها يتقن الخلق ويدبر بها أمور الدنيا والآخرة، فإن آدم لم يبلغ بعلمه المقدر علم الله الذي لا مقدار له، ولن يبلغ بحكمته حكمة الله تعالى التي بها يحيي الخلق ويقدر المقادير.

ثم قال المصنف: **(وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية، فكله عدل محض لا جور فيه، وحق صرف لا ظلم فيه، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي)** قال صاحب القوت: لأنه أجراه على ترتيب العقول وبمعاني العرف والمعتاد من الأمور بالأسباب العقلية والأواسط المشهرة على معيار ما طبع العقول فيه وجبل المعقول عليه، ثم غيب في ذلك العواقب وحجب السرائر وأخفى المثاوب فعاب بغيبها حسن التدبير وجميل التقدير، فجهل أكثر الناس

وليس في الإمكان أصلاً أحسن منه ولا أتم ولا أكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بفعله لكان بخلاً يناقض الجود وظلماً يناقض العدل، ولو لم يكن قادراً لكان عجزاً يناقض الإلهية، بل كل فقر وضر في الدنيا فهو نقصان في الدنيا وزيادة في

الحكم واحتجوا بظواهر الرسم ونسوا سوابق القسم وما يعقلها إلا العالمون إن في ذلك لآيات للعالمين، وهذه شهادة المتوكلين وهي مقامات النبيين.

(**وليس في الإمكان**) هو الأمر الذي هو موضع القدرة ومحل القوة والتمكن وهو ما ليس بواجب ولا بمجال ممتنع لذاته (**أصلاً أحسن منه ولا أتم ولا أكمل، ولو كان**) كذلك (**وادخره مع القدرة**) عليه (**ولم يفعل لكان بخلاً يناقض الجود وظلماً يناقض العدل، ولو لم يكن قادراً لكان عجزاً يناقض الألوهية**) هكذا نص هذه العبارة في سائر نسخ الكتاب لا سيما وفي أواخر بعضها أنها نقلت من نسخة موثوقة بها معتمداً على صحتها، وتقرير هذا الكلام يظهر من معرفة أمرين.

أحدهما: إن المجمع عليه عند أهل السنّة أن القدرة إنما تتعلق بالممكن دون المستحيل، فكل ما صح حدوثه وتوهم كونه ولم يستحل في العقل وجوده فالله سبحانه قادر على إيجاده واحداثه، وكل ما استحال وجوده لم يوصف أحد بالقدرة عليه ولا بالعجز عنه لأن العجز إنما يصح عما تصح القدرة عليه، وكل ما لا يصح أن يكون مقدوراً عليه فلا يصح أن يكون معجوزاً عنه، ولذلك لا يوصف أحد بالعجز عن الجمع بين الضدين ولا بالعجز عن جمع العالم في قشر بيضة ونحو ذلك، لأن ذلك مما لا تصح القدرة عليه فلا يصح العجز عنه، ولذلك قالوا: إن الإنسان لا يوصف بالعجز عن خلق الأعيان لأنه لا يصح وصفه بالقدرة على خلقها، وفي هذه المسألة خلاف مع جماعة من المعتزلة منهم: أبو الهذيل والشحام وثمامة ومعمر والأسواري والنظام والكرامية مجسمة خراسان مبسوط في محله.

والأمر الثاني: النفي في هذا الكلام ليس منصباً على إمكان وجود شيء غير الموجود، إنما هو منصب على كونه أبدع من الموجود، فالنفي هنا كون شيء مما يمكن وجوده أبدع مما وجد مع قطعه بصلاحية القدرة لإيجاده، فإذا فهمت الأمرين سهل عليك حل الكلام وسيأتي ما يتعلق به تسلماً ورداً.

(**بل كل فقر وضرر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا لزيادة من الآخرة**) قال صاحب القوت: اعلم أن الزهد لا ينقص من الرزق ولكنه يزيد في الصبر ويديم الجوع والفقر، فيكون هذا رزقاً للزاهد من الآخرة على هذه الصفة من حرمان نصيبه من الدنيا وحمايته عن التكثر منها والتوسع فيها، ويكون الزهد سببه فيكون ما صرف عنه ومنعه من الدنيا من الغنى والتوسع رزقه من الآخرة والدرجات العلى بحسن اختيار من الله تعالى وحيطة نظر كما حدثونا عن بعض العلماء أن بقالاً جاء إليه فقال: إني كنت أبيع في محلة لا بقال فيها غيري، فكنت أبيع الكثير ثم قد فتح عليَّ

الآخرة وكل نقص في الآخرة بالإضافة إلى شخص فهو نعيم بالإضافة إلى غيره، إذ لولا الليل لما عرف قدر النهار، ولولا المرض لما تنعم الأصحاء بالصحة، ولولا النار لما عرف أهل الجنة قدر النعمة، وكما أن فداء أرواح الإنس بأرواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل، فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران، وفداء أهل الإيمان بأهل الكفران عين العدل، وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل، ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الإنس، فإن الكمال والنقص يظهر بالإضافة، فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعاً، وكما أن قطع اليد إذا تأكلت إبقاء على الروح عدل لأنه فداء كامل بناقص، فكذلك

بقال آخر فهل ينقص ذلك من رزقي شيئاً؟ فقال: لا، ولكن يزيد في بطالتك عن البيع. (**وكل نقص في الآخرة بالإضافة إلى شخص**) قد نقص حظه الأوفر منها (**فهو نعيم بالإضافة إلى غيره**) إذا كانت الدنيا ضدها، (**إذ لولا الليل لما عرف قدر النهار**) ولولا الكفر لما عرف قدر الإيمان، (**ولولا المرض لما تنعم الأصحاء بالصحة**)، ولولا المعصية لم يعرف قدر الطاعة، (**ولولا النار لما عرف أهل الجنة قدر النعمة**) فهذا قد لوحظ فيه من حيث الحكمة التي يجب الإيمان بها، فهذا بعض أسرار كونه أبدع، (**وكما أن فداء أرواح الإنس بأرواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم، بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل**)، والمراد بالكامل الإنسان ووصفه بذلك بالإضافة إلى البهائم فإنها ناقصة، ولما كان بقاء الإنسان يحتاج إلى غذاء يستمسك به قوته امتن الله عليه بخلق البهائم فكانت لحومها أغذية له يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشا﴾ [الأنعام: ١٤٢] (**فكذلك تفخيم النعم**) أي توفيرها وتكبيرها (**على سكان الجنان بتعظيم العقوبة على أهل النيران وفداء أهل الإيمان بأهل الكفران عين العدل**) كما ورد في الخبر: أنه يقال للمسلم هذا الكافر فداؤك من النار. (**وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل، ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف الانس، فإن الكمال والنقص يظهر بالإضافة**) فإن درجات الأحياء ثلاثة: درجة الملائكة ودرجة الأنس ودرجة البهائم، فأما درجة البهائم فهي أسفل في نفس الحياة التي بها شرفها لأن الحي هو الدراك الفعال وفي إدراك البهيمة نقص وفي فعلها نقص، وأما درجة الملائكة فهي أعلى الدرجات لقربها من حضرة القدس، وأما الإنسان فدرجته متوسطة بينهما وكأنه مركب منهما، والأغلب عليه في الأول البهيمية ثم يشرق عليه في الآخر نور العقل فيأخذ بذلك شبهاً من الملائكة، والمقصود أن الكمال والنقص من الأمور المتضايقات، (**فمقتضى الجود و**) سعة (**الحكمة خلق الكامل والناقص جميعاً**) ولولا ذلك لما عرف أحدهما من الآخر فهذا بعض أسرار كونه أبدع، (**وكما أن قطع اليد إذا تأكلت**) أي أصابها مرض الأكلة ولا دواء لها إلا القطع (**إبقاء على الروح**) أي على حياته (**عدل لأنه فداء كامل بناقص، فكذلك الأمر في التفاوت**) الواقع (**الذي**) هو (**بين الخلق في القسمة في**

الأمر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة، فكل ذلك عدل لا جور

الدنيا والآخرة) من الغنى والفقر وحسن الصورة وقبحها والصحة والمرض والتوفيق والخذلان والإيمان والكفر والطاعة والمعصية، **(فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه)** ويشهد لا بدعية هذا التفاوت ما أخرجه عبدالله بن أحمد في زوائد المسند وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم واللالكائي في السنة وابن منده في كتاب الرد على الجهمية بسند صحيح عن أبي بن كعب في قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية قال: جمعهم فجعلهم أرواحاً ثم صوّرهم فاستنطقهم وآدم ينظر إليهم، فرأى الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال: يا رب لولا سوّيت بين عبادك. قال: إني أحببت أن أشكر.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن منده في الرد على الجهمية من حديث أبي هريرة قال: إن الله تعالى لما خلق آدم مسح ظهره فخرت منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ثم عرضها على آدم فإذا فيهم الأجذم والأبرص والأعمى وأنواع الأسقام، فقال آدم: يا رب لم فعلت هذا بذريتي؟ فقال: كي تشكر نعمتي. فهذا نص من الله تعالى على الحكمة في خلق الناس متفاوتين في صفة الكمال والنقص حتى أنه جعل أنواع البلاء متفاوتة إرادة الشكر، فلا ترى ذا بلاء إلا وهو يرى من هو أشد بلاء منه، ولا ذا حال شيء إلا وهو يرى من هو أسوأ حالاً منه ولو من نوع آخر، فترى مثلاً الفقير الذي لا يجد قوته ويبيت الليالي طاوياً من هو دنف ملازم الوساد وهو كثير المال فيشكر الله تعالى على العافية، وذلك الدنف يرى ذلك الفقير وهو يتمنى القوت فلا يجد فيشكر إن رزقه الله الغنى مع سقمه ولم يجعله يتكفف الناس، وترى الملك ينظر إلى ما حوله من النعيم ونفوذ الأمر فيشكر الله أن جعله آمراً مأموراً ومالكاً مملوكاً، وترى آحاد الرعية إلى ما يقاسيه الملك من أنكاد الدنيا وهمومها وخروج الخوارج عليه وانتشار المفسدين والقطاع وخوفه على نفسه مما يغتاله أو يسلب منه ملكه أو يقصد بأنواع المكايد، ثم ما يتبع ذلك من الحساب يوم القيامة على كل فرد فرد من رعاياه وهل قام فيهم بما أمره الله تعالى من العدل فيهم وتخليص مظلومهم من ظالمهم وإنفاذ أوامر الله فيهم وإيصال حقوقهم إليهم وعلى كل ذرة من مال قبضها هل أخذ كما أمر الله تعالى وصرفها فيما أمر الله تعالى، فيحمد الله ذلك المسكين إن لم يجعله ملكاً، فحينئذ لا ترى من الناس إلا شاكراً كل بحسب حاله، فانظر إلى هذه الحكمة البديعة في جعل الخلق مع تباين أحوالهم متفاوتين في الحال الواحد مقولين بالتشكيك لا بالتواطؤ، فذوو الفقر متفاوتون ليرى دونه وكذا ذوو البلاء إلى غير ذلك، وارادة الشكر من المقاصد المعتبرة بدليل ما في الخبر: ما أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه، ووجه آخر في خلق المكروهات وما فيها من الفوائد الدنيوية والأخروية وهي خمسة كما تقدم للمصنف في كتاب الشكر، وأوصلها العز بن عبد السلام إلى سبعة عشر في تأليف مخصوص، وقد قال: خيرة الله لعبده فيما يكره أكثر من خيرته له فيما يحب. وفي الخبر: عجبت للمؤمن وقضاء الله له خير إن أصابه خير أو شر: وقال ﷺ لمن قال له أوصني: «اذهب أن لا تتهم الله على نفسك» فهذا نوع من أنواع الموجودات تبين فيه وجه الأبدعية بالنسبة إلى ضده،

فيه وحق لا لعب فيه، وهذا الآن بحر آخر عظيم العمق واسع الأطراف مضطرب الأمواج قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين، ولم يعلموا أن

فقس على ذلك سائر الأنواع، وقد يكون الشيء أبدع في وقت وخلافه أبدع في وقت آخر، ومن ثم يوجد الله الرخاء في وقت والغلاء في وقت آخر أو في مكان دون مكان، وكذا الحياة والموت والعسر واليسر والأمن والخوف والصحة والسقم، وذلك لعلم الله بحكمته البالغة: إن الأبدع في هذا الوقت إيجاد أحد الضدين إلى وقت كذا، فإذا جاء ذلك الوقت فالأبدع إيجاد ضده فيوجده على حسب حكمته، ومن قدح في شيء من هذا فقد قدح في الحكمة وعارض حكمة الحكيم برأي من عنده زعم بجهله أنه أسد مما اقتضته الحكمة، ويرشح ذلك قصة المنسوخ من الشرائع والأحكام، فإن الله تعالى عالم بحكمته البالغة أن الأبدع شرّع هذا الحكم في هذا الوقت فشرعه إلى وقت كذا، فإذا جاء الوقت فالأبدع شرع خلافه فيشرعه، وقد نص بعض أرباب البيان في تقدير وجه إعجاز القرآن على ما يشبه ذلك فقال: لا شك في أن الباري تعالى عالم بجميع أصناف الكلام، فاختار لكتابه أفصحها وجهاً فأنزله عليه فلا يمكن أفصح منه، وكذلك نقول في الموجودات: علم الله في كل موجود جميع الوجوه الممكن إيجاده على أوجه كثيرة غير ذلك إلا أنها ليست بأبدع والأبدع الوجه الذي أوجده الله عليه ونقول في خلق الإنسان إنه يمكن بروزه على أوجه غير الصورة التي أبرزها الله عليها من جعل رأسه أسفله أو في ظهره مثلاً، أو كونه بعين واحدة، أو كون يديه أو عينيه خلف، أو كون فمه في رأسه أو بطنه أو غير ذلك من الوجوه الممكنة التي لا نشك في صلاحية القدرة لها، لكنها ليست بأبدع والأبدع هذه الصورة الموجودة لما فيها من المحاسن والحكم وشاهده قوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين: ٤] وهذا نص قاطع في أن الصورة التي خلق عليها الإنسان لا أبدع منها، وكذلك نقول في سائر الحيوانات أنها موجودة على الصورة التي لا أبدع منها مع صلاحية القدرة لايجادها على صور شتى لكن ما وجدت عليه أبدع وشاهده قوله تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ [السجدة: ٧] قال ابن عباس: أحسن كل شيء خلقه فجعل الكلب في خلقه حسناً. رواه ابن أبي حاتم وقال أيضاً خلق الله لكل شيء ما يشاكله من خلقه وما يصلحه من رزقه، فخلق البعير خلقاً لا يصلح شيء من خلقه على غيره من الدواب، وكذلك كل شيء من خلقه، وخلق لدواب البر وطيرها من الرزق ما يصلحها في البر، وخلق لدواب البحر وطيرها من الرزق ما يصلحها في البحر، فذلك قوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدرٍ﴾ [القمر: ٤٩] رواه الطبراني في المعجم الكبير.

(وهذا الآن بحر زاخر **عظيم واسع الأطراف مضطرب الأمواج قريب السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين)** إذ توغلوا فيه ولم يكونوا أقوياء في علوم المكاشفة، فاضطربت عليهم أمواج القدرة فاندهشت عقولهم وفغرت تماسيح العزة فاها فاصطكت أفهامهم، **(ولم يعلموا)** قبل دخولهم **(أن ذلك غامض)** خفي المدرك **(لا يعقله إلا العالمون)** بالله

ذلك غامض ذلك لا يعقله إلا العالمون، ووراء هذا البحر سر القدر الذي تحير فيه الأكثرون ومنع من إفشاء سره المكاشفون.

والحاصل أن الخير والشر مقضى به، وقد كان ما قضى به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا رادّ لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره، بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله

وبأفعال الله المكاشفون بأنوار الله، **(ووراء هذا البحر)** العظيم المتلاطم **(سر القدر الذي تحير فيه الأكثرون)** واندهش فيه المخلصون، **(ومنع إفشاء سره المكاشفون)**.

روى الطبراني بإسناد حسن عن ابن عباس قال: لما بعث الله موسى وأنزل عليه التوراة قال: اللهم إنك رب عظيم ولو شئت أن تطاع لأطعت، ولو شئت أن لا تعصى لما عصيت، وأنت تحب أن تطاع فكيف هذا يا رب؟ فأوحى الله إليه: إني لا أُسأل عما أفعل وهم يُسألون، ثم سأل عزير مثل ذلك فأجابه إني لا أُسأل عما أفعل وهم يُسألون، فأبت نفسه حتى سأل ثلاثاً فقال الله تعالى: أتستطيع أن تصرصرة من الشمس؟ قال: لا. قال: أتستطيع أن تجيء بمكيال من ريح؟ قال: لا. قال: أتستطيع أن تجيء بمثقال من نور؟ قال: لا. قال: فهكذا لا تقدر على ذلك الذي سألت عنه، إني لا أسأل عما أفعل وهم يُسألون، ثم سأل عيسى فأجابه كذلك، فجمع عيسى من تبعه فقال: القدر سر الله فلا تكلفوه.

وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر: القدر سر الله فلا تفشوا لله عز وجل سره، وقد تقدم ونقل المصنف في مقدمة التهافت، وإنما منع عن ذكر القدر، يعني وهو القدرة من شأنها أن تتعلق بالمحال لأنه يوهم عند العوام عجزاً قال: فالصواب أن يلقي اليهم أن الأول قادر على كل شيء ليوجب ذلك تعظيماً في صدورهم، فلو فصل وفسرت الأمور إلى ممكنة وغير ممكنة لظنوا أن ذلك عجز قال: فهذا سر القدر على ما قيل.

(والحاصل؛ أن الخير والشر) كل منهما **(مقضى به)** ومرضي به، فالخير بالذات والشر بالعرض وكل بقدر، **(وقد صار ما قضى به واجب الحصول بعد سبق المشيئة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه)** قال المصنف في المقصد الأسنى: إذا كان معنى الحكمة ترتب الأسباب وتوجهها إلى المسببات كان المتصف بها على الإطلاق حكيماً مطلقاً، لأنه مسبب كل الأسباب جملتها وتفصيلها، ومن الحكم يتشعب القضاء والقدر فتدبيره أصل وضع الأسباب لتتوجه إلى المسببات هو حكمه وإيجاده للأسباب الكلية الأصلية الثابتة المستقرة التي لا تحول ولا تزول إلى وقت معلوم، كالأرض والسموات والكواكب وحركاتها المتناسبة الدائمة التي لا تتغير ولا تنعدم إلى أن يبلغ الكتاب أجله، وضعه إياها ونصبه لها هو قضاؤه وتوجيه هذه الأسباب بحركاتها المتناسبة المحدودة المقدرة المحسوبة إلى المسببات الحادثة منها لحظة بعد لحظة هو قدره، فالحكم هو التدبير الأول الكلي والأمر الأزلي هو كلمح البصر، والقضاء هو الوضع الكلي للأسباب الكلية الدائمة، والقدر هو توجيه الأسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة إلى مسبباتها المعدودة

بقدر معلوم منتظر، وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطاك لم يكن ليصيبك.

ولنقتصر على هذه المرامز من علوم المكاشفة التي هي أصول مقام التوكل، ولنرجع إلى علم المعاملة إن شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل.

المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص، وكذلك لا يخرج شيء عن قضائه وقدره، **(بل كل صغير وكبير)** من الأعمال **(مستطر)** أي سطر في اللوح رواه ابن المنذر عن ابن عباس. قال قتادة: أي محفوظ مكتوب رواه عبد بن حميد، **(وحصوله بقدر معلوم منتظر، وما أصابك)** من الخير والشر والنفع والضر **(لم يكن ليخطئك وما أخطاك)** منها **(لم يكن ليصيبك)** رواه أحمد والطبراني والبزار من حديث أبي الدرداء: « لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه » ورجال الطبراني ثقات، فالعلم بهذه الأشياء وطمأنينة القلب بها وسكينة العقل عند ورودها وأن لا يضطرب بالرأي والمعقول ولا ينازع بالتشبيه والتمثيل هو من فرائض الإيمان، لا يصح إيمان عبد حتى يسلم ذلك كله. ومنه قول ابن عباس: القدر نظام التوحيد، فمن وحّد الله وكذب بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقصاً في التوحيد، فجعل الإيمان بالأقدار كلها أنها من الله تعالى مشيئة وحكماً بمنزلة الخيط الذي ينتظم عليه الحب، وإن التوحيد منتظم فيه فإذا انقطع الخيط سقط الحب قال: كذلك إذا كذب بالقدر ذهب الإيمان، فالتوكل فرض وفضل ففرضه منوط بالإيمان وهو تسليم الأقدار كلها للقادر واعتقاد أن جميعها قضاؤه وقدره، وأما فضل التوكل فيكون عن مشاهدة الوكيل لأنه في مقام المعرفة برؤية عين اليقين.

(ولنقتصر على هذه المرامز) أي الإشارات **(من علوم المكاشفة التي هي أصول مقام التوكل)** وعليها بناؤه ومستقره، **(ولنعد إلى علم المعاملة إن شاء الله تعالى)** ولسياق المصنف هذا من أول قوله: ولا يتم هذا إلا بالإيمان والرحمة إلى هنا شواهد تدل على صحته من أقواها وأقربها إليه قول المصنف نفسه في كتابه جواهر القرآن وهذا نصه: لا يكفي الإيمان بالتوحيد في إثارة حالة التوكل حتى ينضاف إليه الإيمان بالرحمة والجود والحكمة، إذ به يحصل الثقة بالوكيل الحق، وهو أن تعتقد جزماً أو ينكشف لك بالبصيرة أن الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل أعقلهم، بل على أكمل ما يتصور أن يكون عليه حال العقل ثم زادهم أضعاف ذلك علماً وحكمة، ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلعهم على أسرار الملكوت ولطائف الحكمة ودقائق الخير والشر، ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت لما دبروه بأحسن مما هو عليه، ولم يمكنهم أن يزيدوا ولا ينقصوا منه جناح بعوضة، ولم يستصوبوا البتة دفع مرض وعيب ونقص وفقر وضر وجهل وكفر، ولا أن يغيروا قسمة الله من رزق وأجل وقدرة وعجز وطاعة ومعصية، بل شاهدوا جميع ذلك عدلاً محضاً لا جور فيه وحقاً صرفاً لا نقص فيه واستقامة تامة لا قصور فيها ولا تفاوت، بل كل ما يرون نقصاً يرتبط به كمال آخر أعظم منه لا يتوصل إلى ذلك النفع إلا به، وعلموا قطعا أن الله تعالى حكيم جواد رحيم لم يبخل على الخلق أصلاً ولم يدخر في إصلاحهم أمراً، وهذا بحر

....

زاخر في المعرفة يحرك أمواجه سر القدر الذي منع من ذكره المكاشفون وتحير فيه الأكثرون ولا يعقله إلا العالمون ولا يدرون في تأويله إلا الراسخون هذا نصه بحروفه.

وقال في موضع آخر من الجواهر أيضاً، قد أنكر الرضا جماعة وقالوا: لا يتصور الرضا بما يخالف الهوى، وإنما يتصور الصبر فقط. والجواب: أن الرضا بالبلاء وبما يخالف الطبع يتصوّر من ثلاثة أوجه.

أحدها: أن يدهشه مشاهدة المحبة وإفراطها عن الإحساس بالألم.

والثاني: أن يحس بالألم ويكرهه بالطبع ولكن يرضى به بعقله وإيمانه لمعرفته بجزالة الثواب على البلاء، كما يرضى بألم الفصد وشرب الدواء لعلمه بأنه سبب الشفاء حتى أنه ليفرح بمن يهدي إليه الدواء وإن كان بشيعاً، وكذلك يرضى التاجر بمشقة السفر وهو خلاف طبعه وهذا أيضاً مشاهد مثله في الأغراض الدنيوية، فكيف ينكر في السعادة الأخروية.

الثالث: أن يعتقد أن لله تعالى تحت أقداره أعجوبة لطيفة من لطائفه، وذلك يخرج عن قلبه لم وكيف حتى لا يتعجب مما يجرى في العالم إن تعجبه كتعجب موسى عليه السلام من الخضر عن السر الذي أطلع عليه سقط تعجبه وكان تعجبه بناء على ما خفي عنه من تلك الأسرار، وكذلك أفعال الله تعالى. ثم ساق قصتين: إحداهما للرجل الذي كان يقول في كل ما يصيبه الخيرة فيما قدره الله، والثاني للفارس الذي نسي صرة فيها ألف دينار. ولولا أنه سيأتي سياقهما في كتاب الرضا لذكرتهما، فمن أيقن بأمثال هذه الأسرار لم يتعجب من أفعال الله تعالى وتعجب من جهل نفسه، ولم يقل لم وكيف فقد رضى بما دبر الله في ملكوته. وههنا وجوه أربعة تتشعب عن محض المعرفة بكمال الجود والحكمة وبكيفية ترتيب الأسباب المتوجهة إلى المسببات ومعرفة القضاء.

الأول: الذي هو كلمحة البصر ومعرفة القدر الذي هو سبب ظهور تفاصيل القضاء، فإنها رتبت على أكمل الوجوه وأحسنها وليس في الأمكان أحسن منها وأكمل، ولو كان ادخر لكان بخلاً وعجزاً يناقض القدرة وينطوي تحت ذلك سر القدر، وكما أن من عرف ذلك لم ينطو ضميره إلا على الرضا، فكذلك كل ما يجري من الله تعالى ويلي هذين السياقين ما ذكره في كتابه المسمى: «بالأربعين في أصول الدين» قال في الأصل التاسع من أصول الدين: الرضا بالقضاء أن المسببات رتبت على الأسباب على أكمل الوجوه وأحسنها، وليس في الإمكان أحسن منها وأكمل، ولو كان لكان بخلاً لا جوداً أو عجزاً يناقض القدرة، ويلي هذه السياقات الثلاثة ما قاله الشيخ كمال الدين أبو بكر محمد بن إسحاق الشافعي الصوفي في كتابه (**مقاصد منجيات الأحياء**) وهذا نصه بعد أن ذكر مراتب الإيمان فقال: فحينئذ ترجع أيها الناظر إليه ويعتمد قلبك عليه فتزداد نوراً بتوجهك واعتمادك لقوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] فيشرق في قلبك بهدايته ما أشرقت في قلوب أنبيائه كما قال تعالى حاكياً عن نبيه ﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾ [هود: ٥٦] أي مستقيم في أحكامه وأقضيته التي قدرها في أزله وأنها على أتم

....

أنواع الكمال والإتقان، وإن الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم وأعطاهم من العلم والحكمة ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها، ثم زاد كل واحد منهم عدد جميعهم علماً وحكمة وعقلاً، ثم كشف لهم عواقب الأمور وأطلعهم على سائر الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير والشر والنفع والضر، ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت بما أعطوا من العلم والحكمة والعلوم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزيدوا فيما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة، ولم يقدروا على ذلك بل كل ما خلقه الله من السموات والأرض إن رجع فيه البصر وطول فيه النظر ما يرى فيه من تفاوت ولا فطور، وكل ما قسم الله بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وقدرة وعجز وإيمان وكفر وطاعة ومعصية، فكله عدل محض وحق صرف لأنه لو لم يخلق الناقص لم يعرف الكامل، ولولا خلق البهائم لما ظهر شرف بني آدم، فمقتضى الحكمة والجود خلق الكامل والناقص جميعاً والقدرة صالحة واسعة لغير ذلك، فلو شاء لقطع الأسباب عن المسببات والمسببات عن الأسباب ولأوجد العالم على هيئة أخرى، ولو شاء لخلق كلهم سعداء أو كلهم أشقياء، ولو شاء لخلق المسعد مشقياً والمشقى مسعداً إلا أن الإرادة خصصت هذا التخصيص والله فعال لما يريد، وإنما أوجدت الخلق القدرة فعلى ما خصصته الإرادة جرت المقادير في الأزل واستمرت في الأبد وجفت الأقلام بما قضى على الأنام، فلم يتقدم أحد منهم قدر أنملة ولم يتأخر إلا بمقادير سابقة وكتابة لاحقة، ولو تهيأت أسباب السعادة كلها للأشقياء لما سعدوا، ولو تهيأت أسباب الشقاوة كلها للسعداء لما شقوا، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر، وما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك انتهى.

وفيه تفصيل لما أجمله المصنف من قبل صلوحية القدر وسعتها لغير ما ذكر، وتأويل لقوله الذي أسقطه وهو ليس في الإمكان أبدع مما أبرزه، وهو أن الإرادة خصصته هذا التخصيص، وسيأتي لذلك مزيد في بيان وجوه التأويل، ويشهد لهذا ما قاله الإمام أبو العباس الأقليشي في كتاب الأنباء في شرح الصفات والأسماء: وأما تأخر العالم مع تمام قدرة القادر سبحانه فمنه ما هو ضروري، ليس بجعل جاعل، ومنه ما هو اختياري، والضروري استحالة قديم غير الله تعالى، فوجب بالضرورة أن يكون العالم متأخر الوجود عن الله تعالى، وأما الإختياري فوجوده في الوقت الذي وجد وعلى الهيئة التي وجدت، وكان في الإمكان أن يوجد قبله وبعده وعلى هيئة أخرى إلا أن الإرادة خصصته هذا التخصيص، والله تعالى اختار هذا التخصيص فكان فعله واقعاً بقدرته وإرادته واختياره وليس لفاعل سواه استبداد في إيراده وإصداره انتهى. فهذا أحد وجوه أبدعيته إذا تأملت عبارته.

وقال المصنف في المقصد الأسنى في شرح إسمه العدل قال: معناه العادل وهو الذي يصدر منه

....

فعل العدل المضاد للظلم والجور، ولن يعرف العادل من لم يعرف عدله ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله، فمن أراد أن يفهم هذا الوصف فينبغي أن يحيط علماً بأفعال الله تعالى من ملكوت السموات إلى منتهى الثرى، حتى إذا لم ير في خلق الرحمن من تفاوت ثم رجع فما رأى من فطور ثم رجع كرة أخرى، فانقلب إليه البصر خاسئاً وهو حسير قد بهره جمال الحضرة الربوبية وحيره اعتدالها وانتظامها، فحينئذ يعلق بفهمه شيء من معاني عدل الله، وقد خلق أقسام الموجودات جسمانيها وروحانيها كاملها وناقصها، وأعطى كل شيء خلقه وهو بذلك جواد ورتبه في موضعه اللائق به وهو بذلك عدل، فمن الأجسام العظام في العالم الأرض والماء والهواء والسموات والكواكب، وقد خلقها ورتبها فوضع الأرض في أسفل وجعل الماء فوقها والهواء فوق الماء والسموات فوق الهواء ولو عكس الترتيب لبطل النظام، ولعل شرح وجه استحقاق هذا الترتيب في العدل والنظام مما يصعب على أكثر الأفهام، فلننزل إلى درجة العوام ونقول: لينظر الإنسان إلى بدنه فإنه مركب من أعضاء مختلفة كما أن بدن العالم مركب من أجسام مختلفة، فاول اختلافه أنه مركب من العظم واللحم والجلد وجعل العظام عماداً. واللحم صواناً مكتنفاً لها، والجلد صواناً للحم، ولو عكس هذا الترتيب وأظهر ما بطن لبطل النظام وإن خفي عليك، وقد خلق الإنسان من أعضاء مختلفة مثل اليد والرجل والعين والأنف والأذن فهو بخلق هذه الأعضاء جواد وبوضعها مواضعها الخاصة عدل لأنه وضع العين في أول المواضع بها من البدن، إذ لو خلقها على القفا أو على الرجل أو على اليد أو على قمة الرأس لم يخف ما يتطرق إليها من النقصان والتعرض للآفة، وكذلك خلق اليدين وعلقهما من المنكبين ولو علقهما من الرأس أو من الركبتين لم يخف ما يتولد منه من الخلل، وكذلك وضع جميع الحواس على الرأس فإنها جواسيس لتكون مشرفة على جميع البدن ولو وضعها على الرجل اختل نظامها قطعاً، وشرح ذلك في كل عضو يطول، فينبغي أن تعلم أنه لم يخلق شيئاً في موضعه إلا أنه متعين له ولو تيامن عنه أو تياسر أو تسفل أو تعالى لكان ناقصاً أو باطلاً أو قبيحاً أو خارجاً عن التناسب كريهاً في المناظر، وكما أن الأنف خلق على وسط الوجه ولو خلق على الجبهة أو على الخد لتطرق النقصان إلى فوائده، وربما يقوي فهمك على إدراك حكمته. فاعلم أن الشمس أيضاً لم يخلقها في السماء الرابعة وهي في وسط السموات السبع هزلاً بل ما خلقها إلا بالحق وما وضعها إلا موضعها المستحق لها لحصول مقاصدها منها إلا أنك ربما تعجز عن درك الحكمة فيها لأنك قليل التفكر في ملكوت السموات والأرض وعجائبها ولو نظرت فيها لرأيت من عجائبها ما تستحقر معه عجائب بدنك كيف لا وخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، وليتك وفيت بمعرفة عجائب نفسك فتفرغت للتأمل فيها وفيما يكتنفها من الأجسام فتكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ [فصلت: ٥٣] ومن أين لك أن تكون ممن قال فيهم: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ [الأنعام: ٧٥] وإنما تفتح أبواب السماء لمن لم يستغرقه هم الدنيا، ثم قال في بيان حظ العبد من هذا الإسم، ويكون الإيمان به قطع الإنكار والإعتراض ظاهراً وباطناً وتمامه أن لا ينسب شيئاً إلى الدهر ولا

ينسب شيئاً من الأشياء إلى الفلك ولا يعترض عليه بما أجرى به العادة فجرت مستمرة بحكمه وتقديره إلى حين يطويها وينقضها، بل يعلم أن ذلك كله أسباب مسخرة وأنها رتبت ووجهت إلى المسببات أحسن ترتيب وتوجهت بأقصى وجه العدل.

وقال في اسمه تعالى اللطيف، وبالجملة فهو من حيث دبر الأمور حكم، ومن حيث أوجدها جواد، ومن حيث رتبها مصور، ومن حيث وضع كل شيء موضعه عادل، ومن حيث لم يترك فيها دقائق الرفق لطيف، ولن يعرف حقيقة هذه الأسماء من لم يعرف حقيقة هذه الأفعال.

وقال في اسمه تعالى المصور، وأما اسم المصور فهو له من حيث رتب صور الأشياء أحسن ترتيب وصورها أحسن تصوير، وهذا من أوصاف الفعل فلا يعلم حقيقته إلا من يعلم صورة العالم على الجملة ثم على التفصيل، فإن العالم كله في حكم شخص واحد مركب من أعضاء متعاونة على غرض مطلوب منه، وإنما أعضاؤه وأجزاؤه السموات والكواكب والأرضون وما بينهما من الماء والهواء وغيرهما، وقد رتب أجزاءه ترتيباً محكماً لو غير ذلك الترتيب لبطل النظام فخصص بجهة الفوق ما ينبغي أن يعلو وبجهة السفل ما ينبغي أن يسفل، وكما أن البناء يضع الحجارة أسفل الحيطان والخشب فوقها لا بالإتفاق بل بالحكمة والقصد لإرادة الأحكام، ولو قلب ذلك فوضع الحجارة فوق الحيطان والخشب في أسفلها لانهدم البناء ولم تثبت صورته أصلاً، وكذلك ينبغي أن تفهم السبب في علو الكواكب وتسفل الأرض والماء وسائر أنواع الترتيب في الأجزاء العظام من أجزاء العالم، ولو ذهبنا نصف أجزاء العالم أو تخصيصها ثم نذكر الحكمة في ترتيبها لطال، والتصوير موجود في كل جزء من أجزاء العالم وإن صغر حتى في النملة والذرة، بل في كل عضو من أعضاء النملة، بل الكلام يطول في شرح صورة العين التي هي أصغر عضو في الحيوان، ومن لم يعرف طبقات العين وعددها وهيئتها وشكلها ومقاديرها وألوانها ووجه الحكم فيها فلن يعرف مصورها إلا بالرسم المجمل.

فصل

وهذه نبذة من كلام أئمة السنة الموافقة في المعنى والمشاهدة لصحة ما تقدم تقريره قال البيضاوي في تقرير قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ إلى قوله: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ [البقرة: ٢٩] فيه تعليل كأنه قال: ولكونه عالماً بكيفية الأشياء خلق ما خلق على هذا النمط الأكمل والوجه الأنفع واستدلال بأن من كان هذا فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الأنيق كان عالماً، فإن اتقان الأفعال بأحكامها وتخصيصها بالوجه الأحسن الأنفع لا يتصور إلا من عالم حكيم رحيم، وقال في قوله تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ [البقرة: ١٦٤] الآية اعلم أن دلالة هذه الآيات على وجود الإله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلاً، والكلام المجمل أنها أمور ممكنة وجد منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وأنحاء مختلفة، إذ كان من الجائز مثلاً أن لا تتحرك السموات أو بعضها كالأرض وأن تتحرك بعكس حركاتها وبحيث

....

تصير دائرة مارة بالقطبين وأن لا يكون لها أوج وحضيض أصلاً أو على هذا الوجه لبساطتها وتساوي أجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته. وقال في قوله تعالى: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ إلى قوله: ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [البقرة: ٢١٦] فيه دليل على أن الأحكام تتبع المصالح الراجحة وإن لم يعرف عينها.

ونقل الطيبي في هذه الآية عن الزجاجي أنه قال: معنى كراهتهم القتال أنه من جنس غلظه عليهم ومشقته، لا أن المؤمن يكره فرض الله لأنه تعالى لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والصلاح.

وقال الطيبي في حاشية الكشاف عند قوله تعالى: ﴿والله لا يحب الفساد﴾ [البقرة: ٢٠٥] الإفساد في الحقيقة إخراج الشيء من حالة محمودة لا لغرض، وذلك غير موجود في فعل الله تعالى وما تراه من فعله إفساداً فهو بالإضافة إلينا وباعتبارنا، فأما بالنظر الإلهي فكله إصلاح، ولهذا قيل: يا من إفساده إصلاح أي ما نعده نحن إفساداً فهو بالإضافة إلينا وباعتبارنا لقصور نظرنا.

وقال الفخر الأصبهاني في أول سورة آل عمران: القيوم وهو القائم بإصلاح مصالح الخلق، ولا يتم ذلك إلا بمجموع أمرين: كونه عالماً بجميع حاجاتهم على جميع الوجوه، وكونه قادراً على وقعها. والأول لا يتم إلا بكونه عالماً بكل شيء، والثاني: لا يتم إلا بكونه قادراً على كل ممكن أشار إلى الأول بقوله: ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ [آل عمران: ٥] وإلى الثاني بقوله: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ [آل عمران: ٦] قال: وفي هذا لطيفة أخرى وهي أن قوله تعالى: ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ لا يجوز إثباته بالسمع لأن معرفة السمع موقوفة على العلم بكونه عالماً بكل شيء، بل بالدليل العقلي وهو أن يقال: إن أفعاله تعالى محكمة متقنة والفعل المحكم المتقن يدل على كون فاعله عالماً، فذكر الدليل العقلي الدال عليه وهو أنه هو الذي صورهم في الأرحام على هذه البنية العجيبة والهيئة الغريبة، وركب الأعضاء المختلفة في الشكل والطبع والصفة فبعضها عظام وبعضها أعصاب وبعضها أوردة وبعضها شرايين وبعضها عضلات، ثم أنه ضم بعضها إلى بعض على أحسن التركيب وأكمل التاليف، وذلك يدل على كمال قدرته حيث خلق ذلك من نطفة أو على كمال علمه من حيث أن الفعل المحكم المتقن على هذا الوجه لا يصدر إلا عن عالم، فكان قوله: ﴿هو الذي يصوركم﴾ دالاً على الأمرين معاً انتهى.

وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وإلهكم إله واحد﴾ [البقرة: ١٦٣] الآية. وقوله: ﴿الرحمن الرحيم﴾ [البقرة: ١٦٣] كالحجة على الوحدانية، فإنه لما كان مولى النعم كلها أصولها وفروعها وما سواه إما نعمة أو منعم عليه لم يستحق العبادة أحد غيره. قال السعد: فإن قيل: الكفر والمعصية وسائر القبائح ليست بنعمة ولا منعم عليها. قلنا: هي كلها من حيث القابلية والفاعلية، وما يرجع إلى الوجود والسببية نعمة ومرجع الشر والقبح إلى العدم. وقال السعد في حاشية الكشاف عند قوله تعالى: ﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا﴾ [البقرة: ٢٠٢] من للتبعيض بمعنى أنهم لا

....

يعطون إلا البعض مما طلبوا وهو القدر الذي استوجبوه في الدنيا نظراً إلى المصالح، وفي الآخرة نظراً إلى الإستحقاق إذ الصانع حكيم لا يفعل ما ليس بمصلحة ولا يعطي ما ليس بمستحق.

وقال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿والله يقبض ويبسط﴾ [البقرة: ٢٤٥] ويقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضته حكمته، وقال عند قوله تعالى قال: ﴿إن الله اصطفاه عليكم﴾ [البقرة: ٢٤٧] لما استبعدوا تملك طالوت لفقره وسقوط نسبه ردّ عليهم ذلك بأن العمدة فيه اصطفاء الله تعالى، وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم. وقال السعد عند قوله تعالى: ﴿أن آتاه الله الملك﴾ [البقرة: ٢٥٨] وقد حكى قول الكشاف أن الله لا يؤتي الكافر الملك يعني أنه قبيح قال: لو سلم فما من قبيح إلا ويمكن أن يعتبر فيه غرض صحيح مثل الإمتحان وقال التقي السبكي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿حكمة بالغة﴾ [القمر: ٥] أي تامة بلغت النهاية في كل ما يوصف به. وقال الزجاج في قوله تعالى: ﴿آباؤكم وابناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً﴾ [النساء: ١١] معنى الكلام أنه قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة، ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم فتضعون الأموال على غير حكمة، ولهذا أتبعه بقوله: ﴿إن الله كان عليماً﴾ [النساء: ١١] أي عليم بما يصلح لخلقه حكيم فيما فرض. وقال ابن عطية في الآية هذا تعرض للحكم في ذلك وتأنيس للعرب الذي كانوا يورثون على غير هذه الصفة. وقال أبو حيان: بين تعالى أن قسمته هي القسمة التي اختارها وشرعها، وأن الآباء والأبناء شرع في ميراثهم ما شرع لا ندري نحن أيهم أقرب نفعاً، بل علم ذلك منوط بعلم الله وحكمته، فالذي شرعه هو الحق لا ما يخطر بعقولنا، فإذا كان علم ذلك عازباً عنا فلا نخوض فيما لا نعلمه، إذ هي أوضاع من الشارع لا نعلم عللها ولا ندركها، بل يجب التسليم فيها لله ورسوله، وجميع المقدورات الشرعية في كونها لا نعقل عللها مثل قسمة المواريث سواء.

وحكى المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ [النساء: ٢٦] قولين. أحدهما: إن هذا دليل على أن كل ما بين تحريمه لنا وتحليله من النساء في الآيات المتقدمة، فقد كان الحكم كذلك أيضاً في جميع الشرائع والملل. الثاني: أنه في بيان مالكم في المصلحة لأن الشرائع وإن كانت مختلفة في نفسها متفقة في باب المصالح، ولهذا ختم الآية بقوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ أي عليم بوجوه المصالح حكيم بوضع الأشياء مواضعها بحسب الحكمة والإتقان انتهى.

وهذا الثاني مؤيد لما تقدم تقريره أن الشيء قد يشرع في وقت، ويكون إذ ذاك أبدع من خلافه لحكمة تقتضيه، ثم يشرع في وقت بعده خلافه ويكون هذا الخلاف أبدع في هذا الوقت من المشروع لما اقتضاه من الحكمة. ونقل أبو حيان عن بعض المفسرين واستحسنه في قوله تعالى: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ [النساء: ٣٢] قال: نهوا عن الحسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال، لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وعلم بأحوال العباد بما يصلح للمقسوم له من بسط في الرزق أو قبض، ولهذا ختم الآية

....

بقوله: ﴿إن الله كان بكل شيء عليماً﴾ أي علمه محيط بجميع الأشياء فهو عالم بما فضل به بعضكم على بعض وما يصلح لكل منكم من توسيع وتقتير فإياكم والاعتراض بتمن او غيره انتهى.

وذكر البيضاوي في تفسير هذه الآية نحوه.

وقال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة: ٣١] هذه دلالة على فضل العلم، فإنه سبحانه ما أظهر كمال حكمته في خلقه آدم إلا بأن أظهر علمه، فلو كان في الإمكان وجود شيء أشرف من العلم كان من الواجب إظهار فضله بذلك الشيء لا بالعلم انتهى. فهذا تصريح من الإمام بأنه ليس في الإمكان أشرف من العلم.

وقال الفخر: إنما سأل الملائكة ما سألوا في حق آدم عليه السلام طلباً للحكمة فأجابهم بقوله: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ [البقرة: ٣٠] أي أن مصلحتكم أن تعرفوا وجه الحكمة على الإجمال دون التفصيل، بل ربما كان التفصيل مفسدة لكم وقال في الآية بعدها: اعلم أن الملائكة لما سألوا عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته وإسكانه إياهم الأرض وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الإجمال بقوله: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ [البقرة: ٣٠] أراد تعالى أن يزيدهم بياناً وأن يفصل لهم المجمل، فبين لهم من فضل آدم ما لم يكن ذلك معلماً، وذلك بأن علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم عليهم ليظهر لهم كمال فضله وقصورهم عنه في العلم، فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي انتهى.

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ولكن ليبلوكم فيما آتاكم﴾ [المائدة: ٤٨] هذا نص من الله تعالى بأنه شرع الشرائع مختلفة على حسب ما اقتضته الحكمة.

وقال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ [المائدة: ٦٤] أي هو مختار في انفاقه يوسع تارة ويضيق أخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته.

وقال الراغب فيما نقله الطيبي في حاشية الكشاف، وكلاهما من أئمة السنة الحكم والحكمة من أصل واحد إلا أنه إذا كان في القول قيل له حكم وقد حكم، وإذا كان في الفعل قيل له حكمة وحكم له حكمة، فإذا قلت: حكمت بكذا فمعناه قضيت فيه بما هو حكمة، وإن كان كما يقال حكم فلان بالباطل بمعنى أجرى الباطل مجرى الحكم فحكم الله تعالى مقتض للحكمة لا محالة، فنبه بقوله: ﴿إن الله يحكم ما يريد﴾ [المائدة: ١٠] على ما يريد بجعله حكمةً حثاً للعباد على الرضا به، فالله يحكم ما يريد وحكمه ماض، ومن رضي بحكمه استراح في نفس وهدى لرشده، ومن سخط تعدى حكمه واكتسب بسخطه سخط الله وإهانته، كما ورد «من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب رباً سواي».

وقال النووي في شرح المهذب في باب آداب العالم؛ وطريقه في نفي الحسد أن يعلم أن حكمة الله

اقتضت جعل هذا الفضل في هذا الانسان فلا يعترض ولا يكره ما اقتضته الحكمة ولم يذمه الله احترازاً من المعاصي هذه عبارته، وهو صريح في أن المعـاصي وقعـت على مقتضى الحكمـة، وإنما تكره لأن الله ذمها.

وقال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿وإن خفتم عيلةً فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم﴾ [التوبة: ٢٨] ختم الآية بهذين الوصفين للإشارة إلى أنه إنما يغني بحسب المصلحة والحكمة.

وقال أبو طالب المكي في مقام الرضا من قوت القلوب الذي هو أساس كتاب الإحياء: ومن الرضا أن لا يذم شيئاً مباحاً ولا يعيبه إذ كان ذلك بقضاء مولاه مشاهداً للصانع في جميع الصنعة ناظراً إلى إتقان الصنع والحكمة، وإن لم يخرج ذلك عن معيار العقل والعادة، وبعض العارفين يجعل هذه الأشياء في باب الحياء من الله، ومنهم من يقول: هي من حسن الخلق مع الله، ومنهم من جعله من باب الأدب بين يدي الله تعالى، وأعظم من ذلك أنها داخلة في باب قلة الحياء، ويصلح أن يكون هذا أحد معاني الخبر الذي جاء: «قلة الحياء كفر» يعني كفر النعمة بأن يذم ويعيب بعض ما أنعم الله عليه من الإرفاق والإلطاف إذا كان فيها تقصير عن تمام مثلها أو كانت مخالفة لهواه، فيكون ذلك كفر بالنعمة وقلة حياء العبد من المنعم، إذ قد أمره بالشكر على ذلك فبدله كفراً، لأن أحداً لو اصطنع طعاماً فعبته وذممته كره ذلك منك، فكذلك الله تعالى يكره ذلك منك، وهذا داخل في معرفة معاني الصفات وبعض الراضين يجعل ذم الأشياء وعيبها بمنزلة الغيبة لصانعها لأنها صنعته ونتاج حكمته ونفاذ علمه وحكم تدبيره، ولأنه أحكم الحاكمين وخير الرازقين وأحسن الخالقين له في كل شيء حكمة بالغة، وفي كل صنعة صنع متقن لأنك إذا عبت صنعة أحد وذممتها سرى ذلك إلى الصانع لأنه كذلك صنعها وعن حكمة أظهرها، إذ كانت الصنعة مجهولة لم تصنع نفسها ولا صنع لها في خلقها، وقد كان الورعون لا يعيبون صنعة عبد كراهة الغيبة له، وذلك أن الراضي عن الله تعالى متأدب بين يديه يستحي أن يعارضه في داره أو يعترض عليه في حكمه، فصاحب الدار يصنع في داره بحكمه ما يشاء ويأمر في خلقـه كيـف يشـاء، والحاكم يحكم بأمره والعبد راض بصنع سيده مسلم لحكم حاكمه وقال ايضا في آخر مقام التوكل: لو تمنى أهل النهي من أولي الألباب الذين كشف عن قلوبهم الحجاب نهاية الأماني فكوّنت أمانيهم على ما تمنوا لكان رضاهم عن الله عز وجل في تدبيره ومعرفتهم بحسن تقديره خيراً لهم من كون أمـانيهـم على ما تمنوا وأفضل من قبل إن الله أحكم الحاكمين، وقد قال تعالى موبخاً للإنسان مجهلاً للتمني لقلة الإيقان: ﴿أم للإنسان ما تمنى ★ فلله الآخرة والأولى﴾ [النجم: ٢٤، ٢٥] أن يحكـم فيهما بترك الأماني لأنه قال: ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن هذا السوء علمهم بالتدبير وقوّة جهلهم بعواقب المصير واختلاف أهوائهم في معاني التقدير، فالمتوكل محب لله فهو به مسرور فرح له بملكه مستسلم له في جميع أموره، فإن له الآخرة والأولى يحكم فيهما بما يشاء كيف شاء أنه على كل شيء قدير فعال لما يريد، والعبد جاهل عاجز لا يقدر على شيء وهذا أول

....

مقام من المحبة وأوسط حال في التوكل فقد كفى الخلائق، هذا كله حسن تدبير الخلاق العليم الخبير البصير، وإنما يحتاجون إلى معرفة بالحكمة ومشاهدة للحكم والقدرة إلى بصيرة ويقين بالرحمة والنعمة يقع بها في القلوب تسكين، ولا يختلف هذا الذي ذكرناه عند الموقنين اليوم بعد كشف حجاب العقل وسقوط سلطان النفس، وسيطلع العموم على سر هذا من لطيف التدبير وباطن التقدير وهو سر القدر ولطيفة القدر عند كشف الغطاء ومعاينة ما وراءه من عجائب الخبء في السموات والأرض، وقد أطلع الله على ذلك العلماء به في الدنيا قبل الآخرة وهو محمود مشكور له الحمد في الأولى على ما أظهر وله الشكر في الأخرى على ما أخفى وستر، ففي كل واحد منهما نعمة سابغة ورحمة واسعة وحكمة بالغة، ولكن قد خلق العلماء بأخلاقه فليس يكشفون من سره إلا بقدر ما كشف ولا يعرفون من وصفه إلا من حيث عرف انتهى.

وقال الشيخ ابن عطاء الله قدس سره في لطائف المنن، وناهيك به جلالة قدر أن التقي السبكي كان يفتخر بحضوره في حلقة وعظه ذكر فيه ما نصه: اعلم إن الله تعالى لم يأمر العباد بشيء وجوباً أو ندباً إلا والمصلحة لهم في فعل ذلك الأمر ولم يقتض منهم ترك شيء تحريماً أو كراهة إلا والمصلحة لهم في تركه، ولسنا نقول كما قال من عدل به عن طريق الهدى أنه يجب على الله رعاية مصالح عباده، بل على سبيل التفضل، فليت شعري إذ قالوا يجب على الله رعاية مصالح عباده، فمن هو الموجب عليه انتهى. وهذا عين ما فهم من كلام المصنف وقررناه به.

فصل

في نبذة أحاديث وآثار مناسبة لما تقدم:

روى أبو نعيم في الحلية، وابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء من حديث أنس: «يقول الله تعالى من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة. وأنا أغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد» الحديث. وفيه: «وأن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه أن لا يدخل عجب فيفسده ذلك، وأن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وأن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وأن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو اسقمته لأفسده ذلك، وأن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لافسده ذلك إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير».

وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس: «يقول الله تعالى ربما سألني وليّي المؤمن الغنى فاصرفه من الغنى إلى الفقر ولو صرفته إلى الغنى لكان شراً له، وربما يسألني وليّي المؤمن الفقر فاصرفه إلى الغنى ولو صرفته إلى الفقر لكان شراً له».

وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة: «قال موسى: يا رب أعطيت الدنيا أعداءك ومنعتها أولياءك فما الحكمة في ذلك؟ فأوحى الله إليه: أعطيتها أعدائي ليتمرغوا ومنعتها أوليائي ليتضرعوا».

وروى أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث كليب الجهني: «قال الله: لولا أن الذنب خير لعبدي المؤمن من العجب ما خليت بين عبدي المؤمن وبين الذنب».

وروى الديلمي من حديث أبي هريرة: «لولا أن المؤمن يعجب بعمله لعصم من الذنب حتى لا يهم به، ولكن الذنب خير له من العجب».

وروى البخاري في تاريخه من حديث أنس: «عجباً للمؤمن أن الله لم يقض له قضاء إلا خيراً له».

وروى ابن جرير في التفسير عن ابن عباس قال: كنت ردف النبي ﷺ فقال: «يا ابن عباس ارض عن الله بما قدر وإن كان خلاف هواك فإنه ثبت في كتاب الله» قلت: يا رسول الله فأين؟ قال: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾» [البقرة: ٢١٦] فهذه الأحاديث كلها شاهد لسياق المصنف.

وأما الآثار، فعن سعيد بن جبير قال: قالت بنو إسرائيل: يا موسى يخلق ربك خلقاً لم يعذبهم؟ فأوحى الله إليه أن أزرع فزرع، ثم قال: احصد فحصد، ثم قال: ذره فذراه فاجتمع القشر فقال: لأي شيء يصلح هذا؟ قال: للنار. قال: فكذلك لا أعذب من خلقي إلا من استأهل النار. رواه الطبراني في الأوسط بسند صحيح.

وسئل ابن عباس عن القدر فقال: وجدت أصوب الناس فيه حدثنا أعلمهم به، ووجدت الناظر فيه كالناظر في شعاع الشمس كلما ازداد فيه نظراً ازداد تحيراً. رواه الطبراني.

وقال وهب بن منبه: يقول الله تعالى إن من عبادي المؤمنين من يسألني الشيء من العبادة فاحبسها عنه مخافة ان يدخل عليه الإعجاب فيفسد عليه عمله، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح له إلا الغني ولو صرفته إلى الفقر لكان شراً له، وأن من عبادي المؤمنين من لا يصلح له إلا الفقر ولو صرفته إلى الغنى لهلك. رواه أحمد في زوائد الزهد.

وعن أبي حازم قال: إن الرجل ليذنب الذنب وما عمل قط حسنة أنفع له منه ويعمل الحسنة وما عمل سيئة قط أضر عليه منها. رواه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد.

وقال وهب بن منبه: قرأت في بعض الكتب، فوجدت الله يقول: يا ابن آدم إن أحب ما تكون إلي وأقرب ما تكون مني إذا كنت راضياً بما قسمت لك، وأبغض ما تكون إلي وأبعد ما تكون مني إذا كنت ساخطاً لاهياً عما قسمت لك، يا ابن آدم أطعني بما أمرتك ولا تعلمني ما يصلحك إني عالم بخلقي رواه أبو نعيم في الحلية، وغير ذلك من الآثار التي في ذكرها تطويل وفيما ذكرناه كفاية للمستفيد وإغاظة للمستريب.

فصل

وهذه المسألة التي نحن في سياقها بايراد الشواهد عليها شهيرة بين العلماء وهي في بادىء النظر سهلة، ولكن عند التأمل عقدة تعب في حلها كثير من الشيوخ واختلفت آراؤهم وكثر نزاعهم وتشعبوا فرقاً وسلكوا فيها طرقاً، فمنهم من رد على المصنف ونسبه إلى رأي الفلاسفة والإعتزال، ومنهم من انتصر له وحاول عنه النضال، ومنهم من زعم أنها مدسوسة عليه وقوى ذلك الإحتمال، وقد سبق مني وعد في مقدمة كتاب العلم حين ذكرت ترجمة المصنف واستطردت فيها إلى ذكر مصنفاته ومقالاته والرد على الطاعنين في مؤلفاته وكلماته، أن إذا وفقني الله تعالى ووصلت إلى كتاب التوكل الذي هذه المسألة مرسومة فيه أتكلم عليها بما يسر الله لفهمي من مجموع كلام الأئمة تسليماً ورداً ونقداً، وها قدمنّ الله تعالى عليّ وله الحمد المستقصي حتى يرضى أن وصلت إلى هذا المقام بعد أن فات من ميقات الوعد إلى اليوم نحو عشرة أعوام، وقد أعطيت بمنة الله تعالى لعبارة المصنف استحقاقها شرحاً وكشفاً بما له من الأدلة والشواهد وفي أثنائها فوائد زوائد، وقد عن لي الآن ان أجمع كلام أولئك الفرق وأتكلم معهم بالإنصاف تاركاً سبيل الإعتساف، فما كان صواباً فمن الله تعالى وما كان خطأ فمن سوء فهمي وبلادة قريحتي، والمطالع يسامحني ويغضّ عن إساءتي فإني مقر بقلة بضاعتي وقلوص ظل حصاني، ولنقدم قبل نقل كلامهم وصية تعرف ما على من نظر في كلام الناس في تصانيفهم كيف يكون نظره فيها واقتباسه منها، فذلك أوكد عليه أن يتعلمه إن لم يعلمه، وأولى ما يلزم العمل به إذا علمه فما أتى على أكثرهم إلا أنهم أتوا البيوت من ظهورها فشردوا عنها وغلقت في وجوههم، وأسدل دونهم الحجاب. ولو أتوها من أبوابها للقوا بالرحب وولجوا على الرضا والحب وكشف لهم كثير من حجب الغيب.

قال المصنف رحمه الله تعالى في أول الإملاء: أيها الطالب للعلوم والناظر في التصانيف والمتشرف على كلام الناس ليكن نظرك فيما تنظر فيه بالله ولله وفي الله، لأنه إن لم يكن نظرك به وكلك إلى نفسك أو إلى من جعلت نظرك به إذا كان غيره من فهم أو علم أو خط أو إمام متبع أو صحة ميزان أو ما شاكل ذلك، وكذلك إن لم يكن نظرك له فقد صار عملك لغيره ونكصت على عقبيك وخسرت في الدارين صفقتك وعاد كل ما هو لك عليك ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ [الكهف: ١١٠] وإن لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولاحظت بالحقيقة سواه، وإذا نظرت في كلام أحد من الناس ممن قد شهر بعلم فلا تنظره بازدراء كمن يستغني عنه في الظاهر وله إليه كبير حاجة في الباطن، ولا يقف به حيث وقف به كلامه فالمعاني أوسع من العبارات والصدور أفسح من الكتب المؤلفات، وأطمح بنظر قلبك في كلامه إلى غاية ما يحتمل، فذلك يعرفك وجه قدره ويفتح لك باب قصده ولا تقطع له بصحة ولا تحكم عليه بفساد، وليكن تحسين الظن أغلب عليك فيه حتى يزول الإشكال عنك مما تتيقن من معانيه، فإذا رأيت حسنة وسيئة فانشر الحسنة واطلب المعاذير للسيئة، ولا تكن كالذبابة تنزل على أقذر ما تجده ولا تعجل على أحد بالتخطئة، ولا تبادر بالتجهيل، فربما عاد عليك ذلك وأنت لا

تشعر فلكل عالم عور وله في بعض ما يأتي به احتجاب، وناهيك بما جرى بين ولي الله تعالى الخضر وموسى عليهما السلام، وإذا عرض لك من كلام عالم إشكال يؤذن في الظاهر بمحال واختلال، فخذ ما ظهر لك علمه ودع ما اعتاص عليك فهمه وكل العلم فيه إلى الله عز وجل، فهذه وصيتي لك فاحفظها وتذكيري إياك فلا تذهل عنه، وأزيدك زيادة تقتضي التعريف بأصناف العلماء لكي تعرف أهل الحقيقة من غيرهم، فلك في ذلك أكبر منفعة ولي في وصفهم أبلغ غرض.

قال بعض علمائنا العلماء ثلاثة: حجة وحجاج ومحجوج، فالحجة والحجاج عالمان بالله وبأمره وبآياته علامتها الخشية لله والورع والزهد والإيثار، لكن الحجة محفوظ من المراء والجدال فهو خبير عليم على صراط الله المستقيم، والحاج مدفوع إلى إقاءه الحجة وإطفاء نار البدعة، فقد أخرس المتكلمين وأفحم المتخرصين، برهانه ساطع وبيانه قاطع وبواضح برهانه ودلائله وضح الحق المبين، فهو رباني عليم على صراط الله المستقيم، والمحجوج: عالم بالله وبأمره وبآياته ولكنه فقد الخشية لله برؤيته لنفسه، وحجبه عن الورع والزهد وبعده من بركات علمه ومحبته العلو والشرف وخوف السقوط فهو عبد لعبيد الدنيا خادم لخدمها مفتون بعد علمه مغتر بعد معرفته مخذول بعد تقربه، شأنه الاحتقار لنعم الله تعالى والازراء بأوليائه وفخره بلقاء أميره وصلة سلطانه، قد أهلك نفسه حين لا ينتفع بعلمه وأهلك من اتبعه واقتدى به؛ فويل لمن صحبه وويل لمن تبعه في دينه؛ وهذا هو آكل بدينه غير منصف لله في نفسه ولا ناصح له في عباده، فنعوذ بالله من الحور بعد الكور، ومن الضلالة بعد الهدى. فالصنفان الأوّلان من العلماء قد ذهبوا وإن كان قد بقي منهم فهو غير محسوس للناس ولا مدرك بالمخاطبة وذلك لما ظهر في القضاء من ظهور الفساد وعدم أهل الصلاح والرشاد، وأعز شيء في الغالب على وجه الأرض ما يقع عليه في الحقيقة اسم علم عند شخص مشهور به، وإنما الوجود اليوم أهل سخافة ودعوى وحماقة واجتراء وعجب بغير فضيلة ورياء، يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا وهم أكثر من هم الأرض وصيّروا أنفسهم أوتاد البلاد وأرسان العوام، وهم خلفاء إبليس وأعداء الحقائق وأخدان العوائد السوء، وعنهم يرد عيب الحكم الشرعية وانتقاص أهل الارادة والدين ﴿فاحذرهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون﴾ [المنافقون: ٤] ﴿اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون﴾ [المنافقون: ٢] ﴿أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ [الأعراف: ١٧٩] هذا كله كلام المصنف في خطبة الأملاء، وقد اختصرته في بعض المواضع، ولنأخذ في ذكر ما وعدنا به واستوهب الله نفوذ البصيرة وحسن السريرة وغفران الجريرة فهو ربي ورب كل شيء وإليه المصير.

فاعلم أن الطائفة الأولى؛ وهم الذين ردوا على المصنف هذه الجملة ولم يقبلوها وقابلوها على كلام أهل السنة فوجدوها غير دائرة عليه واستشكلوا فيها أمرين. الأوّل: قوله ليس في الامكان أبدع مما أوجده الله، والثاني: قوله في إقامة الدليل عليه لأنه لو كان وادّخره مع القدرة لكان بخلاً يناقض الجود الإلهي، وظلما يناقض العدل أو لامع القدرة كان عجزاً يناقض القدرة الإلهية، فقرر بهذا الدليل أنه محال غير ممكن حتى يدخل تحت القدرة ومحل التوقف في هذا الدليل قوله: وظلما

....

يناقض العدل، فإن الناس قد توقفوا فيه وقالوا: إنما يناسب أصول المعتزلة القائلين بوجوب الأصلح على الله، وإلاَّ فعلى أصول أهل السنّة أنه لا يجب عليه فعل الأصلح ولا يكون مناقضاً للعدل، لان فعل الأصلح عندهم من باب الفضل. هذا الذي فهم من مجموع كلام المعترضين مع سعته وتشعب أرجائه، ولكن الحاصل ما ذكرته، فمن هذه الطائفة الإمام أبو بكر بن العربي شارح الترمذي، وتلميذ المصنف فإنه وفد عليه بالعراق وأخذ عنه علماً جماً كما ذكره في العواصم والقواصم.

قال أبو عبد الله القرطبي في شرح أسماء الله الحسنى، قال أبو بكر بن العربي، قال شيخنا أبو حامد الغزالي قولاً عظيماً انتقده عليه أهل العراق وهو شهادة الله موضع انتقاد. قال: ليس في القدرة أبدع من هذا العالم في الاتقان والحكمة، ولو كان في القدرة أبدع منه وادّخره لكان ذلك منافياً للجود، وأخذ ابن العربي في الرد عليه إلى أن قال: ونحن وإن كنا قطرة في بحره فإنا لا نرد عليه إلا بقوله: ثم قال: فسبحان من أكمل بشيخنا هذا فواضل الحقائق ثم صرف به عن هذه الواضحة في الطرائق، وممن تلاه في الرد الإمام أبو عبد الله المازري، والإمام أبو الوليد الطرطوشي، وهما لم يخصا بالرد عليه في هذه المسألة، بل أطلقا القول في هذه المسألة وغيرها في مواضع من كتاب الإحياء تبع فيها الفلاسفة، فالمازري لما سئل عن كتاب الأحياء ومصنفه قال في الجواب: هذا الرجل وإن لم أكن قرأت كتابه فقد رأيت تلامذته وأصحابه، فكل منهم يحكي لي نوعاً من حاله وطريقته فاتلوح بها مذهبه وسيرته ما قام لي مقام العيان، فأنا أقتصر على ذكر حال الرجل وحال كتابه، ثم ذكر أنه اكسبته قراءته الفلسفة جراءة على المعاني وتسهيلاً للهجوم على الحقائق، وعرفني بعض أصحابه أنه كان له عكوف على رسائل إخوان الصفا، ثم ذكر ابن سينا، وأنه يعول عليه في أكثر ما يشير إليه من الفلسفة، وقد أجاب عنها التاج السبكي بما مرّ أكثره في مقدمة كتاب العلم حاصله: أن ابن سينا عنده من الهالكين، فكيف يعتمد عليه وليس في كتاب الاحياء للفلاسفة مدخل ولم يصنفه إلا بعدما ازدرى علومهم ونهى عن النظر في كتبهم، وقد أشار هو إلى ذلك في مواضع من الاحياء؛ وأما هذه الجملة التي وقع فيها النزاع والخصام ومكابرة الألداء الطغام، فلا شك أنها فلسفية أوجبت للمازري ولأمثاله اعتقاد هذه الأمور الردية والخلاص منها الحكم بأنها مدسوسة عليه معزوة كذباً وبهتاناً إليه، قبح الله واضعها وعازيها إليه وصانعها اهـ.

ومن المعترضين عليه أبو العباس ناصر الدين ابن المنير الاسكندري المالكي صنف في ذلك رسالة سماها «الضياء المتلالي في تعقب الاحياء للغزالي» وقال: المسألة المذكورة لا تتحشى إلا على قواعد الفلاسفة والمعتزلة، ومع رده على المصنف قد أساء القول فيه جداً إذ تنقص من مقامه وغض من رتبته وهذا لا يوافقه فيه أحد، فإن المصنف إمام الدنيا والدين وقطب العلم والحال والمقام وإمام المسلمين، وإني لم أقف على كتابه المذكور وإنما اطلعت على نقول منه بالوساطة.

ومن نقل عنه الانكار إما عموماً وإما خصوصاً التقي ابن الصلاح، ويوسف الدمشقي، وابن الجوزي، والتقي السبكي، وابن قيم الجوزية، والحافظ الذهبي، وقد ذكر في تاريخ الإسلام الانكار عليه من جماعة من الائمة، وممن جاء بعد هذه الطبقة الإمام بدر الدين الزركشي فقد قال في تذكرته حين ساق هذه العبارة: هذه من الكلمات العقم التي لا ينبغي إطلاق مثلها في حق الصانع، هكذا نقله غير واحد، وله في توجيه الكلام أجوبة سيأتي ذكرها بعد.

وممن جاء بعد هذه الطبقة بكثير فتعصب عليه وطعن البرهان: إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعى الشافعي أحد تلامذة الحافظ ابن حجر فقد صنف ثلاث رسائل في الرد عليه. إحداها: « المقصد العالي في ترجمة الإمام الغزالي » مدحه في أوّله وأطال فيه ثم تعرض للرد عليه في هذه المسألة، والثانية: « تهديم الأركان من ليس في الإمكان أبدع مما كان ». والثالثة: « دلالة البرهان على أن في الامكان أبدع مما كان »، وكل من الثلاثة عندي. قال في الثانية: وبعد؛ فهذا كتاب سميته تهديم الأركان من ليس في الامكان أبدع مما كان أرد فيه كلام بعض الفلاسفة القائلين بالوحدة المطلقة بهذه العبارة التي عنوا بها أن الله جلت قدرته لا يمكنه أن يوجد شيئاً أبدع من هذا الذي كان من هذا الكون الذي نشاهد ما نشاهد منه ونعلم ما غاب عنا بإعلام الرسل عليهم السلام، لأن ذلك على زعمهم من قبيل المحال فلا تتعلق به القدرة لانصراف الإرادة عنه، لأن من شأنها أن لا تتعلق بالمحال، وهذا يشبه أن يكون قول من يقول: إن الاله يفعل بالذات لا بالاختيار وهو قول باطل يلزم عليه قدم العالم بالزمان، أو انه قول من يقول بقدم العالم بالذات حتى لا يكون شيء سوى هذا الوجود المشهود إنما هو على زعمه أرحام تدفع وأرض تبلع، وهو قول أهل الطبيعة القائلين بأن حوادث هذا العالم علتها امتزاج هذه العناصر بعضها من بعض وهو أبطل من الأوّل، أو قول من يقول بأنه تعالى يجب عليه رعاية الاصلح، وقد تظافر أهل السنّة على رده واغترّ بقولهم هذا بعض الناس وأكد غرورهم بهذه المقالة أن أخذها الإمام حجة الإسلام وأودعها بعض كتبه، وهو الإمام الذي لا مطعن في دينه ولا علمه، ولم يقصد بها إن صحت عنه إلا خيراً غير أنه ليس بمعصوم وهي زلة منه، وقد رد عليه صناديد العلماء في أشياء كثيرة من أحاديث موضوعة وأقوال مرذولة. أما نقله لهذه العبارة فقال في كتابه المسمى بالجواهر والأربعين في أصول الدين وفي الأحياء، ثم ساق عبارة الأخيرين ولم يسق عبارة الجواهر كأنه لم يطلع عليه، وقد سقناه نحن آنفاً، وهذه العبارة في موضعين منه، ثم قال: وهو من المواضع التي اعترض عليه فيها في حياته فأجاب كما عزى إليه إن صح ذلك عنه في كتاب اسمه **(الاملاء على الاحياء)** فقال ما نصه فساقه الخ ـ كما سنذكره بعد.

ثم قال: انتهى جميع ما وقفت عليه من كلامه على هذا المعنى حسبما عزي إليه والله أعلم بحقيقة الحال، هل هو كلامه أو مدسوس عليه كما ظننته قبل إطلاعي على هذه النقول، كما دس عليه بعض المجرمين كتباً كاملة كانية على ذلك ليتوصل ذلك المفسد بذلك إلى تمشية فساده، إما بالطعن في هذا الاستاذ، وإما بتمشية ما في تلك الكتب من فاسد الاعتقاد هذا، وما تضمنته هذه

النقول هو كما ترى ظاهر جداً في نسبة الله إلى العجز عن أن يبدع عالماً أكمل من هذا العالم، وفي أنه يعد إبداع ما هو أكمل من هذا محالاً حتى يصير مما ليس من شأن القدرة أن تتعلق به وليس ذلك كذلك قطعاً، ولا يثبت كون الشيء محالاً بمجرد الدعوى، بل نقول: إنه ممكن فهو مقدور عليه وادخار لا يلزم منه بخل ولا عجز، كما لا يلزم ذلك من خلق شخص من الأشخاص الآدميين على غاية البشاعة في صورته ومعناه خلقاً وخلقاً مع علمنا بالقدرة على جعله من أكمل الخلق، حتى يكون على صورة من هو أكمل منه سواء بسواء لا شبهة في ذلك ولا شبهة في أنه كان قادراً على أن يدع الخلق على ما كانوا عليه أمة واحدة مؤمنين على قلب رجل واحد لا تحاسد بينهم ولا تباغض بوجه، ولو شاء الله ما اختلفوا، ولو شاء الله ما اقتتلوا. ولا شك أن ذلك أبدع مما نحن فيه من هذا التخالف والتدابر والتباغض والتنافر، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى، ولو شاء لأعطى كل نفس هداها، ولو شاء لحفظ الأرض من الفساد بعد إصطلاحها.

ثم ذكر نقولاً من كتاب الإحياء مما توافق مقصوده، فمن ذلك عبارته في الصبر والشكر الذي يقول فيها: إن كل مصيبة ومرض فيتصوّر أن يكون أكثر منها إذ مقدورات الله لا تتناهى الخ. قال: فهذا نص في أن الله تعالى لو أراد أن يخلق عالماً أعظم من هذا وأبدع كان عليه هيناً ولا يلزم من ذلك محال، ومن ادعى لزوم محال أو عجز أو بخل فليبينه حال كونه مستحضراً لقوله تعالى ﴿لا يسئل عما يفعل﴾ الذي من مفهومه أنه لو فعل ما ينافي ما نسمّيه حكمة كان له ذلك ولم يلزم منه محال، مع أنا لا ندعي أنه يفعل ما ينافي الحكمة، فكيف إذا فعل ما هو أحكم مما فعله أولاً وكان قد ادخره لما لا نعلمه من الحكم.

ومنها: عبارته في كتاب المحبة نقلاً عن سهل: لله عباد في هذه البلدة وسألوا الله أن لا يقيم الساعة لم يقمها. قال المصنف: وهذه أمور ممكنة في أنفسها فإن القدرة واسعة والفضل عظيم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ومقدورات الله لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له اهـ.

قال: وهذا نص آخر منه على أنه خلق عالم أبدع من هذا العالم ممكن، فإنه من جملة المقدورات التي قال وهو الحق انه لا نهاية لها، والفضل الذي نص على أنه لا غاية له وجوّز عدم قيام الساعة لأنه ممكن مع أنه محظ الحكمة، ولولا هو لكان خلق هذا العالم صورته صورة العبث وقد قرر هو أن ترتيب الدنيا على الآخرة من جلة ما هو في نهاية الابداع، وقد قدم في تلك الكلمات المعترضة أن المسببات رتبت على الاسباب على أكمل الوجوه وأحسنها، وليس في الإمكان أحسن منها وأكمل، ومن جملة المسببات التي دخلت تحت هذا النص يوم القيامة الذي رتبت على تظالم الناس في الدنيا ليظهر فيه العدل وتزاحمهم ليظهر الفضل، وقد جوّز أن لا يكون فإن كان تركه أحسن من فعله وأبدع انتقض قوله على أكمل الوجوه وأحسنها، وأن كان تركه أقل حسناً من وجوده وهو كذلك، بل لا شيء من الحسن في تركه انتقض قوله في الإملاء، فليس في الإمكان أن يفعل

....

إلا نهاية ما تقتضيه الحكمة فكان له أن يفعل ما هو حكمة وليس هو النهاية مما تقتضيه الحكمة، وهذا هو الحق وهو لا يُسأل عما يفعل وهو المختار في أفعاله ولا حدّ لحكمته، كما انه لا حدّ له هو تعالى جده وتقدس مجده، ثم ذكر أنه لا ريب في أن الله تعالى قادر أن يجعل الجبال كلها ذهباً وعلى أن ينقل جبل قاسيون الذي حجب عن دمشق الريح الطيب من مكانه ويبدل بـه أشجـاراً وأنهاراً، وذكر أشياء من هذا النمط مما لو عرض على أدنى الطلبة لم يشك في صلاحية القدرة له فضلاً عن عالم فضلاً عن مثل حجة الإسلام، ثم قال: غاية القول في هذا أن قائله ظن أن وجود الابداع محال غير داخل تحت القدرة وهو غالط في ذلك هذا حاصل ما ذكره في تهديم الأركان.

وقد رد عليه الحافظ السيوطي فأحسن وأجاد، حاصله ما قدمنا أن النفي في كلامه ليس منصباً على إمكان وجود شيء غير الموجود إنما هو منصب على كونه أبدع من الموجود، فنفي حجة الإسلام كون شيء مما يمكن وجوده أبدع مما وجد مع قطعه بصلاحية القدرة لإيجـاده، فقوله: إن في القدرة جعل الكافرين كلهم مؤمنين على الفطرة مسلم لا شك في صلاحية القدرة لذلك، كيف وقد قال تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً﴾ [يونس: ٩٩] لكن المنفي كون ذلك لو وقع أبدع، والمدعي أن ما صنعه الله من جعل الناس قسمين مؤمنين وكفاراً أبدع من حيث الحكمة، وكذا انقسامهم إلى طائعين وعصاة أبدع من جعلهم طائعين، وهذا هو سر القدر الذي ورد النهي عن كشف سره، وقد لحظ فيه من حيث الحكمة أنه لولا الكفر لم يعرف مقدار الإيمان، ولولا المعصية لم يعرف مقدار الطاعة، ولولا النار لم يعرف مقدار الجنة؛ فهذا بعض أسرار كونه أبدع، وكذا نقول: إنه سبحانه قادر على جعل الناس كلهم أصحاء وأغنياء وذوي حسن وجمال، لكن جعلهم متفاوتين أبدع.

وقول المعترض في قدرة الله أن يجعل الجبال ذهباً مسلم ذلك وأكثر منه، وقد عرض على نبيه ﷺ ذلك، لكن الابداع ما صنعه، ولو كانت الجبال كلها ذهباً لتعطل الوجود وترك الناس لزراعة وسائر وجوه المعيشة فيؤدي إلى هلاكهم، وهذا هو السر في انقسام الناس إلى زاهد وحريص ووضع الأمل والرغبة في الدنيا، ولو كان الناس كلهم زهاداً ولا آمال لهم لتركوا المعايش والمتاجر والأسفار وجلب الأمتعة من البلاد القاصية فلم ينتظم للناس أمر المعيشة فكان صنع الله أبدع، وأيضاً فلو كانت الجبال كلها ذهباً لاقتتلوا عن آخرهم كما يقع لهم حين يحسر الفرات عن كنز من ذهب كما في الحديث، ولما كان ذلك الأمر في ذلك الوقت أبدع لاقتراب الساعة أوجده الله حينئذ.

وقول المعترض: إن في قدرة الله إزالة جبل قاسيون الخ هذا مسلم، كيف وذلك كائن لا محالة قرب الساعة، كما قال تعالى: ﴿ويوم نسير الجبال﴾ [الكهف: ٤٧] لكن اثباته الآن أبدع من ازالته وإن كان حاجباً للريح الطيب عن دمشق، فلعل الباري سبحانه علم بحكمته أن الاصلح لهذه البلدة حجب الريح الطيب عنها ولا يستنكر ذلك، فرب أمزجة لا يصلح لها شم الريح الطيب، وقـد

قال الأطباء: ان الامكنة الرديئة تصح في الأزمنة الوبيئة فتصح عند فساد الهواء وتفسد عند طيب الهواء، فقد تكون دمشق في علم الله كذلك، فعلم أن الأصلح لها حجب الريح الطيب عنها، وقد تكون الحكمة في ذلك راجعة إلى الإرساء لأن الجبال لما خلقت لإرساء الأرض حين مـادت فوضع كل جبل في مستقره لحكمة، فلعله لو أزيل عن مكانه أخلّ بحكمة الارساء، فإن الأبدع وضعه هنا وإن أدى إلى ضرر آخر من حبس الريح لأن مراعاة الأشد ضرراً مقدمة على الأخف، والحسن يترك لما هو أحسن منه، والضرر يرتكب لدفع ما هو أشد ضرراً منه.

وقول المعترض: إن الله تعالى لا يجب عليه الأصلح. هذا مسلم، ومن ادعى أنه واجب، وإنما نقول إنه تعالى فعل الأبدع في مصنوعاته فضلاً منه ومنّا لا وجوباً، تعالى عن ذلك، كما نقطع بأنه يدخل أهل طاعته الجنة فضلاً منه لا وجوباً عليه، ولو شاء لأدخلهم النار لكنه لا يفعل كرماً منه، فالحاصل أنا نقول: إن كل موجود على وجه يمكن إيجاده على عدة أوجه أخرى، وأن القدرة صالحة لذلك غير أن الوجه الذي أوجده الله عليه أبدعها لعلم الله تعالى بوجه الحكمة فيه وايجاده عليه، ولا ننفي أن يوجد بعده ضده ونقول: إنه إذا وجد ضده في الزمن الثاني كان ذلك الضـد في ذلك الزمان الثاني أبدع من الضد الأوّل، فكل موجود أبدع في وقته من خلافه، والمعترض فهم من الكلام أنه إذا حكم على موجود بأنه أبدع استمر ذلك الحكم فيه إلى يوم القيامة واقتضى ايجاد ضد أحسن منه بعد ذلك فالزم عليه الاشكال، وهذا غلط محض بل المقصود أن كل ما أوجده الله في وقت فهو فيه أبدع من غيره وله أن يوجد غيره في وقت بعده ويكون ذلك الغير في ذلك الوقت أبدع من الامر الأوّل وهلم جرا، فقد يوجد في اليوم الواحد أضداد كثيرة على سبيل التعاقب في كل ساعة منه ضد وكل واحد أوجد في ساعة أبدع فيها من غيره، والذي أوجد في الساعة الثانية أبدع فيها من الذي أوجد في الاولى وهكذا، وكل ذلك مناطه اعتبارا بحكمة الله في أفعال الله، وعلى هذا لا إشكال البتة ولا يحتاج كلام حجة الإسلام إلى تأويل ولا صرف عن ظاهره، ونحن نرى أناساً أقامهم الله في أسباب وهم يظنون أن غيرها أحسن حالاً منها فلا يزالون حتى ينقلوا منها إلى غيرها، فلا ينتظم لهم فيها أمـر البتة ويعودون إلى شر ما كانوا عليه ويؤول أمرهم إلى العود إلى السبب الأوّل، وبهذا يعرف كل ذي بصيرة أن الأبداع والأصلح في حق كل أحد ما أقامه الله فيه.

فإن قلت: قد انتهى الكلام على الحكمة في أجزاء العالم دون حكمة كله، كاشتماله على الضدية مثلاً من حيوان وجماد ومتحرك وساكن بحيث يمتنع ايجاده وإيجاد غيره على غيرها.

قلت: قد تولى الله تعالى تبيين حكمه ذلك في كتابه العزيز حيث قال: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ [الذاريات: ٤٩] قال المفسرون: هذه إشارة إلى المتضادات المتقابلات من الأشياء كالليل والنهار، والسماء والأرض، والسواد والبياض، والصحة والمرض، والكفر والإيمان، والهدى والضلالة، والشقوة والسعادة ونحو هذا. وفي ذلك دلالتان: الأولى على أنه تعـالى

فرد لا ضدّ له ولا شبيه ولا عدل ولا مثل، والثانية: على القدر حيث أوجدت الضدين بخلاف ما يفعل بطبعه واحداً كالتسخين والتبريد. هذه عبارة السبكي في تفسير هذه الآية نقلاً عن مجاهد والطبراني، هذا كله سياق الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى، وسيأتي إيراد اعتراضاته على كلام المصنف في الإحياء وفي الجواهر والأربعين عند ذكر سياق جواب الإملاء.

فصل

ومن المعترضين المتعصبين على المصنف شيخ بعض شيوخنا العلامة سيدي أحمد بن مبارك بن محمد بن علي بن مبارك السجلماسي اللمطي المتولد سنة ١٠٩٠ فإنه صنف كتاباً سماه **(الذهب الابريز)** جمع فيه ما استفاده من شيخه الولي الصالح القطب العارف بالله تعالى سيدي الشريف عبد العزيز بن مسعود الحسني الادريسي الشهير بالدباغ قدس سره ونفعنا به قال فيه: وسألته رضي الله عنه عما نسب لحجة الإسلام من قوله ليس في الامكان أبدع مما كان. فقال رضي الله عنه: القدرة الالهية لا تحصر والرب سبحانه لا يعجزه شيء، ثم قال: قلت وهذا الكلام في غاية الاتقان والعرفان، وقد استخرت الله تعالى غير مرة في أن أكتب شيئاً في هذه المسألة محبة للخير ونصيحة للغير فإنها عقيدة ومع ذلك فإنها من الضروريات، ولكنه لما كثر فيها القيل والقال واختلفت فيها أجوبة الرجال كادت تلتحق بذلك بأدق النظريات. فنقول مستعيناً بالله وحوله، ثم ساق عدة آيات وأخبار تناسب سعة المقدورات، وقد ساق تلك الآيات بعينها البقاعي في رسالته، ثم قال: وإذا تأملت هذه الآيات والأحاديث علمت منه الحق الواضح والطريق المستقيم الرابح، وقد اعتنيت بسؤال العامة عن هذه المسألة الذين قلوبهم خالية عن الشبهات وما يمنع من وصول الحق إليهم. فأقول لهم: هل يقدر ربنا على إيجاد أحسن من هذا العالم؟ فيقولون: ومن يتوقف في هذا وربنا على كل شيء قدير وقدرته نافذة لا يعجزها شيء من الأشياء اهـ.

قلت: ومفهومه أن حجة الإسلام يتوقف في ذلك وينكر سعة القدرة، وهذا من أعجب العجائب. ولو سئل عنها حجة الإسلام ماذا كان جوابه، وهل يستدل بكلام العامة على الخاصة.

ثم قال: وقلت مرة لبعضهم هل يقدر ربنا على ايجاد أفضل من هذا العالم؟ فقال لي ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ [إبراهيم: ١٩] ولم يقيد الجديد بكونه دوننا فجاز أن يكون أفضل منا أو مساوياً لنا فأعجبني والله فهمه اهـ.

قلت: وهذا ظاهر لا يشك فيه عاقل فإن في سعة قدرته ما يقتضي ذلك، ولكنه لم يشأ باذهابنا فكان وجودنا هو الأبدع، وليس في عبارة الحجة أن الأبدع لا يدخل تحت القدرة هذا لا يخطر ببال أحد ولا الكفار.

ثم قال: وقلت لبعض الفقهاء ما قولك في قول أبي حامد: ليس في الامكان أبدع مما كان؟ فقال: قد تكلم عليه الشعراني وغيره، فقلت: إنما أسألك عما عندك فيه. فقال: وأي شيء عندي

فيه؟ فقلت: ويحك إنها عقيدة أرأيت ان قال لك قائل هل يقدر ربنا على إيجاد أفضل من هذا الخلق؟ فقال: أقول له إن مقدورات الله تعالى لا تتناهى فيقدر على إيجاد أفضل من هذا الخلق بألف درجة وأفضل من هذا الأفضل، وهكذا إلى ما لا نهاية له. فقلت له: وقوله ليس في الامكان أبدع مما كان ينافي ذلك، فتفطن عند ذلك لمعنى العبارة. وهكذا وقع لي مع كثير من الفقهاء، فإذا سألتهم عن عبارة أبي حامد استشعروا جلالته فتوقفوا، فإذا بدلت العبارة وعبرت بما سبق في سؤالنا للعامة جزموا بعموم القدرة وعدم نهاية المقدورات اهـ.

قلت: لو تأمل السائل والمسؤول حق التأمل لعرفا أن العبارة المذكورة ليس فيها تعرض لنفي القدرة أصلاً، كيف وقد صرح باثباتها في الدليل حيث قال: ولو لم يكن قادراً كان عجزاً يناقض الإلهية، فكيف يقال عليه مع ذلك أنه نفى الدخول تحت القدرة وتبديل العبارة بسياق آخر غير مناسب خصوصاً للعامة، فإن التصرف في العبارات يغير المعاني، وهم لو علموا أن مراد المصنف من سياق هذه العبارة في آخر مقام التوكل حث العبد على الثقة بمولاه والرضا بما قضاه الله، حتى لا يأسى على شر أصابه ولا خير فاته لاستراحوا من القال والقيل، ثم هذه المسألة لها طرفان: فطرفها الخارج في علم الكلام الذي هو من توابع علوم المعاملة إن صحت فيه النية، وطرفها الداخل متصل بعلم كمال الإيمان الذي هو داخل في جلة علوم المكاشفة، ومن ورائه سر القدر المنهي عن إفشائه كما أشار إليه المصنف في آخر السياق، فالعلم بها من عالم الملكوت ولا يفهمها إلا من اطلع على هذا العالم، ثم إن هذا المعترض لو تأمل ما أوردناه من الوصية المرضية لرجع إلى نفسه بالسكوت وتأدب مع الله تعالى ومع أهله وخاصته، ومن العجب أن مثل حجة الإسلام يخاطب بمثل هذه العبارات ويقال له: إنك تنكر قدرة الباري وتنسب إليها العجز وتنسبه إلى البخل وتقول بوجوب الأصلح عليه، أو تقول أنه قائل بقدم الزمان وما أشبه ذلك، أتعلم أمك البضاع ودايتك الرضاع، ولو سلموا لأهل التسليم سلموا.

ثم قال سيدي أحمد بن مبارك: وكذا وقع له مثل هذه العبارة في مقاصد الفلاسفة، وقد اختلف العلماء فيها على ثلاث طوائف: فطائفة أنكرتها وردتها، وطائفة أوّلتها، وطائفة كذبت النسبة إليه ونزهت مقامه عنها، ثم ساق كلام ابن العربي شارح الترمذي الذي سقناه أوّلاً، ثم ذكر ابن المنير واعتراضه، ثم ذكر كلام ابن أبي شريف في شرح المسايرة بعد أن ذكر أن في مقدورات الله تعالى ما هو أبدع من هذا العالم ما نصه: ثم إن ما في بعض كتب الأحياء ككتاب التوكل مما يدل على خلاف ذلك والله أعلم صدر عن ذهول ابتنائه على طريق الفلاسفة، وقد أنكره الائمة في عصره اهـ.

قلت: كيف يكون هذا ذهولاً من أبي حامد، وقد ذكره في عدة كتبه كما تقدم تصريحاً وتلويحاً، ومن شأن الذاهل، انه إذا نبه عليه في ذهوله يتنبه ويرجع إلى الحق من غير تلعثم إذا كان منصفاً قوّالاً بالحق كما وقع في مسألة الدور، فإنه لما أظهر له الحق رجع وصنف رسالة في الرد على

نفسه وأنصف، وهذه المسألة قد أجاب عنها بنفسه وصمم عليها، والمسألة كما ذكرنا من علم سر القدر ومن علوم المكاشفة ولا يمنعه توافق بعض عبارات الفلاسفة معها، فينبغي التسليم له فيها فإنه أعرف بها ممن أتى بعده، وكل من تكلم فيها فإنما هو من جهله بحقائق عالم الملكوت، فإن تطبيق ما بين العالمين في الحقائق والقواعد صعب، وهو قد أشار إلى ذلك بأنه قد غرق فيه طوائف من القاصرين. وكل متوغل في عالم الملك غير مطلع على أسرار ما بعده فهو من القاصرين. فينبغي أن يقف على ساحل هذا البحر ولا يتوغل فيه وإلا فيغرق مع الغارقين وله الويل إن لم يكن من الناجين.

فصل

والطائفة الثانية قالت: إن هذه المسألة قد دست في كتبه. قال البقاعي في الرسالة الأولى: قد ألحقها في كتابه من لم يراقب الله تعالى، والدليل على ذلك أنها مناقضة لكلامه في جميع عقائده المشهورة وأنه نقلها عن الفلاسفة في كتابه الذي سماه مقاصد الفلاسفة، وردها هو في كتابه تهافت الفلاسفة، وأخذها أهل البدع منهم ونقلوها عنهم، وأجمع الأمة على أنها لا تطلق على الله تعالى لاجتماعهم على أن ما يوهم نقصاً لا يقال عليه، وهذه إن لم تكن تفهمه فهي توهمه، وممن صرح بها بالخصوص البدر الزركشي كما تقدم النقل عنه، ثم ساق النقول.

وقال في الرسالة الثالثة: وإذا تأمل حق التأمل مع تحكيم الشرع والخلو عن حظ النفس علم أن ما خالفه الغزالي مما عزي إليه وهو شديد الشبه بكلام المعتزلة والفلاسفة كذب عليه لا تصح نسبته على هذا الوجه إليه، لأنه إن لم يكن عين ما نقل عن المعتزلة فهو شديد القرب منه عبارة ومعنى، وانظر إلى عبارة الاحياء والإملاء واعرضهما على كلامه في غيرهما تراها نازعة إلى ما يوهم نقصاً في حق الله البتة، فإن رأيتها وكثيراً من جملها عين كلام المعتزلة الآخذين له عن الفلاسفة أو قريبة إليه جداً فأنفها عن الغزالي لبعدها عما مضى من كلامه، فإن ذلك ممكن لأن الحساد كثير ولهم مكر كبير وكيد تكاد منه الجبال تسير، وقد كذبوا على غيره ليمشوا باطلهم المقعد بحسن سيره، وذلك أقعد في تنزيهه عنها وتبريته منها، وإن رأيت أن تثبتها على وجهها وسياقها له من غير أن تجوز فيها تحريفاً أو دساً يوجب زيفاً أو لبساً، ثم تؤول وترتكب وعراً صعباً حزناً وتعاسيف خشناً عليها تعول، فافعل إن استطعت ذلك إلى أن قال: ولا تستوحش من قولي إن ذلك مدسوس عليه لأجل كثرة الكلام وطوله، مع أن الاحياء شهير النسبة إليه فإني لم أعن بذلك الجميع، بل هو دون خمسين كلمة وهي قوله في الجواهر: ليس ليكون الكلام إثباتاً لإمكان الأبدع، وقوله: ولو كان إلى القدرة، وقوله: الواجب، وقوله وليس في الامكان إلى قوله الإلهية، إذا حذفت هذه الكلمات استقام الكلام ولم يبق فيه شيء إلا صيغة افعل، وقد جرت العادة بالاتيان بها في سياق الاثبات على قصد المبالغة في المدح وإرادة معنى « من » والذي دلنا على إرادته المبالغة مع استلزام الحقيقة المحال وهو تناهي المقدورات قوله عقب ذلك في الدلالة عليه، وأشار إلى وجه إثباتها أي العلم والقدرة بأنه قادر على إبدائهم وإبداء ما هو أعظم خلقاً وأعجب صنعاً، فهذا هو العذر عن

الاحياء وعن الجواهر، وأما الاملاء فليس مشهوراً عنه، فالظاهر أن الذي دس في الجواهر والاحياء اتقن دسه بما ذكره في الإملاء اهـ.

وممن جوز الدس عليه واعتمده التقي السبكي واستحسنه ولده التاج تقدم عنه في الكلام مع المازري، وقال سيدي أحمد بن مبارك: وأما الذين كذبوا نسبة هذه المسألة إليه فمستندهم أنهم عرضوها على كلامه في كتبه فوجدوها معه على طرفي النقيض والعاقل لا يعتقد النقيضين، فضلاً عن أبي حامد، فلذلك حكمنا ببطلان نسبتها إليه، ثم ساق عن المستصفى والاقتصاد، ثم قال: وأنت إذا تأملت ما وقع للإمام أبي حامد في الاقتصاد وفي مواضع من الاحياء أيقنت أنها تناقض ما نسب إليه في المسألة المتكلم فيها، فإنه قضى فيها بأن ادخار الأبدع مع القدرة عليه ظلم وبخل، وقضى هنا بأن صب العذاب والآلام والآوصاب على الخلائق عدل لا ظلم فيه والتناقض بينهما ظاهر لا يخفى، فإن ادخار الأبدع إذا كان ظلماً يناقض العدل كان صب العذاب والآلام والأوصاب ظلماً يناقض العدل بالأولى والأحرى، وقد حكم عليه هنا بأنه عدل لا ظلم فيه، وقد صرح في المسألة بأنه ظلم يناقض العدل فيتهافت الكلامان؛ وهذا المكان في الوضوح لا يخفى.

فان قلت: كيف تكون المسألة مكذوبة عليه وقد وقعت في عدة من كتبه ولا سيما في الاملاء، فإن ذلك يقتضي أنه وقف على إشكالها واشتغل بالجواب عنها، ولو كانت مكذوبة عليه لبادر إلى إنكارها وتبرأ من قبحها وعوارها.

قلت: لا مانع من أن يقع الكذب عليه مرتين: مرة في نسبة المسألة إليه، ومرة في نسبة الجواب عنها، وقد قال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب الانتصار ما معناه: إن وجود مسألة في كتاب أو في ألف كتاب منسوبة إلى إمام لا يدل على أنه قالها حتى تنقل عنه نقلاً متواتراً ليستوي فيه الطرفان والواسطة، وذلك مفقود في مسألتنا قطعاً، فلذلك قطعنا بأنه لم يقلها حيث وجدنا مخالفة لعقيدة أهل السنة ولكلام الغزالي في سائر كتبه اهـ.

قلت: هذا الذي ذكره بعيد، ولو كان ذلك في كتاب واحد كان الأمر سهلاً، وما كان الغزالي من الموصوفين بالبلادة حتى يمشي عليه الدس في كتابه ويسكت عليه ولا يتفطن له مع رسوخ قدمه في علم الكلام وسائر العلوم، وهبه أنه فطن له ونبهوه عليه واستشكلوه ما كان مقتضى ورعه وعلمه أن يتبرأ منها ويفصح بأن هذا ليس من كلامي، بل اشتغل بتحرير الجواب وقدمه بمقدمة في معرفة اصطلاح القوم ووصيته جامعة تقدم ذكرها، ومن جملتها إذا نظرت في كلام أحد من الناس فلا تقف به حيث وقف به كلامه، فالمعاني أوسع من العبارات، وإذا عرض لك فيه إشكال يؤذن في الظاهر بمحال واختلاف فخذ ما ظهر لك علمه ودع ما اعتاص عنك فهمه إلى آخر ما قال. وهذه المسألة المتنازع فيها كذلك فإن ظاهرها يؤدي إلى اختلال وقد اعتاص عنه فهم العلماء الأبطال، فينبغي تسليمها لأهل فهمها والاشتغال عنها بما هو أهم في الحال، وادعاء الدس في سائر كتبه حتى في الاملاء أبعد من الاول. وما نقله عن القاضي أبي بكر الباقلاني فيه تضييق

شديد، فإن الشرط الذي ذكره مفقود في غالب كتب الاسلام من الفقة والحديث التي عليها عمل الناس اليوم في الأحكام، فضلاً عن كتب الكلام والرقائق والتصوف، ولئن سلمناه فإنه يجر إلى فتح باب للطعن على كثير من مؤلفات الأئمة الأعلام فتنبه لذلك.

فصل

في ذكر الطائفة الثالثة:

وهم المنتصرون للمصنف؛ فأولهم على الإطلاق وأعلمهم وأولاهم بالتقديم المصنف نفسه، فإنه سئل عنه في حياته وأجاب، وهذا نصه في الاملاء قال السائل: وما معنى أن ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكمل صنعاً، ولو كان وادخره مع القدرة على خلقه لكان ذلك بخلاً يناقض الجود أو عجزاً يناقض القدرة الإلهية؟ فقال في الجواب: معنى أن ليس في الإمكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيباً ولا أكمل صنعاً ولو كان وادخره مع القدرة عليه كان ذلك بخلاً يناقض الجود الإلهي وان لم يكن قادراً عليه كان ذلك عجزاً يناقض الإلهية، وكيف يقضي عليه بالعجز فيما لم يخلقه اختياراً، ولم لم ينسب إليه ذلك قبل خلق العالم؟ ويقال: ادخار إخراج هذا العالم من العدم إلى الوجود عجز مثل ما قيل فيما ذكرنا، وما الفرق بينهما وذلك لأن تأخيره بالعالم قبل خلقه عن أن يخرجه من العدم إلى الوجود يقع تحت الاختيار الممكن من حيث أن للفاعل المختار أن يفعل وأن لا يفعل، فإذا فعل فليس في الإمكان أن يفعل إلا نهاية ما تقتضيه الحكمة التي عرفنا أنها حكمة ولم يعرفنا بذلك إلا لنعلم مجاري أفعاله ومصادر أموره، وليتحقق أن كل ما قضاه ويقضيه من خلقه بعلمه وإرادته وقدرته، وأن ذلك على غاية الحكمة ونهاية الاتقان ومبلغ جودة الصنع ليجعل كمال ما خلق دليلاً قاطعاً وبرهاناً واضحاً على كمال في صفات جلاله الموجبة لإجلاله، فلو كان كل ما خلق ناقصاً بالاضافة إلى غيره مما يقدر على خلقه ولم يخلقه لكان يظهر النقصان المدعي على هذا الوجود من خلقه كما ظهر على من خلقه ناقصاً في أشخاص معينة ليدل بها على كمال ما خلقه من غير ذلك، ويكون الجميع من باب الاستدلال على ما صنع من النقصان قطعاً، وما يحمل عليه من القدرة على أكمل منه ظناً إذ خلق للخلق عقولاً وجعل لهم فهوماً وعرفهم ما أكن وكشف لهم عما حجب وأجن، فيكون من حيث عرفهم بكماله دلهم على نقصه، ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرهم بعجزه، فتعالى الله رب العالمين الملك الحق المبين؛ وأيضاً فلا يعترض بهذا ولا نشير به إلى من لا يعرف مخلوقاته ولم يصرف الفكر الصحيح في منشآته ومخترعاته، ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها، ولا عرف خواصها ولا تنزه في عجائبها ولا لاحظ الملكوت ببصر قلبه ولا جاوز التخوم إلى أسفل من ذلك بسره ولبه، ولا فهم أن الجنة أغنى النعيم وان النار أقصى العذاب الأليم، وان النظر إليه منتهى الكرامات، وأن رضاه وسخطه غاية الدرجات والدركات، وان منح المعارف والعلوم أسنى الهبات، ويرى أن العالم بأسره أخرجه من العدم الذي هو نفي محض إلى الوجود الذي هو اثبات صحيح وقدره منازل وجعله طبقات،

....

فمن حي وميت ومتحرك وساكن وعالم وجاهل وشقي وسعيد وقريب وبعيد وجليل وحقير وصغير وكبير وغني وفقير ومأمور وأمير ومؤمن وكافر وجاحد وشاكر، ومن ذكر وأنثى وأرض وسماء ودنيا وأخرى وغير ذلك مما لا يحصى، والكل قائم به بقدرته وباق بعلمه ومنته إلى أجله ومصرف بمشيئته ودال على بالغ حكمته، فما أكمل من حدثه إلا قدمه ولا من تصرفه إلا استبداده ولا من ملكه إلا ملكه، فيعود المحدث قديماً والمربوب رباً والمملوك مالكاً، فيعود المخلوق من خلقه كهو، تعالى الله عن جهل الجاهلين وتخييل المعتوهين وزيغ الزائغين علواً كبيراً. هذا آخر ما نص عليه في الجواب.

وقد نقض البقاعي عبارة الأربعين والإحياء والإملاء فقال في الرسالة الثانية: وأما التفصيل فقوله في الاربعين: إن الاسباب رتبت على المسببات على أكمل الوجوه وأحسنها وليس في الامكان أحسن منها وأكمل، يلزم عليه أن ندع كل أحد على ما هو عليه فإن الذي هو عليه مرتب على سبب من الأسباب على الوجه الذي ادعى أنه لا يكون أحسن منه، فيلزم من ذلك أن يجب علينا أن ندع الكافر على كفره والعاصي على عصيانه إلى غير ذلك مما أمرنا الله بخلافه. وقوله: ليس في الامكان أحسن منها من مفهومه أن هداية الكفار لا تمكن لأنه دون ما تقتضيه نهاية الحكمة، وهذا أمر يناقض صرائح آيات كثيرة وهو نقض للشريعة، ولا سيا إذا قرنت هذا الكلام بما عقبه به من قوله: ولو كان أي غير ذلك ممكناً لكان أي إيجاده لذلك الواقع مع ادخاره ذلك الأكمل بخلاً لا جوداً أو عجزاً يناقض القدرة، فإن ذلك يوضح غاية الإيضاح ما قلت، ويفهم قوله: وليس في الامكان أحسن منها أن ذلك غاية ما يمكن القدرة أن تصل إليه فيناقض حينئذ قول الحجة نفسه أن المقدورات لا نهاية لها وأن كماله سبحانه لا حد له كما تقدم، ويلزم عليه أن يكون سبحانه غير مختار في أفعاله وأن يكون مسه النصب في ايجاد كل شيء، فإن من بذل غاية وسعه في عمل شيء تعب ولا يكون في العادة ولا يدخل في العقل غير ذلك، وهذا يناقض قوله سبحانه ﴿وما مسنا من لغوب﴾ [ق: ٣٨] ويزيد هذا الذي فهمته مما ذكره في الأربعين وضوحاً قوله في الاحياء: ما قسم الله بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وايمان وكفر وطاعة ومعصية، فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي، وليس في الامكان أصلاً أحسن منه ولا أتم ولا أكمل، فهذا يدلك قطعاً على أن ذلك الذي وجد من كل شخص بكل وصف قام به غاية ما تصل القدرة إليه وهو واجب الوجود على ما هو عليه لا يمكن شيء غيره، ولا أن يكون على حالة غير حالته التي وجد عليها أو أنه إن تحول من حالة كان على دونها في الحسن، فيلزم عليه أن يكون كفر الكافر أحسن من إيمانه، ويزيده وضوحاً ما بعد من قوله: ولو كان أي في الإمكان أحسن منه وادخره مع القدرة ولم يفعله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل، ولا شك أن هذا إنما يكون كذلك ممن يتوجه عليه الحكم ليكون، ثم من يوجب عليه أن يفعل غاية وسعه، فإن قصر عن ذلك مع القدرة عد بخيلاً وجائراً وظالماً، وأما من تم ملكه وكمل ملكه فإنه لا يجب عليه شيء

ولا ينسب إلى ظلم، وقد أطبق أهل السنة على هدم أصل المعتزلة في وجوب رعاية الأصلح الذي هذا الكلام شديد النزع إليه، بل لا شك أنه عين القول به. وقوله: ولو لم يكن قادراً لكان عجزاً يناقض الإلهية هذا صحيح، ولكنا نحيل هذا المدعي ونقول: هو قادر على كل ممكن، وهذا من جلة الممكنات لأنه لا دليل على استحالته. وقوله: إذ لولا الليل لما عرف قدر النهار إلى آخره كلام صحيح في نفسه بالنسبة إلى ما أوجده سبحانه الآن، وأما أنه تعالى لا يقدر على التعريف بغير ذلك فلا والله، بل هو تعالى قادر على أن يعرفنا جميع الأشياء المتضادة قبل كونها، ثم ساق حديث أبي هريرة في نظر جبريل عليه السلام إلى الجنة وكيف حفها بالمكاره، وإلى النار وكيف حفها بالشهوات ثم قال ففي هذا أمران.

أحدهما: أنه خلق كلاً من الجنة والنار على انقص مما هي عليه الآن، فعلم بطلان قوله أنه إذا فعل ليس في الامكان أن يفعل إلا نهاية ما تقتضيه الحكمة، وهذا كما خلق الارض دون الرواسي ثم أنهاها إلى الحد الذي أراده وهو قادر على أعلى من ذلك، ولم يكن تأخيره لما أخر من بخل ولا عجز تعالى الله عن ذلك.

الثاني: أنه يمكن معرفة الشيء قبل إيجاده ومن ثم تعرف بطلان قوله: ولو لم يخلق الناقص لم يعرف الكامل، وأما قوله: إن ذلك عدل فلا شك فيه والفضل أوسع، ولو جعل الأمر على غير ذلك لكان عدلاً لأنه لا يسأل عما يفعل، وأما كونه حقاً لا لعب فيه بأن يجعل بدل الكفر الايمان وبدل المعصية الطاعة ونحو ذلك، ولو جعل بدل إيمان المؤمن كفراً لكان ذلك حقاً لا لعب فيه، ولو جعل بدل تنعيم الطائع عذاباً لكان عدلاً لا جور فيه هذا دين الاسلام الذي لا ريب فيه، وإن كنا نعلم أنه لا يفعل ذلك لأنه أخبر بخلافه وهو لا يبدل القول لديه.

وأما قوله في الاملاء: ليس في الامكان أبدع صورة الخ فقد تقدم ما فيه، وقوله: وكيف يقضي عليه بالعجز فيما لم يخلقه اختياراً ولم ينسب إليه ذلك قبل خلق العالم، ويقال: ادخار اخراج العالم من العدم إلى الوجود عجز مثل ما قيل فيما ذكرناه، وما الفرق بينهما؟ معناه أن قوله: لو ادخره مع القدرة لزم عليه العجز يلزم عليه ذلك بعينه قبل إبداع هذا العالم، فإن اعتقاد المسلمين أن العالم حادث ولا شك أنه قبل إحداثه كان مؤخراً لإيجاده له مع القدرة عليه.

فإن قلت: إن كل تأخير يلزم عليه العجز لزمك وصفه بذلك في الأزل قبل خلق العالم، وإلا فابن لقولك وجهاً.

فأجاب: بأن ذلك التأخير كان واقعاً تحت الاختيار الممكن حيث أن للفاعل المختار أن يفعل وأن لا يفعل يعني: وتأخيره لأحسن منه ليس داخلاً تحت القدرة لأنه من قسم المحال الذي ليس من شأن القدرة أن تتعلق به، وذلك لا يلزم عليه عجز لأنه ليس من شأن القدرة أن تتعلق به، ولا يلزم عليه بخل لأنه لم يدخره مع القدرة عليه هذا تقرير كلامه. وهو ناقص لأنه لو سلم لكان مخلاً بما ألزم به من البخل وهو لازم في الازل قطعاً لو صحت دعواه وليس عنه جواب.

فإن سلم أن هذا العالم كان تحت الاختيار الممكن، وكان قد ادعى أن الإدخار مع القدرة محال واسقاط الشق الذي لا جواب عنه يرجع عندي أن هذا الكلام مدسوس عليه، وليس من كلامه هذا ما يلزم لو سلم كلامه، لكنه غير مسلم، بل خلق عالم أبدع من هذا العالم ممكن ولا يثبت المحال بمجرد الدعوى، بل على من يدعيه البيان. وقوله: فإذا فعل فليس في الامكان أن يفعل إلا نهاية ما تقتضيه الحكمة التي عرفنا أنها حكمة: كلام يناقض الفعل بالاختيار فهو قطعاً قول من يقول: إن الفعل ذاتي لا اختياري، أو قول من يقول: إن الفاعل الطبيعة لا الواحد القهار المتصرف المختار وهم فريق من الفلاسفة، والأول قول القائلين منهم بقدم العالم بالزمان لا بالذات، ويكفي في رده أن الله تعالى خلق الارض أولاً دون الجبال، فلما مادت أرساها بالجبال فسكنت فلم يخلقها أولاً على نهاية ما تقتضيه الحكمة، ولقد كان تعالى عالماً بأنه تضطرب إذ خلقها، ولكنه أخر ذلك لحكم عظيمة منها تعليمنا أن لا نهتم بشيء من أمر الدنيا قبل الحاجة إليه بالفعل، ومنها الرد على قائل هذه المقالة حتى لا تبقى شبهة في أن فعله بالاختيار يخلق الناقص والكامل ولا يسأل عما يفعل هذا آخر ما نقض بـه البقاعي على الكتب الثلاثة.

وقد نحا نحوه الشيخ سيدي أحمد بن مبارك حيث قال في الرد على جواب الاملاء خاصة: إذا ثبت له الاختيار قبل الفعل فيثبت له حين الفعل وبعد الفعل سبحانه لا إله إلا هو، فإذا كان الاختيار هو السبب في تأخير وجود العالم، فيجب أن يكون هو السبب في تأخير وجود الأبدع والإعراض عنه، وحينئذ فقوله: فليس في الامكان إلا نهاية ما تقتضيه الحكمة يقتضي أن الاختيار مسلوب عند الفعل، وأنه تعالى يجب عليه فعل ما تقتضيه الحكمة، وحينئذ فيقال لأبي حامد: فإذا كان الابدع عدم تأخير وجود العالم فلم عدل عنه؟ فيقول: لا محالة، فيقال إنما عدل عنه ليثبت له الاختيار، فيقال له: وكذا بعد الفعل إنما لم يجب فعل الأبدع ليثبت له الاختيار، فإن قال: عند الفعل، فيسلب عنه وقبله فيثبت له لزمه نفي وصف الاختيار الثابت له أزلاً وما ثبت قدمه استحال عدمه، فهذه حجة واضحة على حجة الاسلام اهـ.

قلت: كل منهما دندن حول الحمى ولم يحط بمراد المصنف ولا حام على ما هو بصدد، وقوله مأخوذ من قول الفقهاء: إن الاحكام تتبع المصالح الراجحة، فجعل سائر الأفعال كذلك واقعة بحسب المصالح الراجحة من غير تعرض لنفي القدرة أصلاً ولا لنفي الاختيار عند الفعل، فكل فعل أوجده الله تعالى دل ايجاده له على أن المصلحة في إيجاده أرجح منها في عدم ايجاده مع صلاحية القدرة قطعاً لعدم إيجابه وكل ما لم يوجد دل عدم إيجاده له على أن المصلحة في عدم إيجاده أرجح منها في إيجاده مع قدرته قطعاً على إيجاده هذا معنى كلامه في الاحياء وفي الاملاء، ومقصوده بذلك حث العبد على منتهى مقام التوكل الذي هذه المسألة مذكورة فيه وعلى الرضا بكل قضاء الله تعالى، كما دل عليه سياق صاحب القوت، ومساق كلامهما يدل على ما ذكرت حتى لا يأسى على شر أصابه ولا خير فاته، ومن ذا الذي يقول في شر أصابه أن القدرة لا تصلح لعدم إيجاده أو في خير فاته أنها لا تصلح لإيجاده هذا لا يقوله عاقل مسلم ولا كافر، فإن أهل الملل اتفقوا على

....

اثبات القدرة لله تعالى، ولو تأملوا فيما ذكرناه أولاً أن النفي في كلامه ليس منصباً على إمكان الوجود، بل على كونه أبدع لم يتوقفوا في فهم كلامه ولا جلبوا هذه العبارات التي لا طائل تحت أكثرها، فإن النفي حينئذ وصف في صفات الممكن لا القدرة البتة. ألا ترى إنك لو قلت هذا الفعل ليس بحسن هل يكون في نفيك الحسن عنه قدح في القدرة أو تعرض لها بوجه من الوجوه؟ لا. فكذلك إذا قلت هذا الممكن ليس بأبدع وها أنتم قد ادعيتم في الوجود أنه ليس بأبدع مما وجد، فإن كان في قول المصنف تعرض للقدرة فهو في قولكم أيضاً ويلزمكم ما يلزمه، وليس الأمر كذلك لا في قولكم ولا في قوله ما ينفي القدرة أصلاً، وإنما النفي منصب على وصف من صفات الوجود أو الممكن لا تعرض فيه للقدرة أصلاً.

ومن المعترضين من ادعى أنه ليس الكلام في إفراد ما يوجد في هذا العالم، بل الكلام إنما هو في إمكان عالم آخر غير هذا العالم وهو ممنوع، بل الكلام إنما هو في الأول كما هو مساق كلام المصنف. نعم كلام الفلاسفة في الثاني وليس هو مراد المصنف، ومن هنا جاء الغلط عليه فظنوا لاشتباه المقالتين أنهما تواردا على محل واحد، وليس كذلك لا محلاً ولا تصويراً ولا حكماً.

وأما الجواب عن عدم ذكره في السؤال الذي تكلم عليه في الاملاء كلمة العدل واقتصاره على جلة الجود خاصة، إما لكونه أبان لهم عن مراده بها حال التدريس أو عرفهم ذلك لكونهم من أهل الفطنة الزائدة والخبرة بمقاصد المصنفين والمناظرين، فاستغنوا عن السؤال عنها، وإنما أوردوا عليه لزوم مثل ذلك من قبل إيجاد العالم فقط وطلبوا الفرق، فبين لهم فرق ما بين الحالين. وأما إطلاق لفظه البخل الواقعة في حيز الامتناع فإنما أراد بها المصنف المبالغة في تقريب الدليل إلى الأذهان فكأنه قال: لا شك في أن الباري تعالى جواد لا يبخل وهو منزه عن البخل، والجواد لا يخص بعطائه أحداً دون أحد إلا لحكمة وقد قتّر على أناس كما وسع على آخرين، فلو لم يكن تقتيره على أولئك لحكمة وأنه هو الأصلح في حقهم لكان منافياً للجود والفضل، وهو في حقه تعالى محال تنزه عما ينافي صفة الجود والإفضال، وأنت إذا تأملت ما قاله بعض العلماء في قوله تعالى ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ [فصلت: ٤٦] أن النكتة في العدول عن فاعل إلى فعال أن أدنى الظلم لو فرض صدوره من الباري تعالى لكان عظيماً بالإضافة إلى جنابه، كما يقال: زلة العالم كبيرة، وجاء النفي بحسب ذلك، وتأملت قول المتنبي يخاطب بعض الكرام:

ما من إذا وهب الدنيا فقد بخلا.

يريد أن ممدوحه تناهى في الكرم بحيث لو وهب جميع ما حوته الدنيا كان بالاضافة إلى ما يقتضيه مقامه بخلاً انحل عندك الإشكال في إطلاق هذه اللفظة.

فصل

ومن المنتصرين الإمام العارف المحقق الملقب بالشيخ الأكبر محي الدين بن عربي قدس سره أورده في الفتوحات المكية، وفي الفصوص، وفي كتاب الشريعة، ولفظه في الفتوحات على ما نقله

....

الشعراني في الأجوبه المرضية عن السادة الصوفية: أن كلام الغزالي في غاية التحقيق فلا ينبغي الانكار عليه لأنه مأثم إلا مرتبتان مرتبة قدم ومرتبة حدوث، فالمرتبة الأولى للحق تعالى وحده باجماع جميع الملل، والمرتبة الثانية للخلق فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث، فلا يقال: هل الحق تعالى أن يخلق قديماً يساويه في القدم لأنه سؤال مهمل في غاية المحال اهـ

ووجدت بخط شيخنا المرحوم أبي المكارم محمد بن سالم بن أحمد الحفني رحمه الله تعالى ما نصه؛ قال سيدي عبد الوهاب الشعراني في الجواهر والدرر: سألت شيخنا رضي الله عنه عن قول الغزالي: ليس في الإمكان أبدع مما كان فإن بعض أئمة المغرب أفتى بكفرنا قائل ذلك، فقال رضي الله عنه: بلغنا عن الشيخ محي الدين أنه كان يقول: من كفر الغزالي بذلك فهو غير مصيب. والجواب عن ذلك سهل وأنه مأثم في الوجود إلا مرتبتان، فالحق تعالى في مرتبة القدم، والخلق كلهم في مرتبة الحدوث، فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن مرتبة الحدوث، فمراد الغزالي بنفي الأبدعية التحاق الحادث برتبة القديم وهذا غير ممكن اهـ.

وقد نقضه الشيخ سيدي أحمد بن مبارك فقال: وهذا ليس من الجواب في شيء ولا نسبة بينه وبين مسألتنا بوجه ولا بحال، وإنما يصح أن يكون جواباً لو كان مدعي الغزالي أن ليس في الإمكان أبدع من القديم، ومدعى المنكرين عليه أن في الإمكان ما هو أبدع من القديم، فيكون الجواب عليه ان الحديث لا يبلغ القديم أبداً، أما حيث كانت دعواه في مراتب الحدوث، وأن ما وجد من الحوادث لا يمكن أن يوجد حادث أبدع منه، ودعوى المنكرين أنه يمكن أن يوجد ما هو أبدع منه وإلا لزم تناهي المقدورات، وذلك يستلزم القصور في القدرة المفضي للعجز فأنى يلاقيها ذلك الجواب :اهـ.

قلت: جواب الشيخ الاكبر منتزع من عبارة المصنف في آخر جوابه في الاملاء وهو قوله: فما أكمل من حدث إلا قدمه الخ. فالأبدعية للقديم وليس في الممكن أن يخلق أبدع منه لأنه محال، والقدرة لا تتعلق إلا بالممكن ولو كان ممكناً وخلق لالتحقت المرتبة الثانية بالاولى ولزم منه صيرورة الحادث قديماً. هذا الذي فهمته من عبارته والفهوم تختلف، وقد ذكر الشيخ في الفتوحات في السؤال التسعين عبارة أخرى تشبه سياق المصنف قال: المخلوق ما يعرف كماله ولا ما ينقصه لأنه مخلوق لغيره لا لنفسه، فالذي خلقه ما أعطاه إلا ما يصلح أن يكون له تعالى، والعبد يريد أن يكون لنفسه لا لربه، فلو علم أنه مخلوق لربه لعلم أن الله خلق الخلق على أكمل صورة تصلح لربه، وهذه المسألة مما أغفلها أصحابنا مع معرفة أكابرهم لها وهي مما يحتاج إليها في المعرفة المبتدى والمنتهى والمتوسط، فلم يبق في الإمكان أبدع من هذا العالم ولا أكمل فما بقي في الإمكان إلا أمثاله إلى ما لا نهاية له اهـ.

وفيها أيضاً في السؤال السادس والمائة ماالرداء؟ الجواب: العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامع للحقائق الامكانية والالهية وهو المظهر الأكمل الذي لا أكمل منه الذي قال فيه أبو حامد

ما في الإمكان أبدع من هذا العالم لكمال وجود الحقائق كلها فيه، وهو العبد الذي ينبغي أن يسمى خليفة ونائباً، وله الأثر الكامل في جميع الممكنات، وله المشيئة التامة وهو أكمل المظاهر.

وفي حكمة الإشراق للسهروردي: المقتول ولا يتصور الوجود إلا كما هو عليه، إذ لو تصور الوجود وأمكن أن يكون أحسن مما هو عليه لوجد من الموجب لذاته لعدم البخل. قال الشارح وهو القطب الشيرازي: وهذا ما ذكره الغزالي في بعض كتبه، ونقله عنه الشيخ الكامل محي الدين في الفتوحات واستحسنه اهـ.

وقد تعلق المعترضون بهذا أن كلام المصنف مبناه على كلام الفلاسفة وهو غلط، فإن مساق كلام المصنف غير مساق كلامهم، ولاشتباه المقالتين ظن الشارح المذكور أن الغزالي اقتبسه من كلامهم ولا يتصور ذلك ولا يحكم عليه به فتأمل. وقال الشيخ الأكبر في الفصوص في الفص الأيوبي: فليس في الإمكان أبدع من هذا العالم لأنه على صورة الرحمٰن.

وقد اعترض عليه، وأنه منتزع من كلام الفلاسفة وليس كذلك، بل هو منتزع من الكتاب والسنة، والمراد بالعالم الانسان قال الله تعالى ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين: ٤] وفي الخبر المتقدم بذكره «إن الله خلق آدم على صورته». والآية نص قاطع في أن الصورة التي خلق عليها الانسان لا أبدع منها لما فيها من المحاسن والحكم.

فصل

ومن المنتصرين ابن القريسيني قال البدر الزركشي في تذكرته: إنه رأى له جزءاً أفرده في الكلام على هذه العقدة وقال: معناه تناهت القدرة في خلق هذا البشر أي أن هذا البشر الذي هو زبدة المخلوقات غاية في إظهار كمال القدرة والتعبير عنها، وأراد بالبشر محمداً ﷺ فإنه الفاتح الخاتم أي روحه، فإن أول ما خلق الله روح محمد ومنه تستمد الأرواح.

فصل

ومن المنتصرين العلامة بدر الدين محمد الزركشي من كبار أئمة الشافعية. قال السيوطي: بلغني أنه تكلم على هذه الكلمة في تذكرته فطلبته حتى وقفت عليه فقال فائدة، قال الغزالي: ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم لأنه لو كان ممكناً ولم يفعله كان بخلاً يناقض الجود وعجزاً يناقض القدرة، وهذا من الكلمات العقم التي لا ينبغي إطلاق مثلها في حق الصانع، لكن الظن به أنه إنما أراد بها تعظيم صنعة الصانع لا يصنع أحد صنعته ولا تنكر في بواطن الابداع حكمته فقد أوجد ما لا يمكن العقل إنكاره، فليس في الامكان ممكن أبدع من الانسان لاشتماله على أحكام أنواع الوجود، فهو في غاية الحكمة بالنسبة إلى إدراك العقول النيرة لا بالنسبة إلى عالم السر والخفية الكامل المطلق الذي لا تنتهي أحكامه ولا تنفد عجائبه، فمراده ليس في الإمكان باعتبار ما تقتضيه العقول لا باعتبار ما في غيب الله تعالى، ولهذا قال تعالى ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ [النحل:

....

8] فحكم العارف على قدر إدراكه لا على قدر أحكام ربه، فإن الرب تعالى محيط بكل شيء وليس لأحد إحاطته بنوع من أنواعه من كل وجه، فإن لكل نوع أحكاماً متعددة منها ما أطلع الله عليها خواص خلقه، ومنها ما هو راجع له قال: ومنهم من قال معنى قوله: ليس في الامكان أبدع من هذا العالم إذ كان إبداعه عين وجوده فليس غير ذلك يعني أنه ليس في الإمكان أبدع من وجوده، فإنه ممكن في نفسه وما استفاد إلا الوجود فلا أبدع في الإمكان من الوجود وقد حصل فإنه ما يحصل للممكن من الحق سوى الوجود اهـ.

وقد تعرض الشيخ سيدي أحمد بن مبارك لجوابه الأول الذي يقول فيه: ولعله إنما أراد تعظيم صنعة الصانع ما نصه، وذلك لأن الإله الحق سبحانه ثبت له الإختيار المطلق واستحال في حقه الظلم والبخل والعجزة، فقوله في دليله السابق: إذ لو كان أبدع من هذا العالم وادخره مع القدرة عليه لكان بخلاً وظلماً مخالف لذلك، فعلى هذا فإذا كان هناك أبدع من هذا العالم ولم يفعله فذلك لكمال اختياره وتعاليه في عظمته وسلطانه لا لما قاله هنا من أن ذلك بخل وعجز وظلم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. قال: وفي قوله بالنسبة إلى إدراك العقول النيرة الخ فيه نظر، فإن العقول النيرة تدرك في بداية نظرها جواز وجود ممكن أبدع ولا تحتاج في ذلك إلى فكر وروية، لأن ذلك راجع إلى العلم بجواز الجائزات التي قيل: إنها نفس العقل. وقوله فحكم العارف على قدر إدراكه أقول إن ذلك يدق ويخفي على غالب العقول، وأما الظاهر المبذول الضروري فلا فرق بين عارف وغيره فمن وافقه وافق الصواب ومن لا فلا.

فصل

ومن المنتصرين الشيخ عبد الكريم الجيلي صاحب الإنسان الكامل فإنه أجاب: بأن كل واقع في الوجود قد سبق به العلم القديم، فلا يصح أن يرقى عن رتبته في العلم الإلهي ولا ينزل عنها فصح قول الإمام ليس في الإمكان أبدع مما كان هكذا ذكره الشعراوي في كتاب الأجوبة المرضية. ووجدت بخط شيخنا المرحوم الشمس الحفني رحمه الله تعالى هذا الجواب له أبسط مما هنا وذلك أنه قال: سئل عن هذا القول فأجاب: إنه قول صحيح لأن ما كان قد تعلق به العلم القديم بلا شك وما تعلق به العلم القديم لا يقبل زيادة أبداً، إذ لو قبل الزيادة لقبلها العلم القديم ولا قائل به، فصح أنه ليس في علم الحق تعالى أبدع من هذا العالم انتهى.

وهذا هو نص الشعراني في الجواهر والدرر. قال: وذكر الشيخ محي الدين في الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة من الفتوحات نحو ذلك فقال في حديث: « إن الله جميل يحب الجمال » أي إن الله صانع العالم والعالم كله في غاية الجمال ما فيه شيء من القبح، بل قد جمع الله له الحسن كله والجمال، فليس في الإمكان أجمل ولا أبدع ولا أحسن من هذا العالم، ولو أوجد تعالى ما أوجد إلى ما لا

يتناهى فهو مثل لما أوجد لأن الحسن الإلهي والجمال قد حازه وظهر به، فإنه تعالى أعطى كل شيء خلقه وهو جماله إذ لو نقص شيء منه لنزل عن درجة كمال خلقه فكان قبيحاً اهـ.

وقد تعرض الشيخ سيدي أحمد بن مبارك لجواب الجيلي وهو النص الأول الذي أوردته أولاً فقال: وهذا أيضاً ليس بجواب لأنا نسلم أن كل واقع في الوجود لا يرقى عن رتبته في العلم ولا ينزل عنها، وذلك لا يستلزم أنه لا يمكن وجود أبدع منه، وإنما يصح أن يكون جواباً. لو كان كلام الغزالي هكذا ليس في الإمكان أن يرقى الحادث عن مرتبته في العلم أن ينزل عنها اهـ.

قلت: والذي فهمت من سياق عبارة الجيلي الثانية أن مراده إثبات الأبدعية لهذا العالم بسبب تعلق العلم الإلهي به الذي لا يتعلق إلا بالأجمل والأبدع وهو لا يقبل الزيادة فلا أبدع منه حينئذ بهذا الإعتبار فتأمل..

فصل

ومن المنتصرين الشريف المحدث نور الدين أبو الحسن علي بن عبدالله الحسني السمهودي الشافعي نزيل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ومولده سنة ٨٤٤، فإنه صنف رسالة سماها إيضاح البيان لمن أراد الحجة ليس في الإمكان أبدع مما كان ناقض بها رسالة ابن المنير الإسكندري السابق ذكرها ولم أطلع عليها إلا أن الشيخ سيدي أحمد بن مبارك قد ظفر بها قال: قد أطال نفسه فيها وكتب نحو ثلاثة وثلاثين ورقة بخط مضموم وقد تصفحتها غاية وأعطيتها ما تستحقه من الإنصاف والتأمل، فوجدتها دائرة على ثلاثة أمور: **أحدها:** المصادرة عن المطلوب، **والثاني:** ما وقع له من الغلط في القبح والحسن العقليين وهو أشد ما في رسالته شبهة. **والثالث:** عدم فهمه لكثير من كلام ابن المنير على الوجه الذي ينبغي، ثم ساق إيضاح هذه الأمور الثلاثة تركتها لطولها وكثرة الكلام عليها. وقد قال في آخر كلامه: وأما كونه لم يفهم مقاصد ابن المنير فإني لا أتعرض له لطول الكلام فيه إلا أني أقول قولاً مقتصراً وهو أن غالب ما ذكره ابن المنير صحيح حق لا شك فيه وردوداته على عبارة الإحياء مستقيمة لا اعوجاج فيها، وأجوبة السيد عنها غير تامة إلا حرفاً واحداً فإني أخالف فيه ابن المنير وهو تنقصه من مقام أبي حامد وغضه من رتبته فإني لا أوافق على ذلك، فإن أبا حامد إمام الدين والدنيا وعالم الإسلام والمسلمين والعبارة المنسوبة إليه في الأحياء مدسوسة عليه ومكذوبة فإن كلامه في كتبه يردها من كل وجه.

فصل

ومن المنتصرين الشيخ الصالح العارف أبو عبدالله محمد بن عمر المغربي نزيل مصر، وهو شيخ كل من الحافظ جلال الدين السيوطي، وأبي النجا بن خلف اللقوي، وعبد القادر بن حسين الشاذلي في التصوف فإنه قال حين سئل عن هذه المقالة: أن معناه ليس في الإمكان أبدع حكمة من هذا العالم يحكم بها عقلنا بخلاف ما استأثر الحق تعالى بعلمه وإدراكه وأبدعيته خاصة به تعالى، فإن

ذلك أكمل وأبدع حسناً من هذا العالم الذي أظهره لنا إذ لو كان هذا العالم يدخله نقص لتعدي ذلك إلى خالقه، فتعالى عن ذلك علواً كبيراً وقد أجمع أهل الملل كلها على أنه لا يصدر عن الكامل إلى كامل. قال تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون* والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾ [الذاريات: ٤٧ ، ٤٨] ومعلوم أن الإمتنان والإمتداح لا يكون إلا فيما هو كامل الأوصاف وإلا فكيف يمتن الحق تعالى ويمتدح عند خلقه بمفضول. هذا نص الجواب في كتاب الأجوبة المرضية للشعراني. وذكره في الجواهر والدرر إلا أنه قال: فإن ذلك أكمل وأبدع حسناً من هذا العالم بالنسبة إليه تعالى وحده، فلو كان هذا العالم يدخله نقص ما قال تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ الآية في مقام الإمتداح واعلم أن الإمتداح لا يكون إلا فيما هو غاية ونهاية لا في المفضول اهـ.

وقد ساقه الشيخ سيدي أحمد بن مبارك كما سقناه أولاً حرفاً بحرف واعترضه فقال: وهذا إن سلم من التصحيف فليس بجواب أيضاً.

أما أولاً: فإنه متدافع إذ أوله يقتضي نفي إمكانه مطلقاً، إذ لو ثبت إمكان الأبدع لكان هذا الموجود ناقصاً بالنسبة إليه فيسري النقص إلى خالقه تعالى وحينئذ فنختار ما اقتضاه أول الجواب ونمنع ما اقتضاه آخره، ولا نسلم لزوم النقص في الخالق سبحانه إذ لا يلزم من ثبوت النقص في المفعول ثبوته في الفاعل كما لا يخفى، وإلا فالحادث كله ناقص لاحتياجه وافتقاره إلى خالقه، فلو كان نقص الفعل يسري إلى الفاعل لزم امتناع وجود الابدع أيضاً لنقصه بالحدوث.

وأما ثانياً: فالإجماع الذي عول عليه لا يعتمد في هذا الباب عليه لأن المسألة راجعة إلى القدرة التي هي إحدى مصححات الفعل التي لا يمكن إثباتها بالإجماع كما لا يخفى.

وأما ثالثاً: فالإجماع الذي هو حجة ومعتصم هو إجماع هذه الأمة الشريفة بالخصوص ولا عبرة بإجماع غيرها من الملل، وهذه الأمة أثبتت لربها الإختيار وأن يفعل في ملكه ما يشاء ويحكم ما يريد اهـ.

قلت: وإن تأملت هذه الردودات وجدتها في معرض السقوط.

أما اولاً: فإن المجيب أشار بأول جوابه إلى مقام المعرفة لمعاني الصفات الذي هو من جملة مقامات الرضا وهو مشاهدة الصانع في جميع الصنعة والنظر إلى إتقان الصنع والحكمة، وإن لم يخرج ذلك على معيار العقول والعادة فلا ينظر شيئاً بعين النقص والإحتقار فإنه بمنزلة الغيبة لصانعه لأنه صنعته ونتاج حكمته ونفاد علمه وحكم تدبيره له في كل شيء حكمة بالغة، لأنك إذا عبت صنعة أحد أو ذممتها سرى ذلك إلى الصانع لأنه كذلك صنعها وعن حكمة أظهرها إذا كانت الصنعة مجبولة لم تصنع نفسها ولا صنع لها في خلقها، فهذا معنى قوله: لتعدى إلى خالقه وهو كلام صحيح، وقد مرّ تفسيره نقلاً عن أبي طالب المكي وغيره، فهذا مقام المحب الراضي عن الله متأدب بين يديه يستحي أن يعارضه أو يعترض عليه بنسبة النقص إلى ما صنعه، فانظر أين هذا

....

المقام من قول المعترض، إذ لا يلزم من ثبوت النقص في المفعول ثبوت النقص في الفاعل، فالمجيب في وادٍ وبين الواديين كما بين السماء والأرض، وأهل مشاهدة هذا المقام إنما ينظرون إلى ما أعطاهم الكشف الصحيح المطابق بمعيار عين اليقين وإن لم يخرج ذلك على معيار العقول والعادة، وحينئذ ظهر لك أن لا تدافع في كلام المجيب، وقوله: وإلا فالحادث كله ناقص الخ هذا ممنوع بل كله كامل والكمال والنقصان من المتضايفات، فقد يكون الشيء كاملاً من وجه ناقصاً من وجه آخر، فهو بالنظر إلى أنــه صنعة الحكيم القادر فإنه في غاية الإتقان والكمال ليس فيه نقص أبداً ويكفي في ثبوت كماله هذا القدر بهذا الوجه، فبطل قوله فلو كان نقص الفعل يسري إلى الفاعل لزم امتناع وجود الإبدع لنقصه بالحدوث.

وأما ثانياً: فقول المعترض لأن المسألة راجعة إلى القدرة الخ. قلت: بل المسألة راجعة إلى أول مقام من المحبة الذي هو من مقامات الرضا وأوسط حال في التوكل والتسليم والتفويض، وكل منها من مقامات اليقين وأبواب الإيمان ولا ذكر فيها للقدرة نفياً وإثباتاً. فإن ادعيت أنها تفهم العجز في القدرة الإلهية فأقرأ صدر كلام المصنف يظهر لك إثباتها، فما من موحد لله تعالى معترف بربوبيته شاهد لوحدانيته إلا وهو معترف بكماله تعالى في ذاته وفي صنعه مفوّض إليه أمره مستسلم له؛ فهذا هو الذي أراده المجيب بقوله: وقد أجمع أهل الملل على أن هذه الجملة ساقطة في سياق الجواهر والدرر كما قدمناه.

وأما ثالثاً: فقوله: وهذه الأمة أثبتت لربها الإختيار كأنه فهم أن قول المجيب لا يصدر من الكامل إلا كامل مما يوهم سلب الإختيار عن الفاعل المختار، بل يكون بالإيجاب بالذات كما تقوله الفلاسفة وليس كذلك ومن أين يؤخذ ذلك منه فالفاعل المختار كامل في ذاته وصفاته وله الإختيار قبل الفعل ومع الفعل وبعد الفعل والكامل في ذاته وصفاته فاعل مختار ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ [القصص: ٦٨] وصنعه الذي أظهره على وصف الكمال والتمام لا نقص فيه من حيث أنه صنعه وهو القادر المطلق الصانع البديع المتقن لا إله إلا هو سبحانه وتعالى.

فصل

ومن المنتصرين الإمام المشهور شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وهو ممن جمع الله له بين الفقه والتصوف قال: لا يحل لأحد أن ينسب إلى أبي حامد القول بأنه تعالى عاجز عن إيجاد ما هو أبدع من هذا العالم، فإن هذا الفهم منشأه توهم أن المراد بالإمكان في عبارته بمعنى القدرة أي ليس في القدرة أبدع مما كان وليس كذلك، بل هو بمعناه المشهور المقابل للإمتناع والإيجاب، لكن بحذف مضاف أو بجعله بمعنى الممكن من باب إطلاق المصدر على اسم الفاعل، فمفاد عبارة حجة الإسلام أنه ليس في جانب الإمكان أو ليس في الممكن أبدع مما تعلقت به القدرة وهو حق، إذ الوجود خير من العدم. ومفاد عبارة المعتزلة ما صرحوا به من أنه تعالى لا يقـدر على إيجاد أبـدع مما فعله بكل أحد وهو باطل عند حجة الإسلام كسائر أهل السنة لبنائه على وجوب الأصلح عليه

....

تعالى وهو أصل باطل إلى أن قال: فعلم أن حجة الإسلام لم يرد بالإمكان في كلامه القدرة لأنه لو أراده لرجع كلامه حينئذ إلى كلام المعتزلة إلى أن قال: وبذلك علم أن اللفظ المذكور لا يحتاج إلى حمل، وأنه لا ينبغي أن يقال دس عليه أو أنه زلة منه أو غير ذلك من الكلمات التي لا تليق بمقامه، بل هو كلام حق يجب اعتقاده على الوجه الذي قررته، فليعتمد ذلك في هذا المقام فإنه من مزال الأقدام اهـ.

وقد اعترضه الشيخ سيدي أحمد بن مبارك فقال: ولا يخفى ما فيه وما عوّل عيه في دفع المحال عن حجة الإسلام بحمل الإمكان على مقابل الوجوب والإمتناع لا يدفعه، فإن المحذور بحاله لأن المعنى حينئذ ليس في جانب الإمكان أو في الممكن أبدع مما كان، فيلزم أن يكون الابدع المفروض في جانب الإمتاع أو في الممتنع، وكونه في جانب الإمتناع باطل لأنه ممكن والممكن لا يكون ممتنعاً؛ وأيضاً فإذا كان في جانب الإمتناع لم تتعلق به القدرة فيساوي قول من قال: لا يقدر على إيجاد الأبدع المفروض لأن الابدع إذا كان في جانب الإمتناع فليس في القدرة إيجاده، فالمحال لازم على حمل الإمكان على معنى القدرة أو على معناه المشهور المقابل للإيجاب والإمتناع وهو ظاهر. وقوله: فمفاد عبارة حجة الإسلام أنه ليس في جانب الإمكان أبدع مما تعلقت به القدرة وهو حق، إذ الوجود خير من العدم لا يدل على المدعي المذكور لأنه ليس المدعي أن العدم أبدع من الوجود حيث يكون نفيه الذي هو كلام حجة الإسلام غير حق البتة. وقوله: ومفاد عبارة المعتزلة ما صرحوا به من أنه تعالى لا يقدر على إيجاد الابدع. أقول: هو لازم لكلام حجة الإسلام على ما أولته أيها المجيب، فإن الابدع إذا لم يكن في جانب الإمكان ولزم أنه في جانب الإمتناع لزم قطعاً أن القدرة لا تتعلق بالممتنع فجاء المحذور اللازم. وقوله: وبذلك علم الخ. أقول: إياك أن تغتر بهذا الكلام، فإن غاية ما فيه أن الإمكان لا يحمل على القدرة بل على معناه المشهور، وقد علمت أن المحذور لازم عليهما. وقوله: بل هو حق يجب اعتقاده على الوجه الذي قررته. أقول: حاش لله أن يعتقد أحد أن الأبدع لو كان مع القدرة عليه ولم يفعله لكان بخيلاً فإن هذا عين رعاية الصلاح والأصلح الذي هو عين مذهب المعتزلة، وإنما الذي يجب اعتقاده أنه تعالى فاعل بالإختيار ﴿لا يسئل عما يفعل﴾ [الأنبياء: ٢٣] ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ [القصص: ٦٨] ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ [النحل: ٨] ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ [طه: ١١٠] اهـ.

قلت كلام المجيب منتزع من الجواب الثاني الذي قرره الزركشي وسبق بيانه، وتوضيحه، أن المراد بما تعلقت به القدرة هو العالم المشهود الموجود جميع أجزائه الروحانية والجسمانية والجوهرية والعرضية، إذ بظهوره ظهرت آثار صفاته تعالى وأفعاله وأسمائه، ولذلك سموه صورة الحق وصورة الرحمن والإنسان الكبير، فكان بهذا المعنى أبدع. ثم قال: وهو حق إذ الوجود خير من العدم أي لظهور المرجح وهو تعلق والإرادة والقدرة به وخلاف المعلوم وقوعه محال كما هو مقرر عندهم أبداع عالم غير هذا، وإن كان ممكناً بالنظر إليه فليس بممكن بالنظر إلى علم الله تعالى لوقوع أحد

الأمكانين واحدية المشيئة فيه، وما تعلقت المشيئة الإلهية بكونه فلا بدّ من كونه، وما لا بدّ من وقوعه لا يتصف بالإمكان بالنظر إلى هذه الحقيقة الحيثية. وكلام صاحب الفتوحات نص في أن المرجح لا يفارق كلاً من الوجود والعدم حيث قال في الباب السابع والأربعين وثلاثمائة: إن الأشياء لما كان الإمكان لا يفارقها طرفة عين ولا يصح خروجها منه لم يزل المرجح منها لأنه لا بدّ أن يتصف بأحد الممكنين من وجود وعدم اهـ.

يوضحه قوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلقٍ جديد ★ وما ذلك على الله بعزيز﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠] أي بممتنع ولا ينتفي الإمتناع إلا عند إمكان الذهاب والإتيان بخلق جديد، لكنهما لم يقعا بل الواقع الترجيح للوجود إلى الأجل المسمى مع النص أن الإمكان ما فارقه، وكذلك قوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً﴾ [النساء: ١٣٣] فإن المقدورية فرع الإمكان مع أن الواقع ترجيح الإبقاء فتأمل.

فصل

ومن المنتصرين الحافظ الكبير جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي رحمه الله تعالى فإنه صنف كتاباً في هذه المسألة وسماه (**تشييد الأركان من ليس في الإمكان أبدع مما كان**) ردّ به على البرهان البقاعي تأليفه المتقدم ذكره قال فيه: وبعد فقد نقل عن الإمام حجة الإسلام ولي الله تعالى أبي حامد الغزالي رضي الله عنه أنه قال: ليس في الإمكان أبدع مما كان، وقد استنكر ذلك بعض العلماء الموجودين وادعى أن ذلك إما مدسوس في كتابه أو زلة صدرت من عالم، وأن هذا الكلام يلزم منه استعجاز القدرة الإلهية واستقصارها كما يقوله الفلاسفة أو وجوب الأصلح على الله كما يقوله المعتزلة، وألف في ذلك كتاباً سمّاه (**تهديم الاركان من ليس في الإمكان أبدع مما كان**) وذكر فيه أشياء مما لو عرض على أجهل السوقة لم يشك في صلاحية القدرة له، فضلاً عن طالب علم فضلاً عن عالم فضلاً عن مثل حجة الإسلام، ولما رأيت هذا الكلام من المنكر صادراً عن عدم الوقوف على مقصد حجة الإسلام تعجبت من ذلك كل العجب، وقد وقع الإلحاح علي في الكتابة بالرد عليه وأنا أرى أن الأولى السكوت ولزوم البيوت حتى شرح الله صدري لإبانة مقصد هذا الإمام بالطريق القويم رجاء الهداية إلى الصراط المستقيم، فرقمت هذه الأحرف وسميتها (**تشييد الأركان من ليس في الإمكان أبدع مما كان**) ثم ذكر فيه أشياء نفيسة وتحقيقات بديعة، واستدل على المطلوب بكلام الأئمة وأحاديث وآثار وأحسن فيه غاية الإحسان، وقد أدرجت غالب ما أراده في أثناء ما تقدم من السياق على حسب المناسبة، ومن جملة ما ذكر فيه: وكنت قد توقفت فيما استشكلوه من كلامه أياماً حتى من الله علي بحله بعد التضرع إليه فألهمني وله الحمد أن حجة الإسلام رضي الله عنه إنما أراد تقرير الدليل على مذهب الفريقين معاً ليتم له دعوى عدم الإمكان على المذهبين فكأنه قال: هو محال إجماعاً من الفريقين أما على مذهب أهل السنة فلأن ادخاره مناف للفضل وهو الذي عبر عنه بالجود الإلهي، وأما على

مذهب المعتزلة فلأن إدخاره عندهم ظلم ينافي العدل فأتى بكل جملة لفريق وليس مراده بالجملتين التقرير على مذهب واحد، ونظير ذلك ما لو سئل الشافعي عن رجل توضأ ولم ينو ومسح القليل من رأسه فقال: وضوءه باطل لأنه لم ينو ولم يمسح ربع رأسه قاصداً بذلك بطلان وضوئه إجماعاً، ولو اقتصر على قوله: لأنه لم ينو لكان كافياً لكنه لا ينتهض دليلاً على الإبطال إلا على مذهبه فقط لا على مذهب الحنفي، فضم إليه ما يقرر إبطاله على مذهب غيره أيضاً، ويؤيد أن هذا الذي فهمته هو مراد الغزالي أنه لم يذكر الجملتين إلا في الاحياء فقط، ولم يذكر في الجواهر جملة العدل بل اقتصر على جملة الفضل والجود التي يتم بها الدليل على مذهب أهل السنة إما اكتفاء بذلك وعدم الإلتفات إلى مذاهب المبتدعة، وإما إرادة الإيجاز، وإما إزالة للإيهام الذي توهمه عبارة الأحياء اهـ.

وقد تعرض له الشيخ سيدي أحمد بن مبارك فقال: لو عبرّ حجة الإسلام كذلك لقرب الحال ولكنه قال: لو ادخره مع القدرة لكان بخلاً يناقض الجود وأهل السنة ينزهون ربهم عن وصفه بالبخل، فقد بان أن العبارة الأولى لا تأتي على مذهب أهل السنة. قال ابن التلمساني في شرح المعالم بعد ذكره مذاهب البغداديين من المعتزلة في وجوب رعاية الأصلح: وهؤلاء أخذوا مذاهبهم من الفلاسفة وهو أن الله تعالى جواد وأن الواقع في الوجود هو أقصى الأمكان ولو لم يقع لم يكن جواداً. وقال ابن الهمام في المسايرة: إن المعتزلة يقولون: إن ترك مراعاة الأصلح بخل يجب تنزيه الباري عنه، فكما أن الشق الثاني مفرع على أصول المعتزلة كذلك الشق الأوّل اهـ.

قلت: جواب السيوطي رحمه الله تعالى في غاية التحرير والإتقان وليس فيه إلا الذي أشار إليه المعترض من ذكر لفظ البخل وهو قد أجاب عنه في كتابه المذكور، ولو اطلع عليه المعترض لهدرت شقشقته وذلك فيما أوردته سابقاً وهو قوله: وأما إطلاق لفظة البخل الواقعة في حيز الإمتناع فإنما أراد بها الغزالي المبالغة في تقريب الدليل إلى الأذهان فكأنه قال: لا شك أن الباري تعالى جواد لا يبخل وهو منزه عن البخل، والجواد لا يخص بعطائه أحداً دون أحد إلا لحكمة، وقد قتر على أناس كما وسع على آخرين، فلو لم يكن تقتيره على أولئك لحكمة وأنه هو الأصلح في حقهم لكان منافياً للجود والفضل وهو في حقه تعالى محال تنزه عما ينافي صفة الجود والأفضال، وبقية هذا الكلام أسلفناها فاطلبها فيما تقدم، ثم قال: والعجب كل العجب ممن اتهم حجة الإسلام بأنه في هذه المسألة نازع إلى مذاهب المعتزلة وهو قد صرح في كلامه بما يناقض مذهبهم حيث قال في صدر كلامه: وما خلق الله من إيمان وكفر وطاعة ومعصية الخ. فانظر كيف نسب خلق الكفر والمعصية إلى الله تعالى كما هو مذهب أهل السّنة، والمعتزلة لا يقولون بذلك، بل يزعمون أنهما من خلق العبد كما هو معروف عنهم.

فصل

ومن المنتصرين ولي الله العارف به سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى قد نقلنا عنه فيما سبق جواب الشيخ محيي الدين والشيخ عبد الكريم الجيلي اومحمد المغربي نقل ذلك، في كل من كتابيه

....

الجواهر والدرر والأجوبة المرضية. وقال في الكتاب الأخير بعد نقل الأجوبة ما لفظه: وقد ألف الشيخ برهان الدين البقاعي في هذه المسألة مؤلفاً وحاصله: أنه بمعزل عن مراد الإمام الغزالي بكل وجه كما بينته في رسالة الفتح بالأجوبة عن أهل الشطح، وفي كتابنا المسمى بطهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى وبالعباد وهو في مجلدين ضخمين اهـ. ولم أطلع على الكتابين المذكورين حتى أنقل منها شيئاً.

فصل

ومن المنتصرين البرهان إبراهيم بن أبي شريف المقدسي وهو أخو الكمال وأصغر منه سناً وعاش بعده زماناً طويلاً قال ما نصه: وليس في مقالة حجة الإسلام إيجاب شيء ولا تحجر على القدرة ولا نفي لقدرته تعالى عن غير هذا العالم، بل هو قادر على إبراز عوالم لا نهاية لها، ولكن لتعلق العلم القديم ووقوع اختياره وإرادته لايجاد ما اتصف بالأبدع لكونه دالاً على ما اقتضته صفاته وقوله: ليس في الإمكان أبدع مما كان أي ليس فيما تعلقت القدرة به وسبق به العلم والإرادة من الممكنات أبدع مما وجد لما قررناه اهـ.

قال الشيخ سيدي أحمد بن مبارك: وفيه نظر من وجهين. **أحدهما**: أنه جعل سبق العلم والإرادة دليلاً على أن ما وجد هو الأبدع وهو لا يدل على ذلك، وإنما يدل على أن ما وجد وجد عن علم وإرادة وهل هو أبدع أو لا يبقى ما هو أعم. **ثانيها**: أنك قد علمت أن الأبدع لا نهاية لإفراده لكونه مقدوراً لا نهاية له، وإذا كان الأبدع لا نهاية لإفراده لكونه مقدوراً والمقدور لا نهاية له، وإذا كان الأبدع لا نهاية له، فعلى تقدير أن تتعلق الأوصاف القديمة بوجود فرد يبقى في دائرة الإمكان ما لا يتناهى من افراده، والمجيب ظن أن الأبدع جزء شخص لا تعدد فيه، فإذا فرض تعلق العلم والمشيئة بوجوده استحال غيره، وإلا كان العلم جهلاً وحيث كان الأبدع كلياً لا نهاية لإفراده لم يلزم من وجود فرد منها انتفاء غيره عن دائرة الإمكان.

فصل

ومن المنتصرين الشيخ أبو المواهب التونسي الشاذلي قال: قوله ليس في الإمكان أبدع مما كان. قلنا: إمكان الحكمة الإلهية لا إمكان القدرة الربانية، وهذا هو اللائق بكلام حجة الإسلام اهـ.

قال الشيخ سيدي أحمد بن مبارك: لا نسلم أنه لا يمكن ذلك في الحكمة الإلهية فإذا كانت متعلقات القدرة لا نهاية لها كانت الحكمة الإلهية لا نهاية لها لأنها تابعة لمتعلقات العلم ومتعلقات العلم لا نهاية لها، فلزم قطعاً أن الحكمة الإلهية لا نهاية لها ومن الذي يجترىء على حكمة الله تعالى ويقول: إنها محصورة ومقصورة.

فصل

ومن المنتصرين الإمام جلال الدين أبو البقاء محمد البكري الشافعي فإنه سئل عن هذه المقالة

فأجاب بقوله: إن إيجاد عالم آخر أبدع من هذا العالم مستحيل لأنه لم يرد به الكتاب ولا السنة المبينة عن الله تعالى، ولو كان جائزاً لورد به الكتاب قال الله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ [الأنعام: ٣٨] فعلم أن ذلك مستحيل ولا نقص في القدرة اهـ.

قال الشيخ سيدي أحمد بن مبارك. وفيه نظر من وجوه.

أحدها: إن الكتاب والسنة قد وردا بذلك وقد سبق ذلك في صدر الكلام يعني به ما أورده من الآيات التي أوردها البقاعي في رسالته، وكذلك أورد جملاً من الأحاديث.

ثانيها: أن الكتاب والسّنة إنما يستدل بها في الأمور النقلية التي لا دخل للعقل فيها، وأما أحكام العقل الصرفة التي قيل أنها نفس العقل التي هي العمل بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فهي في الأمور الضرورية التي لا يحتاج فيها إلى دليل نقلي.

ثالثها: أن ما ذكره معارض بكل علم بديهي كعلمنا بأن الأربعة زوج وأنها نصف الثمانية، وإن الواحد نصف الإثنين فيقال: إن هذه العلوم لم يرد بها كتاب ولا سّنة فتكون مستحيلة لأن كل ما ليس في الكتاب ولا في السّنة مستحيل على قاعدة جوابه.

فصل

ومن المنتصرين العارف بالله أبو العباس أحمد بن عيسى البرنسي الشهير بزروق قال في شرح القواعد للإمام حجة الإسلام عند قوله فيها: ولا موجود سواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها واعدلها. فقال: يعني كل بارز القدرة وتخصص بالإرادة وأتق بالعلم الإلهي لا يصح أن يكون ناقصاً في وجوده لكمال الأوصاف المنسوب إليها بقصدها وتقصيدها، ثم التقبيح والتحسين العقلي في محله والعادي في محله والشرعي في محله، لأن ما ذكر بحسب الحكمة وظهور النسب بالنسبة إلينا وعلى ما ذكر هنا يتخرج ما نسب إليه من قوله: «أن ليس في الإمكان أبدع مما كان» يريد أن ما كان ويكون إلى الأبد متى حصل في حيز فلا أبدع منه لأن العلم اتقنه ولا نقص في إتقانه والإرادة خصصته ولا نقص في تخصيصها والقدرة أبرزته ولا نقص في إبرازها، فبروزه على أبدع الوجوه وأكملها، وعلى هذا تفهم هذه الكلمة وإلا لزمه القول بقصور القدرة وما معها من الأوصاف وذلك باطل لا يقوله أحمق فضلاً عن عاقل اهـ.

قال الشيخ سيدي أحمد بن مبارك: ولا يخفى ما فيه لو كان نقص الأثر يستلزم نقص المؤثر وأوصافه لكان وجود غير الأبدع مستحيلاً ولكان وجود الأبدع واجباً، وذلك يجر إلى التعليل وينفي الإختيار، فالصواب أن ذلك اللزوم ممنوع ووجود الأبدع وغيره جائز والإختيار شامل والقدرة عامة ولا نهاية لمتعلقاتها. هذا إن أراد اللزوم في نفس الأمر وإن أراد بحسب عقولنا وما تقتضيه الحكمة في نظرنا ورأينا فقد سبق ما فيه من كلام الزركشي.

فصل

ومن المنتصرين عبد القادر بن مصطفى الصفوري الدمشقي الشامي المتوفي سنة ١٠٨١ كتب إلى الإمام المحدث أبو عبدالله محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي من مدينة نابلس سنة ١١٧٩ قال: أخبرنا المحدث المعمر عبد الرحمن بن محي الدين بن سليمان الدمشقي، أخبرنا الإمام المؤرخ أمين الدين محمد بن فضل الله بن محب الله بن القاضي محب الدين أبي الفضل محمد بن أبي بكر العلواني المحمدي الدمشقي قال: قال العلامة عبد القادر بن مصطفى الصفوري: اعلم أن المحال على قسمين: محال لذاته ومحال لغيره، فإن الممكن قد يصير محالاً لغيره وواجباً لغيره. مثاله: بعث الموتى من قبورهم ممكن في حدّ ذاته لأنه إذا خلي العقل ونفسه حكم بجوازه، لكن لما أخبر سبحانه صار واجب الوقوع بالنظر إلى أن خبر الله لا يتخلف وعدمه صار محالاً لغيره بهذا الإعتبار، فإذا تقرر ذلك علمت أن ما قاله حجة الإسلام حق، وإيضاحه: إنما هو بعد أن تعلم ان علم الله قديم وأنه تعلق في الأزل بأن الممكن الذي وجد يوجد في أي زمان في أي مكان وعلى أي صفة، وحينئذ فوقوعه على خلاف ما تعلق به العلم محال لغيره، لأنه لو وقع على خلاف ذلك لزم انقلاب العلم جهلاً وأنه محال في حق الحكيم الخبير العليم القدير، والإرادة والقدرة تعلقها بالممكن إنما يكون على وفق تعلق العلم القديم به، وحينئذ تعلم أن عدم إمكان أبدع مما كان ليس فيه نسبة الجهل ولا نسبة العجز إلى الملك الدّيان وكيف ذلك بحجة الإسلام الذي ملأت معلوماته الدنيا، بل عدم إمكانه إنما هو لعدم تعلق الإرادة والقدرة بما يلزم عليه من المحال، فتدبر ذلك يندفع عنك خيال أوهام من لم يعلموا مواقع الكلام ولم يذوقوا دقائق العلوم، فكل مطمح انظارهم اعتراض أكابر العلماء والطعن على ورثة الأنبياء كأنهم صاروا لهم ضداً، فصرف الله أذهانهم عن الوصول إلى غوامض المعاني وتمسكوا بظواهر المباني. ومن أجاب بأن «ما» موصولة لم يصادف محلاً لأن المنقول عن الإمام أنه قال ليس في الإمكان الخ وليس هو إلا ليس اهـ.

فهذا ما بلغني من كلام الأئمة في تحقيق هذه المقالة رداً وتسليماً ولم آل جهدي في جمعها وحسن ترتيبها مع الكلام في بعض المواضع منها والكلام فيها كثير، وما غاب عني أكثر مما حضر لدي ولكن قليل يوعى خير من كثير ينسى ولقد عنّ لي أن أنحو منحى الكرام وأدلي دلوي مع هؤلاء الأعلام وإن كنت مزجي البضاعة سكيتاً مخلفاً عند أرباب هذه الصناعة. فأقول ناظراً إلى سياق المصنف من أوله متنبهاً لسرائره في خصوص هذا المقام: اعلم أنه ذهب المليون كلهم إلى أن الله تعالى قادر أي يصح منه إيجاد العالم وتركه، فليس شيء منهما لازماً لذاته بحيث يستحيل انفكاكه عنه.

وأما الفلاسفة فإنهم قالوا: إيجاده للعالم على النظام الواقع من لوازم ذاته فيمتنع خلوّه عنه فانكروا القدرة بالمعنى المذكور لاعتقادهم أنه نقصان، وأثبتوا له الإيجاب زعماً منهم أنه الكمال التام. وأما كونه تعالى قادراً بمعنى إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل فهو متفق عليه بين الفريقين إلا

أن الحكماء ذهبوا إلى أن مشيئة الفعل الذي هو الفيض والوجود لازمة لذاته كلزوم سائـر الصفات الكمالية فيستحيل الإنفكاك بينهما، فقدم الشرطية الأولى واجب صدقه، ومقدم الثانية ممتنع الصدق، وكلتا الشرطيتين صادقتان في حق الباري سبحانه.

وأما الصوفية قدس الله أسرارهم فيثبتون له تعالى إرادة ذاتية زائدة على الذات والعلم بالنظام الأكمل واختيار في إيجاد العالم، لكن لا على النحو المذكور من اختيار الخلق الذي هو تردد واقع بين أمرين كل منهما ممكن الوقوع عنده فيترجح عنده أحدهما بمزيد فائدة أو مصلحة يتوخاها فمثل هذا يستنكر في حقه سبحانه. كما تقدم بيان ذلك في تقرير المصنف قبل هذه المقالة فإنما معلوماته تعالى سواء قدر وجودها أو لم تقدر مرتسمة في عرصة الإمكان أزلاً وأبداً ومرتبة ترتيباً أكمل منه في نفس الأمر وإن خفي ذلك على الأكثرين فالأولية بين أمرين يتوهم وجود كل منهما إنما هو بالنسبة إلى المتوهم المتردد أما في نفس الأمر فالواقع واجب وما عداه مستحيل الوجود وعلى هذا تخريج هذه المقالة فتدبر، والله أعلم.

تنبيه:

قال الشيخ سيدي أحمد بن مبارك في آخر كلامه على هذه المقالة فالحاصل: أن ما نسب إليه في المسألة إن كان دليله الظلم المناقض للعدل فقد نفاه في مواضع من كتابه الأحياء، وإن كان دليله البخل فقد نفاه في كتابه الإقتصاد، وإن كان دليله أنه يخالف الحكمة فقد أبطله في الاحياء وفي الإقتصاد، وإن كان دليله الإستحسان العقـلي ومراعاة الصلاح والأصلح فقد أبطله فيهما وفي القسطاس، وإن كان دليله الإستحسان المتفق عليه الذي عوّل عليه السيد السمهودي فقد أبطلناه فيما سبق، وإن كان دليله ما سبق في العلم والمشيئة كما عوّل عليه المذكور أيضاً فقد ذكرنا أنه مصادرة على المطلوب، وإن كان دليله أن الناقص لا يصدر عن الكامل فقد بينا بطلانه فيما سبق اهـ.

وقد فهم من كلامه أن المسألة باطلة بسائر وجوهها وليس لها موضع عند أهل العلم تحمل عليه وأنه محكوم عليها بالفساد وهو أمر عجيب، ولو فتحت له كوّة إلى عالم الملكوت لشاهد ما شاهده الصالحون ويكشف له من أسراره ما كشف للعارفين، وقد فهموا قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ [الحجر: ٢١] وعلقوا قول المبلّغ ﷺ: «إن الله كره لكم البيان كل البيان» فحقيقة بيان البيان محرم عند ذوي الإيقان، ومقام الصالحين يقصر عن شهادة الشاهدين، وقد سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: اللهم أرنا الدنيا كما تراها فقال: «لا تقل هكذا فإن الله لا يرى الدنيا كما تراها، ولكن قل اللهم أرني الدنيا كما يراها الصالح من عبادك» فالصالحون في الغرفات آمنون والشهداء عند ربهم والله غالب على أمره لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا يشك هو ولا نحن ولا من له نصيب من الإيمان أن الإمام أبا حامد الغزالي من أكابر أهل

الشطر الثاني من الكتاب
في أحوال التوكل وأعماله

وفيه بيان حال التوكل، وبيان ما قاله الشيوخ في حدّ التوكل، وبيان التوكل في الكسب للمنفرد والمعيل، وبيان التوكل بترك الادخار وبيان التوكل في دفع المضار، وبيان التوكل في إزالة الضرر بالتداوي وغيره، والله الموفق برحمته.

الباطن. وهذه المقالة قد نسبت إليه واعتاص في فهمها أهل الظاهر، فالأولى التسليم له إذ ليس أهل الظاهر حجة على أهل الباطن في شيء إلا وهم عليهم حجة في مثله، والإيمان ظاهر وباطن، والعلم محكم ومتشابه. ولأن أهل الباطن أبعد عن الهوى وأقرب إلى التوفيق وأوفق لإصابة الحقيقة لزهدهم في الدنيا ولضعف شاهد غلبة النفس والهوى عليهم، وهذا لا يفطن له الغافلون ولا يشهده العمون. وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول: إذا لاحظت الأشياء من فوق وجدت لها طعماً آخر وقال بعض العارفين: إذا رأيت الأشياء كلها كشيء واحد من معدن واحد بعين واحد رأيت ما لم تر قبل ذلك وسمعت ما لم تسمع وفهمت ما لم تفهم الخلق. وقال بعضهم: لا ترى العجب حتى لا ترى عجباً فإذا لم تر عجباً رأيت العجب، وقد أفدناك بحمد الله تعالى من غرائب ما عندنا، وإلى الله يرد العلم فيما دق وجل وظهر واستتر، وإنما ينطق اللسان بما أنطقه الله به وهو مستعمل بما استعمله الله به، إذ كل ميسر لما خلق له. وقد انتهى الكلام على مقالة الإمام إنجازاً لما وعدنا به آنفاً، فاسأل الله تعالى أن يصرف عنا من المكدورات ويحمينا من مضلات الأهواء في مجاري المقدورات، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سيد البشر، وعلى آله وصحبه أولي العزم والظفر، وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ونسأله الصفح الجميل.

الشطر الثاني من الكتاب
في أحوال التوكل وأعماله

(**وفيه بيان حال التوكل، وبيان ما قاله الشيوخ**) المراد بهم السادة الصوفية (**في حدّ التوكل**) واختلافهم فيه، (**وبيان التوكل في الكسب للمنفرد**) بنفسه (**والمعيل**) أي المتزوج صاحب العيال، (**وبيان التوكل بترك الإدّخار**) للقوت، (**وبيان التوكل في دفع المضار**) عن نفسه، (**وبيان التوكل في إزالة الضرر بالتداوي وغيره**) أورده في ستة فصول.

بيان حال التوكل:

قد ذكرنا أن مقام التوكل ينتظم من: علم، وحال، وعمل، وذكرنا العلم.

فأما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه، وإنما العلم أصله والعمل ثمرته، وقد أكثر الخائضون في بيان حدّ التوكل واختلفت عباراتهم، وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حده كما جرت عادة أهل التصوّف به، ولا فائدة في النقل والاكثار، فلنكشف الغطاء عنه ونقول:

التوكل مشتق من الوكالة، يقال: وكل أمره إلى فلان أي فوّضه إليه واعتمد عليه فيه، ويسمى الموكول إليه وكيلاً، ويسمّى المفوّض إليه متكلاً عليه ومتوكلاً عليه مهما اطمأنت إليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصير ولم يعتقد فيه عجزاً وقصوراً، فالتوكل

الفصل الأول

في بيان حال التوكل وفيه أيضاً ذكر الأسباب المانعة منه بعد العلم والمعرفة:

اعلم أنا **(قد ذكرنا أن مقام التوكل)** كغيره من مقامات اليقين **(ينتظم من علم وحال وعمل وذكرنا العلم)** في الفصل الذي قبله وذكرنا أنه ينبني عليه حال التوكل والتسليم، فإذا ثبت في النفس ثبوتاً اعتقادياً أو كشفياً أو ذوقياً أو عرفانياً نتج عنه الحال فشرع في ذكر الحال وقال:

(فأما الحال؛ فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه) وهو وسط بين طرفي العلم والعمل، **(وإنما العلم أصله)** وأساسه **(والعمل ثمرته)** ونتيجته، **(وقد أكثر الخائضون في بيان حدّ التوكل واختلفت عباراتهم)** فيه **(وتكلم كل واحد عن مقام نفسه)** الذي أقيم فيه، **(وأخبر عن حده)** ورسمه **(كما جرت عادة أهل التصوف به)** وقد يكون ذلك لا إخباراً عن مقام نفسه بل عن مقام السائل فهذا سبب اختلاف عباراتهم **(ولا فائدة في النقل والإكثار، فلنكشف الغطاء عنه ونقول)**:

(التوكل: مشتق من) لفظ **(الوكالة)** بفتح الواو والكسر لغة فيه. **(يقال: وكل أمره إلى فلان)** من باب وعد وكلا بالفتح ووكولاً بالضم **(أي فوّضه إليه واعتمد عليه فيه)** واكتفى به، **(ويسمى الموكل إليه وكيلاً)** فهو فعيل بمعنى مفعول وقد يكون بمعنى فاعل إذا كان بمعنى الحافظ، ومنه قوله تعالى: ﴿نعم الوكيل﴾ [آل عمران: ١٧٣] وجمع الوكيل وكلاء، **(ويسمى المفوض إليه متكلاً عليه ومتوكلاً عليه)** كلاهما بمعنى إلا أن الإتكال من باب الإفتعال والإسم منه التكلان بالضم والتوكل من باب التفعل. **(مهما اطمأنت إليه نفسه ووثق به ولم يتهمه فيه بتقصيره ولم يعتقد فيه عجزاً ولا قصوراً)** فهذه المعاني لازمة للمفوّض إليه، **(فالتوكل)** حينئذ **(عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده)** ووثوقه به **(ولنضرب**

عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده. ولنضرب للوكيل في الخصومة مثلاً فنقول: من ادعى عليه دعوى باطلة بتلبيس فوكّـل للخصومة من يكشف ذلك التلبيس لم يكن متوكلاً عليه ولا واثقاً به ولا مطمئن النفس بتوكيله إلا إذا اعتقد فيه أربعة أمور: منتهى الهداية، ومنتهى القوّة، ومنتهى الفصاحة، ومنتهى الشفقة.

أما الهداية؛ فليعرف بها مواقع التلبيس حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شيء أصلاً، وأما القدرة والقوّة فليستجرىء على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحيي ولا يجبن، فإنه ربما يطلع على وجه تلبيس خصمه فيمنعه الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به. وأما الفصاحة؛ فهي أيضاً من القدرة إلا أنها قدرة في اللسان على الإفصاح عن كل ما استجرأ القلب عليه وأشار إليه، فلا كل عالم بمواقع التلبيس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التلبيس، وأما منتهى الشفقة فيكون باعثاً له على بذل كل ما يقدر عليه في حقه من المجهود، فإن

للوكيل في الخصومة مثلاً فنقول: من ادعى عليه دعوى باطلة بتلبيس) وزور (**فوّكل للخصومة**) عنه (**من يكشف ذلك التلبيس**) عنه (**لم يكن متوكلاً عليه ولا واثق القلب مطمئن النفس بوكيله إلا إذا اعتقد فيه أربعة أمور: منتهى الهداية، ومنتهى القوة، ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفقة**) ثم فصل تلك الأمور وقال:

(**أما الهداية: فليعرف مواقع التلبيس**) ومحال التزوير (**حتى لا يخفى عليه من غوامض الحيل شيء**) فهذا يستدعي هداية تامة وبصيرة نافذة في أمور الدعاوى وكلام الخصوم، فمن لم يكن كذلك يغلبه الخصم فيكون سبباً لتلاف حق الموكل.

(**وأما القوّة والقدرة، فليتجرأ**) أي لأجل أن يكون جريئاً (**على التصريح بالحق**) غير متعتع (**فلا يداهن**) مداهنة (**ولا يخاف**) في حركاته (**ولا يستحيي**) من التكلم بالحذق (**ولا يجبن**) عن الخصم، (**فإنه ربما يطلع على وجه**) من وجوه (**تلبيس خصمه فيمنعه الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف المضعفة للقلب عن التصريح به**) فمن لم يكن كذلك يغلبه الخصم أيضاً.

(**وأما الفصاحة؛ فهي أيضاً من القدرة إلا أنها قدرة في اللسان**) ولو كان ضعيف القلب أو البدن (**على الإفصاح عن كل ما استجرىء القلب عليه وأشار إليه، فلا كل عالم بمواقع التلبيس**) من خصمه (**قادر بذلاقة لسانه**) أي طلاقته (**على حلّ عقد التلبيس**) فمن كان كليل اللسان غير مفصح عن وجه البيان بما يغلبه خصمه.

(**وأما منتهى الشفقة؛ فيكون باعثاً على بذل كل ما يقدر عليه من المجهود في حقه**) لا

قدرته لا تغني دون العناية به إذا كان لا يهمه أمره ولا يبالي به ظفر خصمه أو لم يظفر هلك به حقه أو لم يهلك ؛ فإن كان شاكاً في هذه الأربعة أو في واحدة منها أو جوّز أن يكون خصمه في هذه الأربعة أكمل منه لم تطمئن نفسه إلى وكيله ، بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوّة اعتقاده لهذه الخصال فيه ، والاعتقادات والظنون في القوّة والضعف تتفاوت تفاوتاً لا ينحصر ، فلا جرم تتفاوت أحوال المتوكلين في قوة الطمأنينة والثقة تفاوتاً لا ينحصر إلى أن ينتهي إلى اليقين الذي لا ضعف فيه ، كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لأجله ، فإنه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية ، فتصير خصلة واحدة من الخصال الأربعة قطعية ، وكذلك سائر الخصال يتصور أن يحصل القطع به ، وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الأخبار بأنه أفصح الناس لساناً وأقواهم بياناً وأقدرهم على نصرة الحق ، بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق ، فإذا عرف التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله تعالى ، فإن ثبت في نفسك بكشف أو باعتقاد جازم أنه

يقصر بوجه من الوجوه ، (**فإن قدرته لا تغني دون العناية به إذا كان لا يهمه أمره**) أي لا يشغله (**ولا يبالي به ظفر بخصمه أو لم يظفر هلك به حقه أو لم يهلك**) فالإعتناء بالأمر لا بد من مراعاته ، (**فإن كان شاكاً في هذه الأربعة**) بمجموعها (**أو في كل واحدة منها ، أو جوّز أن يكون خصمه في هذه الأربعة أكمل منه لم تطمئن نفسه إلى وكيله**) ولم يثق به ، (**بل بقي مزعج القلب**) قلقه (**مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحيره**) أي يخافه (**من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوّة اعتقاده لهذه الخصال فيه ، والإعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتاً لا ينحصر ، فلا جرم تتفاوت أحوال المتوكلين**) على الله تعالى (**في قوة الطمأنينة والثقة تفاوتاً لا ينحصر إلى أن ينتهي إلى**) مرتبة (**اليقين الذي لا ضعف فيه**) أصلاً ، (**كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لأجله**) ويشقى ويتعب ليكمله ، (**فإنه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الأربعة قطعياً**) ومجزوماً به ، (**وكذلك سائر الخصال يتصور أن يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الأخبار**) والشهرة المنقولة على ألسنة الناس (**بأنه أفصح الناس لساناً وأقواهم بياناً وأقدرهم على نصرة الحق ، بل على تصوير الحق بالباطل**) أي على صورته (**أو الباطل بالحق**) أي على صورته وفيه ورد : « إن من البيان لسحراً » .

(**فإن عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله تعالى ، فإن ثبت في**

لا فاعل إلا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بجملة العباد والآحاد، وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة، ولا وراء منتهى علمه علم، ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة، اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه وحوله وقوّته، فإنه لا حول ولا قوّة إلا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة، فإن الحول عبارة عن الحركة، والقوّة عبارة عن القدرة، فإن كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه أحد أمرين: إما ضعف اليقين بإحدى هذه الخصال الأربعة، وإما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الأوهام الغالبة عليه، فإن القلب قد ينزعج تبعاً للوهم وطاعة له عن غير نقصان في اليقين، فإن من يتناول عسلاً فشبه بين يديه بالعذرة

نفسك بكشف) من الله تعالى بأن يلهم في روعه **(أو باعتقاد جازم أن لا فاعل)** في الحقيقة **(إلا الله كما سبق)** في التوحيد، **(واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد)** بأسرهم **(ثم تمام العطف والعناية والرحمة)** الموسعة **(بجملة العباد والآحاد اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت إلى غيره بوجه)** من الوجوه **(ولا إلى نفسه وحوله وقوّته، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقوّة، فإن الحول عبارة عن الحركة)** والتغير يقال: حال الشيء حولاً إذا تغير عن أصله، **(والقوة عبارة عن القدرة)** في أحد الأصول الثلاثة نفسه وبدنه وقنيته، وقد جاء تفسيره في حديث مرفوع: لا حول عن المعصية ولا قوة على الطاعة إلا بالله.

وفي القوت قيل لسهل: ما التوكل؟ قال: التبرىء من الحول والقوة والحول أشد من القوة يعني بالحول الحركة وبالقوة الثبات على الحركة، وهو أول الفعل يعني بهذا أن لا تنظر إلى حركتك مع المحرك إذ هو الأول، ولا إلى ثباتك أيضاً بعد الحركة في تثبيته إذ هو المثبت الآخر فتكون الأولية والآخرية حقيقة شهادتك لربه أنه أول آخر بعين اليقين، فيخرج نفي الشرك بحقيقة التوحيد، وهذا هو شهادة اليقين أي فعندها يصح توكلك بشهادة الوكيل.

(فإن كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه أحد أمرين: إما ضعف اليقين بأحد هذه الخصال الأربعة) أو بجملها، **(وإما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الأوهام الغالبة عليه)** أي المرض المانع لحال التوكل بعد اليقين بالتوحد بالأفعال، لأن الوهم يتعلق بالتقديرات الإحتمالية، **(فإن القلب قد ينزعج تبعاً للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين)** وقد ينقاد لطاعة الوهم كما ينقاد لطاعة العقل، فإذا زين الشيطان بغروره ووعد بالفقر خوف منه تعلق الوهم بإيعاد الشيطان فجبنت النفس وخبث طبعها شفقة على نفسها فيبقى العقل وما فيه من اليقين مستوراً تحت ضباب الوهم وشهوة النفس، فإن ازداد اليقين ضياء

ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله، ولو كلف العاقل أن يبيت مع الميت في قبر أو فراش أو بيت نفر طبعه عن ذلك وإن كان متيقناً بكونه ميتاً، وأنه جماد في الحال وأن سنّة الله تعالى مطردة بأنه لا يحشره الآن ولا يحييه وإن كان قادراً عليه، كما أنها مطردة بأن لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور أسداً وإن كان قادراً عليه، ومع أنه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش أو الميت معه في البيت ولا ينفر عن سائر الجمادات، وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الإنسان عن شيء منه وإن قلّ، وقد يقوى فيصير مرضاً حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع إغلاق الباب وإحكامه، فإذاً لا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعاً، إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته، فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر، فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿أوَلم تُؤْمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ [البقرة: ٢٦٠] فالتمس أن يكون مشاهداً احياء الميت بعينه ليثبت في

واشتعلت فيه ناراً أيد الله العقل بالملك الملهم حتى يمده بعلم يدفع به وسوسة الشيطان وكيده، فيحنئذ يشعشع شمس اليقين ضباب الوهم وخيال النفس ويتغير القلب عما كان عليه ويعتمد على الله تعالى ويطمئن إليه بعد أن كان معتمداً على الأسباب مطمئناً بتدبيره وحوله وقوته ويعرف يقيناً أن لا حول ولا قوة إلا بالله وكل يقين لا ينشأ عنه حال هذا سببه، (**فإن من يتناول عسلاً فيشبه بين يديه بالعذرة**) أي الخرء (**ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله**) لما قام به من الوهم، (**ولو كلف العاقل أن يبيت مع الميت في قبر أو فراش**) واحد (**أو بيت نفر طبعه عن ذلك وإن كان متيقناً بكونه ميتاً وأنه جماد في الحال وأن سنة الله مطردة بأنه لا يحشره الآن ولا يحييه وإن كان قادراً عليه**) فإنه ليس بممتنع ولو كان حياً لادعى القوة والشجاعة عليه (**كما أنها مطردة بأن لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور أسداً وإن كان قادراً عليه**) فإن كل ذلك غير ممتنع (**مع أنه لا يشك في هذا اليقين فينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش أو المبيت معه في بيت ولا ينفر عن سائر الجمادات**)، وهذا كله عمل الوهم المتعلق بالظنون والإحتمالات البعيدة والنفور من الحقائق الجارية على اختلاف العادات، (**وهو نوع ضعف فلا يخلو الإنسان عن شيء منه وإن قلّ، وقد يقوى**) هذا الضعف (**فيصير مرضاً**) سوداوياً (**حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع إغلاق الباب وإحكامه، فإذاً لا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعاً إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته، والسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر، فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى**) مخاطباً لخليله عليه السلام حين سأله عن إحياء الموتى: ﴿**أو لم تؤمن**﴾ أي أو لم تصدق بقلبك (﴿**قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**﴾ **فالتمس أن يشاهد إحياء الميت بعينه ليثبت في**

خياله فإن النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى أن تبلغ في الآخرة إلى درجة النفس المطمئنة؛ وذلك لا يكون في البداية أصلاً، وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أرباب الملل والمذاهب، فإن اليهودي مطمئن القلب إلى تهوده، وكذا النصراني ولا يقين لهم أصلاً، وإنما ﴿يتّبِعُون إلاَّ الظنَّ وما تَهْوى الأنفُسُ ولَقَدْ جَاءَهُم مِنْ ربِّهِمُ الهُدى﴾ [النجم: ٢٣] وهو سبب اليقين، إلا أنهم معرضون عنه، فإذاً الجبن والجراءة غرائز ولا ينفع اليقين معها فهي أحد الأسباب التي تضاد حال التوكل، كما أن ضعف اليقين بالخصال الأربعة أحد الأسباب، وإذا اجتمعت هذه الأسباب حصلت الثقة بالله تعالى؛ وقد قيل: مكتوب في التوراة: ملعون من ثقته إنسان مثله، وقد قال

خياله، فإن النفس تتبع الخيال وتطمئن به) وكان قد حصل له عليه السلام مرتبة اليقين أولاً فطلب أن يرقى إلى مقام عين اليقين المعبر عنه بالطمأنينة **(ولا تطمئن)** النفس **(باليقين في ابتداء أمره إلى أن يبلغ بالآخرة إلى درجة النفس المطمئنة)** فتسكن حينئذ تحت الأمر ويزاولها الإضطراب بسبب معارضة الشهوات، **(وذلك لا يكون في البداية أصلاً وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أرباب الملل والمذاهب)** المبتدعة، **(فإن اليهودي مطمئن القلب إلى تهوده وكذا النصراني)** مطمئن القلب إلى نصرانيته، **(ولا يقين لهم أصلاً، وإنما)** هم كما قال تعالى في أمثالهم: **(﴿يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾)** مما تعارضهم من الشهوات **(﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾)** الذي يتبصرون به **(وهو سبب اليقين إلا أنهم معرضون عنه)** لا يلتفتون إليه أصلاً، **(فإذاً الجبن)** عن الإقدام **(والجراءة)** عليه **(غرائز)** مركوزة في الطباع **(ولا ينفع اليقين معها فهي أحد الأسباب التي تضاد حال التوكل)** وتعارضه، **(كما أن ضعف اليقين بالخصال الأربعة)** المذكورة **(أحد الأسباب)** المضادة له، **(وإذا اجتمعت هذه الأسباب)** في امرىء **(حصلت)** له **(الثقة بالله تعالى)** وصح وصفه بالتوكل، **(وقد قيل: مكتوب في التوراة: ملعون من)** هو **(ثقته)** أي الذي يثق به **(إنسان مثله)** رواه صاحب القوت عن سنيد بن داود عن يحي بن كثير قال: مكتوب في التوراة فذكره. قال سنيد يقول: لولا كذا لكان كذا، ولولا فلان لهلكت فمعناه عندي في قوله ثقته أن يعتمد عليه ويسكن إليه فهو شرك في التوحيد ونقص من المزيد، إذ لا ينبغي الثقة والسكون إلا إلى الواحد القهار، **(وقد قال ﷺ: «من اعتز بالعبيد أذله الله تعالى»)** قال العراقي: رواه العقيلي في الضعفاء، وأبو نعيم في الحلية من حديث عمر. أورده العقيلي في ترجمة عبدالله بن عبدالله الأموي وقال: لا يتابع على حديثه وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال: يخالف في روايته انتهى.

قلت: وكذلك رواه الحكيم في النوادر، والرافعي في التاريخ، والديلمي وعبدالله بن عبدالله حجازي لين الحديث روى له ابن ماجه. وقال الذهبي في الديوان: روى عن الحسن بن الحسن لا يعرف، وما ساقه العراقي عن العقيلي هو لفظ الذهبي في الميزان. والإعتزاز بالشيء هو الإمتناع به

ﷺ: « من استعز بالعبيد أذله الله تعالى »، وإذا انكشف لك معنى التوكل وعلمت الحالة التي سميت توكلاً فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات.

الدرجة الأولى: ما ذكرناه؛ وهو أن يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل.

الثانية: وهي أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه، فإنه لا يعرف غيرها ولا يفزع إلى أحد سواها ولا يعتمد إلا إياها، فإذا رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها، وإن نابه أمر في غيبتها كان أول سابق إلى لسانه: يا أماه، وأول خاطر يخطر على قلبه أمه، فإنها مفزعه، فإنه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليست خالية

من النوائب، فمن امتنع بمن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فقد ذل، ومن اعتز بعرض الدنيا فهو المخذول في دينه الساقط من عين الله تعالى، والخبر يحتمل الدعاء لأنه طلب العز من غير العزيز وتعلق بالأسباب دون مسببها، فاستوجب الدعاء عليه أو هو خبر عن أن العبيد كلهم أذلاء تحت قهر العزيز فمن لجأ إلى أحد منهم فقد تعجل ذلاً آخر على ذله. وقوله: اعتز هكذا هو في الرواية بالعين المهملة والزاي، ووقع في كتاب الحكيم ضبطه بخطه بالغين المعجمة والراء من الإغترار وقال: لأن الإغترار بالعبيد منهاجه من حب الغرار وطلبه له، فإذا طلب ذلك من العبيد ترك العمل بالحق والقول به ليعظموه فذلك اغتراره بهم فعاقبة أمره الذلة، إما في الدنيا عاجلاً وإما خروجه منها في أذل ذلة وأعنف عنف، فمن أسلم وجهه لله وذلت له نفسه نال حظاً من عزه، ومن أعرض عنه واغتر بغيزه حرمه غرّه وأخساه وصغره. **(وإذا انكشف لك معنى التوكل)** الذي هو اعتماد القلب وسكونه أو عدم اضطرابه لتعلقه بمسبب الأسباب ورب الأرباب، **(وعلمت الحالة التي سميت توكلاً فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات)**.

(الدرجة الأولى: ما ذكرناه وهو أن يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالته وعنايته كحاله في الثقة بالوكيل) أي يكون في قوّة اعتماده على الله يجري مجرى اعتماد أحدنا على أشفق الناس وأنصحهم كالوالدين مثلاً، وذلك حال هذا التعلق بهما في كل حالة، وإن فعلا معه فعلاً مخالفاً لغرضه فلا يعتقد غشهما بل يعتقد أنهما يريـدان له الخير فتراه يفتخر بكفايتهما وكفالتهما فضلاً عن الجزع والشكوى.

(الدرجة الثانية: وهي أقوى) من الأولى **(أن يكون حاله مع الله كحال الطفل في حق أمه، فإنه لا يعرف غيرها ولا يفزع إلى أحد سواها ولا يعتمد إلا اياها، فإذا رآها تعلق في كل حال بذيلها)** وتشبث به **(ولم يخلها)** تذهب ولا تجيء، **(وإن نابه أمر في غيبتها كان أول سابق على لسانه يا أماه)** يستغيث بها لما يعلم من شفقتها عليه، **(وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فإنها مفزعه، فإنه قد وثق بكفالتها وكفايتها وشفقتها ثقة ليس خالياً عن نوع**

عن نوع إدراك بالتمييز الذي له، ويظن انه طبع من حيث أن الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلقين لفظه ولا على احضاره مفصلاً في ذهنه، ولكن كل ذلك وراء الإدراك، فمن كان باله إلى الله عز وجل ونظره إليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بأمه فيكون متوكلاً حقاً، فإن الطفل متوكل على أمه. والفرق بين هذا وبين الأول: أن هذا المتوكل وقد فني في توكله عن توكله إذ ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته، بل إلى المتوكل عليه فقط، فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه. وأما الأول فيتوكل بالتكلف والكسب وليس فانياً عن توكله لأن له التفاتاً إلى توكله وشعوراً به، وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده، وإلى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل: ما أدناه؟ قال: ترك الأماني. قيل: وأوسطه؟ قال: ترك الاختيار، وهو إشارة إلى الدرجة الثانية. وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال: لا يعرفه إلا من بلغ أوسطه.

الثالثة: وهي أعلاها، أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت

إدراك بالتمييز الذي له، ويظن أنه طبع) فيه **(من حيث أن الصبي لو طولب بتفصيل هذه الخصال لم يقدر على تلقين لفظه ولا على إحضاره مفصلاً في ذهنه، ولكن كل ذلك وراء الإدراك، فمن كان باله إلى الله عز وجل ونظره إليه واعتماده عليه كلف به كما يكلف الصبي بأمه فيكون متوكلاً حقاً، فإن الطفل متوكل على أمه)** وإلى هذه الدرجة أشار من قال: المتوكل كالطفل لا يعرف شيئاً يأوي إليه ألا ترى أنه كذلك المتوكل لا يهتدي إلا إلى ربه عز وجل نقله القشيري، وجعل الكمال محمد بن إسحاق هذه الدرجة أن يكون في قوّة اعتماده كرجل له كنز لا ينفذ فلا يعرف طريق غيره فلا يسأل عن غنى هذا وقوّة اعتماده قال. وهذه أقوى من الأول. **(والفرق بين هذا وبين الأوّل: هذا متوكل وقد فني في توكله إذ ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته، بل إلى المتوكل عليه فقط، ولا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه. وأما الأول فمتوكل بالتكلف والكسب وليس فانياً عن توكله** أي له **التفات إلى توكله وشعور به، وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده: وإلى هذه الدرجة أشار)** أبو محمد **(سهل)** رحمه الله تعالى **(حيث سئل عن التوكل: ما أدناه؟ قال: ترك الاماني)** على الله أي فلا يتمنى على الله شيئاً إلى ثقته، **(قال)**: وما **(أوسطه؟ قال: ترك الإختيار)** لله تعالى **(وهو إشارة إلى الدرجة الثانية. وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال: لا يعرفه إلا من بلغ أوسطه)** ولفظ القوت قيل وما أعلاه؟ قال: لا يعرف إلا أن من توسط التوكل وترك الإختيار أعطى فذكر كلاماً انتهى.

ولعل عدم ذكره نظراً إلى حال السائل فإنه لم يكن ممن يخبر بذلك، وإلا فقد قال سهل بنفسه: أول مقام في التوكل كذا وكذا وأشار إلى الدرجة **(الثالثة)** وهو في سياق المصنف **(وهي**

بين يدي الغاسل لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسه ميتاً تحركه القدرة الأزلية كما تحرك يد الغاسل الميت، وهو الذي قوي يقينه بأنه مجرى للحركة والقدرة والإرادة والعلم وسائر الصفات، وأن كلاً يحدث جبراً فيكون بائناً عن الانتظار لما يجري عليه، ويفارق الصبي فإن الصبي يفزع إلى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها، بل هو مثل صبي علم أنه وإن لم يزعق بأمه فالأم تطلبه وأنه وإن لم يتعلق بذيل أمه فالأم تحمله، وإن لم يسألها اللبن فالأم تفاتحه وتسقيه، وهذا المقام والتوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته، وأنه يعطي ابتداء أفضل مما يُسأل، فكم من نعمة ابتدأها قبل السؤال والدعاء وبغير الاستحقاق، والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه، وإنما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط.

أعلاها) أن (**يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل الميت بين يدي الغاسل لا يفارقه**) في حال (**إلا أنه يرى نفسه ميتاً تحركه القدرة الأزلية كما تحرك يد الغاسل الميت**) يميناً وشمالاً، (**وهو الذي قوي يقينه بأنه مجرى للحركة والقدرة والإرادة والعلم وسائر الصفات، وإن كان يحدث جبراً فيكون بائناً عن الإنتظار لما يجري عليه**) وهذا بعينه مفاد قول سهل رحمه الله تعالى. قال القشيري، قال سهل بن عبدالله أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد لا يكون له حرجة ولا تدبير. وقال صاحب القوت: وقد كان سهل يقول: تلقى نفسك في اللج وتحت جريان الحكم. وقال مرة: تكون بين يديه مثل الميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء وأنشدت لبعضهم:

ولما رأيت القضاء جارياً لا شك فيه ولا مرية
توكلت حقاً على خالقي وألقيت نفسي مع الجرية

(**ويفارق الصبي فإن الصبي يفزع إلى أمه ويصيح**) باسمها (**ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها**) حيث مشت، (**بل مثال هذا مثال صبي علم أنه وإن لم يزعق بأمه فالأم تطلبه وأنه وإن لم يتعلق بذيل أمه فالأم تحمله وإن لم يسألها اللبن فالأم تفاتحه وتسقيه**) وجعل الكمال محمد بن إسحاق هذه الدرجة الثالثة أن يكون في قوّة اعتماده وعدم اضطرابه كرجل غذاؤه بين يديه وهو يتناول منه فإن طمأنينته أكثر من الأول والثاني. (**وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يعطي ابتداء أفضل مما يسأل، فكم من نعمة ابتدأها قبل السؤال والدعاء وقبل الإستحقاق**) لها، وإنما يثمر ذلك لأنه مدهوش فرح بوجود الرازق عن الرزق بل هو رزقه وبه حياته (**والمقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه، وإنما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط**) وقد أشار إلى كل من المقامين كلام الصوفية في حد التوكل.

فإن قلت : فهذه الأحوال هل يتصوّر وجودها ؟

فاعلم أن ذلك ليس بمحال ولكنه عزيز نادر ، والمقام الثاني والثالث أعزها ، والأول أقرب إلى الإمكان ، ثم إذا وجد الثالث والثاني فدوامه أبعد منه ، بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه إلا كصفرة الوجل ، فإن انبساط القلب إلى ملاحظة الحول والقوة والأسباب طبع وانقباضه عارض ، كما أن انبساط الدم إلى جميع الأطراف طبع وانقباضه عارض . والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة إلى الباطن حتى تنمحي عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة ، فإن البشرة ستر رقيق تتراءى من ورائه حمرة الدم ، وانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم ، وكذا انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الأسباب الظاهرة لا يدوم ، وأما المقام الثاني فيشبه صفرة المحموم فإنه قد يدوم يوماً ويومين ، والأول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول .

(فإن قلت : فهذه الأحوال هل يتصور وجودها) ؟

(فاعلم أن ذلك ليس بمحال) بل وجدانها ممكن **(ولكنه عزيز نادر)** الوقوع . **(والمقام الثاني والثالث أعزها)** وأقلها . **(والأول أقرب إلى الإمكان ، ثم إذا وجد الثالث والثاني فدوامه)** وثباته **(أبعد منه)** أي أكثر بعداً من وجدانه ، **(بل يكاد لا يكون المقام الثالث في دوامه)** للسالك **(إلا كصفرة الوجل فإن انبساط القلب إلى الحول والقوة والأسباب)** الظاهرة **(طبع)** مركوز فيه **(وانقباضه)** عنه أمر **(عارض)** والعارض سريع الزوال ، **(كما أن انبساط الدم إلى جميع الأطراف)** من البدن **(طبع وانقباضه عارض)** يكون تارة وتارة ، **(والوجل عبارة عن انقباض الدم عن ظاهر البشرة إلى الباطن حتى تنمحي عن ظاهر البشرة الحمرة التي كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرة ، فإن البشرة ستر رقيق تتراءى من ورائه حمرة الدم فانقباضه يوجب الصفرة وذلك لا يدوم ، وكذا انقباض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوّة وسائر الأسباب الظاهرة لا يدوم . وأما المقام الثاني)** فإنه **(يشبه صفرة المحموم فإنه يدوم يوماً ويومين ، والأول يشبه صفرة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن يدوم ولا يبعد أن يزول)** والحاصل أن عزة وقوع تلك الأحوال الضرورة مادة البشرية والدرجة يجب اكتسابها بأسبابها عند هجوم النفس على الأسباب المحرقة لدواعي الحاجات ، ولو قام الخلق كلهم بهذا القدر من الواجب من التوكل فضلاً عن المستحب للزمهم الإجمال والإقتصاد في الطلب ولم ير في الدنيا شرطي ولا مكاس ، ولكن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

فإن قلت: فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالأسباب في هذه الأحوال؟

فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير رأساً ما دامت الحالة باقية، بل يكون صاحبها كالمبهوت. والمقام الثاني ينفي كل تدبير إلا من حيث الفزع إلى الله بالدعاء والابتهال كتدبير الطفل في التعلق بأمه فقط. والمقام الأول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فإنه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار إليه وكيله به أو التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح إشارته، فأما الذي يعرفه بإشارته بأن يقول له: لست أتكلم إلا في حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور، ولا يكون هذا مناقضاً توكله عليه، إذ ليس هو فزعاً منه إلى حول نفسه وقوته في إظهار الحجة، ولا إلى حول غيره، بل من تمام توكله عليه أن يفعل ما رسمه له، إذ لو لم يكن متوكلاً عليه ولا معتمداً له في قوله لما حضر، بقوله: وأما المعلوم من عادته واطراد سنته: فهو أن يعلم من عادته أنه لا يحاج الخصم إلا من السجل، فتمام توكله إن كان متوكلاً عليه: أن يكون معولاً على سنته وعادته ووافياً بمقتضاها، وهو أن يحمل السجل مع نفسه إليه عند مخاصمته، فإذاً لا

(فإن قلت: فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالأسباب في هذه الأحوال؟.).

(فاعلم أن المقام الثالث ينفي التدبير رأساً مادامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالمبهوت) مدهوشاً فرحاً بالرازق عن الرزق. (والمقام الثاني ينفي كل تدبير إلا من حيث الفزع) والالتجاء (إلى الله تعالى بالدعاء) والتضرع (والابتهال) وهو (كتدبير الطفل في التعلق بأمه فقط، والمقام الاول ينفي أصل التدبير والاختيار، ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيله في الخصومة فإنه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل، ولكن لا يترك التدبير الذي أشار إليه وكيله به أو التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح إشارته، فأما الذي يعرفه بإشارته فإنه يقول له: لست أتكلم إلا في حضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضاً توكله عليه) في تلك الخصومة، (إذ ليس هو فزعاً منه إلى حول نفسه وقوته في إظهار الحجة ولا إلى حول غيره، بل من تمام توكله عليه أن يفعل ما رسمه له إذ لو لم يكن متوكلاً عليه ولا معتمداً له في قوله لما حضر بقوله) فهذا ما يعرفه بإشارته الصريحة.

(وأما المعلوم من عادته واطراد سنته فهو أن يعلم من عادته أنه لا يحاج الخصم إلا من السجل) وهو الدفتر المكتوب فيه أصل المعاملة أو الوثيقة التي أثبت فيها أصل ما يتخاصمون عليه، (فتمام توكله إن كان متوكلاً عليه أن يكون معولاً على سنته وعادته ووافياً بمقتضاها، وهو أن يحمل السجل مع نفسه إليه عند مخاصمته، فإذاً لا يستغني عن التدبير

يستغني عن التدبير في الحضور وعن التدبير في إحضار السجل، ولو ترك شيئاً من ذلك كان نقصاً في توكله، فكيف يكون فعله نقصاً فيه؟ نعم بعد أن حضر وفاء بإشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظراً إلى محاجته، فقد ينتهي إلى المقام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمبهوت المنتظر لا يفزع إلى حوله وقوته؛ إذ لم يبق له حول ولا قوّة، وقد كان فزعه إلى حوله وقوته في الحضور وإحضار السجل بإشارة الوكيل وسنته، وقد انتهى نهايته فلم يبق إلا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري، وإذا تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال في التوكل وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل، وأن كل تدبير وعمل لا يجوز أيضاً مع التوكل، بل هو على الانقسام، وسيأتي تفصيله في الأعمال، فإذا فزع المتوكل إلى حوله وقوته في الحضور والاحضار لا يناقض التوكل لأنه يعلم أنه لولا الوكيل لكان حضوره وإحضاره باطلاً وتعباً محضاً بلا جدوى؛ فإذاً لا يصير مفيداً من حيث أنه حوله وقوّته بل من حيث أن الوكيل جعله معتمداً لمحاجته عرفه ذلك بإشارته وسنته، فإذاً لا حول ولا قوة إلا بالوكيل، إلا أن هذه الكلمة لا يكمل معناه في حق الوكيل لأنه ليس خالقاً حوله وقوته، بل هو جاعل لهما مفيدين في أنفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله، وإنما يصدق

في الحضور وعن التدبير في إحضار السجل، ولو ترك شيئاً من ذلك كان نقصاً في توكله فكيف يكون فعله نقصاً فيه؟ نعم بعد أن حضر وفاء باشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقعد ناظراً إلى محاجته، فقد ينتهي إلى المقام الثاني والثالث في حضورة حتى يبقى كالمبهوت المنتظر لا يفزع إلى حوله وقوته، إذ لم يبق له حول ولا قوة، وقد كان فزعه إلى حوله وقوته في الحضور واحضار السجل باشارة الوكيل وسنته، وقد انتهى نهايته فلم يبق إلا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجرى، وإذا تأملت هذا اندفع عنك إشكال) يرد عليك (في التوكل، وفهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل تدبير وعمل وإن كان كل تدبير وعمل لا يجوز أيضاً مع التوكل، بل هو على الانقسام وسيأتي تفصيله في الاعمال) قريباً، (فإذا فزع المتوكل إلى حوله وقوته في الحضور والاحضار لا يناقض التوكل لأنه يعلم أنه لولا الوكيل لكان حضوره وإحضاره باطلاً ولعباً) وفي نسخة تعباً (محضاً بلا جدوى) أي فائدة، (فإذاً لا يصير مفيداً من حيث أنه حوله وقوته، بل من حيث الوكيل جعله معتداً لمحاجته وعرفه ذلك باشارته وسنته، فإذاً لا حول ولا قوة إلا بالوكيل إلا أن هذه الكلمة لا يكمل معناها في حق الوكيل) في الخصومة (لأنه ليس خالقاً حوله وقوته، بل هو جاعل لهما مفيدين في أنفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فعله، وإنما يصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى، إذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في

ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى؛ إذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد، وهو الذي جعلها مفيدين إذ جعلها شرطاً لما سيخلقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد، فإذاً لا حول ولا قوة إلا بالله حقاً وصدقاً، فمن شاهد هذا كله كان له الثواب العظيم الذي وردت به الأخبار فيمن يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وذلك قد

التوحيد، وهو الذي جعلها مفيدين إذ جعلها شرطاً سيلحقه من بعدهما من الفوائد والمقاصد).

قال المصنف في المقصد الأسنى: الوكيل هو الموكول إليه الامور، ولكن الموكول إليه ينقسم إلى من يوكل إليه بعض الأمور وذلك ناقص، وإلى من يوكل إليه الكل وليس ذلك إلا الله، والموكول إليه ينقسم إلى من يستحق أن يكون موكولاً إليه لا بذاته ولكن بالتوكيل والتفويض وهو ناقص لأنه فقير إلى التفويض والتولية، وإلى من يستحق لذاته أن تكون الأمور موكولة إليه والقلوب متوكلة عليه لا بتولية ولا تفويض من جهة غيره، وذلك هو الوكيل المطلق. والوكيل أيضاً ينقسم إلى من يفي بما وكل إليه وفاء تاماً من غير قصور، وإلى من لا يفي بالجميع. والوكيل المطلق هو الذي الأمور موكولة إليه وهو مليّ بالقيام بها وفيّ بإتمامها وذلك هو الله تعالى فقط.

(فإذاً لا حول ولا قوة إلا بالله حقاً وصدقاً، فمن شاهد هذا كذلك كان له الثواب العظيم الذي وردت به الأخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله) منها ما رواه الحاكم من حديث أبي هريرة «من قال لا حول ولا قوة إلا بالله كان دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم». ورواه ابن أبي الدنيا في الفرج وابن النجار نحوه.

وروى الطبراني وابن عساكر من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رفعه «لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة من قالها أذهب الله عنه سبعين باباً من الشر أدناها الهم.

وعند البيهقي من حديث أبي هريرة: «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله لا ملجأ من الله إلا إليه» وفي رواية له: «ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة تقول لا حول ولا قوة إلا بالله فيقول الله أسلم عبدي واستسلم» ورواه الحاكم كذلك.

ورواه مسلم بلفظ «ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله» وقد رواه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري.

وقد روي من حديث قيس بن معد بن عبادة بلفظ «ألا أدلك على باب من أبواب الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله» رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح غريب وابن سعد والحاكم والطبراني والبيهقي، ورواه أحمد أيضاً من حديث معاذ مثله.

يستبعد فيقال: كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بمفهوم لفظها؟ وهيهات فإنما ذلك جزاء على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوابها إلى كلمة (لا إله إلا الله) وثوابها كنسبة معنى إحداهما إلى الأخرى، إذ في هذه الكلمة إضافة شيئين إلى الله تعالى فقط وهما: الحول والقوة، وأما كلمة (لا إله إلا الله) فهو نسبة الكل إليه، فانظر إلى التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب (لا إله إلا الله) بالإضافة إلى هذا، وكما ذكرنا من قبل أن للتوحيد قشرين ولبين، فكذلك لهذه الكلمة ولسائر الكلمات وأكثر الخلق قيدوا بالقشرين وما طرقوا إلى اللبين، وإلى اللبين الإشارة بقوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله صادقاً من قلبه مخلصاً وجبت له الجنة» وحيث أطلق من غير ذكر الصدق والإخلاص

وروى عبد بن حميد والطبراني من حديث زيد بن ثابت «ألا أدلكم على كنز من كنوز الجنة تكثرون من لا حول ولا قوة إلا بالله».

وروى الطبراني من حديث أبي أيوب «ألا أعلمك يا أبا أيوب كلمة من كنز الجنة أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله» في أخبار أخر تقدم ذكرها في كتاب الدعوات.

(وذلك قد يستبعد فيقال: كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سهولتها على اللسان وسهولة اعتقاد القلب بمفهوم لفظها؟ وهيهات: فإن ذلك جزاء) مرتب **(على هذه المشاهدة التي ذكرناها في التوحيد، ونسبة هذه الكلمة وثوابها إلى كلمة (لا إله إلا الله) كنسبة معنى أحدهما إلى الآخر إذ في هذه الكلمة إضافة شيئين إلى الله تعالى فقط وهما: الحول والقوة)** ونفيهما عن غيره تعالى. **(وأما كلمة (لا إله إلا الله) فهو نسبة الكل إليه)** فلا معبود إلا هو ولا مقصود إلا هو ولا موجود إلا هو، **(فانظر إلى التفاوت بين الكل وبين شيئين لتعرف به ثواب (لا إله إلا الله) بالاضافة إلى هذا، وكما ذكرنا من قبل أن للتوحيد قشرين)** الأعلى والأسفل، **(ولبين)** الخارج والداخل، **(فكذلك لهذه الكلمة ولسائر الكلمات)** قشران ولبان، **(وأكثر الخلق قيدوا بالقشرين)** لقصورهم في هممهم، **(وما طرقوا إلى اللبين. وإلى اللبين الإشارة بقوله)** ﷺ: **(«من قال لا إله إلا الله صادقاً مخلصاً وجبت له الجنة»)** قال العراقي: رواه الطبراني من حديث زيد بن ارقم، وابو يعلى من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

قلت: حديث زيد بن أرقم عند الطبراني وفيه «مخلصا» دون «صادقا» وفيه «دخل الجنة» وفي آخره: قيل وما اخلاصها؟ قال «ان تحجزه عن محارم الله». ورواه كذلك الحكيم، وأبو نعيم في الحلية. ورواه ابن النجار من حديث أنس مثله وفيه بعد قوله: «الجنة» قيل: أفلا أبشر الناس؟ قال «إني أخاف أن يتكلوا». ورواه البزار والطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد بدون تلك

أراد بالمطلق هذا المقيد، كما أضاف المغفرة إلى الإيمان والعمل الصالح في بعض المواضع، وأضافها إلى مجرد الإيمان في بعض المواضع، والمراد به المقيد بالعمل الصالح، فالملك لا ينال بالحديث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضاً حديث، ولكنه حديث نفس، وإنما الصدق والإخلاص وراءهما، ولا ينصب سرير الملك إلا للمقربين وهم المخلصون، نعم لمن يقرب منهم في الرتبة من أصحاب اليمين أيضاً درجات عند الله تعالى وإن كانت لا تنتهي إلى الملك. أما ترى أن الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال: ﴿على سُرُر مَوْضُونَةٍ ★ مُتَّكِئِينَ عليها مُتَقَابِلِينَ﴾ [الواقعة: ١٥، ١٦] ولما انتهى إلى أصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل والفواكه والأشجار والحور العين، وكل ذلك من لذات المنظور والمشروب

الزيادة، وكذلك رواه الطبراني من حديث أبي شيبة الخدري وقد تقدم كل ذلك في الدعوات. ومعنى الاخلاص بلا إله إلا الله عند المخلصين بها أن يشهدوا أن لا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مانع إلا الله، ولا هادي ولا مضل إلا الله، كما أنه لا إله إلا الله هذا عندهم في قرن واحد وبمشاهدة واحدة وهو أول التوحيد وإن كان قد جعل هاديين ومضلين كما جعل معطيين ومانعين، ولكن من بعد إذنه حقيقة ومشيئة وقدرته وحكمته.

(**وحيث أطلق من غير الصدق والاخلاص**) كما في حديث سلمة بن نعيم الاشجعي عند الطبراني في الأوسط «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق» (**أراد بالمطلق المقيد**) بالوصفين (**كما أضاف المغفرة إلى الإيمان والعمل الصالح في بعض المواضع، وأضاف إلى مجرد الإيمان في بعض المواضع والمراد به**) الإيمان المقيد (**بالعمل الصالح**) فكذلك هنا، (**فالملك لا ينال بالحديث، وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضاً، ولكنه حديث نفس وإنما الصدق والاخلاص وراءهما**) أي حركة اللسان وحديث النفس، (**ولا ينصب سرير الملك إلا للمقربين وهم المخلصون**) في أعمالهم الصادقون في أقوالهم. (**نعم لمن يقرب منهم في الرتبة من أصحاب اليمين أيضاً درجات عند الله تعالى**) متفاوتة (**وإن كان لا ينتهي إلى الملك. أما ترى أن الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة المقربين السابقين تعرض لسرير الملك فقال**): ﴿والسابقون السابقون ★أولئك المقربون ★في جنات النعيم ★ثلة من الأولين ★وقليل من الآخرين ★(**على سرر موضونة**) أي منسوجة بالذهب مشتبكة بالدر والياقوت (**متكئين عليها متقابلين**﴾ [**الواقعة: ١٠ـ ١٦**] **ولما انتهى إلى**) ذكر (**أصحاب اليمين ما زاد على ذكر الماء والظل والفواكه والأشجار والحور**) فقال ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ★في سدرٍ مخضود ★وطلح منضود ★وظل ممدود ★وماء مسكوب ★وفاكهة كثيرة ★لا مقطوعة ولا ممنوعة ★وفرش مرفوعة﴾ [الواقعة: ٢٧ـ ٣٤] (**وكل ذلك لذات**

والمأكول والمنكوح، ويتصوّر ذلك للبهائم على الدوام، وأين لذات البهائم من لذة الملك، والنزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين، ولو كان لهذه اللذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفعت عليها درجة الملائكة، أفترى أن أحوال البهائم ـ وهي مسيبة في الرياض متنعمة بالماء والأشجار وأصناف المأكولات متمتعة بالنزوان والسفاد ـ أعلى وألذ وأشرف وأجدر بأن تكون عند ذوي الكمال مغبوطة ـ من أحوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين في أعلى عليين، هيهات هيهات ما أبعد عن التحصيل من إذا خيّر بين أن يكون حماراً أو يكون في درجة جبريل عليه السلام فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام! وليس يخفى أن شبه كل شيء منجذب إليه، وأن النفس التي نزوعها إلى صنعة الأساكفة أكثر من نزوعها إلى صنعة الكتابة، فهو بالأساكفة أشبه في جوهر منه بالكتاب، وكذلك من نزوع نفسه إلى نيل لذات البهائم أكثر من نزوعها إلى نيل لذات الملائكة، فهو بالبهائم أشبه منه بالملائكة لا محالة،

المنظور والمشروب والمأكول والمنكوح، ويتصور ذلك للبهائم على الدوام، وأين لذات البهائم من لذات الملك والنزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين)؟ وقيل: لما شبه حال السابقين في التنعم بأكمل ما يتصور لأهل المدن شبه حال أصحاب اليمين بأكمل ما يتمناه أهل البوادي إشعاراً بالتفاوت بين حالين. **(ولو كان لهذه اللذات قدر لما وسعت على البهائم ولما رفعت عليها درجة الملائكة. أفترى أن أحوال البهائم وهي مسيبة)** أي مطلقة **(في الرياض متنعمة بالماء والاشجار وأصناف المأكولات متمتعة بالنزوات والسفاد)** وهو الركوب على الإناث **(أعلى وأشرف وأجدر بأن تكون عند ذوي الكمال مغبوطة من أحوال الملائكة في سرورهم بالقرب من جوار رب العالمين في أعلى عليين. هيهات هيهات: ما أبعد عن التحصيل من إذا خيّر بان يكون حماراً أو يكون في درجة جبريل، فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام، وهل يخفى إن شبه كل شيء منجذب إليه)** وهو قول سائر مشهور على الألسنة، ومعناه يؤخذ من حديث «الأرواح جنود مجندة» ومن قول الشعبي: إن لله ملكاً موكلا يجمع الاشكال بعضها على بعض، وقد أكثر فيه الشعراء وضمنوا هذه الجملة وصرفوها إلى معان كثيرة مدحاً وذماً. وأعجبها ما أنشدني بعضهم في الذم:

رأيت النخل يطرح كل قحف ... وذاك الليف ملتف عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربي ... شبيه الشيء منجذب إليه

(وأن النفس التي نزوعها إلى صنعة الأساكفة أكثر من نزوعها إلى صنعة الكتابة، فهو بالأساكفة أشبه في جوهره منه بالكتاب. وكذلك من نزوع نفسه إلى نيل لذات البهائم أكثر من نزوعه إلى نيل لذات الملائكة، فهو بالبهائم أشبه منه بالملائكة لا محالة، وهؤلاء

وهؤلاء هم الذين يقال فيهم: ﴿أولئك كالأنعام بَلْ هُم أضلّ﴾ [الأعراف: ١٣٩] وإنما كانوا أضل لأن الانعام ليس في قوّتها طلب درجة الملائكة؛ فتركها الطلب للعجز. وأما الإنسان ففي قوّته ذلك، والقادر على نيل الكمال أحرى بالذم وأجدر بالنسبة إلى الضلال مهما تقاعد عن طلب الكمال. وإذا كان هذا كلاماً معترضاً فلنرجع إلى المقصود فقد بينّا معنى قول (لا إله إلا الله) ومعنى قول (لا حول ولا قوّة إلا بالله) وأن من ليس قائلاً بهما عن مشاهدة فلا يتصوّر منه حال التوكل.

فإن قلت: ليس في قولك: (لا حول ولا قوّة إلا بالله) إلا نسبة شيئين إلى الله، فلو قال قائل: السماء والأرض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه؟

فأقول: لا، لأن الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين ولا ينظر إلى عظم السماء والأرض وصغر الحول والقوّة إن جاز وصفهما بالصغر تجوّزاً، فليست الأمور بعظم الأشخاص بل كل عامي يفهم أن الأرض والسماء ليستا من جهة

الذين يقال فيهم ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾)شبههم بالأنعام لما في قصوى هممهم الميل الى اللذات الحسية التي تزول سريعاً، ثم قال (بل هم أضل)، **(وإنما كانوا أضل لأن الأنعام ليس في قوتها طلب درجة الملائكة وتركها الطلب للعجز)** لما فيها من النقص في الإدراك، **(وأما الإنسان ففي قوته ذلك)** لأنه خلق بهيميا ملكيا فهو مرتبة بين مرتبتين، **(والقادر على نيل الكمال أحرى بالذم وأجدر بالنسبة إلى الضلال مهما تقاعد عن الطلب الكمال)** لأنه ترك ما هو قادر عليه وتقدم إنشاد قول الشاعر:

ولم أر في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام

(وإذ كان هذا كلاماً معترضاً) بين كلامين سيق لأدنى مناسبة، **(فلنرجع إلى المقصود)** المهم فيما نحن فيه **(فقد بينا معنى قول (لا إله إلا الله)** في التوحيد، **(ومعنى لا حول ولا قوة إلا بالله)** قريباً، **(ومن ليس قائلاً بهما عن** مشاهدة) معنييهما **(فلا يتصور منه حال التوكل)**.

(فإن قلت: ليس في قولك (لا حول ولا قوة إلا بالله) إلا نسبة شيئين إلى الله) تعالى وهما: الحول والقوة، **(فلو قال قائل: السماء والأرض خلق الله، فهل يكون ثوابه مثل ثوابه؟)**.

(فأقول لا، لأن الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولا مساواة بين الدرجتين) في المعنى الباطن، **(ولا ينظر إلى عظم السماء والأرض وصغر الحول والقوة وإن جاز وصفهما بالصغر تجوزاً، فليست الأمور بعظم الأشخاص بل كل عامي يفهم أن الأرض والسماء**

الآدميين بل هما من خلق الله تعالى ، **فأما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعتزلة** والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعي أنه يدقق النظر في **الرأي والمعقول حتى يشق الشعر** بحدة نظره ، **فهي مهلكة مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون ، إذ أثبتوا لأنفسهم** أمراً وهو شرك في التوحيد وإثبات خالق سوى الله تعالى ، **فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق** الله إياه فقد علت رتبته وعظمت درجته **فهو الذي يصدق قوله لا حول ولا قوّة إلا** بالله ، وقد ذكرنا أنه ليس في التوحيد **إلا عقبتان**.

إحداهما : النظر إلى السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والغيم والمطر وسائر الجمادات .

والثانية : النظر إلى اختيار الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرهما وبقطعهما كمال سر التوحيد فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة. أعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها ، فإذا رجع حال التوكل إلى التبريء من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق ، وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل إن شاء الله تعالى .

ليس من جهة الآدميين ، بل هو من خلق الله تعالى ، فأما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة) وهم أهل اليونان **(وطوائف كثيرة)** من الطبائعيين والحكماء **(ممن يدعي أنه يدقق النظر في الرأي المعقول حتى يشق الشعر)** بنصفين **(بحدة نظره)** ودقة فكره ، **(فهي مهلكة مخطرة ومزلة عظيمة هلك فيها الغافلون)** عن أسرار النقول ، **(إذ ثبتوا لأنفسهم أمراً)** زاعمين بذلك تنزية الباري عما لا يليق **(وهو)** في الحقيقة **(شرك في التوحيد وإثبات خالق سوى الله تعالى)** فأي مزلة أعظم من هذه؟ **(فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله إياه فقد علت رتبته وعظمت طريقته ، فهو الذي يصدق قوله لا حول ولا قوة إلا بالله ، وقد ذكرنا)** قريباً **(أنه ليس في التوحيد إلا عقبتان) .**

(إحداهما : النظر إلى السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والغيم والمطر وسائر الجمادات) .

(والثانية : النظر إلى اختيار الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرهما وبقطعهما كمال سر التوحيد ، فلذلك عظم ثواب هذه الكلمة أعني ثواب المشاهدة التي هذه الكلمة ترجمتها) وتفسيرها وبيانها ، **(فإذا رجع حال التوكل إلى التبري ، من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق)** وهكذا عبر عنه بعض الشيوخ ، **(وسيتضح ذلك عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل إن شاء الله تعالى)** والله الموفق بكرمه .

بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل:

ليتبين أن شيئاً منها لا يخرج عما ذكرنا ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال، فقد قال أبو موسى الدبيلي، قلت لأبي يزيد: ما التوكل؟ فقال: ما تقول أنت؟ قلت: إن أصحابنا يقولون: لو أن السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك. فقال أبو يزيد: نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من جملة التوكل، فما ذكره أبو موسى فهو خبر عن أجل أحوال التوكل وهو المقام الثالث، وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة وأن ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة، وهذا أغمض

الفصل الثاني

في بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل:

(**إعلم**) وفي نسخة: ليتبين (**أن شيئاً منها لا يخرج عما ذكرناه، ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال فقد قال أبو موسى الدبيلي**) هكذا في النسخ، وهو يحتمل أن يكون بفتح الدال وكسر الموحدة نسبة إلى دبيل الرملة قرية بها، أو هو بفتح الدال وياء ساكنة وباء موحدة مضمومة إلى الديبل مرسى من مراسي السند، وقد نسب إلى كل منهما جماعة من أهل العلم ولم أجد لأبي موسى ترجمة، (**قلت لأبي يزيد**) يعني البسطامي قدس سره: (**ما التوكل؟ فقال: ما تقول فيه أنت؟ قلت: إن أصحابنا يقولون لو أن السباع والأفاعي**) أي الحيات (**عن يمينك ويسارك**) أي وغيرهما (**ما تحرك لذلك سرك**) لقوة اليقين بالله والاعتماد عليه. (**فقال أبو يزيد: نعم، هذا قريب، ولكن لو أن أهل الجنة يتنعمون، وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك**) وفي نسخة لك (**تمييز عليهما**) وفي نسخة بينهما أي بأن ميزت أحدهما عن الآخر يعني اخترت لنفسك شيئاً (**خرجت من جملة التوكل**) لأن الاعتماد على الله تعالى ينافي أن تنسب لنفسك فعلاً لأنك لا تعلم مصلحتك في أي جهة لا في النعيم ولا في العذاب، فلا يليق بك تمييز ولا اختيار، وذكر نعيم الجنة وعذاب النار لأنهما أشد من غيرهما وإلا فليسا بمرادين، بل المراد مطلق النعيم والعذاب، ولفظ القشيري في الرسالة: وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت أبا عبدالله السيرواني يقول: سمعت أبا موسى الدبيلي يقول: قيل لأبي يزيد: ما التوكل؟ فقال لي: ما تقول أنت فيه؟ والباقي سواء، وهذا يدل على أن السائل له على التوكل غير أبي موسى، (**فما ذكره أبو موسى فهو خبر عن أجل أحوال التوكل**) وأعلاها، (**وهو المقام الثالث. وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة**) الإلهية، (**وأن ما فعله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل القول بالعدل والحكمة**

أنواع العلم ووراءه سر القدر، وأبو يزيد قلما يتكلم إلا عن أعلى المقامات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرطاً في المقام الأوّل من التوكل، فقد احترز أبو بكر رضي الله عنه في الغار إذ سدّ منافذ الحيات إلا أن يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره، أو يقال: إنما فعل ذلك شفقة في حق رسول الله ﷺ لا في حق نفسه، وإنما يزول التوكل بتحرك سره وتغيره لأمر يرجع إلى نفسه، وللنظر في هذا مجال ولكن سيأتي بيان أن أمثال ذلك وأكثر منه لا يناقض التوكل، فإن حركة السر من الحيات هو الخوف، وحق المتوكل أن يخاف مسلط الحيات إذ لا حول للحيات ولا قوّة لها إلا بالله، فإن احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوّته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوّة والتدبير.

وسئل ذو النون المصري عن التوكل؟ فقال: خلع الأرباب وقطع الأسباب، فخلع الأرباب إشارة إلى علم التوحيد وقطع الأسباب إشارة إلى الأعمال، وليس فيه تعرض

ووراءه سر القدر) الذي نهى عن كشف سره وهذا السياق مؤيد لمقالته التي تقدم ذكرها. **(وأبو يزيد)** قدس سره **(قلما يتكلم إلا من أعلى المقامات وأقصى الدرجات)** لعلو حاله وتمكنه في مقامه، **(وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرطاً في المقام الأول من التوكل، فقد احترز أبو بكر رضي الله عنه في الغار)** الذي بجبل ثور **(إذ سد منافذ الحيات)** بقطع من ردائه **(إلا أن يقال فعل ذلك بيده)** وفي نسخة برجله، **(ولم يتغير بسبب ذلك سره)** أي باطنه، **(أو يقال: إنما فعل ذلك شفقة في حق رسول الله ﷺ)**. عزاه رزين للنسائي، ورواه إبن الجوزي في الوفاء، وقد تقدم الكلام عليه، **(لا في حق نفسه، إنما يزول التوكل بحركة سره)** وتغيره **(لأمر يرجع إلى نفسه وللنظر في هذا مجال)** أي لأن مقام الصديق يقتضي التبريء من الحركة مطلقاً إلا أن يقال: إن ذلك كان في مبادىء سلوكه قبل أن يتشرف بمقام الصديقية، **(ولكن سيأتي أن أمثال ذلك وأكثر منه لا يناقض التوكل، فإن حركة السر من الحيات هو الخوف وحق المتوكل أن يخلف مسلط الحيات، إذ لا حول للحيات ولا قوة لها إلا بالله، فإن احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز، بل على خالق الحول والقوة والتدبير)**.

(وسئل ذو النون المصري) قدس سره **(عن التوكل؟ فقال:)** هو **(خلع الأرباب)** وهو ما سوى الله تعالى بما يملك القلب عادة ويكون مسخراً له بمنزلة العبد **(وقطع)** الاعتماد على **(الأسباب)** الظاهرة والباطنة بحيث لا يبقى له معتمد سوى الله تعالى، **(وخلع الأرباب إشارة إلى علم التوحيد)** فإن من اتخذ غير الله رباً لم يوحده، **(وقطع الأسباب إشارة إلى الأعمال)** فقد أشار إلى العلم الذي هو أساس التوكل والعمل الذي هو ثمرته **(وليس فيه تعرض صريح**

صريح للحال وإن كان اللفظ يتضمنه، **فقيل له**: زدنا! **فقال: إلقاء النفس في العبودية** وإخراجها من الربوبية، **وهذا إشارة إلى التبريء من الحول والقوة فقط.**

وسئل حدون القصار عن التوكل؟ **فقال: إن كان لك عشرة آلاف درهم وعليك** دانق دين لم تأمن أن تموت ويبقى دينك في عنقك، **ولو كان عليك عشرة آلاف درهم** دين من غير أن تترك لها وفاء لا تيأس من الله تعالى أن يقضيها عنك، **وهذا إشارة إلى** مجرد الإيمان بسعة القدرة وأن في المقدورات أسباباً خفية سوى هذه الأسباب الظاهرة.

وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل؟ فقال: **التعلق بالله تعالى في كل حال، فقال** السائل: زدني! فقال: ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولي

للحال) الذي من نتائج الأعمال، **(وإن كان اللفظ يتضمنه)** فتكون دلالته عليه بالالتزام. **(قيل له: زدنا)** في البيان بعبارة أخرى ليفهم. **(فقال: إلقاء النفس في)** أحكام **(العبودية)** بأن يكون دائماً مشتغلاً بما أمر به ونهى عنه **(وإخراجها)** من دعوى **(الربوبية)** وسلبها عنها. **(وهذا إشارة إلى التبرىء من الحول والقوة فقط)** فإنه ما لم يتبرأ منها لم يتصف بالعبودية المحضة وهو تفسير باللازم نظراً إلى فهم المخاطب. ولفظ القشيري: وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمٰن السلمي يقول: سمعت سعيد بن أحمد بن محمد يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول: سمعت ذا النون المصري وسأله رجل فقال: ما التوكل؟ فقال: فساقه.

(وسئل) أبو صالح **(حمدون)** بن أحمد بن عمارة القصار رحمه الله تعالى **(عن التوكل)** ما هو؟ **(فقال: إن كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن أن تموت ويبقى ذلك في عنقك)** فعجل قضاءه ولا تغتر بكثرة مالك، **(ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لا تيأس من الله تعالى أن يقضيها)** وفي نسخة: أن يقضيه **(عنك)**، فاعتمد على الله وحسن ظنك به ولا تيأس أن يقضي عنك ما عليك. أورده القشيري فقال: وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمٰن السلمي يقول: سمعت عبدالله بن محمد المعلم يقول: سمعت عبدالله بن منازل يقول: سمعت حمدون وسئل عن التوكل فساقه. **(وهـذا إشارة إلى مجرد الايمان بسعة القدرة وأن في المقدورات أسباباً خفية)** لا يطلع عليها **(سوى هذه الأسباب الظاهرة)**، فمفاد قول حمدون أن التوكل عبارة عن الاعتماد على الله وحسن الظن به وعدم اليأس عن روحه، وهذا أقرب مما أشار إليه المصنف.

(وسئل أبو عبدالله) محمد بن أحمد **(القرشي)** ترجمه القوصي في الوحيد **(عن التوكل)** ما هو؟ **(فقال)**: هو **(التعلق بالله تعالى في كل حال)** والمراد به الاعتماد عليه. **(فقال السائل: زدني)** في البيان. **(فقال)** هو **(ترك)** الاعتماد على **(كل سبب)** ولو لم يباشر المطلوب، بل كان **(يوصل إلى**

لذلك، فالأول عام للمقامات الثلاث، والثاني إشارة إلى المقام الثالث خاصة، وهو مثل توكل ابراهيم ﷺ، إذ قال له جبريل عليه السلام: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، إذ كان سؤاله سبباً يفضي إلى سبب وهو حفظ جبريل له، فترك ذلك ثقة بأن الله تعالى إن أراد سخّر جبريل لذلك فيكون هو المتولي لذلك، وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم ير معه غيره وهو حال عزيز في نفسه، ودوامه إن وجد أبعد منه وأعز.

وقال أبو سعيد الخراز: التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب، ولعله

سبب) آخر يباشر المطلوب (حتى يكون الحق) تعالى (هو المتولي لذلك) فيصرفك كيف يشاء. هكذا أورده القشيري. (فالأول: عام في المقامات الثلاث) إذ التعلق بالله لا بد منه في كل منها، (و) الجواب (الثاني: إشارة إلى المقام الثالث) الذي هو أعلى الثلاثة، وهذا يدلك على أن المشايخ إنما يجيبون فيما يسألون على قدر مقام السائلين، فإنه في الأول أجاب بما يعم الثلاث، فلما استزاده وتفرس فيه القوة أجاب بما هو أخص وأعلى، ويحتمل أن يقال أنه أجاب أولاً بحقيقة التوكل وعبر عنه بالتعلق بالله خاصة فاستزاده بما يثبت له هذا المقام فأجاب أن أترك الأسباب تصل إلى ذلك وفي ترك الأسباب كلام يأتي فيما بعد، (وهو مثل توكل إبراهيم عليه السلام إذ قال له جبريل عليه السلام: ألك حاجة) وهو مكتف مربوط في كفة المنجنيق بين السماء والأرض يهوى إلى نار وقد تأججت؟ (فقال: أما إليك فلا)، فأعرض عنه وتعلق بالله، (إذ كان سؤاله سبباً يفضي إلى سبب وهو حفظ جبريل له) عن السقوط في النار، (فترك ذلك ثقة بأن الله تعالى إن أراد سخر جبريل لذلك، فيكون هو المتولي لذلك وهذا حال مبهوت) مدهوش (غائب عن نفسه بالله تعالى) أي فيه، (فلم ير معه غيره لفنائه فيه عنه وهو حال عزيز في نفسه ودوامه إن وجد) في السالك (أبعد منه وأعز)، وهو منتزع من سياق القشيري قال: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمد بن جعفر بن محمد يقول: سمعت أبا بكر البرذعي يقول: سمعت أبا يعقوب النهرجوري يقول: التوكل على كمال الحقيقة ما وقع لإبراهيم عليه السلام في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام: أما إليك فلا، لأنه غابت نفسه بالله فلم ير مع الله غيره اهـ. وقد تقدم للمصنف نحو ذلك في الفناء في التوحيد.

وقال صاحب القوت: سئل الإمام أحمد عن التوكل؟ فقال: هو قطع الاستشراف بالإياس عن الخلق، قيل له: فالحجة فيه قال إبراهيم عليه السلام قال له جبريل: ألك حاجة؟ قال: إليك لا. قال: فسل من لك إليه حاجة، فقال: أحب الأمرين إلي أحبهما إليه. هكذا ذكره أحمد، فكأنه جعل التوكل التفويض والرضا بجريان الأحكام من غير مسألة ولا اعتراض، وهذا لعمري هو حال المتوكلين.

(وقال أبو سعيد) أحمد بن عيسى (الخراز) المتوفي سنة ٢٧٧: (التوكل) هو

يشير إلى المقام الثاني، فسكونه بلا اضطراب إشارة إلى سكون القلب إلى الوكيل وثقته به، واضطرابه بلا سكون إشارة إلى فزعه إليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل ببدنه إلى أمه وسكون قلبه إلى تمام شفقتها.

وقال أبو علي الدقاق: التوكل ثلاث درجات: التوكل ثم التسليم ثم التفويض، فالمتوكل يسكن إلى وعده، والمسلم يكتفي بعلمه، وصاحب التفويض يرضى بحكمه. وهذا إشارة إلى تفاوت درجات نظره بالإضافة إلى المنظور إليه، فإن العلم هو الأصل

(**اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب**) نقله القشيري، (**ولعله يشير إلى المقام الثاني، فسكونه بلا اضطراب إشارة إلى سكون القلب إلى الوكيل وثقته به**) واعتماده عليه، (**واضطرابه بلا سكون إشارة إلى فزعه إليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل ببدنه إلى أمه وسكون قلبه إلى تمام شفقتها**)، والذي فهمته من قول أبي سعيد أنه أشار بقوله ذلك إلى أن ترك الأسباب ليس من التوكل في شيء، وإنما القصد عدم سكون القلب إليها بحال، فهذا هو معنى قوله: اضطراب بلا سكون، ثم بعد مباشرته لها إن تغيرت فلا يضطرب لذلك، بل يديم سكون قلبه إلى مسببها. ويؤيده ما قال سهل فيما نقله القشيري: التوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته فمن بقي على حاله فلا يتركن سنته اهـ.

أي: يكون السابق لقلبه سكونه إلى الله تعالى بلا اضطراب في التعلق بالأسباب، فأشار إلى تمام التوكل الذي هو عدم الركون إلى الأسباب وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها فلا يقوم عبودية الأسباب إلاّ على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية، فأراد بالإضطراب الأول الضرب في الأرض للتكسب إن كان معيلاً، وأراد بالإضطراب الثاني وهو المنفي تعلق القلب، وإن شئت قلت: التوكل هو اضطراب بلا اضطراب أو هو سكون بلا سكون، ويراد بالسكون الأول التعلق بالسبب وبالثاني القلب. وكلام أبي سعيد من أبدعه وأحسنه، وما شرحناه أقعد مما أشار إليه المصنف والله أعلم.

(**وقال أبو علي**) الحسن بن علي (**الدقاق**) النيسابوري شيخ القشيري: (**للمتوكل من حيث هو ثلاث درجات: التوكل، ثم التسليم، ثم التفويض**) وكل من الأخيرين أعلى مما قبله كما أفاده سياقه هنا. (**فالمتوكل يسكن إلى وعده**) تعالى بقوله: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود: ٦] وله اختيار. (**والمسلم يكتفي بعلمه**) تعالى بحاله فإنه يعلم ما هو فيه، (**وصاحب التفويض يرضى بحكمه**) تعالى أي بكل ما يجريه الله تعالى وافق غرضه أو خالفه، ولا اختيار لها لإنهما سلما وفوّضا الأمور إليه تعالى يفعل بها ما هو صلاح لها نقله القشيري سماعاً عنه.

(**وهذا إشارة إلى تفاوت درجات نظره بالإضافة إلى المنظور إليه، فإن العلم هو الأصل**

والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد، ولا يبعد أن يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك، وللشيوخ في التوكل أقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطول بها فإن الكشف أنفع من الرواية والنقل، فهذا ما يتعلق بحال التوكل والله الموفق برحمته ولطفه.

والوعد يتبعه والحكم يتبع الوعد، ولا يبعد أن يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك). وظاهر هذا تفضيل مقام التسليم على التوكل والتفويض، وسيأتي في التنبيه ما يؤيد ذلك. ويؤيد ما شرحناه قول القشيري بعده وسمعته يعني الدقاق يقول: التوكل بداية والتسليم وسائط والتفويض نهاية اهـ.

أي: أن التوكل اعتماد، والتسليم راحة ورقاد، والتفويض رضا بجريان الأحكام. قال: وسمعته أيضاً يقول: التوكل صفة المؤمنين، والتسليم صفة الأولياء، والتفويض صفة الموحدين والتوكل صفة العوام، والتسليم صفة الخواص، والتفويض خاص الخاص. وقال أيضاً التوكل صفة الأنبياء، والتسليم صفة إبراهيم عليه السلام، والتفويض صفة نبينا ﷺ وقال الكمال أبو بكر محمد ابن إسحاق في مقاصد المنجيات: والتوكل مع شرفه منخفض الرتبة عن التفويض والتسليم، لأن غايته جلب النفع ودفع الضر، والتفويض والتسليم ينشآن عن ملاحظة علم الله وحكمته وتقديره للأشياء في أزلها، وحقيقتها الإنقياد والإذعان للأمر والنهي وترك الإختيار في الفعل، بل في جملة ما حكم الله به وقضى لأن المنفعة التي يطلب المتوكل جلبها والمضرة التي يطلب دفعها قد ينعكسان فتكون المضرة منفعة والمنفعة مضرة، ولذلك علمنا الله ربنا وخالقنا التفويض والتسليم وترك الإختيار بقوله تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [البقرة: ٢١٦] فنسب ذلك إلى علمه وأثبته لنفسه وسلبه عنا بقوله: ﴿وأنتم لا تعلمون﴾.

(**وللشيوخ في التوكل أقاويل سوى ما ذكرناه فلا نطيل به، فإن الكشف**) عن الحقائق (**أنفع من الرواية والنقل**) المجرد، (**فهذا ما يتعلق بحال التوكل**) ولا بأس أن نورد ما قاله الشيوخ، ولا سيما في بعض ما قالوه لحقيقة التوكل، وفي بعضه إشارة إلى أعلى مقاماته ومعرفة ذلك مهمة فنقول.

قال صاحب القوت، قال بعض العارفين: لما سئل عن حقيقة التوكل هو الفرار من التوكل أي يتوكل ولا ينظر إلى توكله أنه لأجله يكفي أو يعافى أو يوفى، فجعل نظره إلى توكله علة في توكله يلزمه الفرار منها حتى يدوم نظره إلى الوكيل وحده بلا خلل ويقوم له بشهادة منه بلا ملل، ويكون بينه وبين الوكيل شيء ينظر إليه أو يعوّل عليه أو يدل به، حتى التوكل أيضاً الذي هو طريقه. وقد عبرت طائفة من أهل المعرفة عن هذا المعنى بعبارات، فقال أبو تراب النخشبي: التوكل طرح البدن في العبودية وتعلق القلب بالربوبية. وقال الزقاق: التوكل رد العيش إلى يوم واحد وإسقاط هم غد، وقال غيره: التوكل هو الخمود تحت الموارد. وكان بعض أشياخنا إذا

سئل عن التوكل أجاب عنه بعين الحقيقة فيقول: هو أن تكون مع الحق كما لم تكن، فإن الحق الآن كما لم يزل. وقال الجريري: التوكل معاينة الإضطرار أي يكون بضاعته عند مولاه الإفلاس وحاله في الأعمال الإياس. وقال سهل: التوكل هو التبريء من الحول والقوة. وقال غيره: هو عدم الإهتمام بما قد كفى كما لا يهتم الصحيح بالدواء إذا عوفي. وكان الحسن يقول: التوكل هو الرضا، وهو إشارة إلى أعظم ثمراته. وقيل: هو تسليم الأقدار كلها للقادر واعتقاد أن جميعها قضاؤه وقدره وهو إشارة إلى القدر المفروض منه. وقال ابن عطاء: ليس التوكل لزوم الكسب ولا تركه إنما التوكل طمأنينة في القلب إلى النار، وكذلك قال أبو عبدالله القرشي في التوكل: إنما هو اطمأن إلى الله سراً وجهراً ورضي به كفيلاً، ونحوه قال رويم: إنما التوكل الثقة بالله في كل ما ضمن في حال. وقال أبو موسى الدبيلي: التوكل هو أن يستوي عندك البادية وباب الطاق. وقال غيره: التوكل استيلاء الوجد على إشارة وحذف التشرف إلى الإرفاق يعني: يغلب وجده إشارته بقول أو همة فيشغله عن التفرغ إلى غيره. وقيل: التوكل هو الكف عن الأغيار في السر والعلانية والسكون إلى الخلق بلا واسطة. وقال سهل: التوكل هو التقوى واحتج بقوله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ [آل عمران: ١٠٢] فإن المعنى اعبدوه بالتوكل. وقال مرة: هو إظهار الفقر والفاقة إليه، ووافقه في ذلك أبو بكر محمد بن موسى الواسطي فقال: التوكل هو قصد الفاقة والإفتقار. وقال النهرجوري: التوكل نسيان حظوظ النفوس. وقال الخواص: التوكل الإكتفاء بعلم الله فيك من تعلق القلب بسواه. وقال يحي بن معاذ: من حقيقة التوكل ترك العبد محابه لمحاب الله واختياره لاختيار الله وتدبيره لتدبير الله بالغناء عن نفسه وبالنظر إلى مجاري الأحكام والقدر، وهذا إشارة إلى المقام الثالث وقال أيضاً. التوكل على ثلاث درجات: ترك الشكاية والرضا والمحبة، فترك الشكاية أن لا يشكو ربه، والرضا أن يرضى بما قسم له، والمحبة أن تكون محبته في قضاء الله تعالى، فأولها للصالحين، والثانية للأولياء، والثالثة للأبدال. وهذا إشارة إلى درجات البداية. وأما توكل النبيين والصديقين: فهو أن يركن القلب إلى سبب ولا مخلوق، ولا ينظر إلى ما دون الله نظرة وهو من عزائم التوكل. قال: وأخبرني بعض الأشياخ عن أبي علي الروذباري أنه قال: التوكل على ثلاث درجات. الأولى: إذا أعطي شكر وإذا منع صبر، والثانية: المنع والعطاء عنده واحد، والثالثة: المنع مع الشكر أحب إليه من اختياره. وقال غيره: التوكل على ثلاث درجات. أولاها: الصبر عند البلاء، وأوسطها الشكر عند شهود البلاء، وآخرها الرضا بمجاري الأقدار والأحكام هذا ما انتقيته من كتاب قوت القلوب مع الإختصار، وقد ذكر القشيري في الرسالة بعض ما هو في القوت، فلنذكر ما لم يذكره صاحب القوت قال حمدون: التوكل هو الإعتصام بالله وقد أشار بذلك إلى عموم التوكل في المقامات الثلاث، وسئل يحي بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: إذا رضي بالله وكيلاً. وسئل ابن عطاء عن حقيقة التوكل فقال: أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فاقتك إليها، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق مع وقوفك عليها. وذكر القشيري قول أبي تراب التخشي السابق إلا أنه زاد بعد قوله بالربوبية والطمأنينة إلى

الكفاية، فإن أعطي شكر وإن منع صبر. وقال ذو النون: التوكل ترك تدبير النفس والإنخلاع عن الحول والقوّة، وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أن الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه. وقال سهل: التوكل الإسترسال مع الله على ما يريد، وهذا إشارة إلى مقام التسليم وفيه ترك الإختيار. وقال غيره: التوكل أن يستوي عندك الإكثار والتقلل، وهذا إشارة إلى مقام من مقامات التوكل. وقال ابن مسروق: التوكل الإستسلام لجريان القضاء والأحكام، وهذا إشارة إلى مقام التفويض وفيه ترك الإختيار وهو المقام الثالث. وقال أبو عثمان الحيري: التوكل الإكتفاء بالله مع الإعتماد عليه، وهذا إشارة إلى المقام الثاني. وسئل الزقاق عن التوكل فقال: هو الأكل بلا طمع، وهذا إشارة إلى إحدى أماراته. وقيل: التوكل نفي الشكوك والتفويض إلى ملك الملوك أراد بنفي الشكوك قوة اليقين، وأطلق التوكل على التفويض وهو أعلى منه لأنه من ثمراته، كما أن اليقين من أصوله. ففيه إشارة إلى الأصل والثمرة، وقيل: التوكل الثقة بما في يدي الله تعالى واليأس عما في أيدي الناس، وهذا إشارة إلى سبب التوكل الذي هو الإعتماد على الله لا على نفسه. وقيل: التوكل فراغ السر عن التفكر في التقاضي في طلب الرزق، وهذا إشارة إلى ثمرة من ثمرات التوكل لانفسه، فإن من توكل على الله ولم يلتفت إلى غيره من الأسباب استراح قلبه من هم الإكتساب وإن أمر بالإكتساب.

تنبيه:

تقدم أن التوكل مع شرفه منخفض الرتبة عن التسليم والتفويض، وهل التفويض أعلى مقاماً أو التسليم؟ فمنهم من قال: التفويض أعلى، ومنهم من قال: التسليم أعلى، وعلى كل حال فالواجب على العبد لجهله أن يستخير الرب تعالى لعلمه وكمال قدرته، فما للعبد العاجز الجاهل إلا الذل والإذعان وترك الإختيار، إذ لو فرضنا أن الله تعالى صب على عباده بلاء عرياً عن المصلحة لكان يجب على العبد التسليم والإذعان، لأنه أحكم الحاكمين. فقد قال صاحب القوت: اعلم أن العلماء بالله لم يتكلموا عليه لأجل أن يحفظ لهم دنياهم ولا لأجل تبليغهم رضاهم ومرادهم ولا ليشترطوا عليه حسن القضاء بما يحبون، ولا ليبدل لهم جريان أحكامه عما يكرهون، ولا ليغير لهم سابق مشيئته إلى ما يعقلون، ولا ليحوّل عنهم ما مضى من سنته التي قد خلت في عباده من الإبتلاء والإمتحان والإختيار إلى ما يعملون هو أجل في قلوبهم من ذلك وهم أعقل عنه وأعرف به من هذا. لو اعتقد عارف بالله تعالى أحد هذه المعاني مع الله في توكله لكان كبيرة توجب عليه التوبة، وكان توكله معصية وكان ما فات عليه من حقيقة التوحيد أشد عليه مما أدرك من توهم التوكل، وإنما أخذوا نفوسهم بالصبر على أحكامه كيف جرت وطالبوا قلوبهم بالرضا عنه بأي معنى جرى اهـ.

فإن قال قائل: إن كانت الإرادة قد خصصت الأشياء ووضعها في مراتبها والقدرة توجب ذلك بالضرورة في الوقت المقدر، إذ من المحال أن تخصص الإرادة شيئاً ولا توجده القدرة على

بيان أعمال المتوكلين:

اعلم أن العلم يورث الحال، والحال يثمر الأعمال، وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة كاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال، فإن ذلك حرام في الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين، بل نكشف الغطاء عنه ونقول:

وفاق التخصيص، فما فائدة التوكل، وقد قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق: ٣]؟ فالجواب عن هذا كالجواب في مسألة الدعاء، فكما أن الدعاء عبادة في نفسه، فكذلك التوكل عبادة تعبدنا الله تعالى بها وهو والدعاء من جملة الأسباب التي رتب عليها مسبباتها، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ [محمد ﷺ: ١١] ومعلوم أن الله تعالى مولى المؤمنين والكافرين إلا أن للمؤمنين ولاية خاصة سوى الولاية العامة بسبب توكلهم على مولاهم، وكما أن الدعاء إذا وافق المشيئة حصل المدعوّ به بعينه وإن لم يوافق المشيئة عوض عن المدعو المطلوب أضعافاً، فكذلك المتوكل يتوكل على الله في جميع أموره والرب تعالى يجري عليه أحكامه التي سبقت بها مشيئته، فإن وافقت غرض المتوكل فهو الزبد بالشهد، وإن خالفت غرضه عوضه الله تعالى على توكله أضعاف ذلك، ومن هنا قالوا: إن التسليم أفضل درجات التوكل لابتنائه على أعز أنواع العلم والحكمة، وهو الذي يشير إليه سياق المصنف فيما مضى كما نبهنا عليه آنفاً والله أعلم.

الفصل الثالث

في بيان أعمال المتوكلين:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن العلم يورث الحال، والحال يثمر الأعمال**)، فالعلم هو الأصل، والعمل ثمرة الحال، والحال يتبع العلوم والإعتقادات، وقد تحزب الناس في ذلك أحزاباً بين القائل بخلع الأسباب، وبين القائل بالدخول فيها، وبين المتوسط بطريق الإجمال في الطلب، ولكل فريق وجه مع قصوره عن الإحاطة بمقاصد الشرع في وسائل العبادات من مقاصدها. وقد شرع المصنف في شرح ذلك بذكر ضوابط المقاصد وافتقارها إلى الأسباب واستغناء بعض المقاصد عن الدخول في الأسباب مع وجه الأفضل في ذلك فقال:.

(**وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم؛ وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام في الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكلين**) ومدحهم كما في غير آية وغير حديث، (**فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين**) وفي نسخة بمحظوراته، (**بل نكشف الغطاء عنه**)

إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه إلى مقاصده، وسعي العبد باختياره إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار، أو لدفع ضار لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع، أو لإزالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض، فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الأربعة وهو جلب النافع أو حفظه، أو دفع الضار أو قطعه، فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقروناً بشواهد الشرع.

الفن الأول: في جلب النافع: فنقول: فيه الأسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات: مقطوع به، ومظنون ظناً يوثق به، وموهوم وهماً لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن إليه.

الدرجة الأولى: المقطوع به، وذلك مثل الأسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطاً مطرداً لا يختلف، كما أن الطعام إذا كان موضوعاً بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد إليه وتقول: أنا متوكل، وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد إليه، سعي وحركة، وكذلك مضغه بالأسنان وابتلاعه باطباق أعالي الحنك على

بالتحقيق في ذلك؟ (**ونقول: إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد والسعي بعلمه**) وفي نسخة بعمله (**إلى مقاصده، وسعي العبد باختياره**) لا يخلو (**إما أن يكون لأجل جلب نافع وهو مفقود عنه كالكسب، أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالإدخار، أو لدفع ضار ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع، أو لإزالة ضار قد نزل به كالتداوي من المرض، فمقصود حركات العبد لا يعدو**) أي لا يجاوز (هذه الفنون الأربعة: وهو جلب النافع أو حفظه أو دفع **الضار أو قطعه، فلنذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقروناً بشواهد الشرع**).

(الفن الأول) : في جلب النافع: (فنقول فيه الأسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث **درجات: مقطوع به ومظنون ظناً يوثق به، وموهوم وهماً لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن إليه**).

(**الدرجة الأولى: المقطوع به**) أي بحصول السبب بعده، (**وذلك مثل الأسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطاً مطرداً لا يختلف**) ولا ينفك، (**كما أن الطعام إذا كان موضوعاً بين يديك وأنت جائع محتاج**) إلى الأكل (**ولكنك لست تمد اليد إليه وتقول: أنا متوكل. وشرط التوكل ترك السعي**) والحركة، (**ومدّ اليد إليه سعي وحركة، وكذلك مضغه بالأسنان وابتلاعه**) بعد المضغ (**بإطباق أعالي الحنك على أسافله**)

أسافله، فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فإنك إذا انتظرت أن يخلق الله تعالى فيك شبعاً دون الخبز أو يخلق في الخبز حركة إليك أو يسخر ملكاً ليمضغه لك ويوصله إلى معدتك فقد جهلت سنّة الله تعالى، وكذلك لو لم تزرع الأرض وطمعت في أن يخلق الله تعالى نباتاً من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل ذلك جنون، وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه، فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم. أما العلم؛ فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والأسنان وقوّة الحركة وأنه الذي يطعمك ويسقيك. وأما الحال؛ فهو أن يكون سكون قلبك واعتمادك على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفلج؟ وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوّة حركتك؟ وكيف تعول على حضور الطعام وربما يسلط الله تعالى من يغلبك عليه أو يبعث حية تزعجك من مكانك وتفرق بينك وبين طعامك؟ وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج إلا بفضل الله تعالى فبذلك فلتفرح وعليه فلتعول،

ليتيسر له الإبتلاع؛ (**فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فإنك إن انتظرت أن يخلق الله فيك شبعاً دون الخبز أو يخلق في الخبز حركة إليك أو يسخر ملكاً ليمضغه لك ويوصله إلى معدتك**) من غير حركة منك، (**فقد جهلت سنّة الله تعالى**) في عباده، وكذلك الحال في الشرب بأن يكون الماء بين يديك وأنت عطشان فلا تتناوله، وتقول: أنا متوكل وتناولي إياه حركة والحركة تناقض التوكل، فالدخول في هذا واجب وتركه حرام، فلو ترك هذا اعتماداً على الله بأن يخلق له رياً بغير شرب كان جاهلاً عاصياً، (**وكذلك لو لم تزرع الأرض وطمعت أن يخلق الله تعالى نباتاً من غير بذر**) وحرث، (**أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام**) من غير مسّ بشر، (**فكل ذلك جنون**) وجهل. (**وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه، فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم. أما العلم: فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والأسنان وقوّة الحركة وأنه الذي يطعمك ويسقيك**) فلا بد من اعتقاد ذلك. (**وأما الحال، فهو أن يكون سكون قلبك واعتماده على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفلج**) فلا تتحرك، (**وكيف تعول على قدرتك. وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوّة حركتك**) فتكون كالمبهوت لا تدري كيف تفعل (**وكيف تعول على حضور الطعام، وربما يسلط الله تعالى من يغلبك عليه**) فيحول بينك وبينه، (**أو يبعث حية تزعجك من مكانك وتفرق بينك وبين طعامك**) وقد وقع أمثال ذلك كثيراً، (**وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج إلا بفضل الله تعالى فبذلك فليفرح**) أشار بذلك إلى قوله تعالى: ﴿قل بفضل الله

فإذا كان هذا حاله وعلمه. فليمد اليد فإنه متوكل.

الدرجة الثانية: الأسباب التي ليست متيقنة ولكن الغالب أن المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيداً كالذي يفارق الأمصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس إلا نادراً ويكون سفره من غير استصحاب زاد، فهذا ليس شرطاً في التوكل، بل استصحاب الزاد في البوادي سنّة الأوّلين، ولا يزول التوكل به بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق، ولكن فعل ذلك جائز وهو من أعلى مقامات التوكل، ولذلك كان يفعله الخوّاص.

فإن قلت: فهذا سعي في الهلاك وإلقاء النفس في التهلكة.

فاعلم أن ذلك يخرج عن كونه حراماً بشرطين:

وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾ [يونس: ٥٨] **(وعليه فيعوّل)** ويعتمد، **(فإذا كان)** السالك **(هذا علمه وحاله فليمد اليد فإنه متوكل)** وإلا فليس من التوكل في شيء، ومن هذه الدرجة لو قعد في مجرى سيل أو في طريق سبع أو تحت جدار مائل تقارب انقضاضه، فلا يصح توكله في شيء من ذلك ولو مات عاصياً.

الدرجة الثانية: الذي حصول السبب بعده مظنون وهي **(الأسباب التي ليست متيقنة، لكن الغالب أن المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيداً، كالذي يفارق الأمصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس إلاّ نادراً ويكون سفره من غير استصحاب زاد، فهذا ليس شرطاً في)** صحة **(التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الاوّلين)** من السلف الصالحين، **(ولا يزول التوكل بعد أن يكون الإعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز)**، ومن هذه الدرجة الكسب والمتاجر والسفر في البحار رجاء السلامة والسفر في القوافل بغير زاد رجاء تسخير الناس له، والجلوس في المساجد تفرغاً للعبادة وغلق الأبواب على الأمتعة وشرب الأدوية المجربة للصحة في الغالبة، فالتلبس بهذا كله مباح في الشرع غير واجب تركه ولا فعله، وأصل التوكل واجب فيبقى الدخول في الأسباب المظنونة على أصل الإباحة والمباح ينقلب فضيلة بالمقاصد، **(وهو)** أي ترك استصحاب الزاد في الأسفار **(من أعلى مقامات التوكل، وكذلك كان يفعله)** إبراهيم بن أحمد **(الخواص)** رحمه الله تعالى وكان من كبار المتوكلين كما صرح به صاحب القوت.

(فإن قلت: هذا سعي في الهلاك وإلقاء النفس في التهلكة) أي الدخول في البرية بغير خفير ولا قافلة ولا زاد سبب للهلاك، وقد قال الله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] فكيف يصح توكله وكيف يكون ذلك مباحاً؟.

(فاعلم أن ذلك يخرج عن كونه حراماً بشرطين).

أحدهما: أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسواها على الصبر عن الطعام أسبوعاً وما يقاربه بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى.

والثاني: أن يكون بحيث يقوى على التقوّت بالحشيش وما يتفق من الأشياء الخسيسة، فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الأمر في البوادي في كل أسبوع عن أن يلقاه آدمي أو ينتهي إلى محلة أو قرية أو إلى حشيش يجتزي به فيحيا به مجاهداً نفسه، والمجاهدة عماد التوكل، وعلى هذا كان يعول الخوّاص ونظراؤه من المتوكلين. والدليل عليه أن الخوّاص كان لا تفارقه الإبرة والمقراض والحبل والركوة ويقول: هذا لا يقدح في التوكل. وسببه أنه علم أن البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الأرض وما جرت سنّة

(**أحدهما: أن يكون الرجل قد راض نفسه**) في الحضر (**وجاهدها وسوّاها**) وعوّدها (**على الصبر عن الطعام أسبوعاً وما يقاربه، بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشويش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى**) بأن لا تسقط قوّته في القيام في صلاته.

(**والثاني**): قوة الحال وغلبة الإنس، وهو (**أن يكون بحيث يقوى على التقوّت بالحشيش وما يتفق من الأشياء الخسيسة**) التي لا تعد قوتاً في الجملة (**فبعد هذين الامرين لا يخلو في غالب الأمر في البوادي في كل أسبوع أن يلقاه آدمي أو ينتهي إلى حلة**) وهي منزلة العرب وفي نسخة محلة (**أو قرية أو إلى حشيش يزجي وقته به**) تزجية (**فيحي به مجاهداً نفسه**) صابراً على الجوع والعطش، (**والمجاهدة عماد التوكل**) وأساسه. (**وعلى هذا كان يعول**) إبراهيم (**الخواص ونظراؤه من المتوكلين**) كما صرح بذلك الخواص نفسه في كتاب التوكل له، والمراد بنظرائه مثل يحيى معاذ الرازي، وكان يوسع في التوكل بالأسباب ويأمر بها من غير مساكنة لها ولا وقوف معها وهو أوسع طريقاً وأبسط حالاً من الخواص، ولكن مسلك الخواص أعلى وحاله أسنى على ضيق في طريقه وقبض في حاله وتشديد وعزيمة في مقامه من توكله، ومنهم أبو تراب النخشبي، وذو النون المصري، وحاتم الأصم، وعلي الصوفي رحمهم الله تعالى. وقد ذكر صاحب القوت لكل منهم ما يدل على شدة عزائمهم في التوكل، (**والدليل عليه أن الخواص كان لا تفارقه الإبرة والمقراض والحبل والركوة ويقول: هذا لا يقدح في التوكل**).

ولفظ القوت: وكان إبراهيم الخواص يدقق في أحوال المتوكلين ويذكر أن الإدخار يخرج من حدّ التوكل ولم يكن تفارقه أربعة أشياء كان يقول: إدخارها من حال التوكل لأنها أمر الدين: الركوة، والحبل، والإبرة والخيوط، والمقراض اهـ. عد الخيوط مع الإبرة شيئاً واحداً لأن الإبرة من غيرها لا تجدي نفعاً.

(**وسببه أنه علم أن البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الأرض**) وإنما يكون في الآبار (**وما**

الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل، ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش، والماء يحتاج إليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم أو يومين مرة؛ فإن المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وإن صبر عن الطعام، وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرق فتنكشف عورته ولا يوجد المقراض والابرة في البوادي غالباً عند كل صلاة ولا يقوم مقامها في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي، فكل ما في معنى هذه الأربعة أيضاً يلتحق بالدرجة الثانية، لأنه مظنون ظناً ليس مقطوعاً به، لأنه يحتمل أن لا يتخرق الثوب أو يعطيه إنسان ثوباً أو يجد على رأس البئر من يسقيه، ولا يحتمل أن يتحرك الطعام ممضوغاً إلى فيه، فبين الدرجتين فرقان ولكن الثاني في معنى الأول، ولهذا نقول: لو انحاز إلى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلاً فهو آثم به ساع في

جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل، ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش، والماء يحتاج إليه لوضوء كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم أو يومين مرة، فإن المسافر مع حرارة الحركة) في مشيه (**لا يصبر عن الماء وإن صبر عن الطعام وكذلك يكون له ثواب واحد وربما يتخرق**) من طول الإستعمال (**فتنكشف عورته**) عند الركوع والسجود في الصلاة، (**ولا يوجد المقراض والإبرة**) والخيوط (**في البوادي غالباً عند**) وقت (**كل صلاة ولا يقوم مقامها في الخياطة شيء مما يوجد في البوادي**).

وأورده القشيري فقال: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت الفرغاني يقول: كان إبراهيم الخواص مجرداً في التوكل يدقق فيه، وكان لا يفارقه إبرة وخيوط وركوة ومقراض فقيل له: يا أبا إسحاق لم تحمل هذا وأنت تمتنع من كل شيء؟ فقال: مثل هذا لا ينقض التوكل لأن لله علينا فرائض، والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد، فربما يتمزق ثوبه فإذا لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته فتفسد عليه صلاته، وإذا لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته، وإذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا إبرة ولا خيوط فاتهمه في صلاته.

(**فكل ما في معنى هذه الأربعة أيضاً يلتحق في الدرجة الثانية لأنه مظنون ظناً ليس مقطوعاً به، لأنه يحتمل أن لا ينخرق الثوب أو يعطيه إنسان ثوباً، أو يجد على رأس البئر من يسقيه ولا يحتمل أن يتحرك الطعام ممضوغاً إلى فيه، فبين الدرجتين فرق، ولكن الثاني في معنى الأول، وبهذا نقول: لو انحاز إلى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلاً فهو آثم به ساع في هلاك نفسه**) ولو مات

هلاك نفسه، كما روي أن زاهداً من الزهاد فارق الأمصار وأقام في سفح جبل سبعاً وقال: لا أسأل أحداً شيئاً حتى يأتيني ربي برزقي فقعد سبعاً، فكاد يموت ولم يأته رزق، فقال: يا رب إن أحييتني فائتني برزقي الذي قسمت لي وإلاً فاقبضني إليك، فأوحى الله جل ذكره إليه: وعزتي لا رزقتك حتى تدخل الأمصار وتقعد بين الناس، فدخل المصر وقعد فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب وأوجس في نفسه من ذلك، فأوحى الله تعالى إليه: أردت أن تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا، أما علمت أني أرزق عبدي بأيدي عبادي أحب إليّ من أن أرزقه بيد قدرتي، فإذاً التباعد عن الأسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى، والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الأسباب لا يناقض التوكل، كما ضربنا مثلاً في الوكيل بالخصومة من قبل، ولكن الأسباب تنقسم إلى ظاهرة وإلى خفية، فمعنى التوكل الاكتفاء بالأسباب الخفية عن الأسباب الظاهرة مع سكون النفس إلى مسبب السبب لا إلى السبب.

عاصياً وله نظائر سبق ذكرها قريباً، (**كما روي أن زاهداً من الزهاد**) في بني إسرائيل (**فارق الأمصار**) بنية التوكل (**وأقام في سفح جبل سبعاً وقال: لا أسأل أحداً شيئاً حتى يأتيني ربي برزقي فقعد سبعاً فكاد يموت ولم يأته رزق فقال: يا رب أن أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني إليك، فأوحى الله إليه: وعزتي لا رزقتك حتى تدخل الأمصار وتقعد بين الناس فدخل المصر وقعد**) بين الناس، (**فجاء هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب وأوجس في نفسه من ذلك، فأوحى الله تعالى إليه: أردت أن تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا، أما علمت أني أرزق عبدي بأيدي عبادي أحب إليّ من أن أرزقه بيد قدرتي**)؟ نقله صاحب القوت بلفظ: حدثت عن رجل تفرد في فلاة من الأرض وانقطع عن الخلق وقال: إن كان لي رزق أتاني قال: فلبث أياماً لم يأته حتى أضرّ به الضعف وقال: يا رب إن كان لي في الأرض رزق فأتني به وإلاً فاقبضني إليك. قال: فأوحى إليه، وعزتي وجلالي لا أرزقك حتى تدخل المصر وتقعد بين ظهراني الخلق. قال: فعدل إلى أقرب الأمصار إليه ودخل مسجداً فأتاه إنسان بطعام وأتاه آخر بشراب، فأكل وشرب في نفسه فأوحى إليه: أردت أن تبطل حكمتي وتسقط حكمي بتوكلك عليّ أن أرزق الخلق بأيد الخلق أحب إلي، (**فإذاً التباعد عن الأسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنّة الله تعالى، والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الإتكال على الله عز وجل دون الأسباب لا يناقض**) أصل (**التوكل، كما ضربناه مثلاً للوكيل بالخصومة من قبل**) ذلك، (**ولكن الأسباب تنقسم إلى ظاهرة وإلى خفية، فمعنى التوكل الإكتفاء بالأسباب الخفية عن الأسباب الظاهرة مع سكون النفس إلى مسبب السبب**) الخفي (**لا إلى السبب**).

فإن قلت: فما قولك في القعود في البلد بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب؟

فاعلم أن ذلك ليس بحرام لأن صاحب السياحة في البادية إذا لم يكن مهلكاً نفسه فهذا كيف كان لم يكن مهلكاً نفسه حتى يكون فعله حراماً، بل لا يبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قد يتأخر عنه، والصبر ممكن إلى أن يتفق، ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام، وإن فتح باب البيت وهو بطّال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج أولى له ولكن ليس فعله حراماً إلا أن يشرف على الموت. فعند ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وإن كان مشغول القلب بالله غير مستشرف إلى الناس ولا متطلع إلى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه، بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهو أفضل، وهو من مقامات التوكل، وهو أن يشتغل بالله تعالى ولا يهتم برزقه، فإن الرزق يأتيه لا محالة. وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو: أن العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لأدركه وأنه لو سأل الله

(**فإن قلت: فما قولك في القعود في البلد بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب؟ فاعلم أن ذلك ليس بحرام لأن صاحب السياحة في البوادي إذا لم يكن مهلكاً نفسه كما تقدم، فهذا الذي هو قاعد في البلد كيف يكون مهلكاً نفسه حتى يكون فعله حراماً، بل لا يبعد**) هذا (**أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب، ولكن قد يتأخر عنه والصبر ممكن إلى أن يتفق**) وصوله، (**ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا طريق لأحد إليه ففعله ذلك حرام**) لأنه تسبب لإهلاك النفس نظراً لظاهر الشرع، وكان هذا لعموم المتوكلين، وإلا فقد نقل صاحب القوت عن بعضهم قال: قلت لبعض السلف: لو أن عبداً دخل بيتاً وطين عليه باباً ولا يعلم به أحد أكان رزقه يأتيه؟ فقال: نعم، فقلت: ومن أين يأتيه؟ فقال: من حيث يأتيه ملك الموت. (**وإن فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة**) من ذكر وقراءة ومراقبة وغيرها من أنواعها، (**فالكسب والخروج**) إلى الناس ومعاملتهم (**أولى له، ولكن ليس فعله**) ذلك (**حراماً إلى أن يشرف على الموت، فعند ذلك يلزم الخروج والسؤال**) إن لم يمكنه الكسب. (**والكسب**) إن كان مطيقاً له (**وإن كان مشغول القلب بالله غير مستشرف إلى الناس ولا متطلع إلى من يدخل إلى الباب فيأتيه برزقه بل تطلعه إلى فضل الله تعالى**) مع كمال الحال وغلبة الإنس، (**واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من**) جملة (**مقامات التوكل، وهو أن يشتغل بالله تعالى**) بذكر وفكر ومراقبة (**ولا يهتم برزقه، فإن الرزق**) مضمون (**يأتيه لا محالة**) حتى يظهر له ملك الموت، فحينئذ ينقطع عنه رزق الدنيا ويدخل في رزق الآخرة، وإليه يشير كلام أكثر الشيوخ في معنى التوكل: فمن كانت مشاهدته في القسم المعلوم سقط عنه جملة من الهموم واستراح العباد من أذاه وشغل عنهم بخدمة مولاه. (**وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء**

تعالى أن لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصياً، ولقال له: يا جاهل كيف أخلقك ولا أرزقك؟ ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: اختلف الناس في كل شيء إلا في الرزق والأجل، فإنهم أجمعوا على أن لا رازق ولا مميت إلا الله تعالى. وقال ﷺ: « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً ولزالت

وهو أن العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لأدركه) ولفظ القوت، ويقال: لو هرب العبد من رزقه لأدركه في وقته كما لو هرب من الموت لأدركه هكذا هو في موضع آخر كما روينا عن رسول الله ﷺ: « لو هرب أحدكم من رزقه لأدركه رزقه كما لو هرب من الموت لأدركه أجله » **(وإن لو سأل الله تعالى أن لا يرزقه لما استجاب له وكان)** في سؤاله ذلك **(عاصياً ولقال له: يا جاهل كيف أخلقك ولا أرزقك)** نقله صاحب القوت. ويؤيد الأول ما ورد في الخبر: « إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله » رواه الطبراني، والبيهقي من حديث أبي الدرداء ورجاله ثقات، وصححه الحافظ ابن حجر، وفي رواية لأبي نعيم في الحلية عنه: « إن الرزق ليطلب العبد أكثر طلباً للعبد من أجله ». وقال ﷺ في الرجل الذي أتاه فناوله تمرة وقال له: « خذها ولو لم تأتها لأتتك » وتقدم هذا للمصنف. ألا ترى أنه قال: لأتته التمرة وهي لا تسعى بنفسها ولكن يستسعى إليها بظرفها يدفعها إليك، فكذلك الرزق على تصريفين: رزق طلبت فتلقاه، ورزق يطلبك فيلقاك. وما لقيك فقد لقيته. وفي خبر آخر: « لكل عبد رزق محالة » ويروى « لكل عبد رزق هو آكله وأثر هو واطئه وحتف هو قاتله ». وأما القول الثاني فروي عن سهل من قوله ولفظه: لو أن العبد سأل الله أن لا يرزقه ما استجاب أبداً. ويقال له: اسكت يا أحمق لو لم أرد أن أرزقك ما خلقتك. أنا الذي خلقتك لا بد أن أرزقك كما خلقتك.

(ولذلك قال ابن عباس) رضي الله عنه: **(اختلف الناس في كل شيء إلا في الرزق والأجل، فإنهم أجمعوا على أن لا رازق ولا مميت إلا الله تعالى)** كذا في القوت.

(وقال ﷺ « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً ولزالت بدعائكم الجبال ») هكذا هو في القوت. قال العراقي: تقدم قريباً بدون هذه الزيادة التي في آخره، فرواه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة من حديث معاذ بن جبل باسناد فيه لين « لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال » رواه البيهقي في الزهد من رواية وهيب المكي مرسلاً دون قوله « لمشيتم على البحور ». وقال: هذا منقطع انتهى.

قلت: ورواه ابن السنى من حديث معاذ أيضاً، كما رواه محمد بن نصر، وعندهما زيادة « ولو خفتم الله مخافته لعلمتم العلم الذي ليس معه جهل ولكن لا يبلغ ذلك أحد » قيل: يا رسول الله ولا أنت؟ قال: « ولا أنا الله عز وجل أعظم من أن يبلغ أحد أمره كله ». ورواه الحكيم الترمذي في النوادر بلفظ « لو خفتم الله حق خيفته لعلمتم العلم الذي لا جهل معه ولو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال ».

بدعائكم الجبال ». وقال عيسى عليه السلام: أنظروا إلى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوماً بيوم، فإن قلتم: نحن أكبر بطوناً فانظروا إلى الأنعام كيف قيض الله تعالى لها هذا الخلق للرزق. وقال أبو يعقوب السوسي: المتوكلون تجري أرزاقهم على أيدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون. وقال بعضهم: العبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم يأكل بذل كالسؤال، وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار، وبعضهم بامتهان كالصناع، وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة.

(وقال عيسى عليه السلام) في معنى الحديث السابق: **(انظروا إلى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوماً بيوم، فإن قلتم: نحن أكبر بطوناً؟ فانظروا إلى الأنعام)** هي أكبر منكم بطوناً، **(كيف قيض الله لها هذا الخلق للرزق)** كذا في القوت. ورواه أحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا عن سالم بن أبي الجعد قال: قال عيسى عليه السلام: اعملوا لله ولا تعملوا إلى بطونكم، انظروا إلى هذا الطير يغدو ويروح لا يحرث ولا يحصد الله تعالى يرزقها، فإن قلتم، نحن أعظم بطوناً من الطير؟ فانظروا إلى هذه الأباقر من الوحش والحمر تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد الله يرزقها. اتقوا فضول الدنيا فإن فضول الدنيا عند الله رجز

(وقال أبو يعقوب السوسي) من السوس بلد بالاهواز ممن أخذ عن عبد الواحد بن زيد وعنه أبو يعقوب النهرجوري: **(المتوكلون تجري أرزاقهم على أيدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون)**. ولفظ القوت: المتوكلون تجري أرزاقهم بعلم الله واختياره على يد خصوص عباده بلا شغل ولا تعب وغيرهم مشغولون مكدودون.

(وقال بعضهم: العبيد كلهم في رزق الله تعالى، لكن بعضهم يأكل بذل كالسؤال، وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار، وبعضهم بامتحان كالصناع، وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة).

ولفظ القوت، وقال بعض هذه الطائفة: العبيد كلهم يأكلون أرزاقهم من المولى ثم يفترقون في المشاهدات، فمنهم من يأكل رزقه بذل، ومنهم من يأكل رزقه بامتهان، ومنهم من يأكل رزقه بانتظار، ومنهم من يأكل رزقه بلا مهنة ولا انتظار ولا ذلة، فأما الذين يأكلون أرزاقهم بالذل؛ فالسؤال يشهدون أيدي الخلق فيذلون لهم، والذين يأكلون أرزاقهم بانتظار فالتجار ينتظر أحدهم نفاق سلعته فهو متعوب الخلق معذب بانتظاره، والذين يأكلون أرزاقهم بامتهان فالصناع يأكل أحدهم رزقه بمهنته وكده، والذين يأكلون أرزاقهم بعز بغير مهنة ولا انتظار ولا ذل؛ فالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون قسمهم من يده بعزة وبه تم الكلام على الدرجة الثانية.

فإن قلت: فما المقاصد التي ترجح الدخول في الأسباب المظنونة، أو ترجح ترك الدخول فيها ؟.

الدرجة الثالثة: ملابسة الأسباب التي يتوهم إفضاؤها إلى المسببات من غير ثقة ظاهرة كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه، وذلك

فأقول: يختلف ذلك باختلاف الأحوال، ولرجحان الدخول في الأسباب المظنونة أحوال.

الحالة الأولى: أنه لو تـرك السـبب بمتعلق المتعلق بحاله ومقصده لاشتغل عن العبادة والذكر والفكر ومقصود الشرع بالتوكل والسبب فراغ القلب لذلك، فيكون الدخول في السبب فضيلة في حقه. قال الله تعالى: ﴿وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله﴾ [آل عمران: ١٢٦] فعرفنا جل جلاله إن إمداد الأولياء بالملائكة وسيلة لطمأنينة نفوسهم عند اضطراب طبع البشرية الذي لا يدخل تحت اختيار العبد، لكنه شاغل للقلب مزاحم لذكر الله فطمن قلوبهم بما أمدهم به حراسة لقلوبهم عن نزعات النفس والعدو وسلب النصر عن الملائكة، وأضافه إلى نفسه لأنه الفاعل على الحقيقة؛ فهكذا ينبغي أن تفهم مثل هذه الحالة.

الحالة الثانية: أن يكون إماماً متبوعاً فيدخل في الأسباب، ويحمل في سفره الزاد، ويستعمل في مرضه الدواء ليقتدي به في ذلك، وهو متعلق بالله تعالى في الباطن لا يلتفت إلى الوسائط، وهذه طريقة الأنبياء والعلماء والمشايخ.

الحالة الثالثة: رجل استوى عنده وجود الأسباب وعدمها، فعـدمهـا عنـده كـوجـودهـا، ووجودها عنده كعدمها، فإن شاء تلبس بها لأنه مشغول بالمسبب عن السبب، وإن شاء تركها لعلمه بقيام الحق عليه كفيلاً، وأن للطفه بعبده أسباباً خفية لا يطلع عليها العباد دون الأسباب الظاهرة، ولذلك ترجح ترك الدخول في الأسباب المظنونة بعكس هذه الأحوال؛ إذ من العباد من لا يتفرغ للعبادة إلا بترك الأسباب وهو الأغلب، فترجح الترك في حقهم، وهذه الحالة أسلم من الأولى، فكم من عابد متعلق بالأسباب يظن أنه منقطع عنها، فإذا انقطعت الأسباب أو ضعفت اضطرب قلبه وانزعجت نفسه وظهر نقصه، لأنه كان يعتقدُ أن حياته بالله، وإن كانت هذه الحالة أيضاً لا تخلو من غرور فكم من عابد تارك للأسباب يعتقد أنه زاهد وإن عرض عليه شيء مـن الأسباب مالت نفسه إليه ورغبت لما كانت فيه من الزهد والتقوى، وإنما كان ذلك بسبب الفقر والعجز ،فالإمتحانات هي التي تخرج ما في النفوس من المكامن الجيدة أو الردية، ولذلك رأى العلماء كل محنة منحة لما فيها من النعمة بإظهار ما في نفوسهم من مكامن العدو حتى يلقى الله بقلب سليم عن غيره، ويقاس على ما قدمناه في جلب المنافع إزالة الضرر. وسيأتي الكلام على ذلك للمصنف في بيان ترك التداوي قد يحمد في بعض الأحوال، والله أعلم.

(**الدرجة الثالثة ملابسة الأسباب التي**) مسبباتها عنه موهومة لا مظنونة ولا مقطوع بها وهي التي (**يتوهم افضاؤها إلى المسببات من غير ثقة ظاهرة، كالذي يستقصي في التدبيرات**

يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها، وهو الذي فيه الناس كلهم: أعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتساباً مباحاً لمال مباح، فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الأسباب فلا يخفى أن ذلك يبطل التوكل. وهذا مثل الأسباب التي نسبتها إلى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطيرة والكي بالإضافة إلى إزالة الضار، فإن النبي ﷺ وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بأنهم لا يكتسبون

الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها) أولها وأوسطها وغايتها، **(وهو الذي الناس فيه)** قد اعتادوه وألفوه طريقة. **(أعني: من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتساباً مباحاً لمال مباح)** وكل ذلك يناقض التوكل وتركه من أعمال المتوكلين، **(فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة)** أو مفضية إلى شبهة، **(فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الأسباب، فلا يخفى أن ذلك يبطل)** أصل **(التوكل)**.

فإن قلت: قد زعمت أن التوكل واجب، وقلت: أن الاستقصاء في الأسباب الموهمة مبطل له، ولا يبطل الواجب إلا بفعل حرام، فمن زاد على بابه قفلاً ثانياً وثالثاً كان فعله حراماً، وما ذهب إلى هذا أحد من العلماء.

قلنا: هنا ثلاث درجات. طرفان وواسطة.

الدرجة الأولى: الدخول في الأسباب المحظورة كالسعاية والشرطية وترويج الزيف والغش بستر عيب العين المعيبة طلباً لزيادة الثمن وادخار الاقوات وما أشبهه، فالاجماع قائم على أن التوكل يبطل بهذه الأسباب.

الدرجة الثانية: كزيادة قفل وتدقيق حيلة وادخار قوت يزيد على سنة، فقد رأى بعض العلماء بطلان التوكل بذلك كما سيأتي قريباً والذي يظهر كما قاله محمد بن إسحاق الصوفي أنه يبطل كماله لا أصله، وسيأتي الكلام عليه.

الدرجة الثالثة: وهي المتوسطة بين الطرفين، وإليها أشار المصنف بقوله: **(وهذا مثل الأسباب التي نسبتها إلى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطيرة والكي بالإضافة إلى إزالة الضار)**، وقد ذهب الخواص في كتاب التوكل إلى ذلك، وتبعه صاحب القوت، وإياه تبع المصنف وتنوسي الخواص وأبو طالب المكي حتى صارت المقالة منسوبة إلى المصنف، واحتج الخواص على ذلك بقوله: **(فإن النبي ﷺ وصف المتوكلين بذلك)** يشير إلى حديث ابن مسعود الذي تقدم ذكره آنفاً وفيه قيل: من هم يا رسول الله؟ قال «الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون». **(ولم يصفهم بأنهم لا يكتسبون ولا يجلسون في**

ولا يسكنون الأمصار ولا يأخذون من أحد شيئاً، بل وصفهم بأنهم يتعاطون هذه الأسباب، وأمثال هذه الأسباب التي يوثق بها في المسببات مما يكثر فلا يمكن إحصاؤها. وقال سهل في التوكل: إنه ترك التدبير، وقال: إن الله خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وإنما حجابهم بتدبيرهم ولعله أراد به استنباط الأسباب البعيدة بالفكر فهي التي تحتاج إلى التدبير دون الأسباب الجلية. فإذاً قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج التعلق

الأمصار ولا يأخذون من أحد شيئاً بل وصفهم بأنهم يتعاطون هذه الأسباب)، وقد فضلهم ﷺ ومدحهم بما تقدم، ثم سأله عكاشة أن يجعله منهم ففعل، لأنه رأى ذلك طريقة ورأى معه زاده وشهد فيه القوة والتحقيق فأهله لذلك، ولما قال له الآخر: ادع الله أن يجعلني منهم احتذاء له ولم ير ذلك فيه ولا وجده منه لم يؤهله ولم يعززه به، إذ المقامات لا يقتدى بها ولا يمثل فيها كما لا تدعى لأنها مواجيد قلوب بايجاد قريب، ومشاهدات غيوب باشهاد حبيب، فمن سما إليها بغير قوة بتسور فإنه ينكص عنها قبل البلوغ فيتهور لأنها تنهار به لما يرد إليه من نفسه وطبعه، فلما لم يشهد ﷺ ذلك مقامه ولم ير منه قوته وإعلامه أوقفه على حده وحكم عليه بوجده ورده إلى ضعفه ومنعه من تصوره وعسفه فرده رداً جميلاً، لأنه كان ﷺ حبيباً كريماً فقال «قد سبقك بها عكاشة» والذي ذهب إليه محمد بن إسحاق الصوفي أن هذا يدل على بطلان كمال التوكل لا أصله، لأنه الذي ورد في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وإذا عرفت التوكل انكشف لك ذلك، وذلك لأن التوكيل يراد لذاته ولغيره: أما كونه مراداً لذاته: فلأن أصله الإيمان بالله، وأما كونه مراداً لغيره: فلوجهين: أحدهما واجب، والآخر مستحب أما الواجب؛ فلكفه عن الأسباب المحظورة والمكروهة القريبة من المحظورة، وأما المستحب؛ فلحثه على الإجمال في الطلب وتفريغ القلب عن كل شاغل من الأكوان، ولو لم يكن فيه إلا عز الإنتماء إلى الله وتعلق القلب به، وهو المقصد الأسنى من بعثه الانبياء لكفى، فإذا فهمت هذا نزلت على هذين الوجهين تلك الدرجات، والله أعلم.

(**وأمثال هذه الأسباب التي يوثق بها في المسببات مما تكثر فلا يمكن إحصاؤها. وقال**) أبو محمد (**سهل**) التستري رحمه الله تعالى (**في**) حقيقة (**التوكل: إنه ترك التدبير**) وأصل كل تدبير من الرغبة وأصل كل رغبة من طول الأمل وطول الأمل من حب البقاء، وهذا هو الشرك يعني أنك شاركت الربوبية في حب وصف البقاء. (**وقال**) أيضاً: (**إن الله**) عز وجل (**خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه، وإنما**) جعل (**حجابهم بتدبيرهم، ولعله أراد به استنباط الأسباب البعيدة بالفكر فهي التي تحتاج إلى التدبير دون الأسباب الجلية**).

وقال صاحب القوت بعد أن نقل القولين ما نصه: قد كثر قوله رحمه الله تعالى في ترك التدبير، وينبغي أن يعرف معناه ليس يعني بترك التدبير ترك التصرف، فما وجه العبد فيه وقد أبيح له؟ كيف وهو يقول: من طعن على التكسب فقد طعن على التوحيد وقد كان له أرض يزرعها فكان

بها عن التوكل وإلى ما لا يخرج، وأن الذي يخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مظنون، وأن المقطوع به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الأسباب، فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل. وأما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعاً، والمتوكلون في ملابسة هذه الأسباب على ثلاثة مقامات:

الأول: مقام الخوّاص ونظرائه وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله

يدبر شأنها، ثم رأى بيعها في آخر أمره وفرق ثمنها إنما يعني بترك التدبير ترك الأماني وقول: لم كان هذا إذا وقع الأمر، ولم لا يكون كذا ولو كان كذا فيما لم يقع لأن ذلك اعتراض وجهل بسبق العلم وذهاب عن نفاذ القدرة وشهادة الحكمة وغفلة عن رؤية المشيئة وجريان الحكم، ويعني ترك التدبير فيما بقي وما يأتي بعد أي لأن في مثل هذا يقول: لا تشتغل بالفكر فيه والتدبير له بعقلك وعلمك فيقطعك عن حالك في الوقت الذي هو ألزم لك وأوجب عليك، حتى تكون فيما يأتي من الأحكام والتصريف في ترك التدبير والتقدير لها بالزيادة والنقصان، أو نقلها من وقت إلى غيره، أو من عبد إلى آخر بالتقديم والتأخير تكون في ذلك كما كنت فيما قد مضى، فالأقرب أن الإنسان لا يدبر ما قد مضى. قال فينبغي أن يكون فيما يستقبل تاركاً للتدبير له تاركاً للإقامة فيه بمعاني ما ذكرنا كتركه إياه فيما مضى فيستوي عنده الحالات لأن الله أحكم الحاكمين، وان العبد مسلم للأحكام والأفعال راض عن مولاه بالأقدار مع جهله بعواقب المآل، فترك التدبير بهذه المعاني هو من اليقين واليقين هو شهادة المعرفة بحقيقة الحق المبين، فإذا جعل تعالى قلب المؤمن مكاناً لذلك كمن فيه على قدر المكان ما يليق به، فهذا تفسير قوله الذي كان يقوله: ومقتضاه يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون، فلما كنت اليوم قلت أنا وأنا كن فيما أنت الآن كما لم تكن، فإنه اليوم كما كان. وتقدم في التوحيد وقد كان يقول أيضاً: الزهد إنما هو ترك التدبير وهذا يعني ترك الأسباب التي توجب التدبير أو إخراج السبب الذي يجب تدبيره، لا أنه يكون متسبباً متيقناً للأسباب وهو ترك تدبيرها لأن التدبير في هذا الموضع إنما هو التمييز، والقيام بالأحكام ووضع الاشياء مواضعها، فكيف لا يكون العبد كذلك مع وجود الأشياء وهو عاقل متميز متعبد بالعلم مطالب بالأحكام مع إمساكه، وإنما يقول: اترك الأشياء المدبرة وازهد في الأسباب المميزة حتى يسقط عنك التدبير لسقوط أحكامها عنك ولاستراحتك من القيام بها والنظر فيها، فهذا هو تفصيل جملة قوله رحمه الله في ترك التدبير وهذا هو حال المتوكلين.

(فإذاً قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج التعلق بها عن التوكل وإلى ما لا يخرج وأن الذي لا يخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مظنون) به، **(وإن المقطوع به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الاتكال على مسبب الأسباب، فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل، وأما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعاً، والمتوكلون في ملابسة هذه الأسباب على ثلاث مقامات) :**

(الأول: مقام) إبراهيم بن أحمد **(الخواص)** رحمه الله تعالى **(ونظرائه)** الذين تقدم

تعالى عليه في تقويته على الصبر أسبوعاً وما فوقه، أو تيسير حشيش له أو قوت أو تثبيته على الرضا بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك، فإن الذي يحمل الزاد قد يفقد زاده أو يضل بعيره ويموت جوعاً، فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن مع فقده.

المقام الثاني: أن يقعد في بيته أو في مسجد ولكنه في القرى والأمصار، وهذا أضعف من الأول ولكنه أيضاً متوكل لأنه تارك للكسب، والأسباب الظاهرة معوّل على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية، ولكنه بالقعود في الأمصار متعرض لأسباب الرزق، فإن ذلك من الأسباب الجالبة إلا أن ذلك لا يبطل توكله إذا كان نظره إلى الذي يسخر له سكان البلد لإيصال رزقه إليه لا إلى سكان البلد، إذ يتصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله بتعريفهم وتحريك دواعيهم.

المقام الثالث: أن يخرج ويكتسب اكتساباً على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب، وهذا السعي لا يخرجه أيضاً عن مقامات التوكل إذا لم يكن طمأنينة نفسه إلى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته، فإن ذلك ربما يهلكه الله تعالى

ذكرهم، (**وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد**) يحمله ويتكل عليه، بل (**ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر**) على التوكل (**أسبوعاً وما فوقه**) بيوم أو بيومين، (**أو تيسير حشيش له**) من حشائش الأرض، (**أو قوت**) من يد آدمي، (**أو تثبيته على الرضا بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فإن الذي يحمل الزاد**) معه (**قد يفقد زاده أو يضل بعيره ويموت جوعاً، فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن فقده**)، وقد أنكر عليه ابن القيم وجماعة في تقريره على هذه الحالة وتقديم الجواب عنه في مقدمة كتاب العلم.

(**المقام الثاني: أن يقعد في بيته أو مسجد**) من مساجد المسلمين، (**ولكنه في القرى والأمصار، فهذا أضعف من الأول ولكنه أيضاً متوكل لأنه تارك للكسب، والأسباب الظاهرة معول على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية ولكنه بالقعود في الأمصار متعرض لأسباب الرزق فإن ذلك من الأسباب الجالبة**) للرزق (**إلا أن ذلك لا يبطل في توكله إذا كان نظره إلى الذي سخر له سكان البلد لإيصال رزقه إليه لا إلى سكان البلد، إذ يتصور أن يغفل جميعهم عنه**) ويشتغلوا عنه (**ويضيعوه**) فلا يلتفتوا إليه. (**لولا فضل الله تعالى بتعريفهم**) له (**وتحريك دواعيهم**) إلى إكرامه.

(**المقام الثالث: أن يخرج ويكتسب اكتساباً على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب**) والمعاش، (**وهذا السعي لا يخرجه أيضاً عن مقامات التوكل إذا لم يكن طمأنينة نفسه إلى كفايته وقوته وجاهه وبضاعته، فإن ذلك على عرض أن يهلك**) وفي نسخة: فإن ذلك ربما يهلكه (**الله تعالى جميعه في لحظة، بل يكون نظره إلى**

جميعه في لحظة، بل يكون نظره إلى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير أسبابه له، بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالإضافة إلى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع فلا يكون نظره إلى القلم بل إلى قلب الملك أنه بماذا يتحرك وإلى ماذا يميل وبِمَ يحكم؟ ثم إن كان هذا المكتسب مكتسباً لعياله أو ليفرق على المساكين فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع، فحال هذا أشرف من حال القاعد في بيته. والدليل على أن الكسب لا ينافي حال التوكل إذا روعيت فيه الشروط وانضاف إليه الحال والمعرفة كما سبق أن الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة أصبح أخذ الأثواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا: كيف تفعل ذلك وقد أقمت لخلافة النبوّة؟ فقال: لا تشغلوني عن عيالي فإني إن أضعتهم كنت لما سواهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين، فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى، ويستحيل أن يقال: لم يكن الصديق في

الكفيل الحق) والوكيل المطلق جل جلاله (**بحفظ جميع ذلك وتيسير أسبابه له، بل يرى كسبه وبضاعته وكفايته بالاضافة إلى قدرة الله تعالى كما يرى القلم في يد الملك الموقع**) على الكاغد، (**فلا يكون نظره إلى القلم بل إلى قلب الملك**) الموقع (**أنه بما يتحرك وإلى ماذا يميل وبكم يحكم**)؟ فالنظر إلى القلب دون الملك قصور وجهل، (**ثم إن كان هذا المكتسب مكتسباً لعياله**) إن كان معيلاً (**أو ليفرق على المساكين**) إن كان منفرداً (**فهو ببدنه مكتسب وبقلبه عنه منقطع، فحال هذا أشرف من حال القاعد في بيته**) أو في مسجد أشار إليه الخواص في كتاب التوكل وسيأتي قريباً بيان عبارته، (**والدليل على أن الكسب لا ينافي حال التوكل إذا روعيت فيه الشروط وانضاف إليه الحال والمعرفة كما سبق أن**) النبي ﷺ قد آخى بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف فقال له سعد: أشاطرك أهلي ومالي، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق، فعمل يومه ذلك فراح بشيء من سمن وإقط، فلو كان التكسب في الأسواق ينقص التوكل لم يختر عبد الرحمن وهو إمام الائمة ما ينقص توكله، ولكنه أحب إدخال المشقة على نفسه وكره التنعم واختيار إيثار أخيه بما آثره به رعاية لحق أخوته، وأعلى منه مقاماً ما روى أن أبا بكر (**الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة**) وتم له الأمر (**أصبح وأخذ رزمة الأثواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي**): ألا من يشتري الثوب: (**حتى كرهه المسلمون**) ومنعوه من ذلك، (**فقالوا: كيف يفعل ذلك وقد أقيم لخلافة النبوة**)؟ فقال: (**لا تشغلوني عن عيالي فإني إن أضعتهم كنت لما سواهم أضيع، حتى فرضوا له**) من بيت المال (**قوت أهل بيت من المسلمين**) لا وكس ولا شطط، (**فلما رضوا بذلك**) جميعاً واتفقوا عليه (**رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى**) من الاشتغال بالكسب. ألا تراه كيف آثر القيام بحكم الله عليه وكان ذلك هو علم

مقام التوكل، فمن أولى بهذا المقام منه فدل على أنه كان متوكلاً باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوّته وكفايته والعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الأسباب وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير أن يكون درهمه أحب إليه من درهم غيره، فمن دخل السوق ودرهمه أحب إليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل إلا مع الزهد في الدنيا. نعم يصح الزهد دون التوكل، فإن التوكل مقام

حاله ومقتضى علمه، **(ويستحيل أن يقال لم يكن الصديق)** رضي الله عنه **(في مقام التوكل، فمن أولى بهذا المقام منه)** وهو إمام الأئمة وقطب الصديقين، **(فدل على أنه كان متوكلاً لا باعتبار ترك الكسب والسعي، بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوته وكفايته، والعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب مدبر الأسباب)**، وبأنه انتقل من الحكم الأول إلى الأمر الثاني بحكم حاكم أوجبه عليه وبتصريف الوكيل على توكيله فيه، **(وبشروط كان يراعيها في طريق الاكتساب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار)** لغد، **(ومن غير أن يكون درهمه أحب إليه من درهم غيره)** إلى غير ذلك مما تقدم في آداب الكسب، **(فمن دخل السوق ودرهمه أحب إليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا محب لها)** راغب فيها بصفة من المعاني بمقدار ما بقي فيه من الشهوات. وفي القوت قال بعض العلماء: إذا دخل العبد السوق وكان درهمه أحب إليه من درهم غيره لم ينصح للمسلمين في المبايعة وهذا عنده يخرجه من التوكل، **(ولا يصح التوكل إلا مع الزهد في الدنيا. نعم، يصح الزهد دون التوكل، فإن التوكل مقام وراء الزهد)**.

اعلم أن المتوكل إن قنع بما تقوم به بنيته اعتمد على الله تعالى وانقطع لعبادته وإن لم يقنع بذلك لم تنتج معرفته حالاً لأن إنتاج الأحوال مركب من علم وعمل، ولذلك ذهب جماعة من المشايخ إلى أن الزهد شرط في توسلاً إلى قطع وسوسة العدو، لأن الشيطان لا سلطان له على القلب إلا بواسطة الدنيا وتوسلاً إلى ترك، وهذا كلام ظاهر ساطع النور لولا اختلاف الأحوال في القوة والضعف، فمن العباد من لا يتأتى له التوكل إلا بالزهد فهو شرط في حقه، ومن العارفين والمقربين والصديقين من يتأتى له ويرتقي عنه إلى غيره وهو يملك مثلاً من المشرق إلى المغرب، ووجه آخر: أن التوكل لا يتعلق بنفس الرزق وحده بل بجملة أحوال العبد الموطنة بالدنيا، وفي الآخرة حتى الإيمان والعلوم والمعارف وكل نعمة لله على عبده يستحب التوكل على الله في حفظها ودوامها والازدياد منها، وعلى الجملة؛ فالزهد يعين على التوكل إعانة عظيمة، وإنما منعنا اشتراطه مطلقاً إذ الشرط عبارة عما لا يتأتى المشروط إلا بوجوده في كل حال.

وراء الزهد. وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد رحمة الله عليهما وكان من المتوكلين: أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق. كنت اكتسب في كل يوم ديناراً ولا أبيت منه دانقاً ولا أستريح منه إلى قيراط أدخل به الحمام بل أخرجه كله قبل الليل. وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول: استحي أن أتكلم في مقامه وهو حاضر عندي. واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل،

وقال صاحب القوت: الزهد من شرط خصوص التوكل وليس التوكل من شرط عموم الزهد، فكل متوكل ذي مقام زاهد لا محالة، وليس كل زاهد ذي مقام متوكلاً، لأن التوكل مقام في الزهد والزهد حال والمقامات للمقربين، والأحوال في أصحاب اليمين إلا أنه من أعطي حقيقة الزهد، فإنه يعطى التوكل لا محالة، لأن حقائقه الأحوال وثبوتها ودوام استقامة أهلها ولزومها لقلوبهم هي مقامات.

(**وقال أبو جعفر**) كذا في النسخ وفي بعضها أبو حفص عمر بن مسلم ويقال عمرو بن مسلم (**الحداد**) النيسابوري، والمعروف أنه أبو حفص لا غير، (**وهو شيخ الجنيد**) في التصوف (**رحمة الله عليهما . وكان من المتوكلين: أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق، كنت أكتسب في كل يوم ديناراً**) أو عشرة دراهم، (**ولا أبيت منه دانقاً، ولا أستريح منه إلى قيراط ادخل به الحمام، بل أخرجه كله قبل**) دخول (**الليل . وكان الجنيد**) رحمه الله تعالى يتأدب معه كثيراً، وكان (**لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول**:أستحي) من الله (**أن أتكلم في مقامه**) أو حاله (**وهو حاضر عندي**) كذا في القوت. وبلغني أنه ترك العمل لما نظر إليه الغلام الذي كان ينفخ عليه الكير فرآه يدخل يده في الكير وهو يتلظى، فيخرج الحديد جمراً ويرده إلى الكير فغشي على الغلام ثم حدث به الناس وكانوا يغتابونه وينظرون إليه فترك الصنعة. قال: وبلغني في سبب هذا أنه سئل بأي شيء نلت هذه المنزلة أن لا تحرقك النار ؟ فقال: بدعوة فاسق، فقيل كيف هذا ؟ قال: وجدت مع أهلي رجلاً ففزعا مني شديداً فأخذت بأيديهما وقلت: أخرجا بسلام، فقال لي الرجل: جعل الله عليك النار برداً وسلاماً، فهذا من إجابة دعوته بستري على مسلم.

ولفظ القشيري في الرسالة: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت محمد بن عبدالله الفرغاني يقول: سمعت أبا حفص الحداد يقول: مكثت بضع عشرة سنة اعتقد التوكل وأنا أعمل في السوق وآخذ كل يوم أجرتي ولا أنتفع منها بشربة ماء ولا بدخلة حمام، وكنت أجيء بأجرتي إلى الفقراء في مسجد الشونيزية وأكون على حالتي اهـ.

وهذا مقام بالغ في التوكل لأن من عرف بالكسب والاستغناء عنه بالنسبة لمن لم يعلم ذلك انصرف الناس عن مساعدته في شيء من الدنيا.

(**واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية**) وزوايا المساجد (**مع معلوم**) معين (**بعيد**

فإن لم يكن معلوم ووقف وأمروا الخادم بالخروج للطلب **لم يصح معه التوكل إلا على ضعف**، ولكن يقوى بالحال والعلم كتوكل المكتسب، وإن لم يسألوا **بل قنعوا بما يحمل** إليهم بهذا أقوى في توكلهم لكنه بعد اشتهار القوم بذلك **فقد** صار لهم سوقاً، **فهو** كدخول السوق، ولا يكون داخل السوق متوكلاً إلا بشروط كثيرة كما سبق.

فإن قلت: فما الأفضل أن يقعد في بيته أو يخرج ويكتسب؟

فاعلم أنه إن كان يتفرغ بترك الكسب لفكر وذكر وإخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوّش عليه ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل عليه فيحمل إليه شيئاً بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى، فالقعود له أولى. وإن كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف إلى الناس

من) وصف (**التوكل، فإن لم يكن**) هناك (**معلوم**) معين (**و**) لا (**وقف**) حبس عليها (**وأمر الخادم بالخروج للطلب**) والسؤال (**لم يصح معه التوكل إلا على ضعف**) لاستناد القلب في الجملة إلى ما يأتي به الخادم، (**ولكن يقوى بالحال والعلم**) بعدم الركون وإسقاط النظر عن الوسائط، فيكون (**كتوكل المكتسب**) كما سبق (**وإن لم يسألوا**) بأنفسهم ولا بواسطة الخادم، (**بل قنعوا بما يحمل إليهم**) من حيث لم يحتسبوا؛ (**فهذا أقوى في توكلهم لكنه بعد اشتهار القوم بذلك فقد صار لهم سوقاً، فهو كدخول السوق**) أي في حكمهم (**ولا يكون داخل السوق متوكلاً إلا بشروط كثيرة**) كما سبق قريباً في كتاب الكسب.

(**فإن قلت: فما الأفضل**) في حق السالك (**أن يقعد في بيته أو يخرج**) إلى السوق (**ويكتسب**)؟

(**فاعلم أنه إن كان**) ممن (**يتفرغ فترك الكسب لفكر وذكر**) ومراقبة (**وإخلاص واستغراق وقت بالعبادة**) ما بين صلاة وقراءة، (**وكان الكسب يشوش عليه ذلك**) ويفرق وقته وهمته، (**وهو مع هذا لا تستشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل**) إلى البيت، (**فيحمل إليه شيئاً**) من الدنيا، (**بل يكون قوي القلب في الصبر**) على شدائده (**والاتكال على الله تعالى، فالقعود له**) بهذه الشروط (**أولى**) من الخروج والكسب، فهذه شروط خمسة.

الأول: تفرغ القلب للذكر والفكر وهذا هو الأصل.

والثاني: كون الكسب مما يمنع من هذا التفرغ فإن كان لا يمنع فالخروج أولى.

الثالث: عدم تشوّف النفس إلى ما يأتي بواسطة الناس، فإذا تشوفت فالخروج أولى.

الرابع: قوة القلب في الصبر أي حتى على الموت على هذه الحالة إن لم يأته رزقه، فإذا لم يكن عنده الصبر على ذلك فالخروج أولى.

فالكسب أولى لأن استشراف القلب إلى الناس سؤال بالقلب وتركه أهم من ترك

الخامس: قوة القلب على الاتكال على الله تعالى، فلو جرى ما جرى لا يتحرك قلبه في باطنه أصلاً، وهذا الشرط روح الأربعة المذكورة. وقد فصل المصنف ما ذكرناه فقال:

(وإن كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف إلى الناس) بما يأتي منهم؛ **(فالكسب أولى لأن)** اضطراب القلب يشعر عن عدم قوة قلبه على الاتكال على مولاه، و **(استشراف القلب إلى الناس سؤال بالقلب)** وهو عندهم أشد من سؤال اللسان، **(وتركه أهم من ترك الكسب)**.

وشواهد ما ذكر المصنف في كلام القوم ففي القوت، قال بعض المتوكلين: من فقد الأسباب فضعف قلبه أو كان وجودها أسكن لقلبه من عدمها لم يصح له القعود عن المكاسب، لأن فيه انتظاراً لغير الله تعالى. وقال بعض العلماء: من طرقته فاقة سبعة أيام فتصوّر قلبه طمعاً في خلق أو تشرفاً إلى عبد فالسوق أفضل من المسجد. وقال أبو سليمان الداراني: لا خير في عبد لزم القعود في البيت وقلبه معلق بقرع الباب حتى يطرق بسبب. وقال بعض علمائنا: إذا استوى عنده وجود السبب وعدمه وكان قلبه ساكناً مطمئناً عند العدم لم يشغله ذلك عن الله ولم يتفرق همه، فترك الكسب والقعود لهذا أفضل لشغله بحاله وتزوده لمعاده وقد صح له مقام في التوكل. وقال سهل وقد سئل متى يصح للعبد التوكل؟ فقال: إذا دخل عليه الضر في جسده والنقص في ماله فلم يلتفت إليه ولم يحزن عليه شغلاً بحاله ونظراً إلى قيام الله عليه. وقال الخواص في كتاب التوكل: لا ينبغي للصوفي أن يتعرض للقعود عن الكسب إلا أن يكون مطلوباً قد اغنته الحال عن المكاسب، وأما ما كانت الحاجات فيه قائمة ولم يقع له عزوف يحول بينه وبين التكلف فالعمل أولى به والكسب أجل له وابلغ، لأن القعود لا يصلح لمن لم يستغن عن التكلف يعني أن يكون قد كفى بالكفاية القاطعة من قلبه عن التكلف الظاهر من جوارحه، وأن تكون حاله قوية تحمله بالصبر والرضا لا يضعف إلى تطلع وتشرف بقول: فمعلوم هذا من كسبه الذي أحل به أفضل له من طمعه في غيره الذي كره له هذا كله كلام الخواص.

وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور: ولم يؤت المريدون إلا من جهتين من قلة الصدق وإصابة الحق ومن ركون الأدلة إلى الدنيا، فدلوهم على علوم أنفسهم، وصدق المريد في إيثار الخمول ولزوم الباب وفراغ القلب وخوف فوت الوصول والتارك للتكسب والتصرف في الأسواق إذا كان في أدنى كفاية واعين بالصبر والقناعة في مثل زماننا هذا أفضل وأتم من المكتسب إذا خاف أن لا ينال المعيشة إلا بمعصية الله تعالى من دخول في شبهة أو خيانة لإخوانه المسلمين، ولأنه قد تعذر القيام بشرط العلم مع مباشرة الأسباب وكثرة دخول الآفات والفساد في الإكتساب، فترك مباشرة أهل الأسواق ومخالطتهم على هذا الوصف المكروه أقرب إلى السلامة لبعده من رؤية الأسباب وفقد مباشرتها، لأن الحكم متعلق بالرؤية ومثل الحرام مثل المنكر إذا لم تره سقط عنك

الكسب، وما كان المتوكلون يأخذون ما تستشرف إليه نفوسهم. كان أحمد بن حنبل

حكمه، وليس الخبر كالمعاينة، ولا المجاورة كالمباشرة، والإستتار كالإظهار، ولا المعاين كالمخبر. والتكسب ليس بفرض، وقد يفترض بأحد معنيين: بوجود العيال مع عدم كفايتهم عن وجه من الوجوه، أو بأن يقطع عدمه عن فرض ويضعف عنه مع فقد ما يقام به الفرض مما لا بد منه، ولقد كان أبو معاذ رحمه الله يقول: ترك المكاسب مع الحاجة إليها كسل والكسب مع الإستغناء عنه كلفة.

وقال في موضع آخر من كتابه: وبعض العارفين يفضلون من لا معلوم له على من له معلوم، وهؤلاء يرون ترك التكسب أفضل والسكون عن التحرك أعلى، لأن ذلك معلوم ويعد هؤلاء سكون القلب مع وجود المعلوم علة، ولكن إذا سكن قلبه مع غير معلوم واجتمع همه وانقطع طمعه في حال المعدوم، فهذا هو المقام. ولعمري التحقيق أن الحركة في طلب المضمون للخصوص عقوبة فقد سكون القلب إلى الرب، كما أن ترك الحركة في أعمال البر والقربات عقوبة سكون النفس إلى حظوظ الشهوات والعدول من القول في تفصيل ترك التكسب وفعله، وفقد المعلوم ووجده أن العبد لا يفضل بفقد الغنى ووجد الفقر ولا يشرف بالقعود عن الحركة من غير إقعاد ولا يعلو بالتحرك إلى الأسباب بغير إيجاد، وإنما يوصف في ذينك بالفقر أو الإباحة، لكن يفضل بحاله من مقامه من زهد أو رضا أو صبر وتوكل أو اقتطاع لخدمة أو إقامة بشغل متصل بصدق معاملة؛ فبهذه المعاني يقع التفضيل عند العلماء فإن كان ذو المعلوم والتصرف أحسن معرفة وأقوى يقيناً فضل على من لا معلوم له ممن نقصت معرفته ولا يكون سكون القلب وطمأنينة النفس أيضاً مع وجود المعلوم علة في الحال إذا ثبت المقام وصح القصد وحسن التصرف والعقد، ولكن لا يكون مقاماً يرفع به ولا حالاً يفضل فيه عند طائفة من العارفين، إلا أن الطمع في الخلق وتشبث القلب مع وجود معلوم أو الكفاية نقصان عند الكل، وقطع الطمع في الخلق وفقد الشرف إلى معتاد منهم أو مألوف بهم واجتماع القلب مع العدم وفقد المعلوم أفضل وأعلى عند الجماعة، فأما سكون القلب واجتماع الهم وفقد الاستشراف إلى الخلق مع العيال وثبوت الأحكام فهو أفضل وأشرف، وهذا حال الأقوياء وطريق الأنبياء اتفقوا على ذلك. وأما اضطراب القلب وتفرقة الهم مع وجود العيال، فإن كان لأجلهم والقيام بحكم الله فيهم فلا نقص فيه وقد يؤجر عليه، وأما شتات الهم وتفرق القلب ووجد الإهتمام في حال الوحدة للمنفرد فنصيب من الرغبة موفور وصاحبه فيه غير معذور، وقد يكون مأزوراً؛ فهذه النصوص كلها شواهد لسياق المصنف ثم قال:

(وما كان المتوكلون يأخذون ما تستشرف إليه نفوسهم) لأن فيه طمعاً في غير مطمع ونظراً إلى غير الله تعالى وإتياناً للبيوت من غير أبوابها، وقد شرط النبي ﷺ للعطاء ترك المسألة والاستشراف إلى الخلق تنزيهاً للفقراء ورداً لهم إلى الله عز وجل، ولما منعوا منها جعل لهم هذا العطاء وبذلوا إلى قبوله عوضاً لهم عنها، كما جعل للأشراف خمس الخمس من الغنائم لما حرمت عليهم الصدقة تشريفاً لهم وتفضيلاً، وقد **(كان أحمد بن حنبل)** رحمه الله تعالى **(قد أمر)**

قد أمر أبا بكر المروزي أن يعطي بعض الفقراء شيئاً فضلاً عما كان استأجره عليه فرده فلما ولّى قال له أحمد: الحقه وأعطه فإنه يقبل، فلحقه وأعطاه فأخذه، فسأل أحمد عن ذلك فقال: كان قد استشرفت نفسه فردّ، فلما خرج انقطع طمعه وأيس فأخذ. وكان الخوّاص رحمه الله إذا نظر إلى عبد في العطاء أو خاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئاً. وقال الخواص بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره: رأيت الخضر ورضي بصحبتي ولكني فارقته، خيفة أن تسكن نفسي إليه فيكون نقصاً في توكلي. فإذاً المكتسب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب، وهو أن لا يقصد به الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلاً.

صاحبه (أبا بكر المروزي) نسبة إلى مرو الروز مدينة بخراسان والنسبة على الإختصار (أن يعطي بعض الفقراء شيئاً فضلاً عما كان استأجره عليه) فأعطاه (فردّه) ولم يأخذه، (فلما ولى) الفقير بظهره ومشى (قال له أحمد: الحقه فاعطه فإنه يقبل) الآن (فلحقه فأعطاه فأخذه فسأل) المروزي (أحمد عن ذلك) أي كيف رد في الأول وأخذ في الثاني (فقال): إنه (كان قد استشرفت نفسه) لذلك (فرّد وكان قد أحسن) فلما خرج منصرفاً (انقطع طمعه وأيس فأخذه) لذلك كذا في القوت. وللعارفين في ذلك أحوال متفاوتة؛ فقد كان بعضهم من المتوكلين كذلك إذا جاءه السبب بعد تطلع إليه رده، ومنهم من كان يأخذه فيخرجه ولا يتناول منه عقوبة لنفسه وتأدباً لها. (وكان) إبراهيم (الخواص) رحمه الله تعالى (إذا نظر إلى عبد في العطاء أو خاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئاً) نقله صاحب القوت قال: وحدثني شيخ عن رجل دفع إليه ديناراً بمكة وهو لا يعرفه فقبله، فلما كان الغدر أي حوله جماعة من الفقراء فسأل عنه فقيل: إبراهيم الخواص فجاءه بالتسعة الأخر وكان قد أعد العشرة له فلم يقبل، وقال صوفي: لا يكون بحريف.

(وقال الخواص) رحمه الله تعالى (بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره) وكان كثير الأسفار في البوادي المنقطعة والطرق المجهولة فقال: (رأيت الخضر ورضي بصحبتي ولكني فارقته خشية أن تسكن نفسي إليه فيكون نقصاً في توكلي)، فكان لقيه للخضر امتحاناً له من الله تعالى به في دعوى مقام التوكل فتثبت، وإلا فالخضر مستغن عن صحبته لكمال قوته، وهذا القول أخرجه القشيري في الرسالة قال: وسمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن أحمد يقول: حكى لنا ابن أبي الشيخ قال: سمعت عمر بن سنان يقول: اجتاز بنا إبراهيم الخواص فقلنا له: حدثنا بأعجب ما رأيت في أسفارك. فقال: لقيني الخضر فسألني الصحبة فخشيت أن يفسد علي توكلي لسكوني إليه ففارقته.

(فإذاً المكتسب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب) آداب (الكسب) والمعاش، (ولم يقصد به الإستكثار) والإدخار (ولم يكن اعتماده على بضاعته

فإن قلت: فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية؟

فأقول: علامته أنه إن سرقت بضاعته أو خسرت تجارته أو تعوق أمر من أموره كان راضياً به ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه، بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحداً، فإن من لم يسكن إلى شيء لم يضطرب لفقده، ومن اضطرب لفقد شيء فقد سكن إليه. وكان بشر يعمل المغازل فتركها، وذلك لأن البعادي كاتبه قال: بلغني أنك

وكفايته كان متوكلاً) قال الخواص: دخول الآفات ومساكنتها لقصور علم أو غلبة هوى يخرج العبد من التوكل، وهو أن يكون متوكلاً على الناس بأن يطمع فيهم أو يتصدى لهم بالتعرض والتصنع، أو يكون متوكلاً على صحة جسمه ودوام قوته وأنه لا يرزق إلا من كده أو يكون متوكلاً على ماله بأن يثق به أو يطمئن إليه، ويحسب أنه إن افتقر انقطع رزقه، أو يكون متوكلاً على جاهه ومنزلته عند الناس أو على ديانته وأنه معروف بالصلاح، أو على أنه لا يرزق إلا من أجل تقواه ونحوه بأن يتوكل على علمه وما يعرف الناس من فضله، فهذه المعاني كلها تخرج من كل التوكل وقد تخفى دقائقها وتدق خفاياها ويقع الوهم بمن وقعت به أنه من المتوكلين على الوكيل أو الناظرين إلى القريب الكفيل، وإنما يفطن لذلك جهابذة العلماء الراسخون وسماسرة الصادقين الزاهدون المتصوف بالعلم، المنورون باليقين، القائمون على الدوام بالشهادة، الناكبون عن مألوف النفس والعادة، فمن نظر إلى هذه المعاني من الأسباب والأشخاص أو سكن إليها سكون أنس فيقوى قلبه بوجودها، فإنه يضطرب ويستوحش أو يضعف قلبه لفقدها وذلك كله علة في توكله.

(فإن قلت: فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية) .

(فأقول: علامته أنه إن سرقت بضاعته أو خسرت تجارته أو تعوّق أمر من أموره كان راضياً به) مشاهداً فعل مولاه به **(ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه، كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحداً)** على السواء، **(فإن من لم يسكن إلى شيء)** سكون أنس **(لم يضطرب بفقده ومن اضطرب لفقد شيء فقد سكن إليه)** وأنس به، وإليه يشير قول الشاعر:

ومن سره أن لا يجد ما يسوءه ... فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا

أي: لا يسكن إلى شيء هو يفقد عنه فيضطرب قلبه لفقده، **(و)** قد **(كان بشر)** بن الحرث الحافي رحمه الله تعالى يتكلم في الحلال ويشدد فيه فقيل له: يا أبا نصر فأنت من أين تأكل؟ فقال: من حيث تأكلون، ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك. وقال مرة: ولكن يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة. وكان رحمه الله تعالى **(يعمل المغازل)** يتسبب بها **(فتركه)** أي العمل وفي نسخة فتركها أي المغازل، **(وذلك)** أي كان سبب تركه **(لأن البعادي)** هكذا في النسخ وفي نسخة بالغين المعجمة وفي أخرى بالقاف ولم يتضح لي وجه

استعنت على رزقك بالمغازل أرأيت أن أخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من ؟ فوقع ذلك في قلبه فأخرج آلة المغازل من يده وتركها ، وقيل : تركها لما نوهت باسمه وقصد لأجلها ، وقيل : فعل ذلك لما مات عياله كما كان لسفيان خمسون ديناراً يتجر فيها ، فلما مات عياله فرّقها .

فإن قلت : فكيف يتصور أن يكون له بضاعة ولا يسكن إليها وهو يعلم أن الكسب بغير بضاعة لا يمكن ؟

فأقول : بأن يعلم أن الذين يرزقهم الله تعالى بغير بضاعة فيهم كثرة ، وأن الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة ، وأن يوطن نفسه على أن الله لا يفعل به إلا ما فيه صلاحه ، فإن أهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركه كان سبباً لفساد دينه .

الصواب فيه ، وإلى أي شيء ينسب ولا عرفت هذا الرجل (**كاتبه قال : بلغني أنك استعنت على رزقك بالمغازل**) أي بصنعتها وبيعها . (**أرأيت إن أخذ الله سمعك وبصرك الرزق على من ؟ فوقع**) وفي نسخة فوقر (**ذلك في قلبه**) بشاهد منه (**فاخرج آلة المغازل من يده وتركها**) وترك التكسب بها . كذا في القوت . (**وقيل**) : بل (**تركها لما نوّهت باسمه وقصد لأجلها**) وطلبت لأجله ، فقيل : المغازل البشرية كذا في القوت ، وقيل . فأي هذين كان قد أنهج له طريق سلكه بعد الطريق الأول ، (**وقيل**) : بل (**فعل ذلك لما مات عياله**) أي زوجته وأولاده ، فإنه ما كان أبيح له التكسب إلا لأجلهم ، (**كما كان لسفيان**) الثوري رحمه الله تعالى (**خمسون ديناراً يتجر فيها ، فلما مات عياله فرقها**) ولفظ القوت : وقد كان للثوري خمسون ديناراً يتجر له بها ، ثم أخذها في آخر أمره ففرّقها على إخوانه وترك التكسب ويقال : إنه فعل ذلك لما مات عياله ، وكان قد بقي بعدهم وحيداً . وقال زافر بن سليمان : كان لسفيان عندي ثلاثمائة درهم بضاعة ، فكنت أبضع له بها فقال ذات يوم : هاتها فجعلها صرراً وقسمها انتهى . وقد تقدم عن سهل أيضاً أنه كان له أرض يزرعها في آخر أمره باعها وفرق ثمنها على المساكين .

(**فإن قلت : كيف يتصور أن يكون له بضاعة وهو لا يسكن إليها وهو يعلم أن الكسب بغير بضاعة لا يمكن**) ؟ والجواب عن ذلك سهل لأنا نقول : السكون على قسمين : سكون بالظاهر وسكون بالباطن ، فالذي يخرج عن التوكل هو سكون أنس بباطن قلبه مشاهد ربه مفوض له أمره معتمد عليه فلا يخرج به عن التوكل ، وقد قرره المصنف فقال : (**فأقول : بأن يعلم أن الذين يرزقهم الله تعالى بغير**) وفي نسخة من غير (**بضاعة فيهم كثرة ، وأن الذين كثرت بضاعتهم فسرقت وهلكت فيهم كثرة وأن يوطن نفسه على أن الله لا يفعل إلا ما فيه صلاحه ، فإن أهلك بضاعته فهو خير له فلعله لو تركه كان سبباً لفساد دينه**) فكم من

وقد لطف الله تعالى به وغايته أن يموت جوعاً . فينبغي أن يعتقد أن الموت جوعاً خير له في الآخرة مهما قضى الله تعالى عليه بذلك من غير تقصير من جهته، فإذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها، ففي الخبر: « إن العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو فعله لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيباً حزيناً يتطير بجاره وابن عمه: من سبقني؟ من دهاني؟ وما هي إلا رحمة رحمة الله بها »، ولذلك قال عمر رضي الله عنه: لا أبالي أصبحت غنياً أو فقيراً، فإني لا أدري أيهما خير لي، ومن لم يتكامل يقينه بهذه الأمور لم يتصور منه

شخص فسد حاله ودينه بسبب ماله وافتتانه به، **(وقد لطف الله به)**. وهذا يرجع إلى الإيمان بسعة حكمة الله تعالى وهو واجب. **(وغايته أن يموت جوعاً، فينبغي أن يعتقد)** في قله **(أن الموت جوعاً خير له في الآخرة مهما قضى الله عليه بذلك)** وقدره في الأزل **(من غير تقصير من جهته)**، وهذا يرجع إلى الإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره وهو أيضاً واجب، **(فإن اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها)** فصح توكله بناء على ما تقدم أن بعضهم قال: التوكل هو استواء الأمرين، **(ففي الخبر: إن العبد ليهم من الليل بأمر من أمور)** الدنيا من **(التجارة)** وغيرها **(مما لو فعله لكان فيه هلاكه، فينظر الله تعالى إليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيباً حزيناً فيظن)** وفي نسخة يتطير **(بجاره وابن عمه من سبقني من دهاني وما هي إلا رحمة رحمه الله بها »)** هكذا هو في القوت. قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس بسند ضعيف جداً نحوه إلا أنه قال: « إن العبد ليشرف على حاجة من حاجات الدنيا الحديث . بنحوه انتهى.

قلت: لفظ الحلية: « إن الرجل ليشرف في التجارة والإمارة فيطلع الله عز وجل إليه من فوق سبع سموات فيقول: اصرفوا هذا من عبدي فإني أن قيضته له أدخلته النار فيصبح قيطان بجيرانه من سبقني هكذا ». رواه من حديث ابن عباس. وقد رواه أيضاً عن ابن مسعود موقوفاً عليه. وروى الطبراني من حديث ابن عباس: « إن الرجل ليطلب الحاجة فيزويها الله عنه لما هو خير له فيتهم الناس ظالماً لهم فيقول: من سبقني ».

(ولذلك قال عمر رضي الله عنه: لا أبالي أصبحت غنياً أو فقيراً فإني لا أدري أيهما خير لي) فهذا إشارة إلى أن العبد على كل حال عاجز جاهل لا يدري بواطن أحواله، والرب عالم قادر محيط بعمل العبد سره وجهره، مقدر للأشياء خبير بخفايا الغيوب، مطلع على حقائق الأحوال، وقد روي نحو هذا القول عن عبدالله بن مسعود رواه الطبراني من طريق علي بن نديمة عن قيس بن جعفر عنه قال: ألا حبذا المكروهان الموت والفقر، وما أبالي بأيهما ابتليت إن كان الغنى ان فيه للعطف وإن كان الفقر إن فيه للصبر. وقد رواه أبو نعيم في الحلية من طريقه. **(ومن لم يتكامل يقينه بهذه الأمور لم يتصور منه التوكل)** وبه يعرف أن التوكل لا يختص

التوكل، ولذلك قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري: لي من كل مقام نصيب إلا من هذا التوكل المبارك فإني ما شممت منه رائحة. هذا كلامه مع علو قدره، ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال: ما أدركته ولعله أراد إدراك أقصاه وما لم يكمل الإيمان بأن لا فاعل إلا الله ولا رازق سواه، وأن كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد لم يكمل حال التوكل، فبناء التوكل على قوة الإيمان بهذه الأمور - كما سبق - وكذا سائر مقامات الدين من الأقوال والأعمال تنبني على أصولها من الإيمان. وبالجملة؛ التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين، ولذلك قال سهل: من طعن على التكسب فقد طعن على السنّة، ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد. فإن قلت: فهل من دواء ينتفع به في صرف

بترك الأسباب وترك الإدخار، بل يعم أبواب الإيمان والعلوم والمعارف والأحوال، **(ولذلك قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الحواري)** رحمة الله عليهما، وابن أبي الحواري تلميذه: **(لي من كل مقام نصيب إلا من هذا التوكل المبارك فإني ما شممت منه رائحة)** ولفظ القشيري: يا أحمد إن طرق الآخرة كثيرة وشيخك عارف بكثير منها إلا هذا التوكل المبارك، فإني شممت منه رائحة انتهى.

ولفظ القوت: وكان سهل يقول: ليس في المقامات أعز من التوكل، وقد ذهبت الأنبياء بحقيقته وبقي منها صبابة استفها الصديقون وبعض الشهداء، فمن تعلق بشيء منه فهو صديق أو شهيد. وقال أبو سليمان الداراني: في كل المقامات لي قدم إلا هذا التوكل المبارك فما لي منه إلا مشام الريح **(هذا مع علو قدره)** في مقام التوكل وغيره من المقامات **(ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة، ولكنه قال: ما أدركته ولعله أراد إدراك أقصاه)** وفيه دلالة على كمال أبي سليمان وإقراره على نفسه بأن التوكل أعلى المقامات وأعلاه الذي هو التفويض أو التسليم لم يتمكن فيه بعد، أما حقيقة أو تأديباً لنفسه بتقصيرها في نيلها أعلى المقامات، وأما تأدباً وتبرأ من حوله وقوّته وهو اللائق بحاله وكمال معرفته، **(وما لم يكمل الإيمان بأن لا فاعل إلا الله ولا رازق سواه، وإن كان ما يقدره)** سبحانه **(على العبد من فقر وغنى وموت وحياة)** وقبض وبسط **(فهو خير له مما يتمناه العبد لم يكمل حال التوكل فمبنى التوكل على قوة الإيمان بهذه الأمور كما سبق)** في التوحيد، فإن قوي إيمانه قوي توكله، **(وكذا سائر مقامات الدين من الأقوال والأعمال تنبني على أصولها من الإيمان وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين، ولذلك قال سهل)** التستري رحمه الله تعالى: **(من طعن على التكسب فقد طعن على التوحيد)**.

ولفظ القوت: وقد كان أبو حامد يقول: من أنكر التكسب فقد طعن في السنّة، ومن أنكر

القلب عن الركون إلى الأسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الأسباب الخفية؟

فأقول: نعم، هو أن تعرف أن سوء الظن تلقين الشيطان، وحسن الظن تلقين الله

القعود عن التكسب فقد طعن في التوحيد، وقد بعث النبي ﷺ إلى الخلق وهم أصناف كما هم اليوم منهم التاجر والصانع والقاعد ومن يسأل، فما قال للتاجر: اترك تجارتك، ولا قال للقاعد: اكتسب، ولا نهى السائل عن أن يسأل، بل أمر أن يعطي ولكن بالإيمان واليقين في جميع أحوالهم وتركهم مع الله في التدبير، فعمل كل واحد بعمله في حاله انتهى.

وأورده القشيري في الرسالة بعبارتين: الأولى: قال سهل: التوكل حال النبي ﷺ والكسب سنّته، والثانية: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت عبدالله بن علي يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: قرأت على محمد بن الحسين قال سهل بن عبدالله: من طعن في الحركة فقد طعن في السنّة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان انتهى.

والمراد بحاله ﷺ في القول الأول أن يكون السابق لقلب العبد في تحصيل مقصوده على الله وسنته أن يكون السابق لقلب العبد العاجز عن الحال المذكور في تحصيله مقصوده اعتماده على الكسب المعتاد من حيث أنه سنة الله ورسوله جرت به، كما هو العادة في ربط المسببات بالأسباب، مع اعتقاده أن الفاعل هو الله تعالى وأنه لا فعل للأسباب، والمراد بالحركة في القول الثاني الكسب، والمراد بالطعن في السنة الإنكار بما جرت بذلك، كحفر الخندق ولبس الدرع والتحصن وحمل الزاد في الأسفار، وقد قال تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾ [الأنفال: ٦٠] الآية. والمراد بالطعن في التوكل أن يقول: إن المقدر يحصل بفعل الله وبفعل غيره وكونه طعناً في الإيمان أو التوحيد حيث أشرك معه تعالى في الفعل غيره.

قال صاحب القوت: وأخبرني أبو موسى قال: سمعت الحسين بن يحيي يقول: سأل رجل شيخنا ابن سالم: أنحن متعبدون بالكسب أو بالتوكل؟ فقال: التوكل حال رسول الله ﷺ والكسب سنته، وإنما سنّ لهم الكسب لضعفهم حين سقطوا عن درجة التوكل فأباح لهم طلب المعاش بالمكاسب الذي هو سنته، ولولا ذلك لهلكوا. وإما ابن عطاء فإنه كان يقول: ليس التوكل لزوم الكسب ولا تركه، إنما التوكل طمأنينة في القلب إلى الله تعالى. وقال أبو يعقوب السوسي: لا تطعنوا على أهل التوكل فإنهم خاصة الله سكنوا إلى الله واكتفوا به واستراحوا من هموم الدنيا والآخرة. وقال: من طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان لأنه مقرون به، ومن أحب أهل التوكل فقد أحب الله.

(فإن قلت: فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون إلى الأسباب الظاهرة وحسن الظن بالله في تيسير الأسباب الخفية)؟

(فأقول: نعم هو أن تعرف أن سوء الظن تلقين الشيطان وحسن الظن تلقين الله تعالى.

تعالى. قال الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ ويأمُرُكُمْ بالفَحْشَاءِ واللهُ يعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وفضلاً﴾ [البقرة: ٢٦٨] فإن الإنسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان، ولذلك قيل: الشفيق بسوء الظن مولع، وإذا انضم إليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلمين على الأسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية، بل رؤية الرزق من الأسباب الخفية أيضاً تبطل التوكل، فقد حكي عن عابد أنه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم، فقال له الإمام: لو اكتسبت لكان أفضل لك، فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثاً، فقال في الرابعة: يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين، فقال: إن كان صادقاً في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك، فقال: يا هذا لو لم تكن إماماً تقف بين يدي الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيراً لك إذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى بالرزق، وقال إمام المسجد لبعض المصلين: من

قال الله تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً﴾ فإن الإنسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان) بما يوسوس إليه ويلقنه، **(ولذلك قيل)** في الكلمات السائرة: **(الشفيق بسوء الظن مولع، وإذا انضم إليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلمين على الأسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن)** بشاهد باطل **(وبطل التوكل بالكلية)** لنقصان التوحيد وبطلان الإعتماد والتفويض، **(بل رؤية الرزق من الأسباب الخفية أيضاً تبطل التوكل)** من أصله، **(فقد حكي عن عابد)** من العباد **(أنه عكف في مسجد)** أي لازم جلوسه فيه فلم يخرج أصلاً **(ولم يكن له معلوم)** من رزق يأتيه من جهة معلومة، **(فقال له الإمام)** الذي يصلي بالناس في ذلك المسجد حين رآه معتكفاً: **(لو اكتسبت)** أي خرجت إلى السوق وباشرت الكسب **(لكان أفضل لك)** من عكوفك هنا، **(فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثاً، فقال في الرابعة)**: هنا **(يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين)** فهو يأتي إليَّ بهما، **(فقال: إن كان صادقاً في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك)** لأجل حصول الإطمئنان، **(فقال)** العابد للإمام: **(يا هذا لو لم تكن إماماً تقف بين يدي الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيراً لك، إذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى بالرزق)** كذا في القوت.

وأورده ابن عطاء الله في التنوير بلفظ: رأى بعضهم رجلاً يلازم المسجد ولا يخرج منه فتعجب من ملازمته وفكر في نفسه من أين يأكل؟ فقال له: من أين تأكل؟ فقال له: إن لي صاحباً يهودياً وعدني كل يوم رغيفين فهو يأتيني بهما. فقال: أما الآن فنعم، فقال له ذلك العابد: يا مسكين وثقت لي بوعد يهودي وما وثقت لي بوعد الحق سبحانه وهو الصادق الحق، وقد قال: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود: ٦] فاستحيا ذلك الرجل وذهب.

أين تأكل؟ فقال: يا شيخ اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك.

وينفع في حسن الظن بمجيء الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الأسباب الخفية: أن تسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله تعالى في وصول الرزق إلى صاحبه، وفيها عجائب قهر الله تعالى في إهلاك أموال التجار والأغنياء وقتلهم جوعاً، كما روي عن حذيفة المرعشي وقد كان خدم ابراهيم بن أدهم فقيل له: ما أعجب ما رأيت منه؟ فقال: بقينا في طريق مكة أياماً لم نجد طعاماً، ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب، فنظر إليَّ ابراهيم وقال: يا حذيفة، أرى بك الجوع فقلت: هو ما رأى الشيخ. فقال: علي بدواة وقرطاس، فجئت به فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى وكتب شعراً:

(وقال إمام المسجد لبعض المصلين) الذين يصلون وراءه وقد رآه في زي غير مكتسب: (من أين تأكل) يا فلان؟ (فقال) له: (يا شيخ اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك) كذا في القوت. وساقه ابن عطاء الله في التنوير بلفظ: إن رجلاً صلى خلف الإمام أياماً فقال له الإمام يوماً وتعجب من ملازمته وتركه الأسباب: من أين تأكل؟ فقال: قف حتى أعيد صلاتي فأني لا أصلي خلف من شك في قسمة الله تعالى.

(وينفع في حسن الظن بمجيء الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الأسباب الخفية أن) تنظر إلى حالة نفسك وقيام الرب تعالى بك من حالة إلى حالة من وقت تكوّنك من نطفة إلى خروجك من المشيمة، واغتذائك بلبن أمك إلى تسخير الخلق لك، إلى حالة البلوغ، فحالك بعد البلوغ كحال في أول أمرك في الكفاية والتسخير، ولا يصدك عن ذلك إلا رجوع النفس إلى تدبيرها وحولها وقوتها، وقد كانت قبل ذلك لا تدبير لها ولا حول ولا قوة، والفكر في مثل هذا بحر لا ساحل له، ثم تكرر على سمعك، ما ورد من الأخبار والآيات والآثار، ثم (تسمع الحكايات) المنسوبة للمتوكلين والمنقطعين إلى الله تعالى الدالة على كمال أحوالهم، و(التي فيها عجائب صنع الله تعالى) بهم وسعة برّه عليهم (في وصول الرزق إلى صاحبه) بواسطة انقطاعه إلى الله تعالى (وفيها عجائب قهر الله في إهلاك أموال التجار والأغنياء وقتلهم جوعاً، كما روي عن حذيفة) بن قتادة (المرعشي) شيخ هبيرة البصري، (وقد كان خدم إبراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى (فقال له: ما أعجب ما رأيت منه! فقال: بقينا) معه (في طريق مكة أياماً لم نجد طعاماً) نأكله، (ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب، فنظر إلي إبراهيم وقال: يا حذيفة أرى بك) أثر (الجوع: فقلت: هو ما رأى الشيخ. فقال عليَّ) أي جئني (بدواة وقرطاس فجئت به فكتب) في القرطاس ما يحقق مقام التوكل مع تعاطي الأسباب، وهو (بسم الله الرحمن الرحيم، أنت المقصود إليه في كل حال المشار إليه بكل معنى) كما قيل:

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا ضائع أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إليَّ الرقعة فقال: اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك، فخرجت فأول من لقيني كان رجلاً على بغلة فناولته الرقعة فأخذها، فلما وقف عليها بكى وقال: ما فعل صاحب هذه الرقعة؟ فقلت: هو في المسجد الفلاني، فدفع إليَّ صرة فيها ستمائة دينار، ثم لقيت رجلاً آخر فسألته عن راكب البغلة فقال: هذا نصراني، فجئت إلى ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال: لا تمسها فإنه يجيء الساعة، فلما كان بعد ساعة دخل النصراني وأكبّ على رأس ابراهيم يقبله وأسلم.

وظنوني مدحتهم جميعاً وأنت بما مدحتهم مرادي

(وكتب شعراً) ما نصه.

(أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر) وهذه الثلاثة مما أمر العبد بها، **(أنا جائع أنا ضائع)** أي عطشان **(أنا عاري)** وهذه الثلاثة مما يفتقر إليها العبد فيأتيه الله بها.

(هي ستة وأنا الضمين لنصفها) وهي الثلاثة الأول بأمرك، **(فكن الضمين لنصفها يا باري)** أي قريباً مني، والمعنى: كن مستمراً على ضمانك، وإلا فهو تعالى قد ضمن لهم ذلك أي أنا فعلت ما أمرتني به فتفضل عليَّ بما ضمنته.

(مدحي لغيرك) يا الله كأنه **(لهب نار)** وفي نسخة وهج نار **(خفتها)** أي دخلتها **(فأجر عبيدك من دخول النار)** أي من مدح غيرك.

(ثم دفع إليَّ الرقعة) المكتوبة **(فقال: اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من يلقاك)** فلا يكون لك اختيار في شخص دون آخر **(قال: فخرجت فأول من لقيني رجل كان على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها)** وقرأها **(بكى وقال: ما فعل صاحب هذه الرقعة؟ فقلت: هو في المسجد الفلاني فرفع إليَّ)** للبشرى **(صرة فيها ستمائة دينار)** وفي نسخة. درهم، **(ثم لقيت رجلاً آخر فسألته عن راكب البغلة فقال)** لي: **(هذا)** وفي نسخة: هو **(نصراني فجئت إلى إبراهيم وأخبرته بالقصة، فقال: لا تمسها)** أي الصرة **(فإنه يجيء الساعة، فلما كان بعد ساعة دخل)** ولفظ الرسالة: وافى **(النصراني وأكب على رأس إبراهيم)** يقبله **(وأسلم)** على يديه ببركة وقوفه على الرقعة التي كتبها إبراهيم وأرسلها هذا لفظ القشيري قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت أبا سعيد التاهتري يقول: سمعت حذيفة المرعشي يقول، وقد كان خدم إبراهيم بن أدهم وصحبه فقيل له: ما أعجب ما رأيت منه فذكره.

وقال أبو يعقوب الأقطع البصري: جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفاً فحدثتني نفسي بالخروج فخرجت إلى الوادي لعلي أجد شيئاً يسكن ضعفي، فرأيت سلجمة مطروحة فأخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة وكأن قائلاً يقول لي: جعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة، فرميت بها ودخلت المسجد وقعدت، فإذا أنا برجل أعجمي قد أقبل حتى جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال: هذه لك، فقلت: كيف خصصتني بها؟ قال: اعلم أنا كنا في البحر منذ عشرة أيام وأشرفت السفينة

ورواه أبو نعيم في الحلية فقال: سمعت أبا الفضل أحمد بن أبي عمران الهروي الصوفي يقول: سمعت حذيفة المرعشي يقول: صحبت إبراهيم بالبادية في طريق الكوفة، فكان يمشي ويدوس ويصلي على كل ميل ركعتين فبقينا بالبادية حتى بليت ثيابنا، فدخلنا الكوفة وأوينا إلى مسجد خراب فنظر إلي إبراهيم بن أدهم فقال: يا حذيفة أرى بك الجوع! فقلت: ما رأى الشيخ، فقال: علي بدواة وقرطاس فخرجت فجئته بها، فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه في كل حال والمشار إليه بكل معنى.

أنا حامد أنا ذاكر أنا شاكر … أنا جائع أنا حاسر أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين لنصفها … فكن الضمين لنصفها يا باري
مدحي لغيرك لفح نار خضتها … فأجر عبيدك من دخول النار

ودفع إلي الرقعة وقال: اخرج ولا يعلق سرك بغير الله واعطها أول من تلقاه، فخرجت فاستقبلني رجل راكب على بغلة فاعطيته الرقعة فقرأها وبكى وقال: أين صاحب هذه الرقعة؟ فقلت: في المسجد الفلاني الخراب، فأخرج من كمه صرة دنانير فأعطاني فسألت عنه فقيل: هو نصراني فرجعت إلى إبراهيم وأخبرته فقال: لا تمسه فإنه يجيء الساعة، فما كان بأسرع أن وافى النصراني فأكب على رأس إبراهيم فقال: يا شيخ قد حسن إرشادك إلى الله فأسلم وصار صاحباً لإبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى.

(**وقال أبو يعقوب**) يوسف بن نافع (**البصري الأقطع**) ويعرف أيضاً بالنوام (**جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفاً**) ببدني من الجوع، (**فحدثتني نفسي بالخروج**) لطلب شيء آكله، (**فخرجت إلى الوادي لعلي أجد شيئاً يسكن قلبي**) وفي نسخة ضعفي (**فرأيت سلجمة**) هي نبت (**مطروحة**) على الأرض (**فأخذتها فوجدت في نفسي منها وحشة، وكان قائلاً يقول لي: جعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد الحرام فقعدت، فإذا أنا برجل أعجمي جلس**) وفي نسخة جاء فجثا (**بين يدي ووضع قمطرة**) وهي ما يصان فيه المكاتيب (**فقال: هذه لك، فقلت: كيف خصصتني**) أي لم خصصتني بهذه؟ (**قال: اعلم أنا كنا في البحر منذ عشرة أيام وأشرفت السفينة على**

على الغرق، فنذرت أن خلصني الله تعالى أن أتصدق بهذه على أول من يقع عليه بصري من المجاورين، وأنت أول من لقيته فقلت: افتحها، ففتحها فإذا فيها سميد مصري ولوز مقشور وسكر كعاب، فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت: ردّ الباقي إلى أصيحابك هدية مني إليكم، وقد قبلتها، ثم قلت في نفسي: رزقك يسير إليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادي.

وقال ممشاد الدينوري: كان علي دين فاشتغل قلبي بسببه، فرأيت في النوم كأن قائلاً يقول: يا بخيل أخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الأخذ وعلينا العطاء، فما حاسبت بعد ذلك بقالاً ولا قصاباً ولا غيرهما.

الغرق) من تعاصيف الرياح ونذر كل واحد منا إن خلصنا الله تعالى أن يتصدق بشيء، **(فنذرت)** أنا **(إن خلصني الله تعالى أن اتصدق بهذه)** القمطرة **(على أول من يقع عليه بصري من المجاورين)** بالحرم، **(وأنت أول من لقيته فقلت: افتحها ففتحها فإذا فيها)** كعك **(سميد مصري)** من خالص لباب البر، **(ولوز مقشور وكسر كعاب)** أي عقد، **(فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت)** له: **(ردّ الباقي إلى صبيانك)** هو **(هدية مني إليكم)** أي لصبيانكم، **(وقد قبلتها)** بما فيها قبل هديتي للباقي، **(ثم قلت في نفسي رزقك يسير إليك من عشرة أيام وأنت تطلبه من الوادي)** حاصل ذلك أنه لما شرفت همته وألقى السلجمة ثم رجع إلى الحرم مؤدباً نفسه في عدم صبرها عن الطعام وفي شرهها معتمداً على الله بأن يأتيه بما هو أشرف وأطيب من السلجمة أتاه العجمي بالقمطرة وأعلمه بسبب نذره منذ عشرة أيام فوبخ نفسه وقال لها: يسوق لك رزقك الطيب منذ عشرة أيام وأنت تطلبيه من الوادي، ثم أمسك نفسه عن قبولها بشره، وقال للعجمي: افتحها فلما فتحها ووجد ما فيها مما ذكر لم يأخذها كلها بل أخذ منها ما رد جوعه في الوقت وقال له: قد قبلتها وفاء بنذرك ووهبت الباقي منها لصبيانك، وهذا كمال في كسر النفس مع شدة الحاجة إلى الطعام ورفع الهمة والإعتماد على الله في أن يأتي له بمثله أو بأرفع منه عند الحاجة، وهذه الحكاية أوردها القشيري في الرسالة.

(وقال) أبو الحسن **(ممشاد الدينوري)** رحمه الله تعالى: **(كان عليَّ دين)** لزمني في طاعة **(فاشتغل)** به **(قلبي فرأيت في النوم كأن قائلاً يقول: يا بخيل أخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ)** ولا تبال **(عليك الأخذ وعلينا العطاء)** قال: **(فما حاسبت بعد ذلك بقالاً ولا قصاباً ولا غيرهم)** كذا في النسخ، وفي بعضها ولا غيرهما، وذلك أن من عامله عرف حاله وأنه لا مال له، وأن معاملته محض خير، وإنما عامله على أنه إذا فتح الله عليه بشيء أتاهم به، ونبه في الرؤيا على أن الله تعالى اذا لم يقض الدين عنه في الدنيا ارضى عنه أربابه في الآخرة لأنه التزمه لوجهه كالإفتراض للفقراء. وهذه الحكاية أوردها كذلك القشيري قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: كنت عند ممشاد الدينوري فجرى حديث الدين فقال: كان علي دين فساقها.

وحكي عن بنان الحمال قال: كنت في طريق مكة أجيء من مصر ومعي زاد فجاءتني امرأة وقالت لي: يا بنان أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم أنه لا يرزقك، قال: فرميت بزادي ثم أتى علي ثلاث لم آكل، فوجدت خلخالاً في الطريق فقلت في نفسي: احمله حتى يجيء صاحبه فربما يعطيني شيئاً فأرده عليه، فإذا أنا بتلك المرأة فقالت لي: أنت تاجر تقول عسى يجيء صاحبه فآخذ منه شيئاً! ثم رمت لي شيئاً من الدراهم وقالت: أنفقها فاكتفيت بها إلى قريب مكة.

وحكي أن بناناً احتاج إلى جارية تخدمه، فانبسط إلى إخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا: هو ذا يجيء النفير فنشتري ما يوافق، فلما ورد النفير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا: إنها تصلح له، فقالوا لصاحبها: بكم هذه؟ فقال: إنها ليست للبيع فألحوا عليه، فقال: إنها لبنان الحمّال أهدتها إليه امرأة من سمرقند فحملت إلى بنان وذكرت له القصة.

(**وحكي عن أبي**) الحسن (**بنان بن محمد**) الحمال الواسطي نزيل مصر والمتوفي بها سنة ٣١٠ أنه (**قال: كنت في طريق مكة أجيء من مصر ومعي زاد**) حملته معي، (**فجاءتني امرأة**) وكانت ولية مكاشفة أدبني الله بها لزعمي أني تمكنت في التوكل وقد حملت الزاد، (**و**) ذلك أنها (**قالت: يا بنان أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم**) في نفسك (**أنه لا يرزقك**) بدونه (**قال**): فتنبهت من قولها (**فرميت بزادي**) ومشيت على قدم التوكل، (**ثم أتى علي ثلاث**) من الأيام (**لم آكل**) فيها شيئاً (**فوجدت خلخالاً**) بالفتح مرمياً (**في الطريق فقلت في نفسي: أحمله حتى يجيء صاحبه فربما يعطيني شيئاً فأردّه عليه، فإذا أنا بتلك المرأة**) قد ظهرت لي (**فقالت لي: أنت تاجر تقول**) في الخلخال (**عسى يجيء صاحبه فآخذ منه شيئاً،**) وادفع له خلخاله ولم لا تدفعه له فلا تأخذ منه شيئاً، (**ثم رمت لي شيئاً من الدراهم وقالت: انفقها**) على نفسك (**فاكتفيت**) أي فأخذتها واكتفيت (**بها إلى قريب**) من (**مكة**) وفي بعض النسخ إلى قريب من مصر فأدب بنان مع علو رتبته مرتين، بالمرأة الأولى إنكارها عليه حمل الزاد مع زعمه التمكن في التوكل، والثانية قولها له أنت تاجر الخ واعانتها له على حاله بما أعطته له من الدراهم، وهذه الحكاية أيضاً أوردها القشيري في الرسالة.

(**وحكي**) أيضاً (**أن بناناً**) المذكور رحمه الله تعالى (**احتاج إلى جارية تخدمه فانبسط إلى إخوانه**) في تحصيلها له، (**فجمعوا له ثمنها وقالوا: هو ذا**) ثمنا احفظه عندك وحيث (**تجيء النفر**) الذين يبيعون الجواري، (**فنشتري**) لك (**ما يوافق**) غرضك، (**فلما ورد النفر**) عليهم(**اجتمع رأيهم على واحدة**) منهن (**وقالوا: إنها تصلح له، فقالوا لصاحبها: بكم هذه؟ فقال: إنها أمانة وليست للبيع، فألحوا عليه**) في مساومتها (**فقال: إنها لبنان الحمّال أهدتها إليه امرأة من سمرقند فحملت إلى بنان وذكرت له**) هذه (**القصة**) ففيه دلالة على أن

وقيل: كان في الزمان الأول رجل في سفر ومعه قرص فقال: إن أكلته مت، فوكّل الله عز وجل به ملكاً وقال: إن أكله فارزقه وإن لم يأكله فلا تعطه غيره، فلم يزل القرص معه إلى أن مات ولم يأكله وبقي القرص عنده.

وقال أبو سعيد الخراز: دخلت البادية بغير زاد فأصابتني فاقة، فرأيت المرحلة من بعيد فسررت بأن وصلت، ثم فكرت في نفسي أني سكنت واتكلت على غيره وآليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أحمل إليها فحفرت لنفسي في الرمل حفرة وواريت جسدي فيها إلى صدري، فسمعت صوتاً في نصف الليل عالياً: يا أهل المرحلة، إن لله تعالى ولياً حبس نفسه في هذا الرمل فألحقوه، فجاء جماعة فأخرجوني وحملوني إلى القرية.

الله تعالى لطيف بمن يتوكل عليه ويقضي حوائجه وهو لا يشعر، فإنه تعالى لما علم حاجة بنان إلى من يخدمه لعجزه وعلم بذلك أصحابه واشتغلوا بتدبير أمره ألقى الله في قلب تلك المرأة بسمرقند إرسال الجارية إليه، وهذه أيضاً أوردها القشيري في الرسالة.

(**وقيل: كان في الزمان الأول رجل في سفر ومعه قرص فقال: إن أكلته مت**) جوعاً، (**فوكّل الله عز وجل به ملكاً وقال: إن أكله فارزقه**) غيره، (**وإن لم يأكله فلا تعطه شيئاً غيره، فلم يزل القرص معه إلى أن مات ولم يأكله وبقى القرص عنده**)، فيه دلالة على التحذير من الحرص على الحاصل، وأقبح الحرص حرص العبد على الشيء حتى لا ينتفع به في نفسه، فضلاً عن غيره من المحتاجين إليه كما هنا. وهذه الحكاية أيضاً أوردها القشيري في الرسالة، وفائدتها أن الحق تعالى إنما ضمن الكفاية للمحتاج، وهذا قد أغناه بالقرص فاعتمد عليه فقد تسبب في إهلاكه نفسه بحرصه عليه، وفيه تنبيه على أن المتوكل يكون وثوقه بما في يد الله أوثق مما في يديه.

(**وقال أبو سعيد**) أحمد بن عيسى (**الخراز**) البغدادي المتوفي سنة ٢٧٧: (**دخلت البادية**) مرة (**بغير زاد**) لأصحح توكلي (**فأصابتني**) فيها (**فاقه**) أي جوع شديد، (**فرأيت المرحلة**) أي القرية (**من بعيد فسررت بأني**) قد (**وصلت**) أي بقرب وصلي لها، (**ثم فكرت في نفسي أني سكنت**) أي حصل في هذا السرور سكون (**واتكلت على غيره**) تعالى في تحصيل ما أنا محتاج إليه، فعزمت على مخالفة نفسي (**وآليت أن لا أدخل المرحلة**) أي حلفت أن لا أدخلها (**إلا أن أحمل عليها، فحفرت لنفسي حفيرة** وواريت **فيها جسدي إلى صدري**) تأديباً للنفس وتوبيخاً لها، (**فسمعت**) وفي نسخة فسمعوا (**صوتاً في نصف الليل عالياً**) يقول: (**يا أهل المرحلة إن لله تعالى ولياً حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه، فجاء جماعة**) ممن سمع الصوت (**فأخرجوني وحملوني إلى القرية**) فقوي بذلك يقيني وتمكن توكلي على ربي، وهذا وأمثاله يفعلون ذلك لتعلم اليقين، وهو أن يغلب على القلب أن الله تعالى على كل شيء قدير، وفيما ذكر دلالة على مراعاة الوفاء بالعهد مع الله فيما عزم عليه العبد من نيل المقامات

وروي أن رجلاً لازم باب عمر رضي الله عنه، فإذا هو بقائل يقول: يا هذا هاجرت إلى عمر أو إلى الله تعالى؟ اذهب فتعلم القرآن فإنه سيغنيك عن باب عمر، فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر، فإذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة، فجاءه عمر فقال له: إني قد اشتقت إليك فما الذي شغلك عني؟ فقال: إني قرأت القرآن فأغناني عن عمر وآل عمر، فقال عمر: رحمك الله فما الذي وجدت فيه؟ فقال: وجدت فيه ﴿وفي السّماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات: ٢٢] فقلت: رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض؟ فبكى عمر وقال: صدقت، فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس إليه.

وقال أبو حمزة الخراساني: حججت سنة من السنين، فبينا أنا أمشي في الطريق إذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي أن استغيث فقلت: لا والله لا أستغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مرّ برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر: تعال حتى نسدّ رأس هذا البئر

الرفيعة، وفيه فضيلة للخراز حيث أقسم على الله فأبره، وهذه الحكاية أيضاً أوردها القشيري في الرسالة قال: سمعت محمد بن عبدالله الصوفي يقول: سمعت علي بن محمد المصري يقول: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: دخلت البادية مرة بغير زاد فساقها.

(**وروي أن رجلاً لازم باب عمر رضي الله عنه**) كل غداة (**فقال**) له (**عمر**) وقد شهد فيه مجيئه لأجل الطلب: (**يا هذا هاجرت إلى عمر أو إلى الله؟ اذهب فتعلم القرآن فإنه سيغنيك عن باب عمر، فذهب الرجل وغاب**) زماناً (**حتى افتقده عمر**) فسأل عنه فدل عليه، (**فإذا هو قد اعتزل**) الناس (**واشتغل بالعبادة، فجاءه عمر فقال له: إني قد**) افتقدتك (**حتى اشتقت إليك، فما الذي شغلك عني؟ فقال: إني قرأت القرآن فأغناني عن عمر وآل عمر، فقال**) له (**عمر: رحمك الله فما الذي وجدت فيه؟ فقال: وجدت فيه ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ فقلت: رزقي في السماء، وأنا أطلبه في الأرض فبكى عمر وقال: صدقت**) وكانت موعظة له فيه، (**فكان عمر بعد ذلك يناوبه**) أي يأتيه نوبة بعد نوبة في الأحيان، (**ويجلس إليه**) ويجتمع إليه نقله صاحب القوت وقال: فهذه علامة مراد مطلوب والطالب المردود إذا تعلم القرآن افتقر إلى الخلق وازداد طمعاً فيهم وطغى في القرآن وتكبر فالقرآن محنة تكشف المرادين والمردودين، وهي غنى للموقنين وفقر للطامعين.

(**وقال أبو حمزة الخراساني**) مشهور بكنيته نيسابوري من أقران الجنيد مات سنة ٢١٠: (**حججت سنة من السنين**) على قدم التجريد والتوكل، (**فبينا أنا أمشي في الطريق إذ وقعت في بئر**) عادية (**فنازعتني نفسي أن أستغيث**) بأحد (**فقلت: لا والله لا أستغيث**) توبيخاً للنفس، (**فما استتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر**) وأنا أسمع حديثهما: (**تعال يا فلان حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيها أحد**

لئلا يقع فيه أحد، فأتوا بقصب وبارية وطموا رأس البئر، فهممت أن أصيح فقلت في نفسي: إلى من أصيح هو أقرب منها وسكنت، فبينا أنا بعد ساعة إذ أنا بشيء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأنه يقول: تعلق بي في همهمة له كنت أعرف ذلك، فتعلقت به فأخرجني فإذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف: يا أبا حمزة أليس هذا أحسن، نجيناك من التلف بالتلف، فمشيت وأنا أقول:

نهاني حيائي منك أن اكشف الهوى ... وأغنيتني بالفهم منك عن الكشفِ
تلطفت في أمري فأبديت شاهدي ... إلى غائبي واللطف يدرك باللطفِ
تراءيت لي بالغيب حتى كأنما ... تبشرني بالغيب أنك في الكفِ
أراك وبي من هيبتي لك وحشة ... فتؤنسني باللطف منك وبالعطفِ
وتحيي محباً أنت في الحبّ حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتفِ

فاتوا) كذا في النسخ وكذا هو في الرسالة والأولى فأتيا، أو يحتمل أن يكون معهما غيرهما كالخادم لهما **(بقصب)** فارسي **(وبارية)** أي حصير **(وطمّوا)** أي سدوا رأس البئر **(فهممت أن أصيح)** من داخل البئر فيسمعوا صوتي فيخرجوني منها، **(فقلت في نفسي: إلى من أصيح هو أقرب منها)** وفي نسخة: أصيح إلى من هو أقرب منها، وفي أخرى أشكو بدل أصيح، **(وسكنت)** أي حصل لي السكون والإطمئنان، وفي نسخة: سكت، **(فبينا أنا بعد ساعة)** وقد ذهب الرجلان **(إذ أنا بشيء جاء وكشف رأس البئر وأدلى رجله)** فيها **(وكأنه يقول: تعلق بي في همهمة)** أي صوت خفي **(له كنت أعرف ذلك منه)** أي فهمت منها أنه يقول: تعلق بي، **(فتعلقت به فأخرجني فإذا هو سبع)** سخره الله لي، **(فمرّ)** أي جاوزني **(وهتف بي هاتف)** فقال: **(يا أبا حمزة أليس هذا أحسن)** من نجاتك قبل طم رأس البئر، **(إن نجيناك من التلف)** أي من الهلاك **(بالتلف)** أي المتلف **(فمشيت وأنا أقول)**:

(نهاني حيائي منك أن أكتم الهوى ... وأغنيتني بالفهم منك عن الكشفِ
تلطفت في أمري فأبديت شاهدي ... إلى غائبي واللطف يدرك باللطفِ)

أي: أبديت حالي الحاضر لحالي الغائب عني.

(تراءيت لي بالغيب حتى كأنما ... تبشرني بالغيب أنك في الكفِ
أراك وبي من هيبتي لك وحشة ... فتؤنسني باللطف منك وبالعطفِ
وتحيي محباً أنت في الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتفِ)

فالعبد لا يعيش مع مولاه حتى يموت عن أغراض نفسه وهواه والغرض من جملة الأبيات أن الله تعالى يرى العبد من عجائب قدرته ولطفه ما يغنيه عن فكره وكشفه ومن الحكاية السابقة يرى المتوكل أن الأفعال كلها لله تعالى، فإنه المحرك له والمسكن له، وقد كان قادراً على أن يحفظ هذا

وأمثال هذه الوقائع مما يكثر، وإذا قوي الإيمان به وانضم إليه القدرة على الجوع قدر أسبوع من غير ضيق صدر وقوي الإيمان بأنه إن لم يسق إليه رزقه في أسبوع فالموت خير له عند الله عز وجل، ولذلك حبسه عنه. ثم التوكل بهذه الأحوال والمشاهدات وإلاَّ فلا يتم أصلاً.

بيان توكل المعيل:

اعلم أن من له عيال فحكمه يفارق المنفرد لأن المنفرد لا يصح توكله إلا بأمرين.

من الوقعة في البئر ليظهر تحقق توكله، ولهذا لم يصح في البئر حين سدّ رأسها مع أنه كان متمكناً من إزالة البارية عن رأسها بلا كلفة أن تعين عليه الطلوع، وهذه الحكاية مع الأبيات أوردها القشيري في الرسالة فقال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول، قال أبو حمزة الخراساني: حججت سنة من السنين فساقها. وقد اعترض المنكر على المصنف خاصة في تقرير فعل أبي حمزة الذي ذكر ثم على الصوفية عامة، وقالوا: إن الذي فعله أبو حمزة لا يجوز شرعاً، وقد أجاب عنه الشيخ عبد الوهاب الشعراني في الأجوبة المرضية، وقد سبق في مقدمة كتاب العلم شيء من ذلك.

وحاصله؛ أنه لا ينبغي المبادرة إلى الإعتراض، فإن أبا حمزة لم يصدر منه ذلك إلا بعد أن منحه الله تعالى يقيناً كاملاً وقلباً مشاهداً وحالاً غالباً وحباً زاجراً وعاجزاً عليه أن يلتفت إلى غير مولاه، أو يرى معه فاعلاً سواه، وسبقه إلى هذا الجواب القطب عبدالله بن سعد اليافعي قدس سره فقال في جملة كلامه: ولو أنه كان حصل لهذا المنكر على أبي حمزة نفحة من نفحاته لما أنكر عليه. قال: والعجب كل العجب ممن ينكر ويعترض على من يراه من الأولياء فانياً عما سوى الحق تعالى مشاهداً له لا يرى في الملك والملكوت إلا من هو أشفق عليه من أمه، بل من نفسه مع أنه لما وقع لأبي حمزة شاهد عظيم في الشرع، وهو ما وقع لسيدنا إبراهيم عليه السلام لما ألقي في النار وجاءه جبريل عليه السلام فقال: أنا جبريل ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال: فسل ربك ينجيك، فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي، فهل كان هذا من إبراهيم عليه السلام إلا من كمال يقينه وفنائه عن نفسه حتى لم يشهد غير الحق جل جلاله.

(**وأمثال هذه الوقائع ما يكثر**) وقوعها، (**وإذا قويَ الإيمان به وانضم إليه القدرة على الجوع قدر أسبوع**) أو ما يقاربه (**من غير ضيق صدر**) ولا ملالة نفس (**وقوي الإيمان بأنه إن لم يسق إليه رزقه في أسبوع، فالموت خير له عند الله عز وجل، ولذلك حبسه عنه. ثم**) وصف (**التوكل بهذه الأحوال والمشاهدات وإلا فلا يتم أصلاً**) والله الموفق.

بيان توكل المعيل:

أي صاحب العيال من زوجة وولد.

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن من له عيال فحكمه يفارق المنفرد**) المتجرد (**لأن المنفرد**) المتجرد (**لا يصح توكله إلا بأمرين**):

أحدهما: قدرته على الجوع أسبوعاً من غير استشراف وضيق نفس.

والآخر: أبواب من الإيمان ذكرناها من جلتها، أن يطيب نفساً بالموت إن لم يأته رزقه علماً بأن رزقه الموت والجوع، وهو وإن كان نقصاً في الدنيا فهو زيادة في الآخرة، فيرى أنه سيق إليه خير الرزقين له وهو رزق الآخرة، وأن هذا هو المرض الذي به يموت ويكون راضياً بذلك، وأنه كذا قضى وقدر له، فبهذا يتم التوكل للمنفرد، ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن أن يقرر عندهم الإيمان بالتوحيد، وأن الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه إن اتفق ذلك نادراً وكذا سائر أبواب الإيمان، فإذاً لا يمكنه في حقهم إلا توكل المكتسب وهو المقام الثالث، كتوكل أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ خرج للكسب. فأما دخول البوادي وترك العيال توكلاً في حقهم أو القعود عن الاهتمام بأمرهم توكلاً في حقهم فهذا حرام، وقد يفضي إلى هلاكهم ويكون هو مؤاخذاً بهم، بل التحقيق أنه لا فرق بينه وبين عياله فإنه إن ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقاً وغنيمة في الآخرة، فله أن يتوكل له حقهم ونفسه أيضاً عيال عنده، ولا يجوز له أن يضيعها إلا أن

(**أحدهما: قدرته على الجوع أسبوعاً من غير استشراف**) أي تطلع (**و**) من غير (**ضيق نفس**) منه.

(**والآخر: أبواب من الإيمان ذكرناها من جلته**) وفي نسخة من جلتها (**أن يطيب نفساً بالموت**) ويوطنها عليه (**إن لم يأته رزقه علماً**) منه (**بأن رزقه الموت والجوع، وهو وإن كان نقصاً في الدنيا فهو زيادة**) درجات (**في الآخرة، فيرى أنه سبق إليه خير الرزقين**) له (**وهو رزق الآخرة، وأن هذا هو المرض الذي به يموت ويكون راضياً بذلك، وأنه كذا قضى وقدر له؛ فبهذا يتم التوكل للمنفرد و**) هذا بخلاف المعيل، إذ (**لا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن أن يقر عندهم الإيمان بالتوحيد، وأن الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه إن اتفق ذلك نادراً، وكذلك سائر أبواب الإيمان، فإذاً لا يمكنه في حقهم إلا توكل المكتسب وهو المقام الثالث**) من مقامات التوكل، (**كتوكل أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ خرج للكسب**) بعد ما ولي الخلافة، (**فأما دخول البوادي وترك العيال**) هملاً (**توكلاً في حقهم أو القعود عن الإهتمام بأمرهم توكلاً في حقهم فهو حرام، وقد يفضي إلى هلاكهم ويكون هو مؤاخذاً بهم**) إذ كل راع مسؤول عن رعيته، (**بل التحقيق أنه لا فرق بينه وبين عياله، فإنه إن ساعده العيال على الصبر على الجوع مدة وعلى الإعتداد بالموت على الجوع رزقاً وغنيمة، فله أن يتوكل في حقهم ونفسه أيضاً عيال**

تساعده على الصبر على الجوع مدة، فإن كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوش عليه عبادته لم يجز له التوكل. ولذلك روي أن أبا تراب النخشبي نظر إلى صوفي مدّ يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام فقال له: لا يصلح لك التصوف الزم السوق. أي لا تصوف إلا مع التوكل. ولا يصح التوكل إلا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام، وقال أبو علي الروذباري: إذا قال الفقير بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق ومروه بالعمل والكسب، فإذا بدنه عياله وتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله، وإنما يفارقه في شيء واحد وهو أن له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله، وقد انكشف لك من هذا التوكل ليس انقطاعاً عن الأسباب، بل الاعتماد على الصبر على

عنده، ولا يجوز له أن يضيعها إلا بأن تساعده على الصبر على الجوع مدة، فإن كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوّش عليه عبادته لم يجز له التوكل). قال إبراهيم الخواص في كتاب التوكل: وليس للعبد أن يحمل حال عياله على حاله إلا أن يكون اختيارهم كاختياره وصبرهم على فقرهم واغتباطهم بضرهم لمعرفتهم بفضل الفقر كمعرفته، فجائز حينئذ أن يسير بهم سيرته ويسقط عنه الكسب لأجلهم، لأنهم كهول في الحال مع سقوط المطالبة عنهم له لحقوقهم عليه، وقد فعل ذلك جماعة من السلف.

(**ولذلك روي أن أبا تراب**) عسكر بن حصين (**النخشبي**) نسبة إلى نخشب مدينة بما وراء النهر عربت فقيل لها نسف، شيخ عصره عالم زاهد ورع متوكل، روى عن محمد بن عبدالله بن نمير، وعنه محمد بن عبدالله بن مصعب وغيره، مات بالبادية سنة ٢٤٥ قيل: نهشته السباع. وقال القشيري: صحب حاتماً الأصم وأبا حاتم العطار البصري (**نظر إلى صوفي مد يده إلى قشر بطيخ**) مرمي في الطريق (**ليأكله بعد ثلاثة أيام**) لم يأكل فيها شيئاً (**فقال له: لا يصلح لك التصوف الزم السوق**) نقله القشيري إلا أنه قال: ألزموه السوق (**أي لا تصوّف إلا مع التوكل، ولا يصح التوكل إلا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام**) أي أن حاله ذلك يدل على عدم كمال شغله بالله وعدم صبره وشدة ميله إلى الطعام، ومن هذه صفته بقاؤه مع سبب وانتقاله شيئاً فشيئاً عن عبادته أولى من خروجه عما بيده جملة.

(**وقال أبو علي**) أحمد بن محمد (**الروذباري**) البغدادي نزيل مصر والمتوفي بها سنة ٣٢٢، أخذ في التصوف عن الجنيد، وشيخه في الفقه أبو العباس بن سريج، وفي الأب ثعلب، وفي الحديث إبراهيم الحربي (**إذا قال الفقير بعد خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب**) نقله القشيري في الرسالة، (**فإذا بدنه عياله**) أي بمنزلة عياله (**فتوكله فيما يضر ببدنه كتوكله في عياله، وإنما يفارقه في شيء**) واحد (**وهو أن له تكليف نفسه الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله**) إلا ان وافق اختيارهم اختياره فيكونون كهو فيما سبق، (**وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس انقطاعاً عن الأسباب**) كما أنه ليس تلبساً بها،

الجوع مدة والرضا بالموت إن تأخر الرزق نادراً، وملازمة البلاد والأمصار أو ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه؛ فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الأذى، إذ لا يمكن الاستمرار عليه إلا بالصبر والتوكل في الأمصار أقرب إلى الأسباب من التوكل في البوادي، وكل ذلك من الأسباب إلا أن الناس عدلوا إلى أسباب أظهر منها، فلم يعدوا تلك أسباباً وذلك لضعف إيمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الأذى في الدنيا لأجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم بإساءة الظن وطول الأمل، ومن نظر في ملكوت السموات والأرض انكشف له تحقيقاً أن الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبيراً لا يجاوز العبد رزقه وإن ترك الاضطراب فإن العاجز عن الاضطراب لم يجاوزه رزقه؛ أما ترى الجنين في بطن أمه لما إن كان عاجزاً عن الاضطراب كيف وصل سرته بالأم حتى تنتهي إليه فضلات غذاء الأم بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين، ثم لما انفصل سلط الحب والشفقة على الأم لتتكفل به شاءت

(بل الإعتماد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالموت إن تأخر الرزق نادراً وملازمة البلاد والأمصار أو ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه؛ فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الأذى إذ لا يمكن الإستمرار عليه إلا بالصبر والتوكل في الأمصار أقرب إلى الأسباب من التوكل في البوادي، وكل ذلك من الأسباب) فقد روى القشيري بسنده إلى إبراهيم الخواص قال: بينما أسير في البادية فإذا بهاتف يهتف فالتفت إليه فإذا إعرابي فقال لي: يا إبراهيم التوكل عندنا أي في البوادي أقم عندنا حتى يصح توكلك الا تعلم أن رجاءك لدخول بلد فيه أطعمة تحملك اقطع رجاءك عن البلدان وتوكل، **(إلاّ ان الناس عدلوا إلى أسباب هي أفضل منها، فلم يعدوا تلك أسباباً وذلك لضعف إيمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الأذى في الدنيا لأجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم بإساءة الظن وطول الأمل)**. ومن هنا قال بعضهم في حد التوكل هو إحسان الظن وقصر الأمل، **(ومن نظر في ملكوت السموات والأرض انكشف له تحقيقاً أن الله تعالى دبر الملك والملكوت)** بلطيف حكمته وجميل قدرته **(تدبيراً لا يجاوز العبد رزقه، وإن ترك الإضطراب، فإن العاجز عن الإضطراب لم يجاوزه رزقه. أما ترى الجنين في بطن أمه لما كان عاجزاً عن الإضطراب)** كيف تولاه المولى بتدبيره في سائر أطواره وقام له في كل ذلك بوجوه إبراره، فجعله في نطفة مستودعة في الأصلاب ثم قذفها في رحم الأم، ثم جمع بين النطفتين وألف بينهما، ثم جعلها بعد النطفة علقة مهيأة لما يريد سبحانه أن ينقلها إليه، ثم بعد العلقة مضغة، ثم فتقها صورة وأقام بنيتها ثم نفخ فيها الروح. **(كيف وصل سرته بالأم حتى انتهى إليه فضلات غذاء الأم بواسطة السرة، ولم يكن ذلك بحيلة الجنين، فأجرى عليه رزقه قبل أن يخرجه إلى الوجود)** وبقاه في رحم الأم

أم أبت إضطراراً من الله تعالى إليه بما أشعل في قلبها من نار الحب، ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج إلى المضغ، ولأنه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فأدرَّ له اللبن اللطيف في ثدي الأم عند انفصاله على حسب حاجته. أفكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الأم؟ فإذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف أنبت له أسناناً قواطع وطواحين لأجل المضغ، فإذا كبر واستقل يسر له أسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض. لأنه ما نقصت أسباب معيشته ببلوغه بل زادت، فإنه لم يكن قادراً على الاكتساب فالآن قد قدر فزادت قدرته، نعم كان المشفق عليه شخصاً واحداً وهي الأم أو الأب وكانت شفقته مفرطة جداً فكان يطعمه ويسقيه في اليوم مرة أو مرتين وكان إطعامه بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه، فكذلك قد سلط الله الشفقة والمودة والرقة والرحمة على قلوب المسلمين، بل أهل

حتى قويت أعضاؤه واشتدت أركانه إلى البروز إلى ما قسم له أو عليه وليبرزه إلى دار يتعرف فيها بفضله وعدله إليه (**ثم لما انفصل**) نازلاً إلى الأرض (**سلط الحب والشفقة على الأم للتكفيل به شاءت أم أبت اضطراراً من الله تعالى**) إليه (**بما اشتعل في قلبها من نار الحب، ثم لما لم يكن له سن يمضغ به الطعام**) ولا رحى يستعين بها على الطحن (**جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج**) فيه (**إلى المضغ**) والطحن (**ولأنه لرخاوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف**) ولا يستطيع تناول خشونات المطاعم (**فادر له اللبن اللطيف في ثدي الأم عند انفصاله بحسب حاجته، فكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الأم**) ووكل بالثدي مستحث الرحمة في قلب الأم كلما وقف اللبن عن البروز استحثته الرحمة التي جعلها في الأم مستحثاً يفتر ومستنهضاً لا يقصر، فكان هذا بحيلة الطفل أم بحيلة الأم، (**فإذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف أنبت له اسناناً قواطع**) وأرحى (**وطواحين لأجل المضغ**) والطحن على ما سبق بيانه في كتاب الشكر، أنه شغل الأب والأم بتحصيل مصالحه والرأفة عليه والنظر بعين المودة منها إليه، وما هي إلا رأفة ساقها للعباد في مظاهر الآباء والأمهات تعريفاً بالوداد وفي حقيقة الأمر ما كلفه إلا ربوبيته وما حضته إلا إلهيته، ثم ألزم الأب القيام فيه إلى حين البلوغ وأوجب عليه ذلك رأفة منه به، (**فإذا كبر واشتغل يسر له أسباب التعلم وسلوك سبيل الآخرة فجبنه بعد البلوغ جهل محض لأنه ما نقصت أسباب معيشته ببلوغه بل زادت، فإنه**) من قبل (**لم يكن قادراً على الاكتساب فالآن قدر فزادت قدرته. نعم كان المشفق عليه شخصاً واحداً وهي الأم أو الأب، وكانت شفقته مفرطة جداً فكان يطعمه ويسقيه في اليوم مرة ومرتين، وكان إطعامه بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه**) وما هي إلا رأفته سبحانه، (**فكذلك قد سلط الله تعالى الشفقة والمودة والرأفة والرحمة على قلوب المسلمين، بل أهل البلد كافة**) من

البلد كافة حتى أن كل واحد منهم إذا أحس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه وانبعثت له داعية إلى إزالة حاجته، فقد كان المشفق عليه واحداً، والآن المشفق عليه ألف وزيادة، وقد كانوا لا يشفقون عليه لأنهم رأوه في كفالة الأم والأب وهو مشفق خاص فما رأوه محتاجاً ولو رأوه يتيماً لسلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه ويكفلونه، فما رؤي إلى الآن في سني الخصب يتيم قد مات جوعاً مع أنه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده، فلماذا ينبغي أن يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبا وقد كان المشفق واحداً والمشفق الآن ألف؟ نعم كانت شفقة الأم أقوى وأحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وإن ضعفت فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض، فكم من يتيم قد يسر الله تعالى له حالاً هو أحسن من حال من له أب وأم، فينجبر ضعف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التنعم والاقتصار على قدر الضرورة، ولقد أحسن الشاعر حيث يقول:

جـرى قلم القضـــاء بما يكـــون ... فسيّـان التحـــرك والسكـــونُ
جنون منـك أن تسعـى لـــرزق ... ويــــرزق في غشـــاوتـــه الجنين

مؤمن وكافر (**حتى ان كل واحد منهم إذا أحس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه وانبعثت له داعية إلى إزالة حاجته**) وتيسير طلبته، (**فقد كان المشفق عليه واحداً، والآن المشفق عليه ألف وزيادة، ولقد كانوا**) من قبل (**لا يشفقون عليه لأنهم رأوه في كفالة الأم والأب وهو مشفق خاص فما رأوه محتاجاً ولو رأوه يتيماً**) لا أم له (**لسلط الله داعية الرحمة**) ومستحث الشفقة (**على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه ويكفلونه، فما رؤي إلى الآن في سني الخصب**) وأعوام الرخاء (**يتيم قد مات جوعاً مع أنه عاجز عن الإضطراب وليس له كفيل خاص والله تعالى كافل بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده**) وبثها فيها وفي ذلك ما يلزمه الإستسلام إليه تعالى والتوكل عليه، (**فلماذا ينبغي أن يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ**) أو يتحايل على التدبير أو ينازع المقادير (**ولم يشتغل في الصبا**) وقبل الصبا (**وقد كان المشفق واحداً والمشفق الآن ألفاً. نعم كانت شفقة الأم أقوى وأحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وإن ضعفت**) قوتها بالإضافة إلى شفقة الوالدين (**فيخرج من مجموعها ما يفيد الغرض، فكم من يتيم قد يسر الله له حالاً بكثرة المشفقين وبترك التنعم**) فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين كما في حديث فضالة، (**والإقتصار على قدر الضرورة، ولقد أحسن الشاعر**) وهو ابن الرومي (**حيث يقول**):

(جـرى قلم القضـاء بما يكــون ... فسيـــان التحـــرك والسكـــون
جنـون منـك أن تسعـى لـــرزق ... ويـــرزق في غشـــاوتـــه الجنين)

فإن قلت: الناس يكفلون اليتيم لأنهم يرونه عاجزاً بصباه، وأما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون إليه، ويقولون هو مثلنا فليجتهد لنفسه؟

فأقول: إن كان هذا القادر بطّالاً فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه، فإن التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فما للبطال والتوكل وإن كان مشتغلاً بالله ملازماً لمسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحملون إليه فوق كفايته، وإنما عليه أن لا يغلق الباب ولا يهرب إلى جبل من بين الناس، وما رؤي إلى الآن عالم أو عابد استغرق الأوقات بالله تعالى وهو في

قوله: سيان بالكسر وتشديد التحتية أي مستويان، والغشاوة اسم الجلد الذي يكون على الجنين وهي المشيمة، وقد وجد البيتان هكذا بخط النووي في هامش كتابه مختصر علوم الحديث، وقد كتب علي بن العز الحنفي بخطه على قوله بما يكون مسلم، وعلى قوله والسكون لا نسلم، وعلى قوله لرزق لا نسلم، وعلى قوله والجنين مسلم، ثم عارض ذلك بأبيات وهي هذه:

ينـال الرزق في وقـت بسعـي	وفي وقـت بلا سعـي يكـون
وكسب الرزق نوع منه فـرض	فلا تجنـح إلى كسـل يشين
بمشي في مناكبهـا أمـرنـا	وفي تغـدو خاصـاً تستبين
جـرى قلم القضـاء بكـل هـذا	وفي كـل ميسر اليقين
ومـن إيـاك نعبـد خـذ دليلاً	وقـل إيـاك أيضـاً نستعين
ومـن قـاس القـوي على ضعيـف	كمـن قـاس الصديـق بمن يمين
فسل من ربك التـوفيـق واحـرص	على مـا فيـه نفعـك مستبين
وكـن متـوكلاً مع فعـل مـا قـد	أمـرت بـه وذا دنيـا وديـن

(**فإن قلت: الناس يكفلون اليتيم لأنهم يرونه عاجزاً بصباه**) عن الإضطراب، (**وأما هذا فبالغ قادر على الكسب، فلا يلتفتون إليه ويقولون هو مثلنا**) وقوته كقوتنا (**فليجتهد لنفسه**) وليكتسب. (**فأقول: إن كان هذا القادر بطالاً**) فارغاً (**فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه**) ولا للسؤال، (**فإن التوكل مقام**) عظيم (**من جملة مقامات الدين**) ومنشؤه من خالص اليقين (**يستعان به على التفرغ لله تعالى فما للبطال والتوكل**) ليس هو من رجاله (**وإن كان مشتغلاً بالله ملازماً لمسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى يقرر حبه في قلوب الناس**) ويثبته (**حتى يحملوا إليه مؤن كفايته، وإنما عليه أن لا يغلق الباب ولا يهرب إلى جبل من بين الناس**) من المشاهد، (**وما رؤي إلى الآن عالم أو**

الأمصار فمات جوعاً ولا يرى قط، بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه، فإن من كان لله تعالى كان الله عز وجل له ومن اشتغل بالله عز وجل ألقى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الأم لولدها، فقد دبر الله تعالى الملك والملكوت تدبيراً كافياً لأهل الملك والملكوت، فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وآمن ونظر إلى مدبر الأسباب لا إلى الأسباب. نعم، ما دبره تدبيراً يصل إلى المشتغل به الحلو والطيور السمان والثياب الرقيقة والخيول النفيسة على الدوام لا محالة. وقد يقع ذلك أيضاً في بعض الأحوال لكن دبره تدبيراً يصل إلى كل مشتغل بعبادة الله تعالى في كل أسبوع قرص شعير أو حشيش يتناوله لا محالة، والغالب أنه يصل أكثر منه بل يصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية، فلا سبب لترك التوكل إلا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الأغذية اللطيفة، وليس ذلك من طريق الآخرة، وذلك قد لا يحصل بغير اضطراب، وهو في الغالب أيضاً ليس يحصل مع

عابد استغرق الأوقات بالله تعالى وهو في الأمصار فمات جوعاً ولا يرى قط، بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه، فإن من كان لله عز وجل كان الله عز وجل له) ومن كان همه هماً واحداً كفاه الله همه، **(ومن اشتغل بالله عز وجل)** وأحبه **(ألقى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الأم لولدها)** وقد جاء في الخبر: « إذا أحب الله عبداً ألقى حبه في قلوب الناس ». وفي لفظ: « قذف حبه في قلوب الملائكة يقذفه في قلوب الآدميين ». **(فقد دبر الله تعالى الملك والملكوت تدبيراً كافياً لأهل الملك والملكوت)** لقوله تعالى: ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ [السجدة: ٥] الآية **(فمن شاهد هذا التدبير)** البليغ وثق بالمدبر واشتغل به وآمن، **(ونظر إلى مدبر الأسباب لا إلى الأسباب)** ولا يصح مقام من مقامات اليقين إلا بإسقاط التدبير مع الله، وتعلقه بمقام التوكل والرضا أبين من تعلقه بسائر المقامات، فمن لازم القى قياده إلى الله واعتمد في كل أموره عليه الإستسلام لجريان المقادير. **(نعم ما دبره تدبيراً يصل إلى المشتغل به الحلوى والطيور السمان والثياب الرفيعة والخيول النفيسة)** المرفهة **(على الدوام لا محالة، وقد يقع ذلك أيضاً في بعض الأحوال لكن دبره تدبيراً يصل إلى كل مشغول بعبادة الله تعالى في كل اسبوع قرص** شعير أو حشيش **يتناوله لا محالة، والغالب أنه يصل أكثر منه بل ويصل ما يزيد على قدر** الحاجة والكفاية **فلا سبب لترك التوكل إلا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الأغذية اللطيفة)** في كل وقت، **(وليس ذلك من طريق الآخرة)** إلا من قهر نفسه وملكها وأراد ذكر إظهار ما منّ الله به عليه بشرط أن يكون وجوده وعدمه عنده سيان، **(وذلك قد لا يحصل بغير إضطراب وهو في الغالب أيضاً ليس يحصل مع الاضطراب، وإنما يحصل نادراً**

الاضطراب وإنما يحصل نادراً وفي النادر أيضاً قد يحصل بغير اضطراب. فأثر الاضطراب ضعيف عند من انفتحت بصيرته، فلذلك لا يطمئن إلى اضطرابه بل إلى مدبر الملك والملكوت تدبيراً لا يجاوز عبد من عباده رزقه وإن سكن إلا نادراً ندوراً عظيماً يتصوّر مثله في حق المضطرب، فإذا انكشفت هذه الأمور وكان معه قوّة في القلب وشجاعة في النفس أثمر ما قاله الحسن البصري رحمه الله إذ قال: وددت أن أهل البصرة في عيالي وأن حبة بدينار. وقال وهيب بن الورد: لو كان السماء نحاساً والأرض رصاصاً واهتممت برزقي لظننت أني مشرك. فإذا فهمت هذه الأمور فهمت أن التوكل مقام مفهوم في نفسه، ويمكن الوصول إليه لمن قهر نفسه، وعلمت أن من أنكر أصل التوكل وإمكانه أنكره عن جهل، فإياك أن تجمع بين الإفلاسين: الإفلاس عن وجود المقام

وفي النادر أيضاً قد يحصل بغير اضطراب فأثر الإضطراب ضعيف عند من انفتحت بصيرته؛ فلذلك لا يطمئن إلى اضطرابه بل إلى مدبر الملك والملكوت تدبيراً لا يجاوز عبداً من عباده رزقه وإن سكن إلا نادراً ندوراً عظيماً يتصور مثله في حق المضطرب، فإذا انكشفت هذه الأمور وكان معه قوة في القلب وشجاعة في النفس أثمر ما قاله الحسن البصري رحمه الله تعالى إذ قال: وددت أن أهل البصرة في عيالي وأن حبة بدينار) نقله صاحب القوت. قال: وهذا من نهاية التوكل وليس ذلك إلا في تسليم الأحكام والرضا بها كيف جرت بهم لأن هذا قد جاوز العقول فلعل يطعمهم الموت. **(وقال)** أبو أمية **(وهيب بن الورد)** المكي يقال اسمه عبد الوهاب رحمه الله تعالى: **(لو كانت السماء نحاساً والأرض رصاصاً واهتممت برزقي لظننت أني مشرك)**.

ولفظ القوت: وروينا عن سفيان عن وهيب بن الورد: لو أن السماء لم تمطر والأرض لم تنبت ثم اهتممت بشيء من رزقي لظننت أني كافر. وفي رواية عن وهيب: منذ أربعين سنة لو كانت السماء رصاصاً والأرض نحاساً لم أهتم برزقي ولو اهتممت به لظننت أني مشرك. وقال بعض أهل المعرفة: قد صدق وهيب لو أن الهم داخل عليه في تصديقه كان الشك قد نقص تصديقه، وكان يكون شاكا لأنه ليس من صحة التصديق والصدق الإهتمام بالرزق لأن الرزق جزء من مائة جزء قد وقع تصديق المؤمن به، فمن لم يصح تصديقه في هذا الجزء الواحد لم يصح في سائر الأجزاء. قال: والتصديق مقتضى السكون والطمأنينة والنفس تدعو إلى الحركة طمعاً في استعجال أخذ الأسباب، فمن كان محققاً لتصديقه بالسكون انصرف عن إجابة داعي النفس بالحركة إلى السكون الذي يقتضي منه التصديق وشغل قلبه بالعمل في تصحيح تصديقه.

(فإذا فهمت هذا فهمت أن التوكل مقام) شريف **(مفهوم في نفسه ويمكن الوصول إليه لمن قهر نفسه)** وروّضها بالتدريج على الصبر على المكاره، **(وعلمت أن من أنكر أصل التوكل وإمكانه)** إنما **(أنكر عن جهل)** به عنه، **(فإياك أن تجمع بين الإفلاسين إفلاس**

ذوقاً، والإفلاس عن الإيمان به علماً، فإذاً عليك بالقناعة بالنزر القليل والرضا بالقوت فإنه يأتيك لا محالة وإن فررت منه، وعند ذلك على الله أن يبعث إليك رزقك على يدي من لا تحتسب فإن اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى: ﴿ومَنْ يتّق الله يجعل له مخرجاً ★ ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٢، ٣] الآية. إلا أنه لم يتكفل له أن يرزقه لحم الطير ولذائذ الأطعمة، فما ضمن إلا الرزق الذي تدوم به حياته، وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمأن إلى ضمانه، فإن الذي أحاط به تدبير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق، بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى إليها، وذلك لأن ظهوره على الأرض وسببه في السماء قال تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ [الذاريات: ٢٢] وأسرار

عن وجود المقام ذوقاً وإفلاس عن الإيمان به علماً) أي: فإن لم تكن من الذائقين لهذا المقام فأقل الدرجات أن تكون من المصدقين له علماً ومعرفة، **(فإذاً عليك بالقناعة بالنزر اليسير)** مما هو في يديك **(والرضا بالقوت)** المتيسر **(فإنه سيأتيك لا محالة وإن فررت منه)**، ولذلك قال علي رضي الله عنه: الرزق رزقان: رزق يطلبك ورزق تطلبه فسره بعض العلماء فقال: الرزق الذي يطلبك هو رزق الغذاء، والرزق الذي تطلبه رزق التملك وهو طلب فضول القوت. **(وعند ذلك على الله أن يبعث إليك رزقك على يد من لا تحتسب فإن اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾)** تمامها ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾.

أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال في قوله تعالى: ﴿يجعل له مخرجاً﴾ أي أن يعلم أنه قبل الله وأن الله هو الذي يعطيه وهو يمنعه وهو يبتليه وهو يعافيه وهو يدفع عنه. وقوله: ﴿ولا يحتسب﴾ يقول من حيث لا يدري. وأخرجه سعيد بن منصور والبيهقي في الشعب من طريق ابن مسروق مثله. والآية نزلت في رجل من أشجع كان أسر ابنه فشكا أبوه إلى رسول الله ﷺ فقال: «اتق الله واصبر» فلم يلبث حتى جاء ابنه وإستاق غنم العدوّ. وفي رواية قال له ﷺ: «أن اكتب إليه» يعني ابنه ومره بالتقوى والتوكل على الله.

(إلا أنه) تعالى **(لم يتكفل له أن يرزقه لحم الطير ولذائذ الأطعمة)** وغيرها من فضول الأقوات، **(فما ضمن إلا الرزق الذي تدوم به حياته)** وهو الرزق الطالب، **(وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن)** جل جلاله **(واطمأن إلى ضمانه)** وسكن إليه قلبه، **(فإذا الذي أحاط به تدبير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق، بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدي إليها وذلك لأن ظهوره على الأرض)** وهي من عالم الملك **(وسببه في السماء)** وهي من عالم الملكوت. **(قال الله تعالى: ﴿وفي السماء رزقكم وما**

السماء لا يطلع عليها. ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقال: ماذا تطلبون؟ قالوا: نطلب

توعدون﴾ وأسرار السماء لا يطلع عليها) بتفاصيلها لأنها من عالم الملكوت. وذكر الشيخ ابن عطاء الله في كتاب التنوير لهذه الآية فوائد ما ملخصها أي: يا هذا المطلع للرزق من المخلوق الضعيف العاجز في الأرض ليس رزقك عنده إنما رزقك عندي وأنا الملك القادر، ولأجل هذا لما سمع بعض الأعراب هذه الآية نحر ناقته وخرج فاراً إلى الله تعالى وهو يقول: سبحان الله رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض، فانظر كيف فهم عن الله أن مراده بهذه الآية أن يرفع هم عباده إليه أن تكون رغبتهم فيما لديه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ [الحجر: ٢١] لتنحاش الهمم إلى بابه وتجنح القلوب إلى جنابه، فكن سماوياً علوياً ولا تكن سفلياً أرضياً، ولذلك قال بعضهم:

ابعد نفوذي في علوم الحقائق ... وبعد انبساطي في مواهب خالقي
وفي حين إشرافي على ملكوته ... أرى باسطاً كفاً إلى غير رازق

وكيف تقر له بالربوبية يوم ألست بربكم وتعرفه وتوحده هناك وتجهله ههنا، وقد تواتر عليك إحسانه وغمرك فضله وامتنانه كما قيل:

في القلب لكم منزلة علياء ... لا تسكنها سعدى ولا لمياء
في الذر عرفتك فهل يجمل بي ... أن أنكركم ولحيتي شمطاء

فهذه الآية هي التي غسلت الشكوك من قلوب المؤمنين في قلوبهم أنوار اليقين، وقد تضمنت ذكر الرزق ومحله والتشبيه بأمر لاخفاء فيه وفيها فوائد.

الأولى: لما علم سبحانه كثرة اضطراب النفوس في شأن الرزق كرر ذكره كما تكررت وورود عوارضه على القلوب كما تكرر الحجة إذا علمت أن الشبه مستمكنة في نفس الخصم ليكون ذلك أوكد في الحجة، فذكر في هذه الآية محل الرزق وبينه لتسكن إليه القلوب، وليس الضمان مع إبهام المحل كالضمان مع تبيينه. فهذا أبلغ في ثقة النفس به وأقوى في دفع الشك فيه.

الثانية: يحتمل أنه أراد إثبات رزقكم أي إثباته من اللوح المحفوظ ففيه إعلام لهم أن الشيء الذي منه رزقكم أثبتناه عندنا في كتابنا وقضيناه بمشيئتنا من قبل وجودكم، فلأي شيء تضطربون وما لكم إلي لا تسكنون وبوعدي لا تثقون؟ ويحتمل أنه أراد بالرزق الماء. وقال ابن عباس: هو المطر فيكون الشيء الذي منه أصل رزقكم، ولأن الماء في أصله رزق.

الثالثة: يمكن أن يكون مراد الحق بهذه الآية تعجيز العباد عن دعوى القدرة على الأسباب لأن الله تعالى لو أمسك الماء على الأرض لتعطل كل ذي سبب، فكأنه يقول: ليست أسبابكم هي الرازقة لكم ولكن أنا الرازق لكم وبيدي تيسير أسبابكم لأني أنا المنزل لكم ما به كان أسبابكم.

الرابعة: في اقتران الرزق بالأمر المدعو فائدة جليلة، وذلك أن المؤمنين علموا أن ما وعدهم الحق لا بد من كونه ولا قدرة لهم على تعجيله ولا تأجيله ولا حيلة لهم في جلبه، فكأنه تعالى يقول:

الرزق. فقال: إن علمتم أي موضع هو فاطلبوه. قالوا: نسأل الله. قال: إن علمتم أنه ينساكم فذكّروه، فقالوا: ندخل البيت ونتوكل وننظر ما يكون. فقال: التوكل على التجربة شك. قالوا: فما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة. وقال أحمد بن عيسى الخراز: كنت في البادية فنالني جوع شديد فغلبتني نفسي أن أسأل الله تعالى طعاماً، فقلت: ليس هذا من أفعال المتوكلين، فطالبتني أن أسأل الله صبراً فلما هممت بذلك سمعت هاتفاً يهتف بي ويقول:

كما لا شك عندكم أن عندنا ما توعدون كذلك لا يكن عندكم شك في أن عندنا ما ترزقون، وكما أنكم عن استعجال ما وعدنا قبل وقته عاجزون كذلك أنتم عاجزون عن أن تستعجلوا رزقاً أجلته ربوبيتنا ووقته إلهيتنا انتهى.

(**ولهذا دخل جماعة على الجنيد**) رحمه الله تعالى (**فقال: ماذا تطلبون؟ فقالوا: نطلب الرزق، فقال: إن علمتم هو في أي موضع فاطلبوه**) ففيه إشارة إلى أن الرزق أسبابه حيث لا يطلع عليه. (**قالوا: فسل الله ذلك قال: إن علمتم أنه**) تعالى (**ينساكم فذكروه فقالوا: ندخل البيت ونتوكل وننظر ما يكون، فقال: التوكل على التجربة**) بأن تدخلوا البيت مجربين الله هل يرزقكم (**شك**) أي في الضمان وهو كفر. (**قالوا: فما الحيلة. قال: ترك الحيلة**) واعتمادكم بقلوبكم على الله واشتغالكم بما أمرتم به.

ولفظ القشيري: دخل جماعة على الجنيد فقالوا: أين نطلب الرزق؟ فقال: إن علمتم في أي موضع هو فاطلبوه. قالوا: فنسأل الله ذلك؟ فقال: إن علمتم أنه ينساكم فذكروه، فقال: ندخل البيت فنتوكل؟ فقال: التجربة شك. قالوا: فما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة انتهى.

ومنه أخذ الشاعر فقال:

إنما الحيلة في ترك الحيل

وهو إشارة إلى إسقاط التدبير وترك منازعة المقادير، وقد قال بعضهم: من لم يدبر دبر له. وقال القطب أبو الحسن الشاذلي قدس سره. إن كان ولا بدّ من التدبير فدبروا أن لا تدبروا أي ترك التدبير هو عين التدبير. كما أن ترك الحيلة هو عين الحيلة، ولله در القائل:

امطري لؤلؤاً جبال سرنديب ... وفيضي جبال تكرور تبرا
أنا إن عشت لست أعدم رزقاً ... وإذا مت لست أعدم قبرا

(**وقال**) أبو سعيد أحمد بن عيسى (**الخراز**) رحمه الله تعالى وكان من المتوكلين: (**كنت في البادية**) على قدم التوكل (**فنالني جوع شديد**) أي بعد مضي عشرة أيام، (**فغلبتني نفسي أن أسأل الله طعاماً**) يرزقنيه فآكله (**فقلت: ليس هذا من فعال المتوكلين**)، فإن مقتضى هذا المقام تغليب علمه تعالى بحال العبد وعدم المبادرة إلى السؤال فإنه سوء أدب، (**فطالبتني أن أسأل الله صبراً**) على الجوع، (**فلما هممت بذلك سمعت هاتفاً يهتف بي ويقول:**)

ويـزعـم أنـه منّـا قـريـب   وأنـا لا نضيـع مـن أتـانـا
ويسـألنـا على الإقتـار جهـداً   كـأنـا لا نـراه ولا يـرانـا

فقد فهمت أن من انكسرت نفسه وقوي قلبه ولم يضعف بالجبن باطنه وقوي إيمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئن النفس أبداً واثقاً بالله عز وجل، فإن أسوأ حاله أن يموت ولا بدّ أن يأتيه الموت كما يأتي من ليس مطمئناً، فإذاً تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب، والذي ضمن رزق القانعين بهذه الأسباب التي دبرها صادق، فاقنع وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقاً بما يرد عليك من الأرزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك وحسابك ولا تكن في توكلك منتظراً للأسباب بل لمسبب الأسباب، كما لا تكون منتظراً لقلم الكاتب بل لقلب الكاتب، فإنه أصل حركة القلم والمحرك الأوّل واحد، فلا ينبغي أن يكون النظر إلا إليه. وهذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد ويقعد في الأمصار وهو خامل. وأما الذي له ذكر بالعبادة والعلم فإذا قنع في اليوم والليلة بالطعام مرة واحدة كيف كان وإن لم يكن من اللذائذ، وثوب خشن يليق

ويـزعـم أنـه منـا قـريـب   ونحن لا نضيـع مـن أتـانـا
ويسـألنـا على الإقتـار جهـداً   كـأنـا لا نـراه ولا يـرانـا)

أي: فلما سمع ذلك سكن قلبه عن الإضطراب والقلق.

(**فقد فهمت أن من انكسرت نفسه وقوي قلبه ولم يضعف بالجبن باطنه وقوي إيمانه بتدبير الله تعالى**) إياه في سائر أطواره وشؤنه (**كان مطمئن النفس أبداً واثقاً بالله عز وجل**) في حسن وفائه وصدق ضمانه، (**فإن أسوأ أحواله أن يموت ولا بد أن يأتيه**) الموت وإن طال (**كما يأتي من ليس مطمئناً فإذاً تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء بالمضمون من جانب**) والذي ضمن رزق (**القانعين بهذه الأسباب التي دبرها**) بلطيف حكمته (**صادق**) في وعده وضمانه، (**فاقنع**) ليصح توكلك (**وجرب تشاهد صدق الوعد تحقيقاً لما يرد عليك من الأرزاق العجيبة التي لم تكن في ظنك و**) لم تخطر في (**حسابك ولا تكن في توكلك منتظراً للأسباب بل لمسبب الأسباب**) أي خالقها وميسرها، (**كما لا تكون منتظراً لقلم الكاتب**) الموقع (**بل لقلب الكاتب فإنه**) أي القلب (**أصل حركة القلم والمحرك الأول واحد**) في الوجود، (**فلا ينبغي أن يكون النظر إلا إليه**) وفيه تلويح إلى مقام وحدة الوجود عند الصوفية، (**وهذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد**) يحمله (**و**) كذا من (**يقعد في الأمصار وهو خامل**) الذكر؛ (**وأما الذي له ذكر بالعبادة والعلم فإذا قنع في اليوم والليلة بالطعام**) المتيسر (**مرة واحدة كيف كان وإن لم يكن من اللذائذ**) والأنواع المختلفة (**وثوب خشن**) من مستعمل ثياب بلده مما (**يليق بأهل الدين**) ولا يكون من الشطار

بأهل الدين فهذا يأتيه من حيث يحتسب ولا يحتسب على الدوام، بل يأتيه أضعافه، فتركه التوكل واهتمامه بالرزق غاية الضعف والقصور، فإن اشتهاره بسبب ظاهر يجلب الرزق إليه أقوى من دخول الأمصار في حق الخامل مع الاكتساب، فالاهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين وهو بالعلماء أقبح لأن شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وإن كانوا معه إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدي الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن، فإن الكسب يمنع عن السير بالفكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يتقرب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنه تفرغ لله عز وجل وإعانة للمعطي على نيل

والجندية؛ (**فهذا يأتيه من حيث يحتسب و**) من حيث (**لا يحتسب على الدوام**) من غير انقطاع، (**بل يأتيه أضعافه فتركه التوكل واهتمامه بالرزق**) المضمون (**غاية الضعف والقصور، فإن اشتهاره بسبب ظاهر يجلب الرزق إليه أقوى من دخول الأمصار في حق الخامل مع الإكتساب فالإهتمام بالرزق قبيح بذوي الدين**) أولي الصلاح المتين، (**وهو بالعلماء**) بالله وأحكامه (**أقبح لأن شرطهم القناعة**) وهذا الإهتمام يضادها وقبيح بذوي الإيمان أن ينزلوا حاجتهم بغير الله تعالى مع علمهم بوحدانيته وانفراده بربوبيته وهم يسمعون قوله تعالى: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ [الزمر: ٣٦] وذلك من العلماء أقبح فرفع الهمة عن الخلق وعدم الإهتمام بالرزق هو ميزان العلماء وسبار الرجال كما توزن الذوات توزن الأحوال والصفات ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ [الرحمن: ٩] فيظهر الصادق بصدقه والمدعي بجزقه، (**والعالم القانع يأتيه رزقه**) بل (**ورزق جماعة كثيرة إن كانوا معه**) وقد ابتلى الله بحكمته العلماء الذين ليسوا بقانعين ولا في وصفهم صادقين بإظهار ما كتموا من الحرص والشره والرغبة وأسروا في أنفسهم من الشهوة فابتذلوا نفسهم لأبناء الدنيا مباسطين لهم ملائمين موافقين لهم على مآربهم مدفوعين على أبوابهم، فلقد وسمهم الحق سمة كشف بها عوارهم، أولئك هم الكاذبون على الله الصادون للعباد عن صحبة أوليائه فهم حجب أهل التحقيق وسحب شموس أهل التوفيق ضربوا طبولهم ونشروا أعلامهم ولبسوا دروعهم، فإذا وقعت الحملة ولوا على أعقابهم ناكصين (**إلا إذا أراد**) ذلك العالم القانع (**أن لا يأخذ**) رزقه (**من أيدي الناس و**) لا (**يأكل**) إلا (**من كسبه، فذلك له وجه لائق بالعالم العامل**) الصادق في علمه وعمله (**الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل**) فقط (**ولم يكن له سير بالباطن**) بالتهذيب والرياضة، (**فإن الكسب**) أي الإشتغال به (**يمنع من السير بالفكر الباطن**) إلا أن يكون قوياً ممن لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله، (**فاشتغاله بالسلوك**) الباطن حينئذ (**مع الأخذ من يد من يتقرب إلى الله تعالى بما يعطيه أولى لأنه تفرغ لله عز وجل**) وهذا هو المقصود الأعظم من التوكل بل ومن سائر مقامات الدين، (**و**) فيه أيضاً (**إعانة للمعطي على نيل الثواب**) وما به تترتب فائدتان: إحداهما أفضل من واحدة،

الثواب، ومن نظر إلى مجاري سنة الله تعالى علم أن الرزق ليس على قدر الأسباب، ولذلك سأل بعض الأكاسرة حكيماً عن الأحمق المرزوق والعاقل المحروم؟ فقال: أراد الصانع أن يدل على نفسه إذ لو رزق كل عاقل وحرم كل أحمق لظن أن العقل رزق صاحبه، فلما رأوا خلافه علموا أن الرازق غيرهم ولا ثقة بالأسباب الظاهرة لهم. قال الشاعر:

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا　　هلكن إذاً من جهلهن البهائمُ

بيان أحوال المتوكلين في التعلق بالأسباب بضرب مثال:

اعلم أن مثال الخلق مع الله تعالى مثل طائفة من السُؤّال وقفوا في ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون إلى الطعام فاخرج إليهم غلماناً كثيرة ومعهم أرغفة من الخبز،

ومن ذلك في الخبر: أوحى الله إلى موسى أني أجعل أرزاق أوليائي على أيدي العاصين ليؤجروا فيهم فعلم هذا للمتوكلين، ومعرفة هذه الحكمة لمن أوصل إليهم قسمهم من المؤملين مقام للجمع في المعرفة واليقين، فهو مال للمعطى الموصل وطريق للآخر المتوكل كما في الخبر: « ما المعطى من سعة بأعظم أجراً من الآخر إذا كان محتاجاً فسبحان مطرق الطرقات ومسبب الوصولات إلى الآخرة بزلف القربات. (**ومن نظر**) بعين التأمل (**إلى مجاري سنة الله تعالى**) التي خلت في عباده (**علم أن الرزق ليس على قدر الأسباب**) فكم من ذكي محروم وكم من غبي مجدود، (**ولذلك سأل بعض الأكاسرة**) أي ملوك الفرس (**حكيماً من حكمائهم عن الأحمق المرزوق والعاقل المحروم**) عن الرزق ما السر فيه؟ (**فقال**) الحكيم: (**أراد الصانع**) جل جلاله (**أن يدل**) بذلك (**على نفسه**) أنه الواحد الأحد الرازق (**إذ لو رزق كل عاقل وحرم كل أحمق لظن أن العقل رزق صاحبه، فلما رأوا خلافه علموا أن لا رازق غيره ولا ثقة بالأسباب الظاهرة لهم**) قال الشاعر:

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا　　هلكن إذاً من جهلهن البهائم

نقله صاحب القوت. إلا أنه قال: علموا أن الصانع هو الرازق، والحاصل أن من كان ذا معلوم من حرف أو معتاد من الفيء لم يصح توكله مع سكونه إليه وطمأنينته به لأن ذلك علة في حاله وحيرة لتوكله، وقد يصح التوكل مع ذلك بثلاث معان: أن لا يعوّض منه عوضاً يقوم مقام السبب الواصل إليه، وأن يقطع همه عنه وعن جميع الخلق، وأن يكون منقطعاً إلى الله تعالى مشغولاً بخدمته لا بطالاً مروحاً لنفسه، والله الموفق.

بيان أحوال المتوكلين في التعلق بالأسباب بضرب مثال:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن مثال الخلق مع الله تعالى مثال طائفة من السّؤال**) جمع سائل (**وقفوا في ميدان**) موضع واسع مشرف (**على باب قصر الملك**) ينظر منه إليهم، (**وهم محتاجون إلى الطعام**) ما يأكلونه فاشفق الملك عليهم (**فأخرج إليهم غلماناً كثيرة**) من عنده

وأمرهم أن يعطوا بعضهم رغيفين رغيفين، وبعضهم رغيفاً رغيفاً ويجتهدوا في أن لا يغفلوا عن واحد منهم، وأمر منادياً حتى نادى فيهم: أن اسكنوا ولا تتعلقوا بغلماني إذا خرجوا إليكم، بل ينبغي أن يطمئن كل واحد منكم في موضعه، فإن الغلمان مسخرون وهم مأمورون بأن يوصلوا إليكم طعامكم، فمن تعلق بالغلمان وآذاهم وأخذ رغيفين فإذا فتح باب الميدان وخرج اتبعته بغلام يكون موكلاً به إلى أن أتقدم لعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكني أخفيه، ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف واحد أتاه من يد الغلام وهو ساكن فإني اختصه بخلعة سنية في الميعاد المذكور لعقوبة الآخر، ومن ثبت في مكانه ولكنه أخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له، ومن أخطأه غلماني فما أوصلوا إليه شيئاً فبات الليلة جائعاً غير متسخط للغلمان ولا قائلاً: ليته أوصل إلي رغيفاً فإني غداً أستوزره وأفوّض ملكي إليه، فانقسم السؤال إلى أربعة أقسام: قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا إلى العقوبة الموعودة وقالوا: من اليوم إلى غد فرج ونحن الآن جائعون فبادروا إلى الغلمان فآذوهم وأخذوا الرغيفين، فسبقت العقوبة إليهم في الميعاد المذكور فندموا ولم ينفعهم الندم، وقسم تركوا التعلق بالغلمان خوف العقوبة ولكن أخذوا

(**ومعهم أرغفة كثيرة من الخبز**) برسمهم، (**وأمرهم أن يعطوا بعضهم رغيفين، وبعضهم رغيفاً رغيفاً، ويجتهدوا في أن لا يغفلوا عن واحد منهم، وأمر منادياً حتى نادى فيهم أن اسكنوا**) ولا تقلقوا (**ولا تتعلقوا بغلماني إذا خرجوا إليكم، بل ينبغي أن يطمئن كل واحد منكم في موضعه، فإن الغلمان مسخرون وهم مأمورون بأن يوصلوا إليكم طعاماً، فمن تعلق بالغلمان وآذاهم وأخذ رغيفين فإذا فتح باب الميدان وخرج**) منه (**اتبعته بغلام يكون موكلاً به إلى أن أتقدم لعقوبته في ميعاد معلوم عندي ولكن أخفيه**) عنكم، (**ومن لم يؤذ الغلمان وقنع برغيف واحد**) الذي أتاه من يد الغلام وهو ساكن غير مضطرب (**فإني أختصه بخلعة سنية في الميعاد المذكور لعقوبة الآخر، ومن ثبت في مكانه ولكنه أخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلعة له**) في الميعاد المذكور، (**ومن أخطأه غلماني فما أوصلوا إليه شيئاً فبات**) تلك (**الليلة جائعاً غير متسخط على الغلمان ولا قائل ليته أوصل إليّ**) رغيفاً (**فإني غداً أستوزره**) أي اتخذه وزيراً (**وأفوض ملكي إليه، فانقسم السؤال إلى أربعة أقسام: قسم غلبت عليهم بطونهم**) فظهر منهم شرههم إلى الطعام (**فلم يلتفتوا إلى العقوبة الموعودة**) اختياراً منهم للحظ العاجل (**وقالوا: من اليوم إلى غد فرج**) والحكم للظاهر في الحال، (**ونحن الآن جائعون وبادروا إلى الغلمان**) وتعلقوا بهم (**فآذوهم واخذوا**) منهم (**الرغيفين فسبقت العقوبة إليهم في الميعاد المذكور فندموا**) عند معاينة العقوبة (**ولم ينفعهم الندم وقسم**) آخر منهم (**تركوا التعلق بالغلمان**) وأذاهم (**خوف العقوبة**) في

رغيفين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة وما فازوا بالخلعة، وقسم قالوا: إنا نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يخطئونا ولكن نأخذ إذا أعطونا رغيفاً واحداً ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا بالخلعة. وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان وانحرفوا عن مرأى أعين الغلمان وقالوا: إن اتبعونا وأعطونا قنعنا برغيف واحد، وإن أخطأونا قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك، فلما نفعهم ذلك إذ أتبعهم الغلمان في كل زاوية وأعطوا كل واحد رغيفاً واحداً وجرى مثل ذلك أياماً حتى اتفق على الندور أن اختفى ثلاثة في زاوية ولم تقع عليهم أبصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش، فباتوا في جوع شديد فقال اثنان منهم: ليتنا تعرضنا للغلمان وأخذنا طعامنا فلسنا نطيق الصبر، وسكت الثالث إلى الصباح فنال درجة القرب والوزارة. فهذا مثال الخلق والميدان هو الحياة في الدنيا، وباب الميدان الموت والميعاد المجهول يوم القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل إذا مات جائعاً راضياً من غير تأخير ذلك إلى ميعاد القيامة، لأن الشهداء أحياء عند ربهم

الميعاد (**ولكن أخذوا رغيفين لغلبة الجوع فسلموا من العقوبة**) لعدم تعلقهم بهم (**وما فازوا بالخلعة**) لاضطرا بهم. (**وقسم**) ثالث منهم (**قالوا: إنا نجلس بمرأى من الغلمان حتى لا يخطئونا ولكن نأخذ إذا أعطونا رغيفاً واحداً ونقنع به فلعلنا نفوز بالخلعة ففازوا بالخلعة. وقسم رابع اختفوا في زوايا الميدان وانحرفوا عن مرأى أعين الغلمان وقالوا: إن اتبعونا وأعطونا قنعنا برغيف واحد وإن أخطأونا**) ولم يقع بصرهم علينا (**قاسينا شدة الجوع الليلة فلعلنا نقوى على ترك التسخط فننال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك**) فهؤلاء نظروا إلى الآجل (**فما نفعهم ذلك إذ أتبعهم**) وفي نسخة إذ أتبعتهم (**الغلمان في كل زاوية**) من زوايا الميدان (**وأعطوا كل واحد رغيفاً واحداً، وجرى مثل ذلك أياماً حتى اتفق على الندور**) والقلة (**أن اختفى ثلاثة**) منهم (**في زاوية ولم تقع عليهم أبصار الغلمان وشغلهم شغل صارف عن طول التفتيش**) والبحث والتمتع، (**فباتوا في جوع شديد فقال إثنان منهم: ليتنا تعرضنا للغلمان وأخذنا طعامنا**) فأكلناه (**فلسنا نطيق الصبر**) على الجوع الشديد، (**وسكت ثالث إلى الصباح فنال درجة القرب والوزارة**) إذ وفى بشرط الملك، (**فهذا مثال الخلق**) على تباينهم (**فالميدان هو الحياة الدنيا**) لسعتها (**وباب الميدان الموت**) كما قال الشاعر:

الموت باب وكل الناس داخله والقبر بيت وكل الناس ساكنه

(**والميعاد المجهول يوم القيامة**) لقوله تعالى: ﴿قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ [سبأ: ٣٠] (**والوعد بالوزارة هو الوعد بالشهادة للمتوكل إذا مات جائعاً راضياً**) من غير كراهة (**من غير تأخير ذلك إلى ميعاد القيامة لأن الشهداء أحياء**)

يرزقون، والمتعلق بالغلمان هو المعتدي في الأسباب، والغلمان المسخرون هم الأسباب، والجالس في ظهر الميدان بمرأى الغلمان هم المقيمون في الأمصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكون، والمختفون في الزوايا هم السائحون في البوادي على هيئة التوكل، والأسباب تتبعهم والرزق يأتيهم إلا على سبيل الندور، فإن مات واحد منهم جائعاً راضياً فله الشهادة والقرب من الله تعالى. وقد انقسم الخلق إلى هذه الأقسام الأربعة، ولعل من كل مائة تعلق بالأسباب تسعون، وأقام سبعة من العشر الباقية في الأمصار متعرضين للمسبب بمجرد حضورهم واشتهارهم، وساح في البوادي ثلاثة، وتسخط منهم اثنان، وفاز بالقرب واحد، ولعله كان كذلك في الاعصار السالفة، وأما الآن فالتارك للأسباب لا ينتهي إلى واحد من عشرة آلاف.

الفن الثاني: في التعرض لأسباب الادخار:

فمن حصل له مال بإرث أو كسب أو سؤال أو سبب من الأسباب فله في الادخار ثلاثة أحوال:

عند ربهم يرزقون) بنص الآية، وقرب الدرجة معلوم من قوله: ﴿عند ربهم﴾ **(والمتعلق بالغلمان هو المتعدي في الأسباب)** الظاهرة، **(والغلمان المسخرون هم الأسباب)** كما أن الغلمان من أرقاء الملك قد سخرهم لخدمته، كذلك الأسباب من خلق الله تعالى سخرها للناس لينتفعوا بها، **(والجالس في ظاهر الميدان بمرأى للغلمان هم المقيمون في الأمصار في الرباطات والمساجد على هيئة السكون، والمختفون في الزوايا هم السائحون في البوادي)** على هيئة التوكل والتجريد، **(والأسباب تتبعهم والرزق يأتيهم)** من حيث لا يحتسبون **(إلا على سبيل الندور)** والقلة، **(فإن مات واحد منهم جائعاً راضياً فله الشهادة والقرب من الله تعالى، وقد انقسم الخلق إلى هذه الأقسام الأربعة، ولعل من كل مائة)** منهم **(تعلق بالأسباب تسعون وأقام سبعة من العشرة الباقية في الأمصار متعرضين للسبب بمجرد حضورهم واشتهارهم وساح في البوادي ثلاثة فسخط منهم إثنان وفاز بالقرب واحد، ولعله كذلك كان في الأعصار السالفة. وأما الآن فالتارك للأسباب لا ينتهي إلى واحد من عشرة آلاف والله المستعان)**.

الفن الثاني في التعرض للأسباب بالإدخار:

اعلم أن للمتوكلين أدباً ولهم علامات تدل على صحة توكلهم، فأول ذلك الإقتصار والإجمال في الطلب، أن لا يدخل في الأسباب المظنونة إلا للحاجة الغريبة وإن تباعد عن الأسباب التي تتطرق إليها الشبه بكل حال، وأن لا يدخر. وقد أشار المصنف إلى حكم الإدخار فقال: **(فمن حصل له مال بارث)** من موروثه شرعاً **(أو كسب)** بشروطه **(أو سؤال)** بعد الإضطرار والإباحة له فيه **(أو سبب من الأسباب)** غير ما ذكر **(فله في الادخار ثلاثة أحوال)**.

الأولى: أن يأخذ قدر حاجته في الوقت **فيأكل إن كان جائعاً، ويلبس إن كان** عارياً، ويشتري مسكناً مختصراً إن كان محتاجاً، **ويفرق الباقي في الحال ولا يأخذه ولا** يدخره إلا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه **ويحتاج إليه فيدخره على هذه النية، فهذا** هو الوفي بموجب التوكل تحقيقاً **وهي** الدرجة العليا.

الحالة الثانية: المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل **أن يدخر لسنة فما فوقها،** فهذا ليس من المتوكلين أصلاً، وقد قيل: **لا يدخر من الحيوانات إلا ثلاثة: الفأرة** والنملة وابن آدم.

الحالة الثالثة: أن يدخر لأربعين يوماً فما دونها، **فهذا هل يوجب حرمانه من المقام** المحمود الموعود في الآخرة للمتوكلين؟ اختلفوا فيه، **فذهب سهل إلى أنه يخرج عن حد** التوكل، وذهب الخواص إلى أنه **لا يخرج بأربعين يوماً ويخرج بما يزيد على الأربعين.** قال أبو طالب المكي: **لا يخرج** عن حد التوكل بالزيادة على الأربعين أيضاً، وهذا

(الأولى: أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل إن كان جائعاً، ويلبس إن كان عارياً ويشتري مسكناً مختصراً) قدر ما يسعه **(إن كان محتاجاً)** لكل ذلك، **(ويفرق الباقي في الحال)** على من يرى له الإستحقاق **(ولا يأخذه ولا يدخره إلا بالقدر، الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج إليه فيدخره على هذه النسبة)** لا غير، **(فهذا هو الوفاء بموجب التوكل تحقيقاً وهي الدرجة العليا)**. قال صاحب القوت: ولا يضر الإدخار مع صحة التوكل إذا كان مدخراً لله عز وجل وفيه وكان ماله موقوفاً على رضا مولاه مؤخراً لحظوظ نفسه وهواه، فإذا رأى تلك الحقوق التي أوجبها الله عليه بذل ماله فيها، والقيام بحقوق الله لا ينقص مقامات العبد بل يزيدها علواً.

(الحالة الثانية): هي **(المقابلة لهذه المخرجة له من حدود التوكل أن يدخر لسنة فما فوقها، فهذا ليس من المتوكلين أصلاً)** وظاهره أن الإدخار فوق السنة يبطل التوكل وقال الكمال محمد بن إسحاق: والذي أراه أنه يبطل كماله لا أصله. **(وقد قيل: لا يدخر من الحيوانات إلا ثلاثة الفأرة والنملة وابن آدم)** نقله صاحب القوت.

(الحالة الثالثة: أن يدخر لأربعين يوماً فما دونها فهذا هل يوجب حرمانه من المقام المحمود الموعود) في الآخرة **(للمتوكلين؟ اختلفوا فيه، وذهب)** أبو محمد **(سهل)** بن عبدالله **(التستري)** رحمه الله تعالى **(إلى أنه يخرج عن حد التوكل)** ولفظ القوت: يخرجه الإدخار من حقيقة التوكل عند أبي محمد. **(وذهب)** إبراهيم بن أحمد **(الخواص)** رحمه الله تعالى **(إلى أنه لا يخرج بأربعين يوماً ويخرج بما يزيد على الأربعين)** حكاه هكذا في كتاب التوكل. **(وقال أبو طالب المكي)** رحمه الله تعال في القوت: **(لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على**

اختلاف لا معنى له بعد تجويز أصل الادخار. نعم، يجوز أن يظن ظان أن أصل الإدخار يناقض التوكل، فأما التقدير لعدّ ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فإنه يتوزع على تلك الرتبة، وتلك الرتبة لها بداية ونهاية، ويسمى أصحاب بالنهايات السابقين وأصحاب البدايات أصحاب اليمين ثم أصحاب اليمين أيضاً على درجات، وكذلك السابقون، وأعالي درجات أصحاب اليمين تلاصق أسافل درجات السابقين، فلا معنى للتقدير في مثل هذا، بل التحقيق أن التوكل بترك الإدخار لا يتم

الأربعين أيضاً) وهذا لفظه في القوت، وقد يصح التوكل مع تأميل البقاء فإن كان أمله للحياة لطاعة مولاه وخدمته والجهاد في سبيله وليستعتب ويستقبل ويصلح بالطاعة ما أفسد بالهوى والجهل فيضل بذلك، وهذا طريق طائفة من الراجين والمؤانسين والمحبين وحسني الظن، وإن كان أمله للحياة لأجل متعة نفسه وأخذ حظوظها من دنياه نقص ذلك من زهده في الدنيا فسرى النقص إلى توكله وما نقص من الزهد نقص من التوكل وليس ما زاد في الزهد يزيد في التوكل، فإذا جاز للمتوكل تأميله البقاء لشهر أو شهرين جاز له الإدخار لذلك إلا أن طول الأمل يخرج من حقيقة التوكل وتأميل أكثر من أربعين يوماً يخرج من حدّ التوكل عند الخواص ولا يخرجه من حده عندي وأكره للمتوكل الإدخار أكثر من أربعين يوماً كما يكره تأميل البقاء لأكثر من أربعين يوماً، ومن ادخر لصلاح قلبه وتسكين نفسه وقطع تشرفه إلى الناس إن كان مقامه السكون مع المعلوم، فالإدخار له أفضل ويخرجه الإدخار من حقيقة التوكل عند أبي محمد والخواص ولا يخليه عندي من حال فيه، ومن قوي يقينه وحسن ظنه وصبره وصح زهده فترك الإدخار أفضل اهـ.

(وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز أصل الإدخار. نعم يجوز أن يظن ظان أن أصل الإدخار يناقض التوكل، فأما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له) وربما يفهم من سياق عبارة القوت أن سهلاً رحمه الله تعالى يقول: إن أصل الإدخار يناقض التوكل فقد روي عنه أنه قال: علامة التوكل لا يسأل ولا يرد ولا يحتكر. ورواه القشيري بسنده إلى أبي علي الروذباري قال، قلت لعمرو بن سنان: إحك لي عن سهل بن عبدالله حكاية، فقال: إنه قال فذكره، إلا أنه قال: ولا يحبس بدل قوله: لا يحتكر. **(و)** أيضاً **(كل ثواب موعود)** في الآخرة **(على رتبة)** من رتب الإيمان، **(فإنه يتوزع)** أي ينقسم **(على تلك الرتبة، وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى أصحاب النهايات منهم السابقين)** لأنهم سبقوا في تلك الرتبة وبلغوا منتهى الدرجات وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿ومنهم سابق بالخيرات﴾ [فاطر: ٣٢] **(وأصحاب البدايات)** الذين لم يبلغوا بعد أقصى الدرجات يسمون **(أصحاب اليمين)** وهم المقتصدون، **(ثم أصحاب اليمين أيضاً على درجات، وكذلك السابقون، وأعالي درجات أصحاب اليمين تلاصق أسافل درجات السابقين)** فنهاياتهم بدايات السابقين، **(فلا معنى للتقدير في مثل هذا بل التحقيق)** الجامع لكلامهم **(أن التوكل بترك الإدخار لا يتم إلا بقصر الأمل)**

إلا بقصر الأمل، وأما عدم آمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس، فإن ذلك كالممتنع وجوده؛ أما الناس فمتفاوتون في طول الأمل وقصره، وأقل درجات الأمل يوم وليلة فما دونه من الساعات، وأقصاه ما يتصوّر أن يكون عمر الإنسان، وبينهما درجات لا حصر لها، فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى المقصود ممن يؤمل سنة، وتقييده بأربعين لأجل ميعاد موسى عليه السلام بعيد، فإن تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما رخص الأمل فيه، ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم إلا بعد أربعين يوماً لسر جرت به وبأمثاله سنة الله تعالى في تدريج الأمور، كما قال عليه السلام: « إن الله خمَّر طينة آدم بيده أربعين صباحاً » لأن استحقاق تلك الطينة التخمر كان موقوفاً على

وإليه الإشارة بقول صاحب القوت: وترك الإدخار إنما هو حال من مقامه قصر الأمل، **(وأما عدم آمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس فإن ذلك كالممتنع وجوده)** إلا ما رواه صاحب الحلية بسنده إلى ابن أبي داود قال: سمعت عبد الرزاق يقول: اجتمع سفيان الثوري ووهيب بن الورد فقال سفيان لوهيب: يا أبا أمية أتحب أن تموت؟ فقال: أحب أن أعيش لعلّي أتوب، فقال وهيب: فأنت؟ قال: ورب هذه البنية ثلاثاً وددت أني مت هذه الساعة **(أما الناس فمتفاوتون في طول الأمل وقصره)** في القلة والكثرة، **(وأقل درجات الأمل يوم وليلة فما دونه من الساعات)** فمنهم من إذا أصبح **(لم ينتظر المساء)** وإذا أمسى لم ينتظر الصباح **(وأقصاه ما يتصور أن يكون عمر الإنسان وبينهما درجات لا حصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى المقصود ممن يؤمل سنة)**، وكذا من لم يؤمل أكثر من أسبوع أقرب ممن يؤمل شهراً، **(وتقييده بأربعين)** أي من أربعين يوماً وقيده بهذا العدد **(لأجل ميعاد موسى عليه السلام)** في قوله تعالى: ﴿وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾ [الأعراف: ١٤٢] **(بعيد)** والإستدلال به على مسألة الإدخار غير صحيح، **(فإن تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما رخص الأقل فيه ولكن إستحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم إلا بأربعين يوماً)** التي هي ثلث الثلث من السنة **(لسرّ)** إلهي **(جرت به وبأمثاله سنة الله تعالى في تدريج الأمور)** وتمهيلها، **(كما قال ﷺ: « إن الله خمر طينه آدم بيده أربعين صباحاً »)** قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود وسلمان بإسناد ضعيف جداً وهو باطل اهـ.

قلت: ورواه من رواية أبي عثمان النهدي عنهما ولفظه: « إن الله عز وجل خمرّ طينة آدم أربعين يوماً وليلة، ثم أخذها بيده، ثم قال: هكذا قطعها بيده فخرج في يمينه كل نفس طيبة وخرج في يده الأخرى كل نفس خبيثة ثم شبك بين أصابعه حتى خلطها فلذلك يخرج الحي من الميت والميت من الحي والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ». ورواه ابن مردويه من حديث سلمان بلفظ: « إن الله تعالى خمر طينة آدم أربعين صباحاً بلياليها ثم ضرب بيده اليمنى وكلتا يديه يمين فقطع قطعة ثم

مدة مبلغها ما ذكر، فإذاً ما وراء السنة لا يدخر له إلا بحكم ضعف القلب والركون إلى ظاهر الأسباب، فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق بإحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الأسباب، فإن أسباب الدخل في الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرر السنين غالباً، ومن ادخر لأقل من سنة فله درجة بحسب قصر أمله، ومن كان أمله شهرين لم تكن درجته كدرجة من أمل شهراً ولا درجة من أمل ثلاثة أشهر، بل هو بينهما في

خلطها فمنها يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن». وليس في سياق حديثها قوله بيده. وقد روى الديلمي من حديث الحرث بن نوفل: «خلق الله ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده». وعند مسلم من حديث أبي هريرة: «خلق الله آدم يوم الجمعة بيده» الحديث.

وفي الذهب الإبريز لسيدي أحمد بن مبارك وسمعته يعني شيخه السيد عبد العزيز الدباغ قدس سره يقول: إن الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام جمع تربته في عشرة أيام وتركها في الماء عشرين يوماً وصوره في أربعين يوماً وتركه عشرين يوماً بعد التصوير حتى انتقل من الطينية إلى الجسمية فمجموع ذلك ثلاثة أشهر هي رجب وشعبان ورمضان ثم رفعه الله إلى الجنة ونفخ فيه من روحه اهـ.

(لأن استحقاق تلك الطينة التخمر كان موقوفاً على مدة مبلغها ما ذكر). قال سيدي عبد العزيز المذكور: خلق الله بعض الأشياء ورتب خلقها في أيام وأجراه شيئاً فشيئاً لأنه يحصل من ذلك توحيد عظيم للملأ الأعلى لأن في تنقل ذلك الحادث من طور إلى طور ومن حالة إلى حالة وظهور أمره شيئاً فشيئاً ما لا يكيف من جمع همم الملأ الأعلى إلى الإلتفات إليه، فالتعجب في أمر الله من ذلك الحادث والتفكر في شأنه وكيف يخلقه وماذا يكون منه وإلى أي شيء يصير، فهم يرتقبون الحالة التي يخرجون عليها؛ فإذا حصل لهم من التوحيد ما لا يكيف ولا يحصى، وفي زمن الإرتقاب يحصل لكم من العلم بالله والإطلاع على باهر قدرته وسريانه في المقدورات شيء عظيم فلا يفوتهم شيء من أسرارها في ذلك المخلوق فيحصل لهم فيه التفهيم التام، فالتدريج لهذه الحكمة ولحكمة أخرى وهي أنه بهذا التدريج وانتظار خروج الحادث والتشوق إليه توحد مخلوقات أخر مثل هذا الحادث أو أعظم، فلله تعالى في كل شيء أسرار وحكم.

(فإذاً ما وراء السنة لا يدخر له إلا بحكم ضعف القلب والركون إلى الظاهر من الأسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق بإحاطة التدبير من الوكيل الحق) سبحانه **(بخفايا الأسباب، فإن أسباب الدخل في الإرتفاعات والزكوات تتكرر بتكرير السنين غالباً، ومن ادخر لأقل من سنة له درجة بحسب قصر أمله، ومن كان أمله شهرين لم تكن درجته كدرجة من أمل شهراً ولا درجة من أمل ثلاثة أشهر، بل هو بينهما في الرتبة ولا**

الرتبة، ولا يمنع من الادخار إلا قصر الأمل، فالأفضل أن لا يدخر أصلاً، وإن ضعف قلبه فكلما قلّ ادخاره كان فضله أكثر. وقد روي في الفقير الذي أمر ﷺ عليًّا كرّم الله وجهه وأسامة أن يغسلاه فغسلاه وكفناه ببردته، فلما دفنه قال لأصحابه: «إنه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية» قلنا: وما هي يا رسول الله؟ قال: «كان صواماً قواماً كثير الذكر لله تعالى غير أنه كان إذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه، وإذا جاء الصيف ادّخر حلة الشتاء لشتائه» ثم قال ﷺ: «من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر» الحديث. وليس الكوز والسفرة وما يحتاج إليه على الدوام في معنى ذلك، فإن ادخاره لا ينقص الدرجة. وأما ثوب الشتاء فلا يحتاج إليه في الصيف، وهذا في حق من لا ينزعج قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه إلى أيدي الخلق، بل لا يلتفت قلبه إلا إلى الوكيل الحق، فإن كان يستشعر في نفسه اضطراباً يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر فالادخار له

يمنع من الإدخار الأقصر الأمل، فالأفضل أن لا يدخر أصلاً فإن ضعف قلبه) واضطربت نفسه، **(فكل ما قلّ ادخاره كان فضله أكثر)** ومن قوي يقينه وحسن ظنه وصبره وصح زهده فترك الإدخار له أفضل. **(وقد روي في الفقير الذي أمر النبي ﷺ علياً وأسامة)** رضي الله عنهما **(أن يغسلاه فغسلاه وكفناه ببردته، فلما دفنه قال لأصحابه: «إنه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية» قلنا: وما هي يا رسول الله؟ قال: «إنه كان لقوّاماً صواماً كثير الذكر لله تعالى غير أنه كان إذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه، وإذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه» ثم قال ﷺ: «من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر» الحديث)** وتمامه: «ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاته من قيام الليل وصيام النهار». قال العراقي: لم أجد له أصلاً وتقدم آخر الحديث قبل هذا اهـ.

قلت: رواه صاحب القوت بسنده إلى شهر بن حوشب عن أبي أمامة، وقد تقدم في آخر كتاب الزهد والفقر مفصلاً، فكان يؤمل سنة حيث كان يدخر كسوة الشتاء في الصيف وكسوة الصيف في الشتاء، فلذلك تأخر عن درجة السابقين. وأخبر ﷺ: «أن ترك الإدخار مقتضى اليقين وحال أولي العزم من الصابرين».

(وليس الكوز) الذي يشرب منه **(والسفرة)** التي يأكل عليها **(ما يحتاج إليه على الدوام)** من اللوازم الضرورية **(في معنى ذلك فإدخاره لا ينقص الدرجة، وثوب الشتاء لا يحتاج إليه في الصيف وهذا في حق من لا ينزعج قلبه بترك الإدخار ولا تستشرف نفسه إلى أيدي الخلق، بل لا يلتفت قلبه إلا إلى الوكيل الحق فإذا كان يستشعر في نفسه اضطراباً**

أولى، بل لو أمسك ضيعة يكون دخلها وافياً بقدر كفايته وكان لا يتفرغ قلبه إلا به فذلك له أولى، لأن المقصود إصلاح القلب ليتجرد لذكر الله، ورب شخص يشغله وجود المال، ورب شخص يشغله عدمه والمحذور ما يشغل عن الله عز وجل وإلاَّ فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها، ولذلك بعث رسول الله ﷺ إلى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون وأهل الحرف والصناعات، فلم يأمر التاجر بترك تجارته، ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لها بالاشتغال بها بل دعا الكل إلى الله تعالى وأرشدهم إلى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا إلى الله تعالى، وعمدة الاشتغال بالله عز وجل القلب، فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته، كما أن صواب القوي ترك الادخار وهذا كله حكم المنفرد، فأما المعيل فلا يخرج عن حدّ التوكل

يشغل قلبه عن العبادة والذكر والفكر) التي هي المقصود من التوكل **(فالإدخار له أولى)** لدفع الإضطراب من التفرغ، **(بل لو أمسك ضيعة يكون دخلها وافياً بقدر كفايته وكان لايتفرغ قلبه إلا به، فذلك)** أي إمساك الضيعة **(له)** وفي حقه **(أولى لأن المقصود إصلاح القلب ليتجرد لذكر الله)** وهذا طريقة جماعة من العارفين من المتوكلين قد اتسع قلبهم بهذه الحالة حتى قوي على الدخول في الأسباب مع ملاحظتها وهو كمال في الولاية، **(ورب شخص يشغله وجود المال)** فهذا لا يتأتى له التوكل إلا بالزهد فيه فهو شرط في حقه، ومنهم من لا يشغله ويرتقي عنه إلى غيره وهو يملك أموالاً فلا يشترط في حقه الزهد في الأموال والأسباب، **(ورب شخص يشغله عدمه)** فيضطرب قلبه لذلك **(والمحذور ما يشغل عن الله عز وجل وإلا فالدنيا في عينها غير محذورة لا وجودها ولا عدمها)** وقد سبق بيان ذلك في كتاب ذم الدنيا؛ **(ولذلك بعث رسول الله ﷺ إلى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون وأهل الحرف والصناعات، فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ولا أمر التارك لها بالإشتغال بها، بل دعا الكل إلى الله تعالى وأرشدهم إلى أن فوزهم ونجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا إلى الله تعالى)** وهو منتزع من سياق عبارة سهل التستري ولفظه: بعث النبي ﷺ إلى الخلق وهم أصناف كما هم اليوم منهم التاجر والصانع والقاعد من يسأل الناس، فما قال للتاجر اترك تجارتك، ولا قال للقاعد اكتسب، ولا نهى السائل عن أن يسأل، بل أمر أن يعطي ولكن جاءهم بالإيمان واليقين في جميع أحوالهم وتركهم مع الله في التدبير فعمل كل واحد بعمله في حاله اهـ.

(وعمدة الإشتغال بالله القلب فصواب الضعيف) المضطرب **(إدخار قدر حاجته)** لإصلاح قلبه وسكون نفسه عن الإضطراب والإستشراف وتفرق الهم، **(كما أن صواب القوي)** الساكن المطمئن الصابر **(ترك الإدخار)** وكل منهما متوكل؛ **(وهذا كله حكم**

بادخار قوت سنة لعياله جبراً لضعفهم وتسكيناً لقلوبهم، وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لأن الأسباب تتكرر عند تكرر السنين، فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوّة التوكل، فالمتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس إلى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الأسباب الظاهرة، وقد ادخر رسول الله ﷺ لعياله قوت سنة، ونهى أم أيمن وغيرها أن تدخر شيئاً لغد. ونهى بلالاً عن الادخار في كسرة خبز ادّخرها ليفطر عليها فقال ﷺ: « أنفق بلالاً ولا تخش من ذي العرش إقلالاً ». وقال ﷺ: « إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخبأ » اقتداء بسيد المتوكلين

المنفرد، فأما المعيل فلا يخرج عن حدّ التوكل بإدخار قوت سنة لعياله جبراً لضعفهم وتسكيناً لقلوبهم) ولوجود رضاهم عن الله عز وجل ولفقد همه بهم ولسقوط حكمهم عنه ليتفرغ لعبادة ربه، فهو فاضل في إدخاره اتفقوا عليه، ولأنه في ذلك قائم بحكم ربه كراع لرعيته التي هي مسؤول عنها، حافظ لحدود الله التي استحفظه إياها بما حفظ الله له وعليه، **(وإدخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لأن الأسباب تتكرر عن تكرر السنين فادخار ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل، فالمتوكل عبارة عن موحد قوي القلب مطمئن النفس إلى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الأسباب الظاهرة)** ناظر إليه في تصريفه معتمد عليه، **(وقد أدخر)** سيد المرسلين **(رسول الله ﷺ لعياله سنة)** رواه الشيخان وقد سبق في كتاب الزكاة، **(و)** قد **(نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر له شيئاً لغد)** وقد سبق ذلك أيضاً هناك، وأم أيمن اسمها بركة وكانت حاضنة النبي ﷺ وكان يقول لها: يا أمةَ وكانت تتولى خدمته رضي الله عنها، **(ونهى بلالاً)** رضي الله عنه **(عن الادخار في كسرة خبز)** كان **(ادخرها ليفطر عليها)** قال العراقي: هذا لم أره.

قلت: المعروف نهيه عن إدخار تمر كان ادخره، **(فقال ﷺ: أنفق بلالاً ولا تخش من ذي العرش إقلالاً)** قال العراقي: رواه البزار من حديث ابن مسعود وأبي هريرة، وبلال دخل عليه النبي ﷺ وعنده صبر من تمر فقال ذلك. ورواه أبو يعلى والطبراني وكلها ضعيفة اهـ.

قلت: لفظ البزار والطبراني من حديث ابن مسعود: دخل النبي ﷺ على بلال وعنده صبر من تمر فقال: « ما هذا يا بلال »؟ فقال: يا رسول الله ﷺ ادخرته لك ولضيافتك. فقال: « أما تخشى أن يفور لها بخار من جهنم أنفق يا بلال ». فذكره ورواه العسكري في الأمثال من حديث عائشة ولفظه: « أنفق بلالاً » ورواه البزار عن مسروق عن بلال مثله، ورواه الطبراني من هذا الوجه إلا أنه قال: « يا بلال ». ورواه أبو يعلى بلفظ: « ولا تخافن » بدل « ولا تخش » وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بأبسط مما هنا.

(وقال له « إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخبأ ») قال العراقي: رواه الطبراني والحاكم من حديث أبي سعيد وهو بقية حديث: « الق الله فقيراً ولا تلقه غنياً » وقد تقدم اهـ.

ﷺ . وقد كان قصر أمله بحيث كان إذا بال تيمم مع قرب الماء ويقول: «ما يدريني لعلي لا أبلغه»، وقد كان ﷺ لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله إذ كان لا يثق بما ادخره ولكن عليه السلام ترك ذلك تعليماً للأقوياء من أمته، فإن أقوياء أمته ضعفاء بالإضافة إلى قوته، وادخر عليه السلام لعياله سنة لا لضعف قلب فيه وفي عياله، ولكن ليس ذلك للضعفاء من أمته، بل أخبر أن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه تطييباً لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف إلى اليأس والقنوط فيتركون الميسور من الخير عليهم بعجزهم عن منتهى الدرجات، فما أرسل رسول الله ﷺ إلا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم. وإذا فهمت هذا علمت

(اقتداء بسيد المتوكلين ﷺ) ولفظ القوت: ونهى بلالاً عن الإدخار لنفسه لتقتدي به أهل المقامات وقال له: «إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تخبأ» فهو إمام المقربين وذكرى للمتوكلين، **(وقد كان قصر أمله بحيث كان إذا بال تيمم مع قرب الماء ويقول: «ما يدريني لعلي لا أبلغه»)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث ابن عباس بسند ضعيف اهـ.

ولفظ القوت؛ وروينا أن رسول الله ﷺ قبض وله بردان في الحف ينسجان، وقد كان ﷺ أقصر أملاً من ذلك كان يبول فيتيمم قبل أن يصل إلى الماء فيقال له: إن الماء منك قريب، فقال: «وما يدريني لعلي لا أبلغه» ولكن فعله لئلا يهلك من طال أمله من أمته فجعل يفعله نجاة ورحمة له، فهذا يدلك على أن الإدخار يتسع ويضيق على قدر مشاهدات العارفين من قبل أن الشريعة جاءت بالرخصة والعزيمة والعزائم من الدين للأقوياء الحاملين والرخص من الدين للضعفاء المحمولين اهـ.

(وقد كان ﷺ لو ادخر لم ينقص ذلك من توكله إذ كان لا يثق بما ادخره، ولكنه ﷺ ترك ذلك تعليماً للأقوياء من أمته، فإن أقوياء أمته ضعفاء بالإضافة إلى قوته، وادخر ﷺ لعياله) قوت **(سنة لا لضعف قلب فيه وفي عياله)** حاشاهم من ذلك، **(ولكن ليس ذلك للضعفاء من أمته بل أخبر: «أن الله تعالى يحب أن يؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»)** رواه أحمد والطبراني والبيهقي من حديث ابن عمر وقد تقدم **(تطييباً لقلوب الضعفاء حتى لاينتهي بهم الضعف إلى)** مرتبة **(اليأس)** من روح الله **(والقنوط)** من رحمة الله **(فيتركون الميسور من الخير عليهم لعجزهم عن منتهى الدرجات، فما أرسل رسول الله ﷺ إلا رحمة للعالمين كلهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم)**.

وفي القوت: وكان سهل رحمه الله تعالى يقول في تأويل الخبر: إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه. قال: ما كان من أمر فخذ بالأوسع وما كان من نهي فخذ بالأشد

أن الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ، ويدل عليه ما روى أبو أمامة الباهلي أن بعض أصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن، فقال ﷺ : « فتشوا ثوبه » فوجدوا فيه دينارين في داخل إزاره، فقال ﷺ : « كيتان ». وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالاً ولا يقول ذلك في حقه، وهذا يحتمل وجهين لأن حاله يحتمل حالين:

أحدهما: أنه أراد كيتين من النار كما قال تعالى: ﴿تُكوَى بها جِبَاهُهُم وجُنُوبهم وظُهُورهم﴾ [التوبة: ٣٥] وذلك إذا كان حاله إظهار الزهد والفقر والتوكل مع الإفلاس عنه فهو نوع تلبيس.

والثاني: أن لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما

فيه. قال: وكان يضرب للمدخر مثلاً في قصر الأمل وطوله، فيقول: مثل من يترك الإدخار مثل رجل يقول أريد أن أخرج إلى الإبلة فيقال له: خذ رغيفاً، فإن قال: أريد أن أخرج إلى العسكر قيل له خذ أربعة أرغفة. قال: فكذلك ترك الإدخار ينقص من فضائل الزاهدين بمقدار ما يمنع من حقيقة الزهد إلا للزهاد العارفين لأنهم على عين اليقين قد أقيموا بشهادة عين التوحيد فينظرون بنور الأولية والآخرية، فالموجودات عندهم عنده إذا كانت أيديهم يده وقبضهم قبضه فهو وكيلهم وهم خلفاؤه ينفقون مما جعلهم مستخلفين فيه فهو مزيد لهم لأن هذا مقام فوق الزهد قد جاوزه، فكيف يعتبر به؟ وهؤلاء لا يوصفون بكدر الخلق والمراءاة فكيف يؤمرون بالتصفية والإخلاص إذ لا يدخل عليهم الشرك لقيومية شهادة التوحيد بهم فهم بها قائمون. وأما تارك المكاسب وقاطع التسبب ممن لا علوم له من الأولياء فإنهم تركوا الادخار لأنه مقتضى حالهم وفيه استقامة مقامهم وصفاء قلوبهم لخلوصهم ولإفراد سيرهم.

(فإذا فهمت هذا علمت أن الإدخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر، ويدل عليه ما روي أبو أمامة) صدي بن عجلان **(الباهلي)** رضي الله عنه **(أن بعض أصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال ﷺ : « فتشوا ثوبه »)** ففتشوه **(فوجدوا فيه دينارين في داخل إزاره فقال ﷺ : « كيتان »)** قال العراقي: رواه أحمد من رواية شهر بن حوشب عنه، **(وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالاً ولا يقول ذلك في حقه، وهذا يحتمل وجهين لأن حاله يحتمل حالين)** .

(أحدهما: أنه أراد كيتين من النار كما قال تعالى: ﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾ وذلك إذا كان حاله حال إظهار الزهد والفقر و) وصف **(التوكل)** وترك الإدخار **(مع الإفلاس عنه فهو نوع تلبيس)** ، ولذلك شدد عليه وغلظ بكيتي نار وعلى هذا الوجه اقتصر صاحب القوت.

(والثاني: أن لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما

ينقص من جمال الوجه أثر كيتين في الوجه، وذلك لا يكون عن تلبيس، فإن كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة، إذ لا يؤتى أحد من الدنيا شيئاً إلا نقص بقدره من الآخرة. وأما بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل، فيشهد له ما روي عن بشر. قال الحسين المغازلي من أصحابه: كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل أسمر خفيف العارضين، فقام إليه بشر، قال: وما رأيته قام لأحد غيره، قال: ودفع إليَّ كفاً من دراهم قال: اشتر لنا أطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب، وما قال لي قط مثل ذلك. قال: فجئت بالطعام فوضعته فأكل معه وما رأيته أكل مع غيره، قال: فأكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فأخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله معه وانصرف، فعجبت من ذلك وكرهته له، فقال لي بشر: لعلك انكرت فعله؟ قلت: نعم أخذ بقية الطعام من غير إذن، فقال: ذاك أخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل، فإنما أراد أن يعلمنا أن التوكل إذا صح لم يضر معه الادخار.

ينقص من جمال الوجه أثر كيتين في الوجه، وذلك لا يكون عن تلبيس فإن كل ما يخلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة إذ لا يؤتى أحد شيئاً من الدنيا إلا نقص بقدره من الآخرة) وهذا الوجه هو اللائق بمقام الصحابة كما لا يخفى، **(وأما بيان أن الإدخار مع فراغ القلب من المدخر ليس من ضرورية بطلان التوكل فيشهد له ما روي عن)** أبي نصر **(بشر)** بن الحرث الحافي قدس سره، **(قال الحسين المغازلي من أصحابه)** نسب إلى عمل المغازل قال: **(كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل أسمر خفيف العارضين فقام إليه بشر، قال)** الحسين: **(وما رأيته قام لأحد غيره. قال: ودفع إليَّ كفاً من دراهم وقال: اشتر لنا من أطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب)** قال: **(وما قال لي قط مثل ذلك، قال: فجئت بالطعام فوضعته)** بين يديه **(فأكل معه وما رأيته أكل مع غيره. قال: فأكلنا حاجتنا وبقى من الطعام شيء كثير فأخذه الرجل وجمعه في ثوبه)** وجعله تحت يده **(وحمله معه وانصرف)** قال: **(فعجبت من)** فعله **(ذلك وكرهته له)** إذ لم يأمره بذلك ولا هو استأذنه فيه، **(فقال لي بشر)** بعد وقت: **(لعلك أنكرت فعله)** ذلك: **(قلت: نعم أخذ بقية الطعام من غير إذن، فقال)**: تعرفه؟ قلت: لا. قال: **(ذلك أخونا فتح)** بن شخرف **(الموصلي زارنا اليوم من الموصل، وإنما أراد أن يعلمنا أن التوكل إذا صح لم يضر معه الإدخار)** هكذا نقله صاحب القوت.

ومما يدلك على أن الإدخار يتسع ويضيق على قدر مشاهدات العارفين ما نقله صاحب القوت قال: وحدثني بعض الصوفيين أن بعض الأشياخ لم يكن يبيت شيئاً لغد، وكان مهما فتح له شيء

من النهار أخرجه قبل الليل فقلت: أخرجه قبل الصبح، ثم قلت: هي ليلة، فإذا أصبحت أخرجته. قال: فجعلته في وسطي ونمت فرأيت في المنام كأنّ في وسطى ثلاثة زنانير قال: فاغتممت وجعلت أحلها وأتعجب من ذلك، فقال لي قائل: هذه الثلاثة دراهم التي ادخرتها. قال: فانتهيت فزعاً فقمت فدفعتها في الوقت إلى بعض الفقراء.

قال: وحدثني بعض الأشياخ عن بعض الصوفيين أنه كذلك كان يخرج كل ما فتح له إلى إخوانه الفقراء ولا يدخر لنفسه شيئاً. قال: ففتح لي بدينار وكان علي دينار ديناً، فجعلت أؤمل بين أن أحبسه لقضاء ديني وبين أن أخرجه إلى ما عودت من خليقتي. قال: فقوي علي شاهد العلم فقلت: إمساك للدين أولى لأنه قد استحق عليَّ قال: فلم أنفقه على إخواني وكان ينتاب ويستضاف. قال: فضرب عليَّ ضرس من أضراسي تلك الليلة فلم أنم فأشير عليَّ بقلعه فقلعته، ثم قال: خطر بقلبي إخراج الدينار، ثم قلت: الدين أوجب فحبسته. قال: فضرب علي في الليلة الثانية ضرس آخر أسهرني قال فنزعته، ثم قال: ذكرت شأن الدينار فقلت لعلي عوقبت بحبسه. قال: فأخرجته قبل الليل. قال: فهتف بي هاتف لو لم تخرجه لقلعنا أسنانك ضرساً ضرساً حتى لا يبقى في فيك ضرس واحد فهذه مطالبات الخصوص لعلو مقاماتهم مخصوصون به مشدد عليهم فيه دون غيرهم.

قال: وكذلك بلغني أن بنانا الحمال لم يكن يدخر شيئاً لغد ولا يبيته من النهار، فحدثني بعض الأشياخ عمن رآه وقد دفع إليه بمكة كيساً فيه خمسمائة درهم قال: فصره صرراً وجعلها في ركوته ثم طاف بها على دور حول المسجد الحرام فجعل يلقيها إلى الفقراء صرة صرة وهو يمشي حتى أنفذها، فقلت: لأنظرن من أين فطره هذه الليلة إذ لم يترك لنفسه شيئاً، فلما كان بين العشاءين طاف في الوادي طوفة ومدّ يده وقال: ثم شيء لله فجعل في كفه وسعه فعدل إلى باب الصفا فقعد فأكله وشرب من ماء زمزم ودخل الطواف، قال: فسألته عن ذلك من الغد، فقال: ما حدثت نفسي أن أعيش إلى الليل ولو قوي في قلبي ذلك لحبست منه القوت؛ فهذا طريق هؤلاء سلكوه بزاده بتقوى مثلهم إذ جعلت قلوبهم أوعية لمراده.

وحدثت عن بعض العارفين قال: رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وكان الناس يساقون زمرة زمرة إلى الجنة على طبقات، فنظرت إلى طبقة أحسن الناس هيئة وأعلاهم طريقاً وأسرعهم سبقاً فقلت: هذه أفضلهم أكون فيها فذهبت لأخطو إليهم وأدخل معهم في طريقهم فإذا بملائكة حولهم قد منعوني وقالوا: قف مكانك حتى يجيء أصحابك فتدخل معهم، فقلت: تمنعوني مع هؤلاء السابقين. فقالوا: هذا طريق لا يسلكه إلا من لم يكن له إلا قميص واحد ومن كل شيء واحد وأنت لك قميصان ومن أشياء. قال: فانتبهت باكياً حزيناً فجعلت على نفسي أن لا أملك من كل شيء إلا واحداً والله أعلم.

الفن الثالث: في مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف:

اعلم أن الضرر قد يعرض للخوف في نفس أو مال وليس من شروط التوكل ترك الأسباب الدافعة رأساً ؛ أما في النفس فكالنوم في الأرض المسبعة أو في مجاري السيل من الوادي أو تحت الجدار المائل والسقف المنكسر ، فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة. نعم تنقسم هذه الأسباب إلى مقطوع بها ، ومظنونة وإلى موهومة ، فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها إلى دفع الضرر نسبة الكي والرقية ، فإن الكي والرقية قد يقدم به على المحذور دفعاً لما يتوقع ، وقد يستعمل بعد نزول المحذور للإزالة ، ورسول الله ﷺ لم يصف المتوكلين إلا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بأنهم إذا خرجوا إلى موضع بارد لم يلبسوا جبة ، والجبة تلبس دفعاً للبرد المتوقع ، وكذلك كل ما في معناها من الأسباب ، نعم. الاستظهار بأكل الثوم مثلاً عند الخروج إلى السفر في الشتاء تهييجاً لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل

الفن الثالث: في بيان مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف:

(اعلم) وفقك الله تعالى (**أن الضرر قد يعرض للخوف في نفس أو مال، وليس من شرط التوكل ترك الأسباب الدافعة**) للضرر (**رأساً أما في النفس فكالنوم في أرض مسبعة**) أي ذات سباع ، (**أو في مجاري السيل من الوادي، أو تحت الجدار المائل إلى السقوط، أو**) تحت (**السقف المنكسر، فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة**) ولا يصح توكله في شيء من ذلك ولو مات عاصياً . (**نعم تنقسم هذه الأسباب إلى مقطوع بها، ومظنونة، وإلى موهومة فترك الموهوم فيها من شرط التوكل**) ومن أعمال المتوكلين (**وهي التي نسبتها إلى دفع الضرر نسبة الكي والرقية**) والطيرة فإنها أسباب مسبباتها عنها موهومة لا مقطوع بها ولا مظنونة ، (**فإن الكي والرقية قد يقدم بهما على المحذور دفعاً لما يتوقع**) أي يتوهم من الشفاء ، (**وقد يستعمل بعد نزول المحذور للإزالة**) والدفع ، (**ورسول الله ﷺ لم يصف المتوكلين**) في قصة عكاشة (**إلا بترك الكي والرقية والطيرة**) فقال: « هم الذين لا يكتوون ولا يرقون ولا يتطيرون ». (**ولم يصفهم بأنهم إذا خرجوا إلى موضع لم يلبسوا جبة والجبة تلبس للبرد المتوقع، وكذلك كل ما في معناها من الأسباب**) فالكي والرقى والطيرة من الدرجات المتوسطة بين الدرجتين، والمتوسط بين طرفين مشكل في كل حال، وظاهر سياق المصنف دال على بطلان التوكل بذلك تبعاً لصاحب القوت. وقال الكمال محمد بن إسحاق الصوفي: الصحيح عندي أنه يبطل كماله لا أصله لأن الحديث ورد في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب. (**نعم الإستظهار بأكل الثوم مثلاً عند الخروج إلى السفر في الشتاء تهييجاً لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعمق في الأسباب**

التعمق في الأسباب والتعويل عليها، فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة، ولترك الأسباب الدافعة، وإن كانت مقطوعة وجه إذا ناله الضرر من إنسان فإنه إذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر. قال الله تعالى: ﴿فاتّخذه وكيلاً ★ واصبر على ما يقولون﴾ [المزمل: ٩، ١٠] وقال تعالى: ﴿ولنصبرنّ على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكّل المتوكلون﴾ [إبراهيم: ١٢]، وقال عز وجل: ﴿ودع أذاهم وتوكّل على الله﴾ [الأحزاب: ٤٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقال تعالى: ﴿نعم أجر العاملين ★ الذين صبَروا وعلى ربّهم يتوكلون﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩] وهذا في أذى الناس. وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والعقارب فترك دفعها ليس من التوكل في شيء إذ لا فائدة فيه، ولا يراد السعي ولا يترك السعي لعينه بل لإعانته على الدين، وترتب الأسباب ههنا كترتبها في الكسب وجلب المنافع، فلا نطول بالإعادة، وكذلك في

والتعويل عليها، فيكاد يقرب من الكي بخلاف الجبة ولترك الأسباب الدافعة) من الضرر **(وإن كانت مقطوعة)** بها **(وجه فإذا ناله الضرر من إنسان فإنه إذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفي)** والإنتصاف منه **(فشرط التوكل الإحتمال والصبر)** على الاذى من الفعل وترجيح جانبه على جانب الدفع **(وهذا هو توكل الخصوص قال الله تعالى)** لنبيه ﷺ: **(﴿فاتخذه وكيلاً★ واصبر على ما يقولون﴾)** أي توكل عليه واستعمل الصبر. **(وقال تعالى)** حكاية عن الرسول ﷺ: **(﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ وقال عز وجل)** حين أمر رسوله ﷺ بالتأسي بهم في قوله: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ [الأنعام: ٩٠] فقال: **(﴿ودع أذاهم وتوكل على الله﴾)** لقوله عز وجل: ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ [فصلت: ٤٣] من التكذيب والأذى. **(وقال سبحانه وتعالى: ﴿فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل﴾)** وقال بعض العارفين: لا يثبت لأحد مقام في التوكل حتى يستوي عنده المدح والذم من الخلق فيسقطان، وحتى يؤذى فيصبر على الأذى يستخرج بذلك منه رفع السكون إلى الخلق والنظر إلى علم الخالق الذي سبق، ثم التوكل في الصبر على حسن المعاملة وترك الطلب للمعارضة حياء من الله تعالى وإجلالاً له وخوفاً منه وحباً له، **(و)** قد وصفهم الله تعالى بذلك ظاهراً أو باطناً، فالظاهر **(قال)** الله **(تعالى: ﴿نعم أجر العاملين★ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾)** فلما عملوا صبروا على عملهم ثم توكلوا عليه في صبرهم فأجزل ذخرهم عنده منة وأنعم أجرهم، والباطن فيما أخبر عنهم: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾ فقطعهم الخوف عن الطلب، **(وهذا في أذى الناس وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والعقارب فترك دفعها ليس من التوكل في شيء، إذ لا فائدة فيه ولا يراد السعي ولا يترك السعي لعينه، بل لإعانته على الدين وترتيب الأسباب**

الأسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج، ولا بأن يعقل البعير لأن هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى إما قطعاً، وإما ظناً، ولذلك قال ﷺ للأعرابي لما أن أهمل البعير وقال: توكلت على الله: «اعقلها وتوكل». وقال تعالى: ﴿خُذوا حذركم﴾ [النساء: ٧١] وقال في كيفية صلاة الخوف ﴿وليأخذوا

هنا كترتيبها في الكسب وجلب المنافع فلا نطول بالإعادة) هذا كله في الأسباب الدافعة عن النفس، **(وكذلك في الأسباب الدافعة عن المال فلا ينقص التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير)** بالعقال، **(لأن هذه أسباب عرفت بسنة الله إما قطعاً وإما ظناً، ولذلك قال ﷺ للإعرابي لما أهمل البعير)** أي تركه سائباً **(وقال توكلت على الله: «اعقلها وتوكل»)** قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أنس قال يحي القطان: منكر. ورواه ابن خزيمة في التوكل، والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري بإسناد جيد بلفظ «قيدها» اهـ.

قلت: ورواه الترمذي في الزهد وفي العلل، وابن أبي الدنيا في التوكل والبيهقي في الشعب، وأبو نعيم في الحلية، والقشيري وابن عساكر والضياء كلهم من طريق المغيرة بن أبي قرة السدوسي سمعت أنساً يقول قال رجل: يا رسول الله اعقلها وأتوكل وأطلقها وأتوكل؟ قال: «اعقلها وتوكل» يعني الناقة. وقال الترمذي، قال عمرو بن علي يعني الفلاس شيخه، قال يحي بن سعيد القطان: إنه منكر، ثم قال الترمذي: وهو غريب لا نعرفه من حديث أنس إلا من هذا الوجه، وإنما أنكره القطان من حديث أنس، وقد روي عن عمرو بن أمية الضمري عن النبي ﷺ نحوه يشير إلى ما أخرجه ابن حبان في صحيحه، وأبو نعيم من حديث جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه قال: قال رجل للنبي ﷺ: أرسل ناقتي وأتوكل؟ قال «أعقلها وتوكل». ورواه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب وجعلا في روايتها القائل عمراً نفسه، وكذا هو عند أبي القاسم بن بشر في أماليه. وأخرجه البيهقي كذلك من حديث جعفر لكن مرسلاً. قال: وقال عمرو بن أمية يا رسول الله، وذكره. وهو عند الطبراني من حديث أبي هريرة بلفظ «قيدها وتوكل». وعند الخطيب في رواية مالك وابن عساكر من حديث ابن عمر قال: قلت يا رسول الله فذكره مثله، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن ريسان متروك وفي رواية للبيهقي من حديث عمرو بن أمية «قيد وتوكل».

وقال القشيري في الرسالة: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، أنبأنا أحمد بن عبيد البصري، حدثنا غيلان بن عبد الصمد، حدثنا اسماعيل بن مسعود الجدري، حدثنا خالد بن يحي، حدثني عمي المغيرة بن أبي قرة عن أنس بن مالك قال: جاء رجل على ناقة له فقال: يا رسول الله أدعها وأتوكل؟ فقال «أعقلها وتوكل».

(وقال تعالى): ﴿يا أيها الذين آمنوا **(خذوا حذركم﴾)** أي أسلحتكم **(وقال في كيفية صلاة الخوف ﴿وليأخذوا أسلحتهم﴾ وقال)** في جهاد الكفار: **(﴿وأعدوا لهم ما استطعتم**

أسلحتهم﴾ [النساء : ١٠٢] وقال سبحانه : ﴿وأعِدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل﴾ [الأنفال : ٦٠] وقال تعالى لموسى عليه السلام : ﴿فأسْرِ بعبادي ليلاً﴾ [الدخان : ٢٣] والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب واختفاء رسول الله ﷺ في الغار اختفاء عن أعين الأعداء دفعاً للضرر وأخذ السلاح في الصلاة ليس دافعاً قطعاً كقتل الحية والعقرب، فإنه دافع قطعاً، ولكن أخذ السلاح سبب مظنون. وقد بينا أن المظنون كالمقطوع، وإنما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه.

فإن قلت : فقد حكي عن جماعة أن منهم من وضع الأسد يده على كتفه ولم يتحرك.

فأقول : وقد حكي عن جماعة أنهم ركبوا الأسد وسخروه فلا ينبغي أن يغرك ذلك المقام، فإنه وإن كان صحيحاً في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير، بل

من قوة ومن رباط الخيل) ترهبون به عدو الله﴾ وقال تعالى ﴿فاسر بأهلك بقطع من الليل﴾ [هود : ٨١] **(وقال تعالى لموسى عليه السلام ﴿فاسر بعبادي ليلاً﴾ والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب، واختفاء رسول الله ﷺ في الغار)** أي غار ثور عند إرادة الهجرة **(اختفاء عن أعين الأعداء دفعاً للضرر)** العارض منهم، ومثل هذا في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ لا ينحصر، ولو فرضنا ولياً من أولياء الله اتسع قلبه بهذه الحالة حتى قوي قلبه على الدخول في الأسباب مع ملاحظتها كان ذلك كمالاً في ولايته لأنها رتب الأنبياء عليهم السلام، ومن لم ير الأسباب رأساً فقد جهل ما بين السماء والأرض إلا إذا كان ذاهلاً عنها لاستغراقه بمسبب الأسباب، فهذه عند العلماء بالله حالة المقربين من الصديقين **(وأخذ السلاح في الصلاة ليس دافعاً قطعاً كقتل الحية والعقرب، فإنه دافع قطعاً ولكن أخذ السلاح سبب مظنون، وقد بينا)** سابقاً **(أن المظنون كالمقطوع، وإنما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه)** .

(فإن قلت: فقد حكي عن جماعة) من الأولياء **(أن منهم من وضع الأسد يده على كتفه ولم يتحرك)** باطنه ولم يداخله الرعب أصلاً،

(فأقول: وقد حكي عن جماعة منهم أنهم ركبوا الأسد وسخروه) كما وقع ذلك لإبراهيم بن أدهم وغيره كما في الحلية، ووقع مثل ذلك لإبراهيم الخواص إذ كان يقصد الغياض المسبعة وجبل الحيات والأودية الغامضة الموحشة يبيت فيها، وعالج من الجن في البراري والقفار والكهوف والغيران وكلموه في قصص كثيرة كما في القوت **(فلا ينبغي أن يغرك ذلك المقام فإنه وإن كان صحيحاً في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير، بل ذلك مقام رفيع في الكرامات)**، ومن فضائل بعض مقامات المتوكلين ومقتضى أحوال بعض الموقنين.

ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطاً في التوكل وفيه أسرار لا يقف عليها من لم ينته إليها.

فإن قلت: وهل من علامة أعلم بها أني قد وصلت إليها.

فأقول: الواصل لا يحتاج إلى طلب العلامات ولكن من العلامات على ذلك المقام السابقة عليه أن يسخر لك كلب هو معك في إهابك يسمى الغضب فلا يزال يعضك ويعض غيرك، فإن سخر لك هذا الكلب بحيث إذا هيج وأشلي لم يستشل إلا بإشارتك وكان مسخراً لك، فربما ترتفع درجتك إلى أن يسخر لك الأسد الذي هو ملك السباع وكلب دارك أولى بأن يكون مسخراً لك من كلب البوادي، وكلب إهابك أولى بأن يتسخر من كلب دارك، فإذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر.

فإن قلت: فإذا أخذ المتوكل سلاحه حذراً من العدو وأغلق بابه حذراً من اللص

(**وليس ذلك**، كله (**شرطاً في التوكل**) ولا من فرضه، وإنما فرض التوكل عقد العقد والاستسلام بحسن التفويض للرب ونفي عوارض الآفات الداخلة على المتوكل من السكون إلى الأسباب والركون إلى الخلق في المعتاد، (**وفيه**) أي في هذا المقام (**أسرار**) غريبة (**لا يقف عليها من لم ينتة إليها**.

(**فإن قلت: هل من علامة أعلم بها أني قد وصلت إليها**)؟

(**فأقول: الواصل**) إلى تلك المقامات (**لا يحتاج إلى طلب العلامات، ولكن من العلامات السابقة عليه**) لأجل الاختيار حتى لا يقع في غرور (**أن يسخر لك كلب هو معك في إهابك**) أي جلدك (**يسمى الغضب**) شبه به في كون كل منهما عقوراً (**فلا يزال يعضك ويعض غيرك**)، ولذلك قال بعض الرهبان لما قيل له: يا راهب لست براهب إنما أنا ساحر كلب أخاف أن يعض الناس أراد به نفسه، (**فإن سخر لك هذا الكلب بحيث إذا هيج وأشلي**) أي أغرق (**لم يستشل إلا باشارتك**) أي لم يثق إلا بها (**وكان مسخراً لك**) منقاداً في طوعك فإذا تم لك ذلك، (**فربما ترتفع درجتك إلى أن يسخر لك الأسد الذي هو ملك السباع**) في البر، (**وكلب دارك أولى من أن يكون مسخراً لك من كلب البوادي، وكلب إهابك أولى بأن يسخر لك من كلب دارك، فإذا لم يسخر لك الكلب الباطن**) الذي هو النفس الأمارة بالغضب (**فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر**) فهذا أحد العلامات فاختبر بها نفسك.

(**فإن قلت: فإذا أخذ المتوكل سلاحه حذرا من العدو، وأغلق بابه حذراً من اللص،**

وعقل بعيره حذراً من أن ينطلق، فبأي اعتبار يكون متوكلاً؟

فأقول: يكون متوكلاً بالعلم والحال، فأما العلم فهو أن يعلم أن اللص إن اندفع لم يندفع بكفايته في إغلاق الباب بل لم يندفع إلا بدفع الله تعالى إياه، فكم من باب يغلق ولا ينفع، وكم من بعير يعقل ويموت أو يفلت، وكم من آخذ سلاحه يقتل أو يغلب فلا تتكل على هذه الأسباب أصلاً بل على مسبب الأسباب، كما ضربنا المثل في الوكيل في الخصومة، فإنه إن حضر وأحضر السجل فلا يتكل على نفسه وسجله بل على كفاية الوكيل وقوته. وأما الحال؛ فهو أن يكون راضياً بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول: اللهم إن سلطت علي ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وأنا راضٍ بحكمك، فإني لا أدري أن ما أعطيتني هبة فلا تسترجعها أو عارية ووديعة فتستردها، ولا أدري أنه رزقي أو سبقت مشيئتك في الأزل بأنه رزق غيري وكيفما قضيت فأنا راض به، وما أغلقت الباب تحصناً من قضائك وتسخطاً له بل جرياً على مقتضى سننك في ترتيب الأسباب فلا ثقة إلا بك يا مسبب الأسباب، فإذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل بعقل البعير وأخذ السلاح وإغلاق الباب، ثم إذا عاد

وعقل بعيره حذراً من أن ينطلق فبأي اعتبار يكون متوكلاً) وما فعله ظاهره يناقض التوكل؟

(**فأقول: يكون متوكلاً بالعلم والحال. فأما العلم؛ فهو أن يعلم أن اللص إن اندفع)** عن بيته لم يندفع (**بكفايته في إغلاق الباب، بل لم يندفع إلا بدفع الله تعالى إياه)** ولولا دفع الله لم يندفع، وإلا (**فكم من باب يغلق ولا ينفع)** بل يكسر الغلق ويؤخذ ما فيه أو يتسور عليه، (**وكم من بعير يعقل ويموت أو يفلت)** من عقاله، (**وكم من آخذ سلاحه يقتل أو يغلب)** من حيث لا يدري؛ (**فلا يتكل على هذه الأسباب أصلاً على مسبب الأسباب)** ومسخرها ومسهلها، وهذا إنما يصل إليه بقوة علمه في توحيد الباري جل جلاله، (**كما ضربنا المثل في الوكيل في الخصومة فإنه إن حضر وأحضر السجل فلا يتكل على نفسه وسجله، بل على كفاية الوكيل وقوته)** ومساعدته. (**وأما الحال؛ فهو أن يكون راضياً بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول: اللهم إن سلطت علي ما في البيت)** من المتاع (**من يأخذه فهو في سبيلك وأنا راض بحكمك فإني لا أدري أن ما اعطيتني)** من المتاع (**هبة)** محضة منك (**فلا تسترجعها، أو عارية ووديعة فتستردها. ولا أدري أنه رزقي أو سبقت مشيئتك في الأزل بأنه رزق غيري، وكيفما قضيت فأنا راض به)** على كل حال. (**وما أغلقت الباب تحصيناً من قضائك وتسخطاً له، بل جرياً على مقتضى سننك في ترتيب الأسباب)** على مسبباتها، (**فلا ثقة إلا بك يا مسبب الأسباب، فإذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود**

فوجد متاعه في البيت فينبغي أن يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى ، وإن لم يجده بل وجده مسروقاً نظر إلى قلبه ، فإن وجده راضياً أو فرحاً بذلك عالماً أنه ما أخذ الله تعالى ذلك منه إلا ليزيد رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه ، وإن تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له أنه ما كان صادقاً في دعوى التوكل لأن التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد إلا ممن لا يتأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي ، بل يكون على العكس منه ، فكيف يصح له التوكل ، نعم قد يصح له مقام الصبر إن اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس ، وإن لم يقدر على ذلك حتى تأذى بقلبه وأظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه ، فقد كانت السرقة مزيداً له في ذنبه من حيث أنه ظهر له قصوره عن جميع المقامات وكذبه في جميع الدعاوى ؛ فبعد هذا ينبغي أن يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فإنها خداعة أمارة بالسوء مدعية للخير .

التوكل بعقل البعير وأخذ السلاح وإغلاق الباب، ثم) ذلك التوكل **(إذا عاد فوجد متاعه في البيت)** لم يؤخذ ، **(فينبغي أن يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى، وإن لم يجده بل وجده مسروقاً نظر إلى قلبه، فإن وجده راضياً أو فرحاً بذلك عالماً أنه ما أخذ الله ذلك منه إلا ليزيد رزقه في الآخرة)** وأنه ما من رزق ينقص له من الدنيا إلا وهو زيادة له في رزق الآخرة كما سبق ؛ **(فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه)** فيه ، فإن حمد الله وشكره على حسن بلائه أعطى ثواب الشاكرين الراضين كما جاء في الخبر « يا رب من أولياؤك من خلقك ؟ قال: الذي إذا أخذت منه المحبوب فسالمني » . **(وإن تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له أنه ما كان صادقاً في دعوى التوكل، لأن التوكل مقام بعد الزهد)** . وإن لم يكن شرطاً فيه . **(ولا يصح الزهد إلا ممن لا يتأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي بل يكون على العكس منه)** كما تقدم في كتاب الزهد ، **(فكيف يصح له التوكل)** وهو لم يكن في مقام الزهد ؟ ومقامات اليقين التسعة كلها على ترتيب ، ومثل هذا جناية من المؤمنين يستغفرون الله منه ويتوبون إليه كما يتوبون من المعاصي . **(نعم، قد يصح له مقام الصبر إن أخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه في الطلب والتجسس)** فهو يعطى ثواب الصابرين المجاهدين ، **(وإن لم يقدر على ذلك حتى تأذى بقلبه وأظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه ؛ فقد كانت السرقة مزيداً له في ذنبه من حيث أنه ظهر له قصوره عن جميع المقامات)** الصبر والشكر والفقر والزهد والتوحيد والتوكل والرضا ، **(و)** ظهر أيضاً **(كذبه في جميع الدعاوى)** فليبك على نفسه وليستأنف التوبة والدخول في الطريق ، **(فبعد هذا ينبغي أن يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاويها ولا يتدلى بحبل غرورها فإنها خداعة)** غرارة **(أمارة بالسوء مدعية للخير)** فهذه كلها ذنوب عند المتوكلين وموجبات التوبة والاستغفار عند الموقنين.

فإن قلت: فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ؟

فأقول: المتوكل لا يخلو بيته عن متاع كقطعة يأكل فيها وكوز يشرب منه وإناء يتوضأ منه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه، وغير ذلك من ضرورات المعيشة من أثاث البيت، وقد يدخل في يده مال وهو يمسكه ليجد محتاجاً فيصرفه إليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلاً لتوكله، وليس من شرط التوكل إخراج الكوز الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده، وإنما ذلك في المأكول وفي كل مال زائد على قدر الضرورة لأن سنّة الله جارية بوصول الخير إلى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد، وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والأمتعة في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطاً في التوكل، ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والابرة دون الزاد، لكن سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الأمرين.

فإن قلت: فكيف يتصور أن لا يحزن إذا أخذ متاعه الذي هو محتاج إليه ولا يتأسف عليه، فإن كان لا يشتهيه فلم أمسكه وأغلق الباب عليه، وإن كان أمسكه لأنه يشتهيه

(**فإن قلت: فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ**) والمتوكل لا يأوي على مال ولا متاع؟

(**فأقول: المتوكل لا يخلو بيته من متاع كقصعة يأكل فيها وكوز يشرب منه وإناء يتوضأ منه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوه، وغير ذلك من ضرورات المعيشة من أثاث البيت**) كحصيرة يرقد عليها ويصلي فوقها ووسادة يضعها تحت رأسه. (**وقد يدخل في يده مال**) من إرث أو كسب أو هبة أو غير ذلك (**وهو يمسكه**) عنه بعد أن يفضل من قوته (**ليجد محتاجاً فيصرفه إليه، فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلاً لتوكله**) بل هو مدخر لحقوق الله التي أوجبها عليه، والقيام بحقوق الله لا ينقص مقامات العبد بل يزيدها علواً، (**وليس من شرط التوكل إخراج الكوز الذي يشرب منه والجراب الذي**) يحفظ (**فيه زاده، وإنما ذلك في المأكول وفي كل مال زائد على قدر الضرورة لأن سنة الله تعالى جارية بوصول الخبز إلى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد**) من حيث يحتسبون ومن حيث لا يحتسبون، (**وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والأمتعة في كل يوم ولا في كل أسبوع، والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطاً في التوكل، ولذلك كان**) إبراهيم (**الخواص**) رحمه الله تعالى مع شدة مذهبه في الإدخار (**يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والإبرة**) ويقول من لوازم الدين (**دون الزاد، لكم سنة الله جارية في الفرق بين الأمرين**).

(**فإن قلت: فكيف يتصور أن لا يحزن إذا أخذ متاعه الذي هو محتاج إليه. ولا يتأسف عليه، فإن كان لا يشتهيه فلم أمسكه وأغلق الباب عليه؟ وإن كان أمسكه لأنه**

لحاجته إليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه.

فأقول: إنما كان يحفظه ليستعين به على دينه إذ كان يظن أن الخيرة له في أن يكون له ذلك المتاع، ولولا أن الخيرة له فيه لما رزقه الله تعالى ولما أعطاه إياه، فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعاً به، إذ يحتمل أن تكون خيرته في أن يبتلي بفقده ذلك حتى ينصب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في النصب والتعب أكثر، فلما أخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغير ظنه لأنه في جميع الأحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول: لولا أن الله عز وجل علم أن الخيرة كانت لي في وجودها إلى الآن والخيرة لي الآن في عدمها لما أخذها مني، فبمثل هذا الظن يتصوّر أن يندفع عنه الحزن، إذ به يخرج عن أن يكون فرحه بالأسباب من حيث أنها أسباب، بل من حيث أنه يسرها مسبب الأسباب عناية وتلطفاً، وهو كالمريض بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله، فإن قدم إليه الغذاء فرح وقال: لولا أنه يعرف أن الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قربه إليَّ، وإن أخّر عنه الغذاء بعد ذلك أيضاً فرح وقال: لولا أن الغذاء يضرني ويسوقني إلى الموت لما حال بيني وبينه، وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى ما يعتقده المريض في الوالد المشفق

يشتهيه لحاجته إليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه)؟ (فأقول: إنما كان يحفظه ليستعين به على دينه إذ كان يظن أن الخيرة له في أن يكون له ذلك المتاع، ولولا الخيرة له فيه لما رزقه الله تعالى ولما أعطاه إياه، فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه أن ذلك معين له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مقطوعاً به، إذ لا يحتمل أن تكون خيرته في أن يبتلي بفقده ذلك حتى ينصب) أو يتعب **(في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في التعب والنصب أكثر، فلما أخذه الله تعالى منه بتسليط اللص تغيّر ظنه لأنه في جميع الأحوال واثق بالله حسن الظن به، فيقول: لولا أن الله عز وجل علم أن الخيرة لي كانت في وجودها إلى الآن)** فكانت في حيازتي **(والخيرة لي الآن في عدمها لما أخذها مني، فبمثل هذا الظن يتصور أن يندفع عنه الحزن إذ به يخرج عن أن يكون فرحه بالأسباب من حيث أنها أسباب، بل من حيث أنه يسرها مسبب الأسباب عناية منه وتلطفاً)** وشفقة عليه ورحمة، **(وهو كالمريض بين يدي الطبيب الشفيق)** المحب لبقائه **(يرضى بما يفعله)** معه، **(فإن قدم إليه الغذاء فرح وقال: لولا أنه يعرف أن الغذاء ينفعني وقد قويت على احتماله لما قربه إلي وإن أخر عنه الغذاء بعد ذلك أيضاً فرح وقال: لولا أن الغذاء يضرني يسوقني إلى الموت لما حال بيني وبينه، وكل من لا يعتقد في لطف الله تعالى)** وعنايته به **(ما يعتقده المريض في الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه**

الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل أصلاً، ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في إصلاح عباده لم يكن فرحه بالأسباب، فإنه لا يدري أي الأسباب خير له، كما قال عمر رضي الله عنه: لا أبالي أصبحت غنياً أو فقيراً، فإني لا أدري أيهما خير لي. فكذلك ينبغي أن لا يبالي المتوكل يسرق متاعه أو لا يسرق فإنه لا يدري أيهما خير له في الدنيا أو في الآخرة، فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الإنسان، وكم من غنيّ يبتلي بواقعة لأجل غناه يقول: يا ليتني كنت فقيراً!

بيان آداب المتوكلين إذا سرق متاعهم:

للمتوكل آداب في متاع بيته إذا خرج عنه.

الأوّل: أن يغلق الباب ولا يستقصي في أسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق، وكجمعه أغلاقاً كثيرة، فقد كان مالك بن دينار لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط ويقول: لولا الكلاب ما شددته أيضاً.

الترك أصلاً، ومن عرف الله تعالى وعرف أفعاله وعرف سنته في إصلاح عباده لم يكن فرحه بالأسباب، فإنه لا يدري أي الأسباب خير له) فهي بمنزلة النجوم مسخرات له بأمره. (**قال عمر رضي الله عنه: لا أبالي أصبحت غنياً أو فقيراً فإني لا أدري أيهما خير لي**) وقد سبق، (**فكذلك ينبغي أن لا يبالي المتوكل يسرق متاعه أو لا يسرق فإنه لا يدري أيهما خير له في الدنيا أو في الآخرة، فكم من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الإنسان**) ولولاه لما هلك، (**وكم من غني يبتلى بواقعة لأجل غناه يقول: يا ليتني كنت فقيراً**) فالخيرة لله سبحانه في سائر الأحوال.

بيان آداب المتوكلين إذا سرق متاعهم:

إلعلم أنه (**للمتوكل آداب**) سواء كان منفرداً أو معيلاً، وتلك الآداب ينبغي مراعاتها وهي (**في متاع بيته إذا خرج عنه**) لحاجته.

(**الأول أن يغلق الباب**) فهذا جائز له (**ولا**) يجوز أن (**يستقصي في أسباب الحفظ كالتماسه من الجيران الحفظ مع الغلق وكجمعه أغلاقاً كثيرة**) فالاستقصاء في هذا بنحو ذلك مما يناقض التوكل لأنه يدل على عدم الثقة بالله، وقيل: يبطل كماله لا أصله؛ (**فقد كان**) أبو يحيي (**مالك بن دينار**) البصري رحمه الله تعالى (**لا يغلق بابه ولكن يشده بشريط ويقول: لولا الكلاب ما شددته أيضاً**) كذا في القوت. وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق يوسف بن عطية الصفار عن مالك بن دينار قال: من دخل بيتي فأخذ شيئاً فهو له حلال، أما أنا فلا أحتاج إلى قفل ولا إلى مفتاح.

الثاني: أن لا يترك في البيت متاعاً يحرض عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم، أو إمساكه يكون سبب هيجان رغبتهم، ولذلك لما أهدى المغيرة إلى مالك بن دينار ركوة قال: خذها لا حاجة لي إليها. قال: لمَ؟ قال: يوسوس إلى العدوّ أن اللص أخذها، فكأنه احترز أن يعصي السارق، ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها. ولذلك قال أبو سليمان: هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا زهد في الدنيا فما عليه من أخذها.

الثالث: أن ما يضطر إلى تركه في البيت ينبغي أن ينوي عند خروجه الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول: ما يأخذه السارق فهو منه في حل أو هو في سبيل الله تعالى، وإن كان فقيراً فهو عليه صدقة، وإن لم يشترط الفقر فهو أولى،

(الثاني: أن لا يترك في البيت متاعاً يحرض عليه السراق فيكون هو سبب معصيتهم، وإمساكه يكون سبب هيجان رغبتهم، ولذلك لما أهدى المغيرة إلى مالك بن دينار ركوة) فأخذها منه ثم بعد أيام **(قال)** له. **(خذها لا حاجة لي إليها. قال: لم؟ قال: يوسوس إلي العدو أن اللص أخذها)** قد تقدم عند أبي نعيم في الحلية أخرجه من طريق الحرث بن نبهان الجرمي قال: قدمت من مكة فأهديت إلى مالك بن دينار ركوة قال: فكانت عنده، قال: فجئت يوماً فجلست في مجلسه فقال: يا حارث بن نبهان تعال فخذ ركوتك فقد شغلت علي قلبي الخ. والمصنف تبع صاحب القوت فإنه هكذا ذكره عن المغيرة ولعلها قصتان، **(فكأنه احترز من أن يعصي السارق، ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها. ولذلك قال أبو سليمان)** الداراني رحمه الله تعالى لتلميذه أحمد بن الحواري حين سأله عن هذه القصة: **(هذا من ضعف قلوب الصوفية، هذا قد زهد في الدنيا فما عليه من أخذها)** قال صاحب القوت: وهذا كما قال أبو سليمان لأن الزهد إذا حق دخل الرضا والتوكل فيه، ولقول مالك أيضاً وجه كأنه كره أن يعصي الله به فيكون سبباً لمعصية الله، ولكن قول أبي سليمان أعلى لأجل مقام التوكل والرضا.

(الثالث: أن ما يضطر إلى تركه في البيت ينبغي أن ينوي عند خروجه) منه **(الرضا بما يقضي الله فيه من تسليط سارق عليه)** فإن الرضا حال المتوكل، **(ويقول)**: اللهم إن جميع **(ما)** في منزلي إن سلطت عليه من **(يأخذه السارق فهو منه في حل أو هو)** صدقة **(في سبيل الله تعالى، فإن كان)** الآخذ **(فقيراً فهو عليه صدقه)** مني. وفي القوت: إن كان الآخذ فقيراً حمله على السرقة الحاجة أمضى صدقته عليه، وإن كان غير ذلك صرفها إلى فقير وهو مأجور على الصدقة وعلى السارق والبغي إذا حملها على ذلك الحاجة، **(وإن لم يشترط الفقر فهو أولى)**. ولفظ القوت: قد كان بعض السلف إذا أخذ له الشيء يشترط فيقول: إن كان فقيراً فهو صدقة عليه، وإن كان محتاجاً فهو منه في حل انتهى.

فيكون له نيتان لو أخذه غني أو فقير.

إحداهما: أن يكون ماله مانعاً له من المعصية، فإنه ربما يستغني به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه بأكل الحرام لما ان جعله في حل.

والثانية: أن لا يظلم مسلماً آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر، ومهما ينوي حراسة مال غيره بمال نفسه أو ينوي دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله ﷺ: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم، وعفوه عنه إعدام للظلم ومنع له. وليتحقق أن هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه، إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الأزلي. ولكن يتحقق بالزهد نيته فإن أخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم، لأنه نواه وقصده، وإن لم يؤخذ حصل له الأجر أيضاً، كما روي عن رسول الله ﷺ فيمن ترك العزل فأقرّ النطفة قرارها أن

ووجه أولوية عدم الاشتراط لأن الله تعالى حكما حقيقية في الغيب وألطافا، ومصالح وحسن توفيق لأهل ولايته بحيث لا يعلمون ومن حيث لا يحتسبون، كما يستخرج لهم رزقهم من الحرام والحلال، وكما يشهدهم الحق والعدل من الباطل والمحال، وكما يعلمهم الفهوم ويظهر لهم العلوم من الجهال بحسن عنايته بهم، وفضل أثر قولهم. **(فتكون له نيتان: لو أخذه غني أو فقير).**

(إحداهما: **أن يكون ماله مانعاً له من المعصية فإنه ربما يستغني به فيتوانى عن السرية بعده وقد زال عصيانه بأكل الحرام لما أن جعله في حل**).

(الثانية: أن لا يظلم مسلماً آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر، ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه أو نوى دفع المعصية عن السارق أو تخفيفها عليه، فقد نصح للمسلين وامتثل قوله ﷺ «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً») قيل: يا رسول الله انصره مظلوماً فكيف انصره ظالماً؟ قال «تحجزه عن المعاصي فإن ذلك نصره». رواه أحمد وعبد بن حميد والبخاري والترمذي وابن حبان من حديث أنس، ورواه ابن حبان أيضاً من حديث ابن عمر وقد تقدم. **(ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم)** كما هو مفهوم الحديث، **(وعفوه عنه إعدام للظلم ومنع له)** فإذا عفا عنه فقد منعه عن الظلم بعفوه لأنه لو رآه منعه من أخذه ووهبه له فيقوم عفوه عنه مقام رؤيته، وهذا يدخل في إشفاق الخائفين من فضل مطالبة الظالمين. **(وليتحقق أن هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الأزلي)** الذي سبق في الكتاب الأول، **(ولكن ليتحقق بالزهد نيته فإن أخذ ماله كان له بكل درهم)** تلف ولم يعد للتلف وحسن اليقين وتفويض التسليم **(سبعمائة درهم)** كأنه قد أنفقه في سبيل الله يحسب له ذلك، **(لأنه)** قد كان **(نواه وقصده، وإن لم يؤخذ حصل له الأجر أيضاً كما روي عن رسول الله ﷺ فيمن ترك العزل فاقر النطفة قرارها)** توكلاً على ممكنها **(أن له أجر غلام**

له أجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل في سبيل الله تعالى وإن لم يولد له، لأنه ليس أمر الولد إلا الوقاع، فأما الخلق والحياة والرزق والبقاء فليس إليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم فكذلك أمر السرقة.

الرابع: أنه إذا وجد المال مسروقاً فينبغي أن لا يحزن بل يفرح إن أمكنه ويقول: لولا أن الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى، ثم إن لم يكن قد جعله في سبيل الله عز

ولد له في ذلك الجماع وعاش فقتل في سبيل الله، وإن لم يولد له) فقال: أنت تخلقه أنت ترزقه إليك محياه ومماته أقرها قرارها ولك ذلك. هكذا نقله صاحب القوت. وقال العراقي: لم أجد له أصلاً (**لأنه ليس إليه في الأمر الولد إلا الوقاع، فأما الخلق والرزق والبقاء فليس إليه، فلو خلق لكان ثوابه على فعله لم ينعدم؛ فكذلك أمر السرقة**).

(**الرابع: أنه إذا وجد المال مسروقاً فينبغي أن لا يحزن**) عليه، (**بل يفرح إن أمكنه ويقول: لولا الخيرة كانت فيه لما سلبه الله تعالى**) لعلمه بأن الوكيل أعلم بالمصلحة.

وفي القوت: ولا ينبغي للمتوكل الموقن أن يحزنه ما حوله من قبضته وهي خزانته إلى خزانته التي هي يد غيره فلا لعلمه يهبه له فيكون رزقه أو يبتليه بأحكامه فيه، فيخرج أيضاً من يده لأنه خرج من الدار شيء ولله حكمة وابتلاء في كل شيء، فالحزن والأسف على فوت مثل هذا عند العارفين جناية من المؤمنين يتوبون إلى الله تعالى منها لأنه تعالى قد أمرهم بترك الأسى على ما فات من الدنيا، وقلة الفرح بما أتاه منها إذ لا بد في كونها لأنه قد علمه وبعد علمه قد كتبه ثم أعلم به، فكشف لهم اليقين عن الكتاب المستبين لأن جميع ذلك قد سبق في كتاب وجرى به القلم في اللوح، أفلا يستحيي العبد أن يكون على ضد ما أمر به أو بخلاف ما يحبه منه مولاه فيأسى على ما ليس له ويحزن على ما استودعه لما منه استرجعه أو يفرح بما لم يكن في علم الله سبق له لأنه لم يكن يعلم هل كان وهب له فيبقى عليه أو أعيره وأودعه فيرتجع منه؟ فلما أخذ من يده ورد إلى معطيه ومودعه وكانت يده مع ذلك خزانة الوكيل وقبضته أيقن أنه لم يكن له، إنما كان وديعة عنده، فإذا حزن وساء فقد شك لما أيقن وجهل إذ علم ورغب، وكان ينبغي أن يكون زهداً، فأي شرك في الملك أظهر من هذا فهو ثمرة التملك للاختيار بالتمليك. ولو سمع ما علم من قوله: ولم يكن له شريك في الملك ثم ردوا إلى مولاهم الحق لقال تحقيقاً لا تصديقاً إنا لله وإنا إليه راجعون، فأيقن أن ما في يده لمولاه إذ العبد وماله لسيده، ثم أيقن أنه إليه راجع وأن ما خرج من يده فإنه في قبضة الله لم يخرج من خزانته ولا نقل من ملكه ولا حول من داره لأنه في الدار بعد لم يخرج، وإنما نقله من تمليك أدنى اليوم إلى ملك أعلى غد، وذلك حسن اختيار من المختار وبلوى اختبار من الجبار؛ فهذه شهادة الموقنين بعين اليقين وهو مقام الشاهدين، ثم قال: وهذا الذي ذكرناه من ذهاب ما في البيت هو لكل من ذهب له مال في سفر أو حضر ولكل من أصيب بمصيبة في نفس أو أهل. هذه

وجل، فلا يبالغ في طلبه وفي إساءة الظن بالمسلمين، وإن كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه فإنه قد قدمه ذخيرة لنفسه إلى الآخرة، فإن أعيد عليه فالأولى أن لا يقبله بعد أن كان قد جعله في سبيل الله عز وجل، وإن قبله فهو في ملكه في ظاهر العلم، لأن الملك لا يزول بمجرد تلك النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين.

وقد روي أن ابن عمر سرقت له ناقة فطلبها حتى أعيا، ثم قال: في سبيل الله تعالى، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إن ناقتك في

المعاملات كلها إذا اعتقدها بقلبه وكانت في خلده ووجده وإن لم ينطق بها أو يظهرها وهو وجد الراضين وحال المتوكلين وإن لم يتكلموا به أو يعلم منهم، فأكثر الناس إيماناً وأحسنهم يقيناً أقلهم غماً وأيسرهم أسى على ما فات من الدنيا، وأنفذهم شهادة من رأى ذلك نعمة أوجبت عليه شكراً، فالمصائب محنة تكشف الزهد في الدنيا وشدة الغم على فوت الدنيا دليل على حبها، فإن وجد المتوكل رحله بحاله أو رد عليه بعد أخذه لم يضره تبقيته شيئاً، وكان له أجور بما ذكرناه من الأعمال الصالحة بالنيات التي وصفناها، ولا أعلم هذا القول. واعتقاده عند خروجه من منزله أو تركه لرحله أو خروجه في سفر ينقصه شيئاً ولا يضره، ولا يقدم ضياع شيء حكم الله تعالى ببقائه له، ولا يدخر تلك العقد لهذا تبقية ما حكم الله بذهابه، ومع ذلك فيكون له حال من التوكل ومقام في الرضا وحسن المعاملات.

(ثم إن لم يكن قد جعله في سبيل الله عز وجل فلا يبالغ في طلبه وفي إساءة الظن بالمسلمين، وإن كان قد جعله في سبيل الله فيترك طلبه فإنه قد قدمه ذخيرة لنفسه إلى الآخرة، فإن أعيد عليه فالأولى أن لا يقبله بعد أن كان قد جعله في سبيل الله عز وجل وإن قبله فهو في ملكه في ظاهر) فتوى **(العلم لأن الملك لا يزول بمجرد النية ولكنه غير محبوب عند المتوكلين)**. ولفظ القوت بعد قوله ومع ذلك فيكون له حال من التوكل ومقام في الرضا وحسن المعاملات إلا شيئاً واحداً من باب نقصان الدنيا وهو من طريق الورع، فإنه ينقصه وهو أنه إن أخذ ما توكل الله فيه فرد الأمر به إليه، ثم رد عليه لم يستحب له في الورع أن يتملكه ولا أن يرجع فيه في حسن الأدب لأنه قد كان جعله في سبيل الله، فإن رجع فيه لم ينقص ذلك توكله لأنه قد صح تفويضه إلى الوكيلين في الحالين جميعاً فيكون رده إياه عليه لأنه كان قد وهبه له، وإنما روعه بفقده وبمنزلة إبتداء إعطاء منه.

(وقد روي أن ابن عمر) رضي الله عنه **(سرقت له ناقة فطلبها حتى أعيا ثم قال:)** هي **(في سبيل الله فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمٰن)** وهي كنية ابن عمر **(إن ناقتك في مكان كذا فلبس نعله وأقام)** يسيراً **(ثم)** نزعها و **(قال:**

مكان كذا فلبس نعله وقام ثم قال: أستغفر الله وجلس، فقيل له: ألا تذهب فتأخذها! فقال: إني كنت قلت في سبيل الله.

وقال بعض الشيوخ: رأيت بعض إخواني في النوم بعد موته فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأدخلني الجنة وعرض عليَّ منازلي فيها فرأيتها، قال: وهو مع ذلك كئيب حزين! فقلت: قد غفر لك ودخلت الجنة وأنت حزين! فتنفس الصعداء ثم قال: نعم إني لا أزال حزيناً إلى يوم القيامة. قلت: ولِمَ؟ قال: إني لما رأيت منازلي في الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رأيت مثلها فيما رأيت ففرحت بها، فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها: اصرفوه عنها فليست هذه له إنما هي لمن أمضى السبيل، فقلت: وما إمضاء السبيل؟ فقيل لي: كنت تقول للشيء إنه في سبيل الله ثم ترجع فيه، فلو كنت أمضيت السبيل لأمضينا لك.

وحكي عن بعض العباد بمكة أنه كان نائماً إلى جنب رجل معه همیانه، فانتبه الرجل ففقد همیانه فاتهمه به فقال له: كم كان في همیانك؟ فذكر له، فحمله إلى البيت ووزنه من عنده، ثم بعد ذلك اعلمه أصحابه أنهم كانوا أخذوا الهميان مزحاً معه، فجاء هو وأصحابه معه وردوا الذهب فأبى وقال: خذه حلالاً طيباً فما كنت لأعود في مال

أستغفر الله وجلس، فقيل له: ألا تذهب فتأخذها؟ فقال: إني) قد (كنت قلت في سبيل الله) كذا في القوت.

(وقال بعض الشيوخ) من الصوفية: (رأيت بعض إخواني في النوم بعد موته فقلت) له. (ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وأدخلني الجنة وعرض علي منازلي فيها فرأيتها فقال: وهو مع ذلك كئيب حزين؟ فقلت: قد دخلت الجنة وغفر لك وأنت حزين فتنفس الصعداء؟ فقال: نعم إني لا أزال حزيناً إلى يوم القيامة قلت: ولم) ذلك؟ (قال: إني لما رأيت منازلي في الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رأيت مثلها فيما رأيت ففرحت بها، فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها: اصرفوه عنها فليست هذه له إنما هي لمن أمضى السبيل، فقلت وما إمضاء السبيل؟ فقال لي: كنت تقول للشيء أنه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لأمضينا)ها (لك) كذا في القوت.

(وحكي عن بعض العباد بمكة أنه كان نائماً إلى جنب رجل) من الحجاج (معه همیانه) بالكسر كيس يجعل فيه المال، (فانتبه الرجل ففقد همیانه فاتهمه به فقال له: كم كان في همیانك؟ فذكر له فحمله إلى البيت ووزنه من عنده، ثم بعد ذلك أعلمه أصحابه أنهم كانوا أخذوا الهميان مزحاً معه) أي فعلوا ذلك معه وحلوا همیانه وهو نائم بطريق المزاح واللعب، (فجاء هو وأصحابه وردوا) إليه (الذهب فأبى) أن يأخذ منهم (وقال: خذوه

أخرجته في سبيل الله عز وجل، فلم يقبل فألحوا عليه فدعا ابناً له وجعل يصره صرراً ويبعث بها إلى الفقراء حتى لم يبق منه شيء.

فهكذا كانت أخلاق السلف، وكذلك من أخذ رغيفاً ليعطيه فقيراً فغاب عنه كان يكره رده إلى البيت بعد إخراجه فيعطيه فقيراً آخر، وكذلك يفعل في الدراهم والدنانير وسائر الصدقات.

الخامس: وهو أقل الدرجات أن لا يدعو على السارق الذي ظلمه بالأخذ، فإن فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهته وتأسفه على ما فات، وبطل زهده ولو بالغ فيه بطل أجره أيضاً فيما أصيب به. ففي الخبر: «من دعا على ظالمه فقد انتصر». وحكي أن

حلالاً طيباً فما كنت لأعود في مال أخرجته في سبيل الله عز وجل، فلم يقبل فألحوا عليه فدعا أبناً له وجعل يصره صرراً ويبعث بها إلى الفقراء حتى لم يبق منه شيء فهكذا كانت أخلاق السلف). وفي القوت: فهذا كانت نية إخراجه لله سبحانه فلم يعد فيما أخرجه.

(وكذلك) تقول: **(فيمن أخذ رغيفاً ليعطيه فقيراً فغاب عنه)** ولم يصادفه **(كان يكره رده إلى البيت بعد إخراجه)** لله تعالى **(فيعطي فقيراً آخر، وكذلك يفعل في الدراهم والدنانير وسائر الصدقات)** قال صاحب القوت: وقد كان من كان بهذا الوصف، وهذا طريق قد عفا أثره ودرس خبره فمن عمله به فقد أحياه وأظهره وقد كان قديماً طريقاً إلى الله تعالى عليه السابلة من المؤمنين.

(الخامس: وهو أقل الدرجات أن لا يدعو على السارق الذي ظلم بالأخذ) من متاعه إذ قد جعله صدقة عليه فيؤجر أجراً ثانياً على أخيه وحسن نظره للعصاة من حيث لا يعلمون تخلق بأخلاق مولاه وينال بعفوه عن ظالمه درجة المحسنين ويتحقق بمقام المتقين ويكون ممن وقع أجره على الله، **(فإن فعل)** فقد **(بطل توكله ودل ذلك على كراهته وتأسفه على ما فات وبطل)** أيضاً **(زهده، ولو بالغ فيه بطل أيضاً أجره فيما أصيب به)**، والحاصل أنه بطل به ثلاث مقامات من اليقين: التوكل والزهد والصبر، وفي القوت: وقد اختلف رأي أهل المعرفة فيمن ظلم بمظلمة فقال بعضهم بتحليل الظالم والعفو عنه، وقالت طائفة من أهل التوكل: بل إرجاء ذلك إلى الله تعالى وتسليمه إليه وتفويضه حتى يحكم فيه ما يحب لأنه منه وله أولى وأنه أحب إليهم، وعندهم أعلى من ذلك ما حدثت عن أحمد بن أبي الحواري قال، قلت لأبي سليمان: إني قد جعلت كل من لي قبله تبعة في حلّ. فقال بئسما صنعت إنما كان ينبغي أن تهبه لله تعالى فيؤاخذ من يشاء ويعفو عمن يشاء. قال ابن أبي الحواري: فلم أجبه أنا على هذا وثبت على الأمر الأول قال وقول أبي سليمان أعلى، وهو معنى من التوكل على الله في النفس، وهو أرفع أحوال المتوكلين لأن التوكل في الحكم وهو من مقامات الأنبياء كما قال تعالى: ﴿إن الحكم إلا لله عليه توكلت﴾ [يوسف:

الربيع بن خيثم سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفاً وكان قائماً يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه، فجاءه قوم يعزونه فقال: أما إني قد كنت رأيته وهو يحله، قيل: وما منعك أن تزجره؟ قال: كنت فيما هو أحب إلي من ذلك - يعني الصلاة - فجعلوا يدعون عليه فقال: لا تفعلوا وقولوا خيراً فإني قد جعلتها صدقة عليه.

وقيل لبعضهم في شيء قد كان سرق له: ألا تدعو على ظالمك؟ قال: ما أحب أن أكون عوناً للشيطان عليه. قيل: أرأيت لو ردّ عليك؟ قال: لا آخذه ولا أنظر إليه لأني كنت قد أحللته له.

٦٧] ولأن فيه التفويض والتسليم وترك الإعتراض والتحكم بين يدي المولى، ووافقه ابن سيرين في هذا المعنى لحقيقة ورعه، وقول ابن أبي الحواري أدخل في السنة وأشبه بطريقة المتقدمين من الأئمة ولتجويز الأمة بالعفو عن الظالم وتفضيل العافين عن الناس، فلو لم يكن هذا أفضل ما مدحوا به ولا فضلوا بفعله وهذا مذهب الأكثر وهو أحب إليّ وكذلك كان رأي السلف الأول.

قلت: وإليه مال المصنف، (**ففي الخبر**) قال ﷺ: (« **من دعا على ظالمه فقد انتصر** ») رواه ابن أبي شيبة والترمذي وضعفه، وابن أبي الدنيا في ذم الغضب من حديث عائشة بلفظ: « على من ظلمه ».

(**وحكي أن الربيع بن خيثم**) الثوري الكوفي العابد تابعي ثقة (**سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفاً**) درهماً (**وكان قائماً يصلي، فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه، فجاءه قوم**) من الناس يتحزنون له و(**يعزونه. فقال: أما أني قد كنت رأيته وهو يحله**) من مربطه. (**قيل: وما منعك أن تزجره؟ قال: كنت فيما هو أحب إلي من ذلك يعني الصلاة**). قال: (**فجعلوا يدعون عليه**) الله يفعل به كذا وكذا، (**فقال: لا تفعلوا وقولوا خيراً فإني قد جعلتها صدقة عليه**) فلولا أنه اعتقد تحليله والعفو عنه لكان من المعاونين على الإثم والعدوان ولعصى رسول الله ﷺ في قوله: « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » ثم قال: « تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه » فهذا لولا عفوه عن ظلامته كان قد خذله وما نصره، ولم يخطئه أحد من السلف في هذا الفعل بل فعل ذلك على التفضيل له.

(**وقيل لبعضهم في شيء كان قد سرق له: ألا تدعو على ظالمك؟ قال: ما أحب أن أكون عوناً للشيطان عليه. قيل: أرأيت لو ردت عليك**) سرقتك كنت تأخذها؟ (**قال: لا آخذها ولا**) كنت (**أنظر إليها لأني قد كنت أحللتها له**) وفي نسخة أحللته منها نقله صاحب القوت.

وقيل لآخر: ادع الله على ظالمك. فقال: ما ظلمني أحد، ثم قال: إنما ظلم نفسه، ألا يكفيه المسكين ظلم نفسه حتى أزيده شراً؟

وأكثر بعضهم شتم الحجاج عند بعض السلف في ظلمه فقال: لا تغرق في شتمه فإن الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله ودمه.

وفي الخبر: «إن العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم».

السادس: أن يغتم لأجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى إذ جعله مظلوماً ولم يجعله ظالماً وجعل ذلك نقصاً في دنياه لا نقصاً في دينه، فقد شكا بعض الناس إلى عالم أنه قطع عليه الطريق وأخذ ماله فقال: إن لم يكن لك غم إنه قد

(**وقيل لآخر: ادع الله على ظالمك. فقال: ما ظلمني أحد، ثم قال: إنما ظلم نفسه ألا يكفيه المسكين ظلم نفسه حتى أزيده شراً**)؟ كذا في القوت. قال: وذهب لبعض المسلمين مال فجاءوا عليه فقال: علام تعزوني على أمر الله فوالله ما حزنت على ذهابه. قيل: ولِمَ؟ قال: شغلني الشكر عليه من الحزن.

(**وأكثر بعضهم شتم الحجاج**) بن يوسف الثقفي (**عند بعض السلف في ظلمه**) قيل هو الحسن البصري (**فقال له: لا تغرق في شتمه**) أي لا تبالغ ولا تكثر، (**فإن الله تعالى ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله ودمه**) وفي تدبير الخبر المأثور من قوله ﷺ لعائشة وقد دعت على ظالمها أحسب في سرقة لا يستحق عنه يقول: «لا توسعي عليه» ففي التوسيع عليه نقصان من ظلامة المظلوم بقدر ذلك إلا أن يصير للظالم زيادة ما انتهك منه (**و**) يطابقه ما جاء (**في الخبر**) الآخر (**«إن العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم»**) ولفظ القوت: إن العبد ليظلم بالمظلمة أو يسرق له الشيء فلا يزال يدعو عليه ويسبّه حتى يستوفي بقدر ظلامته ويبقى للظالم فضل يؤخذ له من المظلوم، وقد تقدم في كتاب آفات اللسان.

(**السادس: أن يغتم لأجل السارق وعصيانه وتعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى إذ جعله مظلوماً ولم يجعله ظالماً، وجعل ذلك نقصاً في دنياه لا نقصاً في دينه**) فقد كانوا يقولون إذا ظلموا من الغصب والسرقة نعمة الله علينا إذ لم يجعلنا ظالمين وجعلنا مظلومين أعظم ما فاتنا من الظلامة، (**فقد شكا بعض الناس إلى عالم**) من العلماء (**أنه قطع عليه الطريق وأخذ**

صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فما نصحت للمسلمين.

وسرق من علي بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يبكي ويحزن فقال: أعلى الدنانير تبكي؟ فقال: لا والله ولكن على المسكين أن يُسأل يوم القيامة ولا تكون له حجة.

وقيل لبعضهم: ادع على من ظلمك، فقال: إني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه، فهذه أخلاق السلف رضي الله عنهم أجمعين.

الفن الرابع: في السعي في إزالة الضرر كمداواة المرض وأمثاله:

اعلم أن الأسباب المزيلة للمرض أيضاً تنقسم إلى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع، وإلى مظنون كالفصد والحجامة وشرب الدواء المسهل وسائر أبواب الطب: أعني معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة وهي الأسباب الظاهرة في الطب، وإلى موهوم كالكي والرقية. أما المقطوع؛ فليس من

ماله فقال): يا أخي **(إن لم يكن لك غم أنه قد صار في المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بما لك فما نصحت للمسلمين)** كذا في القوت، فإن مقتضى النصيحة لهم أن يغتم على ما يصيبهم من التعرض لما يسخط الله عليهم.

(وسرق من علي بن الفضيل) بن عياض قدس سرهما وكان من الزاهدين كأبيه ومات قبل أبيه **(دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه)** الفضيل بن عياض **(وهو يبكي ويحزن فقال: أعلى الدنيا تبكي؟ فقال: لا والله ولكن على المسكين أنه يسأل يوم القيامة ولا تكون له حجة) كذا في القوت:**

(وقيل لبعضهم) في معنى هذا: **(ادع الله على من ظلمك. فقال: إني مشغول بالحزن عليه من الدعاء عليه، فهذه أخلاق السلف رضي الله عنهم أجمعين)**، وقد كان أبو سليمان الداراني يقول: إنما البغض لأهل المعاصي عن النظر إليهم عليها، فإذا تفكرت فيما يصيرون إليه من العقوبة دخلت الرحمة لهم القلب.

الفن الرابع في السعي في إزالة الضرر كمداواة المرضى وأمثاله:

(اعلم) أرشدك الله تعالى **(أن الأسباب المزيلة للمرض أيضاً تنقسم إلى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش والخبز المزيل لضرر الجوع وإلى مظنون كالفصد والحجامة وشرب الدواء المسهل وسائر أبواب الطب أعني معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة وهي الأسباب الظاهرة في الطب، وإلى موهوم كالكي والرقية. أما المقطوع)** به: **(فليس من**

التوكل تركه، بل تركه حرام عند خوف الموت. وأما الموهوم؛ **فشرط التوكل تركه إذ** به وصف رسول الله ﷺ المتوكلين وأقواها الكي، ويليه الرقية، والطيرة آخر درجاتها، والاعتماد عليها والاتكال إليها غاية التعمق في ملاحظة الأسباب. وأما الدرجة المتوسطة وهي المظنونة؛ كالمداواة بالأسباب الظاهرة عند الأطباء ففعله ليس مناقضاً للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظوراً بخلاف المقطوع، بل قد يكون أفضل من فعله في بعض الأحوال وفي بعض الأشخاص فهي على درجة بين الدرجتين، ويدل على أن التداوي غير مناقض للتوكل فعل رسول الله ﷺ وقوله وأمره به؛ أما قوله فقد قال ﷺ: « ما من داء إلا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السأم » يعني الموت.

التوكل) أي من شرطه **(تركه، بل تركه حرام عند خوف الموت. وأما الموهوم؛ فشرط التوكل تركه إذ به وصف رسول الله ﷺ المتوكلين)** في الحديث السابق **(وأقواها الكي وتليه الرقية والطيرة آخر درجاتها والإعتماد عليها والإتكال عليها غاية التعمق)** والتدقيق **(في ملاحظة الأسباب. وأما الدرجة المتوسطة)** بين المقطوع والموهوم، **(وهي المظنونة كالمداواة بالأسباب الظاهرة عند الأطباء ففعله ليس مناقضاً للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محظوراً بخلاف المقطوع، بل قد يكون أفضل من فعله في بعض الأحوال وفي بعض الأشخاص فهي على درجة بين الدرجتين، و)** مما **(يدل على أن التداوي غير مناقض للتوكل فعل رسول الله ﷺ وقوله وأمره به. أما قوله فقد قال ﷺ: « ما من داء إلا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السأم » يعني الموت)** قال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود دون قوله إلا السأم، وهو عند ابن ماجه مختصراً دون قوله عرفه الخ، وإسناده حسن وللترمذي وصححه من حديث أسامة بن شريك إلا الهرم، وللطبراني في الأوسط والبزار من حديث أبي سعيد الخدري، ومن حديث ابن عباس إلا السام، وسندهم ضعيف. وللبخاري من حديث أبي هريرة: « ما أنزل الله داء إلا أنزل الله له شفاء » ولمسلم من حديث جابر: « لكل داء دواء » انتهى.

قلت: حديث ابن مسعود رواه كذلك الحكيم وابن السني وأبو نعيم في الطب والحاكم والبيهقي ولفظه: « ما أنزل الله من داء إلا وأنزل معه شفاء علمه من علمه وجهله من جهله » وهو عند ابن ماجه مختصراً من حديثه ولفظه: « ما أنزل الله داء إلا أنزل له الدواء » وفي رواية من حديث أبي هريرة مثله إلا أنه قال: شفاء بدل الدواء. ومثله في حديث ابن مسعود عند النسائي وابن حبان والحاكم وفي آخره زيادة، وروى الخطيب من حديث أبي هريرة: « ما أنزل الله عز وجل داء إلا وقد جعل له في الأرض دواء علمه من علمه وجهله من جهله » وبقية حديث جابر عند مسلم: « فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى » وأما ذكر السام ففي حديث أبي سعيد: « إن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام » وهو الموت. هكذا

وقال عليه الصلاة والسلام: « تداووا عباد الله فإن الله خلق الداء والدواء ». وسئل عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ قال: « هي من قدر الله ». وفي الخبر المشهور: « ما مررت بملأ من الملائكة إلا قالوا مر أمتك بالحجامة »، وفي الحديث أنه أمر بها

رواه ابن السني وأبو نعيم في الطب والحاكم، وذكر الهرم في حديث ابن مسعود: « إن الله عز وجل لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء إلا الهرم » فعليكم بألبان البقر فإنها ترم من كل شجر » هكذا رواه الحاكم والبيهقي، وقد جاء ذكرهما جميعاً في حديث أسامة بن شريك ألا تداووا فإن الله لم ينزل داء إلا وقد أنزل له شفاء إلا السام والهرم ». هكذا رواه ابن حبان.

(وقال) ﷺ: **(« تداووا عباد الله فإن الله خلق الداء والدواء »)** قال العراقي: رواه الترمذي وصححه وابن ماجه واللفظ له من حديث أسامة بن شريك انتهى.

قلت: وفيه زيادة في آخره عند ابن حبان وقد ذكر قبل هذا ورواه أبو نعم في الطب من حديث ابن عباس: « تداووا إن الله عز وجل لم ينزل في الأرض داء إلا وأنزل له شفاء ».

وروى أحمد والطحاوي وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان والحاكم من طريق زيادة بن علاقة عن أسامة بن شريك قال: جاءت الأعراب إلى رسول الله ﷺ يسألونه فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ قال: « نعم إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء إلا الموت والهرم، تداووا عباد الله فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا داء واحداً الهرم ».

وروى القضاعي من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة: « تداووا فإن الذي أنزل الداء انزل الدواء ».

(وسئل ﷺ (عن الدواء والرقي هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ فقال: « هي قدر الله تعالى ») قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي خزيمة، وقيل عن ابن أبي خزامة عن أبيه قال الترمذي: وهذا أصح انتهى.

قلت: حديثه عن الزهري عن ابن أبي خزامة عن أبيه قال: سألت رسول الله ﷺ أرأيت رقى نرقي بها وأدوية نتداوى بها ؟ الحديث. قال ابن عبد البر ذكره يعني أبا خزامة بعضهم في الصحابة لحديث أخطأ فيه راويه عن الزهري وهو تابعي، وكأنه جنح إلى تقوية من قال عن ابن أبي خزامة عن أبيه، وقال ابن فيحون: أخرج حديثه الباوردي والطبراني أيضاً من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن الزهري، وقيل: عن الزهري وعن ابن أبي خزامة عن أبيه ورجحها ابن عبد البر.

(وفي الخبر المشهور: « ما مررت) ليلة أسري بي **(بملأ من الملائكة إلا قالوا)** يا محمد **(مر أمتك بالحجامة »)** لأنهم من بين الأمم كلهم أهل يقين، وإذا اشتعل نور اليقين في القلب ومعه حرارة الدم أضر بالقلب وبالطبع. وقال التوربشتي: وجه المبالغة منهم في أمر الحجامة سوى ما عرف منها من المنفعة العائدة على الأبدان أن الدم مركب من القوى النفسانية الحائلة بين العبد

وقال: « احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم »، فذكر أن تبيغ الدم سبب الموت وأنه قاتل بإذن الله تعالى، وبيّن أن إخراج

وبين الترقي إلى عالم الملكوت الأعلى والوصول إلى الكشوفات الروحانية وغلبته تزيد جماع النفس وصلابتها، فإذا نزف الدم أورثها ذلك خضوعاً وخموداً وليناً ورقّة، ولذلك تنقطع الأدخنة المنعشة عن النفس الأمارة وتنحسم مادتها فتزداد البصيرة نوراً إلى نورها.

قال العراقي: رواه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال: حسن غريب، وله لابن ماجه من حديث ابن عباس نحوه: « عليك بالحجامة » وقال: حسن غريب، وله ولابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف انتهى.

قلت: في سند الترمذي أحمد بن بديل الكوفي قال في الكاشف: لينه ابن عدي، والدارقطني، ورضيه النسائي وعبد الرحمن بن إسحاق ضعفوه، وفي سند ابن ماجه كثير بن سليم الضبي كما في الميزان وعدّوا من مناكيره هذا الحدبث، ولذلك قال الصدر المناوي في تخريج أحاديث المصابيح أنه منكر، وروى الطبراني وابن السني وأبو نعيم في الطب عن عبد الحميد بن صيفي بن صهيب عن أبيه عن جده رفعه: « عليكم بالحجامة في جوزة القحذورة فإنه دواء من إثنين وسبعين داء وخمسة أدواء من الجنون والجذام والبرص ووجع الأضراس ».

(**وفي الحديث أنه أمر بها**) أي بالحجامة (**قال: « احتجموا**) إرشاداً لا إلزاماً (**لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين**) من الشهر العربي (**لا يتبيغ بكم الدم**) أي يثور ويغلب (**فيقتلكم »**) أي فيكون ثورانه سبباً لموتكم وهذا فيه كمال شفقته على أمته. قال العراقي: رواه البزار من حديث ابن عباس بسند حسن موقوفاً، ورفعه الترمذي بلفظ: « إن خير ما تحتجمون فيه سبع عشرة » الحديث دون ذكر التبيغ وقال حسن غريب. وقال البزار: إن الطريق المتقدمة أحسن من هذا الطريق، ولابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف: « من أراد الحجامة فليتحر سبعة عشر » الحديث انتهى.

قلت: لفظ البزار: « احتجموا لخمس عشرة أو لسبع عشرة أو لتسع عشرة أو إحدى وعشرين ». الحديث. وقد رواه كذلك الطبراني والديلمي وأبو نعيم في الطب كلهم رفعوه من حديث ابن عباس، ولفظ المرفوع عند الترمذي من حديثه: « إن خير ما تحتجمون فيه يوم سبع عشرة ويوم تسع عشرة ويوم إحدى وعشرين » وليس فيه ذكر التبيغ، ولفظ ابن ماجه من حديث أنس: « من أراد الحجامة فليتحر سبعة عشر وتسعة عشر وإحدى وعشرين لا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله » وروى أبو داود والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة: « من احتجم لسبع عشرة من الشهر وتسع عشرة وإحدى وعشرين كان له شفاء من كل داء » وقوله لا يتبيغ أي لئلا يتبيغ فحذف حرف الجر مع أن قال ابن الإعرابي تبيغ الدم وتبوغ ثار وهاج.

(**فذكر أن تبيغ الدم سبب الموت وأنه قاتل بإذن الله تعالى، وبين أن إخراج الدم خلاص**

الدم خلاص منه، إذ لا فرق بين إخراج الدم المهلك من الإهاب وبين إخراج العقرب من تحت الثياب وإخراج الحية من البيت، وليس من شرط التوكل ترك ذلك، بل هو كصب الماء على النار لإطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت، وليس من التوكل الخروج عن سنّة الوكيل أصلاً. وفي خبر مقطوع: «من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة». وأما أمره ﷺ؛ فقد أمر غير واحد من الصحابة

منه إذ لا فرق بين إخراج الدم المهلك وبين إخراج العقرب من الثياب وإخراج الحية من البيت، وليس من التوكل الخروج عن سنة الله أصلاً) قال ابن القيم: هذا موافق لإجماع الأطباء: أن الحجامة نصف الشهر وما بعده من الربع الثالث من أرباع الشهر أنفع من أوله وآخره لغلبة الدم حينئذ الذي جعل علة للآمر بها. نعم محل اختيار هذه الأوقات إذا أريدت لحفظ الصحة فإن كانت لمرض فعلت وقت الحاجة انتهى.

وقال ابن جرير: هذا اختيار منه ﷺ للوتر من أيام الشهر على الشفع لفضل الوتر عليه، وإنما خص أمره بحالة انتقاص الهلال من تناهي تمامه لأن ثوران كل تأثير وتحرك كل علة إنما يكون فيما يقال من حين الإستهلاك إلى الكمال، فإذا تناهى نماؤه وتم تمامه سكر فأمر بالإحتجام في الوقت الذي الأغلب فيه السلامة إلا أن يثور الدم وتدعو الضرورة لبعضهم في الوقت المكروه بحيث تكون غلبة السلامة في عدم التأخير فيفعل حينئذ انتهى.

وقال صاحب القوت: وفي ذكر تبيغ الدم دليل على توقيت هذا العدد من الأيام للحجامة إلا أنه أريد به هذه الأيام من الشهر وفيه وصف الأسباب التي جعلت حقوقاً وأسباباً للموت، وأحسب هذا القدر من العدد لأهل الحجاز خاصة لشدة حر البلد، كقول عمر رضي الله عنه في الماء المشمس أنه يورث البرص، سمعت أن ذلك في أرض الحجاز خاصة، وقد كان من سيرة السلف أن يحتجموا في كل شهر مرة إلى أن يجاوز الرجل الأربعين كانوا يستحبون الحجامة في نقصان الشهر.

(و) قد يروى **(في خبر مقطوع: «من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر)** العربي **(كان له دواء من داء سنة»)** قال العراقي: رواه الطبراني من حديث معقل بن يسار وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس وإسنادهما واحد، اختلف على راويه في الصحابي وكلاهما فيه زيد العمى وهو ضعيف انتهى.

قلت: حديث معقل بن يسار رواه أيضاً ابن سعد وابن عدي والبيهقي ولفظه من سياق المصنف، وحديث أنس رواه البيهقي أيضاً ولفظه: «لسبع عشرة خلت من الشهر أخرج الله منه داء سنة». وذكر صاحب القوت الحديث المتقدم ثم قال: وفي خبر مثله عن الأعمش: «من احتجم يوم السبت نفعه» قال الأعمش فجربته فنفعني انتهى.

قلت: وقد روي في المرفوع ما يناقض ذلك روى الشيرازي في الألقاب والحاكم والبيهقي من

بالتداوي وبالحمية، وقطع لسعد بن معاذ عرقاً أي فصده، وكوى سعد بن زرارة، وقال

حديث أبي هريرة: « من احتجم يوم الأربعاء أو يوم السبت فرأى في جسده وضحاً فلا يلومن إلا نفسه » وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي.

(وأما أمره) ﷺ **(فقد أمر غير واحد من الصحابة بالتداوي وبالحمية)**. أما الأمر بالتداوي؛ فقد تقدم في حديث أسامة بن شريك من رواية أصحاب السنن وفيه: « تداووا عباد الله » وفي حديث ابن مسعود « تداووا بألبان البقر » رواه الطبراني والخطيب. وفي حديث زيد بن أرقم: « تداووا من ذات الجنب » رواه أحمد والطبراني والحاكم، وأما أمره بالحمية، فسيأتي في قصة علي وصهيب بعده.

قال صاحب القوت: وروى أبو قلابة عن كعب الأحبار يقول الله عز وجل: إني أنا الله أشيح وأداوي فتداووا فالتداوي رخصة وسعة وتركه ضيق وعزيمة والله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتي عزائمه، وقد قال تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [الحج: ٧٨] أي ضيق، وربما كان التداوي فاضلاً في ذلك لمعنيين: أحدهما: أن ينوي إتباع السنة والأخذ برخصة الله تعالى وقبول ما جاءت به الحنيفية السمحة، والثاني: أن يحب سرعة البرء للطاعة ولخدمة مولاه والسعي في أوامره إذا كانت العلل قاطعة من التصرف في العمل ومشغلة بالنفس عن الشغل بالآخرة.

(وقطع) ﷺ **(لسعد بن معاذ)** بن النعمان الأنصاري الأشهلي أبي عرم وسيد الأوس شهد بدراً **(عرقاً أي فصده)** كذا في القوت. قال العراقي: رواه مسلم من حديث جابر قال: رمى سعد في أكحله فحسمه النبي ﷺ بيده بمشقص الحديث انتهى.

قلت: رمي بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهراً حتى حكم في بني قريظة وأجيبت دعوته في ذلك ثم انتقض جرحه فمات، أخرج ذلك البخاري وذلك سنة خمس.

(وكوى) ﷺ **(أسعد بن زرارة)** بن عدس بن عبيد أبا أمامة الأنصاري الخزرجي النجاري قديم الإسلام شهد العقبتين مات قبل وقعة بدر، ووقع في القوت ما نصه: ولوى أسعد بن زرارة من اللقوة هكذا هو باللام وفي الهامش بإزائه لوى أي عالج اهـ. وأخاله تصحيفاً والصواب كوى، وقال العراقي: رواه الطبراني من حديث سهل بن حنيف دون ذكر سهل انتهى.

وقال الحافظ في ترجمة أسعد من الإصابة، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل قال: دخل النبي ﷺ على أسعد بن زرارة وكان أحد النقباء ليلة العقبة وقد أخذته الشوكة فكواه الحديث، وكذلك رواه الحاكم من طريق يونس عن الزهري هذا هو المحفوظ، ورواه عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة وهي شاذة، ورواه رفعة بن صالح عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل عن أبي أمامة أسعد بن زرارة الرواية، وإنما أراد أن يقول عن قصة أسعد بن زرارة والله أعلم.

لعلي رضي الله تعالى عنه ؛ وكان رمد العين : « لا تأكل من هذا ـ يعني الرطب ـ وكل من هذا فإنه أوفق لك » يعني سلقاً قد طبخ بدقيق شعير . وقال لصهيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين : « تأكل تمراً وأنت أرمد » فقال : إني آكل من الجانب الآخر فتبسم ﷺ . وأما فعله عليه الصلاة والسلام ، فقد روي في حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة . قيل : السنا المكي .

(وقال) ﷺ **(لعلي)** رضي الله عنه **(وكان رمد العين: « لا تأكل من هذا » يعني الرطب « وكل من هذا فإنه أوفق لك » يعني سلقا قد طبخ بدقيق شعير)** . قال العراقي : رواه أبو داود والترمذي وقال حسن غريب ، وابن ماجه من حديث أم المنذر انتهى .

قلت : ورواه كذلك ابن سعد كلهم من طريق فليح بن سليمان عن أيوب بن عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي صعصعة عن يعقوب بن أبي يعقوب عن أم المنذر بنت قيس الأنصارية قالت : دخل علي رسول الله ﷺ يأكل منها وقام علي ليأكل فقال : « مه يا علي إنك ناقه » حتى كف علي قال : وصفت له شعيراً وسلقاً فجئت فقال رسول الله ﷺ : « يا علي من هذا فاصب فإنه أوفق لك » لفظ أبي داود وقال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث فليح ، وتعقب بأنه جاء من طريق ابن أبي فديك عن محمد بن أبي يحي الأسلمي عن أبيه عن يعقوب نحوه . قال الحافظ في الإصابة فليح بن سليمان إسمه وكنيته أبو يحي وابنه محمد من رجال البخاري وابن أبي فديك من أقرانه ، فلعله حمله عنه ولم يفصح باسم ابنه لصغره فقال محمد بن أبي يحي : والد إبراهيم شيخ الشافعي وليس هو به بل رجع الخبر إلى فليح كما قال الترمذي .

(وقال) ﷺ **(لصهيب)** بن سنان رضي الله عنه **(وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين « تأكل تمراً وأنت رمد » فقال: آكل من الجانب الآخر فتبسم)** ﷺ تقدم في كتاب آفات اللسان .

(وأما فعله عليه الصلاة والسلام فقد روي في الحديث) المروي **(من طريق أهل البيت أنه ﷺ كان يكتحل كل ليلة ، ويحتجم كل شهر ، ويشرب الدواء كل سنة)** هكذا هو في القوت . وقال العراقي : رواه ابن عدي من حديث عائشة وقال : إنه منكر ، وفيه سيف بن محمد كذبه أحمد ابن حنبل ويحي بن معين انتهى .

قلت : وبخط الحافظ ابن حجر لأبي نعيم في الطب عن عبد الرحمن بن غنم مثله وفيه الواقدي انتهى .

وإنما خص الليل بالإكتحال لأنه في النوم يتمكن الكحل في طبقات العين ويظهر تأثيره فيها ، وشربه ﷺ الدواء كل سنة لغير علة فإن عرض له ما يوجب شربه في أثناء السنة شربه أيضاً .

وتداوى ﷺ غير مرة من العقرب وغيرها . وروي أنه كان إذا نزل إليه الوحي صدع رأسه فكان يغلفه بالحناء . وفي خبر أنه كان إذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء ، وقد جعل على قرحة خرجت به تراباً . وما روي في تداويه وأمره بذلك كثير خارج عن

(وتداوى ﷺ غير مرة من العقرب وغيرها) ولفظ القوت : وقد تداوى في غير خبر من العقرب وغيرها . وقال العراقي : رواه الطبراني بإسناد حسن من حديث جبلة بن الأزرق أن رسول الله ﷺ لدغته عقرب فغشي عليه فرقاه الناس الحديث ، وله في الأوسط من رواية سعيد بن ميسرة وهو ضعيف عن أنس أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى تقمح كفاً من شونيز وشرب عليه ماء وعسلاً ولأبي يعلى والطبراني من حديث عبدالله بن جعفر أن النبي ﷺ احتجم بعد ما وسم وفيه جامر الجعفي ضعفه الجمهور انتهى .

قلت : حديث جبلة بن الأزرق رواه أيضاً البخاري في تاريخه وابن السكن والبغوي كلهم من طريق معاوية بن صالح عن صالح بن راشد بن سعد بن جبلة بن الأزرق ، وكانت له صحبة قام ﷺ إلى جانب جدار كثير الأحجـرة إما ظهراً أو عصراً ، فلما جلس لدغته عقرب فغشي عليه فرقاه الناس فأفاق فقال : إن الله شفاني وليس برقيتكم . قال : لا أعلم له غيره ، وقال البغـوي ابن السكن ليس له غيره .

(وروي أنه) ﷺ **(كان إذا نزل عليه الوحي صدع رأسه)** من شدة ما يلقاه منه **(وكان يغلفه بالحناء)** لتخف حرارة رأسه فإن نور اليقين إذا هاج اشتعل بورود الوحي فيلطف حرارته بذلك . قال العراقي : رواه البزار وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة وقد اختلف في إسناده على الأحوص بن حكيم انتهى .

قلت : وكذلك رواه ابن السني وأبو نعيم في الطب .

(وفي الخبر أنه) ﷺ **(كان إذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء)** قال العراقي : رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سلمى . قال الترمذي غريب .

قلت : هي سلمى أم نافع امرأة أبي رافع مولى النبي ﷺ ويقال لها أيضاً مولاة النبي ﷺ ، ولفظ الترمذي ، وقد رواه من طريق فائد مولى أبي رافع عن علي بن عبيدالله بن أبي رافع عن جدته ، وكانت تخدم النبي ﷺ قالت : ما كان يكون برسول الله ﷺ قرحة أو نكبة إلا أمرني أن أجعل عليها الحناء .

(وقد جعل) ﷺ **(على قرحة خرجت به تراباً)** قال العراقي : رواه الشيخان من حديث عائشة : كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت قرحة أو جرح قال النبي ﷺ بيده هكذا ، وجعل سفيان بن عبدالله الراوي سبابته بالأرض ثم رفعها وقال : بسم الله تربة أرضنا انتهى .

ولفظ القوت : فروينا أنه جعل على أصبعه السبابة من ريقه ثم وضعه على تراب فقال : تربة أرضنا بريقة بعضنا شفاء لمريضنا بإذن ربنا ثم جعله على قرحة في رجله .

الحصر، وقد صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي ﷺ. وذكر بعض العلماء في الإسرائيليات أن موسى عليه السلام اعتل بعلّة فدخل عليه بنو إسرائيل فعرفوا علته فقالوا له: لو تداويت بكذا لبرئت؟ فقال: لا أتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء، فطالت علته فقالوا له: إن دواء هذه العلة معروف مجرب، وإنَّا نتداوي به فنبرأ. فقال: لا أتداوي وأقامت علته. فأوحى الله تعالى إليه: وعزتي وجلالي لا ابرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك، فقال لهم: داووني بما ذكرتم فداووه فبرأ، فأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى إليه: أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الأشياء غيري؟

وروي في خبر آخر: أن نبياً من الأنبياء عليهم السلام شكا علة يجدها فأوحى الله تعالى إليه: كل البيض، وشكا نبي آخر الضعف فأوحى الله تعالى إليه كل اللحم باللبن فإن فيهما القوّة. قيل: هو الضعف عن الجماع. وقد روي أن قوماً شكوا إلى نبيهم قبح

(**وما روي في تداويه**) ﷺ (**وأمره بذلك**) أصحابه كثير (**خارج الحصر**) والضبط لكثرته، (**وقد صنف في ذلك كتاب وسمي طب النبي ﷺ**) وهما كتابان مشهوران بهذا الإسم أحدهما للحافظ أبي بكر بن السني، والثاني للحافظ أبي نعيم الأصبهاني. قال صاحب القوت: وهو ﷺ أعلى المتوكلين وأقوى الأقوياء المقربين.

فإن قيل: إنما تداوي لغيره وليس ذلك. قلنا: فلا ترغيب عن سنته ولا تزهد في بغيته إن كان فعل ذلك لنا فلا نرد عليه لئلا يكون فعله لغواً، والرغبة عن سنته إلى توهم حقيقة التوكل طعن في الشريعة وقد كان ﷺ ظاهراً وللخلق ليقتفوا آثاره.

(**وذكر بعض العلماء في الإسرائيليات أن موسى عليه السلام اعتل**) مرة (**بعلة فدخل عليه بنو إسرائيل فعرفوا علته فقالوا له: لو تداويت بكذا لبرئت؟ فقال: لا أتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء فطالت علته فقالوا:**) له: (**إن دواء هذه العلة معروف مجرب وإنا نتداوى به فنبرأ. فقال: لا أتداوى فدامت علته، فأوحى الله تعالى إليه. وعزتي وجلالي لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك، فقال لهم: داووني بما ذكرتم**) فداووه (**فبرىء فأوجس في نفسه من ذلك، فأوحى الله تعالى إليه: أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الأشياء غيري**)؟ كذا في القوت.

(**وروي في خبر آخر: أن نبياً من الأنبياء شكا**) إلى الله تعالى (**علة يجدها فأوحى الله تعالى إليه: كل البيض**) كذا في القوت، (**وشكا نبي آخر**) إلى الله تعالى (**الضعف فأوحى الله تعالى إليه كل اللحم باللبن فإن فيهما القوة. قيل: هو**) ولفظ القوت أحسبه (**الضعف**

أولادهم فأوحى الله تعالى إليه: مرهم أن يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فإنه يحسن الولد ويفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع، إذ فيه يصوّر الله تعالى الولد، وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل والنفساء الرطب.

فبهذا تبين أن مسبب الأسباب أجرى سنته بربط المسببات بالأسباب إظهاراً للحكمة والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الأسباب، فكما أن الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الإسهال لا يفارقه إلا في أحد أمرين.

أحدهما: أن معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلي واضح يدركه كافة الناس، ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص، فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق في حقه بالأوّل.

والثاني: أن الدواء يسهل، والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط أخر في الباطن وأسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها، وربما يفوت بعض الشروط

عن الجماع) وأظن في ذكر البيض شكا قلة الولد فأمر به، وذكر وهب بن منبه أن ملكاً من الملوك اعتل علة وكان أحسن السيرة في رعيته فأوحى الله إلى شعياء عليه السلام قل له اشرب ماء التين فإنه شفاء علتك، **(وقد روي)** أعجب من ذلك **(أن قوماً شكوا إلى نبيهم)** عليه السلام **(قبح أولادهم، فأوحى)** الله تعالى **(إليه: مرهم أن تطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فإنه يحسن الولد، و)** قيل **(يفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع)** من حمل المرأة **(إذ فيه يصور الله الولد)** ولفظ القوت لأن الولد يصور فيهما. **(وقد كانوا يطعمون الحبلى السفرجل، والنفساء الرطب)**.

(فبهذا يتبين أن مسبب الأسباب) جل اسمه **(أجرى سنته بربط المسبباب بالأسباب إظهاراً للحكمة)** عرفها من عرفها وجهلها من جهلها، **(والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الأسباب)** لا فرق فيها، **(فكما أن الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش والسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الإسهال لا يفارقه إلا في أحد أمرين.**

أحدهما: **أن معالجة الجوع والعطش بالخبز والماء جلي واضح يدركه كافة الناس، ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص، فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق في حقه بالأول)** فصار عنده جلياً واضحاً.

(و) الأمر الثاني: **(أن الدواء يسهل)** المعدة **(والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط أخر في الباطن وأسباب في المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض**

فيتقاعد الدواء عن الإسهال، وأما زوال العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطاً كثيرة، وقد يتفق في العوارض ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر، واختلال الأسباب أبداً ينحصر في هذين الشيئين، وإلاَّ فالمسبب يتلو السبب لا محالة مهما تمت شروط السبب. وكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته، فلا يضر المتوكل استعماله مع النظر إلى مسبب الأسباب دون الطبيب والدواء؛ فقد روي عن موسى ﷺ أنه قال: يا رب ممن الدواء والداء؟ فقال تعالى: مني. قال: فما يصنع الأطباء؟ قال: يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى يأتي شفائي أو قضائي، فإذاً معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال، كما سبق في فنون الأعمال الدافعة للضرر الجالبة للنفع، فأما ترك التداوي رأساً فليس شرطاً فيه.

فإن قلت: فالكي أيضاً من الأسباب الظاهرة النفع:

فأقول: ليس كذلك، إذ الأسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقي المبردات للمحرور، وأما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه، وقلما يعتاد الكي في أكثر البلاد، وإنما ذلك عادة بعض الأتراك والأعراب، فهذا

الشروط فيتقاعد الدواء عن الإسهال) فلا يعمل عمله، **(وأما زوال العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطاً كثيرة، وقد يتفق من العوارض ما يوجب العطش مع كثرة شرب الماء)** كما في مرض الاستسقاء **(ولكنه نادر، واختلال الأسباب أبداً ينحصر في هذين الشيئين وإلا فالمسبب يتلو السبب لا محالة مهما تمت شروط السبب. وكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب وتسخيره وترتيبه بحكم حكمته وكمال قدرته، فلا يضر المتوكل اشتغاله)** بالأسباب **(مع النظر إلى مسبب الأسباب دون الطبيب والدواء، فقد روي عن موسى عليه السلام أنه قال: يا رب ممن الدواء والداء؟ فقال تعالى: مني. قال: فما يصنع الأطباء)** حينئذ؟ **(قال: يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس عبادي حتى يأتي شفائي أو قضائي)** نقله صاحب القوت إلا أنه قال: أو قبضني قال: ويقال: إن بين الدواء والداء حجاب المشيئة فلا ينفع الدواء حتى ينكشف الحجاب، **(فإذاً معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال كما سبق)** بيانه قريباً **(في فنون الأعمال الدافعة للضرر الجالبة للنفع، فأما ترك التداوي رأساً فليس شرطاً فيه)**.

(فإن قلت: فالكي أيضاً من الأسباب الظاهرة النفع) فلم جعل في السقم الموهوم؟

(فأقول: ليس كذلك إذ الأسباب الظاهرة مثل الفصد والحجامة وشرب المسهل وسقي المبردات للمحرور) وسقي الحوار للمبرود فهذه هي الأسباب الظاهرة، **(وأما الكي فلو كان مثلها في الظهور لما خلت البلاد الكثيرة عنه، وقلما يعتاد الكي في أكثر البلاد وإنما ذلك**

من الأسباب الموهومة كالرقي إلا أنه يتميز عنها بأمر وهو أنه احتراق بالنار في الحال مع الاستغناء عنه، فإنه ما من وجع يعالج بالكي إلا وله دواء يغني عنه ليس فيه إحراق، فالاحراق بالنارَ جرح مخرب للبنية محذور السراية مع الاستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة فإن سرايتها بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما. ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن الكي دون الرقى، وكل واحد منهما بعيد عن التوكل. وروي أن عمران بن الحصين اعتل فأشاروا عليه بالكي فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الأمر حتى اكتوى، فكان

عادة بعض الأتراك والأعراب) في البوادي فإنهم يستعملونه وذلك لفقد الأدوية عندهم، **(فهذا من الأسباب الموهومة كالرقى إلا أنه يتميز عنه بأمر وهو أنه احتراق بالنار في الحال مع الاستغناء عنه، فإنه ما من وجع يعالج بالكي إلا وله دواء يغني عنه ليس فيه إحراق، فالإحراق بالنار مخرب للبنية محذور السراية مع الإستغناء عنه بخلاف الفصد والحجامة، فإن سرايتها بعيدة ولا يسد مسدهما غيرهما)** من الأدوية، **(ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن الكي)** رواه الطبراني من حديث سعد الظفري: قال الذهبي: الاصح أنه سعد بن النعمان بدري، ورواه الترمذي والحاكم من حديث عمران بن الحصين. قال الحافظ في الفتح: سنده قوي وهو نهي تنزيه حيث أمكن الإستغناء عنه بغيره، وأما قولهم: آخر الطب الكي فهو كلام مشهور معناه بعد انقطاع طرق الشفاء يعالج به، ولذلك كان أحد مـا يحمل عليه النهي عن الكي وجود طريق مرجو للشفاء سواه **(دون الرقى)** جمع رقية بالضم وهي ما يعوذ بها. قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن عباس: رخص رسول الله ﷺ الرقية من كل ذي حمة انتهى.

وأما ما رواه الحاكم من حديث ابن مسعود: نهى عن الرقي والتمائم والتوله فمحمول على ما إذا كانت الرقية بغير القرآن وأسماء الله وصفاته وأما بها فجائز. قال ابن التين: الرقى بذلك هو الطب الروحاني إذا كان على لسان الأبرار حصل الشفاء بإذن الله تعالى، فلما عز هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني وتلك الرقي المنهي عنها التي يستعملها المعزم ممن يزعم تسخير الجن تأتي مركبة من حق وباطل تجمع إلى ذكر أسماء الله وصفاته ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ من مردتهم، فلذلك نهى عن الرقى بما جهل معناه ليكون بريئاً من شوب الشرك. وفي الموطأ أن أبا بكر رضي الله عنه قال لليهودية التي كانت ترقي عائشة رضي الله عنها: ارقيها بكتاب الله.

(وكل واحد منهما) أي الكي والرقى **(بعيد عن)** صفة **(التوكل. وروي عن)** أبي نجيد **(عمران بن الحصين)** بن عبيد الخزاعي رضي الله عنه أسلم في وقعة خيبر وتحول إلى البصرة فمات بها **(اعتل)** في بطنه فظل صريعاً ثلاثين سنة على سرير من جريد قد نقب له في أوسطه لموضع الغائط لأنه كان سطيحاً لا يستطيع القيام، **(فأشاروا عليه بالكي فامتنع)** منه **(فلم يزالوا به)** يلحون عليه، **(وعزم عليه الأمير)** هو عبيد بن زياد كما عند الدارمي **(حتى اكتوى)** في بطنه

يقول: كنت أرى نوراً وأسمع صوتاً وتسلم علي الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني وكان يقول: اكتوينا كيات فوالله ما أفلحت ولا أنجحت. ثم تاب من ذلك وأناب إلى الله تعالى فردّ الله تعالى عليه ما كان يجد من أمر الملائكة! وقال لمطرف بن عبدالله: ألم تر إلى الملائكة التي كان أكرمني الله بها قد ردّها الله تعالى علي بعد أن كان أخبره بفقدها؛ فإذاً الكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالمتوكل لأنه يحتاج في استنباطه إلى تدبير ثم هو مذموم، ويدل ذلك على شدة ملاحظة الأسباب وعلى التعمق فيها، والله أعلم.

بيان أن ترك التداوي قد يحمد في بعض الأحوال ويدل على قوّة التوكل وان ذلك لا يناقض فعل رسول الله ﷺ:

اعلم أن الذين تداووا من السلف لا ينحصرون، ولكن قد ترك التداوي أيضاً جماعة

سبع كيات، (**فكان**) رضي الله عنه (**يقول: كنت أرى نوراً وأسمع صوتاً وتسلم علي الملائكة، فلما اكتويت انقطع ذلك عني**) كذا في القوت، (**و**) في رواية (**كان يقول: اكتوينا كيات فوالله ما أفلحن ولا أنجحن**) يعني الكيات.

وروى الحسن عن مطرف بن عبدالله قال: أتينا عمران بن الحصين نعوده وكان قد اكتوى في بطنه فقال: نهانا النبي ﷺ عن الكي فاكتوينا فما أفلحنا ولا أنجحنا. ورواه الحارث بن أبي اسامة من طريق هشام بن الحسن عن عمران أنه شكا بطنه فلبث زماناً طويلاً فدخل عليه رجل فذكر قصته فقال: إن أحب ذلك إلي أحبه إلى الله قال حتى اكتوى قبل وفاته لسنتين، وكان يسلم عليه فلما اكتوى فقده ثم عاد إليه، وفي لفظ آخر: كانت الملائكة تزوره فيأنس بها حتى اكتوى.

(**ثم تاب من ذلك وأناب إلى الله تعالى فرد الله تعالى عليه ما كان يجد من أمر الملائكة**) قال ابن عبد البر: كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم يقول عنه أهل البصرة أنه كان يرى الحفظة وكانت تكلمه حتى اكتوى، (**وقال**) رضي الله عنه (**لمطرف بن عبدالله**) بن الشخير العامري التابعي البصري: (**ألم تر أن الملائكة التي**) كان (**أكرمني الله بها قد ردها الله تعالى علي بعد أن كان أخبره بفقدها**) رواه الدارمي قال: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا أبو هلال، حدثنا قتادة عم مطرف قال: قال عمران بن حصين: إني محدثك بحديث أنه كان يسلم علي وأن ابن زياد أمرني فاكتويت فحبس عني حتى ذهب أثر الكي. قال صاحب القوت: فلولا أن ذلك كان عنده ذنباً ندم عليه ولما تاب منه، ولولا أنه كان نقصاً ما صرفت الملائكة عنه، (**فإذاً الكي وما يجري مجراه هو الذي لا يليق بالتوكل، لأنه يحتاج في استنباطه إلى تدبير ثم هو موهوم، فدل ذلك على شدة ملاحظة الأسباب وعلى التعمق فيها**) والله أعلم.

بيان إن ترك التداوي قد يحمد في بعض الأحوال:

(**ويدل على قوة التوكل، وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله ﷺ**).

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن الذين تداووا من السلف**) كثيرون (**لا ينحصرون، ولكن**

من الأكابر، فربما يظن أن ذلك نقصان لأنه لو كان كمالاً لتركه رسول الله ﷺ، إذ لا يكون حال غيره في التوكل أكمل من حاله.

وقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قيل له: لو دعونا لك طبيباً؟ فقال: الطبيب قد نظر إليّ وقال: إني فعال لما أريد. وقيل لأبي الدرداء في مرضه: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قيل: فما تشتهي؟ قال: مغفرة ربي. قالوا: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني.

وقيل لأبي ذر وقد رمدت عيناه: لو داويتها؟ قال: إني عنها مشغول، فقيل له: لو سألت الله تعالى أن يعافيك؟ فقال: اسأله فيما هو أهم علي منها.

وكان الربيع بن خيثم أصابه فالج فقيل له: لو تداويت؟ فقال: قد هممت، ثم ذكرت عاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً وكان فيهم الأطباء فهلك

قد ترك التداوي أيضاً جاعة من الأكابر، فربما يظن أن ذلك نقصان لأنه لو كان كمالاً لتركه رسول الله ﷺ، إذ لا يكون حال غيره في التوكل أكمل من حاله، وقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه) لما مرض **(قيل له: لو دعونا لك طبيباً؟ فقال: الطبيب نظر إلي، وقال: اني فعال لما أريد)** رواه أحمد في الزهد، حدثنا وكيع عن مالك بن مغول عن أبي السفر قال: مرض أبو بكر فعاده الناس فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رآني. قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: إني فعال لما أريد، ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه.

(وقيل لأبي الدرداء) رضي الله عنه **(في مرضه: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، فقيل: فما تشتهي؟ قال: مغفرة ربي. قالوا: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني)** أخرجه أبو نعيم في الحلية. حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا عمر بن حفص السدوسي، حدثنا عاصم بن علي، حدثنا أبو هلال، حدثنا معاوية بن مرة أن أبا الدرداء اشتكى فدخل عليه أصحابه فقالوا: ما تشتكي يا أبا الدرداء؟ قال: أشتكي ذنوبي، قالوا: فما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة. قالوا: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: هو أضجعني. قال صاحب القوب: وقد رويناه أيضاً عن ابن مسعود.

(وقيل لأبي ذر) رضي الله عنه **(وقد رمدت عيناه: لو داويتها؟ قال إني عنها لمشغول، فقيل له: لو سألت الله تعالى أن يعافيك؟ فقال: أسأله فيما هو أهم علي منها)** نقله صاحب القوت.

(وكان الربيع) بن خيثم الثوري الكوفي العابد **(أصابه فالج)** وهو مرض منشؤه البرد يمنع الأعضاء من التحرك **(فقيل له: لو تداويت؟ فقال: قد هممت)** على ذلك **(ثم ذكرت عاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً)** كانت فيهم الأوجاع **(وكان فيهم الأطباء،**

المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيئاً.

وكان أحمد بن حنبل يقول: أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره وكان به علل فلا يخبر المتطبب بها أيضاً إذا سأله.

وقيل لسهل: متى يصح للعبد التوكل؟ قال: إذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت إليه شغلاً بحاله وينظر إلى قيام الله تعالى عليه.

فإذاً منهم من ترك التداوي وراءه، ومنهم من كرهه ولا يتضح وجه الجمع بين فعل رسول الله ﷺ وأفعالهم إلا بحصر الصوارف عن التداوي، فنقول: إن لترك التداوي أسباباً.

فهلك المداوي والمداوى ولم تغن الرقى شيئاً) نقله صاحب القوت، وفي هذا المعنى ما نسب للإمام الشافعي رضي الله عنه.

إن الطبيب بطبه ودوائه ... لا يستطيع دفاع مقدور أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي ... قد كان يبرىء مثله فيما مضى
هلك المداوي والمداوى والذي ... جلب الدواء وباعه ومن اشترى

قال صاحب القوت: وقد كان عند الواحد بن زيد أصابه الفالج فعلل عن القيام، فسأل الله أن يطلقه في أوقات الصلاة ثم يرده إلى حاله بعد ذلك، فكان إذا جاء وقت الصلاة كأنما نشط من عقال، فإذا قضى صلاته رجع إليه الفالج كما كان قبل ذلك.

(وكان أحمد بن حنبل) رحمه الله تعالى **(يقول: أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره)** نقله صاحب القوت. قال: **(وكان)** تقوم **(به علل فلا يخبر المتطبب أيضاً بها إذا سأله)** كذا في القوت.

(وقيل لسهل) التستري رحمه الله تعالى: **(متى يصح للعبد التوكل؟ قال: إذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله، فلم يلفت إليه شغلاً بحاله وينظر إلى قيام الله تعالى عليه)** نقله صاحب القوت، **(فإذاً منهم من ترك التداوي وراءه)** واعتقده من الصديقين والسلف الصالح، **(ومنهم من كرهه)** إلا أنه مخصوص لخصوص وطريق الخاصة الأقوياء ولا يسلكه الشوب من العموم والضعفاء، وذلك مذهب إبراهيم الخواص وطريقه كان يرى أن المتوكل إذا تداوى نقص بذلك تحقيقه، **(ولا يتضح الجمع بين فعل رسول الله ﷺ و)** بين **(أفعالهم إلا بحصر الصوارف عن النوادي)** فقد يترك بعض الأولياء التداوي لأسباب أخر ترجح بذلك أعمالهم ولا يكون تركاً للسنة إنما يتركون الفاضل للأفضل، **(فنقول: إن لترك التداوي أسباباً)** ستة.

السبب الأوّل: أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بأنه انتهى أجله، وأن الدواء لا ينفعه، ويكون ذلك معلوماً عنده تارة برؤيا صادقة، وتارة بحدس وظن، وتارة بكشف محقق ويشبه أن يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي من هذا السبب، فإنه كان من المكاشفين فإنه قال لعائشة رضي الله عنها في أمر الميراث: إنما هن أختاك وإنما كان لها أخت واحدة، ولكن كانت امرأته حاملاً فولدت أنثى فعلم أنه كان قد كوشف بأنها حامل بأنثى، فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضاً بانتهاء أجله وإلاّ فلا يظن به إنكار التداوي، وقد شاهد رسول الله ﷺ تداوي وأمر به.

السبب الثاني: أن يكون المريض مشغولاً بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه فينسبه ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلاً بحاله، وعليه يدل كلام أبي ذر إذ

(**الأول: أن يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف بأنه انتهى أجله، وأن التـداوي لا ينفعه ويكون ذلك معلوماً عنده تارة برؤيا صادقة**) تأتي كفلق الصبح، (**وتارة بحدس وظن، وتارة بكشف محقق، ويشبه أن يكون ترك الصديق رضي الله عنه التداوي**) فيما سبق من قوله (**من هذا السبب، فإنه كان من المكاشفين فإنه قال لعائشة رضي الله عنها في أمر الميراث: إنما هما أختاك وما كان لها إلا أخت واحدة، ولكنه كانت إمرأتـه حاملاً فولدت أنثى فعلم أنه كان قد كوشف بأنها حامل بأنثى**) هذه القصة ذكرها الحافظ أبو الفتح بن سيد الناس في كتاب له سماه (**المقامات العلية في الكرامات الجلية**) يقول فيها بعد أن ذكر جملة من معجزات النبي ﷺ ثم قال:

وسرت سريـرتـه إلى أصحـابـه ... فلهم خوارق ما ادعـاهـا مـدعـي
فلعسكـر الصديـق إمـداد السما ... ولم تلـج مـن بعـده في مجمع
ومقـالـة في بنـت خـارج واقـع ... حقاً مـن الصديـق أحسـن مـوقـع

ثم ساق بسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: لما حضر أبا بكر الوفاة جلس ثم تشهد ثم قال: يا بنية فإن أحب الناس غنى إلي بعدي أنت، وأن أعز الناس فقراً إلي بعدي أنت، وأني كنت نحلتك جاد عشرين وسقا من مال، فوددت والله أنك كنـت حزتيه وأخذتيه، فإنما هو أخواك وأختاك، قالت: قلت أخواي فمن أختاي؟ قال: ذو بطن ابنة خارجة فإذاً ظنها جارية فكان كذلك، وقد تقدم ذلك للمصنف. (**فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضاً بانتهاء أجله وإلا فلا يظن به إنكار التداوي**) مطلقاً، كيف (**وقد شاهد رسول الله ﷺ تداوى**) كما تقدم قريباً (**وأمر به**) كما في حديث أسامة بن شريك وتقدم.

(**السبب الثاني: أن يكون المريض مشغولاً بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك ألم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلاً بحاله**) أي الاشتغال بمهم ديني أشرف من التداوي، وعليه يدل كلام أبي ذر إذ قال: إني عنها مشغول، (**وكلام أبي الدرداء**) رضي

قال: إني عنها مشغول، وكلام أبي الدرداء إذ قال: إنما أشتكي ذنوبي، فكان تألم قلبه خوفاً من ذنوبه أكثر من تألم بدنه بالمرض، ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من أعزته، أو كالخائف الذي يحمل إلى ملك من الملوك ليقتل إذا قيل له: ألا تأكل وأنت جائع؟ فيقول: أنا مشغول عن ألم الجوع، فلا يكون ذلك إنكاراً لكون الأكل نافعاً من الجوع ولا طعناً فيمن أكل، ويقرب من هذا اشتغال سهل حيث قيل له: ما القوت؟ فقال: هو ذكر الحي القيوم. فقيل: إنما سألناك عن القوام؟ فقال: القوام هو العلم. قيل: سألناك عن الغذاء؟ قال الغذاء هو الذكر. قيل: سألناك عن طعمة الجسد؟ قال: ما لك وللجسد. دع من تولاه أولاً يتولاه آخراً إذا دخل عليه علة فردّه إلى صانعه، أما رأيت الصنعة إذا عيبت ردوها إلى صانعها حتى يصلحها؟

السبب الثالث: أن تكون العلة مزمنة والدواء الذي يؤمر به بالإضافة إلى علته موهوم النفع جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل؛ وإليه يشير قول الربيع بن خيثم إذ قال: ذكرت عاداً وثمود وفيهم الأطباء فهلك المداوي والمداوى. أي أن الدواء غير

الله عنه (**إذ قال: إني أشتكي ذنوبي، فكان تألم قلبه خوفاً من ذنوبه أكثر من تألم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من أعزته**) فإنه في شغل شاغل، (**أو كالخائف الذي يحمل إلى ملك من الملوك ليقتل**)، وتحقق ذلك (**إذا قيل له: ألا تأكل وأنت جائع؟ فيقول: أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون ذلك إنكاراً لكون الخبز نافعاً من الجوع، ولا**) يكون (**طعناً فيمن أكل، ويقرب من هذا اشتغال سهل**) التستري رحمه الله تعالى فيما نقله عنه صاحب القوت (**حيث قيل له: ما القوت؟ قال: هو ذكر الحي القيوم**) الذي به الحياة والقوام لكل شيء، (**فقيل: إنما سألناك عن القوام**) أي ما تقوم به البنية؟ (**فقال: القوام هو العلم**) فإنه به تقوم الأعمال، (**قيل: سألناك عن الغذاء؟ قال: الغذاء هو الذكر، قيل: سألناك عن طعم الجسد**) الذي هو الغذاء الظاهر؟ (**قال: مالك وللجسد دع من تولاه أولاً يتولاه آخراً إذا دخل عليه علة فرده إلى صانعه**) فهو أول من ينظر فيه، (**أما رأيت الصنعة إذا عيبت**) بفساد (**ردوها إلى صانعها حتى يصلحها**) إذ هو يعرف فسادها من صلاحها ويعرف كيف يصلحها، وهذا مقام التفويض والتسليم من التوكل.

(السبب الثالث: **أن تكون العلة مزمنة**) مستمرة (**والدواء الذي يؤمر به بالإضافة إلى علته موهوم النفع**) غير متيقن ولا مظنون (**جار مجرى الكي والرقية فيتركه المتوكل**) إذ فيه تضييع العمر والمال في لا شيء، (**وإليه يشير قول الربيع بن خيثم**) رحمه الله تعالى (**إذ قال: ذكرت عاداً وثمود**) وكانت فيهم الأوجاع (**و**) كان (**فيهم الأطباء فهلك المداوي**

موثوق به، وهذا قد يكون كذلك في نفسه، وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له، فلا يغلب على ظنه كونه نافعاً ولا شك في أن الطبيب المجرب أشد اعتقاداً في الأدوية من غيره، فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة، وأكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد هذا مستندهم لأنه يبقى الدواء عنده شيئاً موهوماً لا أصل له، وذلك صحيح في بعض الأدوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض، ولكن غير الطبيب قد ينظر إلى الكل نظراً واحداً فيرى التداوي تعمقاً في الأسباب كالكي والرقى فيتركه توكلاً.

السبب الرابع: أن يقصد العبد بترك التداوي استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى، أو ليجرب نفسه في القدرة على الصبر، فقد ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره، فقد قال ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على قدر إيمانه فإن كان صلب الإيمان شدّد عليه البلاء. وإن كان في إيمانه ضعف خفف عنه البلاء». وفي الخبر: «إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء

والمداوى أي أن الدواء غير موثوق به، **وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المريض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربيه له فلا يغلب على ظنه كونه نافعاً)** له، **(ولا شك أن في الطبيب المجرب أشد اعتقاداً في الأدوية من غيره)** لكمال ممارسته فيها، **(فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة، وأكثر من ترك التداوي من العباد والزهاد)** بل وبعض صلحاء العامة، **(هذا مستندهم لأنه يبقى الدواء عنده شيئاً موهوماً لا أصل له)** وهذا مشاهد، **(وذلك صحيح في بعض الأدوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض)** وفي بعض النسخ: وذلك غير صحيح في بعض الأدوية صحيح في البعض. **(ولكن غير الطبيب قد ينظر إلى الكل نظراً واحداً فيرى التداوي تعمقاً في الأسباب كالكي والرقى فيتركه توكلاً)**.

(السبب الرابع: أن يقصد بترك التداوي استبقاء المرض لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى أو ليجرب نفسه في القدرة على الصبر، فقد ورد في ثواب المرض ما يكثر ذكره، فقد قال ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على قدر إيمانه فإن كان صلب الإيمان شدد عليه البلاء وإن كان في إيمانه ضعف خفف عنه البلاء») قال العراقي: رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه على شرط مسلم نحوه مع اختلاف وقد تقدم مختصراً، ورواه الحاكم أيضاً من حديث سعد بن أبي وقاص وقال: صحيح على شرط الشيخين اهـ.

قلت: سياق حديث سعد بن أبي وقاص أقرب لسياق المصنف، وفيه «أشد الناس بلاء الأنبياء

كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار ، فمنهم من يخرج كالذهب الابريز لا يزيد ومنهم دون ذلك ، ومنهم من يخرج أسود محترقاً » . وفي حديث من طريق أهل البيت : « إن الله تعالى إذا أحب عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضي اصطفاه » . وقال ﷺ : « تحبون أن

ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه فما يبرح البلاء حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة » . كذا رواه الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد والدارمي والبخاري والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم ، ويليه سياق حديث أبي سعيد « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الناس على قدر دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه ، وأن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس وما عليه خطيئة » . رواه ابن حبان في صحيحه . وروى الطبراني من حديث فاطمة بنت اليمان أخت حذيفة « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل » ورواه أحمد بلفظ « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وقد تقدم ذكر بعض ذلك .

(وفي الخبر « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج ذهبه كالإبريز ، ومنهم دون ذلك ، ومنهم من يخرج أسود محترقاً ») قال العراقي ، ذكره صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرجه ولده في مسنده اهـ .

قلت : بل أخرجه الطبراني والحاكم في المستدرك من حديث أبي أمامة إن الله عز وجل ليجرب أحدكم بالبلاء وهو أعلم به كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار ، فمنهم من يخرج كالذهب الابريز فذاك الذي حماه الله من الشبهات ، ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك فذلك الذي يشك بعض الشك ، ومنهم من يخرج كالذهب الأسود فذاك الذي قد افتتن ، وقد صححه الحاكم وتعقبه الذهبي لأن في سنده عفير بن معدان ضعيف .

(وفي حديث من طريق أهل البيت « إن الله تعالى إذا أحب عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضي اصطفاه ») هذا لفظ القوت . قال العراقي : رواه الطبراني من حديث ابن عيينة الخولاني بلفظ « إذا أراد الله بعبد خيراً ابتلاه وإذا ابتلاه اقتناه لا يترك له مالاً ولا ولداً » وسنده ضعيف اهـ .

قلت : ولفظه في الاوسط « إذا أحب الله عبداً ابتلاه وإذا أحبه الحب البالغ اقتناه لا يترك له مالاً ولا ولداً » ولفظه في الكبير « إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً ابتلاه فإذا ابتلاه اقتناه » قالوا : يا رسول الله وما اقتناه ؟ قال « لم يترك له مالاً ولا ولداً . ورواه ابن عساكر كذلك ، وروى ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات من حديث أبي سعيد باسناد فيه لين « إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه وإذا ابتلاه صبره » .

(وقال ﷺ « تحبون أن تكونوا كالحمر الصيالة) كذا في النسخ وهو معجم البغوي

تكونوا كالحمر الضالة لا تمرضون ولا تسقمون » ؟ وقال ابن مسعود رضي الله عنه : تجد المؤمن أصح شيء قلباً وأمرضه جسماً ، وتجد المنافق أصح شيء جسماً وأمرضه قلباً ، فلما عظم الثناء على المرض والبلاء أحب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه ، فكان منهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله تعالى ،

الضالة من الضلال **(لا تمرضون ولا تسقمون ») قال العراقي** : رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ، وأبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة ، والبيهقي في الشعب من حديث أبي فاطمة وهو حديث « إن الرجل لتكون له المنزلة عند الله » الحديث وقد تقدم . اهـ .

قلت : قال البخاري ، قال ابن أبي أويس : حدثني أخي عن حماد بن أبي حميد عن مسلم بن عقيل مولى الزرقيين : دخلت على عبيدالله بن أبي إياس بن أبي فاطمة الضمري فقال : يا أبا عقيل حدثني أبي عن جدي قال : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال « أيكم يحب أن يصح فلا يسقم » ؟ قالوا : كلنا يا رسول الله . قال « أتحبون أن تكونوا كالحمر الصيالة ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلاء وأصحاب كفارات ، والذي نفسي بيده إن الله ليبتلي المؤمن بالبلاء وما يبتليه إلا لكرامة عليه أو علة له لأن له منزلة عنده ما يبلغه تلك المنزلة إلا ببلائه » . هكذا أورده في ترجمة أبي عقيل . وفي لفظ « إن العبد لتكون له الدرجة في الجنة فما يبلغها بشيء من عمله فيبتليه الله بالبلاء ليبلغ تلك الدرجة وما يبلغها بشيء من عمله » .

وقرأت في معجم الصحابة للبغوي ، حدثني عبد الكريم بن الهيثم ، حدثنا داود بن منصور ، حدثنا ابن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن أبي عقيل الزرقي ، عن ابن أبي فاطمة عن أبيه قال ، قال رسول الله ﷺ « أيكم يحب أن يصح ولا يسقم » . قالوا : كلنا يحب أن يصح ولا يسقم . قال : « أتحبون أن تكونوا كالحمير الضالة إنما تكونوا أصحاب كفارات إن العبد لتكون له الدرجة في الجنة فلا ينالها بشيء من عمله » .

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه ، **(تجد المؤمن أصح شيء قلباً وأمرضه جسماً ، وتجد المنافق أصح شيء جسماً وأمرضه قلباً)** . رواه أبو نعيم في الحلية ، حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر ، حدثنا أبو يحي الرازي ، حدثنا هناد بن السري ، حدثنا أبو الاحوص ، عن سعيد بن مسروق ، عن منذر قال : جاء ناس من الدهاقين إلى عبدالله بن مسعود فتعجب الناس من غلظ رقابهم وصحتهم قال ، فقال عبدالله : إنكم ترون الكافر من أصح الناس جسماً وأمرضهم قلباً ، وتلقون المؤمن من أصح الناس قلباً وأمرضهم جسماً ، وأيم الله لو مرضت قلوبكم وصحت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجعلان .

(فلما عظم الثناء على المرض والبلاء أحب قوم المرض واغتنموه لينالوا ثواب الصبر عليه ، وكان منهم) أي من المتوكلين **(من له علة يخفيها)** عن الناس **(ولا يذكرها للطبيب)** ولو سأله ، **(ويقاسي العلة ويرضى بحكم الله تعالى)** لأن المتوكل حاله الرضا ومقتضى الرضا

ويعلم أن الحق أغلب على قلبه من أن يشغله المرض عنه، وإنما يمنع المرض جوارحه، وعلموا أن صلاتهم قعوداً مثلاً مع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قياماً مع العافية والصحة، ففي الخبر: «إن الله تعالى يقول لملائكته اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمله فإنه في وثاقي إن أطلقته أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه، وإن توفيته توفيته إلى رحمتي». وقال ﷺ: «أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس» فقيل: معناه

كتمان العلل وعدم التملل من اللأواء، (**ويعلم أن الحق أغلب على قلبه من أن يشغله المرض عنه، وإنما يمنع المرض جوارحه**) وقلبه في غاية من الإطمئنان والمعرفة، وكان في هذا المقام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، (**وعلموا أن صلاتهم قعوداً مثلاً مع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قائماً مع العافية والصحة**). قال تعالى ﴿وبشر الصابرين﴾ [البقرة: ١٥٥] وقال: ﴿إن الله يحب المتوكلين﴾ [آل عمران: ١٥٩] (**ففي الخبر «إن الله تعالى يقول لملائكته اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمله**) في صحته (**فإنه في وثاقي**) أي حبسي وقيدي (**إن أطلقته**) منه (**أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه**) قيل: لأنه قد طهر من المعاصي وكفر به عنه الخطايا، (**وإن توفيته إلى رحمتي»**) ولا ذنب عليه فإبدال صفته بحسن اختيار الله له في الدنيا والآخرة من حسن اختياره وشهوته. قال العراقي: رواه الطبراني من حديث عبدالله بن عمرو وقد تقدم.

قلت: وقد روي ذلك من حديث أبي هريرة بلفظ «إذا مرض العبد بعث الله تعالى إليه ملكين فيقول: انظر ما يقول لعواده فإن هو إذا دخلوا عليه حمد الله رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول لعبدي: ان أنا توفيته إن أدخلته الجنة وإن أنا شفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وأن أكفر عنه سيئآته» رواه الدارقطني في الغرائب، وابن صخر في عوالي مالك.

وروى الطبراني وابن عساكر من حديث أنس: «يقول الله تعالى إذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر لم يشتكني إلى عواده ثم أبرأته أبدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه، وإن أرسلته ولا ذنب عليه، وإن توفينه توفيته إلى رحمتي».

وروى ابن عساكر عن مكحول مرسلاً «إذا مرض العبد يقال لصاحب الشمال: ارفع عنه القلم، ويقال لصاحب اليمين: اكتب له أحسن ما كان يعمل فإني أعلم به وأنا قيدته».

قال صاحب القوت: ومن فضل تارك التداوي أن الملك يكتب له مثل أعماله الصالحة التي كان يعملها في الصحة وأنه يجري له من الحسنات ما كان يجري له أعماله فكتب الملك أعمالاً صالحة خيراً له من أعماله لأنها قد يدخلها الفساد واختيار الله له أن يستعمله بالأوجاع خير من اختياره لنفسه أن يشتغل إلى الله بالأعمال الصالحة.

(**وقال ﷺ «أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس»**) كذا في القوت. قال العراقي:

ما دخل عليه من الأمراض والمصائب. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وعسى أن تَكْرَهُوا شيئاً وهو خيرٌ لكم﴾ [البقرة: ٢١٦] وكان سهل يقول: ترك التداوي وإن ضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التداوي لأجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها، وكان يداوي الناس منها، وكان إذا رأى العبد يصلي من قعود ولا يستطيع أعمال البر من الأمراض فيتداوى للقيام إلى الصلاة والنهوض إلى الطاعات يعجب من ذلك ويقول: صلاته من قعود مع الرضا بحاله أفضل من التداوي للقوّة والصلاة قائماً. وسئل عن شرب الدواء؟ فقال: كل من دخل في شيء من الدواء، فإنما هو سعة من الله تعالى لأهل الضعف، ومن لم يدخل في شيء منه فهو أفضل لأنه إن أخذ شيئاً من الدواء ولو كان هو الماء البارد يُسأل عنه لم أخذه، ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه، وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم بأن ذرة

تقدم ولم أجده مرفوعاً، **(فقيل: معناه ما دخل عليها من الأمراض والمصائب)** ولفظ القوت قيل: هو ما أدخل عليها من المصائب في الأنفس والأموال فهي تكره ذلك وهو خير لها، **(وإليه الإشارة بقوله ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم)** وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾ وقال تعالى: ﴿ونقص من الأموال والأنفس﴾ [البقرة: ١٥٥] يعني الأمراض والعلل وهو نقصها من أوصافها وقواها وزيادة معانيها وهو خير له إذا صبر وفضل له ان شكر ودرجات إذا رضي وتوكل.

(وكان سهل) التستري **(يقول)**: إن **(ترك التداوي وإن ضعف عن الطاعات وقصر)** به **(عن الفرائض أفضل من التداوي لأجل الطاعات)** نقله صاحب القوت. قال: **(وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها، و)** قد **(كان يداوي الناس منها)** قال: **(وكان)** رحمه الله تعالى **(إذا رأى العبد يصلي من قعود ولا يستطيع أعمال البر من الأمراض فيتداوى للقيام إلى الصلاة والنهوض إلى الطاعات يعجب من ذلك ويقول: صلاته من قعود مع)** القصر و **(الرضا بحاله أفضل من التداوي للقوة والصلاة قائماً، و)** هذا معنى قوله، وقد **(سئل عن شرب الدواء فقال: كل من دخل في شيء من الدواء فإنما هو سعة من الله تعالى لأجل الضعف، ومن لم يدخل في شيء منه فهو أفضل لأنه إن أخذ شيئاً من الدواء ولو كان الماء البارد)** على سبيل الدواء **(سئل عنه لم أخذه، وإن لم يأخذ فلا سؤال عليه، و)** الأصل فيه أنه **(كان مذهبه)** رحمه الله تعالى **(ومذهب)** سائر المتوكلين **(من البصريين تضعيف)** قوة **(النفس)** وإسقاطها **(بالجوع)** والطي الكثير **(وكسر الشهوات)** حتى لا يكون لها حراك لأجل الله لأن عندهم أن قوة النفس قوة الشهوات وغلبة الصفات وحب لقاء الناس والاجتماع مع الخلق، وفي ذلك وجود المعاصي ودخول الآفات والهوى وطول الرغبة الحرص على الدنيا وحب البقاء يقول: فإذا أدخل الله عليها الأمراض من حيث لا يحتسب فلا يتعالج

من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح، والمرض لا يمنع من أعمال القلوب إلا إذا كان ألمه غالباً مدهشاً. وقال سهل رحمه الله: علل الأجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة.

السبب الخامس: أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى المرض إذا طال تكفيراً فيترك التداوي خوفاً من أن يسرع زوال المرض، فقد قال ﷺ: «لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشي على الأرض كالبردة ما عليه ذنب ولا خطيئة». وفي الخبر: «حمى يوم كفّارة سنة» فقيل: لأنها تهد قوة سنة. وقيل:

لدفعها عنها، فإن المرض من نهاية الضعف ومن أبلغ ما ينقص به الشهوة، **(لعلمهم بأن ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح)** بقوة الجسم هذا مذهبهم، **(والمرض لا يمنع من أعمال القلوب إلا إذا كان ألمه غالباً)** عليه **(مدهشاً)** له، **(و)** لذلك **(قال سهل)** رحمه الله تعالى: **(علل الأجسام رحمة، وعلل القلوب عقوبة)** وقال مرة: أمراض الجسم للصديقين، وأمراض القلب للمنافقين.

(السبب الخامس: أن يكون العبد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها) و **(عاجز عن تكفيرها)** وإماطتها، **(فيرى المرض إذا طال تكفيراً فيترك التداوي خوفاً من أن يسرع زوال المرض، فقد قال ﷺ «لا تزال الحمى والمليلة)** قيل: هي حرارة الحمى ووهجتها، وقيل هي الحمى التي تكون في العظام **(في العبد حتى يمشي على الأرض كالبردة وما عليه خطيئة»)** قال العراقي: رواه أبو يعلى وابن عدي من حديث أبي هريرة والطبراني من حديث أبي الدرداء نحوه وقال: الصداع بدل الحمى، وللطبراني في الأوسط من حديث أنس «مثل المرض إذا صح وبرأ من مرضه كمثل البردة تقع من السماء تقع في صفائها ولونها» وأسانيده ضعيفة اهـ.

قلت: وحديث أخرجه كذلك الحكيم والبزار والديلمي وابن عساكر، وروى الشيرازي في الألقاب، والبيهقي من حديث أبي هريرة «لا يزال المؤمن يصاب في ولده وخاصته حتى يلقى الله وما عليه خطيئة» ورواه أحمد وهناد وابن حبان وأبو نعيم والحاكم والبيهقي بلفظ «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة».

(وفي الخبر «حمى يوم كفارة سنة») قال العراقي: رواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وقال: ليلة بدل يوم اهـ.

قلت: رواه من طريق الحسن بن صالح عن الحسن بن عمر وعن إبراهيم النخعي عن الأسود عن ابن مسعود رفعه ولفظه «الحمى حظ كل مؤمن من النار وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة» وكذلك رواه الديلمي في مسند الفردوس وأعله ابن طاهر بالحسن بن صالح وقال: تركه يحي القطان وابن مهدي، وله شاهد عن أبي الدرداء موقوفاً بلفظ «حمى ليلة كفارة سنة» رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات له من طريق عبد الملك بن عمير عنه به.

للإنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً فتدخل الحمى في جميعها ويجد من كل واحد ألماً، فيكون كل ألم كفارة يوم. ولما ذكر ﷺ كفارة الذنوب بالحمى، سأل زيد بن ثابت ربه عز وجل أن لا يزال محموماً، فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله. وسأل ذلك طائفة من الأنصار فكانت الحمى لا تزايلهم، ولما قال ﷺ: « من أذهب الله كريمتيه لم يرض له ثواباً دون الجنة »، قال: فلقد كان من الأنصار من يتمنى العمى. وقال عيسى

وأما لفظ المصنف؛ فرواه تمام في فوائده من طريق أبي هاشم الرماني عن سعيد بن جبير عن أبي هريرة رفعه « حمى يوم كفارة سنة » ولكن بزيادة « وحمى يومين كفارة سنتين وحمى ثلاثة أيام كفارة ثلاث سنين » وروى ابن أبي الدنيا من طريق حوشب عن الحسن مرسلا مرفوعاً « إن الله ليكفر عن المؤمن خطاياه كلها بحمى ليلة » وقال ابن المبارك عقب رواية له: إنه من جيد الحديث. ومن طريق هشام عن الحسن قال: كانوا يرجون في حمى ليلة كفارة لما مضى من الذنوب، وشواهده كثيرة يؤكد بعضها بعضاً، وسنة مجرمة بالجيم كعظمة أي تامة كذا فسره الديلمي.

وقال صاحب القوت: ومن الفضائل أن الأمراض مكفرة للسيئات، فإذا كره الأمراض بقيت ذنوبه عليه موفرة، ثم ساق الخبر المذكور: **(فقيل لأنها تهد قوة سنة)** قال صاحب القوت: هذا أحسن ما سمعت في تأويله اهـ، فقد قال بعض الأطباء: من حم يوماً لم تعاوده قوة سنة فجعلت مثوبته على قدر رزيته، **(وقيل)**: لأن **(للإنسان ثلاثمائة وستون مفصلاً فتدخل الحمى في جميعها)** أي حمى يوم في جيع المفاصل، **(وتجد من كل واحد ألماً فيكون كل ألم كفارة كل يوم)** نقله صاحب القوت، وكذا كان أبو هريرة يقول: أحب الأوجاع إلي الحمى لأنها تعطي كل مفصل حقه من الأجر بسبب عموم الوجع، ووجه ثالث وهو أن الحمى تؤثر في البدن تأثيراً لا يزول بالكلية إلا إلى سنة، وقد أفاد هذا الخبر أن المرض صالح لتكفير الذنوب فيكفر الله ما يشاء منها وتكون كثرة التكفير وقلته باعتبار مدة المرض وخفته.

(ولماذا كرر رسول الله ﷺ كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت) رضي الله عنه **(ربه عز وجل أن لا يزال محموماً، فلم تكن الحمى تفارقه حتى مات رحمه الله)** نقله صاحب القوت قال: ويقال أيضاً أبي بن كعب، **(وسأل ذلك طائفة من الأنصار فكانت الحمى لا تزايلهم)** كذا في القوت. وقال العراقي: روى أحمد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري باسناد جيد أن رجلاً من المسلمين قال: يا رسول الله أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا ما لنا فيها؟ قال « كفارات » قال أبي فإن قلت » قال « وإن شوكة فما فوقها » قال: فدعا أبي أن لا يفارقه الوعك حتى يموت الحديث. وروى الطبراني في الأوسط من حديث أبي بن كعب أنه قال: يا رسول الله ما خير الحمى؟ قال « تجري الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم أو ضرب عليه عرق » فقال: إني أسألك حمى لا تمنعني خروجاً في سبيلك ولا مسجد نبيك الحديث. فالأسناد مجهول قاله علي بن المديني، **(ولما قال ﷺ « من أذهب الله كريمتيه)** فصبر **(لم يرض له ثواباً دون**

عليه السلام: لا يكون عالماً من لم يفرح بدخول المصائب والأمراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه. وروي أن موسى عليه السلام نظر إلى عبد عظيم البلاء فقال: يا رب ارحمه. فقال تعالى: كيف ارحمه فيما به ارحمه ـ أي أكفر ذنوبه وأزيد في درجاته.

الجنة») رواه هناد والترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ «يقول الله تعالى من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة». ورواه أبو الشيخ في الثواب من حديث أنس «قال الله تبارك وتعالى لا أقبض كريمتي عبدي وحبيبتيه فيصبر لحكمي ويرضى بقضائي فأرضى له ثواباً دون الجنة». ورواه أبو يعلى بلفظ «إذا أخذت كريمتي عبد لم أرض له ثواباً دون الجنة».

وفي الباب عن جماعة من الصحابة قد سبق في كتاب الصبر، **(قال: فلقد كان في الأنصار من يتمنى العمى)**. ولفظ القوت، قال: فلقد رأيت الأنصار يتمنون العمى قال: ولما جاءت الحمى تستأذن على رسول الله ﷺ قال: اذهبي إلى أهل قباء وهذا أحد الوجهين في قوله تعالى ﴿يحبون أن يتطهروا﴾ [التوبة: ١٠٨] أي من الآثام والذنوب بالحمى والأمراض، فلو لم يكن في ذلك إلا محبة الله وشهادته بطهارة العبد بالعلة لكان نصيباً موفوراً .قال: فاسقمتهم الحمى وأنهكتهم، فجاؤا إلى رسول الله ﷺ يسألونه كفها. قال: إن أحببتم تركها وكانت لكم طهوراً فقالوا: نتركها فشكر الله صبرهم، فأخبر بمحبته لهم فكان من هذا أن تلك الأمراض اختياراً لله وايثار محبته وأنها أفضل بحسن ثناء الله عليهم باختيارهم.

(وقال عيسى عليه السلام: لا يكون عالماً من لم يفرح بدخول المصائب والأمراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفارة خطاياه) نقله صاحب القوت قال: فالصديقون يبتلون بعلل الجوارح والمنافقون بأمراض القلوب لأن في أمراض الأجسام ضعفها عن الآثام والطغيان وفي أمراض القلوب ضعفها عن أعمال الآخرة والإيقان.

(وروي أن موسى عليه السلام نظر إلى عبد عظيم البلاء فقال: يا رب ارحمه) فإني قد رحمته، **(فقال تعالى)** وحيا إليه: **(كيف أرحمه فيما به أرحمه)** نقله صاحب القوت **(أي به أكفر ذنوبه وأزيد في درجاته)** وقال الله تعالى في تصديق ذلك ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا﴾ [المؤمنون: ٧٥] الآية فأخبر أن في ترك الرحمة لهم من الأمراض لطفاً بهم ورحمة بالمنة لهم. قال صاحب القوت: ورويناً أن عبد الواحد بن زيد خرج في نفر من إخوانه إلى بعض نواحي البصرة فأواهم المسير إلى كهف جبل، فإذا فيه عبد مقطع بالجذام يسيل جسده قيحاً وصديداً وقالوا: يا هذا لو دخلت البصرة فتعالجت من هذا الداء الذي بك فرفع طرفه إلى السماء وقال: يا سيدي سلطت علي هؤلاء يسخطون عليك ويكرهون إلي قضاءك، سيدي أستغفرك من ذلك الذنب لك العقبى أن أعود فيه أبداً أصرفهم عني أرددهم عني قال: وكنا جماعة فما ملكنا رؤوس دوابنا ولا قدرنا على ضبطها حتى ردتنا عنه إلى البصرة.

السبب السادس: أن يستشعر العبد في نفسه مبادىء البطر والطغيان بطول مدّة الصحة فيترك التداوي خوفاً من أن يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان، وطول الأمل والتسويف في تدارك الفائت وتأخير الخيرات، فإن الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو إلى المعاصي، وأقلها أن تدعو إلى التنعم في المباحات، وهو تضييع الأوقات وإهمال للربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات، وإذا أراد الله بعبد خيراً لم يخله عن التنبه بالأمراض والمصائب، ولذلك قيل: لا يخلو المؤمن من علة أو قلة أو ذلة. وقد روي «أن الله تعالى يقول: الفقر سجني والمرض قيدي أحبس به من أحب من خلقي» فإذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فأي خير يزيد عليه؟ ولم ينبغِ أن يشتغل بعلاجه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية في ترك المعاصي، فقد قال بعض العارفين لإنسان: كيف كنت

(السبب السادس: أن يستشعر العبد في نفسه مبادىء البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوي خوفاً من أن يعالجه زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان، أو طول الأمل والتسويف في تدارك الفائت وتأخير الخيرات، فإن الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث) داعي **(الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو إلى المعاصي وأقلها أن تدعو إلى التنعم في المباحات وهو تضييع الأوقات)** فيما لا طائل تحته **(وإهمال للربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات وإذا أراد الله بعبد خيراً لم يخله عن التنبه بالأمراض والمصائب)** وقد روى أحمد من حديث عبدالله بن مغفل «إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا» الحديث، **(ولذلك قيل: لا يخلو المؤمن من علة)** في جسمه **(أو قلة)** في ماله **(أو ذلة)**، وقيل أيضاً: المؤمن لا يخلو من عيلة أو ذلة، فإذا لم يتداو فله أعمال حسنة. منها: أن ينوي الصبر على بلاء الله والرضا بقضائه والتسليم لحكمه، ومنها: أن مولاه أعلم به وأحسن نظراً واختياراً وقد حبسه وقيده بالأمراض عن المعاصي، **(وقد روي أن الله تعالى يقول: الفقر سجني والمرض قيدي أحبس به من أحب من خلقي)** نقله صاحب القوت، **(فإذا كان في المرض حبس عن الطغيان وركوب المعاصي فأي خير يزيد عليه)** وقد حبس عن ارتكاب ما يوجب عليه النار، **(ولم ينبغ أن يشتغل بعلاجه من يخلف ذلك على نفسه، فالعافية في ترك المعاصي)** فلا يأمن من أن تداوى فعوفي أن تقوى النفس فينتشر هواها لأن المعاصي في العوافي وعلة سنة خير من معصية ساعة، **(فقد)** روى الدينوري في المجالسة عن ابن ضريس قال بعض الحكماء: إنما لك من العمر ما أطعت الله فيه فأما ما عصيته فلا تعده عمراً اهـ.

ومن هنا قولهم: لا يعد من العمر إلا أوقات الخير، و **(قال بعض العارفين لإنسان: كيف**

بعدي؟ قال: في عافية. قال: إن كنت لم تعص الله عز وجل فأنت في عافية وإن كنت قد عصيته فأي داء أدوأ من المعصية؟ ما عوفي من عصى الله.

وقال علي كرّم الله وجهه لما رأى زينة النبط بالعراق في يوم عيد: ما هذا الذي أظهروه؟ قالوا: يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم. فقال: كل يوم لا يعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد.

وقال تعالى: ﴿من بعدما أراكم ما تحبون﴾ [آل عمران: ١٥٢]، قيل: العوافي ﴿أن الإنسان ليطغى ⋆ أن رآه استغنى﴾ [العلق: ٦، ٧] وكذلك إذا استغنى بالعافية. وقال بعضهم: إنما قال فرعون: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ لطول العافية لأنه لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق، فادعى الربوبية ـ لعنه الله ـ ولو

كنت بعدي؟ قال: في عافية. قال: إن كنت لم تعص الله عز وجل فأنت في عافية وإن كنت قد عصيته فأي داء أدوأ من المعصية؟ ما عوفي من عصى الله) كذا في القوت.

(وقال علي كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط) وهم قوم من أهل الأرض **(بالعراق في يوم عيد)** لهم: **(ما هذا الذي أظهروه؟ قالوا: يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم، فقال: كل يوم لا نعصي الله عز وجل فيه فهو يوم عيد)** كذا في القوت. **(وقال تعالى)**: ﴿وعصيتم **(من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ قيل: العوافي)** والغنى، وقد قال الله تعالى: **(﴿إن الانسان ليطغى ⋆ أن رآه استغنى﴾ وكذلك إذا استغنى بالعافية)** يعني أن الإنسان قد يطغى بالعافية كما يطغى بالمال، لأنه قد يستغني بالعافية كما يستغني بالمال وكل فيه فتنة واختبار. وفي الخبر «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» فصار الصحيح مغبوناً لأن السقيم معذور، في الحديث القدسي. «إن من عبادي من لا يصلحه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك» فكان السقيم صالحاً إذ قد يكون المعافى مفسداً. ولذلك جاء الخبر «أشد الناس عذاباً غداً الصحيح الفارغ» فجاء من تدبره أن أيسرهم حساباً السقيم المشغول بنفسه، فالعصمة في حال العافية نعمة ثانية كالعصمة من المعصية، فالغني في حال الغنى نعمة النعمة، وقد لا يعطى ذلك كل الناس لأن الأكثر يعطى النعمة الأولى من المعافاة، ثم لا تتم النعمة عليه بالنعمة الثانية وهو المعافاة الأخرى من الذنوب كما يعطى النعمة الأولى من الغنى ولا يتم له بالنعمة الأخرى من العصمة فيه بالإنفاق في الطاعات ووضع ذلك في القربان، فصارت العصمة بالعلة لأنها تمنع من المعصية نعمة كالعصمة بالفقر لأنه يمنع من الشهوات رحمة فلا يأمن أن يكون في دوام صحته هلكة كما يكون في فضل غناه معصية.

(وقال بعضهم: إنما قال فرعون ﴿أنا ربكم الأعلى﴾) أي إنما حمله على ذلك القول **(لطول العافية لأنه لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه**

أخذته الشقيقة يوماً لشغلته عن الفضول فضلاً عن دعوى الربوبية. وقال ﷺ: « أكثروا من ذكر هاذم اللذات »، وقيل: الحمى رائد الموت فهو مذكر له ودافع للتسويف.

عرق، فادعى الربوبية - لعنه الله - ولو أخذته الشقيقة) وهو وجع نصف الرأس والمليلة في (كل يوم) وفي بعض النسخ يوماً (لشغلته عن الفضول فضلاً عن دعوى الربوبية) أي لكان شغله بنفسه كافياً عن هذه الفضولات، (و) للمتوكل أيضاً في الأمراض تجديد التوبة والحزن على الذنوب وكثرة الاستغفار والاستعتاب منها وحسن التذكرة وقصر الأمل وكثرة ذكر الموت. (قال ﷺ « أكثروا من ذكر هاذم اللذات ») يعني الموت أي قاطعها، والهذم: هو القطع ومنه سيف هاذم وهذام، ومنهم من يقول: هو بالدال المهملة، والمعنى صحيح إلا أنه مخالف للرواية. قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن غريب، والنسائي، وابن ماجه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد وصححه ابن حبان والحاكم وابن السكن وابن طاهر وأعله الدارقطني بالإرسال، ولفظه عند العسكري في الأمثال: مر رسول الله ﷺ بمجلس من مجالس الأنصار وهم يمزحون ويضحكون، فقال: « أكثروا ذكر هاذم اللذات فإنه لم يذكر في كثير إلا قلله ولا في قليل إلا كثره ولا في ضيق إلا وسعه ولا في سعة إلا ضيقها ». وفي الباب عن جماعة منهم: أبو سعيد وأنس وابن عمر، وروى ابن أبي الدنيا في الموت من حديث ابن عمر بسند ضعيف « أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا » وروى البيهقي عن مالك بن دينار قال، قال معبد الجهني ذكر الموت يطرد فضول الأمل ويكف غرر التمني ويهون المصائب ويحول بين القلب والطغيان.

(وقد قيل: الحمى رائد الموت) أي رسوله الذي يتقدمه وفي نسخة بريد الموت (فهي مذكر له ودافع للتسويف)، وهذا القول قد روي مرفوعاً مع زيادة. رواه أبو نعيم في الطب من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن أنس مرفوعاً « الحمى رائد الموت وسجن الله في الأرض » وقال ابن بشير: رواه أنس كذلك مرفوعاً، وقد روي من مرسل الحسن بزيادة « يحبس بها عبده إذا شاء ويرسله إذا شاء ففتروها بالماء البارد » كذا رواه هناد في الزهد، وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات، وأبو نعيم في الطب، والبيهقي والقضاعي. فأبو نعيم رواه من طريق حماد بن زيد عن حميد وحبيب وثابت وعلي بن زيد في آخرين كلهم عن الحسن، وابن أبي الدنيا رواه من طريق جرير عن ابن شبرمة عن الحسن. ورواه القضاعي من طريق عبدالله بن مسلم بن حبيبة حدثني أبو الخطاب، حدثنا بشر بن المفضل، عن يونس، عن الحسن وليس فيه ففتروها بالماء، ويروى هذا القول أيضاً عن سعيد بن جبير من قوله « الحمى رائد الموت » رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الطب من طريق اسماعيل بن أبي خالد عنه وقد ظهر لك بهذا كله أنه حديث مرفوع، ولكن المصنف تابع صاحب القوت فإنه لم يصرح بأنه وارد.

وقال تعالى: ﴿أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾ [التوبة: ١٢٦] قيل: يفتنون بأمراض يختبرون بها. ويقال: إن العبد إذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال له ملك الموت: يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب.

وقد كان السلف لذلك يستوحشون إذا خرج عام لم يصابوا فيه بنقص في نفس أو مال. وقالوا: لا يخلو المؤمن في كل أربعين يوماً أن يروّع روعة أو يصاب ببلية حتى روي أن عمار بن ياسر تزوّج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها، وأن النبي ﷺ عرض عليه امرأة فحكى من وصفها حتى همّ أن يتزوّجها فقيل: وإنها ما مرضت قط. فقال: «لا حاجة لي فيها». وذكر رسول الله ﷺ الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره فقال رجل: وما الصداع ما أعرفه؟ فقال ﷺ: «إليك عني من أراد أن ينظر إلى رجل من

(**وقال تعالى ﴿أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾ قيل**) في تفسيره: (**يفتنون بالأمراض**) والأسقام (**يختبرون بها**) كذا في القوت. (**ويقال: إن العبد إذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال له ملك الموت**): يا جاهل (**يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تجب**) إلا أن آتيك بنفسي أضربك ضربة أقطع منك الوتين كذا في القوت. وقد رواه أبو نعيم في الحلية عن مجاهد بلفظ «ما من مرض يمرضه العبد إلا رسول ملك الموت عنده حتى إذا كان آخر مرض يمرضه أتاه ملك الموت فقال: أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا».

(**وقد كان السلف لذلك يستوحشون إذا خرج**) منهم (**عام لم يصابوا فيه بنقص في نفس أو مال**) كذا في القوت، (**وقالوا**) ولفظ القوت ويقال: (**لا يخلو المؤمن في كل أربعين يوماً أن يروع روعة أو يصاب ببلية**) ولفظ القوت بنكبة وزاد، فكانوا يكرهون فقد ذلك في نصاب هذا العدد غير أن يصابوا فيه بشيء، (**حتى روي أن عمار بن ياسر**) رضي الله عنه (**تزوج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها**) كذا في القوت، (**وأن النبي ﷺ عرض**) وفي نسخة عرضت (**عليه امرأة فحكى**) أي ذكر (**من وصفها حتى هم أن يتزوجها فقيل: وأنها ما مرضت قط، فقال: «لا حاجة لي فيها»**) كذا في القوت. قال العراقي: رواه أحمد من حديث أنس بنحوه باسناد جيد، (**وذكر رسول الله ﷺ الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره فقال رجل: وما الصداع**) و (**ما أعرفه**)؟ وفي رواية ذكرت الحمى فقال: ما أصابتني قط، (**فقال ﷺ «إليك عني من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا»**) كذا في القوت. قال العراقي: رواه أبو داود من حديث عامر الرامي أخي الخضر بنحوه، وفي إسناده من لم يسم اهـ.

أهل النار فلينظر إلى هذا ». وهذا لأنه ورد في الخبر: « الحمى حظ كل مؤمن من النار ».

وفي حديث أنس وعائشة رضي الله عنهما قيل: يا رسول الله هل يكون مع الشهداء

قلت: رواه هو وأحمد من طريق أبي إسحاق عن أبي منظور عن عمه عامر الرامي قال: إنا لببلادنا إذا رفعت لنا رايات وألوية فقلت: ما هذا؟ قالوا: رسول الله ﷺ فأقبلت، فإذا رسول الله ﷺ جالس تحت شجرة وحوله أصحابه فذكر الحديث. وذكر البخاري في تاريخه أن أبا أويس رواه عن أبي إسحاق فقال عن الحسن بن عمارة عن أبي منظور، وقد أخرج عن أبي خيثمة وابن السكن وغيرهما الحديث من طريق أبي إسحاق قال: حدثني رجل من أهل الشام يقال له أبو منظور؛ فهذا يدل على وهم أبي أويس قال البخاري أبو منظور لا يعرف إلا بهذا.

(**وذلك لأنه ورد في الخبر « الحمى حظ كل مؤمن من النار »**) وهذا التعليل لا يستقيم إلا مع ذكر الرواية الثانية التي ذكرتها وهي موجودة في القوت وسقطت من سياق المصنف ولعله من النساخ. قال العراقي: رواه البزار من حديث عائشة وأحمد من حديث أبي أمامة، والطبراني في الأوسط من حديث أنس، والديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن مسعود، وحديث أنس ضعيف وباقيها حسان، ولابن ماجه من حديث أبي هريرة أنه عاد مريضاً من وعك كان به فقال: إن الله عز وجل يقول هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في الآخرة، وأعله الدارقطني بأن الصواب أنه عن كعب اهـ.

قلت: لفظ حديث عائشة عن البزار « الحمى حظ كل مؤمن من النار » وقد أعله الدارقطني بالانقطاع وله طريق آخر عنها ضعيف.

قلت: ولكن حسن المنذري إسناده ولفظ حديث أبي أمامة عند أحمد « الحمى كير من جهنم فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار » قال المنذري: لا بأس باسناده، وقد رواه الطبراني وابن مردويه وأبو بكر في الغيلانيات، ولفظ حديث ابن مسعود عند الديلمي « الحمى حظ كل مؤمن من النار وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة ». وقد رواه كذلك القضاعي في مسند الشهاب، وهذا قد تقدم الكلام عليه قريباً.

وأما حديث أنس عند الطبراني في الأوسط، فروي كما تقدم. ويروى أيضاً بلفظ « الحمى حظ أمتي من جهنم » وسنده كذلك ضعيف.

وفي الباب عن عثمان بن عفان وأبي ريحانة الأنصاري. فحديث عثمان أخرجه ابن عساكر في تاريخه بلفظ « الحمى حظ المؤمن من النار يوم القيامة » وحديث أبي ريحانة رواه ابن النجار في تاريخه بلفظ « الحمى كير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار » وفي لفظ « وهي نصيب المؤمن من النار » رواه هكذا الطبراني وابن قانع وابن مردويه والشيرازي في الألقاب وابن عساكر.

(**وفي حديث أنس وعائشة رضي الله عنهما قيل: يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم**

يوم القيامة غيرهم؟ فقال: «نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة» وفي لفظ آخر: «الذي يذكر ذنوبه فتحزنه». ولا شك في أن ذكر الموت على المريض أغلب، فلما أن كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها، إذ رأوا لأنفسهم مزيداً فيها لا من حيث رأوا التداوي نقصاناً، وكيف يكون نقصاناً وقد فعل ذلك ﷺ؟

بيان الرد على من قال ترك التداوي أفضل بكل حال:

فلو قال قائل: إنما فعله رسول الله ﷺ ليسنّ لغيره، وإلاَّ فهو حال الضعفاء ودرجة الأقوياء توجب التوكل بترك الدواء. فيقال: ينبغي أن يكون من شرط التوكل ترك الحجامة، والفصد عند تبيغ الدم.

فإن قيل: إن ذلك أيضاً شرط فليكن من شرطه أن تلدغه العقرب أو الحية فلا ينحيها عن نفسه، إذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فأي فرق بينهما؟ فإن

القيامة غيرهم؟ فقال: نعم من ذكر الموت في يوم عشرين مرة وفي لفظ) حديث **(آخر «الذي يذكر ذنوبه فتحزنه»)** هكذا هو في القوت، وقال العراقي: لم أقف له على اسناده.

. قلت: روى الطبراني في الأوسط من حديث عائشة قلت، يا رسول الله ليس الشهداء إلا من قتل في سبيل الله. قال: «يا عائشة إن شهداء أمتي إذاً لقليل من قال في يوم خمسة وعشرين مرة اللهم بارك لي في اليوم فيما بعد اليوم ثم مات على فراشه أعطاه أجر شهيد» في اسناده من لا يعرف حاله. **(ولا شك في أن ذكر الموت على المريض أغلب، فلما أن كثرت فوائد المرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها إذ رأوا لأنفسهم مزيداً فيها لا من حيث رأوا التداوي نقصاناً، وكيف يكون نقصاناً وقد فعل ذلك ﷺ)** فبمثل هذه الأسباب ترجح الأعمال بعضها على بعض ولا يكون خلاف السنة، والله أعلم.

بيان الرد على من قال ترك التداوي أفضل بكل حال:

(فلو قال قائل: إن التداوي إنما فعله رسول الله ﷺ ليسن لغيره) أي ليجعله سنة للأمة، **(وإلا فهو حال الضعفاء ودرجة الأقوياء توجب التوكل بترك الدواء، فيقال)**: على ذلك **(ينبغي أن يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والفصد عند تبيغ الدم)** أي هيجانه.

(فإن قيل: إن ذلك أيضاً شرط فيكون من شرطه أن تلدغه العقرب أو الحية فلا ينحيها) أي لا يزيلها **(عن نفسه، إذ الدم يلدغ الباطن والعقرب تلدغ الظاهر فأي فرق**

قال: وذلك أيضاً شرط التوكل؟ فيقال: ينبغي أن لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة، وهذا لا قائل به.

ولا فرق بين هذه الدرجات، فإن جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الأسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته، ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فإنهم لما قصدوا الشام وانتهوا إلى الجابية بلغهم الخبر أن به موتاً عظيماً ووباء ذريعاً، فافترق الناس فرقتين؛ فقال بعضهم: لا ندخل على الوباء فنلقي بأيدينا إلى التهلكة. وقالت طائفة أخرى: بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الذين خَرَجُوا من ديارهم وهم ألوفٌ حَذَرَ الموت﴾ [البقرة: ٢٤٣] فرجعوا إلى عمر فسألوه عن رأيه فقال: نرجع ولا ندخل على الوباء. فقال له المخالفون في رأيه: أنفر من قدر الله تعالى؟ قال عمر: نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله، ثم ضرب لهم مثلاً فقال: أرأيتم لو كان لأحدكم غنم فهبط وادياً له شعبتان إحداهما مخصبة والأخرى مجدبة أليس إن رعى المخصبة رعاها بقدر الله تعالى وإن رعى المجدبة رعاها بقدر الله تعالى؟ فقالوا: نعم، ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه ـ وكان غائباً ـ فلما أصبحوا جاء

بينهما؟ **فإن قال: وذلك أيضاً شرط التوكل. فيقال: ينبغي أن لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجبة، وهذا لا قائل به ولا فرق بين هـذه الدرجات؛ فإن جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الأسباب سبحانه وتعالى، وأجرى بها سنته، ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روي عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة)** رضوان الله عليهم **(في قصة الطاعون)** المشهورة **(فإنهم لما قصدوا الشام وانتهوا إلى الجابية)** وهو موضع بالقرب من دمشق **(بلغهم الخبر أن به موتاً ذريعاً)** أي كثيراً **(ووباء عظيماً، فافترق الناس فرقتين فقال بعضهم: لا ندخل على الوباء فنلقي بأيدينا إلى التهلكة، وقالت طائفة أخرى: بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفر من الموت، فنكون كمن قال الله تعالى فيهم ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت﴾)** الآية، **(فرجعوا إلى عمر فسألوه عن رأيه فقال: نرجع ولا ندخل على الوباء، فقال له المخالفون في رأيه: أنفر من قدر الله تعالى؟ قال عمر: نفر من قدر الله إلى قدر الله، ثم ضرب لهم مثلاً فقال: أرأيتم لو كان لأحدكم غنم فهبط وادياً له شعبتان إحداهما مخصبة والأخرى مجدبة)** أي لا كلأ بها **(أليس إن رعي المخصبة رعاها بقدر الله تعالى وإن رعي المجدبة رعاها بقدر الله تعالى؟ فقالوا: نعم، ثم طلب عبد الرحمٰن بن عوف)** رضي الله عنه **(ليسأله عن رأيه)** في ذلك **(وكان غائباً، فلما أصبحوا جاء عبد الرحمٰن فسأله عمر عن ذلك**

عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال: عندي فيه يا أمير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله ﷺ ، فقال عمر: الله أكبر، فقال عبد الرحمن: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا سمعتم بالوباء في أرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع في أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه ». ففرح عمر رضي الله عنه بذلك وحمد الله تعالى إذ وافق رأيه، ورجع من الجابية

فقال: عندي فيه يا أمير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله ﷺ ، فقال عمر: الله أكبر: فقال عبد الرحمٰن: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا سمعتم الوباء بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع في أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه» ففرح عمر بذلك وحمد الله تعالى إذ وافق رأيه ورجع من الجابية بالناس) رواه مالك وأحمد والشيخان من حديث ابن عباس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بصرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام. قال ابن عباس، فقال عمر بن الخطاب: ادع لي المهاجرين الأولين فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم: قد خرجت لأمر ولا نرى أن نرجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية في أصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء فقال عمر: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي الأنصار فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجزين واختلفوا كاختلافهم فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوتهم فلم يختلف عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه فقال أبو عبيدة؛ وهو إذ ذاك أمير الشام: أفراراً من قدر الله، فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، وكان عمر يكره خلافه، نعم نفر من قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل كثيرة فهبطت وادياً له عدوتان: إحداهما خصبة والأخرى جدبة، ألست إن رعيت في الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيتها في الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمٰن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجاته فقال: إن عندي من هذا لعلماً سمعت رسول الله ﷺ يقول« إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » قال: فحمد الله عمر ثم انصرف. زاد بن خزيمة في صحيحه بالناس.

وذكر سيف في الفتوح عن مشايخه أن الطاعون وقع بالشام في المحرم وصفر ومات فيه الناس، ثم ارتفع فكتبوا إلى عمر بذلك فخرج حتى إذا كان قريباً من الشام بلغه أنه كان أشد ما كان، فقال الصحابة؛ قال رسول الله ﷺ: « إذا كان بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا عليكم » فرجع عمر حتى ارتفع الطاعون منها.

قلت: أما حديث عبد الرحمن بن عوف المتقدم، فقد روي أيضاً من حديث أسامة بن زيد، ورواه الطيالسي وأحمد والشيخان. ومن حديث ابن عباس رواه أبو داود، ومن حديث زيد بن

بالناس. فإذاً كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات إن كان أمثال هذا من شروط التوكل؟

فإن قلت: فلم نهي عن الخروج من البلد الذي فيه الوباء، وسبب الوباء في الطب الهواء، وأظهر طرق التداوي الفرار من المضر، والهواء هو المضر، فلمَ لم يرخص فيه؟

فاعلم أنه لا خلاف في أن الفرار عن المضر غير منهي عنه، إذ الحجامة والفصد فرار

ثابت رواه الطبراني والضياء، ومن حديث سعد بن أبي وقاص رواه الطيالسي والبزار، وقد وردت أخبار كثيرة موافقة لحديث عبد الرحمن بن عوف

وفي لفظ من حديث أسامة: «الطاعون بقية رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بني إسرائيل فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تهبطوا عليها: » هكذا رواه الشيخان والترمذي وقال: حسن صحيح، وابن خزيمة.

وفي رواية لمسلم: «الطاعون آية الرجز ابتلى الله به أناساً من عباده فإذا سمعتم به فلا تدخلوا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تفروا منه».

ورواه الطبراني بلفظ: «إذا وقع الطاعون ببلد وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه وإذا وقع بارض ولستم بها فلا تدخلوا عليه».

ورواه أحمد والطبراني والبغوي وابن قانع من حديث عكرمة بن خالد عن أبيه أو عمه عن جده: «إذا وقع الطاعون في أرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها وإن كنتم بغيرها فلا تقدموا عليها».

وأما الآية التي استدل بها بعض الصحابة وهي قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم﴾ الآية قال الكلبي: كانوا ثمانية آلاف، وقال قتادة: وقع الطاعون فخرج منهم الثلثان وبقي الثلث ثم أصابهم فخرجوا كلهم فأماتهم الله عقوبة. وقال الحسن: ماتوا قبل آجالهم ثم أحياهم إلى آجالهم، وقيل: إن خروجهم كان لغير ذلك. قال الزمخشري: ومن بديع التفسير أن معنى ألوف أي قلوبهم مؤتلفة إنما خرجوا فراراً وأنه جمع آلف مثل شهود وشاهد. وقال الفخر الرازي: يمكن أن يكون المراد أن كل واحد منهم آلفاً لحياته محباً لهذه الدنيا.

(فإذاً كيف اتفق الصحابة على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات إن كان أمثال هذا من شروط التوكل).

(فإن قلت: فلم نهى عن الخروج من البلد الذي فيه الوباء، وسبب الوباء في الطب الهواء وأظهر طرق التداوي الفرار من المضر، والهواء هو المضر فلم يرخص فيه)؟

(فاعلم أنه لا خلاف في أن الفرار من المضر غير منهي عنه إذ الحجامة والفصد فرار

من المضر وترك التوكل في أمثال هذا مباح، وهذا لا يدل على المقصود، ولكن الذي ينقدح فيه ـ والعلم عند الله تعالى ـ أن الهواء لا يضر من حيث أنه يلاقي ظاهر البدن، بل من حيث دوام الاستنشاق له، فإنه إذا كان فيه عفونة ووصل إلى الرئة والقلب وباطن الأحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر إلا بعد طول التأثير في الباطن، فالخروج من البلد لا يخلص غالباً من الأثر الذي استحكم من قبل، ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقي والطيرة وغيرهما، ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضاً للتوكل ولم يكن منهياً عنه، ولكن صار منهياً عنه لأنه

من المضر وترك التوكل في أمثال هذا مباح، فهذا لا يدل على المقصود ولكن الذي ينقدح فيه والعلم عند الله تعالى أن الهواء لا يضر من حيث أنه يلاقي ظاهر البدن، بل من حيث دوام الإستنشاق له، فإنه إذا كان فيه عفونة) وتغير **(ووصل إلى الرئة والقلب وباطن الاحشاء أثر فيها بطول الإستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر إلا بعد طول التأثير في الباطن.**

قال ابن سينا وغيره من حذاق الأطباء: الطاعون مادة سمية تحدث ورماً قتالاً يحدث في المواضع الرخوة والمغابن من البدن، وأغلب ما يكون تحت الإبط وخلف الأذن وعند الأرنبة قال: وسببه دم رديء مائل إلى العفونة والفساد يستحيل إلى جوهر يفسد العضو ويغير ما يليه ويؤدي إلى القلب كيفية رديئة فيحدث القيء والغثيان والغشي والخفقان، وهو لرداءته لا يقبل من الأعضاء إلا ما كان أضعف بالطبع، وارداه ما يقع في الأعضاء الرئيسة، ثم قال: والطواعين تكثر عند الوباء وفي البلاد الوبيئة، ومن ثم أطلق على الطاعون وباء، وبالعكس قال: وأما الوباء فهو فساد جوهر الهواء الذي هو مادة الروح ومدده، ولذلك لا يمكن حياة الإنسان بل جميع الحيوان بدون استنشاقه، بل متى عدم الحيوان إستنشاق الهواء مات.

وقال ابن نفيس في الموجز: الوباء ينشأ عن فساد يعرض لجوهر الجواهر بأسباب سماوية أو أرضية، فمن الأرضية الماء الآسن والجيف الكثيرة كما يقع في مواضع المعركة إذا لم تدفن القتلى والتربة الكثيرة التعفن وكثرة الحشرات والضفادع، ومن السماوية كثرة السبب والرجوم في آخر الصيف وكثرة الجنوب والضياء في الكافونين، وإذا كثر المطر في الشتاء ولم تمطر.

(فالخروج من البلد لا يخلص غالباً من الأثر الذي استحكم من قبل، ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الموهومات كالرقى والطيرة وغيرهما، ولو تجرد هذا المعنى لكان مناقضاً للتوكل ولم يكن منهياً عنه) لأنه غير متيقن، **(ولكن صار منهياً عنه)** كما في

انضاف إليه أمر آخر وهو أنه لو رخص للأصحاء في الخروج لما بقي في البلد إلا المرضى الذي أقعدهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين، ولم يبقَ في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتها بـأنفسهـم، فيكـون ذلـك سعيـاً في إهلاكهم تحقيقاً، وخلاصهم منتظر كما أن خلاص الأصحاء منتظر، فلو أقاموا لم تكن الإقامة قاطعة بالموت، ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعاً بالخلاص وهو قاطع في إهلاك الباقين، والمسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضاً والمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى إليه سائر أعضائه، فهذا هو الذي ينقدح عندنا في تعليل النهي، وينعكس

الأخبار السابقة (**لأنه انضاف إليه أمر آخر وهو أنه لو رخص لأصحابه في الخروج**) من البلد (**لما بقي في البلد إلا المرضى الذين أقعدهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وفقدوا المتعهدين**) القائمين بخدمتهم من تحريض وتجهيز، (**ولم يبق في البلد من يسقيهم الماء ويطعمهم الطعام وهم يعجزون عن مباشرتها بأنفسهم فيكون ذلك**) الخروج (**سعياً في إهلاكهم تحقيقاً وخلاصهم منتظر. كما أن خلاص الأصحاء منتظر، فلو أقاموا لم تكن الإقامة قاطعة بالموت، ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعاً بالخلاص وهو قاطع في إهلاك الباقين، والمسلمون كالبنيان يشد بعضهم بعضاً**) وقد روى الشيخان والترمذي والنسائي وابن حبان من حديث أبي موسى والرامهرمزي في الأمثال من حديث أبي هريرة وأبي سعيد «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً». (**والمؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى إليه سائر أعضائه**) رواه مسلم من حديث النعمان بن بشير بلفظ: «المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى إليه سائر الجسد بالحمى والسهر» وفي لفظه له: «المسلمون كرجل واحد». ورواه أحمد وأبو نعيم في الحلية بلفظ: «إن اشتكى رأسه اشتكى كله» ورواه الرامهرمزي في الأمثال بلفظ: «المسلمون كالرجل الواحد إن اشتكى عضو من أعضائه تداعى له سائر جسده». وقد روي نحوه من حديث سهل بن سعد: «المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس». رواه ابن المبارك وأحمد والروياني والطبراني وأبو نعيم في الحلية والضياء.

(**فهذا هو الذي ينقدح عندنا في تعليل النهي**). اعلم أن بعض أهل العلم ذكر أن النهي عن الخروج من البلد الذي وقع فيه الطاعون فراراً منه أمر تعبدي لا يعقل معناه إذ الفرار من المهالك مأمور به، وقد صح النهي هنا فكان السر فيه لا تعلم حقيقته، فالأولى فيه التسليم والإمتثال.

وذهب كثيرون إلى التعليل وذكروا لذلك حكماً. منها: ما ساقه المصنف هنا، وحاصله أنهم لو تواردوا على الخروج لبقي من وقع به عاجزاً عن الخروج فضاعت مصالح المرضى لفقد من

هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد فإنه لم يؤثر الهواء في باطنهم ولا بأهل البلد حاجة إليهم. نعم، لو لم يبق بالبلد إلا مطعونون وافتقروا إلى المتعهدين وقدم عليهم قوم فربما كان ينقدح استحباب الدخول ههنا لأجل الإعانة، ولا ينهي عن الدخول لأنه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين، وبهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الأخبار بالفرار من الزحف لأن فيه كسراً لقلوب بقية المسلمين وسعياً في

بيتعهدهم والموتى لفقد من يجهزهم، ولما في خروج الأقوياء من كسر قلوب من لا قدرة لهم على الخروج.

ومنها: أن الطاعون في الغالب يكون عاماً في البلد الذي يقع به فإذا وقع الشخص بها، فالظاهر مداخلة سببه له فلا يفيده الفرار منه، بل إن كان أجله حضر فهو ميت سواء أقام أو رحل وكذا بالعكس، ولهذا رجح أن تصرفات الصحيح في البلد الذي يقع فيه الطاعون كتصرفات المريض مرض الموت.

ومنها: أن الخارج يقول: لو لم أخرج لمت، ويقول المقيم: لو خرجت كما خرج فلان لسلمت فيقع في اللو المنهي عنها، قال ابن عبد البر وروى عن ابن مسعود: «إن الطاعون فتنة للمقيم والخارج».

ومنها: زعم بعض أهل الطب أن الذي يقع به الوباء تتكيف أرواح أهله بكيفية هواء تلك الأماكن وتألفها أمزجتهم وتصير لهم بمنزلة الأهوية الصحيحة لغيرهم، فإذا انتقلوا إلى الأماكن الصحيحة الهواء لم يوافقهم، بل إذا الهواء الصحيح ستصحب معه إلى القلب ما يجده من الأبخرة الردية التي حصل تكيف بدنه بها فيصل إلى القلب فيقع ذلك المرض الذي فر منه، فمنع من الفرار منه من هذه الحيثية وهذا فيه نظر والمعتمد ما تقدم.

(وينعكس هذا فيمن لم يقدم بعد على البلد، فإنه لا يؤثر الهواء في باطنهم ولا بأهل البلد حاجة إليهم) في تعهد مرضاهم وموتاهم أي فليس له الدخول في ذلك البلد. **(نعم لو لم يبق في البلد إلا مطعون وافتقروا إلى المتعهدين وقدم عليهم قوم، فربما كان ينقدح استحباب الدخول ههنا)** نظراً إلى افتقادهم **(لأجل الإعانة)** لهم، **(أو لا ينهي عن الدخول لأنه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين، ولهذا شبه الفرار من الطاعون في بعض الأخبار بالفرار من الزحف لأن فيه كسراً لقلوب بقية المسلمين وسعياً في إهلاكهم)** قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة بإسناد جيد ومن حديث جابر بإسناد ضعيف وقد تقدم اهـ.

قلت: أما حديث عائشة فلفظه عنده: «الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف» ورواه ابن عدي والطبراني في الأوسط بلفظ: «الطاعون شهادة لأمتي

إهلاكهم. فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر إلى ظواهر الأخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ما سمعه وغلط العباد والزهاد في مثل هذا كثير، وإنما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك.

,ووخز أعدائكم من الجن يخرج في آباط الرجال مراقها الفار منه كالفار من الزحف ومن صبر فيه كان له أجر شهيد». ورواه هو أيضاً وعبد بن حميد وابن خزيمة بلفظ: «والصابر فيه كالصابر في الزحف».

(فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر إلى ظواهر الأخبار والآثار يتناقض عنده أكثر ما سمعه، وغلط العباد والزهاد في مثل هذا، وإنما شرف العلم وفضل لأجل ذلك)، ثم اعلم أن العلماء اختلفوا في أن النهي عن الخروج من البلد الذي يقع به الطاعون هل هو على ظاهره من التحريم أو للتنزيه على قولين: وربما استدل من قال: إنه نهي تحريم في بعض طرق الخبر السابق والفار منها كالفار من الزحف. قال ابن عبد البر: الطاعون موت شامل لا يحل لأحد أن يفر من أرض نزل فيها إذا كان من ساكنيها ولا أن يقدم عليه إذا كان خارجاً عن الأرض التي نزل بها. وقال التاج السبكي في الجزء الذي جمعه في الطاعون: مذهبنا وهو الذي عليه الأكثر أنه للتحريم قال: وقال بعض العلماء: هو للتنزيه واتفقوا على جواز الخروج لشغل عرض غير الفرار قال: وليس محل النزاع فيمن خرج فاراً من قضاء الله تعالى فذلك لا سبيل إلى القول بأنه غير محرم، بل الظاهر أن محل النزاع فيما إذا خرج للتداوي. ورد عليه الحافظ ابن حجر في بذل الماعون بأن هذا ليس بظاهر لأن الخروج للتداوي ليس حراماً في مذهب الشافعي وجماعة، وهو قد صحح أن الخروج حرام، فكيف يجعل محله ما إذا خرج للتداوي، والخروج للتداوي ليس بحرام، بل العبارة الصحيحة أن يقول محل النزاع فيما إذا خرج فاراً من المرض الواقع مع اعتقاده أنه لو قدره الله عليه لأصابه، وأن فراره منه لا ينجيه من قدر الله لكن يخرج مؤملاً أن ينجو قال الحافظ: واحتج من أجاز الفرار بأمور.

الأول: قال الطحاوي بعد أن أورد حديث: لا يورد مريض على مصح ذهب قوم لهذا، وقالوا: إنما كره ذلك مخافة الاعداء وأقروا باجتناب ذي الداء والفرار منه، واحتجوا برجوع عمر من سرغ بسبب الطاعون خشية أن يعديه من دخل عليه، ثم أجاب الطحاوي بأن الأمر بترك القدوم عليه لو كان للخوف من أن يعدي كان لأهل الموضع الذي وقع فيه أيضاً الخروج، فلما منعوا ثبت أن المعنى الذي منعوا من القدوم عليه غيره وهو خوف أن يصيبه بتقدير الله فيقول: لولا أني قدمت هذه الأرض لما أصابني فأمر أن لا يقدم حسماً للمادة، وكذلك أمر أن لا يخرج من الأرض التي نزل بها البلاء ليسلم فيقول: لو أقمت في تلك الأرض لأصابني ما أصاب أهلها، ولعله لو كان أقام بها ما أصابه من ذلك شيء فأمر بترك القدوم على الطاعون للمعنى الذي وصفنا.

فإن قلت: ففي ترك التداوي فضل كما ذكرت، فلِمَ لم يترك رسول الله ﷺ التداوي لينال الفضل؟ فنقول: فيه فضل بالإضافة إلى من كثرت ذنوبه ليكفرها، أو

الثاني: قال التاج السبكي: احتجوا بالقياس على الفرار من الأسد والعدوّ الذي لا يقدر على دفعه، فإن الكفار وقطاع الطريق إذا قصدوا من لا طاقة لهم بهم جاز التنحي من بين أيديهم. ونقل فيه الكيا الهراسي الإتفاق فقال: لا نعلم خلافاً في الجواز وإن كانت الآجال لا تزيد ولا تنقص، والجواب أن السلامة من الأسد والعدو نادر والهلاك معهما كالمتيقن، فصار كالقاء الإنسان نفسه في النار بخلاف الفرار من البلد الذي يقع به الطاعون فإن السلامة فيه كثيرة وإن لم تكن غالبة.

الثالث: القياس على الخروج من الأرض المستوخمة كقصة العرنيين، والجواب أن ذلك من باب التداوي وترك ما لا يوافق المريض من الأغذية والأهوية في تأثير المرض فكان الخروج من الأرض التي لا توافق مزاج المريض من باب التداوي. قال التاج السبكي: وعندي في هذا الجواب نظر. قال الحافظ ابن حجر: كان وجهه لقائل أن يقول: إن الطاعون أيضاً ينشأ من فساد الأهوية فالخروج من البلد الذي يقع بها ينبغي أن يكون جائزاً مطلقاً كما جاز للعرنيّين، وهذا يتمشى على القول بأن الطاعون من طعن الجن، والحق أن خروج العرنيين لم يكن لقصد الفرار أصلاً، وإنما كان لمحض التداوي كما تقدم عن الطحاوي وكان خروجهم من ضرورة الواقع، لأن الإبل ما كان تتهيأ إقامتها في البلد وإنما كانت في مراعيها ودواؤهم كان بألبانها وأبوالها واستنشاق تلك الروائح، فكان الخروج عن البلد ضمناً لأمر محقق الوجود بخلاف الخروج من البلد الذي يقع فيه الطاعون إلى بلد آخر، فإنه خروج إليه بالقصد لأمر مظنون إذ لا يؤمن من وقوع الطاعون في البلد الآخر.

الرابع: قال الزركشي: احتجوا بالقياس على الفرار من المجذوم، فروى البخاري من حديث أبي هريرة: «وفر من المجذوم كما تفر من الأسد» والجواب من وجهين.

أحدهما: قال ابن الصلاح تبعاً لغيره جامعاً بين ما ظاهره التعارض من حديث أبي هريرة وهو: «لا يورد ممرض على مصح» وحديث: «فر من المجذوم فرارك من الأسد» مع حديث لا عدوى أن هذه الأمراض لا تعدي بطبعها، ولكن الله تعالى جعل مخالطة المريض بها للصحيح سبباً لأعدائه مرضه، ثم قد يتخلف ذلك عن مسببه كسائر الأسباب.

ثانيهما: ذكره ابن خزيمة والطحاوي وأصله لأبي عبيدة القاسم بن سلام، وهو أن المصح قد يصيبه ذلك المرض فيقول الذي أورده: لو أني ما أوردته عليه لم يصبه من هذا المرض شيء، والواقع أنه لو لم يورده لأصابه بتقدير الله عليه فنهى عن إيراده لهذه العلة التي لا يؤمن على الناس غالباً من وقوعها في قلوبهم والله أعلم.

(فإن قلت: ففي ترك التداوي فضل كما ذكرت، فلم لم يترك رسول الله ﷺ التداوي لينال الفضل؟ فنقول: فيه فضل بالإضافة إلى من كثرت ذنوبه ليكفرها أو خاف على

خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات، أو احتاج إلى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة، أو احتاج إلى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين، أو قصرت بصيرته عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الأدوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوماً كالرقى، أو كان شغله بحالة تمنعه عن التداوي وكان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع؛ فإلى هذه المعاني رجعت الصوارف في ترك التداوي، وكل ذلك كمالات بالإضافة إلى بعض الخلق ونقصان بالإضافة إلى درجة رسول الله ﷺ، بل كان مقامه أعلى من هذه المقامات كلها، إذ كان حاله يقتضي أن تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الأسباب وفقدها، فإنه لم يكن له نظر في الأحوال إلا إلى مسبب الأسباب، ومن كان هذا مقامه لم تضره الأسباب، كما أن الرغبة في المال نقص، والرغبة عن المال كراهية له وإن كانت كمالاً فهي أيضاً نقص بالإضافة إلى من يستوي عنده وجود المال وعدمه، فاستواء الحجر والذهب أكمل من الهرب من الذهب دون الحجر، وكان حاله ﷺ استواء المدر والذهب عنده وكان لا يمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد فإنه منتهى قوتهم لا لخوفه على نفسه من إمساكه، فإنه كان أعلى رتبة من أن تغره الدنيا وقد عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبلها،

نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات أو احتاج إلى ما يذكره الموت لغلبة الغفلة، أو احتاج إلى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والمتوكلين، أو قصرت بصيرته عن الإطلاع على ما أودع الله تعالى في الأدوية من لطائف المنافع حتى صار في حقه موهوماً كالرقى، أو كان شغله بحالة تمنعه عن التداوي وكان التداوي يشغله عن حاله لضعفه عن الجمع) بين الشغلين، (**فإلى هذه المعاني رجعت الصوارف في ترك التداوي)** وقد مر بيان ذلك تفصيلاً. (**وكل ذلك كمالات بالإضافة إلى بعض الخلق ونقصان بالإضافة إلى درجة رسول الله ﷺ: بل كان مقامه أعلى من هذه المقامات كلها إذ كان حاله يقتضي أن تكون مشاهدته على وتيرة واحدة عند وجود الأسباب وفقدها)** فعدمها كوجودها ووجودها كعدمها، فإن شاء تلبس بها (**فإنه لم يكن له نظر في الأحوال إلا إلى مسبب الأسباب)** فهو مشغول به عن الأسباب، وإن شاء تركها لعلمه بقيام الحق عليه كفيلاً. (**ومن كان هذا مقامه لم تضره الأسباب كما أن الرغبة في المال نقص والرغبة عن المال كراهية له وإن كانت كمالاً فهي أيضاً نقص بالإضافة إلى من يستوي عنده وجود المال وعدمه، فإستواء الحجر والذهب أكمل من الهرب من الذهب دون الحجر، وكان حاله ﷺ استواء المدر والذهب عنده وكان لا يمسكه لتعليم الخلق مقام الزهد، فإنه منتهى قوتهم لا لخوفه على نفسه من إمساكه فإنه كان أعلى رتبة من أن تغره الدنيا)** وتخدعه، كيف (**وقد عرضت عليه خزائن**

فكذلك يستوي عنده مباشرة الأسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة، وإنما لم يترك استعمال الدواء جرياً على سنة الله تعالى وترخيصاً لأمته فيما تمس إليه حاجتهم مع أنه لا ضرر فيه بخلاف إدخال الأموال، فإن ذلك يعظم ضرره. نعم التداوي لا يضر إلا من حيث رؤية الدواء نافعاً دون خالق الدواء، وهذا قد نهي عنه من حيث أنه يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي، وذلك منهي عنه. والمؤمن في غالب الأمر لا يقصد ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعاً بنفسه، بل من حيث أنه جعله الله تعالى سبباً للنفع كما لا يرى الماء مروياً ولا الخبز مشبعاً، فحكم التداوي في مقصوده كحكم الكسب، فإنه إن اكتسب للاستعانة على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها وإن اكتسب للتنعم المباح

الأرض فأبى أن يقبلها) هذا تقدم بلفظ: « عرضت عليه مفاتيح خزائن السماء وكنوز الأرض فردها، **(فكذلك يستوي عنده مباشرة الأسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة، وإنما لم يترك استعمال الدواء جرياً على سنة الله وترخيصاً لأمته فيما تمس إليه حاجاتهم)** من الضروريات مع أنه لا ضرر فيه لأنه من أمور الآخرة، **(بخلاف إدخار الأموال فإن ذلك يعظم ضرره. نعم التداوي لا يضر إلا من حيث رؤية الدواء نافعاً دون خالق الدواء، وهذا أمر نهي عنه، ومن حيث أنه يقصد به الصحة ليستعان بها على المعاصي وذلك منهي عنه)** وكذلك إذا كان يستعان بالصحة على البطالة وإضاعة العمر في الفضول فهذا أيضاً قد نهي عنه، **(فالمؤمن في غالب الأمر لا يقصد ذلك وأحد من المؤمنين لا يرى الدواء نافعاً بنفسه، بل من حيث أنه جعله الله سبباً للنفع كما لا يرى الماء مروياً ولا الخبز مشبعاً، فحكم التداوي مقصوده كحكم الكسب، فإنه إن اكتسب للإستعانة حتى على الطاعة أو على المعصية كان له حكمها وإن اكتسب للتنعم المباح فله حكمه)**.

قال صاحب القوت: والأصل في التداوي وتركه أن المتوكل قد علم في توكله أن للعلة وقتاً إذا انتهت إليه برأ العليل بإذن الله تعالى لا محالة، ولكن الله عز وجل قد يحكم أنه إن تداوى شفاه في عشرة أيام وإن لم يتداو أبرأه في عشرين يوماً. فيترخص العليل بإباحة الله له فيطمع في تعجيل البرء في عشرة أيام ليكون أسرع لشفائه وأقرب إلى عافيته على أنه معتقد أن الدواء لا يشفي وأن التداوي بعينه لا ينفع لأن الله تعالى هو الشافي وهو النافع، فالشفاء والنفع فعله بعده وجعله في الدواء من لطائف حكمته لا يجعله سواه ولا يفعله إلا إياه إذا كانت العقاقير مطبوعة مجعولة مجبولة على خلقها، فجاعل الأسباب فيها هو جابلها لأن الجعل فيها والخاصة منها ليس من عمل المتطبب وإن كان يعمل بها ويجمع بينها وبين العليل لأنه أظهر على يده سبباً لرزقه، فإن الله تعالى خالق جميع ذلك وفاعله، وكذلك أيضاً عند العارفين الخبز لا يشبع وأن الماء لا يروي، كما أن المال لا يغني والعدم لا يفقر لأن الله سبحانه هو المطعم المسقي فهو المشبع المروي كما هو المغني المفقر بما شاء كيف شاء وهو جاعل الشبع والري في المطعوم والمشروب وفي النفس بالغنى والفقر

فله حكمه، فقد ظهر بالمعاني التي أوردناها أن ترك التداوي قد يكون أفضل في بعض الأحوال، وأن التداوي قد يكون أفضل في بعض، وأن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والنيات، وأن واحداً من الفعل والترك ليس شرطاً في التوكل إلا ترك الموهومات كالكي والرقى، فإن ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين.

بيان أحوال المتوكلين في إظهار المرض وكتمانه:

اعلم أن كتمان المرض وإخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر وهو من أعلى

بحكمته ورحمته، كما أن الله عز وجل هو المجيع المظمىء فيدخل الطعام والشراب على الجوع والعطش اللذين جعلهما فيذهبهما بما أدخل عليهما، كما يدخل الليل على النهار ويدخل النهار على الليل فيغلب سلطان كل واحد على الآخر فيذهبه سواء هذا عند الموحدين من صفة الليل والنهار. ومن العلل والأدوية بتسليط الشيء على ضده فيزيله بغلبة قهره بإذنه، فالعلم بهذه المعاني عقداً هو الإيمان والشهادة لها قائمة به وجداً هو اليقين والشرك في هذه الأشياء في العوام أخفى من دبيب النمل على الصفا، والموقنون الصحيحو التوحيد من جميع ذلك برآء، فإن تعجل العليل البرء بالتداوي كان ذلك بقضاء الله وقدره على وصف السرعة من المعافاة، فإن كان ناوياً في تداويه واستعجال شفائه الطاعة لمولاه والقيام بين يديه للخدمة كان مثاباً على ذلك فاضلاً فيه غير منقوص في مقام توكله، وإن أراد بذلك صحة جسمه لنفسه والنعيم بالعوافي، فإن ذلك باب من أبواب الدنيا ودخول فيما أبيح منها وهو يخرجه من فضيلة التوكل وحقيقته بمقدار ما نقصه من الزهد في الحياة والنعيم، وإن أراد باستعجال العوافي قوة النفس لأجل والهوى والسعي في مخالفة المولى كان مأزوراً بسوء نيته ووجود عزيمته ويخرج من المباح إلى الحظر، وذلك يخرجه من حد التوكل وأوله وهذا من مذموم أبواب الدنيا وممقوتها، وإن كانت نيته في تعجيل العوافي التصرف للمعاش والتكسب للإنفاق أو الجمع نظر في شأنه، فإن كان يسعى في كفاف وعلى عيلة ضعاف وعن حاجة وإجحاف لحق هذا بالطبقة الأولى، وهذا باب من أبواب الآخرة وهو عليه مأجور ولا يخرجه من التوكل، وإن كان يسعى في تكاثر وتفاخر ولا يبالي من أين كسب وفيما أنفق الحق هذا بالطبقة الثالثة من العاصين، وهذا من أكبر أبواب الدنيا وما أبعده من المولى. فهذه نيات الناس في التداوي المحمودة والمذمومة.

(فقد ظهر بالمعاني التي أوردناها أن ترك التداوي قد يكون أفضل في بعض الأحوال، وأن التداوي قد يكون أفضل في بعض، وإن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والنيات وأن واحداً من الفعل أو الترك ليس شرطاً في التوكل إلا ترك الموهومات) التي هي **(كالكي والرقى، فإن ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين)**، والله الموفق.

بيان حكم التوكل في إظهار المرض وكتمانه:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن كتمان المرض وإخفاء الفقر وأنواع البلاء من كنوز البر)**.

المقامات، لأن الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بينه وبين الله عز وجل، فكتمانه أسلم عن الآفات.

ومع هذا فالإظهار لا بأس به إذا صحت فيه النية والمقصد. ومقاصد الاظهار ثلاثة:

الأول: أن يكون غرضه التداوي فيحتاج إلى ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى، فقد كان بشر يصف لعبد الرحمن المتطبب أوجاعه، وكان أحمد بن حنبل يخبر بأمراض يجدها ويقول: إنما أصف قدرة الله تعالى فيّ.

الثاني: أن يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكيناً في المعرفة، فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بأن يظهر أنه يرى أن

روى الطبراني وابن عساكر من حديث أنس: «ثلاث من كنوز البر: إخفاء الصدقة، وكتمان المصيبة، وكتمان الشكوى».

قلت: وفي لفظ للطبراني: «ثلاث من كنوز البر: كتمان الشكوى، وكتمان المصيبة، وكتمان الصدقة». وروى أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر: «من كنوز البر كتمان المصائب والأمراض والصدقة» وقد تقدم.

(وهو من أعالي المقامات لأن الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بينه وبين الله عز وجل، فكتمانه أسلم عن الآفات). ولفظ القوت: ولا ينقص توكل المتوكل إخباره بعلته على معنى التحدث بها مع فقد آفات النفوس إذا كان قلبه شاكراً بالقضاء راضياً، أو يكون بذلك مظهراً للعجز والإفتقار بين يدي مولاه أو راغباً في دعاء إخوانه المؤمنين أو يشهد ذلك نعمة فيحدث بها نشراً للشكر **(ومع هذا فالإظهار لا بأس به إذا صحت فيه النية والمقصد. ومقاصد الإظهار ثلاثة:**

الأول: أن يكون غرضه التداوي فيحتاج إلى ذكره للطبيب فيذكره لا في معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى، فقد كان) أبو نصر **(بشر)** بن الحرث الحافي رحمه الله تعالى **(يصف لعبد الرحمن المتطبب أوجاعه)** فيصف له أشياء، **(و)** قيل: **(كان أحمد بن حنبل)** رحمه الله تعالى **(يخبر)** الطبيب **(بأمراض يجدها ويقول: إنما أصف قدرة الله تعالى في)** وتقدم قريباً أنه كان ممن يكتم الأمراض فلا يخبر بها أحداً، فلعل وجه الجمع بينهما أن لا يخبر أحداً غير الطبيب أو هو محمول على اختلاف الأحوال والأوقات.

(الثاني: أن يصف لغير الطبيب وكان ممن يقتدى به) بأن كان إماماً يستمع إليه وتقتبس منه الآثار، **(وكان مكيناً في المعرفة)** يخبر بعلته وقلبه راض عن الله فيما قدره، **(فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بأن يظهر أنه يرى المرض نعمة**

المرض نعمة فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم. قال الحسن البصري: إذا حمد المريض الله تعالى وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى.

الثالث: أن يظهر بذلك عجزه وافتقاره إلى الله تعالى، وذلك يحسن ممن تليق به القوّة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روي أنه قيل لعلي في مرضه رضي الله عنه: كيف أنت؟ قال: بشّر، فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه شكاية فقال: أتجلد على الله فأحب أن يظهر عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوّة والضراوة وتأدب فيه بأدب النبي ﷺ إياه حيث مرض علي كرّم الله وجهه فسمعه عليه السلام وهو يقول: اللهم صبرني على البلاء، فقال له ﷺ: «لقد سألت الله تعالى البلاء فسل له العافية».

فبهذه النيات يرخص في ذكر المرض، وانما يشترط ذلك لأن ذكره شكاية

فيشكر عليها فيتحدث به كما يتحدث بالنعم) أي يكون إخباره بمثابة التحدث بنعمة الله تعالى. **(قال الحسن البصري)** رحمه الله تعالى: **(إذا حمد المريض الله وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى)** نقله صاحب القوت.

(الثالث: أن يظهر بذلك عجزه وافتقاره إلى الله تعالى، وذلك يحسن بمن تليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز) والجبن، **(لما روي أنه قيل لعليّ كرم الله وجهه)** وهو **(في مرضه: كيف أنت؟ قال: بشر فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم كرهوا ذلك)** القول منه، **(فقال)** علي: **(أتجلد على الله فأحب أن يظهر)** لهم **(عجزه وافتقاره مع ما علم به من القوة والضراوة)**، وأراد أيضاً أن يعلمهم أنه لا بأس بذلك لأن من يقول بخير إذا سئل كثير، كما قال الثوري: إنما العلم الرخصة من ثقة فأما التشديد فكل أحد يحسنه، **(و)** كان علياً رضي الله عنه **(تأدب فيه بأدب النبي ﷺ)** له ونهيه **(إياه)** عن إظهار القوة، فإنه روى أنه **(حيث)** كان **(مرض)** مرضه **(فسمعه)** النبي **(ﷺ حيث يقول: اللهم صبرني على البلاء، فقال)** ﷺ: **(«لقد سألت الله البلاء فسل الله تعالى العافية»)** وقد تقدم ذلك في كتاب الصبر مع اختلاف ومن هنا قال مطرف رحمه الله تعالى: لأن أعافى فاشكر أحب إلي من أن ابتلى فاصبر، لأن البلاء طريق الأقوياء، وكره أهل الإشفاق والخشية إظهار الجلد والقوة بين يدي العزيز. وقد روي أن الشافعي رضي الله عنه مرض مرضة شديدة بمصر وكان يقول: اللهم إن كان في هذا رضاك فزدني منه، فكتب إليه إدريس بن يحيى المعافري: يا أبا عبدالله لست من رجال البلاء، فسل الله العافية، فرجع عن قوله هذا واستغفر الله منه، فبعد هذا كما حكي عنه أنه كان يقول في دعائه: اللهم اجعل خيرتي فيما أحب.

(فهذه النيات ترخص في ذكر المرض، وإنما يشترط ذلك لأن ذكره) لمن لم يتداو نقص

والشكوى من الله تعالى حرام كما ذكرته في تحريم السؤال على الفقراء إلا بضرورة. ويصير الاظهار شكاية بقرينة السخط وإظهار الكراهة لفعل الله تعالى، فإن خلا عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم، ولكن يحكم فيه بأن الأولى تركه لأنه ربما يوهم الشكاية، ولأنه ربما يكون فيه تصنع ومزيد في الوصف على الموجود من العلة، ومن ترك التداوي توكلاً فلا وجه في حقه للإظهار لأن الاستراحة إلى الدواء أفضل من الاستراحة إلى الإفشاء، وقد قال بعضهم: من بث لم يصبر. وقيل في معنى قوله: ﴿فصبرٌ جميل﴾ [يوسف: ٨٣] لا شكوى فيه، وقيل ليعقوب عليه السلام: ما الذي أذهب بصرك؟ قال: مرّ الزمان وطول الأحزان! فأوحى الله تعالى إليه: تفرغت لشكواي إلى عبادي، فقال: يا رب أتوب إليك. وروي عن طاوس

لحاله وهو داخل في (**شكاية**) المولى، (**والشكوى من الله حرام كما ذكرته في تحريم السؤال عن الفقر إلا لضرورة، ويصير الإظهار شكاية بقرينة السخط وإظهار الكراهة لفعل الله تعالى، فإن خلت عن قرينة السخط وعن النيات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بأن الأولى لنا تركه لأنه ربما يوهم الشكاية**) من الله تعالى، (**ولأنه ربما**) لا يؤمن من دخول الآفات عليه في الأخبار بأن (**يكون فيه تصنع وتزيد في الوصف على الموجود في العلة**) وغير ذلك، (**ومن ترك التداوي توكلاً فلا وجه في حقه للإظهار لأن الإستراحة إلى الدواء أحسن من الإستراحة إلى إفشاء**) ولفظ القوت: لأن في الشكوى استراحة للنفس من البلوى والإستراحة بالدواء الذي هو إباحة المولى خير من استراحته إلى العبيد بالشكوى، (**وقد قال بعضهم: من بث**) أي أظهر ما بلي به (**لم يصبر**) أي لم يكن من الصابرين، فإن الصبر يقتضي عدم البث.

قلت: وهذا قد روي مرفوعاً. روى عبد الرزاق وابن جرير عن مسلم بن يسار عن سعد بن مسعود رفعه مثله، ورواه ابن المنذر، وابن مردويه عن عبد الرحمن بن يعمر قال: قال رسول الله ﷺ فذكر مثله. ورواه ابن مردويه من حديث عبدالله بن عمر مثله. وروى ابن عدي والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر: « من كنوز البر كتمان الصدقة وكتمان المصيبة ومن بث لم يصبر ».

(**وقيل في قوله تعالى: ﴿فصبر جميل﴾**) والله المستعان﴾ قال: (**لا شكوى فيه**)، كذا في القوت. روى ابن أبي حاتم عن الحسن قال: الصبر الجميل الذي ليس فيه الشكوى إلا إلى الله عز وجل. وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن حيان بن أبي جبلة قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿فصبر جميل﴾ قال: ليس في جزع. (**قيل ليعقوب عليه السلام: ما الذي أذهب بصرك**) وحنى ظهرك؟ (**قال: مرّ الزمان وطول الأحزان**) قال: (**فأوحى الله إليه تفرغت بشكواي**) وفي نسخة تشكوني (**إلى عبادي**) وفي نسخة إلى خلقي. (**قال: يا رب أتوب إليك**) هكذا في القوت، وروى عبد الرزاق وابن أبي شيبة وأحمد في الزهد

ومجاهد أنهما قالا : يكتب على المريض أنينه في مرضه وكانوا يكرهون أنين المريض لأنه إظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل : ما أصاب إبليس ـ لعنه الله ـ من أيوب عليه السلام إلا أنينه في مرضه، فجعل الأنين حظه منه.

وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن حبيب بن أبي ثابت أن يعقوب عليه السلام كان قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، فكان يرفعهما بخرقة، فقيل له : ما بلغ هذا ؟ قال : طول الزمان وكثرة الأحزان، فأوحى الله إليه : يا يعقوب أتشكوني ؟ قال : خطيئة أخطأتها فاغفر لي.

وروى ابن أبي حاتم عن نصر بن عزلى قال : بلغني أن يعقوب عليه السلام لما طال حزنه على يوسف ذهبت عيناه من الحزن فجعل العوّاد يدخلون عليه فيقولون : السلام عليك يا نبي الله كيف تجدك ؟ فيقول : شيخ كبير قد ذهب بصري فأوحى الله إليه يا يعقوب شكوتني إلى عوادك ؟ قال : أي يا رب هذا ذنب عملته لا أعود إليه، فلم يزل بعد يقول : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله.

وروى إسحاق بن راهويه في تفسيره وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني في الأوسط، وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الشعب من حديث أنس : كان ليعقوب عليه السلام أخ مؤاخ فقال له ذات يوم : يا يعقوب ما الذي أذهب بصرك، وما الذي قوس ظهرك ؟ قال : أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف، وأما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا يعقوب إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك : أما تستحي تشكوني إلى غيري ؟ فقال يعقوب : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، فقال جبريل الله أعلم بما تشكو. الحديث.

(وروي عن طاوس ومجاهد) رحمهما الله تعالى وهما من كبار التابعين **(أنهما قالا : يكتب على المريض أنينه في مرضه)** كذا في القوت.

قلت : وقد روي هذا مرفوعاً من حديث علي : « يكتب أنين المريض فإن كان صابراً كان أنينه حسنات وإن كان أنينه جزعاً كتب هلوعا لا أجر له ». أبو نعيم.

(وكانوا يكرهون أنين المريض لأنه إظهار معنى يقتضي الشكوى) ولفظ القوت : يدل على الشكوى، **(حتى قيل ما أصاب إبليس لعنه الله من أيوب عليه السلام إلا أنينه في مرضه فجعل الأنين حظه)** أي حظ الشيطان **(منه)** كذا في القوت، وهذا إذا كان جزعاً وتسخطاً وكراهية لما قدره الله تعالى عليه، كما فهم ذلك من حديث علي السابق لا مطلق الأنين فإن المريض قد يضطر إليه وهو مع ذلك راض بقلبه مطمئن النفس بما قدره الله عليه صابر غير متسخط، كيف وقد ورد أنين المريض تسبيح وصياحه تهليل ونفسه صدقة ونومه على الفراش عبادة وتقلبه من جنب إلى جنب كأنما يقاتل العدو في سبيل الله ؟ يقول الله سبحانه لملائكته : « اكتبوا لعبدي أحسن ما يكون يعمل في صحته فإذا قام ثم مشى كان كمن لا ذنب له » رواه الخطيب والديلمي من حديث أبي هريرة وقالا رجاله معروفون بالثقة إلا حسين بن أحمد البلخي فإنه مجهول.

وفي الخبر: « إذا مرض العبد أوحى الله تعالى إلى الملكين انظرا ما يقول لعوّاده فإن حمد الله وأثنى بخير دعوا له، وإن شكا وذكر شراً قالا كذلك تكون »، وإنما كره بعض العباد العبادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام، فكان بعضهم إذا مرض أغلق بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج إليهم، منهم فضيل ووهيب وبشر، وكان فضيل يقول: أشتهي أن أمرض بلا عوّاد، وقال: لا أكره العلة إلا لأجل العوّاد رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

كَمُل كتاب التوحيد والتوكل بعون الله وحسن توفيقه. يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب المحبة والشوق والانس والرضا والله سبحانه وتعالى الموفق.

(**وفي الخبر: « إذا مرض العبد أوحى الله تعالى إلى الملكين انظرا ما يقول لعوّاده، فإن حمد الله وأثنى عليه بخير دعوا له فإن شكا وذكر شرا قالا كذلك تكون »**) ولفظ القوت: « انظروا ما يقول عبدي لعوّاده، فإن حمدني وأثنى علي بخير أدعوا له وقولوا كذلك أنت » والباقي سواء، وقد روى الدارقطني في الغرائب وابن صخر في عوالي مالك من حديث أبي هريرة: « إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين فيقول: انظر ما يقول لعوّاده فإن هو إذا دخلوا عليه حمد الله تعالى رفعا ذلك إلى الله تعالى وهو أعلم فيقول لعبدي: إن أنا توفيته أدخله الجنة » الحديث وقد ذكر قريباً.

(**وإنما كره بعض العباد العبادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام**) بأن يخبر عن العلة بأكثر منها فيكون بذلك كفر النعمة بين بلاءين، (**فكان بعضهم إذا مرض أغلق بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ**) من مرضه، (**فيخرج إليهم، منهم فضيل**) بن عياض، (**ووهيب**) بن الورد المكي، (**وبشر**) بن الحرث الحافي رحمهم الله تعالى، (**وكان فضيل يقول: أشتهي أن أمرض بلا عوّاد**) رواه أبو نعيم في الحلية عن محمد بن حشيش، حدثنا أحمد بن محمد البرائي، حدثنا بشر بن الحرث قال، قال فضيل فذكره. (**وقال**) أيضاً: (**لا أكره العلة إلا لأجل العوّاد**) ولفظ القوت: ما أكره العلة إلا لأجل العيادة.

وبه تم كتاب التوحيد والتوكل وشرحه بمنة الله وحسن عونه وتوفيقه، ولنختمه بما أورده القشيري في الرسالة وأبو طالب في القوت وغيرهما في هذا الباب.

قال القشيري بسنده إلى أحمد بن خضرويه قال، قال رجل لحاتم الأصم: من أين تأكل؟ فقال ﴿ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ [المنافقون: ٧] وقال إبراهيم الخواص: من صح توكله في نفسه صح توكله في توكله وقال بشر الحافي يقول أحدهم: توكلت على الله يكذب على الله لو توكل على الله رضي بما يفعل الله به، وبسنده إلى الكتاني سمعت أبا جعفر بن الفرجي يقول: رأيت رجلاً من الشطار يعرف بجمل عائشة يضرب بالسياط فقلت له: أي وقت يكون ألم الضرب عليك أسهل؟ فقال: إذا كان من ضربنا لأجله يرانا. وقال الحسين بن منصور

الحلاج: المتوكل المحق لا يأكل وفي البلد من هو أحق به منه، وسئل سهل عن التوكل فقال: قلب عاش مع الله بلا علاقة. وقال يحيى بن معاذ: لبس الصوف حانوت والكلام في الزهد حرفة وصحبة القوافل لغرض، وهذه كلها علاقات وجاء رجل إلى الشبلي يشكو إليه كثرة العيال فقال له: ارجع إلى بيتك فمن ليس له رزق على الله فاطرده عنك وبسنده. قال إبراهيم الخواص: كنت في طريق مكة فرأيت شخصاً وحشياً فقلت: جني أم إنسي؟ فقال: جني فقلت: إلى أين؟ فقال إلى مكة. فقلت: بلا زاد؟ فقال: نعم فينا أيضاً من يسافر على التوكل، فقلت: إيش التوكل؟ فقال: الأخذ من الله. وبسنده إلى أبي حمزة قال: إني لأستحيي من الله أن أدخل البادية وأنا شبعان، وقد اعتقدت التوكل لئلا يكون شبعي على الشبع زاداً أتزوده، وسئل حمدون عن التوكل فقال: تلك حالة لم أبلغها بعد، فكيف يتكلم في التوكل من لم يصح له حال الإيمان؟ وعن بعضهم قال: كنت في البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامي واحداً فسارعت حتى أدركته فإذا هو امرأة بيدها ركوة وعكاز تمشي على التؤدة فظننت أنها أعيت فأدخلت يدي في جيبي فأخرجت عشرين درهماً فقلت: خذيها وامكثي حتى تلحقك القافلة لتكتري بها، ثم ائتيني الليلة حتى أصلح لك أمرك فقالت بيدها هكذا في الهواء، فإذا في كفها دنانير من الغيب وناولتني وقال: أنت أخذت الدراهم من الجيب وأنا أخذت الدنانير من الغيب ورأى أبو سليمان الداراني رجلاً بمكة لا يتناول إلا شربة من ماء زمزم فمضى عليه أيام فقال له أبو سليمان يوماً: أرأيت لو غارت زمزم إيش كنت تشرب؟ فقام وقبل رأسه وقال: جزاك الله خيراً حيث أرشدتني فإني كنت أعبد زمزم منذ أيام ومضى. وقال إبراهيم الخواص: رأيت في طريق الشام شاباً حدثاً حسن المراعاة فقال لي: هل لك في الصحبة؟ فقلت: إني أجوع. فقال: إن جعت جعت معك فبقينا أربعة أيام ففتح علينا بشيء فقلت: هلم. فقال: اعتقدت أن لا آخذ بواسطة، فقلت: يا غلام دققت. فقال: يا إبراهيم لا تبهرج فإن الناقد بصير مالك والتوكل، ثم قال: أقل التوكل أن ترد عليك موارد الفاقات فلا تسمو نفسك إلا إلى من إليه الكفايات، وسئل الحرث المحاسبي عن المتوكل هل يلحقه طمع؟ فقال: يلحقه من طريق الطباع خطرات ولا تضره شيئاً ويقويه على إسقاط الطمع اليأس عما في أيدي الناس، وقيل: جاع الثوري في البادية فهتف به هاتف أيما أحب إليك سبب أو كفاية؟ فقال: الكفاية ليس فوقها نهاية، فبقي سبعة عشر يوماً لم يأكل وبسنده إلى الحسن الخياط قال: كنت عند بشر الحافي فجاءه نفر فسلموا عليه فقال: من أنتم؟ فقالوا: نحن من الشام جئنا نسلم عليك ونريد الحج، فقال: شكر الله لكم فقالوا تخرج معنا قال بثلاث شرائط لا نحمل معنا شيئاً ولا نسأل من أحد شيئاً وإن أعطانا أحد لا نقبل، فقالوا: أما أن لا نحمل فنعم، وإما أن لا نسأل فنعم، وإما أن لا نقبل إن أعطينا فهذا ما لا نستطيع. فقال: أخرجتم متوكلين على زاد الحجاج، وقيل لحبيب العجمي: لم تركت التجارة؟ فقال: وجدت الكفيل ثقة، وقيل: من وقع في ميدان التفويض يزف إليه المراد كما تزف العروس إلى أهلها، والفرق بين التفويض والتضييع أن التفويض في حقك وهو محمود، والتضييع في حق الله وهو مذموم انتهى ما في الرسالة.

وقال صاحب القوت: حدثونا عن بعض السلف قال: رأيت بعض العباد من أهل البصرة في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأدخلني الجنة فقلت: أي الأعمال وجدت هناك أفضل؟ قال: التوكل وقصر الأمل. وفي وصية لقمان: ومن الإيمان بالله التوكل على الله، وأن التوكل يحبب العبد إلى الله وأن التفويض إلى الله من هدي الله وبهدي الله يوافق العبد رضوان الله ومن موافقة العبد رضوان الله يستوجب كرامة الله. وكان سهل يقول: العلم كله باب من التعبد، والتعبد كله باب من الورع، والورع كله باب من الزهد، والزهد كله باب من التوكل. وقال: ليس للتوكل حدّ ولا غاية ينتهي إليه. وقال: التوكل واليقين مثل كفتي الميزان والتوكل لسانه به يعرف الزيادة والنقصان. وقال: التوكل هو التفويض ثم الرضا، وكان الحسن يقول: الغنى والعز يجولان في طلب التوكل فإذا ظفر به وطناه وفي هذا المعنى قيل:

يجول الغنى والعز في كل موطن ليستوطنا قلب امرىء إن توكلا
ومن يتوكل كان مولاه حسبه وكان له فيما يحاول معقلا
إذا رضيت نفسي بمقدور حظها تعالت وكان أفضل الخلق منزلا

ويقال: إن الخوف من المخلوقات عقوبة نقصان الخوف من الخالق، فإن ذلك من قلة الفقه عن الله وضعف التوكل عليه. وقال ابن يعقوب السوسي: المتوكل إذا رأى السبب أو ذم أو مدح فهو مدع لا يصح له التوكل. وقال الخواص: التوكل هو الإكتفاء بعلم الله فيك من تعلق القلب بسواه. وقال عامر بن عبدالله: قرأت ثلاث آيات من كتاب الله استغنيت بهن على ما أنا فيه، فاستغنيت بقوله تعالى: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾ [يونس: ١٠٧] قلت: إن أراد أن يضرني لم يقدر أحد أن ينفعني، وإن أعطاني لم يقدر أحد أن يمنعني. وقوله سبحانه: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] فاستغنيت بذكره عن ذكر من سواه وقوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود: ٦] فوالله ما هممت برزقي منذ قرأتها فاسترحت. وقال سهل: ليس مع الإيمان أسباب إنما الأسباب في الإسلام يعني ليس في حقيقة الإيمان رؤية الأسباب والسكون إليها، وإنما رؤيتها والطمع في الخلق يوجد في مقام الأسباب فحال المتوكل سكون القلب عن الإستشراك، وقطع الهم عن التطلع لما بأيديهم، وعكوف القلب على المدبر الحق مشغول الفكر بقدرة لا يحمله عدم الأسباب على ما حذره العلم عليه وذمه ولا يمنعه أن يقول الحق وأن يعمل أو يوالي في الله ويعادي فيه جريان الأسباب على أيدي الخلق، فيترك الحق حياء منهم أو طمعاً فيهم أو خشية قطع المنافع المعتادة، ولا يدخله طوارق الحاجات ونوازل الضرورات في الإنحطاط في أهواء الناس والميل إلى الباطل أو في السكوت عن حق أن يلزمه، أو يوالي عدواً أو يعادي ولياً ليرى بذلك حاله عندهم، أو يشكر بذلك ما أسدوه إليه بالكف عنهم ولا يرى الصنعة التي قد عرف بها لقوة نظره إلى الصانع، ولا يتصنع

....

لمصنوع دخيلة لعلمه بسبق الصنع لدوام مشاهدته، ولا يسكن إلى عادة عن خلق، ولا يثق بمعتاد من مخلوق إذا يقن برزقه وضره ونفعه من أحد، فهذه المعاني من فرض التوكل، فإن وجدت في عبد خرج بها من حدّ التوكل دون فضائله ويدخله في ضعف اليقين، وقد كان الأقوياء إذا دخل عليهم شيء من هذه الأهواء المفسدة لتوكلهم قطعوا تلك الأسباب وحسموا أصولها واعتقدوا تركها وعملوا في مفارقة الأوطان وفي التغرب عن الأمصار الالاف والإيلاف، فاخرجوا ذلك حيث دخل عليهم ووضعوا عليه دواءه وضده من حيث تطرق إليهم حتى ربما فارقوا ظاهر العلم وخالفوا علماء الظاهر إلى علوم الباطن، ومقتضى مشاهدتهم ومواجيد حالهم لئلا تسكن قلوبهم إلى غير الله ولا تقف همتهم مع السلوى، ولا تطمئن نفوسهم إلى غيره، ولا يتخذوا سكناً سواه ولا يسكنون إلى هوى النفس فيخدعوا بسكونها عن سكون القلب، فيسبي ذلك عقولهم ويوهن عزمهم ويضعف يقينهم الذي هو الأصل فيخسروا رأس المال وتفوتهم حقيقة الحال فماذا يربحون وبأي شهادة يقومون؟

فصل

وقال بعضهم: التوكل هو الفرار من التوكل أي يتوكل ولا ينظر إلى توكله أنه لأجله يكفي أو يعافى، فجعل نظر حال توكله علته لا أن توكله يلزمه الفرار منها حتى يدوم نظره إلى الوكيل وحده بلا خلل ويقوم له بشهادة منه بلا ملل، ولا يكون بينه وبين الوكيل شيء ينظر إليه أو يعوّل عليه أو يدل حتى التوكيل أيضاً الذي هو طريقه، وجاء رجل إلى بشر الحافي فقال: إني عزمت على السفر إلى الشام وليس عندي زاد فما ترى؟ فقال: يا هذا أخرج فيما قصدت له فإن لم يعطك ما ليس لك لم يمنعك مالك. وشكا رجل إلى الفضيل حاله فقال: يا هذا أمدبراً غير الله تريد؟ وقال حسن في تفسير قوله تعالى: ﴿وقدر فيها أقواتها﴾ [فصلت: ١٠] خلق الأرزاق قبل الأجسام بألفي عام فالمتوكل لا يطالب مولاه برزق غد كما لا يطالبه مولاه بعمل غد. ويقال: من اهتم برزق غد فهي خطيئة تكتب عليه. وقال الثوري: الصائم إذا اهتم في أول النهار بعشائه كتبت عليه خطيئة، وكان أبو سهل يقول: لنقص ذلك من صومه. وقال: أعرف في البصرة بقرة يغدي على مولاهم برزقهم من الجنة وعشياً يرون منازلهم من الجنة وعليهم من الغموم والكروب ما لو قسم على أهل البصرة لماتوا. قيل: ولم؟ قال: كانوا إذا تغدوا قالوا بأي شيء نتعشى وإذا تعشوا قالوا بأي شيء نتغدى؟ وقال مرة: لم يكن لي من التوكل والرضا نصيب. فهذه المقامات من فضائل التوكل وفوقها ما لا يصلح رسمه في كتاب من مكاشفات الصديقين ومشاهدات العارفين. منها: أنه أعطاهم كن بإعطائه إياهم فزهدوا في كون كن لأجل كان توكلاً على كينونة الكينات وحياء منه أن يعارضوه في قدرته أو ينازعوه في ملكه أو يرغبوا عن تقديره أو يضاهوه في كونه لأن تدبيره عندهم أحكم وأتقن وهو بالعواقب أعلم وأخبر وهم له أشد إجلالاً مما نقدر نحن ونعلم.

فصل

قال سهل في معنى قول الله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ [الرعد: ٣٩] يمحو الأسباب من قلوب العارفين ويثبت القدرة، ويمحو المشاهدة، من قلوب الغافلين ويثبت الأسباب في صدورهم. وقال: خلق الله النفس متحركة ثم أقرها بالسكون، وهذا هو الإبتلاء فإن تداركها بالعصمة سكنت وهذا هو خصوص، وإن تركها تحركت بطبعها وهذا هو الخذلان. وكان الخواص يفرق بين العموم والخصوص بوجود الحركة والسكون فقال: القلوب على حالين فمن دامت حركته وسعيه كان موصوفاً بنفسه لغلبة النفس عليه لقوله تعالى: ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ [الإسراء: ١٧] ومن دام سكونه كان موصوفاً بالحق لغلبة شاهد الحق في سكينته لقوله تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد: ٢٨] وقال النهرجوري في معناه: قلوب الأولياء مواضع المطالع لا تتحرك ولا تنزعج، بل تطمئن خوفاً أن يرد عليه مفاجأة مطالعة فتجده مترسماً بسوء الأدب. وقال بعض أهل المعرفة في تأويل قوله تعالى: ﴿ورزق بك خيرٌ وأبقى﴾ [طه: ١٣١] قال: هو التوكل لأنه أبقى للعبد من الطلب وخير له من السعي والتعب، ويروى أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين أدرك لي لطف الفطنة وخفي اللطف فإني أحب ذلك. قال: يا رب وما لطف الفطنة؟ قال: إن وقعت عليك ذبابة فاعلم أني أوقعتها فسلني أرفعها. قال: وما خفي اللطف؟ قال: إن أتتك فولة مسوّسة فاعلم أني ذكرتك بها. وكان الخواص يقول: من رجع عند الشدائد إلى سبب أو علاج يستشفي به أو حركت رهبة المخلوقين صفته فقد بريء من خصوص التوكل ويبقى مع عمومه. وقال السري رحمه الله تعالى: ثلاث يستبين بهن اليقين: بالخوف مواطن الهلكة، والتسليم لأمر الله عند نزول البلاء، والرضا بالقضاء عند زوال النعمة. وقال يوسف بن إسباط: كان يقال ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه: من إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى باطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له. وقد روي ذلك مسنداً. فهذه أوصاف المتوكل وهي علامة حسن اليقين. وقال داود لابنه سليمان عليهما السلام: يا بني يستدل على تقوى العبد بثلاث: حسن توكله فيما يأتيه، وحسن رضاه فيما أتاه، وحسن صبره فيما فاته.

فصل

لا يضر التصرف والتكسب ممن صحّ توكله ولا يقدح في مقامه ولا ينقص حاله إذا أحكم فيه معنيين النظر إلى الوكيل في أول الحركة فيكون متحركاً به، والرضا في الحكم بعد التصرف فيكون مطمئناً إليه، وقد كان الصانع بيده أحب إليهم من التاجر، والتاجر أحب إليهم من البطال، فإن كان حال المتوكل التصرف فيما قد وجه فيه دخل في الأسباب وهو ناظر إلى المسبب في تصريفه معتمد عليه واثق به في حركته مكتسب فيما يقلبه فيه مولاه متيقن فيما يسببه له ويوجهه فيه وكيله، وهو عالم بإذن الله تعالى قد أودع الأشياء منافع خلقه وجعلها خزائن حكمته ومفاتيح رزقه، مجتمع الخلق بجانبه غير متشتت بتفرق همه متبع للسنة والأثر، تارك للترفه والنعمة، فهو في تكسبه وتصرفه أفضل ممن دخلت عليه العلل في توكله فساكنها وسكن إلى سكون نفسه في بطالتها

....

وفراغها من هم الآخرة طلباً لراحتها، ومن دخلت عليه الآفة ترك التكسب فليخرج منها إلى الإحتراف، ومن دخل عليه اليقين واقتطع فليقعد عن الإكتساب، ومن اعتل بالتكسب فليداو بتركه، ومن صح فيه وأوجبه الحكم فليكتسب، والتكسب خير من التشرف إلى الخلق، ومن الطمع فيهم وإعتياد المسألة وسالكه على طريقه فهو يصل وإن كان في طريقه بعد، والتوكل إذا اعتد به واقتطع عن أربه ناظراً إلى الوكيل منتظراً للوارد متفرغاً للفوائد أفضل إذا صح في ذلك وصدقت حاله واستقام عليه فهو طريق قريب وسالكه مقرب.

فصل

قال أبو يعقوب السوسي: التوكل على ثلاث مقامات: عام وخاص وخاص خاص، فمن دخل في الأسباب واستعمل العلم وتوكل على الله وتحقق اليقين فهو خاص عام، ومن خرج من الأسباب على حقيقة بوجود اليقين ثم دخل في الأسباب فتصرف لغيره فهو خاص خاص. قال: وهذا وصف الطبقة العليا من أصحاب رسول الله ﷺ والعشرة وغيرهم، جردهم اليقين من الدنيا فأدخلهم العلم في الأسباب لغيرهم ردت عليهم أحوال الغير وجعلوا رزاقين لهم فتصرفوا فيها من التعلق بها. وقال أيضاً: الناس في التوكل على ضربين طالب له ومطلوب به، فالمطلوب بالتوكل مستعمل بحقائقه مرفوع إلى أعلى غايته مطالب بالعمل فيه محق نفسه وذهب آثاره بمحو رسمه وشاهده. والطالب له توجه بالزهد وترك الأسباب القاطعة وعمل في حذف كل شاغل يشغله أو يحول بينه وبين قصده فهو مجتهد في الإنفراد.

فصل

قال بعضهم: التوكل العمل في قطع الطمع ونفي الركون إلى الأسباب ويكون نظر الله له في المنع أفضل عنده من نظره إليه في العطاء، وأن يجد في المنع من الحلاوة ما لا يجد للعطاء، ومن علم أن الله قصده فالمنع فرح وعلامة ركونه إلى من عوّده البر من الخلق ترك القيام عليه بالحق وترك النصيحة والإنبساط إليه وكثرة السلام عليه دون غيره ممن لا يبره، ودوام تطلع القلب إلى لقائه ومجيء أسبابه وعلامة ركونه إلى الأسباب خوف زوالها قبل أن تزول فإن زال منها شيء لحق عليه الوهن والتمسك بما بقي خوف الفقر.

فصل

من ألطف ما قيل في السكون إلى غير الله والنظر إلى سواه قول أهل المعرفة في معنى قول الخليل عليه السلام: ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ [إبراهيم: ٣٥] قال: أن أسكن إلى الخلة وهبتها لي أو بنظر نبوة إلى النبوة التي جعلتها لهم فيحتجبون بذلك عنك. قال بشر: إن العبد ليقرأ إياك نعبد وإياك نستعين، فيقول الله تعالى: كذبت ما إياي تعبد ولا بي تستعين، لو كنت

إياي تعبد لم تؤثر هواك على رضاي، ولو كنت بي تستعين لم تسكن إلى جلدك وقوتك ولا إلى مالك.

فصل

قال أبو تراب النخشبي: ليس التوكل أن تتوكل لتكفى، ولو عرض ذلك للمتوكلين لتابوا، ولكن تحل بقلبه الكفاية بالله فصدق الله فيما ضمن فألقى الكفن بين يديه. وقال الخواص: بلغنا أنه التقى موسى والخضر عليهما السلام وكان موسى أشد جوعاً من الخضر، فإذا غـزالان قد سقط أحدهما مشوياً إلى الخضر وسقط الآخر مذبوحاً بجلده ورأسه إلى موسى، فقال له الخضر: قم يا موسى فبقدر ما بقي في نفسك من الإهتمام برزقك تتعب، فاعلم أني أنا توكلت فكفيت وأنت اهتممت فعنيت. ويروى من طريق آخر قال موسى للخضر: كيف هذا وقع إليك نصفه مشوياً ووقع نصفه لي نيئاً فقال له الخضر: إنه لم يبق لي في هذه الدنيا أمل. وفي رواية: ليس لي في هذا الخلق حاجة. وكان بشر رحمه الله تعالى قصير الأمل لم يكن يأمل البقاء من وقت صلاة إلى وقت صلاة أخرى، وكان إذا صلى الظهر يقول للجيران: اطلبوا لكم من يصلي لكم العصر، وكان يقول: أنا ضيف في دار مولاي إن أطعمني أكلت متى أطعمني وإن أجاعني صبرت حتى يطعمني.

فصل

قال الخواص: الرزق ليس فيه توكل ولو كان لا ينال الرزق إلا بالتوكل كان الضعيف ومن لا يحسن التوكل يموت، يصحح ذلك قوله تعالى: ﴿وكأيّن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم﴾ [العنكبوت: ٦٠] فهذا الخطاب من الله لخلقه يقتضي من الخلق ترك حمل الأرزاق لوقت لم يأت لطيفة من الله دعاهم منها إلى مواضع الراحة من الإشتغال بحمل ما قد ضمنه لهم وتوكل باستخراجه إليهم وحجة منه عليهم ألزمهم إياها، وقوله تعالى بالضمان لا رزاق الخلق ﴿الله يرزقها وإياكم﴾ يقتضي السكون إليه بالثقة به فيما ضمن وتكفل باستخراجه والصبر على وعده حتى يخرج إليه المضمون من أماكنه. قال: ففي هذا دليل على تجويز الحركة والسبب للمتوكل، وأن ذلك لا ينقص توكله إذ الدابة المرزوقة بالله من الله وقد تدب وتتسبب إلى مواضع الرزق، وقد تدخر النملة والفأرة وهما من الدواب وقد يجمع بعض الطير في عشه ويجلب إلى وكره، لكن يحتاج المتوكل في دبيبه وحركته وذخره بمعنى النملة إلهاماً وتوفيقاً ونظراً إلى الوكيل بمعقول وتدبير، وكذلك القول في التمثيل الوارد في الخبر السابق: «تغدو خماصاً وتروح بطاناً» فالطير وإن لم يكن من وصفها أن تحمل ولا من فعلها أن تدبر وتعقل فإنها تتحرك وتقصد لقوله «تغدو» فغدوها تسبب وقصدها أماكن معاشها تعيش، وقد أضاف الرازق إليه وجمع بيننا وبينه فيه فقال: ﴿وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين﴾ [الحجر: ٢٠] الهوام والأنعام فعمنا وإياها بالتحمل إلينا بأن المعايش في الأرض منه علينا إنعام.

فصل

قال الخواص الذي قيد أن يسرح في الأرض حيث شاء قلة تصديقه بمجيء الأرزاق إليه حيث كان وضعف علمه بأن الله معه في كل مكان، وإن الله تعالى يضيق حيث يشاء ويوسع حيث يشاء ويؤمن حيث يشاء ويخيف حيث يشاء، فمن كان ناظراً إلى الله فيما يفتح له أسباب الرزق معتمداً عليه في استخراجه كان البر والبحر والسفر والحضر عليه سواء، لأن من تولى الله كفايته في الحضر تولى كفايته في السفر، ومن كان معتمداً على تكلفه وحيلته لم يتهيأ أن يفارق العمران، ولو أن عبداً مع مولاه في السفر لكان قلبه قد سكن إليه أن يطعمه حيث سافر معه، وهكذا من علم أن الله سبحانه معه لم يحتج أن يحمل زاداً ولا أداوة، ويصحح ذلك قول النبي ﷺ للسائل وقد أعطاه تمرة: «لو لم تأتها لأتتك» دلالة على ترك الحركة وتوبيخاً في حركته بعد حجة الضمان لمجيء الأرزاق لوقتها ونهياً له عن السعي إلا ما وقع التصديق بمجيئه لوقته. قال صاحب القوت: وهذا طريق الأقوياء الصابرين، وليس هذا طريق الضعفاء المريدين، إذ لا يقاس الضعيف الجزوع بالقوي الصبور وإن منهم إبراهيم الخواص، وأبو تراب النخشبي، وذو النون، وحاتم الأصم، وعلي الرازي، فإن هؤلاء خصوص المتوكلين وما جرى لهم من الوقائع يدل على أحوالهم.

فصل

قال الخواص: الإستطاعة على ثلاثة وجوه: أعلاها استطاعة بقوة المعرفة وصحة التوكل، وهذه الطائفة نفذت بصدق موكلها لم تعرج على سبب ولا إستأذنت أحداً ولا يقع الإستئذان إلا من ضعف المعرفة وقلة الهداية، وكل من استأذن فالرفق به أولى كما في الخبر: «اعقلها وتوكل». والإستطاعة الأخرى قوة البدن والصبر على المشي والضر، والثالثة بسعة المال، فمن لم يكن عنده أحد هذه الوجوه، فليتوقف عن الحج والزاد مباح للعموم إلا أن الله تعالى قد دل على خير الزاد بقوله: «فإن خير الزاد التقوى» فمن تزود التقوى نجا ولم يخف في طريقه لأن الله مع الذين اتقوا ومن التقوى أن لا يقول العبد: غدائي من أين لقول الحق: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ★ ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٢، ٣] وقال وهب، يقول الله تعالى: ابن آدم اتق ونم حيث شئت، فالرزق ليس فيه توكل، وإنما فيه تدبر ويقوى على قدر معرفته بما صبر له ولمن صبر، ومعنى الصبر حبس النفس على الوعد بمجيء المضمون، ومنعها من الحركة والتطلع إلى مجيئه حتى يسوق الله الأقسام من أماكنها، فمتى رجع الصابر إلى سبب يبتدىء فيه بالحركة من نفسه فقد خرج من حالة الصبر ضيقاً من تحمل مؤنته، وهذا مقام المؤمن القوي من المتوكلين.

فصل

قال صاحب القوت: أخبرني أبو بكر بن يعقوب الوراق عن إبراهيم الخواص أنه كان يقول: إن سمع المتوكل خلفه بحركة شديدة فتجرد لها قلبه خرج من حدّ هذا التوكل المخصوص التفت إليها أو لم يلتفت، وهكذا لو طالت أيامه بالسير في البرية إذا كان فيها واستعان في مسيره بعكازة

يتوكأ عليها أو منطقة يشد بها وسطه أو يغير عليه عند رؤية قطاع الطريق ولم يكونوا عنده كسائر الناس، وهذا إن وجد في قلبه الميل إلى الخلقان دون الجد خرج في جميع هذا من حد التوكل. وقال أيضاً: اكثر الخلق تعلقوا بالأسباب، فإذا صحت المعرفة لله بالقلب سكن القلب إلى ما في الغيب أشد من سكونه إلى ما في اليد من الأسباب الظاهرة لأن ما في يد العبد لا يدري ما يحدث الله فيه، وماله عند الله هو الباقي يأتي به على أوقاته، فإن كان القلب قوياً عند زوال الدنيا وإدبارها متبرماً بما في اليد منها صح التوكل، وإذا ضعفت المرآة في القلب ركن القلب إلى الأسباب وخاف من زوالها قبل أن تزول، فإن زال منها شيء لحق القلب الجزع والتغير من خوف الفقر.

فصل

قال السري رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ [الفرقان: ٧٤] أن المتقي يكون رزقه من كسبه لأن الله تعالى يقول: ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٣] فكأنه يقول: اجعلنا إماماً للمتوكلين الذين أرزاقهم لا من اكسابهم، بل من حيث لا يحتسبون وهؤلاء هم أهل الصفوة والصفاء الصوفيون الذين توكلوا على الله لله بالله لا في الأرزاق ولا في العالم يد عليهم من الأرفاق كما قال قائلهم: الدنيا فانية والآخرة باقية والأرزاق مفروغ منها، فعلى ماذا أتوكل إنما أتوكل عليه أن لا يبعدني من قربه. وقال بعضهم: الإعتماد على الخلق هو الخذلان ومن اعتمد بسوى ربه في توكله خاب سعيه.

فصل

ويستوي عند الخصوص بعين يقينهم ما جاءهم بواسطة أيديهم وأسباب كسبهم، وما جاءهم بأيدي غيرهم وبغير كسبهم إذ كان المعطي عندهم واحداً والعطاء كله رزقاً فإذا كانت الأيدي ظروف العطاء فسواء كان الظرف يدك أو يد غيرك وسواء كان السبب كسبك أو كسب سواك لك، إذ جميعه رزقك. ومثل هذين أيضاً يستوي عندهم ما ظهر بيد القدرة لا خلق فيه ولا واسطة به، وما ظهر بأيديهم من الحركة وترتيب العرف والعادة لأن القدرة أيضاً بمنزلة ظرف للعطاء ظهر العطاء بها كأيدي العباد من يد الإنسان نفسه أو يد غيره، فهذه المعاني الثلاثة عند الموقنين الموحدين سواء لا يترجح بعضه على بعض لرجحان إيمانهم وقوة يقينهم ونفاذ مشاهدتهم إذ كله حكمة بالغة وقدرة نافذة على حكم واحد وقادر واحد.

فصل

الأسواق موائد الأباق يطعم المولى منها من أبق من خدمته وهرب من مجالسته ووهن عن معاملته وجبن في متاجرته، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾ [الذاريات: ٥٦، ٥٧] أي ما أريد أن يرزقوا خلقي إن الله هو

الرزاق، أي إنه لا يطالبهم أن يرزقوا نفوسهم إذا خدموه، فذكر الله في هذه الآية الوجوه الثلاثة من تصرف العبيد التي أباحها للموالي، ثم اختار لنفسه أحدها وهو الخدمة وعليه الكفاية، واختار من العبد أحدها فجعلها عديدة وتنزه عن أحدها وتعالى عنه وهو الإطعام من العبيد له، وصرف عموم العبيد في الوجه الثالث من الإطعام لأنفسهم وهو التكسب وضرب هذا مثلاً بينه وبين خلقه في الأرض وله المثل الأعلى في السموات والارض، فبقي العبيد من الله بحكمين: أحدهما مع اختياره لنفسه من العبادة وهي المعاملة وعليه الرزق كيف شاء ومتى شاء، وهؤلاء عبيد الرحمن لا عبيد الدنيا، والثاني ما صرف العبيد من التكسب لأنفسهم جعل ذلك رزقاً منهم لهم بجوارحهم ومدحهم على هذا الوصف، وهؤلاء عموم العبيد منهم عبيد الدنيا وعبيد الهوى، وبقي الموالي مع العبيد على الأحكام الثلاثة التي أباحها لهم وضرب بها المثل بينها وبينهم إن هم اختاروه كان ذلك لهم.

فصل

التوكل على الله لا يمنع دخول اللصوص ولا يمنع الإقتداء للبلوى بمحو الدار والإختيار للمعروفين الإختيار، وقد قال أبو يزيد قدس سره وهو من أعلى المتوكلين: ما سافرت في قافلة قط إلا قطع علي الطريق، وقال آخر من نظرائه: ما خرجت في سفر قط ومعي سبب إلا سلط الله من يأخذه حتى أبقى مع الله بالله مجزداً بلا سبب، فهذه آيات يرد الله أولياءه إليه في تسليطات يدلهم بها عليه ليرجعوا إليه، فالتوكل على الله تعالى في الأسباب لا يوجب بقاءها للعبد ولا إيثار د بها ولا حفظها عليه، ولا يقدم شيئاً عن شيء ولا يؤخره لصلاح دنيا أو إختيار عبد، بل هو إلى الإذهاب والإتلاف أقرب لأن التوكل قرين للزهد وثمرته فهو يرد المتوكل إلى أصله، وذلك وصف صادقي المتقين، ولولا الإمتحان لكثر الصادقون، ولولا الإخراج من المعتاد والمألوف لكثر الصالحون فإذا كان مقام المتوكل الرضا بجريان القضاء والمحبة لمواقيع البلاء لم يبال بقي ماله وسلم سببه الذي توكل عليه عنه أو عطب، إذ كان محبة وكيله فيه ورضاه به فيما عرضه من موافقة محبته وحلاوة رضاه فضل من إتلاف نفسه ودنياه.

فصل

المتوكلون على درجات منهم من توكل على الله تعالى تعظيماً وإجلالاً، ومنهم من توكل عليه ثقة به وتنزيهاً له، ومنهم من توكل عليه يقيناً بوعده لتحقيق صدقه، ومنهم من توكل عليه حباً له، ومنهم من توكل عليه استسلاماً لما شهد من قرب عزه وعظيم قدره، ومنهم من توكل عليه خوفاً منه، ومنهم من توكل عليه لحسن ظنه به وصدق رجائه له، ومنهم من توكل عليه تسليماً له من جميل معاملته، ومنهم من توكل عليه ليحفظه فيما استحفظه فيما له عليه، ومنهم من توكل عليه لقيامه بشهادته عن حسن معرفته وكلهم توكل عليه لأن توحيده له وشهادة قيوميته ذلك يقتضيه؛ فهذه كلها مواجيد أوليائه ومنهاج أحبابه عن مشاهدة القرب ومعرفة القريب، وبعضها أعلى مقاماً

من بعض. وبعض المشاهدات أقرب وأرفع فأعلاها من توكل عليه للإجلال والتعظيم وأوسطها من توكل عليه للمحبة والخوف، وأدناها من توكل عليه تسليماً له وتحبباً إليه، وقد ذكرنا من توكل العوام ما يستحيي العارفون من ذكره وهو التوكل عليه في القوت لأنه هو المقيت كما هو المحيي المميت فكما يحيي ويميت فكذلك يرزق القوت.

فصل

قيل لسهل رحمه الله تعالى: متى يصلح للعبد التوكل؟ قال: إذا علم أن تدبير مولاه خير من تدبيره لنفسه وأن نظر مولاه له أحسن من نظره لنفسه فيترك الفكر فيما كان والتمني لما يكون ويترك التدبير ولله عاقبة الأمور وهو على كل شيء قدير شكور. وإلى هنا انتهى بنا الكلام على شرح مقام التوكل والحمد لله على نعمائه، والصلاة والسلام على سيد أنبيائه وخيرته من أوليائه.

قال المؤلف: نجز ذلك في الساعة الثالثة من ليلة الإثنين لست بقين من ذي القعدة ١٢٠٠، والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا
وهو الكتاب السادس
من ربع المنجيات
من كتب احياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً الله ناصر كل صابر

الحمد لله الذي رفع الحجاب عن قلوب الأحباب، وألهمهم بدوام ذكره والأنس به والرضا الإصابة لمحجة الصواب، أحمده حمداً أستوجب بـه مـزيـد الثـواب، وأستـزيـد بـه زيـادات أولي الألباب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة موقن بقلبه غير مرتاب، متلذذ في دار الوصال برائق الشراب، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أشرف محبوب وأخص الأحباب، المرسل بأشرف كتاب، المؤيد بفصل الخطاب في أجمل خطاب، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الإنجاب، وأصحابه المكرمين الأقطاب، وعلى كل تابع لهم بإحسان ما لمع البرق وهمل السحاب، وسلم تسليماً كثيراً وبعد فهذا شرح:

كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا

هو السادس والثلاثون من كتب الإحياء للإمام الهمام، قطب العلماء الأعلام، أبي حامد حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي سقى الله رمسه هاطلات رحمته، وأسبغ على حظيرته سابغات مغفرته، يسبي لب مطالعه بما تضمنه من مطالع الأسرار، ويذهل فكر معانيه بما في مطاويه من معاني مشارق الأنوار، ويفصح عن مكامن إشاراته المرموزة العجيبة، ويسمح بإفشاء أسرار فوائده المستملحة الغريبة، كشفاً تثبت به محجة الصواب وبياناً تبتهج به بصائر أولي الألباب، ومن رام مساومته قصدته الحيرة والإندهاش، أو سام معارضته عارضه الذهول وطاش، فيالها من مخدرات حسان أبكار وغوان لم يطمثهن انس ولا جان ومحتجبات في خدور الخيام لم يظفر بوصالهن إلا من جفا من مضاجعة أطيب المنام، وجدّ في أثر الاطلاب مع الطلاب فنال بما لم يكن له في حساب،

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزه قلوب أوليائه عن الالتفات إلى زخرف الدنيا ونضرته، وصفى أسرارهم من ملاحظة غير حضرته، ثم استخلصها للعكوف على بساط عزته، ثم تجلى لهم بأسمائه وصفاته حتى أشرقت بأنوار معرفته، ثم كشف لهم عن سبحات وجهه حتى احترقت بنار محبته، ثم احتجب عنها بكنه جلاله حتى تاهت في بيداء كبريائه وعظمته،

ولقد أرخيت فيه أعنة الإفصاح مع الإختصار التام، وآثرت التخفيف لا التطفيف لئلا تكل عن مطالعته أفهام الخواص والعوام، والله تعالى أستعينه فيما أروم وأستهديه إنه هو القادر المجيب لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

(**الحمد لله الذي نزه قلوب أوليائه**) هم الموالون بولايته المحبون له لذاته المستهترون بذكره المهيمون في محبته (**ونزهها**) أي قدسها وطهرها (**عن الإلتفات إلى متاع الدنيا**) هو اسم لما يستمتع الإنسان به من اعراضها (**ونضرته**) أي زينته وبهجتـه والضمير راجع إلى المتاع، وفي بعض النسخ إلى زخرف الدنيا ونضرته والزخرف الزينة كما قال تعالى: ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ [يونس: ٢٤] (**وصفى**) من التصفية وهو التخليص (**أسرارهم**) جمع سـر بالكسر وهو ألطف من الروح وهو محل المشاهدة كما أن الروح محل المحبة والقلب محـل المعرفة (**عن ملاحظة غير حضرته**) والملاحظة النظر باللحاظ وهو مؤخر العين وبين حضرته ونضرته تجانس، (**ثم استخلصها**) أي اتخذ تلك الأسرار خالصة (**للعكوف**) أي الإقبال والإقتصار والملازمة (**على بسائط عزته**)، وأصل البساط الأرض الواسعة الأرجاء والعزة الغلبة الآتية على كلية الظاهر والباطن، (**ثم تجلى لها**) أي لسرائرهم وفي نسخة لهم (**بأسمائه وصفاته**) أي بمعانيها وامتيازها عن الذات بقدر ما يتصور في حقهم، وأصل التجلي ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب (**حتى أشرقت بأنوار معرفته**) وهو السبيل المفتوح للخلق وفيه تتفاوت مراتبهم، (**ثم كشف لهم عن سبحات وجهه**) أي جلاله وعظمته وبهائه (**حتى احترقت بنار محبته**) أشار به إلى الخبر الوارد المتقدم بذكره: إن لله سبعين حجاباً من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره» (**ثم احتجـب عنها بكنه جلاله حتى تاهت**) أي حارت (**في بيداء**) أي صحراء (**كبريائه وعظمته، فكلما اهتزت**) أي تحركت (**لملاحظة كنه الجلال**

فكلما اهتزت لملاحظة كنه الجلال غشيها من الدهش ما أغبر في وجه العقل وبصيرته، وكلما همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبراً أيها الآيس عن نيل الحق بجهله وعجلته، فبقيت بين الرد والقبول والصدّ والوصول غرقى في بحر معرفته، ومحترقة بنار محبته، والصلاة على محمد خاتم الأنبياء بكمال نبوّته، وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمته، وقادة الحق وأزمته وسلم كثيراً.

أما بعد؛ فإنّ المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات، فما بعد إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس

غشيها من الدهش) والحيرة **(ما اغبر في وجه العقل وبصيرته)** يشير بذلك إلى السبيل المسدود في المعرفة إلا في حق الله تعالى وهو السبيل الحقيقي الذي قال المصنف في المقصد الأسنى في حقه: إنه لا يهتز أحد من الخلق لنيله وإدراكه إلا ردته سبحات الجلال إلى الحيرة، ولا يشرئب أحد لملاحظته إلا غطى الدهش طرفه. **(وكلما هممت بالإنصراف)** عن تلك الملاحظة حالة كونها **(آيسة)** أي قاطعة أملها في النيل والإدراك **(نوديت من سرادقات الجمال)** وأصل السرادقات ما يدار حول الخيمة بلا سقف **(صبراً: أيها الآيس عن نيل الحق بجهله وعجلته)** فالإنسان خلق من عجل وجبل بوصف الجهل وهو وصف له ذاتي، فبجهله إذا تمكن لا يدرك غور الأمور، وبعجلته قد يفوته الفوز بالسرور، ولو صبر وتأنى لنال ما تمنى، **(فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرقى في بحر معرفته)** غير متنفسة ولا غائبة وهذا هو مقام الفرق من ثمرات المحبة **(ومحترقة بنار محبته)** والمحبة فرع من المعرفة، فمن لم يعرف لم يحب، ولذلك أخر ذكر المحبة بعد المعرفة، **(والصلاة)** والسلام **(على)** سيدنا **(محمد خاتم الأنبياء)** والمرسلين وجوداً كما أنه فاتحهم نشأة **(بكمال نبوته)** وتمام رسالته، **(وعلى آله وأصحابه سادة الخلق)** أي رؤسائهم **(وأئمته)** الذين يقتدى بهم **(وقادة الحق وأزمته)** جمعاً قائد وزمام، فالقائد هو رئيس القوم، والزمام ما تزم به الناقة أي تحبس وهو كالخطام أي هم يقودون أهل الحق إلى الحق ويزمونهم عن الميل إلى ضده، **(وسلم كثيراً)**.

(أما بعد: فإن المحبة لله تعالى هي الغاية القصوى من المقامات والذرة العليا من الدرجات)، وهو الثامن من مقامات اليقين، وعند أبي طالب المكي هو التاسع منها، وذلك لأنه قدم ذكر مقام الرضا على مقام المحبة، وعكسه المصنف فقدم ذكر المحبة على مقام الرضا. قال صاحب القوت: المحبة من أعلى مقامات العارفين وهي إيثار من الله لعباده المخلصين ومعها نهاية الفضل العظيم، **(فما بعد إدراك المحبة مقام)** أو حال **(إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والإنس والرضا وأخواتها)** مما يضاف إليها، فما يضاف إلى الأنس القرب والسكينة والطمأنينة والإنبساط والغيرة، ومما يضاف إلى الشوق الوجد والقلق والدهش والهيمة والتمكين، ولها ثمار أخر لا يطلع عليها السالك حتى يعثر عليها فلا مطمع في الإنتهاء، وللمحبة

والرضا وأخواتها، ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدّمة من مقدّماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها، وسائر المقامات إن عز وجودها فلم تخل القلوب عن الإيمان بإمكانها، وأما محبة الله تعالى فقد عز الإيمان بها حتى أنكر بعض العلماء إمكانها وقال: لا معنى لها إلا المواظبة على طاعة الله تعالى. وأما حقيقة المحبة فمحال إلا مع الجنس والمثال. ولما أنكروا المحبة أنكروا الأنس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه. ولا بدّ من كشف الغطاء عن هذا الأمر.

ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة، ثم بيان حقيقتها وأسبابها، ثم بيان أن لا مستحق للمحبة إلا الله تعالى، ثم بيان أنّ أعظم اللذات لذة النظر إلى وجه الله تعالى، ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا، ثم بيان الأسباب المقوّية لحب الله تعالى، ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب، ثم بيان السبب

فضلة وهي متضمنة أن معرفة الله آكد المعارف فإنه أظهر الموجودات. أولها معرفة خاصة بها ويضاف إليها الذكر والفرق والذوق واللحظ والوقت والصفاء ولها حقيقة، ويضاف إليها النفس والفرق والغيبة والسكر والصحو والفناء والوجود والجمع والتعظيم، **(ولا قبل المحبة مقام)** أو حال **(إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها)** فهي ميراث التوحيد والمعرفة، وبه يظهر سر تأخير المصنف إياها بعد التوحيد، **(وسائر المقامات إن عز وجودها فلم تخل القلوب عن الإيمان بإمكانها، وأما محبة الله تعالى فقد عز الإيمان بها حتى أنكر بعض العلماء إمكانها، وقال: لا معنى لها إلا المواظبة على طاعة الله تعالى)** والازدياد من الأعمال لينال به الثواب، **(وأما حقيقة المحبة فمحال إلا مع الجنس والمثل)** وفي نسخة: إلا مع الحس والمثال، **(ولما أنكروا)** حقيقة **(المحبة أنكروا)** ثمراتها مثل **(الإنس والشوق ولذة المناجاة وسائر لوازم الحب وتوابعه)**، وهذا كلام قاصر النظر على المحسوسات لا يلتفت له ولا يرجع إليه، فإن الإجماع قائم على أن العلم لذيذ في نفسه وليس بينه وبين المحسوسات نسبة، وليس للمحبة معنى غير الميل إلى اللذيذ الموافق كما سيأتي بيانه، ومتى بطلت مسألة المحبة بطلت مقامات الإيمان والإحسان جميعها وتعطلت منازل السير، فإن المحبة روح كل مقام ومنزلة وعمل، فإذا خلا منها فهو ميت، ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها بل هي حقيقة الإخلاص، **(ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الأمر)**.

(ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع) من الكتاب والسنة وإجماع الأمة **(في المحبة، بيان حقيقتها وأسبابها، ثم بيان أن لا مستحق للمحبة إلا الله تعالى)** وحده، **(ثم بيان أن أعظم اللذات لذة النظر إلى وجه الله تعالى، ثم بيان سبب زيادة لذة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا ثم بيان الأسباب المقرية لحب الله تعالى، بيان تفاوت الناس في**

في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى، ثم بيان معنى الشوق، ثم بيان محبة الله تعالى للعبد، ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى، ثم بيان معنى الأنس بالله تعالى، ثم بيان معنى الانبساط في الأنس، ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته، ثم بيان حقيقته، ثم بيان أنّ الدعاء وكراهة المعاصي لا تناقضه وكذا الفرار من المعاصي، ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة، فهذه جميع بيانات هذا الكتاب.

بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى:

اعلم أنّ الأمّة مجمعة على أنّ الحب لله تعالى ولرسول الله ﷺ فرض، وكيف يفرض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته؟ فلا بدّ وأن يتقدّم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب. ويدل على إثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿والّذينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا

الحب، ثم بيان السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى، ثم بيان معنى الشرف، ثم بيان محبة الله تعالى للعبد، ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى، ثم بيان معنى الأنس بالله تعالى، ثم بيان معنى الإنبساط في الأنس، ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته، ثم بيان حقيقته، ثم بيان أن الدعاء وكراهة المعاصي لا تناقضه، وكذا الفرار من المعاصي، ثم بيان حكايات وكلمات للمحبين متفرقة، فهذا جميع بيانات هذا الكتاب) وهي خمسة عشر:

بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى:

(اعلم) هداك الله تعالى **(أن الأمة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله ﷺ فرض)** ثابت بدليل قطعي الثبوت والدلالة، **(وكيف يفرض ما لا وجود له)** هذا إنكار على من أنكر المحبة أصلاً، وسبب إنكارهم إياها أنهم رأوا أن الحدود لا تزيدها إلا خفاء، وجميع من تكلم فيها إنما هو في أسبابها وجهاتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة، ثم ردّ على من فسرها بالطاعة فقال: **(وكيف يفسر الحب بالطاعة)** والإنقياد لنيل الثواب، **(والطاعة تبع الحب وثمرته)** فكيف تكون الثمرة حداً للمثمر والتابع حداً للمتبوع؟ **(فلا بد وأن يتقدم الحب، ثم بعد ذلك يطيع من أحب)** فعلم من ذلك أن تفسيرها بالطاعة تفسير باللازم وليس بحد تام ولا تحد بحد أوضح منها، فحدها وجودها ولا تحد بوصف أظهر منها، **(ويدل على إثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل)**: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم **(يحبهم ويحبونه)** ثم قال: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ [المائدة: ٥٤] فهذا الخبر هو متصل بالإبتداء في المعنى لأن الله تعالى وصف المؤمنين المحبين بفضله عليهم وما اعترض بينهما من الكلام فهو نعت المحبوبين، **(وقوله تعالى)** ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله **(والذين آمنوا أشد حباً لله﴾)** وهو

لله﴾ [البقرة: ١٦٥]، **وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه. وقد جعل رسول الله ﷺ الحب لله من شرط الإيمان في أخبار كثيرة؛ إذ قال أبو رزين العقيلي: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما »، وفي حديث آخر: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما »، وفي حديث**

إشارة إلى أن الإيمان يحرض على حب الله تعالى ويدعو إليه قال الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] فأبان أن اتباع نبيه ﷺ من موجبات محبة الله عز وجل، فإذا كان إتباع النبي ﷺ إيماناً وجب أن يكون حب الله الموجب له إيماناً، **(وهو)** أيضاً **(دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت إليه)**. لفظ القوت: وكل مؤمن بالله فهو محب لله تعالى، ولكن محبته على قدر إيمانه وكشف مشاهدته وتجلي المحبوب له على وصف من أوصافه دليل ذلك استجابتهم له التوحيد والتزام أمره وتسليم حكمه، ثم تفاوتهم في مشاهدات التوحيد في التزام الأمر في تسليم الحكم، فليس ذلك يكون إلا عن محبة وإن تفاوت المحبوب على حسب أقسامهم من المحبوب وليس يصغر عن المحبة صغير كما لا يصغر عن المعرفة من عرف، ولا يكبر على التوبة كبير، ولو كان على كل العلوم قد أوقف لأن الله تعالى وصف المؤمنين بشدة الحب له فقال: ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ [البقرة: ١٦٥] وفي قوله: ﴿أشد﴾ دليل على تفاوتهم في المحبة، لأن المعنى أشد فأشد ولم يقل شديد الحب لله، فأشبه هذا الخطاب قوله: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] فدل على أن تفاوتهم في الإكرام على قدر تفاضلهم في التقوى، ولم يقل إن الكرام المتقون فالمؤمنون متزايدون في الحب لله على تزايدهم في المعرفة به والمشاهدة له.

(وقد جعل رسول الله ﷺ الحب لله من شرط الإيمان) بالله **(في أخبار كثيرة إذ قال أبو رزيق)** لقيط بن عامر بن المنتفق العامري **(العقيلي)** وافد بني المنتفق رضي الله عنه **(يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: « أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما »)** قال العراقي أخرجه أحمد بزيادة في أوله وفيه انقطاع انتهى.

قلت: لفظ الحديث: « أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما، وأن تحترق بالنار أحب إليك من أن تشرك بالله، وأن تحب غير ذي نسب لا تحبه إلا لله، فإذا كنت كذلك دخل حب الإيمان في قلبك كما دخل حب الماء للظمآن في اليوم القائظ » قال السيوطي في الجامع الكبير بعد أن ذكره حسن.

(وفي حديث آخر: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ») كذا في القوت. قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس بلفظ: « لا يجد حلاوة الإيمان حتى » وذكره بزيادة انتهى.

قلت: الذي في المتفق عليه من حديث أنس بلفظ: « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في

آخر: « لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين »، وفي رواية: « ومن نفسه » كيف وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وإخْوَانُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤] الآية. وإنما أجرى ذلك في معرض التهديد والإنكار. وقد أمر رسول

الكفر بعد إذا أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار » ورواه كذلك الطيالسي وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي في الشعب كلهم من حديث أنس، ورواه أيضاً البغوي والطبراني والبزار من حديث أبي إمامة.

وفي رواية لابن حبان من حديث أنس: « ثلاث من كن فيه كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما والرجل يحب القوم لا يحبهم إلا في الله والرجل إن قذف في النار أحب إليه من أن يرجع يهودياً أو نصرانياً.

(ومن حديث آخر: « لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين » وفي رواية: « ومن نفسه ») قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس واللفظ لمسلم دون قوله: « ومن نفسه » وقال البخاري: « من والده وولده وله » من حديث عبدالله بن هشام قال عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال: « لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك » قال عمر: فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي فقال: « الآن يا عمر » اهـ.

قلت: حديث أنس أخرجه كذلك أحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن ماجه والدارمي وابن حبان ولفظهم: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » وأما حديث عبدالله بن هشام فأخرجه أحمد مختصراً: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه » وأما تلك القصة فأخرجها البخاري في مناقب عمر وفي الإستئذان وفي النذور عن أبي عقيل زهدة ابن معبد عن جده عبدالله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فذكرها.

(كيف وقد قال تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم﴾ الآية) وتمامها ﴿وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ فأبان بهذا أن حب الله وحب رسوله والجهاد في سبيله فرض لأنه لا ينبغي أن يكون شيء سواه أحب اليهم منه، **(وإنما أجرى ذلك في معرض التهديد والإنكار)** قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب عن أبي عبدالله ابن خفيف دخل البصرة على أبي العباس بن سريج فقال له ابن سريج: أين تعرف في نص الكتاب أن محبة الله فرض؟ فقال: لا أدري، ولكن يقول القاضي فقال قوله عز وجل: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم﴾ إلى ﴿فتربصوا﴾ والوعيد لا يكون إلا على ترك الفرض **(وقد أمر رسول الله ﷺ بالمحبة)** فيما شرعه من الأحكام **(فقال: « أحبوا الله لما يغذوكم به**

الله ﷺ بالمحبة فقال: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله إياي»، ويروى أنّ رجلاً قال: يا رسول الله إني أحبك، فقال ﷺ: «استعدّ للفقر» فقال: إني أحب الله تعالى، فقال: «استعدّ للبلاء»، وعن عمر رضي الله عنه قال: نظر النبي ﷺ

من نعمه وأحبوني بحب الله تعالى») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقال: حسن غريب اهـ.

قلت: ورواه كذلك الطبراني والحاكم والبيهقي بزيادة: «وأحبوا أهل بيتي». قال البيهقي في الشعب، قال الحليمي: وهذا يحمل على أن يكون عاماً لأنعمه كلها، وأن يكون إسم الغذاء في الطعام والشراب حقيقة ولما عداهما من التوفيق والهداية، ونصب اعلام المعرفة وخلق الحواس والعقل مجازاً، أو يكون جميع ذلك بالإسم مراداً فقد روي: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان» وفي رواية: «ذاق طعم الإيمان» وإنما يكون الطعم للأغذية وما يجري مجراها، فإذا جاز وصف الإيمان بالطعم جازت تسميته غذاء فيدخل الإيمان وجميع نعم الله عز وجل في هذا الحديث اهـ.

وقال صاحب القوت عقب إيراد هذا الحديث، فدل ذلك على فرض الحب لله، وإن تفاضل المؤمنون في نهايات فضائله، ومن أفضل ما أسدي إلينا من نعمه المعرفة به فافضل الحب له ما كان عن المشاهدة والمحبوب لله على مراتب من المحبة بعضها أعلى من بعض، فأشدهم حباً لله أحسنهم تخلقاً بأخلاقه مثل العلم والحلم والعفو وحسن الخلق والستر على الخلق وأعرفهم بمعاني صفاته أتركهم منازعة له في معاني الصفات كيلا يشركوه فيها مثل: الكبر وحب الغنى والعز وطلب الذكر، ثم أشدهم حباً لرسوله إذ كان حب الحبيب وأتبعهم لآثاره وأشبههم هدياً بشمائله، (و) قد **(يروى أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أحبك فقال ﷺ: «استعد للفقر» فقال: إني أحب الله، فقال: «استعد للبلاء»)** هكذا هو في القوت قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عبدالله بن مغفل بلفظ: «فاعد للفقر تجفافاً» دون آخر الحديث وقال حسن غريب اهـ.

قلت: لفظ الترمذي: «إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافاً فإن الفقر أسرع إلى ما يحبني من السيل إلى منتهاه» وقد رواه كذلك أحمد والطبراني والبيهقي.

وقد روي ذلك من حديث أبي هريرة وأبي ذر، فحديث أبي هريرة لفظه: «إن كنت تحبني فاتخذ للبلاء تجفافاً فوالذي نفسي بيده للبلاء أسرع إلى من يحبني من الماء الجاري من قلة الجبل إلى حضيض الأرض اللهم فمن أحبني فارزقه العفاف والكفاف ومن أبغضني فاكثر ماله وولده» رواه البيهقي في السنن وفي الزهد وضعفه وابن عساكر.

وأما حديث أبي ذر فلفظه: «إن كنت تحبنا فأعد للفقر تجفافاً فإن الفقر أسرع إلى من يحبنا من السيل من أعلى الأكمة إلى أسفلها» رواه الحاكم.

وقال صاحب القوت بعد أن ذكر الحديث: والفرق بينهما أن البلاء من أخلاق المبتلي وهو الله تعالى المبتلى، فلما ذكر محبته اختبره للبلاء ليصبر على أخلاقه كما قال: ﴿ولربك فاصبر﴾ فدلّ على

إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به، فقال النبي ﷺ: «انظروا إلى هذا الرجل الذي نوّر الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون». وفي الخبر المشهور: «أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه: هل رأيت خليلاً يميت خليله؟ فأوحى الله تعالى إليه هل رأيت محباً يكره لقاء حبيبه؟ فقال: يا ملك الموت الآن فاقبض»، وهذا لا يجده إلا عبد يحب الله بكل قلبه فإذا علم أن الموت سبب اللقاء انزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت إليه.

أحكامه وبلائه، والفقر من أوصاف رسول الله ﷺ، فلما ذكر محبته دله على اتباع أوصافه ليقتفي آثاره لقوله ﷺ: «اللهم احيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في جلة المساكين».

(**وعن عمر رضي الله عنه قال: نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير**) بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدي أحد السابقين إلى الإسلام، أسلم والنبي ﷺ في دار الأرقم وكتم إسلامه خوفاً من أمه وقومه، فعلم عثمان بن طلحة فأعلم أهله فأوثقوه فلم يزل محبوساً إلى أن هرب مع من هاجر إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة فهاجر إلى المدينة وشهد بدراً ثم أحداً ومعه اللواء، فاستشهد رضي الله عنه. (**مقبلاً وعليه إهاب كبش**) أي جلده (**قد تنطق به**) أي جعله كهيئة النطاق،: (**فقال النبي ﷺ: «انظروا إلى هذا الرجل الذي نور الله قلبه لقد رأيته بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون»**) قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية بإسناد حسن اهـ.

قلت: رواه عن أبي عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا إبراهيم الحوراني، حدثنا عبد العزيز بن عمير، حدثنا زيد بن أبي الزرقاء، حدثنا جعفر بن برقان، عن ميمون بن مهران، عن زيد بن الأصم، عن عمر بن الخطاب قال: نظر النبي ﷺ إلى مصعب بن عمير فذكره. وذكر محمد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، عن بعض آل سعد، عن سعد بن أبي وقاص قال: كان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة وأجوده حلة مع أبويه. وأخرج الترمذي بسند فيه ضعف عن علي قال: رأى رسول الله ﷺ مصعب بن عمير فبكى للذي كان فيه من النعمة ولما صار إليه.

(**وفي الخبر المشهور «أن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه: هل رأيت خليلاً يميت خليله؟ فأوحى الله إليه هل رأيت محباً يكره لقاء حبيبه؟ فقال: يا ملك الموت الآن فاقبض»**) هكذا هو في القوت. قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: وكأنه من الاسرائليات.

(**وهذا لا يجده إلا عبد يحب الله بكل قلبه، فإذا علم أن الموت سبب اللقاء انزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت إليه**) ولفظ القوت بعد قوله: بكل قلبه عندها يشتاق إليه مولاه فينزعج القلب لشوق الغيب فيحب لقاءه.

وقد قال نبينا ﷺ في دعائه: « اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقرّبني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد »، وجاء اعرابي إلى النبي ﷺ فقال: « يا رسول الله متى الساعة؟ قال: « ما أعددت لها » فقال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال له رسول الله ﷺ: « المرء مع من أحب »، قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك. وقال أبو بكر

(وقد قال نبينا ﷺ في دعائه « اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد ») رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي الدرداء بلفظ « اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني إلى حبك. اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد » وقد تقدم في كتاب الدعوات.

وروى البيهقي في الشعب عن مالك بن دينار قال: « بلغنا أن داود عليه السلام كان يقول في دعائه: اللهم اجعل حبك أحب إلي من سمعي وبصري ومن الماء البارد »

(وجاء اعرابي إلي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال « ما أعددت لها » قال: ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله. فقال له رسول الله ﷺ « المرء مع من أحب ». قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرحهم بذلك). قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس، ومن حديث أبي موسى وابن مسعود بنحوه اهـ.

قلت: حديث أنس رواه أيضاً مالك في رواية معين، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأحمد وأبو داود والترمذي. وفي لفظ للترمذي بزيادة « وأنت مع من أحببت ». وقال صحيح. ورواه البيهقي بزيادة « وله ما اكتسب » وقال غريب.

وأما حديث ابن مسعود فرواه الشيخان.

وأما حديث أبي موسى؛ فرواه أحمد والشيخان والقشيري في رسالته قال: حدثنا ابن فورك، حدثنا الحسن بن حماد بن فضالة، حدثنا يحي بن حبيب، حدثنا مرحوم بن عبد العزيز، عن سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قيل له الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال « المرء مع من أحب ».

وقد روي ذلك من حديث أبي ذر، وجابر، وعروة بن مضرس، وصفوان بن عسال، وصفوان بن قدامة، وابن عبد الرحمن، ومعاذ؛ فحديث أبي ذر رواه ابن منيع وأبو نعيم والضياء، وحديث جابر رواه عبد بن حميد وأبو عوانة، وحديث عروة بن مضرس رواه الطبراني في الكبير والشيرازي في الألقاب وابن عساكر، وحديث صفوان بن عسال رواه الطيالسي وأحمد والترمذي وقال حسن صحيح وابن خزيمة والطبراني وابن حبان والضياء، وحديث صفوان بن قدامة رواه أبو

الصديق رضي الله عنه: من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر. وقال الحسن: من عرف ربه أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، والمؤمن لا يلهو حتى يعقل فإذا تفكر حزن. وقال أبو سليمان الداراني: إن من خلق الله خلقاً ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا.

ويروى أن عيسى عليه السلام مرّ بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الخوف من النار، فقال: حق على الله أن يؤمن الخائف. ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشدّ نحولاً وتغيراً فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: الشوق إلى الجنة، فقال: حق على الله أن يعطيكم ما ترجون، ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشدّ نحولاً وتغيراً كأن على وجوههم المرائي من النور، فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: نحب الله عز وجل، فقال أنتم المقرّبون أنتم المقرّبون أنتم المقرّبون.

عوانة وابن قانع والطبراني وابن حبان، وحديث عبد الرحمٰن بن صفوان وهو صحابي صغير رواه الطبراني في الكبير، وحديث معاذ رواه الطبراني أيضاً.

(**وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: من ذاق من خالص محبة الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر، وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها**) فالمحبة والزهد من ثمرات المعرفة. قال: (**والمؤمن لا يلهو حتى يفعل فإذا تفكر حزن. وقال أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى: (**إن من خلق الله خلقاً ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه، فكيف يشغلون عنه بالدنيا**) نقله صاحب القوت.

(**ويروى أن عيسى عليه السلام مر**) في سياحته (**بثلاثة نفر**) من العباد (**قد نحلت أبدانهم**) أي ضعفت (**وتغيرت ألوانهم فقال لهم: ما الذي بلغ بكم ما أرى**) من النحول والتغير؟ (**فقالوا: الخوف من النار، فقال: حق على الله أن يؤمن الخائف**) مما يخاف (**ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين، فإذا هم أشد نحولاً وتغيراً**) من أولئك، (**فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الشوق إلى الجنة، فقال: حق على الله أن يعطيكم ما ترجون، ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد نحولاً وتغيراً**) من أولئك، (**وكان على وجوههم المرائي من النور**) أي تلمع وجوههم إضاءة كإضاءة المرائي (**فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: نحب الله عز وجل**) لم نعبده خوفاً من ناره ولا شوقاً إلى جنته، (**فقال: أنتم المقربون أنتم المقربون أنتم المقربون**) نقله صاحب القوت بلفظ: وقد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية فقال لهم: ما أنتم؟ فقالوا: نحن عباد. قال: فلأي شيء تعبدتم؟ فقالوا: خوفنا الله من ناره فخفنا منها.

وقال عبد الواحد بن زيد: مررت برجل قائم في الثلج فقلت أما تجد البرد؟ فقال من شغله حب الله لم يجد البرد. وعن سري السقطي قال: تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها عليهم السلام فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين لله تعالى فإنهم ينادون يا أولياء الله هلموا إلى الله سبحانه، فتكاد قلوبهم تنخلع فرحاً.

قال هرم بن حيان: المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل إليه، وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروّحه في الآخرة. وقال يحي بن معاذ: عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه؟ ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه؟ وحبه يدهش العقول فكيف وده؟ ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه؟ وفي بعض الكتب: عبدي أنا وحقك لك محب فبحقي عليك كن لي محباً. وقال يحي بن معاذ: مثقال خردلة من الحب أحب إلي من عبادة سبعين سنة بلا حب. وقال يحي بن معاذ: إلهي إني مقيم بفنائك مشغول بثنائك،

(وقال عبد الواحد بن زيد) البصري العابد **(مررت برجل قائم في الثلج)** في يوم بارد **(فقلت)** له: **(أما تجد البرد)** فتنتقل عنه؟ **(فقال: من شغله حب الله لم يجد البرد، و)** يروى **(عن سري)** بن المفلس **(السقطي)** رحمه الله تعالى **(قال: تدعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها عليهم السلام فيقال: يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد)** ﷺ، **(غير المحبين لله فإنهم ينادون: يـا أوليـاء الله هلموا إلى الله سبحانه فتكاد قلوبهم تنخلع فرحاً)** حيث خوطبوا بذلك الخطاب.

(وقال هرم بن حيان) العبدي، قال ابن عبد البر: هو من صغار الصحابة، وعده ابن حاتم في الزهاد الثمانية من كبار التابعين: **(المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه، وإذا أحبه أقبل إليه)** برحمته، **(وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة)**.

(وقال يحي بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى: **(عفوه)** تعالى **(يستغرق الذنوب، فكيف رضوانه، ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقول، فكيف وده ووده ينسي ما دونه، فكيف لطفه وفي بعض الكتب)** المنزلة أن الله تعالى يقول: **(عبدي أنا وحقك لك فبحقي عليك كن لي محباً)** قال القشيري: رأيت ذلك بخط الأستاذ أبي علي رحمه الله تعالى يعني الدقاق.

(وقال يحي بن معاذ) الرازي رحمه الله تعالى: **(مثقال خردلة من الحب أحب إلي من عباده سبعين سنة بلا حب)** نقله القشيري في الرسالة. **(وقال يحي بن معاذ)** أيضاً في جملة ما

صغيراً أخذتني إليك وسربلتني بمعـرفتـك وأمكنتني مـن لطفـك ونقلتني في الأحـوال وقلبتني في الأعمال ستراً وتوبة وزهداً وشوقاً ورضاً وحباً تسقيني من حياضك وتهملني في رياضك ملازماً لأمرك ومشغوفاً بقولـك، ولما طـر شـاربي ولاح طـائـري فكيـف أنصرف اليوم عنك كبيراً وقد اعتدت هذا منك صغيراً، فلي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة إليك همهمة لأني محب وكل محب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف.

وقد ورد في حب الله تعالى من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر، وإنما الغموض في تحقيق معناه فليشتغل به.

بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى:

اعلم أن المطلب من هذا الفصل لا ينكشف إلا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها، ثم معرفة شروطها وأسبابها ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى.

فأوّل ما ينبغي أن يتحقق أنه لا يتصوّر محبة إلا بعد معرفة وإدراك، إذ لا يحب

كان يخاطب به مولاه: (**إلهي إني مقيم بفنائك مشغول بثنائك، صغيراً أخذتني إليك وسربلتني بمعرفتك وأمكنتني من لطفك ونقلتني في الأحوال وقلبتني في الأعمال ستراً وتوبة وزهداً وشوقاً ورضا وحباً، تسقيـــني من حياضك وتهملني في رياضك، ملازماً لأمرك ومشغوفاً بقولك ولما طر شاربي**) أي بقل (**ولاح طائري، فكيف انصرف عنك اليوم كبيراً وقد اعتدت هذا منك صغيراً، فلي ما بقيت حولك دمـدمـة وبـالضراعـــة إليـك همهمـة**)، والدمدمة الحركة الخفية والهمهمة الصوت الخفي (**لأني أحبك، وكل محب بحبيبه مشغوف وعن حبيبه مصروف**)، وله مثل هذا الكلام في الرجاء. وكانت وفاته سنة ٣٥٨. (**وقد ورد في حب الله تعالى من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر، وذلك أمر ظاهر وإنما الغموض في تحقيق معناه فلنشتغل به**) فإنه أكيد، والله الموفق.

بيان حقيقة المحبة وأسبابهـا وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن المطلب من هذا الفصل لا ينكشف إلا بمعرفة حقيقة المحبة في نفسها، ثم معرفة شروطها وأسبابها**) الجالبة لها، (**ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى، فأول ما ينبغي أن**) يعلم أن هذه المادة تدور على خمسة أشياء.

أحدها الصفاء والبياض، ومنه قيل: حب الأسنان لبياضها ونضارتها.

الثاني: العلو والظهور، ومنه حبب الماء وهو حبابه وهو ما يعلوه من النفاخات عند المطر وحبب الكاس منه.

الإنسان إلا ما يعرفه، ولذلك لم يتصوّر أن يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك. ثم المدركات في انقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه، وإلى ما ينافيه وينافره ويؤلمه، وإلى ما لا يؤثر فيه بإيلام والذاذ. فكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك، وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة فلا يوصف بكونه محبوباً ولا مكروهاً. فإذا كل لذيذ محبوب عند

الثالث: للزوال والثبات ومنه حبب البعير وأحب إذا برك فلم يقم.

الرابع: اللباب والخلوص ومنه حبة القلب للبه وداخله ومنه الحبة لواحدة الحبوب إذ هي أصل الشيء ومادته وقوامه.

الخامس: الحفظ والإمساك ومنه حب الماء الذي يحفظه فيه ويمسكه وفيه معنى الثبوت أيضاً، ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة فإنها صفاء المودة وهيجان إرادة القلب وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد وثبوت إرادة القلب للمحبوب ولزومها لزوماً لا يفارق، ولإعطاء المحب محبوبه لبه وأشرف ما عنده وهو قلبه، ولاجتماع عزماته وإراداته وهمومه على محبوبه، فاجتمعت فيها المعاني الخمسة ووضعوا لمعناها حرفين مناسبين للشيء غاية المناسبة، الحاء التي هي من أقصى الحلق، والباء للشفة التي هي نهاية، فللحاء الابتداء، وللباء الانتهاء، وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فإن ابتداءها منه وانتهاءها إليه، وأعطوا الحب حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها، وأعطوا الحب وهو المحبوب حركة الكسر وذلك لخفة ذكر المحبوب على قلوبهم وألسنتهم مع إعطاء حكم نظائره، كنهد وذبح للمنهود والمذبوح؛ فتأمل هذه المطابقة والمناسبة العجيبة بين اللفظ والمعنى يطلعك على قدر هذه اللغة الشريفة وأن لها لشأناً ليس كسائر اللغات.

ثم ينبغي بعد معرفة ذلك أن (**يتحقق أنه لا يتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك إذ لا يحب الانسان إلا ما يعرفه**) وما لا يعرفه كيف يحبه، (**ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جماد، بل هو من خاصية الحي المدرك**) هذا قول الأكثرين. وكان سمنون يقدم المحبة على المعرفة كما نقله القشيري أي لكمال شغل العارف بمعروفه واستغراقه في مناجاته حتى يفنى عن نفسه، والمحبون تبقى معهم بقايا يتنعمون فيها بمحبوبهم، وكل من القولين صحيح باعتبار التوجهين، وقد أشار القشيري إلى ترجيح قول سمنون حيث قال: وعند محققيهم المحبة استهلاك في لذة، والمعرفة شهود في حيرة وفناء في هيبة فتأمل.

(**ثم المدركات في انقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه، وإلى ما ينافيه وينافره ويؤلمه، وإلى ما لا يؤثر فيه بايلام والذاذ، فكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك، وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة فلا يوصف بكونه محبوباً ولا مكروهاً، فإذاً كل لذيذ محبوب عند**

الملتذ به. ومعنى كونه محبوباً أن في الطبع ميلاً إليه، ومعنى كونه مبغوضاً أن في الطبع نفرة عنه. فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ، فإن تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقاً. والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب، فإذا قوي سمي مقتاً فهذا أصل في حقيقة معنى الحب لا بدّ من معرفته.

الأصل الثاني: إن الحب لما كان تابعاً للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة إدراك النوع من المدركات، ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات، وللطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم. فلذة العين في الإبصار وإدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة،

الملتذ به، ومعنى كونه محبوباً أن في الطبع ميلاً إليه: ومعنى كونه مبغوضاً أن في الطبع نفرة عنه، فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الملذ فإن تأكد ذلك الميل وقوي سمي عشقاً، والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فإذا قوي سمي مقتاً)، وهذا قد صرح به أئمة اللغة قالوا: العشق أشد الحب والمقت أشد البغض، ثم إن العشق هو سابع مرتبة من مراتب الحب، إذ مراتب الحب عشرة. أولها: العلاقة، ثم الإرادة، ثم الصبابة، ثم الغرام وهو حبّ لازم للقلب ملازمة الغريم لغريمه، ثم الود وهو صفو المحبة وخالصها ولبها، ثم الشغف وهو وصول الحب إلى شغاف قلبه وهو جلدة رقيقة على القلب، ثم العشق وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه، وبه فسر: ﴿ولا تحملنا ما لا طاقة به﴾ [البقرة: ٢٨٦] ثم التيم وهو التذلل في الحب، ثم التعبد وهو فوق التيم، فإن العبد الذي ملك المحبوب رقه فلم يبق له شيء من نفسه البتة، بل كله لمحبوبه ظاهراً وباطناً، والمرتبة الآخرة الخلة التي انفرد بها الخليلان إبراهيم ومحمد ﷺ وهي المحبة التي تخللت قلبه حتى لم يبق فيه موضع لغير محبوبه (**فهذا أصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته**) وهو الأول.

(**الأصل الثاني: أن الحب لما كان تابعاً للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس، فلكل حاسة**) من الحواس الخمس (**إدراك النوع من المدركات، ولكل واحد منها لذة في بعض المدركات**) دون بعض، (**وللطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت**) تلك المدركات (**محبوبات عند الطبع السليم**) عن النقص، (**فلذة العين في الإبصار وإدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة**) فهي لا تكاد تفتر عن النظر إليها، (**ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة**) والألحان المستملحة فلها تعشق في ذلك، ولو كانت تلك النغمات من غير جميل الصورة، وقد تكون مع جمال الصور فيلتذ كل من العين والبصر، ومن ذلك سماع محاسن الأوصاف من رجل لم يقع عليه البصر، وإليه الإشارة بقول القائل:

والأذن تعشق قبل العين أحيانا.

ولذة الأذن في النغمات الطيبة الموزونة، ولذة الشم في الروائح الطيبة، ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة.

ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة، أي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله ﷺ: «حبب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعل قرة عيني في الصلاة» فسمى الطيب محبوباً ومعلوم أنه لاحظ للعين والسمع فيه، بل للشم فقط، وسمى النساء محبوبات ولاحظ فيهن إلا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع، وسمى الصلاة قرة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم أنه ليس تحظى بها الحواس الخمس، بل حس سادس مظنته القلب لا يدركه إلا من كان له قلب. ولذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الإنسان، فإن كان الحب مقصوراً على مدركات الحواس الخمس ـ حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال ـ فلا يحب فإذاً قد بطلت خاصية الإنسان وما تميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه إما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من العبارات، فلا مشاحة فيه وهيهات،

(ولذة الشم في الروائح الطيبة) الزكية مثل المسك والعود والعنبر وأشباهها، **(ولذة الذوق في الطعوم)** الطيبة، **(ولذة اللمس في اللين والنعومة)**.

(ولما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة كانت محبوبة أي كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله ﷺ «حبب إلي من دنيا كم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة») رواه النسائي من طريق سلام أبي المنذر عن ثابت عن أنس بلفظ «حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني الصلاة» وليس فيه لفظ ثلاث، ومن هذا الوجه أخرجه أحمد وأبو يعلى وأبو عوانة والطبراني في الأوسط والبيهقي في السنن وآخرون، وقد تقدم الكلام عليه في كتاب النكاح، وكتاب ذم الدنيا، وهذا موضع ثالث فقول السخاوي في المقاصد أنه رواه في الاحياء في موضعين قصور عن تصفح الكتاب **(فسمى الطيب محبوباً، ومعلوم أنه لاحظ للعين والسمع فيه بل للشم فقط، وسمى النساء محبوباً ولاحظ فيهن الا للبصر واللمس دون الشم والذوق والسمع، وسمى الصلاة قرة عين وجعلها أبلغ المحبوبات)** بدليل إفرادها في جلة مستقلة، **(ومعلوم انه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل حس سادس)** زائد على الخمس **(مظنته القلب لا يدركه إلا من كان له قلب)** وقد يكون الانسان بلا قلب، **(ولذات الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الانسان)** فإن لها إدراكاً بها لكنه قاصر عليها، **(فإن كان الحب مقصوراً على مدركات الحواس الخمس حتى يقال: إن الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل في الخيال فلا يحب)** كما زعمه المنكرون لمحبة العبد لله تعالى، **(فإذاً قد بطل خاصية الانسان وما يميز به من الحس السادس الذي يعبر عنه إما بالعقل أو بالنور أو**

فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر، والقلب أشد إدراكاً من العين، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار، فتكون لا محالة لذة القلب بما يدركه من الأمور الشريفة الإلهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ، فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى، ولا معنى للحب إلا الميل إلى ما في إدراكه لذة ـ كما سيأتي تفصيله ـ فلا ينكر إذاً حب الله تعالى إلا من قعد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز إدراك الحواس أصلاً.

بالقلب أو بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها) أي لا مضايقة وهو مفاعلة من الشح، وقد فسر قوله تعالى: ﴿لمن كان له قلب﴾[ق: ٣٧] تارة بالعقل وتارة بالنور المنبسط في القلب، والأول أكثر وبه يتميز عن درجة البهائم فإنه به يكمل فعله لأنه يدعو إلى أفعال مخالفة لمقتضى الشهوة والغضب، بخلاف البهائم ففي فعلها نقص لكونه مقصوراً على مقتضاهما كما أن في إدراكها نقصاً، **(وهيهات فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر)** فإنها هي القوة المنورة بنور القدس ترى حقائق الأشياء وبواطنها وهي التي تسمى بالقوة القدسية، وأما البصر الظاهر فهو للنفس ترى به صور الأشياء وظواهرها، **(والقلب)** المنور بالنور القدسي **(أشد إدراكاً من العين، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار، فتكون لا محالة لذة القلب بما يدركه من الأمور الشريفة الالهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ، فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى، ولا معنى للحب إلا الميل إلى ما في إدراكه لذةـ كما سيأتي تفصيلهـ فلا ينكر إذاً حب الله تعالى إلا من قعد به القصور في درجة البهائم فلا يجاوز إدراك الحواس أصلاً)** .

وقد أفصح المصنف عن هذا المقام في كتابه مشكاة الأنوار فقال: اعلم أن نور البصر موسوم بأنواع من النقصان، فإنه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد منه ولا ما قرب ولا يبصر ما هو وراء حجاب، ويبصر من الأشياء ظاهرها دون باطنها، ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها، ويبصر أشياء متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له، ويغلط كثيراً في ابصاره فيرى الكبير صغيراً ويرى البعيد قريباً والساكن متحركاً والمتحرك ساكناً، فهذه سبع نقائص تفارق العين الظاهرة وفي قلب الإنسان عين هذه صفة كمالها وهي التي يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الانساني، ودع عنك هذه العبارات فإنها إذا كثرت أوهمت عند الضعيف البصيرة كثرة المعاني فنعني به المعنى الذي يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع وعن البهيمة وعن المجنون، ونسميه عقلاً متابعة للجمهور في الاصطلاح فنقول: العقل أولى بأن يسمى نوراً من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقائض السبع.

أما الأولى: فهو أن العين لا تبصر نفسها والعقل يدرك غيره ويدرك نفسه ويدرك صفات نفسه ويدرك علم نفسه بل بعلمه بعلم نفسه إلى غير نهاية، وهذه خاصية لا تتصور لما يدرك بآلة الأجسام.

....

« الثانية : أن العين لا تبصر ما بعد منها ولا ما قرب قرباً مفرطاً والعقل يستوي عنده القريب والبعيد ، ويعرج في طرفه إلى أعلى السموات رقياً ، وينزل في لحظة إلى تخوم الأرضين هوياً .

الثالثة : أن العين لا تدرك إلا ما ليس وراء الحجاب ، والعقل يتصرف فيما وراء حجب السموات وفي الملأ الأعلى كتصرفه في عالمه الخاص به ، بل الحقائق لا تحجب عن العقل ، وإنما حجاب العقل حيث يحجب من نفسه لنفسه بسبب صفات بين مقاربة له تضاهي لحجاب العين من نفسه عند تغميض الأجفان .

الرابعة : أن العين تدرك من الأشياء ظاهرها وسطحها الأعلى دون باطنها ، بل قوالبها وصورها دون حقائقها ، والعقل يتغلغل إلى بواطن الأشياء وأسرارها ويدرك حقائقها وأرواحها ويستنبط سببها وعملها وحكمتها وأنها مم حدثت وكيف خلقت ولم خلقت وعلى أي مرتبة في الوجود نزل وما نسبته إلى سائر مخلوقاته .

الخامسة : أن العين تبصر بعض الموجودات إذ تقصر عن جميع المعقولات وعن كثير من المحسوسات ، ولا تدرك الاصوات ولا الروائح ولا الطعوم والحرارة والبرودة والقوى المدركة ، أعني السمع والبصر والشم والذوق ، بل الصفات الباطنة النفسانية كالفرح والسرور والغم والألم واللذة والعشق والشهوة والقدرة والارادة والعلم إلى غير ذلك من موجودات لا تحصى ، فهو ضيق المجال منحصر المجرى لا تسعه مجاوزة عالم الألوان والأشكال وهما أخس الموجودات ، فإن الأجسام في أصلها أخس أقسام الموجودات ، والألوان والأشكال من أخس أعراضها ، والموجودات كلها مجال للعقل فيتصرف في جميعها ويحكم عليها حكماً يقينياً صادقاً ، فالاسرار الباطنة عنده ظاهرة والمعاني الخفية عنده جلية ، فمن أين للعين الظاهرة مجاراته ومساواته .

السادسة : أن العين لا تبصر ما لا نهاية له فإنها تبصر صفات الأجسام والأجسام لا تتصور واللامتناهية والعقل يدرك المعقولات والمعقولات لا تتصور أن تكون متناهية ، بل يدرك علمه بالشيء فقوته في هذا الوجه لا تقف عند نهاية .

السابعة : أن العين تبصر الكبير صغيراً ، فترى الشمس في مقدار صحن ، والكواكب في صور دنانير منثورة على بساط أزرق ، والعقل يدرك أن الكواكب والشمس أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة ، وترى الكواكب ساكنة بل ترى الظل بين يديه ساكناً ، وترى الصبي ساكناً في مقداره والعقل يدرك أن الصبي في النمو والتزايد على الدوام والظل متحرك دائماً ، والكواكب تتحرك في لحظة أميالاً كثيرة وأنواع غلط البصر كثيرة والعقل منزه عنها .

فإن قلت : نرى العقلاء يغلطون في نظرهم ، فاعلم أن فيهم خيالات وأوهاماً واعتقادات يظنون أن أحكامها أحكام العقل ، فالغلط منسوب إليها ، فأما العقل إذا تجرد من غشاوة الوهم والخيال لم يتصور أن يغلط بل يرى الأشياء على ما هي عليه . انتهى المقصود منه .

الأصل الثالث: إن الإنسان لا يخفى أنه يحب نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره لأجل نفسه، وهل يتصوّر أن يحب غيره لذاته لا لأجل نفسه؟ هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون انه لا يتصوّر أن يحب الإنسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ إلى المحب سوى إدراك ذاته. والحق أن ذلك متصوّر وموجود، فلنبين أسباب المحبة وأقسامها، وبيانه أن المحبوب الأوّل عند كل حي نفسه وذاته، ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلاً إلى دوام وجوده، ونفرة عن عدمه وهلاكه، لأن المحبوب بالطبع هو الملائم للمحب، وأي شيء أتم ملاءمة من نفسه ودوام وجوده؟ وأي شيء أعظم مضادة ومنافرة له من عدمه وهلاكه؟ فلذلك يحب الإنسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل، لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت، بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارهاً لذلك، ولا يحب الموت والعدم المحض إلا لمقاساة ألم في الحياة. ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء، فإن أحب العدم لم يحبه لأنه عدم بل لأن فيه زوال البلاء، فالهلاك والعدم ممقوت ودوام الوجود محبوب. وكما أن دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضاً محبوب لأن الناقص فاقد للكمال، والنقص عدم بالإضافة إلى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة إليه. والهلاك والعدم ممقوت في الصفات. وكمال الوجود كما انه ممقوت في أصل الذات ووجود

(**الأصل الثالث: أن الإنسان لا يخفى أنه يحب نفسه**) أي يميل إليها بالطبع والضرورة، (**ولا يخفى أنه قد يحب غيره لأجل نفسه**) لا لذاته، (**وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لا لأجل نفسه، هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنوا أنه لا يتصور أن يحب الانسان غيره لذاته ما لم يرجع إليه حظ إلى المحب سوى إدراك ذاته، والحق أن ذلك متصور وموجود؛ فلنبين أسباب المحبة وأقسامها وبيانه أن المحبوب الأول عند كل حي نفسه وذاته، ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلاً إلى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه، فلذلك يحب الإنسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا لمجرد ما يخافه بعد الموت ولا لمجرد الحذر من سكرات الموت، بل لو اختطف من غير ألم**) يلحقه (**وأميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارهاً لذلك، و**) إذا فرض أنه أحب الموت فإنه (**لا يحب الموت والعدم المحض إلا لمقاساة ألم في الحياة**) لا يجد له دفعاً، (**ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء**) عنه، (**فإن أحب العدم**) لذلك (**لم يحبه لأنه عدم بل لأن فيه زوال البلاء، فالهلاك والعدم ممقوت**) أي مبغوض، (**ودوام الوجود محبوب، وكما أن دوام الوجود محبوب فكمال الوجود أيضاً محبوب لأن الناقص فاقد للكمال، والعدم نقص بالإضافة إلي المفقود وهو هلاك بالنسبة إليه، والهلاك والعدم ممقوت في الصفات وكمال**

صفات الكمال محبوب، كما ان دوام أصل الوجود محبوب. وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى: ﴿ولن تجد لِسُنَّةِ الله تبديلاً﴾ [الفتح: ٢٣].

فإذاً المحبوب الأول للإنسان ذاته، ثم سلامة أعضائه، ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقاؤه. فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها، والمال محبوب لأنه أيضاً آلة في دوام الوجود وكماله، وكذا سائر الأسباب. فالإنسان يحب هذه الأشياء لا لأعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله بها، حتى انه ليحب ولده وإن كان لا يناله منه حظ، بل يتحمل المشاق لأجله لأنه يخلفه في الوجود بعد عدمه، فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له، فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه أبداً. نعم لو خير بين قتله وقتل ولده ـ وكان طبعه باقياً على اعتداله ـ آثر بقاء نفسه على بقاء ولده، لأن بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاء المحقق، وكذلك حبه لأقاربه وعشيرته يرجع إلى حبه لكمال نفسه، فإنه يرى نفسه كثيراً بهم قوياً بسببهم متجملاً بكمالهم، فإن العشيرة والمال والأسباب الخارجة كالجناح المكمل للإنسان، وكمال الوجود ودوامه

الوجود، كما أنه ممقوت في أصل الذات، وجود صفات الكمال محبوب كما أن دوام أصل الوجود محبوب، وهذا غريزة في الطباع) لا تتخلف عنها (**بحكم سنة الله تعالى)** التي خلت في عباده، (**﴿ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾**).

(**فإذاً المحبوب الأول للإنسان ذاته، ثم سلامة أعضائه، ثم سلامة ماله وولده وعشيرته وأصدقاؤه، فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها**) وفقدها ولو بعضها يفضي للنقص وهو يفضي إلى ما يناقض الدوام، (**والمال محبوب لأنه أيضاً آلة في دوام الوجود وكماله، وكذلك سائر الأسباب**) فإنها كذلك آلات فيما ذكر. (**فالإنسان يحب هذه الأشياء لا لأعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجوه وكماله بها، حتى أنه ليحب ولده وإن كان لا يناله منه حظ**) في العاجل، (**بل يتحمل المشاق لأجله**) ويركب الصعب والذلول (**لأنه يخلفه في الوجود بعد عدمه**) وهلاكه، (**فيكون في بقاء نسله نوع بقاء له، فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قائم مقامه، وكأنه جزء منه لما عجز عن الطمع في بقاء نفسه أبداً. نعم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقياً على اعتداله آثر بقاء نفسه على ولده لأن بقاء ولده يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه المحقق، وكذلك حبه لأقاربه وعشيرته يرجع إلى حبه لكمال نفسه فإنه يرى نفسه كثيراً بهم قوياً بسببهم متجملاً بكمالهم**) كما قيل: المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، (**فإن العشيرة والمال والأسباب الخارجة كالجناح المكمل للإنسان**) في حصول القوة، (**وكمال الوجود ودوامه**

محبوب بالطبع لا محالة. فإذاً المحبوب الأول عند كل حي ذاته وكماله ذاته ودوام ذلك كله، والمكروه عنده ضد ذلك فهذا هو أول الأسباب.

السبب الثاني: الإحسان، فإن الإنسان عبد الإحسان، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها، وقال رسول الله ﷺ: «اللهم لا تجعل لفاجر عليّ يداً فيحبه قلبي»، إشارة إلى أن حب القلب للمحسن اضطرار لا يستطاع دفعه، وهو جبلة وفطرة لا سبيل إلى تغييرها. وبهذا السبب قد يحب الإنسان الأجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة. وهذا إذا حقق رجع إلى السبب الأوّل، فإن المحسن من أمد بالمال والمعونة وسائر الأسباب الموصلة إلى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول الحظوظ التي

محبوب بالطبع لا محالة، فإذاً المحبوب الأول عند كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله، والمكروه عنده ضد ذلك؛ فهذا أول الأسباب.

السبب الثاني: الإحسان فإن الإنسان) كما قيل (**عبد الإحسان، وقد**) روي عن ابن مسعود موقوفاً (**جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها**) رواه أبو نعيم في الحلية، وأبو الشيخ، وابن حبان في روضة العقلاء، والخطيب في التاريخ، وآخرون كلهم من طريق اسماعيل بن أبان الخياط قال: بلغ الحسن بن عمارة أن الأعمش وقع فيه فبعث إليه بكسوة فمدحه الأعمش فقيل للأعمش ذممته، ثم مدحته فقال: إن خيثمة حدثني عن ابن مسعود قال: جبلت وذكره، وهكذا أخرجه ابن عدي في كامله، ومن طريقه البيهقي في الشعب، وابن الجوزي في العلل المتناهية لكن مرفوعاً.

قال الحافظ السخاوي: وهو باطل مرفوعاً وموقوفاً. قال: وقد رواه مرفوعاً أيضاً في مسند الشهاب من طريق أبي عائشة، حدثنا محمد بن عبد الرحمن رجل من قريش قال: كنت عند الأعمش فذكر القصة والحديث اهـ كلام السخاوي.

قلت: وقد رواه العسكري في الأمثال من حديث ابن عمر هكذا مرفوعاً.

(**وقال رسول الله ﷺ «اللهم لا تجعل لفاجر علي يداً فيحبه قلبي»**) رواه الديلمي من حديث معاذ بسند ضعيف منقطع بلفظ «اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة أكافئه بها في الدنيا والآخرة» وفي لفظ «نعمة يرعاه بها قلبي» وقد تقدم.

(**إشارة إلى أن حب القلب للمحسن إضطرار لا يستطاع دفعه وهو جبلة وفطرة لا سبيل إلى تغييرها، وبهذا السبب قد يحب الإنسان الأجنبي الذي لا قرابة بينه وبينه، ولا علاقة**) في النسب ولا وصلة بينهما، (**وهذا إذا حقق**) وتؤمل فيه (**رجع إلى السبب الأول، فإن المحسن من أمد بالمال والمعونة، وسائر الأسباب الموصلة إلى دوام الوجود وكمال**

بها يتهيأ الوجود ، إلا أن الفرق أن أعضاء الإنسان محبوبة لأن بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب ، فأما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سبباً له كالطبيب الذي يكون سبباً في دوام صحة الأعضاء ، ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة ، إذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته بل لأنه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والأستاذ محبوب ، ولكن العلم محبوب لذاته والأستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب . وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة ، لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لأنها وسيلة إلى الطعام ، فإذاً يرجع الفرق إلى تفاوت الرتبة ، وإلا فكل واحد يرجع إلى محبة الإنسان نفسه . فكل من أحب المحسن لإحسانه فما أحب ذاته تحقيقاً بل أحب إحسانه وهو فعل من أفعاله لو زال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقاً ، ولو نقص نقص الحب ولو زاد زاد ، ويتطرق إليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الإحسان ونقصانه .

السبب الثالث : أن يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته ، بل تكون ذاته عين حظه ، وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه ، وذلك كحب الجمال والحسن ،

الوجود وحصول الحظوظ التي بها يتهيأ الوجود إلا أن الفرق) بينهما **(أن أعضاء الانسان محبوبة لأن بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب ، فأما المحسن فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سبباً له كالطب الذي يكون سبباً في دوام صحة الأعضاء ، ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة إذ الصحة مطلوبة لذاتها والطبيب محبوب لا لذاته بل لأنه سبب الصحة ، وكذلك العلم محبوب والأستاذ محبوب ، ولكن العلم محبوب لذاته والأستاذ محبوب لكونه سبب العلم المحبوب ، وكذلك الطعام والشراب محبوب والدنانير محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدنانير محبوبة لأنها وسيلة إلى الطعام ، فإذاً يرجع الفرق إلى تفاوت الرتبة وإلا ، فكل واحد يرجع إلى محبة الإنسان نفسه فكان من أحب المحسن لإحسانه فما أحب ذاته تحقيقاً ، بل أحب إحسانه وهو فعل من أفعاله لو زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقاً ، ولو نقص الحب ولو زاد زاد)** الحب . **(ويتطرق إليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه)** .

(السبب الثالث : أن يحب الشيء لذاته لا لحظّ ينال منه وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ) رتبة الكمال **(الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن)** والجمال رقة الحسن ، وقيل : هو الحسن الكثير والحسن عبارة عن كل مبتهج مرغوب فيه ، وقيل : هو كون الشيء ملائماً للطبع وكونه صفة كمال وكونه يتعلق به المدح ، **(فإن كل جمال**

فإن كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال، لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة، واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها. ولا تظنن أن حب الصور الجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة، فإن قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لأجلها، وإدراك نفس الجمال أيضاً لذيذ فيجوز أن يكون محبوباً لذاته، وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوب لا ليشرب الماء وتؤكل الخضرة أو ينال منها حظ سوى نفس الرؤية؟ وقد كان رسول الله ﷺ يعجبه الخضرة والماء الجاري والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الأنوار والأزهار والأطيار المليحة الألوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل، حتى ان الإنسان لتنفرج عنه الغموم والهموم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراء النظر. فهذه الأسباب ملذة وكل لذيذ محبوب، وكل حسن وجمال فلا يخلو إدراكه عن لذة، ولا أحد ينكر كون الجمال محبوباً بالطبع، فإن ثبت أن الله جميل كان لا محالة محبوباً عند من انكشف له جماله وجلاله كما قال رسول الله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال».

محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال، لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها، ولا تظن أن حب الصور الجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة، فإن قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لأجلها وإدراك نفس الجمال أيضاً لذيذ، فيجوز أن يكون محبوباً لذاته، وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوب لا ليشرب الماء وتؤكل الخضرة أو ينال منها حظ سوى نفس الرؤية، وقد كان رسول الله ﷺ تعجبه الخضرة والماءالجاري) قال العراقي: رواه أبو نعيم في الطب من حديث ابن عباس «كان يحب أن ينظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري» واسناده ضعيف اهـ.

قلت: هذا لفظ أبي نعيم، وقد أخرجه ابن السني في الطب بلفظ المصنف إلا أنه قال: «كان يعجبه النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري» أخرجاه من طريق الحسن بن عمرو السدوسي، عن القاسم بن مطيب العجلي، عن منصور بن عبد الرحمن الحجبي، عن أبي معبد مولى ابن عباس، عن ابن عباس، والقاسم بن مطيب ضعفوه. قال ابن حبان: كان يخطىء على قلة رواية، وقال في الديوان: استحق الترك، **(والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الانوار والأظهار والأطيار المليحة الالوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل، حتى أن الإنسان لتنفرج عنه الغموم والهموم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراء النظر؛ فهذه الاسباب ملذة وكل لذيذ محبوب وكل حسن وجمال، فلا يخلو إدراكه عن لذة ولا أحد ينكر الجمال محبوباً بالطبع، فإن ثبت أن الله جميل كان لا محالة محبوباً عند من انكشف له جماله وجلاله، كما قال رسول الله ﷺ «إن الله جميل يحب الجمال»)** قال الراغب: الجمال ضربان: أحدهما يختص

الأصل الرابع: في بيان معنى الحسن والجمال:

اعلم أن المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون، وكون البياض مشرباً بالحمرة وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان، فإن الحسن الأغلب على الخلق حسن الأبصار، وأكثر التفاتهم إلى صور الأشخاص فيظن أن ما ليس مبصراً ولا متخيلاً ولا متشكلاً ولا متلوناً مقداراً فلا يتصوّر حسنه، وإذا لم يتصوّر حسنه لم يكن في إدراكه لذة فلم يكن محبوباً. وهذا خطأ ظاهر فإن الحسن ليس مقصوراً على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة. فإنا نقول هذا خط

بالإنسان في نفسه وفعله، والثاني ما يصل منه لغيره، ومنه الحديث المذكور تنبيهاً أن منه تفيض الخيرات الكثيرة فيحب من يتصف بذلك اهـ.

قال العراقي: رواه مسلم في أثناء حديث لابن مسعود اهـ.

قلت: وقد رويت هذه الجملة صدر حديث عند الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو. هكذا من غير زيادة وقد روي بزيادة، «ويحب أن يرى نعمته على عبده». رواه أبو يعلى من حديث أبي سعيد وبزيادة «ويحب معالي الأمور ويكره سفسافها» رواه الطبراني في الأوسط وابن عساكر من حديث جابر.

وروى ابن عساكر عن ابن عمر أن أبا رَيحانة قال: رسول الله إني لأحب الجمال حتى في نعلي وعلاقة سوطي أفمن الكبر ذلك؟ قال: «إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده، الكبر من سفه الحق وغمص الناس اعمالهم».

وروى مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس» وقد رواه الطبراني من حديث أبي أمامة نحوه، ورواه هناد في الزهد عن يحيى بن جعدة مرسلاً نحو حديث جابر.

(الاصل الرابع: في بيان معنى الحسن والجمال اعلم) أرشدك الله تعالى **(ان المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربما يظن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلقة والشكل وحسن اللون، وكون البياض مشرباً بالحمرة وامتداد القامة)** وسواد الشعر وسعة العين وارتفاع الأرنبة **(إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان، فإن الحس الأغلب على الخلق حسن الإبصار، وأكثر التفاتهم إلى صور الأشخاص فيظن أن ما ليس مبصراً ولا متخيلاً ولا متشكلاً ولا متلوناً متعذر، فلا يتصور حسنه وإذا لم يتصور حسنه لم يكن في ادراكه لذة فلم يكن محبوباً، وهذا خطأ ظاهر، فإن الحسن ليس مقصوراً على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة، فإنا نقول هذا خط حسن**

حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن، بل نقول هذا ثواب حسن وهذا اناء حسن، فأي معنى لحسن الصوت والخط وسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا في الصورة؟ ومعلوم أن العين تستلذ بالنظر إلى الخط الحسن، والأذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة. وما من شيء من المدركات إلا وهو منقسم إلى حسن وقبيح، فما معنى الحسن الذي تشترك فيه هذه الأشياء؟ فلا بدّ من البحث عنه. وهذا البحث يطول، ولا يليق بعلم المعاملة الأطناب فيه، فنصرح بالحق ونقول بكل شيء: فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال، وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر، فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كر وفر عليه، والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها، ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده، فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به. فلا يحسن الإنسان بما يحسن به الفرس، ولا يحسن الخط بما يحسن به

وهذا صوت حسن، وهذا فرس حسن، بل نقول: هذا ثوب حسن وهذا إناء حسن، **فأي معنى لحسن الصوت والخط وسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا في الصورة، ومعلوم أن العين تستلذ بالنظر إلى الخط الحسن والأذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة**) الألحان، (**وما من شيء من المدركات إلا وهي منقسمة إلى حسن وقبيح، فما معنى الحسن الذي يشترك فيه هذه الأشياء فلا بدّ من البحث عنه**) والكلام فيه، (**وهذا البحث يطول ولا يليق بعلم المعاملة الإطناب فيه فنصرح بالحق**) الصريح (**ونقول: كل شيء فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللائق له الممكن به**) سواء كان لمعنى ثبت في ذاته أو لمعنى ثبت في غيره، وسواء كان ذلك مما استحسنه العقل أو الهوى أو الحس، (**فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال**) وإليه المنتهى في الاستحسان، (**فإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر**) ويقع الاستحسان على ذلك القدر الحاضر، (**فالفرس الحسن هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون**) هذا مما يتعلق بظاهره وفي الالوان اختلاف الناس، وإنما يقع الاعتبار فيها بما تميل إليه النفوس والرغبات وهي تختلف ويلتحق بذلك الشباب (**وحسن عدو**) وارتكاض (**وتيسر كر**) أي الحملة (**وفر**) أي الرجعة (**عليه**)، وهذا مما يتعلق بباطنه فإنها أخلاق باطنية قد تكون خلقه وقد تكون من طول الرياضة والتهذيب وهو الأكثر، (**والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازيها**) أي تقابلها (**واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها**) بالحدود المذكورة في فن الخط، (**ولكل شيء كمال يليق به وقد يليق بغيره ضده فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به فلا يحسن**

الصوت، ولا تحسن الأواني بما تحسن به الثياب، وكذلك سائر الأشياء.

فإن قلت: فهذه الأشياء وإن لم تدرك جميعها بحسن البصر مثل الأصوات والطعوم فإنها لا تنفك عن إدراك الحواس لها فهي محسوسات، وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات، ولا ينكر حصول اللذة بإدراك حسنها، وإنما ينكر ذلك في غير المدرك بالحواس.

فاعلم أن الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات إذ يقال: هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه أخلاق جميلة، وإنما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر خلال الخير، وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة، وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ذلك، وأن الأمر كذلك أن الطباع مجبولة على حب الأنبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم مع أنهم لم يشاهدوا، بل على حب أرباب المذاهب مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك وغيرهم؛ حتى ان الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد العشق فيحمله ذلك على أن ينفق جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال

الانسان بما يحسن به الفرس، ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت، ولا تحسن الاواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الاشياء) ولكل ذلك نظائر وأشباه لا تخفى.

(**فإن قلت: فهذه الأشياء وإن لم يدرك جميعها بحسن البصر مثل الأصوات والطعوم، فإنها لا تنفك عن إدراك الحواس لها فهي محسوسات، ولا ينكر حصول اللذة بإدراك حسنها، وإنما ينكر في غير المدرك بالحواس.**

فاعلم أن الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات إذ يقال: هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه أخلاق جميلة، وإنما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفة والشجاعة والتقوى والكرم والمروءة وسائر الخير، وشيء من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الخمس بل يدرك بنور البصيرة الباطنة) التي هي أقوى من نور البصر الظاهر، (**وكل هذه الخصال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاته وآية ذلك، وأن الأمر كذلك أن الطباع مجبولة على حب الأنبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الأنبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضي الله عنهم مع أنهم لم يشاهدوا**) ذواتهم بالأبصار ولا لحقوا أعصارهم، (**بل على حب أرباب المذاهب**) المتبوعة (**مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك**) وأحمد (**وغيرهم**) رحمهم الله تعالى، (**حتى أن الرجل قد يجاوز حبه لصاحب مذهبه حد العشق، فيحمله ذلك على أن ينفق جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه**

من يطعن في إمامه ومتبوعه ، فكم من دم أريق في نصرة أرباب المذاهب ، وليت شعري من يحب الشافعي مثلاً فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ؟ ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته ، فاستحسانه الذي حمله على افراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة ، فإن صورته الظاهرة قد انقلبت تراباً مع التراب ، وإنما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والإحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لإفادة علم الشرع ولنشره هذه الخيرات في العالم ، وهذه أمور جميلة لا يدرك جمالها إلا بنور البصيرة ، فاما الحواس فقاصرة عنها . وكذلك من يحب أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ويفضله على غيره ، أو يحب علياً رضي الله تعالى عنه ويفضله ويتعصب له ، فلا يحبهم إلا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره ، فمعلوم أن من يحب الصديق رضي الله تعالى عنه مثلاً ليس يحب عظمه ولحمه وجلده وأطرافه وشكله إذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ، ولكن بقي ما كان الصديق به صديقاً وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة ، فكان الحب باقياً ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور . وتلك الصفات ترجع جملتها إلى العلم والقدرة إذا علم حقائق الأمور وقدر على

ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في إمامه ومتبوعه ، فكم من دم أريق في نصرة أرباب المذاهب) وأكثر ذلك في دار خراسان فيما سبق من الزمان ، (وليت شعري من يحب الشافعي مثلاً فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ؟ ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسانه الذي حمله على إفراط الحب هو لصورته الباطنة ، لا لصورته الظاهرة فإن صورته الظاهرة قد انقلبت تراباً مع) جملة (التراب وإنما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والإحاطة بمدارك الدين وانتهاضه لإفادة علم الشرع) بين الناس ، (ولنشره هذه الخيرات في العالم ، وهذه أمور جميلة لا يدرك جمالها إلا بنور البصيرة) الباطنة ، (فأما الحواس فقاصرة عنها) أي عن إدراكها ، (وكذلك من يحب أبا بكر الصديق رضي الله عنه ويفضله على غيره) ويقدمه عليه ، (ويحب علياً رضي الله عنه ويفضله على غيره) ويقدمه عليه ، (ويتعصب له فلا يحبهم إلا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره) من خصال الخير ؛ (فمعلوم أن من يحب الصديق رضي الله عنه مثلاً ليس يحب عظمه ولحمه وجلده وأطرافه وشكله ، إذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ، ولكن بقي ما كان الصديق به صديقاً وهي الصفات المحمودة التي هي مصادر السير الجميلة) ومن جملة ذلك السر الذي كان وقربه صدره ، (فكان الحب باقياً ببقاء تلك الصفات مع زوال جميع الصور ، وتلك الصفات ترجع جملها إلى العلم والقدرة إذا علم حقائق الأمور

حمل نفسه عليها بقهر شهواته، فجميع خلال الخير يتشعب على هذين الوصفين، وهما غير مدركين بالحس، ومحلها من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة. وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون محبوباً لأجله فإذا الجمال موجود في السير، ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حباً فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة، وهي الأخلاق الحميدة والفضائل الشريفة، وترجع جملتها إلى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس، حتى ان الصبي المخلى وطبعه إذا أردنا أن نحبب إليه غائباً أو حاضراً حياً أو ميتاً لم يكن لنا سبيل إلا بالإطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة. فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر أن لا يحبه، فهل غلب حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبغض أبي جهل وبغض إبليس لعنه الله إلا بالإطناب في وصف المحاسن والمقابح التي لا تدرك بالحواس؟ بل لما وصف الناس حاتماً بالسخاء ووصفوا خالداً بالشجاعة أحبتهم القلوب حباً ضرورياً، وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم، بل إذا حكي من سيرة بعض الملوك في بعض أقطار الأرض العدل والإحسان وإفاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار إحسانه إلى المحبين

وقدر على حمل نفسه عليها بقهر شهواته فجميع خلال الخير تتشعب على هذين الوصفين وهما غير مدركين بالحس، ومحلها من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة، وليس للجزء لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر بالبصر حتى يكون محبوباً لأجله، فإذاً الجمال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجميلة من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حباً، فالمحبوب مصدر السيرة الجميلة وهي الأخلاق الحميدة والفضائل الشريفة، وترجع جلها إلى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس، حتى أن الصبي المخلى وطبعه) أي مع طبعه **(إذ أردنا أن نحبب إليه غائباً)** عن بصره **(أو حاضراً حياً أو ميتاً لم يكن لنا سبيل إلا بالإطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة، فمهما اعتقد ذلك لم يتمالك في نفسه ولم يقدر أن لا يحبه، فهل غلب حب الصحابة رضي الله عنهم وبغض أبي جهل وبغض إبليس لعنه الله إلا بالإطناب في وصف المحاسن والمقابح)** المعنوية **(التي تدرك لا بالحواس)** الظاهرة، **(بل لما وصف الناس حاتماً)** الطائي **(بالسخاء، ووصفوا خالداً)** بن الوليد رضي الله عنه **(بالشجاعة أحبتهم القلوب حباً ضرورياً، وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظ يناله المحب منهم، بل إذا حكي من سيرة بعض الملوك)** الموجودين **(في بعض أقطار الأرض العدل والإحسان وإفاضة الخير)** على المحاويج من أهل مملكته **(غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار إحسانه إلى المحبين لبعد المزار**

لبعد المزار ونأي الديار. فإذاً ليس حب الإنسان مقصوراً على من أحسن إليه، بل المحسن في نفسه محبوب وإن كان لا ينتهي قط إحسانه إلى المحب، لأن كل جمال وحسن فهو محبوب، والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما، وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة، فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل إليها، ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليها من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة، فشتان بين من يحب نقشاً مصوراً على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبياً من الأنبياء لجمال صورته الباطنة.

السبب الخامس: المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب، إذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ ولكن بمجرد تناسب الأرواح كما قال ﷺ: «فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»، وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لأنه أيضاً من عجائب أسباب الحب فإذاً ترجع أقسام الحب إلى خمسة أسباب: وهو حب الإنسان وجود نفسه وكماله وبقائه، وحبه من

ونأي الديار) الموجب لعدم الوصول إلى تلك الأقطار، **(فإذاً ليس حب الإنسان مقصوراً على من أحسن إليه، بل المحسن في نفسه محبوب وإن كان لا ينتهي قط إحسانه إلى المحب، لأن كل جمال وحسن فهو محبوب، والصورة ظاهرة وباطنة، والحسن والجمال يشملهما، وتدرك الصور الظاهرة بالبصر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة، فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل إليها)** لأن كل ذلك تابع للإدراك، **(ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة)** بسبب إنشراح صدره بإفاضة النور القدسي عليه. **(كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة، فشتان بين من يحب نقشاً مصوّراً على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبياً من الأنبياء)** عليهم السلام **(لجمال صورته الباطنة)**.

(السبب الخامس: المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب، إذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ، ولكن لمجرد تناسب الأرواح كما قال ﷺ) «الأرواح جنود جندة **(فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»)** رواه البخاري من حديث عائشة وأحمد ومسلم وأبو داود من حديث أبي هريرة، والعقيلي والدارقطني وأبو نعيم من حديث علي، والطبراني من حديث ابن مسعود، والحاكم من حديث سلمان، وقد تقدم الكلام عليه. **(وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصحبة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لأنه أيضاً من عجائب أسباب الحب، فإذاً ترجع أقسام الحب إلى خمسة أسباب، وهو حب الإنسان وجود**

أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه، وحبه من كان محسناً في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسناً إليه، وحبه لكل ما هو جميل في ذاته؛ سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة، وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن. فلو اجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة، كما لو كان للإنسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن إلى الخلق ومحسن إلى الوالد كان محبوباً لا محالة غاية الحب، وتكون قوّة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوّة هذه الخلال في نفسها، فإن كانت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في أعلى الدرجات. فلنبين الآن أن هذه الأسباب كلها لا يتصوّر كمالها واجتماعها إلا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى.

بيان أن المستحق للمحبة هو الله وحده:

وإن من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله، فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى، وحب الرسول ﷺ محمود لأنه عين حب الله تعالى، وكذلك حب العلماء

نفسه وكماله وبقائه، وحبه من أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع المهلكات عنه، وحبه من كان محسناً في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسناً إليه، وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة، وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن)، وجعل الكمال محمد بن إسحاق الصوفي رحمه الله تعالى هذه الأقسام كلها راجعة إلى سببين: أحدهما الإنعام، والثاني الجمال، وسيأتي نص كلامه في آخر هذا الفصل، **(فلو اجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد تضاعف الحب لا محالة كما لو كان للإنسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن إلى الخلق ومحسن إلى الوالد كان محبوباً لا محالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسها. فإن كانت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب لا محالة في أعلى الدرجات، فلنبين الآن أن هذه الأسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها إلا في حق الله تعالى، فلا يستحق المحبة بالحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى)**.

بيان أن المستحق للمحبة هو الله تعالى:

(وحده).

(وأن من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله، فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى، و) أن **(حب الرسول)** المرسل من عنده **(محمود لأنه عين حب الله تعالى، وكذلك**

والأتقياء ، لأن محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب محبوب ، وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوزه إلى غيره ، فلا محبوب بالحقيقة عند ذو البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه . وإيضاحه بأن ترجع إلى الأسباب الخمسة التي ذكرناها ، ونبين أنها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ولا يوجد في غيره إلا آحادها ، وأنها حقيقة في حق الله تعالى ، ووجودها في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة ، له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء العقول والقلوب من استحالة حب الله تعالى تحقيقاً ، وبان أن التحقيق يقتضي أن لا نحب أحداً غير الله تعالى .

فأما السبب الأول: وهو حب الإنسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده ، وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله فهذه جبلة كل حي ، ولا يتصوّر أن ينفك عنها ، وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى ، فإن من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعاً أنه لا وجود له من ذاته وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وإلى الله وبالله ، فهو المخترع الموجود له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الأسباب الموصلة إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب ، وإلا فالعبد من حيث لا

حب العلماء والأتقياء) الذين هم أحباب الله ، (**لأن محبوب المحبوب محبوب ، ورسول المحبوب محبوب ، ومحب المحبوب محبوب ، وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوزه إلى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر)** المنورة (**إلا الله تعالى ، ولا مستحق للمحبة سواه ، وإيضاحه بأن نرجع إلى الأسباب الخمسة التي ذكرناها ، ونبين أنها مجتمعة في حق الله تعالى بجملتها ولا يوجد في غيره إلا آحادها وأنها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم وتخيل وهو مجاز محض لا حقيقة له ، ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله ضعفاء العقول من استحالة حب الله تعالى تحقيقاً ، وبان)** أي ظهر (**أن التحقيق يقتضي أن لا تحب أحداً غير الله تعالى) .**

(**فأما السبب الأول)** : من الأسباب الخمسة ، (**وهو حب الإنسان نفسه وبقاءه وكماله ودوام وجوده وبغضه لهلاكه وعدمه ونقصانه وقواطع كماله؛ فهذه جبلة كل حي ولا يتصور أن ينفك عنها ، وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى فإن من عرف نفسه)** بغاية النقص (**وعرف ربه)** بغاية الكمال (**عرف قطعاً أنه لا وجود له من ذاته ، وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله تعالى وإلى الله)** تعالى مصيره (**وبالله)** تعالى قيامه ، (**فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الأسباب الموصلة إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب ، وإلا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له**

وجود له من ذاته، بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالإيجاد، وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالإبقاء، وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته. وبالجملة؛ فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام إلا القيوم الحي الذي هو قائم بذاته، وكل ما سواه قائم به، فإن أحب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره، فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له إن عرفه خالقاً موجداً ومخترعاً مبقياً وقيوماً بنفسه ومقوّماً لغيره، فإن كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه، والمحبة ثمرة المعرفة فتنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها، ولذلك قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها. وكيف يتصوّر أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذي به قوام نفسه؟ ومعلوم ان المبتلي بحرّ الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الأشجار التي بها قوام الظل، وكل ما في الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى الشجر والنور بالإضافة إلى الشمس فإن الكل من آثار قدرته، ووجود الكل تابع لوجوده، كما أن وجود النور

من ذاته، بل هو محو محض وعدم صرف) وظلمة خالصة **(ولولا فضل الله تعالى عليه بالإيجاد)** من المحو إلى الإثبات، ومن العدم إلى الوجود، ومن الظلمة إلى النور **(وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالإبقاء وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته. وبالجملة؛ فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام إلا لقيوم الحي الذي هو قائم بذاته، وكل ما سواه قائم به فإن أحب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره، فبالضرورة يحب المفيد لوجوده والمديم له إن عرفه خالقاً موجداً ومخترعاً مبقياً وقيوماً بنفسه ومقوماً لغيره، فإن كان لا يحبه فهو لجهله بنفسه وبربه، والمحبة ثمرة المعرفة)** لا عينها لأن الإنسان لا يحب إلا من يعرف، فالمحبة تتبع المعرفة بالضرورة يفهم هذا من قوله تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ [البقرة: ١٣٠] أي جهلها، فمعرفة النفس موجبة لمعرفة الرب **(تنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصري)** رحمه الله تعالى **(من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها)** وقد تقدم قريباً. **(وكيف يتصور أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذي هو قوام نفسه؟ ومعلوم أن المبتلي بحر الشمس لما كان يحب الظل فيحب بالضرورة الأشجار التي بها قوام الظل)** ومداره، **(وكل ما في الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى الشجرة)** ولذا قيل: للعقل الأول الظل الأول لأنه أول عين ظهرت بنوره تعالى وقبلت صورة الكثرة التي هي شؤون الوحدة الذاتية، وقيل للإنسان الكامل المتحقق بالحضرة الواحدية ظل الإله. وروى الطبراني والبيهقي من حديث أبي بكر: السلطان ظل الله في الأرض فمن أكرمه أكرمه الله ومن أهانه أهانه الله. **(والنور بالإضافة إلى الشمس، فإن الكل من آثار قدرته**

تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر، بل هذا المثال صحيح بالإضافة إلى أوهام العوام، إذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وفائض منها وموجود بها، وهو خطأ محض إذ انكشف لأرباب القلوب انكشافاً أظهر من مشاهدة الأبصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعاً عند وقوع المقابلة بين الشمس والأجسام الكثيفة، كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها أيضاً حاصل من قدرة الله تعالى، ولكن الغرض من الأمثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق. فإذاً إن كان حب الإنسان نفسه ضرورياً فحبه لمن به قوامه أولاً ودوامه ثانياً في أصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره وأعراضه أيضاً ضروري، ان عرف ذلك كذلك، ومن خلا عن هذا الحب فلأنه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته، وهو عالم الشهادة الذي يشاركه البهائم في التنعم به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا

ووجود الكل تابع لوجوده، كما أن وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر)، وهذا السياق إذا تأملته رأيته مائلاً إلى وحدة الوجود الذي قال به أهل الحقيقة وهي مسألة مشهورة شديدة الإختلاف بينهم وبين علماء الظاهر، وقد أشار المصنف إلى ذلك في عدة مواضع من كتابه هذا منها في هذا الموضع، ومنها ما مر في كتاب الصبر والشكر وهو قوله: النظر بعين التوحيد المحض يعرفك أنه ليس في الوجود غيره تعالى الخ وصرح بذلك في كتابه مشكاة الأنوار وغيره، وقد صرح بها الشيخ الأكبر قدس سره في مواضع من كتابه الفتوحات، **(بل هذا المثال صحيح بالإضافة إلى أوهام العوام إذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وفائض منها وموجود بها وهو خطأ محض إذ انكشف لأرباب القلوب إنكشافاً أظهر من مشاهدة الأبصار)** وأقوى منها. **(إن النور حاصل من قدرة الله تعالى اختراعاً عند وقوع المقابلة بين الشمس والأجسام الكثيفة، كما أن نور الشمس وعينها وشكلها وصورتها أيضاً حاصل من قدرة الله تعالى)**، فالنور الحق هو الله تعالى لذاته وبذاته، ومنه تشرق الأنوار كلها على ترتيبها وهي مستفادة من النور الأول، وإنما الحقيقي نوره فقط، وأن الكل نوره وكل ما في الوجود فنسبته إليه في ظاهر الثاني كنسبة النور إلى الشمس، **(ولكن الغرض من الأمثلة التفهيم فلا يطلب فيها الحقائق)** لاتساعها وضيق ظروف الأمثلة. **(فإذاً إن كان حب الإنسان نفسه ضرورياً فحبه لمن به قوامه أولاً ودوامه ثانياً في أصله وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره، وأعراضه أيضاً ضروري إن عرف ذلك كذلك، ومن خلا عن هذا الحب فلأنه اشتغل بنفسه وشهواته وذهل عن ربه وخالقه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته، وهو عالم الشهادة الذي تشاركه البهائم في التنعم به والإتساع فيه دون عالم الملكوت الذي لا يطأ**

يطأ أرضه إلا من يقرب إلى شبه من الملائكة، فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضيض عالم البهائم.

وأما السبب الثاني: وهو حبه من أحسن إليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمدّه بمعونته وانتدب لنصرته وقمع أعدائه وقام بدفع شر الأشرار عنه وانتهض وسيلة إلى جميع حظوظه وأغراضه في نفسه وأولاده وأقاربه فإنه محبوب لا محالة عنده، وهذا بعينه يقتضي أن لا يحب إلا الله تعالى فإنه لو عرف حِق المعرفة لعلم أن المحسن إليه هو الله تعالى فقط، فأما أنواع إحسانه إلى كل عبيده فلست أعدّها إذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى: ﴿وإنْ تعُدُّوا نِعمَةَ اللهِ لا تُحصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] وقد أشرنا إلى طرف منه في كتاب الشكر، ولكنا نقتصر الآن على بيان أن الإحسان من الناس غير

أرضه إلا من يقرب إلى شبه من الملائكة فينظر فيه بقدر قربه في الصفات من الملائكة ويقصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضيض عالم البهائم).

اعلم أن في عالم الملكوت عجائب يستحقر بالإضافة إليها عالم الشهادة، ومن لم يسافر إلى هذا العالم وقعد به القصور في حضيض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد ومحروم عن خاصية الإنسانية بل أضل من البهيمة، إذ لم تستعد البهيمة أجنحة للطيران إلى هذا العالم، وعالم الشهادة بالإضافة إلى عالم الملكوت كالقشرة بالإضافة إلى اللب، وكالصورة والقالب بالإضافة إلى الروح، وكالظلمة بالإضافة إلى النور، وكالسفل بالإضافة إلى العلو، والملائكة من جملة عالم الملكوت عاكفون في حضرة القدس، ومنها يشرفون إلى العالم الأسفل، والملك عبارة عن موجود مقدس عن الشهوة والغضب فليست أفعاله بمقتضاهما بل داعية إلى طلب القرب إلى الله تعالى، فمن غلب الشهوة والغضب حتى ملكهما وضعفا عن تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبهاً من الملائكة، وكذلك إن فطم نفسه عن الجمود والخيالات والمحسوسات وأنس بالإدراك أخذ شبهاً من الملائكة، فإن خاصة الحياة الإدراك والفعل وإليهما يتطرق النقصان والتوسط والكمال، ومهما اقتدى بالملائكة في هاتين الخاصتين كان أبعد عن البهيمة.

وأما السبب الثاني: وهو حبه من أحسن إليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمده بمعونته وانتدب لنصرته وقمع أعداءه وقام بدفع شر الأشرار عنه وانتهض وسيلة إلى جميع حظوظه وأغراضه في نفسه وأولاده وأقاربه فإنه محبوب لا محالة عنده، وهذا بعينه يقتضي أن لا يحب إلا الله **وحده، (فإنه لو عرفه حق المعرفة لعلم أن المحسن إليه هو الله فقط، فأما أنواع إحسانه إلى كل عبيده فلست أعدها إذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى) في كتابه العزيز: (﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾) أي لا تقدروا على إحصائها، (**وقد أشرنا إلى طرف منه في كتاب الشكر**) فلا نعيده، (**ولكنا نقتصر الآن على بيان أن الإحسان من**

متصوّر إلا بالمجاز، وإنما المحسن هو الله تعالى. ولنفرض ذلك فيمن أنعم عليك بجميع خزائنه ومكنك منها لتتصرف فيها كيف تشاء فإنك تظن أن هذا الإحسان منه، وهو غلط فإنه إنما تم إحسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة له على صرف المال إليك، فمن الذي أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق إرادته وداعيته ومن الذي حببك إليه وصرف وجهه إليك وألقى في نفسه أن صلاح دينه أو دنياه في الإحسان إليك؟ ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله. ومهما سلط الله عليه الدواعي وقرر في نفسه أن صلاح دينه أو دنياه في أن يسلم إليك ماله كان مقهوراً مضطراً في التسليم لا يستطيع مخالفته، فالمحسن هو الذي اضطره لك وسخره وسلط عليه الدواعي الباعثة المرهقة إلى الفعل، وأما يده فواسطة يصل بها إحسان الله إليك وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطراراً مجرى الماء في جريان الماء فيه، فإن اعتقدته محسناً أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلاً بحقيقة الأمر، فإنه لا يتصوّر الإحسان من الإنسان إلا إلى نفسه، أما الإحسان إلى غيره فمحال من المخلوقين، لأنه لا يبذل ماله إلا لغرض له في البذل أما آجل وهو الثواب وإما عاجل وهو المنة والاستسخار أو الثناء والصيت والاشتهار بالسخاء والكرم أو جذب قلوب الخلق إلى

الناس غير متصور إلا بالمجاز، وإنما المحسن هو الله تعالى، ولنفرض ذلك فيمن أنعم عليك بجميع خزائنه ومكنك منها تتصرف) فيها **(كيف تشاء، فإنك تظن أن هذا الإحسان منه وهو غلط فإنه إنما تم إحسانه به وبماله وبقدرته على المال وبداعيته الباعثة على صرف المال إليك، فمن الذي أنعم بخلقه وخلق ماله وخلق قدرته وخلق إرادته و)** خلق **(داعيته، ومن الذي حببك إليه وصرف وجهه إليك وألقى في نفسه أن صلاح دينه ودنياه في الإحسان إليك، ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله، ومهما سلط الله عليه الدواعي وقرر في نفسه أن صلاح دينه أو دنياه في أن يسلم إليك ماله كان مقهوراً مضطراً في التسليم)** لك **(لا يستطيع مخالفته)** ولا يقدر على مجاوزته، **(فالمحسن)** في الحقيقة **(هو الذي اضطره لك وسخره وسلط عليه الدواعي الباعثة المرهقة إلى الفعل، وأما يده فواسطة يصل بها إحسان الله إليك)** فهو مظهر من مظاهر قدرته، **(فصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار مجرى الماء في جريان الماء فيه، فإن اعتقدته)** في نفسك **(محسناً أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لا من حيث هو واسطة كنت جاهلاً بحقيقة الأمر، فإنه لا يتصور الإحسان من الإنسان إلا إلى نفسه. أما الإحسان إلى غيره فمحال من المخلوقين لأنه لا يبذل ماله إلا لغرض له في البذل إما آجل وهو الثواب وإما عاجل وهو المنة والإستسخار)** لحاجاته، **(أو الثناء والصيت والإشتهار بالسخاء والكرم، أو جذب قلوب الخلق للطاعة والمحبة،**

الطاعة والمحبة، وكما أن الإنسان لا يلقي ماله في البحر إذ لا غرض له فيه فلا يلقيه في يد إنسان إلا لغرض له فيه، وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده، وأما أنت فلست مقصوداً بل يدك آلة له في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء أو الشكر أو الثواب بسبب قبضك المال، فقد استسخرك في القبض للتوصل إلى غرض نفسه فهو إذاً محسن إلى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضاً هو أرجح عنده من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لأجلك أصلاً البتة. فإذاً هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين.

أحدهما: أنه مضطر بتسليط الله الدواعي عليه فلا قدرة له على المخالفة، فهو جار مجرى خازن الأمير فإنه لا يرى محسناً بتسليم خلعة الأمير إلى من خلع عليه، لأنه من جهة الأمير مضطر إلى الطاعة والامتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته، ولو خلاه الأمير ونفسه لما سلم ذلك، فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعي عليه وألقى في نفسه أن حظه ديناً ودنيا في بذله فبذله لذلك.

والثاني: أنه معتاض عما بذله حظاً هو أوفى عنده وأحب مما بذله، فكما لا يعد البائع محسناً لأنه بذل بعوض هو أحب عنده مما بذله، فكذلك الواهب اعتاض الثواب أو

كما أن الإنسان لا يلقي ماله في البحر إذ لا غرض له فيه) ظاهر **(فلا يلقيه في يد إنسان إلا لغرض له فيه، وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده، وأما أنت فلست مقصوداً بل يدك آلة له في القبض حتى يحصل غرضه من الذكر)** الجميل **(والثناء)** الحسن **(أو الشكر أو الثواب)** آجلاً **(بسبب قبضك المال فقد استسخرك في القبض للتوصل إلى غرض نفسه، فهو إذاً محسن إلى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضاً هو أرجح عنده من مال، ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لأجلك أصلاً البتة، فإذاً هو غير مستحق للشكر والحب من وجهين)**.

(أحدهما: أنه مضطر بتسليط الله الدواعي عليه فلا قدرة له على المخالفة فهو جار مجرى خازن الأمير فإنه لا يرى محسناً بتسليم خلعة الأمير إلى من خلع عليه لأنه من جهة الأمير مضطر إلى الطاعة والإمتثال لما يرسمه ولا يقدر على مخالفته، ولو خلاه الأمير ونفسه لما سلم ذلك، فكذلك كل محسن لو خلاه الله ونفسه لم يبذل حبة من ماله حتى سلط الله الدواعي عليه وألقى في نفسه أن حظه دنيا وديناً في بذله فبذله لذلك) لا غير.

(والثاني: أنه معتاض عما بذله حظاً هو أوفى عنده وأحب مما بذله، فكما لا يعد البائع محسناً بذل بعوض هو أحب عنده مما بذله، فكذلك الواهب اعتاض الثواب أو الحمد

الحمد والثناء أو عوضاً آخر، وليس من شرط العوض أن يكون عيناً متموّلاً بل الحظوظ كلها اعواض تستحقر الأموال والأعيان بالإضافة إليها، فالإحسان في الجود، والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع إلى الباذل، وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذي أنعم على العالمين إحساناً إليهم ولأجلهم لا لحظ وغرض يرجع إليه فإنه يتعالى عن الأغراض فلفظ الجود والإحسان في حق غيره كذب أو مجاز، ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض، فهو المنفرد بالجود والإحسان والطول والامتنان، فإن كان في الطبع حب المحسن، فينبغي أن لا يحب العارف إلا الله تعالى، إذ الإحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده، وأما غيره فيستحق المحبة على الإحسان بشرط الجهل بمعنى الإحسان وحقيقته.

وأما السبب الثالث: وهو حبك المحسن في نفسه وإن لم يصل إليك إحسانه. وهذا أيضاً موجود في الطباع. فإنه إذا بلغك خبر ملك عابد عادل عالم رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الأرض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو أيضاً بعيد عنك، فإنك تجد في قلبك تفرقة بينهما إذ تجد

والثناء أو عوضاً آخر، وليس من شُرط العوض أن يكون عيناً متمولاً بل الحظوظ كلها أعواض تستحقر الأعيان والأموال بالإضافة إليها، فالإحسان في الجود والجود هو بذل المال من غير عوض وحظ يرجع إلى الباذل وذلك محال من غير الله تعالى، فهو الذي أنعم على العالمين إحساناً إليهم ولأجلهم لا لحظ وغرض يرجع إليه فإنه يتعالى عن الأغراض، فلفظ الجود والإحسان في حق غيره كذب أو مجاز ومعناه في حق غيره) على وجه الكمال **(محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض)** وإنما قلنا على وجه الكمال، فإن العبد قد يتحمل بهذا الوصف بالإكتساب بنوع من التكلف وهو مع ذلك ناقص بالإضافة إلى الجواد المطلق والمحسن، **(فهو المتفرد بالجود والإحسان والطول والإمتنان، فإن كان في الطبع حب المحسن فينبغي أن لا يحب العارف إلا الله تعالى، إذ الإحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده، وأما غيره فيستحق المحبة على الإحسان بشرط الجهل بمعنى الإحسان وحقيقته).**

(وأما السبب الثالث: وهو حبك المحسن في نفسه وإن لم يصل إليك إحسانه وهذا أيضاً موجود في الطباع فإنه إذا بلغك خبر ملك عالم عابد عادل رفيق بالناس متلطف بهم متواضع لهم وهو في قطر من أقطار الأرض بعيد عنك، وبلغك خبر ملك آخر ظالم متكبر فاسق متهتك شرير وهو أيضاً بعيد عنك، فإنك تجد في قلبك تفرقة بينهما إذ تجد في القلب

في القلب ميلاً إلى الأوّل وهو الحب، ونفرة عن الثاني وهو البغض، مع انك آيس من خير الأوّل وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل إلى بلادهما، فهذا حب المحسن من حيث انه محسن فقط لا من حيث انه محسن إليك، وهذا أيضاً يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلاً إلا من حيث يتعلق منه بسبب، فإن الله هو المحسن إلى الكافة والمتفضل على جميع أصناف الخلائق، أوّلاً: بإيجادهم، وثانياً: بتكميلهم بالأعضاء والأسباب التي هي من ضروراتهم، وثالثاً: بترفيههم وتنعيمهم بخلق الأسباب التي هي في مظان حاجاتهم وإن لم تكن في مظان الضرورة، ورابعاً: بتجميلهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم.

ومثال الضروري من الأعضاء: الرأس والقلب والكبد، ومثال المحتاج إليه: العين واليد والرِجل. ومثال الزينة: استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين إلى غير ذلك مما لو فات لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة.

ومثال الضروري من النعم الخارجة عن بدن الإنسان الماء والغذاء. ومثال الحاجة: الدواء واللحم والفواكه ومثال المزايا والزوائد: خضرة الأشجار وحسن أشكال الأنوار والأزهار ولذائذ الفواكه والأطعمة التي لا تنخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة.

ميلاً إلى الأول وهو الحب، ونفرة عن الثاني وهو البغض مع إنك آيس من خير الأول وآمن من شر الثاني لانقطاع طمعك عن التوغل إلى بلادهما؛ فهذا حب المحسن من حيث أنه محسن فقط لا من حيث أنه محسن إليك، وهذا أيضاً يقتضي حب الله تعالى بل يقتضي أن لا يحب غيره أصلاً إلا من حيث يتعلق منه بسبب، فإن الله هو المحسن إلى الكافة والمتفضل على جميع أصناف الخلائق. أولاً: بإيجادهم) وإخراجهم من العدم إلى الوجود من الظلمة إلى النور، **(وثانياً: بتكميلهم بالأعضاء والأسباب التي هي من ضروراتهم وثالثاً بترفيههم وتنعيمهم، فخلق الأسباب التي هي في مظان حاجاتهم وإن لم تكن في مظان الضرورة ورابعاً: بتجميلهم بالمزايا والزوائد التي هي في مظنه زينتهم وهي خارجة عن ضروراتهم وحاجاتهم ومثال الضروري من الأعضاء الرأس والقلب والكبد)** وهي الرئة، **(ومثال المحّتاج إليه العين واليد والرجل، ومثال الزينة استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين إلى غير ذلك مما لو فات لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة، ومثال الضروري من النعم الخارجة عن بدن الإنسان الماء والغذاء. ومثال الحاجة الدواء واللحم والفواكه، ومثال المزايا والزوائد خضرة الأشجار وحسن أشكال الأنوار والأزهار ولذائذ الفواكه والأطعمة التي لا تنخرم بعدمها حاجة ولا ضرورة.**

وهذه الأقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش إلى منتهى الفرش. فإذاً هو المحسن؛ فكيف يكون غيره محسناً وذلك المحسن حسنه من حسنات قدرته؟ فإنه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الإحسان وخالق أسباب الإحسان، فالحب بهذه العلة لغيره أيضاً جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة إلا الله تعالى.

وأما السبب الرابع: وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء إدراك الجمال: فقد بينا أن ذلك مجبول في الطباع، وأن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس وإلى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة، والأوّل يدركه الصبيان والبهائم، والثاني يختص بدركه أرباب القلوب ولا يشاركهم فيه من لا يعلم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا. وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال، فإن مدركاً بالقلب فهو محبوب القلب. ومثال هذا في المشاهدة حب الأنبياء والعلماء وذوي المكارم السنية والأخلاق المرضية، فإن ذلك متصوّر مع تشوّش صورة الوجه وسائر الأعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه، نعم يدرك بحسن آثاره الصادرة منه الدالة عليه، حتى إذا دل القلب عليه مال القلب إليه فأحبه، فمن يحب

وهذه الأقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان، بل لكل نبات، بل لكل صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش إلى منتهى الفرش، فإذاً هو المحسن فكيف يكون غيره محسناً وذلك المحسن حسنه من حسنات قدرته فإنه خالق الحسن، وخالق المحسن وخالق الإحسان وخالق أسباب الإحسان، فالحب بهذه العلة أيضاً لغيره جهل محض، ومن عرف ذلك لم يحب بهذه العلة أيضاً إلا الله تعالى.

وأما السبب الرابع: **وهو حب كل جميل لذات الجمال لا لحظ ينال منه وراء إدراك الجمال، فقد بينا أن ذلك مجبول في الطباع، وأن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس وإلى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة، والأول يدركه الصبيان والبهائم، والثاني يختص بدركه أرباب القلوب**) المشاهدات (**ولا يشاركهم فيه من لا يعلم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا**) ويكون مبلغ علمه ذلك، (**وكل جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فإن كان مدركاً بالقلب فهو محبوب القلب، ومثال هذا في المشاهدة حب الأنبياء والعلماء**) وحب (**ذوي المكارم السنية والأخلاق المرضية، فإن ذلك متصور مع تشوّش صورة الوجه وسائر الأعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه. نعم، يدرك بحسن آثاره الصادرة منه الدالة عليه حتى إذا دل القلب عليه**) وأرشد إليه (**مال القلب إليه فأحبه،**

رسول الله ﷺ أو الصديق رضي الله تعالى عنه أو الشافعي رحمة الله عليه فلا يحبهم إلا لحسن ما ظهر له منهم، وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم، بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الأفعال إذ الأفعال آثار صادرة عنها ودالة عليها، فمن رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الأفعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث إلى العلم والقدرة، ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جمالاً وعظمة كان العلم أشرف وأجمل، وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجلّ منزلة كانت القدرة عليه أجلّ رتبة وأشرف قدراً وأجل المعلومات هو الله تعالى، فلا جرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى، وكذلك ما يقاربه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به.

فإذاً جمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعاً ترجع إلى ثلاثة أمور:

أحدها: علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه.

والثاني: قدرتهم على إصلاح أنفسهم وإصلاح عباد الله بالإرشاد والسياسة.

فمن يحب رسول الله ﷺ، أو الصديق رضي الله عنه، أو الشافعي رحمه الله تعالى فلا يحبهم إلا لحسن ما ظهر له منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم، بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي مصدر الأفعال، إذ الأفعال آثار صادرة عنها ودالة عليها، فمن رأى حسن تصنيف المصنف وحسن شعر الشاعر، بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الأفعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عن البحث إلى العلم والقدرة، ثم كلما كان المعلوم أشرف وأتم جمالاً وعظمة كان العلم أشرف وأجمل، وكذا المقدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل رتبة وأشرف قدراً، وأجل المعلومات هو الله تعالى فلا جرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى). ولذا قال مالك بن دينار: خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا فيها أطيب شيء فيها. قالوا: وما هي يا أبا يحي؟ قال: معرفة الله عز وجل. **(وكذلك ما يقارنه ويختص به فشرفه على قدر تعلقه به)** وإنما شرفه لأنه معرفة لأفعال الله تعالى ومعرفة للطريق الذي يقرب العبد من الله تعالى والأمر الذي يسهل به الوصول إلى معرفة الله والقرب منه، وكل معرفة خارجة عن ذلك فليس فيها كبير شرف.

(فإذاً جمال الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعاً ترجع إلى ثلاثة أمور).

(أحدها: علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه).

(والثاني: قدرتهم على إصلاح أنفسهم) بتهذيبها وتجريدها عن الصفات الذميمة، **(وإصلاح عباد الله بالإرشاد)** والتعليم **(والسياسة)**.

والثالث: تنزههم عن الرذائل والخبائث والشهوات الغالبة الصارفة عن سنن الخير الجاذبة إلى طريق الشر ، وبمثل هذا يحب الأنبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فأنسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى.

أما العلم: فأين علم الأوّلين والآخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالكل إحاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض؟ وقد خاطب الخلق كلهم فقال عز وجل: ﴿ومَا أوتِيتُمْ من العِلْمِ إلاَّ قليلاً﴾ [الإسراء: ٨٥] بل لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة وبعوضة لم يطلعوا على عشر عشير ذلك ﴿ولا يُحيطُونَ بشيء من عِلمِهِ إلاَّ بما شاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] والقدر اليسير الذي علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى: ﴿خلق الإنسان ★ علَّمهُ البيان﴾ [الرحمن: ٣ ـ ٤] فإن كان جمال العلم وشرفه أمراً محبوباً وكان هو في نفسه زينة وكمالاً للموصوف به فلا ينبغي أن يحب بهذا السبب إلا الله تعالى. فعلوم العلماء جهل بالإضافة إلى علمه، بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجهل أهل زمانه استحال أن يحب بسبب العلم الأجهل ويترك الأعلم وإن كان الأجهل لا يخلو عن علم ما تتقاضاه معيشته. والتفاوت بين علم الله وبين علم الخلائق أكثر من

(**والثالث: تنزههم عن الرذائل**) النفسية (**والخبائث**) الباطنة (**والشهوات الغالبة**) على باعث الحق، (**الصارفة عن سنن الخير**) والصلاح، (**الجاذبة إلى طريق الشر وبمثل هذا يحب الأنبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم، فانسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى. أما العلم فأين علم الأولين والآخرين من علم الله تعالى الذي**) من شأنه أنه (**يحيط بالكل إحاطة خارجة عن النهاية حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وقد خاطب الخلق كلهم فقال: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾**) حتى كان ابن عباس يقول: أنا من ذلك القليل، (**بل لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة أو بعوضة لم يطلعوا على عشر عشير ذلك**) كما قال تعالى: (**ولا يحيطون بشي من علمه إلا بما شاء**) وقال تعالى: ولا يحيطون به علماً﴾ [طه: ١١٠] (**والقدر اليسير الذي علمه الخلائق كلهم، فبتعليمه علموه كما قال تعالى: ﴿خلق الإنسان★ علمه البيان﴾**) وهو المنطق الفصيح المعرف عما في الضمير، (**فإن كان جمال العلم وشرفه أمراً محبوباً وكان هو في نفسه زينة وكمالاً للموصوف به، فلا ينبغي أن يحب بهذا السبب إلا الله تعالى، فعلوم العلماء جهل بالإضافة إلى علمه**) تعالى، (**بل من عرف أعلم زمانه وأجهل أهل زمانه لاستحال أن يحب بسبب العلم الأجهل، ويترك الأعلم وإن كان الأجهل لا يخلو عن علم لما تتقاضاه معيشته والتفاوت بين علم الله تعالى وبين علم الخلائق أكثر**

التفاوت بين علم أعلم الخلائق وأجهلهم، لأن الأعلم لا يفضل الأجهل إلا بعلوم معدودة متناهية يتصوّر في الإمكان أن ينالها الأجهل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلائق كلهم خارج عن النهاية إذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية.

وأما صفة القدرة: فهي أيضاً كمال والعجز نقص، فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فإنه محبوب وإدراكه لذيذ، حتى إن الإنسان ليسمع في الحكاية شجاعة علي وخالد رضي الله تعالى عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلاءهما على الأقران فيصادف في قلبه اهتزازاً وفرحاً وارتياحاً ضرورياً بمجرد لذة السماع فضلاً عن المشاهدة

من التفاوت بين علم أعلم الخلائق وأجهلهم، لأن الأعلم لا يفضل الأجهل إلا بعلوم معدودة متناهية يتصور في الإمكان أن ينالها إلا جهل بالكسب والإجتهاد، وفضل علم الله تعالى على علوم الخلائق كلهم خارج عن النهاية إذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية)، والحاصل أن للعبد حظاً من وصف العلم لا يكاد يخفى، ولكن يفارق علمه علم الله تعالى في خواص ثلاث.

إحداها: ما أشار إليه المصنف وهو كثرتها فإن معلومات العبد وإن اتسعت فهي محصورة في قلبه فأنى تناسب ما لا نهاية له.

والثانية: إن كشفت فلا يبلغ الغاية التي لا ممكن وراءها بل تكون مشاهدته الأشياء كأنه يراها من وراء ستر رقيق، ودرجات الكشف متفاوتة، وفرق بين ما يتضح وقت الأسفار وبين ما يتضح أول ضحوة النهار.

والثالثة: أن علم الله تعالى بالأشياء غير مستفاد من الأشياء، بل الأشياء مستفادة منه، وعلم العبد بالأشياء تابع للأشياء وحاصل بها، وإن اعتاص عليك فهم هذا الفرق فانسب علم متعلم الشطرنج إلى علم واضعه، فإن علم الواضع هو سبب وجود الشطرنج ووجود الشطرنج هو سبب علم المتعلم، وعلم الواضع سابق على الشطرنج، وعلم المتعلم مسبوق ومتأخر عن الشطرنج، فكذلك علم الله تعالى بالأشياء سابق عليها وسبب لها وعلمنا بخلاف ذلك ولله المثل الأعلى.

(وأما صفة القدرة؛ فهي أيضاً كمال والعجز نقص، فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فإنه محبوب وإدراكه لذيذ حتى أن الإنسان ليسمع في الحكاية) والمحاورات **(شجاعة علي)** بن أبي طالب **(وخالد)** بن الوليد رضي الله عنهما **(وغيرهما من الشجعان)** المشهورين جاهلية وإسلاماً **(وقدرتهما واستيلاءهما على الأقران)** من أهل زمانهما، **(فيصادف في قلبه اهتزازاً وفرحاً وارتياحاً ضرورياً بمجرد لذة السماع فضلاً عن**

ويورث ذلك حباً في القلب ضرورياً للمتصف به فإنه نوع كمال، فانسب الآن قدرة الخلق كلهم إلى قدرة الله تعالى، فأعظم الأشخاص قوّة وأوسعهم ملكاً وأقواهم بطشاً، وأقهرهم للشهوات وأقمعهم لخبائث النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى قدرته؟ وإنما غايته أن يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الإنس في بعض الأمور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا ضراً ولا نفعاً، بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس وأذنه من الصمم وبدنه من المرض، ولا يحتاج إلى عد ما يعجز عنه في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته، فضلاً عما لا تتعلق به قدرته من ملكوت السموات وأفلاكها وكواكبها والأرض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع أجزائها، فلا قدرة له على ذرة منها. وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه والممكن له من ذلك. ولو سلط بعوضاً على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لأهلكه، فليس للعبد قدرة إلا بتمكين مولاه كما قال في أعظم ملوك الأرض ذي القرنين إذ قال: ﴿إنا مكّنا

المشاهدة، **ويورث ذلك حباً في القلب ضرورياً للمتصف فإنه نوع كمال، فانسب الآن قدرة الخلق كلهم إلى قدرة الله تعالى فأعظم الأشخاص قوّة وأوسعهم ملكاً وأقواهم بطشاً وأقهرهم للشهوات وأقمعهم لخبائث النفس وأجمعهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره ما منتهى قدرته)** وما مبلغها، **(وإنما غايته أن يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض اشخاص الإنس في بعض الأمور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ولا ضراً ولا نفعاً، بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الخرس وأذنه من الصمم وبدنه من المرض، ولا يحتاج إلى عد ما يعجز في نفسه وغيره مما هو على الجملة متعلق قدرته فضلاً عما لا تتعلق به قدرته)**، ولا يناله **(من ملكوت السموات وأفلاكها وكواكبها و)** من ملكوت **(الأرض وجبالها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيواناتها وجميع أجزائها فلا قدرة له على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه، بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه والممكن له من ذلك، ولو سلط بعوضاً على أعظم ملك)** كما وقع للنمروذ **(وأقوى شخص من الحيوانات)** كالفيل **(لأهلكه)** أما اهلاك النمروذ به فمعروف في التواريخ، وأما إهلاك الفيل به فقد ذكر غير واحد من المتكلمين على عجائب الحيوانات كالدميري وغيره أن البعوض إذا دخل في أذن الفيل كان سبب هلاكه، ولذلك لا يزال يحرك آذانه شبه المراويح لئلا يقربه البعوض، **(فليس للعبد قدرة إلا بتمكين مولاه)** ومع ذلك فهي

له في الأرض﴾ [الكهف : ٨٤] فلم يكن جميع ملكه وسلطنته إلا بتمكين الله تعالى إياه في جزء من الأرض ، والأرض كلها مدرة بالإضافة إلى أجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الأرض غبرة من تلك المدرة ، ثم تلك الغبرة أيضاً من فضل الله تعالى وتمكينه ، فيستحيل أن يحب عبداً من عباد الله تعالى لقدرته وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوّته ولا يحب الله تعالى لذلك ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر ، والسموات مطويات بيمينه والأرض وملكها وما عليها في قبضته وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته ، إن أهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة . وإن خلق أمثالهم ألف مرة لم يعي بخلقها ولا يمسه لغوب ولا فتور في اختراعها ، فلا قدرة ولا قادر إلا وهو أثر من آثار قدرته فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والإستيلاء ، فإن كان يتصوّر أن يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه أصلاً .

وأما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث ، فهو أحد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة ، والأنبياء والصديقون وإن

ناقصة إذ لا تتناول إلا بعض الممكنات ولا تصلح للإختراع ، بل الله سبحانه هو المخترع لمقدورات العبد بواسطة قدرته مهما هيأ جميع أسباب الموجود المقدورة ، **(كما قال في أعظم ملوك الأرض ذي القرنين)** الإسكندر ، **(إذ قال : ﴿إنا مكنا له في الأرض)** وآتيناه من كل شيء سببا﴾ **(فلم يكن جميع ملكه وسلطنته إلا بتمكين الله تعالى إياه في جزء من الأرض والأرض كلها مدرة بالإضافة إلى أجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الأرض غبرة من تلك المدرة ، ثم تلك الغبرة أيضاً من فضل الله وتمكينه ، فيستحيل أن يحب عبداً من عباد الله تعالى لقدرته وسياسته وتمكينه واستيلائه وكمال قوته ، ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو الجبار القاهر والعليم القادر)** مالك الأوائل والأواخر **(السموات مطويات بيمينه والأرض وملكها وما عليها في قبضته ناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته إن أهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وإن خلق أمثالهم ألف مرة لم يعي بخلقه ولا يمسه لغوب ولا فتور في اختراعه فلا قدرة ولا قادر إلا وهو أثر من آثار قدرته ، فله الجمال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والإستيلاء ، فإن كان يتصور أن يحب قادر لكمال قدرته فلا يستحق الحب بكمال القدرة سواه أصلاً)** .

(وأما صفة التنزه عن العيوب والنقائص والتقدس عن الرذائل والخبائث ؛ فهو أحد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والأنبياء والصديقون وإن

كانوا منزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصوّر كمال التقدس والتنزه إلا للواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والإكرام.

وأما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص بل كونه عاجزاً مخلوقاً مسخراً مضطراً هو عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال إلا بقدر ما أعطاه الله، وليس في المقدور أن ينعم بمنتهى الكمال على غيره فإن منتهى الكمال أقل درجاته أن لا يكون عبداً مسخراً لغيره قائماً بغيره وذلك محال في حق غيره، فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب. وشرح وجوه التقدس والتنزه في حقه عن النقائص يطول وهو من أسرار علوم المكاشفات فلا نطول بذكره. فهذا الوصف أيضاً ان كان كمالاً وجمالاً محبوباً فلا تتم حقيقته إلا له، وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقاً بل بالإضافة إلى ما هو أشد منه نقصاناً، كما أن للفرس كمالاً بالإضافة إلى الحمار وللإنسان كمالاً بالإضافة إلى الفرس. وأصل النقص شامل للكل وإنما يتفاوتون في درجات النقصان.

فإذاً الجميل محبوب والجميل المطلق هو الواحد الذي لا ند له، الفرد الذي لا ضد

كانوا منزهين عن العيوب والخبائث فلا يتصور كما التقديس والتنزيه إلا للواحد الملك الحق القدوس ذي الجلال والإكرام).

(وأما كل مخلوق فلا يخلو عن نقص وعن نقائص، بل كونه عاجزاً مسخراً مضطراً هو عين النقص) والعيب، وإليه الإشارة بقول بعض العارفين: وجودك ذنب لا يقاس به ذنب، وبقول الشيخ رسلان: كلك شرك خفي، **(فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال إلا بقدر ما أعطاه وليس في المقدور أن ينعم بمنتهى الكمال على غيره)** بحيث يصل إلى غاية ليس وراءها مزيد من كل وجه، **(فإن منتهى الكمال أقل درجاته أن لا يكون عبداً مسخراً لغيره وقائماً بغيره، وذلك محال في حق غيره)** إذ غيره لا قوام له بنفسه في وجوده، **(فهو المنفرد بالكمال المنزه عن النقص المقدس عن العيوب)** المبرأ عن الإعتلال والإختلال، **(وشرح وجوه التقديس والتنزه في حقه عن النقائص يطول)** بيانه وتفصيله **(وهو من أسرار علوم المكاشفات فلا نطول بذكره)** لأنه لا يليق بهذا المقام، **(فهذا الوصف أيضاً إن كان كمالاً وجمالاً محبوباً فلا تتم حقيقته إلا له وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقاً بل بالإضافة إلى ما هو أشد منه نقصاناً، كما أن للفرس كمالاً بالإضافة إلى الحمار، وللإنسان كمالاً بالإضافة إلى الفرس، وأصل النقص شامل للكل وإنما يتفاوتون في درجات النقصان)**.

(فإذاً الجميل محبوب والجميل المطلق) هو الجليل المطلق إذ نعوت الجلال هي الغنى والملك

له، الصمد الذي لا منازع له، الغني الذي لا حاجة له، القادر الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه، العالم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض، القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته أعناق الجبابرة ولا ينفلت من سطوته وبطشه رقاب القياصرة، الأزلي الذي لا أوّل لوجوده، الأبدي الذي لا آخر لبقائه، الضروري الوجود الذي لا يحوم إمكان العدم حول حضرته، القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به، جبار السموات والأرض، خالق الجماد والحيوان والنبات، المنفرد بالعزة والجبروت، المتوحد بالملك والملكوت، ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال، الذي تتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الألسنة، الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوّة الأنبياء الإقرار بالقصور عن وصفه، كما قال سيد الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين: «لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»، وقال سيد الصدّيقين

والتقديس والعلم والقدرة وغيرها، فالجامع لجميعها هو الجليل المطلق والموصوف ببعضها جلالته بقدر ما نال في هذه النعوت. فالجليل المطلق (**هوالواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ضد له، الصمد الذي لا منازع له، الغني الذي لا حاجة له، القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا رادّ لحكمه ولا معقب لقضائه، العالم الذي لا يعزب**) أي لا يغيب (**عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض القاهر الذي لا تخرج عن قبضة قدرته أعناق الجبابرة ولا تنفلت من سطوته وبطشته رقاب القياصرة، الأزلي الذي لا أول لوجوده، الأبدي الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم إمكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به، جبار السموات والأرض، خالق الجماد والحيوان والنبات، المنفرد بالعزة والجبروت، المتوحد بالملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال**)، وهذه كلها صفات الجلال وهي إذا نسبت إلى البصيرة المدركة لها سميت جمالاً وسمى المتصف بها جميلاً، وإنما كان الحق هو الجميل المطلق لأن كل ما في العالم من جمال وكمال وحسن فهو من أنوار ذاته وآثار صفاته وليس في الوجود موجود له الكمال المطلق الذي لا ثنوية فيه سوى الله تعالى لما تقدم، (**الذي تتحير في معرفة جلاله العقول وتخرس في وصفه الألسنة الذي كمال معرفة العارفين الإعتراف بالعجز عن معرفته، ومنتهى نبوة الأنبياء الإقرار بالقصور عن وصفه كما قال**) مشيراً إلى هذا المقام (**سيد الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين:**) «سبحانك (**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**») رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عائشة: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وقد تقدم، وعند ابن خزيمة من هذا الوجه:

رضي الله تعالى عنه: العجز عن درك الإدراك إدراك سبحان من لم يجعل للخلق طريقاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته. فليت شعري من ينكر إمكان حب الله تعالى تحقيقاً ويجعله مجازاً؟ أينكر أن هذه الأوصاف من أوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن أو ينكر كون الله تعالى موصوفاً بها أو ينكر كون الكمال والجمال والبهاء والعظمة محبوباً بالطبع عند من أدركه؟ فسبحان من احتجب عن بصائر العميان غيرة على جماله وجلاله أن يطلع عليه إلا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون، وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يترددون، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون. الحمد لله

«وأعوذ بك منك لا أحصي مدحك إلا ثناء عليك» وفي آخر عنده أيضاً من وجه آخر عنها «وبعفوك من عقوبتك وبك منك أثني عليك لا أبلغ كل ما فيك» وفي آخر عند الخلعي من وجه ثالث عنها: «لا أحصي أسماء ولا ثناء عليك» وقد رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث علي رضي الله عنه.

(وقال سيد الصديقين) أبو بكر **(رضي الله عنه: العجز عن درك الإدراك إدراك سبحان من لا يجعل للخلق طريقاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته)** قال المصنف في المقصد الأسنى: نهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة، ومعرفتهم بالحقيقة هي أنهم لا يعرفونه وأنهم لا يمكنهم البتة معرفته، وأنه يستحيل أن يعرف الله المعرفة الحقيقة المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالى، فإذا انكشف لهم ذلك انكشافاً برهانياً فقد عرفوه أي بلغوا المنتهى الذي يمكن في حق الخلق من معرفته، وهو الذي أشار إليه الصديق بقوله المذكور، بل هو الذي عناه رسول الله ﷺ في دعائه ولم يرد به أن عرف ما لا يطاوعه لزمانة في العبارة عنه، بل معناه أني لا أحيط بمحامدك وصفات الهيتك وإنما أنت المحيط بها وحدك، فإذاً لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته إلا بالحيرة والدهشة انتهى.

(فليت شعري من ينكر إمكان حب الله تعالى تحقيقاً ويجعله مجازاً) بمعنى الطاعة والإمتثال، **(أينكر أن هذا الأوصاف من أوصاف الجمال والمحامد ونعوت الكمال والمحاسن، أو ينكر كون الله تعالى موصوفاً بها، أو ينكر كون الكمال والبهاء والعظمة محبوباً بالطبع عند من أدركه)** وهم أهل البصيرة الباطنة، **(فسبحان من احتجب عن بصائر العميان)** وهم الذين فقدوا تلك البصيرة **(غيرة على جماله وجلاله أن يطلع عليه إلا من سبقت له منه الحسنى، الذين هم عن نار الحجاب مبعدون، وترك الخاسرين في ظلمات العمى)** يتيهون، وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم **(يترددون)** وبحكم مبلغهم في علمهم **(يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا**

بل أكثرهم لا يعلمون. فالحب بهذا السبب أقوى من الحب بالإحسان لأنّ الإحسان يزيد وينقص. ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: إنّ أود الأوداء إلى من عبدني بغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها. وفي الزبور: من أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا ناراً لم أكن أهلاً أن أطاع. ومرّ عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا فقالوا: نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم: مخلوقاً خفتم ومخلوقاً رجوتم، ومرّ بقوم آخرين كذلك فقالوا: نعبده حباً له وتعظيماً لجلاله فقال: أنتم أولياء الله حقاً معكم أمرت أن أقيم. وقال أبو حازم: إني لأستحيي أن أعبده للثواب والعقاب فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل، وكالأجير السوء، إن لم يعط لم يعمل. وفي الخبر: « لا

يعلمون)، والحاصل أنه إذا ثبت أنه جميل وجليل فكل جميل فهو محبوب ومعشوق عند مدرك جماله، ولذلك كان الله محبوباً ولكن عند العارفين المنكرون لهذا جاهلون، ومن جهل شيئاً عاداه، وهذا كما تكون الصورة الجميلة الظاهرة محبوبة ولكن عند المبصرين لا عند العميان، **(فالحب بهذا السبب أقوى من الحب بالإحسان لأن الإحسان يزيد وينقص، وكذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام أنا أود الأوداء)** أي أكثرهم ودّا **(إلى من عبدني بغير نوال)** أي عطاء، **(لكن ليعطي الربوبية حقها)** كذا في القوت، **(وفي الزبور)** فيما نقله ابن منبه: **(ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار)** أي رجاء أو خوفاً **(لو لم أخلق جنة ولا ناراً ألم أكن أهلاً أن أطاع)** كذا في القوت **(ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلـوا)** وتغيرت ألوانهم فسألهم عن حالهم **(فقالوا: نخاف النار، و)** مر على آخرين فرآهم كذلك وسألهم فقالوا: **(نرجو الجنة فقال لهم مخلوقاً خفتم ومخلوقاً رجوتم، ومر بقوم آخرين)** فرآهم **(كذلك)** فسألهم **(فقالوا: نعبده حباً له وتعظيماً لجلاله، فقال: أنتم أولياء الله حقاً معكم أمرت أن أقيم)** وقد مر هذا قريباً بأبسط مما هنا، وفيه فقال لهم: أنتم المقربون أنتم المقربـون، وقـد ذكره صاحب القوت باللفظين. **(وقال أبو حازم)** سلمة بن دينار الأعرج التابعي العابد رحمه الله تعالى: **(إني لأستحيي أن أعبده للثواب والعقاب فأكون كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل وكالأجير السوء إن لم يعط لم يعمل)** نقله صاحب القوت فقال: وممن أقيم في هذا المقام جماعة من التابعين منهم أبو حازم المدني كان يقول: إني لأستحيي من ربي أن أعبده للثواب، فأكون كالأجير السوء إن لم يعط أجر عمله لم يعمل ولكن اعبده محبة له. رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي بكر الآجري، حدثنا عبدالله بن محمد العطشي، حدثنا إبراهيم ابن الجنيد، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير، والهيثم بن جميل قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول، قال أبو حازم: إني لأستحيي من ربي عز وجل أن أسأله شيئاً فأكون كالأجير إذا عمل طلب أجره ولكن اعمل تعظيماً له.

(وفي الخبر: «لا يكونن أحدكم كالأجير السوء إن لم يعط أجراً لم يعمل ولا كالعبد

يكونن أحدكم كالأجير السوء إن لم يعط أجراً لم يعمل، ولا كالعبد السوء إن لم يخف لم يعمل».

وأما السبب الخامس: للحب فهو المناسبة والمشاكلة لأن شبه الشيء منجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل. ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير، ويألف الطير نوعه وينفر من غير نوعه، وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف، وأنس النجار بالنجار أكثر من أنسه بالفلاح. وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد له الأخبار والآثار كما استقصيناه في باب الأخوّة في الله من كتاب آداب الصحبة فليطلب منه. وإذا كانت المناسبة سبب النجاة فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي الصبي في معنى الصبا، وقد يكون خفياً حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع في مال أو غيره كما أشار إليه النبي ﷺ إذ قال: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» فالتعارف هو التناسب، والتناكر هو التباين، وهذا السبب أيضاً يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع إلى المشابهة في الصور والأشكال بل إلى معان باطنة، يجوز أن يذكر بعضها في

السوء إن لم يخف لم يعمل») لفظ القوت، وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله ﷺ: «لا يكونن أحدكم كالعبد السوء إن خاف عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعط أجراً لم يعمل» وقال العراقي: لم أجد له أصلاً.

(وأما السبب الخامس: للمحب فهو المناسبة والمشاكلة لأنه شبه الشيء منجذب إليه، والشكل إلى الشكل أميل، ولذلك ترى الصبي يألف الصبي، والكبير يألف الكبير، ويألف الطير نوعه وينفر عن غير نوعه) كل ذلك للتناسب، **(وأنس العالم بالعالم أكثر منه بالمحترف)** أي المستقل بالحرفة والكسب، **(وأنس التجار بالتجار أكثر من أنسه بالفلاح)** وبالعكس **(وهذا أمر تشهد به التجربة وتشهد له الأخبار والآثار، كما استقصيناه في باب الأخوة في الله في كتاب آداب الصحبة فليطلب منه. وإذا كانت المناسبة سبب التحاب فالمناسبة قد تكون في معنى ظاهر كمناسبة الصبي الصبي في معنى الصبا، وقد يكون خفياً حتى لا يطلع عليه كما ترى من الإتحاد الذي يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع في مال أو غيره كما أشار إليه النبي ﷺ إذ قال: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»)** تقدم قريباً، **(فالتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين)** أي فما تناسب منها في عالم الأزل حصل بينها الإئتلاف في عالم الشهادة، وما تباين منها هناك أو حب حصول الإختلاف ههنا. **(وهذا السبب أيضاً يقتضي حب الله تعالى لمناسبة باطنة لا ترجع إلى المشابهة والصور والأشكال، بل إلى معان باطنة يجوز أن يذكر بعضها**

الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون للطريق إذا استكملوا شرط السلوك.

فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر فيها بالإقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية، حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله، وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الإلهية من العلم والبر والإحسان واللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الباطل، إلى غير ذلك من مكارم الشريعة. فكل ذلك يقرّب إلى الله سبحانه وتعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات.

وأما ما لا يجوز أن يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الآدمي فهي التي يومىء إليها قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] إذ بيّن أنه أمر رباني خارج عن حدّ عقول الخلق، وأوضح من ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩ وص: ٧٢] ولذلك

في الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر، بل يترك تحت غطاء الغيرة حتى يعثر عليه السالكون الطريق إذا استكملوا شرط السلوك) ووصلوا إلى مقام القرب، **(فالذي يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر فيها بالإقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية حتى قيل: تخلقوا بأخلاق الله)** أي تخلقوا بها في صفاته وأسمائه، **(وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الإلهية من العلم والبر والإحسان واللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الباطل إلى غير ذلك من مكارم الشريعة)** وذلك فيما أمكنه منها، **(فكل ذلك تقرب إلى الله تعالى)** لأنه به يصير العبد ربانياً أي قريباً من الرب تعالى، فإنه يصير رفيقاً للملأ الأعلى من الملائكة فإنهم على بساط القرب، فمن ضرب إلى شبه من صفاتهم نال شيئاً من قربهم بقدر ما نال من أوصافهم المقربة لهم إلى الحق تعالى، **(لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات)** ومهما تفاوتت درجات الكمال واقتصر منهن الكمال على واحد حتى لم يكن الكمال المطلق إلاله ولم يكن للموجودات الأخر كمال مطلق، بل كانت له كمالات متفاوتة بالإضافة فأكملها أقرب لا محالة إلى الذي له الكمال المطلق أعني قرباً بالمرتبة والدرجة لا بالمكان.

(وأما لا يجوز أن يسطر في الكتب من المناسبة الخاصة التي اختص بها الآدمي) دون سائر المخلوقات، **(فهي التي يومىء إليها قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ إذ بين أنه أمر رباني خارج عن حدّ عقول الخلق)** وهكذا شأن أمور الربوبية ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ [الأعراف: ٥٤] **(وأوضح من ذلك قوله تعالى: ﴿فإذا سوّيته**

أسجد له ملائكته. ويشير إليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ ﴾ [ص: ٤٦] إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلا بتلك المناسبة وإليه يرمز قوله ﷺ: « إنّ الله خلق آدم على صورته »، حتى ظن القاصرون أن لا صورة إلا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس فشبهوا وجسموا وصوّروا، تعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علواً كبيراً. وإليه الإشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام: « مرضت فلم تعدني فقال يا رب وكيف ذلك؟ قال: مرض عبدي فلان فلم تعده ولو عدته وجدتني عنده »، وهذه المناسبة لا تظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد إحكام الفرائض كما قال الله تعالى: « لا يزال يتقرّب العبد إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ». وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه

ونفخت فيه من روحي) فقعوا له ساجدين﴾، **(ولذلك اسجد له الملائكة)** اثر ذلك النفخ والتسوية ومن قوله وأوضح من ذلك إلى هنا قد سقط من بعض النسخ. وقد أشار إلى ذلك المصنف في كتاب النفخ والتسوية، ومنهم من أنكر نسبة هذا الكتاب إليه ذكرنا في مقدمة كتاب العلم، **(ويشير إليه قوله تعالى: ﴿ إنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾ إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلا بتلك المناسبة)** لأنه أنموذج من نور الله تعالى، ولا يخلو إلا نموذج عن محاكاة وإن كان لا يرقى إلى ذروة المساواة، وهذا ربما هزك للتفطن لسر الآية، **(وإليه يرمز قوله ﷺ: « إن الله خلق آدم على صورته »)** تقدم الكلام عليه **(حتى ظن القاصرون)** من العلماء **(أن لا صورة إلا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس)** الظاهرة، وأنكروا الصورة الباطنة المدركة بالبصيرة الباطنة، **(فشبهوا وجسموا وصوروا تعالى الله رب العالمين عما يقول الجاهلون علواً كبيراً، وإليه الإشارة بقوله تعالى لموسى عليه السلام: مرضت فلم تعدني، فقال: يا رب وكيف ذلك؟ قال: مرض عبدي فلان فلم تعده ولو عدته وجدتني عنده)**. روى مسلم من حديث أبي هريرة: « أن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده » الحديث. **(وهذه المناسبة لا تظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد إحكام الفرائض، كما قال الله تعالى: « لا يزال يتقرب العبد إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به »)** قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

قلت: رواه أحمد والحكيم وأبو يعلى والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الطب، والحاكم في الزهد، وابن عساكر من حديث عائشة: « قال الله عز وجل: من آذى لي ولياً فقد استحل محاربتي وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء الفرائض، وما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها وأذنه التي يسمع بها ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها

فقد تحزب الناس فيه إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر وإلى غالين مسرفين جاوز

وفؤاده الذي يعقل به، ولسانه الذي يتكلم به، وإن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته » الحديث.

وروى ابن السني في الطب حديث ميمونة « قال الله تعالى: ما تقرب إلى العبد بمثل أداء فرائضي وأنه ليتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت رجله التي يمشي بها ويده التي يبطش بها ولسانه الذي ينطق به وقلبه الذي يعقل به، إن سألني أعطيته وإن دعاني أجبته ».

ويروى في حديث أنس « وما تعبد إلي عبدي المؤمن بمثل الزهد في الدنيا، ولا تقرب عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً ». الحديث رواه بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء، والحكيم وابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الأسماء، وابن عساكر.

وقال المصنف في مشكاة الأنوار: منتهى معراج الخلائق مملكته الفردانية، فليس وراء ذلك مرقى إذ لا يتصور إلا بكثرة، فإنه نوع إضافة يستدعي بأنه الارتقاء وما إليه الإرتقاء، وإذا ارتفعت الكثرة خفت الوحدة وبطلت الإضافة وطاحت الإشارة، فلم يبق علو ولا سفل ولا نازل ولا مرتقى، فاستحال الترقي واستحال العروج فليس وراء الأعلى علو ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفاء الكثرة عروج، فإن كان من تغير حال فبالنزول إلى السماء الدنيا أعني بالإشراق من علو إلى أسفل لأن الأعلى له أسفل وليس له أعلى، فهذه غاية الغايات ومنتهى الطلبات يعلمه من يعلمه وينكره من يجهله، وهو من العلم الذي هو كهيئة المكنون الذي لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله، ولا يبعد أن قال العلماء: إن النزول إلى السماء الدنيا هو نزول ملك، فقد توهم بعض العارفين ما هو أبعد منه إذ قال: هذا المستغرق بالفرادنية أيضاً نزول إلى السماء الدنيا، وأن ذلك هو نزوله إلى استعمال الحواس أو تحريك الأعضاء، وإليه الإشارة في الخبر صرت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به، وإذا كان هو سمعه وبصره ولسانه فهو السامع والباصر والناطق إذاً لا غيره، وإليه الإشارة بقوله: « مرضت فلم تعدني » الحديث. فحركات هذا الموحد من السماء الدنيا وإحساساته كالسمع والبصر من سماء فوقه وعقله فوق ذلك وهو يترقى من سماء العقل في منتهى معراج الخلائق ومملكة الفردانية إلى سبع طبقات، ثم بعده يستوي على عرش الوحدانية ومنه يدبر الأمر لطبقات سماواته، فربما نظر الناظر إليه فأطلق القول بأن الله خلق آدم على صورة الرحمٰن إلى أن يمعن النظر فيه فيعلم أن ذلك له تأويل كقوله: أنا الحق وسبحاني، بل كقوله: مرضت فلم تعدني وكنت سمعه وبصره ولسانه.

((**وهذا موضع يجب قبض عنان القلم فيه**) فما يطيق الناس من هذا الفن أكثر من هذا المقدار، (**فقد تحزّب الناس فيه إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر**) فلم يفهموا من الصورة إلا الصورة الظاهرة المدركة بالحواس، وكذا في النزول إلى السماء الدنيا وأضراب ذلك

واحد المناسبة إلى الإتحاد وقالوا بالحلول، حتى قال بعضهم: أنا الحق. وضل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا: هو الإله، وقال آخرون منهم تذرع الناسوت باللاهوت،

وإلى (غالين مسرفين) تجاوزوا في الحدود (وجاوزوا حد المناسبة إلى الإتحاد، وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم: أنا الحق) والقول بالإتحاد باطل لأن قول القائل: إن العبد صار الرب. كلام متناقض في نفسه وحيث يطلق الاتحاد ويقول هو هو لا يكون إلا بطريق التوسع اللائق بعادة الصوفية والشعراء، فإنهم لأجل تحسين موقع الكلام في الأفهام يسلكون سبيل الاستعارة كما يقول الشاعر:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

وذلك مؤول عنده، فإنه لا يعني أنه هو تحقيقاً بل كأنه هو فإنه مستغرق الهم كما يكون هو مستغرق الهم بنفسه، فيعبر عن هذه الحالة بالإتحاد على سبيل التجوز، ومن لم يجد في القلب إلا جلال الله وجماله حتى صار مستغرقاً به يصير كأنه هو لا أنه هو تحقيقاً، وفرق بين قولنا هو هو وكأنه هو، ولكن قد يعبر بقولنا هو هو عن قولنا كأنه هو، وقول: أنا الحق اشتهر به الحسين بن منصور الحلاج، وقد أجاب عنه المصنف في المقصد الأسنى فقال: حظ العبد من إسمه تعالى أن يرى نفسه باطلاً ولا يرى غير الله تعالى حقاً، والعبد وإن كان حقاً فليس هو حقاً لنفسه، بل هو حق لغيره وهو الله سبحانه وتعالى، فإنه موجود به بلا بذاته بل هو بذاته باطل لولا إيجاد الحق له، فقد أخطأ من قال: أنا الحق إلا بأحد وجهين:

أحدهما: أن يعني أنه بالحق وهذا بعيد لأن اللفظ ينبيء عنه، ولأن ذلك لا يخصه بل كل شيء سوى فهو بالحق.

الثاني: أن يكون مستغرقاً بالحق حتى لا يكون فيه متسع لغيره وما أخذ كلية الشيء واستغراقه فقد يقال: إنه هو فإن جاوزت هذين التأويلين إلى الإتحاد، فذلك محال قطعاً، وأما الحلول فهو أيضاً باطل، فإن المفهوم منه أمران:

أحدهما: النسبة التي بين الجسم وبين مكانه الذي يكون فيه، وذلك لا يكون إلا بين جسمين فالبريء عن معنى الجسمية يستحيل في حقه ذلك.

والثاني: النسبة التي بين العرض والجوهر، فإن العرض يكون قوامه بالجوهر فقد يعبر بأنه حال فيه، وذلك محال على كل ما قوامه بنفسه، فدع عنك ذكر الرب تعالى في هذا المعرض فإن كل ما قوامه بنفسه يستحيل أن يحل فيما قوامه بنفسه إلا بطريق المجاورة الواقعة بين الأجسام، فلا يتصور الحلول بين عبدين، فكيف يتصور بين العبد والرب؟

(وضل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا: هو الله) وقد غلطوا في ذلك ومنشأ غلطهم أنهم نظروا إلى كمال ذاته وقد تزين بما تلألأ فيه من حلية الحق فظنوا أنه هو الإله. (وقال آخرون) منهم: (تدرع الناسوت باللاهوت، وقال آخرون: اتحد به) أي اتحد الناسوت

وقال آخرون: اتحد به. وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الأقلون. ولعل أبا الحسن النوري عن هذا المقام كان ينظر إذ غلبه الوجد في قول القائل:

لا زلت أنزل من ودادك منـزلاً تتحير الألبـاب عنـد نـزولـه

فلم يزل يعدو في وجده على أجمة قد قطع قصبها وبقي أصوله حتى تشققت قدماه وتورّمتا ومات من ذلك. وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبعدها وأقلها وجوداً. فهذه هي المعلومة من أسباب الحب وجملة ذلك متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقاً لا مجازاً وفي أعلى الدرجات لا في أدناها، فكان المعقول المقبول عند ذوي البصائر حب الله تعالى فقط كما أن المعقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط، ثم كل

باللاهوت، وكل هذه أخلاط فاحشة تقتضي المروق عن الدين والوقوع في الكفر الصريح، **(وأما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل)** المفهوم من قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١] **(واستحالة الاتحاد والحلول)** وكذا استحالة الانتقال والاتصاف بأمثال صفات الله تعالى على سبيل الحقيقة، **(واتضح لهم ذلك حقيقة السير فهم الأقلون، ولعل أبا الحسن)** أحمد بن محمد **(النوري)** البغدادي المتوفي سنة ٢٩٥ من أقران الجنيد نسب إلى نور الوعظ **(عن هذا المقام كان ينظر إذ غلبه الوجد في قول القائل إذ أنشد له):**

(لا زلت أنزل من ودادك منـزلاً تتحير الألبـاب عنـد نـزولـه)

(فلم يزل يعدو في وجده) حتى وقع **(على أجمة قد قطع قصبها وبقي أصوله)** محددة كالسنان **(حتى تشقق قدماه وتورمتا ومات من ذلك)** وقد تقدم هذا في كتاب الوجد والسماع، **(وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبعدها وأقلها وجوداً، فهذه هي المعلومة من أسباب الحب وجملة ذلك متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقاً لا مجازاً وفي أعلى الدرجات لا في أدناها، فكان المعقول المقبول عند ذوي البصائر)** والكشوفات الباطنة **(حب الله تعالى فقط، كما أن المعقول الممكن عند العميان حب غير الله تعالى فقط).**

وقال الكمال محمد بن إسحاق الصوفي في مقاصد المنجيات ما نصه: الناس يتفاوتون في الحب تفاوتاً لا ينحصر على قدر الأسباب الموجبة لحب الله تعالى، فإن المحبة تكون مسببة عن معرفة أنعام الله تعالى وإحسانه وإفضاله، وتكون مسببة عن جمال الله وكماله، وهذه أفضل وأعلى لتعلقها بالذات والصفات من كلا طرفيها وهو السلب والاثبات، وما قبلها متعلق بالله من حيث قدرته على الإنعام والإحسان ففيها شغل عن الله، ولأن الإحسان يزيد وينقص هذا والمحبة الناشئة عن الجمال والكمال من أشرف نعم الله على العباد لأنها تعريف له بما هو به وتقريب منه، إلا أن التصور يصير كامناً تحت أشعة الأفضل إذا امتلأ القلب بالأفضل، ويكون الحكم والجزاء للغالب، والإمام

من يحب من الخلق بسبب من هذه الأسباب يتصور أن يحب غيره لمشاركته إياه في السبب، والشركة نقصان في الحب وغض من كماله. ولا ينفرد أحد بوصف محبوب إلا وقد يوجد له شريك فيه، فإن لم يوجد فيمكن أن يوجد، إلا الله تعالى فإنه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجوداً، ولا يتصور أن يكون ذلك إمكاناً، فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرّق النقصان إلى حبه كما لا تتطرّق الشركة إلى صفاته. فهو المستحق إذاً لأصل المحبة ـ ولكمال المحبة استحقاقاً لا يساهم فيه أصلاً.

بيان أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم وأنه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة:

الغزالي ذكر للمحبة أسباباً خمسة إذا أمعنت النظر فيها رأيتها داخلة تحت هذين السببين: إما محبة العبد لله من أجل أن الله خلقه وأبقاه وخلق له الآلات المكملة لبقائه فهو من جملة إحسان الله إليه، وإما محبته لأجل إحسانه العام على سائر العباد فهو من جماله الفعلي وكماله الذاتي، وأما محبتك العبد لله لأجل الأوصاف الباطنة من العلم والقدرة والإرادة وموازاة الأرواح القدسية وتنزيهها عن الحلول في المواطن والقرب والبعد والكمية، فذلك أيضاً من أفضال الله تعالى على عبده لأنه الذي خلقه وعدله وخلق له بعد التعديل روحاً مقدسة من الحسن وعوارضه، وأقام له أعراضاً شريفة هي علوم ومعارف يعرف بها ربه انتهى.

(**ثم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الأسباب**) الخمسة (**يتصور أن يحب غيره لمشاركته إياه في السبب، والشركة نقصان في الحب وغض عن كماله، ولا ينفرد أحد بوصف محبوب إلا وقد يوجد له شريك فيه، فإن لم يوجد فيمكن أن يوجد إلا الله تعالى فإنه موصوف بهذه الصفات التي هي نهاية الأوصاف و**) نهاية (**الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجوداً، ولا يتصور أن يكون ذلك إمكاناً، فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان إلى حبه، كما لا تتطرق الشركة إلى صفاته فهو المستحق إذ الأصل المحبة ولكمال المحبة استحقاقاً لا يساهم فيه أصلاً**) أي لا يشارك، وهذه الخواص الإلهية ليست إلا لله تعالى ولا يعرفها إلا الله تعالى، فلا جرم لا يتصور أن يعرفها إلا هو أو من هو مثله، وإذا لم يكن له مثل فلا يعرفها غيره، وهذا يشوش قلوب أكثر الضعفاء ويوهم القول بالتعطيل وذلك لعجزهم عن فهم هذا الكلام، والله الموفق.

بيان أن أجلّ اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم:

(**وانه لا يتصور أن يؤثر عليها لذة أخرى إلامن حرم هذه اللذة**) ولم يكن له منها نصيب وافر.

اعلم أن اللذات تابعة للإدراكات، والإنسان جامع لجملة من القوى والغرائز، ولكل قوّة وغريزة لذة ولذتها في نيلها لمقتضى طبعها الذي خلقت له فإن هذه الغرائز ما ركبت في الإنسان عبثاً بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بالطبع. فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها، وغريزة شهوة الطعام مثلاً خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاستماع والشم، فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة بالإضافة إلى مدركاتها. فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الإلهي لقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الإيمان واليقين، ولا معنى للاشتغال بالأسامي فإنّ الاصطلاحات مختلفة، والضعيف يظنّ أنّ الاختلاف واقع في المعاني لأن الضعيف يطلب

(**اعلم**) أرشدك الله تعالى (**أن اللذات**) بأسرها (**تابعة للإدراكات، والإنسان**) بحقيقته (**جامع لجملة من القوى والغرائز**) خلقت فيه لتمام حقيقته الانسانية، (**ولكل قوة وغريزة**) منها (**لذة**) يدرك الملائم من حيث أنه ملائم (**ولذتها في نيلها لمقتضى طبعها الذي خلقت له، فإن هذه الغرائز ما ركبت في الإنسان عبثاً**) لا فائدة فيها ولا حكمة، (**بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بالطبع، فغريزة الغضب خلقت للتشفي والإنتقام**) من المغضوب عليه، (**فلا جرم لذتها في الغلبة والانتقام الذي هو مقتضى طبعها، وغريزة شهوة الطعام مثلاً خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام**) للبدن، (**فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبعها، وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الأبصار والاستماع والشم**)، وكذلك حصول المرجو عند القوة الوهمية والأمور الماضية عند القوة الحافظة يلتذ بتذكرها، (**فلا تخلو غريزة من هذه الغرائز عن ألم ولذة**) فما كان ملائماً يسمى لذة وما لا فألما وكل ذلك (**بالإضافة إلى مدركاتها، فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الإلهي**) والفيض القدسي (**لقوله تعالى ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه﴾**) فذلك النور هو الذي ينفسح له الصدر فيتنور بأشعة، (**وقد تسمى العقل**) وقد يسمى عين القلب، وقد يسمى الروح، وقد يسمى النفس الانساني، (**وقد تسمى البصيرة الباطنة، وقد تسمى نور الايمان واليقين**) وكل ذلك تعبيرات عن عين في القلب منزهة عن نقائص العين الظاهرة، (**ولا معنى للاشتغال بالأسامي**) المختلفة، (**فإن الاصطلاحات مختلفة**) ولا مشاحة فيها، (**والضعيف**) البصيرة ربما (**يظن أن الاختلاف واقع في المعاني**) فيتوهم كثرتها بكثرة أساميها، (**لأن الضعيف شأنه**) أبداً (**يطلب المعاني من الألفاظ وهو عكس الواجب**) فإن

المعاني من الألفاظ وهو عكس الواجب ، فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة ، كإدراكه خلق العالم أو افتقاره إلى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات إلهية ، ولنسمِّ تلك الغريزة عقلاً بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة ، فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا ذمه بعض الصوفية ، وإلا فالصفة التي فارق الإنسان بها البهائم وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغي أن تذم ، وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الأمور كلها فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما أن مقتضى سائر الغرائز هو لذتها وليس يخفى أن في العلم والمعرفة لذة حتى أن الذي ينسب إلى العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح به ، والذي ينسب إلى الجهل ولو في شيء حقير يغتم به ، وحتى أن الإنسان لا يكاد يصبر عن التحدّي بالعلم والتمدح به في الأشياء الحقيرة. فالعالم باللعب بالشطرنج على خسته لا يطيق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه ، وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به ، فإن العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى

دائرة المعاني أوسع من دائرة الألفاظ ، فلا تكاد الألفاظ تحيط بها كما ينبغي ، (**فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة بها يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كإدراكه خلق العالم أو افتقاره إلى خالق قديم مدبر حكيم موصوف بصفات الإلهية ، ولنسم تلك الغريزة عقلاً**) متابعة للجمهور في الاصطلاح ونعني به المعنى الذي يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع وعن المجنون وعن البهيمة ، (**بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة ، فقد اشتهر اسم العقل بهذا**) وسموا العلوم المحصلة من طريقه بالمعقولات ، (**ولهذا ذمه بعض الصوفية**) لما يطرأ في تلك العلوم التي طريقها العقل من الخيالات والأوهام والاعتقادات ما يكون سبباً لفاحش أغلاطهم ، (**وإلا فالصفة التي فارق الانسان بها البهائم**) والأطفال والمجانين ، (**وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات**) وأنفسها وأعلاها وهي الحقيقة بان تسمى باسم النور ، وأولى بهذه التسمية من العين الظاهرة ، (**فلا ينبغي أن تذم**) ولا ينسب إليها النقص. (**وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الأمور كلها ، فمقتضى طبعها المعرفة والعلم وهي لذتها كما أن مقتضى سائر الغرائز هو لذتها وليس يخفى أن في العلم والمعرفة لذة**) هي أنفس اللذائذ وأعلاها ، (**حتى أن الذي ينسب إلى العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس يفرح به ، والذي ينسب إلى الجهل ولو في شيء حقير يغتم به ، وحتى أن الانسان لا يكاد يصبر عن التحدي بالعلم**) أي المباراة ومنازعة الغلبة به (**والتمدح به**) بين الناس (**في الأشياء الحقيرة ، فالعلم باللعب بالشطرنج على خسته**) وقلة قدره (**لا يطيق السكوت فيه عن التعليم وينطلق لسانه بذكر ما يعلمه ، وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره من كمال ذاته به ، فإن العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى الكمال**) وقد

الكمال، ولذلك يرتاح الطبع إذا أثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لأنه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به، ثم ليست لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير أمر الخلق، ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وملكوت السموات والأرض، بل لذة العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف المعلوم، حتى أن الذي يعلم بواطن أحوال الناس ويخبر بذلك يجد له لذة وإن جهله تقاضاه طبعه أن يفحص عنه، فإن علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تدبيره في رئاسته كان ذلك ألذ عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائك، فإن اطلع على أسرار الوزير وتدبيره وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألذ من علمه بأسرار الرئيس، فإن كان خبيراً بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولي على الوزير كان ذلك أطيب عنده وألذ من علمه بباطن أسرار الوزير، وكان تمدّحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشدّ وحبه له أكثر لأن لذته فيه أعظم. فبهذا استبان أن ألذ المعارف أشرفها، وشرفها بحسب شرف المعلوم، فإن كان في المعلومات ما هو الأجل والأكمل والأشرف والأعظم فالعلم به ألذ

تقدم الكلام عليه في كتاب العلم. (**ولذلك يرتاح الطبع إذا أثني عليه بالذكاء وغزارة العلم لأنه يستشعر عند سماع الثناء كمال ذلك وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذ به**) ويرتاح إليه، (**ثم ليس لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير أمر الخلق، ولا لذة العلم بالنحو والشعر**) والأدب (**كلذة العلم بالله وصفاته وملائكته وملكوت السموات والأرض، بل لذة العلم بقدر شرف العلم، وشرف العلم بقدر شرف المعلوم**) فإن كان المعلوم شريفاً كان العلم أشرف، (**حتى أن الذي يعلم بواطن أحوال الناس**) وأسرارهم الخفية (**ويخبر بذلك يجد له لذة**) ويرتاح إليه، (**وإن جهله تقاضاه طبعه أن يفحص عنه**)ويبحث ليحصله، (**فإن علم بواطن رئيس البلد وأسرار تدبيره في رئاسته كذلك ألذ عنده وأطيب من علمه بباطن حال فلاح أو حائك**) ومن في معناهما، (**فإن اطلع على أسرار الوزير**) وتدبيره ودقائق حركاته (**وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألذ من علمه بأسرار الرئيس**) لرفعة منزلة الوزير على الرئيس، (**فإن كان خبيراً بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو المستولي على الوزير**) والحاكم عليه (**كان ذلك أطيب عنده وألذ من اطلاعه بباطن أمور الوزير، وكان تمدحه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشد وحبه له أكثر لأن لذته فيه أعظم**) وهذا كله مراتب بعضها على بعض؛ (**فهذا استبان أن ألذ المعارف أشرفها وشرفها بحسب شرف المعلوم**) كما تقدم، (**فإن كان في المعلومات ما هو الأجل والأكمل والأشرف والأعظم، فالعلم به ألذ العلوم لا محالة وأشرفها وأطيبها،**

العلوم لا محالة وأشرفها وأطيبها ، وليت شعري هل في الوجود شيء أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها ومكملها ومزينها ومبدئها ومعيدها ومدبرها ومرتبها ؟ وهل يتصور أن تكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادىء جلالها وعجائب أحوالها وصف الواصفين ؟ فإن كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي أن تشك في أن الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الأمور الإلهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهاها ، وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها ، وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار ، وبهذا تبين أن العلم لذيذ ، وأن ألذ العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وتدبيره في مملكته ـ من منتهى عرشه إلى تخوم الأرضين ـ فينبغي أن يعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني لذة الشهوة والغضب ولذة سائر الحواس الخمس ، فإن اللذات مختلفة بالنوع أولاً ، كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ، ولذة المعرفة للذة الرياسة . وهي مختلفة بالضعف والقوّة كمخالفة لذة الشبق المغتلم من الجماع للذة الفاتر للشهوة ، وكمخالفة لذة النظر إلى الوجه الجميل الفائق الجمال للذة النظر إلى ما دونه في الجمال . وإنما تعرف أقوى اللذات بأن تكون مؤثرة على

وليت شعري هل في الوجود شيء أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها) وموجدها **(ومكملها ومزينها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومرتبها)** على أبدع ترتيب ، **(وهل يتصور أن تكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال أعظم)** وأجل **(من الحضرة الربانية التي لا يحيط بمبادىء جلالها)** وعظمها **(وعجائب أحوالها وصف الواصفين)** وإن بالغوا ؟ **(فإن كنت لا تشك في ذلك فلا ينبغي أن تشك في أن الإطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الأمور الإلهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهاها ، وأحرى ما تستشعر النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها ، وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار ؛ وبهذا يتبين أن العلم لذيذ وأن ألذ المعلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وتدبيره في مملكته من منتهى عرشه إلى تخوم الأرضين ، فينبغى أن يعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات أعني لذة الشهوة والغضب وسائر الحواس الخمس)** الظاهرة والباطنة ، **(فإن اللذات مختلفة بالنوع أولاً كمخالفة لذة الوقاع للذة السماع ، ولذة المعرفة اللذة الرئاسة وهي مختلفة بالضعف والقوة كمخالفة لذة الشبق للمغتلم)** أي الهائج الشهوة **(من الجماع للذة الفاتر للشهوة ، وكمخالفة لذة النظر إلى الوجه)** الحسن **(الجميل الفائق الجمال ، للذة النظر إلى ما دونه في الجمال ، وإنما تعرف أقوى اللذات بأن تكون مؤثرة على غيرها ، فإن المخير بين النظر إلى صورة جميلة والتمتع**

غيرها، فإن المخير بين النظر إلى صورة جميلة والتمتع بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة إذا اختار النظر إلى الصورة الجميلة علم أنها ألذ عنده من الروائح الطيبة، وكذلك إذا حضر الطعام وقت الأكل واستمرّ اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الأكل، فيعلم به أن لذة الغلبة في الشطرنج أقوى عنده من لذة الأكل. فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول:

اللذات تنقسم إلى ظاهرة كلذة الحواس الخمس، وإلى باطنة كلذة الرئاسة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها، إذ ليست هذه اللذة للعين ولا للأنف ولا للأذن ولا للمس ولا للذوق، والمعاني والباطنة أغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة، فلو خير الرجل بين لذة الدجاج السمين واللوزينج وبين لذة الرئاسة وقهر الأعداء، ونيل درجة الاستيلاء، فإن كان المخير خسيس الهمة ميت القلب شديد النهمة اختار اللحم والحلاوة، وإن كان على الهمة كامل العقل اختار الرئاسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياماً كثيرة. فاختياره للرئاسة يدل على أنها ألذ عنده من المطعومات الطيبة. نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة يعد كالصبي، أو كالذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرئاسة وكما أن لذة الرئاسة والكرامة أغلب اللذات على من

بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة إذا اختار النظر إلى الصورة الجميلة علم أنها ألذ عنده من الروائح الطيبة، وكذلك إذا حضر الطعام وقت الأكل واستمرّ اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الأكل فيعلم به أن لذة الغلبة) على قرنه **(في الشطرنج أقوى عنده من لذة الأكل)** ولولا ذلك لترك اللعب واشتغل بالأكل، **(فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فنعود ونقول: اللذات تنقسم إلى ظاهرة كلذة الحواس الخمس)** من إبصار واستماع وشم وذوق ولمس، **(وإلى باطنة كلذة الرئاسة والغلبة والكرامة والعلم وغيرها إذ ليست هذه اللذة للعين ولا للأنف ولا للأذن ولا للمس ولا للذوق، والمعاني الباطنة)** أقوى **(وأغلب على ذوي الكمال من اللذات الظاهرة، فلو خير الرجل بين لذة الدجاج المسمن واللوزينج)** وهو الحلوى المتخذة من السكر واللوز، **(وبين لذة الرئاسة وقهر الأعداء ونيل درجة الاستيلاء، فإن كان المخير خسيس الهمة)** دنيئها **(ميت القلب شديد البهيمية اختار اللحم والحلاوة وإن كان علي الهمة)** رفيعها حي القلب **(كامل العقل)** منور البصيرة **(اختار الرئاسة)** والغلبة والاستيلاء، **(وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياماً كثيرة، فاختياره للرئاسة يدل على أنها ألذ عنده من المطعومات الطيبة، نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي أو كالذي ماتت قواه الباطنة كالمعتوه لا يبعد أن يؤثر لذة المطعومات على لذة الرئاسة)** بمقتضى طبعها، **(وكما أن لذة الرئاسة والكرامة**

جاوز نقصان الصبا والعته فلذة معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر إلى أسرار الأمور الإلهية ألذ من الرئاسة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق، وغاية العبارة عنه أن يقال: ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قرة أعين﴾ [السجدة: ١٧] وأنه أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جميعاً، فإنه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد والفكر والذكر وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرئاسة، ويستحقر الخلق الذين يرأسهم لعلمه بفناء رئاسته وفناء من عليه رئاسته، وكونه مشوباً بالكدورات التي لا يتصوّر الخلو عنها، وكونه مقطوعاً بالموت الذي لا بد من إتيانه مهما أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها فيستعظم بالإضافة إليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته وأفعاله ونظام مملكته من أعلى عليين إلى أسفل السافلين، فإنها خالية عن المزاحمات والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكبرها، وإنما عرضها من حيث التقدير السموات والأرض، وإذا خرج النظر عن المقدرات فلا نهاية لعرضها، فلا يزال العارف

أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصبي والعته، فلذة معرفة الله ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر إلى أسرار الأمور الإلهية) بعين البصيرة (**ألذ من الرئاسة التي هي أعلى اللذات الغالبة على الخلق**) والعبارة عن هذه اللذة عسر، (**وغاية العبارة عنه أن يقال**) كما أخبر عنه الله تعالى (﴿**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**﴾) وكما أخبر عنه رسوله ﷺ (**أنه أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**)، وذلك فيما قاله حاكياً عن ربه عز وجل. «أعددت لعبادي الصالحين» الحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة، (**وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جميعاً فإنه لا محالة يؤثر التبتل والتفرد**) عن الخلق (**والفكر والذكر**) ويرابط قلبه على المراقبة، (**وينغمس في بحار المعرفة ويترك الرئاسة**) والاستعلاء (**ويستحقر الخلق الذين يرأسهم**) ويعلو عليهم (**لعلمه بفناء رئاسته وفناء من عليه رئاسته، وكونه مشوباً بالكدورات التي لا يتصور الخلو عنها**) ولا عن القدرة، (**وكونه مقطوعاً بالموت الذي لا بد من إتيانه مهما ﴿أخذت الأرض**) أي أرض الوجود (**زخرفها**) أي زينتها (**وازينت**) أي تلألأت بكمال بهجتها، (**وظن أهلها أنهم قادرون عليها**) وتمام الآية ﴿أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً﴾ [يونس: ٢٤] والمراد بإتيان الأمر هو الموت. (**فليستعظم بالإضافة إليها لذة معرفة الله تعالى ومطالعة صفاته**) العلية (**وأفعاله**) ومعاملاته مع عبيده (**ونظام مملكته من أعلى عليين إلى أسفل السافلين، فإنها خالية عن المزاحمات**) والمدافعات (**والمكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكثرتها، وإنما عرضها من حيث التقدير السموات والأرض وإخراج النظر عن المقدرات فلا نهاية**

بمطالعتها في جنة عرضها السموات والأرض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها، إذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة، ثم هي أبدية سرمدية لا يقطعها الموت، إذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو أمر رباني سماوي، وإنما الموت يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها عن جنسها، فأما أن يعدمها فلا. ﴿ولا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بلْ أحياءٌ عند ربّهم يُرْزقون ★ فرِحينَ بما آتاهُمُ اللهُ مِن فضلِهِ ويستبشِرُونَ بالذِينَ لم يلحقُوا بهِمْ من خلفِهِم﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية. ولا تظنن أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد. وفي الخبر: « أن الشهيد يتمنى في الآخرة ان يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وأن الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء ».

فإذاً جميع أقطار ملكوت السموات والأرض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرّك إليها بجسمه وشخصه، فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والأرض. وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض

لعرضها، فلا يزال العارف بمطالعتها في جنة عرضها السموات والأرض)،وإنما خص العرض دون الطول لأن الطول تابع للعرض أو لأن العرض أقل من الطول، فإذا كان عرضها هكذا فما بالك بطولها ؟ (**يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع في حياضها وهو آمن من انقطاعها إذ ثمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة)**، فما من ثمرة يقطفها إلا وينبت مكانها مثلها وأحسن منها ولا حرج على قاطفها، (**ثم هذه أبديه سرمدية لا يقطعها الموت، إذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو أمر رباني سماوي إنما الموت يغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها)** ويجردها عنها (**ويخليها** من حبسها **فأما أن يعدمها فلا)** قال الله تعالى: (**﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ الآية)** وتمامها (**﴿فرحين بما آتاهم من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾**): (**ولا تظنن أن هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد)** في المعركة. (**وفي الخبر « إن الشهيد يتمنى في الآخرة أن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة »)** رواه الشيخان من حديث أنس وقد تقدم، (**و**) في الخبر أيضاً: (**« إن الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء »)**.

(فإذاً جميع أقطار ملكوت السموات والارض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بجسمه وشخصه، فهو من مطالعة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والأرض، وكل عارف فله مثلها من غير أن يضيق بعضهم على بعض

أصلاً، إلا أنهم يتفاوتون في سعة منتزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم، وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم، فقد ظهر أن لذة الرئاسة وهي باطنة أقوى في ذوي الكمال من لذات الحواس كلها، وأن هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه، وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذة الرئاسة ولكن يؤثرون الرئاسة، فأما معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرئاسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها، ولا يمكن إثبات ذلك عنده من لا قلب له لأن القلب معدن هذه القوة، كما أنه لا يمكن إثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان، ولا رجحانه على لذة شم البنفسج عند العنين، لأنه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة، ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين، وعند هذا لا يبقى إلا أن يقال من ذاق عرف. ولعمري طلاب العلوم وإن لم يشتغلوا بطلب معرفة الأمور الإلهية فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها، فإنها أيضاً معارف وعلوم وإن كانت معلوماتها غير

أصلاً إلا أنهم يتفاوتون في سعة تنزهاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرهم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله، ولا يدخل في الحصر تفاوت درجاتهم، فقد ظهر أن لذة الرئاسة وهي باطنة أقوى في ذرى الكمال من لذات الحواس كلها، وأن هذه اللذة لا تكون لبهيمة ولا لصبي ولا لمعتوه) إذ لا عقل لهم، **(وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوي الكمال مع لذة الرئاسة، ولكن يؤثرون الرئاسة)** على غيرها من اللذات، **(فأما كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرئاسة، فهذا يختص بمعرفته من نال رتبة المعرفة وذاقها ولا يمكن إثبات ذلك عند من لا قلب له لأن القلب معدن هذه القوة كما أنه لا يمكن إثبات رجحان لذة الوقاع على لذة اللعب بالصولجان عند الصبيان، ولا رجحانه على شم البنفسج عند العنين لأنه فقد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة، ولكن من سلم من آفة العنة وسلمت حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين، وعند هذا لا يبقى إلا أن يقال من ذاق عرف)** وفي مفهومه من لم يذق لم يعرف كما قيل:

ولـو يـذوق عـاذلي صبـابتي صبـا معـي لكنـه مـا ذاقهـا

وفي أول قصيدة ابن عنين:

ومن ذاق طعم شراب القوم يـدريـه ومـن دراه غـدا بـالـروح يشريـه

(ولعمري طلاب العلوم وإن لم يشتغلوا بطلب معرفة الأمور الإلهية، فقد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند إنكشاف المشكلات وانحلال الشبهات التي قوي حرصهم على طلبها)

شريفة شرف المعلومات الإلهية، فأما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فإنه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به، ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوّة فرحه وسروره، وهذا مما لا يدرك إلا بالذوق، والحكاية فيه قليلة الجدوى. فهذا القدر ينبهك على أن معرفة الله سبحانه ألذ الأشياء وأنه لا لذة فوقها.

ولهذا قال أبو سليمان الداراني: إن لله عباداً ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله؟ ولذلك قال بعض إخوان معروف الكرخي له: أخبرني يا أبا محفوظ أي شيء هاجك إلى العبادة والانقطاع عن الخلق؟ فسكت وقال: ذكر الموت، فقال: وأي شيء الموت؟ فقال: ذكر القبر والبرزخ، فقال: وأي شيء القبر؟ فقال: خوف النار ورجاء الجنة، فقال: وأي شيء هذا؟ إن ملكا هذا كله بيده إن أحببته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا!

والبحث عنها، (**فإنها أيضاً معارف وعلوم وإن كانت معلوماتها غير شريفة شرف المعلومات الإلهية، فأما من طال فكره في معرفة الله سبحانه**) وكثر مزاولته فيها، (**وقد انشكف له من أسرار ملك الله ولو الشيء اليسير**) والقدر القليل (**فإنه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح**) والإرتياح (**ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره، وهذا ما لا يدرك إلا بالذوق**) العرفاني الذي هو أعلى مراتب الوجد، (**والحكاية فيه قليلة الجدوى**) أي الفائدة، (**فهذا القدر ينهيك على أن معرفة الله سبحانه ألذ الأشياء وأنه لا لذة فوقها**) وقد دل على ذلك كلام المشايخ.

(**وقال أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى: (**إن لله عباداً يشغلهم عن الله خوفهم النار ولا رجاء الجنة، فكيف تشغلهم الدنيا عن الله**) نقله صاحب القوت، (**ولذلك قال بعض إخوان معروف**) الكرخي قدس سره (**له: أخبرني**) عنك (**يا أبا محفوظ**) وهي كنية معروف (**أي شيء هاجك إلى العبادة والإنقطاع عن الخلق؟ فسكت فقال**): أي ذلك البعض (**ذكر الموت. فقال: وأي شيء الموت؟ فقال: ذكر القبر والبرزخ. قال وأي شيء القبر والبرزخ؟ فقال: خوف النار ورجاء الجنة، فقال: وأي شيء هذا إن ملكا هذا كله بيده أن أحببته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا**) نقله صاحب القوت وزاد فقال: وحدثت عن عبد الوهاب الحجبي قال: رأيت أحمد بن نصر الخزاعي في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: أدخلني عليه في داره وبسط لي حصيراً من لؤلؤ رطب عن يمينه وقال: يا أحمد قلت فيَّ وصبرت لي؟ فقلت: نعم يا رب، فقال: ها أنا إذاً أنزل إليك حتى تنظر إلى وجهي جل جلال وجه ذي الجلال.

وفي أخبار عيسى عليه السلام: إذا رأيت الغني مشغوفاً بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه. ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحرث في النوم فقال: ما فعل أبو نصر التمار وعبد الوهاب الوراق؟ فقال: تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى يأكلان ويشربان، قلت: فأنت؟ قال: علم الله قلة رغبتي في الأكل والشرب فأعطاني النظر إليه. وعن علي بن الموفق قال: رأيت في النوم كأني أدخلت الجنة، فرأيت رجلاً قاعداً على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل، ورأيت رجلاً قائماً على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضاً ويرد بعضاً، قال: ثم جاوزتهما إلى حظيرة القدس فرأيت في سرادق العرش رجلاً قد شخص ببصره ينظر إلى الله تعالى لا يطرف، فقلت لرضوان: من هذا؟ فقال: معروف الكرخي عبدالله لا خوفاً من ناره ولا شوقاً إلى جنته بل حباً له فأباحه النظر إليه إلى يوم القيامة. وذكر أن الآخرين: بشر بن

(**وفي أخبار عيسى عليه السلام: إذا رأيت الغني مشغولاً**) ولفظ القوت مستغرقاً (**بطلب الرب تعالى فقد ألهاه ذلك عما سواه**) زاد في القوت والمحب لله يحب النصب لله تعالى، (**ورأى بعض الشيوخ**) أبا نصر (**بشر بن الحرث**) الحافي قدس سره (**في النوم**) ولفظ القوت: وحدثني بعض الأشياخ عن منصور الحربي وغيره أنه رأى بشر بن الحارث في النوم (**فقال**) فقلت له: (**ما فعل أبو نصر التمار**) هو عبد الملك بن عبد العزيز القشيري النسائي ثقة عابد مات سنة ثمان وعشرين ومائتين، وهو ابن إحدى وتسعين سنة روى له مسلم والنسائي، (**وعبد الوهاب**) بن عبد الحكم بن نافع أبو الحسن (**الوراق**) البغدادي ثقة مات سنة خمسين ومائتين، روى له أبو داود والترمذي والنسائي (**قال: تركتهما الساعة بين يدي الله يأكلان ويشربان. قلت: فأنت؟ قال: علم الله رغبتي في الأكل والشرب فأعطاني النظر إليه**) كذا في القوت.

(**وعن**) أبي الحسن (**علي بن الموفق**) تقدم ذكره في كتاب الحج (**قال: رأيت في النوم كأني أدخلت الجنة فرأيت رجلاً قاعداً على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل، ورأيت رجلاً قائماً على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بعضاً ويرد بعضاً. قال: ثم جاوزتهما إلى حظيرة القدس**) وهو موضع في أعلى الجنة عن يمين العرش، (**فرأيت في سرادق العرش**) أي في الخيمة المحيطة به (**رجلاً قد شخص ببصره ينظر إلى الله تعالى لا يطرف، فقلت لرضوان: من هذا؟ فقال**): هذا (**معروف الكرخي عبدالله لا خوفاً من ناره ولا شوقاً إلى جنته، بل حباً له فأباحه الله النظر إليه إلى يوم القيامة، وذكر أن الآخرين بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل**) نقله صاحب القوت قال: وهذا مقام الأبدال في الطريقين لا يقامون مقام أبدال الأنبياء إلا بعد صفاء اليقين وحسن المعرفة، نصيبهم إلى الله نظرهم إليه فيجمع لهم بأول نظرة من النعيم والسرور ما لا يوصف جميع ما فوقه في الجنان كلها من

الحرث وأحمد بن حنبل. ولذلك قال أبو سليمان: من كان اليوم مشغولاً بنفسه فهو غداً مشغول بنفسه، ومن كان اليوم مشغولاً بربه فهو غداً مشغول بربه. وقال الثوري لرابعة: ما حقيقة إيمانك؟ قالت: ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً لجنته فأكون كالأجير السوء، بل عبدته حباً له وشوقاً إليه وقالت في معنى المحبة نظماً:

اللذة والسرور والنعيم والحبور، وفي النظرة الثانية فوق ذلك، وفي النظرة الثالثة أعلى من ذلك، وليس من الله حدّ ولا عدد، ولهم أنصبة وراء النظر أضعافاً مضاعفة لا يعرفها سواهم ولا يسع ذكرها إلا لهم ولا يطلب بها أحد دونهم لا يسع ذكرها في كتاب، ولا يجوز تسميتها بخطاب إلا لأهلها السائلين عنها الطالبين لها والراغبين فيها هي من سر الجبروت ونهاية الرغبوت، ولا يبلغون درج الصديقين ولا يعطون منازل الشهداء، حتى تغلب محبة الله على قلوبهم في كل حال، فيتألهون إليه ويذهلون به عن غيره وينسون في ذكره من سواه هو مذكورهم بذكره ومأواهم بظله، فالمحبون لله هم المخلصون نفوسهم لوجهه حقاً فيعبدونه لأجله صرفاً وهم المقربون ونعيمهم في الجنان صرف ويمزج أهل المزج وهم أصحاب اليمين، كذلك كانوا في الدنيا يحسن علومهم بعلمهم ويرتفع أعمالهم بمشاهدتهم ويجدون المزيد في نفوسهم بقربهم منه ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وقد قال عز وجل: ﴿جزاءً وفاقاً﴾ [النبأ: ٢٦] أي وافق أعمالهم جزاؤهم وقال: ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ [الانعام: ١٣٩] أي يعطيهم غدا لوصفهم في الدنيا ﴿إنه حكيم عليم﴾ فمن كان في هذه الدار اليوم نعيمه طيبات الملك فكذلك غدا يكون الملك نعيمه ومن كان فيها نعيمه وروحه بالملك الطيب، فهذا غداً في مقعد صدق عنده، (**ولذلك قال أبو سليمان الداراني**) رحمه الله تعالى: (**من كان مشغولاً بنفسه فهو غداً مشغول بنفسه، ومن كان اليوم مشغولاً بربه فهو غداً مشغول بربه**) كذا في القوت.

(**وقال**) سفيان (**الثوري**) رحمه الله تعالى (**لرابعة**) ابنة إسماعيل العدوية البصرية العابدة رحمها الله تعالى، وكانت إحدى المحبين ماتت سنة ١٣٥، وكان الثوري يقعد بين يديها ويقول: علمينا مما أفادك الله من طرائف الحكمة، وكانت تقول له: نعم الرجل أنت لولا أنك تحب الدنيا، وقد كان الثوري زاهداً عالماً إلا أنها كانت تجعل إيثار كتب الحديث والإقبال على الناس من أبواب الدنيا، وقال لها الثوري يوماً: لكل عقد شريطة ولكل إيمان حقيقة، و(**ما حقيقة إيمانك؟ قالت: ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً لجنته فأكون كالأجير السوء إن خاف عمل**) أو إذا أعطي عمل، (**بل عبدته حباً له وشوقاً إليه**) وروى عنها حماد بن زيد أنها قالت: إني لأستحي أن أسأل الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها؟ فكان هذا جواباً لأنه قال: سلني حاجتك. وخطبها عبد الواحد بن زيد فحجبته أياماً حتى سئلت أن يدخل عليها فقالت له: يا شهواني أطلب شهوانية مثلك أي شيء رأيت فيّ من آلة الشهوة؟ وخطبها محمد بن سليمان الهاشمي أمير البصرة على مائة ألف وقال لي غلة عشرة آلاف كل شهر أجعلها لك، فكتبت إليه ما يسرني إنك لي عبد وإن كل ما لك لي وأنك شغلتني عن الله طرفة عين، (**و**) قد (**قالت في معنى**

أحبـــك حبين حـــب الهوى | وحبـاً لأنـك أهـل لــذاكـا
فـأمـا الذي هـو حـب الهوى | فشغلي يذكرك عمـن سـواكـا
وأمـا الذي أنـت أهـل لـه | فكشفك لي الحجب حتى أراكـا
فلا الحمـد في ذا ولا ذاك لي | ولكن لك الحمـد في ذا وذاكـا

ولعلها أرادت بحب الهوى: حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة، وبحبه لما هو أهل له: الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها؛ وهو أعلى الحبين وأقواهما،

المحبة) أبياتاً (**نظماً**) تحتاج إلى شرح حملها عنها أهل البصرة وغيرهم، منهم سفيان الثوري، وجعفر بن سليمان الضبعي، وعبد الواحد بـن زيد، وحماد بن زيد وهي هذه:

(أحبـــك حبين حـــب الهوى | وحبـا لأنـك أهــل لــذاك
فـأمـا الذي هـو حـب الهوى | فشغلي بـذكـرك عمـن سـواك
وأمـا الذي أنـت أهـلّ لـه | فكشفـك للحجـب حتى أراك
فلا الحمـد في ذا ولا ذاك لي | ولكـن لـك الحمد في ذا وذاك)

وقد تكلم صاحب القوت على هذه الأبيات بكلام ساطع الأنوار يعرفه من رزقه وينكره من حرمه، والمصنف رحمه الله تعالى أشار إلى زبدة كلامه، فلنورد كلامه أولاً، ثم كلام صاحب القوت.

قال المصنف: **(ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو أهل له الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحبين)**، فقد اشار بذلك إلى أن كلامها يدل على أن المحبة بهذا السبب أقوى الأسباب وأثبتها دواماً.

وأما صاحب القوت فقال: فأما قولها حب الهوى، وقولها حب أنت أهل له وتفرقتها بين الحبين فإنه يحتاج إلى تفصيل حتى يقف عليه من لا يعرفه ويخبره من لم يشهده، وفي تسميته ونعت وصفه إنكار من ذوي العقول ممن لا ذوق له منه ولا قدر له به، ولكنا نجمل ذلك وندل عليه من عرفه معنى حب الهوى أي رأيتك فاحببتك عن مشاهدة اليقين لا من خبر وسمع تصديق من طريق النعم والإحسان، فتختلف محبتي إذا تغيرت الأفعال لاختلاف ذلك عليَّ، ولكن محبتي من طريق العيان فقربت منك وهربت إليك فاشتغلت بك لما تفرغت لك، كما قال المحب:

فـرغـت قلبهـا إشتغـالاً بـذكـرى | وكـذا كـل فـارغ مشغـول

وعلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ [القصص: ١٠] أي ملآن بذكره حتى فاض فكادت أن تظهره، فتقول: هو ابني فعبّر عن الملء بالفراغ من ضده لولا أن أولينا عليه بربطنا فكظمت، ولو لم تفعل لأظهرت ولو أظهرته لقتل.

وأما الحب الثاني الذي هو أهل له تعني حب التعظيم والإجلال لوجه العظيم ذي الجلال تقول: ثم

ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها رسول الله ﷺ حيث قال حاكياً عن ربه تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب

إني مع ذلك لا استحق على هذا الحب ولا استأهل إن أنظر إليك في الآخرة على الكشف والعيان في محل الرضوان لأن حبي لك لا يوجب لك جزاء عليه، بل يوجب على كل شيء مما لا أطيقه ولا أقوم بحقك فيه أبداً، إذ كنت قد أحببتك فلزمني خوف التقصير ووجب علي الحياء من قلة الوفاء والخوف لما تعرضت به من حبك إذ ليس كمثلك شيء كما قال المحب:

أصبحت صبا ولا أقول بمن ... خوفاً لمن لا يخاف من أحدِ
إذا تفكرت في هواي له ... لمست رأسي هل طار عن جسدي

لولا أن الحب ينطق والشوق يقلق والوجد يحرق، فالمحب لا يلام لغيبة النفس عنه، والأنام تقول: فتفضلت علي بفضل كرمك وما أنت له من تفضلك فأريتني وجهك عندك آخراً كما أريتنيه اليوم عندي أولاً، فلك علي ما تفضلت به في ذاك عندي في الآخرة ولا حمد لي في ذا ههنا ولا حمد لي في ذاك هناك إذ كنت أنا وصلت إليها بك، فأنت المحمود فيها لأنك وصلتني بها؛ فهذا الذي فسرناه هو وجد المحبين المحقين، وقد كانت تذكر الأنس في وجدها وترتفع إلى وصف معنى من الخلة في قولها السائر:

إني جعلتك في الفؤاد محدثي ... وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس ... وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

ومن قولها النادر في مقام الخلة:

وتخللت مسلك الروح مني ... وبه سمي الخليل خليلا
فإذا ما نطقت كنت حديثي ... وإذا ما سكت كنت الغليلا

وقد أهل ذلك لها كل من نقله عنها من العلماء ووصفوها به، فوصفنا من نعت المحبين بعض ما يصلح من معنى كلامها لأنا ظننا بقولها إن كان لها في المحبة قدم، ولا يسعنا أن نشرح في كتاب حقيقة كشف ما أجملناه ولا أن نفصّل وصف ما ذكرناه، ومن لم يكن من المحبين كذلك حتى لا يدل بمحبته ولا يقتضي الجزاء عليها من محبوبه، ولا يوجب على حبيبه شيئاً لأجل محبته فهو مخدوع بالمحبة ومحجوب بالنظر إليها، وإنما ذلك مقام الرجاء الذي ضده الخوف ليس من المحبة في شيء، ولا تصح المحبة إلا بخوف المقت في المحبة. وقال بعض العارفين: ما عرفه من ظن أنه عرفه ولا أحبه من توهم أنه أحبه هذا كله كلام صاحب القوت.

(ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبرّ عنها رسول الله ﷺ قال حاكياً عن ربه تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين) أي لحضرتي من الجزاء **(ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»)** رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة رواه ابن جرير من حديث أبي سعيد، وعن قتادة مرسلاً. وروى ابن جرير أيضاً عن الحسن

بشر »، وقد تعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية، ولذلك قال بعضهم: إني أقول يا رب يا ألله فأجد ذلك على قلبي أثقل من الجبال لأن النداء يكون من وراء حجاب، وهل رأيت جليساً ينادي جليسه؟ وقال: إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة؛ أي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنوناً وكفراً. فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط، فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم منها، وإذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقاً بنعيمها، فلو ألقي في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه

بلاغاً بلفظ: « قال ربكم أعددت لعبادي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ».

(وقد تتعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية، ولذلك قال بعضهم: إني) لأجد الحضور **(فأقول: يا رب أو يا الله فأجد ذلك أثقل على قلبي من الجبال)** قيل له: ولم؟ قال: **(لأن النداء يكون من وراء الحجاب وهل رأيت جليساً ينادي جليسه)**؟ إنما هي إشارات وملاحظات ومناغات وملاطفات، فصاحب هذا المقام ممن عجلت له هذه اللذة وقد صدق فيما قال، فإن النداء لا يكون إلا للغائب، ومن كان الذي يناديه جليسه وأنيسه فيستغني عن نداه كيف وهو مستغرق الهم به ويستأنس له ما جاء في الخبر قال الله تعالى: يا موسى أنا جليس من ذكرني، ويشبه أن يكون هذا مقام رابعة قدس الله سرها إذ قالت:

وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

وقال صاحب القوت: عقيب الكلام السابق إلا أنه مستبعد أن يقول ومأخوذ عليه أن يكون فقيهاً بما يقول، ولا يخرج من موضع القرب وإن وقع عليه الحكم بالقول والفعل، ولكل مقام مع الله تعالى فقد خفي، ولكل عالم بالله اللطيف علم لطيف غريب.

(وقال بعضهم: إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة) كما في القوت ولفظه: ولقد قال رجل من أهل المعرفة: إذا بلغ أحدهم من هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة، **(أي يخرج كلامه عن حد عقولهم فيرون ما يقوله جنوناً أو كفراً)** زاد صاحب القوت فقال، وقال آخر: إذا تناهت معارفهم انتهت إلى حيرة ودهشة انتهى.

ومن ذلك قول ابن عباس: لو فسرت لكم آية كذا وسماها لرميتموني بالحجارة أي لقلتم بكفري فإنه لا يرجم بالحجارة إلا من ارتد عن دينه.

(فمقصد العارفين كلهم وصله ولقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما أخفي لهم منها) من أنواع الأنصبة، **(وإذا حصلت انمحقت الهموم والشهوات كلها وصار القلب مستغرقاً بنعيمها، فلو ألقي في النار لم يحس بها)** ولم يدرك لها ألماً **(لاستغراقه)** بكليته،

لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية، وليت شعري من لم يفهم إلا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله تعالى وما له صورة ولا شكل؟ وأي معنى لوعد الله تعالى به عباده وذكره أنه أعظم النعم؟ بل من عرف الله عرف أن اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم:

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلاً بذكرك يا ديني ودنيائي

ولذلك قال بعضهم:

وهجره أعظم من ناره ووصله أطيب من جنته

وما أراد بهذا الإيثار ثم لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والنكاح، فإن الجنة معدن تمتع الحواس، فأما القلب فلذته في لقاء الله فقط.

(**ولو عرض عليه نعيم الدنيا لم يلتفت إليه**) أصلاً (**لكمال نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية**) ولا بعدها مرمى. (**وليت شعري من لا يفهم إلا حب المحسوسات كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل**). تعالى الله عن ذلك، (**وأي معنى لوعد الله تعالى به عباده؟ وذكره أنه أعظم النعم بل من عرف الله عرف أن اللذات المفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة**)، وهذا هو معنى الحب الأول الذي أشارت إليه رابعة قدس الله سرها، (**كما قال بعضهم**) أي من المحبين مشيراً إلى هذا المقام:

(**كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي**)

أي كانت لي قبل ذلك أهواء متفرقة، فلما رأيتك اجتمعت كلها فصرت أنت كلية القلب وجلة المحبة وأنسيتني ما سواك، وإليه يشير قول القائل:

وأنت جمعت من قلبي هوى قد كان مشتركاً

(**فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى إذ صرت مولائي**
تركت للناس دنياهم ودينهم شغلاً بذكرك يا ديني ودنيائي)

(**ولذلك قال بعضهم**) أي من المحبين مشيراً إلى هذا المقام:

(**وهجره أعظم من ناره ووصله أطيب من جنته**)

(**وما أرادوا بهذا إلا إيثار لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والنكاح، فإن الجنة معدن تمتع الحواس، فأما القلب فلذته في لقاء الله فقط**) وبه تمتعه.

ومثال أطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره: وهو أن الصبي في أول حركته وتمييزه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو، حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الأشياء، ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحقر معها لذة اللعب، ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول إليها، ثم تظهر لذة الرئاسة والعلو والتكاثر، وهي آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالى: ﴿اعلمُوا انَّما الحَيَاةُ الدُّنْيَا لعِبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخُرٌ بَيْنكُمْ وتَكَاثُر﴾ [الحديد: ٢٠] الآية. ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله فيستحقر معها جميع ما قبلها، فكل متأخر فهو أقوى، وهذا هو الأخير، إذ يظهر حب اللعب في سنّ التمييز، وحب النساء والزينة في سن البلوغ، وحب الرئاسة بعد العشرين، وحب العلوم بقرب الأربعين، وهي الغاية العليا، وكما أن الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرئاسة، فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرئاسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى. والعارفون يقولون: ﴿إن تسخَرُوا مِنَّا فإنَّا نَسخرُ مِنْكُمْ كمَا تَسخَرُونَ ★ فسوْفَ تعلَمُون﴾ [هود: ٣٨ - ٣٩].

(**ومثال أطوار الخلق في لذاتهم**) هو (**ما نذكره**) هنا، (**وهو أن الصبي في أول حركته وتمييزه تظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده ألذ من سائر الأشياء**) فإذا خلي وطبعه مال إلى ما جبل عليه، (**ثم تظهر**) فيه (**بعده**) غريزة أخرى بها يدرك (**لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب**) فيشتغل بها، (**فيستحقر معها لذة اللعب الذي كان يميل إليه ويحبه، ثم تظهر**) فيه (**بوادي**) غريزة أخرى يدرك بها (**لذة الوقاع وشهوة النساء، فيترك بها جميع ما قبلها**) من اللعب والزينة (**في الوصول إليها، ثم تظهر**) فيه بعده غريزة أخرى يدرك بها (**لذة الرئاسة والعلو والتكاثر**) بالأموال والأولاد (**وهي آخر لذة الدنيا وأعلاها وأقواها**)، ولذا كانت آخر ما يخرج من دماغ الإنسان من لذات الدنيا هي كما قال بعضهم أما العلو ففي النفس منه شيء (**كما قال تعالى: ﴿اعملوا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم﴾ الآية**) فقد أشار فيه إلى تلك المقامات الثلاث، (**ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أفعاله**) ومعاملاته، (**فيستحقر معها جميع ما مر قبلها**) من اللذات، (**فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو الأخير، إذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرئاسة بعد العشرين وحب العلوم بقرب الأربعين وهي الغاية العليا**) وما بعد العلوم والمعارف شيء (**وكما أن الصبي يضحك على من يترك اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرئاسة، فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرئاسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى، والعارفون يقولون: ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ★ فسوف**

بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا:

اعلم أن المدركات تنقسم إلى ما يدخل في الخيال؛ كالصور المتخيلة والأجسام المتلوّنة والمتشكلة من أشخاص الحيوان والنبات، وإلى ما لا يدخل في الخيال، كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والإرادة وغيرها. ومن رأى إنساناً ثم غض بصره وجد صورته حاضرة في خياله كأنه ينظر إليها، ولكن إذا فتح العين وأبصر أدرك تفرقة بينهما، ولا ترجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين لأن الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة، وإنما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف، فإن صورة المرئي صارت بالرؤية أتم انكشافاً ووضوحاً، وهو كشخص يرى في وقت الإسفار قبل انتشار ضوء النهار ثم رؤي عند تمام الضوء، فإنه لا تفارق إحدى الحالتين الأخرى إلا في مزيد الانكشاف. فإذا الخيال أول الإدراك والرؤية هو الاستكمال لإدراك الخيال وهو غاية الكشف، وسمي ذلك رؤية لأنه غاية الكشف لا لأنه في العين، بل لو خلق الله هذا

تعلمون﴾) إذا كشف الغطاء وارتفع الحجاب وتحققت الحقائق وتتجلى الإسرار، ويصادف كل واحد ما قدم من خير أو شر محضراً ويشاهد كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ووجدوا ما عملوا حاضراً وعنده يقال له: فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد.

بيان السبب في زيادة الفضل في الآخرة على المعرفة في الدنيا:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن المدركات تنقسم إلى ما يدخل في الخيال**) وهي قوة تحفظ ما يدركه الحس المشترك (**كالصور المتخيلة والأجسام المتلونة المتشكلة من أشخاص الحيوان والنبات، وإلى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم كالعلم والقدرة والإرادة وغيرها**) من صفات المعاني، (**ومن رأى إنساناً ثم غض بصره وجد صورته حاضرة في خياله**) بعد غيبوبة مادته بغض البصر (**كأنه ينظر إليها**) بقوة الحس المشترك، (**ولكن إذا فتح العين أدرك تفرقة بينها ولا ترجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين لأن الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة، وإنما الإفتراق بمزيد الوضوح والكشف فإن صورة المرئي صارت بالرؤية أتم انكشافاً ووضوحاً وهو كشخص يرى في وقت الأسفار قبل انتشار ضوء النهار، ثم رؤي**) وقت الضحوة (**عند تمام الضوء فإنه لا تفارق إحدى الحالتين الأخرى إلا في مزيد الإنكشاف**) وتمام الوضوح (**فإذا الخيال أول الإدراك**) وهو خزانة الحس المشترك، (**والرؤية هو استكمال لإدراك الخيال**) أي ما تخيله في تلك القوة (**وهو غاية الكشف وسمي ذلك رؤية لأنه غاية الكشف لا لأنه في العين، بل لو خلق الله هذا الإدراك**

الإدراك الكامل المكشوف في الجبهة أو الصدر مثلاً استحق أن يسمى رؤية.

وإذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم أن المعلومات التي لا تتشكل أيضاً في الخيال لمعرفتها وإدراكها درجتان إحداهما: أولى. والثانية: استكمال لها. وبين الأولى والثانية من التفاوت في مزيد الكشف والإيضاح ما بين المتخيل والمرئي، فيسمى الثاني أيضاً بالإضافة إلى الأوّل مشاهدة ولقاء ورؤية. وهذه التسمية حق لأن الرؤية سميت رؤية لأنها غاية الكشف، وكما أن سنة الله تعالى جارية بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجاباً بين البصر والمرئي، ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية، وما لم ترتفع كان الادراك الحاصل مجرّد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية، فإنها لا تنتهي إلى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال، بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن رؤية الأبصار. والقول في سبب كونها حجاباً يطول ولا يليق بهذا العلم. ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لنْ تَرَاني﴾

الكامل المكشوف في الجبهة أو الصدر مثلاً استحق أن يسمى رؤية) فلا اختصاص للرؤية بالعين.

(وإذا فهمت هذا في المتخيلات فاعلم أن المعلومات التي لا تشكل أيضاً في الخيال لمعرفتها وإدراكها درجتان. إحداهما: أولى لها، والثانية استكمال لها، وبين الأولى والثانية من التفاوت في مزيد الكشف والإيضاح) مثل **(ما بين المتخيل والمرئي فيسمى الثاني أيضاً بالإضافة إلى الأول مشاهدة ولقاء ورؤية، وهذه التسمية حق لأن الرؤية سميت رؤية لأنها غاية الكشف)** وأصلها المرئي وهو على أضرب بحسب قوة النفس، **(وكما أن سنة الله تعالى جارية بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية حجاباً بين البصر والمرئي، ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية وما لم ترتفع كان الإدراك الحاصل مجرد التخيل)** أي التصور في الخيال، **(فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية فإنها لا تنتهي إلى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال، بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن رؤية الأبصار، والقول في سبب كونه حجاباً يطول)** ذكره **(ولا يليق بهذا العلم)** فإنه من أسرار المكاشفات، **(ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام)** لما طلب الرؤية، **(﴿لن تراني﴾)** أي ما دمت محجوباً بحجاب الحياة.

قال سيدي عبد العزيز الدباغ قدس سره حين سئل عن هذه الآية ما حاصله: إن سيدنا موسى عليه السلام من أكابر أهل المشاهدة ومشاهدة الذات العلية لا تخلص لأهلها من مشاهدة أفعالها

[الأعراف: جزء من الآية ١٤٣] وقال تعالى: ﴿لا تُدرِكُه الأبصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أي في الدنيا، والصحيح أن رسول الله ﷺ ما رأى الله تعالى ليلة المعراج، فإذا ارتفع

ولا تصفو عنها إلا لو كانت أفعال الذات العلية تنقطع، ولو انقطعت طرفة عين لانهد الوجود واختل نظام العالم فما من وجود إلا وفيه فعل الله وهو مادته، والسبب في بقائه وهو الحجاب بينه وبين الذات العلية، ولولا أنه تعالى حجب ذواتنا بأفعاله فيها لاحترقت الذوات وذاب كل حادث في العالم، فلما لم تصف المشاهدة لأهلها وصارت الأفعال المتقدمة بمنزلة القذى في البصر سأل موسى عليه السلام ربه أن يقطع عنه الفعل حتى لا يحجبه عن مشاهدة الذات العلية على الصفاء فقال له ربه عز وجل: إذا قطعت الفعل عن الحادث اختلفت ذاته، وهذا الجبل أقوى منك ذاتاً وأصلب منك جرماً فانظر إليه فإن استقر مكانه بعد قطع فعلي عنه فسوف تراني، فلما تجلى ربه للجبل وقطع عنه الفعل الحاجب له من سطوة الذات العلية تدكدك الجبل وتطايرت أجزاؤه حتى صعق موسى عليه السلام اهـ.

(**وقال تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ في الدنيا**) لوجود الحجاب المانع من الرؤية، (**والصحيح أن رسول الله ﷺ ما رأى الله تعالى ليلة المعراج**) قال العراقي: هذا الذي صححه المصنف هو قول عائشة ففي الصحيحين أنها قالت: « من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ». ولمسلم من حديث أبي ذر: سألت رسول الله ﷺ أقد رأيت ربك؟ قال: « نور أني اراه » وذهب ابن عباس وأكثر العلماء إلى إثبات رؤيته له، وعائشة لم ترو ذلك عن النبي ﷺ وحديث أبي ذر قال فيه أحمد: ما زلت له منكراً. وقال ابن خزيمة: في القلب من صحة إسناده شيء، وفي رواية لأحمد من حديث أبي ذر: « رأيته نوراً أني أراه » ورجال إسنادها رجال الصحيح اهـ.

قلت: ورواية أبي ذر الأولى رواه كذلك الطيالسي والترمذي وابن حبان وابن مردويه هل رأيت ربك؟ قال: فذكره. وروى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث أبي ذر قال: رآه بقلبه ولم يره بعينه، ورواه النسائي مثله إلا أنه قال: ولم يره ببصره، وقد روي عن أبي العالية مثله، كذا رواه ابن جرير.

وأخرج عبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه عن الشعبي قال: لقي ابن عباس بعرفة فسأله عن شيء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس: إنا بني هاشم نزعم ونقول: أن محمداً قد رأى ربه مرتين، فقال كعب: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما السلام فرآه محمد مرتين، وكلم موسى مرتين. قال مسروق: فدخلت على عائشة فقلت: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد تكلمت بشيء وقف له شعري. قلت: رويداً، ثم قرأت ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ [النجم: ١٨] قالت: أين يذهب بك إنما هو جبريل من أخبرك أن محمداً رأى ربه أو كتم شيئاً مما أمر به، أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى: ﴿إن الله عنده

الحجاب بالموت بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا، غير منفكة عنها بالكلية وإن كانت متفاوتة، فمنها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي فسد بطول تراكم الخبث جوهرها فلا تقبل الإصلاح والتصقيل، وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد ـ نعوذ بالله من ذلك ـ ومنها ما لم ينتهِ إلى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل فيعرض على النار عرضاً يقمع منه الخبث الذي هو متدنس به، ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى التزكية، وأقلها لحظة خفيفة وأقصاها في حق المؤمنين ـ كما وردت به الأخبار ـ سبعة آلاف سنة ولن ترتحل نفس عن هذا العالم إلا

علم الساعة﴾ [لقمان: ٣٤] الآية. فقد أعظم الفرية، ولكنه رأى جبريل لم يره في صورته إلا مرتين مرة عند سدرة المنتهي ومرة عند جياد له ستمائة جناح قد سد الأفق.

وأما قول ابن عباس: فروي عنه من طرق بألفاظ مختلفة. فعند الطبراني وابن مردويه عنه قال: إن محمداً رأى ربه مرتين ببصره ومرة بفؤاده، وعند ابن مردويه عنه قال: إن النبي ﷺ رأى ربه بعينه، وروى الترمذي وحسنه والطبراني وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات عنه قال: قد رأى النبي ﷺ ربه عز وجل. وروى النسائي والحاكم وصححه وابن مردويه عنه قال: أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد عليهم السلام، والكلام في المسألة طويل الذيل أورده شراح الشفاء فليراجع.

(فإذا ارتفع الحجاب بالموت بقيت النفس ملوّثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالكية وإن كانت متفاوتة، فمنها ما تراكم عليه الخبث والصدأ فصار كالمرآة التي فسدت بطول تراكم الخبث جوهرها فلا يقبل الإصلاح والتصقيل، وهؤلاء هم المحجوبون عن ربهم أبد الآباد نعوذ بالله من ذلك)، وإليهم يشير قوله تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥] **(ومنها ما لم ينته إلى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصقيل، فيعرض على النار عرضاً يقمع عنه الخبث الذي هو متدنس به)** ليصلح للمشاهدة، **(ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى التزكية وأقلها لحظة خفيفة)** وإليه الإشارة في حديث المرور على الصراط كالبرق الخاطف، **(وأقصاها في حق المؤمنين، كما وردت به الأخبار سبعة آلاف)** قال العراقي: رواه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة: «إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي» الحديث، وفيه: «وأطولهم مكثاً فيها مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة» وإسناده ضعيف وقد تقدم اهـ.

قلت: وهو حديث طويل وهذا لفظه: «إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي ثم ماتوا عليها، فهم في الباب الأول من جهنم لا تسوّد وجوههم ولا تزرق أعينهم ولا يغلون بالأغلال ولا يقرنون مع الشيطان ولا يضربون بالمقامع، منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج، ومنهم

ويصحبها غبرة وكدورة ما، وإن قلت، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وإنْ مِنْكُمْ إلاَّ وارِدُها كانَ على ربِّكَ حَتْماً مقضِياً * ثُمّ نُنجِّي الذِينَ اتقُوا ونَذرُ الظالِمِينَ فِيهَا جثياً﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢] فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها، فإذا أكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع من الحساب والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة ـ وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه فإنه واقع بعد القيامة؛ ووقت القيامة مجهول ـ فعند ذلك يشتغل بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة لأن فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى، فيتجلى له تجلياً يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ما علمه كانكشاف تجلي المرآة بالإضافة إلى ما تخيله. وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية، فإذاً الرؤية حق، بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصوّر مخصوص بجهة ومكان،

من يمكث فيها يوماً ثم يخرج ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج، وأطولهم مكثاً فيها يمكث بمثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة» الحديث، وفيه ذكر جماعة يخرجون من النار ويدخلون الجنة وهم عتقاء الله من النار إلا رجلاً واحداً فإنه يمكث فيها بعدهم ألف سنة، ثم ينادي يا حنان يا منان فيبعث الله إليه ملكاً ليخرجه الحديث وقد تقدم.

(**ولن ترحل نفس عن هذا العالم إلا ويصبحها غبرة وكدورة وإن قلت، ولذلك قال تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾**) والمراد بالورود العرض عليها لا الدخول فيها (**﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾**) أي جاثين على ركبهم، (**فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها**) وقد روي ذلك عن الحسن، (**فإذا أكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله**) المضروب (**ووقع الفراغ من جملة ما وعد به الشرع**) ونطقت به الأخبار (**من الحساب**) ووزن الأعمال (**والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم**) غير معلوم (**لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه**) بل استأثره بعلمه، (**فإنه واقع بعد يوم القيامة ووقت القيامة مجهول**) كساعة الجمعة وليلة القدر وأضرابها، (**فعند ذلك يشتغل بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة**) أي دخنة (**لأن فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى، فيتجلى له تجلياً يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ما علمه كانكشاف تجلي المرآة بالإضافة إلى ما تخيله**) أي يدركه في خياله. (**وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية فإذاً الرؤية حق**) فمن كان من أهل هذه المشاهدة ثم سأل الرؤية فإنما يسأله بقاءها ودوامها لأن الرؤية أمر وراء تلك المشاهدة (**بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بجهة ومكان**

فإن ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علواً كبيراً ، بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقة تامة من غير تخيل وتصوّر وتقدير شكل وصورة ، فتراه في الآخرة كذلك . بل أقول : المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ، ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة ، والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح ، كما ضربنا من المثال في استكمال الخيال بالرؤية ، فإذاً لم يكن في معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهه فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح الى غاية الكشف أيضاً جهة وصورة لأنها بعينها لا تفترق منها إلا في زيادة الكشف ، كما أن الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها في زيادة الكشف ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ نُورُهُم يَسْعَى بين أيدِيهِمْ وبِأيمانِهِمْ يقُولُون ربَّنَا أتْمِمْ لنا نُورَنا ﴾ [التحريم : ٨] إذ تمام النور لا يؤثر إلا في زيادة الكشف ، ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا ، لأن المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحب زرعاً ، ومن لا نواة في أرضه كيف يحصل له نخل ؟ ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد الزرع ، فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ؟ ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضاً على درجات متفاوتة ،

فإن ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب) جل جلاله **(علواً كبيراً)** لتنزهه عن المكان وعن تطرق الخيال والتصوير إليه ، **(بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقة تامة من غير تخيّل وتصور وتقدير شكل وصورة ، فتراه في الآخرة كذلك بل أقول : المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة ، ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة ، والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح ، كما ضربنا من المثال)** فيما سبق **(في استكمال الخيال بالرؤية ، فإذاً لم يكن في معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهه)** وتقدير شكل **(فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح إلى غاية الكشف أيضاً جهة وصورة لأنها هي بعينها إلا في زيادة الكشف كما أن الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها لا تفترق منها إلا في زيادة الكشف ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ نورهم يسعى بين أيديهم وبإيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا ﴾ إذ تمام النور لا يؤثر إلا في زيادة الكشف)** كما يرشد إليه لفظ الإتمام الذي هو بمعنى التوفية ، **(ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا لأن المعرفة هي النور الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة ، كما تنقلب النواة شجرة والحبة زرعاً ، ومن لا نواة في أرضه فكيف يحصل له نخل ، ومن لم يزرع الحب فكيف يحصد الزرع؟ فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة؟ ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضاً على**

فاختلاف التجلي بالإضافة إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذر، إذ تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوّتها وضعفها، ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: « إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة »، فلا ينبغي أن يظن أن غير أبي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدات ما يجده أبو بكر، بل لا يجد إلا عشر عشيره إن كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره، ولما فضل الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به، وكما أنك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرئاسة على المطعوم والمنكوح؛ وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف مشكلات ملكوت السموات والأرض وسائر الأمور الإلهية على الرئاسة وعلى المنكوح والمطعوم والمشروب جميعاً؛ فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون لذة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة، إذ يرجع نعيمها إلى المطعوم والمنكوح، وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا ما

درجات متفاوتة، فاختلاف التجلي بالإضافة إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذر، إذ تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها، ولذلك قال النبي ﷺ: « إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة ») قال العراقي: رواه ابن عدي من حديث جابر وقال: باطل بهذا الإسناد، وفي الميزان للذهبي: إن الدارقطني رواه عن المحاملي عن علي بن عبدة. قال: وعلي بن عبدة كان يضع الحديث. ورواه ابن عساكر في التاريخ وابن الجوزي في الموضوعات اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن النجار في تاريخه وعلي بن عبدة هو التميمي رواه عن ابن علية، وفي الخبر الأول من فوائد أبي الحسين بن بشران من طريق أبي عبيدة عن الحسن قال: قال علي بن أبي طالب: يا رسول الله من أول من يحاسب الله يوم القيامة؟ فساق الحديث. وفي آخره: « فيتجلى الله عز وجل لأبي بكر خاصة وللناس عامة ».

(فلا ينبغي أن يظن أن غير أبي بكر ممن هو دونه) في المعرفة **(يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده أبو بكر)** رضي الله عنه، **(بل لا يجد إلا عشر عشيره إن كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره، ولما فضل)** أبو بكر **(الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به)** يشير إلى ما سبق من حديث: « ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه » رواه الحكيم من قول بكر المزني وتقدم الكلام عليه، **(وكما أنك ترى في الدنيا من يؤثر لذة الرياسة على المطعوم والمنكوح، وترى من يؤثر لذة العلم وانكشاف ملكوت السموات والأرض وسائر الأمور الإلهية على الرئاسة وعلى المطعوم والمنكوح جميعاً، فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثر لذة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة إذ)** كان **(يرجع نعيمها إلى المطعوم والمنكوح، وهؤلاء بعينهم هم الذين حالهم في الدنيا**

وصفنا من إيثار لذة العلم والمعرفة والإطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب، وسائر الخلق مشغولون به. ولذلك لما قيل لرابعة: ما تقولين في الجنة؟ فقالت: الجار ثم الدار. فبينت أنه ليس في قلبها التفات إلى الجنة بل إلى رب الجنة. وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة، وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة، إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا، ولا يحصد أحد إلا ما زرع، ولا يحشر المرء إلا على ما مات عليه، ولا يموت إلا على ما عاش عليه، فما صحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط، إلا أنه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة به؛ كما تتضاعف لذة العاشق إذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فإن ذلك منتهى لذته، وإنما طيبة الجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهي، فمن لا يشتهي إلا لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره، بل ربما يتأذى به. فإذاً نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته؛ فأصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالإيمان.

ما وصفنا من إيثار لذة العلم والمعرفة والإطلاع على أسرار الربوبية على لذة المنكوح والمطعوم والمشروب وسائر الخلق مشغولون به، وكذلك لما قيل لرابعة) بنت إسماعيل العدوية قدس الله سرها **(ما تقولين في الجنة؟ فقالت)** مستشهدة بالحديث المشهور: **(الجار ثم الدار)** رواه الخطيب في الجامع من حديث علي بزيادة: والرفيق قبل الطريق والزاد قبل الرحيل، ورواه الطبراني من حديث رافع بن خديج وفيه زيادة أخرى في آخره، **(فبينت أنه ليس في قلبها التفات إلى الجنة بل إلى رب الجنة، وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة، وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظر في الآخرة إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا، ولا يحصد أحد إلا ما زرع، ولا يحشر المرء إلا على ما مات عليه)** ففي الخبر: «يبعث كل عبد على ما مات عليه» رواه عبد بن حميد ومسلم وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث جابر، ورواه البغوي والطبراني والحاكم في الكنى من حديث زيد بن حارثة، ورواه الدارقطني في الإفراد من حديث ابن عمر، ورواه ابن حبان من حديث جابر أيضاً بزيادة، «المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه» وعند ابن ماجه من حديث أبي هريرة: «إنما يبعث الناس على نياتهم» **(ولا يموت إلا على ما عاش عليه فما صحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط إلا أنه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة به كما تتضاعف لذة العاشق إذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته، فإن ذلك منتهى لذته، وإنما طيبة الجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهي فمن لا يشتهي إلا لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره، بل ربما يتأذى به فإذاً نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى، وحب الله تعالى بقدر معرفته، فأصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالإيمان)** فقد روي من حديث

فإن قلت: فلذة الرؤية إن كان لها نسبة إلى لذة المعرفة فهي قليلة وإن كان أضعافها ، لأن لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها إلى حد قريب لا ينتهي في القـوّة إلى أن يستحقر سائر لذات الجنة فيها ؟

فاعلم أن هذا الاستحقار للذة المعرفة صدر من الخلو عن المعرفة ، فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها ؟ وإن انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها ؟ فللعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلاً عنها لم يستبدلوا بها لذة الجنة ، ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها أصلاً إلى لذة اللقاء والمشاهدة ، كما لا نسبة للذة خيال المعشوق إلى رؤيته ، ولا للذة استنشاق روائح الأطعمة الشهية إلى ذوقها ، ولا للذة اللمس باليد إلى لذة الوقاع .

وإظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن إلا بضرب مثال فنقول: لذة النظر إلى وجه المعشوق في الدنيا تتفاوت بأسباب:

علي: « الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان » رواه ابن ماجه والطبراني وتمام والشيرازي في الألقاب ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات .

(فإن قلت: فلذة الرؤية إن كانت لها نسبة إلى لذة المعرفة فهي قليلة، وإن كانت أضعافها لأن لذة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها إلى حد قريب لا ينتهي في القوة إلى أن يستحقر سائر لذات الجنة فيها ؟

فاعلم أن هذا الإستحقار للذة المعرفة صدر من الخلق عن المعرفة، فمن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذته وإن انطوى على معرفة ضعيفة وقلبه مشحون بعلائق الدنيا فكيف يدرك لذتها ؟ فللعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلاً عنها لم يستبدلوا بها لذة الجنة، ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها أصلاً إلى لذة اللقاء والمشاهدة كما لا نسبة للذة خيال المعشوق إلى رؤية ولا للذة استنشاق وروائح الأطعمة الشهية) اللذيذة **(إلى ذوقها ، ولا للذة اللمس باليد إلى لذة الوقاع) .**

(وإظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن إلا بضرب مثال فنقول: لذة النظر إلى وجه المعشوق في الدنيا بأسباب) :

أحدها: كمال جمال المعشوق ونقصانه، فإن اللذة في النظر إلى الأجمل أكمل لا محالة.

والثاني: كمال قوّة الحب والشهوة والعشق، فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه.

والثالث: كمال الإدراك، فليس التذاذه برؤية المعشوق في ظلمة أو من وراء ستر رقيق أو من بعد كالتذاذه بإدراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء، ولا إدراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كإدراكها مع التجرد.

والرابع: اندفاع العوائق المشوّشة والآلام الشاغلة للقلب، فليس التذاذ الصحيح الفارغ المتجرد للنظر إلى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور أو المريض المتألم أو المشغول قلبه بمهم من المهمات.

فقدّر عاشقاً ضعيف العشق ينظر إلى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه، فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه، فلو طرأت على الفجأة

(أحدها: كمال جمال المعشوق ونقصانه، فإن اللذة في النظر إلى الأجمل أكمل لا محالة).

(والثاني: كمال قوة الحب والشهوة والعشق، فليس التذاذ من اشتد عشقه كالتذاذ من ضعفت شهوته وحبه).

(والثالث: كمال الإدراك فليس التذاذه برؤية المعشوق في ظلمة أو من وراء ستر رقيق أو من بعد كالتذاذه بإدراكه على قرب من غير ستر، وعند كمال الضوء، ولا إدراك لذة المضاجعة مع ثوب حائل كإدراكه مع التجرد) عنه.

(والرابع: اندفاع العوائق المشوشة) أي الموانع المكدرة **(والآلام الشاغلة للقلب، فليس التذاذ الصحيح)** البدن **(الفارغ)** البال **(المتجرد للنظر إلى المعشوق كالتذاذ الخائف المذعور أو المريض المتألم، أو المشغول قلبه بهم من المهمات).**

(فقدّر) أنت في نفسك **(عاشقاً ضعيف العشق ينظر إلى وجه معشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حالة اجتمع عليه عقارب وزنابير تؤذيه وتلدغه وتشغل قلبه، فهو في هذه الحالة لا يخلو عن لذة ما من مشاهدة معشوقه، فلو**

حالة انهتك بها الستر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سلماً فارغاً وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات، فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للأولى إليها نسبة يعتد بها، فكذلك فافهم نسبة لذة النظر إلى لذة المعرفة. فالستر الرقيق مثال البدن والاشتغال به والعقارب والزنابير مثال الشهوات المتسلطة على الإنسان من الجوع والعطش والغضب والغم والحزن، وضعف الشهوة، والحب مثال لقصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق إلى الملأ الأعلى والتفاتها إلى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرئاسة والتفاته إلى اللعب بالعصفور، والعارف وإن قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو عن هذه المشوّشات ولا يتصوّر أن يخلو عنها البتة. نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الأحوال ولا تدوم، فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته، ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقلما يدوم، بل يعرض من الشواغل والأفكار والخواطر ما يشوّشه وينغصه، وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة إلى الموت، وإنما الحياة الطيبة بعد الموت وإنما العيش عيش الآخرة ﴿وإنّ الدّار الآخِرة لهي الحيوَانُ لو كانوا يعلمون﴾ [العنكبوت: ٦٤] وكل من انتهى إلى هذه الرتبة فإنه يحب

طرأت على الفجأة حالة انهتك بها الستر وأشرق بها الضوء واندفع عنه المؤذيات وبقي سلماً فارغاً وهجمت عليه الشهوة القوية والعشق المفرط حتى بلغ أقصى الغايات فانظر كيف تتضاعف اللذة حتى لا يبقى للأولى إليها نسبة يعتد بها، فكذلك فافهم نسبة لذة النظر إلى لذة المعرفة. فالستر الرقيق مثال البدن والإشتغال به، والعقارب والزنانير مثال الشهوات) الخفية المشوشة من داخل **(المتسلطة على الإنسان من الجوع، والعطش والغضب والغم والحزن)** وأشباه ذلك **(والحب مثال لقصور النفس في الدنيا ونقصانها عن الشوق إلى الملأ الأعلى والتفاتها إلى أسفل السافلين وهو مثل قصور الصبي عن ملاحظة لذة الرئاسة والتفاته إلى اللعب بالعصفور، والعارف وإن قويت في الدنيا معرفته فلا يخلو من هذه المشوشات ولا يتصور أن يخلو عنها البتة. نعم قد تضعف هذه العوائق في بعض الأحوال ولا تدوم، فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يبهت العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب يتفطر لعظمته، ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف، وقلما يدوم بل يعرض من الشواغل والأفكار والخواطر ما يشوشه وينغصه)** ويكدر عليه، **(وهذه ضرورة دائمة)** لا تنفك **(في هذه الحياة الفانية فلا تزال هذه اللذة منغصة إلى الموت، وإنما الحياة الطيبة بعد الموت)** فعند ذلك يحصل التجريد والراحة، **(وإنما العيش عيش الآخرة)** كما ورد به الخبر: **(﴿وأن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾)** كما في الكتاب العزيز. **(وكل من انتهى إلى**

لقاء الله تعالى فيحب الموت، ولا يكرهه إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فإن المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له، فالإحاطة بكنه جلال الله محال، فكلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وأفعاله وبأسرار مملكته وقويت؛ كثر النعيم في الآخرة وعظم، كما انه كلما كثر البذر وحسن، كثر الزرع وحسن، ولا يمكن تحصيل هذا البذر إلا في الدنيا ولا يزرع إلا في صعيد القلب، ولا حصاد إلا في الآخرة. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله»، لأن المعرفة إنما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك زماناً لا محالة، فمن أحب الموت أحبه لأنه رأى نفسه

هذه المرتبة فإنه يحب لقاء الله تعالى فيحب الموت ولا يكرهه) وفي الخبر: «لا راحة للمؤمن في الدنيا دون لقاء الله عز وجل» وفي أقوالهم الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب **(إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة، فإن المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له، فالإحاطة بكنه جلال الله محال)** إلا ما كان من طريق الأسماء والصفات، **(فكلما كثرت المعرفة بالله وصفاته وأفعاله وبأسرار مملكته وقويت كثر النعيم في الآخرة وعظم، كما أنه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن هذا البذر إلا في الدنيا)** إذ هي مزرعة للآخرة، **(ولا يزرع إلا في صعيد القلب ولا حصاد إلا في الآخرة، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله»)** قال العراقي: رواه إبراهيم الحربي في كتاب ذكر الموت من رواية ابن لهيعة، عن ابن الهاد عن المطلب، عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله» ووالد المطلب عبدالله بن حنطب مختلف في صحبته، ولأحمد من حديث جابر: «إن من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة» وللترمذي من حديث أبي بكرة أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله» قال هذا حسن صحيح، وذكره ابن حبان في الصحابة، وقال ابن عمر له صحبة، وقال الترمذي بعد أن ساق له حديثاً من طريق عبد العزيز بن المطلب بن حنطب عن أبيه عن جده في فضائل قريش هذا مرسل، وعبدالله بن حنطب لم يدرك النبي ﷺ، فهذا اختلافهم فيه، وحديثه المذكور رواه كذلك القضاعي والحاكم والديلمي من حديث ابن عمر.

وأما حديث جابر: فقد رواه أيضاً الحاكم، ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب بدون «إن».

وأما حديث أبي بكرة: فرواه كذلك أحمد وابن زنجويه والطبراني والحاكم والبيهقي بزيادة: «وشر الناس من طال عمره وساء علمه» ورواه بالجملة الأولى فقط أحمد وعبد بن حميد والطبراني والبيهقي أيضاً من حديث عبدالله بن بسر.

(لأن المعرفة إنما تكمل وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والإنقطاع من علائق الدنيا والتجرد للطلب ويستدعي ذلك أماناً لا محالة، فمن أحب

واقفاً في المعرفة بالغاً إلى منتهى ما يسر له ، ومن كره الموت كرهه لأنه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصراً عما تحتمله قوّته لو عمر ، فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند أهل المعرفة .

وأما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا إن اتسعت أحبوا البقاء وإن ضاقت تمنوا الموت . وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة . فالجهل والغفلة مغرس كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة ، ومعنى العشق فإنه المحبة المفرطة القوية ، ومعنى لذة المعرفة ، ومعنى الرؤية ، ومعنى لذة الرؤية ، ومعنى كونها ألذ من سائر اللذات عند ذوي العقول والكمال وإن لم تكن كذلك عند ذوي النقصان ، كما لم تكن الرئاسة ألذ من المطعومات عند الصبيان .

فإن قلت : فهذه الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة ؟ فاعلم أن الناس قد اختلفوا في ذلك وأرباب البصائر لا يلتفتون إلى هذه الخلاف ولا ينظرون فيه ، بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيته تخلق في عينه أو في جبهته ، بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو

الموت أحبه لأنه رأى نفسه واقفاً في المعرفة بالغاً إلى منتهى ما ييسر له، ومن كره الموت كرهه لأنه كان يؤمل معرفة تحصيل له بطول العمر ورأى نفسه مقصراً عما تحتمله قوته لو عمر ، فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند أهل المعرفة) .

(**وأما سائر الخلق فنظرهم مقصور على شهوات الدنيا**) ولذاتها (**إن اتسعت أحبوا البقاء وإن ضاقت تمنوا الموت. وكل ذلك حرمان وخسران مصدره الجهل والغفلة. فالجهل والغفلة مصدر** كل شقاوة، **والعلم والمعرفة أساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى المحبة، ومعنى العشق فإنه المحبة المفرطة القوية، ومعنى لذة المعرفة، ومعنى الرؤية، ومعنى لذة الرؤية، ومعنى كونها ألذ من سائر اللذات عند ذوي العقول والكمال وإن لم تكن كذلك عند ذوي النقصان، كما لم تكن الرئاسة ألذ من المطعومات**) واللعب (**عن الصبيان**) فإن أنكروا فبعذرهم لنقصانهم عن درجة الكمال.

(**فإن قلت: فهذه الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة فاعلم أن الناس قد اختلفوا في ذلك وأرباب البصائر لا يلتفتون إلى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه، بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن المبقلة**) ويأخذ الهدية ولا يسأل عن الجالب ، (**ومن يشتهي رؤية معشوقة يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيته تخلق في عينه أو في جبهته، بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو غيرها ، فإن العين محل وظرف لا نظر إليه ولا حكم له،**

غيرها ، فإن العين محل وظرف لا نظر إليه ولا حكم له ، والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة فلا يجوز أن نحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين ، هذا في حكم الجواز ، فاما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالسمع ، والحق ما ظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر ، وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره ، إذ لا يجوز إزالة الظواهر إلا لضرورة والله تعالى أعلم .

بيان الأسباب المقوية لحب الله تعالى:

اعلم أن أسعد الخلق حالاً في الآخرة أقواهم حباً لله تعالى ، فإن الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه ، وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول

والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة فلا يجوز أن نحكم عليها بالقصور عن أحد الأمرين ، هذا في حكم الجواز ، فأما الواقع في الآخرة عن الجائزات فلا يدرك إلا بالسمع) إذ لا مدخل للعقل فيه ، (**والحق ما ظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر ، وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهره إذ لا يجوز إزالة الظواهر إلا لضرورة والله أعلم**) . فروى أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة أن الناس قالوا : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال ﷺ : « هل تمارون في رؤية القمر في ليلة البدر ليس دونه سحاب ، وهل تمارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ، فإنكم ترونه كذلك » الحديث بطوله . ورواه كذلك من حديث أبي سعيد .

وروى الطيالسي وأحمد والشيخان وابن خزيمة من حديث أبي سعيد : « هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب ، وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما » الحديث بطوله . وروى النسائي وابن ماجه بعضه .

وعند مسلم من حديث أبي هريرة : « هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة ، هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة ، فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم عز وجل إلا كما تضارون في رؤية أحدهما » الحديث .

يان الأسباب المقوية لحب الله تعالى:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن أسعد الخلق حالاً أقواهم حباً لله تعالى ، فإن الآخرة معناها القدوم على الله تعالى**) والعرض عليه (**ودرك سعادة لقائه ، وما أعظم نعيم المحب إذ قدم على محبوبه بعد طول شوقه**) وحنينه إليه (**وتمكن من دوام مشاهدته أبد الآباد من**

شوقه وتمكن من دوام مشاهدته أبد الآباد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع، إلا أن هذا النعيم على قدر قوّة الحب فكلما ازدادت المحبة ازدادت اللذة، وإنما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة، وأما قوّة الحب واستيلاؤه حتى ينتهي إلى الاستهتار الذي يسمى عشقاً فذلك ينفك عنه الأكثرون، وإنما يحصل ذلك بسببين:

أحدهما: قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب، فإن القلب مثل الإناء الذي لا يتسع للخل مثلاً ما لم يخرج منه الماء: ﴿وما جَعَل اللهُ لِرجُلٍ من قلْبين في جوفه﴾ [الأحزاب: ٤] وكمال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه. وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره، فبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله، وبقدر ما يبقى من الماء في الإناء ينقص من الخل المصبوب فيه. وإلى هذا التفريد والتجريد الإشارة بقوله تعالى: ﴿قُل اللهُ ثم ذَرهُم في خوضِهِم﴾ [الأنعام: ٩١] وبقوله تعالى: ﴿إن الذين قالُوا ربُّنا الله ثم استقامُوا﴾ [فصلت: ٣٠، الأحقاف: ١٣] بل هو معنى قولك: «لا إله إلا الله» أي لا معبود ولا محبوب سواه، فكل محبوب فإنه معبود، فإن العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به. وكل محب فهو مقيد بما يحبه. ولذلك قال الله

غير منغص و) لا (مكدر، ومن غير رقيب ومزاحم) له في مشاهدته، (ومن غير خوف انقطاع) أو نقص (إلا أن هذا النعيم على قدر قوة الحب، فكلما ازدادت المحبة ازدادت اللذة، وإنما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا وهو فيها وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة) الذي هو أساس الإيمان، (وأما قوّة الحب واستيلاؤه) عليه بالكلية (حتى ينتهي إلى) حدّ (الإستهتار الذي يسمى عشقاً فذلك ينفك عنه الأكثرون)، وقد تقدم أن العشق هو مبالغة الحب، (وإنما يحصل ذلك بشيئين):

(أحدهما: قطع علائق الدنيا وإخراج غير الله من القلب، فإن القلب مثل الإناء الذي لا يتسع للخل مثلاً ما لم يخرج منه الماء، و) إليه يشير قوله تعالى: (﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾) أي وإنما هو قلب واحد لا يتسع لشيئين، (وكمال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره، فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حب الله تعالى، وبقدر ما يبقى من الماء في الإناء ينقص من الخل المصبوب فيه، وإلى هذا التفريد والتجريد الإشارة بقوله تعالى: ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم) يلعبون﴾ (وبقوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ بل هو معنى قولك: «لا إله إلا الله» أي لا معبود ولا محبوب سواه) وإنما قلنا ذلك، (فإن كل محبوب فإنه معبود فإن العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به، وكل محب فهو مقيد بما

تعالى: ﴿أرأيتَ من اتَّخذ إلهَهُ هـواهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]، وقال ﷺ: « أبغض إله عبد في الأرض الهوى »، ولذلك قال عليه السلام: « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة »، ومعنى الإخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله، فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط، ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لأنها مانعة له من مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب، فما حال من ليس له إلا محبوب واحد، وقد طال إليه شوقه وتمادى عنه حبسه فخلا من السجن ومكن من المحبوب وروّح بالأمن أبد الآباد، فأحد أسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الأهل والمال والولد والأقارب والعقار والدواب والبساتين والمنتزهات حتى إن المتفرح بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الأسحار ملتفت إلى نعيم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه، فبقدر ما أنس بالدنيا فينقص أنسه بالله، ولا

يحبه، ولذلك قال تعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾) أي جعل هواه وما يحبه مألوهاً ومعبوداً وتقيد به، (**وقال ﷺ: « أبغض إله عبد في الأرض الهوى »**) رواه الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف: « أبغض إله عبد عند الله في الأرض هو الهوى ». (**وقال ﷺ: « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة »**) رواه البزار والطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد، ورواه البغوي والطبراني من حديث أبي سعيد الخدري وقد تقدم، ورواه ابن النجار من حديث أنس بزيادة قيل: أفلا أبشر الناس؟ قال: « إني أخاف أن يتكلوا ». (**ومعنى الإخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود ومقصود قلبه فقط**)، ولذلك اختارت مشايخ هذه الطائفة العلية أن يقولوا بعد ذكرها ثلاث مرات: إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي، وقد جاءت الإشارة إلى ما ذكره المصنف في معنى الإخلاص في الخبر الذي يروى عن زيد بن أرقم: « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة » قيل: وما اخلاصها؟ قال: « أن تحجزه عن محارم الله » رواه الحكيم والطبراني وصاحب الحلية. (**ومن هذا حاله فالدنيا سجنه**) أي بمنزلة السجن عليه، (**لأنها مانعة عن مشاهدة محبوبه وموته خلاص من السجن وقدوم على المحبوب**)، فهذا لا محالة يحب الموت، (**فما حال من ليس له إلا محبوب واحد وقد طال إليه شوقه وتمادى عنه حبسه**) أي طال عليه (**فخلي من السجن ومكن من المحبوب وروح بالأمن أبد الآباد، فأحد أسباب ضعف حب الله في القلوب قوّة حب الدنيا منه حب الأهل والمال والولد والأقارب والعقار والدواب والبساتين والمنزهات، حتى أن المتفرج بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الأسحار ملتفت إلى نعيم حب الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله بسببه**). وكان المراد منه إذا أنس بها ووقف معها وإلا فبمجرد ميل القلب إليها من غير سكون بها لا يكون محباً لها، (**فبقدر ما أنس بالدنيا فينقص أنسه بالله،**

يؤتى أحد من الدنيا شيئاً إلا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة، كما أنه لا يقرب الإنسان من المشرق إلا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره، ولا يطيب قلب امرأته إلا ويضيق به قلب ضرتها، فالدنيا والآخرة ضرتان وهما كالمشرق والمغرب، وقد انكشف ذلك لذوي القلوب انكشافاً أوضح من الأبصار بالعين، وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والإنقياد إليهما بزمام الخوف والرجاء. فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها أحد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله، وأوّله الإيمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار، ثم يتشعب منه الخوف والرجاء، ويتشعب منهما التوبة والصبر عليهما، ثم ينجر ذلك إلى الزهد في الدنيا وفي المال والجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط، حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وحبه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحد ركني المحبة. وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «الطهور شطر الإيمان»، كما ذكرناه في أول كتاب الطهارة.

ولا يؤتي أحد من الدنيا شيئاً إلا وينقص بقدره من الآخرة بالضرورة) كما دلت عليه الأخبار، **(كما أنه لا يقرب الإنسان من المشرق إلا ويبعد بالضرورة من المغرب بقدره، و)** كما **(لا يطيب قلب امرأته إلا ويضيق به قلب ضرتها، فالدنيا والآخرة ضرتان)** إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى روي ذلك من كلام علي رضي الله عنه مذكور في نهج البلاغة، **(وهما كالمشرق والمغرب)** روي ذلك من كلام كعب الأحبار كما في الحلية، وقد سبق كل ذلك في كتاب ذم الدنيا، **(وقد انكشف ذلك لذوي القلوب)** والبصائر **(إنكشافاً أوضح من الأبصار بالعين، وسبيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد)** عنها **(وملازمة الصبر)** بأنواعه المذكورة في محله **(والإنقياد إليهما)** أي إلى طريق الزهد والصبر **(بزمام الخوف والرجاء، فما ذكرناه من المقامات كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها أحد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله وأوله الإيمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار، ثم يتشعب منه الخوف والرجاء ويتشعب منها التوبة والصبر عليها، ثم ينجر ذلك إلى الزهد في الدنيا وفي المال وفي الجاه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميعه طهارة القلب عن غير الله فقط حتى يتسع بعده لنزول معرفة الله وحبه فيه، فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحد ركني المحبة، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان»)** رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث أبي مالك بزيادة: «والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» **(كما ذكرناه في أول كتاب الطهارة)** فلا نعيده ثانياً.

السبب الثاني: لقوة المحبة، قوّة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب، وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها يجري مجرى وضع البذر في الأرض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثاني. ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلاً حيث قال: ﴿ضَرَبَ اللهُ مثلاً كلِمةً طيِّبةً كشجرةٍ طيّبة أصلُها ثابتٌ وفرعَها في السَّماء﴾ [ابراهيم: ٢٤] وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكَلِمُ الطيبُ﴾ [فاطر: ١٠] أي المعرفة ﴿والعملُ الصالحُ يرفعه﴾ [فاطر: ١٠] فالعمل الصالح كالجمال لهذه المعرفة وكالخادم وإنما العمل الصالح كله في تطهير القلب أوّلاً من الدنيا ثم إدامة طهارته، فلا يراد العمل إلا لهذه المعرفة، وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل، فالعلم هو الأول وهو الآخر، وإنما الأوّل علم المعاملة وغرضه العمل، وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة، كما ان من كان معتدل المزاج إذا أبصر الجميل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال إليه، ومهما أحبه حصلت اللذة، فاللذة تبع المحبة بالضرورة، والمحبة تبع المعرفة بالضرورة،

(**السبب الثاني: لقوة المحبة، قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب، وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها يجري مجرى وضع البذر في الأرض بعد تنقيتها**) وتنظيفها مما يخالفها (**من الحشيش**) والشوك وغير ذلك، (**وهو الشطر الثاني، ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلاً حيث قال:**) ﴿ألم تر كيف (**ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء**﴾) فعرفنا أن لها أصلاً ثابتاً في القلوب بما أمدّها به من النظر والاعتبار، وعرفنا أن لها فروعاً تنشأ منها هي مواجيد القلوب وأحوال لها بسبب ما جبلها عليه من محبة سعادتها وكمالها، (**وإليها الإشارة بقوله تعالى ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ فهي المعرفة ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ فالعمل الصالح كالجمال لهذه المعرفة وكالخادم لها، وإنما العمل الصالح كله في تطهير القلب أولاً من الدنيا، ثم إدامة طهارته فلا يراد العمل إلا لهذه المعرفة، وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل، فالعلم هو الاول**) وهو الأصل الذي هو من عقود الإيمان بالله ولله، (**وهو الآخر**) أي العمل هو الآخر لأنه تنشئه المواجيد على القلوب والجوارح، (**وإنما الأول علم المعاملة وغرضه وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة، ومهما خصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة، كما أن من كان معتدل المزاج إذا أبصر الجميل وأدركه بالعين الظاهرة أحبه ومال إليه، ومهما أحبه حصلت اللذة فاللذة تبع المحبة بالضرورة والمحبة تبع المعرفة**

ولا يوصل إلى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب إلا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته.

والواصلون إلى هذه الرتبة ينقسمون إلى: الأقوياء؛ ويكون أوّل معرفتهم لله تعالى، ثم به يعرفون غيره وإلى الضعفاء، ويكون أوّل معرفتهم بالأفعال ثم يترقون منها إلى الفاعل. وإلى الأوّل الإشارة بقوله تعالى: ﴿أو لمْ يَكفِ بربّكَ أنهُ عَلَى كُلِّ شَيء شهيدٍ﴾ [فصلت: ٥٣]، وبقوله تعالى: ﴿شهِدَ اللهُ أنهُ لا إله إلا هو﴾ [آل عمران: ١٨]، ومنه نظر بعضهم حيث قيل له: بِمَ عرفت ربك؟ قال: عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي، وإلى الثاني الإشارة بقوله تعالى: ﴿سنريهِمْ آيَاتِنَا في الآفاقِ وفي أنفسُهِمْ حتى يتبين لهم أنه الحقّ﴾ [فصلت: ٥٣] الآية. وبقوله عز وجل: ﴿أولَمْ ينظروا في ملكُوتِ السمواتِ والأرض﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وبقوله تعالى: ﴿قل انظرُوا ماذا في

بالضرورة، ولا يوصل إلى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل اللذة من القلب إلا بالفكر الصافي) من الكدر **(والذكر الدائم)** في كل حال **(والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله وفي صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته).**

(والواصلون إلى هذه الرتبة ينقسمون إلى: الأقوياء يكون أول معرفتهم لله تعالى، ثم به يعرفون غيره. وإلى الضعفاء: ويكون أول معرفتهم بالأفعال ثم يترقون منها إلى الفاعل) فالأقوياء ما يرون شيئاً إلا رأوا الله معه وربما زاد على هذا بعضهم فقال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله، لأن منهم من يرى الأشياء به، والضعفاء يرون الأشيا فيرونه بالأشياء.

(وإلى الاول الإشارة بقوله تعالى ﴿أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ وبقوله تعالى ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾) وصاحب هذا المقام صاحب مشاهدة ودرجته درجة الصديقين، ومما نسب للشيخ الأكبر قدس سره:

سـائلي عـن عقيـدتي ... أحسـن الله ظنـه
علـم الله أنهـا ... شهـد الله أنـه

أشار بذلك إلى مقام المشاهدة. **(ومنه نظر بعضهم)** وهو ذو النون المصري رحمه الله تعالى **(حيث قيل له: بم عرفت ربك؟ فقال: عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي)** رواه القشيري في الرسالة قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت محمد بن عبدالله بن شاذان يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول، قيل لذي النون: بم عرفت ربك فساقه.

(وإلى الثاني الإشارة بقوله تعالى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ وبقوله ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض﴾ وبقوله تعالى ﴿قل

السموات والأرض ﴾ [يونس: ١٠١]، وبقوله تعالى: ﴿الذي خلق سَبع سمواتٍ طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوتٍ فارجع البصَر هَلْ ترى من فطور ★ ثمّ ارجع البصر كرتَين ينقلبْ إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾ [الملك: ٣ـ٤] وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين وهو الأوسع على السالكين، وإليه أكثر دعوة القرآن عند الأمر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر.

فإن قلت: كلا الطريقين مشكل فأوضح لنا منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به إلى المحبة.

فاعلم أن الطريق الأعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض، والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا فائدة في إيراده في الكتب، وأما الطريق الأسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حد الإفهام، وإنما قصرت الافهام عنه لإعراضها عن التدبر واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس، والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب أبوابه الخارجة عن الحصر والنهاية، إذ ما من ذرة من أعلى السموات إلى تخوم الأرضين إلا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى

انظروا ماذا في السموات والأرض﴾ وبقوله تعالى ﴿الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ★ ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير﴾) وصاحب هذا المقام صاحب استدلال ودرجته درجة العلماء الراسخين، (**وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين وهو الأوسع على السالكين، وإليه أكثر دعوة القرآن عند الأمر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر**) وليس بعدهما إلا درجة الغافلين المحجوبين.

(**فإن قلت: كلا الطريقين مشكل فأوضح لنا منهما ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به إلى المحبة**).

(**فاعلم أن الطريق الأعلى وهو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو**) مرتبة الصديقين وهو (**غامض**) أي خفي المدرك، (**والكلام فيه خارج عن حدّ فهم أكثر الخلق فلا فائدة لإيراده في الكتب**) إذ لم ينتفع به أحد لدقته وغموضه؛ (**وأما الطريق الأسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حد الإفهام، وإنما قصرت الأفهام عنه لاعراضها عن التدبر**) فيه (**واشتغالها بشهوات الدنيا وحظوظ النفس، والمانع من ذكر هذا اتساعه وكثرته وانشعاب أبوابه الخارجة عن الحصر والنهاية، إذ ما من ذرة من أعلى السموات إلى تخوم الأرضين إلا وفيها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته**) كما قال القائل:

جلاله وعظمته، وذلك مما لا يتناهى بل ﴿لو كان البحر مداداً لكلماتِ ربي لنفِدَ البحرُ قبل أن تنفِدَ كلماتُ ربي﴾ [الكهف: ١٠٩] فالخوْض فيه انغماس في بحار علوم المكاشفة ولا يمكن أن يتطفل به على علوم المعاملة، ولكن يمكن الرمز إلى مثال واحد على الإيجاز ليقع التنبيه لجنسه فنقول:

أسهل الطريقين النظر إلى الأفعال فلنتكلم فيها ولنترك الأعلى، ثم الأفعال الإلهية كثيرة فلنطلب أقلها وأحقرها وأصغرها ولننظر في عجائبها، فأقل المخلوقات هو الأرض وما عليها ـ أعني بالإضافة إلى الملائكة وملكوت السموات ـ فإنك إن نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الأرض مائة ونيفاً وستين مرة، فانظر إلى صغر الأرض بالإضافة إليها، ثم انظر إلى صغر الشمس بالإضافة إلى فلكها الذي هي مركوزة فيه، فإنه لا نسبة لها إليه وهي في السماء الرابعة، وهي صغيرة بالإضافة إلى ما فوقها من السموات السبع، ثم السموات السبع، في الكرسي كحلقة في فلاة، والكرسي في العرش كذلك. فهذا نظر إلى ظاهر

فواعجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

(وذلك مما لا يتناهى، بل ﴿لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي﴾ فالخوض فيه انغماس في مجاري علوم المكاشفة، ولا يكمن أن يتطفل به على علوم المعاملة ولكن يمكن الرمز إلى مثل واحد على الإيجاز ليقع التنبيه لجنسه، فنقول) .

(أسهل الطريقين النظر إلى الأفعال، فلنتكلم فيها ولنترك الأعلى، ثم الأفعال الإلهية كثيرة، فلنطلب أقلها وأحقرها وأصغرها، ولننظر في عجائبها، فأقل المخلوقات هو الأرض وما عليها أعني بالإضافة إلى الملائكة وملكوت السموات فإنك إن نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الأرض مائة ونيفا وستين مرة) ، وروى أبو الشيخ في العظمة عن عكرمة قال: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، **(فانظر إلى صغر الأرض بالاضافة إليها ، ثم انظر إلى صغر الشمس بالإضافة إلى فلكها الذي هي مركوزة فيه، فإنه لا نسبة لها إليه وهي في السماء الرابعة وهي)** أي السماء الرابعة **(صغيرة بالإضافة إلى ما فوقها من السموات السبع، ثم السموات السبع في الكرسي كحلقة)** ملقاة **(في فلاة)** من الأرض **(والكرسي في العرش كذلك)** ، وروى ابن أبي حاتم وابن المنذر من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: لو أن السموات السبع والأرضين السبع ثم وصلن بعضهن ببعض ما كن في سعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في المفازة.

الأشخاص من حيث المقادير، وما أحقر الأرض كلها بالإضافة إليها، بل ما أصغر الأرض بالإضافة إلى البحار! فقد قال رسول الله ﷺ: «الأرض في البحر كالاصطبل في الأرض»، ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة، وعلم أن المكشوف من الأرض عن الماء كجزيرة صغيرة بالإضافة إلى كل الأرض، ثم انظر إلى الآدمي المخلوق من التراب ـ الذي هو جزء من الأرض ـ وإلى سائر الحيوانات وإلى صغره بالإضافة إلى الأرض، ودع عنك جميع ذلك، فأصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما

وروى ابن جرير وابن مردوية وأبو الشيخ في العظمة عن أبي ذر أنه سأل النبي ﷺ عن الكرسي فقال: «ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وأن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة».

وروى أبو الشيخ عن عكرمة قال: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش.

وروى ابن جرير وابن حاتم عن السدي قال: إن السموات والأرض في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي العرش.

وروى عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية، وأبو الشيخ في العظمة عن ابن مسعود قال: ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء خمسمائة عام وبصر كل سماء وأرض. يعني غلظ ذلك مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء والأرض السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء.

(فهذا نظر إلى ظاهر الأشخاص من حيث المقادير وما أحقر الأرض كلها بالإضافة إليها، بل ما أصغر الأرض بالإضافة إلى البحار، فقد قال رسول الله ﷺ «الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض») قال العراقي: لم أجد له أصلاً. **(ومصداق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم أن المكشوف من الأرض عن الماء كجزيرة صغيرة بالإضافة إلى كل الأرض)** ومساحة بسيطها مائة ألف ألف وثلاثة وثمانون ألف ألف وثلاثمائة ألف وعشرون وأربعمائة ميل، ومساحة بسيط عمارتها من الربع المسكون اثنان وثلاثون ألف ألف وأربعة وتسعون ألفاً ومائة وثمانية أميال، ونسبتها إلى مساحة بسيط الأرض كلها السدس وسدس العشر تقريباً، وذلك من أقصى العمارة تقريباً بالمشرق إلى أقصى المغرب طولاً، ومن حيث خط الإستواء إلى حيث يرتفع القطب ستة وستون جزءاً وربع وسدس جزء عرضاً.

(ثم انظر إلى الآدمي المخلوق من التراب الذي هو جزء من الأرض وإلى سائر الحيوانات وإلى صغره بالإضافة إلى الأرض) وما أودع الله فيه من أسرار العلم الكبير، **(ودع عنك جميع ذلك، فأصغر ما نعرفه من الحيوانات البعوض والنمل وما يجري مجراه فانظر**

يجري مجراه، فانظر في البعوض على قدر صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف، فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذي هو أعظم الحيوانات! إذ خلق له خرطوماً مثل خرطومه، وخلق له على شكله الصغير سائر الأعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين، وانظر كيف قسم أعضاءه الظاهرة فانبت جناحه، وأخرج يده ورجله، وشق سمعه وبصره، ودبر في باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته ما دبره في سائر الحيوانات، وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب في سائر الحيوانات، هذا في شكله وصفاته، ثم انظر إلى هدايته كيف هداه الله تعالى إلى غذائه وعرفه أن غذاءه دم الإنسان ثم انظر كيف أنبت له آلة الطيران إلى الإنسان! وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الرأس! وكيف هداه إلى مسام بشرة الإنسان حتى يضع خرطومه في واحد منها! ثم كيف قواه حتى يغرز فيه الخرطوم! وكيف علمه المص

إلى البعوض) وهو صنفان: صنف يشبه القراد لكن أرجله خفيفة ورطوبته ظاهرة وإليه أشار الجوهري بقوله، وصنف في خلقة الفيل وهو المعروف بالناموس وهو المراد به هنا **(على صغر قدره وتأمله بعقل حاضر وفكر صاف، فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل الفيل الذي هو أعظم الحيوانات إذ خلق له خرطوماً مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر الأعضاء كما خلقه للفيل بزيادة جناحين)** في كل ناحية ورجلين، فللفيل أربعة أرجل وخرطوم وذنب، وللبعوض مع هذه الأعضاء رجلان زائدتان وأربعة أجنحة. **(وانظر كيف قسم أعضاءه الظاهرة فأنبت جناحه وأخرج يده ورجله وشق سمعه وبصره)** وأودع في مقدمة دماغه قوة الحفظ وفي وسطه قوة الفكر وفي مؤخره قوة الذكر، وخلق له حاسة البصر وحاسة السمع وحاسة اللمس وحاسة الشم، **(ودبر في باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته ما دبره في سائر الحيوانات، وركب فيها من القوى الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب في سائر الحيوانات)**، وخلق له منفذ للغذاء ومخرجاً للفضلة، وخلق له جوفاً ومعًى وعظاماً أنشد الزمخشري في الكشاف:

ويرى نياط عروقها من لحمها والمخ في تلك العظام النحل

(هذا في شكله وصفاته. ثم انظر إلى هدايته كيف هداه الله تعالى إلى غذائه وعرفه أن غذاءه الإنسان، ثم انظر كيف أنبت له آلة الطيران إلى الإنسان، وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الرأس، وكيف هداه إلى مسام بشرة الإنسان) التي يخرج منها العرق فيتوخاها، **(حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم قواه حتى يغرز فيه الخرطوم)** ويشتد عضه ويقوى على خرق الجلود الغلاظ قال الراجز:

مثل السقاة دائما طنينها ركب في خرطومها سكينها

والتجرع للدم! وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفاً حتى يجري فيه الدم الرقيق وينتهي إلى باطنه وينتشر في سائر أجزائه يغذيه! ثم كيف عرفه أن الإنسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداد آلته! وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب! ثم إذا سكنت اليد يعود! ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر موضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه.

وانظر إلى أن حدقة كل حيوان صغير لما لم تحتمل حدقة الأجفان لصغره وكانت الأجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن القذى والغبار. خلق للبعوض والذباب يدين فتنظر إلى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه. وأما الإنسان والحيوان الكبير فخلق لحدقتيه الأجفان حتى ينطبق أحدهما على الآخر، وأطرافها حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميه إلى أطراف الأهداب، وخلق الأهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الأبصار وتحسن صورة العين وتشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شباك الأهداب، واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الأبصار. وأما البعوض فخلق لها

(وكيف علمه المص والتجرع للدم، وكيف خلق الخرطوم مع رقته مجوفاً حتى يجري فيه الدم الرقيق، وينتهي إلى باطنه وينتشر في سائر أجزائه ويغذيه) فهو له كالبلعوم والحلقوم، **(ثم كيف عرفه أن الإنسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب واستعداد آلته، وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي بعد بعيدة منه فيترك المص ويهرب ثم إذا سكنت يعود)** إلى عمله وفيه من الشره أنه يمص الدم إلى أن يموت أو يعجز عن الطيران. **(ثم انظر كيف خلق له حدقتين حتى يبصر مواضع غذائه فيقصده مع صغر حجم وجهه، وانظر إلى أن حدقة كل حيوان صغير لما لم تحتمل حدقة الأجفان لصغره وكانت الأجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن القذى والغبار خلق للبعوض والذباب يدين)** وهما الزائدتان على الفيل المتقدم ذكرهما، **(فتنظر إلى الذباب فتراه على الدوام يمسح حدقتيه بيديه)** وكلاهما من ذوي الخراطيم.

(وأما الإنسان والحيوان الكبير خلق لحدقتيه الأجفان) لكل حدقة جفنان أعلى وأسفل، **(حتى ينطبق إحداهما على الآخر وأطرافها حادة، فيجتمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميه إلى أطراف الأهداب، وخلق الأهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الإبصار وتحسن صورة العين)** وقد خصت الحكمة الإلهية لون السواد بذلك والبياض يفرق ضوء العين ويضعف نوره، حتى أن إدامة النظر إلى البياض المشرق بل إلى نور الشمس يبهر نور العين ويمحقه كما ينمحي الضعيف في جنب القوي **(وتشبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شباك الأهداب، واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الأبصار، وأما البعوض فخلق**

حدقتين مصقلتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين، ولأجل ضعف أبصارها تراها تتهافت على السراج لأن بصرها ضعيف فهي تطلب ضوء النهار، فإذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن أنه في بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت المظلم إلى الموضع المضيء، فلا يزال يطلب الضوء ويرمي بنفسه إليه فإذا جاوزه ورأى الظلام ظن أنه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود إليه مرة أخرى إلى أن يحترق، ولعلك تظن أن هذا لنقصانها وجهلها، فاعلم أن جهل الإنسان أعظم من جهلها، بل صورة الآدمي في الإكباب على شهوات الدنيا صورة الفراش في التهافت على النار، إذ تلوح للآدمي أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري أن تحتها السم الناقع القاتل، فلا يزال يرمي نفسه عليها إلى أن ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكاً مؤبداً، فليت كان جهل الآدمي كجهل الفراش! فإنها باغترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار أبد الآباد أو مدّة مديدة، ولذلك كان ينادي

له **حدقتين مصقلتين من غير أجفان وعلمها كيفية التصقيل باليدين)** ولكنه ليس ظاهر البادىء النظر كما يظهر من الذباب، **(ولأجل ضعف أبصارها تراها تتهافت)** وتتساقط **(على السراج لأن بصرها ضعيف فهي تطلب ضوء النهار، فإذا رأى المسكين ضوء السراج بالليل ظن أنه في بيت مظلم، وأن السراج كوة من البيت المظلم إلى الموضع المضيء فلا يزال يطلب الضوء ويرمي بنفسه إليه، فإذا جاوزه ورأى الظلام ظن أنه لم يصب الكوة ولم يقصدها على السداد فيعود إليه مرة أخرى إلى أن يحترق)** وإليه أشار القائل وأحسن:

لهيب الخد حين بدا لطرفي … هوى قلبي عليه كالفراش
فأحرقه فصار عليه خالا … وها أثر الدخان على الحواشي

(ولعلك تظن أن هذا لنقصانها وجهلها، فاعلم أن جهل الإنسان أعظم من جهلها، بل صورة الآدمي في الإكباب على شهوات الدنيا صورة الفراش) وهي ذباب مثل البعوض واحده فراشة **(في التهافت على النار إذ تلوح للآدمي أنوار الشهوات من حيث ظاهر صورتها، ولا يدري أن تحتها السم الناقع القاتل فلا يزال يرمي نفسه عليها إلى أن ينغمس فيها ويتقيد بها ويهلك هلاكاً مؤبداً، فليت كان جهل الآدمي كجهل الفراش بأنه باغترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت في الحال، والآدمي يبقى في النار أبد الآباد أو مدة مديدة)**.

وقال المصنف في موضع آخر: من الحيوان ما إذا شاهد شيئاً حفظه وارتسمت صورته في ذهنه، فإذا رآه مرة أخرى عرفه كالدابة ترى الشعير والعصا، ومنه ما إذا شاهد شيئاً لم يحفظه ولم يرتسم عنده

رسول الله ﷺ ويقول: « إني ممسك بحجزكم عن النار وأنتم تتهافتون فيها تهافت

صورته كالفراش، فإنه يجد المصباح فيرمي بنفسه فيه ويجد حرارته، ثم يعود ويرمي بنفسه إليه، ولو ارتسمت عنده صورته لما عاد إليه اهـ.

(ولذلك كان ينادي رسول الله ﷺ ويقول: « إني ممسك بحجزكم عن النار وأنتم تتهافتون فيها تهافت الفراش») قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة « مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيه » لفظ مسلم. واقتصر البخاري على أوله، ولمسلم من حديث جابر « وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي » وقد تقدم.

قلت: لفظ المتفق عليه من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة « مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم من النار هلم من النار فتغلبوني تقتحمون فيها ». ورواه كذلك أحمد والترمذي.

ولفظ حديث جابر عند مسلم من طريق همام عن أبي هريرة « مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذبهن عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي » ورواه كذلك الطيالسي وأحمد. وقوله « بحجزكم » بضم الحاء المهملة وفتح الجيم جمع حجزة بالضم وهي الإزار والسراويل، وإذا أراد الرجل إمساك من يخاف سقوطه أخذ بذلك الموضع منه.

قال النووي في شرح مسلم: مقصود الحديث أنه ﷺ شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة وحرصهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم وقبضه على مواضع المنع منهم بتساقط الفراش في نار الدنيا بهواه وضعف تمييزه،فكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع في ذلك بجهله.

وقال أبو العباس القرطبي في شرحه: هو مثل لاجتهاد نبينا ﷺ في نجاتنا وحرصه على تخليصنا من المهلكات التي بين أيدينا، ولجهلنا بقدر ذلك وغلبة شهواتنا علينا.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: هذا مثل غريب كثير المعاني المقصود منه أن الله ضرب مثلاً لجهنم وما ركب من الشهوات المستدعية لها المقتضية للدخول فيها وما نهى عنها وتوعد عليها وأنذرها، وذكر بذلك تغلب الشهوات على التقحم باسم أنها مصالح ومنافع وهي نكتة الأمثال، فإن الخلق لا يأتون ذلك على قصد الهلكة، وإنما يأتونه باسم النجاة والمنفعة كالفراش تقتحم الضياء ليس لتهلك فيه ولكنها تأنس به، وهي لا تبصر بحال حتى أنها في ظلمة فتعتقد أن الضياء كوة تستظهر فيها النور فتقصدها لأجل ذلك فتحترق وهي لا تشعر، وذلك هو الغالب من أحوال الخلق أو كله اهـ.

الفراش»، فهذه لمعة عجيبة من عجائب صنع الله تعالى في أصغر الحيوانات، وفيها من العجائب ما لو اجتمع الأولون والآخرون على الإحاطة بكنهه عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على أمور جلية من ظاهر صورته، فأما خفايا معاني ذلك فلا يطلع عليها إلا الله تعالى.

ثم في كل حيوان ونبات أعجوبة وأعاجيب تخصه لا يشاركه فيها غيره، فانظر إلى النحل وعجائبها وكيف أوحى الله تعالى إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون، وكيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء وجعل

وقد جاء ذكر تهافت الفراش في حديث آخر رواه البيهقي في الشعب عن النواس بن سمعان أن النبي ﷺ قال: «أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار ألا أن كل كذب مكتوب على ابن آدم كذباً لا محالة إلا أن يكذب الرجل في الحرب» الحديث. ورواه كذلك ابن جرير والخرائطي في مساوىء الأخلاق. وروى ابن لال من حديث أسماء بنت يزيد «مالي أراكم تتابعون في الكذب كما تتابع الفراش في النار». (**فهذه لمعة في عجائب صنع الله تعالى في أصغر الحيوانات، وفيها من العجائب ما لو اجتمع الأولون والآخرون على الإحاطة بكنهه عجزوا عن حقيقته ولم يطلعوا على أمور جلية من ظاهر صورته، فأما خفايا معاني ذلك فلا يطلع عليه إلا الله تعالى**).

(**ثم في كل حيوان ونبات أعجوبة**) بل (**وأعاجيب تخصه**) دون غيره (**لا يشاركه فيه غيره**)، فإن شئت بيان ذلك (**فانظر إلى النحل**) ذباب العسل واحده نحلة للذكر والأنثى (**وعجائبها**) قال الزجاج: سميت نحلاً لأن الله تعالى نحل الناس منها العسل الذي تخرجه، (**وكيف أوحى الله تعالى إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون**)، وذلك في قوله تعالى ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر مما يعرشون﴾ [النحل: ٦٨] قال في عجائب المخلوقات يقال ليوم عيد الفطر يوم الرحمة، إذ أوحى الله فيه إلى النحل صنعة العسل بين سبحانه وتعالى أن في النحل أعظم اعتبار، فتأمل كمال طاعتها وحسن ائتمارها لأمر ربها كيف اتخذت بيوتاً في هذه الأمكنة الثلاثة من الجبال والشجر وحيث يعرش الناس أي يبنون العروش، فلا ترى للنحل بيتاً في غير هذه الثلاثة البتة، وتأمل كيف كان أكثر بيوتها في الجبال وهو المقدم في الآية، ثم الأشجار وهي دون ذلك، ثم العروش وهي أقل بيوتها، وانظر كيف أداها حسن الامتثال إلى أن اتخذت البيوت قبل المرعى فهي تتخذها أولاً، فإذا استقر لها بيت خرجت منه فرعت وأكلت من الثمرات ثم أوت إلى بيوتها لأنه تعالى أمرها أولاً باتخاذ البيوت ثم بالأكل بعد ذلك، (و) انظر (**كيف استخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل أحدهما ضياء**

الآخر شفاء ، ثم لو تأملت عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار واحترازها عن النجاسات والأقذار ، وطاعتها لواحد من جملتها هو أكبرها شخصاً وهو أميرها ، ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل والإنصاف بينها ـ حتى إنه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة ـ لقضيت منها عجباً آخر العجب إن كنت بصيراً في نفسك وفارغاً من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة أقرانك وموالاة إخوانك . ثم

والآخر شفاء) لف ونشر مرتب ، وفي قوله : من لعابها إشارة إلى أن العسل يخرج من أفواهها وهو قول الجمهور . ونقل ابن عطية في تفسيره عن علي رضي الله عنه أنه قال في تحقير الدنيا أشرف لباس ابن آدم لعاب دودة ، وأشرف شرابه رجيع نحله ، وظاهر هذا أنه من غير الفم .

قلت : والمعروف من كلامه : فأشرف المطعوم العسل وهو مذقة ذباب وقد تقدم ذكره في كتاب ذم الدنيا ، والتحقيق أن العسل يخرج من بطونها ولا يدري من فيها أو غيره ، وقد صنع ارسطاطاليس بيتاً من زجاج لينظر إلى كيفية ما تصنع فأبت أن تعمر حتى لطخته من باطن الزجاج بالطين ذكره القزويني . وفي تفسير الكواشي الأوسط أن العسل ينزل من السماء فينبت في أماكن فتأتي النحل فتشربه ، ثم تأتي الخلية فتلقيه في المهيأ للعسل في الخلية لا كما يتوهمه بعض الناس أن العسل من فضلات الغذاء ، وأنه قد استحال في المعدة عسلاً هذه عبارته .

(ثم لو تأملت عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار) فيستحيل في جوفها عسلاً وتلقيه من أفواهها فيجتمع منه القناطير المقنطرة ، وهذا الذي دل عليه القرآن . واختلاف لونه وطعمه بحسب اختلاف المرعى ، وفي هذا المعنى قول عائشة : جرست نحله العرفط حتى شبهت رائحته برائحة المعافير ، **(واحترازها عن النجاسات والأقذار)** فلا تقع إلا على الطيبات من الثمار والأزهار وتخرج رجيعها في الخلية لأنه منتن الريح ، **(وطاعتها لواحد من جملتها)** يسمى اليعسوب **(هو أكبرها شخصاً وهو أميرها)** ، ومن خصائصه أنه ليس له حمة يلسع بها ، وأفضل ملوكها الشقر وأوسطها الرقط بسواد ولا يتم أمرها إلا به . وقد جاء ذكره في حديث أبي أمامة . « إن أحدكم إذا أراد أن يخرج من المسجد تداعت جنود ابليس واجتمعت كما تجتمع النحل إلى يعسوبها » رواه ابن السني في اليوم والليلة . وروى ابن عدي أن النبي ﷺ قال لعلي « أنت يعسوب المؤمنين » . **(ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل والإنصاف بينها حتى أنه ليقتل على باب المنفذ كل ما وقع منها على نجاسة)** أي أنه إذا رأت فساداً من ملك إما أن تعزله وإما أن تقتله وأكثر ما يقتل خارج الخلية **(لقضيت منها عجباً)** وفي نسخة العجب **(إن كنت بصيراً في نفسك وفارغاً من هم بطنك وفرجك وشهوات نفسك في معاداة أقرانك وموالاة إخوانك)** .

قال القزويني : هو حيوان ذو فهم وكيس وشجاعة ونظر في العواقب ومعرفة بأصول السنة وأوقات المطر وتدبير المربع والطاعة لأميره والإستكانة لكبيره وقائده بديع الصنعة . وقال غيره :

دع جميع ذلك وانظر إلى بنائها بيوتها من الشمع، واختيارها من جملة الأشكال الشكل المسدّس، فلا تبني بيتاً مستديراً ولا مربعاً ولا مخمساً بل مسدّساً، لخاصية في الشكل

ومن شأنه في تدبير معاشه أنه إذا أصاب موضعاً نقياً بنى فيه بيوتاً من الشمع أولاً، ثم البيوت التي يأوي فيها الملوك، ثم بيوت الذكور التي لا تعمل شيئاً، والذكر أصغر جرماً من الأنثى وهي تكثر المادة داخل الخلية، وإذا طارت خرجت بأجمعها وترتفع في الهواء ثم تعود إلى الخلية، والنحل يعمل الشمع أولاً ثم يلقي البذر لأنه بمنزلة العش للطير، فإذا ألقته قعدت عليه وتحضنه كما يحضن الطير فيكون البذر دون البيض، ثم تبيض الدود وتغذي نفسها ثم تطير وهو لا يقعد على أزهار مختلفة، بل على زهر واحد وتملأ بعض البيوت عسلاً وبعضها فراخاً، والملوك لا تخرج إلا مع جيل النحل، فإذا عجز عن الطير حملته والنحل يجتمع فيقسم الأعمال فبعضها يعمل العسل وبعضها يعمل الشمع وبعضها يسقي الماء وبعضها يبني البيوت، ومن طبعه أنه يهرب بعضه من بعض ويقاتل بعضه بعضاً في الخلايا ويلسع من دنا من الخلية، وإذا هلك منها شيء داخل الخلية أخرجته الأحياء إلى خارج، وهو يعمل زمان الربيع والخريف، والذي يعمله في الربيع أجود، والصغير أعمل من الكبير ويشرب من الماء ما كان عذباً صافياً يطلبه حيث كان ولا يأكل من العسل إلا قدر شبعه، وإذا قلّ العسل في الخلية قذفه بالماء ليكثر خوفاً على نفسه من نفاده لأنه إذا نفد أفسد النحل بيوت الملوك وبيوت الذكر، وربما قتلت منها ما كان هناك. قال حكيم اليونان لتلامذته: كونوا كالنحل في الخلايا. قالوا: كيف؟ قال: إنها لا تترك عندها بطالاً إلا نفته وأقصته عن الخلية لأنه يضيق المكان ويفني العسل ويعمل النشيط الكسل، والنحل يسلخ جلده كالحيات وتوافقه الأصوات اللذيذة المطربة ويضره السوس، ودواؤه أن يطرح في كل خلية كف ملح وأن تفتح في كل شهر مرة وتدخن بإخثاء البقر، ومن طبعه أنه إذا طار من الخلية ليرعى وعاد تعود كل نحلة إلى مكانها لا تخطئه، وأهل مصر يحوّلون الخلايا في السفر ويسافرون بها إلى موضع الزهر والشجر، فإذا اجتمع إلى المرعى فتحت أبواب الخلايا فيخرج منها ويرعى يومه أجمع، فإذا أمسى عاد إلى السفينة وأخذت كل واحدة مكانها لا تتغير عنه. وروى البيهقي في الشعب عن مجاهد قال: صحبت ابن عمر من مكة إلى المدينة، فما سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا هذا الحديث: «إن مثل المؤمن مثل النحلة إن صاحبته نفعك وإن شاورته نفعك وإن جالسته نفعك وكل شأنه منافع وكذلك النحلة كل شأنها منافع» قال ابن الأثير: وجه المشابهة بين المؤمن والنحلة حذق النحل وفطنته وقلة أذاه وحقارته ومنفعته وقنوعه وسعيه في الليل وتنزهه عن الأقذار وطيب أكله، وأنه لا يأكل من كسب غيره ونحوله وطاعته لأميره، وأن للنحل آفات تقطعه عن عمله. منها الظلمة والغيم والريح والدخان والماء والنار، وكذلك المؤمن له آفات تفتره عن عمله ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام وداء السعة ونار الهوى.

(ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بنائها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الأشكال الشكل المسدس) الذي لا ينخرق، **(فلا تبني بيتاً مستديراً ولا مربعاً ولا مخمساً بل مسدساً**

المسدّس يقصر فهم المهندسين عن دركها ، وهو أنّ أوسع الأشكال وأحـواها المستديرة وما يقرب منها ، فإن المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة ، ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت خرج ضائعة فإن الأشكال المستديرة إذا جمعت لم تجتمع متراصة ، ولا شكل في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس ، وهذه خاصية هذا الشكل ، فانظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صغر جرمه ولطافة قده لطفاً به وعناية بوجوده وما هو محتاج إليه ليتهنأ بعيشه ، فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه .

فاعتبر بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانـات ودع عنـك عجـائـب ملكـوت الأرض والسموات ، فـإن القـدر الذي بلغـه فهمنـا القـاصر منـه تنقضي الأعمار دون إيضاحه ، ولا نسبة لما أحاط علمنا إلى ما أحاط به العلماء والأنبياء ، ولا نسبة لما أحاط به علم الخلائق كلهم إلى ما استأثر الله تعالى بعلمه ، بل كل ما عرفه الخلق لا يستحق أن

لخاصية في الشكل المسدس يقصر فهم المهندسين عن دركها) وإحاطتها ، (**وهو أن أوسع الأشكال وأحواها**) أي أجمعها (**المستديرة**) أي المستديرة الشكل (**وما يقرب منها ، فإن المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل ، فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة ، ثم لو بناها مستديـرة لبقيـت خـارج البيـوت فـروج ضـائعـة ، فـإن الأشكال المستديرة إذا جمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الإستواء من المسدس ، ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس وهذه خاصية هذا الشكل**) ، فبذلك اتصلت حتى صارت كالقطعة الواحدة ، وبيانه أن الأشكال من الثلاثة إلى العشرة إذا جمع كل واحد منها إلى أمثلة لم يتصل ، وجاءت بينهما فرج إلا الشكل المسدس ، فإنه إذا جمع إلى أمثاله اتصل به كأنه قطعة واحدة . كل هذا بغير مقياس ولا آلة ولا بيكار ، وذلك من أثر صنع اللطيف الخبير وإلهامه إياها . (**فانظر كيف الهم الله النحل على صغر جرمه لطفاً به وعناية لوجوده وما هو محتاج إليه ليتهنأ بعيشه ، فسبحانه ما أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه**) .

(**فاعتبر**) أيها السالك (**بهذه اللمعة اليسيرة من محقرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الأرض والسموات ، فإن القدر الذي بلغه فهمنا القاصر منه تنقضي الأعمار**) الطوال (**دون إيضاحه ولا نسبة لما أحاط به علمنا إلى ما أحاط به العلماء والأنبياء ، ولا نسبة لما أحاط به علم الخلائق كلهم إلى ما استأثر الله تعالى بعلمه ، بل كل ما عرفه الخلق لا**

يسمى علماً في جنب علم الله تعالى، فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة الحاصلة بأسهل الطريقين، وبزيادة المعرفة تزداد المحبة، فإن كنت طالباً سعادة لقاء الله تعالى فانبذ الدنيا وراء ظهرك، واستغرق العمر في الذكر الدائم والفكر اللازم فعساك تحظى منها بقدر يسير، ولكن تنال بذلك اليسير ملكاً عظيماً لا آخر له.

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب:

اعلم أن المؤمنين مشتركون في أصل الحب لاشتراكهم في أصل المحبة، لكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا، إذ الأشياء إنما تتفاوت بتفاوت أسبابها، وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التي قرعت سمعهم فتلقنوها وحفظوها، وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الأرباب، وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسداً بل آمنوا بها إيمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا

يستحق أن يسمى علماً في جنب علم الله تعالى) لاتصافه بالنقص والقصور من كل وجه، **(فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد المعرفة الحاصلة بأسهل الطريقين، وبزيادة المعرفة تزداد المحبة فإن كنت طالباً سعادة لقاء الله فانبذ الدنيا وراء ظهرك)** كما قال القائل:

متى ما تلق من تهوى دع الدنيا وأهلها

(واستغرق العمر في الذكر الدائم والفكر الملازم) الناشئين عن مراقبة الحق تعالى، **(فعساك تحظى منها بقدر يسير، ولكن تنال بذلك اليسير ملكاً عظيماً لا آخر له)** وسعادة أبدية لا انصرام لها أبد الآباد، والله الموفق.

بيان السبب في تفاوت الناس في الحب:

(اعلم) أسعدك الله تعالى **(أن المؤمنين مشتركون في أصل الحب لاشتراكهم في أصل الإيمان، ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا، إذ الأشياء إنما تتفاوت بتفاوت أسبابها)** وهو كالقدرة الحاصلة لهم بالغنى في المال، فمن واحد يملك الدانق والدرهم، ومن واحد يملك ألفاً، فكذا العلوم بل التفاوت في العلوم أعظم لأن المعلومات لا نهاية لها، وأعيان الأموال أجسام والأجسام متناهية لا يتصور أن ينتفي النهاية عنها، فإذاً قد عرفت كيف تتفاوت الخلق في بحار معرفة الله تعالى وأن ذلك لا نهاية له، **(وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التي قرعت سمعهم فتلقفوها وحفظوها)** فهو السبيل الذي فتح لهم فيه وفيه تتفاوت مراتبهم، **(وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الأرباب)** جل جلاله، **(وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسداً، بل آمنوا بها إيمان تسليم وتصديق واشتغلوا**

البحث، وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين، والمتخيلون هم الضالون، والعارفون بالحقائق هم المقربون. وقد ذكر الله حال الأصناف الثلاثة في قوله تعالى: ﴿فأمَّا إن كان من الْمُقَرَّبِينَ ★ فروحٌ ورَيحانٌ وجنَّة نعيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨ـ ٨٩] الآية. فإن كنت لا تفهم الأمور إلا بالأمثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالاً فنقول: أصحاب الشافعي مثلاً يشتركون في حب الشافعي ـ رحمه الله ـ الفقهاء منهم والعوام، لأنهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله، ولكن العامي يعرف علمه مجملاً والفقيه يعرفه مفصلاً، فتكون معرفة الفقيه به أتم وإعجابه به وحبه له أشدّ، فإن من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لا محال ومال إليه

بالعمل وتركوا البحث) فيها، **(وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين والمتخيلون)** لها بالمعاني الفاسدة **(هم الضالون والعارفون بالحقائق هم المقربون)** فهؤلاء ثلاث أصناف. **(وقد ذكر الله حال)** هذه **(الأصناف الثلاثة في قوله: ﴿فأما إن كان من المقربين★ فروح وريحان وجنة نعيم﴾ الآية)** وتمامها ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين★ فسلام لك من أصحاب اليمين★ وأما إن كان من المكذبين الضالين★ فنزل من حميم★ وتصلية جحيم﴾ [الواقعة: ٨٨ ـ ٩٤] وبيان تفاوت المراتب هو أنه لا يخفي عليك أنه ليس من يعلم أنه عالم قادر على الجملة، كمن شاهد عجائب آياته في ملكوت السموات والأرض وخلق الأرواح والأجساد واطلع على بدائع المملكة وغرائب الصنعة ممعناً في التفصيل، ومستغرقاً في دقائق الحكمة، ومستوفياً لطائف التدبير، ومتصفاً بجميع الصفات الملكية المقربة من الله تعالى، نائلاً لتلك الصفات نيل اتصاف بها، بل بينهما من البون البعيد ما لا يكاد يحصى. وفي تفاصيل ذلك ومقاديره تتفاوت الأنبياء والأولياء.

(فإن كنت لا تفهم الأمور إلا بالأمثلة فلنضرب لتفاوت الحب مثالاً فنقول: أصحاب الشافعي مثلاً يشتركون في حب الشافعي رحمه الله تعالى الفقهاء منهم والعوام، لأنهم مشتركون في معرفة فضله ودينه وحسن سيرته ومحامد خصاله، ولكن العامي يعرف علمه مجملاً والفقيه يعرفه مفصلاً، فتكون معرفة الفقيه به أتم وإعجابه وحبه له أشد). أو نقول إن الشافعي رحمه الله تعالى يعرفه بواب داره ويعرفه المزني تلميذه، والبواب يعرف أنه عالم بالشرع ومصنف فيه ومرشد خلق الله إلى الله على الجملة، والمزني يعرفه لا كمعرفة البواب، بل بمعرفة محيطة بتفاصيل صفاته ومعلوماته، بل العالم الذي يحسن عشرة أنواع من العلوم لا يعرفه بالحقيقة تلميذه الذي لا يحصل إلا نوعاً واحداً، فضلاً عن خادمه الذي لا يحصل شيئاً من علومه، بل الذي حصل علماً واحداً، فإنما عرف على التحقيق عشره إذا ساواه في ذلك العلم حتى لم يقصر عنه، فإن قصر عنه فليس يعرف بالحقيقة ما قصر عنه إلا بالاسم وإبهام الجملة، وهو أنه يعرف أنه يعلم شيئاً سوى ما علمه، فكذلك فافهم تفاوت الخلق في معرفة الله تعالى، وأيضاً **(فإن من رأى**

قلبه، فإن رأى تصنيفاً آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لا محالة حبه لأنه تضاعفت معرفته بعلمه، وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر أنه حسن الشعر فيحبه، فإذا سمع من غرائب شعره ما عظم فيه حذقه وصنعته ازداد به معرفة وازداد له حباً، وكذا سائر الصناعات والفضائل. والعامي قد يسمع أن فلاناً مصنف وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل، والبصير إذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لا محالة، لأن عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف، والعالم بجملته صنع الله تعالى وتصنيفه، والعامي يعلم ذلك ويعتقده؛ وأما البصير فإنه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه، حتى يرى في البعوض ـ مثلاً ـ من عجائب صنعه ما ينبهر به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حباً، وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعاً استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله، وازداد به معرفة وله حباً. وبحر هذه المعرفة ـ أعني معرفة عجائب صنع الله تعالى ـ بحر لا ساحل له، فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لا حصر له، ومما يتفاوت بسبب

تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لا محالة ومال إليه قلبه، فإن رأى تصنيفاً آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لا محالة حبه لأنه تضاعفت معرفته بعلمه، وكذلك يعتقد الرجل في الشاعر أنه حسن الشعر فيحبه، فإذا سمع من غرائب شعره وصنعته ما عظم فيه حذقه ازداد به معرفة وازداد له حباً، وكذا سائر الصناعات والفضائل، والعامي قد يسمع أن فلاناً مصنف، وأنه حسن التصنيف، ولكن لا يدري ما في التصنيف فتكون له معرفة مجملة ويكون له بحسبه ميل مجمل، والبصير) الماهر **(إذا فتش عن التصانيف واطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لا محالة، لأن عجائب الصنعة والشعر والتصنيف تدل على كمال صفات الفاعل والمصنف، والعالم بجملته)** من قمة العرش إلى منتهى الثرى **(صنع الله المتقن وتصنيفه)** وإيجاده، **(والعامي يعلم ذلك ويعتقده)** ولا ينكره. **(وأما البصير)** في العلم **(فإنه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه، حتى يرى في البعوض مثلاً من عجائب صنعه ما ينبهر به عقله ويتحير فيه لبه ويزداد بسببه لا محالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حباً، وكلما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعاً)** وتسلقاً **(استدل بذلك على عظمة الله الصانع وجلاله وازداد به معرفة وله حباً وبحر هذه المعرفة ـ أعني معرفة عجائب صنع الله تعالى ـ بحر لا ساحل له)** ينتهي إليه، **(فلا جرم تفاوت أهل المعرفة في الحب لا حصر له)**، ثم أن تلك المعرفة الحاصلة من النظر في عجائب صنع الله تعالى ليست معرفة تامة حقيقية لأنا إنا علمنا ذاتاً عالمة، فقد علمنا شيئاً مبهماً لا ندري حقيقته، لكن

الحب اختلاف الأسباب الخمسة التي ذكرناها للحب، فإن من يحب الله مثلاً لكونه محسناً إليه منعماً عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته، إذ تتغير بتغيير الإحسان، فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والنعماء. وأما من يحبه لذاته ولأنه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فإنه لا يتفاوت حبه بتفاوت الإحسان إليه. فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة. والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الآخرة. ولذلك قال تعالى: ﴿وللآخِرَةُ أكْبَرُ درجاتٍ وأكبرُ تفضِيلاً﴾ [الإسراء: ٢١].

بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه:

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى، وكان هذا يقتضي أن يكون معرفة أوّل المعارف وأسبقها إلى الأفهام وأسهلها على العقول، وترى الأمر بالضد من ذلك،

ندري أن له صفة العلم، فإن كانت صفة العلم معلومة لنا حقيقة كان علمنا بأنه عالم أيضاً علماً تاماً بحقيقة هذه الصفة، وإلا فلا. ولا يعرف أحد حقيقة علم الله تعالى إلا من له مثل علمه وليس ذلك إلا له فلا يعرفه سواه، وإنما يعرفه غيره بالتشبيه بعلم نفسه، وعلم الله تعالى لا يشبهه علم الخلق ألبتة فلا يكون معرفته به معرفة تامة حقيقية أصلاً بل إبهامية تشبيهية. نعم كلما ازداد العبد إحاطة بتفصيل المعلومات وعجائب الصنائع كان حظه من تلك الصنعة أوفر، لأن الثمرة تدل على المثمر كما أنه كلما ازداد التلميذ إحاطة بتفاصيل علوم الأستاذ وتصانيفه كانت معرفته به أكمل واستعظامه له أتم، وهذا هو مراد المصنف من السياق وإلى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين ويتطرق إليه تفاوتاً لا يتناهى.

(وبما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الأسباب الخمسة التي ذكرناها للحب، فإن من يحب مثلاً لكونه محسناً إليه منعماً عليه ولم يحبه لذاته ضعفت محبته، إذ تتغير بتغير الإحسان، فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرضا والنعماء، وأما من يحبه لذاته ولأنه مستحق للحب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فإنه لا يتفاوت حبه بتفاوت الإحسان إليه) فهذا السبب هو أقوى الأسباب. **(فهذا وأمثاله هو سبب تفاوت الناس في المحبة، والتفاوت في المحبة هو السبب للتفاوت في سعادة الآخرة، ولذلك قال تعالى: ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾)**.

بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله تعالى:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله تعالى، وكان هذا يقتضي أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الأفهام وأسهلها على العقول، وترى**

فلا بد من بيان السبب فيه. وإنما قلنا إنه أظهر الموجودات وأجلاها لمعنى لا تفهمه إلا بمثال: وهو أنا إذا رأينا إنساناً يكتب أو يخيط مثلاً كان كونه حياً عندنا من أظهر الموجودات، فحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة،إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه وكل ذلك لا نعرفه، وصفاته الظاهرة لا نعرف بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته. أما حياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيواناً، فإنه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته، فإن هذه الصفات لا تحس بشيء من الحواس الخمس، ثم لا يمكن أن تعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحركته، فلو نظرنا إلى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته، فما عليه إلا دليل واحد وهو مع

الأمر بالضد من ذلك، فلا بد من بيان السبب فيه وإنما قلنا أنه أظهر الموجودات وأجلاها لمعنى) تقدمت الإشارة إليه. وحاصله: أن المحبة هي الصلة بين العبد وبين الله تعالى في الدنيا والآخرة، إذ العارف لا يفارق المعروف كما لا يريد عنه بدلاً لأن معرفة الله ألذ المعارف وألذ الأشياء وأشهاها للقلوب، لأن كل ذات جبلة على اختلاف أنواعها ومراتبها لا يميل إليها البصر أو البصيرة إلا وهي تشهد كمال خالقها وكمال صانعها، وكلما كانت الصنعة شريفة جيلة دلت على شرف ذات الخالق وكمال صفاته من العلم والحكمة والقدرة، فإن كانت القلوب تميل إلى الذوات الجميلة وتلتذ بإدراكها فالتذاذها بالأشرف أشرف وبالأكمل أكمل، ولمعنى هذا سبق النظر إلى الخالق قبل الخلق، وهذا لا يكون إلا لمن غلبت روحانيته على جثمانيته، وإلا فمن غلبت جثمانيته على روحانيته سبق نظره إلى الخلق دون الخالق وانعدم التذاذه بالعلوم والمعارف وهو جلّ الأسباب المانعة من معرفة الله تعالى، وإلا فمعرفة الله أظهر المعارف ووجوده أظهر الموجودات، وما مثلنا في الغفلة عن معرفة الله ووجوده إلا كمن غفل عن وجود نفسه وكونه موجوداً حياً، وذلك إما لإلفه بوجوده أو شغل قلبه بمهم من المهمات اذهله عن وجوده، وإلا فمن ظهر له وجود نفسه ظهر له وجود الله تعالى لأنه نفسه ونفس العالم أثر من آثار قدرة الله تعالى، وهذا المعنى **(لا تفهمه إلا بمثال وهو: أنا إذا رأينا إنساناً يكتب أو يخيط مثلاً كان كونه حياً عندنا من أظهر الموجودات، فحياته وعلمه وقدرته وإرادته للخياطة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرضه، وكل ذلك لا نعرفه وصفاته الظاهرة لا نعرف إلا بعضها وبعضها نشك فيه كمقدار طوله واختلاف لون بشرته)** أي ظاهر جلده، **(وغير ذلك من صفاته. أما حياته وقدرته وعلمه وإرادته وكونه حيواناً فإنه جلي عندنا من غير أن يتعلق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته، فإن هذه الصفات لا تحس)** أي لا تدرك **(بشيء من الحواس الخمس)** الظاهرة، **(ثم لا يمكن أن تعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بخياطته وحركته)** أي حركة يده، **(فلو نظرنا إلى كل ما في العالم سواه لم نعرف به صفته**

ذلك جلي واضح ، ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض ، بل أوّل شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا ، وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة ، وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد ، وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ، ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته . والموجودات المدركة لا حصر لها ، فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها إلا شاهد واحد وهو ما أحسسنا به من حركة يده ؛ فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصوّر في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله؟ إذ كل ذرة فإنها تنادي بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وأنها تحتاج إلى موجد ومحرّك لها ، يشهد بذلك أوّلاً تركيب أعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة ، فإنا نعلم أنها لم تأتلف بأنفسها كما نعلم

فما عليه إلا دليل واحد وهو مع ذلك جلي واضح، وجود الله وقدرته وعلمه وسائر صفاته تشهد له بالضرورة كل ما تشاهده وتدركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ونبات وشجر وحيوان وسماء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض، بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا، وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا، ثم محسوساتنا بالحواس الخمس، ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة، وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد، وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته، والموجودات المدركة لا حصر لها فإن كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها إلا شاهد واحد وهو ما أحسسنا به من حركة يده، فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله) وعظيم قدرته ، **(إذ كل ذرة فإنها تنادي بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها، وأنها تحتاج إلى موجد ومحرك لها يشهد بذلك أولا تركيب أعضائنا وائتلاف عظامنا ولحومنا وأعصابنا ومنابت شعورنا وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة، فإنا نعلم أنها لم تأتلف بأنفسها، كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها، ولكن لما لم يبق في الموجود شيء مدرك**

أنّ يد الكاتب لم تتحرك بنفسها، ولكن لما لم يبق في الوجود شيء مدرك ومحسوس ومعقول وحاضر وغائب إلا وهو شاهد ومعرف عظم ظهوره فانبهرت العقول ودهشت عن إدراكه.

فإن ما تقصر عن فهمه عقولنا. فله سببان:

أحدهما: خفاؤه في نفسه وغموضه وذلك لا يخفى مثاله.

والآخر: ما يتناهى وضوحه، وهذا كما أن الخفاش يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار، لا لخفاء النهار واستتاره لكن لشدة ظهوره فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذ أشرقت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبباً لامتناع ابصاره فلا يرى شيئاً إلا إذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره.

فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الإشراق والاستنارة وفي غاية الإستغراق والشمول، حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره سبب خفائه، فسبحان من احتجب بإشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار

محسوس ومعقول وحاضر وغائب إلا وهو شاهد) عليه ودليل (**ومعرف عظم ظهوره، فأنبهرت العقول ودهشت عن إدراكه، فإن ما يقصر عن فهمه عقولنا فله سببان**):

(**أحدهما: خفاؤه في نفسه وغموضه**) ودقته (**وذلك لا يخفى مثاله**).

(**والآخر: ما يتناهى وضوحه**) إلى الغاية (**وهذا كما أن الخفاش**) بضم وتشديد طائر معروف، قيل: هو الوطواط غريب الشكل والوصف (**يبصر بالليل**) ويلتمس الوقت الذي لا ضوء فيه، (**ولا يبصر بالنهار لا لخفاء النهار واستتاره**) لكن لشدة ظهوره وكثرة انتشار ضوئه (**مع ضعف بصره، فإن بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس إذا أشرقت**) وكذا ضوء القمر، وفيه يقول الشاعر:

مثل النهار يزيد أبصار الورى　　　نوراً ويعمي أعين الخفاش

(**فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره سبباً لامتناع ابصاره فلا يرى شيئاً إلا إذا امتزج الضوء بالظلام وضعف ظهوره**) وهو قرب الغروب، وفي هذا الوقت ينتشر البعوض يطلب القوت وهو دماء الإنسان، وينتشر الخفاش يطلب البعوض، (**فكذلك عقولنا ضعيفة**) لا شعاع لها (**وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الإشراق والإستنارة وفي غاية الإستغراق والشمول، حتى لم يشذ عن ظهره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره سبب خفائه**)، وفي هذا المعنى أنشدني شيخنا المرحوم العارف وجيه الدين عبد الرحمن بن مصطفى العيدروسي الحسني قدس الله سره، في ثامن عشر رجب سنة ١١٣٣ بالطائف لبعضهم:

بظهوره، ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور، فإن الأشياء تستبان بأضدادها وما عم وجوده حتى أنه لا ضد له عسر إدراكه، فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب، ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر. ومثاله نور الشمس المشرق على الأرض، فإنا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويزول عند غيبة الشمس، فلو كانت دائمة الإشراق لا غروب لها لكنا نظنّ أنه لا هيئة في الأجسام إلا ألوانها وهي السواد والبياض وغيرهما، فإنا لا نشاهد في الأسود

ذكر الإله الزم هديت لذكره ... فبه القلوب تطيب والأفواه
واجعل حلاك تقاه إن أخا التقى ... يا صاح من كانت حلاه تقاه
واستعمل الأفكار في ملكوته ... مستغرقاً في الكشف عن معناه
ولتخلع النعلين خلع محقق ... خلي عن الكونين في مسراه
ولتفن حتى عن فنائك أنه ... عين البقاء وعند ذاك تراه
وإذا بدا فاعلم بأنك لست هو ... كلا ولا أيضاً تكون سواه
شيئان ما اتحدا ولكن ههنا ... سر يضيق نطاقنا عما هو
يا سامعا ما قد أشرت له أما ... قلب بفكر ما وعت أذناه
أزل الحجاب حجاب قلبك ينكشف ... لك سر ما قد غاب عنك سناه
إن الإله أجل ما متعرف ... من لا يراه قد استبان عماه
أني يغيب وليس يوجد غيره ... لكن شديد ظهوره أخفاه

(فسبحان من احتجب بإشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره)، وفي حقائق الأسماء للشيخ الأكبر قدس سره، وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه» قال: فاشترك نوع الإنسان مع الملأ الأعلى في الطلب واختلفا في الكيفية لأنهم يطلبونه بالأنوار العقلية لكونهم عقولاً مجردة، وهو جلت عظمته محتجب عن العقول فأنى لهم سبيل الوصول إلى أسرار الذات وحقائق الصفات انتهى.

(ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فإن الأشياء تستبان بأضدادها، وما عم وجوده حتى أنه لا ضد له عسر إدراكه، فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب، ولما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر) واشتبه الحال، **(ومثاله نور الشمس المشرق)** البسيط **(على الأرض، فإنا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الإشراق لا غروب لها، لكنا نظن أنه لا هيئة في الأجسام إلا ألوانها وهي السواد والبياض وغيرهما، فإنا لا نشاهد في الأسود إلا السواد وفي الأبيض إلا البياض، وأما الضوء فلا ندركه**

إلا السواد وفي الأبيض إلا البياض، فأما الضوء فلا ندركه وحده، ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين، فعلمنا أن الأجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب، فعرفنا وجود النور بعدمه، وما كنا نطلع عليه لولا عدمه إلا بعسر شديد، وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور، هذا مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات، فما هو ظاهر في نفسه وهو يظهر لغيره، انظر كيف تصوّر استبهام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده. فالله تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها، ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت السموات والأرض وبطل الملك والملكوت، ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين، ولو كان بعض الأشياء موجوداً به وبعضها موجوداً بغيره لأدركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة، ولكن دلالته عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه، فلا جرم أورثت شدة الظهور خفاء، فهذا

وحده ولكن لما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين، فعلمنا أن الأجسام كانت قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب، فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه إلا بعسر شديد، وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور، هذا مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات، فما هو ظاهر في نفسه وهو يظهر لغيره انظر كيف تصور استبهام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده، فالله تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها، ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدت السموات والأرض وبطل الملك والملكوت ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين، ولو كان بعض الأشياء موجوداً به وبعضها موجوداً بغيره لأدركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة، ولكن دلالته عامة في الأشياء على نسق واحد وجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه، فلا جرم أورثت شدة الظهور خفاء).

ولقد أفصح المصنف رحمه الله تعالى عن هذا المبحث في كتابه مشكاة الأنوار ما نصه: واعلم أن معنى كونه نور السموات والأرض تعرفه بالنسبة إلى النور الظاهر البصري، فإذا رأيت نور الربيع وخضرته مثلاً في ضياء النهار، فلست تشك في أنك ترى الألوان، وربما ظننت أنك لست ترى مع الألوان غيرها، فكأنك تقول: لست أرى مع الخضرة غيرها، ولقد أصر على هذا أقوام فزعموا أن النور لا معنى له وأنه ليس مع الألوان غير الألوان، فأنكروا وجود النور مع أنه أظهر الأشياء، وكيف لا وبه تظهر الأشياء وهو الذي يبصر في نفسه ويبصر به غيره، لكن عند غروب الشمس وغيبة السراج ووقوع الظل أدركوا تفرقة ضرورية بين محل الظل وبين موضع الضياء، فاعترفوا بأن النور معنى وراء الألوان يدرك مع الألوان حتى كأنه لشدة اتحاده به لا يدرك ولشدة

هو السبب في قصور الأفهام.

وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته فإنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى ولا يعرف غيره؛ يعلم أنه ليس في الوجود إلا الله. وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه، وإنما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الأفعال كلها. ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال ألا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث أنه سماء وأرض وحيوان وشجر، بل ينظرْ فيه من حيث أنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزاً له إلى غيره، كمن نظر في شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أثره لا من حيث إنه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض، فلا يكون قد نظر إلى غير المصنف وكل العالم تصنيف الله

ظهوره يخفى، وقد يكون شدة الظهور سبب الخفاء، والشيء إذا جاوز حدّه انعكس على ضده، فإذا عرفت هذا فاعلم أنه كما ظهر كل شيء للبصر بالنور الظاهر فقد ظهر كل شيء للبصيرة الباطنة بالله فهو مع كل شيء وبه يظهر، ولكن بقي هنا تفاوت وهو أن النور الظاهر يتصور أن يغيب بغروب الشمس ويحجب حتى يظهر الظل، وأما النور الإلهي الذي يظهر كل شيء لا يتصور غيبته بل يستحيل تغيره فيبقى مع الأشياء دائماً، فاقطع طريق الإستدلال بالتفرقة، ولو تصورت غيبته لأنهدت السموات والأرض ولأدرك به من التفرقة ما يضطر معه إلى المعرفة بما به ظهرت الأشياء، ولكن ما تساوت الأشياء كلها على نمط واحد في الشهادة لوحدانية خالقها إذ كل شيء يسبح بحمده لا بعض الأشياء في جميع الأوقات لا بعض الأوقات ارتفعت المعرفة وخفي الطريق، إذ الطريق الظاهر معرفة الأشياء بالأضداد فما لا ضد له ولا نقيض تتشابه الأحوال في الشهادة له، فلا يبعد أن يخفى ويكون خفاؤه لشدة جلائه والغفلة عنه لإشراف نوره، فسبحان من اختفى عن الخلق بشدة ظهوره واحتجب عنهم لإشراق نوره انتهى.

(**فهذا هو السبب في قصور الأفهام: وأما من قويت بصيرته ولم تضعف منته**) بضم الميم أي قوته وغلبت روحانيته على جثمانيته، (**فإنه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى**) مع الأشياء أو قبلها، والثاني أعلى من الأول، (**ولا يعرف غيره ويعلم أنه ليس في الوجود إلا الله وأفعاله أثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة دونه، وإنما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الأفعال كلها، ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث أنه بسماء وأرض وحيوان وشجر، بل ينظر فيه من حيث أنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزاً له إلى غيره**) وهذا مقام الصديقين، وذلك (**كمن نظر في شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيه الشاعر والمصنف ورأى آثاره من حيث أنه حبر وعفص وزاج**) اللذين بهما تركيب الحبر (**مرقوم على بياض، فلا يكون قد نظر إلى**

تعالى، فمن نظر إليه من حيث إنه فعل الله وعرفه من حيث إنه فعل الله وأحبه من حيث إنه فعل الله لم يكن ناظراً إلا في الله ولا عارفاً إلا بالله ولا محباً إلا له، وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى إلا الله، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث أنه عبد الله، فهذا الذي يقال فيه أنه فني في التوحيد وأنه فني عن نفسه. وإليه الإشارة بقول من قال: كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن. فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر،

غير المصنف، وكل العلم تصنيف الله تعالى فمن نظر إليه من حيث أنه فعل الله وعرفه من حيث أنه فعل الله وأحبه من حيث أنه فعل الله لم يكن ناظراً إلا في الله ولا عارفاً إلا بالله ولا محباً إلا له، وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى إلا الله، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه، بل من حيث أنه عبدالله؛ فهذا الذي يقال فيه أنه فني في التوحيد) الذي تقدمت الإشارة إليه غير مرة، **(وأنه فني عن نفسه أيضاً، وإليه الإشارة بقول من قال: كنا بنا فغيبنا عنا)** وفي نسخة ففنينا عنا **(فبقينا بلا نحن)**.

وذكر السعد التفتازاني في الهبات شرح المقاصد بعد أن أبطل الحلول والاتحاد: وههنا مذهبان آخران يوهمان الحلول والإتحاد وليسا منه في شيء.

الأول: السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله وفي الله استغرق في بحر التوحيد والعرفان بحيث تضمحل ذاته في ذاته وصفاته في صفاته، ويغيب عن كل ما سواه ولا يرى في الوجود إلا الله، وهذا الذي يسمونه الفناء في التوحيد، إليه يشير الحديث الإلهي «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر منه» وحينئذ ربما صدرت منه عبارات تشعر بالحلول والاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وتعذر الكشف منه بالمقال، ونحن على ساحل التمني نغترف من بحر التوحيد بقدر الإمكان ونعرف بأنه طريق منافيه العيان دون البرهان.

الثاني: أن الواجب هو الوجود المطلق وهو واحد لا كثرة فيه أصلاً، وإنما الكثرة في الإضافات والتعينات التي هي بمنزلة الخيال والسرب، إذ الكل في الحقيقة واحد يتكرر على الظاهر لا بطريق المخالطة ويتكثر في النواظر لا بطريق الإنقسام، ولا حلول هنا ولا اتحاد لعدم الاثنينية والغيرية انتهى.

وقد تقدم أن من الصديقين من قال: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله معه، ومنهم من ترقى فقال: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله.

قال المصنف في مشكاة الأنوار: وربما لا يفهم هذا الكلام بعض الشاذين، ففهم من قولنا أن الله مع كل شيء كالنور مع الأشياء أنه في كل مكان تعالى وتقدس عن النسبة إلى المكان، بل نقول بأنه قبل كل شيء وأنه فوق كل شيء، فإنه يظهر كل شيء والمظهر لا يفارق المظهر في

أشكلت لضعف الأفهام عن دركها وقصور قدرة العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة للغرض إلى الافهام، وباشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم. فهذا هو السبب في قصور الأفهام، عن معرفة الله تعالى، وانضم إليه أن المدركات كلها التي هي شاهدة على الله إنما يدركها الإنسان في الصبا عند فقد العقل، ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلاً قليلاً وهو مستغرق الهم بشهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها فسقط وقعها عن قلبه بطول الأنس، ولذلك إذا رأى على سبيل الفجاة حيواناً غريباً أو نباتاً غريباً أو فعلاً من أفعال الله تعالى خارقاً للعادة عجيباً انطلق لسانه بالمعرفة طبعاً فقال: «سبحان الله» وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها لطول الأنس ولو فرض أكمه بلغ عاقلاً ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره إلى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لخيف على عقله أن ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب لخالقها.

معرفة صاحب البصيرة، فهذا الذي نعني بقولنا إنه مع كل شيء، ثم لا يخفى عليك أن المظهر قبل المظهر وفوقه وأنه معه لكنه معه بوجه وقبله بوجه، فلا تظنن أنه متناقض واعتبر بالمحسوسات التي في درجتك في العرفان، وانظر كيف تكون حركة اليد مع حركة ظل اليد وقبلها أيضاً، ومن لم يتسع صدره لمعرفة هذا فليهجر هذا النمط من العلم، فلكل علم رجال وكل ميسر لما خلق له.

(فهذه أمور معلومة عند ذوي البصائر أشكلت لضعف الأفهام عن دركها وقصور العلماء بها عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهمة موصلة لهم للغرض إلى الإفهام، أو باشتغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعنيهم؛ فهذا هو السبب في قصور الأفهام عن معرفة الله تعالى وانضم إليه أن المدركات كلها التي هي شاهدة على الله إنما يدركها الإنسان في الصبي عند فقد العقل، ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلاً قليلاً) على التدريج **(وهو مستغرق الهم بشهواته)** أي لتحصيلها، **(وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها)** واستأنس بها **(فسقط وقعها عن قلبه بطول الأنس)** وتمادي الألف، **(ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيواناً غريباً ونباتاً غريباً أو فعلاً من أفعال الله تعالى خارقاً للعادة عجيباً انطلق لسانه بالمعرفة طبعاً، فقال: سبحان الله)** متعجباً منه **(وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحس بشهادتها لطول الأنس بها)** ولا يسبح الله عند رؤيتها، **(ولو فرض أكمه)** وهو الذي ولد أعمى **(بلغ عاقلاً، ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره إلى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لخيف على عقله أن ينبهر لعظم تعجبه من شهادة هذه العجائب**

فهذا وأمثاله من الأسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة، فالناس في طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل إذا كان راكباً لحماره وهو يطلب حماره، والجليات إذا صارت مطلوبة صارت معتاضة. فهذا سر هذا الأمر فليحقق. ولذلك قيل:

لقد ظهرت فما تخفى على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجباً فكيف يعرف من بالعرف قد سترا

بخالقها، فهذا وأمثاله من الأسباب مع الإنهاك في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسباحة في بحارها الواسعة).

قال الشيخ الأكبر قدس سره في حقائق الأسماء: ولا يحول في جو فضاء ساحات الغيب إلا من خلص من قيود مدارك الفكر والحس، ولا تزول ظلمة الشرك والريب إلا بشهود تصاريف تجليات الأسماء والصفات في فسيح حظائر القدس، وهذا النوع من العلوم لا يحصل من ترتيب المقدمات وإيراد الشبهات، بل بمخالفة الهوى وقمع محبة الدنيا والتحقق بحقائق التقوى ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ [البقرة: ٢٨٢] انتهى.

(فالناس في طلبهم معرفة الله تعالى كالمدهوش الذي يضرب به المثل إذا كان راكباً لحماره وهو يطلب حماره) وهو قول العامة: ولده على كتفه وهو يدور عليه، **(والجليات)** الواضحات **(إذا صارت مطلوبة صارت معتاصة؛ فهذا سر هذا الأمر فليحقق، ولذلك قيل)** في وصف التجلي والمحامد:

(لقد ظهرت فما تخفى على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمرا)

ويروى لا يبصر القمرا.

(لكن بطنت بما أظهرت محتجباً فكيف يعرف من بالعرف قد سترا)

وزاد صاحب القوت:

فصرت أعجب ما عاينت مجتهداً لأني حاجب استطلع الخبرا

قال: وأنشد بعضهم في وصف التوحيد والتعزيز بمعناه:

لقد بطنت فلم تظهر لذي بصر وكيف يدرك من بالعين مستترا
لكن عرفت بما عرفت من خبر وكيف يعرف من بالخبر مختبرا
فصرت أسعى لآثار لنا رسمت وغابت العين لا رسماً ولا أثرا

....

ثم قال: والكلام في التجلي والاحتجاب والجمع والاتصال لا أرسمه في كتاب، لأنه يؤدب لعقول فتنفر منه فتطرحه، وتضيق عنه القلوب فتقبض عليها فتمجه، وإنما أمليه من قلب إلى قلب أوعيه من عين إلى عين.

وقال المصنف في المقصد الأسنى: الظاهر الباطن وصفان من المضافات، فإن الظاهر يكون ظاهراً من وجه وباطناً من وجه، ولا يكون من وجه واحد ظاهراً وباطناً، بل يكون ظاهراً من وجه وبالإضافة إلى إدراك، وباطناً من جه آخر وبالإضافة إلى إدراك، فإن الظهور والبطون إنما يكون بالإضافة إلى الإدراكات، والله سبحانه باطن إن طلب من إدراك الحواس وخزانة الخيال ظاهران طلب من خزانة العقل بطريق الاستدلال.

فإن قلت: أما كونه باطناً بالإضافة إلى إدراك الحواس فظاهر، وأما كونه ظاهراً بالإضافة إلى إدراك العقل فغامض، اذ الظاهر ما لا يتمارى فيه ولا يختلف الناس في إدراكه، وهذا مما وقع الريب الكثير للخلق فكيف يكون ظاهراً.

فاعلم أنه إنما يخفى مع ظهوره لشدة ظهوره، فظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب نوره، فكل ما جاوز عن حده انعكس على ضده، ولعلك تتعجب من هذا الكلام وتستبعده ولا تفهمه إلا بمثال، فأقول: لو نظرت إلى كلمة واحدة وكاتب يكتبها لاستدللت على كون الكاتب عالماً قديراً سميعاً بصيراً، واستفدت منها اليقين بوجود هذه الصفات لذلك الكاتب، بل لو وجدت كلمة مكتوبة لحصل لك يقين قاطع لوجود كاتب لها عالم قادر سميع بصير حي، ولم يدل عليه إلا صورة واحدة، فكما شهدت هذه الكلمة شهادة قاطعة بصفات الكاتب، فما من ذرة في السموات والأرض من فلك وكوكب وشمس وقمر وحيوان ونبات وصفة وموصوف إلا وهي شاهدة على نفسها بالحاجة إلى مدبر دبرها وخالق خلقها وقدرها وخصصها بخصوص من صفاته، بل لا ينظر الإنسان إلى عضو من أعضاء نفسه وجزء من أجزائه ظاهراً وباطناً بل إلى صفة من صفاته وحالة من حالاته التي تجري عليه قهراً بغير اختياره إلا ويراها ناطقة بالشهادة لخالقها وقاهرها ومدبرها، وكذلك كل ما يدركه بحواسه في ذاته وخارجاً من ذاته، ولو كانت الأشياء مختلفة في الشهادة يشهد بعضها ولا يشهد بعضها لكان اليقين حاصلاً للجميع، ولكن لما كثرت الشهادات حتى اتفقت خفيت وغمضت لشدة الظهور، ومثاله أن أظهر الأشياء ما تدركه الحواس فأظهرها ما يدرك بحاسة البصر وأظهر ما يدرك بنور البصر نور الشمس المشرق على الأجسام الذي به يظهر كل شيء، كيف لا يكون ظاهراً وقد أشكل ذلك على خلق كثير حتى قالوا الأشياء المتلونة ليس فيها إلا ألوانها فقط من سواد وحمرة، فأما أن يكون فيها مع اللون ضوء ونور مفارق اللون فلا، وسوى هؤلاء إنما تنبهوا على قيام النور بالمتلونات بالتفرقة التي يدركها بين الظل وموضع النور وبين الليل والنهار، فإن الشمس لما تصور غيبتها بالليل عرف الفرق بين التأثر المستضيء بها وبين

....

المظلم المحجوب عنها ، فعرف وجود النور بعدم النور إذا أضيف حالة الوجود إلى حالة العدم ، فأدركت التفرقة مع بقاء الألوان في الحالتين. ولو أطبق نور الشمس كل الأجسام الظاهرة لشخص ولم تغب الشمس عنه حتى تدرك التفرقة لتعذر عليه معرفة كون النور شيئاً موجوداً زائداً على الألوان ، مع أنه أظهر الأشياء بل هو الذي يظهر جميع الأشياء، ولو تصور لله تعالى غيبة عن بعض الأمور لانهدمت السموات والأرض ، وكلما انقطع نوره عنه ولأدركت التفرقة بين الحالتين وعلم وجوده قطعاً ، ولكن لما كانت الأشياء كلها متفقة في الشهادات والأحوال كلها مطردة على نسق واحد كان ذلك سبباً لخفائه ، فسبحان من احتجب عن الخلق بنوره وخفي عليهم بشدة ظهوره ؛ فهو الظاهر الذي لا أظهر منه والباطن الذي لا أبطن منه انتهى.

وقال الشيخ الأكبر قدس سره في أول حقائق الأسماء : لما ذكر أن الملأ الأعلى يطلبونه قال : فاشترك نوع الانسان مع الملأ الأعلى في الطلب واختلفا في الكيفية ، فإنهم يطلبونه بالأنوار العقلية لكونهم عقولاً مجردة وهو جلت عظمته محتجب عن العقول فأنى لهم ذلك. قال : ومن هذا النوع من يطلبه به لكون الحق سمعه وبصره ، ومنهم من يطلبه بنظره العقلي. وطالب الدليل على صحة وجدان أهل الطريقة كطالب الدليل على حلاوة العسل ولذة الجماع من العنة ، وهذا شيء لا يقوم عليه دليل سوى الذوق ، وفيما جرى بين الخضر وموسى عليهما السلام تبصرة لأولي الأبصار ، فالوصول إلى معرفة الذات المتعالية لا يمكن للعقل من حيث النظر لا يزيد الناظر إلا حيرة ، وإنما يعلم باعلام الحق على الوجه الذي يليق بحاله لمن اختصه من عباده ، فمن قال : إن الحق جلت عظمته يعرف بدليل فإنه يضرب في حديد بارد ، ومن هذا قال : من قال : العلم حجاب.

قلت : يريد بهذا القائل المصنف كما صرح به في كتاب الشريعة انتهى.

قال : يريد العلم النظري فأهل الله علموا الحق بإعلامه تعالى لكون الحق علمهم لما كان سمعهم وبصرهم ، ومثل هؤلاء لو تصور فهم نظر فكري لكان الحق عين فكرهم ، لكن لا يتصور ممن يكون مشهدة هذا أن يكون له فكر ، بل هو مع الفهم من ضروب إلهام الحق من غيره تفكر لاستهلاك صفاته في صفات الحق ، ومن كان فهمه عن تفكر فما هو من أهل الذوق ، ثم قال عند ذكره الظاهر الباطن الظاهر لنفسه فما زال ظاهراً والباطن عن خلقه فلم يزل باطناً ، فهو الظاهر بالكفاية والباطن بالعناية. اعلم أن لأهل الكشف مرتبتين : إحداهما أعلى من الثانية ، فكامل يكون له به وهو السابق وعارف يكون له بنفسه وهو المقصد المتحقق بحقائق العبودية المتصف بجميع الأحوال والمتقلب في أطوار المقامات وهو برزخ بين الكمال والنقصان ، فهو إذا تجلى له الحق من إسم الظاهر لم يثبت لظهوره لأنه قائم للحقوق بنفسه ولم يثبت لظهور الحق إلا من الحق بصره ؛ وأما الكامل فهو له به لا بنفسه فله الثبات في كل موطن بالقوة الإلهية السارية في ذاته فلا يبقى حال ولا مقام يظهر به ويتصرف فيه ، فهو مالك الأحول والمقامات لكون الحق سمعه وبصره

....

وجميع قواه، كما ورد في الخبر: إنما نحن به وله وهويته الدائرة الوجودية والصاعد في الدائرة معنى الهابط وما انقسما دائرة الوجود إلا بالخط الموهوم ولا وجود لها وهو عين المقيد، وإذا كان الحق سمع المقيد وبصره ارتفع التقييد والخط ولم يبق سوى الدائرة، فهو الظاهر بنفسه لنفسه والمظهر لغيره ولكمال ظهوره وجلاله بروزه أورثت شدة ظهوره خفاء، فسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن العقول والأبصار لشدة ظهورها، وأما سر بطون الحق من اسم الباطن فهو أن يعلم أن رؤية الشيء تقتضي العلم به وهو علم الرائي أنه رأى شيئاً ما وأحاط علماً بما رآه وعند أهل لا تنضبط رؤية الحق وما لا ينضبط لا يقال فيه أنه يرى أو يعلم، فما رآه إلا من رأى أنه ما رآه، ولا يعلمه إلا من علم انه ما علم، فالحجب الإلهية أبداً مسدولة بينه وبين خلقة ولو رفعت لأحرقت سبحات الوجه ما أدركه بصره من خلقه، والحجب إن كانت مخلوقة فكيف لا تحرقه السبحات، وإن كانت غير مخلوقة فلا حجاب ولا احتجاب، فالحق فيها أنها سر أخفاها الله تعالى عن خلقه سمي ذلك الاخفاء حجاباً، فالنور منها ما حجب من المعارف النظرية، والظلمانية ما حجبت به الأمور الطبيعية والرسمية وليس إلا اندراج النور الأدنى في الأعلى كاندراج أنوار الكواكب تحت شعاع الشمس، ولما كانت الأشياء تتحفظ بالحدود فإذا جاوز الشيء حده انعكس ضده، كذلك ظهور الحق لما تجاوز عن حد القول والإدراك بطن واستتر عن العامة فلم يظهر لهم الأمر على ما هو عليه، وحد العارفين في معرفته أن يعرفوا أنه لا يعرف إذ لو عرفوا لم يكن باطناً وهو الباطن، والبطون يختص بالممكنات، كما أن الظهور يختص بالوجود، والبطون الذي وصف به نفسه إنما هو في حق الممكن فالممكنات باطن الحق والحق ظاهره لأنه من بطون الحق ظهر الكون، وبما ظهر استتر وفيما بطن ظهر، فالظهور عين البطون لما أن الآخر عين الأول انتهى. وقد انتهى الكلام على المحبة وما يتعلق بها.

ثم شرع المصنف في ذكر ما يثمر المحبة من الشوق والأنس والرضا وغير ذلك مما سيأتي بيانه، إلا أن صاحب القوت جعل الرضا مقاماً من مقامات اليقين، كمقام المحبة. والشيخ أبو إسماعيل الهروي جعله ملحقاً بمقام التوكل كالتسليم والتفويض قال: لأنها من آدابه، وذكر جملة أحوال في باب المحبة وعدها مقامات على طريق منازلات العبد إلى الله تعالى وفي الله تعالى حالاً بعد حال، وهذا وسمه البرق والوجد والذوق واللحظ والوقت والصفاء والنفس والفرق والغيب والسكن والفناء والبقاء والوجود والجمع والتعظيم والأنس والقرب والسكينة والطمأنينة والانبساط والإذلال والغيرة والشوق والوجد، وله أحوال ثلاثة: الدهش والهيجان والتمكين، قال الكمال محمد بن إسحاق الصوفي: وهذا الترتيب أولى من ترتيب غيره لأنه يحصل الجمع بين معرفتها وبين علم تدريجها في السلوك والمنازلات، والله سبحانه يفتح على كل عبد من عبيده من تقديم وتأخير، وقد يعطي الله العارفين واحداً منها وقد يعطيه كلها ويعطى أضعافها إلى ما لا نهاية له مما لا نعرف له وجوداً ولا رأينا له رسماً ولا سمعنا له ذكراً. قال تعالى ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ [الحجر: ٢١].

بيان معنى الشوق إلى الله تعالى:

اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بدّ وأن ينكر حقيقة الشوق، إذ لا يتصور الشوق إلا إلى محبوب ونحن نثبت وجوب الشوق إلى الله تعالى، وكون العارف مضطراً إليه بطريق الاعتبار والنظر بأنوار البصائر وبطريق الأخبار والآثار. أما الاعتبار فيكفي في إثباته ما سبق في إثبات الحب، فكل محبوب يشتاق إليه في غيبته لا محالة، فأما الحاصل الحاضر فلا يشتاق إليه، فإن الشوق طلب وتشوف إلى أمر والموجود لا يطلب. ولكن بيانه أنّ الشوق لا يتصوّر إلا إلى شيء أدرك من وجه ولم يدرك من وجه، فأما ما لا يدرك أصلاً فلا يشتاق إليه، فإنّ من لم يرَ شخصاً ولم يسمع وصفه لا يتصوّر أن يشتاق إليه، وما أدرك بكماله لا يشتاق إليه، وكمال الإدراك بالرؤية، فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوماً للنظر إليه لا يتصوّر أن يكون له شوق، ولكن الشوق

بيان معنى الشوق إلى الله تعالى:

وهو ثمار المحبة. وسئل ابن عطاء الشوق أعلى أم المحبة؟ فقال: المحبة لأن الشوق منها يتولد وهو أفضل من الأنس، ولذلك قدمه لأن الآنس قصر نظره على ما انكشف من جمال المحبوب ولم يمتد نظره إلى استكشاف ما غاب عنه، والمشتاق كالعطشان الذي لا ترويه البحار لمعرفته بأن الذي انكشف له من الأمور الإلهية بالنسبة إلى ما غاب عنه كالذرة بالنسبة إلى سعة الوجود، ولله المثل الأعلى.

(**اعلم**) وفقك الله (**أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وأن ينكر حقيقة الشوق**) إلى الله تعالى، (**إذ لا يتصور الشوق إلا إلى المحبوب**) فإذا انتفت المحبة انتفى ما هو من ثمارها إذ لا محالة أن الثمرة تبع للمثمر، (**ونحن نثبت وجوب الشوق إلى الله تعالى**) بإيجاب أصل المحبة، (**وكون العارف مضطراً إليه بطريق الاعتبار فيكفي في إثباته ما سبق في اثبات الحب، فكل محبوب يشتاق إليه في غيبته لا محالة، فأما الحاصل الحاضر فلا يشتاق إليه فإن الشوق طلب وتشوق إلى طلب أمر**) ونزول النفس إليه (**والموجود لا يطلب**) ولا تتشوق إليه النفس، (**ولكن بيانه أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجه ولم يدرك من وجه، فأما ما لا يدرك أصلاً فلا يشتاق إليه**) لانقطاع الأطماع منه، (**فإن من لم ير شخصاً ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشتاق إليه وما أدرك بكماله لا يشتاق إليه وكمال الإدراك بالرؤية**) بحاسة البصر، (**فمن كان في مشاهدة محبوبه مداوماً للنظر إليه لا يتصور أن يكون له شوق**). روى القشيري عن بعضهم: الشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشا يسنح على الفرقة فإذا وقع اللقاء طفيء، وإذا كان الغالب على الأسرار مشاهدة المحبوب لم يطرقها الشوق وقيل

إنما يتعلق بما أدرك من وجه ولم يدرك من وجه، وهو من وجهين لا ينكشف إلا بمثال من المشاهدات.

فنقول مثلاً: من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق إلى استكمال خياله بالرؤية، فلو انمحى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصوّر أن يشتاق إليه، ولو رآه لم يتصور أن يشتاق في وقت الرؤية، فمعنى شوقه تشوق نفسه إلى استكمال خياله، فكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق إلى استكمال رؤيته، وتمام الانكشاف في صورته بإشراق الضوء عليه.

والثاني: أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلاً ولا سائر محاسنه فيشتاق لرؤيته، وإن لم يرَها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضواً وأعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يرَه قط.

والوجهان جميعاً متصوران في حق الله تعالى، بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين، فإن ما اتضح للعارفين من الأمور الإلهية، وإن كان في غاية الوضوح، فكأنه من وراء ستر رقيق فلا يكون متضحاً غاية الاتضاح، بل يكون مشوباً بشوائب

لبعضهم: هل تشتاق؟ فقال: لا إن الشوق إلى غائب وهو حاضر، **(ولكن الشوق إنما يتعلق بما أدرك من وجه ولم يدرك من وجه، وهو وجهين لا ينكشف إلا بمثال من المشاهدات)**.

(فنقول مثلاً: من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق إلى استكمال خياله بالرؤية، فلو أغمي عن قلبه ذكره وخياله ومعرفته حتى نسيه لم يتصور أن يشتاق إليه، ولو رآه لم يتصور أن يشتاق في وقت الرؤية فمعنى شوقه تشوق نفسه إلى استكمال خياله، فكذلك قد يراه في ظلمة لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق إلى استكمال رؤيته، وتمام الانكشاف في صورته بإشراق الضوء عليه).

(والثاني: أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شعره مثلاً ولا سائر محاسنه فيشتاق إلى استكمال رؤيته وإن لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية، ولكنه يعلم أن له عضواً وأعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يره قط).

(والوجهان جميعاً متصوران في حق الله تعالى، بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين، فإن ما اتضح للعارفين من الأمور الإلهية وإن كانت في غاية الوضوح) عندهم، **(فكأنه من وراء ستر رقيق فلا يتضح غاية الاتضاح، بل يكون مشوباً بشوائب التخيلات، فإن**

التخيلات، فإنّ الخيالات لا تفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات، وهي مكدرات للمعارف ومنغصات، وكذلك ينضاف إليها شواغل الدنيا، فإنما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام إشراق التجلي ولا يكون ذلك إلا في الآخرة، وذلك بالضرورة يوجب الشوق فإنه منتهى محبوب العارفين. فهذا أحد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحاً ما.

الثاني: أن الأمور الإلهية لا نهاية لها وإنما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لا نهاية لها غامضة. والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى، ويعلم أن ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر، فلا يزال متشوقاً إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلاً، لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة.

والشوق الأول ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة، ولا يتصور أن يسكن في الدنيا. وقد كان إبراهيم بن أدهم من المشتاقين فقال: قلت ذات يوم، يا رب إن أعطيت أحداً من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل لقائك فأعطني ذلك

الخيالات لا تفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنقصات) وأيضاً فإن الصور تتنوع عليهم في تجليات المشاهد مع أحدية العين في نفس الامر، **(وكذلك يضاف إليها شواغل الدنيا)** وصوارفها، **(فإنما كمال الوضوح بالمشاهدة)** العيانية **(وتمام إشراق التجلي ولا يكون ذلك إلا في الآخرة)** حين يبلغ الكتاب أجله، **(وذلك بالضرورة يوجب الشوق فإنه منتهى محبوب العارفين، فهذا أحد نوعي الشوق)** وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحاً ما.

(الثاني: أن الأمور الإلهية لا نهاية لها) ولا حد لها ينتهي إليه، **(وإنما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لا نهاية لها غامضة)** خفية المدرك، **(والعارف يعلم وجودها. وكونها معلومة لله تعالى ويعلم ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر فلا يزال متشوقاً إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلاً لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة)** كما هو مقتضى الترقي والزيادة.

(والشوق الاول: ينتهي في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة ولا يتصور أن يسكن) هذا الشوق **(في الدنيا، فقد كان إبراهيم بن أدهم)** رحمه الله تعالى **(من المشتاقين)** وكانت له أماكن من المحبة رفيعة ومكاشفات في القرب عليه **(فقال: قلت ذات يوم يا رب إن أعطيت أحداً من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل لقائك فاعطني ذلك فقد**

فقد أضرّ بي القلق، قال: فرأيت في النوم أنه أوقفني بين يديه وقال: يا إبراهيم أما استحييت مني أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه، فقلت يا رب تهت في حبك فلم أدرِ ما أقول فاغفر لي وعلمني ما أقول، فقال: قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك؛ فإن هذا الشوق يسكن في الآخرة.

وأما الشوق الثاني: فيشبه أن لا يكون له نهاية لا في الدنيا ولا في الآخـرة، إذ نهايته أن ينكشف للعبد في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لأن ذلك لا نهاية له. ولا يزال العبد عالماً بأنه بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه، لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة، إلا أنه تشوق إلى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال، فهو يجد لذلك شوقاً لذيذاً لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون ألطاف الكشف والنظر متوالية إلى غير نهاية، فلا يزال

أضر بي القلق، قال: فرأيت في النوم أنه أوقفني بين يديه وقال: يا إبراهيم أما استحييت مني أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه) . أي: هل يستريح المحب إلى غير معشوقه؟ قال: (**فقلت يا رب تهت في حبك فلم أدر ما أقول فاغفر لي وعلمني ما أقول، فقال: قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك، وأوزعني شكر نعمائك)** نقله صاحب القوت.

ورواه أبو محمد السراج في مصارع العشاق بسنده إلى إبراهيم بن عثمان البلخي عن إبراهيم بن أدهم قال: وجدت يوماً راحة وطاب قلبي لحسن صنع الله واختياره لي فقلت فساقه إلي قوله: فلم أدر ما أقول، وقد لاحظ هذا المعنى القطب أبو الحسن الشاذلي قدس سره فأدرج هذه الكلمات في حزبه الكبير مفرقة في موضعين منه، وفيه إشعار بأن الأدب مع الله مطلوب في كل حال، فإن الله تعالى قد يعرض عن محبيه تعززاً ليزعجهم الشوق إليه ويقلقهم الأسف عليه، ويستخرج منهم لطف التملق له، ثم ينظر إليهم في إعراضه عنهم من حيث لا يعلمون لينظروا إليه بحيث يعلمون فيسكنون بالأدب بين يديه (**فإن هذا الشوق يسكن في الآخرة.**

وأما الشوق الثاني: فيشبه أن لا يكون له نهاية لا في الدنيا ولا في الآخرة إذ نهايته أن ينكشف للعبد في الآخرة من جلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال، لأن ذلك لا نهاية له. ولا يزال العبد عالماً بأنه بقي من الجمال والجلال ما لم يتضح) له اتضاحاً تاماً، (**فلا يسكن قط شوقه لا سيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة إلا أنه تشوق إلى استكمال الوصال مع حصول أصل الوصال، فهو يجد لذلك شوقاً لذيذاً لا يظهر فيه ألم ولا يبعد أن تكون ألطاف الكشف والنظر متوالية)** أي متتابعة (**إلى غير**

النعيم واللذة متزايداً أبد الآباد، وتكون لذة ما يتجدّد من لطائف النعيم شاغلة عن الإحساس بالشوق إلى ما لم يحصل: وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل فيه كشف في الدنيا أصلاً، فإن كان ذلك غير مبذول فيكون النعيم واقفاً على حدّ لا يتضاعف ولكن يكون مستمرًّا على الدوام. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وبِإِيمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨] محتمل لهذا المعنى. وهو أن ينعم عليه بإتمام النور مهما تزوّد من الدنيا أصل النور، ويحتمل أن يكون المراد به إتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة محتاجة إلى مزيد الاستكمال والإشراق، فيكون هو المراد بتمامه. وقوله تعالى: ﴿أَنْظُرُونَا نَقْتَبِس مِنْ نُورِكُمْ، قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾ [الحديد: ١٣] يدل على أنّ الأنوار لا بدّ وأن يتزود أصلها في الدنيا ثم يزداد في الآخرة إشراقاً، فأما أن يتجدّد نور فلا، والحكم في هذا برجم الظنون مخطر، ولم ينكشف لنا فيه بعدما يوثق به، فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علماً ورشداً ويرينا الحق حقاً. فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه.

وأما شواهد الأخبار والآثار فأكثر من أن تحصى، فمما اشتهر من دعاء رسول الله

نهاية، فلا يزال النعيم واللذة متزايداً أبد الآباد، وتكون لذة ما يتجدد من ألطاف النعيم شاغلاً عن الإحساس بالشوق إلى ما لم يحصل، وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيما لم يحصل به الكشف في الدنيا أصلاً، فإذا كان غير مبذول فيكون النعيم واقفاً على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمراً على الدوام وقوله سبحانه وتعالى ﴿نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا﴾ محتمل لهذا المعنى. وهو أن ينعم عليه باتمام النور مهما تزود من الدنيا أصل النور) واكتسبه منها، **(ويحتمل أن يكون المراد به إتمام النور في غير ما استنار في الدنيا استنارة محتاجة إلى مزيد الاستكمال والإشراق، فيكون هو المراد بتمامه)** والأول أوفق بلفظ الاتمام. **(وقوله تعالى ﴿انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً﴾ يدل على أن الأنوار لا بد وأن يتزود أصلها في الدنيا ثم يزداد في الآخرة إشراقاً، فأما أن يتجدد نور)** لم يكن أصله في الدنيا **(فلا)** ومن هنا قيل: الدنيا مزرعة الآخرة، المرء مع من أحب وله ما اكتسب. **(والحكم في هذا برجم الظنون مخطر)** لأنه من الأمور الغيبية وليس للعقل فيها مجال، **(ولم ينكشف لنا فيه بعد ما يوثق به)** ويعتمد عليه، وإنما نحن على بحر التمني، **(فنسأل الله تعالى أن يزيدنا علماً ورشداً)** إلى الصواب، **(ويرينا الحق حقاً)** ويرزقنا اتباعه؛ **(فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لحقائق الشوق ومعانيه)**.

(وأما شواهد الأخبار والآثار فأكثر من أن تحصى، فمما اشتهر من دعاء رسول الله ﷺ

ﷺ أنه كان يقول: « اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك »، وقال أبو الدرداء لكعب: أخبرني عن أخص آية ـ يعني في التوراة ـ فقال: يقول الله تعالى: طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقائهم لأشدّ شوقاً. قال: ومكتوب إلى جانبها، من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني، فقال أبو الدرداء: أشهد أني لسمعت رسول الله ﷺ يقول هذا. وفي أخبار

أنه كان يقول « اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك ») رواه الطبراني من حديث فضالة بن عبيد بلفظ « اللهم إني أسألك الرضا بالقضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ».

وروى ابن أبي شيبة وأحمد من حديث عمار بن ياسر بلفظ « اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفني ما علمت الوفاة خيراً لي، اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك الإخلاص في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين ».

وقال القشيري في الرسالة: أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان الأهوازي، أخبرنا أحمد بن عبيد البصري، حدثنا ابن أبي قماش، حدثنا اسماعيل بن زرارة، عن حماد بن زيد، حدثنا عطاء بن السائب عن أبيه قال: صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها فقلت: خففت يا أبا اليقظان، فقال: وما علي من ذلك فلقد دعوت الله سبحانه بدعوات سمعتها من رسول الله ﷺ، فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات فقال: « اللهم بعلمك الغيب » فساقة إلا أنه قال: كلمة الحق بعد كلمة الإخلاص، وقال: نعيماً لا يبيد بدل لا ينفد، وقال: بعد القضاء كما عند المصنف والباقي سواء. وقد رواه أيضاً ابن النجار في تاريخه هكذا.

وروى أبو نعيم في الحلية من حديث الهيثم بن مالك الطائي: « اللهم اجعل حبك أحب الأشياء واجعل خشيتك اخوف الأشياء عندي واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق إلى لقائك، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا في دنياهم فاقرر عيني من عبادتك ».

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه **(لكعب)** الأحبار رحمه الله تعالى: **(أخبرني عن أخص آية يعني في التوراة فقال: يقول عز وجل: طال شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى لقائهم لأشد شوقاً)** ولفظ القوت: طال شوق أوليائي إلي وأنا إليهم أشوق. **(قال: ومكتوب إلى جانبها: من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني، فقال أبو الدرداء: أشهد أني لسمعت رسول الله ﷺ يقول هذا)** نقله صاحب القوت وأغفله العراقي، والذي رواه أبو الدرداء مرفوعاً هو قوله « يقول الله تعالى من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني ».

داود عليه السلام: أنّ الله تعالى قال: يا داود أبلغ أهل أرضي أني حبيب لمن أحبني وجليس لمن جالسني ومؤنس لمن أنس بذكري وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني، ما أحبني عبد أعلم ذلك يقيناً من قلبه إلا قبلته لنفسي وأحببته حباً لا يتقدّمه أحد من خلقي، من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني، فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي، وائنسوا بي أؤانسكم وأسارع إلى محبتكم، فإني خلقت طينة أحبائي من طينة إبراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي، وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي.

وروي عن بعض السلف: أنّ الله تعالى أوحى إلى بعض الصدّيقين أن لي عباداً من عبادي يحبوني وأحبهم، ويشتاقون إليَّ وأشتاق إليهم، ويذكروني وأذكرهم، وينظرون إليّ وأنظر إليهم، فإن حذوت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك، قال: يا رب وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي الشفيق غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما يحن الطائر إلى وكره عند الغروب، فإذا جنهم الليل واختلط الظلام

(وفي أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى قال: يا داود أبلغ أهل أرضي أني حبيب لمن أحبني وجليس لمن جالسني وأنيس لمن أنس بذكري) ولفظ القوت: مؤانس لمن أنس بذكري وأنيس لمن أنس بي، **(وصاحب لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني، ما أحبني عبد أعلم ذلك يقيناً من قلبه إلا قبلته لنفسي وأحببته حباً لا يتقدمه أحد من خلقي، من طلبني بالحق وجدني، ومن)** طلبني بغير حق أو **(طلب غيري لم يجدني، فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها وهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي وائنسوا بي أؤنسكم وأسارع في محبتكم، فإني خلقت طينة أحبائي من طينة إبراهيم خليلي وموسى نجيّي ومحمد صفيّي، وخلقت قلوب المشتاقين من نوري ونعمتها بجلالي)** قال صاحب القوت بعد أن ذكره، فهذا مقام خلة وحال مطلوب وهو وصف مقرب ونعت محبوب، ومن صدر عن مقام محب بعد وروده رفع إلى هذا المقام لأنه مقام محبوب.

(وروى عن بعض السلف) من العلماء القدماء **(أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين أن لي عباداً من عبادي يحبوني وأحبهم، ويشتاقون إلي واشتاق إليهم، ويذكروني وأذكرهم، وينظرون إلي وانظر إليهم، فإن حذوت)** أي اتبعت وسلكت **(طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك. قال: يا رب وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الشفيق غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما يحن الطائر إلى وكره عند الغروب، فإذا جنّهم الليل)** أي سترهم، **(واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الأسرة**

وفرشت الفرش ونصبت الأسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لـي أقدامهم وافترشوا لـي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا إلي بإنعامي فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشتكون من حبي، أول ما أعطيهم ثلاث: أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم. والثانية: لو كانت السموات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم. والثالثة: أقبل بوجهي عليهم، فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه.

وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لي أقدامهم وافترشوا لي وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا إلي بإنعامي، فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشتكون من حبي، أول ما أعطيهم ثلاث: أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم. والثانية: لو كانت السموات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم. والثالثة: أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه).

قال صاحب القوت بعد أن ذكره بطوله؛ فهؤلاء الذين أقبل الله تعالى بوجهه عليهم هم الذين أحبوه بكل قلوبهم كما قال: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ [الرحمن: ٦٠] وكان كما قال: ﴿جزاء وفاقاً﴾ [النبأ: ٢٦] فنظروا إلى وجهه بنور وجهه فتجلى بوصف محبوب فاحبوه كما روينا عنه في خبر موسى عليه السلام: إذا نظرت إلى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها، فالله تعالى لا ينظر إلى الأجسام والنفوس لأنها من الدنيا، وهو لا ينظر إليها إنما ينظر إلى الأعمال والقلوب لأنها من الآخرة، وهو ينظر إليها بعينه فتزداد إشراقاً وحسناً عن نوره وحسنه، ثم لا ينظر إلا إلى قلوب الموقنين وأعمالهم فبنوره رأوه فأما العموم فقلوبهم كأجسادهم وأعمالهم شبه قلوبهم، فالله تعالى ينظر إليهم كنظره إلى الدنيا بعين التدبير والتقدير فمعارفهم ظاهر التوحيد عن ظاهر الصفات والأسماء، فهم عرفوه بالملك والحكمة وشهدوه بالقدم والأزلية عن معنى ما نظر به إليهم، فسبحان من وسع كل شيء رحمة وعلماً، وسبحان من نظر إلى من يحب بالوصف الذي يحب فأحبوه عن نظره، فأما الشوق فإنه مقام رفيع عن مقام المحبة وليس يبقى الشوق للعبد راحة ولا نعيماً في غير مشوقه، والمشتاقون مقربون بما أشهدوا من الشوق وهم المأمور بطلبهم الموجود الحبيب عندهم مثوبة منه لهم لما شوقهم إليه في قوله لموسى عليه السلام: أطلبني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي المشتاقين من أجلي المحبين، ثم قال فمقام الشوق في المحبة يجل عن الوصف ويتجاوز في العلو والفضل كل عرف ولا يصلح أن نصفه إلا أنا نذكر من ذلك ما سمعناه نقلاً، فلا تنكرن لأحباء الله وأوليائه فضلاً، ولا تمزجن فيه بالتدبير والقياس عقلاً، فقد جاوز مقامهم كل عقل كما اشتمل حالهم ووجدهم بمحبوبهم كل فضل.

وفي أخبار داود عليه السلام: أن الله تعالى أوحى إليه: يا داود إلى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق إليّ قال: يا رب من المشتاقون إليك؟ قال: إنّ المشتاقين إليّ الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم إلي خرقاً ينظرون إلي، وإني لأحمل قلوبهم بيدي فأضعها على سمائي، ثم أدعو نجباء ملائكتي فإذا اجتمعوا سجدوا لي، فأقول إني لم أدعكم لتسجدوا لي ولكني دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين إلي وأباهي بكم أهل الشوق إلي فإن قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لأهل الأرض، يا داود إني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدثي، وجعلت أبدانهم موضع نظري إلى الأرض وقطعت من قلوبهم طريقاً ينظرون به إلي يزدادون في كل يوم شوقاً، قال داود: يا رب أرني محبتك، فقال: يا داود ائت جبل لبنان فإن فيه أربعة عشر نفساً فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول، فإذا أتيتهم فاقرئهم مني السلام وقل لهم إن ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة فإنكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم. فأتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في عظمة الله عز وجل، فلما

(و) قد روينا **(في أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه: يا داود إلى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق إلي؟ قال: يا رب من المشتاقون إليك؟ قال: إن المشتاقين إلي الذين صفيتهم من كل كدر ونبهتهم بالحذر وخرقت من قلوبهم إلي خرقاً ينظرون إلي)** وهي عين البصيرة، **(وإني لأحمل قلوبهم بيدي فأضعها على سمائي، ثم أدعو نجباء ملائكتي فإذا اجتمعوا سجدوا لي، فأقول: إني لم أدعكم لتسجدوا لي ولكن دعوتكم لأعرض عليكم قلوب المشتاقين إلي وأباهي بكم أهل الشوق إلي، فإن قلوبهم لتضيء في سمائي لملائكتي كما تضيء الشمس لأهل الأرض. يا داود)** إنه من ذكرني ذكرته، ومن أنس بي أنسته، ومن جلس إلي جالسته لأني أنا أكرم الكرماء وأحكم الحكماء. يا داود **(إني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني ونعمتها بنور وجهي فاتخذتهم لنفسي محدثي)** أصله محدثين سقطت النون للإضافة، ثم شددت الياء. ولفظ القوت: محدثين، **(وجعلت أبدانهم موضع نظري إلى الأرض وقطعت من قلوبهم طريقاً ينظرون به إليّ يزدادون في كل يوم شوقاً. قال داود)** عليه السلام: **(يا رب أرني أهل محبتك، فقال: يا داود ائت جبل لبنان)** وهو بضم اللام وسكون الموحدة كأنه مثنى لبن جبل من جبال الشام شاهق، **(فإن فيه أربعة عشر نفساً فيهم شبان وفيهم شيوخ وفيهم كهول، فإذا أتيتهم فاقرئهم مني السلام وقل لهم: إن ربكم يقرئكم السلام ويقول لكم: ألا تسألوني حاجة فإنكم أحبائي وأصفيائي، أفرح لفرحكم** وأسارع إلى محبتكم، **فأتاهم داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتفكرون في**

نظروا إلى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه، فقال داود: إني رسول الله إليكم جئتكم لأبلغكم رسالة ربكم فاقبلوا نحوه وألقوا أسماعهم نحو قوله وألقوا أبصارهم إلى الأرض، فقال داود إني رسول الله إليكم يقرئكم السلام ويقول لكم ألا تسألون حاجة؟ ألا تنادوني أسمع صوتكم وكلامكم فإنكم أحبائي وأصفيائي وأوليائي أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم وأنظر إليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة؟ قال: فجرت الدموع على خدودهم، فقال شيخهم: سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا. وقال الآخر: سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك. وقال الآخر: سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك أفنجترىء على الدعاء وقد علمت أنه لا حاجة لنا في شيء من أمورنا فادم لنا لزوم الطريق إليك وأتمم بذلك المنة علينا. وقال الآخر: نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك. وقال الآخر: من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك أفيجترىء على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك؟ وطلبتنا الدنو من نورك. وقال الآخر: كلت ألسنتنا عن دعائك لعظم شأنك، وقربك من أوليائك، وكثرة منتك على أهل محبتك. وقال الآخر: أنت هديت

عظمة الله عز وجل، فلما نظروا إلى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه) أي لخوفهم عن شغلهم بغير الله تعالى، **(فقال داود)** عليه السلام: **(إني رسول الله إليكم جئتكم لأبلغكم رسالة ربكم، فأقبلوا نحوه وألقوا أسماعهم نحو قوله وألقوا أبصارهم إلى الأرض، فقال داود عليه السلام: إني رسول الله إليكم يقرئكم السلام ويقول لكم: ألا تسألوني حاجة؟ ألا تنادوني أسمع صوتكم وكلامكم فإنكم أحبائي وأصفيائي واوليائي أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم وأنظر إليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشفيقة الرفيقة)** لولدها؟ **(قال: فجرت الدموع على خدودهم، فقال شيخهم)** أي كبيرهم في السن: **(سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا، وقال الآخر: سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك وقال الآخر: سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فنجترىء على الدعاء وقد علمت أنه لا حاجة لنا في شيء من أمورنا فأدم لنا لزوم الطريق إليك واتمم بذلك المنة علينا. وقال الآخر: نحن مقصرون في طلب رضاك فاعنا عليه بجودك، وقال الآخر: من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك أفيجترىء على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو من نورك)** ولفظ القوت: منك؟ **(وقال الآخر: كلّت ألسنتنا عن دعائك لعظيم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة منتك على أهل**

قلوبنا لذكرك، وفرغتنا للإشتغال بك، فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك. وقال الآخر: قد عرفت حاجتنا إنما هي النظر إلى وجهك. وقال الآخر: كيف يجترىء العبد على سيده؟ إذ أمرتنا بالدعاء بجودك، فهب لنا نوراً نهتدي في الظلمات من أطباق السموات، وقال الآخر: ندعوك أن تقبل علينا وتديمه عندنا، وقال الآخر: نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا. وقال الآخر: لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر إلى جمال وجهك. وقال الآخر: أسألك من بينهم أن تعمي عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة. وقال الآخر: قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك. فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتم فليفارق كل واحد منهم صاحبه وليتخذ لنفسه سرباً فإني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري وجلالي. فقال داود: يا رب بِمَ نالوا هذا منك؟ قال: بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي وإن هذا منزل لا يناله إلا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي، فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر

محبتك. وقال الآخر: أنت هديت قلوبنا لذكرك وفرغتنا للإشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك. وقال الآخر: قد عرفت حاجتنا إنما هي النظر إلى وجهك. وقال الآخر: كيف يجترىء العبد على سيده إذا أمرتنا بالدعاء بجودك فهب لنا نوراً نهتدي به في الظلمات من أطباق السموات؟ وقال الآخر: ندعوك أن تقبل علينا وتديمه) ولفظ القوت تزيده **(عندنا. وقال الآخر: لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامنن علينا بالنظر إلى جمال وجهك. وقال الآخر: نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا وتفضلت به علينا. وقال الآخر: أسألك من بينهم أن تعمي عيني عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقلبي عن الإشتغال بالآخرة. وقال الآخر: قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أولياءك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك)** فهذه أربعة عشر قولاً. **(فأوحى الله تعالى إلى داود)** عليه السلام: **(قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أحببتم، فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سرباً فإني كاشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى نوري وجلالي، فقال داود)** عليه السلام: **(يا رب بم نالوا هذا منك؟ قال: بحسن الظن والكف عن الدنيا وأهلها والخلوات بي ومناجاتهم لي)** ولفظ القوت في مناجاتهم، **(وإن هذا منزل لا يناله إلا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل بشيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي، فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه واكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر إلي**

إلي نظر الناظر بعينه إلى الشيء وأريه كرامتي في كل ساعة وأقربه من نور وجهي، ان مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها، وإن عطش أرويته وأذيقه طعم ذكري، فإذا فعلت ذلك به يا داود عميت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحببها إليه لا يفتر عن الإشتغال بي، يستعجلني القدوم وأنا أكره أن أميته لأنه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا أرى غيره، فلو رأيته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه إذا سمع بذكري أباهي به ملائكتي وأهل سمواتي يزداد خوفاً وعبادة، وعزتي وجلالي يا داود لأقعدنه في الفردوس ولأشفين صدره من النظر إلي حتى يرضى وفوق الرضا.

وفي أخبار داود أيضاً: قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ما ضركم إذا احتجبت عن

نظر الناظر بعينه إلى الشيء، وأريه كرامتي في كل ساعة، ولأقربه من نور وجهي إن مرض مرضته كما تمرض الوالدة الشفيقة ولدها، وإن عطش أرويته وأذيقه طعم ذكري، فإذا فعلت له ذلك يا داود عميت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحببها إليه لا يفتر عن الإشتغال بي يستعجلني القدوم، وأنا أكره أن أميته لأنه موضع نظري من بين خلقي لا يرى غيري ولا أرى غيره، فلو رأيته يا داود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهشمت أعضاؤه وانخلع قلبه إذا سمع بذكري أباهي) به (**ملائكتي وأهل سمواتي يزداد خوفاً وعبادة، وعزتي وجلالي يا داود لأقعدنّه في الفردوس ولأشفين صدره من النظر إلي حتى يرضى وفوق الرضا**).

قال صاحب القوت: بعد أن ساقه بطوله؛ فهذه مقامات المشتاقين في مراتب الشوق عن درجات الحب ومراقي المعارف والوجد، فكل مشتاق منهم نطق بحقيقة وجده وعبر عن وجهة حبه دل بذلك على حاله وأخبر به عن سره. قال: وقد أحببت أن أشرح أحوالهم وأفصل مواجيدهم وأكشف سرائر مراتبهم وأبين رفع مكانهم وأوسع أنصبة تمكينهم، ويعز علي أن لا أستطيع ذلك ولا يصلح رسمه في كتاب لأن الكتاب يتداول والرسم يشغله، فتعذر ذلك عليّ وقلة امكانه من قبل السامعين ولقلة أنصبة الواعين وخيفة إنكار ذوي العقول لحجبهم بالعقل، إذ هو حجاب اليقين، فإذا أخبرناهم بما ليس في وسعهم وكاشفنا بما قصرت عنه أوهامهم ولم يفكر فيه قط أفهامهم تفاوت الأمر عليهم، فأوهم ضبطه وتشتت به قلوبهم، فلم تجتمع على حفظه، ولكن الطريق القاصد إلى الله تعالى الموصل أهله إلى رضاه ومحبته اللذين هما سبب هذا الفضل هو بغض الدنيا وأبنائها، فهو أصل كل مرتبة علية، كما أن حبها وحب أبنائها أصل كل نفاق وخطيئة انتهى.

(**وفي أخبار داود**) عليه السلام (**أيضاً**): يا داود (**قل لعبادي المتوجهين إلى محبتي ما**

خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلي بعيون قلوبكم، وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا إذا بسطت ديني لكم، وما ضركم مسخطة الخلق إذا التمستم رضائي.

وفي أخبار داود أيضاً: أن الله تعالى أوحى إليه تزعم إنك تحبني، فإن كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك، فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب. يا داود خالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال، أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به، وأما ما اشكل عليك فقلدنيه حقاً علي اني أسارع إلى سياستك وتقويمك وأكون قائدك ودليلك، أعطيك من غير أن تسألني وأعينك على الشدائد وإني قد حلفت على نفسي أني لا أثيب إلا عبداً قد عرفت من طلبته وإرادته إلقاء كنفه بين يدي وإنه لا غنى به عني. فإذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك واسكن الغنى قلبك فإني قد حلفت على نفسي أنه لا يطمئن عبد لي إلى نفسه ينظر إلى فعالها إلا وكلته إليها، اضف الأشياء إلي لا تضاد عملك فتكون متعنّياً ولا ينتفع بك من يصحبك ولا تجد لمعرفتي حداً فليس لها غاية، ومتى طلبت مني الزيادة أعطك ولا تجد للزيادة مني حداً، ثم اعلم بني إسرائيل أنه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب،

ضركم إذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلي بعيون قلوبكم، وما ضركم ما زويت عنكم من الدنيا إذا بسطت ديني لكم، وما ضركم مسخطة الخلق إذا التمستم رضائي) نقله صاحب القوت.

(وفي أخبار داود) عليه السلام **(أيضاً: أن الله تعالى أوحى إليه: تزعم أنك تحبني فإن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب)** واحد، **(يا داود خالص حبيبي مخالصة وخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك فقلدنيه ولا تقلد دينك الرجال، أما ما استبان لك مما وافق محبتي فتمسك به، وأما ما أشكل عليك فقلدنيه حقاً علي أني أسارع إلى سياستك وتقويمك وأكون قائدك ودليلك أعطيك من غير أن تسألني، وأعينك على الشدائد وإني قد حلفت على نفسي أني لا أثيب إلا عبداً قد عرفت من طلبته وإرادته القاء كنفه بين يديه، وأنه لا غنى به عني، فإذا كنت كذلك نزعت الذلة والوحشة عنك وأسكن الغنى قلبك فإني قد جعلت على نفسي أن لا يطمئن عبد إلى نفسه ينظر إلى فعالها إلا وكلته إليها أضعف الأشياء التي لا تضاد عملك فتكون متعنياً ولا ينتفع بك من يصحبك، ولا تجد لمعرفتي حداً، فليس لها غاية. ومتى طلبت مني الزيادة أعطك ولا تجد للزيادة مني حداً، ثم أعلم بني إسرائيل أنه ليس بيني وبين أحد من خلقي نسب، فلتعظم رغبتهم**

فلتعظم رغبتهم وإرادتهم عندي أبح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ضعني بين عينيك وانظر إلي ببصر قلبك ولا تنظر بعينك التي في رأسك إلى الذين حجبت عقولهم عني فأمرحوهـا وسخت بانقطاع ثوابي عنها فإني حلفت بعزتي وجلالي لا أفتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين ، فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضاً يمشون عليها . يا داود لأن تخرج مريداً من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي جهيداً ، ومن كتبته عندي جهيداً لا تكون عليه وحشة ولا فاقة إلى المخلوقين. يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحمتي ، أقطع شهوتك لي فإنما أبحت الشهوات لضعفة خلقي ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فإنها تنقص حلاوة مناجاتي ، وإنما عقوبة الأقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل إليهم أن أحجب عقولهم عني فإني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها . يا داود لا تجعل بيني وبينك عالماً يحجبك بسكره عن محبتي ، أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين ، استعن على ترك الشهوات بإدمان الصوم ، وإياك والتجربة في الافطار فإن محبتي للصوم ادمانه . يا داود تحبب إلي بمعاداة نفسك امنعها الشهوات أنظر إليك

وإرادتهم عندي أبح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) ولفظ القوت : على قلب امرىء **(ضعني بين عينيك وانظر إلي ببصر)** ولفظ القوت بعين **(قلبك ولا تنظر بعينيك التي في رأسك إلى الذين حجبت عقولهم عني فأمرحوها وسخت بانقطاع ثوابي عنها فإني حلفت بعزتي وجلالي لا أفتح ثوابي لعبد دخل في طاعتي للتجربة والتسويف، تواضع لمن تعلمه ولا تطاول على المريدين، فلو علم أهل محبتي منزلة المريدين عندي لكانوا لهم أرضاً يمشون عليها . يا داود لأن تخرج مريداً من سكرة هو فيها تستنقذه فاكتبك عندي جهيداً، ومن كتبته عندي جهيداً لا تكون عليه وحشة ولا فاقة إلى المخلوقين. يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحجب عنك محبتي لا تؤيس عبادي من رحمتي أقطع شهوتك، فإنما أبحت الشهوات لضعفة خلقي، ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فإنها تنقص حلاوة مناجاتي، وإنما عقوبة الأقوياء عندي في موضع التناول أدنى ما يصل إليهم أن أحجب عقولهم عني فإني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها . يا داود لا تجعل بيني وبينك عالماً يحجبك بشكره عن محبتي، أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين، استعن على ترك الشهوات بإدمان الصوم، والتجربة في الإفطار، فإن محبتي في الصوم إدمانه . يا داود تحبب إلي بمعاداة نفسك امنعها الشهوات أنظر إليك، وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة إنما أداويك مداواة)** ولفظ القوت: إنما

وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة إنما أداريك مداراة لتقوى على ثوابي إذا مننت عليك به وإني أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتي.

وأوحى الله تعالى إلى داود: يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً إلي وتقطعت أوصالهم من محبتي. يا داود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف إرادتي في المقبلين علي. يا داود أحوج ما يكون العبد إلي إذا استغنى عني، وارحم ما أكون بعبدي إذا ادبر عني، وأجل ما يكون عندي إذا رجع

أداريك مداراة **(لتقوى على ثوابي إذا مننت به عليك، وإني أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعتي)**.

قال صاحب القوت بعد أن ساقه بطوله: واعلم أن كل محب لله عز وجل فعن محبة الله سبحانه، لأن وجود العبد لمحبة الله تعالى علامة غيب محبة الله له يتبين ذلك الغيب من الله تعالى في الشهادة من عنده، ثم إن كل عبد أحبه الله فمن حيث أحبه الله كما أنه عرفه من حيث واجهه، وكل من خدمه وتأدب بين يديه وعبده وتعبد له بمعنى من معاني العبادات فذلك هو معنى ما أحبه وواجهه من معاني صفات، لا يمكننا شرح ذلك إلا أنه كما تقول في الدعاء إلى الله تعالى والأدلة عليه والمطرقين للعباد إليه: أن كل داع ودليل دعا إلى الله فمن حيث دعاه الله تعالى إليه ودل على الله، فمن حيث دل عليه وطرق إليه سبيل العبادات وسهل منهاج القربات، فمن حيث طرقه الله تعالى وسهل له السبيل إليه.

(وأوحى الله تعالى إلى داود) عليه السلام: **(يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً إلي وتقطعت أوصالهم من محبتي. يا داود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي في المقبلين عليّ)** كذا في الرسالة للقشيري وزاد غيره. **(يا داود أحوج ما يكون العبد إلي إذا استغنى عني، وأرحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عني، وأجل ما يكون عندي إذا رجع إلي)** نقله صاحب القوت، وفيه أيضاً في أخبار داود عليه السلام: إن الله تعالى أوحى إليه: تزعم أنك منقطع إلي وتدعي عشقي وتسيء الظن بي، الق كنفك بين يدي أكن لك فإن محبتي من عبادي أن يكونوا روحانيين لا يغتمون مصابيح القلوب، كن في الدنيا وحدانياً ولا تهتم بالخبز وأنت تريدني آثر هواي على هواك واغضب لي أشد مما تغضب لنفسك.

وقال القشيري في الرسالة: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: خرج داود عليه السلام يوماً إلى بعض الصحاري منفرداً فأوحى الله تعالى إليه: مالي أراك يا داود وحدانياً؟ فقال: استأثر الشوق إلى لقائك على قلبي، فحال بيني وبين صحبة الخلق، فأوحى الله إليه: ارجع إليهم فإنك إن

إلي، فهذه الاخبار ونظائرها مما لا يحصى تدل على إثبات المحبة والشوق والأنس، وإنما تحقيق معناها ينكشف بما سبق.

بيان محبة الله للعبد ومعناها:

اعلم أن شواهد القرآن متظاهرة على أن الله تعالى يحب عبده فلا بدّ من معرفة معنى ذلك، ولنقدم الشواهد على محبته فقد قال الله تعالى: ﴿يحبهُمْ ويُحبونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] وقال تعالى: ﴿إنَّ الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ [الصف: ٤]، وقال تعالى: ﴿إن الله يحب التوَّابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة: ٢٢٢] ولذلك رد سبحانه على من ادعى انه حبيب الله فقال: ﴿قل فلم يُعذِبكم بذنوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨]، وقد روى أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أحب الله تعالى عبداً لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. ثم تلا: ﴿إن الله يحبُ التوّابين﴾»، ومعناه أنه إذا أحبه تاب

أتيتني بعبد أبق أثبتك في اللوح المحفوظ عبداً جهيداً شهيداً. (**فهذه الأخبار ونظائرها مما لا يحصى تدل على إثبات المحبة والشوق والأنس، وأما تحقيق معناه فقد انكشف مما سبق**) والله الموفق.

بيان محبة الله للعبد ومعناها:

(**اعلم**) أرشدك الله تعالى (**أن شواهد القرآن متظاهرة على أن الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك، ولنقدم الشواهد**) الدالة (**على محبته**) تعالى له، (**فقد قال الله تعالى**) ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم (**يحبهم ويحبونه**﴾) ثم قال ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ [الحديد: ٢١] فهذا الخبر هو متصل بالإبتداء في المعنى لأن الله تعالى وصف المؤمنين المحبين بفضله عليهم وما بينهما من الكلام فهو نعت المحبوبين. (**وقال تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا**) كأنهم بنيان مرصوص﴾ وقد روي في الخبر: «ما كان الله ليعذب حبيبه بالنار». (**وقال تعالى: ﴿إن الله يحب التوّابين ويحب المتطهرين﴾ ولذلك رد الله سبحانه على من ادعى أنه حبيب الله**) واحتج عليهم (**فقال: ﴿قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ وقد روى﴾ إسماعيل بن أبي زياد عن أبان عن**) (**أنس**) رضي الله عنه، (**عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا ﴿إن الله يحب التوابين**) ويحب المتطهرين﴾» كذا في القوت. قال العراقي: ذكره صاحب الفردوس ولم يخرجه ولده في مسنده، وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث ابن مسعود وتقدم في التوبة انتهى.

قلت: رواه بتمامه ابن أبي الدنيا، والقشيري في الرسالة، وابن النجار في تاريخه. قال القشيري:

عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وإن كثرت، كما لا يضر الكفر الماضي بعد الإسلام، وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال: ﴿قل إن كُنْتم تحبونَ اللهَ فاتبعوني يحببكم الله ويغفرُ لكم ذُنوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب»، وقال رسول الله ﷺ: «من تواضع لله رفعه الله ومن تكبّر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله»، وقال عليه السلام: «قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه

حدثنا أبو بكر بن فورك أخبرنا أحمد بن محمود بن خوزاد، حدثنا محمد بن الفضل بن جائر، حدثنا سعيد ابن عبدالله، حدثنا أحمد بن زكريا، حدثنا أبي قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له وإذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب ثم تلا ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ وقيل: يا رسول الله ما علامة التوبة؟ قال الندامة». وتقدم في التوبة.

(**ومعناه: أنه إذا أحبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وإن كثرت، كما لا يضر الكفر الماضي بعد الإسلام**) فقد ورد: «الإسلام يجبّ ما كان قبله» رواه ابن عساكر من حديث خالد بن الوليد، ورواه ابن عساكر من حديث خالد بن الوليد، ورواه ابن سعد من حديث الزبير بن العوام وأيضاً من حديث سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده رفعه.

(**وقد اشترط الله تعالى للمحبة غفران الذنب فقال: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾**) كذا في القوت. (**وقال ﷺ: «إن الله تعالَى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب»**) قال العراقي: رواه أحمد وصحح إسناده، والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود. (**وقال رسول الله ﷺ: «من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحبه الله»**) قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد بإسناد حسن دون قوله: «ومن أكثر» الخ. فرواه أحمد وأبو يعلى بهذه الزيادة، وفيه ابن لهيعة انتهى.

قلت: ورواه ابن النجار من حديث أبي هريرة بلفظ: «من تواضع لله رفعه الله، ومن اقتصد أغناه الله، ومن ذكر الله أحبه الله» وروى الشطر الأول والثاني في سياق المصنف ابن منده وأبو عبيد من حديث أويس بن خولي، والشطر الأول فقط أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة، والشطر الأخير فقط ابن شاهين من حديث عائشة.

(**وقال ﷺ: «قال الله تعالى: لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته**

فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به »، الحديث. وقال زيد بن أسلم: إن الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول: اعمل ما شئت فقد غفرت لك. وما ورد من ألفاظ المحبة خارج عن الحصر.

وقد ذكرنا أن محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز، إذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق، والعشق عبارة عن الميل الغالب المفرط. وقد بينا

كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به» الحديث) أوله: « من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضته عليه، وما يزال عبدي » الخ وتمامه: « ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فلئن سألني أعطيته ولئن استعاذ بي لأعذته، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته » رواه البخاري عن محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال عن شريك ابن عبدالله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة. قال الذهبي: هو من غرائب الصحيح مما تفرد به شريك عن عطاء، وتفرد به خالد عن سليمان. ورواه أبو نعيم في أول الحلية من طريق ابن المؤمل والسراج كلاهما عن ابن كرامة وقد تقدم قريباً.

(وقال زيد بن أسلم) العدوي مولاهم التابعي الثقة وكان كثير الإرسال: **(إن الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول: اعمل ما شئت فقد غفرت لك)** كذا في القوت، **(وما ورد من ألفاظ المحبة خارج عن الحصر)** فمن مشهور ذلـك ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة: « إذا أحب الله عز وجل عبداً نادى جبريل إن الله يحب فلاناً فاحببه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فاحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض ». وفي الحلية من حديث أنس: « إذا أحب الله عبداً قذف حبه في قلوب الملائكة » الحديث.

(وقد ذكرنا أن محبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز، إذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء) الملائم **(الموافق، والعشق)** الذي هو أحد مراتبها **(عبارة عن الميل الغالب المفرط)** المتجاوز عن الحد، وقد اختلف في إطلاقه، وقد أنكره جماعة من العلماء ففي الرسالة للقشيري: سمعت أبا علي الدقاق يقول: العشق مجاوزة الحد في المحبة والحق لا يوصف بأنه يجاوز الحد فلا يوصف بالعشق، ولو جمع الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ذلك استحقاق قدر الحق، فلا يقال أن عبداً جاوز الحد في محبة الله ولا يوصف الحق بأنه يعشق ولا العبد في صفته سبحانه، فنفي العشق، ولا سبيل له إلى وصف الحق لا من الحق للعبد ولا من العبد للحق انتهى.

والذي يقتضيه سياق المصنف هنا وفي بعض مواضع أخر سبق من الكتاب جواز إطلاقه في وصف العبد مع الله تعالى. وقال صاحب القوت: وقد كان أبو يزيد، وأبو شعيب المقفع، وسري

أن الإحسان موافق للنفس، والجمال موافق أيضاً، وإن الجمال والإحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصيرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر.

فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلاً، بل الأسامي كلها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطلق عليهما بمعنى واحد أصلاً، حتى ان اسم «الوجود» الذي هو أعم الأسماء اشتراكاً لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد، بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى، فالوجود التابع لا يكون مساوياً للوجود المتبوع. وإنما الإستواء في إطلاق الإسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم، إذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابه فيهما من غير استحقاق أحدهما، لأن يكون فيه أصلاً، فليست الجسمية لأحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم

ابن مفلس، وأبو عبدالله بن الجلاء، والجنيد بعدهم رحمهم الله تعالى يذكرون العشق في مقامات خليل ومحب، وزاد أبو يزيد ذكر العشق في مقام وجعله معشوقاً، وقد كان يشير بذلك ويظهره عن نفسه لنفسه كأنهم يريدون وصفاً من الحب مخصوصاً لا عن فعل ولا سبب، لوصف تحلى به، ثم قال: إلا أن هذا ليس من معارف العامة ولا تهتدي إليه قلوبهم ولا يقدح في جوهر عقولهم وليست صفاتهم مكاناً لهذا، ولا أخلاقهم مخلقة عليه، ولا علومهم نافذة فيه، فذكره مذكر لأن العقول تنكره والقلوب تمجه والهمم لا تسرى فيه، فلذلك كان طيه أحسن من نشره، وإنما ينتسخ من قلب إلى قلب. وقد روينا لفظاً من هذا المقام في أخبار داود عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه: تزعم إنك منقطع إليّ وتدعي عشقي وتسيء الظن بي وقد تقدم باقيه.

(وقد بينا أن الإحسان موافق للنفس والجمال موافق أيضاً، وأن الجمال والإحسان تارة يدرك بالبصر وتارة بالبصيرة، والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر) هذا ظاهر في حب العبد لله تعالى، **(فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلاً، بل الأسامي كلها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله)** تعالى **(لم ينطلق عليهما بمعنى واحد أصلاً أن اسم الوجود الذي هو أعم الأسماء اشتراكاً لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد، بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى، فالوجود التابع لا يكون مساوياً لوجود المتبوع، وإنما الإستواء في إطلاق الإسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم، إذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابه فيهما من غير استحقاق أحدهما لا يكون فيه أصلاً فليست الجسمية لأحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا لخلقه)**.

قال السيد الشريف في الرسالة الوجودية التي عبر عنها بعض العارفين بالفارسية ما نصه: إعلم أن الوجود له مراتب:

....

الأولى: وجود مستفاد من الغير، وهو المشهور عند العقلاء في الماهيات الممكنات، فهذا لا بد من ثلاثة أشياء. أحدها: ذات ماهية الممكن، والثاني: وجود هو مستفاد من الغير، والثالث: هو الغير مفيض الوجود على الماهية، ولا شك أن انفكاك الوجود في هذه الموجودات بنظر ذاتها جائز بل واقع.

الثانية: ذات تقتضي وجوداً من حيث أن انفكاكه محال كوجود واجب عند جمهور المتكلمين، فههنا لا بد من الاثنينية أحدها: ذات الواجب، والثاني وجود هو المستفاد منها، وانفكاك الوجود من هذه الموجودات محال لكن باعتبار مغايرتها للذات في التصور يمكن انفكاكه.

الثالثة: موجود بوجوده وذاته عينه وقائم بذاته لا بغيره، فحقيقة الوجود في هذه المرتبة لا يكون إلا أمراً واحداً وهو موجود، ووجود الأشياء موجود منه، فلاتحاد الوجود والذات انفكاك التصور محال، وفي الوجودية فوق هذه المرتبة لا يمكن التصور، وهذا كحال الواجب الوجود عند المتكلمين، وعند الطائفة الصوفية واجب الوجود وجود بحت يعنى في واجب الوجود لا يكون شيئان ذات ووجود هو عارض لها، بل واجب الوجود هو ذات محض قائم بذاته، وهم مع الطائفة الأولى متفقون عليه بهذا المقدار ولم يقولوا الوجود عين الموجود، هذا يفهم من بديهيات العقل لا يمكن الوجود أعلى وأقوى من هذه المرتبة وإن كان ممكناً من هذه المرتبة فوقية الوجود لا بد هو واجب الوجود لا هذا، وأرباب النظر يقولون: العقل يحكم أن حقيقته واجب الوجود ينبغي أن يكون وجود، وواجب الوجود لا ينبغي أن يكون كلياً يعني لا يكون كلياً، والعموم عارض له لأنه إن كان كلياً لا بد أن يكون في الخارج له صورة فيلزم أن يكون واجب الوجود مركباً من كلي وتعين التركيب على واجب الوجود محال، بل ينبغي لواجب الوجود أن يكون في حد ذاته متعيناً وتعينه عين ذاته حتى لا يتصور بوجه من الوجوه التركيب والتعدد، فينبغي أن يكون الواجب قائماً بذاته، وإن كان قائماً بالغير فيكون محتاجاً إليه، ونسبة الاحتياج إلى الواجب محال بل تصور الإحتياج إله كفر، فلزم أن تكون حقيقة الوجود عين الواجب، فحقيقة الوجود بذاته يكون متعيناً حقيقياً وقائماً بذاته، فحينئذ تعدد حقيقة الوجود بحسب الأفراد وعروض حقيقة الوجود لماهيات الممكنات من المحالات. وقد فهم من هذا أن واجب الوجود وجود مطلق، والمراد بالمطلق أن يكون عارض الماهية. بل قائم بذاته ومقيد بتعينه وبذاته متعين ومقيد، وأن إطلاق الوجود على غير واجب الوجود مجاز لأن الوجود عارضه ولا جزؤه ولا عينه، بل موجودية الأشياء لها تعلق به وله أثر فيها، ولا يكون الوجود لها عارضاً ولا فيها. هذا كلام أرباب البحث والنظر والعقل والصوفية يقولون: عندنا طريق غير طريق العقل وهو المكاشفة، والعقل فيها عاجز، وقد تقرر عندنا أن حقيقة الوجود عين واجب الوجود وهو لا كلي ولا جزئي ولا خاص ولا عام، بل مطلق من جميع القيود حتى من قيد الإطلاق أيضاً، وهذه الحقيقة في جميع الأشياء تتصف بوجود التجلي والظهور، يعني لا تكون الأشياء خالية عنه وإن كانت خالية من حقيقة الوجود،

الوجود لله ولا لخلقه، وهذا التباعد في سائر الأسامي أظهر كالعلم والإرادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق. وواضع اللغة إنما وضع هذه الأسامي أولاً للخلق فإن الخلق أسبق إلى العقول والأفهام من الخالق، فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوّز والنقل. والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم، وهذا إنما يتصوّر في نفس ناقصة فإنها ما يوافقها فتستفيد بنيله كمالاً فتلتذ بنيله، وهذا محال على الله تعالى، فإن كل كمال وجمال وبهاء وجلال ممكن في حق الإلهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبداً وأزلاً، ولا يتصوّر تجدده ولا زواله، فلا يكـون له إلى غيره نظر من حيث إنه غيره بل نظره إلى ذاته وأفعاله فقط، وليس في الوجود إلا ذاته وأفعاله، ولذلك قال الشيخ أبو سعيد الميهني رحمه الله تعالى لما قرىء

فإن لوحظت باعتبار الإطلاق المذكور سميت أحدية الجامعية وباعتبار عدم القيود والتعينات سميت أحدية الصرف اهـ.

(وهذا التباعد في سائر الأسامي أظهر كالعلم والإرادة والقدرة وغيرها، فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع اللغة إنما وضع هذه الأسامي أولاً للخلق، فإن الخلق أسبق إلى العقول والأفهام من الخالق، فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الإستعارة والتجوز والنقل) .

قال المصنف في المقصد الأسنى: وكأنا إذا عرفنا أن الله تعالى حي قادر عالم فلم نعرف أولاً إلا أنفسنا ولم نعرفه إلا بأنفسنا إذ الأصمّ لا يتصور أن يفهم معنى قولنا. إن الله سميع، والأكمه لا يعرف معنى قولنا إنه بصير، وكذلك إذا قال القائل: كيف يكون الله عالماً بالأشياء؟ فنقول له: كما تعلم أنت أشياء. فإذا قال: كيف يكون قادراً؟ فنقول: كما تقدر أنت فلا يمكنه أن يفهم شيئاً إلا إذا كان فيه ما يناسبه، فيعلم أولاً ما هو متصف به، ثم يعلم غيره بالمناسبة إليه، فإذا كان لله وصف وخاصية ليس فينا ما يناسبه ويشاركه ولو في الإسم لم يتصور فهمه ألبتة فما عرف أحد إلا نفسه، ثم قايس بين صفات الله تعالى وبين صفات نفسه وتتعالى صفات الله تعالى وتتقدس عن أن تشبه صفاتنا.

(والمحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم، وهذا إنما يتصور في نفس ناقصة فإنها ما يوافقها فتستفيد بنيله كمالاً فتلتذ بنيله، وهذا محال على الله تعالى، فإن كل جمال وكمال وبهاء وجلال ممكن في حق الإلهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبداً وأزلاً، ولا يتصور تجدده ولا زواله فلا يكون له إلى غيره نظر من حيث أنه غيره، بل نظره إلى ذاته وأفعاله فقط وليس في الوجود إلا ذاته وأفعاله)، وهذا أيضاً صريح في القول بولادة الوجود، وقد صرح بذلك الشيخ الأكبر في مواضع من الفتوحات.

عليه قوله تعالى: ﴿يُحبهمْ ويحبونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] فقال بحق يحبهم فإنه ليس يحب إلا نفسه، على معنى الكل وأن ليس في الوجود غيره، فمن لا يحب إلا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته، فهو إذاً لا يحب إلا نفسه، وما ورد من الألفاظ في حبه لعباده فهو مؤوّل ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه وإلى تمكينه إياه من القرب منه وإلى إرادته ذلك به في الأزل، فحبه لمن أحبه أزلي مهما أضيف إلى الإرادة الأزلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب، وإذا أضيف إلى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضي له كما قال تعالى: « لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه » فيكون تقربه بالنوافل سبباً لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه، فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه.

(**ولذلك قال الشيخ أبو سعيد**) الفضيل بن أحمد بن محمد (**الميهني**) بكسر الميم وسكون التحتية نسبة إلى ميهنة قرية بخابران بني سرخس وأبي ورد وأبو سعيد المذكور يعرف بابن أبي الحسن صاحب كرامات وسمع الحديث من زاهر السرخسي وغيره توفي سنة ٤٤ (**رحمه الله تعالى لما قرىء عليه قوله تعالى:**) ﴿فسوف يأتي الله بقوم (**يحبهم ويحبونه**﴾ **فقال: بحق يحبهم فإنه ليس يحب إلا نفسه على معنى أنه الكل، وأن ليس في الوجود غيره**) إذ وحدته ذاتية وكثرته اعتبارية، فهو عين كل في تعيناته من حيث الظهور فقط، (**فمن لا يحب إلا نفسه وأفعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته، فهو إذاً لا يحب إلا نفسه**) هذا من حيث الحقيقة، (**وما ورد من الألفاظ في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه**) إما (**إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه**) أي بعين بصيرته الباطنة (**و**) إما (**إلى تمكينه إياه من القرب منه، و**) إما (**إلى إرادته ذلك في الأزل، فحبه لمن أحب أزلي مهما أضيف إلى الإرادة التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طرق هذا القرب، وإذا أضيف إلى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب المقتضى له كما قال تعالى**) في الحديث القدسي الذي رواه البخاري في الصحيح عن أبي هريرة: (**« ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه »**) وقد تقدم تمامه قريباً، (**فيكون تقربه بالنوافل سبباً في إصفاء باطنه وإرتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه، وكل ذلك فعل الله ولطفه به فهو معنى حبه**) فمحبة العبد لله لأجل حب الله له وحمد الله لعبده من أجل حبه له، فالسعداء من العباد محبوبون محمودون من الله والله محمود منهم وبحمد الله نالوا حمده، كما نالوا بحبه لهم حبه، وهو معنى قوله تعالى ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩] قال القشيري في الرسالة: المحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد وأخبر محبته للعبد، فالله سبحانه يوصف بأنه يحب العبد والعبد يوصف بأنه يحب الحق،

ولا يفهم هذا إلا بمثال وهو أن الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك إليه، أما لينصره بقوّته أو ليستريح بمشاهدته أو ليستشيره في رأيه أو ليهيء أسباب طعامه وشرابه، فيقال: إن الملك يحبه، ويكون معناه ميله إليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم له، وقد يقرب عبداً ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع به ولا للاستنجاد ولكن لكون العبد في نفسه موصوفاً من الأخلاق المرضية والخصال الحميدة بما يليق به أن يكون قريباً من حضرة الملك وافر الحظ من قربه، مع ان الملك لا غرض له فيه أصلاً، فإذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال: قد أحبه،

والمحبة على لسان العلماء هي الإرادة، وليس مراد القوم بالمحبة الإرادة، فإن الإرادة لا تتعلق بالقديم، اللهم إلا أن يحمل على إرادة القرب إليه والتعظيم له، ثم قال: فمحبة الحق سبحانه للعبد إرادته لانعام مخصوص عليه كما أن رحمته إرادة الأنعام، فالرحمة أخص من الإرادة والمحبة أخص من الرحمة، فإرادة الله تعالى أن يوصل إلى العبد الثواب، والإنعام يسمى رحمة وإرادته بأن يخصه بالقربة والأحوال العلية يسمى محبة، وإرادته سبحانه صفة واحدة، فبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها، فإذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضباً، وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة، وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة، وقوم قالوا: محبة الحق للعبد مدحه له وثناؤه عليه بالجميل فيعود معنى محبته على هذا القول إلى كلامه وكلامه قديم، وقال قوم: محبته للعبد من صفات فعله فهو إحسان مخصوص يلقى العبد به حالة مخصوصة يرقيه إليها، كما قال بعضهم: إن رحمته بالعبد نعمته معه، وقوم من السلف قالوا: محبته من الصفات الخبرية، فاطلقوا اللفظ وتوقفوا على التفسير، فأما ما عدا هذه الجملة مما هو المعقول من صفات محبة الخلق كالميل إلى الشيء والإستئناس بالشيء، وكحالة يجدها المحب مع محبوبه من المخلوقين فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك اهـ.

المقصود منه، وقوله: فإن الإرادة لا تتعلق بالقديم أي الإرادة من العبد، وهذا بناء على أن أثرها التخصيص فلا تتعلق بالقديم كما لا تتعلق بالمستحيل، وحاصل ما ذكره من الأقوال أربعة وهي ترجع إلى قولين الإرادة والكلام لرجوع الفعل إلى الإرادة والخبرية إلى الكلام.

(ولا يفهم هذا إلا بمثال، وهو أن الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه) والمثول بين يديه **(لميل الملك إليه إما لينصره بقوته، أو ليستريح بمشاهدته، أو ليستشيره في رأيه، أو ليهيء أسباب طعامه وشرابه، فيقال: إن الملك يحبه ويكون معناه ميله إليه لما فيه من المعنى الموافق الملائم له، وقد يقرب عبداً ولا يمنعه من الدخول عليه لا للانتفاع ولا للاستنجاد)** في خدمته، **(ولكن لكون العبد في نفسه موصوفاً من الأخلاق المرضية والخصال الحميدة بما يليق به أن يكون قريباً من حضرة الملك وافر الحظ من قربه، مع أن الملك لا غرض له فيه أصلاً، فإذا رفع الملك الحجاب بينه**

وإذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال: قد توصل وحبب نفسه إلى الملك. فحب الله للعبد إنما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأوّل. وإنما يصح تمثله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب، فإن الحبيب هو القريب من الله تعالى، والقرب من الله في البعد من صفات البهائم والسباع والشياطين، والتخلق بمكارم الأخلاق التي هي الأخلاق الإلهية، فهو قرب بالصفة لا بالمكان، ومن لم يكن قريباً فصار قريباً فقد تغير، فربما يظن بهذا أن القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعاً إذ صار قريباً بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى إذ التغير عليه محال، بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في أزل الآزال.

ولا ينكشف هذا إلا بمثال في القرب بين الأشخاص، فإن الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعاً، وقد يكون أحدهما ثابتاً فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر، بل القرب في الصفات أيضا: كذلك، فإن التلميذ

وبينه يقال قد أحبه، وإذا اكتسب من الخصال الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل) إلى الملك **(وحبب نفسه إلى الملك، فحب الله)** تعالى **(للعبد إنما يكون بالمعنى الثاني لا بالمعنى الأول، وإنما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق إلى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب، فإن الحبيب هو القريب من الله تعالى، والقرب من الله تعالى في البعد من صفات البهائم والسباع والشياطين)** من الحرص والطمع والكبر والغضب والشهوة وغيره من الرذائل، **(والتخلق بمكارم الأخلاق)** ومحاسنها **(التي هي الأخلاق الإلهية)** وقد تقدم ذكرها؛ **(فهو قرب بالصفة لا بالمكان)**.

فإن قلت: ظاهره يشير إلى مشابهة بين العبد وبين الله تعالى لأنه إذا تخلق بأخلاقه كان شبيهاً له، ومعلوم شرعاً، وعقلاً أنه تعالى ليس كمثله شيء، وانه لا يشبهه شيء.

قلت: لا ينبغي أن يظن أن المشاركة بكل وصف توجب المماثلة، بل عبارة عن المشاكلة في النوع والماهية والخاصية الإلهية لا يتصور فيها مشاركة البتة.

(ومن لم يكن قريباً فصار قريباً، فقد تغير فربما يظن بهذا أن القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعاً، إذ صار قريباً بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى إذ التغير عليه محال، بل لا يزال في نعوت الكمال والجلال على ما كان عليه في أزل الأزل).

(ولا ينكشف هذا إلا بمثال في القرب بين الأشخاص، فإن الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعاً، وقد يكون أحدهما ثابتاً فيتحرك الآخر فيحصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر)، فهكذا ينبغي أن يفهم قرب العبد من الله تعالى، **(بل القرب في**

يطلب القرب من درجة أستـاذه في كمال العلم وجماله والأستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالنزول إلى درجة تلميذه، والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل إلى ارتفاع العلم، فلا يزال دائباً في التغير والترقي إلى أن يقرب أستاذه والأستاذ ثابت غير متغير، فكذلك ينبغي أن يفهم ترقي العبد في درجات القرب، فكلما صار أكمل صفة وأتم علماً وإحاطة بحقائق الأمور وأثبت قوّة في قهر الشيطان وقمع الشهوات وأظهر نزاهة عن الرذائل صار أقرب من درجة الكمال، ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله. نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الأستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته وذلك في حق الله محال، فإنه لا نهاية لكماله، وسلوك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي إلا إلى حد محدود فلا مطمع له في المساواة، في درجات القرب تتفاوت تفاوتاً لا نهاية له أيضاً لأجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال.

فإذاً محبة الله للعبد تقريبه من نفسه يدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه.

الصفات أيضاً كذلك، فإن التلميذ يطلب القرب من درجة أستاذه في كمال العلم وجماله، والأستاذ واقف في كمال علمه متحرك بالنزول إلى درجة تلميذه، والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل إلى إرتفاع العلم فلا يزال دائباً في التغير والترقي إلى أن يقرب من أستاذه، والاستاذ ثابت غير متغير، فكذلك ينبغي أن يفهم ترقي العبد في درجات القرب) من الله تعالى، **(فكلما صار أكمل صفة وأتم علماً واحاطة بحقائق الأمور وأثبت قوة في قهر الشيطان)** والنفس **(وقمع الشهوات وأظهر نزاهة عن الرذائل، صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله تعالى، وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله. نعم قد يقدر التلميذ على القرب من الأستاذ وعلى مساواته وعلى مجاوزته، وذلك في حق الله تعالى محال فإنه لا نهاية في كماله. وسلوك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي إلا إلى حد محدود فلا مطمع له في المساواة)** فضلاً عن المجاوزة، **(ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتاً لا نهاية له أيضاً لأجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال)**، وسبب ذلك تفاوت درجات القرب بتفاوتهم في درجات المعرفة، وإنما كان هذا التفاوت لا نهاية له لأن ما لا يقدر الآدمي على معرفته من معلومات الله تعالى لا نهاية له، وما يقدر عليه أيضاً لا نهاية له وإن كان ما يدخل في الوجود منه متناهياً، ولكن مقدور الآدمي من العلوم لا نهاية له، وإن كان ما يدخل في الوجود متناهياً، نعم الخارج إلى الوجود متفاوت في القلة والكثرة، وبه يظهر تفاوت الناس في المعرفة والكمال والقرب.

(فإذاً محبة الله تعالى للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه، وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا، ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه).

وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه فاقد له، فلا جرم يشتاق إلى ما فاته، وإذا أدرك منه شيئاً يلتذ به، والشوق والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى.

فإن قلت: محبة الله للعبد أمر ملتبس فبم يعرف العبد العبد أنه حبيب الله؟ فأقول: يستدل عليه بعلاماته. وقد قال ﷺ: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه» قيل: وما اقتناه؟ قال: «لم يترك له أهلاً ولا مالاً»، فعلامة محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره. قيل لعيسى عليه السلام: لم لا تشتري حماراً فتركبه؟ فقال: أنا أعز على الله تعالى من أن يشغلني عن نفسه بحمار. وفي الخبر: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضي اصطفاه». وقال بعض العلماء: إذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم أنه يريد يصافيك. وقال بعض المريدين لأستاذه قد طولعت بشيء من المحبة، فقال: يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه إياه؟

(وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال الذي هو مفلس عنه) وعري عنه **(فاقد له، فلا جرم يشتاق إلى ما فاته، وإذا أدرك منه شيئاً يلتذ به والمحبة بهذا المعنى محال على الله تعالى)** فليست محبة العبد له متضمنة ميلاً ولا احتظاظاً، كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن اللحوق والدرك والإحاطة.

(فإن قلت: محبة الله للعبد أمر ملتبس، فبم يعرف العبد أنه حبيب الله تعالى؟ فأقول: يستدل عليه بعلاماته، وقد قال ﷺ «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن أحبه الحب البالغ اقتناه» قيل: وما اقتناه؟ قال «لم يترك له أهلاً ولا مالاً») هكذا هو في القوت، وقد رواه الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني وقد تقدم قريباً. **(فعلامة محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره)** فلا يشغله بسواه. **(قيل لعيسى عليه السلام: لم لا تشتري حماراً فتركبه)** فإنه كان كثير السياحة على رجليه والقائل له بعض الحواريين؟ **(فقال: أنا أعز على الله تعالى من أن يشغلني عن نفسه بحمار)**. رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف عن ثابت البناني، قال قيل لعيسى عليه السلام: لو اتخذت حماراً تركبه؟ فقال: أنا أكرم على الله من أن يجعل لي شيئاً يشغلني به.

(وفي الخبر «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه فإن رضي اصطفاه») هكذا في القوت. وقال العراقي: ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرجه ولده في مسنده. **(وقال بعض العلماء: إذا رأيتك تحب الله ورأيته يبتليك، فاعلم أنه يريد يصافيك)** كذا في القوت، ويشهد له ما رواه البيهقي في الشعب من مرسل سعيد بن المسيب: «إذا أحب الله عبداً ألصق به البلاء فإن الله يريد أن يصافيه». **(وقال بعض المريدين لأستاذه: قد طولعت**

قال: لا ، قال: فلا تطمع في المحبة فإنه لا يعطيها عبداً حتى يبلوه. وقد قال رسول الله ﷺ: « إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه » ، وقد قال: « إذا أراد الله بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه » ، فأخص علاماته حبه لله فإن ذلك يدل على حب الله وأما الفعل الدال على كونه محبوباً فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المشير عليه والمدبر لأمره والمزين لأخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هماً واحداً والمبغض للدنيا في قلبه والموحش له من غيره والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته. فهذا وأمثاله هو علامة حب الله للعبد. فلنذكر الآن علامات محبة العبد لله فإنها أيضاً علامات حب الله للعبد.

القول في علامة محبة العبد لله تعالى:

اعلم أن المحبة يدعيها كل أحد وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى ، فلا ينبغي أن يغتر

بشيء من المحبة. فقال: يا بني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه إياه؟ قال: لا . قال: فلا تطمع في المحبة فإنه لا يعطيها عبداً حتى يبلوه) أي يختبره كذا في القوت. **(وقد قال رسول الله ﷺ « إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه »)** قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة باسناد حسن بلفظ « إذا أراد الله بعبد خيراً » اهـ.

قلت: وليس عند الديلمي قوله « زاجرا من قلبه ».

(وقد قال) ﷺ: **(« إذا أراد الله بعبد خيراً بصره بعيب نفسه »)** قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بزيادة فيه باسناد ضعيف وقد تقدم ، **(فأخص علاماته حبه لله تعالى فإن ذلك يدل على حب الله)** له.

(وأما الفعل الدال على كونه محبوباً ، فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه وسره وجهره ، فيكون هو المشير عليه المدبر لأمره) ، والمزكي لفعله ، **(والمزين لأخلاقه ، والمستعمل لجوارحه ، والمسدد لظاهره وباطنه ، والجاعل همومه هماً واحداً ، والمبغض للدنيا** في قلبه ، والموحش له من غيره ، والمؤنس له بلذة المناجاة في خلواته ، والكاشف له عن **الحجب بينه وبين معرفته؛ فهذا وأمثاله هو علامة حب الله)** تعالى **(للعبد ، فلنذكر الآن علامات محبة العبد لله تعالى فإنها أيضاً علامات حب الله)** تعالى **(للعبد)** والله الموفق.

القول في علامات محبة العبد لله تعالى:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(إن المحبة يدعيها كل أحد وما أسهل الدعوى وما أعز المعنى) .**

الإنسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والأدلة. والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وثمارها تظهر في القلب واللسان والجوارح. وتذل تلك الآثار الفائضة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الأشجار وهي كثيرة.

فمنها حب لقاء الحبيب بطريق الكشف والمشاهدة في دار السلام، فلا يتصوّر أن يحب القلب محبوباً إلا ويحب مشاهدته ولقاءه، وإذا علم أنه لا وصول إلا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي أن يكون محباً للموت غير فار منه، فإن المحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه إلى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى المشاهدة. قال ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»، وقال حذيفة

فكل يدعـــــي وصلاً بليلى وليلى لا تقـــر لهم بـــــذاك

(**فلا ينبغي أن يغتر الإنسان بتلبيس الشيطان وخدع النفس**) المكارة (**مهما ادعت محبة الله تعالى**) والشوق إليه والأنس به (**ما لم يمتحنها بالمعاملات**) الدالة على دعواها، (**و**) ما (**لم يطالبها بالبراهين**) الكشفية (**والأدلة**) العقلية، (**والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت**) في أرض القلوب، (**وفرعها في السماء**) أي في سماء الأرواح، (**وثمارها تظهر على القلب**) فتولد المعرفة (**و**) على (**اللسان**) فتورث الذكر (**و**) على (**الجوارح**) فتثمر الأعمال، (**وتدل تلك الآثار الفائضة منها على القلب**) واللسان (**والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الأشجار، وهي**) أي تلك العلامات (**كثيرة**) ولكن ذكر منها نحو عشرة قال.

(**فمنها: حب لقاء الحبيب بطريق**) العيان و (**الكشف والمشاهدة في دار السلام**) ومحل القرب، (**فلا يتصور أن يحب القلب محبوباً إلا ويحب مشاهدته ولقاءه، وإذا علم أنه لا وصول**) إلى لقائه (**إلا بالارتحال من الدنيا ومفارقتها بالموت فينبغي أن يكون محباً للموت غير فار منه، فأن المحب لا يثقل عليه السفر من وطنه إلى مستقر محبوبه ليتنعم بمشاهدته والموت مفتاح اللقاء وباب الدخول إلى المشاهدة**) ، ومن هنا قالوا: الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب، وروى الديلمي من حديث عائشة «الموت غنيمة». وروى الدارقطني من حديث جابر «الموت تحفة». (**قال ﷺ «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**) ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة وعائشة اهـ.

رواه الطيالسي وأحمد والدارمي والشيخان والترمذي والنسائي وابن حبان من رواية أنس عن عبادة بن الصامت، ورواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي من حديث عائشة، ورواه الشيخان

عند الموت: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم. وقال بعض السلف: ما من خصلة أحب إلى الله أن تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله على السجود، وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله، حيث قالوا إنا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال تعالى: ﴿إن الله يحبُ الذينَ يقاتلُونَ في سبيله صفاً﴾ [الصف: ٤] وقال عز وجل: ﴿يقاتلُون في سبيل الله فَيَقْتُلُون ويُقْتَلُون﴾ [التوبة: ١١١]، وفي وصية أبي بكر لعمر رضي الله تعالى

من حديث أبي موسى، ورواه مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة، ورواه النسائي والطبراني من حديث معاوية.

(وقال حذيفة) بن اليمان رضي الله عنهما **(عند الموت: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم)** رواه أبو نعيم في الحلية من طريقين.

الأولى: حدثنا عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن اسحاق الحربي، حدثنا محمد بن زيد الأدمي، حدثنا يحي بن سليم، عن إسماعيل بن كثير، عن زياد مولى بن عياش قال: حدثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه فقال: لولا أن أرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به، أنك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلة على العز، وأحب الموت على الحياة، وحبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم ثم مات رحمه الله.

الثانية: بالسند إلى إبراهيم بن إسحاق، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا السري بن يحي، عن الحسن قال: لما حضر حذيفة الموت قال: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم، الحمد لله الذي سبق بي الفتنة قادتها وعلوجها.

(وقال بعض السلف: ما من خصلة أحب إلى الله أن تكون في العبد بعد حب لقاء الله من كثرة السجود) نقله صاحب القوت وقال: **(فقدم حب لقاء الله على السجود)** على أن كثرة السجود من أفضل الأعمال كما وردت به الأخبار. **(وقد شرط الله سبحانه لحقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا: إنا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله، وطلب الشهادة علامته فقال ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ وقال ﴿يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾)** ولفظ القوت: وقد شرط سبحانه لحقيقة الصدق القتل في سبيله وأخبر أنه يحب قتل محبوبه في قوله ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ بعد قوله معيراً لهم ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾ حيث قالوا: إنا نحب الله فجعل القتل محنة محبته، وعلامة أخذه مال محبوبه ونفسه إذ يقول: ﴿يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ اهـ.

قلت: أخرج أحمد والدارمي والترمذي وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي من حديث عبدالله بن سلام قال: قعدنا نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أقرب

عنهما: الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء والباطل خفيف وهو مع خفته وبيء، فإن حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت وهو مدركك، وإن ضيعت وصيتي لم يكن غائب بغض إليك من الموت ولن تعجزه. ويروى عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص قال: حدثني أبي عبدالله بن جحش قال له يوم أحد: ألا ندعو الله؟ فخلوا في ناحية

إلى الله تعالى لعلمناه، فأنزل الله تعالى قوله ﴿سبح لله﴾ الآيات. وفي حديث ابن عباس: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال فنعمل به» الحديث أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. وقال مجاهد: نزلت في نفر من الأنصار منهم عبدالله بن رواحة قالوا في مجلس لهم: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعلمناه حتى نموت، فأنزل الله فيهم، أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن عساكر وقد تقدم في كتاب الصبر مفصلاً.

(وفي وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما: الحق ثقيل وهو مع ثقله مريء والباطل خفيف وهو مع خفته وبيء فإن حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت وهو مدركك، وإن ضيعت وصيتي لم يكن غائب أبغض إليك من الموت ولن تعجزه)، هكذا هو في القوت.

ورواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسين، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا خلاد بن يحي، حدثنا قطر بن خليفة، عن عبد الرحمن بن عبدالله بن سابط قال: لما حضر أبا بكر الصديق الموت دعا عمر فقال: اتق الله يا عمر، واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينة يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقل عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً وأن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتهم قلت إني لأخاف أن لا ألحق بهم، وأن الله تعالى لما ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء ليكون العبد راغباً راهباً يتمنى على الله ولا يقنط من رحمته، فإن أنت حفظت وصيتي فلا يك غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك وإن أنت ضيعت وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه. وروى أبو نعيم في ترجمة ابن مسعود قال: الحق ثقيل مريء والباطل خفيف وبيء شهيوة تورث حزناً طويلاً.

(ويروى عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص) تابعي روى عن أبيه **(قال: حدثني أبي)** سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه **(أن عبدالله بن جحش)** بن وثاب بن يعمر الأسدي رضي الله عنه حليف بني عبد شمس أمه أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وهو أحد السابقين هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً وصاهر رسول الله ﷺ بأخته زينب بنت حجش **(قال له يوم أحد: ألا ندعو الله فخلوا في ناحية فدعا عبدالله بن جحش فقال: يا رب. إني أقسمت**

فدعا عبدالله بن جحش فقال: يا رب إني أقسمت عليك إذا لقيت العدو غداً فلقيني رجلاً شديداً بأسه شديد أجرده أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ويبقر بطني، فإذا لقيتك غداً قلت يا عبدالله من جدع أنفك وأذنك، فأقول: فيك يا رب وفي رسولك، فتقول صدقت. قال سعد: فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط، قال سعيد بن المسيب: أرجو أن يبر الله آخر قسمه كما أبر أوله. وقد كان الثوري وبشر الحافي يقولان: لا يكره الموت إلا مريب، لأن الحبيب على كل حال

عليك إذا لقيت العدو غداً فلقيني رجلاً شديداً بأسه شديداً حرده) محركة أي غضبه **(أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني)** أي يقلعها **(ويبقر بطني)** أي يشقه، **(فإذا لقيتك غداً قلت)** أنت: **(أيا عبدالله من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك يا رب وفي رسولك، فتقول: صدقت. قال سعد: فلقد رأيته آخر النهار وأن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط)** قال العراقي: رواه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في الحلية واسناده جيد اهـ.

قلت: لفظ أبي نعيم: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا طاهر بن عيسى المصري، حدثنا أصبغ بن الفرج، حدثنا ابن وهب، حدثني أبو صخر، عن يزيد بن عبدالله بن قسيط، عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص، حدثني أبي أن عبدالله بن حجش قال له يوم أحد فذكر الحديث.

ورواه البغوي من هذه الطريق، وفيه أن عبدالله بن حجش قال له يوم أحد: ألا نأتي فندعو قال: فخلونا في ناحية فدعا سعد فقال: اللهم رب إذا لقينا القوم غداً فلقني رجلاً شديداً حرده أقاتله فيك، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وآخذ سلبه قال: فأمر عبدالله بن حجش ثم قال عبدالله: اللهم ارزقني رجلاً شديداً حرده أقاتله فيك حتى يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك قلت هذا فيك وفي رسولك، فنقول: صدقت. قال سعد: فكانت دعوة عبدالله خيراً من دعوتي، فلقد رأيته آخر النهار وأن أنفه وأذنه لمعلقة في خيط.

(قال سعيد بن المسيب) رحمه الله تعالى: **(أرجوا أن يبر الله آخر قسمه كما أبر أوله)**. رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي قال: حدثنا ابن الصباح، حدثنا سفيان بن جدعان، عن سعيد بن المسيب قال: قال عبدالله بن جحش: اللهم اقسم عليك أن ألقى العدو غداً فيقتلوني ثم يبقروا بطني ويجدعوا أنفي وأذني جميعاً، ثم تسألني فيم ذلك؟ فأقول: فيك. قال سعيد بن المسيب: فإني أرجو أن يبر الله آخر قسمه كما أبرّ أوله. وأخرجه ابن شاهين من وجه آخر، عن سعيد بن المسيب أن رجلاً سمع عبدالله بن جحش فذكر نحوه. قال الحافظ: وهذا أخرجه عبدالله بن المبارك في الجهاد مرسلاً.

(وقد كان) سفيان **(الثوري وبشر)** بن الحرث **(الحافي)** رحمهما الله تعالى **(يقولان: لا يكره الموت إلا مريب)** أي شاك، **(لأن الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه)** نقله

لا يكره لقاء حبيبه. وقال البويطي لبعض الزهاد: أتحب الموت؟ فكأنه توقف فقال: لو كنت صادقاً لأحببته، وتلا قوله تعالى: ﴿فتمنُوا الموتَ إن كنتُم صادقينَ﴾ [البقرة: ٩٤] فقال الرجل: فقد قال النبي ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت» فقال: إنما قاله لضر نزل به لأن الرضا بقضاء الله تعالى أفضل من طلب الفرار منه.

فإن قلت: فمن لا يحب الموت فهل يتصوّر أن يكون محباً لله؟ فأقول: كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الأهل والمال والولد، وهذا ينافي كمال حب الله

صاحب القوت. (**وقال**) أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري (**البويطي**) بضم الموحدة وفتح الواو نسبة إلى بويط قرية بمصر بالصعيد الأدنى، وهو صاحب الشافعي وخليفته على أصحابه بعده، كان زاهداً متعبداً. قال له الشافعي: أما أنت فتموت في الحديد فمات مقيداً ببغداد سنة ٢٣١ في محنة القرآن: (**لبعض الزهاد أتحب الموت فكأنه توقف فقال: لو كنت صادقاً لأحببته وتلا قوله تعالى: ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ فقال الرجل، فقد قال النبي ﷺ: «لا يتمنين أحدكم الموت» فقال: إنما قاله لضر نزل به لأن الرضا بقضاء الله تعالى أفضل من طلب الفرار منه**) نقله صاحب القوت، وقال هذا كما قال البويطي: لأن التائب إذا صدقت توبته طلب الموت خشية الحول عن حاله، فإذا كان كذلك كان هو التائب الذي هو حبيب الله إلا أن مقام الرضا أعلى من مقام تمني الموت، فلذلك قال: لا يتمنى الموت للضر ينزل به أي: فرضاه بقضائه أفضل من تمني لقائه ليقبض على مقام الرضا اهـ.

والحديث المذكور بهذا اللفظ رواه الباوردي والطبراني والحاكم من حديث الحكم بن عمر والغفاري، ورواه أحمد من حديث عبس الغفاري، ورواه أيضاً هو والطبراني وصاحب الحلية من حديث خباب، ويروى بزيادة إما محسنا فلعله أن يعيش يزداد خيراً وهو خير له، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب. رواه النسائي بهذه الزيادة من حديث أبي هريرة، ورواه أحمد والشيخان نحوه، ورواه الشيخان من حديث بزيادة: ولا يدع به من قبل أن يأتيه أنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً. ورواه ابن عساكر من حديثه بزيادة: حتى يثق بعمله، ورواه ابن أبي شيبة من حديث عمرو بن عنبسة بلفظ: إلا أن يثق بعمله، ورواه الخطيب من حديث ابن عباس بزيادة فإنه لا يدري ما قدم لنفسه. وأما قول البويطي إنما قاله لضر نزل به، فقد رواه الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد والشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان من حديث أنس لفظه: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لا بد متمنياً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي وأفضل».

(فإن قلت: فمن لا يحب الموت فهل يتصور أن يكون محباً لله تعالى؟ فأقول: كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الأهل والمال والولد، وهذا ينافي كمال

تعالى لأن الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب، ولكن لا يبعد أن يكون له مع حب الأهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضعيفة، فإن الناس متفاوتون في الحب. ويدل على التفاوت ما روي أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة عبد بن شمس لما زوج أخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش في ذلك وقالوا: أنكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى؟ فقال: والله لقد أنكحته إياها وإني لأعلم أنه خير منها، فكان قوله ذلك أشد عليهم من فعله، فقالوا: وكيف وهي أختك وهو مولاك؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر إلى سالم»، فهذا

حب الله تعالى لأن الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب، ولكن لا يبعد أن يكون له مع حب الأهل والولد شائبة من حب الله ضعيفة، فإن الناس متفاوتون في الحب) تفاوتهم في المعرفة **(ويدل على التفاوت ما روي أن أبا حذيفة)** هشم وقيل هشيم وقيل هاشم وقيل قيس **(بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس)** بن عبد مناف القرشي العبشمي من السابقين هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين، كان طوالاً حسن الوجه استشهد يوم اليمامة وهو ابن ست وخمسين سنة، **(لما زوج أخته فاطمة)** ابنة عتبة **(من سالم مولاه)** هكذا هو نص القوت، والذي في الإصابة في ترجمة سالم. وكان أبو حذيفة قد تبناه كما تبنى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة، فكان أبو حذيفة يرى أنه ابنه فأنكحه ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة، فلما أنزل الله ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ [الأحزاب: ٥] رد كل أحد تبنى إبناً من أولئك إلى أبيه ومن لم يعرف إلى مواليه. قال: أخرجه مالك في الموطأ عن الزهري عن عروة بهذا، وذكر في ترجمة فاطمة بنت الوليد بن عتبة هذه أنها من المهاجرات الفاضلات زوجها عمها أبو حذيفة بن عتبة سالماً الذي يقال له مولى أبي حذيفة، وذكر في ترجمة فاطمة بنت عتبة أخت أبي حذيفة أنها أخت أبي حذيفة أنها أخت هند أم معاوية بن أبي سفيان، ونقل عن ابن سعد أنه قال: تزوجها قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف، فولدت له الوليد هشاماً وعتبة وأمية وفاختة ثم أسلمت وبايعت وتزوجها عقيل بن أبي طالب وذكر لها معه قصة، وقد ظهر بما ذكرنا أن التي تزوجها سالم هي فاطمة بنت الوليد لا ابنة عتبة فتأمل. **(عاتبته قريش في ذلك وقالوا: أنكحت عقيلة من عقائل قريش لمولى)** يعنون به سالماً رضي الله عنه؟ **(فقال: والله لقد أنكحته إياها وإني لأعلم أنه خير منها، فكان قوله عليهم أشد من فعله قالوا: وكيف وهي أختك وهو مولاك؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر إلى سالم»)** هكذا في القوت. وقال العراقي: لم أره من حديث أبي حذيفة. وروى أبو نعيم في الحلية المرفوع منه من حديث عمر أن سالماً يحب الله حقاً من قلبه، وفي رواية له: أن سالماً شديد الحب لله عز وجل ما عصاه، وفيه ابن لهيعة اهـ.

قلت: قال أبو نعيم: حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا أحمد بن حماد بن سفيان، حدثنا

يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب أيضاً غيره فلا جرم ويكون نعيمه بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه، وعذابه بفراق الدنيا عند الموت علة قدر حبه لها.

زكريا بن يحيى بن أبان قال: حدثني أبو صالح كاتب الليث قال: حدثني عبدالله بن لهيعة بن عبادة بن سني، عن عبد الرحمن بن غنم قال: سمعت عبدالله بن الأرقم يقول: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله ﷺ ذكر سالماً مولى أبي حذيفة فقال: «إن سالماً شديد الحب لله» رواه حبيب بن نجيح عن عبد الرحمن ابن غنم.

حدثت عن سعيد بن سليمان قال: حدثنا يونس بن بكير، عن محمد بن إسحاق، عن الجراح بن منهال، عن حبيب بن نجيح، عن عبد الرحمن بن غنم قال: قدمت المدينة في زمان عثمان، فأتيت عبدالله بن الأرقم فقال: حضرت عمر عند وفاته مع ابن عباس والمسور بن مخرمة فقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن سالماً شديد الحب لله لو كان لا يخاف ما عصاه» فلقيت ابن عباس فذكرت ذلك له فقال: صدق انطلق بنا إلى المسور حتى نحدثك به، فجئنا المسور فقلت: إن عبدالله بن الأرقم حدثني بهذا الحديث فقال: حسبك لا تسأل عنه بعد عبدالله ابن الأرقم.

حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا محمود بن خداش، حدثنا مروان بن معاوية حدثنا سعيد قال: سمعت شهر بن حوشب يقول: قال عمر بن الخطاب: لو استخلفت سالماً مولى أبي حذيفة فسألني عنه ربي ما حملك على ذلك لقلت: رب سمعت نبيك ﷺ وهو يقول: «إنه يحب الله حقاً من قلبه».

(فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب أيضاً غيره، فلا جرم يكون نعيمة بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه، وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها) وقال صاحب القوت بعد أن أورد الحديث المذكور ما نصه: ففي دليله أن من المؤمنين من يحب الله ببعض قلبه فيؤثره بعض الإيثار توجد فيه محبة الأغيار، ومنهم من يحبه بكل قلبه فيؤثره على ما سواه؛ فهذا عابده ومأهوله الذي لا معبود له ولا إله إياه وفيه دليل على أنهم على مقامات في المحبة عن معاني مشاهدات الصفات ما بين البعض في القلوب والكلية اهـ.

وقال الكمال محمد بن إسحاق الصوفي: ذهب قوم من السلف إلى أن محبة الزوجة والولد والأسباب التي هي من ضرورات الحياة تنقص المحبة، وذهب الإمام الغزالي إلى خلاف ذلك فقال في بعض كلام له: كل ما يحبه العبد من الدنيا ليتوصل بذلك إلى محبة الله فهو من محبة الله. وأما الإمام أبو طالب المكي فقال: الركون إليها يخرج عن المحبة. قلت: إذا ركن إليها بطبعه وعقله، وأما بمجرد الطبع فلا يخرج عن المحبة لكن ينقص كمالها عندي لأن المحبة إذا قويت كدرت صفو ما سواها من الشهوات، فيكون المحب معها بقالبه لا بقلبه، ويكون مع الشهوات المباحة

وأما السبب الثاني للكراهة: فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت وإنما يكره عجلته قبل أن يستعد للقاء الله، فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة ليهيء له داره ويعدّ له أسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق، فالكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلاً، وعلامته الدؤب في العمل واستغراق الهم في استعداد.

ومنها: أن يكون مؤثراً ما أحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه فيلزم مشاق العمل ويجتنب إتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل، ولا يزال مواظباً على طاعة الله ومتقرباً إليه بالنوافل وطالباً عنده مزايا الدرجات كما يطلب المحب مزيد القرب في

لأجل أمر الله لا شهوة ولا رغبة، وهذا هو الذي أراده الإمام أبو طالب بقوله: إن محبة الزوجة والولد لا ينقص ذلك عندي وعلله فقال: إن محبة الله من نور الإيمان ومحبة الزوجة والولد من العقل، ومثل هذا لا يخفى عليه أن العقل لا يحب المحسوسات ولا يميل إليها، وإنما والله أعلم لم كان للقلب وجهتان: وجهة إلى الله مستمد منهـا المعارف ومزايد القلب، ووجهة إلي بدنه ليدبره ويقوم بمصالحه، وكان المحب لا يرجع من الوجه الذي يلي ربه إلى الوجه الذي يدبر به المصالح إلا لضرورة سفره سمي محبة الزوجة والولد بهذا الإعتبار عقلاً لأن هذا لا يتناول من الدنيا إلا كما يتناول المريض الأدوية النافعة لا يأخذ منها إلا بقدر الحاجة وهذه أحوال السلف من المحبين اهـ.

(وأما السبب الثاني للكراهة: فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس يكره الموت، وإنما يكره عجلته قبل أن يستعد للقاء الله، فذاك لا يدل على ضعف الحب وهو كالمحب الذي وصله الخبر بقدوم حبيبه عليه، فأحب أن يتأخر قدومه ساعة ليهيء له داره يعد له أسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب عن الشواغل خفيف الظهر عن العوائق) لا للتمتع بالدنيا، **(فالكراهة بهذا السبب لا تنافي كمال الحب أصلاً)** وترك اختياره لاختيار الله في هذا الباب أولى، **(وعلامته الدؤب في العمل واستفراغ الهم في الإستعداد)** فإن قصر في عمله فليس من الإستعداد في شيء.

(ومنها أن يكون مؤثراً ما يحبه الله تعالى على ما يحبه في ظاهره وباطنه) لأن المحبة لا تدع لغير المحبوب موضعاً في القلب والإيثار، وهو ميزان العقل والصدق للمحبة، فعلى قدر إيثارك له تعرف محبتك له فلا تغتر، فإن المحبة خفية لا تعرف إلا بإيثارها، وقد أشار إلى ثمرة الإيثار بقوله: **(فيلزم مشاق العمل ويجتنب إتباع الهوى ويعرض عن دعة الكسل)** أي راحته، **(ولا يزال مواظباً على طاعة الله ومتقرباً إليه بالنوافل)** كما ورد به الخبر، لأن عمل المحبة لا يداخله سآمة ولا ملالة وهو أحد الأسباب المشرفة لأعمال المحبين، **(و)** لا يزال **(طالباً**

قلب محبوبه. وقد وصف الله المحبين بالإيثار فقال: ﴿يحِبُّون من هاجَر إليهم ولا يجِدُون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثِرُونَ على أنفسهم ولو كان بهم خَصاصة﴾ [الحشر: ٩] ومن بقي مستمراً على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه، بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل:

أريد وصاله ويريد هجري فاترك ما أريد لما يريد

بل الحب إذا غلب قمع الهوى لم يبق له تنعم بغير المحبوب، كما روي أن زليخا لما آمنت وتزوّج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى، فكان يدعوها إلى فراشه نهاراً فتدافعه إلى الليل، فإذا دعاها ليلاً سوفت به إلى النهار وقالت: يا يوسف إنما كنت أحبك قبل أن أعرفه فأما إذا عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلاً، حتى قال: إن الله جل ذكره أمرني بذلك وأخبرني أنه

عنده مزايا الدرجات) أي خواصها **(كما يطلب المحب مزيد القرب في قلب محبوبه، وقد وصف الله المحبين بالإيثار فقال: ﴿يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾)** أي احتياج وفقر وقال صاحب القوت: أول علامات المحبة الإيثار للمحبوب على ذخائر القلوب، ولذلك وصف الله تعالى المحبين بالإيثار ووصف العارفين بذلك فقال في صفة المحبين: يحبون من هاجر إليهم ويؤثرون على أنفسهم، وقال في وصفه تعالى: ﴿تالله لقد آثرك الله علينا﴾ [يوسف: ٩١] اهـ.

(ومن بقي مستمراً على متابعة الهوى فمحبوبه ما يهواه) وإليه يشير قوله تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الجاثية: ٢٣] **(بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل:**

(أريد وصاله ويريد هجري فاترك ما أريد لما يريد)

أورده القشيري في الرسالة. وقال صاحب القوت: أنشدني بعض الأشياخ لبعض المحبين:

ألذ جميل الصبر كما ألذه وأهوى لمن أهواه تركاً فأتركه

(بل الحب إذا غلب) على القلب وغمره **(قمع الهوى فلم يبق له تنعم بغير المحبوب، كما روي)** في الأخبار السالفة: **(أن زليخا)** بفتح فكسر وهي امرأة العزيز **(لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت إلى الله تعالى، فكان يدعوها إلى فراشه نهاراً فتدافعه إلى الليل، فإذا دعاها ليلا سوّفت به)** أي أخرت **(إلى النهار وقالت: يا يوسف إنما كنت أحبك قبل أن أعرفه، فأما إذا عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلاً حتى قال لها: إن الله عز وجل أمرني بذلك وأخبرني أنه مخرج منك**

مخرج منك ولدين وجاعلها نبيين، فقالت: أما إذا كان الله تعالى أمرك بذلك وجعلني طريقاً إليه فطاعة لأمر الله تعالى، فعندها سكنت إليه. فإذا من أحب الله لا يعصيه، ولذلك قال المبارك فيه.

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى قيل أيضاً:

وأترك ما أهوى لما قد هويته فأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسي

وقال سهل رحمه الله تعالى: علامة الحب إيثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل صار حبيباً وإنما الحبيب من اجتنب المناهي، وهو كما قال، لأن محبته لله

ولدين وجاعلها نبيين، فقالت: أما إذا كان الله أمرك بذلك وجعلني طريقاً إليه فطاعة لأمر الله تعالى فعندها سكنت إليه)، هكذا نقله صاحب القوت فكأنما كانت طاعتها امتثالاً لأمر الله تعالى وهو دليل المحبة، (**فإذاً من أحب الله لا يعصيه**) بمخالفة أمره، (**ولذلك قال**) عبدالله (**بن المبارك**) رحمه الله تعالى (**فيه**):

(تعصي الاله وأنت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديعُ
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيعُ)

وهي أبيات سائرة من جملة قصيدة له نسبها إليه غير واحد من العارفين، وروى البيهقي في الشعب عن الحسن بن محمد بن الحنفية أنه قال: من أحب حبيبه لم يعصه، ثم قال:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه عار عليك إذا فعلت شنيعُ
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن أحب مطيعُ

ثم قال:

ما ضر من كانت الفردوس منزله ما كان في العيش من بؤس واقتار
تراه يمشي حزيناً خائفاً شعثاً إلى المساجد يسعى بين أطمار

ونسب السهروردي البيتين المذكورين إلى رابعة، وقد ظهر من مجموع كلامهم أن ابن المبارك ورابعة كانا ينشدان ذلك، وأصل الإنشاد لابن الحنفية فتأمل، (**وفي هذا المعنى قيل أيضاً**):

(واترك ما أهوى لما قد هويته وأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسي)

هكذا أنشده صاحب القوت لبعضهم.

(**وقال سهل**) التستري (**رحمه الله تعالى: علامة الحب إيثاره على نفسك**) ولفظ القوت الإيثار يشهد للحب فعلامة حبه إيثاره على نفسك، (**و**) قال: (**ليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل صار حبيباً وإنما الحبيب من اجتنب المناهي**) ولفظ القوت: وكل من اجتنب ما نهاه

تعالى سبب محبة الله له كما قال تعالى: ﴿يحبُهم ويحبُونه﴾ [المائدة: ٥٤] وإذا أحبه الله تولاه ونصره على أعدائه، وإنما عدوّه نفسه وشهواته فلا يخذله الله ولا يكله إلى هواه وشهواته. ولذلك قال تعالى: ﴿واللهُ أعلم بأعدائِكُم وكفى باللهِ ولياً وكفى باللهِ نصيراً﴾ [النساء: ٤٥].

فإن قلت: فالعصيان هل يضاد أصل المحبة؟

فأقول: إنه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها فكم من إنسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بأنه يضره، وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه. ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة. ويدل عليه ما روي أن نعيمان كان يؤتى به رسول الله ﷺ في كل قليل فيحده في معصية يرتكبها إلى

عنه صار حبيباً (**وهو كما قال، لأن محبته لله تعالى سبب محبة الله له، كما قال تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ وإذا أحب الله عبداً تولاه ونصره على أعدائه، وإنما عدوه نفسه وشهواته فلا يخذله ولا يكله إلى هواه وشهواته، ولذلك قال تعالى: ﴿والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً﴾**) ولفظ القوت بعد أن أورد كلام سهل، وهذا كما قال لأن المحبة تستبين بترك المخالفة ولا تستبين بكثرة الأعمال، كما قيل: أعمال البر يعملها البر والفاجر، والمعاصي لا يتركها إلا صديق، وقيل: أفضل منازل الطاعات الصبر عن المعاصي، ثم الصبر على الطاعة وأن الصبر على الطاعة يضاعف إلى سبعين ضعفاً والصبر على المصيبة يضاعف إلى سبعمائة كأنه أقيم مقام المجاهد في سبيل الله لأن نفسه عدوة لله وله، فمخالفته هواها هو جهادها في سبيل الله لأنه يقع اختياراً من الله وضرورة لا من كلية النفس، فإذا ترك هواه فقد ترك نفسه فأقل ماله في ذلك الزهد في الدنيا والجهاد في سبيل الله، ومن أجل ذلك ضوعفت حسناته إلى سبعمائة، ومن أجله ثبتت له المحبة لدخوله في أهل هذه الآية: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ [الصف: ٤] وأيضاً فقد اندرج الخوف في حاله وهو مقام ثان يفضل جنة ثانية لغير المخالفة، فلذلك قال تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ [التوبة: ١١١] قال: عيش نفوسهم الفاني وهو عاجل حظوظهم من الشهوات.

(**فإن قلت: فالعصيان هل يضاد أصل المحبة؟ فأقول: إنه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها**) وإليه ذهب أبو طالب المكي وتبعه المصنف وقال: (**فكم من إنسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل ما يضره مع العلم بأنه يضره، وذلك لا يدل على عدم حبه لنفسه، ولكن المعرفة قد تضعف والشهوة قد تغلب فيعجز عن القيام بحق المحبة**) قالا: (**ويدل عليه ما روي**) في الصحيح (**أن نعيمان**) بن عمرو بن رفاعة الأنصاري (**كان يؤتى به رسول الله ﷺ في كل قليل فيحده في كل معصية يرتكبها**) وهي أنه كان يصيب من

أن أتي به يوماً فحده، فلعنه رجل وقال: ما أكثر ما يؤتى به رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة. نعم تخرجه المعصية عن كمال الحب وقد قال بعض العارفين: إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حباً متوسطاً، فإذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي. وبالجملة في

الشراب كما ذكره الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح، (**إلى أن أتي به يوماً فحدّه**) حدّ الشرب (**فلعنه رجل**) يقال اسمه عمير كما بينه الحافظ في الفتح (**وقال: ما أكثر ما يؤتى به رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «لا تلعنه**) وعند الزبير ابن بكار: لا تفعل (**فإنه يحب الله ورسوله»**) رواه البخاري من طريق وهيب عن ابن أبي مليكة عن عقبة بن الحرث أن النبي ﷺ أتى بالنعمان أو ابن النعمان كذا بالشك، والراجح النعمان بلا شك كما عند أحمد. ورواه بالشك أيضاً ابن سعد في الطبقات وقد تقدم ما يتعلق به، (**فلم يخرجه بالمعصية عن المحبة**) أي عن أصلها. قال الكمال محمد بن إسحاق الصوفي: وقد رأيت أيضاً في كتاب الله ما يدل على ذلك وهو قوله تعالى: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة﴾ [النور: ٢٢] الآية. فلم تخرجه الكبيرة عن اسم الهجرة. (**نعم، تخرجه المعصية عن كمال الحب، وقد قال بعض العارفين**) مشيراً إلى ذلك: (**إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حباً متوسطاً، فإذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي**).

ولفظ القوت: إذا كان الإيمان في ظاهر القلب يعني على الفؤاد كان المؤمن يحب الله حباً متوسطاً، فإذا دخل الإيمان في باطن القلب وكان في سويدائه أحبه الحب البالغ، ومحنة ذلك أن ينظر فإن كان يؤثر حب الله على جميع هواه ويغلب محبته على هوى العبد حتى تصير محبة الله هي محبة العبد من كل شيء فهو محب لله حقاً، كما أنه مؤمن به حقاً عن مشاهدة اليقين الذي يغلب رؤيته على رؤية الحق فيشهده في كل شيء ويكون واجداً به دون كل شيء، إذ قد تجلى لمن أيقن بكل شيء، فإن رأيت قلبك دون ذلك فلك من ذوق محبة سواه بقدر مالك من شرب اليقين ممزوجاً بشهادة الخلق والوجد بهم دون الخالق، وذلك أيضاً عن خالص شهادة التوحيد، ومن المحبة بقدر ذلك له في مقامات الخالصين أو مشوباً بالشرك الخفي بالنظر إلا الأواسط والثواني في إخلاص عموم المخلصين. وقال بعض العلماء: إن ظاهر القلب محل الإسلام وباطنه محل الإيمان، فمن ههنا تفاوت المحبوب في المحبة لفضل الإيمان على الإسلام وفضل الباطن على الظاهر، وفرق بعض علمائنا بين القلب والفؤاد فقال: الفؤاد مقدم القلب وما استدق منه والقلب أصله وما اتسع منه، وقال مرة في القلب تجويفان، فالتجويف الظاهر هو الفؤاد وهو مكان العقل، والتجويف الباطن هو القلب وفيه السمع والبصر، وعنه يكون الفهم والمشاهدة وهو محل الإيمان، وقد قال الله تعالى: ﴿كتب في قلوبهم الإيمان﴾ [المجادلة: ٢٢] وقال: ﴿إن في ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [ق: ٣٧] فمحبة الإسلام مفترضة على الخلق وهي متصلة بأداء الفرائض واجتناب المحارم طاعة الله ومحبة له، فأما محبة المقربين ففي مشاهدة معاني الصفات بعد

دعوى المحبة خطر، ولذلك قال الفضيل: إذا قيل لك أتحب الله تعالى؟ فاسكت فإنك إن قلت: لا، كفرت وإن قلت: نعم، فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك.

ومنها أن يكون مستهتراً بذكر الله تعالى لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه، فمن أحب شيئاً أكثر بالضرورة من ذكره وذكر ما يتعلق به، فعلامة حب الله، حب ذكره

معرفة أخلاق الذات، فعبادة اولئك بالعادات وللحاجات، وعبادة المحبين للإجلال والتعظيم وهي مخصوصة لمخصوصين، والأصل في هذا أن المحبة عن المعرفة وأن المعرفة عموم وخصوص، فلخصوص العارفين خاصية المحبة ولعمومهم عموم المحبة انتهى.

وقال الكمال محمد بن إسحاق الصوفي: والذي ترجح عندي أن العاصي يكون محباً حكماً لا حقيقة، كما يطلق اسم الإيمان على النائم فإنه مؤمن حكماً لا حقيقة، وبهذه القاعدة ينكشف سر قوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» لأن دخان الشهوة حجب نظره عن الوعد والوعيد، فصار كالغافل عن الإيمان كالنوم، فالغافل يسمى مؤمناً حكماً لا حقيقة لأن حقيقة الإيمان حضور العبد مع الله أو شهوده للآيات الدالة على وجوده، فالغافل العاصي عن هذا بمعزل، والإنسان خلق في الأصل مجبولاً على الغفلة وعلى الرجوع إلى الأحوال البشرية، وإنما رحمة الشرع جاءت بتشريع العبادات وترتيبها في أوقات متقاربة ليرجع القلب بذلك إلى الله تعالى، فانقسم الناس في رجوعهم إلى الله تعالى أو إلى الدنيا هذا الإنقسام.

(**وبالجملة؛ في دعوى المحبة خطر**) عظيم، (**وقد قال: بعض العلماء: إذا تم التوحيد تمت المحبة، وإذا جاءت المحبة تم التوكل فتم إيمانه وخلص فرضه وسمى ذلك يقيناً،** (**ولذلك قال الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى في مرض المحبة: (**إذا قيل لك أتحب الله تعالى فاسكت، فإن قلت لا كفرت، وإن قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت**) نقله صاحب القوت، (**ولذا قال بعض العلماء: ليس في الجنة نعيم أهل المعرفة والمحبة، ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة، ولم يتحقق بشيء من ذلك**) نقله صاحب القوت وزاد فقال: وقال عالم فوقه كل أهل المقامات يرجى أنه يعفي عنهم ويسمح لهم إلا من ادعى المعرفة والمحبة، فإنهم يطالبون بكل شعرة مطالبة وبكل حركة وسكون وكل نظرة وخطرة لله تعالى وبالله تعالى وفي الله تعالى ومع الله تعالى.

(**ومنها**): أي من علامات حب العبد لله تعالى (**أن يكون مستهتراً بذكر الله تعالى**) أي مولعاً به (**لا يفتر عنه لسانه ولا يخلو عنه قلبه**)، بل يكون القلب موافقاً للسانه في حال الذكر، (**فمن أحب شيئاً أكثر بالضرورة من ذكره**) كما ورد في الخبر: «من أحب شيئاً أكثر من ذكره» رواه صاحب الحلية من حديث عائشة وقد تقدم، وكثرة الذكر دليل محبة المذكور

وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله ﷺ وحب كل من ينسب إليه، فإن من يحب إنساناً يحب كلب محلته. فالمحبة إذ قويت تعدت من المحبوب إلى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه، وذلك ليس شركة في الحب فإن من أحب رسول المحبوب لأنه رسوله، وكلامه لأنه كلامه، فلم يجاوز حبه إلى غيره بل هو دليل على كمال حبه، ومن غلب حب الله على قلبه أحب جميع خلق الله لأنهم خلقه، فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين؟ وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الأخوة

للذاكر وهو من أفضل منته على خلقه. وفي الخبر: «إن لله تعالى في كل يوم صدقة يمن بها على خلقه وما تصدق على عبد بصدقة أفضل من أن يلهمه ذكره». وروى سفيان عن مالك بن مغول قيل: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: «اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله» ويروى «أكثروا من الذكر حتى يقول المنافقون إنكم مراؤن» وفي حديث أبي سلمة عن أبيه عن جده: «ومن أكثر ذكر الله أحبه الله». (و) كذلك من أحب شيئاً أكثر من (**ذكر ما يتعلق به، فعلامة حب الله حب ذكره وحب القرآن الذي هو كلامه**) وتكريره على الأسماع والقلوب، (**وحب رسوله ﷺ**) الذي هو حبيبه وصفيه، وكذا حب سائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام لأن الفضائل المتواترة عنهم موجبة للمحبة ويجب حب الملائكة لشرفهم في ذواتهم، ولما أصلح الله بهم الأنبياء ونفع بهم العباد، ويستحب حب الطاعة التي هي خدمة ويتأكد الإستحباب للأولياء الذي هم خاصة وكذا للمؤمنين على حسب درجاتهم. قال تعالى: ﴿يحبون من هاجر إليهم﴾ [الحشر: ٩] (و) كذا (**حب كل من ينسب إليه**) أي إلى رسول الله ﷺ بالولادة، وكذا إليهم بالنسب الظاهر أو الباطن (**فإن من يحب إنساناً يحب**) كل ما يتعلق به حتى يحب (**كلب محلته**) وقصة مجنون بني عامر مع كلب وقع بصره عليه فأحبه، وجوابه لمن سأله عن ذلك رآه مرة في حي ليلى وقوله:

أحب لحبها سود الكلاب

مشهورة؛ فهذا الذي ذكره كله مما يتعلق بحب الله تعالى (**فالمحبة إذا قويت تعدت من المحبوب إلى كل ما يكتنف بالمحبوب ويحيط به ويتعلق بأسبابه، وذلك ليس شركة في المحبة**) وكمال المحبة يقتضي رفع الإشتراك، (**فإن من أحب رسول المحبوب لأنه رسوله و**) أحب (**كلامه لأنه كلامه فلم يجاوز حبه إلى غيره، بل هو دليل على كمال حبه، ومن غلب حب الله على قلبه**) وغمره بكليته (**أحب جميع خلق الله لأنهم خلقه**) وتصنيفه وإبداعه، (**فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين**) إلا أن المحبة في بعض الأفراد المذكورة بالوجوب كالقرآن والرسول وسائر الأنبياء والملائكة، وفي بعضها بالإستحباب كجميع المؤمنين على درجاتهم والطاعة، وفي بعضها يتأكد الإستحباب كحب خواص العباد من الأولياء

والصحبة ولذلك قال تعالى: ﴿قُل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يُحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] وقال رسول الله ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لله تعالى»، وقال سفيان: من أحب من يحب الله تعالى فإنما أحب الله، ومن أكرم من يكرم الله تعالى فإنما يكرم الله تعالى. وحكي عن بعض المريدين، قال: كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في سن الإرادة فادمنت قراءة القرآن ليلاً ونهاراً ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال: فسمعت قائلاً يقول في المنام؟ إن كنت تزعم أنك تحبني فلم جفوت كتابي أما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد أشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت إلى حالي. وقال ابن مسعود لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فإن

والصالحين، (**وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الأخوة والصحبة، ولذلك قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾**).

فإن قلت: فلم لا كانت محبة الطاعة واجبة وكذا محبة الأولياء؟ فأقول: الوجوب مبني على أصل الإيمان لا على كمال الإيمان ولا تتقوى المحبة حتى تتعدى إلى ما يتعلق بالمحبوب إلا بكمال الإيمان، وذلك لو وقعت الطاعة بباعث الخوف أو الرجاء قام الإجماع على صحتها وقبولها، وفيما ذكرناه نظر لتجاذب المسألة بين ما قلناه، وبين أن الطاعة فرع المحبة والمحبة واجبة، وعسى الله أن يكشف عن الحق في ذلك.

فإن قلت: هذا يدل على أن بغض المؤمنين ليس بحرام. فأقول: نفس البغض مكروه وبعضه أشد كراهة من بعض على حسب درجة الولي، لكن للبغض آثار باطنة وآثار ظاهرة، فلو طلب زوال النعمة عنه بسبب بغضه حرم عليه ذلك ولو تكلم بما ينقصه أو يقدح في عرضه حرم عليه ذلك، وبعض هذه المهلكات أقبح من بعض.

(**وقال ﷺ: أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لله تعالى**») رواه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ: «وأحبوني لله وأحبوا أهل بيتي لحبي». وقد تقدم. (**وقال سفيان: من أحب بالله تعالى فإنما أحب الله، ومن أكرم بكرم الله تعالى فإنما يكرم الله تعالى**) نقله صاحب القوت إلا أنه قال: وقال سفيان وغيره: من أحب الله تعالى فإنما أحب الله الخ. (**وحكي عن بعض المريدين قال: كنت قد وجدت حلاوة المناجاة في سن الإرادة**) أي في أول السلوك ونشاطه، (**فادمنت**) أي دوامت على (**قراءة القرآن ليلاً ونهاراً، ثم لحقتني فترة**) أي سكون (**فانقطعت عن التلاوة قال؛ فسمعت قائلاً يقول في المنام: إن كنت تزعم أنك تحبني فلم جفوت كتابي؟ أما تدبرت**) ولفظ القوت: أما ترى (**ما فيه من لطيف عتابي قال: فانتبهت وقد أشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت إلى حالي**) الأولى من الإدمان على التلاوة نقله صاحب القوت زاد. وقال بعض العارفين: لا يكون العبد مريداً حتى يجد في القرآن كل ما يريد. (**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن**

كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله، وقال سهل ـ رحمه الله تعالى ـ عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة، وعلامة حب السنة حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زاداً وبلغة إلى الآخرة.

ومنها: أن يكون أنسه بالخلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه، فيواظب على التهجد ويغتنم هدء الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق، وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته، فمن كان النوم والاشتغال بالحديث ألذ عنده وأطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته؟ قيل لإبراهيم بن أدهم وقد نزل من الجبل: من أين أقبلت؟ فقال: من الأنس بالله. وفي أخبار داود عليه السلام: لا تستأنس إلى أحد من

كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل، وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله. وقال سهل) التستري **(رحمة الله تعالى عليه: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا، وعلامة بُغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زاداً وبلغة إلى الآخرة)** نقله صاحب القوت.

(ومنها): أي ومن علامات المحبة **(أن يكون أنس بالخلوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه فيواظب على التهجد)** وهو قيام الليل، **(ويغتنم هدء الليل)** أي سكونه **(وصفات الوقت بانقطاع العلائق)** أي الموانع، **(وأقل درجات الحب التلذذ بالخلوة بالحبيب والتنعم بمناجاته، فمن كان النوم والإشتغال بالحديث الذي عنده أطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته)**. وفي الحديث القدسي «كذب من ادعى محبتي إذا جنه الليل نام عني إلا أن بعضهم جعل سهر الليل في مقام بعينه» فذكر له هذا الخبر فقال: ذاك إذا أقامه مقام الشوق، فأما إذا أنزل عليه السكينة وآواه بالأنس في القرب استوى نومه وسهره، ثم قال: رأيت جماعة من المحبين نومهم بالليل أكثر من سهرهم، وأما المحبوبون وسيد المحبوبين رسول الله ﷺ، فكان ينام مثل ما يقوم وقد يكون نومه أكثر من قيامه ولم تكن تأتي عليه ليلة حتى ينام فيها. **(قيل لإبراهيم بن أدهم)** رحمه الله تعالى، **(وقد نزل من الجبل: من أين أقبلت؟ فقال: من الإنس بالله)** يشير إلى أنه كان في خلوته مع الله تعالى ومناجاته به. وقال أحمد بن الحواري: دخلت على أبي سليمان الداراني فرأيته يبكي فقلت: ما يبكيك رحمك الله؟ قال: ويحك يا أحمد إذا جنّ هذا الليل وافترش أهل المحبة أقدامهم وجدت دموعهم على خدودهم أشرف الجليل الجبار جل جلاله عليهم، فقال: بعيني من تلذذ بكلامي واستراح إلى مناجاتي وأني مطلع عليهم في خلواتهم أسمع أنينهم وأرى مكانهم. يا جبريل ناد فيهم ما هذا البكاء الذي أراه فيكم؟ هل خبركم عني مخبر أن حبيباً يعذب أحبابه بالنار،

خلقي، فإني إنما أقطع عني رجلين رجلاً استبطأ ثوابي فانقطع ورجلاً نسيني فرضي بحاله، وعلامة ذلك أن أكله إلى نفسه وأن أدعه في الدنيا حيران، ومهما أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله مستوحشاً من الله تعالى ساقطاً عن درجة محبته. وفي قصة برخ ـ وهو العبد الأسود الذي استسقى به موسى عليه السلام ـ أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: إنّ برخاً نعم العبد هو لي إلا أن فيه عيباً، قال: يا رب وما عيبه؟ قال: يعجبه نسيم الأسحار فيسكن إليه ومن أحبني لم يسكن إلى شيء. وروي أن عابداً عبد الله تعالى في غيضة دهراً طويلاً فنظر إلى طائر وقد عشش في شجرة يأوي إليها ويصفر عندها،

بل كيف يجمل بي أن أرهب قوماً بالعذاب إذا جنّهم الليل تملقوا بي فبي حلفت إذا وردوا القيامة أن اسفر لهم عن وجهي وأبيحهم رياض قدسي.

(و) يروى (في أخبار داود عليه السلام) قال الله تعالى: يا داود (**لا تأنس إلى أحد من خلقي فإني إنما أقطع عني رجلين: رجلاً استبطأ ثوابي فاقطع ورجلاً نسيني فرضي بحاله، وعلامة ذلك أن أكله إلى نفسه وان أدعه في الدنيا حيران**) نقله صاحب القوت (**ومهما أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله متوحشاً من الله تعالى ساقطاً عن درجة محبته**) وقالوا: الإستيحاش من الخلق علامة الإنس بالخالق. وقال سهل رحمه الله تعالى: جناية المحب عند الله أشد من معصية العامة وهو أن يسكن إلى غير الله ويستأنس بسواه.

(و) يروى (**في قصة برخ**) بضم الموحدة وسكون الراء وآخره معجمة وهو اسم سرياني، **وهو العبد الأسود الذي استقى به موسى عليه السلام أن الله تعالى قال لموسى**) عليه السلام: (**إن برخ نعم العبد**) و(**هو لي إلا أن فيه عيباً. قال**) موسى: (**يا رب وما عيبه؟ قال: يعجبه نسيم الأسحار فيسكن إليه، ومن أحبني لم يسكن إلى شيء**) نقله صاحب القوت. وقال: فالسكون في هذا الموضع الإستراحة إلى الشيء والأنس به والسكون في غير هذا الموضع النظر إلى الشيء والإدلال به والطمأنينة والقطع به. قال: وذكرت هذه الحكاية لبعض أهل المعرفة فقال: لم يرد بهذا برخ إنما أراد به موسى لأنه أقامه مقام المحبة فاستحيا أن يواجهه بذلك أي وهو قد سمح لبرخ بذلك، إذ لم يوافقه عليه فعرض عليه ببرخ أي لأنه عالم وكان هذا جواباً منه، ثم أني سألته لم أخبر موسى بعيبه وهو يجيبه دون أن يخبره هو بعيب نفسه فأجاب بهذا قال: فالمقربون من المحبين إنما نعيمهم بالله وروحهم راحتهم إليه من حيث كان بلاؤهم منه، فإذا وجدوا ذلك في سواه كانت ذنوباً لهم عن غفلة أدخلت عليهم ليتوبوا إليه فيغفر لهم.

(**ويروى أن عابداً عبدالله تعالى في غيضة دهراً طويلاً**) أي زماناً والغيضة المكان الملتف شجره، (**فنظر إلى طائر وقد عشش في شجرة**) أي اتخذ عليها عشاً (**يأوي إليها**) أي إلى تلك الشجرة (**ويصفر عندها**) أي يصوت بالصفير، **فقال: لو حولت مسجدي إلى تلك**

فقال: لو حوّلت مسجدي إلى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هذا الطائر قال: ففعل، فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد: استأنست بمخلوق لأحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك أبداً. فإذاً علامة المحبة كمال الأنس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الإستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة. وعلامة الأنس مصير العقل والفهم كله مستغرقاً بلذة المناجاة، كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه، وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به، وقطعت رجل بعضهم بسبب علة أصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب عليه الحب والأنس صارت الخلوة والمناجاة قرة عينه يدفع بها جميع الهموم، بل يستغرق الأنس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا ما لم تكرر على سمعه مراراً،

الشجرة فكنت آنس بصوت هذا الطائر. قال: ففعل) أي حوّل مسجده إليها (**فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان قل لفلان العابد استأنست بمخلوق لأحطنك درجة لا تنالها بشيء من عملك أبداً**) نقله صاحب القوت.

ورواه البيهقي في الشعب عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أخي يقول: تعبد رجل من بني إسرائيل في غيضة في جزيرة في البحر أربعمائة سنة فطال شعره، حتى إذا كان في الغيضة تعلق بأغصانها بعض شعره، فبينما هو ذات يوم يدور إذ مر بشجرة فيها وكر طائر فنقل موضع مصلاّه إلى قريب منها قال: فنودي أنست بغيري وعزتي وجلالي لأحطنك مما كنت فيه درجتين.

(**فإذاً علامة المحبة**) الصادقة الخالصة (**كمال الأنس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به**) والإنقطاع إليه بوجود نسيم الأنس به ومصادقة الاستراحة والروح منه بمحادثة في المجالسة ومناجاة في الخلوة وتملق في السريرة، (**وكمال الإستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوق عن لذة المناجاة**)، ثم ذوق حلاوة النعيم في ترك المخالفة لغلبة حب الموافقة، ثم الطمأنينة إلى الحبيب وعكوف الهم على التقريب ودوام النظر إلى الرقيب، فمن عرفه أحبه ومن أحبه نظر إليه ومن نظر إليه عكف عليه دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً﴾ [طه: ٩٧] (**وعلامة الأنس مصير العقل والفهم كله مستغرقاً بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه**) ويناغيه، (**وقد انتهت هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به**) تقدم في كتاب الصلاة، (**وقطعت رجل بعضهم بسبب علة**) الأكلة (**إصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به**) وهو عروة بن الزبير وقد تقدم أيضاً، (**ومهما غلب عليه الحب والإنس صارت الخلوة والمناجاة قرة عين**) له (**تدفع جميع الهموم**) فلا يشعر بشيء يرد عليه، (**بل يستغرق الأنس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا ما لم تتكرر على سمعه مراراً**) فيظن الناس به بلهاً وغفلة (**مثل العاشق الولهان، فإنه يكلم**

مثل العاشق الولهان فإنه يكلم الناس بلسانه وأنسه في الباطن بذكر حبيبه، فالمحب من لا يطمئن إلا بمحبوبه. وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿الَّذين آمنُوا وتطمئن قُلُوبُهمْ بذِكْرِ الله ألا بذكر الله تَطْمَئنُ القُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] قال: هشت إليه واستأنست به. وقال الصديق رضي الله تعالى عنه: من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر. وقال مطرف بن أبي بكر: المحب لا يسأم من حديث حبيبه، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: قد كذب من ادعى محبتي إذا جنه الليل نام عني أليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها أنا ذا موجود لمن طلبني. وقال موسى عليه السلام: يا رب أين أنت فاقصدك؟ فقال: إذا قصدت فقد وصلت. وقال يحي بن معاذ: من أحب الله أبغض نفسه. وقال أيضاً لمن لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب: يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق، ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق.

الناس بلسانه وأنسه في الباطن بذكر حبيبه) وما يتعلق به، **(فالمحب)** الصادق **(من لا يطمئن إلا بمحبوبه)** ولا يستأنس إلا بذكره، **(وقال قتادة)** ابن دعامة السدوسي أبو الخطاب البصري التابعي **(في قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ قال: هشت إليه واستأنست به)** رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ، وقال مجاهد: ﴿ألا بذكـر الله تطمئن القلوب﴾ بمحمد وأصحابه. رواه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ. وفي حديث أنس: هل تدرون ما معنى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ قال: ذلك من أحب الله ورسوله وأحب أصحابي رواه أبو الشيخ وفي حديث علي قال ذلك من أحب الله ورسوله وأحب أهل بيتي صادقاً غير كاذب وأحب المؤمنين شاهداً وغائباً ألا بذكر الله يتحابون. **(وقال)** أبو بكر **(الصديق رضي الله عنه: من ذاق خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر)** قد تقدم، **(وقال مطرف بن أبي بكر)** هكذا في سائر نسخ الكتاب، والصواب مطرف أبو بكر وهو مطرف بن طريف الحارثي كنيته أبو بكر من أهل الكوفة. قال أحمد وأبو حاتم: ثقة مات سنة ١٤٣ روى له الجماعة: **(المحب لا يسأم من حديث حبيبه، وأوحى الله إلى داود عليه السلام: قد كذب من ادعى محبتي إذا جنه الليل نام عني، أليس كل محب يحب لقاء حبيبه؟ فها أنا موجود لمن طلبني)** وكذلك رواه كعب الأحبار من التوراة. ويروى عن أبي الدرداء رفعه: «يقول الله تعالى من طلبني وجدني ومـن طلب غيري لم يجدني» وقد تقدم. **(وقال موسى عليه السلام: يا رب أين أنت فاقصدك)** ولفظ القوت فاقصد قصدك؟ **(فقال)** ولفظ القوت فأوحى الله إليه: **(إذا قصدت فقد وصلت. وقال يحي بن معاذ)** الرازي رحمه الله تعالى: **(من أحب الله أبغض نفسه، وقال أيضاً: من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحـب: يـؤثـر كلام الله تعـالى على كلام الخلـق، ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق)**.

ومنها: أن لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله عز وجل ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته، فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطاف والاستعتاب والتوبة. قال بعض العارفين: إن لله عباداً أحبوه واطمأنوا إليه فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحظ أنفسهم إذ كان ملك مليكهم تاماً، وما شاء كان، فما كان لهم فهو واصل إليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم. وحق المحب إذا رجع من غفلته في لحظته أن يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب، ويسأله ويقول: رب بأي ذنب قطعت برك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان؟ فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة، وتكون هفوته سبباً لتجدد ذكره وصفاء قلبه. ومهما لم يرَ المحب إلا المحبوب ولم يرَ شيئاً إلا منه لم يتأسف ولم يشك واستقبل الكل بالرضا وعلم أن المحبوب لم يقدر له إلا ما فيه خيرته، ويذكر قوله: ﴿وَعَسَى أن تَكْرَهُوا شَيْئاً وهُوَ خيرٌ لكُم﴾ [البقرة: ٢١٦].

(ومنها): أي ومن علامات المحبة **(أن لا يتأسف على ما يفوته مما سوى الله عز وجل)** أي يترك الأسف على كل فائت سوى الله عز وجل، **(ويعظم التأسف على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته، فيكثر رجوعه عند الغفلات)** إلى الله تعالى **(بالإستعطاف والإستعتاب والتوبة)** ونسيان حظوظ النفس بتذكار حقوق الرب تعالى. **(وقال)** أبو الفضل الشكلي وغيره حكاية عن **(بعض العارفين)** أنه وصف المحبين فقال: **(إن لله عباداً أحبوه واطمأنوا إليه، فذهب عنهم التأسف على الفائت فلم يتشاغلوا بحظ أنفسهم إذا كان ملك مليكهم تاماً وما شاء كان: فما كان لهم فهو واصل إليهم)** لا محالة، **(وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم)** ولفظ القوت: فما كان لهم فهو موصلة إليهم من جميع الأشياء وما فات من إدراك غيرهم فبحسن تدبيره لهم، **(وحق المحب إذا رجع من غفلته في لحظته أن يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب ويسأله ويقول: رب بأي ذنب قطعت برك عني وأبعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي وبمتابعة الشيطان، فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ما سبق من الغفلة، وتكن هفوته سبباً لتجدد ذكره وصفاء قلبه، ومهما لم ير المحب إلا المحبوب، ولم ير شيئاً إلا منه لم يتأسف ولم يشك، واستقبل الكل بالرضى، وعلم أن المحبوب لم يقدر له إلا ما فيه خيرته ويذكر قوله تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾)**.

ولفظ القوت: وقد يحسن بالمريد المتحبب أن يكون يأسف على فوت ساعة وطرفة ذهبت عنه قليلاً في غير ذكر مولاه، فأما المحب المحبوب فقد لاحت له الأعلام فقل صبره عن الحبيب ومواصلته وملاطفته، فالواجب عليه أن يرجع إلى وارده فيسأله لم قطعت برك عني ولم لم تدمه ولم

ومنها: أن يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها كما قال بعضهم: كابدت الليل عشرين سنة. ثم تنعمت به عشرين سنة. وقال الجنيد: علامة المحبة دوام النشاط والدؤب بشهوة تفتر بدنه ولا تفتر قلبه. وقال بعضهم: العمل على المحبة لا يدخله

تشوبه بالكدر ولم تدخل بيني وبينك الخلق؟ فإن كان صادقاً في محبته فيستعمله محبوبه في الخير فيكون مكان الإستغفار من الغفلة معاتبة يستخرج بها أكثر من الذي فاته من الذكر، فتكون تلك الهفوة عليه بركة إن كان عاقبتها الإتصال والزيادة في القرب والعبد المحب لله عز وجل مأسور معلق هناك لا يدري ما حقيقة التوحيد غير أنه إذا أسف على فقد وحدانية التوحيد فزع من ذلك، فرجع فوجد بقاء الواحد بالوحدانية وانفراده في الصمدية فينسى نفسه وذهب طعم كل ذكر كان ينعم به ولم يرفوت كل شيء وذهب استبعاده في هذا الموضع حتى يستبعده المحب من مكان آخر فيرده إلى علم التوحيد والحب بلاء كثير والعباد قد ألفوا العبادة والذكر الطيب الذي يعقلون به، وأول التوحيد عند المحبين أن يعبدوا الله تعالى لوجهه حباً له لا خوفاً من ناره ولا رغبة في جنته، فيكون الحبيب مرادهم والوصول إليه مناهم حتى يرجع لهم على التعظيم والإجلال، فلا يرون نفوسهم تصلح للقائه فتحس القلوب فترجع بالهيبة والرهبة فيعبدون الله عز وجل ويبقى الشوق والأنس، فأما الصدق والصبر والإخلاص والزهد فهذه الأخلاق الشريفة كائنة معهم في سرهم ووصفهم لا تفارقهم ولا يخليهم منها محبوبهم، ولو أخلاهم مولاهم ما ذاقوا طعم شيء من هذه الخصال، ولبطلت العبادات وانقطعت الطرق ولكانوا مكتفين به، ولكنه يدبرهم بأمره ويردهم إلى هذه الأحوال فيذوقون طعمها كما يردهم إلى مصالح الجسم ومرافق العقل؛ فلذلك اسمهم الموحدون المشتاقون المحبون لأنهم عبدوه وحده وأحبوه دون غيره، واشتاقوا إليه لا سواه، ولم يريدوا منه شيئاً إذ كان الله تعالى هو الغالب على هممهم القاهر لقلوبهم الموجود في سرهم المالك لعقولهم، فلو وضع من نعيمهم ذرة على كل خائف وعابد لاحترقوا من نورهم وهم أعلى الخليقة وليس فوقهم أحد هذا نقلته من كلام الشكلي وغيره من العارفين انتهى سياق صاحب القوت.

والشكلي: بكسر الشين المعجمة وسكون الكاف هو أبو الفضل العباس يوسف بن إسماعيل البغدادي، روى عن السري وعمه محمد بن إسماعيل الشكلي، وعنه أبو بكر القطيعي وأبو حفص بن شاهين، منسوب إلى شكلة اسم امرأة، والمعروف بها إبراهيم بن شكلة الأمير الذي امتدحه أبو تمام وقد تقدم له ذكر في هذا الكتاب.

(ومنها): أي ومن علامات المحبة **(أن يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها ويسقط عنه تعبها)** لأن عمل المحبة لا يداخلها سآمة ولا ملالة، وهذا حد الأسباب المشرفة للمحبين، **(كما قال بعضهم: كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة)** وهو قول ثابت البناني، وقال مرة: كابدت القرآن وقد سبق في كتاب ترتيب الأوراد، **(وقال)** أبو القاسم **(الجنيد)** قدس سره: **(علامة المحبة دوام النشاط والدؤب بشهوة تفتر بدنه ولا يفتر قلبه)** كذا في

الفتور. وقال بعض العلماء: والله ما اشتفى محب لله من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل. فكل هذا وأمثاله موجود في المشاهدات، فإن العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه وإن كان شاقاً على بدنه. ومهما عجز بدنه كان أحب الأشياء إليه أن تعاوده القدرة وأن يفارقه العجز حتى يشتغل به فهكذا يكون حب الله تعالى، فإن كل حب صار غالباً قهر لا محالة ما هو دونه، فمن كان محبوبه أحب إليه من الكسل ترك الكسل في خدمته، وإن كان أحب إليه من المال ترك المال في حبه. وقيل لبعض المحبين ـ وقد كان بذل نفسه وماله حتى لم يبقَ له شيء ـ ما كان سبب حالك هذه في المحبة؟ فقال: سمعت يوماً محباً وقد خلا بمحبوبه وهو يقول: أنا والله أحبك بقلبي كله وأنت معرض عني بوجهك كله! فقال له المحبوب إن كنت تحبني فايش تنفق علي، قال: يا سيدي أملكك ما أملك ثم أنفق عليك روحي حتى تهلك فقلت: هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بعبد لمعبود؟ فكل هذا بسببه.

ومنها: أن يكون مشفقاً على جميع عباد الله رحيماً بهم شديداً على جميع أعداء الله وعلى

القوت. (**وقال بعضهم: العمل على المحبة لا يدخله الفتور، وقال بعض العلماء: ما اشتفى محب لله من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل**) كذا في القوت، (**فكل هذا وأمثاله موجود في المشاهدات فإن العاشق لا يستثقل السعي في هوى معشوقه ويستلذ خدمته بقلبه، وإن كان شاقاً على بدنه، ومهما عجز بدنه كان أحب الأشياء إليه أن تعاوده القدرة وأن يفارقه العجز حتى يشتغل به، فهكذا يكون حب الله تعالى فإن كل حب صار غالباً قهر لا محالة ما هو دونه، فمن كان محبوبه أحب إليه من الكسل ترك الكسل في خدمته، وإن كان أحب إليه من المال ترك المال في حبه. وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل نفسه وماله حتى**) بلغ المجهود (**ولم يبق له شيء**) منها (**ما سبب حالك هذه في المحبة؟ فقال**): كلمة سمعتها من خلق عملت في هذا البلوغ. قيل: وما هي؟ قال: (**سمعت يوماً محباً وقد خلا بمحبوبه وهو يقول: أنا والله أحبك بقلبي كله وأنت معرض عني بوجهك كله، فقال له المحبوب: إن كنت تحبني فأيش تنفق علي؟ قال: يا سيدي أملكك ما أملك ثم أنفق عليك روحي حتى تهلك، فقلت: هذا خلق لخلق وعبد لعبد، فكيف بعبد لمعبود**) وخلق لخالق، (**فكل هذا بسببه**) نقله صاحب القوت: وقال: فقد دخلت الأموال في الأنفس ودخلت الأنفس تحت الشراء وقد باعوه نفوسهم فما دونها لمحبتهم إياه وقد اشتراها منهم لنفاستها عنده، فعلامة محبته لها اشتراؤها منهم وعلامة شرائها طيها عنهم، فإذا طواها لم يكن عليهم منها بقية هوى في سواه فقد اشتراها.

(**ومنها**): أي ومن علامات المحبة (**أن يكون مشفقاً على جميع عباد الله رحيماً بهم**)

كل من يقارف شيئاً مما يكرهه كما قال الله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] ولا تأخذه لومة لائم ولا يصرفه عن الغضب لله صارف، وبه وصف الله أولياءه إذ قال الذين يكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالشيء ويأوون إلى ذكري كما يأوي النسر إلى وكره، ويغضبون لمحارمي كما يغضب النمر إذا حرد فإنه لا يبالي قل الناس أو كثروا، فانظر إلى هذا المثال فإن الصبي إذا كلف بالشيء لم يفارقه أصلاً، وإن أخذ منه لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه، فإن نام أخذه معه في ثيابه، فإذا انتبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكي ومهما وجده ضحك، ومن نازعه فيه أبغضه ومن أعطاه أحبه. وأما النمر فإنه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أنه

يصافيهم ويوادهم ويحب لهم أكثر مما يحبه لنفسه، لأنه في نفسه راض بما يجري عليه من أحكام ربه فلا يختار لنفسه حالاً من الأحوال وهو يختار للمسلمين أحسن الأحوال وأكمل الحالات، وهذه الحالة إذا وجدها المحب في نفسه يتحقق أن الله تعالى منحه مقام الربانيين المتخلقين بأخلاق الله، (و) يستحب أن يكون (**شديداً على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارف شيئاً مما يكرهه**) على حسب درجاتهم في البعد من الله تعبداً لأمر الله سبحانه مع مشاهدة كمال علم الله وحكمته فيهم، (**كما قال الله تعالى**) في وصف المحبين: (**﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾**) فوصفهم بالشدة على أعداء الله والتراحم فيما بينهم، (و) يتأكد أن (**لا تأخذه في الله لومة لائم**) ولا عذل عاذل (**ولا يصرفه عن الغضب لله صارف وبه وصف الله أولياءه إذ قال: الذين يكلفون بحبي كما يكلف بالشيء ويأوون إلى ذكري كما يأوي النسر إلى وكره، ويغضبون كما يغضب النمر إذا حرد فإنه لا يبالي قل الناس أو كثروا**) هكذا أورده صاحب القوت.

وقد رواه الطبراني: ومن طريقه أبو نعيم في الحلية حدثنا أحمد بن منصور المدائني، حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي، حدثنا عبدالله بن محمد بن عروة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن النبي ﷺ أن موسى عليه السلام قال: يا رب أخبرني بأكرم خلقك عليك. قال: الذي يسرع إلى هواي إسراع النسر إلى هواه، والذي يكلف بعبادي الصالحين كما يكلف الصبي الناس، والذي يغضب إذا انتهكت محارمي غضب النمر لنفسه، فإن النمر إذا غضب لم يبال أقل الناس أو كثروا.

(**فإذا نظر إلى هذا المثال**) وتدبره، (**فإن الصبي إذا كلف بالشيء لم يفارقه أصلاً، وإن أخذ منه لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه فإذا نام أخذه معه في ثيابه فإذا انتبه**) من نومه (**عاد**) إليه (**وتمسك به، ومهما فارقه بكى، ومهما وجده ضحك**) إليه، (**ومن نازعه فيه أبغضه، ومن أعطاه أحبه. وأما النمر فإنه لا يملك نفسه عند الغضب**)

يهلك نفسه. فهذه علامات المحبة، فمن تمت فيه هذه العلامات فقد تمت محبته وخلص حبه فصفا في الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه إذ يمزج شرابه بقدر من شراب المقربين كما قال تعالى في الابرار: ﴿إنَّ الأبرار لَفِي نَعِيمْ﴾ ثم قال: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ★ خِتَامُهُ مِسْكٌ وفي ذلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ★ ومِزاجهُ مَن تَسْنِيم ★ عيناً يشرب بهَا المقربُون﴾ [المطففين: ٢٢ - ٢٨] فإنما طاب شراب الأبرار لشرب الشراب الصرف الذي هو للمقربين. والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان، كما أن الكتاب عبر به عن جميع الأعمال فقال: ﴿إنَّ كتابَ الأبرارِ لفي علّيّين﴾ ثم قال: ﴿يشهَدُه المقرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٨ - ٢١] فكان أمارة علو كتابهم إنه ارتفع إلى حيث يشهده المقربون. وكما أن الأبرار يجدون المزيد في حالهم ومعرفتهم بقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم، فكذلك يكون حالهم في

لنفسه(**حتى يبلغ من شدة غضبه أنه يهلك نفسه**) وذلك أن يغيب الخلق عنه حتى نفسه فلا يعقل ما فعل، فلذلك ضرب الله هذا المثل في قوله: لا يبالي قلّ الناس أو كثروا لحقيقة الإخلاص بغيبته عن مداراة الناس؛ (**فهذه علامات المحبة**) يعني الكلف بالحب والإيواء إلى الذكر والغضب للمحارم، (**فمن تمت فيه هذه العلامات**) المذكورة (**فقد تمت محبته وخلص حبه**) لله تعالى، (**فصفا في الآخرة شرابه وعذب مشربه**) وهو من المقربين ونعيمه في الجنان صرف لأنه كان يعبده لأجله صرفاً. (**ومن امتزج بحبه حب غير الله تنعم في الآخرة بقدر حبه**) وهو من أصحاب اليمين، (**إذ يمزج شرابه بقدر**) ما (**من شراب المقربين كما قال الله تعالى في الأبرار**) أي وصف نعيمهم: (﴿**إن الأبرار لفي نعيم**﴾ **ثم قال:** ﴿**يسقون من رحيق مختوم★ ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾) ثم قال في نعت شراب المقربين: (﴿**ومزاجه**﴾) يعني مزاج شراب الأبرار (﴿**من تسنيم★ عيناً يشرب بها المقربون**﴾) أي يشرب بها المقربون صرفاً ويمزج لأصحاب اليمين، (**فإنما طاب شراب الأبرار لشرب الشراب الصرف الذي هو للمقربين**)، ولفظ القوت: فما طاب شراب الأبرار إلا بمزاج شراب المقربين، (**والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان، كما أن الكتاب عبر به عن جميع الأعمال**) ولفظ القوت: فعبر عن جمل نعيم الجنان بالشراب كما عبّر عن العلوم والأعمال بالكتاب، (**فقال**) في نعت الأبرار مثله: (**إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾ ثم قال:** ﴿**يشهده المقربون**﴾ **فكان إمارة علو كتابهم أنه ارتفع إلى حيث يشهده**) فما حسن عملهم ولا صفت أعمالهم ولا علا كتابهم إلا بشهادة المقربين لما قرب منهم وحضروه، (**وكما أن الأبرار**) في الدنيا يحسن علومهم بعلمهم وترتفع أعمالهم بمشاهدتهم، (**يجدون المزيد في**) نفوسهم و(**حالهم ومعرفتهم يقربهم من المقربين ومشاهدتهم لهم، فكذلك يكون حالهم**) غداً (**في الآخرة**) وقد قال تعالى: (﴿**ما**

الآخرة: ﴿ما خَلْقُكُمْ ولا بَعْثُكُم إلاّ كَنفسٍ واحدةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] ﴿كما بدأنا أوّلَ خَلْق نعيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وكما قال تعالى: ﴿جزاءً وِفاقاً﴾ [النبأ: ٢٦] أي وافق الجزاء أعمالهم فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب. وشوب كل شراب على قدر ما سبق الشوب في حبه وأعماله: ﴿فمن يعمَل مِثقالَ ذرةٍ خيراً يرهُ★ ومَن يعملْ مِثقَالَ ذرةٍ شرًّا يرهُ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨] ﴿وإنَّ الله لا يظلِمُ مثقال ذرةٍ وإن تكُ حسنَةً يضاعِفها﴾ [النساء: ٤٠] ﴿وإن كان مثقالَ حبةٍ من خردلٍ أتيْنَا بها وكفى بنا حاسبين﴾ [الأنبياء: ٤٧] فمن كان حبه في الدنيا رجاءه لنعيم الجنة والحور العين والقصور؛ مكن من الجنة ليتبوّأ منها حيث يشاء فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان؛ فهناك تنتهي لذته في الآخرة لأنه إنما يعطى كل إنسان في المحبة ما تشتهيه نفسه وتلذ عينه. ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه إلا حبه بالإخلاص والصدق؛ أنزل: ﴿في مقعد صِدْقٍ عندَ مليكٍ مقتدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥] فالأبرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحور العين والولدان. والمقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالإضافة إلى ذرة منها فقوم

خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة﴾) وقال تعالى: (**﴿كما بد أنا أول خلق نعيده﴾ وكما قال تعالى: ﴿جزاء وفاقاً﴾ أي وافق الجزاء أعمالهم**) أو وافق أعمالهم جزاءهم، (**فقوبل الخالص بالصرف من الشراب وقوبل المشوب بالمشوب، وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه وأعماله**) قال الله تعالى: (**﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره★ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾و**) قال تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ و) قال تعالى: (**﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها﴾ ﴿وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾**) وقال تعالى: ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ أي يعطيهم غداً كوصفهم في الدنيا ﴿إنه حكيم عليم﴾ [الأنعام: ١٣٩] (**فمن كان حبه في الدنيا**) اليوم (**ورجاؤه لنعيم الجنة**) وطيبات الملك (**وللحور العين والقصور مكن**) غداً (**من الجنة ليتبوأ منها حيث شاء**) وهو أجر العاملين لأجلها، (**فيلعب مع الولدان ويتمتع بالنسوان، فهنالك تنتهي لذته في الآخرة لأنه إنما يعطي كل إنسان في المحبة ما تشتهيه نفسه وتلذ عينه**) فنعم الأجر أجره، (**ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك**) دون الدار والملك، (**ولم يغلب عليه إلاّ حبه بالإخلاص والصدق أنزل**) غداً (**﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾**) وشتان بينهما، (**فالأبرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحور العين والولدان**) وغير ذلك من أنواع النعيم، (**والمقربون ملازمون للحضرة**) على بساط المشاهدة (**عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالإضافة إلى ذرة منها، فهم بقضاء شهوة البطن والفرج**

بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون، وللمجالسة أقوام آخرون. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب» ولما قصرت الأفهام عن درك معنى عليين عظم أمره فقال: ﴿وما أدراكَ ما علّيّون﴾ [المطففين: ١٩] كما قال تعالى: ﴿القارِعَةُ ★ ما القَارِعَةُ ★ وما أدراكَ ما القَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١-٣].

ومنها: أن يكون في حبه خائفاً متضائلاً تحت الهيبة والتعظيم، وقد يظن أن الخوف يضاد الحب وليس كذلك، بل إدراك العظمة يوجب الهيبة كما أن إدراك الجمال يوجب

مشغولون وللمجالسة أقوام آخرون، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب») قال العراقي: رواه البزار من حديث أنس بسند ضعيف مقتصراً على الشطر الأول، وقد تقدم. والشطر الثاني من كلام أحمد بن أبي الحواري، ولعله أدرج فيه انتهى.

قلت: تقدم الكلام فيه، وأن سهلاً التستري فسره فقال: هم الذين ولهت قلوبهم وشغلت بالله عز وجل، **(ولما قصرت الأفهام عن درك معنى عليين عظم)** الله تعالى **(أمره فقال: ﴿وما أدراك ما عليون﴾)** ★ كتاب مرقوم يشهده المقربون﴾ **(كما قال تعالى: ﴿القارعة★ ما القارعة﴾)** وأصله ما هي أي أي شيء هي على التعظيم لشأنها والتهويل لها، فوضع الظاهر موضع المضمر لأنه أهول لها **(﴿وما أدراك ما القارعة﴾)** أي أي شيء هي أعلمك ما هي لأنك لا تعلم كنهها، فإنها أعظم من أن يبلغ دركها أحد، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿الحاقة★ ما الحاقة★ وما أدراك ما الحاقة﴾ [الحاقة: ١ - ٣].

(ومنها): أي من علامات المحبة **(أن يكون في حبه خائفاً)** وجلاً **(متضائلاً)** أي متصاغراً **(تحت الهيبة والتعظيم)**، فشرف العباد كلهم وقربهم من ربهم على قدر تعظيمهم له ومعرفتهم بحقه ليتذللوا ويتصاغروا عبودية له وإجلالاً لعظمته ومهابة وصغاراً لكبريائه، **(وقد يظن أن الخوف يضاد الحب وليس كذلك)**.

وقال صاحب القوت بعد أن فسر أبيات رابعة قدس الله سرها التي ذكرت في المحبة بلزوم خوف التقصير ووجوب الحياء من قلة الوفاء، والخوف لما تعرض به من حبه ما نصه: ومن لم يكن من المحبين كذلك حتى لا يدرك بمحبته ولا يقتضي الجزاء عليها من محبوبه، ولا يوجب على حبيبه شيئاً إلا لأجل محبته فهو مخدوع بالمحبة ومحجوب بالنظر إليها، وإنما ذلك مقام الرجاء الذي ضده الخوف ليس من المحبة في شيء ولا تصح المحبة إلا بخوف المقت في المحبة وقال بعض العارفين: ما عرفه من ظن أنه عرفه ولا أحبه من توهم أنه أحبه.

(بل إدراك العظمة يوجب الهيبة، كما أن إدراك الجمال يوجب الحب)، وتحقيق ذلك يفهم من معنى التعظيم فلنذكره.

اعلم أن التعظيم المعهود هو ما فات البصر إدراكه، والرب تعالى منزه عن إدراك حس تعلو ذاته

الحب. ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة ليست لغيرهم، وبعض مخاوفهم أشد من بعض، فأولها خوف الإعراض وأشد منه خوف الحجاب، وأشد منه خوف الإبعاد وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين إذ سمع قوله تعالى: ﴿أَلا بُعداً لِثَمُود﴾ [هود: ٦٨] ﴿أَلاَ بُعداً لِمَدْيَن كما بعدِت ثمود﴾ [هود: ٩٥] وإنما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذاقه وتنعم به، فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب في القريب، ولا يحن إلى القرب من ألف البعد، ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب، ثم خوف الوقوف وسلب المزيد، فإنا قدمنا أن درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد أن يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه

عن الأجسام والأعراض ومشابهة المحدثات، والتعظيم بطريق الإستعارة والتجوز ما فات البصائر إدراكه، اما لمانع في البصيرة أو في الذات المبصرة، والرب تعالى قد فات الأبصار والبصائر إدراكه على ما هو عليه لا لمانع وضعه الله، إذ يمكن رفع ذلك المانع، ولكن لصفته التي هي حقه وهي قيوميته بنفسه واستغناؤه عن الموجب والموجد والكيف والنظير لا لعلم سبق ولا لحكم قدر، بل لأجل أن عظمته إزاره وكبرياءه رداؤه، ولما كان عظيماً في ذاته، وكان ناظراً لذاته بعين الكبرياء، وكان محتجباً بهذين الوصفين عن عباده وقع الأخبار عنها بالإزار والرداء الحاجبين للابس أن تظهر ذاته، إذ بصفاته احتجبت ذاته عن أن تدرك لا أن بينه وبين العقول العالمة به حجباً إنما الحجب المخلوقة ما تصنعه من الأكنة في قلوب الجهلة، وأما العلماء فما يحتجب عنهم إلا بأنوار صفاته، ولهذا الكلام بقية تقدمت الإشارة إليها في مواضع من هذا الكتاب.

(**ولخصوص المحبين مخاوف في مقام المحبة**) من نسبة أحوالهم (**ليست لغيرهم، وبعض مخاوفهم أشد من بعض**)، ولفظ القوت: وللمحب سبع مخاوف ليست لشيء من أهل المقامات بعضها أشد من بعض، (**فأولها خوف الأعراض، وأشد منه خوف الحجاب، وأشد منه خوف الابعاد**) من حضرة القرب، (**وهذا المعنى من سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين**) ﷺ (**إذ سمع قوله تعالى**) في سورة هود: (**﴿ألا بعداً لثمود﴾ ﴿ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود﴾**) وقال: « شيبتني هود وإخواتها » وقد تقدم الكلام عليه، (**وإنما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذاقه وتنعم به، فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب في القرب ولا يحن إلى القرب من ألف البعد**) بل ولا يعرف البعد من لم يقرب، (**ولا يبكي لخوف البعد من لم يكن من بساط القرب**) ولم يعهده.

(**ثم**) أشد منه (**خوف الوقوف**) عن التحديد (**وسلب المزيد**) وهذا يكون للخصوص في الإظهار والأخبار منهم، فيسلبون المزيد من نوعه إن كان من الآيات، وحقيقة ذلك عقوبة لهم ويكون للعموم عند إيثار الشهوات على أوامر الطاعات، (**فإنا قدمنا أن درجات القرب لا نهاية لها**) كما أن درجات المعرفة لا نهاية لها، (**وحق العبد أن يجتهد في كل نفس حتى يزداد**

قرباً، ولذلك قال رسول الله ﷺ: « من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون » وكذلك قال عليه السلام: « إنه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى أستغفر الله سبعين مرة »، وإنما كان استغفاره من القدم الأول فإنه كان بعداً بالإضافة إلى القدم الثاني، ويكون ذلك عقوبة لهم على الفتور في الطريق والالتفات إلى

فيه قرباً ولذلك قال رسول الله ﷺ: « من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون ») قال العراقي: لا أعلم هذا إلا في منام لعبد العزيز بن أبي رواد قال: رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله أوصني، فقال ذلك بزيادة في آخره رواه البيهقي في الزهد اهـ.

قلت: بل رواه الديلمي من حديث محمد بن سوقة عن الحارث عن علي به مرفوعاً، وسنده ضعيف قاله الحافظ السخاوي في المقاصد، ولفظه: « من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شراً فهو ملعون، ومن لم يكن على الزيادة فهو في النقصان فالموت خير له، ومن اشتاق إلى الجنة سارع في الخيرات ».

قلت: والشطر الأخير هو أول حديث رواه البيهقي وتمام وابن عساكر وابن النجار من حديث علي بزيادة ولفظه: « من اشتاق إلى الجنة سابق إلى الخيرات، ومن أشفق من النار لها عن الشهوات، ومن ترقب الموت صبر عن اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب » وقد تقدم.

(وكذلك قال ﷺ: « إنه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة ») روي ذلك من حديث الأغر بن يسار المزني بلفظ: « إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » رواه أحمد وعبد بن حميد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن حبان والبغوي وابن قانع والباوردي والطبراني.

وأما حديث الإستغفار سبعين مرة، فقد روي من حديث أبي هريرة وأنس وأبي موسى، فلفظ حديث أبي هريرة: « إني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة » رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، وابن السني، وروي عنه أيضاً بلفظ: « إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة ». وروى ابن أبي شيبة وابن ماجه وابن السني، وروي عنه أيضاً بلفظ: « إني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة وأتوب إليه » رواه أحمد.

ولفظ حديث أنس: « إني لأتوب إلى الله سبعين مرة » رواه النسائي وأبو يعلى وابن حبان والضياء، ورواه سمويه والضياء أيضاً بلفظ: « إني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة ».

ولفظ حديث أبي موسى: « إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة » رواه ابن ماجه، ورواه الطبراني بلفظ مائة مرة.

(وإنما كان استغفاره) ﷺ (من القدم الأول فإنه كان بعداً بالإضافة إلى القدم

غير المحبوب، كما روي أن الله تعالى يقول إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي أن أسلبه لذيذ مناجاتي. فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة للعموم، فأما الخصوص فيحجبهم عن المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون إلى ما ظهر من مبادىء اللطف، وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر عن الاحتراز منه إلا ذوو الاقدام الراسخة، ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته سمع ابراهيم بن أدهم قائلاً يقول وهو في سياحته وكان على جبل:

كل شيء منك مغفو ... ر سوى الإعراض عنا
قد وهبنا لك ما فا ... ت فهب ما فات منا

فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوماً وليلة وطرأت عليه أحوال ثم قال: سمعت النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبداً فكنت عبداً واسترحت.

الثاني) وهذا أحد المعاني المذكورة في تفسير الحديث المتقدم، (**ويكون ذلك**) الوقوف وسلب المزيد (**عقوبة لهم على الفتور في الطريق والإلتفات إلى غير المحبوب كما روي**) في الأخبار القدسية (**أن الله تعالى يقول: إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوات الدنيا على طاعتي أن أسلبه لذيذ مناجاتي**) نقله صاحب القوت، وهو في الشعب عن بشر قال: أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام: يا داود إنما خلقت الشهوات واللذات لضعفاء عبادي، فأما الأبطال فما لهم وللشهوات واللذات. يا داود فلا تعلقن قلبك منها بشيء فأدنى ما أعاقبك به أن أسلب حلاوة حبي من قلبك، (**فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم، فأما الخصوص فيحجبهم عن المزيد مجرد الدعوى والعجب والركون إلى ما ظهر من مبادىء اللطف**) ولفظ القوت: وقد يكون عند الدعوى للمحبة ووصف النفس بحقيقتها وإنما معه علمها دون الوجد بها فينقصون معهم ولا يفطنون لذلك، (**وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الإحتراز منه إلا ذوو الأقدام الراسخة**).

(**ثم**) أشد منه (**خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته**) ولفظ القوت: ثم خوف الفوت الذي لا درك له. (**سمع إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى وهو أحد المحبين (**قائلاً يقول وهو في سياحته وكان على جبل:**

كل شيء منك مغفو ... ر سوى الإعراض عنا
قد وهبنا لك ما فا ... ت بقي ما فات منا)

(**فاضطرب**) جسمه (**وغشي عليه فلم يفق يوماً وليلة وطرأت عليه أحوال**) في قصة طويلة كانت له بعد مقامات أقيم فيها، (**ثم نقل عنها إلى هذا**) حتى (**قال**) في آخر ذلك: (**سمعت بالنداء من الجبل: يا إبراهيم كن عبداً فكنت عبداً واسترحت**) نقله صاحب

ثم خوف السلو عنه فإن المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى إلا بلطف جديد ، فإن تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجعته . والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر ، فإن هذه التقلبات لها أسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الإطلاع عليها ، فإذا أراد الله المكر به واستدراجه أخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء ويغتر بحسن النظر أو بغلبة الغفلة أو الهوى أو النسيان ، فكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود الملائكة من العلم والعقل والذكر والبيان ، وكما أن من أوصاف الله تعالى ما يظهر

القوت وقال: معناه لا يملك إلا واحد تكون عبداً له حراً مما سواه ولا تملك شيئاً فإن الأشياء في خزانة مليكها فلا تتملكها فتحجبك عن مالك وتأسرك بمقدار ما ملكتها ، وقد ضرب الله مثلاً بينه وبين خلقه أن رجلين أحدهما فيه شركاء متشاكسون متشاحون عليه من أهل ومال وشهوات كل واحد يجذبه إليه ويريد نصيبه منه ويشغله به ويحب فراغه له ، وآخر سالماً من الشركاء خالصاً من الشرك متوحداً لواحد ، إنهما لا يستويان في قوله: ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجُل هل يستويان مثلاً الحمد لله﴾ على إتقان صنعه وتحسين خلقه ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ [الزمر: ٢٩] أي الأكثر ليسوا علماء لهذا الواحد فتنافسوا في واحدة وسلكوا شاكلة توحيده.

(ثم) أشد منه (**خوف السلو عنه**) وهذا أخوف ما يخافون ، (**فإن المحب يلازمه الشوق والطلب الحثيث فلا يفتر عن طلب المزيد ولا يتسلى إلا بلطف جديد ، فإن تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه أو سبب رجعته**) لأن حب المحبين له كان به لا بهم ومنه لا منهم وهو نعمة عظيمة لا يعرف قدرها ، فكيف يشكر عليها ولا يقوم لها شيء وكذلك سلوهم عنه يكون به كما كان حبهم له به ، (**والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر ، كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر**) فيجد السلو به كما كان يجد الحب ، فتكون قد سلوت عنه وأنت لا تدري كيف سلوت لأنه يدرجك بما يخدعك به من الإستبدال منه بما تدري ، (**فإن هذه التقلبات لها أسباب خفية سماوية ليس في قوة البشر الإطلاع عليها**) فأنت لا تفطن ذلك ، (**وإذا أراد الله المكر به واستدراجه أخفى عنه ما ورد عليه من السلو فيقف مع الرجاء ويغتر بحسن الظن**) الذي كان يعهده منه (**أو تغلبه الغفلة أو الهوى**) والشهوة (**أو النسيان، فكل ذلك من جنود الشيطان**) في الأرض (**التي تغلب**) أضدادها من (**جنود الملائكة**) في السماء (**من العلم والعقل والذكر والبيان**) قال الله تعالى: ﴿فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات﴾ الآية ﴿عزيز﴾ لا يوصل إليه إلا به ﴿حكيم﴾ [البقرة: ٢٠٩] عليكم بالزلل منه إلا أنه يدرج في ذلك استدراجاً بلطائف الحكمة على معهود الحكمة على معهود الأسباب ومألوف المعتاد. (**وكما أن من أوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهي أوصاف اللطف والرحمة**

فيقتضي هيجان الحب وهي أوصاف اللطف والرحمة والحكمة، فمن أوصافه ما يلوح فيورث السلو كأوصاف الجبرية والعزة والاستغناء، وذلك من مقدمات المكر والشقاء والحرمان. ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه إلى حب غيره، وذلك هو المقت والسلو عنه مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبر وانقباضه عن دوام الذكر وملاله لوظائف الأوراد أسباب هذه المعاني ومقدماتها. وظهور هذه الأسباب دليل على النقل عن مقام الحب إلى مقام المقت - نعوذ بالله منه - وملازمة الخوف لهذه الأمور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل صدق الحب، فإن من أحب شيئاً خاف لا محالة فقده فلا يخلو المحب عن خوف إذا كان المحبوب مما يمكن فواته. وقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والإدلال، ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد

والحكمة) فأحببته وأنت لا تدري كيف أحببته لأنه أشهده وصفه به باطلاع القدرة عن حنان الرحمة واللطف فاقتضاك الحب له فوجدت نفسك محباً له؛ **(فمن أوصافه ما يلوح فيورث السلو كأوصاف الجبرية والعزة والإستغناء)** فترجع المحبة كما جاءت فحجبك عنه عن فعل مكروه يبدو لك منه ظهر عن وصف الكبر والجبرية فتجد قلبك سالياً عنه بلا حول ولا قوة منك ولا اجتلاب ولا حيلة، وهذا لا يصفه إلا عارف بدقيق بلائه ولا يحذره إلا خائف من خفي مكره وابتلائه، فإذا سلوت به عنه كان ذلك دليلاً على أنه قد رفضك وإطرحك، كما أنك إذا كنت تحبه إنما أحببته به، **(وذلك من مقدمات المكر)** الذي يحيق بالمكور **(و)** هو درك **(الشقاء والحرمان)** الذي أدرك المغرور، **(ثم)** أشد من هذا كله **(خوف الإستبدال به بانتقال القلب من حبه إلى حب غيره)** وإنما كان أشد لأنه لا ثنوية فيه **(وذلك هو المقت)** وهذا هو حقيقة الإستدراج يقع عن نهاية المقت من المحبوب وغاية البغض منه والبعد، **(والسلو مقدمة هذا المقام، والإعراض والحجاب مقدمة السلو)** أي بداية ذلك كله، **(وضيق الصدر بالبرد وانقباضه عن دوام الذكر وملاله لوظائف الأوراد أسباب هذه المعاني)** المبعدة والمدارج المدرجة إذا قويت وتزايدت أخرجت إلى هذا كله، وإذا تناقضت وبدل بها الصالحات والحسنات أدخلت في مقام المحبة والقربات كما جاء به الخبر: «التائب حبيب الله» كذلك في تدبر الخطاب أن العاكف على هواه مقيت الله، **(وظهور هذه الأسباب)** فيك ووجد هذه الأوصاف منك **(دليل على)** ما غاب عنك من الإستبدال والإسقاط الذي هو **(النقل عن مقام الحب إلى مقام المقت. نعوذ بالله منه، وملازمة الخوف)** من هذه المعاني **(لهذه الأمور وشدة الحذر منها بصفاء المراقبة دليل على صدق الحب)** وعلامة المعرفة بأخلاقه المكونة المقلبة، **(فإن من أحب شيئاً خاف لا محالة فقده فلا يخلو الحب عن خوف إذا كان المحبوب مما يمكن فواته. وقد قال بعض العارفين: من عبدالله تعالى بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط**

والاستيحاش، ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه، فالمحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة، ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف إلا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين، وكان شوب الخوف يسكن قليلاً من سكر الحب، فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر، فإنما الخوف يعد له ويخف وقعه على القلب. فقد روي في بعض

والإدلال، ومن عبده من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والإستيحاش، ومن عبده من طريق المحبة والخوف أحبه الله تعالى فقربه ومكنه وعلمه) نقله صاحب القوت إلا أنه قال: من عرف الله بدل من عبد في المواضع الثلاثة، ثم قال: وليس العجب من خوف المحبين مع ما عرفوا من أخلاقه وحنانه وشهدوا من تعطفه وألطافه ما لم يعرف الخائفون، ثم هم مع حبهم يهابونه وعلى أنسهم به يحبونه، وفي فزعهم منه يشتاقون إليه، وفي بسطه لهم ينقبضون بين يديه، وفي إعزازه لهم يذلون له لأن من قبض فانقبض فليس بعجيب، ولكن من بسط فانقبض فهو العجب، ومن امتهن فذل فلا عجب، ولكن من أعز وأكرم فتواضع وذل فهو عجب، فللمحبين الإنقباض في البسط، وللخائفين الإنقباض في القبض، وللمحبين الذل مع العز والكرامة، وللخائفين الذلة مع الهيبة والمهنة، فهذا يدل على أن معرفة المحبين به أعظم المعارف إذا كانت أوائل أحوالهم المخاوف؛ **(فالمحب لا يخلو عن خوف والخائف لا يخلو عن محبة، ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف إلا يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين)** فكل محب لله خائف منه، وليس كل خائف بمحب يعني محبة المقربين، لأنه لم يذق طعم الحب لأن محبة المسلمين المعترضة لا يقع بها اعتبار في مقامات الخصوص لأنها لا توجد عنها مواجيد الأحوال ولا يعلى بها في مشاهدات الإنتقال لأنها قوت الإيمان منوطة بصحته وموجودة بوجوده، فأشبهت محبتهم معرفتهم بالله تعالى التي عنها توحيدهم أنهم عرفوه بوصف الأزل والقدم والسرمدية والأبدية، وهذا مندرج في اسمين من أسمائه أول وآخر، والعارفون عرفوه بصفات الجبر والقهر والقدرة والمكر، وهذا قد أحكمه في اسمين ظاهر وباطن، وليس هذا من معارف المحبين في شيء والمحبون عرفوه بصفات التجلي ومعاني المعاني ونعوت الأخلاق، وفي هذا سرائر الغيوب ومشاهدات المحبوب. **(وكان شوب الخوف يسكن قليلاً من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر، فإنما الخوف يعدله ويخفف وقعه على القلب)** قال صاحب القوت: والمحبة لا ترفع الهيبة، فلذلك كان كل محب خائفاً لأن المحبوب مهيب والخوف قد يفيض عن المحبة يشغل الخائف بوصله السالف، وهذا كشف الأبرار وهو حجاب المقربين إلا أن المحبين لهم من الخوف قوت، ومن المحبة إتساع والخائفين لهم من الخوف إتساع ومن المحبة قوت، وهذا كما تقول في الرجاء والخوف لأنهما وصفا الإيمان إلا أن الخائف يندرج الرجاء في حاله والراجي ينطوي الخوف في رجائه، كذلك المحب يصير الخوف في عقده ويظهر الحب في وجده والخائف يغيب الحب في عقده ويظهر الخوف في

الأخبار أن بعض الصديقين سأله بعض الابدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرة من معرفته ففعل ذلك، فهام في الجبال وحار عقله وله قلبه وبقي شاخصاً سبعة أيام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء، فسأل له الصديق ربه تعالى فقال: يا رب انقصه من الذرة بعضها، فأوحى الله تعالى إليه إنما أعطيناه جزءاً من مائة ألف جزء من ذرة من المعرفة، وذلك أن مائة ألف عبد سألوني شيئاً من المحبة في الوقت الذي سألني هذا، فأخرت إجابتهم إلى أن شفعت أنت لهذا، فلما أجبتك فيما سألت أعطيتهم كما أعطيته، فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك، فقال: سبحانك يا أحكم الحاكمين انقصه مما أعطيته! فاذهب الله عنه جملة الجزء وبقي معه عشر معشاره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة، فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين وقد قيل في وصف حال العارف:

وجده إن ربي لطيف لما يشاء، هذا الظهور الطرقات ومباني الدرجات إذ كان لا بد من مجموعها في قلب لأنها من شرط الإيمان وحقيقته فتلطف سبحانه لحكمته بقدرته وفي سبق ترتيب المقامات من الله تعالى حكم غريب وحكمة لطيفة لا يعرفها إلا من أعطى يقين شهادتها إن سبق إلى العبد بمقام المحبة كان محباً محبة أصحاب اليمين، ولم تكن له مقامات المحبين المستأنسين ولا المشتاقين في مقام المقربين، وكل هؤلاء موقنون صالحون وإن سبق إلى العبد مقام الخوف كان محباً حب المقربين العارفين هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون، وربما كانت المحبة ثواباً للخوف ومزيداً له، وهذا في مقام العاملين، فمن كانت المحبة مزيدة بعد الخوف كان من المقربين المحبوبين، ومن كان الخوف مزيد محبته فهذا من الأبرار المحبين وهم أصحاب اليمين، (**فقد**) نقل من وصف من أذيق منه ولم يفصح بذكر وصفه أنه (**روي في الأخبار أن بعض الصديقين سأله بعض الأبدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرة من معرفته ففعل فهام في الجبال**) وفي بعض النسخ في الحال وهو لفظ القوت، (**وحار عقله وله قلبه وبقي شاخصاً**) بصره إلى السماء (**سبعة أيام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء، فسأل له الصديق ربه تعالى فقال: يا رب انقصه من الذرة بعضها فأوحى إليه: إنما أعطيناه جزءاً من مائة ألف جزء من ذرة من المعرفة، وذلك أن مائة ألف عبد سألوني شيئاً من المحبة في الوقت الذي سألني هذا فأخرت إجابتهم إلى أن شفعت أنت لهذا، فلما أجبتك فيما سألت أعطيتهم كما أعطيته فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد؛ فهذا ما أصابه من ذلك فقال: سبحانك يا أحكم الحاكمين انقصه مما أعطيته فاذهب الله عنه جملة**) ذلك (**الجزء وبقى معه عشر معاشره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وحبه**) وعلمه (**ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين**)، فهذا النوع من شأن المعرفة وتجلي الوصف بمعنى محبة يليق به لا يسع الخلق ولا يصلح لهم ولا يستقيمون عليه، فلذلك كان طيه أحسن من

قريب الوجد ذو مرمى بعيد عن الاحرار منهم والعبيد
غريب الوصف ذو علم غريب كان فؤاده زبر الحديد
لقد عزت معانيه وجلت عن الابصار إلا للشهيد
يرى الأعياد في الأوقات تجري له في كل يوم ألف عيد
وللأحباب أفراح بعيد ولا يجد السرور له بعيد

وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد أبياتاً يشير بها إلى أسرار أحوال العارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره. وهي هذه الأبيات:

سرت بأناس في الغيوب قلوبهم فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراصاً بقرب الله في ظل قدسه تجول بها أرواحهم وتنقل

نشره لأن العقول تنكره والقلوب تمجه والهمم لا تسر به والقلب لا يجذبه ولا يحبه الله تعالى من العموم، **(وقد قيل في وصف حال العارف)** المحبوب من بحر المتقارب:

(قريب الوجد ذو مرمى بعيد على الأحرار منهم والعبيد
غريب الوصف ذو علم غريب كان فؤاده زبر الحديد
لقد عزت معانيه فغابت عن الأبصار إلا للشهيد
يرى الأعياد في الأوقات تجري له في كل يوم ألف عيد
وللأحباب أفراح بعيدٍ ولا يجد السرور له بعيد)

هكذا أنشد هذه الأبيات صاحب القوت إلا أنه بتقديم البيت الأخير على الذي قبله، وأنشد أيضاً في هذا المقام لبعضهم:

ظهرت لمن أفنيت بعد بقائه فكان بلا كون لأنك كنته
فمنك بدا عز لحب تمازجا بماء وصال كنت أنت وصلته
وابدأت وصفاً بالعلوم مخبرا فشتت قلباً بالعلوم جمعته
وأفردت حباً فيك منك بمشهد بلا علم في العلم حين بسطته
تعززت بالعز المنيع وكل من أشاد إلى عز فأنت خدعته

قال: وذكرت هذه الأبيات لأبي القاسم الجنيد رحمه الله تعالى. **(قال)** صاحب القوت: **(و)** قد **(كان الجنيد)** رحمه الله تعالى **(ينشد أبياتاً يشير بها إلى أسرار أحوال العارفين)** وأوصاف المقربين المحبوبين **(وأن ذلك لا يجوز إظهاره وهي هذه الأبيات)** من بحر الطويل:

(سرت بأناس في الغيوب قلوبهم فحلوا بقرب الماجد المتفضل
عراصاً بقرب الله في ظل قدسه تحول بها أرواحهم وتنقل

مواردهم فيها على العز والنهى ... ومصدرهم عنها لما هو أكمل
تروح بعز مفرد من صفاته ... وفي حلل التوحيد تمشي وترفل
ومن بعد هذا ما تدق صفاته ... وما كتمه أولى لديه وأعدل
سأكتم من علمي به ما يصونه ... وأبذل منه ما أرى الحق يبذل
وأعطي عباد الله منه حقوقهم ... وأمنع منه ما أرى المنع يفضل
على أن للرحمن سراً يصونه ... إلى أهله في السر والصون أجمل

وأمثال هذه المعارف التي إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها، ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء من ذلك لمن لم ينكشف له، بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا، فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا، بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوماً لخربت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الأسواق والمعايش بل لو أكل العلماء الحلال لاشتغلوا بأنفسهم ولوقفت الألسنة والأقدام عن كثير مما انتشر من العلوم،

مواردهم فيها على العز والنهي ... ومصدرهم عنها لما هو أكمل
تروح بعز مفرد من صفاته ... وفي حلل التوحيد تمشي وترفل
ومن بعد هذا ما تدق صفاته ... وما كتمه أولى لديه وأعدل
سأكتم من علمي به ما يصونه ... وأبذل منه ما أرى الحق يبذل
وأعطي عباد الله منه حقوقهم ... وامنع منه ما أرى المنع أفضل
على أن للرحمن سراً يصونه ... إلى أهله في السر والصون أجمل)

هكذا أنشد هذه الأبيات للجنيد صاحب القوت.

(وأمثال هذه المعارف التي إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء منها لمن لم ينكشف له شيء منها، بل لو اشترك الناس فيها لخربت الدنيا) واختل نظامها، **(فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا، بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوماً لخرجت الدنيا لزهدهم فيها وبطلت الأسواق والمعايش)** ولفظ القوت: ومثل هذا المقام في الأحوال مثل أكل الحلال في المأكول لا يريد الله تعالى أن يطعمه الكل لعمارة الدار، لأن الأمة كلها لو أكلوا حلالاً أربعين يوماً خرجت الأسواق لزهدهم فليس ذلك من الحكمة، **(بل لو أكل العلماء الحلال اشتغلوا بأنفسهم ولوقفت الألسنة والأقلام عن كثير مما انتشر من العلوم)** ولفظ القوت: ولو أن العلماء كلهم أكلوا حلالاً لم نسمع من هذه العلوم التي نسمعها شيئاً لشغلهم بنفوسهم وإعراضهم عن أصحابهم، ففي ترك ذلك حكمة

ولكن لله تعالى فيما هو شر في الظاهر أسرار وحكم، كما أن لـه في الخير أسراراً وحكماً، ولا منتهى لحكمته كما لا غاية لقدرته.

ومنها: كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من إظهار الوجد والمحبة تعظيماً للمحبوب وإجلالاً له وهيبة منه وغيرة على سره، فإن الحب سر من أسرار الحبيب ولأنه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه في العقبى وتتعجل عليه البلوى في الدنيا. نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله فيظهر عليه حبه، فإن وقع ذلك عن

حسنة ورحمة واسعة، (**ولكن لله تعالى فيما هو شر في الظاهر**) حسبما يبدو لنا (**أسرار وحكم كما أن لنا في الخير أسراراً وحكماً ولا منتهى لحكمته كما لا نهاية لقدرته**)، وذكر صاحب القوت بعد أن أورد المقامات السبعة للمحبين في الخوف ما نصه: فالخوف من هذه المعاني علامة المعرفة بأخلاقه المكونة المقلبة ولا يصلح شرح هذه المقامات في كتاب ولا تفصيلها برسم خطاب إنما يشرح في قلب بيقينه قد شرح ويفصل لعبد من نفسه قد فصل، فأما قلب مشترك وعبد في هواه مرتبك فليس لذلك أهلاً والله المستعان. قال: وثم خوف ثامن عن شهادة حب عال يقرب اسمه ويلتبس ويخفي وصفه لقلة اشتهاره في الأسماع فيجمل أنسه لأنه خوف عن مقام له إسم من المحبة يتشنع على كثير من سامعيه فينكروه ويتشنج في أوهام غير مشاهديه فيمثلوه بالخلق، فإن ذكرنا خوفه تم على ذكر مقامه فظهر بإظهاره، فكان طيه أفضل من نشره إلى أن يسأل عنه من ابتلى به ثم صدر عنه بعد أن شرب منه لأن مقامات المحبة كلها إلى جنب مقامه كنهر أضيف إلى بحر مثله كمثل مشاهدات اليقين كلها إلى جنب شهادة التوحيد بالتوحيد، وهو وصف من المحبة يقرب لأنه من شوق الحبيب إلى المحب، وهو من معنى قول رابعة رحمها الله تعالى أحب الهوى، ومن معنى قول عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: إن ربك يسارع إلى هواك.

(**ومنها**) أي ومن علامات المحبة (**كتمان الحب**) للغيرة والستر لنفيس الذخيرة (**واجتناب الدعوى**) فإنها كما قالوا فضيحة ولو كانت نصيحة (**والتوقي من إظهار الوجد والمحبة تعظيماً للمحبوب وإجلالاً له وهيبة منه وغيرة على سره، فإن الحب سر من أسرار الحبيب ولأنه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حدّ المعنى ويزيد عليه، فيكون ذلك من الإفتراء وتعظم العقوبة عليه في العقبي وتتعجل عليه البلوى في الدنيا**) وقد قرن الله الدعوى بفرية الكذب لأنها كذب القلب بمنزلة كذب اللسان في قوله: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوحَ إليه شيء﴾ [العنكبوت: ٦٨] ونهى عنها كنهيه عن التولي عنه في قوله: ﴿ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ★ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ [الأنفال: ٢٠، ٢١] (**نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله**

غير تمحل أو اكتساب فهو معذور لأنه مقهور . وربما تشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه ، فالقادر على الكتمان يقول :

وقالوا قريب ، قلت : ما أنا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري
فما لي منه غير ذكر بخاطر يهيج نار الحب والشوق في صدري !

والعاجز عنه يقول :

يخفى فيبدي الدمع أسراره ويظهر الوجد عليه النفس

فيظهر عليه حبه ، فإن وقع ذلك منه من غير تمحل) أي تكلف **(أو اكتساب فإنه معذور لأنه مقهور) .**

قال بعض المحبين : ورد عليّ حال من التعظيم أخرسني عن الكلام والتفهم بما لا أصفه صفة من الإجلال والعظمة ، فحكم عليّ فلما تحكم وملكني فلم أتملك ولم أتكلم فلو شيء من حق الله تعالى كان إليَّ وقدرت عليه لم آذن لأحد من أهل السموات والأرضين من ملك مقرب ولا نبي مرسل أن يقول الله إذ كل قائل فيما قول ، وكل قريب من حيث قرب ، وكل عارف فيما عرف ، وكل الكل محجوب عن كنه القرب وعن حقيقة التوحيد ومن عظمة التعظيم ، فلن يستطيع أحد أن يقول الله فمكثت سنة لا أتكلم وسمعت رجفان قلبي في صدري وزواله عن مستقره إلى نحري . ويحك أما سمعته يقول : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ [الأنفال : ٢] فهذا وجل القلوب من ذكر غافل سمعوه ، فكيف بذكر ذاكر ذكروه ، فما قال التوحيد إلا الواحد ، وما قال الله إلا الله ، ثم ذكر الباقي ، فهذا الذي حال في مقام بعينه بمشاهدة عين من عظمته منفرد المنفرد وقرب عن وصف قريب متحد بموحد والتوحيد والتفريد وراء ، هذا والإتحاد والأحدية والإنفراد والوحدانية فوق ذلك والآحاد والإفراد المفردون بما أفردوا وما وحدوا بما وحدوا الذاكرون بذكره الذي به ذكروا ، والمسبحون بسبحانه التي بها سبحوا هم حجاب هذا المقام وخزان هذا المعنى كشفهم لهذا السر وهو منهم كفر ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [يوسف : ٢١] فوقفوا مع الأمر لغلبة القهر وسكنوا لأجل الحمد فرسموا له الحد ، وإليه أشار المصنف بقوله :

(وربما تشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه ، فالقادر على الكتمان يقول :

وقالوا قريب قلت ما أنا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان حجري
فمالي منه غير ذكر بخاطر يهيج نار الحب والشوق في صدري

والعاجز عنه يقول :

يخفي فيبدي الدمع أسراره ويظهر الوجد عليه النفس)

وذلك أن العبد إذا قهرته الأحوال وعلت على قلبه وأحس من نفسه العجز عن حملها تنفس

ويقول أيضاً:

ومن قلبه مع غيره كيف حالـه ومن سره في جفنه كيـف يكتم؟

وقد قال بعض العارفين: أكثر الناس من الله بعداً أكثرهم إشارة به، كأنه أراد: من يكثر التعريض به في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل. ودخل ذو النون المصري على بعض إخوانه ـ ممن كان يذكر المحبة ـ فرآه مبتلى ببلاء فقال: لا يحبه من وجد ألم ضره! فقال الرجل: لكني أقول لا يحبه من لم يتنعم بضره، فقال ذو النون: ولكني أقول: لا يحبه من شهر نفسه بحبه، فقال الرجل: أستغفر الله وأتوب إليه.

فإن قلت: المحبة منتهى المقامات وإظهارها للخير فلماذا يستنكر؟

فاعلم أن المحبة محمودة وظهورها محمود أيضاً، وإنما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والاستكبار، وحق المحب أن يتم على حبه الخفي أفعالـه وأحـواله دون أقـواله

إما صعداء وإما تنغص بما هو فيه بكلام أو إشارة لأنه ما دام حياً لا بد أن يتروح بدخول النفس وخروجه، وناهيك بهذه الحالة فإنها حالة أهل الجنة إذ جاء في الخبر: «إن الذكر يجري منهم مجرى النفس». (**ويقول أيضاً**:

ومن قلبه مـع غيره كيـف حـالـه ومن سره في جفنـه كيـف يكتمُ؟

وقد قال بعض العارفين) من المحبين: (**أكثر الناس من الله عز وجل بعداً أكثرهم إشارة به كأنه أراد**) أن (**من يكثر التعريض به في كل شيء ويكثر التصنع بذكره عند كل أحد فهو ممقوت عند المحبين والعلماء بالله عز وجل**) لنقص مقامه في المحبة (**ودخل ذو النون المصري**) رحمه الله تعالى (**على بعض إخوانه ممن كان يذكر المحبة**) ويشير إليها ويتعرض لها بالإشارة والعبارة (**فرآه مبتلى ببلاء، فقال**) ذو النون: (**لا يحبه من وجد ألم ضره**) كأنه رآه مضطرباً من ذلك البلاء، (**فقال الرجل: لكني أقول لا يحبه من لم يتنعم بضره**) كأنه أشار إلى أنه غير مضطرب باطناً، (**فقال ذو النون: ولكني أقول لا يحبه من شهر نفسه، فقال الرجل**) لما سمع ذلك منه: (**استغفر الله وأتوب إليه**) فقد أرشده إلى كتمان الحب وعدم افشائه.

(**فإن قلت: المحبة منتهى المقامات**) وبها تكمل المقامات (**وإظهارها إظهار للخير، فلماذا يستنكر**) ويؤمر بالكتمان؟

(**فاعلم أن المحبة محمودة وظهورها محمود أيضاً، وإنما المذموم التظاهر بها لما يدخل فيها من الدعوى والإستكبار**) على الإخوان، (**وحق المحب**) الصادق (**أن يتم على حبه الخفي**)

وأفعاله. وينبغي أن يظهر حبه من غير قصد منه إلى إظهار الحب ولا إلى إظهار الفعل الدال على الحب، بل ينبغي أن يكون قصد الحب إطلاع الحبيب فقط، فإما إرادته اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه، كما ورد في الإنجيل: إذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك، فالذي يرى الخفيات يجزيك علانية وإذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير ربك. فإظهار القول والفعل كله مذموم إلا إذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الأعضاء فلا يلام فيه صاحبه.

حكي أن رجلاً رأى من بعض المجانين ما استجله فيه فأخبر بذلك معروفاً الكرخي رحمه الله فتبسم ثم قال: يا أخي له محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين! فهذا الذي رأيته من مجانينهم. ومما يكره: التظاهر بالحب، بسببه أن المحب ان كان عارفاً وعرف أحوال الملائكة في حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذي به يسبحون الليل والنهار لا

في صدره (**أفعاله وأحواله دون أقواله**) بصريح العبارات والإشارات، فإنها لا تخلو من الدعاوى (**وأفعاله ينبغي أن يظهر حبه من غير قصد منه إلى إظهار الحب**) المكتوم (**ولا إلى إظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي أن يكون قصد المحب إطلاع الحبيب فقط فأما إرادته إطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه، كما ورد في الإنجيل: إذا تصدقت فتصدق بحيث لا تعلم شمالك ما صنعت يمينك. فالذي يرى الخفيات يجزيك به علانية، وإذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير ربك**). روى أحمد في الزهد عن هلال بن يساف قال: كان عيسى عليه السلام يقول: إذا تصدق أحدكم بيمينه فليخفها عن شماله، وإذا صلى فليدن عليه ستر بابه، فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق. وروى عبدالله بن أحمد في زيادات الزهد من طريق مسروق عن ابن مسعود قال: إذا أصبح أحدكم صائماً، أو قال إذا كان أحدكم صائماً فليترجل، وإذا تصدق صدقة بيمينه فليخفها عن شماله، وإذا صلى صلاة أو صام تطوعاً فليصلها في داخله وقد تقدم. (**فإظهار الفعل والقول كله مذموم إلا إذا غلب عليه سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الأعضاء فلا يلام فيه صاحبه**) فإنه مقهور عليه.

(**حكي أن رجلاً رأى من بعض المجانين ما استجهله فيه**) أي عدّه جهلاً وجنوناً (**فأخبر بذلك معروفاً الكرخي رحمه الله تعالى فتبسم**) معروف (**ثم قال: يا أخي محبون صغار وكبار وعقلاء ومجانين: فهذا الذي رأيته من مجانينهم**) فلم يخرجه من حد المحبة إذ طاش عقله من سكره وتكلم بما يعيب عليه سامعه، فالأولى الأدب معهم ولا يقيس حالهم بسواهم كما أرشد إليه معروف رحمه الله تعالى، (**ومما يكره التظاهر بالحب بسببه أن المحب إن كان عارفاً**) بالله تعالى ولا بد أن يكون كذلك، فإن المحبة ثمرة المعرفة، (**وعرف أحوال**

يفترون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لاستنكف من نفسه ومن إظهار حبه وعلم قطعاً أنه من أخس المحبين في مملكته وأن حبه أنقص من حب كل محب لله. قال بعض المكاشفيـن من المحبين: عبدت الله تعالى ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت أن لي عند الله شيئاً، فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات في قصة طويلة قال في آخرها: فبلغت صفاً من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء، فقلت: من أنتم؟ فقالوا: نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلاثمائة ألف سنة ما خطر على قلوبنا قط سواه ولا ذكرنا غيره، قال: فاستحييت من أعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفاً عنه في جهنم.

فإذا من عرف نفسه وعرف ربه واستحيا منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى. نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته وإقدامه وإحجامه وتردداته، كما حكي عن الجنيد أنه قال: مرض استاذنا السري رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء ولا عرفنا لها سبباً، فوصف لنا طبيب حاذق. فأخذنا قارورة مائه فنظر إليها الطبيب وجعل ينظر إليه ملياً ثم قال لي: أراه بول عاشق قال الجنيد: فصعقت وغشي علي ووقعت القارورة

الملائكة) عليهم السلام **(في حبهم الدائم وشوقهم اللازم الذي به يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون لاستنكف من نفسه ومن إظهار حبه وعلم قطعاً أنه أخس المحبين في مملكته)** وأقلهم، **(وأن حبه أنقص من حب كل محب لله تعالى)**، ومن ذلك **(قال بعض المكاشفين من المحبين: عبدت الله ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح)** أي من الذكر والمراقبة والأعمال الظاهرة **(على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت أن لي عند الله شيئاً)** أي مقاماً مقرباً بسبب تلك الطاعات، **(فذكر أشياء مـن مكاشفات آيات السموات)** أي آيات ملكوتها **(في قصة طويلة قال في آخرها: فبلغت صفاً من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شيء فقلت: من أنتم؟ فقالوا: نحن المحبون لله عز وجل نعبده ههنا منذ ثلاثمائة ألف سنة ما خطر على قلوبنا سواه ولا ذكرنا غيره. قال: فاستحييت من أعمالي)** واستحقرتها بجنب أعمالهم **(فوهبتها لمن حق عليـه الوعيـد)** أي كلمـة العذاب **(تخفيفاً عنهم في جهنم، فإذا من عرف نفسه وعرف ربه واستحيا منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى)** فلا يدعي لنفسه مقاماً ولا حالاً. **(نعم يشهد على حبه حركاته وسكناته وإقدامه وإحجامه وتردداته، كما حكي عن الجنيد)** قدس سره **(أنه قال: مرض استاذنا السري)** السقطي **(رحمه الله تعالى فلم نجد لعلته دواء ولا عرفنا لها سبباً)** حتى نهتدي به إلى الدواء **(فوصف لنا طبيب حاذق)** أي ماهر في صنعته، **(فأخذنا)** إليه **(قارورة مائه فنظر إليه الطبيب وجعل ينظر ملياً ثم قال لي: أراه بول عاشق)** قد فتت

من يدي، ثم رجعت إلى السري فأخبرته، فتبسم ثم قال: **قاتله الله ما أبصره! قلت: يا** أستاذ وتبين المحبة في البول! قال: نعم. وقد قال السري مرة: **لو شئت أقول: ما أيبس** جلدي على عظمي ولا سل جسمي إلا حبه! ثم غشي عليه. وتدل الغشية على أنه **أفصح** في غلبة الوجد ومقدمات الغشية. فهذه مجامع علامات الحب وثمراته.

ومنها: الأنس والرضا ـ كما سيأتي ـ.

كبده، (**قال الجنيد: فصعقت وغشي علي**) من سماع ذلك القول، (**ووقعت القارورة من يدي ثم رجعت إلى السري فأخبرته فتبسم ثم قال: قاتله الله ما أبصره. قلت: يا أستاذ وتتبين المحبة في البول؟ قال: نعم**) لأن الشوق والعشق يؤثران في الكبد فيفتتانه فينزل الماء أبيض صافياً براقاً، ومن هنا قال الجنيد: قال رجل للسري: كيف أنت؟ فأنشد يقول:

ومن لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكبادِ

قال: ودفع إلي السري رقعة مرة وقال: احفظ هذه الرقعة فإذا فيها:

ولما شكوت الحب قالت كذبتني فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا
فما الحب حتى يلصق الجنب بالحشا وتذبل حتى لا تجيب المناديا
وتنحل حتى لا يبقى لك في الهوى سوى مقلة تبكي بها وتناديا

(**وقد قال السري مرة: ولو شئت أقول ما أيبس جلدي على عظمي ولا سل جسمي إلا حبه ثم غشي عليه**) ولفظ البيهقي في الشعب عن الجنيد قال: سمعت السري يقول: وقد كلمته يوماً بشيء من المحبة فضرب يده إلى جلدة ذراعه فمدها، ثم قال: والله إن قلت إن هذا جف على هذا من محبة الله لصدقت، ثم أغمي عليه ثم تورد وجهه حتى صار مثل القمر، (**وتدل الغشية على أنه أفصح في غلبة الوجد ومقدمات الغشية**) وإن كان مقهوراً؛ (**فهذه أربع مجامع: علامات الحب وثمراته**).

(**ومنها: الأنس والرضا كما سيأتي**) قريباً وحاصله: أن يكون المحب مستأنساً راضياً بقضاء الله، وكلما كان أحب كان أرضى، فأول درجات الرضا الداخلة تحت التكليف أن يكره المصيبة بطبعه ويرضى بفعله. والثانية: أن يرضى بطبعه وعقله من غير سرور، والثالثة: سروره بما يجري موافقة لمحبة الله فيما أبدع وحكم. والرابعة: أن لا يحس بما يجري عليه لفناء صفاته في صفات محبوبه وهذه أشرفها وأعزها وقوعاً، فهذه عشر علامات أوردها المصنف وهي على عدد معاني المحبة العشرة التي ذكرها الحليمي في شعب الإيمان حيث قال: محبة الله تبارك وتعالى إسم لمعان كثيرة.

أحدها: اعتقاد أنه تعالى محمود من كل وجه لا شيء من صفاته إلا وهو مدحة له.

والثاني: اعتقاد أنه محسن لعباده منعم مفضل عليهم.

والثالث: اعتقاد أن الإحسان الواقع منه أجل وأكثر من أن يحصيه قول العبد وعمله وإن كثر شكره.

والرابع: أن لا تبقيته يستقل العبد قضاياه ولا يستكثر تكاليفه.

والخامس: أن يكون في عامة الأوقات مشفقاً وجلاً من إعراضه عنه وشكر معرفته التي أكرمه بها وتوحيده الذي حلاه وزينه به.

والسادس: أن تكون آماله معقوده به لا يراه في حال من الأحوال أنه غني عنه.

والسابع: أن يحمله تمكن هذه المعاني في قلبه على أن يديم ذكره بأحسن ما يقدر عليه.

والثامن: أنه يحرص على أداء فرائضه والتقرب إليه في نوافل الخير وما يطيقه.

والتاسع: أنه إن سمع من أحد ثناء عليه وعرف منه تقرباً إليه وجهاداً في سبيله سراً وعلانية مالأه ووالاه.

والعاشر: أنه سمع من أحد ذكراً له بما يجله عنه أو عرف منه غياً عن سبيله سراً وعلانية ناداه، فإذا اجتمعت هذه المعاني في قلب أحد اجتماعها هو المشار إليه باسم محبة الله تعالى وهي إن لم تذكر مجتمعة في موضع، فقد جاءت متفرقة من النبي ﷺ فمن دونه انتهى.

وقد بقيت للمحبة دلائل وعلامات لم يذكرها المصنف صراحة، وإن كان بعض منها مذكوراً ضمناً، فمن ذلك تقديم أمور الآخرة في كل ما يقرب من الحبيب على أمور الدنيا من كل ما تهوى النفس.

ومنها: المبادرة بأوامر المحبوب ونواهيه قبل عاجل حظوظ النفس.

ومنها: التعزز على أبناء الدنيا المؤثرين لها كما قيل لابن المبارك: ما التواضع؟ قال: التكبر على المتكبرين وقال علي رضي الله عنه لفتح الموصلي في منام رآه: أحسن تواضع الأغنياء للفقراء رجاء ثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله.

ومنها: المجاهدة في طريق المحبوب بالمال والنفس ليقرب منه ويبلغ مرضاته ويقطع كل قاطع يقطعه عنه بالمسارعة إلى قربه، كما قال تعالى مخبراً عن محبه ﴿وعجلت إليك رب لترضي﴾ [طه: ٨٤] وكما أمر حبيبه ﷺ في قوله تعالى: ﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾ [المزمل: ٨] أي انقطع إليه انقطاعاً عما سواه بالإخلاص له أو اقطع كل قاطع حتى تصل إليه؛ فهذان من أدل الدليل على المحبة.

ومنها: ان لا يخاف في حبه لومة لائم من الخلق لأنه على محبته على السلوك إليه بشبق النفس

....

وهجر الدار ورفض المال، ولا يرجو في محبته مدح مادح ولا يرغب في ثناء العباد بإيثاره على الأهل والمال والدار.

ومنها: رؤية البلاء منه نعمة كما قال قائلهم:

فلو قطعتني في الحب إرباً ... لما حنّ الفؤاد إلى سواك

ومنها: موافقة الحبيب فيما أحب حباً له كما قال عمر لصهيب: رحم الله صهيباً لو لم يخف الله لم يعصه. أي أن محبته له تمنع من مخالفته من غير خيفة فهو يطيعه حباً له، وكان صهيب يقول: إنه لا يستحرجه غيره يعني من معاني الصفات والأفعال المرجوّة.

ومنها: وجود الروح بالشكوى إليه والإستراحة إلى علمه به وحده وإخلاص المعاملة لوجهه وحسن الأدب فيها، وهو الإخفاء لها وكتم ما يحكم به من الضيق والشدائد وإظهار ما ينعم من الألطاف والفوائد وكثرة الشكر في نعمائه وخفي ألطافه وغرائب صنعته وعجائب قدرته وحسن الثناء عليه في كل حال، ونشر الآلاء منه والافضال والصبر على بلائه لأنه قد صار من أهله وأوليائه، وقد يعسف بأوليائه ويعنف بأحبائه لتمكنه منهم ومكانتهم عنده، ولعلمه أنهم لا يريدون به بدلاً ولا يبغون عنه حولاً، إذ ليس لهم بغية في سواه ولا لهم همة إلا إياه، وقال بعضهم في هذا المقام:

يا بلائي ويابلاء البلاء ... أنت دائي فكيف أكره دائي

وقال آخر في معناه:

لا تطلبن شفاء عند غيرهم ... فلا يجيبك إلا من توفاك

وقال المحب في معناه:

إن شئت جودي وإما شئت فامتنع ... كلاهما منك منسوب إلى الكرم

فأنت عندي وإن أورثتني سقماً ... أحب من غيرك يشفي من السقم

ومنها: المسارعة إلى ما ندب إليه من أنواع البر بوجد الحلاوة وشرح الصدر ودوام التشكي والحنين إليه، وسبق النظر إلى الخالق في كل شيء وسرعة الرجوع إليه بكل شيء.

ومنها: التناصح بالحق والتواصي به والصبر على ذلك.

ومنها: أن لا يطلب بخدمته سواه وأن يجتمع في محبته وهواه فلا يهوى إلا ما فيه رضا المولى ولا يقضي عليه مولاه إلا بما يهوى. قال بعضهم: إذا رأيته يوحشك من خلقه، فاعلم أنه يريد أن يؤنسك به. وفي أخبار موسى عليه السلام: إذا رأيت التقي مشغولاً في طلب الرب فقد ألهاه عما سواه، وكان الجنيد رحمه الله تعالى يقول: من علامة المحب في المكاره والأسقام هيجان المحبة وذكرها عند نزول البلاء إذ هو لطف من مولاه، وقيل: القربة إلى محبوبه وقلة التأذي بكل بلاء يصيبه لغلبة الحب على قلبه، وقد كان بعض المحبين يقول: أصفى ما أكون ذكراً إذا كنت محموماً.

وبالجملة؛ جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق ثمرة الحب، وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو من رذائل الأخلاق. نعم قد يحب الله لاحسانه إليه وقد يحبه لجلاله وجماله وإن لم يحسن إليه. والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين، ولذلك قال الجنيد: الناس في محبة الله تعالى عام وخاص، فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام إحسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا أن أرضوه إلا أنهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والإحسان، فأما الخاصة فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك. ولما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى لم يمتنعوا أن أحبوه إذ استحق عندهم المحبة بذلك لأنه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم، نعم من الناس من يحب هواه. وعدو الله إبليس ـ وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل ـ فيظن أنه محب لله عز وجل وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات، أو يلبس به نفاقاً ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك، كعلماء السوء وقراء السوء أولئك بغضاء الله في

وبالجملة: جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع للهوى وهو من رذائل الأخلاق. نعم قد يحب الله لإحسانه إليه وقد يحبه لجلاله وجماله، وإن لم يحسن إليه، والمحبون لا يخرجون عن هذين القسمين)، والقسم الثاني أفضل وأعلى لتعلقها بالذات والصفات من كلا طرفيها وهو السلب والإثبات وما قبلها، وهو القسم الأول متعلقه بالله من حيث قدرته على الإنعام والإحسان، ففيها شغل عن الله، والمحبة الناشئة عن الجمال والجلال من أشرف نعم الله على العباد لأنها تعريف له بما هو به وتقريب منه إلا أن المقصود يصير كامناً تحت أشعة الأفضل إذا امتلأ القلب بالأفضل ويكون الحكم والجزاء للغالب، (ولذلك قال الجنيد) قدس سره: (الناس في محبة الله تعالى عام وخاص، فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام إحسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا أن أرضوه إلا أنهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والإحسان) لأن الإحسان يزيد وينقص. (فأما الخاصة؛ فنالوا المحبة بعظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك، فلما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى) وتخلقوا بها قدر طاقتهم (لم يمتنعوا أن أحبوه إذ استحق عندهم المحبة بذلك لأنه أهل لها ولو أزال عنهم جميع النعم) وإليه يشير قول رابعة رحمها الله تعالى.

وحب لأنك أهل لذاك

(نعم من الناس من يحب هواه وعدوّ الله إبليس وهو مع ذلك يلبس على نفسه بحكم الغرور والجهل، فيظن أنه محب لله عز وجل وهو الذي فقدت فيه هذه العلامات) التي ذكرت (أو يلبس بها نفاقاً ورياء وسمعة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف ذلك كالعلماء السوء والقراء السوء) الذين يأكلون الدنيا بالدين، (أولئك بغضاء الله

أرضه، وكان سهل إذا تكلم مع إنسان قال: يا دوست ـ أي يا حبيب ـ فقيل له: قد لا يكون حبيباً فكيف تقول هذا؟ فقال في اذن القائل سراً: لا يخلو إما أن يكون مؤمناً أو منافقاً. فإن كان مؤمناً فهو حبيب الله عز وجل، وإن كان منافقاً فهو حبيب إبليس، وقد قال أبو تراب النخشبي في علامات المحبة أبياتاً:

لا تخدعن فللحبيب دلائل ... ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه ... وسروره في كل ما هو فاعلُ
فالمنع منه عطية مقبولة ... والفقر إكرام وبر عاجلُ
ومن الدلائل أن ترى من عزمه ... طوع الحبيب وأن ألح العاذلُ
ومن الدلائل أن يرى متبسماً ... والقلب فيه من الحبيب بلابلُ
ومن الدلائل أن يرى متفهماً ... لكلام من يحظى لديه السائلُ

في أرضه) فهم عن محبة الله بمعزل، (وكان سهل) التستري رحمه الله تعالى (إذا تكلم مع إنسان قال: يا دوست) بضم الدال المهملة وسكون الواو والسين المهلمة والتاء فارسية. (أي يا حبيب) من ذلك عوتب مرة في العلة التي كانت به، وكان يداوي الناس منها ولا يداوي نفسه فقيل له في ذلك فقال: يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع كما نقله صاحب القوت، (فقيل له: قد لا يكون حبيباً فكيف تقول هذا) أي كيف تقول لكل من تخاطبه بهذا اللفظ وقد لا يكون بعضهم ممن يتصف بالمحبة؟ (فقال في أذن القائل سراً): هذا الذي أقول له يا دوست (لا يخلو إما أن يكون مؤمناً أو منافقاً) يكتم إيمانه، (فإن كان مؤمناً فهو حبيب الله عز وجل، وإن كان منافقاً فهو حبيب إبليس) فهو على كل حال يصح أن يطلق عليه هذا اللفظ، وهذا نظير ما كان يقول لنا شيخنا المرحوم القطب السيد عبدالله بن إبراهيم الحسيني نزيل الطائف قدس سره في معنى قوله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين أي الثواب والعقاب، إذ كل منهما صالح أما للثواب فله منه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وأما للعقاب فله منه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت. (وقال أبو تراب) عسكر بن حصين (النخشبي) رحمه الله تعالى (في علامات المحبة) ودلائلها الخاصة (أبياتاً وهي هذه) من مشطور الرجز:

(لا تخدعن فللحبيب دلائل ... ولديه من تحف الحبيب رسائل
منها تنعمه بمر بلائه ... وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة ... والفقر إكرام وبر عاجل
ومن الدلائل أن يرى في غرمه ... طوع الحبيب وإن ألح العاذل
ومن الدلائل أن يرى متبسماً ... والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل أن يرى متفهماً ... لكلام من يحظى لديه السائل

ومن الدلائل أن يـرى متقشفـاً متحفظاً من كل ما هـو قـاتـلُ

وقال يحيي بن معاذ :

ومن الدلائـل أن تـراه مشمـراً في خرقتين على شطوط الساحـل
ومن الدلائل حزنــه ونحيبــه جوف الظلام فما له من عـاذل
ومن الدلائل أن تراه مسـافـراً نحو الجهاد وكل فعل فـاضـل
ومن الدلائـل زهـده فيما يـرى مـــن دار ذل والنعيم الزائـــل
ومن الدلائـل أن تـراه بـاكيـاً أن قـد رآه على قبيـح فعـائـل
ومـن الدلائـل أن تـــراه مسلماً كل الأمور إلى المليـك العـادل
ومن الدلائـل أن تـراه راضيـاً بمليكـه في كـل حكـم نـــازل
ومن الدلائل ضحكـه بين الورى والقلب محزون كقلب الشـاكـل

ومـن الدلائـل أن يـرى متقشفـاً متحفظاً من كل ما هـو قـائـل)

(**وقال يحيي بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالى في هذا المعنى إلا أنه خفض القافية :

(ومن الدلائـل أن تـراه مشمـراً في خرقتين على شطوط السـاحـل
ومـن الدلائـل حـزنــه ونحيبـه جـوف الظلام فما لـه مـن عـاذل
ومن الدلائـل أن تـراه مسـافـراً نحو الجهـاد وكـل فعـل فـاضـل
ومـن الدلائـل زهـده فيما يـرى مـــن دار ذل والنعيم الزائـــل
ومـن الدلائـل أن تـراه بـاكيـاً أن قـد رآه على قبيـح فـاعمـل
ومـــن الدلائـــل أن تـــراه مسلماً كـل الأمـور إلى المليـك العـادل
ومـن الدلائل أن تـراه راضيـاً بمليكـه في كـــل حكـم نـــازل
ومن الدلائـل ضحكـه بين الورى والقلب محزون كقلب الشـاكـل)

وقد ذيلت على هذه الأبيات عند تشطيري لها زدت فيها ذكر بعض العلامات التي أشرت إليها آنفاً فقلت :

ومن الدلائـــل خـوفـه مـن حجبـه وبعاده وعن السلو الحاصل
ومـن الدلائـل أن تـراه عـابـداً حباً لـه مـن غير خـوف حـائـل
ومـــن الدلائـــل أن تـــراه آنســـاً بـــوليـه المولى وليس بغـــافـــل
ومـن الدلائـل أن تـــراه مبـادراً لأوامـر المحبـوب قبـل العـاجـل
ومـن الدلائـل أن تـــراه جـامعـاً كـــل الهمـــوم لهم يـــوم آجـــل
ومـن الدلائـل أن تـراه مـــوافقـاً لمحـــاب مولاه بغير تغـــافـــل
ومـــن الدلائـــل ذلـــه بين الورى لـذوي الولا والبغـض للمتجـاهـل

بيان معنى الأنس بالله تعالى:

قد ذكرنا أن الانس والخوف والشوق من آثار المحبة، إلا أن هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته، فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الإطلاع على كنه الجلال انبعث القلب إلى الطلب وانزعج له وهاج إليه، وتسمى هذه الحالة في الانزعاج شوقاً وهو بالإضافة إلى أمر غائب، وإذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصوراً على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد، استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره انساً، وإن كان نظره إلى صفات العز

ومن الدلائل أن تراه واثقاً ... في تيهه في الله فوق الجاهل
ومن الدلائل أن تراه مجاهداً ... بالنفس والمال النفيس الحاصل
ومن الدلائل أنه في حبه ... لم يخف لومة لائم أو عاذل
ومن الدلائل أن تراه مسارعاً ... للحق ثم مجانباً للباطل
ومن الدلائل أن تراه ناشراً ... إفضال مولاه بحمد واصل
ومن الدلائل أن تراه صابراً ... لبلائه في كل أمر نازل
ومن الدلائل أن تراه ناصحاً ... متواصياً بالحق غير مخاتل
ومن الدلائل أن تراه هاجراً ... مألوفه في حب مولى كامل
ومن الدلائل أن تراه خائفاً ... عن أعين في زي عبد خامل

بيان معنى الأنس بالله عز وجل:

اعلم أنا (**قد ذكرنا**) فيما سبق (**أن الأنس والخوف والشوق من آثار المحبة**) ومن ثمراتها، (**إلا أن هذه آثار مختلفة تختلف على المحب بحسب نظره ومن يغلب عليه في وقته، فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الإطلاع على كنه الجلال**) لصعوبته (**انبعث القلب إلى الطلب وانزعج له وهاج إليه، وتسمى هذه الحالة في الإنزعاج شوقاً وهو بالإضافة إلى أمر غائب**) نظره، (**وإذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور ربما هو حاصل من الكشف**) والمعاينة (**وكان نظره مقصوراً على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد؛ استبشر القلب بما يلاحظه فيسمى استبشاره أنساً**) إلا أن الشوق أفضل من الأنس لأن الآنس قصر نظره على ما انكشف له من الجمال ولم يمتد نظره إلى إشكال ما غاب عنه، والمشتاق كالعطشان الذي لا ترويه البحار لمعرفته بأن الذي انكشف له من الأمور الإلهية بالنسبة إلى ما غاب عنه كالذرة بالنسبة إلى سعة الوجود وقد تقدم تحقيقه، (**وإن كان نظره إلى صفات العز**

والاستغناء وعدم المبالاة وخطر إمكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا الاستشعار فيسمى تألمه خوفاً. وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات، والملاحظات تابعة لأسباب تقتضيها لا يمكن حصرها، فالأنس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال، حتى إنه إذا غلب وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له: أنت مشتاق؟ فقال: لا إنما الشوق إلى غائب، فإذا كان

والإستغناء وعدم المبالاة وخطر إمكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا الإستبشار فيسمى تألمه خوفاً) وقد تقدم تحقيقه في كتاب الخوف. (**وهذه الأحوال تابعة لهذه الملاحظات، والملاحظات تابعة لأسباب تقتضيها لا يمكن حصرها**) لكثرتها، (**فالأنس معناه استبشار القلب وفرحه بمطالعة الجمال**) والكمال والقرب مما انكشف له منها، (**حتى أنه إذا غلب وتجرد**) وقصر نظره (**عن ملاحظة ما غاب عنه**) من مزيد الألطاف (**وما يتطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه و**) قويت (**لذاته**) واستحقر في جنب لذته وتنعمه لقرب حبيبه جميع ما سواه حتى لو انفهقت له الجنان جميعها لم تذهله ولم تشغله عن التذاذه بجمال محبوبه، لأنا إذا رأينا صفة جميلة محكمة أحببنا الصانع لذلك، فإن رأينا ما هو أجمل منه وأحسن وأشرف وأحكم ازددنا فيه حباً. هذا في دار الإختبار ومحل الإستدلال، فكيف بالعارفين في دار القرار ومحل الكشف والعيان؟ ويبطل حكم الدليل والإستدلال ويرجع الحق تعالى مشهوداً للعباد كما قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة★ إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] فحينئذ ﴿لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ [السجدة: ١٧] (**ومن هنا نظر بعضهم**) وهو الانطاكي كما صرح به صاحب العوارف (**حيث قيل له: أنت مشتاق! فقال: لا إنما الشوق إلى غائب، فإذا كان الغائب حاضراً فإلى من يشتاق**) نقله القشيري في الرسالة، وقد تقدم وحكاه صاحب العوارف فقال: وأنكر بعضهم مقام الشوق، وقال: إنما الشوق إلى الغائب، ومتى يغيب الحبيب من الحبيب حتى يشتاق؟ ولهذا سئل الأنطاكي عن الشوق فقال: إنما يشتاق الغائب وما غبت عنه منذ وجدته. قال: وإنكار الشوق مطلقاً لا أرى له وجهاً لأن رتب العطايا والمنح من أنصبه القرب إذا كانت غير متناهية، كيف ينكر الشوق من المحب فهو غير غائب وغير مشتاق بالنسبة إلى ما وجد، ولكن يكون مشتاقاً إلى ما لم يجد من أنصبة القرب، وكيف يمنع حال الشوق والأمر هكذا، ووجه آخر أن الإنسان لا بد له من أمور يردها بحكم الحال لموضع بشريته وطبيعته وعدم وقوفه على حدّ العلم الذي يقتضيه حكم الحال، ووجود هذه الأمور مثيرة لنار الشوق ولا نعني بالشوق إلا مطالبة تنبعث من الباطن إلى الأولى والأعلى من أنصبة القرب، وهذه المطالبة كائنة في المحبين، فالشوق إذاً كائن لا وجه لإنكاره، وقد قال قوم: شوق المشاهدة واللقاء أشد من شوق البعد والغيبوبة، فيكون في حال الغيبوبة مشتاقاً إلى اللقاء، ويكون في حال االلقاء والمشاهدة مشتاقاً إلى زوائد ومبادٍ من الحبيب وإفضاله، وهذا هو الذي أراده واختاره انتهى.

الغائب حاضراً فإلى من يشتاق؟ وهذا كلام مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت إلى ما بقي في الإمكان من مزايا الألطاف.

ومن غلب عليه حال الأنس لم تكن شهوته إلا في الانفراد والخلوة، كما حكي أن ابراهيم بن أدهم نزل من الجبل فقيل له: من أين أقبلت؟ فقال: من الأنس بالله، وذلك لأن الانس بالله يلازم التوحش من غير الله، بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من أثقل الأشياء على القلب، كما روي أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهراً لا يسمع كلام أحد من الناس إلا أخذه الغثيان، لأن الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره فيخرج من القلب عذوبة ما سواه. ولذلك قال بعض الحكماء في دعائه يا من آنسني بذكره وأوحشني من خلقه، وقال الله عز وجل لداود عليه السلام: كن لي مشتاقاً وبي مستأنساً ومن سواي مستوحشاً، وقيل لرابعة: بم نلت هذه المنزلة؟ قالت، بتركي ما لا يعنيني وأنسي بمن لم يزل. وقال عبد الواحد بن زيد: مررت براهب فقلت له يا راهب لقد أعجبتك الوحدة؟ فقال: يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت

(وهذا كلام) غريب الحال **(مستغرق بالفرح بما ناله غير ملتفت إلى ما بقي في الإمكان من مزايا الألطاف، ومن غلب عليه حال الأنس لم تكن شهوته إلا في الإنفراد)** عن الخلق **(والخلوة)** مع الله تعالى، **(كما حكي أن إبراهيم بن أدهم)** رحمه الله تعالى إذ **(نزل من الجبل)** وكان مختلياً به **(فقيل: من أين أقبلت؟ فقال: من الأنس بالله)** يشير إلى مقام الإنفراد. رواه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الصمد عن أبيه قال: رؤي إبراهيم ابن أدهم خارجاً من الجبل فذكره، **(وذلك لأن الأنس بالله يلازمه التوحش من غير الله تعالى، بل كل ما يعوق عن الخلوة فيكون من أثقل الأشياء على القلب، كما روي)** في بعض الأخبار **(أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه)** عز وجل **(مكث دهراً)** أي زماناً طويلاً **(لا يسمع كلام أحد من الناس إلا أخذه الغثيان)** وهو تلاعب النفس من باطن وهو من مبادىء القيء، **(لأن الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره، فيخرج من القلب عذوبة ما سواه، ولذلك قال بعض الحكماء)** من المحبين **(في)** جملة **(دعائه: يا من آنسي بذكره وأوحشني من خلقه)** وما أوحشه من خلقه إلا وقد أراد منه أن يأنس به، **(و)** في الأخبار **(قال الله عز وجل لداود عليه السلام)**: يا داود **(كن بي مستأنساً ومن سواي مستوحشاً، وقيل لرابعة)** العدوية رضي الله عنها: **(بم نلت هذه المنزلة)** يعني في المحبة؟ **(قالت: بتركي ما لا يعنيني)** أي لا يهمني **(وأنسي بمن لم يزل)** جل شأنه. **(وقال عبد الواحد ابن زيد)** البصري رحمه الله تعالى: **(مررت)** في سياحتي **(براهب فقلت: يا راهب لقد اعجبتك الوحدة. فقال: يا هذا لو ذقت حلاوة الوحدة لاستوحشت إليها من نفسك الوحدة رأس العبادة.**

إليها من نفسك، الوحدة رأس العبادة، فقلت: يا راهب ما أقل ما تجده في الوحدة؟ قال: الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم، قلت: يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الأنس بالله تعالى؟ قال: إذا صفا الود وخلصت المعاملة، قلت: ومتى يصفو الود؟ قال: إذا اجتمع الهم فصار هماً واحداً في الطاعة. وقال بعض الحكماء عجباً للخلائق كيف أرادوا بك بدلاً؟ عجباً للقلوب كيف استأنست بسواك عنك.

فإن قلت: فما علامة الأنس؟

فاعلم إن علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق والتبرم بهم واستهتاره بعذوبة الذكر، فإن خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة، وغريب في حضر وحاضر في سفر، وشاهد في غيبة وغائب في حضور، مخالط بالبدن مفرد بالقلب، مستغرق بعذوبة

قلت: يا راهب ما أقل ما تجد في الوحدة؟ قال: الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم. قلت: يا راهب متى يذوق العبد حلاوة الأنس بالله تعالى؟ قال: إذ صفا الود وخلصت المعاملة) أي عن شوب المشاركة. **(قلت: ومتى يصفو الود؟ قال: إذا اجتمع الهم فصار هماً واحداً في الطاعة)** قال الخطابي في كتاب العزلة: ولو لم يكن في العزلة إلا السلامة من آفة الرياء والتصنع للناس وما يدفع إليه الإنسان إذا كان فيهم من استعمال المداهنة معهم وخداع المواربة في رضاهم لكان في ذلك ما يرغب في العزلة ويحرك إليها انتهى. وقد تقدم شيء من هذا في كتاب العزلة.

(وقال بعض الحكماء) من المحبين في مناجاته: **(عجباً للخلائق كيف أرادوا بك بدلاً عجباً للقلوب كيف استأنست بسواك عنك)**.

(فإن قلت: فما علامات الأنس) وشواهده؟

(فاعلم أن علامته الخاصة ضيق الصدر من معاشرة الخلق) إن لم يمكنه الهروب منهم **(والتبرم بهم)** أي التضجر من مخالطتهم **(واستهتاره بعذوبة الذكر)** حتى يمتزج به لحمه ودمه بحيث لو طرقته ساعة وهو لم يذكر يتغير حاله ويتأسف عليه، **(فإن خالط)** وهو هكذا **(فهو كمنفرد في جماعة)** وحيّ في أموات، **(ومجتمع في خلوة وغريب في حضر، وحاضر في سفر وشاهد في غيبة، وغائب في حضور مخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعذوبة الذكر)** وهو آخر المقامات الثمانية التي عليها مبنى طريقة السادة النقشبندية، ويعبرون عنها بقولهم خلوة وراء تجمر يعني الخلوة في الجلوة الظاهر مع الخلق والباطن مع الحق اليد بالشغل والقلب بالحق وأنشدوا:

ومن داخل كن صاحباً غير غافل ومن خارج خالط كبعض الأجانب

وإلى هذا أشارت رابعة العدوية رضي الله عنها حيث قالت:

إني جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

الذكر، كما قال علي كرّم الله وجهه في وصفهم: هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه. فهذا معنى الأنس بالله وهذه علامته وهذه شواهده.

وحكى البيهقي في الشعب عن علي بن سهل: الأنس بالله أن يستوحش من الخلق إلا من أهل ولاية الله عز وجل فإن الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله تعالى، **(كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم: هم قوم)** وذلك فيما رواه أبو نعيم في الحلية من طرق عن كميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب بيدي فاخرجني إلى ناحية الجبان، فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد القلوب أوعية فخيرها أوعاها فساق الحديث إلى أن قال: أولئك هم الأقلون عدداً الأعظمون عند الله قدراً بهم يدفع الله عن حجبه حتى يؤدوها إلى نظائرهم ويزرعوها في قلوب أشباههم **(هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعر)** منه **(المتفرقون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها متعلقة بالمحل الأعلى)** وفي رواية بالملأ الأعلى، **(أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه)** هاه هاه شوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولكم إذا شئت فقم وقد ذكر الحديث بطوله مع ذكر أسانيده، وشرح ألفاظه واختلاف رواياته في أول كتاب العلم فراجعه إن شئت؛ **(فهذا معنى الأنس بالله وهذه علاماته وهذه شواهده)**، ولنذكر قاعدة تجمع ما أشار إليه المصنف في هذا الفصل فنقول.

اعلم أن معرفة العارفين بقرب الله تعالى منهم سبب لقربهم من الله وإتصالهم به وعنه تتشعب جلة أحوالهم: لأن الأحوال نتيجة الصفة المشهودة مع القرب، فالقرب أصل لا يفارقه العارفون فإن اقترن به شهود الجمال أثمر المحبة والأنس، وإن اقترن بالقرب شهود الجلال أثمر المهابة، وإن اقترن به شهود الكبرياء أثمر الصغار والأمحاق، وإن اقترن به ترك المبالاة وشهود السلطان أثمر المخافة، وإن كان معه العلم أثمر الأمان، وإن اقترن به شهود الغيب أثمر الغنى عن الأكوان، وإن اقترن به شهود مزايا الألطاف خيف على عقله من فرحه بالجود والأفضال، وأما الأبرار وأحوالهم تنشأ عن العلم بوجود الرب مطلقاً مع اقتران العلم باقتداره على المنع والعطاء والسعادة والاشقاء، فيتولد من ذلك ما يحثهم على خوفه ورجائه، وإذا كان القرب بهذه المنزلة العظيمة فلا بد من ذكر لمعة منه يستعان بها على إدامة الأحوال. نقل القشيري عن أبي سعيد الخراز أنه قال: إن حقيقة القرب فقد حس الأشياء من القلب وهدوّ الضمير إلى الله تعالى. قال الكمال محمد بن إسحاق: وهذا الذي ذكره هو الوسيلة لنيل القرب لأنفس القرب لأنه سبق أن الطهور شطر الإيمان، والذي ذكره طهور للقلب عما سوى الله تعالى، وإذا تطهر عما سوى الله تعالى كان الله حاضراً مع العبد لأنه ليس بين العبد وربه إلا حجاب نفسه وعوارضها. فإذا فني عن نفسه وعن عوارضها عرف

وقد ذهب بعض المتكلمين إلى إنكار الأنس والشوق والحب لظنه أن ذلك يدل على التشبيه، وجهله بأن جمال المدركات بالبصائر أكمل من جمال المبصرات، ولذة معرفتها أغلب على ذوي القلوب ومنهم أحمد بن غالب، يعرف بغلام الخليل أنكر على الجنيد وعلى أبي الحسن النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا، وقال: ليس إلا الصبر فأما الرضا فغير متصور. وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين إلا على القشور فظن أنه لا وجود إلا للقشر، فإن المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال من طريق الدين قشر مجرد ووراءه اللب المطلوب، فمن لم يصل من الجوز إلا إلى قشره يظن أن الجوز خشب كله، ويستحيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور ولكن عذره غير مقبول وقد قيل:

قرب الله، وجملة ذلك أن كل ذرة من بدن العالم وبدن الإنسان قد تعلق العلم بها كشفاً والإرادة تخصيصاً والقدرة إيجاداً وإبقاء والصفات لا تفارق الموصوف بل صفاته قائمة بذاته، فإذا نطق العارف فلا ينطق بنفسه وإن سمع فلا يسمع بنفسه، وهكذا ورد الحديث الصحيح كما تقدم؛ فهذا نظر العارف المقرب، ولذلك قال تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ [ق: ١٦] وقال تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ [الواقعة: ٨٥] جاءت الآيات على وزن أفعل للمبالغة في القرب لعسر الفرق ودقته بين الدال والمدلول، فالعارفون يرون ربهم في الدنيا بعين الإيقان والبصائر، ويرونه في الأخرى بالأبصار رأي العين فهو قريب منهم في الدارين وليس قربه في الأخرى مخالفاً لقربه في الدنيا إلا بمزيد اللطف والعطف، وإلا فقد ارتفعت هنا وهناك قرب المسافة ولم يكن بينه وبين مخلوق إضافة لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهذه المعرفة مثمرة الأنس بشرط الصفاء لا محالة.

(**وقد ذهب بعض المتكلمين إلى إنكار الأنس والشوق والرضا والحب لظنه أن ذلك يدل على التشبيه وجهله بأن جمال المدركات بالبصائر أكمل من جمال المبصرات**) بالحواس، (**ولذة معرفتها أغلب على ذوي العقول**) كما تقدمت الإشارة إليه في أول هذا الكتاب، (**ومنهم أحمد بن غالب**) وكان من أئمة النحو والكلام (**يعرف بغلام الخليل**) هو الخليل بن أحمد النحوي شيخ النحاة، وإنما عرف بالغلام لأنه لزم الخليل فأكثر القراءة عليه ولو لم يخدمه (**أنكر على**) أبي القاسم (**الجنيد وعلى أبي الحسين النوري والجماعة**) ممن نحا نحوهم (**حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا وقال: ليس إلا الصبر فأما الرضا فغير متصور**) كما سيأتي في باب الرضا، (**وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الرضا إلا على القشور، فظن أنه لا وجود إلا للقشر فإن المحسوسات وكل ما يدخل في الخيال في طريق الدين قشر مجرد ووراءه القلب المطلوب، فمن لم يصل من الجوز إلا إلى قشره يظن أن الجوز خشب كله، ويستحيل عنده خروج الدهن منه لا محالة وهو معذور**)

الانس بالله لا يحويه بطال   وليس يدركه بالحول محتال
والآنسون رجال كلهم نجب   وكلهم صفوة لله عمال

بيان معنى الانبساط والإدلال الذي تثمره غلبة الانس:

اعلم أن الانس إذا دام غلب واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف التغير والحجاب فإنه يثمر نوعاً من الانبساط في الأقوال والأفعال والمناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه محتمل ممن أقيم في مقام الانس، ومن لم يقم في ذلك المقام ويتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر.

لعدم إطلاعه والوقوف على الكنه، **(ولكن عذره غير مقبول)** عند ذوي التحقيق **(وقد قيل)** في ذلك:

(الأنس بالله لا يحويه بطال   وليس يدركه بالحول محتالُ
والآنسون رجال كلهم نجب   وكلهم صفوة لله عمال)

بيان معنى الانبساط والإدلال الذي تثمره غلبة الأنس:

(اعلم) أرشدك الله **(أن الأنس)** يثمر السكينة والطمأنينة والانبساط والادلال، وذلك لأن لذة الأنس تطير الباب العارفين وتوجب لهم الطغيان لأن الانسان يطغى عند الغنى فيمدهم الله بعنايته وتوفيقه وينزل عليهم سكينة فيثبتهم بها ويوقفهم على حد الاعتدال في آداب الحضرة. قال الله تعالى: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ [النجم: ١٧] وهذه سعادة لا يعطاها كل أحد لأن الأدب يزيد في القرب من المحبوب. قال الله تعالى: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً﴾ [الفتح: ٤] ولفظ السكينة ورد في كتاب الله تعالى على أحوال مختلفة لاشتراكها في نفس السكون والطمأنينة فوق السكينة لأن السكينة صولة تعدل طغيان القلب وتثبته، والطمأنينة وجود من بعد اعتدال بفرح واستبشار لمعرفة القلب بالمزيد والطمأنينة مستصحبة مع الأنس لأنها مقصودة في نفسها، والسكينة وسيلة تحثه على الأدب والاعتدال، وأما الانبساط والإدلال فإن الأنس **(إذا دام وغلبه واستحكم ولم يشوشه قلق الشوق)** لقصور نظره على طيب حاله، **(ولم ينغصه خوف التغير والحجاب، فإنه يثمر نوعاً من الانبساط في الأقوال والأفعال والمناجاة مع الله تعالى، وقد يكون منكر الصورة)** لا يليق بحال التعظيم والإجلال الموجبين للهيبة **(لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة، ولكنه محتمل ممن أقيم في مقام الأنس)** وقد يليق بالمستأنس المنبسط ما لا يليق بالنائب المتضائل، وذلك مثل قول عائشة رضي الله عنها لما سمعت قوله تعالى ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾ [الأحزاب: ٥١] قالت: إن ربك ليسارع في رضاك أو هواك، **(ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل هلك به وأشرف على الكفر)** عياذاً بالله منه.

ومثاله: مناجاة برخ الأسود الذي أمر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام أن يسأله ليستسقي لبني إسرائيل؛ بعد أن قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام ليستسقي لهم في سبعين ألفاً فأوحى الله عز وجل إليه: كيف استجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويأمنون مكري، ارجع إلى عبد من عبادي يقال له برخ فقال له يخرج حتى أستجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف، فبينما موسى ذات يوم يمشي في طريق إذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود، في شملة قد عقدها على عنقه، فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له: ما اسمك؟ فقال: اسمي برخ؛ قال: فأنت طلبتنا منذ حين أخرج فاستسق لنا. فخرج فقال في كلامه: ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك؟ وما الذي بدا لك أنقصت عليك عيونك أم عاندت الرياح عن طاعتك أم نفد ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين؟ ألست كنت غفاراً قبل خلق الخطائين؟ خلقت الرحمة وأمرت بالعطف، أم ترينا انك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة، قال فما برح حتى أخضلت بنو إسرائيل بالقطر وأنبت الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب،

(**ومثاله: مناجاة برخ الأسود الذي أمر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام أن يسأله يستسقي لبني إسرائيل بعد أن قحطوا سبع سنين**) ومنع عنهم المطر، (**وخرج موسى**) عليه السلام (**يستسقي لهم في سبعين ألفاً فأوحى الله عز وجل إليه: كيف استجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعوني على غير يقين ويأمنون مكري ارجع إلى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج**) فيدعو (**حتى استجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام**) بني إسرائيل (**فلم يعرف**) لأنه كان مجهولاً عندهم لا يؤبه به ولا يشار إليه، (**فبينا موسى**) عليه السلام (**ذات يوم يمشي في طريق إذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه، فعرفه موسى عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال: ما اسمك؟ فقال: اسمي برخ. قال: فأنت طلبتنا**) أي مطلوبنا (**منذ حين أخرج**) إلى الصحراء (**فاستسق لنا**) ربك (**فخرج**) مطيعاً له ورفع يديه ودعا (**فقال في**) جملة (**كلامه: ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك، وما الذي بدا لك انقصت عليك عيونك أم عاندت الرياح عن طاعتك أم نفذ ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين؟ ألست كنت غفاراً قبل خلق الخطائين؟ خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترينا أنك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة؟ قال**) الرواي: (**فما برح**) مكانه (**حتى**) اجتمع السحاب في أكناف السماء، و (**اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وأنبت الله تعالى العشب في نصف يوم، حتى بلغ**

قال: فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال: كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف انصفني؟ فهم موسى عليه السلام به، فأوحى الله تعالى إليه أن برخاً يضحكني كل يوم ثلاث مرات. وعن الحسن قال: احترقت أخصاص بالبصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق، وأبو موسى يومئذ أمير البصرة، فأخبر بذلك فبعث إلى صاحب الخص، قال: فأتي بشيخ فقال، يا شيخ ما بال خصك لم يحترق؟ قال: إني أقسمت على ربي عز وجل أن لا يحرقه، فقال أبو موسى رضي الله عنه: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون في أمتي قوم شعثة رؤوسهم، دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرهم» قال: ووقع حريق بالبصرة فجاء أبو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار، فقال له أمير البصرة: انظر

الركب **قال: فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال)** برخ، **(كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف أنصفني؟ فهم موسى عليه السلام به)** ليؤدبه **(فأوحى الله إليه)** لا تفعل **(إن برخاً يضحكني كل يوم ثلاث مرات)** يشير إلى أنه من ضنائن أوليائه، **(و)** روي **(عن الحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(قال: احترقت أخصاص)** جمع خص بالضم اسم لما يبنى من القصب **(بالبصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق، وأبو موسى)** الأشعري رضي الله عنه **(يومئذ أمير البصرة)** كان ولاه عمر رضي الله عنه بعد عزل المغيرة بن شعبة وأقره عثمان على عمله قليلاً ثم عزله بعبدالله بن عامر، وسكن أبو موسى الكوفة وولاه عثمان إياها بعد عزل سعيد بن العاص، **(فأخبر بذلك فبعث إلى صاحب الخص قال: فأتي بشيخ فقال)** له: **(يا شيخ ما بال خصك لم يحترق؟ فقال: إني أقسمت على ربي عز وجل أن لا يحرقه، فقال أبو موسى)** رضي الله عنه، صدق الشيخ **(إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون في أمتي قوم شعثة رؤوسهم دنسة ثيابهم لو أقسموا على الله لأبرهم»)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء وفيه انقطاع اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الديلمي ولفظه «يكون في أمتي رجال طلس رؤوسهم دنس ثيابهم لو أقسموا على الله لابرهم» وأشار بالانقطاع بين الحسن وأبي موسى لما ذكرنا أنه حين ولي أميراً بالبصرة لم يكن الحسن قد ولد، والمشهور في الباب حديث أنس «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره» ورواه الجماعة إلا الترمذي. **(قال: ووقع حريق بالبصرة فجاء أبو عبيدة)** عباد بن عباد **(الخواص)** ترجمه أبو عبيدة في الحلية. وهكذا سماه وكناه، وفي رجال أبي داود رجل هكذا بعينه اسمه عباد وكنيته أبو عتبة فقيل: هو هو، وقد روى صاحب الحلية في الترجمة من طريق رداد بن الجراح، حدثنا عباد بن عباد أبو عتبة عن الأوزاعي فساق حديثاً. وروى من طريق أبي مسهر قال: حدثني أبو عباد الخواص، حدثني أبو بكر بن أبي مريم فساق حديثاً. وروى من طريق حماد بن واقد قال: سمعت أبا عبيدة يقول فساق قولاً له. ومن طريق أبي مسلم الصوري قال: كتب عباد بن عباد الخواص إلى إخوانه كلاماً له، وكل هذا الإختلاف في ترجمة واحدة

لا تحترق بالنار، فقال: إني أقسمت على ربي عز وجل أن لا يحرقني بالنار، قال: فأعزم على النار أن تطفأ، قال: فعزمت عليها فطفئت. وكان أبو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له أبو حفص: ما أصابك؟ فقال: ضل حماري ولا أملك غيره، قال: فوقف أبو حفص وقال: وعزتك لا أخطو خطوة ما لم ترد عليه حماره، قال: فظهر حماره في الوقت ومر أبو حفص رحمه الله.

فهذا وأمثاله يجري لذوي الأنس وليس لغيرهم أن يتشبه بهم. قال الجنيد رحمه الله: أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة. وقال مرة: لو سمعها العموم لكفروهم وهم يجدون المزيد في أحوالهم بذلك. وكذلك يحتمل منهم ويليق بهم وإليه أشار القائل:

فلعله كان يكنى بكل منها، وقرأت في ديوان الضعفاء للذهبي بخطه عباد بن عباد أبو عتبة الأرسوفي الخواص، وثقه ابن معين، وقال ابن حبان: كان يأتي بالمناكير فاستحق الترك. وقال الحافظ بن حجر في تهذيب التهذيب عباد بن عباد الرملي الأرسوفي أبو عتبة الخواص صدوق يتهم أفحش ابن حبل فقال: يستحق الترك، والذي يظهر أن هذا غير الذي ذكر في القصة فإنه بصري وهذا رملي، (**فجعل يتخطى النار فقال له أمير البصرة: انظر لا تحترق بالنار، فقال: إني أقسمت على ربي عز وجل أن لا يحرقني بالنار قال: فاعزم على النار أن تطفأ. قال: فعزم عليها فطفئت**) في الحال، (**وكان أبو حفص**) عمر بن سلم الحداد النيسابوري شيخ الجنيد تقدم ذكره (**يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي**) أي سوادي (**مدهوش**) أي ذاهل العقل (**فقال له أبو حفص: ما أصابك؟ قال: ضل حماري ولا أملك غيره. قال: فوقف أبو حفص وقال: وعزتك لا أخطو خطوة ما لم ترد عليه حماره. قال: فظهر حماره في الوقت. ومر أبو حفص رحمه الله تعالى**) في شأنه.

(**فهذا وأمثاله مما يجري لذوي الأنس**) من الانبساط والإدلال، (**وليس لغيرهم أن يتشبه بهم. قال الجنيد**) قدس سره: (**أهل الأنس يقولون في كلفهم ومناجاتهم وخلواتهم أشياء هي كفر عند العامة. وقال مرة: لو سمعها العموم لكفروهم وهم يجدون المزيد في أحوالهم بذلك، وذلك يحتمل منهم ويليق بهم**): قال صاحب القوت: فلو رأيت أيها المستمع ما يكون بينه وبينهم في سرهم وما يجالسهم به ويحادثهم في هذه المواطن لكنت تعذرهم في كل قول وفعل، فهؤلاء محكوم عليهم في أمورهم قد حيل بينهم وبين كثير من العلم المعقول والرسم المنقول. أن ما أوجدهم مأخوذ بالعلم المجهول عند ذوي العقول، فمراده ساقط وعزمه مفسوخ ومحبته في الأمور منقوصة والخليقة في حيرة، (**وإليه أشار القائل:**

قوم تخالجهم زهو بسيدهم   والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه له   يا حسن رؤيتهم في عزّ ما تاهوا

ولا تستبعدنّ رضاه عن العبد بما يغضب به على غيره مهما اختلف مقامهما ، ففي القرآن تنبيهات على هذه المعاني لو فطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لأولي البصائر والأبصار حتى ينظروا إليها بعين الاعتبار ، فإنما هي عند ذوي الاعتبار من الأسمار .

فأوّل القصص : قصة آدم عليه السلام وإبليس أما تراهما كيف اشتركا في اسم المعصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتباء والعصمة . أما ابليس فأبلس عن رحمته وقيل انه من المبعدين . وأما آدم عليه السلام فقيل فيه : ﴿وعصَى آدمُ ربَّه فغوى ★ ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ [طه : ١٢١ ـ ١٢٢] .

وقد عاتب الله نبيه ﷺ في الاعراض عن عبد والإقبال على عبد ، وهما في العبودية سيان ولكن في الحال مختلفان فقال : ﴿وأما من جاءك يسعى ★ وهو يخشَى ★ فأنت عنهُ تلهَّى﴾ [عبس : ٨ ـ ١٠] وقال في الآخر : ﴿أما من استغنى ★ فأنت له تصدَّى﴾

قوم تخالجهم زهو بسيدهم   والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا برؤيته عما سواه له   يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

ولا تستبعدن رضاه عن العبد بما يغضب به غيره مهما اختلف مقامهما ، ففي القرآن تنبيهات على هذه المعاني لو فطنت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لأولي البصائر والأبصار حتى ينظروا إليها بعين الإعتبار ، فإنما هي عند ذوي الاغترار من الأسمار) أي الحكايات التي يسمر بها في المجالس ، (**فأول القصص قصة آدم عليه السلام وإبليس أما تراهما كيف اشتركا في إسم المعصية والمخالفة**) للأوامر الإلهية (**ثم تباينا في الإجتباء والعصمة . أما إبليس فأبلس عن رحمته وقيل إنه من المبعدين**) ولذلك سمي إبليساً وشيطاناً من شطن إذا بعد ، (**وأما آدم**) عليه السلام (**فقيل فيه ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾**) أي ضل عن رشده (**﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾**) فكم بين جناية تسببت إلى الطرد من الحضرة الإلهية وجناية تسببت إلى التقرب منها ، (**وقد عاتب الله تعالى نبيه ﷺ في الاعراض عن عبد والإقبال على عبد وهما في العبودية سيان ، ولكن في الحال مختلفان فقال : ﴿وأما من جاءك يسعى﴾**) أي يسرع طالباً للخير (**وهو يخشى**) الله أو إذاية الكفار في إتيانك أو كبوة الطريق لأنه أعمى لا قائد له (**فأنت عنه تلهى﴾**) أي تتشاغل . (**وقال في الآخر ﴿أما من استغنى ★ فأنت له تصدى﴾**) أي تتعرض بالإقبال عليه ، وفي ذكر التلهي والتصدي إشعار بأن العتاب على

[عبس: ٥ - ٦] وكذلك أمره بالقعود مع طائفة فقال عز وجل: ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتِنَا فقل سلامٌ عليكم﴾ [الأنعام: ٥٤] وأمره بالإعراض عن غيرهم فقال: ﴿وإذا رأيتَ الذينَ يخوضونَ في آياتنا فأعرض عنهم﴾ حتى قال: ﴿فلا تقعدْ بعد الذكرى مع القوم الظّالمين﴾ [الأنعام: ٦٨] وقال تعالى: ﴿واصبِر نفسَك مع الذين يدعُون ربَّهم بالغداة والعشيّ﴾ [الكهف: ٢٨].

فكذا الانبساط والإدلال يحتمل من بعض العباد دون بعض. فمن انبساط الأنس قول موسى عليه السلام: ﴿إنْ هي إلا فتنتُك تضلُّ بها من تشاءُ وتهدي من تشاء﴾ [الأعراف: ١٥٥] وقوله في التعلل والاعتذار لما قيل له: ﴿إذهبْ إلى فرعون﴾ [طه: ٢٤] فقال: ﴿ولهُم عليَّ ذَنْبٌ﴾ [الشعراء: ١٤] وقوله: ﴿إني أخافُ أنْ يكذِّبون ★ ويَضِيقُ صَدري ولا ينطلق لساني﴾ [الشعراء: ١٢ ، ١٣] وقوله: ﴿إننا نخاف أنْ يفرط علينا أو أن يطغى﴾ [طه: ٥٤] وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب لأن الذي أقيم مقام الانس يلاطف ويحتمل، ولم يحتمل ليونس عليه السلام ما دون هذا لما أقيم مقام القبض والهيبة، فعوقب بالسجن في بطن الحوت - في ظلمات

.اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقر، ومثله لا ينبغي لك والمراد بالأول عبدالله بن أم مكتوم، وبالثاني أمية بن خلف. وروى ابن حاتم عن ابن زيد: لو أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من الوحي كتم هذا عن نفسه، **(وكذلك أمره بالقعود مع طائفة فقال ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم)** كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ **(وأمره بالإعراض عن غيرهم فقال: ﴿وإذ رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم﴾ حتى قال ﴿فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ وقال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾)** وهم أهل الصفة وقد تقدم الكلام عليه.

(فكذا الإنبساط والإدلال يحتمل من بعض العباد دون بعض، فمن انبساط الأنس قول موسى عليه السلام: ﴿إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء﴾ وقوله في التعلل والإعتذار لما قيل له ﴿اذهب إلى فرعون﴾ فقال ﴿ولهم علي ذنب﴾ وقوله ﴿إني أخاف أن يكذبون★ ويضيق صدري) ولا ينطلق لساني﴾ **(وقوله ﴿إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى﴾ وهذا)** وأمثاله **(من غير موسى عليه السلام)** معدود **(من سوء الأدب)** في الحضرة الإلهية **(لأن الذي أقيم مقام الأنس يلاطف ويحتمل، ولم يحتمل ليونس عليه السلام ما)** هو **(دون هذا)** بكثير وهو ذهابه مغاضباً لقومه قبل أن يؤمر، وقيل: بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال، فظن أنه كذبهم وغضب من ذلك **(لما أن أقيم مقام القبض والهيبة، فعوقب بالسجن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث)** بطن الحوت

ثلاث ـ ونودي عليه إلى يوم القيامة: ﴿لولا أن تداركَهُ نعمةٌ من ربه لنبذ بالعراء وهو مذمُومٌ﴾ [القلم: ٤٩]، وقال الحسن: العراء هو القيامة. ونهى نبينا ﷺ أن يقتدي به. وقيل له: ﴿فاصبر لحكم ربِّك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادَى وهو مكظومٌ﴾ [القلم: ٤٨] وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الأزل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد، وقد قال تعالى: ﴿ولقد فضَّلنا بعض النبيين على بعض﴾ [الإسراء: ٥٥]، وقال: ﴿منهم من كلَّم اللهُ ورفَعَ بعضهم درجات﴾ [البقرة: ٢٥٣] فكان عيسى عليه السلام من المفضلين ولإدلالـه سلم على نفسه، فقال: ﴿والسلام عليّ يومَ ولدتُ ويوم أموتُ ويوم أبعثُ حياً﴾ [مريم: ٣٣]، وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الانس.

وأما يحي بن زكريا عليهما السلام فإنه أقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه، فقال: ﴿وسلام عليه﴾ [مريم: ١٥].

والبحر والليل، وكان مدة مكثه في بطن الحوت أربع ساعات، وقيل: ثلاثة أيام. (**ونودي عليه إلى يوم القيامة ﴿لولا أن تداركه نعمة من ربه**) يعني التوفيق للتوبة وقبولها (**لنبذ**) أي طرح (**بالعراء**) أي بالأرض الخالية عن الأشجار (**وهو مذموم﴾**) أي مطرود من الرحمة والكرامة.

(**قال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**العراء هو القيامة، ونهى نبينا ﷺ أن يقتدي به، وقيل له ﴿فاصبر لحكم ربك﴾**) وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم (**ولا تكن كصاحب الحوت**) يونس (**إذ نادى**) في بطن الحوت (**وهو مكظوم﴾**) مملوء غيظاً من الضجرة فتبتلى ببلائه، وقال قتادة. أي لا تعجل كما عجل ولا تغاضب كما غاضب. رواه أحمد في الزهد، وقال وهب: كان في خلق يونس ضيق فلما حملت عليه أثقال النبوة تفسخ منها تفسخ الربع فقذفها من يديه وهرب رواه الحاكم. وقال ابن عباس: وهو مكظوم أي مغموم رواه ابن أبي حاتم.

(**وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال والمقامات وبعضها لما سبق في الأزل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد، وقد قال تعالى ﴿ولقد فضلنا بعض** النبيين **على بعض﴾ وقال**) في تفاوت مراتبهم، (**﴿منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾ فكان عيسى عليه السلام من المفضلين ولإدلاله**) وانبساطه (**سلم على نفسه فقال ﴿والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾**) كما أخبر الله تعالى عنه (**وهذا انبساط منه لما شاهد من اللطف في مقام الأنس**).

(**وأما يحي بن زكريا**) عليهما السلام (**فانه أقيم مقام الهيبة والحياء فلم ينطق حتى أثنى عليه خالقه فقال ﴿وسلام عليه﴾**) يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا﴾.

وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوه بيوسف وقد قال بعض العلماء: قد عددت من أول قوله تعالى: ﴿إذ قالوا ليُوسُفُ وأخوهُ أحبُّ إلى أبينَا منَّا﴾ [يوسف: ٨] إلى رأس العشرين من اخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفاً وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض، وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلاث والأربع، فغفر لهم وعفا عنهم ولم يحتمل العزيز في مسألة واحدة سأل عنها في القدر، حتى قيل محي من ديوان النبوّة! وكذلك كان بلعام بن باعوراء من أكابر العلماء فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك. وكان آصف من المسرفين وكانت معصيته في الجوارح فعفا عنه. فقد روي أن الله تعالى أوحى إلى سليمان عليه السلام: يا رأس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين إلى كم يعصيني ابن خالتك آصف وأنا أحلم عليه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن أخذته عصفة من عصفاتي عليه لأتركنه مثله لمن معه ونكالاً لمن بعده، فلما دخل آصف على سليمان عليه

(**وانظر كيف احتمل لأخوة يوسف**) عليهم السلام (**ما فعلوه بيوسف**) عليه السلام وهم يهوذا وروبيل وشمعون ونكشل ووابى وعباد وأملون وأساحر واستر وجادر ولاوي، (**وقد قال بعض العلماء: قد عددت من أول قوله تعالى ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا﴾ إلى رأس العشرين**) آية (**من إخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفاً وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض، وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلاث**) منها (**والأربع فغفر لهم وعفا عنهم**) وقبل شفاعة أبيهم واستغفاره فيهم، ومنهم من شرفه بالنبوة (**ولم تحتمل لعزير**) بن شاروخا (**في مسألة واحدة سأل عنها في القدر**) وقصته في القرآن ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحي هذه الله بعد موتها﴾ الآية. وكان يحفظ التوراة على ظهر قلبه، فلما أحياه الله تعالى بعد مائة عام. وكان بختنصر قد أحرق نسخ التوراة كلها فجدد لهم التوراة عن ظهر قلبه، ولذلك قالوا فيه عزير ابن الله، وقد أخرج قصته ابن عساكر من طرق عن كعب ووهب والحسن وابن عباس، (**حتى قيل: محي من ديوان النبوة**) بسبب ذلك، (**وكذلك بلعم بن باعوراء**) في بني إسرائيل (**من أكابر العلماء**) وممن كان يعرف الإسم الظاهر، (**فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك**) فغضب الله عليه وكان ما كان، وقصته في القرآن وقد تقدم ذكرها في كتاب ذم الدنيا. (**وكان آصف**) بن برخيا بن شمويل بن خالة سيدنا سليمان عليه السلام ووزيره ومعينه قيل: هو المراد بقوله تعالى ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ [النمل: ٤٠] قيل: كان يعرف الإسم الأعظم لكنه كان (**من المسرفين**) على نفسه، (**وكانت معصيته في الجوارح فعفا عنه، فقد روي أن الله تعالى أوحى إلى سليمان عليه السلام: يا رأس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين إلى كم يعصيني ابن خالتك آصف وأنا أحلم عنه مرة بعد مرة، فوعزتي وجلالي لئن أخذته عطفة من عطفاتي عليه لأتركنه مثله لمن معه ونكالاً لمن بعده**) أي ليعتبر به المعتبرون، (**فلما دخل آصف على سليمان أخبره بما أوحى**

السلام أخبره بما أوحى الله تعالى إليه فخرج حتى علا كثيباً من رمل، ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال: إلهي وسيدي أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب إن لم تتب عليّ وكيف أستعصم إن لم تعصمني لأعودن، فأوحى الله تعالى إليه: صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا أستقبل التوبة فقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم، وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه إليه وناظر به إليه.

وفي الخبر: إن الله تعالى أوحى إلى عبد تداركه بعد أن كان أشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتني به غفرته لك قد أهلكت في دونه أمة من الأمم فهذه سنة الله تعالى في عباده بالتفضيل والتقديم والتأخير على ما سبقت به المشيئة الأزلية.

وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل، فما في القرآن شيء إلا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى إلى خلقه، فتارة يتعرف إليهم بالتقديس فيقول: ﴿قل هو الله أحد ★ الله الصمد ★ لم يلد ولم يولد ★ ولم يكن له كفواً أحد﴾ [سورة الإخلاص] وتارة يتعرف إليهم بصفات جلاله فيقول: ﴿الملك

الله تعالى إليه فخرج) آصف **(حتى علا كثيباً من رمل ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال: إلهي وسيدي أنت أنت)** أي في كمال عزك وربوبيتك، **(وأنا أنا)** أي في كمال ذلي وعبوديتي، **(فكيف أتوب إن لم تتب علي وكيف استعصم إن لم تعصمني لأعودن)** أي إلى المعصية، **(فأوحى الله تعالى إليه)** بواسطة سيدنا سليمان عليه السلام **(صدقت يا آصف أنت أنت وأنا أنا أستقبل التوبة فقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم)** وبقي على رتبته التي كان عليها، وقد رويت عنه العلوم الغريبة من الفلكيات والطلاسم وإليه ينتهي إسناده، **(وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه إليه وناظر إليه، وتم الخبر أن الله تعالى أوحى إلى عبد تداركه)** بتوفيقه وعصمته وحفظه **(بعد أن كان أشفى)** أي أشرف **(على الهلكة)** وقال: **(كم من ذنب واجهتني به غفرته لك)** ما **(قد أهلكت في دونه أمة من الأمم؛ فهذه سنة الله تعالى في عباده بالتفضيل والتقديم والتأخير على ما سبقت به المشيئة الأزلية)**.

(وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا) أي مضوا **(من قبل، فما في القرآن شيء إلا وهو هدى ونور وتعرف من الله إلى خلقه، فتارة يتعرف إليهم بالتقديس فيقول، ﴿قل هو الله أحد ★الله الصمد ★لم يلد ولم يولد ★ولم يكن له كفوا أحد﴾وتارة يتعرف لهم بصفات جلاله)** وكلاهما يتعلق بذات الله تعالى من سلب نقص وإثبات كمال **(فيقول)** في الإثبات ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون﴾ [النحل: ١٧] ويقول ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [البقرة: ٢٥٥] ويقول ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو **(الملك**

القدوس السلامُ المؤمن المهَيْمِنُ العزيز الجبارُ المتكبرُ﴾ [الحشر : ٢٣] وتارة يتعرف إليهم في أفعاله المخوفة المرجوة فيتلو عليهم سنته في أعدائه وفي أنبيائه فيقول: ﴿ألم ترَ كيف فعل ربُّك بعاد ★ ارم ذات العماد﴾ [الفجر : ٦-٧] ﴿ألم ترَ كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل﴾ [الفيل : ١].

ولا يعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة وهي الإرشاد إلى معرفة ذات الله وتقديسه ، أو معرفة صفاته وأسمائه ، أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده . ولما اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله ﷺ بثلث القرآن فقال : « من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن ، لأن منتهى التقديس أن يكون واحداً

القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾) وأما السلب فكقول الله تعالى ﴿قل هو الله أحد﴾ إلى آخرها وقوله ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ [الكهف: ٥١] وقوله ﴿رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا﴾ [مريم: ٦٥] أي مثيلاً ونظيراً فهذه هي المعرفة الخاصة. **(وتارة يتعرف إليهم في أفعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سنته في أعدائه وفي أنبيائه فيقول ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد ★ارم ذات العماد﴾ ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾)** .

(ولا يعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة وهي الإرشادات إلى معرفة ذات الله وتقديسه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده) ولذلك انقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال، **(ولما اشتملت صورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التقديس)** أعني تنزيه الرب تعالى عن الجسمية وتوابعها **(وازنها رسول الله ﷺ بثلث القرآن فقال « من قرأ سورة الإخلاص فقد قرأ ثلث القرآن »)** قال العراقي: رواه أحمد من حديث أبي بن كعب باسناد صحيح، ورواه البخاري من حديث أبي سعيد ومسلم من حديث أبي الدرداء نحوه اهـ.

قلت : لفظ أحمد « من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن » . وهكذا رواه أبو عبيد والنسائي وابن منيع ومحمد بن نصر والدارقطني في الإفراد وابن مردويه والضياء . ولفظ البخاري « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وهكذا رواه أيضاً أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان. ورواه البخاري أيضاً من رواية أبي سعيد عن أخيه قتادة بن النعمان. ورواه مسلم بهذا اللفظ من حديث أبي الدرداء ، وقد روي كذلك بهذا اللفظ من حديث أنس رواه ابن ماجه والطبراني في الأوسط والضياء . ومن حديث أبي أيوب رواه النسائي والطبراني في الكبير ، والبيهقي في السنن. ومن حديث أبي هريرة رواه الترمذي وصححه، وابن ماجه. ومن حديث ابن مسعود رواه

في ثلاثة أمور ؛ لا يكون حاصلاً منه من هو نظيره. وشبهه ودل عليه قوله: ﴿لم يلد﴾ ولا يكون حاصلاً ممن هو نظيره. وشبهه ودل عليه قوله: ﴿ولم يولد﴾ ولا يكون في درجته وإن لم يكن أصلاً له ولا فرعاً من هو مثله، ودل عليه قوله: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ ويجمع ذلك قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ وجملته تفصيل قول: «لا إله

الطبراني في الكبير ومن حديث أبي مسعود الأنصاري رواه أحمد وابن ماجه. ومن حديث معاذ رواه الطبراني في الكبير. ومن حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رواه أحمد والطبراني والبيهقي، وقد روي أيضاً من حديث ابن عمر بزيادة «وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن» رواه الطبراني والحاكم.

وروي من حديث علي رضي الله عنه بلفظ «من قرأ قل هو الله أحد مرة واحدة فكأنما قرأ ثلث القرآن ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن ومن قرأها ثلاثاً فكأنما قرأ القرآن كله» رواه الرافعي في تاريخه.

وروى العقيلي من حديث رجاء الغنوي «من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن أجمع».

وروى البيهقي من حديث سعد «من قرأ قل يا أيها الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن».

ورواه ابن السني من حديث أبي هريرة بلفظ «كانت له كعدل ثلث القرآن».

وروى أبو نعيم من حديث ابن عباس «من قرأ أم القرآن وقل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن.

(لأن منتهى التقديس في أن يكون واحداً في ثلاثة أمور): أحدها: **(لا يكون حاصلاً منهم من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله (لم يلد))** فقوله (لم يلد) أي لم يجانس ولم يفتقر إلى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه، **(و)** الثاني: **(لا يكون هو حاصلاً ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله (ولم يولد) وذلك لأنه لا يفتقر إلى شيء ولا يسبقه عدم، (و)** الثالث: **(لا يكون في درجته وإن لم يكن أصلاً له ولا فرعاً من هو مثله، ودل عليه قوله (ولم يكن له كفوا أحد))** أي ولم يكن أحد يكافئه أو يماثله من صاحبة وغيرها، **(ويجمع ذلك قوله تعالى (قل هو الله أحد))** فأحد يدل على مجامع صفات الجلال، والله يدل على جميع صفات الكمال إذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن أنحاء التركيب والتعدد ما يستلزم أحدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كالوجود والقدرة الذاتية والحكمة الإلهية التامة المقتضية للالوهية، **(وجملته)** أي معرفته إفراداً **(تفصيل قول (لا إله إلا الله))** وقولهم العلم بالشيء على الإجمال يناقض العلم على التفصيل على معنى أن الإجمال هو عدم

إلا الله » فهذه أسرار القرآن ولا تتناهى أمثال هذه الأسرار في القرآن ﴿ولا رطْبٍ ولا يابسٍ إلا في كتاب مبين﴾ [الأنعام: ٥٩]، ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه: نوروا القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الأولين والآخرين، وهو كما قال: ولا يعرفه إلا من طال في آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر مليك قادر وإنه خارج عن حد استطاعة البشر. وأكثر أسرار القرآن معبأة في طي القصص والأخبار، فكن حريصاً على استنباطها لينكشف لك فيه من العجائب ما تستحقر معه العلوم المزخرفة الخارجة عنه. فهذا ما أردنا ذكره من معنى الأنس والانبساط الذي هو ثمرته وبيان تفاوت عباد الله فيه والله سبحانه وتعالى أعلم.

الاطلاع على دقائقه لا بمعنى معرفة الأشياء إفراداً. ثم جمعها عدداً؛ فهذا لا مانع منه فالله دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها جلالاً وجمالاً وكمالاً حتى لا يشذ منها شيء، وسائر الأسماء لا يدل آحادها إلا على المعاني من علم وقدرة أو فعل أو غيره، وقد فهم منه أنه الوجود الحقيقي الحق وكل ما سواه فإنه هالك وباطل إلا به؛ (**فهذه أسرار القرآن**) وجواهره (**ولا تتناهى أمثال هذه الأسرار في القرآن ﴿فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه نوروا والقرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الأولين والآخرين**) وقد روى الديلمي من حديث أنس « من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن » (**وهو كما قال ولا يعرفه إلا من طال في آحاد كلماته فكره وصفا له فهمه حتى تشهد له كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر مليك قادر، وأنه خارج عن حد استطاعة البشر، وأكثر أسرار القرآن معبأة في طي القصص والأخبار**) وهي المرادة من قول ابن مسعود والتمسوا غرائبه، (**فكن حريصاً على استنباطها**) من معادنها (**لينكشف لك فيه من العجائب ما تستحقر معه العلوم المزخرفة الخارجة عنه؛ فهذا ما أردنا أن نذكره من معنى الأنس و**) معنى (**الانبساط**) والإدلال الذي هو ثمرته، (**وبيان تفاوت عباد الله تعالى فيه**) وظهر مما ذكر أن من أفعال الله تعالى الجائزة له أن يرضى على قوم بفعل ويغضب به على غيرهم اختلاف أحوالهم أو لحكمته السابقة فيهم بالتقريب والإبعاد، ولذلك يغار على كلامه أن يسمعه إلا أهل خاصته. قال الله تعالى ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ [الأسراء: ٤٥] لأنهم لم ينتفعوا بما سمعوه من الآيات ولا بالنظر إلى ملكوت السموات والأرض للأكنة التي منع الله بها انتفاعهم، وعبر عن الستر في ذلك فقال تعالى ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾ الأنفال: ٢٣] وهذا حجاب الغيرة، وحقيقتها حفظ الوقت مع الحق أن يشوبه مشوش شحاً عليه، فإذاً الغيرة من ثمرات الأنس، وهذه الأحوال لها بالنسبة إلى العبد ثلاثة أحوال إن وجدها في الملأ دون الخلاء فهو معلول يجب عليه المحاسبة، وأن يطالب نفسه بالعلامات وإن وجدها في الخلاء دون الملأ فهو حسن، ولكنه ناقص من ذروة الكمال إذ الكمال أن يستوي في ذلك الخلاء والملأ

القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في فضيلته:

اعلم أن الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات المقربين وحقيقته غامضة على

والحضر والسفر والفراغ والشغل، لأن الفراغ شرط في البداية لا في النهاية، ومن استقرأ أحوال الأنبياء والأولياء وجدها كما وصفنا والله الموفق.

القول في معنى الرضا بقضاء الله تعالى وحقيقته وما ورد في تفضيله:

(اعلم) وفقك الله تعالى **(أن الرضا ثمرة من ثمار الجنة وهو من أعلى مقامات المقربين)** وهو الثامن من مقامات اليقين، وجعل صاحب القوت المحبة حالاً من مقام الرضا، فلذلك قدم الرضا على المحبة، وأما صاحب مقاصد المنجيات فذكر الرضا في آخر مقام التوكل وجعله من لواحقه وهذا لفظه: الرضا هو الغاية القصوى في الدنيا والأخرى بعد النظر إلى وجه الله تعالى، وله بالنسبة إلى السالك منازل ثلاثة.

الأولى: نهاية الصبر أول مقام الرضا والسالك يرتقي من الصبر إليه.

الثانية: بعد التوكل والتفويض والتسليم لأن الرضا لا يصلح إلا بعد القضاء، فإذا توكل العبد على مولاه واستسلم لقضاء ربه، فحينئذ تجري عليه المقادير بما حكم في الأزل، فحينئذ يجب الرضا.

الثالثة: يكون ثمرة المحبة وهو الأغلب في الوقوع والأشرف عند الله تعالى، لأن بذلك تحلو البلايا والرزايا وما سوى هذا حديث نفس لو طولب النفس بالإمتحان فيه لم يجده الطالب شيئاً، فلما رأيته بهذه المنازل الثلاثة توسطت الأمر وجعلته بعد التوكل، لأن الحاجة إليه في هذه الحالة مما تعم به البلوى، وهو أيضاً كغيره من المقامات ينتظم من علم وحال وعمل. أما العلم؛ فاعلم أن العلم الذي يورث حال الرضا هو العلم بكمال صفات الله تعالى وجمالها وجلالها فيما حكم به في الأزل من شقاء وإسعاد وتقريب وإبعاد وشدة وإرخاء، وأن ذلك على أكمل الحالات وأرفع الدرجات، وهذا العلم بعينه هو الذي يوجب التسليم والتفويض إلا أن الفرق بينهما وبين الرضا أن التفويض والتسليم قبل وقوع المقضى به والرضا بعد وقوع المقضى به، وبالرضا يظهر صدق المقامات كلها. واعتقاد هذا العلم واجب لأنه من الإيمان بالله يراد لذاته ولغيره. أما كونه مراداً لذاته فلأنه معرفة بالله مقصودة في نفسها، وأما كونه يراد لغيره فلأنه يذهب عن القلب الهم والغم والحزن والسخط ويجلب أضدادها من الفرح والسرور والإستبشار ويستفيد بذلك عد الأنفاس مع الله والسلامة من إضاعة الأوقات. وقال القشيري: قد اختلف العراقيون والخراسانيون في الرضا هل هو من الأحوال أو من المقامات؟ فأهل خراسان قالوا: الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل ومعناه يؤل إلى أنه مما يتوصل إليه العبد باكتسابه. وأما العراقيون، فإنهم قالوا الرضا من

الأكثرين، وما يدخل عليه من التشابه والايهام غير منكشف إلا لمن علمه الله تعالى التأويل وفهمه وفقهه في الدين، فقد أنكر منكرون تصوّر الرضا بما يخالف الهوى، ثم قالوا: إن أمكن الرضا بكل شيء لأنه فعل الله فينبغي أن يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع بذلك قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والانكار من بابي التسليم لقضاء الله تعالى. ولو انكشفت هذه الأسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله ﷺ لابن عباس حيث قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

جملة الأحوال وليس ذلك كسباً للعبد، بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال، ويمكن الجمع بين القولين فيقال بداية الرضا مكتسب للعبد وهي من المقامات ونهايته من جملة الأحوال وليست بمكتسبة، (و) أما (حقيقته) فإنها (**غامضة على الأكثرين وما يدخل عليه من التشابه والإيهام غير منكشف إلا لمن علمه الله تعالى التأويل وفقهه في الدين، فقد أنكر منكرون قصور الرضا بما يخالف الهوى، ثم قالوا: إن أمكن الرضا بشيء لأنه فعل الله تعالى فينبغي أن يرضى بالكفر والمعاصي، وانخدع بذلك قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الإعتراض والإنكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى، ولو انكشفت هذه الأسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله ﷺ لابن عباس**) رضي الله عنه (**حيث قال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»**) هكذا رواه أحمد وابن حبان والحاكم وقد تقدم في كتاب العلم. وقد روى البخاري من حديثه بالشطر الأول فقط، ورواه أحمد أيضاً والطبراني وأبو نعيم بلفظ «اللهم اعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل» ورواه كذلك ابن سعد والحاكم. وروي من حديث ابن عمر «اللهم بارك فيه وانشر منه» قاله لابن عباس. رواه صاحب الحلية، وروى ابن ماجه وابن سعيد والطبراني من حديث ابن عباس «اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب».

وقال صاحب القوت: واعلم أن الرضا من مقامات اليقين وأحوال المحبين ومشاهدة المتوكلين وهو داخل في كل أفعال الله تعالى لأنها عن قضائه لا يكون في ملكه إلا ما قضاه، فعلى العارفين به الرضا بالقضاء، ثم يرد ذلك إلى تفصيل العلم وترتيب الأحكام فما كان من خير وبر أمر به أو ندب إليه رضي به العبد وأحبه شرعاً وفعلاً ووجب عليه الشكر، وما كان من شر نهى عنه وتهدد عليه، فعلى العبد أن يرضى به عدلاً وقدراً ويسلمه لمولاه حكمة وحكماً، وعليه أن يصبر عنه ويقرّبه ذنباً ويعترف به لنفسه ظلماً ويرضى بعود الأحكام عليه بالعقاب وان اجترحه بجوارحه اكتساباً ويرسى بأن لله سبحانه عليه الحجة البالغة وأن لا عذر له فيه ويرضى بأنه في مشيئة الله من عفو عنه برحمته وكرمه إن شاء، أوعقوبة بعدله وحقه إن شاء لأن الموقنين المحبين لا يسقطون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا ينكرون إنكار المعاصي وكراهتها بالألسنة والقلوب من قبل أن الإيمان فرضها والشرع ورد بها، ولأن الحبيب كرهها فكانوا معه فيما كره كما كانوا معه فيما أحب، ومقام اليقين لا يسقط فرائض الإيمان، ومشاهدة التوحيد لا تبطل شرائع الرسول ولا

فلنبدأ ببيان فضيلة الرضا، ثم بحكايات أحوال الراضين، ثم نذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوّره فيما يخالف الهوى، ثم نذكر ما يظن انه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي.

تسقط اتباعه، فمن زعم ذلك فقد افترى على رسول الله وكذب على الموقنين والمحبين، فمن رضي بالمعاصي والمناكير منه أو من غيره وأحب لأجلها ووالى ونصر عنها أو ادعى أن ذلك يدخل في مقام الرضا الذي يجازى عليه، أو أنه حال الراضين الذين وصفهم الله تعالى ومدحهم، فهو مع الذين ذمهم الله ومقتهم. ثم ذكر جملة من الآيات والأخبار والآثار، ثم قال: وقد غلط في باب الرضا بعض البطالين من المتأخرين ممن لا علم له ولا يقين، فحمل الرضا على ما يكون منه من معصية وهوى فحمله بالتفصيل وقلة فقه بعلم التأويل ولاتباعه ما تشابه من التنزيل طلباً للفتنة وغربة الحال وابتداعاً في القول والفعال أو لهواه في العصيان والفسوق، وأراد أن يقيم بذلك عند الجاهلين سوق معذرة له وتطريقاً إليه، ولو عصم من الهوى لاستراح ولو زهد في الدنيا لأراح، ولو كان علمه للتأويل الله الفتاح العليم لأفلح ولعلم الناس من علمه فربح وأربح وأنى له بذلك، والهوى يقلبه والبلاء المعقود به يعمره، وإنما يعلم التأويل منزل التنزيل ألم تسمع إلى قول الرسول ﷺ «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» وبطلان قول هذا أوضح من أن يدل على فساده فكفونا عن مناظرته بطرده وإبعاده والإشتغال بالبطال بطالة لأن أوقاته قد ضاعت فيضيع وقت غيره بذكرها، ثم قال: وقد يحتج أيضاً بطال لبخله وقلة مؤاساته وبذله أو يعتل لاتساعه في أمر الدنيا واستئثاره على الفقراء أن الذي يمنعه من البذال والإيثار أو الزهد فيما في يديه والإخراج رضاه بحاله وقلة اعتراضه على مجريه فيه، وأن هذا من مقام الرضا خص به عند نفسه، وهذا قول لاعب ذي هوى وهو من خدع النفوس وأمانيها ومن غرور العدو ومكائده، لأن الرضا لا يمنع من اختيار الفقر والضيقة لمعرفة الراضي بفضل الزهد وأوصافه، كيف تكون ولحب مولاه للفقر ولمقته على التكاثر، فالرضا لا يأمر بالاستئثار والاتساع لما كره من النعمة والاستكثار، لأن الرضا يأمر الإيمان به إذا كان مقاماً فيه فهو لا يوقف عما ندب إليه العبد ولا يدخل فيما كره له من فضول الدنيا إنما يوقف من ذلك غلبة الهوى ويدخل فيه محبة الدنيا، وهما مذمومان في العلم. وعند العلماء تأمر به النفس الأمارة بالسوء ويوسوس به العدو بالهمز والخطم، وهذه مذمومات وأحالها بجهله على الرضا، وهذه اغترارات من النفس لها وتمويه على الخلق ليسلم منه ولا عذر له، فهذا عند مالكه ولا سلامة له فيه من خالقه ولا مقام له في الرضا عند العلماء من أهل الرضا اهـ.

(فلنبدأ ببيان فضيلة الرضا، ثم بحكايات أحوال الراضين، ثم بذكر حقيقة الرضا وكيفية تصوره فيما يخالف الهوى، ثم بذكر ما يظن أنه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي) والمناكير.

بيان فضيلة الرضا:

أما من الآيات فقوله تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة: ١١٩] وقد قال تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ [الرحمن: ٦٠] ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى. وقال تعالى: ﴿ومساكنَ طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر﴾ [التوبة: ٧٢] فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] فكما أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان.

بيان فضيلة الرضا:

(**أما من الآيات فقوله تعالى ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾**) فرضا الرب سبحانه سبب لرضا العبد عن الله ورضا العبد بالله وعن الله سبب لرضا الله عن عبده، والرضا الأول ذاتي لتعلقه بتخصيص الإرادة، والرضا الثاني فعل لأنه ثواب الله يفيضه على عبده زيادة على جزائه، ثم قال ﴿ذلك لمن خشي ربه﴾ [البينة: ٨] فإن الخشية ملاك الأمر والباعث على كل خير، (**وقد قال تعالى ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ ومنتهى الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى**). وروى البيهقي في الشعب عن أبي سعيد الخراز قال في معنى الآية: هل جزاء من انقلع من نفسه إلا التعلق بربه، وهل جزاء من انقطع عن أنس المخلوقين إلا الأنس برب العالمين، وهل جزاء من صبر علينا إلا الوصول إلينا، ومن وصل إلينا هل يجمل به أن يختار علينا، وهل جزاء التعب في الدنيا والنصب فيها إلا الراحة في الآخرة، وهل جزاء من صبر على البلوى إلا التقرب إلى الكون، وهل جزاء من سلم قلبه إلينا أن نجعل توليه إلى غيرنا، وهل جزاء من بعد عن الخلق إلا التقرب إلى الحق؟ وفي حديث ابن عمر قال رسول الله ﷺ «ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة» تفرد به إبراهيم بن محمد الكوفي وهو منكر. وسئل ذو النون المصري عن هذا فقال: معناه هل جزاء من أحسنت إليه إلا أن أحفظ إحساني عليه فيكون إحساناً إلى إحسان.

(**وقال تعالى ﴿ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر﴾**) وناهيك به شرفاً أنه يثمر رضوان الله، (**فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن**) وهي من أعلى الجنان، (**كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾**) والذكر عند الذاكرين المشاهدة، (**فكما أن مشاهدة المذكور في الصلاة أكبر من الصلاة**) وهذا أحد الوجهين، (**فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة، بل هو غاية مطلب سكان الجنة**). والوجه الثاني ذكر الله تعالى للعبد أكبر من ذكر العبد لله تعالى، (**و**) قد رفع الله

وفي الحديث: « إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول: سلوني، فيقولون: رضاك ». فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل. وأما رضا العبد فسنذكر حقيقته، وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله للعبد، ولا يجوز أن

تعالى الرضا منه فوق ما أعطى من النظر كما **(في الحديث « إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول: سلوني، فيقولون: رضاك »)** قال العراقي: رواه البزار والطبراني في الأوسط من حديث أنس في حديث طويل بسند لين وفيه « فيتجلى لهم فيقول أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي فسلوني فيسألونه الرضا ». ورواه أبو يعلى بلفظ « ثم يقول ماذا تريدون فيقولون ربنا رضوانك » الحديث ورجاله رجال الصحيح اهـ.

قلت: وبخط الحافظ بن حجر. وفي الباب عن جابر في الشعب للبيهقي، وحذيفة في مسند البزار.

قلت: لفظ حديث جابر « يقول الله تعالى يا أهل الجنة بقي لكم شيء تنالونه. فيقولون: وما هو يا ربنا؟ فيقول: »رضواني« رواه كذلك الحكيم في النوادر.

وروى القشيري في الرسالة بسنده إلى محمد بن المنكدر عن جابر رفعه « بينا أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم فقال: يا أهل الجنة سلوني. قالوا: نسألك الرضا عنا. قال: رضاي أحلكم داري وأنيلكم كرامتي هذا أدناها فسلوني. قالوا: نسألك الزيادة قال: فيؤتون بنجائب من ياقوت » ثم ساق الحديث وفيه « حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن ». قال: فيكشف عنهم الحجاب فينظرون الله عز وجل الحديث بطوله.

ورواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وابن أبي حاتم والآجري في الشريعة، وابن مردويه أيضاً بلفظ « بينا أهل الجنة في نعيم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة وذلك قول الله تعالى ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ [يس: ٥٨] فينظر إليهم وينظرون إليه حتى يحتجب عليهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم »

(فسؤالهم الرضا بعد النظر) إليه **(نهاية التفضيل)**. ومن ذلك ما روي في حديث أبي سعيد الخدري « إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك، فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً » رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن حبان.

(وأما رضا العبد) بالله وعن الله وفي الله **(فسنذكر حقيقته)** فيما بعد. **(وأما رضوان الله تعالى عن العبد فهو بمعنى آخر يقرب مما ذكرناه في حب الله تعالى للعبد، ولا يجوز أن**

يكشف عن حقيقته إذ تقصر أفهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بإدراكه من نفسه. وعلى الجملة؛ فلا رتبة فوق النظر إليه، فإنما سألوا الرضا لأنه سبب دوام النظر، فكأنهم رأوه غاية الغايات وأقصى الأماني لما ظفروا بنعيم النظر، فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب، وقال الله تعالى: ﴿ولدينا مزيد﴾ [ق: ٣٥] قال بعض المفسرين: فيه يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين.

إحداها: هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى: ﴿فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخفي لهم من قرّة أعين﴾ [السجدة: ١٧].

والثانية: السلام عليهم من ربهم، فيزيد ذلك على الهدية فضلاً، وهو قوله تعالى: ﴿سلامٌ قولاً من رب رحيم﴾ [يس: ٥٨].

يكشف عن حقيقته إذ تقصر أفهام الخلق عن دركه) وغاية ما يقال إن العصمة ظاهر الرحمة والرحمة أول الرضا من الله، فالعصمة من الله تعالى لعبده دليل الرحمة منه، ثم تدخله الرحمة في مقام المحبة وهذه رحمة المحبوبين ثم ترفعه المحبة إلى مقام الرضا فتكون المحبة مقامه عن شهادة محبوب ويكون الرضا حاله في جميع تصريف البنية والمطلوب. **(ومن يقوى عليه فيستقل بإدراكه من نفسه، وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر إليه فإنما سألوا الرضا لأنه سبب دوام النظر، فكأنهم رأوا غاية الغايات وأقصى الأماني لما ظفروا بنعيم النظر، فلما أمروا بالسؤال لم يسألوا إلا دوامه وعلموا أن الرضا هو سبب دوام رفع الحجاب)** أي بالرضا دام لهم النظر، فلما كان الرضا موجب النظر سألوا دوام الرضا ليدوم القرب والنظر فسألوا تمام النعمة من حيث بدايتها.

قال صاحب القوت: ولا يصلح أن يظهر معنى قولهم رضاك أكثر من هذا ولا يرسم في كتاب حقيقة الأمر عن كشف وصف من صفاته الذاتية موجبة على العبد هيبة الربوبية وخوف هذا عن القلوب محجوب في حكمه من سائر الغيوب، وهو في الدنيا ثواب لأهل الخشية عن معرفة خاصة قال الله تعالى ﴿ذلك لمن خشي ربه﴾ [البينة: ٨] **(وقال تعالى ﴿ولدينا مزيد﴾ قال بعض المفسرين فيه يأتي أهل الجنة في وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين)**.

(إحداها: هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها، فذلك قوله تعالى ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾).

(والثانية: السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية، وهو قوله تعالى ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾).

والثالثة: يقول الله تعالى: إني عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم، فذلك قوله تعالى: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ [التوبة: ٧٢] أي من النعيم الذي هم فيه، فهذا فضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد.

وأما من الأخبار: فقد روي أن النبي ﷺ سأل طائفة من أصحابه: «ما أنتم؟» فقالوا: مؤمنون. فقال: «ما علامة إيمانكم»؟ فقالوا: نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء، فقال: «مؤمنون ورب الكعبة». وفي خبر آخر أنه قال: «حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء». وفي الخبر: «طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفافاً ورضي به». وقال ﷺ: «من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله تعالى عنه بالقليل من العمل». وقال أيضاً إذا أحب الله تعالى عبداً ابتلاه فإن

(والثالثة: يقول الله تعالى: إني عنكم راض، فيكون ذلك أفضل من الهدية فذلك قوله تعالى ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ أي من النعيم الذي هم فيه) نقله صاحب القوت. **(فهذا فضل رضا الله تعالى)** عن العبد **(وهو ثمرة رضا العبد)** عن الله تعالى، وقد قيل في قوله تعالى ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ إن الرضوان جزاء أهل الذكر الأكبر وهو أحد المعاني في قوله ﷺ «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين في الرضا عنه» لأن السائلين سألوه لهم فأعطاهم العفو والذاكرين ذكروه فأعطاهم الرضا ويكون أيضاً معناه النظر إلي لأن الذكر يخرج إلى النظر فقابل النظر إليه اليوم بالنظر إليه غداً، كما واجه الوصف بالوصف في قوله ﴿وجوه يومئذ مسفرة★ ضاحكة﴾ [عبس: ٣٨، ٣٩] وفي حديث أبي موسى «إن الله عز وجل يتجلى لنا ضاحكاً» والرضا هو حال الموقن واليقين هو حقيقة الإيمان.

(وأما الأخبار فقد روي أن النبي ﷺ سأل طائفة من أصحابه «ما أنتم»؟ فقالوا: مؤمنون، فقال «ما علامة إيمانكم» قالوا: نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء. فقال «مؤمنون ورب الكعبة») تقدم في كتاب العلم. **(وفي خبر آخر أنه قال «حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء»)** تقدم أيضاً في كتاب العلم فما شهد لهم بالإيمان إلا بعد وصف الرضا، وكذلك جعل لقمان الحكيم الرضا من شرط الإيمان لا يصلح إلا به فقال في وصيته: للإيمان أربعة أركان لا يصلح إلا بهن كما لا يصلح الجسد إلا باليدين والرجلين ذكر منها الرضا بقدر الله تعالى. **(وفي الخبر «طوبى لمن هدي للإسلام وكان رزقه كفافاً ورضي به»)** رواه مسلم من حديث فضالة بن عبيد بلفظ «وقنع به» وقد تقدم. **(وقال ﷺ «من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله تعالى منه بالقليل من العمل»)** قال العراقي: رويناه في أمالي المحاملي باسناد ضعيف من حديث علي، ومن طريق المحاملي رواه الديلمي في مسند الفردوس اهـ.

صبر اجتباه فإن رضي اصطفاه». وقال أيضاً: «إذا كان يوم القيامة انبت الله تعالى لطائفة من أمتي أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاءوا، فتقول لهم الملائكة: هل رأيتم الحساب؟ فيقولون: ما رأينا حساباً، فتقول لهم: هل جزتم الصراط؟ فيقولون: ما رأينا صراطاً، فتقول لهم: هل رأيتم جهنم؟ فيقولون: ما رأينا شيئاً، فتقول الملائكة: من أمة من أنتم؟ فيقولون: من أمة محمد ﷺ، فتقول: نشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا، فيقولون: خصلتان كانتا فينا فبلغنا هذه المنزلة بفضل رحمة الله، فيقولون: وما هما؟ فيقولون: كنا إذا خلونا نستحي أن نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا، فتقول الملائكة: يحق لكم هذا، وقال

قلت: هذا اللفظ ساقه البيهقي في الشعب من حديث علي، وفي لفظ له «من رضي بالله باليسير من الرزق» الخ. وقد رواه المحاملي من طريق علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده ولفظه «انتظار الفرج من الله عبادة، ومن رضي بالقليل من الرزق رضي الله عنه بالقليل من العمل» ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في الفرج وابن عساكر.

(وقال) ﷺ (أيضاً «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه وإن رضي اصطفاه») قال صاحب القوت: رويناه من طريق أهل البيت، وقد تقدم قريباً نحوه من حديث أبي عتبة الخولاني «إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً ابتلاه فإذا ابتلاه اقتناه» الحديث. رواه الطبراني وابن عساكر. ولابن أبي الدنيا في المرض والكفارات من حديث أبي سعيد بسند لين «إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه وإذا ابتلاه صبره».

(وقال) ﷺ (أيضاً «إذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتي أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاءوا فتقول لهم الملائكة: هل رأيتم الحساب؟ فيقولون: ما رأينا حساباً. فيقولون: هل جزتم الصراط؟ فيقولون: ما رأينا صراطاً. فتقول لهم هل رأيتم جهنم؟ فيقولون: ما رأينا شيئاً. فتقول الملائكة: من أمة من أنتم؟ فيقولون: من أمة محمد ﷺ، فيقولون: نشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا، فيقولون: خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله تعالى هذه المنزلة بفضل رحمته، فيقولون: وما هما؟ فيقولون: كنا إذا خلونا نستحي أن نعصيه، ونرضى باليسير مما قسم لنا. فتقول الملائكة يحق لكم هذا») نقله صاحب القوت فقال: وروينا حديثاً حسنا عن حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس، عن النبي ﷺ قال «إذا كان يوم القيامة» فساقه. وقال العراقي: رواه ابن حبان في الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمي من حديث أنس مع اختلاف وفيه حميد بن علي القيسي ساقط هالك، والحديث منكر مخالف للقرآن والأحاديث الصحيحة في الورود وغيره اهـ.

قلت: حميد بن علي القيسي لم أجد له ذكراً في ديوان الضعفاء للذهبي، ولا في ذيله فلينظر.

ﷺ : « يا معشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلاّ فلا » .

وفي أخبار موسى عليه السلام أن بني إسرائيل قالوا له : سل لنا ربك أمراً إذا نحن فعلناه يرضى به عنها ، فقال موسى عليه السلام : إلهي قد سمعت ما قالوا ، فقال : يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم . ويشهد لهذا ما روي عن نبينا ﷺ أنه قال : « من أحب أن يعلم ما له عند الله عز وجل فلينظر ما لله عز وجل عنده ، فإن الله تبارك وتعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه » .

وقال أبو نعيم في الحلية : حدثنا أبو بكر الطلحي ، حدثنا عبيد بن غنام ، حدثنا جعفر بن أبي الحسن الخوارزمي ، حدثنا عبدالله بن عبيدالله بن إسحاق بن محمد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيدالله قال : حدثني أبي عن الحصين بن حذيفة ، عن أبيه ، عن أبي صيفي ، عن أبيه صهيب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المهاجرون هم السابقون الشافعون المدلون على ربهم ، والذي نفسي بيده أنهم ليأتون يوم القيامة وعلى عواتقهم السلاح فيقرعون باب الجنة فيقول لهم الخزنة : من أنتم ؟ فيقولون : نحن المهاجرون ، فيقول لهم الخزنة : هل حوسبتم ؟ فيجثون على ركبهم وينثرون ما في جعابهم ويرفعون أيديهم فيقولون : ألا يا رب أبهذه نحاسب لقد خرجنا وتركنا المال والأهل والولد ؟ فيجعل الله لهم أجنحة من ذهب مخوصة بالزبرجد والياقوت فيطيرون حتى يدخلوا الجنة ، فذلك قوله ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ إلى قوله ﴿لغوب﴾ » [فاطر : ٣٤ ، ٣٥] قال صهيب ، قال رسول الله ﷺ « فلهم بمنازلهم في الجنة أعرف منكم بمنازلكم في الدنيا » .

(وقال ﷺ « اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا ») تقدم في كتاب الفقر والزهد بلفظ « يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم » الحديث ، وأنه رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وهو ضعيف فيه أحمد بن الحسن بن أبان متهم بالكذب .

(وفي أخبار موسى عليه السلام : إن بني إسرائيل قالوا له : سل لنا ربك أمراً إذا نحن فعلناه يرضى به عنا ، فقال موسى عليه السلام : إلهي قد سمعت ما قالوا ، فقال : يا موسى قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم) نقله صاحب القوت .

وقال : **(ويشهد لهذا)** الخبر **(ما روي عن نبينا ﷺ أنه قال « من أحب أن يعلم ماله عند الله عز وجل فلينظر ما لله عز وجل عنده ، فإن الله تعالى ينزل العبد من حيث أنزله العبد من نفسه »)** قال : وحدثنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن هِمدان بن مالك القطعي بهذا الحديث ، فرفعه إلى النبي ﷺ . قال العراقي : رواه الحاكم من حديث جابر وصححه بلفظ منزلته ومنزلة الله اهـ .

ورواه الدارقطني في الإفراد ، وابن النجار من حديث أنس بلفظ « من أراد أن يعلم ما له عند الله عز وجل فلينظر ما لله عز وجل عنده »ورواه كذلك أبو نعيم من حديث أبي هريرة .

وفي أخبار داود عليه السلام؛ ما لأوليائي والهم بالدنيا، إن الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم، يا داود إن محبتي من أوليائي أن يكونوا روحانيين لا يغتمون.

وروي أن موسى عليه السلام قال: يا رب دلني على أمر فيه رضاك حتى أعمله، فأوحى الله تعالى إليه: إن رضاي في كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره. قال: يا رب دلني عليه، قال: فإن رضاي في رضاك بقضائي. وفي مناجاة موسى عليه السلام: أي رب أي خلقك أحب إليك، قال: من إذا أخذت منه المحبوب سالمني، قال: فأي

(وفي أخبار داود عليه السلام) أوحى الله تعالى إلى داود: يا داود **(ما لأوليائي والهم بالدنيا إن الهم)** بالدنيا **(يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم)** نقله صاحب القوت، ورواه البيهقي في الشعب عن بشر بلفظ: يا داود إنما خلقت الشهوات واللذات لضعفاء عبادي. أما الأبطال فما لهم وللشهوات واللذات. يا داود فلا تعلقن قلبك بشيء منها فأدنى ما أعاقبك به أن أسلب حلاوة حبي من قلبك. وقد تقدم. وفي لفظ آخر: **(يا داود إن محبتي من أوليائي أن يكونوا روحانيين ولا يغتمون)** إياك والغم ولا تهتم بالخبز وأنت تريدني كذا في القوت. وقال في موضع آخر. وقد روينا في أخبار داود عليه السلام: إن الله عز وجل أوحى إليه تزعم أنك منقطع إلي وتدعي عشقي وتسيء الظن بي الق كنفك بين يدي أكن أختار لك، فإن محبتي من عبادي أن يكونوا روحانيين لا يغتمون مصابيح القلوب كن واحدانياً[1] العباد إلى هنالك أرفع النور لك شاهد المخلوقين ببدنك وقلبك، فإذا كنت كذلك قضيت ما عليك وبقي ما علي في كلام نحوه. قال في آخره ولا تهتم بالخبز وأنت تريدني آثر هواي على هواك واغضب لي أشد مما تغضب لنفسك وقد تقدم بعضه قريباً.

(وروي أن موسى عليه السلام قال: يا رب دلني على أمر فيه رضاك حتى أعمله فأوحى الله إليه: لإن رضائي في كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره. قال: يا رب دلني عليه. قال: فإن رضائي في رضاك بقضائي) نقله صاحب القوت. وقال القشيري، وقيل قال موسى عليه السلام: إلهي دلني على عمل إذا عملته رضيت عني، فقال: إنك لا تطيق ذلك فخر موسى ساجداً متضرعاً فأوحى الله إليه: يا ابن عمران إن رضائي في رضاك بقضائي اهـ.

وقال صاحب القوت: وروينا هذا على وجه آخر أن بني إسرائيل سألوا موسى عليه السلام فقالوا: لو علمنا في أي شيء رضا ربنا عز وجل لفعلناه فأوحى الله إليه: قل لهم رضائي أن ترضوا بقضائي.

(وفي مناجاة موسى عليه السلام: يا رب أي خلقك أحب إليك؟ قال: من إذا أخذت

---

(١) هكذا في الأصل.

خلقك أنت عليه ساخط، قال: من يستخيرني في الأمر فإذا قضيت له سخط قضائي. وقد روي ما هو أشد من ذلك وهو أن الله تعالى قال: «أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليتخذ رباً سوائي» ومثله في الشدة قوله تعالى فيما أخبر عنه نبينا ﷺ أنه قال: «قال الله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع، فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني، ومن سخط فله السخط مني

منه المحبوب سالمني. قال: فأي خلقك أنت عليه ساخط؟ قال: من يستخيرني في الأمر فإذا قضيت له سخط قضائي) نقله صاحب القوت. قال: **(وقد روي ما هو أشد من ذلك)** كله، **(وهو أن الله تعالى قال: «أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليتخذ رباً سوائي»)** قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير، وابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هند الداري مقتصراً على قوله: «من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليلتمس رباً سوائي» واسناده ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو نعيم في الصحابة وابن عساكر كلهم من طريق سعيد بن زياد بن فائد بن زياد بن أبي الداري عن أبيه زياد كشداد عن أبيه فائد بالفاء عن أبيه زياد عن أبيه أبي هند قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يعني عن ربه ـ فساقه.

قال الحافظ في الإصابة: فائد وولده ضعيفان، وروى الشيرازي في الألقاب من حديث علي قال لي جبريل، قال الله عز وجل «يا محمد من آمن بي ولم يؤمن بالقدر خيره وشره فليلتمس رباً غيري» وفيه محمد بن علاثة الكرماني. وروى البيهقي وابن النجار من حديث أنس قال الله عز وجل «من لم يرض بقضائي وقدري فليلتمس رباً غيري». ورواه الخطيب بلفظ «من لم يرض بقضاء الله ويؤمن بقدر الله فليلتمس إلهاً غير الله عز وجل».

(ومثله في الشدة قوله تعالى فيما أخبر عنه نبينا ﷺ أنه قال تعالى «قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني») نقله صاحب القوت. وقال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ، وللطبراني في الأوسط من حديث أبي أمامة «خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين» الحديث واسناده ضعيف اهـ.

قلت: وتمام حديث أبي أمامة «وعرشه على الماء فأخذ أهل اليمين بيمينه، وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى، وكلتا يدي الرحمٰن يمين، فقال: يا أصحاب اليمين فاستجابوا لله. فقالوا: لبيك ربنا وسعديك قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. قال: يا أصحاب الشمال فاستجابوا لله، فقالوا: لبيك ربنا وسعديك. قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى فخلط بعضهم ببعض، فقال قائل منهم: رب لم خلطت بيننا؟ قال: لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا

حتى يلقاني ». وفي الخبر المشهور: « يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه، وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه، وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف ».

وفي الأخبار السالفة أن نبياً من الأنبياء شكا إلى الله عز وجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيب إلى ما أراد، ثم أوحى الله تعالى إليه: كم تشكو، هكذا كان بدؤك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والأرض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق السموات أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبدل ما قدرته عليك فيكون ما تحب فوق ما أحب ويكون ما تريد فوق ما أريد،

غافلين. ثم ردهم في صلب آدم فأهل الجنة أهلها وأهل النار أهلها. قيل: يا رسول فما الأعمال؟ قال: يعمل كل قوم بمنزلتهم». وهكذا رواه عبد بن حميد والحكيم والعقيلي وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه.

وقال صاحب القوت: وفي الخبر «أول ما كتب الله تعالى لموسى عليه السلام إني أنا الله لا إله إلا أنا من رضي بحكمي واستسلم لقضائي وصبر على بلائي كتبته صديقاً وحشرته مع الصديقين يوم القيامة».

قلت: رواه الديلمي من حديث ابن عباس بلفظ «أول شيء كتبه في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم أنه من استسلم لقضائي ورضي بحكمي وصبر على بلائي بعثته يوم القيامة مع الصديقين».

(وفي الخبر المشهور: «يقول الله تعالى خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه، وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه، وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف») كذا نقله صاحب القوت. قال العراقي: رواه ابن شاهين في شرح السنة من حديث أبي أمامة بسند ضعيف اهـ.

قلت: وروى الطبراني من حديث ابن عباس «إن الله تعالى قال: أنا خلقت الخير والشر. فطوبى لمن قدرت على يديه الخير، وويل لمن قدرت على يديه الشر».

(وفي الأخبار السالفة: أن نبياً من الأنبياء شكا إلى الله عز وجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما أجيب إلى ما أراد، ثم أوحى الله إليه: كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والأرض، وهكذا سبق لك مني، وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا، أفتريد أن أعيد الدنيا من أجلك، أم تريد أن أبدل ما قدرت عليك؛

وعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوة. وروي أن آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون ـ يجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد إلى رأسه، ثم ينزل على أضلاعه كذلك وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض ولده: يا أبت أما ترى ما يصنع هذا بك! لو نهيته عن هذا؛ فقال: يا بني إني رأيت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا اني تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة إلى دار الهوان ومن دار النعيم إلى دار الشقاء، فأخاف أن أتحرك أخرى فيصيبني ما لا أعلم. وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم أفعله لمَ لا فعلته، ولا قال في شيء كان ليته لم يكن، ولا في شيء لم يكن ليته كان، وكان إذا خاصمني مخاصم من أهله يقول: دعوه لو قضي شيء لكان. ويروى أن الله

فيكون ما تحب فوق ما أحب ويكون ما تريد فوق ما أريد؟ وعزتي وجلالي لئن تلجلج في صدرك هذا مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوة) نقله صاحب القوت.

(وروي) في بعض الأخبار **(أن آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على بدنه وينزلون يجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد على رأسه ثم ينزل على أضلاعه كذلك، وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض ولده: يا أبت أما ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا؟ فقال: يا بني إني رأيت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا إني تحركت حركة واحدة فاهبطت من دار الكرامة إلى دار الهوان ومن دار النعيم إلى دار الشقاء، فأخاف أن أتحرك حركة أخرى فيصيبني ما لا أعلم)**. نقله صاحب القوت قال: وروينا في بعض الأخبار أنه قال: إن الله تعالى ضمن لي إن حفظت لساني أن يردني إلى الدار التي أخرجني منها.

(وقال أنس بن مالك) رضي الله عنه: **(خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته، ولا قال في شيء كان ليته لم يكن، ولا في شيء لم يكن ليته كان، وكان إذا خاصمني مخاصم من أهله يقول «دعوه لو قضي شيء لكان»)**.

ولفظ القوت: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ليس كل امرىء كما يريد صاحبه ما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ثم ساقه. وفي آخره: وكان ﷺ يقول «لو قضي شيء لكان» وفي بعض أخباره: وإن خاصمني مخاصم قال: «دعوه لو قضى شيء كان» هذا لفظ ثلاثة أحاديث، وهذا وصف الراضي الموقن بشهادته. وقد رويت لفظه مجملة في شيئين متضادين ما بعثني النبي ﷺ في حاجة قضيت أو لم تقض إلا قال «لو قضى شيء كان» فهذا إذا كان اللفظ راجعاً على الوصفين،

تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود إنك تريد وأريد وإنما يكون ما أريد، فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد.

وأما الآثار، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال. وقال عمر بن عبد العزيز: ما بقي له سرور إلا في مواقع القدر، وقيل له: ما تشتهي؟ فقال: ما يقضي الله تعالى. وقال

فالمعنى فيما قضى أيضاً أي لو قضى أن لا يقضي» فاستوى عنده في القضاء ما قضى لأنه قد قضى أن يقضي وما لم يقض لأنه لم يسبق فيه القضاء، وقد يصلح في هذا الوجه أن لكل حاجة تقديراً من الوهم فكأنها وأن قضيت إلا أنها غير ما تصور في وهمه قال: «لو قضى ذلك لكان» فإن كان اللفظ عائداً على ما لم يقض وحده لأن ما قضى فقد ظهر وبان بلا مسألة، فيكون هذا بمعنى قوله في قصة ذي اليدين كل ذلك لم يكن، وقد كان أحدهما وهو النسيان، وهذا أيضاً فيه لطيفة يحتملها التأويل أن يريد كل ذلك بمجموعيهما لم يكن، فهذا يرجع بمعنى قوله فيما قضى لو قضى أن لا يقضي، كما أن ما لم يقض قد قضى أن يقضي رجع القضاء عليهما، سواء كان ﷺ يرضى بما قضى كيف قضى على ما تصوره الوهم أو بخلافه، ويرضى بما لم يقض لأن القضاء فيهما سواء، فينبغي أن يكون الرضا بهما سواء، فبالنظر في هذه الدقائق والوقوف عندها رفع القدم عند الله تعالى إلى مقام المقربين، وبالتهاون بها والغفلة تعلقت القلوب ففسدت حين لم يصلح للمحبة والرضا اهـ.

وقول أنس المذكور: خدمت رسول الله ﷺ الخ تقدم له في كتاب أخلاق النبوة بلفظ: والذي بعثه بالحق ما قال في شيء قط كرهه لم فعلته ولا لامني أحد من أهله إلا قال: «دعوه إنما كان هذا بكتاب». وقد روى الشيخان من حديث أنس: ما قال لشيء صنعته لم صنعته، ولا لشيء تركته لم تركته. وروى أبو الشيخ في كتاب الأخلاق من حديث له فيه: ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فعاتبني عليه فإن عاتبني أحد من أهله قال: «دعوه فلو قدر شيء كان» وفي رواية له: كذا قضى. وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديثه: «دعوه فإنه لو قضى شيء لكان» وعند الدارقطني في الإفراد وأبي نعيم في الحلية: «لو قضى كان أو قدر كان».

(ويروى) في بعض الأخبار **(أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود تريد وأريد إنما يكون ما أريد)** نقله صاحب القوت.

(وأما الآثار: فقد قال ابن عباس) رضي الله عنه: **(أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة)** أي ليدخلها **(الذين يحمدون الله تعالى على كل حال)** أي في السراء والضراء. **(وقال عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله تعالى: لقد أصبحت و **(ما بقي لي سرور إلا في**

ميمون بن مهران: من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء. وقال الفضيل: إن لم تصبر على تقدير الله لم تصبر على تقدير نفسك، وقال عبد العزيز بن أبي روّاد: ليس الشأن في أكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر، ولكن الشأن في الرضا عن الله عز وجل. وقال عبدالله بن مسعود؛ لأن ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إليَّ من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو شيء لم يكن ليته كان. ونظر رجل إلى قرحة في رجل محمد بن واسع فقال: إني لأرحمك من هذه القرحة، فقال: إني لأشكرها منذ خرجت إذ لم تخرج في عيني.

وروي في الإسرائيليات أن عابداً عبد الله دهراً طويلاً، فأري في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة؛ فسأل عنها إلى أن وجدها فاستضافها ثلاثاً لينظر إلى عملها، فكان

مواقع القدر، وقيل له: ما تشتهي؟ فقال: ما يقضي الله تعالى) وقال أبو عبد الرحمن البناجي: من عباد الله خلق يستحبون من الصبر يتلقفون مواقع أقداره بالرضا تلقفاً. **(وقال ميمون بن مهران)** الخزرجي رحمه الله: **(من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء. وقال الفضل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(إن لم تصلح على تقدير الله تعالى لم تصلح على تقدير نفسك. وقال)** أبو عبد الرحمن **(عبد العزيز بن أبي روّاد)** بفتح الراء وتشديد الواو، صدوق عابد، روى له الأربعة أسند عن كبار التابعين: **(ليس الشأن في أكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر، ولكن الشأن في الرضا عن الله عز وجل)** وقد كان ذهب بصر عبد العزيز هذا منذ عشرين سنة فلم يعلم به أهله ولا ولده، فتأمله ابنه ذات يوم فقال: يا أبت ذهبت عينك؟ قال: نعم يا بني الرضا عن الله أذهب عين أبيك. **(وقال عبدالله بن مسعود)** رضي الله عنه: **(لأن ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إليّ من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان)** رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي الحكم أو الحكم عن أبي وائل عنه قال: ما أحد من الناس اليوم إلا يتمنى فساقه. وفيه: ولأن يعض أحدكم على جمرة حتى تطفأ خير من أن يقول لأمر قضاه الله ليت هذا لم يكن. **(ونظر رجل إلى قرحة في رجل محمد بن واسع)** البصري رحمه الله تعالى **(فقال: إني لأرحمك من هذه القرحة. فقال: إني لأشكرها منذ خرجت إذ لم تخرج في عيني)** رواه أحمد في الزهد. ومن طريقه أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن مصعب قال: سمعت يحي بن سليم يذكر عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: رأيت في يد محمد بن واسع قرحة وكأنه رأى ما قد شق عليَّ منها. فقال لي: أتدري ماذا لله علي في هذه القرحة من نعمة؟ قال: فسكت، فقال: حيث لم يجعلها على حدقتي ولا على طرف لساني ولا على طرف ذكري. قال: فهانت علي قرحته.

(وروي في الإسرائيليات أن عابداً عبدالله دهراً طويلاً فأري في المنام فلانة الراعية رفيقتك في الجنة، فسأل عنها إلى أن وجدها فاستضافها ثلاثاً لينظر إلى عملها، فكان

يبيت قائماً وتبيت نائمة ويظل صائماً وتظل مفطرة، فقال: أما لك عمل غير ما رأيت؟ فقالت: ما هو والله إلا ما رأيت لا أعرف غيره، فلم يزل يقول: تذكري حتى قالت: خصيلة واحدة هي فيَّ إن كنت في شدة لم أتمنَّ أن أكون في رخاء، وإن كنت في مرض لم أتمنَّ أن أكون في صحة، وإن كنت في الشمس لم أتمنَّ أن أكون في الظل، فوضع العابد يده على رأسه وقال: أهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد.

وعن بعض السلف أن الله تعالى إذا قضى في السماء قضاء أحب من أهل الأرض أن يرضوا بقضائه. وقال أبو الدرداء: ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر، وقال

يبيت قائماً وتبيت نائمة ويظل صائماً وتظل مفطرة، فقال: أما لك عمل إلا ما رأيت؟ فقالت: ما هو والله إلا ما رأيت لا أعرف غيره، فلم يزل يقول تذكري حتى قالت: خصيلة واحدة هي فيّ إن كنت في شدة لم أتمن أن أكون في رخاء، وإن كنت في مرض لم أتمن أن أكون في صحة، وإن كنت في الشمس لم أتمن أن أكون في الظل فوضع العابد يده على رأسه وقال: أهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد) كذا لفظ القوت.

وقد رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا عبدالله بن محمود، عن عبدالله بن محمد بن يزيد بن خنيس، حدثني أبي عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: بلغني أن عابداً في بني إسرائيل يتعبد فأتي في منامه أن فلانة زوجتك في الجنة. قال: فلانة وما عملها؟ فجاءها فقال لها: إني أحب أن أضيفك ثلاثة أيام مع لياليهن. فقالت: بالرحب والسعة. قال: فكان عندها تلك الثلاث يبيت قائماً وتبيت نائمة ويصبح صائماً وتصبح مفطرة، فلما مضت قال: مالك عمل غير هذا ما أوثق عملك عندك؟ قالت: يا أخي ما هو إلا ما رأيت إلا خصيلة واحدة. قال: وما تلك الخصيلة؟ قالت: إني إن كنت في شدة لم أتمن أني كنت في رخاء وإن كنت جائعة لم أتمن أني كنت شبعانة، وإن كنت في شمس لم أتمن أني كنت في فيء، وإن كنت في مرض لم أتمن أني كنت في صحة. فقال: وأي خصيلة هذه والله خصلة يعجز عنها العباد.

(وعن بعض السلف أن الله تعالى إذا قضى من السماء قضاء أحب من أهل الأرض أن يرضوا بقضائه) كذا في القوت. **(وقال أبو الدرداء)** رضي الله عنه: **(ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر)**. ولفظ القوت: بما قسم الله له. وقد رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا موسى بن هارون الحافظ، حدثنا أبو الربيع وداود بن رشيد قالا: حدثنا بقية، حدثنا يحي بن سعد، عن خالد بن معدان، حدثني يزيد بن مرثد الهمداني أبو عثمان عن أبي الدرداء أنه كان يقول: ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر والإخلاص للتوكل والإستسلام للرب تعالى.

عمر رضي الله عنه: ما أبالي على أي حال أصبحت وأمسيت من شدة أو رخاء. وقال الثوري يوماً عند رابعة: اللهم أرض عنا، فقالت: أما تستحيي من الله أن تسأله الرضا. وأنت عنه غير راض، فقال: أستغفر الله، فقال سليمان بن جعفر بن سليمان الضبعي: فمتى يكون العبد راضياً عن الله تعالى؟ قالت: إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة. وكان الفضيل يقول: إذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عن الله تعالى. وقال أحمد بن أبي الحواري، قال أبو سليمان الداراني: إن الله عز وجل من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم. قلت: وكيف ذاك؟ قال: أليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاه؟ قلت: نعم، قال: فإن محبة الله من عبيده أن يرضوا عنه. وقال سهل: حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا، وحظهم من الرضا على قدر

(وقال عمر رضي الله عنه: ما أبالي على أي حال أصبحت وأمسيت من شدة أو رخاء). رواه ابن عيينة عن أبي السوداء عن أبي مجلز قال: قال عمر: ما أبالي على ما أصبحت على ما أحب أو ما أكره أي لا أدري الخيرة لي فيما أحب أو فيما أكره وقد تقدم. **(وقال)** جعفر بن سليمان الضبعي، قال سفيان **(الثوري)** رحمه الله تعالى: **(كنت يوماً عند رابعة)** العدوية المتوفية سنة ١٣٥ **(فقلت: اللهم ارض عنا. فقالت: أما تستحي من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض، فقال)** الثوري: **(استغفر الله)** فهي ذكرته بأن رضا الله إنما هو ثمرة رضا العبد عن الله تعالى، فتذكر الثوري ورجع إلى نفسه واستغفر، **(فقال)** أبو سليمان **(جعفر بن سليمان الضبعي)** البصري صدوق زاهد احتج به مسلم، وروى له البخاري تعليقاً والأربعة مات سنة ١٧٨: **(فمتى يكون العبد راضياً عن الله تعالى؟ قالت: إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة)** كذا في القوت. ولفظ القشيري: وسئلت رابعة متى يكون العبد راضياً؟ فقالت: إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة.

(وكان الفضيل) بن عياض **(يقول: إذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عن الله تعالى)** رواه أبو نعيم في الحلية. **(وقال)** أبو الحسن **(أحمد بن أبي الحواري)** عبدالله بن ميمون بن العباس بن الحارث التغلبي الدمشقي ثقة زاهد، روى له أبو داود وابن ماجه مات سنة ١٤٦ **(قال)** لي **(أبو سليمان الداراني)** رحمه الله تعالى: **(إن الله عز وجل من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم. قلت: وكيف ذاك؟ قال: أليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاه؟ قلت: نعم. قال: فإن محبة الله من عبيده أن يرضوا عنه)** نقله صاحب القوت. **(وقال سهل)** التستري رحمه الله تعالى: **(حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا، وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل)** نقله صاحب

عيشهم مع الله عز وجل، وقد قال النبي ﷺ: «إن الله عز وجل بحكمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الغم والحزن في الشك والسخط».

بيان حقيقة الرضا وتصوّره فيما يخالف الهوى:

اعلم أن من قال: ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء إلا الصبر فأما الرضا فلا يتصور، فإنما أتى من ناحية إنكار المحبة، فأما إذا ثبت تصوّر الحب لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى أن الحب يورث الرضا بأفعال الحبيب، ويكون ذلك من وجهين:

أحدهما: أن يبطل الإحساس بالألم حتى يجري عليه المؤلم ولا يحس، وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها. ومثال الرجل المحارب فإنه في حال غضبه أو في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى إذا رأى الدم استدل به على الجراحة، بل الذي يغدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بألم ذلك لشغل قلبه، بل الذي يحجم أو يحلق رأسه بحديدة كآلة يتألم به فإن كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين

القوت، (**وقد قال النبي ﷺ: «إن الله عز وجل بحكمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط»**) قال صاحب القوت: رواه عطية عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً. وقال العراقي: رواه الطبراني من حديث ابن مسعود، وقد تقدم.

بيان حقيقة الرضا وتصوّره فيما يخالف الهوى:

(**اعلم**) بصرك الله تعالى (**أن من قال**) من البطالين (**ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء إلا الصبر، فأما الرضا فلا يتصور فإنما أتى**) فيما توهمه (**من ناحية إنكار المحبة**) وقد تقدم بيان مذهبه والإحتجاج عليه، (**فأما إذا ثبت**) مما ذكرناه (**تصور الحب لله تعالى واستغراق الهم به، فلا يخفى أن الحب يورث الرضا بافعال الحبيب**) إذ هو غاية الحب، (**ويكون**) تصوير (**ذلك من وجهين**).

(**أحدهما**): أعلى من الثاني، فالأعلى الذي لا يتصور وقوعه إلا بعد كمال المحبة (**أن يبطل الإحساس بالألم حتى يجري على المؤلم ولا يحس، وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها**) وهذا غايته التي وصل إليها، وهذا موجود في الأحوال المعتادة من الصفات البشرية لأن حكمة الله في الصفات البشرية أي قوة غلبته حكمته على سائر القوى. (**ومثاله: الرجل المحارب فإنه في حال غضبه**) وقد تقوى القوة الغضبية (**أو في حال خوفه**) وقد تقوت إماراته (**قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها**) ولا يدرك لها ألماً (**حتى إذا رأى الدم**) بارزاً من موضع الجراحة (**استدل بها على الجراحة، بل الذي يغدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بألم ذلك لشغل قلبه**) بما هو فيه، (**بل الذي يحجم أو يحلق رأسه بحديدة كآلة**) أي باردة الحدّ (**يتألم**

والحجام وهو لا يشعر به، وكل ذلك لأن القلب إذ صار مستغرقاً بأمر من الأمور مستوفى به لم يدرك ما عداه، فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتم له لولا عشقه ثم لا يدرك غمه وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه، هذا إذا أصابه من غير حبيبه! فكيف إذا أصابه من حبيبه؟ وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل وإذا تصوّر هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم، فإن الحب أيضاً يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر، فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال، فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه. فقد روي أن امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها: أما تجدين الوجع؟ فقالت: إن لذة ثوابه أزالت من قلبي مرارة وجعه، وكان

به) لا محالة، **(فإن كان مشغول القلب بمهم من مهماته فرغ المزين)** من حلاقته **(والحجام)** عن حجامته **(وهو لا يشعر به)**. ولهذا أمثلة كثيرة وفيما ذكره المصنف كفاية، **(وكل ذلك)** لأن **(القلب إذا صار مستغرقاً بأمر من الأمور مستوفى به)** آخذاً بكليته **(لم يدرك ما عداه، فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو بحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتم له لولا عشقه، ثم لا يدرك همه وألمه لفرط استيلاء الحب على قلبه، هذا إذا أصابه من غير حبيبه، فكيف إذا أصابه من حبيبه؟ وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل، وإذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم؟ فإن الحب أيضاً يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم، وكما يقوى حب الصور الجميلة)** الظاهرة **(المدركة بحاسة البصر، فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة)** هذا ظاهر، **(وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال، فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره بحيث يدهش)** عن عقله **(ويغشى عليه فلا يحس بما يجري عليه)** لأن الإلتذاذ به يذهب الإحساس، **(فقد روي ان امرأة فتح)** بن شخرف **(الموصلي)** وكانت من المحبين **(عثرت)** برجلها **(فانقطع ظفرها فضحكت فقيل لها: أما تجدين الوجع؟ فقالت: إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه)** نقله صاحب القوت.

وروى البيهقي في الشعب عن أبي عثمان الخياط قال: سمعت السري يقول: سمعت فضيلاً يقول: توجعت ابنة له فعادها فقال لها: يا بنية كيف كفك هذه» فقالت له: يا أبت إن الله قد بسط لي من ثوابها ما لا أؤدي شكره عليه أبداً، فتعجبت من حسن يقينها. قال الفضيل: فأنا عندها قاعد إذ أتاني ابن له ثلاث سنين فقبلته وضممته إلى صدري، فقالت لي: يا أبت سألتك بالله اتحبه؟ قلت: أي والله يا بنية إني لأحبه، فقالت: لي سوأة لك من الله يا ابت أني ظننت أنك

سهل رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه فقيل له في ذلك فقال: يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع!

وأما الوجه الثاني: فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضياً به بل راغباً فيه مريداً له. أعني بعقله وإن كان كارهاً بطبعه كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد به ملة بفعله فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الألم، وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضياً بها.

لا تحب مع الله غير الله، فقلت لها: أي يا بنية ولا يحبون الأولاد، فقالت: المحبة للخالق والرحمة للأولاد. قال: فلطم الفضيل على رأس نفسه وقال: يا رب هذه ابنتي هجتني في حبها وحب أخيها، وعزتك لا أحببت معك أحد حتى ألقاك.

(وكان سهل) التستري **(رحمه الله تعالى به علة يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه، فقيل له في ذلك)** وعوتب. **(فقال: يا دوست)** أي يا محب **(ضرب الحبيب لا يوجع)** نقله صاحب القوت. وكان الجنيد يقول من علامة المحب في المكاره والأسقام هيجان المحبة وذكرها عند نزول البلاء إذ هو لطف من مولاه ونيل القربة إلى محبوبه، وقلة التأذي بكل بلاء يصيبه لغلبة الحب على قلبه، وقد كان بعض المحبين يقول: اصغى ما أقول ذكراً إذا كنت محموماً، وهذا الذي ذكره سهل من أن ضرب الحبيب لا يوجع هو مقام الإستغراق، وقد يتفق أن ضرب الحبيب يوجع، كما حكي أن الحلاج حين صلب وأمر الناس برجمه فرجموه بالحجارة وهو ساكت لا يتأوه، فجاءت أخته وكانت من العارفات فرجمته بحصاة صغير فقال: آه! فقيل له في ذلك فقال: ضرب الحبيب يوجع، وهذا له وجه حيث أنه صدر ذلك بعد معرفة العذر.

(وأما الوجه الثاني: فهو أن يحس به ويدرك ألمه) ويكرهه بطبعه **(ولكن يكون راضياً به)** بل **(راغباً فيه مريداً له. أعني بعقله وإن كان كارهاً)** له **(بطبعه)** وهذا **(كالذي يلتمس من الفصاد الفصد و)** من الحجام **(الحجامة، فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقلد من الفصاد)** والحجام **(به منة بفعله)** لما يجد فيه الشفاء والراحة، **(فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الألم، وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر)** لا محالة، **(ولكن حبه لثمرة سفره)** التي هي الربح **(طيب عنده مشقة السفر)** وسهلها عليه **(وجعله راضياً بها)**. وهذه الدرجة واجبة وهي الإيمان لله يجب كسبها بما ورد فيها من الفضائل وما قبلها موهبة من الله تعالى لا يوجد بالكسب، لكن مقدماتها مكسوبة وهي التخلق بالأخلاق المحمودة، فالتخلق من جانبك لا من جانب الله، فمتى تخليت من المذمومات وتحليت بالمحمودات أفاض الله عليك من نوره ومعرفته ما لا يمكن وصفه ولا تمكن العبارة عنه، وكلما

ومهما أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه، هذا إن كان يلاحظ الثواب والإحسان الذي يجازى به عليه، ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد محبوبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه، فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوباً عنده ومطلوباً، وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصفها المتواصفون في نظمهم ونثرهم، ولا معنى له إلا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر، فإن نظر إلى الجمال فما هو إلا جلد ولحم ودم مشحون بالأقذار والأخباث بدايته من نطفة مذرة ونهايته جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة، وإن نظر إلى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما ترى كثيراً فترى الصغير كبيراً والكبير صغيراً والبعيد قريباً والقبيح جميلاً، فإذا تصور استيلاء هذا الحب فمن أين يستحيل ذلك في حب الجمال الأزلي الأبدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط ولا يدور بها الموت، بل تبقى بعد الموت حية

أزددت معرفة ازددت رضا إلى ما لا يتناهى. (**ومهما أصابه بلية من الله عز وجل وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه، هذا إذا كان يلاحظ الثواب والإحسان الذي يجازى به عليه، ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ المحب في مراد محبوبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه، فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوباً عنده ومطلوباً، وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق، وقد تواصفها المتواصفون**) من المحبين والعشاق (**في نظمهم ونثرهم**) ورتبوا في ذلك مؤلفات. (**ولا معنى له إلا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر، فإن نظر إلى الجمال فما هو إلا جلد**) مشتمل (**ولحم ودم مشحون بالأقذار والأخباث بدايته**) إن نظر إليها فإنها (**من نطفة مذرة**) كما قال تعالى: ﴿من مني يمنى﴾ [القيامة: ٣٧] (**ونهايته**) إن تأملها فإنها (**جيفة قذرة**) من أنتن الجيف (**وهو فيما بين ذلك**) أي بين البداية والنهاية (**يحمل العذرة**) في بطنه وهذا فيه عبرة لمن اعتبر. هذا إذا نظر إلى المدرك، (**وإن نظر إلى المدرك للجمال**) المذكور (**فهي العين الخسيسة**) الناقصة (**التي**) ركبت فيها حاسة الإدراك وهي (**تغلط فيما ترى كثيراً، فترى الصغير كبيراً والكبير صغيراً والبعيد قريباً والقبيح جميلاً**) والساكن متحركاً والمتحرك ساكناً، ومن نقصها أنها تبصر من الأشياء ظاهرها دون باطنها، ومن الموجودات بعضها دون كلها، وتبصر غيرها ولا تبصر نفسها، وتبصر أشياء متناهية ولا تبصر ما لا نهاية له على ما تقدم تفصيل ذلك.

(**فإذا تصور استيلاء هذا الحب فمن أين يستحيل ذلك في حب الجمال الأزلي الأبدي الذي لا منتهى لكماله، المدرك بعين البصيرة التي لا يعتريها الغلط**) والنقص، (**ولا يدور**

عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالموت مزيد تنبيه واستكشاف ، **فهذا أمر واضح** من حيث النظر بعين الاعتبار ، ويشهد لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم .

فقد قال شقيق البلخي : من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها . وقال الجنيد : سألت سرياً السقطي هل يجد المحب ألم البلاء ؟ قال : لا ، قلت : وإن ضرب بالسيف ؟ قال : نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة . وقال بعضهم : أحببت كل شيء يحبه حتى لو أحب النار أحببت دخول النار . وقال بشر بن الحرث : مررت برجل وقد ضرب ألف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل إلى الحبس ، فتبعته فقلت له : لم ضربت ؟ فقال : لأني عاشق ، فقلت له : ولم سكت ؟ قال : لأن معشوقي كان بحذائي ينظر إليَّ ، فقلت : فلو نظرت إلى المعشوق الأكبر ! قال : فزعق زعقة خرّ ميتاً . وقال

بها الموت) بخلاف العين فإنها أول ما تسيل على الخدين في القبر ، **(بل تبقى عند الموت حية عند الله فرحة بـرزق الله)** فـإنها محل المعـرفـة والمحبـة ، **(مستفيـدة بـالموت مـزيـد تنبـه واستكشاف ؛ فهذا أمر واضح لا يتلبس من حيث النظر بعين الإعتبار)** إذا توصل فيه ، **(ويشهد لذلك الوجود حكايات أحوال المحبين وأقوالهم على اختلاف درجاتهم في الحب ، (فقد قال شقيق البلخي)** رحمه الله تعالى : **(ومن يرى ثواب الشدة)** وما يترتب عليها من حسن الجزاء **(لا يشتهي المخرج منها . وقال الجنيد)** رحمه الله تعالى : **(سألت)** استاذي **(سرياً السقطي)** رحمه الله تعالى : **(هل يجد المحب ألم البلاء ؟ قال : لا . قلت : ولو ضرب بالسيف ؟ قال : نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة)** ، وهذا مقام المستغرق بالحب فإن نفسه سكنت عن الاضطـراب تحت مجاري الأقـدار . **(وقـال بعضهـم : أحببـت كـل شيء يحبه حتى لو أحب النار أحببت دخول النار)** ، وهذا مقام الراضي المحب كما قال ابن خفيف : الرضا سكون القلب إلى أحكامه وموافقة القلب بما رضي واختار ، وأنشد صاحب مصارع العشاق لسمنون :

ولـو قيـل طـأفي النـار أعلم أنـه رضا لك أو مدن لنا مـن وصـالـك
لقـد مـت رجلي نحوهـا فـوطئتهـا سروراً لأني قـد خطـرت ببـالـك

(وقال بشر بن الحرث) الحافي رحمه الله تعالى : **(مررت برجل)** من العيارين **(وقد ضرب ألف سوط في شرقية بغداد)** في جناية جناها **(ولم يتكلم)** أي لم يتأوّه من الضرب ، **(ثم حمل إلى الحبس فتبعته فقلت له : لم ضربت ؟ فقال : لأني عاشق ، فقلت له : ولم سكـت ؟ قـال : لأن معشوقي كان بحذائي ينظر إليَّ)** فلم أجد بسببه ألم الضرب ، **(فقلت)** له . هذا في المخلوق **(ولو نظرت إلى المعشوق الأكبر)** كيف كان حالك ؟ **(قال : فزعق زعقة خر ميتاً)** نقل القشيري نحوه . وهذا كان محباً محجوباً ، فلما انكشف له الحجاب لم يتحمل فكان سبب زهاق روحه .

يحي بن معاذ الرازي ـ رحمه الله تعالى إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم مثل لذة النظر إلى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع إليهم فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله؟ إذا لاحظت جلاله هابت وإذا لاحظت جماله تاهت! وقال بشر: قصدت عبادان في بدايتي فإذا برجل أعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل يأكل لحمه فرفعت رأسه فوضعته في حجري وأنا أردد الكلام، فلما أفاق قال: من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعني ارباً إرباً ما ازددت له إلا حباً. قال بشر: فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فأنكرتها، وقال أبو عمرو محمد بن الأشعث: إن

(وقال يحي بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى: إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى) حين يتجلى عليهم غشي عليهم و **(ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر إلى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع إليهم، فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله)** في الدنيا **(إذا لاحظت جلاله هابت، وإذا لاحظت جماله تاهت)** ؟

(وقال بشر) الحافي رحمه الله تعالى: **(قصدت عبادان)** وهي قرية في جزيرة قرب البصرة **(في بدايتي)** أي أوّل سلوكي **(فإذا أنا برجل أعمى مجذوم قد صرع)** على الأرض **(والنمل يأكل لحمه فرفعت رأسه)** من الأرض شفقة عليه، **(فوضعته في حجري وأنا أردد الكلام)** وادعو له، **(فلما أفاق)** من غشيته **(قال: من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي) ؟** ثم رجع إلى ربه وقال: **(لو قطعني إرباً إرباً)** أي قطعة قطعة **(ما ازددت له إلا حباً . قال بشر: فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وربه فأنكرتها) .**

ولفظ القوت: وحدثونا عن بشر الحافي رضي الله عنه قال: رأيت بعبادان رجلاً قد قطن البلى وقد سالت حدقتاه على خده وهو في ذلك كثير الذكر عظيم الشكر لله عز وجل. قال: وإذا هو قد صرع عن جنة. قال: فوضعت رأسه في حجري وجعلت أسأل الله كشف ما به وادعو له فأفاق فسمع دعائي فقال: من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي، ويعترض عليه في نعمه علي؟ ونحى رأسه. قال بشر: فاعتقدت أن لا اعترض على عبد في نعمة أراها عليه من البلاء.

وقال أبو محمد السراج في مصارع العشاق: حدثنا أحمد بن علي بن ثابت، حدثنا عبد الرحمن بن فضالة، أخبرنا محمد بن عبدالله بن شافان، سمعت طيباً المحملي بالبصرة يقول: سمعت علي بن سعيد العطار يقول: مررت بعبادان بمكفوف مجذوم، وإذا الزنبور يقع عليه فيقطع لحمه فقلت: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه به وفتح من عيني ما أغلق من عينه. قال: فبينا أنا أردد الحمد إذ صرع، فبينا هو يتخبط فنظرت إليه فإذا هو مقعد، فقلت: مكفوف يصرع مقعد مجذوم. قال: فما استتممت كلامي حتى صاح: يا مكلف ما دخولك فيما بيني وبين ربي دعه يعمل بي ما شاء؟ ثم قال: وعزتك وجلالك لو قطعتني ارباً أو صببت علي العذاب صباً ما ازددت لك إلا حباً.

أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر إلى وجه يوسف الصديق عليه السلام، كانوا إذا جاعوا نظروا إلى وجهه فشغلهم جماله عن الإحساس بألم الجوع، بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك وهو قطع النسوة أيديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما أحسسن بذلك، وقال سعيد بن يحيى: رأيت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شاباً وفي يده مدية وهو ينادي بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول:

يوم الفراق من القيامة أطولُ ... والموت من ألم التفرق أجملُ

قالوا الرحيل فقلت لست براحل ... لكن مهجتي التي تترحّلُ

ثم بقر بالمدية بطنه وخرّ ميتاً فسألت عنه وعن أمره فقيل لي: إنه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوماً واحداً. ويروى أن يونسَ عليه السلام قال لجبريل: دلني على أعبد أهل الأرض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره، فسمعه وهو يقول: إلهي متعتني بهما ما شئت أنت، وسلبتني ما شئت أنت، وأبقيت لي

(وقال أبو عمرو محمد بن الأشعث) الكوفي، وهو شيخ لابن عدي قد اتهمه كذا ذكره الذهبي في الديوان، أما محمد بن الأشعث الكندي فتابعي ثقة ويكنى أبا القاسم: **(إن أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر إلى وجه يوسف الصديق عليه السلام)** وذلك حين أصابهم القحط سبع سنوات متواليات، **(كانوا إذا جاعوا نظروا إلى وجهه فشغلهم جماله عن الإحساس بألم الجوع، بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك وهو قطع النسوة)** زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجّان وصاحب الدواب **(أيديهن)** بالسكاكين **(لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى)** دهشن، و**(ما أحسسن بذلك)** الجراح.

(وقال سعيد بن يحيى) الكوفي العابد روى عنه ابنه أحمد: **(رأيت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم)** موضع معروف هنالك **(شاباً وفي يده مدية وهو ينادي بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول:**

يوم الفراق من القيامة أطول ... والموت من ألم التفرق أجل

قالوا الرحيل فقلت لست براحل ... لكن مهجتي التي تترحل

ثم بقر بالمدية بطنه وخرّ ميتاً فسألت عنه وعن أمره فقيل لي: إنه كان يهوى فتى لبعض الملوك حجب عنه يوماً واحداً) رواه أبو محمد السراج في كتاب مصارع العشاق.

(ويروى) في بعض الأخبار **(أن يونس)** النبي **(قال لجبريل عليهما السلام: دلني على أعبد أهل الأرض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره فسمعه وهو يقول: إلهي متعتني بهما ما شئت أنت وسلبتني ما شئت أنت وأبقيت لي فيك الأمل يا برّ يا وصول)**.

فيك الأمل يا بر يا وصول. ويروى عن عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه حتى قال بعض القوم: لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام حدث، فمات الغلام فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل أشد سروراً أبداً منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر: إنما كان حزني رحمة له، فلما وقع أمر الله رضينا به. وقال مسروق: كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك، فالديك يوقظهم للصلاة، والحمار ينقلون عليه الماء. ويحمل لهم خباءهم، والكلب يحرسهم. قال: فجاء الثعلب فأخذ الديك فحزنوا له، وكان الرجل صالحاً فقال: عسى أن يكون خيراً ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا عليه فقال الرجل: عسى أن يكون خيراً ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال: عسى أن يكون خيراً ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سبي من حولهم وبقواهم، قال: وإنما أخذوا أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والديكة، فكانت الخيرة لهؤلاء في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى، فإذاً من

(**ويروى عن عبدالله بن عمر**) بن الخطاب (**رضي الله عنهما أنه اشتكى له ابن فاشتد وجده عليه**) وقلق (**حتى قال بعض القوم: لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام حدث**) أي أمر حادث من الموت (**فمات الغلام، فخرج ابن عمر في جنازته وما رجل**) في القوم (**أشد سروراً منه فقيل له في ذلك فقال: إنما كان حزني رحمة له، فلما وقع أمر الله رضينا به**) وهذا هو الرضا بعد القضاء الذي جاء ذكره في الخبر المتقدم.

(**وقال مسروق**) ابن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي أبو عائشة الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم مات سنة ٦٣: (**كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك**) كان (**يوقظهم للصلاة، والحمار**) كانوا (**ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم، والكلب**) كان (**يحرسهم**) من بغتة العدو قال: (**فجاء الثعلب فأخذ الديك فحزنوا له، وكان الرجل صالحاً فقال: عسى أن يكون خيراً، ثم جاء ذئب فخرق بطن الحمار فقتله. فحزنوا عليه فقال الرجل: عسى أن يكون خيراً، ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال: عسى أن يكون خيراً، ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سبي من حولهم**) من العرب (**وبقواهم. قال: وإنما أخذ أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والديكة، فكانت الخيرة لهؤلاء في هؤلاء هلاك الحيوانات كما قدره الله تعالى**).

واخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا عن سعيد بن المسيب قال لقمان لابنه: يا بني لا ينزلن بك أمر رضيته أو كرهته إلا جعلت في الضمير منك أن ذلك خير لك، فخرج على حمار وابنه على حمار وتزوّدوا للقاء نبي قد بعث فسارا أياماً وقد استقبلتهما مفازة، فسارا فيها ما شاء الله حتى ظهرا وقذ تعالى النهار واشتد الحر ونفد الزاد واستبطآ حمارهما، فنزلا فجعلا يشتدان على سوقهما،

عرف خفي لطف الله تعالى رضي بفعله على كل حال. ويروى أن عيسى عليه السلام مرّ برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلي به كثيراً من خلقه فقال له عيسى: يا هذا أي شيء من البلاء أراه مصروفاً عنك؟ فقال: يا روح الله أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته، فقال له: صدقت هات يدك، فناوله يده فإذا هو أحسن الناس وجهاً وأفضلهم هيئة وقد اذهب الله عنه ما كان به. فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه. وقطع عروة بن الزبير رِجله ـ من ركبته ـ من أكلة خرجت بها، ثم قال: الحمد لله الذي

فبينما هما كذلك إذ نظر لقمان أمامه فإذا هو بسواد ودخان فقال في نفسه: السواد فالشجر والدخان العمران، فبينما هما كذلك إذ وطيء ابن لقمان على عظم فأتى على الطريق فخرّ مغشياً عليه، فوثب إليه لقمان وضمه إلى صدره وقال: لعل هذا خير لي واستخرج العظم بأسنانه فذرفت عيناه فقال: يا أبت أنت تبكي وأنت تقول هذا خير لي، وقد نفد الطعام والماء وبقيت أنا وأنت في هذا المكان، فإن رحلت وتركتني ذهبت بهم وغم وإن أقمت معي متنا جميعاً، فقال: يا بني أما بكائي فرقة الوالدين، وأما ما قلت فكيف يكون هذا خيراً لي فلعل ما صرفه عنك أعظم مما ابتليت فيه، ولعل ما ابتليت به أيسر مما صرف عنك، ثم نظر أمامه فلم ير ذلك الدخان والسواد، وإذا شخص أقبل على فرس أبلق عليه ثياب بيض حتى إذا كان قريباً منه توارى عنه، ثم صاح انت لقمان؟ قال: نعم. قال: ما قال لك ابنك؟ قال: من أنت؟ قال: أنا جبريل أمرني ربي بخسف هذه المدينة، وأخبرت إنكما تريدانها، فدعوت ربي أن يحبسكما بما شاء فحبيتكما بما ابتلي به ابنك، ولولا ذلك الخسف بكما معهم، ثم مسح جبريل يده على قدم الغلام فاستوى قائماً ورحل بهما إلى موضعهما كما يرحل الطير. (**فإذاً من عرف خفي لطف الله تعالى رضي بفعله على كل حال**).

(**ويروى**) في الإسرائيليات (**أن عيسى عليه السلام مرّ برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنبين بفالج، وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلي به كثيراً من خلقه، فقال له عيسى: يا هذا أي شيء من البلاء أراه مصروفاً عنك؟ فقال: يا روح الله أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته، فقال له: صدقت هات يدك فناوله يده**) فأبرأه الله مما كان به، (**فإذا هو أحسن الناس وجهاً وأفضلهم هيئة قد أذهب الله عنه ما كان به**) ببركة رضاه عن ربه، (**فصحب عيسى**) عليه السلام مدة (**وتعبد معه**).

(**وقطع**) أبو عبدالله (**عروة بن الزبير**) بن العوام القرشي الأسدي المدني أحد فقهاء المدينة السبعة (**رجله من ركبته من أكلة خرجت بها**) وكان قد خرج إلى الوليد بن عبد الملك، فخرجت برجله الأكلة فقطعها، وسقط ابن له عن ظهر بيت مشرف على موضع خيل الوليد فوقع

أخذ مني واحدة وأيمك لئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت ابتليت لقد عافيت، ثم لم يدع ورده تلك الليلة. وكان ابن مسعود يقول: الفقر والغنى مطيتان ما أبالي أيتهما ركبت، إن كان الفقر فإن فيه الصبر، وإن كان الغنى فإن فيه البذل. وقال أبو سليمان الداراني: قد نلت من كل مقام حالاً إلا الرضا فما لي منه إلا مشام الريح. وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضياً. وقيل لعارف آخر: هل

تحت أرجل الدواب فوطئته، **(ثم قال)**: وقد أتاه رجل يعزيه ولم يدر بابنه وقال له: إن ابنك قطعته الدواب: **(الحمد لله الذي أخذ مني واحدة، وأيمك لئن كنت أخذت لقد أبقيت، ولئن كنت ابتليت فقد عافيت)**. وقال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً هكذا رواه هشام بن عروة.

ومن طريق آخر: لما أصيب برجله وبابنه محمد قال: اللهم كانوا سبعة فأخذت واحداً وأبقيت ستة، وكن أربعاً فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثاً، وأيمك لئن كنت أخذت لقد أبقيت ولئن كنت ابتليت لقد اعفيت.

وعن هشام أيضاً قال: وقعت الأكلة في رجله فقيل: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: إن شئتم، فجاء الطبيب فقال: اسقيك شراباً يزول فيه عقلك، فقال: امض لشأنك ما ظننت أن خلقاً يشرب شراباً يزول فيه عقله حتى لا يعرف ربه. قال: فوضع المنشار على ركبته اليسرى ونحن حوله فما سمعنا له حساً، فلما قطعها جعل يقول: لئن أخذت لقد أبقيت ولئن ابتليت لقد عافيت، **(ثم لم يدع ورده)** من القراءة **(تلك الليلة)** وكان ورده ربع القرآن كل يوم نظراً من المصحف ويقوم به الليل وذكر الزبير بن بكار أن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك وقد قطعت رجله فقال لبعض بنيه: اكشف لعمك عن رجلي ينظر إليها بنظر فقال عيسى: يا أبا عبدالله ما أعددناك للصراع ولا للسباق، ولقد أبقى الله عز وجل لنا ما كنا نحتاج إليه منك رأيك وعلمك، فقال عروة: ما عزاني أحد على رجلي مثلك.

(وكان ابن مسعود) رضي الله عنه **(يقول: الفقر والغنى مطيتان ما أبالي أيتهما ركبت إن كان الفقر فإن فيه الصبر، وإن كان الغنى فإن فيه البذل)** رواه الطبراني، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية: حدثنا عمر بن حفص، حدثنا عاصم بن علي، حدثنا المسعودي، حدثنا علي بن بذيمة، عن قيس بن جبتر عن عبدالله قال: ألا حبذا المكروهان الموت والفقر، وأيم الله إن هو إلا الغنى والفقر وما أبالي بايهما ابتليت إن كان الغنى إن فيه للعطف، وإن كان الفقر إن فيه للصبر.

(وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى: **(قد نلت من كل مقام حالاً إلا الرضا فما لي منه إلا مثال الريح، وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضياً)** نقله صاحب القوت إلا أنه قال، وقال بعض العارفين وساقه. وقال في موضع آخر: ومن الناس من كان يقدم سليمان بن أبي سليمان الداراني على أبيه، وكان عارفاً فقال: من تورع في كل شيء فقد بلغ حد الورع، ومن زهد في كل شيء فقد بلغ حد الزهد، ومن رضي عن الله في كل

نلت غاية الرضا عنه فقال: أما الغاية فلا، ولكن مقام الرضا قد نلته لو جعلني جسراً على جهنم يعبر الخلائق عليَّ إلى الجنة ثم ملأ بي جهنم تحلة لقسمه وبدلاً من خليقته لاحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه. وهذا كلام من علم أن الحب قد استغرق همه حتى منعه الإحساس بألم النار فإن بقي إحساس فيغمره ما يحصل من لذته في استشعاره حصول رضا محبوبه بإلقائه إياه في النار، واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وإن كان بعيداً من أحوالنا الضعيفة، ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء ويظن أن ما هو عاجز عنه يعجز عنه الأولياء. وقال الروذباري: قلت لأبي عبدالله بن الجلاء الدمشقي قول فلان: وددت أن جسدي قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاعوه؛ ما معناه؟ فقال: يا هذا إن كان هذا من طريق التعظيم والإجلال

شيء فقد بلغ حد الرضا، فإنما قال هذا كالرد على أبيه لما قال: ثلاث مقامات لا حدّ لها: الورع والزهد والرضا اهـ.

وقد تقدم في كتاب الزهد عن أبي سليمان نحو هذا أنه ليس منه إلا مشام الريح، وتقدم الكلام هناك.

(**وقيل لعارف آخر**) فوقه: (**هل نلت غاية الرضا عنه؟ فقال: أما الغاية فلا، ولكن مقام**) من (**الرضا قد نلت لو جعلني جسراً على جهنم يعبر الخلائق علي إلى الجنة ثم ملأ بي جهنم تحلة لقسمه وبدلاً من خليقته لأحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه**) نقله صاحب القوت وأراد بقوله: تحلة لقسمة ما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾ [مريم: ٧١] وقد روي هذا القول بوجه آخر، قال القشيري: سمعت السلمي يقول: سمع عبدالله الرازي يقول: سمعت ابن أبي حسان الأنماطي يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سليمان يقول: ارجو أن أكون عرفت طرفاً من الرضا لو أنه أدخلني النار لكنت به راضياً انتهى.

(**وهذا كلام من علم أن الحب قد استغرق همه حتى منعه الإحساس بألم النار، فإن بقي إحساس فيغمره ما يحصل من لذته في استشعاره حصول رضا محبوبه بإلقائه إياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه، وإن كان بعيداً من أحوالنا والضعيفة، ولكن لا ينبغي أن يستنكر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء ويظن أن ما هو عاجز عنه ويعجز عنه الأولياء، وقال**) أبو علي أحمد بن محمد (**الروذباري**)، بغدادي أقام بمصر ومات بها سنة ٣٢٢، صحب الجنيد والنوري وابن الجلاء والطبقة: (**قلت لأبي عبدالله**) أحمد بن يحيى (**بن الجلاء**) البغدادي الأصل (**الدمشقي**) الإقامة، صحب أبا تراب النخشبي وذا النون وأبا عبيد البسري وأبا يحيى الجلاء: (**قول فلان وددت أن جسدي قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق**

فلا أعرف وإن كان هذا من طريق الإشفاق والنصح للخلق فاعرف، قال: ثم غشي عليه. وقد كان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد ـ قد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته ـ فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء فجعل يبكي لما يراه من حاله، فقال: لمَ تبكي؟ قال: لأني أراك على هذه الحالة العظيمة! قال: لا تبكِ فإن أحبه إلى الله تعالى أحبه إليَّ! ثم قال: أحدثك شيئاً لعل الله أن ينفعك به، واكتم عليّ حتى أموت، إن الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فأسمع تسليمها فاعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة! فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضياً به؟ قال: ودخلنا على سويد بن متعبة نعوده، فرأينا ثوباً ملقى فما ظننا أن تحته شيئاً حتى كشف، فقالت له امرأته: أهلي فداؤك ما نطعمك؟ ما نسقيك؟ فقال: طالت الضجعة ودبرت الحراقيف

أطاعوه ما معناه؟ فقال: يا هذا إن كان هذا من طريق الإشفاق والنصح للخلق فاعرف، وإن كان من طريق التعظيم والإجلال فلا أعرف. قال: ثم غشي عليه) نقله صاحب القوت. **(وقد كان عمران بن الحصين)** رضي الله عنهما **(قد استسقى بطنه فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة)** سطيحاً **(لا يقوم ولا يقعد، وقد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته)** غائطه وبوله، **(فدخل عليه مطرف)** ابن عبدالله بن الشخير العامري الحرشي البصري، أبو عبدالله من ثقات التابعين وعبادهم، روى له الجماعة مات سنة خمس وتسعين، **(وأخوه العلاء)** كذا في النسخ. وفي القوت أو أخوه أبو العلاء، والصواب أبو العلاء وهو يزيد بن عبدالله بن الشخير العامري البصري، مات سنة إحدى عشرة ومائة، ومولده في خلافة عمر، روى له الجماعة، **(فجعل)** أي مطرف أو أخوه **(يبكي لما يرى من حاله، فقال)** عمران: **(لم تبكي؟ قال: لأني أراك على هذه الحال العظيمة. قال: لا تبك فإن أحبه إلى الله تعالى أحبه إلي، ثم قال: أحدثك شيئاً لعل الله أن ينفعك به واكتم عليَّ حتى أموت: إن الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فأسمع تسليمها)** وتقدم في باب التوكل أن ذلك التسليم كان قد انقطع عنه لما اكتوى على بطنه بالزام الأمير له، ثم بعد ذهاب أثر الكي عاد إليه ذلك، **(فأعلم بذلك)** عمران **(أن هذا البلاء ليس بعقوبة إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة)** وما فيه مثل هذه الآية، إنما هو كرامة ورحمة، وذلك أن بلاء العقوبات لا تكون معه الآيات، ولأنه قد كان حزن عليه فأراد أن يسره، **(فمن يشاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضياً به. قال: ودخلنا على سويد بن مثعبة)** هكذا في النسخ بفتح الميم وسكون المثلثة وعين مهملة، وفي بعض النسخ سويد بن شعبة وهو تصحيف **(نعوده، فرأينا ثوباً ملقى فما ظننا أن تحته شيئاً حتى كشف، فقالت له امرأته: أهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك؟ فقال: طالت الضجعة ودبرت الحراقيف)**

وأصبحت نضواً لا أطعم طعاماً ولا أسيغ شراباً منذ كذا، فذكر أياماً، وما يسرني أني نقصت من هذا قلامة ظفر.

ولما قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة ـ وقد كان كف بصره ـ جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له، فيدعو لهذا ولهذا ـ وكان مجاب الدعوة ـ قال عبدالله بن السائب: فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفني وقال أنت قارىء أهل مكة؟ قلت: نعم، فذكر قصة قال في آخرها. فقلت له: يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فردّ الله عليك بصرك! فتبسم وقال: يا بني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري! وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر، فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك، فقال: اعتراضي عليه فيما قضى أشد علي من ذهاب ولدي.

أي عظام الجنبين (**وأصبحت نضواً**) أي هزيلاً مثل الثوب الخلق (**لا أطعم طعماً ولا أسيغ شراباً منذ كذا فذكر أياماً**) مضت عليه، (**وما يسرني إني نقصت من هذا قلامة ظفر**) نقله صاحب القوت. وهذا مقام الراضي بما أبلاه ربه.

قال صاحب القوت: واعتل حذيفة رضي الله عنه علة الموت فجعل يقول: اخنقني خناقك فوعزتك أنك لتعلم أني أحبك، فلما حضره الموت جعل يقول: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم. قال: وروي أيضاً مثل هذا عن أبي هريرة وأنشدوا:

يا حبيباً بذكره يتوارى	وصفوه لكل داء مجيب
من أراد الطبيب سرى إذا أعـ	ـقل اشتياقاً إلى لقاء الطبيب
من أراد الحبيب سار إليه	وجفا الأهل دونه والقريب
ليس داء المحب يداوي	إنما يرده لقاء الحبيب

(**ولما قدم سعد بن أبي وقاص**) رضي الله عنه (**إلى مكة، وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعو لهذا ولهذا، وكان مجاب الدعوة**) لما روي أن النبي ﷺ دعا له في ذلك فقال: «اللهم أجب لسعد دعوته». (**قال عبدالله بن السائب**)، واسمه صيفي بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي أبو السائب، ويقال أبو عبد الرحمن المكي القارىء له ولأبيه صحبة وهو والد محمد بن عبدالله وكان قارىء أهل مكة، وعنه أخذ أهل مكة القراءة، روى له الجماعة إلا البخاري، (**فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فعرفني وقال: أنت قارىء أهل مكة؟ قلت: نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له: يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك، فتبسم وقال: يا بني قضاء الله عندي أحسن من بصري**) نقله صاحب القوت. (**وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر فقيل له: لو سألت الله تعالى أن يرده عليك! فقال: اعتراضي عليه فيما قضى أشد علي من ذهاب ولدي**) نقله صاحب القوت.

وعن بعض العباد أنه قال: إني أذنبت ذنباً عظيماً فأنا أبكي عليه منذ ستين سنة ـ وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب ـ فقيل له: وما هو؟ قال: قلت مرة لشيء كان، ليته لم يكن. وقال بعض السلف: لو قرض جسمي بالمقاريض لكان أحب إليّ من أن أقول لشيء قضاه الله سبحانه ليته لم يقضه. وقيل لعبد الواحد بن زيد: ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة، فقصده فقال له: يا حبيبي أخبرني عنك هل قنعت به؟ قال: لا، قال: أنست به؟ قال: لا، قال: هل رضيت عنه؟ قال: لا، قال: فإنما مزيدك منه الصوم والصلاة؟ قال: نعم، قال: لولا أني استحيي منك لأخبرتك بأن معاملتك خمسين سنة مدخولة! ومعناه بأنك لم يفتح لك باب القلب فتترقى إلى درجات القرب بأعمال القلب، وإنما أنت تعد في طبقات أصحاب اليمين، لأن مزيدك منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل العموم.

(و) حكي (**عن بعض العباد**) أنه (**قال: إني أذنبت ذنباً عظيماً فأنا أبكي عليه منذ ستين سنة، وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب ـ قيل له: وما هو؟ قال: قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن**) نقله صاحب القوت. (**وقال بعض السلف: لو قرض جسمي بالمقاريض لكان أحب إليّ من أن أقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه**) نقله صاحب القوت. (**وقيل لعبد الواحد بن زيد**) البصري العابد رحمه الله تعالى: (**ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال له: يا حبيبي أخبرني عنك هل قنعت به؟ قال: لا، قال: فهل أنست به؟ قال: لا. قال: فهل رضيت عنه؟ قال: لا. قال: فإنما مزيدك منه الصوم والصلاة؟ قال: نعم. قال: لولا أني أستحي منك لأخبرتك بأن معاملتك خمسين سنة مدخولة**) نقله صاحب القوت.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا عمر بن بحر، سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: حدثنا أبو عبدالله النباجي، قال قيل لعبد الواحد بن زيد: إن بالبصرة رجلاً يصلي ويصوم منذ خمسين سنة. قال: فأتاه عبد الواحد فقال: إن الله شكور ومن عمل له أثابه فأي شيء أثابك من عملك له منذ خمسين سنة، هل قنعت به؟ قال: لا. قال: فهل رضيت عنه؟ قال: لا. قال: فهل أنست به بعد؟ قال: فإنما ثوابك من عملك المزيد في الصوم والصلاة؟ قال: نعم. قال: لولا أني أستحيي منك لأعلمتك أن عملك مدخول انتهى.

(**ومعناه أنه لم يفتح لك باب القلب فتترقى إلى درجات القرب بأعمال القلوب، وإنما أنت تعد في طبقة أصحاب اليمين لأن مزيدك منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل العموم**). ولفظ القوت: أراد بذلك أنه لم يقربك فيجعلك في مقام المقربين فيكون في مزيدك لديه أعمال القلوب إنما أنت عنده في طبقة أصحاب اليمين فمزيدك منه مزيد الصوم، وقد يكون الرجل مصلحاً في مقامه وإن كان فوقه فوق.

ودخل جماعة من الناس على الشبلي رحمه الله تعالى في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة، فقال: من أنتم؟ فقالوا: محبوك، فأقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال: ما بالكم ادعيتم محبتي إن صدقتم فاصبروا على بلائي!

وللشبلي رحمه الله تعالى:

إن المحبة للرحمن أسكرني وهل رأيت محباً غير سكران؟

وقال بعض عباد أهل الشام: كلكم يلقى الله عز وجل مصدقاً ولعله قد كذبه، وذلك أن أحدكم لو كان له أصبع من ذهب ظل يشير بها، ولو كان بها شلل ظل يواريها؛ يعني بذلك أن الذهب مذموم عند الله والناس يتفاخرون به، والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستنكفون منه.

(ودخل جماعة من الناس على) أبي بكر **(الشبلي)** رحمه الله تعالى **(في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال: من أنتم؟ فقالوا: محبوك، فأقبل عليهم يرميهم بالحجارة فتهاربوا فقال: ما بالكم ادعيتم محبتي إن صدقتم فاصبروا على بلائي)**؟ رواه القشيري في الرسالة ولفظه: حبس الشبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال: من أنتم؟ فقالوا: محبوك يا أبا بكر فأقبل يرميهم بالحجارة ففروا، فقال: إن ادعيتم محبتي فاصبروا على بلائي وأنشد الشبلي فقال:

يا أيها السيد الكريم حبك بين الحشاء مقيم
يا رافع النوم عن جفوني أنت بما مر بي عليم

وقد روى صاحب مصارع العشاق نحو هذه القصة.

(وللشبلي رحمه الله تعالى:

إن المحبة للرحمن أسكرني وهل رأيت محباً غير سكران)

(وقال بعض عباد أهل الشام) وعلمائهم، وهو أبو محيريز رحمه الله تعالى كلمة غريبة المعنى دقيقة في معنى المخالفة لله عز وجل، فإن كان قد فسرها فإنه لم يكشف معناها لفهم السامعين منه الحاضرين عنده فيحتاج تفسيرها إلى تفسير، حكي عنه أنه قال: **(كلكم يلقى الله عز وجل مصدقاً ولعله قد كذبه، وذلك أن أحدكم لو كان له أصبع من ذهب ظل يشير بها، ولو كان بها شلل)** أي عيب ونقص **(ظل يواريها يعني بذلك أن الذهب)** زينة الدنيا وهو **(مذموم عند الله تعالى والناس يتفاخرون به، والبلاء زينة الآخرة وهم يستنكفون منه)** أي: فأنت إذا أعطاك زينة الدنيا التي ذمها عندك أظهرت سننها وفخرت بها، وإذا أعطاك زينة الآخرة التي مدحها عندك وهو المصائب والبلايا والفقر كرهتها وأخفيتها لئلا تعاب بذلك، فحسب عليه حب الدنيا والغنى والتزين به وكراهة البلاء والفقر تكذيباً لله تعالى ورداً عليه ما وصفه،

وقيل: إنه وقع الحريق في السوق فقيل للسري: احترق السوق وما احترق دكانك! فقال: الحمد لله، ثم قال: كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين! فتاب من التجارة وترك الحانوت بقية عمره توبة واستغفاراً من قوله الحمد لله.

فإذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعاً أن الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلاً بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين. ومهما كان ذلك ممكناً في حب الخلق وحظوظهم كان ممكناً في حق حب الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعاً، وإمكانه من وجهين.

أحدهما: الرضا بالألم لما يتوقع من الثواب الموجود كالرضا بالفصد والحجامة وشرب الدواء انتظاراً للشفاء.

والثاني: الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له، فقد يغلب الحب

وهذا يدخل في باب الزهد وفي الرضا، ويدخل على من أخفى الفقر والبلاء حياء من الناس لئلا يعاب بذلك فهو من ضعف يقينه بقوة شاهد الخلق، ويدخل فيه من أظهر الغنى من غير نية ولا تحدث بنعم الله تعالى، فذلك أيضاً من قوة شاهد حب الدنيا كذا في القوت.

(**وقيل: إنه وقع الحريق في السوق**) ببغداد (**فقيل للسري**) السقطي رحمه الله تعالى وكان له دكان في ذلك السوق يتجر فيه فخرج في قطع من الليل فاستقبله قوم، فقالوا يا أبا الحسن: (**احترق السوق**) واحترقت دكاكين الناس (**وما احترق دكانك**) وسلم، (**فقال: الحمد لله ثم**) تفكر و (**قال: كيف قلت الحمد لله على سلامتي**) أي سلامة مالي (**دون المسلمين**) لأنها كلمة رضا ظهرت منه في مكان الإسترجاع للمصيبة؟ (**فتاب من التجارة**) وتصدق بجميع ما في دكانه من السفط والآلة، (**وترك الحانوت بقية عمره توبة**) إلى الله وكفارة (**واستغفاراً من قوله: « الحمد لله »**) فشكر الله فعله فزهده في الدنيا ورفعه إلى مقام المحبة فأوصله بذلك الرضا إلى الرضا. قال صاحب القوت: وبلغني أنه كان يقول: قلت كلمة فأنا أستغفر الله تعالى منها منذ ثلاثين سنة. يعني قوله: « الحمد لله » وفي الخبر: « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس من المسلمين ».

(**فإذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعاً أن الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحيلاً، بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين، ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكناً في حق حب الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعاً وإمكانه من وجهين**):

(**أحدهما: الرضا بالألم لما يتوقع من الثواب الموجود كالرضا بالفصد والحجامة وشرب الدواء انتظاراً للشفاء**) والراحة.

(**والثاني: الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له، فقد يغلب الحب**

بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب، فيكون ألذ الأشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ إرادته ولو في هلاك روحه. كما قيل:

فما لجرح إذا أرضاكم ألـمُ

وهذا ممكن مع الإحساس بالألم، وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن إدراك الألم؛ فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده، فلا ينبغي أن ينكره من فقده من نفسه! لأنه إنما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه، ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه فللمحبين عجائب أعظم مما وصفناه.

وقد روي عن عمرو بن الحرث الرافقي قال: كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي، وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية، وكانت معنا في المجلس فضربت بالقضيب وغنت:

علامـــــــــة ذل الهوى على العـــــاشقين البُكـــــى
ولا سيما عـــــاشـــــق إذا لم يجد مشتكـــــــــى

فقال لها الفتى: أحسنت والله يا سيدتي أفتأذنين لي أن أموت! فقالت: مت راشداً. قال: فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فمه وغمض عينيه، فحركناه فإذا هو ميت.

بحيث ينغمر مراد المحب في مراد المحبوب، فيكون ألذ الأشياء عنده سرور قلب محبوبه ورضاه ونفوذ إرادته ولو في هلاك روحه كما قيل:
فما الجرح إذا أرضاكم ألم

(وهذا ممكن مع الإحساس بالألم) الحاصل في الحال، (وقد يستولي الحب بحيث يدهش عن إدراك الألم فالقياس والتجربة والمشاهدة دالة على وجوده، فلا ينبغي أن ينكره من فقده من نفسه لأنه إنما فقده لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق طعم الحب لم يعرف عجائبه) كما قيل:

ولـــو يـــذوق عـــاذلي صبـــابتي صبـــا معـــي لكنـــه مـــا ذاقهـــا

(فللمحب عجائب أعظم مما وصفناه، وقد روي عن عمرو بن الحرث الرافقي) منسوب إلى الرافقة مدينة جانب الرقة بناها المنصور وأتمها المهدي ونزلها الرشيد وهي الآن تعرف بالرقة. (قال: كنت في مجلس بالرقة عند صديق لي وكان معنا فتى يتعشق جارية مغنية وكانت معنا في المجلس، فضربت بالقضيب) أي العود (وغنت) البيتين:

(علامـــــــة ذل الهوى على العـــــاشقين البكـــــا
ولا سيما عـــــاشـــــق إذا لم يجد مشتكـــــــــى

فقال لها الفتى: أحسنت والله يا سيدتي أفتأذنين لي أن أموت؟ فقالت: مت راشداً. قال: فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فمه وغمض عينيه فحركناه فإذا هو ميت).

وقال الجنيد: رأيت رجلاً متعلقاً بكم صبي وهو يتضرع إليه ويظهر له المحبة، فألتفت إليه الصبي وقال له: إلى متى ذا النفاق الذي تظهر لي؟ فقال: قد علم الله أني صادق فيما أورده، حتى لو قلت لي مت لمت، فقال: إن كنت صادقاً فمت، قال فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتاً.

وقال سمنون المحب: كان في جيراننا رجل وله جارية يحبها غاية الحب، فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيساً، فبينا هو يحرك القدر إذ قالت الجارية آه! قال؛

وأخرج أبو محمد السراج في مصارع العشاق من طريق أبي الطيب محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الصوفي قال: رأيت ببغداد صوفياً حضر عند جارية بالكرخ تقول بالقضيب:

يا بديع الدل والغنج ... لك سلطان على المهج
إن بيتاً أنت ساكنه ... غير محتاج إلى السرج
وجهك المعشوق حجتنا ... يوم تأتي الناس بالحجج

فتواجد وصاح ودق صدره إلى أن أغمي عليه فسقط، فلما انقضى المجلس حركوه فوجدوه ميتاً، وذلك في سنة ٣٩٠، وحدث العتبي عن أبيه عن رجل عن هشام بن عروة عن أبيه عن النعمان ابن بشير بن سعد الأنصاري رضي الله عنه قال: وليت صدقات بني عذرة قال: فدفعت إلى فتى تحت ثوب فكشفت عنه فإذا رجل لم يبق منه إلا رأسه فقلت: ما بك؟ فقال:

كأن قطاة عقلت بجناحها ... على كبدي من شدة الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه ... وعراف نجدان هما شفياني

ثم تنفس حتى ملأ منه الثوب الذي كان فيه ثم خمد، فإذا هو قد مات فأصلح من شأنه وصليت عليه، فقيل لي: أتدري من هذا؟ هذا عروة بن حرام.

(وقال الجنيد) قدس سره: **(رأيت رجلاً متعلقاً بكم صبي وهو)** أي الرجل **(يتضرع إليه)** ويتذلل له **(ويظهر له المحبة، فالتفت إليه الصبي وقال: إلى متى ذا النفاق الذي تظهر؟ فقال)** الرجل: **(قد علم الله أني صادق فيما أورده)** من المحبة **(حتى لو قلت لي مت)** يا فلان **(لمت، فقال: إن كنت صادقاً)** فيما تقول **(فمت. قال: فتنحى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتاً)**.

(وقال سمنون) بن حمزة البغدادي **(المحب)** رحمه الله تعالى: **(كان في جيرتنا رجل وله جارية يحبها غاية الحب، فاعتلت الجارية أي مرضت فجلس الرجل ليصلح لها حيساً)** وهو تمر ينزع نواه ويدق مع أقط ويعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد، وربما جعل معه السويق، **(فبينا هو يحرك القدر إذ قالت الجارية آه، قال: فدهش الرجل وسقطت الملعقة**

فدهش الرجل وسقطت الملعقة من يده وجعل يحرك ما في القدر بيده حتى سقطت أصابعه! فقالت الجارية: ما هذا؟ قال: هذا مكان قولك ـ آه.

وحكي عن محمد بن عبدالله البغدادي قال: رأيت بالبصرة شاباً على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول:

من مات عشقاً فليمت هكذا لا خير في عشق بلا موتِ!

ثم رمى نفسه إلى الأرض؛ فحملوه ميتاً، فهذا وأمثاله قد يصدق به في حب المخلوق والتصديق به في حب الخالق أولى، لأن البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر، وجمال الحضرة الربانية أوفى من كل جمال، بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال. نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور، والذي فقد السمع ينكر لذة الألحان والنغمات الموزونة، فالذي فقد القلب لا بدّ وأن ينكر أيضاً هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب.

بيان ان الدعاء غير مناقض للرضا:

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا، وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها ومقت

من يده وجعل يحرك ما في القدر بيده حتى تساقطت أصابعه) ولم يحس بها، **(فقالت الجارية: ما هذا؟ قال: هذا موضع قولك آه)**.

(وحكي عن) أبي جعفر **(محمد بن عبدالله)** بن المبارك المحري **(البغدادي)** ثقة حافظ مات سنة بضع وخمسين، روى له البخاري وأبو داود والنسائي **(قال: رأيت بالبصرة شاباً على سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول:**

من مات عشقاً فليمت هكذا لا خير في عشق بلا موت

(ثم رمي بنفسه إلى الأرض فحملوه ميتاً) ولفظ القشيري في الرسالة، وقيل: إن شاباً أشرف على الناس في يوم عيد وقال: من مات عشقاً الخ. وألقى نفسه من سطح عال فرفع ميتاً.

(فهذا وأمثاله قد يصدق به في حب المخلوق، والتصديق به في حب الخالق أولى لأن البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر، وجمال الحضرة الربانية أوفى من كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال. نعم الذي فقد البصر ينكر جمال الصور، والذي فقد السمع ينكر لذة الألحان والنغمات الموزونة، فالذي فقد القلب لا بد وأن ينكر أيضاً هذه اللذات التي لا مظنة لها سوى القلب) والله الموفق.

بيان أن الدعاء غير مناقض للرضا:

(و) أنه **(لا يخرج صاحبه عن مقام الرضا، وكذلك كراهة المعاصي ومقت أهلها**

أسبابها والسعي في إزالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه أيضاً. وقد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين وزعم أن المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضا به، وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع.

فأما الدعاء فقد تعبدنا به، وكثرة دعوات رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام ـ على ما نقلناه في كتاب الدعوات ـ تدل عليه. ولقد كان رسول الله ﷺ في أعلى المقامات من الرضا. وقد أثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله: ﴿يدعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾ [الأنبياء: ٩٠] وأما إنكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله به عباده وذمهم على الرضا به فقال: ﴿وَرَضَوْا بالحياةِ الدّنيا واطمأنّوا بها﴾ [يونس:

ومقت أسبابها والسعي في إزالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه أيضاً، قد غلط في ذلك بعض البطالين المغترين) من المتأخرين ممن لا علم له ولا يقين، **(وزعم أن المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به، وهذا)** منه **(جهل بالتأويل)** والتفصيل وإتباع لما تشابه من التنزيل **(وغفلة عن أسرار الشرع)** وبطلان قول هذا أوضح من أن يدل على فساده كما تقدم قريباً.

(فأما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام على ما نقلناه في كتاب الدعوات تدل عليه، ولقد كان رسول الله ﷺ في أعلى المقامات من الرضا ولقد أثنى الله تعالى على بعض عباده بقوله: ﴿يدعوننا رغباً ورهباً﴾ وقال صاحب القوت: ولا ينقص الراضي من مقام الرضا عن مسألة مولاه مزيد الآخرة وصلاح دنياه تعبد الله بذلك افتقاراً إليه في كل شيء لأن في ذلك رضاه ومقتضى تمدحه بمسألة الخلائق، فإن صرف مسائلة إلى طلب النصيب من المولى وابتغاء القرب حباً له وأثرة على ما سواه كان فاضلاً في ذلك، لأنه قد ردّ قلبه إليه وجمع همه بذلك، وهذا مقام المقربين وهو على قدر مشاهدة الراضي عن معرفته ومقتضى حاله لأنه يسأل عن علمه بعلمه في وقت من أحواله كما يسأل عن جملة أعماله بعلومه مدة عمره، فهذا أصل فاعرفه فعليه عمل العاملون وهو طريق العارفين من السلف فلم يضرهم عندهم خلاف من خالف، وإن كان دعاؤه تمجيداً لسيده وثناء عليه شغلاً بذكره ونسياناً لغيره وولهاً بحبه لأنه يستوجب ذلك بوصفه ولأنه واجب عليه، فقد استغرقه وجوب ما عليه عماله؛ فهذا أفضل وهو مقام المحبين وهو من القيام بشهادته وقد دخل فيما ذكرناه في مقتضى حاله بالعمل فعلمه في وقته.

(وأما إنكار المعاصي وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله تعالى به عباده وذمهم على الرضا به فقال: ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾) فذمهم على رضاهم بالدنيا

٧] وقال تعالى: ﴿رضوا بأن يكونُوا مع الخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ على قلوبهم﴾ [التوبة: ٩٣] وفي الخبر المشهور: « من شهد منكراً فرضي به فكأنه قد فعله »، وفي الحديث: « الدال على الشر كفاعله » وعن ابن مسعود: إن العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه. قيل: وكيف ذلك؟ قال: يبلغه فيرضى به. وفي الخبر: « لو أن عبداً قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب كان شريكاً في قتله ». وقد أمر الله تعالى بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقي الشرور، فقال تعالى: ﴿وفي ذلك فَلْيَتَنَافس الْمُتَنَافِسُون﴾

وبالمعاصي وبالتخلف عن السوابق وقال: ﴿ولتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون﴾ [الأنعام: ١١٣] فعابهم بذلك. **(وقال تعالى: ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم﴾)** يعني مع النساء في القعود عن القيام بالجهاد وهو جمع التأنيث، فمن رضي بالمعاصي والمناكير منه أو من غيره وأحب لأجلها ووالى ونصر عنها أو ادعى أن ذلك يدخل في مقام الرضا الذي يجازي عليه بالرضا أو أنه حال الراضين الذين وصفهم الله تعالى ومدحهم، فهو مع هؤلاء الذين ذم الله ومقت. **(وفي الخبر المشهود: من شهد منكراً فرضي به فكأنما قد فعله »)** كذا في القوت وقد تقدم في كتاب الأمر بالمعروف. وروى أبو يعلى من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما: « من شهد منكراً فكرهه كان كمن غاب عنه ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهده ». **(وفي الحديث: « الدال على الخير كفاعله »)** رواه الإمام أبو حنيفة عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعاً. ومن طريقه رواه العسكري في الأمثال، ورواه البزار من حديث أنس، ورواه ابن منيع من حديث ابن عباس بزيادة في أوله وآخره، وقد تقدم في كتاب العلم، ويوجد في بعض نسخ الكتاب « الدال على الشر كفاعله » وهكذا هو في القوت أيضاً. وقال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بإسناد ضعيف جداً.

(وعن ابن مسعود) رضي الله عنه **(أن العبد ليغيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه. قيل: وكيف ذلك؟ قال: يبلغه فيرضى به)** نقله صاحب القوت. **(وفي الخبر: « لو أن عبداً قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب كان شريكاً في قتله »)** كذا في القوت. قال العراقي: لم أجد له أصلاً بهذا اللفظ، ولابن عدي من حديث أبي هريرة: « من حضر معصية فكرهها فكأنما غاب عنها ومن غاب عنها وأحبها فكأنما حضرها » وتقدم في كتاب الأمر بالمعروف انتهى.

قلت: ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف والبيهقي وضعفه.

(وقد أمر الله تعالى بالحسد والمنافسة في الخيرات وتوقي الشرور فقال تعالى:) ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ [الحديد: ٢١] **(قال: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾)** وقال:

[المطففين: ٢٦]. وقال النبي ﷺ: « **لا حسد إلاّ في اثنتين رجل أتاه الله حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها، ورجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق** »، **وفي لفظ** آخر: « ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار فيقول الرجل: لو آتاني الله مثل ما آتى هذا لفعلت مثل ما يفعل ».

﴿يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ [المؤمنون: ٦١] فندب إلى المسارعة والسباق وذم التخلف عنها بما حبس وعاق، فعلى هذا طريق المؤمنين وفيها مقامات الموقنين.

ويروى من طريق مرسل عن النبي ﷺ: « من نظر إلى من فوقه في الدين وإلى من دونه في الدنيا كتبه الله صابراً شاكراً، ومن نظر إلى من دونه في الدين ومن فوقه في الدنيا لم يكتبه الله لا صابراً ولا شاكراً. قال صاحب القوت: ففيه أربعة معان حسان إذا تدبرها العبد وتفكر فيها لم يعدم أن يرى أهلها لأنه لا يخلو أن يرى بعينه أو بقلبه عن معرفة بسيرة المتقدمين فيرى من فوقه في باب الدنيا فيشكر الله على حاله، ويقنع منه برزقه فيكون صابراً شاكراً بمعرفة ما قنع به ورضي، وباختيار له صرف عنه من الفضول وزوي عنه من الحساب الطويل ولا يخلو أن يرى من فوقه في أمر الدين من العاملين والعالمين والزاهد فيسارع إلى ذلك ويسابق وينافس فيه، إذ قد ندب إلى ذلك فيكون حباً له وحضاً على افتعال الخيرات وأعمال الصالحات، وأقل ما يفيده ذلك الإزراء على نفسه والمقت لها في تقصيره ثم ينظر في الأمرين الأخيرين من وجه آخر، فلا يخلو أن يرى من هو دونه في أمر الدنيا من ذوي الفاقات والحاجات، فيحمد الله تعالى على تفضيله عليه وحسن صونه ويشكر نعمته لفضل إحسانه وكفايته له، ويجد أيضاً في المعنى الآخر من هو دونه في أمر الدين من الفجرة والظالمين وأهل البدع والزائغين فيفرح بفضل الله ورحمته ويشكر الله على حسن إسلامه وجميل معافاته مما ابتلى به غيره فيكون أيضاً صابراً شاكراً، فيكون للعبد في هذه الطبقات من الناس أربع معاملات بما وهب الله له من التبصرة والإعتبار، (**و**) يشهد لما ذكرناه ما (**قال النبي ﷺ: « لا حسد إلا في إثنتين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها، ورجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق »**) رواه البخاري من طريق يحيى بن سعيد القطان، ومسلم من طريق ابن نمير ومحمد بن بشر ثلاثتهم عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن ابن مسعود رفعه. ورواه النسائي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن إسماعيل ابن أبي خالد ولفظهم جميعاً: « لا حسد إلا في إثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها » وقد تقدم في كتاب العلم.

(**وفي لفظ آخر**) « لا حسد إلا في إثنين رجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار، (**ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل و**) آناء (**النهار »**) رواه كذلك الشيخان والترمذي وابن ماجه من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه مرفوعاً، لكن بتقديم الشطر الثاني على الأول. زاد صاحب القوت، (**فيقول الرجل: لو آتاني الله تعالى مثل ما آتى هذا لفعلت مثل ما يفعل**)، فندب ﷺ إلى الحسد في أعمال البر وفضل الحاسد على ذلك لأن

وأما بغض الكفار والفجار والإنكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والأخبار لا يحصى مثل قوله تعالى: ﴿لا يتّخذِ المُؤمِنُونَ الكافِرينَ أولياءَ مِن دون المؤمنين﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمَنُوا لا تتّخِذُوا اليهُودَ والنّصارى أولياء﴾ [المائدة: ٥١] وقال تعالى: ﴿وكَذلِكَ نُولّي بعضَ الظّالمين بعضاً﴾ [الأنعام: ١٢٩] وفي الخبر: «إن الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق وعلى كل منافق أن يبغض كل مؤمن» وقال عليه السلام: «المرء مع من أحب» وقال: «من أحب قوماً ووالاهم حشر معهم يوم القيامة». وقال عليه السلام: «أوثق

الله تعالى ندب إلى التنافس في أعمال الخير، فمن حسد في هذه الثلاث ونحوها للغبطة بها والطلب لها لم يخرجه ذلك من الرضا وكان مزيد بعد أن لا يحب زوالها من أهلها، ولا ينقصهم منها، ولا أن لا يذكروا بها، ولا يحبها هو أيضاً ليذكر كما ذكروا ويمدح كما مدحوا؛ فهذه المعاني آفات هذه الفضائل ولكل شيء آفة من وقيها حصلت له الفضيلة ومن وقع فيها فحيدها عنه خير له لأنه أسلم ولا فضل إلا بعد حوز السلامة.

(وأما بغض الكفار والفجار والإنكار عليهم ومقتهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والأخبار لا يحصى مثل قوله تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾ **(وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء)** بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ وقال تعالى ﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ [الجاثية: ١٩] **(وقال تعالى)** في مثله: **(﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً)** ثم قال ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم﴾ [النساء: ١١٥] فبغض المبتدع والفاجر والظالم المعتدي وترك موالاتهم ونصرتهم واجب على المؤمنين. **(وفي الخبر «إن الله تعالى أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق وعلى منافق أن يبغض كل مؤمن»)**. ولفظ القوت: وقد روينا في خبر «إن الله أخذ على كل مؤمن من الميثاق» والباقي سواء. وقال العراقي: لم أجد له أصلاً. **(وقال ﷺ «المرء مع من أحب)** وله ما احتسب» رواه الترمذي من طريق أشعث عن الحسن عن أنس وقد تقدم، والشطر الأول متفق عليه من حديث شعبة عن قتادة عن أنس، ومن حديث الأعمش عن شقيق عن أبي موسى وابن مسعود وقد تقدم. **(وقال)** ﷺ: **(«من أحب قوماً ووالاهم حشر معهم يوم القيامة»)** قال العراقي: رواه الطبراني من حديث أبي قرصافة، وابن عدي من حديث جابر «من أحب قوماً ووالاهم حشر في زمرتهم» وفي لفظ له بزيادة «يوم القيامة» وفي طريقه إسماعيل بن يحي التيمي ضعيف انتهى.

قلت: وفي بعض نسخ الكامل لابن عدي على أعمالهم بدل ووالاهم. وقال الذهبي في الديوان: اسماعيل بن يحي بن عبيدالله أبو يحي التيمي كذاب عدم وأبوه شيخ بن المبارك متروك هالك.

عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ». وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصحبة، وفي كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فلا نعيده.

(**وقال ﷺ « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله »**) رواه الطيالسي وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي من حديث البراء بلفظ « إن أوثق عرى الإسلام أن تحب في الله وتبغض في الله » وقد تقدم في كتاب آداب الصحبة. وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس « أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله ». (**وشواهد هذا قد ذكرناها في بيان الحب والبغض في الله في كتاب آداب الصحبة وفي كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا نعيده**) . وقال صاحب القوت بعد أن ذكر حديث « أوثق عرى الإيمان » ما لفظه: فجعل ذلك من أوثق العرى لأنه منوط بالإيمان لا يستطيع الشيطان حله ولا سلطان له عليه كما لا سبيل له على حل عقد الإيمان لأن الله تعالى يحول بينه وبينه وقد تولى تأييد الإيمان بروح منه بعد كتبه في القلوب برحمته وفي الحب في الله الموالاة والنصرة بالنفس والمال والفعل والقول، وفي البغض في الله ترك ذلك كله والمنابذة والمباينة، ولأجل ذلك صارت الموالاة لأولياء الله والمعاداة لأعدائه من أوثق عرى الإيمان، لأنك قد تعصى وتخالف مولاك لتسليط العدو وغلبة هواك إلا أنك تبغض العاصين ولا توالبهم على المعاصي ولا تحبهم من أجلها من قبل أن العدو لم يسلط على ذلك منك كما سلط على فعله من نفسك، كما أنه لم يسلط على حل عقد إيمانك كما سلط على المراقبة والمخافة منك، ولم يسلط أيضاً عليك في استحلال المحارم واستحسانها ولا التزين بها ولا في ترك التوبة منها ولا بالرضا بها كما سلط عليك باقترافها، فإن سلط على مثل هذا منك العدو حتى تحب الفساق وتواليهم وتنصرهم على فسقهم أو تستحل ما يرتكبون من الحرام أو ترضى به أو تدين به، فقد انسلخ منك الإيمان كما انسلخ الليل من النهار فلست منه في كثير ولا قليل، لأن هذه العقود مرتبطة بعرى الإيمان وهي وهو في قرن واحد مقرونان؛ فهذا من كبائر الكبائر التي تنحل عقد الإيمان معها وتنتقض عراه بها من قبل أن الموالاة والمحبة لأعداء الله تعمل في أصل الدين وتمحو ثبت اليقين فلا تبقى منه نوراً لأنه ليس من عصى إمامه فيما أمره مثل من قلب دولته وخرج عليه بالسيف، وليس من وافق هوى نفسه فيما به نهى الله مثل من وافق ما وفق الله فيما كتب وأرسل، فنبذ كتبه ورد يده في أفواه الرسل مسكتاً فإن تكن مقامات هؤلاء الظالمين والفاسقين توجب عليهم الرضا بأحوالهم أو الشكر عليها فرضوا وشكروا لزمهم أيضاً أن يصبروا ويثبتوا على ما شكروا عليه ورضوا به فيصير ذلك مقاماً لهم في الشكر والرضا عند القائل بهواهم ووجبت عليه أيضاً لهم أن يحبهم عليها ويواليهم، فإذا وجب عليه ذل لزمه أن يعينهم عليها ويأمرهم بها وفي هذا تكذيب الكتب كلها ورد الرسل كلهم، نعوذ بالله من رضا لا ينفع ومن حب لا ينفع كما نعوذ به من عمل لا ينفع ومن علم لا ينفع، ثم ذكر الأخبار المتقدمة وزاد فقال: وروينا عن عمر بن الخطاب وابنه عبدالله رضي الله عنهما دخل لفظ أحدهما في الآخر: لو أن عبداً صفن بين قدميه

فإن قلت: فقد وردت الآيات والأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى، فإن كانت المعاصي بغير قضاء الله تعالى فهو محال وهو قادح في التوحيد، وإن كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى، وكيف السبيل إلى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه، وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد؟

فاعلم أن هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم، وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت عن المنكرات مقاماً من مقامات الرضا وسموه حسن خلق وهو جهل محض، بل نقول: الرضا والكراهة يتضادان إذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد، فليس من التضاد في شيء واحد أن يكره من وجه

عند الركن والمقام يعبد الله عز وجل عمره يصوم نهاره ويقوم ليله ثم لقي الله عز وجل ليس في قلبه محبة وموالاة لأولياء الله ولا بغض ولا معاداة لأعدائه لما نفعه ذلك شيئاً، وقد جاء نحوه وبمعناه عن عمر وغيره: إن أحدهم ليشيب في الإسلام ولم يوال في الله تعالى ولم يعاد فيه عدواً، وذلك نقص كبير. وفي معنى قوله «أوثق عرى الإيمان» الخ وجه خفي هو أن يحبك المؤمنون ويبغضك المنافقون فتكون ذلك علامة وثيقة عروة إيمانك لأن قوله: الحب في الله يصلح أن تحب أنت ويصلح أن يحبك المؤمنون، وكذلك البغض في الله يصلح أن يبغضك المنافقون كما تبغضهم أنت، فكأنك تتحبب إلى المؤمنين حتى يحبوك وتتبغض إلى المنافقين حتى يبغضوك بالتباعد عنهم وبترك الموالاة لهم وبنصحك إياهم، فيدل ذلك على قوة إيمانك لأنك لم تأخذك في الله لومة لائم منهم، كما وصف بذلك من يحبهم ويحبونه ويكون ذلك أبعد لك من المداهنة والنفاق وأقرب إلى الصدق والإخلاص والورع، فإذا فعلت ذلك بهم أبغضوك ومقتوك فتظفر بما تريد وتدرك ما تحب داخلاً عليك بوصفهم؛ فهذا على معنى قوله عز وجل ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤]

(**فإن قلت: فقد وردت الآيات والأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى**) وأنه مطلوب، (**فإن كانت المعاصي بغير قضاء الله فهو محال وهو قادح في التوحيد، وإن كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى، وكيف السبيل إلى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه، وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد؟**)

(**فاعلم أن هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم**) العاجزين عن فهمها، (**وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت على المنكرات مقاماً من مقامات الرضا وسموه حسن خلق**) وليس منه (**وهو جهل محض، بل نقول: الرضا والكراهة يتضادان إذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد، وليس من المتضاد في شيء واحد أن يكون من وجه يرضى به من وجه، إذ قد يموت عدوك الذي هو**)

ويرضى به من وجه، إذ قد يموت عدوّك الذي هو أيضاً عدوّ بعض أعدائك وساع في إهلاكه، فتكره موته من حيث أنه مات عدوّ عدوّك وترضاه من حيث أنه مات عدوك. وكذلك المعصية لها وجهان: وجه إلى الله تعالى من حيث أنه فعله واختياره وإرادته، فيرضى به من هذا الوجه تسلياً للملك إلى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه، ووجه إلى العبد من حيث أنه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتاً عند الله وبغيضاً عنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت، فهو من هذا الوجه منكر ومذموم. ولا ينكشف هذا لك إلا بمثال.

فلنفرض محبوباً من الخلق قال بين يدي محبيه: إني أريد أن أميز بين من يحبني ويبغضني، وأنصب فيه معياراً صادقاً وميزاناً ناطقاً وهو أني أقصد إلى فلان فأؤذيه وأضربه ضرباً يضطره ذلك إلى الشتم لي، حتى إذا شتمني أبغضته واتخذته عدواً لي، فكل من أحبه أعلم أيضاً أنه عدوي، وكل من أبغضه أعلم أنه صديقي ومحبي. ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة. فحق على كل من هو صادق في محبته وعالم بشروط المحبة أن يقول: أما تدبيرك في إيذاء هذا الشخص وضربه وإبعاده وتعريضك إياه للبغض والعداوة. فأنا محب له وراض به فإنه رأيك وتدبيرك وفعلك وإرادتك! وأما شتمه إياك فإنه عدوان

أيضاً عدو بعض أعدائك أو ساع في إهلاكه فتكره موته من حيث أنه مات عدو عدوك وترضاه من حيث أنه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان: وجه إلى الله تعالى من حيث أنه فعله واختياره وإرادته فيرضى به من هذا الوجه تسلياً للملك إلى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه، ووجه إلى العبد من حيث أنه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتاً عند الله وبغيضاً عنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت؛ فهو من هذا الوجه منكر ومذموم. ولا ينكشف هذا لك إلا بمثال.

فلنفرض محبوباً من الخلق قال بين يدي محبيه: إني أريد أن أميز بين يدي من يحبني ويبغضني وأنصب فيه معياراً صادقاً وميزاناً ناطقاً وهو أني أقصد إلى فلان وأوذيه وأضربه ضرباً يضطره ذلك إلى الشتم لي حتى إذا شتمني أبغضته واتخذته عدواً لي، فكل من أحبه فاعلم أيضاً أنه عدو لي وكل من أبغضه فاعلم أنه صديقي ومحبي، ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب العداوة، فحق على كل من هو صادق في محبته وعالم بشروط المحبة أن يقول: أما تدبيرك في إيذاء هذا الشخص وضربه وابعاده وتعريضك إياه للبغض والعداوة فأنا محب له وراض به، فإنه

من جهته إذ كان حقه أن يصبر ولا يشتم. ولكنه كان مرادك منه، فإنك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت، فهو من حيث أنه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي دبرته فأنا راض به، ولو لم يحصل لكان ذلك نقصاناً في تدبيرك وتعويقاً في مرادك، وأنا كاره لفوات مرادك، ولكنه من حيث انه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك إذ كان ذلك يقتضي أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم، فأنا كاره له من حيث نسبته إليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك، وأما بغضك له بسبب شتمك فأنا راض به ومحب له لأنه مرادك وأنا على موافقتك أيضاً مبغض له، لأن شرط المحب أن يكون لحبيب المحبوب حبيباً ولعدوه عدواً. وأما بغضه لك فإني أرضاه من حيث أنك أردت أن يبغضك، إذ أبعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض، ولكني أبغضه من حيث أنه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وأمقته لذلك، فهو ممقوت عندي لمقته إياك، وبغضه ومقته لك أيضاً عندي مكروه من حيث أنه وصفه وكل ذلك من حيث أنه مرادك فهو مرضي. وإنما التناقض أن يقول: هو من حيث أنه مرادك مرضي ومن حيث أنه مرادك مكروه، وأما إذا كان مكروهاً لا من حيث إنه فعله ومراده بل من

رأيك وتدبيرك وفعلك وإرادتك، وأما شتمه إياك فإنه عدوان من جهته إذ كان حقه أن يصبر ولا يشتم، ولكنه كان مرادك منه فإنك قصدت بضربه استنطاقه بالشتم الموجب للمقت فهو من حيث أنه حصل على وفق مرادك وتدبيرك الذي دبرته فانا راض به، ولو لم يحصل لكان ذلك نقصاناً في تدبيرك وتعويقاً في مرادك، وأنا كاره لفوات مرادك، ولكنه من حيث أنه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جمالك إذ كان ذلك يقتضي أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فأنا كارة له من حيث نسبته إليه ومن حيث هو وصف له لا من حيث هو مرادك ومقتضى تدبيرك، وأما بغضك له بسبب شتمك فأنا راض به ومحب له لأنه مرادك وأنا على موافقتك أيضاً مبغض له، لأن شرط المحب أن يكون المحبوب حبيباً وعدواً، وأما بغضه لك فإني أرضاه من حيث أنك أردت أن يبغضك إذا بعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني أبغضه من حيث أنه وصف ذلك المبغض وكسبه وفعله وأمقته لذلك فهو ممقوت عندي لمقته إياك وبغضه ومقته لك أيضاً مكروه عندي من حيث أنه وصفه، وكل ذلك من حيث أنه مرادك فهو مرضى، وإنما المتناقض أن يقول هو من حيث أنه مرادك مرضى ومن حيث أنه مرادك مكروه، فأما إذا كان مكروهاً لا من حيث أنه مراده وفعله، بل من

حيث أنه وصف غيره وكسبه فهذا لا تناقض فيه، ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه، ونظائر ذلك لا تحصى.

فإذاً تسليط الله دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجره ذلك إلى حب المعصية ويجرّه الحب إلى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلاً؛ ليجره الضرب إلى الغضب والغضب إلى الشتم. ومقت الله تعالى لمن عصاه وإن كانت معصيته بتدبيره، يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وإن كان شتمه إنما يحصل بتدبيره واختياره لأسبابه، وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من عبيده ـ أعني تسليط دواعي المعصية عليه ـ يدل على أنه سبقت مشيئته بإبعاده ومقته. فواجب على كل عبد محب لله أن يبغض من أبغضه الله ويمقت من مقته الله ويعادي من أبعده الله عن حضرته ـ وإن اضطره بقهره وقدرته إلى معاداته ومخالفته ـ فإنه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة، وإن كان بعيداً بإبعاده قهراً ومطروداً بطرده واضطراره. والمبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون مقيتاً بغيضاً إلى جميع المحبين. موافقة للمحبوب بإظهار الغضب على من أظهر المحبوب الغضب عليه بإبعاده.

وبهذا يتقرر جميع ما وردت به الأخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد

حيث أنه وصف غيره وكسبه، فهذا لا تناقض فيه ويشهد لذلك كل ما يكره من وجه ويرضى به من وجه، ونظائر ذلك لا تحصى.

فإذاً تسليط الله تعالى دواعي الشهوة والمعصية عليه حتى يجـرّه ذلك إلى حب المعصية ويجره الحب إلى فعل المعصية يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثلاً ليجره الضرب إلى الغضب، و) يجره (الغضب إلى الشتم ومقت الله تعالى لمن عصاه، وإن كانت معصيته بتدبيره يشبه بغض المشتوم لمن شتمه وإن كان شتمه إنما حصل بتدبيره واختياره لأسبابه، وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من عبيده أعني تسليط دواعي المعصية عليه يدل على أنه سبقت مشيئته بإبعاده ومقته فواجب على كل عبد محب لله تعالى أن يبغض من أبغضه الله ويمقت من مقته الله ويعادي من أبعده الله تعالى عن حضرته ـ وإن اضطره بقهره وقدرته إلى معاداته ومخالفته ـ فإنه بعيد مطرود ملعون عن الحضرة، وإن كان بعيداً بابعاده قهراً ومطروداً بطرده إضطراراً، والمبعد عن درجات القرب ينبغي أن يكون مقيتاً بغيضاً إلى جميع المحبين موافقة للمحبوب بإظهار الغضب على من أظهر المحبوب الغضب عليه بإبعاده.

وبهذا يتقرر جميع ما وردت به الأخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على

على الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث أنه قضاء الله عز وجل، وهذا كله يستمد من سر القدر ـ الذي لا رخصة في إفشائه ـ وهو أن الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والإرادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به. فمن قال: ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال: إنهما جميعاً منه ـ من غير افتراق في الرضا والكراهة ـ فهو أيضاً مقصر. وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه؛ فالأولى السكوت والتأدب بأدب الشرع فقد قال ﷺ: «القدر سر الله فلا تفشوه» وذلك يتعلق بعلم المكاشفة. وغرضنا الآن بيان الإمكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت المعاصي مع أنها من قضاء الله تعالى، وقد ظهر الغرض من غير حاجة إلى كشف السرّ فيه.

الكفار والتغليظ عليهم والمبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث أنه قضاء الله عز وجل) وبه يظهر معنى قوله تعالى ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩] أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤] وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ فقال ﴿جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ [التحريم: ٩] وكذلك أمر المؤمنين في قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة﴾ [التوبة: ١٢٣] **(وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في إفشائه)** إلا لأهله، **(وهو أن الشر والخير كلاهما داخلان في المشيئة والارادة، ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضي به، فمن قال: ليس الشر من الله فهو جاهل، وكذا من قال إنهما جميعاً منه من غير افتراق في الرضا والكراهة فهو أيضاً مقصر، وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه، فالأولى السكوت والتأدب بآداب الشرع، فقد قال ﷺ «القدر سر الله فلا تفشوه»)** رواه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر نحوه، ورواه الطبراني عن ابن عباس من قول عيسى عليه السلام بلفظ: فلا تحلوه وقد تقدم، **(وذلك يتعلق بعلم المكاشفة. وغرضنا الآن بيان الإمكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله ومقت المعاصي مع أنها من قضاء الله تعالى، وقد ظهر الغرض من غير حاجة إلى كشف السر فيه)**.

وقال الكمال محمد بن إسحاق في مقاصد المنجيات: أفعال العباد على ثلاثة أقسام: طاعات ومباحات ومعاص، فالطاعات يرضى بها مطلقاً، والمعاصي لا يرضى بها مطلقاً، والمباحات منها ما تعين على الطاعات وفراغ القلب للذكر فيلحق بالطاعات، ومنها ما يشغل القلب عن ذكر الله ويحث على المخالفة فيلحق بالمعاصي في عدم الرضا، والسر في ذلك أن الله أراد ما لا يرضى ولا يأمر إلا بما يرضى والعباد متعبدون بما يصدر من الأمر والنهي لا بما يصدر عن مشيئته وتدبيره، فالرب تعالى لا يأمر العباد إلا بما فيه مصلحة عاجلة أوآجلة، وقد تعبدنا ربنا بكراهة المعاصي لمصلحتين. إحداهما: مقصودة في نفسها، والثانية: وسيلة لغيرها.

وبهذا يعرف أيضاً أن الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الأسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى، فإن الله تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع، ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحاً للكشف وسبباً لتواتر مزايا اللطف. كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضاً للرضا بقضاء الله تعالى في العطش، وشرب الماء طلباً لإزالة العطش مباشرة سبب رتبه مسبب الأسباب، فكذلك الدعاء سبب رتبة الله تعالى وأمر به. وقد ذكرنا أن التمسك بالأسباب جرياً على سنّة الله تعالى لا يناقض التوكل ـ واستقصيناه في كتاب التوكل ـ فهو أيضاً لا يناقض الرضا لأن الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به نعم إظهار البلاء

أما المصلحة المقصودة لنفسها فإن الله تعالى تسمى بالخافض الرافع، ولهما آثار في الوجود من الخفض والرفع، فندب الله عباده إلى أن يكون المخفوض عنده المخفوض عندهم والمرفوع عنده المرفوع عندهم، ولا يوجد كمال هذه العبادة إلا عند المحبين لأن المحبة إذ قربت تعدت إلى كل ما يتعلق بالمحبوب حتى يحب حبيبه ويبغض بغيضه، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا﴾ [الكهف: ٦] أي قاتل نفسك وقوله تعالى: ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ [المائدة: ٤١].

وأما المصلحة المقصودة لغيرها، فإن الله جبل طباع العباد على النفرة عما يكرهونه، فكراهة المعاصي على هذا وسيلة إلى تركها ونبذها لا من حيث أنها من فعل الله.

فإن قلت: الرضا والسخط أيضاً مرادان، وقد قلت إن الله أراد ما لا يرضى، وما معنى قوله تعالى ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ [الزمر: ٧] فأقول: الرضا والسخط مرددان بين الإرادة والفعل، ومعنى الآية محمول على الصفة الفعلية لا على الصفة الذاتية فقوله تعالى﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ أي إذا كفروا عاملهم معاملة الساخط عليهم، وهذا معنى قولك: يريد ما لا يرضى أي خصهم بفعل يعاقبهم عليه لأن حقيقة لفظي الرضا والسخط محالان في حق الله تعالى انتهى.

(وبهذا تعرف أيضاً أن الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الأسباب المعينة على الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى، فإن الله تعالى تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفا. الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع، ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحاً للكشف وسبباً لتواتر مزايا اللطف. كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضاً للرضا بقضاء الله تعالى في العطش، وشرب الماء طلباً لإزالة العطش مباشرة سبب رتبه مسبب الأسباب، فكذلك الدعاء سبب رتبه الله تعالى وأمر به. وقد ذكرنا أن التمسك بالأسباب جرياً على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل وقد استقصيناه في كتاب التوكل فهو أيضاً لا يناقض الرضا لأن الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به) وهذا عذر من جعل الرضا من

في معرض الشكوى، وإنكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا، وإظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض. وقد قال بعض السلف: من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار ـ أي في معرض الشكاية ـ وذلك في الصيف فأما في الشتاء فهو شكر، والشكوى تناقض الرضا بكل حال وذم الأطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لأن مذمة الصنعة مذمة للصانع، والكل من صنع الله تعالى. وقول القائل: الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة، كل ذلك قادح في الرضا، بل ينبغي أن يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها ويقول ما قاله عمر رضي الله عنه: لا أبالي أصبحت غنياً أو فقيراً فإني لا أدري أيهما خير لي.

لواحق التوكل وحالاً من أحواله، ولم يعده خاصاً كما تقدم الكلام عليه. **(نعم إظهار البلاء في معرض الشكوى وإنكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا)** ولذلك قال أبو علي الدقاق: ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء إنما الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء، **(وإظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض)** ولفظ القوت: والتحدث بالأوجاع والأخبار عن المصائب لا ينقص حال الراضي إذا رآها نعمة من الله عليه وشكر الله عليها، وكان القلب مسلماً غير متسخط ولا متبرم بمر القضاء، **(وقد قال بعض السلف: من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار أي في معرض الشكاية، وذلك في أيام الصيف، فأما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا، وذم الأطعمة وعيبها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لأن مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله. وقول القائل: الفقر بلاء ومحنة، والعيال هم وتعب، والإحتراف كد ومشقة كل ذلك قادح في الرضا، بل ينبغي أن يسلم التدبير لمدبره والمملكة لمالكها، ويقول ما قال عمر رضي الله عنه: لا أبالي أصبحت غنياً أو فقيراً فإني لا أدري أيهما خير لي)**.

ولفظ القوت: ومن الرضا عند أهل الرضا أن لا يقول العبد هذا يوم شديد الحر ولا هذا يوم شديد البرد، ولا يقول الفقر بلاء ومحنة ولا العيال هم وتعب ولا الإحتراف كد ومشقة، ولا يعقد بقلبه من ذلك ما لا يفوه به بل يرضى بالقلب ويسلم ويسكن القلب ويستسلم بوجود حلاوة التدبير واستحسانه بحكم التقدير. وروينا عن عمر رضي الله عنه قال: ما أبالي على أي حال أصبحت من شدة أو رخاء اهـ.

وقال الكمال الصوفي في المقاصد: ومن عاب صورة من الصور أو طعاماً من الأطعمة أو تبرم بحر أو ببرد أو أنكر بقلبه أو لسانه ما يصب الله على عباده من المحن والبلايا والرزايا وجملة أنواع ما اختبر الله به العباد من الأمر والنهي وما يقع في الآخرة من المثوبات والعقوبات بطل رضاه ووجبت عليه التوبة، والله الموفق.

بيان أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا:

اعلم أن الضعيف قد يظن أن نهي رسول الله ﷺ عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي، لأن كل واحد منهما فرار من قضاء الله تعالى وذلك محال؛ بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون انه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الأصحاء وبقي فيه المرضى مهملين لا متعهد لهم فيهلكون هزالاً وضراً. ولذلك شبهه رسول الله ﷺ في بعض الأخبار بالفرار من الزحف، ولو كان ذلك للفرار من القضاء لما أذن لمن قارب البلدة في الانصراف ـ وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل ـ وإذا عرف المعنى ظهر أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ليس فراراً من القضاء بل من القضاء الفرار مما لا بدّ من الفرار منه. وكذلك مذمة المواضع التي تدعو إلى المعاصي والأسباب التي تدعو إليها ـ لأجل التنفير عن المعصية ـ ليست مذمومة، فما زال السلف الصالح يعتادون ذلك حتى اتفق

بيان أن الفرار من البلاد التي هي مظان المعاصي ومذمتها لا يقدح في الرضا:

(**اعلم**) أسعدك الله تعالى (**أن الضعيف**) القاصر النظر (**قد يظن أن نهي رسول الله ﷺ عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون**) كما تقدم ذلك في الأخبار الواردة فيه (**يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه المعاصي**) وفشت، (**لأن كل واحد منهما فرار من قضاء الله**) وهو مذموم منهي عنه، (**وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بعد ظهور الطاعون**) منه (**أنه لو فتح هذا الباب لارتحل عنه الأصحاء وبقي فيه المرضى مهملين لا متعهد لهم**) في تمريضهم (**فيهلكون هزالاً وضراً**) ولا يوجد من يجهزهم بعد موتهم (**ولذلك شبهه رسول الله ﷺ في بعض الأخبار بالفرار من الزحف**) تشديداً في أمره وزجراً له في ذلك؛ واستدل به من ذهب إلى أن النهي فيه نهي تحريم كما هو مذهب الشافعي، وقد تقدم ذلك في كتاب التوكل، وذكرنا هناك أن تلك العلة التي أبداها المصنف قد سبقه فيها الإمام أبو جعفر الطحاوي في شرح معاني الآثار، (**ولو كان ذلك للفرار من القضاء**) كما تفهم بظاهره (**لما أذن لمن قارب البلد في الإنصراف**) والرجوع، (**وقد ذكر حكم ذلك في كتاب التوكل**) فارجع إليه، (**وإذا عرف المعنى ظهر أن الفرار من البلاد التي بها مظان المعاصي ليس فراراً من القضاء، بل من القضاء الفرار مما لا بد الفرار منه**) ويدل لذلك قول عمر رضي الله عنه لما أمر الناس بالإنصراف عن الشام وقد قال له بعضهم أتفر من قضاء الله؟ فقال: نعم نفر من قضاء الله إلى قضاء الله. (**وكذلك مذمة المواضع التي تدعو إلى المعاصي والأسباب التي تدعو إليها لأجل التنفير عن المعصية ليس مذموماً**). وقال الكمال الصوفي: ولا رخصة في الإقامة في بلد كثر فيه الفساد خوفاً من الفرار من قضاء الله تعالى فإنه أيضاً إذا فرّ فرّ بقضاء الله

جماعة على ذم بغداد وإظهارهم ذلك وطلب الفرار منها، فقال ابن المبارك: قد طفت الشرق والغرب فما رأيت بلداً شراً من بغداد! قيل: وكيف؟ قال: هو بلد تزدري فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله. ولما قدم خراسان قيل له: كيف رأيت بغداد؟ قال:

تعالى، (**فما زال السلف الصالح يعتادون ذلك حتى اتفق جماعة منهم على ذم**) دار السلام (**بغداد**) وهي المدينة المشهورة بالعراق بناها أبو جعفر المنصور وفيها لغات أشهرها: بفتح الباء الموحدة وسكون الغين المعجمة ودالين مهملتين، ثم بغدان بالنون بدل الدال، ويروى بدال في آخره، ويروى بدال أولى مهملة والثانية معجمة، وهذا هو المعروف عند المحدثين والكتاب، ويقال بعكس ذلك، ويقال مغدان بالميم بدل الباء والنون آخراً. وقد استوفيت ذلك في شرحي على القاموس، والإسم أعجمي والعرب تختلف في ذلك، وزعم بعضهم أن تفسيره بستان العدل، وقيل عطية الصنم وهو على اللغة المشهورة الأولى التي ذكرناها، ولذا كره ابن المبارك هذه التسمية، وسماها المنصور دار السلام لأن دجلة كان يقال لها وادي السلام وكان بناها في سنة خمس وأربعين ومائة في الوقت الذي اختاره له توبخت المنجم، وكان قد جمع لبنائها مائة ألف رجل من جميع الأقاليم من أهل المعرفة بالبناء وأحكامه، ويقال: لا تعرف في أقطار الأرض مدينة مدورة سواها، وقد استوفى أخبار بنائها وما يتعلق بها الخطيب في أول تاريخه لها، (**وإظهارهم ذلك**) أي الذم (**وطلب الفرار منها**).

وقال صاحب القوت: وكذلك يحب ابن آدم ممن عامله الإعتراف والتواضع وهو أيضاً أحد المعاني في قوله تعالى ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئا﴾ قيل: هو الإعتراف عقيب العمل السيء لأنه قد تقدم ذكره، فكان الصالح بعده اعترافه فأما من قلبت عليه هذه المعاني فجهل مواقيت الأمور وغلبت عليه الغفلة واستحوذت عليه الجهالة فجعل ينظر إلى من فوقه في الدنيا فيغبطه على حاله أو يتمنى مكانه أو يدخله نظره إليه في استصغار نعمة الله عليه ويزدري بيسير ما قسم به، ثم ينظر إلى من هو دونه في الزي من عموم المسلمين فيرضى بنقصان مقامه ويجعل ذلك معذرة له وحجة وتأسياً به فيغبطه عن اتساعه إلى القربات أو لعلة أو يداخله العجب والكبر حتى يتفضل عليه بحاله أو ينظر إلى نفسه بإهماله لتقصير غيره عن مثل فعاله، فهذا أيضاً يكتب جزوعاً من الصبر كفوراً للنعمة بإضاعة الشكر لأنه ليس بصابر ولا شاكر، وهذا وصف من أوصاف المنافقين وهو مقام الهالكين. وروي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله ﷺ بحب المساكين والدنو منهم، وأن أنظر من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي، فذلك أجدر أن لا أزدري نعمة الله علي.

وقد وصف هذا البلد الذي نحن فيه بمثل هذه المعاني والله المستعان. (**فقال ابن المبارك**) فيما حدثونا عنه: (**قد طفت الشرق والغرب فما رأيت بلداً أشد من بغداد. قيل: وكيف هو**) يا أبا عبد الرحمن؟ (**قال: هو بلد تزدرى**) أي تحتقر (**فيه نعمة الله وتستصغر فيه معصية الله**) أي تعد صغيرة. قال: (**و**) حدثونا عنه أنه (**لما قدم خراسان قيل له**): يا أبا عبد الرحمن

ما رأيت بها إلا شرطياً غضبان أو تاجراً لهفان أو قارئاً حيران! ولا ينبغي أن تظن أن ذلك من الغيبة لأنه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به، وإنما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج إلى مكة ـ وقد كان مقامه ببغداد ـ يرقب استعداد القافلة ستة عشر يوماً، فكان يتصدق بستة عشر ديناراً لكل يوم دينار كفارة لمقامه، وقد ذم العراق جماعة: كعمر بن عبد العزيز وكعب الأحبار. وقال ابن عمر رضي الله عنهما لمولى له: أين تسكن؟ فقال: العراق، قال: فما تصنع به؟ بلغني أنه ما من أحد يسكن العراق إلا قيض الله له قريناً من البلاء. وذكر كعب الأحبار يوماً العراق فقال:

(**كيف رأيت**) الناس في (**بغداد؟ فقال: ما رأيت بها إلا شرطياً غضبان أو تاجراً لهفان أو قارئاً حيران**) نقله صاحب القوت. (**ولا ينبغي أن تظن أن ذلك من الغيبة لأنه لم يتعرض لشخص بعينه حتى يستضر ذلك الشخص به، وإنما قصد بذلك تحذير الناس**) عن سكناها. (**وكان**) ابن المبارك (**يخرج إلى مكة وقد كان مقامه ببغداد يرقب استعداد القافلة ستة عشر يوماً فكان يتصدق بستة عشر ديناراً لكل يوم دينار كفارة لمقامه**) ولفظ القوت ويقال: إنه كان يتصدق في كل يوم بدينار لأجل مقامه ببغداد إلى أن يخرج إلى مكة فبلغني أنه كان يقيم مع الحاج ستة عشر يوماً فكان يتصدق بستة عشر ديناراً كفارة لمقامه، ثم قال: وقد وصفها الشافعي رضي الله عنه أنها هي الدنيا. وروينا عنه أنه قال: الدنيا كلها بادية وبغداد حاضرتها، وحدثونا عن يونس بن عبد الأعلى قال: قال لي الشافعي: يا يونس رأيت بغداد؟ قلت: لا. قال: ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس اهـ.

وقال الخطيب في تاريخه: أخبرنا أبو عبد الرحمن إسماعيل بن أحمد الضرير، أخبرنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي بنيسابور، سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت عبد الله بن موسى الطلحي يقول: سمعت أحمد بن العباس يقول: خرجت من بغداد فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة فقال لي: من أين خرجت؟ فقلت: من بغداد هربت منها لما رأيت فيها من الفساد خفت أن يخسف بأهلها، فقال: ارجع ولا تخف فإن فيها قبور أربعة من الأولياء هم حصن من جميع البلايا. قلت: من هم؟ قال: الإمام أحمد بن حنبل، ومعروف الكرخي، وبشر الحافي، ومنصور بن عمار اهـ.

(**وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الأحبار**) رحمهما الله تعالى: (**وقال ابن عمر رضي الله عنهما**) كذا في سائر النسخ وهو غلط، ولفظ القوت فروينا عن عمر بن عبد العزيز أنه قال (**لمولى له: أين تسكن؟ فقال: العراق، فقال: فما تصنع به بلغني أنه ما من أحد يسكن العراق إلا قيض الله له قريناً من البلاء**). كذا في القوت (**وذكر كعب الأحبار يوماً العراق فقال: فيه تسعة اعشار الشر وفيه الداء العضال**) قال صاحب القوت: وكان قال ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فنهاه عن الخروج إلى العراق.

فيه تسعة أعشار الشر، وفيه الداء العضال. وقد قيل: قسم الخير عشرة أجزاء: فتسعة أعشاره بالشام وعشره بالعراق، وقسم الشر عشرة أجـزاء على العكس من ذلك. وقال بعض أصحاب الحديث: كنا يوماً عند الفضيل بن عياض فجاءه صوفي متدرع بعباءة فأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه ثم قال: أين تسكن؟ فقال: بغداد، فأعرض عنه وقال: يأتينا أحدهم في زي الرهبان فإذا سألناه أين تسكن قال في عش الظلمة؟ وكان بشر بن الحرث يقول: مثال المتعبد ببغداد مثال المتعبد في الحش، وكان يقول: لا تقتدوا بي في المقام بها! من أراد أن يخرج فليخرج. وكان أحمد بن حنبل يقول: لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر في نفسي! قيل: وأين تختار السكنى؟ قال:

قلت: رواه كذلك أبو نعيم في الحلية في ترجمة كعب.

(وقد قيل: قسم الخير عشرة أجزاء فتسعة أعشار بالشام وعشره بالعراق، وقُسّم الشر عشرة أجزاء على العكس من ذلك) أي تسعة أعشاره بالعراق وعشره بالشام نقله صاحب القوت.

قلت: وهذا روي مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمر «والخير عشرة أعشار تسعة بالشام وواحد في سائر البلدان، والشر عشرة أعشار واحد بالشام وتسعة في سائر البلدان» رواه الخطيب في المتفق والمفترق، وفيه أبو خليل الدمشقي عن الوضين بن عطاء. قال أحمد: ما كان به بأس ولينه غيره. وروى ابن عساكر من حديث بسند فيه مجاهيل «إن الله خلق أربعة أشياء وأردفها أربعة أشياء. خلق الجدب وأردفه الزهد وأسكنه الحجاز، وخلق العفة وأردفـها الغـفلة وأسكنها اليمن، وخلق الريف وأردفه الطاعون وأسكنه الشام، وخلق الفجور وأردفه الوهم وأسكنه العراق. **(وقال بعض أصحاب الحديث: كنا يوماً عند الفضيل بن عياض)** رحمه الله تعالى **(فجاءه صوفي متدرع بعباءة فأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه)** بوجهه يحادثه **(ثم قال: أين تسكن)** اليوم؟ **(فقال: بغداد فاعرض عنه)** الفضيل **(وقال: يأتينا أحدهم في زي الرهبان فإذا سألناه أين تسكن؟ قال: في عش الظلمة)** نقله صاحب القوت، **(و)** قد **(كان بشر بن الحرث)** رحمه الله تعالى **(يقول: مثال المتعبد ببغداد مثال المتعبد في الحش)** نقله صاحب القوت، **(وكان)** رحمه الله تعالى **(يقول: لا تقتدوا بي في المقام بها)** أي ببغداد **(من أراد أن يخرج فليخرج)** نقله صاحب القوت، **(وكان أحمد بن حنبل)** رحمه الله تعالى **(يقول: لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثر في نفسي. قيل: وأين تختار السكنى؟ قال: بالثغور)** نقله صاحب القوت. قال: وأما معروف الكرخي رحمه الله تعالى فكان

بالثغور . وقال بعضهم : وقد سئل عن أهل بغداد : زاهدهم زاهد وشريرهم شرير .

فهذا يدل على أن من بلي ببلدة تكثر فيها المعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها ، بل ينبغي أن يهاجر ، قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء : ٩٧] فإن منعه عن ذلك عيال أو علامة فلا ينبغي أن يكون راضياً بحاله مطمئن النفس إليه ، بل ينبغي أن يكون منزعج القلب منها قائلاً على الدوام ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء : ٧٥] وذلك لأن الظلم إذا عمّ نزل البلاء ودمر الجميع وشمل المطيعين . قال الله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ

يفصح بها فيقول : أما أنا فإني أمرت أن أموت ببغداد ، فهؤلاء من خيار أهل البلد وهم من أبدال الصديقين . (**وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد : زاهدهم زاهد وشريرهم شرير**) .

(**فهذا**) وأمثاله (**يدل على ان من بلي ببلدة**) أي بسكناها (**تكثر فيها المعاصي**) والمنكرات (**ويقل فيها الخير فلا عذر له في المقام بها ، بل ينبغي أن يهاجر**) منها . (**قال الله تعالى : ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ فإن منعه عن ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضياً بحاله مطمئن النفس إليه ، بل ينبغي أن يكون منزعج القلب منها قائلاً على الدوام : ﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها﴾ وذلك لأن الظلم إذا عمّ نزل البلاء ودمر**) على (**الجميع وشمل المطيعين . قال الله تعالى : ﴿واتّقوا فتنةً لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾**) .

ولفظ القوت : ومن سكن بلداً كثير المنكر ظاهر المعاصي وكان فيه مزعجاً غير مطمئن إليه يرغب إلى الله في إخراجه منه بحسن اختياره له ، أو كان مضطراً في المقام فيه لعلة أو قلة ذات يد لا يستطيع حيلة في الخروج ولا يهتدي طريقاً لغلبة الفساد في أكثر الأمصار ، فإنه معذور عند الله بحسن نيته وهو أقرب إلى العفو والسلامة ممن اعتبط بمقامه واطمأن ورضي بحاله ، أو كان مقامه على هوى أو لاجتلاب أسباب الفتنة والدنيا . قال تعالى : ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ [النساء : ٩٧] في التفسير : إذا كنت في بلد يعمل فيه بالمعاصي فتحوّل منه إلى غيره ، وقيل : إذا كان العبد في بلد من يعمل فيه بالمنكرأضعف أو أقل من أهل المعروف ثم لم ينكروا ذلك فقد وجب الخروج منه ، ثم قال تعالى في قوم من المستضعفين عذرهم ﴿والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها﴾ [النساء : ٧٥] الآية . ألا ترى كيف أخبر بترك رضاهم بالمقام وبانزعاجهم وطلبهم الخروج ، فبذلك عذرهم ولا يصلح الرضا إلا بالمعصمة من جميع الهوى اهـ .

وقال الكمال الصوفي : ولا رخصة في الإقامة في بلد كثر فيه الفساد خوفاً من الفرار من قضاء الله تعالى ، فإنه أيضاً إذا فرّ فرّ بقضاء الله تعالى قال الله تعالى : ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ فإن عاقه عجز أو عيلة وجب عليه كراهة ذلك بباطنه تعبد الله عز وجل .

خاصة﴾ [الأنفال: ٢٥] فإذاً ليس في شيء من أسباب نقص الدين البتة رضا مطلق إلا من حيث إضافتها إلى فعل الله تعالى، فأما هي في نفسها فلا وجه للرضا بها بحال.

وقد اختلف العلماء في الأفضل من أهل المقامات الثلاث رجل يحب الموت شوقاً إلى لقاء الله تعالى، ورجل يحب البقاء لخدمة المولى، ورجل قال: لا أختار شيئاً بل أرضى بما اختاره الله تعالى، ورفعت هذه المسألة إلى بعض العارفين، فقال: صاحب الرضا أفضلهم لأنه أقلهم فضولاً. واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط فقال الثوري: كيف أكره موت الفجأة قبل اليوم، واليوم وددت أني متّ، فقال

(فإذاً ليس في شيء من أسباب نقص الدين البتة رضا مطلق إلا من حيث إضافتها إلى فعل الله تعالى، فأما هي في نفسها فلا وجه للرضا بها بحال، وقد اختلف العلماء في الأفضل من أهل المقامات الثلاث) أي: أيهم أفضل **(رجل يحب الموت شوقاً إلى لقاء الله تعالى، ورجل يحب البقاء)** للمعاملة و **(لخدمة المولى، ورجل قال لا أختار شيئاً بل أرضى بما اختاره الله تعالى لي)** إن شاء أحياني أبداً وإن شاء أماتني غداً. **(ورفعت هذه المسألة إلى بعض العارفين)** وتحاكموا إليه **(فقال صاحب الرضا: أفضلهم لأنه أقلهم فضولاً)**.

قال صاحب القوت: وهذا كما قال في الاعتبار بترك الاعتراض والاختيار، لأنه دخل في الدار بغير اختيار، فكذلك ينبغي أن يكون خروجه منها عن معنى دخوله بلا اختيار، ولأن مقام الرضا أعلى من مقام الشوق، ثم الذي يليه في الفضل الذي يحب الموت شوقاً إلى اللقاء، وهذا مقام في المحبة وهو حقيقة الزهد في الحياة، والذي يحب البقاء للخدمة وكثرة المعاملة فهو فاضل بعد هذين مقامه قوّة الرجاء وحسن الظن في العصمة، وله أيضاً مطالعات من الأنس وملاحظات في القرب به طاب مقامه وعنه سكنت نفسه وقصرت عليه أيامه، ففي الخبر « أفضل المؤمنين إيماناً من طال عمره وحسن عمله » هذا لأن الأعمال مقتضى الايمان، إذ حقيقة الإيمان إنما هو قول وعمل وليس بعد هؤلاء مقام يفرح به ولا يغبط عليه صاحبه ولا يوصف بمدح إنما هو حب البقاء ولمتعة النفس وموافقة الهوى وقد تشرف النفس على الضعفاء من أهل هذا الطريق وتختفي فيها علته، وهو أن يحب البقاء لأجل النفس، وللمتعة بروح الدنيا وما طبعت عليه من حب الحياة ويكره الموت لمنافرة الطبع فيتوهم أنه ممن يحب البقاء لأجل الله تعالى ولأجل طاعته وخدمته، وهذا من الشهوة الخفية التي لا يخرجها إلا حقيقة الزهد في الدنيا ولا يفضل في هذا الطريق الثالث إلا عارف واحد دائم المشاهدة باليقين، فأما المعتل بوصفة وهواه فليس به اعتبار في طريق ولا مقام.

(و) قد كان **(اجتمع ذات يوم وهيب بن الورد)** المكي تقدم التعريف به مراراً **(وسفيان)** بن سعيد **(الثوري، ويوسف بن اسباط)** الشيباني رحمهم الله تعالى **(فقال الثوري)**: قد **(كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم واليوم وددت أني مت، فقال له**

له يوسف: لِمَ؟ قال: لما أتخوّف من الفتنة، فقال يوسف: لكني لا أكره طول البقاء، فقال سفيان: لِمَ؟ قال: لعلي أصادف يوماً أتوب فيه وأعمل صالحاً، فقيل لوهيب: إيش تقول أنت؟ فقال: أنا لا أختار شيئاً، أحب ذلك إليّ أحبه إلى الله سبحانه، فقبل الثوري بين عينيه وقال: روحانية ورب الكعبة.

بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم:

قيل لبعض العارفين: إنك محب، فقال: لست محباً إنما أنا محبوب والمحب متعوب، وقيل له أيضاً: الناس يقولون إنك واحد من السبعة؟ فقال: أنا كل السبعة، وكان

يوسف) بن اسباط: (**لم؟ قال: لَمَا أتخوّف من الفتنة. فقال يوسف: لكني لا أكره طول البقاء. فقال سفيان: لم)** تكره الموت؟ (**قال: لعلي أصادف يوماً أتوب فيه وأعمل صالحاً. فقيل لوهيب: إيش تقول أنت؟ فقال: أنا لا أختار شيئاً، أحب ذلك إليّ أحبه إلى الله تعالى)** قال: (**فقبّل الثوري بين عينيه وقال: روحانية ورب الكعبة**).

قال صاحب القوت: يعني مقام الروحانيين وهم المقربون أهل الروح والريحان، فهم ذوو المحبة لله عز وجل والرضوان كما قال تعالى: ﴿فأما إن كان من المقربين★ فروح وريحان﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩] يعني لهم روح من نسيم القرب وريحان من طيب الانس والحب، وأيضاً أنه تعالى لما ذكر أنه لأصحاب اليمين من كل شدة وهول روحاً به لشهادتهم القريب وفي كل كرب ريحاناً منه لقرب الحبيب، فبذلك علوا ولذلك فضلوا. وكان بعض هذه الطائفة يقول: سر العارف في الأشياء واقف مثل الماء في البئر لا يختار المقام، وإن أخرج خرج أي: ومثل لسان الميزان في وقوفه واعتداله بين حكمين أيهما أمدّ به مال به. وقال آخر: قلبي مثل الماء يسخن ثم يبرد أي لا يقف على وصف اهـ.

وقد وجدت في الحلية لأبي نعيم في ترجمة وهيب بن الورد ما يخالف ما ذكره صاحب القوت، وتبعه المصنف قال: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا سعد بن محمد البيروتي، حدثنا ابن أبي داود قال: سمعت عبد الرزاق يقول: اجتمع سفيان الثوري ووهيب بن الورد فقال سفيان لوهيب: يا أبا أمية أتحب أن تموت؟ فقال: أحب أن أعيش لعلّي أن أتوب. فقال وهيب: فأنت؟ قال: ورب هذه البنية ثلاثاً وددت أني مت الساعة.

بيان جملة من حكايات المحبين وأقوالهم ومكاشفاتهم:

(**قيل لبعض العارفين: إنك محب، فقال: لست محباً إنما أنا محبوب والمحب متعوب**) أشار بذلك إلى أن المحب لا يقر له قرار دون لقاء محبوبه، فهو أبداً في تعب بخلاف المحبوب فإنه مطلوب فهو أبداً في سكون وراحة وقرار. (**وقيل له أيضاً: الناس يقولون**) فيك (**إنك واحد من السبعة**) يعني الأوتاد. (**فقال: أنا كل السبعة**) أي فمن رآني كأنما رأى السبعة، (**وكان**

يقول: إذا رأيتموني فقد رأيتم أربعين بدلاً، قيل: وكيف وأنت شخص واحد؟ قال: لأني رأيت أربعين بدلاً وأخذت من كل بدل خُلقاً من أخلاقهِ وقيل له: بلغنا أنك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال: ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر أن يراه فيحتجب عنه!

وحكي عن الخضر عليه السلام أنه قال: ما حدثت نفسي يوماً قط أنه لم يبق ولي لله تعالى إلا عرفته إلا ورأيت في ذلك اليوم ولياً لم أعرفه. وقيل لأبي يزيد البسطامي مرة: حدّثنا عن مشاهدتك من الله تعالى، فصاح ثم قال: ويلكم لا يصلح لكم أن تعلموا ذلك! قيل: فحدثنا بأشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى، فقال: وهذا أيضاً لا يجوز أن أطلعكم عليه. قيل: فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك، فقال: نعم دعوت نفسي إلى الله فجمحت عليَّ فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك.

يقول: إذا رأيتموني فقد رأيتم أربعين بدلاً. قيل: وكيف ذلك وأنت شخص واحد؟ قال: لأني رأيت أربعين بدلاً وأخذت من كل بدل خُلقاً من أخلاقه) فاجتمعت فيّ أخلاق أربعين رجلاً. (**وقيل له: بلغنا انك ترى الخضر عليه السلام فتبسم وقال: ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر أن يراه فيحتجب عنه**)، وهذا كما نقله القشيري عن بعضهم أنهم أراد منه الخضر أن يصحبه فأبى فسئل عن ذلك فقال: خفت ان يفسد عليّ توكلي.

(**وحكي عن الخضر عليه السلام انه قال: ما حدثت نفسي يوماً قط أنه لم يبق ولي لله تعالى إلا**) قد (**عرفته إلا ورأيت في ذلك اليوم شيئاً لم أعرفه**) قبل ذلك. (**وقيل لأبي يزيد**) طيفور بن عيسى (**البسطامي**) رحمه الله تعالى (**مرة: حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال: ويحكم لا يصلح لكم أن تعلموا ذلك**)، لأن المشاهدة أسرار بين الله تعالى وعبده، ولا ينبغي كشفها للغير غيرة عليها. (**قيل: فحدثنا بأشدّ مجاهدتك لنفسك في الله تعالى. فقال: وهذا أيضاً لا يجوز أن أطلعكم عليه**) فإن العقول ربما لا تحتمل ذلك فيقع الإنكار فيكون سبباً للمقت، أو لأن السامع ربما يحمل نفسه على مثل ذلك من غير تدريج فيقع في حرج. (**قيل: فحدثنا عن رياضة نفسك**) وتهذيبها (**في بدايتك**) أي أوّل سلوكها. (**فقال: نعم دعوت نفسي إلى الله تعالى فجمحت عليَّ فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك**) وإنما فعل ذلك لأنه رأى فيها بقايا شهوة، فنظر إلى أجل لذاتها فإذا هي شرب الماء والنوم فتركها ليستأصل الشهوة بالكلية. وأعظم أسباب النوم شرب الماء، فترك شرب الماء لينقطع عنه النوم، ومن ذلك أهدى رجل إلى الإمام أبي زكريا النووي

ويحكى عن يحي بن معاذ أنه رأى أبا يزيد ـ في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر ـ مستوفزاً على صدور قدميه رافعاً أخمصيه مع عقبيه عن الأرض ضارباً بذقنه على صدره شاخصاً بعينيه لا يطرف، قال: ثم سجد عند السحر فأطاله ثم قعد فقال: اللهم إن قوماً طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك، وإن قوماً طلبوك فأعطيتهم طي الأرض فرضوا بذلك، وإني أعوذ بك من ذلك، وأن قوماً طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك، حتى عد نيفاً وعشرين مقاماً من كرامات الأولياء، ثم التفت فرآني فقال: يحي! قلت: نعم يا سيدي، فقال: مذ متى أنت ههنا؟ قلت: منذ حين؛ فسكت، فقلت: يا سيدي حدثني بشيء فقال: أحدثك بما يصلح لك، أدخلني في الفلك الأسفل فدورني في الملكوت السفلي وأراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى، ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوف بي في السموات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش، ثم أوقفني بين يديه

رحمه الله تعالى وكان من الزاهدين خياراً في أول ظهوره فقبله منه ووضعه عنده، ثم أتاه الرجل ثاني يوم فوجد الخيار عنده كما كان وضعه فلامه على عدم أكله فقال: يا هذا خفت أني إن أكلته غلبت الرطوبة على الدماغ فكان سبباً للنوم.

(وحكي عنه) أبي زكريا **(يحي بن معاذ)** الرازي رحمه الله تعالى **(أنه رأى أبا يزيد السطامي)** رحمه الله تعالى **(في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر، مستوفزاً على صدور قدميه، رافعاً أخمصيه مع عقبيه من الأرض، ضارباً بذقنه على صدره، شاخصاً بعينيه لا يطرف. قال: ثم سجد عند البحر فأطال)** في سجوده **(ثم قعد فقال: اللهم إن قوماً طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك)** واطمأنوا به، **(وإني أعوذ بك من ذلك، وأن قوماً طلبوك فأعطيتهم طيّ الأرض)** وقربت لهم البعيد **(فرضوا بذلك)** واطمأنوا به، **(وإني أعوذ بك من ذلك، وأن قوماً طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض)** وزخارف الدنيا **(فرضوا بذلك)** واطمأنوا به، **(وإني أعوذ بك من ذلك قال)**: ولم يزل يذكر مثل ذلك **(حتى عدّ نيفاً وعشرين مقاماً من كرامات الأولياء)** مما يكرم الله تعالى به اياهم قال، **(ثم التفت فرآني فقال: يحي؟ فقلت: نعم يا سيدي، فقال: مذ متى أنت ههنا؟ فقلت: منذ حين، فسكت. فقلت: يا سيدي حدثني بشيء)** أي من أحوالك، **(فقال: أحدثك بمايصلح لك)**. اعلم انه تعالى **(أدخلني في الفلك الأسفل فدوّرني في الملكوت السفلي وأراني الارضين وما تحتها إلى الثرى، ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوّف بي السموات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش، ثم أوقفني بين**

فقال: سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك؟ فقلت: يا سيدي ما رأيت شيئاً أستحسنته فاسألك إياه! فقال: أنت عبدي حقاً تعبدني لأجلي صدقاً لأفعلن بك ولأفعلن فذكر أشياء. قال يحي: فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت: يا سيدي لم لا سألته المعرفة به؟ وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت، قال: فصاح بي صيحة وقال: اسكت ويلك! غرت عليه مني حتى لا أحب أن يعرفه سواه.

وحكي أن أبا تراب النخشبي كان معجباً ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجدته فقال له أبو تراب يوماً: لو رأيت أبا يزيد؟ فقال: إني عنه مشغول، فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله: «لو رأيت أبا يزيد» هاج وجد المريد فقال: ويحك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت الله تعالى فأغناني عن أبي يزيد. قال أبو تراب: فهاج طبعي ولم أملك نفسي، فقلت: ويلك تغتر بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة! قال: فبهت الفتى من قوله وأنكره فقال: وكيف ذلك؟ قال له: ويلك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك

يديه فقال: سلني أي شيء رأيت) مما يعجبك (حتى أهبه لك، فقلت: يا سيدي ما رأيت شيئاً استحسنته فأسألك إياه) ونفى الاستحسان هنا بالنسبة إلى استغراقه في جمال مولاه، (فقال: أنت عبدي حقاً تعبدني لأجلي صدقاً لأفعلن بك ولأفعلن فذكر أشياء. قال يحي: فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت: يا سيدي لم لا سألته المعرفة به، وقد قال لك ملك الملوك) جل وعز (سلني ما شئت؟ قال: فصاح بي صيحة وقال: اسكت ويلك غرت عليه مني حتى لا أحب أن يعرفه سواه) ومقام الغيرة من نتائج المحبة، فإن المحب يتخلق بأخلاق محبوبه فلا يبدي من أسرار محبوبه شيئاً إلا لأهله وإلا يكون فتنة عليهم ويشح على نفس من أنفاسه أن يصرفه لغير محبوبه.

(وحكي أن أبا تراب) عسكر بن الحصين (النخشبي) رحمه الله تعالى (كان معجباً ببعض المريدين فكان يدنيه) أي يقربه (ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجدته) التي كان يجدها في مراقباته (فقال أبو تراب يوماً: لو رأيت أبا يزيد) البسطامي (فقال) المريد: (إني عنه مشغول) أي فلا أشغل وقتي بغير الله تعالى، (فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله: لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد فقال: ويحك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت الله تعالى فأغناني عن أبي يزيد) عن سواه ولم يبق فيّ رغبة لغيره. ((قال أبو تراب: فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت: ويلك تغتر بالله عز وجل) في تقريبه لك. (لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله عز وجل سبعين مرة) قال، (فبهت الفتى من قوله وأنكره) عليه (فقال: وكيف ذلك؟ قال له: ويلك أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك

وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره؟ فعرف ما قلت، فقال: احملني إليه، فذكر قصة قال في آخرها: فوقفنا على تل ننتظره وليخرج إلينا من الغيضة ـ وكان يأوي إلى غيضة فيها سباع ـ قال: فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى: هذا أبو يزيد فانظر إليه! فنظر إليه الفتى فصعق، فحركناه فإذا هو ميت، فتعاونا على دفنه فقلت لأبي يزيد: يا سيدي نظره إليك قتله، قال: لا. ولكن كان صاحبكم صادقاً واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه، فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حِمله، لأنه في مقام الضعفاء المريدين، فقتله ذلك.

ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الأنفس ونهبوا الأموال اجتمع إلى سهل إخوانه فقالوا: «لو سألت الله تعالى دفعهم؟ فسكت ثم قال: إن لله عباداً في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في ليلة واحدة، ولكن لا يفعلون، قيل: لِمَ؟ قال: لأنهم لا يحبون ما لا يحب، ثم ذكر من إجابة الله أشياء لا يستطاع

على مقدارك، وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره، فعرف) المريد **(ما قلت)** فوطن نفسه على رؤية أبي يزيد، **(فقال: احملني إليه فذكر قصة قال في آخرها: فوقفنا على تل)** أي محل مرتفع مشرف على ممره **(ننتظره ليخرج إلينا من الغيضة، وكان)** أبو يزيد **(يأوي إلى غيضة فيها سباع)** ووحوش **(قال: فمرّ بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى: هذاأبو يزيد فانظر إليه، فنظر إليه الفتى فصعق)** في الحال وغشي عليه، **(فحركناه فإذا هو ميت فتعاونا على دفنه، فقلت لأبي يزيد: يا سيدي نظره إليك قتله؟ قال: لا، ولكن كان صاحبكم صادقاً)** في حبه **(واستكن في قلبه سر لم ينكشف له بوصفه، فلما رآنا انكشف له سر قلبه)** فاستغرقه **(فضاق عن حمله لأنه في مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك)**، فلذلك شرطوا للمريد في ترقيه أن يكون بالتدريج فلا يصل إلى مقام هو أرفع مما كان فيه إلا وقد أنس في مبادئه حتى يكون مطيقاً لحمله، وإلاَّ فإن ورد عليه مرة واحدة لم يتحمل، بل ربما أهلكه. وقد ينكشف للمريد في صحبة العارفين والنظر إلى وجوههم في لحظة واحدة ما لا ينكشف لهم بالاجتهاد في مدة متطاولة، ولذلك جعل مشايخ الطريقة العلية النقشبندية قدس الله أسرارهم الرابطة بالشيخ الكامل من جلة أركان الطريق.

(ولما دخل الزنج) وهم السودان الأحابيش من اللفائف **(البصرة فقتلوا الأنفس ونهبوا الأموال)** وأحرقوا الدور وارتحل منها من قدر وأطاق **(اجتمع إلى)** أبي محمد **(سهل)** بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى وكان إذ ذاك بالبصرة في دار خاله محمد بن سوار **(إخوانه)** وأصحابه **(فقالوا: لو سألت الله تعالى دفعهم)** عن المسلمين، **(فسكت، ثم قال: إن لله عباداً في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون)** أي لا يدعون عليهم. **(قيل: لم؟ قال: لأنهم لا يحبون ما لا يحب، ثم ذكر**

ذكرها ، حتى قال : ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها . وهذه أمور ممكنة في أنفسها فمن لم يحظ بشيء منها ، فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والإيمان بإمكانها ، فإن القدرة واسعة والفضل عميم وعجائب الملك والملكوت كثيرة ، ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له . ولذلك كان أبو يزيد يقول : إن أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابراهيم فاطلب ما وراء ذلك ، فإن عنده فوق ذلك أضعافاً مضاعفة ، فإن سكنت إلى ذلك حجبك به ، وهذا بلاء مثلهم ومن هو في مثل حالهم لأنهم الأمثل فالأمثل ، وقد قال بعض العارفين : كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء ، عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش ويتثنى معهن فنظرت إليهن نظرة فعوقبت أربعين يوماً ، ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال ، وقيل لي : انظر إليهن ، قال : فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر إليهن وقلت : أعوذ بك مما سواك ! لا حاجة لي بهذا ، فلم أزل اتضرع حتى صرفهن الله عني .

من إجابة الله تعالى) أشياء **(لا يستطاع ذكرها حتى قال : ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها)** . وكذلك لما دخل التتار إلى خوارزم فقتلوا وسلبوا ونهبوا وكان إذ ذاك أبو الخباب الخير في المعروف بالنجم الكبرى قدس سره وكان مستجاب الدعاء فقال له أصحابه : ألا تدعو الله أن يدفعهم عنا ؟ فأبى وسلم الأمر إلى الله تعالى ، فكان ممن استشهد مع أصحابه إذا ذاك . **(وهذه أمور ممكنة في أنفسها فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والايمان بامكانها فإن القدرة)** الإلهية **(واسعة)** لا حدّ لها **(والفضل عظيم ، وعجائب الملك والملكوت كثيرة ، ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها ، وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له ، ولذلك كان أبو يزيد)** البسطامي رحمه الله تعالى **(يقول : إن أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة إبراهيم)** عليهم السلام **(فاطلب ما وراء ذلك ، فإن عنده فوق ذلك أضعافاً مضاعفة)** مما لا رأته عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر ، **(فإن سكنت إلى ذلك)** الذي أعطيته **(حجبك به)** أي فكأن ذلك حجابك ، **(وهذا بلاء مثلهم ومن هو في مثل حالهم لأنهم الأمثل فالأمثل)** لما في الخبر « أشد الناس بلاء الأنبياء والصالحون ثم الأمثل فالأمثل » وقد تقدم . **(وقد قال بعض العارفين : كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتساعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يتخشخش وينثني معهن فنظرت إليهن نظرة فعوقبت أربعين يوماً)** على عددهن ، **(ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال)** والزي **(وقيل لي : انظر إليهن . قال : فسجدت وغمضت عيني في سجودي لئلا انظر إليهن ، وقلت : أعوذ بك مما سواك لا حاجة لي بهذا ، فلم أزل أتضرع)** وأدعو **(حتى صرفهن الله عني)** وهذا من جلة الابتلاء لخواص محبيه .

فأمثال هذه المكاشفات لا ينبغي أن ينكرها المؤمن لإفلاسه عن مثلها، فلو لم يؤمن كل واحد إلا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الإيمان عليه، بل هذه أحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة أدناها الإخلاص وإخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الأعمال ظاهراً وباطناً، ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصناً بحصن الخمول. فهذه أوائل سلوكهم وأقل مقاماتهم وهي أعز موجود في الأتقياء من الناس. وبعد تصفية القلب عن كدورة الالتفات إلى الخلق يفيض عليه نور اليقين وينكشف له مبادىء الحق وإنكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجري مجرًى إنكار من أنكر إمكان انكشاف الصورة في الحديدة إذا شكلت ونقيت وصقلت وصوّرت بصورة المرآة، فنظر المنكر إلى ما في يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور فأنكر إمكان انكشاف المرئي فيها عند ظهور جوهرها، وإنكار ذلك غاية الجهل والضلال.

فهذا حكم كل من أنكر كرامات الأولياء إذ لا مستند له إلا قصوره عن ذلك وقصور من رآه، وبئس المستند ذلك في إنكار قدرة الله تعالى، بل إنما يشم روائح

(**فأمثال هذه المكاشفات لا ينبغي أن ينكرها المؤمن لإفلاسه عن مثلها**) أي لحرمانه عنه، (**فلو لم يؤمن كل واحد إلا بما يشاهده من نفسه المظلمة وقلبه القاسي لضاق مجال الإيمان عليه، بل هذه أحوال**) لا (**تظهر**) إلا (**بعد مجاوزة عقبات**) كؤدة (**ونيل مقامات كثيرة أدناها الإخلاص وإخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الأعمال ظاهراً وباطناً، ثم مكاتمة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبقى متحصناً بحصن الخمول؛ فهذه أوائل سلوكهم**) ومبادىء إرادتهم (**وأقل مقاماتهم وهي أعز موجود في الأتقياء من الناس**) فضلاً عن العامة (**وبعد تصفية القلب عن كدورة الإلتفات إلى الخلق يفيض عليه نور اليقين**) فيطمئن قلبه ويستصحبه الانس ويقف على مهد الاعتدال في الحضرة، (**وينكشف له مبادىء الحق وإنكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق**) على يد شيخ كامل (**يجري مجرى إنكار من أنكر إمكان انكشاف الصورة في الحديدة إذا شكلت**) شكلاً خاصاً (**ونقيت**) عن أوساخها (**وصقلت**) بادامة العمل عليها، (**وصوّرت بصورة المرآة فنظر المنكر إلى ما في يده من زبرة**) أي قطعة (**حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والخبث وهو لا يحكي صورة من الصور فانكر إمكان انكشاف المرئي فيها عند ظهور جوهرها**) بعد الصقل، (**وإنكار ذلك غاية الجهل والضلال**).

(**فهذا حكم كل من أنكر كرامات الأولياء**) قدس الله أسرارهم، (**إذ لا مستند له إلا قصوره عن ذلك وقصور من رآه وبئس المستند ذلك في إنكار قدرة الله تعالى، بل إنما يشم**

المكاشفة من سلك شيئاً ولو من مبادىء الطريق، كما قيل لبشر: بأي شيء بلغت هذه المنزلة؟ قال: كنت أكاتم الله تعالى حالي. معناه: أسأله أن يكتم علي ويخفي أمري. وروي أنه رأى الخضر عليه السلام فقال له: ادع الله تعالى لي، فقال: يسر الله عليك طاعته، قلت: زدني، قال: وسترها عليك. فقيل: معناه سترها عن الخلق، وقيل: معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت إليها، وعن بعضهم أنه قال: أقلقني الشوق إلى الخضر عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن يريني إياه ليعلمني شيئاً كان أهم الأشياء عليّ، قال: فرأيته فما غلب على همي ولا همتي إلا أن قلت له: يا أبا العباس علمني شيئاً إذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة، فقال: قل اللهم أسبل علي كثيف سترك وحط علي سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك، قال: ثم غاب فلم أرَه ولم أشتق إليه بعد ذلك، فما زلت أقول هذه الكلمات في كل يوم، فحكي أنه صار بحيث كان يستذل ويمتهن، حتى كان أهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل الأشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ركود قلبه، واستقامة حاله في ذله وخموله.

روائح المكاشفة من سلك شيئاً ولو من مبادىء الطريق) وأوائله، **(كما قيل لبشر)** الحافي رحمه الله تعالى: **(بأي شيء بلغت هذه المنزلة؟ فقال: كنت أكاتم الله تعالى حالي، معناه)** كنت **(أسأله أن يكتم علي)** حالي **(ويخفي أمري)** على الخلق حتى لا يطلعون عليه. **(وروي أنه رأى الخضر عليه السلام فقال: ادع الله لي، فقال: يسر الله عليك طاعته. قلت: زدني، قال: وسترها عليك)** واختلف فيه **(فقيل: معناه سترها عن الخلق)** فلا يطلعون عليه، **(وقيل: معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت إليها)** فيكوت التفاتك حجاباً لك، **(و)** حكي **(عن بعضهم أنه قال: أقلقني الشوق إلى)** ملاقاة **(الخضر)** عليه السلام، **(فسألت الله تعالى مرة أن يريني إياه ليعلمني شيئاً كان أهم الأشياء عليّ. قال: فرأيته فما غلب على همي ولا همتي إلا أن قلت له: يا أبا العباس)** وهي كنية الخضر **(علمني شيئاً إذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة، فلم يكن لي فيها قدر)** أي منزلة **(ولا يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة، فقال: قل اللهم اسبل عليّ كنف سترك وحط عليّ سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك. قال: ثم غاب)** عني **(فلم أره ولم أشتق إليه بعد ذلك، فما زلت أن أقول هذه الكلمات في كل يوم، فحكي أنه صار بحيث كان يستذل ويمتهن)** أي يحتقر **(حتى كأن أهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه في الطريق بحمل الأشياء لهم لسقوطه عندهم. وكان الصبيان يلعبون به)** ويؤذونه **(فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذله وخموله؛ فهكذا حال أولياء الله. ففي أمثال هؤلاء ينبغي أن**

فهكذا حال أولياء الله تعالى، ففي أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا، والمغرورون إنما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرئاسة، وغيرة الله تعالى على أوليائه تأبى إلا إخفاءهم كما قال تعالى: أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري. وقال ﷺ: «رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه».

وبالجملة؛ فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بأنفسها المستبشرة بعملها وعلمها. وأقرب القلوب إليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعاراً إذا ذل واهتضم لم يحس بالذل، كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه، فإذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضاً بعدم التفاته إلى الذل، بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذلاً في حقه بل يرى نفسه دون ذلك، حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته، فمثل هذا القلب يرجى له أن يستنشق مبادىء هذه الروائح، فإن فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا هذا الروح فلا ينبغي أن يطرح الإيمان بإمكان ذلك لأهله، فمن لا يقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محباً لأولياء الله مؤمناً بهم فعسى أن

يطلبوا والمغرورون إنما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة) والهيئات الغريبة. **(وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرئاسة وغيرة الله على أوليائه تأبى إلا اخفاءهم)** عن أعينهم، **(كما قال تعالى)** في الحديث القدسي: **(«أوليائي تحت خبائي لا يعرفهم غيري»)** وفي نسخة تحت قبائي أي تحت ستري إذ سترتهم عن أعين الخلق. **(وقال ﷺ: «رب أشعث أغبر ذي طمرين)** أي ثوبين رثين **(لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه»)** رواه مسلم من حديث أبي هريرة والخطيب من حديث أنس وقد تقدم.

(وبالجملة؛ فابعد القلوب عن مشام هذه المعاني القلوب المتكبرة المعجبة بأنفسها المستبشرة بعلمها وعملها) الراضية بأحوالها، **(وأقرب القلوب إليها القلوب المنكسرة المستشعرة ذل نفسها استشعاراً إذا أذل واهتضم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه، فإذا لم يحس بالذل ولم يشعر أيضاً بعدم التفاته إلى الذل بل كان عند نفسه أخس منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذلاً في حقه، بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع بالطبع صفة ذاته، فمثل هذا القلب يرجى له أن يستنشق مبادىء هذه الروائح، فإن فقدنا مثل هذا القلب وحرمنا مثل هذه الروح فلا ينبغي أن يطرح الإيمان بإمكان ذلك لأهله، فمن لا يقدر أن يكون من أولياء الله تعالى فليكن محباً لأولياء الله تعالى مؤمناً بهم)** مصدقاً لهم في أقوالهم مسلماً لأحوالهم، **(فعسى أن يحشر مع من أحب)** فمن

يحشر مع من أحب. ويشهد لهذا ما روي أن عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل: أين ينبت الزرع؟ قالوا في التراب، فقال: بحق أقول لكم لا تنبت الحكمة إلا في قلب مثل التراب، ولقد انتهى المريدون لولاية الله تعالى في طلب شروطها بإذلال النفس إلى منتهى الضعة والخسة، حتى روي أن ابن الكرنبي وهو أستاذ الجنيد دعاه رجل إلى طعَام ثلاث مرات، ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله في المرة الرابعة، فسأله عن ذلك، فقال قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود، ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت، وعنه أيضاً أنه قال: نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح، فتشتت علي قلبي، فدخلت الحمام وعدلت إلى ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت، وجعلت أمشي قليلاً قليلاً. فلحقوني فنزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضرباً، فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسي.

فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى

أحب قوماً حشر معهم كما في الخبر وتقدم قريباً. (**ويشهد لهذا ما روي أن عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل: أين ينبت الزرع؟ قالوا: في التراب، فقال: بحق أقول لكم لا تنبت الحكمة إلا في قلب مثل التراب. ولقد انتهى المريدون لولاية الله عز وجل في طلب شروطها بإذلال النفس إلى منتهى الضعة والخسة، حتى روي أن ابن الكرنبي**) بفتح الكاف والراء وسكون النون وكسر الموحدة أبو خليفة الصوفي، (**وهو أستاذ الجنيد**) خرج إلى عبادان. ترجمة الخطيب في التاريخ، وكرنبا بلد بخراسان وقد وقع هنا في نسخ الكتاب تصحيف فليحذر (**دعاه رجل إلى طعامه ثلاث مرات، ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع بعد ذلك حتى أدخله في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال: قد رضت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمي له عظم فيعود، ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت و**) حكي (**عنه أيضاً أنه قال: نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح**) والديانة (**فتشتت قلبي فدخلت الحمام وعنيت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت، وجعلت أمشي قليلاً قليلاً فلحقوني فنزعوا مرقعتي وأخذوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضرباً، فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسي**). وقد اعترض ابن القيم وغيره على المصنف في تقريره هذا الكلام والتسليم له، وأن هذا لا يجوز شرعاً، وقد أجاب عنه العارفون منهم سيدي عبد الوهاب الشعراني قدس سره في كتابه: الأجوبة المرضية عن السادة الصوفية وأشرنا إلى بعضه في خطبة كتاب العلم.

(**فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى**

النفس، فإن الملتفت إلى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له، فليس بين القلب وبين الله حجاب بعد وتخلل حائل، وإنما بعد القلوب شغلها بغيره أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس. ولذلك حكي أن شاهداً عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد، فقال له يوماً: أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئاً وأنا أصدق به وأحبه، فقال أبو يزيد: ولو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة قال: ولِمَ؟ قال: لأنك محجوب بنفسك. قال: فلهذا دواء؟ قال: نعم. قال: قل لي حتى أعمله، قال: لا تقبله، قال: فاذكره لي حتى أعمل، قال: اذهب الساعة إلى الرجل المزين فاحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزاً، واجمع الصبيان حولك وقل: كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة، وادخل السوق وطف الأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك، فقال الرجل: سبحان الله! تقول لي مثل هذا! فقال أبو يزيد: قولك: سبحان الله شرك، قال: وكيف؟ قال: لأنك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك! فقال: هذا لا أفعله ولكن دلني على غيره! فقال: ابتدىء بهذا قبل كل شيء، فقال لا أطيقه، قال: قد قلت

النفس، فإن الملتفت إلى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله تعالى حجاب بعد وتخلل حائل، وإنما بعد القلوب شغلها بغيره أو بنفسها، وأعظم الحجب شغل النفس. ولذلك حكي أن شاهداً عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد) البسطامي رحمه الله تعالى (فقال له يوماً: يا أبا يزيد أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئاً) يعني علم المعرفة، (وأنا أصدق به وأحبه، فقال أبو يزيد) رحمه الله تعالى: (ولو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة. قال: ولم؟ قال: لأنك محجوب بنفسك. قال: فلهذا دواء؟ قال: نعم. قال: قل لي حتى أعمله. قال: لا تقبله. قال: فاذكره لي حتى أعمل. قال: اذهب الساعة إلى المزين فأحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس) الذي عليك (واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزاً واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة وادخل السوق وطف الأسواق كلها عند الشهود) وهم الرفقاء في صنعته، (وعند من يعرفك). ويعظمك (وأنت على ذلك) الحال، (فقال الرجل: سبحان الله تقول لي مثل هذا. فقال أبو يزيد) رحمه الله تعالى: (قولك سبحان الله شرك. قال: وكيف؟ قال: لأنك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك! فقال: هذا لا أفعله) أي لا أقدر على فعله (ولكن دلني على غيره، فقال: ابتدىء بهذا)

لك أنك لا تقبل ؟ فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتل بنظره إلى نفسه ومرض بنظر الناس إليه، ولا ينجي من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله، فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغي أن ينكر إمكان الشفاء في حق من داوى نفسه بعد المرض أو لم يمرض بمثل هذا المرض أصلاً، فأقل درجات الصحة الإيمان بإمكانها، فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضاً.

وهذه أمور جلية في الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علماء الشرع، فقد قال ﷺ : « لا يستكمل العبد الإيمان حتى تكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته وحتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف » وقال عليه السلام: « ثلاث من كنّ فيه استكمل إيمانه: لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يرائي بشيء من عمله، وإذا عرض عليه أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر أمر الآخرة على الدنيا » وقال عليه السلام: « لا يكمل إيمان عبد حتى يكون فيه ثلاث خصال: إذا

الذي قلته لك (**قبل كل شيء، فقال: لا أطيقه. فقال: قد قلت لك أنك لا تقبل، فهذا الذي ذكره أبو يزيد**) رحمه الله تعالى (**هو دواء من اعتل بنظره إلى نفسه ومرض بنظر الناس إليه ولا ينجي عن هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله، فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغي أن ينكر إمكان الشفاء في حق من داوى نفسه بعد المرض أو لم يمرض بمثل هذا المرض أصلاً، فأقل درجات الصحة الإيمان بإمكانها فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضاً.**

وهذه أمور جلية في الشرع واضحة وهي مع ذلك مستبعدة عند من يعد نفسه من علماء الشرع، فقد قال النبي ﷺ : « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرته، وحتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف ») قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بن أبي طلحة، وهو إنما سمع من التابعين فهو معضل وقد تقدم. (**وقال ﷺ : « ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه: لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر أمر الآخرة على أمر الدنيا »**) قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة، وفيه سالم المرادي ضعفه ابن معين والنسائي ووثقه ابن حبان واسم أبيه عبد الواحد اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن عساكر في التاريخ، وسالم هذا يكنى أبا العلاء كوفي شيعي روى له الترمذي وهو مقبول الرواية.

(**وقال ﷺ : « لا يكمل إيمان العبد حتى تكون فيه ثلاث خصال: إذا غضب لم يخرجه**

غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له». وفي حديث آخر: «ثلاث من أوتيهن فقد أوتي مثل ما أوتي آل داود: العـدل في الرضـا، والغضـب والقصـد في الغنـى والفقـر، وخشيـة الله في السر والعلانية». فهذه شروط ذكرها رسول الله ﷺ لأولي الإيمان فالعجب ممن يدعي علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط ثم يكون نصيبه من علمه وعقله أن يجحـد ما لا يكون إلا بعد مجاوزة مقامات عظيمة علية وراء الإيمان، وفي الأخبار أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه: إنما اتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له همّ غيري ولا يؤثر علي شيئاً من خلقي وإن حرق بالنـار لم يجد لحرق النـار وجعـاً وإن قطـع بالمناشير لم يجد لمس الحديد ألماً، فمن لم يبلغ إلى أن يغلبه الحب إلى هذا الحد فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات؟ وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الإيمان، ومقامات الإيمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر له. ولذلك قال

غضبه من الحق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له») قال العراقي: رواه الطبراني في الصغير من حديث أنس بلفظ: «ثلاث من أخلاق الإيمان» وإسناده ضعيف اهـ.

قلت: لفظه: «من إذا غضب لم يدخله غضبه في باطل، ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه من حق، ومن إذا قدر لم يتعاط ما ليس له» وفيه بشر بن الحسين كذاب.

وفي حديث آخر) قال ﷺ: (**«ثلاث من أوتيهن فقد أوتي بمثل ما أوتي آل داود: العدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وخشية الله في السر والعلانية»)** قال العراقي: غريب بهذا اللفظ، والمعروف: «ثلاث منجيات» فذكرهن بنحوه وقد تقدم اهـ.

قلت: ليس بغريب، بل رواه هكذا الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة.

(فهذه شروط ذكرها ﷺ لأولي الإيمان فالعجب ممن يدعي علم الدين ولا يصادف في نفسه ذرة من هذه الشروط، ثم يكون نصيبه من علمه وعقله أن يجحد ما لا يكون إلا بعد مجاوزة مقامات عليه عظيمة وراء الإيمان. وفي الأخبار) الإسرائيلية **(أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه. إنما اتخذ لخلتي من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له همّ غيري ولا يؤثر عليَّ شيئاً غيري من خلقي وإن حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعاً، وإن قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد ألماً)** نقله صاحب القوت. **(فمن لم يبلغ إلى أن يغلبه الحب إلى هذا الحد، فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات، وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الإيمان، ومقامات الإيمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر له، ولذلك قال ﷺ**

عليه السلام للصديق رضي الله عنه: «إن الله تعالى قد أعطاك مثل إيمان كل من آمن بي من أمتي وأعطاني مثل إيمان كل من آمن به من ولد آدم»، وفي حديث آخر: «إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة» فقال أبو بكر: يا رسول الله هل فيّ منها خلق؟ فقال: «كلها فيك يا أبا بكر وأحبها إلى الله السخاء». وقال عليه

للصديق رضي الله عنه: «إن الله تعالى قد أعطاك مثل كل من آمن من أمتي وأعطاني مثل إيمان كل من آمن به من ولد آدم») قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من رواية الحرث الأعور عن علي مع تقديم وتأخير والحرث ضعيف.

(وفي حديث آخر: «إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة» فقال أبو بكر: يا رسول الله هل فيّ خلق منها؟ فقال: «كلها فيك يا أبا بكر وأحبها إلى الله السخاء») قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس مرفوعاً عن الله تعالى خلقت بضعة عشر وثلاثمائة خلق من جاء بخلق منها مع شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة. ومن حديث ابن عباس: «الإسلام ثلاثمائة شريعة وثلاث عشرة شريعة» وفيه، وفي الكبير من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه بلفظ: «الإيمان» وللبزار من حديث عثمان بن عفان: «إن لله مائة وسبع عشرة شريعة» الحديث، وليس فيها كلها تعرض لسؤال أبي بكر وكلها ضعيفة اهـ.

قلت: وتمام حديث عثمان عند البزار: «من وافاه بخلق منها دخل الجنة» ورواه الطيالسي والحكيم وأبو يعلى بلفظ: «إن لله مائة خلق وسبعة عشر خلقاً فمن أتى الله بخلق واحد منها دخل الجنة».

وأما حديث أنس الذي رواه الطبراني في الأوسط فلفظه عنده: «إن لله عز وجل لوحاً من زبرجدة خضراء جعله تحت العرش كتب فيه إني أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين خلقت بضعة عشر وثلاثمائة خلق من جاء بخلق منها مع شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة» وقد رواه كذلك أبو الشيخ في العظمة، وروى الحكيم من حديث أبي سعيد الخدري: «إن لله تعالى ثلاثمائة وخمس عشرة شريعة يقول الرحمن: وعزتي لا يأتيني عبد من عبادي لا يشرك بي شيئاً بواحدة منهن إلا أدخلته الجنة».

ولفظ حديث ابن عباس: «الإسلام ثلاثمائة شريعة وثلاث عشرة شريعة ليس منها شريعة يلقى الله بها صاحبها إلا وهو يدخل بها الجنة» هكذا رواه الطبراني في الكبير وفي الأوسط.

وأما لفظ حديث المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده فلفظه «الإيمان ثلاثمائة وثلاثون شريعة من وافى بشريعة منهن دخل الجنة» رواه الطبراني هكذا فيهما والبيهقي وابن النجار قال الحافظ في الإصابة، قال ابن حبان في ترجمة المغيرة بن عبد الرحمن ابن عبيد من كتاب

السلام: «رأيت ميزاناً دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة فرجحت بهم ووضع أبو بكر في كفة وجيء بأمتي فوضعت في كفة فرجح بهم». ومع هذا كله

الثقات، روى عن أبيه عن جده، وكانت له صحبة فيما يزعمون وعداده في أهل الشام. وقال ابن عبد البر: روى عن النبي ﷺ في الإيمان حديثه عند حماد بن سلمة انتهى.

وأخرج ابن السكن وابن شاهين والطبراني وأبو نعيم كلهم من طريق المنهال بن بحر عن حماد بن سلمة عن المغيرة بن عبد الرحمن، حدثني أبي عن جدي وكانت له صحبة أن النبي ﷺ قال: «الإيمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة» الحديث وسمى ابن السكن جده في روايته عبيداً فقال: وكانت لعبيد صحبة وكان في بيت المقدس انتهى.

وأما حديث: «السخاءخلق الله الأعظم» فقد رواه أبو الشيخ وابن عباس من حديث ابن عباس وقد تقدم.

(وقال ﷺ: «رأيت ميزاناً دلي من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة فرجحت بهم، ووضع أبو بكر في كفة وجيء بأمتي فوضعت في كفة فرجح بهم») قال العراقي: رواه أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضعيف انتهى.

قلت: ورواه الطبراني نحوه ولفظه: «رأيت البارحة كأني أدخلت الجنة فخرجت من إحدى أبوابها الثمانية فإذا أنا بأمتي قيام فعرضوا علي رجلاً رجلاً وإذا الميزان منصوب فوضعت أمتي في كفة الميزان ووضعت في الكفة الأخرى فرجحت بهم ثم وضع جميع أمتي في كفة الميزان ووضع أبو بكر الصديق في الكفة الأخرى فرجح بهم، ثم وضع جميع أمتي في كفة الميزان ووضع عمر بن الخطاب في الكفة الأخرى فرجح بهم، ثم رفع الميزان».

وروى أحمد عن رجل من الصحابة رفعه: «رأيت الليلة في المنام كأن ثلاثة من أصحابي وزنوا فوزن أبو بكر فوزن ثم وزن عمر فوزن ثم وزن عثمان فنقص صاحبنا وهو صالح».

وروى ابن عساكر من حديث ابن عمر وأبي أمامة: «وزنت بأمتي فوضعت في كفة وأمتي في كفة فرجحت بأمتي، ثم وضع أبو بكر مكاني فرجح بأمتي، ثم وضع عمر مكانه فرجح، ثم وضع عثمان مكانه فرجح بهم ثم رفع الميزان».

وروى ابن عدي من حديث ابن عباس وقال غير محفوظ: «وزنت بالخلق كلهم فرجحت بهم، ثم وزن أبو بكر فرجح بهم، ثم وزن عمر فرجح بهم، ثم وزن عثمان فرجح بهم ثم ارتفع الميزان».

وروى الشيرازي في الألقاب وابن منده وقال غريب، وابن عساكر من حديث عرفجة الأشجعي: «وزن أصحابنا الليلة فوزن أبو بكر فوزن، ثم وزن عمر فوزن، ثم وزن عثمان فخفف وهو رجل صالح».

فقد كان استغراق رسول الله ﷺ بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال: « لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى » يعني نفسه.

قلت: عرفجة بن شريح الأشجعي صحابي نزل الكوفة، وروى أيضاً عن أبي بكر الصديق وعنه زياد بن علاقة وأبو حازم الأشجعي وأبو يعقوب العبدي وغيرهم.

وروى الطبراني في الكبير من حديث أسامة بن شريك: « وزن أصحابي الليلة فوزن أبو بكر ثم وزن عمر ثم وزن عثمان ».

ورواه ابن قانع وابن منده من طريق رحمة بن مصعب عن شريك عن الأشعث بن سليم عن الأسود بن هلال قال: كان فينا إعرابي يؤذن بالحيرة يقال له جبر فقال: إن عثمان لن يموت حتى يلي هذه الأمة. فقيل له: من أين تعلم؟ فقال: إني صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الفجر فلما سلّم استقبلنا بوجهه فقال: « إن ناساً من أصحابنا وزنوا الليلة فوزن أبو بكر فوزن، ثم وزن عمر فوزن، ثم وزن عثمان فوزن » قال ابن منده: هذا حديث غريب بهذا الإسناد. قال أبو موسى: ذكره ابن منده في آخر ترجمة جبر بن عتيك، والصواب أنه غيره. قال الحافظ: وكذلك أفرده أبو عمر وقال فيه جبر الإعرابي المحاربي.

(ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله ﷺ بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال: « لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله » يعني نفسه) قال العراقي: متفق عليه.

قلت: رواه مسلم من حديث ابن مسعود بلفظ: « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله عز وجل » ورواه الطبراني وابن عساكر من حديث أبي واقد كذلك وفي لفظ لمسلم: « لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي وقالوا اتخذ الله خليلاً.

ورواه أحمد والبخاري من حديث ابن الزبير: « لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً دون ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخي في الدين وصاحبي في الغار ». ورواه البخاري كذلك من حديث ابن عباس، والشيرازي في الألقاب من حديث سعد.

ورواه ابن عساكر من حديث جابر: « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن قولوا كما قال الله صاحبي ».

وروى عبد الرزاق من حديث البراء: « لو كنت متخذاً خليلاً حتى ألقى الله سوى الله لاتخذت أبا بكر خليلاً ».

وروى أبو نعيم في فضائل الصحابة من حديث ابن مسعود: « لو اتخذت خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً.

خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة ينتفع بها :

قال سفيان : المحبة اتباع رسول الله ﷺ . وقال غيره : دوام الذكر ، وقال غيره : إيثار المحبوب . وقال بعضهم : كراهية البقاء في الدنيا . وهذا كله إشارة إلى ثمرات المحبة فأما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها . وقال بعضهم : المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب عن إدراكه وتمتنع الألسن عن عبارته . وقال الجنيد : حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة . وقال : كل محبة تكون بعوض فإذا زال العوض زالت المحبة . وقال ذو النون :

خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالمحبة:

رسماً وتعريفاً : (**ينتفع بها**) .

(**قال سفيان**) الثوري رحمه الله تعالى : (**المحبة إتباع الرسول ﷺ**) فيما أمر به ونهى ، وهو دليل محبة الله تعالى فإن من أحب الله فقد أحب رسوله ، ومن أحب رسوله اتبع سنته وطريقته . (**وقال غيره :**) المحبة (**دوام الذكر**) روى البيهقي في الشعب عن أبي علي الحافظ قال : سئل سمنون عن المحبة فقال : صفاء الود مع دوام الذكر . وعن مالك بن دينار قال : علامة حب الله دوام ذكره من أحب شيئاً أكثر ذكره . وقال الحليمي وقال بعضهم : المحبة اللزوم فإن من أحب شيئاً لزم قلبه ذكره فمحبة الله لزوم ذكره . قال : وهذا الذي فسر هذا القائل به المحبة من أنه اللزوم موافق لقول أهل اللسان ، لأنهم يقولون : أحب الجمل إذا برك فلزم مكانه . وعن السري بن المفلس قال : قرأت في بعض كلام الحكماء أبعد الناس من الملل والفترة من لم يفارق قلبه ذكر الله عز وجل ، وحسبك من صدق العبد دوام ذكر الله عز وجل عنده . (**وقال غيره :**) المحبة (**إيثار المحبوب**) ونقل القشيري عن الكتاني قال : المحبة الإيثار للمحبوب ، ونقل عن غيره قال : هي إيثار المحبوب على جميع المصحوب . ونقل صاحب القوت عن بعض العلماء قال : الإيثار يشهد للحب فعلامة حبه إيثاره على نفسك . (**وقال بعضهم**) : المحبة (**كراهية البقاء في الدنيا**) أي محبة الموت الذي هو سبب موصل إلى لقاء الله تعالى وهوعلامة محبة الله تعالى فإن من أحبه أحب لا محالة لقاءه ولا يتم له ذلك مع البقاء في الدنيا (**وهذا كله إشارة إلى ثمرات المحبة**) أي ما تنتجه ، (**فأما نفس المحبة فلم يتعرضوا لها وقال بعضهم المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب تعجز القلوب عن إدراكه وتمتنع الألسن عن عبارته، وقال الجنيد**) قدس سره : (**حرم الله تعالى المحبة على صاحب العلاقة**) أي بسوى الله تعالى من أهل ومال ، (**وقال**) أيضاً : (**كل محبة تكون بعوض فإذا زال العوض زالت المحبة**) نقله القشيري في الرسالة يشير بذلك إلى أعلى مقام في المحبة وهو محبته لذات الجمال والكمال لا لأمر وراءه من الإحسان والافضال ، وإنما كان هذا أفضل لتعلقها بالذات والصفات من كل وجه لأنها أزلية أبدية لا تتغير ولا تنقضي بل هي الإزدياد كما تقدم . (**وقال ذو النون**) المصري رحمه الله تعالى : (**قل لمن**

قل لمن أظهر حب الله أحذر أن تذل لغير الله. وقيل: للشبلي رحمه الله تعالى: صف لنا العارف والمحب؛ فقال: العارف إن تكلم هلك، والمحب إن سكت هلك، وقال الشبلي رحمه الله:

يـا أيها السيـد الكـريمُ ... حبّـك بين الحشـا مقيمُ
يـا رافـع النـوم عـن جفـوني ... أنـت بما مـرّ بي عليمُ

ولغيره:

عجبت لمن يقول ذكرت إلفي ... وهل أنسى فأذكـر مـا نسيتُ
أمـوت إذا ذكـرتـك ثم أحيـا ... ولـولا حسـن ظني مـا حييـت
فأحيا بـالمنـى وأمـوت شـوقـاً ... فكـم أحيـا عليـك وكم أمـوت

أظهر حب الله احذران تذل لغير الله) يشير به إلى أعلى مراتب المحبة وهو أن يغمر الحب قلبه فلا يحس بغيره ولا يلتفت إلى سواه، (**وقيل للشبلي رحمه الله تعالى: صف لنا العارف والمحب. فقال: العارف إن تكلم هلك والمحب إن سكت هلك**) نقله القشيري في الرسالة يشير به إلى أن المحب لما انكشف له من قرب الله وجماله وكماله فتقوى لذته ويزيد نعيمه أثمر ذلك طولاً في اللسان وانبساطاً لقصور نظره عن طيب حاله، فلو سكت هلك بخلاف العارف فإنه أبداً يتطلع إلى ما غاب عنه وما سيأتي فيكون غالب حاله السكوت والقبض، فلو تكلم كاد أن يهلك ومن هنا قولهم: من عرف الله كل لسانه. (**وقال الشبلي رحمه الله تعالى**) حين كان بالمارستان ودخل عليه جماعة فسألهم: من أنتم؟ قالوا: نحن أحباؤك فرماهم بالحجارة فهربوا فقال: كذبتم لو كنتم أحبائي ما هربتم ثم أنشد:

(يـا أيها السيـد الكـريم ... حبـك بين الحشـا مقيم
يـا رافـع النـوم عـن جفـوني ... أنـت بما مـر بي عليم)

هكذا أنشده القشيري في الرسالة وقد تقدم الإشارة إليه.

(**ولغيره**) في هذا المقام قيل هو الشبلي لما سيأتي:

(عجبت لمن يقـول ذكـرت ربي ... وهل أنسى فـأذكـر مـا نسيت)

أي لأن الذكر إنما يكون بعد النسيان والغفلة أما دائم الذكر فلا يقول ذكرت، فإن الحاصل لا يطلب تحصيله ومن هنا قال الشيخ سعد الدين الكاشفري: سألني الشيخ عبد الكريم الحضرمي وقال: ما الذكر؟ قلت: لا إله إلا الله فقال: ما هذا ذكر هذا عبادة، فقلت له: أفد أنت. فقال: الذكر أن تعلم أنك لا تقدر على وجدانه.

(أمـوت إذا ذكرتـك ثم أحيـا ... ولـولا حسـن ظني مـا حييـت
فـأحيـا بـالمنـى وأمـوت شـوقـاً ... فكـم أحيـا عليـك وكم أمـوت

شربت الحبّ كأساً بعد كأسٍ فما نفد الشراب وما رويتُ
فليت خياله نصب لعيني فإن قصرت في نظري عميتُ

وقالت رابعة العدوية يوماً: من يدلنا على حبيبنا، فقالت خادمة لها: حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه. وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى: أوحى الله إلى عيسى عليه

شربت الحب.كأساً بعد كأس فما نفد الشراب وما رويتَ
فليت خياله نصب لعيني فإن قصرت في نظري عميت)

وقرأت في آخر المسلسلات للحافظ أبي مسعود الأصبهاني أنشدني أحمد بن علي الحافظ قال: أنشدني عبدالله بن يحيى الزمن، أنشدني محمد بن علي الصوفي، عن أبي بكر الشبلي:

أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا ما أؤمل ما حييت
وفي موتي حياتي ما كفاني فكم أحيا عليك ولا أموت
شربت الحب كأساً بعد كأس فما نفد الشراب وما رويت

انتهى.

وقال القشيري: سمع أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت أبن عبيد يقول: كتب يحيى بن معاذ أبي يزيد: سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته، فكتب إليه أبو يزيد: غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روي بعد ولسانه خارج يقول هل من مزيد وأنشدوا:

عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل أنسى فاذكر ما نسيتُ
شربت الحب كأساً بعد كأس فما نفد الشراب وما رويتُ

وقال القشيري في باب الذكر كان الشبلي ينشد في مجلسه:

ذكرتك لا أني نسيتك لمحة وأيسر ما في الذكر ذكر لساني
وكدت بلا وجد أموت من الهوى وهام عليّ القلب بالخفقان
فلما أراني الوجد أنك حاضري شهدتك موجوداً بكل مكان
فخاطبت موجوداً بغير تكلم ولاحظت معلوماً بغير عيان

(وقالت) أم الخير **(رابعة)** بنت إسماعيل **(العدوية)** البصرية قدس سرها المتوفية سنة ١٣٥ **(يوماً من يدلنا على حبيبنا؟ فقالت خادمة لها: حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه)**: اعلم أن رابعة قدس سرها كانت رأساً في المعرفة والمحبة كما هو مشهور من حالها، ولا يخفى عليها مقام المعية، وإنما قالت وهي في مقام الإستغراق الذي هو من نتائج المحبة وغلب عليها الشوق إلى المشاهدة، والمحب في مقام قد يتطلب من يأخذ بيده ويتعلق بالأذيال فنبهتها الخادمة على أن الوصول إلى مقام المشاهدة لا يكون إلا بعد المفارقة من هذا العالم فتمتنع عنه القواطع، فما أدق نظرها رحمها الله تعالى.

(وقال) أبو عبدالله **(ابن الجلاء)** الدمشقي رحمه الله تعالى: **(أوحى الله تعالى إلى عيسى**

السلام: إني إذا اطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي وقيل: تكلم سمنون يوماً في المحبة فإذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمنقاره الأرض حتى سال الدم منه فمات. وقال ابراهيم بن أدهم: إلهي إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك. وقال السري رحمه الله: من أحب الله عاش، ومن مال إلى الدنيا طاش، والأحمق يغدو ويروح في لاش، والعاقل عن عيونه فتاش. وقيل لرابعة: كيف

عليه السلام) يا عيسى **(إني إذا اطلعت على سر عبد)** وهو داخل القلب **(فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي وتوليته بحفظي)** يشير به إلى أن المحبة تقتضي عدم المشاركة وأن لا يكون في القلب محل لسواه. ولفظ القشيري في الرسالة، وقيل: أوحى الله إلى عيسى عليه السلام. إني إذا أطلعت على قلب عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي. **(وقيل: تكلم سمنون)** بن حمزة المحب رحمه الله تعالى **(يوماً في المحبة فإذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمناقره الأرض حتى سال منه الدم فمات)**. قال القشيري: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن علي يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك يقول: سمعت سمنون وهو جالس في المسجد يتكلم في المحبة إذ جاء طير صغير قريب منه ثم قرب ثم لم يزل يدنو حتى جلس على يده ثم ضرب بمنقاره إلى الأرض حتى سال منه الدم ثم مات، وفيه دلالة على أن الحيوان يسمع ويفهم وإنما يمتنع عليه الكلام إلا على من أفهمه الله كلامه.

(وقال إبراهيم بن أدهم) رحمه الله تعالى مشيراً إلى عظم مقام المحبة. **(إلهي إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة في جنب ما أكرمتني من محبتك وآنستني بذكرك وفرغتني للتفكر في عظمتك)** رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أحمد بن محمد بن مقسم، حدثنا محمد بن سعيد صاحب الجنيد قال: سمعت المنصوري يقول: سمعت بشاراً يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: اللهم إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة إذا أنت آنستني بذكرك ورزقتني حبك وسهلت علي طاعتك، فاعط الجنة لمن شئت.

حدثنا أبو أحمد الحسين بن علي التميمي النيسابوري، حدثنا محمد بن المسيب الأرغياني، حدثنا عبدالله بن خبيب، حدثنا محمد بن بحر قال، قال إبراهيم بن أدهم: اللهم إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندي جناح بعوضة فما دونها إذا أنت وهبت لي حبك وآنستني بمذاكرتاح فرغتني للتفكر في عظمتك.

(وقال السري السقطي) رحمه الله تعالى: **(من أحب الله عاش)** عيشة أبدية، **(ومن مال إلى الدنيا طاش)** عقله وتحير أمره، **(والعاقل عن عيوبه فتاش، والأحمق)** الذي نقص جوهر عقله **(يغدو ويروح في لاش)** أي في لا شيء تقدم ذلك في كتاب ذم الدنيا.

حبك للرسول ﷺ ؟ فقالت : والله إني لأحبه حباً شديداً ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين وسئل عيسى عليه السلام عن أفضل الأعمال فقال : الرضا عن الله تعالى والحب له ، وقال أبو يزيد : المحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة ، إنما يحب من مولاه مولاه . وقال الشبلي : الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم ، وقيل : المحبة أن تمحو أثرك عنك حتى لا يبقى فيك شيء راجع منك إليك . وقيل : المحبة قرب القلب من المحبوب بالاستبشار والفرح . وقال الخوّاص : المحبة محو الإرادات واحتراق جميع الصفات

(وقيل لرابعة) العدوية قدس سرها : **(كيف حبك للرسول ﷺ فقالت : إني والله أحبه حباً شديداً ولكن حب الخالق شغلني عن حب المخلوقين)** ، وحكي عن أبي سعيد الخراز قال : رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت : يا رسول الله اعذرني فإن محبة الله شغلتني عن محبتك . فقال : يا مبارك من أحب الله فقد أحبني نقله القشيري ، **(وسئل موسى عليه السلام عن أفضل الأعمال فقال : الرضا عن الله)** في أفعاله **(والحب له)** لجلاله وكماله .

(وقال أبو يزيد) البسطامي رحمه الله تعالى : **(المحب لا يحب الدنيا ولا الآخرة)** أي لا يميل بقلبه إليهما **(إنما يحب من مولاه مولاه)** أي ذاته ويقصر نظره عليه .

(وقال الشبلي) رحمه الله تعالى : **(الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم)** أشار بالجملة الأولى إلى أوائل الحب ، فإن المحب في أوائل أمره إذ لاحظ جمال المحبوب يدهش ويغيب عن عقله ، فإذا لحقته العناية أصحاه من دهشه فيلتذ بما قام به من الحال ، وأشار بالجملة الثانية إلى كمال مقام الحب وذلك عند تصاغره بالعبودية المحضة إجلالاً لعظمته ومهابة لكبريائه لا يفارقه في هذا المقام الحيرة . ولفظ القشيري في الرسالة : سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : المحبة لذة ومواضع الحقيقة دهش انتهى ، والمعنى أن المحبة في أول أمرها لذة يلتذ بها المحب فإذا غلب على قلبه شغله بالله وغمره دهش .

(وقيل : المحبة أن تمحو أثرك عنك حتى لا يبقى فيها شيء راجع منك إليك) ويقرب منه قول أبي عبدالله القرشي حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء وقول الشبلي : سميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب نقلها القشيري .

(وقيل : المحبة قرب القلب من المحبوب بالإستبشار والفرح) ولفظ القوت قال الجنيد : المحبة نفسها قرب القلب من الله بالإستنارة والفرح انتهى . والمراد بالقرب قرب مكانة لا قرب مكان ، وأشار بالإستبشار والفرح إلى الأنس الذي تنتجه المحبة ، فإن المستأنس بالقرب يستبشر ويفرح لأنه غير متطلع إلى فائت ، وقد يكون إشارة إلى مقام الصفاء الذي هو إحدى منازلات العبد في سلوكه ، وهو أن يكون القلب خالياً عن سائر الكدورات ، فحينئذ يجد الرب تعالى القلب محلاً قابلاً للقرب فيملؤه من أنواره ومعرفته وتحفه ، فعند ذلك يميل القلب إلى القرب من المحبوب بكمال المعرفة وينقض عليه انقضاض الطائر الجاف الكبد من عدم الماء إذا رآه في السماء وهو بغاية

والحاجات. وسئل سهل عن المحبة فقال: **عطف الله بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه. وقيل: معاملة المحب على أربع منازل؛ على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم، وأفضلها التعظيم والمحبة لأن هاتين المنزلتين يبقيان مع أهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرهما. وقال هرم بن حيان: المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه، وإذا أحبه أقبل عليه، وإذا وجد حلاوة الإقبال عليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة، وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة. وقال عبدالله بن محمد: سمعت**

الفرح والإستبشار، فعلى هذا يعلم يقيناً أن محبة العبد لله تعالى هي الميل إليه بالفرح والإبتهاج كما قال الجنيد: المحبة هي الميل بلا نيل وأي نيل أشرف من الميل إليه والقرب منه.

(وقال) إبراهيم بن أحمد **(الخواص)** رحمه الله تعالى: **(المحبة محو الإرادات وإحراق)** وفي نسخة واحتراق **(جميع الصفات والحاجات)**، ويقرب منه قول من قال هي محو المحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته، وقول الحلاج: حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك، وقول أبي يعقوب السوسي: حقيقة المحبة أن ينسى العبد حظه من الله وينسى حوائجه إليه كما في الرسالة.

(وسئل) أبو محمد **(سهل)** التستري رحمه الله تعالى **(عن المحبة فقال: عطف الله تعالى بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه)** والمشاهدة تكون بالقلب كما أن الرؤية تكون بالبصر، فإذا عطفه كذلك لا يميل لغيره أبداً وهذا هو معنى قوله تعالى ﴿يحبهم﴾.

(وقيل: معاملة المحب على أربع منازل على المحبة والهيبة والحياء والتعظيم وأفضلها التعظيم والمحبة، لأن هاتين تبقيان مع أهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرهما)، وذلك لأن التوحيد عند المحبين أن يعبدوا الله تعالى لوجهه حباً له لا خوفاً من ناره ولا رغبة في جنته، فيكون الحبيب مرادهم والوصول إليه مناهم، ثم يرجع لهم على التعظيم والإجلال فلا يرون نفوسهم تصلح للقائه فتخنس القلوب وترجع بالهيبة والرهبة فيعبدون الله عز وجل ويبقى الشوق والأنس. وسئل سهل الحب أفضل أو الحياء؟ فقال: الحب الذي يورث من الخوف الحياء منه أفضل، والحب الذي يورث منه الحياء أفضل من الحياء وهو الشوق.

(وقال هرم بن حيان) العبدي رضي الله عنه له صحبة ويعد من كبار التابعين: **(المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه)** فإن المحبة ثمرة المعرفة، **(وإذا أحبه أقبل إليه)** بالعطف والرحمة، **(وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة)** أي لم يمل قلبه إليها **(ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة)** أي الكسل عن القيام بالخدمة، **(وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة)** وقد تقدم هذا القول.

امرأة من المتعبدات تقول ـ وهي باكية والدموع على خدها جارية ـ والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقاً إلى الله تعالى وحباً للقائه، قال: فقلت لها؛ فعلى ثقة أنت من عملك؟ قالت: لا ولكن لحبي إياه وحسن ظني به أفتراه يعذبني وأنا أحبه؟ وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً إليَّ وتقطعت أوصالهم من محبتي. يا داود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف إرادتي في المقبلين عليَّ؛ يا داود أحوج ما يكون العبد إليَّ إذا استغنى عني وارحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عني وأجلّ ما يكون عندي إذا رجع إليَّ وقال أبو خالد الصفار: لقي نبي من الأنبياء عابداً فقال له: إنكم معاشر العبـاد تعملون على أمر لسنا معاشر الأنبياء نعمل عليه، أنتم تعملون على الخوف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق. وقال الشبلي رحمه الله: أوحى الله تعالى إلى داود عليه

(وقال عبدالله بن محمد) البصري: **(سمعت امرأة من المتعبدات تقول: وهي باكية والدموع على خدها جارية: والله سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقاً إلى الله تعالى وحباً للقائه. قال: فقلت لها: فعلى ثقة أنت من عملك؟ قالت: لا؛ ولكن لحبي إياه وحسن ظني به أفتراه يعذبني وأنا أحبه)؟** روى البيهقي في الشعب عن أبي عثمان الحيري قال: الشوق ثمرة الحب ومن أحب الله اشتاق للقائه؛ وقال أيضاً بقدر ما يصل إلى قلب العبد من السرور بالله يشتاق إليه، وعلى قدر شوقه يخاف من بعده وطرده، وقولها: أفتراه يعذبني وأنا أحبه؟ يستفاد من قوله تعالى ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ [المائدة: ١٨] **(وأوحى الله إلى داود عليه السلام لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقاً وتقطعت أوصالهم من محبتي. يا داود هذه إرادتي في المدبرين عني فكيف إرادتي في المقبلين علي. يا داود أحوج ما يكون العبد إلي إذا استغنى عني، وأرحم ما أكون بعبدي أذا أدبر عني، وأجل ما يكون عندي إذا رجع إلي)** نقله القشيري في الرسالة مختصراً.

(وقال أبو خالد) محمد بن عبدالله بن أحمد الزاهد الأصبهاني **(الصفار)** سكن نيسابور، وقيل: إنه لم يرفع رأسه إلى السماء نيفاً وأربعين سنة، وصنف كتباً في الزهد، وروى عن أبي إسماعيل الترمذي وعنه الحاكم أبو عبدالله وأبو علي النيسابوري الحافظ مات سنة ٣٣٩: **(لقي نبي من الأنبياء عابداً)** من العباد **(فقال: إنكم معاشر العباد تعملون على أمر لسنا معاشر الأنبياء نعمل عليه أنتم تعملون على الخوف والرجاء، ونحن نعمل على المحبة والشوق)** ولا يخفى أن العمل على المحبة والشوق أفضل من العمل على الرجاء والخوف لرفعة مقام المحبة على غيره من المقامات.

السلام: يا داود ذكري للذاكرين، وجنتي للمطيعين، وزيارتي للمشتاقين، وأنا خاصة للمحبين، وأوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام: يا آدم من أحب حبيباً صدّق قوله، ومن أنس بحبيبه رضي فعله، ومن اشتاق إليه جدّ في مسيره. وكان الخوّاص رحمه الله يضرب على صدره ويقول: واشوقاه لمن يراني ولا أراه. وقال الجنيد رحمه الله: بكى يونس عليه السلام حتى عمي، وقام حتى انحنى، وصلّى حتى اقعد، وقال: وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته إليك شوقاً مني إليك. وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال: «المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خُلقي وقرة عيني في الصلاة»، وقال

(وقال الشبلي) رحمه الله تعالى: **(أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام. يا داود ذكري للذاكرين)** لأنه تعالى قال ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] **(وجنتي للمطيعين)** فإن الجنة لمن أطاع، **(وزيادتي للمشتاقين)** إليّ أي زيادة النعيم، **(وأنا خاصة للمحبين)** الذين يعبدوني خاصة لا لخوف من نار ولا طمعاً في جنة، **(وأوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام: يا آدم من أحب حبيباً صدق قوله، ومن أنس بحبيب رضي فعله، ومن اشتاق إليه جد في سيره)**. **(وكان)** إبراهيم بن أحمد **(الخواص)** رحمه الله تعالى **(يضرب على صدره ويقول: واشوقاه إلى من يراني ولا أراه، وقال الجنيد)** رحمه الله تعالى: **(بكى يونس عليه السلام حتى عمي، وقام حتى انحنى)** ظهره، **(وصلى حتى اقعد وقال: وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته إليك شوقاً مني إليك)**. وروى البيهقي في الشعب عن عبدالله بن أبي عيسى قال: كان رجل من أهل البصرة يقال له ضيغم تعبد قائماً حتى أقعد، ثم تعبد قاعداً حتى استلقى، ثم تعبد وهو مستلق حتى أقحم فلما أجهد قال: إجلسوني فرفع بصره إلى السماء فقال: سبحانك عجباً للخليقة كيف تحب أحداً سواك.

(وعن علي بن أبي طالب) رضي الله عنه **(قال: سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال «المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي والثقة)** بالله تعالى **(كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر دوائي والرضا)** بالله تعالى **(غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة»)**. قال العراقي: ذكره القاضي عياض من حديث علي ولم أجد له إسناداً اهـ.

قلت: وسئل عنه الحافظ بن حجر في فتاويه فقال: لا أصل له.

ذو النون: سبحان من جعل الأرواح جنوداً مجندة فأرواح العارفين جلالية قدسية، فلذلك اشتاقوا إلى الله تعالى، وأرواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا إلى الجنة، وأرواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا إلى الدنيا. وقال بعض المشايخ: رأيت في جبل اللكام رجلاً أسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر إلى حجر وهو يقول:

الشـــــــوق والهوى صيراني كما تـــــــرى

ويقال: الشوق نار الله أشعلها في قلوب أوليائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والإرادات والعوارض والحاجات، فهذا القدر كاف في شرح المحبة والأنس والشوق والرضا عليه والله الموفق للصواب.

تم كتاب المحبة والشوق والرضا والانس، يتلوه كتاب النية والإخلاص والصدق.

(وقال ذو النون) المصري رحمه الله تعالى: **(سبحان من جعل الأرواح جنوداً مجندة فأرواح العارفين جلالية قدسية، فلذلك اشتاقوا إلى الله تعالى، وأرواح المؤمنين روحانية فلذلك حنوا إلى الجنة، وأرواح الغافلين هوائية فلذلك مالوا إلى الدنيا)**، والأرواح البشرية لها مراتب خمسة وهي: الروح الحساس، والروح الخيالي، والروح العقلي، والروح الفكري، والروح القدسي، والمرتبة الأخيرة هي المختصة بالعارفين وفيها تتجلى لوائح الغيب وأحكام الآخرة وجملة من معارف ملكوت السموات والأرض، بل من المعارف الربانية التي يقصر دونها الروح العقلي والفكري، وكل هذه الأرواح نورانية لا ظلمة فيها.

(وقال بعض المشايخ رأيت في جبل اللكام) بالضم وتخفيف الكاف من جبال الشام مأوى عباد الله الصالحين **(رجلاً أسمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر إلى حجر وهو يقول)**:

الشـــــــوق والهوى صيراني كما تـــــــرى)

(ويقال: الشوق نار الله تعالى أشعلها في قلوب أحبائه حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والإرادات والعوارض والحاجات) فلا يكون لها ممر بها أبداً، **(فهذا القدر كاف في شرح المحبة والأنس والشوق والرضا، فلنقتصر عليه والله الموفق للصواب)**، ولنذكر ما يتعلق بهذه المقامات مما في الشعب للبيهقي وقوت القلوب وغيرهم.

قال البيهقي في الشعب: قد روينا عن بلال بن أبي الدرداء عن أبيه مرفوعاً قال: «حبك الشيء يعمي ويصم» قال الحليمي: قد يفهم من هذا أن من أحب الله تعالى لم يعتقد المصائب التي يقضيها عليه إساءة منه إليه ولم يستقل وظائف عبادته وتكاليفه المكتوبة عليه، كما أن من أحب أحداً من

....

جنسه لم يكد يبصر منه إلا ما يستحسنه ويزيد إعجاباً ولا يصدق من خير المخبرين عنه إلا ما يتخذه سبباً للوّلوع به والعلو في محبته. وعن عبدالله بن ابراهيم القرشي عن أبيه قال: لما نزل بالعباس بن عبد المطلب الموت قال لابنه: يا عبدالله إني موصيك بحب الله عز وجل وحب طاعته وخوف الله وخوف معصيته، فإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك، وإني مستوصيك الله يا بني ثم استقبل القبلة فقال: لا إله إلا الله ثم شخص ببصره ومات. وعن مالك بن دينار قال: أوحى الله عز وجل إلى بني إسرائيل إني لا أقبل قولكم ولكن أقبل هممك وهواكم. من كان همه وهواه في محبتي كان صمته عندي تقديساً وتسبيحاً ووقاراً. وعن محمد بن سعيد الخوارزمي قال: سمعت ذا النون وسئل عن المحبة. قال: أن تحب ما أحب الله وتبغض ما أبغض الله وتفعل الخير لله وترفض كل ما شغلك عن الله، وأن لا تخاف في الله لومة لائم، مع العطف للمؤمنين على الكافرين واتباع سنة رسول الله ﷺ في الدين. وعن أبي يزيد حين سئل عن علامة من يحب الله عز وجل، وعلامة من يحبه الله عز وجل؟ فقال: من يحب الله فهو مشغول بعبادته ساجداً أو راكعاً فإن عجز عن ذلك استروح إلى ذكر اللسان والثناء، فإن عجز استروح إلى ذكر القلب والتفكر فأما من يحبه الله عز وجل أعطاه سخاء كسخاء البحر وشفقة كشفقة الشمس وتواضعاً كتواضع الأرض، وعن يحي بن معاذ الرازي قال: المحبة لا تصح إلا من جهة المحبوب، وليس من أحب يحبه. وعن إبراهيم بن علي المديدي قال: من المحال أن تعرفه ولا تحبه، ومن المحال أن تحبه ثم لا تذكره، ومن المحال أن تذكره ثم لا يوجدك طعم ذكره، ومن المحال أن يوجدك طعم ذكره ولا يشغلك به عمن سواه. وعن سعيد بن عثمان قال: سمعت ذا النون يقول: من علامة المحب ترك ما يشغله عن الله حتى يكون الشغل كله بالله وحده. وقال يحي بن معاذ: حقيقة المحب أن لا يرى شيئاً سوى محبوبه، ولا ترى سواه ناصراً ولا معيناً، ولا تستغني بغيره عنه. وعن وهب بن أبي حفاظ الليثي قال: قال لي راهب من الرهبان إذا استقرت المحبة في القلب ذهل عن الأهل والولد. وعن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت راهباً في دير خالد يقول للحسن بن شوذب: لا يكون المحب لله محباً حتى يحبه بكل الكل، فصاح الحسن بن شوذب. وعن محمد بن أحمد المهدي قال: سمعت علي بن الموفق ما لا أحصيه وهو يقول: اللهم إن كنت تعلم أني أعبدك خوفاً من نارك فعذبني بها، وإن كنت تعلم أني أعبدك حباً مني لجنتك وشوقاً إليها فاحرمنيها، وإن كنت تعلم إنما أعبدك حباً مني لك وشوقاً إلى وجهك الكريم فانجنيه مرة واصنع بي ما شئت. وقال ضيغم الجلاب: إن حبه شغل قلوب مريديه عن التلذذ بمحبة غيره فليس لهم في الدنيا مع حبه لذة ولا يأملون في الآخرة من كرامة الثواب أكثر عندهم من النظر إلى وجهه. وعن عبد الرحمن بن عبد ربه عن ذي النون قال: من قتلته عبادته فديته جنته، ومن قتله الشوق فديته النظر إليه. وعن عبدالله بن سهل قال: سمعت يحي بن معاذ يقول: كم بين من يريد الوليمة للوليمة، وكم بين من يريد حضور الوليمة ليلقى الحبيب في الوليمة. ودخل سفيان الثوري على رابعة فقالت له: يا سفيان ما تعدون السخاء فيكم؟ قال: ما عند أبناء الدنيا فالذي يجود بماله، وأما عند أبناء الآخرة فهو الذي يجود بنفسه. فقالت: يا سفيان

....

أخطأتم فيها. فقال: فما السخاء عندك رحمك الله؟ فقالت: أن تعبدوه حباً له لا لطلب جزاء ولا مكافأة، ثم أنشأت تقول:

لولاك ما طابت الجنان ولا ... طاب نعيم بجنة الخلد
قوم أرادوك للجنان فنالوها وقلبي سواك لم يرد

وعن إبراهيم بن الجنيد، حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي، وكان من العباد قال: لقيني بهلول المجنون يوماً فقال لي: أسألك. قال، قلت سل. قال: أي شيء السخاء؟ قلت: البذل والعطاء. قال: هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين؟ قلت: المسارعة إلى طاعة السيد. قال: فتريد منه الجزاء؟ قلت: نعم بالواحد عشرة. قال: هذا في الدين قبيح، ولكن المسارعة إلى طاعة سيدك أن لا يطلع على قلبك وأنت تريد منه شيئاً سواه. وعن جامع بن أحمد قال: سمعت يحي بن معاذ يقول: العارفون رجلان رجل مسرور بأنه عبده، ورجل مسرور بأنه ربه، فالأول يفرح بالله من نفسه لنفسه، والآخر يفرح بالله من الله لله. وقال: هذا سرور الخبر فكيف سرور النظر؟ وعن علي بن محمد حاتم قال: سمعت الجنيد يقول: بت ليلة عند السري فلما كان في بعض الليل قال: يا جنيد أنت نائم؟ قلت: لا. قال: الساعة أوقفني الله بين يديه. وقال: يا سري تدري لم خلقت الخلق؟ قلت: لا. قال: خلقت الخلق فادعوا كلهم فيّ وادعوا محبتي فخلقت الدنيا فاشتغل بها من عشرة آلاف تسعة آلاف وبقي ألف، فخلقت الجنة فاشتغل من الألف تسعمائة بالجنة وبقيت مائة، فسلطت عليهم شيئاً من البلايا فاشتغل عني بالبلاء من المائة تسعون وبقيت عشرة، فقلت لهم: ما أنتم لا الدنيا أردتم ولا في الجنة رغبتم ولا من البلاء هربتم؟ فقالوا: فإنك لتعلم ما نريد. فقال: إني أنزل بكم من البلاء ما لا تطيقه الجبال الرواسي فتثبتون لذلك. قالوا: ألست الفاعل بنا قد رضينا. قلت: فأنتم عبيدي حقاً. وسئل يحي بن معاذ عن أشهى المجالس وألذها؟ قال: الجلوس في ميدان التوحيد يشم من رائحته المعرفة ويسقي من كأس المحبة. سبحان الله ما ألذه من مجلس وأعذبه من شراب. قيل: فأي الطعام أشهى؟ قال: لقمة من ذكر الله عز وجل في فم الصبي بتوحيد الله رفعها من مائدة الرضا عن الله عند النظر لكرامة الله تعالى قيل: فما عيد المؤمن؟ قال: السرور بالإيمان والنزهة بالقرآن. قال الله عز وجل ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما تجمعون﴾ [يونس: ٥٨] وقال السري: السرور بالله هو السرور، والسرور بغير الله هو الغرور. وعن أويس الأعور قال: رأيت ريحانة المجنونة ليلة تدعو وتقول في دعائها: أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك، وعميت عينان لا يبكيان شوقاً إليك، وجفت كفان لا يبتهلان بالتضرع إليك ثم أنشأت تقول:

يا حبيب القلوب أنت حبيبي ... لم تزل أنت منيتي وسروري

وقال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون يقول: كنت في الطواف فرأيت ولهان المجنون وهو يقول: حبك قتلني وشوقك أتلفني والإتصال بك أسقمني، فبعدت قلوب تحب غيرك وثكلت

خواطر أنست بسواك. وقال ذو النون: الأنس بالله نور ساطع والأنس بالناس سم قاطع. وقال صالح المري: رأيت ريحانة المجنونة وقد كتبت من وراء جيبها:

أنــــت أنسي ومنيتي وسروري قـــد أبى القلـب أن يحب ســـواك

يـا عـزيـزي ومنيتي واشتيـاقـي طـال شـوقـي متى يكـون لقـاك

ليس ســؤلي مـن الجنــان نعيماً غير أني أريـــدهـــا لأراك

وإذا على صدر جيبها مكتوب:

حسب المحب من المحب بعلمه إن الحبيـب ببــابــه مطــروحُ

والقلـب منـه إن تنفس في الدجـا بسهــام لــوعــات الهوى مجروحُ

وعن علي بن سهل قال: الأنس بالله أن يستوحش من الخلق إلا من أهل ولاية الله، فإن الأنس بهم هو الأنس بالله تعالى وقال الفضيل: كفى بالله محباً وبالقرآن مؤنساً وبالموت واعظاً، وكفى بخشية الله علماً وبالإغترار بالله جهلاً. وعن إبراهيم الخواص قال: لا تطمع في لين القلب مع فضول الكلام، ولا تطمع في حب الله مع حب المال والشوق، ولا تطمع في الأنس بالله مع الأنس بالمخلوق. وقال منصور بن عبدالله الأصبهاني: سئل الشبلي ما علامة صحة المعرفة؟ قال: نسيان كل شيء سوى معروفه، فقيل: ما علامة صحة المحبة؟ فقال: العمى عن كل شيء سوى محبوبه. وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: سمعت علي بن قتادة يقول: سمعت علي بن عبد الرحيم، وسئل عن الفرق بين الحب والعشق فقال: الحب لذة تعمي عن رؤية غير المحبوب، فإذا تناهى سمي عشقاً. وقال يوسف بن الحسين: سمعت ذا النون يقول: الشوق أعلى الدرجات وأعلى المقامات إذا بلغها الإنسان استبطأ الموت شوقاً إلى ربه وحباً للقائه والنظر إليه. وقال أبو عثمان في قوله تعالى ﴿ إن أجل الله لآت﴾ [العنكبوت: ٥] هذه تعزية للمشتاقين معنـاه: أني أعلم أن اشتيـاقكـم إلي غـالـب وأني أجلت للقائكم أجلاً وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون. وعن عبيد الله بن مسلم قال، قال مالك بن دينار: خرجت يوماً إلى المقابر فإذا شابان جالسان يكتبان شيئاً فقلت لهما: نشدتكما الله أنا ممن كتبتما؟ فقالا: لا، فسقط مالك مغشياً عليه ثم أفاق فقال: نشدتكما بالله ما كتبتماني في أسفل سطر مالك بن دينار طفيلي يحب المحبين لله، فلما كان الليل أتيت في منامي فقال: قد كتبت فيهم المرء مع من أحب. وقال أبو علي الجوزجاني: ثلاثة أشياء من عقد التوحيد: الخوف والرجاء والمحبة، فزيادة الخوف في ترك الذنوب لرؤية المحبوب، وزيادة الرجاء في اكتساب الخير لرؤية الوعد، وزيادة المحبة في كثرة الذكر لرؤية المنة، فالخائف لا يستريح من الهرب، والراجي لا يستريح من الطلب، والمحب لا يستريح من ذكر المحبوب، فالخوف نار منور، والرجاء نور منور، والمحبة نور الأنوار. وقال أبو الحسن الوراق المحبة شعبة من الإيمان بالله وهو أصل لجميع مراتب الأولياء. وقال: تتشعب المحبة من دوام ذكر إحسان الله، فمن ذكر على الدوام إحسان الله إليه تنسم ريح المحبة عن قريب. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت أبا الحسن الفارسي يقول: سمعت ابن عطاء يقول في معنى الحديث « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من

....

أساء إليها » فقال: كيف لا يحبه وما انفكت من تواتر نعمته قط ولا تنفك أبداً، ولكن ضعف اليقين وكدورة المعرفة ونقص الإيمان حجبك عن محبته والميل إليه. وقال أبو سعيد الخراز في هذا الحديث: واعجبا ممن لم ير محسناً غير الله كيف لا يميل بكليته إليه: وقال أبو عمرو الزجاجي: سألت الجنيد عن المحبة. قال: تريد الإشارة؟ قلت: لا. قال: تريد الدعوى؟ قلت: لا. قال: فأيش تريد؟ قلت: عين المحبة. قال: أن تحب ما يحب الله في عباده وتكره ما يكره الله في عباده. وعن بشر بن السري قال: ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغض حبيبك. وقال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان الداراني: بم نال أهل الجنة المحبة من الله عز وجل؟ قال: بالعفاف وأخذ الكفاف. وقال أبو عبدالله النباجي: سأل رجل الفضيل متى يبلغ الرجل غاية حب الله؟ قال: إذا كان عطاؤه إياك ومنعه سواء. وقال عبد الواحد بن زيد: ما أحسب أن شيئاً من الأعمال يتقدم الصبر إلا الرضا، ولا أعلم درجة أشرف ولا أرفع من الرضا وهو رأس المحبة. وقال بعض القراء: رأيت عتبة الغلام ذات ليلة فما زال يقول حتى أصبح: إن تعذبني فإني محب لك وإن ترحمني فإني محب لك. وقال يحي بن معاذ: حقيقة المحبة التي لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفوة. وقال الجنيد: سمعت الحارث المحاسبي وسئل عن المحبة فقال: ميلك إلى الشيء بكليتك محبة له، ثم إيثارك له على نفسك ومالك، ثم موافقتك له سراً وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبك، وفيما قرأت على أبي عبد الرحمن السلمي قال، وقال قوم: المحبة موافقة الحبيب في المشهد والمغيب. قال: وسئل رويم عن المحبة فقال: الموافقة في جميع الأحوال وأنشد:

ولو قال لي مت سمعاً وطاعة وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحبا

سمعت عبدالله بن يوسف الأصبهاني يقول: سئل الحسن البوشنجي عن الحب؟ فقال: بذل المجهود مع معرفتك بالمحبوب والمحبوب مع بذل مجهودك يفعل ما يشاء. وقال أبو عبدالله المغربي: تفكر إبراهيم عليه السلام ليلة من الليالي في شأن آدم عليه السلام فقال: يا رب خلقته بيدك ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك ثم بذنب واحد ملأت أفواه الناس حتى يقولوا ﴿وعصى آدم ربه﴾ فأوحى الله إليه: أن يا إبراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب شديد. وقال وهيب: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك غير أنه ليس لك عندي ذلك الود الذي كان. وقال سعيد بن عثمان بن عباس: سمعت ذا النون وقد قيل له: متى يأنس العبد بربه؟ فقال: إذا خاف أنس بربه، أما علمتم أنه من واصل الذنوب نحي عن باب المحبوب. وقال أيضاً: ما رجع من رجع إلا من الطريق ولو وصلوا إليه ما رجعوا فازهد في الدنيا تر العجب. وقال أيضاً: وجدت صخرة ببيت المقدس عليها أسطر مكتوبة، فجئت إلى من ترجمها فإذا هو: كل عاص مستوحش، وكل مطيع مستأنس، وكل خائف هارب، وكل راج طالب، وكل قانع غني، وكل محب ذليل، ففكرت في هذه فإذا هي أصول لكل ما استعبد الله الخلق به. وقال أحمد بن عيسى الكلابي: سمعت يحي بن معاذ الرازي ينشد:

إن المليك قد اصطفى خداماً متوددين مواصلين كراما

رزقـوا المحبـة والخشـوع لـربهم فترى دمـوعهـم تسيح سجـامـا
يحيـون ليلهـم بطـول صلاتهم لايسـأمـون إذا الخلي نـامـا
قـوم إذا رقـد العيـون رأيتهم صفـوا لشدة خـوفهم أقـدامـا
وتـخـالهم من طـول سجـودهـم يخشـون مـن نـار الإلـه ضرامـا
شغفوا بحب الله طـول حيـاتهم فتجنبـوا لوداده الآثـامـا

وقال الجنيد، قال رجل للسري: كيف أنت؟ فأنشأ يقول:

مـن لم يبـت والحب حشو فـؤاده لم يـدر كيـف تفتـت الأكبـاد

وقال محمد بن العباس الضبي: سمعت أبا بكر بن أبي عثمان يقول: وقام في مجلسه رجل من أهل بغداد فقال: يا أبا عثمان متى يكون الرجل صادقاً في حب مولاه؟ قـال: إذا خلا عـن خلافـه كـان صادقاً في حبه، قال: فوضع الرجل التراب على رأسه وصاح، فقال: كيف أدعي حبه ولم أخل طرفة عين من خلافه، قال: فبكى أبو عثمان وأهل المجلس، قال: فجعل أبو عثمان يبكي وهو يقول صادق في حبه مقصر في حقه اهـ. سياق الشعب وقد تركت منه كثيراً مما أوردته في أثناء كلام المصنف.

وفي كتاب مصارع العشاق لأبي محمد السراج في مصارع محبي الله عز وجل، أنبأنا أبو القاسم الأزجي سنة ٤٤٠، أنبأنا أبو الحسن علي بن جعفر السيرواني بمكة قال: حكي عن الجنيد أنه قال: أعرف من قتلته المحبة ولم يعرف المحبة فقلنا يقول الشيخ فقال قتله ما خبىء فيه.

أخبرنا أبو القاسم الأزجي، أخبرنا أبو الحسين علي بن الحسن بن جهضم بمكة سنة ٣٩٦، سمعت أحمد بن محمد يقول: كان سهل يقول: الناس ثلاثة صنوف: صنف منهم مضروب بسوط المحبة مقتول بسيف الشوق مضطجع على بابه ينتظر الكرامة، وصنف منهم مضروب بسوط التوبة مقتول بسيف الندامة مضطجع على بابه ينتظر العفو، وصنف مضروب بسوط الغفلة مقتول بسيف الشهوة ومضطجع على بابه ينتظر العقوبة.

حدثنا أبو القاسم الأزجي، حدثنا علي بن عبدالله بن الحسن الهمداني بمكة، حدثنا محمد بن عبدالله الشكلي، حدثني محمد بن جعفر القنطري، قال: ذو النون: بينـا أنا أسير على ساحل البحر إذ بصرت بجارية عليها أطمار شعر، وإذا هي ناحلة ذابلة فدنوت منها لأسمع ما تقول، فرأيتها متصلة الأحزان بالأشجان، وعصفت الرياح واضطربت الأمواج، وظهرت الحيتان فصرخت ثم سقطت إلى الأرض، فلما أفاقت بحت ثم قالـت: سيـدي بـك تقـرب المتقـربـون في الخلـوات، ولعظمتك سبحت الحيتان في البحار الزاخرات، ولجلال قدسك تصافقت الأمواج المتلاطمات. أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوار والبحر الزخار والقمر النوار والنجم الزهار وكل شيء عندك بمقدار لأنك الله العلي القهار.

يا مؤنس الأبرار في خلواتهم ... يا خير من حلت به النزال
من ذاق حبك لا يزال متيماً ... فرح الفؤاد متيماً بلبال
من ذاق حبك لا يرى متبسماً ... في طول حزن في الحشا اشعال

فقلت لها: زيدينا من هذا فقالت: اليك عني، ثم رفعت طرفها إلى السماء وقالت:

أحبك حبين حب الوداد ... وحباً لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الوداد ... فحب شغلت به عن سواك
وأما الذي أنت أهل له ... فكشفك للحجب حتى أراك
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاك

ثم شهقت شهقة، فإذا هي قد فارقت الدنيا فبقيت أتعجب مما رأيت منها، فإذا بنسوة قد أقبلن عليهن مدارع الشعر فاحتملنها فغيبنها عن عيني فغسلنها ثم أقبلن بها في أكفانها، فقلن لي: تقدم فصل عليها، فتقدمت وصليت عليها وهن خلفي، ثم احتملنها ومضين، وأنشد محمد بن عبدالله ليحي بن معاذ:

أموت بدائي لا أصيبت مداويا ... ولا فرجا مما أرى من بلائيا
إذا كان داء العبد حب مليكه ... فمن دونه يرجو طبيبا مداويا
مع الله يمضي دهره متلذذا ... مطيعا تراه كان أو كان عاصيا
يقولون يحي جن من بعد صحة ... وما بي جنون بي خليلي ما بيا

أخبرنا القاضي أبو الحسن التوزي، أخبرنا ابن يحي، حدثنا الحسين بن صفوان، حدثنا ابن أبي الدنيا، حدثنا محمد ابن الحسين، حدثني أبو معمر صاحب عبد الوارث قال: نظرت رابعة إلى رباح القيسي وهو يقبل صبياً من أهله ويضمه إليه فقالت: أتحبه يا رباح؟ قال: نعم. قالت: ما كنت أحسب أن في قلبك موضعاً فارغاً لمحبة غيره. قال: فصاح رباح وسقط مغشياً عليه.

ومن طريق أبي القاسم بن مروان، سمعت أحمد بن عيسى الخراز يقول: دعتني امرأة إلى غسل ولدها ذكرت أنه أوصى بذلك، فلما كشفت عنه الثوب قبض على يدي فقلت: يا سبحان الله حياة بعد موت! فقال: المحبين لله تعالى أحياء وإن قبروا.

ومن طريق الحسن بن علي ين يحي بن سلام قال، قيل ليحي بن معاذ: نروي عن رجل من أهل الخير قد كان أدرك الاوزاعي وسفيان أنه سئل متى تقع الفراسة على الغائب؟ قال: إذا كان محباً لما أحب الله مبغضاً لما أبغض وقصت فراسته على الغائب فقال يحي:

كل محبوب سوى الله سرف ... وهموم وغموم وأسف
كل محبوب فعنه خلف ... ما خلا الرحمن ما منه خلف
إن للحب دلالات إذا ... ظهرت من صاحب الحب عرف
صاحب الحب حزين قلبه ... دائم الغصة محزون دنف

....

أشعــث الرأس خميــص بطنــه أصفــر الوجــه والطــرف ذرف
دائـم التـذكير مــن حــب الذي حبـه غــايــة غــايـات الشرف
فـــإذا أمعـــن في الحب لـــه وعلاه الشــوق مـــن داء كنـــف
بــاشر المحــراب يشكــو بثــه وأمــــام الله مـــولاه وقـــف
قـــائما قـــدامــــه منتصبـــاً لهجاً يتلــو بــآيــات الصحــف
راكعـاً طـوراً وطـوراً ســاجـداً بـاكيـاً والدمع في الأرض يكَـف
أورد القلـــــب على الحب الذي فيــه حــب الله حقـــاً فعــرف
ثم جـالـــت كفـــه في شجـــر ينبــت الحب فسمـــى واقتطـــف
إن ذا الحب لمن يعنـــى لــــه لا لـــدار ذات لهو وطـــــرف
لا ولا الفـــردوس لا يـــألفهـــا لا ولا الحوراء مــن فــوق غــرف

أخبرنا أبو الحسين النوري، حدثنا أبو عبد الرحمن السلمي، حدثني علي بن أحمد بن جعفر قال: أنشدنا ابن فراس لسمنون المحب:

وكان فـؤادي خـاليـاً قبـل حبكـم وكـان بـذكـر الخلـق يلهـو ويمرحُ
فلما دعــا قلبي هــواك أجــابــه فلسـت أراه عــن فنـائـك يبرحُ
رميت ببين منك إن كنـت كـاذبـاً وإن كنـت في الدنيـا بغيرك أفـرحُ
فإن شئت واصلني وإن شئت لم تصـل فلســت أرى قلبي لغيرك يصلـــحُ

أخبرنا أبو بكر الخطيب، حدثنا الحسن بن أبي بكر قال: ذكر أبو عمر الزاهد أن سمنون المحب أنشده:

يـا مـن فـؤادي عليـه مـوقــوف وكـــل همـــي إليـــه مصروفُ
يـــا حسرتي حسرة أمـــوت بها إن لم يكـــن إليـــك معـــروفُ

أخبرنا أبو بكر الخطيب، أخبرنا أبو نعيم، أنشدني عثمان بن محمد العثماني أنشدني أبو علي الحسن بن أحمد الصوفي لسمنون:

ولـو قيـل طـأ في النـار اعلم أنــه رضا لك أو مدن لنا مـن وصـالكـا
لقـدمـت رجلي نحوهـا فـوطئتهـا سروراً لأني قـد خطـرت ببـالكـا

أحبرنا أبو بكر الاردستاني، أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي قال: قال منصور بن عبد الله: دخل قوم على الشبلي في مرضه الذي مات فيه فقالوا: كيف تجدك يا أبا بكر؟ فأنشأ يقول:

إن سلطـــــان حبـــــه قـــال لا أقبـــل الرشـــا
فسلـــوه فـــديتـــه لـم تعتلي لحرشـــــــــا

أخبرنا عبد العزيز بن علي، أخبرنا علي بن عبد الله الهمداني بمكة، حدثني محمد بن إبراهيم الأصبهاني بطرسوس، سمعت أبا طالب يقول: كنت مع سمنون وهو يتكلم في شيء من المحبة وقناديل معلقة، فرأيت القناديل تشقق بعضها بعضاً حتى تكسرت.

وقال جعفر الخلدي، حدثنا أحمد بن مسروق، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا عبد الله بن الفرج العابد قال: قلت لأبي إسماعيل الموصلي؛ وكان نصرانياً قد أسلم على يدي فتح الموصلي وحسن حاله، أخبرني ببعض أمر فتح فبكى، ثم قال: أخبرك عنه كان والله كهيئة الروحانيين معلق القلب هناك ليست له في الدنيا راحة قلت: عليّ عليّ ذلك قال: شهدت العيد ذات يوم بالموصل، ورجع بعد ما تفرق الناس، ورجعت معه فنظر إلى الدخان يفور من نواحي المدينة فبكى، ثم قال: لقد قرب الناس قربانهم، فليت شعري ما فعلت في قرباني عندك أيها المحبوب، ثم سقط مغشياً فجئت بماء فمسحت به وجهه فأفاق ثم مضى حتى دخل بعض أزقة المدينة، فرفع رأسه إلى السماء ثم قال: قد علمت طول غميّ وحزني وترددادي في أزقة الدنيا فحتى متى تحبسني أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشياً عليه فجئت بماء فمسحت به وجهه فأفاق فما عاش بعد ذلك إلا أياماً حتى مات رحمه الله تعالى اهـ.

وقال القشيري في رسالته في باب المحبة: فأما أقاويل الشيوخ فيه فقال بعضهم: المحبة هي الميل الدائم بالقلب الهائم، وقيل: إيثار المحبوب على جميع المصحوب، وقيل: مواطأة القلب لمرادات الرب، وقيل: خوف ترك الحرمة مع إقامة الخدمة. وقال أبو يزيد: المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك. وقال سهل: الحب معانقة الطاعة ومباينة المخالفة. وسئل الجنيد عن المحبة فقال: دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب أشار بهذا إلى استيلاء ذكر المحبوب حتى لا يكون الغالب على قلب المحب إلا ذكر صفات المحبوب، والتغافل بالكلية عن صفات نفسه والإحساس بها. وقال أبو علي الروذباري: المحبة الموافقة. وقال أبو عبدالله القرشي: حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء. وقال الشبلي: سميت المحبة محبة لأنها تمحو عن القلب ما سوى المحبوب. وقال ابن عطاء: المحبة إقامة العتاب على الدوام.

سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الشبلي يقول: المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك. وسمعته يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت ابن عطاء يقول، وقد سئل عن المحبة فقال: أغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول. وسمعته يقول: سمعت النصرباذي يقول: محبة توجب حقن الدماء ومحبة توجب سفك الدماء، وسمعته يقول: سمعت محمد بن علي العلوي يقول: سمعت جعفراً يقول: سمعت سمنون يقول: ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لأن النبي ﷺ قال «المرء مع من أحب» فهم مع الله تعالى. وقال يحي بن معاذ: حقيقة المحبة ما لا ينقص بالجفاء ولا يزيد بالبر، وقال: ليس بصادق من ادعى محبته ولم يحفظ حدوده. وقال الجنيد: إذا صحت المحبة سقط شروط الأدب، وفي معناه سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق ينشد:

إذا صفــــت المودة بين قـــــوم ودام ولاؤهـــم سمـــح الثنـــــاء

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا سعيد الارجاني يقول: سمعت بندار بن الحسين يقول: رؤي مجنون بني عامر في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وجعلني حجة على المحبين.

سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: قيل للنصرباذي: ليس لك من المحبة شيء. فقال: صدقوا ولكن لي حسراتهم فهو داء احترق فيه، وسمعته يقول: قال النصرباذي المحبة في مجانبة السلو على كل حال، ثم أنشد:

ومن كان في طور الهوى ذاق سلوة فـــإني مـــن ليلى لها غير ذائـــق
وأكثر شيء تلقــه مـــن وصـــالها أمـاني لم تصدق كلمحـــة بـــارق

وقال محمد بن الفضل: المحبة سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب، ويقال: المحبة تشويش في القلب يقع من المحبوب، ويقال: المحبة فتنة تقع في الفؤاد من المراد، وأنشد ابن عطاء:

غرسـت لأهـل الحب غصناً مـن الهوى ولم يــك يـــدري مـــا الهوى أحد قبلي
فـــأورق أغصـــانـــاً وأينـــع ضـــوءه وأعقـــب لي مـــراً مـــن الثمـــر المحلي
فكـــل جميـــع العـــاشقين هـــواهـــم إذا نسبـوه كـان مـن ذلـك الأصـل

وقيل: الحب أوله ختل وآخره قتل سمعت أبا علي الدقاق يقول في معنى قوله ﷺ: «حبك للشيء يعمي ويصم» فقال: يعمي عن الغير غيرة وعن المحبوب هيبة ثم أنشد:

إذا مـــا بـــدا لي تعـــاظمتـــه فـــاصـــدر في حـــال مـــن لم يـــرد

سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أحمد بن علي يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت الحارث المحاسبي يقول: المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك، ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سراً وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبه. وسمعته يقول: سمعت أحمد بن علي يقول: سمعت عباس بن عصام يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: لا تصح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر: يا أنا. وقيل: المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب، وقيل: المحبة بذلك المجهود والحبيب يفعل ما يشاء. وقال النوري: المحبة هتك الاستار وكشف الاسرار. وقال أبو يعقوب السوسي: لا تصح المحبة إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة. ووجدت بخط الاستاذ أبي علي: إن في بعض الكتب المنزلة أن الله يقول: عبدي أنا وحقك لك محب، فبحقي عليك كن لي محباً. وقال ابن المبارك: من أعطي شيئاً من المحبة ولم يعطِ مثله من الخشية فهو مخدوع. وقيل: المحبة ما يمحق أثرك. وقيل: المحبة سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه، ثم السكر الذي يحصل عند الشهوة لا يوصف وأنشدوا:

فـــاسكـــر القـــوم دور كـــأس وكـــان سكـــري مـــن المديـــر

وكان الاستاذ أبو علي ينشد كثيراً:

لي سكرتان وللندمان واحدة   شيء خصصت به من بينهم وحدي

وقال ابن عطاء: المحبة إقامة العتاب على الدوام، وكان للاستاذ أبي على جارية تسمى فيروز، وكان يحبها إذ كانت تخدمه كثيراً فسمعته يقول: كانت فيروز تؤذيني يوماً وتستطيل عليّ بلسانها، فقال أبو الحسن القاري لم تؤذين هذا الشيخ؟ فقالت: لأني أحبه. وقال يحي بن معاذ: مثقال خردلة من الحب أحب إليّ من عبادة سبعين سنة بلا حب وحكي أن بعضهم عشق جارية فرحلت الجارية فخرج الرجل في وداعها فدمعت إحدى عينيه دون الأخرى، فغمض التي لم تدمع أربعاً وثمانين سنة لم يفتحها عقوبة لأنها لم تبك على فراق حبيبته وفي معناه أنشدوا:

بكت عيني غداة البين دمعاً   وأخرى بالبكا بخلت علينا
فعاقبت التي بخلت بدمع   بأن أغمضتها يوم التقينا

وقال بعضهم: كنا عند ذي النون المصري فتذاكرنا المحبة. فقال: كفوا عني هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها ثم أنشد يقول:

الخوف أولى بالمسيء   إذا ناله والحزن
والحب يجمل بالتقى   وبالنقي من الدرن

وقال يحي بن معاذ: من نشر المحبة عند غير أهلها فهو في دعواه دعي. وقيل: ادعى رجل الاستهلاك في محبة شاب فقال له الشاب: كيف هذا وهذا أخي أحسن مني وجهاً وأتم جمالاً؟ فرفع الرجل رأسه يلتفت وكانا على سطح فألقاه من السطح وقال: هذا جزاء من يدعي هوانا وينظر إلى سوانا.

وقال أبو بكر الكتاني: جرت مسألة في المحبة بمكة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سناً فقالوا له: هات ما عندك يا عراقي فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هيبته وصفا شربه من كأس وده وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله وإن نطق فمن الله وإن تحرك فبأمر الله وان سكن فمع الله فهو بالله ولله ومع الله، فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد جبرك الله يا تاج العارفين. وقال: أوحى الله إلى داود عليه السلام: يا داود إني حرمت على القلوب أن يدخلها حبي وحب غيري.

أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي أخبرنا محمد بن أحمد بن القاسم، حدثنا هشيم بن همام، حدثنا إبراهيم بن الحرث، حدثني عبد الرحمن بن عفان، حدثني محمد بن أيوب، حدثني أبو العباس خادم الفضيل قال: احتبس بول الفضيل فرفع يده وقال: اللهم بحبي لك ألا أطلقته عني. قال: فما برحنا حتى شفي.

وقيل، قالت رابعة في مناجاتها: إليه تحرق بالنار قلباً يحبك. فهتف بها هاتف ما كنا نفعل هكذا. فلا تظني بنا ظن السوء. وقيل: الحب حرفان حاء وباء، فالاشارة فيه أن من أحب فليخرج عن روحه وبدنه وبالاجماع من اطلاقات القوم أن المحبة هي الموافقة وأشد الموافقات الموافقة بالقلب والمحبة توجب إنتفاء المباينـة، فإن المحب أبداً مع محبوبه.

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا عثمان الحيري يقول: سمعت أبا حفص يقول: أكثر فساد الأحوال من ثلاثة أشياء: فسق العارفين وخيانة المحبين وكذب المريدين. قال أبو عثمان: فسق العارفين إطلاق الطرف واللسان والسمع إلى أسباب الدنيا ومنافعها، وخيانة المحبين اختيار هواهم على رضا الله تعالى فيما يستقبلهم، وكذب المريدين أن يكون ذكر الخلق ورؤيتهم يغلب عليهم على ذكر الله تعالى ورؤيته. هذا ما أورده في باب المحبة.

وقال في باب الشوق: سمعت الاستاذ أبا علي يفرق بين الشوق والاشتياق ويقول: الشوق يسكن باللقاء والرؤية، والاشتياق لا يزول باللقاء وفي معناه أنشدوا:

ما يرجع الطـرف عنـه عنـد رؤيتـه   حتى يعـود إليـه الطـرف مشتـاقـاً

سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت النصرباذي يقول: للخلق كلهم مقام الشوق وليس لهم مقام الاشتياق، ومن دخل في حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار. وقيل: جاء أحمد الأسود إلى ابن المبارك فقال: رأيت في المنام كأنك تموت إلى سنة فاستعد للخروج، فقال ابن المبارك: لقد أحلتنا على أمد بعيد أعيش أنا إلى سنة لقد كان لي أنس بهذا البيت الذي سمعته من هذا الثقفي ـ يعني أبا علي رحمه الله تعالى ـ:

يا من شكا شوقه مـن طـول فـرقتـه   اصبر لعلـك تلقـى مـن تحب غـدا

وقال يحي بن معاذ: علامة الشوق فطام الجوارح من الشهوات. سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق يقول: خرج داود عليه السلام يوماً إلى بعض الصحاري منفرداً، فأوحى الله إليه: ما لي أراك وحدانياً؟ فقال: استأثر الشوق إلى لقائك على قلبي فحال بيني وبين صحبة الخلق، فأوحى الله إليه: ارجع إليهم فإنك إن أتيتني بعبد آبق أثبتك في اللوح المحفوظ جهبذاً.

وقيل: كانت عجوز قدم بعض أقاربها من السفر وأظهر قومها السرور والعجوز تبكي فقيل لها. وما يبكيك؟ قالت: ذكرني قدوم هذا الفتى يوم القدوم على الله عز وجل. وسئل ابن عطاء عن الشوق فقال: احتراق الاحشاء وتلهب القلوب وتقطع الاكباد. وسئل أيضاً الشوق أعلى أم المحبة؟ فقال: المحبة لأن الشوق منها يتولد. وقال بعضم: للشوق لهيب ينشأ بين أثناء الحشا يسنح على الفرقة فإذا وقع اللقاء طفىء، وإذا كان الغالب على الأسرار مشاهدة المحبوب لم يطرقها الشوق. وقال فارس: قلوب المشتاقين منوّرة بنور الله فإذا تحرك اشتياقهم أضاء النور ما بين السماء والأرض فيعرضهم الله تعالى على الملائكة فيقول: هؤلاء المشتاقون إلي أشهدكم أني إليهم أشوق.

وسمعت الاستاذ أبا علي يقول في قوله ﷺ : « أسألك الشوق إلى لقائك » قال: كان الشوق مائة جزء تسعة وتسعون له وجزء متفرق في الناس فاراد أن يكون ذلك الجزء أيضاً فغار أن يكون شطية من الشوق لغيره. وقيل: شوق أهل القرب أتم من شوق المحجوبين، ولهذا قيل:

وأبرح ما يكون الشوق يوماً   إذا دنت الخيام من الخيام

وقيل: ان المشتاقين يتحسون حلاوة الموت عند وروده لما قد كشف لهم من روح الوصول أحلى من الشهد. سمعت ابن الحسين يقول: سمعت عبدالله بن علي يقول: سمعت جعفراً يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: الشوق أجل مقام العارف إذا تحقق فيه وإذا تحقق في الشوق لها عن كل شيء يشغله عمن يشتاق إليه. وقيل: أوحى الله إلى داود عليه السلام: قل لشبان بني إسرائيل لم تشغلون أنفسكم بغيري وأنا مشتاق إليكم ما هذا الجفاء؟

سمعت الاستاذ أبا علي يقول: بكى شعيب عليه السلام حتى عمي فرد الله بصره عليه، ثم بكى حتى عمي فردّ الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فأوحى الله إليه، إن كان هذا البكاء لأجل الجنة فقد أبحتها لك، وإن كان لأجل النار فقد أعذتك منها. فقال: لا بل شوقاً إليك فأوحى الله إليه لأجل ذلك أخدمتك نبيّي وكليمي عشر سنين. وقيل: من اشتاق إلى الله اشتاق إليه كل شيء. وفي الخبر: « اشتاقت إلى ثلاثة علي وعمار وسلمان ».

وسمعت الاستاذ أبا علي يقول: قال لنا بعض المشايخ: أنا ادخل السوق والأشياء تشتاق إليّ وأنا عن جميعها حر.

سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: سمعت محمد بن فرحان يقول: سمعت الجنيد يقول، وقد سئل من أي شيء يكون بكاء المحب إذا ألقى المحبوب فقال: إنما يكون ذلك سروراً به ووجداً من شدة الشوق إليه، ولقد بلغني أن أخوين تعانقا فقال أحدهما: واشوقاه. وقال الآخر: واوجداه، فهذا ما يتعلق بالشوق.

وقال في باب الرضا ما نصه: قد تكلم الناس في الرضا وكل عبّر عن حاله وشربه فهم في العبارة عنه مختلفون، كما أنهم في الشرب والنصيب من ذلك متفاوتون، فأما شرط العلم والذي هو لا بدّ منه فالراضي بالله هو الذي لا يعترض على تقديره. سمعت الاستاذ أبا علي يقول: ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء إنما الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء، وقال عبد الواحد بن زيد: الرضا باب الله الاعظم وجنة الدنيا. سمعت الأستاذ أبا علي يقول، قال تلميذ لاستاذه: هل يعرف العبد أن الله راض عنه؟ فقال: لا. كيف يعلم ذلك ورضاه غيب، فقال التلميذ: يعلم ذلك. فقال: كيف؟ قال: إذا وجدت قلبي راضياً عن الله علمت أنه راض عني، فقال الاستاذ: أحسنت يا غلام. وقال النصرباذي: من أراد ان يبلغ محل الرضا فليلزم ما جعل الله رضاه فيه. وقال محمد بن خفيف: الرضا على قسمين رضا به ورضا عنه، فالرضا به مدبراً والرضا عنه فيما يقضي، وسمعت الاستاذ أبا علي يقول: طريق السالكين أطول هو طريق الرياضة، وطريق الخواص أقرب لكنه أشق

....

وهو أن يكون عملك بالرضا ورضاك بالقضاء. وقال رويم الرضا ان لو جعل الله جهنم عن يمينه ما سأل ان يحوّلها إلى يساره. وقال الواسطي: استعمل الرضا جهدك ولا تدع الرضا يستعملك فتكون محجوباً بلذته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع. أي لأن السكون عندهم إلى الأحوال حجاب عن محوّل الأحوال، فإذا استلذ رضاه وجد بقلبه راحة الرضا فحجب بحاله عن شهود حقه، ولقد قال الواسطي أيضاً: إياكم واستحلاء الطاعات فإنها سموم قاتلة. وقيل قال الشبلي بين يدي الجنيد: لا حول ولا قوّة إلا بالله. قال الجنيد: قولك ضيق صدر وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء. وقال أبو سليمان الرضا أن لا تسأل الله الجنة ولا تستعيذ به من النار. وقال ذو النون: ثلاثة من أعلام الرضا: ترك الاختيار قبل القضاء، وفقدان المرارة بعد القضاء، وهيجان الحب في حشو البلاء.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن جعفر البغدادي يقول: سمعت إسماعيل بن محمد الصفار يقول: سمعت محمد بن يزيد المبرد يقول، قيل للحسين بن علي بن أبي طالب: إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إليّ من الغنى، والسقم أحب إلي من الصحة. فقال: رحم الله أبا ذر أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله له لم يتمن غير ما اختار الله له. وقال أبو عمر الدمشقي: الرضا ارتفاع الجزع في أي حكم. وقال ابن عطاء: الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد وهو ترك السخط. وقال رويم: الرضا استقبال الاحكام بالفرح. وقال المحاسبي: الرضا سكون القلب تحت مجاري الاحكام. وقال النوري: الرضا سرور القلب بمر القضاء. وقال الجريري: من رضي بدون قدره رفعه الله فوق غايته. وقال أبو تراب النخشبي: ليس ينال الرضا من للدنيا في قلبه مقدار، وقال أبو عثمان الحيري: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته وما نقلني إلى غيره فسخطته اهـ ما قاله القشيري في الرسالة.

ومما نقلته من كتاب قوت القلوب قال: الرضا هو حال الموفق واليقين هو حقيقة الإيمان، وإلى هذا ندب النبي ﷺ ابن عباس في وصيته له فقال: «اعمل لله باليقين في الرضا فإن لم يكن فإن في الصبر خيراً كثيراً فرفعه إلى أعلى المقامات ثم رده إلى أوسطها» كذلك قال لابن عمر «اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ندبه إلى المشاهدة وهو الاحسان، ثم رده إلى الصبر والمجاهدة وهو الإيمان، وهو مكان العلم بان الله تعالى يراه وليس بعد هذا مكان يوصف. وكان سهل يقول: أعرف في الموتى مقبرة عظيمة ينظرون إلى منازلهم من الجنان في قبورهم ويغدى عليهم ويراح برزقهم من الجنة وهم في هموم وكروب في البرزخ، لو قسمت على أهل البصرة لماتوا جميعاً قيل: وما كانت أعمالهم؟ قال: كانوا مسلمين إلا أنه لم يكن لهم من التوكل ولا من الرضا نصيب.

وقال لقمان في وصيته: ومن يفوّض أمره ويرضى بقدر الله فقد أقام الإيمان وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير، وأقام الاخلاق الصالحة التي تصلح للعبد أمره، فمن الرضا سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور، وطيب النفس سكونها في كل حال، وطمأنينة القلب عند كل مفزع من أمور الدنيا، وقناعة العبد بكل شيء من اغتباطه بمقامه من ربه وفرحه بقيام الله مولاه عليه، واستسلام الفعل للمولى في كل ورضاه منه بأدنى شيء، وتسليمه له الأحكام والقضايا باعتقاد حسن التدبير وكمال

....

التقدير فيها، وتسليم العبد لمولاه ما في يده رضا بحكمه عليه، وأن لا يشكو السيد الكريم إلى العبد اللئيم ولا يتبرم بفعل الحبيب ولا يفقد في كل شيء حسن صنع القريب.

وذكر عند رابعة رحمها الله تعالى عابد له عند الله تعالى منزلة وكان قوته ما ينقسم من مزبلة لبعض ملوكهم فقال رجل عندها: فما يضر هذا إذا كانت له منزلة أن يسأله فيجعل قوته في غير هذا؟ فقالت له: إسكت يا بطال أما علمت ان أولياء الله هم أرضى عنه أن يتخيروا عليه أن ينقلهم من معيشته حتى يكون هو الذي يختار لهم، وقد قال أيضاً أويس القرني رحمه الله تعالى فيما رويناه عنه. وقال الأعمش، قال لي أبو وائل: يا سليمان نعم الرب ربنا لو أطعناه ما عصانا. وقال الله تعالى في معناه ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ [الشورى: ٢٦] أي يطيعهم ويستجيب لهم والاستجابة الطاعة.

وحكي لنا أن بعض العارفين صحبه رجل في الطريق فعبث بشيء فنحاه عن مكان إلى مكان آخر. فقال له العارف: ماذا صنعت أحدثت في الملك عن غير ضرورة ولا سنة لا تصحبني أبداً، وأعمال طلاب الرضا من الله تعالى مضاعفة على أعمال المجاهدين في سبيل الله، لأن أعمال المجاهدين تضاعف إلى سبعمائة ضعف وتضعيف طالبي الرضا لا يحصى. قال الله عز وجل ﴿يضاعف لمن يشاء﴾ [البقرة: ٢٦١] وقال تعالى ﴿فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ [البقرة: ٢٤٥] قيل: الحسنة إلى ألفي ألف حسنة، وقد قال الله تعالى ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة﴾ [البقرة: ٢٦١] ثم قال وهو أصدق القائلين: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة﴾ [البقرة: ٢٦٥] فكم في هذه الجنة من سنبلة وحبة: فهؤلاء الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿يضاعف لمن يشاء﴾ هم أهل الرضا عنه، وهم الذين اقرضوا الله قرضاً حسناً لأجله فضاعف لهم أضعافاً كثيرة، وهم الذين يغفر لهم لا محالة دخلوا في قوله تعالى: ﴿يغفر لمن يشاء﴾ [الفتح: ١٤] فمن عقل عن الله تعالى حكمته كان مع الله فيما حكم مسلماً له ما شهد لأنه تعالى باختيار انشأ الأشياء وبمشيئته بدأها وعنه يتصرف المقدور، وإليه عواقب الامور، ولا يكون مع نفسه فيما تهوى ولا مع معتاده وعرفه فيما يعقل.

وقال بعض المريدين، قلت لبعض أهل المعرفة: إني كثير الغفلة قليل المسارعة إلى مرضاته فأوص بشيء أعمله أدرك به ما يفوتني من هذا. فقال: يا أخي إن استطعت أن تتحبب إلى أولياء الله وتتقرب من قلوبهم فافعل لعلهم به يحبونك، فإن الله ينظر إلى قلوب أوليائه في كل يوم سبعين نظـرة، فلعله ينظر إليك في قلوبهم لمحبتهم لك فيحبوك حياة الدنيا والآخرة إذا لم تكن ممن ينظر إليه كفاحاً، وكذلك يقال: إن الله تعالى ينظر إلى قلوب الصديقين والشهداء مواجهة، فهؤلاء الذين عرفوه به لقربهم منهم ولدوام نظرهم إليه فهو وجهتهم، ثم ينظر إلى قلوب قوم من قلوب قوم آخرين، فهؤلاء الذين عرفوه بهم وأحبوه من محبتهم فهم وجهتهم إليه وأدلتهم عليه فيعطيهم نصيباً من نصيبهم كما أعطاهم شهادة ووجدا من علمهم.

وروينا عن بعض الجبابرة من العتاة في فرط كرم الله وغاية حلمه أن جباراً من الملوك قحطت

رعيته سنين فشكوا ذلك إليه فخرج بهم إلى الصحراء فرفع رأسه إلى السماء وقال: يا ساكن السماء لتسقينا الغيث أو لنؤذيك، فقال له وزراؤه: كيف تؤذيه وهو في السماء وأنت في الأرض؟ فقال: اقتل أولياءه من أهل الأرض فيكون ذلك أذى له، فأرسل الله تعالى عليهم السماء بكرمه وجوده.

ومن حسن الأدب والمعاملة إذا عملت صالحاً فقل أنت استعملتني وبحولك وقوتك وحسن توفيقك أطعتك لأن جوارحي جنودك. وإذا عملت سيئاً فقلت ظلمت نفسي وبهواي وشهوتي اجترحت بجوارحي وهي صفاتي، ثم تعتقد في ذلك أنه بقدره ومشيئته كان ما قضى، فتكون بالمعنيين قد وافقت مرضاة مولاك وتكون في الحالين عاملاً ترضيه بالقول والعقود، وينتفي عنك العجب في أعمال برك ويصح منك المقت لنفسك واعترافك بظنك، وقد تغلب هذه المشاهدة على الجاهل فإذا عمل حسناً شهد نفسه ونظر إلى حوله وقوته، فإذا عمل سيئاً لم يعترف بالذنب ولم يقر على نفسه بالظلم فلم تصح له توبة ولم يرض له عمل. نعوذ بالله من مشاهدة الضلال هذا ما أورده في باب الرضا.

وقال في أحكام المحبة ووصف أهلها إعلم أن المحبة من الله لعبده ليست كمحبة الخلق تكون حادثة لأحد سبع معان: الطبع أو لحسن أو لنفع أو لوصف أو لهوى أو لرحم ماسه أو ليقرب ذلك إلى الله تعالى، فهذه حدود الشيء الذي شبهه الشيء، والله تعالى عن جميع ذلك لا يوصف بشيء منه إذ ليس كمثله شيء في كل شيء، ولأن هذه أسباب محدثة في الخلق لمعان حادثة ومتولدة من المحبين لأسباب عليهم داخلة وقد تتغير لتغير الأوقات وتنقلب لانقلاب الأوصاف، ومحبة الله تعالى سابقة للأسباب عن كلمة الحسنى قديمة قبل الحادثات عن عناية العلياء لا تتغير أبداً ولا تنقلب لأجل ما بدا لقوله تعالى ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ [الأنبياء: ١٠١] يعني الكلمة الحسنى وقيل: المنزلة الحسنى فلا يجوز أن يسبقها سبق منهم بل سبقت كل سابقة بقول كقوله تعالى ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين﴾ [الأنبياء: ٥١] وقال لهم ﴿قدم صدق عند ربهم﴾ [يونس: ٢] وقال في الآخرة ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [القمر :٥٥] ولا يصلح أن يكون قبل قدمه الصدق منهم قدم، كما لا يصلح أن يكون قبل علمه به منهم علم لأن علمه سبق العلوم ومحبته لأوليائه سبقت محبتهم إياه ومعاملتهم له ثم ينتهي مع ذلك خاصية حكم من أحكامه مزيد من فضل أقسامه خالصة لمخلصين ومؤثرة لمؤثرين بقدم صدق سابق لخالصين يؤول إلى مقعد صدق عند صادق للسالكين، ليس لذلك سبب معقول ولا لأجل عمل معمول، بل يجري مجرى سر القدر ولطف القادر وإفشاء سر القدر كفر، فلا يعلمه إلا نبي أو صديق، ولا يطلع عليه من يظهر، وما ظهر في الأخبار من الأسباب فإنما هو طريق الاحباب ومقامات أهل القرب من أولي الألباب، وإنما هي تبصرة وذكرى للمنيبين وتزود وبلاغ للعابدين، وإنما تستبين المحبة وتظهر للعبد بحسن توفيقه وكلاءة عصمته ولطائف تعليمه من غرائب علمه وخفايا لطفه، وفي سرعة ردهم إليه في كل شيء ووقوفهم عنده ونظرهم إليه دون كل شيء

وكثرة استعمالهم بحسن مرضاته، وكشف اطلاعهم على معاني صفاته، ولطيف تعريفه لهم مكنون أسراره، وفتوحه لأفكارهم عن بواطن أنعامه، واستخراجه منهم خالص شكره، وحقيقة ذكره من عين اليقين، فهذه طرقات المحبين له عن تشوق إطلاعه لهم، فالمحبة مزيد إيثار من المحب الأول وهو سبحانه لعبده وأحكام تظهر من المحبوب، وهو العبد في حسن معاملته أو حقيقة علم يهب له، كما قال أخوة يوسف حين عرفوا محبة الله عليهم: ﴿تالله لقد آثرك الله علينا﴾ ثم قالوا ﴿وإن كنا لخاطئين﴾ [يوسف: ٩١] فذكروا سالف خطاياهم وأنه آثره بما لم يؤثرهم. وقال الله تعالى في موهبته له ﴿آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ [يوسف: ٢٢] فذكر ما سلف من إحسانه لما آثره، وذكر بعض من ينتمي إلى المحبة مقامه في المحبة عند بعض المحبين فقال له: أرأيت هذا الذي تذكر محبته اهتممت بسواه؟ قال: نعم. قال: فهل رأيته في ليلة مرتين وثلاثاً؟ قال: لا. قال: لولا أني أستحي لأخبرتك أن محبتك معلومة تهتم بسوى حبيبك ولا تراه في نومك. قال: لكن أعرف من لا يدعي محبته وعلى ذلك ما أهتم بسواه منذ عرفه، وربما رآه ليلة سبع مرات، وإنما لم يهتم المحب بسواه من قبل إنه لا ينساه، فكيف يذكره من لا ينساه، بل هو مذكور بذاكر لا ذاكر بتذكير أو تذكر، وههنا افتضح المدعون وانكشف المستورون إن اهتم بغيره فقد نسيه والحبيب لا ينسى لأنه لازم للهم مستشعر بالقلب ملاحظ في العين هو الناظر والمنظور وهو السامع والمسموع وهو الشاهد والمشهود وهو الواجد والموجود، كما قال بعض المحبين:

ليس في القلب والعيان جميعاً … موضع فارغ لغير الحبيب
وهو سقمي وصحتي وشفائي … وبه العيش ما حييت يطيب

فمن كان هذا وصفه من العين والقلب والروح، فمحال أن ينسى. ومن استحال أن ينسى فكيف يحول ذكره عن القلب، أم كيف يحول بغيره الهم؟ كيف وقد روينا في الخبر: المنافق لا يذكر حتى يذكر، وإذا ترك نسي ولا تكونوا كاليهود إذا قرأت عليهم التوراة مادوا لها فإذا رفعت لم يكن وراء ذلك شي انتهى ما في القوت.

فصل

قد تقدم للمصنف رحمه الله تعالى في أثناء الفصل الرابع من هذا الكتاب أن المحبة ثمرة المعرفة فلزم أن نتكلم على مقام المعرفة ونذكر أقاويل الشيوخ فيه، وقد ذكر صاحب القاموس منها جملة في كتاب البصائر، والقشيري في الرسالة، فلنذكر سياق البصائر أولاً فإنه مشتمل على أكثر ما أورده القشيري مع زيادة توضيح وبيان فأقول:

قال صاحب البصائر: الفرق بين العلم والمعرفة عند المحققين أن المعرفة هي العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه، فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده، بل لا يصفون بالمعرفة إلا من كان عالماً بالله وبالطريق الموصل إليه وبآفاتها وقواطعها، وله حال مع الله يشهد له بالمعرفة، فالعارف عندهم من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم صدق الله في معاملاته، ثم أخلص له في

....

قصوده ونياته، ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم تطهر من أوساخه وأدرانه ومخالفاته، ثم صبر على أحكامه في نعمه وبليانه، ثم دعا على بصيرة بدينة وإيمانه، ثم جرد الدعوة إليه وحده بما جاء به رسول الله ﷺ ولم يشهد بآراء الرجال وأذواقهم ومواجيدهم ومقايسهم ومعقولاتهم، ولم يزن بها ما جاء به الرسول ﷺ؛ فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة، وإذا سمي به غيره فعلى الدعوى والاستعارة وقد تكلموا في المعرفة بآثارها وشواهدها فقال بعضهم: من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته. وقال أيضاً: المعرفة توجب السكينة. وقيل: علامتها أن يحسن بقرب قلبه من الله عز وجل فيجده قريباً منه. قال الشبلي: ليس لعارف علاقة ولا لمحب شكوى ولا لعبد دعوى ولا لخائف قرار ولا لأحد من الله فرار، وهذا كلام جيد فإن المعرفة الصحيحة تقطع من القلب العلائق كلها وتعلقه بمعروفه فلا تبقى فيه علاقة لغيره ولا تمر به العلائق إلا وهي مجتازة. وقال أحمد بن عاصم: من كان بالله أعرف كان من الله أخوف، ويدل على هذا قوله تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وقوله ﷺ: «أنا أعرفكم بالله وأشدكم لله خشية». وقال آخر: من عرف الله ضاقت عليه الأرض بسعتها. وقال غيره: من عرف الله اتسع عليه كل ضيق، ولا تنافي بين هذين الكلامين، فإنه يضيق عليه كل مكان لاتساعه فيه على شأنه ومطلوبه، ويتسع له ما ضاق على غيره لأنه ليس فيه ولا هو مساكن له بقلبه فقلبه غير محبوس فيه، والأول في بداية المعرفة، والثاني في غايتها التي يصل إليها العبد، وقال آخر: من عرف الله تعالى صفا له العيش وطابت له الحياة، وهابه كل شيء وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله. وقال غيره: من عرف الله قرت عينه بالله وقرت به كل عين، ومن لم يعرف الله تقطع قلبه على الدنيا حسرات، ومن عرف الله لم تبق له رغبة فيما سواه، وعلامة العارف أن يكون قلبه مرآة إذا نظر فيها رأى فيها الغيب الذي دعي إلى الإيمان به، فعلى قدر جلاء تلك المرآة يتراءى له فيها سبحانه والدار الآخرة والجنة والنار والملائكة والرسل كما قيل:

إذا سكن الغدير على صفاء ... فيشبه أن يحركه النسيم
بدت فيه السماء بلا مراء ... كذاك الشمس تبدو والنجوم
كذاك قلوب أرباب التجلي ... يرى في صفوها الله العظيم

ومن علامات المعرفة؛ أن يبدو لك الشاهد وتفنى الشواهد وتنجلي العلائق وتنقطع العوائق ويجلس بين يدي الرب يقوم ويضطجع على التأهب للقائه؛ كما يجلس الذي قد شد أحماله وأزمع السفر على تأهب له ويقوم على ذلك ويضطجع عليه.

ومن علامات العارف أن لا يطالب فلا يخاصم ولا يعاقب ولا يرى له على أحد حقاً، وأن لا يأسف على فائت ولا يفرح بآت لأنه ينظر في الأشياء بعين الفناء والزوال، وأنها في الحقيقة كالظلال والخيال. وقال الجنيف: لا يكون العارف عارفاً حتى يكون كالأرض يطؤه البر والفاجر، وكالسحاب يظل كل شيء، وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب. وقال يحي بن معاذ: يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيئين بكائه على نفسه وثنائه على ربه، وهذا من أحسن ما

....

قيل لأنه يدل على معرفته بنفسه وعلى معرفته بربه وجماله وجلاله فهو شديد الازراء على نفسه لهج الثناء على ربه. وقال أبو يزيد: إنما نالوا المعرفة بتضييع مالهم والوقوف مع ماله يريد تضييع حظوظهم والوقوف مع حقوق الله تعالى، وقال الآخر: لا يكون العارف عارفاً حتى لو أعطي ملك سليمان لم يشغله عن الله طرفة عين، وهذا يحتاج إلى شرح فإن ما هو دون ذلك يشغل القلب، لكن إذا كان إشغاله بغير الله لله فذلك اشتغال بالله. وقال ابن عطاء: المعرفة على ثلاثة أركان: الهيبة والحياء والأنس، وقيل: العارف ابن وقته وهذا أحسن كلام وأخصره فهو مشغول بوظيفة وقته عما مضى وصار في العدم عما لم يدخل بعد في الوجود فهمه عمارة وقته الذي هو مادة حياته الباقية.

ومن علاماته أنه يستوحش ممن يقطعه عنه، ولهذا قيل: العارف من أنس بالله فأوحشه من الخلق، وافتقر إلى الله فأغناه عنهم، وذل لله فأعزه فيهم، وتواضع لله فرفعه بينهم، واستغنى بالله فأحوجهم إليه، وقيل: العارف فوق ما يقول والعالم دون ما يقول. يعني أن العالم علمه أوسع من حاله وصفته والعارف حاله وصفته فوق كلامه وخبره. وقال أبو سليمان الداراني: إن الله يفتح للعارف على فراشه ما لا يفتح له وهو قائم يصلي، وقال ذو النون: لكل شيء عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله. وقال بعضهم: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين، وهذا كلام ظاهر منكر محتاج إلى شرح، فإن العارف لا يرائي المخلوق طلباً للمنزلة في قلبه، وإنما يكون ذلك منه نصيحة وإرشاداً وتعليماً فهو يدعو إلى الله بعلمه كما يدعو إلى الله بقوله، وإخلاص المريد مقصور على نفسه، وقال ذو النون: الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين، وسئل الجنيد عن العارف فقال: لون الماء لون إنائه، وهذه كلمة رمز بها إلى حقيقة العبودية، وهو أنه يتلون في أقسام العبودية فبينا تراه مصلياً إذ رأيته ذاكراً أو قارئاً ومتعلماً ومعلماً ومجاهداً وحاجاً ومساعداً للضعيف ومعيناً للملهوف، فيضرب في كل غنيمة بسهم، فهو مع المنتسبين منتسب، ومع المتعلمين متعلم، ومع الغزاة غاز، ومع المصلين مصل، ومع المتصدقين متصدق. وهكذا ينتقل في منازل العبودية من عبودية إلى عبودية، وهو مستقيم على معبود واحد لا ينتقل عنه إلى غيره. وقال يحيى ابن معاذ: العارف كائن بائن، وقد فسر كلامه على وجوه: منها أنه كائن مع الخلق بظاهره بائن عن نفسه، ومنها أنه كائن مع أبناء الآخرة بائن عن أبناء الدنيا، ومنها أنه كائن مع الله بموافقته بائن عن الناس بمخالفته، ومنها أنه داخل في الأشياء خارج عنها يعني المريد لا يقدر على الدخول فيها والعارف داخل فيها خارج منها. وقال ذو النون: علامة العارف ثلاثة لا يطفىء نور معرفته نور ورعه، ولا يعتقد باطناً من العلم ينقص عنه ظاهراً من الحكم، ولا يحمله كثرة نعم الله على هتك أستار محارم الله، وهذا أحسن ما قيل في المعرفة. وقال: ليس بعارف من وصف المعرفة عند أبناء الآخرة، فكيف عند أبناء الدنيا؟ يريد أنه ليس من المعرفة وصف المعرفة لغير أهلها سواء كانوا عباداً أو من أبناء الدنيا. وسئل ذو النون عن العارف قال: كان ههنا وذهب، فسئل الجنيد عن معناه فقال: لا يحصره حال عن حال ولا يحجبه منزل عن الشغل في المنازل، فهو مع أهل كل منزل على الذي هم فيه يجد مثل الذي يجدون. وقال بعض السلف: نوم العارف يقظة وأنفاسه تسبيح

ونومه أفضل من صلاة الغافل، وإنما كان نومه يقظة لأن قلبه حي فعيناه تنامان وروحه ساجدة تحت العرش بين يدي ربها، وإنما كان نومه أفضل من صلاة الغافل، لأن بدنه في الصلاة واقف وقلبه يسبح في حشوش الدنيا والأماني، وقيل: مجالسة العارف تدعوك من ست إلى ست: من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الظن إلى النصيحة انتهى كلام صاحب البصائر.

وزاد القشيري في الرسالة، وقال الشبلي، وقد سئل عن المعرفة: أولها الله وآخرها ما لا نهاية له. وقال أبو حفص الحداد: منذ عرفت الله تعالى ما دخل قلبي حق ولا باطل، وهذا في ظاهره أشكال وأجل ما يحتمله أن عند القوم المعرفة توجب غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق عليه، فلا يشهد غير الله ولا يرجع إلى غيره، كما أن العاقل يرجع إلى قلبه وتفكره وتذكره فيما يسنح له من أمر ويستقبله من حال، فالعارف رجوعه إلى ربه فإذا لم يكن مشتغلاً بربه لم يكن راجعاً إلى قلبه، وكيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له، وفرق بين من عاش بقلبه وبين من عاش بربه. وسئل أبو يزيد عن المعرفة فقال ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ [النمل: ٣٤] هذا معنى ما أشار إليه أبو حفص. وقال أبو يزيد للخلق أحوال ولا حال للعارف لأنه محيت رسومه وفنيت هويته لهوية غيره وغيبت آثاره بآثار غيره. وقال الواسطي: لا تصح المعرفة وفي العبد استغناء بالله وافتقار إليه. أراد بهذا أن الافتقار والاستغناء بالله من أمارات صحو العبد وبقاء رسومه لأنها من صفاته، والعارف محى في معروفه فكيف يصح له ذلك وهو لاستهلاكه في وجوده أو لاستغراقه في شهوده، وإن لم يبلغ الوجود مختطف عن إحساسه، فكل وصف هو له، ولهذا قال الواسطي أيضاً لا من عرف الله انقطع به بل خرس وانقمع، وقال ﷺ «لا أحصي ثناء عليك» هذه صفات الذين بعد مرماهم، فأما من نزلوا عن هذا الحد فقد تكلموا في المعرفة وأكثروا. وقيل: من عرف الله ذهبت عنه رغبة الأشياء وكان بلا فصل ولا وصل، وقيل: المعرفة توجب الحياء والتعظيم، كما أن التوحيد يوجب الرضا والتسليم. وقال ذو النون: معاشرة العارف كمعاشرة الله تعالى يحتملك ويحلم عنك تخلقاً بأخلاق الله عز وجل، وسئل ابن يزدانيار: متى يشاهد العارف الحق؟ فقال: إذا بدأ الشاهد وفنيت الشواهد وذهبت الحواس واضمحل الإخلاص. وقال الحلاج: علامة العارف أن يكون فارغاً من الدنيا والآخرة. وقال سهل: غاية المعرفة شيئان الدهش والحيرة. وقال ذو النون: أعرف الناس بالله أشدهم تحيراً فيه. وقال رجل للجنيد: من أهل المعرفة أقوام يقولون بترك الحركات من باب البر والتقوى. فقال: هذا قول قوم تكلموا باسقاط الأعمال وهو عندي عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البرذرة، وقيل لأبي يزيد: بماذا نلت هذه المعرفة؟ فقال: ببطن جائع وبدن عار، وقال أيضاً: العارف طيار والزاهد سيار، وقيل: العارف تبكي عينه ويضحك قلبه. وقيل: العالم يقتدى به والعارف يهتدى به. وقال الشبلي: العارف لا يكون لغيره

....

لاحظاً ولا لكلام غيره لافظاً ، ولا يرى لنفسه غير الله حافظاً . وقال أبو الطيب المسامري : المعرفة طلوع الحق على الأسرار بمواصلة الأنوار ، وقال أبو بكر الوراق : سكرات العارف أنفع وكلامه أشهى وأطيب . وسئل أبو يزيد عن العارف فقال : لا يرى في نومه غير الله ولا في يقظته غير الله ، وسئل أبو تراب النخشبي عن العارف فقال : الذي لا يكدره شيء ويصفو به كل شيء ، وقال أبو عثمان المغربي : العارف تضيء له أنوار العلم فيبصر به عجائب الغيب ، وقال بعضهم : المعرفة أمواج تغط وترفع وتحط . وقال أبو سعيد الخراز : المعرفة تأتي من عين الجود وبذل المجهود ، وقال محمد بن الفضل : المعرفة حياة القلب مع الله انتهى .

وبه تم كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا ، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وآله تسليماً .

قال مؤلفه : نجزت من تسويده في الثالثة من ليلة الأربعاء ثاني محرم الحرام إفتتاح سنة ١٢٠١ أرانا الله خيرها وكفانا ضيرها . قال ذلك وكتبه أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني غفرت ذنوبه وسترت عيوبه بمنه وكرمه آمين حامد الله ومصليا ومسلما .

تم الجزء الثاني عشر ويليه إن شاء الله الجزء الثالث عشر
وأوله كتاب النية والإخلاص والصدق .

كتاب النية والإخلاص والصدق
وهو الكتاب السابع من ربع المنجيات
من كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم الله ناصر كل صابر الحمد لله الذي أنس بذكره المخلصون، ولهج بمحبته الصادقون، وفرح بحسن بلائه الراضون، أحمده حمداً يشرق إشراق النجوم، وأستغفره مما تراكم على القلوب من الغموم، وأستهديه لما يرضيه من اكتساب المعارف والفهوم، وأشهد أن لا إله إلا الله محسن الأعمال بالنيات، ومزين الأحوال بأشعة التجليات، ومودع الخواطر من حكمه جواهر مضيئات، سبحانه من إله شرع لنا من الدين ما وصى به نوحاً، وأطلع لنا من أفقه المحيط يوحا،وأفاض علينا من لذيذ شربه غبوقاً وصبوحا، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده الذي اصطفاه، ورسوله الذي اجتباه، وصفيه الذي اختاره وحباه، إمام المخلصين، وعصمة أهل اليقين، وتاج هامة المتقين، الذي هدى به السبيل الأقوم، وبين الطريق الأعدل الأحكم، وشد به عرى الدين فاستوثق واستحكم، صلى عليه وعلى أله بحور المعارف، وأصحابه كنوز اللطائف، صلاة تستنزل غيث الرحمة من سحابه، وتحل صاحبها من الرضوان أوسع رحابه، وسلم تسليما وزاده شرفاً وتعظيماً، وبعد فهذا شرح.

كتاب النية والإخلاص والصدق

وهو السابع والثلاثون من كتب الإحياء للإمام الهمام، غوث الأئمة الأعلام، قطب العلم والحال والمقام، الملقب بين الأنام بحجة الإسلام، أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، أسكنه الله الفردوس الأعلى، وروى ثراه من الكوثر الأحلى، رفعت عن مخدرات عرائس أفكاره حجب الأستار، وأوضحت ما استكن في ضمائر فوائده من الأسرار، حتى ظهر للمريدين سبيله، وصفا للواردين سلسبيله، وراق للشاربين زلاله، وامتدت للائذين ظلاله، فدونك شرحاً مفيداً يسدي الخير إليك، ويبين كل ما أشكل عليك، يفتح لك منه باب الفهم، ويخلصك من ورطة الوهم، ويرشدك إلى الصواب، ويحصل لك جزيل الثواب، والله تعالى أسأل العون والإمداد، وإياه أرجو التوفيق والسداد، إنه الكافي الكفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله حمد الشاكرين، ونؤمن به إيمان الموقنين، ونقر بوحدانيته إقرار الصادقين، ونشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين، وخالق السموات والأرض، ومكلف الجن والإنس والملائكة المقربين، أن يعبدوه عبادة المخلصين، فقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] فما لله إلا الدين الخالص المتين، فإنه أغنى الأغنياء

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**بسم الله الرحمٰن الرحيم**) إذ كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكره فهو أبتر كما ورد بذلك الخبر.

(**نحمد الله حمد الشاكرين**) أشار بالجملة الفعلية إلى تجدد الحمد منه للمنعم في كل آن بتجدد أنواع نعمه المتواترة في كل شأن، والجملة عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد أولا. وفيما نحن فيه أفادت صدور الحمد من الحامدين للمحمود المطلق على كل حال، والكلام في حقيقة الحمد والشكر وما بينهما من النسب الإضافات قد تقدم بيانها في صدر شرح كتاب العلم فلا نعيده. (**ونؤمن به إيمان الموقنين**) أي إيماناً موصوفاً باليقين كإيمان من اتصف به على التعيين (**ونقر بوحدانيته**) مصدر الواحد الذي لا يصح عليه التجزيء والتكثر (**إقرار الصادقين**) الذي طابق قولهم الضمير والمخبر عنه معاً، (**ونشهد أن لا إله إلا الله رب العالمين**) أي مالكهم وحافظهم ومربيهم إلى أن ينتهوا إلى مرتبة الكمال اللائق بهم، والعالم كل ما سواه من الجواهر فإنها لإمكانها وافتقارها إلى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده، (**وخالق السموات والأرضين**) أي وما بينهما والاقتصار في الذكر عليهما اتباعاً لما في القرآن. الحمد لله الذي خلق السموات والأرض لأنهما أعظم المحسوسات في المشاهد، (**ومكلف الجن والانس والملائكة المقربين**) في بساط حضرته قرباً يليق بهم كما قال تعالى ﴿يشهده المقربون﴾ [المطففين: ٢١] وذلك بحسب مقاماتهم ودرجاتهم، كما قال تعالى حكاية عنهم ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤] (**أن يعبدوه عبادة المخلصين فقال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾**) لا يشركون به ولا يشاركون غيره في عبادته، والضمير في قوله (**وما أمروا**) راجع إلى الكفار من أهل الكتاب والمشركين عبدة الأصنام أي وما أمروا في كتبهم فما فيها إلا الإخلاص في العبادة، (**فما لله إلا الدين الخالص المتين**) يشير إلى قوله تعالى ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ إلى قوله تعالى ﴿وذلك دين القيمة﴾ أي المستقيمة المتينة، (**فإنه أغنى الأغنياء عن شركة المشاركين**) كما جاء ذلك في الحديث القدسي قال: روى ابن جرير والبزار من حديث أبي هريرة قال الله عز وجل « من عمل لي عملاً

عن شركة المشاركين، والصلاة على نبيه محمد سيد المرسلين، وعلى جميع النبيين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعد؛ فقد انكشف لأرباب القلوب ببصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم. فالعمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، وهو للنفاق كفاء، ومع العصيان سواء، والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء، وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بإرادة غير الله مشوباً مغموراً

أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا أغنى الشركاء عن الشرك». **(والصلاة)** مع السلام **(على نبيه)** سيدنا **(محمد سيد المرسلين)** أي رئيسهم ومقدمهم **(وعلى جميع)** إخوانه من **(النبيين)** والمرسلين **(وعلى آله الطيبين)** في أنفسهم **(الطاهرين)** عن الرذائل والأدناس.

(أما بعد، فقد انكشف لأرباب القلوب) أي أهل الباطن **(ببصيرة الإيمان)** بما قر فيها من نوره **(وأنوار القرآن)** أي بما تجلى عليها منها **(أن لا وصول إلى السعادة)** الأبدية التي لا شقاء بعدها **(إلا بالعلم)** الذي هو الأصل الأعظم في كل مقام من مقامات الإيمان **(والعبادة)** التي يثمرها الحال المنتج عن العلم، **(فالناس كلهم هلكى)** أي هالكون في بحر الضلالة والجهل **(إلا العالمون)** فبعلمهم يخلصون أنفسهم من هلاك الجهل، **(والعالمون كلهم هلكى)** أي هالكون في بحر الحيرة والدهش **(إلا العاملون)** بمقتضى علومهم، **(والعاملون كلهم هلكى)** في بحر العجب والرياء **(إلا المخلصون)** لله في أعمالهم، **(والمخلصون)** مع ذلك **(على خطر عظيم)** لا يدرون كيف يختم لهم خائفون من خفي مكر الله تعالى، وهذا القول نسب إلى سهل التستري رحمه الله تعالى.

قال الخطيب في كتاب اقتضاء العلم العمل، أخبرنا الحسن بن محمد الخلال، حدثنا محمد بن عبدالله الشيباني قال: سمعت عبد الكريم بن كامل يقول: سمعت سهل بن عبدالله التستري يقول: الناس كلهم سكارى إلا العلماء، والعلماء كلهم حيارى إلا من عمل بعلمه.

قال: وأخبرنا عبد الرحمٰن بن محمد بن فضالة الحافظ، أخبرنا أبو أحمد الغطريفي، حدثنا بكر ابن أحمد بن سعدويه قال: قال سهل بن عبدالله: الدنيا جهل وموت إلا العلم والعلم كله حجة إلا العمل به والعمل كله هباء إلا الإخلاص والإخلاص على خطر عظيم حتى يختم به.

(فالعمل بغير نية) تصاحبه **(عناء)** أي تعب **(والنية بغير إخلاص رياء وهو للنفاق كفاء)** أي مكافىء له وقرين **(ومع العصيان سواء)** أي في مرتبة واحدة **(والإخلاص من غير صدق وتحقيق)** بأن يطابق الدال الضمير والمخبر عنه معاً **(هباء)** وهو ما يرى في ضوء الشمس من الذرات، **(وقد قال الله تعالى في)** شأن **(كل عمل)** صادر من العامل، **(وكان**

﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ [الفرقان: ٢٣] وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية؟ أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص؟ أو كيف تطالب المخلص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه؟ فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أوّلاً لتحصل المعرفة، ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما وسيلتا العبد إلى النجاة والخلاص.

ونحن نذكر معاني الصدق والإخلاص في ثلاثة أبواب:

الباب الأول: في حقيقة النية ومعناها.

الباب الثاني: في الإخلاص وحقائقه.

الباب الثالث: في الصدقُ وحقيقته.

بإرادة غير الله مشوباً مغموراً) أي مخلوطاً (**﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾**) قال البيضاوي: أي وعمدنا إلى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم وإغاثة الملهوف فأحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم وأعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم إلى أسبابهم فمزقها وأبطلها ولم يبق لها أثراً. والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة، ومنثوراً صفته شبه به عملهم المحيط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور في انتشاره بحيث لا يمكنه نظمه أو تفرقه نحو أغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها، أو مفعول ثالث من حيث أنه كالخبر بعد الخبر كقوله: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾ [الأعراف: ١٦٦] (**وليت شعري كيف يصحح نيته من لا يعرف حقيقة النية؟ أو كيف يخلص)** أي يصير مخلصاً (**من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص؟ أو كيف يطالب المخلص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه؟ فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولاً لتحصيل المعرفة، ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما وسيلتا العبد إلى النجاة والخلاص**).

(**ونحن نذكر معاني النية والإخلاص في ثلاثة أبواب**).

(**الباب الأول في**) بيان (**حقيقة النية ومعناها**).

(**الباب الثاني في**) بيان (**الإخلاص وحقائقه**).

(**الباب الثالث: في**) بيان (**الصدق وحقيقته**).

الباب الأول: في النية

وفيه بيان فضيلة النية، وبيان حقيقة النية، وبيان كون النية خيراً من العمل، وبيان تفضيل الأعمال المتعلقة بالنفس، وبيان خروج النية عن الاختيار.

بيان فضيلة النية:

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

الباب الأول
في النية

(**وفيه بيان فضيلة النية**) من الكتاب والسنة، (**وبيان حقيقة النية، وبيان كون النية خيراً من العمل، وبيان تفضيل الأعمال المتعلقة بالنفس، وبيان خروج النية عن الاختيار**)

بيان فضيلة النية:

(**قال الله تعالى**) مخاطباً لنبيه ﷺ ومعاتباً له: (**﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**) أي في مجامع أوقاتهم أو في طرف الليل والنهار (**يريدون وجهه﴾**) أي رضاه وطاعته.

قال الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا سفيان الثوري، عن المقدام بن شريح، عن أبيه، عن سعد بن أبي وقاص قال: نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي ﷺ منهم: ابن مسعود قال: كنا نستبق إلى النبي ﷺ ندنو إليه، فقالت قريش: تدني هؤلاء دوننا، فكان النبي ﷺ همّ بشيء فنزلت ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم﴾ الآية.

وقال صاحب الحلية: أنا أحمد بن محمد بن أحمد، حدثنا عبدالله بن شيرويه، حدثنا إسحاق ابن راهويه، حدثنا عبيدالله بن موسى، حدثنا إسرائيل، عن المقدام بن شريح الحارثي، عن أبيه، عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع رسول الله ﷺ ونحن ستة نفر، فقال المشركون: اطرد هؤلاء عنك فإنهم وإنهم. قال: فكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميها. قال: فوقع في نفس النبي ﷺ من ذلك ما شاء الله فحدث به نفسه فأنزل الله تعالى ﴿لا تطرد الذين يدعون ربهم﴾ الآية.

[الأنعام: ٥٢] والمراد بتلك الإرادة هي النية. وقال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»، وقال ﷺ:

(والمراد بتلك الإرادة هي النية) أي ينوون بدعائهم وجه الله تعالى وحده. **(وقال ﷺ «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»)** أخبرناه عمر بن أحمد بن عقيل الحسني قال: أخبرنا عبدالله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا علي بن يحي، أخبرنا يوسف بن عبدالله الحسني، ثنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا أحمد بن علي الحافظ، أخبرنا عبد الرحيم ين الحسين الحافظ، أخبرنا محمد بن محمد بن إبراهيم، أخبرنا عبد اللطيف بن عبد المنعم، أخبرنا عبد الوهاب بن علي وعبد الرحمن بن أحمد العمري والمبارك بن معطوش قالوا: أخبرنا هبة الله بن محمد، أخبرنا محمد بن محمد بن إبراهيم البزاز، أخبرنا محمد بن عبدالله الشافعي، أخبرنا عبدالله بن روح المدائني، ومحمد ابن رمح البزاز قالا: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا يحي بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول: سمعت عمر بن الخطاب على المنبر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره.

أخرجه الأئمة الستة؛ فأخرجه مسلم عن محمد بن عبدالله بن نمير وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن يزيد بن هارون فوقع بدلاً لهما عالياً بدرجتين، واتفق عليه الشيخان من رواية مالك وحماد بن زيد وابن عيينة وعبد الوهاب الثقفي. وأخرجه البخاري وأبو داود من رواية الثوري، ومسلم من طريق الليث وابن مبارك وأبي خالد الأحمر وحفص بن غياث، والترمذي من رواية عبد الوهاب الثقفي، والنسائي من طريق مالك، وحماد بن زيد وابن المبارك وأبي خالد الأحمر، وابن ماجه أيضاً من رواية الليث عشرتهم عن يحي بن سعيد الأنصاري. أورده البخاري في سبع مواضع من صحيحه في بدء الوحي والإيمان والنكاح والهجرة وترك الحيل والعتق والنذور، ومسلم في الجهاد، وأبو داود في الطلاق، والنسائي في الإيمان، وابن ماجه في الزهد. وهذا الحديث من افراد الصحيح لم يصح عن النبي ﷺ إلا من حديث عمر، ولا عن عمر إلا من رواية علقمة، ولا عن علقمة إلا من رواية محمد بن إبراهيم التيمي، ولا عن التيمي إلا من رواية يحي بن سعيد الأنصاري. قال أبو بكر البزار في مسنده: لا نعلم يروى هذا الكلام إلا عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ بهذ الإسناد. وقال: الخطابي: لا أعلم خلافاً بين أهل الحديث في أنه لم يصح مسنداً عن النبي ﷺ إلا من رواية عمر اهـ هذا هو المشهور.

وقد روي من طرق أخرى غير طريق عمر وفي كل منها مقال. منها: من طريق أبي سعيد الخدري رواه الدارقطني وابن عساكر كلاهما في غرائب مالك، والخطابي في معالم السنن من رواية

....

عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد وهو غلط من أبي رواد قاله الدارقطني.

ومنها: من طريق أبي هريرة رواه الرشيد العطار في بعض تخاريجه وهو وهم أيضاً.

ومنها: من طريق أنس رواه ابن عساكر من رواية يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم عن أنس وقال: هذا حديث غريب جداً، والمحفوظ حديث عمر اهـ.

والمحفوظ من حديث أنس ما رواه البيهقي من رواية عبدالله بن المثنى الأنصاري قال: حدثني بعض أهل بيتي عن أنس فذكر حديثاً فيه «أنه لا عمل لمن لا نية له» الحديث.

ومنها: من طريق علي رواه محمد بن ياسر الحباني في نسخته من طريق أهل البيت إسنادها ضعيف، وأما من تابع علقمة عليه فذكر أبو أحمد الحاكم، أن موسى بن عقبة رواه عن نافع وعلقمة، وأما من تابع يحيى بن سعيد عليه فقد رواه الحاكم في تاريخ نيسابور من رواية عبد ربه ابن سعيد عن محمد بن إبراهيم أورده في ترجمة أحمد بن نصر بن زياد وقال: إنه غلط فيه، وإنما هو عن يحيى بن سعيد لا عبد ربه بن سعيد، وذكر الدارقطني أنه رواه حجاج بن أرطأة عن محمد بن إبراهيم وأنه رواه سهل بن صيعر عن الدراوردي وابن عيينة وأنس بن عياض عن محمد بن علقمة عن محمد بن إبراهيم، ووهم سهل على هؤلاء الثلاثة وغيرهم عن يحيى بن سعيد. وقال النووي: هو حديث مشهور بالنسبة إلى آخره غريب بالنسبة إلى أوله. قال: وليس متواتراً لفقد شرط التواتر في أوله. رواه عن يحيى بن سعيد أكثر من مائتي إنسان أكثرهم أئمة، ثم إن هذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام حتى قيل فيه إنه ثلث العلم، وقيل ربعه، وقيل خمسه. وكونه ثلث العلم روي عن الشافعي وأحمد وكونه ربعه عن أبي داود وروي عنه أيضاً كونه خمسه.

قال ابن دقيق العيد: لا بد من حذف المضاف واختلف الفقهاء في تقديره، فالذي اشترطوا النية قدروا صحة الأعمال بالنيات أو ما يقاربه، والذين لم يشترطوها قدروا كمال الأعمال بالنيات أو ما يقاربه، وقد رجح الأول بأن الصحة أكثر لزوماً للحقيقة من الكمال فالحمل عليها أولى. قال: وقد يقدرونه إنما اعتبار الأعمال بالنيات.

وقال قاضي القضاة الحنفية شمس الدين السروجي في شرح الهداية: إن التقدير ثوابها لا صحتها لأنه الذي يطرد فإن كثيراً من الأعمال يوجد ويعتبر شرعاً بدونها ولأن إضمار الثواب متفق على إرادته لأنه يلزم من انتفاء الصحة انتفاء الثواب دون العكس، فكان ما ذهبنا إليه أقل إضماراً فهو أولى، ولأن إضمار الجواز والصحة يؤدي إلى نسخ الكتاب بخبر الواحد وهو ممتنع، ولأن العامل في قوله بالنية مقدر بإجماع النحاة، ولا يجوز أن يتعلق بالأعمال لأنها رفع بالابتداء فيبقى بلا خبر فلا يجوز، فالمقدر إما مجزئة أو صحيحة أو مثيبة ومثيبة أولى بالتقدير لوجهين أحدهما: أن عند عدم النية لا يبطل أصل العمل، وعلى إضمار الصحة والاجزاء يبطل فلا يبطل

« أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته » . وقال تعالى :

بالشك . الثاني : أن قوله « ولكل امرىء ما نوى » يدل على الثواب والأجر لأن الذي له إنما هو الثواب وأما العمل فعليه انتهى .

وهذا قد رده الزين العراقي في شرح التقريب وقال فيه نظر من وجوه .

أحدها : أنه لا حاجة إلى إضمار محذوف من الصحة أو الكمال أو الثواب إذ الإضمار خلاف الأصل ، وإنما المراد حقيقة العمل الشرعي فلا يحتاج حينئذ إلى إضمار ، وأيضاً فلا بد من إضمار شيء يتعلق به الجار والمجرور ، فلا حاجة لإضمار مضاف لأن تعليل الإضمار أولى فيكون التقدير إنما الأعمال وجودها بالنية ، ويكون المراد الأعمال الشرعية .

والثاني : إن قوله إن تقدير الثواب أقل إضماراً لأنه يلزم من انتفاء الصحة انتفاء الثواب دون العكس ، فلا نسلم أن فيه تقليل الإضمار لأن المحذوف واحد ولا يلزم من تقدير الصحة تقدير ما يترتب على نفيها من نفي الثواب ووجوب الإعادة وغير ذلك . فلا يحتاج إلى أن يقدر إنما صحة الأعمال والثواب وسقوط القضاء مثلاً بالنية بل المقدر واحد ، وإن ترتب على ذلك الواحد شيء آخر فلا يلزم تقديره .

والثالث : إن قوله إن تقدير الصحة يؤدي إلى نسخ الكتاب بخبر الواحد ، فإن أراد به أن الكتاب دال على صحة العمل بغير نية لكون النية لم تذكر في الكتاب ، فهذا ليس بنسخ ، وأيضاً فالثواب مذكور في العمل ولم تذكر النية على أن الكتاب ذكرت فيه نية العمل في قوله تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ [البينة : ٥] فهذا القصد ولو سلم له أن فيه نسخ الكتاب بخبر الواحد فلا مانع من ذلك عند أكثر أهل الأصول .

والرابع : إن قوله إن تقدير الصحة يبطل العمل ولا يبطل الشك ليس بجيد ، بل إذا تيقنا شغل الذمة بوجوب العمل لم نسقطه بالشك ولا تبرأ الذمة إلا بتعيين فحمله على الصحة أولى لتيقن البراءة به .

والخامس : إن قوله : إن الذي له إنما هو الثواب ، وأما العمل فعليه والأحسن في التقدير أن لا يقدر حذف مضاف فإنه لا حاجة إليه ، ولكن يقدر بشيء يتعلق به الجار والمجرور ، فإنه لا بد من تقديره كما تقدم فتقديره إنما الأعمال وجودها بالنية ، ونفي الحقيقة أولى والمراد نفي العمل الشرعي ، وإن وجد الفعل في الظاهر فليس بشرعي عند عدم النية والله أعلم اهـ .

(**وقال ﷺ « أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش**) أي الذين يموتون على فرشهم ولهم نية جميلة في طلب الشهادة . (**ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته »**) قال العراقي : رواه أحمد من حديث ابن مسعود ، وفيه عبدالله بن لهيعة اهـ .

قلت : ورواه كذلك الحكيم في النوادر ولفظها « إن أكثر شهداء أمتي لأصحاب الفرش » والباقي سواء .

﴿إنْ يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقُ اللهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]، فجعل النية سبب التوفيق، وقال ﷺ: «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»، وإنما نظر إلى القلوب لأنها مظنة النية؛ وقال ﷺ: «إن العبد ليعمل أعمالاً حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول: ألقوا هذه الصحيفة فإنه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون: يا ربنا إنه لم يعمل شيئاً من ذلك فيقول الله تعالى إنه نواه»، وقال ﷺ: «الناس أربعة: رجل آتاه الله عز وجل علماً ومالاً فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل: لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله تعالى مالاً ولم يؤته علماً فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه

(وقال) الله (تعالى ﴿إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾ فجعل النية سبب التوفيق) ولفظ القوت: فجعل سبب التوفيق إرادة الإصلاح فذلك هو أول التوفيق من الموفق المصلح للعامل الصالح. (وقال ﷺ «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم») رواه أحمد ومسلم وابن ماجه من حديث أبي هريرة ولفظهم «ولكن إنما ينظر» والباقي سواء. ورواه كذلك أبو بكر الشافعي في الغيلانيات، وابن عساكر من حديث أبي أمامة. ورواه هناد في الزهد عن الحسن مرسلاً، ورواه الحكيم عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً بلفظ «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه». ورواه الطبراني من حديث أبي مالك الأشعري بلفظ «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى أحسابكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه وإنما أنتم بنو آدم وأحبكم إلي أتقاكم» وقد تقدم، (وإنما نظر إلى القلوب لأنها مظنة النية. وقال ﷺ «إن العبد ليعمل أعمالاً حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول) لهم: (ألقوا هذه الصحيفة فإنه لم يرد بما فيها وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا أكتبوا له كذا وكذا، فيقولون: يا ربنا إنه لم يعمل شيئاً من ذلك، فيقول الله تعالى: إنه نواه») كذا في القوت. قال العراقي: رواه الدارقطني من حديث أنس باسناد حسن.

قلت: وهو في كتاب الإخلاص لابن أبي الدنيا من طريق أبي عمران الجوني قال: «بلغنا أن الملائكة تصف بكتبها في السماء الدنيا في كل عشية بعد العصر فينادي الملك أكتب لفلان بن فلان كذا وكذا، فيقول: يا رب إنه لم يعمله، فيقول: إنه نواه إنه نواه».

(وقال ﷺ: «الناس أربعة: رجل آتاه الله عز وجل علماً ومالاً فهو يعمل بعلمه في ماله، فيقول رجل: لو آتاني الله مثل ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله ما لم يؤته علماً فهو يتخبط بجهله في ماله، فيقول رجل: لو آتاني الله مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما

عملت كما يعمل فهما في الوزر سواء ». ألا ترى كيف شركه بالنية في محاسن عمله ومساويه وكذلك في حديث أنس بن مالك لما خرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قال: « إن بالمدينة أقواماً ما قطعنا وادياً ولا وطئنا موطئاً يغيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة ولا أصابتنا مخمصة إلا شركونا في ذلك وهم بالمدينة ». قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا؟ قال: « حبسهم العذر فشركوا بحسن النية » وفي حديث ابن مسعود: « من

في الوزر سواء ») كذا في القوت، قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث أبي كبشة الأنماري بسند جيد بلفظ « مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر » الحديث وقد تقدم. ورواه الترمذي بزيادة في أوله وفيه « إنما الدنيا لأربعة نفر » وقال: حسن صحيح اهـ.

قلت: لفظ ابن ماجه « مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر: رجل آتاه الله مالاً فهو يعمل بعلمه في ماله ينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً وهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يتخبط في ماله ينفقه في غير حقه، ورجل يؤته الله علماً ولا مالاً وهو يقول: لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل فهما في الوزر سواء ». وهكذا رواه أيضاً أحمد وهناد والطبراني والبيهقي.

(**ألا ترى كيف شركه بالنية في محاسن عمله ومساوئه**) ولفظ القوت: ألا ترى كيف شركه بحسن النية في محاسن عمله وشركه الآخر بسيء النية في مساوىء عمله، (**وكذلك في حديث أنس بن مالك**) رضي الله عنه (**لما خرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك قال « إن بالمدينة أقواماً ما قطعنا وادياً ولا وطئنا موطئاً يغيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة ولا أصابتنا مخمصة إلا شركونا في ذلك وهم بالمدينة » قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا؟ قال « حبسهم العذر فشركونا بحسن النية »**) كذا في القوت. قال العراقي: رواه البخاري مختصراً وأبو داود اهـ.

قلت: رواه البخاري مختصراً بلفظ « إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه حبسهم العذر ». وأما لفظ أبي داود « إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم فيه » قالوا: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ قال « وهم بالمدينة حبسهم العذر ». ورواه كذلك أحمد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن ماجه، وأبو عوانة، وابن حبان كلهم من حديث أنس. ورواه أيضاً عبد بن حميد ومسلم وابن ماجه من حديث جابر بلفظ « إن بالمدينة رجالاً ما قطعتم وادياً ولا سلكتم طريقاً إلا شركوكم في الأجر حبسهم العذر » وقوله « فشركونا بحسن النية » هكذا في القوت. وفي بعض نسخ الكتاب « فشركوا بحسن النية » وهذا يشعر بأنه ليس من بقية الحديث، بل هو من عند المصنف.

(**وفي حديث ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**« من هاجر ليبتغي شيئاً فهو له، فهاجر**

هاجر يبتغي شيئاً فهو له فهاجر رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر أم قيس » وكذلك جاء في الخبر : « أن رجلاً قتل في سبيل الله وكان يدعى قتيل الحمار ، لأنه قتل رجلاً ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف إلى نيته . وفي حديث عبادة عن النبي ﷺ : « من غزا وهو لا ينوي إلا عقالاً فله ما نوى » وقال أبيّ : استعنت رجلاً يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلاً ، فجعلت له ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : « ليس له من دنياه وآخرته إلا ما جعلت له » ، وروي في الإسرائيليات ، أن رجلاً مر بكثبان

رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر أم قيس ») كذا في القوت . قال العراقي : رواه الطبراني بإسناد جيد .

قلت : وقال في شرح التقريب : ما اشتهر بين الشراح لهذا الحديث أن سببه قصة مهاجر أم قيس . رواه الطبراني في المعجم الكبير بإسناد رجاله ثقات من رواية الأعمش ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود قال : « كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس » ثم قال : ولم يسم أحد ممن صنف في الصحابة هذا الرجل الذي ذكروا أنه كان يسمى مهاجر أم قيس فيما رأيته من التصانيف . وأما أم قيس المذكورة فقد ذكر أبو الخطاب بن دحية أن اسمها « قيلة » فالله أعلم اهـ .

قلت : وقال الحافظ في ترجمة أم قيس من الإصابة ما لفظه : غير منسوبة .

أخرج ابن منده ، وأبو نعيم من طريق إسماعيل بن عصام بن يزيد قال : وجدت في كتاب جدي يزيد الذي يقال له جبر ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود قال : « كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها أم قيس فأبت أن تتزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس » قال ابن مسعود : من هاجر لشيء فهو له . قال أبو نعيم : تابعه عبد الملك الذماري عن سفيان ثم ذكر أم قيس الهذلية ، وقال قال أبو موسى : أوردها جعفر ولم يخرج لها شيئاً . قال الحافظ : أخشى أن تكون هي التي قبلها ، فإن ابن مسعود يقول في مهاجر أم قيس رجل منا ، وابن مسعود هذلي فالرجل هذلي فكأن أم قيس المخطوبة أيضاً هذلية .

(وكذلك جاء في الخبر « أن رجلاً قتل في سبيل الله وكان يدعى قتيل الحمار » لأنه قاتل رجلاً ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فأضيف إلى نيته) كذا في القوت . وقال العراقي : لم أجد له أصلاً في الموصولات ، وإنما رواه أبو إسحاق الفزاري في السير من وجه مرسل . (وفي حديث عبادة) بن الصامت رضي الله عنه ، (عن النبي ﷺ قال : « من غزا) في سبيل الله (وهو لا ينوي إلا عقالاً فله ما نوى ») رواه أحمد والدارمي والنسائي والروياني وابن حبان والطبراني والحاكم والبيهقي والضياء وقد تقدم غير مرة . (وقال أبي) بن كعب رضي الله عنه : (استعنت رجلاً يغزو معي ، فقال : لا حتى تجعل لي جعلاً ، فجعلت له ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال « ليس له من دنياه وآخرته إلا ما جعلت له ») كذا في القوت . قال العراقي :

من رمل في مجاعة فقال في نفسه: لو كان هذا الرمل طعاماً لقسمته بين الناس، فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قل له إن الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاماً فتصدقت به. وقد ورد في أخبار كثيرة: « من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة »، وفي حديث عبدالله بن عمرو: « من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها أرغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله تعالى غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها أزهد ما يكون فيها »، وفي حديث أم سلمة

رواه الطبراني في مسند الشاميين، ولأبي داود بإسناد جيد من حديث يعلى بن أمية: أنه استأجر أجيراً للغزو وسمى ثلاثة دنانير فقال له النبي ﷺ « ما أجد له في غزوته هذه في الدنيا والآخرة إلا دنانيره التي سمى » اهـ.

قلت: وحديث يعلى أخرجه كذلك الحاكم، ورواه الطبراني في الكبير من حديث عوف بن مالك.

(وفي الإسرائيليات أن رجلاً مر بكثبان من رمل في مجاعة) أي زمن قحط أصاب الناس به الجوع **(فقال في نفسه: لو كان هذا الرمل طعاماً لقسمته بين الناس)**. قال؛ **(فأوحى الله تعالى إلى نبيهم)** في ذلك الزمان **(أن قل له إن الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاماً فتصدقت به)** نقله صاحب القوت، وهو في كتاب الإخلاص لابن أبي الدنيا من طريق إسماعيل بن أبي خالد قال: أصابت بني إسرائيل مجاعة فمر رجل على رمل فقال: وددت هذا الرمل يكون دقيقاً لي حتى أطعمه بني إسرائيل فأعطاه الله على نيته.

(وقد ورد في أخبار كثيرة « من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ») رواه أحمد من حديث أبي هريرة بزيادة فإن عملها كتبت له بعشر أمثالها إلى سبعمائة وسبع أمثالها، ومن هم بسيئة لم تكتب عليه فإن لم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة» وقال العراقي: متفق عليه وقد تقدم. **(وفي حديث عبد الله بن عمرو)** بن العاص رضي الله عنهما: **(« من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها أرغب ما يكون فيها، ومن تكن الآخرة نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها أزهد ما يكون فيها »)** كذا في القوت. قال العراقي: رواه ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بإسناد جيد دون قوله « وفارقها أرغب ما يكون فيها » ودون قول « وفارقها أزهد ما يكون فيها » وفيه زيادة. ولم أجده من حديث عبدالله بن عمرو اهـ.

قلت: حديث زيد بن ثابت هذا جاء بألفاظ مختلفة. منها: عند ابن عساكر بلفظ « من تكن الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وشتت الله عليه ضيعته ولا يأتيه منها إلا ما كتب له، ومن تكن الآخرة نيته يجعل الله غناه في قلبه ويكف عليه ضيعته وتأتيه الدنيا وهي راغمة ».

أن النبي ﷺ ذكر جيشاً يخسف بهم بالبيداء فقلت: يا رسول الله يكون فيهم المكره والأجير؟ فقال: « يحشرون على نياتهم » وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إنما يقتتل المقتتلون على النيات » وقال عليه السلام: « إذا التقى الصفّان نزلت

وعند الطيالسي وابن ماجه والطبراني بلفظ « من كانت نيته الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا راغمة، ومن كانت نيته الدنيا فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له ».

وقد روي هذا أيضاً من حديث أنس بلفظ « من كانت نيته طلب الدنيا شتت الله عليه أمره وجعل الفقر بين عينيه ولم يأته منها إلا ما كتب له، ومن كانت نيته طلب الآخرة جمع الله عليه شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة » هكذا رواه ابن أبي حاتم في الزهد.

وعند هناد والترمذي بلفظ « من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له » . وهذا اللفظ قد رواه أيضاً الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس، ولم أر ذلك في حديث عبدالله بن عمرو في شيء من الكتب، والذي يظهر لي أنه تصحف على النساخين في كتاب القوت وتبعه المصنف، ويكون المراد عبدالله بن عمر لا عبدالله بن عمرو، فقد روى الحاكم من حديث ابن عمر ما يقرب سياقه مما تقدم وهو: « من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة، ومن تشاعبت به الهموم لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلك » والله أعلم.

(وفي حديث أم سلمة) رضي الله عنها **(أن النبي ﷺ ذكر جيشاً يخسف بهم بالبيداء)** الصحراء بين مكة والمدينة **(فقلت: يا رسول الله يكون فيهم المكره والأجير؟فقال « يحشرون على نياتهم »)** كذا في القوت. قال العراقي: رواه مسلم وأبو داود وقد تقدم اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي شيبة والطبراني والحاكم بلفظ « يبايع لرجل من أمتي بين الركن والمقام » الحديث وفيه « فيأتيهم جيش من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم » الحديث.

(وقال عمر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنما يقتتل المقتتلون على النيات ») كذا في القوت. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص والنية بإسناد ضعيف بلفظ: « إنما يبعث » ورويناه في فوائد تمام بلفظ « إنما يبعث المسلمون على النيات ». ولابن ماجه من حديث أبي هريرة « إنما يبعث الناس على نياتهم » وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه اهـ.

قلت: ورواه ابن عساكر أيضاً بلفظ « إنما يبعث المقتتلون على النيات ». وروى أحمد من حديث أبي هريرة بلفظ « يبعث الناس على نياتهم » بدون « إنما ».

(قال ﷺ: « إذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية ألا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل

الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل عصبية ألا فلا تقولوا فلان قتل في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »، وعن جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال: « يبعث كل عبد على ما مات عليه »، وفي حديث الأحنف عن أبي بكرة: « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: « لأنه أراد قتل صاحبه». وفي

لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ») كذا في القوت. قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد موقوفاً على ابن مسعود وآخر الحديث مرفوع ففي الصحيحين من حديث أبي موسى « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » اهـ.

قلت: وحديث أبي موسى رواه كذلك أحمد والأربعة أصحاب السنن. وروى الطبراني والحاكم من حديث فضالة بن عبيد « من مات على مرتبة من هذه المراتب بعث عليها يوم القيامة » رباط أو حج أو غير ذلك.

(وعن جابر) بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه، **(عن رسول الله ﷺ أنه قال « يبعث كل عبد على ما مات عليه »)** قال العراقي: رواه مسلم.

قلت: ورواه كذلك عبد بن حميد وابن ماجه وابن حبان والحاكم، ورواه أيضاً الطبراني والبغوي والحاكم في الكنى من حديث زيد بن حارثة، ورواه الدارقطني في الافراد من حديث ابن عمر، وعند ابن حبان في حديث جابر زيادة « المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه ».

(وفي حديث الأحنف) بن قيس التميمي له رواية **(عن أبي بكرة)** نفيع بن الحرث الثقفي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(« إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال « لأنه أراد قتل صاحبه »)**. رواه الشيخان وأبو داود والنسائي بلفظ « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول في النار » قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه ». ورواه ابن ماجه الطبراني من حديث أبي موسى. وفي لفظ لابن ماجه من حديث أبي بكرة « إذا التقى المسلمان حمل أحدهما على أخيه السلاح فهما على حرف جهنم فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلاها جميعاً ». وقد رواه كذلك أحمد وابن ماجه وابن أبي شيبة ومسلم.

اعلم أن البخاري روى هذا الحديث في عدة مواضع من صحيحه، ففي الإيمان حدثنا عبد الرحمٰن بن المبارك، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب ويونس عن الحسن عن الأحنف قال: ذهبت لأنصر هذا الرجل فلقيني أبو بكرة فقال: أين تريد؟ قلت: نصر هذا الرجل. قال: ارجع فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » فقلت: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه ».

وأخرجه في الفتن عن عبدالله بن عبدالله بن عبد الوهاب، عن حماد بن سلمة، عن رجل لم يسمه، عن الحسن عن أبي بكرة.

....

وقال أيضاً: حدثنا سليمان، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب ويونس، عن الحسن، عن الأحنف، وأنكر يحيى بن معين والدارقطني سماع الحسن عن أبي بكرة، وقال الدارقطني: بينهما الأحنف. قال: وكذا رواه هشام بن زياد بن المعلى، عن الحسن، عن الأحنف، وذهب غيرهما إلى صحة سماعه من أبي بكرة، واستدل بما أخرجه البخاري في الفتن في باب قول النبي ﷺ «إن ابني هذا سيد» من طريق سفيان عن إسرائيل، وفيه قال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة قال: بينما النبي ﷺ يخطب الحديث. قال البخاري، قال علي بن المديني: إنما صح عندنا سماع الحسن من أبي بكرة بهذا الحديث. وقال أبو الوليد الباجي: المراد بالحسن هنا هو ابن علي بن أبي طالب لا البصري.

قلت: وكلام أبي الوليد هذا مردود ساقط يأباه سياق الحديث كما هو ظاهر عند من تأمله.

قال الحافظ في الفتح: وكان الأحنف أراد أن يخرج بقومه إلى علي بن أبي طالب ليقاتل معه يوم الجمل، فنهاه أبو بكرة فرجع، وحمل أبو بكرة الحديث على عمومه في كل مسلمين التقيا بسيفيهما حسماً للمادة، وإلا فالحق أنه محمول على ما إذا كان القتال بينهما بغير تأويل سائغ، وقد رجع الأحنف عن رأي أبي بكرة في ذلك وشهد مع علي باقي حروبه اهـ.

واختلف العلماء في القتال في الفتنة فمنع بعضهم القتال فيها وإن دخلوا عليه عملاً بظاهر هذا الحديث، وهو مذهب أبي بكرة وغيره من الصحابة. وقال عمران بن الحصين وابن عمر: لا يدفعها فإن قصدوه دفع عن نفسه. وقال معظم الصحابة والتابعين وغيرهم: يجب نصر الحق وقتال الباغين وهو الصحيح. قال العيني: وتتأول أحاديث المنع على من لا يظهر له الحق أو على عدم التأويل لواحد منهما، ولو كان كما قال الأول لظهر الفساد، والحق الذي عليه أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة وحسن الظن بهم والتأويل لهم وإنهم مجتهدون لم يقصدوا معصية الله ولا محض الدنيا، فمنهم المخطىء في اجتهاده والمصيب. وتوقف الطبري وغيره في تعيين المحق منهم، وصرح بالتعيين الجمهور وقالوا: إن علياً رضي الله عنه وأشياعه كانوا مصيبين والله أعلم.

وقوله: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه» قال بعض العلماء: وفي هذا حجة للباقلاني ومن تبعه أن العزم على الذنب والعقد على حمله معصية بخلاف الهم المعفو عنه، وللمخالف أن يقول: هذا فعل أكثر من العزم والمواجهة والقتال. وقال النووي: الصحيح الذي عليه الجمهور أن من نوى المعصية وأصر عليها يكون آثماً وإن لم يعملها ولا تكلم. وقال العيني: التحقيق إن عزم على معصية بقلبه ووطن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه، ولهذا جاء بلفظ الحرص فيه، ويحمل ما وقع من نحو قوله ﷺ «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به» وفي الحديث الآخر «إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه» على أن ذلك فيما لو لم يوطن نفسه عليها، وإنما مر ذلك بفكره من غير استقرار، ويسمى هذا هماً ويفرق بين الهم والعزم، وإن عزم تكتب سيئة واحدة فإن عملها كتبت معصية ثانية اهـ.

حديث أبي هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أداءه فهو زان، ومن أدان ديناً وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق » وقال ﷺ: « من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة ».

(وفي حديث أبي هريرة) رضي الله عنه: **(« من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أداءه فهو زان، ومن ادّان ديناً وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق »)** . كذا في القوت. قال العراقي: رواه أحمد من حديث صهيب، ورواه ابن ماجه مقتصراً على قصة الدين دون ذكر الصداق وفي سنده اضطراب اهـ.

قلت: حديث صهيب عند ابن عساكر بلفظ « من تزوج امرأة ومن نيته أن يذهب بصداقها لقي الله وهو زان حتى يتوب، ومن ادّان ديناً وهو يريد أن لا يفي به لقي الله سارقاً حتى يتوب ». رواه هكذا عن صيفي بن صهيب عن أبيه.

ورواه النجار والرافعي في تاريخيهما، بلفظ « من تزوج امرأة بصداق لا يريد أن يؤديه جاء يوم القيامة زانياً، ومن تسلف مالاً يريد أن لا يؤديه جاء يوم القيامة سارقاً ».

ورواه البيهقي في الشعب بلفظ « من تزوج امرأة ثم مات وهو لا ينوي أن يعطيها مهرها مات وهو زان، ومن استقرض من رجل قرضاً ثم مات وهو لا ينوي أن يعطيه مات وهو سارق ».

وقد روي الحديث أيضاً من طريق ميمون بن جابان الكردي عن أبيه رفعه « من تزوج امرأة وهو ينوي أن لا يعطيها الصداق لقي الله وهو زان » رواه ابن منده.

وأما قصة الدين فقد رويت من حديث أبي أمامة وميمونة. أخرج الطبراني والحاكم من حديث أبي أمامة « من ادّان ديناً وهو ينوي أن يؤديه أداه الله عنه يوم القيامة، ومن استدان ديناً وهو لا ينوي أن يؤديه فمات قال الله عز وجل يوم القيامة ظننت أن لا آخذ لعبدي بحقه فيؤخذ من حسناته فتجعل في حسنات الآخر، فإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات الآخر فجعلت عليه ».

وأخرج الطبراني من حديث ميمونة « من ادّان ديناً ينوي قضاءه أداه الله عنه يوم القيامة » وفي لفظ له: « وهو يحدث نفسه بقضائه أعانه الله عليه ».

وأخرجه ابن ماجه بلفظ: « من ادّان دينا ينوي قضاءه كان معه عون الله على ذلك ».

(وقال ﷺ « من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة ») نقله صاحب القوت. وقال: رويناه في خبر مقطوع. قال العراقي: رواه أبو الوليد الصفار في كتاب الصلاة من حديث عبدالله بن أبي طلحة مرسلاً. قال صاحب القوت: وليس الطيب من البر المأمور به ولا من الإثم المنهى عنه، وإنما

وأما الآثار: فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى. وكتب سالم بن عبدالله إلى عمر بن عبد العزيز: اعلم أنّ عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته تم عون الله له وإن نقصت نقص بقدره. وقال بعض السلف: رب عمل صغير تعظمه

لصاحبه منه نيته، فإن كانت نيته اتباع السنة وإظهار النعمة كان بذلك مطيعاً وكان له ثواب ما نواه، وإن تطيب لغير ذلك كان به عاصياً لاتباعه هواه.

(**وأما الآثار: فقد قال عمر رضي الله عنه: أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى**) نقله صاحب القوت. (**وكتب سالم بن عبدالله**) بن عمر بن الخطاب أبو عمر أو أبو عبدالله أحد الفقهاء السبعة، وكان ثبتاً عابداً فاضلاً وكان يشبه بأبيه في الهدى والسمت، وروى له الجماعة، مات في آخر ست بعد المائة على الصحيح (**إلى عمر بن عبد العزيز**) الأموي رحمه الله تعالى، وكان قد كتب إليه يستنصحه فكتب إليه: (**اعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية، فمن تمت نيته تم عون الله له وإن نقصت نقص بقدره**) كذا في القوت.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن يحي الأزدي، حدثنا سعيد بن سليمان وقرأته عليه، حدثنا محمد بن عبد الرحمٰن بن محبر، حدثنا موسى بن عقبة، عن سالم بن عبدالله بن عمر أن عمر بن عبد العزيز كتب إليه: من عبيدالله عمر ابن عبد العزيز أمير المؤمنين إلى سالم بن عبدالله سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد؛ فإن الله ابتلاني بما ابتلاني من أمر هذه الأمة من غير مشاورة مني فيها ولا طلبة مني لها إلا قضاء الرحمن وقدره، فاسأل الذي ابتلاني من أمر هذه الأمة بما ابتلاني به أن يعينني على ولائي وأن يرزقني منهم السمع والطاعة وحسن مؤازرة، وأن يرزقهم مني الرأفة والمعدلة، فإذا أتاك كتابي هذا فابعث إلي بكتاب عمر بن الخطاب وسيرته وقضاياه في أهل القبلة وأهل العهد، فإني متبع أثر عمر وسيرته إن أعانني الله على ذلك والسلام.

فكتب إليه سالم بن عبدالله: بسم الله الرحمٰن الرحيم من سالم بن عبدالله بن عمر إلى عبدالله عمر أمير المؤمنين: سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: فإن الله خلق الدنيا وما أراد وجعل لها مدة قصيرة وكان ما بين أولها وآخرها ساعة من نهار، ثم قضى عليها وعلى أهلها الفناء فقال ﴿كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ [القصص: ٨٨] لا يقدر منها أهلها على شيء حتى تفارقهم ويفارقونها. أنزل بذلك كتابه وبعث به رسله وشرع فيه دينه، وأنك اليوم يا عمر قد وليت أمراً عظيماً ليس يليه عليك أحد دون الله، قد أفضى فيما بينك وبين الخلائق، فإن استطعت أن تغنم نفسك وأهلك فافعل ولا حول ولا قوة إلا بالله فإنه كان قبلك رجال عملوا بما عملوا، وأماتوا من الحق ما أماتوا، وأحيوا ما أحيوا من الباطل حتى ولد فيه رجال ونشأوا فيه وظنوا

النية ورب عمل كبير تصغره النية. وقال داود الطائي. البرّ همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوماً إلى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك. وقال الثوري: كانوا يتعلمون النية للعمل كما تتعلمون العمل، وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل، وما دمت تنوي الخير فأنت بخير. وكان بعض المريدين يطوف على

أنها السنة ولم يسدوا على العباد باب رخاء إلا فتح عليهم باب بلاء، فإن استطعت أن تفتح عليهم أبواب الرخاء فإنك لا تفتح منها عليهم باباً إلاّ سد به عنك باب بلاء ولا يمنعك من نزع عامل أن تقول لا أجد من يكفيني عمله فإنك إذا كنت تنزع لله وتعمل لله أتاح الله لك رجالاً وكالاً بأعمال الله، وإنما العون من الله على قدر النية، فإذا تمت نية العبد تم عون الله له، ومن قصرت نيته قصر من الله العون له بقدر ذلك، فإن استطعت أن تأتي الله يوم القيامة ولا يتبعك أحد بظلم فافعل ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم إنك كتبت إلي تسأل أن أبعث إليك بكتاب عمر ابن الخطاب وسيرته وقضائه في المسلمين وأهل العهد، فإن عمر رضي الله عنه عمل في غير زمانك وإني أرجو إن عملت بمثل ما عمل عمر أن تكون عند الله أفضل منزلة من عمر، وقل كما قال العبد الصالح: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب والسلام عليك.

قال: ورواه إسحاق بن سليمان عن حنظلة بن أبي سفيان قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبدالله فذكره مطولاً. ورواه جعفر بن برقان قال: كتب عمر إلى سالم فذكره مختصراً. ورواه معمر بن سليمان الرقي عن الفرات بن سليمان قال: كتب عمر إلى سالم فذكره بطوله.

(وقال بعض السلف): رأيت الخير إنما يجمعه حسن النية وكفاك به خيره، وإن لم تصب **(رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية)** نقله صاحب القوت. قال: وكتب بعض الأولياء إلى أخيه: أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل.

قلت: وسيأتي هذا من حديث معاذ.

(وقال) أبو سليمان **(داود)** بن نصير **(الطائي)** رحمه الله تعالى: **(البر همته التقوى ولو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوماً إلى نية صالحة فكذلك الجاهل بعكس ذلك)** أي: أن الجاهل بالله تعالى وآياته همته الدنيا والهوى ولو تعلقت جوارحه بكل أعمال الصالحات لكان مرجوعاً إلى إرادة الله تعالى وموافقة الهوى، لأن سرها كان همة النفس بعاجل عرض الدنيا كذا في القوت. وروى أبو نعيم في الحلية من طريق محمد بن عبد الوهاب قال: قال داود الطائي: كل نفس ترد إلى همتها فمهموم بخير ومهموم بشر.

(وقال) سفيان **(الثوري)** رحمه الله تعالى: **(كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل)** كذا في النسخ، ولفظ القوت: كما تتعلمون العلم. قال: وقال محمد بن الحسين: ينبغي للرجل أن تكون نيته بين يدي عمله. **(وقال بعض العلماء: أطلب النية للعمل قبل العمل وما**

العلماء يقول من يدلني على عمل لا أزال فيه عاملاً لله تعالى فإني لا أحب أن يأتي علي ساعة من ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمال الله، فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فإذا فترت أو تركته فهم بعمله فإن الهام بعمل الخير كعامله، وكذلك قال بعض السلف: إن نعمة الله عليكم أكثر من أن تحصوها وإنّ ذنوبكم أخفى من أن تعلموها ولكن أصبحوا توّابين وأمسوا توّابين يغفر لكم ما بين ذلك. وقال عيسى عليه السلام: طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتبهت إلى غير إثم، وقال أبو هريرة: يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم وكان الفضيل بن عياض إذا قرأ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ والصَّابِرِينَ وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٤١] يبكي ويرددها ويقول إنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا. وقال الحسن: إنما خلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات. وقال أبو هريرة: مكتوب في التوراة ما أريد به وجهي فقليله كثير، وما أريد به غيري فكثيره قليل، وقال بلال بن سعد: إن العبد ليقول قول

دمت تنوي الخير فأنت بخير) كذا في القوت. (وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول: من يدلني على عمل لا أزال فيه عاملاً لله تعالى فإني لا أحب أن تأتي علي ساعة من ليل أو أنها نهار إلا وأنا عامل من عمال الله تعالى، فقيل له: قد وجدت حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فإذا فترت أو تركته فهم بعمله فإن الهام بعمل الخير كعامله) نقله صاحب القوت. قال: وقال زيد بن أسلم: خصلتان هما كمال أمرك تصبح ولا تهم لله بمعصية وتمسي ولا تهم لله بمعصية. (وكذلك قال بعض السلف) في معناه: (إن نعمة الله تعالى عليكم أكثر من أن تحصوها وأن ذنوبكم أخفى من أن تعلموها، ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك) نقله صاحب القوت. (وقال عيسى عليه السلام: طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتبهت إلى غير إثم) نقله صاحب القوت. (وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: (يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم) وهذا قد رواه أحمد من حديثه مرفوعاً بلفظ «يبعث الناس» وقد تقدم. (وكان الفضيل بن عياض) رحمه الله تعالى: (إذا قرأ) قوله تعالى: (﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ يبكي ويرددها ويقول: يا رب إنك إن بلوتنا أفضحتنا وهتكت أستارنا) رواه أبو نعيم في الحلية، (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: (إنما خلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات) نقله صاحب القوت لأن تخليد الله العبد في الجنة ليس بعمله، وإنما هو بنيته لأنه لو كان بعمله كان خلوده فيها بقدر مدة عمله أو أضعافه، لكنه جازاه بنيته لأنه كان ناوياً أن يطيع الله أبداً لو بقي أبداً، فلما اخترمته جوزي بنيته، وكذا الكافر لأنه لو جوزي بعمله لم يستحق التخليد في النار إلا بقدر مدة كفره، لكنه نوى الإقامة على كفره أبداً لو بقي فجوزي بنيته. (وقال) أبو عمرو (بلال بن سعد) بن تميم الأشعري ثقة عابد فاضل مات في خلافه هشام،

مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله، فإذا عمل لم يدعه الله حتى ينظر في ورعه، فإن تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى، فإن صلحت نيته فبالحري أن يصلح ما دون ذلك فإذاً عماد الأعمال النيات فالعمل مفتقر إلى النية ليصير بها خيراً والنية في نفسها خير وإن تعذر العمل بعائق.

بيان حقيقة النية:

اعلم أنّ النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد، وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران: علم وعمل.

العلم: يقدمه لأنه أصله وشرطه.

والعمل: يتبعه لأنه ثمرته وفرعه، وذلك لأن كل عمل أعني كل حركة وسكون

روى له البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود في القدر، والنسائي: **(إن العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل، وقوله: حتى ينظر ماذا نوى فإن صلحت نيته فبالحري، أن يصلح ما دون ذلك)**. رواه البيهقي في الشعب. فإذاً عماد الأعمال النيات والقطب الذي عليه المدار والوسيلة بعد الإيمان إلى السعادة العظمى في الأولى والعقبى، **(فالعمل مفتقر إلى النية ليصير بها خيراً، والنية في نفسها خير وإن تعذر العمل بعائق)** وليس للشرع عناية في طاعة من الطاعات بعد الإيمان بالله أعظم من اعتنائه بالنية، إذ صحة العبادات أجمعها موقوفة على وجودهما. يعني الإيمان والنية، فهي تلي الإيمان في الرتبة والشرط في صحة الأعمال، فحينئذ يجب عليك فهم حقيقتها وتخليصها مما يشوبها من الحظوظ الدنيوية وجوباً، وعن الأعراض والعوارض الأخروية استحباباً، ثم تفصيل أعمالها وطريق اكتسابها. وقد شرع المصنف في بيان حقيقتها وبيان ما يضاف إليها من الإرادة والعزم والقصد لأنهن من روادفها فقال:

بيان حقيقة النية:

(اعلم أن النية) بالكسر اسم من نواه ينويه إذا قصده والياء مشددة والتخفيف لغة حكاها الأزهري وحذفت اللام وعوض منها الهاء على هذه اللغة، كما قيل في ثبة وظبة وأنشد بعضهم:

أهم القلب حوشي النيات

وفي المحكم: النية مثقلة والتخفيف عن اللحياني وحده وهو على الحذف، وإذا عرفت هذا فاعلم أن النية **(والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها أمران: علم وعمل)**.

(العلم يقدمه لأنه أصله وشرطه).

(والعمل يتبعه لأنه ثمرته وفرعه، وذلك لأن كل عمل أعني كل حركة وسكون

اختياري فإنه لا يتم إلا بثلاثة أمور: علم وارادة وقدرة. لأنه لا يريد الإنسان ما لا يعلمه فلا بدّ وأن يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بدّ من إرادة. ومعنى الإرادة انبعاث القلب إلى ما يراه موافقاً للغرض إما في الحال أو في المآل، فقد خلق الإنسان بحيث يوافقه بعض الأمور ويلائم غرضه، ويخالفه بعض الأمور، فيحتاج إلى جلب الملائم الموافق إلى نفسه ودفع الضارّ المنافي عن نفسه، فافتقر بالضرورة إلى معرفة وإدراك للشيء المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا، فإن من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه أن يتناوله، ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها، فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها أسباباً وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو أبصر الغذاء وعرف انه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل إليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه، إذ المريض يرى الغذاء ويعلم أنه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الداعية المحرّكة إليه، فخلق الله تعالى له الميل والرغبة والإرادة وأعني به نزوعاً في نفسه إليه وتوجهاً في قلبه إليه. ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاماً راغب فيه مريد

اختياري) أي صادر باختيار العبد (**فإنه لا يتم إلا بثلاثة أمور: علم وإرادة وقدرة، لأنه لا يريد الإنسان ما لا يعلمه فلا بد وأن يعلم، ولا يعمل ما لم يرد فلا بدمن إرادة**) تسبق العمل. (**ومعنى الإرادة انبعاث القلب إلى ما يراه موافقاً للغرض إما في الحال أو في المآل، فقد خلق الإنسان يحيث يوافقه بعض الأمور**) ويلائم غرضه ويخالفه بعض الأمور هذا من لطف الله تعالى وكمال حكمته، (**فاحتاج إلى جلب الملائم الموافق**) لطبعه النافع له في العاجل والآجل (**لنفسه و**) إلى (**دفع الضار**) له فيهما (**المنافي**) لطبعه (**عن نفسه، فافتقر بالضرورة إلى معرفة وإدراك للشيء المضر والنافع**) وهو العلم المعرّف له ذلك، (**حتى يجلب هذا ويهرب من هذا، فإن من لا يبصر الغذاء ولا يعرفه لا يمكنه أن يتناوله، ومن لا يبصر النار لا يمكنه الهرب منها، فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها أسباباً وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا، ثم لو أبصر الغذاء وعرف أنه موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل إليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه، إذ المريض يرى الغذاء ويعلم أنه موافق**) له، (**ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والميل**) إليه، (**ولفقد الداعية المحركة إليه فخلق الله تعالى**) بلطفه وحكمته (**الميل والرغبة والإرادة، وأعني به**) أي بمجموع الميل والإرادة والرغبة (**نزوعاً في نفسه إليه وتوجهاً في قلبه إليه**)، فوجود الميل إلى الموافق الملائم والنفرة عن المؤلم المنافر بعد العلم ضروريان لا كسب للعبد فيهما فلا ثواب ولا عقاب عليهما حتى ينصرف عن القلب ما يعارضها ويضادهما من علوم وإرادات لطلب أغراض أخر، لأن المعارضة المضادة تمنع من جرم النية، وإليه أشار المصنف بقوله:

تناوله عاجز عنه لكونه زمناً، فخلقت له القدرة والأعضاء المتحركة حتى يتم به التناول، والعضو لا يتحرّك إلا بالقدرة، والقدرة تنتظر الداعية الباعثة، والداعية تنتظر العلم والمعرفة أو الظن والاعتقاد وهو أن يقوي في نفسه كون الشيء موافقاً له، فإذا جزمت المعرفة بأنّ الشيء موافق ولا بدّ وأن يفعل، وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الإرادة وتحقق الميل، فإذا انبعثت الإرادة انتهضت القدرة لتحريك الأعضاء فالقدرة خادمة للإرادة، والإرادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة. فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الإرادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل إلى ما هو موافق للغرض إما في الحال وإما في المآل. فالمحرّك الأول هو الغرض المطلوب وهو الباعث، والغرض الباعث هو المقصد المنوي، والانبعاث هو القصد والنية، وانتهاض القدرة لخدمة الإرادة بتحريك الأعضاء هو العمل، إلا أن انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد، وإذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان ملياً بإنهاض القدرة، وقد يكون كل واحد قاصراً عنه إلا بالاجتماع، وقد

(ثم ذلك لا يكفيه، فكم من مشاهد طعاماً راغب فيه مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمناً) لا يقدر على التحرك **(فخلقت له القدرة والأعضاء المتحركة حتى يتم به التناول، والعضو لا يتحرك إلا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة، والداعية تنتظر العلم والمعرفة أو الظن والإعتقاد وهو أن يقوي في نفسه كون الشيء موافقاً له، فإذا جزمت المعرفة بأن الشيء موافق ولا بد أن يفعل وسلمت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعثت الإرادة وتحقق الميل، فإذا انبعثت الإرادة انتهت القدرة لتحريك الأعضاء، فالقدرة حادثة عن الإرادة، والإرادة تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة)** فحينئذ يكون هذا كسباً للقلب وعملاً من اعماله يقع عليه الجزاء والثواب، **(فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الإرادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل إلى ما هو موافق للغرض، إما في الحال وإما في المآل، فالمحرك الأول هو الغرض المطلوب وهو الباعث، والغرض الباعث هو المقصد المنوي، والانبعاث هو القصد والنية وانتهاض القدرة لخدمة الإرادة بتحريك الأعضاء هو العمل)**، وبه تبين أن النية والقصد والإرادة ألفاظ متواردة على معنى واحد، وإن حققت فلا بد من تفرقة قريبة، فالنية عبارة عن تمييز الأغراض بعضها عن بعض والقصد هو جمع الهمة نحو الغرض المطلوب، والعزم يقوي القصد وينشطه، وإذا [illegible] الموانع المثبطة لانتهاض القدرة وتتوجه نحوها هذا حقيقة النية. **(إلا أن انتهاض القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل واحد**، وإذا كان بباعثين **فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد كان ملياً بإنهاض** القدرة، وقد يكون كل واحد **قاصراً عنه إلا بالإجتماع**

يكون أحدهما كافياً لولا الآخر لكن الآخر انتهض عاضداً له ومعاوناً. فيخرج من هذا التقسيم أربعة أقسام فلنذكر لكل واحد مثالاً واسماً.

أما الأول: فهو أن ينفرد الباعث الواحد ويتجرّد، كما إذا هجم على الإنسان سبع فكلما رآه قام من موضعه، فلا مزعج له إلا غرض الهرب من السبع فإنه رأى السبع وعرفه ضاراً فانبعثت نفسه إلى الهرب ورغبت فيه، فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث، فيقال: نيته الفرار من السبع لا نية له في القيام لغيره، وهذه النية تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها «إخلاصاً» بالإضافة إلى الغرض الباعث، ومعناه أنه خلص عن مشاركة غيره وممازجته.

وأما الثاني: فهو أن يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالإنهاض لو انفرد. ومثاله من المحسوس أن يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوّة كان كافياً في الحمل لو انفرد. ومثاله في غرضنا أن يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره وقرابته، وعلم أنه لولا فقره لكان يقضيها بمجرّد القرابة وأنه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر، وعلم

وقد يكون أحدهما كافياً لولا الآخر لكن الآخر انتهض عاضداً له ومعاوناً) كل ذلك بحسب الأغراض المطلوبة، **(فيخرج من هذا التقسيم أربعة أقسام، فلنذكر لكل واحد مثالاً)** من المحسوس **(واسما)**.

(أما الأول: فهو أن ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما إذا هجم على الإنسان سبع) أو جلس في مجرى سيل **(فكلما رآه)** أي واحداً منهما مقبلاً عليه **(قام)** هارباً **(من موضعه)** خوفاً مما دهاه، **(فلا مزعج له إلا غرض الهرب من السبع)** أو السيل **(فإنه رأى السبع وعرفه ضاراً)** وكذا السيل **(فانبعثت نفسه إلى الهرب ورغبت فيه، فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث، فيقال: نيته الفرار من السبع)** أو السيل **(لا نية له في القيام لغيره، وهذه النية)** في الهرب **(تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها «إخلاصاً» بالإضافة إلى الغرض الباعث، ومعناه أنه خلص عن مشاركة غيره وممازجته)**. فأما إذا اقترن بالنية باعث آخر يجري مجرى المرافقة أو المعاونة والمشاركة فلا يسمى إخلاصاً.

(وأما الثاني: فهو أن يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالإنهاض) للقدرة **(لو انفرد. ومثاله من المحسوس أن يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كافية في الحمل لو انفردت. ومثاله في غرضنا أن يسأله قريبه الفقير حاجة)** من حوائجه **(فيقضيها لفقره وقرابته، وعلم أنه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة ولولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر، وعلم ذلك من نفسه بأن يحضره قريب غني فيرغب في قضاء حاجته وفقير**

ذلك من نفسه بأن يحضره قريب غني فيرغب في قضاء حاجته، وفقير أجنبي فيرغب أيضاً فيه. وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم أنه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حمية، ولولا الحمية لكان يتركه لأجل أنه يوم عرفة، وقد اجتمعا جميعاً فأقدم على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الأوّل، فلنسمّ هذا مرافقة للبواعث».

والثالث: أن لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي بمجموعها على إنهاض القدرة. ومثاله في المحسوس أن يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد أحدهما به. ومثاله من غرضنا أن يقصده قريبه الغني فيطلب درهماً فلا يعطيه ويقصده الأجنبي الفقير فيطلب درهماً فلا يعطيه، ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه، فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر، وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثناء، ويكون بحيث لو كان منفرداً لكان لا يبعثه مجرّد قصد الثواب على العطاء، ولو كان الطالب فاسقاً لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء، ولو اجتمعا أورثا بمجموعها تحريك القلب. ولنسمّ هذا الجنس «مشاركة».

أجنبي فيرغب أيضاً فيه، وكذلك من أمره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة) وهو تاسع ذي الحجة **(فصام وهو يعلم أنه لو لم يكن عرفة لكان يترك الطعام حمية)** لأنه له غرض فيها أي لو استغنى عن الصوم كان يحتمي، **(ولولا الحمية)** أي لو استغنى عنها **(لكان)** يصوم **(ويتركه)** أي الأكل **(لأجل أنه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعاً فأقدم على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الأول)** لأنه لم يؤثر في الصوم حقه ولكنه رافقه مرافقة، **(فلنسم هذا مرافقة للبواعث)** وهي تشوب العمل والرجاء من رحمة الشرع أن يثاب عليه ولكن لا يقع موقع الرضا.

(الثالث: أن لا يستقل كل واحد لو انفرد ولكن قوي بمجموعها على إنهاض القدرة. ومثاله في المحسوس أن يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد أحدهما به، ومثاله من غرضنا أن يقصده قريبه الغني فيطلب درهماً فلا يعطيه، ويقصده الأجنبي الفقير فيطلب درهماً فلا يعطيه، ثم يقصده الفقير القريب فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر، وكذلك الرجل يتصدق بين يدي الناس لغرض الثواب وغرض الثناء، ويكون بحيث لو كان منفرداً لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطاء، ولو كان الطالب فاسقاً لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد الرياء على العطاء، ولما اجتمعا أورثا بمجموعها تحريك القلب. ولنسم هذا الجنس مشاركة) وهذا لا شك في بطلانه وإحباط ثوابه فلا له ولا عليه إلا إن كان باعث الرياء أقوى فإنه يأثم بمقدار قوته

والرابع: أن يكون أحد الباعثين مستقلاً لو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل. ولكن لما انضاف إليه لم ينفك عن تأثير بالإعانة والتسهيل، ومثاله في المحسوس أن يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل ولو انفرد القوي لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل، فإن ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه. ومثاله في غرضنا أن يكون للإنسان ورد في الصلاة وعادة في الصدقات فاتفق أن حضر في وقتها جماعة من الناس. فصار الفعل أخف عليه بسبب مشاهدتهم، وعلم من نفسه أنه لو كان منفرداً خالياً لم يفتر عن عمله، وعلم أنّ عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرّد الرياء يحمله عليه، فهو شوب تطرّق إلى النية. ولنسمّ هذا الجنس «المعاونة».

فالباعث الثاني إما أن يكون رفيقاً أو شريكاً أو معيناً. وسنذكر حكمها في باب الإخلاص. والغرض الآن بيان أقسام النيات، فإن العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه. ولذلك قيل: «إنما الأعمال بالنيات» لأنها تابعة لا حكم لها في نفسها وإنما الحكم للمتبوع.

وزيادته، أو كان باعث الثواب أقوى فإنه يثاب بقدر قوته وزيادته. وهذا تحقيق قوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره★ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

(والرابع: أن يكون أحد الباعثين مستقلاً لو انفرد بنفسه، والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف إليه لم ينفك عن تأثير بالإعانة والتسهيل. ومثاله من المحسوس أن يعاون الضعيف الرجل القوي على الحمل، ولو انفرد القوي لاستقل، ولو انفرد الضعيف لم يستقل، فإن ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تحقيقه. ومثاله في غرضنا أن يكون للإنسان ورد في الصلوات وعادة في الصدقات فاتفق أن حضر في وقتها جماعة من الناس فصار الفعل أخف عليه بسبب مشاهدتهم، وعلم من نفسه أنه لو كان منفرداً خالياً لم يفتر عن عمله، وعلم أن عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء يحمله عليه فهو شوب تطرق إلى النية، ولنسم هذا الجنس «المعاونة»). وهذه حالة مخوفة لأنها تدل على إجلال غير الله تعالى والتماس الثناء عليهم.

(فالباعث الثاني إما يكون رفيقاً أو شريكاً أو معيناً وسنذكر حكمها) أي حكم هؤلاء الثلاثة وهي المرافقة والمشاركة والمعاونة **(في باب الإخلاص، والغرض الآن بيان أقسام النيات فإن العمل تابع للباعث عليه فيكتسب الحكم منه، ولذلك قيل)** في الخبر **(«إنما الأعمال بالنيات» لأنها)** أي الأعمال **(تابعة لا حكم لها في نفسها وإنما الحكم للمتبوع)** الذي هو النية.

بيان سر قوله ﷺ: «نية المؤمن خير من عمله»:

اعلم أنه قد يظن أن سبب هذا الترجيح أنّ النية سر لا يطلع عليه إلا الله تعالى، والعمل ظاهر، ولعمل السر فضل. وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد: لأنه لو نوى أن

بيان سر قوله ﷺ «نية المؤمن خير من عمله»:

قال العراقي: رواه الطبراني من حديث سهل بن سعد، ومن حديث النواس بن سمعان وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: في سياق كل من الطريقين زيادات كما نذكرها، وأما هذا الذي أورده المصنف فرواه العسكري في الأمثال والقضاعي في مسند الشهاب، والبيهقي في الشعب، وابن عساكر في أماليه من طريق ثابت البناني عن أنس مرفوعاً إلا أنهم قالوا: «أبلغ» بدل «خير». وقال البيهقي إسناده ضعيف، وقال ابن عساكر غريب من هذا الوجه، وقال ابن دحية: إنه لا يصح، وجزم الزركشي بأنه ضعيف، وتبعه السيوطي في الدرر وكأنه لأجل أبي عبد الرحمٰن السلمي فقد تكلم فيه جماعة بأنه وضّاع، ومن ثم حكم ابن الجوزي بوضعه ولم يصب فله طرق بمجموعها يتقوى الحديث، وقد رواه أيضاً الحكيم والعسكري عن ثابت البناني بلاغاً.

وأما لفظ حديث سهل بن سعد «نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيته وكل يعمل على نيته فإذا عمل المؤمن عملاً ثار في قلبه نور». أخرجه الطبراني في الكبير، والخطيب في التاريخ، والضياء في المختارة. قال الهيتمي: رجاله موثقون إلا حاتم بن عباد بن دينار لم أر من ذكر له ترجمة انتهى.

فحينئذ إطلاق العراقي القول بالضعف فيهم محل نظر، ولفظ حديث النواس «نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر خير من عمله» هكذا هو لفظ العسكري في الأمثال. وقد أخرج الطبراني مثله. وقد حكم العراقي بضعفه أيضاً، وقد روي أيضاً من حديث أبي موسى الأشعري «نية المؤمن خير من عمله إن الله عز وجل ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله وذلك أن النية لا رياء فيها والعمل يخالطه الرياء» أخرجه الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف. هذا ما يتعلق بتخريج الحديث. ولنرجع إلى معناه، قال المصنف رحمه الله تعالى:

(**اعلم أنه قد يظن أن سبب هذا الترجيح أن النية سر**) لأنه من عمل القلب (**لا يطلع عليه إلا الله تعالى، والعمل ظاهر**) لأنه من الجوارح يطلع عليه، (**ولعمل السر فضل**) على عمل العلانية، وهذا الذي قرره المصنف يخرج منه وجهان في الترجيح، وتقرير ذلك أن النية سر وأعمال السر تضاعف، فهذا وجه، والثاني أن النية غيب لا يطلع عليه غير الله تعالى والظواهر مشتركة، (**وهذا صحيح**) في نفسه، وقد قرره غالب شراح الحديث واعتمدوه وإليه يشير ما في حديث أبي موسى عند الديلمي الذي تقدم قريباً وهو «أن النية لا رياء فيها والعمل يخالطه الرياء» أي لكونها عمل السر وهو سبب المضاعفة فيكون سبب الترجيح، (**ولكن ليس هو المراد**) من

يذكر الله بقلبه أو يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث أن تكون نية التفكر خيراً من التفكر، وقد يظن أنّ سبب الترجيح أنّ النية تدوم إلى آخر العمل والأعمال لا تدوم وهو ضعيف، لأن ذلك يرجع معناه إلى أنّ العمل الكثير خير من القليل، بل ليس كذلك فإن نية أعمال الصلاة قد لا تدوم إلا في لحظات معدودة والأعمال تدوم، والعموم يقتضي أن تكون نيته خيراً من عمله. وقد يقال: إن معناه أنّ النية بمجرّدها خير من العمل بمجرّده دون النية، وهو كذلك ولكنه بعيد أن يكون هو المراد، إذ العمل بلا نية أو على الغفلة لا خير فيه أصلاً، والنية بمجرّدها خير؛ وظاهر الترجيح للمشتركين في أصل الخير، بل المعنى به أنّ كل طاعة تنتظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خير من

الحديث (**لأنه لو نوى أن يذكر الله بقلبه أو يتفكر في مصالح المسلمين، فيقتضى عموم الحديث أن يكون نية التفكر خيراً من التفكر**) أو نية الذكر خيراً من الذكر وهذا لا يعوّل عليه، (**وقد يظن أن سبب الترجيح أن النية متصلة تدوم إلى آخر العمل والأعمال**) منقطعة (**لا تدوم**) فبالنية خلد أهل التوحيد في الجنة، وخلد أهل الشرك في النار لدوام نياتهم على التوحيد ودوام نيات الآخرين على الشرك مدة الدهر، (**وهو**) أيضاً صحيح وإليه يشير كلام الحسن البصري المتقدم واعتمده بعض شراح الحديث وقرره وبسط فيه، لكنه (**ضعيف لأن ذلك يرجع معناه إلى أن العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فإن نية أعمال الصلاة قد تدوم إلا في لحظات معدودة والأعمال تدوم، والعموم**) في الحديث (**يقتضي أن تكون نيته خيراً من عمله**) مع أنها انقطعت والعمل دام، (**وقد يقال: إن معناه أن النية بمجردها خير من العمل بمجرده دون النية**) وتقرير هدا القول على وجهين:

الأول: أن يقال النية من شرط العمل لا يصح عمل إلا بها وهي تصح بمجردها هكذا قرره صاحب القوت.

الثاني: أن يقال إن النية خير من العمل بلا نية إذ لو كان المراد خيراً من العمل مع نية لزم كون الشيء خيراً من نفسه مع غيره، والمراد أن الجزء الذي هو النية خير من الجزء الذي هو العمل. هكذا قرره الكرماني شارح البخاري.

(**وهو كذلك**) أي صحيح في نفسه، (**ولكنه بعيد أن يكون هو المراد**) من الحديث (**إذ العمل بلا نية أو على الغفلة لا خير فيه أصلاً والنية بمجردها خير وظاهر والترجيح للمشتركين في أصل الخير**) وهنا لا اشتراك، فهذه ثلاثة أوجه وهي ترجع إلى أربعة، وفيه أقوال أخر يأتي ذكرها في آخر البحث، (**بل المعنى به**) في الحديث (**أن كل طاعة تنتظم بنية وعمل كانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات، ولكن النية من جملة**)

العمل، أي لكل واحد منهما أثر في المقصود وأثر النية أكثر من أثر العمل، **فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته، والغرض أن للعبد** اختياراً في النية وفي العمل، **فهما عملان والنية من الجملة خيرهما؛ فهذا معناه.**

وأما سبب كونها خيراً ومترجحة على العمل **فلا يفهمه إلا من فهم مقصد الدين** وطريقه ومبلغ أثر الطريق في الاتصال إلى المقصد **وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر** له بعد ذلك الأرجح بالإضافة إلى المقصود، **فمن قال:** الخبز خير من الفاكهة، **فإنما** يعني به انه خير بالإضافة إلى مقصود القوت والاغتذاء، **ولا يفهم ذلك إلا من فهم أن** للغذاء مقصداً وهو الصحة والبقاء، وأنّ الأغذية مختلفة الآثار فيها، **وفهم أثر كل واحد** وقاس بعضها بالبعض **فالطاعات غذاء للقلوب، والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في** الآخرة، وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى، **فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله فقط، ولن** يتنعم بلقاء الله إلا من مات محباً لله تعالى عارفاً بالله، **ولن يحبه إلا من عرفه ولن يأنس**

الطاعة خير من العمل أي لكل واحد منهما أثر في المقصود، وأثر النية أكثر من أثر العمل، فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هو من جملة طاعته، والغرض) من بيان الحديث **(أن للعبد اختياراً في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرهما، فهذا معناه)**. وقد قرره صاحب القوت فقال: وفيه وجه آخر يكون الكلام على التقديم والتأخير أي نية المؤمن هي من عمله خير كأنه قال: هي بعض أعماله الخير، فهذا كقوله ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ [البقرة: ١٠٦] معناه نأت منها بخير، وكما قال تعالى: ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ [الأعراف: ١٨٧] معناه يسألونك عنها كأنك حفي بهم وأخر قوله عنها ومعناه التقديم، فيكون على هذا التأويل أن النية من أعمال القلوب وأنها من عمل العبد خير كثير اهـ. وهو صحيح ولكنه عند التأمل يرجع إلى الوجه الأول الذي قررناه، ومع ذلك فلا يخلو من تكلف من جهة التقديم والتأخير، ولعل المصنف غير في التعبير لأجل ذلك.

(وأما سبب كونها خيراً ومترجحة على العمل فلا يفهمه إلا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ أثر الطريق في الاتصال إلى المقصد، وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الأرجح بالإضافة إلى المقصود، فمن قال: الخبز خير من الفاكهة فإنما يعني به بأنه خير بالإضافة إلى مقصود القوت والاغتذاء، ولا يفهم ذلك إلا من فهم أن للغذاء مقصداً وهو الصحة والبقاء، وأن الأغذية مختلفة الآثار فيها وفهم أثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض، فالطاعات غذاء للقلوب) كما أن الأطعمة غذاء للجوارح. **(والمقصود شفاؤها وبقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتنعمها بلقاء الله تعالى، فالمقصد لذة السعادة بلقاء الله فقط)** وهذه هي سعادة الآخرة، **(ولن يتنعم بلقاء الله إلا من مات محباً لله**

به إلا من طال ذكره له. فالأنس يحصل بدوام الذكر، والمعرفة تحصل بدوام الفكر، والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة، ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر إلا إذا فرغ من شواغل الدنيا، ولن يتفرّغ من شواغلها إلا إذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير مائلاً إلى الخير مريداً له نافراً عن الشر مبغضاً له، وإنما يميل إلى الخيرات والطاعات إذا علم أنّ سعادته في الآخرة منوطة بها، كما يميل العاقل إلى الفصد والحجامة لعلمه بأن سلامته فيها. وإذا حصل أصل الميل بالمعرفة فإنما يقوى بالعمل بمقتضى الميل، والمواظبة عليه، فإنّ المواظبة على مقتضى صفات القلب وإرادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح الصفة وتقوى بسببها. فالمائل إلى طلب العلم أو طلب الرئاسة لا يكون ميله في الابتداء إلا ضعيفاً، فإن اتبع مقتضى الميل واشتغل بالعلم وتربية الرئاسة والأعمال المطلوبة لذلك تأكد ميله ورسخ وعسر عليه النزوع، وإن خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر وربما زال وانمحق. بل الذي ينظر إلى وجه حسن مثلاً فيميل إليه طبعه ميلاً ضعيفاً، لو تبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمحاورة تأكد ميله حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه، ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل،

تعالى عارفاً بالله تعالى ولن يحبه إلا من عرفه) المعرفة الخاصة **(ولن يأنس به إلا من طال ذكره له)** في سائر أحواله. **(فالأنس يحصل بدوام الذكر، والمعرفة)** تحصل **(بدوام الفكر)** بمراقبة القلب، **(والمحبة تتبع المعرفة بالضرورة)** لأنها ثمرتها، **(ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر إلا إذا فرغ من شواغل الدنيا، ولن يتفرغ من شواغلها إلا إذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير مائلاً إلى الخير مريداً له نافراً عن الشر مبغضاً له، وإنما يميل إلى الخيرات والطاعات إذا علم أن سعادته في الآخرة منوطة بها كما يميل العاقل إلى الفصد** والحجامة لعمله بأن سلامته فيها، وإذا حصل أصل الميل بالمعرفة فإنما يقوى بالعمل بمقتضى الميل والمواظبة عليه، **فإن المواظبة على مقتضى صفات القلب وإرادتها بالعمل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى تترشح الصفة ويقوى بسببها، فالمائل إلى طلب العلم أو طلب الرئاسة لا يكون ميله في الابتداء إلا ضعيفاً فإن اتبع مقتضى الميل واشتغل بالميل وتربية الرئاسة والأعمال المطلوبة بذلك تأكد ورسخ)** أي ثبت **(وتعسر عليه النزوع)** عنه، **(وإن خالف مقتضى ميله ضعف ميله وانكسر، وربما زال وانمحق، بل الذي ينظر إلى وجه حسن مثلاً فيميل إليه طبعه ميلاً ضعيفاً ولو تبعه وعمل بمقتضاه فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمجاورة حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على النزوع عنه، ولو فطم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميله لكان ذلك كقطع القوت والغذاء عن صفة الميل**

ويكون ذلك زبراً ودفعاً في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه وينقمع وينمحي. وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي تراد بها الآخرة، والشرور كلها هي التي تراد بها الدنيا لا الآخرة. وميل النفس إلى الخيرات الأخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرّغها للذكر والفكر، ولن يتأكد ذلك إلا بالمواظبة على أعمال الطاعة وترك المعاصي بالجوارح، لأنّ بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى أنه يتأثر كل واحد منهما بالآخر، فترى العضو إذا أصابته جراحة تألم بها القلب، وترى القلب إذا تألم بعلمه بموت عزيز من أعزته أو بهجوم أمر مخوف تأثرت به الأعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون، إلا أنّ القلب هو الأصل المتبوع فكأنه الأمير والراعي، والجوارح كالخدم والرعايا والأتباع. فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيه، فالقلب هو المقصود والأعضاء آلات موصلة إلى المقصود، ولذلك قال النبي ﷺ: « إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ». وقال عليه السلام: « اللهم اصلح الراعي والرعية ».

ويكون) ذلك (**زبراً**) أي منعاً بشدة (**ودفعاً في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه وينقمع وينمحى، وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي تراد بها الآخرة، والشرور كلها هي التي تراد بها الدنيا للدنيا لا للآخرة، وميل النفس إلى الخيرات الأخروية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر، ولن يتأكد ذلك إلا بالمواظبة على أعمال الطاعات وترك المعاصي بالجوارح، لأن بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى أنه يتأثر كل واحد منهما بالآخر، فترى العضو إذا أصابته جراحة تألم بها القلب، وترى القلب إذا تألم بعلمه بموت عزيز من أعزته أو بهجوم أمر مخوف تأثرت به الأعضاء وارتعدت الفرائص وتغير اللون إلا أن القلب هو الأصل المتبوع وكأنه الأمير والراعي**) أي بمنزلتهما، (**والجوارح**) كلها (**كالخدم والرعايا والأتباع**) أي بمنزلتها، (**فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيه فالقلب هو المقصود**) الأعظم (**والأعضاء آلات موصلة إلى المقصود، ولذلك قال النبي ﷺ « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد »**) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير وقد تقدم. (**وقال ﷺ « اللهم أصلح الراعي والرعية »**) قال العراقي لم أجده وقد تقدم. (**وأراد بالراعي القلب**) وبالرعية الجوارح، وكأنه قال: اللهم أصلح الظاهر والباطن. وقال صاحب القوت: وقد ضرب النبي ﷺ مثل القلب بالملك والجوارح جنوده قال: « وإذا صلح القلب صلح الجسد وإذا فسد فسد الجسد » معناه فإذا صلحت للعبد نيته دامت للعبد استقامته، وإذا خلص وصفا من شوب الكدر والهوى خلصت الأعمال من الرياء وصفت من الشهوات والأهواء، وإذا فسدت نيته بحب الدنيا فسدت أعمال الجوارح بحب المدح والرياء. وقال أيضاً: أول سلطان العدو على القلب عند فساد النية فإذا تغيرت من العبد طمع فيه فيتسلط عليه، وأول ارتداد العبد عن الاستقامة ضعف النية فإذا ضعفت النية قويت النفس فتمكن

وأراد بالراعي القلب. وقال الله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧]، وهي صفة القلب، فمن هذا الوجه يجب لا محالة أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح، ثم يجب أن تكون النية من جملتها أفضل لأنها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له. وغرضنا من الأعمال بالجوارح أن يعوّد القلب إرادة الخير ويؤكد فيه الميل إليه ليفرغ من شهوات الدنيا ويكب على الذكر والفكر، فبالضرورة يكون خيراً بالإضافة إلى الغرض لأنه متمكن من نفس المقصود، وهذا كما أن المعدة إذا تألمت فقد تداوى بأن يوضع الطلاء على الصدر وتداوى بالشرب والدواء الواصل إلى المعدة، فالشرب خير من طلاء الصدر لأن طلاء الصدر أيضاً إنما أريد به أن يسري منه الاثر إلى المعدة، فما يلاقي عين المعدة فهو خير وأنفع.

فهكذا ينبغي أن تفهم تأثير الطاعات كلها، إذ المطلوب منها تغيير القلوب وتبديل

الهوى، وإذا قويت النية صح العزم وضعفت صفات النفس، ولأن ينتقل العبد من معصية إلى معصية فيكون تاركاً للأول بنية الترك لأجل الله تعالى كان أنفع له وأحمد عاقبة وأصلح لقلبه وأقرب إلى توبته من افتعال الطاعات مشوبة بالهوى وفساد النيات، لأنه حينئذ يكون متقلباً في المعاصي بفساد نيته وخالط عملاً سيئاً بسيء مثله ودرأ بالسيء السيئة قبلها، وهذا بخلاف وصف الله تعالى من قوله ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾ [التوبة: ١٠٢] وقوله: ﴿ويدرؤن بالحسنة السيئة﴾ [الرعد: ٢٢] ومخالف لأمر رسول الله ﷺ « اتبع السيئة الحسنة تمحها » اهـ.

(وقال الله تعالى: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ وهو صفة القلب، فمن هذا الوجه يجب لا محالة أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح ثم يجب أن تكون النية من جملتها) أي أعمال القلب **(أفضل لأنها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له، وغرضها من الأعمال بالجوارح أن يعوّد القلب إرادة الخير ويؤكد فيه الميل ليفرغ من شهوات الدنيا)** ووساوس النفس، **(ويكب على الذكر والفكر فبالضرورة يكون خيراً بالإضافة إلى الغرض لأنه متمكن من نفس المقصود وهذا كما أن المعدة)** التي هي حوض البدن **(إذا تألمت فقد تداوى بأن يوضع الطلاء على الصدر ويداوى بالشرب والدواء الواصل إلى المعدة، فالشرب خير من طلاء الصدر لأن طلاء الصدر أيضاً إنما أريد به أن يسري منه الأثر إلى المعدة فما يلاقي عين المعدة فهو خير وأنفع)** لقرب التأثير.

(فهكذا ينبغي أن تفهم تأثير الطاعات كلها إذ المطلـوب منها تغيير القلوب وتبديل

صفاتها فقط دون الجوارح. فلا تظنن أنّ في وضع الجبهة على الأرض غرضاً من حيث أنه جمع بين الجبهة والأرض، بلى من حيث أنه بحكم العادة تؤكد صفة التواضع في القلب، فإنّ من يجد في نفسه تواضعاً، فإذا استكان بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه، ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فإذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه، ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيداً أصلاً، لأنّ من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظانّ أنه يمسح ثوباً لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه، لتأكيد الرقة، وكذلك من يسجد غافلاً وهو مشغول الهم بأعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الأرض أثر إلى قلبه يتأكد به التواضع، فكان وجود ذلك كعدمه، وما ساوى وجوده عدمه بالإضافة إلى الغرض المطلوب منه يسمى باطلاً، فيقال: العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه هذا إذا فعل عن غفلة، فإذا قصد به رياء أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شراً، فإنه لم يؤكد الصفة المطلوب تأكيدها حتى أكد الصفة المطلوب قمعها وهي صفة الرياء التي هي من الميل إلى الدنيا. فهذا وجه كون النية خيراً من

صفاتها فقط دون الجوارح، فلا تظنن أن في وضع الجبهة على الأرض غرضاً من حيث أنه جمع بين الجبهة والأرض، بل من حيث أنه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع، ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فإذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه)، وقد ورد في مسح رأس اليتيم عدة أخبار، منها: عن أبي أمامة رفعه: «من مسح رأس يتيم لا يمسحه إلا لله فإن له بكل شعرة مرت على يده حسنة» الحديث. رواه ابن المبارك وأحمد والطبراني والحاكم وصاحب الحلية، **(ولهذا لم يكن العمل بغير نية مفيداً أصلاً لأن من يمسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظان أنه يمسح ثوباً لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكيد الرقة، وكذلك من يسجد غافلاً وهو مشغول الهم باعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعها على الأرض أثر إلى قلبه يتأكد به التواضع به، فكان وجود ذلك كعدمه وما ساوى وجوده عدمه بالإضافة إلى الغرض المطلوب منه يسمى باطلاً، فيقال: العبادة بغير نية باطلة وهذا معناه)**، ومفهوم هذا تقدير صحة الأعمال بالنيات في حديث: «إنما الأعمال بالنيات» وقد تقدم الكلام عليه قريباً، وفيه اشتراط النية لصحة العبادة. قال العراقي في شرح التقريب: وقد اتفق العلماء على ذلك في العبادة المقصودة لعينها التي ليست وسيلة إلى غيرها، وحكى أبو الوليد بن رشد المالكي في كتابه «بداية المجتهد» اتفاق العلماء على اشتراط النية في العبادات. وحكى الاختلاف في الوضوء لاختلافهم في أنه مقصد أو وسيلة. وحكى ابن التين أنهم لا يختلفون أن العبادة المحضة مفتقرة إلى النية والعبادة المفهومة المعنى غير مفتقرة إلى النية. **(هذا إذا فعل عن غفلة فإن قصد به رياء أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كعدمه بل زاده شراً، فإنه لم يؤكد الصفة المطلوب تأكيدها حتى أكد الصفة المطلوب قمعها وهي صفة الرياء التي هي من الميل إلى الدنيا. فهذا وجه**

العمل. وبهذا أيضاً يعرف معنى قوله ﷺ: « من همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة » لأن هم القلب هو ميله إلى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهي غاية الحسنات،

كون النية خيراً من العمل) وقد ذكرت في سبب الترجيح وجوه أخرى غير ما ذكره المصنف.

فمنها: أن الله عز وجل يهب النية للعبد خالصة لا يشوبها شيء إذا وهبها ولا تدخل عليها الآفات، فهذا عطاء مهنأ وسائر الأعمال مدخولة نقله صاحب القوت.

ومنها: أن المراد إخلاصه في العمل خير من العمل نقله صاحب القوت عن عبد الرحيم بن يحي الأسود قال: فالإخلاص بغير عمل خير من عمل غير مخلص، والنية عنده هو نفس الإخلاص وعند غيره هو الصدق في الحال باستواء السريرة والعلانية، وسيأتي الكلام على الإخلاص والصدق.

ومنها: أن النية فعل القلب وفعل الأشرف مشرف.

ومنها: أن القصد من الطاعة تنوير القلب وتنويره بها أكثر لأنها صفته.

ومنها: أن النية عبودية القلب والعمل عبودية الجوارح وعمل القلب أبلغ وأنفع وهو أمير الجوارح، وهذه الوجوه الثلاثة الأخيرة مفهومة من سياق المصنف عند التأمل.

ومنها: ما قاله البيضاوي في تفسير قوله تعالى ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ [البقرة: ٢٦١] بفضله على حساب حال المنفق من إخلاصه وتعبه، ومن أجله تفاوتت الأعمال في مقادير الثواب، فالمعنى أن جنس النية راجح على جنس العمل بدلالة أن كلا من الجنسين إذا انفرد عن الآخر يثاب على الأول دون الثاني، وهذا لا يتمشى في حق الكافر ولذا قال « نية المؤمن خير من عمله » اهـ.

ومنها: أن العمل يدخل تحت الحصر والنية لا إذ المتحقق في إيمانه عقد نيته على أن يطيع الله ما أحياه ولو أماته ثم أحياه وثم وثم، وهذا اعتقاد منبرم مستدام فيترتب له من الجزاء على نيته ما كان يترتب له على عمله.

ومنها: أن المؤمن كلما عمل خيراً نوى أن يعمل ما هو خير منه فليس لنيته في الخير منتهى، والفاجر كلما عمل شراً نوى أن يعمل ما هو شر منه فليس لنيته في الشر منتهى.

ومنها: أن المؤمن ينوي أن يصوم النهار ويقوم الليل ويخرج من ماله فلا تتابعه نفسه على ذلك فنيته أبلغ من عمله، وهذا نقل عن ثابت البناني أحد رواة هذا الحديث كما في القوت.

ومنها: أن النية هي التي تقلب العمل الصالح فاسداً والفاسد صالحاً فكانت أبلغ وأنفع، فهذه عشرة أوجه غير التي ذكرها المصنف يكون الجميع خمسة عشر وجهاً.

(وبهذا أيضاً يعرف معنى قوله ﷺ « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ») تقدم وتمامه « فإن عملها كتبت له عشر حسنات » **(لأن هم القلب هو ميله إلى الخير وانصرافه عن**

وإنما الإتمام بالعمل يزيدها تأكيداً، فليس المقصود من إراقة دم القربان الدم واللحم، بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها إيثاراً لوجه الله تعالى، وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وإن عاق عن العمل عائق ﴿فَلَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالَهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] والتقوى ههنا أعني القلب؛ ولذلك قال ﷺ: «إن قوماً بالمدينة قد شركونا في جهادنا» كما تقدّم ذكره لأنّ قلوبهم في صدق إرادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة وإعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين في الجهاد وإنما فارقوهم بالأبدان لعوائق تخص الأسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب إلا لتأكيد هذه الصفات. وبهذه المعاني تفهم جميع الأحاديث التي أوردناها في فضيلة النية فأعرضها عليها لينكشف لك أسرارها فلا نطول بالإعادة.

الهوى و) عن (**حب الدنيا وهي غاية الحسنات، وإنما الإتمام بالعمل يزيدها تأكيداً فليس المقصود من إراقة دم القربان الدم واللحم، بل ميل القلب عن حب الدنيا وبذلها إيثاراً**) لوجه (**الله تعالى، وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة، وإن عاق عن العمل عائق فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم**) كما في الكتاب العزيز. (**والتقوى ههنا أعني القلب**) وهذا قد رواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة بلفظ «التقوى ههنا» قاله ثلاثاً وأشار إلى القلب. (**ولذلك قال ﷺ «إن أقواماً بالمدينة قد شركونا في جهادنا» كما تقدم ذكره**) قريباً (**لأن قلوبهم في صدق إرادة الخير وبذل المال والنفس والرغبة في طلب الشهادة وإعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الخارجين في الجهاد، وإنما فارقوهم بالأبدان لعوائق تخص الأسباب الخارجة عن القلب وذلك غير مطلوب إلا لتأكيد هذه الصفات**)، وفي هذا السياق رد على من زعم أن حديث «من هم بحسنة» مضاد لحديث «نية المؤمن خير من عمله» لدلالته على ترجيح العمل.

(**وبهذه المعاني تفهم جميع الأحاديث التي أوردناها في فضيلة النية فاعرضها عليها لتنكشف لك أسرارها فلا نطول بالإعادة**). قال الكمال محمد بن إسحاق الصوفي في مقاصد المنجيات: سألت الإمام عز الدين بن عبد السلام عن ترجيح النية على العمل فأجاب: إن الوسيلة ليست أفضل من مقصودها اهـ.

قال: وهذا بحسب نظر الناظر فمن نظر إلى أن النية وسيلة محثة على العمل قال: العمل أفضل من النية لأنه مقصودها كمن نوى أن يتصدق بمال ثم تصدق به كان فضل العمل بقدر ما أدخل من السرور على قلوب الفقراء والصالحين لسد خلتهم، ومن نظر إلى أعمال الجوارح المنوطة بالنية هي وسائل لتقوية النية قال: النية أفضل إذ الأعمال بهذا الاعتبار وسيلة إلى تقوية النية وكأنها وسيلة أولاً مقصودة آخراً، وهذا معنى ما ذكره الإمام الغزالي وهو نظر صحيح لمن تأمله والله أعلم.

بيان تفضيل الأعمال المتعلقة بالنية:

اعلم أنّ الأعمال وإن انقسمت أقساماً كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصوّر إحصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة أقسام: طاعات ومعاص ومباحات.

القسم الأوّل: المعاصي:

وهي لا تتغير عن موضعها بالنيّة، فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات» فيظن أنّ المعصية تنقلب طاعة بالنية، كالذي يغتاب إنساناً مراعاة لقلب غيره، أو يطعم فقيراً من مال غيره، أو يبني مدرسة أو مسجداً أو رباطاً بمال حرام؛ وقصده الخير. فهذا كله جهل، والنية لا تؤثر في إخراجه عن كونه ظلماً وعدواناً ومعصية. بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر، فإن عرفه فهو معاند للشرع، وإن جهله فهو عاص بجهله إذ طلب العلم فريضة على

بيان تفضيل الأعمال المتعلقة بالنية:

(**اعلم**) أرشدك الله تعالى (**أن الأعمال وإن انقسمت أقساماً كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك مما لا يتصور إحصاؤه واستقصاؤه فهي ثلاثة أقسام: طاعات ومعاص ومباحات**) كأنه يشير إلى بيان الأعمال التي ذكرت في حديث «إنما الأعمال بالنيات» وقد قالوا: إن المراد بها أعمال الجوارح حتى يدخل في ذلك الأقوال، فإنها عمل اللسان وهو من الجوارح قال ابن دقيق العيد: ورأيت بعض المتأخرين من أهل الخلاف خصه بما لا يكون قولاً، وأخرج الأقوال من ذلك قال: وهذا عندي بعيد ولا تردد عندي في أن الحديث يتناول الأقوال أيضاً.

(**القسم الأول المعاصي: وهي لا تتغير عن موضعها بالنية**) ولا تصح فيها النية، (**فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله ﷺ «إنما الأعمال بالنيات» فيظن أن المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يغتاب إنساناً مراعاة لقلب غيره**) بنية الإرضاء، (**أو يطعم فقيراً من مال غيره**) بنية الصدقة، (**أو يبني مدرسة أو مسجداً أو رباطاً بمال حرام وقصده الخير**) وهو بقاء أجرها بعد موته، وكذا إذا غصب أرضاً بنية أن يبنيها مسجداً، (**فهذا كله جهل والنية لا تؤثر في إخراجه عن كونه ظلماً وعدواناً ومعصية، بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر**)، فمن ذلك الإصرار على تلك المعصية والفرح بها واستخفافها كما ذكرناه، في كتاب التوبة، (**فإن عرفه فهو معاند للشرع وإن جهله فهو عاص بجهله إذ طلب العلم فريضة على كل مسلم**) رواه ابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم

كل مسلم، والخيرات إنما يعرف كونها خيرات بالشرع، فكيف يمكن أن يكون الشر خيراً؟ هيهات، بل المروّج لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى، فإنَّ القلب إذا كان مائلاً إلى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفس توسل الشيطان به إلى التلبيس على الجاهل، ولذلك قال سهل رحمه الله تعالى: ما عصى الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل! قيل: يا أبا محمد هل تعرف شيئاً أشدّ من الجهل! قال: نعم الجهل بالجهل. وهو كما قال: لأن الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم، فمن يظن بالكلية بنفسه أنه عالم فكيف يتعلم؟ وكذلك أفضل ما أطيع الله تعالى به العلم، ورأس العلم: العلم بالعلم، كما ان رأس الجهل: الجهل بالجهل، فإن من لا يعلم العلم النافع من العلم الضارّ اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم إلى الدنيا، وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العلم، والمقصود أنّ من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير

الكلام عليه في كتاب العلم، (**والخيرات إنما يعرف كونها خيرات بالشرع، فكيف يمكن أن يكون الشر خيراً هيهات! بل المروج**) أي المزين (**لذلك على القلب خفي الشهوة وباطن الهوى، فإن القلب إذا كان مائلاً إلى طلب الجاه واستمالة قلوب الناس وسائر حظوظ النفوس توسل الشيطان به إلى التلبيس على الجاهل، ولذلك قال**) أبو محمد (**سهل**) التستري رحمه الله تعالى: (**ما عصى الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل. قيل: يا أبا محمد هل تعرف شيئاً أشد من الجهل؟ قال: نعم**) قيل: ما هو؟ قال: (**الجهل بالجهل**) قال صاحب القوت: يعني أن يكون العبد جاهلاً وهو لا يعلم أو يحسب بجهله أنه عالم فيسكت عن جهله ويرضى به فيضيع فرض الفرائض، وأصل الفرائض كلها وهو طلب العلم، ولعله أن يفتي الجهال أو يتكلم بالشبهات وهو يظن أنها علم وهذا أعظم من سكوته، وإليه أشار المصنف بقوله: (**وهو كما قال، لأن الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم فمن يظن بنفسه أنه عالم فكيف يتعلم**)، وقد روي عن الخليل بن أحمد قال: الرجال أربعة رجل يدري ويدري أنه يدري فذاك عالم فجالسوه، ورجل يدري ويدري أنه لا يدري، ورجل لا يدري ويدري أنه لايدري فذاك ضال فارشدوه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه يدري فذاك جاهل فامقتوه. (**وكذلك أفضل ما أطيع الله به العلم ورأس العلم العلم بالعلم، كما أن رأس الجهل الجهل بالجهل، فإن من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم إلى الدنيا، وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العالم**)، ولفظ القوت: وكذلك أيضاً ما أطيع الله تعالى بمثل العلم ومن علم العلم بالعلم أي شيء هو وذلك أيضاً واجب من حيث كان العلم واجباً ليكون على بصيرة من تعلم العلم، لأنه قد دخل مذهب المتكلمين وأقوال الغالطين من الصوفية والقصاص في شبهات العلم، فصار زخرفاً من القول غروراً يشبه العلم وليس بعلم لالتباس المعنى بعضه ببعض، ولإشكال دقائق العلوم وغرائبه وخفاء السنة من طريق علماء السلف، فاختلط لذلك القصاص والمتكلمون بالعلماء

معذور إلا إذا كان قريب العهد بالإسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم. وقد قال الله سبحانه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وقال النبي ﷺ: « لا يعذر الجاهل على الجهل، ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله، ولا للعالم أن يسكت على علمه »، ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرّب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والأشرار؛ والمشغولين بالفسق والفجور القاصرين هممهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والمساكين، فإن هؤلاء إذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله، وانتهض كل واحد منهم في بلدته نائباً عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرىء الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله، ثم قد ينتشر ذلك العلم إلى

فصار معرفة العلم أي شيء منه والعلم من هو علماً آخر، وصار العلم بالعلم ما هو دون الزخرف من القول كأنه عالم، فكان أيضاً العلم بالعلم بمنزلة العلم ووجب وجوبه كما كان الجهل بالجهل أعظم، وقد كان سهل رحمه الله تعالى يقول: قسوة القلب بالجهل أشد من قسوته بالمعاصي لأن الجهل ظلمة لا ينفع البصر فيه شيئاً ونور العلم يهتدي به القاصدون وإن لم يمش.

(**والمقصود أن من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور**) . ولفظ القوت: وإن كان قد خفي عليه الهوى ودق عليه لطيف حب الدنيا لجهله بالعلم فهو مأثوم فيه لتقصيره في طلب العلم الذي يعرف به الإخلاص وسكوته على الجهل الذي يدخل منه الانتقاص ولا عذر له في ذلك اهـ. (**إلا إذا كان قريب العهد بالإسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم، وقد قال**) الله (**سبحانه ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ وقال النبي ﷺ « لا يعذر الجاهل على الجهل، ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله، ولا للعالم أن يسكت على علمه »**) كذا في القوت. قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط وابن السني وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف دون قوله « لا يعذر الجاهل على الجهل » وقال: « لا ينبغي » بدل « لا يحل » اهـ.

قلت: لفظ الطبراني في الأوسط « لا ينبغي للعالم أن يسكت على علمه ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله » قال الله تعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ وقد تقدم في كتاب العلم.

(**ويقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس**) والرباطات (**بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم للسفهاء والأشرار المشغولين بالفسق والفجور، والقاصرين هممهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس**) إليهم (**وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والمساكين، فإن هؤلاء إذا تعلموا كانوا قطاع طريق الله وانتهض كل واحد منهم في بلدته نائباً عن الدجال**) قائماً مقامه (**يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجرىء الناس مشاهدته على مناهي الله تعالى، ثم قد ينتشر**

مثله وأمثاله ويتخذونه أيضاً آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى، ويتسلسل ذلك، ووبال جميعه يرجع إلى المعلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده، ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله، وفي مطعمه وملبسه، ومسكنه، فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف سنة مثلاً وألفي سنة، وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه، ثم العجب من جهله حيث يقول: «إنما الأعمال بالنيات»، وقد قصدت بذلك نشر علم الدين؛ فإن استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني وما قصدت به إلا أن يستعين به على الخير. وإنما حب الرئاسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه، والشيطان بواسطة حب الرئاسة يلبس عليه، وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفاً من قاطع طريق وأعدّ له خيلاً وأسباباً يستعين بها على مقصوده؛ ويقول إنما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق الله الجميلة، وقصدت به أن يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله، فإن إعداد الخيل والرباط والقوّة للغزاة من أفضل القربات، فإن هو صرفه إلى قطع الطريق فهو العاصي. وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرام مع أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى الله تعالى حتى قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من تقرّب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء» فليت شعري لم حرم هذا

ذلك العلم إلى مثله وأمثاله ويتخذونه أيضاً آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك، ووبال جميعه يرجع إلى المعلم الذي علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله، وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيموت هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف سنة مثلاً وألفي سنة، وطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه)، ومن هذا القبيل من يحدث الناس بحديث لا يبلغ عقولهم بنية نشر العلم، **(ثم العجب من جهله حيث يقول «إنما الأعمال بالنيات» وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فإن استعمله هو في الفساد فالمعصية منه لا مني، وما قصدت به إلا أن يستعين به على الخير، وإنما حب الرئاسة والاستتباع والتفاخر بعلو العلم يحسن ذلك في قلبه)** ويزينه في عينه، **(والشيطان بواسطة حب الرئاسة يلبس عليه. وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفاً من قاطع طريق)** للمسلمين **(وأعد له خيلاً وأسباباً يستعين بها على مقصوده ويقول: إنما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق جميلة، وقصدت به أن يغزو بهذا السيف والفرس في سبيل الله)** تعالى، **(فإن إعداد الخيل والقوة للغزاة من أفضل القربات)** كما وردت به الأخبار، **(فإن هو صرفه إلى قطع الطريق فهو العاصي. وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرام)** كما حكاه ابن المنذر وغيره وصرح به النووي تبعاً للرافعي، **(مع أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى الله تعالى، حتى قال رسول الله ﷺ «إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء»)**

السخاء ؟ ولم وجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال من هذا الظالم فإذا لاح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي أن يسعى في سلب سلاحه في أن يمده بغيره.

والعلم سلاح يقاتل به الشيطان وأعداء الله وقد يعاون به أعداء الله عز وجل وهو الهوى؛ فمن لا يزال مؤثراً لدنياه على دينه ولهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز إمداده بنوع علم يتمكن به من الوصول إلى شهواته؟ بل لم يزل علماء السلف رحمهم الله يتفقدون أحوال من يتردد إليهم فلو رأوا منه تقصيراً في نفل من النوافل أنكروه وتركوا إكرامه، وإذا رأوا منه فجوراً واستحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلاً عن تعليمه، لعلمهم بأن من تعلم مسألة ولم يعمل بها وجاوزها إلى غيرها فليس يطلب إلا آلة الشر، وقد تعوّذ جميع السلف بالله من الفاجر العالم بالسنة وما تعوّذوا من الفاجر الجاهل. حكي عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل

تقدم في كتاب المحبة والشوق نحوه دون قوله «وأحبها إليه السخاء». **(فليت شعري لم حرم هذا السخاء؟ ولم وجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال من هذا الظالم فإذا لاح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي أن يسعى في سلب سلاحه لا في أن يمده بغيره)** هذا في السلاح الظاهر. **(والعلم)** أيضاً بمنزلة **(سلاح)** في أنه **(يقاتل به الشيطان و)** سائر **(أعداء الله و)** هو **(قد يعاون به أعداء الله وهو الهوى، فمن لا يزال مؤثراً لدنياه على دينه ولهواه على** آخرته وهو عاجـز **عنها لقلة فضله، فكيف يجوز إمداده بنوع علم يتمكن به من الوصول إلى شهواته؟ بل لم يزل علماء السلف رحمهم الله تعالى يتفقدون أحوال من يتردد إليهم)** لأجل الاستفادة، **(فلو رأوا منه تقصيراً في نفل من النوافل)** فضلاً عن الفرائض **(أنكروه وتركوا إكرامه)** أعرضوا عنه بوجوههم، **(وإذا رأوا منه فجوراً أو استحلال حرام هجروه ونفوه عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلاً عن تعليمه لعلمهم، فإن من تعلم مسألة ولم يعمل بها وجاوزها إلى غيرها فليس يطلب إلا آلة الشر، وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العالم بالسنة ولم يتعوذوا من الفاجر الجاهل)**،وقد روي ذلك عن عمر وغيره، وقال أحمد بن عبدالله العجلي، قال عمر رضي الله عنه للأحنف بن قيس مع قومه من بني تميم لما دخل عليه وكلمه: ويحك يا أحنف لما رأيتك ازدريتك، فلما نطقت قلت لعله منافق في صنع اللسان، فلما اختبرتك حمدتك ولذلك حبستك وكان حبسه سنة. وروى مالك بن مغول عن أبي حصين عن زياد بن حدير قال. قال عمر: يهدم الإسلام ثلاث: زلة عالم وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون، وفي جزء أبي الجهم حدثنا سوار، حدثنا مجالد، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد عن ابن عباس قال: خطبنا عمر فقال: إن أخوف ما أخاف عليكم تغير الزمان وزيغة عالم وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون يضلون الناس بغيره.

رحمه الله أنه كان يتردد إليه سنين ثم اتفق أن أعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه، فلم يزل يسأله عن تغيره عليه وهو لا يذكره حتى قال: بلغني أنك طينت حائط دارك من جانب الشارع وقد أخذت قدر سمك الطين وهو أنملة من شارع المسلمين فلا تصح لنقل العلم. فهكذا كانت مراقبة السلف لأحوال طلاب العلم. وهذا وأمثاله مما يلتبس على الأغبياء وأتباع الشيطان وإن كانوا أرباب الطيالسة والأكمام الواسعة وأصحاب الألسنة الطويلة والفضل الكثير، أعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء إليها، بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق ويتوصل بها إلى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدّم على الأقران. فإذاً قوله عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات» يختص من الأقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي؛ إذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد، والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد، فأما

قلت: وقد روي بعض ذلك مرفوعاً من حديث عمر وغيره. روى أحمد وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة، وابن عدي ونصر المقدسي في الحجة، والبيهقي والضياء من حديث عمران: «أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان» ورواه الطبراني والبيهقي من حديث عمر بن الحصين بلفظ «عليكم بعدي» بدل قوله «على أمتي». وروى أبو نصر السجزي في الإبانة من حديث ابن عمر «إن أخوف ما أخاف على أمتي ثلاثة: زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تقطع أعناقكم فاتهموها على أنفسكم». ورواه الطبراني نحوه من حديث معاذ.

(**حكي عن بعض أصحاب**) الإمام (**أحمد بن حنبل**) رحمه الله تعالى (**أنه كان يتردد إليه سنين**) للاستفادة وكان يقبل إليه بوجهه ويكرمه ويفيده، (**ثم اتفق أن أعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه، فلم يزل يسأله عن تغيره عليه وهو لا يذكره حتى قال: بلغني أنك طينت حائط دارك من جانب الشارع، فقد أخذت قدر سمك الطين وهو أنملة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم**) نقله صاحب القوت. (**فهكذا كانت مراقبة السلف لأحوال طلاب العلم، وهذا وأمثاله مما يلتبس على الأغبياء واتباع الشيطان، وإن كانوا أرباب الطيالسة والأكمام والواسعة وأصحاب الألسنة الطويلة والفضل الكثير، أعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء إليها، بل هي العلوم التي تتعلق بالخلق**) في فصل خصوماتهم ونظم معايشهم، (**ويتوصل بها إلى جمع الحطام واستتباع الناس والتقدم على الأقران**) بالرئاسة والافتخار، (**فإذاً قوله ﷺ «الأعمال بالنيات»**). هكذا رواه ابن حبان في الأنواع والتقاسيم بدون «إنما» (**يختص من الأقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات**) فقط (**دون المعاصي، إذ الطاعة تنقلب معصية، والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد**) والنية، (**فأما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد**

المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلاً نعم للنية دخل فيها وهو أنه إذا انضاف إليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها، كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة.

القسم الثاني الطاعات:

وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها. أما الأصل فهو أن ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير، فإن نوى الرياء صارت معصية. وأما تضاعف الفضل؛ فبكثرة النيات الحسنة فإنّ الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب، إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها. كما ورد به الخبر. ومثاله القعود في المسجد فإنه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال المتقين ويبلغ به درجات المقربين:

أولها: أن يعتقد أنه بيت الله وأنّ داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله ﷺ حيث قال: «من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور إكرام زائره».

أصلاً، نعم للنية دخل فيها وهو أنه إذا انضاف إليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها) من الإصرار والفرح والاستخفاف **(كما ذكرنا لك في كتاب التوبة)** فلا نعيده.

(القسم الثاني: الطاعات: وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها) على اختلاف فيه تقدمت الإشارة إليه، **(وفي تضاعف فضلها. أما الأصل؛ فهو أن ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فإن نوى الرياء صارت معصية)** فأصل صحتها بتخليصها من الشوائب، وكذا تمييز رتب العبادات بعضها عن بعض لتميز الفرض عن النقل والنفل والنفل عن العبادة وهذا مستوعب فيما تقدم في الربع الأول، **(وأما تضاعف الفضل)** فعلى ضربين.

أحدهما: ما أشار إليه المصنف بقوله: **(فبكثرة النيات الحسنة فإن الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب، إذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها كما ورد به الخبر)** رواه هناد من حديث أنس وقد تقدم. **(ومثاله القعود في المسجد فإنه طاعة)** من الطاعات، **(ويمكن أن ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال المتقين)** وإفضال شأن الدين، **(وتبلغ به درجات)** المحسنين **(المقربين)**:

(أولها أن يقصد أنه بيت الله وأن داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه) لينال بذلك كرامة الزائرين **(رجاء لما وعده به رسول الله ﷺ قال «من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور إكرام زائره»)**. رواه ابن حبان في الضعفاء من حديث سلمان، وللبيهقي في الشعب نحوه من رواية جماعة من الصحابة لم يسموا بإسناد صحيح وقد تقدم في كتاب الصلاة.

وثانيها: أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وثالثها: الترهب بكف السمع والبصر والأعضاء عن الحركات والترددات، فإنّ الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «رهبانية أمتي القعود في المساجد».

ورابعها: عكوف الهم على الله ولزوم السر للفكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال إلى المسجد.

(وثانيها: أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره) كأنه **(في الصلاة)**، فقد روى ابن جرير من حديث أبي هريرة «من جلس في المسجد ينتظر الصلاة فهو في صلاة، والملائكة تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث» وروى مالك في الوطأ وابن حبان والطبراني والحاكم والبيهقي والضياء من حديث عبدالله بن سلام وأبي هريرة «من جلس في المسجد ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى تصلي». وروى عبد بن حميد وابن جرير والطبراني من حديث سهل بن سعد «من جلس في المسجد ينتظر الصلاة فهو في صلاة» وروى عبد بن حميد من حديث جابر «المرء في صلاة ما انتظرها». **(وهو معنى قوله تعالى ﴿ورابطوا﴾)** روى ابن جرير وابن المنذر.والحاكم وصححه من طريق داود بن صالح قال أبو سلمة تدري في أي شيء نزلت هذه الآيـة ﴿اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ قلت: لا. قال: سمعت أبا هريرة يقول: لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يرابطون فيه، ولكنها نزلت في قوم يعمرون المساجد يصلون الصلاة في مواقيتها ثم يذكرون الله فيهـا، فعليهـم أنـزلـت (**اصبروا**) أي على الصلـوات الخمس (**وصـابـروا**) أنفسكـم وهـواكم ﴿ورابطوا﴾ في مساجدكم ﴿واتقوا الله﴾ فيما عليكم ﴿لعلكم تفلحون﴾. وروى ابن جرير من حديث جابر وعلي: «ألا أدلكم على ما يمحو الله بـه الخطـايـا ويكفـر بـه الذنـوب؟ قلنـا: بلى يـا رسول الله. قال «إسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط». ورواه ابن مردويه من حديث أبي أيوب وفيه «فذالكم هو الرباط في المساجد» ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث أبي هريرة وفيه «فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط». وروى ابن أبي حاتم عن أبي غسان قال: إنما نزلت هذه الآية في لزوم المساجد.

(وثالثها: الترهب بكـف السمع والبصر) عـن المنهيـات **(والإغضـاء عـن الحركـات والترددات، فإن الاعتكاف كف)** أي منع، فمن دخل المسجد ونوى الاعتكاف فقد كف نفسه عن المنهيات فيكون ذلك من الفائزين، **(وهو في معنى الصوم)** الذي هو منع النفس عن الشهوات **(وهو نوع ترهب، ولذلـك قـال رسـول الله ﷺ: «رهبـانيـة أمتي القعـود في المساجد»)** كذا في القوت. وقال العراقي: لم أجد له أصلاً.

(ورابعها: عكوف الهم على الله) بأن لا يخطر بقلبه غير الله **(ولزوم السر)** وهو باطن القلب **(للفكر في)** أمور **(الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال إلى المسجد)** فيكون بذلك من الأقربين.

وخامسها: التجرّد لذكر الله أو لاستماع ذكره وللتذكر به كما روي في الخبر: « من غدا إلى المسجد ليذكر الله تعالى أو يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى ».

وسادسها: أن يقصد إفادة العلم بأمر بمعروف ونهي عن منكر، إذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف ويرشده إلى الدين فيكون شريكاً معه في خيره الذي يعلم منه فتتضاعف خيراته.

وسابعها: أن يستفيد أخاً في الله فإن ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش أهل الدين المحبين لله وفي الله.

(**وخامسها: التجرد لذكر الله**) تعالى إن أمكنه (**أو لاستماع ذكره وللتذكر به**) فيكون بذلك من المرحومين المجاهدين (**كما روي في الخبر « من غدا إلى المسجد يذكر الله تعالى أو يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى »**) كذا في القوت. قال العراقي: هو معروف من قول كعب الأحبار رويناه في جزء ابن طوق، وللطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة « من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه كان كأجر حج تام » وإسناده جيد. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة منزلاً كلما غدا أو راح » اهـ.

قلت: لفظ حديث أبي أمامة عند الطبراني « من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه كان كأجر معتمر تام العمرة، ومن راح إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلم خيراً أو يعلمه فله أجر حاج تام الحجة ». وقد رواه كذلك الحاكم وصاحب الحلية وابن عساكر والضياء، وربما يشهد لما أورده المصنف ما رواه الشيخ من حديث الزبير « من جلس من حين يصلي المغرب يذكر الله حتى يصلي العشاء كان مجلسه ذلك روضة في سبيل الله، ومن جلس حين يصلي الغداة يذكر الله حتى تطلع الشمس كانت مثل غدوة في سبيل الله عز وجل ». قال صاحب القوب: ومثل ذل إذا جلس ليعلم علماً ويتعلمه كان أيضاً كالمجاهد في سبيل الله.

(**وسادسها: أن يقصد إفادة علم بأمر بمعروف ونهي عن منكر إذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته**) بإخلال شيء من أركانها وواجباتها وسننها وآدابها، (**أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف**) وينهاه عن المنكر، (**ويرشده إلى الدين فيكون شريكاً معه في خيره الذي يعلم منه فتتضاعف خيراته**)، فيكون بذلك من خير أمة. وقد وردت في الأمر بالمعروف وإرشاد الضال والهداية أخبار كثيرة مر ذكرها في مواضعها.

(**وسابعها: أن يستفيد أخاً في الله**) عز وجل (**فإن ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة**) وقد تقدم ما يتعلق بذلك في كتاب الصحبة والأخوة، (**والمسجد معشش أهل الدين المحبين لله وفي الله**) أي مظنة وجودهم فيه، فإنه محل أهل الله الصالحين وعشهم فيكون ممن يحق له صحبة الله ويكون في ظاله يوم لا ظل إلا ظله.

وثامنها: أن يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمة، وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: من أدمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع خصال: أخاً مستفاداً في الله، أو رحمة مستنزلة، أو علماً مستظرفاً، أو كلمة تدله على هدى، أو تصرفه عن ردى، أو يترك الذنوب خشية أو حياء، فهذا طريق تكثير النيات، وقس به سائر الطاعات والمباحات إذ ما من طاعة إلا وتحتمل نيات كثيرة، وإنما تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جده في طلب الخير وتشمّره له وتفكره فيه. فبهذا تزكو الأعمال وتتضاعف الحسنات.

(**وثامنها: أن يترك الذنوب حياء من الله تعالى وخشية**) أي خوفاً (**من أن يتعاطى في بيت**) من بيوت (**الله مايقتضي هتك الحرمة**) وذلك من تقوى القلوب، وقد يكون ترك الذنوب لا من باب الحياء بل من باب الخشية من عذاب الله تعالى لو تعاطى شيئاً من المخالفات في المساجد، (**وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: من أدمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع خصال: أخاً مستفاداً في الله، أو رحمة مستنزلة، أو علماً مستطرفاً، أو كلمة تدله على هدى، أو تصرفه عن ردى، أو يترك الذنوب خشية أو حياء**) منه. نقله صاحب القوت.

قلت: وهذا روي مرفوعاً من حديثه رواه الطبراني في الكبير وابن عساكر من طريق سعد بن طريف عن عمير بن المأمون عن الحسن بن علي، وعمير لا شيء وسعد متروك. (**فهذا طريق تكثير النيات وقس به سائر الطاعات والمباحات إذ ما من طاعة إلا وتحتمل نيات كثيرة، وإنما تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جده في طلب الخير والتشمر له وتفكره فيه، فبهذا تزكو الأعمال وتتضاعف الحسنات**) وهي طريقة العلماء الذين تفردوا لذكر الله لا يعرفها غيرهم قد وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافاً.

الضرب الثاني: في مضاعفة الفضل، لم يشر إليه المصنف وهو لا بد من ذكره، وذلك أنه قد تقدم أن الجزاء في الآخرة على قدر النيات، وتقدم أن النية تتبع المعرفة، والمعرفة تتبع الغرض المطلوب وتمهد في الشريعة أن الجزاء الواقع في الآخرة موازن لأعمال العباد ومناسب له، كما ورد: أن الصائمين يدخلون الجنة من باب الريان، وأن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، وأن المتكبرين على صور الذر، وأمثال هذا لا تنحصر، فإذا حققت أن العبد إذا لم يقصد بعلمه إلا امتثال أمر الله حياء منه وتعظيماً لجلاله وكبريائه وكماله في ذاته وصفاته وجميع أفعاله، وأنه المستحق لذلك بصفات الألوهية على عباده، كان ذلك مع أفضل النيات وأشرف القربات، وأثابه الله ما يناسب حسن معرفته وقصده من النظر إلى وجهه جل سبحانه، ومن ضعفت بصيرته عن ذروة الكمال حتى لم يعرف من شهادة الآخرة إلا اللذات الحسية دل عليه أنه لم يعرف من نعيم الجنان إلا أقل المراتب وأخفض المنازل، فإذا قصد بطاعته ذلك صحت نيته ونقصت عن درجات الكمال مع صحتها في نفسها، فإن الإنسان يطلق عليه الصحة والحياة وهو فاقد لجميع المحاسن المكملة لصورة الرجال.

القسم الثالث المباحات:

وما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات، فما أعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة، ولا ينبغي أن يستحقر العبد شيئاً من الخطرات والخطوات واللحظات فكل ذلك يسأل عنه يوم القيامة، إنه لم فعله وما الذي قصد به؟ هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال ﷺ: « حلالها حساب وحرامها عقاب ». وفي حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: « إن العبد ليُسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى

(القسم الثالث: المباحات: وما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات وينال به معالي الدرجات)، كما روي عن بشر الحافي رحمه الله تعالى أنه رؤي ماشياً في طريق الحج فسئل عن ذلك؟ فقال: أريح الجمل وأسر الجمال. قال العراقي في شرح التقريب: كما اشترطوا النية في العبادة اشترطوا في تعاطي ما هو مباح في نفس الأمر أن لا تكون معه نية تقتضي تحريمه كمن جامع امرأته أو أمته ظاناً أنها أجنبية، أو شرب شراباً مباحاً وهو ظان أنه خمر، أو قدم على استعمال ملكه وهو ظان أنه لأجنبي ونحو ذلك فإنه يحرم عليه تعاطي ذلك اعتباراً بنيته وإن كان مباحاً له في نفس الأمر، غير أن ذلك لا يوجب حداً ولا ضماناً لعدم التعدي في نفس الأمر، بل زاد بعضهم على هذا بأنه لو تعاطى شرب الماء وهو يعلم أنه ماء ولكنه على صورة استعمال الحرام كشربه في آنية الخمر في صورة مجلس الشراب صار حراماً لشبهه بالشربة، وإن كانت النية لا يتصور وقوعها على الحرام مع العلم بحله ونحوه لو جامع أهله وهو في ذهنه مجامعة من تحرم عليه، وصور في ذهنه أنه يجامع تلك الصورة المحرمة فإنه يحرم عليه ذلك وكل ذلك لشبهه بصورة الحرام اهـ.

(فما أعظم خسران من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة) وما أعظم حسرته، **(ولا ينبغي أن يستحقر العبد شيئاً من الخطوات والخطرات واللحظات، فكل ذلك يسأل عنه يوم القيامة انه لم فعله وما الذي قصد به؟ هذا في مباح محض لا تشوبه كراهة، ولذلك قال ﷺ « حلالها حساب وحرامها عقاب »)** قد تقدم للعراقي أنه لم يجده يعني مطلقاً مرفوعاً، وقد رواه ابن أبي الدنيا، والبيهقي في الشعب من طريقه عن علي موقوفاً بلفظ « وحرامها النار » وسنده منقطع. وقد روي من حديث ابن عباس عند الديلمي بلفظ « يا ابن آدم الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب » ومن حديث أنس عند الحاكم في أثناء الحديث « أف للدنيا وما فيها من البليات حلالها حساب وحرامها عقاب ».

(وفي حديث معاذ بن جبل) رضي الله عنه **(أن النبي ﷺ قال « إن العبد ليسأل يوم**

عن كحل عينيه وعن فتات الطينة بإصبعه وعن لمسه ثوب أخيه ». وفي خبر آخر: « من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة »، فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية.

فإن قلت: فما الذي يمكن أن ينوي بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله؟ فاعلم أن من يتطيب مثلاً يوم الجمعة وفي سائر الأوقات يتصوّر أن يقصد التنعم بلذات الدنيا، أو يقصد به إظهار التفاخر بكثرة المال ليحسده الأقران، أو يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة، أو ليتودد به إلى قلوب النساء الأجنبيات إذا كان مستحلاً للنظر إليهن، ولأمور أخر لا تحصى، وكل هذا يجعل التطيب معصية فبذلك يكون أنتن من الجيفة في القيامة إلا القصد الأوّل وهو التلذذ والتنعم فإن ذلك ليس بمعصية إلا أنه يُسأل عنه، ومن نوقش الحساب عذب، ومن أتي

القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة بأصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه ») نقله صاحب القوت. وقال العراقي: لم أجد له إسناداً.

قلت: بل رواه أبو نعيم في الحلية بلفظ « يا معاذ إن المؤمن لدى الحق أستر » وساق الحديث بتمامه وفيه « يا معاذ إن المؤمن ليسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى عن كحل عينيه » الحديث.

(وفي خبر آخر « من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك، ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة ») تقدم قريباً أنه من مرسل عبدالله بن أبي طلحة رواه أبو الوليد الصفار في كتاب الصلاة.**(فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية)**.

(فإن قلت: فما الذي يمكن أن ينوي بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله؟ فاعلم أن من يتطيب مثلاً يوم الجمعة وفي سائر الأوقات يتصور أن يقصد التنعم بلذات الدنيا، أو يقصد به إظهار التفاخر بكثرة المال لتحسده أقرانه) ولداته، فإنه لا يتنبه الإنسان لشراء الطيب إلا من فاضل المال بعد التفرغ من الحوائج الضرورية، ويدل ذلك على الكثرة، **(أو يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في قلوبهم)** فيملكها بذلك، **(ويذكر بطيب الرائحة، أو ليتودد به إلى قلوب النساء الأجنبيات إذا كان مستحلاً للنظر إليهن ولأمور أخر لا تحصى، وكل هذا يجعل التطيب معصية، فبذلك يكون أنتن من الجيفة في القيامة)** لأن روائح المعاصي هكذا توجد هناك **(إلا القصد الأول وهو التلذذ والتنعم، فإن ذلك ليس بمعصية إلا أنه يسأل عنه، ومن نوقش الحساب عذب)**. رواه الشيخان من

شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره، وناهيك خسراناً بأن يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم لا يفنى. وأما النيات الحسنة فإنه ينوي به اتباع سنة رسول الله ﷺ يوم الجمعة. وينوي بذلك أيضاً تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلا يرى أن يدخله زائراً لله إلا طيب الرائحة، وأن يقصد به ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحه، وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي إلى إيذاء مخالطيه، وأن يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين إذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله بسببه، فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... أن لا تفارقهم فالراحلون هُمُ

وقال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] أشار به إلى أن التسبب إلى الشر شر، وأن يقصد به معالجة

حديث عائشة، وعند الطبراني من حديث ابن الزبير «من نوقش المحاسبة هلك» (**ومن أتى شيئاً من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص من نعيم الآخرة له بقدره، وناهيك خسراناً بأن يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم لا يفنى**) فهذه النيات السيئة في استعمال الطيب. (**وأما النيات الحسنة، فإنه ينوي به اتباع سنة رسول الله ﷺ**) إذ قد عرف من طريقته كثرة استعمال الطيب في كل وقت خصوصاً (**يوم الجمعة**) فإنه يوم القربة إلى الله تعالى، (**وينوي بذلك أيضاً تعظيم المسجد واحترام بيت الله**) إذ المساجد بيوت الله تعالى (**فلا يرى أن يدخله زائراً لله**) تعالى (**إلا**) وهو (**طيب الرائحة وأن يقصد به ترويح جيرانه**) في الصف (**ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروائحه**) الطيبة، (**وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه التي تؤدي إلى إيذاء مخالطيه**) مما يتحصل من الأعراق ولا سيما زمن الصيف، (**وأن يقصد حسم باب الغيبة عن المغتابين إذا اغتابوه بالروائح الكريهة فيعصون الله بسببه، فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كما قيل:**

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... أن لا تفارقهم فالراحلون هم

وقال الله تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ أشار به إلى أن السبب إلى الشر شر)، ومن الغريب أن الحافظ العراقي صحف قول المصنف؛ وأما النيات الحسنة بقوله: وأما الثياب الحسنة. وأورد حديث أبي هريرة «من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب إن كان عنده ولبس أحسن ثيابه» الحديث. وحديث عبدالله بن سلام «ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة» الحديث. وحديث عمر في الحلة السيراء وقوله «لو اشتريت

دماغه لتزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر ، فقد قال الشافعي رحمه الله: من طاب ريحه زاد عقله. فهذا وأمثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها إذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبة على قلبه، وإذا لم يغلب على قلبه إلا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وإن ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها إلا حديث النفس وليس ذلك من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن إحصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد ما عداه، ولهذا قال بعض العارفين من السلف: إني لاستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي وشربي ونومي ودخولي إلى الخلاء ، وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى ، لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين ، فمن قصده من الأكل التقوّي على العبادة ، ومن

هذه فلبستها يوم الجمعة» فهذه الأخبار وهو صحيح لكنه غير مراد في سياق المصنف فتأمل ذلك وسبحان من لا يسهو، **(وأن يقصد به معالجة دماغه)** أي تقوية جوهره **(ليزيد به فطنته وذكاؤه ويسهل عليه)** بذلك **(درك مهمات دينه بالفكر)** الصحيح، **(فقد)** اتفق الأطباء أن الروائح الطيبة تقوي الدماغ وتصححه، ومن هنا **(قال الشافعي رحمه الله تعالى: من طاب ريحه زاد عقله)** نقل البيهقي وغيره في مناقبه؛ **(فهذا وأمثاله من النيات لا يعجز الفقيه عنها إذا كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبة على قلبه، وإذا لم يغلب على قلبه إلا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات وإن ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها إلا حديث النفس)** فقط، **(وليس هذا من النية في شيء، والمباحات كثيرة ولا يمكن إحصاء النيات فيها، فقس بهذا الواحد)** الذي ذكرناه سائر **(ما عداه)** مما لم نذكر فإنه لا ينحصر فكل لتتقو على عبادة الله، وثم لتتقوّ على قيام الليل، وتنزه لتستعين على العبادة بكنه الهمة، فإن القلوب إذا أكرهتها عميت فاقتصد في دخولك في عبادة الله فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

(ولهذا قال بعض العارفين من السلف: إني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي وشربي ونومي ودخولي إلى الخلاء) نقله صاحب القوت هكذا. وفي موضع: إني لأستعد النية في كل شيء قبل الدخول فيه حتى في أكلي ونومي ودخولي الخلاء، والنية في هذا التقوى على الطاعة والاستعانة به على الخدمة لأن النفس مطيتك إن قطعت بها قطعت بك، ونية المتطهر من التخلي لأجل الدين، **(وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين، فمن قصد من الأكل التقوي على العبادة)** ومن النوم التقوي على قيام الليل **(ومن الوقاع تحصين**

الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب أهله والتوصل به إلى ولد صالح يعبد الله تعالى بعده فتكثر به أمة محمد ﷺ كان مطيعاً بأكله ونكاحه، وأغلب حظوظ النفس الأكل والوقاع وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة، ولذلك ينبغي أن يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله، وإذا بلغه اغتياب غيره له فليطيب قلبه بأنه سيحمل سيئآته وستنقل إلى ديوانه حسناته، ولينوِ ذلك بسكوته عن الجواب. ففي الخبر: « إن العبد ليحاسب فتبطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار، ثم ينشر له من الأعمال الصالحة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول: يا رب هذه أعمال ما عملتها قط؟ فيقال: هذه أعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك »، وفي الخبر: « إن

دينه) بتحصين فرجه **(ومن الانبساط تطييب قلب أهله)** وإدخال السرور على قلوبهم وغض بصرك وبصر أهلك عن غيرك **(والتوصل به)** أي بالوقاع **(إلى)** تحصيل **(ولد)** صالح **(يعبد الله تعالى بعده)** ويدعو له **(فتكثر به أمة محمد ﷺ)** فتكثر بهم الخيرات، **(كان مطيعاً بأكله ونكاحه)** وكذا بنومه وتنزهه وانبساطه، **(و)** إنما خص بهما لأن **(أغلب حظوظ النفس الأكل والنكاح وقصد الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الآخرة)**، وكذا إن أمر بمعروف بنية امتثال أمر الله تعالى لا لعداوة ولا لغضب وحقد هذا كله في الفعل، **(و)** أما في الترك فإنه **(كذلك ينبغي أن يحسن نيته مهما ضاع له مال)** في بر أو بحر **(ويقول: هو في سبيل الله)** ويترك الطلب ولا يتعلق بأسبابه، وكذا إذا سكت عن منكر فليكن لعجز أو انتظار فرصة لا لغش وعدم نصيحة، وإن ترك تجارة أو كسباً فللتوكل على الله ولفراغ القلب لذكر الله لا للترفع وخوف سقوط المنزلة عند الناس، وكذا عند[1] من الفتوح، وكذا[1] فليترك الحزن عليه ويراعي بقلبه الرضا بقضاء الله تعالى، **(وإذا)** خاصمه مخاصم أو **(بلغه اغتياب غيره فليطيب قلبه)** وليصبر لوجه الله أو لما أعده الله له **(بأنه)** أي المغتاب **(سيحمل سيئآته)** على ظهره **(وستنقل إلى ديوانه حسناته، ولينو ذلك بسكوته عن الجواب)** فإن عجز عن الصبر لوجه الله فالأفضل الدعاء والترحم عليه حتى لا يعرضه لسخط الله وعقابه بسببه فلعل الله أن يعفو على عباده، **(ففي الخبر « إن العبد ليحاسب فتبطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار، ثم ينشر له من الأعمال الصالحة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول: يا رب هذه أعمال ما عملتها. فيقال: هذه أعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك »)**. ولفظ القوت: ومن أوذي أو اغتيب فليحتسب عرضه عند الله تعالى فلعل ذلك يكون سيداً من عمله وسبباً لنجاته، فقد روي في الخبر « إن العبد ليحاسب على أعماله كلها فتبطل بدخول الآفات فيها حتى يستوجب النار ثم تنشر له أعمال من الحسنات لم يكن عملها فيقال: هي أعمال الذين اغتابوك وآذوك جعلت حسناتهم لك »اهـ.

---

(١) هنا بياضان بالأصل.

العبد ليوافي القيامة بحسنات أمثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فيأتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة. فتقول الملائكة: قد فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى ألقوا عليه من سيئاتهم ثم صكوا له صكاً إلى النار».

قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم من حديث شبيب بن سعد البلوي مختصراً «إن العبد ليلقى كتابه يوم القيامة منتشراً فينظر فيه فيرى حسنات لم يعملها فيقول: هذا لي ولم أعملها، فيقال: بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر». وفيه ابن لهيعة اهـ.

قلت: رواه أبو نعيم في كتاب المعرفة، وكذلك رواه ابن منده من طريق أحمد بن سيار، وراوية شبيب بن سعد بن مالك البلوي قال ابن يونس: له صحبة وشهد فتح مصر وله ذكر في كتاب الفتوح. وقال يحي بن عثمان بن صالح عن ابن عفير: شهد بيعة الرضوان وفتح مصر ولا تحفظ له رواية كذلك قال وليس كذلك بل له رواية محفوظة كما ذكرنا، واختلف في ضبطه فقيل: هكذا كما أوردناه بالشين والموحدة كأمير، وضبطه الآمدي هكذا إلا أنه قال: وآخره مثلثة، وقيل هو بكسر أوله وسكون التحتية ثم مثناة فوقية والله أعلم.

وقد روي من حديث أبي أمامة نحو من ذلك ولفظه «إن العبد ليعطى كتابه يوم القيامة منشوراً فيرى فيه حسنات لم يعلمها فيقول: رب لم أعمل هذه الحسنات، فيقول: إنها كتبت باغتياب الناس إياك، وإن العبد ليعطى كتابه يوم القيامة منشوراً فيقول: رب ألم أعمل حسنة يوم كذا كذا، فيقال له: محيت عنك باغتيابك الناس» رواه الخرائطي في مساوىء الأخلاق فيه الحسن ابن دينار عن خصيب بن حجدر، فالحسن قال النسائي متروك والخصيب كذبه شعبة والقطان، وروى الحكيم من حديث عمر «يجاء العبد يوم القيامة فتوضع حسناته في كفة وسيئاته في كفة فترجح السيئات فتجيء بطاقة في كفة الحسنات فترجح بها فيقول: يا رب ما هذه البطاقة فما من عمل عملته في ليلي أو نهاري إلا وقد استقبلت به؟ قال: هذا ما قيل فيك وأنت منه بريء فينجو بذلك».

(وفي الخبر «إن العبد ليوافي القيامة بحسنات أمثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة فيأتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا يبقى له حسنة، فتقول الملائكة: قد فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى: ألقوا عليه من سيئاتهم ثم صكوا له صكاً إلى النار») كذا في القوت. وروى سمويه في فوائده، وأبو نعيم في الحلية، والخطيب في المتفق والمفترق من حديث سالم مولى أبي حذيفة نحوه بلفظ «ليجاءن يوم القيامة بقوم معهم من الحسنات أمثال جبال تهامة حتى إذا جيء بهم جعل الله أعمالهم هباء ثم قذفهم في النار» الحديث، وقد تقدم في كتاب العجب والرياء، وله أيضاً شاهد من حديث أبي أمامة الذي ذكر قبل هذا. وروى صاحب القوت أيضاً «إن العبد ليرى من أعماله الحسنات ما

وبالجملة، فإياك ثم إياك أن تستحقر شيئاً من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب، فإن الله تعالى مطلع عليك وشهيد ﴿وَما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] وقال بعض السلف: كتبت كتاباً وأردت أن أتربه من حائط جار لي فتحرجت ثم قلت: تراب وما تراب؟ فأتربته فهتف بي هاتف: سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غداً من سوء الحساب. وصلى رجل مع الثوري فرآه مقلوب الثوب فعرفه فمد يده ليصلحه. ثم قبضها فلم يسوه، فسأله عن ذلك فقال إني لبسته لله تعالى ولا أريد أن أسويه لغير الله. وقد قال الحسن: إن الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول: بيني وبينك الله! فيقول: والله ما أعرفك؟ فيقول بلى أنت أخذت لبنة من حائطي وأخذت خيطاً من ثوبي! فهذا وأمثاله من الأخبار قطع قلوب الخائفين، فإن كنت من أولي العزم والنهي ولم تكن من المغترين

يرجو به المنازل في الجنة فتلقى عليها سيئات لم يعملها فتترجح بحسناته كلها فيستوجب النار، فيقول: يا رب هذه سيئات ما عملتها هلكت بها. فيقال: هذه ذنوب القوم الذين اغتبتهم وآذيتهم وظلمتهم ألقيت عليك وتخلصوا منها».

(**وبالجملة، فإياك ثم إياك**) يا أخي (**أن تستحقر شيئاً من حركاتك**) وسكناتك (**فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب فإن الله مطلع عليك وشهيد ﴿وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾**) فلا تقدم ولا تحجم إلا بنية. (**وقال بعض السلف: كتبت كتاباً وأردت أن أتربه من حائط جار لي فتحرجت**) من ذلك (**ثم قلت: تراب وما تراب**) كأنه استحقر شأنه؛ (**فأتربته فهتف بي هاتف: سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غداً من سوء الحساب**) نقله صاحب القوت. (**وصلى رجل مع**) سفيان (**الثوري**) رحمه الله تعالى صلاته وكان قد خرج معه بغلس (**فرآه**) حين أصبح (**مقلوب الثوب**) أي لبس إزاره مقلوباً (**فعرفه**) أي قال له: يا أبا محمد قد لبست ثوباً مقلوباً فأصلحه (**فمد**) سفيان (**يده ليصلحه**) ويسويه، (**ثم قبضها**) أي يده (**فلم يسوه**) أي لم يصلحه وأبقاه على ما كان عليه، (**فسأله عن ذلك**) وقال: ما منعك أن تسويه عليك؟ (**فقال: إني لبسته لله تعالى ولا أريد أن أسويه لغير الله**) عز وجل نقله صاحب القوت. (**وقد قال الحسن**) البصري فيما رواه مبارك عنه: (**إن الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول: بيني وبينك الله، فيقول: والله ما أعرفك. فيقول: بلى أنت أخذت لبنة من حائطي**)، وإن الرجل ليتعلق بالرجل فيقول: أنت (**أخذت خيطاً من ثوبي**) ولفظ القوت، فيقول: هذا أخذ من ثوبي زيشيرا؛ (**فهذا وأمثاله من الأخبار**) والآثار (**قطع قلوب الخائفين**) وشرد عنهم الراحة، (**فإن كنت من أولي العزم**) البالغ (**والنهي ولم تكن من المغترين فانظر لنفسك**

فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل أن يدقق عليك، وراقب أحوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتأمل أوّلاً أنك لم تتحرك، وماذا تقصد، وما الذي تنال به من الدنيا، وما الذي يفوتك به من الآخرة، وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة. فإذا علمت أنه لا باعث إلا الدّين فامض عزمك وما خطر ببالك وإلا فامسك، ثم راقب أيضاً قلبك في إمساكك وامتناعك فإن ترك الفعل فعل ولا بدّ له من نية صحيحة، فلا ينبغي أن يكون لداعي هوى خفي لا يطلع عليه، ولا يغرنك ظواهر الأمور ومشهورات الخيرات وافطن للأغوار والأسرار تخرج من حيز أهل الاغترار. فقد روي عن زكريا عليه السلام إنه كان يعمل في حائط بالطين، وكان أجير القوم فقدموا له رغيفاً إذ كان لا يأكل إلا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم إلى الطعام حتى فرغ، فتعجبوا منه لما علم من سخائه وزهده وظنوا أن الخير في طلب المساعدة في الطعام، فقال: إني أعمل لقوم بالأجرة وقدموا إلي الرغيف لأتقوى به على عملهم، فلو أكلتم معي لم

الآن) وأنت في الدنيا **(ودقق الحساب على نفسك قبل أن يدقق عليك، وراقب أحوالك)** مراقبة من يتحقق باطلاع مولاه عليها، **(ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتأمل أولاً أنك لم تتحرك)** أي لأي شيء حركتك هذه، **(وماذا تقصد)** بهذه الحركة، **(وما الذي تنال به من الدنيا، وما الذي يفوتك به من الآخرة، وبماذا ترجح الدنيا على الآخرة. فإذا علمت أنه لا باعث إلا الدين فامض عزمك)** وقصدك **(وما خطر ببالك، وإلا فامسك ثم راقب أيضاً قلبك في إمساكك وامتناعك فإن ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة، فلا ينبغي أن يكون لداعي هوى خفي)** في النفس **(لا يطلع عليه)** وفي القوت: ولا ينبغي للعبد أن يدخل في كل شيء حتى يعلم علمه فيكون داخلاً في كل عمل بعام مثله، لأن لله في كل شيء حكماً فما علم من ذلك حمد الله عليه عمله، وما جهل سأل عنه من هو أعلم به، وما أشكل عليه أمسك عنه حتى يتبين له وجهه فيقدم عليه أو يتركه، وليكن ما تحرك فيه أو سكن عنه أو توقف عن الإقدام عليه ابتغاء مرضاة الله وتقرباً إليه لأجله فهذا على النيات. **(ولا تغرنك ظواهر الأمور ومشهورات الخيرات وأفطن للأغوار والأسرار، فقد روي)** في بعض الأخبار **(أن زكريا عليه السلام كان يعمل في حائط بالطين، وكان أجير القوم فقدموا إليه)** أي أصحاب الحائط **(رغيفه)** أي غذاءه **(إذ كان لا يأكل إلا من كسب يده)** وقد اشتهر أنه عليه السلام كان نجاراً فلعله أيضاً كان بناء، **(فدخل عليه قوم)** فسلموا عليه **(فلم يدعهم إلى الطعام)** الذي بين يديه **(حتى فرغ)** من الأكل **(فتعجبوا منه)** حيث لم يدعهم إلى الطعام **(لما علموا من سخائه وزهده، وظنوا أن الخير في طلب المساعدة في الطعام)** ففهم عنهم ما قام بذهنهم فاعتذر لهم، **(فقال: إني أعمل لقوم بالأجرة وقد قدموا إلي الرغيف لأتقوى به على**

يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر في البواطن بنور الله، فإن ضعفه عن العمل نقص في فرض وترك الدعوة إلى الطعام نقص في فضل ولا حكم للفضائل مع الفرائض وقال بعضهم: دخلت على سفيان وهو يأكل فما كلمني حتى لعق أصابعه ثم قال: لولا أني أخذته بدين لأحببت أن تأكل منه. وقال سفيان: من دعا رجلاً إلى طعامه وليس له رغبة أن يأكل منه فإن أجابه فأكل فعليه وِزران وإن لم يأكل فعليه وزر واحد، وأراد بأحد الوزرين النفاق وبالثاني تعريضه أخاه لما يكره لو علمه. فهكذا ينبغي أن يتفقد العبد نيته في سائر الأعمال فلا يقدم ولا يحجم إلا بنيته، فإن لم تحضره النية توقف فإن النية لا تدخل تحت الاختيار.

عملهم، فلو) دعوتكم إليه و **(أكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني و)** كنت قد **(ضعفت عن عملهم)** . ولفظ القوت: وروي عن زكريا عليه السلام أن قوماً دخلوا عليه وكان يعمل في حائط لقوم بالطين، وكان صانعاً يأكل من كد يديه فقدم إليه عندهم رغيفان جعل يأكل ولم يدعهم حتى فرغ، فسألوه عن ذلك لعلمهم بزهده وكرمه فقال: إني أعمل لقوم بأجرة وقربوا إلي هذين الرغيفين لأتقوى بهما على عملهم، فلو أكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني وضعفت عن عملهم اهـ.

(فالبصير هكذا ينظر إلى البواطن بنور الله) عز وجل **(فإن ضعفه عن العمل نقص في فرض، وترك الدعوة إلى الطعام نقص في فضل ولا حكم للفضائل مع الفرائض)** . ولفظ القوت؛ فهذا ممن ترك نفلاً لفرض وإن كانت له نية في الترك كما تكون له في الفعل. **(وقال بعضهم: دخلت على سفيان)** ظاهر إطلاقه أن المراد به الثوري وليس كذلك، ففي القوت دخلت على سفيان أبي عاصم وهو سفيان بن عبد الرحمن بن عاصم بن سفيان بن عبدالله الثقفي المكي، روى له النسائي وابن ماجه **(وهو يأكل فما كلمني حتى لعق أصابعه)** أي فرغ من الأكل، **(ثم قال: لولا أني أخذته بدين لأحببت أن تأكل منه)** نقله صاحب القوت، وهذا أيضاً يعرفك النظر إلى البواطن دون الظواهر. **(وقال سفيان)** الثوري رحمه الله تعالى: **(من دعا رجلاً إلى طعامه وليس له رغبة أن يأكل منه)** ولفظ القوت: وليس له نية أن يأكل منه والمعنى ليس له رغبة في إجابته **(فإن أجابه وأكل فعليه وزران وإن لم يأكل)** ولفظ القوت وإن لم يجبه **(فعليه وزر واحد، وأراد بأحد الوزرين النفاق وبالثاني تعريضه أخاه لما يكره لو علمه)** ولفظ المقاصد: وبالثاني أنه أطعم أخاه ما لو علمه لم يأكله. ولفظ القوت: فيصير عليه وزرين مع أكل طعامه بغير نية لتعرضه بالمقت وحمله أخاه على ما يكره إذ لو[1] لما أجابه. **(فهكذا ينبغي أن يتفقد العبد نيته في سائر الأعمال)** والأحوال **(فلا يقدم ولا يحجم)** عن الإقدام **(إلا بنية)** إن كان مريد السعادة الآخرة، **(فإن لم تحضره النية توقف فإن النية لا تدخل تحت الاختيار)** والله الموفق.

---

(١) بياض في الأصل.

بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار:

اعلم أن الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» فيقول في نفسه عند تدريسه أو تجارته أو أكله: نويت أن أدرس لله أو أتجر لله أو آكل لله، ويظن أن ذلك نية وهيهات فذلك حديث نفس وحديث لسان وفكر أو انتقال من خاطر إلى خاطر، والنية بمعزل من جميع ذلك. وإنما النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها إلى ما ظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلاً وإما آجلاً. والميل إذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة، بل ذلك كقول الشبعان نويت أن أشتهي الطعام وأميل إليه، أو قول الفارغ: نويت أن أعشق فلاناً وأحبه وأعظمه بقلبي، فذلك محال. بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وتوجهه نحوه إلا باكتساب أسبابه وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه. وإنما تنبعث النفس إلى الفعل إجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها، وما لم يعتقد الإنسان أن غرضه منوط بفعل من الأفعال فلا يتوجه نحوه قصده. وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين، وإذا اعتقد فإنما يتوجه القلب إذا كان فارغاً غير مصروف

بيان أن النية غير داخلة تحت الاختيار:

(**اعلم**) هداك الله تعالى (**أن الجاهل**) قد (**يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع**) سماع (**قوله ﷺ «إنما الأعمال بالنيات»**) فيحدث نفسه بذلك (**فيقول في نفسه عند تدريسه أو تجارته أو أكله**) مثلاً: (**نويت أن أدرس لله أو أتجر لله أو آكل لله، ويظن أن ذلك نية**) وكذا في كل حركة وسكون من حركاته وسكناته. (**وهيهات! فذلك حديث نفس أو حديث لسان أو**) حديث (**فكر أو انتقال من خاطر إلى خاطر**) لا ثواب فيه، (**والنية بمعزل عن جميع ذلك. وإنما**) حقيقة (**النية انبعاث النفس وتوجهها وميلها إلى ما ظهر لها أن فيه غرضها**) أي انصراف الداعية إلى الغرض المطلوب (**إما عاجلاً أو آجلاً**) وذلك لا يكون إلا بحسب الهمة وقوة الإيمان وغلبة حب الله تعالى والآخرة، (**والميل إذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة بل ذلك كقول الشبعان: نويت**) أن أشتهي (**الطعام وأميل إليه، أو قول الفارغ**) البال عن العشق (**نويت أن أعشق فلاناً وأحبه وأعظمه بقلبي فذلك محال بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وتوجهه نحوه إلا باكتساب أسبابه، وذلك مما قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه، وإنما تنبعث النفس إلى الفعل إجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها، وما لم يعتقد الإنسان أن غرضه منوط بفعل من الأفعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين، وإذا اعتقد فإنما يتوجه القلب إذا كان فارغاً غير مصروف عنه بغرض شاغل**)

عنه بغرض شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت، والدواعي والصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع، ويختلف ذلك بالأشخاص وبالأحوال وبالأعمال. فإذا غلبت شهوة النكاح مثلاً ولم يعتقد غرضاً صحيحاً في الولد ديناً ولا دنيا لا يمكنه أن يواقع على نية الولد بل لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة، إذ النية هي إجابة الباعث ولا باعث إلا الشهوة، فكيف ينوي الولد؟ وإذا لم يغلب على قلبه أنّ إقامة سنة النكاح اتباعاً لرسول الله ﷺ يعظم فضلها لا يمكن أن ينوي بالنكاح اتباع السنة إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه، وهو حديث محض ليس بنية. نعم طريق اكتساب هذه النية مثلاً أن يقوّي أوّلاً إيمانه بالشرع ويقوّي إيمانه بعظم ثواب من سعي في تكثير أمة محمد ﷺ، ويدفع عن نفسه جميع المنفرّات عن الولد من ثقل المؤونة وطول التعب وغيره، فإذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتتحرك أعضاؤه لمباشرة العقد، فإذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناوياً، فإن لم يكن كذلك فما يقدّره في نفسه ويردّده في قلبه من

أقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت، والدواعي والصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع) فمن تكسب النية ولم يتكسبها بأسبابها فقد فوت حظه من الله تعالى، **(ويختلف ذلك بالأشخاص والأحوال وبالأعمال، فإذا غلبت شهوة النكاح مثلاً)** وأقلقه الشبق **(ولم يعتقد غرضاً صحيحاً في الولد ديناً ولا دنيا لا يمكنه أن يواقع)** أي يجامع **(على نية الولد)** أي لا يتصور فيه وجود هذه النية أصلاً، **(بل لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة)** فقط **(إذ النية هي إجابة الباعث ولا باعث إلا الشهوة، فكيف ينوي الولد؟ وإذا لم يغلب على قلبه** أن إقامة سنة **النكاح اتباعاً لرسول الله ﷺ)** حيث كان محبوباً إليه **(يعظم فضله لا يمكن أن ينوي بالنكاح اتباع السنة إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض ليس بنية)** لفقدان حقيقتها. **(نعم طريق اكتساب هذه النية مثلاً أن يقوي أولاً إيمانه بالشرع أي بالله واليوم الآخر وما أعده)** الله فيه من المثوبات والعقوبات المرتبة على الطاعة والمعصية، **(ويقوي إيمانه بعظم ثواب من سعي في تكثير)** سواد **(أمة محمد ﷺ)** وانصرفت الدواعي المضادة لذلك، **(ويدفع عن نفسه جميع المنفرات عن الولد)** وشطرات النكاح **(من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره)** ويتذكر الفضائل الواردة في فضل النكاح لأجل الولد وفضل توليته وتعليمه الخير، **(فإذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للثواب فتحركه تلك الرغبة وتتحرك أعضاؤه لمباشرة العقد، فإذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناوياً فإن لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان)**، وكذا كل غرض شرعي

قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات إذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا فيه نية، حتى أن ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصري. وقال ليس تحضرني نية. ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره أن هات المدري، فقالت: أجيء بالمرآة؟ فسكت ساعة ثم قال: نعم، فقيل له في ذلك فقال: كان لي في المدري نية ولم تحضرني في المرآة نية فتوقفت حتى هيأها الله تعالى. ومات حماد بن سليمان وكان أحد علماء أهل الكوفة فقيل للثوري: ألا تشهد جنازته؟

ورد الشرع بفضله وله صوارف من جهة النفس والهوى كمن دخل في صوم نفل ثم أمره أبواه أو أحد من إخوانه بالإفطار، فأراد أن يفطر لإدخال السرور على قلب الوالدين فما دامت شهوة الطعام تزاحمه لا تصح نيته، فإن أفطر لاعتقاده أنه عامل لله فعلامة صحتها تصغير اللقمة وقصر اليد وعدم الشره في الباطن والقيام قبل الشبع، وما من حالة من الحالات إلا ويتقدمها أسباب يكتسب بها وتتأخر عنها علامات يعرف بها صحتها، فليطلب علم كل حال من موضعه، وقد ذكرنا ما يحسم خواطر النفس والهوى في كتاب الصبر والخوف والرجاء فاجمع بين ما ذكرنا وبين ذكر الفضيلة المرغوب فيها فعند ذلك تحصل النية بهذا الطريق، فافهم ذلك إن كنت من أهله وإلا فدع عنك الدعوى لمقامات الرجال والزم الذل والتواضع لهم والمحبة عسى ببركتهم تحشر معهم.

(ولذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات إذا لم تحضرهم النية كانوا) يتعللون و **(يقولون: ليس تحضرنا فيه نية)** وهم معذورون إذا لم يقدروا على كسبها، **(حتى)** روي **(أن ابن سيرين)** وهو محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر بن أبي عمرة البصري، وأبوه سيرين مولى أنس بن مالك إمام ثقة مأمون وأخوته تابعيون ثقاة، ولد لسنتين من خلافة عثمان **(لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال: ليس تحضرني نية)** ولفظ القوت: مات الحسن فلم يحضر ابن سيرين جنازته فسئل عن ذلك؟ فقال: لم تكن لي نية اهـ.

قال حماد بن زيد: مات الحسن في أول يوم من رجب سنة عشر ومائة، ومات ابن سيرين لتسع مضين من شوال في السنة المذكورة، وقال ابن حبان: مات ابن سيرين بعد الحسن بمائة يوم وهو ابن سبع وسبعين سنة.

(ونادى بعضهم امرأته وكان) فوق سطح **(يسرح شعره أن هات المدري)** ليفرق به شعره **(فقالت: أجيء بالمرآة فسكت ساعة ثم قال: نعم، فقيل له في ذلك)** أي قال له من سمعه لأي شيء سكت وتوقفت عن المرآة؟ **(فقال: كان لي في)** قولي هات **(المدري نية، و)** لما قالت أجيء بالمرآة **(لم تحضرني في المرآة فتوقفت حتى هيأها الله تعالى)** فقلت نعم جيء بها نقله صاحب القوت.

(ومات) أبو إسماعيل **(حماد بن أبي سليمان)** الأشعري مولاهم واسم أبي سليمان مسلم،

فقال: لو كان لي نية لفعلت. وكان أحدهم إذا سئل عملاً من أعمال البر. يقول: إن رزقني الله تعالى نية فعلت. وكان طاوس لا يحدّث إلا بنية، وكان يسأل أن يحدّث فلا يحدّث، ولا يُسأل فيتبدىء! فقيل له: في ذلك قال: أفتحبون أن أحدّث بغير نية، إذا حضرتني نية فعلت. وحكي أن داود بن المحبّر لما صنّف كتاب العقل، جاءه أحمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه أحمد صفحاً ورده فقال: ما لك؟ قال: فيه أسانيد ضعاف، فقال له داود: أنا لم أخرجه على الأسانيد، فأنظر فيه بعين الخبر إنما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت، قال أحمد: فرده حتى أنظر فيه بالعين التي نظرت فأخذه ومكث عنده طويلاً ثم قال: جزاك الله خيراً فقد انتفعت به. وقيل لطاوس: ادع لنا! فقال: حتى أجد له نية. وقال بعضهم: أنا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي

(**وكان أحد علماء الكوفة**) فقيه صدوق، روى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة، مات سنة عشرين أو قبلها، (**فقيل للثوري**) سفيان: (**ألا تشهد جنازته؟ فقال: لو كان لي نية لفعلت**) نقله صاحب القوت. (**وكان أحدهم إذ سئل عملاً من أعمال البر فقال: إن رزقني الله تعالى نية فعلت**) ولفظ القوت: وكان العلماء إذا سئلوا عن عمل شيء أو سعي فيه يقولون: إن رزقنا الله نية فعلنا ذلك. (**وكان طاوس**) بن كيسان اليماني رحمه الله تعالى (**لا يحدث إلا بنية، وكان يسأل أن يحدث ولا يسأل فيبتدىء فقيل له في ذلك، قال: أفتحبون أن أحدث بغير نية إذا حضرتني نية فعلت. وحكي أن**) أبا سليمان (**داود بن المحبر**) بن حزم الثقفي البكراوي البصري نزيل بغداد متروك. قال ابن حبان: كان يضع الحديث على الثقات، مات سنة ست ومائتين، روى له أبو داود في كتاب القدر، وابن ماجه وقد تقدم له ذكر وترجمة في آخر كتاب العلم (**لما صنف كتاب العقل**) وهو كتاب صغير الحجم يذكر فيه فضائل العقل وما ورد فيها من الأخبار والآثار، وقد تقدم الكلام على هذا الكتاب أيضاً في أواخر كتاب العلم. وقال الحافظ في التهذيب: إن أكثره موضوعات. (**جاءه**) الإمام (**أحمد بن حنبل**) رحمه الله تعالى (**فطلبه منه فنظر فيه**) أحمد (**صفحاً**) بالضم أي تصفحه كله (**فرده**) إليه (**فقال**) ابن المحبر: (**مالك قال: فيه أسانيد ضعاف، فقال داود: أنا لم أخرجه على الأسانيد فانظر فيه بعين الخبر**) بالضم أي الاختبار (**إنما نظرت فيه بعين العمل فانتفعت به. قال أحمد: فرده علي حتى أنظر فيه بالعين التي نظرت**) بها فرده عليه (**فأخذه ومكث عنده**) زماناً (**طويلاً**) حتى اقتضاه إياه ابن المحبر فرده عليه (**ثم قال: جزاك الله خيراً فقد انتفعت به**) منفعة بينة. نقله صاحب القوت فدل ذلك على أن النيات قد تختلف لاختلاف المقاصد فيصير بعداً ما كان قرباً بحسن النية وما كان حسناً سيئاً لسوء النية به. (**وقيل لطاوس**) اليماني رحمه الله تعالى: (**ادع لنا. قال: حتى أجد له نية**) رواه ابن المبارك في الزهد من طريق داود بن شابور قال: قلنا لطاوس: ادع بدعوات. فقال: لا أجد لذلك حسبة أي نية. وروى ابن أبي شيبة من هذا

بعد. وقال عيسى بن كثير: مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى إلى باب داره انصرفت فقال ابنه: ألا تعرض عليه العشاء؟ قال: ليس من نيتي. وهذا لأن النية تتبع النظر فإذا تغير النظر تغيرت النية، وكانوا لا يرون أن يعملوا عملاً إلا بنية لعلمهم بأن النية روح العمل وأن العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب، وعلموا أن النية ليست هي قول القائل بلسانه: نويت، بل هو انبعاث القلب يجري مجرى الفتوح من الله تعالى، فقد تتيسر في بعض الأوقات وقد تتعذر في بعضها، نعم من كان الغالب على قلبه أمر الدين تيسر عليه في أكثر الأحوال إحضار النية للخيرات فإن قلبه مائل بالجملة إلى أصل الخير فينبعث إلى التفاصيل غالباً. ومن مال قلبه إلى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرائض إلا بجهد

الطريق قال: قال رجل لطاوس: ادع الله لنا. قال: ما أجد لقلبي حسبة فأدعو لك أي نية. (**وقال بعضهم أنا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد**) وهذا لصعوبة اكتساب النية، ولهذا قال يوسف بن اسباط: تخلص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد.

(**وقال**) ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت، حدثنا أبو كريب، حدثنا خلف بن حبان، حدثنا (**عيسى بن كثير**) الأسدي الرقي قال: (**مشيت مع ميمون بن مهران**) الجزري كاتب عمر ابن عبد العزيز إمام جليل ثقة روى له الجماعة إلا البخاري، ففي الأدب المفرد حتى أتى باب داره ومعه ابنه عمرو، (**فلما انتهى إلى باب داره انصرف فقال**) له (**ابنه**) لما رأى انصرافي وابنه هذا هو عمرو بن ميمون بن مهران الجزري أبو عبدالله وأبو عبد الرحمن سبط سعيد بن جبير ثقة فاضل، روى له الجماعة مات سنة سبع وأربعين: يا أبت (**ألا تعرض عليه العشاء؟ قال: ليس**) ذلك (**من نيتي وهذا لأن النية تتبع النظر فإذا تغير النظر تغيرت النية. وكانوا لا يرون أن يعملوا عملاً إلا بنية**) لأنهم كانوا يستحبون أن تكون لهم في كل شيء نية، حتى قال الفضيل بن عياض: لا نتحدث إلا بنية (**لعلمهم بأن النية روح العمل**) فلا يصح بقاؤه بدونها، (**وأن العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت**) أي بعد عن الله تعالى (**لا سبب قرب، وعلموا أن النية ليس هي قول القائل بقلبه: نويت**) ولا قوله كذلك بلسانه، (**بل هو انبعاث القلب**) للغرض المطلوب (**يجري مجرى الفتوح من الله**) تعالى، (**فقد تتيسر في بعض الأوقات وقد تتعذر في بعضها**) إذ ليست داخلة تحت الاختيار. (**نعم من كان الغالب على قلبه أمر الدين**) والنظر إلى الآخرة (**تيسر عليه في أكثر الأحوال**)والأوقات (**إحضار النية للخيرات، فإن قلبه مائل بالجملة إلى أصل الخير فينبعث**)) لذلك (**إلى التفاصيل غالباً، ومن مال قلبه إلى الدنيا وغلبت عليه**) وقصر نظره عليها (**لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرائض إلا بجهد جهيد**) لاشتغال باطنه بأمور الدنيا، (**وغايته أن يتذكر**

جهيد، وغايته أن يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها أو نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما ينبعث له داعية ضعيفة [لا مسكة لها] فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته. وأما الطاعة على نية إجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية فلا تتيسر للراغب في الدنيا، وهذه أعز النيات وأعلاها، ويعز على بسيط الأرض من يفهمها فضلاً عمن يتعاطاها. ونيات الناس في الطاعات أقسام: إذ منهم من يكون عمله إجابة لباعث الخوف فإنه يتقي النار. ومنهم من يعمل إجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وإن كان نازلاً بالإضافة إلى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته وجلاله لا لأمر سواه، فهو من جملة النيات الصحيحة لأنه ميل إلى الموعود في الآخرة وإن كان من جنس المألوفات في الدنيا، وأغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرهما الجنة، فالعامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالأجير السوء ودرجته درجة البله وإنه لينالها بعمله إذ أكثر أهل الجنة البله. وأما عبادة ذوي الألباب فإنها لا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حباً لجماله وجلاله وسائر الأعمال تكون مؤكدات وروادف، وهؤلاء أرفع درجة من الالتفات إلى

النار ويحذر نفسه عقابها أو) يتذكر (**نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما تنبعث له داعية ضعيفة لا مسكة لها فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته**) وبقدر خوفه وتحذيره. (**وأما الطاعة على نية إجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية**) وإعطاء مقام الربوبية ما يستحقه (**فلا يتيسر للراغب في الدنيا**) لأنه عنه بمعزل، (**وهذه أعز النيات وأعلاها، ويعز من يفهمها فضلاً عمن يتعاطاها**) يعني الطاعة لامتثال أمر الله حياء منه وتعظيماً لجلاله وكبريائه وكماله في ذاته وصفاته وجميع أفعاله، وأنه المستحق لذلك بصفات ألوهيته على عباده. (**ونيات الناس في الطاعات أقسام: إذ منهم من يكون عمله إجابة لباعث الخوف فإنه يتقي النار**) لا غير، (**ومنهم من يعمل إجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة**) لا غير، (**وهذا وإن كان نازلاً بالإضافة إلى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته وجلاله لا لأمر سواه فهو من جملة النيات الصحيحة لأنه ميل إلى الموعود في الآخرة وإن كان من جنس المألوفات في الدنيا، وأغلب البواعث**) على الإنسان (**باعث الفرج والبطن**) للنكاح والأكل (**وموضع قضاء وطرهما في الجنة**) لأنها دار الجزاء، (**فالعامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه**) فهو (**كالأجير السوء**) الذي إن أعطي وإن لم يعط لم يعمل، (**ودرجته درجة البله وأنه لينالها بعلمه إذ**) قد ورد في الخبر: (**« أكثر أهل الجنة البله »**) كما تقدم.

(**وأما عبادة ذوي الألباب**) يشير إلى جملة ذكرت في آخر الخبر وهي قوله « وعليون لذوي الألباب » وتقدم أنها مدرجة من كلام بعض رواته وليست من أصل الحديث فإنه (**لا يجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حباً لجماله وجلاله**) وإعظاماً لربوبيته (**وسائر الأعمال تكون**

المنكوح والمطعوم في الجنة فإنهم لم يقصدوها، بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقط وثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر إلى وجهه الكريم، ويسخرون ممن يلتفت إلى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر إلى الحور العين ممن يتنعم بالنظر إلى وجه الصور المصنوعة من الطين! بل أشدّ، فإن التفاوت بَين جمال حضرة الربوبية وجمال الحور العين أشدّ وأعظم كثيراً من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين، بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطر من مخالطة الحسان وإعراضهم عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبتها وإلفها لها وإعراضها عن النظر إلى جمال وجوه النساء، فعمي أكثر القلوب عن إبصار جمال الله وجلاله يضاهي عمى الخنفساء عن إدراك جمال النساء. فإنها لا تشعر به أصلاً ولا تلتفت إليه، ولو كان لها عقل وذكرن لها لاستحسنت عقل من يلتفت إليهنَّ ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨] ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣] ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩]، حكي أن أحمد بن خضرويه

مؤكدات وروادف) أي توابع، **(وهؤلاء أرفع درجة من الالتفات إلى المنكوح والمطعوم في الجنة فإنهم لم يقصدوها)** ولم يعيروا طرفهم إليها، **(بل هم الذين)** قال الله تعالى في حقهم: **(﴿يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾)** في طرفي النهار **(يريدون وجهه﴾)** [الأنعام: ٥٢] أي يقصدون وجهه **(فقط)** لا غير وليس لهم التفات إلا إليه **(وثواب الناس بقدر نياتهم)** فمن كانت نيته أشرف أثابه الله ما يناسب حسن معرفته وقصده، **(فلا جرم يتنعمون بالنظر إلى وجهه الكريم ويسخرون ممن يلتفت إلى وجه الحور العين كمن يتنعم بالنظر إلى وجه الصور المصنوعة من الطين بل أشد)** وأعظم، **(فإن التفاوت بين جمال الحضرة الربوبية وجمال الحور العين أشد وأعظم كثيراً من التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين)** إذ لا مناسبة بين المقامين، **(بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية)** التي جبلت على شهواتها كالبهائم **(لقضاء الوطر من مخالطة الحسان)** بالضم والتقبيل والوقاع **(وإعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء)** وهي دويبة منتنة تعبث بالأقذار وأشد حرصها برجليها **(لصاحبتها وإلفها لها)** وأنسابها **(وإعراضها عن النظر إلى وجوه النساء)** الحسان، **(فعمى أكثر القلوب عن إبصار جمال الله وجلاله يضاهي عمى الخنفساء عن إدراك جمال النساء فإنه لا تشعر به أصلاً ولا تلتفت إليه)** أبداً والجنسية علة الضم، **(ولو كان لها عقل وذكرت لها لاستحسنت عقل من يلتفت إليهن)** وقد صدق الله تعالى في قوله: **(﴿ولا يزالون مختلفين﴾ ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ ﴿ولذلك خلقهم﴾)** ﴿وتمت كلمة ربك﴾ [هود: ١١٩].

رأى ربه عز وجل في المنام فقال له: كل الناس يطلبون مني الجنة إلا أبا يزيد فإنه يطلبني، ورأى أبو يزيد ربه في المنام فقال: يا رب كيف الطريق إليك؟ فقال أترك نفسك وتعالَ إليّ. ورؤي الشبلي بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: لم يطالبني على الدعاوي بالبرهان إلا على قول واحد: قلت يوماً أي خسارة أعظم من خسران الجنة؟ فقال أي خسارة أعظم من خسران لقائي. والغرض أن هذه النيات

وقال صاحب القوت: وليكن ما تحرك فيه أو سكن عنه أو توقف عن الإقدام عليه ابتغاء مرضاة الله تقرباً إليه لأجل الله تعالى، فهذا أعلى النيات وهو غاية الإخلاص، ومن أراد بأعماله ما عند الله تعالى من ثواب الآخرة من حظوظ نفسه ومعاني شهواته ولذته من النعيم في الجنان واتخاذ الحور الحسان مما وصفه الله تعالى وندب إليه لم يقدح ذلك في إخلاصه ولم يغير صحة نيته من قبل أن الله تعالى مدحه ورغب فيه ووصفه كان ذلك مزيد مثله إلا أن هذا نقص في مقام المحبين عندهم، وعيب كعيب من عمل لعاجل حظه من دنياه وهو شرك في إخلاص الموحدين الذين اختصوا بالعبودية فعتقوا من أسر الهوى بالحرية، فلم يسترقهم سوى الوحدانية لما شهدوا من خالص الربوبية وخلاص العبودية للربوبية أشد من إخلاص المعاملة إلا أن من رزق المقام منها دخل بحقيقة إخلاص المعاملة مزورة فلا تنقية ولا تصفية ولا عمل ولا مجاهدة فكانوا مخلصين، وهذا مقام المحبين. وإنما أتعب المريدين بالتنقية والتصفية للمعاملة لما بقي من الشرك الخفي والشهوة الخفية كما أتعب خدام الدنيا بالجمع لما استرقهم من الهوى، فأما الأحرار فهم من مذمة الخلق برآء وهذا يذهب الإخلاص ويفسد النية ويدخل الانتقاص انتهى.

(**وحكي أن**) أبا حامد (**أحمد بن خضرويه**) البلخي رحمه الله تعالى من كبار مشايخ خراسان صحب أبا تراب النخشي قدم نيسابور وزار أبا حفص وخرج إلى بسطام في زيارة أبي يزيد البسطامي وكان كبيراً في الفتوة، وكان أبو يزيد يقول: أستاذنا أحمد مات سنة أربعين ومائتين عن خمس وتسعين سنة ترجمه القشيري في الرسالة. (**رأى ربه في المنام فقال له**): يا أحمد (**كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد**) يعني البسطامي (**فإنه يطلبني**) نقله القشيري، (**ويحكى**) أنه (**رأى أبو يزيد**) البسطامي رحمه الله تعالى (**ربه في المنام فقال: يا رب كيف الطريق إليك**)؟ أي دلني على طريق الوصول إليك، كما قال القائل مشيراً إلى هذا المقام:

يا من هواه أعزه وأذلني   كيف الطريق إلى وصالك دلني

(**فقال: اترك نفسك وتعال. ورؤي**) أبو بكر (**الشبلي**) قدس سره (**بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: لم يطالبني على الدعاوى بالبرهان إلا على قول واحد. قلت يوماً**) من الأيام: (**أي خسارة أعظم من خسران الجنة**) أي لا أعظم من خسارة من غفل عنها بعد أن أمكنه تحصيلها، (**فقال**) تعالى: (**بل أي خسران أعظم من خسران لقائي**) وذلك لأن لقاء الله تعالى والنظر إلى وجهه أعظم من نعيم الجنة. (**والغرض أن هذه النيات**

متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لا يتيسر له العدول إلى غيرها، ومعرفة هذه الحقائق تورث أعمالاً وأفعالاً لا يستنكرها الظاهريون من الفقهاء، فإنا نقول: من حضرت له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح أولى وانتقلت الفضيلة إليه وصارت الفضيلة في حقه نقيضة لأن الأعمال بالنيات. وذلك مثل العفو فإنه أفضل من الانتصار في الظلم، وربما تحضره نية في الانتصار دون العفو فيكون ذلك أفضل. ومثل أن يكون له نية في الأكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويتقوّى على العبادات في المستقبل وليس تنبعث نيته في الحالين للصوم والصلاة فالأكل والنوم هو الأفضل له. بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم أنه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو أفضل له من الصلاة. قال أبو الدرداء: إني لاستجم نفسي بشيء من اللهو، فيكون ذلك عوناً لي على الحق. وقال علي كرّم الله وجهه: روّحوا القلوب فإنها إذا أكرهت عميت. وهذه دقائق لا يدركها إلا سماسرة العلماء دون الحشوية منهم، بل

متفاوتة الدرجات) منها أعلى ومنها دون وبينهما أوساط، **(ومن غلب على قلبه واحدة منها لم يتيسر له العدول إلى غيرها)** لاستغراقه بها. **(ومعرفة هذه الحقائق تورث أعمالاً وأفعالاً يستنكرها الظاهريون من الفقهاء)** أي الذين يتكلمون في ظاهر الفقه **(فإنا نقول: من حضرت له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح أولى)** وأفضل حينئذ **(و)** قد **(انتقلت الفضيلة إليه)** أي انتقل المعنى فصار المباح هو الفضيلة، **(وصارت الفضيلة في حقه نقيصة)** أي صارت الفضيلة هي النقصية لعدم النية فيها، **(لأن الأعمال بالنيات، وذلك مثل العفو فإنه أفضل من الانتصار في الظلم)** أي أن يكون رجل قد ظلم فله أن ينتصر وإن عفا كان أفضل، **(وربما تحضره نية في الانتصار)** لعجزه عن كسب النية باستحضار فضيلة العفو وما ورد فيها من المثوبات والقربات **(دون العفو فيكون ذلك أفضل)** لوجود النية فيها، **(ومثل أن يكون له نية في الأكل والشرب والنوم ليريح نفسه ويقوى)** بها **(على العبادات في المستقبل)** لوقت آخر، **(وليس تنبعث نيته في الحالين للصوم والصلاة، فالأكل والنوم)** صار **(هو الأفضل له، بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته وعلم أنه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه)** وقوته إلى أوله، **(فاللهو)** حينئذ **(أفضل من الصلاة. قال أبو الدرداء)** رضي الله عنه: **(إني لأستجم نفسي)** أي أطلب جامها أي راحتها **(بشيء من اللهو ليكون ذلك عوناً على الحق)** نقله صاحب القوت إلا أنه قال ببعض اللهو. **(وقال علي رضي الله عنه: روحوا القلوب فإنها إذا أكرهت عميت)** نقله الشريف في نهج البلاغة. وروى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس «روحوا القلوب ساعة وساعة» ويشهد له ما في صحيح مسلم «يا حنظلة ساعة وساعة». **(وهذه دقائق لا يعرفها إلا سماسرة العلماء)**

الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب وإنما يبتغي به أن يعيد أولاً قوته ليحتمل المعالجة بالضدّ، والحاذق في لعب الشطرنج مثلاً قد ينزل عن الرخ والفرس مجاناً ليتوصل بذلك إلى الغلبة، والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه. وكذلك الخبير بالقتال قد يفر بين يدي قرينه ويوليه دبره حيلة منه ليستجره إلى مضيق فيكرّ عليه فيقهره فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة للقلب والبصير الموفق يقف فيها على لطائف من الحيل يستبعدها الضعفاء، فلا ينبغي للمريد أن يضمر إنكاراً على ما يراه من شيخه ولا للمتعلم أن يعترض على أستاذه، بل ينبغي أن يقف عند حد بصيرته وما لا يفهمه من أحوالها يسلمه لها إلى أن ينكشف له أسرار ذلك بأن يبلغ رتبتها وينال درجتها ومن الله حسن التوفيق.

ونقادهم، وهم العلماء ببطن العلم وغوامض التعريف (**دون الحشوية منهم**) الذين يتعلقون بالقشور دون اللباب، (**بل الحاذق بالطب قد يعالج المحرور باللحم مع حرارته ويستبعده القاصر في الطب**) ويقول: كيف يداوي بما يضره، (**وإنما يبتغي به أن يعيد أولاً قوته**) إن كان هناك ضعف مزاج (**ليحتمل المعالجة بالضد**) ولو عالجه بما يدفع حرارته ولا قوة عنده لاحتمال ذلك العلاج لأضره، (**والحاذق في لعب الشطرنج مثلاً قد ينزل**) في لعبه (**عن الرخ والفرس مجاناً**) أي بلا عوض مثلها والرخ والفرس من أقوى ما يقاتل به اللاعب لكثرة أعمالها في الرقعة، وإنما يفعل ذلك مع كمال احتياجه إليها (**ليتوصل بذلك إلى الغلبة**) على نديده، (**والضعيف البصيرة قد يضحك به ويتعجب منه**) وسببه عدم نفوذ بصيرته، وقد يتفق أنه ينزل عن الفيل في مقابلة البيدق لأمر ما ومن لا خبرة له ينكر ذلك، (**وكذلك الخبير بالقتال**) أي بأموره (**وقد يفر بين يدي قرينه ويوليه دبره حيلة منه**) لا جبناً (**ليستجره إلى مضيق فيكر عليه فيقهره**) وتارة إلى متسع ليملك غرضه في حرية فيغلب عليه فإن الحرب خدعة كما ورد، (**فكذلك سلوك طريق الله تعالى**) فإنك إذا نظرت بعين التأمل فإنه (**كله قتال مع الشيطان**) ومحاربة معه (**ومعالجة للقلب**) بالتصفية والتهذيب عن الرذائل، (**والبصير الموفق يقف فيها**) في أثناء سلوكه (**على لطائف من الحيل**) ودقائق (**يستبعدها الضعفاء**) ويستنكرونها، (**فلا ينبغي للمريد أن يضمر إنكاراً على ما يراه من شيخه**) يفعله مع نفسه أو مع مريده في حركاته وسكناته وإلا فلا يفلح أبداً، (**ولا للمتعلم أن يعترض على أستاذه**) ولو بقوله: لم كان كذا وإلا فلا يفلح أبداً، (**بل ينبغي أن يقف عند حد بصيرته**) ولا يخطر بباله شيء من الإنكار (**وما لا يفهمه من أحوالها**) أي الشيخ والمعلم (**يسلمه لها إلى أن تنكشف له أسرار ذلك**) ولو بعد حين (**بأن يبلغ رتبتها وينال درجتها**) كما أفصح عنه القشيري في آخر الرسالة في آداب المريدين (**ومن الله حسن التوفيق**).

ولنذكر ما يتعلق النية من كتاب القوت مما لم يذكره المصنف ليكون تكميلاً للباب، ثم نتبعه بما في شرح التقريب للحافظ العراقي، وإدراك الأمنية في النية للشهاب القرافي، ومنتهى الآمال للحافظ السيوطي رحمهم الله تعالى.

قال صاحب القوت: روينا في الخبر من طريق آل البيت: لا يقبل الله قولاً إلا بعمل ولا قولاً ولا عملاً إلا بنية، فينبغي أن يكون للعبد في كل شيء نية حتى في مطعمه ومشربه وملبسه ونومه ونكاحه، فإن ذلك كله من أعماله التي يسأل عنها، فإن كانت لله وفي الله كانت في ميزان حسناته، وإن كانت في سبيل الهوى ولغير المولى كانت في ميزان سيئآته، إذ لكل عبد ما نوى، وإن كان ذلك غفلة وسهواً من غير نية ولا عقد طوية ولا عفة لم يكن له في ذلك شيء ولم يجد عمله في الآخرة شيئاً، وكان فيه لا له ولا عليه، وكان ذلك في الدنيا على مثال الأنعام التي تتصرف عن غير عقول ولا تكليف ولكن بالهام وتوفيق، وأخاف أن يدخل في وصف من قال الله تعالى فيه ﴿أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾ [الكهف: ٢٨] قيل مجازفته قدماً قدماً من غير تمييز وقيل: أي غفلة وسهواً، وقيل تفريطاً وتضييعاً، وقيل مقدماً إلى الهلاك، فالنية الصالحة هي أول العمل، وأول العطاء من الله تعالى وهي مكان الجزاء. وقال بعض السلف: رأيت الخير إنما يجمعه حسن النية وكفاك به خيراً وإن لم تنصب رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية. وقال داود الطائي: البر همته التقوى ولو تعلق جميع جوارحه بالدنيا الردية لردته نيته يوماً إلى نية صالحة، فكذلك الجاهل بالله وأيامه همه الدنيا والهوى ولو تعلقت جوارحه بكل أعمال الصالحات لكان مرجوعاً إلى إرادة الدنيا وموافقة الهوى لأن سرها كان همة النفس لعاجل عرض الدنيا، وقال محمد بن الحسين: ينبغي للرجل أن تكون نيته بين يدي عمله. وقال بعض العلماء: أطلب النية قبل العمل وما دمت تنوي الخير فأنت بخير، وقال بعض التابعين: قلوب الأبرار تغلي بالبر وقلوب الفجار تغلي بالفجور والله مطلع على نياتهم فيثيبهم على قدر ذلك، فانظر ما همك وما نيتك. وقد روينا عن الله تعالى في بعض الكتب قال: ليس كل كلام الحكيم أتقبل، ولكني أنظر إلى همه وهواه فمن كان همه وهواه لي جعلت همته ذكراً ونظره عبراً. وسئل سفيان الثوري: هل يؤخذ العبد بالنية؟ قال: نعم إذا كان عزماً أخذ بها، فأول سلطان العدو على القلب عن فساد النية، فإذا تغيرت من العبد طمع فيه فيتسلط عليه، وأول ارتداد العبد عن الاستقامة ضعف النية، فإذا ضعفت النية قويت النفس فتمكن الهوى، وإذا قويت النية صح العزم وضعفت صفات النفس، وفي الأثر: من عمل عملاً لا يريد به وجه الله لم يزل في مقت من الله حتى يفرغ، ولو لم يكن في تجديد النية الحسنة إلا أن صاحبها لا يزال عاملاً من عمال الله بقلبه وهمه وإن لم يساعده القدر على الأفعال بجوارحه فيكون أبداً مأجوراً ولو لم يكن في نية الشر إلا أن صاحبها في بطالة وخسارة، وإن لم يساعده المقدور على الأفعال السيئة بجوارحه أبداً خاسراً مأزوراً، نعوذ بالله من ذلك. ولقد كان السلف لشدة تفقدهم وحسن رعايتهم صادقين في ترك كثير من أعمال البر

لضعف النية ويعملون في أحكام الأصل. وقال ابن عيينة: إنما حرموا الوصول لتضييع الأصول والنية أصل الأصول لأنها فرض الفرائض.

فصل

وقد تلتبس النية بالأمنية فتخفى والهمة بالوسوسة فتشتبه، والنية ما كان يراد به وجه الله ويطلب به ما عنده، والأمنية ما تعلق بالخلق طلب منه عاجل الحظ من الملك الفاني، وقد تلتبس الإرادة بالمحبة والحاجة بالشهوة، فالإرادة أن يريد وقوع الأمر وقد لا يحب كونه أو يريد أيضاً وجود ضده، والمحبة ما قهر العقل وغلب الوجد وحل في مجامع القلب وكره وجود غيره ولم يرد فقده، والحاجة ما اضطررت إليه ولم يكن منه بد ولا يستغنى عنه بغيره، والشهوة مزيد لذة واستدعاء فضل فاقة واجتلاب تقدم عادة، وقد يختلط الذكر بالقلب بالفكر في معاني القرب، فالذكر ما أظهر المنسي وكشف الغي وذكر الشيء، والفكر ما صور الأمر وأظهر الخبر، وقد يلتبس الرجاء بالمحبة والهوى بالنية، فالرجاء ما طمعت فيه بسبب ما أو لسبب ما، والمحبة ما تطعمت ذوقه ووجدته بغير سبب تستخرجه، وقد يلتبس ذل القلب بضعفه وقوته للطمع في الخلق بذل النفس لمشاهدة غيرة الحق سبحانه، وقد يتداخل ذل الطمع لدناءة الهمة والنفس بذل العقل للاعتراف بالحق وخضوع العلم له، وقد يلتبس ذل النفس لغلبة الهوى وقهره للعقل بذل القلب لسرعة الانقياد للعلم المحق، وقد تختلط عزة القلب بمقلبه بدوام النظر إليه وعزة العقل بعلمه الذي كثر عنده، وقد تلتبس عزة النفس بوصفها المتسلط بعزة الإيمان المعزز بغيبته اليقين؛ فهذه فروق ظاهرة للعارفين وخروق متسعة توهت العاقلين، وقد تلتبس العبادة بالعادة مثل أن تكون للعبد نية في علم أو عمل أو صدقة أو نفقة الشهر أو السنة ثم تعزب نيته فيبقى على عادته يرث حال الذي قد عرف به لا يحب أن يخرج من عرف الناس له، فيستعمل لاستقامة الحال على التكلف لتلك الأعمال فتذهب النية وتبقى العادة فيخرج به من إرادة الآخرة والسعي لها. ويدخل في إرادة الدنيا بالشهوات على جريان العادة بها. وقد تلتبس طرقات الدنيا من طلب الرئاسة لوجود الهوى بطرقات الآخرة في معنى العلوم والأعمال فما طلب من علوم السلف وأريد به تأديب النفس ويعلم به الزهد في الدنيا، فهذه طرقات الآخرة وما كان على ضده فهو طرقات الدنيا إذ هي ضدها، وقد يلتبس إظهار الأعمال وكشف ما كتم من الأحوال لأجل التأديب به والاتباع عليه أو لإظهار قدرة الله عز وجل وآياته لمزيد السامع من المعرفة به يفعل مثل ذلك للتزين والفخر أو للمدعى به وطلب الذكر. وسئل أبو سليمان الداراني عن الرجل يخبر الشيء عن نفسه؟ قال: إذا كان إماماً يقتدى به فنعم. وقال مرة، هو أو غيره: يختلف ذلك على قدر الإرادة به إن أراد التأديب للنفس حسن ذلك؛ فهذا يلتبس بمداخلة النفس أو بفنائها بغيوبة شاهد اليقين للرب عز وجل.

فصل

ترك العمل عمل كثير يحتاج التارك للنهي أو المكروه فرضاً أو ورعاً إلى نية حسنة أن يتركه لله عز وجل طلباً منه أو رغبة فيما عنده لا لوجود الخلق ولا ليرب به حاله أو يقيم عند العبيد جاهه

....

لأن ترك المعصية من الأعمال، فيحتاج إلى أحسن النيات، إذ عليها من الله تعالى أجزل المثوبات لبلوى النفس فيها واضطرار النفس إليها . قال بعضهم: من أحب أن يعرف ورعه غيره فليس من الله في شيء . وروينا في خبر: إن أعجمياً مر بنفر قعود يتكلمون بكلام فيه استهزاء وهو يظن أنهم يدعون الله عز وجل فقال: مثل ما يقولون بحسن النية . قال: فغفر الله تعالى له بحسن نيته . وقال الحسن: من علامة المسلم أن لا يبدره لسانه ولا يسبقه بصره ولا تقصر به نيته . يعني لا تضعف ولا تقعد به عن المسارعة إلى القربات، هي أبداً في قوة وزيادة وإن قصرت أعماله فيها وعجزت قوى جوارحه . قال: المؤمن تبلغ نيته وتضعف، والمنافق تضعف نيته وتبلغ قوته . وقال ابن عجلان: العمل لا يصلح إلا بثلاث: التقوى لله عز وجل، والنية الحسنة، والإصابة . وقال أبو عبيدة بن عقبة: من قصده أن يكمل عمله فليحسن نيته، فإن الله تعالى ما جبر العبد إذا حسنت نيته حتى باللقمة . وقال بعضهم: القصد إلى الله بالقلوب أبلغ من حركات الأعمال للصلاة والصيام ونحوه . وقال الأنطاكي إذا صارت المعاملة إلى القلب استراحت الجوارح . وروي عن علي رضي الله عنه: من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه، ومن كان باطنه أرجح من ظاهره ثقل ميزانه يوم القيامة . وروي عن الحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ [العنكبوت: ٢٧] قال نيته الصادقة اكتسب بها الأجر في الآخرة اهـ سياق القوت .

فصل

قال السيوطي في منتهى الآمال: ورد في مطلق النية أحاديث كثيرة جداً تزيد على عدد التواتر، فروى البيهقي في السنن من حديث أنس « لا عمل لمن لا نية له » . وروى الشيخان من حديث ابن عباس، وأحمد من حديث رافع بن خديج، وزيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري والطبراني من حديث غزية بن الحارث: « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » . وروى الستة من حديث سعد ابن أبي وقاص « إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله تعالى إلا أجرت فيها » . وروى ابن ماجه من حديث معاوية « إنما الأعمال كالوعاء إذا طاب أسفله طاب أعلاه » . وروى الأربعة من حديث عقبة بن عامر « إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة » فذكره وفيه « وصانعه يحتسب في صنعته الأجر » وروى النسائي من حديث أبي ذر وأبي الدرداء « من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عينه حتى يصبح كتب له ما نوى » .

فصل

قال الشهاب القرافي في كتاب الأمنية في إدراك النية: إنما قال ﷺ « إنما الأعمال بالنيات » ولم يقل: الأفعال بالنيات لأن عمل معناه فعل فعلاً له شرف وظهور وفعل لمطلق الأثر، ولذلك قال تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ [الفيل: ١] ولم يقل كيف عمل لأنه أثر فيه عقاب واقتصام لا شرف ولا تعظيم . وقال تعالى ﴿مما عملت أيدينا﴾ [يس: ٧١] وأكثر ما ورد في القرآن من ذكر الجزاء بلفظ العمل لا بلفظ الفعل نحو: ﴿بما كنتم تعلمون﴾ ﴿نعم أجر

....

العاملين﴾ [العنكبوت: ٥٨] ﴿من عمل صالحاً﴾ [فصلت: ٤٦] قال: وإذا تقرر ذلك حسن حتماً أن يقال: الأعمال بالنيات دون الأفعال بالنيات لأن التقدير في خبر المبتدأ المحذوف الأعمال معتبرة بالنيات، وإنما يراد اعتبارها إذا كانت تصلح لله تعالى ولا يصلح له إلا ما كان شريفاً في نفسه، فإذا أضيف إليه النية صار يترتب عليه الثواب عندالله تعالى. قال: ويسمى الجرم عملاً وإن كان منهياً عنه مبعداً عن الله تعالى، لأنه عظيم في ظهوره خيراً أو شراً قال: ولذلك منع بعض العلماء من متأولي الحديث الوضوء حيث استدل به على وجوب النية في الوضوء فقال: لا نسلم أن الوضوء من الأعمال، بل هو من الأفعال، والحديث إنما ورد في الأعمال، وتقريره أن الطهارة شرط ووسيلة لا مقصد في نفسه فلم يصل شرف رتبة المقاصد فليس فيه من الظهور والشرف ما في الصلاة ونحوها. فلا نسلم اندراجه وهو منع مشهـور من قبل الحنفية.

فصل

في حد النية

قال الجوهري: النية العزم، وقال الخطابي: هي قصدك الشيء بقلبك وتحري الطلب منك له، وقيل: هي عزيمة القلب، وقال التيمي: هي وجهة القلب. وقال البيضاوي: هي عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقاً لغرض من جلب نفع أو دفع ضر حالاً أو مآلاً، والشرع خصها بالإرادة المتوجهة نحو الفعل ابتغاء لوجه الله تعالى وامتثالاً لحكمه. وقال النووي: النية القصد وهو عزيمة القلب، وتعقبه الكرماني بأن المتكلمين قالوا: القصد إلى الفعل هو ما نجده في أنفسنا حال الإيجاد، والعزم قد يتقدم عليه ويقبل الشدة والضعف بخلاف القصد ففرقوا بينهما من وجهين فلا يصح تفسيره به. وكلام الخطابي أيضاً مشعر بالمغايرة بينهما. وقال العراقي في شرح التقريب: اختلف في حقيقة النية. فقيل: هي الطلب، وقيل الجد في الطلب، ومنه قول ابن مسعود: من ينو الدنيا تعجزه أي يجد في طلبها، وقيل: القصد للشيء بالقلب، وقيل: عزيمة القلب. وقال الزركشي في قواعده: حقيقة النية ربط القصد بمقصود معين، والمشهور أنها مطلق القصد إلى الفعل. وقال الماوردي: هي قصد الشيء مقترناً بفعله فإن قصده وتراخى عنه فهو عزم.

فصل

قال القرافي في كتاب الأمنية: إن جنس النية هو الإرادة وهي الصفة المخصصة لأحد طرفي الممكن بما هو جائز عليه من وجود أو عدم أو هيئة دون هيئة أو حالة دون حالة أو زمان دون زمان، وجميع ما يمكن أن يتصف الممكن به بدلاً من خلافه أو ضده أو نقيضه أو مثله غير أنها في الشاهد لا يجب لها حصول مرادها، وفي حق الله تعالى يجب لها ذلك لأنها في الشاهد عرض مخصوص مصرف بالقدرة الإلهية والمشيئة الربانية هي ومرادها، وفي حق الله تعالى معنى ليس بعرض واجبة الوجود متعلقة بذاتها أزلية واجبة النفوذ فيما تعلقت به، ثم الإرادة متنوعة إلى العـزم والهم والنية والشهوة والقصد والاختيار والقضاء والقدرة والعناية والمشيئة؛ فهي عشرة ألفاظ.

فالعزم: هو الإرادة الكائنة على وفق الداعية، والداعية ميل يحصل في النفس لما أشعرت به من اشتمال المراد على مصلحة خالصة أو راجحة، والميل جائز على الخلق ممتنع على الله تعالى، فلا جرم لا يقال في حق الله تعالى عزم بمعنى أراد الإرادة الخاصة المصممة بل عزائم الله تعالى طلبه الراجع إلى كلامه النفسي، فظهر الفرق بين العزم والإرادة.

وأما الهم: في مثل قوله تعالى ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ [يوسف: ٢٤] وفي قوله ﷺ « من هم بحسنة » فالظاهر أنه مرادف وأن معناها واحد، ويستحيل على الله تعالى كما يستحيل العزم.

وأما النية: فهي إرادة تتعلق بإمالة الفعل إلى ما يقلبه لا بنفس الفعل من حيث هو فعل ففرق بين قصدنا لفعل الصلاة وبين قصدنا لكون ذلك قربة أو فرضاً أو نفلاً أو أداء أو قضاء، أو غير ذلك مما هو جائز على الفعل. فالإرادة المتعلقة بأصل الكسب والإيجاد هي المسماة بالإرادة، ومن جهة أن هذه الإرادة مميلة للفعل إلى بعض جهاته الجائزة عليه تسمى من هذا الوجه نية، فصارت الإرادة إذا أضيف إليها هذا الاعتبار نية، وهذا الاعتبار هو تمييز الفعل عن بعض رتبه جائز على الله تعالى، فإنه سبحانه قد يريد الفعل الواحد نفع قوم وضر قوم وهداية قوم إلى غير ذلك مما هو جائز على فعله، غير أن أسماء الله توقيفية فلا يسمى الله تعالى ناوياً ويسمى مريداً. هذا إن اقتصر على هذا الاعتبار العام وهو مطلق إمالة الفعل إلى بعض جهاته حكم شرعي، فينوي إيقاع الفعل عن الوجه الذي أمر الله تعالى به أو نهى عنه أو أباحه، ومنهم من يقول: بل أخص من هذا وهو أن يميل الفعل إلى جهة التقريب والعبادة، وعلى التقديرين فيستحيل على الله تعالى معناها بخلاف المعنى العام، وتفارق النية الإرادة من وجه آخر وهو أن النية لا تتعلق إلا بفعل الناوي، والإرادة تتعلق بفعل الغير كما يريد معونة الله تعالى وإحسانه وليست فعلنا.

وأما الشهوة: فهي إرادة متعلقة براحات البشر كالملاذ ودفع الآلام فيستحيل على الله تعالى.

وأما القصد: فهو الإرادة الكائنة بين جهتين كمن قصد الحج من مصر ومن غيرها، وهو بهذا المعنى مستحيل على الله تعالى.

وأما الاختيار، فهو الإرادة الكائنة بين شيئين فصاعداً ومنه ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً﴾ [الأعراف: ١٥٥]أي أرادهم دون غيرهم مضافاً إلى اعتقاد رجحان المختار وهو جائز على الله تعالى. قال تعالى ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾ [الدخان: ٣٢]

وأما القضاء فهو الإرادة المقرونة بالحكم الخبري، فقضاء الله تعالى لزيد بالسعادة إرادته سعادته مع اخباره بكلامه النفسي عن سعادته، ومنه قضاء الحاكم إذا أخبر عن حكم الله تعالى في تلك الواقعة إخباراً إنشائياً، ولذلك تعذر نقضه بخلاف الفتيا.

وأما العناية: فهي الإرادة المتعلقة بالشيء على نوع من الحصر والتخصيص، ولذلك قال العوفي: إياك أعني واسمعي يا جارة. أي أخصك دون غيرك، ولم يقل: إياك أريد ويقولون: ما يعني

....

بكلامه أي ما يخصه به من المعاني التي يحتملها دون غيره، وهذا التفسير جائز على الله تعالى غير أن أسماءه توقيفية فلا يقال الله عان وإن قيل مريد.

وأما المشيئة؛ فالظاهر أنها مرادفة للإرادة. وقالت الحنفية. هي مباينة وجعلوها مشتقة من الشيء والشيء اسم الموجود، حتى قالوا: إذا قال الحالف إن شئت دخول الدار فعبدي حر فأراد دخول الدار لا يعتق حتى يدخل، ولا تكفي الإرادة، وأطلنا في كشف كتب اللغة ولم نجد للمشيئة معنى إلا الإرادة؛ فهذه التفاسير والتغايرات بين هذه المعاني العشرة يساعدها عليها الاستعمال والأصول الموجودة لعدم الترادف، فتلخص أن النية غير التسعة الباقية لما ذكر من خصوصيتها وخصوصيات كل من التسعة المفقودة في النية فيجزم الناظر بالفرق حينئذ، ولا يضر كون الاستعمال قد يتوسع فيه فيستعمل أراد ومراده نوى أو عزم أو قصد أو عنى، فإنها متقاربة المعاني حتى يكاد يجزم فيها بالترادف تكثيراً لفوائد اللغة. قال: وبهذا تظهر الحكمة في قوله ﷺ «الأعمال بالنيات» ولم يقل بالإرادات والعنايات أو غير ذلك. فإنه ﷺ لم يرد إلا الإرادة الخاصة المميلة للفعل إلى جهة الأحكام الشرعية كما تقدم في تفسير النية.

فصل

سئل الإمام الغزالي رحمه الله تعالى عن قول الفقهاء بوجوب مقارنة النية للتكبير وكيف يكاف المرء بذلك، ومعلوم أن الفرضية والظهرية والإدائية ونية التقرب إلى الله تعالى واجبة، فكيف يخطر بباله هذه الأمور حال افتتاح الصلاة وأنى يتصور ذلك؟

فأجاب: أمر النية سهل في العبادات وهو مثل النية في العاديات، وإنما يتعسر بسبب الجهل بحقيقة النية أو بسبب الوسوسة التي هي نوع اضطراب وفساد في الفكر، فلا بد من معرفة حقيقة النية، وإنما يلتئم أمر النية بقصد وعلم القصد فنان وللعلم المفتقر إليه متعلقان. أما الفن الأول من القصد؛ فهو القصد إلى الفعل وذلك ما يصير به الفعل اختيارياً كالهوي إلى السجود مثلاً فإنه تارة يكون بقصد وتارة يسقط الإنسان على وجهه بصرعة أو صدمة؛ فهذا يضاده الاضطرار. والفن الثاني: كالعلة لهذا القصد وهو الانبعاث لإجابة الداعي وقد يسمى باعثاً فإنك إذا همت عند اجتياز إنسان بك فلك قصد القيام بكل حال، فإن القيام لا يقع اضطراراً ولكن قد يكون غرضك في القيام إحترام ذلك الإنسان، وقد يكون غرضك أن تلبس ثوباً وتسرج دابة وتخرج إلى السوق أو غرض آخر من الأغراض، فإن كان المحرك الباعث على اختيار القيام إحترام ذلك الإنسان يقال: نويت تعظيمة، وإن كان غرضك الخروج إلى السوق نويت الخروج وكيفما نويت، فالقيام لا يخلو عن إرادة قصد متعلق بمعنى القيام، ولكن القصد إلى القيام لا ينبعث من النفس إلا إذا كان في القيام غرض، فذلك الغرض هو المنوى، والنية إذا أطلقت في غالب الأمر أريد بها إنبعاث القصد متوجهاً إلى ذلك الغرض علة تحريك قصد القيام، وقصد القيام إجابة لتحريك ذلك الغرض وانبعاث إليه، وقصد الفعل لا ينفك عند التكبير إذ اللسان لا يجري عليه كلام منظوم اضطراراً

....

والتكبير قد ينفك عند النية؛ فبهذا تعلم أن النية عبارة عن إجابة الباعث المحرك، فهذا تحقيق نوعي القصد.

وأما العلم: فلا بد منه إذ لا قصد إلا إلى معلوم والقصد الأول يستدعي علماً فإن من لا يعلم القيام ولا التكبير لا يمكنه أن يقصده، والقصد الثاني أيضاً يستدعي العلم فإن الغرض إنما يكون باعثاً في حق من علم الغرض، فمن لا يعلم معنى الاحترام والتعظيم لا يمكنه أن يقوم لغيره على نية الإحترام والتعظيم، فلنرجع إلى القصد الثاني الذي هو النية وهي خطوة واحدة ليس فيها تعدد حتى يعسر جمعها. نعم يمكن استدامتها بضده وهو قصد شيء آخر كما لو ابتدأ القيام للاحترام ثم ندم عليه، وقبل إتمام القيام عرض له فصد الخروج إلى السوق فاستتم القيام على ذلك القصد أو بضد شرطها وهو الغفلة عن العلم بالاحترام، فإن العلم المقصود شرط لبقاء القصد ولا عسر في استدامته لهذا القصد من أول التكبير إلى آخره، فإن التكبير لفظ مختصر يتم في لحظة ويبعد طـرئان ضد في دوامه بحيث يحس بانقطاعه قبل تمام التكبير، وإذا لم يحس بانقطاعه فلا يعتبر من الوسوسة ما يطرأ فيها.

وأما العلم؛ فله متعلقان أحدهما: نفس الفعل وهو شرط القصد الأول فإنه لا يقوم لتعظيم زيد من لا يعلم القيام، فلا بد وأن يعلم ما به التعظيم والتعظيم بقيام مع الإقبال على ذاك الشخص تعرضاً بدخوله فإنه لو قام مستدبراً إياه أو بعد انصرافه لم يكن تعظيماً، فهذا علم بما به التعظيم.

والعلم الثاني: وهو شرط القصد الآخر وهو العلم بالمعظم ووجهه وجوب تعظيمه كالعلم بزيد الداخل وكونه شريفاً فاضلاً مستحقاً للتعظيم؛ فهذه العلوم والقصود إذا فصلت باللسان ونظم العبارات طالت وكان من ضرورتها الترتيب والتعاقب حتى يكون البعض منها بعد البعض، سواء كان اللفظ باللسان أو بحديث النفس، ولا يكون حديث اللسان والنفس إلا بلغة عربية أو أعجمية، وليس في النية والعلم لغة ولا حرف ولا ترتيب، بل يجتمع منها في اللحظة الواحدة علوم كثيرة والذهن لا يشعر بترتيب الألفاظ المعبرة عنها، ولكن تكون تلك العقود حاضرة وتلك العموم حاصلة في لحظة واحدة وهي مدة الانتصاب وهو مقترن به، ولو لم يخطر تفصيل ذلك بحديث النفس ولم يقـل بقلبـه ولا بلسـانـه نـويـت أن أنتصـب قـائماً مـع الإقبـال بـالـوجـه والاقتران بالدخول تعظيماً لزيد الشريف الفاضل، ولو قال ذلك بلسانه وقلبه دل على خبل في عقله وجهل منه، فكذلك الصلاة فعل مخصوص كالقيام والنية باعث مخصوص وهو المنوى وهو إيجاب الله تعالى واستجـابه ويستدعي ذلك علوماً وقصوداً ويحضر جميع ذلك مقرونـاً بهـمـزة التكبير مـن غير عسر، وإنما العسر إحضار الألفاظ المرددة على اللسان أو القلب دفعة واحدة، فأما حضور القصد في لحظة واحدة فلا يخفى لأن القصد لحظة. وأما هذه العلوم فمضمون اجتماعها ثلاث أمور:

أحدها: أن حضور الأخص كاف عن حضور الأعم، فإن المأمور به فعل لا كل فعل، بل

فعل هو عبادة ولا كل عبادة، بل عبادة هي صلاة هي ظهر فإذا حضر في القلب الظهر أغنى عن إحضار الصلاة والعبادة والفعل بالبال، فإن العلم بالأعم يتضمنه حاضر في الذهن مفصلاً.

الثاني: أن هذه العلوم إن منعت لوسوسة عن إحضارها معاً وطلبت النفس تفصيلها بالنطق حتى اضطر إلى التعاقب ولم يكن تعاقباً محسوساً، فهذا معفو عنه.

الثالث: أن التعاقب وإن كان محسوساً فإنا نجعل جميع المدة من همزة التكبير إلى الراء في حكم اللحظة الواحدة فإنها مدة قريبة.

فصل

قال ابن المنير: المشهور عند النظار حمل الحديث على العبادات، واتسع البخاري في الاستنباط فحمله عليها وعلى المعاملات، وتبع مالكاً بسد الذرائع واعتبار المقاصد فلو قصد اللفظ وصح القصد لغى اللفظ وأعمل القصد تصحيحاً وإبطالاً. قال: والاستدلال بهذا الحديث على سد الذرائع وإبطال الحيل من أقوى الأدلة، ووجه التعميم أن المحذوف المقدر الاعتبار فمعنى الاعتبار في العبادات أجزاؤها وبيان مراتبها وفي المعاملات والإيمان الرد إلى القصد.

فصل

قال السيوطي، قال العلماء: النية تؤثر في الفعل فيصير بها تارة حراماً وتارة حلالاً وصورته واحدة كالذبح مثلاً فإنه يحل الحيوان إذا ذبح لأجل الله ويحرمه إذا ذبح لغير الله والصورة واحدة، وكذلك القرض في الذمة وبيع القرض بمثله إلى أجل صورتها واحدة والأول قربة صحيحة والثاني معصية باطلة. وقال:ابن القيم في كتاب الروح: الشيء الواحد تكون صورته واحدة وهو ينقسم إلى محمود ومذموم، فمن ذلك التوكل والعجز والرجاء والتمني والحب لله والحب مع الله والنصح والتأنيب والهدية والرشوة والاخبار بالحال والشكوى، فإن الأول من جل ما ذكر محمود وقرينه مذموم والصورة واحدة ولا فارق بينهما إلا القصد.

فصل

قال الزركشي في القواعد: النية تنقسم إلى نية التقرب ونية القصد، فالأولى تكون في العبادات، والثانية تكون في المحتمل للشيء غيره، وذلك كأداء الديون إذا أقبضه من جنس حقه فإنه يحتمل التمليك هبة وقرضاً ووديعة وإباحة، فلا بد من نية تميز إقباضه عن سائر أنواع الاقباض، ولا يشترط نية التقرب. قال: ولا خلاف في أن النية في الصلاة والصوم التقرب واختلف في الوضوء وفي الزكاة هل هي فيهما للتقرب أو للتميز بين الفرض والنفل.

فصل

قال السيوطي: استثنى الغزالي في المستصفى والإمام في المحصول مما تجب فيه النية النية، فإنها لو افتقرت إلى نية أخرى لزم التسلسل. وقال الكرماني: إنها خارجة من الحديث بقرينة العقل دفعاً

....

للتسلسل، وقد ذكر الزركشي أن في ذلك نزاعاً وكأنه يشير إلى قول القرافي: إن النية منصرفة إلى الله تعالى بصورتها فلم تفتقر إلى نية أخرى. قال: ولا حاجة إلى التعليل بأنها لو افتقرت إلى نية لزم التسلسل، ولذلك يثاب الإنسان على نية مفردة ولا يثاب على الفعل مفرداً لانصرافها بصورتها إلى الله تعالى، والفعل متردد بين ما هو لله وبين ما هو لغيره.

قال السيوطي: واستثنى من الحديث أيضاً معرفة الله تعالى حتى قال بعضهم: إن دخوله في الحديث محال لأن النية قصد المنوي، وإنما يقصد المرء ما يعرف فيلزم أن يكون عارفاً قبل المعرفة، وتعقبه البلقيني بما حاصله: إن كان المراد بالمعرفة مطلق الشعور فمسلم، وإن كان المراد النظر في الدليل فلا لأن كل ذي عقل مثلاً يشعر مثلاً بأن له من يدبره، فإذا أخذ في النظر في الدليل ليتحققه لم تكن النية محالاً انتهى.

وقال العز بن عبد السلام: لا مدخل للنية في قراءة القرآن والأذكار وصدقة التطوع ودفن الميت ونحوها مما لا يقع إلا على وجه العبادة، وأما قوله ﷺ «إنما الأعمال بالنيات» فالمراد به الأعمال التي تقع تارة طاعة وغير طاعة أخرى بدليل ذكر الهجرة في سياق الحديث. وأما هذه القربات ونحوها مما شرع لمصلحة عاجلة قصداً أو كان بصورة عبادة فعدم وجوب النية فيها لعدم إرادتها ولخروجها عن الإرادة حساً لصورة العمل إن قيل بعموم الأعمال للطاعة والقربة.

فصل

قال السيوطي: استدل بمفهوم الحديث على أن ما ليس بعمل لا يشترط فيه النية وذلك التروك كترك الزنا وشرب الخمر ومنه إزالة النجاسة في الأصح قاله النووي، ونازعه الكرماني بأن الترك أيضاً فعل وهو كف النفس، وبأن التروك إذا أريد بها تحصيل الثواب بامتثال أمر الشارع فلا بد فيها من القصد. قال الحافظ في الفتح: وتعقب بأن قوله الترك فعل مختلف فيه، ومن حق المستدل على المانع أن يأتي بما هو متفق عليه. قال السيوطي: الشرط أن يكون متفقاً عليه بين المانع والمستدل فقط لا بين غيرهم أيضاً، والنووي موافق على أن الترك فعل الكف، ثم قال الحافظ: أما استدلاله الثاني فلا يطابق المورد لأن المبحوث فيه هل يلزم في التروك بحيث يقع العصيان بتركها أو الذي أورده هل يحصل الثواب بدونها والتفاوت بين المقامين ظاهراً؟ والتحقيق أن الترك المجرد لا ثواب فيه، وإنما يحصل الثواب بالكف الذي هو فعل النفس فمن لم تخطر المعصية بباله أصلاً ليس كمن خطرت، فكف نفسه عنها خوفاً من الله تعالى فرجع الحال إلى أن الذي يحتاج إلى النية هو العمل بجميع وجوهه لا الترك المجرد.

فصل

قال الخلخالي في شرح المصابيح: حرف التعريف في الأعمال لا يسوغ حمله على تعريف الماهية لعدم افتقار مطلق الأعمال إلى النية من حيث هو المطلق، بل المفتقر إليها هو إفرادها فيتعين أن

....

يكون للعموم، وخص البعض بالإجماع أو للعهد وهو الأعمال التي عهدت من الشرع وهي العبادات لأن غيرها لا يفتقر إلى النية.

فصل

ذكر ابن المنير ضابطاً لما يشترط فيه النية وما لا يشترط فقال: كل عمل لا تظهر له فائدة عاجلة بل المقصود به الثواب فالنية مشترطة فيه، وكل عمل ظهرت فائدته ناجزة وتقاضته الطبيعة قبل الشريعة لملاءمة بينهما فلا يشترط النية فيه إلا لمن قصد بعمله معنى آخر يترتب عليه الثواب. قال: وإنما اختلف العلماء في بعض الصور من جهة تحقق مناط التفرقة. قال: وأما ما كان من المعاني المحضة كالخوف والرجاء فهذا لا يقال باشتراط النية فيه، لأنه لا يكفي أن يقع إلا منوياً ومتى فرضت النية معقودة فيه استحالت حقيقته فالنية فيه شرط عقلي وأما الأقوال فتحتاج إلى النية في ثلاث مواطن: أحدها التقرب إلى الله تعالى فراراً من الرياء، والثاني التميز عن الألفاظ المحتملة لغير المقصود، والثالث قصد الإنشاء ليخرج سبق اللسان.

فصل

قال الشهاب القرافي: النية قسمان: فعلية موجودة، وحكمية معدومة، فإذا نوى المكلف أول العبادة فهذه نية فعلية، ثم إذا ذهل عن النية حكم صاحب الشرع فأنه ناو ومتقرب فهذه هي النية الحكمية. أي حكم الشرع ببقاء حكمها لأنه موجود، وكذلك الإخلاص والإيمان والنفاق والرياء وجميع أحوال القلب إذا شرع فيها واتصف القلب بها كانت فعلية، وإذا ذهل عنها حكم صاحب الشرع ببقاء أحكامها لمن كان يتصف بها قبل ذلك حتى لو مات الإنسان مغموراً بالمرض حكم صاحب الشرع له بالاسلام المتقدم بالولاية والصديقية وجميع المعارف المتقدمة، وإن لم يتلفظ بالشهادة عند الموت وعكسه يحكم له بالكفر والنفاق وجميع مساوىء الأخلاق، وإن كان لا يستحضر فيها شيئاً عند الموت ولا يتصف بها بل يوم القيامة الأمر كذلك. ومنه قوله تعالى أنه من يأت ربه مجرماً مع أنه لا يكون يوم القيامة مجرماً ولا كافراً ولا عاصياً لظهور الحقائق عند الموت وصار الأمر ضرورياً فمعناه محكوماً له بالإجرام كما يحكم لغيره بالإيمان، واكتفى صاحب الشرع بالإيمان والنية الحكمية للمشقة في استمرارها بالفعل.

فصل

وقال أيضاً في نية الحسنة يثاب عليها حسنة واحدة وفعل الحسنة يثاب عليها عشرة، لأن الأفعال هي المقاصد والنيات وسائل، والوسائل أخفض رتبة من المقاصد. وقال الكرماني: من جاء بنية الحسنة فقد جاء بالحسنة ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، فيلزم أن من جاء بنية الحسنة فله عشر أمثالها فلا يبقى فرق بين الحسنة ونية الحسنة، قال السيوطي: لا نسلم أن من جاء بنية الحسنة فقد جاء بالحسنة بل يثاب على نية الحسنة فظهر الفرق اهـ.

قلت: قال بعض الأفاضل: وكنت بحثت مع السراج البلقيني بالخشابية بجامع عمرو هـل تضعـف هذه الحسنة أيضاً. وقلت: ينبغي أن تضعف لقوله تعالى ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها﴾ [النساء: ٤٠] الآية فقال: نعم وتضعف من جنس ما هم فيه اهـ وهو كلام حسن.

فصل

نقل الكرماني في توجيه الخبر المتقدم نية المؤمن خير من عمله ستة أوجه تقدم ذكرها، ثم قـال: أو أن المراد نية المؤمن خير من عمل الكافر كما قيل ورد ذلك حين نوى مسلم بناء قنطرة فسبق كافر إليها اهـ.

قال السيوطي: وهي سبع إحتمالات في تأويل الخبر المذكور وكلها حسنة إلا الأخير فإنه باطل لا أصل له. وقال البيهقي في الشعب: أخبرنا أبو عبد الرحمٰن السلمي قال: وسئل الأستاذ أبو سهل الصعلوكي عن معنى هذا الخبر؟ فقال: لأن النية تخلص الأعمال والأعمال بمقابلة الرياء والعجب. وأخرج بسنده عن أحمد بن يحيى ثعلب قال: سمعت ابن الأعرابي يقول: نيـة المؤمـن خير مـن عملـه لأن النية لا يدخلها الفساد والعمل يدخله الفساد. قال البيهقي: وإنما أراد بالفساد الرياء فيرجع ذلك إلى ما قال الاستاذ أبو سهل قال: وقد قالوا النية دون العمل تكون طاعة. قال النبي ﷺ «من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة» والعمل دون النية لا يكون طاعة اهـ.

قلت: ووجدت في هامش منتهى الآمال عند ذكر الكرماني الوجه الأخير الذي أبطله السيوطي ما نصه: سئل الشيخ عز الدين بن عبد السلام عن هذا الحديث فأجاب عنه بجوابين:

أحدهما: أن هذا ورد على سبب، وهو أن النبي ﷺ وعد بثواب على حفر بئر فنوى عثمان رضي الله عنه أن يحفرها فسبق إليها كافر فحفرها، فقال النبي ﷺ «نية المؤمن» يعنى عثمان «خير من عمله» يعني الكافر. ونظر فيه بعضهم بأن أفعل التفضيل يقتضي المشاركة وعمل الكافر لا خير فيه البتة. وأجاب بأن تسميته خيراً باعتباره في نفسه وإن لم يثب عليه بدليل أنه لو أسلم أثيب عليه من غير تضعيف، كما ورد في مسند البزار أنه إذا أسلم يثاب على كل طاعة حسنة واحدة من غير تضعيف، لكن في الصحيح أنه ﷺ قال لشخص أسلم أسلمت على ما أسلفت من خير اهـ.

والجواب الثاني: النية المجردة من المؤمن خير من عمله المجرد عن النية، وهذا قد تقدم بيانه آنفاً.

فصل

في ألفاظ وردت عن السلف طبق ما ذكره المصنف.

أخرج الدارمي عن ابن عباس قال: إنما يحفظ حديث الرجل على قدر نيته. وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب النية والإخلاص، والدينوري في المجالسة عن عثمان بن واقد قال: قيل لنافع بن

....

جبير بن مطعم: ألا تشهد الجنازة، قال: كما أنت حتى أنوي ففكر هنيهة ثم قال: امض. وأخرج أيضاً عن عبد الرحمن بن زيد قال: كان أبي يقول: يا بني انو في كل شيء تريده الخير حتى خروجك إلى الكناسة في حاجة. وأخرج البيهقي في الشعب عن يونس بن عبد الأعلى قال، قال الشافعي: يا أبا موسى لو جهدت كل الجهد على أن ترضي الناس كلهم فلا سبيل له، فإذا كان كذلك فاخلص عملك ونيتك لله. وأخرج البيهقي أيضاً من طريق سفيان عن زيد قال: ليسرني أن يكون لي في كل شيء نية حتى في الأكل والنوم. وأخرج عن سفيان في قوله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص: ٨٨] قال: ما أريد به وجهه. وأخرج عن الحسن في قوله تعالى ﴿إن ابراهيم لحليم أوّاه منيب﴾ [هود: ٧٥] قال: كان إذا قال قال لله، وإذا عمل عمل لله، وإذا نوى نوى لله. وأخرج عن عوف قال: سمعت محمد بن سيرين يقول: ما أراد رجل من الخير شيئاً إلا سار في قلبه سورتان، فإذا كانت الأولى لله فلا يحزنك الآخرة. وأخرج عن الحسن قال: ما من أحد عمل عملاً إلا سار في قلبه سورتان فإذا كانت الأولى لله فلا تحزنه الآخرة. هذا ما يتعلق بالنية، وسيأتي بقية الكلام على بعض أحكامها في الباب الآتي والله الموفق.

الباب الثاني
في الإخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته

فضيلة الإخلاص:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقال: ﴿ألاَ للهِ الدِّين الخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالى: ﴿إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا باللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ﴾ [النساء: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ

الباب الثاني في الإخلاص

ويضاف إليه السر والغربة والتلبيس والهمة لأنهن من فضائله (و) فيه بيان (**فضيلته وحقيقته ودرجاته**)

فضيلة الإخلاص

اعلم أن الإخلاص هو العروة الوثقى والذروة العليا المأمور به على ألسنة الأنبياء عليهم السلام. (**قال الله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**) حنفاء﴾ وهو الوسيلة لصحة الإيمان والأعمال جميعاً والسر المستودع في قلوب الأولياء والمقربين الذين عزل الرب عن قلوبهم سلطنة الشيطان ونزغاته بقوله تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الإسراء: ٦٥] أضاف عبوديتهم إلى نفسه إضافة تخصيص وتكريم وجعلهم أتقياء أخفياء تحت ستره ليس لهم أكفاء ولا نظراء يورون عن أحوالهم بأعمال معارة ستراً لحالهم قد علقت قلوبهم بالملكوت وارتفعت هممهم لمولاهم ففنيت صفاتهم في صفاته لقيامه عليهم وإحاطته بهم، فهم موجودون معدومون عند نفوسهم بحقائق إيمانهم وتوحيدهم وإخلاصهم موجودون في نظر غيرهم لأنهم يرونهم قائمين قاعدين معطين مانعين، فهم غرباء من الأمثال والأكفاء لهذا السر الموقور في بطونهم متلبسين بثياب ظاهرة عارية عليهم تستر بواطنهم وأسرارهم تعبد الله همتهم نافذة لخلوها عن الأغراض والأعواض ومشاهدة الأغيار، فإن قاموا فلله وبالله، وإن قعدوا فلله وبالله. (**وقال تعالى:** (**﴿ألا لله الدين الخالص﴾**) أي الصافي الذي زال عنه شوبه الذي كان فيه. (**وقال تعالى**) في وصف أولئك المخلصين: (**﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله﴾**) فالتوبة أول مقام من مقامات اليقين والإخلاص خاتمتها. (**وقال تعالى ﴿فمن كان**

كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠] نزلت فيمن يعمل لله ويحب أن يحمد عليه. وقال النبي ﷺ: « ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم: « أخلص العمل لله ». وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: ظنّ أبي أن له فضلاً على من هو دونه من أصحاب رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ: « إنما نصر الله عز وجل هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم ». وعن الحسن

يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ نزلت فيمن يعمل لله ويحب أن يحمد عليه).

أخرج عبد الرزاق وابن أبي الدنيا في الإخلاص، وابن أبي حاتم والحاكم عن طاوس قال: قال رجل: يا نبي الله إني أقف أبتغي وجه الله وأحب أن يرى موطني فلم يرد عليه شيئاً حتى نزلت هذه الآية. ورواه الحاكم وصححه والبيهقي موصولاً عن طاوس عن ابن عباس. وأخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كان من المسلمين من يقاتل وهو يحب أن يرى مكانه فأنزلت هذه الآية. وأخرج هناد في الزهد عن مجاهد قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أتصدق بالصدقة وألتمس بها ما عند الله وأحب أن يقال لي خير فنزلت. وأخرج ابن أبي حاتم عن كثير بن زياد عن الحسن قال: نزلت فيمن عمل عملاً يريد الله والناس فذلك يرد الله عليه.

(**وقال النبي ﷺ « ثلاث لا يغل »**) أي لا يحقد (**عليهن قلب رجل مسلم: « أخلص العمل لله »**) وتمامه « والنصيحة لولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين » فإن دعوتهم تحيط من ورائهم » هذا لفظ الترمذي، ولفظ ابن ماجه « والنصح لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم » قال العراقي: رواه الترمذي من حديث ابن مسعود، وابن ماجه من حديث زيد بن ثابت، والطبراني وصححه من حديث النعمان بن بشير اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الطيالسي من حديث زيد بن ثابت، وابن ماجه أيضاً من حديث جبير بن مطعم بلفظ: « ومناصحة أئمة المسلمين ولزوم جماعة المسلمين فإن الدعاء يحيط من ورائهم ».

وقال القشيري في الرسالة: أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي، أخبرنا أحمد بن عبيد البصري، حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، حدثنا أبو طالب، حدثني هانىء بن عبد الرحمن بن أبي عبلة العقيلي، عن ابراهيم بن أبي عبلة، حدثني عقبة بن وساح، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين ».

(**وعن**) أبي زرارة (**مصعب بن سعد**) المدني ثقة، روى له الجماعة مات سنة ثلاث ومائة (**عن أبيه**) سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أحد العشرة (**لأنه ظن أن له فضلاً على من هو دونه من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: « إنما نصر الله عز وجل هذه الأمة**

قال: قال رسول الله ﷺ: « يقول الله تعالى الإخلاص سر من سري استودعته قلب من

بضعفائها ودعواتهم وإخلاصهم وصلاتهم ») قال العراقي: رواه النسائي وهو عند البخاري بلفظ « هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » اهـ.

قلت: وبخط الكمال الدميري كذا رواه البخاري مرسلاً، فإن مصعب بن سعد تابعي. ورواه الحافظ أبو بكر البرقاني في صحيحه متصلاً عن مصعب عن أبيه عن أبي الدرداء رفعه « ابغوني الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم » ورواه أبو داود باسناد جيد اهـ.

قلت: وهو في الحلية لأبي نعيم من طريق عاصم بن علي، عن محمد بن طلحة بن مصرف، عن أبيه، عن مصعب بن سعد قال: رأى سعد أن فضلاً على من دونه، فقال النبي ﷺ « إنما ينصر الله هذه الأمة بضعفائها بدعواتهم وصلواتهم وإخلاصهم » قال: رواه يحي بن أبي زائدة عن محمد بن طلحة مثله. ورواه عن طلحة ليث بن أبي سليم وزبيد ومسعر والحسن بن عمارة ومعاوية بن سلمة النضري اهـ.

ورواه النسائي عن مصعب بن سعد عن أبيه بلفظ « إنما تنصر هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم ». وروى أبو نعيم في المعرفة من حديث أبي عبيدة بلفظ « إنما تنصرون بضعفائكم ». ورواه أيضاً من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ « إنما ينصر الله الأمة بضعفائها بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم ». قاله حين ظن سعد أنه له فضلاً على ما دونه.

وأما حديث أبي الدرداء فلفظه « ابغوني ضعفاءكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم » هكذا رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال حسن صحيح والنسائي والحاكم وابن حبان والطبراني والبيهقي، ولفظ البخاري « ابغوني الضعفاء فإنما تنصرون » الخ. وكذا هو في رواية لأبي داود والحاكم.

(وعن الحسن) البصري رحمه الله تعالى **(قال: قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببته من عبادي »)** قال العراقي: رويناه في جزء من مسلسلات القزويني مسلسلاً يقول كل واحد من رواته سألت فلاناً عن الإخلاص. قال: وهو من رواية أحمد بن عطاء الجهيمي، عن عبد الواحد بن زيد، عن الحسين، عن حذيفة، عن النبي ﷺ، عن جبريل، عن الله تعالى. وأحمد بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك وهما من الزهاد. ورواه أبو القاسم القشيري في الرسالة من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورويناه في جزء من المسلسلات للحافظ بن ناصر الدين الدمشقي قال: سألت شيخنا أبا العباس أحمد بن يوسف بن البود عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أبا الظفر يوسف بن محمد السلامي عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أبا الشتاء محمود بن علي الدقوقي وأخاه أبا نصر محمداً عن الإخلاص ما هو؟ قالا: سألنا الإمام أبا الخير عبد الصمد بن أحمد المقري عن الإخلاص ما هو؟ ح.

....

قال: وأنبأنا جماعة. منهم أبو العباس أحمد بن الصلاح علي محمد بن قاضي الحصن، أخبرنا أبو نصر محمد بن علي الدقوقي كتابة من بغداد قال: سألت أبا أحمد عبد الصمد بن أحمد بن أبي الحبيش المقري عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أبا محمد يوسف بن عبد الرحمن البكري عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أبي أبا الفرج عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أبا الفضل محمد بن ناصر عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أبا الغنائم محمد بن علي النرسي عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت الشريف أبا عبدالله العلوي عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أبا الفضل محمد بن جعفر الخزاعي عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أبا نصر محمد بن الحسين الخراساني عن الاخلاص ما هو؟ قال: سألت أبا الحسن علي بن سعيد عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت علي بن إبراهيم الفسطاطي عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت محمد بن جعفر عن الإخلاص ما هو؟ ح.

وقال أبو الفرج: وسألت أبا الحسن علي بن يحيي عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أبا بكر محمد بن عبد الباقي عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أبا عبدالله محمد بن عبدالله الاسفرايني عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أبا الحسن علي بن محمد الجمال الصوفي عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت محمد بن جعفر الخصاف عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أبا يعقوب الشريطي عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص ما هو؟ قال: كذا وقع في روايتنا من طريق أبي المظفر السلامي منقطعاً وفي روايتنا عن ابن قاضي الحصن وغيره قال أحمد بن غسان: سألت أحمد بن عطاء الهروي، وقال هناد في روايته الهجيمي عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت الحسن عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت حذيفة عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت النبي ﷺ عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت رب العزة تبارك وتعالى عن الإخلاص ما هو؟فقال «الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببته في عبادي».

وقد رواه مسلسلاً الإمام أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، عن أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين الصوفي هو السلمي، عن علي بن سعيد، وأحمد بن محمد بن زكريا، عن علي بن إبراهيم الشقيقي، عن محمد بن جعفر الخصاف، عن أحمد بن بشار، عن أبي يعقوب الشريطي، عن أحمد بن غسان، عن أحمد بن عطاء الهجيمي، عن عبد الواحد بن زيد به. تابعه الأستاذ أبو القاسم القشيري عن عبد الرحمن السلمي كذلك، وأحمد بن عطاء كان متروكاً فيما ذكره الدارقطني اهـ سياق الحافظ الدمشقي.

قلت: لفظ القشيري في الرسالة، وقد ورد خبر مسند، عن النبي ﷺ أخبر عن جبريل عن الله عز وجل أنه قال: «الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببت من عبادي». قال: سألت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي وسألته عن الإخلاص؟ فقال: سمعت علي بن سعيد وأحمد بن زكريا وسألتهما عن الإخلاص قالا: سمعنا علي بن إبراهيم الشقيقي وسألناه عن الإخلاص.

أحببت من عبادي ». وقال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فإن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل: « أخلص العمل يجزك منه القليل »

فقال: سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسألته عن الإخلاص. فقال: سمعت أحمد بن بشار وسألته عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أبا يعقوب الشريطي عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت الحسن عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت حذيفة عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت النبي ﷺ عن الإخلاص ما هو؟ فذكره اهـ.

قلت: وقرأت في مسلسلات الحافظ أبي مسعود سليمان بن إبراهيم بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن سليمان الأصبهاني رحمه الله تعالى التي خرجها باسم نظام الملك وهي عندي بخطه ما لفظه: النوع السابع والمائة سألت أبا الوفاء مهدي بن أحمد بن محمد بن طراز الواعظ عن الإخلاص. قال: سألت محمد بن الحسين الصوفي. قلت: هو أبو عبد الرحمٰن السلمي شيخ القشيري عن الإخلاص. قال: سألت علي بن سعيد وأحمد بن زكريا عن الإخلاص. قال: سمعنا علي بن إبراهيم الشقيقي وسألناه عن الإخلاص. قال: سألت أحمد بن دينار عن الإخلاص. قال: سألت أبا يعقوب البويطي عن الإخلاص. قال: سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص. قال: سألت أحمد بن عطاء الهجيمي عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن يزيد عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت الحسن البصري عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت حذيفة عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت النبي ﷺ عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت جبريل عليه السلام عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت رب العزة عن الإخلاص. قال « هو سر من سري استودعته قلب من أحببت من عبادي » هكذا في سياق الحافظ أبي مسعود وهي النسخة التي بخطه أحمد بن دينار بدل أحمد بن بشار، والبويطي بدل الشريطي، وأحمد بن محمد بن عبد الواحد بن يزيد، والصواب عبد الواحد بن زيد كما في سياق غيره من المتقنين. وبما تقدم تعلم أن عزو المصنف ذلك إلى الحسن على أنه مرسل غير سديد، وكذا قول العراقي أنه رواه القشيري من حديث علي فيه نظر.

ويشبه ما تقدم في الإخلاص ما رواه الحافظ أبو مسعود أيضاً في مسلسلاته فقال: سألت محمد ابن الحسين الصوفي يعني أبا عبد الرحمٰن السلمي عن علم الباطن قال: حدثنا أحمد بن يعقوب بن نصر. وسألته عن علم الباطن قال: سألت أحمد بن غسان عن علم الباطن. قال: سألت الحسن عن علم الباطن. قال: سألت حذيفة بن اليمان عن علم الباطن. قال: سألت رسول الله ﷺ عن علم الباطن. قال: سألت جبريل عليه السلام عن علم الباطن. قال: سألت الله تبارك وتعالى عن علم الباطن. قال: « يا جبريل هو سر بيني وبين أوليائي وأصفيائي أودعته في قلوبهم لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل ».

(وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فإن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل) رضي الله عنه: **(« أخلص العمل يجزك منه القليل »)** قال العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وإسناده منقطع اهـ.

وقال عليه السلام: « ما من عبد يخلص لله العمل أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ». وقال عليه السلام: « أول من يسأل يوم القيامة ثلاثة: رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فيما علمت فيقول: يا رب كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار، فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فقد قيل ذلك. ورجل آتاه الله مالاً فيقول الله تعالى لقد أنعمت عليك فماذا صنعت فيقول: يا رب كنت أتصدق به آناء الليل وأطراف النهار، فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقد قيل ذلك. ورجل قتل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول: يا رب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان

قلت: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص، وابن حاتم والحاكم وأبو نعيم في الحلية من حديث معاذ. قال: لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قلت: أوصني. فقال: أخلص دينك يكفيك القليل من العمل» وقال الحاكم: صحيح، وتعقبه الذهبي.

(**وقال ﷺ « ما من عبد يخلص لله العمل أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »**). قال العراقي: رواه ابن عدي، ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات وقد تقدم اهـ.

قلت: تقدم الكلام عليه في كتاب ذم الجاه والرياء، وأنه روي من حديث أبي أيوب بلفظ « من أخلص لله أربعين يوماً » الحديث. رواه صاحب الحلية من طريق مكحول عنه وسنده ضعيف. ورواه أحمد في الزهد من مرسل مكحول، وكذا رواه القشيري في الرسالة بلفظ « ما أخلص عبد قط أربعين يوماً » الحديث. وله شاهد من حديث ابن عباس رواه القضاعي في المسند وفي آخره زيادة وقد تقدم. وأما قول علي رضي الله عنه، فلفظ القوت: كونوا بقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل فإنه لا يقل عمل مع تقوى وكيف يقل عمل يتقبل.

(**وقال ﷺ « أول من يسأل يوم القيامة ثلاثة: رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى**) له (**ما صنعت فيما علمت؟ فيقول: يا رب كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار، فيقول الله تعالى: كذبت وتقول الملائكة: كذبت، بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فقد قيل ذلك. ورجل آتاه الله مالاً فيقول الله تعالى: لقد أنعمت عليك فماذا صنعت؟ فيقول: يا رب كنت أتصدق آناء الليل والنهار. فيقول الله: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقد قيل ذلك. ورجل قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى: ماذا صنعت؟ فيقول: يا رب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت. فيقول: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك »**) رواه أحمد ومسلم

شجاع ألا فقد قيل ذلك ». قال أبو هريرة ثم خط رسول الله ﷺ على فخذي وقال: « يا أبا هريرة أولئك أول خلق تسعر نار جهنم بهم يوم القيامة » فدخل راوي هذا الحديث على معاوية وروى له ذلك فبكى حتى كادت نفسه تزهق ثم قال: صدق الله إذ قال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَها﴾ [هود: ١٥] الآية. وفي الإسرائيليات أن عابداً كان يعبد الله دهراً طويلاً فجاءه قوم فقالوا: إنّ ههنا قوماً يعبدون شجرة من

والنسائي من حديث أبي هريرة بلفظ « إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها ؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها ؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها ؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكنك فعلت ذلك ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار ».

أخبرناه عمر بن أحمد بن عقيل قال: أخبرناه عبدالله بن سالم، أخبرناه محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا علي بن يحي، أخبرنا يوسف بن عبدالله، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن الحافظ، أخبرنا أبو الفضل أحمد بن علي الحافظ، أخبرنا أبو الخير أحمد بن خليل العلائي، أخبرنا والدي محمد بن مشرق، أخبرنا علي بن المنير، عن الفضل بن سهل، عن أحمد بن علي الحافظ، أخبرنا علي بن أحمد المقري، حدثنا محمد بن العباس بن الفضل، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا جعفر بن عون وعبد الوهاب يعني ابن عطاء قالا: أخبرنا عبد الملك بن جريج، أخبرني يونس بن يوسف عن سليمان بن يسار قال: تفرق الناس عن أبي هريرة رضي الله عنه فقال له ناتل أخو أهل الشام: يا أبا هريرة حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ فقال « سمعت رسول الله ﷺ يقول « أول الناس يقضى فيه يوم القيامة رجل » فذكره. وقد رواه الترمذي أطول من هذا من رواية شفي الأصبحي عن أبي هريرة وتقدم في ذم الجاه والرياء.

(قال أبو هريرة) رضي الله عنه **(ثم خط رسول الله ﷺ على فخذي وقال: « يا أبا هريرة أولئك أول خلق تسعر نار جهنم بهم يوم القيامة » فدخل راوي هذا الحديث)** هو ناتل بن قيس الجرمي أو شفي الأصبحي **(على معاوية)** رضي الله عنه وهو إذ ذاك أمير الشام **(وروى له)** ما سمعه من أبي هريرة **(فبكى)** معاوية **(حتى كادت نفسه تزهق ثم قال: صدق الله إذ قال ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ الآية)**.

(وفي الإسرائيليات أن عابداً كان يعبد الله دهراً طويلاً فجاءه قوم فقالوا: إن ههنا

دون الله تعالى، فغضب لذلك وأخذ فاسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها، فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال: أين تريد رحمك الله؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة. قال: وما أنت وذاك! تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك! فقال: إنّ هذا من عبادتي، قال: فإني لا أتركك أن تقطعها، فقاتله فأخذه العابد فطرحه إلى الأرض وقعد على صدره فقال له إبليس: أطلقني حتى أكلمك فقام عنه فقال له إبليس: يا هذا إن الله تعالى قد أسقط عنك هـذا ولم يفرضه عليك! وما تعبدها أنت وما عليك من غيرك ولله تعالى أنبياء في أقاليم الأرض ولو شاء لبعثهم إلى أهلها وأمرهم بقطعها! فقال العابد لا بدّ لي من قطعها، فنابذه للقتال فغلبه العابد وصرعه وقعد على صدره فعجز إبليس فقال له: هل لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خير لك وأنفع؟ قال: وما هو؟ قال: أطلقني حتى أقول لك، فأطلقه فقال إبليس: أنت رجل فقير لا شيء لك إنما أنت كل على الناس يعولونك، ولعلك تحب أن تتفضل على إخوانك وتواسي جيرانك وتشبع وتستغني عن الناس! قال: نعم، قال: فارجع عن هذا الأمر ولك علي أن أجعل

قوماً يعبدون شجرة من دون الله تعالى، فغضب لذلك فأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال) له: **(أين تريد رحمك الله؟ قال)** العابد: **(أريد أن أقطع هذه الشجرة)** التي تعبد من دون الله. **(قال)** إبليس: **(وما أنت وذاك تركت عبادتك واشتغالك بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال)** العابد: **(إن هذا مـن)** جملة **(عبادتي. قال)** إبليس: **(فإني لا أتركك أن تقطعها فقاتله)** أي صارعه، **(فأخذه العابد فطرحه على الأرض وقعد على صدره فقال له إبليس: أطلقني)** وقم عني **(حتى أكلمك، فقام عنه فقال له إبليس: يا هذا إن الله قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك)** أنبي أنت؟ قال: لا. قال: **(وما تعبدها ولا عليك من غيرك)** ممن كان يعبدها فلو اشتغلت بعبادتك **(و)** تركتها فإن **(لله أنبياء في الإرض ولو شاء لبعثهم إلى أهلها وأمرهم بقطعها. قال العابد: لا بد لي من قطعها فنابذه)** إبليس **(للقتال فغلبه العابد)** فأخذه **(وصرعه)** على الأرض وقعد على صدره، **(فعجز إبليس)** عن مقاومته ورأى أن لا طاقة له به ولا سلطان له عليه. **(فقال له)**: يا هذا **(هل لك في أمر يفصل بيني وبينك وهو خير لك وأنفع)** من هذا الأمر الذي جئت تطلبه؟ **(قال: وما هو؟ قال: أطلقني)** وقم عني **(حتى أقول لك، فأطلقه)** وقام عنه. **(قال إبليس: أنت رجل فقير لا شيء لك إنما أنت كل على الناس يعولونك ولعنك تحب أن تتفضّل على إخوانك وتواسي جيرانك وتتسع)** في حالك، وفي بعض النسخ وتشبع بدل وتتسع وهو تصحيف، **(وتستغني عن الناس. قال)** العابد: **(نعم. قال: فارجع عن هذا الأمر)** الذي جئت فيه **(ولك علي أن أجعل عنـد رأسـك في كـل ليلـة**

عند رأسك في كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتها فأنفقت على نفسك وعيالك وتصدّقت على إخوانك، فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئاً ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إياها. فتفكر العابد فيما قال وقال: صدق الشيخ: لست بنبـي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا أمرني الله أن أقطعها فأكون عاصياً بتركها وما ذكره أكثر منفعة، فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له، فرجع العابد إلى متعبده فبات فلما أصبح رأي دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد، ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده فلم يرَ شيئاً. فغضب وأخذ فاسه على عاتقه فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال له: إلى أين؟ قال: أقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك إليها قال: فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أوّل مرة فقال: هيهات، فأخذه إبليس وصرعه، فإذا هو كالعصفور بين رجليه وقعد إبليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الأمر أو لأذبحنك؟ فنظر العابد فإذا لا طاقة له به، قال: يا هذا غلبتني فخل عني وأخبرني كيف غلبتك أوّلاً وغلبتني الآن؟ فقال: لأنك غضبت أوّل مرة لله وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك، وهذه المرة

دينارين، إذا أصبحت أخذتها) وصنعت بها ما شئت، (**فأنفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على إخوانك فيكون ذلك**) أفضل و (**أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها أخرى ولا يضرهم قطعها شيئاً ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إياها**) وفي بعض النسخ لها، (**فتفكر العابد فيما قال**) له (**وقال: صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا أمرني الله تعالى أن أقطعها فأكون عاصياً بتركها**) وإنما هو شيء تفضلت به وماذا يضر الموحدين من بقائها، (**وما ذكره لي أكثر منفعة**) لعموم الناس. قال: (**فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له، فرجع العابد إلى متعبده فبات**) ليلته (**فلما أصبح رأى دينارين عند رأسه فأخذهما وكذلك الغد ثم أصبح اليوم الثالث وما بعده**) أي اليوم الرابع، (**فلم ير شيئاً فغضب وأخذ فأسه على عاتقه**) وخرج يؤم الشجرة ليقطعها. قال: إن فاتني أمر الدنيا لأدركن أمر الآخرة. قال: (**فاستقبله إبليس في صورة شيخ فقال له: إلى أين**) تريد؟ (**قال: اقطع تلك الشجرة. فقال: كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك إليها. قال: فتناوله العابد ليفعل به كما فعل أول مرة. فقال: هيهات**): قال: (**فأخذه إبليس وصرعه فإذا هو كالعصفور من رجليه وقعد إبليس على صدره وقال: لتنتهين عن هذا الأمـر أو لأذبحنك، فنظر العابد فإذا لا طاقة له به. قال**) العابد: (**يا هذا قد غلبتني فخلّ عني وأخبرني**) عنك (**كيف**) وقد (**غلبتك أولاً**) فصرعتك (**وغلبتني الآن**) فصرعتني فكيف ذلك؟ (**فقال**) له إبليس: (**لأنك غضبت أول مرة لله**) تعالى

غضبت لنفسك وللدنيا فصرعتك. وهذه الحكايات تصديق قوله تعالى: ﴿ إلاّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [محمد: ٨٣]، إذ لا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص، ولذلك كان معروف الكرخي رحمه الله تعالى يضرب نفسه ويقول: يا نفس اخلصي تتخلصي. وقال يعقوبُ المكفوف: المخلص من يكتم حسناتـه كما يكتم سيئاته. وقال سليمان: طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلاّ الله تعالى. وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري: من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس. وكتب بعض الأولياء إلى أخ له: أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل. وقال أيوب السختياني: تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع

(**وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله**) تعالى لك فغلبتني، (**وهذه المرة غضبت**) أي جئت مغاضباً لنفسك و (**للدنيا**) أي كانت نيتك الدنيا فسلطني الله تعالى عليك (**فصرعتك**) هكذا نقله صاحب القوت. قال: وهكذا حدثونا في قصة تطول أن ملكة من بني إسرائيل راودت عابداً عن نفسه فقال: اجعلوا لي ماء في الخلاء أتنظف، قال: ثم صعد أعلى موضع في القصر فرمى بنفسه فأوحى الله تعالى إلى ملك الهواء الزم عبدي. قال: فلزمه حتى وضع على الأرض على قدميه رويداً، فقيل لإبليس: ألا أغويته؟ فقال: ليس لي سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله تعالى. (**وهذه الحكاية تصديق قوله تعالى ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾**) أي فإنه لا سبيل له عليهم، (**إذ لا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص**) إذ قال تعالى ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الإسراء: ٦٥] (**ولذلك كان معروف الكرخي رحمه الله يضرب نفسه ويقول: يا نفس أخلصي**) العمل لله تعالى (**تتخلصي**) من كيد الشيطان، (**وقال يعقوب المكفوف: المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته**) وهو يرجع إلى قول من قال: إن الإخلاص هو التوقي عن ملاحظة الأشخاص. (**وقال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى: (**طوبى لمن صحت خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى**) نقله صاحب القوت.

(**وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى**) عبدالله بن قيس (**الأشعري**) رضي الله عنه وكان قد ولاه البصرة: (**من خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس**)، وتمامه: ومن تزين للناس بغير ما يعلم الله من قلبه شانه الله فما ظنك بثواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته. أخرجه هكذا أبو نعيم في الحلية. ومن طريق هناد بن السري، حدثنا محمد بن فضيل عن السري بن إسماعيل عن عامر الشعبي قال: كتب عمر إلى أبي موسى فذكره.

(**وكتب بعض الإولياء إلى أخ له: أخلص النية في أعمالك يكفك القليل من العمل**) كذا في القوت، وقد روي نحو ذلك مرفوعاً من حديث معاذ وقد تقدم قريباً.

(**وقال**) أبو بكر (**أيوب**) بن أبي تميمة (**السختياني**) بفتح المهملة بعدها معجمة ساكنة ثم

الأعمال. وكان مطرف يقول: من صفا صفي له ومن خلط خلط عليه. ورؤي بعضهم في المنام فقيل له: كيف وجدت أعمالك؟ فقال: كل شيء عملته لله وجدته، حتى حبة رمان لقطتها من طريق وحتى هرّة ماتت لنا رأيتها في كفة الحسنات، وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيئات، وكان قد نفق حمار لي قيمته مائة دينار فما رأيت له ثواباً فقلت: موت سنور في كفة الحسنات وموت حمار وليس فيها؟ فقيل له: إنه قد وجه حيث بعثت به، فإنه لما قيل لك قد مات قلت: في لعنة الله، فبطل أجرك فيه، ولو قلت: في سبيل الله، لوجدته في حسناتك. وفي رواية قال: وكنت قد تصدّقت بصدقة بين الناس فأعجبني نظرهم إليّ فوجدت ذلك لا عليَّ ولا لي. قال سفيان: لما سمع هذا ما أحسن حاله إذ لم يكن عليه فقد أحسن إليه. وقال يحي بن معاذ: الإخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم. وقيل كان رجل يخرج في زي النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم، فاتفق أن حضر

مثناة مكسورة ثم تحتية البصري الثقة، روى له الجماعة مات سنة إحدى وثلاثين ومائة عن خمس وستين سنة. (**تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال**) كذا في القوت، وروي نحوه من قول يوسف بن أسباط: تخلص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد. (**وكان مطرف**) بن عبدالله بن الشخير رحمه الله تعالى تابعي ثقة (**يقول: منْ صفى**) نفسه عن الشوائب (**صفي له، ومن خلط**) في أعماله (**خلط عليه**) كذا في القوت.

(**ورؤي بعضهم في المنام**) بعد وفاته (**فقيل: كيف وجدت أعمالك؟ فقال: كل شيء عملته لله وجدته حتى حبة رمان لقطتها من طريق، وحتى هرة ماتت لنا رأيتها**) أي الهرة وكذا حبة الرمان (**في كفة الحسنات**) قال: (**وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيئات**) قال: (**وكان قد نفق**) أي مات (**حمار لي قيمته مائة دينار فما رأيت له ثواباً، فقلت: موت سنور في كفة الحسنات وموت حمار**) قيمته مائة دينار (**ليس فيها**) ولا أرى له ثواباً (**فقيل لي: إنه قد وجه حيث بعثته فإنه لما قيل لك قد مات**) الحمار (**قلت في لعنة الله فبطل أجرك، ولو قلت: في سبيل الله لوجدته في حسناتك**) نقله صاحب القوت. قال: (**وفي رواية**) أخرى (**قال: وكنت تصدقت**) يوماً (**بصدقة بين الناس فأعجبني نظرهم إلي فوجدت ذلك لا علي ولا لي. قال سفيان**) الثوري: (**لما سمع هذا**) وروي له (**ما أحسَن حاله إذ لم يكن عليه فقد أحسن إليه**) ولفظ القوت ما أحسن حاله حيث وجدها لا له ولا عليه قد أحسن إليه.

(**وقال يحي بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالى: (**الإخلاص تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم**) نقله صاحب القوت. (**وقيل: كان رجل يخرج في زي النساء**) أي على

يوماً موضعاً فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا أن أغلقوا الباب حتى نفتش، فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة إلى الرجل وإلى امرأة معه، فدعا الله تعالى بالإخلاص وقال: إن نجوت من هذه الفضيحة لا أعود إلى مثل هذا، فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا: أن اطلقوا الحرّة فقد وجدنا الدرّة.

وقال بعض الصوفية كنت قائماً مع أبي عبيد التستري وهو يحرث أرضه بعد العصر من يوم عرفة، فمرّ به بعض إخوانه من الأبدال فسارّه بشيء فقال أبو عبيد: لا، فمر كالسحاب يمسح الأرض حتى غاب عن عيني، فقلت لأبي عبيد: ما قال لك؟ فقال سألني أن أحج معه، قلت: لا، قلت: فهلا فعلت؟ قال ليس لي في الحج نية وقد نويت أن أتمم هذه الأرض العشية فأخاف إن حججت معه لأجله تعرّضت لمقت الله تعالى، لأني أدخل في عمل الله شيئاً غيره فيكون ما أنا فيه أعظم عندي من سبعين حجة.

هيئتهن في اللبس (ويحضر كل موضع تجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم) أي في فرح أو مصيبة، (فاتفق) في بعض المرات (أن حضر يوماً موضعاً فيه مجمع للنساء فسرقت درة فصاحوا أن اغلقوا الباب حتى نفتش) من حضر من النساء في ذلك الموضع، (فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة إلى الرجل وإلى امرأة معه فدعا الله تعالى بالإخلاص) أي بخالص النية من القلب وعقد في نفسه (وقال: إن نجوت من هذه الفضيحة لا أعود إلى مثل هذا) أبداً، (فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا أن اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة) فهذه الحكاية دلت على أن الإخلاص في النية هو المنجي من الفضائح الدنيوية والأخروية.

(وقال بعض الصوفية: كنت قائماً مع أبي عبيد) محمد بن حسان (البسري) نسبة إلى بسر بالضم وسكون المهملة إلى قرية من قرى حوران بالشام حكى عنه ابنه بخيت قاله الحافظ في التبصير. وقال القشيري في الرسالة: هو من قدماء المشايخ صحب أبا تراب النخشبي، (وهو يحرث أرضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض إخوانه من الأبدال فساره بشيء) في أذنه (فقال أبو عبيدة: لا، فمر كالسحاب يمسح الأرض حتى غاب عن عيني) قال: (فقلت لأبي عبيد: ما قال لك؟ فقال: سألني أن أحج معه. قلت: لا) . قال: (قلت فهلا فعلت؟ قال: ليس لي في الحج نية وقد نويت أن أتمم هذه الأرض العشية، فأخاف إن حججت معه لأجله تعرضت لمقت الله تعالى لأني أدخل في عمل الله تعالى شيئاً غيره فيكون ما أنا فيه أعظم عندي من سبعين حجة) هكذا نقله صاحب القوت.

وقال القشيري في الرسالة: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت أحمد بن محمد يقول: سمعت محمد بن معمر يقول: سمعت أبا زرعة يقول: كان أبو عبيد البسري يوماً على جرجر يدرس قمحاً له وبينه وبين الحج ثلاثة أيام إذ أتاه رجلان فقالا: يا أبا عبيد تنشط للحج؟ فقال: لا، ثم التفت إلي وقال: شيخك على هذا أقدر منهما يعني نفسه.

ويروى عن بعضهم قال: غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة، فقلت: أشتريها فأنتفع بها في غزوي فإذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها، فاشتريتها فرأيت تلك الليلة في النوم كأنّ شخصين قد نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه: اكتب الغزاة، فأملى عليه خرج فلان متنزهاً وفلان مرائياً وفلان تاجراً وفلان في سبيل الله، ثم نظر إلي وقال: اكتب فلان خرج تاجراً، فقلت: الله الله في أمري! ما خرجت أتجر وما معي تجارة أتجر فيها ما خرجت إلا للغزو، فقال: يا شيخ قد اشتريت أمس مخلاة تريد أن تربح فيها، فبكيت وقلت: لا تكتبوني تاجراً فنظر إلى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازياً إلا أنه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه بما يرى. وقال سري السقطي رحمه الله تعالى: لأن تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من أن تكتب سبعين حديثاً أو سبعمائة بعلو. وقال بعضهم في إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز. ويقال: العلم بذر والعمل زرع وماؤه الإخلاص. وقال بعضهم: إذا

(**ويروى عن بعضهم قال: غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة**) أي للبيع والمخلاة ما يوضع فيه العلف للدواب (فقلت اشتريها **فأنتفع بها في غزوي فإذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها**) منه، (**فرأيت تلك الليلة في النوم كأن شخصين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه: اكتب الغزاة فأملى عليه: أكتب خرج فلان متنزهاً وفلان مرائياً وفلان تاجراً وفلان في سبيل الله ثم نظر إلي وقال: أكتب فلان خرج تاجراً**، **فقلت: الله الله في أمري**) والله (**ما خرجت أتجر وما معي تجارة أتجر فيها ما خرجت إلا للغزو، فقال**) لي: (**يا شيخ قد اشتريت أمس مخلاة تريد أن تربح فيها فبكيت وقلت: لا تكتبوني تاجراً فنظر إلى صاحبه وقال: ما ترى؟ فقال: أكتب خرج فلان غازياً إلا أنه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه ما يرى**) نقله صاحب القوت، فهذه الحكاية تعرفك أن الإشراك في النية تزيل عن مقام الإخلاص. فإذاً خلاص النية بخروج أضدادها من القلب والقصد والهمة لتنفرد النية بقصدها ويخلص العمل بانفراده النية لوجه الواحد الفرد المقصود بها.

(**وقال سري**) بن المغلس (**السقطي**) رحمه الله تعالى: (**لأن تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من أن تكتب سبعين حديثاً، أو قال سبعمائة**) حديث (**بعلو**) نقله صاحب القوت، وقد روى أبو الشيخ وابن عساكر من حديث جابر « من صلى ركعتين في خلاء لا يراه إلا الله عز وجل والملائكة كانت له براءة من النار ». ورواه الضياء بلفظ « كتبت له ». وروى أبو الشيخ من حديث ابن عمر « من صلى ركعتين في السر رفع عنه اسم النفاق ».

(**وقال بعضهم: في إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز**) أي لصعوبته،

أبغض الله عبداً أعطاه ثلاثاً ومنعه ثلاثاً: أعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم، وأعطاه الأعمال الصالحة ومنعه الإخلاص فيها، وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها. وقال السوسي: مراد الله من عمل الخلائق الإخلاص فقط. وقال الجنيد: إنّ لله عباداً عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا أخلصوا فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع. وقال محمد بن سعيد المروزي: الأمر كله يرجع إلى أصلين: فعل منه بك، وفعل منك له، فترضى ما فعل وتخلص فيما تعمل. فإذا أنت قد سعدت بهذين فـزت في الدارين.

بيان حقيقة الإخلاص:

اعلم أن كل شيء يتصوّر أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص عنه سمي

(**ويقال: العلم بذر والعمل زرع وماؤه الإخلاص**) فكما أن الزرع لا ينمو إلا بالماء كذلك العمل لا ينمو إلا بالإخلاص. (**وقال بعضهم: إذا أبغض الله عبداً أعطاه ثلاثاً ومنعه ثلاثاً: أعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم، وأعطاه الأعمال الصالحة ومنعه الإخلاص فيها، وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها**) فالقبول والإخلاص والصدق من جملة إمارات الحب. (**وقال**) أبو يعقوب (**السوسي**) رحمه الله تعالى (**مراد الله من عمل الخلائق الإخلاص فقط**) أن لا يشركوا فيه غيره. (**وقال الجنيد**) قدس سره: (**إن لله عباداً عقلوا**) فيما أعطوا، (**فلما عقلوا عملوا**) بما علموا، (**فلما عملوا أخلصوا**) لوجهه (**فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع**) نقله صاحب القوت. (**وقال محمد بن سعيد**) ابن إبراهيم (**المروزي**) رحمه الله تعالى: (**الأمر كله يرجع إلى أصلين: فعل منه بك وفعل منك له، فترضى ما فعل**) بك (**وتخلص فيما تعمل**) له، (**فإذا أنت قد سعدت بهذين**) الأصلين (**فزت في الدارين**) فإن المدار كله على الرضا والإخلاص وهو عين التوحيد.

بيان حقيقة الإخلاص:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى أن الإخلاص شرط في سائر العبادات وهو معنى قوله ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين﴾ [البينة: ٥] وقوله ﴿إياك نعبد﴾ وقدمنا غير ما مرة أن رؤية المنة لله تعالى واجبة للنعمة وليس لها حقيقة إلا التبري من الحول والقوة والرجوع إلى الله تعالى بالفقر والفاقة وطلب الاستعانة، وهو معنى ما أمرنا به بقوله ﴿وإياك نستعين﴾ ولا نعمة لله على عبده أفضل من الإيمان به والعمل لأجله، فهذا وجه وجوب الإخلاص في سائر العبادات، وأما وجه استحبابها في سائر التقلبات فإن العبد البار لا يتحرك إلا لسيده لأن القوة التي يتحرك بها مكتسبة من تغذية نعمة سيده، لأن حقيقة العبد أن لا يملك من نفسه ولا لنفسه شيئاً إذ هو خالقه ورازقه وعليه توليه إن أحسن لحكمة الكرم، وله أن يعاقبه إن أساء فما أوضح هذا وما أعزه في القلوب علماً وحالاً وعملاً، ولأجل عزته أوجب الله تعالى تكريره على ألسنتنا وقلوبنا في اليوم والليلة سبع

خالصاً، ويسمى الفعل المصفّى المخلص: إخلاصاً. قال الله تعالى: ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦] فإنما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن أن يمتزج به، والإخلاص يضادّه الإشراك، فمن ليس مخلصاً فهو مشرك إلا أن الشرك درجات، فالإخلاص في التوحيد يضادّه التشريك في الإلهية. والشرك منه خفي ومنه جلي، وكذا الإخلاص. والإخلاص وضدّه يتواردان على القلب فمحله القلب وإنما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة النية وأنها ترجع إلى إجابة البواعث، فمهما كان الباعث واحداً على التجرد سمي الفعل الصادر عنه إخلاصاً بالإضافة إلى المنوي، فمن تصدّق وغرضه محض الرياء فهو مخلص، ومن كان غرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو مخلص. ولكن العادة جارية

عشرة مرة لتخلص له أعمالنا ونعتمد عليه في جميع أحوالنا، فإذا كان الإخلاص هو الإيمان والطاعات وبه تمامها ونماؤها وجب شرح حقيقته وتفصيل درجاته ليظهر بذلك الواجب من المستحب.

فاعلم (**أن كل شيء يتصور أن يشوبه**) أي يخلطه (**غيره، فإذا صفا عن شوبه**) أي خلطه (**وخلص عنه سمي خالصاً**) لخلوصه عن الشوب، (**وسمي الفعل المصفى المخلص إخلاصاً. قال الله تعالى: ﴿من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾ فإنما خلوص اللبن أن لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن أن يمتزج به**) وعبارة القوت: وحقيقة الإخلاص سلامته من وصفين الرياء والهوى ليكون خالصاً كما وصف الله تعالى الخالص من اللبن، فكان بذلك تمام النعمة علينا فقال ﴿من بين فرث ودم لبناً خالصاً﴾ فلو وجدوا فيه أحد الوصفين من فرث أو دم لم يكن خالصاً ولم تتم النعمة به علينا ولم تقبله نفوسنا، فكذلك معاملته لله تعالى إذا شابها رياء بخلق أو هوى من شهوة نفس لم تكن خالصة ولم يتم بها الصدق والأدب في المعاملة ولم يقبله الله تعالى منا اهـ.

(**والإخلاص**) وهو تجرد الباعث الواحد (**يضاده الإشراك**) وهو أن يشترك باعثان، (**فمن ليس مخلصاً فهو مشرك إلا أن الشرك درجات، فالإخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الإلهية والشرك منه خفي وجلي، وكذا الاخلاص وضده**) أي الشرك (**يتواردان على القلب فمحله للقلب**) بالاتفاق منهم، ولو قال فهو محلها كان أحسن، (**وإنما يكون ذلك في القصود والنيات. وقد ذكرنا حقيقة النية وأنها ترجع إلى إجابة البواعث فمهما كان الباعث واحداً سمي الفعل الصادر منه إخلاصاً بالإضافة إلى المنوي، فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو مخلص**) بهذا الاعتبار، (**ومن كان غرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو مخلص**) أيضاً بهذا الاعتبار فإطلاق لفظ الإخلاص على كل منهما جائز،

بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرّب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب كما أن الإلحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق، ومن كان باعثه مجرد الرياء، فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم فيه إذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات وأقل أموره ما ورد في الخبر من: «أن المرائي يدعى يوم القيامة بأربع أسام يا مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر»، وإنما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر إما من الرياء أو من غيره من حظوظ النفس. ومثال ذلك أن يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب، أو يعتق عبداً ليتخلص من مؤونته وسوء خلقه، أو يحج ليصح مزاجه بحركة السفر، أو يتخلص من شر يعرض له في بلده، أو ليهرب عن عدوّ في منزله، أو يتبرم بأهله وولده، أو يشغل هو فيه فأراد أن يستريح منه أياماً. أو ليغزو ليمارس الحرب ويتعلم أسبابه ويقدر به على

(**ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب**) وهو أحد الجانبين، (**كما أن الإلحاد**) لغة (**عبارة عن الميل**) المطلق سواء كان عن باطل أو إلى باطل، (**ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق**) إلى الباطل وهو أحد الجانبين. (**ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك، ولسنا نتكلم فيه**) الآن (**إذ ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات**) فلا نعيده، (**وأقل أموره ما ورد في الخبر من: «أن المرائي**) بأعماله (**يدعى يوم القيامة بأربعة أسام: يا مرائي يا مخادع يا مشرك يا كافر»**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب النية والإخلاص وقد تقدم. (**وإنما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد التقرب**) إلى الله تعالى، (**ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر من الرياء أو من غيره من حظوظ النفس**) جميعاً لكن من الحظوظ [1] ما يتصل أصله، ومنها ما ينقص كماله. أما الرياء؛ فهو أن يطلب الرجل بعمله حمد الناس وطلب نفعهم ودفع ذمهم، فإن العمل إذا تجرد لهذاالباعث أحبط العمل وأفسد الصلاة وأوجب المقت والنكال والعذاب الأليم، وذلك على قدر المراءى به والمراءى لأجله. أما المراءى به فهي الطاعات وذلك إما بأصولها أو بأوصافها وكل منها على ثلاث درجات تقدم تفصيلها في كتاب ذم الرياء. وأما ما يراءى لأجله فله أيضاً ثلاث درجات، وقد ذكرت في الكتاب المذكور وكذا درجات الرياء الخفي. (**و**) أما الشوائب التي هي حظوظ النفس فله أمثلة وقد أشار المصنف إلى ذلك بقوله: (**مثال ذلك أن يصوم**) العبد (**لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب، أو يعتق عبداً**) من عبيده (**ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه**) وشره، (**أو يحج ليصح مزاجه بحركة السفر، أو يتخلص من شر يعرض له في بلده**) فيخرج هارباً، (**أو ليهرب من عدو له في منزله**) لا يطيق دفعه، (**أو يتبرم بأهله وولده**) أي يتضجر بهم، (**أو شغل هو فيه فأراد أن يستريح**

---

(١) بياض في الأصل.

تهيئة العساكر وجرها. أو يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه به ليراقب أهله أو رحله أو يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال أو ليكون عزيزاً بين العشيرة، أو ليكون عقاره وماله محروساً بعز العلم عن الأطماع. أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث. أو تكفل بخدمة العلماء أو الصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس، أو لينال به رفقاً في الدنيا، أو كتب مصحفاً ليجوّد بالمواظبة على الكتابة خطه، أو حج ماشياً ليخفف عن نفسه الكراء، أو توضأ ليتنظف أو يتبرد، أو اغتسل لتطيب رائحته، أو روى الحديث ليعرض بعلوّ الإسناد أو اعتكف في المسجد ليخف عليه كراء المسكن، أو صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام أو ليتفرّغ لأشغاله فلا يشغله الأكل عنها. أو تصدق على السائل ليقطع إبرامه في السؤال عن نفسه، أو يعود مريضاً ليعاد إذا مرض، أو يشيع جنازة ليشيع جنائز أهله أو يفعل شيئاً من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر إليه بعين الصلاح والوقار. فمهما كان باعثه هو التقرب إلى الله تعالى ولكن انضاف إليه خطرة من هذه

أياماً) من ذلك الشغل، (**أو يغزو)** العدو (**ليمارس الحرب ويتعلم أسبابه ومقدرته على تهيئة العساكر وجرها)** أو يقدم أحد الجهادين على غيره لغنيمة فيه، (**أو يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه ليراقب أهله أو رحله)** عن اللصوص، (**أو يتعلم العلم ليسهل عليه)** بذلك (**طلب ما يكفيه من المال، أو يكون عزيزاً بين العشيرة)** بذلك، (**أو ليكون عقاره وماله محروساً بعز العلم عن الأطماع)** فلا تمتد إليه، (**أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص من كرب الصمت وينفرج بلذة الحديث)** وحلاوة التقرير، (**أو تكفل بخدمة العلماء أو الصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس)** فيروه بعين التوقير والتبجيل، (**أو لينال به رفقاً في الدنيا)** أي في معيشته، (**أو كتب مصحفاً)** أو كتاباً من كتب العلم (**ليجود بالمواظبة على الكتابة خطه)**، أو دارس قرآناً مع جماعة في منزل من يستدعيه ليمارس حفظه ويثبت في ذهنه، (**أو حج ماشياً ليخفف على نفسه الكراء)** ويتوفر ماله، (**أو توضأ ليتنظف)** بالماء (**أو يتبرد)** به. (**أو اغتسل لتطيب رائحته، أو روى الحديث)** إملاء (**ليعرف بعلو الإسناد)** وكثرة المسموعات، (**أو اعتكف في المسجد ليخف عليه كراء المسكن، أو صام ليخفف عنه نفسه التردد في طبخ الطعام، أو ليتفرغ لأشغاله فلا يشغله الأكل عنها)** أو لتتوفر الأوقات حتى يصرفها في أشغاله، (**أو تصدق على السائل ليقطع إبرامه)** وإلحاحه (**في السؤال عن نفسه، أو يعود مريضاً)** ليعاد (**إذا مرض، أو يشيع جنازة ليشيع جنائز أهله أو يفعل شيئاً من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر إليه بعين الصلاح والوقار، فمهما كان باعثه هو التقرب إلى الله تعالى ولكن انضاف إليه خطرة من هذه الخطرات**، حتى صار

الخطرات، حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور فقد خرج عمله عن حدّ الإخلاص وخرج عن أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى وتطرق إليه الشرك. وقد قال تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشركة» وبالجملة؛ كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ويميل إليه القلب قل أم كثر إذا تطرق إلى العمل تكدّر به صفوه وزال به إخلاصه. والإنسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس. فلذلك قيل: من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا. وذلك لعزة الإخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب، بل الخالص هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى. وهذه الحظوظ إن كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدّة الأمر على صاحبه فيها، وإنما نظرنا فيما إذا كان القصد الأصلي هو التقرب وانضافت إليه هذه الأمور، ثم هذه الشوائب إما أن تكون في رتبة الموافقة، أو في رتبة المشاركة، أو في رتبة المعاونة،

العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور فقد خرج عمله عن حد الإخلاص وخرج عن أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى وتطرق إليه الشرك) . والإخلاص عبارة عما خلص من الرياء وهذه الحظوظ جميعاً، **(وقد قال)** الله **(تعالى)** فيما روي عنه: **(«أنا أغنى الشركاء عن الشركة»)** رواه ابن جرير والبزار من حديث أبي هريرة وأوله: «من عمل عملاً أشرك فيه غيري فهو له كله» وقد تقدم.

(وبالجملة؛ كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ويميل إليه القلب قل أم كثر إذا تطرق إلى العمل تكدر به صفوه وزال به إخلاصه، والإنسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته قلما ينفك فعل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس، فلذلك قيل: من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا، وذلك لعزة الإخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب) لأن حقيقته ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا عزيز، **(بل الخالص هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى)** ولم يشبه شيء من هذه الحظوظ، **(وهذه الحظوظ إن كانت هي الباعثة وحدها فلا تخفى شدة الأمر على صاحبها فيها)** وقد تقدم بيانه في ذم الرياء، **(وإنما نظرنا فيما إذا كان القصد الأصلي هو التقرب)** إلى الله تعالى، **(وانضافت إليه هذه الأمور، ثم)** إن قلت: إن **(هذه الشوائب)** من الرياء والحظوظ تحبط مطلقاً فأقول: إذا اقترن بباعث الإخلاص باعث آخر فلا يخلو **(إما أن يكون في رتبة الموافقة أو في رتبة المشاركة أو في رتبة المعاونة كما سبق في بيان النية)** . أما المشاركة: فالآيات والأخبار دالة على أنها محبطة، وقد اختلف العلماء في رتبة المعاونة، والذي مال إليه المصنف أنها تنقص من أصل الثواب بقدر ما خففت من العمل

كما سبق في النية. وبالجملة؛ **فإما أن يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني أو أقوى** منه أو أضعف. ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره **وإنما الإخلاص تخليص العمل عن** هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى **يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث** سواه. وهذا لا يتصوّر إلا من **محب لله مستهتر بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق** لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الأكل والشرب أيضاً، **بل تكون رغبته فيه كرغبته**

ورد على رأي الإحباط من العلماء كما سيأتي تفصيله قريباً. وأما الموافقة؛ فلا يجب التخلص منها لما في ذلك من الحرج على العامة ولكنها منقصة لكمال الإخلاص.

(وبالجملة؛ فإما أن يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني أو أقوى منه أو أضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره) قريباً، **(وإنما)** الإخلاص في الحقيقة **(تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه)** وهذا هو إخلاص العوام.

قال القشيري: سمعت أبا عبد الرحمٰن السلمي يقول: سمعت أبا عبد الرحمٰن المغربي يقول: الإخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال، وهذا إخلاص العوام وإخلاص الخواص ما يجري عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل، ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد انتهى.

وكأنه يشير إلى كمال الإخلاص ولا يقدر عليه إلا بعد استغراق الحب قلبه، فرجع المباحات عنده كالأدوية لا يتناول منها إلا لضرورة، ولأجل كمال الإخلاص بأصله شق على الناس علمه وعمله فصار حديث الإخلاص عند المتفقهة كالمستغرب وهو شرط في صحة أعمالهم، وقد تقدم ذكر الشوائب المنقصة لأصل الاخلاص فلنذكر الشوائب المنقصة لكماله، والكمال هو أن لا يلتفت في سائر أحواله إلا إلى الله تعالى عبادة أو عادة، وأن يكون وجود الناس عنده كعدمهم لأن وجودهم مجازي لا حقيقة، إذ لا قوام لهم بنفوسهم إنما لموجود الثابت الحقيقي هو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الذي قامت ذاته بذاته وكل شي سواه قائم به ومستند إلى قدرته، فإن عجز عن هذا المقام فليكن وجودهم عنده كوجود البهائم بمعنى أنها لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، ولا عطاء ولا منعاً، ولا مدحاً ولا ذماً، فمتى ما فرق في مشاهدة الخلق بين أن يشهده رئيس أو بهيمة في عبادة من عباداته فلا يخلو إخلاصه عن نقصان بحسب قوة النظر في وجهة قلبه عن الله تعالى أو ضعفها، ولهذا كان المخلصون على خطر عظيم وكانت أعمالهم أعمال المقربين، فمن رزق هذه الحالة فنقصانها بالنظر إليها والاعتماد عليها هذا ما يتعلق بكمال الإخلاص.

وبالجملة؛ فالباعث على الفعل إما أن يكون روحانياً فقط وهو الإخلاص، أو شيطانياً فقط وهو الرياء، أو مركباً وهو ثلاثة أقسام لأنه لا يخلو إما أن يكونا سواء أو الروحاني أقوى أو الشيطاني أقوى، فإذا كان الباعث روحانياً فقط **(وهذا لا يتصور إلا من محب لله مستهتر بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الأكل والشرب**

في قضاء الحاجة من حيث أنه ضرورة الجبلة، فلا يشتهي الطعام لأنه طعام بل لأنه يقويه على عبادة الله تعالى، ويتمنى أن لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج إلى الأكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة، ويكون قدر الضرورة مطلوباً عنده لأنه ضرورة دينه فلا يكون له هم إلا الله تعالى. فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته، فلو نام مثلاً حتى يريح نفسه ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه، ومن ليس كذلك فباب الإخلاص في الأعمال مسدود عليه إلا على الندور، وكما ان من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت إخلاصاً؛ فالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرئاسة، وبالجملة غير الله، فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة، فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك إلا نادراً.

فإذاً علاج الإخلاص سر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرّد للآخرة

أيضاً، بل تكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث أنه ضرورة الجبلة) ولا بد منه، (**فلا يشتهي الطعام لأنه طعام بل لأنه يقويه على عبادة الله، ويتمني أنه لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج إلى الأكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة، ويكون قدر الضرورة مطلوباً عنده لأنه ضرورة دينه فلا يكون له هم إلا الله تعالى، فمثل هذا الشخص لو أكل وشرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته، فلو نام مثلاً حتى يريح نفسه ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه**)، وإذا كان الباعث شيطانياً فقط ولا يتصور إلا من محب للنفس والدنيا مستغرق الهم بها حيث لم يبق لحب الله في قلبه مقر فتكتسب أفعاله تلك الصفة فلا يسلم له شيء من عباداته، وإليه أشار المصنف بقوله: (**ومن ليس كذلك فباب الإخلاص في الأعمال مسدود عليه إلا على الندور**) أي القلة، (**وكما أن من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت إخلاصاً، فالذي يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرئاسة**) وسائر الحظوظ (**وبالجملة غير الله فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك إلا نادراً**)، وإذا استوى الباعثان يتعارضان ويتناقضان فيصير العمل لا له ولا عليه، وأما من غلب أحد الطرفين فيه فينحط منه ما يساوي الآخر وتبقى الزيادة موجبة أثرها اللائق بها، وسيأتي تحقيق ذلك في أواخر فصول الباب.

(**فإذاً علاج الإخلاص كسر حظوظ النفس**) ودفعها (**وقطع الطمع عن الدنيا**

بحيث يغلب ذلك على القلب، فإذ ذاك يتيسر الإخلاص وكم من أعمال يتعب الإنسان فيها ويظنّ أنها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغروراً لأنه لا يرى وجه الآفة فيها كما حكي عن بعضهم أنه قال: قضيت صلاة ثلاثين سنة صليتها في المسجد في الصف الأول لأني تأخرت يوماً لعذر فصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني، فعرفت أن نظر الناس إليّ في الصف الأول كان مسرتي وسبب استراحة قلبي من حيث لا أشعر. وهذا دقيق غامض قلما تسلم الأعمال من أمثاله وقل من يتنبه له إلا منْ وفقه الله تعالى والغافلون عنه يرون حسناتهم كلها في الآخرة سيئات وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُون ★ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا﴾ [الزمر: ٤٧، ٤٨]، وبقوله تعالى: ﴿قل هَلْ نُنَبِّئُكُم بالأَخْسَرِينَ أعْمَالاً ★ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، وأشد الخلق تعرضاً لهذه الفتنة العلماء، فإن الباعث للأكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء، والشيطان

والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب) فلا يهمه إلا هو، (**فإذا ذلك يتيسر**) له (**الإخلاص**) أي كماله (**وكم من أعمال يتعب الإنسان فيها**) طول عمره (**ويظن**) في نفسه (**أنها خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيها مغروراً لأنه لا يرى وجه الآفة فيها**) فعليه أن يمتحن نفسه بالامتحانات، (**كما حكي عن بعضهم أنه قال: قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الأول لأني تأخرت يوماً لعذر فصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس**) إذ (**رأوني في الصف الثاني، فعرفت أن نظر الناس إلي في الصف الأول كان مسرتي وسبب استراحة قلبي من حيث لا أشعر**) وهذا لا يحبط ثواب نفس الصلاة، وإنما ينقص ثواب المسارعة إلى الصف الأول، فعمل على خلاف ما تتقاضاه النفس لئلا يرجع ذلك له قوياً، فيستحب للمخلص أن يتفقد أحواله ليقف بذلك على أغوار مكائد النفس والشيطان. (**وهذا دقيق غامض قلما تسلم الأعمال من أمثاله وقلما يتنبه له إلا من وفقه الله تعالى**) وهم قليلون، (**والغافلون عنه يرون حسناتهم كلها في الآخرة سيئات**) ويندمون حيث لا ينفعهم الندم، (**وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾**) قيل: عملوا أعمالاً لجهلهم ظنوا أنها حسنات فوجدوها سيئات، وبقوله تعالى: (**﴿وبدا لهم سيئات ما كسبوا**) وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ (**وبقوله تعالى ﴿قل هل نبئكم بالأخسرين أعمالاً ★ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ وأشد الخلق تعرضاً لهذه الفتنة العلماء**) والوعاظ، (**فإن الباعث للأكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء**) أي الغلبة (**والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء، والشيطان يلبس**

يلبس عليهم ذلك ويقول: غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول الله ﷺ. وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله وإقبالهم عليه، وهو يدعي أنه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من أقرانه من هو أحسن منه وعظاً وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه، ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى إذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره، ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول: إنما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك إلى غيرك إذ لو اتعظوا بقولك لكنت أنت المثاب واغتمامك لفوات الثواب محمود، ولا يدري المسكين أن انقياده للحق وتسليمه الأمر أفضل وأجزل ثواباً وأعود عليه في الآخرة من انفراده. وليت شعري لو اغتم عمر رضي الله عنه بتصدي أبي بكر رضي الله تعالى عنه للإمامة أكان غمه محموداً أو مذموماً؟ ولا يستريب ذو دين أن لو كان ذلك لكان مذموماً، لأن انقياده للحق وتسليمه الأمر إلى من هو أصلح منه أعود عليه في

عليهم ذلك ويقول: غرضكم) أيها العلماء **(نشر دين الله)** تعالى **(والنضال)** أي المدافعة **(عن الشرع الذي شرعه رسول الله ﷺ)** فإنما يتصورون ذلك من نفوسهم. هذا الذي أملى عليهم تقوى صفات أفعالهم ويظنون أنهم على غاية الكمال. **(وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله وإقبالهم عليه وهو يدعي أنه يفرح بما يسر له من نصرة الدين)** وهذا أيضاً مغرور قد لبس عليه الشيطان وبمعزل عن الإخلاص، **(و)** امتحان ذلك أنه **(لو ظهر من أقرانه من هو)** أكثر منه علماً وأذلق منه لساناً وأفصح منه بياناً **(وأحسن منه وعظاً، وانصرف الناس عنه)** أي عن مجلس علمه أو وعظه **(واقبلوا عليه ساءه وغمه)**، فبهذا يظهر الغرور والتلبيس في علمها، **(ولو كان باعثه الدين)** وفرح بذلك لمساعدته له على إنقاذ عباد الله من أيدي الشياطين **(لشكر الله تعالى)** على النعمة التي أداها وهي رتبة الصديقين فإن العلم بالتعلم كمال في العلم **(إذ كفاه الله تعالى هذا المهم بغيره)** ووجد مساعداً له على مهمه، وإن ضربته عقرب الحسد حتى اشتهى بذلك زوال النعمة عنه وظهور عثرات ليسقط بذلك وقع كلامه في قلوب الناس، فلا يشك أنه راكع ساجد للناس وعيشه وحياته بهم لا بالله تعالى. **(ثم الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول)** له: **(إنما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك إلى غيرك، إذ لو اتعظوا بقولك لكنت أنت المثاب واغتمامك لفوات الثواب محمود، ولا يدري المسكين أن انقياده للحق وتسليمه الأمر للأفضل)** والأعلم والأفصح **(أجزل ثواباً وأعود عليه في الآخرة من انفراده)** في الأمر الذي فيه. **(وليت شعري لو اغتم عمر رضي الله عنه لتصدي أبي بكر رضي الله عنه للإمامة)** والخلافة دون الناس **(أكان غمه محموداً أو مذموماً؟ ولا يستريب ذو دين أن لو كان ذلك)** فرض **(لكان مذموماً، إذ انقياده للحق وتسليمه الأمر إلى من هو**

الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل، بل فرح عمر رضي الله تعالى عنه باستقلال من هو أولى منه بالأمر، فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك؟ وقد ينخدع بعض أهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بأنه لو ظهر من هو أولى منه بالأمر لفرح به، واخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور، فإن النفس سهلة القياد في الوعد بأمثال ذلك قبل نزول الأمر، ثم إذا دهاه الأمر تغير ورجع ولم يف بالوعد. وذلك لا يعرفه إلا من عرف مكايد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتحانها، فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع إلا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٣] فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق وإلا التحق بأتباع الشياطين وهو لا يشعر.

بيان أقاويل الشيوخ في الإخلاص:

أصلح منه أعود عليه في الدين من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل، بل فرح عمر رضي الله عنه باستقلال من هو أولى بالأمر) كما دل على ذلك الآثار الواردة في قصة البيعة. **(فما بال العلماء)** وهم في منصب الإمامة **(لا يفرحون بمثل ذلك)** وهم أحق بهذا الفرح من غيرهم إذ كان سبباً لمعرفتهم بغرور نفوسهم حتى يرجعوا إلى الله تعالى ويجتهدوا في الإخلاص له، إذ معرفة الإنسان بعيوب نفسه من جملة السعادات. **(وقد ينخدع بعض أهل العلم بغرور الشيطان فيحدث نفسه بأنه لو ظهر من هو أولى منه بالأمر لفرح به وإخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والإمتحان محض الجهل والغرور، فإن النفس سهلة القياد في الوعد بأمثال ذلك قبل نزول الأمر، ثم إذا دهاه الأمر تغير ورجع ولم يف بالوعد، وذلك لا يعرفه إلا من عرف مكائد الشيطان والنفس.وطال اشتغاله بامتحانها فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع)**، ولذا كانوا على خطر عظيم **(إلا الشاذ النادر الفرد الفذ وهو المستثنى في قوله تعالى ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾ فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق وإلا التحق باتباع الشياطين وهو لا يشعر)** ولما كان الإخلاص نعمة من النعم وفعلاً من أفعاله والعبد آلة ومحل لما يرد عليه من مولاه لا من نفسه كثرت أقاويلهم في حده وحقيقته فوجب بيان ذلك.

بيان أقاويل الشيوخ في الإخلاص:)

وسبب اختلافهم كما تقدم إما بالنظر إلى اختلاف مقاماتهم وأحوالهم، وإما بالنظر إلى اختلاف أقوال السائلين، وإما بالنظر إلى تنوع درجات الإخلاص. قال القشيري: الإخلاص إفراد الحق في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى دون شيء آخر من تصنع

قال السوسي: الإخلاص فقد رؤية الإخلاص، فإن من شاهد في إخلاصه الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص، وما ذكره إشارة إلى تصفية العمل عن العجب بالفعل فإن الالتفات إلى الإخلاص والنظر إليه عجب، وهو من جملة الآفات. والخالص ما صفا عن جميع الآفات، فهذا تعرّض لآفة واحدة، وقال سهل رحمه الله تعالى: الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة، وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض، وفي معناه قول ابراهيم بن أدهم: الإخلاص صدق النية مع الله تعالى. وقيل لسهل: أي

المخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب به إلى الله تعالى، ويصح أن يقال: الإخلاص تصفية العقل عن ملاحظة المخلوقين، ويصح أن يقال الإخلاص التوقي عن ملاحظة الأشخاص.

و(**قال**) أبو يعقوب (**السوسي**) رحمه الله تعالى: (**الإخلاص فقد رؤية الإخلاص، فإن من شاهد في إخلاصه الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى الإخلاص وما ذكره إشارة إلى تصفية العمل عن العجب بالفعل، فإن الالتفات إلى الإخلاص والنظر إليه**) والسكون به (**عجب**) وسماه بعضهم رياء ـ كما سيأتي بيانه ـ (**وهو من جملة الآفات**) المتطرقة إليه، (**والخالص ما صفاه عن جميع الآفات، فهذا تعرض لآفة واحدة**) أي فلا تكون حقيقته جامعة لإفراده.

(**وقال**) أبو محمد (**سهل**) التستري رحمه الله تعالى: (**الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة**) أي لا يلتفت في سائر أحواله إلا إلى الله تعالى عبادة أو عادة، (**وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض**). قال صاحب القوت: وليكن ما تحرك فيه أو سكن عنه أو توقف عن الإقدام عليه ابتغاء مرضاة الله تعالى تقرباً إليه لأجل الله تعالى: فهذا أعلى النيات وهو غاية الإخلاص. وقال أيضاً: إخلاص العبودية للربوبية أشد من إخلاص المعاملة إلا أن من رزق المقام منها دخل بحقيقة إخلاص المعاملة ضرورة فلا تنقية ولا تصفية ولا عمل ولا مجاهدة فكانوا مخلصين وهذا مقام المحبين. (**وفي معناه قال إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى: (**الإخلاص صدق النية مع الله تعالى**) أي في حركاته وسكناته فإن الحركة والسكون اللذين هما أصلا الأفعال هما من أعماله التي يسأل عنها فيحتاج إلى صدق النية فيهما فليجعل جميع ذلك لله تعالى فيه بعقد واحد على مراتب من المقامات عنده إما حباً لله وإجلالاً له، وإما خوفاً منه أو رجاء له، أو لأجل ما أمره به فينوي أداء الفرائض، أو لما ندبه فينوي المسارعة إلى الخير، أو فيما أبيح له فتكون نيته في ذلك صلاح قلبه وإسكان نفسه واستقامة حاله. قال صاحب القوت: والنية عند قوم الإخلاص بعينه وعند آخرين الصدق وعند الجملة أنها صحة العقد وحسن القصد وهي عند الجماعة من أعمال القلوب مقدمة في الأعمال وأول كل عمل، وقد قال الله تعالى ﴿أذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ [الأحزاب: ٤١] قيل في التفسير: خالصاً فسمى الخالص كثيراً وهو ما خلصت

شيء أشدّ على النفس؟ فقال: الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب. وقال رويم: الإخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضاً في الدارين. وهذا إشارة إلى أنّ حظوظ النفس آفة آجلاً وعاجلاً، والعابد لأجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول، بل الحقيقة أن لا يراد بالعمل إلا وجه الله تعالى وهو إشارة إلى إخلاص الصدّيقين وهو الإخلاص المطلق. فأما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالإضافة إلى

فيه النية لوجه الله تعالى، ووصف ذكر المنافقين بالقلة فقال: ﴿يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ [النساء: ١٤٢] يعني غير خالص اهـ.

ويقرب من قول إبراهيم قول ذي النون رحمها الله تعالى حين سئل عن الإخلاص فقال: الإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه والصبر عليه، والصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه والمداومة عليه نقله القشيري فبين الصدق والإخلاص تلازم، فمن أخلص في مقام وصدق في سلوكه وصبر عليه حتى أحكمه نقله الله إلى ما فوقه. وسئل الجنيد عن الصدق والإخلاص فقال: بينهما فرق الصدق أصل والإخلاص فرع والصدق أصل كل شيء، والإخلاص لا يكون إلا لله بعد الدخول في الأعمال والأعمال لا تكون مقبولة إلا بهما. وقال القشيري: سمعت أبا علي الدقاق يقول: الإخلاص التوقي عن ملاحظة الخلق والصدق التنقي عن مطالعة النفس، فالمخلص لا رياء له والصادق لا إعجاب له اهـ وما ذكره هو أوفى مراتب الإخلاص والصدق، فإن أعلاها أن لا يسكن العبد إلى عمله وحسنه وإن كان صحيحاً ويراه فضلاً من ربه.

(وقيل لسهل) التستري رحمه الله تعالى **(أي أشد على النفس؟ فقال: الإخلاص لأنه ليس لها)** أي للنفس **(فيه)** أي في الإخلاص **(نصيب)** نقله القشيري، وذلك لأن الغالب على عملها أن يكون لغرض ديني أو دنيوي وما ذكره مختص بحال المريد السالك، فأما من كملت معرفته بمولاه اضمحلت لديه الأغراض فهو إنما يلتذ بالقرب.

(وقال) أبو محمد **(رويم)** بن أحمد البغدادي، المتوفى سنة ٣٠٣ كان جامعاً بين التصوف والفقه وكان يفتي على مذهب داود: **(الإخلاص في العمل وهو أن لا يريد صاحبه عليه عوضاً في الدارين)** ولا حظاً من الملكين هكذا بهذه الزيادة نقله القشيري، والمراد بالدارين دار الآخرة والدنيا، والملكين ملك اليمين وملك الشمال أي بأن يكون عمله لله لا يريد به سواه لا من دنياه ولا من أخراه، **(هذا)** الذي ذكره **(إشارة إلى أن حظوظ النفس آفة)** أي دخول حظ في العمل وآفة تعرضه إما **(آجلاً)** في دار الآخرة **(أو عاجلاً)** في دار الدنيا، **(والعابد لأجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة)** من أكل وشرب ونكاح وغير ذلك **(معلول)** في عمله، **(بل الحقيقة أن لا يراد بالعمل إلا وجه الله تعالى)** فقط ولا يمر بباله شيء من الحظوظ، **(وهو إشارة إلى إخلاص الصديقين وهو الإخلاص المطلق)** والإخلاص الكامل، ويعبر عنه أيضاً بإخلاص الإخلاص، **(فأما من يعمل لرجاء)** دخول **(الجنة وخوف)** اقتحام **(النار فهو**

الحظوظ العاجلة وإلا فهو في طلب حظ البطن والفرج، وإنما المطلوب الحق لذوي الألباب وجه الله تعالى فقط، وهو القائل لا يتحرّك الإنسان إلا لحظ، والبراءة من الحظوظ صفة الإلهية، ومن ادعى ذلك فهو كافر. وقد قضى القاضي أبو بكر الباقلاني بتكفير من يدّعي البراءة من الحظوظ وقال: هذا من صفات الإلهية وما ذكره حق، ولكن القوم إنما أرادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظاً، وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط، فأما التلذذ بمجرّد المعرفة والمناجاة والنظر إلى وجه الله تعالى فهذا حظ هؤلاء، وهذا لا يعدّه الناس حظاً بل يعجبون منه، وهؤلاء لو عوّضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الإلهية سراً وجهراً جميع نعيم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا إليه فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره. وقال أبو عثمان: الإخلاص نسيان رؤيه الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط، وهذا إشارة إلى آفة الرياء فقط؛ ولذلك قال بعضهم: الإخلاص في العمل أن لا يطلع

مخلص) مقيد أي **(بالإضافة إلى الحظوظ العاجلة)** في الدنيا، **(وإلا فهو في طلب حظ البطن والفرج)** في الآخرة، **(وإنما المطلوب الحق لذوي الألباب هو وجه الله تعالى فقط)** وإليه الإشارة في الخبر «وعليون لذوي الألباب». **(وقول القائل)** في اعتراضه على من قال: إن الإخلاص هو البراءة من الحظوظ في الحركة والسكون كيف يكون هذا مع أنه **(لا يتحرك الإنسان إلا لحظ)** وكذا لا يسكن إلا لحظ، **(والبراءة من الحظوظ)** كلها في سائر الأفعال **(صفة الإلهية، ومن ادعى ذلك فهو كافر)** لأنه قد أشرك بالله في صفة من صفاته المختصة به. **(وقد قضى القاضي أبو بكر)** محمد بن الطيب **(الباقلاني)** البصري المتكلم على مذهب الأشعري وسمع الحديث من العقيلي توفي سنة ٤٠٣ **(بتكفير من يدعي البراءة)** لنفسه **(من الحظوظ)** كلها، **(وقال: هذا من صفات الإلهية)** فلا يتصف بها أحد، **(وما ذكره حق ولكن القوم إنما أرادوا البراءة مما يسميه الناس حظوظاً وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط، فأما التلذذ بمجرد المعرفة)** الخاصة **(والمناجاة)** والأنس **(والنظر إلى وجه الله تعالى فهذا حظ هؤلاء)** الطائفة، **(وهذا لا يعده الناس حظاً يتعجبون منه، وهؤلاء لو عوضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الإلهية سراً وجهراً جميع نعيم الجنة لاستحقروه)** بجنب ما هم فيه **(ولم يلتفتوا إليه، فحركتهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره)** وقد يقال: إن الذي ذكره رويم حد للعمل الخالص لا للإخلاص.

(وقال أبو عثمان) سعيد بن إسماعيل الجبري النيسابوري المتوفى سنة ٢٦٨: **(الإخلاص نسيان رؤية الخلق)** أي في العمل **(بدوام النظر إلى)** فضل **(الخالق)** عليك نقله القشيري وهذا إخلاص فإنهم يخلصون عملهم حتى من رؤيتهم له استحساناً، **(وهذا إشارة إلى آفة الرياء**

عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه؛ فإنه إشارة إلى مجرّد الإخفاء. وقد قيل: الإخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق. هذا أجمع للمقاصد. وقال المحاسبي: الإخلاص هو إخراج الخلق عن معاملة الرب. وهذا إشارة إلى مجرّد نفي الرياء. وكذلك قول الخواص من شرب من كأس الرئاسة فقد خرج عن إخلاص العبودية. وقال الحواريون لعيسى عليه السلام: ما الخالص من الأعمال؟ فقال: الذي يعمل لله تعالى لا يحب أن يحمده عليه أحد. وهذا أيضاً تعرّض لترك الرياء وإنما خصه بالذكر لأنه

فقط) كما أن قول السوسي إشارة إلى آفة العجب، **(ولذلك قال بعضهم الإخلاص في العمل أن لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه)** وهذا قول الجنيد ولفظه عند القشيري قال الجنيد: الإخلاص سر بين الله وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله اهـ. أي لا يؤثر فيه أحد من هؤلاء لما في قلب المتصف به من إفراد ربه بالعمل بسره، وهذه الحالة إنما يخص الله بها خواصه من أوليائه، ولذلك قالوا: من لم يكن بينه وبين الله سر فهو مصر ويؤيد ما تقدم من خبر حذيفة: «الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببت من عبادي» ويقرب قول ذي النون: الإخلاص ما حفظ من الله وإن لم يفسده، وأيضاً قول من سئل عنْ الإخلاص؟ فقال: أن لا يشهد عملك غير الله. **(فإنه إشارة إلى مجرد الإخفاء)** ويقال أيضاً: إن هذا أحد لخالص العمل لا للإخلاص، **(وقد قيل: الإخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا من العلائق وهذا)** الحد **(أجمع للمقاصد)** فإن الشطر الأول يشير إلى الإخفاء، والثاني إلى قطع الحظوظ، فالأول فيه السلامة من الرياء، والثاني فيه السلامة من الهوى. وحقيقة الإخلاص السلامة منها.

(وقال) الحارث بن أسد **(المحاسبي)** رحمه الله تعالى: **(الإخلاص هو إخراج الخلق عن معاملة الرب، وهذا إشارة إلى مجرد نفي الرياء)** ويقرب منه قول من قال: هو تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، وقول من قال: هو التوقي عن ملاحظة الأشخاص، وقول من قال: هو التوقي عن ملاحظة الخلق وقد تقدم ذكر الأقوال الثلاثة. **(وكذلك قول)** إبراهيم بن أحمد **(الخواص)** رحمه الله تعالى: **(من شرب من كأس الرئاسة فقد خرج عن إخلاص العبودية)** أي فإن العبودية تقتضي الذل وإخلاصها عبارة عن كمالها، فمن كمل في عبوديته كان بمعزل عن الرئاسة. **(وقال الحواريوان لعيسى عليه السلام: ما الخالص من الأعمال)؟** ولفظ القوت: قالوا له يا روح الله ما الإخلاص لله عز وجل؟ **(فقال: الذي يعمل العمل لله تعالى لا يحب أن يحمده عليه أحد من الناس)**، وتمامه عند صاحب القوت قالوا: فمن الناصح لله عز وجل؟ قال: الذي يبدأ بحق الله عز وجل قبل حق الناس، وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة بدأ بأمر الله تعالى قبل أمر الدنيا انتهى.

ويروى في الخبر «لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يحمد على

أقوى الأسباب المشوّشة للإخلاص. وقال الجنيد: الإخلاص تصفية العمل من الكدورات. وقال الفضيل: ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما. وقيل الإخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ

شيء من عمل الله عز وجل» **(وهذا أيضاً تعرض لترك الرياء وإنما خصه بالذكر)** دون غيره من الآفات **(لأنه أقوى الأسباب المشوشة للإخلاص)** ففي الخبر «أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية» قيل: حب الدنيا، وقيل العمل لأجل أن يؤجر العبد ويحمد.

(وقال الجنيد) قدس سره: **(الإخلاص تصفية العمل عن الكدورات)** ولا يتم ذلك إلا إذا ملك شيئين: أحدهما عنده أولى به من الآخر صحة القصد لوجه الله، ثم إخراج الآفات أو الحذر عليه من دخولها عليه إلى فراغه منه، فبذلك يتم إخلاصه ويصفو من كدورات الهوى ويخلص من الشهوة الخفية فيكون خالصاً من الرياء بالإخلاص صافياً من الشهوة بتفقد دخول الآفة.

(وقال الفضيل) بن عياض رحمه الله تعالى: **(ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما)** نقله القشيري سماعاً عن محمد بن الحسين قال: سمعت علي بن بندار الصوفي يقول: سمعت عبدالله بن محمود يقول: سمعت محمد بن عبد ربه يقول: سمعت الفضيل يقول فذكره. ومعنى قوله: ترك العمل الخ أي من حيث يتوهم منهم أنهم ينسبونه بالعمل إلى الرياء فيكره هذه النسبة ويحب دوام نظرهم له بالإخلاص فيكون مرائياً بتركه محبة للدوام نسبة إلى الإخلاص لا للرياء. وقوله: والعمل الخ. أي لكونه أشرك في عمله غيره، وهذا يرجع إلى قول من قال: الإخلاص تصفية العمل من الرياء والهوى.

وقال صاحب القوت: ولا يترك العبد العمل الصالح خشية دخول الآفة عليه ولا يدعه إن كان داخلاً فيه لما يعتريه، فإن ذلك بغية عدوه منه لكن يكون على نية الأولى من صحة القصد، فإن دخلت عليه وضع عليها دواء فعمل في نفيها وإزالتها وثبت على حسن نيته وصالح معاملته ولا يدع عملاً لأجل الخلق حياء منهم وكراهة اعتقادهم فضله، فإن العمل لأجل الناس شرك وتركه لأجلهم رياء، وترك العمل خشية دخول الآفة فيه جهل وتركه عند دخول العلة عليه ضعف ووهن، ومن دخل في العمل لله تعالى وخرج منه لله تعالى لم يضره ما كان بين ذلك بعد أن ينفيه ولا يساكنه، وقد يضره ما يكون بعد ذلك منه إن كان سراً فأظهر بعد زمان فصار علانية، فنقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية، ومثل أن يتظاهر به ويفتخر ويدلي به ويتكبر فيحبط ذلك عمله لأنه قد أفسده والله لا يصلح عمل المفسدين، ومن دخل في العمل لله تعالى ودخل عليه في وسط العمل علة فخرج من العمل مما أبطل عمله، ومن دخل في العمل بآفة وخرج منه بصحة سلم له عمله وجبر بآخره أوله. وأفضل الأعمال ما دخل في أوله لله تعالى وخرج منه بالله تعالى ولم تطرقه فيما بينهما آفة، فيكون الله تعالى هو الأول والآخر معه وعنده، ثم لا يظهره بعد ذلك ولا يتظاهر به انتهى.

كلها، وهذا هو البيان الكامل والأقاويل في هذا كثيرة ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة، وإنما البيان الشافي بيان سيد الأوّلين والآخرين ﷺ إذ سئل عن الإخلاص فقال: «أن تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت» أي لا تعبد هواك ونفسك

وقال صاحب المقاصد: الفائدة الثانية أن لا يترك العمل خوفاً من غرة الإخلاص، فإن ترك العمل من جهة الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك، بل يعمل ويجتهد في الإخلاص فإن ترك الأعمال لا يقدر عليها إلا بالتدريج شيئاً فشيئاً، ففي الخبر: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» فهذا يدل على الدخول في الدين قهراً لا بالاختيار، ولكن ذلك تدريج إلى مجالسة المؤمنين ومشاهدة أحوالهم وإلى استماع ما أنزل الله عليهم ليكون موصلاً للإيمان إلى قلوبهم، فيدخلون في الدين باختيارهم ثم يتدرجون قليلاً قليلاً إلى أن يبلغوا منازل المقربين، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ [التوبة: ٦٠]

(وقيل: الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها، وهذا هو البيان الكامل) فإن دوام المراقبة يستدعي الاستغراق في العبودية والمستغرق فيها لا يلتفت في سائر أحواله إلا إلى الله تعالى، ونسيان الحظوظ يستدعي عدم الرؤية في إخلاصه فصار بذلك جامعاً لمعاني الإخلاص كلها، **(والأقاويل في هذه كثيرة)**، فمن ذلك قولهم: الإخلاص استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال ونسيان اقتضاء ثواب العمل في الآخرة، وهذا نقله القشيري عن ذي النون وهي من علامات الإخلاص. وقيل: نقصان كل مخلص في إخلاصه رؤية إخلاصه. فإذا أراد الله أن يخلص إخلاصه أسقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه فيكون مخلصاً لا مخلصاً نقله القشيري عن أبي بكر الدقاق، وهو بعينه قول أبي يعقوب السوسي الذي ذكره المصنف. وقال أبو علي الروذبارى، قال لي رويم، قال أبو سعيد الخراز: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين. وقال حذيفة المرعشي: الإخلاص أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن. وقيل: الإخلاص ما أريد به الحق وقصد به الصدق. وقيل: الإخلاص الإغماض عن رؤية الأعمال. وقال السري: من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله. وقال يوسف بن الحسين: أعز شيء في الدنيا الإخلاص.

(ولا فائدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة، وإنما البيان الشافي بيان سيد الأولين والآخرين ﷺ إذ سئل عن الإخلاص فقال «أن تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت») قال العراقي: لم أره بهذا اللفظ، وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث سفيان بن عبدالله الثقفي قلت: يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به. قال «قل ربي الله ثم استقم». وهو عند مسلم بلفظ «قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال: قل آمنت بالله ثم استقم» اهـ.

قلت: ذكر الحافظ في ترجمة سفيان هذا في الإصابة الحديث المذكور باللفظ الأول. وقال: أخرج حديثه مسلم والترمذي والنسائي. أي: فذكر النسائي بدل ابن ماجه والله أعلم.

ولا تعبد إلا ربك وتستقيم في عبادته كما أمرت وهذا إشارة إلى قطع ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الإخلاص حقاً.

بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للإخلاص:

اعلم أن الآفات المشوشة للإخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها قوي مع الخفاء، ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء إلا بمثال. وأظهر المشوّشات الإخلاص الرياء. فلنذكر منه مثالاً.

فنقول: الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصاً في صلاته، ثم نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل فيقول له: حسن صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك! فتخشع جوارحه، وتسكن أطرافه، وتحسن صلاته، وهذا هو الرياء الظاهر، ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين.

ووجدت في القوت ما يشبه هذا السياق قال: فاحسن تفسير النية ما فسره به رسول الله ﷺ لما سئل عن الإحسان فقال «تعبد الله كأنك تراه». فهذه شهادة العارفين ومعرفة الموقنين فهم مخلص المخلصين انتهى. (**أي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد إلا ربك وتستقيم في عبادته كما أمرت، وهذا**) لا يطيقه إلا الأكابر إذ هو (**إشارة إلى قطع ما سوى الله من مجرى النظر وهو الإخلاص حقاً**). وذكروا في الاستقامة أنها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والله الموفق.

بيان درجات الشوائب والآفات المكدرة للإخلاص:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن الآفات المشوشة للإخلاص**) المكدرة لصفوه (**بعضها جلي**) أي ظاهر (**وبعضها خفي**) يدرك بالتأمل (**وبعضها ضعيف مع الجلاء وبعضها قوي مع الخفاء، ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء إلا بمثال، وأظهر مشوشات الإخلاص**) وأقواها (**الرياء**) ولذا جعل أكثرهم تركه إخلاصاً كما تقدم في أقوالهم؛ (**فلنذكر منه مثالاً**)

(**فنقول: الشيطان يدخل الآفة على المصلي مهما كان مخلصاً في صلاته ثم نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل فيقول: حسن صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار**) أي التعظيم (**والصلاح ولا يزدريك**) أي لا يحتقرك (**ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن أطرافه وتحسن صلاته، وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين**) فلا حاجة في التطويل فيه.

الدرجة الثانية: يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمرّ في صلاته كما كان. فيأتيه في معرض الخير ويقول: أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور إليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك، فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت وعليك الوزر إن أسأت، فأحسن عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة. وهذا أغمض من الأوّل وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأوّل، وهو أيضاً عين الرياء ومبطل للإخلاص، فإنه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيراً لا يرضى لغيره تركه فلم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه. فهذا محض التلبيس، بل المقتدي به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره إلى غيره فيكون له ثواب عليه، فأما هذا فمحض النفاق والتلبيس، فمن اقتدى به أثيب عليه وأما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على إظهاره من نفسه ما ليس متصفاً به.

الدرجة الثالثة: وهي أدق مما قبلها؛ أن يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محض الرياء، ويعلم أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ، ويستحي من نفسه ومن ربه أن يتخشع

(الدرجة الثانية: يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير ويقول: أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور إليك وما تفعله يؤثر عنك ويتأسى بك غيرك) أي ينقل عنك ويقتدى بك فيه، **(فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت وعليك الوزر إن أسأت فأحسن عملك بين يديه فعسى يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة، وهذا أغمض من الأول)** أي أدق في المدرك **(وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول، وهو أيضاً عين الرياء ومبطل للإخلاص، فإنه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيراً لا يرضى لغيره تركه فلم يرتض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه؛ فهذا محض التلبيس)** والغرور، **(بل المقتدي به هو الذي استقام في نفسه)** في أعماله وأحواله **(واستنار قلبه فانتشر نوره إلى غيره فيكون له ثواب عليه فأما هذه فمحض النفاق والتلبيس، فمن اقتدى به أثيب عليه)** لا محالة **(وأما هو فيطالب بتلبيسه ويعاقب على إظهاره من نفسه ما ليس متصفاً به)**

(الدرجة الثالثة: وهي أدق مما قبلها أن يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان) وخداعه **(ويعلم أن مخادعته بين الخلوة)** بين الناس **(والمشاهدة للغير)** منهم **(محض الرياء)** أي خالصه **(ويعلم أيضاً أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل**

لمشاهدة خلقه تخشعاً زائداً على عادته، فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملأ، ويصلي في الملأ أيضاً كذلك. فهذا أيضاً من الرياء الغامض لأنه حسن صلاته في الخلوة لتحسن في الملأ فلا يكون قد فرق بينهما، فالتفاته في الخلوة والملأ إلى الخلـق بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة، فكان نفس هذا ليست تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة المرائين، ويظن أن ذلك يزول بأن تستوي صلاته في الخلا والملأ وهيهات بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق كما لا يلتفت إلى الجمادات في الخلا والملأ جميعاً، وهذا من شخص مشغول الهم بالخلق في الملأ والخلا جميعاً، وهذا من المكائد الخفية للشيطان.

الدرجة الرابعة: وهي أدق وأخفى أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له: اخشع لأجلهم، فإنه قد عرف أنه تفطن لذلك فيقول له الشيطان: تفكر في عظمة الله تعالى وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستحي من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه، فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن أنّ ذلك

صلاته في الملأ) من الناس **(ويستحي من نفسه ومن ربه أن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعاً زائداً على عادته)** المستمرة، **(فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملأ ويصلي في الملأ أيضاً كذلك؛ فهذاأيضاً من الرياء الغامض)** الخفي مدركه **(لأنه حسن صلاته في الخلوة لتحسن)** صلاته **(في الملأ فلا يكون قد فرق بينهما فالتفاته في الخلوة والملأ إلى الخلق)** وهذا بمعزل عن الإخلاص الكامل، **(بل الإخلاص)** الكامل أن لا يلتفت إليهم مطلقاً ويكون وجوده كعدمهم إذ لا قوام لهم بنفوسهم، ويتحقق أن الموجود الثابت الحقيقي هو الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الذي قامت ذاته بذاته وكل شيء سواه قائم به ومستند إلى قدرته، فإن عجز عن هذا الرفيع الذروة فالواجب في حقه **(أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة)** أي لا فرق بينهما، **(فكان نفس هذا ليست تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحي من نفسه أن يكون في صـورة المرائين ويظن أن ذلك يزول بأن تستوي صلاته في الخـلا والملأ جميعاً وهذا شخص مشغول الهم الخلق في الخلا والملأ جميعاً، وهذا من المكائد الخفية للشيطان)** ولأجل هذا كان المخلصون على خطر عظيم.

(الدرجة الرابعة: هي أدق وأخفى أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له اخشع لأجلهم فإنه قد عرف أنه يفطن لذلك فيقول له الشيطان: تفكر في عظمة الله وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستح من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل

عين الإخلاص وهو عين المكر والخداع، فإن خشوعه لو كان لنظره إلى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره. وعلامة الأمن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملأ، ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة سبباً فما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الإخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء، وهذا «الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء»، كما ورد به الخبر، ولا يسلم من الشيطان إلا من دق نظره وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته، وإلا فالشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله تعالى لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب، فإنَّ هذه سنن في أوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستئناس الطبع بها، فيدعوه الشيطان إلى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي أن

عنه فيحضر بذلك قلبه) وتنتفي عنه الخطرات **(وتخشع جوارحه، ويظن أن ذلك عين الإخلاص)** إذ هو عبارة عن مراقبة القلب ونسيان الحظوظ وقد حصل كل منها، **(وهذا عين المكر والخداع فإن خشوعه لو كان لنظره إلى جلاله)** وعظمته **(لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ومراقبة القلب في وقت دون وقت لا يجدي نفعاً لولا أن تدوم في الأحوال كلها، ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره، وعلامة الأمن من هذه الآفة يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملأ، ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور البهيمة سبباً)** لذلك **(فما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الإخلاص)** وكماله **(مدنس الباطن بالشرك الخفي من الرياء)** بحسب قوة انصراف وجهة قلبه عن الله تعالى وضعفها **(وهذا «الشرك أخفى في قلب آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء» كما ورد به الخبر)** من حديث أبي بكر وعائشة وابن عباس وأبي هريرة بألفاظ مختلفة مع زيادات، وقد تقدم في كتاب العلم وكتاب ذم الجاه والرياء. **(ولا يسلم من الشيطان إلا من دق نظره)** وعظمت معرفته في مكائده **(وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته، وإلا فالشيطان ملازم للمشمرين لعبادة الله لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب)** الحسنة، **(فإن هذه سنن في أوقات مخصوصة)** وقد تقدم ذكر كل واحد منها في مواضعها **(وللنفس فيها حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستئناس الطبع بها، فيدعو الشيطان إلى**

تتركها، ويكون انبعاث القلب باطناً لها لأجل تلك الشهوة الخفية، أو مشوبة بها شوباً يخرج عن حد الإخلاص بسببه، وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص، بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس إليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف، وقد يكون المحرّك الخفي في سره هو الأنس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع إليه ويتبين ذلك في ميله إلى أحد المسجدين أو أحد الموضعين إذا كان أحسن من الآخر، وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الإخلاص لعمري الغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة. فمنها ما يغلب، ومنها ما يقل لكن يسهل دركه. ومنها ما يدق بحيث لا يدركه إلا الناقد البصير. وغش القلب ودغل الشيطان وخبث النفس أغمض من ذلك وأدق كثيراً. ولهذا قيل: ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل، وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها، فإنّ الجاهل نظره إلى ظاهر العبادة

فعل ذلك ويقول: هذه سنة لا ينبغي أن تتركها ويكون انبعاث القلب باطناً لها لأجل تلك الشهوة الخفية) الكامنة في النفس، **(أو مشوبة بها شوباً يخرج عن حد الإخلاص)** الكامل **(بسببه وما لا يسلم من هذه الآفات كلها فليس بخالص)** حقيقة، **(بل من يعتكف في مسجد)** من المساجد **(معمور)** بالناس **(نظيف حسن العمارة يأنس إليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف، وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الأنس بصورة المسجد واستراحة الطبع إليه، ويتبين ذلك في ميله إلى أحد المسجدين أو أحد الموضعين إذا كان أحسن من الآخر)** وأخفى من ذلك أن يميل إلى مسجد خرب بعيد عن الناس فيلقى في نفسه أنه أجمع لقلبك في العبادة وفي باطنه الانفراد عن الناس وهو سبب الظهور فيكون عين ما هرب منه، **(وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ومبطل حقيقة الإخلاص، لعمري الغش الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل، ولكن يسهل دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه إلا الناقد البصير وغش القلب ودغل الشيطان)** أي مكره، **(وخبث النفس أغمض من ذلك وأدق كثيراً، ولهذا قيل: ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل)** وقد روي في المرفوع نحوه. روى ابن النجار عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده «ركعتان من عالم أفضل من سبعين ركعة من غير عالم» رواه الشيرازي في الألقاب من طريق مالك بن دينار عن الحسن عن أنس عن علي رفعه «ركعة من عالـم بالله خير من ألف ركعة من متجاهل بالله». وروى أبو نعيم من حديث أنس «ركعتان من رجل ورع أفضل من ألف ركعة من مخلط». **(وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها، فإن الجاهل نظره إلى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر**

واغتراره بها كنظر السوادي إلى حمرة الدينار المموّه واستدارته وهو مغشوش زائف في نفسه، وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد البصير خير من دينار يرتضيه الغرّ الغبي. فهكذا يتفاوت أمر العبادات بل أشدّ وأعظم. ومداخل الآفات المتطرقة إلى فنون الأعمال لا يمكن حصرها وإحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالاً، والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل أيضاً فلا فائدة في التفصيل.

بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به:

اعلم أنّ العمل إذا لم يكن خالصاً لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء أو حظوظ النفس فقد اختلف الناس في أنّ ذلك هل يقتضي ثواباً أم يقتضي عقاباً أم لا يقتضي شيئاً أصلاً، فلا يكون له ولا عليه؟ وأما الذي لم يرد به إلا الرياء فهو عليه قطعاً وهو سبب المقت والعقاب. وأما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وإنما

السوادي) الجلف **(إلى حمرة الدينار المموه)** أي المسقى بماء الذهب **(و)** حسن **(استدارته وهو)** مع ذلك **(مغشوش زائف في نفسه)** غير رابح، **(وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد خير من دينار يرتضيه الغر)** بالكسر أي الجاهل **(الغبي؛ فهكذا يتفاوت أهل العبادات بل أشد وأعظم ومداخل الآفات المتطرقة إلى فنون الأعمال لا يمكن حصرها وإحصاؤها فلينتفع بما ذكرناه مثالاً، والفطن يغنيه القليل عن الكثير)** فتسري معرفته إليه لفطانته ويقيسه على القليل، **(والبليد)** الجبلة والطبع **(لا يغنيه التطويل أيضاً فلا فائدة في التفصيل)** في حقه والله الموفق.

بيان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به:

وبيان اختلاف أقوال العلماء فيه

(اعلم) هداك الله تعالى **(أن العمل إذا لم يكن خالصاً لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء أو حظوظ النفس فقد اختلف في أن ذلك هل يقتضي ثواباً أم يقتضي عقاباً أم لا يقتضي شيئاً أصلاً فلا يكون له ولا عليه؟ أما الذي لم يرد به إلا الرياء فهو عليه قطعاً وهو سبب المقت والعقاب)**، كما دلت بذلك الأخبار التي تقدم ذكرها في كتاب العلم ومنها: حديث أبي هريرة الذي أوله «أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة» وقد تقدم قريباً

ومنها: حديث ابن عمر «من تعلم علماً لغير الله وأراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار» رواه الترمذي والنسائي

ومنها: حديث أبي هريرة «من تعلم علماً يبتغي به غير وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» يعني ريحها. رواه أبو داود والحاكم وصححه

النظر في المشوب، وظاهر الأخبار تدل على أنه لا ثواب له. وليس تخلو الأخبار عن

ومنها: حديث كعب بن مالك « من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار » رواه الترمذي وقال غريب

ومنها: حديث أبي هريرة « إن في جهنم وادياً يقال له جب الحزن تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة يسكنه القراء المراؤن بأعمالهم » رواه الترمذي وقال غريب. فهذه الأخبار إنما تدل كلها على حبوط العمل وبطلانه لتمحصه للرياء، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء وأن كل ما كان بهذه المثابة فهو على المرء لا له ولا ينجو منه كفافاً بل هو على خطر العقاب إلا أن يتوب من ذلك توبة يقبلها الله منه ويعفو عنه بكرمه كرماً وفضلاً

(وأما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب) كما دلت بذلك أيضاً الاخبار التي تقدم ذكرها وهذا أيضاً خلاف فيه بين العلماء، **(وإنما النظر في)** العمل **(المشوب)** وهو أن يكون الباعث على طلب عمل من أعمال الطاعات مجموع القصدين قصد وجه الله تعالى والقصد الدنيوي، وقد اختلف الائمة فيه فمنهم من قال: لا يقتضي هذا العمل ثواباً ولا عقاباً، ومنهم من قال: يثاب على ما فيه من الإخلاص، **(وظاهر الأخبار تدل على أنه لا ثواب له)** أو أنه مقتض للعقاب وأن ما وقع فيه من الرياء أحبط العمل بالكلية، وهذا القول اختاره الحرث المحاسبي، وكثير من الأئمة قالوا: إن العمل لا يترتب عليه الثواب حتى يكون جميعه خالصاً وحده من غير شوب غرض دنيوي وأنه متى خالطه قصد غير التقرب إلى الله أبطله وكان حكمه حكم ما لو تمحض ذلك القصد الدنيوي، وهذا هو الذي اختاره الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى. قال الصلاح العلائي: وهو الذي تقتضيه الأحاديث الصحيحة **(وليس تخلو الأخبار عن تعارض فيه)**.

قال العراقي: روى أبو داود من حديث أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله رجل يبتغي الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: « لا أجر له » الحديث.

وللنسائي من حديث أبي أمامة بإسناد حسن: « أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال: لا شيء له فأعاد ثلاث مرات يقول له لا شيء له، ثم قال: إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه ».

وللترمذي وقال غريب وابن حبان من حديث أبي هريرة: « الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطلع عليه أعجبه قال له أجران أجر السر وأجر العلانية » وقد تقدم في ذم الجاه والرياء اهـ.

قلت: حديث أبي هريرة رواه أبو داود فقال: حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع، عن ابن المبارك. عن ابن أبي ذئب، عن القاسم، عن بكير بن عبدالله بن الأشج، عن ابن مكرز رجل من أهل الشام

تعارض فيه. والذي ينقدح لنا فيه والعلم عند الله إن ينظر إلى قدر قوّة الباعث. فإن كان الباعث الديني مساوياً للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه، وإن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومفض للعقاب. نعم العقاب الّذي فيه أخف من عقاب العمل الذي تجرّد للرياء ولم يمتزج به

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من عرض الدنيا. فقال النبي ﷺ: «لا أجر له» فأعظم الناس ذلك وقالوا للرجل: عد لرسول الله ﷺ فلعلك لم تفهمه، فقال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضاً من أعراض الدنيا. فقال: «لا أجر له». فقالوا للرجل: عد لرسول الله ﷺ فقال له الثالثة، فقال: «لا أجر له». وإسناده حسن. وأخرجه الحاكم وصححه.

وأما حديث أبي أمامة فقال النسائي: حدثني عيسى بن هلال الحمصي، حدثنا محمد بن حميد، حدثنا معاوية بن سلام، عن عكرمة بن عمار، عن شداد أبي عمار عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال رسول الله ﷺ «لا شيء له» فأعادها ثلاث مرات، ويقول رسول الله ﷺ «لا شيء له» ثم قال: «إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه». وإسناده صحيح. وقد أخرجه الحاكم وصححه أيضاً، فهذان الخبران يبينان صحة ما ذهب إليه المحاسبي، واختاره ابن عبد السلام، وهما صريحان في المدعى، وأما ما يعارض ذلك فحديث أبي هريرة الذي تقدم في ذم الجاه والرياء وأشار إليه العراقي، وكذا حديث عبادة بن الصامت «من غزا في سبيل الله ولم ينو إلا عقالاً فله ما نواه» رواه النسائي. قال العراقي في شرح التقريب: فإتيانه بصيغة الحصر يقتضي أنه إذا نوى مع القتال شيئاً آخر كان له ما نواه اهـ.

وقال السمعاني في أماليه قوله ﷺ «وإنما لكل امرىء ما نوى» فيه دلالة على أن الأعمال الخارجة عن العبادة قد تفيد الثواب إذا نوى بها فاعلها القربة كالأكل والشرب، إذا نوى بها القوة على العبادة والطاعة، والنوم إذا قصد به ترويح البدن للعبادة، والوطء إذا أريد به التعفف عن الفاحشة اهـ.

واختار المصنف رحمه الله تعالى التفصيل في ذلك، وقد أشار إليه بقوله: (**والذي ينقدح لنا فيه والعلم عندالله**) تعالى (**أن ينظر إلى قدر قوة البواعث فإن كان الباعث الديني مساوياً للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه، وإن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومقتض للعقاب**) أي إذا تساوى القصدان وكانا على السواء يكون باطلا، كما إذا كان الإخلاص منغمراً بالنسبة إلى الآخر. (**نعم العقاب الذي فيه أخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم تمتزج به شائبة التقرب، وإن كان قصد**

شائبة التقرّب. وإن كان قصد التقرب أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوّة الباعث الديني وهذا لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهْ ★ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهْ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] فلا ينبغي أن يضيع قصد الخير، بل إن كان غالباً على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة، وإن كان مغلوباً سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد. وكشف الغطاء عن هذا أنّ الأعمال تأثيرها في القلوب بتأكيد صفاتها، فداعية الرياء من المهلكات وإنما غذاء هذا المهلك وقوّته العمل على وفقه. وداعية الخير من المنجيات وإنما قوتها بالعمل على وفقها. فاذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان، فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوّى تلك الصفة، وإذا كان العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوّى أيضاً تلك الصفة، وأحدهما مهلك والآخر منج، فإن كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما، فكان كالمستضر بالحرارة إذا تناول ما يضره ثم تناول من المبرّدات ما يقاوم قدر قوّته، فيكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما، وإن كان أحدهما غالباً لم يخل الغالب عن

التقرب أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني وهذا لقوله تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره★ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] ولقوله تعالى ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها﴾ فلا ينبغي أن يضيع قصد الخير بل إن كان غالباً على قصد الرياء حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وإن كان مغلوباً سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد)، وحاصله: إن الباعث القوي على هذا العمل إن كان إرادة وجه الله وحصل ذلك في ضمنه فإنه يثاب عليه ولا نظر إلى ما عرض فيه من الحظ الدنيوي، وإن كان الشق الآخر هو الباعث القوي بحيث لو فات لم يعمله فإنه يكون باطلاً، ولا اعتبار بما عرض فيه من الإخلاص المنغمر بالقصد الدنيوي وهذا التفصيل الذي ذكره هو أيضاً اختيار الإمام أبي العباس القرطبي وحكاه عن الجمهور، **(وكشف الغطاء هذا أن الأعمال تأثيرها في القلوب بتأكد صفاتها فداعية الرياء من المهلكات، وإنما غذاء هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير من المنجيات، وإنما قوتها بالعمل على وفقها، فإذا اجتمعت الصفتان في القلب فهما متضادتان، فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة، وإذا كان ذلك العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوي أيضاً تلك الصفة وأحدهما مهلك والآخر منج، فإن كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة إذا تناول ما يضر)** المزاج، **(ثم تناول من المفردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولها كأنه لم يتناولها)** فهذا معنى تقاومها، **(وإن كان**

أثر ، فكما لا يضيع مثقال ذرّة من الطعام والشراب والأدوية ولا ينفك عن أثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى ، فكذلك لا يضيع مثقال ذرّة من الخير والشر ولا ينفك عن تأثير في إنارة القلب أو تسويده وفي تقريبه من الله أو إبعاده ، فإذا جاء بما يقربه شبراً مع ما يبعده شبراً فقد عاد إلى ما كان فلم يكن له ولا عليه ، وإن كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبراً واحداً فضل له لا محالة شبر ، وقد قال النبي ﷺ : « أتبع السيئة الحسنة تمحها » ، فإذا كان الرياء المحض يمحوه الإخلاص المحض عقيبه ، فإذا اجتمعا جميعاً فلا بدّ وأن يتدافعا بالضرورة . ويشهد لهذا إجماع الأمة على أن من خرج حاجاً ومعه تجارة صح حجه وأثيب عليه ، وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس . نعم يمكن أن يقال إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص ، وإنما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة . ولكن الصواب أن يقال : مهما كان الحج هو المحرّك الأصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب ما . وعندي : أن الغزاة لا يدركون في أنفسهم تفرقة بين غزو

أحدهما غالباً لم يخل الغالب عن أثر) لا محالة ، **(فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والأدوية ولا ينفك عن تأثير في إنارة القلب أو تسويده وفي تقريبه من الله أو إبعاده ، فإذا جاء ما يقربه شبراً مع ما يبعده شبراً فقد عاد إلى ما كان فلم يكن له ولا عليه ، فإن كان الفعل مما يقربه شبرين والآخر يبعده شبراً واحداً فضل له لا محالة شبر ، وقد قال النبي ﷺ « أتبع السيئة الحسنة تمحها »)** تقدم في رياضة النفس وفي التوبة ، **(فإن كان الرياء المحض يمحوه الإخلاص المحض عقيبه ، فإذا اجتمعا جميعاً فلا بد وأن يتدافعا بالضرورة . ويشهد لهذا)** التفصيل **(إجماع الأمة على أن من خرج حاجاً ومعه تجارة صح حجه وأثيب عليه ، وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس)** وقال تعالى : ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ [البقرة : ١٩٨] وإنها نزلت لما تحرجوا من التجارة في الحج **(نعم يمكن أن يقال إنما يثاب)** على أعمال الحج **(عند انتهائه إلى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وإنما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب أن يقال مهما كان الحج هو المحرك الأصلي وكان غرض التجارة كالمعين والسفر التابع فلا تنفك نفس السفر عن الثواب)** قال الصلاح العلائي في مقدمة الأربعين وقد يقال إن الآية محمولة على ما إذا عرضت التجارة في موسم الحج من غير قصد لها بدليل الأحاديث السابقة ولو كان إنشاء السفر للحج والتجارة جميعاً فنقول أنه لا يثاب على ذلك السفر كما دلت عليه الأحاديث وأما أفعال الحج من الإحرام وما بعده فإذا وقعت خالصة أثيب عليها ولا تنافيها التجارة فيكون هو الذي دلت عليه الآية قالوا ويشهد لهذا التفصيل أيضاً قوله ﷺ إن من خير

الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها. ويبعد أن يقال: إدراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم، بل العدل أن يقال إذا كان الباعث الأصلي والمزعج القوي هو إعلاء كلمة الله تعالى وإنما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب. نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه إلى الغنيمة أصلاً، فإن هذا الالتفات نقصان لا محالة.

فإن قلت: فالآيات والأخبار تدل على ان شوب الرياء محبط للثواب، وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ. فقد روى طاوس وغيره من التابعين: أن رجلاً سأل النبي ﷺ عمن يصطنع المعروف أو قال يتصدّق فيجب أن يحمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠] وقد قصد الأجر والحمد جميعاً. وروى

معاش الناس الجهاد فجعل الجهاد مما يصح أن يتخذ للمعاش ومن ضرورة ذلك أن يكون مقصوداً قال الصلاح لم أره هكذا مسنداً وبتقدير صحته فإنما سماه معاشاً لما تعرض فيه غالباً من المغانم ولا يلزم من ذلك أن يكون مقصوداً اهـ. (**وما عندي أن الغزاة لا يدركون في أنفسهم تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنائم وبين جهة لا غنيمة فيها ويبعد أن يقال ادراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب جهادهم بل العدل أن يقال إذا كان الباعث الأصلي والمزعج القوي هو إعلاء كلمة الله تعالى وإنما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه إلى الغنيمة أصلاً فإن هذا الإلتفات نقصان لا محالة فإن قلت فالآيات والأخبار تدل على أن شوب الرياء محبط للثواب وفي معناه شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ**) وتقدم في جلة إفرادها تقديم أحد الجهادين على غيره طلباً للغنيمة (**فقد روى طاوس**) بن كيسان اليماني (**وعدة من التابعين**) كمجاهد وسعيد بن جبير والحسن (**أن رجلاً سأل النبي ﷺ عمن يصطنع المعروف أو قال يتصدق فيحب أن يحمد ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ وقد قصد الأجر والحمد جيعاً**) رواه عبد الرزاق وابن أبي الدنيا في الإخلاص وابن أبي حاتم والحاكم نحوه عن طاوس بلفظ قال رجل يا نبي الله إني أقف أبتغي وجه الله وأحب أن يرى موطني فلم يرد عليه شيئا حتى نزلت هذه الآية فمن كان يرجو لقاء ربه الآية هكذا رواه مرسلا من رواية طاوس وقد تقدم في ذم الجاه والرياء ورواه الحاكم أيضاً وصححه والبيهقي موصولاً عن طاوس عن ابن عباس وروى ابن المنذر من طريق ابن جريج عن مجاهد قال رجل يا رسول الله أعتق وأتصدق وأحب أن يرى فنزلت وروى هناد في الزهد بلفظ جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أتصدق بالصدقة

معاذ عن النبي ﷺ أنه قال: « أدنى الرياء شرك » وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: « يقال لمن أشرك في عمله خذ أجرك ممن عملت له ». وروي عن عبادة: « إن الله عز وجل يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشركة من عمل لي عملاً فأشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي » وروى أبو موسى أنّ أعرابياً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله. فقال ﷺ: « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وقال عمر رضي الله عنه: تقولون فلان شهيد ولعله أن يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقاً. وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله ﷺ: « من هاجر يبتغي شيئاً من الدنيا فهو له ».

والتمس بها ما عند الله وأحب أن يقال لي خير فنزلت **(وروى معاذ)** بن جبل رضي الله عنه **(عن النبي ﷺ أنه قال: « أدنى الرياء شرك »)** رواه الطبراني والحاكم وقد تقدم في ذم الجاه والرياء **(وقال أبو هريرة)** رضي الله عنه **(قال النبي ﷺ يقال لمن أشرك في عمله خذ أجرك ممن عملت له)** قال العراقي تقدم في ذم الجاه والرياء من حديث محمود بن لبيد بنحوه قلت وروى ابن سعد وأحمد والترمذي وابن ماجه والبيهقي من حديث أبي سعد بن فضالة الأنصاري وكان من الصحابة: إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك في عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك **(وروي عن عبادة)** بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ **(إن الله عز وجل يقول: « أنا أغنى الأغنياء عن الشركة من عمل عملاً فأشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي »)** قال العراقي: رواه مالك في الموطأ بلفظ فهو له كله. قلت وروى نحوه من حديث الضحاك بن قيس أن الله تعالى يقول أنا خير شريك فمن أشرك معي شيئاً فهو لشريكي رواه الدارقطني وابن عساكر والضياء ورواه الخطيب في المتفق والمفترق بزيادة يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم لله فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له ويروى من حديث شداد بن أوس بلفظ ان الله عز وجل يقول أنا خير قسيم لمن أشرك بي. من أشرك بي شيئاً فإن عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به بي أنا عنه غني. رواه الطيالسي وأحمد وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وإسناده ضعيف وروى مسلم وابن خزيمة من حديث أبي هريرة بلفظ أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك **(وروى أبو موسى)** الأشعري رضي الله عنه **(أن اعرابياً أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله)** فأيهم في سبيل الله؟ **(فقال ﷺ: « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »)** رواه أحمد والستة وتقدم. **(وقال عمر رضي الله عنه: تقولون فلان شهيد ولعله أن يكون قد ملأ دفتي راحلته ورقاً)** أي من الغنيمة. **(وقال ابن مسعود رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ « من هاجر يبتغي شيئاً من الدنيا فهو له »)** رواه سعيد بن منصور قال:

فنقول: هذه الأحاديث لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك إلا الدنيا كقوله: «من هاجر يبتغي شيئاً من الدنيا» وكان ذلك هو الأغلب على همه وقد ذكرنا أن ذلك عصيان وعدوان لأن طلب الدنيا حرام ولكن طلبها بأعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن موضعها. وأما لفظ الشركة حيث ورد فمطلق للتساوي، وقد بينا أنه إذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه، فلا ينبغي أن يرجى عليه ثواب، ثم إن الإنسان عند الشركة أبداً في خطر فإنه لا يدري أي الأمرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبالاً، ولذلك قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠] أي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي أحسن أحوالها التساقط، ويجوز أن يقال أيضاً: منصب الشهادة لا ينال إلا بالإخلاص في الغزو. وبعيد أن يقال: من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه إلى مجرد الغزو، وإن لم يكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار إحداهما غنية والأخرى فقيرة فمال إلى جهة الأغنياء لإعلاء كلمة الله وللغنيمة لا ثواب لها على غزوه البتة،

حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، عن عبدالله قال: «من هاجر يبتغي شيئاً فإنما له ذلك» هاجر رجل ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس فكان يقال له مهاجر أم قيس، وقد تقدم وهذه الأخبار والآثار التي ساقها المصنف تصلح أن تكون حجة لما ذهب إليه المحاسبي واختاره العز بن عبد السلام، وقد أشار المصنف إلى الجواب عنها بقوله:

(فنقول: هذه الأحاديث لا تناقض ما ذكرناه) أولاً، **(بل المراد من لم يرد بذلك إلا الدنيا كقوله: «من هاجر يبتغي شيئاً من الدنيا» أو كان ذلك)** أي قصد الرياء **(هو الأغلب على همه، وقد ذكرنا أن ذلك عصيان وعدوان لا لأن طلب الدنيا حرام ولكن طلبها بأعمال الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن موضعها، وأما لفظ الشركة حيث ورد فمطلق للتساوي)** أي يساوي كل منهما الآخر من غير زيادة من أحد الجانبين. **(وقد بينا أنه إذا تساوى القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه، فلا ينبغي أن يرجى عليه ثواب، ثم الإنسان عند الشركة أبداً في خطر فإنه لا يدري أي الأمرين أغلب على قصده، فربما يكون عليه وبالاً، ولذلك قال الله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ أي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي أحسن أحوالها التساقط، ويجوز أن يقال منصب الشهادة)** عزيز **(لا ينال إلا بالإخلاص في الغزو، وبعيد أن يقال: من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه إلى مجرد الغزو ولم يكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار إحداهما غنية)** أصحاب أموال ومواش وأثاث **(والأخرى فقيرة)** لا شيء لهم، **(فمال إلى جهة الأغنياء لإعلاء كلمة الله وللغنيمة أنه لا ثواب له على غزوه**

ونعوذ بالله أن يكون الأمر كذلك فإن هـذا حـرج في الديـن ومـدخـل لليـأس على المسلمين، لأن أمثال هذه الشوائب التابعة قط لا ينفك الإنسان عنها إلا على الندور، فيكون تأثير هذا في نقصان الثواب، فإما أن يكون في إحباطه فلا. نعم الإنسان فيه على خطر عظيم لأنه ربما يظنّ أن الباعث الأقوى هو قصد التقرّب إلى الله ويكون الأغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفي غاية الخفاء. فلا يحصل الأجر إلا بالإخلاص والإخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وإن بالغ في الاحتياط، فلذلك ينبغي أن يكون أبداً بعد كمال الاجتهاد متردداً بين الرد والقبول خائفاً أن تكون في عبادته آفة يكون وبالها أكثر من ثوابها. وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائر، وهكذا ينبغي أن يكون كل ذي بصيرة. ولذلك قال سفيان رحمه الله: لا أعتدّ بما ظهر من عملي وقال عبد العزيز بن أبي داود: جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في

البتة) وإنه قد حبط عمله بالمرة. **(ونعوذ بالله أن يكون الأمر كذلك، فإن هذا حرج في الدين ومدخل لليأس على المسلمين، لأن أمثال هذه الشوائب التابعة قد لا ينفك الإنسان عنها إلا على الندور)** والقلة، **(فيكون تأثير هذا في نقصان الثواب، فإما أن يكون في إحباطه فلا)**. هذا آخر ما يتعلق بالتفصيل الذي ذهب إليه وهو أمر بين أمرين فإن المحاسبي ومن تبعه اختاروا الأشد والأشق، ومن قال إنه يثاب مطلقاً ولا تأثير فيه للرياء فقد اختار الأخف، **(نعم الإنسان فيه على خطر عظيم لأنه ربما يظن أن الباعث الأقوى هو قصد التقرب إلى الله تعالى ويكون الأغلب على سره الحظ النفسي، وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الأجر إلا بالإخلاص، والإخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه وإن بالغ في الاحتياط، فلذلك ينبغي أن يكون أبداً بعد كمال الاجتهاد)** في كل عمل من أعماله **(متردداً بين الرد والقبول خائفاً)** وجلاً **(أن تكون في عبادته آفة)** ما شعر بها **(يكون وبالها أكثر من ثوابها)** ويعتقد بذلك أنه متقرب وهو متباعد، فعسى أن يكون خوفه وإشفاقه كفارة للآفة الداخلة عليه ويرجو من فضل الله وسعة جوده أن لا يؤاخذه بما خرج عن عمله بعد جده واجتهاده. **(وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائر، وهكذا ينبغي أن يكون كل ذي بصيرة)** كمن أدرج في رحله ماء ثم صلى بعد جهده وإمعانه في الطلب، ثم بان له بعد ذلك أنه كان في رحله ماء فقد قطع الفقهاء بأن لا قضاء عليه في هذه الصورة. وهذا القياس لا يصح إلا في المعاونة والموافقة، وأما رتبة المشاركة فلا يصح لأن الماء بدل والإخلاص لا بدل له، بل يجب في رتبة المشاركة في الرياء المجرد عن الإخلاص التوبة وقضاء ما يجب قضاؤه من صلاة وزكاة وصوم، وكذلك لا يفارقك الخوف والرجاء لجبران الآفات المنقصة لكمال الإخلاص إلى أن ينتهي إلى حالة لا يصح فيها الخوف والرجاء فحينئذ يا سعادة المقربين، **(ولذلك قال سفيان)** الثوري رحمه الله تعالى: **(لا أعتد بما ظهر من عملي)** نقله صاحب القوت. **(وقال عبد العزيز بن أبي**

شيء من أعمال الله تعالى إلاّ وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ليته لا لي ولا عليّ. ومع هذا فلا ينبغي أن يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فإن ذلك منتهى بغية الشيطان منه إذ المقصود أن لا يفوت الإخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والإخلاص جميعاً. وقد حكي أن بعض الفقراء كان يخدم أبا سعيد الخراز ويخف في أعماله فتكلم أبو سعيد في الإخلاص يوماً يريد إخلاص الحركات فأخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالإخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج واستضر الشيخ بذلك، فسأله عن أمره فأخبره بمطالبته نفسه بحقيقة الإخلاص وأنه يعجز عنها في أكثر أعماله فيتركها فقال أبو سعيد: لا تفعل إذ الإخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الإخلاص، فما قلت لك اترك العمل وإنما قلت لك أخلص العمل. وقد قال الفضيل: ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لأجل الخلق شرك.

داود) روى له البخاري تعليقاً والأربعة مات سنة تسع وخمسين ومائة **(جاورت هذا البيت ستين سنة وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من أعمال الله إلا وحاسبت نفسي، فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ليته لا لي ولا علي)** نقله صاحب القوت، **(ومع هذا فلا ينبغي أن يترك العمل عند خوف الآفة)** أي خشية دخولها فيه، **(فإن ذلك منتهى بغية)** عدوه **(الشيطان منه إذ المقصود أن لا يفوت الإخلاص، ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والإخلاص جميعاً)** وترك العمل في هذه الصورة جهل، كما أن ترك العمل عند دخول العلة عليه وهن، **(وقد حكي أن بعض الفقراء كان يخدم أبا سعيد)** أحمد بن عيسى **(الخراز)** رحمه الله تعالى **(ويخف)** بين يديه **(في أعماله)** وحوائجه ويخدم أصحابه ويسارع في قضاء حوائجهم، **(فتكلم أبو سعيد يوماً في إخلاص الحركات فأخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالإخلاص فتعذر عليه قضاء الحوائج)** مما كان يعمله لأبي سعيد وأصحابه من الخفة والمسارعة وتركه، **(واستضر الشيخ بذلك فسأله عن أمره)** وقال: يا بني قد كنت تسعى في حوائج إخوانك ثم قطعت ذلك فما السبب؟ **(فاخبره)** الفقير **(بمطالبته نفسه بحقيقة الإخلاص، وأنه يعجز عنها في أكثر أعماله فيتركها)** أي خشية أن تكون أعماله مدخولة **(فقال)** له **(أبو سعيد: لا تفعل إن الإخلاص لا يقطع المعاملة)** ولا ينبغي للعامل أن يترك العمل لأجل الإخلاص فيفوته الإخلاص والعمل، **(فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الإخلاص، فما قلت لك أترك العمل وإنما قلت لك أخلص العمل)** فإن طلبك للإخلاص قد قطعك عمل البر، وقد أضر ذلك بنا فارجع إلى ما كنت فيه واخلص فيه لله تعالى نقله صاحب القوت. **(وقد قال الفضيل)** بن عياض رحمه الله تعالى: **(ترك العمل بسبب الخلق رياء وفعله لأجل الخلق شرك)** نقله القشيري، وقد تقدم قريباً بسنده. ولنختم هذا الباب بذكر ما يتعلق بالإخلاص

....

قال القشيري في الرسالة، قال سهل: لا يعرف الرياء إلا مخلص. وقال حذيفة المرعشي: الإخلاص أن تستوي أفعال العبيد في الظاهر والباطن. وقال السري: من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله. وقال بعضهم: دخلت على سهل بن عبدالله يوم جمعة قبل الصلاة فرأيت في البيت حية فجعلت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى، فقال: أدخل لا يبلغ أحد حقيقة الإيمان وعلى وجه الأرض شيء يخافه ثم قال: هل لك في صلاة الجمعة؟ فقلت: بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة، فأخذ بيدي فما كان إلا قليل حتى رأيت المسجد فدخلنا وصلينا الجمعة ثم خرجنا، فوقف ينظر إلى الناس وهم يخرجون فقال: أهل لا إلـه إلا الله كثير والمخلصون منهم قليل. وقال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: إذا أخلص العبد انقطع عنه كثرة الوسواس والرياء اهـ.

وقال صاحب القوت: سميت سورة قل هو الله أحد سورة الإخلاص لإنها خالصة في ذكر صفات الله تعالى وحده لا يختلط بذكر جنة ولا نار ولا وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهي، ولذلك قيل: سورة التوحيد إذ لا شريك فيما سواه. قال: ومن ألهمه الله إخلاص النية زاده معرفة الإخلاص أخرجه ذلك إلى الهرب من الناس ليخلص له معاملته لأنه ينظر بعين اليقين، وإذ ليس ينفعه شيء إلا شيء بينه وبين الله عز وجل لا شريك له فيه لسواه، وهذا المعنى هو الذي أخرج طائفة من الأبدال إلى الكهوف تخلياً من أبناء الدنيا لخلاص أعمالهم من النظر إليهم، فهم وإن فارقوا فضائل الأعمال من صلاة الجماعة وغيرها، فقد تقرر عندهم أن اجتناب معصية واحدة عندهم أفضل من ذلك، والجاهل بالله تعالى يعمل من طلب الفضائل ولا يبالي بيسير الذنوب وفيها بعد عن الله عز وجل، وليس ذلك طريق المقربين. وقال بعضهم: إنما أبعد القلب من الله تعالى مظاهرة أعمال الجوارح بغير مواطأة من القلب بصحة القصد يعني بذلك نقص الإخلاص بها لأجل الله تعالى. قال: وأصح الأعمال وأخلصها ما كان الله تعالى هو الأول في أولها، ومع العامل في أوسطها للعبد عنده فيها والله هو الآخر عند آخرها، ثم لا يظهرها بعد ذلك ولا يتظاهر بها ولا يطالع عوضاً عنها من الكبير الأكبر بل ينساها ويشتغل بذكر مولاه عنها. قال: ومن المناقص المشبهة للفضائل الملتبسة على الأفاضل الشهرة بضلها وروغة العموم للدخول فيها والصبر عليها وهي منكشفة للعلماء بالله عز وجل ما روي أن رجلين تواخيا في الله عز وجل بعد رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، فترهب أحدهما واسمه سرجس ولزم أخوه الآخر الجماعة والمساجد ومخالطة الناس، وكان أعلم منه بالله عز وجل، وكان يلتقي أخاه سرجس فيقول: يا أخي إن هذا الأمر الذي دخلت فيه بدعة وأن عليك فيه رعاية لا تقوم بحقها وأنه ليس لله فيها رضا، فلو دخلت معي في الجماعة والإلفة كان ذلك لله عز وجل رضا وأصبت السنة، وكان المترهب يعرض عنه ولا يعبأ برأيه ويقول له: إنك قد ركنت إلى الدنيا وأنست بالخلق، فما أعياه قال له: فاجعل فطرك عندي الليلة حتى يتبين لك ففعل فقدم إليه فرخين شواهما وقال له: تعال حتى نجعل هذين الفرخين قاضيين بيننا فأينا كان على الحق ظهر أمره. قال: وكيف يقضيان بيننا، قال: حتى يدعو الله كل واحد منا، فمن كانت سيرته وهديه أحب إلى الله تعالى يبعث بدعائه هذين الفرخين حتى يطيرا

....

حيين. قال: نعم فادع فدعا الراهب، فقال: اللهم إن كان هذا الأمر الذي دخلت فيه أريد به رضاك أقرب إلى الحق مما يدعوني إليه أخي هذا فابعث هذين الفرخين لي قال: فلم يجب، فقال الآخر: اللهم إن كان هذا الأمر الذي تمسكت به وخالفت فيه هذا وأصحابه أقرب إلى الحق وأرضاه عندك مما يدعوني إليه أخي من الاعتزال والفرقة للجماعة فابعث لي هذين الفرخين. قال: فصارا حيين وطارا بإذن الله تعالى فعلم الآخر أن ذلك ليس فيه لله رضا فرجع إلى الجماعة والمساجد. قال: ومن التباس الفضائل العالية ترك العبد حاله في مقامه طلباً للفضيلة ليزداد بها قربة إلى الله فيتغلب عليه ويهلك ما أدخل على برصيصا العابد في تعليم الاسم الأعظم وقصته مشهورة، فالعالم عند العلماء في علم خير من الخيرين فسبق إليه قبل فوته وعلم شر الخيرين فأعرض عنه لئلا يشغله عن الأخير منهما، وعلم أيضاً خير الشرين ففعله إذا اضطر إليه وابتلي به وعلم شر الشرين فأمعن في الهرب منه، وهذا من دقائق العلوم. وقال منصور: المداراة على العمل حتى يخلص أشد من العمل. وقال عبد العزيز بن أبي رواد: أدركتهم في العمل الصالح، فإذا بلغوه وقع عليهم الهم أيتقبل منهم أم لا؟ وقال مالك بن دينار: الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل. وقال البناجي: للعمل أربع خصال لا يتم إلا بهن معرفة الله عز وجل ومعرفة الحق والإخلاص به والعمل على السنة فأي عمل كان قبل هذه الأربع لم ينفع. وقال عبد الرحمن بن سريج: من قام إلى شيء من الخير لا يريد به إلا الله عز وجل، ثم عرض له من يريد أن يرائيه بذلك أعطاه الله عز وجل بالأصل ووضع عنه الفرع، ومن قام إلى شيء من الخير لا يريد به إلا المراءاة ثم ذكر وبدا له فجعل آخر ذلك لله عز وجل أعطاه الله الفرع ووضع عنه الأصل كأنه حسب له ذلك توبة والتوبة مكفرة لما سلف. قال: وقد تلتبس الفضائل بالمناقص لدقة معانيها وخفي علومها كصلاة العبد النفل وهو يحسب أنه الأوجب، ومن ذلك أن رجلاً كان يصلي فدعاه رسول الله ﷺ فلم يجبه فظن أن وقوفه بين يدي الله تعالى بالغيب أفضل له فلما سلم جاءه، فقال له النبي ﷺ: «ما منعك أن تجيبني حين دعوتك»؟ فقال: كنت أصلي، فقال «ألم تسمع الله يقول: ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ [الأنفال: ٢٤] فكأن إجابته النبي ﷺ أفضل له لأن صلاته نافلة له، وإجابته للرسول فرض عليه. وقال بعضهم: من كان طلب الفضائل أهم إليه من أداء الفرائض فهو مخدوع، ومن شغل بغيره عن نفسه فقد مكر به فأفضل شيء للعبد معرفته لنفسه ثم وقوفه على حده ثم أحكامه لحاله التي أقيم فيها، ثم قيامه بعلمه الذي فتح له فيبتدىء بالعمل بما افترض عليه بعد اجتنابه ما نهى عنه مبلغ علمه ووسع وجده، ولا يشتغل بطلب فضل حتى يحكم عمل فرض لأن الفضل ربح لا يصح إلا بعد رأس المال ولكل فضل آفة قاطعة، فمن سلم منها حاز فضله ولكل أمر نفيس مؤنة ثقيلة فمن تحملها أدرك نفيسها، ومن تعذرت عليه السلامة فهيهات هيهات أن يصل إلى أفضل كرامة ومن لم يصبر على تحمل غرامة لم يدرك علو مقامه وقد يلتبس التكلف بالإخلاص وإظهار العلم بظهور التزين به. قال الثوري: زين نفسك بالعلم ولا تزين به أي أدبها لله تعالى لتكون زيناً في أوليائه ولا تتزين به عند الناس ليمدحوك

....

عليه، وقد يلتبس الاختيار بالاختبار فالاختيار ما كان حاجته وتطرقت به إلى الله عز وجل والاختبار ما زاد في الشهوة، وكان سلماً لك إلى الخلق كإلباس ستر العورة من الثياب بالفاخر منها للنعمة والتكثير من الأسباب، وقد يتطوع العبد بعمل يضيع به فرضاً وإحكام الفرض لحوز السلامة هو الفضل. وقد روي إذا دعي أحدكم إلى طعام فإن كان مفطراً فليجب وإن كان صائماً فليقل إني صائم فأمره بإظهار عمله وهو يعلم أن الإخفاء أفضل، ولكن إظهار عمله من حيث لا يؤثر في قلب أخيه وجداً أفضل من إخفائه لنفسه مع تأثير ذلك في قلب أخيه لتفضيل العمال على الأعمال، إذ الأعمال موقوفة على العامل فإنما يعطى الثواب على قدر العامل لا على قدر العمل لتضعيف الجزاء لمن يشاء على غيره في العمل الواحد، فدل أن المؤمن أفضل من العمل فقيل له: ارفع التأثير والكراهة عن قلب أخيك بإظهار عملك فهو خير لك من إخفاء العمل مع وجد أخيك عليك لأن أخاك إذا دعاك إلى طعام صنعه لك فلم تجبه ولم تعتذر إليه عذراً ينائي بقلبه منك وتعرفه شق ذلك عليه إن كان صادقاً في دعائك. انتهى سياق القوت.

قال السيوطي، قال القرطبي في قوله ﷺ «وإنما لامرىء ما نوى» بعد قوله «إنما الأعمال بالنيات» تحقيق لاشتراط النية والإخلاص في الأعمال. قال العراقي: فجعله للتأكيد ولا شك أن التأسيس أولى منه. وقال الزركشي: قدره العز بن عبد السلام وإنما يحصل لكل امرىء ثواب العمل الذي نواه. قال وبهذا التقدير تكون الجملة الأولى لبيان ما يترتب عليها من الثواب في الدار الآخرة. وقال الطيبي: فهم من الأولى أن الأعمال لا تكون محسوبة ومسقطة إلا إذا كانت مقرونة بالنيات، ومن الثانية أن النيات إنما تكون مقبولة إذا كانت مقرونة بالإخلاص، فالأول قصر المسند إليه، والثاني عكسه وقال العماد الأسنوي في كتابه حياة القلوب: الفرق بين النية والإخلاص هو أن النية تتعلق بفعل العبادة، وأما إخلاص النية في العبادة فيتعلق بإضافة العبادة إلى الله تعالى ويكفيه في إخلاص العبادة أن يتقدم عنه أنه مهما فعله من العبادة إنما يفعله لله خالصاً فيجزيه هذا الإخلاص الحكمي من أول العمل إلى آخره، والأولى أن يأتي في أول كل فعل بنية الإخلاص فيه كما يأتي بذلك في نية العبادة مثل الصلاة وتشييع الجنازة والإخلاص الحكمي والحقيقي مشروط فيه عدم طرو ما يناقضه كما في نية العبادة.

وأخرج ابن أبي الدنيا في الإخلاص، والدينوري في المجالسة عن عمر رضي الله عنه قال: من خلصت نيته ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس

وأخرج البيهقي في الشعب عن يونس بن عبد الأعلى قال: قال الشافعي: يا أبا موسى لو جهدت كل الجهد على أن ترضي الناس كلهم فلا سبيل لك فإذا كان كذلك فاخلص عملك ونيتك لله تعالى

وأخرج عن سهل بن عبدالله قال: اطلبوا من السر النية بالإخلاص ومن العلانية الفعل بالاقتداء وغير ذلك مغاليط. وقال ابن عطاء الله في كتابه الحكم: لا ترحل من كون إلى كون

....

فتكون كحمار الرحى يسير، والذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون وإن إلى ربك المنتهى، وانظر إلى قوله ﷺ «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» فافهم قوله ﷺ إلى ما هاجر إليه، وقل ما هذا الأمر إن كنت ذا فهم تفهم والسلام. قال شارحه ابن عباد: العمل على طلب الدرجات ونيل الرتب العلية والمقامات نقصان في الحال وشوب في إخلاص الأعمال، وهو معنى الرحيل من كون إلى كون، وسبب ذلك بقاء اعتبار النفس في أن تحصل لها رتبة وأن تنال بسعيها موهبة وهذه كلها من الأكوان والأكوان كلها متساوية في كونها أغباراً وإن كان بعضها أنواراً وتمثيله بحمار الرمى مبالغة في تقبيح حال العالمين في رؤية الأغبار وتلطفه في دعائها إلى حسن الأدب بين يدي الواحد القهار حتى يتحققوا بمعنى قوله تعالى ﴿وإن إلى ربك المنتهى﴾ فيكون انتهاء سيرهم إليه وعكوف قلوبهم عليه وتكون أعمالهم إذا ذاك وفاء بمقتضى العبودية وقياماً بحقوق الربوبية فقط من غير التفات إلى النفس على أي حالة تكون، فهذا هو تحقيق الإخلاص الكائن على مشاهدة التوحيد الخاص. قال: وفي هذا الحديث النبوي تنبيه على المعنى الذي ذكره موضع الاعتبار والتأويل والله أعلم

قوله في القسم الثاني من الحديث فهجرته إلى ما هاجر إليه أي ولا نصيب له من الوصول والقرب الذي حظى به من هاجر إلى الله تعالى ورسوله، وهذا من باب حصر المبتدأ في الخبر كما تقول: زيد صديقي أي لا صديق له غيري وكأنه ﷺ نبه بالقسم الثاني بالدنيا التي يريد أن يصيبها، والمرأة التي يريد أن يتزوجها على حظوظ النفس والوقوف معها والعمل عليها كائنة ما كانت وإن كان ظاهره طلب الحظ العاجل فقوله فهجرته إلى ما هاجر إليه، وهو البقاء مع الأكوان والتنقل فيها، وهو الذي نهى عنه وهو مشار به غير مصرح فليكن المريد عالي الهمة والنيات حتى لا يكون التفاته إلى غيره المكون البتة، والله أعلم.

الباب الثالث في الصدق
وفضيلته وحقيقته

فضيلة الصدق:

قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وقال النبي ﷺ: « إن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذّاباً »، ويكفي في فضيلة الصدق أن الصدّيق مشتق منه، والله

الباب الثالث
في الصدق وفضيلته وحقيقته

ويضاف إليه الانفصال والاتصال والتحقيق والتفريد لأنهن من علاماته.

(**فضيلة الصدق**) من الآيات والأخبار فمن ذلك:

(**قال الله تعالى ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾**) فأثنى عليهم بالصدق ووصفهم به ولولا أنه من فضائل الأعمال ما وصفهم بذلك، وكذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة: ١١٩] وقال أحمد بن حضرويه: من أراد أن يكون الله معه فليلزم الصدق، فإن الله تعالى قال ﴿إن الله مع الصادقين﴾ (**وقال النبي ﷺ « إن الصدق يهدي إلى البر**) أي يوصل صاحبه إليه والبر بالكسر اسم يجمع الخير كله، وقيل: هو التوسع في الخير، وقيل اكتساب الحسنات واجتناب السيئات، (**و**) أن (**البر يهدي إلى الجنة**) يعني أن الصدق الذي هو بر يدعو إلى ما يكون براً مثله وذلك يدعو إلى دخول الجنة فهو سبب لدخولها ومصداقه قوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ [المطففين: ٢٢] (**وإن الرجل**) ذكر الرجل وصف طردي والمراد الإنسان المؤمن (**ليصدق**) أي يلازم الصدق (**حتى يكتب عند الله صديقاً**) أي يتكرر منه الصدق ويدوم عليه قولاً وفعلاً واعتقاداً حتى يستحق اسم المبالغة فيه ويشتهر بذلك عند الملأ الأعلى فالمراد بالكتابة الكتابة في اللوح أو في صحف الملائكة (**وأن الكذب**) الذي هو مقابل الصدق (**يهدي**) أي يوصل (**إلى الفجور**) الذي هو شق ستر الديانة والميل إلى الفساد والانبعاث في المعاصي وهو إسم جامع لكل شر (**وأن الفجور يهدي إلى النار**) أي إلى ما يكون سببا لدخولها وذلك داع لدخولها، (**وإن الرجل ليكذب**) أي يكثر الكذب (**حتى يكتب عند الله كذاباً »**) أي يحكم له بذلك ويستحق الوصف فمنزلة الصديقين وثوابهم في الأول والكذابين

....

وعقابهم في الثاني، فالمراد إظهاره لخلقه بالكتابة فيما ذكر ليشتهر في الملأ الأعلى ويلقي في قلوب أهل الأرض ويوضع على ألسنتهم كما يوضع القبول والبغضاء في الأرض ذكره العلائي وغيره وتبعهم الحافظ في الفتح، وقال بعضهم المضارعان وهما يصدق ويكذب للاستمرار، ومن ثم كان الكذب أشد الأشياء ضرراً والصدق أشدها نفعاً، ولهذا علت رتبته على رتبة الإيمان لأنه إيمان وزيادة. وقال النووي: فيه حث على تحري الصدق والاعتناء به وتحذير من الكذب والتساهل فيه، فإنه إذا تساهل فيه أكثر منه وعرف به. وقال الراغب: الصدق أحد أركان بقاء العالم حتى لو توهم مرتفعاً لما صح نظامه وبقاؤه وهو أصل المحمودات وركن النبوات ونتيجة التقوى، ولولاه لبطلت أحكام الشرائع والاتصاف بالكذب انسلاخ من الإنسانية لخصوصية الإنسان بالنطق، ومن عرف بالكذب لم يعتمد نطقه، وإذا لم يعتمد لم ينتفع وإذا لم ينتفع صار هو والبهيمة سواء، بل يكون شراً من البهيمة فإنها وإن لم ينتفع بلسانها لا تضر والكاذب يضر ولا ينفع اهـ.

والحديث قد تقدم أنه اتفق عليه الشيخان من حديث عبدالله بن مسعود، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك فوهم. وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا أبو خيثمة، حدثنا جرير عن منصور، عن أبي وائل، عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ « إن الصدق يهدي إلى البر وأن البر يهدي إلى الجنة وأن الرجل ليصدق حتى يكتب عندالله صديقاً » وقد روي ذلك من حديثه بلفظ آخر « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وأن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عندالله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وأن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » رواه كذلك أحمد والبخاري في الأدب المفرد، ومسلم والترمذي وابن حبان

وقال أبو داود والطيالسي في مسنده: حدثنا شعبة عن منصور عن أبي وائل عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: « لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ». ورواه القشيري في الرسالة من طريقه

وقد روي نحو ذلك من قول ابن مسعود، قال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة، أخبرني عمرو بن مرة، سمعت مرة الهمداني قال: كان عبدالله يقول: « عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى الجنة وما يزال العبد يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ويثبت البر في قلبه فلا يكون للفجور موضع إبرة يستقر فيه »

وفي الباب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه رفعه « عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار وسلوا الله اليقين والمعافاة » الحديث. هكذا رواه الطيالسي وأحمد والحميدي والبخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن ماجه وأبو يعلى والشاشي والدارقطني في الإفراد وابن حبان والحاكم والبيهقي والضياء.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة، عن يزيد بن حميد، سمعت سليم بن

تعالى وصف الأنبياء به في معرض المدح والثناء فقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤١] وقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِياً﴾ [مريم: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِياً﴾ [مريم: ٥٦]، وقال ابن عباس: أربع من كنّ فيه فقد ربح؛ الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر. وقال بشر بن الحرث: من عامل الله بالصدق استوحش

عامر يحدث عن واسط بن إسماعيل أنه سمع أبا بكر يخطب بعدما قبض رسول الله ﷺ بسنة فقال: قام رسول الله ﷺ عام أول مقامي هذا ثم بكى أبو بكر، ثم قال: « عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار » وهكذا رواه مختصراً، وقد رواه الطبراني مثله من حديث معاوية. وروى الخطيب وابن النجار من حديث أبي بكر بلفظ « فإنه باب من أبواب الجنة وباب من أبواب النار » والباقي سواء.

(**ويكفي في فضيلة الصدق أن الصديق مشتق منه**) قال القشيري: الصادق الاسم اللازم من الصدق والصديق المبالغة منه وهو كثير الصدق الذي الصدق غالبه كالسكير والخمير وبابه اهـ. أي أن الصادق مشتق من الصدق فهو اسم لمن قام به الصدق والصديق اسم دال على المبالغة مشتق من الصدق أيضاً وباب فعيل للمبالغة.

(**و**) من فضائل الصدق أن (**الله تعالى**) سمى نفسه به بقوله ﴿وإنا لصادقون﴾ و (**وصف**) به (**الأنبياء**) عليهم السلام (**في معرض المدح والثناء فقال: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً﴾ وقال: ﴿واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً﴾**) وأوجب على عباده التخلق بأوصافه وأخلاق أنبيائه بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة: ١١٩] فلما امتثلوا قوله وأجابوه جعلهم مع درجة الأنبياء بقوله تعالى: ﴿أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين﴾ [النساء: ٦٩] فبالصدق يتحقق جميع المقامات والأحوال لأنها زينتها وكمالها، حتى الإخلاص مع شرفه وعلو قدره يفتقر إلى الصدق والصدق لا يفتقر إلى شيء لأنه وجود في نفسه كما سيأتي بيانه.

(**وقال ابن عباس**) رضي الله عنهما: (**أربع من كن فيه فقد ربح: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر**) وقد روي نحوه مرفوعاً من حديثه بلفظ « أربع إذا كن فيك فما عليك ما فاتك من الدنيا: صدق الحديث وحفظ الأمانة وحسن الخلق وعفة مطعم » رواه كذلك ابن عدي وابن عساكر. ورواه أحمد والحكيم والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث ابن عمر، ويروى ذلك أيضاً من حديث عبدالله بن عمر وبلفظ « أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة في طعمة » رواه كذلك أحمد والطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق والبيهقي وفي سنده ابن لهيعة وباقي رجال أحمد رجال الصحيح.

من الناس. وقال أبو عبدالله الرملي رأيت منصوراً الدينوري في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني وأعطاني ما لم أؤمل، فقلت له: أحسن ما توجه العبد به إلى الله ماذا؟ قال: الصدق وأقبح ما توجه به الكذب. وقال أبو سليمان: اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك. وقال رجل لحكيم: ما رأيت صادقاً؛ فقال له: لو كنت صادقاً لعرفت الصادقين. وعن محمد بن علي الكتاني قال: وجدنا دين الله تعالى مبنياً على ثلاثة أركان على الحق والصدق والعدل، فالحق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول. وقال الثوري في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]، قال: هم الذين ادعوا محبة الله تعالى، ولم يكونوا بها صادقين. وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود من

(وقال بشر بن الحرث) الحافي رحمه الله تعالى: **(من عامل الله بالصدق استوحش من الناس)** ليخلص له في معاملته لأنه ينظر بعين اليقين، وهذا المعنى هو الذي أخرج طائفة من الصادقين إلى الكهوف والمغاير تخلياً من أبناء الدنيا لصدق معاملتهم مع الله.

(وقال أبو عبدالله الرملي) منسوب إلى الرملة من كور فلسطين **(قال: رأيت منصوراً الدينوري في المنام** فقلت له: ما فعل **الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني وأعطاني ما لم آمل)** أي ما لم أكن أرجوه، **(فقلت: أحسن ما توجه العبد به إلى الله تعالى ماذا؟ قال: الصدق، وأقبح ما توجه به الكذب. وقال أبو سليمان)** الداراني رحمه الله تعالى: **(إجعل الصدق مطيتك)** أي لأنه يهدي إلى اللقاء، **(والوقت سيفك)** تقطع به ما يعوقك عن الوصول، **(والله تعالى غاية طلبتك)** أي فلا تلاحظ في سائر الأحوال إلا وجه الله تعالى. **(وقال رجل لحكيم: ما رأيت صادقاً؟ فقال له: لو كنت صادقاً)** أي لو تحققت بهذا الوصف **(لعرفت الصادقين، وعن)** أبي بكر **(محمد بن علي)** بن جعفر **(الكتاني)** الصوفي المكي حكى عن أبي سعيد الخراز وتوفي سنة ٣٢٢ **(قال: وجدنا دين الله تعالى مبنياً على ثلاثة أركان: على الحق والصدق والعدل، فالحق على الجوارح)** بأن يكون استعماله في الطاعة على صريح الحق مما يطابق السنة، **(والعدل على القلوب)** بأن تستوي في المعرفة على سبيل الاعتدال، **(والصدق على العقول)** بأن تصدق في الملاحظ فلا تخالف السرية العلانية.

(وقال النوري) هو أبو الحسين البغدادي وهو بضم النون منسوب إلى نور الوعظ وتقدم ذكره مراراً وفي بعض النسخ الثوري بالمثلثة فيكون المراد به سفيان. **(في قوله تعالى: ﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ قال: هم الذين ادعوا محبة الله ولم يكونوا صادقين)** في دعواهم.

(وأوحى الله إلى داود عليه السلام: يا داود من صدقني في سريرته) أي عاملني في باطنه

صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته. وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى نفسه في دجلة، فقال الشبلي إن كان صادقاً فالله تعالى ينجيه كما نجى موسى عليه السلام، وإن كان كاذباً فالله تعالى يغرقه كما أغرق فرعون. وقال بعضهم: أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال أنها إذا صحت ففيها النجاة ولا يتم بعضها إلا ببعض الإسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الأعمال، وطيب المطعم. وقال وهب بن منبه: وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفاً كان صلحاء بني إسرائيل يجتمعون فيقرأونها ويتدارسونها: لا كنز أنفع من العلم، ولا مال أربح من الحلم، ولا حسب أوضع من الغضب، ولا قرين أزين من العمل، ولا رفيق أشين من الجهل، ولا شرف أعز من التقوى، ولا كرم أوفى من ترك الهوى، ولا عمل أفضل من الفكر، ولا حسنة أعلى من الصبر، ولا سيئة أخزى من الكبر، ولا دواء ألين من الرفق، ولا داء أوجع من الخرق،

معاملة صدق (**صدقته عند المخلوقين**) في علانيته نقله القشيري وله شاهد في الخبر « من أسر سريرة ألبسه الله رداءها » والغالب على من يعمر باطنه بالصدق والإخلاص أن تجري حركاته وسكناته على حسب ما في قلبه فيظهر في أقواله وأحواله وأفعاله.

(و) يحكى أنه (**صاح رجل في مجلس أبي بكر الشبلي**) رحمه الله تعالى لحال غلب عليه فلم يطقه فصرخ (**ورمى نفسه في دجلة**) حيث كان في محل مشرف عليه، (**فقال الشبلي**) رحمه الله تعالى: (**إن كان صادقاً فالله تعالى ينجيه**) من الغرق (**كما نجى موسى عليه السلام**) حين شق البحر هو ومن معه ولم يبتلوا معجزة له، (**وإن كان كاذباً**) في وجده (**فالله تعالى يغرقه كما أغرق فرعون**) وهذا هو الصدق في الأحوال.

(**وقال بعضهم: أجمع الفقهاء**) يعني أهل الفقة الظاهر (**والعلماء**) يعني أهل المعرفة بالله (**على ثلاث خصال أنها إذا صحت**) أي تمت مجموعة في إنسان (**ففيها النجاة**) من الهلاك، (**ولا يتم بعضها إلا ببعض الإسلام**) أي الانقياد لأوامر الله تعالى (**الخالص عن**) شوب (**البدعة والهوى**) في الاعتقاد (**والصدق لله تعالى في الأعمال**) أي الدخول فيها بحسن الإخلاص والاستمرار على ذلك، (**وطيب المطعم**) بأن يكون حلالاً ومن وجه لا شبهة فيه.

(**وقال وهب بن منبه**) اليماني رحمه الله تعالى: (**وجدت على حاشية التوراة**) أي غلافها (**اثنين وعشرين حرفاً**) أي كلمة (**كان صلحاء بني إسرائيل يجتمعون فيقرأونها ويتدارسونها**) وهي هذه: (**لا كنز أنفع من العلم**) فإن العلم يزكو بالإنفاق والكنوز إلى نفاد، (**ولا مال أربح من الحلم، ولا حسب أوضع من الغضب، ولا قرين أزين من العمل، ولا رفيق أشين من الجهل، ولا شرف أعز من التقوى، ولا كرم أوفر من ترك الهوى، ولا عمل أفضل من الفكر، ولا حسنة أعلى من الصبر، ولا سيئة أخزى من الكبر، ولا دواء**)

ولا رسول أعدل من الحق، ولا دليل أنصح من الصدق، ولا فقر أذل من الطمع، ولا غنى أشقى من الجمع، ولا حياة أطيب من الصحة، ولا معيشة أهنأ من العفة، ولا عبادة أحسن من الخشوع، ولا زهد خير من القنوع، ولا حارس أحفظ من الصمت، ولا غائب أقرب من الموت. وقال محمد بن سعيد المروزي: إذا طلبت الله بالصدق آتاك الله تعالى مرآة بيدك حتى تبصر كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة. وقال أبو بكر الورّاق: أحفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لذي النون: هل للعبد إلى صلاح أموره سبيل؟ فقال:

قد بقينا من الذنوب حيارى ... نطلب الصدق ما إليه سبيلُ
فدعاوي الهوى تخف علينا ... وخلاف الهوى علينا ثقيلُ

ألين من الرفق، ولا داء أوجع من الخرق) بالضم وهو قلة العقل، **(ولا رسول أعدل من الحق، ولا دليل أنصح من الصدق، ولا فقر أذل من الطمع، ولا غنى أشقى من الجمع)** أي من جمع المال، **(ولا حياة أطيب من الصحة، ولا معيشة أهنأ من العفة، ولا عبادة أحسن من الخشوع، ولا زهد خير من القنوع، ولا حارس أحفظ من الصمت)** أي قلة الكلام، **(ولا غائب أقرب من الموت)** . والمقصود من هذا السياق هو قوله: لا دليل أنصح من الصدق فإن الصدق يتوصل به إلى سائر الخيرات وهو مفتاح باب الحسنات وبه تكمل سائر المقامات، فهو نعم الدليل الناصح. وقد روى ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من مرسل يحي بن أبي كثير: الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى.

(وقال محمد سعيد المروزي) رحمه الله تعالى: **(إذا طلبت الله بالصدق أفادك الله مرآة بيدك حتى تبصر)** بها **(كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة)** وهو إشارة إلى أن الصدق مع الله في المعاملة يورث تنوير القلب عن الكدورات فتتجلى فيه الأشياء بحقائقها وهو لا يلتفت إليها، ومصداقه قول الله تعالى ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ [الأنفال: ٢٩] أي نوراً تفرقون به بين الحق والباطل. ولفظ القشيري: أعطاك مرآة تبصر فيها ولم يعزه لمحمد بن سعيد.

(وقال أبو بكر الوراق) رحمه الله تعالى له ذكر في الرسالة في باب الحياء: **(احفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى، والرفق فيما بينك وبين الخلق)** فكلاهما أصلان أصيلان في الوصول إلى الله تعالى.

(وقيل لذي النون) المصري رحمه الله تعالى: **(هل للعبد إلى صلاح أموره سبيل؟ فقال)** منشداً:

(قد بقينا مذبذبين حيارى ... نطلب الصدق ما إليه سبيل
فدعاوي الهوى تخف علينا ... وخلاف الهوى علينا ثقيل)

وقيل لسهل ما أصل هذا الأمر الذي نحن عليه؟ فقال: الصدق والسخاء والشجاعة. فقيل: زدنا فقال: التقى والحياء وطيب الغذاء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ سئل عن الكمال فقال: «قول الحق والعمل بالصدق». وعن الجنيد في قوله تعالى: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٨]، قال: يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم، وهذا أمر على خطر.

يشير إلى أنه لا سبيل للعبد إلى صلاح أموره إلا بالصدق مع الله تعالى، ولا يتم ذلك إلا بمخالفة النفس والهوى ومخالفة الهوى ثقيلة على النفس فلا يحصل الصدق مع وجود الهوى.

(**وقيل لسهل**) التستري رحمه الله تعالى: (**ما أصل هذا الأمر الذي نحن عليه**) أي السلوك في طريق الله؟ (**فقال: الصدق والسخاء والشجاعة**) أي فهذه الثلاثة أصول الطريق وبينها تلازم في الغالب، (**فقيل: زدنا. فقال: التقى والحياء وطيب الغذاء**). والمراد به العفة في الطعم، وقد تقدم في حديث ابن عساكر قريباً.

(**وعن ابن عباس**) رضي الله عنهما (**أن النبي ﷺ سئل عن الكمال**) ما هو؟ (**فقال: قول الحق والعمل بالصدق**) قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ.

(**وعن الجنيد**) قدس سره (**في قوله تعالى ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ قال: يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا أمر على خطر**) قال القشيري في الرسالة: الصدق عماد الأمر وبه تمامه وفيه نظامه، وهو ثاني درجة النبوة سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت الفرغاني يقول: سمعت الجنيد يقول: الصادق ينقلب في اليوم أربعين مرة والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة.

قلت: معناه الصادق يدور مع الدليل حيث دار وينقلب في أحواله ومعاملاته على ما يقتضيه الدليل مما هو الأفضل في حقه، والمرائي يستحسن حاله ويظنها موصلة لمقصوده من رفعته عند الخلق فهو يعمل في الحقيقة في أبعاد من الله تعالى.

ثم قال: وقال أبو سليمان الداراني: لو أراد الصادق أن يصف ما في قلبه ما نطق به لسانه أي لعجزه عن نطقه به لعسر العبارة، والصدق في المعاملة يورث القلوب مواهب تعجز عنها العبارات.

ثم قال: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت الجريري يقول: سمعت سهل بن عبدالله يقول: لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه وغيره، وسمعته يقول: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت جعفر الخواص يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه أو فضل يعمل فيه. وقيل: ثلاث لا يخطئن الصادق الحلاوة والهيبة والملاحة. وقال ذو النون: الصدق سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه. وقال سهل: أول خيانة الصديقين حديثهم مع أنفسهم. وقال يوسف بن اسباط: لأن

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه:

اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان: صدق في القول وصدق في النية والإرادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل، وصدق في

أبيت ليلة أعامل الله بالصدق أحب إلي من أن أضرب بسيفي في سبيل الله. وقال بعضهم: من لم يؤد الفرض الدائم لا يقبل منه الفرض المؤقت. قيل: ما الفرض الدائم؟ قال: الصدق. وقيل: عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك فإنه ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك. وقيل: كل شيء ومصادقة الكذاب لا شيء. انتهى سياق الرسالة.

وفي كتاب الصمت لابن أبي الدنيا حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا مروان بن معاوية، عن مجمع بن عيسى، عن منصور بن المعتمر قال: قال رسول الله ﷺ «تحروا الصدق وإن رأيتم أن فيه الهلكة فإن فيه النجاة».

وأخرج فيه من طريق مكحول عن أبي هريرة رفعه «لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يؤثر الصدق وحتى يترك الكذب في المزاحة والمراء وإن كان صادقاً» وقال: حدثنا الهيثم بن خارجة، حدثنا الهيثم بن عمران، سمعت إسماعيل بن عبيدالله المخزومي قال: أمرني عبد الملك بن مروان أن أعلم بنيه الصدق كما أعلمهم القرآن. وأخرج من طريق محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن جده قال: زين الحديث الصدق. ومن طريق عمارة بن أبي حفصة سمع أبا مجلز يقول، قال رجل لقومه: عليكم بالصدق فإنه نجاة. وقال يحي بن سعيد الآمدي: أنشدني ابن خربوذ للفضل بن عباس المهلبي:

إنا أناس من سجيتنا ... صدق الحديث ورأينا حتم
لبسوا الحياء فإن نظرت حسبتهم ... سقموا ولم يمسهم سقم
شر الإخاء إخاء مزدرد ... مزج الإخاء إخاؤه وهم
زعم ابن عمي أن حلمي ضرني ... ما ضر قبلي أهله الحلم

وأخرج من طريق عدي بن ثابت قال، قال عمر رضي الله عنه: أحبكم إلينا إذا اختبرناكم أصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة. ومن طريق الشعبي أنه كان يتمثل ويقول:

أنت الفتى كل الفتى ... إن كنت تصدق ما تقول
لا خير في كذب الجوا ... د وحبذا صدق البخيل

ومن طريق جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول: الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه.

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه:

(اعلم) هداك الله تعالى **(أن لفظ الصدق)** قد تسمى به الله تبارك وتعالى بقوله ﴿وإنا لصادقون﴾ وهو ذاتي له تعالى راجع إلى معنى كلامه، فالصدق ما تضمنه كلامه من شهادته لنفسه بالوحدانية وبجميع ما أثنى على نفسه وبأن لا فاعل إلا هو فأما حقيقته في العباد فهو استواء

تحقيق مقامات الدين كلها، فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لأنه مبالغة في الصدق. ثم هم أيضاً على درجات فمن كان له حظ في الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالإضافة إلى ما فيه صدقه.

الصدق الأوّل: صدق اللسان وذلك لا يكون إلا في الاخبار أو فيما يتضمن الإخبار وينبه عليه، والخبر إما أن يتعلق بالماضي أو بالمستقبل، وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه. وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق، وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها. فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان:

أحدهما: الاحتراز عن المعاريض؛ فقد قيل في المعاريض، مندوحة عن الكذب

السريرة والعلانية والظاهر والباطن وهو (**يستعمل في ستة معان: صدق في القول، وصدق في النية والإرادة، وصدق في العزم، وصدق في الوفاء بالعزم، وصدق في العمل، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها، فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك**) من أقواله وأفعاله وأحواله، (**فهو صديق لأنه مبالغة من الصدق**) كما هو مقتضى باب فعيل، (**ثم هو أيضاً على درجات**) ومراتب. (**ومن كان له حظ في شيء من الجملة**) المذكورة من الأقوال والأفعال والأحوال (**فهو صادق بالإضافة إلى ما فيه صدقه**) والغالب إطلاقه على المتصف به في الأقوال كما يلوح إليه كلام القشيري وهذا هو الأصل ومقابله.

(**الصدق الأول: صدق اللسان**) وصدق القول، (**وذلك لا يكون**) بالقصد الأول منه (**إلا في الإخبار**) دون غيرها من أصناف الكلام (**أو فيما يتضمن الإخبار وينبه عليه**) أي بالعرض لا بالقصد الأول، فقد يدخل في أنواع الكلام من الاستفهام والأمر والدعاء، وذلك أن قول القائل أزيد في الدار في ضمنه أخبار بكونه جاهلاً بحال زيد، وكذلك إذا قال واسني في ضمنه أنه محتاج إلى المواساة وإذا قال لا تؤذني في ضمنه أنه يؤذيه، (**والخبر إما أن يتعلق بالماضي أو بالمستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق، وهذا هو أشهر أنواع الصدق، وأظهرها**) وهو واجب لغيره لا لذاته لأن المقصود منه الدلالة على الحق حيث كان، ولذلك استثنى الشرع منه المعاريض والإصلاح بين العباد ورضا قلوب الزوجات وإرهاب الأعداء في الجهاد والمعاريض من ذلك مباحة والإصلاح وما يضاهيه مستحب وإنكار الودائع ممن يغصبها واجب، (**فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق**) وهذا الوصف لازم له، (**ولهذا الصدق كمالان**).

(**أحدهما: الاحتراز عن**) صريح اللفظ وعن (**المعاريض**) إن وجد إلى ذلك سبيلاً،

وذلك لأنها تقوم مقام الكذب، إذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه. إلا أن ذلك مما تمس إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في بعض الأحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الأعداء والاحتراز عن إطلاعهم على أسرار الملك، فمن اضطر إلى شيء من ذلك فصدقه فيه أن يكون نطقه فيه لله فيما يأمره الحق به ويقتضيه الدين، فإذا نطق به فهو صادق وإن كان كلامه مفهماً غير ما هو عليه، لأنّ الصدق ما أريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء إليه فلا ينظر إلى صورته بل إلى معناه، نعم في مثل هذا الموضع ينبغي أن يعدل إلى

(**فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب**) روي ذلك عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما مرفوعاً وموقوفاً، والموقوف أصح رواه البخاري في الأدب المفرد من طريق قتادة عن مطرف بن عبدالله قال: صحبت عمران بن حصين من الكوفة إلى البصرة فما أتى عليه يوم إلا أنشد فيه شعراً، وقال: في معاريض الكلام مندوحة عن الكذب. ورواه ابن جرير الطبري في التهذيب والبيهقي في الشعب والطبراني في الكبير وجاله ثقات. ورواه ابن السنى من طريق شعبة عن قتادة به مرفوعاً، وكذا قال البيهقي رواه الزبرقان عن سعيد بن أبي سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، لكن عن زرارة بن أوفى عن عمران مرفوعاً قال: والموقوف هو الصحيح. ورواه أبو بكر ابن كامل في فوائده، وأبو نعيم والديلمي من طريقه من حديث علي رضي الله عنه أن ما في المعاريض ما يكفي الرجل العاقل عن الكذب، ويروى نحوذلك من قول عمر رضي الله عنه: أما أن في المعاريض ما يكفي المسلم عن الكذب رواه البخاري في الأدب المفرد، والبيهقي في الشعب وهو عند العسكري في الأمثال بلفظ: «إن في المعاريض لمندوحة للرجل المسلم الحري عن الكذب» وأشار إلى حكمة الرفع وقال: في المعاريض ما حوت بعض الكذب والمندوحة السعة، (**وذلك لأنها**) أي المعاريض (**تقوم مقام الكذب إذ المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو في نفسه**). ولفظ المصنف في الجواهر والدرر، فإنه وإن كان صادقاً في نفسه فيفهم خلاف الحق، والمحذور من الكذب تفهيم خلاف الحق وأنه يكسب القلب صورة معوجة كاذبة، وإذا مال القلب في الصحة إلى الاعوجاج لم يتحصل الحق له على الصحة حتى لا تصدق رؤياه أيضاً، والمعاريض لا توقع في هذا المحذور لأنه صدق في نفسه ولكن توقع في المحذور الثاني وهو تجهيل الغير فلا ينبغي أن يفعل ذلك، (**إلا أن ذلك مما تمس الحاجة إليه وتقتضيه المصلحة في بعض الأحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم، والحذر من الظلمة وفي قتال الأعداء والاحتراز عن إطلاعهم على أسرار الملك**) ففي كل ذلك مصالح قد يضطر إليه الإنسان، (**فمن اضطر إلى شيء من ذلك فصدقه فيه أن يكون نطقه فيه لله فيما يأمره الحق به ويقتضيه الدين، فإذا نطق به فهو وإن كان كلامه مفهماً غير ما هو عليه، لأن الصدق ما أريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء إليه فلا ينظر إلى صورته بل إلى معناه. نعم في**

المعاريض ما وجد إليه سبيلاً. كان رسول الله ﷺ إذا توجه إلى سفر ورّى بغيره وذلك كيلا ينتهي الخبر إلى الأعداء فيقصد، وليس هذا من الكذب في شيء، قال رسول الله ﷺ: «ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو أنمى خيراً». ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلاثة مواضع: من أصلح بين اثنين، ومن كان له زوجتان، ومن كان في مصالح الحرب. والصدق ههنا يتحوّل إلى النية فلا يراعي فيه إلا صدق النية وإرادة الخير، فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجرّدت للخير إرادته صار

مثل هذا الموضع ينبغي أن يعدل إلى المعاريض ما وجد إليه سبيلاً. كان رسول الله ﷺ إذا توجه إلى سفر ورى بغيره) قال العراقي: متفق عليه من حديث كعب بن مالك بلفظ «كان إذا أراد سفراً».

قلت: ورواه أبو داود بلفظ: «كان إذا أراد غزوة ورى بغيرها».

(وذلك لكيلا ينتهي الخبر إلى الأعداء فيقصد وليس هذا من الكشف في شيء) لما فيه من المصلحة الراجحة وهو التمكين من الأعداء والهجوم عليهم على غرة منهم. **(وقال رسول الله ﷺ «ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو أنمى خيراً»)** متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبه بن أبي معيط وقد تقدم في آفات اللسان. **(ورخص في النطق على وفق المصلحة في ثلاثة مواضع: من أصلح بين اثنين، ومن كان له زوجتان، ومن كان في مصالح الحرب)** وقد روي ذلك في المرفوع من حديث أم كلثوم بنت عقبة «لا يصلح الكذب إلا في إحدى ثلاث: الرجل يصلح بين الرجلين، وفي الحرب، والرجل يحدث امرأته» رواه ابن جرير في التهذيب. ومن حديث أبي الطفيل «لا يصلح الكذب إلا في إحدى ثلاث: رجل كذب امرأته ليستصلح خلقها، ورجل كذب ليصلح بين امرأين مسلمين، ورجل كذب في خديعة حرب فإن الحرب خدعة» رواه ابن جرير أيضاً. ومن حديث أسماء بنت يزيد «لا يصلح الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب يصلح بين الناس» رواه الترمذي وحسنه، وقد روي بهذا اللفظ من حديث عائشة رواه ابن جرير وابن النجار. ومن حديث أبي أيوب «لا يحل الكذب إلا في ثلاثة: الرجل يكذب امرأته يرضيها بذلك، والرجل يمشي بين رجلين يصلح بينهما، والحرب خدعة» رواه أبو عوانة. ومن حديث النواس بن سمعان «الكذب يكتب على ابن آدم إلا في ثلاث: الرجل يكذب بين الرجلين ليصلح بينهما، والرجل يكذب امرأته ليرضيها بذلك، والكذب في الحرب والحرب خدعة» رواه ابن النجار. ويروى من حديث ثوبان نحوه «الكذب مكتوب إلا ما نفع به مسلم أو دفع به عنه» رواه البزار وصححه، وهو عند الروياني بلفظ «الكذب كله إثم إلا ما نفع به مسلم أو دفع به عن دين».

(والصدق ههنا يتحول إلى النية فلا يراعى فيه إلا صدق النية وإرادة الخير، فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير إرادته صار صادقاً كيفما كان لفظه، ثم التعريض

صادقاً وصدّيقاً كيفما كان لفظه، ثم التعريض فيه أولى. وطريقه ما حكي عن بعضهم، أنه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته: خطي بأصبعك دائرة وضعي الإصبع على الدائرة وقولي ليس هو ههنا، واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه، فكان قوله صدقاً وأفهم الظالم انه ليس في الدار. فالكمال الأولى في اللفظ أن يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض أيضاً إلا عند الضرورة.

فيه أولى) من التصريح. **(وطريقه ما حكي عن بعضهم أنه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره)** وأراد التخلص منه **(فقال لزوجته: خطي باصبعك دائرة وضعي الأصبع على الدائرة وقولي ليس هو ههنا)** كما تقدم في آفات اللسان، **(فاحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقاً وأفهم أنه ليس في الدار)** فهذا من جملة المعاريض التي يتخلص بها الكذب، **(فالكمال الأول في اللفظ أن يحترز عن صريح اللفظ وعن المعاريض أيضاً إلا عند الضرورة)** وقد روى القشيري عن ابن سيرين: الكلام أوسع من أن يكذب ظريف، ويلحق به كل كلام خرج على وجه المثل للاعتبار دون الأخبار فليس بكذب على الحقيقة، ولهذا لا يتحاشى المتجوزون من التحدث به كقولهم في الحت على مداراة العدو والتلطف في خدمة الملوك أن سبعاً وذئباً وثعلباً اجتمعوا فقال السبع للذئب: اقسم، فقال: هو مقسوم العنز لك والظبي لي والأرنب للثعلب. فوثب السبع فأدماه ثم قال للثعلب: اقسم، فقال: هو مقسوم العنز لغدائك والظبي لقائلتك والأرنب لعشائك، فقال السبع: من علمك هذه القسمة المليحة؟ فقال: علمني السراويل الأرجواني الذي على الذئب وعلى المثل حمل قوله: ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة﴾ [ص: ٢٣] الآية. وقوله ﴿كمثل حبة أنبتت سبع سنابل﴾ [البقرة: ٢٦١] الآية. فقال: يصح هذا لما كان مثلاً وإن لم يجردمغاً للعادة في وجود حبة: هكذا قال الراغب في الذريعة ذهب كثير من المتكلمين أن الصدق يحسن لعينه والكذب يقبح لعينه. وقال كثير من الحكماء والمتصوفة: إن الكذب يقبح لما يتعلق به من المضار الحاصلة، والصدق يحسن لما يتعلق به من المنافع الحاصلة؛ وذلك أن الأقول من جلة الأفعال وشيء من الأفعال لا يحسن ولا يقبح لذاته، بل إنما يحسن لما يتعلق بهم من النفع ويقبّح ما يقبح لما يتعلق به من الضرر الموفى على ما فيه من النفع. ألا ترى أن أعظم ما يجري في العالم القتل والغصب، وقد يقع كل واحد منهما على وجه يحسن وعلى وجه يقبح، فكذا المقال من الصدق والكذب، ولذلك قال ﷺ «لا يصلح الكذب إلا في ثلاث» الحديث. وقد روي «إذا أتاكم مني حديث يدل على هدى أو يرد عن ردى فاقبلوه قلته أو لم أقله، وإن أتاكم مني حديث يدل على ردى أو يرد عن هدى فلا تقبلوه فإني لا أقول إلا حقاً. قالوا: والكذب يكون قبيحاً بثلاث شرائط: أن يكون الخبر بخلاف المخبر عنه، وأن يكون المخبر قد اختلقه قبل الاخبار، وأن يقصد إيراد ما في نفسه لا لاندفاع ضرر أعظم من ضرر ذلك الكذب مع شرط أن لا يمكن الوصول إلى ذلك النفع بغيره، ومع أنه إذا ظهر كان للكاذب عذر واضح عاجلاً وآجلاً. قالوا: ولا يلزم على هذا أن يقال جوزوا الكذب فيما يرجى منه نفع

والكمال الثاني: أن يراعي معنى الصدق في ألفاظه التي يناجي بها ربه كقوله: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩] **فإنّ قلبه إن كان منصرفاً عن الله تعالى مشغولاً بأماني الدنيا وشهواته فهو كذب. وكقوله:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] **وكقوله: أنا عبد الله، فإنه إذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له**

دنيوي، فالمنفعة الدنيوية ولو كانت تلك بحذافيرها لا توفى على ضرر أذى كذب، فإنما هذا الذي قلناه يتصور في نفع أخروي يكون الإنسان فيه عاجلاً وآجلاً معذوراً كمن سألك عن مسلم استتر في دارك وهو يريد قتله فيقول: هل فلان في دارك؟ فتقول: لا، فهذا يجوز فإن نفع هذا الكذب موف على ضرره وهو فيه معذور ولا خلاف أن المعاريض حيث يضطر إليها تجوز ولذلك قيل: إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب، ولم تزل الأنبياء والأولياء يفزعون إليها كقول النبي ﷺ لمن سأله: من أين أنت؟ فقال: «من الماء». وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿إني سقيم﴾ [الصافات: ٨٩] وقوله: هذه أختي وقوله ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ [الأنبياء: ٦٣]

وأما الصدق فإنه يحسن حيث يتعلق به ولا يلحق ضرر بأحد فمعلوم قبح من يقعد ويقول: السماء فوقي والأرض تحتي من غير أن يريد أن يجعل ذلك مقدمة دليل أو إفادة معنى يعلقه به، وكذا تقبح النميمة والغيبة والسعاية وإن كانت صدقاً، ولذلك قيل: كفى بالسعاية ذماً أنه يقبح فيه الصدق، وأقبح الكذب مع قبحه كله أو جله ما لا يتعلق به رجاء نفع عاجل أو آجل ويجلب إلى المقول له ضرراً كرجل يأتيك من بلد بعيد فيقول: بأن ملك ذلك البلد يرغب فيك ويتشوق إليك ويسألك أن تأتيه ليفيدك مالاً وجاهاً، وإذا وردت لم تجد ذلك صدقاً بل وجدت ذلك الملك حنقاً عليك اهـ.

(**والكمال الثاني: أن يراعي معنى الصدق في**) مدلولات (**ألفاظه التي يناجي بها ربه كقوله** ﴿**وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض**﴾ (**فإن قلبه إن كان منصرفاً عن الله تعالى مشغولاً بأماني الدنيا وشهواته فهو كاذب**) في قوله، فإن الوجه هنا عبارة عن وجه القلب لا وجه البدن (**وكقوله:** ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾) فإن كان رقيقاً لبعض الشهوات كان كاذباً في دعوى العبودية، وإن كان معتمداً على سبب من الأسباب كان كاذباً في دعوى الاستعانة، وكذلك في قوله: الله أكبر والحمد لله. وشبه هذا كثير، فلو قرأ وعظم عبداً من عباد الله على غير امتثال أمر الله، أو رأى النعمة من غيره كان كاذباً في تكبيره وحولته وكذلك في قوله: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو ملابس الأسباب التي هي قوة الشيطان وسبب لوسوسته، فإن الاستعاذة لا تعيذه ما لم ينتقل عن ملابسة تلك الأسباب. قال الله تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم﴾ [الأعراف: ٢٠١] الآية فإن هذه الألفاظ تراد في الشرع لمدلولاتها لا لنفسها. (**وكقوله: أنا عبد الله فإنه إذا لم يتصف بحقيقة العبودية**) التي هي غاية الذل لله تعالى وهي للخاصة الذين صححوا النسبة إلى الله تعالى بصدق

مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقاً، ولو طولب يوم القيامة بالصدق في قوله: أنا عبد الله، لعجز عن تحقيقه فإنه إن كان عبداً لنفسه أو عبداً لدنيا أو عبداً لشهواته لم يكن صادقاً في قوله. وكل ما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام: يا عبيد الدنيا! وقال نبينا ﷺ: «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة» سمي كل من تقيد قلبه بشيء عبداً له. وإنما العبد الحق لله عز وجل، من أعتق أوّلاً من غير الله تعالى فصار حرّاً مطلقاً، فإذا تقدّمت هذه الحرّية صار القلب فارغاً فحلت فيه العبودية لله فتشغله بالله وبمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد إلا الله تعالى، ثم قد تجاوز هذا إلى مقام آخر أسنى منه يسمى الحريَّة وهو أن

القصد إليه في سلوك طريقه، **(وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقاً)** في نفسه، **(ولو طولب يوم القيامة بالصدق في قوله: أنا عبد الله لعجز عن تحقيقه فإنه إن كان عبداً لنفسه)** بأن يكون متهالكاً في تحصيل شهواتها، **(أو عبد الدنيا)** بأن يكون معتكفاً على خدمتها ومراعاتها، **(أو عبداً لشهواته)** بأن يكون مترامياً في تحصيلها لنفسه **(لم يكن صادقاً في قوله)**، وعليه يصح أن يقال: ليس كل إنسان عبد الله تعالى وعبد الله عندهم الذي تجلى له الحق بجميع أسمائه، فلا يكون في عباده أرفع مقاماً ولا أعلى شأناً منه لتحققه باسمه الأعظم واتصافه بجميع صفاته، ولهذا خص نبينا ﷺ بهذا الاسم في قوله: ﴿وإنه لما قام عبدالله يدعوه﴾ [الجن: ١٩] فلم يكن هذا الاسم بالحقيقة إلا له والأقطاب من ورثته بتبعيته، وإن أطلق على غيره مجازاً للاتصاف كل اسم من أسمائه بجميعها بحكم الواحدية وأحدية جميع الأسماء، **(وكل ما تعبد العبد به فهو عبد له)** منسوب إليه **(كما قال عيسى عليه السلام)** في بعض محاوراته: **(يا عبيد الدنيا)!** سماهم كذلك لاعتكافهم على خدمتها ومراعاتها. **(وقال نبينا ﷺ «تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة»)** رواه البخاري وابن ماجه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بزيادة «إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش» الحديث. قال البخاري: حدثنا عمرو بن مرزوق، حدثنا عبد الرحمن بن عبدالله بن دينار، عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة» الحديث. ورواه البيهقي من طريق يوسف بن يعقوب عن عمرو بن مرزوق. ورواه العسكري في الأمثال بلفظ «لعن» بدل «تعس» وذكر المصنف هناك «تعس عبد الزوجة» وهذا لا أصل له. **(سمي كل من تعبد قلبه بشيء عبداً له)** باعتبار ذلك له وانصرافه إليه، **(وإنما العبد الحق لله عز وجل من أعتق أولاً عن غير الله تعالى فصار حراً مطلقاً)** من الوثاق، **(فإذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغاً فحلت فيه العبودية لله)** وإليه أشار القائل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبا خالياً فتمكنا

(فتشغله بالله وبمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد إلا الله تعالى، ثم

يعتق أيضاً عن إرادته لله من حيث هو بل يقنع بما يريد الله له من تقريب أو إبعاد فتفنى إرادته في إرادة الله تعالى. وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرًّا، ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرًّا، وصار مفقوداً لنفسه موجوداً لسيده ومولاه إن حركه تحرّك وإن سكّنه سكن وإن ابتلاه رضي، لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض، بل هو بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية لله تعالى، فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجة الصدّيقين. وأما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين، وبعدها تتحقق العبودية لله تعالى، وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه أن يسمى صادقاً ولا صديقاً؛ فهذا هو معنى الصدق في القول.

قد تجاوز هذا إلى مقام آخر أسنى منه يسمى الحرية) وهي عندهم عبارة عن الانطلاق عن رق الأغيار، وهي على مراتب: حرية العامة عن رق الشهوات، وحرية الخاصة عن رق المرادات لفناء إرادتهم عن إرادة الحق، وحرية خاصة الخاصة عن رق المرسوم والآثار لانمحاقهم في تجلي نور الأنوار، وقد أشار إليه المصنف بقوله: (وهو أن يعتق أيضاً عن إرادته لله من حيث هو هو، بل يقنع بما يريد الله له من تقريب وأبعاد فتفنى إرادته في إرادة الله تعالى) وهي حرية الخاصة؛ (فهذا عبد عتق عن غير الله) أي انطلق عن رق الغير (فصار حراً) وهي حرية العامة، (ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حراً) وهي حرية الخاصة، ثم عاد وعتق عن رسومه وآثاره فصار حراً (وصار مفقوداً لنفسه موجوداً لسيده ومولاه) وانمحقت رسومه في تجلي نور الأنوار وهي حرية خاصة الخاصة، فهو (إن حركه) مولاه (تحرك وإن سكنه سكن وإن ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعراض). قيل للشبلي: ألا تعلم أنه رحمن؟ فقال: بلى ولكن منذ عرفت رحمته ما سألته أن يرحمني، (بل هو بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل) يصرفه كيف يشاء، (وهذا منتهى الصدق في العبودية).

قال القشيري في الرسالة: اعلم أن حقيقة الحرية في كمال العبودية فإذا صدقت لله عبوديته خلصت عن رق الأغيار حريته، فاما من توهم أن العبد يسلم له أن يخلع وقتاً عذار العبودية ويحيد بلحظة عن حد الأمر والنهي وهو مميز في دار التكليف، فذلك انسلاخ من الدين، والذي أشار إليه القوم من الحرية هو أن لا يكون العبد بقلبه تحت رق شيء من المخلوقات لا من أعراض الدنيا ولا من أعراض الآخرة فيكون فرد الفرد لم يسترقه عاجل دنيا ولا حاصل هوى ولا آجل مني ولا سؤال ولا قصد ولا أرب ولا حظ ومقام الحرية عزيز.

(فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه، وهذه درجة الصديقين. وأما الحرية عن غير الله فدرجات الصادقين وبعدها تتحقق العبودية لله تعالى، وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه أن يسمى صادقاً ولا صديقاً). قال الحسين بن منصور فيما نقله القشيري: إذا استوفى العبد مقامات العبودية كلها يصير حراً من تعب العبودية فيترسم بالعبودية بلا عناء ولا

الصدق الثاني: في النية والإرادة؛ ويرجع ذلك إلى الإخلاص وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى، فإن مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز أن يسمى كاذباً، كما روينا في فضيلة الإخلاص من حديث الثلاثة حين يُسأل العالم ما عملت فيما علمت؟ فقال: فعلت كذا وكذا، فقال الله تعالى: كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم فإنه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكنه كذبه في إرادته ونيته. وقد قال بعضهم: الصدق صحة التوحيد في القصد. وكذلك قول الله تعالى: ﴿واللهُ يَشْهَدُ إنّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١] وقد قالوا إنك لرسول الله وهذا صدق، ولكن كذبهم الله لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب يتطرّق إلى الخبر. وهذا القول يتضمن أخباراً بقرينة الحال، إذ صاحبه

كلفة، وذلك مقام الأنبياء والصديقين حتى يصير محمولاً لا يلحقه بقلبه مشقة وإن كان متحلياً بها شرعاً؛ (**فهذا هو معنى الصدق في القول.**).

(**الصدق الثاني: في النية، والإرادة: ويرجع ذلك إلى الإخلاص وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى فإن مازجه شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز أن يسمى صادقاً**). يقال: هذا صادق الحلاوة وهذا صادق الحموضة أي محضها فيرجع هذا إلى نفس الإخلاص، (**كما روينا في فضيلة الإخلاص من حديث**) أبي هريرة في (**الثلاثة حين يسأل العالم ما عملت فيما علمت؟ فقال: فعلت كذا وكذا، فقال الله تعالى: كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم**) فقد قيل ذلك. (**فإنه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكنه كذبه في إرادته ونيته. وقد قال بعضهم: الصدق صحة التوحيد في القصد**) نقله القشيري عن الواسطي إلا أنه قال مع القصد.

قال صاحب القوت: النية عند عبد الرحيم بن يحيى الأسود هي نفس الإخلاص وعند غيره هي الصدق في الحال باستواء السريرة والعلانية، وقد قال الجنيد في الفرق بين الإخلاص والصدق معنى لطيف لم يفسره ويحتاج إلى تفسيره. حدثنا بعض الأشياخ عنه قال: شهد جماعة على رجل بشهادة فلم تضره وكانوا مخلصين ولو كانوا صادقين لعوقب، يعني أن صدقهم أن لا يعملوا عمله ومثل عمله الذي شهدوا به عليه، فهذا صدق الحال وهو حقيقة النية وإخلاصها عند المحققين. وقال في موضع آخر: والنية عند قوم الإخلاص بعينه وعند آخرين الصدق وعند الجماعة أنها صحة العقد وحسن القصد.

(**وكذلك قول الله تعالى ﴿والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ وقد قالوا: إنك لرسول الله، وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب**) أي فلم يقنع منهم إلا بصدق نياتهم، (**وكان التكذيب يتطرق إلى الخبر. وهذا القول يتضمن أخباراً**

يظهر من نفسه أنه يعتقد ما يقول فكذب في دلالته بقرينة الحال على ما في قلبه، فإنه كذب في ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به، فيرجع أحد معاني الصدق إلى خلوص النية وهو الإخلاص فكل صادق فلا بدّ وأن يكون مخلصاً.

الصدق الثالث: صدق العزم؛ فإن الإنسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه إن رزقني الله مالاً تصدقت بجميعه أو بشطره أو إن لقيت عدوًّا في سبيل الله تعالى قاتلت، ولم أبال وإن قتلت، وإن أعطاني الله تعالى ولاية عدلت فيها، ولم أعصِ الله تعالى بظلم وميل إلى خلق. فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة، وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة، فكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوّة كما يقال: لفلان شهوة صادقة. ويقال: هذا المريض شهوته

بقرينة الحال إذ صاحبه يظهر من نفسه أنه يعتقد ما يقول فكذب في دلالته بقرينة الحال على ما في قلبه فإنه كذب في ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به، فيرجع أحد معاني الصدق إلى خلوص النية وهو الإخلاص فكل صادق فلا بد وأن يكون مخلصاً) وليس كل مخلص صادقاً.

وقال الراغب في الذريعة: حد الصدق هو مطابقة القول والضمير والمخبر عنه، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صادقاً تاماً بل إما أن لا يوصف بالصدق والكذب أو يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب على نظرين مختلفين، كقول الكافر: إذا قال من غير اعتقاد محمد رسول الله ﷺ فإن هذا يصح أن يقال فيه كذب لمخالفة قوله ضميره، ولهذا كذبهم الله تعالى حين قال: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ [المنافقون: ١]وكذلك إذا قال: من لم يعلم كون زيد في الدار أنه في الدار يصح أن يقال صدق وأن يقال كذب باعتبار نظرين مختلفين، ولهذا قال ﷺ «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ». وفي خبر «فقد كذب على الله» والمتوسم لا قصد له، فإذا قال زيد في الدار لا يقال إنه صدق ولا أنه كذب.

(الصدق الثالث: صدق العزم) أي الصدق في العزم على الخير، **(فإن الإنسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه: إن رزقني الله مالاً تصدقت بجميعه)** على الفقراء والمساكين **(أو بشطره)**، أو إن رزقني الله علماً لأعلمن الناس ولأعملن به، **(أو إن لقيت عدواً في سبيل الله قاتلت ولم أبال وإن قتلت، وإن أعطاني الله تعالى ولاية عدلت فيهم ولم أعص الله تعالى بظلم ولا ميل إلى خلق، فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة)** والصدق فيها أن لا يكون في العزم تردد، **(وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد في العزيمة)** ويناقضه. قال الله تعالى ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ [التوبة: ٤٥] **(فكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان: شهوة صادقة، ويقال**

كاذبة، مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوي أو كانت ضعيفة، فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى. والصادق والصدّيق هو الذي تصادف عزيمته في الخيرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد؛ بل تسخو نفسه أبداً بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه: لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضي الله عنه فإنه قد وجد من نفسه العزم الجازم، والمحبة الصادقة بأنه لا يتأمر مع وجود أبي بكر رضي الله عنه، وأكد ذلك بما ذكره من القتل. ومراتب الصدّيقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا ينتهي به إلى أن يرضى بالقتل فيه ولكن إذا خلي ورأيه لم يقدم، ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه، بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين أن يقتل هو وأبو بكر كانت حياته أحب إليه من حياة أبي بكر الصدّيق.

الصدق الرابع: في الوفاء بالعزم، فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال إذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤونة فيه خفيفة، فإذا حققت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم، وهذا يضادّ الصدق

لهذا المريض: شهوة كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب ثابت قوي أو كانت ضعيفة، فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى، والصادق والصديق هو الذي تصادف عزيمته في الخيرات كلها قوية تامة ليس فيها ميل لا ضعف ولا تردد، بل تسخو نفسه أبداً بالعزم المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه) في يوم سقيفة بني ساعدة لما أشير إليه بالخلافة: **(لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر)** رضي الله عنه فهذا هو الصدق في العزم: **(فإنه قد وجد من نفسه العزم الجازم)** القوي **(والمحبة الصادقة بأن لا يتأمر مع وجود أبي بكر رضي الله عنه، وأكد بما ذكره من القتل، ومراتب الصديقين في العزائم تختلف، فقد يصادف العزم ولا ينتهي به إلى أن يرضى بالقتل فيه، ولكن إذا خلي ورأيه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه، بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين أن يقتل هو وأبو بكر)** رضي الله عنه **(كانت حياته أحب إليه من حياة أبي بكر الصديق)** رضي الله عنه، فدرجات عزم الصديقين تتفاوت في القوة، وأقصاها ينتهي إلى الرضا بضرب الرقبة دون تحقيقه.

(الصدق الرابع: في الوفاء بالعزم) عند القدرة على المعزوم عليه، **(فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال)** أي أولاً، ولكن عند الوفاء بها تتوانى عن كمال التحقيق إذ لا مشقة في الوعد والعزم والمؤنة فيه خفيفة هينة، وإنما الشدة في التحقيق، **(فإذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشوات ولم يتفق الوفاء بالعزم، وهذا يضاد**

فيه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، فقد روي عن أنس أن عمه أنس بن النضر لم يشهد بدراً مع رسول الله ﷺ فشق ذلك على قلبه وقال: أوّل مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه أما والله لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع. قال: فشهد أحداً في العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ. فقال: يا أبا عمرو إلى أين؟ فقال: واهاً لريح الجنة! إني أجد

الصدق فيه) وذلك أن الولاية الصغرى عدم الخواطر المذمومة عند وجود الأسباب المهيجة لها، فإذا حققنا انقسم الناس في ذلك أربعة أقسام:

القسم الأول: إذا صحت الأسباب المناسبة لتحلل العزم كما قال تعالى ﴿إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر﴾ [الأحزاب: ١٠] فقد ينحل العزم ولا يقدر على الوفاء بما عزم عليه.

القسم الثاني: يتزلزل عزمهم وتتردد هممهم ثم يمدهم الله تعالى بمعونته فيقوي عزمهم. قال الله تعالى: ﴿هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً﴾.

القسم الثالث: يثبت عزمهم على حالته الأولى من غير زيادة ولا نقصان، **(ولذلك قال الله تعالى ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)** فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾.

القسم الرابع: يقوى عزمهم ويزداد بمشاهدة تلك الأسباب والأهوال وهذا هو الصديقية العظمى في الولاية الكبرى. قال تعالى ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً﴾ [الأحزاب: ٢٢] وقال تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ [آل عمران: ١٧٣] وهذا الصدق في التوكل وأعلى درجاته لأنه انصراف القلب إلى الله تعالى بالأسباب الموجبة للانصراف عنه، وهذه الأقسام تجري في كل معزوم عليه من الواجب والمستحب من ذلك المعزوم عليه، فلو عزم أن لا ينظر إلى محرم أبداً فلو فاجأته بعد تحقق عزمه امرأة جميلة شريفة المقدار وجب عليه الوفاء بعزمه، وكانت الأربعة جارية في حقه بحسب قوة إيمانه وضعفه، ولو عزم صوفي على أن لا ينظر إلى الدنيا ولا يستحسن منها شيئاً، فلو فاجأه ملك من الملوك في زينته وحفدته وانفهقت له أمثلة الجنة شالاً حتى يرى ما أعده الله لعباده منها استحب له الوفاء بعزمه إن كان عارفاً بالله، وكانت الأقسام الأربعة جارية في حقه بحسب طهارة قلبه وغزارة علمه، **(فقد روي عن أنس)** بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري رضي الله عنه **(أن عمه أنس بن النضر)** بن ضمضم الأنصاري الخزرجي رضي الله عنه **(لم يشهد بدراً مع رسول الله ﷺ فشق ذلك على قلبه وقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، أما والله لئن أراني مشهداً مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع. قال: فشهد أحداً في العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ)** بن النعمان الأنصاري سيد الأوس وهو الذي اهتز لموته العرش،

ريحها دون أحد. فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة وطعنة فقالت أخته بنت النضر: ما عرفت أخي إلا بثيابه، فنزلت هذه الآية: ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ ووقف رسول الله ﷺ على مصعب بن عمير وقد سقط

(**فقال يا أبا عمر**) وهي كنية أنس بن النضر كما هو مقتضى سياق المصنف، والصحيح أنه كنية سعد بن معاذ (**إلى أين؟ فقال: واهاً لريح الجنة إني أجد ريحها دون أحد، فقاتل حتى قتل فوجد على جسده بضع وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة، فقالت أخته**) الربيع (**بنت النضر**) عمة أنس بن مالك: (**ما عرفت أخي إلا بثيابه**) كذا في النسخ وهو تصحيف، والصحيح ببنانه أي أصبعه، (**فنزلت هذه الآية: ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾**) قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن صحيح، والنسائي في الكبرى، وهو عند البخاري مختصراً أن هذه الآية نزلت في أنس بن النضر اهـ.

قلت: رواه البخاري من طريق حميد عن أنس من طريق ثمامة عن أنس «أن عمه أنس بن النضر غاب عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين، والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: أي سعد هذه الجنة ورب أنس إني أجد ريحها دون أحد، قال سعد: فما استطعت ما صنع يومئذ فقتل يومئذ» فذكرت الحديث، وقد أخرجه ابن منده من طريق حماد ابن سلمة عن ثابت عن أنس. وذكر الحافظ في ترجمة الربيع من الإصابة ما لفظه. ولأنس عنها **رواية في صحيح مسلم في قصة قتل أخيها أنس بن النضر لما استشهد بأحد. قال أنس: فقالت أخته الربيع عمتي بنت النضر: ما عرفت أخي إلا ببنانه. قال: وهذا صريح في روايته عن عمته، وهو عند البخاري من وجه آخر عن أنس بلفظ: ما عرفته إلا أخته.**

وقال الحرث بن أبي أسامة في مسنده، ومن طريق أخرجه أبو نعيم في الحلية، حدثنا عبدالله بن بكر السهمي، حدثنا حميد عن أنس بن مالك قال: غاب أنس بن النضر عم أنس بن مالك عن قتال بدر، فلما قدم قال: غبت عن أول قتال قاتله رسول الله ﷺ المشركين، لئن أشهدني الله قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف الناس قال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين، ثم مشى بسيفه فلقيه سعد بن معاذ فقال: أي سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد واهاً لريح الجنة! قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: وجد بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم قد مثلوا به. قال: فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه. قال أنس: فكنا نقول نزلت هذه الآية: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ إنها فيه وفي أصحابه.

على وجهه يوم أحد شهيداً وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ فقال عليه السلام: «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾، وقال فضالة بن عبيد: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا، ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته، قال الراوي: فلا أدري قلنسوة عمر أو قلنسوة رسول الله ﷺ، ورجل جيد الإيمان إذا لقي العدوّ فكأنما يضرب وجهه بشوك الطلح أتاه سهم عاثر فقتله فهو في

(**ووقف رسول الله ﷺ على**) أبي عبدالله (**مصعب بن عمير**) بن هاشم بن عبد مناف العبدري، (**وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيداً وكان صاحب لواء رسول الله ﷺ**) يومئذ، (**فقال ﷺ «﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عيه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾)»** قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية من رواية عبيد بن عمير مرسلاً اهـ.

قلت: قال أبو نعيم: حدثنا إبراهيم بن عبدالله وأحمد بن محمد بن الحسين قالا: حدثنا محمد بن إسحاق السراج، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن عبد الأعلى بن عبدالله بن أبي فروة، عن قطن بن وهب، عن عبيد بن عمير قال: لما فرغ رسول الله ﷺ يوم أحد مر على مصعب بن عمير مقتولاً على طريقه فقرأ ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ الآية.

قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا عمر بن حفص السدوسي، حدثنا أبو بلال الأشعري، حدثنا يحي العلاء عن عبدالله بن عبد الأعلى بن عبدالله بن فروة، عن قطن بن وهب، عن عبيد بن عمير قال: مر رسول الله ﷺ على مصعب بن عمير حين رجع من أحد فوقف عليه وعلى أصحابه فقال: «أشهد أنكم أحياء عند الله فزوروهم وسلموا عليهم، فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة» اهـ.

وعبيد بن عمير بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي ولد على عهد النبي ﷺ قاله مسلم، وعده غيره من كبار التابعين وكان قاص أهل مكة مجمع على ثقته روى له الجماعة.

(**وقال فضالة بن عبيد**) بن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسي رضي الله عنه: أول ما شهد أحداً ونزل دمشق وولي قضاءها، مات سنة ثمان وخمسين وقيل قبلها: (**سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة ـ هكذا**) قال الراوي (**ورفع رأسه حتى وقعت قلنسوته. قال الراوي**) لهذا الحديث (**فلا أدري قلنسوة عمر أو قلنسوة رسول الله ﷺ ـ ورجل جيد الإيمان إذا لقى العدو فكأنما يضرب وجهه بشوك الطلح**) شجر كثير الشوك (**أتاه سهم عاثر فقتله**) لا يعرف راميه (**فهو في الدرجة الثانية،**

الدرجة الثانية، ورجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً لقي العدوّ فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة، ورجل أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة ».

وقال مجاهد: رجلان خرجا على ملأ من الناس قعود فقالا إن رزقنا الله تعالى مالاً لنصدّقن فبخلوا به فنزلت: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ولنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وقال بعضهم إنما هو شيء نووه في أنفسهم لم يتكلموا به فقال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ★ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ★ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥ - ٧٧]

ورجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة، ورجل أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة »). قال الحافظ في الفتح: هذا الحديث ونحوه يفيد أن الشهداء ليسوا في مرتبة واحدة، ويدل عليه أيضاً ما رواه الحسن بن علي الحلواني في كتاب المعرفة بإسناد حسن من حديث علي كرم الله وجهه: « كل موتة يموت فيها المسلم فهو شهيد غير أن الشهادة تتفاضل » اهـ.

قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن اهـ.

قلت: رواه الطيالسي، وأحمد، وأبو يعلى، وأبو الشيخ والبيهقي، والديلمي، ولفظ الجميع « ورجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فكأنما ضرب جلده بشوك طلح من الجبن أتاه سهم غرب فقتله » والباقي سواء، ولم يقولوا ورفع رأسه إلى آخر الجملة.

(وقال مجاهد) رحمه الله تعالى: **(رجلان خرجا على ملأ من الناس قعود، فقالا: إن رزقنا الله مالاً لنصدقن به فبخلوا به فنزلت)** هذه الآية **(﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين﴾)** قال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا عباس بن الوليد، حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد عن قتادة في قوله عز وجل ﴿ومنهم من عاهد الله﴾ الآية قال: ذكر لنا أن رجلاً من الأنصار أتى على مجلس للأنصار فقال: لئن آتاه الله مالاً ليؤتين كل ذي حق حقه فآتاه الله مالاً فصنع فيه ما تسمعون ﴿فلما آتاهم من فضله بخلوا به﴾ إلى قوله ﴿وبما كانوا يكذبون﴾.

(وقال بعضهم: إنما هو شيء نووه في أنفسهم لم يتكلموا به فقال) تعالى: **(﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين★ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون★ فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾)** روى الباوردي وابن السكن وابن شاهين وغيرهم من طريق معاذ بن

فجعل العزم عهداً وجعل الخلف فيه كذباً والوفاء به صدقاً. وهذا الصدق أشد من الصدق الثالث، فإن النفس قد تسخو بالعزم ثم تكيع عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوة عند التمكن وحصول الأسباب. ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه فقال: لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إليَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر. اللهم إلا أن تسوّل لي نفسي عند القتل شيئاً لا أجده الآن لأني لا آمن أن يثقل عليها ذلك فتتغير عن

رفاعة عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري قال: يا رسول الله ادع أن يرزقني مالاً، فذكر الحديث بطوله في دعاء النبي ﷺ له وكثرة ماله، ومنعه الصدقة ونزول قوله تعالى ﴿ومنهم من عاهد الله﴾ الآية. وفيه أن النبي ﷺ مات ولم يقبض منه الصدقة ولا أبو بكر ولا عمر، ومات في خلافة عثمان كما مر بطوله في كتاب ذم الدنيا رواه البيهقي في الشعب من هذا الطريق كذلك، وقال في آخره: وإنما لم يأخذ النبي ﷺ زكاة ماله ولا من بعده لأنه كان قد نافق، والكتاب الذي نزل في شأنه ناطق بذلك حيث قال ﴿فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم﴾ إلى يوم ﴿يلقونه﴾ الآية. وعلموا بهذه بقاءه على نفاقه حتى يموت، وأن إتيانه بصدقة ماله مخافة أن تؤخذ منه قهراً. قال: وفي إسناد هذا الحديث نظر وهو مشهور فيما بين أهل التفسير اهـ.

والمسمى بهذا الاسم رجلان أحدهما ثعلبة بن حاطب بن عمير بن عبيد الأوسي الأنصاري ذكره موسى بن عقبة وابن اسحاق في البدريين، وكذا ذكره ابن الكلبي وزاد أنه قتل بأحد، والثاني ثعلبة بن حاطب أو ابن أبي حاطب الأنصاري ذكره ابن إسحاق فيمن بنى مسجد الضرار.

قال الحافظ في الإصابة: وفي كون صاحب القصة «إن صح الخبر ولا أظنه يصح هو البدري المذكور نظر، وقد تأكدت المغايرة بينهما بقول ابن الكلبي أن البدري استشهد بأحد. قال: ويقوي ذلك أن رجلاً يقال له ثعلبة بن أبي حاطب من الأنصار أتى مجلساً فاشهدهم فقال ﴿لئن آتاني الله مالاً﴾ الآية. فذكر القصة بطولها، فقال: إنه ثعلبة بن أبي حاطب، والبدري اتفقوا على أنه ثعلبة ابن حاطب، وقد ثبت أنه ﷺ قال «لا يدخل النار أحد شهد بدراً والحديبية» وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر: ﴿اعملوا ما شئتم﴾[فصلت: ٤٠] فقد غفرت لكم فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقاً في قلبه وينزل فيه ما نزل، فالظاهر أنه غيره والله أعلم.

(**فجعل العزم عهداً**) إذ كانوا عزموا في أنفسهم ولم يتكلموه فقال ﴿ومنهم من عاهد الله﴾ (**وجعل الخلف فيه كذباً**) بقوله ﴿وبما كانوا يكذبون﴾ (**والوفاء به صدقاً، وهذا الصدق أشد من الصدق الثالث**) وأرفع منه مقاماً، (**فإن النفس قد تسخو بالعزم ثم تكسع**) أي تتوانى عند الوفاء لشدته عليها ولهيجان الشهوات عند التمكن وحصول الأسباب، (**ولذلك استثنى عمر رضي الله عنه فقال: لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إلي من أن أتأمر على قوم**) أي أصير أميراً عليهم (**فيهم أبو بكر**) رضي الله عنه. (**اللهم إلا أن تسول لي نفسي عند القتل شيئاً لا أجده الآن**) أي تزين (**لأني لا آمن أن يثقل عليها ذلك فتتغير عن**

عزمها. أشار بذلك إلى شدّة الوفاء بالعزم. وقال أبو سعيد الخراز: رأيت في المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقالا لي: ما الصدق؟ قلت: الوفاء بالعهد، فقالا لي: صدقت، وعرجا إلى السماء.

الصدق الخامس: في الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به، لا بأن يترك الأعمال ولكن بأن يستجرّ الباطن إلى تصديق الظاهر، وهذا مخالف ما ذكرنا من ترك الرياء لأن المرائي هو الذي يقصد ذلك، ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة، فمن ينظر إليه يراه قائماً بين يدي الله تعالى وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن إعراباً هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الأعمال وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفاً بذلك الوقار، فهذا غير صادق في عمله وإن لم يكن ملتفتاً إلى الخلق ولا مرائياً إياهم، ولا ينجو من هذا إلا باستواء السريرة والعلانية بأن يكون

عزمها). وذلك لأن النفوس البشرية مجبولة على الانقلاب عن حالة إلى حالة. (**أشار بذلك إلى شدة الوفاء بالعزم. وقال أبو سعيد**) أحمد بن عيسى (**الخراز**) رحمه الله تعالى: (**رأيت في المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقالا لي: ما الصدق؟ قلت: الوفاء بالعهد، فقالا: صدقت وعرجا إلى السماء**).

(**الصدق الخامس: في الأعمال: وهو أن**) لا يكذب أعماله وأحواله وذلك بأن (**يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو به**) أي لا يدل على شيء من الظاهر إلا والباطن متصف به (**لا بأن يترك الأعمال**) رأساً، (**وذلك بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر، وهذا يخالف ما ذكر من ترك الرياء لأن المرائي هو الذي يقصد ذلك لأجل الخلق، ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر إليه يراه قائماً بين يدي الله تعالى وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته. فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن إعراباً هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق في الأعمال، وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفاً بذلك الوقار؛ فهذا غير صادق في عمله وإن لم يكن متلفتاً إلى الخلق ولا مرائياً إياهم**) أي إن التفت قلبه إلى أن يخيل إلى الناس أنه ذو وقار في ظنه، فذلك الرياء، وإن لم يلتفت إلى الخلق قلبه ولكنه غافل فذلك ليس برياء ولكن يفوت به صدقه كما يشير إليه المصنف بعد. (**ولا ينجو عن هذا إلا باستواء السريرة والعلانية بأن يكون**

باطنه مثل ظاهره وخيراً من ظاهره، ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الأشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذباً في دلالة الظاهر على الباطن. فإذاً مخالفة الظاهر للباطن إن كانت عن قصد سميت رياء ويفوت بها الإخلاص؛ وإن كانت عن غير قصد فيفوت بها الصدق. ولذلك قال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي واجعل علانيتي صالحة» وقال يزيد بن الحرث: إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف، وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور، وأنشدوا:

إذا السر والإعلان في المؤمن استوى ... فقد عزّ في الدارين واستوجب الثنا
فإن خالف الإعلان سراً فما له ... على سعيه فضلٌ سوى الكدّ والعنا
فما خالص الدينار في السوق نافق ... ومغشوشه المردود لا يقتضي المنا

باطنه مثل ظاهره أو خيراً منه) وهذا أرفع مقاماً من الأول **(ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الأشرار)** قباء وقلنسوة واستعمال آلات السلاح وركوب الخيل مع هيئاتهم **(كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذباً في دلالة الظاهر على الباطن)**، وهذا هو مشرب الطائفة العلية النقشبندية قدس الله أسرارهم.

(فإذاً مخالفة الظاهر للباطن إن كان عن قصد سمي رياء ويفوت به الإخلاص، وإن كان عن غير قصد فيفوت به الصدق) وإن لم يسم رياء، **(ولذلك قال رسول الله ﷺ «اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي واجعل علانيتي صالحة»)** رواه الترمذي وضعفه من حديث عمر بلفظ «قل اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي واجعل علانيتي صالحة إني أسألك من صالح ما تؤتي الناس من المال والأهل والولد غير الضال ولا المضل».

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا أبو شعيب الحراني، حدثنا عبيدالله بن محمد العيشي، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق، حدثني رجل من قريش عن ابن حكيم قال: قال عمر: قال رسول الله ﷺ: «قل اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي واجعل علانيتي حسنة».

(وقال يزيد بن الحرث) رحمه الله تعالى: **(إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف)** أي العدل، **(وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور، وأنشدوا في ذلك:**

إذا السر والإعلان في المؤمن استوى ... فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
فإن خالف الإعلان سراً فما له ... على سعيه فضل سوى الكد والعنا
كما خالص الدينار في السوق نافق ... ومغشوشه المردود لا يقتضي المنا)

وقال عطية بن عبد الغافر: إذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا عبدي حقاً. وقال معاوية بن قرة: من يدلني على بكّاء بالليل بسّام بالنهار. وقال عبد الواحد بن زيد: كان الحسن إذا أمر بشيء كان من أعمل الناس به وإذا نهى عن شيء كان من أترك الناس له، ولم أرَ أحداً قط أشبه سريرة بعلانية منه. وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول: إلهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالأمانة، وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة، ويبكي. وقال أبو يعقوب النهـرجوري: الصدق موافقة الحق في السر والعلانية. فإذاً مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق.

(**وقال عطية بن عبد الغافر**) كذا في النسخ والصواب عقبة بن عبد الغافر وهو أبو نهار الأودي العوذي البصري، روى له البخاري ومسلم والنسائي، مات سنة ثلاث وثمانين ومائة: (**إذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول: هذا عبدي حقاً. وقال معاوية ابن قرة**) بن إياس بن هلال المزني، أبو إياس البصري ثقة مات سنة ثلاث عشرة ومائة، وهو ابن ست وسبعين سنة روى له الجماعة: (**من يدلني على بكاء بالليل بسام بالنهار**) رواه المزني في تهذيب الكمال، وأنشد صاحب القاموس في البصائر لبعض الشعراء:

خلقت بغير ذنـب مـن تـراب ... فـارجع بـالـذنـوب إلى التراب
أنـا وجيـع مـن فـوق التراب ... فـداء تـراب نعـل أبي تـراب
هـو البكـاء في المحـراب ليلاً ... هـو البسـام في يـوم الضراب

(**وقال عبد الواحد**) بن زيد البصري العابد رحمه الله تعالى: (**كان الحسن**) البصري رحمه الله تعالى (**إذا أمر بشيء كان من أعمل الناس به، وإذا نهى عن شيء كان من أترك الناس له، ولم أر أحداً قط أشبه سريرة بعلانية منه**) نقله صاحب القوت. (**وكان أبو عبد الرحمن**) محمد بن الحسين (**الزاهد**) رحمه الله تعالى (**يقول: إلهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالأمانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكي**) يشير إلى عدم استواء السريرة بالعلانية. (**وقال أبو يعقوب**) إسحاق بن محمد (**النهر جوري**) صاحب الجنيد وغيره ومات بمكة مجاوراً سنة ٣٣٠، وأخذ أيضاً عن أبي يعقوب السوسي، وعنه أبو عبدالله عثمان المكي: (**الصدق موافقة الحق في السر والعلانية. فإذا مساواة السر للعلانية أحد أنواع الصدق**)، وهذا هو الفرق بين الإخلاص والصدق لأن حقيقة الإخلاص إرادة الله بالطاعات، فقد يكون الرجل يريد بالصلاة وجه الله تعالى ولكنه غافل عن حضور القلب فيها، فالصدق هنا هو حضوره مع الله تعالى مع إرادته وجه الله، وهذا هو معنى الانفصال والاتصال الذي ذكرهما أبو إسماعيل الهروي رحمه الله تعالى، لأنه انفصل عن غير الله واتصل بالحضور بالله، لكن الانفصال يشعر أن يكون حضوره واستفراغه ضرورياً لا ينفصل عنه بكسب حتى ينفصل عنه بنفسه، وإياك أن تفهم من الاتصال والانفصال ما يفهم من انفصال أجسام ذوي الأحياز واتصالها فإن ذلك محال في حق خالق السموات الأرض.

الصدق السادس: وهو أعلى الدرجات وأعزها ؛ الصدق في مقامات الدين ، كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور ، فإن هذه الأمور لها مباد ينطلق الاسم بظهورها ، ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها ، وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقاً فيه ، كما يقال : فلان صدق القتال . ويقال : هذا هو الخوف الصادق . وهذه هي الشهوة الصادقة . وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ إلى قوله : ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات : ١٥] وقال تعالى : ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ إلى قوله : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ [البقرة : ١٧٧] وسئل أبو ذر عن الإيمان فقرأ هذه الآية فقيل له : سألناك عن الإيمان ؟ فقال : سألت رسول الله ﷺ

(**الصدق السادس: وهو أعلى الدرجات وأعزها وهو الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والحب والتوكل، وسائر هذه الأمور فإن هذه الأمور لها مباد ينطلق الاسم بظهورها، ثم لها غايات وحقائق**) وكل واحد على انحطاطه وارتفاعه يراد لغيره إذ الأحوال والمقامات لا نهاية لها، (**والصادق المحقق من نال حقيقتها وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته سمي صاحبه صادقاً فيه**) وهذا (**كما يقال: فلان صدق القتال، ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة**) فالصدق في كل واحد أن يقوى إلى أن يؤدي إلى مقصوده، ومن ذلك المقصود إلى مقصود أعلى منه فصاعداً، كما تصدق المعرفة حتى تؤدي إلى المحبة وتصدق المحبة حتى تؤدي إلى الرضا والأنس والطمأنينة والشوق، وذلك ما لا يتناهى وهذا التحقيق في تمييز المقامات وتخليص بعضها من بعض، فإذا حققت أحوالك وخلصتها من الأغيار والشوائب اتقيت من تحقيقك إلى تحقيقك وكنت بلا أنت، والتفريد وقوفك مع الله بلا علم ولا حال لشغلك انفراده بما هو عليه من الكمال والجلال وشمول القدرة والسلطان، فالصادق في جملة ذلك هو الصادق مطلقاً، والكاذب في جملته هو الكاذب مطلقاً المخلد في النار أبداً، والصادق في البعض دون البعض على خطر وهو في مشيئة الله تعالى، (و) لذلك (**قال الله تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ﴾ إلى قوله ﴿أولئك هم الصادقون﴾ وقال تعالى ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر**) والملائكة والكتاب والنبيين﴾ إلى قوله (**﴿ أولئك الذين صدقوا**) وأولئك هم المتقون﴾ وهو صريح في أن الصدق بالأعمال الظاهرة والباطنة وأن الصدق هو مقام الإسلام والإيمان.

(**وسئل أبو ذر**) رضي الله عنه (**عن الإيمان؟ فقرأ هذه الآية، فقيل له: سألناك عن الإيمان؟ فقال: سألت رسول الله ﷺ عن الإيمان**) كما سألتموني عنه (**فقرأ هذه الآية**) .
قال العراقي: رواه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة بأسانيد منقطعة اهـ.

عن الإيمان فقرأ هذه الآية. ولنضرب للخوف مثلاً. فما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر إلا وهو خائف من الله خوفاً ينطلق عليه الاسم، ولكنه خوف غير صادق أي غير بالغ درجة الحقيقة، أما تراه إذا خاف سلطاناً أو قاطع طريق في سفره كيف يصفر لونه وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه أكله ونومه وينقسم عليه فكره، حتى لا

فهذه درجات الصدق فمن تحقق في جميعها فهو صديق ومن لم يصب إلا بعضها فرتبته بقدر صدقه.

وقال صاحب منازل السائرين: الصدق اسم لحقيقة الشيء خصولاً ووجوداً، والصدق هو حصول الشيء وتمامه وكمال قوته واجتماع أجزائه، كما يقال: عزيمة صادقة إذا كانت قوية تامة، وكذلك محبة صادقة وإرادة صادقة، وكذلك صلاة صادقة إذا كانت قوية تامة ثابتة الحقيقة لم ينقص منها شيء، ومن هذا أيضاً صدق الخبر لأنه وجود المخبر بتمام حقيقته في ذهن السامع، وهو على ثلاث درجات.

الأولى: صدق القصدلله به يصح وبه يصح الدخول في هذا الشأن ويتلافي كل تفريط ويتدارك كل فائت ويعمر كل خراب، وعلامة هذا الصادق أن لا يحتمل داعية تدعو إلى نقض عهد ولا يصبر على صحبة ضد ولا يقعد عن الجد بحال.

والدرجة الثانية: أن لا يتمنى الحياة إلا للحق، ولا يشهد من نفسه إلا أثر النقصان، ولا يلتفت إلى ترفيه المرخص أي لا يحب أن يعيش إلا في طلب رضا محبوبه ويقوم بعبوديته ويستكثر من الأسباب التي تقربه منه، ولا يلتفت إلى الرفاهية التي في الرخص بل يأخذ بها اتباعاً وموافقة وشهوداً لنعمة الله على عبده وتعبداً باسمه اللطيف المحسن الرفيق وأنه رفيق يحب الرفيق.

الدرجة الثالثة: الصدق في معرفة الصدق. يعني أن الصدق المحقق إنما يحصل لمن صدق في معرفة الصدق أي لا يحصل حال للصادق إلا بعد معرفة الصدق، ولا يستقيم الصدق في علم أهل الخصوص إلا على حرف واحد وهو أن يتفق رضا الحق بعمل العبد وحاله ووقته وإيقانه وقصده، وذلك أن العبد إذا صدق الله رضي الله بفعله وبعمله وحاله ويقينه وقصده إلا أن رضا الله نفس الصدق، وإنما يعلم الصدق بموافقة رضاه سبحانه، ولكن من أين يعلم رضاه فمن ههنا كان الصادق مضطراً أشد ضرورة إلى متابعة الأمر والتسليم للرسول ﷺ في ظاهره وباطنه والتعبد به في كل حركة وسكون مع إخلاص القصد لله سبحانه لا يرضيه من عبده إلا ذلك انتهى.

(ولنضرب للخوف مثلاً فما من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر إلا وهو خائف من الله خوفاً ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق أي غير بالغ درجة الحقيقة. أما تراه إذا خاف سلطاناً أو قاطع طريق في سفره) من إنسان أو سبع **(كيف يصفر لونه)** ويتغير حاله **(وترتعد فرائصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه أكله ونومه وينقسم عليه فكره)**

ينتفع به أهله وولده، وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالأنس الوحشة، وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للأخطار، كل ذلك خوفاً من درك المحذور. ثم إنه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان بمعصية عليه. ولذلك قال ﷺ: «لم أرَ مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها». فالتحقيق في هذه الأمور عزيز جداً ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها، ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله إما ضعيف وإما قوي، فإذا قوي سمي صادقاً فيه، فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية لها، ولذلك قال النبي ﷺ لجبريل عليه السلام: «أحب أن أراك في صورتك التي هي صورتك» فقال لا تطيق ذلك قال: بلى أرني» فواعده البقيع في ليلة مقمرة فأتاه فنظر النبي ﷺ فإذا هو به قد سدّ الأفق يعني جوانب السماء فوقع النبي ﷺ مغشياً عليه فأفاق وقد عاد جبريل لصورته الأولى، فقال النبي ﷺ: «ما ظننت أن أحداً من خلق الله هكذا» قال: وكيف لو رأيت إسرافيل؟ إن العرش لعلى كاهله، وإن رجليه قد مرقتا تخوم الأرض السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع يعني كالعصفور الصغير، فانظر ما الذي

وباله، (**حتى لا ينتفع به أهله وولده، وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالأنس الوحشة، وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للأخطار**) والمهالك. (**كل ذلك خوفاً من درك المحذور، ثم إنه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية عليه، ولذلك قال ﷺ «لم أر مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها»**) تقدم. (**فالتحقيق في هذه الأمور عزيز جداً ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها، ولكن لكل عبد منه حظ بحسب حاله إما ضعيف وإما قوي فإذا قوي سمي صادقاً فيه فمعرفة الله وتعظيمه والخوف منه لا نهاية لها، ولذلك قال النبي ﷺ لجبريل**) عليه السلام: (**«أحب أن اراك في صورتك التي هي صورتك» فقال**) جبريل: (**لا تطيق ذلك. قال**) ﷺ (**«بلى**) أطيق ذلك (**أرني» قال: فواعده البقيع في ليلة مقمرة فأتاه فنظر النبي ﷺ فإذا هو قد سد الأفق يعني جوانب السماء فوقع النبي ﷺ مغشياً فأفاق وقد عاد جبريل**) عليه السلام (**لصورته الأولى، فقال النبي ﷺ «ما ظننت أحداً من خلق الله هكذا» قال: وكيف لو رأيت إسرافيل؟ إن العرش لعلى كاهله وأن رجليه قد مرقتا تخوم الأرضين السفلى وأنه يتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع**) بفتح الصاد المهملة (**يعني كالعصفور الصغير**). قال العراقي: تقدم في الخوف والرجاء أخصر من هذا، والذي ثبت في الصحيح أنه رأى جبريل في صورته مرتين اهـ.

قلت: وروى أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ في العظمة عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ لم ير جبريل في صورته إلا مرتين. أما واحدة فإنه سأل أن يراه في صورته فأراه صورته فسد الأفق، وأما الثانية فكان معه حيث صعد.

يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع إلى ذلك الحد وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم. وقال جابر: قال رسول الله ﷺ: « مررت ليلة أسري بي وجبريل بالملأ الأعلى كالحلس البالي من خشية الله تعالى » يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير، وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا بلغوا خوف رسول الله ﷺ، ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما: لن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تنظر الناس كلهم حمقى في دين الله. وقال مطرف: ما من الناس أحد إلا وهو أحمق

وروى أحمد وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي معاً في الدلائل عن ابن مسعود قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق.

وروى الشيخان والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود قال: رأى النبي ﷺ جبريل له ستمائة جناح.

(فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع إلى ذلك الحد، وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة، فهذا هو الصدق في التعظيم) وهو كماله وثباته. **(وقال جابر)** رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ « مررت ليلة أسري بي وجبريل بالملأ الأعلى كالحلس البالي)** بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وإهمال السين **(من خشية الله تعالى » يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير)** تحت قتبه شبهه به لرؤيته له لاصقاً بما لطأ به من هيبة الله وشدة الخشية التي تلبس بها هي التي رقته في مدارج التبجيل والتعظيم وعلى قدر خوف العبد من الرب يكون قربه. قال العراقي: رواه محمد بن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة والبيهقي في الدلائل من حديث أنس وفيه الحرث بن عبيد الأنماري ضعفه الجمهور. قال البيهقي: ورواه حماد ابن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطارد وهذا مرسل اهـ.

قلت: حديث جابر رواه الطبراني في الأوسط وعنده في بعض طرقه زيادة فعرفت فضل علمه بالله، وبخط الحافظ ابن حجر رواه البزار وابن خزيمة في التوعيد.

(وكذلك الصحابة) رضوان الله عليهم **(كانوا خائفين)** من الله تعالى **(وما كانوا بلغوا خوف رسول الله ﷺ، ولذلك قال ابن عمر)** رضي الله عنه: **(« لن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تنظر الناس كلهم حمقى في دين الله)** رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا سند بن أبي سهل، حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا وكيع عن سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن ابن عمر قال: لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعد الناس حمقى في دينه.

(وقال مطرف) بن عبدالله بن الشخّير التابعي البصري رحمه الله تعالى: **(ما من الناس أحد**

فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الحمق أهون من بعض، وقال النبي ﷺ: «لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر الناس كالأباعر في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير. فالصادق إذاً في جميع هذه المقامات عزيز، ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الأمور دون بعض، فإن كان صادقاً في الجميع فهو الصدّيق حقاً. قال سعد بن معاذ: ثلاثة أنا فيهنّ قوي وفيما سواهن ضعيف؛ ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدّثت نفسي حتى أفرغ منها، ولا شيعت جنازة فحدّثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حين يفرغ من دفنها، وما سمعت رسول الله ﷺ يقول قولاً، إلا علمت أنه حق، فقال ابن المسيب: ما ظننت أنّ هذه الخصال تجتمع إلا في النبي عليه السلام، فهذا صدق في هذه الأمور، وكم قوم من جلة الصحابة قد أدوا الصلاة واتبعوا

إلا وهو أحمق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الحمقى أهون من بعض). رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن الفضل، حدثنا سليمان بن الحسن، حدثنا عبد الواحد بن غياث، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت بن مطرف قال: لو حلفت لرجوت أن أبر إنه ليس أحد من الناس إلا وهو أحمق فيما بينه وبين ربه عز وجل.

(وقال النبي ﷺ «لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر إلى الناس كالأباعر في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير») قال العراقي: لم أجد له أصلاً في حديث موضوع.

قلت: وفي كلام أبي الدرداء ما يشبهه فإنه قال «إنك لا تفقه كل الفقة حتى تمقت الناس في جنب الله ثم ترجع إلى نفسك فتكون لها أشد مقتاً للناس» رواه أحمد في الزهد.

(فالصادق إذاً في جميع المقامات عزيز، ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد يكون للعبد صدق في بعض الأمور دون بعض) وهو على خطر وفي مشيئة الله تعالى، **(فإن كان صادقاً في الجميع فهو الصديق حقاً)** كما ينبىء عنه لفظه. **(قال سعد بن معاذ)** بن النعمان الأوسي رضي الله عنه. **(ثلاثة أنا فيهن قوي وفيما سواهن ضعيف)** الأول: **(ما صليت صلاة منذ أسلمت)** وهو قديم الإسلام **(فحدثت نفسي حتى أفرغ منها. و)** الثاني **(ما شيعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى نفرغ من دفنها. و)** الثالث: **(ما سمعت رسول الله ﷺ يقول قولاً إلا علمت أنه حق، فقال)** سعيد **(بن المسيب)** راويه: **(ما ظننت أن هذه الخصال تجتمع)** بكمالها **(إلا في النبي ﷺ)**. وروى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت: كان في بني الأشهل ثلاثة لم يكن أحد أفضل منهم: سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر.

(فهذا صدق في هذه الأمور، وكم قوم من جلة الصحابة قد أدوا الصلاة واتبعوا

الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلـغ. فهذه هي درجات الصدق ومعانيه. والكلمات المأثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الأغلب لا تتعرّض إلا لآحاد هذه المعاني نعم قد قال أبو بكر الورّاق: الصدق ثلاثة: صدق التوحيد، وصدق الطاعة، وصدق المعرفة. فصدق التوحيد لعامة المؤمنين، قال الله تعـالى: ﴿والَّذِيـنَ آمَنُـوا بـاللهِ وَرُسُلِـهِ أُولَئِـكَ هُـمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩] وصدق الطاعة لأهل العلم والورع، وصدق المعرفة لأهل الولاية الذين هم أوتاد الأرض، وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس، ولكنه ذكر أقسام ما فيه الصدق وهو أيضاً غير محيط بجميع الأقسام. وقال جعفر الصادق: الصدق هو المجاهدة وأن لا تختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ [الحج: ٧٨] وقيل: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: إني إذا أحببت عبداً ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لأنظر كيف صدقه، فإن وجدته

الجنائز ولم يبلغوا هذا المبلغ، فهذه درجات الصدق ومعانيه، والكلمات المأثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الأغلب لا تتعرض إلا لآحاد هذه المعاني) الستة. **(نعم قد قال أبو بكر)** محمد بن عمر **(الوراق)** الترمذي ثم البلخي صحب ابن خضرويه وصنف في الرياضيات والمعاملات له ذكر في الرسالة في آخر باب الحياء: **(الصدق ثلاثة: صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة، فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾ وصدق الطاعة لأهل العلم والورع وصدق المعرفة لأهل الولاية)** الكبرى **(الذين هم أوتاد الأرض، وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس، ولكنه ذكر أقسام ما فيه الصدق وهو أيضاً غير محيط بجميع الأقسام. وقال جعفر الصادق)** رحمه الله تعالى: **(الصدق هو المجاهدة وأن لا تختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك فقال تعالى: ﴿هو اجتباكم﴾)** وقال غيره: الصدق القول بالحق في مواطن الهلكة، وقيل: هو موافقة السر النطق، وقال القناد: الصدق منع الحرام من الشدق. وقال أبو سعيد القرشي: الصادق الذي يتهيأ له أن يموت ولا يستحيي من سره لو كشف. قـال الله تعـالى: ﴿فتمنـوا الموت إن كنتم صادقين﴾ [البقرة: ٩٤] وقال عبد الواحد بن زيد: الصدق الوفاء لله بالعمل. وقال جعفر الخواص: سمعت الجنيد يقول: حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب. وسئل فتح الموصلي عن الصدق فأدخل يده في كير الحداد فأخرج الحديدة المحماة ووضعها على كفه وقال: هذا هـو الصدق. وقال أبو علي الدقاق: الصدق أن يكون كما ترى من نفسك أو ترى من نفسك كما يكون، وهذه الأقوال كلها نقلها القشيري في الرسالة.

(وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عيه السلام: إني إذا أحببت عبداً ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لأنظر كيف صدقه، فإن وجدته صابراً اتخذته ولياً وحبيباً، وإن وجدته جزوعاً

صابراً اتخذته ولياً وحبيباً ، وإن وجدته جزوعاً يشكوني إلى خلقي خذلته ولا أبالي . فإذاً من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جيعاً وكراهة اطلاع الخلق عليها .

يشكوني إلى خلقي خذلته ولا أبالي، فإذاً من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعاً وكراهة إطلاع الخلق عليها) .

قال القشيري في الرسالة : سئل الحرث المحاسبي عن علامات الصـدق فقال : الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه ، ولا يحب إطلاع الناس على مثل المثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السيء من عمله ، فإن كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس من أخلاق الصديقين .

قال صاحب القاموس : هذا إذا لم يكن له مراد بذلك سوى عمارة حاله عندهم وسكناه في قلوبهم تعظيماً له ، وأما لو كان مراده بذلك تنفيذاً لأمر الله ونشراً لدينه ودعوة إلى الله ، فهذا الصادق حقاً والله يعلم سرائر القلوب ومقاصدها اهـ .

وقال القشيري : ثلاث لا يخطئن : الصادق الحلاوة والهيبة والملاحة .

ولنختم هذا الباب بما يتعلق بالصدق ثم نتبعه بحكاية الصادقين . قال صاحب القاموس في البصائر : الصديق الكثير الصدق ، وقيل : من لم يصدر منه الكذب أصلاً ، وقيل : من لا يتأتى منه الكذب لتعوده الصدق . وقيل : من صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله ، والصديقون قوم دون الأنبياء في الفضيلة ولكن درجتهم ثاني درجة النبوة . وفي الجملة ؛ منزلة الصدق من أعظم منازل القوم الذي نشأ منه جميع منازل السالكين ، وهو الطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين ، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان وسكان الجنان من أهل النيران ، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه ولا واجه باطلاً إلا أزاله وصرعه ، فهو روح الأعمال ، والحامل على اقتحام الأهوال ، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال ، وقد قسم الله سبحانه الناس إلى صادق ومنافق فقال ﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم﴾ [الأحزاب : ٢٤] والإيمان أساسه الصدق والنفاق أساسه الكذب ، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما يحارب الآخر وأخبر سبحانه أنه في القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلا صدقه فقال تعالى ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنهم ذلك الفوز العظيم﴾ [المائدة : ١٢٠] وقال : ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ★ لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ★ ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون﴾ [الزمر : ٣٣ ـ ٣٥] فالذي جاء بالصدق هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله ، فالصدق في الأقوال استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها ، والصدق في الأعمال استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد ، والصدق في الأحوال استواء أعمال

....

القلب والجوارح على الأخلاص واستفراغ الوسع وبذل الطاقة، فبذلك يكون العبد من الذين جاؤوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صديقية، ولذلك كان لأبي بكر رضي الله عنه ذروة الصديقية حتى سمي الصديق على الإطلاق، وهو أبلغ من الصدوق والصدوق أبلغ من الصادق، فأعلى مراتب الصدق مرتبة الصديقية وهي كمال الانقياد للرسول مع كمال الإخلاص للمرسل، وقد أمر سبحانه رسول الله ﷺ أي يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق فقال ﴿وقل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾ [الإسراء: ٨٠] وأخبر عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه سأل أن يجعل له لسان صدق في الآخرين وبشر عباده أن لهم قدم صدق عند ربهم وقال ﴿إن المتقين في جنات ونهر ★ في مقعد صدق﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥] فهذه خمسة أشياء: مدخل الصدق ومخرج الصدق ولسان الصدق ومقعد الصدق وقدم الصدق. وحقيقة الصدق في هذه الأشياء هو الحق الثابت المتصل بالله الموصل إلى الله وهو ما كان به، وله من الأعمال والأقوال وجزاء ذلك في الدنيا والآخرة، فمدخل الصدق ومخرج الصدق أن يكون دخوله وخروجه حقاً ثابتاً لله تعالى وفي مرضاته متصلاً بالظفر ببغيته وحصول المطلوب ضد مدخل الكذب ومخرجه الذي لا غاية له يوصل إليها، ولا له ساق ثابتة يقوم عليها كمخرج أعدائه يوم بدر، ومخرج الصدق كمخرجه ﷺ هو وأصحابه في ذلك الغزو، وكذلك مدخل المدينة كان مدخل صدق بالله ولله وابتغاء مرضاة الله، فاتصل به التأكيد والظفر والنصر ولإدراك ما طلبه في الدنيا والآخرة بخلاف مدخل الكذب الذي رام أعداؤه أن يدخلوا به المدينة يوم الأحزاب فإنه لم يكن بالله ولا لله بل محاداً لله ورسوله فلم يتصل به إلا الخذلان والبوار، وكذلك مدخل من دخل من اليهود والمحاربين لرسول الله ﷺ حصن بني قريظة فإنه لما كان مدخل كذب أصابهم منه ما أصابهم، وكان مدخل ومخرج كان بالله ولله وصاحبه ضامن على الله فهو مدخل صدق ومخرج صدق، ولذلك فسر مدخل الصدق ومخرجه بخروجه ﷺ من مكة ودخوله المدينة، ولا ريب أن هذا على سبيل التمثيل فإن هذا المدخل والمخرج من أجل مداخله ومخارجه ﷺ وإلا فمداخله ومخارجه كلها مداخل صدق ومخارج صدق إذ هي بالله ولله وبأمره ولابتغاء مرضاته، وما خرج أحد من بيته أو دخل سوقاً أو مدخلاً آخر إلا بصدق أو كذب، فمدخل كل أحد ومخرجه لا يعدو الصدق والكذب والله المستعان.

وأما لسان الصدق: فهو الثناء الحسن من سائر الأمم بالصدق، ولما كان اللسان هو محله عبر عنه به فإن اللسان يراد به ثلاث معان هذا واللغة والجارحة نفسها.

وأما قدم الصدق: ففسر بالجنة، وفسر بمحمد ﷺ، وفسر بالأعمال الصالحة، وحقيقة القدم ما قدموه ويقدمون عليه يوم القيامة وهم قدموا الأعمال والإيمان بمحمد ﷺ، ويقدمون على الجنة، ومن فسر بالأعمال وبالنبي ﷺ فلأنهم قدموها وقدموا الإيمان به بين أيديهم.

وأما مقعد صدق؛ فهو الجنة عند ربهم، ووصف ذلك كله بالصدق مستلزم ثبوته واستقراره

وأنه حق وداومه ونفعه وكمال عائدته فإنه متصل بالحق سبحانه كان به وله فهو صدق غير كذب وحق غير باطل ودائم غير زائل ونافع غير ضار وما للباطل ومتعلقاته إليه سبيل ولا مدخل.

ومن علامات الصدق طمأنينة القلب إليه، ومن علامات الكذب حصول الريبة كما في الترمذي مرفوعاً: «الصدق طمأنينة والكذب ريبة» وفي الصحيحين «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً» الحديث. فجعل الصدق مفتاح الصديقية ومبدؤها وهي غايته فلا ينال درجتها كاذب البتة لا في قوله ولا في عمله ولا في حاله، ولا سيما كاذب على الله في أسمائه وصفاته بنفي ما أثبته لنفسه أو باثبات ما نفاه عن نفسه، فليس في هؤلاء صديق أبداً، وكذلك الكذب عليه في دينه وشرعه بتحليل ما حرمه وتحريم ما أحله وإسقاط ما أوجبه وإيجاب ما أسقطه وكراهة ما أحبه واستحباب ما لم يحبه كل ذلك مناف للصديقية. كذلك الكذب معه في الأعمال بالتحلي بحلية الصالحين الصادقين المخلصين الزاهدين المتوكلين وليس منهم، وكانت الصديقية كمال الأخلاص والانقياد والمتابعة في كل الأمور، حتى أن صدق المتبايعين يحل البركة في بيعهما فكذبهما يمحق بركة بيعهما كما في الصحيحين «البائعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما» اهـ.

وأما حكايات الصادقين فقال القشيري في الرسالة: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: كان أبو علي الثقفي يتكلم يوماً فقال له عبدالله بن المبارك، يا أبا علي استعد للموت فلا بد منه، فقال أبو علي، وأنت يا عبدالله استعد للموت فإنه لا بد منه، فتوسد عبدالله ذراعه ووضع رأسه وقال: قدمت فانقطع أبو علي لأنه لم يمكنه أن يقابله بما فعل لأنه كان لأبي علي علاقات وكان عبدالله مجرداً لا شغل له اهـ.

وهذا يدل على أن السالك لا يكون صادقاً إلا بقطع الأسباب المشغلة عنه، وما لم يتجرد لم يصدق في حاله. ثم قال القشيري: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: كان أبو العباس الدينوري يتكلم فصاحت عجوز في المجلس صيحة فقال أبو العباس: موتي، فقامت وخطت خطوات ثم التفتت إليه وقالت: قد مت ووقعت ميتة.

قلت: وكأنه يتكلم في مقام المحبة، فلما غلب عليها الوجد وصاحت ظن أنها غير صادقة فدعت الله بأن لا يفضحها فأجيب لها وعم من حالها أنها كانت مغلوبة وهذا من علامات الصدق.

ثم قال: وقيل نظر عبد ال[illegible]ن زيد إلى غلام من أصحابه وقد نحل بدنه فقال: يا غلام تديم الصوم؟ فقال: لا، ولا أديم [illegible] فقال: تديم القيام بالليل؟ فقال: لا، ولا أديم النوم. فقال: فما الذي أنحلك؟ فقال: هوى د[illegible] وكتمان دائم عليه، فقال عبد الواحد: اسكت ما أجراك. فقام الغلام وخطى خطوتين فقال: إلهي إن كنت صادقاً فخذني فخر ميتاً.

قلت: وإنما أمره عبد الواحد بالسكوت لأنه ظن أنه يدعي مقام الحب، وأنه كاذب في

دعواه، وكان الغلام صادقاً فاستجاب دعاءه، ومن هنا قال بعضهم: إذا لقيت فقيراً فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فإنك إذا لقيته بالعلم ذاب كما يذوب الثلج.

ثم قال: وحكي عن أبي عمران الزجاجي أنه قال: ماتت أمي فورثت داراً فبعتها بخمسين ديناراً وخرجت إلى الحج، فلم بلغت آبل استقبلني واحد من القناقنة وقال: أيش معك؟ فقلت في نفسي: الصدق خير، ثم قلت: خمسون ديناراً. فقال: ناولنيها فناولته الصرة فعدها فإذا هي خمسون. فقال لي: خذها فلقد أخذني صدقك، ثم نزل عن الدابة فقال: اركبها، فقلت: لا أريد فقال: لا بد وألح علي فركبتها، فقال: وأنا على أثرك، فلما كان العام المستقبل لحق بي ولازمني حتى مات.

قلت: آبل بالمد اسم موضع، والقناقنة جمع قنقن هو الدليل الهادي والبصير بالماء في حفر القنى، والذي وقع للرجل هو من بركات الصدق وآثاره في الدنيا قبل الأخرى.

ثم قال: وقيل دخل إبراهيم بن دوحة مع إبراهيم بن شيبة البادية فقال إبراهيم بن شيبة: اطرح ما معك من العلائق. قال: فطرحت كل شيء إلا ديناراً. فقال: يا إبراهيم لا تشغل سري اطرح ما معك من العلائق. قال: فطرحت الدينار. قال: يا ابراهيم اطرح ما معك من العلائق فذكرت أن معي شسوعاً للنصل فطرحتها فما احتجت في الطريق إلى شسع إلا وجدته بين يدي، فقال ابن شيبة: هكذا من عامل الله بالصدق.

قلت: وطرحه للدينار ليس من باب إتلاف المال وإضاعته لغير سبب موجب، بل هو من باب تأديب النفس وزجرها لتنقطع عنها العلائق وهذا غرض ديني لا يخفى.

وقال ابن أبي الدنيا في الصمت: حدثنا عمر بن بكير النحوي، أخبرنا عبد الرحمن الطائي، أخبرنا أبو بردة بن عبدالله بن أبي بردة قال: كان يقال إن ربعي بن حراش لم يكذب كذبا قط فأقبل ابناه من خراسان قد تأجلا، فجاء العريف إلى الحجاج فقال: أيها الأمير إن الناس يزعمون أن ربعي بن حراش لم يكذب كذبة قط وقد قدم ابناه من خراسان وهما عاصيان، فقال الحجاج: علي به، فلما جاء قال: أيها الشيخ! قال: ما تشاء؟ قال: ما فعل ابناك؟ قال: المستعان الله خلفتهما في البيت. قال: لا جرم والله لا أسوءك فيهما هما لك.

ويروى أن رجلاً مر بلقمان والناس عنده فقال: ألست عبد بني فلان؟ قال: بلى، قال: الذي كنت ترعى عند جبل كذا وكذا؟ قال: بلى، قال: ما الذي بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث وطول السكوت عما لا يعنيني. رواه ابن أبي الدنيا في الصمت من طريق عمرو بن قيس الملائي.

(**خاتمة**): من شرط الصديقية أن لا يعود لسانه اللعن. قال ابن أبي الدنيا: حدثنا بشار بن موسى، أخبرنا يزيد بن المقدام بن شريح، عن أبيه، عن جده، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع النبي ﷺ أبا بكر الصديق لعن بعض رقيقه، فقال له النبي ﷺ «يا أبا بكر الصديقون ولعانون» قال: فاعتق أبو بكر يومئذ بعض رقيقه وجاء إلى النبي ﷺ فقال: والله لا أعود. وبشار

....

ابن موسى هو الخفاف عجلي بصري نزل بغداد . قال ابن عدي : أرجو أنه لا بأس به ، وقد تقدمت الإشارة إليه في آفات اللسان. اللهم اجعلنا من المخلصين آمين.

وبه تم كتاب النية والإخلاص والصدق ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. قال مؤلفه : وكان الفراغ منه في ضحوة نهار الاثنين لتسع بقين من محرم الحرام افتتاح سنة ١٢٠١ ختمت بحمد الله وعونه والحمد لله رب العالمين.

كتاب المراقبة والمحاسبة وهو الكتاب الثامن
من ربع المنجيات
من كتب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمٰن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله المطلع على أسرار الغيوب، الرقيب على بواطن القلوب، الكاشف دهماء الكروب، الذي عظم حلمه فعفا وعدل في كل نفس ما قضى، وعلم ما يمضي وما مضى، أحمده على نعمة الكرام وآلائه العظام ومواهبه الجسام، وأشهد أن لا إله إلا الله مبتدع الخلائق ومنشئهم بلا اقتدا، وتعليم ولا احتذا، لمثال لصانع حكيم ولا إصابة خطا، ولا حضرة ملا، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده المصطفى ورسوله المجتبى وأمينه على وحي السما، أرسله بظهور الفلج، وانفتاح المنهج، فبلغ الرسالة صادعاً بها، وحمل على المحجة دالاً عليها، وأقام أعلام الاهتداء، ومنار الضيا، وجعل أمراس الإسلام متينة، وعرى الإيمان به وثيقة، صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الدجى، وأصحابه مفاتيح الهدى، وسلم تسليماً كثيراً وبعد فهذا شرح:

كتاب المراقبة والمحاسبة

وهو الثامن والثلاثون من كتب الإحياء لإمام الأنام مصباح الظلام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، أفاض الله على روحه الزكية فيوضات رحمته وبره المتوالي، بنيت على قواعد إيوانه صرح الصفا، وكشفت عن مخدرات معانيه أكنة الخفا بتحرير عبارات رائقة وتحبير إشارات فائقة، يشتاق لها كل عارف بصير وينتفع كل سالك منير، فالمراقبون يقتبسون من أنواره، والمحاسبون يلتمسون من أسراره، والمحبون يتنسّمون من فوائح أزهاره، والعاملون يشامون أرياح نضاره، والزاهدون يشمون أريج نفحاته، والمتوكلون يترشفون بسلاف رشحاته، والعارفون يدنون حول حماه، والمحققون عاكفون على ما أشرعت فيه، والقلوب واجفة والخواطر بالمصائب كاسفة والأفكار بالأراجيف راجفة، والهموم من سائر الأطراف متكاثفة، والله أسأل خفي الألطاف والإعانة على ما أرجو والنجاة مما أخاف، إنه سميع قريب، ولدعاء المناجين مجيب.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على كل جارحة بما اجترحت، المطلع على ضمائر القلوب إذا هجست، الحسيب على خواطر عباده إذا اختلجت، الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض تحرّكت أو سكنت، المحاسب على النقير والقطمير والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت، المتصل بقبول طاعات العباد وإن صغرت، المتطوّل بالعفو عن معاصيهم وإن كثرت، وإنما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت، وتنظر فيما قدمت وأخرت، فتعلم أنه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(بسم الله الرحمٰن الرحيم)** المستعان به على كل أمر عظيم.

(الحمد لله القائم على كل نفس) أي الرقيب عليه **(بما كسبت)** من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم أشار به إلى قوله تعالى ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ [الرعد: ٣٣]وقيامه تعالى بذاته مطلقاً وقيام كل شيء به، **(الرقيب)** أي العليم والحفيظ **(على كل جارحة بما اجترحت)** وذلك بمراعاتها على اللزوم والدوام، **(المطلع على ضمائر القلوب إذا هجست)** أي وقعت وخطرت، **(الحسيب)** أي الحاسب **(على خواطر عباده إذا اختلجت)** أي تحركت وانبعثت، **(الذي لا يعزب)** أي لا يغيب **(عن علمه)** المحيط الشامل لسائر معلوماته **(مثقال ذرة في السموات والأرض تحركت أو سكنت)** أي لا يشذ عن علمه شيء قليلاً كان أو كثيراً متحركاً كان أو ساكناً، **(المحاسب على النقير)** وأصله النكتة في ظهر النواة **(والقطمير)** وهو شبه الخيط في بطن النواة **(والقليل والكثير من الأعمال وإن خفيت)** ودق ظهورها في الأعين، **(المتفضل بقبول طاعات العباد وإن صغرت، المتطول بالعفو عن معاصيهم وإن كثرت)** فالقبول والعفو إنما هما من تفضلاته، وإذا كان القبول حاصلاً والعفو شاملاً فلماذا الحساب؟ فقال: **(وإنما يحاسبهم لتعلم كل نفس ما أحضرت)** من أعمالها بين يديه تعالى، **(وتنظر فيما قدمت)** من عمل أو صدقة **(وأخرت)** من سيئة أو تركة، ويجوز أن يراد بالتأخير التضييع يشير بذلك إلى قوله تعالى ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ [التكوير: ١٤] وهو جواب « إذا »، والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادىء قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لأن المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على أعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم: تمرة خير من جرادة، وإلى قوله تعالى ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ [الانفطار: ٥] وهو أيضاً جواب « إذا ».

أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن حاتم وابن مردويه من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال: لما نزلت ﴿إذا الشمس كورت﴾ قال عمر لما بلغ ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ قال: لهذا أجري الحديث.

لشقيت في صعيد القيامة وهلكت، وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضله بقبول بضاعتها المزجاة لخابت وخسرت، فسبحان من عمت نعمته كافة العباد وشملت، واستغرقت رحمته الخلائق في الدنيا والآخرة وغمرت، فبنفحات فضله اتسعت القلوب للإيمان وانشرحت، وبيمن توفيقه تقيدت الجوارح بالعبادات وتأدبت، وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت، وبتأييده ونصرته انقطعت مكائد الشيطان واندفعت، وبلطف عنايته تترجح كفة الحسنات إذا ثقلت، وبتيسيره تيسرت من

وأخرج ابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن مسعود في قوله: ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ قال: من سنة صالحة يعمل بها بعده فإن له مثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، أو سنة سيئة يعمل بها بعده فإن عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينتقص من أوزارهم.

وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس قال: ما قدمت من عمل خير أو شر وما أخرت من سيئة يعمل بها من بعده.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة في قوله ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ قال: ما أدت إلى الله مما أمرها الله به وما ضيعت.

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة قال: ما قدمت من خير وما أخرت من حق الله عليها لم تعمل به، وعن سعيد بن جبير قال: ما قدمت من خير وما أخرت ما حدثت به نفسه ولم يعمل به، وعن مجاهد، ما قدمت من خير وما أخرت ما أمرت أن تعمل فتركت، وعن عطاء قال: ما قدمت بين يديها وما أخرت وراءها من سيئة يعمل بها من بعده.

(**فتعلم أنه لولا لزومها للمراقبة والمحاسبة في الدنيا لشقيت في صعيد القيامة**) وهي الأرض المستوية التي يحشر الناس عليها (**وهلكت، وبعد المجاهدة والمحاسبة والمراقبة لولا فضل الله بقبول بضاعتها المزجاة**) وهي الخسيسة التي يدفعها كل معروض عليه فلا تنفق (**لخابت وخسرت**) وخسارتها عدم رواجها، (**فسبحان من عمت نعمته كافة العباد فشملت**) أي جميعهم عامهم وخاصهم وكافة مصدر على فاعله كالعافية والعاقبة لا يثنى ولا يجمع، (**واستغرقت رحمته الخلائق في الدنيا والآخرة، وغمرت**) وهي الرحمة العامة التي تتناول المستحق وغير المستحق والضرورات والحاجات والمزايا الخارجة عنها، (**فبنفحات فضله**) جمع نفحة وهي العطية (**اتسعت القلوب للإيمان وانشرحت**) فقبلته واستقر فيها، (**وبيمن توفيقه**) أي هدايته لما يوافقه (**تقيدت الجوارح بالعبادات وتأدبت**) فاستحلتها واستخفت، (**وبحسن هدايته انجلت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت**) أي انزاحت فاهتدت بمعرفته الخاصة واطمأنت، (**وبتأييده ونصرته انقطعت**) عنه (**مكائد الشيطان**) ومصائده وفخوخه التي على قلوب المؤمنين (**واندفعت، وبلطف عنايته**) السابقة بعباده (**تترجح كفة الحسنات**

الطاعات ما تيسرت، فمنه العطاء والجزاء والإبعاد والإدناء والإسعاد والإشقاء والصلاة على محمد سيد الأنبياء وعلى آله سادة الأصفياء وعلى أصحابه قادة الاتقياء.

أما بعد؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]،

إذا ثقلت، وبتيسيره تيسرت من الطاعات ما تيسرت فمنه) تعالى وحده **(العطاء والجزاء)** أي فهو المعطي والمجازي، **(والإبعاد والإدناء)** أي وهو المبعد والمدني **(والإسعاد والإشقاء)** أي وهو المسعد والمشقي لا إله إلا الله جل جلاله، **(والصلاة على)** سيدنا **(محمد سيد الأنبياء)** أي رئيسهم ومقدمهم، **(وعلى آله سادة الأصفياء وعلى أصحابه قادة الأتقياء)** وسلم عليه تسليماً كثيراً.

(أما بعد؛ فقد قال الله تعالى) في كتابه العزيز، **(﴿ونضع الموازين القسط﴾)** أي العدل توزن بها صحائف الأعمال، وقيل: وضع الميزان تمثيل لإرصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الأعمال بالعدل وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به للمبالغة **(ليوم القيامة)** أي لجزاء يوم القيامة أو لأجله أو فيه، كقولك: جئت لخمس خلون من الشهر **(﴿فلا تظلم نفس شيئاً﴾)** من حقه **(﴿وإن كان﴾)** العمل **(﴿مثقال حبة من خردل أتينا بها﴾)** أي أحضرناها والضمير للمثقال وتأنيثه لإضافته إلى الحبة **(﴿وكفى بنا حاسبين﴾)** أي لا مزيد على علمنا وعدلنا.

أخرج ابن عبد البر في كتاب جامع العلم من طريق حماد بن زيد، عن أبي حنيفة، عن حماد، عن إبراهيم في قوله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾ قال: يجاء بعمل الرجل فيوضع في كفة ميزانه فيرجح فيقال له: أتدري ما هذا؟ فيقول: لا، فيقال: هذا فضل العلم الذي كنت تعلمه الناس أو نحو هذا، وحدث به عبدالله بن أحمد في كتاب العلل عن أبيه، حدثنا عبد القدوس ابن بكر بن خنيس، حدثنا الحجاج عن حماد قال: إن العالم ليغشاه يوم القيامة مثل الغمام فيوضع في ميزانه فيقول: ما هذا؟ فيقال: العلم الذي علمته الناس. وقال أيضاً: حدثني أبي، حدثنا عبد القدوس، عن رجل قد سماه - يعني أبا حنيفة - عن حماد مثله. وخرجه ابن مردويه في كتاب فضل العلم من طريق مسلم بن إبراهيم، حدثنا حماد بن زيد، عن أبي حنيفة عن حماد

قال الحافظ بن ناصر الدين في منهاج السلامة: ونصب ميزان الحق يوم القيامة بين الخلق لفوائد عظيمة وحكم بهية اقتضتها الحكمة الإلهية مع علم الله العليم الخبير بمقادير الأعمال الصغير والكبير، لا يغيب عن نظره غائب ولا يفوته هارب ولا يؤده حفظ ما خلق وهو السميع العليم، وإنما الحكمة في وزن أعمال العباد أن ذلك لامتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا وهو أحد الأقوال في معنى ذلك، وقيل: لإظهار السعادة والشقاوة يوم القيامة، وقيل ليعرف العباد ما لهم من خير وشر، وقيل لإقامة الحجج عليهم، وقيل للإعلام بأن الله عز وجل عادل لا يظلم من خلقه أحداً يربي الحسنات لصاحبها ويضاعفها.

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ويَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنا مَا لِهَذَا الكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا احْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦] وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً * لِيُرَوا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٦، ٨]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، فعرف أرباب البصائر من جملة العباد أنّ الله تعالى لهم بالمرصاد، وأنهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذرّ من الخطرات

(**وقال تعالى: ﴿ووضع الكتاب**) أي صحائف الأعمال في الايمان والشمائل أو في الميزان، وقيل: هو كناية عن وضع الحساب، (**فترى المجرمين مشفقين**) خائفين (**مما فيه**) من الذنوب (**ويقولون يا ويلتنا**) ينادون هلكتهم التي أهلكوها من بين الهلكات (**ما لهذا الكتاب**) تعجباً من شأنه (**لا يغادر**) لا يترك هنة (**صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها**) عددها وأحاط بها (**ووجدوا ما عملوا حاضراً**) مكتوباً في الصحف (**ولا يظلم ربك أحداً﴾**) فيكتب عليه ما لم يفعل أو يزيد في عقابه الملائم لعمله، (**وقال تعالى ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً**) في صعيد أفيح (**فينبئهم**) أي يخبرهم جيعاً (**بما عملوا**) من خير وشر (**أحصاه الله**) عدده وأحاط به (**ونسوه والله على كل شيء شهيد﴾**) أي شاهد لا يغيب. (**وقال تعالى: ﴿يومئذ يصدر الناس**) من قبورهم إلى الموقف (**أشتاتاً**) متفرقين بحسب مراتبهم (**ليروا أعمالهم**) أي جزاء أعمالهم (**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يـره﴾**) والذرة النملة الصغيرة أو الهباء. (**وقال تعالى ﴿ثم توفى كل نفس ما كسبت**) أي تعطى على سبيل الوفاء جميع ما كسبت من خير وشر (**وهم لا يظلمون﴾**) وهو كقوله تعالى ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ [الكهف: ٤٩] وقال تعالى: (**﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً**) بين يـديـه (و) **تجد** أيضاً (**ما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً**) أي غاية يقال بلغ أمده أي غايته (**ويحذركم الله نفسه﴾ وقال تعالى: ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾** إلى غير ذلك من الآيات الدالة على سعة علمه وإحاطته بسائر أفعال العباد.

(**فعرف أرباب البصائر**) الصادقة (**من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد**) كما قال تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ [الفجر: ١٤] (**وأنهم سيناقشون في الحساب**) أي يدقق عليهم

واللحظات، وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته، فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله وقد أمرهم بالصبر والمرابطة فقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فرابطوا أنفسهم أولاً بالمشارطة، ثم بالمراقبة، ثم بالمحاسبة، ثم بالمعاقبة، ثم بالمجاهدة، ثم بالمعاتبة، فكانت لهم في المرابطة ست مقامات، ولا بدّ من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة، ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة، فلنذكر شرح هذه المقامات وبالله التوفيق.

فيه (**ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات**) في الحركات والسكنات، (**وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الأنفاس**) الهابطة والصاعدة، (**والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال**) في القبر (**جوابه وحسن منقلبه ومآبه**) أي مرجعه، (**ومن لم يحاسب نفسه**) في دنياه (**دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته**) أي جرته (**إلى الخزي**) أي الفضيحة (**والمقت**) أي الغضب (**سيئاته، فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله**) والمصابرة عليها (**وقد أمرهم بالصبر والمرابطة فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا﴾**) على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد (**وصابروا**) أي غالبوا أعداء الله في الصبر على شدائد الحرب وأعدى عدوكم على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الأمر بالصبر مطلقاً لشدته (**ورابطوا**) أنفسكم على الطاعة ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ بنيل المقامات الثلاثة المترتبة التي هي الصبر على مقتضى الطاعات، ومصابرة النفس في رفض العادات، ومرابطة السر على جناب الحق سبحانه لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة، (**فرابطوا أنفسهم أولاً بالمشارطة، ثم بالمراقبة، ثم بالمحاسبة، ثم بالمعاقبة، ثم بالمجاهدة، ثم بالمعاتبة، فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها**) مقاماً مقاماً. (**وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة، ولكن كل حساب فبعد مشارطة ومراقبة ويتبعه عند الخسران المعاتبة والمعاقبة، فلنذكر شرح هذه المقامات وبالله التوفيق**).

المقام الأول من المرابطة: المشارطة:

اعلم أنَّ مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكما أنّ التاجر يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه، فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وإنما مطلبه وربحه تزكية النفس لأن بذلك فلاحها قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ★ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠] وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة، والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة، إذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله، وكما أن الشريك يصير خصماً منازعاً يجاذبه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أوّلاً ويراقبه ثانياً ويحاسبه ثالثاً ويعاقبه أو يعاتبه رابعاً؛ فكذلك العقل يحتاج إلى مشارطة النفس أوّلاً فيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشروط ويرشدها إلى طرق الفلاح ويجزم عليها الأمر بسلوك تلك الطرق، ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة، فإنه لو أهملها لم يرَ منها إلا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا خلا له الجوّ وانفرد بالمال. ثم بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فإن هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى

المقام الأول من المرابطة: المشارطة:

وهو في الأصل إجراء الشرط بين متعاملين.

(**اعلم**) نور الله قلبك (**أن مطلب المتعاملين**) في التجارات (**المشتركين في البضائع**) والنقود (**عند المحاسبة**) مع بعضهم (**سلامة الربح**) الحاصل من التصرف (**وكما أن التاجر يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه، فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وإنما مطلبه**) الأعلى (**وربحه**) الأوفر (**تزكيه النفس**) أي تطهيرها من المذام والخبائث (**لأن بذلك فلاحها. قال الله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها﴾**) أنماها بالعلم والعمل (**﴿وقدخاب من دساها﴾**) نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق (**وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة**) على وفق المعارف الإلهية (**والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها**) وينميها، (**كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله**) فيما ينمي المال، (**وكما أن الشريك يصير خصماً منازعاً يجاذبه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولاً، ويراقبه ثانياً، ويعاتبه أو يعاقبه رابعاً، فكذلك العقل يحتاج إلى مشارطة النفس أولاً فيوظف عليها الوظائف ويشرط عليها الشروط ويرشدها إلى طرق الفلاح ويجزم الأمر بسلوك تلك الطرق، ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة**) واحدة (**فإنه لو أهملها لم ير منها إلا الخيانة**) الظاهرة، (**وتضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا خلا له الجو**) وزالت عنه الموانع (**وانفرد بالمال**) فإنه تشتد خيانته ويبدد المال حيث لا ينفع فإنه إما لبطنه أو لفرجه، (**ثم بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فإن هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى**

وبلوغ سدرة المنتهى مع الأنبياء والشهداء ، فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيراً من تدقيقه في أرباح الدنيا مع أنها محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى ، ثم كيفما كانت فمصيرها إلى التصرم والانقضاء ، ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم ، لأن الشر الذي لا يدوم إذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائماً وقد انقضى الشر ، والخير الذي لا يدوم يبقى الأسف على انقطاعه دائمـاً وقد انقضى الخير . ولذلك قيل :

أشدّ الغـم عنـدي في سرور ... تيقـن عنـه صـاحبـه انتقـالا

فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وحظواتها . فإن كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن يشتري بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد فانقضاء هذه الأنفاس ضائعة أو مصروفة إلى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل . فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي أن يفرغ

وبلوغ سدرة المنتهى مع الأنبياء والشهداء) وناهيك به ربحاً . **(فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيراً من تدقيقه في أرباح الدنيا)** ومناقشته فيها **(مع أنها محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى ثم كيفما كانت فمصيرها إلى التصرم والانقضاء)** والهلاك والفناء ، **(ولا خير في خير لا يدوم بل شر لا يدوم خير من خير لا يدوم ، لأن الشر الذي لا يدوم إذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائماً ، وقد انقضى الشر والخير الذي لا يدوم يبقى الأسف على انقطاعه دائماً وقد انقضى الخير)** وهذا بالإضافة إلى العواقب ، **(ولذلك قيل)** قائله المتنبي :

(أشـد الغـم عنـدي في سرور ... تيقـن عنـه صـاحبـه انتقـالا)

وقد مر أنشاده للمصنف في مواضع من كتابه هذا . **(فحتم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها وحظواتها)** أي في سائر أحوالها ، فالمحاسبة هي ميزان الأعمال والأحوال لتتميز بها مصالح الأعمال من مفاسدها وحقائق الأحوال من دعاويها ،والمحاسبة للأعمال والأحوال كالبراهين لصحة العلوم ، فمن لا برهان معه خالط علمه الوهم والخيال ، ومن لا محاسبة له شاب عمله الغرور والخداع ، وهذه المحاسبة واجبة بالإجماع . هكذا هو منقول عن الحرث المحاسبي .

وسياق المصنف يشير إليه والكتاب والسنة والأثر يدل على ذلك ، **(فإن كل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن أن يشترى بها كنز من الكنوز لا يضاهي نعيمه أبدا الآباد)** إلى آخر الدهر ، **(فانقضاءهذه الأنفاس ضائعة ومصروفة إلى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل)** ، فانظر إلى حال من لم يملك من الدنيا إلا درهماً

قلبه ساعة لمشارطة النفس كما أنّ التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك العامل يفرغ المجلس لمشارطته. فيقول للنفس: ما لي بضاعة إلا العمر ومهما فني فقد فني رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح، وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه وأنسأ في أجلي وأنعم عليّ به ولو توفاني لكنت أتمنى أن يرجعني إلى الدنيا يوماً واحداً حتى أعمل به صالحاً، فاحسبي أنك قد توفيت ثم قد رددت فإياك ثم إياك أن تضيعي هذا اليوم فإنّ كل نفس من الأنفاس جوهرة لا قيمة لها، واعلمي يا نفس أن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة، وقد ورد في الخبر: «أنه ينشر للعبد بكل يوم وليلة أربع وعشرون

واحداً وهو رأس ماله وخرج يتجر فيه لعائلته ليسعدوا بربحه، وإذا هو برجلين مثله لكل واحد منهما درهم مثله فاختلفت آراؤهم في التجارة، فوجد أحدهم جوهرة بدرهمه وأشار إلى صاحبيه أن يفعلا كفعله فلم يفعلا فسعد هو وأهله بالجوهرة، وأما أحد الرجلين فقال: هذا رأس مال قليل فلا يكفيني ولا يكفي أهلي فأنا أرمي به من يدي واتكل على الله تعالى في أن يكفيني وأهلي بلا تجارة، وأما الرجل الآخر فوجد حية عظيمة ينادى عليها بدرهم والمنادي يقول: احذروها فإنها حية لين مسها قاتل سمها، فغلبت عليه شقوته واشترى الحية بدرهمه وحملها إلى أهله فقتلته وقتلت عياله، فانظر إلى هذا المثال فإنه يعرفك قيمة عمرك فإن الدرهم هو النفس الواحد إذ لا يملك كل واحد من الأحياء غير النفس الراهن وما هو في ثاني حال مشكوك فيه، وقد انقسمت الناس في أنفاسهم هذا الانقسام فمنهم من عرف قدر نفسه فاشترى به جوهرة أضاءت عليه في محياه ومماته وهو صرفه في ذكر الله تعالى والفكر في معرفته، والثاني جهل سنة ربه في قوله ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ [النجم: ٣٩] فصرفه في مباح يتحسر على فواته إذا عاين ربح الرابحين وهو يعلم أن لم يكن معهم إلا مثل رأس ماله، وأما الثالث فازداد جهلاً ثانياً وهو الجهل بالبضائع فاشترى بضاعة شقيت بها نفسه وهو صرف نفسه في معصية الله تعالى، فنعوذ بالله من الجهل.

(**فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس، كما أن التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك العامل**) في تجارته (**يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس**) في مشارطتها: ويحك يانفس (**ما لي بضاعة**) أعتمد عليها (**إلا**) هذا (**العمر، ومهما فني فقد فني رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح، وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه وأنسأ في أجلي**) أي أخره (**وأنعم علي به، ولو توفاني**) كما توفي غيري من أقراني ولداتي (**لكنت أتمنى**) على الله (**أن يرجعني إلى الدنيا يوماً واحداً حتى أعمل فيه صالحاً**) كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا﴾ [المؤمنون: ٩٩] (**فاحسبي**) يا نفس (**أنك قد توفيت ثم قد رددت**) إلى الدنيا ثانياً، (**فإياك ثم إياك أن تضيعي هذا اليوم فإن كل نفس من الأنفاس جوهرة**) يتيمة (**لا قيمة لها واعلمي يا نفس أن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة**) من ساعات الزمان، (**وقد ورد في الخبر** «أنه

خزانة مصفوفة، فيفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نوراً من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التي هي وسيلته عند الملك الجبار ما لو وزع على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عند الإحساس بألم النار ويفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على أهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة أخرى فارغة ليس له فيها ما يسره ولا ما يسوءه»، وهي الساعة التي نام فيها أو غفل أو اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير إذا أهمله وتساهل فيه حتى فاته، وناهيك به حسرة وغبنا، وهكذا تعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره فيقول لنفسه: اجتهدي اليوم في أن تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي أسباب ملكك ولا تميلي إلى الكسل والدعة والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وإن دخلت الجنة، فألم الغبن وحسرته لا يطاق وإن كان دون ألم النار. وقد قال بعضهم: هب أن المسيء قد عفي عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين؟ أشار به إلى الغبن والحسرة، وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ

ينشر للعبد بكل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة، فتفتح له منها خزانة فيراها مملوءة نوراً من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التي هي وسيلة عند الملك الجبار ما لو وزع) أي فرق وقسم **(على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عند الإحساس بألم النار، وتفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على أهل الجنة لتنغص عليهم نعيمها، وتفتح له خزانة أخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه. وهي التي نام فيها أو غفل أو اشتغل بشيء من مباحات الدنيا فتحسر على خلوها ويناله من غبن ذلك ما ينال القادر على الربح الكثير والملك الكبير إذا أهمله وتساهل فيه حتى فاته، وناهيك به حسرة وغبناً وهكذا تعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره)** قال العراقي: الحديث بطوله لم أجد له أصلاً. **(فيقول لنفسه: اجتهدي اليوم في أن تعمري خزانتك ولا تدعيها فارغة عن كنوزك التي هي أسباب ملكك ولا تميلي إلى الكسل والدعة، والاستراحة فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك وإن دخلت الجنة فألم الغبن وحسرته لا يطاق وإن كان دون ألم النار. وقد قال بعضهم: هب أن المسيء قد عفي عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين؟ أشار به إلى الغبن والحسرة، وقال الله تعالى ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع)** لأجل ما فيه من الحساب والجزاء

التَّغَابُن﴾ [التغابن : ٩] فهذه وصيته لنفسه في أوقاته. ثم ليستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وهي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل، وتسليمها إليها فإنها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة وبها تتم أعمال هذه التجارة، وإن لجهنم سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم، وإنما تتعين تلك الأبواب لمن عصى الله تعالى بهذه الأعضاء، فيوصيها بحفظها عن معاصيها.

أما العين؛ فيحفظها عن النظر إلى وجه من ليس له بمحرم، أو إلى عورة مسلم، أو النظر إلى مسلم بعين الاحتقار، بل عن كل فضول مستغنى عنه، فإن الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام، ثم إذا صرفها عن هذا لم تقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها، وهو ما خلقت له من النظر إلى عجائب صنع الله بعين

والجمع جمع الملائكة والثقلين (**ذلك يوم التغابن﴾**) يغبن فيه بعضهم بعضاً لنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا أشقياء، وبالعكس مستعار من تغابن التجار، واللام فيه للدلالة على أن التغابن الحقيقي هو التغابن في أمور الآخرة لعظمها ودوامها. (**فهذه وصيته لنفسه في أوقاته، ثم يستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وفي العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسلمها إليها، فإنها**) أي تلك الأعضاء بمنزلة (**رعايا خادمة لنفسه في هذه التجارة وبها تتم أعمال هذه التجارة، وأن لجهنم سبعة أبواب**) يدخلونها لكثرتهم أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي: جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية. ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون إلى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية، أو لأن أهلها سبع فرق كما قال تعالى: ﴿وإن جهنم لموعدهم أجمعين﴾ [الحجر : ٤٣] لها سبعة أبواب (**لكل باب منهم جزء مقسوم**) أفرز له فأعلاها لموحدي العصاة، والثاني لليهود، والثالث للنصارى، والرابع للصابئين، والخامس للمجوس، والسادس للمشركين، والسابع للمنافقين. (**وإنما تتعين تلك الأبواب لمن عصى الله تعالى بهذه الأعضاء**) وهذا وجه آخر لتخصيص العدد (**فيوصيها بحفظها عن معاصيها**).

(**أما العين؛ فيحفظها عن النظر إلى وجه من ليس له بمحرم**)، ولا إلى عضو آخر غير الوجه (**أو إلى عورة مسلم أو النظر إلى مسلم بعين الاحتقار بل**) يحفظها (**عن كل فضول مستغنى عنه، فإن الله يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام**) روى عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد، عن أبي موسى الأنصاري، عن عبادة بن كليب قال: قال رجل لداود الطائي: لو أمرت بما في سقف البيت من نسج العنكبوت فينظف؟ قال له: أما علمت أنه يكره فضول النظر. (**ثم صرفها عن هذا لم يقنع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها وربحها وهو ما خلقت له**) أي لأجله (**من النظر إلى عجائب صنع الله**) في الملك (**بعين الاعتبار، والنظر**

الاعتبار، والنظر إلى أعمال الخير للاقتداء، والنظر في كتاب الله وسنّة رسوله ومطالعة كتب الحكمة للاتعاظ والاستفادة.

وهكذا ينبغي أن يفصل الأمر عليها في عضو عضو لا سيما اللسان والبطن.

أما اللسان؛ فلأنه منطلق بالطبع ولا مؤونة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق والأطعمة واللعن والدعاء على الأعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك، مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان فهو بصدد ذلك كله مع أنه خلق للذكر والتذكير وتكرار التعلم والعلم وإرشاد عباد الله إلى طريق الله وإصلاح ذات البين وسائر خيراته فليشترط على نفسه أن لا يحرّك اللسان طول النهار إلا في الذكر. فنطق المؤمن ذكر ونظره عبرة وصمته فِكرَة ﴿وَمَا يَلْفِظُ مِنْ قَولٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وأما البطن؛ فيكلفه ترك الشره وتقليل الأكل من الحلال واجتناب الشبهات، ويمنعه من الشهوات، ويقتصر على قدر الضرورة، ويشرط على نفسه أنها إن خالفت شيئاً من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته بشهواتها وهكذا يشرط عليها في جميع الأعضاء. واستقصاء ذلك يطول ولا تخفى معاصي الأعضاء وطاعاتها.

إلى أعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وسنة رسوله) ﷺ، (**ومطالعة كتب الحكمة**) الإلهية وهي كتب الدقائق (**للاتعاظ والاستفادة**) لا للتفرج. (**وهكذا ينبغي أن يفصل الأمر عليها في عضو عضو لا سيما اللسان والبطن**).

(**أما اللسان: فلأنه منطلق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنايته عظيمة بالغيبة والكذب والنميمة وتزكية النفس ومذمة الخلق و**) مذمة (**الأطعمة واللعن والدعاء على الاعداء والمماراة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان**) مفصلاً، (**فهو بصدد ذلك كله مع أنه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وإرشاد عباد الله إلى طريق الله وإصلاح ذات البين وسائر خيراته، فليشترط على نفسه أن لا يحرك اللسان طول النهار إلا في الذكر، فنطق المؤمن ذكره ونظره عبرة وصمته فكرة، و**) قال الله تعالى: (**﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾**).

(**وأما البطن: فيكلفه ترك الشره**) أي الحرص (**وتقليل الأكل من الحلال واجتناب الشبهات، ويمنعه من الشهوات، ويقتصر على قدر الضرورة**) مما يقيم به صلبه في الطاعات، (**ويشترط على نفسه أنها إن خالفت شيئاً من ذلك عاقبها بالمنع عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما نالته بشهوتها، وهكذا يشترط عليها في جميع الأعضاء واستقصاء الأعضاء وذلك يطول، ولا تخفى معاصي الأعضاء وطاعتها**).

ثم يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها، ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها بأسبابها، وهذه شروط يفتقر إليها في كل يوم ولكن إذا تعوّد الإنسان شرط ذلك على نفسه أياماً وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها، وإن أطاع في بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد، ولله عليه في ذلك حق. ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضي حق الله فيها، فعليه أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الإهمال ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرّد: فإنّ النفس بالطبع متمرّدة عن الطاعات مستعصية عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] فهذا وما يجري مجراه هو أوّل مقام المرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل، والمحاسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتحذير قال الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وهذا للمستقبل. وكل نظر في كثرة ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فإنه يسمى

(ثم يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها، ويرتب لها تفصيلها وكيفيتها وكيفية الاستعداد لها بأسبابها، وهذه شروط يفتقر إليها كل يوم ولكن إذا تعود الإنسان شرط ذلك لنفسه أياماً وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن المشارطة فيها، وإن أطاع في بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد المشارطة فيما بقي ولكن لا يخلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد ولله عليه في ذلك حق، ويكثر هذا على من يشتغل بشيء من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس، إذ قلما يخلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضي حق الله فيها، فعليه أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والانقياد للحق في مجاريها ويحذرها مغبة الإهمال) أي عاقبته **(ويعظها كما يوعظ العبد الآبق المتمرد)** على سيده، **(فإن النفس بالطبع متمردة عن الطاعات مستعصية عن العبودية)** والذل والقهر، **(ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها)** قال الله تعالى، **(﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾)** بتنبههم لقبول ذلك، **(فهذا وما يجري مجراه هو أول مقام المرابطة مع النفس وهي محاسبته قبل العمل)** أي قبل الشروع فيه، **(والمحاسبة تارة تكون بعد العمل)** وهذا هو الأكثر، **(وتارة)** تكون **(قبله)** وهي **(للتحذير)** عن الوقوع فيما يفسد العمل، **(قال الله تعالى: ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ وهذا للمستقبل. وكل نظر في كثرة**

محاسبة. فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُم فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبينُوا﴾ [النساء: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ﴾ [ق: ١٦]، ذكر ذلك تحذيراً وتنبيهاً للاحتراز منه في المستقبل، وروى عبادة بن الصامت أنه عليه السلام قال لرجل سأله أن يوصيه ويعظه: «إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فامضِه وإن كان غياً فانتهِ عنه»، وقال بعض الحكماء: إذا أردت أن يكون العقل غالباً للهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة وقال لقمان: إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة، وروى شداد بن أوس عنه ﷺ أنه قال: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله» دان نفسه، أي حاسبها. ويوم الدين: يوم الحساب. وقوله: ﴿أَئِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣] أي لمحاسبون. وقال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم

ومقدار لمعرفة زيادة ونقصان فإنه يسمى محاسبة، فالنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة، وقد قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا﴾ وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ وقال تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ ذكر ذلك كله (**تحذيراً وتنبيهاً للاحتراز منه في المستقبل. وروى عبادة بن الصامت**) رضي الله عنه (**أنه ﷺ قال لرجل سأله أن يوصيه ويعظه «إذا أردت أمراً فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فامضه وإن كان غياً فانته عنه»**) رواه ابن المبارك في الزهد عن أبي جعفر عبدالله بن المسور الهاشمي مرسلاً بلفظ «فإن كان خيراً» بدل «رشداً» و «إن كان شراً» بدل «غياً» وابن المسُور تكلموا فيه، وقد تقدم الكلام على هذا الحديث. (**وقال بعض الحكماء: إذ أردت أن يكون العقل غالباً على الهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تنظر العاقبة، فإن مكث الندامة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة. وقال لقمان**) رحمه الله تعالى: (**إن المؤمن إذا أبصر العاقبة أمن الندامة. وروى شداد بن أوس**) رضي الله عنه، (**عنه ﷺ قال« الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله»**) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم وقد تقدم. (**دان نفسه: أي حاسبها**) وقيل: استعبدها وقهرها يعني جعل نفسه مطيعة منقادة لأوامر ربها أي: الكيس من أبصر العاقبة وحاسب نفسه، والأحمق من عمي عنها وحجبته الشهوات والغفلات، (**ويوم الدين يوم الحساب**) وقيل يوم الجزاء. (**وقوله**) تعالى: (**﴿أئنا لمدينون﴾ أي لمحاسبون**) وقيل: لمجزيون، فالدين يطلق على معان كثيرة منها الحساب.

قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتهيأوا للعرض الأكبر. وكتب إلى أبي موسى الأشعري: حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة، وقال لكعب كيف تجدها في كتاب الله؟ قال: ويل لديّان الأرض من ديّان السماء فعلاه بالدرّة وقال: إلاّ من حاسب نفسه، فقال كعب: يا أمير المؤمنين إنها إلى جنبها في التوراة ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه. وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل إذ قال: «من دان نفسه يعمل لما بعد الموت». ومعناه وزن الأمور أوّلاً وقدّرها ونظر فيها وتدبّرها ثم أقدم عليها فباشرها.

المرابطة الثانية: المراقبة:

إذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى إلا المراقبة لها عند الخوض في الأعمال وملاحظتها بالعين الكالئة فإنها إن تركت طغت وفسدت. ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها.

(وقال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتهيأوا للعرض الأكبر) رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجاج قال: قال عمر: زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وحاسبوها قبل أن تحاسبوا فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية. **(وكتب)** رضي الله عنه **(إلى أبي موسى الأشعري)** رضي الله عنه وهو أمير بالبصرة: **(حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة)** رواه إسماعيل بن أبي خالد عن سعيد بن أبي بردة. **(وقال)** رضي الله عنه **(لكعب)** الأحبار يوماً: **(كيف تجد ما في كتاب الله. قال: ويل لديان الأرض من ديان السماء فعلاه بالدرة وقال: إلا من حاسب نفسه. فقال كعب: يا أمير المؤمنين إنها)** أي هذه الكلمة **(إلى جنبها في التوراة ما بينهن حرف إلا من حاسب نفسه)** والديان الحاكم والقاضي والمحاسب والمجازي. **(وهذا كله إشارة إلى المحاسبة للمستقبل، إذ قال)** ﷺ في الحديث السابق «الكيس **(من دان نفسه يعمل لما بعد الموت»)** أي حاسب نفسه وقهرها اشتغل بعمل ينفعه بعد موته، **(ومعناه وزن الأمور أولاً وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها)**.

المرابطة الثانية: المراقبة:

وفيها مقام الحياء ولواحقه الرعاية والحرمة والأدب.

اعلم أنه **(إذا أوصى الإنسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى)** بعد ذلك **(إلا المراقبة بها عند الخوض في الأعمال وملاحظتها بالعين الكالئة)** أي الحافظة، **(فإنها إن تركت طغت وفسدت، ولنذكر فضيلة المراقبة ثم درجاتها)**.

أما الفضيلة: فقد سأل جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال: « أن تعبد الله كأنك

(أما الفضيلة، فقد سأل جبريل عليه السلام) النبي ﷺ **(عن الإحسان؟ فقال)** ﷺ: **(أن تعبد الله كأنك تراه »)** ولما كانت المراقبة والإحسان لفظين متداخلين على معنى واحد استدل بما ورد في الإحسان على فضيلتها.

قال القشيري في الرسالة: أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن إسحاق، حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق، حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم، حدثنا خالد بن يزيد، حدثنا إسماعيل ابن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ في صورة رجل فقال: يا محمد ما الإيمان؟ فقال « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره » قال: صدقت. قال: فتعجبنا من تصديقه للنبي ﷺ. قال: فاخبرني ما الإسلام؟ فقال « أن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت » قال: صدقت، فاخبرني ما الإحسان؟ قال « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » قال: صدقت. الحديث هذا الذي قاله ﷺ « فإن لم تكن تراه فإنه يراك » إشارة إلى حال المراقبة لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه، وهذا أصل كل خير ولا يكاد يصل إلى هذه المرتبة إلا بعد فراغه عن المحاسبة، فإذا حاسب نفسه على ما سلف وأصلح حاله في الوقت ولازم طريق الحق، وأحسن بينه وبين الله مراعاة القلب، وحفظ مع الله الأنفاس راقب الله في عموم أحواله، فيعلم أنه سبحانه عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم أحواله ويرى أفعاله ويسمع قوله، ومن بغافل عن هذه الجملة بمعزل عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القربة اهـ.

قال العراقي: الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة. ورواه مسلم من حديث عمر انتهى.

قلت: قال البخاري في الصحيح: حدثنا مسدد، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثنا حيان التيمي، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يوماً بارزاً للناس فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث » قال: ما الإسلام؟ قال « الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان » وذكر تتمة الحديث. وقد رواه مسلم أيضاً من طرق

وأما حديث عمر، فقال أبو عبد الرحمن المقري، حدثنا عبدالله بن يزيد، حدثنا كهمس بن الحسن، عن عبدالله بن بريدة، عن يحيى بن يعمر، عن عبدالله بن عمر قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا نعرفه حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ثم قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام ما الإسلام؟ قال: « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج

تراه »، وقال عليه السلام: « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وقد قال

البيت إن استطعت إليه سبيلاً » قال: صدقت. قال عمر رضي الله عنه فعجبنا له يسأله ويصدقه، فقال: يا محمد أخبرني عن الإيمان؟ فقال: « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كله خيره وشره » قال: صدقت وذكر باقي الحديث بتمامه أخرجه مسلم بطوله عن زهير بن حرب عن وكيع عن عبيدالله بن معاذ وعن أبيه كلاهما عن كهمس بن الحسن به، ورواه سليمان التيمي عن يحيى بن يعمر بزيادة فيه.

قال أبو بكر محمد بن خزيمة في الصحيح، حدثنا يوسف بن واضح، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن يحيى بن يعمر، عن ابن عمر قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ في أناس إذ جاء رجل عليه سحناء سفر وليس من أهل البلد يتخطى حتى درك، فجلس بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا محمد ما الإسلام؟ قال « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتعتمر وتغتسل من الجنابة وأن تتم الوضوء وتصوم رمضان » قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال « نعم » قال: صدقت ثم ذكر الحديث بطوله. وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه عن ابن خزيمة. ورواه مسلم، عن الحجاج بن الشاعر، عن يونس بن محمد، عن المعتمر بن سليمان به لكنه لم يذكر متنه بل أحاله بنحو ما قبله.

ورواه أيضاً ابن عباس عن النبي ﷺ رواه ابن السماك في جزئه من طريق سيار بن الحكم، عن شهر بن حوشب عنه قال: بينا رسول الله ﷺ قاعد في الناس إذ جاءه رجل يتخطى الناس حتى وضع يديه على ركبتي النبي ﷺ فقال: ما الإسلام؟ فساقه. وفي آخره: فانطلق الرجل حتى توارى، فقال رسول الله ﷺ « علي بالرجل » قال: فطلب فلم يوجد، فقال ﷺ « هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ما أتاني في صورة إلا عرفته فيها غير مرتي هذه ». وشهر بن حوشب مختلف فيه، والراجح قبوله. وقد استوفيت هذا الحديث في كتابي عقود الجواهر المنيفة وذكرت اختلاف ألفاظه فراجعه.

(وقال ﷺ « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ») رواه أبو نعيم في الحلية من حديث زيد بن أرقم بزيادة « واحسب نفسك مع الموتى واتق دعوة المظلوم فإنها مستجابة ». وروى الطبراني والبيهقي من حديث معاذ بن جبل « اعبد الله ولا تشرك به شيئاً واعمل لله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى » الحديث.

وأما لفظ « الإحسان أن تعبد كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » فقد رواه أيضاً أحمد وابن ماجه من حديث أبي هريرة ورواه النسائي عنه. وعن أبي ذر معاً. ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث عمر. ويروى « الإحسان أن تعمل لله كأنك تراه فإن كنت لا تراه فإنه يراك فإذا فعلت ذلك فقد أحسنت » رواه أحمد والبزار من حديث ابن عباس، ورواه ابن حبان من

تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ★ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٣٢، ٣٣]، وقال ابن المبارك لرجل: راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال: كن أبداً كأنك ترى الله عز وجل، وقال عبد الواحد بن يزيد: إذا كان سيدي رقيباً عليّ فلا أبالي بغيره. وقال أبو عثمان المغربي: أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم. وقال ابن عطاء: أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات. وقال الجريري: أمرنا هذا مبني على أصلين: أن تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قائماً. وقال أبو

حديث ابن عمر، ورواه أحمد أيضاً من حديث أبي عامر أو أبي مالك، ورواه البزار أيضاً من حديث أنس، وابن عساكر من حديث عبد الرحمن بن غنم.

(**وقد قال تعالى ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾**) أي رقيب والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك. (**وقال تعالى ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾**) أي يطلع على أحوال عبده من هداه وضلاله. (**وقال تعالى ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾**) أي مراقباً لأعمالكم (**وقال تعالى**) في وصف المؤمنين: (**﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم**) لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق والخلق (**راعون﴾**) قائمون بحفظها وإصلاحها وقال تعالى: (**﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾**) أي محافظون. (**وقال**) عبدالله (**بن المبارك**) رحمه الله تعالى (**لرجل: راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره**) أي ما معنى هذا القول؟ (**فقال: كن أبداً كأنك ترى الله عز وجل**) أي فإذا تحققت ذلك فقد راقبته. (**وقال عبد الواحد بن يزيد**) البصري رحمه الله تعالى: (**إذا كان سيدي رقيباً علي فلا أبالي بغيره**) يشير إلى قوله تعالى ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾ [النساء: ١] (**وقال أبو عثمان**) سعيد بن سلام المغربي رحمه الله تعالى: (**أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذه الطريقة**) العلية (**المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم**) بأن يزن ما هو فيه بالعلم الشرعي، هذا القول نقله القشيري سماعاً عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: سمعت أبا عثمان المغربي يقول فذكره. (**وقال ابن عطاء**) هو أبو عبدالله أحمد بن عطاء الروذباري شيخ الشام في وقته مات بصور سنة ٣٦٩، ولفظ القشيري وسئل ابن عطاء ما (**أفضل الطاعات**)؟ فقال: (**مراقبة الحق**) تعالى (**على دوام الأوقات**) كما أشار إليه في الخبر السابق في الإحسان، فأفضل العبادات رؤية المعبود في وقت العبادة فإنه أبعد من الزلل، (**وقال**) أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري بضم الجيم من أكابر أصحاب الجنيد وأقعد بعده مكانه مات سنة ٣١١: (**أمرنا هذا مبني على أصلين**) وفي نسخ الرسالة فصلين: أحدهما (**أن تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل**) في حركاتك وسكناتك، (**و**) الثاني أن (**يكون العلم على ظاهرك**

عثمان: قال لي أبو حفص، إذا جلست للناس فكن واعظاً لنفسك وقلبك ولا يغرنّك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك.

وحكي أنه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض أصحابه: كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ؟ فدعا بعدّة طيور وناول كل واحد منهم طائراً وسكيناً وقال: ليذبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه أحد ودفع إلى الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم، فرجع كل واحد بطائره مذبوحاً ورجع الشاب والطائر حي في يده، فقال: ما لك لم تذبح كما ذبح أصحابك؟ فقال: لم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد إذ الله مطلع علي في كل مكان، فاستحسنوا منه هذه المراقبة وقالوا: حق لك أن تكرم.

قائماً) بأن تكون حركاتك وسكناتك موزونة بالشرع نقله القشيري سماعاً من محمد بن الحسين قال: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت الجريري يقول فذكره. **(وقال أبو عثمان)** الحيدي النيسابوري، **(قال لي أبو حفص)** عمرو بن مسلمة الجواد شيخ الجنيد. **(إذا جلست للناس)** أي لوعظهم **(فكن واعظاً لنفسك وقلبك)** لينتفعوا بوعظك، فإنه إذا صلحت نيتك في وعظ نفسك خرج الكلام من قلبك وله وقع في قلب السامع، **(ولا يغرنك اجتماعهم عليك)** أي حولك، **(فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك)** نقله القشيري سماعاً عن محمد بن الحسين قال: سمعت عبدالله الرازي يقول: سمعت أبا عثمان يقول، قال لي أبو حفص فذكره إلا أنه قال: والله رقيب على باطنك، وفي نسخة والله يراقب باطنك.

(وحكي أنه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب) وكان يخصه و **(يكرمه ويقدمه)** على جماعته ويقبل عليه أكثر مما يقبل على غيره **(فقال له بعض أصحابه: كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ)** فما السبب؟ فقال: أبين لكم ذلك **(فدعا بعدة طيور وناول كل واحد منهم طائراً)** الأولى طيراً **(وسكيناً وقال: ليذبح كل واحد منكم طائره في موضع لا يراه أحد ودفع إلى)** هذا **(الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم، فرجع كل واحد بطائره مذبوحاً)** لأنه لم ير بمكان الذبح أحداً من بني آدم، **(ورجع الشاب والطائر حي في يده فقال)** له: **(مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك؟ فقال)** أمرتني أن أذبحه حيث لا يراه أحد، وأنا **(لم أجد موضعاً لا يراني فيه أحد، إذ الله مطلع علي في كل مكان فاستحسنوا منه هذه المراقبة)** وقال الشيخ، لهذا أخصه باقبالي عليه، **(وقالوا)** له، **(حق لك أن تكرم)** ويقبل عليك. حكاه القشيري في الرسالة بمعناه، وفيه دلالة على أن المراقبة لله تعالى أفضل المقامات، وإن ارتفعت مقامات العابدين وقوي اجتهادهم فإنهم مشغولون بصلاح قلوبهم وأحوالهم، والمراقب لله قد غلب على قلبه نظره إليه في سائر تصرفاته، وكان الشيخ يعرف فضيلة هذا الشاب ورفعة مقامه

وحكي أنَّ زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام قامت فغطت وجه صنم كان لها فقال يوسف: ما لك؟ أتستحيين من مراقبة جماد ولا أستحي من مراقبة الملك الجبار!

وحكي عن بعض الأحداث أنه راود جارية عن نفسها فقالت له: ألا تستحي فقال ممن؟ أستحي وما يرانا إلا الكواكب؟ قالت: فأين مكوكبها؟ وقال رجل للجنيد: بمَ أستعين على غض البصر؟ فقال: بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه. وقال الجنيد: إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز

عن بقية تلامذته فكان يقربه لذلك ويخصه بأسراره دونهم، فلما بلغه تغيرهم لذلك عرفهم بما أكد رفعة مقامه عليهم ثم علمه بعدم إمكان ما أمره به شيخه، يحتمل أن يكون خطر له وقت الأمر به لكنه اتبع أمر شيخه لإقامة الحجة على بقية التلامذة وأن يكون إنما خطر له ذلك بعد مضيه وتفتيشه.

(وحكي أن زليخا) امرأة العزيز **(لما خلت بيوسف عليه السلام قامت فغطت وجه صنم لها)** كانت تعبده **(فقال)** لها **(يوسف: مالك أتستحيين من مراقبة جماد ولا أستحي من مراقبة الملك الجبار)**؟ رواه أبو الشيخ وأبو نعيم في الحلية، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين قال: لما دخل يوسف عليه السلام عليها البيت وفي البيت صنم من ذهب قالت: كما أنت حتى أغطي الصنم فأنا أستحي منه. فقال يوسف: هذه تستحي من الصنم فأنا أحق أن أستحي من الله فكف عنها وتركها.

وروى أبو نعيم في الحلية عن علي رضي الله عنه في قوله: ولقد همت به وهم بها قال: طمعت فيه وطمع وكان فيها من الطمع إذ هم أن يحل التكة فقامت إلى صنم مكلل بالدر والياقوت في ناحية البيت فسترته بثوب أبيض بينها وبينه فقال: أي شيء تصنعين؟ فقالت: أستحي من إلهي أن يراني على هذه السوأة. فقال يوسف: تستحي من صنم لا يأكل ولا يشرب وأنا لا أستحي من إلهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت، ثم قال: لا تناليها مني أبداً وهو البرهان الذي رأى.

(وحكي عن بعض الأحداث أنه راود جارية عن نفسها فقالت له: ألا تستحي؟ فقال: ممن أستحي وما يرانا إلا الكواكب. قالت: فأين مكوكبها) أي رب الكواكب؟ رواه البيهقي في الشعب عن الأصمعي قال: حدثني رجل من الأعراب قال: خرجت ليلة فإذا أنا بجارية تستقي ماء فراودتها عن نفسها فقالت: ويلك إن لم يكن لك زاجر من دين أما لك زاجر من كرم؟ فقلت لها: مالك لا يرانا إلا الكواكب. قالت: وأين مكوكبها؟

(وقال رجل للجنيد) رحمه الله تعالى: **(بم أستعين به على غض البصر؟ فقال: بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور إليه وقال الجنيد)** أيضاً: **(إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من الله عز وجل)** ولفظ الرسالة: من تحقق في المراقبة خاف

وجل. وعن مالك بن دينار قال: جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة، قيل له: ومن يسكنها؟ قال: يقول الله عز وجل يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني، والذين انثنت أصلابهم من خشيتي، وعزتي وجلالي إني لأهم بعذاب أهل الأرض، فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب. وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال: أولها علم القلب بقرب الرب تعالى. وقال المرتعش: المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة. ويروى أن الله تعالى قال لملائكته: أنتم موكلون بالظاهر وأنا الرقيب على الباطن. وقال محمد بن

على فوت حظه من ربه لا غير اهـ. وذلك لأن المراقبة على درجات فقد يراقب العبد أحكام ربه ليسلم من العقاب، وقد يراقبها لزيادة الثواب، وقد يراقبها ليرتفع عنه الحجاب، وقد يراقبها ليكون من الأحباب، فإذا وصل إلى هذا الحال الشريف راقب ربه وأدام نظره لما يتفضل به عليه ليسلم من الغفلات التي يفوت بسببها حظه من مولاه، فمراقبته بهذا التقدير خوفاً من فوات حظه من أفضل المراقبات.

(وقال مالك بن دينار) أبو يحيى البصري رحمه الله تعالى: **(جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة. قيل له: ومن يسكنها؟ قال: يقول الله عز وجل: إنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني)** فتركوها، **(والذين انثنت أصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي إني لأهم بعذاب الارض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب)** روى البيهقي من حديث أنس: يقول الله تعالى إني لأهم بأهل الأرض عذاباً فإذا نظرت إلى عمار بيوتي المحتاجين في، وإلى المستغفرين بالأسحار صرفت عنهم.

(وسئل) أبو عبدالله الحرث بن أسد **(المحاسبي)** البصري رحمه الله تعالى **(عن المراقبة فقال: أولها علم القلب بقرب الرب تعالى)** أي فإذا تم له ذلك خلص سره لله تعالى. **(وقال)** أبو محمد عبدالله بن محمد **(المرتعش)** النيسابوري من أصحاب الجنيد مات ببغداد سنة ٣٢٨: **(المراقبة مراعاة السر لملاحظة الغيب)** فيما يرد عليك منه **(مع كل لحظة ولفظة)** حكاه القشيري عن محمد بن الحسين سماعاً قال: سمعت أبا القاسم البغدادي يقول: سمعت المرتعش يقول فذكره

(ويروى) في بعض الأخبار **(أن الله تعالى قال لملائكته: أنتم موكلون بالظاهر وأنا الرقيب بالباطن)** أي العليم بسره من غير غفلة، ومن ذلك قول أبي حفص لأبي عثمان: فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك وتقدم قريباً. **(وقال)** أبو عبدالله **(محمد بن علي)** بن الحسن بن بشر الحكيم **(الترمذي)** رحمه الله تعالى من كبار الشيوخ وله تصانيف في علوم القوم، صحب أبا تراب النخشبي وأحمد بن خضرويه وابن الجلاء وغيرهم وهو صاحب نوادر الأصول:

علي الترمذي: اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه، وقال سهل: لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيث كان. وسئل بعضهم عن قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨] فقال: معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزوّد لمعاده. وسئل ذو النون: بِمَ ينال العبد الجنة فقال بخمس: استقامة ليس فيها روغان، واجتهاد ليس معه سهو، ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له، ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب وقد قيل:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليّ رقيبُ
ولا تحسبنّ الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفيه عنه يغيبُ
ألم ترَ أن اليومَ أسرع ذاهب ... وإن غداً للناظرين قريبُ

وقال حميد الطويل لسليمان بن علي: عظني فقال لئن كنت إذا عصيت الله خالياً

(**اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عنك، واجعل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه**) هكذا ذكره في النوادر. (**وقال**) أبو محمد (**سهل**) التستري رحمه الله تعالى: (**لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيث كان**) وهذا لأنه أصل كل خير، فإذا استدام ذلك صارت مراقبة. (**وسئل بعضهم عن قوله تعالى ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾ فقال: معناه ذلك**) أي الرضوان (**لمن راقب ربه عز وجل**) في أحواله (**وحاسب نفسه وتزود لمعاده**)، ففسر الخشية بالمراقبة والمحاسبة ولذلك جاء في الخبر «كفى بالخشية علماً». (**وسئل ذو النون المصري**) رحمه الله تعالى: (**بم ينال العبد الجنة؟ فقال: بخمس**) خصال (**استقامة**) في الطاعات (**ليس فيها روغان، واجتهاد**) في المعاملة السرية (**ليس معه سهو**) ولا غفلة، (**ومراقبة الله في السر والعلانية، وانتظار الموت بالتأهب له**) بالأعمال الصالحة فكان قد، (**ومحاسبة نفسك**) بما عملته من خير أو شر (**قبل أن تحاسب، وقد قيل**) في معنى ذلك:

(إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفيه عنه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب ... وإن غدا للناظرين قريب)

وكان الإمام الشافعي ينشد هذه الأبيات كثيراً فقيل: إنها له وقيل لغيره. (**وقال حميد**) بن أبي حميد يترويه (**الطويل**) أبو عبيدة البصري التابعي اختلف في اسم أبيه على عشرة أقوال

ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت. وقال سفيان الثوري: عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة. وقال فرقد السبخي: إن المنافق ينظر فإذا لم يرَ أحداً دخل مدخل السوء وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى. وقال عبدالله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له: يا راعي بعني شاة من هذه الغنم، فقال: إني مملوك فقال: قل لسيدك أكلها الذئب. قال: فأين الله؟ قال: فبكى عمر رضي الله عنه ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

أشهرها ما ذكرت ثقة، روى له الجماعة وفي التهذيب قال البخاري، قال الأصمعي: رأيت حميداً ولم يكن طويلاً، وقال غيره: إنما كان طوله في يديه، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة وهو قائم يصلي وله خمس وسبعون سنة: (**لسليمان بن علي**) بن عبدالله بن عباس أحد الأشراف وعم الخليفتين السفاح والمنصور، وروى له النسائي وابن ماجه، مات سنة اثنتين وأربعين ومائة وله تسع وخمسون سنة (**عظني. فقال: لئن كنت إذا عصيت الله خالياً**) عن الناس (**ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم**) فإنك بارزته بالمعصية مع علمك باطلاعه عليك، (**ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت**) إذ قد أنكرت إحاطة علمه. (**وقال سفيان الثوري**) رحمه الله تعالى: (**عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحذر**) أي الخوف (**ممن يملك العقوبة**) أخرجه أبو نعيم في الحلية. (**وقال فرقد**) بن يعقوب (**السبخي**) بفتح المهملة والموحدة وبخاء معجمة أبو يعقوب البصري صدوق عابد لين الحديث، روى له الترمذي وابن ماجه، مات سنة إحدى وثلاثين ومائة: (**إن المنافق ينظر فإذا لم ير أحداً دخل مدخل السوء، وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى. وقال**) أبو عبد الرحمن (**عبدالله بن دينار**) العدوي مولى ابن عمر، مات سنة سبع وعشرين ومائة، روى له الجماعة: (**خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل**) معه غنمه (**فقال له: يا راعي بعني شاة من هذه**) الثلة يحتمل أنه ظن ملكه لبعض الغنم، أو أنه لما رأى حسن رعايته لها في الظاهر فأراد أن يختبر باطنه هل ذلك عن دين أو عادة (**فقال: إني مملوك**) وهذه الغنم ليست ملكاً لي إنما أنا أرعاها. (**فقال: قل لسيدك**) إذا سألك عنها (**أكلها الذئب**) وهذا يؤكد الاحتمال الثاني أنه اختبار، (**قال: فأين الله**) فإنه يعلم ذلك ويؤاخذني به، (**قال**) الراوي: (**فبكى عمر رضي الله عنه**) من سماع هذا الكلام (**ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال: أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك في الآخرة**). والذي في الرسالة للقشيري، وقيل: كان ابن عمر في

سفر فراى غلاماً يرعى غنماً فقال: تبيع من هذه الغنم واحدة؟ فقال: إنها ليست لي، فقال: قل لصاحبها إن الذئب أخذ منها واحدة. فقال العبد: فأين الله؟ فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة قال ذلك العبد: فأين الله؟ اهـ.

قال الشارح: لأنه لما علم بذلك دينه ومراقبته لله أعجبه حاله وصار عبرة له يتذكر به زماناً. قال: وروي أنــه سأل عن رب الغنم فاشتراه والغنم وأعتقه ووهبها له.

قلت: والنفس تميل إلى أن هذه القصة وقعت لابن عمر وشاهده رواية ابن دينار عنه وهو مولاه وملازمه في أسفاره، وقد روي أيضاً عن نافع وفيه التصريح بأن الواقعة لابن عمر.

قال ابن شاذان: أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر الأودي، أخبرنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي، حدثنا محمد بن يزيد، حدثنا عبد العزيز قال: قال نافع: خرجت مع ابن عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب له فوضعوا لهم فمر بهم راع فقال له عبدالله: هلم يا راعي فأصب من هذه السفرة. فقال: إني صائم، فقال له عبدالله في مثل هذا اليوم الشديد حره وأنت في هذه الشعاب في مثار هذه الغنم بين الجبال ترعى هذه الغنم وأنت صائم؟ فقال الراعي: أبادر لأيامي الخاليــة فعجب ابن عمر وقال: هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك نجتزرها ونطعمك من لحمها ما تفطر عليه ونعطيك ثمنها؟ قال: إنها ليست لي إنها لمولاي. قال: فما عسيت أن يقول لك مولاك إن قلت أكلها الذئب؟ فمضى الراعي وهو رافع أصبعيه إلى السماء وهو يقول فأين الله؟ فما عدا أن قــدم قدم المدينة فبعث إلى سيده فاشترى منه الراعي والغنم فأعتق الراعي ووهب له الغنم.

ومما ذكر القشيري في هذا الباب من الرسالة، سمعت أبا عبد الرحمٰن السلمي يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: من لم يحكم بينه وبين الله تعالى التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة. سمعت أبا علي الدقاق يقول: كان لبعض الأمراء وزير فكان بين يديه يوماً فالتفت إلى بعض الغلمان الذين كانوا وقوفاً لا لريبة ولكن لحركــة أو صوت أحس منهم، فاتفق ان ذلك الأمير نظر إلى هذا الوزير في تلك الحالة فخاف الوزير أن يتوهم الأمير أنه نظر إليهم لريبة فجعل ينظر إليه كذلك، فبعد ذلك اليوم كان هذا الوزير يدخل على الأمير أبداً وهو ينظر إلى جانبه حتى توهم الأمير أن ذلك خلقه وحول فيه؛ فهذا مراقبة مخلوق لمخلوق فكيف مراقبة العبد لسيده؟

سمعت بعض الفقراء يقول: كان أمير له غلام يقبل عليه أكثر مراقباً له على غيره من غلمانه ولم يكن أكثرهم قيمة ولا أحسنهم صورة، فقالوا له في ذلــك فــأراد الأمير أن يبين لهم فضــل الغلام في الخدمة على غيره، فيوماً من الأيام كان راكباً ومعه الحشم وبالبعد منهم جبل عليه ثلج، فنظر الأمير إلى ذلك الثلج وأطرق فركض الغلام فرسه ولم يعلم القوم لماذا ركض، فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء ومعه شيء من الثلج فقال الأمير: ما أدراك أني أردت الثلج؟ فقال الغلام: لأنك نظرت

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها :

اعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال إنه يراقب فلاناً ويراعي جانبه، ويعني بهذه المراقبة حالة القلب يثمرها نوع من المعرفة، تثمر تلك الحالة أعمالاً في الجوارح وفي القلب. أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه. وأما

إليه ونظر السلطان إلى شيء لا يكون عن غير قصد، فقال الأمير: إنما أخصه بإكرامي وإقبالي عليه لأن لكل أحد شغلاً وشغله مراعاة لحظاتي ومراقبة أحوالي.

وقال بعضهم: من راقب الله في خواطره عصمه الله في جوارحه. وسئل أبو الحسين بن هند متى يهش الراعي غنمه بعصا الرعاية من مواقع الهلكة؟ فقال: إذا علم أن عليه رقيباً. وقال ذو النون: علامة المراقبة إيثار ما آثر الله وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله. وقال النصراباذي: الرجاء يحرك إلى الطاعات، والخوف يبعدك عن المعاصي، والمراقبة تؤديك إلى صرف الحقائق.

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سألت جعفر بن نصير عن المراقبة فقال: مراعاة السر لملاحظة الغيب في كل خطرة.

وقال إبراهيم الخواص: المراعاة تورث المراقبة والمراقبة خلوص السر والعلانية لله سمعته يقول: سمعت محمد بن عبدالله يقول: سمعت أبا جعفر الصيدلاني يقول: سمعت أبا سعيد الخراز يقول، قال لي بعض مشايخي: عليك بمراعاة سرك والمراقبة. قال: بينا أنا أسير في البادية أذا أنا بخشخشة خلفي فهالني ذلك وأردت أن ألتفت فلم ألتفت، فرأيت شاباً واقفاً على كتفي فانصرف وأنا مراع لسري، ثم التفت فإذا أنا بسبع عظيم. وقال الواسطي: أفضل الطاعات حفظ الأوقات، وهو أن لا يطالع العبد غير حده، ولا يراقب غير ربه، ولا يقارن غير وقته، والله أعلم.

بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها :

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن**) المراقبة مفاعلة فلا بد من التراقب من الجانبين، فعلى هذا لا بد للمراقب أن يكون مراقباً لاطلاعه على إطلاع الحق سبحانه على حاله ويداوم على ذلك، أو يكون مراقباً لاطلاعه على موجده بلا فتور وتشتت الخاطر وهي أفضل من الحياء، لأن الحياء يتولد عن معرفة عيوب النفس، والمراقبة لا تفتقر إلى ذلك، وعلى هذا (**حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه، فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره**) حتى لا يغفل عنه ويلاحظه ملاحظة تامة لازمة دائمة لزوماً لو عرفه الممنوع عنه لما قدم عليه. (**يقال: إنه يراقب فلاناً ويراعي جانبه**) فكأنه يرجع إلى العلم والحفظ. (**ويعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالاً في الجوارح وفي القلب.**).

(**أما الحالة، فهي مراعاة القلب للرقيب**) في كل خطرة (**واشتغاله به والتفاته إليه**

المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت، وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشدّ من ذلك. فهذه المعرفة إذا صارت يقيناً أعني انها خلت عن الشك، ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته؛ فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت، فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه، والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون، وهم ينقسمون إلى الصدّيقين وإلى أصحاب اليمين فمراقبتهم على درجتين:

الدرجة الأولى: مراقبة المقربين من الصدّيقين؛ وهي مراقبة التعظيم والإجلال، وهو أن يصير القلب مستغرقاً بملاحظة ذلك الجلال ومنكسراً تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع

وملاحظته إياه وانصرافه إليه)، وإليه يشير كلام جعفر بن نصير في المراقبة الذي تقدم قريباً إذ قال: هي مراعاة السر لملاحظة الغيب في كل خطرة، وكلام الخواص، المراعاة تورث المراقبة، وكان هذا أول درجات المراقبة، ثم إن المراقبة كغيرها من المقامات تنتظم من علم وحال وعمل وقد أشار المصنف إلى العلم بقوله:

(وأما المعرفة التي تثمر هذه الحال فهو العلم) بصفات الألوهية المحدقة بالوجود كله بكل جزء منه على انفراده كعلمه وبصره وسمعه والإيمان بها، و **(بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت، وأن سر القلب في حقه مكشوف، كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك)** وأقوى، وإليه يشير كلام أبي الحسين بن هند الذي تقدم، والإيمان بهذه الصفات واجب وهو من الإيمان بالله، **(فهذه المعرفة إذا)** تقوت **(صارت يقيناً أعني أنها خلت عن)** أن يمازجه **(الشك)** والريب، **(ثم استولت بعد ذلك على القلب)** الصنوبري **(وقهرته)** أي ملكته ملكاً تاماً لم تبق فيه منازعة لخاطر، وحصول هذا المعنى بعد اليقين شرط، **(فرب علم لا يشك فيه لا يغلب على القلب)** ولا يستوليه **(كالعلم بالموت)** فإنه يقيني إلا أنه لا يقهر بعض القلوب، **(فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه)** بالكلية وتحقق بمقام الإحسان المشار إليه في الخبر، **(والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون)** في الحضرة الإلهية **(وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين، فمراقبتهم)** أي المقربين **(على درجتين)**

(الدرجة الأولى: مراقبة المقربين من الصديقين وهي) لها بداية ونهاية، فثمرة بدايتها رعاية الخواطر وكشف ما التبس منها والأدب مع الله بحرمة مراقبة الله، ونهاية هذه الدرجة **(مراقبة التعظيم والإجلال)** والهيبة، **(وهو أن يصير القلب مستغرقاً بملاحظة ذلك الجلال**

للالتفات إلى الغير أصلاً وهذه مراقبة لا نطوّل النظر في تفصيل أعمالها فإنها مقصورة على القلب. أما الجوارح فإنها تتعطل عن التلفت إلى المباحات فضلاً عن المحظورات، وإذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبيت في حفظها على سنن السداد، بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي، والقلب هو الراعي، فإذا صار مستغرقاً بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف، وهذا هو الذي صار همه هماً واحداً فكفاه الله سائر الهموم. ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه، ولا يسمع ما يقال له مع

ومنكسراً تحت الهيبة) بدخول الأعضاء بعضها في بعض، **(فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلاً)**، وهذه الحالة مرادة لذاتها لأنها حالة لا تسع العمل، فإن الخواطر والجوارح بنية تابعة الروح المأخوذة بالمشاهدة والأحوال لها والأدب عند سكون هذه الحالة رؤية العالم على أتم أنواع الاتقان والإعلام والرضا بمجاري الأقدار وسلب الاختيار لما عاين من جلال الله ورؤية الشريعة بعين الوقار وكمال النظام، لأنه رأى ثمرتها وبركتها. وقيل: السكون أن لا يكون للعقل فراغ لشيء من هذه الآداب وأقل إدراك العقل في هذه أن يرى الحق حقاً والباطل باطلاً بعلم ضروري لا يفتقر فيه إلى إقامة برهان، **(وهذه مراقبة لا نطول النظر في تفصيل أعمالها فإنها مقصورة على القلب)**، فمن جملتها المراقبة المنسوبة إلى الطائفة النقشبندية قدس الله أسرارهم قالوا: هي ملاحظة المعنى المقدس من الجلالة وفهمه وحفظه في الخيال، ثم التوجه به إلى القلب بجميع القوى والمدارك والمداومة عليه، حتى تذهب الكلفة من البين ويصير ملكة، فإن عسر ذلك فليتخيله بصورة نور بسيط محيط بجميع الموجودات العلمية والعينية وليجعله في مقابلة البصيرة، ثم يتوجه به إلى القلب بالوجه المذكور إلى أن تقوى البصيرة وتذهب الصورة ويترتب عليه ظهور المعنى المقصود. قالوا: وهي أعلى من طريق النفي والإثبات وأقرب للجذبة الإلهية عن غيرها كما سيأتي بيانه.

(أما الجوارح: فإنها تتعطل عن التلفت إلى المباحات فضلاً عن المحظورات، فإذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبيت في حفظها على سنن السداد بل يسدد الرعية من ملك كلية الراعي والقلب هو الراعي) كما ورد في تأويل الخبر «اللهم أصلح الراعي والرعية» أي القلب والجوارح كما تقدم، **(فإذا صار مستغرقاً بالمعبود صارت الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف، وهذا هو الذي)** صار همه هماً واحداً **(فكفاه الله سائر الهموم)** كما روى ابن ماجه من حديث ابن مسعود «من جعل الهموم هماً واحداً هم المعاد كفاه الله سائر همومه» الحديث. وتقدم، وروى هناد في الزهد عن سليمان بن حبيب المحاربي مرسلاً «من كان همه هماً واحداً كفاه الله همه» الحديث. **(ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق)** رأساً **(حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح**

أنه لا صمم به وقد يمرّ على ابنه مثلاً فلا يكلمه، حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه: إذا مررت بي فحركني. ولا تستبعد هذا فإنك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الأرض، حتى أن خدم الملك قد لا يحسون بما يجري عليهم في مجالس الملوك لشدّة استغراقهم بهم، بل قد يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي فربما يجاوز الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له. وقد قيل لعبد الواحد بن زيد: هل تعرف في زمانك هذا رجلاً قد اشتغل بحاله عن الخلق؟ فقال: ما أعرف إلا رجلاً سيدخل عليكم الساعة؛ فما كان إلا سريعاً حتى دخل عتبة الغلام، فقال له عبد الواحد بن زيد: من أين جئت يا عتبة؟ فقال من موضع كذا وكان طريقه على السوق. فقال: من لقيت في الطريق؟ فقال: ما رأيت أحداً. ويروى

عينيه ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا صمم به وقد يمر على ابنه مثلاً فلا يكلمه) ولا يحس به، **(حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك)** فيعاتبه بعضهم **(فقال لمن عاتبه: إذا مررت بي فحركني)** حتى أحس بك. ومنهم من كان إذا دخل عليه أصحابه يسألهم عن أسمائهم كلما دخلوا عليه. قال القشيري: سمعت أبا نصر المؤذن بنيسابور قال: كنت مختصاً بمجلس الأستاذ أبي علي الدقاق أقرأ فيه القرآن فاتفق خروجه إلى الحج وخرجت معه، فلما كنا بالبيضاء طلب قمقمة فأحضرتها إليه فقال: جزاك الله خيراً ثم نظر إلي طويلاً كأنه لم يرني قط وقال: رأيتك مرة من أنت؟ فقلت: المستعان بالله صحبتك مدة وخرجت من مسكني ومالي نسيتني الساعة تقول رأيتك مرة.

(ولا تستبعد هذا فإنك تجد نظير هذا في القلوب المعظمة لملوك الأرض حتى أن خدم الملك قد لا يحسون بما يجري عليه في مجالس الملوك لشدة استغراقهم بهم) وانصراف هممهم إليهم، **(بل يشتغل القلب بمهم حقير من مهمات الدنيا فيغوص الرجل في الفكر فيه ويمشي)** ولم يزل في ذلك الفكر، **(فربما يجاوز الموضع الذي قصده وينسى الشغل الذي نهض له)** فيتعجب من حاله ويرجع. **(وقيل لعبد الواحد بن زيد البصري العابد)** رحمه الله تعالى: **(هل تعرف في زمانك هذا رجلاً قد اشتغل بحاله عن الخلق؟ فقال: ما أعرف)** بهذا الوصف **(إلا رجلاً سيدخل)** عليكم **(الساعة فما كان سريعاً حتى دخل عتبة)** بن أبان بن تغلب **(الغلام)** رحمه الله تعالى، **(فقال له عبد الواحد بن زيد: من أين جئت يا عتبة؟ فقال: من موضع كذا وكان طريقه على السوق. فقال: من لقيت في الطريق؟ فقال: ما رأيت أحداً)** رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن، حدثني مضر قال: قال رجل لعبد الواحد بن زيد: يا أبا عبيدة تعلم أحداً يمشي في الطريق مشتغلاً بنفسه لا يعرف أحداً يقول من اشتغاله. قال: ما أعرف أحداً

عن يحيى بن زكريا عليهما السلام: أنه مرّ بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها فقيل له: لِمَ فعلت هذا؟ فقال: ما ظننتها إلا جداراً. وحكي عن بعضهم أنه قال مررت بجماعة يترامون وواحد جالس بعيداً منهم فتقدّمت إليه فأردت أن أكلمه فقال: ذكر الله تعالى أشهى! فقلت: أنت وحدك؟ فقال: معي ربي وملكاي، فقلت من سبق من هؤلاء؟ فقال من غفر الله له، فقلت: أين الطريق؟ فأشار نحو السماء وقام ومشى وقال: أكثر خلقك شاغل عنك. فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم إليه منه ولا يسمع إلا فيه. فهذا لا يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه فإنها لا تتحرّك إلا بما هو فيه. ودخل الشبلي على أبي الحسين النوري وهو معتكف فوجده ساكناً حسن الاجتماع لا يتحرّك من ظاهره شيء فقال له: من أين أخذت هذه المراقبة والسكون؟ فقال: من سنور كانت لنا، فكانت إذا أرادت الصيد رابطت رأس الحجر لا تتحرّك لها شعرة. وقال أبو عبدالله بن خفيف: خرجت من مصر أريد الرملة للقاء أبي علي الروذباري فقال

إلا رجلاً واحداً الساعة يدخل عليكم، فبينما هو كذلك إذ دخل عليه عتبة قال: وطريقه على السوق. قال: فقال له يا عتبة من رأيت ومن تلقاك في الطريق؟ قال: ما رأيت أحداً.

(**ويروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه مر بامرأة فدفعها فسقطت على وجهها، فقيل له: لم فعلت هذا؟ فقال: ماظننتها إلا جداراً**) وهذا لشدة استغراقه بالله لم يميز بين المرأة والجدار لا لكونه حصوراً.

(**وحكي عن بعضهم قال: مررت بجماعة يترامون**) بالسهام ويتسابقون فيها (**وواحد جالس بعيداً منهم، فتقدمت إليه فأردت أن أكلمه، فقال: ذكر الله أشهى. فقلت: أنت وحدك**) هنا؟ (**فقال: معي ربي وملكاي، فقلت: من سبق من هؤلاء؟ فقال: من غفر الله له فقلت أين الطريق فأشار نحو السماء وقام ومشى. وقال: أكثر خلقك لاه شاغل عنك، فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يتكلم إلا منه ولا يسمع إلا فيه؛ فهذا لا يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه فإنها لا تتحرك إلا بما هو فيه. ودخل**) أبو بكر (**الشبلي**) قدس سره (**على أبي الحسين**) أحمد بن محمد (**النوري**) الواعظ رحمه الله تعالى (**وهو معتكف فوجده ساكناً حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شيء**) وهذا هو هيئة المراقب (**فقال له**) الشبلي: (**من أين أخذت هذه المراقبة والسكون؟ فقال: من سنور**) وهي الهرة (**كانت لنا إذا أرادت الصيد رابطت رأس الحجر**) وراقبت عليه (**لا تتحرك لها شعرة**)؛ فهذه الحكاية هي كيفية الاستعداد بأن يعلم القرب بقرب الرب ويجلس مطرقاً ساكن الظاهر والباطن مع الرياضات والتهذيب تولد منه تعظيم وإجلال، وكلما زادت المعرفة زاد الإجلال والتعظيم.

(**وقال أبو عبدالله**) محمد (**بن خفيف**) الشيرازي شيخ الشيوخ وواحد وقته صحبه رويم

لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد : إن في صور شاباً وكهلاً قد اجتمعا على حال المراقبة؛ فلو نظرت إليهما نظرة لعلك تستفيد منهما؛ فدخلت صوراً وأنا جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء، فدخلت المسجد فإذا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما أجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب، فقلت: نشدتكما بالله ألا رددتما عليّ السلام فرفع الشاب رأسه من مرقعته فنظر إليّ وقال: يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقي من القليل إلا القليل فخذ من القليل الكثير، يا ابن خفيف ما أقل شغلك حتى تتفرّغ إلى لقائنا؛ قال: فأخذ بكليتي ثم طأطأ رأسه في المكان فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي، فلما كان وقت العصر قلت: عظني؛ فرفع رأسه إليّ وقال: يا ابن خفيف نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة، فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا شيئاً ولا شربا، فلما كان اليوم الثالث قلت في سري: أحلفهما أن يعظاني لعلي أنتفع بعظتهما، فرفع الشاب رأسه إلي وقال: يا ابن خفيف عليك بصحبة من

والجريري وابن عطاء وغيرهم مات سنة ٣٧١ : **(خرجت من مصر أريد الرملة)** قاعدة فلسطين **(للقاء أبي علي)** أحمد بن محمد **(الروذباري)** رحمه الله تعالى أقام بمصر ومات بها سنة ٣٢٢، صحب الجنيد والنوري وابن الجلاء وغيرهم، وكان من أظرف المشايخ وأعلمهم بالطريقة **(فقال لي عيسى بن يونس المصري المعروف بالزاهد: إن في صور)** ثغر من ثغور الشام **(شاباً وكهلاً قد اجتمعا على حال المراقبة، فلو نظرت إليهما نظرة لعلك تستفيد منهما)**، فسافرت في البحر **(فدخلت صوراً وأنا جائع عطشان وفي وسطي خرقة وليس على كتفي شيء، فدخلت المسجد فإذا بشخصين قاعدين مستقبلي القبلة فسلمت عليهما فما أجاباني، فقلت: لعلهما لم يسمعاني، فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب، فقلت: نشدتكما بالله ألا رددتما علي السلام، فرفع الشاب رأسه من رقعته فنظر إلي وقال: يا ابن خفيف الدنيا قليل)** أي في نفسها بالإضافة إلى الآخرة **(وما بقي من القليل إلا القليل فخذ من القليل الكثير. يا ابن خفيف ما أقل شغلك حتى تتفرغ إلى لقائنا. فأخذ بكليتي)** أي مجامعي **(ثم طأطأ رأسه في المكان)** أي عاد للمراقبة من حينه، **(فبقيت عندهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب جوعي وعطشي وعنائي، فلما كان وقت العصر قلت: عظني فرفع رأسه إلي وقال: يا ابن خفيف** نحن أصحاب المصائب ليس لنا لسان العظة فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا آكل ولا **أشرب ولا أنام ولا رأيتهما أكلا شيئاً ولا شربا. ولما كان في اليوم الثالث قلت في سري: أحلفهما أن يعظاني لعلي أنتفع بعظتهما، فرفع الشاب رأسه وقال لي: يا ابن خفيف عليك** بصحبة من يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله، **ولا يعظك بلسان**

يذكرك الله رؤيته وتقع هيبته على قلبك يعظك بلسان فعله ولا يعظك بلسان قوله والسلام قم عنا. فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الإجلال والتعظيم فلم يبقَ فيهم متسع لغير ذلك.

الدرجة الثانية: مراقبة الورعين من أصحاب اليمين؛ وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم، ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حدّ الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال، إلا أنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة. نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبيت فيه، ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة فإنهم يرون الله في الدنيا مطلعاً عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة.

وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات؛ فإنك في خلوتك قد تتعاطى أعمالاً فيحضرك صبي أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحي منه فتحسن جلوسك وتراعي أحوالك، لا عن إجلال وتعظيم بل عن حياء فإن مشاهدته وإن كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فإنها تهيج الحياء منك. وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر

قوله والسلام قم عنا). وفيه كرامة لها حيث أنها عرفاه ونادياه باسمه إعلاماً من الله لها، وفيه أن المشغول بالله أهم ما يكون إليه شغل حاله واستغراقه يمنعه من الالتفات إلى الوعظ والنصيحة، وإنما يستدل بحاله ويتعظ له؛ (**فهذه درجة المراقبين الذين غلب على قلوبهم الإجلال والتعظيم**) والهيبة (**فلم يبق فيهم متسع لغير ذلك**).

(**الدرجة الثانية: مراقبة الورعين من أصحاب اليمين، وهم قوم غلب يقين إطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم لكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال**) بالكلية، (**بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال إلا أنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة. نعم غلب عليهم الحياء من الله تعالى فلا يقدمون**) على عمل (**ولا يحجمون إلا بعد التثبت**) فيه (**ويمتنعون من كل ما يفتضحون به في القيامة فإنهم يرون الله في الدنيا مطلعاً عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة**) ليسمعوا نداء الباري: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾ [غافر: ١٦] بل هذا النداء لا يفارق سمعهم أبداً.

(**وتعرف اختلاف الدرجتين بالمشاهدات فإنك في خلوتك قد تتعاطى أعمالاً فيحضرك صبي أو امرأة فتعلم أنه مطلع فتستحي منه فتحسن جلوسك وتراعي أحوالك لا عن إجلال وتعظيم بل عن حياء، فإن مشاهدته وإن كانت لا تدهشك ولا تستغرقك فإنها تهيج الحياء منك، وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك**

فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما أنت فيه شغلاً به، لا حياء منه فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة الله تعالى.

ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته، وبالجملة جميع اختياراته، وله فيها نظران: نظر قبل العمل، ونظر في العمل. أما قبل العمل، فلينظر أن ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره أهو لله خاصة أو هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان؟ فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق، فإن كان لله تعالى أمضاه وإن كان لغير الله استحيا من الله وانكف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله إليه وعرّفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها وأنها عدوّة نفسها وإن لم يتداركها الله بعصمته. وهذا التوقف في بداية الأمور إلى حدّ البيان واجب محتوم لا محيص لأحد عنه، فإن في الخبر: أنه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وإن صغرت ثلاثة دواوين: الديوان الأوّل، لِمَ؟ والثاني: كيف؟ والثالث: لمن؟ ومعنى «لِمَ» أي لم فعلت هذا أكان عليك أن تفعله لمولاك أو ملت إليه بشهوتك وهواك؟ فإن سلم منه بان كأنه عليه أن يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقيل له: كيف فعلت هذا، فإن

ما أنت فيه شغلاً به لا حياء منه؛ فهكذا تختلف مراتب العباد في مراقبة الله تعالى، ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته ولحظاته، وبالجملة جميع اختياراته، وله فيها نظران: نظر قبل العمل) أي قبل الشروع فيه، **(ونظر في العمل. أما قبل العمل، فلينظر أن ما ظهر له وتحرك بفعله خاطره أهو لله خاصة أو هو في هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى ينكشف له ذلك بنور الحق)** ويعلم الواجب من الأوجب والفاضل من الأفضل والمقدم من المؤخر وما يفوت على ما لا يفوت، **(فإن كان لله تعالى أمضاه وإن كان لغير الله استحيا من الله وانكف عنه)** فقد قيل: العمل على الحياء أفضل من العمل على الرجاء والخوف، **(ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمه به وميله إليه وعرفها سوء فعلها وسعيها في فضيحتها، وأنها عدوة نفسها إن لم يتداركها الله بعصمته، وهذا التوقف)** والتثبت **(في بداية الأمور إلى حد البيان)** والانكشاف **(واجب محتوم لا محيص عنه، ففي الخبر أنه ينشر للعبد في كل حركة من حركاته وإن صغرت ثلاثة دواوين الديوان الأول: لم)**؟ بكسر اللام ونصب الميم وأصله لما وهو للاستفهام. **(والثاني: كيف؟ والثالث: لمن)**؟ قال العراقي: لم أقف له على أصل.

قلت: لكن تقدم حديث: «الدواوين يوم القيامة ثلاثة» من حديث عائشة رواه أحمد والحاكم.

(ومعنى لم أي لم فعلت هذا أكان عليك أن تفعله لمولاك أو ملت عليه بشهوتك وهواك؟ فإن سلم عنه بأن كان عليه أن يعمل ذلك لمولاه سئل عن الديوان الثاني فقيل له:

لله في كل عمل شرطاً وحكماً لا يدرك قدره ووقته وصفته إلا بعلم فيقال له: كيف فعلت أبعلم محقق أم بجهل وظنّ؟ فإن سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو المطالبة بالإخلاص فيقال له: لمن عملت ألوجه الله خالصاً وفاء بقولك: «لا إله إلا الله» فيكون أجرك على الله؟ أو لمراءاة خلق مثلك فخذ أجرك منه؟ أم عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا؟ أم عملته بسهو وغفلة فقد سقط أجرك وحبط عملك وخاب سعيك؟ وإن عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي، إذ كنت عبداً لي تأكل رزقي وتترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري أما سمعتني أقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فابْتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزْقَ واعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧] ويحك أما سمعتني أقول: ﴿أَلا للهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، فإذا عرف العبد أنه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات طالب نفسه قبل أن تطالب وأعد للسؤال جواباً، وليكن الجواب صواباً فلا يبدىء ولا يعيد إلا بعد التثبت، ولا يحرّك جفناً ولا أنملة إلا بعد التأمل، وقد قال النبي ﷺ لمعاذ: «إن الرجل ليُسأل عن كحل عينيه وعن فته الطين بأصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه»، وقال الحسن: كان أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة

كيف فعلت هذا فإن لله في كل عمل شرطاً وحكماً لا يدرك قدره ووقته وصفته إلا بعلم، فيقال له: كيف فعلت أبعلم محفوظ أم بجهل وظن؟ فإن سلم من هذا نشر الديوان الثالث، وهو المطالبة بالإخلاص فيقال: لمن عملت ألوجه الله خالصاً وفاء بقولك «لا إله إلا الله» **فيكون أجرك على الله أو لمراياة خلق مثلك فخذ أجرك منه، أم عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيناك نصيبك من الدنيا، أم عملت بسهو وغفلة فقد سقط أجرك وحبط عملك وخاب سعيك، وإن عملت لغيري فقد استوجبت مقتي وعقابي إذ كنت عبداً لي تأكل رزقي وتترفه بنعمتي ثم تعمل لغيري، أما سمعتني أقول: ﴿إن الذين تدعون من دون الله** عباد أمثالكم﴾ **﴿إن الذي تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه﴾ [العنكبوت: ١٧] ويحك أما سمعتني أقول ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ فإذا عرف العبد أنه بصدد هذه المطالبات والتوبيخات)** إن خلص من الأول لا يخلص من الثاني والثالث، وإن خلص من الأول والثاني لا يخلص من الثالث، فإن الإخلاص عزيز (**طالب نفسه قبل أن تطالب وأعد للسؤال جواباً وللجواب صواباً فلا يبدىء ولا يعيد إلا التثبيت**) والتوقف، (**ولا يحرك جفناً ولا أنملة إلا بعد التأمل، وقد قال النبي ﷺ لمعاذ**) ابن جبل رضي الله عنه: «يا معاذ (**إن الرجل ليسأل عن كحل عينيه وعن فتات الطين بإصبعيه وعن لمسه ثوب أخيه**») تقدم أن العراقي قال: لم أجد له أصلاً مع أنه رواه أبو نعيم في

نظر وتثبت فإن كان لله أمضاه. وقام الحسن: رحم الله تعالى عبداً وقف عند همه فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر. وقال في حديث سعد حين أوصاه سلمان: «اتق الله عند همك إذا هممت» وقال محمد بن علي: إنّ المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كحاطب ليل. فهذا هو النظر الأوّل في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا إلا العلم المتين والمعرفة الحقيقية بأسرار الأعمال وأغوار النفس ومكائد الشيطان، فمتى لم يعرف نفسه وربّه وعدوّه إبليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله ويرضاه في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته، فلا يسلم في هذه المراقبة. بل الأكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ولا تظنن أنّ الجاهل يعذر على التعلم فيه بعذر هيهات! بل طلب العلم فريضة على كل مسلم، ولهذا كانت ركعتان

الحلية في حديث طويل أوله «يا معاذ إن المؤمن لدى الحق أستر يعلم أن عليه رقباء على سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وبطنه وفرجه» الحديث وفيه «يا معاذ إن المؤمن ليسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى عن كحل عينيه. يا معاذ إني أحب لك ما أحب لنفسي» الحديث.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(كان أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة نظر وتثبت فإن كان لله أمضاه)** نقله صاحب القوت. **(وقال الحسن)** أيضاً: **(رحم الله عبداً وقف عند همه فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر)** نقله صاحب القوت. **(وقال في حديث سعد)** بن أبي وقاص **(حين أوصاه سلمان)** رضي الله عنهما: **(اتق الله عند همك إذا هممت)** قال العراقي: رواه أحمد والحاكم وصححه، وهذا القدر منه موقوف وأوله حديث مرفوع كما تقدم. **(وقال محمد بن علي)**: يحتمل أن يكون هو ابن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويحتمل أن يكون هو أبو عبدالله محمد بن علي الترمذي الحكيم السابق ذكره قريباً: **(إن المؤمن وقاف متان يقف عند همه ليس كحاطب ليل)** وهو الذي يحتطب في ظلمة الليل، فلا يميز بين ما يسره مما يضر، **(فهذا هو النظر الأول في هذه المراقبة ولا يخلص من هذا إلا العلم المتين والمعرفة الحقيقية بأسرار الأعمال وأغوار النفس ومكايد الشيطان، فمتى لم يعرف نفسه وربه وعدوه إبليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحب الله ويرضاه في نيته وهمته وفكرته وسكونه وحركته، فلا يسلم في هذه المراقبة)** فوصف المراقبة للعبد إنما يحمد إذا كانت مراقبته لربه وقلبه، وذلك أن يعلم أن الله رقيبه وشاهده في كل شيء، ويعلم أن نفسه عدوة له والشيطان عدو له وأنهما ينتهزان منه الفرصة حتى يحملانه على الغفلة والمخالفة فيأخذ منهما حذره ويلاحظ مكامنهما وتلبيسهما ومواضع ابتغائهما حتى يسد عليهما المنافذ والمجاري؛ فهذه مراقبته وهذا كما ذكر يستدعي علماً متيناً، **(بل الأكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ولا تظنن أن الجاهل بما يقدر على التعلم فيه يعذر هيهات! بل طلب العلم فريضة على كل مسلم)** كما في الخبر وتقدم في كتاب العلم، **(ولهذا**

من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم، **لأنه يعلم آفات النفوس ومكائد الشيطان** ومواضع الغرور فيتقي ذلك، **والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه؟ فلا يزال الجاهل في** تعب والشيطان منه في فرح وشماتة، فنعوذ بالله من **الجهل والغفلة فهو رأس كل شقاوة** وأساس كل خسران. فحكم الله تعالى على كل **عبد أن يراقب نفسه عند همه بالفعل** وسعيه بالجارحة، فيتوقف عن الهم وعن السعي **حتى ينكشف له بنور العلم أنه لله تعالى** فيمضيه أو هو لهوى النفس فيتقيه ويزجر القلب **عن الفكر فيه وعن الهم به، فإنّ الخطوة** الأولى في الباطل إذا لم تدفع أورثت الرغبة، والرغبة **تورث الهم والهم يورث جزم** القصد، والقصد يورث الفعل، والفعل يورث البوار والمقت، **فينبغي أن نحسم مادة** الشر من منبعه الأوّل وهو الخاطر **فإن جميع ما وراءه يتبعه. ومهما أشكل على العبد ذلك** وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر في ذلك بنور العلم **ويستعيذ بالله من مكر الشيطان** بواسطة الهوى، فإن عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه **فيستضيء بنور علماء الدين، وليفرّ** من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا فراره من الشيطان بل أشدّ، **فقد أوحى الله تعالى إلى**

كانت ركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من غير عالم) كما ورد في الخبر وتقدم قريباً، **(لأنه يعلم آفات النفوس ومكايد الشيطان ومواضع الغرور فيتقي ذلك والجاهل لا يعرفه)**، ومن لا يعرفه **(فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تعب والشيطان منه في فرح وشماتة، فنعوذ بالله من الجهل والغفلة فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران، فحكم الله على كل عبد أن يراقب نفسه عند همه بالفعل)** أي قبل الشروع فيه **(و)** عند **(سعيه بالجارحة فيتوقف عن الهم وعن السعي حتى ينكشف له بنور العلم أنه لله تعالى فيمضيه أو هو لهوى النفس فيتقيه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الهم به، فإن الخطرة الأولى في الباطل إذا لم تدفع أورثت الرغبة)** فيها، **(والرغبة تورث الهم)** بها، **(والهم يورث جزم القصد)** بها، **(والقصد يورث)** حدوث **(الفعل)** في الحال، **(والفعل يورث البوار)** أي الهلاك **(والمقت)** والبعد عن الله تعالى؛ **(فينبغي أن تحسم مادة الشر من منبعه الأول وهو الخاطر)** الذي خطر أولاً، **(فإن جميع ما وراءه يتبعه، ومهما أشكل على العبد ذلك وأظلمت الواقعة فلم ينكشف له فيتفكر في ذلك بنور العلم ويستعيذ بالله من مكر الشيطان بواسطة الهوى)** وخواصه وتلبيسه، فإن انكشف له ذلك فهو المراد، **(فإن عجز عن الإجتهاد والفكر)** بطريق العلم **(بنفسه)** إما لقصوره في درجة العلم أو لمانع آخر **(فيستضيء بنور علماء الدين)** بالسؤال عنهم والتأدب بآدابهم، **(وليفر من العلماء المضلين المقبلين على الدنيا)** بعلومهم ومعارفهم **(فراره من الشيطان بل أشد، فقد)** ذكر المحاسبي في بعض كتبه أنه **(أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام:)** يا داود **(لا تسل عني عالماً أسكره حب الدنيا)**

داود عليه السلام: لا تسأل عني عالماً أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي. فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدّة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى، فإن مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستضيء بها من استدبرها وأقبل على عدوّها وعشق بغيضها ومقيتها وهي شهوات الدنيا؟ فلتكن همة المريد أوّلاً في أحكام العلم، أو في طلب عالم معرض عن الدنيا أو ضعيف الرغبة فيها إن لم يجد من هو عديم الرغبة فيها. وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات» جمع بين الأمرين وهما متلازمان حقاً فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد في الشبهات. ولذلك قال عليه السلام: «من قارف ذنباً فارقه عقل لا يعود إليه أبداً» فما قدر العقل الضعيف الذي سعد الآدمي به حتى يعمد إلى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب، ومعرفة آفات الأعمال قد اندرست في هذه الأعصار، فإن الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم

أي غلب على قلبه واستولى عليه حتى صار شبيه السكران المغلوب، (**فيقطعك عن محبتي. اولئك قطاع الطريق على عبادي فالقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الشره والتكالب عليها محجوبة عن نور الله تعالى**) لا تستقر فيها المعرفة أبداً، (**فإن مستضاء أنوار القلوب حضرة الربوبية، فكيف يستضيء بها من استدبرها وأقبل على عدوها وعشق بغيضها ومقيتها وهي شهوات الدنيا**)؟ والمقبل على حضرة الربوبية لا يلتفت إلى الشهوات ولا تخطر له على بال، والمقبل على الشهوات لا يشم رائحة الحضرة ولا يكون له نصيب منها؛ (**فلتكن همة المريد أولاً في أحكام العلم**) ومراعاته وليجعله منزلة أدامه ليقاتل به عدوه، (**أو في طلب عالم**) بصير متين العلم (**معرض عن الدنيا**) وشهواتها بأن لا يكون متلفتاً إليها (**أو ضعيف الرغبة فيها إن لم يجد من هو عديم الرغبة فيها**) فإن وجد أن ذلك في غالب الأزمنة عزيز، (**وقد قال رسول الله ﷺ «إن الله يحب البصر الناقد**) بالقاف أو هو بالفاء والذال (**عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات»**) قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية من حديث عمران ابن حصين وفيه حفص بن عمر العدني ضعفه الجمهور اهـ.

قلت: ورواه كذلك البيهقي في الزهد، وأبو مطيع في أماليه، والحافظ أبو مسعود سليمان بن إبراهيم الأصبهاني في كتاب الأربعين بلفظ «عند مجيء الشبهات وعند نزول الشهوات» وبزيادة «ويحب السماحة ولو على تمرات ويحب الشجاعة ولو على قتل حية» (**جمع بين الأمرين وهما متلازمان حقاً، فمن ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد في الشبهات، ولذلك قال ﷺ «من قارف ذنباً فارقه عقل لا يعود إليه أبداً»**) قال العراقي: لم أجده وتقدم، (**فما قدر العقل الضعيف الذي سعد الآدمي به حتى يعمد إلى محوه ومحقه بمقارفة الذنوب**) ومباشرتها (**ومعرفة آفات الأعمال**) ودقائقها، (**وقد اندرست في هذه الأعصار**

واشتغلوا بالتوسط بين الخلق في الخصومات الثائرة في اتباع الشهوات وقالوا هذا هو الفقه وأخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجرّدوا لفقه الدنيا الذي ما قصد به إلا دفع الشواغل عن القلوب ليتفرّغ لفقه الدين، فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه. وفي الخبر: « أنتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسيأتي عليكم زمان خيركم فيه المتثبت ». ولهذا توقف طائفة من الصحابة في القتال مع أهل العراق وأهل الشام لما أشكل عليهم الأمر كسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن عمر، وأسامة، ومحمد بن مسلمة وغيرهم. فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعاً لهواه معجباً برأيه وكان ممن

فإن الناس كلهم قد هجروا هذه العلوم وتركوها واشتغلوا بالتوسط بين الخلق في الخصومات الثائرة في اتباع الشهوات وقالوا: هذا هو الفقه) المشار إليه، (**وأخرجوا هذا العلم الذي هو فقه الدين**) ولباب العلوم كلها (**من جملة العلوم وتجردوا لفقه الدنيا الذي ما قصد به إلا دفع الشواغل عن القلوب ليتفرغ لفقه الدين، فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه. وفي الخبر « أنتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسيأتي عليكم زمان خيركم فيه المتثبت »**) قال العراقي: لم أجده. (**ولهذا توقف طائفة من الصحابة في القتال مع أهل العراق وأهل الشام**) أي عسكر معاوية (**لما أشكل عليهم الأمر كسعد بن أبي وقاص**) أحد العشرة، (**وعبدالله بن عمر**) بن الخطاب، (**وأسامة**) بن زيد حب رسول الله ﷺ، (**ومحمد بن مسلمة**) الأنصاري (**وغيرهم**) رضوان الله عليهم.

أما سعد؛ فقد ثبت أنه اعتزل الفتن بعد موت عثمان ونزل قصره بالعقيق وقال: لا أحد يدخل علي بخبر حتى مات. وقد روى أبو نعيم في الحلية من طريق أيوب السختياني قال: اجتمع سعد وابن مسعود وابن عمر وعمار بن ياسر فذكروا الفتنة فقال سعد: أما أنا فأجلس في بيتي ولا أدخل فيها.

ومن طريق عمر بن سعد عن أبيه أنه قال له: يا بنيّ أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأساً لا والله حتى أعطي سيفاً إن ضربت به مؤمناً نبا عنه وإن ضربت به كافراً قتله.

ومن طريق ابن سيرين قال: قيل لسعد: ألا تقاتل فإنك من أهل الشورى وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك؟ فقال: أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد.

وأما ابن عمر فإنه كذلك اعتزل في الفتن بعد موت عثمان، فقد روى أبو نعيم أيضاً من طريق نافع قال: قيل لابن عمر زمن ابن الزبير والخوارج والخشبية. أتصلي مع هؤلاء وبعضهم يقتل بعضاً؟ فقال: من قال حي على الصلاة أجبته ومن قال حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله قلت لا

ومن طريق عبدالله بن عبيد بن عمير عن ابن عمر قال: إنما هؤلاء فتيان قريش يقتتلون على

وصفه رسول الله ﷺ إذ قال: « فإذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقوله عليه السلام: « إياكم والظن فإنّ الظنّ أكذب الحديث » ، وأراد به ظناً بغير دليل كما يستفتي بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه ويتبع ظنه. ولصعوبة هذا الأمر وعظمه كان دعاء الصدّيق رضي الله تعالى عنه: اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطلاً وأرزقني اجتنابه ولا تجعله متشابهاً علي فاتبع الهوى. وقال عيسى عليه السلام: « الأمور ثلاثة: أمر استبان

هذا السلطان وعلى هذه الدنيا ما أبالي، أن لا يكون لي ما يقتل بعضهم بعضاً بنعلي هاتين الجرداوين.

وأما أسامة، فقال الحافظ في الإصابة: اعتزل الفتن بعد قتل عثمان إلى أن مات في آخر ولاية معاوية، وكان قد سكن المزة من دمشق ثم رجع فسكن وادي القرى، ثم رجع إلى المدينة فمات بها بالجرف سنة أربع وخمسين.

وأما محمد بن مسلمة؛ ففي الإستيعاب لابن عبد البرأنه كان ممن اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين. وقال حذيفة في حقه: إني لأعرف رجلاً لا تضره الفتنة فذكره، وصرح بسماع ذلك من النبي ﷺ أخرجه البغوي وغيره.

وأخرج ابن شاهين من طريق هشام عن الحسن أن محمد بن مسلمة قال: أعطاني رسول الله ﷺ سيفاً فقال « قاتل المشركين ما قوتلوا فإذا رأيت أمتي يضرب بعضهم بعضاً فأت به أحداً فاضربه حتى ينكسر ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو نية قاضية » ففعل. قال الحافظ: رجال هذا السند ثقات إلا أن الحسن لم يسمع من محمد بن مسلمة.

(فمن لم يتوقف عند الاشتباه كان متبعاً لهواه معجباً برأيه وكان ممن وصفه رسول الله ﷺ إذ قال « فإذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ») تقدم في ذم العجب. **(وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ وقوله ﷺ « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث »)** رواه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة بزيادة « ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً » الحديث وقد تقدم. **(وأراد به ظناً بغير دليل كما يستفتي بعض العوام قلبه فيما أشكل عليه ويتبع ظنه، ولصعوبة هذا الأمر وعظمه كان دعاء)** أبي بكر **(الصديق رضي الله عنه: اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه ولا تجعله متشابهاً علي فاتبع الهوى. وقال عيسى عليه السلام الأمور ثلاثة: أمر استبان رشده فاتبعه، وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل**

رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى عالمه » ، وقد كان من دعاء النبي ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم » ، فأعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق ، والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتناناً على عبده : ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾ [النساء : ١١٣] وأراد به العلم ، وقال تعالى : ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٤٢] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل : ١٢] ، وقال : ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة : ١٩] وقال : ﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل : ٩] ، وقال علي كرّم الله وجهه : الهوى شريك العمى ، ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ، ونعم طارد الهم اليقين ، وعاقبة الكذب الندم ، وفي الصدق السلامة ، رب بعيد أقرب من قريب ، وغريب من لم يكن له حبيب ، والصديق من صدق غيبه ، ولا يعدمك من حبيب سوء ظن ، نعم الخلق التكرم ، والحياء سبب إلى كل جميل ، وأوثق العرى التقوى ، وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك ، والرزق رزقان : رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك ، وإن كنت جازعاً على ما أصيب مما في يديك فلا تجزع على ما لم يصل إليك ، واستدل على ما لم يكن بما كان فإنما الأمور اشباه ، والمرء يسره درك ما لم

عليك فكله إلى عالمه) قال العراقي : رواه الطبراني من حديث ابن عباس بسند ضعيف ، **(وقد كان من دعاء النبي ﷺ « اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم »)** قال العراقي : لم أجده . **(فأعظم نعمة الله على عباده هو العلم ، وكشف الحق والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ، ولذلك قال تعالى امتناناً على عبده : ﴿وكان فضل الله عليك عظيماً﴾ وأراد به العلم . وقال تعالى ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ وقال تعالى ﴿إن علينا للهدى﴾)** أي دلالة الخير . **(وقال ﴿ثم إن علينا بيانه﴾)** أي كشفه . **(وقال : ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾)** أي السبيل المعتدل .

(وقال علي كرم الله وجهه : الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة) أي التثبت عند اشتباه الأمور من جملة التوفيق . **(ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة . رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب ، والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء ظن . نعم الخلق التكرم والحياء سبب إلى كل جميل ، وأوثق العرى التقوى ، وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى ، إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك ، والرزق رزقان : رزق تطلبه)** أي تتعنى في تحصيله **(ورزق يطلبك)** فيجيء لك من غير تعب ، **(فإن لم تأته أتاك)** وهو قدر القوت ، **(وإن كنت جازعاً على ما أصيب مما في يديك فلا تجزع على ما لم يصل إليك ، واستدل على ما لم يكن بما كان**

يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه، فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحاً وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفاً، وليكن سرورك بما قدّمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت. وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله: «ومن التوفيق التوقف عند الحيرة».

فإذاً النظر الأول للمراقب نظره في الهم والحركة أهي لله أم للهوى؟ وقد قال ﷺ: «ثلاث من كنَّ فيه استكمل إيمانه: لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يرائي بشيء من عمله، وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا» وأكثر ما ينكشف له في حركاته أن يكون مباحاً ولكن لا يعنيه فيتركه لقوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

فإنما الأمور أشباه والمرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه، فما نالك من دنياك فلا تكثرت به فرحاً وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفاً، وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت) أروده الشريف الموسوي في نهج البلاغة مفرقاً في مواضع وفيه بعد قوله: فإن لم تأته أتاك فلا تحمل هم سنتك على هم يومك فإن الله يأتيك في كل غد جديد ما قسم لك، وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهم لما ليس لك، ولن يسبقك إلى رزقك طالب، ولن يغلبك عليه غالب، ولن يبطىء عنك ما قدر لك. (**وغرضنا من نقل هذه الكلمات**) مع اختلافها في بعضها وكون كل كلمة منها بإسناد مستقل (**قوله «ومن التوفيق التوقف عند الحيرة»**) وقد مضى معناه.

(**فإذاً النظر الأول للمراقب نظره في الهم والحركة أهي لله أم للهوى**) وذلك قبل العمل (**وقد قال ﷺ: «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه**): رجل (**لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يرائي بشيء من عمله، وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا»**) رواه الديلمي وابن عساكر من حديث أبي هريرة وفيه سالم بن عبد الواحد المرادي مختلف فيه وقد تقدم. (**وأكثر ما ينكشف له في حركاته أن يكون مباحاً ولكن لا يعنيه**) أي لا يهتم به (**فيتركه لقوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**) رواه الترمذي وقال غريب وابن ماجه والبيهقي من حديث أبي هريرة. ورواه الشيرازي في الألقاب من حديث أبي ذر، ورواه الحاكم في الكنى من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ورواه أحمد والعسكري في الأمثال، والطبراني وأبو نعيم وابن عبد البر في التمهيد عن علي بن الحسين عن أبيه رفعه. ورواه مالك والترمذي والبيهقي عن علي بن الحسين مرسلاً، ورواه ابن عساكر عن علي بن الحسين عن الحارث بن هشام، ورواه العسكري عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده وقد تقدم.

النظر الثاني: للمراقبة عند الشروع في العمل، وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في إتمامه ويتكمل صورته ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه، وهذا ملازم له في جميع أحواله فإنه لا يخلو في جميع أحواله عن حركة وسكون، فإذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الأدب، فإن كان قاعداً مثلاً فينبغي أن يقعد مستقبل القبلة لقوله ﷺ: «خير المجالس ما استقبل به القبلة»، ولا يجلس متربعاً إذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك مطلع عليه. قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: جلست مرة متربعاً فسمعت هاتفاً يقول هكذا تجالس الملوك؟ فلم أجلس بعد ذلك متربعاً وإن كان ينام، فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في مواضعها، فكل ذلك داخل في المراقبة بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة. فإذاً لا يخلو العبد إما أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح. فمراقبته في الطاعة بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات. وإن كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم

(النظر الثاني للمراقبة عند الشروع في العمل، وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضي حق الله فيه ويحسن النية في إتمامه ويكمل صورته ويتعاطاه على أكمل ما يمكنه) ساداً لمظان الآفات الداخلة عليه، ولا يمكن هذا إلا بعد التثبت والتمييز، فإذا اعتبر ذلك ورجع عنده أحد العلمين بصحة المعرفة أقبل عليه بكنه الهمة بسببه وآدابه وهيئاته، **(وهذا ملازم في جميع أحواله فإنه لا يخلو في جميع أحواله عن حركة وسكون، فإذ راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالنية وحسن الفعل ومراعاة الأدب، فإن كان قاعداً مثلاً فينبغي أن يقعد مستقبل القبلة لقوله ﷺ «خير المجالس ما استقبل به القبلة»)** رواه الحاكم في حديث طويل وابن جرير من حديث ابن عباس، ورواه أبو نعيم، وفي طريقه الديلمي من حديث ابن عمر، ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق إلا أنه قال «أكرم المجالس ما استقبل بها القبلة» وقد تقدم في كتاب الصلاة، **(ولا يجلس متربعاً)** بل كهيئة التشهد، **(إذ لا يجالس الملوك كذلك وملك الملوك)** جل جلاله **(مطلع عليه. قال إبراهيم بن أدهم)** رحمه الله تعالى: **(جلست مرة متربعاً فسمعت هاتفاً يقول: هكذا تجالس الملوك فلم أجلس بعد ذلك متربعاً)** رواه أبو نعيم في الحلية، **(وإن كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع)** مراعاة **(سائر الآداب التي ذكرناها في مواضعها)** من هذا الكتاب، **(فكل ذلك داخل في المراقبة، بل لو كان في قضاء الحاجة فمراعاته لآدابها وفاء بالمراقبة)** وهكذا جميع الأعمال، **(فإذاً لا يخلو العبد إما أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح، فمراقبته في الطاعة بالإخلاص والإكمال)** بأن يخلص فيها ولا ينقصها، **(ومراعاة الآداب)** والاحترام

والإقلاع والحياء والاشتغال بالتفكر. وإن كان في مباح فمراقبته بمراعاة الأدب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها، ولا يخلو العبد في جملة أحواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله تعالى عليه إما فعل يلزمه مباشرته أو محظور يلزمه تركه أو ندب حث عليه ليسارع به إلى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته. ولكل واحد من ذلك حدود لا بدّ من مراعاتها بدوام المراقبة: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١]، فينبغي أن يتفقد العبد نفسه في جميع أوقاته في هذه الأقسام الثلاثة فإذا كان فارغاً من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي أن يلتمس أفضل الأعمال ليشتغل بها فإنّ من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون، والأرباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]، وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة، فإن الساعات ثلاث: ساعة مضت لا تعب فيها على العبد كيفما انقضت في مشقة أو رفاهية. وساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدري العبد

(وحراستها) أي الطاعة (عن) مظان (الآفات) العارضة عليها (وإن كان في معصية فمراقبته بالتوبة والندم والإقلاع والحياء) واستشعار الهيبة والانكسار (والاشتغال بالتكفير) باتباع السيئة الحسنة، (وإن كان في مباح فمراقبته بمراعاة الأدب ثم بشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها، ولا يخلو العبد في جملة أحواله عن بلية لا بد له من الصبر عليها ونعمة لا بد) له (من الشكر عليها، وكل ذلك من المراقبة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرض لله عليه إما فعل يلزمه مباشرته، أو محظور يلزمه تركه، أو ندب حث عليه يسارع به إلى مغفرة الله تعالى ويسابق به عباد الله، أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعته، ولكل واحد من ذلك حدود) معلومة (لا بد من مراعاتها بدوام المراقبة) قال الله تعالى: (﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ فينبغي أن يتفقد العبد نفسه في جميع أوقاته في هذه الأقسام الثلاثة فإن كان فارغاً عن الفرائض) بأن كان قد أداها (وقدر على الفضائل) وهي الزائد على الفرائض، (فينبغي أن يلتمس أفضل الأعمال ليشتغل بها) ويعمر بها أوقاته، (فإن من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون) في تجارته، (والأرباح تنال بمزايا الفضائل فبذلك يأخذ العبد من دنياه) ما يكون ذخيرة (لآخرته كما قال تعالى ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾) أي فالدنيا مزرعة للآخرة منها يتزود للمعاد، (وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة فإن الساعات ثلاثة) لا غير منها: (ساعة مضت لا تعب فيها على العبد كيفما انقضت في مشقة أو في رفاهية، و) منها

أيعيش إليها أم لا ولا يدري ما يقضي الله فيها، وساعة راهنة ينبغي أن يجاهد فيها نفسه ويراقب فيها ربّه. فإن لم تأتِه الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وأتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الأولى. ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها بل يكون ابن وقته كأنه في آخر أنفاسه فلعله آخر أنفاسه وهو لا يدري، وإذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة، وتكون جميع أحوال مقصورة على ما رواه أبو ذر رضي الله تعالى عنه من قوله عليه السلام: «لا يكون المؤمن طامعاً إلا في ثلاث: تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم» وما روي عنه أيضاً في معناه: «وعلى

(ساعة مستقبلة لم تأت بعد لا يدري العبد أيعيش إليها أم لا ولا يدري ما يقضي الله فيها) فهو غيب. (**و**) منها (**ساعة راهنة**) وهي الموجودة في الحال (**ينبغي أن يجاهد نفسه فيها ويراقب فيها ربه**) ولله در القائل:

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

(**فإن لم تأته الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وإن أتته الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من**) الساعة (**الأولى، ولا يطول أمله خمسين سنة فيطول عليه العزم على المراقبة فيها، بل يكون ابن وقته**) قال القشيري في الرسالة: وقد يعنون بالوقت ما هو فيه من الزمان فإن قوماً قالوا: الوقت ما بين الزمانين يعني الماضي والمستقبل، ويقولون: الصوفي ابن وقته يريدون بذلك أنه مشتغل بما هو أولى به في الحال قائم بما هو مطالب به في الحين، وقيل: الفقير لا يهمه ماضي وقته وآتيه بل يهمه وقته الذي هو فيه، وقيل: الاشتغال بفوات وقت ماض تضييع وقت يأتي اهـ.

(**كأنه في آخر أنفاسه فلعله آخر أنفاسه وهو لا يدري، وإذا أمكن أن يكون آخر أنفاسه، فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحال، وتكون جميع أحواله مقصورة على ما رواه أبو ذر**) الغفاري (**رضي الله عنه من قوله ﷺ «لا يكون المؤمن ظاعناً إلا في ثلاث: تزود لمعاد، أو مرمة**) أي إصلاح (**لمعاش، أو لذة في غير محرم»**) قال العراقي: رواه أحمد وابن حبان والحاكم وصححه أنه ﷺ قال «إنه في صحف موسى» وقد تقدم اهـ.

قلت: رواه الفريابي والحسن بن سفيان والطبراني، ومن طرقهم أبو نعيم في الحلية، قال الطبراني: حدثنا أحمد بن أنس بن مالك قال: هو وابن سفيان والفريابي، أخبرنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، حدثني أبي، عن جده، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر قال: دخلت المسجد وإذا برسول الله ﷺ جالس وحده فجلست إليه فقال: «يا أبا ذر إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان» ثم ساقوا الحديث بطوله في مساءلة أبي ذر رسول الله ﷺ وفيه فقلت: يا رسول الله فما

العاقل أن تكون له أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى، وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب» فإن في هذه الساعة عوناً له على بقية الساعات. ثم هذه الساعة التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لا ينبغي أن يخلو عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر، فإن الطعام الذي يتناوله مثلاً فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح. والناس فيه أقسام: قسم ينظرون إليه بعين التبصر والاعتبار، فينظرون في عجائب صنعته وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لأسبابه، وخلق الشهوات الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر، وهذا مقام ذوي الألباب. وقسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهية ويلاحظون

كانت صحف إبراهيم؟ قال «كانت أمثالاً كلها فذكر فيها وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا لثلاث» فذكروا باقي الحديث.

(وما روي عنه أيضاً في معناه «وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى، وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب» فإن في هذه الساعة عوناً له على بقية الساعات). قال العراقي: هو بقية الحديث الذي قبله

قلت: هذه الجملة ذكرت في الحديث السابق قبل الجملة المذكورة آنفاً ولفظهم: وكان فيها أمثال على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن تكون له ساعات، وذكروه كسياق المصنف إلا أنه إلى قوله «للمطعم والمشرب». وقال أبو نعيم بعد أن ساق الحديث بطوله: السياق للحسن بن سفيان. ورواه المختار بن غسان، عن إسماعيل بن مسلم، عن أبي إدريس رواه علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن أبي ذر، ورواه عبيد بن الخشخاش عن أبي ذر، ورواه معاوية بن صالح عن محمد بن أيوب عن ابن عائذ عن أبي ذر، ورواه ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر بطوله. تفرد به يحي بن سعيد العبشمي وقد تقدم ذلك.

(ثم هذه الساعة التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والمشرب لاينبغي أن يخلو عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر، فإن الطعام الذي يتناوله مثلاً فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح، والناس فيه أقسام:)

منهم: **(قسم ينظرون إليه بعين التبصرة والاعتبار فينظرون في عجائب صنعته وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لأسبابه وخلق الشهوة الباعثة عليه وخلق الآلات المسخرة للشهوة فيه، كما فصلنا بعضه في كتاب الشكر، وهذا مقام ذوي الألباب)**

وجه الاضطرار إليه وبودهم لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه مسخرين لشهواته، وهذا مقام الزاهدين. وقوم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها إلى صفات الخالق، فتكون مشاهدة ذلك سبباً لتذكر أبواب من الفكر تنفتح عليهم بسببه، وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين، إذ المحب إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع، وكل ما يتردد العبد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منه إلى الصانع مجال رحب إن فتحت له أبواب الملكوت وذلك عزيز جداً. وقسم رابع ينظرون إليه بعين الرغبة والحرص، فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملته، ويذمون منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ، ولا يعلمون أن الفاعل للطبيخ والطباخ ولقدرته ولعلمه هو الله تعالى، وإن من ذم شيئاً من خلق الله بغير إذن الله فقد ذم الله ولذلك قال النبي ﷺ: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»، فهذه المرابطة الثانية بمراقبة الأعمال على

(و) منهم (**قسم ينظرون فيه بعين المقت والكراهة ويلاحظون وجه الاضطرار إليه، وبودهم**) أنهم (**لو استغنوا عنه**) لكان أجمع لهممهم، (**ولكن يرون أنفسهم مقهورين فيه**) مضطرين إليه (**مسخرين لشهواته**) فيتناولونه ناظرين لذلك، (**وهذا مقام الزاهدين**)

(و) منهم (**قسم يرون في الصنعة الصانع ويترقون منها إلى صفات الخالق، فتكون مشاهدة ذلك سبباً لتذكر أبواب من الفكرة تنفتح عليهم بسببه وهو أعلى المقامات، وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين، إذ المحب إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع، وكل ما يتردد العبد فيه من صنع الله تعالى فله في النظر منه إلى الصانع مجال رحب إن فتحت له أبواب الملكوت وذلك عزيز جداً**) ودوامه أعز منه.

(و) منهم (**قسم رابع ينظرون إليه بعين الرغبة والحرص فيتأسفون على ما فاتهم منه ويفرحون بما حضرهم من جملته ويذمون منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ، ولا يعلمون أن الفاعل للطبخ والطباخ، ولقدرته ولعلمه هو الله تعالى**) وحده لا شريك له في فعله، (**وأن من ذم شيئاً من خلق الله بغير إذن الله فقد ذم الله، ولذلك قال النبي ﷺ «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي هريرة هـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والروياني والضياء من حديث أبي قتادة، ورواه ابن عساكر من حديث جابر.

الدوام والاتصال وشرح ذلك بطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن أحكم الأصول.

(فهذه المرابطة الثانية بمراقبة الأعمال على الدوام والاتصال وشرح ذلك يطول وفيما ذكرناه تنبيه على المنهاج لمن أحكم الأصول)، وحيث انتهى الكلام على هذه المرابطة بمراقبة الأعمال على الدوام، فلنذكر تفصيل ما أورده مشايخ السادة النقشبندية قدس الله أرواحهم الزكية في هذا الباب، فإنهم أحظى الناس بهذه المرابطة دون سائر أرباب السلوك.

اعلم أنهم قالوا: إن المراقبة نسبة زكية وعبودة خفية، فمن تحقق بها نور الله قلبه بنور المعرفة وشرح صدره بكشف الحقيقة، فلم تخطىء فراسته ولم تبطىء مكاشفته وصح له التصريف في عالمي الملك والملكوت والتقريب في حضرة الجبروت، وحسنت معاملته مع الله تعالى في جميع الحالات، وتمت له عمارة الأوقات. لكونها أعظم العبادات كانت خواص الصحابة يشتغلون بدوامها في سائر الحالات وهي من الطرق الموصلة إلى المشاهدات وهي على ثلاثة أنواع: الأول: استدامة العلم باطلاع الحق عليه في جميع الأحوال مع مراعاة الاتباع بجميع الأحكام. الثاني: مطالعة أثمار الأسماء والصفات والمسارعة إلى الله بالوصول بجميع العبادات. الثالث: مكاشفة أسرار حقائق الأسماء والصفات ومشاهدة أنوار تجليات الذات، وهذا النوع درجة الولاية الصغرى وهو غاية ما يبلغه السالكون بالمراقبة. وفي هذه المراقبة يحصل له مقام الفناء وتنتفي الحالات وتثبت المقامات.

وأما كيفية المراقبة: فأن يكون السالك طاهر الظاهر والباطن والمكان حاضر القلب مع الله مرفوعاً عن الوساوس والخيالات محفوظاً عن سائر المشوشات يجلس مستقبل القبلة على ركبتيه غامض العينين متبرئاً عن حوله وقوته ناسياً جميع علمه ومعرفته معطلاً حواس ظاهره وقوى باطنه، ثم يتوجه بالقلب المطلق مع الجذبة الإلهية إلى جناب ذات الحق على طريق الاستهلاك فيه حتى يزول عنه تزاحم الخواطر بالكلية وتغلب روحانيته على جسمانيته ولا ينفك عن هذه الحالة، فإذا استقرت وكانت له كالصفة اللازمة أمكن له الاستقامة والتقرب بسائر الأعمال، وفي مقام المراقبة حالة أخرى تسمى عندهم بالوقوف القلبي وهو عبارة عن التوجة إلى حقيقة الروح الإنساني من جهة القلب، لأن الروح الإنساني محيطة بجميع ما في الحضرة الربوبية إحاطة انطباعية مطابقة للوجود في نفس الأمر، فمن توجه إلى روحه من قلبه فقد ينكشف له ما في حضرة الربوبية من الأسرار فيصل بذلك إلى معرفة ربه بالمعرفة الشهودية، لأن حقيقة الروح الإنساني كالمرآة لتلك الحضرة لما فيه من القوة العقلية التي هي جوهر إلهي، فمن كشف ذلك الجوهر رأى فيه جميع صفات الله وأسمائه وذاته تعالى بالانطباع الظلي، ورأى فيه أيضاً جميع الموجودات العقلية والحسية وكيفية الاشتغال بالوقوف القلبي أن يجرد السالك أولاً عقله من جميع الإدراكات، ثم يعطل جميع قواه وحواسه عن أحكامها، ثم يسلخ نفسه عن الهيكل الجسماني، وبعد ذلك يتوجه بالبصيرة إلى حقيقة القلب على طريق الاستغراق والاستهلاك ويداوم على ذلك فكلما يزداد توجهه إلى حقيقة القلب تزداد معرفته لنفسه، وكلما تزداد معرفته لنفسه تزداد معرفته لربه سبحانه.

....

والحاصل أنه لا بد في هذه الصورة من التجرد عن الذوات الجسمانية ولواحقها ونحو العلوم الرسمية وملازمة التوجه إلى حقيقة القلب على الدوام ليتم له الإنجلاء الروحاني الغير المقيد بشيء من عوارض الأجسام، فيرى حقيقة قلبه في تلك الحالة نوراً بسيطاً محتوياً بجميع ما كان وما يكون.

وصورة أخرى من الوقوف القلبي أن يتوجه السالك إلى دائرة قلبه بعد تجريده عن الشواغل، ثم يلاحظ بدنه في وسط تلك الدائرة كالكرة ويخيل روحه نافذاً من أقطار السموات والأرض، ويستغرق في تلك الملاحظة على الدوام ويرجع إليها كلما يذهل عنها إلى أن يفنى عن ملاحظة تلك الكرة المفروضة ويتعطل جميع قواه وحواسه عن أحكامها، فعند حصول هذه الحالة يظهر له أن روحه نوراني محض ويستهلك جميع ما في السموات والأرض في تلك النورانية حتى لا يبقى في الوجود في نظره غير روحه الذي هو الأمر الإلهي، وبعد ذلك تستهلك نورانية الروح أيضاً نور الحق سبحانه لأن دائرة نور الروح متصلة بأفق نور الحق سبحانه، ونور الحق غالب على جميع الأنوار وجميع الأنوار متلاش عند ظهور الحق كتلاشي سائر الأضواء عند ظهور ضوء الشمس، فحينئذ لا يبقى في الظهور إلا نور الحق الذي هو الوجود المطلق جلت عظمته، وهذا هو حقيقة الحقائق.

وصورة أخرى من الوقوف القلبي أن يتوجه السالك إلى قلبه ثم يتصور روحه في قلبه نوراً محضاً بلا نهاية ويتصور في حق روحه النور إلى صورة بدنه وصور العالم كالطير في الهواء ويتصور روحه محيطاً بتلك الصورة، وتلك الصور محاطة بذلك الروح وهو ينظر إلى تلك الصور في جو الروح ويستغرق في النظر إليها حتى يتحد بتلك الصور في التصور، ويزداد في الاتحاد بتلك الصور بالتشوق إليها حتى يتخيل أنه تلك الصور، ويداوم على ذلك التصور بالتكرار فيه حتى يكون كأنه هو الحقيقة النوعية الكلية لجميع العالم التي لا نهاية ولا انقسام لها، بل يكون وحدة صرفة بمجموع تلك الصور، فمن جعل روحه متكيفاً بهذه الكيفية عرف حقيقة روحه لأن حقائق العالم كلها منطوية في الروح الإنساني والروح الإنساني حاو عليها، فمن عرف روحه بتلك الجمعية للحقائق كلها فقد عرف روحه وبه يتصل إلى معرفة ربه جل وعز.

وصورة أخرى من الوقوف القلبي أن يتوجه إلى قلبه بعد تجريد نفسه ويتصور فيه نوراً بسيطاً وحدانيا مجرداً عن الكيفيات كلها غير متعلق بشيء ظاهر أعلى العالم الجسماني، كظهور الشمس على الجسمانيات بالنسبة إلى ذلك النور البسيط كالذرة في شعاع الشمس، ثم يعلق نظره بذلك النور البسيط ويداوم على ذلك النظر لذلك النور البسيط حتى يستغرق في ذلك النظر بحيث لا يبقى له شعور لغير ذلك النظر، فعند ذلك يتجلى له نور الحق سبحانه لأن جميع الأنوار المجردة ينتهي إلى نور الحق سبحانه.

وصورة أخرى من الوقوف القلبي أن يتوجه إلى قلبه ويلاحظ فيه أن نظر الله محيط به من جميع الجهات ويجعل ذاته محاطة بنظر الله تعالى، ويستمر على تلك الملاحظة. وبهذا الاستمرار تصغر ذاته

....

تحت نظر الله تعالى حتى لا يبقى لها بالتدريج أثر من الوجود فيفنى عن وجوده الإمكاني ولا يشاهد فيه ولا في الأشياء كلها إلا وجود الحق سبحانه وقد وصل.

فصل

في شروط المراقبة وآدابها التي من داوم عليها يترقى منها إلى مقام المشاهدة.

فشروطها أن تكون المراقبة بإذن الشيخ وتعليمه وتربيته وتلقينه، وأن تكون مع الجذبة القوية وبعد قطع العلائق الحسية والمعنوية، وبعد ترك النسب والاضافات، وبعد الوقوف عند الواردات. وأما آدابها، فهي دوام السكوت وملازمة البيوت وكف الحواس عن الإحساس وتعطيل القوى عن الإدراك وترك الاشتغال بالكتابة ومطالعة الكتب والإعراض عن اتباع النفس في طلب العلوم والمعرفة ومخالفة الهوى وترك الآمال والأطماع والخروج عن كل داعية تدعو إلى السوى والسعي في طريق الوصول إلى الله تعالى ودوام التوجه إلى لقائه وترك الطمع عن المقامات والاجتناب عن الكرامات والتأدب مع الله في الظاهر والباطن، ومراقبته في جميع المظاهر، فمن داوم على المراقبة بهذه الشروط والآداب يتقرب إلى ذلك الجناب، ويبلغ مبلغ الرجال، ويشاهد الجلال والجمال، وتصح له التربية والتلقين والإرشاد إلى رب العالمين.

فصل

قالوا: المراقبة من أقرب الطرق إلى الله تعالى من حيث التقرب إليه، وهذه الأقربية ليست على إطلاقها بالنسبة إلى أهل الجذبة، فإنها أقرب الطرق في حقهم. وأما بالنسبة إلى السالك فتكون أبعد الطرق لأن السلوك يقتضي الرياضيات والمجاهدات في أوائله فلا تنفعه المراقبة ابتداء، وهذا موكول إلى فراسة الشيخ البصير العارف، فإن رأى في مريده الجذبة الإلهية غالبة عليه شغله بمراقبة اسم الذات، وإن رآه عارياً عنها أمره بالنفي والإثبات وملازمة الرياضات حتى يتمكن الذكر من قلبه فينجذب إلى الله تعالى بقلبه، فحينئذ يشغله بالمراقبة وذلك على الترتيب والتدريج. وقد قالوا: إن اسم الذات ذكر المجردين عن قيد السوى والنفي والإثبات ذكر المقيدين بقيد السوى، لأن مقام صاحب اسم الذات فرق مجرد كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿قل الله ثم ذرهم﴾ [الأنعام: ٩١] الخ. ومقام صاحب النفي والإثبات فرق مقيد كما أشار إليه الحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله» فلكون اسم الذات من الأسماء الجبروتية، والنفي والإثبات من الأسماء الملكية كان الوصول بذكر اسم الذات إلى عالم الجبروت لأهل الجذبة أقرب من الوصول إليه بذكر النفي والإثبات، وحيث قد فرغنا من ذكر المراقبة ومتعلقاتها فلنعد إلى شرح كلام المصنف قال رحمه الله تعالى.

المرابطة الثالثة: محاسبة النفس بعد العمل. ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها:

أما الفضيلة: فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله ولتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الأعراف: ٢٠١] وهذه إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال، ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا، وفي الخبر: أنه عليه السلام جاءه رجل فقال: يا رسول الله أوصني فقال: « أمستوص أنت » فقال: نعم، قال: « إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمضه وإن كان غياً فانته عنه ». وفي الخبر: وينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه. وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إلى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه بالندم عليه. وقد قال النبي ﷺ: « إني لاستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة »، وقال الله تعالى: ﴿إنَّ الَّذِينَ اتَّقَوا إذَا مَسَّهُمْ طائف مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فإذا هُم مُبْصِرُونَ﴾

(**المرابطة الثالثة: محاسبة النفس بعد العمل**) ولواحقها الاعتصام والاستقامة، (**ولنذكر فضيلة المحاسبة ثم حقيقتها.**).

(**أما الفضيلة: فقد قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾**) ليوم القيامة سماه به لدنوه أو لأن الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم، وأما تنكير نفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال: فلتنظر نفس واحدة ذلك، (**وهذه إشارة إلى أن المحاسبة على ما مضى من الأعمال**) أي أنها تدل على النظر بعد الفراغ من العمل، (**ولذلك قال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا**) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق ثابت بن الحجاج وقد تقدم قريباً. (**وفي الخبر أنه ﷺ جاءه رجل فقال: يا رسول الله أوصني. فقال« أمستوص أنت »**) أي قابل وصيتي (**فقال: نعم. قال « إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فامضه وإن كان غياً فانته عنه »**) تقدم للمصنف ذلك قريباً من حديث عبادة بن الصامت، وهو في كتاب الزهد لابن المبارك من مرسل أبي جعفر الهاشمي وتقدم الكلام عليه. (**وفي الخبر: « وينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه »**) تقدم قريباً من حديث أبي ذر. (**وقال الله تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾**) تقدم الكلام عليه في كتاب التوبة. (**والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منه**) بالندم عليه، (**وقد قال النبي ﷺ**) « إنه ليغان على قلبي، و (**إني لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة »**)تقدم غير مرة. (**وقال الله تعالى ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾**) وذكر الكمال الصوفي أن هذه الآية تدل على النظر في بداية

[الأعراف: ٢٠١] ، وعن عمر رضي الله تعالى عنه ؛ أنه كان يضرب قدميه بالدرة إذا جنه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم؟ وعن ميمون بن مهران أنه قال: لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة شريكه والشريكان يتحاسبان بعد العمل. وروي عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت: ما أحد من الناس أحبّ إليَّ من عمر، ثم قال لها كيف قلت؟ فأعادت عليه ما قال فقال: لا أحد أعزّ عليَّ من عمر فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها! وحديث أبي طلحة حين شغله الطائر في صلاته فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى، ندماً ورجاء للعوض مما فاته. وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فقيل له يا أبا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما يكفونك هذا، فقال: أردت أن أجرب نفسي هل تنكره؟ وقال الحسن: المؤمن قوّام على نفسه يحاسبها لله، وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة. ثم فسر المحاسبة فقال: إن المؤمن يفجؤه

العمل. (و) يروى (**عن عمر رضي الله عنه أنه كان يضرب قدميه بالدرة إذا جنه الليل ويقول لنفسه: ماذا عملت اليوم**) وهذا يدل على المحاسبة بعد العمل. (و) يروى (**عن ميمون بن مهران**) الجزري العابد (**أنه قال: لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد محاسبة شريكه**، والشريكان) إنما (**يتحاسبان بعد العمل. وروي عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر رضوان الله عليه قال لها عند الموت: ما أحد من الناس أحب إلي من عمر، ثم قال لها: كيف قلت؟ فأعادت عليه ما قال. فقال: ما أحد أعز علي من عمر**) فأبدل أحب بأعز. (**فانظر كيف نظر بعد الفراغ من الكلمة فتدبرها وأبدلها بكلمة غيرها**) وبين الكلمتين فرق كبير. (**وحديث أبي طلحة**) زيد بن سهل الأنصاري رضي الله عنه (**حين شغله الطائر في صلاته**) بأن اتبع نظره إليه حتى لم يدر كم صلى، (**فتدبر ذلك فجعل حائطه صدقة لله تعالى ندماً وجاء للعوض عما فاته**) وهذا عقوبة التقصير وهي سنة الأولياء وقد تقدم في كتاب الصلاة. (**وفي حديث**) عبدالله (**بن سلام**) رضي الله عنه (**أنه حمل حزمة من حطب فقيل له: يا أبا يوسف قد كان في بنيك وغلمانك ما يكفونك هذا. فقال: أردت أن أجرب نفسي هل تنكره**) فهذه محاسبة بعد العمل، وكان له من الأولاد يوسف وعبدالله. وفي الصحيح عن سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبدالله بن سلام. قال الطبري وغيره: مات بالمدينة سنة ٤٣. (**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**المؤمن قوام على نفسه**) أي كثير القيام عليها والمراعاة لها (**يحاسبها لله، وإنما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، ثم فسر المحاسبة فقال: إن المؤمن يفجؤه الشيء**)

الشيء يعجبه فيقول والله إنك لتعجبني وإنك من حاجتي ولكن هيهات حيل بيني وبينك! وهذا حساب قبل العمل، ثم قال: ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا؟ والله لا أعذر بهذا والله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله! وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يوماً وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في الحائط؛ عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ، والله لتتقين الله أو ليعذبنك. وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢] قال: لا يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي؟ ماذا أردت بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه. وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: رحم الله عبداً قال لنفسه: ألست صاحبة كذا، ألست صاحبة كذا؟ ثم ذمها ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائداً، وهذا من معاتبة النفس كما سيأتي في موضعه، وقال ميمون بن مهران: التقيُّ أشدّ محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح. وقال ابراهيم التيمي: مثلت نفسي في الجنة آكل من

أي يرد عليه بغتة (**يعجبه فيقول: والله إنك لتعجبني وإنك لمن حاجتي، ولكن هيهات حيل بيني وبينك**) أي فيتركه، (**وهذا حساب قبل العمل، ثم قال: ويفرط منه الشيء**) أي يصدر منه بداراً (**فيرجع إلى نفسه فيقول: ماذا أردت بهذا والله لا أعذر بهذا**) أي لا يقبل عذري، (**والله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله**) تعالى. فهذا حساب بعد العمل. (**وقال أنس ابن مالك**) رضي الله عنه: (**سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً وقد خرج**) لحاجته (**وخرجت معه فدخل حائطاً**) من الحيطان (**فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في الحائط**) إذ تخلفت عنه: (**عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ والله لتتقينّ الله أو يعذبنك**) فهذا منه محاسبة للنفس. (**وقال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى (**في قوله تعالى ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ قال: لا يلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتي ماذا أردت بأكلتي ماذا أردت بشربتي؟ والفاجر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه**) رواه عبد بن حميد وابن أبي الدنيا في كتاب مجاهدة النفس. وروي عن مجاهد أنه قال بالنفس اللوامة تندم على ما فات وتلوم عليه. رواه عبد بن حميد وابن جرير، وروي مثله عن ابن عباس رواه ابن المنذر. (**وقال**) أبو يحي (**مالك بن دينار**) البصري العابد رحمه الله تعالى: (**رحم الله عبداً قال لنفسه: ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم زمها**) أي حبسها وكفها كما تحبس الناقة بالزمام، (**ثم خطمها**) كما تخطم الناقة، ثم (**ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائداً وهذا من معاتبة النفس**) كما سيأتي في موضعه، (**وقال ميمون بن مهران**) الجزري العابد: (**التقي أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم**) أي ظالم يجور في حسابه مع رعيته، (**ومن شريك شحيح**)

ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها، فقلت لنفسي يا نفس أي شيء تريدين؟ فقالت: أريد أن أرد إلى الدنيا فاعمل صالحاً قلت فأنت في الأمنية فاعملي. وقال مالك بن دينار: سمعت الحجاج يخطب وهو يقول: رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره، رحم الله امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به، رحم الله امرأ نظر في مكياله، رحم الله امرأ نظر في ميزانه، فما زال يقوله حتى أبكاني. وحكى صاحب للأحنف بن قيس قال: كنت أصحبه فكان عامة صلاته بالليل الدعاء، وكان يجيء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه: يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟.

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل:

اعلم أن العبد كما يكون له وقت في أوّل النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق فينبغي أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع

محب للدنيا. (**وقال إبراهيم**) بن يزيد بن الحارث (**التيمي**) رحمه الله تعالى: (**مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي: يا نفسي أي شيء تريدين؟ فقالت: أريد أن أرد إلى الدنيا فأعمل صالحاً. قلت: فأنت في الأمنية فاعملي**) رواه ابن أبي الدنيا. (**وقال**) أبو يحيى (**مالك بن دينار**) البصري رحمه الله تعالى: (**سمعت الحجاج**) بن يوسف الثقفي وهو أمير البصرة (**يخطب**) على المنبر (**وهو يقول: رحم الله امرأ حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره، امرأ أخذ بعنان عمله فنظر ماذا يريد به، امرأ نظر في مكياله، امرأ نظر في ميزانه، فما زال يقول امرأ امرأ حتى أبكاني**) رواه ابن أبي الدنيا. (**وحكى صاحب للأحنف بن قيس**) التميمي رضي الله عنه له صحبة (**قال: كنت أصحبه فقال: كان عامة صلاته بالليل الدعاء، وكان يجيء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه: يا حنيف**) وهو تصغير أحنف بإسقاط الزائد (**ما حملك على ما صنعت يوم كذا، ما حملك ما صنعت يوم كذا**) يعاتب نفسه بذلك. رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس.

بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن العبد كما يكون له وقت**) معلوم (**في أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوصية بالحق، فينبغي أن تكون له في آخر النهار**) كذلك (**ساعة**)

حركاتها وسكناتها . كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصاً منهم على الدنيا ، وخوفاً من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى إلا أياماً قلائل ، فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ؟ ما هذه المساهلة إلا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك . ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان ، فإن كان من فضل حاصل استوفاه وشكره ، وإن كان من خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل . فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض ، وربحه النوافل والفضائل ، وخسرانه المعاصي . وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الأمارة بالسوء ، فليحاسبها على الفرائض أوّلاً فإن أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها ، وإن فوّتها من أصلها طالبها بالقضاء ، وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل ، وإن ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يغبن

معلومة (**يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها**) لم تحركت ولم سكنت ، وفي أي شيء تحركت ، وفي أي شيء سكنت . وهذا (**كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم**) كيفما اتفق ، (**حرصاً منهم على**) حوز متاع (**الدنيا وخوفاً من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الخيرة لهم في فواته ، ولو حصل لهم فلا يبقى**) ما حصل (**إلا أياماً قلائل**) ثم يفنى ، (**فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبد الآباد ما هذه المساهلة إلا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق . نعوذ بالله من ذلك**) فلو ساعده التوفيق كان يقدم محاسبة نفسه على كل الأعمال والأحوال إذ هي ميدانها كما تقدم ، (**ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من النقصان ، فإن كان من فضل حاصل استوفاه وشكره ، وإن كان من خسران طالبه بضمانة وكلفه تداركه في المستقبل ، فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي ، وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الأمارة بالسوء فليحاسبها على الفرائض أولاً**) فإنها رأس ماله ، (**فإن أداها على وجهها**) بآدابها وشروطها (**شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثله ، وإن فوتها من أصلها طالبها بالقضاء**) فإنه يحكي الأداء ، (**وإن أداها ناقصة**) الشروط والآداب (**كلفها الجبران بالنوافل**) فجبر الفرائض واجب ، (**وإن ارتكب معصية اشتغل بعقوبتها وتعذيبها ومعاتبتها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط**) فعقوبتها على التقصير سنة الأولياء والصالحين كما سيأتي . (**كما يصنع التاجر بشريكه وكما أنه**) أي التاجر (**يفتش في حساب الدنيا عن الحبة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان**

في شيء منها فينبغي أن يتقي غبينة النفس ومكرها فإنها خدّاعة ملبسة مكارة، فليطالبها أوّلاً بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره، وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة، وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه، حتى عن سكوته أنه لم سكت؟ وعن سكونه لم سكن؟ فإذا عرف مجموع الواجب على النفس، وصح عنده قدر أدى الواجب فيه، كان ذلك القدر محسوباً له فيظهر له الباقي على نفسه فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريدة حسابه. ثم النفس غريم يمكن أن يستوفي منه الديون. أما بعضها: فبالغرامة والضمان، وبعضها: برد عينه، وبعضها بالعقوبة لها على ذلك. ولا يمكن شيء من ذلك إلا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فإذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء. ثم ينبغي أن يحاسب النفس على جميع العمر يوماً يوماً وساعة ساعة في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة، كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان محاسباً لنفسه؛ فحسب يوماً فإذا هو ابن ستين سنة،

حتى لا يغبن في شيء منها، فينبغي أن يتقي غبينة النفس ومكرها فإنها خداعة ملبسة مكارة فليطالبها أولاً بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره، وليتكفل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة. وهكذا عن نظره بل عن خواطره) وهمومه **(وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكونه لم سكن، فإذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر أدى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوباً له فيظهر له الباقي على نفسه، فليثبته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب)** التاجر **(الباقي الذي على شريكه على قلبه وعلى جريدة حسابه، ثم النفس غريم يمكن أن يستوفي منه الديون أما بعضها فبالغرامة والضمان، وبعضها برد عينه، وبعضها بالعقوبة لها على ذلك. ولا يمكن شيء من ذلك إلا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه، فإذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء).**

قال الشيخ الأكبر قدس سره: كان أشياخنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلمون به وما يفعلونه ويقيدونه في دفتر، فإذا كان بعد العشاء حاسبوا نفوسهم وأحضروا دفترهم ونظروا فيما صدر عنهم من قول وعمل وقابلوا كلاً بما يستحق ثم ينامون، فزدنا عليهم في هذا الأمر فكنا نقيد ما نحدث به نفوسنا ونهم به اهـ.

(ثم ينبغي أن يحاسب النفس على جميع العمر يوماً يوماً وساعة ساعة في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة، كما نقل عن توبة بن الصمة) العابد **(وكان بالرقة)** بلد بالجزيرة، **(وكان محاسباً لنفسه فحسب يوماً عمره فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي**

فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال يا ويلتي القى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب، فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب؟ ثم خر مغشياً عليه فإذا هو ميت، فسمعوا قائلاً يقول: يا لك ركضة إلى الفردوس الأعلى! فهكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الأنفاس وعلى معصيته بالقلب والجوارح في كل ساعة؛ ولو رمى العبد بكل معصية حجراً في داره لامتلأت داره في مدّة يسيرة قريبة من عمره، ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه ذلك ﴿أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

أحد وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم) من ضرب أيام السنة في الستين **(فصرخ وقال: يا ويلتي ألقى الملك بأحد وعشرين ألف ذنب)** وخمسمائة ذنب، **(فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب، ثم خر مغشياً عليه فإذا هو ميت)** وهذا قد غلبه الخوف فشق شغاف قلبه، **(فسمعوا قائلاً يقول: يا لك ركضة إلى الفردوس الأعلى)** رواه البيهقي في الشعب عن رجل من قريش ولم يقل وكان بالرقة. **(فهكذا ينبغي أن يحاسب نفسه على الأنفاس)** صاعدة وهابطة، **(وعلى كل معصية بالقلب)** إذا هم بها، **(والجوارح في كل ساعة. ولو رمى العبد بكل معصية حجراً في داره لامتلأت داره)** بالحجارة **(في مدة يسيرة قريبة من عمره، ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي والملكان يحفظان عليه ذلك)** كما قال تعالى: **(﴿أحصاه الله ونسوه﴾)** ثم إن الحامل على هذه المحاسبة الإيمان بمحاسبة الله تعالى يوم القيامة على الجليل والحقير وهو واجب وهو من الإيمان لله، فإن صفا قلبه حتى يحس بوقع الدين في قلبه أثرا المخالفة، فهذا من الذين كاشفهم الله بسرعة حسابهم في الدنيا قبل حساب الآخرة فتابوا وأنابوا وأثنى عليهم بقوله: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾ [آل عمران: ١٣٥] وقد نبهنا على ما في الذنب من العقاب العاجل والآجل بقوله ﴿وإن عليكم لحافظين ★ كراماً كاتبين ★ يعلمون ما تفعلون﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢] فنفس كتب السيئة هو عين العقوبة لأنها تنكت في القلب نكتة سوداء وتتزايد إلى أن يصير ريناً، وكذلك الحسنة هي نفس الثواب العاجل لأنها تنكت في القلب نكتة بيضاء وتتزايد إلى أن تصير كالمرآة الصقيلة، فلذلك قال تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم ★ وإن الفجار لفي جحيم ★ يصلونها يوم الدين ★ وما هم عنها بغائبين﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٦] ولكن لا يشعرون بما ران على قلوبهم من رين الذنوب وهذه المحاسبة توجب الاعتصام وهو المعنى الجامع لكل ما يخبر عنه العلماء من العلوم والأحوال والأعمال، لأن حقيقته التمسك بكتاب الله والحفظ لحدود الله، ولذلك نقول: إن الصلاح المؤدي إلى معرفة الله ولائه بغير علم ممنوع وهو ثمرة المحاسبة، لأن المحاسبة تلزم العبد الرعاية والحفظ للحدود، والفرق بينه وبين الاستقامة أن الاعتصام هو الحفظ للحدود واجبها ومندوبها والاستقامة هي الثبات والاعتدال عن الميل إلى طرفي الأمر المعتصم به. قال تعالى: ﴿ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾ [آل عمران: ١٠١] فمن حاسب نفسه إلى الدخول في مقام الجمع من وادي

المرابطة الرابعة: في معاقبة النفس على تقصيرها:

مهما حاسب نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي أن يهملها فإنه إن أهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وأنست بها نفسه وعسر عليه فطامها، وكان ذلك سبب هلاكها، بل ينبغي أن يعاقبها، فإذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس ينبغي أن يعاقب البطن بالجوع، وإذا نظر إلى غير محرم ينبغي أن يعاقب العين بمنع النظر، وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته. هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة. فقد روي عن منصور بن ابراهيم: أن رجلاً من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم فوضع يده على النار حتى يبست. وروي أنه كان في بني إسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث كذلك زماناً طويلاً فأشرف ذات يوم فإذا هو بامرأة فافتتن بها وهمَّ بها فأخرج رجله لينزل إليها فأدركه الله بسابقة فقال: ما هذا الذي أريد أن أصنع؟ فرجعت إليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم، فلما أراد أن يعيد رجله إلى الصومعة قال: هيهات هيهات؟ رجل خرجت تريد أن تعصي

التفرقة وهي مطمح أنظار الأولياء والمقربين. ثم إن العبد إذا حاسب نفسه فرآها خانت وضيعت لزمه أمور: أحدها أن يتدارك بالتوبة والجبر وقد تقدم، فإن لم يستطع لغلبة الشهوة عالج نفسه بالمعاقبة، وإليه أشار المصنف فقال:

(**المرابطة الرابعة: في معاقبة النفس على تقصيرها**). اعلم أنه (**مهما حاسب**) العبد (**نفسه فلم تسلم عن مقارفة معصية**) أي ملابستها (**وارتكاب تقصير في حق الله تعالى فلا ينبغي أن يهملها**) أي يتركها هملاً (**فإنه إن أهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وأنست نفسه**) وألفتها (**وعسر عليه**) حينئذ (**فطامها**) فإن الأنس بالشيء يوجب الجمود عليه، (**وكان ذلك سبب هلاكه، بل ينبغي أن يعاقبها**) بما يلائم جنس الذنب ويقابله فإن لكل مرض علاجاً، (**فإذا أكل لقمة شبهة بشهوة نفس**) فإنه (**ينبغي أن يعاقب البطن بالجوع، وإذا نظر إلى غير محرم فينبغي أن يعاقب العين بمنع النظر**) بأن لا يفتحها، (**وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بمنعه عن شهواته. وهكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة، فقد روي عن منصور بن إبراهيم**) رحمه الله تعالى (**أن رجلاً من العباد كلم امرأة**) أجنبية (**فلم يزل حتى وضع يده على فخذها ثم ندم**) على ما صنع، (**فوضع يده على النار حتى فشت**) أي يبست. (**وروي**) في بعض الأخبار (**أنه كان في بني إسرائيل رجل يتعبد في صومعته فمكث بذلك زماناً طويلاً فأشرف ذات يوم**) من طاقة في تلك الصومعة (**فإذا هو بامرأة فافتتن بها**) لبراعتها في الجمال، (**وهم بها فأخرج رجله لينزل إليها فأدركه الله بسابقة**) من عنايته فتذكر (**فقال: ما هذا الذي أريد أن أصنع فرجعت إليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم، فلما أراد أن يعيد رجله إلى الصومعة قال: هيهات هيهات! رجل خرجت تريد أن تعصي الله تعود**

الله تعود معي في صومعتي لا يكون والله ذلك أبداً ؟ فتركها معلقة في الصومعة تصيبها الأمطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت ، فشكر الله له ذلك وأنزل في بعض كتبه ذكره. ويحكى عن الجنيد قال: سمعت ابن الكريبي يقول: أصابتني ليلة جنابة فاحتجت أن اغتسل وكانت ليلة باردة. فوجدت في نفسي تأخراً وتقصيراً فحدثتني نفسي بالتأخير حتى أصبح وأسخّن الماء أو أدخل الحمام ولا أعني على نفسي فقلت: واعجباه أنا أعامل الله في طول عمري فيجب له علي حق فلا أجد في المسارعة وأجد الوقوف والتأخر ؟ آليت أن لا أغتسل إلا في مرقعتي هذه. وآليت أن لا أنزعها ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس. ويحكى أن غزوان وأبا موسى كانا في بعض مغازيهما فتكشفت جارية فنظر إليها غزوان، فرفع يده فلطم عينه حتى بقرت وقال: إنك للحاظة إلى ما يضرك. ونظر بعضهم نظرة واحدة إلى امرأة فجعل على نفسه أن لا

معي في صومعتي لا يكون والله ذلك أبداً، فتركها معلقة من الصومعة تصيبها الأمطار والرياح والثلج والشمس حتى) ييبست و **(تقطعت فسقطت فشكر الله له ذلك وأنزل في بعض كتبه ذكره. ويحكى عن)** أبي القاسم **(الجنيد)** قدس سره أنه **(قال: سمعت ابن الكريبي)** هو شيخه وقد تقدم ذكره وأنه منسوب إلى كرتنا ناحية بخراسان ترجه الخطيب في تاريخه **(يقول: أصابتني ليلة جنابة احتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخراً وتقصيراً فحدثتني نفسي بالتأخير حتى أصبح وأسخن الماء أو أدخل الحمام ولا أعين على نفسي)** بالهلاك **(فقلت: واعجباه أنا أعامل الله في طول عمري فيجب علي حق)** من حقوقه، **(فلا أجد في المسارعة وأجد الوقوف والتأخر آليت أن لا أغتسل إلا في مرقعتي هذه، وآليت أن لا أنزعها ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس)** وهذه معاقبة تامة على النفس.

(ويحكى أن غزوان وأبا موسى) إن كان أبو موسى هو الأشعري الصحابي فاسمه عبدالله ابن قيس ولا أعرف في الصحابة من اسمه غزوان وفي التابعين غزوان بن عتبة بن غزوان المازني روى عن أبيه حديثاً عند الطبراني وأبوه صحابي مشهور، فيحتمل أن يكون هو المراد هنا والله أعلم. **(كانا في)** بعض **(مغازيهم فتكشفت)** لهما **(جارية)** جميلة الصورة، **(فنظر إليها غزوان)** نظر شهوة ثم رجع فندم، **(فرفع يده فلطم عينه)** لطمة **(حتى نفرت)** من موضعها **(وقال: إنك للحاظة إلى ما يضرك)** ثم ظهر لي أن صاحب القصة مع أبي موسى هو عتبة بن غزوان، فقد قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا أبو بكر بن أبي داود، حدثنا محمود بن خالد، حدثنا الوليد بن مسلم عن الأوزاعي، حدثني هارون بن رياب عن عتبة بن غزوان الرقاشي قال، قال لي أبو موسى: مالي أرى عينك نافرة؟ فقلت: إني التفت التفاتة فرأيت جارية لبعض الجيش فلحظتها فصككتها صكة فنفرت فصارت إلى ما ترى. فقال: استغفر ربك ظلمت عينك

يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش. ويحكى أن حسان بن أبي سنان مر بغرفة فقال: متى بنيت هذه؟ ثم أقبل على نفسه فقال: تسألين عما لا يعنيك؟ لأعاقبنـك بصوم سنة فصامها. وقال مالك بن ضيغم: جاء رباح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر فقلنا: إنـه نائم، فقال: أنوم هذه الساعة! هذا وقت نوم؟ ثم ولى منصرفاً، فأتبعناه رسولاً وقلنا: ألا نوقظه لك؟ فجاء الرسول وقال: هو أشغل من أن يفهم عني شيئاً، أدركته وهو يدخل المقابر وهو يعاتب نفسه ويقول: أقلت وقت نوم هذه الساعة؟ أفكان هذا عليك؟ ينام الرجل متى شـاء! وما يدريك أن هذا ليس وقت نوم؟ تتكلمين بما لا تعلمين؟ أما إن لله عليَّ عهداً ألاّ أنقضه أبداً لا أوسدك الأرض لنوم حولاً إلا لمرض حائل أو لعقل زائل، سوأة لك أما تستحين؛ كم توبخين؟ وعن

إن لها أول نظرة وعليك ما بعده. (و) قد تكون المعاقبة على خلاف جنس المعصية وإنما هي على حسب ما اقتضاه رأي المعاقب، كما حكي أنه (**نظر بعضهم نظرة واحدة إلى امرأة**) أجنبية وكأنه قصد بها تلذذ النفس فندم، (**فجعل على نفسه أن لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينغص على نفسه العيش. ويحكى أن حسان بن أبي سنان**) البصري العابد روى له البخاري تعليقاً في البيوع فقال، وقال حسان بن أبي سنان: ما رأيت شيئاً أهون من الورع «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» (**مر بغرفة فقال: متى بنيت هذه؟ ثم أقبل على نفسه فقال: تسألين عما لا يعنيك لأعاقبنك بصوم سنة فصامها**). رواه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الجبار بن النضر السلمي قال: مر حسان بغرفة فقال: مذ كم بنيت؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: وما عليك مذ كم بنيت تسألين عما لا يعنيك فعاقبها بصوم سنة. وروي أيضاً من طريق أبي حكيم أن حساناً خرج يوم العيد، فلما رجع قالت له امرأته: كم من امرأة حسنة قد نظرت إليها اليوم؟ فلما أكثرت قال: ويحك ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت من عندك حتى رجعت إليك.

(**وقال مالك بن ضيغم**) الجلاب البصري (**جاء رباح القيسي**) هو أبو المهاصر رياح بن عمرو، روى عن حسان بن أبي سنان وأيوب السختياني وصالح المري ومالك بن دينار وغيرهم، وعنه أحمد بن يونس، وعبدالله بن عمر، ترجمه أبو نعيم في الحلية. (**يسأل عن أبي**) وهو ضيغم الجلاب له ذكر في الشعب للبيهقي في باب المحبة (**بعد العصر، فقلنا إنه نائم، فقال: نوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى منصرفاً فاتبعناه رسولاً وقلنا: ألا نوقظه لك فجاء الرسول وقال: هو أشغل من أن يفهم عني شيئاً أدركته وهو يدخل المقابر وهو يعاقب نفسه ويقول: أقلت وقت نوم هذه الساعة أفكان هذا عليك. ينام الرجل متى يشاء وما يدريك أن هذا ليس وقت نوم تتكلمين بما لا تعلمين، أما أن لله علي عهد ألا أنقضه أبداً لا أوسـدك الأرض لنوم حولا إلا لمرض حائل أو لعقل زائل سوأة لك، أما تستحيين كم توبخين وعن**)

غيك لا تنتهين؟ قال: وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني، فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته. ويحكى عن تميم الداري أنه نام ليلة لم يقم فيها يتهجد، فقام سنة لم ينم فيها، عقوبة للذي صنع. وعن طلحة رضي الله تعالى عنه قال: انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء فكان يقول لنفسه: ذوقي! ونار جهنم أشد حراً أجيفة بالليل بطّالة بالنهار؟ فبينما هو كذلك إذ أبصر النبي ﷺ في ظل شجرة فأتاه فقال: غلبتني نفسي؟ فقال له النبي ﷺ: «ألم يكن لك بدّ من الذي صنعت أما لقد فتحت لك أبواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة» ثم قال لأصحابه: «تزودوا من أخيكم»

غيك لا تنتهين. قال: وجعل يبكي وهو لا يشعر بمكاني، فلما رأيت ذلك انصرفت وتركته) رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا محمد بن الحسين البرجلاني، حدثنا مالك بن ضيغم قال: جاءنا رياح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر فقلنا: هو نائم، فقال: أنوم هذه الساعة هذا وقت نوم ثم ولى، فاتبعناه فقلنا الحقه فقل نوقظه لك. قال: فجاءنا بعد المغرب فقلنا أبلغه قال: هو كان أشغل من أن يفهم عني أدركته وهو يدخل المقابر وهو يوبخ نفسه ويقول: أقلت أي نوم هذا لينم الرجل متى شاء، تسألين عما لا يعنيك، أما أن لله عز وجل علي عهداً لا أنقضه فيما بيني وبينه أبداً، لا أوسدك لنوم حولاً، قال: فلما سمعت هذا منه تركته وانصرفت.

(ويحكى أن) أبا رقية **(تميم)** بن أوس بن خارجة **(الداري)** رضي الله عنه كان بالمدينة ثم انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان ونزل بيت المقدس ومات بالشام، روى له البخاري تعليقاً والجماعة. **(نام ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع)** رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس، ورواه البيهقي في الشعب من طريق المنكدر عن أبيه أن تميماً الداري نام ليلة لم يقم يتهجد فيها حتى أصبح فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع. ورواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين، حدثني يونس بن يحيى الأموي، عن المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه أن تميماً الداري نام ليلة لم يتهجد فيها حتى أصبح فقام سنة فلم ينم فيها عقوبة للذي صنع. وفي خبر ابن حيوة من طريق ابن سيرين كان تميم يقرأ القرآن في ركعة. وفي طبقات ابن سعد عن أبي قلابة كان تميم يختم القرآن في سبع ليال وقد تقدم.

(وعن طلحة) اختلف فيه فقيل: هو الصحابي أحد العشرة، وقيل هو طلحة بن مصرف كما سيأتي في بيان الاختلاف فيه عقيب الحديث **(قال: انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء)** أي الرمل الحار **(فكان يقول لنفسه: ذوقي نار جهنم أشدّ حراً أجيفة بالليل بطالة بالنهار، فبينما هو كذلك إذ أبصر النبي ﷺ في ظل شجرة فأتاه فقال: غلبتني نفسي)** أي فقهرتها بهذا العمل وكأنه يعتذر للنبي ﷺ، **(فقال له النبي ﷺ: «ألم يكن لك بدّ من الذي صنعت أما لقد فتحت لك أبواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة» ثم قال**

فجعل الرجل يقـول له يا فلان ادع لي؟ يا فلان ادع لي فقال النبي ﷺ: «عمهم» فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم. فجعل النبي ﷺ يقول: «اللهم سدّده» فقال الرجل: اللهم اجعل الجنة مآبهم. وقال حذيفة بن قتادة: قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهواتها؟ فقال: ما على وجه الأرض نفس أبغض إليّ منها فكيف أعطيها شهواتها؟ ودخل ابن السماك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على التراب فقال: يا داود سجنت نفسك قبل أن تسجن وعذبت نفسك قبل أن تعذب. فاليوم ترى ثواب من كنت تعمل له. وعن وهب بن منبه: أن رجلاً تعبد زماناً، ثم بدت له إلى الله

لأصحابه: «تزودوا من أخيكم» فجعل الرجل يقول له: يا فلان ادع لي، فقـال النبي ﷺ: «عمهم» فقال: اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم، فجعل النبي ﷺ يقول: «اللهم سدده» فقال الرجل: اللهم اجعل مآبهم الجنة). قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس من رواية ليث بن أبي سليم عنه وهذا منقطع أو مرسل، ولا أدري من طلحة هذا إلا أن يكون طلحة بن مصرف، وإلا فهو مجهول. وقد أخرجه الطبراني من حديث بريـدة متصلاً نحوه قال: بينما النبي ﷺ في مسير له إذ أتى على رجل يتقلب في الرمضاء ظهر البطن ويقول: نوم بالليل وباطل بالنهار وترجين الجنة الحديـث اهـ.

قلت: وقوله وهذا منقطع أو مرسل يعني به إن كان طلحة صحابياً فليث لم يذكره فهو منقطع بينهما، وإن كان هو طلحة بن مصرف فروايته عن الصحابة وعن كبار التابعين فهو مرسل، وقد روى أبو داود في سننه حديثاً عن طلحة عن أبيه عن جده فقيل: هو طلحة بن مصرف بن عمرو ابن كعب اليامي، وقيل: وإلاّ فهو مجهول وذكر الذهبي أن مصرف بن عمرو عن أبيه مجهول وعمرو بن كعب، وقيل كعب بن عمرو صحابي مختلف فيه.

(وقال حذيفة بن قتادة) المرعشي رحمه الله تعالى، **(قيل لرجل: كيف تصنع بنفسك في شهوتها؟ فقال: ما على وجه الأرض نفس أبغض إليَّ منها فكيف أعطيها شهوتها)**؟ رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثني سلمة، حدثنا سهل بن عاصم، عن أبي يزيد الرقي قال: قال حذيفة بن قتادة قيل لرجل فذكره.

(ودخل) أبو العباس **(ابن السماك)** الواعظ هو محمد بن صبيح البغدادي، روى عن التابعين **(على داود)** بن نصير **(الطائي)** رحمهما الله تعالى **(حين مات وهو في بيته على التراب فقال: يا داود سجنت نفسك قبل أن تسجن، وعذبت نفسك قبل أن تعذب، فاليـوم تـرى ثـواب من كنت تعمل له)**. رواه أبـو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا عبدالله بن محمد بن عبيد قال: سمعت أبا جعفر الكندي في جنازة بشر بن الحرث يقول: دخل ابن السماك على داود الطائي حين مات فذكره.

تعالى حاجة فقام سبعين سبتاً يأكل في كل سبت إحدى عشرة تمرة، ثم سأل حاجته فلم يعطها، فرجع إلى نفسه وقال: منك أتيت لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك؟ فنزل إليه ملك وقال: يا ابن آدم، ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك. وقال عبدالله بن قيس: كنا في غزاة لنا فحضر العدو فصيح في الناس فقاموا

وقال أيضاً: حدثنا إبراهيم بن عبدالله، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني أبو بكر بن خلف، حدثنا إسحاق بن منصور ببغداد سنة خمس ومائتين قال: لما مات داود الطائي شيع الناس جنازته، فلما دفن قام ابن السماك فقال: يا داود كنت تسهر ليلك إذا الناس نائمون. فقال القوم جميعاً: صدقت. وكنت تربح إذا الناس يخسرون، وكنت تسلم إذا الناس يخوضون. فقال الناس جميعاً: صدقت، حتى عدد فضائله كلها، فلما فرغ قام أبو بكر النهشلي فحمد الله ثم قال: يا رب إن الناس قالوا ما عندهم مبلغ ما علموا. اللهم فاغفر له برحمتك ولا تكله إلى عمله.

حدثنا أبي، حدثنا عبدالله بن محمد بن يعقوب، حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس، حدثنا محمد ابن يحيى الواسطي، حدثنا محمد بن بشير، حدثنا حفص بن عمر الجعفي قال: اشتكى داود الطائي أياماً وكان سبب علته أنه مرّ بآية فيها ذكر النار فكررها مراراً في ليلته فأصبح مريضاً فوجدوه قد مات ورأسه على لبنة، ففتحوا باب الدار ودخل ناس من إخوانه وجيرانه ومعهم ابن السماك فلما نظر إلى رأسه قال: يا داود فضحت القراء، فلما حملوه إلى قبره خرج في جنازته خلق كثير حتى خرج ذوات الخدور، فقال ابن السماك: يا داود سجنت نفسك قبل أن تسجن وحاسبت نفسك قبل أن تحاسب، فاليوم ترى ثواب ما كنت ترجو وله كنت تنصف وتعمل، فقال أبو بكر بن عياش؛ وهو على شفير القبر: اللهم لا تكل داود إلى علمه. قال: فاعجب الناس ما قال أبو بكر.

حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن راشد، حدثنا محمد بن حسان الأزرق، حدثنا ابن مهدي قال: بلغني أن داود الطائي يوم مات وهو في بيت على التراب وتحت رأسه لبنة، فبكيت لما رأيت من حاله ثم ذكرت مَا أعدّ الله تعالى لأوليائه فقلت: داود سجنت نفسك قبل أن تسجن، وعذبت نفسك قبل أن تعذب، فاليوم ترى ثواب من كنت له تعمل.

(و) روي **(عن وهب بن منبه)** اليماني رحمه الله تعالى قال: **(إن رجلاً تعبد زماناً)** طويلاً، **(ثم بدت له إلى الله حاجة فقام سبعين سبتاً يأكل في كل سبت إحدى عشرة تمرة، ثم سأل حاجة فلم يعطها فرجع إلى نفسه وقال: منك أتيت لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك فنزل إليه ملك وقال: يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت، وقد قضى الله حاجتك)** رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس.

(وقال عبدالله بن قيس) هو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، وكان عمر ولاه غزاة فارس، وهو الذي فتح تستر ونزل الهرمزان من الحصن على حكم عمر فأرسله مع أنس إلى المدينة فأمنه عمر وأسلم الهمرمزان: **(كنا في غزاة لنا فحضر العدوّ**

إلى المصاف في يوم شديد الريح، وإذا رجل أمامي وهو يخاطب نفسه ويقول: أي نفس ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي: أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت؟ ألم أشهد مشهد كذا وكذا فقلت لي، أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت؟ والله لأعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك؟ فقلت: لأرمقنّـه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوّهم فكان في أوائلهم، ثم إن العدوّ حمل على الناس فانكشفوا فكان في موضعه، حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل، فوالله ما زال ذاك دأبه حتى رأيته صريعاً فعددت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة. وقد ذكرنا حديث أبي طلحة: لما اشتغل قلبه في الصلاة بطائر في حائطه فتصدق بالحائط كفارة لذلك وإن عمر كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة ويقول: ماذا عملت اليوم؟ وعن مجمّع: أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء ما دام في الدنيا وكان الأحنف بن قيس لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع إصبعه عليه ويقول لنفسه: ما حملك على أن صنعت

فصيح في الناس فقاموا إلى المصاف في يوم شديد الريح، وإذا رجل أمامي وهو يخاطب نفسه ويقول: أي نفس ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟ فقلت لي: أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت. ألم أشهد مشهد كذا وكذا؟ فقلت لي: أهلك وعيالك فأطعتك ورجعت. لا والله لأعرضنك اليوم على الله أخذك أو تركك، فقلت: لأرمقنه اليوم فرمقته فحمل الناس على عدوّهم فكان في أوائلهم، ثم إن العدوّ حمل على الناس فانكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا مرات وهو ثابت يقاتل، فوالله ما زال ذلك دأبه حتى رأيته صريعاً) على الأرض، (**فعددت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنة**) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس. (**وقد ذكرنا حديث أبي طلحة**) الأنصاري (**لما اشتغل قلبه في الصلاة في حائطه**) بطائر حسن الصوت فأدار نظره إليه واتبعه فلم يدر كم صلّى، (**فتصدق بالحائط كفارة لذلك**)، وكذا تأخير ابن عمر صلاة المغرب حتى طلعت نجمة فاعتق رقبة، وقد ذكر كل من ذلك في كتاب الصلاة، وهذا مستحب، فعقوبة النفس على التقصير سنّة الأولياء ولا يجب إلا جبر الفرائض، (**و**) ذكرنا أيضاً (**أن عمر**) رضي الله عنه (**كان يضرب قدميه بالدرة كل ليلة ويقول: ماذا عملت اليوم**)؟ يحاسبها ويعاقبها. (**وعن مجمع**) بن صمغان التيمي رحمه الله تعالى وكان من الورعين، حكى عنه الأعمش وسفيان وأبو حيان التيمي ترجمه صاحب الحلية (**أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة، فجعل على نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء ما دام في الدنيا**) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس، (**وكان الأحنف ابن قيس**) التيمي (**لا يفارقه المصباح بالليل فكان يضع أصبعه عليه ويقول لنفسه: ما حملك على أن صنعت يوم كذا وكذا**) ثم يقول: قل نار جهنم أشد حراً رواه ابن أبي الدنيا في

يوم كذا وكذا؟ وأنكر وهيب بن الورد شيئاً على نفسه فنتف شعرات على صدره حتى عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه: ويحك؟ إنما أريد بك الخير. ورأى محمد بن بشر داود الطائي، وهو يأكل عند إفطاره خبزاً بغير ملح، فقال له: لو أكلته بملح فقال: إن نفسي لتدعوني إلى الملح منذ سنة، ولا ذاق داود ملحاً ما دام في الدنيا. فهكذا كانت

محاسبة النفس. (**وأنكر وهيب بن الورد**) المكي أبو أمية اسمه عبد الوهاب ولكنه اشتهر بوهيب (**شيئاً على نفسه فنتف شعرات**) كانت (**على صدره حتى عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه: ويحك إنما أريد بك الخير**) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس.

(**ورأى**) أبو عبدالله (**محمد بن بشر**) بن الفرافصة بن المختار بن رويح العبدي الكوفي ثقة حافظ مات سنة ثلاث ومائتين روى له الجماعة (**داود**) بن نصير (**الطائي**) رحمه الله تعالى (**وهو يأكل عند إفطاره خبزاً بغير ملح، فقال له: لو أكلته بملح. فقال**): إن (**نفسي لتدعوني إلى الملح منذ سنة ولاذاق داود ملحاً ما دام في الدنيا**) رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا عبدالله بن محمد بن العباس، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سهل ابن عاصم، حدثنا شهاب بن عباد، حدثنا محمد بن بشر قال: دخلت وداود الطائي المسجد فصليت معه المغرب، ثم أخذ بيدي فدخلت معه البيت فقام إلى دن له كبير فأخذ منه رغيفاً يابساً فغمسه في الماء ثم قال: ادن فكُل. قلت: بارك الله لك فأفطر فقلت له: يا أبا سليمان لو أخذت شيئاً من ملح قال، فسكت ساعة ثم قال: إن نفسي نازعتني ملحاً ولا ذاق داود ملحاً ما دام في الدنيا. قال: فما ذاقه حتى مات.

وقال أيضاً: حدثنا إبراهيم بن عبدالله، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا إسماعيل بن أبي الحرث، حدثنا أحمد بن عمران الأخنس، حدثنا الوليد بن عقبة قال: كان يخبز لداود الطائي ستون رغيفاً فيعلقها بشريط يفطر كل ليلة على رغيفين بملح وماء، فأخذ ليلة فطره فجعل ينظر إليه قال: ومولاة له سوداء تنظر إليه فقامت فجاءته بشيءمن تمر على طبق، فأفطر ثم أحيا ليلته وأصبح صائماً، فلما أن جاء وقت الإفطار أخذ رغيفيه وملحاً وماء. قال الوليد بن عقبة: فحدثني جار له قال: جعلت أسمعه يعاتب نفسه يقول: اشتهيت البارحة تمراً فأطعمتك، واشتهيت الليلة تمراً لاذاق داود الطائي تمرة ما دام في دار الدنيا. قال محمد بن إسحاق في حديثه فما ذاقها حتى مات.

وحدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن علي بن الجارود، حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثني عبدالله بن عبد الكريم، عن حماد بن أبي حنيفة قال: جئت داود الطائي والباب عليه مغلق فسمعته يقول: اشتهيت جزراً فأطعمتك، ثم اشتهيت جزراً وتمراً آليت أن لا تأكليه أبداً، فاستأذنت وسلمت ودخلت فإذا هو يعاتب نفسه.

حدثنا إبراهيم بن أحمد بن أبي الحصين، حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا محمد بن حسان، سمعت إسماعيل بن حسان يقول: جئت إلى باب داود الطائي أريد أن أدخل عليه، فسمعته

عقوبة أولي الحزم لأنفسهم والعجب أنك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في أمر ، وتخاف أنك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار وبغوا عليك ، ثم تهمل نفسك وهي أعظم عدوّ لك وأشد طغياناً عليك ، وضررك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك ، فإن غايتهم أن يشوّشوا عليك معيشة الدنيا ، ولو عقلت لعلمت أن العيش عيش الآخرة وأن فيه النعيم المقيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة أولى من غيرها .

المرابطة الخامسة : المجاهدة :

وهو أنه إذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغي أن يعاقبها بالعقوبات التي مضت ؛ وإن رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد ، فينبغي أن يؤدبها بتثقيل الأوراد عليها ويلزمها فنوناً من الوظائف جبراً لما فات منه وتداركاً لما فرط ، فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى ، فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاتته

يخاطب نفسه فظننت أن عنده إنساناً يكلمه ، فأطلت الوقوف بالباب ثم استأذنت فقال : ادخل فدخلت فقال : ما بدا لك من الاستئذان عليّ ؟ قال : قلت سمعتك تتكلم فظننت أن إنساناً تخاصمه . قال : لا ولكن كنت اخاصم نفسي ، اشتهت البارحة تمراً فخرجت فاشتريته فلما جئت بالتمر اشتهت الجزر فأعطيت الله عهداً أن لا آكل التمر والجزر حتى ألقاه .

(**فهكذا كانت عقوبة أولي الحزم لأنفسهم**) إذا خانت نفوسهم وضيعت الحدود ، (**والعجب أنك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في أمر ، وتخاف أنك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار وبغوا عليك ، ثم تهمل نفسك وهي أعظم عدوّ لك وأشد طغياناً عليك ، وضررك من طغيانها أعظم من ضررك من طغيان أهلك ، فإن غايتهم أن يشوشوا عليك معيشة الدنيا ، ولو عقلت لعلمت أن العيش عيش الآخرة**) ومعيشة الدنيا زائلة عن قريب ، (**وأن فيه**) أي في عيش الآخرة (**النعيم المقيم الذي لا آخر له ، ونفسك هي التي تنغص عليك عيش الآخرة فهي بالمعاقبة أولى من غيرها**) والعناية بأحوالها أوكد من غيرها والله الموفق .

(**المرابطة الخامسة : المجاهدة : وهو أنه إذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية ينبغي أن**) يخبرها بالتوبة والاستغفار ثم يرجع إليها (**يعاقبها بالعقوبات التي مضت**) حتى أنها تتأدب ، (**وإن رآها تتوانى**) أي تتساهل (**بحكم الكسل في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد ، فينبغي أن يؤدبها بتثقيل الأوراد عليها ويلزمها فنوناً**) أي أنواعاً (**من الوظائف جبراً لما فات منه وتداركاً لما فرط ؛ فهكذا كان يعمل عمل الله تعالى ، فقد**) روي أنه (**عاقب عمر**

صلاة العصر في جماعة بأن تصدق بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم، وكان ابن عمر إذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة، وأخر ليلة صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين، وفات ابن أبي ربيعة ركعتا الفجر فأعتق رقبة. وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحج ماشياً أو التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها.

فإن قلت: إن كانت نفسي لا تطاوعني على المجاهدة والمواظبة على الأوراد فما سبيل معالجتها؟ فأقول: سبيلك في ذلك أن تسمعها ما ورد في الأخبار من فضل المجتهدين. ومن أنفع أسباب العلاج أن تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ أقواله وتقتدي به. وكان بعضهم يقول: كنت إذا اعترتني فترة في العبادة نظرت إلى

ابن الخطاب) رضي الله عنه **(نفسه حين فاتته صلاة العصر في جماعة بأن تصدق)** على الفقراء **(بأرض كانت له قيمتها مائتا ألف درهم، وكان ابن عمر)** رضي الله عنهما **(إذا فاتته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة)** قائماً يصلي. **(و)** يروى أنه **(أخرّ ليلة صلاة المغرب)** لشغل عرضه **(حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين. وفات)** الحرث بن عبدالله **(بن أبي ربيعة)** بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي المكي أمير الكوفة المعروف بالقباع، روى له أبو داود في المراسيل والنسائي، مات قبل السبعين **(ركعتا الفجر فأعتق رقبة، وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحج ماشياً)** على رجليه **(أو التصدق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخذة لها بما فيه نجاتها)** من الهلاك الأبدي.

(فإن قلت: إن كانت نفسي لا تطاوعني على المجاهدة) والرياضات الشاقة **(والمواظبة على الأوراد فما سبيل معالجتها؟ فأقول: سبيلك في ذلك أن تسمعها ما ورد في الأخبار من فضل المجتهدين)** هكذا في سائر نسخ الكتاب، وقد وقع للحافظ العراقي تصحيف في هذه الكلمة فقال: من فضل المتهجدين بتقديم الفوقية، ثم أورد من حديث عبدالله بن عمرو: « من قام بعشرة آيات لم يكتب من الغافلين ». الحديث. رواه أبو داود. ومن حديث أبي هريرة: « رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته ». رواه النسائي وابن ماجه، ومن حديث بلال: « عليكم بقيام الليل فإن دأب الصالحين قبلكم » رواه الترمذي ثم قال: وقد تقدم في الأوراد مع غيره من الأخبار في ذلك اهـ. وأنت خبير بأنه يخالف السياق والسباق، وإنما مراد المصنف أخبار فضل المجتهدين في العبادة لا المتهجدين، والمراد من أخبارهم حكاياتهم وسيرهم فتأمل ذلك.

(ومن أنفع أسباب العلاج أن تطلب صحبة عبد من عباد الله كامل) الظاهر معمور الباطن **(مجتهد في العبادة)** غير متساهل فيها، **(فتلاحظ أقواله)** وتلاحظ أحواله **(وتقتدي به)** فيها، وهذا المعنى هو الأصل الأصيل في سلوك طريق السادة النقشبندية قدس الله أسرارهم يعتمدون عليه كثيراً ويأمرون المريد بذلك. **(وكان بعضهم يقول: كنت إذا اعترتني فترة في**

أحوال محمد بن واسع وإلى اجتهاده فعملت على ذلك أسبوعاً، إلا أن هذا العلاج قد تعذر إذ قد فقد في هذا الزمان من يجتهد في العبادة اجتهاد الأولين، فينبغي أن يعدل من المشاهدة إلى السماع فلا شيء أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد، وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم أبد الآباد لا ينقطع، فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمنع نفسه أياماً قلائل بشهوات مكدرة؛ ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه أبد الآباد! نعوذ بالله تعالى من ذلك، ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم، فقد قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أقواماً يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى» قال الحسن: أجهدتهم العبادة. قال الله تعالى: ﴿والَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وقُلُوبُهُمْ

العبادة نظرت إلى أحوال) أبي عبدالله **(محمد بن واسع)** البصري العابد **(وإلى اجتهاده فعملت على ذلك أسبوعاً)**. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن محمد بن سنان، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا هارون بن عبدالله، حدثنا سيار، حدثنا جعفر بن سليمان قال: كنت إذا وجدت من قلبي قسوة فنظرت إلى وجه محمد بن واسع نظرة، وكنت إذا رأيت وجه محمد بن واسع حسبت أن وجهه وجه ثكلى اهـ.

وقد ذكر أبو نعيم في اجتهاد محمد بن واسع في العبادة شيئاً راجعه في ترجمته **(إلا أن هذا العلاج قد تعذر)** الآن **(إذ قد فقد في هذا الزمان)** وهو رأس الخمسمائة من الهجرة **(من يجتهد في العبادة اجتهاد الأولين)** لنقص الهمم وتأخر الزمان، **(فينبغي أن يعدل من المشاهدة)** والمصاحبة **(إلى السماع)** بالتيقظ والتذكر، **(فلا شيء أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم)** أي سيرهم وحكاياتهم، **(وما كانوا فيه من الجهد الجهيد. وقد أنقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم أبد الآباد لا ينقطع، فما أعظم ملكهم وما أشد حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه أياماً قلائل بشهوات مكدرة، ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه أبد الآباد. نعوذ بالله من ذلك. ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد اقتداء بهم، فقد قال ﷺ: «رحم الله أقواماً يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى»)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً في حديث مرفوع، ولكن رواه أحمد في الزهد موقوفاً على عليّ في كلام له قال فيه: ينظر الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض اهـ.

قلت: بل أخرجه ابن المبارك في الزهد عن الحسن مرسلاً إلا أنه قال قوماً بدل أقواماً، وكلام علي المذكور أورده الشريف في نهج البلاغة.

(قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى بعد أن روى الحديث المذكور ما معناه: **(أجهدتهم العبادة)** حتى كأنهم أصابهم المرض فنحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم. **(وقال الله تعالى:**

وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] قال الحسن: يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله. وقال رسول الله ﷺ: « طوبى لمن طال عمره وحسن عمله »، ويروى أن الله تعالى يقول لملائكته: ما بال عبادي مجتهدين، فيقولون: إلهنا خوفتهم شيئاً فخافوه وشوقتهم إلى شيء فاشتاقوا إليه! فيقول الله تبارك وتعالى: فكيف لو رآني عبادي لكانوا أشد اجتهاداً، وقال الحسن: أدركت أقواماً وصحبت طوائف منهم، ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يتأسفون على شيء منها أدبر، ولهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب الذي تطأونه بأرجلكم، إن كان أحدهم ليعيش عمره كله ما طوى له ثواب ولا أمر أهله بصنعة طعام قط، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئاً قط، وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنّة نبيهم إذا جنّهم الليل فقيام على أطرافهم،

﴿والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة﴾ قال الحسن) في تفسير هذا القول: يعني (يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجيهم ذلك من عذاب الله) رواه ابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن جرير. (وقال رسول الله ﷺ: « طوبى لمن طال عمره وحسن عمله ») قال العراقي: رواه في الطبراني من حديث عبدالله بن بسر وفيه بقية، وقد رواه بصيغة عن وهو مدلس، وللترمذي من حديث أبي بكرة: « خير الناس من طال عمره وحسن عمله ». اهـ.

قلت: حديث عبدالله بن بسر رواه أبو نعيم في الحلية، وحديث أبي بكرة رواه أيضاً أحمد وابن زنجويه والطبراني والحاكم والبيهقي بزيادة: « وشر الناس من طال عمره وساء عمله ». وقال الترمذي: حسن صحيح، وقد روى الجملة الأولى فقط أحمد وعبد بن حميد والترمذي وقال حسن غريب، والطبراني والبيهقي والضياء من حديث عبدالله بن بسر. وفي الباب عن ابن عمر رواه القضاعي في مسند الشهاب، والديلمي في مسند الفردوس، وعن جابر رواه الحاكم، وعن أبي هريرة رواه أحمد والبزار وألفاظهم مختلفة وقد تقدم.

(ويروى) في بعض الأخبار (أن الله تعالى يقول لملائكته: ما بال عبادي مجتهدين؟ فيقولون: إلهنا خوّفتهم شيئاً فخافوه وشوّقتهم إلى شيء فاشتاقوا إليه فيقول الله تبارك وتعالى: فكيف لو رآني عبادي لكانوا أشد اجتهاداً) نقله صاحب القوت. (وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: (أدركت أقواماً وصحبت طوائف منهم) يعني بهم الصحابة وكبار التابعين (ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شيء منها أدبر ولهي كانت أهون في عينهم من هذا التراب الذي تطأونه بأرجلكم، إن كان أحدهم ليعيش عمره كله ما طوى له ثوب) أي لاقتصاره على الثوب الواحد، (ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الأرض شيئاً قط) أي حائلاً من فرش غير ثوبه الذي على بدنه، (وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنّة نبيهم) ﷺ (إذا جنّهم الليل فقيام على أطرافهم)

يفترشون وجوههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم، إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم، والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك ووالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة.

ويحكى أن قوماً دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه وإذا فيهم شاب ناحل الجسم، فقال عمر له: يا فتى ما الذي بلغ بك ما أرى؟ فقال: يا أمير المؤمنين أسقام وأمراض، فقال: سألتك بالله ألا صدقتني؟ فقال: يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها، وكأني أنظر إلى عرش ربي والناس يساقون إلى الجنة والنار فاظمأت لذلك نهاري وأسهرت ليلي، وقليل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه. وقال أبو نعيم:

يصلون، (**يفترشون وجوههم**) إشارة إلى كثرة السجود، (**تجري دموعهم على خدودهم، يناجون ربهم**) أي يتضرعون (**في فكاك رقابهم، إذا عملوا الحسنة فرحوا بها**) حيث وفقهم الله تعالى لها (**ودأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم، والله ما زالوا كذلك**) أي مداومين (**وعلى ذلك**) أي مستقيمين، (**والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة**) نقله صاحب القوت هكذا مجموعاً.

وقد روي ذلك عن الحسن بأسانيد متفرقة قال أحمد في الزهد: حدثنا صفوان بن عيسى، حدثنا هشام بن حسان، سمعت الحسن يقول: والله لقد أدركت أقواماً ما طوى لأحدهم في بيته ثوب قط، وما أمر في أهله بصنعة طعام قط، وما جعل بينه وبين الأرض شيئاً قط وإن كان أحدهم يقول: لوددت أني أكلت أكلة تصير في جوفي مثل الآجرة. قال: ويقول بلغنا أن الآجرة تبقى في الماء ثلاثمائة سنة. وروى أبو نعيم من طريق الفضيل بن عياض عن هشام عن الحسن قال: لقد أدركت أقواماً ما كانوا يفرحون بما أقبل عليهم من الدنيا ولا يأسون بما أدبر منها.

(**ويحكى أن قوماً دخلوا على عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى (**يعودونه في مرضه، وإذا فيهم شاب ناحل الجسم**) أي متغيره (**فقال له عمر: يا فتى ما الذي بلغ بك ما أرى؟ فقال: يا أمير المؤمنين أسقام وأمراض. فقال: سألتك بالله إلا ما صدقتني**) وأنه تفرس فيه أن هذا النحول ليس عن مرض طبيعي. (**قال: يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرّة وصغر عندي زهرتها**) أي زينتها (**وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها، وكأني أنظر إلى عرش ربي والناس يساقون إلى الجنة والنار فاظمأت لذلك نهاري**) بالصيام (**وأسهرت ليلي**) بالقيام (**وقليل حقير كل ما أنا فيه**) من الاجتهاد (**في جنب ثواب الله وعقابه**).

كان داود الطائي يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فقيل له في ذلك فقال: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية. ودخل رجل عليه يوماً فقال: إن في سقف بيتك جزعاً مكسوراً فقال: يا ابن أخي إن لي في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت إلى السقف. وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام. وقال محمد بن عبد العزيز:

وقد روى أبو نعيم في ترجمة عمر بن عبد العزيز ما يشبه هذا السياق، ويدل على شدة اجتهاده قال: أخبرنا محمد بن إبراهيم في كتابه، حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا السري بن عاصم، حدثنا إبراهيم بن هراسة، عن الثوري، عن أبي الزناد، عن أبي حازم الأسدي الخناصري قال، قدمت على عمر بن عبد العزيز بخناصرة وهو يومئذ أمير المؤمنين، فلما نظر إليّ عرفني ولم أعرفه فقال لي: ادن يا أبا حازم فلما دنوت منه عرفته فقلت: أنت أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قلت: ألم تكن عندنا بالأمس أميراً لسليمان بن عبد الملك وكان مركبك وطياً وثوبك نقياً ووجهك بهياً وطعامك هنياً وقصرك مشيداً وحديثك كثيراً، فما الذي غيّر ما بك وأنت أمير المؤمنين؟ فقال: أعد عليّ الحديث الذي حدثتنيه بالمدينة. فقلت: نعم يا أمير المؤمنين سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بين أيديكم عقبة كؤداً مضرسة لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول» قال: فبكى أمير المؤمنين بكاء عالياً حتى علا نحيبه ثم قال: يا أبا حازم أفتلومني أن أضمر نفسي لتلك العقبة لعلّي أن أنجو منها وما أظننى منها بناج.

(**وقال أبو نعيم**) أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني رحمه الله تعالى صاحب الحلية: (**كان داود**) بن نصير (**الطائي**) رحمه الله تعالى (**يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فقيل له في ذلك. فقال: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية**). رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا محمد بن عبدالله بن مصعب، حدثنا علي بن حرب، حدثنا إسماعيل بن الريان قال: قالت داية داود الطائي: يا أبا سليمان أما تشتهي الخبز؟ قال: يا داية بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية.

حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا عباس بن حمدان الحنفي، حدثنا الحضرمي بالبصرة، حدثنا نصر بن عبد الرحمن، حدثنا عامر بن إسماعيل الأحمسي قال: قلت لداود الطائي بلغني أنك تأكل هذا الخبز اليابس تطلب به الخشونة. فقال: سبحان الله كيف وقد ميزت بين أكل الخبز اليابس وبين اللبن فإذا هو قراءة مائتي آية، ولكن ليس لي من يخبز فربما يبس علي.

(**ودخل رجل عليه يوماً فقال: إن في سقف بيتك جذعاً مكسورة. فقال: يا ابن أخي إن لي في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت إلى السقف، وكانوا يكرهون من فضول النظر كما يكرهون من فضول الكلام**). رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبي، حدثنا عبدالله بن محمد بن يعقوب، حدثنا أبو حاتم، حدثنا محمد بن يحيى بن عمر الواسطي، حدثنا محمد بن بشير، حدثنا حفص بن عمر الجعفي قال: دخل رجل على داود الطائي فقال: يا أبا سليمان بعت كل شيء

جلسنا إلى أحمد بن رزين من غدوة إلى العصر فما التفت يمنة ولا يسرة فقيل له في ذلك فقال: إن الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد إلى عظمة الله تعالى، فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة. وقالت امرأة مسروق: ما كان يوجد مسروق إلا وساقاه منتفختان من طول الصلاة؟ وقالت: والله إن كنت لأجلس خلفه فأبكي رحمة

في الدار حتى التراب وبقيت تحت نصف سقف، فلو سوّيت هذا السقف فكان يكنك من الحر والمطر والبرد. فقال داود اللهم غفراً كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام. يا عبدالله اخرج عني فقد شغلت علي قلبي إني أبادر جفوف القلم وطيّ الصحيفة.

حدثنا أحمد بن جعفر، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبو موسى الأنصاري، حدثنا عبادة بن كليب قال: قال رجل لداود الطائي: لو أمرت بما في سقف البيت من نسج العنكبوت فينظف. قال له: أما علمت أنه كان يكره فضول النظر.

حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن يحيى بن منده، حدثنا الحسن بن منصور بن مقاتل، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا عبد الرحمن بن مصعب قال: رؤي على داود الطائي جبة متخرقة، فقال له رجل: لو خيطتها. قال: أما علمت أنه نهي عن فضول النظر.

حدثنا أبو بكر عبدالله بن محمد، حدثنا عبدالله بن أحمد بن سوادة، حدثنا عباس الترفقي، سمعت معاوية بن عمرو يقول: كنا عند داود الطائي يوماً فدخلت الشمس من الكوّة فقال له بعض من حضر: لو أذنت لي سددت هذه الكوّة. فقال: كانوا يكرهون فضول النظر. وكنا عنده يوماً آخر فإذا فروه قد تخرق وخرج خمله فقال له بعض من حضر: لو أذنت لي خيطته. فقال: كانوا يكرهون فضول الكلام.

(وقال) أبو روح **(محمد بن عبد العزيز)** الجرمي، ويقال الراسبي البصري ثقة، روى له البخاري ومسلم والترمذي: **(جَلسنا إلى أحمد بن رزين من غدوة إلى العصر فما التفت يميناً ولا يسرة)** وذلك لكمال مراقبة لجلال الله وعظمته **(فقيل له في ذلك، فقال: إن الله عز وجل خلق العينين لينظر بهما العبد إلى عظمة الله تعالى)** وجلاله وهذا شكرهما، **(فكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه)** نظرته **(خطيئة)**.

(وقالت امرأة مسروق) بن الأجدع الهمداني الوادعي أبي عائشة الكوفي تابعي جليل، روى له الأربعة وامرأته هي نمير كأمير ابنة عمرو الكوفية روى لها أبو داود والنسائي: **(ما كان يوجد مسروق إلا وساقاه منتفختان من طول الصلاة)** بالليل. **(وقالت: والله إن كنت لأجلس خلفه فأبكي رحمة له)** رواه المزي في التهذيب من طريق أنس بن سيرين عنها. قالت: كان مسروق يصلي حتى تورم قدماه، فربما جلست خلفه أبكي مما أراه يصنع بنفسه. وقال الشعبي: غشي على مسروق في يوم صائف وهو صائم. وكانت عائشة زوج النبي ﷺ قد تبنته فسمّى ابنته عائشة،

له. وقال أبو الدرداء: لولا ثلاث ما أحببت العيش يوماً واحداً: الظمأ لله بالهواجر، والسجـود لله في جوف الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقي أطايب الثمر. وكان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصفر، فكان علقمة بن قيس يقول له: لم تعذب نفسك؟ فيقول: كرامتها أريد. وكان

وكان لا يعصى ابنته شيئاً فنزلت إليه فقالت: يا أبتاه افطر واشرب. قال: ما أردت يا بنية؟ قالت: الرفق قال: يا بنية إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(لولا ثلاث ما أحببت العيش يوماً واحداً: الظمأ لله بالهواجر، والسجود لله في جوف الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما تنتقي أطايب التمر)** رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرني، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، عن عبدالله بن الوليد، عن عباس بن خليد الحجري، عن أبي الدرداء أنه قال: لولا ثلاث خصال لأحببت أن لا أبقى في الدنيا فقلت: وما هنّ؟ قال: لولا وضوع وجهي للسجود لخالقي، واختلاف الليل والنهار يكون تقدمة لحياتي، وظمأ الهواجر ومقاصدة أقوام ينتقون الكلام كما تنتتقى الفاكهة، وتمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً يكون حاجزاً بينه وبين الحرام إن الله قد بيّن لعباده الذي هو يصيرهم إليه قال الله تعالى: ﴿من يعمل مثقال ذرة خيراً يره★ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] فلا تحقرن شيئاً من الشر أن تتقيه ولا شيئاً من الخير أن تفعله.

(وكان الأسود بن يزيد) بن قيس النخعي أبو عمر، ويقال أبو عبد الرحمن الكوفي أبو عبد الرحمن بن يزيد وابن أخي علقمة بن قيس، وكان أسن من علقمة ووالد عبد الرحمن. وقال ابـراهيم: توفي بالكوفة سنة خمسة وأربعين، روى له الجماعة. **(يجتهد في العبادة ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس)** بن عبدالله بن مالك النخعي أبو شبل عمّ الأسود وعبد الرحمن بن يزيد. وقال إبراهيم: **(يقول له لم تعذب نفسك؟ فيقول: كرامتها أريد)**. رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، حدثنا أبو حميد الحمصي، حدثنا يحي بن سعيد، حدثنا يزيد بن أبي عطاء، عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم: الأسود بن يزيد كان يجتهد في العبادة يصوم حتى يخضرّ جسده ويصفرّ، وكان علقمة بن قيس يقول له: لم تعذب هذا الجسد؟ قال: راحة هذا الجسد أريد.

ورواه أحمد في الزهد فقال: حدثنا حجاج، حدثنا محمد بن طلحة، عن عبد الرحمن بن ثروان الأودي قال: كان الأسود بن يزيد يجهد نفسه في الصوم والعبادة حتى يخضر جسده ويصفر، وكان علقمة يقول له: ويحك كم تعذب هذا الجسد! فيقول: إن الأمر جدّ إن الأمر جدّ.

قال: وحدثنا معمر بن سليمان الرقي، حدثنا عبد الله بن بشر أن علقمة والأسود حجا وكـان

يصوم حتى يخضر جسده ويصلي حتى يسقط ، فدخل عليه أنس بن مالك والحسن فقالا له : إن الله عز وجل لم يأمرك بكل هذا ! فقال : إنما أنا عبد مملوك لا أدع من الاستكانة شيئاً إلا جئت به . وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم ألف ركعة ، حتى أقعد من رجليه فكان يصلي جالساً ألف ركعة فإذا صلى العصر احتبى ثم قال : عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلاً منك ! عجبت للخليقة أنست بسواك ! بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبهم بذكر سواك ! وكان ثابت البناني قد حببت إليه الصلاة فكان يقول : اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلي لك في قبر فائذن لي أن أصلي في قبري . وقال

الأسود صاحب عبادة وصام يوماً فراح الناس بالهجير وقد تربد وجهه فأتاه علقمة فضرب على فخذه فقال : ألا تتقي الله يا أبا عمرو في هذا الجسد علام تعذب هذا الجسد ! فقال الأسود : يا أبا شبل الجد الجد .

وروى أبو نعيم من طريق علي بن مدرك قال : قال علقمة للأسود لم تعذب هذا الجسد وهو يصوم ؟ قال : الراحة أريد له .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا الفضل بن دكين ، حدثنا الحنش بن الحرث قال : رأيت الأسود بن يزيد قد ذهبت إحدى عينيه من الصوم ، **(وكان يصوم حتى يخضرّ جسده ويصلي حتى يسقط)** مغشياً عليه ، **(فدخل عليه أنس بن مالك)** رضي الله عنه **(والحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(فقالا له : إن الله تعالى لم يأمرك بكل هذا . فيقول : إنما أنا عبد مملوك لا أدع من الاستكانة شيئاً إلا جئت به)** قال ميمون أبو حمزة سافر الأسود ثمانين حجة وعمرة لم يجمع بينهما وسافر ابنه عبد الرحمن أيضاً كذلك ، وقال غيره : كان عبد الرحمن بن الأسود يصلي كل يوم سبعمائة ركعة ، وكانوا يقولون : إنه أقل أهل بيته اجتهاداً . قال : وكانوا يسمون آل الأسود من أهل الجنة . وسئل الشعبي عن علقمة والأسود فقال : كان الأسود صوّاماً قوّاماً كثير الحج ، وكان علقمة مع البطء ويدرك السريع . وقال إبراهيم : كان علقمة يقرأ القرآن في خمس والأسود في ست ، وعبد الرحمن بن يزيد في سبع . وقال الشعبي : إن كان أهل بيت خلقوا للجنة فهم أهل هذا البيت علقمة والأسود وعبد الرحمن .

(وكان بعض المجتهدين يصلي كل يوم ألف ركعة حتى أقعد من رجليه فكان يصلي جالساً ألف ركعة ، فإذا صلى العصر احتبى ثم قال : عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلاً منك ، عجبت الخليقة كيف أنست بسواك بل عجبت الخليقة استنارت قلوبها بذكر سواك . وكان) أبو محمد **(ثابت)** بن سالم **(البناني)** البصري رحمه الله تعالى وبنانة هم بنو سعد ابن لؤي بن غالب ، قال ابن عدي : هو من تابعي البصرة وزهادهم ومحدثيهم **(قد حبب إليه الصلاة فكان يقول : اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلي لك في قبره فائذن لي أن أصلي في قبري)** . رواه أبو نعيم في الحلية فقال : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن ، حدثنا أحمد

الجنيد: ما رأيت أعبد من السري! أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضطجعاً إلا في علة الموت. وقال الحارث بن سعد: مرّ قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده، فكلموه في ذلك فقال: وما هذا عندما يراد بالخلق من ملاقاة الأهوال وهم غافلون، قد اعتكفوا على حظوظ أنفسهم ونسوا حظهم الأكبر من ربهم. فبكى القوم

ابن الفضيل المكي، حدثنا حمزة بن ربيعة، حدثني ابن شوذب قال: سمعت ثابتاً البناني يقول: اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك أن يصلي لك في قبره فاعطني.

حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق السراج، حدثنا عمر بن شيبة، حدثنا يوسف بن عطية، سمعت ثابتاً يقول لحميد الطويل: هل بلغك يا أبا عبيدة أن أحداً يصلي في قبره إلا الأنبياء؟ قال: لا. قال ثابت: اللهم إن أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لثابت أن يصلي في قبره. قال: وكان ثابت يصلي قائماً حتى يعيا، فإذا عيي جلس فصلى وهو جالس، ويحتبي في قعوده ويقرأ. فإذا أراد أن يسجد وهو جالس حل حبوته.

حدثنا عثمان بن محمد العثماني، حدثنا إسماعيل بن علي الكرابيسي، حدثني محمد بن سنان الفزار، حدثنا سيار بن حبيش عن أبيه قال: أنا والله الذي لا إله إلا هو ادخلت ثابتاً البناني لحده ومعي حميد الطويل أو رجل غيره شك محمد قال: فلما سوّينا عليه اللبن سقطت لبنة فإذا أنا به يصلي في قبره، فقلت للذي معي: ألا ترى؟ قال: اسكت، فلما سوّينا عليه التراب وفرغنا أتينا ابنته فقلنا لها: ما كان عمل ثابت؟ قالت: وما رأيتم فخبرناها. فقالت: كان يقوم الليل خمسين سنة، فإذا كان السحر قال في دعائه: اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة في قبره فاعطنيها، فما كان الله تعالى ليرد ذلك الدعاء.

(وقال الجنيد) قدس سره: **(ما رأيت أعبد لله)** عز وجل **(من السري)** بن المغلس السقطي رحمه الله تعالى **(أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رؤي مضجعاً إلا في علة الموت)** رواه القشيري عن أبي عبد الرحمن السلمي سماعاً قال: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عمر الانماطي يقول: سمعت الجنيد يقول: ما رأيت أعبد من السري فذكره.

ورواه الخطيب من طريق ابن باكويه، حدثنا أبو بكر أحمد بن إسماعيل الصوري قال: سمعت فاطمة بنت أحمد أخت أبي علي الروذباري قالت: سمعت أخي، ومن طريق علي بن الحسن الصيقلي قال: سمعت الفرغاني قال: سمعنا الجنيد يقول فذكره. وهو تنبيه على كمال مجاهدته وملازمته الإقبال على الله تعالى بالقلب والجوارح.

(وقال الحرث بن سعد: مرّ قوم براهب فرأوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك فقال: وما هذا عند ما يراد بالخلق من ملاقاة الأهوال وهم غافلون قد اعتكفوا على حظوة أنفسهم ونسوا حظهم الأكبر من ربهم؟ فبكى القوم عن آخرهم).

عن آخرهم. وعن أبي محمد المغازلي قال: جاور أبو محمد الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند إلى عمود ولا إلى حائط ولم يمد رجليه، فعبر عليه أبو بكر الكتاني فسلم عليه وقال له: يا أبا محمد بِمَ قدرت على اعتكافك هذا؟ فقال: علم صدق باطني فأعانني على ظاهري، فاطرق الكتاني ومشى مفكراً. وعن بعضهم قال: دخلت على فتح الموصلي، فرأيته قد مدّ كفيه يبكي حتى رأيت الدموع تنحدر من بين أصابعه فدنوت منه فإذا دموعه قد خالطها صفرة، فقلت: ولم بالله يا فتح بكيت الدم؟ فقال: لولا أنك حلفتني بالله ما أخبرتك، نعم بكيت دماً فقلت له: على ماذا بكيت الدموع؟ فقال: على تخلفي عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون ما صحت لي الدموع؟ قال: فرأيته بعد موته في المنام فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي، فقلت له: فماذا

يشير إلى أن هذا الذي رأيتموه من الاجتهاد في العبادة يسير بالإضافة إلى ما أعدّ من الأهوال في يوم القيامة.

(وعن أبي محمد المغازلي) كذا في النسخ، ولعله أبو جعفر محمد بن منصور المغازلي عبد صالح بغدادي، روى عن بشر الحافي، وعنه محمد بن مخلد العطار **(قال: جاور أبو محمد)** أحمد بن محمد بن الحسين الجريري بضم الجيم من أكابر أصحاب الجنيد **(بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند إلى عموده ولا إلى حائط ولم يمدّ** رجليه **فعبر عليه أبو بكر)** محمد بن علي **(الكتاني)** البغدادي من أصحاب الجنيد جاور بمكة إلى أن مات بها سنة ٣٢٢، **(فسلم عليه. وقال: يا أبا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا؟ فقال: علم صدق باطني فاعانني على ظاهري فأطرق الكتاني ومشى مفكراً)** يشير إلى أن الاجتهاد لا يتم ولا يعان عليه إلا بصدق الباطن وزاد ابن الملقن أنه أنشد عقيب جوابه:

شكرتك لا أني أجازيك منعماً ... بشكر ولا كيما يقال له الشكرُ
وأذكر أيامي لديك وحسنها ... وآخر ما يبقى على الناكر الذكرُ

(وعن بعضهم) وهو أبو إسماعيل من أصحاب فتح وكان نصرانياً من أهل الموصل، أسلم على يدي فتح وصحبه **(وقال: دخلت على فتح)** بن سعيد **(الموصلي)** من أقران بشر والسري وكان كبير الشأن في الورع والمعاملات توفي سنة ٢٢٠، وهو غير فتح بن شخرف الكنتي، فوفاته ببغداد سنة ٢٧٣ وكثيراً ما يشتبه هذا بذاك فاحفظ ذلك. **(فرأيته وقد مدّ كفيه يبكي حتى رأيت الدموع تنحدر من بين أصابعه فدنوت منه)** لأنظر إليه، **(فإذا دموعه قد خالطها صفرة! فقلت: ولم بالله يا فتح بكيت الدم. فقال: لولا أنك حلفتني بالله ما أخبرتك. نعم بكيت دماً، فقلت له: على ماذا بكيت الدموع؟ فقال)**: بكيت الدموع **(على تخلفي عن واجب حق الله تعالى، وبكيت الدم على الدموع لئلا يكون)** أي خوفاً أن يكون **(ما صحت لي الدموع. قال)** أبو إسماعيل: **(فرأيته بعد موته في المنام فقلت: ما صنع الله بك؟ فقال:**

صنع في دموعك؟ فقال: قرّبني ربي عز وجل وقال لي: يا فتح الدمع على ماذا؟ قلت يا رب تخلفي عن واجب حقك، فقال: والدم على ماذا؟ قلت: على دموعي أن لا تصح لي، فقال لي: يا فتح ما أردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد صعد حافظاك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة قط، وقيل ان قوماً أرادوا سفراً فحادوا عن الطريق، فانتهوا إلى راهب منفرد عن الناس فنادوه فاشرف عليهم من صومعته، فقالوا: يا راهب إنا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق؟ فأومأ برأسه إلى السماء، فعلم القوم ما أراد، فقالوا يا راهب إنا سائلوك فهل أنت مجيبنا؟ فقال: سلوا ولا تكثروا فإن النهار لن يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فعجب القوم من كلامه، فقالوا يا راهب علامَ الخلق غداً عند مليكهم؟ فقال: على نياتهم، فقالوا: أوصنا، فقال: تزوّدوا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما بلغ البغية، ثم أرشدهم إلى الطريق وأدخل رأسه في صومعته. وقال عبد

غفر لي، فقلت له: فماذا صنع في دموعك؟ فقال: قربني ربي عز وجل وقال لي: يا فتح الدمع على ماذا؟ قلت: يا رب على تخلفي عن واجب حقك. قال: والدم على ماذا؟ قلت: على دموعي أن لا تصح لي. فقال يا فتح ما أردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد صعد) إليَّ (**حافظاك**) منذ (**أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة**) واحدة. هكذا ساقه السراج بن الملقن في طبقات الخواص في ترجمة فتح المذكور.

وساقه ابن السراج في مصارع العشاق مختصراً فقال: حدثنا جعفر الخلدي قال: حدثنا أحمد بن مسروق، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا محمد بن الفرج العابد قال: قلت لأبي إسماعيل ذات يوم وكان قد بكى حتى ذهبت إحدى عينيه وغشي من الأخرى، حدثني ببعض أمر فتح. قال: فبكى ثم قال: أخبرك عنه كان والله كهيئة الروحانيين معلق القلب بما هناك ليست له راحة في الدنيا. ثم ساق القصة باختصار (وقد تقدم شيء من أحواله في كتاب المحبة فراجعه.

(**وقيل: إن قوماً أرادوا سفراً عن الطريق**) أي مالوا (**فانتهوا إلى راهب**) في ديره (**منفرد عن الناس فنادوه فأشرف عليهم من صومعته فقالوا: يا راهب إنا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق؟ قال: فأومأ**) أي أشار (**برأسه إلى السماء**) أي إلى الله ولا بدّ لكل سالك من هذا الطريق ولا خطأ فيه، (**فعلم القوم ما أراد. فقالوا: يا راهب إنا سائلوك فهل أنت مجيبنا؟ فقال: لـولا تكثروا فإن النهار لا يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث**) أي مسرع في الطلب (**فعجب القوم من كلامه فقالوا: يا راهب علام الخلق غداً عند مليكهم؟ فقال: على نياتهم، فقالوا: أوصنا. فقال: تزودوا على قدر سفركم فإن خير الزاد ما بلغ البغية**) أي المقصد، (**ثم أرشدهم إلى الطريق وأدخل رأسه في صومعته**).

الواحد بن زيد: مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة فأشرف علي وقال: يا هذا ما أنا براهب إنما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته، وفكر في حسابه وعقابه فنهاره صائم وليله قائم، قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار، فذلك هو الراهب، وأما أنا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا أعقرهم! فقلت يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله بعد أن عرفوه؟ فقال: يا أخي لم يقطع الخلق عن الله إلا حب الدنيا وزينتها لأنها محل المعاصي والذنوب، والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب إلى الله تعالى من ذنبه وأقبل على ما يقربه من ربه. وقيل لداود

(وقال عبد الواحد بن زيد) البصري العابد: (**مررت بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته: يا راهب فلم يجبني، فناديته الثانية فلم يجبني، فناديته الثالثة فأشرف علي وقال: يا هذا ما أنا براهب إنما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وفكر في حسابه وعقابه، فنهاره صائم وليله قائم قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار فذلك هو الراهب. وأما أنا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا أعقرهم، فقلت: يا راهب فما الذي قطع الخلق عن الله بعد إذ عرفوه؟ فقال: يا أخي لم يقطع الخلق عن الله إلا حب الدنيا وزينتها لأنها محل المعاصي والذنوب، والعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب إلى الله من ذنبه وأقبل على ما يقربه من ربه**).

قلت: هذه الحكاية ما رأيتها في الحلية في ترجمة عبد الواحد بن زيد، وإنما فيها من طريق أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان الداراني يقول: قال عبد الواحد بن زيد: مررت براهب في صومعته فقلت لأصحابي: قفوا. قال: فكلمته فقلت: يا راهب فكشف ستراً على باب صومعته فقال: يا عبد الواحد بن زيد إن أحببت أن تعلم علم النفس فاجعل بينك وبين الشهوات حائطاً من حديد. قال: وأرخى الستر.

ولكن أخرج في ترجمة إبراهيم بن أدهم ما يشبه سياقه بسياق هذه الحكاية قال: حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن حمدان النيسابوري، حدثنا إسماعيل بن عبدالله بن عبد الكريم الشامي، سمعت بقية بن الوليد يقول: قال إبراهيم بن أدهم، مررت بصومعة والصومعة على عمود والعمود على قلة جبل كلما عصفت الريح تمايلت الصومعة فناديته قلت: يا راهب فلم يجبني، ثم ناديته فلم يجبني، فقلت في الثالثة: بالذي حبسك في صومعتك إلا أجبتني. فاخرج رأسه من صومعته فقال: كم تنوح سميتني باسم لم أكن له بأهل قلت: يا راهب قال: ولست براهب إنما الراهب

الطائي: لو سرحت لحيتك، فقال: إني إذاً لفارغ. وكان أويس القرني يقول: هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة، وإذا كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة. وقيل لما تاب عتبة الغلام كان لا يتهنأ بالطعام والشراب فقالت له

من رهب من ربه. قلت: فما أنت؟ قال: سبحان الله سجنت سبعاً من السباع. قلت: ما هو؟ قال: لساني سبع ضار إن أرسلته مزق الناس. يا حنيفي إن لله عباداً صماً سمعاً وبكماً نطقاً وعمياً بصراً سلكوا خلال دار الظالمين، واستوحشوا من مؤانسة الجاهلين، وشابوا ثمرة العلم بنور الإخلاص، وفزعوا بربح اليقين حتى أرسوا بشّط نور الإخلاص هم والله عباد كحلوا أبصارهم بسهر الليل، فلو رأيتهم في ليلهم وقد نامت عيون الخلق وهم قيام على أطرافهم يناجون من لا تأخذه سنة ولا نوم. يا حنيفي عليك بطريقهم. قلت: فعلى الإسلام أنت؟ قال: ما أعرف غير الإسلام ديناً ولكن عهد إلينا المسيح عليه السلام ووصف لنا آخر زمانكم فخليت الدنيا وأن دينك جديد. فلو قد خلق قال بقية فما أتى على إبراهيم شهر حتى هرب من الناس.

(**وقيل لداود الطائي**) رحمه الله تعالى: (**لو سرحت لحيتك. فقال: إني إذاً لفارغ**). رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا محمد بن يحيى بن عيسى قال: سمعت محمد بن إبراهيم التيمي يقول: سمعت عبدالله بن داود الخربي يقول: قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك؟ فقال: إني إذاً لفارغ.

حدثنا محمد بن علي بن حبيش، حدثنا أبو شعيب الحراني، حدثنا أحمد بن عمران الأخنسي، حدثنا الوليد بن عقبة قال: سمعت رجلاً قال لداود الطائي: يا أبا سليمان ألا تسرح لحيتك؟ قال: إني عنها لمشغول.

حدثنا أبي، حدثنا عبدالله بن محمد بن يعقوب، حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس، حدثنا محمد بن يحيى بن عمر الواسطي، حدثنا محمد بن بشير، حدثنا حفص بن عمر الجعفي قال: قيل لداود الطائي: يا أبا سليمان لم لا تسرح لحيتك؟ قال: الدنيا دار مأتم.

(**وكان أويس**) بن عامر (**القرني**) رحمه الله تعالى (**يقول: هذه ليلة الركوع فيحيي الليل كله في ركعة، وإذا كانت الليلة الآتية قال: هذه ليلة السجود فيحيي الليل كله في سجدة**) رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد، حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا عبدالله بن عبد الكريم، حدثنا سعيد بن أسد بن موسى، حدثنا حمزة بن ربيعة، عن أصبغ بن زيد قال: كان أويس يقول: هذه ليلة الركوع فيركع حتى يصبح، وكان إذا أمسى يقول: هذه ليلة السجود فيسجد حتى يصبح وإذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثم يقول: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به.

(**وقيل: لما تاب عتبة**) بن أبان (**الغلام**) رحمه الله تعالى (**كان لا يتهنى بالطعام**

أمه لو رفقت بنفسك؟ قال: الرفق أطلب! دعيني أتعب قليلاً وأتنعم طويلاً. وحج مسروق فما نام قط إلا ساجداً. وقال سفيان الثوري عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى. وقال عبدالله بن داود: كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه أي كان لا ينام طول الليل. وكان كهمس بن الحسن يصلي كل يوم ألف ركعة ثم يقول لنفسه: قومي يا مأوى كل شر! فلما ضعف اقتصر على خمسمائة، ثم كان

والشراب فقالت له أمه: لو رفقت بنفسك. قال: الرفق أطلب دعيني أتعب قليلاً وأتنعم طويلاً) رواه أبو نعيم في الحلية وروى أيضاً بسنده إلى عبد الواحد بن زيد قال: وبما سهرت مفكراً في طول حزن عتبة ولقد كلمته ليرفق بنفسه فبكى وقال: إنما أبكي على تقصيري.

(وحج مسروق) بن الأجدع الهمداني الكوفي التابعي **(فما نام قط إلا ساجداً)** رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن علي، حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا علي بن الجعد، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال: حج مسروق فما بات إلا ساجداً.

حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا أبو همام، حدثنا ضمرة عن العلاء بن هارون سمعته يقول: حج مسروق فما افترش إلا جبهته حتى انصرف.

ورواه المزي في التهذيب من طريق أبي إسحاق قال: حج مسروق فلم ينم إلا ساجداً على وجهه حتى رجع.

وروى البيهقي في الشعب من طريق عبد الصمد بن سليمان بن أبي مطر قال: بت عند أحمد بن حنبل فوضع لي ماء قال: فلما أصبحت وجدني لم أستعمله، فقال صاحب حديث لا يكون له ورد بالليل. قال: قلت أنا مسافر قال: وإن كنت مسافراً حجَّ مسروق فما نام إلا ساجداً. ورواه الخطيب مختصراً من طريق إبراهيم بن محمد بن سفيان، سمعت أبا عصمة بن عصام البيهقي يقول: بت ليلة عند أحمد بن حنبل فذكره.

(وقال سفيان الثوري) رحمه الله تعالى **(عند الصباح يحمد القوم السرى، وعند الممات يحمد القوم التقى)** رواه البيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية.

(وقال) أبو عبد الرحمن **(عبدالله بن داود)** بن عامر بن الربيع الهمداني الكوفي المعروف بالخربي سكن الخريبة وهي محلة بالبصرة ثقة عابد ناسك مات سنة ثلاث عشرة ومائتين، روى له الجماعة سوى مسلم: **(كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه أي كان لا ينام الليل)** فطيّ الفراش كناية عن ذلك.

(وكان أبو الحسن كهمس بن الحسن) التميمي البصري العابد مات سنة تسع وأربعين ومائة روى له الجماعة **(يصلي كل يوم ألف ركعة ويقول لنفسه: قومي يا مأوى كل شر فلما ضعف اقتصر على خمسمائة)** ركعة، **(ثم كان يبكي ويقول: ذهب نصف عملي)** رواه أبو نعيم في

يبكي ويقول ذهب نصف عملي. وكانت ابنة الربيع بن خثيم تقول له: يا أبت ما لي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟ فيقول: يا ابنتاه إن أباك يخاف البيات. ولما رأت أم الربيع ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته يا بني لعلك قتلت قتيلاً! قال: نعم يا أماه، قالت: فمن هو حتى نطلب أهله فيعفوا عنك؟ فوالله لو يعلمون ما أنت فيه لرحموك وعفوا عنك، فيقول: يا أماه هي نفسي. وعن عمر ابن أخت بشر بن الحارث قال: سمعت خالي بشر بن الحارث يقول لأمي يا أختي جوفي وخواصري تضرب علي، فقالت له أمي: يا

الحلية فقال: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن الحسين بن نصر، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، حدثني الهيثم بن معاوية، عن شيخ من أصحابه قال: كان كهمس يصلي ألف ركعة في اليوم والليلة فإذا ملَّ قال لنفسه: قومي يا مأوى كل سوء فوالله ما رضيتك لله ساعة قط.

(وكانت ابنة الربيع بن خثيم) كزبير بن عائذ بن عبدالله الثوري الكوفي (تقول له: يا أبت مالي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام؟ فيقول: يا ابنتاه إن أباك يخاف البيات) أي أن يفجأه العدوّ ليلاً. رواه البيهقي في الشعب من طريق سعيد بن عبدالله بن الربيع بن خثيم عن عمته قالت: كنت أقول لأبي: يا أبتاه لا تنام، فيقول: يا بنية كيف ينام من يخاف البيات ورواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا محمد بن عبدالله، حدثني رستة، حدثنا أبو أيوب، حدثنا جعفر بن سليمان، سمعت مالك بن دينار يقول: قالت ابنة الربيع بن خثيم للربيع: يا أبت مالك لا تنام والناس ينامون؟ فقال: إن النار لا تدع أباك أن ينام.

(ولما رأت أم الربيع) بن خثيم (ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته: يا بني لعلك قتلت قتيلاً؟ قال: نعم يا أماه. قالت: من هو حتى نطلب إلى أهله فيعفوا عنك، فوالله لو يعلمون ما أنت فيه لرحموك وعفوا عنك فيقول: يا أماه هي نفسي) رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس عن سفيان قال: بلغنا أن أم الربيع كانت تنادي ابنها فتقول: يا بني يا ربيع ألا تنام؟ فيقول: يا أمه من جنَّ عليه الليل وهو يخاف النار حق له أن لا ينام، فلما بلغ ورأت ما يلقى من البكاء والسهر نادته فقالت: يا بني لعلك قد قتلت قتيلاً؟ فقال: نعم يا والدتاه قد قتلت قتيلاً. فقالت: ومن هذا القتيل يا بني حتى نتجمل إلى أهله فيعفوك والله لو يعلمون ما تلقى من البكاء والسهر بعد لقد رحموك. فقال: يا والدتاه هي نفسي (و) يحكى (عن) أبي حفص (عمر ابن أخت بشر بن الحارث) الحافي حكي عنه أبو بكر المروزي والفتح بن شخرف (قال: سمعت خالي بشر بن الحرث يقول لأمي) واسمها زبدة بنت الحرث وكانت من الزاهدات حكى عنها علان العصايري، وماتت قبل بشر، فقد روى علي بن محمد بن بشران من طريق محمد بن يوسف الجوهري به قال: سمعت بشر ابن الحرث يقول؟ يوم ماتت أخته: إن العبد إذا قصر في الطاعة سلبه من يؤنسه، وحكايتها مع

أخي تأذن لي حتى أصلح لك قليل حساء بكف دقيق عندي تتحساه يرم جوفك فقال لها: ويحك أخاف أن يقول من أين لك هذا الدقيق؟ فلا أدري ايش أقول له. فبكت أمي وبكى معها وبكيت معهم. قال عمر: ورأت أمي ما ببشر من شدّة الجوع وجعل يتنفس نفساً ضعيفاً فقالت له أمي: يا أخي ليت أمك لم تلدني فقد والله تقطعت كبدي مما أرى بك. فسمعته يقول لها وأنا فليت أمي لم تلدني وإذ ولدتني لم يدر ثديها علي. قال عمر: وكانت أمي تبكي عليه الليل والنهار. وقال الربيع: أتيت أويساً فوجدته جالساً قد صلى الفجر، ثم جلس فجلست فقلت لا أشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلى الظهر، ثم قام إلى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب، ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء، ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح، ثم جلس فغلبته عيناه فقال: اللهم إني أعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لا يشبع! فقلت: حسبي هذا منه، ثم رجعت ونظر رجل إلى أويس فقال يا أبا عبدالله: ما لي أراك كأنك مريض؟ فقال: وما لأويس

أحمد بن حنبل معروفة: (**يا أخي جوفي**) وجع (**وخواصري تضرب عليَّ، فقالت لي أمي: يا أخي تأذن لي حتى أصلح لك قليل حساء بكف دقيق عندي تتحساه يرم**) أي يصلح (**جوفك. فقال لها: ويحك أخاف أن يقول**) لي (**من أين لك هذا الدقيق فلا أدري أيش أقول له! فبكت أمي وبكى معها وبكيت معهم**) وفي نسخة معها. (**قال عمر: ورأت أمي ما ببشر**) كذا في النسخ والصواب ما به (**من شدة الجوع وجعل يتنفس نفساً ضعيفاً فقالت له أمي: يا أخي ليت أمك لم تلدني، فقد والله تقطعت كبدي مما أرق بك**) قال: (**فسمعته يقول لها: وأنا فليت أمي لم تلدني وإذ**) قد (**ولدتني لم يدّر**) لها (**ثديها عليَّ. قال عمر: وكانت أمي تبكي عليه الليل والنهار**) أي لما ترى من شدة اجتهاده ورياضته لنفسه. رواه أبو الحسن بن جهضم فقال: حدثنا محمد بن عبدالله الزيات، حدثنا محمد بن مخلد، حدثني الفتح بن شخرف قال. قال عمر ابن أخت بشر سمعت خالي بشراً فذكره.

(**قال الربيع**) قيل هو ابن زياد الحارثي البصري الذي روى له أبو داود والنسائي: (**أتيت أويساً**) بن عامر القرني (**فوجدته جالساً**) في مسجده بالكوفة (**قد صلى الفجر ثم جلس فجلست**) معه (**وقلت: لا أشغله عن التسبيح فمكث مكانه حتى صلّ الظهر، ثم قام إلى الصلاة حتى صلى العصر، ثم جلس موضعه حتى صلّى المغرب، ثم ثبت مكانه حتى صلى العشاء، ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح، ثم جلس فغلبته عيناه فقال: اللهم إني أعوذ بك من عين نوّامة ومن بطن لا يشبع. فقلت: حسبي هذا منه، ثم رجعت. ونظر رجل إلى أويس**) ابن عامر رحمه الله تعالى (**فقال: يا أبا عبدالله مالي أراك كأنك مريض**) وذلك لما رأى من تغير

أن لا يكون مريضاً يطعم المريض وأويس غير طاعم وينام المريض وأويس غير نائم. وقال أحمد بن حرب: يا عجباً لمن يعرف أن الجنة تزين فوقه وأن النار تسعر تحته كيف ينام بينهما، وقال رجل من النساك: أتيت إبراهيم بن أدهم فوجدته قد صلى العشاء فقعدت أرقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه فلم ينقلب من جنب إلى جنب الليل كله حتى طلع الفجر وأذن المؤذن فوثب إلى الصلاة ولم يحدث وضوءاً فحاك ذلك في صدري فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعاً ثم لم تجدد الوضوء، فقال: كنت الليل كله جائلاً في رياض الجنة أحياناً وفي أودية النار أحياناً فهل في ذلك نوم. وقال ثابت البناني: أدركت رجالاً كان أحدهم يصلي فيعجز عن أن يأتي فراشه إلا حبواً وقيل مكث أبو بكر بن عياش أربعين سنة لا يضع جنبه على فراش ونزل الماء في إحدى عينيه فمكث عشرين سنة لا يعلم به أهله، وقيل: كان ورد سمنون في كل يوم

حاله ولونه (**فقال: وما لأويس أن لا يكون مريضاً يطعم المريض وأويس غير طاعم، وينام المريض وأويس غير نائم**) والصحة إنما تكون من قبل الطعام والنوم.

(**وقال أحمد بن حرب**) النيسابوري الزاهد روى عن ابن عيينة: (**يا عجبا لمن يعرف أن الجنة تزين فوقه وأن النار تسعر تحته كيف ينام بينهما. وقال رجل من النساك: أتيت إبراهيم بن أدهم**) رحمه الله تعالى (**فوجدته قد صلى العشاء فقعدت أرقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى بنفسه**) على الأرض، (**فلم ينقلب من جنب إلى جنب الليل كله حتى طلع الفجر وأذن المؤذن، فوثب**) قائماً (**إلى الصلاة ولم يحدث وضوءاً فحاك ذلك في صدري فقلت له: رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعاً ثم لم تجدد الوضوء، فقال: كنت الليل كله جائلاً في رياض الجنة أحياناً وفي أودية النار أحياناً فهل في ذلك نوم**)؟ وهذا هو التفكر وهو سيد العبادات.

(**وقال**) أبو محمد (**ثابت**) بن أسلم (**البناني**) رحمه الله تعالى: (**أدركت رجالاً كان أحدهم يصلي فيعجز عن أن يأتي فراشه إلا حبواً**). وروى البيهقي في الشعب عن علي بن غنام قال: كان في بني عدي ثلاثون شيخاً لا يأتون فرشهم إلا زحفاً أو حبواً.

(**وقيل: مكث أبو بكر بن عياش**) بن سالم الأسدي الكوفي الحناط المقري. قيل: اسمه كنيته، وقيل اسمه محمد، وقيل غير ذلك إلى ثلاثة عشر قولاً وقد تقدم. (**أربعين سنة لا يضع جنبه على فراش، ونزل الماء في إحدى عينيه فمكث عشرين سنة لا يعلم به أهله**). قال أبو السكين الطائي: سمعت أبا بكر يقول لابنه وأراه غرفة: يا بني إياك أن تعصي الله عز وجل فيها فإني قد ختمت فيها اثني عشر ألف ختمة. وقال غيره: لما حضرت أبا بكر الوفاة بكت ابنته فقال: يا بنية لا تبكي أتخافين أن يعذبني الله عز وجل، وقد ختمت في هذه الزاوية أربعة وعشرين ألف

خمسمائة ركعة، وعن أبي بكر المطوعي قال: كان وردي في شبيبتي كل يوم وليلة اقرأ فيه قل هو الله أحد، إحدى وثلاثين ألف مرة أو أربعين ألف مرة شك الراوي. وكان منصور بن المعتمر إذا رأيته قلت رجل أصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين إنّ حركته جاءت عيناه بأربع» ولقد قالت له أمه: ما هذا الذي تصنع بنفسك تبكي الليل عامته لا تسكت لعلك يا بني أصبت نفساً لعلك قتلت قتيلاً؟ فيقول يا أمه أنا أعلم بما صنعت بنفسي، وقيل لعامر بن عبدالله: كيف صبرك على سهر الليل

ختمة. وقال إبراهيم بن شماس السمرقندي: سمعت إبراهيم بن أبي بكر قال: لما نزل بأبي الموت. قلت: يا أبت ما اسمك؟ قال: يا بني إن أباك لم يكن له اسم، وأن أباك أكبر من سفيان بأربع سنين، وأنه لم يأت فاحشة قط، وأنه يختم القرآن منذ ثلاثين سنة كل يوم مرة.

(وقيل: كان ورد) أبي الحسن **(سمنون)** بن حمزة رحمه الله تعالى **(كل يوم خمسمائة ركعة)**. وروى القشيري بسنده إلى جعفر الخلدي قال، قال أبو أحمد المغازلي: كان ببغداد رجل فرّق على الفقراء أربعين ألف درهم فقال لي سمنون: يا أبا أحمد أما ترى قد أنفق وما قد عمله ونحن ما نجد شيئاً فامض بنا إلى موضع نصلي فيه بكل درهم أنفقه ركعة فمضينا إلى المدائن فصلينا أربعين ألف صلاة.

(وعن أبي بكر) بن عيسى الأبهري **(المطوعي)** قال صاحب الحلية: كان من المفوضين وتعلو أحوالها على السالكين والسائحين حكى عنه أبو بكر بن طاهر الأبهري **(قال: كان وردي في شبيبتي في كل يوم وليلة أقرأ فيه قل هوالله أحد إحدى وثلاثين ألف مرة أو أربعين ألف مرة. شك الراوي وكان)** أبو عتاب **(منصور بن المعتمر)** بن عبدالله بن ربيعة السلمي الكوفي قال ابن مهدي: لم يكن بالكوفة أحفظ منه وهو من أصحاب إبراهيم النخعي مات سنة اثنين وثلاثين ومائة روى له الجماعة **(إذا رايته قلت رجل أصيب بمصيبة منكسر الطرف منخفض الصوت رطب العينين، إن حركته جاءت عيناه بأربع ولقد قالت له أمه)** قال أبو بكر بن عياش: وكانت فظة غليظة وكان يبرها ويسكت لها: **(ما هذا الذي تصنع بنفسك تبكي الليل عامته لا تسكت. لعلك يا بني أصبت نفساً لعلك قتلت قتيلاً، فيقول: يا أمه أنا أعلم بما صنعت بنفسي)** رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا العباس بن محمد، حدثنا خلف بن تميم، حدثنا زائدة بن قدامة أن منصور بن المعتمر صام سنة قام ليلها وصام نهارها وكان يبكي فتقول له أمه: يا بني قتلت قتيلاً! فقال: أنا أعلم بما صنعت بنفسي إذا كان الصبح كحل عينيه ودهن رأسه وبرق شفتيه وخرج إلى الناس.

وروي من طريق سفيان بن عيينة أن منصور بن المعتمر قد كان عمش من البكاء. ومن طريق محمد بن عمر وسمعت جريراً يقول: كانت أم منصور تقول له: يا بني إن لعينيك عليك حقاً

وظمأ الهواجر؟ فقال: هل هو إلا أني صرفت طعام النهار إلى الليل ونوم الليل إلى النهار وليس في ذلك خطير أمر، وكان يقول: ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها، وكان إذا جاء الليل قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح، فإذا جاء النهار قال أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي، فإذا جاء الليل قال من خاف أدلج عند الصباح يحمد القوم السرى. وقال بعضهم: صحبت عامر بن عبد القيس أربعة أشهر

ولجسمك عليك حقاً. فكان يقول لها: دعي عنك منصوراً فإن بين النفختين يوماً طويلاً ومن طريق أبي الأحوص قال، قالت ابنة لجار منصور لأبيها: يا أبت أين الخشبة التي كانت في سطح منصور قائمة، قال: يا بنية ذاك منصور كان يقوم الليل. ومن طريق العلاء بن سالم العبدي قال: كان منصور يصلي على سطحه، فلما مات قال غلام لأبيه: الجذع الذي كان في سطح آل فلان ليس أراه. قال: يا بني ليس ذاك بجذع ذالك منصور وقد مات.

(**وقيل لعامر بن عبدالله**) بن عبد قيس العنبري البصري التابعي العابد وهو المعروف بعامر **ابن عبد قيس** وقد تقدم ذكره في هذا الكتاب في موضعين، ولم أكن ظفرت بترجمته، فلما وصلت إلى هنا رأيته في الحلية قال: وهو أول من عرف بالنسك واشتهر من عباد التابعين بالبصرة فقدمناه على غيره من الكوفيين لتقدم البصرة على الكوفة، بنيت قبل الكوفة بأربع سنين، وكذلك أهل البصرة بالنسك والعبادة أشهر وأقدم من الكوفيين، وكان عامر بن عبد قيس قد تخرج على أبي موسى الأشعري في النسك والتعبد ومنه تلقى القرآن وعنه أخذ هذه الطريقة: (**كيف صبرك على سهر الليل وظمأ الهواجر؟ فقال: هل هو إلا أني صرفت طعام النهار إلى الليل ونوم الليل إلى النهار، وليس في ذلك خطير أمر. وكان يقول: ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها، وكان إذا جاء الليل قال: أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح، فإذا جاء النهار قال: اذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمسي، فإذا جاء الليل قال: من خاف أدلج عند الصباح يحمد القوم السرى**).

قوله: ما رأيت مثل الجنة الخ هو حديث مرفوع من رواية أبي هريرة رواه ابن المبارك في الزهد والترمذي وضعفه، أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب بلفظ: «ما رأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها».

وقوله من خاف أدلج هو أيضاً حديث مرفوع من رواية أبي هريرة وأبي بن كعب بزيادة «ومن أدلج بلغ المنزل». فحديث أبي هريرة رواه الترمذي وقال حسن غريب، والرامهرمزي في الأمثال، والحاكم والبيهقي وحديث أبي بن كعب رواه أبو نعيم في الحلية والحاكم.

وقوله: عند الصباح يحمد القوم السرى من الأمثال المشهورة. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا أبو شعيب الحراني، حدثنا خالد بن يزيد العمري، حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد، عن علقمة بن مرثد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية: عامر بن عبدالله بن عبد قيس،

فما رأيته نام بليل ولا نهار . ويروى عن رجل من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال: صليت خلف علي رضي الله تعالى عنه الفجر فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ وما أرى اليوم شيئاً يشبههم كانوا يصبحون شعثاً غبراً صفراً قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم، وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم وكأن القوم باتوا غافلين

وأويس القرني، وهرم بن حيان، والربيع بن خثيم، ومسروق بن الأجدع، والأسود بن يزيد، وأبي مسلم الخولاني، والحسن بن أبي الحسن . فأما عامر بن عبدالله فكان يقول: في الدنيا الهموم والأحزان وفي الآخرة النار والحساب، فأين الراحة والفرح؟ ثم ساقه وفيه: وكان يبيت قائماً ويظل صائماً، ولقد كان إبليس يلتوي في موضع سجوده فإذا ما وجد ريحه نحاه بيده ثم يقول: لو لا نشك لم أزل عليك ساجداً وهو يتمثل كهيئة الحية، ورأيته وهو يصلي فيدخل تحت قميصه حتى يخرج من كمه وثيابه فلا يحيد، فقيل له: لم لا تنحي الحية؟ فيقول: والله إني لأستحي من الله أن أخاف شيئاً غيره، والله أعلم بها حين تدخل ولا حين تخرج. وقيل له: إن الجنة تدرك بدون ما تصنع وأن النار تتقى بدون ما تصنع، فيقول: لا حتى لا ألوم نفسي، وكان يقول: ما أبكي على دنياكم رغبة فيها ولكن أبكي على ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء .

(**وقال بعضهم: صحبت عامر بن عبد القيس**) هو عامر بن عبدالله الذي تقدم ذكره يعرف بجده (**أربعة أشهر فما رأيته نام بليل ولا نهار**) . روى ابن أبي الدنيا في محاسبته، عن محمد بن يحيى الأزدي، حدثنا جعفر بن أبي جعفر الرازي، عن أبي جعفر السائح، أخبرنا ابن وهب وغيره يزيد بعضهم على بعض في الحديث أن عامر بن عبد قيس كان من أفضل العابدين، وفرض على نفسه كل يوم ألف ركعة يقوم عند طلوع الشمس فلا يزال قائماً إلى العصر ثم ينصرف وقد انتفخت ساقاه وقدماه فيقول: يا نفس إنما خلقت للعبادة. يا أمارة بالسوء فوالله لأعملن بك عملاً لا يأخذ الفراش منك نصيباً .

(**ويروى عن رجل من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: صليت خلف علي رضي الله عنه الفجر، فلما سلم انفتل عن يمينه وعليه كآبة فمكث حتى طلعت الشمس ثم قلب يده وقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ وما أرى اليوم شيئاً يشبههم كانوا يصبحون شعثاً غبراً صفراً قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم، وكان القوم باتوا غافلين يعني من كان حوله**) . رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن جعفر وعلي بن أحمد قالا: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا محمد بن يزيد أبو هشام، حدثنا المحاربي، عن مالك بن مغول، عن رجل من جعفي، عن السدي، عن أبي

يعني من كان حوله . وكان أبو مسلم الخولاني قد علق سوطاً في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومي فوالله لأزحفن بك زحفاً حتى يكون الكلل منك لا مني ، فإذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول أنت أولى بالضرب من دابتي وكان يقول أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا . كلا والله لنزاحمهم عليه زحاماً حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالاً . وكان صفوان بن سليم قد تعقدت ساقاه من طول القيام وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غداً ما وجد متزايداً . وكان إذا جاء

أراكة قال: صلى علي رضي الله عنه الغداة ثم لبث في مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كان عليه كآبة ثم قال: لقد رأيت أثراً من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحداً يشبههم، والله إن كانوا ليصبحون شعثاً غبراً صفراً بين أعينهم مثل ركب المعزى قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم والله لكان القوم باتوا غافلين.

(وكان أبو مسلم) عبدالله بن ثوبان **(الخولاني)** اليماني من زهاد التابعين نزل الشام وسكن داريا ، روى له الجماعة إلا البخاري **(قد علق سوطاً في مسجد بيته يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه: قومي فوالله لأزحفن بك زحفاً حتى يكون الكلل منك لا مني، فإذا دخلته الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول: أنت أولى بالضرب من دابتي)** . رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا أبو العباس السراج، حدثنا الوليد بن شجاع، حدثنا الوليد بن مسلم ،عن عثمان بن أبي العاتكة قال: كان من أمر أبي مسلم الخولاني أنه علق سوطاً في مسجده ويقول: أنا أولى بالسوط من الدواب فإذا دخلته فترة شق ساقه سوطاً أو سوطين. **(وكان يقول: أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا كلا والله لنزاحمنهم زحاماً حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالاً)** وقال له قائل حين كبر ورق: لو قصرت من بعض ما تصنع . فقال: أرأيتم لو أرسلتم الخيل في الحلبة. ألستم تقولون لفارسها دعها وارفق بها حتى إذا رأيتم الغاية فلا تستبقوا منها شيئاً . قالوا : بلى . قال : فإني أبصرت الغاية وأن لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت فسابق ومسبوق.

(وكان صفوان بن سليم) المدني أبو عبدالله، وقيل أبو الحرث القرشي الزهري الفقيه العابد وأبوه سليم مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف. قال أحمد : هو يستسقي بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره، وقال مرة: هو ثقة من خيار عباد الله الصالحين. قال الواقدي وغيره: مات سنة ١٣٢ عن اثنين وسبعين سنة روى له الجماعة . **(قد تعقدت ساقاه من طول القيام)** في الصلاة **(وبلغ من الاجتهاد ما لو قيل له القيامة غداً ما وجد متزايداً)** رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا الحسن بن علي الوراق، حدثنا عبدالله بن محمد بن عبد العزيز ، حدثنا محمد بن يزيد الأدمي ، حدثنا

الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد، وإذا كان في الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر فلا ينام، وأنه مات وهو ساجد، وأنه كان يقول: اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي. وقال القاسم بن محمد: غدوت يوماً وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة رضي

أبو ضمرة أنس بن عياض قال: رأيت صفوان بن سليم ولوقيل له غداً القيامة ما كان عنده مزيد على ما هو عليه من العبادة.

(وكان إذا جاء الشتاء اضطجع على السطح ليضربه البرد، وإذا كان في الصيف اضطجع داخل البيوت ليجد الحر والغم فلا ينام) رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبدالله ابن محمد بن جعفر، حدثنا جعفر الفريابي، حدثنا أمية، حدثنا يعقوب بن محمد، حدثنا سليمان بن سالم قال: كان صفوان بن سليم في الصيف يصلي بالليل في البيت فإذا كان في الشتاء صلى في السطح لئلا ينام.

حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، حدثنا علي بن الحسن السنجاني، حدثنا إسحاق بن محمد الفردي، حدثنا مالك بن أنس قال: كان صفوان بن سليم يصلي في الشتاء في السطح، وفي الصيف في بطن البيت يستيقظ بالحر والبرد حتى يصبح ثم يقول: هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم به وأنه لترم رجلاه حتى يعود مثل السفط من قيام الليل وتظهر فيها عروق خضر.

(وأنه مات وهو ساجد) رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا محمد بن أحمد بن أيوب المقري، حدثنا أبو بكر بن صدقة، حدثنا أحمد بن يحي الصوفي، حدثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول وأعانه على بعض الحديث أخوه محمد، قال: أبى صفوان بن سليم أن لا يضع جنبه على الأرض حتى يلقى الله عز وجل، فلما حضره الموت وهو منتصب قالت له ابنته: يا أبت في هذه الحالة لو ألقيت نفسك. قال: إذاً يا بنية ما وفيت له بالقول. وزاد المزي في التهذيب من طريق سفيان أنه مكث على ذلك أكثر من ثلاثين سنة، ومن طريق غيره أربعين سنة قال: فلما حضرته الوفاة واشتد به النزع والعجز قالت ابنته: يا أبت لو وضعت جنبك. فقال: يا بنية إذاً ما وفيت لله عز وجل بالنذر والحلف فمات وإنه لجالس. قال سفيان: فأخبرني الحفار الذي يحفر قبور أهل المدينة قال: حفرت قبر رجل فإذا أنا قد وقعت على قبر فوافيت جمجمة فإذا السجود قد أثر في عظام الجمجمة، فقلت لإنسان: قبر من هذا؟ فقال: أوما تدري هذا قبر صفوان بن سليم.

(وكان يقول) في دعائه: **(اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي)** ينزع بذلك إلى ما ورد في الخبر « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ».

(وقال القاسم بن محمد) بن أبي بكر الصديق القرشي التيمي أبو محمد، ويقال أبو عبد الرحمن المدني الفقيه الإمام الورع الثقة. قال البخاري: قتل أبوه قريباً من سنة ست وثلاثين بعد عثمان،

الله عنها أسلم عليها، فغدوت يوماً إليها فإذا هي تصلي صلاة الضحى، وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] وتبكي وتدعو وتردد الآية، فقمت حتى مللت وهي كما هي فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت: أفرغ من حاجتي ثم أرجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت وهي كما هي تردد الآية وتبكي وتدعو. وقال محمد بن إسحاق: لما ورد علينا عبد الرحمن بن الأسود حاجاً اعتلت إحدى قدميه فقام يصلي على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء. وقال بعضهم: ما أخاف من

وبقي القاسم يتيماً في حجر عائشة، وكان أشبه الناس بجده، وكان أعلم الناس بحديث عائشة. مات سنة ست ومائة روى له الجماعة: (**غدوت يوماً وكنت إذا غدوت بدأت بعائشة رضي الله عنها**) وهي عمته وهي التي ربته في حجرها بعد موت أبيه (**أسلم عليها فغدوت يوماً إليها فإذا هي تصلي صلاة الضحى وهي تقرأ**) قوله تعالى: (**﴿فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾ وتبكي وتدعو وتردد الآية فقمت**) أنتظر فراغها (**حتى مللت وهي تبكي وتدعو كما هي**) على حالها. (**فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتي ثم أرجع ففرغت من حاجتي ثم رجعت وهي كما هي**) على حالها الأول (**تردد الآية وتبكي وتدعو**). رواه طالب ابن محمد بن علي العشاري في جزئه فقال: أخبرنا أبو بكر البرقاني، أخبرنا إبراهيم بن محمد المزكي، حدثنا محمد بن إسحاق السراج، حدثنا محمد بن عمرو الباهلي، حدثنا أنس بن عياض، حدثنا شيبة ابن نصاح، عن القاسم بن محمد قال: كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها فغدوت يوماً فإذا هي قائمة تسبح وتقرأ ﴿فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾ وتدعو وتبكي ترددها فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي ثم رجعت فإذا هي قائمة تصلي وتبكي رضي الله عنها.

(**وقال محمد بن إسحاق**) بن يسار المدني أبو بكر، ويقال أبو عبدالله القرشي المطلبي مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف جده يسار من بني عين التمر. قال ابن معين: ثقة حسن الحديث نزل بغداد في سنة خمسين ومائة، وقيل بعدها استشهد به البخاري، وروى له مسلم في المتابعات واحتج به الباقون: (**لما ورد علينا عبد الرحمٰن بن الأسود**) بن يزيد بن قيس النخعي أبو حفص، ويقال أبو بكر الكوفي ابن أخي عبد الرحمٰن بن يزيد أدرك عمر بن الخطاب، وروى عن أبيه الأسود المتقدم ذكره، روى عنه مالك بن مغول ومحمد بن إسحاق بن يسار، وأبو إسحاق السبيعي، وأبو اسحاق الشيباني، وأبو بكر النهشلي مات سنة ١٩٨ روى الجماعة (**حاجاً اعتلت إحدى قدميه فقام يصلي على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء العشاء**) رواه أبو نعيم في الحلية. وروي من طريق ميمون أبي حمزة قال: سافر عبد الرحمن بن الأسود ثمانين حجة وعمرة لم يجمع بينهما. ومن طريق الحكم بن عتيبة قال: لما احتضر عبد الرحمن بكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أسفاً على الصوم والصلاة. قال: ولم يزل يقرأ القرآن حتى مات. قال: فرؤي أنه من أهل الجنة. قال الحكم: وما يبعدني ذلك لقد كان يعمل نفسه مجتهداً لهذا حذراً من مصرعه الذي صار إليه.

الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل. وقال علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: سيما الصالحين صفرة الألوان من السهر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاه من الصوم، عليهم غبرة الخاشعين. وقيل للحسن: ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهاً؟ فقال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره. وكان عامر بن عبد القيس يقول: إلهي خلقتني ولم تؤامرني، وتميتني ولا تعلمني، وخلقت معي عدواً وجعلته يجري مني مجرى الدم وجعلته يراني ولا أراه، ثم قلت لي: استمسك، إلهي كيف استمسك إن لم تمسكني؟ إلهي في الدنيا الهموم والأحزان وفي الآخرة العقاب والحساب فأين الراحة والفرح؟ وقال جعفر بن محمد: كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صيحات. كان إذا صلى العتمة وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة، ثم وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر فإذا مضى الثلث الثاني صاح صيحة، ثم وضع رأسه بين ركبتيه

(وقال بعضهم: ما أخاف من الموت إلا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل، وقال علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه: سيما الصالحين صفرة الألوان من السهر، وعمش العيون من البكاء، وذبول الشفاه من الصوم، عليهم غبرة الخاشعين) وروى الشريف الموسوي في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين: شيعتنا الحلماء العلماء الذبل الشفاه الأخيار الذين يعرفون بالرهبانية من العبادة. وأخرجه أبو نعيم في الحلية من قول مجاهد قال: شيعة علي رضي الله عنه فساقه.

(وقيل للحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوهاً؟ فقال: إنهم خلوا بالرحمٰن فألبسهم نوراً من نوره)** رواه أبو نعيم في الحلية. **(وكان عامر ابن)** عبدالله بن **(عبد قيس)** العنبري البصري رحمه الله تعالى تقدمت ترجمته **(يقول: إلهي خلقتني ولم تؤامرني وتميتني ولا تعلمني وخلقت معي عدواً وجعلته يجري مني مجرى الدم، وجعلته يراني ولا أراه، ثم قلت لي: استمسك. إلهي كيف أستمسك إن لم تمسكني. إلهي في الدنيا الهموم والأحزان وفي الآخرة العقاب والحساب، فأين الراحة والفرح)؟** رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا أبو شعيب الحراني، حدثنا خالد بن زيد العمري، حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد، عن علقمة بن مرثد قال: كان عامر بن قيس يقول: في الدنيا الغموم والأحزان، وفي الآخرة النار والحساب فأين الراحة والفرح؟ إلهي خلقتني ولم تؤامرني في خلقي وابتليتني بلايا الدنيا ثم قلت لي: استمسك فكيف أستمسك إن لم تمسكني. إلهي إنك لتعلم لو كانت لي الدنيا بحذافيرها ثم سألتنيها لجعلتها لك فهب لي نفسي.

(وقال جعفر بن محمد) الواسطي الوراق المفلوج نزيل بغداد صدوق مات سنة خمس وستين ومائة: **(كان عتبة)** بن أبان **(يقطع الليل بثلاث صيحات، وكان إذا صلى العتمة وضع رأسه بين ركبتيه يتفكر، فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم يضع رأسه بين ركبتيه**

يتفكر فإذا كان السحر صاح صيحة، قال جعفر بن محمد: فحدّثت به بعض البصريين فقال: لا تنظر إلى صياحه ولكن انظر إلي ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح. وعن القاسم بن راشد الشيباني قال: كان زمعة نازلاً عندنا بالمحصب وكان له أهل وبنات وكان يقوم فيصلي ليلاً طويلاً فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون، أفلا تقومون فترحلون؟ فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا قارىء ومن ههنا متوضىء، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته: عند الصباح يحمد القوم السرى. وقال بعض الحكماء: إنّ لله عباداً أنعم عليهم فعرفوه، وشرح صدورهم فأطاعوه، وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم

يتفكر، فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم يضع رأسه بين ركبتيه يتفكر، فإذا كان السحر صاح صيحة. قال جعفر بن محمد) الراوي لهذه الحكاية: (**فحدثت به بعض البصريين**) وفي بعض النسخ المصريين بالميم وهو غلط من النساخ (**فقال: لا تنظر إلى صياحه ولكن انظر إلى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح**) . رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا إسحاق بن أبي حسان، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا جعفر بن محمد قال: كان عتبة يقطع الليل بثلاث صيحات يصلي العتمة ثم يضع رأسه بين ركبتيه يفكر، فإذا مضى الليل ثلثه صاح صيحة ثم يضع رأسه بين ركبتيه يفكر، فإذا مضى ثلثا الليل صاح صيحة ثم يضع رأسه يفكر، فإذا كان السحر صاح صيحة. قال أحمد: فحدثت به عبد العزيز فقال: حدثت به بعض البصريين، فقال: لا تنظر إلى صيحته ولكن انظر إلى الأمر الذي كان منه بين الصيحتين.

(**وعن القاسم بن راشد الشيباني قال: كان زمعة**) بن صالح الجندي اليماني سكن مكة روى عن الزهري وسلمة بن دهرام وابن طاوس، وعنه وكيع روى له مسلم مقروناً بمحمد بن أبي حفصة والترمذي والنسائي وابن ماجه. (**نازلاً عندنا بالمحصب**) موضع قرب مكة (**وكان له أهل وبنات وكان يقوم فيصلي ليلاً طويلاً فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته: أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون؟ أفلا تقومون فترحلون؟ فيتواثبون فيسمع من ههنا باك ومن ههنا داع ومن ههنا قارىء ومن ههنا متوضىء، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح: يحمد القوم السرى**) وهو السير آخر الليل، وهو مثل مشهور رواه ابن أبي الدنيا فقال: حدثني المفضل بن غسان، عن مؤمل بن إسماعيل، حدثنا القاسم بن راشد الشيباني قال: كان زمعة نازلاً عندنا فذكره.

(**وقال بعض الحكماء**) من المراقبين المجتهدين: (**إن لله عباداً أنعم عليهم فعرفوه**) إنه المنعم عليهم لا غيره، (**وشرح صدورهم فأطاعوه**) أي انقادت جوارحهم لطاعته (**وتوكلوا عليه**) حق التوكل (**فسلموا الخلق والأمر إليه**) بمقتضى قوله تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾

معادن لصفاء اليقين وبيوتاً للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة، **فهم بين الخلائق** مقبلون ومدبرون، وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوب، ثم ترجع ومعها طرائف من لطائف الفوائد وما لا يمكن واصفاً أن يصفه فهم في باطن أمورهم كالديباج حسناً وهم في الظاهر مناديل، مبذولون لمن أرادهم تواضعاً. وهذه طريقة لا يبلغ إليها بالتكلف وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء. وقال بعض الصالحين: بينما أنا أسير في بعض

[الأعراف: ٥٤]، **(فصارت قلوبهم معادن)** لاستقرار الأسرار **(بصفاء اليقين وبيوتاً للحكمة)** تسكن فيها **(وتوابيت للعظمة)** والإجلال والهيبة والتعظيم. والتابوت الوعاء الذي تحفظ فيه نفائس الأمتعة **(وخزائن القدرة، فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون)** بظواهرهم، **(وقلوبهم تجول في الملكوت)** فتشاهد ما فيه من العجائب **(وتلوذ بمحجوب الغيوب)** عن النواظر، **(ثم ترجع)** إلى عالم الملك **(ومعها طرائف)** أي نوادر **(من لطائف الفوائد)** ونفائس العوائد **(ما لا يمكن واصفاً أن يصفه)** لبعده عن دائرة العقول **(فهم في باطن أمورهم كالديباج حسناً)** وبهجة وعزة **(وهم في الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم تواضعاً)** أي بمنزلة المناديل التي يتباذلها الناس ويتمسحون بها. **(وهذه طريقة لا يبلغ إليها إلا بالتكلف)** والاجتهاد، **(وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء)** أي مواهب من العناية الأزلية لا تدرك بالتصنع والتكلف، ولكن من يسر له طريقه فهو على نور من ربه، أولئك مصابيح الدجاه، وينابيع الرشد والحجاه، خصوا بخفي الاختصاص ونقوا من التصنع بالإخلاص، كما قال ذو النون المصري يوماً: إن لله لصفوة من خلقه وإن لله لخيرة. فقيل له: من هؤلاء؟ فقال: هم قوم جعلوا الركب لجباههم وساداً والتراب لجنوحهم مهاداً، خالط القرآن لحومهم ودماءهم فعزلهم عن الازدواج وحركهم بالإدلاج، فوضعوه على أفئدتهم فانفرجت، وضموه إلى صدورهم فانشرحت، وتصدعت هممهم به فكدحت، فجعلوا لظلمتهم سراجاً ولنومهم مهاداً ولسبيلهم منهاجاً ولحجتهم أفلاجاً، يفرح الناس ويحزنون وينام الناس ويسهرون ويفطر الناس ويصومون ويأمن ويخافون، فهم خائفون حذرون وجلون مشفقون مشمرون، يبادرون من الفوت ويستعدون للموت، فارقوا بهجة الدنيا بعين قالية ونظروا إلى ثواب الآخرة بعين رابية واشتروا الباقية بالفانية، فنعم ما اتجروا، ربحوا الدارين وجمعوا الخيرين واستكملوا الفضلين، فهم خرس فصحاء عمي بصراء فعنهم تقصر الصفات وبهم تدفع النقمات وعليهم تنزل البركات، فهم أحلى الناس منطقاً ومذاقاً وأوفى الناس عهداً وميثاقاً، سراج العباد ونهار البلاد ومصابيح الدجا ومعادن الرحمة وينابيع الحكمة وقوام الأمة وأقبل الناس للمعذرة وأصفحهم بالمغفرة وأسمحهم بالعطية.

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق مكحول عن عياض بن غنم مرفوعاً في وصف هؤلاء القوم: مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة، يدبون في الأرض حفاة أقدامهم دبيب النمل بغير مرح ولا بذخ ولا صلة، يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة، يلبسون الخلقان ويتبعون البرهان

جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى وادٍ هناك، فإذا أنا بصوت قد علا وإذا تلك الجبال تجيبه لها دوي عال فاتبعت الصوت فإذا أنا بروضة عليها شجر ملتف، وإذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً﴾ إلى قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٣٠]، قال: فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحة خر مغشياً عليه، فقلت: وا أسفاه هذا لشقائي. ثم انتظرت إفاقته فأفاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول: أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ بك من أعمال البطالين أعوذ بك من اعراض الغافلين. ثم قال: لك خشعت قلوب الخائفين وإليك فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين، ثم نفض يده فقال ما لي وللدنيا وما للدنيا ولي؟ عليك يا دنيا بأبناء جنسك وآلاف نعيمك! إلى محبيك فاذهبي! وإياهم فاخدعي! ثم قال: أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة، في التراب يبلون، وعلى الزمان يفنون، فناديته: يا عبدالله أنا منذ اليوم خلفك أنتظر

ويتلون الفرقان ويقربون القربان، يتوسمون العباد ويتفكرون في البلاد، أجسامهم في الأرض وأعينهم في السماء، أقدامهم في الأرض وقلوبهم في السماء، وأنفسهم في الأرض عند العرش، أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة.

(**وقال بعض الصالحين: بينما أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى واد هناك فإذا أنا بصوت قد علا وإذا تلك الجبال تجيبه لها دوي عال، فاتبعت الصوت**) ومشيت (**فإذا بروضة عليها شجر ملتف، فإذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾ إلى قوله ﴿ويحذركم الله نفسه﴾**) وتمامها ﴿تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ (**قال: فجلست خلفه أسمع كلامه**) ولا يراني (**وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحة خر معها مغشياً عليه، فقلت: وا أسفاه هذا لشقائي ثم انتظرت إفاقته فأفاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول: أعوذ بك من مقام الكذابين، أعوذ بك من أعمال البطالين، أعوذ بك من إعراض الغافلين**) قال ذلك لما أحس بمن اطلع على ظاهر حاله فخاف على نفسه التصنع في عمله فاستعاذ بالله مما ذكر، والكذاب من يخالف ظاهره باطنه، والبطال من صرف عمره في لهو وبطالة ولم يذق معرفة الله تعالى، والغافل من غفل عن شهود أسرار معاني كلام الله تعالى (**ثم قال: لك خشعت قلوب الخائفين وإليك فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين، ثم نفض يده وقال: ما لي وللدنيا وما للدنيا ولي عليك يا دنيا بأبناء جنسك وآلاف نعيمك**) أي الذين يألفون نعيمك (**إلى محبيك فاذهبي وإياهم فاخدعي، ثم قال: أين القرون الماضية**) جمع قرن خمس وسبعون سنة وقيل مائة سنة (**وأهل الدهور السالفة في التراب يبلون وعلى**) مر (**الزمان يفنون، فناديته: يا عبدالله**) ناداه بالاسم الأعلم لأنه لم

فراغك! فقال: وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت إلى نفسه؟ أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه وبقيت آثامه؟ ثم قال: أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها، ثم لها عني ساعة وقرأ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] ثم صاح صيحة أخرى أشدّ من الأولى وخر مغشياً عليه! فقلت: قد خرجت روحه فدنوت منه فإذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول: من أنا، ما خاطري؟ هب لي إساءتي من فضلك! وجللني بسترك واعف عن ذنوبي بكرم وجهك إذا وقفت بين يديك! فقلت له: بالذي ترجوه لنفسك؟ وتثق به إلا كلمتني! فقال: عليك بكلام من ينفعك كلامه، ودع كلام من أوبقته ذنوبه، إني لفي هذا الموضع مذ شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدني فلم يجد عوناً علي ليخرجني مما أنا فيه غيرك؟ فإليك عني يا مخدوع فقد عطلت عليّ لساني وميلت إلى حديثك شعبة من قلبي وأنا أعوذ بالله من شرك، ثم أرجو أن يعيذني منّ سخطه ويتفضل عليّ برحمته، قال: فقلت هذا ولي لله أخاف أن أشغله فأعاقب في موضعي هذا فانصرفت وتركته. وقال بعض الصالحين: بينما أنا أسير في مسير لي إذ ملت إلى شجرة لأستريح تحتها، فإذا أنا بشيخ قد أشرف عليَّ فقال لي: يا هذا قم

يعرف اسمه الخاص (**أنا منذ اليوم خلفك أنتظر فراغك، فقال: وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت إلى نفسه أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه وبقيت آثامه؟ ثم رجع**) إلى ربه مستغيثاً (**وقال: أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها**) أي أنت المعين لي فيها، (**ثم لها عني ساعة وقرأ**) قوله تعالى: (**﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾**) أي ما لم يكن في بالهم من شدة الحساب والعتاب والحجاب، (**ثم صاح صيحة أخرى أشد من الأولى وخر مغشياً عليه، فقلت**) في نفسي: هو (**قد خرجت روحه فدنوت منه فإذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول: من أنا ما خاطري هب لي إساءتي بفضلك وجللني بسترك واعف عن ذنوبي بكرم وجهك إذا وقفت بين يديك. فقلت له: بالذي ترجوه لنفسك وتثق به إلا كلمتني، فقال: عليك بكلام من ينفعك كلامه ودع كلام من أوبقته ذنوبه**) أي أسرته وأهلكته (**إني لفي هذا الموضع منذ شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدني فلم يجد عوناً علي ليخرجني مما أنا فيه**) من التخلي والانفراد (**غيرك، فإليك عني يا مخدوع فقد عطلت علي لساني**) أي شغلته عن ذكر ربي ومناجاته (**وميلت إلى حديثك شعبة من قلبي، وأنا أعوذ بالله من شرك ثم أرجو أن يبعدني من سخطه ويتفضل علي برحمته. قال**) الراوي: (**فقلت هذا ولي الله**) تعالى (**أخاف أن أشغله**) عن الله (**فأعاقب في موضعي هذا**) فإن من شغل المشغول بالله قطعه الله، (**فانصرفت وتركته**).

(**وقال بعض الصالحين**) من أهل المراقبة: (**بينما أنا أسير في مسير لي إذ ملت إلى شجرة**

فإن الموت لم يمت، ثم هام على وجهه فاتبعته فسمعته وهو يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥] اللهم بارك لي في الموت فقلت: وفيما بعد الموت، فقال: من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقرّ، ثم قال: يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر إليك واملأ قلبي من المحبة لك. وأجرني من ذل التوبيخ غداً عندك فقد آن لي الحياء منك وحان لي الرجوع عن الإعراض عنك، ثم قال: لولا حلمك لم يسعني أجلي ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك أملي، ثم مضى وتركني وقد أنشدوا في هذا المعنى:

نحيلُ الجسم مكتَئبُ الفؤادِ ... تراه بقنة أو بطن وادي
ينوحُ على معاصٍ فاضحاتِ ... يكدّر ثقلها صفو الرقادِ
فإن هاجت مخاوفه وزادت ... فدعوته: أغثني يا عمادي
فأنت بما ألاقيه عليم ... كثير الصفح عن زلل العبادِ

وقيل أيضاً:

ألذ من التلذذ بالغواني ... إذا أقبلن في حلل حسانِ

لأستريح تحتها) وأستظل بظلها، (فإذا بشيخ قد أشرف علي فقال لي: يا هذا قم فإن الموت لم يمت ثم هام على وجهه فأتبعته فسمعته وهو يقول: ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ اللهم بارك لي في الموت، فقلت: ومما بعد الموت. فقال: من أيقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر) أي جد واجتهد فيما خلق له، (ولم يكن له في الدنيا مستقر، ثم) رجع إلى مراقبته ومناجاته و (قال: يا من لوجهه عنت الوجوه بيض وجهي بالنظر إليك، واملأ قلبي من المحبة لك، وأجرني من ذلة التوبيخ غداً عندك، فقد آن لي الحياء منك وحان لي الرجوع عن الإعراض عنك، ثم قال: لولا حلمك لم يسعني أجلي، ولولا عفوك لم ينبسط فيما عندك أملي ثم مضى وتركني، وقد أنشدوا في هذا المعنى) أي في وصف المجتهدين.

(نحيل الجسم مكتئب الفؤاد ... تراه بقنة أو بطن واد)
(ينوح على معاص فادحات ... يكدر ثقلها صفو الرقاد)
(فإن هاجت مخاوفه وزادت ... فدعوته أغثني يا عمادي
فأنت بما ألاقيه عليم ... كثير الصفح عن زلل العباد)

القنة: بالضم واد من الجبل. فادحات: أي ثقيلات.

(وقيل) في هذا المعنى (أيضاً)

(ألذ من التلذذ بالغواني ... إذا أقبلن في حلل حسان

منيب فرّ من أهل ومال يسيح إلى مكان من مكان
ليخمل ذكره ويعيش فرداً ويظفر في العبادة بالأماني
تلذذه التلاوة أين ولّى وذكر بالفؤاد وباللسان
وعند الموت يأتيه بشير يبشّر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما أراد وما تمنى من الراحات في غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يختم القرآن في كل يوم ثلاث مرات، ويجاهد نفسه في العبادات

منيب فر من أهل ومال يسيح إلى مكان من مكان)

المنيب: هو التائب الراجع إلى ربه.

(ليخمل ذكره ويعيش فرداً ويظفر في العبادة بالأماني)

أي ليخفى ذكره بين الناس ولا يشار إليه ويعيش منفرداً بربه ويجد حلاوة في طاعته.

(تلذذه التلاوة أين ولى وذكر بالفؤاد وباللسان
وعند الموت يأتيه بشير يبشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما أراد وما تمنى من الراحات في غرف الجنان)

وهؤلاء الذين وصفهم ذو النون بما سبق ذكره نظروا إلى ثواب الله بأنفس تائقة وعيون رائقة وأعمال موافقة، فحلوا عن الدنيا مطيّ رحالهم وقطعوا منها حبال آمالهم لم يدع لهم خوف ربهم من أموالهم تليداً ولا عتيداً. أفتراهم لم يشتهوا من الأموال كنوزها ولا من الأوبار خزوزها ولا من المطايا عزيزها ولا من القصور مشيدها. بلى، ولكنهم نظروا بتوفيق الله وإلهامه لهم فحركهم ما عرفوا بصبر أيام قلائل فضموا أبدانهم عن المحارم، وكفوا أيديهم عن ألوان المطاعم، وهربوا بأنفسهم عن المآثم فسلكوا من السبيل رشاده ومهدوا للرشاد مهاده، فشاركوا أهل الدنيا في آخرتهم، هابوا الموت وسكراته وكرباته وفجعاته ومن القبر ضيقه ومنكراً ونكيراً ومن ابتدادهما وانتهارهما وسؤالهما ومن المقام بين يدي الله عز وجل.

(وكان كرز بن وبرة) الحرثي قال صاحب الحلية: كوفي الأصل سكن جرجان ويعد في اتباع تابعي أهل الكوفة له الصيت البليغ والمكان الرفيع في النسك والتعبد، كان تغلب عليه المؤانسة والمشاهدة فيشهده شهي الملاطفات وتؤنسه خفي المخاطبات. روى عن طاوس وعطاء والربيع بن خثيم ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم. **(يختم القرآن في كل يوم ثلاث مرات)**. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو محمد بن بن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء، حدثنا أحمد بن إبراهيم،

غاية المجاهدة فقيل له: قد أجهدت نفسك! فقال: كم عمر الدنيا؟ فقيل: سبعة آلاف سنة، فقال: كم مقدار يوم القيامة؟ فقيل: خمسون ألف سنة، فقال: كيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم؟ يعني أنك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لكان ربحك كثيراً وكنت بالرغبة فيه جديراً فكيف وعمرك قصير والآخرة لا غاية لها؟ فهكذا

حدثني سعد أبو عثمان، سمعت ابن عيينة يقول قال ابن شبرمة سأل كرز بن وبرة ربه أن يعطيه اسمه الأعظم على أن لا يسأل به شيئاً من الدنيا فأعطاه الله ذلك، فسأله أن يقوى حتى يختم القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات. وقال عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد: حدثنا شريح بن يونس، حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان عن أبيه قال: دخلت على كرز بن وبرة بيته فإذا عند مصلاه حصيرة قد ملأها تبناً وبسط عليها كساء من طول القيام، فكان يقرأ في اليوم والليلة ثلاث ختمات **(ويجاهد نفسه في العبادات غاية المجاهدة)**. قال عبدالله بن أحمد بسنده السابق إلى فضيل بن غزوان قال: كان لكرز عند المحراب ما يعتمد عليه إذا نعس. وروى أبو نعيم من طريق خلف بن تميم عن أبيه قال: ما رأيت في هذه الأمة أعبد من كرز كان لا يفتر يصلي في المحمل، فإذا نزل من المحمل افتتح الصلاة. ومن طريق فضيل بن غزوان قال: لم يرفع كرز رأسه إلى السماء أربعين سنة. ومن طريق سفيان بن عيينة قال: سمعت ابن شبرمة يقول قلت لابن هبيرة:

لـو شئـت كنـت ككـرز في تعبـده ... أو كابن طـارق حـول البيـت في الحرم
قـد حـال دون لـذيـذ العيش خـوفها ... وسـارعـا في طلاب الفـوز والكـرم

فقال لي ابن هبيرة: من كرز وابن طارق؟ قال: قلت أما كرز فكان إذا كان في سفر واتخذ الناس منزلاً اتخذ هو منزلاً للصلاة، وأما ابن طارق فلو اكتفى أحد بالتراب كفاه كف من تراب، وقد تقدم له ذكر في كتاب الحج. وقال صاحب القوت بعد أن ورد شيئاً من مجاهداته **(فقيل له: قد أجهدت نفسك)** في العبادة. **(فقال: كم عمر الدنيا؟ فقيل: سبعة آلاف سنة. فقال: فكم مقدار يوم القيامة؟ فقيل: خمسون ألف سنة. فقال: كيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم)** ولفظ القوت: ما يرضى عبد أن يعمل سبعة آلاف سنة وينجو من يوم مقداره خمسون ألف سنة. زاد المصنف **(يعني أنك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت)** في العبادة **(سبعة آلاف سنة وتخلصت من)** هول **(يوم واحد مقدار خمسين ألف سنة لكان ربحك كثيراً وكنت بالرغبة فيه جديراً، فكيف وعمرك قصير والآخرة لا غاية لها)**؟

ومن ذلك ما أورده البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يصلي حتى ترم قدماه. رواه أبو زيد الهروي عن شعبة عن الأعمش عن أبي صالح عنه قال: وقال أبو زيد: رأيت شعبة يصلي حتى ورم قدماه. وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كان عمر بن الخطاب يصلي من

الليل ما شاء الله أن يصلي حتى إذا كان في آخر الليل أيقظ أهله للصلاة. وعن نافع قال: كان ابن عمر يصلي عامة الليل. وعن حميد بن هلال قال: كان مسلم بن يسار إذا قام يصلي كأنه ثوب ملقى. وعند عبدالله بن مسلم قال: كان سعيد بن جبير إذا قام إلى الصلاة كأنه وتد وعن عبدالله ابن يعقوب الحافظ قال: ما رأيت أحسن صلاة من أبي عبدالله محمد بن نصر كان الذباب يقع على أذنه فيسيل الدم ولا يذبه عن نفسه، ولقد كنا نتعجب من حسن صلاته كان يضع ذقنه على صدره فينتصب كأنه خشبة منصوبة. وعن الأوزاعي قال: كان علي بن عبدالله بن عباس يسجد كل يوم ألف سجدة. وعن مرة الهمداني حين سئل وقد كبر ما بقي من صلاتك. قال: الشطر خمسون ومائتا ركعة.

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبي، حدثنا موسى بن هلال، حدثنا رجل كان جليساً لنا وكانت امرأة حسان مولاة له قال: فحدثتني امرأة حسان بن أبي سنان قالت: كان يجيء فيدخل معي في فراشي ثم يخادعني كما تخادع المرأة صبيتها، فإذا علم أني قد نمت سل نفسه فخرج ثم يقوم فيصلي قال: فقلت له يا أبا عبدالله كم تعذب نفسك ارفق بنفسك. قال: اسكتي ويحك فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زماناً.

وعن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: بينا أنا ساجد إذ ذهب بي النوم فإذا بها يعني بالحوراء قد ركضتني برجلها، فقالت: حبيبي أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين في تهجدهم بؤسا لعين آثرت لذة نومة على لذة مناجاة العزيز فقد دنا الفراغ ولقي المحبون بعضهم بعضاً، فما هذا الرقاد حبيبي وقرة عيني أترقد عيناك وأنا أربى لك في الخدور منذ كذا وكذا، فوثبت فزعاً وقد عرقت استحياء من توبيخها إياي وأن حلاوة منطقها لقي سمعي وقلبي.

وعن طلق بن معاوية قال: قدم رجل يقال له هند بن عوف من سفر، فمهدت له امرأته فراشاً وكانت له ساعة من الليل يقومها فنام عنها حتى أصبح فحلف لا ينام على فراش أبداً.

وعن أبي الحسن علي بن المزين قال: دخلت على امرأة عبد الرحمن بن مهدي وكنت أزورها بعد موته، فرأيت سواداً في القبلة قالت هذا موضع عبد الرحمن كان يصلي بالليل فإذا غلبه النوم وضع جبهته على هذا الموضع.

وعن رابعة العدوية قالت: ما كان صلة يجيء في مسجد بيته إلى فراشه إلا حبواً يقوم حتى يفتر عن الصلاة.

وعن جعفر بن زيد العبدي أن أباه أخبره قال: خرجنا في غزوة إلى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم قال: فنزل الناس عند العتمة فقلت لأرمقن عمله فانظر ما يذكر الناس من عبادته، فصلى العتمة ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس، حتى إذا قلت هدأت العيون وثب فدخل غيضة قريباً منه

....

ودخلت في أثره فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح قال: وجاء أسد حتى دنا منه فصعدت في شجرة قال فتراه التفت حتى سجد، فقلت الآن يفترسه فلا شيء فجلس ثم سلم فقال: أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر فولّى وإن له زئيراً أقول تصدع الجبال منه، فما زال كذلك يصلي حتى إذا كان عند الصبح جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله، ثم قال: اللهم اسألك أن تجيرني من النار أو مثلي يجترىء أن يسألك الجنة، ثم رجع فاصبح كأنه بات على الحشايك واصبحت وبي من الفترة شيء الله به اعلم. قال: فلما دنونا من أرض العدو قال الأمير: ولا يشذن أحد من العسكر. قال: فذهبت بغلته يعني بغلة صلة بثقلها فأخذ يصلي فقالوا له: إن الناس قد ذهبوا. قال: إنما هما خفيفتان. قال: فدعا ثم قال: اللهم إني أقسم عليك أن ترد عليّ بغلتي وثقلها. قال: فجاءت حتى قامت بين يديه، فلما لقينا العدوّ حمل هو وهشام بن عامر فصنعا بهم طعنا وضرباً وقتلاً. قال: فكسر ذلك العدو وقالوا إن رجلين من العرب صنعا بنا هذا، فكيف لو قاتلونا فأعطوا المسلمين حاجتهم، فقيل لأبي هريرة إن هشام بن عامر وكان يجالسه ألقى بيده إلى التهلكة فاخبره خبره. قال: كلا ولكنه التمس هذه الآية ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾ [البقرة: ٢٠٧].

وعن الأعمش عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه كان يصلي، فإذا دخل الداخل أتى فراشه فاتكأ عليه. وعن منصور بن أبي أمية خادم عمر بن عبد العزيز قال: رأيت عمر بن عبد العزيز وله سفط في كوة ومفتاحه في إزاره يستغفلني، فإذا نظر أني قد نمت فتح السفط فأخرج منه جبة شعر ورداء شعر فصلى فيهما الليل كله، فإذا نودي بالصبح نزعهما. وعن السري بن يحي قال: كان سليمان التيمي في طريق مكة يتوضأ لصلاة العشاء ثم يصلي بالليل كأنه في محمله حتى الصبح، ثم يصلي الصبح بوضوئه ذلك. وعن محمد بن عبد الأعلى قال: قال لي المعتمر بن سليمان: لولا أنك من أهلي ما حدثتك بذا عن أبي، مكث أبي أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً ويصلي صلاة الفجر بوضوء العشاء. وعن سعيد بن عامر قال: كان سليمان التيمي يسبح في كل سجدة وركعة سبعين تسبيحة. وعن هشيم قال: لو قيل لمنصور بن زاذان أن ملك الموت على الباب ما كان عنده زيادة في العمل قال: وذلك أنه كان يخرج ويصلي بالغداة في جماعة ثم يجلس فيسبح حتى تطلع الشمس، ثم يصلي إلى الزوال، ثم يصلي الظهر، ثم يصلي إلى العصر، ثم يصلي العصر ثم يجلس فيسبح إلى المغرب، ثم يصلي العشاء الآخرة، ثم ينصرف إلى بيته فيكتب عنه في ذلك الوقت.

وعن الحسين بن منصور قال: كان سليمان بن المغيرة إذا قام إلى الصلاة لو أكلت الذبابة وجهه لم يطيرها. قال: وأخبرنا أبو عبدالله الحافظ قال: سمعت أبي يقول: سمعت مريم امرأة أبي عثمان تقول: كنا نؤخر اللعب والضحك والحديث إلى أن يدخل أبو عثمان ورده في الصلاة، فإنه كان إذا دخل بيت الخلوة لا يحس بشيء من الحديث وغيره. وعن الربيع بن سليمان قال: كان الشافعي

كانت سيرة السلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها. فمهما تمرّدت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع أحوال هؤلاء فإنه قد عز الآن وجود مثلهم ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو أنجع في القلب وأبعث على الاقتداء فليس الخبر

جزأ الليل ثلاثة أجزاء الجزء الأوّل يكتب، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام. وعن أبي خالد الأحمر قال: أكل سفيان ليلة فشبع فقال: إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله، فقام حتى أصبح.

وعن حمزة بن ربيعة قال: حججنا مع الاوزاعي سنة خمسين ومائة فما رأيته مضطجعاً على المحمل في ليل ولا نهار قط كان يصلي، فإذا غلبه النوم استند إلى القتب. وعن أحمد بن سلمة قال: سمعت هناد بن السري غير مرة إذا ذكر قبيصة بن عقبة قال الرجل الصالح وتدمع عيناه. وكان هناد كثير البكاء وكنت عنده ذات يوم في مسجده فلما فرغ من القراءة عاد إلى منزلة فتوضأ وانصرف إلى المسجد وقام على رجليه يصلي إلى الزوال وأنا معه في المسجد، ثم رجع إلى منزله فتوضأ وانصرف إلى المسجد فصلى بنا الظهر، ثم قام على رجليه إلى العصر ويرفع صوته بالقرآن ويبكي كثيراً ويصلي إلى العصر، ثم صلى بنا العصر وجاء إلى صحن المسجد فجعل يقرأ القرآن في المصحف إلى الليل فصليت معه صلاة المغرب، وقلت لبعض جيرانه: ما أصبره على العبادة فقال: هذه عبادته منذ سبعين سنة، فكيف لو رأيت عبادته بالليل وما تزوّج قط ولا تسرى قط، وكان يقال له راهب الكوفة.

وعن الاوزاعي قال: خرجت حاجاً فدخلت مدينة النبي ﷺ، فإذا شاب بين القبر والمنبر يتهجد فلما طلع الفجر استلقى على ظهره، ثم قال عند الصباح: يحمد القوم السرى، فقلت له: يا ابن أخي لك ولأصحابك لا للجهالين.

وعن داود بن رشيد قال: قام أخ لي في ليلة ظلماء يصلي مع نفسه فضربه البرد وكان رث الثياب ثم سجد فذهب به النوم في سجوده، فهتف به هاتف أنمناهم وأقمناك وتبكي علينا.

وعن أبي محمد الجريري قال: كنت واقفاً على رأس الجنيد في وقت وفاته، وكان يوم جمعة وهو يقرأ القرآن، فقلت: يا أبا القاسم ارفق بنفسك، فقال: يا أبا محمد رأيت أحوج مني في هذا الوقت، وهو ذا تطوى صحيفتي. وقال أبو عبد الرحمن السلمي: سمعت جدي يقول: دخل أبو العباس بن عطاء على الجنيد، وهو في النزع لم يرد عليه ثم ردّ عليه بعد ساعة وقال: اعذرني فإني كنت في وردي ثم حوّل وجهه إلى القبلة ومات.

(فهكذا كانت سيرة السلف الصالحين في مرابطة النفس ومراقبتها، فمهما تمردت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع أحوال هؤلاء فإنه قد عز الآن وجود مثلهم) بل ومن يداني من يشابههم، **(ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم)** في أحوالهم **(فهو أنجع في القلب وأبعث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة)** كما ورد في الخبر وتقدم،

كالمعاينة، وإذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء، فإن لم تكن إبل فمعزى، وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون في زمرتهم وغمارهم وهم العقلاء والحكماء وذوو البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك، ولا ترضَ لها أن تنخرط في سلك الحمقى وتقنع بالتشبه بالأغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء. فإن حدثتك نفسك بأن هؤلاء رجال أقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهدات وقل لها: يا نفس لا تستنكفي أن تكوني أقل من امرأة فاخسس برجل يقصر عن امرأة في أمر دينها ودنياها! ولنذكر الآن نبذة من أحوال المجتهدات، فقد روي عن حبيبة العدوية أنها كانت إذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت: إلهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامي بين يديك، ثم تقبل على صلاتها فإذا طلع الفجر قالت: إلهي هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعري أقبلت مني ليلتي فأهنأ أم رددتها علي فأعزي؟ وعزتك لهذا دأبي ودأبك ما أبقيتني، وعزتك لو انتهرتني عن بابك ما برحت لما وقع في نفسي من جودك وكرمك.

ويروى عن عجرة أنها كانت تحيي الليل وكانت مكفوفة البصر، فإذا كان في السحر

(وإذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء، فإن لم تكن إبل فمعزى) وهو مثل مشهور، **(وخير نفسك بين الاقتداء بهم والكون في زمرتهم وغمارهم)** أي جماعتهم وكثرتهم **(وهم العقلاء والحكماء وذوو البصائر في الدين وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك، ولا ترض لها أن تنخرط في سلك الحمقي)** وزمرة الأغبياء **(وتقنع بالتشبه بالأغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء، فإن حدثتك نفسك بأن هؤلاء رجال أقوياء لا يطاق الاقتداء بهم فطالع أحوال النساء المجتهدات وقل لها: يا نفس ألا تستنكفين أن تكوني أقل من امرأة فاخسس برجل يقصر عن)** درجة **(امرأة في أمر دينها ودنياها)**.

(ولنذكر الآن نبذة من أحوال المجتهدات، فقد روي عن حبيبة العدوية) وكانت امرأة عابدة من البصرة **(أنها كانت إذا صلت قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت: إلهي قد غارت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامي بين يديك ثم تقبل على صلاتها)** فتصلي ما شاء الله أن تصلي، **(فإذا طلع الفجر قالت: إلهي هذا الليل قد أدبر)** أي ولّى منصرفاً **(وهذا النهار قد أسفر)** أي ظهر نوره، **(فليت شعري أقبلت ليلتي فأهنا أم رددتها علي فأعزى، وعزتك لو انتهرتني من بابك ما برحته لما وقع في نفسي من جودك وكرمك)** رواه أبو نعيم في الحلية.

(ويروى عن عجرة) بضم العين وكانت من متعبدات البصرة **(أنها كانت تحيي الليل)**

نادت بصوت لها محزون: إليك قطع العابدون دجى الليالي يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا إلهي أسألك لا بغيرك أن تجعلني في أوّل زمرة السابقين وأن ترفعني لديك في عليين في درجة المقربين وأن تلحقني بعبادك الصالحين فأنت أرحم الرحماء وأعظم العظماء وأكرم الكرماء يا كريم، ثم تخر ساجدة فيسمع لها وجبة ثم لا تزال تدعو وتبكي إلى الفجر.

وقال يحيى بن بسطام: كنت أشهد مجلس شعوانة فكنت أرى ما تصنع من النياحة والبكاء، فقلت لصاحب لي: لو أتيناها إذا خلت فأمرناها بالرفق بنفسها؟ فقال: أنت وذاك، قال فأتيناها فقلت لها: لو رفقت بنفسك وأقصرت عن هذا البكاء شيئاً فكان لك أقوى على ما تريدين؟ قال: فبكت ثم قالت والله لوددت أني أبكي حتى تنفد دموعي ثم أبكي دماً حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي وأنّى لي بالبكاء وأنى لي بالبكاء. فلم تزل تردد وأنّى لي بالبكاء حتى غشي عليها.

وقال محمد بن معاذ حدثتني امرأة من المتعبدات قالت: رأيت في منامي كأني أدخلت

بالصلاة والتسبيح، **(وكانت مكفوفة البصر فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون: إليك قطع العابدون دجا الليالي يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك فبك يا إلهي أسألك لا بغيرك أن تجعلني في أول زمرة السابقين وأن ترفعني لديك في عليين في درجة المقربين وأن تلحقني بعبادك الصالحين فأنت أرحم الرحماء وأعظم العظماء وأكرم الكرماء يا كريم، ثم تخرّ ساجدة فيسمع لها وجبة، ثم لا تزال تدعو وتبكي إلى الفجر)** رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال يحيى بن بسطام كنت أشهد مجلس شعوانة) وكانت من العارفات المتعبدات المعاصرات للفضيل بن عياض، **(فكنت أرى ما تصنع من النياحة والبكاء فقلت لصاحب لي: لو أتيناها إذا خلت)** بنفسها **(فأمرناها بالرفق بنفسها فقال: أنت وذاك. قال: فاتيناها فقلت لها: لو رفقت بنفسك واقصرت عن هذا البكاء شيئاً فكان لك أقوى على ما تريدين. قال: فبكت ثم قالت: والله لوددت أني أبكي حتى تنفد دموعي ثم أبكي دماً حتى لا تبقى قطرة من دم في جارحة من جوارحي وأنى لي بالبكاء فلم تزل تردد وأنى لي بالبكاء حتى غشي عليها)** رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين عن يحيى بن بسطام فذكره.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا إبراهيم بن علي الرازي، حدثنا النضر بن سلمة، حدثنا زهدم بن الحارث، عن فضيل بن عياض قال: قدمت شعوانة فأتيتها فشكوت إليها وسألتها أن تدعو الله بدعاء فقالت شعوانة: يا فضيل أما بينك وبين الله ما إن دعوته استجاب قال: فشهق الفضيل شهقة فخرّ مغشياً عليه.

(وقال محمد بن معاذ) بن عباد بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري البصري صدوق عارف

الجنة فإذا أهل الجنة قيام على أبوابهم، فقلت ما شأن أهل الجنة قيام؟ فقال لي قائل خرجوا ينظرون إلى هذه المرأة التي زخرفت الجنان لقدومها! فقلت ومن هذه المرأة؟ فقيل: أمة سوداء من أهل الابلة يقال لها شعوانة. قالت فقلت أختي والله، قالت فبينما أنا كذلك إذ أقبل بها على نجيبة تطير بها في الهواء، فلما رأيتها ناديت؛ يا أختي أما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك فألحقني بك؟ قال فتبسمت إليَّ وقالت لم يأن لقدومك احفظي عني اثنتين: الزمي الحزن قلبك وقدمي محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت.

وقال عبدالله بن الحسن: كانت لي جارية رومية وكنت بها معجباً فكانت في بعض الليالي نائمة إلى جنبي فانتبهت فالتمستها فلم أجدها، فقمت أطلبها فإذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي إلا ما غفرت لي ذنوبي، فقلت لها لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك، فقالت: يا مولاي بحبه لي أخرجني من الشرك إلى الإسلام وبحبه لي أيقظ عيني وكثير من خلقه نيام.

مات سنة ٢٢٣ روى عنه مسلم وأبو داود: (**حدثتني امرأة من المتعبدات قالت: رأيت في منامي كأني أدخلت الجنة، فإذا أهل الجنة قيام على أبوابهم، فقلت: ما شأن أهل الجنة قيام؟ فقال لي قائل: خرجوا ينظرون إلى هذه المرأة التي زخرفت الجنان لقدومها فقلت: ومن هذه المرأة؟ فقيل: أمة سوداء من أهل الابلة**) بضم الهمزة والموحدة وتشديد اللام موضع على أربع فراسخ من البصرة (**يقال لها شعوانة** قال: **فقلت أختي والله**) تعني الأخوّة في الله. (**قالت: فبينما أنا كذلك إذ أقبل بها على نجيبة تطير بها في الهواء فلما رأيتها ناديت: يا أختي أما ترين مكاني من مكانك فلو دعوت لي مولاك فالحقني بك قالت: فتبسمت إلي وقالت: لم يأن لقدومك ولكن احفظي عني**) خصلتين (**اثنتين**). إحداهما: (**الزمي الحزن قلبك**) أي لا يفارقك الحزن أبداً. (**و**) الثانية: (**قدمي محبة الله على هواك ولا يضرك متى مت**) رواه ابن أبي الدنيا.

(**وقال عبدالله بن الحسن**) بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني أبو محمد ثقة جليل القدر، روى له أصحاب السنن، مات سنة خمس وأربعين ومائة عن خمس وسبعين سنة: (**كانت لي جارية رومية**) أي من سبي الروم (**وكنت بها معجباً وكانت في بعض الليالي نائمة إلى جنبي، فانتبهت فلمستها فلم أجدها فقمت أطلبها فإذا هي ساجدة وهي تقول: بحبك لي إلا ما غفرت لي ذنوبي. فقلت لها: لا تقولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك. فقالت: لا يا مولاي بحبه لي أخرجني من الشرك إلى الإسلام، وبحبه لي أيقظ عيني وكثير من خلقه نيام**) رواه ابن أبي الدنيا.

وقال أبو هاشم القرشي: قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض ديارنا، قال: فكنت أسمع لها من الليل أنيناً وشهيقاً، فقلت يوماً لخادم لي: أشرف على هذه المرأة، ماذا تصنع قال: فأشرف عليها فما رآها تصنع شيئاً غير أنها لا ترد طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة تقول: خلقت سرية ثم غذيتها بنعمتك من حال إلى حال وكل أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل، وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة، أتراها تظن أنك لا ترى سوء فعالها وأنت عليم خبير وأنت على كل شيء قدير.

وقال ذو النون المصري: خرجت ليلة من وادي كنعان فلما علوت الوادي إذا سواد مقبل عليَّ وهو يقول: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] ويبكي فلما قرب مني السواد إذا هي امرأة عليها جبة صوف وبيدها ركوة، فقالت لي:

(وقال أبو هاشم القرشي) كذا في النسخ والصواب أبو هشام: **(قدمت علينا)** مكة **(امرأة من أهل اليمن يقال لها سرية، فنزلت في بعض ديارنا قال: فكنت أسمع لها من الليل أنيناً وشهيقاً فقلت يوماً لخادم لي: اشرف على هذه المرأة ماذا تصنع. قال: فأشرف عليها فما رآها تصنع شيئاً غير أنها لا ترد طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة وتقول: خلقت سرية ثم غذيتها بنعمتك من حال إلى حال، وكل أحوالك لها حسنة، وكل بلائك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة، تراها تظن أنك لا ترى من فعالها وأنت عليم خبير وأنت على كل شيء قدير)** رواه أبو بكر بن أبي الدنيا مع بعض مخالفة وزيادة في الآخرة فقال: حدثنا محمد بن الحسين، حدثني عبدالله بن الزبير الحميدي، حدثنا أبو هشام رجل من قريش من بني عامر قال: قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها سرية فنزلت في بعض رباعنا فكنت أسمع لها من الليل نحيباً وشهيقاً، فقلت للخادم: أشرفي على هذه المرأة فانظري ما تصنع، فاشرفت فإذا هي قائمة مستقبلة رافعة رأسها إلى السماء، فقلت: ما تصنع؟ قالت: ما أراها تصنع شيئاً غير أنها لا ترد طرفها عن السماء. فقلت: اسمعي ما تقول. قالت: ما أفهم كثيراً من قولها غير أني أسمعها تقول أراك خلقت سرية من طينة لازبة غمرتها بنعمتك تعدوها من حال إلى حال وكل أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهي مع ذلك متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة في أثر فلتة. أترى أنها تظن أنك لا ترى سوء فعالها بلى وأنت على كل شيء قدير. قال: فصرخت وسقطت ونزلت الجارية فاخبرتني بسقطتها، فلما أصبحنا نظرنا فإذا هي قد ماتت.

(وقال ذو النون المصري) رحمه الله تعالى: **(خرجت ليلة من وادي كنعان، فلما علوت الوادي إذا سواد مقبل عليّ وهو يقول: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ ويبكي فلما قرب مني السواد إذا هي امرأة عليها جبة صوف وبيدها ركوة، فقالت لي: من أنت**

من أنت؟ غير فزعة مني، فقلت: رجل غريب، فقالت: يا هذا وهل يوجد مع الله غربة؟ قال: فبكيت لقولها فقالت لي: ما الذي أبكاك؟ فقلت: قد وقع الدواء على داء قد قرح فأسرع في نجاحه، قالت: فإن كنت صادقاً فلم بكيت؟ قلت: يرحمك الله والصادق لا يبكي؟ قالت: لا، قلت: ولم ذاك؟ قالت لأن البكاء راحة القلب، فسكت متعجباً من قولها.

غير فزعة مني. قلت: رجل غريب. فقالت: يا هذا وهل يوجد مع الله غربة؟ قال: فبكيت لقولها. فقالت لي: ما الذي أبكاك؟ فقلت: وقع الدواء على داء قد قرح فاسرع في نجاحه. قالت: فإن كنت صادقاً فلم بكيت؟ قلت: يرحمك الله والصادق لا يبكي. قالت: لا. قلت: ولم ذلك؟ قالت: لأن البكاء راحة القلب فسكت متعجباً من قولها) أي: والصادق في المحبة لا يرتاح إلا بمولاه والبكاء إنما يعتري في مبادىء الحب قبل تمامه بالصدق.

ويشبه هذه القصة ما ذكره ابن السراج في مصارع العشاق: أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي، حدثنا علي بن عبدالله بن الحسن الهمداني بمكة، حدثنا محمد بن عبدالله بن الشكلي، حدثني محمد بن جعفر القنطري قال: ذو النون: بينما أنا أسير على ساحل البحر إذ بصرت بجارية عليها أطمار شعر، وإذا هي ناحلة ذابلة فدنوت منها لأسمع ما تقول فرأيتها متصلة الأحزان بالأشجان وعصفت الرياح واضطربت الأمواج وظهرت الحيتان، فصرخت ثم سقطت إلى الأرض، فلما أفاقت نحبت ثم قالت: سيدي بك تقرب المتقربون في الخلوات، ولعظمتك سحت النينان في البحر الزاخرات، ولجلال قدسك تصافقت الأمواج المتلاطمات. أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار والفلك الدوّار والبحر الزخار والقمر النوّار والنجم الزهار، وكل شيء عندك بمقدار لأنك الله العلي القهار.

يـــا مـــؤنس الأسراء في خلـــواتهم ... يـــا خير مـــن حطـــت بـــه النـــزالِ
مـــن ذاق حبـــك لا يـــزال متيماً ... فـــرح الفـــؤاد متيماً بلبـــالِ
مـــن ذاق حبـــك لا تـــرى متبسماً ... في طـــول حـــزن في الحشـــاشـــة عـــالي

فقلت لها: زيدينا من هذا، فقالت: إليك عني ثم رفعت طرفها إلى السماء وقالت:

أحبـــك حبين حـــب الوداد ... وحبـــاً لأنـــك أهـــل لـــذاك
فـــأمـــا الذي هـــو حـــب الوداد ... فحـــب شغلـــت بـــه عـــن ســـواك
وأمـــا الذي أنـــت أهـــل لـــه ... فكشفـــك للحجـــب حتى أراك
فما الحمـــــد في ذا ولا ذاك لي ... ولكـــن لـــك الحمـــد في ذا وذاك

ثم شهقت شهقة فإذا هي قد فارقت الدنيا، فبقيت أتعجب مما رأيت منها، فإذا بنسوة قد أقبلن عليهن مدارع الشعر فاحتملنها فغيبنها عن عيني فغسلنها ثم أقبلن بها في أكفانها، فقلن لي: تقدم فصلّ عليها فتقدمت فصليت عليها وهن خلفي، ثم احتملنها ومضين. وقد تقدم ذكر هذه

وقال أحمد بن علي: استأذنا على عفيرة فحجبتنا فلازمنا الباب، فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهي تقول اللهم إني أعوذ بك ممن جاء يشغلني عن ذكرك، ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا لها يا أمة الله ادعي لنا، فقالت: جعل الله قراكم في بيتي المغفرة، ثم قالت لنا مكث عطاء السلمي أربعين سنة فكان لا ينظر إلى السماء فحانت منه نظرة فخر مغشياً عليه فأصابه فتق في بطنه، فيا ليت عفيرة إذا رفعت رأسها لم تعص! ويا ليتها إذا عصت لم تعد! وقال بعض الصالحين خرجت يوماً إلى السوق ومعي جارية حبشية فاحتبستها في موضع بناحية السوق وذهبت في بعض حوائجي وقلت لا تبرحي حتى أنصرف إليك، قال فانصرفت فلم أجدها في الموضع، فانصرفت إلى منزلي وأنا شديد الغضب عليها، فلما رأتني عرفت الغضب في وجهي

القصة مع الأبيات في كتاب المحبة، وهذه الأبيات الأربعة نسبت إلى رابعة العدوية وتقدم الكلام عليها.

(**وقال أحمد بن علي: استأذنا على غفيرة**) بضم الغين المعجمة وفي بعض النسخ بالعين المهملة وكانت من المتعبدات من أهل البصرة (**فحجبتنا**) أي منعتنا من الدخول عليها. (**فلازمنا الباب، فلما علمت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهي تقول: اللهم إني أعوذ بك ممن جاء يشغلني عن ذكرك، ثم فتحت الباب ودخلنا عليها فقلنا: يا أمة الله ادعي لنا، فقالت: جعل الله قراكم في بيتي المغفرة، ثم قالت لنا: مكث عطاء السلمي أربعين سنة فكان لا ينظر إلى السماء فحانت منه نظرة فخرّ مغشياً عليه فأصابه فتق في بطنه، فياليت غفيرة إذ رفعت رأسها لم تعص، وياليتها إذا عصت لم تعد**). قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين حدثني أبو عبدالله بن عبيدة قال: سمعت غفيرة تقول لم يرفع عطاء رأسه إلى السماء ولم يضحك أربعين سنة، فرفع رأسه مرة ففزع فسقط ففتق فتقاً في بطنه.

حدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أحمد بن إبراهيم، حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي، حدثتني غفيرة العابدة وكانت قد ذهب بصرها من العبادة قالت: كان عطاء إذا بكى بكى ثلاثة أيام وثلاث ليال، فقالت غفيرة: وحدثني إبراهيم المحلمي قال: أتيت عطاء السلمي فلم أجده في بيته. قال: فنظرت فإذا هو في ناحية الحجرة جالس، وإذا حوله بلل قال: فظننت أنه أثر وضوء توضاه، فقالت لي عجوز معه في الدار: هذا أثر دموعه.

(**وقال بعض الصالحين: خرجت يوماً إلى السوق ومعي جارية حبشية**) أي سوداء من سبي الحبش (**فاحتبستها في موضع بناحية السوق**) أي أمرتها أن تمكث فيه (**فانصرفت فلم أجدها فانصرفت إلى منزلي وأنا شديد الغضب عليها، فلما رأتني عرفت الغضب في وجهي**

فقالت: يا مولاي لا تعجل عليّ إنك أجلستني في موضع لم أرَ فيه ذاكراً لله تعالى فخفت أن يخسف بذلك الموضع! فعجبت لقولها وقلت لها أنت حرة. فقالت: ساء ما صنعت كنت أخدمك فيكون لي أجران وأما الآن فقد ذهب عني أحدهما. وقال ابن العلاء السعدي: كانت لي ابنة عم يقال لها بريرة، تعبدت وكانت كثيرة القراءة في المصحف، فكلما أتت على آية فيها ذكر النار بكت، فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا إلى هذه المرأة حتى نعذلها في كثرة البكاء قال فدخلنا عليها فقلنا: يا بريرة كيف أصبحت؟ قالت: أصبحنا أضيافاً منيخين بأرض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب، فقلنا لها: كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه؟ فقالت: إن يكن لعيني عند الله خير فما يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا، وإن كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء أطول من هذا. ثم أعرضت، قال: فقال القوم قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه.

فقالت: يا مولاي لا تعجل عليَّ إنك أجلستني في موضع لم أر فيه ذاكراً لله تعالى، فخفت أن يخسف بذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت أنت حرة) لوجه الله تعالى، (**فقالت: ساء ما صنعت كنت أخدمك فيكون لي أجران، وأما الآن فقد ذهب عني أحدهما)**. ويقرب من ذلك ما رواه البيهقي في الشعب عن أبي يوسف يعقوب بن سفيان قال: أخبرني بعض شيوخ أهل الكوفة قال: كان لآل الحسن بن صالح بن حي خادمة تخدمهم، فاحتاجوا إلى بيعها فباعوها، فلما كان في الليل ذهبت فألحت على مولاها تقيمه وتقول: ذهب الليل مرة بعد مرة حتى أضجرته فصاح بها، فلما أصبحت ذهبت إلى عند الحسن فقالت: يا سبحان الله ما كان يجب عليكم فيما خدمتكم أن تبيعوني من مسلم. قال: فقال الحسن سبحان الله وماله قالت انتظرته أن يقوم ليتهجد فلم يفعل وألحت عليه فزبرني. قال: فصاح يعلى، وقال: أما تعجب من هذه اذهب فتسلف ثمنها من بعض إخواننا واعتقها.

(وقال ابن العلاء السعدي: كانت لي ابنة عم يقال لها بريرة تعبدت وكانت كثيرة القراءة في المصحف، فكلما أتت على آية فيها ذكر النار بكت، فلم تزل تبكي حتى ذهبت عيناها من البكاء فقال بنو عمها: انطلقوا بنا إلى هذه المرأة حتى نعذلها) أي ننصحها **(في كثرة البكاء. قال: فدخلنا عليها فقلنا: يا بريرة كيف أصبحت؟ قالت: أصبحنا أضيافاً منيخين بأرض غربة ننتظر متى ندعى فنجيب، فقلنا لها: كم هذا البكاء قد ذهبت عيناك منه؟ فقالت: إن يكن لعيني عندالله خير فلا يضرهما ما ذهب منهما في الدنيا وإن كان لهما عند الله شر فسيزيدهما بكاء أطول هذا ثم أعرضت)** عنا **(قال: فقال القوم قوموا بنا فهي والله في شيء غير ما نحن فيه)** رواه ابن أبي الدنيا.

وكانت معاذة العدوية إذا جاء النهار تقول هذا يومي الذي أموت فيه فما تطعم حتى تمسي، فإذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي أموت فيها فتصلي حتى تصبح.

وقال أبو سليمان الداراني: بت ليلة عند رابعة فقامت إلى محراب لها وقمت أنا إلى

(وكانت معاذة) بنت عبدالله (العدوية) أم الصهباء البصرية امرأة صلة بن أشيم من العابدات. قال ابن معين: ثقة حجة. وذكرها ابن حبان في كتاب الثقات روى لها الجماعة. وروى أبو نعيم بسنده إلى سلمة بن حيان العدوي قال: حدثنا الحي أن معاذة العدوية لم توسد فراشاً بعد أبي الصهباء حتى ماتت. (إذا جاء النهار تقول: هذا يومي الذي أموت فيه فما تطعم حتى تمسي، فإذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي أموت فيها فتصلي حتى تصبح). قال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا يحي بن بسطام، حدثنا عمران بن خالد، حدثتني أم الأسود بنت يزيد العدوية وكانت معاذة قد أرضعتها قالت قالت لي معاذة: لما قتل أبو الصهباء وقتل ولدهـا: والله يا بنية ما محبتي للبقاء في الدنيا للذيذ عيش ولا لروح نسيم، ولكني والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربي بالوسائل لعله يجمع بيني وبين أبي الصهباء وولده في الجنة.

قال: وحدثنا محمد بن الحسين، حدثني روح بن سلمة الوراق قال: سمعت عفيرة العابدة تقول: بلغني أن معاذة العدوية لما احتضرت للموت بكت ثم ضحكت، فقيل لها: بكيت ثم ضحكت فمم البكاء ومم الضحك رحمك الله؟ قالت: أما البكاء الذي رأيتم فإني والله ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك، وأما الذي رأيتم من تبسمي وضحكي فإني نظرت إلى الصهباء قد أقبل في صحن الدار وعليه حلتان خضراوان وهو في نفر والله ما رأيت لهم في الدنيا شبهاً، فضحكت إليه ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضاً. قال: فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة.

وروى أبو نعيم من طريق أبي خلدة قال: سمعت أبا السوار العدوي يقول لمعاذة العدوية في مسجد في بني عدي: تجيء إحداكن المسجد فتضع رأسها وترفع استها، فقالت: ولم تنظر اجعل في عينيك تراباً ولا تنظر. قال: وإني والله ما أستطيع إلا أن أنظر ثم اعتذرت فقالت: يا أبا سوار إذا كنت في البيت شغلني الصبيان، وإذا كنت في المسجد كان أنشط لي قال: النشاط أخاف عليك، وأبو السوار تابعي ثقة عابد روى له الشيخان.

وقال أحمد في الزهد: حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت البناني أن صلة بن أشيم كان في مغزى له ومعه ابن له فقال: أي بني تقدم فقاتل حتى أحتسبك فحمل فقاتل حتى قتل ثم تقدم فقتل، فاجتمعت النساء عند امراته معاذة العدوية فقالت: مرحباً إن كنتن جئتن لتهنئة فمرحباً بكن، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن. قال أبو نعيم: رواه سيار عن جعفر عن حميد بن دينار عن صلة بنحوه.

(وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى: (بت ليلة عند رابعة) العدوية قدس الله

ناحية من البيت، فلم تزل قائمة إلى السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة؟ قالت جزاؤه أن نصوم له غداً.

وكانت شعوانة تقول في دعائها: إلهي ما أشوقني إلى لقائك وأعظم رجائي لجزائك وأنت الكريم الذي لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين، إلهي إن كان دنا أجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللي، فإن عفوت فمن أولى منك بذلك وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك، إلهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها إن لم تسعدها، إلهي إنك لم تزل بي براً أيام حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي بإحسانه أن يسعفني عند مماتي بغفرانه، إلهي كيف أيأس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني إلا الجميل في حياتي، إلهي إن كانت ذنوبي قد أخافتني فإن محبتي لك قد أجارتني فتول من أمري ما أنت أهله وعد بفضلك علي من غره جهله، إلهي لو أردت إهانتي لما هديتني ولو أردت فضيحتي لم تسترني فمتعني بما له هديتني وأدم لي ما به سترتني، إلهي ما أظنك تردني في حاجة أفنيت فيها عمري، إلهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت عقابك

سرها (**فقامت إلى محراب لها وقمت أنا إلى ناحية من البيت فلم تزل قائمة**) تصلي وتبكي وتدعو (**إلى السحر، فلما كان السحر قلت: ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة؟ قالت: جزاؤه أن نصوم له غداً**) رواه البيهقي في الشعب إلا أنه عزاه لجعفر بن سليمان قال: ضفت برابعة ذات ليلة فبدرت الى محرابها وبدرت إلى آخر فلم تزل قائمة حتى أصبحت، فقلت لها: ما جزاء من قوانا على قيام هذا الليل؟ قالت: جزاؤه أن تصوم له النهار.

(**و**) يروى أنه (**كانت شعوانة**) رحمها الله تعالى (**تقول في دعائها: إلهي ما أشوقني إلى لقائك وأعظم رجائي لجزائك وأنت الكريم الذي لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يبطل عندك شوق المشتاقين، إلهي إن كان دنا أجلي ولم يقربني منك عملي فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللي، فإن عفوت فمن أولى منك بذلك، وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك. إلهي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك فالويل لها إن لم تسعدها إلهي إنك لم تزل بي براً أيام حياتي فلا تقطع عني برك بعد مماتي، ولقد رجوت ممن تولاني في حياتي بإحسانه أن يشفعه عند مماتي بغفرانه إلهي كيف أيأس من حسن نظرك بعد مماتي ولم تولني إلا الجميل في حياتي إلهي إن كانت ذنوبي قد أخافتني فإن محبتي لك قد أجارتني فتول من أمري ما أنت أهله وعد بفضلك على من غره جهله إلهي لو أردت إهانتي**) لما هديتني ولو أردت فضيحتي لم تسترني فمتعتني بماله هديتني وأدم لي ما به سترتني. إلهي ما **أظنك تردني في حاجة أفنيت فيها عمري. إلهي لولا ما قارفت من الذنوب ما خفت**

ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك. وقال الخوّاص: دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى اقعدت، وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئاً من العفو ليهون عليها الأمر قال: فشهقت ثم قالت: علمي بنفسي قرح فؤادي وكلم كبدي والله لوددت أن الله لم يخلقني ولم أكُ شيئاً مذكوراً، ثم أقبلت على صلاتها. فعليك إن كنت من المرابطين المراقبين لنفسك أن

عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك). وهذه مناجاة من شغف حب المولى عز وجل في باطن قلبه واستغرقته مراقبة نعمه وإحسانه. وقد روى ابن أبي الدنيا عن عبدالله بن محمد قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الملك قال: قدمت شعوانة وزوجها مكة، ثم ساق القصة وفيها قال: وسمعتها تقول بالفارسية: أنبت لكل داء دواء في الجبال ودواء المحبين في الجبال لم ينبت.

(وقال) إبراهيم بن أحمد **(الخواص)** رحمه الله تعالى: **(دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكيت حتى عميت وصلت حتى أقعدت وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها شيئاً من العفو ليهون عليها الأمر، قال: فشهقت ثم قالت: علمي بنفسي قرح فؤادي وكلم كبدي، والله لوددت أن الله لم يخلقني ولم أك شيئاً مذكوراً)**.

ويقرب من هذه القصة ما رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين قال: حدثني أبو جعفر المؤدب، حدثنا حفص بن عمر الجعفي قال: كانت باليمن امرأة من العرب جليلة جهورية حسناً وجمالاً يقال لها خنساء بنت جذام وليست بالصحابية، فصامت أربعين عاماً حتى لصق جلدها بعظمها، وبكت حتى ذهبت عيناها، وقامت حتى أقعدت من رجليها، وكان طاوس ووهب بن منبه يعظمان قدرها، وكانت إذا دجا عليها الليل وهدأت العيون وسكنت الحركات تنادي بصوت لها حزين: يا حبيب المطيعين إلى كم تحبس خدود المطيعين في التراب، ابعثهم حتى ينتجزوا موعودك الصادق الذي أتعبوا له أنفسهم ثم أنصبوها. قال: فيسمع البكاء من الدور حولها.

ومما يليق ذكره من أحوال المجتهدات ما أورده البيهقي في الشعب عن سلامة العابدة قالت: بكت عبدة بنت أبي كلاب أربعين سنة حتى ذهب بصرها فقيل لها: ما تشتهين قالت: الموت. قيل: ولم ذاك؟ قالت: إني أخشى الله في كل يوم حين أصبح أن أجني على نفسي جناية يكون فيها عطبي أيام الآخرة.

وعن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت رابعة تقول: ما رأيت ثلجاً قط إلا ذكرت تطاير الصحف، ولا رأيت جراداً قط إلا ذكرت الحشر، ولا سمعت أذاناً قط إلا ذكرت منادي القيامة قالت، وقلت لنفسي: كوني في الدنيا بمنزلة الطير الواقع حتى يأتيك قضاؤه.

وعن أبي عثمان الخياط قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: بينا أنا ذات يوم جالس بالشام في قبة ليس عليها باب إلا كساء مسبل إذ أتتني امرأة فدقت علي الحائط فقلت: من هذا؟ فقالت:

امرأة ضالة دلني على الطريق رحمك الله، فقلت: أي الطريقين تسألين؟ فبكت ثم قالت: عن طريق النجاة، فقلت: هيهات هيهات! لا يقطع ذلك الطريق إلا بالسير الحثيث من الجد وتصحيح المعاملة وحذف العلائق الشاغلة من أمر الدنيا والآخرة، فبكت ثم قالت: أما علائق الدنيا ففهمتها فما علائق الآخرة؟ فقلت: لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لم يكن لك إلا ما كتب لك في اللوح المحفوظ وأن لجهنم زفرة يوم القيامة لو كان لك عمل سبعين نبياً ما كان لك بد أن ترديها. قال: فصرخت صرخة ثم قالت: سبحان من صان عليك جوارحك فلم تقطع، وسبحان من أمسك عليك فلم تتصدع، ثم سقطت مغشياً عليها. قال ابن أبي الحواري: وكانت عندنا جارية من المتعبدات فقلت لها: اخرجي فانظري ما قصة هذه المرأة؟ قال: فخرجت إليها فإذا هي قد فارقت الدنيا وإذا في جيبها رقعة مكتوب فيها: كفنوني في أثوابي فإن يكن لي عند ربي خير فسيبدلني ما هو خير لي منها، وإن يكن غير ذلك فبعداً لنفسي وسحقاً. قال ابن أبي الحواري: فإذا خدم قد أحاطوا بالجارية، فقلت لبعضهم: ما قصة هذه المرأة؟ فقالوا: يا أبا الحسن هذه جارية كان يظهر بها شيء أنها مصابة بعقلها، وكان الذي يمنعها من المطعم والمشرب، وكانت تشكو إلينا وجعاً بجوفها وكنا نعرض عليها الأطباء، فكانت تقول: أريد متطبباً أشكو إليه بعض ما أجد من دائي عسى أن يكون عنده شفائي اهـ. سياق البيهقي.

وقال أبو بكر التيمي: حدثنا محمد بن سليمان القرشي قال: بينا أنا أسير في طريق اليمن إذا بغلام واقف في الطريق في أذنيه قرطان في كل قرط جوهرة يضيء وجهه من ضوء تلك الجوهرة وهو يمجد ربه بأبيات من الشعر فسمعته يقول:

مليك في السماء به افتخاري ... عزيز القدر ليس به خفاء

فدنوت منه فسلمت عليه فقال: ما أنا براد عليك حتى تؤدي من حقي الذي يجب عليك. قلت: وما حقك؟ قال: أنا غلام على مذهب إبراهيم الخليل ﷺ لا أتغدى ولا أتعشى كل يوم حتى أسير الميل والميلين في طلب الضيف، فأجبته إلى ذلك فترحب بي وسرت معه حتى قربنا من خيمة شعر، فلما قربنا من الخيمة صاح يا أختاه فأجابته جارية من الخيمة قال: قومي إلى ضيفنا. قالت الجارية: حتى أبدأ بشكر المولى الذي سبب لنا هذا الضيف، فقامت فصلت ركعتين شكراً فأدخلني الخيمة وأجلسني، وأخذ الغلام أغناماً ليذبحها، فلما جلست في الخيمة نظرت إلى أحسن الناس وجهاً، فكنت أسارقها ففطنت لبعض لحظاتي إليها، فقالت لي: مه أما علمت أنه نقل إلينا عن صاحب يثرب أن زنا العينين النظر أما أني ما أردت بهذا أن أوبخك ولكني أردت أن أؤدبك لكيلا تعود لمثل هذا، فلما كان النوم بت أنا والغلام خارجاً، وباتت الجارية في الخيمة فكنت أسمع دوي القرآن الليل كله بأحسن صوت يكون وأرقه، فلما أن أصبحت قلت للغلام صوت من كان ذلك؟ فقال: تلك أختي تحيي الليل كله إلى الصباح، فقلت: يا غلام أنت أحق بهذا العمل من أختك أنت رجل وهي امرأة. قال: فتبسم ثم قال لي: ويحك يا فتى أما علمت أنه موثق ومخذول.

....

وروى ابن باكويه من طريق موسى بن عبد الملك المروزي قال: قال مالك بن دينار: بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بامرأة في الحجر وهي تقول أتيتك من شقة بعيدة مؤملة لمعروفك فانلني معروفاً من معروفك تغنيني به عن معروف من سواك. يا معروفاً بالمعروف، فعرفت أيوب السختياني فسألنا عن منزلها وقصدناها وسلمنا عليها، فقال لها أيوب: قولي خيراً يرحمك الله. قالت: وما أقول أشكو إلى الله قلبي وهواي فقد أضرّا بي وشغلاني عن عبادة ربي، قوما فإني أبادر على صحيفتي. قال أيوب: فما حدثت نفسي بامرأة قبلها، فقلت لها: لو تزوجت رجلاً كان يعينك على ما أنت عليه. قالت: لو كان مالك بن دينار أو أيوب السختياني ما أردته. فقلت: أنا مالك ابن دينار، وهذا أيوب السختياني، فقالت: أف لقد ظننت أنه يشغلكما ذكر الله عن محادثة النساء وأقبلت على صلاتها فسألنا عنها فقالوا: هذه مليكة بنت المنكدر.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن إدريس، حدثني محمد بن علي بن حسان الهاشمي، حدثنا أبو خالد البراد قال: كلمنا ابنة المنكدر في تخفيف بعض العبادة فقالت: دعوني أبادر طي صحيفتي. وقال إبراهيم بن مسلم القرشي: كانت فاطمة بنت محمد بن المنكدر تكون نهارها صائمة فإذا جنها الليل تنادي بصوت حزين: هدأ الليل واختلط الظلام وأوى كل حبيب إلى حبيبه وخلوتي بك أيها المحبوب أن تعتقني من النار.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن علي بن الحسين بن شقيق المروزي، حدثنا خاقان بن عبدالله ابن المبارك أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها: اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ فكشفت لها عنه فبكت حتى ماتت.

قال ابن أبي الدنيا: وحدثني محمد بن الحسين، حدثني إبراهيم بن عبدالله المديني قال: حدثني بعض أصحابنا أن امرأة كانت بالمدينة ترهق قد خلت المقابر ذات يوم فإذا هي بجمجمة قد بدت قال: فصرخت ثم رجعت منيبة، فدخل عليها نساؤها فقالت: بكى قلبي لذكر الموت لما رأيت جماجم فوق القبور، ثم قالت: أخرجن عني ولا يأتين منكن امرأة إلا امرأة ترغب في خدمة الله عز وجل، ثم أقبلت على العبادة حتى ماتت على ذلك.

قال: وحدثني محمد بن الحسين، حدثني عبدالله بن نافع الزبيدي، حدثني أبو أيوب رجل من قريش أن امرأة من أهله كانت تجتهد في العبادة وتديم الصيام وتطيل القيام، فأتاها الملعون فقال: إلى كم تعذبين هذا الجسد وهذه الروح لو أفطرت وقصرت عن القيام كان أدوم لك وأقوى قالت: فلم يزل يوسوس لي حتى هممت والله بالتقصير. قالت: ثم دخلت مسجد رسول الله ﷺ معتصمة بقبره وذلك بين المغرب والعشاء، فذكرت الله وصليت على رسوله ﷺ، ثم ذكرت ما نزل بي من وساوس الشيطان، واستغفرت وجعلت أدعو الله أن يصرف عني كيده ووساوسه. قالت: فسمعت صوتاً من ناحية القبر يقول ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من

أصحاب السعير﴾ [فاطر : ٦]قالت : فرجعت مذعورة وجلة القلب ، فوالله ما عاودتني تلك الوسوسة بعد تلك الليلة .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن الحسين ، حدثني عبدالله بن الزبير الحميري ، حدثني فضلة ابن خالد المخزومي وكان من خيار بني مخزوم قال : كانت ههنا امرأة من بني مخزوم مجاورة يقال لها حكيمة ، وكانت إذا نظرت إلى باب الكعبة قد فتح صرخت كما تصرخ الثكلى ، فلا تزال تصرخ حتى يغمى عليها ، وكانت لا تكاد تفارق المسجد إلا للأمر الذي لا بد منه . قال : ففتحت الكعبة يوماً وهي في بعض حاجتها ، فلما جاءت قالت لها امرأة كانت تجالسها : يا حكيمة اليوم فتح بيت ربك ، فلو رأيت الطائفين يطوفون به والباب مفتوح وهم ينتظرون الرحمة من مليكهم لقد قرت عينك قال : فصرخت حكيمة صرخة لم تزل تضطرب حتى ماتت .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن صالح بن يحيى النهمي ، حدثني أبو الوراق ، أخبرني من سمع نقيش بنت سالم بمكة وهي تقول يا سيد الأنام زجلت بي الشقة ، وهذا مقام العائذ بعفوك من سخطك وبرحمتك من غضبك . يا حبيب الأوابين يا من لا يكديه الإعطاء يا ذا المن والآلاء أدلى بالثقة منك وصلة قراي منك عتق رقبتي . قال : ورأيتها بالموقف وهي تقول : بهطتني الآثام كحلت عيني بمكحول الخزي ، فوعزتك لا أضحك أبداً حتى أعلم أين محل قراري وإلى أين تصير دياري ، فلما رأت أيدي الناس مبسوطة للدعاء قالت : يا رب أقامهم هذا المقام خوف النار يا قرة عيني وعيون الأبرار يلتمسون نائلك ويرجعون فضلك ، انصرف الناس ولم أشعر قلبي منك اليأس .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي ذكر جعفر بن محمد عن بعض مشايخه ، عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال : دخلت مكة وكنت ربما أقعد بحذاء الكعبة ، وربما كنت أستلقي وأمد رجلي فجاءتني عائشة المكية وكانت من العابدات ممن صحب الفضيل فقالت لي : يا عبدالله يقال إنك عالم إقبل مني كلمة لا تجالسه إلا بأدب وإلا فيمحو اسمك من ديوان القرب .

وقال القاسم علي بن الحسن التنوخي أخبرني أبي قال : حدثني عبدالله بن أحمد بن بكر قال : كان لأبي الحسن المكي ابنة مقيمة بمكة أشد ورعاً منه ، وكانت لا تقتات إلا ثلاثين درهماً ينقدها إليها أبوها في كل سنة مما يستفضله من ثمن الخوص الذي يسفه ويبيعه ، فأخبرني ابن الرواس التمار وكان جاره قال : جئت أودعه للحج وأستعرض حاجته وأسأله أن يدعو لي فسلم إلي قرطاساً وقال : تسأل بمكة الموضع الفلاني عن فلانة ، وتسلم هذا إليها فعلمت أنها ابنته ، فأخذت القرطاس وجئت فسألت عنها فوجدتها بالعبادة والزهد أشد اشتهاراً من أن تخفى ، فتبعت نفسي أن يصل إليها من مالي شيء يكون لي ثوابه ، وعلمت أني إن دفعت إليها ذلك لم تأخذه ، ففتحت القرطاس وجعلت الثلاثين خمسين ورددته كما كان وسلمته إليها فقالت : أي شيء خبر أبي ؟ فقلت : سلامة . فقالت : قد خالط أهل الدنيا وترك الانقطاع إلى الله تعالى ، فقلت كما قالت فأسألك بالله وبمن حججت إليه عن شيء فتصدقني . فقلت : نعم ، فقالت : خلطت بهذه الدراهم شيئاً من عندك ؟ فقلت : نعم

إني عملت بذلك. فقالت: إن أبي ما كان يزيدني على الثلاثين شيئاً لأن حاله لا تحتمل أكثر منها إلا أن يكون ترك العبادة، فلو أخبرني بذلك ما أخذت منه أيضاً شيئاً، ثم قالت لي: خذ الجميع فقد عتقتني من حيث قدرت أنكِ تبرني، فقلت: ولم؟ قالت: لا آكل شيئاً ليس من كسبي ولا من كسب أبي ولا آخذ من مال لا أعرف كيف هو شيئاً. فقلت: خذي منها ثلاثين كما أنفذ إليك أبوك وردي الباقي. فقالت: لو عرفتها بعينها من جملة الدراهم لأخذتها، ولكن اختلطت بما لا أعرف جهته فلا آخذ منها شيئاً، وأنا الآن أقتات إلى الموسم الآخر من المزابل لأن هذه كانت قوتي طول السنة وقد أجعتني، ولولا إنك ما قصدت أذاي لدعوت عليك. قال: فاغتممت وعدت إلى البصرة وجئت إلى أبي الحسن فأخبرته واعتذرت إليه فقال: لا آخذها وقد اختلطت بغير مالي، وقد عققتني وأياها. قال: فقلت فما أعمل بالدراهم؟ فقال: لا أدري فما زلت مدة أعتذر إليه وأسأله ما أعمل بالدراهم، فقال لي بعد مدة. تصدق بها ففعلت.

وقال أبو الفتح بن أبي الفوارس: أخبرنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا مسدد، حدثنا الدورقي، حدثنا عبدالله البكري، عن جعفر بن سليمان، حدثنا مالك بن دينار قال: رأيت بمكة امرأة من أحسن الناس عينين قال: فكان النساء يجئن فينظرن إليها فأخذت في البكاء فقيل لها: تذهب عيناك. فقالت: إن كنت من أهل الجنة فسيبدلني عينين أحسن من هاتين، وإن كنت من أهل النار فسيصيبها أشد من هذا. قال: فبكت حتى ذهبت إحدى عينيها.

وقال مهدي بن حفص، حدثني أبو عبد الرحمٰن المغازلي قال: كانت امرأة مجاورة بمكة تسمى حكيمة فدخلنا عليها ذات يوم فقالت لها امرأة كانت تخدمها: إخوانك جاؤك يحبون أن يسمعوا كلامك. قال: فبكت طويلاً ثم أقبلت علينا فقالت: إخواني وقرة عيني مثلوا القيامة نصب أبصار قلوبهم وردوا على أنفسكم ما قد تقدم من أعمالكم، فما ظننتم أنه قد يجوز في ذلك اليوم فارغبوا إلى السيد في قبوله وتمام النعمة فيه، وما خفتم أن يرد في ذلك اليوم عليكم فخذوا في إصلاحه من اليوم ولا تغفلوا عن أنفسكم فترد عليكم حيث لا يوجد البدل ولا يقدر على الفداء قال: ثم بكت طويلاً ثم أقبلت علينا، فقالت: إخواني وقرة عيني إنما صلاح الأبدان وفسادها حسن النية وسوءها إخواني وقرة عيني إنما نال المتقون المحبة لمحبتهم له وانقطاعهم إليه، ولولا الله ورسوله ما نالوا ذلك ولكنهم أحبوا الله ورسوله فأحبهم عباد الله لحبهم الله ورسوله. إخواني وقرة عيني كلم الخوف قلوب أهله فاقتطعهم والله وشغلهم عن مطاعم اللذات والشهوات. إخواني وقرة عيني بقدر ما تعرضون عن الله يعرض عنكم بخيره، وبقدر ما تقبلون عليه كذلك يقبل عليكم ويزيدكم من فضله إنه واسع كريم.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا عبد الرحمٰن بن رباب الطائي، حدثنا عبد الرحمٰن المحاربي، عن سفيان، عن ابن أبي رواد قال: كانت عندنا امرأة بمكة تسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة فماتت، فلما بلغت القبر اختلست من أيدي الرجال.

قال: وحدثنا أبو علي المديني، حدثنا أبو الحسن أكدام وكان من خيار الناس قال: كانت امرأة بمكة يأتيها العباد فيتحدثون عندها ويتواعظون فقالت لهم يوماً: حجبت قلوبكم عن الله فلو خليتموها لجالت في ملكوت السماء ولأتتكم بطرف الفوائد.

قال: حدثنا محمد بن الحسين، حدثني صالح بن عبد الكريم قال: دللت على امرأة بمكة أو بالمدينة تتعبد فأتيتها وهي تكلم قال: فأحسنت حتى سكتت. قال: فصبرت حتى تفرق الناس عنها ثم دنوت منها فقلت: لقد تكلمت فأحسنت ولقد خشيت عليك العجب، فقالت: إنما العجب من شيء هو منك، فأما إن كان من غيرك ففيم العجب؟ ثم قالت:

وله خصائص مصطفون لحبه ... اختارهم من سالف الأزمان

اختارهم من قبل فطرة خلقهم ... بودائع وبحكمة وقيان

ثم قالت: انهض إذا شئت. وحدثني محمد بن عباد بن موسى، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن عبد الرحمن بن الحكم قال: كانت عجوز من قريش بمكة تأوي في سرب ليس لها بيت غيره فقيل لها: أترضين بهذا؟ فقالت: أوليس هذا لمن يموت كثير.

وقال ابن شاذان أخبرنا عثمان بن أحمد، حدثنا العباس بن يوسف، حدثني محمد بن عبدالله القارىء، حدثني محمد بن بكار قال: كانت عندنا بمكة امرأة عابدة لا تمر بها ساعة إلا وهي صارخة، فقيل لها يوماً: إنا لنراك على حال ما نرى غيرك عليها، فإن كان لك داء عالجناك قال: فسكتت وقالت من لي بعلاج هذا الداء وهل أقرح قلبي إلا التفكر في مثل معالجته، أوليس عجباً أن أكون حية بين أظهركم وفي قلبي من الاشتياق إلى ربي مثل شعل النار التي لا تطفأ، متى أصير إلى الطبيب الذي عنده برء دائي وشفاء قلب قد أنضجه طول الأحزان في هذه الدار التي لا أجد فيها على البكاء مسعداً.

قال: وحدثنا محمد بن الحسين، حدثني عصام بن عثمان الحلبي، حدثني مسمع بن عاصم قال: قالت لي رابعة العدوية: اعتللت علة قطعتني عن التهجد وقيام الليل فمكثت أياماً أقرأ جزئي إذا ارتفع النهار لما يذكر فيه أنه يعدل لقيام الليل. قالت: ثم رزقني الله العافية فاعتادتني فترة في عقب العلة فكنت قد سكنت إلى قراءة جزئي بالنهار وانقطع عني قيام الليل. قالت: فبينا أنا ذات ليلة راقدة رأيت في منامي كأني دفعت إلى روضة خضراء ذات قصور ونبت حسن، فبينا أنا أجول فيها أتعجب من حسنها إذا أنا بطائر أخضر وجارية تطارده كأنها تريد أخذه. قالت: فشغلني حسنها عن حسنه، فقلت: ما تريدين منه دعيه فوالله ما رأيت طائراً قط أحسن منه؟ قالت: أفلا أريك أحسن منه؟ قلت: بلى. قالت: فأخذت بيدي فأدارت بي في تلك الروضة حتى انتهت بي إلى باب قصر فاستفتحت ففتح لها، ثم قالت: افتحوا إلي بيت المقة. قالت: ففتح لها باب شاع منه شعاع استنار من ضوء نوره ما بين يدي وما خلفي. قالت: فدخلت وقالت لي: ادخلي. قالت: فدخلت إلى بيت يحار فيه البصر تلألؤاً وحسناً ما أعرف له في الدنيا شبهاً أشبهه. قالت: فبينا نحن

تطالع أحوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك ويزيد حرصك ، وإياك أن تنظر إلى أهل عصرك فإنك إن تطع أكثر في الأرض يضلوك عن سبيل الله . وحكايات المجتهدين غير محصورة.

وفيما ذكرناها كفاية للمعتبر . وإن أردت مزيداً فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب « حلية الأولياء » فهو مشتمل على شرح أحوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

نجول فيه إذ رفع لنا باب يخرق إلى بستان. قالت: فأهوت نحوه وأنا معها فتلقانا منه وصفاء كأن وجوههم اللؤلؤ بأيديهم المجامر فقالت لهم: أين تريدون؟ قالوا: نريد فلاناً قتل في البحر شهيداً. قالت: أفلا تجمروا هذه المرأة؟ قالوا: قد كان لها في ذلك حظ فتركته. قالت: فأرسلت يدها من يديَ ثم أقبلت علي فقالت:

صلاتك نور والعباد رقود ونومك ضد للصلاة عنيد
وعمرك غنم إن غفلت ومهلة يسير ويفنى دائماً ويبيد

قالت: ثم غابت من بين يدي عن عيني واستيقظت حين تبدى الفجر. قالت: فوالله ما ذكرتها فتوهمتها إلا طاش عقلي وأنكرت نفسي قال: ثم سقطت رابعة مغشياً عليها.

(فعليك إن كنت من المرابطين المراقبين لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء من المجتهدين) والمجتهدات في الطاعات **(لينبعث نشاطك ويزيد حرصك، وإياك أن تنظر إلى أهل عصرك فإنك إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله . وحكايات المجتهدين غير محصورة)**

(وفيما ذكرناه) من النبذة اليسيرة **(كفاية للمعتبر . وإن أردت مزيداً فعليك بالمواظبة على مطالعة كتاب « حلية الأولياء »)** وطبقة الأصفياء تصنيف الشيخ الإمام الحافظ أبي نعيم أحمد ابن عبدالله بن أحمد بن إسحاق الأصفهاني رحمه الله تعالى، **(فهو مشتمل على شرح أحوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم)** . قال في أول كتابه: أما بعد؛ أحسن الله توفيقك فقد استعنت بالله وأجبتك إلى ما ابتغيت من جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة من الصحابة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم من بعدهم ممن عرف الأدلة والحقائق، وباشر الأحوال والطرائق، وساكن الرياض والحدائق، وفارق العوارض والعلائق إلى آخر ما قال إلى أن قال: إذ لأسلافنا في التصوف العلم المنشور والصيت والذكر المشهور، فقد كان جدي محمد بن يوسف البنا رحمه الله تعالى أحد من نشر الله به ذكر بعض المنقطعين إليه وغمر به أحوال كثير من المقبلين عليه.

ولنذكر هنا نبذة من ترجمته وعدة تصانيفه وكيفية الإتصال به، هو الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن مهران سبط الشيخ العارف محمد بن يوسف البنا رحمهم الله تعالى، ولد في رجب سنة ٣٣٦، وتوفي بكرة يوم الإثنين ٢١ محرم سنة ٤٣٠، غسله الحافظ أبو

....

مسعود إبراهيم بن سليمان، وصلى عليه محمد بن عبد الواحد، وله أربع وتسعون سنة، ودفن إلى جنب الشورذجاني وقبره يستجاب عنده الدعاء.

قال الحافظ أبو موسى المديني: أسلم جده مهران وهو مولى عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وجده من قبل أمه محمد بن يوسف بن معدان بن زيد الثقفي الصوفي الشهير بالبنا. كان رأساً في التصوف، وصنف كتباً حساناً.

وقال الحافظ أبو طاهر السلمي: كان أبو نعيم في وقته مرحولاً إليه ولم يكن في أفق من الآفاق أسند ولا أحفظ منه، وكان حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده فكان كل يوم نوبة واحد منهم يقرأ ما يريده إلى قريب من الظهر، فإذا قام إلى داره ربما كان يقرأ عليه في الطريق جزءاً وكان لا يضجر، ولم يكن له غذاء سوى التصنيف أو القراءة عليه. قال: سمعت مرة يذكر أن أبا نعيم سئل ممن تعلمت العربية فقال: من رسول الله ﷺ، يعني أنه تخرج بقراءة الحديث وسماعه وكتبه والنظر فيه قال: وسمعت السيد حمزة بن العباس العلوي الأصبهاني بهمدان يقول: كان أصحاب الحديث في مجلس أحمد بن الفضل الباطرقاني يقولون وأنا أسمع: بقي أبو نعيم أربع عشرة سنة بلا نظير ولا يوجد شرقاً وغرباً أعلى إسناداً ولا أحفظ منه، وكانوا يقولون لما صنف كتاب الحلية حمل إلى نيسابور حال حياته فاشترى هناك بأربعمائة دينار، وبلغت عدة تصانيفه أربعمائة مجلد.

قال الإمام منتخب الدين أبو الفتوح العجلي: كان أبو نعيم صاحب التصانيف الكثيرة ولعلها تبلغ أربعمائة ومناقبه تصانيفه، وكتابه حلية الأولياء عشر مجلدات، ومعرفة الصحابة في ثلاث مجلدات، ودلائل النبوة في ثلاث مجلدات، وقد حصلت بحمد الله تعالى كتابة حلية الأولياء أجزاء متفرقة من مواضع شتى وكمل عندي غالبه إلا ما قل منه، وناهيك به شرفاً ما ذكره بعضهم أنه لا يدخل الشيطان بيتاً فيه هذا الكتاب، وقد جمع رجاله أرجوزة محمد بن جابر الأندلسي في كراسين أحسن فيها للغاية، ورويت هذا الكتاب عن جماعة من الشيوخ ما بين إجازة خاصة وعامة منهم: المسند أبو حفص عمر بن أحمد بن عقيل بن الحسين المكي عن كل من المشايخ الثلاثة خاله حافظ الحجاز عبدالله بن سالم البصري، والشهاب أحمد بن علي بن محمد النخلي، وأبي الأسرار الحسن بن علي بن يحيى الحنفي قالوا: أخبرنا الحافظ شمس الدين محمد بن العلاء، أخبرنا علي بن يحيى، أخبرنا يوسف بن زكريا، أخبرنا الحافظ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، أخبرنا الحافظان أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، ومستمليه زين الدين رضوان بن يوسف العقبي، ومسند القاهرة عز الدين عبد الرحيم بن محمد بن الفرات. قال الأولان: أخبرنا الشرف محمد بن عبد اللطيف بن الكويك، والزين عبد الرحمن بن أحمد الغزي. قال ابن الكويك: أخبرنا إبراهيم بن علي القطبي، وقال الغزي: أخبرنا علي بن إسماعيل المخزومي قالا: أخبرنا النجيب أبو الفتوح عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحراني. وقال ابن الفرات: أخبرنا عمر بن الحسين المراغي، أخبرنا الفخر محمد بن النحامي. قال هو والحراني: أخبرنا أبو المكارم أحمد بن محمد اللبان، وأبو الحسن

وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد أهل عصرك من أهل الدين. فإن حدثتك نفسك بالنظر إلى أهل زمانك وقالت: إنما تيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الأعوان والآن فإن خالفت أهل زمانك رأوك مجنوناً وسخروا بك فوافقهم فيما هم فيه وعليه؛ فلا يجري عليك إلا ما يجري عليهم والمصيبة إذا عمت طابت. فإياك أن تتدلى بحبل غرورها وتنخدع بتزويرها، وقل لها: أرأيت لو هجم سيل جارف يغرق أهل البلد وثبتوا على مواضعهم ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال. وقدرت أنت على أن تفارقيهم وتركبي في سفينة تتخلصين بها من الغرق فهل يختلج في نفسك أن المصيبة إذا عمت طابت؟ أم تتركين موافقتهم وتستجهلينهم في صنيعهم وتأخذين حذرك مما دهاك، فإذا كنت تتركين موافقتهم خوفاً من الغرق وعذاب الغرق لا يتمادى إلا ساعة فكيف لا تهربين من عذاب الأبد وأنت متعرضة له في كل حال؟ ومن أين تطيب المصيبة إذا عمت ولأهل النار شغل شاغل عن الالتفات إلى العموم والخصوص؟ ولم يهلك الكفار إلا بموافقة أهل زمانهم حيث قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آباءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإِنَّا عَلَى

مسعود بن محمد بن منصور والحمال قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسين الحداد، أخبرنا الحافظ أبو نعيم رحمه الله تعالى.

(**وبالوقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد أهل عصرك من أهل الدين، فإن حدثتك نفسك بالنظر إلى أهل زمانك وقالت: إنما تيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الأعوان**) عليه (و) أما (**الآن خالفت أهل زمانك**) في زيهم وطريقتهم (**رأوك مجنوناً**) قليل العقل (**وسخروا بك**) واستقلوا مقامك (**فوافقهم فيما هم فيه وعليه؛ فلا يجري عليك إلا ما يجري عليهم والمصيبة إذا عمت**) أي شملت الناس جميعاً (**طابت**) وهانت. (**فإياك أن تتدلى بحبل غرورها وتنخدع بتزويرها وقل لها: أرأيت**) أيتها النفس (**لو هجم سيل جارف**) يجرف الأرض وما عليها (**يغرق أهل البلد وثبتوا على مواضعهم**) ماكثين (**ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم بحقيقة الحال، وقدرت أنت على أن تفارقيهم وتركبي في سفينة تتخلصي بها من الغرق فهل يختلج في نفسك أن المصيبة إذا عمت طابت أم تتركي موافقتهم وتستجهلينهم في صنيعهم وتأخذي حذرك مما دهاك**) وهجم عليك، (**فإذا كنت تتركين موافقتهم خوفاً من الغرق**) والهلاك (**وعذاب الغرق لا يتمادى إلا ساعة**) ريثما تزهق الروح، (**فكيف لا تهربي من عذاب الأبد وأنت متعرضة له في كل حال، ومن أين تطيب المصيبة**) وتهون (**إذا عمت، ولأهل النار شغل عن الالتفات إلى العموم والخصوص، ولم يهلك الكفار إلا بموافقة أهل زمانهم حيث قالوا**) كما أخبر الله تعالى عنهم (**﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا**

آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢] فعليك إذا اشتغلت بمعاتبة نفسك وحملها على الاجتهاد فاستعصت أن لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها تنزجر عن طغيانها.

المرابطة السادسة: في توبيخ النفس ومعاتبتها:

اعلم أن أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك، وقد خلقت أمارة بالسوء ميالة إلى الشر فرّارة من الخير، وأمرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها، فإن أهملتها جمحت وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك، وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوّامة التي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضيةً مرضية، فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ

على آثارهم مقتدون﴾ فعليك إذا اشتغلت بمعاتبة نفسك أو تحملها على الاجتهاد فاستعصت) ولجت في طغيانها وأبت طاعتك فيا تحملها، **(أن لا تترك معاتبتها وتوبيخها وتقريعها)** بعصا المواعظ والزواجر **(وتعريفها سوء نظرها لنفسها فعساها لتنزجر عن طغيانها)**، ومن أراد الزيادة على هذا فلا يشفيه إلا ما ذكره المصنف في المرابطة السادسة. قال رحمه الله تعالى:

المرابطة السادسة: في توبيخ النفس ومعاتبتها:

(اعلم) أرشدك الله تعالى **(أن أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك)** كما ورد في مرسل سعيد بن أبي هلال: ليس عدوك الذي يقتلك فيدخلك الله به الجنة وإن قتلته كان لك نوراً، ولكن أعدى الأعداء لك نفسك التي بين جنبيك. رواه أبو محمد العسكري في الأمثال، **(وقد خلقت أمارة بالسوء ميالة إلى الشر فرارة من الخير وأمرت بتزكيتها وتقويمها)** وتعديلها **(وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها، فإن أهملتها جمحت)** وعصت **(وشردت ولم تظفر بها بعد ذلك)** واحتجت إلى معالجة شديدة، **(وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة التي أقسم الله بها)** فقال: ﴿لا أقسم بيوم القيامة ★ ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ [القيامة: ١، ٢] وهي النفس المتقية التي تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيامة على تقصير، وإدخال «لا» النافية على فعل القسم للتأكيد شائع في كلامهم. **(ورجوت أن تصير النفس المطمئنة المدعوة إلى أن تدخل زمرة عباد الله راضية مرضية)** كما قال الله تعالى ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ★ ارجعي إلى ربك راضية مرضية ★ فادخلي في عبادي ★ وادخلي جنتي﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠] **(فلا تغفلن ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل أولاً**

غيرك ما لم تشتغل أولاً بوعظ نفسك. أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني؛ وقال تعالى: ﴿وذَكِّر فإنَّ الذِّكْرَى تنفعُ المؤمنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وسبيلك أن تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها وأنها أبداً تتعزز بفطنتها وهدايتها، ويشتدّ أنفها واستنكافها إذا نسبت إلى الحمق فتقول لها: يا نفس ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وأنت أشدّ الناس غباوة وحمقاً؛ أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وإنك صائرة إلى إحداهما على القرب؟ فما لك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين أو غداً، فأراك ترين الموت بعيداً ويراه الله قريباً؟ أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب وأن البعيد ما ليس بآت؟ أما تعلمين أن الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعدة وموطأة وأنه لا يأتي في شيء، دون شيء، ولا في شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء، ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار، ولا يأتي في الصبا دون الشباب ولا في الشباب دون الصبا، بل كل نفس من الأنفاس يمكن أن يكون فيه الموت فجأة فإن لم يكن الموت فجأة فيكون المرض فجأة،

بوعظ نفسك)، فقد ورد أنه (**أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام: يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وألا فاستح مني**) رواه أحمد في الزهد عن مالك بن دينار. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا الحسين بن محمد بن علي، حدثنا أحمد بن محمد بن معاوية، حدثنا سليمان بن داود القزاز، حدثنا سيار، حدثنا جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا عيسى عظ نفسك فذكره.

(**وقال تعالى: ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ وسبيلك أن تقبل عليها فتقرر عندها جهلها وغباوتها**) وحمقها (**وأنها أبداً تتعزز بفطنتها وهدايتها، ويشتد أنفها واستنكافها إذا نسبت إلى الحمق**) والغباوة (**فتقول لها: يا نفس ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والفطنة وأنت أشد الناس غباوة وحمقاً! أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار وأنت صائرة إلى إحداهما على القرب؟ فمالك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو**) واللعب (**وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم تختطفين**) من بين أهلك وأحبابك (**أو غداً، فأراك ترين الموت بعيداً ويراه الله قريباً! أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب**) وكأن قد (**وأن البعيد ما ليس بآت. أما تعلمين أن الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول**) منه ينبهك على إتيانه (**ومن غير مواعدة ومواطأة**) لمجيئه، (**وأنه لا يأتي شتاء دون صيف ولا في صيف دون شتاء، ولا في نهار دون ليل ولا في ليل دون نهار، ولا يأتي في الصبا دون الشباب ولا في الشباب دون الصبا، بل كل نفس من الأنفاس يمكن أن**

ثم يفضي إلى الموت فما لك لا تستعدين للموت وهو أقرب إليك من كل قريب؟ أما تتدبرين قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ★ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ★ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِن رَبِّهِمْ مُحدثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ★ لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١ ـ ٣] ويحك يا نفس إن كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك أن الله لا يراك فما أعظم كفرك وإن كان مع علمك بإطلاعه عليك فما أشدّ وقاحتك وأقل حياءك، ويحك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من اخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأي جسارة تتعرّضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه أفتظنين أنك تطيقين عقابه؟ هيهات هيهات! جربي نفسك إن ألهاك البطر عن أليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس أو في بيت الحمام أو قربي أصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك؟ أم

يكون فيه الموت فجأة، فإن لم يكن الموت فجأة فيكون المرض فجأة ثم يفضي إلى الموت). وقد ورد في السنة ما يدل على ذلك، فقد روى هناد في الزهد، وابن أبي الدنيا في المرض والكفارات، وأبو نعيم في الطب، والبيهقي في الشعب، والقضاعي في المسند عن الحسن مرسلاً: الحمى رائد الموت وهي سجن الله في الأرض للمؤمن يحبس بها عبده إذا شاء ويرسله إذا شاء. (**فمالك لا تستعدين للموت وهو أقرب إليك من كل قريب، أما تتدبرين قوله تعالى: ﴿اقترب للناس حسابهم﴾**) أي بالإضافة إلى ما مضى أو عند الله لقوله ﴿إنهم يرونه بعيداً ★ ونراه قريباً﴾ [المعارج: ٦، ٧] وقوله: ﴿يستعجلونك بالعذاب﴾ إلى قوله ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ [الحج: ٤٧] أو لأن كل ما هو آت قريب. قال الشاعر:

فلا زال ما تهواه أقرب من غد ... ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس

وإنما البعيد ما انقرض، واللام صلة لاقترب أو تأكيد الإضافة، وأصله اقترب حساب الناس. (**﴿وهم في غفلة معرضون﴾**) عن التفكر فيه (**﴿ما يأتيهم من ذكر**) ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة (**من ربهم محدث**) تنزيله كي يتعظوا (**إلا استمعوه وهم يلعبون﴾**) يستهزئون ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب (**﴿لاهية قلوبهم﴾**) أي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتلهي والذهول عن التفكر فيه.

(**ويحك يا نفس إن كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك أن الله لا يراك فما أعظم كفرك وإن كان مع علمك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حياءك، ويحك يا نفس لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من إخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأي جسارة تتعرضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه، أفتظنين أنك تطيقين عذابه؟ هيهات هيهات! جربي نفسك إن ألهاك البطر عن أليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس**) في نهار الصيف (**أو في بيت الحمام أو قربي أصبعك من النار**) أو من شعلة السراج (**ليتبين لك قدر**

تغترين بكرم الله وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فما لك لا تعوّلين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك، فإذا قصدك عدو فلم تستنبطين الحيل في دفعه ولا تكلينه إلى كرم الله تعالى، وإذا أرهقتك حاجة إلى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي إلا بالدينار والدرهم فما لك تنزعين الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك على كنز أو يسخر عبداً من عبيده فيحمل إليك حاجتك من غير سعي منك ولا طلب؟ أفتحسبين أن الله كريم في الآخرة دون الدنيا! وقد عرفت أن سنة الله لا تبديل لها، وأن رب الآخرة والدنيا واحد، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. ويحك يا نفس ما أعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فإنك تدّعين الإيمان بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاك: ﴿ومَا مِنْ دَابَّةٍ في الأَرْض إلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وقال في أمر الآخرة: ﴿وأن لَيْسَ للإِنْسَان إلاَّ مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩] فقد تكفل لك بأمر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته بأفعالك وأصبحت تتكالبين على طلبها تكالب المدهوش المستهتر، ووكل أمر الآخرة إلى سعيك فأعرضت عنها إعراض المغرور المستحقر! ما هذا من

طاقتك) ما أظن أنك تطيقين ذلك؟ (**أم تغترين بكرم الله وفضله واستغنائه عن طاعتك وعبادتك فمالك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك، فإذا قصدك عدو)** أو خفت منه (**فلم تستنبطين الحيل في دفعه)** بكل ممكن (**ولا تكلينه إلى كرم الله تعالى، وإذا أرهقتك حاجة إلى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي إلا بالدينار والدرهم فمالك قد تنزعين الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله تعالى حتى يعثر بك)** أي يطلعك (**على كنز)** تنفقي منه (**أو يسخر عبداً من عبيده فيحمل إليك حاجتك من غير سعي منك ولا طلب؟ أفتحسبين أن الله كريم في الآخرة دون الدنيا! وقد عرفت أن سنة الله لا تبديل لها، وأن رب الدنيا والآخرة واحد ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى★)** وأن سعيه سوف يرى﴾ [النجم: ٣٩، ٤٠].

(**ويحك يا نفس ما أعجب نفاقك ودعاويك الباطلة فإنك تدعين الإيمان بلسانك وأثر النفاق ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك ومولاك)** جل شأنه: (**﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ وقال في أمر الآخرة ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ فقد تكفل لك بأمر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبتيه بأفعالك وأصبحت تتكالبين)** أي تتحارصين (**على طلبها تكالب المدهوش المستهتر)** كالـذي لا يعقل، (**ووكل أمر الآخرة إلى سعيك فأعرضت عنها إعراض المغرور المستحقر! ما هذا من علامات الإيمان لو كان**

علامات الإيمان لو كان الإيمان باللسان فلم كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار ويحك يا نفس كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين أنك إذا مت انفلت وتخلصت وهيهات! أتحسبين انك تتركين سدى! ألم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟ فإن كان هذا من إضمارك فما أكفرك وأجهلك! أما تتفكرين أنه ممـاذا خلقك، من نطفة خلقك فقدّرك ثم السبيل يسرك ثم إماتك فأقبرك أفتكذبينه في قوله؛ ثم إذا شاء أنشرك؟ فإن لم تكوني مكذبة فما لك لا تأخذين حذرك ولو أن يهودياً أخبرك في ألذ أطعمتك بأنه يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه ،أفكان قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه المنزلة أقل عندك تأثيراً من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم؟ والعجب أنه لو أخبرك طفل بأن في ثوبك عقرباً لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له بدليل وبرهان! أفكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة الأولياء أقل عندك من قول صبي من جملة الأغبياء! أم صار حر جهنم وأغلالها

الإيمان باللسان، فلماذا كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار) مع أنهم قد آمنوا بلسانهم. (**ويحك يا نفس كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب وتظنين أنك إذ مت انفلت وتخلصت. وهيهات! أتحسبين أنك تتركين سدى، ألم تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى**) نزع بذلك إلى قوله تعالى ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى ★ ألم يك نطفة من مني يمنى ★ ثم كان علقة فخلق فسوى ★ فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ★ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ [القيامة: ٣٦ ـ ٤٠] وإلى هذا المعنى أشار القائل:

ولـو أنـا إذا متنـا تـركنـا — لكـان الموت راحـة كـل حـي
ولكنـا إذا متنـا بعثنـا — ونسأل بعـده عـن كـل شيء

(**فإن كان هذا من إضمارك فما أكفرك وأجهلك! أما تتفكرين أنه مماذا خلقك، من نطفة خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم أماتك فأقبرك أفتكذبينه في قوله إذا شاء أنشرك؟ فإن لم تكوني مكذبة فمالك لا تأخذين حذرك، ولو أن يهودياً أخبرك في ألذ أطعمتك بأنه يضرك في مرضك لصبرت عنه وتركتيه وجاهدت نفسك فيه، فكان قول الأنبياء المؤيدين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه المنزلة أقل عندك تأثيراً من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين وظن مع نقصان عقل وقصور علم**) مع ماله من العداوة الدينية معك بحيث لو خلا بك لقتلك؟ (**والعجب أنه لو أخبرك طفل بأن في ثوبك عقرباً لرميت ثوبك في الحال من غير مطالبة له بدليل وبرهان، أفكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة الأولياء أقل عندك من قول صبي من جملة الأغبياء، أم صار حر جهنم وأغلالها وأنكالها وزقومها**

وأنكالها وزقومها ومقامعها وصديدها وسمومها وأفاعيها وعقاربها أحقر عندك من عقرب لا تحسين بألمها إلا يوماً أو أقل منه! ما هذه أفعال العقلاء! بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك، فإن كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فما لك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد، ولعله يختطفك من غير مهلة فماذا أمنت استعجال الأجل؟ وهبك أنك وعدت بالإمهال مائة سنة أفتظنين أن من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها؟ إن ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرأيت لو سافر رجل ليتفقه في الغربة فأقام فيها سنين متعطلاً بطالاً يعد نفسه بالتفقه في السنة الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه أن تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدّة قريبة أو حسبانه أن مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتماداً على كرم الله سبحانه! ثم هبي أن الجهد في آخر العمر نافع وأنه موصل إلى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه بذلك؟ فإن أوحى إليك بالإمهال فما المانع من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب إلا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التعب والمشقة؟ أفتنتظرين يوماً يأتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات؟ هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه؛ فلا تكون الجنة قط إلا محفوفة بالمكاره

ومقامعها وصديدها وسمومها وأفاعيها وعقاربها أقصر عندك من عقرب لا تحسين بألمها إلا يوماً أو أقل منه! ما هذا أفعال العقلاء، بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك، فإن كنت يا نفس قد عرفت جميعه ذلك وآمنت به فمالك تسوفين العمل والموت لك بالمرصاد ولعله يختطفك من غير مهل فماذا أمنت استعجال الأجل؟ وهبك أنك وعدت بالإمهال مائة سنة) وهو غاية الأماني **(أفتظنين أن من يطعم الدابة في حضيض العقبة يفلح ويقدر على قطع العقبة بها؟ إن ظننت ذلك فما أعظم جهلك. أرأيت لو سافر رجل ليتفقه في الغربة)** من وطنه **(فأقام فيها سنين)** مدة **(متعطلاً بطالاً)** لم يشغل نفسه بالتعلم **(يعد نفسه بالتفقه في السنة الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه هل كنت تضحكين من عقله وظنه أن تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة أو حسبانه أن مناصب الفقهاء تنال من غير تفقه اعتماداً على كرم الله سبحانه! ثم هبي الجهد في آخر العمر نافع وأنه موصل إلى الدرجات العلى، فلعل اليوم آخر عمرك فلم لا تشتغلين فيه بذلك؟ فإن أوحى إليك بالإمهال فما المانع من المبادرة وما الباعث لك على التسويف هل له سبب إلا عجزك عن مخالفة شهواتك لما فيها من التعب والمشقة؟ أفتنظرين يوماً يأتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات؟ هذا يوم لم يخلقه الله قط ولا يخلقه؛ فلا تكون الجنة قط إلا محفوفة بالمكاره)**

ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس، وهذا محال وجوده، أما تتأملين مذكم تعدين نفسك وتقولين غداً غداً فقد جاء الغد وصار يوماً فكيف وجدته؟ أما علمت أن الغد الذي جاء وصار يوماً كان له حكم الأمس لا بل تعجزين عنه اليوم فأنت غداً عنه أعجز وأعجز؛ لأن الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها، فإذا عجز العبد عن قلعها للضعف وأخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فأخرها إلى سنة أخرى مع العلم بأن طول المدّة يزيد الشجرة قوة ورسوخاً ويزيد القالع ضعفاً ووهناً، فما لا يقدر عليه في الشباب لا يقدر عليه قط في المشيب، بل من العناء رياضة الهرم ومن التعذيب تهذيب الذيب. والقضيب الرطب يقبل الانحناء فإذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك، فإذا كنت أيتها النفس لا تفهمين هذه الأمور الجلية وتركنين إلى التسويف فما بالك تدعين الحكمة وأية حماقة تزيد على هذه الحماقة؟ ولعلك تقولين ما يمنعني عن الاستقامة إلا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الآلام والمشقة فما أشدّ غباوتك وأقبح اعتذارك! إن كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية عن

كما في الخبر «حفت الجنة بالمكاره» **(ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس هذا محال وجوده، أما تتأملين منذ كم تعدين نفسك وتقولين غداً غداً فقد جاء الغد وصار يوماً فكيف وجدتيه؟ أما علمت أن الغد الذي جاء وصار يوماً كان له حكم الأمس لا بل ما تعجز عنه اليوم فأنت غداً عنه أعجز وأعجز)** أي أكثر عجزاً؛ **(لأن الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها)** واستئصالها، **(فإذا عجز العبد عن قلعها للضعف وأخرها كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي فأخرها إلى سنة أخرى مع العلم بأن طول المدة يزيد الشجرة قوة ورسوخاً ويزيد القالع ضعفاً ووهناً، فما لا يقدر عليه في الشباب لا يقدر عليه قط في المشيب، بل من العناء رياضة الهرم)** فإن الهرم يزداد كل آن ضعفاً فرياضته من جملة العناء، **(ومن التعذيب تهذيب الذيب)**، فإنه جبل على الخبث فلا ينفع فيه التهذيب، ومنه قول الشاعر:

إذا كان الطباع طباع سوء ... فليس بنافع فيه الأديب

(والقضيب الرطب ينفع فيه الانحناء فإذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك) أبداً، **(فإذا كنت أيتها النفس لا تفهمين هذه الأمور)** الواضحة **(الجلية وتركنين إلى التسويف فمالك تدعين الحكمة)** والإصابة، **(وأية حماقة تزيد على هذه الحماقة؟ ولعلك تقولين: ما يمنعني عن الاستقامة إلا حرصي على لذة الشهوات وقلة صبري على الآلام والمشقات فما أشد غباوتك وأقبح اعتذارك! إن كنت صادقة في ذلك فاطلبي التنعم بالشهوات الصافية**

الكدورات الدائمة أبد الآباد ولا مطمع في ذلك إلا في الجنة، فإن كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها فرب أكلة تمنع أكلات. وما قولك في عقل مريض أشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليصح ويهنأ بشربه طول عمره، وأخبره أنه إن شرب ذلك مرض مرضاً مزمناً وامتنع عليه شربه طول العمر، فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة؟ أيصبر ثلاثة أيام ليتنعم طول العمر أم يقضي شهوته في الحال خوفاً من ألم المخالفة ثلاثة أيام؛ حتى يلزمه ألم المخالفة ثلاثمائة يوم وثلاثة آلاف يوم؟ وجميع عمرك بالإضافة إلى الأبد الذي هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام بالإضافة إلى جميع العمر وإن طالت مدته. وليت شعري ألم الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة أو ألم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطيق ألم عذاب الله؟ ما أراك تتوانين عن النظر لنفسك إلا لكفر خفي أو لحمق جلي. أما الكفر الخفي؛ فهو ضعف إيمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب. وأما الحمق الجلي: فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات إلى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك مع أنك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز أو حبة من المال أو كلمة واحدة تسمعينها من الخلق، بل تتوصلين إلى غرضك في

من **الكدورات الدائمة أبد الآباد ولا مطمع في ذلك إلا في الجنة)**، فإن لذاتها هي الموصوفة بذلك، **(فإن كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها أكلة تمنع أكلات)** وهو مثل مشهور أورده الحريري في المقامات. **(وما قولك في عقل مريض أشار عليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ليصح)** مزاجه **(ويتهنأ بشربه طول العمر، وأخبره أنه إن شرب ذلك مرض مرضاً مزمناً)** لا يفارقه **(وامتنع عليه شربه طول العمر، فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة؟ أيصبر ثلاثة أيام ليتنعم طول العمر أم يقضي شهوته في الحال خوفاً من ألم المخالفة ثلاثة أيام، حتى يلزمه ألم المخالفة ثلاثمائة يوم وثلاثة آلاف يوم؟ وجميع عمرك بالإضافة إلى الأبد الذي هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام بالإضافة إلى جميع العمر وإن طالت مدته. وليت شعري ألم الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة أو ألم النار في دركات جهنم فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطيق ألم عذاب؟ ما أراك تتوانين)** أي تتساهلين **(عن النظر إلى نفسك إما لكفر خفي أو لحمق جلي. أما الكفر الخفي فهو ضعف إيمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب. وأما الحمق الجلي فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير التفات إلى مكروه واستدراجه واستغنائه عن عبادتك مع أنك لا تعتمدين على كرم الله في لقمة من الخبز أو حبة من المال أو كلمة تسمعينها من الخلق، بل تتوصلين إلى غرضك في ذلك**

ذلك بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله ﷺ حيث قال: « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » ويحك يا نفس لا ينبغي أن تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنّك بالله الغرور، فانظري لنفسك فما أمرك بمهم لغيرك ولا تضيعي أوقاتك فالأنفاس معدودة فإذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم والفراغ قبل الشغل والغنى قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت، واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها، يا نفس أما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الأسباب، ولا تتكلين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب وغير ذلك، فإنه قادر على ذلك، أفتظنين أيتها النفس أن زمهرير جهنم أخف برداً وأقصر مدة من زمهرير الشتاء أم تظنين أن ذلك دون هذا؟ كلا أن يكون هذا كذلك وأن يكون بينهما مناسبة في الشدّة والبرودة؟ أفتظنين أن العبد ينجو منها

بجميع الحيل وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله ﷺ حيث قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله ») رواه الطيالسي وأحمد والترمذي وابن ماجه وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس من حديث شداد بن أوس. وفي رواية لهم: والعاجز بدل الأحمق وقد تقدم مراراً.

(**ويحك يا نفس لا ينبغي أن تغرك الحياة الدنيا ولا يغرنك بالله الغرور**) كما قال الله تعالى: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ [لقمان: ٣٣] (**فانظري لنفسك فما أمرك بمهم لغيرك ولا تضيعي أوقاتك**) فإنها عزيزة (**فالأنفاس معدودة فإذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك فاغتنمي الصحة قبل السقم، والفراغ قبل الشغل، والغنى قبل الفقر، والشباب قبل الهرم، والحياة قبل الموت**) فقد روى الحاكم والبيهقي من حديث ابن عباس « اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك » وقد رواه ابن المبارك وأحمد معاً في كتاب الزهد، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي أيضاً عن عمرو بن ميمون الأودي مرسلاً. (**واستعدي للآخرة على قدر بقائك فيها. يا نفس أما تستعدين للشتاء بقدر طول مدته فتجمعين له القوت والكسوة والحطب وجميع الأسباب**) الموافقة للزمان، (**ولا تتكلين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبة ولبد وحطب وغير ذلك فإنه قادر على ذلك، أفتظنين أيتها النفس أن زمهرير جهنم أخف برداً وأقصر مدة من زمهرير الشتاء، أم تظنين أن ذلك دون هذا؟ كلا أن يكون هذا كذلك وأن يكون بينهما مناسبة في الشدة والبرودة؟ أفتظنين أن العبد ينجو منها بغير سعي وهيهات! كما لا يندفع برد الشتاء إلا**

بغير سعي هيهات! كما لا يندفع برد الشتاء إلا بالجبة والنار وسائر الأسباب فلا يندفع حر النار وبردها إلا بحصن التوحيد وخندق الطاعات وإنما كرم الله تعالى في أن عرفك طريق التحصن ويسر لك أسبابه لا في أن يدفع عنك العذاب دون حصنه كما أن كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديدة وحجر حتى تدفعي بها برد الشتاء عن نفسك، وكما أن شراء الحطب والجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك وإنما تشترينه لنفسك إذ خلقه سبباً لاستراحتك فطاعاتك ومجاهداتك أيضاً هو مستغن عنها وإنما هي طريقك إلى نجاتك، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها والله غني عن العالمين. ويحك يا نفس انزعي عن جهلك وقيسي آخرتك بدنياك ﴿فمَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفس واحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] ﴿وكَمَا بَدَأْنَا أوَّل خَلْق نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ﴿وكَمَا بَدَأَكُمْ تعودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩] وسنة الله تعالى لا تجدين لها تبديلاً ولا تحويلاً. ويحك يا نفس ما أراك إلا ألفت الدنيا وأنست بها فعسر عليك مفارقتها وأنت مقبلة على مقاربتها وتؤكدين في نفسك مودتها، فاحسبي أنك غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن أهوال القيامة وأحوالها فما أنت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك، أفترين أن من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب

بالجبة والنار وسائر الأسباب فلا يندفع حر النار وبردها إلا بحصن التوحيد وخندق الطاعات)، فقد روي من طريق أهل البيت «لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي» **(وإنما كرم الله تعالى في أن عرفك طريق التحصن ويسر لك أسبابه لا في أن يدفع عنك العذاب دون حصنه، كما أن كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار وهداك لطريق استخراجها من بين حديدة وحجر حتى تدفع بها برد الشتاء عن نفسك، وكما أن شراء الحطب والجبة مما يستغني عنه خالقك ومولاك وإنما تشتريه لنفسك إذ خلق سبباً لاستراحتك، فطاعاتك ومجاهداتك أيضاً هو مستغن عنها وإنما هي طريقك إلى نجاتك فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها والله غني عن العالمين. ويحك يا نفس انزعي عن جهلك)** وغيك وارعوي عن طغيانك **(وقيسي آخرتك بدنياك ﴿فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ ﴿وكما بدأنا أول خلق نعيده﴾ ﴿وكما بدأكم تعودون﴾ وسنة الله)** في خلقه **(لا تجدين لها تبديلاً ولا تحويلاً)** فتأملي في ذلك. **(ويحك يا نفس ما أراك إلا ألفت الدنيا وأنست بها فعسر عليك مفارقتها وأنت مقبلة على مقاربتها وتؤكدين في نفسك مودتها، فاحسبي أنك غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن أهوال القيامة وأحوالها)** وشدائدها، **(فما أنت مؤمنة بالموت المفرق بينك وبين محابك)** وأحبابك. **(أفترين أن يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر)** متفرجاً **(فمد بصره إلى وجه مليح يعلم أنه يستغرق ذلك قلبه،**

الآخر فمدّ بصره إلى وجه مليح يعلم أنه يستغرق ذلك قلبه ثم يضطر لا محالة إلى مفارقته أهو معدود من العقلاء أم من الحمقى؟ أما تعلمين أن الدنيا دار لملك الملوك وما لك فيها إلا مجاز وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت، ولذلك قال سيد البشر ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزى به وعش ما شئت فإنك ميت» ويحك يا نفس أما تعلمين أن كل من يلتفت إلى ملاذ الدنيا ويأنس بها مع أن الموت من ورائه فإنما يستكثر من الحسرة عند المفارقة، وإنما يتزوّد من السم المهلك وهو لا يدري؟ أو ما تنظرين إلى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا ثم ذهبوا وخلوا وكيف أورث الله أرضهم وديارهم أعداءهم أما ترينهم كيف يجمعون ما لا يأكلون ويبنون ما لا يسكنون ويؤملون ما لا يدركون يبني كل واحد قصراً مرفوعاً إلى جهة السماء ومقرّه قبر محفور تحت الأرض فهل في الدنيا حمق وانتكاس أعظم من هذا؟ يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقيناً ويخرب آخرته وهو صائر إليها قطعاً. أما تستحين يا نفس من مساعدة هؤلاء الحمقى على حماقتهم، واحسبي أنك

ثم يضطر لا محالة إلى مفارقته أهو معدود من العقلاء أو من الحمقى؟ أما تعلمين أن الدنيا دار ملك من الملوك ومالك فيها إلا مجاز) يشير بذلك إلى قول عيسى عليه السلام: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها. **(وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت، ولذلك قال سيد البشر ﷺ «إن روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزى به وعش ما شئت فإنك ميت»)** رواه الشيرازي في الألقاب من حديث سهل ابن سعد نحوه، والطبراني في الأصغر والأوسط من حديث علي وكلاهما ضعيف وقد تقدم في كتاب العلم.

(ويحك يا نفس أما تعلمين أن كل من يلتفت إلى ملاذ الدنيا يأنس بها مع أن الموت من ورائه) وبالمرصاد منه **(فإنما يستكثر من الحسرة عند المفارقة وإنما يتزود من السم المهلك وهو لا يدري؟ أو ما تنظرين إلى الذين مضوا كيف بنوا وعلوا)** مـا بنوا **(ثم ذهبوا وخلوا)** أي تركوا ومنه قولهم: يـا من بنى وعلى ثم راح وخلى. **(وكيف أورث الله أرضهم وديارهم أعداءهم، أما ترينهم كيف يجمعون ما لا يأكلون ويبنون ما لا يسكنون ويؤملون ما لا يدركون)**، وقد روى الطبراني في الكبير من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب: يا أيها الناس أما تستحيون تجمعون ما لا تأكلون وتبنون ما لا تعمرون وتؤملون ما لا تدركون ألا تستحيون من ذلك؟ **(يبني كل واحد منهم قصراً مرفوعاً إلى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الأرض. فهل في الدنيا حمق وانتكاس أعظم من هذا؟ يعمر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقيناً ويخرب آخرته وهو صائر إليها قطعاً. أما تستحيين يا نفس من مساعدة هؤلاء**

لست ذات بصيرة تهتدي إلى هذه الأمور وإنما تميلين بالطبع إلى التشبه والاقتداء، فقيسي عقل الأنبياء والعلماء والحكماء بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا واقتدي من الفريقين بمن هو أعقل عندك إن كنت تعتقدين في نفسك العقل والذكاء. يا نفس ما أعجب أمرك وأشدّ جهلك وأظهر طغيانك، عجباً لك كيف تعمين عن هذه الأمور الواضحة الجلية! ولعلك يا نفس أسكرك حب الجاه وأدهشك عن فهمها، أو ما تتفكرين ان الجاه لا معنى له إلا ميل القلوب من بعض الناس إليك، فاحسبي أن كل من على وجه الأرض سجد لك وأطاعك، أفما تعرفين أنه بعد خمسين سنة لا تبقين أنت ولا أحد ممن على وجه الأرض ممن عبدك وسجد لك، وسيأتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك ﴿فَهَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكزاً﴾ [مريم: ٩٨] فكيف تبيعين يا نفس ما يبقى أبد الآباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة إن بقي؟ هذا إن كنت ملكاً من ملوك الأرض سلم لك الشرق والغرب حتى أذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الأسباب كيف ويأبى إدبارك وشقاوتك أن يسلم لك أمر محلتك بل أمر دارك فضلاً عن محلتك؟ فإن كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعاً عن خسة شركائها وتنزهاً عن

الحمقى على حماقتهم، واحسبي أنك لست ذات بصيرة تهتدين إلى هذه الأمور وإنما تميلين بالطبع إلى التشبه والإقتداء، فقيسي عقل الأنبياء والعلماء والحكماء بعقل هؤلاء المكبين على الدنيا) الحريصين على تحصيلها، **(واقتدي من الفريقين بمن هو أعقل عندك إن كنت تعتقدين في نفسك العقل والذكاء. يا نفس ما أعجب أمرك وأشد جهلك وأظهر طغيانك، عجباً لك كيف تعمين عن هذه الأمور الواضحة الجلية، ولعلك يا نفس أسكرك حب الجاه وأدهشك عن فهمها، أو تتفكرين أن الجاه لا معنى له إلا ملك القلوب من بعض الناس إليك، فاحسبي أن كل من على وجه الأرض سجد لك وأطاعك أما تعرفين أن بعد خمسين سنة)** أو أقل من ذلك **(لا تبقي أنت ولا أحد ممن على وجه الأرض ممن عبدك وسجد لك؟ وسيأتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك. ﴿فهل تحس منهم من أحد أو تسمعه لهم ركزاً﴾)** أي صوتاً خفياً؟ **(فكيف تبيعي يا نفس ما يبقى أبد الآباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة إن بقي هذا إن كنت ملكاً من ملوك الأرض سلم لك الشرق والغرب حتى أذعنت لك الرقاب وانتظمت لك الأسماء. كيف ويأبى إدبارك وشقاوتك أن يسلم لك أمر محلتك بل أمر دارك فضلاً عن محلتك، فإن كنت يا نفس لا تتركين الدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترفعاً عن خسة شركائها وتنزهاً عن كثرة عنائها)** أي تعبها **(وتوقياً من**

كثرة عنائها وتوقياً من سرعة فنائها ؟ أم ما لك لا تزهدين في قليلها بعد أن زهد فيك كثيرها وما لك تفرحين بدنيا إن ساعدتك فلا تخلو بلدك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها ، فأف لدنيا يسبقك بها هؤلاء الأخساء! فما أجهلك وأخس همتك وأسقط رأيك إذ رغبت عن أن تكوني في زمرة المقرّبين من النبيّين والصدّيقين في جوار رب العالمين أبد الآبدين لتكوني في صف النعال من جملة الحمقى الجاهلين أياماً قلائل. فيا حسرة عليك إذ خسرت الدنيا والدين! فبادري ويحك يا نفس فقد أشرفت على الهلاك واقترب الموت وورد النذير. فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ، ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ، ومن ذا يترضى عنك ربك بعد الموت ، ويحك يا نفس ما لك إلا أيام معدودة هي بضاعتك إن اتجرت فيها وقد ضيعت أكثرها ، فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت المقصرة في حق نفسك فكيف إذا ضيعت البقية وأصررت على عادتك ؟ أما تعلمين يا نفس أن الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود أنيسك والفزع الأكبر بين يديك؟ أما علمت يا نفس أن عسكر الموتى عندك على باب البلد ينتظرونك وقد آلوا على أنفسهم كلهم بالأيمان المغلظة أنهم لا يبرحون من مكانهم

سرعة فنائها ؟ أم مالك لا تزهدين في قليلها بعد أن زهد فيك كثيرها ، ومالك تفرحين بدنيا إن ساعدتك فلا يخلو بلدك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها ؟ فأف لدنيا يسبقك بها هؤلاء الأخساء فما أجهلك وأخس همتك وأسقط رأيك إذ رغبت عن أن تكوني في زمرة **المقربين من النبيين والصديقن)** والصالحين **(في جوار رب العالمين أبد الآباد لتكوني في صف النعال من جلة الحمقى الجاهلين أياماً قلائل ، فيا حسرة عليك إذ خسرت الدنيا والدين! فبادري ويحك يا نفس فقد أشرفت على الهلاك واقترب الموت)** وجاء الأجل **(وورد النذير)** وهو الشيب ، **(فمن ذا يصلي عنك بعد الموت ، ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ، ومن ذا يترضى عنك ربك بعد الموت) .**

(ويحك يا نفس مالك إلا أياماً معدودة هي بضاعتك إن اتجرت فيها وقد ضيعت أكثرها ، فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لكنت مقصرة في حق نفسك فكيف إذا ضيعت البقية وأصررت على عادتك؟ أما تعلمين يا نفس أن الموت موعدك والقبر بيتك والتراب فراشك والدود أنيسك والفزع الأكبر بين يديك ؟ أما علمت يا نفس أن عسكر الموتى على باب البلد ينتظرونك) . روى أبو نعيم في الحلية أن رجلاً جاء للفضيل فقال: عظني: فقال له: إن عسكر الموتى ينتظرونك. **(وقد آلوا كلهم على أنفسهم بالإيمان**

ما لم يأخذوك معهم ؟ أما تعلمين يا نفس أنهم يتمنون الرجعة إلى الدنيا يوماً ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم أنت من أمنيتهم ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بجذافيرها لاشتروه لو قدروا عليه وأنت تضيعين أيامك في الغفلة والبطالة؟ ويحك يا نفس أما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالعظائم أفتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق ؟ ويحك أهو أهون الناظرين عليك أتأمرين الناس بالخير وأنت متلطخة بالرذائل تدعين إلى الله وأنت عنه فارة وتذكرين بالله وأنت له ناسية؟ أما تعلمين يا نفس أنّ المذنب أنتن من العذرة وإن العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين في تطهير غيرك وأنت غير طيبة في نفسك ؟ ويحك يا نفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت أن الناس ما يصيبهم بلاء إلا بشؤمك! ويحك يا نفس قد جعلت نفسك حماراً لإبليس يقودك إلى حيث يريد ويسخر بك، ومع هذا فتعجبين بعملك وفيه من الآفات ما لو نجوت منه رأساً برأس لكان الربح في يديك، وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وزللك وقد لعن الله إبليس بخطيئة واحدة بعد أن عبده مائتي

المغلطة أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يأخذوك معهم) فلا بد وأن يأخذوك معهم. (**أما تعلمين يا نفس أنهم يتمنون الرجعة إلى الدنيا يوماً يشتغلون بتدارك ما فرط منهم وأنت في أمنيتهم**) كما قال تعالى ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ★ لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ [المؤمنون: ٩٩ ، ١٠٠] (**ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بجذافيرها**) أي بتمامها (**لاشتروه لو قدروا عليه، وأنت تضيعين أيامك في الغفلة والبطالة؟ ويحك يا نفس أما تستحيين تزينين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السر بالعظائم. أفتستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق؟ ويحك أهو أهون الناظرين عليك، أتأمرين الناس بالخير وأنت متلطخة بالرذائل، تدعين**) غيرك (**إلى الله**) تعالى (**وأنت عنه فارة وتذكرين بالله وأنت له ناسية؟ أما تعلمين يا نفس أن الذنب أنتن من العذرة وأن العذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين في تطهير غيرك وأنت طيبة في نفسك؟ ويحك يا نفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت أن الناس لا يصيبهم بلاء بشؤمك**) وسوء فعلك. (**ويحك يا نفس قد جعلت نفسك حماراً لإبليس يقودك إلى حيث يريد**) من الشهوات (**ويسخر بك، ومع هذا فتعجبين بعملك، وفيه من الآفات ما لو نجوت منه رأساً برأس لكان الربح في يديك، وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وزللك وقد لعن الله إبليس**) وطرده من جواره (**بخطيئة واحدة**) وهى مخالفة أمر الله تعالى في السجود لآدم عليه السلام (**بعد أن عبده مائتي ألف سنة**) قبل خلق آدم عليه السلام كما في خبر ابن عباس رواه الحاكم: وروى ابن جرير وابن الأنباري عن ابن عباس قال: كان إبليس

ألف سنة، وأخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه؟ ويحك يا نفس ما أغدرك ويحك يا نفس ما أوقحك ويحك يا نفس ما أجهلك وما أجرأك على المعاصي! ويحك كم تعقدين فتنقضين ويحك كم تعهدين فتغدرين ويحك يا نفس أتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كأنك غير مرتحلة عنها؟ أما تنظرين إلى أهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيراً وبنوا مشيداً وأملوا بعيداً فأصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً وأملهم غروراً؟ ويحك يا نفس أما لك بهم عبرة أما لك إليهم نظرة أتظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من المخلدين؟ هيهات هيهات ساء ما تتوهمين! ما أنت إلا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فابني على وجه الأرض قصرك فإن بطنها عن قليل

قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل، وكان من سكان الأرض من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً، فذلك دعاه إلى الكبر. وعند وكيع وابن المنذر عنه قال: كان من خزان الجنة وكان يدبر أمر السماء الدنيا. وروى ابن جرير عن سعيد بن المسيب قال: كان رئيس ملائكة سماء الدنيا. **(وأخرج آدم)** عليه السلام من الجنة **(بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه)** وتلك قربانة الشجرة المنهي عنها. روى ابن عساكر عن عطاء أن آدم لما أهبط من الجنة في موضع البيت ساجداً فمكث أربعين يوماً لا يرفع رأسه. وروى ابن سعد عن الحسن قال: بكى آدم على الجنة ثلاثمائة سنة **(ويحك يا نفس ما أغدرك، ويحك يا نفس ما أوقحك، ويحك يا نفس ما أجهلك وما أجرأك على المعصي؟ ويحك كم تعقدين)** بينك وبين الله عقداً **(فتنقضين .ويحك كم تعهدين مع الله عهداً فتغدرين، ويحك يا نفس أتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كأنك غير مرتحلة عنها؟ أما تنظرين إلى أهل القبور كيف كانوا جمعوا كثيراً وبنوا مشيداً وأملوا بعيداً فأصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً وأملهم غروراً)**؟ روي ذلك من كلام علي رضي الله عنه قاله في بعض خطبه. **(ويحك يا نفس أما لك بهم عبرة)** تعتبرين بها، **(أما لك إليهم نظرة)** تتعظين بها. **(أتظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من المخلدين. هيهات هيهات ساء ما تتوهمين! ما أنت إلا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فابني على وجه الأرض قصرك فإن بطنها عن قليل يكون قبرك)**:

روى ابن عساكر عن مجاهد قال: إن الله لما أهبط آدم وحواء إلى الأرض قال: « اهبطوا إلى الأرض فلدوا للموت وابنوا للخراب ». ورواه ابن المبارك في الزهد نحوه. وفي حديث الزبير: « ما من صباح يصبح على العباد إلا وصارخ يصرخ لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنوا للخراب » رواه البيهقي في الشعب. وقال أبو ذر رضي الله عنه: « تلدون للموت وتبنون للخراب وتؤثرون ما يفنى وتتركون ما يبقى » رواه أبو نعيم في الحلية. وقال عيسى عليه السلام: يا بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب تفنى نفوسكم وتبلى دياركم. رواه أحمد في الزهد، وقد نظم الحافظ ابن حجر هذا المعنى فقال:

يكون قبرك! أما تخافين إذا بلغت النفس منك التراقي أن تبدو رسل ربك منحدرة إليك بسواد الألوان وكلح الوجوه وبشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الندم أو يقبل منك الحزن أو يرحم منك البكاء؟ والعجب كل العجب منك يا نفس أنك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك! وما نفع مال يزيد وعمر ينقص؟ ويحك يا نفس تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك! فكم من مستقبل يوماً لا يستكمله وكم من مؤمل لغد لا يبلغه فأنت تشاهدين ذلك في إخوانك وأقاربك وجيرانك فترين تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك؟ فاحذري أيتها النفس المسكينة يوماً آلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبداً أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته، فانظري يا نفس بأي بدن تقفين بين يدي الله وبأي لسان تجيبين وأعدّي للسؤال جواباً وللجواب صواباً، واعملي بقية عمرك في أيام قصار لأيام طوال وفي دار زوال لدار مقامة وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود، اعملي قبل أن لا تعملي اخرجي من الدنيا اختياراً خروج الأحرار قبل أن تخرجي منها على

بني الدنيا أقلوا الهم فيها	فما فيها يؤول إلى الفوات
بناء للخراب وجمع مال	ليفنى والتوالد للممات

(أما تخافين إذا بلغت النفس منك التراقي أن تبدو رسل ربك منحدرة إليك بسواد الألوان وكلح الوجوه وبشرى العذاب، فهل ينفعك حينئذ الندم) وقد فات وقته؟ **(أو يقبل منك الحزن)** حيث لا ينفع، **(أو يرحم منك البكاء)** والدموع؟ **(والعجب كل العجب منك يا نفس أنك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة، ومن فطنتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزنين بنقصان عمرك، وما نفع مال يزيد وعمر ينقص. ويحك يا نفس تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك، فكم من مستقبل يوماً لا يستكمله وكم من مؤمل لغد لا يبلغه، فأنت تشاهدين في إخوانك وأقاربك وجيرانك فترين تحسرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك، فاحذري أيتها النفس يوماً آلى الله)** تعالى **(فيه على نفسه أن لا يترك عبداً أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقيقه وجليله سره وعلانيته)** كما وردت بذلك الأخبار، **(فانظري يا نفس بأي بدن تقفين بين يدي الله، وبأي لسان تجيبين وأعدي للسؤال جواباً وللجواب صواباً، واعملي بقية عمرك في أيام قصار لأيام طوال، وفي دار زوال لدار مقامة، وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود اعملي قبل أن لا تعملي، اخرجي من الدنيا اختياراً خروج الأحرار**

الاضطرار، ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات الدنيا فرب مسرور مغبون ورب مغبون لا يشعر، فويل لمن له الويل ثم لا يشعر، يضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حق له في كتاب الله أنه من وقود النار، فليكن نظرك يا نفس إلى الدنيا اعتباراً وسعيك لها اضطراراً ورفضك لها اختياراً وطلبك للآخرة ابتداراً، ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، وينهي الناس ولا ينتهي، واعلمي يا نفس أنه ليس للدين عوض ولا للإيمان بدل ولا للجسد خلف، ومن كانت مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن لم يسر. فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة فإن من أعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار وما أراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية، فإن كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام التهجد والقيام، فإن لم تزل فبالمواظبة على الصيام، فإن لم تزل فبقلة المخالطة والكلام، فإن لم تزل فبصلة الأرحام واللطف بالأيتام، فإن لم تزل فاعلمي أنّ الله قد طبع على قلبك وأقفل عليه، وأنه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه، فوطني نفسك

قبل أن تخرجي منها على الاضطرار ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات الدنيا، فرب مسرور مغبون) في سروره، **(ورب مغبون لا يشعر)** بغبنه. **(فويل لمن له الويل)** دركة من دركات جهنم، **(ثم لا يشعر يضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حق له في كتاب الله أنه من وقود النار، فليكن نظرك يا نفس إلى الدنيا اعتباراً وسعيك لها اضطراراً ورفضك لها اختياراً وطلبك للآخرة ابتداراً)** فالمفر المفر قبل أن تسحب وتجر واسمعي النصيحة قبل حلول الفضيحة، **(ولا تكوني ممن يعجز عن شر ما أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي)** وأنى له الزيادة ولم يشكر، وقد قال الله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم: ٧] **(وينهى الناس ولا ينتهي)**. قال الله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ [البقرة: ٤٤] **(واعلمي يا نفس أنه ليس للدين عوض، ولا للإيمان بدل، ولا للجسد خلف. ومن كانت مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن لم يسر)**. روى ابن عدي والديلمي وابن عساكر من حديث ابن عباس «الليل والنهار مطيتان فاركبوهما بلاغاً إلى الآخرة». **(فاتعظي يا نفس بهذه الموعظة واقبلي هذه النصيحة، فإن من أعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار وما أراك بها راضية ولا لهذه الموعظة واعية، وإن كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة فاستعيني عليها بدوام التهجد والقيام)** بالليل والناس نيام، فعسى أن تزول بذلك قساوة قلبك **(فإن لم تزل فالمواظبة على الصيام فإن الجوع يسد مجاري الشيطان في العروق، فإن لم تزل فبقلة المخالطة)** مع الناس **(والكلام، فإن لم تزل)** بذلك **(فبصلة الأرحام واللطف بالأيتام)** فإن ذلك يورث الرقة بالقلب، **(فإن لم تزل)** بذلك **(فاعلمي أن الله)** تعالى **(قد طبع على قلبك واقفل عليه وأنه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه، فوطني**

على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها أهلاً وخلق النار وخلق لها أهلاً فكل ميسر لما خلق له ، فإن لم يبقَ فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر نعوذ بالله من ذلك فلا سبيل لك إلى القنوط ولا سبيل لك إلى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك ، فإن ذلك اعتذار وليس برجاء ، فانظري الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فإن سمحت فمستقى الدمع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع للرجاء فواظبي على النياحة والبكاء واستغيثي بأرحم الراحمين واشتكي إلى أكرم الأكرمين وأدمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله أن يرحم ضعفك ويغيثك ، فإن مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال وقد انقطعت منك الحيل وراحت عنك العلل ، فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجا إلا إلى مولاك ، فافزعي إليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لأنه يرحم المتضرع الذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر ، وقد أصبحت إليه اليوم مضطرة وإلى

نفسك على النار فقد خلق الله الجنة وخلق لها أهلاً وخلق النار وخلق لها أهلاً ، فكل ميسر لما خلق له) . روى الطبراني في الصغير والأوسط بسند ضعيف ، والخطيب من حديث أبي هريرة : « إن الله عز وجل خلق الجنة وخلق لها أهلاً بعشائرهم وقبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، وخلق النار وخلق لها أهلاً بعشائرهم وقبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم اعملوا فكل ميسر لما خلق الله » وقد تقدم . روى مسلم من حديث عائشة : « إن الله تعالى خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلاً ولهذه اهلاً » . **(فإن لم يبق فيك مجال للوعظ فاقنطي من نفسك والقنوط من رحمة الله تعالى كبيرةمن الكبائر ، نعوذ بالله تعالى من ذلك)** كما تقدم في كتاب التوبة . **(فلا سبيل لك إلى القنوط ولا سبيل لك إلى الرجاء مع انسداد طرق الخير ، فإن ذلك اغترار وليس برجاء)** وقد سبق الكلام على ذلك في كتاب الرجاء ، **(فانظري الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها ، وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فإن سمحت فمستقى الدمع من بحر الرحمة فقد بقي فيك موضع للرجاء فواظبي على النياحة والبكاء ، واستغيثي بأرحم الراحمين ، واشتكي إلى أكرم الأكرمين ، وادمني الاستغاثة ولا تملي طول الشكاية لعله أن يرحم ضعفك ويعينك)** على حالك ، **(فإن مصيبتك قد عظمت وبليتك قد تفاقمت وتماديك قد طال ، وقد انقطعت منك الحيل وانزاحت عنك العلل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا منجا ولا ملجأ إلا إلى مولاك فافزعي إليه بالتضرع واخشعي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لأنه يرحم المتضرع والذليل ويغيث الطالب المتلهف ويجيب دعوة المضطر)**

رحمته محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ. فالمطلوب منه كريم والمسؤول جواد والمستغاث به برّ رؤوف والرحمة واسعة والكرم فائض والعفو شامل وقولي يا أرحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم أنا المذنب المصر أنا الجريء الذي لا أقلع أنا المتمادي الذي لا أستحيي هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق فعجل إغاثتي وفرجي وأرني آثار رحمتك وأذقني برد عفوك ومغفرتك وارزقني قوة عصمتك يا أرحم الراحمين. اقتداء بأبيك آدم عليه السلام؛ فقد قال وهب بن منبه لما أهبط الله آدم من الجنة إلى الأرض مكث لا ترقأ له دمعة فاطلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع وهو محزون كئيب كظيم منكس رأسه فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم ما هذا الجهد الذي أرى بك؟ قال: يا رب عظمت مصيبتي وأحاطت بي خطيئتي وأخرجت من

قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾ [النمل: ٦٢] (**وقد أصبحت اليوم مضطرة إلى رحمته محتاجة، وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق وانقطعت منك الحيل ولم تنجع فيك العظات ولم يكسرك التوبيخ**). والحاصل أن العبد إذا حاسب نفسه فرآها خانت وضيعت لزمه أمور أحدها: أن يتدارك بالتوبة والجبر، فإن لم يستطع لغلبة الشهوة عالج تلك الشهوة بالدواء المعروف لها فإن لم تنكسر تلك الشهوة بالعلاج عاتبها ووبخها وقرر عندها جهلها وحماقتها، وأن تماديها وإصرارها يؤدي إلى هلاكها، فإن ارتدعت بذلك وإلا فالدعاء والاعتراف والالتجاء إلى الله تعالى. (**فالمطلوب منه كريم والمسؤول جواد والمستغاث به بر رؤوف والرحمة واسعة**) والفضل جزيل (**والكرم فائض والعفو شامل. وقولي يا أرحم الراحمين يا رحمٰن يا رحيم يا حليم يا عظيم يا كريم أنا المذنب المصر**) على ذنبي، (**أنا الجريء**) على معصيتك (**الذي لا أقلع**) عنها، (**أنا المتمادي الذي لا يستحيي، هذا مقام المتضرع المسكين والبائس الفقير والضعيف الحقير والهالك الغريق**) في بحر العصيان (**فعجل إغاثتي**) وأرحم مسكنتي وفاقتي (**و**) عجل (**فرجي**) وفرحي (**وأرني آثار رحمتك وأذقني برد عفوك ومغفرتك وأرزقني قوة عصمتك يا أرحم الراحمين**) كل ذلك مع مراعاة الآداب التي ذكرت في كتاب الأدعية (**اقتداء بأبيك آدم عليه السلام**) إذ قال: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ وهي الكلمات التي تلقاها في قول الأكثرين، (**فقد قال وهب بن منبه**) رحمه الله تعالى: (**لما أهبط الله آدم إلى الأرض من الجنة مكث لا ترقأ له دمعة**) أي لا تسكن عن الجريان، (**فأطلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع**) من هبوطه (**وهو محزون كئيب كظيم**) ملآن من الحزن (**نكس رأسه**) حياء من ربه، (**فأوحى الله إليه: يا آدم ما هذا الجهد الذي أدى بك؟ قال: يا رب عظمت مصيبتي وأحاطت بي**

ملكوت ربي، فصرت في دار الهوان بعد الكرامة، وفي دار الشقاء بعد السعادة، وفي دار النصب بعد الراحة، وفي دار البلاء بعد العافية، وفي دار الزوال بعد القرار، وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء، فكيف لا أبكي على خطيئتي؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم ألم اصطفك لنفسي وأحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي، ألم أخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي وأسجدت لك ملائكتي فعصيت أمري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي وجلالي لو ملأت الأرض رجالاً كلهم مثلك يعبدونني ويسبّحونني ثم عصوني لأنزلتهم منازل العاصين. فبكى آدم عليه السلام عند

خطيئتي وأخرجت من ملكوت ربي، فصرت في دار الهوان بعد الكرامة، وفي دار الشقاء بعد السعادة، وفي دار النصب بعد الراحة، وفي دار البلاء بعد العافية، وفي دار الزوال بعد القرار، وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء، فكيف لا أبكي على خطيئتي؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم ألم أصطفك لنفسي وأحللتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك سخطي؟ ألم أخلقك بيدي ونفخت فيك من روحي وأسجدت لك ملائكتي فعصيت أمري ونسيت عهدي وتعرضت لسخطي فوعزتي وجلالي لو ملأت الأرض رجالاً كلهم مثلك يعبدونني ويسبّحونني ثم عصوني لأنزلتهم منازل العاصين، فبكى آدم عند ذلك ثلاثمائة عام).

وروى ابن سعد عن ابن عباس قال: لما أهبط الله آدم من الجنة أنشأ يقول: ربي كنت جارك في دارك ليس لي رب غيرك ولا رقيب دونك، آكل فيها رغداً وأسكن حيث أحببت، فاهبطتني هذا الجبل المقدس فكنت أسمع أصوات الملائكة وأراهم كيف يحفون بالعرش وأجد ريح الجنة وطيبها، ثم اهبطتني إلى الأرض وحططتني إلى ستين ذراعاً فقد انقطع عني الصوب والنظر وذهب عني ريح الجنة، فأجابه الله تعالى: إن مصيبتك يا آدم فعلت ذلك بك. قال: فبكيا على ما فاتهما مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً ولم يقرب حواء مائة سنة.

روى ابن عساكر عن ابن عباس قال: بكى آدم حين أهبط من الجنة بكاء لم يبكه أحد، فلو أن بكاء آدم وزن مع بكاء داود على خطيئته ما عدل بكاء آدم حين أخرج من الجنة ومكث أربعين سنة لا يرفع رأسه إلى السماء. وروى البيهقي في الشعب عن بريدة: لو وزن دموع آدم بجميع دموع ولده لرجح على دموع جميع ولده. وروى ابن سعد عن الحسن قال: بكى آدم على الجنة ثلاثمائة سنة.

وروى الطبراني في الأوسط وابن عساكر بسند ضعيف من حديث عائشة: لما أهبط الله آدم إلى الأرض قام وجاه الكعبة فصلى ركعتين فألهمه الله هذا الدعاء: اللهم إنك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي، وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنبي. اللهم إني أسألك

ذلك ثلاثمائة عام. وكان عبيد الله البجلي كثير البكاء يقول في بكائه طول ليله: إلهي أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي، أنا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي

إيماناً يباشر قلبي ويقيناً حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي ورضني بما قسمت لي، فأوحى الله إليه: يا آدم قد قبلت توبتك وغفرت ذنبك ولن يدعوني أحد بهذا الدعاء إلا غفرت ذنبه وكفيته المهم من أمره. ورواه الجندي في فضائل مكة نحوه. ورواه الأزرقي في تاريخ مكة، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في الدعوات، وابن عساكر من حديث بريدة نحوه.

وروى عبد بن حميد عن عبدالله بن زيد في قوله تعالى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ [البقرة: ٣٧] قال: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت خير الغافرين. لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني فإنك أنت أرحم الراحمين، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم. ذكر أنه عن النبي ﷺ ولكن شك فيه.

وروى هناد في الزهد عن سعيد بن جبير قال: لما أصاب آدم الخطيئة فزع إلى كلمة الإخلاص: لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك فذكر الجملة الثانية والأخيرة.

وروى ابن عساكر من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس، أن آدم عليه السلام طلب التوبة مائتي سنة حتى آتاه الله الكلمات ولقنه إياها. قال: بينا آدم جالس يبكي واضع راحته على جبينه إذ أتاه جبريل فسلم عليه فبكى آدم وبكى جبريل لبكائه، فقال له: يا آدم ما هذه البلية التي أجحف بك بلاؤها وشقاؤها، وما هذا البكاء؟ قال. يا جبريل وكيف لا أبكي وقد حولني ربي من ملكوت السموات إلى هوان الأرض، ومن دار المقامة إلى دار الظعن والزوال، ومن دار النعمة إلى دار البؤس والشقاء، ومن دار الخلد إلى دار الفناء. كيف أحصي يا جبريل هذه المصيبة؟ فانطلق جبريل إلى ربه فأخبره بمقالة آدم، فقال الله عز وجل: انطلق يا جبريل إلى آدم فقل: يا آدم ألم أخلقك بيدي؟ قال: بلى يا رب. قال: ألم أنفخ فيك من روحي؟ قال: بلى يا رب. قال: ألم أسجد لك ملائكتي؟ قال: بلى يا رب. قال: ألم أسكنك جنتي؟ قال: بلى يا رب. قال: ألم آمرك فعصيتني؟ قال: بلى يا رب. قال: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لو أن ملء الأرض رجالاً مثلك ثم عصوني لأنزلتهم منازل العاصين، غير أنه يا آدم سبقت رحمتي غضبي قد سمعت بصوتك وتضرعك ورحمت بك وأقلت عثرتك، فقل لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك فذكر الجمل الثلاثة المتقدمة. قال: فذلك قوله تعالى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ الآية.

(وكان عبيدالله البجلي) هكذا في النسخ بالباء الموحدة المفتوحة وجيم نسبة إلى بجلة وهي نسبة معروفة وفي بعضها النحلي بنون مفتوحة وحاء مهملة ساكنة نسبة إلى نحل العسل والله أعلم أيهما هو. **(كثير البكاء)** فكان **(يقول في بكائه طول ليله: إلهي أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي، أنا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة أخرى، واعبيداه**

شهوة أخرى. واعبيداه خطيئة فلم تبل وصاحبها في طلب أخرى! واعبيداه إن كانت النار لك مقيلاً ومأوى! واعبيداه إن كانت المقامع لرأسك تهيأ! واعبيداه قضيت حوائج الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى. وقال منصور بن عمار: سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابداً يناجي ربه وهو يقول: يا رب وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ولا عصيتك إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سوّلت لي نفسي وأعانني على ذلك شقوتي وغرني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي؛ فمن عذابك الآن من يستنقذني أو بحبل من اعتصم إن قطعت حبلك عني؟ واسوأتاه من الوقوف بين يديك غداً إذا قيل للمخفين جوزوا وقيل للمثقلين حطوا أمع المخفين أم مع المثقلين أحط؟ ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي فإلى متى أتوب وإلى متى أعود؟ أما آن لي أن

خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب أخرى، واعبيداه إن كانت النار لك مقيلاً ومأوى، واعبيداه إن كانت المقامع لرأسك تهيأ، واعبيداه قضيت حاجة الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى).

(**وقال**) أبو السري (**منصور بن عمار**) الواعظ الخراساني نزيل بغداد ترجمه القشيري في الرسالة توفي سنة ٣٣٥: (**سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابداً يناجي ربه وهو يقول: يا رب وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك، ولا عصيتك إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل**) أي باطلاعك علي، (**ولا لعقوبتك متعرض، ولا لنظرك مستخف، ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك شقوتي وغرّني سترك المرخى علي فعصيتك بجهلي وخالفتك بفعلي، فمن عذابك الآن من يستنقذني أو بحبل من اعتصم إن قطعت حبلك عني. واسوأتاه من الوقوف بين يديك غداً إذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط. ويلي كلما كبرت سني كثرت ذنوبي! ويلي كلما طال عمري كثرت معاصي! قال: متى أتوب وإلى متى أعود؟ أما آن أن أستحي من ربي).**

ومن معاتبة النفس ما رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا الفضل بن محمد، حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: قال رجل للفضيل بن عياض: كيف أصبحت يا أبا علي وكان يثقل عليه كيف أصبحت وكيف أمسيت؟ فقال: في عافية. فقال: كيف حالك؟ فقال: عن أي حال تسأل عن حال الدنيا أو حال الآخرة؟ إن كنت تسأل عن حال الدنيا فإن الدنيا قد مالت بنا وذهبت بنا كل مذهب، وإن كنت تسأل عن حال الآخرة فكيف ترى حال من كثرت ذنوبه وضعف عمله وفني عمره ولم يتزود لمعاده ولم يتأهب للموت ولم يتصنع للموت ولم يتشمر للموت ولم يتزين للموت وتزين للدنيا. هيه ـ وقد يحدث يعني نفسه ـ واجتمعوا حولك يكتبون عنك بخ

أستحي من ربي! فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وإنما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء، فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعياً ويوشك أن لا يكون الله تعالى عنه راضياً والسلام.

تم كتاب المحاسبة والمراقبة. يتلوه كتاب التفكر إن شاء الله تعالى، والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه.

فقد تفرغت للحديث، ثم قال: هاه وتنفس طويلاً ويحك وأنت تحسن تحدث أو أنت أهل أن يحمل عنك. استحي يا أحمق بين الجمعين لولا قلة حيائك وصفاقة جهلك ما جلست تحدث، وأنت أنت أما تعرف نفسك أما تذكر ما كنت وكيف كنت، أما لو عرفوك ما جلسوا إليك ولا كتبوا عنك ولا تسمعوا منك شيئاً أبداً، فيأخذ في مثل هدا. ثم يقول: ويحك أما تذكر الموت أما للموت في قلبك موضع ما تدري متي تؤخذ فيرمى بك في الآخرة فتصير في القبر وضيقه ووحشته، أما رأيت قبراً قط، أما رأيت حين دفنوه، أما رأيت كيف سلوه في حفرته وهالوا عليه التراب والحجارة. ثم قال: ما ينبغي لك أن تتكلم بفمك كله يعني نفسه. تدري من يكلم بفمه كله. عمر بن الخطاب كان يطعمهم الطيب ويأكل الغليظ ويكسوهم اللين ويلبس الخشن، وكان يعطيهم حقوقهم ويزيدهم. أعطى رجلاً عطاءه أربعة آلاف درهم وزاده ألفاً فقيل له: ألا تزيد ابنك كما زدت هذا؟ قال: إن أبا هذا ثبت يوم أحد ولم يثبت أبو هذا.

(فهذه طريق القوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم، وإنما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء) أي طلب الرضا من ربهم، **(ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والإسترعاء، فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعياً ويوشك أن لا يكون الله تعالى عنه راضياً والسلام).**

وبه تم شرح كتاب المحاسبة والمراقبة، والحمد لله الذي به تتم الصالحات وبذكره تتنزل البركات، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الكرام الهداة.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: نجز ذلك في الساعة الرابعة من ليلة الثلاثاء سادس صفر الخير من شهور سنة ١٢٠١ على يد مؤلفه الفقير إلى مولاه محمد مرتضى الحسيني أبي الفيض غفرت ذنوبه وسترت عيوبه بمنه وكرمه وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم آمين آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر

الحمد لله الذي لا يضره المنع ولا يكديه الإعطاء ، إذ كل معط منتقص سواه وكل مانع مذموم ما خلاه ، هو المنان بفوائد النعم ، وعوائد المزيد والقسم ، وليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل ، الأوّل الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله ، والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده ، والرادع أناسي الأبصار من أن تناله أو تدركه ، ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال ، ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال ، وهو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته ، وحاول الفكر المبرأ من خطر الوساوس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته ، وتولهت القلوب إليه لتجري في كيفية صفاته ، وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتنال علم ذاته ، ردعها وهي تجوب ، مهاوي سدف الغيوب ، متخلصة إليه سبحانه فرجعت إذ جبهت معترفة بأنه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ، ولا تخطر ببال أولى الروايات خاطرة من تقدير جلال عزته ، الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله ، ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله وأرانا من ملكوت قدرته ، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته ، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمساك قوته ، ما دلنا باضطرار قيام الحجة على معرفته وظهرت في البدائع التي أحدثها آثار صنعته واعلام حكمته ، فصار كل ما خلق حجة له ودليلاً عليه ، وإن كان خلقاً صامتاً فحجته بالتدبير ناطقة ، ودلالته على المبدع قائمة ، قدر ما خلق فاحكم تقديره ، ودبره فألطف تدبيره ، ووجه لوجهته فلم يتعد لحدود منزلته ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايته ، ولم يستصعب إذ أمر بالمضي على إرادته وكيف وإنما صدرت الأمور من مشيئته ، المنشىء أصناف الأشياء بلا روية فكر آل إليها ، ولا قريحة غريزة أضمر عليها ، ولا تجربة أفادها من حوادث الدهور ، ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور ، فأقام منها أودها ، ونهج حدودها ولألأم بقدرته بين متضادها ، ووصل أسباب قرائنها ، وفرقها أجناساً مختلفات ، في الحدود والأقدار والغرائز والهيئات ، بدايا خلائق أحكم صنعها ، وفطرها على ما أراد وابتدعها ، عالم السر من ضمائر المضمرين ونجوى المتخافتين ، وخواطر رجم الظنون وعقد عزيمات اليقين ، ومسارق إيماض الجفون وما ضمنته أكناف القلوب ، وغيابات الغيوب ، وما أهبطت لاستراقه مصائخ الأسماع ومصائف الذر ومشاتي الهوام ، ورجع الحنين من الوالهات وهمس الأقدام ، ومنفسخ الثمرة من ولائج غلف الاكمام ومنقمع الوحوش من غيران الجبال وأوديتها ، ومختبأ البعوض بين سوق الأشجار وألحيتها ، ومغرز الأوراق من الأفنان ومحط الأمشاج من مسارب الأصلاب وناشئة الغيوم ومتلاحمها ، ودرور قطر السحاب وتراكمها وما تسقى الأعاصير بذيولها ، وتعفو الأمطار بسيولها ، وعوم نبات الأرض في كثبان الرمال ، ومستقر

كتاب التفكر وهو الكتاب التاسع
من ربع المنجيات
من كتب إحياء علوم الدين
بسم الله الرحمن الرحيم

ذوات الأجنحة بذرى شناخيب الجبال، وتغريد ذوات المنطق في دياجير الأوكار، وما أودعته الأصداف وحضنت عليه أمواج البحار، وما غشيته سدفة ليل أو ذر عليها شارق نهار، وما اعتقبت عليه أطباق الدياجير وسبحات النور وأثر كل خطوة، وحس كل حركة ورجع كل كلمة وتحريك كل شفة، ومستقر كل نسمة ومثقال كل ذرة، وهماهم كل نفس هامة، وما عليها من ثمر شجرة أو ساقط ورقة أو قرارة نطفة، أو نقاعة دم ومضغة، أو ناشئة خلق وسلالة، لم تلحقه في ذلك كلفة، ولا اعترضته في حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة ولا اعترته في تنفيذ الأمور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة، بل نفذ فيهم علمه، وأحصاهم عدده، ووسعهم عدله وغمرهم فضله، مع تقصيرهم عن كنه ما هو أهله، فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم، ولا يناله حسن الفطن، أحمده حمد موحد أفرده بالتوحيد ولم ير مستحقاً لهذه المحامد غيره، وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لا خير إلا خيره، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، الذي أخرجه من أفضل المعادن منبتاً وأعز الأرومات مغرساً، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه وانتجب منها أمناءه، عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر، نبتت في حرم وبسقت في كرم، لها فروع طوال، وثمر لا ينال، فهو إمام من اتقى، وبصيرة من اهتدى، سراج لمع ضوءه، وشهاب سطع نوره، وزند برق لمعه سيرته القصد وسنته الرشد، وكلامه الفصل، وحكمه العدل. صلى الله عليه وعلى آله الأتقياء الأبرار وأصحابه الأماثل الأخيار، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى ما بعد يوم القرار، وسلم تسليماً كثيراً أمابعد فهذا شرح:

كتاب التفكر

وهو التاسع والثلاثون من كتب إحياء علوم الدين لإمام أئمة المسلمين وصدر صدور القادة المتقين حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي سقى الله جدثه بعهاد صوب الغفران المتوالي، يوضح منه ما أشكل ويفصح منه ما أبهم، ويفصل منه ما أجل، ويبين المعنى المراد من سياقاته على الوجه الأكمل ولم آل جهداً في تتبع مواقع إشاراته على سبيل الاختصار، وتهذيب معالم عباراته في مثارات الاعتبار شرعت فيه والأفكار بتواتر الانكاد مفرقة، والخواطر هذه مغربة وهذه مشرقة، كيف وقامت نواعق الفتن على ساق، وأدلهمت الخطوب وعز الإرفاق، والله أرجو كفاية كل مهم، ودفاع الخطب الملم وإزاحة الطارق المدلهم، أنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(بسم الله الرحمن الرحيم)**

الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاء عزته نحواً ولا قطراً، ولم يجعل لمراقي أقدام الأوهام ومرمى سهام الأفهام إلى حمى عظمته مجرى، بل ترك قلوب الطالبين في بيداء كبريائه والهة حيرى، كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسراً، وإذا همت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجمال صبراً صبراً، ثم قيل لها أجيلي في ذل العبودية منك فكراً لأنك لو تفكرت في جلال الربوبية لم تقدري له قدراً، وإن طلبت وراء الفكر في صفاتك أمراً فانظري في نعم الله تعالى وأياديه كيف توالت عليك تترى، وجدّدي لكلِ نعمة منها ذكراً وشكراً، وتأملي في بحار المقادير كيف فاضت على العالمين خيراً وشراً، ونفعاً وضراً، وعسراً ويسراً، وفوزاً وخسراً، وجبراً وكسراً، وطياً ونشراً، وإيماناً وكفراً، وعرفاناً ونكراً، فإن جاوزت النظر في الأفعال إلى النظر في

(**الحمد لله الذي لم يقدر لانتهاء عزته نحواً ولا قطراً**) أي لم يجعل لغلبته الآتية على كل الظاهر والباطن جهة ولا ناحية يقال: نحا نحو كذا أي قصد جهته، قال الشاعر:

نحونـــا نحو دارك يـــا حبيبي وجـدنـا نحو ألـف مـن رقيـب

والقطر: بالضم الناحية والجمع الأقطار، يقال: بلغ أنحاه وأقطاره، (**ولم يجعل لمراقي أقدام الأوهام ومرمى سهام الأفهام إلى عظمته مجرى**) أي عظمته تعالى جلت عن أن ترقى إليها الأوهام بأقدامها أو ترمي إليها الأفهام بسهامها، فليس في مسارح ميادينها لها مجرى لقصورها عن إدراك كنه العظمة، (**بل ترك قلوب الطالبين في بيداء**) أي صحراء (**كبريائه والهة حيرى**) أي متحيرة جمع حيران كسكرى وسكران والوله محركة ذهاب العقل من شدة الحزن (**كلما اهتزت لنيل مطلوبها ردتها سبحات الجلال**) أي نوره وبهاؤه (**قسراً**) أي قهراً يشير إلى الحديث المتقدم ذكره «إن لله سبعين حجاباً من نور وظلمة لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره». (**وإذا همت بالانصراف آيسة**) من نيل المطلوب (**نوديت من سرادقات الجمال صبراً**) أيها الطالب (**صبراً**) أي عليك بالصبر في سلوكك ولا تيأس واثبت فيما أنت عليه، (**وقيل لها**) أي للقلوب: (**اجيلي في ذل العبودية منك فكراً**) وإجالة الفكر إدارته (**لأنك لو تفكرت في جلال الربوبية لم تقدري له قدراً**) لقوله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ [الأنعام: ٩١] (**وإن طلبت وراء الفكر في صفاتك امراً فانظري في نعم الله تعالى**) الشاملة (**وأياديه**) الكاملة (**كيف توالت عليك**) أي تتابعت (**تترى**) بعضها وراء بعض (**وجددي لكل نعمة منها ذكراً وشكراً**) بأن تذكريها ثم تشكري عليها لقوله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ [البقرة: ١٥٢] (**وتأملي في بحار المقادير**) جمع المقدور وهو ما قدره الله تعالى على الخلق قبل أن يخلق العرش والكرسي واللوح والقلم، (**كيف فاضت على العالمين**) وشملتهم (**خيراً وشراً ونفعاً وضراً وعسراً ويسراً وفوزاً وخسراً وجبراً وكسراً وطياً ونشراً وإيماناً وكفراً وعُرفاً ونكراً**)، فهذه كلها من مقدورات الله

الذات فقد حاولت أمراً إمراً ، وخاطرت بنفسك مجاوزة حدّ طاقة البشرية ظلماً وجوراً ، فقد انبهرت العقول دون مبادىء إشراقه وانتكصت على أعقابها اضطراراً وقهراً ، والصلاة على محمد سيد ولد آدم وإن كان لم يعدّ سيادته فخراً ، صلاة تبقى لنا في عرصات القيامة عدّة وذخراً ، وعلى آله وأصحابه الذين أصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدراً ولطوائف المسلمين صدراً ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ؛ فقد وردت السنة بأن : « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » وكثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ، ولا يخفى أنّ الفكر هو مفتاح

سبحانه يجب الإيمان بها والتأمل في أسرارها ، (**فإن جاوزت**) النظر منك (**في الأفعال الإلهية إلى النظر في الذات فقد حاولت أمراً إمراً**) أي صعباً ، (**وخاطرت بنفسك مجاوزة حدّ الطاقة البشرية ظلماً وجوراً ، فقد انبهرت العقول**) أي تحيرت (**دون مبادىء إشراقه**) فضلاً عن مناهيه ، (**وانتكصت**) أي كرت راجعة على أعقابها (**اضطراراً وقهراً ، والصلاة على**) سيدنا محمد (**سيد ولد آدم**) الأوّلين منهم والآخرين ، (**وإن كان**) هو (**لم يعد سيادته فخراً**) أي لم يفتخر بها يشير إلى ما ورد « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » (**صلاة تبقى لنا**) أي مثبتة في صحائف أعمالنا (**في عرصات القيامة**) عند وزن الأعمال (**عدة وذخراً**) أي وسيلة للنجاة من الهلاك ، (**وعلى آله وأصحابه الذين أصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدراً**) يستضاء به ويهتدي بنوره ، (**ولطوائف المسلمين**) أي لجماعتهم (**صدراً**) أي مقدماً يقتدي به ، (**وسلم**) تسليماً (**كثيراً**) كثيراً .

(**أما بعد : فقد وردت السنّة بأن « تفكر ساعة خير من عبادة سنة »**) قال العراقي : رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة بلفظ : « ستين سنة » بإسناد ضعيف . ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات . ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بلفظ : « ثمانين سنة » وإسناده ضعيف جداً . ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ : « خير من قيام ليلة » اهـ .

قلت : لكن لفظ أبي الشيخ فكرة ساعة هكذا رواه عن أبي هريرة . ولفظ الديلمي : « تفكر ساعة في اختلاف الليل والنهار خير من عبادة ثمانين سنة » وللديلمي من وجه آخر من حديث أنس نحو قول ابن عباس . ورواه أحمد بن صالح في كتاب التبصرة عن أنس مرفوعاً بلفظ : « خير من قيام ليلة » . ورواه أبو الشيخ أيضاً في كتاب العظمة عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس رفعه : « التفكر في عظمة الله وجنته وناره ساعة خير من قيام ليلة وخير الناس المتفكرون في ذات الله وشرهم من لا يتفكر في ذات الله » .

(**وكثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار**) هو افتعال

الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته، ولم يعلم أنه كيف يتفكر وفيما ذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به أهو مراد لعينه أم لثمرة تستفاد منه؟ فإن كان لثمرة فما تلك الثمرة أهي من العلوم أو من الأحوال أو منها جميعاً؟ وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أوّلاً فضيلة التفكر. ثم حقيقة التفكر وثمرته. ثم مجاري الفكر ومسارحه. إن شاء الله تعالى.

فضيلة التفكر:

قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ويَتَفَكَّرُونَ في خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذَا باطِلاً﴾ [آل عمران: ١٩١] وقد قال

من الفكر بمعنى التفكر. (**ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم**) أي به تستفاد العلوم وبه تحصل المعارف والفهوم، (**وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته**) لما يتلى على أسماعهم من تكرار ذكره في كتاب الله تعالى والأخبار النبوية، (**لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره ومورده ومجراه ومسرحه وطريقه وكيفيته، ولم يعلم أنه كيف يتفكر وفيما ذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به أهو مراد لعينه أم لثمرة تستفاد منه؟ وإن كان لثمرة فما تلك الثمرة أهي من العلوم أو من الأحوال**) المستفادة من العلوم (**أو منهما جميعاً، وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولاً فضيلة التفكر ثم حقيقة التفكر وثمرته. ثم مجاري الفكر ومسارحه إن شاء الله تعالى**).

فضيلة التفكر

اعلم أنه (**قد أمر الله تعالى بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى وأثنى على المتفكرين فقال**): ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب، (**الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم**) أي يذكرونه دائماً على الحالات قائمين وقاعدين ومضطجعين (**ويتفكرون في خلق السموات والأرض**) استدلالاً واعتباراً (**ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾**) على إرادة القول أي يتفكرون قائلين ذلك، وهذا إشارة إلى المتفكر فيه أو الخلق على أنه أريد به المخلوق من السموات والأرض والمعنى ما خلقته عبثاً ضائعاً من غير حكمة، بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها: أن يكون مبتدأ الوجود الإنساني وسبباً لمعاشه ودليلاً يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الأبدية والسعادة السرمدية في جوارك.

ابن عباس رضي الله عنهما : إن قوماً تفكروا في الله عز وجل ، فقال النبي ﷺ : « تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره ». وعن النبي ﷺ أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال : « ما لكم لا تتكلمون ؟ » فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال : « فكذلك فافعلوا ، تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فإن بهذا المغرب أرضاً بيضاء ، نورها بياضها وبياضها نورها ، مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق من خلق الله عز وجل لم يعصوا الله طرفة عين ، قالوا يا رسول الله فأين الشيطان منهم ؟ قال : « ما يدرون خلق الشيطان أم لا » قالوا : من ولد آدم ؟ قال : « لا يدرون خلق آدم

(وقد قال ابن عباس) رضي الله عنه : **(إن قوماً تفكروا في الله عز وجل ، فقال النبي ﷺ : « تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره »)** قال العراقي : رواه أبو نعيم في الحلية بالمرفوع منه بإسناد ضعيف ، ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه . ورواه الطبراني في الأوسط ، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وقال : هذا إسناد فيه نظر .

قلت : فيه الوازع بن نافع متروك انتهى .

قلت : حديث ابن عمر لفظه : « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر ، وأبو الشيخ في العظمة ، والطبراني في الأوسط ، وابن عدي وابن مردويه والبيهقي وضعفه والأصبهاني وأبو نصر في الإبانة وقال غريب . ورواه أبو الشيخ من حديث ابن عباس : « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدروا قدره » . ورواه ابن النجار والرافعي من حديث أبي هريرة : « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله » . وقال عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش له : حدثنا وهب بن بقية ، حدثنا خالد بن عبدالله ، عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في الله فإن بين السماء السابعة إلى كرسيه ألف نور وهو فوق ذلك » . ورواه كذلك أبو الشيخ وابن مردويه وأبو نصر السجزي والبيهقي في الأسماء والصفات . وروى أبو الشيخ من حديث أبي ذر « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا » .

(وعن النبي ﷺ أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال مالكم لا تتكلمون فقالوا : نتفكر في خلق الله عز وجل . قال : فكذلك فافعلوا تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه فإن بهذا المغرب أرضاً بيضاء نورها بياضها وبياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوماً بها خلق من خلق الله عز وجل ولم يعصوا الله عز وجل طرفة عين » . قالوا : يا رسول الله فأين الشيطان منهم ؟ قال : « ما يدرون خلق الشيطان أم لا . قالوا : من ولد آدم ؟ قال : « لا يدرون خلق آدم أم لا ») قال العراقي : رويناه في جزء ثم ترك البياض ولم

أم لا »، وعن عطاء قال: انطلقت يوماً أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي الله عنها فكلمتنا وبيننا وبينها حجاب فقالت: يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال قول رسول الله ﷺ: « زر غباً تزدد حباً »، قال ابن عمير: فأخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله

يعين الجزء ولا من رواه، وقد ذكره المصنف في كتاب الجواهر والدرر من حديث ابن عباس: « إن لله أرضاً بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون وهي مثل الدنيا ثلاثون مرة مشحونة خلقاً لا يعلمون أن الله تعالى يعصى في الأرض ولا يعلمون أن الله تعالى خلق آدم وإبليس » انتهى.

قلت: رواه أبو الشيخ في العظمة من حديث أبي هريرة: « إن لله تعالى أرضاً من وراء أرضكم هذه بيضاء نورها وبياضها مسيرة شمسكم هذه أربعين يوماً فيها عباد لله لم يعصوه طرفة عين ما يعلمون أن الله خلق الملائكة ولا آدم ولا إبليس هم قوم يقال لهم الروحانيون خلقهم الله من ضوء نوره ».

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق إسماعيل بن عياش، عن الأحوص بن حكيم، عن شهر، عن ابن عباس أنه ﷺ خرج على أصحابه فقال: « ما جمعكم »؟ فقالوا: اجتمعنا نذكر ربنا ونتفكر في عظمته. فقال: « تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره » الحديث وفيه ذكر اسرافيل، وهو الذي أشار إليه العراقي في الذي قبله وأن إسناده ضعيف.

وروى أحمد ومن طريقه الطبراني ثم صاحب الحلية من طريق عبد الجليل بن عطية، عن شهر، عن عبدالله بن سلام قال: خرج رسول الله ﷺ على ناس من أصحابه وهم يتفكرون في خلق الله فقال لهم: « فيم كنتم تتفكرون »؟ قالوا: نتفكر في خلق الله. فقال: « لا تتفكروا في الله وتفكروا في خلق الله فإن ربنا خلق ملكاً قدماه في الأرض السابعة السفلى ورأسه قد جاوز السماء العليا من بين قدميه إلى كعبيه مسيرة ستمائة عام، وما بين كعبيه إلى أخمص قدميه مسيرة ستمائة عام الخالق أعظم من الخلق ».

وروى ابن أبي الدنيا عن عثمان بن أبي دهرس قال، بلغني أن رسول الله ﷺ انتهى إلى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال: « ما لكم لا تتكلمون »؟ قالوا: نتفكر في خلق الله. قال: « كذلك فافعلوا تفكروا في خلق الله ولا تفكروا فيه ». قال الحافظ السخاوي في المقاصد: وهذه الأخبار أسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يكسب قوة، والمعنى صحيح.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله ».

(وعن عطاء) بن أبي رباح المكي الفقيه الثقة روى له الجماعة **(قال: انطلقت أنا وعبيد بن عمير)** بن قتادة الليثي قاص أهل مكة ثقة روى له الجماعة **(إلى عائشة رضي الله عنها وبينها وبيننا حجاب فقالت: يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال: قول رسول الله ﷺ: « زرغباً تزدد حباً » قال ابن عمير: فاخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ . قال: فبكت**

ﷺ قال: فبكت وقالت كل أمره كان عجباً، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي، ثم قال: « ذريني أتعبد لربي عز وجل: « فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بلَّ لحيته، ثم سجد حتى بلَّ الأرض، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح، فقال: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: « ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة ﴿إنَّ في خَلَقِ السَّمَوات والأرْضِ واختِلاَف اللَّيلِ والنَّهارِ لآياتٍ لأولي الألْبَاب﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ثم قال: « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها » فقيل للأوزاعي ما غاية التفكر فيهن؟ قال يقرأهن ويعقلهن. وعن محمد بن واسع أن رجلاً من أهل البصرة

وقالت: كل أمره كان عجباً أتاني في ليلتي حتى مسّ جلده جلدي ثم قال: « ذريني أتعبد لربي عز وجل » . فقام إلى القربة فتوضأ منها ثم قام يصلي فبكى حتى بلّ لحيته، ثم سجد حتى بلّ الأرض، ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح، فقال: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقـدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: « ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة: ﴿إنَّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ » ثم قال: « ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ») قال العراقي: تقدم في كتاب الصبر والشكر وأنه من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء انتهى.

قلت: ورواه كذلك عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي الدنيا في التفكر وابن عساكر كلهم عن عطاء نحوه، وفيه ثم قام فصلى فبكى حتى سال دموعه على صدره، ثم ركع فبكى، ثم سجـد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة.

وأما حديث: « زرغباً تزدد حباً » فرواه البزار والحرث بن أبي أسامة في مسنديهما. ومن طريق ثانيهما أبو نعيم في الحلية من طريق طلحة بن عمر، وعن عطاء عن أبي هريرة به مرفوعاً، وكذا أخرجه العسكري في الأمثال، والبيهقي في الشعب. وقال: إن طلحة غير قوي، وقد روي هذا الحديث بأسانيد هذا أمثلها. وقال العقيلي: هذا الحديث إنما يعرف بطلحة وقد تابعه قوم نحوه في الضعف، وإنما يروى هذا عن عطاء عن عبيد بن عمير قوله انتهى.

قال الحافظ السخاوي يشير إلى ما رواه ابن حبان في صحيحه عن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فقالت لعبيد: قد آن لك أن تزورنا، فقال: أقول لك يا أمه كما قال الأول: « زرغباً تزددْ حباً » فقالت: دعونا من بطالتكم هذه وذكر حديثاً.

(فقيل للاوزاعي) عبد الرحمن بن عمرو الفقيه رحمه الله تعالى: **(ما غاية التفكر فيهن؟ قال: يقرأهن وهو يعقلهن)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر.

(وعن محمد بن واسع) البصري رحمه الله تعالى **(أن رجلاً من أهل البصرة ركب إلى أم**

ركب إلى أم ذرّ بعد موت أبي ذرّ فسألها عن عبادة أبي ذرّ فقالت: كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر. وعن الحسن قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. وعن الفضيل قال: الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك. وقيل لإبراهيم إنك تطيل الفكرة، فقال الفكر مخ العمل وكان سفيان بن عيينة كثيراً ما يتمثل بقول القائل:

إذا المرءُ كانت له فكرة ... ففي كل شيء له عبرة

ذر) وهي امرأة أبي ذر. قال الحافظ: وقفت على حديث فيه التصريح بأنها أسلمت مع أبي ذر في أول الإسلام أخرجه الفاكهي في تاريخ مكة (**بعد موت أبي ذر**) رضي الله عنه: (**فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت: كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر**) رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا عبدالله بن محمد بن عمران، حدثنا حسين المروزي، حدثنا الهيثم بن جميل، حدثنا صالح المري، عن محمد بن واسع أن رجلاً من البصرة ركب إلى أم ذر بعد وفاة أبي ذر يسألها عن عبادة أبي ذر فأتاها فقال: جئتك لتخبريني عن عبادة أبي ذر. قالت: كان النهار أجمع خالياً يتفكر.

(**وعن الحسن**) البصري رحمه الله تعالى (**قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة**) رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا أبي حدثنا أحمد بن محمد، حدثنا عبدالله بن سفيان، حدثنا داود بن عمر الضبي، حدثنا فضيل بن عياض، عن هشام، عن الحسن فذكره، وهذا قد رواه أيضاً أبو الشيخ في العظمة من قول ابن عباس، ورواه أحمد بن صالح في كتاب التبصرة من حديث أنس وقد تقدم قريباً.

(**وعن الفضيل**) بن عياض رحمه الله تعالى (**قال: الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك. وقيل لإبراهيم**) بن أدهم: (**إنك تطيل الفكرة، فقال: الفكرة مخ العمل**) هذان القولان أوردهما أبو نعيم في الحلية بسند واحد فقال: حدثنا عبدالله بن محمد ومحمد بن علي قالا: حدثنا أبو يعلى، حدثنا عبد الصمد بن يزيد قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول قيل لإبراهيم: إنك لتطيل الفكرة. قال: الفكرة مخ العمل. قال: وسمعت الفضيل يقول قال الحسن: الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيآتك. (**وكان سفيان بن عيينة**) رحمه الله تعالى (**كثيراً ما يتمثل ويقول:**

إذا المرءُ كانت له فكرة ... ففي كل شيء له عبرة)

رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا عبدالله بن محمد ابن عبيد، حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: الفكرة نور تدخله قلبك. قال عبدالله: وحدثنا أبو حفص القرشي قال: كان سفيان بن عيينة ربما يتمثل:

إذا المرءُ كانت له فكرة ... ففي كل شيء له عبرة

قال: وبلغني عن سفيان بن عيينة قال: التفكر مفتاح الرحمة ألا ترى أنه يتفكر فيتوب. (**وعن**

وعن طاوس قال: قال الحواريون لعيسى ابن مريم، يا روح الله هل على الأرض اليوم مثلك؟ فقال: نعم من كان منطقه ذكراً وصمته فكراً ونظره عبرة فإنه مثلي. وقال الحسن: من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتباراً فهو لهو، وفي قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] قال أمنع قلوبهم التفكر في أمري. وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: «أعطوا أعينكم حظها من العبادة»، فقالوا: يا رسول الله وما حظها من العبادة؟ قال: «النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه»، وعن امرأة كانت تسكن البادية قريباً من مكة أنها قالت: لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها إلى ما قد أدخر لها في حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقرّ لهم في الدنيا عين. وكان لقمان يطيل الجلوس وحده، فكان يمر به مولاه

طاوس) بن كيسان اليماني رحمه الله تعالى **(قال: قال الحواريون)** أصحاب عيسى **(لعيسى عليه السلام: يا روح الله هل على الأرض اليوم مثلك؟ فقال: نعم من كان منطقه ذكراً وصمته فكراً ونظره عبرة فإنه مثلي)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر. **(وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو، ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو، ومن لم يكن نظره اعتباراً فهو لهو)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر. وروى أبو نعيم في الحلية من طريق إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت فضيلاً يقول: كلام المؤمن حكم وصمته تفكر ونظره عبرة، وإذا كنت كذا لم تزل في عبادة. **(وفي قوله تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ قال: أمنع قلوبهم التفكر في أمري. وعن أبي سعيد الخدري)** رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: «اعطوا أعينكم حظها من العبادة، فقالوا: يا رسول الله وما حظها من العبادة؟ قال: النظر في المصحف)** أي قراءة القرآن نظراً في المصحف فإنه أفضل من قراءته عن حفظه وبه أخذ السلف قال النووي: وهكذا قاله أصحابنا وليس على إطلاقه إنما هو تابع للتدبر وجمع القلب والبصر **(والتفكر فيه)** أي التأمل في معانيه **(والاعتبار عند عجائبه»)** من أوامره وزواجره ومواعظه وأحكامه وقصصه ووجوه بلاغته وبديع رموزه وإشاراته. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر، ومن طريقه أبو الشيخ في كتاب العظمة بإسناد ضعيف انتهى.

قلت: ورواه أيضاً الحكيم في النوادر والبيهقي في الشعب وضعفه.

(و) يحكى **(عن امرأة)** صالحة **(كانت تسكن البادية قريباً من مكة أنها قالت: لو تطالعت قلوب المتقين بفكرها إلى ما قد ادخر لها في حجب الغيب من خير الآخرة لم يصف لهم عيش ولم تقر لهم في الدنيا عين)** رواه ابن أبي الدنيا عن أبي علي المديني عن أبي الحسن إكرام وكان من خيار الناس.

فيقول يا لقمان إنك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك **فيقول** لقمان: إنّ طول الوحدة أفهم للفكر وطول الفكر دليل على طريق الجنة **وقال وهب بن** منبه: ما طالت فكرة امرىء قط إلا علم وما علم امرؤ قط إلا عمل **وقال عمر بن عبد** العزيز: الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة. وقال عبدالله بن المبارك **يوماً** لسهل بن علي ورآه ساكتاً متفكراً: أين بلغت! قال: الصراط. وقال بشر: لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل. وعن ابن عباس: ركعتان **مقتصدتان في** تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب. وبينا أبو شريح يمشي إذ جلس **فتقنع بكسائه فجعل** يبكي فقيل له ما يبكيك؟ قال: تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب أجلي. وقال أبو سليمان: عوّدوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر. وقال أبو سليمان: **الفكر في** الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية، والفكر في الآخرة يورث الحكمة **ويحيي** القلوب، وقال حاتم: من العبرة يزيد العلم، ومن الذكر يزيد الحب، ومن التفكر يزيد

(**وكان لقمان**) الحكيم رحمه الله تعالى (**يطيل الجلوس وحده، فكان يمرّ به مولاه فيقول: يا لقمان إنك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك، فيقول لقمان: إن طول الوحدة أفهم للفكرة وطول الفكرة دليل على طريق الجنة**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر.

(**وقال وهب بن منبه**) رحمه الله تعالى: (**ما طالت فكرة امرىء قط إلاّ علم وما علم امرؤ قط إلا عمل**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر (**وقال عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى (**الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة**) رواه ابو نعيم في الحلية. (**وقال عبدالله بن المبارك**) رحمه الله تعالى: (**يوماً لسهل بن علي ورآه ساكتاً مفكراً: أين بلغت؟ قال: الصراط**) رواه أبو نعيم في الحلية (**وقال بشر**) بن الحرث رحمه الله تعالى: (**لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى ما عصوا الله تعالى**) رواه أبو نعيم في الحلية. (**وعن ابن عباس**) رضي الله عنه قال: (**ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة بلا قلب**). وروى أبو الشيخ في العظمة من طريق نهشل عن الضحاك عن ابن عباس: التفكر في عظمة الله وجنته وناره ساعة خير من قيام ليلة، وقد تقدم قريباً. (**وبينا أبو شريح**) عبد الرحمن بن شريح المعافري كانت له عبادة وفضل توفي بالإسكندرية سنة١٦٧ روى له الجماعة (**يمشي إذ جلس فتقنع بكسائه فجعل يبكي، فقلنا له: ما يبكيك؟ قال: تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب أجلي**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر. (**وقال أبو سليمان**) الداراني رحمه الله تعالى: (**عوّدوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكر**) رواه أبو نعيم في الحلية (**وقال أبو سليمان**) أيضاً: (**الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب**) رواه أبو نعيم في الحلية. (**وقال حاتم الأصم**) رحمه الله تعالى: (**من العبرة يزيد العلم،**

الخوف، وقال ابن عباس: التفكر في الخير يدعو إلى العمل به، والندم على الشر يدعو إلى تركه. ويروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه: إني لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر إلى همه وهواه فإذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكراً وكلامه حمداً، وإن لم يتكلم. وقال الحسن: إنّ أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة. وقال إسحاق بن خلف: كان داود الطائي رحمه الله تعالى على سطح في ليلة قمراء، فتفكر في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له، قال فوثب صاحب الدار من فراشه عرياناً وبيده سيف وظن أنه لص، فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحك من السطح؟ قال: ما شعرت بذلك. وقال الجنيد: أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن بالله عز وجل، ثم قال: يا لها من مجالس ما أجلها

ومن الذكر يزيد الحب، ومن التفكر يزيد الخوف) رواه أبو نعيم في الحلية. **(وقال ابن عباس)** رضي الله عنه: **(التفكر في الخير يدعو إلى العمل به، والندم على الشر يدعو إلى تركه)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر. **(ويروى)** في الأخبار **(قال)** الله **(عز وجل في بعض كتبه)** التي أنزلها من السماء: **(إني لست أقبل كلام كل حكيم ولكن انظر إلى همه وهواه، فإذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكراً وكلامه حمداً وإن لم يتكلم، وقال الحسن)** البصري رحمه الله تعالى: **(إن أهل العقل لم يزالوا يعوّدون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة)**. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر. **(وقال إسحاق بن خلف: كان داود)** بن نصير **(الطائي)** رحمه الله تعالى **(على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له. قال: فوثب صاحب الدار من فراشه عرياناً وبيده سيف، وظن أنه لص، فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف وقال: من ذا الذي طرحك من السطح؟ قال: ما شعرت بذلك)** رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا إبراهيم عن نائلة، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا إسحاق بن خلف قال: كان داود الطائي في ليلة مقمرة فتفكر فقام فمشى على السطح وهو شاخص حتى وقع في دار جار له: فوثب صاحب الدار عرياناً من الفراش فأخذ السيف ظن أنه لص، فلما رأى داود رجع فلبس ثيابه فوضع السيف وأخذ بيد داود حتى ردّه إلى داره فقيل لداود فقال: ما دريت أو ما شعرت.

(وقال) أبو القاسم **(الجنيد)** قدس سره: **(أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد، والتنسم بنسيم المعرفة، والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد، والنظر**

ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه. وقال الشافعي رحمه الله تعالى: استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر. وقال أيضاً: صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور » والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم. والرؤية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة، ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوّة في البصيرة ففكر قبل أن تعزم، وتدبر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تقدم، وقال أيضاً: الفضائل أربع:

إحداها: الحكمة وقوامها الفكرة.

والثانية: العفة وقوامها في الشهوة.

والثالثة: القوّة وقوامها في الغضب.

والرابعة: العدول وقوامه في اعتدال قوى النفس.

بحسن الظن بالله عز وجل، ثم قال: يا لها من مجالس ما أجلّها ومن شراب ما ألذه طوبى لمن رزقه) رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال الشافعي رحمه الله تعالى: استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكرة) رواه البيهقي في مناقبه. (وقال أيضاً: صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور، والعزم في الرأي سلامة من التفريط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفطنة، ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة، ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تقدم) رواه البيهقي كذلك في مناقبه. (وقال أيضاً: الفضائل أربع):

(إحداها: الحكمة) وهي أعلاها (وقوامها الفكرة).

(والثانية: العفة وقوامها في الشهوة) أي في تركها.

(والثالثة: القوّة وقوامها في الغضب) أي في تركه.

(والرابعة العدول وقوامه في اعتدال قوى النفس). رواه البيهقي كذلك في مناقبه، وهذه هي الفضائل النفسية فأصولها أربعة: العقل وكماله العلم، والعفة وكمالها الورع، والشجاعة وكمالها المجاهدة، والعدل وكماله الإنصاف وهي المعبر بالدين ويكمل ذلك بالفضائل البدنيةوهي أربعة: الصحة والقوّة والجمال وطول العمر، وبالفضائل المطيفة بالإنسان وهي أربعة أيضاً: المال والأهل والعز وكرم العشيرة، ولا سبيل إلى تحصيل ذلك إلا بتوفيق الله عز وجل، وذلك بأربعة أيضاً: هدايته ورشده وتسديده وتأييده، فجميع ذلك خمسة أنواع وهي عشرون ضرباً ليس للإنسان مدخل في اكتسابها إلا فيما هو نفسي فقط، وقد تقدم تفصيل ذلك في كتاب تهذيب الأخلاق.

فهذه أقاويل العلماء في الفكرة وما شرع أحد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها .

ومما يذكر في فضلة التفكر ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر عن عامر بن عبد قيس قال: سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب محمد ﷺ يقولون: إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر. وروى ابن المنذر، وأبو نعيم في الحلية من طريق عون بن عبدالله قال: سألت أم الدرداء ما كان أفضل عبادة أبي الدرداء؟ قالت: التفكر والاعتبار. وروى أبو الشيخ والديلمي من حديث أبي هريرة بينما رجل مستلق ينظر إلى السماء وإلى النجوم فقال: والله إني لأعلم أن لك خالقاً ورباً اللهم اغفر لي فنظر إليه فغفر له. وروى ابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه والطبراني عن ابن عباس قال: أتت قريش اليهود فقالوا: ما جاءكم به موسى من الآيات. قالوا: عصاه ويده بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى فيكم؟ قالوا: كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً فدعا ربه، فنزلت: ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ الآية فليتفكروا فيها. وروى الديلمي من حديث أنس أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة التفكر، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة. وقال ابن عطاء الله: الفكرة سراج القلب، فإذا ذهبت فلا إضاءة له. وقال بعض الحكماء: املأ عينك من زينة هذه الكواكب وأجلها في جملة هذه العجائب متفكراً في قدرة مقدرها متدبراً حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر، ويروى في بعض الأخبار أنه كان الرجل من بني إسرائيل إذا تعبد ثلاثين سنة أظلته سحابه، ففعله رجل فلم تظله فشكا لأمه فقالت: لعلك أذنبت. فقال: لا. قالت: فهل نظرت إلى السماء فرددت طرفك غير مفكر فيها؟ قال: نعم قالت: من ههنا أتيت. (**فهذه أقاويل العلماء في الفكرة**) وفضلها (**وما شرع أحد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجاريها**) .

ثم اعلم أن التفكر له مقدمات ولواحق فمن مقدماته السماع والتيقظ والتذكر، ومن لواحقه العلم لأن من سمع تيقظ ومن تيقظ تذكر ومن تذكر تفكر ومن تفكر علم ومن علم عمل، إن كان علماً يراد لذاته سعد والسعادة غاية المطلب، أما السماع والعلم فقد تقدم ذكر كل منهما في كتاب مستقل واحتاج الأمر إلى بيان اليقظة والتذكر، وحقيقة اليقظة الانتباه من النوم وهي في هذا الباب انتباه القلب للخير لا غير. قال الإمام أبو إسماعيل الهروي: هي القومة لله تعالى من سنة الغفلة والنهوض عن ورطة الفترة. قال الكمال الصوفي: والقومة والنهوض هما ثمرة الانتباه والنهوض هو قيام بسرعة، فعلى هذا تكون القومة لله واجبة على الفور في الأوامر والنواهي الفورية وهي متعلقة بكل مقام لأن العبد مأمور بالترقي من حضيض إلى ارتفاع ومن ارتفاع إلى أفق، وهكذا فصاعداً. فكلما كان القلب في حالة وتنبه من نفسه أو من غيره بحالة تسمو على حالته الأولى استحب له الارتقاء إليها ليكون له حالاً وما كان قبله مقاماً، وهكذا إلى ما لا يتناهى وتشرف اليقظة بشرف العلم المستيقظ به وكل ما جاء في كتاب الله عز وجل من ذكر المسارعة إلى المغفرة والمسارعة إلى الخيرات فهو دليل على فضلها .

....

فصل

في التذكر:

اعلم أن القلب إذا انتبه من غفلته وتيقظ من رقدته تذكر ما كان نسيه، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾ [غافر: ١٣] فجعل الإنابة شرطاً للانتفاع بالتذكر. وقال تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [ق: ٣٧] فجعل للتذكر ثلاثة أسباب: القاء السمع، وحضور القلب، وشهوده للفهم، فعلى هذا يكون حقيقة التذكر استدعاء ما كان موجوداً عنده ثم نسيه وتكراره على القلب حتى يثبت ويرسخ، وسبب ذلك أن العلوم كلها مركوزة في النفوس بالفطرة وهي كامنة فيها ككمون النار في الحجر والنخلة في النواة، وذلك أنها قابلة لإدراك العلوم كلها فالمعلم لا يحدث لها شيئاً من خارج، وإنما يخرج بالتعليم ما هو كامن فيها، وإنما طرأ عليه النسيان بسبب اغترابها في عالم الشهادة عالم الخيال والظلمة، فمتى سكت عنها حركة الخيال وظلمة الشهوات تجلى لها عالمها الذي هو من أمر الله تعالى المنزّه عن الخيالات والأوهام وعن الجهات والمقدار فحينئذ تذكر ما أودعه عندها سيدها ومالكها وهاديها من الاعتراف بوجوده ووحدانيته وكل صفة تليق بعظمته وكبريائه، فمن حرم مثل هذا الاستبصار فقد خاب من الرحمة بطريق النظر والاعتبار، فإنه تعالى أمرنا على لسان أنبيائه عليهم السلام بالتذكار، ثم لم يكلنا إلى أنفسنا حتى نبهنا فقال سبحانه هو: ﴿الله الواحد القهار ★ رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار﴾ [ص: ٦٥ ، ٦٦] والتذكر يتعلق بالعقد والقول والفعل والترك وهو واجب فيما يجب من ذلك، ويحرم تذكر المعاصي إن أدى إلى استجلابها بل يجب التغافل عنها ويكره تذكر ما يستقبل من الأحوال لأنه يفوت زمناً صالحاً من العمر بموهوم لا يدري أيحصل أم لا. ولا يفعل ذلك إلا غافل جاهل لا يعرف قدر عمره وما دام المريد مفتقراً إلى التفكر، فلا بد من التذكر لأن التفكر هو استمدار الأنوار من الأذكار وبشرف التذكر يشرف متعلقة وعلامة صحة التذكر موافقة الشرع في جميع مراتبه فمتى وقع له غير ذلك فليعلم خطأه.

فصل

وأما التفكر ففضله عظيم، وقد مر في سياق المصنف ما يدل عليه وصاحبه على بصيرة من أمره وما يستوي الأعمى والبصير وهو مخصوص بنوع الإنسان لأنه مركب من ظرف عقلي وظرف حسي والذات المركبة المدركة لا تدرك الأشياء إلا بنوع تركيب ولا يعرف التفاضل إلا بالإضافة كإضافة الدرهم إلى الدينار وكإضافة الدنيا إلى الآخرة، فيظهر شرف الشريف بالنظر إلى خسة الخسيس، فانظر إلى حالك في النوم كيف يريك الملك الموكل بالرؤيا أرواح المعاني في قوالب الخيال لضرورة مادة يقظتك وتركيبها، ومن له فهم قنع من هذا العلم بالتلويح، وبهذا السبب تعرف حقيقة التفكر فإنما مهدنا سببه ليسهل مدركه والله الموفق.

بيان حقيقة الفكر وثمرته:

اعلم أنّ معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة. ومثاله أنّ من مال إلى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وأراد أن يعرف أنّ الآخرة أولى بالإيثار من العاجلة فله طريقان:

أحدهما: أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإيثار من الدنيا، فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيميل بعمله إلى إيثار الآخرة اعتماداً على مجرّد قوله. وهذا يسمى تقليداً ولا يسمى معرفة.

والطريق الثاني: أن يعرف أنّ الأبقى أولى بالإيثار، ثم يعرف أنّ الآخرة أبقى. فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإيثار، ولا يمكن تحقيق المعرفة بأنّ الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمعرفتين السابقتين. فإحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكراً واعتباراً وتذكراً ونظراً وتأملاً وتدبراً. أما التدبر والتأمل والتفكر: فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها

بيان حقيقة الفكر وثمرته:

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة**)، وبيان ذلك أنك إذا أردت اقتناص علم أو حال جمعت بين علمين متناسبين لذلك العلم المطلوب بشرط عدم الشكوك فيهما وفراغ القلب من غيرهما، وحدقت النظر فيهما تحديقاً بالغاً فلم تشعر إلا وقد وجدت علماً ثالثاً وهو مطلوبك وبغيتك. (**ومثاله أن من مال**) قلبه (**إلى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وأراد أن**) يميل إلى الآخرة و(**يعرف أن الآخرة أولى بالإيثار من العاجلة فله طريقان**):

(**أحدهما: أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإيثار فيقلده**) في ذلك (**ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيميل بعمله إلى إيثار الآخرة اعتماداً على مجرد قوله، وهذا يسمى تقليداً ولا يسمى معرفة**).

(**والطريق الثاني: أن يعرف أن الأبقى أولى بالإيثار ثم يعرف أن الآخرة أبقى**) لنفاستها وخساسة العاجلة والعلم بكل منهما يكون على الشرط المتقدم، (**فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإيثار**) أي ينتقل القلب من الميل إلى الخسيس إلى الميل إلى النفيس لا محالة وربما لا يشعر به، (**ولا يمكن تحقق المعرفة بأن الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمعرفتين السابقتين فإحضار المعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكراً واعتباراً وتذكراً ونظراً وتأملاً وتدبراً**) وهذا السياق فيه أوفى

معانٍ مختلفة. وأما اسم التذكر والاعتبار والنظر: فهي مختلفة المعاني وإن كان أصل المسمى واحداً؛ كما أنّ اسم: الصارم، والمهند، والسيف؛ يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة، فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع، والمهند يدل عليه من حيث نسبته إلى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير إشعار بهذه الزوائد. فكذلك الاعتبار ينطلق على إحضار المعرفتين من حيث أنه يعبر منهما إلى معرفة ثالثة، وإن لم يقع العبور ولم يمكن إلا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم: التذكر لا اسم: الاعتبار. وأما النظر والتفكر؛ فيقع عليه من حيث إن فيه طلب معرفة ثالثة، فمن ليس يطلب

غموض، والأولى أن يقال: إن إحضار المعرفتين يسمى تذكراً وحصول المعرفة الثالثة يسمى تفكراً وتدبراً ونظراً واعتباراً. **(أما التدبر والتأمل والتفكر فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة)** فالتدبر هو النظر في دبر الأمور أي عواقبها، والتأمل هو إعادة النظر في الشيء مرة بعد أخرى ليتحققه، والتفكر هو تصرف القلب بالنظر في الدليل، وقيل: تصرف القلب في مغاني الأشياء لدرك المطلوب. وقال الراغب: الفكر قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم وهو تخيل عقلي موجود في الإنسان والتفكر جولان تلك القوة بين الخواطر بحسب نظر العقل، وقد يقال للتفكر الفكر وبه تعلم الفرق بين الألفاظ الثلاثة. **(وأما اسم التذكر والإعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وإن كان أصل المسمى واحداً، كما أن اسم الصارم والمهند والسيف يتوارد على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة، فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع)** وكذلك الصمصام والرسوب، **(والمهند يدل عليه من حيث نسبته إلى الموضع)** وهو الهند ومنه قول كعب:

مهند من سيوف الهند مسلول

وكذلك القلعي. **(والسيف يدل دلالة مطلقة من غير إشعار بهذه الزوائد، فكذلك الاعتبار ينطلق على إحضار المعرفتين من حيث أنه يعبر منهما إلى معرفة ثالثة)** افتعال من العبر وهو التجاوز من حال إلى حال، والاسم العبرة بالكسر وهي عبارة عن الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد، **(فإن لم يقع العبور)** الأولى العبر فإن العبور يختص بتجاوز الماء إما بسباحة أو في سفينة أو على بعير أو قنطرة، **(ولم يكن إلا الوقوف على المعرفتين فينطلق عليه اسم: التذكر لا اسم: الاعتبار)** إذ في الاعتبار يراعى معنى العبر وليس في التذكر إلا محاولة للقوّة العقلية لاسترجاع ما فات بالنسيان. **(وأما النظر والتفكر فيقع عليه من حيث أن فيه طلب معرفة ثالثة)** ولذلك يطلق النظر على المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به طلب المعنى بالقلب من جهة الذكر، كما يدرك إدراك المحسوس بالعين، وقد يطلق على تقليب البصر أو البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته،

المعرفة الثالثة لا يسمى ناظراً ، فكل متفكر فهو متذكر ، وليس كل متذكر متفكراً ، وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب لترسخ ولا تنمحي عن القلب . وفائدة التفكر : تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة . فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر . والمعارف إذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص أثمرت معرفة أخرى ، فالمعرفة نتاج المعرفة . فإذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر . وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر إلى غير نهاية ، وإنما تنسدّ طريق زيادة المعارف بالموت ، أو بالعوائق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي إلى طريق التفكر وأما أكثر الناس فإنما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم رأس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم ، كالذي لا بضاعة له فإنه لا يقدر على الربح ، وقد يملك

(فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظراً) إلا على وجه التجوّز ، **(فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكراً ، وفائدة التذكار تكرار المعارف على القلب)** واسترجاع ما فات منها بالنسيان **(لترسخ وتثبت ولا تنمحي عن القلب ، وفائدة التفكر تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة)** من قبل ؛ **(فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكر)** . وقال الراغب : التفكر جريان القوّة العلمية بحسب نظر العقل ، ولا يقال إلا فيما يمكن أن تحصل له صورة في العقل ، ولهذا ورد : ولا تفكروا في الله إذ كان منزهاً أن يوصف بصورة قال تعالى : ﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم﴾ [الروم : ٨] ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ [الأعراف : ١٨٥] **(والمعارف إذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص أثمرت معرفة أخرى ، فالمعرفة نتاج المعرفة فإذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر ، وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر إلى غير نهاية)** . وإذا عرفت هذا فقد نتجت لك سبيل السعادة في استنتاج العلوم واقتناصها وهو واجب عند الشك وعند ورود الشبه وعند علاج الأمراض الواجب إزالتها من القلوب ، كما يجب طلب الخبز للجائع والماء للعطشان ، فمن ترك ذلك وانتظر خلق الشبع من غير أكل وخلق الري من غير شرب ومات كان عاصياً ، وكذلك من ترك تكسب العلوم الواجبة واتكل على فضل الله تعالى أن يجعله عالماً بالإلهام كان عاصياً ، وإن كان ممكناً قال الله تعالى : ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ [النحل : ٧٨] فمن عطل هذه الأدلة عن استعمالها فقد فعل ما حرم عليه وكفر نعمة الله به في تعطيل هذه النعم ، **(وإنما تنسد طريق زيادة المعارف بالموت)** فهو معذور إن لم يترك جهده في مدة حياته ، **(أو بالعوائق هذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي إلى طريق التفكر ، وأما أكثر الناس فإنما منعوا الزيادة في العلوم لفقدهم رأس المال وهو المعارف التي بها يستثمر العلوم)** . والحاصل أن المانع من زيادة المعارف سببان : أحدهما : أن يكون المتفكر قليل المعارف فيقل نتاجه **(كالذي لا بضاعة له**

البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئاً ، فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكن ليس يحسن استعمالها وتأليفها وإيقاع الازدواج المفضي إلى النتاج فيها . ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور إلهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين . وذلك عزيز جداً وقد تكون بالتعلم والممارسة وهو الأكثر ، ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ، ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير في الإيراد . فكم من إنسان يعلم أنّ الآخرة أولى بالإيثار علماً حقيقياً ، ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على إيراده والتعبير عنه مع انه لم تحصل معرفته إلا عن المعرفتين السابقتين : وهو أنّ الأبقى أولى بالإيثار وأن الآخرة أبقى من الدنيا ، فتحصل له معرفة ثالثة وهو أنّ الآخرة أولى بالإيثار ، فرجع حاصل حقيقة التفكر إلى إحضار معرفتين للتوصل بهما إلى معرفة ثالثة ، وأما ثمرة الفكر فهي العلوم والأحوال والأعمال ، ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير . نعم إذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب وإذا تغير

فإنه لا يقدر على الربح) لا محالة ، والثاني : أن يكون كثير المعارف ولكن لا يحسن ازدواجها وائتلافها وإليه أشار المصنف بقوله : **(وقد يملك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئاً ، فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ، ولكنه ليس يحسن استعمالها وتأليفها وإيقاع الازدواج المفضي إلى النتاج فيها)** ولا ينجيه من هذه الورطة إلا الشيخ المفيد لهذه السعادة . **(ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور إلهي في القلب يحصل بالفكرة كما كان للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك عزيز جداً ، وقد تكون بالتعلم والممارسة)** ومصاحبة المشايخ الكمل ومداومة النظر إلى أحوالهم **(وهو الأكثر)** فإن لمجالستهم تأثيراً عظيماً **(ثم المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها)** لأن ذلك الحصول عبارة عن انتقال القلب بسرعة من معرفة إلى معرفة فربّما لا يحس به صاحبه ويظن أنه واقف عند المعرفة الأولى ، **(و)** ربما **(لا يقدر على التعبير عنها)** أي الثمرة **(لقلة ممارسته لصناعة التعبير في الإيراد)** ومعرفة هذه الصناعة أيضاً من الأمور المهمة لما يتعدى به النفع ، **(فكم من إنسان يعلم أن الآخرة أولى بالإيثار علماً حقيقياً)** لا شبهة فيه ، **(ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على إيراده والتعبير عنه مع أنه لم تحصل معرفته إلا عن المعرفتين السابقتين وهو أن الأبقى أولى بالإيثار ، وأن الآخرة أبقى من الدنيا ، فتحصل له معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإيثار فرجع حاصل حقيقة الفكر إلى إحضار معرفتين للتوصل بهما إلى معرفة ثالثة)** هذا ما يتعلق بحقيقة الفكر ، **(وأما ثمرة الفكر فهي العلوم والأحوال والأعمال)** الحاصلة من العلوم ، **(ولكن ثمرته الخاصة العلم لا**

حال القلب تغيرت أعمال الجوارح. فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر. فالفكر إذاً هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها، وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وأنه خير من الذكر والتذكر لأن الفكر ذكر وزيادة. وذكر القلب خير من عمل الجوارح، بل شرف العمل لما فيه من الذكر. فإذاً التفكر أفضل من جملة الأعمال. ولذلك قيل: تفكر ساعة خير من عبادة سنة، فقيل هو الذي ينقل من المكاره إلى المحاب ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة، وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى، ولذلك قال تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾ [طه: ١١٣] وإن أردت أن تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من أمر الآخرة، فإن الفكر فيه يعرّفنا أنّ الآخرة أولى بالإيثار، فإذا رسخت هذه المعرفة يقيناً في قلوبنا تغيرت القلوب إلى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا. وهذا ما عنيناه بالحال، إذا كان حال

غير) والحال والعمل ينشآن من العلم. **(نعم إذا حصل العلم في القلب)** واستقر فيه ولم يعرضه شك وغفلة **(تغير حال القلب، وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر، فالفكر إذاً هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها)** لأن العلوم والأحوال هما البضاعة التي يقع بها الإتجار، وهذا هو السر في تقديم بعض العارفين كتاب التفكر على سائر كتب المنجيات. **(وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وأنه خير من الذكر والتذكر لأن في التفكر ذكراً وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح، بل شرف العمل لما فيه من الذكر)** وقد سبق للمصنف تحقيق أن المحبة الناشئة عن التفكر أفضل من المحبة الناشئة عن التذكر، والعلة أن التفكر رؤية والذكر سماع هذا معنى كلامه رضي الله عنه في كتاب ترتيب الأوراد، وقد نقل القشيري رحمه الله تعالى في رسالته عن أحد المشايخ أن الذكر أفضل من الفكر لأن الله يوصف بالذكر ولا يوصف بالفكر، وهذا فيه نظر لأن من عرف حقيقة التفكر علم أنه ذكر وزيادة معرفة مقتضية، وعلى الجملة فلا يزال الفكر أفضل من الذكر لأنه مقصود إلى أن ينتهي إلى حلّ ينقطع فيه الفكر ويبقى الذكر مجرداً عن الأدلة، فهذا الذكر أفضل من الفكر بلا خلاف والله أعلم.

(فإذاً التفكر أفضل من جملة الأعمال، ولذلك قيل: تفكر ساعة خير من عبادة سنة) تقدم الكلام عليه قريباً واختلف فيه، **(فقيل: هو الذي ينقل من المكاره إلى المحاب، ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة. وقيل: هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى، ولذلك قال تعالى: ﴿لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً﴾ [طه: ١١٣] وإن أردت أن تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من أمر الآخرة، فإن الفكر فيه يعرفنا أن الآخرة أولى بالإيثار، فإذا رسخت هذه المعرفة يقيناً في قلوبنا)** بأن لا يعتريها شك مع الفراغ عن غيرها **(تغيرت القلوب إلى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا)** من غير أن تشعر بذلك التغير.

القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل إليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها. وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت إرادته ورغبته. ثم اثمر تغير الإرادة أعمال الجوارح في إطراح الدنيا والإقبال على أعمال الآخرة. فههنا خمس درجات:

أولاها: التذكر وهو إحضار المعرفتين في القلب.

وثانيتها: التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما.

والثالثة: حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها.

والرابعة: تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة.

والخامسة: خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدّد له من الحال.

فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها الموضع فتصير العين مبصرة بعد أن لم تكن مبصرة وتنتهض الأعضاء للعمل، فكذلك زناد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين المعرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد، ويؤلف بينهما تأليفاً مخصوصاً

(وهذا ما عنيناه بالحال إذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل إليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها، وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت إرادته ورغبته) وإنما سمي الحال حالاً لتغيره من شأن إلى شأن **(ثم اثمر تغير الإرادة أعمال الجوارح في إطراح الدنيا والإقبال على أعمال الآخرة)** وبه ظهر أن العلم تابع الحال والحال تابع المعرفة والمعرفة تتبع الفكر. **(فههنا خمس درجات)**:

(أولاها: التذكر وهو إحضار المعرفتين في القلب) بالشرط المتقدم.

(وثانيتها: التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما) أي من المعرفتين.

(والثالثة: حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها).

(والرابعة: تغير حال القلب عما كان) عليه **(بسبب حصول نور المعرفة)**.

(والخامسة: خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدد له من الحال) وقد مثل له المصنف بمثال فقال:

(فكما يضرب الحجر على الحديد فتخرج منه نار يستضيء بها الموضع فتصير العين مبصرة بعد أن لم تكن مبصرة وتنتهض الأعضاء للعمل، فكذلك زناد نور المعرفة وهو الفكر فيجمع بين المعرفتين) هما بمنزلة الحديد والحجر، **(كما يجمع بين الحجر والحديد**

كما يضرب الحجر على الحديد ضرباً مخصوصاً ، فينبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد ، ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل إلى ما لم يكن يميل إليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ، ثم تنتهض الأعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند إدراك البصر ما لم يكن يبصره. فإذاً ثمرة الفكر : العلوم والأحوال والعلوم لا نهاية لها ، والأحوال التي تتصوّر أن تنقلب على القلب لا يمكن حصرها . ولهذا لو أراد مريد أن يحصر فنون الفكر ومجاريه وأنه فيماذا يتفكر لم يقدر عليه لأن مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية. نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالإضافة إلى مهمات العلوم الدينية وبالإضافة إلى الأحوال التي هي مقامات السالكين ، ويكون ذلك ضبطاً جلياً فإنّ تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها ، وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها ، فإنها مشتملة على علوم ، تلك العلوم تستفاد من أفكار مخصوصة. فلنشر إلى ضبط المجامع فيها ليحصل الوقوف على مجاري الفكر .

ويؤلف بينهما تأليفاً مخصوصاً كما يضرب الحجر على الحديد ضرباً مخصوصاً ، فينبعث نور المعرفة كما تنبعث النار من الحديد ويتغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل إلى ما لم يكن يميل إليه من قبل كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ، ثم تنتهض الأعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينتهض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند إدراك البصيرة ما لم يكن يتصوره ، فإذاً ثمرة الفكر العلوم والأحوال و) تلك **(العلوم)** التي يثمرها الفكر **(لا نهاية لها و)** تلك **(الأحوال التي تتصوّر أن تتقلب على القلب لا يمكن حصرها)** إلا أن الفكر لا يتعلق إلا بالعلوم الكسبية ولا مدخل له في العلوم الإلهامية لأنه مجرد عن وسائط الكسب ، **(ولهذا لو أراد مريد أن يحصر فنون الفكر ومجاريه وأنه فيما ذا يتفكر لم يقدر عليه لأن مجاري الفكر غير محصورة وثمراته غير متناهية . نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالإضافة إلى مهمات العلوم الدينية ، وبالإضافات إلى الأحوال التي هي مقامات للسالكين)** وفيه إشعار إلى أن الحال قد يكون مقاماً كما مرت الإشارة إليه في أول كتاب التوبة **(ويكون ذلك ضبطاً جلياً)** أي إجمالياً ، **(فإن تفصيل ذلك يستدعي شرح العلوم كلها ، وجملة هذه الكتب كالشرح لبعضها فإنها مشتملة على)** ذكر **(علوم تلك العلوم تستفاد من أفكار مخصوصة)** كالتوبة والصبر والخوف والرجاء والفقر والزهد والمحاسبة والحياء والمراقبة والشكر والتوكل والنية والإخلاص والصدق والتوحيد والمحبة. فهذه ستة عشر مقاماً ويضاف إليها مقامات أخر حتى تكمل مائة مقام ما من مقام منها إلا وهو مستفاد من حسن الفكر ، **(فلنشر إلى ضبط المجامع فيها فيه يحصل الوقوف على مجاري الفكر)** ومسارحه والله الموفق .

بيان مجاري الفكر:

اعلم أن الفكر قد يجري في أمر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين، وإنما غرضنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر. ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى؛ فجميع أفكار العبد: إما أن تتعلق بالعبد وصفاته وأحواله، وإما أن تتعلق بالمعبود وصفاته وأفعاله؛ لا يمكن أن يخرج عن هذين القسمين. وما يتعلق بالعبد: إما أن يكون نظراً فيما هو محبوب عند الرب تعالى، أو فيما هو مكروه، ولا حاجة إلى الفكر في غير هذين القسمين. وما يتعلق بالرب تعالى: إما أن يكون نظراً في ذاته وصفاته وأسمائه الحسنى، وإما أن يكون في أفعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والأرض وما بينهما. وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الأقسام بمثال، وهو أن حال السائرين إلى الله تعالى والمشتاقين إلى لقائه يضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر مثالنا فنقول العاشق المستغرق الهم بعشقه لا يعدو فكره من أن يتعلق بمعشوقه أو يتعلق بنفسه، فإن تفكر في معشوقه؛ فإما أن يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم

بيان مجاري الفكر:

(**اعلم**) هداك الله تعالى أن الوجود كله من ذروة العرش إلى قاعدة الثرى معارج للملائكة ومراقي للأفكار المشتغلة بالنظر والاعتبار حتى تصل إلى معرفة الجبار، فهناك لا معرج ولا مرقى إذ ليس وراء الله مرمى، وهذا لا يحصى ولا يستقصى ولكن المقصود جملة حال المريد في سفره إلى مولاه. فاعلم (**أن الفكر قد يجري في أمر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين، وإنما غرضنا**) هنا (**ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر**) ونذكر ما يتعلق بالدين (**ونعني بالدين المعاملة التي بين العبد وبين الرب تعالى، فجميع أفكار العبد إما أن تتعلق بالعبد وصفاته وأحواله وإما أن تتعلق بالمعبود وصفاته وأفعاله لا يمكن أن يخرج عن هذين القسمين، وما يتعلق بالعبد إما أن يكون نظراً فيما هو ومحبوب عند الرب تعالى أو فيما هو مكروه، ولا حاجة إلى الفكر في غير هذين القسمين، وما يتعلق بالرب تعالى إما أن يكون نظراً في ذاته وصفاته وأسمائه الحسنى وإما أن يكون في أفعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والأرض وما بينهما، وينكشف لك انحصار الفكر في هذه الأقسام بمثال. وهو أن حال السائر إلى الله و**) الطائرين (**المشتاقين إلى لقائه يضاهي حال العشاق فلنتخذ العاشق المستهتر**) بحب معشوقه (**مثالنا فنقول: العاشق المستغرق الهمّ بعشقه لا يعدو فكره من أن يتعلق بمعشوقه أو يتعلق بنفسه، فإن تفكر في معشوقه فإما أن يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته ليتنعم بالفكر فيه وبمشاهدته وإما أن يتفكر في أفعاله اللطيفة الحسنة الدالة**)

بالفكر فيه وبمشاهدته، وإما أن يتفكر في أفعاله اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفاً للذته ومقوّياً لمحبته. وإن تفكر في نفسه؛ فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها، أو في الصفات التي تقربه منه وتحبّبه إليه حتى يتصف بها، فإن تفكر في شيء خارج عن هذه الأقسام فذلك خارج عن حدّ العشق، وهو نقصان فيه لأن العشق التام الكامل؛ ما يستغرق العاشق ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه متسعاً لغيره. فمحب الله تعالى ينبغي أن يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه. ومهما كان تفكره محصوراً في هذه الأقسام الأربعة لم يكن خارجاً عن مقتضى المحبة أصلاً. فلنبدأ بالقسم الأوّل وهو تفكره في صفات نفسه وأفعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه، فإن هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة الذي هو المقصود بهذا الكتاب، وأما القسم الآخر فيتعلق بعلم المكاشفة. ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله أو محبوب ينقسم إلى ظاهر، كالطاعات والمعاصي، وإلى باطن، كالصفات المنجيات والمهلكات التي محلها القلب وذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات. والطاعات والمعاصي تنقسم إلى ما يتعلق بالأعضاء السبعة وإلى ما ينسب إلى جميع البدن، كالفرار من الزحف وعقوق الوالدين والسكون في المسكن الحرام. ويجب في

على أخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضعفاً للذته ومقوياً لمحبته)؛ فهذا طريق الفكر فيما يتعلق بالمحبوب **(وإن تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوبه حتى يتنزه عنها)** أي يتباعد **(أو في الصفات التي تقربه منه وتحببه إليه حتى يتصف بها)** فهذا طريقَ الفكر فيما يتعلق بالمحب، **(فإن تفكر في شيء خارج عن هذه الأقسام فذلك خارج عن حدّ العشق وهو نقصان فيه لأن العشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفي القلب)** بكليته **(حتى لا يترك فيه متسعاً لغيره. فمحب الله تعالى ينبغي أن يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه، ومهما كان تفكره محصوراً في هذه الأقسام الأربعة لم يكن خارجاً عن مقتضى المحبة أصلاً، فلنبدأ بالقسم الأول وهو تفكره في صفات نفسه وأفعال نفسه ليميز المحبوب منها عن المكروه، فإن هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم المعاملة وهو مقصود هذا الكتاب. وأما القسم الآخر)** الذي هو التفكر في ذات الله ومعاني أسمائه وصفاته وكيف يتخلق بها العبد **(فيتعلق بالمكاشفة، ثم كل واحد مما هو مكروه عند الله أو محبوب ينقسم إلى ظاهر كالطاعات والمعاصي، وإلى باطن كالصفات المنجيات والمهلكات التي محلها القلب، وذكرنا تفصيلها في ربع المهلكات والمنجيات)** وهو هذا الربع. **(والطاعات والمعاصي تنقسم)** تارة **(إلى ما يتعلق بالأعضاء السبعة)** اليدان والرجلان والبصر والسمع واللسان، **(و)** تارة **(إلى ما ينسب إلى جميع البدن)** وهذا **(كالفرار من الزحف وعقوق**

كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة أمور .

الأول: التفكر في أنه هل هو مكروه عند الله أم لا ، فرب شيء لا يظهر كونه مكروهاً بل يدرك بدقيق النظر .

والثاني: التفكر في أنه إن كان مكروهاً فما طريق الاحتراز عنه .

والثالث: أن هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه أو هو متعرّض له في الاستقبال فيحترز عنه. أو قارفه فيما مضى من الأحوال فيحتاج إلى تداركه. وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم إلى هذه الانقسامات ، فإذا جمعت هذه الأقسام زادت مجاري الفكر في هذه الأقسام على مائة ، والعبد مدفوع إلى الفكر إما في جميعها أو في أكثرها . وشرح آحاد هذه الانقسامات يطول ، ولكن انحصر هذا القسم في أربعة أنواع : الطاعات والمعاصي والصفات المهلكات والصفات المنجيات. فلنذكر في كل نوع مثالاً ليقيس به المريد سائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه .

النوع الأول: المعاصي: وينبغي أن يفتش الإنسان صبيحة كل يوم جميع أعضائه

الوالدين والسكون في المسكن الحرام) وغير ذلك . **(ويجب في كل واحد من المكاره التفكر في ثلاثة أمور) :**

الأول: التفكر في أنه هل هو مكروه عند الله أم لا . فرب بشيء لا يظهر كونه مكروهاً في بادىء النظر **(بل يدرك بدقيق النظر)** وكثرة التأمل.

الثاني: التفكر في أنه إن كان مكروهاً فما طريق الاحتراز عنه .

والثالث: التفكر في أن **(هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فيتركه أو هو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه أو فارقه فيما مضى من الأحوال فيحتاج إلى تداركه)** لما فرط منه. **(وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم إلى هذه الانقسامات، فإذا جمعت هذه الأقسام زادت مجاري الفكر)** واتسعت مسارحها **(في هذه الأقسام على مائة ، والعبد مدفوع إلى الفكر إما في جميعها أو في أكثرها ، وشرح آحاد هذه الأقسام يطول)** ومسألة الحصر فيه تعول ، **(ولكن انحصر هذا القسم في أربعة أنواع: الطاعات والمعاصي والصفات المهلكات والصفات المنجيات ، فلنذكر في كل نوع مثالاً ليقيس به المريد سائرها وينفتح له باب الفكر ويتسع عليه طريقه)**.

(النوع الأول: المعاصي ، ينبغي أن يفتش الإنسان صبيحة كل يوم في جميع أعضائه

السبعة تفصيلاً ، ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعصية بها فيتركها ؟ أو لابسها بالأمس فيتداركها بالترك والندم ؟ أو هو متعرّض لها في نهاره فيستعد للاحتراز والتباعد عنها ؟ فينظر في اللسان ويقول: إنه متعرّض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني ، إلى غير ذلك من المكاره ، فيقرّر أوّلاً في نفسه أنها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدّة العذاب فيها ، ثم يتفكر في أحواله أنه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ، ثم يتفكر أنه كيف يحترز منه ويعلم أنه لا يتم له ذلك إلا بالعزلة والانفراد ، أو بأن لا يجالس إلا صالحاً تقياً ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله ، وإلا فيضع حجراً في فيه إذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكراً له ؛ فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز . ويتفكر في سمعه أنه يصغي به إلى الغيبة والكذب وفضول الكلام وإلى اللهو والبدعة ، وأن ذلك إنما يسمعه من زيد ومن عمرو ، وأنه ينبغي أن يحترز عنه بالاعتزال أو بالنهي عن المنكر . فمهما كان ذلك فيتفكر في بطنه ؛ أنه إنما يعصى الله تعالى فيه بالأكل والشرب ، إما بكثرة الأكل من الحلال فإن ذلك مكروه عند الله ومقوٍّ للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدوّ الله ،

السبعة تفصيلاً) كل عضو على حدة (**ثم بدنه**) من حيث المجموع (**على الجملة هل هو في الحال**) الراهنة (**ملابس لمعصية بها فيتركها**) في تلك الحال (**أو لابسها بالأمس فيتداركها بالترك والندم**) والعزم على أن لا يعود لمثلها ، (**أو**) هو (**متعرض لها في نهاره**) فيما يستقبله (**فليستعد للاحتراز**) عنها (**والتباعد منها فينظر في اللسان ويقول: إنه متعرض للغيبة والكذب وتزكية النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والممازحة والخوض فيما لا يعني، إلى غير ذلك من المكاره، فيقرر أولاً في نفسه أنها مكروهة عند الله تعالى ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها**) وكثرة التوبيخ والعتاب على مرتكبيها ، (**ثم يتفكر في أحواله أنه كيف يتعرض لها من حيث لا يشعر ، ثم يتفكر أنه كيف يحترز منها ويعلم أنه لا يتم له ذلك إلا بالعزلة والانفراد عن الناس أو بأن لا يجالس إلا صالحاً تقياً**) ورعاً (**ينكر عليه مهما تكلم بما يكرهه الله تعالى، وإلا فيضع حجراً في فيه إذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكراً له**) كما كان الصديق رضي الله عنه يفعله. (**فهكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في سمعه أنه يصغي به إلى الغيبة والكذب وفضول الكلام وإلى اللهو والبدعة، وأن ذلك إنما يسمعه من زيد ومن عمرو، وأنه ينبغي أن يحترز منهم بالاعتزال**) عنهم وعدم مجالستهم، (**وبالنهي عن المنكر مهما سمع ذلك، ويتفكر في بطنه أنه إنما يعصي الله تعالى فيه بالأكل والشرب إما بكثرة الأكل من الحلال**) الصرف ، (**فإن ذلك مكروه عند الله تعالى ومقو للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله، وإما بأكل**

وإما بأكل الحرام أو الشبهة فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه ومكسبه وما مكسبه. ويتفكر في طريق الحلال ومداخله. ثم يتفكر في طريق الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام، ويقرر على نفسه أن العبادات كلها ضائعة مع أكل الحرام، وأن أكل الحلال هو أساس العبادات كلها، وأن الله تعالى لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر به. فهكذا يتفكر في أعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء فمهما حصل بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الأحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الأعضاء عنها.

وأما النوع الثاني: وهو الطاعات: فينظر أولاً في الفرائض المكتوبة عليه أنه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير أو كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل. ثم يرجع إلى عضو عضو، فيتفكر في الأفعال التي تتعلق بها مما يحبه الله تعالى فيقول مثلاً: إن العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والأرض عبرة، ولتستعمل في طاعة الله تعالى وتنظر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأنا قادر على أن أشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لا أفعله؟ وأنا قادر على أن أنظر إلى فلان المطيع بعين التعظيم فأدخل

الحرام أو الشبهة فينظر من أين مطعمه وملبسه ومسكنه، ويتفكر في طريق الحلال ومداخله، ثم يتفكر في طريق الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام، ويقرر على نفسه أن العبادات كلها ضائعة مع أكل الحرام، وأن أكل الحلال هو أساس العبادات كلها، وأن الله تعالى لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام كما ورد الخبر به). رواه أحمد من حديث ابن عمر بسند فيه مجهول وقد تقدم؛ (**فهكذا يتفكر في أعضائه ففي هذا القدر كفاية عن الاستقصاء، فمهما حصل بالتفكر حقيقة المعرفة بهذه الأحوال اشتغل بالمراقبة طول النهار حتى يحفظ الأعضاء عنها**).

(**وأما النوع الثاني: وهو الطاعات. فينظر أولاً في الفرائض المكتوبة عليه أنه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير**) فيها (**أو كيف يجبر نقصانها بكثرة النوافل**) إذ قد ورد أن جبران الفرائض يكون بالنوافل، (**ثم يرجع إلى**) الحواس الخمس فينظر ما عليها من فعل واجب وترك حرام مستحب ومكروه واقتصاد في مباح، وكذا كل (**عضو عضو فيتفكر في الأفعال التي تتعلق بها مما يحبه الله فيقول مثلاً: إن العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والأرض عبرة ولتستعمل في طاعة الله وتنظر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأنا قادر على أن أشغل العين بمطالعة القرآن والسنة، فلم لا أفعله وأنا قادر على أن أنظر إلى فلان المطيع بعين التعظيم فأدخل السرور على قلبه**) فيزيد في طاعته، (و) أن

السرور على قلبه وأنظر إلى فلان الفاسق بعين الازدراء فأزجره بذلك عن معصيته فلم لا أفعله؟ وكذلك يقول في سمعه: إني قادر على استماع كلام ملهوف أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة وذكر، فما لي أعطله وقد أنعم الله عليَّ به وأودعنيه لأشكره؟ فما لي أكفر نعمة الله فيه بتضييعه أو تعطيله؟ وكذلك يتفكر في اللسان ويقول: إني قادر على أن أتقرب إلى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد إلى قلوب أهل الصلاح وبالسؤال عن أحوال الفقراء وإدخال السرور على قلب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة، وكل كلمة طيبة فإنها صدقة. وكذلك يتفكر في ماله فيقول: أنا قادر على أن أتصدق بالمال الفلاني فإني مستغن عنه، ومهما احتجت إليه رزقني الله تعالى مثله، وإن كنت محتاجاً الآن فأنا إلى ثواب الإيثار أحوج مني إلى ذلك المال. وهكذا يفتش عن جميع أعضائه وجملة بدنه وأمواله، بل عن دوابه وغلمانه وأولاده، فإن كل ذلك أدواته وأسبابه، ويقدر على أن يطيع الله تعالى بها، فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها، ويتفكر فيما يرغبه في البدار إلى تلك الطاعات ويتفكر في إخلاص النية فيها ويطلب لها مظانّ الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات.

(**أنظر إلى فلان الفاسق بعين الازدراء**) أي الاحتقار (**فازجره بذلك عن معصيته فلم لا أفعله؟ وكذلك يقول في سمعه: إني فادر على استماع كلام ملهوف**) مضطر (**أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة وذكر فمالي أعطله وقد أنعم الله علي به وأودعنيه لأشكره فمالي أكفر نعمة الله فيه بتضييعه وتعطيله؟ وكذلك يتفكر في اللسان ويقول: إني قادر على أن أتقرب إلى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد إلى قلوب الصلاح**) أي الصالحين (**بالسؤال عن أحوال الفقراء وإدخال السرور على قلوب زيد الصالح وعمرو العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فإنها صدقة**)، فقد روى ابن المبارك في الزهد، وأحمد، وأبو الشيخ من حديث أبي هريرة «الكلمة الطيبة صدقة». (**وكذلك يتفكر في ماله فيقول: أنا قادر على أن أتصدق بالمال الفلاني فإني مستغنٍ عنه، ومهما احتجت إليه رزقني الله مثله وإن كنت محتاجاً**) إليه (**الآن فأنا إلى ثواب الإيثار**) على الغير (**أحوج مني إلى ذلك المال، وهكذا يفتش عن جميع أعضائه وجملة بدنه**) بل (**و**) عن (**أمواله**) التي يملكها (**بل عن دوابه**) المعدة للركوب أو خدمة البيت أو الذبح (**وغلمانه**) من مشترى أو مستأجر من الذكور والإناث (**وأولاده**) وزوجته، (**فإن كل ذلك أدواته وأسبابه**) وتحت أمره ونهيه، (**ويقدر على أن يطيع الله تعالى بها فيستنبط بدقيق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيما يرغبه**) وينشطه (**في البدار**) أي المسارعة (**إلى تلك الطاعات، ويتفكر في إخلاص النية**) وإمحاضها (**فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله**)، فبالنيات الخالصة تزكو الأعمال. (**وقس على هذا سائر الطاعات**) البدنية من الواجبات من زكاة وصيام وحج وجهاد.

وأما النوع الثالث: فهي الصفات المهلكة التي محلها القلب: فيعرفها مما ذكرناه في ربع المهلكات: وهي استيلاء الشهوة والغضب والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك، ويتفقد من قلبه هذه الصفات: فإن ظن أن قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه والاستشهاد بالعلامات عليه، فإن النفس أبداً تعد بالخير من نفسها وتخلف، فإذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي أن تجرب بحمل حزمة حطب في السوق، كما كان الأوّلون يجربون به أنفسهم. وإذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات. وهذا تفكر في أنه هل موصوف بالصفة المكروهة أم لا؟ ولذلك علامات ذكرناها في ربع المهلكات، فإذا دلت العلامة على وجودها فكر في الأسباب التي تقبح تلك الصفات عنده وتبين أن منشأها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة. كما لو رأى في نفسه عجباً بالعمل، فيتفكر ويقول إنما عملي ببدني وجارحتي وبقدرتي وإرادتي، وكل ذلك ليس مني ولا إليّ وإنما هو من خلق الله وفضله عليّ، فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي وإرادتي،

(**وأما النوع الثالث، فهي الصفات المهلكة التي محلها القلب فيعرفها مما ذكرناه في ربع المهلكات وهي: استيلاء الشهوة والغضب**) لغير الله تعالى (**والبخل والكبر والعجب والرياء والحسد وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك**) مما ذكر في ربع المهلكات، فإنها وأمثالها مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة، فهل يسمع بهذه عاقل ويستريب أن يكون الفكر فيها أو في أكثرها واجباً فرض عين. هذا على سبيل الإجمال. (**و**) أما التفصيل فإنه (**يتفقد من قلبه هذه الصفات فإن ظن أن قلبه منزه عنها فيتفكر في كيفية امتحانه**) واختباره (**والاستشهاد بالعلامات عليه فإن النفس أبداً**) من طبعها أنها (**تعد بالخير من نفسها وتخلف، فإذا ادعت التواضع والبراءة من الكبر فينبغي أن تجرب بحمل حزمة حطب في السوق**) ويمشي به إلى بيته (**كما كان الأولون يجربون به أنفسهم**). وقد نقل ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه حين كان متخلفاً بالمدينة وهو عند أبي نعيم في الحلية. (**وإذا ادعت الحلم تعرض لغضب يناله من غيره ثم يجربها في كظم الغيظ**) فانظر هل تثبت أم لا، (**وكذلك في سائر الصفات هذا تفكر في أنه هل هو موصوف بالصفة المكروهة أم لا، ولذلك علامات ذكرناها**) في ربع المهلكات فإذا دلت العلامة على وجودها فكر في الأسباب التي تقبح تلك الصفات وتبين أن منشأها من الجهل والغفلة وخبث الدخلة أي الباطن، (**كما لو رأى نفسه عجباً بالعمل فيتفكر ويقول: أنا عملي بيدي وجارحتي وبقدرتي وإرادتي، وكل ذلك ليس مني ولا إلي. وإنما هو من خلق الله وفضله علي فهو الذي خلقني وخلق جارحتي وخلق قدرتي**)

وهو الذي حرّك أعضائي بقدرته وكذلك قدرتي وإرادتي فكيف أعجب بعملي أو بنفسي ولا أقوم لنفسي بنفسي؟ فإذا أحس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها: لم ترين نفسك أكبر والكبير من هو عند الله كبير وذلك ينكشف بعد الموت. وكم من كافر في الحال يموت مقرباً إلى الله تعالى بنزوعه عن الكفر، وكم من مسلم يموت شقياً بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة. فإذا عرف أن الكبر مهلك وأن أصله الحماقة فيتفكر في علاج إزالة ذلك بأن يتعاطى أفعال المتواضعين. وإذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في أن هذه صفة البهائم، ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة، ولما اتصف به البهائم، ومهما كان الشره عليه أغلب كان بالبهائم أشبه وعن الملائكة المقرّبين أبعد، وكذلك يقرر على نفسه في الغضب، ثم يتفكر في طريق العلاج، وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب. فمن يريد أن يتسع له طريق الفكر فلا بدّ له من تحصيل ما في هذه الكتب.

وأما النوع الرابع: وهو المنجيات: فهو التوبة والندم على الذنوب، والصبر على البلاء، والشكر على النعماء، والخوف، والرجاء، والزهد في الدنيا والإخلاص، والصدق في الطاعات، ومحبة الله وتعظيمه والرضا بأفعاله والشوق إليه والخشوع والتواضع له.

وإرادتي، وهو الذي حرك أعضائي بقدرته وكذلك قدرتي وإرادتي، فكيف أعجب بعملي أو بنفسي ولا أقوم لنفسي بنفسي؟ فإذا أحس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة) وهي فساد جوهر العقل **(ويقول لها: لم ترين نفسك أكبر والكبير من هو عند الله كبير وذلك)** إنما **(ينكشف بعد الموت، وكم من كافر في الحال يموت مقرباً إلى الله بنزوعه عن الكفر، وكم من مسلم يموت شقياً بتغير حاله عند الموت بسوء الخاتمة)** عياذاً بالله منه، **(فإذا عرفت أن الكبر مهلك وأن أصله الحماقة فيتفكر في علاج إزالة ذلك بأن يتعاطى أفعال المتواضعين وإذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه)** أي الحرص عليه **(تفكر في أن هذه صفة البهائم، ولو كان في شهوة الطعام والوقاع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات الملائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم، ومهما كان الشره عليه أغلب كان بالبهائم أشبه وعن الملائكة المقربين أبعد، وكذلك يقرر على نفسه في الغضب ثم يتفكر في طريق العلاج. وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب)** في ربع المهلكات، **(فمن يريد أن يتسع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه الكتب.**

(وأما النوع الرابع: وهو المنجيات فهو التوبة والندم على الذنوب والصبر على البلاء والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهد في الدنيا والاخلاص والصدق في الطاعات ومحبة الله وتعظيمه والرضا بأفعاله والشوق إليه والخشوع والتواضع له)، وهذه كلها من

وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا أسبابه وعلاماته . فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة إلى الله تعالى ؟ فإذا افتقر إلى شيء منها فليعلم أنها أحوال لا يثمرها إلا علوم ، وأن العلوم لا يثمرها إلا أفكار . فإذا أراد أن يكتسب لنفسه أحوال التوبة والندم ، فليفتش ذنوبه أولاً وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه . ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيها وليتحقق عند نفسه أنه متعرض لمقت الله تعالى ، حتى ينبعث له حال الندم . وإذا أراد أن يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في إحسان الله إليه وأياديه عليه وفي إرساله جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر فليطالع ذلك ، وإذا أراد حال المحبة والشوق ؛ فليتفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعه كما سنشير إلى طرف منه في القسم الثاني من الفكر ، وإذا أراد حال الخوف فلينظر أولاً في ذنوبه الظاهرة والباطنة ، ثم لينظر في الموت وسكراته ، ثم فيما بعد من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه ، ثم في هول النداء عند نفخة الصور ، ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ، ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير ، ثم في الصراط ودقته وحدّته ، ثم في خطر الأمر عنده أنه

مقامات اليقين بعضها أصول وبعضها ثمرات. (**وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع**) في كتب مستقلة ، (**وذكرنا أسبابه وعلاماته، فليتفكر العبد كل يوم في قلبه ما الذي يعوزه من هذه الصفات التي هي المقربة إلى الله تعالى، فإذا افتقر إلى شيء منها فليعلم أنها أحوال لا تثمرها إلا علوم وأن العلوم لا تثمرها إلا أفكار ، فإذا أراد أن يكتسب لنفسه حال التوبة والندم فليفتش ذنوبه أولاً وليتفكر فيها وليجمعها على نفسه وليعظمها في قلبه، ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيها**) على الخصوص. (**وليحقق عند نفسه أنه متعرض لمقت الله**) وغضبه (**به حتى ينبعث له حال الندم، وإذا أراد أن يستثير من قلبه حال الشكر فلينظر في إحسان الله إليه وأياديه**) المتواترة (**عليه في إرسال جميل ستره عليه على ما شرحنا بعضه في كتاب الشكر ، وليطالع ذلك**) ليتسع فكره. (**وإذا أراد حال المحبة والشوق فليتفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعه، كما سنشير إلى طرف منه في القسم الثاني من الفكر ، فإذا أراد حال الخوف فلينظر أولاً في ذنوبه الظاهرة والباطنة، ثم لينظر في الموت وسكراته، ثم فيما بعده من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقاربه وديدانه، ثم في هول النداء عند نفخة الصور ، ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد، ثم في المناقشة في الحساب والمضايقة في النقير والقطمير وفي الصراط ورقته وحدته، ثم في خطر الأمر عنده أنه**) هل

يصرف إلى الشمال فيكون من أصحاب النار ، أو يصرف إلى اليمين فينزل دار القرار ، ثم ليحضر بعد أهوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وزقومها وصديدها ، وأنواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية الموكلين بها ، وأنهم كلما نضجت جلودهم بدّلوا جلوداً غيرها . وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ، وأنهم إذا رأوا من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً وهلم جرا ، إلى جميع ما ورد في القرآن من شرحها ، وإذا أراد أن يستجلب حال الرجاء . فلينظر إلى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم ، فهكذا طريق المفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب أحوال محبوبة أو التنزه عن صفات مذمومة ، وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الأحوال كتاباً مفرداً يستعان به على تفصيل الفكر ، أما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه أنفع من قراءة القرآن بالتفكر ، فإنه جامع لجميع المقامات والأحوال وفيه شفاء للعالمين ، وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الأحوال ، وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة ، فينبغي أن يقرأه العبد ويردد الآية التي هو محتاج إلى التفكر فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة! فقراءة آية بتفكر وفهم خير من ختمة بغير تدبر وفهم ، فليتوقف في التأمل فيها ولو ليلة

(يصرف إلى الشمال فيكون من أصحاب النار أو يصرف إلى اليمين فينزل دار القرار . ثم ليحضر بعد أهوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركاتها ومقامعها وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وزقومها وصديدها وأنواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية الموكلين بها ، وأنه كلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها ، وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ، وأنهم إذا رأوها من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً وهلم جرا ، إلى جميع ما ورد في القرآن من شرحها) ، فيتفكر فيها ويتأمل في معانيها . **(وإذا أراد أن يستجلب حال الرجاء ، فلينظر إلى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وحورها وولدانها ونعيمها المقيم وملكها الدائم ، فهكذا طريق الفكر الذي تطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب أحوال محبوبة أو التنزه عن صفات مذمومة ، وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الأحوال كتاباً مفرداً يستعان به على تفصيل الفكر . أما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه)** أجع ولا **(أنفع من قراءة القرآن بالتفكر فإنه جامع لجميع المقامات والأحوال)** وهو الترياق الأكبر . **(وفيه شفاء للعالمين)** ورحمة للمؤمنين ، **(وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الأحوال)** المذكورة ، **(وفيه ما يزجر عن سائر الصفات المذمومة فينبغي أن يقرأه العبد ويردد الآية التي هو محتاج إلى التفكر فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة)** حتى يعثر على مقصوده منها ، ومتى دام العبد على ذلك ظهر قلبه وغزر علمه **(فقراءة آية بتفكر**

واحدة، فإن تحت كل كلمة منها أسرار لا تنحصر ولا يوقف عليها إلا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة. وكذلك مطالعة أخبار رسول الله ﷺ فإنه قد أوتي جوامع الكلم، وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة، ولو تأملها العالم حق التأمل لم ينقطع فيها نظره طول عمره. وشرح آحاد الآيات والأخبار يطول فانظر إلى قوله ﷺ: « إن روح القدس نفث في روعي: أحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به » فإن هذه الكلمات جامعة حكم الأولين والآخرين وهي كافية للمتأملين فيها طول العمر، إذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحال ذلك بينهم وبين التلفت إلى الدنيا بالكلية. فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله تعالى أو مكروهة. والمبتدىء ينبغي أن يكون مستغرق الوقت في هذه الأفكار حتى يعمر قلبه بالأخلاق المحمودة، والمقامات الشريفة وينزه باطنه وظاهره عن المكاره، وليعلم أن هذا مع أنه أفضل من سائر العبادات فليس هو غاية المطلب، بل المشغول به

وفهم خير من ختمة) كاملة **(بغير تدبر وفهم)**، فقد روى الدارقطني في الإفراد من حديث ابن عمر بسند ضعيف. « لا قراءة إلا بتدبر ولا عبادة إلا بفقه ومجلس فقه خير من عبادة ستين سنة ». **(وليتوقف في التأمل فيها ولو ليلة واحدة)** كما نقل ذلك عن جماعة من السلف، **(فإن تحت كل كلمة منها أسراراً لا تنحصر ولا يوقف عليها إلا بدقيق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق المعاملة)** بينه وبين الله تعالى، وعجائب القرآن لا تحصى وقد مرت الإشارة إلى طرف من ذلك في كتاب ترتيب الأوراد، **(وكذلك مطالعة أخبار رسول الله ﷺ فإنه قد أوتي جوامع الكلم)** كما ورد به الخبر، **(وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة لو تأملها العالم)** البصير **(حق التأمل لم ينقطع فيها نظره طول عمره، وشرح آحاد الآيات والأخبار يطول فانظر إلى قوله ﷺ « إن روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به »)** تقدم قريباً، وفي كتاب الفقه وفي كتاب العلم، **(فإن هذه الكلمات جامعة حكم الأولين والآخرين وهي كافية للمتأملين فيها طول العمر إذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين)** مع فراغها من شغل آخر **(لاستغرقتهم، ولحال ذلك بينهم وبين التلفت إلى الدنيا بالكلية، فهذا هو طريق الفكر في علوم المعاملة وصفات العبد من حيث محبوبة عند الله أو مكروهة والمبتدىء)** في السلوك **(ينبغي أن يكون مستغرق الوقت في هذه الأفكار حتى يعمر قلبه بالأخلاق المحمودة والمقامات الشريفة)** والأحوال المنيفة **(وينزه باطنه وظاهره عن المكاره)** والأخلاق السيئة، **(وليعلم أن هذا مع أنه أفضل من سائر العبادات)** إذ عريت عنه

محجوب عن مطلب الصدّيقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله تعالى، وجماله واستغراق القلب بحيث يفنى عن نفسه، أي ينسى نفسه وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق الهم بالمحبوب؛ كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فإنه لا يتفرّغ للنظر في أحوال نفسه وأوصافها، بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه وهو منتهى لذة العشاق. فأما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال، فإذا ضيع جميع عمره في إصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب؟ ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور وقال: فيم أنت؟ قال: أدور في البوادي أصلح حالي في التوكل، فقال الحسين: أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد؟ فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصدّيقين. وأما التنزه عن الصفات المهلكات فيجري مجرى الخروج عن العدّة في النكاح. وأما الاتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات فيجري مجرى تهيئة المرأة جهازها وتنظيفها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك للقاء زوجها، فإن استغرقت جميع عمرها في تبرئة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجاباً لها عن لقاء

(**فليس هو غاية المطلب**) للسالكين ولا هو الحد الذي يقفون عليه، (**بل المشغول به محجوب عن مطلب الصديقين وهو التنعم بالفكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب**) فيه (**بحيث يفنى عن نفسه أي ينسى نفسه وأحواله ومقاماته صفاته، فيكون مستغرق الهم بالمحبوب كالعاشق المستهتر عند لقاء الحبيب فإنه لا يتفرغ للنظر في أحوال نفسه وأوصافها بل يبقى كالمبهوت الغافل عن نفسه**) لا يحس بنفسه أصلاً (**وهو منتهى لذة العشاق**) الصادقين. (**فأما ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال، فإذا ضيع جميع عمره في إصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب، ولذلك كان**) إبراهيم بن أحمد (**الخواص**) رحمه الله تعالى (**يدور في البوادي**) المتقطعة على قدم التوكل ويقاسي فيها أهوالاً من نفسه ومن الجن، (**فلقيه**) أبو المغيث (**الحسين بن منصور**) الحلاج رحمه الله تعالى (**وقال**) له: (**فيم أنت**) وكيف سلوكك؟ (**قال: أدور في البوادي أصلح حالي في التوكل. فقال: أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين**) أنت عن (**الفناء في التوحيد**)؟ رواه القشيري في الرسالة وتقدم في كتاب التوكل. وقال: وكان الحلاج طالبه بالمقام الثالث من التوكل. (**فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين**) وما بعده مرقى للسالكين، (**وأما التنزه عن الصفات المهلكات**) فإنه (**يجري مجرى الخروج عن العدة في النكاح، وأما الإتصاف بالصفات المنجيات وسائر الطاعات**) فإنه (**يجري مجرى تهيئة المرأة جهازها**) أي اسبابها من لبس وفرش وغير ذلك (**وتنظيفها وجهها**) بالتخفيف (**ومشطها شعرها**) واستعمالها الطيب (**لتصلح بذلك للقاء زوجها**) وتقع من قلبه موقع المحبة والإعجاب، (**فإن استغرقت**) هي (**جميع عمرها في تبرئة الرحم وتزيين الوجه**) وإحضار الملابس (**كان**) ذلك (**حجاباً**

المحبوب. فهكذا ينبغي أن تفهم طريق الدين إن كنت من أهل المجالسة، وإن كنت كالعبد السوء لا يتحرك إلا خوفاً من الضرب وطمعاً في الأجرة فدونك وإتعاب البدن بالأعمال الظاهرة، فإن بينك وبين القلب حجاباً كثيفاً، فإذا قضيت حق الأعمال كنت من أهل الجنة ولكن للمجالسة أقوام آخرون. وإذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه، فينبغي أن تتخذ ذلك عادتك وديدنك صباحاً ومساءً، فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى وأحوالك المقرّبة إليه سبحانه وتعالى، بل كل مريد فينبغي أن يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات المهلكات وجملة الصفات المنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ويكفيه من المهلكات النظر في عشرة فإنه إن سلم منها سلم من غيرها وهي: البخل والكبر، والعجب، والرياء، والحسد، وشدّة الغضب، وشره الطعام، وشره الوقاع، وحب المال وحب الجاه، ومن المنجيات عشرة: الندم على الذنوب، والصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر على النعماء، واعتدال الخوف والرجاء، والزهد في الدنيا، والإخلاص في الأعمال، وحسن

لها عن لقاء المحبوب؛ **فهكذا ينبغي أن تفهم طريق الدين إن كنت من أهل المجالسة)** والمؤانسة، (**وإن كنت كالعبد السوء**) والأجير السوء (**لا يتحرك إلا خوفاً من الضرب وطمعاً في الأجرة**) فإن لم يخف أو لم يطمع في الأجرة لم يتحرك، (**فدونك وإتعاب البدن**) وارتكاب المشقة (**بالأعمال الظاهرة**) من قيام وصلاة وقراءة وصيام وجهاد وغير ذلك، (**فإن بينك وبين القلب حجاباً كثيفاً فإذا قضيت حق الأعمال كنت من أهل الجنة ولكن للمجالسة أقوام آخرون**) اصطفاهم الله لذلك، (**وإذا عرفت مجال الفكر في علوم المعاملة التي بين العبد وبين ربه فينبغي أن تتخذ ذلك عادتك وديدنك صباحاً ومساء فلا تغفل عن نفسك وعن صفاتك المبعدة من الله تعالى وأحوالك المقربة إليه سبحانه وتعالى، بل كل مريد**) لطريق السلوك (**فينبغي أن تكون له جريدة**) وهي الدفتر المتخذ للحساب (**يثبت فيها جملة الصفات المهلكات، وجملة الصفات والمنجيات، وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم**) ويحاسبها بها ويدقق عليها، وهكذا كانت أحوال السلف من الأولياء الكرام كما نقل ذلك الشيخ محي الدين بن العربي ـ قدس سره عن مشايخه وقد تقدم نقله في كتاب المحاسبة. (**ويكفيه من المهلكات النظر في عشر**) صفات (**فإنه إن سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والحسد وشدة الغضب**) لغير الله تعالى (**وشره الطعام وشره الوقاع وحب المال وحب الجاه**)، فإن هذه العشرة أصول وما عدا ذلك يتفرع منها. (**ومن المنجيات عشر**) صفات: (**الندم على الذنوب، والصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر على النعماء، واعتدال الخوف والرجاء، والزهد في الدنيا، والإخلاص**

الخلق مع الخلق، وحب الله تعالى، والخشوع له. فهذه عشرون خصلة عشر مذمومة، وعشر محمودة فمهما كفى من المذمومات واحدة فيخط عليها في جريدته، ويدع الفكر فيها، ويشكر الله تعالى على كفايته إياها وتنزيه قلبه عنها، ويعلم أنه ذلك لم يتم إلا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله إلى نفسه لم يقدر على محو أقل الرذائل عن نفسه، فيقبل على التسعة الباقية، وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع، وكذلك يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات، فإذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلاً خط عليها واشتغل بالباقي، وهذا يحتاج إليه المريد المشمر. وأما أكثر الناس من المعدودين من الصالحين فينبغي أن يثبتوا في جرائدهم المعاصي الظاهرة؛ كأكل الشبهة وإطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس، والإفراط في معاداة الأعداء وموالاة الأولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن أكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه، وما لم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره. بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية، فينبغي أن يكون تفقدهم لها وتفكرهم فيها لا في معاصٍ

في الأعمال، وحسن الخلق مع الخلق، وحب الله تعالى والخشوع له)؛ فهذه العشرة كذلك أصول وما عدا ذلك يتفرع منها، (**فهذه عشرون خصلة عشر مذمومة وعشر محمودة، فمهما كفى من المذمومات واحدة فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته إياها وتنزيه قلبه عنها، ويعلم أن ذلك لم يتم إلا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله إلى نفسه لم يقدر على محو أقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية، وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع، وكذا يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات، فإذا اتصف بواحدة منها كالتوبة والندم مثلاً خط عليها واشتغل بالباقي، وهذا يحتاج إليه المريد المشمر، وأما أكثر الناس من المعدودين في زمرة الصالحين**) والمتسمين بظاهر الفضل، (**فينبغي أن يثبتوا في جرائدهم المعاصي الظاهرة كأكل الشبهة وإطلاق اللسان بالغيبة والنميمة والمراء والثناء على النفس والإفراط في معاداة الأعداء وموالاة الأولياء والمداهنة مع الخلق في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**) وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والتنافس والاستكبار عن الحق وحب كثرة الكلام والخوض فيما لا يعني وشدة الانتصار للنفس إذا نالها ذل والأنس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم؛ فهذه وأمثالها معاص ظاهرة وهي مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة، (**فإن أكثر من يعد نفسه من وجوه الصالحين لا ينفك عن جملة من هذه المعاصي في جوارحه وما لم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بعمارة القلب وتطهيره، بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية**) خاص، (**فينبغي أن يكون تفقدهم لها**

هم بمعزل عنها مثاله: العالم الورع، فإنه لا يخلو في غالب الأمر عن إظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة وانتشار الصيت إما بالتدريس أو بالوعظ، ومن فعل ذلك تصدّى لفتنة عظيمة لا ينجـو منها إلا الصدّيقون، فإنه إن كان كلامه مقبولاً حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الإعجاب والخيلاء والتزين والتصنع، وذلك من المهلكات وإنّ رد كلامه لم يخل عن غيظ وأنفة وحقد على من يرده، وهو أكثر من غيظه على من يرد كلام غيره، وقد يلبس الشيطان عليه ويقول: إنّ غيظك من حيث أنه رد الحق وأنكره، فإن وجد تفرقة بين أن يرد عليه كلامه أو يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان، ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد أو الإعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفـظ والإيـراد، حـرصـاً على استجلاب الثنـاء والله لا يحب المتكلفين، والشيطان قد يلبس عليه ويقول: إنما حرصك على تحسين الألفاظ والتكلف فيها لينتشر الحق ويحسن موقعه في القلب اعلاء لدين الله. فإن كان فرحه بحسن ألفاظه وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه فهو مخدوع، وإنما يدورون حول طلب الجاه وهو يظن أن مطلبه الدين! ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك، حتى يكون للموقر له المعتقد لفضله أكثر احتراماً ويكون بلقائه

وتفكرهم فيها لا في معاص هم بمعزل عنها مثاله العالم الورع فإنه لا يخلو في غالب الأمر عن إظهار نفسه بالعلم وطلب الشهرة) بين النـاس **(وانتشـار الصيـت إمـا بـالتـدريس أو بـالـوعـظ)** والتـذكير، **(ومـن فعـل ذلـك تصـدى لفتنـة عظيمـة لا ينجـو منهـا إلا الصديقون فإنه إن كان كلامه مقبولاً حسن الوقع في القلوب لم ينفك عن الإعجاب والخيلاء والتزين والتصنع وذلك من المهلكات)** كما تقدم بيان ذلك في مواضعه، **(وإن رد كلامه لم يخل عن غيظ)** وحنق **(وأنفة وحقد على من يرده هو أكثر من غيظه على من يرد كلام غيره، وقد يلبس الشيطان عليه ويقول: إن غيظك من حيـث أنـه رد الحق وأنكره فإن وجد تفرقة بين أن يرد عليه كلامه أو يرد على عالم آخر فهو مغرور وضحكة للشيطان، ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستنكاف من الرد والإعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والإيراد حرصاً على استجلاب الثناء والله لا يحب المتكلفين، والشيطان قد يلبس عليه ويقول: إنما حرصك على تحسين الألفاظ والتكلف فيها لينتشر فيها الحق ويحسن موقعه في القلب إعلاء لدين الله)** وجمعاً للناس على كلمة الحق، **(فإن كان فرحه بحسن ألفاظه وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه فهو مخدوع، وإنما يدندن حول طلب الجاه وهو يظن أن مطلبه الدين ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون للموقر له المعتقد لفضله أكثر**

أشدّ فرحاً واستبشاراً ممن يغلو في موالاة غيره، وإن كان ذلك الغير مستحقاً للموالاة، وربما ينتهي الأمر بأهل العلم إلى أن يتغايروا تغاير النساء، فيشق على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره وإن كان يعلم أنه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه، وكل ذلك رشح الصفات المهلكات المستكنة في سر القلب التي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها، وإنما ينكشف ذلك بهذه العلامات، فتنة العالم عظيمة وهو إما مالك وإما هالك، ولا مطمع له في سلامة العوام. فمن أحس في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه العزلة والانفراد وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل. فقد كان المسجد يحوي في زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم جمعاً من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم مفتون، وكانوا يتدافعون الفتوى. وكل من كان يفتي كان يود أن يكفيه غيره. وعند هذا ينبغي أن يتقي شياطين الإنس إذا قالوا لا تفعل هذا، فإن هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق، وليقل لهم: إن دين الإسلام مستغن عني، فإنه قد كان معموراً قبلي وكذلك يكون بعدي، ولو مت لم تنهدم أركان الإسلام فإن الدين مستغن عني وأنا فلست مستغنياً عن إصلاح قلبي. وأما أداء ذلك إلى اندراس العلم فخيال يدل على غاية الجهل،

احتراماً ويكون بلقائه أشد فرحاً واستبشاراً ممن يغلو في موالاة غيره، وإن كان ذلك الغير مستحقاً للموالاة، وربما ينتهي الأمر بأهل العلم إلى أن يتغايروا تغاير النساء) أو تغاير التيوس في الزريبة كما ورد بذلك الخبر، **(فيشق على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره وإن كان يعلم أنه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه، وكل هذا رشح الصفات المهلكات المستكنة في سر القلب)** أي باطنه **(التي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها، وإنما ينكشف ذلك بهذه العلامات ففتنة العالم عظيمة وهو إما مالك وإما هالك)** والهلاك أكثر **(ولا مطمع له في سلامة العوام)** فإن العوام قد يعذرون بخلاف العالم، **(فمن أحس في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه العزلة)** عن الناس **(والانفراد وطلب الخمول والمدافعة للفتاوى مهما سئل، فقد كان المسجد)** النبوي **(يحوي في زمن الصحابة رضي الله عنهم)** جمعاً **(من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم مفتون وكانوا)** مع ذلك **(يتدافعون الفتوى)** يدفعه أحدهم إلى صاحبه، **(وكل من كان يفتي كان يود أن يكفيه غيره)** هذا المهم نقله صاحب القوت وتقدم في كتاب العلم، **(وعند هذا ينبغي أن يتقي شياطين الأنس)** فضررهم أشد من ضرر شياطين الجن وليحذر منهم، **(إذا قالوا)** لك: **(لا تفعل هذا فإن هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق، وليقل لهم: إن دين الإسلام مستغن عني فإنه قد كان معموراً قبلي، وكذلك يكون بعدي ولو مت لم تنهدم أركان الإسلام فإن الدين مستغن عني، وأنا فلست مستغنياً عن إصلاح قلبي، وأما أداء ذلك إلى اندراس العلم**

فإن الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار على طلب العلم لكان حب الرئاسة والعلـو يحملهـم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم. فالعلم لا يندرس ما دام الشيطان يحبب إلى الخلق الرئاسة، والشيطان لا يفتر عن عمله إلى يوم القيامة. بل ينتهض لنشر العلم أقوام لا نصيب لهم في الآخرة كما قال رسول الله ﷺ: «إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم»، «وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» فلا ينبغي أن يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربّى في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فإن ذلك بذر النفاق. قال ﷺ: «حب الجاه والمال ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»، وقال ﷺ: «ما

فخيال يدل على غاية الجهل فإن الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالنار عن طلب العلم) لما امتنعوا من ذلك، و **(لكان حب الرئاسة والعلو يحملهم على كسر القيود وهدم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم)** لا محالة، **(فالعلم لا يندرس مادام الشيطان يحبب إلى الخلق الرئاسة)** ويزينها لهم، **(والشيطان لا يفتر عن عمله إلى يوم القيامة بل ينتهض لنشر العلم أقوام لا نصيب لهم في الآخرة)** ولا خلاق، **(كما قال ﷺ «إن الله)** عز وجل **(يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم»)** أي يقويه وينصره، والمراد بالدين دين الإسلام والمراد بالأقوام إما الكفار وإما المنافقون وإما الفجار، وهذا يحتمل أنه أراد به رجالاً في زمنه كانوا كذلك، ويحتمل أنه أخبر بما سيكون فيكون من المعجزات والأقرب الثاني لأن العبرة بعموم اللفظ. والحديث رواه النسائي وابن حبان والطبراني في الأوسط والضياء من حديث أنس، ورواه أحمد والطبراني في الكبير من حديث أبي بكر، ورواه البزار من حديث كعب ابن مالك، ورواه ابن النجار من حديث كعب بن مالك بلفظ «إن الله ليؤيد الدين بقوم لا خلاق لهم» وقد تقدم. وروى الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن عمرو وبلفـظ: «إن الله عـز وجـل ليؤيد الإسلام برجال ما هم من أهله». **(و)** قال ﷺ: **(«إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»)** رواه الطبراني في الكبير من حديث عمرو بن النعمان بن مقرن بلفظ «ليؤيد الدين» ورواه البخاري في القدر وفي غزوة خيبر من حديث أبي هريرة «إن الله يـؤيـد هـذا الديـن» ورواه الترمذي في العلل من حديث أنس. واللام للعد أو للجنس وقد تقدم. **(فلا ينبغي أن يغتر العالم بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب المال والثناء والتعظيم، فإن ذلك بذر النفاق. قال ﷺ «حب الجاه والمال ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»)** رواه أبو نعيم والديلمي من حديث أبي هريرة بلفظ «حب الغنى ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب» وقد تقدم الكلام عليه في كتاب السماع وفي كتاب ذم الجاه وذم المال. وروى الديلمي من حديث ابن عباس «حب الثناء من الناس يعمي ويصم». **(وقال ﷺ «ما**

ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر إفساداً فيها من حب الجاه والمال في دين المرء المسلم » . ولا ينقلع حب الجاه من القلب إلا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم . فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها ، وهذه وظيفة العالم المتقي فأما أمثالنا فينبغي أن يكون تفكرنا فيما يقوّي إيماننا بيوم الحساب، إذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعاً : إن هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب ، فما أعمالنا أعمال من يؤمن بالجنة والنار ! فإن من خاف شيئاً هرب منه ومن رجا شيئاً طلبه ، وقد علمنا أن الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وبترك المعاصي ونحن منهمكون فيها ، وإن طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرائض منها . فلم يحصل لنا من ثمرة العلم إلا أنه يقتدى بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ، ويقال : لو كان هذا مذموماً لكان العلماء أحق وأولى

ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر إفساداً فيها من حب الجاه والمال في دين المرء المسلم ») رواه الطبراني في الصغير ، والضياء من حديث أسامة بن زيد بلفظ « ما ذئبان ضاريان باتا في حظيرة فيها غنم يفترسان ويأكلان بأسرع فساداً من طلب المال والشرف في دين المسلم » . وقد تقدم الكلام عليه في كتاب ذم الجاه . (**ولا ينقلع حب الجاه من القلب إلا بالاعتزال عن الناس والهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم ، فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها**) فإن هذا هو الأهم ، (**فأما أمثالنا**) من ضعفاء الإيمان فينبغي (**أن يكون**) دائماً (**تفكرنا فيما يقوي إيماننا بيوم الحساب**) وهو يوم القيامة الذي تجازى فيه كل نفس بما عملت ، (**إذ لو**) فرض أن (**رآنا السلف الصالحون**) ورأوا أحوالنا وما نحن عليه من الغفلة والتكالب (**لقالوا قطعاً : إن هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب**) كما روي ذلك بعض السلف ، (**فما أعمالنا من يؤمن بالجنة والنار فإن من خاف شيئاً هرب منه ومن رجا شيئاً طلبه**) روي ذلك من قول أبي سليمان الداراني ، ومعناه في الحديث المرفوع عن أنس « من خاف شيئاً حذره ومن رجا شيئاً عمل له ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية » . رواه الديلمي ، وروى الترمذي من حديث أبي هريرة « من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل » . (**وقد علمنا أن الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وبترك المعاصي**) الظاهرة والباطنة ، (**ونحن منهمكون فيها**) فكيف يتصور المهرب (**وأن طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات**) الزائدة عن الفرائض ، (**ونحن مقصرون في الفرائض منها**) وقد روي من حديث علي رضي الله عنه : « من اشتاق إلى الجنة سابق إلى الخيرات ، ومن اشفق من النار لها عن الشهوات ، ومن ترقب الموت صبر عن اللذات ، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات » رواه البيهقي وقد تقدم . فهذه علامات الخائف والراجي والمترقب والزاهد . (**فلم يحصل لنا من ثمرة العلم إلا أنه يقتدى بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها**) في جمعها

باجتنابه منا . فليتنا كنا كالعوام وإذا متنا ماتت معنا ذنوبنا ، فما أعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا . فنسأل الله تعالى أن يصلحنا ويصلح بنا ويوفقنا للتوبة قبل أن يتوفّانا إنه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا .

فهذه مجاري أفكار العلماء والصالحين في علم المعاملة ، فإن فرغوا منها انقطع التفاتهم عن أنفسهم وارتقوا منها إلى التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ، ولا يتم ذلك إلا بعد الانفكاك من جميع المهلكات والاتصاف بجميع المنجيات . وإن ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولاً معلولاً مكدراً مقطوعاً ، وكان ضعيفاً كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ، ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ولكن تحت ثيابه حيات وعقارب تلدغه مرة بعد أخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة ، ولا طريق له في كمال التنعم إلا بإخراج العقارب والحيات من ثيابه . وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوّشات ، وفي القبر يزيد ألم لدغها على لدغ العقارب والحيات . فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه تعالى .

من حيث لا يحل وإنفاقها في غير مواضعها . (**ويقال : لو كان هذا مذموماً لكان العلماء أحق وأولى باجتنابه منا ، فليتنا كنا كالعوام إذا متنا ماتت معنا ذنوبنا**) ، وقد نقل صاحب القوت عن بعض السلف : طوبى لمن مات وماتت ذنوبه معه . (**فما أعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا**) حق التفكر ، (**فنسأل الله تعالى أن يصلحنا**) في أنفسنا (**و**) أن (**يصلح بنا**) غيرنا ممن اقتدى بنا (**و**) أن (**يوفقنا**) أجمعين (**للتوبة**) الناصحة والإنابة الواضحة (**قبل أن يتوفانا إنه الكريم اللطيف بنا المنعم علينا**) والمجيب لدعائنا .

(**فهذه مجاري أفكار العلماء**) الورعين و (**الصالحين**) من عباده (**في علم المعاملة**) من معرفة النفس ومعرفة العبادات ، (**فإن فرغوا منها**) وما أعز ذلك وما أبعده (**انقطع التفاتهم عن أنفسهم وارتقوا منها إلى التفكر في جلال الله وعظمته والتنعم بمشاهدته بعين القلب ، ولا يتم ذلك إلا بعد الانفكاك من جميع المهلكات**) وهي التخلية (**والاتصاف بجميع المنجيات**) وهي التحلية ، (**وإن ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولاً معلوماً مكدراً مقطوعاً وكان ضعيفاً كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ، ولكن تحت ثيابه عقارب تلدغه مرة بعد أخرى فتنغص عليه لذة المشاهدة**) وتكدرها عليه ، (**ولا طريق له في إكمال التنعم إلا بإخراج العقارب والحيات من ثيابه ، وهذه الصفات المذمومة**) التي أمرنا بالتخلي عنها (**عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوشات**) فلا يمكن مع وجودها إكمال التنعم بالمشاهدات (**وفي القبر يزيد ألم لدغها على لدغ العقارب**) والحيات ، (**فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة ، والمكروهة عند ربه**

القسم الثاني: الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان:

المقام الأعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني أسمائه، وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله تعالى ولا تتفكروا في ذات الله، وذلك لأن العقول تتحير فيه فلا يطيق مدّ البصر إليه، إلا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر. بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش بالإضافة إلى نور الشمس فإنه لا يطيقه البتة، بل يختفي نهاراً وإنما يتردد ليلاً ينظر في بقية نور الشمس إذا وقع

تعالى) والله الموفق. ولما فرغ من بيان الفكر في معرفة نفس العبد في بيان الفكر في معرفة المعبود فقال:

القسم الثاني: الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه وفيه مقامان

(المقام الأول: وهو الأعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني أسمائه) وهذه المعرفة تشتمل على علم ما يجب ويستحيل وما يجوز فعله وجملة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، فللفكر في الوجود وفي كيفية التخلق بكل واحد منها على حسب الإمكان مجال رحب، **(وهذا مما منع منه حيث قيل: «تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله»)** رواه ابن النجار والرافعي من حديث أبي هريرة بلفظ «ولا تتفكروا في الله» وقد تقدم قريباً، **(وذلك لأن العقول تتحير فيه)** وهذا يؤخذ منه قول من ذهب إلى أن اسم الله مشتق وأنه من أله يأله إذا تحير إشارة إلى حيرة عقول أولي الألباب في مبادي سبحات جلاله وسطوات إشراق أنوار كبريائه، وإن كان هذا خلاف ما عليه المصنف فإنه يقول لعلميته لا غير، **(فلا يطيق مد البصر إليه إلا الصديقون)** وليس لهم من الذات إلا الدهشة فهم يترددون بين اليأس والطمع إن نظروا إلى هيبة جلاله أيسوا، وإن نظروا إلى أنس جماله طمعوا، ولولا أنس الجمال لتقطعت أوصال العارفين دهشة، ولولا طمع الوصال لذابت قلوب المحبين حسرة. **(ثم لا يطيقون دوام النظر بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش بالإضافة إلى نور الشمس فإنه لا يطيقه البتة بل يختفي نهاراً)** لئلا يقابله نور الشمس فيسقط مغشياً عليه. قال صاحب كشف الأسرار في اشارة الخفاش، وقد قيل: أراك إذا طلعت الشمس وقعت في العشا ولا تزال كذلك إلى العشا فتعمى بما يستضيء به الناس وهذا ضد القياس. وقال ابن الوردي في إشارته: أنا من أهل الخلوات والليل، أنا على ضعفي كجلمود صخر حطه السيل، أنا بالنهار أحتجب ورائي العزلة مما تحب وبالليل أكشف الغطا إن ناشئة الليل هي أشد وطأ، وإذا طلعت الشمس حكمت على عيني بالطمس وأخذتني الغيرة أن أشاهد غيره فاطبق من عين الشمس عيني وأفنى عن أينها أيني **(وإنما يتردد ليلاً لينظر في بقية نور الشمس إذا وقع على الأرض)** وهو الوقت الذي لا يكون فيه ضوء ولا ظلمة وهو قريب غروب الشمس وهو وقت هيجان البعوض، والبعوض يخرج

على الأرض. وأحوال الصدّيقين كحال الإنسان في النظر إلى الشمس فإنه يقدر على النظر إليها ولا يطيق دوامه، ويخشى على بصره لو أدام النظر، ونظره المختطف إليها يورث العمش ويفرق البصر، وكذلك النظر إلى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش

في ذلك الوقت يطلب قوته وهو دماء الحيوان، والخفاش يطلب الطعم فيقع طالب رزق على طالب رزق. **(وأحوال الصديقين كحال الإنسان في النظر إلى الشمس فإنه يقدر على النظر إليها ولا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو أدام النظر، ونظره المختطف إليها يورث العمش ويفرق البصر) كما هو مشاهد، ولقد حكى لي من أثق به أنه نظر مرة إلى قرص الشمس وحدق فيه بصره ليحيط بقدر المكسوف منه فما زال يشتكي ضعف بصره، (وكذلك النظر إلى الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل)**.

وقال الشيخ الأكبر قدس سره في حقائق الأسماء بعد أن نقل وجوه الاشتقاق في اسم الجلالة إلى أن قال وقيل: هو مشتق من الالهة وهي العبادة، وقيل: من لاه يليه إذا ارتفع، وقيل من أله يأله إذا تحير، ثم قال: وهذا الوجه هو مركز دائرة الوجوه كلها لما اختص هذا الاسم من الأحوال بالحيرة والعبادة والرفعة وهي التنزيه وهو رفعته عن التشبيه بخلقه والتنزيه يؤدي إلى الحيرة لأن غاية التنزيه إثبات النسب وهي الصفات الكمالية التي يتوقف عليها وجود أعيان المظاهر، فإن قال القائل: إن النسب أمور وجودية زائدة على ذاته تعالى، فقد صرح أنه لا كمال بالذات إلا وأن ذاته تعالى كان ناقصاً قبل ظهورها كاملاً بالزائد الوجودي، وإن قال ما هي هو ولا وجود لها وإنما هي نسب والنسب أمور عدمية، فقد جعل للمعدوم أثراً في الوجود، وإن قال: ما هي هو ولا غيره كان قولاً بلا روح وكلاماً لا معنى له يدل على نقص عقل القائل، وإن سكت الناظر ولم يقل شيئاً فقد عطل القوة النظرية، فإذا عجز العقل عن الوصول إلى العلم بشيء من هذه الأسرار لم يبق الطريق إلا الرجوع إلى الشرع، ولا تقبل أحكام الشرع إلا بالعقل لأنه الأصل وقد عجز، والناظر عن معرفة الفرع وثبوته أعجز فإن تعامى عن النظر وقبل قول الشارع إيماناً لأمر ضروري لا يقدر على دفعه لا بد له أن يسمع الشارع أن ينسب إلى الحق أموراً تقدح فيها الأدلة النظرية وتحتاج إلى تأويل فإن تأويله ليرده إلى النظر العقلي فهو عائد إلى عقله وجاعل وجود الحق سبحانه على جوده، وثبت أن الله تعالى لا يدرك بالقياس فهذا غاية تنزيه المنزه وقد أداه إلى الحيرة وصارت الحيرة مركزاً ينتهي إليها النظر العقلي والشرعي، وكذلك العبادة وهي التي كلف بها والتكليف لا يكون إلا على من له الاقتدار على ما كلف به وأمر من الأفعال وإمساك النفس عن ارتكاب ما نهى عنه، والأفعال منفية عن المخلوق بقوله ﴿والله خلقكم وما تعلمون﴾ [الصافات: ٩٦] والشيء لا يكلف نفسه ثم لا يخفى أن الحق تعالى كبرياؤه خاطب عباده فأمرهم ونهاهم، ولا بد من محل يقبل الخطاب فأثبت الأفعال للمخلوق من هذا الوجه تقتضي قابليته، فنفى من وجه وأثبت من وجه والنفي والإثبات متقابلان فرماه أيضاً في الحيرة، فدرجات علوم العلماء بالله تدور على مركز الحيرة، ولهذا كان بعض العارفين يقول: يا حيرة يا دهشة يا حرف لا يقرأ انتهى.

واضطراب العقل. فالصواب إذاً أن لا يتعرّض لمجاري الفكر في ذات الله سبحانه وصفاته، فإن أكثر العقول لا تحتمله، بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو: أن الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الأقطار والجهات وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه، قد حير عقول أقوام حتى أنكروه إذا لم يطيقوا سماعه ومعرفته. بل ضعفت طائفة عن احتمال أقل من هذا إذ قيل لهم: إنه يتعاظم ويتعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو، وأن يكون جسماً مشخصاً له مقدار وحجم. فأنكروا هذا وظنوا أن ذلك قدح في عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحمقى من العوام: إن هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الإلـه! لظن المسكين أن الجلالة والعظمة في هذه الأعضاء. وهذا لأن الإنسان لا يعرف إلا نفسه فلا يستعظم إلا نفسه. فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه، نعم غايته أن يقدر نفسه جميل الصورة جالساً على سريره وبين يده غلمان يمتثلون أمره، فلا جرم غايته أن يقدّر ذلكَ في حق الله تعالى وتقدّس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لأنكر ذلك وقال: كيف يكون خالقي أنقص مني؟ أفيكون مقصوص الجناح أو يكون زمناً لا يقدر على الطيران؟ أو

(**فالصواب إذاً أن لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله تعالى وصفاته، فإن أكثر العقول لا تحتمله، بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو: أن الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الأقطار والجهات وأنـه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه، قد حيرت عقول أقوام حتى أنكروه**) واستشكلوه (**إذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته. بل ضعفت طائفة عن احتمال أقل من هذا إذا قيل لهم: إنه يتعاظم ويتعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو، وأن يكون جسماً مشخصاً له مقـدار وحجم. فأنكروا هذا وظنوا أن ذلك قدح في عظمة الله وجلاله**) وهم طائفة من الحشوية الكرامية، (**حتى قال بعض الحمقى من العوام: إن هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الإله! لظن المسكين أن الجلالة والعظمة في هذه الأعضاء، وهذا لأن الإنسان لا يعرف إلا نفسه فلا يستعظم إلا نفسه، فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه**) وهذا فاسد. (**نعم غايته أن يقدر نفسه جميل الصورة جالساً على سريره وبين يديه غلمان يمتثلون أمره، فلا جرم غايته أن يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة**) قياس الشاهد على الغائب والرب تعالى لا يعرف بالقياس، (**بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لأنكر ذلك وقال: كيف يكون خالقي أنقص مني؟ أفيكون مقصوص الجناح أو يكون زمناً لا يقدر على الطيران أو تكون لي آلة وقدرة لا**

يكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري ؟ وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل ، وأن الإنسان لجهول ظلوم كفار ، ولذلك أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه : لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني ولكن أخبرهم عني بما يفهمون .

ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته مخطراً من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصلاح الخلق أن لا يتعرض لمجاري الفكر فيه ، لكنا نعدل إلى المقام الثاني وهو النظر في أفعاله ومجاري قدره وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه فإنها تدل على جلاله وكبريائه وتقدّسه وتعاليه ، وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته ، فينظر إلى صفاته من آثار صفاته ، فإنا لا نطيق النظر إلى صفاته كما أنا نطيق النظر إلى الأرض مهما استنارت بنور الشمس . ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالإضافة إلى

يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري؟ وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل، وأن الإنسان لجهول ظلوم كفار، ولذلك أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني) أي لأن عقولهم لا تحتمل ذلك ، **(ولكن أخبرهم عني بما يفهمون)** أي بقدر ما يطيقون فهمه . وقد ورد مثل ذلك في الأخبار المحمدية : خاطبوا الناس بما يفهمون أتحبون أن يكذب الله ورسوله .

قال الفخر الرازي في تأسيس التقديس : إن المتشابهات صارت شبهة عظيمة للخلق في الإلهيات والنبوات والشرائع ، وليس في القرآن ما يدل على التنزيه بطريق التصريح إلا قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى : ١١] ودلالته عليه ضعيفة ، وقد ذكروا أنواعاً من الفوائد في إنزال المتشابهات . أقواها أنه لما كان القرآن مشتملاً على دعوة الخواص والعوام لا تقوى لإدراك الحقائق العقلية المحضة ، فهم إذا سمعوا باثبات موجود ليس بجسم ولا بمتحيز ولا بمشار إليه ظنوا أنه عدم محض ، فوقعوا في التعطيل فكان الأصلح للعوام أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما يتخيلونه وتكون مخلوطة بما يدل على الحق الصريح انتهى .

وقد أشار إلى ذلك أيضاً المصنف في الجام العوام .

(ولما كان النظر في ذات الله وصفاته مخطراً من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصلاح الخلق أن لا يتعرض لمجاري الفكر فيه لكنا نعدل إلى المقام الثاني) وهو الأدنى بالنسبة إلى المقام الأول : **(وهو النظر إلى أفعاله وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه فإنها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه، وتدل على كمال علمه وحكمته ونفاذ مشيئته وقدرته، فينظر إلى صفاته من آثار صفاته، فإنا لا نطيق النظر إلى صفاته كما أنا نطيق النظر إلى الأرض مهما استنارت بنور الشمس، ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالإضافة إلى نور**

نور القمر وسائر الكواكب، لأن نور الأرض من آثار نور الشمس، والنظر في الآثار يدل على المؤثر دلالة ما وإن كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر. وجميع موجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته، بل لا ظلمة أشد من العدم ولا نور أظهر من الوجود. ووجود الأشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس إذ قوام وجود الأشياء بذاته القيوم بنفسه، كما أن قوام نور الأجسام بنور الشمس المضيئة

القمر وسائر الكواكب، لأن نور الأرض من آثار نور الشمس، والنظر في الأثر يدل على المؤثر دلالة ما وإن كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر. وجميع موجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته).

قال المصنف في المقصد الأسنى: الحاصل عندنا من قدرة الله تعالى أنه وصف ثمرته وأثره وجود الأشياء وينطلق عليه اسم القدرة لأنه يناسب قدرتنا وهو بمعزل عن حقيقة تلك القدرة. نعم كلما ازداد العبد إحاطة بتفاصيل المقدورات وعجائب الصنائع كان حظه من صفة القدرة أوفر لأن الثمرة تدل على المثمر، وإلى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين تفاوتاً لا يتناهى، وبه تعرف أن من قال: لا أعرف إلا الله فقد صدق، ومن قال، لا أعرف الله فقد صدق فإنه ليس في الوجود إلا الله تعالى وأفعاله، فإذا نظر إلى أفعاله من حيث هي أفعاله وكان مقصور النظر عليها ولم يرها من حيث أنها سماء وأرض وشجر، بل من حيث أنها صفة له فلم تجاوز معرفته حضرة الربوبية فيمكنه أن يقول: ما أعرف إلا الله وما أرى إلا الله. ولو تصور شخص لا يرى إلا الشمس ونورها المنتشر في الآفاق يصح أن يقول: ما أرى إلا الشمس فإن النور الفائض منها هو من جملتها ليس خارجاً منها، وكل ما في الوجود نور من أنوار القدرة الأزلية وأثر من آثارها، وكما أن الشمس ينبوع النور الفائض على كل مستنير، فكذلك المعنى الذي قصرت العبارة عنه فعبر عنه بالقدرة الأزلية للضرورة هو ينبوع الوجود الفائض على كل موجود فليس في الوجود إلا الله تعالى.

(بل لا ظلمة أشد من العدم ولا نور أظهر من الوجود). قال المصنف في مشكاة الأنوار: مهما عرفت أن النور راجع إلى الظهور والإظهار ومراتبه، فاعلم أنه لا ظلمة أشد من ظلمة العدم لأنه مظلم ويسمى مظلماً لأنه ليس للأبصار، إذ ليس بصير موجوداً للبصر مع أنه موجود في نفسه، فالذي ليس موجود إلا بغيره ولا بنفسه كيف يستحق أن يكون هو الغاية في الظلمة وفي مقابلته الوجود فهو النور فإن الشيء ما لم يظهر في ذاته لا يظهر لغيره.

(ووجود الأشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس، إذ قوام وجود الأشياء بذاته القيوم بنفسه كما أن قوام نور الأجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها). قال المصنف في مشكاة الأنوار: والوجود بنفسه أيضاً ينقسم إلى ما الوجود له من ذاته وإلى ما الوجود من غيره،

بنفسها ومهما انكشف بعض الشمس فقد جرت العادة بأن يوضع طشت ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر إليها فيكون الماء واسطة يغض قليلاً من نور الشمس حتى يطاق النظر إليها فكذلك الأفعال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا نبهر بأنوار الذات بعد أن تباعدنا عنها بواسطة الأفعال. فهذا سر قوله ﷺ: «تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله تعالى».

بل إذا اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض. وإنما هو وجوده من حيث نسبته إلى غيره وذلك ليس بوجود حقيقي، فالموجود الحق هو الله تعالى كما أن النور الحق هو الله تعالى.

(ومهما انكسف بعض الشمس فقد جرت العادة بأن يوضع طست ماء حتى ترى الشمس فيه، ويمكن النظر إليها فيكون الماء واسطة يغض قليلاً من نور الشمس حتى يطاق النظر إليها، فكذلك الأفعال واسطة تشاهد فيها صفات الفاعل ولا يبهرنا نور الذات بعد أن تباعدنا عنها بواسطة الأفعال، فهذا سر قوله ﷺ «تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله»). وقال الفخر الرازي: أشار بهذا الحديث إلى أن من أراد الوصول إلى كنه العظمة وهوية الجلال تحير وتردد بل عمي، فإن عمي، فإن نور جلال الإلهية يعمي أحداق العقول البشرية. وترك النظر بالكلية في المعرفة يوقع في الضلال، والطرفان مذمومان والطريق القويم أن يخوض الإنسان البحر المعتدل ويترك التعمق، ومن ثم سميت كلمة الشهادة كلمة العدل انتهى.

وقال الراغب: نبه بهذا الخبر على أن غاية معرفة الإنسان ربه أن يعرف أجناس الموجودات جواهرها وأعراضها المحسوسة والمعقولة، ويعرف أثر الصنعة فيها فإنها محدثة وأن محدثها ليس إياها ولا مثلاً لها، بل هو الذي يصح ارتفاع كلها مع بقائه ولا يصح بقاؤها وارتفاعه، ولما كان معرفة العالم كله تصعب على المكلف لقصور الأفهام عن بعضها واشتغال البعض بالضروريات جعل تعالى لك إنسان من نفسه وبدنه عالماً صغيراً أوجد فيه مثال كل ما هو موجود في العالم الكبير ليجري ذلك من العالم مجرى مختصر من كتاب بسيط يكون مع كل أحد نسخة يتأملها حضراً وسفراً وليلاً ونهاراً، فإن نشط وتفرغ للتوسع في العلم نظر في الكتاب الكبير الذي هو العالم فيطلع منه على الملكوت ليغزر علمه وإلا فله مقنع بالمختصر ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات: ٢١] انتهى.

وقال الشيخ الأكبر قدس الله سره: ولا تفكروا في الله لأن للعقول حداً تقف عنده من حيث هي مفكرة وأية مناسبة بين الحق لواجب الوجود لذاته وبين الممكن وإن كان واجباً به عند من يقول به وما أخذه الفكر به إنما يقوم صحيحه من البراهين الوجودية، ولا بد بين الدليل والمدلول والبرهان والمبرهن عليه من وجه به يكون التعلق له نسبة إلى الدليل ونسبة إلى المدلول، فلا يصح أن يجتمع الخلق والحق في وجه أبداً من حيث الذات، بل من حيث أن هذه الذات منعوتة بالألوهية؛ فهذا حكم آخر تستقل العقول بإدراكه. وكم من عاقل يدعي العقل الرصين من

بيان كيفية التفكر في خلق الله تعالى:

اعلم أنَّ كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله وخلقه، وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته، وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مداداً لذلك لنفد البحر قبل أن ينفد عشر عشيره. ولكنا نشير إلى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما

العلماء النظار يقول إنه حصل على معرفة الذات من حيث النظر الفكري وهو غالط لتردده بفكره بين السلب والاثبات، والإثبات راجع إلى الوجود والسلب إلى العدم والنفي، والنفي لا يكون صفة ذاتية لأن الصفات الذاتية للموجودات إنما هي ثبوتية فما حصل هذا الفكر المتردد بينهما من العلم بالله على شيء اهـ.

وقال المصنف في الجواهر والدرر: معرفة الله تعالى هو الكبريت الأحمر وتشتمل على معرفة ذات الخالق ومعرفة الصفات ومعرفة الأفعال؛ فهذه الثلاثة هي اليواقيت فإنها أخص فوائد الكبريت الأحمر، وكما أن لليواقيت درجات فمنها الأحمر ومنها الأكهب ومنها الأصفر وبعضها أنفس من بعض، فكذلك هذه المعارف الثلاثة ليست على رتبة واحدة، بل أنفسها معرفة الذات وهو الياقوت الأحمر، ثم يليها معرفة الصفات وهو الياقوت الأكهب، ثم يليها معرفة الأفعال وهو الياقوت الأصفر، وكما أن أنفس هذه اليواقيت وأجلها وأعزها وأجودها الأحمر ولا تظفر منه الملوك إلا باليسير، وقد تظفر مما دونه بالكثير، فكذلك معرفة الذات أضيقها مجالاً وأعسرها مقالاً وأعصاها على الفكر وأبعدها عن قبول الذكر، ولذلك لا يشتمل القرآن منها إلا على تلويحات وإشارات يرجع أكثرها إلى ذكر التقديس المطلق كقوله ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] وكسورة الإخلاص وإلى التعظيم والتنزيه المطلق كقوله: ﴿سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ [الأنعام: ١٠٠] وأما الصفات فالمجاز فيها أفسح ونطاق المنطق فيها أوسع، ولذلك تكثر الآيات المشتملة على ذكر العلم والقدرة والحياة والكلام والسمع والبصر وغيرها، وسيأتي بقية هذا الكلام فيما بعد.

بيان التفكر في خلق الله تعالى

(**اعلم**) نور الله قلبك، (**أن كل ما في الوجود مما سوى الله تعالى فهو فعل الله تعالى وخلقه**) قال تعالى ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦] وليس في الوجود إلا الله تعالى، (**وكل ذرة من الذرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف ففيها عجائب وغرائب**) ومصاعد للأفكار ومراقي الأعتبار (**تظهر بها حكمة الله تعالى وقدرته وجلاله وعظمته وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مداداً لذلك**) والأشجار أقلاماً للكتابة (**لنفذ البحر قبل أن ينفد عشر عشيره، ولكنا نشير إلى جمل منه ليكون ذلك كالمثال لما**

عداه. فنقول: الموجودات المخلوقة منقسمة إلى: ما لا يعرف أصلها فلا يمكننا التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال الله تعالى: ﴿ويَخْلُقُ ما لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأزوَاج كُلها مِمَّا تنْبِتُ الأرْض ومِنْ أنفُسِهِمْ ومِمَّا لاَ يعلَمُونَ﴾ [يس: ٣٩]، وقال: ﴿وَنُنْشِئُكُمْ فِيمَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١]، وإلى ما يعرف أصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها، فيمكننا أن نتفكر في تفصيلها. وهي منقسمة إلى ما أدركناه بحس البصر، وإلى ما لا ندركه بالبصر أما الذي لا ندركه بالبصر. فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك. ومجال الفكر في هذه الأشياء مما يضيق ويغمض. فلنعدل إلى الأقرب إلى الأفهام وهي المدركات بحس البصر. وذلك هو السموات السبع والأرض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها، والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها وحيوانها ونباتها، وما بين السماء والأرض وهو الجوّ مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها. فهذه هي الأجناس المشاهدة من السموات والأرض وما بينهما، وكل جنس منها ينقسم إلى أنواع، وكل نوع ينقسم إلى أقسام ويتشعب كل قسم إلى أصناف. ولا

عداه فنقول: الموجودات المخلوقة منقسمة إلى ما لا يعرف أصلها فلا يمكننا التفكر فيها، وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال الله تعالى ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ وقال) تعالى: (**﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها**) الأنواع الأصناف (**مما تنبت الأرض**) من النبات والشجر (**ومن أنفسهم**) الذكر والأنثى (**ومما لا يعلمون﴾**) أي وأزواجاً مما لا يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته. (**وقال**) تعالى: (**﴿وننشئكم فيما لا تعلمون﴾ وإلى ما يعرف أصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها، فيمكننا أن نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة إلى ما أدركناه بحس البصر وإلى ما لا ندركه بالبصر، أما الذي لا ندركه بالبصر فكالملائكة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك. ومجال الفكر في هذه الأشياء مما يضيق ويغمض، فلنعدل إلى الأقرب إلى الأفهام وهي المدركات بحس البصر، وذلك هو السموات السبع والأرض وما بينهما فالسموات مشاهدة بكواكبها وشمسها وقمرها وحركتها ودورانها في طلوعها وغروبها، والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها وحيوانها ونباتها وبين السماء والأرض وهو الجو مدرك بغيومها وأمطارها وثلوجها ورعدها وبرقها وصواعقها وشهبها وعواصف رياحها. فهذه من الأجناس المشاهدة من السموات والأرض وما بينهما، وكل جنس منها ينقسم إلى أنواع، وكل نوع ينقسم إلى أقسام ويتشعب كل قسم إلى أصناف. ولا نهاية لانشعاب ذلك وانقسامه في**

نهاية لانشعاب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته وهيئاته ومعانيه الظاهرة والباطنة. وجميع ذلك مجال الفكر. فلا تتحرك ذرة في السموات والأرض من جماد ولا نبات ولا حيوان ولا فلك ولا كوكب إلا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة أو حكمتان أو عشر أو ألف حكمة كل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية ودال على جلاله وكبريائه، وهي الآيات الدالة عليه. وقد ورد القرآن بالحث على التفكر في هذه الآيات كما قال الله تعالى: ﴿إنَّ في خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأرضِ واختِلافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ لآياتٍ لأولي

اختلاف صفاته وهيئاته ومعانيه الظاهرة والباطنة. وجميع ذلك مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والأرض من جماد ولا نبات ولا حيوان ولا فلك ولا كوكب إلا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة أو حكمتان أو عشر أو ألف حكمة كل ذلك شاهد لله تعالى بالواحدنية ودال على جلاله وكبريائه، وهي الآيات الدالة عليه).

وقال المصنف في الجواهر والدرر: وأما الأفعال فبحر متسع الأكناف ولا ينال باستقصاء أطرافه، بل ليس في الوجود إلا الله تعالى وأفعاله وكل ما سواه فعله، لكن القرآن اشتمل على الجمل منها الواقع في عالم الشهادة كذكر الكواكب والأرضين والجبال والبحار والحيوان والنبات وإنزال الماء الفرات وسائر ضروب النبات، وما ذكره من الحياة وهي التي ظهرت للحس، فأعرف أفعاله وأعجبها وأدلها على جلالة صانعها ما لا يظهر للحس، بل هو من عالم الملكوت وهي الملائكة والروحانيات والروح والقلب. أعني العارف بالله تعالى من جملة أجزاء الآدمي أيضاً من عالم الغيب والملكوت وخارج من عالم الملك والشهادة. ومنها: الملائكة الأرضية الموكلة بجنس البشر وهي التي سجدت لآدم عليه السلام. ومنها الشياطين المسلطة على جنس الأنس وهي التي امتنعت من السجود له. ومنها: الملائكة السماوية وأعلى منهم الكروبيون العاكفون في حضرة القدس لا التفات لهم إلى الآدميين بل لا التفات لهم إلى غير الله تعالى لاستغراقهم بجمال الحضرة الربوبية وبجلالها، فهم قاصرون عليه لحاظهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون. واعلم أن أكثر أفعال الله تعالى وأشرفها لا يعرفها أكثر الخلق بل إدراكهم مقصور على عالم الحس والتخيل وهو القشر الأقصى من اللب الأصفى، ومن لم يجاوز هذه الدرجة فكأنه لم يشاهد من الرمان إلا قشرته ومن عجائب الإنسان إلا بشرته اهـ.

(وقد ورد القرآن بالحث على التفكر في هذه الآيات كما قال تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾) أي لدلائل واضحة على جود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم، ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في هذه الآية أن مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة أنواعه، فإنه إما أن يكون في ذات الشيء كتغير الليل والنهار، أو جزئه كتغير

الألبَاب﴾ [آل عمران: ١٩٠] وكما قال تعالى: ﴿ومِنْ آيَاتِهِ﴾ [الروم: ٢٠]، من أول القرآن إلى آخره. فلنذكر كيفية الفكر في بعض الآيات.

فمن آياته: الإنسان المخلوق من النطفة، وأقرب شيء إليك نفسك وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله تعالى ما تنقضي الأعمار في الوقوف على عشر عشيره وأنت غافل عنه، فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل بها كيف تطمع في معرفة غيرك؟ وقد أمرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال: ﴿وفي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] وذكر أنك مخلوق من نطفة قذرة فقال: ﴿قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكفَرَهُ ★ من أيِّ شَيءٍ خلقهُ ★ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فقَدَّرَهُ ★ ثمَّ السَبيلَ يسرهُ ★ ثم أمَاتَهُ فأَقْبَرَه ★ ثُمَّ إذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ [عبس: ١٧ - ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ومِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطفَةً مِنْ مَني يُمْنى ★ ثُمَّ كَانَ عَلَقَة فَخلَقَ فَسَوَّى﴾ [القيامة: ٣٧ - ٣٨]، وقال تعالى: ﴿أَلَم

العناصر بتبدل صورها، أو الخارج عنه كتغير الأفلاك بتبدل أوضاعها، **(وكما قال تعالى: ﴿ومن آياته)** أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ [الروم: ٢٠] **(﴿ومن آياته)** خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ [الروم :٢٢] ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار﴾ [الروم: ٢٣] **(من أول القرآن إلى آخره. فلنذكر كيفية الفكر في بعض الآيات)** المذكورة.

(فمن آياته: الإنسان المخلوق من النطفة، وأقرب شيء إليك) أيها المتفكر **(نفسك)** أي ذاتك **(وفيك من العجائب الدالة على عظمة الله)** تعالى **(ما تنقضي الأعمار)** الطويلة **(في نسخه)** أي كتابته **(في الوقوف على عشر عشيره وأنت غافل عنه، فيا من هو غافل عن نفسه وجاهل به كيف تطمع في معرفة غيرك؟ وقد أمرك الله بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز فقال)** ﴿وفي الأرض آيات للموقنين ★ **(وفي أنفسكم)** آيات إذ ما في العالم شيء إلا وفي الإنسان له نظير يدل دلالته **(أفلا تبصرون﴾) [الذاريات: ٢٠، ٢١]** تنظرون نظر من يعتبر. **(وذكر أنك مخلوق من نطفة قذرة فقال: ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾)** أي ما أكثره كفراً بالله تعالى وهو دعاء عليه بأشنع الدعوات وتعجيب من إفراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ. **(﴿من أي شيء خلقه﴾)** بيان لما أنعم عليه خصوصاً من بعد حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك أجاب عنه بقوله: **(﴿من نطفة خلقه فقدره﴾)** أي هيأه لما يصلح له من الأعصاب والأشكال أو فقدره أطواراً إلى أن تم خلقه. **(﴿ثم السبيل يسره﴾)** أي سهل مخرجه من بطن أمه بأن فتح فوهة الرحم وألهمه أن يتنكس، **(ثم أماته فأقبره ★ ثم إذا شاء أنشره﴾)** من قبره. **(وقال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾)** في الأرض. **(وقال تعالى: ﴿ألم يك نطفة من مني يمنى﴾)** أي يصب في

نخلُقكُم مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ★ فَجَعَلنَاهُ في قَرارٍ مكينٍ ★ إلَى قَدَرٍ مَعْلُوم ﴾ [المرسلات: ٢٠ - ٢٢]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإنْسَانُ أَنَّا خَلَقنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خصِيم مُبِينٌ﴾ [يس: ٧٧]، وقال: ﴿ إنَّا خَلَقنا الإنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أمشَاجٍ ﴾ [الإنسان: ٢]، ثم ذكر: كيف جعل النطفة علقة، والعلقة مضغة، والمضغة عظاماً، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خلقْنَا الإنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ★ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً في قِرَارٍ مَكِينٍ ★ ثمَّ خَلَقْنَا النُطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤] الآية. فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر في معناه، فانظر الآن إلى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وأنتنت كيف أخرجها رب الأرباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والأنثى وألقى الألفة والمحبة في قلوبهم، وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة إلى الاجتماع، وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع،

الأرحام (**﴿ثم كان علقة﴾**) حمراء (**فخلق فسوى﴾**) أي عدله. (**وقال تعالى ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾**) أي نطفة قذرة (**﴿فجعلناه في قرار مكين﴾**) هو الرحم (**﴿إلى قدر معلوم﴾**) أي مقدار معين للولادة. (**وقال**) تعالى: (**﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾**) فيه تقبيح بليغ لإنكارهم الحشر حيث عجب منه وجعله إفراطاً في الخصومة بينا ومنافاة الجحود لقدرته على ما هو أهون مما عمله في بداية خلقه ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من أخس الشيء وأمهنه شريفاً مكرماً بالعقوق والتكذيب. (**وقال**) تعالى: (**﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾**) أي أخلاط جمع مشيج من مشنجت الشيء إذا خلطته وصف النطفة بها لأن المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة، وكل منها مختلفة الأجزاء في الرقة والقوام والخواص، ولذلك يصير كل جزء منها مادة عضو، وقيل: مفرد كأعشار وأكباش، وقيل: فأما ماء الرجل فأبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اختلطا اخضرا، أو أطواراً فإن النطفة تصير علقة ثم مضغة إلى تمام الخلقة. (**ثم ذكر**) تعالى (**كيف جعل النطفة علقة**) حمراء (**والعلقة مضغة**) لحم (**والمضغة عظاماً فقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾**) أي الصفو الذي يسل من الأرض (**﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين﴾**) وهو الرحم (**﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ الآية**) والعلقة محركة القطعة من الدم الغليظة وقليل من الدم الجامد والمضغة بالضم قطعة لحم ومنه قوله تعالى: ﴿ثم خلقنا العلقة مضغة﴾ [المؤمنون: ١٤] (**فتكرير ذكر النطفة في الكتاب العزيز ليس ليسمع لفظه ويترك التفكر في معناه، فانظر الآن إلى النطفة وهي قطرة من الماء قذرة لو تركت ساعة من الزمان ليضربها الهواء فسدت وأنتنت كيف أخرجها رب الأرباب من الصلب والترائب**) أي من صلب الرجل وترائب المرأة، (**وكيف جمع بين الذكر والأنثى وألقى الإلفة والمحبة في قلوبهم**) كما يشير إليه قوله تعالى ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم: ٢١] (**وكيف قادهم بسلسلة المحبة والشهوة إلى الاجتماع،**

وكيف استجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعه في الرحم؛ ثم كيف خلق المولود من النطفة وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وربا وكبر، وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء، ثم كيف جعلها مضغة، ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية إلى العظام والأعصاب والعروق والأوتار واللحم؛ ثم كيف ركب من اللحوم والأعصاب والعروق الأعضاء الظاهرة: فدوّر الرأس وشق السمع والبصر والأنف والفم وسائر المنافذ، ثم مدّ اليد والرِجل وقسم رؤوسها بالأصابع وقسم الأصابع بالأنامل؛ ثم كيف ركب الأعضاء الباطنة: من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والأمعاء، كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ثم كيف قسم كل عضو من هذه الأعضاء بأقسام أخر: فركب العين من سبع طبقات، لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها أو زالت صفة من صفاتها تعطلت

وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع، وكيف استجلب دم الحيض من أعماق العروق وجمعه في الرحم، ثم كيف خلق المولود من) تلك **(النطفة)** وهو قول أرسطاليس فإنه يقول: مبدأ قوة الصورة في مني الذكر ومبدأ انعقاد القوة المنفعلة في مني المرأة، ورأى جالينوس أن لكل واحد من المنيين قوة عاقدة وقابلة للعقد، ولكن لا يتم فعلها في مني الأنثى إلا بمني الذكر. **(وسقاه بماء الحيض وغذاه حتى نما وكبر)**. اعلم أن الدم الذي ينفصل في الحيض عن المرأة يصير أكثره غذاء في وقت الحمل منه ما يستحيل إلى مشابهة جوهر المني والأعضاء الكائنة منه فيكون غذاء منمياً لها، ومنها ما لا يصير غذاء لذلك، ولكن يصلح لأن ينعقد في حشوها فيكون لحماً آخر أو سمنياً أو شحماً، ويملأ الأمكنة بين الأعضاء الأول، ومنه ما لا يصلح لأحد الأمرين فيبقى إلى وقت النفاس وتدفعه الطبيعة فضلاً، وإذا ولد الجنين فإن الدم الذي يولده كبده يسد مسد دم الطمث الذي كان غذاء له ويتولد عنه ما كان يتولد عن ذلك الدم. **(وكيف جعل النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء، ثم كيف جعلها مضغة، ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهي متشابهة متساوية إلى العظام والأعصاب والعروق والأوتار واللحم، ثم كيف ركب من اللحوم والأعصاب والعروق والأعضاء الظاهرة، فدور الرأس وشق)** فيه **(السمع والبصر والأنف والفم وسائر المنافذ، ثم مد اليد والرجل وقسم رؤوسها بالأصابع وقسم الأصابع بالأنامل. ثم كيف ركب الأعضاء الباطنة من القلب والمعدة والكبد والطحال والرئة والرحم والمثانة والأمعاء، كل واحد على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص)**، وإنما سماها باطنة لكونها لا ترى بظاهر العين. **(ثم كيف قسم كل عضو من هذه الأعضاء بأقسام أخر، فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة منها، أو زالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الأبصار)**.

العين عن الإبصار، فلو ذهبنا إلى أن نصف ما في آحاد هذه الأعضاء من العجائب

اعلم أن كلاً من العينين مركب من سبع طبقات وثلاث رطوبات ومن العصب والعضل والعروق، وكيفية تركيبها أن العصبة المجوفة التي هي أول العصب الخارج من الدماغ يخرج من القحف إلى قعر العين، وعليها غشاءان هما غشاء الدماغ فإذا برزت من العين وصارت في جونة عظم العين فارقها الغشاء الغليظ وصار غشاء ولباساً على عظم العين، ويسمى هذا الغشاء الطبقة الصلبية، ثم يفارقها الغشاء الرقيق فيصير غشاء ولباساً بعد الصلبية، ويسمى الطبقة المشيمية لشبهها بالمشيمة لأنها ذات عروق كثيرة، ثم تصير هذه العصبية نفسها إلى المجوفة عريضة ويصير منها غشاء بعد الأولين ويسمى الطبقة الشبكية، ثم يتكون في وسط هذا الغشاء جسم رطب لين في لون الزجاج الذائب وقوامه ويسمى الرطوبة الزجاجية، ويتكون في وسط هذا الجسم جسم آخر مستدير إلا أن جانبه الخارجي أدنى تفرطح لتظهر فيه أشباح المرئيات وفي جانبه الداخل نتو ليتصل بالعصبة المجوفة كما ينبغي ويسمى الرطوبة الجليدية لشبهها بالجليد في صفائه وجلوده، ويسمى البردية أيضاً لشبهها بالبردة في شكلها وصفائها وشفيفها، ويحفظ الزجاجية من الجليدية بمقدار النصف ويعلو النصف الآخر جسم شبيه بنسج العنكبوت شديد الصقال والصفاء يسمى الطبقة العنكبوتية، ثم يعلو هذه الطبقة جسم سائل في لون بياض البيض وقوامه يسمى الرطوبة البيضية، ويعلو البيضية جسم رقيق مخمل الداخل أملس الخارج ويختلف لونه في الأبدان، فربما كان شديد السواد وربما كان دون ذلك في وسطه بحيث يحاذي الجليدية ثقب يتسع ويضيق في حال دون حال بمقدار حاجة الجليدية إلى الضوء فيضيق عند الضوء الشديد ويتسع في الظلمة، ويسمى هذا الثقب الحدقة وهذا الغشاء الطبقة العنبية في خمل باطنها وملاسة ظاهرها، والثقب الذي في وسطها، ويعلو هذه الطبقة جسم كثيف صلب صاف شفاف يشبه صحيفة رقيقة من قرن أبيض ويسمى الطبقة القرنية غير أنها تتلون بلون الطبقة التي تحتها المسماة بالعنبية ولونها مختلف في الناس، ففي بعض تكون زرقاء، وفي بعض تكون شهلاء، وفي بعض تكون سوداء. ويعلو هذه الطبقة ويغشاها لا كلها بل إلى موضع سواد العين جسم أبيض اللون يسمى الطبقة الملتحمة وهي التي تلي الهواء وهو بياض العين ونباته من الجلد الذي على القحف من خارج، وجوهره من لحم أبيض دسم وقد امتزج بعضلة العين وأحكم على القرنية، فلهذا تسمى بالملتحمة. هكذا رتب بعضهم هذه الطبقات والرطوبات. أعني جعل الأول الطبقة الصلبية، ثم الطبقة المشيمية، ثم الطبقة الشبكية، ثم الرطوبة الجليدية، ثم الطبقة العنكبوتية، ثم الرطوبة البيضية، ثم باقي الطبقات العنبية والقرنية والملتحمة، وبعضهم جعل الرطوبة البيضية تالية للرطوبة الجليدية بين الزجاجية والبيضية، وجعل الطبقات الأربعة أعني العنكبوتية والعنبية والقرنية والملتحمة تالية للرطوبات الثلاث المتوالية، وأشرف أجزاء العين إنما هو الرطوبة الجليدية، وسائر الطبقات والرطوبات لأجل مصلحته، فالزجاجية والطبقات الثلاث قد أحاطت بنصف الجليدية من جانب الرطوبة البيضية، والطبقات الأربع المتصلة بها محيطة بنصفها الآخر من جانب آخر وهي موضوعة في الوسط صيانة لها وحرزاً.

(فلو ذهبنا إلى نصف ما فى آحاد هذه الأعضاء من العجائب والآيات) الدالة على كمال

والآيات لانقضى فيه الأعمار . فانظر الآن إلى العظام وهي أجسام صلبة قوية كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة، ثم جعلها قواماً للبدن وعماداً له، ثم قدّرها بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوّف ومصمت وعريض ودقيق. ولما كان الإنسان محتاجاً إلى الحركة بجملة بدنه وببعض أعضائه، مفتقراً للتردد في حاجاته، لم يجعل عظمه عظماً واحداً بل عظاماً كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة، وقدر شكل كل واحدة منها على وفق الحركة المطلوبة بها، ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتار أنبتها من أحد طرفي العظم وألصقه بالعظم الآخر كالرباط له، ثم خلق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الآخر حفراً غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتنطبق عليها، فصار العبد إن أراد تحريك جزء من بدنه لم

قدرته **(لانقضت فيه الأعمار)** ولم تف عشر عشيره **(فانظر الآن إلى العظام وهي أجسام صلبة قوية)** اعلم أن الأعضاء أجسام كثيفة متكوّنة من الرطوبات المحمودة وهي الاخلاط، والرطوبات الثانية التي ليست من الفضول والمنيّ إما من الاخلاط عند من يجعله دماً نضيجاً، وإما من الرطوبات الثانية عند من يجعله نوعاً آخر، ومنها عضو مفرد وهو الذي أي جزء محسوس أخذت منه كان مشاركاً للكل في الطبع والمزاج، ولذلك يسمى متشابه الأجزاء وهو العظم وقد خلق صلباً. **(فانظر كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة ثم جعلها قواماً للبدن وعماداً له)** ودعامة للحركات، **(ثم قدرها بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير ومجوّف ومصمت وعريض ودقيق)**. ومنه ما هو مربع، ومنه ما هو على شكل زاوية، ومنه ما هو على نصف دائرة، **(ولما كان الإنسان محتاجاً إلى الحركة بجملة بدنه وببعض أجزائه مفتقراً للتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظماً واحداً بل عظاماً كثيرة بينها مفاصل حتى تنتشر بها الحركة، وقدر شكل كل واحد منها على وفق الحركة المطلوبة بها، ثم وصل مفاصلها وربط بعضها بالبعض بأوتار أنبتها من أحد طرفي العظم وألصقه بالعظم الآخر كالرباط له)**. اعلم أن الوتر مؤلف في الأكثر من العصب النافذ في العضلة البارز منها في الجهة الأخرى ومن الرباط والرباط عضو عصباني المرأى والملمس من جهة البياض واللدونة، وفائدته أن يأتي من العظم إلى جهة العضل فيتشظى هو والأعصاب فيتصل وترا، والعصب والرباط إذا تشظيا شظايا دقاقاً وحشي الخلل الواقع بينهما لحماً وغشي غشاء يسمى جملة ذلك عضلة، فما امتد منه إلى العضلة لم يسم رباطاً وما لم يمتد إليها ولكن وصل بين طرفي المفصل أو بين أعضاء أخرى وأحكم شد شيء إلى شيء فإنه مع ما يسمى رباطاً قد يخص باسم العقب وليس لشيء من الروابط حس، وذلك لئلا يتأذى ما يلزمه من الحركة.

(ثم خلق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الآخر حفراً غائصة فيه موافقة لشكل الزوائد ليدخل فيها وينطبق عليها، فصار العبد إن أراد تحريك جزء من بدنه لم

يمتنع عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك. ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وركبها، وقد ركبها من خمسة وخمسين عظماً مختلفة الأشكال والصور فألف بعضها إلى بعض بحيث استوى به كرة الرأس كما تراه فمنها ستة تخص القحف، وأربعة عشر

يمتنع عليه، ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك) اعلم أن المفصل مجاورة طبيعية بين عظمين والالتحام هو اتحاد طبيعي بينهما، وهو إما أن يكون من غير شيء يصل بينهما، وإما أن يكون بشيء وذلك الشيء إما عصب وإما غضروف وإما لحم، والمفصل إما موثق وهو الذي لا يتحرك حركة بينة كمفصل الرسغ، وإما سلس وهو ما يتحرك حركة بينة كمفصل المرفق، وكل ثلاثة أقسام:

أحدها: من الموثق ما يكون تركيبه بدرز يجمع العظمين، وهو أن يكون لكل منهما زوائد وحفر كالمنشار فيدخل كل زائدة من كل حفرة من الآخرة كالمنشارين إذا جمعا.

الثاني: ما يكون تركيبه بلزاق يضمهما وهو أن يتصلا على خط مستقيم كزندي الساعد وقصبي الساق.

الثالث: ما يكون تركيبه يركز أحدهما في الآخر، وهو أن يدق أحدهما ويرتكز رأسه الدقيق في عظم آخر كالأسنان في أوريتها.

الرابع: وهو أول السلس أن تكون الحفرة كذلك من العظم المحفور غائرة الرأس من الآخر طويلة العنق رقيقة كمفصل الفخذ ويسمى المفرق.

الخامس: أن لا تكون الحفرة كذلك يسمى المطرف، وأن يكون لكل رأس يدخل في فقرة من الآخرة كالمرفق ومفاصل خرز الصلب ويسمى المداخل.

(ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وركبها، وقد ركبها من خمسة وخمسين عظماً مختلفة الأشكال والصور، فألف بعضها إلى بعض بحيث استوى به كرة الرأس كما تراه، فمنها ستة تخص القحف) وهي عظما اليافوخ وعظم مؤخر الرأس وعظم الجبهة، والعظمان اللذان عن جنبيه وفي الأذنان فهذه هي الستة وهي عند أهل التشريح سبعة والسابع هو المشترك الشبيه بالوتد وهو قاعدة الدماغ وحمال الرأس ولا بد من ذكره، وقد أسقطه المصنف، وبه يتم العدد الذي ذكره كما يظهر ذلك بالتأمل، فاليافوخان مربعان رخوان وسبب رخاوتهما أن يكونا خفيفين لئلا يثقلا على الدماغ، ولأن الروح النفساني إنما ينضج أولاً بالبطنين المقدمين من الدماغ، ثم يتصفى ويصير إلى البطن المؤخر وكانت الفضول هناك أكثر، فاحتيج إلى أن يتحلل منه البخار فلذا خلقتا رخوين وعظما الجنين مثلثان، وكل ثلاثة أجزاء:

أحدها: يسمى الحجري لأنه صلب كالحجر وفيه ثقب السمع.

....

الثاني: صلب جداً وفيه زائدة شبيهة بحلمتي الثدي يمنع اللحي الأسفل من أن يخرج عن موضعه لسلاسه مفصله.

الثالث: موضع الصدغ وهو الصلب أيضاً وعظم الجبهة نصف دائرة وعظم مؤخر الرأس والوتد كثير الاضلاع، والكل صلاب للاستغناء عن منفعة الاسترخاء المذكور ولمقاومة ما ينال الرأس من مصاكة الأجسام التي يضرب بها الرأس أو يقع هو عليها، وقلما يقع الإنسان على يـافوخه بل على قفاه وجنبيه ووجهه غالباً، وعظم المؤخر أصلب الجميع لعدم حارس له كالعينين ودافع كاليدين والحاجة في شدة صلابة القاعدة أوضح من أن يوضح وهو موضوع تحت القحف من ناحية خلف فيما بينه وبين اللحي الأعلى وقد ملىء به الخلل الحادث هناك، وهذه العظام يتصل بعضها ببعض بدروز خاصة وعامة يسمى الشوان فالخاصة خمسة:

أحدها: في مقدم الرأس في موضع يوضع فيه الإكليل مشترك مع الجبهة قوسي هكذا ويسمى الاكليلي.

الثاني: وسط الرأس قد ذهب في طوله ونصفه مستقيم يقال له وحده سهمي، وإذا اعتبر من جهة اتصاله بالإكليلي قيل له سفودي، وشكله قوس يقوم في وسطه خط مستقيم كالعمود وهو هكذا

الثالث: في مؤخر الرأس مشترك بين الرأس من خلف وبين قاعدته وهو على شكل زاوية متصل بنقطة في طرف السهمي، ويسمى الدرز اللامي لأنه يشبه اللام في كتابة اليونانيين وهو هكذا . وإذا انضم إلى الدرزين المقدمين صار شكله هكذا 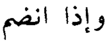 وهذه الدروز الثلاثة دروز حقيقية.

الرابع والخامس: الدرزان الكاذبان وهما ممتدان في طول الرأس فوق الأذنين على موازاة السهمي من الجانبين وليسا بغائصين في العظم تمام الغوص، ولهذا يسميان القشرتين وإذا اتصلا بالثلاثة الأول الحقيقية صار شكلها هكذا

وأما العامة وهي المشتركة بين الرأس وغيره فاثنان:

أحدهما: الذي يصل بين الرأس وبين اللحي الأعلى وهو الذي يبتدأ من الموضع الغائر من الصدغ من طرف الدرز الإكليلي، ويصير إلى موضع العينين فيمير فيه وفي الوسط بين الحاجبين حتى ينتهي إلى الطرف الآخر من الدرز الإكليلي فيلتزق به.

الثاني: الوصل بينه وبين القاعدة فيصل بين طرفي اللامي عند ما ينحدران إلى موضع القاعدة، ثم يصعد من الجانبين فيتصل بطرفي الإكليلي. واعلم أن ما ذكرنا من الخمسة فهي للرأس الذي شكله طبيعي أي مستدير له نتوّ في مقدمه ونتوّ في مؤخره، وأما الذي ليس كذلك فهو ثلاثة:

أحدها: الذي لا نتوّ له في مقدمه ولا يوجد فيه الإكليلي.

الثاني: ما لا نتوّ له في مؤخره فلا يوجد فيه اللامي.

الثالث: ما لا نتوّله في مقدمه ولا في مؤخره فلا يوجد فيه الإكليلي.

واللامي ويوجد فيه درزان متقاطعان على زوايا قائمة، ويصير الرأس كالكرة متساوي الطول والعرض ولكل هذه العظام حدود تفرزه من غيره. أما اليافوخان فحد كل من خلف أحد ضلعي اللامي ومن قدام الإكليلي، ومن الأسفل أحد القشرتين، ومن الأعلى السهمي. وأما الجانبان فحد كل منهما من الأعلى أحد القشرتين، ومن الخلف طرف اللامي، ومن القدام آخر الدرز العام الذي من طرف اللامي إلى طرف الإكليلي. وعظم المؤخر حده من الأعلى اللامي، ومن الأسفل الجزء الوسط من العام الذي بين الرأس والوتد الذي من طرف اللامي الإكليلي، وعظم المؤخر حدّه من الأعلى اللامي، ومن الأسفل الجزء الوسط من العام الذي بين الرأس والوتد وهو الواصل بين طرفي اللامي وعظم الجبهة حدّه فوق الإكليلي، ومن أسفل العام الواصل بين الرأس واللحي الأعلى.

واعلم أن القحف جثة الدماغ وجعل شكله مستديراً لئلا تسرع إليه الآفات، ولأن الشكل المستدير لا ينفعل عن المصادمات ما ينفعل عنه ذو الزوايا وليسع من جوهر ما يحتوي عليه مقداراً كثيراً، لأن الشكل المستدير أعظم مساحة مما يحيط به غيره من الأشكال المستقيمة الخطوط إذا تساوت إحاطتها، وخلق إلى طول مع استدارته مضغوطاً من الجانبين ناتئاً من قدام وخلف لأن الدماغ كذلك بسبب الشعب التي يأتي منه إلى المنخرين والعينين، وبسبب أبخرة المؤخر الذي هو منشأ النخاع، وفائدة دروزها اندفاع البخارات من منافذها، وفائدة كثرة عظامه أن الآفة إذا لحقت جزأ لم يقدح في البواقي، وليكون في الشرايين والأوردة الداخلة إلى الدماغ والخارجة منها مسالك، وأعظم تلك المسالك وهو مخرج النخاع وهو الذي من أسفل عند فقرة القفا. فهذا ما يتعلق بعظام القحف، ولم يذكر المصنف عظام الصدغين وهي أربعة لكل اثنان يسميان الزوج أحدهما ملتحم بالعظم الجبيني من عظام الرأس والآخر متصل بطرف الحاجب الذي هو عند الموق الأصغر من العين وكلاهما قرنا بـدرز مورب يفرق بينهما، ومنفعتهما حفظ عضل الصدغ عما يصاكه من خارج.

(وأربعة عشر للحي الأعلى) ستة في العينين لكل ثلاثة، واثنان للوجنتين وهما كبيران منهما أكثر الأسنان سوى الثنايا والرباعيات العليا واثنان صغيران وفيهما ثقبان من المنخرين إلى الفم، وإثنان في طرفي اللحي وفيهما بقية الاسنان، واثنان في الأنف. وأما دروز للحي الأعلى فالمشتركة قد ذكرت، والخاصة أربعة:

أحدها: يبتدىء من تحت زوج الصدغ من الدرز المشترك للحي والوتد ويصير إلى وسط الزيق الأسفل من محاجر العين، وينقسم هناك ثلاث شعب.

للّحي الأعلى، واثنتان للحي الأسفل، والبقية هي الأسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبعضها حادة تصلح للقطع وهي الأنياب والأضراس والثنايا؛ ثم جعل الرقبة مركباً

الثاني والثالث: يبتدئان من وسط الحاجبين ويمران إلى جانب المنخرين حتى ينتهيا إلى الموضع بين الرباعيات والأنياب.

الرابع: يقطع أعلى الحنك بالطول وكل واحد من هذه العظام يحده من جوانبه دروز من المشتركة والخاصة، وفائدة كثرتها أن الآفة إذا نالت أحدها لم يؤثر في الباقي.

(واثنان للحي الأسفل) طرف كل منهما من الأسفل في موضع الذقن يلتحم بصاحبه والآخر من فوق له شعبتان. إحداهما حادة دقيقة الرأس وهي تحت الزوج ويأتيها وتر عضلة الصدغ القائم بإطباق الفم، والثانية غليظة وهي من خلف داخلة في نقرة تحت الزيادة الشبيهة بحلمتي الثدي دخولاً يلتئم به منها ومن تلك النقرة مفصل.

(والبقية هي الأسنان) وهي اثنان وثلاثون في كل لحي ستة عشر **(بعضها عريضة)** خشنة الرؤوس **(تصلح للطحن)** وهي خمسة في كل من الجانبين وتسمى الأضراس والطواحين، **(وبعضها)** عراض حادة الرؤوس **(تصلح للقطع وهي الأنياب، والأضراس والثنايا)** منها أربعة من قدام وهي الثنيتان والرباعيات ويقال لها القطاعة إذ يقطع بها ما يؤكل من الطعام اللين، واثنتان عن جانبي الأربع ويقال لهما النابان وهما حادتا الرؤوس عريضتا الأصول يكسر بهما ما صلب من الطعام، ولكل من هذه الست أصل واحد، ولكل منها إذا كان من فوق ثلاثة أصول، وقد يكون لأقصاها أربعة وإن كان من أسفل أصلان، وقد يكون لاقصاها ثلاثة أصول، وإنما جعلت أصول الأضراس أكثر لشدة عملها ودوامه، وإنما جعلت أصول الفوقانية منها أكثر من أصول التحتانية لتعلقها. ومن عجيب الحكمة في هيئة الأسنان أن الثنايا والرباعيات يتماس ويلاقى في حالة العض، ولو لم يكن كذلك لم يتم العض على الأشياء وذلك يكون بجذب الفك إلى قدام حتى يلاقى بعضها بعضاً، وعند المضغ والطحن يرجع الفك إلى مكانه فيدخل الثنايا والرباعيات السفلانيات إلى داخل ويحيد عن موازاة العالية، فيتم بذلك الأضراس وقوع بعضها إلى بعض، وذلك لأنه لا يمكن تلاقي الثنايا والرباعيات التي في اللحي الأعلى في اللحي الأسفل أن يتلاقى الأضراس، وربما عدمت النواجز منها في بعض الناس وهي أربعة: الطرفانية فيكون أسنانه ثمانية وعشرين، النواجز تنبت في الأكثر في وسط زماني النموّ وهو بعد البلوغ إلى الوقوف، وذلك الوقوف قريب من ثلاثين سنة ولذلك تسمى اسنان الختم

تنبيه:

اختلف الأطباء في المادة التي تخلق منها الأسنان فقال بعضهم: هي عظام لأنها صلبة يابسة قابلة للكسر غير مدركة لألم السحق والنحت، وإليه يميل سياق المصنف. وقال بعضهم: هي أعصاب لأنها تدرك الحرارة والبرودة وألم الضربان والوجع والحكة ويحصل لها الضرس من

للرأس وركبها من سبع خـرزات مجوّفـات مستـديـرات، فيهـا تحريفـات وزيـادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها. ثم ركب الرقبة على

الحموضات، وذلك خدرها والخدر مخصوص بالعصب. قال المتـأخـرون: والحق هـو الأول وهـي عظام قد غلب عليها البرد واليبس، وقد اتصل بها شعب من العصب الدماغي، وقد أنبتت في أصولها وهي الموجبة لإدراكها الوجع والضربان والحرارة والبرودة وغيرها، وقد اختلفوا أيضاً هل أصلها من مني الأب والأم أو هي من الغذاء؟ واستدل القائلون بالأول بأنها لو كانت من الغذاء لنبتت كلما انكسرت وسقطت وليس كذلك، واستدل القائلون بالثاني بأنها لو كانت من المني لم يوجد الجنين إلا بها ولم تنبت هي إذا سقطت كما في الأطفال وليس كذلك، والحق أنها من مادة المني لكن تلك المادة كامنة في عظام الفكين، والعلة الغائية في ذلك أن الطفل لا يحتاج إلى الأسنان في أول الأمر لأن غذاءه من اللبن وفكاه صغيران وعظامها ضعيفة يكون ما ينبت منها مناسباً لها في الضعف والصغر، فلم تف بما يحتاج إليه من المضغ والكسر وغير ذلك إلى آخر العمر. فالعناية الأزلية اقتضت تأخير خروجها ونباتها إلى حين الحاجة والاستعداد التام للوفاء بما هو المطلوب منها من الشكل والعظم والقوة والصلابة وغيرها. وأما سقوط أسنان الأطفال ونباتها ثانية فالحكمة فيه أن الطفل إذا صار محتاجاً إلى الاغتذاء بغير اللبن اقتضت العناية نبات أسنانه لكنها تكون ضعيفة صغيرة مناسبة لعظام الكفين، ولذلك لا يفي بما هو المراد إلى آخر، فقدر الباري تعالى أن يسقط ويدخر الطبيعة شيئاً من المادة لإنباتها مرة ثانية بحيث يفي بالمراد إلى حلول الأجل الطبيعي، ولسقوطها سبب آخر وهو نموّ الإنسان وكبر أعضائه فيتسع بالضرورة مكان الأسنان فيتحرك ويتزلزل ويسقط، وما يقال من أن بعض الشيوخ تسقط أسنانه وتنبت مرة ثالثة فغير مستبعد، إذ قد تكون المادة التي تخلق الأسنان منها أوفر مما هو الأغلب والأكثر المعتاد في الأشخاص وذلك نار فيفي بنباتها مرة ثالثة، ومادة السن الزائدة هي أيضاً من هذا القبيل. أعني من توفر المادة كمادة الأصبع الزائدة، وقد نبت لبعض الناس بعد البلوغ أسنان صغار ومادتها ما ذكرنا.

(ثم جعل الرقبة مركباً للرأس وركبها من سبع خرزات مجوّفات مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها).
اعلم أن عظم الصلب ينقسم أربعة أجزاء. أحدها: الرقبة وهي مركبة من سبع فقرات، والفقرة عظم في وسطه ثقب ينفذ فيه النخاع ويقال لها أيضاً الخرزة. الثاني: الظهر. الثالث: القطن والحقو. الرابع: العجز، وسيأتي بيان كل ذلك. ومن الفقرات ما تسمى بالزوائد وهي ثلاثة أجناس. أحدها: يسمى بالشوك والسناسن، الثاني: الزوائد المعترضة فما منها من فقار الرقبة مثقوب وهي في الأولين بسيطة وفي الخمس الباقية مشقوقة باثنين، وما منها في البواقي غير مثقوب الثلاث الزوائد التي بها تلتئم مفاصل الفقار وهي في كل أربع اثنتان شاخصتان إلى فوق واثنتان إلى أسفل، وفي خرز الرقبة وخرز القطن زائدتان للوقاية. وقوله: فيها تحريفات وزيادات ونقصانات يشير به إلى أن في كل من الفقرات الستة السفلية من الرقبة نصف ثقبة هي نصف دائرة تامة وتلتئم من اثنين

الظهر، وركب الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خرزة، وركب عظم العجز من ثلاثة أجزاء مختلفة، فيتصل به من أسفله عظم العصعص وهو أيضاً مؤلف من ثلاثة أجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام

دائرة تامة أيضاً، والفقرة الأولى يخرج العصب من ثقب فيها خاصة لمكان المفاصل التي من جانبيها.

(ثم ركب الرقبة على الظهر وركب الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خرزة) اثنتا عشرة منها تسمى فقرات الصدر أيضاً لأن حد الصدر الأسفل ينتهي عند قبالتها، وسائر الفقرات يتصل كل منها بصاحبتها من قدّام برباطات ومن خلف بزوائد يدخل من كل في الأخرى، ومنها خمس للقطن والحقو. **(وركب عظم العجز)** وهو عظم عريض يعرف بالعظم الأعظم **(من ثلاثة أجزاء مختلفة)** وعند المشرحين مركب من جزأين. أحدهما: يسمى العجز باسم الجميع وهو مركب من ثلاثة عظام شبيهة بالفقرات، **(فيتصل به من أسفله عظم العصعص)** وهو الجزء الثاني من العجز، **(وهو أيضاً مؤلف من ثلاثة أجزاء)** غضروفية وتختلف هذه الخرز في الاتصال والمقدار والثخن والزوائد والثقب، ولعظم العجز زوائد شوكية وشاخصة إلى الفوق وأسفل، وأما التي في الجانبين فهي عراض.

واعلم أن منافع عظم الصلب خمس. **إحداها:** أنه أساس الأعضاء. **الثانية:** مرور النخاع في تجويفه والحاجة إلى النخاع ضرورية إذ لا بدّ للأعضاء من عصب الحس والحركة، ولو كان العصب كله يأتيها من نفس الدماغ لانقطع إذا بعدت المسافة على أنه لم يمكن أن ينسب من الدماغ عصب صلب يصلح لتحريك اليدين والرجلين للين جوهره. **الثالثة:** كونه جنة للنخاع واقية. **الرابعة:** القدرة على الانحناء والانبساط، ولذا جعل مركباً من الفقرات الكثيرة إذ لو كان واحداً لتعذر ذلك. **الخامسة:** أن يستر الأعضاء الموضوعة عليها ويدفع عنها

(ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر) وهي سبعة يتصل بعضها ببعض وابتداؤها من حيث نقرة الحلق وانتهاؤها من أسفل الثدي بقليل حيث أضيق موضع من المواضع التي يحس من البطن، **(وعظام الكتف)** وهي أربعة لكل إثنان أحدهما له تقعير من باطنه لتحدب الاضلاع وتجويف من ظاهره ونتوّ من خلفه يقال ظاهر الكتف وعين الكتف، وله عنق في طرفه نقرة يدخل منها رأس العضد وفيه زائدتان إحداهما من خلف في الطرف الأعلى شبيهة بمنقار الغراب وتسمى الأخرم وبها يرتبط الكتف بالترقوة وهي تمنع رأس العضد أن ينخلع، والثانية: عظم غضروفي إلى فوق من داخل يمنع رأس العضد أن ينخلع.

(وعظام اليدين): وهي ستة عشر لكل ثمانية وهي عظام صلبة صلدة عديمة المخ سبعة منها نضدت صفين، فالصف الأعلى من ثلاثة والأسفل من أربعة، وذلك لأن أعلى الرسغ موصول بعضو ضيق الطرف ليس بين عظميه في هذا الجانب فرجة أعني الساعد وأسفله متصل بعضو

اليدين وعظام العانة وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين، فلا نطول بذكر عدد ذلك. ومجموع عدد العظام في بدن الإنسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظماً سوى العظام الصغيرة التي حشي بها خلل المفاصل. فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة سخيفة رقيقة. وليس المقصود من ذكر أعداد العظام أن يعرف عددها، فإن هذا علم

عريض أعني مشط الكف، وأما الثامن فإنما خلق لحفظ عصبة هناك تأتي الكف لا للرسغ خاصة.

(وعظام العانة وعظام العجز). اعلم أن عظم العانة واحد وهو جزء من أربعة أجزاء من عظمي الوركين، وبيانه أن عظمي الوركين متصلان بعضم العجز من جانبيه عن يمينه وعن شماله، ولكل أربعة أجزاء فيقال للذي بجنبه منها عظم الخاصرة، وللذي من قدامه عظم العانة، وللذي من خلفه عظم الورك، وللجزء الباطن المجوّف حق الفخذ، وأما عظام العجز فقد تقدم الكلام عليها.

(ثم عظام الفخذين). وهما عظمان من أعظم عظام البدن لأنهما يحلان ما فوقهما ويقومان بتحريك عضو عظيم أعني جملة الرجل والطرف الأعلى من كل منقول إلى الجانب الوحشي ليكون للعضل والعصب والعروق موضع والأسفل إلى الأنسي ليتمكن البدن منه بوثاقة وحرز، ولكل رأسان الأعلى مدوّر داخل في حق الفخذ ويسمى رمانة الفخذ، والأسفل ذو شعبتين يدخلان في نقرتين في رأس عظم الساق.

(والساقين) : وهي ستة لكل ثلاثة: **أحدها**: القصبة العظمى ويقال له عظم الساق، والقصبة الأنسية لوضعه في الجانب الأنسي. **والثاني**: الصغرى والوحشية وهي أقصر من تلك، ولذا لا تبلغ مفصل الركبة وإنما تبلغه العظمى فيدخل رأسان من عظم الفخذين في حفرتين فيها، وطرفا هذين يلتقيان عند الكعب فيحدث فيما بينهما المفصل الثالث من مفاصل الرجل. **الثالث**: عين الركبة وهو عظم مطبق على مفصل الركبة مستدير فيه غضروفية ويسمى الرحى.

(وأصابع الرجلين) : وهي مؤلفة من أربعة عشر عظماً لأن الإبهام فيها مؤلف من كعبين والبواقي من ثلاث؛ فهذه جملة عظام البدن، ولم يذكر عظمي العضدين ولا عظام الساعدين وهي أربعة لكل اثنان هما الزندان، ولا عظام شطر الكفين وهي ثمانية لكل أربعة، ولا عظام أصابع اليدين وهي ثلاثون لكل خمسة عشر، ولا عظام القدمين وهي اثنان وخمسون لكل ستة وعشرون. **(فلا نطيل بذكر عدد ذلك، ومجموع عدد العظام في بدن الإنسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظماً سوى)** السمسمانيات وهي **(العظام الصغيرة التي حشي بها خلل المفاصل)** من السلاميات وهي عظام الأصابع لزيادة الاستيثاق منها سميت بذلك لتشابهها السمسم، وسوى العظم الشبيه باللام اليوناني، وسوى العظم الذي في القلب فإنهما عند بعض الناس من جنس الغضروف والاختلاف في عدد جملة عظام القدمين بل البدن كثير وتفصيله مودع في كتب التشريح، **(فانظر كيف خلق جميع ذلك من نطفة)** قذرة **(سخيفة رقيقة، وليس**

قريب يعرفه الأطباء والمشرحون، وإنما الغرض أن ينظر منها في مدبرها وخالقها أنه كيف قدّرها ودبرها وخالف بين أشكالها وأقدارها، وخصصها بهذا العدد المخصوص لأنه لو زاد عليها واحداً لكان وبالاً على الإنسان يحتاج إلى قلعه، ولو نقص منها واحداً لكان نقصاناً يحتاج إلى جبره، فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصوّرها، فشتان بين النظرين. ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الإنسان خمسمائة عضلة وتسعاً وعشرين عضلة والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأغشية، وهي مختلفة المقادير والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها. فأربع

المقصود من ذكر أعداد العظام أن يعرف عددها) فقط، **(فإن هذا علم قريب)** سهل التناول **(يعرفه الأطباء والمشرحون)** أي أرباب التشريح، **(وإنما الغرض)** المطلوب من ذلك **(أن ينظر منها في مدبرها وخالقها أنه كيف قدرها ودبرها وخالف بين أشكالها واقدارها وخصصها بهذا العدد المخصوص، لأنه لو زاد عليها واحداً لكان وبالاً على الإنسان يحتاج إلى قلعه)** وإزالته **(ولو نقص منها واحداً لكان نقصاناً يحتاج إلى جبره، فالطبيب ينظر فيها ليعرف وجه العلاج في جبرها، وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصوّرها، فشتان بين النظرين)** نظر البصر ونظر البصيرة.

(ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهي العضلات فخلق في بدن الإنسان خمسمائة عضلة وتسعاً وعشرين عضلة) أو سبعاً وعشرين وهذا على قول جالينوس، **(والعضلة مركبة من لحم وعصب وربط وأغشية)** فاللحم هو حشو خلل الأعضاء وقوّتها التي يندعم بها، ويندرج في هذا الحد أنواع اللحم. أحدها: اللحم الذي في العضل هو أكثر ما في البدن. والثاني: اللحم المفرد وهو لحم الفخذين ولحم ظاهر الصلب وباطنه ولحم الأسنان. والثالث: اللحم العددي كلحم الأنثيين ولحم الثدي وغير ذلك. والرابع: السمين وهو ما يعلو على اللحم الأحمر. والخامس: الشحم وهو جسم أبيض لين. وأما العصب فهو عضو أبيض لدن في الانعطاف صلب في الانفصال، وأما الرباط فهو عضو عصباني المرأى والملمس من جهة البياض واللدونة، وأما الأغشية فهي أعضاء عصبانية عريضة شديدة صلبة القوام. **(وهي مختلفة المقادير والأشكال بحسب اختلاف مواضعها قدر حاجاتها)**، ومنفعتها أن الإنسان إذا أراد أن يقرب عضواً من آخر حرك العضل فتشنجت وزاد في عرضها ونقص من طولها، وإذا أراد التبعيد حركها فاسترخت وزاد في طولها ونقص من عرضها فحصل المقصود، والعضل الذي يحرك عضواً كبيراً يكون كبيراً كالعضل الذي في الفخذ وينبت منه إما وتر وإما أوتار متصل بالعضو الذي يحركه، وربما تعاونت عدة عضلات على تحريك عضو واحد، والذي يحرك عضواً صغيراً كالعضلات المحركة للأجفان العليا، فإنها صغار جداً وليس لها أوتار، وكل عضو يتحرك حركة

وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين وأجفانها لو نقصت واحدة من جملتها اختل أمر العين. وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص. وأمر

إرادية فإنه له عضلة بها تكون حركته فإن كان يتحرك إلى جهات متضادة كانت له عضلات متضادة الوضع يجذبه كل منها إلى ناحيتها عند كون تلك الحركة، ويمسك المضادة لها عن فعلها وإن عملت المضادتان في الوضع في وقت واحد انشق العضو أو تمدد مستقيماً لا يتحرك. مثال ذلك أن الكف إذا مدّها العضل الموضوع في باطن الساعد انثنى، وإن مده العضل الموضوع في ظهره انحنى وانقلب إلى خلف، وإن مداها جميعاً استوى وقام بينهما، وجملة ما للبدن من الحركات الإرادية حركة جلدة الجبهة وحركة العينين والخدين وطرفي الأنفين والشفتين واللسان، وحركة الحنجرة والفك، وحركة الرأس والعنق، وحركة الكتف، وحركة مفصل العضد مع الكتف، وحركة مفصل العضد مع الساعد، وحركة مفصل الساعد مع الرسغ، وحركة جملة الأصابع، وكل واحد من مفاصلها، وحركة الأعضاء التي في الحلق، وحركة الصدر للتنفس، وحركة القضيب وحركة المثانة في منعها خروج البول وحركة المعي المستقيم في منعها خروج الثفل وحركة مراق البطن، وحركة مفصل الورك والفخذ، وحركة مفصل الفخذ والساق، وحركة مفصل الساق والقدم.

(فاربع وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدقة العين وأجفانها لو نقصت واحدة من جملتها اختل أمر العين). ثلاث منها لتحريك الجفن رأسها معلق في العظم الحاوي للعين ووترها يمر في وسط طيّ الغشاء الذي يكون منه الجفن ويتصل بوسط حافة الجفن وهو يفتحه. واثنتان موضوعتان في موق العين مدفونتان في حفرتها ووتراهما يأتيان حافة الجفن ويتصلان به من جانبه وهما يغمضان العين باطباقهما الجفن، وذلك إذا فعل كل منهما فعلها فإن نال إحداهما آفة انطبق بعض الجفن ويبقى باقيه مفتوحاً وواحـدة وقيل: اثنتان، وقيل ثلاثة يدعم العصبة المجوّفة التي يكون بها البصر ويثبتها حتى لا تنالها بسبب لينها عند التحديق الشديد لمن ينقطع، وست عضلات تحرك العين أربع إلى الاستقامة إحداها تميلها إلى فوق. الثانية: تحفظها إلى أسفل. الثالثة: تحركها يمنة. الرابعة: تحركها يسرة، واثنتان على الإستدارة فهذه عشرة أو إحدى عشرة أو اثنتا عشرة لعين وللأخرى كذلك.

(وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص) منها تسع للوجه اثنتان مـن جانبي الخدين يحركان الخدود من اللحي ويفرقان بين الشفتين وهما عريضتان، واثنتان تجذبان الشفة السفلى إلى أسفل، واثنتان تبسطان طرف الأنف، وواحدة تحت جلدة الجبهة. ومنها اثنتا عشرة لتحريك الفك الأسفل، ومنها ثلاث وعشرون لتحريك الرأس والعنق، ومنها اثنتان وثلاثون لحركة الحلق والحنجرة، ومنها تسع لتحريك اللسان، ومنها أربع عشرة للكتفين، ومنها ست وعشرون للعضدين، ومنها ثمان لمفصل المرفقين، ومنها أربع وثلاثون في الساعدين، ومنها ست وثلاثون في الكتفين، ومنها مائة وسبع لحركة الصدر، ومنها ثمان وأربعون لتحريك الصلب، ومنها ثمان موضوعة على البطن، ومنها أربع للإنثيين، ومنها واحدة لعنق المثانة، ومنها أربع تحرك

الأعصاب والعروق والأوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها أعجب من هذا كله وشرحه يطول فللفكر مجال في آحاد هذه الأجزاء ، ثم في آحاد هذه الأعضاء ، ثم في جملة البدن فكل ذلك نظر إلى عجائب أجسام البدن ، وعجائب المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس أعظم ، فانظر الآن إلى ظاهر الإنسان وباطنه وإلى بدنه وصفاته فترى به من العجائب والصنعة ما يقضي به العجب ، وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء قذرة ،

الذكر ، ومنها أربع تحيط بالدبر ، ومنها ست وعشرون أو أربع وعشرون أو اثنتان وعشرون لمفصل الورك ، ومنها ثمان عشرة أو عشرون لمفصل الركبتين وحركة الساق ، ومنها ثمان وعشرون لحركة القدم ، ومنها ثمان وخمسون أو اثنتان وخمسون موضوعة في القدم لبقية حركات الأصابع .

(وأمر الأعصاب والعروق والأوردة والشرايين وعددها ومنابتها وانشعاباتها أعجب من هذا كله وشرحه يطول) . فالأعصاب مبدأها من الدماغ والنخاع وجميعها أزواج سوى عصب واحد فإنه فرد ولا زوج له وهو آخر النخاعيات ، فما نبت من الدماغ نفسه سبعة أزواج بها حس الحواس الخمس وحس بعض الأعضاء .

وأما العروق ، فمنها نوابض ومنها ضوارب ، فمن النوابض الأوردة ومنبتها الكبد ولها انشعابات فما يأتي منها اليد من ناحية الإبط يسمى الباسليق ، وما جاء إلى اليد من الجانب الوحشي يسمى القيفال ، وما غار في العنق مصعداً يسمى الودج ، وما كان عند المرفق يسمى الأكحل وما ركب الزند الأعلى يسمى حبل الذراع ، وما بلغ رأس الزند الأسفل يكون من بعضه شعبة العرق الذي بين الخنصر والبنصر المسمى بالأسيلم ، وما يمر في عضد الساق الداخل والخارج يسمى المابض ، وما ظهر عند الكعب الداخل يسمى الصافن ، وما يمر في الجانب الظاهر من الساق وهو غائر إلى ناحية الكعب الخارج يسمى عرق النساء . وفعل الجميع جذب الكيلوس إلى الكبد . وأما الضوارب : فهي الشرايين ومنبتها التجويف الأيسر من القلب ، ويخرج من هذا التجويف شريانان . أحدهما صغير غير متضاعف يسمى الشريان الوريدي ، والثاني كبير جداً يسمى الأبهر ، وحين طلوعه تتشعب منه شعبتان . احداهما وهي أصغرهما تصير إلى التجويف الأيمن من تجويفي القلب ، والثانية تستدير حول القلب ثم تدخل إليه وتتفرق فيه ، ثم إن الباقي من العرق النابت من تجويف القلب الأيسر بعد انشعاب هاتين الشعبتين ينقسم قسمين . احدهما : يأخذ نحو أعلى البدن وتتشعب منه في مصعده من الجانبين شعب ، والثاني يأخذ نحو أسافل البدن فيركب خرز الصلب نازلاً إلى أسفل وتتشعب منه عند كل خرزة شعبة يمنة وأخرى يسرة .

(فللفكر مجال في آحاد هذه الأجزاء في آحاد الأعضاء في جملة البدن) من حيث المجموع من هذه الأجزاء والأعضاء ، **(فكل ذلك نظر إلى عجائب أجسام البدن وعجائب المعاني والصفات)** الباطنة **(التي لا تدرك بالحواس)** الظاهرة **(أعظم ، فانظر الآن إلى ظاهر الإنسان وباطنه وإلى بدنه وصفاته المركبة فيه فترى فيه من العجائب والصنعة ما يقضي به**

فترى من هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت السموات وكواكبها وما حكمته في أوضاعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرّق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها ؟ فلا تظنن أن ذرّة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هي أعظم خلقاً وأتقن صنعاً وأجمع للعجائب من بدن الإنسان. بل لا نسبة لجميع ما في الأرض إلى عجائب السموات ولذلك قال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خلقاً أَمْ السَّماءُ بَنَاهَا ★ رفع سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ★ وأغطَشَ لَيلَها وأخرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٢٧ - ٢٩] ، فارجع الآن إلى النطفة وتأمل حالها أوّلاً وما صارت إليه ثانياً ، وتأمل أنه لو اجتمع الجن والإنس على أن يخلقوا للنطفة سمعاً أو بصراً أو عقلاً أو قدرة أو علماً أو روحاً أو يخلقوا فيها عظماً أو عرقاً أو عصباً أو جلداً أو شعراً هل يقدرون على ذلك ؟ بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقته وكيفية خلقته بعد أن خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه ، فالعجب منك لو نظرت إلى صورة إنسان مصوّر على حائط تأنق النقاش في تصويرها حتى قرب ذلك من صورة الإنسان وقال الناظر إليها: كأنه إنسان! عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته وعظم في قلبك محله ، مع أنك تعلم أن تلك الصورة إنما تمت بالصبغ والقلم واليد وبالحائط وبالقدرة وبالعلم وبالإرادة ،

العجب وكل ذلك صنع الله) تعالى **(في قطرة ماء قذرة فترى من هذا صنعه في قطرة ماء فما صنعه في ملكوت السموات وكواكبها ، أو ما حكمته في أوضاعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها واجتماع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاربها ، فلا تظنن أن ذرة في ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم ، بل هي أحكم خلقا وأتقن صنعاً وأجمع للعجائب من بدن الإنسان، بل لا نسبة لجميع ما في الأرض إلى عجائب السموات، ولذلك قال تعالى: ﴿أأنتم أشدُّ خلقاً)** أي أصعب خلقاً **(أم السماء)** ثم بين كيف خلقها فقال: **(﴿بناها﴾ فارجع الآن إلى النطفة وتأمل حالها أولاً)** كيف كانت في قلتها وحقارتها ، **(وما صارت إليه ثانياً)** بعد اختلاف الأطوار السبعة عليها ، **(وتأمل لو اجتمع الإنس والجن على أن يخلقوا للنطفة سمعاً أو بصراً أو عقلاً أو قدرة أو علماً أو روحاً ، أو يخلقوا فيها عظماً أو عرقاً أو عصباً أو جلداً أو شعراً هل يقدرون على ذلك؟ بل لو أرادوا أن يعرفوا كنه حقيقة وكيفية خلقته بعد أن خلق الله تعالى ذلك لعجزوا عنه. فالعجب منك لو نظرت إلى صورة إنسان مصوّر على حائط)** أو خشب أو ورق وقد **(تأنق النقاش في تصويرها)** وتحليتها **(حتى قرب ذلك من صورة الإنسان، وقال الناظر إليها كأنه إنسان)** وهو غاية التقريب ، **(عظم تعجبك من صنعة النقاش وحذقه وخفة يده وتمام فطنته ، وعظم في قلبك محله مع أنك تعلم أن تلك الصورة إنما تمت بالصبغ والقلم وبالحائط**

وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره، وإنما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص، فيكثر تعجبك منه وتستعظمه وأنت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الأصلاب والترائب، ثم أخرجها منها وشكلها فأحسن تشكيلها وقدّرها فأحسن تقديرها وتصويرها، وقسم أجزاءها المتشابهة إلى أجزاء مختلفة فأحكم العظام في أرجائها وحسن أشكال أعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها وأعصابها وجعلها مجرى لغذائها ليكون ذلك سبب بقائها، وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة. وخلق لها الظهر أساساً لبدنها والبطن خاوياً لآلات غذائها والرأس جامعاً لحواسها ففتح العينين ورتب طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وهيئاتها، ثم حماها بالأجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الأقذاء عنها، ثم أظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات مع اتساع أكنافها وتباعد أقطارها فهو ينظر إليها، ثم

واليد وبالقدرة وبالعلم والإرادة، وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره، وأما منتهى فعله الجمع بين الصبغ والحائط على ترتيب مخصوص، فيكثر تعجبك منه وتستعظمه. وأنت ترى النطفة القذرة كانت معدومة فخلقها خالقها في الأصلاب والترائب) وجمعها من بين الذكر والأنثى، **(ثم أخرجها منها)** فألقاها في الرحم **(وشكلها فأحسن تشكيلها وقدّرها فأحسن تقديرها و)** صوّرها فأحسن **(تصويرها، وقسم أجزاءها المتشابهة إلى أجزاء مختلفة فأحكم العظام)** التي هي دعائم البدن **(في أرجائها)** أي أطرافها، **(وحسن أشكال أعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورتب عروقها وأعصابها وجعلها مجرى لغذائها)** وممداً لإيصال منافعها، **(ليكون ذلك سبب بقائها)** في الدنيا **(وجعلها سميعة بصيرة عالمة ناطقة، وخلق لها الظهر أساساً لبدنها والبطن حاوياً لآلات غذائها والرأس جامعاً لحواسها)** الظاهرة، **(ففتح العينين ورتب طبقاتها)** بما في أثنائها من الرطوبات **(وأحسن شكلها ولوّنها وهيئاتها ثم حماها بالأجفان)** من الأعلى والأسفل **(لتسترها)** من عوارض الآفات **(وتحفظها)** عن اشعة الشمس **(وتصقلها وتدفع الأقذاء عنها)** بأهدابها، **(ثم أظهر في مقدار عدسة منها صورة السموات مع إتساع أكنافها وتباعد أقطارها فهو ينظر إليها)** وللناس في صفة الأبصار خمسة مذاهب:

أحدها: وهو مذهب المتكلمين أن الابصار علم خاص يتعلق بالمعلوم على ما هو عليه.

والثاني: قول الطبيعيين وهو أن الإبصار ورود صورة المرئي على الرائي فينطبع فيه مثال للمرئي فيدركه بانطباع صورته فيه.

والثالث: قول الرياضيين وهو أن الإبصار لأجل أن الشعاع يخرج من العين على شكل مخروط رأسه عند مركز البصر وقاعدته عند سطح المبصر.

شق أذنيه وأودعها ماء مراً ليحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوّطها بصدفة الأذن لتجمع الصوت فترده إلى صماخها ولتحس بدبيب الهوام إليها، وجعل فيها تحريفات واعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه فيتنبه من النوم صاحبها إذا قصدها دابة في حال النوم. ثم رفع الأنف من وسط الوجه وأحسن شكله، وفتح منخريه وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذيته، وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحاً لحرارة باطنه. وفتح الفم وأودعه اللسان ناطقاً

والرابع: أن الإبصار بأن يخرج من العين خط واحد مستقيم ينتهي إلى المبصر ثم يتحوّل على سطحه حركة في غاية السرعة في الطول والعرض فيحصل الإدراك.

والخامس: أن لا يخرج من العين شعاع لكن الشعاع الذي فيه يتكيف الهوى بكيفيته ويصير ذلك آلة للإبصار، والحق في هذه الأقوال هو الأول وقد وردت على بقية الأقوال إيرادات مع أن مسائل المبصرات في علم المناظر إنما تتخرج على قاعدة الشعاع، وبسط ذلك في المبسوطات في هذا العلم، وقد أورد الشهاب القرافي في كتابه الاستبصار لما يدرك بالأبصار منها جملة ولا يليق إيراده هنا.

(ثم شق أذنيه) وركبها من اللحم والغضروف والعصب الحساس، **(وأودعها ماء مراً يحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وحوطها بصدفة الأذن ليجتمع الصوت فترده إلى صماخها وليحس بدبيب الهوام إليها، وجعل فيها تحريفات واعوجاجات ليكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه، فينتبه عن النوم صاحبها إذا قصدها دابة في حال النوم)** ولئلا يصادم الأصوات المزعجة عصب الحس دفعة بعنف فتلحقه آفة. واعلم أن داخل الأذن فضاء هو موضوع مجوّف وتقعير يؤدي إليه ثقبه، وقد انبسط غشاء منتسج من ليف عصب الحس على محيط ذلك الفضاء كانبساط الجلد على الطبل، وبهذا الغشاء يكون السمع عندما يقرعه الصوت لأن في ذلك الفضاء هواء راكداً، فكلما وصل الهواء الخارجي المتموّج إلى العصب حرك الهواء الداخل فيصادمان العصب معاً فيدرك الصوت.

(ثم رفع الأنف من وسط الوجه) بعد أن ركبه من العظم والغضروف والعضل، **(وأحسن شكله وفتح منخريه وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذيته، وليستنشق بمنفذ المنخرين روح الهواء غذاء لقلبه وترويحاً لحرارة باطنه)** اعلم أن عضلة النصف الأعلى القريب من الحاجبين عظيمة، وعضلة النصف الأسفل غضروفية ومجراه إذا علا انقسم قسمين. أحدهما: يفضي إلى أقصى الفم، والثاني يمر صاعداً حتى ينتهي إلى العظم الشبيه بالمصفاة الموضوع في وجه زائد في الدماغ، وبعد هذا العظم منفذ في الغشاءين تنفذ فيه الرائحة الواصلة إلى الزائدة إلى الدماغ، فبهذا المجرى يكون الشم وبالأولى التنفس الجاري على العادة لا

وترجماناً ومعرباً عما في القلب. وزين الفم بالأسنان لتكون آلة الطحن والكسر والقطع فأحكم أصولها وحدّد رؤوسها وبيض لونها، ورتب صفوفها متساوية الرؤوس متناسقة الترتيب كأنها الدرّ المنظوم وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم فتسدّ منفذه وليتم بها حروف الكلام. وخلق الحنجرة وهيأها لخروج الصوت، وخلق للسان قدرة للحركات والتقطيعات لتقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع بها طريق النطق بكثرتها. ثم خلق الحناجر مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر، حتى اختلفت بسببها الأصوات، فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرّد الصوت في الظلمة. ثم زين الرأس بالشعر والأصداغ. وزين الوجه باللحية

الكائن بالفم، ومن منفذي الأنف منفذان إلى الحنك بهما يصير الصوت صافياً فإذا انسدّا تغير الصوت ومنفذان إلى مآقي العين بهما يصل رائحة الكحل إلى الأنف.

(**وفتح الفم وأودعه اللسان ناطقاً وترجماناً ومعرباً عما في القلب**) وهو مركب من اللحم والعروق والشريانات والعصب الحساس والغشاء المتصل بغشاء المريء، وقد التفت به عروق كثيرة صغار فيها دم هو سبب حمرة لونه، وتحته عروق وشريانات وأعصاب كثيرة، وتحته فوهتان يخرج منها اللعاب وبها يبقى في اللسان وما حوله النداوة الطبيعية. (**وزين الفم بالأسنان ولتكون آلة للطحن والكسر والقلع**) فمنها الطواحن، ومنها الكواسر، ومنها القواطع كما تقدم بيانها (**فاحكم أصولها وحدد رؤوسها وبيّض لونها ورتب صفوفها متساوية الرؤوس متناسقة الترتيب كأنها الدر المنظوم**) في السلك. (**وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم فتسد منفذه وليتم بها حروف الكلام**) الشفوية.

(**ثم خلق الحنجرة**) مشدودة مع العصبة بالمريء (**وهيأها لخروج الصوت، وخلق للسان قدرة الحركات والتقطيعات لتقطع الصوت في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها، ثم خلق الحناجر مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر، حتى اختلفت بسببها الأصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقان حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت في الظلمة**) : اعلم أن الحنجرة مؤلفة من ثلاث غضاريف. **أولها** : الدرقي وهو قدام الحلق مقعر الباطن محدب الظاهر متصل بأصل اللسان. **الثاني**: يحاذي الدرقي في خلف. **الثالث**: مكبوب عليها ويلقي الدرقي بغير اتصال ويسمى المكبي وهما يأتيان الدرقي عند الآكل فيساعدانه على تغطيه قصبة الرئة وضمها لئلا ينزل فيه شيء مما يؤكل ويشرب وينحيانه عنه عند الكلام فينفتح، وإنما ينتــو الحنجرة ويغلظ الصوت عند الإدراك لأن الحرارة التي تنهض في ذلك الوقت توسع

والحاجبين. وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل. وزين العينين بالأهداب. ثم خلق الأعضاء الباطنة وسخر كل واحد لفعل مخصوص. فسخر المعدة لنضج الغذاء، والكبد لإحالة الغذاء إلى الدم، والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد. فالطحال يخدمها بجذب السوداء عنها. والمرارة تخدمها بجذب الصفراء عنها. والكلية تخدمها بجذب المائية

الحنجرة فينتو ويغلظ الصوت، والآلة التي تحرك الهواء الذي هو مادة الصوت بحركتي الانقباض والانبساط يسمى بالحجاب، واللهاة عضو معلق فوق الحنجرة يصل إليه أولاً كل شيء خرج من الحنجرة كالتنفس والنفث والصوت، وكل شيء دخل فيها كالهواء والدخان ونحوهما ويدفع مضرة ذلك عن الحنجرة وقصبة الرئة، ولهذا يتغير صوت من قلع لهاته وتضرر حنجرته، والحنك كقبة يتضاعف الصوت إذا حصل فيه، والهواء الذي هو مادة الصوت ما دام في العصبية يكون كالدخان، فإذا وصل إلى طرف القصبة صار صوتاً وحركة اللسان بمعونة الأسنان تظهر الحروف في ذلك الصوت فيصير كلاماً. واعلم أن في الحنجرة رطوبة دسمة لزجة كائنة في تضاعيف غضاريف الحنجرة بها يكون الصوت صافياً، فإذا عرض لأحد حمى محرقة تحرق تلك الرطوبة فلا يقدر على إخراج الصوت، وكذا من تكلم كثيراً أو سافر في هواء حار يابس فإنهما لا يقدران على التكلم إلا إذا بلاّ حلقهما بالماء أو بشيء آخر رطب.

(**ثم زيّن الرأس بالشعر**) في الرجال والنساء، (**والأصداغ**) جمع صدغ وهو الشعر الذي يدلي ما بين لحظ العين إلى أصل الأذن وهذا للنساء خاصة. (**وزين الوجه باللحية**) وهذا للرجل خاصة، ومن تسبيح بعض الملائكة: سبحان من زين الرجال باللحى والنساء بالشعور (**والحاجبين**) وهذا للرجال والنساء جميعاً، (**وزين الحاجب برقة الشعر واستقواس الشكل، وزين العينين بالأهداب**) جمع هدب وهو ما نبت من الشعر على أشفار العين.

(**ثم خلق الأعضاء الباطنة وسخر كل واحد**) منها (**لفعل مخصوص، فسخر المعدة**) التي هي حوض البدن (**لإحالة الغذاء إلى الدم**). وهي جسم مستدير الهيئة مركب من اللحم والعصب والعروق والشرايين والغشاءين، (**والطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد، فالطحال**) عضو مستطيل الشكل كاللسان سخيف اللحم كمد اللون مغشى بغشاء يأتيه من الصفاق ليس له في نفسه حس بل لغشائه (**يخدمها بجذب السوداء عنها**) وهو وعاء السوداء وبالوعتها، وموضعة في الجانب الأيسر من ضلوع الخلف والمعدة، وجعل متخلخلاً ليستقر السوداء المنجذب إليه في تضاعيفه، وجعل فيه الشرايين الكثيرة لتقابل حرارتها برودة السوداء. (**والمرارة**) عضو عصباني ذو طبقة واحدة كخريطة منسوجة من الليف المستقيم والعريض والمورب، (**يخدمها بجذب الصفراء عنها**) وهي وعاء الصفراء وبالوعتها وهي موضوعة على الزائدة الكبيرة من زوائد الكبد، ولها منفذان فإن اتفق قصور في جذب المرارة الصفراء من الكبد يرم الكبد، فإن تعفنت الصفراء في الكبد حدثت الحميات الحادة (**والكلية**) مركبة من لحم

عنها . والمثانة تخدم الكلية بقبول الماء عنها ، ثم تخرجه في طريق الإحليل . والعروق تخدم الكبد في إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن . ثم خلق اليدين وطوّلهما لتمتدّ إلى المقاصد وعرّض الكف ، وقسم الأصابع الخمس ، وقسم كل أصبع بثلاث أنامل ، ووضع الأربعة في جانب والإبهام لتدور الإبهام على الجميع . ولو اجتمع الأوّلون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجهاً آخر في وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الإبهام عن الأربع وتفاوت الأربع في الطول وترتيبها في وصف واحد لم يقدروا عليه ؛ إذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والإعطاء ، فإن بسطها كانت له طبقاً يضع عليها ما

مكتنز صلب قليل الحمرة وعروق وشرايين يأتيها عصب صغير يكون منه غشاؤها موضوعة بالقرب من الكبد . (**تخدمها بجذب المائية**) وجوهر مندمج صلب لئلا ينفذها فيها إلا الماء الرقيق ، وهما كليتان ولكل منهما عنقان وأحد عنقي أحدهما يتصل بالعرق الطالع من حدبة الكبد ، والثاني من كل منهما يمر مستقلاً حتى يصل بالمثانة ويسميان الحالبين وهما مجرى البول . (**والمثانة**) وهي مركبة من جسم عصباني مضاعف ذي طبقتين من عروق وشريانات وهي وعاء البول وآلة لدفعه وموضعها بين الدبر والعانة ، وشكلها بلوطي بيضي ككيس طرفاه حادان ووسطه ذو سعة . (**تخدم الكلية بقبول الماء عنها ثم تخرجه في طريق الإحليل**) اعلم أن البول مجيئه من الكلى من الحالبين ، فإذا بلغ إلى المثانة خرق إحدى طبقتيها ومرّ فيما بين الطبقتين حتى يأتي عنق المثانة ، ثم يخرج الطبقة الثانية فينصب منها إلى تجويف المثانة في منفذ خفي حتى يستره غشاء صغير من أن يسد هذا المنفذ عند امتلاء المثانة من البول لئلا يرجع من حيث جاء ، وفي عنق المثانة الذي هو مخرج البول ثلاث عطفات ، وللحيوانات الأخر عطفة واحدة ، ولهذا يكون تنظيف مثانة الرجال من البول أبطأ . (**والعروق تخدم الكبد في إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن**) فإن الكيلوس لا يصلح للغذاء دون أن يصير إلى الكبد وينهضم فيها ويستحيل إلى الدم وباقي الأخلاط ، ثم يمتاز الدم عنها كما فيكون غذاء للأعضاء .

(**ثم خلق اليدين وطوّلها لتمتدا إلى المقاصد**) عند التناول (**وعرض الكف**) أي جعله عريضاً ، (**وقسم**) فيه (**الأصابع الخمس وقسم كل أصبع بثلاث أنامل**) وتسمى أيضاً السلاميات وهي عظام صغار يتصل بعضها ببضع بمفاصل موثقة بربط ، (**ووضع الأربعة في جانب والأبهام**) وحده (**في جانب ليدور الإبهام على الجميع**) فالعظم الأول من الإبهام مربوط بالرسغ لا بالمشط كالأربع الأخر ، وقيل هو متصل بطرف الزند الأعلى بمفصل واسع سلس لأنه يحتاج إلى حركة واسعة ليلقى به الأصابع الأربع ، (**ولو اجتمع الاوّلون والآخرون على أن يستنبطوا بدقيق الفكر وجهاً آخر في وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الإبهام عن الأربع وتفاوت الأربع في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه إذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض والإعطاء ، فإن بسطها كانت له طبقاً**) أي تشبيها بالطبق ،

يريد وإن جمعها كانت له آلة للضرب ، وإن ضمها ضماً غير تام كانت مغرفة له ، وإن بسطها وضم أصابعها كانت مجرفة له . ثم خلق الأظفار على رؤوسها زينة للأنامل وعماداً لها من ورائها حتى لا تنقطع ، وليلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تتناولها الأنامل ، وليحك بها بدنه عند الحاجة . فالظفر الذي هو أخس الأعضاء لو عدمه الإنسان وظهر به حكة لكان أعجز الخلق وأضعفهم ، ولم يقم أحد مقامه في حك بدنه . ثم هدى اليد إلى موضع الحك حتى تمتد إليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة إلى طلب ، ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك إلا بعد تعب طويل ، ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في داخل الرحم في ظلمات ثلاث ، ولو كشف الغطاء والغشاء وامتدَّ البصر إليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئاً فشيئاً ولا يرى المصوّر ولا آلته ! فهل رأيت مصوّراً

(وإن جمعها) مع بعضها **(كانت له آلة للضرب ، وإن ضمها ضماً غير تام كانت)** مثل **(مغرفة)** له ، **(وإن بسطها وضم أصابعها كانت)** مثل **(مجرفة له . ثم خلق الأظفار)** مستديرة **(على رؤوسها)** والظفر إما من العظام وإما جسم عظمي موصول بالسلاميات الأخيرة من الأصابع مربوط مع اللحم والجلد برباطات من جنس الأوتار ، وقد يصير إلى الظفر عصب وريد وشربانات يؤدي إليه الحياة والغذاء **(زينة للأنامل)** وهذا أحد منافع الأظفار ، **(و)** الثانية لتكون **(عماداً لها من ورائها حتى لا تنقطع)** ولا تهن عند الشد على الشيء ، **(و)** الثالثة **(ليلتقط بها الأشياء الدقيقة)** أي ليتمكن من لقط الأشياء **(الصغيرة التي لا تتناولها الأنامل ، و)** الرابعة **(ليحك بها بدنه عند الحاجة)** وهذه الأربعة أولى بنوع الإنسان ، والخامسة أن تكون سلاحاً في بعض الأوقات ، وهذه أولى بالحيوانات الأخرى ، وخلق الظفر من عظام لينة ليتطامن تحت ما يصاكه فلا ينصدع ، **(فالظفر الذي هو أخس الأعضاء لو عدمه الإنسان وظهر به حكة لكان أعجز الخلق وأضعفهم ولم يقم أحد مقامه في حك بدنه)** وإليه يشير قول القائل :

ما حك جلدك مثل ظفرك ... فتول أنت جميع أمرك
وإذا بعثت لحاجة ... فابعث لأعرفهم بقدرك

(ثم هدى اليد إلى موضع الحك حتى تمتد إليه ولو في النوم والغفلة من غير حاجة إلى طلب) وفي نسخة إلى طالب **(ولو استعان بغيره ولم يعثر على موضع الحك إلا بعد تعب طويل)** ثم لا يشفيه الغليل .

(ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في داخل الرحم في ظلمات ثلاث) هي الأغشية : أحدها المشيمة وهي الغشاء المحيط ، والثاني الذي ينصب إليه بول الجنين ، والثالث الذي هو مغص العرق . **(ولو كشف الغطاء والغشاء وامتد البصر إليه لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئاً فشيئاً ، ولا يرى المصوّر ولا آلته ، فهل رأيت مصوراً أو فاعلاً لا تمس آلته**

أو فاعلاً لا يمس آلته ومصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه؟ فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه. ثم انظر مع كمال قدرته إلى تمام رحمته، فإنه لما ضاق الرحم عن الصبي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كأنه عاقل بصير بما يحتاج إليه. ثم لما خرج واحتاج إلى الغذاء كيف هداه إلى التقام الثدي؟ ثم لما كان بدنه سخيفاً لا يحتمل الأغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغاً خالصاً، وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن، وأنبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق عليهما فم الصبي، ثم فتح في حلمتي الثدي ثقباً ضيقاً جداً حتى لا يخرج اللبن منه إلا بعد المص تدريجاً، فإنّ الطفل لا يطيق منه إلا القليل، ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدّة الجوع؟ ثم انظر إلى عطفه ورحمته ورأفته كيف أخر خلق الاسنان إلى تمام الحولين لأنه في الحولين لا يتغذى إلا باللبن فيستغني عن السنّ، وإذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج إلى طعام غليظ، ويحتاج الطعام إلى المضغ والطحن فأنبت له الأسنان عند الحاجة لا قبلها ولا بعدها، فسبحانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة في تلك اللثات اللينة؛ ثم

مصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه؟ فسبحانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه مع كمال قدرته إلى تمام رحمته فإنه لما ضاق الرحم عن الصبي) هكذا في النسخ، والأولى الجنين فإنه هكذا يطلق عليه ما دام في الرحم (**لما كبر كيف هداه السبيل حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق وطلب المنفذ كأنه عاقل بصير بما يحتاج إليه**)، فإن الجنين إذا تم خلقه وكمل لم يكتف بما يجيئه من دم الطمث والنسيم ويهرب عن الضيق وقلة الغذاء، فيتحرك حركات صعبة قوية وتنتهك أربطة الرحم، (**ثم لما خرج واحتاج إلى الغذاء كيف هداه إلى التقام الثدي، ثم لما كان بدنه سخيفاً لا يحتمل الأغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم سائغاً خالصاً، وكيف خلق الثديين**) كل منهما مركب من عروق وشرايين وعصب يحشى ما بينها نوع من اللحم غددي، (**وجمع فيهما اللبن**) فيحيل ما في تجويفهما من الدم حتى يصير لبناً، كما يحيل لحم الكبد ما يجتذب من المعدة والأمعاء حتى يصير بتشبيهه له إياه بنفسه دماً، (**وأنبت منهما حلمتين على قدر ما ينطبق فم الصبي، ثم فتح في حلمة الثدي ثقباً ضيقاً جداً حتى لا يخرج اللبن منه إلا بعد المص تدريجاً، فإن الطفل لا يطيق إلا القليل، ثم كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع، ثم انظر إلى عطفه ورأفته كيف أخرّ خلق الأسنان إلى تمام الحولين لأنه في الحولين لا يتغذى إلا باللبن فيستغني عن السن، وإذا كبر لم يوافقه اللبن السخيف ويحتاج إلى طعام غليظ، ويحتاج الطعام إلى المضغ والطحن، فأنبت له الأسنان عند الحاجة لا قبلها ولا**

حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزاً عن تدبير نفسه. فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه. ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية تدريجاً حتى بلغ وتكامل، فصار مراهقاً ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً، إما كفوراً أو شكوراً مطيعاً أو عاصياً مؤمناً أو كافراً تصديقاً لقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً * إِنَّا خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً * إنا هديْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا

بعدها، فسبحانه) جلّ ثناؤه (كيف أخرج تلك العظام الصلبة في تلك اللثات اللينة) وهذا على القول الصحيح أن الأسنان هي عظام صلبة قابلة للكسر غير مدركة لألم السحق والنحت كما تقدم قريباً، وفي ذلك أن الطفل لا يحتاج إلى الأسنان في أوّل الأمر لأن غذاء من اللبن وفكّاه صغيران وعظامها ضعيفة، لكون ما نبت منها مناسباً لها في الضعف والصغر، فلم يف بما يحتاج إليه من المضغ والكسر وغير ذلك إلى آخر العمر، فالعناية الأزلية اقتضت تأخير خروجها ونباتها إلى حين الحاجة والاستعداد التام للوفاء بما هو المطلوب منها من الشكل والعظم والقوّة والصلابة وغيرها. (ثم حنن قلوب الوالدين عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزاً عن تدبير نفسه، فلو لم يسلط الله الرحمة على قلوبهما لكان الطفل أعجز الخلق عن تدبير نفسه، ثم انظر كيف رزقه القدرة والتمييز والعقل والهداية) والرشد (تدريجاً) شيئاً فشيئاً (حتى بلغ وتكامل فصار مراهقاً) بعد أن كان طفلاً وصبياً، (ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً) وفي كفاية المتحفظ لأبن الأجدابي: الولد ما دام في بطن أمه فهو جنين، فإذا ولد سمي صبياً، فإذا فطم سمي غلاماً إلى سبع سنين، ثم يصير يافعاً إلى عشر حجج، ثم يصير حزور إلى خمس عشرة سنة انتهى.

وقال الأطباء: الأسنان أربعة سن النموّ ويسمى سن الحداثة وهو إلى قريب من ثلاثين سنة، ثم سن الوقوف ويسمى سن الشباب وهو إلى أربعين سنة، ثم سن الانحطاط ويسمى سن الكهولة وهو إلى نحو من ستين سنة، ثم سن الانحطاط ويسمى سن الشيخوخة وهو إلى آخر العمر.

وقد أشار المصنف إلى هذه الأربعة. وسن الحداثة ينقسم إلى سن الطفولة وهو قبل النهوض وإلى سن الصبا وهو بعد النهوض وقبل الشدة، ثم سن الترعرع وهو بعد الشدة وقبل المراهقة، ثم سن الغلامية والرهاق التي تبقل وجهه ثم سن الفتى إلى أن يقف النموّ (إما كفوراً وإما شكوراً ومطيعاً أو عاصياً، مؤمناً أو كافراً) تصديقاً لقوله تعالى: ﴿هل أتي على الإنسان﴾ استفهام تقرير وتقريب (﴿حينٌ من الدهر﴾) طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود (﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾) بالإنسانية كالعنصر والنطفة والمراد بالإنسان الجنس لقوله: (﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة﴾) أو المراد به آدم بين أولاً خلقه ثم خلق بنيه (﴿أمشاج﴾) أي أخلاط وتقدم الكلام عليه قريباً (﴿نبتليه﴾) أي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره (﴿فجعلناه

شاكراً وإمّا كفُوراً﴾[الإنسان: ١ ـ ٣] فانظر إلى اللطف والكرم ثم إلى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربانية. والعجب كل العجب ممن يرى خطاً حسناً أو نقشاً حسناً على حائط فيستحسنه، فيصرف جميع همه إلى التفكر في النقاش والخطاط وأنه كيف نقشه وخطه وكيف اقتدر عليه! ولا يزال يستعظمه في نفسه ويقول: ما أحذقه وما أكمل صنعته وأحسن قدرته! ثم ينظر إلى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوّره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته. فهذه نبذة من عجائب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها، فهو أقرب مجال لفكرك وأجلى شاهد على عظمة خالقك وأنت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك إلا أن تجوع فتأكل وتشبع فتنام، وتشتهي فتجامع، وتغضب فتقاتل. والبهائم كلها تشاركك في معرفة ذلك وإنما خاصية الإنسان التي حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والأرض وعجائب الآفاق والأنفس، إذ بها يدخل العبد في زمرة الملائكة المقرّبين ويحشر في زمرة النبيّين والصدّيقين مقرباً من حضرة رب العالمين. وليست هذه المنزلة للبهائم ولا لإنسان رضي من الدنيا بشهوات البهائم فإنه شر من

سميعاً بصيراً﴾) ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات (**﴿إنا هديناه السبيل﴾**) أي بنصب الدلائل وانزال الآيات (**﴿إما شاكراً﴾**) بالاهتداء والأخذ به (**﴿وإما كفوراً﴾**) بالإعراض عنه. (**فانظر إلى اللطف والكرم، ثم إلى القدرة والحكمة تبهرك عجائب الحضرة الربانية**) وتدهش عقلك، (**والعجب كل العجب ممن يرى خطاً حسناً أو نقشاً حسناً على ورق**) أو على (**حائط فيستحسنه فيصرف جميع همه إلى التفكر في النقاش والخطاط، وأنه كيف نقشه و**) كيف (**خطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه ويقول: ما أحذقه وما أكمل صنعته و**) ما (**أحسن قدرته، ثم ينظر هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم يغفل عن صانعه ومصوّره فلا تدهشه عظمته ولا يحيره جلاله وحكمته**) وبديع صنعته، (**فهذه نبذة من عجائب بدنك التي لا يمكن استقصاؤها**) ولا يحصر انتهاؤها، (**فهو أقرب مجالاً لفكرك وأجلى شاهداً على عظمة خالقك وأنت غافل عن ذلك مشغول ببطنك وفرجك لا تعرف من نفسك إلا أن تجوع فتأكل وتشبع فتنام وتشتهي فتجامع وتغضب فتقاتل والبهائم تشاركك في معرفة ذلك**)، فكل ذلك من خواص البهائم، (**وإنما خاصية الإنسان التي حجبت البهائم عنها معرفة الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والأرض وعجائب الآفاق، والأنفس إذ بها يدخل العبد في زمرة الملائكة المقربين ويحشر في زمرة النبيين والصديقين مقرباً من حضرة رب العالمين، وليس هذه المنزلة للبهائم ولا لإنسان رضي من الدنيا بشهوات البهائم**) من الأكل والشرب والنوم والجماع والتهوّر وغير ذلك، ومن رضي

البهائم بكثير إذ لا قدرة للبهيمة على ذلك وأما هو فقد خلق الله له القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها ، فأولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلاً . وإذا عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر في الأرض التي هي مقرك ثم في أنهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع معها إلى ملكوت السموات.

أما الأرض: فمن آياته أن خلق الأرض فراشاً ومهاداً وسلك فيها سبلاً فجاجاً وجعلها ذلولاً لتمشوا في مناكبها ، وجعلها قارّة لا تتحرك ، وأرسى فيها الجبال أوتاداً لها تمنعها من أن تميد . ثم وسع أكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع جوانبها وإن

كذلك (**فإنه شرّ من البهائم**) وأخس حالاً منها (**بكثير إذ لا قدرة للبهيمة على ذلك ، وأما هو فقد خلق له القدرة**) التامة على الوصول إلى القرب (**ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها**) إذ لم يستعملها فيما تقربه إلى الله تعالى ، (**فأولئك**) الذين قيل في حقهم : (**﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾**) [الفرقان : ٤٤] .

ومن كلام أمير المؤمنين رضي الله عنه في صفة خلق الإنسان : أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام وشغف الاستار نطفة دفاقاً وعلقة محاقاً وجنيناً وراضعاً ووليداً يافعاً ، ثم منحه قلباً حافظاً ولساناً لافظاً وبصراً لاحظاً ليفهم معتبراً ويقصر مزدجراً ، حتى إذا قام اعتداله واستوى مثاله نفر مستكبراً وخبط سادراً ما تحافي غرب هداه كادحاً سعيداً لدنياه في لذات طربه وبدوات أربه لا يحتسب رزية ولا يخشع تقية ، فمات في فتنة غريراً وعاش في هفوته يسيراً لم يفد عوضاً ولم يقض مفترضاً . ومن كلامه رضي الله عنه : أيها المخلوق السوي والمنشأ المرعى في ظلمات الأرحام ومضاعفات الاستار بدئت من سلالة من طين ووضعت في قرار مكين إلى قدر معلوم وأجل مقسوم ، وتمور في بطن أمك جنيناً لا تحير دعاء ولا تسمع نداء ، ثم أخرجت من مقرك إلى دار لم تشهدها ولم تعرف سبل منافعها ، فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي أمك ، وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك وإرادتك . هيهات! إن من يعجز عن صفات ذي الهيئة والأدوات فهو من صفات خالقه أعجز ، ومن تناوله بحدود المخلوقين أبعد .

(وإذا عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر في الأرض التي هي مقرك ثم في أنهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ، ثم ارتفع منها إلى ملكوت السماء .

(**أما الأرض ؛ فمن آياته**) الدالة على عظم قدرته (**أن خلق الأرض فراشاً**) أي بساطاً وفرشها أي بسطها فعال بمعنى مفعول ككتاب بمعنى مكتوب (**مهاداً**) وهو بمعناه (**وسلك فيها سبلاً فجاجاً**) أي طرقاً واضحة واسعة ، (**وجعلها ذلولاً**) أي لينة منقادة (**لتمشوا في مناكبها**) أي جوابها ، (**وجعلها قارة**) غير مضطربة (**وأرسى فيها الجبال أوتاداً تمنعها من أن تميد**) أي تتحرك وتضطرب ، (**ثم وسع أكنافها حتى عجز الآدميون عن بلوغ جميع**

طالت أعمارهم وكثر تطوافهم، فقال تعالى: ﴿والسَّماءَ بنيناهَا بأيدٍ وإنَّا لَموسِعُونَ * والأرْض فَرَشْنَاهَا فنعِمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧ ـ ٤٨] وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذي جَعَلَ لكُمُ الأرْضَ ذلُولاً فامشُوا في مَناكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥] وقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأرْضَ فِرَاشاً﴾ [البقرة: ٢٢]، وقد أكثر في كتابه العزيز من ذكر الأرض ليتفكر في عجائبها فظهرها مقرّ للأحياء وبطنها مرقد للأموات، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل الأرْضَ كِفَاتَـاً * أحْيَاءً وأموَاتاً﴾ [المرسلات: ٢٥ : ٢٦]، فانظر إلى الأرض وهي ميتة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت واخضرت وأنبتت من عجائب النبات، وخرجت منها أصناف الحيوانات، ثم انظر كيف أحكم جوانب الأرض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب، وكيف أودع المياه تحتها ففجر العيون وأسال الأنهار تجري على وجهها وأخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقاً عذباً صافياً زلالاً، وجعل به كل شيء حي، فأخرج به فنون الأشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان، وفواكه كثيرة لا تحصى مختلفة الأشكال والألوان

جوانبها) على الاستيفاء **(وإن طالت أعمارهم وكثر تطوافهم، فقال تعالى: ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون * والأرض فرشناهم فنعم الماهدون﴾ وقال تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها﴾ وقال تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾ وقال تعالى: ﴿وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً﴾ [الرعد: ٣] (وقد أكثر في كتابه العزيز من ذكر الأرض)** في مواضع متعددة **(ليتفكر في عجائبها فظهرها مقر الأحياء)** يستقرون عليه ببناء المساكن فيه **(وبطنها مرقد الأموات. قال الله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً * أحياء وأمواتاً﴾)** أي ذات كفت أي ضم وجمع بضمهم أحياء على ظهورها، وأمواتاً في بطونها. وأصل الكفت الضم والكفات الموضع الذي يكفت فيه كل شيء **(فانظر إلى الأرض وهي ميتة فإذا أنزل عليها الماء اهتزت واخضرت وأنبتت عجائب النبات)** قال الله تعالى: ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوجٍ بهيج﴾ [الحج: ٥] **(وخرجت منها أصناف الحيوانات ثم انظر كيف أحكم جوانب الأرض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب)** قال الله تعالى: ﴿والجبال أرساها﴾ [النازعات: ٣٢] قال تعالى: ﴿والجبال أوتاداً﴾ [النبأ: ٧] **(وكيف أودع المياه تحتها ففجر العيون)** قال الله تعالى: ﴿وفجرنا الأرض عيوناً﴾ [القمر: ١٢] **(وأسال الأنهار تجري على وجهها)** يمنة ويسرة **(وأخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر ماء رقيقاً صافياً زلالاً)** عذباً **(وجعل به كل شيء حي)** قال الله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ [الأنبياء: ٣٠] **(فأخرج به فنون الأشجار والنبات من حب وعنب وقضب وزيتون ونخل ورمان وفواكه**

والطعوم والصفات والأراييح، يفضل بعضها على بعض في الأكل، تسقى بماء واحد وتخرج من أرض واحدة.

فإن قلت: إن اختلافها باختلاف بذورها وأصولها، فمتى كان في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب؟ ومتى كان في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة؟ ثم انظر إلى أرض البوادي وفتش ظاهرها وباطنها فتراها تراباً متشابهاً، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ألواناً مختلفة ونباتاً متشابهاً وغير متشابه، لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر، فانظر إلى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها، ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعه وكيف أودع الله تعالى العقاقير المنافع الغريبة؟ فهذا النبات يغذي وهذا يقوي وهذا يحيي وهذا يقتل، وهذا يبرد وهذا يسخن، وهذا إذا حصل في المعدة قمع الصفراء من أعماق العروق، وهذا يستحيل إليهما وهذا يصفي الدم وهذا يستحيل دماً إلى الصفراء، وهذا يقمع البلغم والسوداء، وهذا يستحيل وهذا يفرّح وهذا ينوّم وهذا يقوي وهذا يضعف! فلم تنبت الأرض ورقة ولا

كثيرة لا تحصى مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والصفات والأراييح) جمع ريح على غير قياس أو جمع الجمع، (**يفضل بعضها على بعض في الأكل تسقى بماء واحد وتخرج من أرض واحدة)** قال الله تعالى: ﴿يسقى بماءٍ واحدٍ ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ [الرعد: ٤].

(**فإن قلت: إن اختلافها باختلاف بذورها وأصولها فمتى كان في النواة نخلة مطوّقة بعناقيد الرطب)**؟ أم (**متى كان في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة)** كما ضرب الله به المثل؟ (**ثم انظر إلى أرض البوادي وفتش ظاهرها وباطنها فتراها تراباً متشابهاً)** يشبه بعضه بعضاً، (**فإذا أنزل عليها الماء)** من السماء (**اهتزت)** أي تحركت بالنبات عند وقوع الماء عليها (**وربت)** أي زادت زيادة المربي أي المشرف، (**وأنبتت من كل زوج بهيج)** أي أنواع الأشجار والنبات (**ألواناً مختلفة ونباتاً متشابهاً وغير متشابه لكل واحد طعم وريح ولون وشكل يخالف الآخر، فانظر إلى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها، ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعه، و)** انظر (**كيف أودع الله تعالى العقاقير المنافع الغريبة. فهذا النبات يغذي)** أي يقوم منزلة الغذاء للبدن، (**وهذا يقوي)** الأعضاء الرئيسة والحواس، (**وهذا يحيي)** العليل ويبرئه من مرضه، (**وهذا يقتل)** بسميته، (**وهذا يبرد، وهذا يسخن وهذا إذا حصل في المعدة قمع الصفراء من أعماق العروق)** أي من أصولها (**وهذا يستحيل إلى الصفراء)** في الحال، (**وهذا يقمع البلغم والسوداء، وهذا يستحيل إليها، وهذا يصفي الدم)** ويروّقه، (**وهذا يستحيل دماً)** خالصاً (**وهذا يفرح)** وينشط، (**وهذا ينوّم)** ويسكن، (**وهذا يقوّي وهذا يضعف فلم تنبت من الأرض ورقة ولا تبنة إلا وفيها لا يقوى**

تبنة إلا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كنهها، وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح في تربيته إلى عمل مخصوص؛ فالنخل تؤبر والكرم يكسح والزرع ينقى منه الحشيش والدغل، وبعض ذلك يستنبت ببث البذر في الأرض تحريقاً وبعضه يغرس الأغصان وبعضه يركب في الشجر، ولو أردنا أن نذكر اختلاف أجناس النبات وأنواعه ومنافعه وأحواله وعجائبه لانقضت الأيام في وصف ذلك؛ فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات.

البشر على الوقوف على كنهها، وكل واحد من هذا النبات يحتاج الفلاح) الذي يفلح الأرض ويشقها لاستنباته **(في تربيته إلى عمل مخصوص)** في زمن مخصوص، **(فالنخيل تؤبر)** أي تلقح. قال أبو حاتم في كتاب النخلة: إذا انشق الكافور قيل شقيق النخال وهو حين يؤبر بالذكر، فيؤتي بشماريخه فتنفض فيطير غبارها وهو طحين شماريخ الفحال إلى شماريخ الأنثى وذلك هو التلقيح، **(والكرم يكسح)** أي يقطع وينقى ويقلم، **(والزرع ينقى عنه الحشيش)** الأجنبي **(والدغل)** شبه الحالوم وغيره مما يفسد بقاؤه، **(وبعض ذلك يستنبت ببث البذر في الأرض)** أي رميه فيها **(وبعضه بغرس الأغصان)** في الأرض، **(وبعضه يركب في الشجر، ولو أردنا أن نذكر اختلاف أجناس النبات وأنواعه ومنافعه وأحواله وعجائبه لانقضت الأيام في وصف ذلك فيكفيك من كل جنس نبذة يسيرة تدلك على طريق الفكر فهذه عجائب النبات)**.

ومن كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في صفة الأرض ودحوها على الماء كبس الأرض على مور أمواج مستفحلة ولجج بحـار زاخرة تلتطم أو أذيّ أمواجها وتصطفق متقاذفات أثباجها وترغو زبداً كالفحول عند هياجها، فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل حملها، وسكن هيج ارتمائه إذ وطئته بكلكلها وذل مستخزياً إذ تمعكت عليه بكواهلها، فأصبح بعد اصطحاب أمواجه ساجياً مقهوراً، وفي حكمة الذل منقاداً أسيراً، وسكنت الأرض مدحوّة في لجة تيار وردت من نخوة باوه واعتلائه وشموخ أنفه وسمو غلوائه وكعمته على كظة جريته فهمد بعد نزقاته ولبد بعد زيفان وثباته، فلما سكن هيج الماء من تحت أكنافها وحمل شوامخ الجبال البذخ على أكتافها فجر ينابع العيون من عرانين أنوفها وفرقها في سهوب بيدها وأخاديدها، وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشم من صنافيدها، فسكنت من الميدان برسوب الجبال في قطع أديمها وتغلغلها متسربة في جوبات خياشيمها وركوبها أعناق سهول الأرضين وجراثيمها، وفسح بين الجـوّ بينها وأعد الهواء متنسماً لساكنها، وأخرج إليها أهلها على تمام مرافقها، ثم لم يدع جزع الأرض التي تقصر مياه العيون من روابيها، ولا تجد جداول الأنهار ذريعة إلى بلوغها حتى أنشأ لها ناشئة سحاب تحيي مواتها وتستخرج نباتها ألف غمامها بعد افتراق لمعه وتباين فرعه، حتى إذا تمخضت لجة المزن فيه والتمع برقه في كففه ولم ينم وميضه في كنهور بابه وتراكم سحابه أرسله سحاً متداركاً قد أسف هيدبه تمريه الجنوب در أهاضيبه ودفع شآبيبه، فلما ألقت السحاب برك بوانيها وبعاع

ومن آياته: الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الأرض:

ففي الأرض قطع متجاورات مختلفة، فانظر إلى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج واللعل وغيرها، وبعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد، وبعضها لا ينطبع كالفيروزج واللعل. وكيف هدى الله الناس إلى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الأواني والآلات والنقود والحلي

ما استقلت به من العبء المحمول عليها أخرج به من هو أمد الأرض النبات، ومن زعر الجبال الأعشاب فهي تبهج بزينة رياضها وتزدهي بما ألبسته من ريط أزاهيرها وحليه ما سمطت به من ناضر أنوارها وجعل ذلك بلاغاً للأنام ورزقاً للأنعام، وخرق الفجاج في آفاقها وأقام المنار للسالكين على جواد طرقها.

ومن كلامه رضي الله عنه: وكان من اقتدار جبروته وبديع لطائف صنعته أن جعل من ماء البحر الزاخر المتراكم المتعاصف يبساً جامداً، ثم فطر منه أطباقاً ففتقها سبع سموات بعد ارتقاقها فاستمسكت بأمره وقامت على حده يحملها الأخضر المثعنجر والقمقام المسخر، قد ذل لأمره وأذعن لهيبته ووقف الجاري منه لخشيته وجبل جلاميدها ونشوز متونها وأطوارها فأرساها في مراسيها وألزمها قرارتها فمضت رؤوسها في الهواء ورست أصولها في الماء، فانهد جبالها عن سهولها وأساخ قواعدها في متون أقطارها ومواضع أنصابها، فاشهق قلالها وأطال انشازها وجعلها للأرض عماداً وارزها فيها أوتاداً فسكنت عن حركتها من أن تميد بأهلها أو تسيخ بحملها أو تزول عن مواضعها، فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهها، وأجمدها بعد رطوبة أكنافها فجعلها لخلقه مهاداً وبسطها لهم فراشاً فوق بحر لجي راكد لا يجري، وقائم لا يسرى تكركره الرياح العواصف وتمخضه الغمام الذوارف إن في ذلك لعبرة لمن يخشى.

(ومن آياته: الجواهر المودعة تحت الجبال والمعادن الحاصلة من الأرض: ففي الأرض قطع متجاورات مختلفة) قال الله تعالى: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ [الرعد: ٤] أي بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس، **(فانظر إلى الجبال كيف تخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروزج)**، وهو حجر أخضر تشوبه زرقة ويصفر لونه مع صفاء الجوّ ويتكدر بكدورته يجلب من معادن أرض نيسابور، **(واللعل)** وهو حجر أحمر شبه الياقوت يجلب من معادن أرض بدخشان **(وغيرها)** كالماس والزمرد والياقوت والعقيق ونحو ذلك **(بعضها منطبعة تحت المطارق كالذهب)** والفضة **(والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا تنطبع كالفيروزج واللعل، و)** انظر **(كيف هدى الله الناس إلى استخراجها)** من معادنها **(وتنقيتها)** من أوساخها ثم سبكها **(واتخاذ الأواني والآلات والنقود والحلي منها)** على أنواع غريبة وأشكال

منها. ثم انظر إلى معادن الأرض من النفط والكبريت والقار وغيرها، وأقلها الملح ولا يحتاج إليه إلا لتطييب الطعام ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك إليها! فانظر إلى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الأراضي سبخة بجوهرها بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحاً مالحاً محرقاً لا يمكن تناول مثقال منه، ليكون ذلك تطييباً لطعامك إذا أكلته فيتهنأ عيشك، وما من جماد ولا حيوان ولا نبات إلا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس. ما خلق شيء منها عبثاً ولا لعباً ولا هزلاً، بل خلق الكل بالحق كما ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه. ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ ⋆ مَا خلقْنَاهُمَا إلاَّ بالْحَق﴾ [الدخان: ٣٨ ـ ٣٩].

ومن آياته: أصناف الحيوانات:

وانقسامها إلى ما يطير وإلى ما يمشي. وانقسام ما يمشي إلى: ما يمشي على رجلين

عجيبة، (**ثم انظر إلى معادن الأرض من النفط**) وهو دهن يخرج من بئر هي معدنه منه ما لونه أبيض ومنه ما لونه أسود، (**والكبريت**) وهو عين يجري فإذا جمد ماؤها صار كبريتاً أصفر وأبيض وكدراً. وأما الكبريت الأحمر فهو من الجواهر المعدنية معدنه في وادي النمل يضيء بالليل في معدنه كالنار، وإذا خرج من موضعه لم يضيء ويدخل في أعمال الذهب كثيراً ويحمر البياض ويضرب بعزته المثل، (**والقار**) منه بحري أسود سيال، ومنه جبلي يسيل من شجرة (**وغيرها، وأقلها الملح ولا يحتاج إليه إلا لتطييب الطعام**) وإصلاحه، (**ولو خلت عنه بلدة لتسارع الهلاك إليها فانظر إلى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الأراضي سبخة بجوهرها**) أي بطبعها الذي خلق عليه (**بحيث يجتمع فيها الماء الصافي من المطر فيستحيل ملحاً مالحاً محرقاً لا يمكن تناول مثقال منه ليكون ذلك تطييباً لطعامك إذا أكلته فيتهنأ عيشك**) اعلم أن الملح أنواع: فمنه ملح العجين وهو البحري والسبخي، ومنه الاندراني الشبيه بالبلور، ومنه أسود نفطي، ومنه الملح المر ومنه الهندي وهو أبيض فيه حمرة، وكلما كان أمرّ كان أحمر، وأجودها الأندراني، والمحرق أشد تحريقاً من غير المحرق، والمحتفر أحمد من غيره وهو بجميع أنواعه جلاء محلل قابض مجفف يذهب بوخامة البطيخ ويسهل انحدار الطعام ويمنع العفونة. (**وما من جماد ولا حيوان ولا نبات إلا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شيء منها عبثاً ولا لعباً ولا هزلاً، بل خلق الكل بالحق كما ينبغي، وعلى الوجه الذي ينبغي وكما يليق بجلاله وكرمه ولطفه**) ورحمته، (**ولذلك قال تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ⋆ ما خلقناهما إلا بالحق**).

(**ومن آياته**) الدالة على عظيم قدرته: (**أصناف الحيوانات: وانقسامها إلى ما يطير**) في

وإلى ما يمشي على أربع، وعلى عشر، وعلى مائة، كما يشاهد في بعض الحشرات. ثم انقسامها في المنافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع. فانظر إلى طيور الجو وإلى وحوش البر وإلى البهائم الأهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معه في عظمة خالقها وقدرة مقدّرها وحكمة مصوّرها، وكيف يمكن أن يستقصي ذلك. بل لو أردنا أن نذكر عجائب البقة أو النملة أو النحلة أو العنكبوت، وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي إلفها لزوجها وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها إلى حاجاتها لم نقدر على ذلك، فترى العنكبوت يبني بيته على طرف نهر فيطلب أولاً موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل بالخيط بين طرفيه، ثم يبتدىء ويلقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلتصق به، ثم يغدو إلى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط، ثم كذلك يتردد ثانياً وثالثاً ويجعل بعدما بينهما متناسباً تناسباً هندسياً، حتى إذا أحكم معاقد القمط ورتب

الجوّ (**وإلى ما يمشي، وانقسام ما يمشي إلى: ما يمشي على رجلين وإلى ما يمشي على أربع و**) إلى ما يمشي (**على عشر وعلى مائة كما يشاهد في بعض الحشرات**). قال الله تعالى: ﴿منهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء﴾ [النور: ٤٥] قال بعض المحققين. وإنما اقتصر على أربع ولم يجاوز إشارة إلى أنه غاية ما اقتضته الحكمة الإلهية، وأما ما عداها من الأرجل التي ترى في بعض الحشرات فإنما هي الزوائد والمتممات والأصلي فيها هي الأربع لا غير، (**ثم انقسامها في المنافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع، فانظر إلى طيور الجوّ وإلى وحوش البر وإلى البهائم الأهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معه في عظمة خالقها وقدرة مقدرها وحكمة مصوّرها، وكيف يمكن أن يستقصى ذلك، بل لو أردنا أن نذكر عجائب البقة أو النملة أو النحلة أو العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي إلفها لزوجها وفي إدخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها إلى حاجاتها لم نقدر على ذلك**) وهي دويبة قصيرة الأرجل كثيرة الأعين لها ثمانية أرجل وست عيون، إذا أرادت صيد الذباب لطئت بالأرض وجمعت نفسها ثم وثبت، وتبيض وتحضن، وأول ما تلد دوداً صغاراً، ثم يتغير ويصير عنكبوتاً وتكمل صورته في ثلاثة أيام ويقوى على النسج ساعة يولد، (**فترى العنكبوت يبني بيته على طرف نهر، فيطلب أولاً موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يمكنه أن يصل بالخيط إلى طرفيه، ثم يبتدىء ويلقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلتصق به، ثم يعدو إلى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط، ثم كذلك يتردد ثانياً وثالثاً ويجعل بعدما بينهما متناسباً تناسباً هندسياً، ثم إذا أحكم معاقد القمط ورتب الخيوط**

الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة، فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه إلى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب، ويقعد في زاوية مترصد الوقوع الصيد في الشبكة، فإذا وقع الصيد بادر إلى أخذه وأكله فإن عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط، ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقي منكساً في الهواء ينتظر ذبابة تطير؛ فإذا طارت رمى بنفسه إليه فأخذه ولف خيطه على رجليه وأحكمه ثم أكله. وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب ما لا يحصى. أفترى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكوّن بنفسه أو كونه آدمي أو علمه أو لا هادي له ولا معلم؟ أفيشك ذو بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز؟ بل الفيل العظيم شخصه، الظاهرة قوّته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف؟ أفلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم. فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته

كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه إلى بعض، ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى، ويرعى في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب، ويقعد في زاوية مترصداً لوقوع الصيد في الشبكة، فإذا وقع الصيد بادر إلى أخذه وأكله، فإن عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزواية بخيط، ثم علق نفسه منه بخيط آخر وبقي منكساً في الهواء ينتظر ذبابة تطير فإذا طارت رمى بنفسه إليه، فأخذه ولف خيطه على رجليه وأحكمه ثم أكله).

قال صاحب كشف الأسرار قال العنكبوت من حين أولد أنسج لنفسي فأول ما أقتصد زاوية البيت وإن كان خرباً فهو أحسن ما أويت فاقصد الزوايا لما فيها من الخبايا ولما في سرها من النكت والخفايا، وألقي لعابي على حافاتها حذراً من الخلطة وآفاتها، ثم أفرد من طاقات غزلي خيطاً منكساً في الهواء فاتعلق فيه مسبلاً يدي ممكساً برجلي، فيظن الغر أنني في تلك الحالة ميت لا محالة، فتمر الذبابة بي فأختطفها بحبائل كيدي ثم أودعها شبكة صيدي.

(وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب ما لا يحصى، افترى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكوّن بنفسه أو كوّنه آدمي أو علمه أو لا هادي له ولا معلم، **أفيشك ذو بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم شخصه الظاهرة قوّته)** وبطشه **(عاجز عن أمر نفسه، فكيف هذا الحيوان الضعيف؟ أفلا يشهد هو بشكله أو صورته وحركته وهدايته وعجائب صنعته لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم، فالبصير**

وحكمته مما تتحير فيه الألباب والعقول فضلاً عن سائر الحيوانات. وهذا الباب أيضاً لا

يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتحير فيه الألباب والعقول فضلاً عن سائر الحيوانات) .

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في صفة عجيب خلق أصناف من الحيوان: ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليلة والأبصار مدخولة ألا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه واتقن تركيبه وخلق له السمع والبصر وسوّى له العظم والبشر. انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على أرضها وصبت على رزقها، تنقل الحبة إلى حجرها وتعدها في مستقرها، تجمع في حرها لبردها وفي وردها لصدرها، مكفول برزقها مرزقة بوفقها لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان، ولو في الصفاء اليابس والحجر الجالس، ولو فكرت في مجاري أكلها وفي علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجباً، ولقيت من وصفها تعباً، فتعالى الله الذي أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه في خلقها قادر، ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة إلاّ على أن فاطر النملة هو فاطر النخلة لدقيق كل شيء وغامض اختلاف كل حي، وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلا سواء، وإن شئت قلت في الجرادة إذ خلق لها عينين حمراوين، وأسرج لها حدقتين قمراوين، وجعل لها السمع الخفي وفتح لها الفم السوى، وجعل لها الحس القوي ونابين بهما تقرض ومنجلين بهما تقبض يرهبها الزراع في زرعهم، ولا يستطيعون ذبّها ولو أجلبوا بجمعهم حتى ترد الحرث في نزواتها وتقضي منه شهواتها وخلقها كله لا يكون أصبعاً مستدقة. فتبارك الذي يسجد له ما في السموات والأرض طوعاً وكرهاً، ويعفر له خداً ووجهاً، ويلقى بالطاعة إليه سلماً وضعفاً ويعطي القياد رهبة وخوفاً، فالطير مسخرة لأمره أحصى عدد الريش منها والنفس، وأرسى قوائمها على الندى واليبس، قدر أقواتها وأحصى أجناسها، فهذا غراب وهذا عقاب وهذا حمام وهذا نعام دعا كل طير باسمه وتكفل له برزقه، وأنشأ السحاب الثقال فأهطل ديمها وعدد قسمها فبلّ الأرض بعد جفوفها وأخرج نبتها بعد جدوبها.

وقال علي رضي الله عنه في خطبته يذكر فيها عجيب خلقة الطاوس: ابتدعهم خلقاً عجيباً من حيوان وموات وساكن وذي حركات، وأقام من شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما انقادت له العقول معترفة به ومسلمة له ونعقت في أسماعنا دلائله على وحدانيته، وما ذرأ من مختلف صور الأطيار التي أسكنها أخاديد الأرض وخروق فجاجها ورواسي أعلامها من ذوات أجنحة مختلفة وهيئات متباينة مصرفة في زمام التسخير ومرفرفة بأجنحتها في مخاليق الجوّ المنفسح والفضاء المنفرج كوّنها بعد أن لم تكن في عجائب صور ظاهرة وركبها في حقاق مفاصيل محتجبة ومع بعضها بعبالة خلقه أن يسمو في الهواء خفوفاً وجعله يدف دفيفاً، ونسقها على اختلافها في الأصابيغ بلطيف قدرته ودقيق صنعته، فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس

....

فيه، ومنها مغموس في لون صبغ قد طوّق بخلاف ما صبغ به، ومن أعجبها خلق الطاوس الذي أقامه في أحكم تعديل ونضد ألوانه في أحسن تنضيد بجناح أشرج قصبه وذنب أطال مسحبه، إذا درج إلى الأنثى نشره من طيه وسما به مطلاً على راسيه كأنه قلع داريء عنجه نؤتيه يختال بألوانه ويميس بزيفانه، يفضي كإفضاء الديكة ويئر بملاقحة ار الفحول المغتلمة أحيلك من ذلك على معاينة لا كمن يحيل على ضعيف إسناده، ولو كان كزعم من يزعم أن يلقح بدمعة تسفحها مدامعه فتقف في دفتي جفونه، وأن أنثاه تطعم ذلك ثم تبيض لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب تخال قصبه مداري من فضة، وما أنبت عليه من عجيب داراته وشموسه خالص العقيان وفلذ الزبرجد، فإن شبهته بما أنبتت الأرض قلت جنى من زهرة كل ربيع، وإن ضاهيته بالملابس فهو كموشى الحلل أو مونق عصب اليمن، وإن شاكلته بالحلى فهو كفصوص ذات ألوان قد نطقت باللجين المكلل يمشي مشي المرح المختال ويتصفح ذنبه وجناحه فيقهقه ضاحكاً لجمال سرباله وأصابيغ وشاحه، فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا معولاً بصوت يكاد يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجعه، لأن قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية، وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية، وله في موضع العرف قنزعة خضراء موشاة ومخرج عنقه كالإبريق ومغرزها إلى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية أو كحريرة ملتبسة مرآة ذات صقال، وكأنه متلفع بمعجر أسحم إلا أنه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه أن الخضرة الناضرة ممتزجة به، ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم في لون الأقحوان أبيض يقق فهو ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق، وقل صبغ إلا وقد أخذ منه فبقسط وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه، فهو كالأزاهير المبثوثة لم تر بها أمطار ربيع ولا شموس قيظ، وقد ينحسر من ريشه ويعرى من لباسه فيسقط تترا وينبت تباعاً فيحت من قصبة انحتات أوراق الأغصان ثم يتلاحق ثانياً حتى يعود كهيئته قبل سقوطه، لا يخالف سالف ألوانه ولا يقع لون في غير مكانه، وإذا تصفحت شعرة من شعرات قصبه أرتك حمرة وردية وقارة خضرة زبرجدية وأحياناً صفرة عسجدية، فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق الفطن أو تبلغه قرائح العقول أو تنتظم وصفه أقوال الواصفين، وأقل أجزائه قد أعجز الأوهام عن أن تدركه والألسنة أن تصفه. فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق قد جلاه للعيون فأدركته محدوداً مكوناً ومؤلفاً ملوناً، وأعجز الألسن عن تلخيص صفته وقعد بها عن تأدية نعته. فسبحان من أدمج قوائم الذرة والهمجة إلى ما فوقها من خلق الحيتان والفيلة ووأى على نفسه أن لا يضطرب شبح ما أولج فيه الروح إلا وجعل الحمام موعده والفناء غايته.

وقال رضي الله عنه في خطبة يذكر فيها بدائع خلقة الخفاش: ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء، ويبسطها الظلام القابض لكل حي، وكيف غشيت أعينها عن أن تستمد من الشمس المضيئة نوراً تهتدي به في مذاهبها، وتصل بعلانية برهان الشمس إلى معارفها وردعها بتلألؤ ضيائها عن المضي في سبحات إشراقها وأكنها في أماكنها عن الذهاب في بلج ائتلافها فهي مسدلة الجفون بالنهار على

حصر له، فإن الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة، وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنسها بكثرة المشاهدة، نعم إذا رأى حيواناً غريباً ولو دوداً تجدد تعجبه قال: سبحان الله ما أعجبه! والإنسان أعجب الحيوانات وليس يتعجب من نفسه، بل لو نظر إلى الأنعام التي الفها ونظر إلى أشكالها وصورها، ثم إلى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التي جعلها الله لباساً لخلقه وأكناناً لهم في ظعنهم وإقامتهم وآنية لأشربتهم وأوعية لأغذيتهم وصواناً لأقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم، ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للبوادي والمفازات البعيدة لأكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصوّرها، فإنه ما خلقها إلا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه إياها فسبحان من الأمور مكشوفة في علمه من

أحداقها، وجاعلة الليل سراجاً تستدل به في التماس أرزاقها، فلا يرد أبصارها اسداف ظلمته ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته، فإذا ألقت الشمس قناعها وبدت أوضاح نهارها ودخل إشراق نورها على الضباب في وجارها أطبقت الأجفان على مآقيها وتبلغت بما اكتسبته من المعاش في ظلم لياليها. فسبحان من جعل الليل لها نهاراً ومعاشاً والنهار سكناً وقراراً، وجعل لها أجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة إلى الطيران كأنها شظايا الآذان غير ذوات ريش ولا قصب، إلا أنك ترى مواضع العروق بينة أعلاماً لها جناحان لم يرقا فينشقا ولم يغلظا فيثقلا، تطير وولدها لاصق بها لاجيء إليها يقع إذا وقعت ويرتفع إذا ارتفعت، لا يفارقها حتى تشتد أركانه ويحمل للنهوض جناحه، ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه. فسبحان البارىء لكل شيء على غير مثال خلا من غيره.

(**وهذا الباب أيضاً لا حصر له فإن الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة، وإنما سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة. نعم إذا رأى حيواناً غريباً**) في شكله (**ولودوداً تجدد**) عند رؤيته (**تعجبه وقال: سبحان الله ما أعجبه! والإنسان أعجب الحيوانات**) إن تأمل فيه (**وليس يتعجب من نفسه**) وحينئذ يقال له:

أتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

(**بل لو نظر إلى الأنعام التي ألفها ونظر إلى أشكالها وصورها إلى منافعها وفوائدها**) التي خصها الله بها (**من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التي جعلها الله تعالى لباساً لخلقه وأكناناً في ظعنهم وإقامتهم وآنية لأشربتهم وأوعية لأغذيتهم وصواناً لأقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم، ثم جعل بعضها زينة للركرب وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للبوادي والمفازات**) قال الله تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ [النحل: ٨] وقال تعالى: ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾ [النحل: ٧] (**لأكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصوّرها فإنه ما خلقها إلا بعلم محيط بجميع**

غير تفكر ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير ، فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده ، فما للخلق إلا الإذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والإقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته ، فمن ذا الذي يحصي ثناء عليه ؟ بل هو كما أثنى على نفسه ، وإنما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته فنسأل الله تعالى أن يكرمنا بهدايته بمنه ورأفته .

ومن آياته : البحار العميقة المكتنفة لأقطار الأرض :

التي هي قطع من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض ، حتى أن جميع المكشوف من البوادي والجبال من الماء بالإضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء . قال النبي ﷺ : « الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض » ، فانسب اصطبلاً إلى جميع الأرض . واعلم أن الأرض بالإضافة إلى البحر مثله . وقد شاهدت عجائب الأرض وما فيها فتأمل الآن عجائب البحر ، فإن عجائب ما فيه من الحيوان والجواهر أضعاف عجائب ما تشاهده على وجه الأرض ، كما أن سعته أضعاف سعة

منافعها سابق على خلقه إياها . فسبحان من الأمور مكشوفة في علمه من غير تفكر ومن غير تأمل وتدبر) ومن غير روية **(ومن غير استعانة بوزير أو بمشير)** أو مدبر ، **(فهو العليم الخبير الحكيم القدير)** جل شأنه ، **(فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده ، فما للخلق إلا الإذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والإقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته ، فمن ذا الذي يحصي ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه)** كما قال ﷺ : « لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » . **(وإنما غاية معرفتنا الاعتراف بالعجز عن معرفته)** كما قاله الصديق رضي الله عنه . **(فنسأل الله تعالى أن يكرمنا بهدايته بمنه ورأفته)** وبالله التوفيق .

(ومن آياته) : الدالة على عظيم قدرته **(البحار العميقة المكتنفة لأقطار الأرض)** أي جهاتها : **(التي هي قطع من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض ، حتى أن جميع المكشوف من البوادي والجبال عن الماء بالإضافة إلى الماء كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء . قال النبي ﷺ « الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض »)** قال العراقي ، لم أجده وقد تقدم . **(فانسب اصطبلاً إلى جميع الأرض واعلم أن الأرض بالإضافة إلى البحر مثله ، وقد شاهدت عجائب الأرض وما فيها)** من جبال وحيوان ونبات وغير ذلك . **(فتأمل الآن عجائب البحر ، فإن عجائب ما فيه من الحيوان والجواهر اضعاف عجائب ما تشاهده على وجه الأرض ، كما أن سعته أضعاف سعة الأرض)** ولذا قيل : حدث

الأرض، ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها في البحر فتظن أنها جزيرة فينزل الركاب عليها فربما تحس بالنيران إذا اشتعلت فتتحرّك ويعلم أنها حيوان. وما من صنف من أصناف حيوان البر من فرس أو طير أو بقر أو إنسان إلا وفي البحر أمثاله وأضعافه، وفيه أجناس لا يعهد لها نظير في البر: وقد ذكرت أوصافها

عن البحر ولا حرج، **(ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها في البحر فتظن أنها)** لعظمها **(جزيرة فينزل الركاب عليها فربّما تحس النيران إذا اشتعلت)** على ظهورها **(فتتحرك)** وتضطرب، **(ويعلم أنه حيوان)** ذكره القزويني في عجائب المخلوقات، والدميري في حياة الحيوان، وابن بطوطة في رحلته، ومنها سمكة في بحر الزنج كالجبل العظيم من رأسها إلى ذنبها مثل سنان المنشار من عظام سود كل سن منها كذراعين، وعند رأسها عظمان طويلان في مقدار عشرة أذرع تضرب بهما ماء البحر يميناً وشمالاً، فيسمع له صوت هائل، ويخرج الماء من فيها وأنفها فيصعد نحو السماء، ثم يصعد إلى المركب رشاشه كالمطر، فإذا دخلت تحت سفينة كسرتها. ومنها سمكة تسمى المنارة تخرج على هيئتها فترمي نفسها على السفينة فتكسرها، فإذا أحسوا بها ضربوا الطبول والبوقات تبعد عنهم.

(وما من صنف من أصناف حيوان البر من فرس أو) حمل أو **(طير أو بقر أو إنسان إلا في البحر أمثاله وأضعافه)**، فإنسان الماء يشبه الإنسان إلا أن له ذنباً. وقيل: إن في بحر الشام بعض الأوقات من شكله شكل الإنسان وله لحية بيضاء يسمونه شيخ البحر، فإذا رآه الناس استبشروا به بخصب. وحكى أن بعض الملوك حمل إليه إنسان ماء فأراد الملك أن يعرف حاله فزوجه امرأة فأتاه منها ولد يفهم كلام أبويه، فقيل للولد: ما يقول أبوك؟ قال: يقول أذناب الحيوانات كلها أسفلها، فما بال هؤلاء أذنابهم في وجوههم؟ وسئل الليث بن سعد عن أكله فقال: لا يؤكل على شيء من الحالات، وفي بحر الروم سمك يقال له بنات الماء شبه النساء ذوات شعور سبط ألوانهم إلى السمة ذات فروج عظام وثدي وكلام لا يكاد يفهم ويضحكون ويقهقهون، وربما وقعن في أيدي بعض المراكب فينكحوهن ثم يعيدونهن إلى البحر وحكى الروياني صاحب البحر أنه كان إذا أتاه صياد بسمكة منهن حلفه أنه لم يطأها. ونوع من حيوان البحر يقال له الشيخ اليهودي وجهه كوجه الإنسان وله لحية بيضاء وبدنه كبدن ضفدع وشعره كشعر البقرة وهو في حجم عجل يخرج من البحر ليلة السبت حتى تغيب الشمس ليلة الأحد، فيثب كم يثب الضفدع ويدخل الماء فلا تلحقه السفن إذا تم السبت. وقال القزويني: سمك في البحر يقال له أبو مرينا على صور الرجال بجلود لزجة وأجسام تشاكله يبرزون من البحر إلى البر يتشمسون فإذا وقعوا في أيدي الصيادين بكوا. وقال المسعودي: النسناس حيوان كالإنسان له عين واحدة يخرج من الماء ويتكلم ومتى ظفر بالإنسان قتله. وقال القزويني: إنه أمة من الأمم لكل واحد منهم نصف بدن ورأس ويد ورجل كأنه انسان يقفز على رجل واحدة قفزاً شديداً ويعدو عدواً منكراً، ويوجد في

في مجلدات وجمعها أقوام عنوا بركوب البحر جمع عجائبه. ثم انظر كيف خلق الله اللؤلؤ ودوّره في صدفه تحت الماء. وانظر كيف أنبت المرجان من صم الصخور تحت الماء؛ وإنما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر. ثم تأمل ما عداه من العنبر وأصناف النفائس التي يقذفها البحر وتستخرج منه؛ ثم انظر إلى عجائب السفن كيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الأموال وغيرهم، وسخر لهم الفلك لتحمل أثقالهم،

جزائر الصين. وحيوانات البحر التي تشبه حيوانات البر كثيرة جداً والقول فيها يطول، وإنما اقتصرت على ذكر ما يشبه الإنسان لغرابته وقال أبو حاتم في كتب الطير: طير الماء أكثر من أن يحصى أكثر من مائتي لون، والعرب لا تعرف أكثرها وأسماؤها عندنا بالنبطية أنها في البطائح في بلاد النبط، **(وفيه أجناس لا يعرف لها نظير في البر، وقد ذكرت أوصافها في مجلدات، وجمعها أقوام عنوا بركوب البحر وجمع عجائبه ثم انظر كيف خلق الله اللؤلؤ ودوّره في صدفة تحت الماء)** ومغاصه ببحر الهند. وعن ابن عباس: إذا أمطرت السماء فتحت الصدف أفواهها. قلت: وهو مطر مخصوص في أيام نيسان الرومي.

(وانظر كيف أنبت المرجان من صم الصخور تحت الماء، وإنما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر) ومغاصه في بحر إفريقية. قال الطرطوشي: هو عروق حمر تطلع من الشجر كأصابع الكف. قال: وهذا شاهدناه بمغارب الأرض كثير انتهى. وتتخذ منها السبح وغيرها من أنواع الأواني، والمذكور في القرآن هو صغار اللؤلؤ. قاله الأزهري وجماعة من أئمة اللغة. قيل: النون زائدة لأنه ليس في الكلام فعلال بالفتح إلا المضاعف نحو الخلخال. وقال الأزهري: لا أدري أثلاثي أم رباعي.

(ثم تأمل ما علاه من العنبر وأصناف النفائس التي يقذفها البحر وتستخرج منه). والعنبر قطع توجد في بحر الهند تشبه الشمع في جوده وذوبانه. وقيل: إنه روث دابة بحرية. وقيل: إنه زبد البحر، وقيل: إنه من عين يسيل في البحر وتفصل عنه الحلاوة ويطفو الشمع من فوق فهو العنبر الأشهب، وربما اتفق أنه يبتلعه السمك المعروف بالبالة لحلاوة فيه فيعرض له قولنج فيموت فيقذفه البحر إلى الساحل فتتفرق أجزاء السمك، وينعقد ذلك العنبر الأشهب في جوفه فهو العنبر الفستقي. وقال القزويني: البالة سمكة عظيمة يخاف منها أهل السفن، فإذا بغت على حيوان البحر بعث الله لها سمكة نحو الذراع تلتصق بأذنها ولا تفارقها فتطلب قعر البحر وتضرب الأرض برأسها إلى أن تموت وتطفو على الماء كالجبل العظيم، ولها أناس يرصدونها فإذا رأوها جروها بالكلاليب إلى الساحل وشقوا بطنها واستخرجوا منها العنبر.

(ثم انظر إلى عجائب السفن) وما فيها من غرائب الصنائع كيف هدي الإنسان إلى تركيبها على هذا الوجه المشاهد وهي ما بين صغيرة وكبيرة ومتوسطة. **(كيف أمسكها الله على وجه الماء ويسير فيها التجار وطلاب الأموال وغيرهم وسخر لهم الفلك لتحمل أثقالهم)** من البضائع

ثم أرسل الرياح لتسوق السفن، ثم عرّف الملاحين موارد الرياح ومهابها ومواقيتها، ولا يستقصى على الجملة عجائب صنع الله في البحر في مجلدات. وأعجب من ذلك كله ما هو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء: وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف، متصل الأجزاء كأنه شيء واحد، لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع كأنه منفصل، مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال، به حياة كل ما على وجه الأرض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد إلى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزائن الأرض وملك الدنيا في تحصيلها لو ملك ذلك، ثم لو شربها ومنع من إخراجها لبذل جميع خزائن الأرض وملك الدنيا في إخراجها! فالعجب من الآدمي كيف يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويغفل عن نعمة الله في شربة ماء إذا احتاج إلى شربها أو الاستفراغ عنها بذل جميع الدنيا فيها! فتأمل في عجائب المياه والأنهار والآبار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال. وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلال بارئها معربة عن كمال حكمته فيها، منادية أرباب القلوب بنغماتها قائلة لكل ذي لب؛ أما تراني وترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة

والمؤن الثقيلة، **(ثم أرسل الرياح لتسوق السفن)** إلى المواضع المقصودة، **(ثم عرف الملاحين)** وهم خدمة السفن نسبوا إلى البحر الملح لملازمتهم إياه **(موارد الرياح ومهابها ومواقيتها)** حتى قيل، إنه على نفيس مع قوم مناحيس، **(ولا يستقصى على الجملة عجائب صنع الله في البحر في مجلدات، وأعجب من ذلك)** كله **(ما هو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الأجزاء كأنه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتقطيع، كأنه منفصل مسخر للتصرف قابل للانفصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الأرض من حيوان ونبات)**. قال الله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ [الأنبياء: ٣٠] قال الحراني: وهو أول ظاهر للعين من أشباح الخلق، **(فلو احتاج العبد إلى** شربة ماء ومنع منها **لبذل جميع خزائن الدنيا في تحصيلها لو ملك ذلك، ثم إذا شربها** لو منع من إخراجها لبذل جميع خزائن الأرض **وملك الدنيا في إخراجها، فالعجب من الآدمي كيف يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويغفل عن نعمة الله في** شربة ماء إذا احتاج إلى شربها، والاستفراغ عنها بذل جميع الدنيا فيها. **فتأمل في عجائب المياه والآبار والأنهار والبحار ففيها متسع للفكر ومجال، وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة، ناطقة بلسان حالها، مفصحة عن جلال بارئها، معربة عن كمال حكمته فيها منادية أرباب القلوب بنغماتها)** أي أصواتها **(قائلة لكل ذي لب: أما تراني وترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوائدي؟ أتظن أني كونت**

فوائدي؟ أتظن أني كوّنت نفسي أو خلقني أحد من جنسي؟ أو ما تستحيي أن تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة أحرف فتقطع بأنها من صنعة آدمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر إلى عجائب الخطوط الإلهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الإلهي الذي لا تدرك الأبصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط. ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه. وتقول النطفة لأرباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع معزولون: توهمني في ظلمة الأحشاء مغموسة في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش حدقتي وأجفاني وجبهتي وخدي وشفتي، فترى التقويس يظهر شيئاً فشيئاً على التدريج ولا ترى داخل النطفة نقاشاً ولا خارجها، ولا داخل الرحم ولا خارجه، ولا خبر منها للأم ولا للأب ولا للنطفة ولا للرحم! أفما هذا النقاش بأعجب مما تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة لو نظرت إليها مرة أو مرتين لتعلمته، فهل تقدر على أن تتعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج؟ فإن كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تفهم بها أنّ الذي صوّر ونقش وقدر لا نظير له ولا يساويه نقاش ولا مصوّر، كما أنّ نقشه وصنعه لا يساويه نقش وصنع فبين الفاعلين

بنفسي أو خلقني أحد من جنسي؟ أو ما تستحي تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة أحرف فتقطع بأنه صفة آدمي عالم قادر مريد متكلم، ثم تنظر إلى عجائب الخطوط الإلهية المرقومة على صفحات وجهي بالقلم الإلهي الذي لا تدرك الأبصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط، ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه) وعظمة خاطه، **(وتقول النطفة)** الإنسانية **(لأرباب السمع والقلب)** الذين يسمعون فيعون ويرون فيعتبرون **(لا الذين هم عن السمع معزولون)** . قال الله تعالى: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ [الشعراء :٢١٢] أي ممنوعون بعد أن كانوا ممكنين. **(توهموني في ظلمة الأحشاء مغموسة في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي)** وهو بعد مضي مائة وعشرين يوماً من الحمل، **(فينقش النقاش حدقتي وأجفاني وجبهتي وخدي وشفتي فترى التقويس يظهر)** على التدريج **(شيئاً فشيئاً، ولا ترى داخل النطفة نقاشاً ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجه، ولا خبر منها للأم ولا للأب ولا للنطفة ولا للرحم! أفما هذا النقاش بأعجب ممن تشاهده ينقش بالقلم صورة عجيبة ولو نظرت إليها مرة أو مرتين لتعلمته، فهل تقدر أن تتعلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة للنطفة ومن غير إيصال بها لا من داخل ولا من خارج؟ فإن كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تفهم بها أن الذي صور ونقش وقدر لا نظير له)** في ذاته **(ولا يساويه**

من المباينة والتباعد ما بين الفعلين، فإن كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فإنه أعجب من كل عجب! فإن الذي أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك من التبين مع هذا البيان جدير بأن تتعجب منه، فسبحان من هدى وأضل وأغوى وأرشد وأشقى وأسعد وفتح بصائر أحبابه فشاهدوه في جميع ذرّات العالم وأجزائه، وأعمى قلوب أعدائه واحتجب عنهم بعزه وعلائه، فله الخلق والأمر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا رادّ لحكمه ولا معقب لقضائه.

ومن آياته: الهواء اللطيف المحبوس بين مقعر السماء ومحدب الأرض:

لا يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه، ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة في جو السماء ومستبقة سباحة فيه بأجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء، وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج البحر، فإذا حرك الله الهواء وجعله ريحاً هابة، فإن شاء جعله نشراً بين يدي رحمته كما قال سبحانه: ﴿وأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]، فيصل بحركته روح

نقاش ومصور، كما أن نقشه وصنعه لا يساويه نقش وصنع فبين الفاعلين من المباينة والتباعد ما بين الفعلين، فإن كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك) لهذا (**فإنه أعجب من كل عجب! فإن الذي أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح**) والانكشاف (**ومنعك من التبين مع هذا البيان جدير بأن تتعجب منه**) أي حقيق، (**فسبحان من هدى وأضل وأغوى وأرشد وأشقى وأسعد وفتح بصائر أحبابه فشاهدوه في جميع ذرات العالم وأجزائه**) مشاهدة عيانية مصونة من الحلول والإتحاد، (**وأعمى قلوب أعدائه واحتجب عنهم بعزه وعلائه**) فهم عن مشاهدته محجوبون، (**فله الخلق والأمر والامتنان والفضل واللطف والقهر لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه**) جل شأنه وعز برهانه.

(**ومن آياته**) الدالة على عظيم قدرته: (**الهواء**) بالمد (**اللطيف المحبوس**) المسخر (**بين مقعر السماء ومحدب الأرض**) والجمع أهوية: (**لا يدرك بحس اللمس عند هبوب الرياح جسمه، ولا يرى بالعين شخصه وجملته مثل البحر الواحد والطيور محلقة في جو السماء ومسفة**) وتحليق الطائر استدارته في الهواء وإسفافه ضم جناحيه (**سباحة فيه بأجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء، وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج البحر فإذا حرك الله الهواء وجعله ريحاً هابة فإن شاء جعله نشراً بين يدي رحمته**) كما قرىء به أي منشورة في الجو بمعنى مبسوطة والرياح تنشر السحاب، (**كما قال سبحانه: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾**) أي ذوات لقاح (**فيصل بحركة روح الهواء إلى الحيوانات**

الهواء إلى الحيوانات والنباتات فتستعد للنماء وإن شاء جعله عذاباً على العصاة من خليقته كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صرصراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ * وتَنْزَعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أعجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر: ١٩ - ٢٠]، ثم انظر إلى لطف الهواء، ثم شدته وقوّته مهما ضغط في الماء، فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز عنه، والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه، فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوّته مع لطافته. وبهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على وجه الماء، وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء لأنّ الهوء ينقبض عن الغوص في الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوّتها وصلابتها معلقة في الهواء اللطيف، كالذي يقع في بئر فيتعلق بذيل رجل قوي ممتنع عن الهوي في البئر، فالسفينة بمقعرها تتشبث بأذيال الهواء القوي حتى تمتنع من الهوي والغوص في الماء؛ فسبحان من علق المركب الثقيل في الهواء اللطيف من غير علاقة تشاهد وعقدة تشد. ثم انظر إلى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والأمطار والثلوج والشهب والصواعق، فهي عجائب ما بين السماء والأرض، وقد أشار القرآن إلى جملة

والنبات فتستعد للنماء، وإن شاء جعله عذاباً على العصاة من خليقته كما قال تعالى: ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً) أي شديداً (**في يوم نحس مستمر﴾**) النحس ضد السعد. وقرأ الحسن البصري بالتنوين وكسر الحاء وعنه أيضاً على الصفة والإضافة والحاء مكسورة. (**﴿تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾**) أي منقلعة من قعرها. يقال: قعرت الشجرة إذا قلعتها من أصلها فانقعرت، وقيل: معنى انقعرت ذهبت في قعر الأرض، وإنما أراد الله تعالى أن هؤلاء اجتثوا كما اجتثت النخلة الذاهب في قعر الأرض فلم يبق له رسم ولا أثر.

(**ثم انظر إلى لطف الهواء ثم شدته وقوته مهما ضبط في الماء، فالزق المنفوخ يتحامل عليه الرجل القوي ليغمسه في الماء فيعجز عنه، والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه**) أي يثقل ويصير إلى الأسفل. (**فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوّته مع لطافته، وبهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على جه الماء، وكذلك كل مجوف فيه هواء لا يغوص في الماء ولا يرسب أصلاً لأن الهواء ينقبض عن الغوص في الماء فلا ينفصل عن السطح الداخل من السفينة، فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة من الهواء اللطيف، كالذي يقع في بئر فيعلق بذيل رجل قوي ممتنع عن الهوي**) أي السقوط (**في البئر فالسفينة بمقعرها تتشبث بأذيال الهواء القوي حتى تمتنع من الهوي والغوص في الماء! فسبحان من علق المركب الثقيل في الهواء اللطيف من غير علاقة تشاهد في المحسوس و**) لا (**عقدة تشد، ثم انظر إلى عجائب الجو وما يظهر فيه من الغيوم والرعود والبروق والأمطار والثلوج والشهب والصواعق، فهي عجائب ما بين السماء والأرض، وقد أشار القرآن إلى**

ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨]، وهذا هو الذي بينهما. وأشار إلى تفصيله في مواضع شتى حيث قال تعالى: ﴿والسَّحابِ المُسخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] وحيث تعرّض للرعد والبرق والسحاب والمطر، فإذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة إلا أن ترى المطر بعينك وتسمع الرعد بأذنك فالبهيمة تشاركك في هذه المعرفة! فارتفع من حضيض عالم البهائم إلى عالم الملأ الأعلى فقد فتحت عينيك فأدركت ظاهرها، فغمض عينك الظاهرة وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب أسرارها وهذا أيضاً باب يطول الفكر فيه إذ لا مطمع في استقصائه. فتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى إذا شاء ومتى شاء، وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له في جو السماء إلى أن يأذن الله في إرسال الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذي أراده الله تعالى وعلى الشكل الذي شاءه فترى السحاب يرش الماء على الأرض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة بأخرى، بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنه فلا يتقدّم المتأخر ولا يتأخّر المتقدّم حتى يصيب الأرض قطرة قطرة فلو اجتمع الأوّلون والآخرون على أن يخلقوا

جملة ذلك في قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينها لاعبين﴾ وهذا هو الذي بينهما) فهذا على طريق الإجمال، وأشار إلى تفصيله في مواضع شتى حيث قال: ﴿والسحاب المسخر بين السماء والأرض﴾) والمسخر هو المقيض للفعل، **(وحيث تعرض للرعد والبرق والسحاب والمطر)** وذلك في آيات كثيرة، **(فإن لم يكن لك الحظ في هذه الجملة إلا أن ترى المطر بعينك وتسمع الرعد بإذنك، فالبهيمة تشاركك في هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم البهائم إلى عالم الملأ الأعلى، فقد فتحت عينيك فأدركت ظاهرها فغمض عينك الظاهرة، وانظر ببصيرتك الباطنة لترى عجائب باطنها وغرائب أسرارها، وهذا أيضاً يطول الفكر فيه ولا مطمع في استقصائه، فتأمل السحاب الكثيف المظلم كيف تراه يجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف يخلقه الله تعالى إذا شاء ومتى شاء، وهو مع رخاوته حامل للماء الثقيل وممسك له في جو السماء إلى أن يأذن الله له في إرسال الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذي أراد الله تعالى، وعلى الشكل الذي شاء، فترى السحاب يرش الماء على الأرض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة بأخرى، بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنه فلا يتقدم المتأخر ولا يتأخر المتقدم حتى يصيب الأرض قطرة قطرة)** .

فإن قيل: لم كانت نقطة المطر ترى في الجو خطاً وإنما هي نقطة؟ والجواب: أن لذلك سببين:

منها قطرة أو يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة أو قرية واحدة لعجز حساب الجن والإنس عن ذلك، فلا يعلم عددها إلا الذي أوجدها، ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الأرض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب، مكتوب على تلك القطرة بخط إلهي لا يدرك بالبصر الظاهر، إنها رزق الدودة الفلانية التي في ناحية الجبل الفلاني تصل إليها عند عطشها في الوقت الفلاني! هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطن المندوف من العجائب التي لا تحصى. كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لأحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل، بل ليس للمؤمنين من خلقه إلا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته، ولا للعميان الجاحدين إلا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته، فيقول الجاهل المغرور إنما ينزل الماء لأنه ثقيل بطبعه وإنما هذا سبب نزوله، ويظن أن هذه

أحدهما: أن الماء يمر بالهواء فيكيّفه بكيفيته فيصير ندياً كأنه ماء فيرى كما يمر الشهاب المحرق للشياطين عند استراقهم السمع في الهواء، فيرى خلفه جبل نار بسبب أنه مر بالهواء فيكيفه بناريته فصار يرى ناراً.

السبب الثاني: أن حركة القطرة في الهواء تمنع من استيثاق الحس انفصالها عن الأحياز فيبقى البصر فيتوهمها باقية في حيزها مع خروجها عنه، فيحصل خط من الماء. ومثل ذلك من يأخذ شعلة من نار في يده ويديرها إدارة شديدة فيتوهم الرائي أنها دائرة نار لهذين السببين.

(فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يخلقوا منها قطرة أو يعرفوا عدد ما ينزل منها في بلدة أو قرية واحدة لعجز حساب الجن والأنس عن ذلك، فلا يعلم عددها إلا الذي أوجدها) وخلقها، **(ثم كل قطرة منها عينت لكل جزء من الأرض ولكل حيوان فيها من طير ووحش، وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة بخط إلهي لا يدرك بالبصر الظاهر أنها رزق الدودة الفلانية في ناحية الجبل الفلاني يصل إليها عند عطشها في الوقت الفلاني هذا مع ما في انعقاد البرد)** محركة **(الصلب)** شبه الحصا ينزل من السماء ويسمى حب الغمام **(من الماء اللطيف)** السيال، **(وفي سائر الثلوج كالقطن المندوف)** المنفوش **(من العجائب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر ما لأحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل، بل ليس للمؤمنين)** المصدقين **(من خلقه إلا الاستكانة والخضوع تحت جلاله وعظمته)** وذلك لحسن إيقانهم في معرفة مصنوعاته، **(ولا للعميان الجاحدين)** المنكرين **(إلا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلته، فيقول الجاهل المغرور: إنما ينزل الماء)** من فوق **(لأنه ثقيل بطبعه وإنما هذا سبب نزوله)**

معرفة انكشفت له ويفرح بها، ولو قيل له: ما معنى الطبع وما الذي خلقه؟ ومن الذي خلق الماء الذي طبعه الثقل؟ وما الذي رقى الماء المصبوب في أسافل الشجر إلى أعالي الأغصان وهو ثقيل بطبعه؟ فكيف هوى إلى أسفل ثم ارتفع إلى فوق في داخل تجاويف الأشجار شيئاً فشيئاً بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع أطراف الأوراق فيغذي كل جزء من كل ورقة، ويجري إليها في تجاويف عروق شعرية صغار يروي منه العرق الذي هو أصل الورقة، ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود في طول الورقة عروق صغار فكأن الكبير نهر وما انشعب عنه جداول، ثم ينشعب من الجداول سواق أصغر منها، ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن إدراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض الورقة فيصل الماء في أجوافها إلى سائر أجزاء الورقة ليغذيها وينميها ويزينها وتبقى طراوتها ونضارتها، وكذلك إلى سائر أجزاء الفواكه. فإن كان الماء يتحرك بطبعه إلى أسفل فكيف تحرك إلى فوق؟ فإن كان ذلك يجذب جاذب فما الذي سخر ذلك الجاذب وإن كان ينتهي بالآخرة إلى خالق السموات والأرض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه من أول الأمر؟ فنهاية الجاهل بداية العاقل.

والثقيل بطبعه لا محالة يهوي إلى تحت (**يظن أن هذه معرفة انكشفت له ويفرح بها**) كما يقول: إن الحجر إذا رمي إلى فوق فبقدر قوة الرامي يصعد إلى فوق ثم يغلب عليه طبعه فيهوي ساقطاً. (**ولو قيل له: ما معنى الطبع، وما الذي خلقه؟ ومن الذي خلق الماء الذي طبعه الثقل، وما الذي رقي الماء المصبوب في أسافل الشجر إلى أعالي الأغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى إلى أسفل ثم ارتفع إلى فوق في داخل تجاويف الأشجار**) على التدريج (**شيئاً فشيئاً بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع أطراف الأوراق**) من سائر أغصان الشجر، (**فيغذي كل جزء من ورقة ويجري إليها في تجاويف عروق شعرية صغار**) أي تشبه الشعر في الدقة (**يروي منه العرق الذي هو أصل الورقة، ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير الممدود في طول الورق عروق صغار**) تمتد منه، (**فكأن الكبير نهر وما انشعب عنه**) من تلك العروق (**جداول، ثم يتشعب من الجداول سواقي أصغر منها، ثم تنتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة**) جداً (**تخرج عن إدراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض الورقة فيصل الماء في أجوافها إلى سائر أجزاء الورقة ليغذيها وينميها ويزينها وتبقى طرواتها ونضارتها**) بحيث لو قطع الإمداد ليبس وسقط، (**وكذلك إلى سائر أجزاء الفواكه فإن كان الماء يتحرك بطبعه إلى أسفل**) كما يقوله الطبائعي الجاهل، (**فكيف تحرك إلى فوق؟ فإن كان ذلك يجذب جاذب**) كما يقوله الطبائعي أيضاً (**فما الذي سخر ذلك الجاذب؟ فإن كان ينتهي بالآخرة إلى خالق السموات والأرض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه في أول الأمر؟ فنهاية الجاهل في بداية العاقل**).

ومن آياته: ملكوت السموات وما فيها من الكواكب:

وهو الأمر كله، ومن أدرك الكل وفاته عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقاً. فالأرض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالإضافة إلى السموات كقطرة في بحر وأصغر. ثم انظر كيف عظم الله أمر السموات والنجوم في كتابه، فما من سورة إلا وتشتمل على تفخيمها في مواضع، وكم من قسم في القرآن بها كقوله تعالى: ﴿والسَّماءِ ذَاتِ البُرُوجِ﴾ [البروج: ١] ﴿والسَّمَاءِ والطَّارِقِ﴾ [الطارق: ١] ﴿والسَّمَاءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧] ﴿والسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥]، وكقوله تعالى: ﴿والشَّمسِ وَضُحَاهَا ★ والقَمَرِ إذَا تَلاَهَا﴾ [الشمس: ١ ـ ٢]، وكقوله تعالى: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بالْخُنَّسِ ★ الجَوَارِ الكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥ ـ ١٦]، وقوله تعالى: ﴿والنَّجمِ إذَا هَوى﴾ [النجم: ١] ﴿فلاَ أُقْسِمُ بمَواقِعِ النَّجومِ ★ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعلَمُونَ عظِيمٌ﴾

(ومن آياته): الدالة على عظيم قدرته **(ملكوت السموات وما فيها من الكواكب: وهو الأمر كله. ومن أدرك الكل وفاته)** درك **(عجائب السموات فقد فاته الكل تحقيقاً، فالأرض والبحار والهواء وكل جسم سوى السموات بالإضافة إلى السموات كقطرة في بحر وأصغر)** من القطرة. **(ثم انظر كيف عظم الله أمر السموات والنجوم في كتابه، فما من سورة إلا وتشتمل على تفخيمها في مواضع)** منها، **(وكم من قسم في القرآن بها)** فالمقسم به عظيم في نفسه ولولاه لما أقسم بها **(كقوله تعالى: ﴿والسماء ذات البروج﴾)** يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب، وقوله تعالى، **(﴿والسماء والطارق﴾)** أي الكوكب البادي بالليل ﴿وما أدراك ما الطارق★ النجم الثاقب﴾ وقوله تعالى: **﴿والسماء ذات الحبك﴾** أي الطرائق المنظومة بالنجوم والمجرة ومنهم من اعتبر ذلك بالطرائق المعقولة المدركة بالبصائر المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ الآية. وقوله تعالى: **(﴿والسماء وما بناها﴾ وقوله)** تعالى: **(﴿والشمس وضحاها﴾)** أي ضوئها إذا اشرقت **(﴿والقمر إذا تلاها﴾)** أي تلا طلوعه طلوع الشمس أول الشهر أو غروبها ليلة البدر أو في الاستدارة وكمال النور. **(وكقوله)** تعالى: **(﴿فلا أقسم بالخنس﴾)** أي الكواكب الرجع وهي ما سوى النيرين من الكواكب السائرات، ولذلك وصفها بقوله: **(﴿الجوار الكنس﴾)** أي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحش إذا دخل كناسه. **(وقوله)** تعالى: **(﴿والنجم إذا هوى﴾)** أي أقسم بجنس النجم خاصة أو الثريا إذا غرب أو انتشر يوم القيامة أو انقض أو طلع فإنه يقال هوى بالفتح إذا سقط وغرب، **(وقوله)** تعالى: **(﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾)** أي بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره أو بمنازلها ومجاريها،

[الواقعة: ٧٥ ـ ٧٦] فقد علمت أن عجائب النطفة القذرة عجز عن معرفتها الأولون والآخرون وما أقسم الله بها فما ظنك بما أقسم الله تعالى به وأحال الأرزاق عليه وأضافها إليه، فقال تعالى: ﴿وفي السَّماءِ رِزْقُكُم وَمَا تُوعدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] وأثنى على المتفكرين فيه فقال: ﴿ويَتفكَّرُونَ في خَلقِ السَّمواتِ والأرْضِ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته» أي تجاوزها من غير فكر، وذم المعرضين عنها، فقال: ﴿وجعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً محفُوظاً وَهُمْ عَنْ آياتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢] فأي نسبة لجميع البحار والأرض إلى السماء وهي متغيرات على القرب، والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير إلى أن يبلغ الكتاب أجله، ولذلك سماه الله تعالى محفوظاً فقال: ﴿وَجَعلْنَا السَّماءَ سقفاً محفوظاً﴾ وقال سبحانه: ﴿وبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبعاً شِدَاداً﴾ [النبأ: ١٢]، وقال: ﴿أأَنْتُمْ أشَدُ خَلقاً أمِ السَّمَاء بناهَا * رَفَعَ سَمكَهَا فَسوَّاهَا﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٢٨] فانظر إلى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت.

(﴿**وأنه لقسم لو تعلمون عظيم**﴾) لما في المقسم به من الدلائل على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة. ومن مقتضيات رحمته أن لا يترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فإنه اعتراض بين المقسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة، (**فقد علمت أن عجائب النطفة القذرة عجز عن معرفتها الأولون والآخرون وما أقسم الله بها، فما ظنك بما أقسم الله تعالى به وأحال الأرزاق عليه وأضافها إليه فقال: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ وأثنى على المتفكرين فيه فقال: ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾**) ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾. (**وقال رسول الله ﷺ: «ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته»**) رواه الديلمي من حديث عائشة بلفظ «ثم لم يتفكر فيها» وقد تقدم قريباً. (**أي تجاوزها من غير تفكر**) وقد تقدم نحوه عن الأوزاعي (**وذم المعرضين عنها، فقال: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون﴾**) أي لا يتفكرون فيها. (**فأي نسبة لجميع البحار والأرض إلى السماء، وهذه متغيرات على القرب والسموات صلاب شداد محفوظات عن التغير إلى أن يبلغ الكتاب أجله، ولذلك سماه الله تعالى محفوظاً فقال ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ وقال**) تعالى: (﴿**وبنينا فوقكم سبعاً شداداً**﴾) أي ذات صلابة. (**وقال**) تعالى: (﴿**أأنتم أشد خلقاً**﴾) أي أصعب (﴿**أم السماء**﴾) ثم بين شدته بقوله: (﴿**بناها**﴾) ثم بين كيفية بنائه بقوله: (﴿**رفع سمكها**﴾) أي جعل مقدار إرتفاعها من الأرض أو تحتها الذاهب في العلو رفيعاً(﴿**فسوّاها**﴾) أي عدلها أو جعلها مستوية أو تممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتدابير وغيرها من قولهم: سوى فلان أمره إذا أصلحه. (**فانظر إلى الملكوت لترى عجائب العز والجبروت ولا تظن أن معنى النظر إلى الملكوت بأن تمد**

ولا تظنن أن معنى النظر إلى الملكوت بأن تمد البصر إليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فإن البهائم تشاركك في هذا النظر. فإن كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى إبراهيم بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَواتِ والأرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥] لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة، وما غاب عن الأبصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت. والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء، وهو ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أحداً * إلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] فأجل أيها العاقل فكرك في الملكوت فعسى يفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك في أقطارها إلى أن يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن، فعند ذلك ربما يرجى لك أن تبلغ رتبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: رأى قلبي ربي. وهذا لأن بلوغ الأقصى لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى، وأدنى شيء إليك نفسك، ثم الأرض التي هي مقرك، ثم الهواء المكتنف لك، ثم النبات والحيوان وما على وجه الأرض، ثم عجائب الجوّ وهو ما بين

البصر إليه فترى زرقة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فإن البهائم تشاركك في هذا النظر).

فإن قلت: لم كانت السماء ترى زرقاء وهي عند أهل الهيئة لا لون لها؟ فالجواب: أنها غير مرئية وما لا يرى يرى مظلماً كمداً فالأعمى إذا سئل ماذا ترى؟ يقول: ظلام أسود، وإذا كانت بهذا الطريق سوداء وتحتها الهواء شفاف مضيء والبصر يخترقه فتراه كأنه في السماء كما يتوهم الرطوبة في الشتاء في الكواكب، فيحصل من صفاء الهواء وظلمة البصر في السماء زرقة لأنها شأن اختلاط الأسود بالصافي، (**فإن كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى**) في كتابه العزيز (**إبراهيم**) عليه السلام (**بقوله: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر، فالقرآن يعبر عنه بالملك والشهادة وما غاب عن الأبصار فيعبر عنه بالغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب والشهادة وجبار الملك والملكوت ولا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء وهو: ﴿عالم الغيب فلا يطلع على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول﴾**) وكل ذلك في القرآن، (**فأطل أيها العاقل فكرك في الملكوت فعسى يفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك في أقطارها**) وتعتبر بما فيها (**إلى أن يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن**) ملاحظاً جلاله وعزّه وكبرياءه، (**فعند ذلك ربما يرجى لك أن تبلغ رتبة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: رأى قلبي ربي**) وهكذا تكون الرؤية القلبية (**وهذا لأن بلوغ الأقصى لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى وأدنى شيء إليك نفسك، ثم الأرض التي هي مقرك، ثم الهواء المكتنف لك، ثم النبات والحيوان وما على وجه الأرض، ثم عجائب الجو**

السماء والأرض، ثم السموات السبع بكواكبها، ثم الكرسي، ثم العرش، ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات، ثم منه تجاوز إلى النظر إلى رب العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما. فبينك وبين هذه المفاوز العظيمة والمسافات الشاسعة والعقبات الشاهقة، وأنت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة، وهي معرفة ظاهر نفسك، ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعي معرفة ربك وتقول: قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا أتفكر وإلى ماذا أتطلع؟ فارفع الآن رأسك إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤوبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعاً في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطويها الله تعالى طي السجل للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فبعضها يميل إلى الحمرة

وهو ما بين السماء والأرض، ثم السموات السبع بكواكبها، ثم الكرسي، ثم العرش، ثم الملائكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات، ثم منه تجاوز إلى النظر إلى رب العرش الكرسي والسموات والأرض وما بينهما) العزيز القهار جل جلاله؛ **(فبينك وبينه هذه المفاوز الفيح)** أي الواسعة الأطراف، **(والمسافات الشاسعة)** أي البعيدة، **(والعقبات الشاهقة)** أي المرتفعة الصعبة، **(وأنت بعد لم تفرغ من العقبة القريبة النازلة)** بالإضافة إلى بقية العقبات، **(وهي معرفة ظاهر نفسك، ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك)** وقلة حيائك **(وتدعي معرفة ربك وتقول: قد عرفته وعرفت خلقه ففيماذا أتفكر وإلى ماذا أتطلع؟ فارفع الآن رأسك إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دورانها وطلوعها وغروبها وشمسها وقمرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودؤوبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها ومن غير تغير في سيرها، بل تجري جميعاً في منازل)** معلومة **(مرتبة)** ترتيباً غريباً **(بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطويها الله تعالى طي السجل للكتاب)** كما قال تعالى: ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ [الأنبياء: ١٠٤] **(وتدبر عدد كواكبها وكثرتها)** وعلماء الأوائل لما أرادوا تمييزها قسموا الفلك نصفين بالدائرة التي هي مجرى رؤوس الاستواء وهما الحمل والميزان، وسموا أحد النصفين جنوبياً والآخر شمالياً، وسموا ما وقع منها من الكواكب والمنازل كذلك، وسمت العرب الشمالية شامية والجنوبية يمانية، فمن الشمالية بنات نعش الصغرى وهي سبعة كواكب أربعة مربعة منها الفرقدان وكوكبان آخران معها، ومنها بنات نعش الكبرى وهي أيضاً سبعة كواكب الأول من البنات الذي هو في الطرف يسمى القائد والأوسط العناق والثالث والذي يلي النعش الجون، وإلى جانب الأوسط كوكب صغير يقال له الشهى والعيدق، وبالقرب من الفرقدين كوكبان مقترنان بينهما رأي العين نحو قامة إذا اعترض الفرقدان انتصبا، وإذا انتصب الفرقدان اعترضا

....

يسميان الحرين والذئبين والعوهقين، وقدامها كواكب تسمى أظفار الذئب، ومنها كوكبان فوق الجدي يسـميـان الفرق وعند الأعلى منها كواكب صغار مستديرة تسمى القدر، ومنها الأسافي وهي كواكب ثلاثة أسفل من القدر، ومنها القرحة وهي كوكب أسفل من الفرق وهي قبلة الكوفة، ومنها الهلبة وهي كواكب ملتفة متقاربة كأنها الثريا وتسمى أيضاً السنبلة، ومنها كوكب الأسد وهو منفرد فيما بين الهلبة وبين البنات من بنات نعش الكبرى، ومنها الصرفة وهو كوكب نير منفرد على أثر الزبرة، ومنها النوافذ وهي كواكب ثلاثة كل نفزة منها كوكبان متقاربان وتسمى أيضاً القرائن والثعيلبات، ومنها الظباء وهي كواكب خفية مستطيلة مثل الحبل الممدود من الهلبة إلى العيوق، وهنالك العوائذ وهي كواكب أربعة مربعة في وسطها كوكب سحابي كأنه لطخة غيم يسمى الربع، ومنها الفكة وهي كواكب مستديرة فيها فرجة العامة تسميها قصعة المساكين وبالقرب منها رؤية السماك وهو كوكب منتبذ يعارضه كوكب بالقرب منه كأنه عذبة في رمح، وكذلك قيل له الرامح وذو السلاح، ويقال لما بين النسقين الشامي واليماني الروضة، وفي داخلها كوكب أبيض منفرد يقال له الراعي، وبالقرب منه كواكب صغار يقولون هي غنمه يرعاها في الروضة وفي أضعاف تلك الكواكب كوكب صغير وباص يقولون هو كلبه، ومنها النسر الواقع وهو كوكب أزهر خلفه كوكبان كأنها وإياه أثـافي قـدر، وهناك نسر آخر يقال له الطائر وهي ثلاثة كواكب مصطفة والأوسط منها هو أنواره، ومنها الفوارس وهي كواكب أربعة مصطفة وراء النـسر الـواقـع ووراءها كوكب أزهر منفرد وسط المجرة يسمى الردف، ومنها الصليب وهي كواكب أربعة متقاربة مصلبة النظم بالقرب من النسر الطائر وتسمى أيضاً القعود، ومنها كف الثريا الخضيب وهي خمسة بيض مختلفة النظم وراء الردف وهي أيضاً سنام الناقة وتحت الكف الخضيب كواكب غير مبينة النظام هي جفرة الناقة، وهناك لطخة سحابية هي وسم الناقة، ووراء الكف الخضيب العيوق وهو كوكب عظيم نير في حاشية المجرة، ووراء العيوق كواكب ثلاثة زهر مصطفة منفرجة متفوسة تسمى توابع العيوق والاعلام، ومنها العاتق وهو كوكب نير بالقرب من الثريا، ثم المنكب المرفق، وتحت المرفق كوكب صغير يسمى إبرة المرفق، ويقال لما بين المرفق والمنكب عضد الثريا وبعد المرفق المعصم، ويقال لما بين المرفق والمعصم الساعد والسويعد، وهناك كوكب بين في صورة مثلثة يسمى رأس الغول، وبالقرب منه كوكب نير منفرد يسمى عناق الأرض، وعند بنات نعش كواكب يقال لها الحية، وعند أسفله كوكب أحمر يقال له الذيخ، وهناك كواكب أخر يقال لها الضباع، وأولاد الضباع كواكب صغار عن يمين الضباع، والشاء كواكب صغار بي القرحة والجدي، والراعي كوكب أنور من كواكب الشاء والخباء كواكب أسفـل مـن الحوض، وخلف العاتق كوكبان يسميان المزحف والبرجيس وهما تحت المجرة؛ فهذه الكواكب المشهورة من الشآمية.

وأما الكواكب اليمانية فمنها: منكبا الجوزاء الأيمن منها كوكب أحمر وهو مرزم الجوزاء، والأيسر يسمى الناجذ، وفي وسط الجوزاء كواكب بيض ثلاثة تسمى النظم، ومنها رجل الجوزاء

وبعضها إلى البياض، وبعضها إلى اللون الرصاصي، ثم انظر كيفية أشكالها. فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والأسد والإنسان، وما من صورة في

اليمنى أبيض صغير واليسرى كوكب أبيض وباص أكبر من اليسرى، وتحت كل واحد منهما كواكب أربعة تسمى كرسي الجوزاء، وفوق رأس الجوزاء كواكب صغار تسمى تاج الجوزاء وذوائب الجوزاء. ومنها: الشعرى العبود وهو كوكب عظيم وباص أسفل الجوزاء على اليسار، وهناك ثلاثة كواكب بيض مختلفة التثليث تسمى عذرة الجوزاء، وخمسة أخرى تسمى العذارى وهي في حاشية المجرة، ومنها: الخيل وهي كواكب أكثر من العشرة نيرة، وفيها ستة في ثلاثة أمكنة متفرقة في كل مكان منها كوكبان، وبين كواكب الخيل كواكب صغار تسمى أفلاء الخيل وهي كلها بين يدي الشولة فوق المجرة، وأسفل من شولة العقرب كواكب تسمى القبة، وبين الزبانيين وبين عرش السماك كواكب مجتمعة نيرة على غير نظم تسمى الشماريخ. ومنها: سهيل وهو كوكب عظيم منير أحمر منفرد عن الكواكب، ولقرب مجراه من الأفق تراه أبداً كأنه يضطرب وهو في سمت الشعرى العبور، وفي مجرى سهيل كوكبان يقال لهما حضار والوزن، وهما يطلعان قبل سهيل وفي مجرى قدمي سهيل كواكب زهر وتسمى الأعيار. ومنها: السعودات وهي ستة متناسقة في جهة الدلو، وكل سعد منها كوكبان وهي كواكب خفية غير نيرة منها: سعد ناشرة، ثم سعد الملك، ثم سعد البهام، ثم سعد الربق، ثم سعد البارع، ثم سعد مطر، ومنها الشراسيف وهي كواكب مستطيلة مثل الحبل، وبعدها كواكب مستديرة متبددة يقال لها المعلف. ومنها: الصردان واليمامتان والقطا والظليمان. ومنها: السفينة وهي كواكب خفية متتابعة مقدمها عند سعد البهام ومؤخرها عند السمكة، وفي مقدمها الضفدع الأولى، وفي مؤخرها الضفدع الثانية؛ فهذه مشاهير الكواكب اليمانية. وقد ميز قدماء العلماء كواكب السماء على وجه الدهر فجعلوها في منازل سبعة من الأقدار فجعلوا كبارها في القدر الأول وهي التي تسميها الدراري والزهرة والشعرى العبور هما أنور نجوم السماء، والذي أحصى العلماء من دراري النجوم كلها سوى الخمسة المتحيرة خمسة عشر كوكباً وهي التي في القدر الأول من العظم وهي الشعريان وسهيل والمحنث والعيوق والسماكان والدبران وقلب الأسد والنسر الواقع والصرفة ومنكب الجوزاء ورجلها، وما دون هذه وهي في القدر الثاني من العظم خمسة وأربعون كوكباً وهي: كالفرقدين وبنات نعش الكبرى والردف ورأس الغول والعناق وقلب العقرب والنسر الطائر وثلاثة من العراقي وكوكبي الذراع المبسوطة وثلاثة كواكب من الجبهة والفرد، وأشباه هذه مما تركنا ذكره لقلة الحاجة إليه في هذا الموضع، وكذلك تركنا ذكر سائر ما في الأقدار الباقية لأن هذا الكتاب ليس من مواضع ذكرها. وأما المجرة فهي أم النجوم لكثرة عدد نجومها وتسمى أيضاً القديمة.

(و) انظر إلى **(اختلاف ألوانها فبعضها يميل إلى الحمرة)** كأنه شعلة نار **(وبعضها إلى البياض)** الناصع **(وبعضها إلى اللون الرصاصي)** كأنه لطخ سحاب كما تقدم ذلك، **(ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة العقرب وبعضها على صورة الحمل والثور والأسد)**

الأرض إلا ولها مثال في السماء. ثم انظر إلى مسير الشمس في فلكها في مدّة سنة، ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف المواقيت ولأطبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام، فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة، فانظر كيف جعل الله تعالى الليل لباساً والنوم سباتاً والنهار معاشاً، وانظر إلى إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص. وانظر إلى إمالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف، فإذا انخفضت الشمس من وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء، وإذا استوت في وسط السماء اشتدّ القيظ وإذا كانت فيما بينهما اعتدل الزمان. وعجائب السموات لا مطمع في إحصاء عشر عشير

والسرطان والجدي والحوت وهي البروج السبعة **(والإنسان)** قال الدينوري: ويشبه الجوزاء بصورة الإنسان في المنظر وهو البرج الثالث وقد تقدم ذكر كواكب الجوزاء. **(وما من صورة في الأرض إلا ولها مثال في السماء)** ويزيد صوراً كثيرة لا يوجد لها مثال في الأرض، **(ثم انظر إلى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة، ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها)** جل وعلا، **(ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار)** واختلافهما من الآيات، **(ولم تعرف المواقيت)** قال الله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس﴾ **(ولأطبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام فكان لا يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة، فانظر كيف جعل الله الليل لباساً)** أي غطاء يستر بظلمته من أراد الاختفاء، **(والنهار معاشاً)** أي وقت معاش يتقلبون فيه لتحصيل مايعيشون به.

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن ابن عمر قال: لو أن الشمس تجري مجرى واحداً ما انتفع أحد من أهل الأرض بشيء منها، ولكنها تحلق في الصيف وتعترض في الشتاء، فلو أنها طلعت مطلعها في الشتاء في الصيف لأنضجهم الحر، ولو أنها طلعت مطلعها في الصيف في الشتاء لقطعهم البرد.

(وانظر إلى إيلاجه الليل في النهار والنهار في الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص)، فيدخل الليل في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة، ويولج النهار في الليل حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة، والنهار تسع ساعات فما نقص من أحدهما زاد في الآخر وذلك بحسب مطالع الليل ومغاربه. **(وانظر إلى إمالته مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف، فإذا انخفضت الشمس من وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء، وإذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ، وإذا كانت فيا بينهما اعتدل الزمان)**.

جزء من أجزائها، وإنما هذا تنبيه على طريق الفكر، واعتقد على الجملة أنه ما من كوكب من الكواكب إلا ولله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره، ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء، وقربه من وسط السماء وبعده، وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده وقس على ذلك ما ذكرناه من أعضاء بدنك، إذ ما من جزء إلا وفيه حكمة بل حكم كثيرة، وأمر السماء أعظم بل لا نسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء لا في كبر جسم ولا في كثرة معانيه، وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الأرض فأنت تعرف من كبر الأرض واتساع أطرافها أنه لا يقدر آدمي على أن يدركها ويدور بجوانبها، وقد اتفق المناظرون على أن الشمس مثل الأرض مائة ونيفاً

اعلم أن مشرق الشمس في أطول يوم في السنة وذلك قريب من مطلع السماك الرامح، وكذلك مغرب الصيف هو على نحو ذلك من مغرب السماك الرامح، ومشرق الشتاء مطلع الشمس في أقصر يوم من السنة وهو قريب من مطلع قلب العقرب، وكذلك مغرب الشتاء هو على نحو ذلك من مغرب قلب العقرب، فمشارق الأيام ومغاربها في جميع السنة هي كل ما بين هذين المشرقين والمغربين، فإذا طلعت الشمس من أخفض مطالعها في أقصر يوم من السنة لم تزل بعد ذلك ترتفع في المطالع فتطلع كل يوم من مطلع فوق مطلعها بالأمس طالبة مشرق الصيف، فلا تزال على ذلك حتى تتوسط المشرقين وذلك عند استواء الليل والنهار في الربيع، فذلك مشرق الاستواء وهو قريب من مطلع السماك الأعزل، ثم تستمر على حالها من الارتفاع في المطالع إلى أن تبلغ مشرق الصيف الذي بيناه، فإذا بلغته كرت راجعة في المطالع منحدرة نحو مشرق الإستواء حتى إذا بلغته استوى الليل والنهار في الخريف، ثم استمرت منحدرة حتى تبلغ منتهى مشارق الشتاء الذي بيناه؛ فهذا دأبها وكذلك شأنها في المغارب على قياس ما ذكرنا في المطالع.

(وعجائب السموات لا مطمع في إحصاء عشر عشير جزء من أجزائها وإنما هذا تنبيه على طريق الفكر، وأعتقد على الجملة أنه ما من كوكب من الكواكب إلا ولله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعده وقربه من الكواكب التي بجنبه وبعده) والمراد بوسط السماء المجرة المسماة بأم النجوم وهي دائرة متصلة اتصال الطوق وتسمى أيضاً الفلك. **(وقس ذلك بما ذكرناه من أعضاء بدنك إذ ما من جزء إلا وفيه حكمة، بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لا نسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء لا في كبر جسم ولا في كثرة معانيه، وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الأرض فأنت تعرف كبر الأرض واتساع أطرافها أنه لا يقدر آدمي على أن يدور بجوانبها، وقد اتفق الناظرون)** أهل النظر من علماء الأوائل **(على أن الشمس مثل الأرض مائة ونيف وستون مرة)** قال الدينوري: يقال أن

وستين مرة، وفي الأخبار ما يدل على عظمها ثم الكواكب التي تراها اصغرها مثل الأرض ثماني مرات وأكبرها ينتهي إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض، وبهذا تعرف ارتفاعها وبعدها ؛ إذ للبعد صارت ترى صغاراً ولذلك أشار الله تعالى إلى بعدها فقال: ﴿رَفَعَ سَمكَهَا فسوَّاهَا﴾ [النازعات: ٢٨].

وفي الأخبار؛ أن ما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام فإذا كان هذا

الأرض جزء من مائة وستة وسبعين جزءاً من الشمس، والقمر جزء من ستة ألف وثلاثمائة وستة وثلاثين جزءاً من الشمس.

(**وفي الأخبار ما يدل على عظمها**) قال العراقي: روى أحمد من حديث عبدالله بن عمرو: رأى رسول الله الشمس حين غربت وقال « في نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لأهلكت ما على الأرض» وفيه من لم يسم. وللطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة « وكل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالثلج كل يوم لولا ذلك ما أتت على شيء إلا أحرقته » انتهى.

قلت: حديث عبدالله بن عمرو أخرجه كذلك ابن شيبة وابن منيع وأبو يعلى وابن جرير وابن مردوية بلفظ « لأحرقت » بدل « لأهلكت » وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه من حديث أبي ذر قال: كنت ردف النبي ﷺ وهو على حمار فرأى الشمس حين غربت فقال « أتدري حين تغرب الشمس »؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإنها تغرب في عين حامئة ». وأما حديث أبي أمامة فأخرجه كذلك أبو الشيخ في العظمة وابن مردويه في التفسير.

(**والكواكب التي تراها**) بعينك (**أصغرها مثل الأرض ثمان مرات، وأكبرها ينتهي إلى قريب مائة وعشرين مرة من الأرض**) قال الدينوري يقال: أن القمر جزء من ستة وثلاثين جزءاً من الأرض والأرض جزء من مائة وستة وسبعين جزءاً من الشمس، (**وبهذا تعرف ارتفاعها وبُعدها**) عن الأرض، (**إذ للبعد صارت ترى صغاراً، ولذلك أشار الله تعالى إلى بعدها فقال ﴿رفع سمكها فسواها﴾**).

(**وفي الأخبار: أن بين كل سماء إلى أخرى مسيرة خمسمائة عام**) قال العراقي: رواه الترمذي من رواية الحسن عن أبي هريرة وقال غريب. قال: ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة. رواه أبو الشيخ في العظمة من رواية أبي نصر عن أبي ذر، ورجاله ثقات إلا أنه لا يعرف لأبي نصر سماع من أبي ذر انتهى.

قلت: وقد رواه البزار كذلك فيما أخبر به عمر بن أحمد بن عقيل، أنا عبدالله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أنبأنا علي بن يحي، أنا يوسف بن عبدالله، أخبرنا عبد الرحمٰن بن أبي بكر الحافظ قال: أخبرني عبد الرحمٰن بن أبي الحسن الأنصاري شفاهاً، عن إبراهيم بن أحمد المقري، عن أحمد بن أبي طالب، أنبأنا جعفر بن علي، عن محمد بن عبد الرحمٰن الحضرمي، أخبرنا أبو محمد

مقدار كوكب واحد مثل الأرض اضعافاً فانظر إلى كثرة الكواكب. ثم انظر إلى السماء التي الكواكب مركوزة فيها وإلى عظمها، ثم أنظر إلى سرعة حركتها، وأنت لا تحس بحركتها فضلاً عن أن تدرك سرعتها، لكن لا تشك أنها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لأن الزمان من طلوع أوّل جزء من كوكب إلى تمامه يسير وكذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة، فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة، وهكذا يدور على الدوام، وأنت غافل عنه، وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته إذ قال له النبي ﷺ: «هل زالت الشمس» فقال: لا نعم، فقال «كيف

ابن عتاب، حدثني أبي، أنبأنا سليمان بن خلف إجازة، أنبأنا أبو عبدالله بن الفرج، أخبرنا محمد بن يحيى بن حبيب، حدثنا الحافظ أبو بكر البزار، حدثنا محمد بن معمر، حدثنا محاضر هو ابن الموزع، حدثنا الأعمش، عم عمرو بن مرة، عن أبي نصر، عن أبي ذر رفعه: «كثف الأرض مسيرة خمسمائة عام وبين الأرض العليا والسماء الدنيا خمسمائة عام وكثفها مثل ذلك وكثف الثانية مثل ذلك وما بين كل أرض مثل ذلك» إلى أن قال «ثم ما بين السماء السابعة إلى العرش مثل ذلك» هذا حديث رجاله ثقات أخرجه اسحاق بن راهويه في مسنده عن أبي معاوية عن الأعمش به. قال البزار: ولا نعلمه عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد، وأبو نصر أحسبه حميد بن هلال ولم يسمع من أبي ذر انتهى.

قلت: وقيل مجذر بن شيبة، وقيل لا يعرف وهو من رجال النسائي.

وروى أحمد والترمذي وقال غريب، والنسائي وابن ماجه وابن حبان وأبو الشيخ في العظمة وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث والضياء في المختارة من حديث أبي سعيد في تفسير قوله تعالى: ﴿وفرش مرفوعة﴾ [الواقعة: ٣٤] والذي نفس محمد بيده إن ارتفاعها كما بين السماء والأرض وأن ما بين السماء والأرض لمسيرة خمسمائة عام»

وروى أحمد في مسند من حديث العباس رضي الله عنه «هل تدرون كم بين السماء والأرض». قلنا: الله ورسوله أعلم. قال «بينهما مسيرة خمسمائة سنة وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة» الحديث.

(فإذا كان هذا مقدار كوكب واحد مثل الأرض، فانظر إلى كثرة الكواكب، ثم انظر إلى السماء التي الكواكب مركوزة فيها وإلى عظمها، ثم انظر إلى سرعة حركتها وأنت لا تحس بحركتها، فضلاً عن أن تدرك سرعتها لكن لا تشك أنها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب، لأن الزمان من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمامه يسير، وكذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة، فقد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة، وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه، وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته إذا قال له النبي ﷺ: «هل زالت الشمس»؟ فقال: لا. نعم. فقال: «كيف

تقول لا نعم » ، فقال : من حين قلت لا إلى أن قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام ، فانظر إلى عظم شخصها ثم إلى خفة حركتها ، ثم انظر إلى قدرة الفاطر الحكيم كيف أثبت صورتها مع اتساع أكنافها في حدقة العين مع صغرها حتى تجلس على الأرض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها . فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر إليها بل انظر إلى بارئها كيف خلقها ، ثم أمسكها من غير عمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك أنك تدخل بيت غني فتراه مزوقاً بالصبغ مموهاً بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك وأنت أبداً تنتظر إلى هذا البيت العظيم وإلى أرضه وإلى سقفه وإلى هوائه وإلى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك إليه ! فما هذا البيت دون ذلك البيت الذي تصفه بل ذلك البيت هو أيضاً جزء من الأرض التي هي أخس أجزاء هذا البيت ! ومع هذا فلا تنظر إليه ؛ ليس له سبب إلا أنه بيت ربك هو الذي انفرد ببنائه وترتيبه وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم إلا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن تملأ بطنك ، ولا

تقول لا نعم » فقال « من حين قلت لا إلى أن قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام ») هكذا ذكره صاحب القوت وقد تقدم في آداب السفر . وقال العراقي : لم أجد له أصلاً . (**فانظر إلى عظم شخصها ثم إلى خفة حركتها ، ثم انظر إلى قدرة الفاطر الحكيم**) جل جلاله (**كيف أثبت صورتها مع اتساع أكنافها**) وبعد أقطارها (**في حدقة العين**) الباصرة (**مع صغرها حتى تجلس على الأرض وتفتح عينيك نحوها فترى جميعها ، فهذه السماء بعظمها وكثرة كواكبها لا تنظر إليها بل انظر إلى بارئها كيف خلقها**) فسواها (**ثم أمسكها**) عن أن تقع على الأرض (**من غير عمد ترونها**) ولا سناد يسندها (**ومن غير علاقة من فوقها**) يجرها ، (**وكل العالم كبيت واحد والسماء سقفه ، فالعجب منك أنك تدخل بيت غني**) من ذوي الأموال (**فتراه مزوقاً بالصبغ**) المختلف (**مموهاً بالذهب فلا ينقطع تعجبك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك ، وأنت أبداً تنظر إلى هذا البيت العظيم ، وإلى أرضه وإلى سقفه وإلى هوائه وإلى عجائب أمتعته وغرائب حيواناته وبدائع نقوشه**) وأنواع مزخرفاته ، (**ثم لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك إليه فما هذا البيت دون البيت الذي تصفه**) وتذكر محاسنه ، (**بل ذلك البيت أيضاً جزء من الأرض التي هي أخس أجزاء هذا البيت ، ومع هذا فلا تنظر إليه ليس له سبب إلا أنه بيت ربك هو الذي انفرد ببنائه وترتيبه ، وأنت قد نسيت نفسك وربك وبيت ربك واشتغلت ببطنك وفرجك ليس لك هم إلا شهوتك أو حشمتك ، وغاية شهوتك أن تملأ بطنك**) بأنواع الأطعمة (**ولا تقدر أن تأكل**

تقدر على أن تأكل عشر ما تأكله بهيمة فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات. وغاية حشمتك أن تقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فينافقون بألسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك، وأن صدقوك في مودتهم إياك فلا يملكون لك ولا لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، وقد يكون في بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك، وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السموات والأرض ثم غفلت عن التنعم بالنظر إلى جلال مالك الملكوت والملك. وما مثلك ومثل عقلك إلا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الأركان مزين بالجواري والغلمان وأنواع الذخائر والنفائس، فإنها إذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق إلا عن بيتها وغذائها وكيفية إدخارها. فأما حال القصر والملك الذي في القصر فهي بمعزل عنه وعن التفكر فيه، بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبيتها إلى غيرها. وكما غفلت النملة عن القصر وعن أرضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت أيضاً عن سكانه، فأنت أيضاً غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته، فلا تعرف من السماء إلا ما تعرفه النملة من

عشر عشر ما تأكله بهيمة، فتكون البهيمة فوقك بعشر درجات، وغاية حشمتك أن يقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فينافقون بألسنتهم بين يديك ويضمرون خبائث الاعتقادات عليك، وإن صدقوك في مودتها إياك فلا يملكون لك ولا لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً) بل عاجزون عن ذلك كله، **(وقد يكون في بلدك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك)** وماله على مالك، **(وقد اشتغلت بهذا الغرور وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السموات والأرض، ثم التنعم بالنظر إلى جلال مالك الملكوت والملك)** جل جلاله، **(وما مثلك ومثل عقلك إلا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي حفرته في قصر مشيد من قصور الملك رفيع البنيان حصين الأركان مزين بالجواري والغلمان وأنواع الذخائر والنفائس، فإنها إذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبتها لم تتحدث لو قدرت على النطق إلا عن بيتها وغذائها وكيفية ادخارها، فأما حال القصر والملك الذي في القصر فهي بمعزل عنه وعن التفكر فيه، بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر من نفسها وغذائها وبيتها إلى غيرها. وكما غفلت النملة عن القصر عن أرضه وسقفه وحيطانه وسائر بنيانه، وغفلت أيضاً عن سكانه، فأنت أيضاً)** أيها المسكين **(غافل عن بيت الله تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سماواته، فلا تعرف من السماء إلا ما تعرفه النملة**

سقف بيتك، ولا تعرف من ملائكة السموات إلا ما تعرف النملة منك ومن سكان بيتك. نعم ليس للنملة طريق إلى أن تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه، وأما أنت فلك قدرة على أن تجول في الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق

من سقف بيتك، ولا تعرف من ملائكة السموات إلا ما تعرف النملة منك، ومن سكان بيتك. نعم ليس للنملة طريق إلى أن تعرفك وتعرف عجائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه، وأما أنت فلك قدرة على أن تجول في الملكوت وتعرف من عجائبه ما الخلق غافلون عنه).

ومن كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: فمن شواهد خلقه خلق السموات موطدات بلا عمد قائمات بلا سند، دعاهن فأجبن طائعات مذعنات غير متلكئات ولا مبطئات، ولولا إقرارهن له بالربوبية وإذعانهن بالطواعية لما جعلهن موضعاً لعرشه، ولا سكناً لملائكته، ولا مصعداً للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه، جعل نجومها أعلاماً يستدل بها الحيران في مختلف فجاج الأقطار، لم يمنع ضوء نهارها ادلهام سجف الليل المظلم، ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس أن ترى ما شاع في السموات من تلألؤ نور القمر. فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج ولا ليل ساج في بقاع الأرضين المتطأطئات، ولا في يفاع الشفع المتجاورات، وما يتجلجل به الرعد في أفق السماء، وما تلاشت عنه بروق الغمام، وما يسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء وانهطال السماء، يعلم مسقط القطرة ومقرها ومسحب الذرة ومجرها، وما يكفي البعوضة من قوتها وما تحمل من أنثى في بطنها.

وقال رضي الله عنه في صفة السماء: ونظم بلا تعليق رهوات فرجها ولاحم صدوع انفراجها، ووشح بينها وبين أزواجها، وذلل للهابطين بأمره والصاعدين بأعمال خلقه حزونة معراجها وناداها بعد إذ هي دخان، فالتحمت عرى أشراجها وفتق بعد الارتفاق صوامت أبوابها وأقام رصداً من الشهب الثواقب على نقابها، وأمسكها من أن تمور في خرق الهواء بائدة، وأمرها أن تقف مستسلمة لأمره وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها وقمرها آية ممحوة من ليلها، وأجراهما في مناقل مجراهما وقد سيرهما في مدارج درجيهما ليميز بين الليل والنهار بهما وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما، ثم علق في جوها فلكاً وناط بها زينتها في خفيات دراريها ومصابيح كواكبها ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها وأجراهما على إذلال تسخيرها من ثبات ثابتها ومسير سائرها وهبوطها وصعودها ونحوسها وسعودها.

وقال رضي الله عنه في صفة الملائكة: ثم خلق سبحانه لاسكان سمواته وعمارة الصفيح الأعلى من ملكوته خلقاً بديعاً من ملائكته، ملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم فتوق أجوائها وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد، ووراء ذلك الزجيج الذي تستك منه الأسماع سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها، فتقف خاسئة على حدودها. أنشأهم على صور مختلفات وأقدار متفاوتات أولي أجنحة تسبح جلال عزته لا ينتحلون

....

ما ظهر في الخلق من صنعه، ولا يدعون أنهم يخلقون شيئاً معه مما انفرد به، بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، جعلهم فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه، وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه، وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته، وأمدهم بفوائد المعونة وأشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة، وفتح لهم أبواباً ذللاً إلى تماجيده، ونصب لهم مناراً واضحة على أعلام توحيده، ولم تثقلهم مؤصرات الآثام ولم ترتحلهم عقب الليالي والأيام، ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة إيمانهم، ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم، ولا قدحت قادحة اللاحن فيما بينهم، ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفة بضمائرهم وسكن من عظمته وهيبة جلالته في أثناء صدورهم، ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع بريبها على فكرهم. منهم من هو في خلق الغمام الدلح وفي عظم الجبال الشمخ وفي فترة الظلام الأبهم، ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية قد استفرغتهم أشغال عبادته ووسلت حقائق الإيمان بينهم وبين معرفته وقطعهم الإيقان به إلى الوله إليه، ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره، قد ذاقوا حلاوة معرفته وشربوا بالكأس الروية من محبته، وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيحة خيفته، فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم ولم ينفد طول الرغبة إليه مادة تضرعهم، ولا أطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم ولم يتولهم الإعجاب فيستكثروا ما سلف عنهم ولا تركت لهم استكانة الإجلال نصيباً في تعظيم حسناتهم، ولم تجر الفترات فيهم على طول دوبهم، ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم، ولم تجف لطول المناجاة أسلات ألسنتهم، ولا ملكتهم الأشغال فتنقطع بهمس الخبر إليه أصواتهم، ولم تختلف في مقادم الطاعة مناكبهم، ولم يثنوا إلى راحة التقصير في أمر رقابهم، ولا تعدو على عزيمة جدهم بلادة الغفلات، ولا تنتضل في هممهم خدائع الشهوات، قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم ويمموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم، لا يقطعون أمد غاية عبادته ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته إلا إلى مواد من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته، لم تنقطع أسباب الشفقة منهم فينوا في جدهم ولم تأسرهم الأطماع فيؤثروا وشيك السعي على اجتهادهم، ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم، ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم، ولم يفرقهم سوء التقاطع ولا تولاهم غل التحاسد، ولا شعبتهم مصارف الريب، ولا اقتسمتهم أخياف الهمم، فهم أسراء إيمان لم يفكهم من ربقته زيغ ولا عدول ولا وني ولا فتور، وليس في أطباق السموات موضع إهاب إلا وعليه ملك ساجد أو ساع حافد يزدادون على طول الطاعة بربهم علماً وتزداد عزة ربهم في قلوبهم عظماً اهـ.

فصل

في ذكر ما ورد في الأخبار من ذكر ملائكة الملكوت الأعلى:

روى ابن مردويه من حديث ابن عباس: «أطت السماء ويحق لها أن تئط والذي نفسي محمد بيده ما فيها موضع شبر إلا وفيه جبهة ملك ساجد يسبح الله بحمده».

وروى أبو داود وابن ماجه من حديث عباس بن عبد المطلب: « فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين السماء إلى السماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، على ظهورهم العرش من أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء فوق ذلك ».

وروى أبو الشيخ في العظمة، والبيهقي في الشعب، والخطيب، وابن عساكر من حديث رجل من الصحابة: « إن لله ملائكته ترعد فرائصهم من مخافته ما منهم ملك تقطر من عينيه دمعة إلا وقعت ملكاً قائماً يسبح وملائكة سجوداً منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وملائكة ركوعاً لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وصفوفاً لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم فنظروا إليه وقالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك ».

وروى الديلمي من حديث ابن عمر: « إن لله تعالى ملائكة في السماء الدنيا خشوعاً منذ خلقت السموات والأرض إلى أن تقوم الساعة يقولون: سبحان ذي الملك والملكوت فإذا كان يوم القيامة يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ولله ملائكة في السماء الثانية ركوعاً منذ خلقت السموات والأرض إلى أن تقوم الساعة، فإذا كان يوم القيامة يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ولله ملائكة في السماء الثالثة سجوداً منذ خلقت السموات والأرض إلى أن تقوم الساعة، فإذا كان يوم القيامة يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ».

وروى ابن لال في مكارم الأخلاق من حديث ابن عباس: « إن لله عز وجل أملاكاً خلقهم كيف شاء وصوّرهم على ما شاء تحت عرشه ألهمهم أن ينادوا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في كل يوم مرتين: ألا من وسع على عياله وجيرانه وسع الله تعالى عليه في الدنيا، ألا من ضيق ضيق الله عليه، ألا إن الله قد أعطاكم لنفقة درهم على عيالكم سبعين قنطاراً والقنطار مثل أحد وزناً انفقوا ولا تجمعوا ولا تضيقوا ولا تقتروا وليكن أكثر نفقتكم يوم الجمعة ».

وروى أبو الشيخ في العظمة من حديث جابر: « إن لله تعالى ملائكة ما بين شحمة أذن أحدهم إلى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطير السريع الطيران ».

ورواه ابن عساكر بلفظ: « إن لله ملائكة وهم الكروبيون من شحمة أذن أحدهم إلى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطائر السريع في انحطاطه ».

روى الديلمي من حديث ابن عباس: « إن لله ملكاً نصف جسده الأعلى ثلج ونصفه الأسفل نار ينادي بصوت رفيع: سبحان الله الذي كف حر هذه النار فلا يذيب هذا الثلج، وكف برد هذا الثلج فلا يطفىء حر هذه النار. اللهم يا مؤلفاً بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك ».

وروى الديلمي من حديث أنس: « إن لله تعالى بحراً من نور حوله ملائكة من نور على خيل

غافلون عنه. ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط فإنه مجال لا آخر له، ولو استقصينا أعماراً طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله تعالى علينا بمعرفته، وكل ما عرفناه قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه جلة العلماء والأولياء، وما عرفوه قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وجملة ما عرفوه قليل بالإضافة إلى ما عرفه محمد نبينا ﷺ. وما عرفه الأنبياء كلهم قليل بالإضافة إلى ما عرفته الملائكة المقربون كإسرافيل وجبريل وغيرهما ثم جميع علوم الملائكة والجن والإنس إذا أضيف إلى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق أن يسمى علماً، بل هو إلى أن يسمى دهشاً وحيرة وقصوراً وعجزاً أقرب. فسبحان من عرّف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

من نور بأيديهم حراب من نور يسبحون حول ذلك البحر: سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت. سبوح قدوس رب الملائكة والروح، فمن قالها في يوم أو شهر أو سنة مرة أو عمره غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر أو مثل رمل عالج أو فرّ من الزحف».

(**ولنقبض عنان الكلام على هذا النمط فإنه مجال**) واسع (**لا آخر له، ولو استقصينا أعماراً طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله علينا بمعرفته، وكل ما عرفناه**) فهو (**قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه جلة العلماء والأولياء**) والصالحين، (**وما عرفوه**) فهو (**قليل نزر حقير بالإضافة إلى ما عرفه الأنبياء**) عليهم السلام، (**وجملة ما عرفوه**) فهو (**قليل بالإضافة إلى ما عرفه محمد نبينا ﷺ، وما عرفه الأنبياء كلهم فهو قليل بالإضافة إلى ما عرفته الملائكة المقربون**) في حضرة القدس، (**كاسرافيل وجبريل وغيرهما**) عليهم السلام، وهذا يشعر بتفضيل الملائكة على الأنبياء وهو مذهب المصنف، ولأئمة السنة فيه خلاف مبسوط في محله. (**ثم جميع علوم الملائكة والجن والإنس إذا أضيف إلى علم الله سبحانه لم يستحق أن يسمى علماً، بل هو إلى أن يسمى دهشاً وحيرة وقصوراً وعجزاً أقرب**) إذ لا يعرف أحد حقيقة علم الله تعالى إلا من له مثل علمه، وليس ذلك إلا له تعالى فلا يعرفه سواه تعالى وتقدس، وإنما يعرف غيره بالتشبيه بعلم نفسه وعلم الله تعالى لا يشبهه علم الخلق البتة، فلا تكون معرفته به معرفة تامة حقيقة أصلاً، بل إيهامية تشبيهية، فنهاية معرفة العارفين عجزهم عن المعرفة ومعرفتهم بالحقيقة هي أنهم لا يعرفونه وأنهم لا يمكنهم معرفته البتة، وأنه يستحيل أن يعرف المعرفة الحقيقية المحيطة بكنه صفات الربوبية إلا الله تعالى. (**فسبحان من عرف عباده ما عرف ثم خاطب جميعهم فقال: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾**) فإذا لا يحيط مخلوق من ملاحظة حقيقة ذاته إلا بالحيرة والدهشة.

فهذا بيان معاقد الجمل التي تجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله تعالى ، ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته ، وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتمّ ، وهذا كما أنك تعظم عالماً بسبب معرفتك بعلمه ، فلا تزال تطلع على غريبة غريبة من تصنيفه أو شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسنه له توقيراً وتعظيماً واحتراماً ، حتى أن كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره يزيده محلاً من قلبك يستدعي التعظيم له في نفسك . فهكذا تأمل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه ، وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى أبداً ، وإنما لكل

(فهذا بيان معاقد الجمل التي يجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله تعالى) .

وقال صاحب القاموس في البصائر نقلاً عن المشايخ: الفكرة فكرتان فكرة تتعلق بالعلم والمعرفة، وفكرة تتعلق بالطلب والإرادة، فالتي تتعلق بالعلم والمعرفة فكرة الضمير بين الحق والباطل والثابت والمنفي، والفكرة التي تتعلق بالطلب والإرادة هي الفكرة التي تميز بين النافع والضار ، ثم تترتب عليها فكرة أخرى في الطريق إلى حصول ما ينفع فيسلكها وطريق ما يضر فيتركها ، ولهم فكرة في عين التوحيد وفكرة في لطائف الصفة وفكرة في معاني الأعمال والأحوال؛ فهذه ستة أقسام لا سابع لها هي مجال أفكار العقلاء فالفكرة في التوحيد استحضار أدلته وشواهده الدالة على بطلان الشرك واستحالته ، وأن الإلهية يستحيل ثبوتها لاثنين، كما يستحيل ثبوت الربوبية لاثنين، فكذلك أبطل الباطل عبادة اثنين والتوكل على اثنين، بل لا تصلح العبادة إلا للإله الحق والرب الحق وهو الله الواحد القهار اهـ.

(ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته) أشار به إلى أن اتساع المعرفة إنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته ، وفيها تتفاوت درجات الملائكة والأنبياء والأولياء في معرفته ، وهذا أيضاً لا يعرفه بالكمال في الحقيقة إلا الله تعالى ، (و) لكن **(كلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم)** أي كلما ازداد العبد إحاطة بتفاصيل المقدورات وعجائب الصنائع في ملكوت الأرض والسموات كان حظه من معرفة صفة القدرة أوفر وأتم ، لأن الثمرة تدل على المثمر ، وهذا **(كما أنك تعظم عالماً بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة غريبة من تصنيفه أو شعره)** وتزداد إحاطة بتفاصيل علومه فيها ، **(فتزداد به معرفة وتزداد بحسنه له توقيراً وتعظيماً واحتراماً ، حتى أن كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره يزيده محلاً في قلبك ويستدعي التعظيم له في نفسك، فهكذا تأمل في خلق الله وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى أبداً، وإنما لكل عبد منها**

عبد منها بقدر ما رزق، فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف إلى هذا ما فصلناه في كتاب الشكر، فإنا نظرنا في ذلك الكتاب في فعل الله تعالى من حيث هو إحسان إلينا وإنعام علينا، وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث أنه فعل الله فقط، وكل ما نظرنا فيه فإن الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته، والموفق ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته. وما من ذرّة في السماء والأرض إلا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء، فمن نظر في هذه الأمور من حيث إنها فعل الله تعالى وصَنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله تعالى وعظمته واهتدى به، ومن نظر فيها قاصراً للنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب الأسباب فقد شقي

بقدر ما رزق) وإلى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين ويتطرق إليه تفاوتاً لا يتناهى، ومن هنا تعرف أن من قال: لا أعرف إلا الله فقد صدق، ومن قال لا أعرف الله فقد صدق فإنه ليس في الوجود إلا الله تعالى وأفعاله، فإذا نظر إلى أفعاله من حيث هي أفعاله وكان مقصور النظر عليها ولم يرها من حيث أنها سماء وأرض وشجر بل من حيث أنها صنعه فلم تجاوز معرفته حضرة الربوبية، فيمكنه أن يقول ما أعرف إلا الله وما أرى إلا الله، ولو تصوّر شخص لا يرى إلا الشمس ونورها المنتشر في الآفاق يصح أن يقول ما أرى إلا الشمس فإن النور الفائض منها هو من جملتها ليس خارجاً عنها، وكل ما في الوجود نور من أنوار القدرة الأزلية وأثـر من آثارها، وكما أن الشمس ينبوع النور الفائض على كل مستنير، فكذلك المعنى الذي قصرت العبارة عنه فعبّر عنه بالقدرة الأزلية للضرورة هو ينبوع الوجود الفائض على كل موجود، فليس في الوجود إلا الله تعالى، فيجوز أن يقول العارف: لا أعرف إلا الله تعالى: ومن العجائب أن يقول: لا أعرف إلا الله تعالى ويكون صادقاً، ويقول لا أعرف الله ويكون أيضاً صادقاً، ولكن ذلك بوجه وهذا بوجه ولا تناقض فيه لاختلاف وجوه الاعتبارات.

(فلنقتصر على ما ذكرناه، ولنضف إلى هذا ما فصلناه في كتاب الشكر، فإذا نظرنا في ذلك الكتاب في فضل الله تعالى من حيث هو إحسان وإنعام علينا، وفي هذا الكتاب نظرنا فيه من حيث أنه فعل الله) وصنعه **(فقط وكل ما نظرنا فيه فإن الطبيعي)** الذي يذهب إلى تأثير الطبائع في الأشياء **(ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلالة وشقاوته)** لقصوره على تأثير الطبائع عن بارئها جل وعز، **(والموفق)** العارف **(ينظر فيه فيكون سبب هدايته وسعادته)** لأنه لا ينظر في الوجود إلا لله وصنعه، **(وما من ذرة في السماء والأرض إلا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها من يشاء، فمن نظر في هذه الأمور من حيث أنها فعل الله وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال الله وعظمته)** واهتدى وكان مقامه فيها أتم، **(ومن نظر فيها قاصراً للنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض لا من حيث ارتباطها بمسبب**

وارتدى فنعوذ بالله من الضلال، ونسأله أن يجنّبنا مزلة أقدام الجهال بمنه وكرمه وفضله وجوده ورحمته.

تم الكتاب التاسع من ربع المنجيات والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلامه، يتلوه كتاب ذكر الموت وما بعده، وبه كمل جميع الديوان بحمد الله تعالى وكرمه.

الأسباب فقد شقي وارتدى) وسلك سبيل الردى: **(فنعوذ بالله من الضلال ونسأله أن يجنّبنا مزلة)** أي موقع زلل **(أقدام الجهال بمنه)** تعالى **(وفضله وجوده رحمته)** آمين.

وبه تم كتاب التفكر، والحمد لله رب السموات والأرضين، والصلاة والسلام على حبيبه محمد المرسل إلى كافة العالمين، وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين. قد نجز الفراغ عن شرحه في السادسة من نهار الإثنين لأربع بقين من شهر صفر الخير من شهور سنة ١٢٠١. اللهم اختم بالصالحات أعمالنا، وكتب أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله له بمنه حامداً لله مصلياً مسلماً آمين.

(انتهى الجزء الثالث عشر ويليه إن شاء الله الجزء الرابع عشر
وأوله كتاب ذكر الموت وما بعده)

كتاب ذكر الموت وما بعده
وهو الكتاب العاشر من ربع المنجيات
وبه اختتام كتاب إحياء علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم الله ناصر كل صابر

الحمد لله مقدر الموت على العباد، ومحذر الفوت لينتهزوا فرصة الاجتهاد، وجاعل موت المسلمين وسيلة إلى لقائه، ومدخلاً في دار إحسانه وحسن جزائه، ومعرجا تعرج به أرواحهم إلى حضرة القدس، ومخرجاً يتروحون فيه من غموم الدنيا بنفحات القرب والأنس، أحمده على حسن بلائه لنا في الموت والحياة وأشكره على توفيقه لشهود حسن اختياره للمؤمنين في كل ما قدره وامضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نعبد إلا إياه، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله الذي اصطفاه بالتفضيل على سائر خلقه واجتباه، وجعله إماماً لأهل أعصار الدنيا ثم نقله إلى الآخرة ليأتم به أهل تقواه، ولقد خيره سبحانه بين الدنيا وبين ما عنده وارتضاه، لا جرم أنه نقله إلى الرفيق الأعلى وجعل أعلى الفردوس مثواه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الثقاة الهداة وسلم كثيراً وأدام ذلك بمدد لا يدرك منتهاه، وبعد فهذا شرح:

كتاب ذكر الموت وما بعده

وهو الأربعون الموفى لكتب إحياء العلوم للإمام الهمام مقتدى الخاص والعام، حجة الإسلام، وقطب رحا دائرة الأعلام، مولى الموالي أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، روى الله ضريحه بملث غيث رحمته الموالي، وأهدى إلى روحه الزكية تحالف غفرانه الغوالي، وقد طالعت عليه زيادة على ما سلف ذكره في مقدمة كتاب العلم من الكتب الغريبة كتاب المتفجعين لأبي العباس محمود بن محمد بن الفضل الأديب، وكتاب الثبات عند المات للحافظ أبي الفرج بن الجوزي، وحادي القلوب إلى لقاء المحبوب للشيخ ناصر الدين محمد بن الميلق الشاذلي، وشرح الصدور في أحوال الموتى والقبور، وأمالي الدرة الفاخرة كلاهما للحافظ جلال الدين السيوطي رحمهم الله تعالى، فدونك شرحاً للمقاصد محرراً، وللراغب في الآخرة منبهاً ومذكراً، جمع الفوائد فأوعى واستوعب المهمات نوعاً فنوعاً، ولما رأيت مسارعة الموت حائلة بين المؤمل والآمال انتهزت الفرصة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة، وكسر به ظهور الأكاسرة وقصر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة، حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم في الحافرة، فنقلوا من القصور إلى القبور، ومن ضياء المهود إلى ظلمة اللحود، ومن ملاعبة الجواري والغلمان ومقاساة الهوام والديدان، ومن التنعم بالطعام والشراب

بالاختصار والإجمال وكتبت ما تبادر في استحضاري أولاً فأولاً، ولم أتفرغ لإراحة العنان لكوني مستعجلاً، وبالله توكلي وبه أستعين إنه هو المعين في أمور الدنيا والدين وهذا أوان شروع المقصود، بعون الملك المعبود.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

(**الحمد لله الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة**) القصم كسر الشيء حتى يبين، وقولهم في الدعاء قصمه الله معناه أذله وأهانه وهذه المعاني الثلاثة محتملة هنا، والرقاب جمع الرقبة محركة العنق، وقيل أصل مؤخره ويجمع أيضاً على رقب وأرقب ورقبات، والجبابرة جمع جبار وهو فعال من الجبر بمعنى القهر والاذلال. يقال: جبره السلطان إذا قهره وسامه الخسف وأجبره لغة فيه. قال الأزهري: هما جيدتان، وقال ابن دريد في باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة مما تكلمت به العرب من فعلت وأفعلت جبرت الرجل على الشيء وأجبرته، (**وكسر به ظهور الأكاسرة**) جمع كسرى بفتح الكاف وكسرها لغتان مشهورتان وحكى الفتح عن الأصمعي والكسر عن غيره، (**وقصر به آمال القياصرة**) جمع قيصر. قال المطرزي وابن خالويه: كل من ملك الروم قيصر، ومن ملك الفرس كسرى، وقد جاء ذكرهما في الحديث. رواه الترمذي عن أبي هريرة: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وفي كل من الجملتين جناس الاشتقاق، وفي الثانية فقط براعة الاستهلال. (**الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة حتى جاءهم الوعد الحق**) الذي هو الموت فإنه حتم في رقاب العباد، (**فأرداهم**) أي أوقعهم (**في الحافرة**) أي المحفورة، والمراد بها القبر، وأما قوله تعالى: ﴿أئنا لمردودون في الحافرة﴾ [النازعات: ١٠] فالمعنى إلى أمرنا الأول وهو الحياة. وقال مجاهد: أي خلقاً جديداً. وقال ابن الاعرابي: أي إلى الدنيا كما كنا يقال عاد إلى حافرته. أي رجع إلى حالته الأولى، (**فنقلوا من أعالي القصور إلى أسافل القبور. ومن خباء المهود**) جمع المهد بمعنى الممهود وهو الفرش المهيأ للاضطجاع (**إلى ظلمة اللحود**) جمع اللحد وهو القبر الملحود، (**ومن ملاعبة الجواري والغلمان إلى مصاحبة**) وفي نسخة مقاساة (**الهوام والديدان، ومن التنعم بالشراب إلى**

إلى التمرغ في التراب، ومن أنس العشرة إلى وحشة الوحدة، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل، فانظر هل وجدوا من الموت حصناً وعزاً واتخذوا من دونه حجاباً وحرزاً، وانظر ﴿هَلْ تَحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أو تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ [مريم: ٩٨] فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء، واستأثر باستحقاق البقاء، وأذل أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء، ثم جعل الموت مخلصاً للأتقياء وموعداً في حقهم للقاء، وجعل القبر سجناً للأشقياء وحبساً ضيقاً عليهم إلى يوم الفصل والقضاء، فله الأنعام بالنعم المتظاهرة، وله الانتقام بالنقم القاهرة، وله الشكر في السموات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة، والصلاة على محمد ذي المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فجدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقره وبطن الأرض مستقره والقيامة موعده، والجنة أو النار

التمرغ في التراب، ومن أنس العشرة) بكسر العين وسكون الشين الجماعة المعاشرون (**إلى وحشة الوحدة**) وبين كل من الضياء والظلمة والأنس والوحدة وحسن المقابلة، (**ومن المضجع الوثير**) أي اللين (**إلى المصرع الوبيل**) أي الوخم، (**فانظر هل وجدوا من الموت حصناً**) يمنعهم منه (**أو اتخذوا من دونه حجاباً وحرزاً**) يدفعهم عنه، (**وانظر: ﴿هل تحس منهم من أحد﴾**) أي هل تشعر بأحد منهم أو تراه (**﴿أو تسمع لهم ركزاً﴾**) أي صوتاً خفياً. (**فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء**) أي الغلبة (**واستأثر**) أي اختص (**باستحقاق البقاء**) بنفسه لا إلى عمدة ولم يصح عليه الفناء، (**وأذل أصناف الخلق**) أي أنواع المخلوقات (**بما كتب عليهم من الفناء**) وهذا هو البقاء بغيره مما سواه سبحانه، فإنه يصح عليه الفناء، (**ثم جعل الموت مخلصاً**) من الحبس (**للاتقياء**) **أي للمؤمنين** الموصوفين بالتقوى، (**وموعداً في حقهم للقاء**) يشير إلى قوله تعالى: ﴿من كان يرجو لقا الله فإن أجل الله لآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥] (**وجعل القبر سجناً للأشقياء وحبساً ضيقاً عليهم إلى يوم الفصل والقضاء**) كما وردت بذلك الأخبار وسيأتي ذكرها، (**فله الإنعام بالنعم المتظاهرة**) أي العديدة المعاونة بعضها بعضاً، (**وله الانتقام بالنقم القاهرة**) أي الغالبة، (**وله الشكر في السموات والأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة والصلاة على**) سيدنا (**محمد ذي المعجزات الظاهرة**) أي المعلومة (**والآيات الباهرة**) وتقدم الكلام على المعجزة والآية وذكر الفرق بينهما، (**وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً**).

(أما بعد: فجدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنة والنار

موروده أن لا يكون له فكر إلا في الموت ولا ذكر إلا له، ولا استعداد إلا لأجله، ولا تدبير إلا فيه، ولا تطلع إلا إليه، ولا تعريج إلا عليه، ولا اهتمام إلا به، ولا حول إلا حوله، ولا انتظار وتربص إلا له، وحقيق بأن يعد نفسه من الموتى ويراها في أصحاب القبور، فإن كل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت، وقد قال ﷺ: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»، ولن يتيسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب، ولا يتجدد ذكره إلا عند التذكر بالإصغاء إلى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه. ونحن نذكر من أمر الموت ومقدماته ولواحقه وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار، ليكون ذلك مستحثاً على الاستعداد فقد قرب لما بعد الموت الرحيل فما بقي من العمر إلا القليل والخلق عنه غافلون ﴿اقْتَرَبَ للناس حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُوْنَ﴾ [الأنبياء: ١] ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين:

موروده أن لا يكون له فكر إلا في الموت) فإنه السبب الموصل لهذه الأهوال المذكورة، والباب الفاتح لها، (**ولا ذكر إلا له ولا استعداد إلا لأجله ولا تدبير إلا فيه ولا تطلع إلا إليه ولا تعرج إلا عليه**) والتعريج الوقفة اليسيرة، (**ولا اهتمام إلا به، ولا حوم إلا حوله، ولا انتظار وتربص إلا له، وحقيق بأنه يعد نفسه من**) جلة (**الموتى ويراها في**) جلة (**أصحاب القبور**) يشير إلى حديث ابن عمر الآتي ذكره، (**فإن كل ما هو آتٍ قريب**) رواه القضاعي من حديث عبد الله بن مصعب بن خالد الجهني عن أبيه عن جده زيد قال: تلقفت هذه الخطبة من في رسول الله ﷺ فذكرها، وفيها هذه الجملة (« **والبعيد ما ليس بآت** ») وهو الذي انقرض ومضى، ومنه قول الشاعر:

فلا زال ما تهواه أقرب من غدٍ ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس

(**وقد قال ﷺ: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت**) والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى». رواه الترمذي وابن ماجه من حديث شداد بن أوس وقد تقدم مراراً. (**ولن يتيسر الاستعداد للشيء إلا عند تجدد ذكره على القلب، ولا يتجدد ذكره إلا عند التذكر بالإصغاء إلى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه، ونحن نذكر من أمر الموت ومقدماته ولواحقه**) ومتماته (**وأحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بدّ للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار، ليكون ذلك مستحثاً على الاستعداد، فقد قرب الرحيل لما بعد الموت فما بقي من العمر إلا القليل والخلق غافلون**) قال الله تعالى: (**﴿اقترب للناس حسابهم﴾**) أي بالإضافة إلى ما مضى أو عند الله أو لأن كل ما هو آت قريب (**﴿وهم في غفلة معرضون﴾**) عن التفكر فيه (**ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين:**

الشطر الأول: في مقدماته وتوابعه إلى نفخة الصور، وفيه ثمانية أبواب:

الباب الأول: في فضل ذكر الموت والترغيب فيه.

الباب الثاني: في ذكر طول الأمل وقصره.

الباب الثالث: في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عند الموت.

الباب الرابع: في وفاة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده.

الباب الخامس: في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين.

الباب السادس: في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور.

الباب السابع: في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور.

الباب الثامن: فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام.

الشطر الأوّل

في مقدماته وتوابعه إلى نفخة الصور فيه ثمانية أبواب

الباب الأول: في فضل ذكر الموت والترغيب فيه.

الباب الثاني: في ذكر طول الأمل وقصره) وفيه بيان فضل قصره والسبب في طوله وعلاجه، وبيان مراتب الناس في كل منهما والمبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير.

(الباب الثالث: في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأهوال عند الموت) وفيه بيان دواهي الموت والحسرة ومنه لقاء ملك الموت.

(الباب الرابع: في وفاة رسول الله ﷺ) وما جرى عندها، (و) وفاة **(الخلفاء الراشدين)** رضي الله عنهم **(بعده)** وما جرى لهم عندها.

(الباب الخامس: في كلام المحتضرين) أي المشرفين على الموت. يقال: حضره الموت واحتضر أشرف عليه فهو في النزع وهو محضور ومحتضر بالفتح **(من الخلفاء والأمراء والصالحين)**.

(الباب السادس: في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور).

(الباب السابع: في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور.

(الباب الثامن: فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام) فهذه ثمانية أبواب على عدد أبواب الجنان.

الباب الأول
في ذكر الموت والترغيب في الإكثار من ذكره

اعلم أن المنهمك في الدنيا المنكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت، فلا يذكره. وإذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك هم الذين قال فيهم: ﴿قلْ إن الموت الذي تفرون منهُ فإنَّه ملاقِيكمْ ثم تردونَ إلى عالم الغيبِ والشهادةِ فينبئُكم بما كنتُم تعملونْ﴾ [الجمعة: ٨]، ثم الناس: إما منهمك، وإما تائب مبتدىء، أو عارف منته. أما المنهمك: فلا يذكر الموت، وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه

الباب الأول
في ذكر الموت والترغيب في الإكثار من ذكره

(اعلم) وفقك الله تعالى أن المقامات التسع التي ذكرها المصنف ليست على رتبة واحدة، بل بعضها مقصودة لذاتها كالمحبة والرضا فإنها أعلى المقامات، وبعضها مطلوبة لغيرها كالتوبة والزهد والخوف والصبر، إذ التوبة رجوع عن طريق البعد وإقبال على طريق القرب، والزهد ترك التشاغل عن القرب، والخوف سوط يسوق إلى ترك الشواغل، والصبر جهاد مع الشهوات القاطعة لطريق القرب، وكل ذلك غير مطلوب لذاته، بل المطلوب القرب والمحبة، والمعرفة مطلوبة لذاتها لا لغيرها، ولكن لا يتم إلا بقطع حب غير الله من القلب فاحتيج إلى الخوف والصبر والزهد لذلك من الأمور العظيمة النفع فيه ذكر الموت، فلذلك أورده آخراً، ولذلك عظم الشرع ثواب ذكره إذ به ينقص حب الدنيا وتنقطع علاقة القلب عنها، وإذا فهمت ذلك فاعلم **(أن المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره)** بلسانه وبقلبه، **(وإذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه)** وتخافون أن تتمنوه بلسانكم مخافة أن يصيبكم فتؤخذوا بأعمالكم **(فإنّه ملاقيكم)** لا تفرون منه لاحق بكم **(ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾)** بأن يجازيكم عليه، وما قبل هذه الآية: ﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون النَّاس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين★ ولا يتمنونه أبداً بما قدَّمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾ [الجمعة: ٦، ٧] **(ثم الناس إما منهمك)** في حب الدنيا **(وإما تائب مبتدىء أو عارف منتهى)** قد انتهى في سيره، **(أما المنهمك فلا يذكر الموت)** أصلاً لاشتغاله بما ينفره عنه **(وإن ذكره)** يوماً **(فيذكره للتأسف على دنياه)** أي على ما يفوته منها **(ويشتغل**

ويشتغل بمذمته، وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعداً. وأما التائب؛ فإنه يذكر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد، وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله ﷺ: «من كره لقاء الله كره الله لقاءه»، فإن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره، وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارهاً للقائه وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا، وأما العارف؛ فإنه يذكر الموت دائماً لأنه موعد للقائه لحبيبه، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب، وهذا في غالب الأمر يستبطىء مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين. كما روي عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم؛ اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلي من الصحة والموت أحب إلي من العيش فسهل علي الموت حتى ألقاك. فإذاً التائب

بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعداً، وأما التائب) المبتدىء **(فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة، وربما يكره الموت)** في بعض الأحيان **(خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد)** وتهيئته **(وهو معذور في كراهة الموت)** من هذا الوجه، **(ولا يدخل هذا تحت قوله ﷺ: «من كره لقاء الله كره الله لقاءه»)** هو شطر حديث أوله: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله». الخ. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: هو متفق عليه من حديث عائشة، ومن حديث أبي موسى، ومن رواية أنس عن عبادة بن الصامت. وأما حديث أبي هريرة فرواه مسلم فقط والنسائي وسيأتي ذكره.

(فإن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره، وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه) ويحبه **(فلا يعد كارهاً للقاء)** بهذا المعنى. **(وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه، وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا، وأما العارف المنتهي فإنه يذكر الموت دائماً لأنه موعد لقائه لحبيبه، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب، وهذا في غالب الأمر يستبطىء مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين، كما روي عن حذيفة)** بن اليمان رضي الله عنهما **(أنه لما حضرته الوفاة قال: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إليّ من الغنى والسقم أحب إليّ من الصحة والموت أحب إلي من العيش فسهّل علي الموت حتى ألقاك)** رواه أبو نعيم

معذور في كراهة الموت، وهذا معذور في حب الموت وتمنيه، وأعلى منهما رتبة من فوّض أمره إلى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتاً ولا حياة، بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه. فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا وهو الغاية

في الحلية فقال: حدثنا عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا محمد بن سليم، عن إسماعيل بن كثير، عن زياد مولى ابن عياش قال: حدثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه فقال: لولا أني أرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به. اللهم إنك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلة على العز، وأحب الموت على الحياة. حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم ثم مات رحمه الله تعالى.

وأخرجه ابن الجوزي في كتاب الثبات، عن محمد بن القاسم أخبرنا أحمد بن أحمد، أخبرنا أحمد ابن عبد الله الأصبهاني هو صاحب الحلية فذكره.

وقال أبو نعيم أيضاً: حدثنا عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق المخرمي، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا السري بن يحيى عن الحسن قال: لما حضر حذيفة الموت قال: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم الحمد لله الذي سبق بي الفتنة قادتها وعلوجها.

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين: حدثني الربيع بن تغلب، حدثني فرج بن فضالة، عن أسد بن وداعة قال: لما مرض حذيفة مرضه الذي مات فيه قيل له: ما تشتهي؟ قال: أشتهي الجنة. قالوا: فما تشتكي؟ قال: الذنوب. قالوا: أفلا ندعو لك الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني لقد عشت فيكم على خلال ثلاث: الفقير فيكم أحب إلي من الغني، والضعة فيكم أحب إلي من الشرف، وإن من حمدني منكم ومن لامني في الحق سواء، ثم قال: أصبحنا. قالوا: نعم. قال: اللهم إني أعوذ بك من صباح النار. حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم.

وأخرجه ابن الجوزي في كتاب الثبات عن إسماعيل بن أحمد، أخبرنا محمد بن هبة الله، أخبرنا علي بن محمد بن بشران، حدثنا ابن صفوان، حدثنا أبو بكر القرشي هو ابن أبي الدنيا فذكره. وقد رويت هذه المقالة أيضاً عن معاذ بن جبل أنه لما طعن كفه قال: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم. رواه ابن عساكر عن عبد الرحمن بن غنم عنه.

(**فإذاً التائب معذور في كراهة الموت، وهذا معذور في حب الموت وتمنيه، وأعلى منهما رتبة من فوض أمره إلى الله تعالى فصار لا يختار لنفسه موتاً ولا حياة**) ولا نفعاً ولا ضراً، (**بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه**) كما روي ذلك عن عدة من السلف وتقدم في كتاب المحبة والرضا؛ (**فهذا قد انتهى بفرط الحب إلى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى**) لأنه لا يتصور وقوع ذلك إلا بعد كمال المحبة فلو تمنى أهل النهي من أولي الألباب غاية الأماني فكونت لهم على ما تمنوا لكان رضاهم عن الله في تدبيره ومعرفتهم بحسن تقديره خيراً لهم

والمنتهى. وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل، فإن المنهمك أيضاً يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا إذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته. وكل ما يكدر على الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة.

بيان فضل ذكر الموت كيفما كان:

من تحري أمانيهم، وأفضل لهم عند الله من قبل أن الله أحكم الحاكمين، (**وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل، فإن المنهمك أيضاً يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا، إذ يتنغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته، وكل ما يكدر على الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة**).

بيان فضيلة ذكر الموت كيفما كان:

ولنقدم أولاً ما يتعلق ببدو الموت، ثم بما ورد في النهي عن تمنيه، ثم بما ورد في فضل طول الحياة في طاعة الله تعالى، ثم نتبعه بذكر فضيلته فأقول: روى أبو نعيم في الحلية عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ قال: ما بين الموت والبعث. وقال أحمد في الزهد، وابن أبي شيبة في المصنف معاً: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال: لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة: إن الأرض لا تسعهم، فقال: إني جاعل موتاً. قالوا: إذاً لا يهنأهم العيش. قال: إني جاعل أملاً. وفي الحلية عن مجاهد قال: لما أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض قال له ربه: ابن للخراب ولد للموت. وروى البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة: إن ملكاً ينادي يا بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب، ومن حديث الزبير: ما من صباح يصبح على العباد إلا وصارخ يصرخ لدوا للموت واجمعوا للفناء وابنوا للخراب. وروى أحمد في الزهد من طريق عبد الواحد بن زيد قال، قال عيسى ابن مريم عليه السلام: يا بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب تفنى نفوسكم وتبلى دياركم، وروى الثعلبي في التفسير عن كعب قال: صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال: أتدرون ما يقول هذا. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: يقول لدوا للموت وابنوا للخراب.

فصل

فيما ورد في النهي عن تمني الموت والدعاء به لضر ينزل في المال والجسد:

روى الباوردي والطبراني والحاكم من حديث الحكم بن عمرو الغفاري، وأحمد من حديث عبس الغفاري، وأحمد أيضاً والطبراني وأبو نعيم في الحلية من حديث خباب «لا يتمنين أحدكم الموت». ورواه الشيخان من حديث أنس بزيادة «لضر نزل به فإن كان ولا بد متمنياً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي». ورواه بهذه الزيادة أيضاً الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح والنسائي وابن ماجه

وأبو عوانة وابن حبان. ورواه ابن أبي شيبة وابن حبان بزيادة بعد قوله « نزل به في الدنيا » ولكن ليقل وساقاه، وفيه في آخره بعد قوله « خيراً لي وأفضل ». ورواه الشيخان من حديث أبي هريرة بلفظ: « لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به قبل أن يأتيه أنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً ». ورواه ابن عساكر بلفظ « لا يتمنين أحدكم الموت حتى يثق بعمله ». ورواه أحمد والبخاري والنسائي بلفظ « إما محسناً فلعله يزداد وإما مسيئاً فلعله يستعتب ». ورواه النسائي وحده بلفظ « إما محسناً فلعله أن يعيش يزداد خيراً وهو خير له وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب ». ورواه الخطيب من حديث ابن عباس بلفظ « فإنه لا يدري ما قدم لنفسه ». وروى أحمد والبزار وأبو يعلى والحاكم والبيهقي في الشعب من حديث جابر « لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإنابة ». وروى الشيخان من حديث أنس قال: « لولا أن رسول الله ﷺ نهانا أن نتمنى الموت لتمنيناه ». وروى البخاري عن قيس بن أبي حازم قال: « دخلنا على خباب نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال: لولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعونا به ». وروى المروزي عن القاسم مولى معاوية أن سعد بن أبي وقاص تمنى الموت ورسول الله ﷺ يسمع، فقال ﷺ « لا تتمن الموت فإن كنت من أهل الجنة فالبقاء خير لك وإن كنت من أهل النار فما يعجلك إليها ». وروى أبو يعلى والطبراني والحاكم عن أم الفضل أن رسول الله ﷺ دخل عليهم وعمه العباس يشتكي فتمنى الموت فقال له: « يا عم لا تتمن الموت فإن كنت محسناً فإن تؤخر تزداد إحساناً إلى إحسانك خير لك وإن كنت مسيئاً فإن تؤخر تستعتب من إساءتك خير لك فلا تتمن الموت ».

فصل

في فضل طول الحياة في طاعة الله تعالى:

روى أحمد والترمذي وصححه والحاكم من حديث أبي بكرة أن رجلاً قال: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال « من طال عمره وحسن عمله » قال: فأي الناس شر؟ قال « من طال عمره وساء عمله ». وروى الحاكم من حديث جابر « خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً ». ورواه أحمد من حديث أبي هريرة. وروى الطبراني من حديث عبادة بن الصامت « ألا أنبئكم بخياركم »؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: « أطولكم أعماراً في الإسلام إذا سددوا ». وروي أيضاً من حديث عوف بن مالك « كلما طال عمر المسلم كان له خير ». وروى أحمد من حديث أبي هريرة قال: كان رجلان من بني حي من قضاعة أسلما مع رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما وأخر الآخر سنة. قال طلحة بن عبيدالله: فرأيت الجنة فرأيت المؤخر منهما أدخل قبل الشهيد فعجب لذلك فأصبحت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: « أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة صلاة سنة ». وروى أحمد والبزار من حديث طلحة « ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر في الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله ». وروى صاحب الحلية عن سعيد بن جبير قال: « إن بقاء المسلم

كل يوم غنيمة لأداء الفرائض والصلاة وما يرزقه الله من ذكره». وروى ابن أبي الدنيا عن إبراهيم ابن أبي عبلة قال: «بلغني أن المؤمن إذا مات تمنى الرجعة إلى الدنيا ليس ذلك إلا ليكبر تكبيرة أو يهلل تهليلة أو يسبح تسبيحة».

فصل

في جواز تمني الموت والدعاء به لخوف الفتنة في الدين:

روى مالك من حديث أبي هريرة: «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني كنت مكانه». وروى مالك والبزار عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بالناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون». وروى مالك عن عمر أنه قال: «اللهم قد ضعفت قوتي وكبر سني وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مقصر فما جاوز ذلك إلا الشهر حتى قبض». وروى أحمد والطبراني في الكبير والخرائطي في مساوىء الأخلاق عن عليم الكندي قال: كنت مع عبس الغفاري على سطح فرأى قوماً يتحملون من الطاعون فقال: يا طاعون خذني إليك قالها ثلاثاً، فقال عليم: لم تقول هذا ألم يقل رسول الله ﷺ: «لا يتمنى أحدكم الموت فإنه عند ذلك انقطاع عمله ولا يرد فيستعتب». فقال عبس: أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بادروا بالموت ستة: أمرة السفهاء، وكثرة الشرط، وبيع الحكم، واستخفاف بالدم، وقطيعة الرحم، ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل يغنيهم بالقرآن وإن كان أقلهم فقهاً» قال في الصحاح تحمل بمعنى ارتحل. وروى الحاكم عن الحسن قال: قال الحكم ابن عمرو: يا طاعون خذني إليك فقيل له: لم تقول هذا؟ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يتمنين أحدكم الموت». قال: قد سمعت ما سمعتم، ولكني أبادر ستاً: بيع الحكم، وكثرة الشرط، وإمارة الصبيان، وسفك الدماء، وقطيعة الرحم، ونشوا يكون في آخر الزمان يتخذون القرآن مزامير». وروى ابن سعد في الطبقات عن حبيب بن أبي فضالة: أن أبا هريرة ذكر الموت فكأنه تمناه فقال بعض أصحابه: وكيف تتمنى الموت بعد قول رسول الله ﷺ: «ليس لأحد أن يتمنى الموت لا بر ولا فاجر إما بر فيزداد براً وإما فاجر فيستعتب». فقال: وكيف لا أتمنى الموت وإنما أخاف أن تدركني ستة: التهاون بالذنب وبيع الحكم وتقاطع الأرحام وكثرة الشرط ونشو يتخذون القرآن مزامير. وروى الطبراني من حديث عمرو بن عبسة «لا يتمنى أحدكم الموت إلا أن يثق بعمله فإن رأيتم ست خصال فتمنوا الموت وإن كانت نفسك في يدك فارسلها إضاعة الدم، وإمارة الصبيان، وكثرة الشرط، وإمارة السفهاء، وبيع الحكم ونشو يتخذون القرآن مزامير». وروى صاحب الحلية من حديث ابن مسعود: «لا يخرج الدجال حتى لا يكون شيء أحب إلى المؤمن من خروج نفسه». وروى ابن أبي الدنيا عن سفيان قال: «يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب إلى قراء العلم ذلك الزمان من الذهب الأحمر». وعن أبي هريرة قال: «يوشك أن يكون الموت أحب إلى المؤمن من الماء البارد يصب عليه العسل فيشربه». وعن أبي ذر قال: «ليأتين على الناس زمان

تمر الجنازة بهم فيقول الرجل: ليت أني مكانها». وروى ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن قال: مرض أبو هريرة فأتيت أعوده فقلت: اللهم أشف أبا هريرة. فقال: اللهم لا ترجعها. قال: «يوشك يا أبا مسلم أن يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر، ويوشك يا أبا سلمة إن بقيت إلى قريب يأتي الرجل القبر فيقول يا ليتني مكانك». وروى المروزي في الجنائز عن مرة الهمداني قال: «تمنى عبدالله لنفسه ولأهله الموت فقيل له: تمنيت لأهلك فلم تتمناه لنفسك؟ فقال: لو أني أعلم أنكم تسلمون على حالكم هذه لتمنيت أن أعيش فيكم عشرين سنة». وروي عن أبي عثمان قال: بينما ابن مسعود ذات يوم في صفة له وتحته فلانة وفلانة امرأتان ذواتا منصب وجمال وله منهما ولد كأحسن الولد إذ شقشق على رأسه عصفور ثم قذف ذا بطنه فنكته بيده ثم قال: «لأن يموت آل عبدالله ثم يتبعهم أحب إلي من أن يموت هـذا العصفـور». ورواه صاحب الحلية كذلك. وروى المروزي عن قيس قال: كان صبيان لعبدالله يشتدون بين يديه فقال: «ترون هؤلاء لهم أهون علي موتاً من عدتهم من الجعلان». وروى صاحب الحلية من طريق الحسن: حدثنا أبو الأحوص قال: دخلنا على ابن مسعود وعنده بنون ثلاثة كأمثال الدنانير فجعلنا ننظر إليهم ففطن بنا فقال: كأنكم تغبطونني بهم. قلنا: وهل يغبط الرجل إلا بمثل هؤلاء؟ فرفع رأسه إلى سقف بيت له قصير قد عشش فيه خطاف. فقال: لأن أكون نفضت يدي من تراب قبورهم أحب إلي من أن يقع بيض هذا الخطاف فينكسر. وروى المروزي عن الحسن قـال: كـان في مصركم هـذا رجـل عابد فخرج من المسجد فلما وضع رجله في الركاب أتاه ملك الموت فقال: مرحباً لقد كنت إليك بالأشواق فقبض روحه. وروى ابن سعد والمروزي عن خالد بن معدان قال: ما من دابة في بر ولا بحر يسرني أن تفديني من الموت، ولو كان الموت علماً يستبق الناس إليه ما سبقني إليه أحد إلا رجل يغلبني بفضل قوته. وروى صاحب الحلية عنه قال: والله لو كان الموت في مكان موضوعاً لكنت أول من سبق إليه. وروي أيضاً عن عبد ربه بن صالح أنه دخل على مكحول في مرض موته فقال له: عافاك الله تعالى. فقال: كلا اللحوق بمن يرجى عفوه خير مع البقاء مع من لا يؤمن شره شياطين الأنس وإبليس وجنوده. وروى ابن عساكر عن ابن مسهر قال: سمعت رجلاً قال لسعيد ابن عبدالعزيز التنوخي: أطال الله تعالى بقاءك فغضب وقال: بل عجل الله بي إلى رحمته. وروى صاحب الحلية عن عبيدة بن المهاجر قال: لو قيل من مس هذا العود مات لقمت حتى أمسه. وروي أيضاً عن عبد الرحمٰن الصنابحي قال: الدنيا تدعو إلى فتنة والشيطان يدعو إلى خطيئة ولقاء الله خير من المقام معها. وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن عمرو بن ميمون أنه كان لا يتمنى الموت قال: إني أصلي كل يوم كذا وكذا صلاة حتى أرسل إليه يزيد بن مسلم فتعنته ولقي منه فكان يقول: اللهم الحقني بالأخيار ولا تخلفني مع الأشرار. وروي أيضاً عن أم الدرداء قالت: كان أبو الدرداء إذا مات الرجل على الحال الصالحة قال: هنيئاً لك يا ليتني كنت مكانك، فقالت أم الدرداء له في ذلك، فقال: هل تعلمين يا حمق أن الرجل يصبح مؤمناً ويمسي منافقاً يسلـب إيمانـه وهو لا يشعر فأنا لهذا الميت أغبط مني لهذا بالبقاء في الصلاة والصيام. وروى ابن أبي شيبة في المصنف، وابن أبي الدنيا عن أبي جحيفة قال: ما من نفس تسرني أن تفديني من الموت ولا نفس

قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من ذكر هاذم اللذات » ؛ معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله تعالى وقال ﷺ : « لو تعلم من البهائم الموت ما

ذبابة. وروى ابن أبي الدنيا، والخطيب، وابن عساكر عن أبي بكرة قال: والله ما من نفس تخرج أحب إلي من نفسي هذه ولا نفس هذا الذباب الطائر ففزع القوم فقالوا: لم؟ فقال: إني أخشى أن أدرك زماناً لا أستطيع أن آمر بمعروف ولا أنهى عن منكر وما خير يومئذ. وروى ابن أبي شيبة وابن سعد والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة أنه مر به رجل فقال: أين تريد؟ قال: السوق. قال: إن استطعت أن تشتري الموت قبل أن ترجع فافعل. وروى ابن أبي الدنيا، والطبراني في الكبير، وابن عساكر من طريق عروة بن رويم عن العرباض بن سارية، وكان شيخاً من أصحاب النبي ﷺ ، وكان يحب أن يقبض فكان يدعو: اللهم كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني إليك. قال: فبينما أنا يوماً في مسجد دمشق وأنا أصلي وأدعو أن أقبض إذ أنا بفتى شاب من أجل الرجال وعليه دراج أخضر فقال: ما هذا الذي تدعو به؟ قلت: وكيف أدعو يا ابن أخي؟ قال: قل اللهم حسن العمل وبلغ الأجل. قلت: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا رتائيل الذي يسل الحزن من صدور المؤمنين ثم التفت فلم أر أحداً.

فصل

وأما فضيلة ذكر الموت فقد أورد المصنف في هذا الفصل ما يدل على فضيلة الموت وما يدل على فضيلة ذكره، ونحن ننبه على كل منها فمما يدل على فضيلة ذكره ما (**قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من ذكر هادم اللذات »**) الموت، وهادم: روي بالدال المهملة وبالمعجمة، والهذم: القطع ومنه سيف هذام، واللذات هي الشهوات فإن كان بالدال المهملة فالمعنى مزيلها من أصلها، وأنكره السهيلي في الروض وقال: ليس مراداً ههنا، وتعقبه الحافظ ابن حجر وقال في ذا النفي نظر، وسياق المصنف يشعر أنها بالذال المعجمة حيث قال: (**معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم**) أي ميلكم وسكونكم (**إليها فتقبلوا على الله تعالى**). وسياق الطيبي يشعر بأنها بالدال المهملة حيث قال: شبه اللذات الفانية والشهوات العاجلة ثم زوالها ببناء مرتفع ينهدم بصدمات هائلة، ثم أمر المنهمك فيها بذكر الهادم لئلا يستمر على الركون إليها ويشتغل بما عليه من التزود إلى القرار. قال العراقي: رواه الترمذي وقال: حسن والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم انتهى.

قلت: لفظ الترمذي « أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت ». ورواه كذلك هو وأحمد والنسائي وابن ماجه من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به مرفوعاً. وصححه ابن حبان والحاكم وابن السكن وابن طاهر، وأعله الدارقطني بالإرسال، وقد رواه كذلك العسكري في الأمثال والبيهقي في الشعب، ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عمر، والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم أيضاً والبيهقي والضياء من حديث أنس. وقوله: الموت بجره عطف بيان وبرفعه خبر مبتدأ

يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سميناً » ، وقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله هل يحشر مع الشهدء أحد ؟ قال : « نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة » . وإنما سبب

محذوف وبنصبه بتقدير أعني . وقد جاء بعض في بعض الروايات يعني الموت فتعين النصب ، وقد روي هذا الحديث بزيادات يأتي ذكرها قريباً .

(**وقال** ﷺ : « **لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم**) منه وفي لفظ بنو آدم (**ما أكلتم منها سميناً** ») لأن تذكره ينغص النعمة ويكدر صفو اللذة وذلك مهزل لا محالة .

قال الشيخ الأكبر قدس سره : حقيقة الكشف اطلاع على ظاهر من علم باطن يستجليه إدراك باطن حس من الحواس يحاذي به المطلع حذو مدركات ظاهر حسه ، والخطاب في أمره يختص بمن وقع له في مطالعته حظ كشأن الحواس الظاهرة وبركة الكشف في الحس بمثابة بركة العلم في أمر العلم ينال به واجده غيباً عن ظاهر العين والسمع وسائر الحواس ، فكان من لا كشف له من الناس بمنزلة أعجم الحيوان الذي لا يتقدم بين يدي ظاهر أمره مثل ما ذكره ﷺ في هذا الحديث ، وكذلك من لا كشف له لما سمنت جبلته وضخمت طبيعته تشبث بدنياه قلبه ولم يجد الزهد في متاع دنياه مساغاً انتهى .

قال العراقي : رواه البيهقي في الشعب من حديث أم صبية الجهنية وقد تقدم انتهى .

قلت : هي بضم الصاد المهملة وفتح الموحدة وتشديد التحتية مصغراً صحابية اسمها خولة بنت قيس على الأصح جدة خارجة بن الحرث ، وزعم ابن منده أنها خولة بنت قيس بن فهد ، والصواب الأول وقد رواه أيضاً القضاعي في مسند الشهاب ، وفيه عبدالله بن أسلم ضعفه الدارقطني ورواه الحاكم والبيهقي والديلمي بسند فيه ضعفاء عن أبي سعيد الخدري ، وذكروا فيه قصة أنه مر رسول الله ﷺ بظبية مربوطة إلى خباء فقالت : يا رسول الله حلني حتى أذهب فأرضع خشفي ثم أرجع فقال : « صيد قوم وربيطة قوم » ثم أخذ عليها فحلها فلم يكن إلا قليلاً حتى رجعت وقد نفضت ضرعها ، فربطها رسول الله ﷺ ، ثم جاء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له يعني فأطلقها ثم قال : « لو تعلم الحديث » ولفظ الديلمي « لو علمت البهائم من الموت ما أكلتم منها لحماً سميناً » . وعنده من حديث أنس بلا سند « لو أن البهائم التي تأكلون لحومها علمت ما تريدون بها ما سمنت وكيف تسمن أنت يا ابن آدم والموت أمامك » .

(**وقالت عائشة رضي الله عنها**) قلت : (**يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد ؟ قال : « نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة** »

قلت : تقدم هذا للمصنف في آخر كتاب التوحيد والتوكل أنه من حديث أنس وعائشة ولفظه : قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم ؟ فقال « نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة » . وتقدم هناك أن العراقي قال : لم أقف على إسناده . وذكرنا أن حديث عائشة رواه **الطبراني في الأوسط نحوه وفيه « من قال في يوم خمسة وعشرين مرة اللهم بارك في الموت وفيما بعد الموت**

هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة، والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا. وقال ﷺ: « تحفة المؤمن الموت »، وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن إذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه، فالموت إطلاق له من هذا العذاب، والإطلاق تحفة في حقه. وقال ﷺ: « الموت كفارة لكل مسلم ». وأراد بهذا: المسلم حقاً

ثم مات على فراشه أعطاه الله أجر شهيد ». وعزاه السيوطي في شرح الصدور للطبراني من حديث عمار بلفظ المصنف: **(وإنما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور)** أي البعد عنها، **(ويتقاضى الاستعداد للآخرة)** أي يطالب، **(والغفلة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا)** والإكباب عليها.

(وقال ﷺ: « تحفة المؤمن الموت ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، والطبراني والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بسند حسن اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن المبارك في الزهد، والبيهقي في الشعب. ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث جابر.

(وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن) كما رواه مسلم من حديث أبي هريرة **(إذ لا يزال فيها في عناء)** أي تعب **(من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه، فالموت إطلاق له من هذا العذاب والإطلاق تحفة في حقه)**، فقد روى أحمد من حديث ابن عمرو « الدنيا سجن المؤمن وسنته فإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة. ورواه ابن المبارك في الزهد بلفظ: الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فأخرج منه فجعل يتقلب في الأرض ويتفسح فيها ». ورواه ابن أبي شيبة في المصنف بلفظ « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فإذا مات المؤمن يخلي سربه حيث شاء ». والسرب بالفتح الطريق كما في الصحاح. وروى ابن أبي شيبة في المصنف، والمروزي في الجنائز، والطبراني وأبو نعيم عن ابن مسعود قال: « ذهب صفو الدنيا فلم يبق إلا الكدر فالموت تحفة لكل مسلم ».

(وقال ﷺ: « الموت كفارة لكل مسلم ») أي لما يلقاه من الآلام والأوجاع، وفي رواية « لكل ذنب ». وقال ابن الجوزي: وفي بعض طرق الحديث ما يفهم المراد بالموت الطاعون فإنهم كانوا في الصدر الأول يطلقون الموت ويريدونه به اهـ.

وكأنه يشير إلى خبر البخاري « الطاعون كفارة لكل مسلم». قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب، والخطيب في التاريخ من حديث أنس. قال ابن العربي في سراج المريدين: إنه حسن صحيح وضعفه ابن الجوزي وقد جمعت طرقه في جزء اهـ.

قلت: وكذلك رواه القضاعي في مسند الشهاب كلهم من طريق يزيد بن هارون عن عاصم الأحول عن أنس به. وقال العراقي في أماليه: إنه ورد من طرق يبلغ بها رتبة الحسن، ولم يصب

المؤمن صدقاً الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي إلا باللمم والصغائر، فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر وإقامته الفرائض، قال عطاء الخراساني: مر رسول الله ﷺ بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال: «شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات»، قالوا: وما مكدر اللذات؟

ابن الجوزي والصغاني في ذكرهما له في الموضوعات. وقال الحافظ ابن حجر: إنه لم يتهيأ الحكم عليه بالوضع مع وجود هذه الطرق. قال: ومع ذلك فليس هو على ظاهره بل هو محمول على موت مخصوص إن ثبت الحديث اهـ.

ولهذا المعنى احتاج المصنف إلى تأويله فقال: (**وأراد بهذا المسلم حقاً المؤمن صدقاً**) أي الكامل في إسلامه وإيمانه، (**الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده**) . وقد روى الحاكم من حديث جابر «أكمل المؤمنين من سلم المسلمون من لسانه ويده» وروى ابن النجار من حديث علي «وإنما المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». (**وتتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي إلا باللمم والصغائر، فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر وإقامة الفرائض**) .

وقال العامري في شرح الشهاب: معنى الحديث إن الله تعالى يتكرم على عبده المسلم بتطهيره للقائه بتكفير ذنوبه مما يلاقي غصص الموت وسكراته كما كفرت الأمراض والمصائب عنه ذنوباً أخر قبل موته. وروى أبو نعيم في الحلية عن الأوزاعي قال قال عمر بن عبد العزيز ما أحب أن يهون علي سكرات الموت إنه آخر ما يكفر به المسلم.

(**وقال عطاء الخراساني**) هو عطاء بن أبي مسلم كنيته أبو أيوب، ويقال أبو عثمان، ويقال أبو محمد، ويقال أبو صالح البلخي نزيل الشام مولى المهلب بن أبي صفرة الأزدي واسم أبيه أبي مسلم عبدالله، ويقال: ميسرة. روى عن ابن عباس، وعنه ابن جريج ثقة صدوق. وقال الدارقطني: إلا أنه لم يلق ابن عباس مات سنة خمس وثلاثين ومائة، وكانت ولادته سنة خمسين ودفن ببيت المقدس روى له مسلم والأربعة، وقيل: بل روى له البخاري أيضاً. وقال الحافظ ابن حجر لم يثبت.

(**مر رسول الله ﷺ بمجلس قد استعلاه الضحك فقال: «شوبوا**) أي اخلطوا (**مجلسكم بذكر مكدر اللذات» قالوا: وما مكدر اللذات؟ قال: «الموت»**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت هكذا مرسلاً. ورويناه في أمالي الخلال من حديث أنس ولا يصح اهـ.

قلت: ورواه البيهقي من حديث أنس أنه ﷺ مر بقوم يضحكون ويمزحون فقال: «اكثروا ذكر هاذم اللذات». وروى العسكري في الأمثال من حديث أبي هريرة: مر رسول الله ﷺ بمجلس من مجالس الأنصار وهم يمزحون ويضحكون فقال: «اكثروا من ذكر هاذم اللذات فإنه لم يذكر في كثير إلا قلله ولا في قليل إلا كثره ولا في ضيق إلا وسعه ولا في سعة إلا ضيقها». وروى البيهقي من حديث أبي سعيد دخل رسول الله ﷺ فرأى ناساً يكثرون فقال: «لو أكثرتم

قال: الموت ». وقال أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: « أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا ». وقال ﷺ: « كفى بالموت مفرقاً »، وقال عليه السلام: « كفى بالموت واعظاً »، وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون

ذكر هاذم اللذات الموت وإنه لم يأت على القبر يوم إلا وهو يقول: أنا بيت الوحدة وبيت الغربة أنا بيت التراب أنا بيت الدود ». ولفظه عند العسكري دخل النبي ﷺ مصلى فرأى ناساً يكثرون فقال: « أما أنكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات فأكثروا ذكر هاذم اللذات ».

(وقال أنس) رضي الله عنه قال: **(قال رسول الله ﷺ: « أكثروا من ذكر الموت فإنه)** أي إكثاره **(يمحص الذنوب)** أي يزيلها **(ويزهد في الدنيا »)** أي يقللها في أعينكم وهو كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ في الموعظة، فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغص لذته الحاضرة وزهده فيما كان يؤمل، لكن النفوس الذاكرة والقلوب العاطلة تحتاج إلى تطويل الوعظ وتزويق الألفاظ. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الموت بإسناد ضعيف جداً اهـ.

قلت: وتمامه عند ابن أبي الدنيا: فإن ذكرتموه عند الغنى هذمه وإن ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم، وهو في مكارم الأخلاق لابن لال بلفظ « اكثروا ذكر الموت فإن ذلك تمحيص للذنوب وتزهيد في الدنيا الموت القيامة والموت المقيمة ».

(وقال ﷺ: « كفى بالموت مفرقاً ») قال العراقي: رواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس وعراك بن مالك بسند ضعيف. ورواه ابن المبارك في البر والصلة من رواية أبي عبد الرحمن الجيلي مرسلاً اهـ.

قلت: كذا هو في النسخ ابن المبارك ولعله ابن أبي الدنيا فإنه الذي رواه في البر والصلة. وأما حديث أنس: فرواه ابن السني في عمل يوم وليلة، والعسكري في الأمثال بلفظ: « كفى بالدهر واعظاً وبالموت مفـ ـاً » ذكرا له قصة تقدم ذكرها. وروى سعيد بن منصور في سننه، عن أبي الدرداء قال: « موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعظاً كفى بالدهر مفرقاً اليوم في الدور وغداً في القبور ».

(وقال ﷺ: « كفى بالموت واعظاً »). قال العراقي: رواه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف، وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد اهـ.

قلت: لفظ الطبراني: « كفى بالموت واعظاً وكفى باليقين غنى » ورواه العسكري في الأمثال، والطبراني أيضاً، والقضاعي والبيهقي في الشعب بلفظ: « كفى بالموت واعظاً وكفى بالموت غنى وكفى بالعبادة شغلاً ». ورواه من طريق يونس بن عبيد عن الحسن، عن عمار وتقدم قريباً من قول أبي الدرداء رواه سعيد بن منصور.

ويضحكون، فقال: «اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»، وذكر عند رسول الله ﷺ رجل فأحسنوا الثناء عليه، فقال: «كيف ذكر صاحبكم للموت؟» قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت! قال: «فإن صاحبكم ليس هنالك»، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: أتيت النبي ﷺ ـ عاشر عشرة ـ فقال رجل من الأنصار: من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله؟ فقال: «أكثرهم ذكراً للموت وأشدهم استعداداً له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة».

(وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال: «اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الموت من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: هذا الشطر الأخير: «لو تعلمون ما أعلم». الخ متفق عليه من حديث أنس وعائشة. وفي الباب عن أبي هريرة وجماعة تقدم ذكره، وقد روى البيهقي في الشعب عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً «أكثروا ذكر هاذم اللذات فإنه لا يكون في كثير إلا قلله ولا في قليل إلا كثرة».

(وذكر عند رسول الله ﷺ رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال: «كيف كان ذكر صاحبكم للموت». قالوا: ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت. قال: «فإن صاحبكم ليس هناك») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الموت من حديث أنس بسند ضعيف وابن المبارك في الزهد قال: أنبأنا مالك بن مغول فذكره بلاغاً بزيادة فيه اهـ.

قلت: وكذلك رواه البزار من حديث أنس. وروى ابن أبي شيبة في المصنف، وأحمد في الزهد عن ابن سابط قال: ذكر عند النبي ﷺ رجل فأثنى عليه فقال ﷺ: «كيف ذكره للموت» فلم يذكر ذلك منه. فقال: «ما هو كما تذكرون» وأخرجه الطبراني عن سهل بن سعد نحوه.

(وقال ابن عمر) رضي الله عنهما. **(أتيت النبي ﷺ عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار: من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله؟ فقال: «أكثرهم ذكراً للموت وأشدهم استعداداً له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة»)** قال العراقي: رواه ابن ماجه مختصراً، وابن أبي الدنيا في الموت بكماله بإسناد جيد اهـ.

قلت: ورواه الطبراني والحاكم عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أي المؤمنين أكيس؟ قال أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم له استعداداً قبل نزول الموت أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا والآخرة». ورواه ابن المبارك في الزهد، وأبو بكر في الغيلانيات من طريق يحيى بن أيوب، عن عبيد بن زهر، عن سعد بن مسعود الكندي له صحبة، وقيل: إنه تابعي قال: سئل رسول الله ﷺ أي المؤمنين أكيس؟ فقال: «اكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم له استعداداً».

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحربي، حدثنا الحكم بن موسى، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن العلاء بن عتبة، عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر قال: قام فتى فقال: يا رسول الله أي المؤمنين أكيس؟ قال: «اكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم له استعداداً قبل أن ينزل به أولئك الأكياس». ثم قال رواه أبو سهيل بن مالك، وحفص بن غيلان، ويزيد بن مالك، وقرة بن قيس، ومعاوية بن عبد الرحمن عن عطاء مثله. ورواه مجاهد عن ابن عمر نحوه اهـ.

ومما يحسن إيراده من الأخبار في فضل الموت: روى الديلمي من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما: «الموت ريحانة المؤمن». وروى البيهقي في الشعب وضعفه، والديلمي من حديث عائشة: «الموت غنيمة والمعصية مصيبة والفقر راحة والغنى عقوبة والعقل هدية من الله والجهل ضلالة والظلم ندامة والطاعة قرة العين والبكاء من خشية الله النجاة من النار والضحك هلاك البدن والتائب من الذنب كمن لا ذنب له». وروى أحمد وسعيد بن منصور في سننه بإسناد صحيح من حديث محمود بن لبيد: «اثنان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير له من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب». وروى ابن السكن، وأبو موسى في المعرفة، والبيهقي في الشعب من حديث زرعة بن عبدالله الانصاري: «يحب الإنسان الحياة والموت خير لنفسه، ويحب الإنسان كثرة المال وقلة المال أقل للحساب». وهو مرسل لأن زرعة تابعي وقيل: هو صحابي وهو بضم الزاي ثم راء، وقيل براء ثم زاي ساكنة. وروى الشيخان من حديث أبي قتادة قال: مرّ على النبي ﷺ بجنازة فقال: «مستريح أو مستراح منه». قالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟ فقال: «العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله تعالى، والفاجر تستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب». وروى أبو نعيم من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال لأبي ذر: «يا أبا ذر إن الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره، يا أبا ذر إن الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره». وروى النسائي والطبراني وابن أبي الدنيا من حديث عبادة بن الصامت: «ما على الأرض من نفس تموت ولها عند الله خير تحب أن ترجع إليكم ولها نعيم الدنيا وما فيها إلا الشهيد فإنه يحب أن يرجع فيقتل مرة أخرى لما يرى من ثواب الله له». وروى الطبراني من حديث أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم حبب الموت إلى من يعلم أني رسولك». وروى الأصبهاني في الترغيب عن أنس أن النبي ﷺ قال له: «إن حفظت وصيتي فلا يكونن شيء أحب إليك من الموت». وروى ابن أبي شيبة في المصنف، وأحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا في الموت، والبيهقي في الشعب من حديث الربيع بن أنس مرسلاً «كفى بالموت مزهداً في الدنيا مرغباً في الآخرة». وروى الديلمي من حديث أبي هريرة: «اكثروا ذكر الموت فما من عبد أكثر من ذكره إلا أحيا الله قلبه وهوّن عليه الموت». وروى ابن عساكر من حديث أبي الدرداء: «لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاماً على شهوة أبداً ولا شربتم شراباً على شهوة أبداً». وروى ابن المبارك في الزهد من مرسل محمد بن عبد الرحمن بن نوفل: «لو تعلمين علم الموت يا بنت زمعة

وأما الآثار؛ فقد قال الحسن رحمه الله تعالى: **فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحاً. وقال الربيع بن خيثم: ما غائب ينتظره المؤمن خيراً له من الموت. وكان يقول: لا تشعروا بي أحداً وسلوني إلى ربي سلاً. وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه: يا**

لعلمت أنه أشد مما تقدرين عليه» وقد رواه الطبراني عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن سودة بنت زمعة موصولاً.

ومما يحسن إيراده في ذكر فضيلة ذكر الموت والاستعداد له من الأخبار: روى ابن أبي الدنيا عن سفيان قال: حدثنا شيخ أن رسول الله ﷺ أوصى رجلاً فقال: «اكثر ذكر الموت يسليك عما سواه». وروى أبو نعيم من حديث أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله مالي لا أحب الموت؟ قال: «لك مال»؟ قال: نعم. قال: «قدمه فإن قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحب أن يلحق به وإن أخره أحب أن يتأخر معه». وروى الطبراني عن طارق المحاربي قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا طارق اسعد للموت قبل الموت». وروى الديلمي من حديث أنس: «أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة التفكر فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياضة الجنة». وروى الترمذي من حديث أبي هريرة: «ما من أحد يموت إلا ندم» قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: «إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع».

(**وأما الآثار: فقد قال الحسن**) البصري رحمه الله تعالى: (**فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحاً**) لأن ذا اللب يراها ببصيرته زائلة والموت واقعاً فلا يفرح بشيء من زهرتها. (**وقال**) أبو يزيد (**الربيع بن خيثم**) الثوري الكوفي العابد أحد الزهاد الثمانية: (**ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت**). ورواه ابن أبي شيبة في المصنف، وابن المبارك في الزهد، والمروزي في الجنائز.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا محمد بن شبل، حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا وكيع، عن سفيان عن أبيه، عن أبي يعلى، عن الربيع بن خيثم فذكره.

وحدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا جعفر بن الصباغ، حدثنا يعقوب الدورقي، حدثنا الأشجعي، سمعت سفيان يقول: قال الربيع بن خيثم ارتدوا هذا الخير بالله تنالوه لا بغيره، واكثروا ذكر هذا الموت الذي لم تذوقوا مثله فإن الغائب إذا طالت غيبته رجيت جيئته وانتظره أهله وأوشك أن يقدم عليهم.

وحدثنا عبد الرحمن بن العباس حدثنا إبراهيم الحربي، حدثنا أبو بكر، حدثنا سعيد بن عبدالله ابن نسير عن بكر بن ماعز قال: كان الربيع يقول: اكثروا ذكر هذا الموت الذي لم تذوقوا قبله مثله.

(**وكان يقول: لا تشعروا بي أحداً وسلوني إلى ربي سلاً**) رواه أبو نعيم في الحلية. ورواه

أخي أحذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده. وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه. وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة، ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة. وقال ابراهيم التيمي: شيئان قطعا عني لذة الدنيا: ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل. وقال كعب: من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها. وقال

صاحب كتاب المتفجعين عن الفريابي قال: حدثنا سفيان، عن ابن حيان أن الربيع بن خيثم قال عند موته: لا تعلموا بي أحداً وسلوني إلى ربي مرسلاً.

(**وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه: يا أخي احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده**). رواه ابن أبي الدنيا. (**وكان أبو بكر محمد بن سيرين**) رحمه الله تعالى (**إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه**). رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو علي محمد بن أحمد، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا الحميدي ح.

وحدثنا عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا إسحاق بن إسماعيل ومحمد بن عباد قالوا: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثني دهين الأقطع قال: كان محمد بن سيرين إذا ذكر الموت مات كل عضو منه على حدته. ورواه صاحب كتاب المتفجعين، عن عبدالله بن إبراهيم بن العباس، عن عثمان بن قرزاذ، عن إبراهيم بن بشار عن ابن عيينة وفيه: على حياله بدل على حدته.

(**وكان عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى (**يجمع كل ليلة الفقهاء**) عنده (**فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة وما فيها من الأهوال**) والشدائد، (**ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة**) رواه أبو نعيم في الحلية.

(**وقال**) أبو إسحاق (**إبراهيم**) بن يزيد بن شريك (**التيمي**) الكوفي وكان من العباد: (**شيئان قطعا عني لذاذة الدنيا: ذكر الموت، والوقوف بين يدي الله عز وجل**) رواه ابن أبي الدنيا في الموت.

(**وقال كعب**) الأحبار رحمه الله تعالى: (**من عرف الموت هانت عليه المصائب**) رواه ابن أبي الدنيا بلفظ: مصائب الدنيا وغمومها. رواه عن محمد بن الحسين قال: حدثنا الحرث بن خليفة، حدثنا ذريد أبو سليمان، عن إبراهيم بن أبي عبدالله الشامي، عن كعب فذكره. ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه.

(**وقال أبو بكر مطرف**) بن معقل التميمي الشقري بالشين المعجمة والقاف محركة منسوب إلى شقرة قبيلة من تميم وهو لقب معاوية بن الحرث بن تميم، ومطرف هذا روى عن ابن سيرين

مطرف: رأيت فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول ـ في وسط مسجد البصرة ـ **قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم إلا والهين**. وقال **أشعث: كنا ندخل على الحسن فإنما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت**. وقالت **صفية رضي الله عنها: إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت: أكثري ذكر الموت يرق قلبك، ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها**. وكان **عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دماً**. وكان **داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة**

والحسن والشعبي، وعنه النضر بن شميل وأبو داود والطيالسي: **(رأيت فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول في وسط مسجد البصرة: قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ما تراهم إلا والهين)**. رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة عبد العزيز بن سليمان فقال: حدثنا أبو بكر المؤذن، حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا عبدالله بن محمد بن عبيد، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا أبو عقيل زيد بن عقيل قال: سمعت مطرفاً الشقري يقول لعبد العزيز بن سليمان. رأيت فيما يرى النائم فذكره. وفي آخره: فخرَّ عبد العزيز مغشياً عليه.

(وقال أبو) هانىء **(أشعث)** بن عبد الملك الحمراني البصري منسوب إلى حمران مولى عثمان بن عفان. قال يحي بن سعيد: لم ألق أحداً يحدث عن الحسن أثبت منه وكان عالماً بمسائل الحسن الرقاق. قال شعبة: عامة ما روى يونس في الرقائق كنا نرى أنها عنه. وقال ابن سعد: كان الحسن إذا رأى الأشعث قال: هات يا أبا هانىء ما عندك. وفي طريق آخر: أنشر بزك أي هات مسائلك. وقال الدارقطني: هم ثلاثة يروون عن الحسن جميعاً أحدهم الحمراني ثقة، وأشعث الحداني يعتبر به، وابن سواد الكوفي يعتبر به وهو أضعفهم، روى له البخاري تعليقاً والباقون سوى مسلم: **(كنا ندخل على الحسن)** البصري **(فإنما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت)** رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقالت صفية) بنت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة العبدرية تابعية جليلة لها رواية وأكثر حديثها عن عائشة. **(إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت: أكثري من ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

(وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دماً) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت. وروى ابن عساكر عن الشعبي قال: كان عيسى إذا ذكر عنده الساعة صاح ويقول: لا ينبغي لابن مريم أن يذكر عنده الساعة فيسكت. وروى أبو نعيم في الحلية من طريق أبي طارق التبان قال: كان عبد العزيز بن سليمان إذا ذكر القيامة والموت صرخ كما تصرخ الثكلى ويصرخ الخائفون من جوانب البحر. قال: وربما رفع الميت والميتان من جوانب مجلسه.

(وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله، فإذا

يبكي حتى تنخلع أوصاله، فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه. وقال الحسن: ما رأيت عاقلاً قط إلا أصبته من الموت حذراً وعليه حزيناً. وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء: عظني؛ فقال: أنت أوّل خليفة تموت. قال: زدني، قال: ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك، فبكى عمر لذلك. وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبراً في داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد. وقال مطرف بن عبدالله بن الشخير: إن

ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وأحمد في الزهد، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في الموت عن ثابت بن صفوان عن عروة قال: كان داود عليه السلام إذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله لا يشدها إلا الله، فإذا ذكر رحمته تراجعت. وروى أحمد في الزهد عن أبي العالية قال: كان دعاء داود عليه السلام: سبحانك إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبها، وإذا ذكرت رحمتك ردتّ إليَّ روحي سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووا لي خطيئتي فكلهم عليك يدلني.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(ما رأيت عاقلاً إلا أصبته حذراً من الموت وعليه حزيناً)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت. وروى أبو نعيم في الحلية من طريق أبي مروان بشر الرحال عن الحسن قال يحق لمن يعلم أن الموت مورده وأن الساعة موعده وأن القيامة بين يدي الله مشهده أن يطول حزنه.

(وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى **(لبعض العلماء. عظني. فقال: أنت أوّل خليفة تموت. قال: زدني. قال: ليس من آبائك أحد إلى آدم إلاّ ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكى عمر لذلك)**. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت. وروى أبو نعيم في الحلية من طريق فضيل بن عياض، عن السري بن يحيى، عن عمر بن عبد العزيز قال: والله إن رجلاً ليس بينه وبين آدم إلا أب له قدمات لمعرق له في الموت. وروى أيضاً في ترجمة عبد العزيز بن سلمان من طريق محمد بن عبد العزيز بن سلمان قال: كنت أسمع أبي يقول: عجبت ممن عرف الموت كيف تقرّ عينه في الدنيا، أم كيف تطيب بها نفسه، أم كيف لا ينصدع فيها قلبه. قال: ثم يصرخ هاه هاه حتى يخر مغشياً عليه.

(وكان الربيع بن خيثم) الثوري الكوفي الزاهد **(قد حفر قبراً في داره، فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت، وكان يقول: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت. وروى أبو نعيم في الحلية عن الحسن هو ابن صالح قال: قيل للربيع بن خيثم: يا أبا عبدالله لو جالستنا. قال: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة فسد عليّ..

(وقال مطرف بن عبدالله بن الشخير) الحرشي العامري البصري التابعي الزاهد: **(إن هذا**

هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فأطلبوا نعيماً لا موت فيه. وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة: أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك. وقال أبو سليمان الداراني: قلت لأم هارون، أتحبين الموت؟ قالت: لا، قلت: لم؟ قالت: لو عصيت آدمياً ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته.

الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيماً لا موت فيه) رواه أبو نعيم في الحلية عن عبد الرحمن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا أبو كريب، حدثنا إسحاق بن سليمان، عن أبي جعفر الرازي، عن قتادة، عن مطرف قال: فساقه.

(وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى **(لعنبسة)** بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية أبي خالد الأموي أخي عمرو الأشدق ثقة، وكان عند الحجاج بالكوفة، مات على رأس المائة، روى له البخاري ومسلم وأبو داود: **(أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك، وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك)**. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا الحسن بن محمد بن كيسان، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا ابن أبي بكر، حدثنا سعيد بن عامر، عن أسماء بن عبيد قال: دخل عنبسة بن سعيد بن العاص على عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطون عطايا منعتناها ولي عيال وضيعة افتأذن لي أخرج إلى ضيعتي وما يصلح عيالي؟ فقال عمر: أحبكم إلينا من كفانا مؤنته، فخرج من عنده، فلما صار عند الباب قال عمر: أبا خالد أبا خالد فرجع، فقال: أكثر من ذكر الموت فإن كنت في ضيق من العيش وسعه عليك وإن كنت في سعة من العيش ضيقه عليك.

حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا محمد بن يحيى المروزي، حدثنا خالد بن خراش، حدثنا حماد بن زيد، عن محمد بن عمر قال: قال عنبسة بن سعيد: دخلت على عمر فذكر نحوه.

(وقال أبو سليمان الداراني) رحمه الله تعالى: **(قلت لأم هارون)** وكانت من العارفات: **(أتحبين الموت؟ قالت: لا. قلت: لم؟ قالت: لو عصيت آدمياً ما اشتهيت لقاءه، فكيف أحب لقاءه وقد عصيته)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

ومما يحسن إيراده من ذكر الآثار في فضل الموت: روى المروزي في الجنائز، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال: حبذا المكروهان الفقر والموت.

وروى ابن أبي شيبة، والمروزي عن طاوس قال: لا يحزن دين المرء إلا حفرته.

وروى ابن أبي الدنيا عن مالك بن مغول قال: بلغني أن أول سرور يدخل على المؤمن الموت لما يرى من كرامة الله تعالى وثوابه.

وروى أحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا عن ابن مسعود قال: ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله.

وروى سعيد بن منصور وابن جرير عن أبي الدرداء قال: ما من مؤمن إلا الموت خير له، وما

....

من كافر إلا الموت خير له، فمن لم يصدقني فإن الله يقول: ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ [آل عمران: ١٩٨] ﴿ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير﴾ [آل عمران: ١٧٨] الآية.

وروى ابن أبي شيبة في المصنف، وعبد الرزاق في تفسيره، والحاكم في المستدرك، والطبراني والمروزي في الجنائز عن ابن مسعود قال: ما من نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة إن كان براً فقد قال الله تعالى: ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾ وإن كان فاجراً فقد قال الله: ﴿ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم﴾ الآية.

وروى ابن المبارك، وأحمد في الزهد عن حيان بن جبلة أن أبا ذر أو أبا الدرداء قال: لا حبذا المكروهات الثلاث: الموت والمرض والفقر.

وروى ابن أبي الدنيا عن جعفر الأحمر قال: من لم يكن له في الموت خير فلا خير له في الحياة.

وروى ابن سعد في الطبقات، والبيهقي في الشعب، عن أبي الدرداء قال: أحب الفقر تواضعاً لربي، وأحب الموت اشتياقاً لربي، وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي.

وروى أبو نعيم في الحلية عن سفيان الثوري أنه كان إذا ذكر الموت لا ينتفع به أياماً، فإن سئل عن شيء قال: لا أدري لا أدري.

وروى ابن سعد، وابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد، عن أبي الدرداء أنه قيل له: ما تحب لمن تحب؟ قال: الموت. قالوا: فإن لم يمت. قال: يقل ماله وولده.

وروى ابن أبي شيبة عن عبادة بن الصامت قال: أتمنى لحبيبي أن يقل ماله ويعجل موته.

وروى أحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا، عن أبي الدرداء قال: ما اهدى إلي أخ صالح هدية أحب إلي من السلام ولا بلغني خبر أعجب لي من موته.

وروى ابن أبي الدنيا، عن محمد بن عبد العزيز التيمي قال: قيل لعبد الأعلى التيمي: ما تشتهي لنفسك ولمن تحب من أهلك؟ قال: الموت. وقال سهل بن عبدالله التستري: لا يتمنى الموت إلا ثلاثة: رجل جاهل بما بعد الموت، أو رجل يفر من أقدار الله تعالى، أو مشتاق محب للقاء الله تعالى. وقال حيان بن الأسود: الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب. وقال أبو عثمان: علامة الشوق حب الموت مع الراحة. وقال بعضهم: إن المشتاقين يحسون حلاوة الموت عند وروده لما قد كشف لهم من أن روح الوصول أحلى من الشهد.

وروى ابن عساكر عن ذي النون المصري قال: الشوق أعلى الدرجات أو أعلى المقامات إذا بلغها العبد استبطأ الموت شوقاً إلى ربه وحباً للقائه والنظر إليه.

وروى أبو نعيم في الحلية عن ابن عبد ربه أنه قال لمكحول: أتحب الجنة؟ قال: ومن لا يحب الجنة. قال: فأحب الموت فإنك لن ترى الجنة حتى تموت.

....

وروي عن عبدالله بن أبي زكريا أنه كان يقول: لو خيرت بين أن أعمر مائة سنة في طاعة الله تعالى وأن أقبض يومي هذا أو في ساعتي هذه لاخترت أن أقبض في يومي هذا أوفي ساعتي هذه شوقاً إلى الله ورسوله وإلى الصالحين من عباده.

وروى أبو نعيم، وابن عساكر عن أحمد بن الحواري قال: سمعت أبا عبدالله النباجي يقول: لو خيرت بين أن تكون لي الدنيا منذ يوم خلقت أتنعم فيها حلالاً لا أسأل عنها يوم القيامة، وبين أن تخرج نفسي الساعة لاخترت أن تخرج نفسي الساعة، أما تحب أن تلقى من تطيع.

وروى ابن المبارك في الزهد، وابن أبي الدنيا عن مسروق قال: ما غبطت شيئاً بشيء كمؤمن في لحده قد أمن من عذاب الله واستراح من أذى الدنيا. ورواه ابن أبي شيبة بلفظ: ما من شيء خير للمؤمن من لحد قد استراح من هموم الدنيا وأمن من عذاب الله.

وروى ابن المبارك في الزهد عن الهيثم بن مالك قال: كنا نتحدث عند أيفع بن عبدة وعنده أبو عطية المذبوح فتذكروا النعيم فقال: من أنعم الناس؟ قالوا: فلان وفلان. فقال: ما تقول يا أبا عطية؟ فقال أنا أخبركم عمن هو أنعم منه جسد في لحد أمن من العذاب.

وروي عن محارب بن دثار قال: قال لي خيثمة: أيسرك الموت؟ قال: لا. قال: ما أعلم أحداً لا يسره الموت إلا منقوص وهو عند عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد بلفظ فقال: إن هذا بك لنقص كبير.

وروي عن أبي عبد الرحمن أن رجلاً قال في مجلس أبي الأعور السلمي والله ما خلق الله شيئاً أحب إلي من الموت. فقال أبو الأعور: لأن أكون مثلك أحب إلي من حمر النعم.

وروي ابن أبي الدنيا عن صفوان بن سليم قال: في الموت راحة للمؤمن من شدائد الدنيا؟ وإن كان الموت ذا غصص وكرب.

وروي عن محمد بن زياد قال: حدثت عن بعض الحكماء أنه قال: للموت أهون على العاقل من زلة عالم غافل.

وروي عن سفيان قال: كان يقال الموت راحة العابدين.

ومن الآثار التي يناسب إيرادها في فضل ذكر الموت والاستعداد له ما قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ [القصص: ٧٧] هو الكفن فهو وعظ متصل بما تقدم من قوله: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ [القصص: ٧٧] أي اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا بصرفها فيما يوصل إليها، ولا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن كما قيل:

نصيبك مما تجمع الدهر كله ... رداءان تلوى فيهما وحنوط

وقال حامد اللفاف: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب،

ونشاط العبادة. ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة. وقال بعضهم: لا يدخل ذكر الموت بيتاً إلا رضي أهله بما قسم لهم، قال أبو نواس:

ألا أيـن الذيـن فنـوا ومـاتـوا أمـا والله مـا مـاتـوا لتبقـى

وقال أبو حمزة الخراساني: من أكثر ذكر الموت حبب إليه كل باق وبغض إليه كل فان.

وروى ابن أبي الدنيا عن رجاء بن حيوة قال: ما أكثر عبد ذكر الموت إلا ترك الفرح والحسد.

وروى ابن أبي شيبة في المصنف وأحمد في الزهد عن أبي الدرداء قال: من أكثر ذكر الموت قل حسده وقل فرحه.

وروى ابن أبي شيبة عن عون بن عبدالله قال: ما أحد ينزل الموت حق منزلته إلا عبداً عد غداً ليس من أجله كم من مستقبل يوماً لا يستكمله وراج غداً لا يبلغه. إنك لو ترى الأجل ومسيره لأبغضت الأمل وغروره.

وروي عن أبي حازم قال: كل عمل كرهت الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى مت.

وروى أبو نعيم في الحلية، عن أبي عمران قال: قال عمر بن عبد العزيز: من قرب الموت من قلبه استكثر ما في يديه.

وروي عن القداح قال: كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير ويبكي حتى تجري دموعه على لحيته. وعن عبد الوهاب عن عطاء، عن سعيد قال: كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله. وعن عمر بن ذر قال: قال عمر بن عبد العزيز ما أحب أن يهوّن علي الموت لأنه آخر ما يؤجر عليه المؤمن وعن الأوزاعي قال: قال عمر فذكر نحوه.

وروي عن جابر بن نوح قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أهل بيته أما بعد؛ فإنك إن استشعرت ذكر الموت في ليلك ونهارك بغض إليك كل فان وحبب إليك كل باق والسلام.

وروى عن مجمع التيمي قال: ذكر الموت غنى، وعن سميط قال: من جعل الموت نصب عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها.

وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن قال: ما الزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت الدنيا عنده وهان عليه جميع ما فيها. وعن قتادة قال: كان يقال طوبي لمن ذكر ساعة الموت. وعن مالك بن دينار قال، قال حكيم كفى بذكر الموت للقلوب حياة للعمل. وعن أبي حازم قال: يا ابن آدم بعد الموت يأتيك الخبر، ويروى عن علي رضي الله عنه قال: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، وقد نظم هذا المعنى الحافظ العراقي فقال:

وإنما النـاس نيـام مـن يمت منهـم أزال الموت عنـه وسنـه

بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب:

اعلم إن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له، ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه. فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه، كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه، فإذا باشر ذكر الموت قلبه. فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وأنجع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب، ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم، وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم وكيف أرملوا نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم،

وروى أبو نعيم في الحلية أن عمر بن عبد العزيز قال لميمون بن مهران: يا ميمون ما أرى القبر إلا زيارة ولا بدّ للزائر أن يرجع إلى منزله يعني إلى الجنة أو النار. وعن رجاء بن حيوة قال: ذكر عمر بن عبد العزيز الموت يوماً فقال يتمثل:

ألم تـر أن الموت أدرك مـن مضى ... فلم ينـج منـه ذو جنـاح ولا ظفـر

بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب

(**اعلم**) بصرك الله تعالى (**أن الموت هائل**) فظيع (**وخطره عظيم، و**) إنما (**غفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه**) فلا يخطر لهم ببال (**و**) لقلة (**ذكرهم له**) على ألسنتهم، (**ومن يذكره**) قليلاً أو كثيراً (**ليس يذكره بقلب فارغ**) عن الشواغل، (**بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا**) معلق بها (**فلا ينجع ذكر الموت في قلبه**) لأجل ذلك (**فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه**) عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي (**يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو**) يريد أن (**يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه**) إن قام أو قعد، (**فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه، وعند ذلك**) أي إذا تحقق التأثير فمن علاماته أنه (**يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه**) منها فلا يكون له في باطنه ميل إليها أصلاً، (**وأوقع طريق فيه**) أي أكثره وقعاً في القلب (**أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه**) ولداته (**الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم**) الجميلة (**في مناصبهم وأحوالهم**) التي كانوا يتقلبون فيها، (**ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم، وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم وكيف أرملوا نساءهم**) أي تركوهن أرامل بلا أزواج، (**وأيتموا أولادهم**) أي تركوهم يتامى (**وضيعوا أموالهم وخلت منهم**

وانقطعت آثارهم. فمهما تذكر رجلاً رجلاً وفصل في قلبه حاله، وكيفية موته وتوهم صورته، وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء، ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الأسباب، وركونه إلى القوة والشباب، وميله إلى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع، وأنه كيف كان يتردد والآن قد تهدّمت رجلاه ومفاصله. وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه. وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه، وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه - إلى عشر سنين - في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به، حتى جاء الموت في وقت لم يحتسبه، فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء، إما بالجنة أو بالنار؛ فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا ذكرت الموتى فعدّ نفسك كأحدهم. وقال ابن

مساجدهم) ومدارسهم (ومجالسهم، وانقطعت آثارهم فمهما تذكر رجلاً رجلاً وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمؤاتاة الأسباب) أي موافقتها، (وركونه إلى القوة والثبات وميله إلى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع، وأنه كيف يتردد، والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق و) الآن (قد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك، و) الآن (قد أكل التراب أسنانه وأنه كيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلاّ شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت في وقت لم يحتسبه، فانكشف له صورة الملك) القابض للروح وهو عزرائيل عليه السلام، (وقرع سمعه النداء. إما بالجنة أو بالنار) يشير إلى ما أخرجه الطبراني في الكبير عن عبدالله بن عمرو: إذا توفى الله المؤمن أتته الملائكة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي إلى روح الله فتخرج كأطيب ريح المسك، وأما الكافر فتأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون: اخرجي إلى غضب الله فتخرج كانتن جيفة، وقد رواه أبو بكر المروزي في الجنائز من حديث أبي هريرة نحوه وسيأتي.

(فعند ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم. قال أبو الدرداء) رضي الله عنه: (إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عبدالله بن مرة قال: قال أبو الدرداء: أعبدوا الله كأنكم ترونه وعدوا أنفسكم من الموتى واعلموا أن قليلاً يغنيكم خير من كثير يلهيكم.

مسعود رضي الله عنه: السعيد من وعظ بغيره. وقال عمر بن عبد العزيز: ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غادياً أو رائحاً إلى الله عز وجل تضعونه في صدع من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب.

فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجدّد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه، فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور، وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه، ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال، أنه لا بدّ له من مفارقته، نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال:

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**السعيد من وعظ بغيره**). رواه مسلم من طريق عمرو بن الحرث عن أبي الزبير المكي عن عامر بن واثلة عنه بزيادة: والشقي من شقي في بطن أمه، وهو عند العسكري في الأمثال من طريق عون عن أبي وائل، وعند القضاعي من طريق إدريس بن يزيد الأودى عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص كلاهما عن ابن مسعود مرفوعاً. ورواه العسكري أيضاً من طريق عبدالله بن مصعب بن خالد بن زيد عن أبيه عن جده زيد بن خالد رفعه بلفظ المصنف. ورواه القضاعي من هذا الوجه بتمامه. ويروى من حديث عبدالله بن مصعب عن أبيه أيضاً فقال: عن عقبة بن عامر بدل زيد وهما ضعيفان، ولذا قال ابن الجوزي: لا يثبت كذلك مرفوعاً.

(**وقال عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى في خطبته: (**ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غادياً أو رائحاً إلى الله عز وجل تضعونه في صدع من الأرض**) أي شق منها (**قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب**). هكذا أورده هنا مختصراً وسيأتي بتمامه في آخر الباب الذي يليه. أخرجه أبو نعيم في الحلية مطوّلاً كما سنذكره.

(**فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى**) وأهل البلاء (**هو الذي يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه، فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافي عن دار الغرور، وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان**) أي طرفه (**قليل الجدوى**) أي الفائدة (**في التحذير والتنبيه**) وسيأتي ذكر الخطب التي فيها مجال أفكار المعتبرين من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ومن كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى في آخر الباب الذي يليه. (**ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بدّ له من مفارقته**).

(**نظر ابن مطيع**) هو عبدالله بن مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عبيد بن

والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا، ثم بكى بكاء شديداً حتى ارتفع صوته.

عريج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي المدني، ولد في حياة النبي ﷺ ولأبيه صحبة، كان من رجال قريش جلداً وشجاعة، كان على قريش يوم الحرة، وقتل مع ابن الزبير بمكة، وكان قد استعمله على الكوفة، وروى له مسلم حديثاً واحداً (**ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال: والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا، ثم بكى بكاء شديداً حتى ارتفع صوته**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، والله الموفق.

الباب الثاني
في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل، وسبب طوله وكيفية معالجته

فضيلة قصر الأمل:

قال رسول الله ﷺ لعبدالله بن عمر: « إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك، فإنك يا عبدالله لا تدري ما اسمك غداً ». وروى علي كرّم الله وجهه أنه ﷺ قال: « إن أشد

الباب الثاني
في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل، وسبب طوله وكيفية معالجته

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول

في فضيلة قصر الأمل:

اعلم أن الأمل هو توقع حصول الشيء وأكثر ما يستعمل فيما يبعد حصوله فمن عزم على سفر إلى بلد بعيد يقول أملت الوصول ولا يقول طمعت إلا أن قرب منها، فإن الطمع ليس إلا في القريب والرجاء بين الأمل والطمع، فإن الراجي قد يخاف أن لا يحصل مأموله ويقال لما في القلب مما ينال من الخير أمل، ومن الخوف إيحاش، ولما لا يكون لصاحبه ولا عليه خطر، ومن الشر وما لا خير فيه وسواس وقصره حبس النفس عنه يقال: قصرت نفسي على هذا الأمر إذا لم يطمح إلى غيره، وقصرت من طرفي لم أرفعه إلى مكروه. (**قال رسول الله ﷺ لعبدالله بن عمر**) بن الخطاب رضي الله عنهما: (« **إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فإنك يا عبدالله لا تدري ما اسمك غداً** ») قال العراقي: رواه ابن حبان، ورواه البخاري من قول ابن عمر في آخر حديث: « كن في الدنيا كأنك غريب ». اهـ.

قلت: ورواه البخاري من طريق الأعمش عن مجاهد عنه به إلى قوله: « عابر سبيل » مرفوعاً من حديث ابن عمر، وما سوى ذلك فإنه من قوله لمجاهد. وروى ابن المبارك في الزهد، وأحمد

ما أخاف عليكم خصلتان: اتباع الهوى وطول الأمل؛ فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق، وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا » ثم قال: « ألا إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ويبغض، وإذا أحب عبداً أعطاه الإيمان، ألا إن للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا إن الدنيا قد ارتحلت مولية ألا إن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم توشكون

والترمذي وابن ماجه والبيهقي في الشعب والعسكري في الأمثال من طريق سفيان عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: « يا عبدالله بن عمر كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور ».

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو بكر بن خلاد، حدثنا الحرث بن أبي أسامة، حدثنا إسحاق ابن عيسى الطباع، حدثنا حماد بن زيد ح.

وحدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا يوسف القاضي، حدثنا عمرو بن مرزوق، حدثنا زائدة ح.

وحدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان البصري، حدثنا عبدالله بن أحمد الدورقي، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير ح.

وحدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان واللفظ له قالوا: عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال لي: « وأحب في الله وأبغض في الله ووال في الله وعاد في الله فإنك لا تنال ولاية الله إلا بذلك ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك وصارت موافاة الناس في أمر الدنيا وأن ذلك لا يجزي عن أهله شيئاً. قال: وقال لي: « يا ابن عمر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك فإنك يا عبدالله بن عمر لا تدري ما اسمك غداً » قال وأخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: « كن في الدنيا غريباً أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور ». قال أبو نعيم: ولم يذكر خلاد وزهير وزائدة. قوله في الموالاة ووافقوه في الباقي. ورواه الحسن بن الحر وفضيل بن عياض وجرير وأبو معاوية في آخرين عن ليث. ورواه الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر نحوه.

(وروي عن علي كرم الله وجهه أنه ﷺ قال: « إن أشد ما أخاف عليكم خصلتين) كذا في النسخ قال العراقي: صوابه خصلتان: **(اتباع الهوى وطول الأمل؛ فأما اتباع الهوى فأن يصد)** أي يمنع **(عن الحق)** أي عن قبوله، وفي لفظ: « يضل » بدل « يصد » **(وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا » ثم قال: « ألا إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ويبغض، وإذا أحب عبداً أعطاه الإيمان ألا إن للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا إن الدنيا قد ارتحلت مولية)** أي مدبرة إلى دارها، **(ألا إن الآخرة قد ارتحلت مقبلة)** بوجهها. **(ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم توشكون في**

في يوم حساب ليس فيه عمل، وقالت أم المنذر: اطلع رسول الله ﷺ ذات عشية إلى الناس فقال: « أيها الناس أما تستحيون من الله » قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: « تجمعون ما لا تأكلون وتؤملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون ». وقال أبو سعيد الخدري اشترى

يوم حساب ليس فيه عمل ») قال العراقي: رواه بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل، ورواه أيضاً من حديث جابر بنحوه وكلاهما ضعيف اهـ.

قلت: روى ابن عدي من حديث جابر: « أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل » ورواه ابن النجار من حديثه بلفظ: « أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى فأما اتباع الهوى فيضل عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة والآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل ». قال العقيلي: فيه يحي بن مسلمة بن قعنب حدث بالمناكير، وقد رواه ابن عساكر في التاريخ من حديث علي موقوفاً، وذكره الشريف الموسوي في نهج البلاغة في جملة خطبه ولفظه: أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ولت فداء فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء اصطبها صلبها، ألا وإن الآخرة قد أقبلت ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كل ولد سيلحق بأمه يوم القيامة، وأن اليوم عمل لا حساب وغداً حساب ولا عمل ». ورواه الحاكم في التاريخ والديلمي من حديث جابر بلفظ: « إن أخوف ما أخاف على أمتي الهوى وطول الأمل فأما الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فيسي الآخرة، وهذه الدنيا مرتحلة ذاهبة وهذه الآخرة مقبلة صادقة، ولكل واحدة منهما بنون فإن استطعتم أن تكونوا من بني الآخرة ولا تكونوا من بني الدنيا فافعلوا فإنكم اليوم في دار عمل ولا حساب وأنتم غداً في دار حساب ولا عمل ». وروى ابن النجار من حديث علي: « إن أشد ما أتخوف عليكم خصلتان: اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فإنه يعدل عن الحق، وأما طول الأمل فالحب للدنيا ».

(وقالت أم المنذر) الأنصارية رضي الله عنها: (اطلع رسول الله ﷺ ذات عشية إلى الناس فقال: « أيها الناس أما تستحيون من الله » قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: « تجمعون ما لا تأكلون وتؤملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون »). قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقي في الشعب بإسناد ضعيف وقد تقدم اهـ.

قلت: الذي تقدم أنه من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب ذكرها الدارقطني في الأخوة وقال: روى حديثها الطبراني وفيها نظر اهـ.

قال الحافظ في الإصابة: حديثها أنها قالت: اطلع رسول الله ﷺ ذات عشية فقال: « أيها الناس ألا تستحيون » قالوا: مم ذاك يا رسول الله؟ قال: « تجمعون ما لا تأكلون وتبنون ما لا

أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار - إلى شهر - فسمعت رسول الله ﷺ يقول: « ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر، إن أسامة لطويل الأمل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض، ولا لقمت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت » ثم قال: « يا ابن آدم إن كنتم تعقلون فعدّوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده ﴿إن ما توعـدونَ لآتٍ وما أنتم بمعجزين﴾ » [الأنعام: ١٣٤]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يخرج

٧

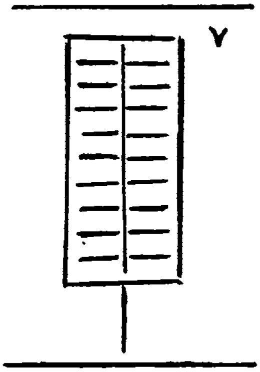

تعمرون وتؤملون ما لا تدركون ». أخرجه الطبراني من رواية عثمان بن عبد الرحمن الطرائفي، عن الوازع بن نافع، عن سالم بن عبدالله بن عمر عنهما. وقال ابن منده: ورواه سعيد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن ثابت عن الوازع بن نافع نحوه. قال الحافظ: والطريقان ضعيفان.

(**وقال أبو سعيد الخدري**) رضي الله عنه: (**اشترى أسامة بن زيد**) الكعبي رضي الله عنهما حب رسول الله وابن حب رسول الله ﷺ (**من زيد بن ثابت**) الأنصاري رضي الله عنه (**وليدة**) أي جارية (**بمائة دينار إلى شهر**) قال (**فسمعت رسول الله ﷺ يقول: « ألا تعجبون من أسامة المشتري إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفري**) بضم الشين المعجمة وسكون الفاء وهو حرف الجفن الذي ينبت عليه الهدب والجمع أشفار. (**لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت » ثم قال: « يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذي نفسي بيده إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل، والطبراني في مسند الشاميين، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الشعب بسند ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن عساكر في التاريخ

(**وعن ابن عباس**) رضي الله عنه (**أن رسول الله ﷺ كان يخرج**) أي إلى

يهريق الماء فيتمسح بالتراب، فأقول له: يا رسول الله إن الماء عنك قريب فيقول: «ما يدريني لعلي لا أبلغه»، وروي أنه ﷺ أخذ ثلاثة أعواد فغرز عوداً بين يديه، والآخر إلى جنبه، وأما الثالث فأبعده، فقال: «هل تدرون ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا الإنسان وهذا الأجل وذاك الأمل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الأجل دون الأمل»، وقال عليه السلام: «مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع في الهرم»، قال ابن مسعود: هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع إليه، والهرم وراء الحتوف، والأمل وراء الهرم، فهو يؤمل وهذه الحتوف شوارع إليه فأيها أمر به أخذه. فإن أخطأته الحتوف قتله الهرم وهو ينتظر الأمل. وقال عبدالله-خط لنا رسول

الخلاء (**يهريق الماء فيتمسح بالتراب**) أي يتيمم به (**فأقول له يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول: «ما يدريني لعلي لا أبلغه»**) قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل، والبزار بسند ضعيف. (**وروي أنه ﷺ أخذ ثلاثة أعواد فغرز عوداً بين يديه والآخر إلى جنبه وأما الآخر فأبعده، فقال: «هل تدرون ما هذا». قالوا: الله ورسوله اعلم. قال: «هذا الإنسان وهذا الأجل وذاك الأمل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الأجل دون الأمل»**) قال العراقي: رواه أحمد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل واللفظ له والرامهرمزي في الأمثال من رواية أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري وإسناده حسن ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا من رواية أبي المتوكل مرسلاً اهـ.

قلت: لفظ ابن المبارك عن أبي المتوكل الناجي هو الذي ساقه المصنف هنا، وأما لفظ أحمد عن أبي سعيد أن النبي ﷺ غرز عوداً ثم غرز إلى جنبه آخر ثم غرز الثالث فأبعده قال: «هل تدرون ما هذا؟ هذا الإنسان وهذا أجله وهذا أمله يتعاطى الأمل فيختلجه الأجل دون ذلك». وروى ابن أبي الدنيا في قصر الأمل، والديلمي من حديث أنس: «مثل الإنسان والأمل والآجل فمثل الأجل إلى جانبه والأمل أمامه فبينما هو يطلب الأمل أمامه إذ أتاه الآجل فاختلجه».

(**وقال ﷺ: «مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع في الهرم»**) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث عبدالله بن الشخير وقال: حسن اهـ.

قلت: هو هكذا في السنن بزيادة حتى يموت وقال: حسن غريب، ورواه كذلك الطبراني والبيهقي والضياء كلهم من طريق مطرف بن عبدالله بن الشخير عن أبيه. ورواه أبو نعيم في الحلية عن الطبراني، حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا محمد بن فراس، حدثنا سلم بن قتيبة، حدثنا عمر، عن قتادة، عن مطرف به فذكره.

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**هذا المرء وهذه الحتوف**) أي المنايا المهلكة (**حوله شوارع إليه**) أي بارزة إليه مشرعة نحوه (**والهرم وراء الحتوف والأمل وراء الهرم فهو يؤمل، وهذه الحتوف شوارع إليه فأيها أمر به أخذه فإن أخطأته الحتوف**) ولم تصبه (**قتله**

الله ﷺ خطاً مربعاً، وخط وسطه خطاً، وخط خطوطاً إلى جنب الخط، وخط خطاً خارجاً وقال: «أتدرون ما هذا؟» قلنا الله ورسوله أعلم، قال: «هذا الإنسان ـ للخط الذي في الوسط ـ وهذا الأجل محيط به، وهذه الأعراض ـ للخطوط التي حوله ـ تنهشه إن أخطأه هذا، نهشه هذا، وذاك الأمل ـ يعني الخط الخارج ـ»، وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل». وفي رواية: «وتشب معه

الهرم وهو ينتظر الأمل. وقال عبدالله) بن مسعود رضي الله عنه: **(خطَّ لنا رسول الله ﷺ خطاً مربعاً وخط وسطه خطاً وخط خطوطاً إلى جنب الخط وخط خطاً خارجاً وقال: «أتدرون ما هذا»؟ قلنا: الله ورسوله اعلم. قال: «هذا الإنسان للخط الذي في الوسط، وهذا الأجل محيط به، وهذه الأعراض للخطوط التي حوله تنهشه إن أخطأه هذا نهشه هذا، وذاك الأمل يعني الخط الخارج»)** قال العراقي: رواه البخاري.

قلت: قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا عبدالله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي ح.

وحدثنا سليمان، حدثنا حفص بن عمر، حدثنا قبيصة بن عقبة قالا: حدثنا سفيان ح.

وحدثنا أبو إسحاق بن حمزة، حدثنا أحمد بن الحسن الصوفي، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يحيى ابن سعيد، عن سفيان عن أبيه، عن أبي يعلى منذر الثوري عن الربيع بن خيثم، عن عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ أنه خط خطاً مربعاً وجعل في وسط الخط خطاً وجعل خطاً خارجاً من المربعة دارة وجعل حوله حروفاً وخط حولها خطوطاً فقال: «المربع الأجل والخط الوسط الإنسان وهذه الدارة الخارجة الأمل وهذه الحروف الأعراض والأعراض تصيبه من كل مكان كلما انفلت من واحدة أخذت واحدة، والأجل قد حال دون الأمل». لفظ سليمان، وقال يحيى بن سعيد: هذه الخطوط التي إلى جنبه الأعراض تنهشه من كل مكان إن أخطاه هذا أصابه هذا، والخط المربع الأجل المحيط به، والخط الخارج الأمل. قال الشيخ أبو نعيم: حديث صحيح متفق على صحته لم يروه عن الربيع إلا منذر.

(وقال أنس) رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: «يهرم)** أي يكبر **(ابن آدم ويبقى منه)** خصلتان **(اثنتان)** استعارة يعني تستحكم في قلب الشيخ كاستحكام قوّة الشاب في شبابه: **(الحرص والأمل»)** فالحرص فقره ولو ملك الدنيا، والأمل همه وتعبه وإنما لم تكبر هاتان لأن المرء جبل على حب الشهوات، وإنما تنال هي بالمال والعمر. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بإسناد صحيح اهـ.

قلت: بل رواه بهذا اللفظ أحمد والشيخان تعليقاً والنسائي كلهم من طريق شعبة عن قتادة عن أنس وفي لفظ للبخاري يكبر بدل يهرم.

اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر ». وقال رسول الله ﷺ : « نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل » وقيل: بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الأرض، فقال عيسى: اللهم انزع منه الأمل، فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة، فقال عيسى: اللهم اردد إليه الأمل، فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال: بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي: إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير! فألقيت المسحات واضطجعت ثم قالت لي نفسي: والله لا بدّ لك من عيش ما بقيت، فقمت إلى مسحاتي. وقال الحسن: قال رسول الله ﷺ :

(وفي رواية) « يهرم ابن آدم **(وتشب معه اثنتان: الحرص على المال والحرص على العمر »)** قال العراقي: رواه مسلم بهذا اللفظ.

قلت: وكذلك رواه الطيالسي والترمذي وابن ماجه وابن حبان كلهم من طريق هشام عن قتادة عن أنس، ولفظ الطيالسي « يكبر » ومن طريقه رواه أبو نعيم في الحلية ورواه الطبراني من حديث سمرة، وفي المقاصد للسخاوي وفي لفظ: « يشيب ابن آدم وتشب منه اثنتان » وذكر صاحب البستان عن أبي عثمان النهدي قال: بلغت نحواً من ثلاثين ومائة سنة وما من شيء إلا وقد أنكرته إلا أملي فإني أجده كما هو.

(وقال ﷺ : « نجا أوّل هذه الأمة) وهم الصحب والتابعون بإحسان ومن داناهم من السلف **(باليقين والزهد)** أي بالثقة بالله في أمورهم والتجافي عن الدنيا بالزهد فيها **(ويهلك)** أي يكاد يهلك **(آخر هذه الأمة بالبخل والأمل »)** أي بالإسترسال فيهما، والمراد من ذلك أن الصدر الأوّل قد تحلوا باليقين والزهد وتخلوا عن البخل والأمل، وذلك من أسباب النجاة من العقاب، وفي آخر الزمان ينعكس الحال، وذلك من الأسباب المؤدية للهلاك. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من رواية ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده اهـ.

وكذلك رواه أبو بكر بن لال في مساوىء الأخلاق، والخطيب في كتاب البخلاء، وابن لهيعة لا يحتج به، ثم إن المذموم من ذلك الاسترسال فيه لا قطع أصله وإليه أشار المصنف بقوله.

(وقيل: بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة) بكسر الميم آلة من حديد **(يثير بها الأرض)** أي يخدمها، **(فقال عيسى)** عليه السلام في نفسه: **(اللهم انزع منه الأمل)** فاستجيب له، **(فوضع الشيخ المسحاة)** وترك الشغل **(واضطجع)** على جنبه يستريح، **(فلبث ساعة)** على ذلك **(فقال)** عيسى عليه السلام في نفسه: **(اللهم اردد إليه الأمل)** فاستجيب له، **(فقام)** الشيخ **(فجعل يعمل)** في الأرض، **(فسأله عيسى عليه السلام عن ذلك. فقال: بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير؟ فألقيت المسحاة واضطجعت، ثم قالت لي نفسي: والله لا بدّ لك من عيش ما بقيت فقمت إلى مسحاتي)**. رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل.

« أكلكم يحب أن يدخل الجنة؟ » قالوا: نعم يا رسول الله قال: « قصروا من الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء »، وكان ﷺ يقول في دعائه: « اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة، وأعوذ بك من حياة تمنع خير المات، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل ».

الآثار: قال مطرف بن عبدالله لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي؟ ولكن الله تعالى منّ على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنأوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق. وقال الحسن: السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما مشى

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى، (قال رسول الله ﷺ: « أكلكم يحب أن يدخل الجنة؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: « قصروا من الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل هكذا من حديث الحسن مرسلاً اهـ.

قلت: والشطر الأخير رواه أحمد والترمذي من حديث ابن مسعود، والخرائطي من حديث عائشة والطبراني في الأوسط من حديث الحكم بن عمير.

(وكان ﷺ يقول في دعائه: « اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة، أعوذ بك من حياة تمنع خير المات، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من رواية حوشب، عن النبي ﷺ وفي إسناده ضعف وجهالة ولا أدري من حوشب اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي الدنيا أيضاً في كتاب اليقين، ووجدت بخط الشيخ شمس الدين الداودي ما نصه: هو تابعي صغير، وله رواية عن الحسن في كتاب ابن أبي الدنيا أيضاً اهـ.

قلت: هذا التابعي الذي ذكره له ذكر في الحلية في ترجمة محمد بن واسع من طريق عبد الواحد ابن زياد قال: سمعت مالك بن دينار يقول لحوشب: لا تبت وأنت شبعان ودع الطعام وأنت تشتهيه، فقال حوشب: هذا وصف أطباء أهل الدنيا. قال: ومحمد بن واسع يسمع كلامهما. فقال: نعم ووصف أطباء أهل الآخرة. فقال: مالك بخ بخ دواء للدين والدنيا، وفي الصحابة اثنان يقال لهما حوشب كل منهما غير منسوب لأحدهما رواية في مسند أحمد، وللثاني في مسند الحسن بن سفيان والنوادر للحكيم فليحرر، والله أعلم.

(الآثار: قال مطرف بن عبدالله) بن الشخير رحمه الله تعالى: (لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي، ولكن الله تعالى منّ على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش ولا قامت بينهم الأسواق). رواه أبو نعيم في الحلية بلفظ: وجدت الغفلة التي

المسلمون في الطرق. وقال الثوري: بلغني أن الإنسان خلق أحمق ولولا ذلك لم يهنأه العيش: وقال أبو سعيد بن عبد الرحمن: انما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها، وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني، مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس يغفل عنه، وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راض، وثلاث أحزنتني حتى أبكتني: فراق الأحبة ـ محمد وحزبه ـ وهول المطلع والوقوف بين يدي الله ولا أدري إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار.

وقال بعضهم: رأيت زرارة بن أبي أوفى بعد موته في المنام قلت: أي الأعمال أبلغ عندكم؟ قال: التوكل وقصر الأمل. وقال الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس

ألقاها على خلقه رحمة رحمهم بها ولو ألقى في قلوبهم الخوف على قدر معرفتهم به ما تهنأ لهم العيش.

(وقال الحسن البصري) رحمه الله تعالى: (السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطريق) رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى: (بلغني أن الإنسان خلق أحمق) أي قليل العقل، (ولولا ذلك لم يهنه العيش). رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال) أبو عبدالله (سعيد بن عبد الرحمن) بن عبدالله بن جميل بن عامر بن خديم بن سلامان بن ربيعة بن سعد بن حج القرشي الجمحي المدني قاضي بغداد زمن الرشيد، روى عن هشام بن عروة. قال ابن معين: ثقة مات سنة ست وسبعين ومائة، روى له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه: (إنما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل.

(وقال سلمان الفارسي) رضي الله عنه: (ثلاث أعجبتني حتى أضحكتني: مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل وليس يغفل عنه، وضاحك ملء فيه ولا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راض. وثلاث أحزنني حتى أبكينني: فراق الأحبة محمد وحزبه، وهول المطلع، والوقوف بين يدي ربي لا أدري إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار) رواه أحمد في الزهد. ومن طريقه أبو نعيم في الحلية قال: وحدثنا كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان قال: بلغنا أن سلمان الفارسي كان يقول. أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث: ضحكت من مؤمل الدنيا والموت يطلبه، وغافل ولا يغفل عنه، وضاحك ملء فيه لا يدري أمسخط ربه أم مرضيه، وأبكاني ثلاث: فراق الأحبة محمد وحزبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي رب العالمين حين لا أدري إلى النار انصرافي أم إلى الجنة.

(وقال بعضهم: رأيت زرارة بن أبي أوفى) العامري الحرشي البصري العابد رحمه الله تعالى (بعد موته في المنام فقلت: أي الأعمال أبلغ عندكم؟ قال: التوكل وقصر الأمل). رواه ابن

بأكل الغليظ ولا لبس العباء. وسأل المفضل بن فضالة ربه أن يرفع عنه الأمل فذهبت عنه شهوة الطعام والشراب، ثم دعا ربه فرد عليه الأمل، فرجع إلى الطعام والشراب، وقيل للحسن: يا أبا سعيد ألا تغسل قميصك؟ فقال: الأمر أعجل من ذلك. وقال الحسن: الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم. وقال بعضهم: أنا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه. وقال داود الطائي: لو أملت أن أعيش

أبي الدنيا في قصر الأمل. وروى أبو نعيم في الحلية قال: لقي سلمان عبدالله بن سلام فقال: إن مت قبلي فأخبرني ما تلقى وإن مت قبلك فاخبرك. قال: فمات سلمان فرآه عبدالله بن سلام فقال: كيف أنت يا أبا عبدالله؟ قال: بخير. قال: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: وجدت التوكل شيئاً عجيباً.

(وقال) سفيان (الثوري) رحمه الله تعالى: (الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ ولبس العباء) رواه أبو نعيم في الحلية عن سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبيد بن آدم العسقلاني، حدثنا أبو عمر بن النحاس، حدثنا وكيع قال: قال سفيان فذكره.

قال: وحدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا العباس بن إسماعيل، حدثنا سهل، حدثنا وكيع قال: قال سفيان: ليس الزهد في الدنيا بأكل الجشب ولبس الخشن إنما الزهد في الدنيا قصر الأمل.

وحدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا الأحوص بن الفضل بن غسان الغلابي، حدثنا إبراهيم بن سعد الجوهري، سمعت الحسن بن عبد الملك يقول: قال الثوري: ليس الزهد في الدنيا بلبس الخشن ولا أكل الجشب إنما الزهد قصر الأمل. وحدثنا أبو بكر الطلحي، حدثنا الحسين بن جعفر، حدثنا إسماعيل الطلحي قال: قال وكيع: كان سفيان يقول: الزهد في الدنيا قصر الأمل. (وسأل) أبو مالك (المفضل بن فضالة) بن أبي أمية البصري روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه. (ربه أن يرفع عنه الأمل فذهبت عنه شهوة الطعام، والشراب، ثم دعا ربه فرد عليه الأمل فرجع إلى الطعام والشراب). رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل وفيه إشارة إلى أن المذموم منه إنما هو الاسترسال فيه لا أصله. (وقيل للحسن) البصري: (يا أبا سعيد ألا تغسل قميصك؟ فقال: الأمر أعجل من ذلك) رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبي، حدثنا أبو الحسن بن أبان، حدثنا أبو بكر بن عبيد، حدثنا سعدويه وإسحاق بن إبراهيم قالا: حدثنا أبو معاوية عن الحسن قال: قيل يا أبا سعيد فذكره. (وقال الحسن) البصري: (الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم). رواه أبو نعيم في الحلية من طريق فضيل بن عياض عن هشام عن الحسن قال: إنكم أصبحتم في أجل منقوص وعمل محفوظ والموت في رقابكم والنار بين أيديكم، وما ترون والله ذاهب فتوقعوا قضاء الله في يوم وليلة، ولينظر امرؤ ما قدم لنفسه. (وقال بعضهم: أنا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه. وقال داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى: (لو أملت أن أعيش شهراً

شهراً لرأيتني قد أتيت عظيماً، وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار.

وحكي إنه جاء شقيق البلخي إلى أستاذ له يقال له أبو هاشم الرماني ـ وفي طرف كسائه شيء مصرور ـ فقال له أستاذه: إيش هذا معك؟ فقال: لوزات دفعها إلي أخ لي وقال: أحب أن تفطر عليها، فقال يا شقيق وأنت تحدث نفسك أنك تبقى إلى الليل لا كلمتك أبداً قال: فأغلق في وجهي الباب ودخل.

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: إن لكل سفر زاداً لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى، وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا، وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغتراً، وإنما تقرعين من وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى، وإنما يفرح من أمن من أهوال القيامة فأما من لا يداوي كلماً إلا أصابه

لرأيتني قد أتيت عظيماً، وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع) أي بغتات المصائب (**تغشى الخلائق في ساعات الليل والنهار**) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل.

(**وحكي أنه جاء شقيق البلخي**) رحمه الله تعالى (**إلى أستاذ له يقال له: أبو هاشم الرماني**) كان ينزل قصر الرمان بواسط اسمه يحي بن دينار، وقيل يحي بن الأسود رأى أنس بن مالك. قال أبو حاتم: وكان فقيهاً صدوقاً مات سنة ١٢٢، وقيل: سنة ١٤٥ روى له الجماعة. (**وفي طرف كسائه شيء مصرور فقال له أستاذه: ايش هذا معك؟ قال: لوزات دفعها إلي أخ لي وقال: أحب أن تفطر عليها. فقال**) أستاذه: (**يا شقيق وأنت تحدث نفسك أنك تبقى إلي الليل لا كلمتك أبداً. قال: فأغلق في وجهي الباب ودخل**). رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل.

(**وقال عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى (**في خطبته: إن لكل سفر زاداً لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى**) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾ [البقرة: ١٩٧] (**وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا**) فيه لف ونشر مرتب، (**ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم**) يشير إلى قوله تعالى: ﴿طال عليهم الأمد فقست قلوبهم﴾ [الحديد: ١٦] (**وتنقادوا لعدوكم**) أي إبليس (**فإنه والله ما بسط أمل من لا يدري لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغتراً، وإنما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله، وإنما يفرح من أمن من أهوال يوم القيامة**

جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح؟ أعوذ بالله من أن آمركم بما لا أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيبتي وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة، لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الأرض لتشققت. أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وأنكم سائرون إلى إحداهما.

وكتب رجل إلى أخ له: أما بعد؛ فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام والسلام. وكتب آخر إلى أخ له: إن الحزن على الدنيا طويل والموت من الإنسان قريب وللنقص في كل يوم منه نصيب، وللبلاء في جسمه دبيب فبادر قبل أن تنادى بالرحيل والسلام. وقال الحسن: كان آدم عليه السلام ـ قبل أن يخطىء ـ أمله خلف ظهره وأجله بين عينيه فلما أصاب الخطيئة حول فجعل أمله بين عينيه

فأما من لا يداوي كلماً) أي جرحاً **(إلا أصابه جرح من ناحية أخرى، فكيف يفرح؟ أعوذ بالله أن آمركم بما أنهى عنه نفسي فتخسر صفقتي ويظهر عيبتي)** كذا في النسخ ولفظ الحلية عيلتي. **(وتبدو مسكنتي في يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبة. لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت، ولو عنيت به الجبال لذابت، ولو عنيت به الأرض لتشققت. أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وأنكم صائرون إلى إحداهما)**. رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا أبي ومحمد بن أحمد قالا: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا عبدالله بن محمد بن عبيد، حدثني أبو عبد الرحمن حاتم بن عبدالله الأزدي، عن الحسين بن محمد الخزاعي، عن رجل من ولد عثمان أن عمر بن عبد العزيز قال في بعض خطبته فذكره سواء بسواء.

(وكتب رجل إلى أخ له أما بعد؛ فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام والسلام) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل. **(وكتب آخر إلى أخ له إن الحزن على الدنيا طويل والموت من الإنسان قريب وللنقص في كل يوم منه نصيب، وللبلى في جسمه دبيب فبادر قبل أن تنادى بالرحيل والسلام)** رواه أبو نعيم في الحلية قال: كتب عمر بن المنهال القرشي إلى إبراهيم بن أدهم وهو بالرملة أن عظني موعظة أحفظها عنك، فكتب إليه: أما بعد؛ فإن الحزن على الدنيا طويل فذكره. وفيه بعد قوله بالرحيل واجتهد بدار الممر قبل الانتقال إلى دار المقر.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(كان آدم عليه السلام قبل أن يخطىء أمله خلف ظهره وأجله بين عينيه، فلما أصاب الخطيئة حول فجعل أمله بين عينيه وأجله خلف**

وأجله خلف ظهره. وقال عبيدالله بن شميط: سمعت أبي يقول: أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتاً قط من غير سقم، أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذاً قط من غير عدة، إنك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك أبالصحة تغترون أم بطول العافية تمرحون، أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تجترئون؟ إن ملك الموت إذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك، أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط، ثم يقال رحم الله عبداً عمل لما بعد الموت، رحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول الموت، وقال أبو زكريا التيمي: بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتي بحجر منقور، فطلب من يقرأه، فأتي بوهب بن منبه فإذا فيه: ابن آدم انك لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة

ظهره). رواه أحمد في الزهد قال: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا هشام هو الدستوائي عن الحسن قال: كان آدم عليه السلام قبل أن يصيب الخطيئة فذكره. ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه.

(**وقال عبيدالله بن شميط**) بن عجلان الشيباني البصري ثقة مات سنة إحدى وثمانين ومائة، روى عن أبيه وعمه الأخضر بن عجلان، وعنه عبد الرحمن بن مهدي وسيار وعبدالله بن عيسى الطفاوي وأبو داود الطيالسي ومحمد بن عبيد بن حساب روى له الترمذي: (**سمعت أبي**) هو أبو هشام شميط بالمعجمة مصغراً أخو الأخضر. روى عن أبي بكر الحنفي وزهير العامري وعطاء وابن عمر. وعنه ابنه المذكور وجعفر بن سليمان الضبعي، وعبد الرحمن بن مهدي، ورياح بن عمر، والقيسي، وأبو عاصم عبدالله بن عبيدالله العباداني، وإبراهيم بن عبد الملك، والصعق بن حزن (**يقول: أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتاً قط من غير سقم؟ أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذاً قط من غير عدة؟ إنك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك. أبالصحة تغترون أم بطول العافية تمرحون، أم الموت تأمنون، أم على ملك الموت تجترئون؟ إن ملك الموت إذا جاء لا يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك، أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على التفريط، ثم يقول: رحم الله عبداً عمل لما بعد الموت، رحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول الموت**). رواه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد قال: أخبرت عن سيار عن عبيدالله بن شميط قال: سمعت أبي يقول فساق نحو ذلك.

(**وقال أبو زكريا**) يحي بن طلحة بن عبيدالله (**التيمي**) المدني ثقة، روى له الترمذي والنسائي وابن ماجه: (**بينما سليمان بن عبد الملك**) بن مروان (**في المسجد الحرام إذ أتي بحجر منقور فطلب من يقرأه فأتي بوهب بن منبه**) اليماني، (**فإذا فيه: ابن آدم إنك لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك، ولرغبت في الزيادة من عملك، ولقصرت**

من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غداً ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وفارقك الوالد والقريب ورفضك الولد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة. فبكى سليمان بكاء شديداً.

وقال بعضهم: رأيت كتاباً من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف، سلام عليك فإني أحمد الله إليك لا إله إلا هو أما بعد، فإني أحذرك متحولك من دار مهلتك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك، فتصير في قرار باطن الأرض بعد ظاهرها، فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فإن يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة، وإن يكن غير ذلك فأعاذني الله وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع، ثم تبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الأرض من أهلها والسموات من سكانها فباحت الأسرار وأسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين، فكم من مفتضح ومستور، وكم من هالك وناج، وكم من معذب ومرحوم، فيا ليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي

من حرصك وحيلك، وإنما يلقاك غداً ندمك لو قد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وفارقك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة. فبكى سليمان بكاء شديداً). رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبان، حدثنا أبي، حدثنا عبدالله بن عبيد، حدثنا أبو عبدالله بن إدريس، عن أبي زكريا التيمي قال: بينا سليمان بن عبد الملك فساقه.

(قال بعضهم: رأيت كتاباً من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف) صورته: (سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد؛ فإني أحذرك متحولك من دار مهلكتك) وهي الدنيا (إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك) وهي دار الآخرة، (فتصير في قرار باطن الأرض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك) ويسألانك (وينتهرانك فإن يكن الله معك) بأن هداك للجواب (فلا بأس ولا وحشة ولا فاقة، وإن يكن غير ذلك فأعاذني الله وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع) أي في لحدك، (ثم تبلغك صيحة الحشر من القبور ونفخ الصور وقيام الجبار) جل جلاله (لفصل قضاء الخلائق وجلاء الأرض من أهلها والسموات من سكانها) يوم يقول: ﴿لمن الملك اليوم﴾ [غافر: ١٦] (فباحت الأسرار) أي ظهر ما كان مخفياً منها، (وأسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد رب العالمين. فكم من مفتضح ومستور، وكم من هالك وناج، وكم من معذب ومرحوم. فياليت شعري ما حالي وحالك يومئذ ففي

هذا ما هدم اللذات وأسلى عن الشهوات وقصر عن الأمل وأيقظ النائمين وحذر الغافلين، أعاننا الله وإياكم على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك موقعها من قلوب المتقين، فإنما نحن به وله السلام.

وخطب عمر بن عبد العزيز، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدى، وإن لكم معاداً يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقي غداً عبد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والأرض، وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف واتقى وباع قليلاً بكثير وفانياً بباق وشقوة بسعادة ألا ترون أنكم في اسلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون. ألا ترون أنكم في كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقطع أمله فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب، وأيم الله إني لأقول مقالتي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي، ولكنها سنن من الله عادلة أمر فيها بطاعته وأنهى فيها عن معصيته واستغفر الله، ووضع كمه على وجهه وجعل يبكي حتى بلت دموعه لحيته وما عاد إلى مجلسه حتى مات.

هذا ما هدم اللذات وسلا عن الشهوات وقصر عن الأمل وأيقظ النائمين وحذر الغافلين. أعاننا وإياكم على هذا الخطر العظيم، وأوقع الدنيا والآخرة عن قلبي وقلبك موقعها من قلوب المتقين فإنما نحن به وله السلام). رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل، ومحمد بن يوسف المذكور يحتمل أن يكون هو الفريابي أو الزبيدي الراوي عن أبي قرة، وعبد الرحمن بن يوسف يحتمل أن يكون أخاه أو رجلاً آخر فليحرر.

(وخطب عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى (فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إنكم لن تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدى، وأن لكم معاداً يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم، فخاب وشقي غداً عبد أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والأرض، وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف واتقى وباع قليلاً بكثير وفانياً بباق وشقوة بسعادة، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون. ألا ترون أنكم في كل يوم تشيعون غادياً رائحاً إلى الله عز وجل قد قضى نحبه وانقطع أمله، فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وواجه الحساب، وأيم الله إني لأقول مقالتي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسي، ولكنها سنن من الله عادلة أمر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته واستغفر الله ووضع كمه على وجهه وبكى حتى بلت دموعه لحيته وما عاد إلى مجلسه حتى مات).

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا سعدان بن نصر المخرمي، حدثنا عبدالله بن بكر بن حبيب، حدثني رجل أن عمر بن عبد العزيز خطب الناس بخناصرة فقال: أيها الناس إنكم لن تخلقوا عبثاً ولن تتركوا سدى، وأن لكم معاداً ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم، وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض، واعلموا أن الأمان غداً لمن حذر الله وخافه وباع نافداً بباق وقليلاً بكثير وخوفاً بأمان. أو لا تدرون أنكم في أسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون كذلكم حتى يردوا الوارثين.

وقال أيضاً: حدثنا أبي، حدثنا أبو الحسن بن أبان، حدثنا أبو بكر بن عبيد، حدثنا إسحاق ابن إسماعيل، حدثنا يحي بن أبي بكير، حدثنا عبدالله بن الفضل التميمي قال: آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز أن صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد؛ فإن ما في أيديكم أسلاب الهالكين وسيتركها الباقون كما تركها الماضون. ألا ترون أنكم في كل يوم وليلة تشيعون غادياً أو رائحاً إلى الله تعالى وتضعونه في صدع من الأرض، ثم في بطن الصدع غير ممهد ولا موسد قد خلع الأسلاب وفارق الأحباب أسكن التراب وواجه الحساب فقير إلى ما قدم أمامه غني عما ترك بعده، أما والله إني لأقول لكم هذا وما أعرف من أحد من الناس مثل ما أعرف من نفسي. قال: ثم قال بطرف ثوبه على عينه فبكى ثم نزل، فما خرج حتى أخرج إلى حفرته.

وقال أيضاً: حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا أبو زرعة، حدثنا أبو عبد الرحمن بن أبي الغمر المصري، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: خطب عمر بن عبد العزيز هذه الخطبة وكانت آخر خطبة خطبها حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنكم لن تخلقوا عبثاً وإنكم لن تتركوا سدى وأن لكم معاداً ينزل الله فيه فيحكم فيكم ويفصل بينكم، وخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحرم جنة عرضها السموات والأرض، ألم تعلموا أنه لا يأمن غداً إلا من حذر الله اليوم، خافه وباع نافداً بباق وقليلاً بكثير وخوفاً بأمان؟ ألا ترون أنكم في أنشاب الهالكين وستصير بعدكم للباقين، وكذلك حتى تردون إلى خير الوارثين. ثم إنكم تشيعون كل يوم غادياً ورائحاً قد قضى نحبه وانقضى أجله حتى تغيبوه في صدع من الأرض في شق صدع ثم تتركوه غير ممهد ولا موسد، قد فارق الأحباب وباشر التراب ووجه للحساب، مرتهن بما عمل غني عما ترك فقير إلى ما قدم، فاتقوا الله وموافاته وحلول الموت بكم. أما والله لأقول هذا وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي واستغفر الله، وما منكم من أحد يبلغنا حاجته لا يسع له ما عندنا إلا تمنيت أن يبدأ بي. وبحاجتي يكون عيشه وعيشنا واحداً. أنا والله لو أردت غير هذا من غضارة العيش لكان اللسان به ذلولاً وكنت بأسبابه عالماً، ولكن سبق من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى فيها عن معصيته، ثم رفع طرف ردائه فبكى وأبكى من حوله.

ورواه محمود بن محمد في كتاب المتفجعين فقال: حدثنا عبدالله بن الهيثم بن عثمان، حدثنا أبو

وقال القعقاع بن حكيم: قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء. وقال الثوري: رأيت شيخاً في مسجد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة انتظر الموت أن ينزل بي، ولو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء، ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء، وقال عبدالله بن ثعلبة: تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار. وقال أبو محمد بن علي الزاهد: خرجنا في

وهب عبدالله بن بكر بن حبيب السهمي، حدثنا بشر أبو نصر قال: خطبنا عمر بن عبد العزيز بخناصرة فقال: يا أيها الناس إنكم لن تخلقوا عبثاً فساقه بمثله.

وقال أبو نعيم أيضاً: حدثنا أبو حامد بن جبلة: حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا إبراهيم بن هانيء، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ابن أبي حبيب أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض الأجناد أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته، فإن بتقوى الله نجاة أولياء الله من سخطه وبها تحق لهم ولايته وبها رافقوا أنبياءهم وبها نضرت وجوههم وبها نظروا إلى خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن والمخرج من كرب يوم القيامة، ولن يقبل ممن بقي إلا بمثل ما رضي به عمن مضى ولمن بقي عبرة فيما مضى وسنة الله فيهم واحدة، فبادر بنفسك قبل أن يؤخذ بكظمك ويخلص إليك كما خلص إلى من كان قبلك، فقد رأيت الناس كيف يموتون وكيف يتفرقون، ورأيت الموت كيف يعجل التائب توبته وذا الأمل أمله وذا السلطان سلطانه، وكفى بالموت موعظة بالغة وشاغلاً عن الدنيا ومرغباً في الآخرة، فنعوذ بالله من شر الموت وما بعده، ونسأل الله خيره وخير ما بعد، ثم ساقه بطوله وفيه: كأن لم يكن كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله وتغيبونه في صدع من الأرض تدعونه غير متوسد ولا متمهد، فارق الأحبة وخلع الأسلاب وسكن التراب وواجه الحساب، مرتهناً بعمله فقيراً إلى ما قدم غنياً عما ترك، فاتقوا الله قبل نزول الموت وانقضاء موافاته. وأيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثرها مما أعلم عندي وأستغفر الله وأتوب إليه.

(**وقال القعقاع بن حكيم**) الكناني المدني ذكره ابن حبان في كتاب الثقات، روى له الجماعة إلا البخاري: (**قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة، فلو أتاني ما أحببت تأخير شيء عن شيء**) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل. (**وقال**) سفيان (**الثوري**) رحمه الله تعالى: (**رأيت شيخاً في مسجد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة انتظرت الموت أن ينزل بي ولو أتاني ما أمرته بشيء ولا نهيته عن شيء ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء**) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل، (**وقال عبدالله بن ثعلبة**) الحنفي رحمه الله تعالى من رجال الحلية حكى عنه حامد بن عمر البكراوي وغيره: (**تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار**) رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد بن عبيد، حدثنا أبو بكر بن سفيان، حدثنا علي بن محمد، حدثنا يوسف بن أبي عبدالله قال: سمعت

جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن ، فجئت فقعدت قريباً منه فتكلم فقال: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال أمله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب ، واعلم يا أخي ان كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشؤوم ، واعلم أن أهل الدنيا جميعاً من أهل القبور إنما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون ، فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون. وروي أن معروفاً الكرخي رحمه الله تعالى أقام الصلاة ، قال محمد بن أبي توبة فقال لي تقدم ، فقلت : إني إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها فقال معروف : وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل.

عبدالله بن ثعلبة الحنفي يقول فذكره، (وقال أبو محمد) صدقة (الزاهد) رحمه الله تعالى: (خرجنا بجنازة بالكوفة وخرج فيها داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (فانتبذ فقعد ناحية وهي تدفن فجئت فقعدت قريباً منه فتكلم فقال: من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ، ومن طال أمله ضعف عمله ، وكل ما هو آت قريب . واعلم يا أخي أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشئوم ، واعلم أن أهل الدنيا جميعاً من أهل القبور إنما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون ، فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون) . رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا إبراهيم بن عبدالله ، حدثنا محمد بن إسحاق ح.

وحدثنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين ، حدثنا الحسين بن إسماعيل قالا : حدثنا محمد بن يحيى الأزدي ، حدثنا بشر بن مصلح ، حدثنا أبو محمد صدقة الزاهد قال: خرجنا مع داود الطائي في جنازة بالكو ... : فقعد داود ناحية وهي تدفن فجاء الناس فقعدوا قريباً منه فتكلم فقال: فذكره.

(وروى أن) أبا محفوظ (معروف) بن فيروز (الكرخي رحمه الله تعالى أقام الصلاة . قال محمد بن أبي توبة فقال لي: تقدم) فصل بنا وذلك لأن معروفاً كان لايؤم إنما يؤذن ويقيم ويقدم غيره قال: (فقلت إني إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم) صلاة أخرى (غيرها ، فقال معروف: وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى تعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل) رواه ابن الجوزي في طبقات النساك فقال: أخبرنا يحيى بن علي المدير ، أخبرنا يوسف بن محمد المهرواني ، أنبأنا محمد بن أحمد بن رزقويه ، حدثنا عثمان بن أحمد الدقاق ، حدثنا جعفر بن محمد بن العباس البزار ، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثني السري ابن يوسف الأنصاري قال: أقام معروف الصلاة فذكره. وروي أيضاً بسنده إلى محمد بن منصور

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: إن الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء، وكتب على أهلها الظعن عنها، فكم من عامر موثق عما قليل يخرب وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن، فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن بحضرتكم من النقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى إنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب، بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو قرير العين إذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه، وصير لقوم آخرين مصانعه ومعناه، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر إنها تسر قليلاً وتحزن طويلاً.

وعن أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه أنه كان يقول في خطبته: أين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا!

الطوسي قال: كنا عند معروف الكرخي وجاءت امرأته سائلة فقالت: اعطوني شيئاً أفطر عليه فإني صائمة، فدعاها معروف فقال: يا أختي سر الله أفشيته وتأملين أن تعيشي إلى الليل.

(وقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى **(في خطبته: إن الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها الظعن عنها، فكم من عامر موثق عما قليل يخرب، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن، فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما بحضرتكم من النقلة، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى إنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب، بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو قرير العين إذ دعاه الله بقدره ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه. إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر إنها تسر قليلاً وتحزن طويلاً)**. رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبي ومحمد بن أحمد قالا: حدثنا أحمد بن محمد بن عمر، حدثنا أبو بكر بن سفيان، حدثنا يعقوب بن إسماعيل، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا عمر بن محمد المكي قال: خطب عمر بن عبد العزيز فقال: إن الدنيا ليست بدار قراركم فساقه. وفي آخره: وتجر حزناً طويلاً. وأبو بكر بن سفيان في سياق السند هو ابن أبي الدنيا هكذا رواه في كتاب القبور له.

(وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقول في خطبته: أين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم، أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان، أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا). رواه أحمد في الزهد. ومن طريقه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير أن أبا بكر كان يقول في خطبته: أين

....

الوضاءة فذكره، وأخرجه أبو نعيم أيضاً في ترجمة بنان الحمالي المصري فقال: حدثنا محمد بن عبيدالله بن المرزبان، حدثنا علي بن سعيد، حدثنا بنان الصوفي، حدثنا عبيدالله بن عمر الجشمي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثنا يحي بن أبي كثير قال: خطب أبـو بكـر الصـديـق رضي الله عنه أين الوضاءة فذكره. وروى أبو نعيم أيضاً من طريق عبدالله بن حكيم قال: خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: أما بعد؛ فساقه. وفيه: ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فيردكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم. الوحا الوحا النجا النجا إن رواءكم طالباً حثيثاً مره سريع.

وروى الطبراني من طريق عمرو بن دينار قال: خطبنا أبو بكر فذكر نحو حديث عبدالله بن حكيم وزاد: ثم تفكروا عباد الله فيمن كان قبلكم أين كانوا أمس وأين هم اليوم، أين الملوك وأين الذين كانوا أثاروا الأرض وعمروها قد نسوا ونسي ذكرهم، فهم اليوم كلاشيء فتلك بيوتهم خاوية وهم في ظلمات القبور ﴿هل تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً﴾ [مريم: ٩٨] وأين مـن تعرفون من أصحابكم وإخوانكم، فقد وردوا على ما قدموا فحلوا الشقوة والسعادة. إن الله تعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطـاعتـه واتبـاع أمـره، وأنه لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وروي أيضاً من طريق نعيم بن نجبة قال: كان في خطبة أبي بكر: أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون في أجل معلوم، فذكر نحو حديث عبدالله بن حكيم.

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عبد الرحمٰن بن عبدالله بن سابط قال: لما حضر أبا بكر الصديق الموت دعا عمر فقال له: اتق الله يا عمر فساقه وفيه: فإن أنت حفظت وصيتي فلا يك غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك، وإن أنت ضيعت وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه.

فصل

ومن كلام علي رضي الله عنه بعد تلاوته ﴿ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾ يا له مراماً ما أبعده وزوراً ما أغفله وخطراً ما أفظعه، لقد استحلوا منهم أي مدكر وتناوشوهم من مكان بعيد فبمصارع آبائهم يفخرون، أم بعديد الهلكى يتكاثرون؟ يرتجعون منهم أجساداً خوت وحركات سكنت، ولأن يكونوا عبراً أحق بأن يكونوا مفتخراً، ولأن يهبطوا بهم خباب ذلة أحجى من أن يقوموا مقام عزة، لقد نظروا إليهم بأبصار الغشوة وضربوا منهم في غمرة جهالة، ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الدار الخاوية والربوع الخالية لقالت ذهبوا في الأرض ضلالاً وذهبتهم في أعقابهم جهالاً، تطـأون في هامهم وتتثبتون في أجسادهم وترتعون فيما لفظوا وتسكنون فيما خربوا،

وإنما الأيام بينهم وبينكم بواك ونوائح عليكم، أولئكم سلف غايتكم وفراط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العز وجليات الفخر ملوكاً وسوقاً، سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً سلطت الأرض عليهم فيه فأكلت من لحومهم وشربت من دمائهم، فأصبحوا في فجوات قبورهم جماداً لا ينمون وضماراً لا يوجدون، لا يفزعهم ورود الأحوال ولا يحزنهم تنكر الأحوال ولا يحفلون بالرواجف ولا يأذنون للقواصف، غيباً لا ينتظرون وشهوداً لا يحضرون وإنما كانوا جميعاً فشتتوا وإلافاً فافترقوا وما عن طول عهدهم ولا عن بعد محلهم عميت أخبارهم وصمت ديارهم، ولكنهم سقوا كأساً بدلتهم بالنطق خرساً وبالسمع صمماً وبالحركات سكوناً، فكأنهم في ارتجال الصفة صرعى سبات جيران لا يتأنسون وأحباء لا يتزاورون، بليت بينهم عرى التعارف وانقطعت منهم أسباب الإخاء والتعاطف، فكلهم وحيد وهم جميع وبجانب الهجر وهم أخلاء لا يتعارفون لليل صباحاً ولا لنهار مساء أي الجديدين ظعنوا فيه كان عليه سرمداً شاهدوا من أخطار دارهم أفظع مما خافوا ورأوا من آياتها أعظم مما قدروا، فكلا الغايتين مدة إلى مباءة فأتت مبالغ الخوف والرجاء، فلو كانوا ينطقون بها لعيوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا، ولئن عميت آثارهم وانقطعت أخبارهم لقد رجعت فيهم أبصار العبر وسمعت عنهم آذان العقول وتكلموا من غير جهات النطق فقالوا: كلحت الوجوه النواضر وخوت الأجساد النواعم ولبسنا أهدام البلى وتكأدنا ضيق المضجع وتوارثنا الوحشة وتهكمت علينا الربوع الصموت، فانمحت محاسن أجسادنا وتنكرت معارف صورنا وطالت في مساكن الوحشة إقامتنا، ولم نجد من كرب فرجاً ولا من ضيق متسعاً، فلو مثلتهم بعقلك أو كشف عنهم محجوب الغطاء لك، وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام فاستكت، واكتحلت أبصارهم بالتراب فخسفت، وتقطعت الألسنة في أفواههم بعد ذلاقتها، وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها، وعاث في كل جارحة منهم جديد بلى سمجها، وسهل طرق الآفة إليه مستلمات فلا أيد تدفع ولا قلوب تجزع، لرأيت أشجان قلوب وأقذاء عيون لهم من كل فظاعة صفة حال لا تنتقل وغمرة لا تنجلي، وكم أكلت الأرض من عزيز جسد وأنيق لون كان في الدنيا غذى ترف وربيب شرف، يتعلل بالسرور في ساعة حزنه ويفزع إلى السلوة إن مصيبة نزلت به ضنا بنضارة عيشه وشحاحة بلهوه ولعبه، فبينا هو يضحك إلى الدنيا وتضحك إليه في ظل عيش غفول إذ وطىء الدهر به حسكه ونقصت الأيام قواه ونظرت إليه الحتوف من كثب، فخالطه بث لا يعرفه ونجى هم ما كان يجده، وتولدت فيه فترات علل أنس ما كان بصحته ففزع إلى ما عوده الأطباء فلم يطفأ ببارد إلا ثور حرارة ولا حرك بحار إلا هيج برودة ولا اعتدال بممازج لتلك الطبائع إلا أمد منها كل ذات داء، حتى فتر معلله وذهل ممرضه وتعايا أهله بصفة دائه، وخرسوا عن جواب السائلين عنه وتنازعوا دونه شجى خبر يكتمونه، فقائل هو لما به وممن لهم إياب عافيته ومصبر لهم على فقده يذكرهم أسى الماضين من قبله، فبينا هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الأحبة إذ عرض له عارض من غصصه فتحيرت نوافذ بطنه ويبست رطوبة لسانه، فكم من مهم من جوابه عرفه فعي عن رده، ودعاء مؤلم لقلبه سمعه فتصام عنه من كبير كان يعظمه أو

صغير كان يرحمه، وأن للموت لعبرات هي أفظع من أن تستغرق بصفة أو تعتدل على عقول أهل الدنيا.

من كلامه رضي الله عنه: فإن تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة، بها ينجح الطالب وينجو الهارب وتنال الرغائب، فاعملوا العمل يرفع والتوبة تنفع والدعاء يسمع والحال هادية والاقلام جارية، وبادروا بالأعمال عمراناً كسا أو مرضاً حابساً أو موتاً خالساً، فإن الموت هادم لذاتكم ومكدر شهواتكم ومباعد طياتكم زائر غير محبوب وقرن غير مغلوب وواتر غير مطلوب، قد أعلقتكم حبائله وتكنفتكم غوائله وأقصدتكم معايله وعظمت فيكم سطوته وتتابعت عليكم عروته وقلّت عنكم نبوته، فيوشك أن تغشاكم دواجي ظلله واحتدام علله وحنادس غمراته وغواشي سكراته وأليم ازهاقه ودجو أطباقه وجشوية مذاقه، فكان قد أتاكم بغتة فأسكت نجيكم وفرق نديكم وعفى آثاركم وعطل دياركم وبعث ورّاثكم، يقتسمون تراثكم بين حميم خاص لم ينفع وقريب محزون لم يمنع وآخر شامت لم يجزع، فعليكم بالجد والاجتهاد والتأهب والاستعداد والتزوّد في منزل الزاد، ولا تغرنكم الدنيا كما غرت من قبلكم من الأمم الماضية والقرون الخالية الذين احتلبوا درتها وأصابوا غرتها وافنوا عدتها وأخلقوا جدها، أصبحت مساكنهم أجداثاً وأموالهم ميراثاً، لا يعرفون من أتاهم ولا يحفلون من بكاهم ولا يجيبون من دعاهم، فاحذروا الدنيا فإنها غدّارة خدوع معطية منوع ملبة نزوع لا يدوم رخاؤها ولا ينقضي عناؤها ولا يركد بلاؤها.

وقال رضي الله عنه في خطبة له: إلا وأنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن عمل في أيام قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضره أجله، إلا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة.

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عبدالله بن عياش، عن أبيه أن عمر بن عبد العزيز شيّع جنازة، فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابه ناحية عن الجنازة فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليها تأخرت عنها وتركتها؟ فقال: نعم ناداني القبر من خلفي يا عمر بن عبد العزيز ألا تسألني ما صنعت بالأحبة؟ قلت بلى. قال: خرقت الأكفان ومزقت الأبدان ومصصت الدم وأكلت اللحم، ألا تسألني ما صنعت بالأوصال؟ قلت: بلى. قال: نزعت الكفين من الذارعين والذراعين من العضدين والعضدين من الكتفين، والوركين من الفخذين والفخذين من الركبتين، والركبتين من الساقين والساقين من القدمين ثم بكى عمر وقال: ألا إن الدنيا بقاؤها قليل وعزيزها ذليل وغنيها فقير وشابّها يهرم وحيّها يموت، فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها، والمغرور من اغتر بها. أين سكانها الذين بنوا مدائنها وشققوا أنهارها وغرسوا أشجارها أقاموا فيها أياماً يسيرة غرتهم بصحتهم وغروا بنشاطهم فركبوا المعاصي إنهم كانوا والله مغبوطين في الدنيا بالأموال على كثرة المنع عليه، محسودين على جمعه ما صنع التراب بأبدانهم والرمل بأجسادهم والديدان بعظامهم وأوصالهم، كانوا في الدنيا على أسرة ممهّدة وفرش منضدة بين خدم يخدمون وأهل يكرمون وجيران يعضدون، فإذا مررت فنادهم إن كنت منادياً وادعهم إن كنت لا بدّ

داعياً، ومر بعسكرهم وانظر إلى تقارب منازلهم وسل غنيهم ما بقي من غناه، وسل فقيرهم ما بقي من فقره، وسلهم عن الألسنة التي كانوا بها يتكلمون وعن الأعين التي كانوا إلى اللذات بها ينظرون، وسلهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنع بها الديدان، محت الألوان وأكلت اللحمان وعفرت الوجوه، ومحت المحاسن وكسرت الفقار وأبانت الأعضاء ومزقت الأشلاء. أين حجالهم وقبابهم وأين خدمهم وعبيدهم وجمعهم ومكنوزهم، والله ما زودوهم فراشاً ولا وضعوا هناك متكأ ولا غرسوا لهم شجراً ولا أنزلوهم من اللحد قراراً، ليسوا في منازل الخلوات والفلوات. أليس الليل والنهار عليهم سواء. أليس هم في مدلهمة ظلماء قد حيل بينهم وبين العمل وفارقوا الأحبة فكم من ناعم وناعمة أصبحوا ووجوههم بالية وأجسادهم من أعناقهم نائية وأوصالهم متمزقة، قد سالت الحدق على الوجنات وامتلأت الأفواه دماً وصديداً ودبت دواب الأرض في أجسادهم، ثم لم يلبثوا والله إلا يسيراً حتى عادت العظام رميماً، قد فارقوا الحدائق فصاروا بعد السعة إلى المضايق، قد تزوّجت نساؤهم وترددت في الطريق أبناؤهم وتوزعت القرابات ديارهم وتراثهم، فمنهم والله الموسع له في قبره المتنعم بلذته. يا ساكن القبر غداً ما الذي غرّك من الدنيا هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك أين دارك الفيحاء وبهوك المطرد؟ أين ثمرك الحاضر ينعه، وأين رقاق ثيابك وأين طيبك وأين بخورك، أين كسوتك لصيفك وشتائك أما رأيته قد نزل به الأمر فما يدفع عن نفسه دحلاً وهو يرشح عرقاً ويتلمظ عطشاً يتقلب في سكرات الموت وغمراته. جاء الأمر من السماء وجاء غالب القدر والقضاء. جاء أمر الأمير الأجل ما لا يمتنع مثله. هيهات هيهات! يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله، يا مكفن الميت وحامله يا مخليه في القبر وراجع عنه، ليت شعري كيف كنت على جشوبة الثرى، يا ليت شعري بأي خديك بدأ البلى يا مجاور الهلكات صرت في محلة الموتى، ليت شعري ما يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا وما يأتيني به من رسالة ربي ثم تمثل:

تسر بما يفنى وتشغل بالصبا ... كما غر باللذات في النوم حالمُ
نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازمُ
وتعمل فيما سوف تكره غبه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائمُ

قال: ثم انصرف فما بقي بعد ذلك إلا جمعة. وروى عن أبي صالح الشامي قال: قال عمر بن عبد العزيز:

أناميت وعز من لا يموت ... قد تيقنت أنني سأموتُ
ليس ملك يزيله الموت ملكاً ... إنما الملك ملك من لا يموتُ

وروي عن مفضل بن يونس قال: قال عمر بن عبد العزيز: لقد نغص هذا الموت على أهل الدنيا ما هم فيه من غضارة الدنيا وزهرتها، فبيناهم كذلك وعلى ذلك أتاهم حاد من الموت فاخترمهم مما هم فيه بالويل والحسرة هنالك لمن لم يحذر الموت ويذكره في الرخاء، فيقدم لنفسه خيراً يجده بعد ما فارق الدنيا وأهلها. قال: ثم بكى عمر حتى غلبه البكاء فقام.

بيان السبب في طول الأمل وعلاجه:

اعلم أن طول الأمل له سببان؛ أحدهما: الجهل، والآخر: حب الدنيا.

أما حب الدنيا؛ فهو إنه إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها، وكل من كره شيئاً دفعه عن نفسه. والإنسان مشغوف بالأماني الباطلة فيمني نفسه أبداً بما يوافق مراده، وإنما يوافق البقاء في الدنيا، فلا يزال يتوهمه ويقدره مراده في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا، فيصير قلبه

وروي عن جعونة قال: قال عمر بن عبد العزيز: يا أيها الناس إنما أنتم أغراض تنتضل فيها المنايا، إنكم لا تؤتون نعمة إلا بفراق أخرى، وأية أكلة ليست معها غصة وأية جرعة ليست معها شرقة وأن أمس شاهد مقبول قد فجعكم بنفسه وخلف في أيديكم حكمة، وأن اليوم حبيب مودع وهو وشيك الظعن، وأن غدا آت بما فيه وأين يهرب من يتقلب في يد طالبه إنه لا أقوى من طالب ولا أضعف من مطلوب إنما أنتم سفر ستحلون عقد رحالكم في غير هذه الدار إنما أنتم فروع أصول قد مضت فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله.

وروي عن أبي الحسن المدائني قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن عبيد الله بن عتبة يعزيه على ابنه أما بعد: فإنا قوم من أهل الآخرة اسكنا الدنيا أموات أبناء أموات والعجب لميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت والسلام. روى عن عون بن معمر قال: كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد: فكأنك بآخر من كتب عليه الموت. قيل: قد مات: فأجابه عمر أما بعد: فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل. هذا وأمثال ذلك كثير في تراجم السلف، ومن طالع كتاب الحلية ظفر منها بالكثير.

الفصل الثاني

في بيان السبب في طول الأمل وعلاجه:

(اعلم) وفقك الله تعالى (أن طول الأمل له سببان: أحدهما الجهل، والآخر حب الدنيا.

(أما حب الدنيا: فهو أنه إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها، وكل من كره شيئاً دفعه عن نفسه) لا محالة. (والإنسان مشغوف بالأماني الباطلة فيمني نفسه أبداً بما يوافق مراده، وإنما يوافق مراده البقاء في الدنيا، فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب) وملابس وضياع (وسائر

عاكفاً على هذا الفكر موقوفاً عليه، فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدر قربه، فإن خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوّف ووعد نفسه وقال: الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب وإذا كبر فيقول: إلى أن تصير شيخاً. فإذا صار شيخاً قال: إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة، أو ترجع من هذه السفرة، أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له، أو تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر، ولا يخوض في شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخر، وهكذا على التدريج يؤخر يوماً بعد يوم ويفضي به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تخطفه المنية في وقت لا يحتسبه، فتطول عند ذلك حسرته، وأكثر أهل النار وصياحهم من «سوف» يقولون: واحزناه من سوف، والمسوّف المسكين لا يدري أن الذي يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غداً، وإنما يزداد بطول المدة قوّة ورسوخاً، ويظن أنه يتصور أن يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات! فما يفرغ منها إلا من أطرحها.

فما قضى أحد منها لبانته ... وما انتهى أرب إلا إلى أرب

أسباب الدنيا، فيصير قلبه عاكفاً على هذا الفكر موقوفاً عليه) وحبساً لديه، (فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه فإن خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوّف ووعد نفسه وقال: الأيام بين يديك فإلى أن تكبر ثم تتوب وإذا كبر فيقول: إلى أن تصير شيخاً) فتتوب، (فإذا صار شيخاً قال: إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة، أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له) وما يحتاج إليه في معيشته، (أو تفرغ من قهر هذا العدوّ الذي يشمت بك) فتتوب، (فلا يزال يسوّف ويؤخر، ولا يخوض في شغل إلا ويتعلق بإتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخر، وهكذا على التدريج يؤخر يوماً بعد يوم ويقضي به شغل إلى شغل إلى أشغال إلى أن تخطفه المنية في وقت لا يحتسبه) ولم يكن في باله، (فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار صياحهم من «سوف» يقولون: واحزناه من سوف). وقد ورد ذلك في بعض الأخبار بنحوه، وتقدم للمصنف. وقال العراقي هناك: لم أجد له أصلاً. (والمسوّف المسكين لا يدري أن الذي يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غداً، وإنما يزداد بطول المدة قوّة رسوخاً، ويظن أنه يتصوّر أن يكون للخائض في الدنيا والحافظ لها) والمنهمك في تحصيلها (فراغ قط وهيهات! فما يفرغ منها إلا من اطرحها) وراجع نفسه عنها:

(فما قضى أحد منها لبانته ... وما انتهى أرب إلا إلى أرب)

وأصل هذه الأماني كلها حب الدنيا والأنس بها والغفلة عن معنى قوله ﷺ : « أحبب من أحببت فإنك مفارقه ».

وأما الجهل؛ فهو أن الإنسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب، وليس يتفكر المسكين أن مشايخ بلده لو عدّوا لكانوا أقل من عشر رجال البلد، وإنما قلوا لأن الموت في الشباب أكثر فإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب. وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة، ولا يدري أن ذلك غير بعيد وإن كان ذلك بعيداً، فالمرض فجأة غير بعيد، وكل مرض فإنما يقع فجأة، وإذا مرض لم يكن الموت بعيداً. ولو تفكر هذا الغافل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع من ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له، ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه إلى طول الأمل وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب، فهو أبداً يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه، وهو أبداً يظن أنه يشيع الجنائز ولا يقدر أن يشيع جنازته، لأن هذا قد تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره، فأما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصوّر أن يألفه فإنه لم يقع، وإذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه، فهو الأول وهو الآخر. وسبيله أن

(**وأصل هذه الأماني كلها حب الدنيا والأنس بها**) ولذا ورد « حب الدنيا رأس كل خطيئة » وفي مفهومه أن بغضها رأس كل حسنة. (**والغفلة عن معنى قوله ﷺ**) « إن روح القدس نفث في روعي (**أحبب من أحببت فإنك مفارقه**) وعش ما شئت فإنك ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به » قد تقدم غير مرة.

(**وأما الجهل: فهو أن الإنسان قد يعوّل على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب، وليس يتفكر المسكين أن مشايخ بلده لو عدوا لكانوا أقل من عشرة من رجال البلد، وإنما قلوا لأن الموت في الشباب أكثر فإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب، وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة، ولا يدري أن ذلك غير بعيد وإن كان ذلك بعيداً فالمرض فجأة غير بعيد، وكل مرض فإنما يقع فجأة، وإذا مرض لم يكن الموت بعيداً. ولو تفكر هذا الغافل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب ومشيب وكهولة ومن صيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له، ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه**) أي طلباه (**إلى طول الأمل وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب، فهو أبداً يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه، وهو أبداً يظن أنه يشيع الجنائز ولا يقدر أن يشيع جنازته، لأن هذا قد تكرر عليه وألفه وهو مشاهدة موت غيره، فأما موت نفسه فلم يألفه ولا يتصور أن يألفه فإنه لا يقع،**

يقيس نفسه بغيره ويعلم أنه لا بدّ وأن تحمل جنازته ويدفن في قبره، ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري فتسويفه جهل محض.

وإذا عرفت أن سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه:

أما الجهل: فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة.

وأما حب الدنيا: فالعلاج في إخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال الذي أعيا الأولين والآخرين علاجه؛ ولا علاج له إلا الإيمان باليوم الآخر وما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب، ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا، فإن حب الخطير هو الذي يمحو من القلب حب الحقير، فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلها وإن أعطى ملك الأرض من المشرق إلى المغرب، وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدر يسير مكدر منغص، فكيف يفرح بها أو يترسخ في القلب حبها مع الإيمان بالآخرة: «فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا

وإذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه، فهو الأول وهو الآخر وسبيله أن يقيس بغيره ويعلم أنه لا بدّ وأن تحمل جنازته ويدفن في قبره، ولعل اللبن الذي يغطى به لحده قد ضرب وفرغ منه)، والثوب الذي يكفن فيه قد نسج وخرج من عند القصار (وهو لا يدري) فتسويفه جهل محض.

(وإذا عرفت أن سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه.

أما الجهل؛ فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر وبسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة).

(وأما حب الدنيا: فالعلاج في إخراجه من القلب شديد وهو الداء العضال) الصعب (الذي أعيا الأولين والآخرين علاجه) لشدة تعلقه بالقلب؛ (ولا علاج له إلا الإيمان باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب، ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل من قلبه حب الدنيا) إذ الدنيا والآخرة بمنزلة ضرتين إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى، (فإن حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب حب الحقير، فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت إلى الدنيا كلها وإن أعطي ملك الأرض من المشرق إلى المغرب، وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدر يسير ومع ذلك) فإنه (مكدر منغص) متعب، (فكيف يفرح بها أو يترسخ في القلب حبها مع الإيمان بالآخرة) إيماناً يقينياً؟ (فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده) كما ورد ذلك في الخبر

كما أراها الصالحين من عباده. ولا علاج في تقدير الموت في القلب مثل النظر إلى من مات من الأقران والاشكال وأنهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا. أما من كان مستعداً فقد فاز فوزاً عظيماً، وأما من كان مغروراً بطول الأمل فقد خسر خسراناً مبيناً، فلينظر الإنسان كل ساعة في أطرافه وأعضائه، وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لا محالة، وكيف تتفتت عظامها. وليتفكر ان الدود يبدأ بحدقته اليمنى أولاً أو اليسرى فما على بدنه شيء إلا وهو طعمة الدود وما له من نفسه إلا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورد من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الأكبر. فأمثال هذه الأفكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه إلى الاستعداد له.

بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره:

اعلم أن الناس في ذلك يتفاوتون؛ فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك أبداً. قال الله

وتقدم ذكره في كتاب ذم الدنيا. (**ولا علاج في تقدير الموت في القلب**) إلا أن يفرغ قلبه عن كل فكر سواه ويجلس في خلوة ويباشر ذكر الموت عميم قلبه ولا أنفع في ذلك. (**مثل النظر إلى من مات من**) النظر و(**الأقران والأشكال**) والأتراب واحداً واحداً (**وأنهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا**) ويتذكر مرضهم وأملهم وركونهم إلى الدنيا والجاه والمال، ثم يذكر مصارعهم وتحسرهم على فوات العمر وتضييعه، (**أما من كان مستعداً**) لمجيئه (**فقد فاز فوزاً عظيماً، وأما من كان مغروراً بطول الأمل فقد خسر خسراناً مبيناً، ولينظر الإنسان كل ساعة في أطرافه وأعضائه**) نظر عبرة، (**وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لا محالة وكيف تتفتت عظامها**) حتى تصير نخرة (**وليتفكر أن الدود يبدأ بحدقته اليمنى أولاً أو اليسرى**) بعد أن تسيل على خدّه، (**فما على بدنه شيء إلا وهو طعمة الدود وماله من نفسه إلا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى، وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الأكبر، فأمثال هذه الأفكار التي تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه إلى الاستعداد له**). وفيما ذكرناه من خطب أمير المؤمنين، ومن خطب عمر بن عبد العزيز مقنع للمتفكر، والله الموفق.

الفصل الثالث

في بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره:

(اعلم) أرشدك الله تعالى (أن الناس في ذلك متفاوتون، فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي

تعالى: ﴿يودُّ أحدُهُم لو يُعمَّر ألفَ سَنةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] ومنهم من يأمل البقاء إلى الهرم وهو أقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحب الدنيا حباً شديداً قال رسول الله ﷺ: « الشيخ شاب في حب طلب الدنيا، وإن التفت ترقوتاه من الكبر إلا الذين اتقوا وقليل ما هم »، ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر لنفسه وجوداً في عام قابل، ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف. فإذا جمع ما يكفيه لسنته اشتغل بالعبادة، ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتاء، فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف، ومنهم من يرجع أمله إلى يوم، وليلة، فلا يستعد إلا لنهاره وأما للغد فلا.

قال عيسى عليه السلام: لا تهتموا برزق غد، فإن يكن غد من آجالكم فستأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم، وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم. ومنهم من لا

ذلك أبداً. قال الله تعالى: ﴿يودّ أحدهم لو يعمّر ألف سنة﴾ ومنهم من يأمل البقاء إلى الهرم) وهو سن سقوط القـوة (**وهو أقصى العمر الذي شاهده ورآه وهو الذي يحب الدنيا حباً شديداً. قال رسول الله ﷺ: « الشيخ شاب في حب طلب الدنيا وإن التفت ترقوتاه من الكبر إلا الذين اتقوا وقليل ما هم »**) قال العراقي: لم أجده بهذا اللفظ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: « قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة وحب المال » اهـ.

قلت: بل رواه ابن المبارك في الزهد عن أبي الدرداء موقوفاً بلفظ: « نفس ابن آدم شابة ولو التفت ترقوتاه من الكبر إلا من امتحن الله قلبه للتقوى وقليل ما هم ». ورواه الحكيم الترمذي عن مكحول مرسلاً.

وأما حديث أبي هريرة فلفظه عند مسلم وابن ماجه: « قلب الشيخ شاب على حب اثنين حب العيش والمال » وعند ابن عساكر بلفظ: « في اثنتين طول الأمل وحب المال »، وروى الترمذي وقال حسن صحيح بلفظ: « على حب اثنتين طول الحياة وكثر المال » وقال الحاكم: على شرطهما، وأقره الذهبي، ورواه كذلك ابن عدي وابن عساكر من حديث أنس. وأما البخاري فلفظه: « لا يزال قلب الكبير شاباً في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل ».

(**ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقدر لنفسه وجوداً في عام قابل، ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف، وإذا جمع ما يكفيه لسنة اشتغل بالعبادة، ومنهم من يأمل مدة الصيف أو**) مدة (**الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف، ومنهم من يرجع أمله إلى يوم وليلة فلا يستعد إلا لنهاره وأما للغد فلا. قال عيسى عليه السلام: لا تهتموا برزق غدٍ فإن يكن غداً من آجالكم فستأتي فيه أرزاقكم مع آجالكم، وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم**). رواه

يجاوز أمله ساعة كما قال نبينا ﷺ: «يا عبدالله إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح». ومنهم من لا يقدر البقاء أيضاً. كان رسول الله ﷺ يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول: «لعلي لا أبلغه»، ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كأنه واقع به فهو ينتظره، وهذا الإنسان هو الذي يصلي صلاة مودع. وفيه ورد ما نقل عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه لما سأله رسول الله ﷺ عن حقيقة إيمانه فقال: ما خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها أخرى وكما نقل عن الأسود وهو حبشي أنه كان يصلي ليلاً ويلتفت يميناً وشمالاً فقال له قائل: ما هذا؟ قال: انظر ملك الموت من أي جهة يأتيني.

فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم، بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله ﴿فإنَّ اللهَ لا يظلمُ مثقال ذرة﴾ [النساء: ٤٠] ﴿ومن يعمَلْ مثقالَ ذرةٍ خيراً يره﴾ [الزلزلة: ٧]، ثم يظهر أثر قصر

أحد بالزهد عن سفيان نحوه. (ومنهم من لا يجاوز أمله ساعة كما قال نبينا ﷺ: «يا عبدالله) بن عمر (إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح) تقدم قريباً، (ومنهم من لا يقدر البقاء أيضاً ساعة. كان رسول الله ﷺ يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول: «لعليَّ لا أبلغه») رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث ابن عباس وتقدم قريباً. (ومنهم من يكون الموت نصب عينيه) لا يفارقه (كأنه واقع به فهو ينتظره، وهذا الإنسان هو الذي يصلي صلاة مودع) روى الديلمي من حديث أنس: «اذكر الموت في صلاتك فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحري أن تحسن صلاته، وصلّ صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها، وإياك وكل أمر يعتذر منه». وروى ابن ماجه من حديث أبي أيوب: «إذا قمت في صلاتك فصلّ صلاة مودع». وعند القضاعي من حديث ابن عمر: «صلّ صلاة مودع كأنك لا تصلي بعدها». وعند العسكري في الأمثال من حديث سعد بن أبي وقاص: «وصل صلاتك وأنت مودع». (وفيه ورد ما نقل عن معاذ بن جبل رضي الله عنه لما سأله رسول الله ﷺ عن حقيقة إيمانه فقال: ما خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها أخرى) قال العراقي: رواه أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وهو ضعيف، (وكما نقل عن الأسود وهو حبشي) أي أسود اللون (أنه كان يصلي ليلاً ويلتفت يميناً وشمالاً فقال له قائل: ما هذا) الالتفات؟ (قال: انتظر ملك الموت من أي جهة يأتيني).

(فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم، بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله ﴿فإن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ و﴿من يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾ ثم يظهر أثر قصر الأمل في المبادرة إلى العمل، وكل إنسان

الأمل في المبادرة إلى العمل، وكل إنسان يدعي أنه قصير الأمل وهو كاذب، وإنما يظهر ذلك بأعماله فإنه يعتني بأسباب ربما لا يحتاج إليها في سنة، فيدل ذلك على طول أمله. وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة، فليستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت، فإن عاش إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه، ثم يستأنف مثله إلى الصباح، وهكذا إذا أصبح. ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه، فمثل هذا إذا مات سعد وغنم وإن عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة؛ فالموت له سعادة والحياة له مزيد، فليكن الموت على بالك يا مسكين فإن السير حاث بك وأنت غافل عن نفسك، ولعلك قد قاربت المنزلة وقطعت المسافة ولا تكون كذلك إلا بمبادرة العمل اغتناماً لكل نفس أمهلت فيه.

يدعي أنه قصير الأمل وهو كاذب) في دعواه **(وإنما يظهر ذلك بأعماله فإنه يعتني بأسباب ربما لا يحتاج إليها في سنته، فيدل ذلك على طول أمله، وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة، فيستعد للموت الذي يرد عليه في الوقت، فإن عاش إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح فإنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه، ثم يستأنف مثله إلى الصباح، وهكذا إذا أصبح ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه، فمثل هذا إذا مات سعد وغنم وإن عاش سرَّ لحسن الاستعداد ولذة المناجاة، فالموت له سعادة والحياة له مزيد، فليكن الموت على بالك يا مسكين فإن السير حاث بك وأنت غافل عن نفسك، ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة ولا تكون كذلك إلا بمبادرة العمل اغتناماً لكل نفس أمهلت فيه)**.

اعلم أن العارف الكامل المستهتر بذكر الله تعالى مستغن عن ذكر الموت، بل حاله الغنى في التوحيد لا التفات له إلى ماض ولا مستقبل ولا إلى الحال من حيث أنه حال، بل هو ابن وقته، وكذلك يفارقه الخوف والرجاء لأنهما سوطان يسوقان العبد إلى هذه الحال التي ملابسها بالذوق وكيف يذكر الموت وإنما يراد ذكر الموت لقطع علاقة قلبه عما يفارقه بالموت، والعارف قد مات في حق الدنيا وفي حق كل ما يفارقه بالموت، فإنه قد ترفع وتنزه عن الالتفات إلى الآخرة أيضاً فضلاً عن الدنيا بل قد ينغص عليه ما سوى الله تعالى، ولم يبق له من الموت إلا كشف الغطاء ليزداد به وضوحاً ليزداد يقيناً، وهو قول علي رضي الله عنه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً فإن الناظر إلى غيره من وراء ستر لا يزداد برفع الستر يقيناً بل يزداد وضوحاً فقط» فإذاً ذكر الموت يحتاج إليه من لقلبه التفات إلى الدنيا ليعلم أنه سيفارقها فلا يعتكف بهمته عليها، فتأمل ذلك.

بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير:

اعلم أن من له أخوان غائبان وينتظر قدوم أحدهما في غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذي يقدم إلى شهر أو سنة، وإنما يستعد للذي ينتظر قدومه غداً. فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار. فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة، ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى، وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبداً فإنه أبداً يرى لنفسه متسعاً في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال ﷺ: «ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغياً أو فقراً منسياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً أو الدجال، فالدجال شر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر». وقال ابن عباس: قال النبي ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل

الفصل الرابع

في بيان المبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير:

(**اعلم**) بصرك الله تعالى بنور توفيقه (**أن من له أخوان غائبان ينتظر قدوم أحدهما في غـد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذي يقدم عليه إلى شهر وسنة، وإنما يستعد للذي ينتظر قدومه غداً. فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار، فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسى ما وراء المدة، ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبداً فإنه أبداً يرى لنفسه متسعاً في تلك السنة فيؤخر العمل، كما قال ﷺ: «ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطغياً**) أي يكسبه الطغيان عن الحدود (**أو فقراً منسياً**) عن أمور الآخرة (**أو مرضاً مفسداً**) لحاله (**او هرماً مفنداً**) أي مورثاً للفند محركة وهو ضعف الرأي والخطا فيه (**أو موتاً مجهزاً**) أي سريعاً (**أو الدجال، فالدجال شر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر**») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة: «**هل تنتظرون من الدنيا إلا غنى**» الحديث وقال: حسن ورواه ابن المبارك في الزهد، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بلفظ المصنف وفيه من لم يسم اهـ.

قلت: وروى هناد بن السري في الزهد، ومن طريقه صاحب الحلية قال: حدثنا ابن المبارك، عن شعبة، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه عن أبي موسى قال: «ما ننتظر من الدنيا إلا كلا محزناً أو فتنة تنتظر».

(**وقال ابن عباس**) رضي الله عنه، (**قال النبي ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل**

فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»، وقال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ». أي أنه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالها. وقال ﷺ: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل. ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة

خمس) أي فعل خمسة أشياء قبل حصول خمسة أشياء: (**شبابك قبل هرمك**) أي اغتنم الطاعة حال قدرتك قبل هجوم عجز الكبر عليك فتندم على ما فرطت في جنب الله، (**وصحتك قبل سقمك**) أي اغتنم العمل حال الصحة فقد يعرض مانع كمرض فتقدم المعاد بغير زاد، (**وغناك قبل فقرك**) أي اغتنم التصدق بفضول مالك قبل عروض جائحة تفقرك فتصير فقيراً في الدنيا والآخرة (**وفراغك قبل شغلك**) أي اغتنم فراغك في هذه الدار قبل شغلك بأهوال القيامة التي أول منازلها القبر فاغتنم فرصة الإمكان لعلك تسلم من العذاب والهوان، (**وحياتك قبل موتك»**) أي اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك فإن من مات انقطع عمله وفاته أمله وحق ندمه وتوالى همه فافترض منك لك. فهذه الخمسة لا يعرف قدرها إلا بعد زوالها. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بإسناد حسن، ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية عمرو بن ميمون الأودي مرسلاً اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الحاكم في الرقاق، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس، وقال الحاكم على شرطهما، وأقره الذهبي في التلخيص، ورواه أحمد في الزهد والنسائي في المواعظ، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي عن عمرو بن ميمون مرسلاً، ولفظ الجميع «اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك».

(**وقال ﷺ «نعمتان**) من نعم الله تعالى كما في رواية (**مغبون فيهما**) من الغبن بالسكون والتحريك. قال الجوهري في البيع بالسكون وفي الرأى بالتحريك، فيصح كل هنا اذ من لا يستعملها فيما ينبغي فقد غبن ولم يحمد رأيه (**كثير من الناس: الصحة والفراغ»**) من الشواغل الدنيوية المانعة عن أمور الآخرة شبه المكلف بالتاجر والصحة والفراغ برأس المال لكونهما من أسباب الأرباح ومقدمات النجاح، فمن عامل الله بامتثال أوامره ربح، ومن عامل الشيطان باتباعه ضيع رأس ماله، ونبه بكثير على أن الموفق لذلك قليل. رواه البخاري والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس وقد تقدم.

ويروى «نعمتان الناس فيهما متغابنون: الصحة والفراغ». (**أي أنه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالها**) وقال الحسن، يقول ابن آدم: نعمتان عظيمتان المغبون فيهما كثير الصحة والفراغ فمهلاً مهلاً لثواء هنا قليل. أخرجه العسكري في الأمثال وقال: الصحة عند بعضهم الشباب. قال: والعرب تجعل مكان الصحة الشباب.

(**وقال ﷺ «من خاف أدلج**) أي سار من أول الليل. هذا إذا كان بالتخفيف، أو معناه سار من آخره إذا كان بالتشديد، (**ومن أدلج بلغ المنزل**) والمراد التشمير في الطاعة، والمعنى من

الله الجنة »، وقال رسول الله ﷺ: « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة وجاء الموت بما فيه »، وكان رسول الله ﷺ إذا آنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع: « أتتكم المنية راتبة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة ». وقال أبو هريرة: قال رسول الله

خاف ألزمه خوفه السلوك إلى الآخرة والمبادرة للعمل الصالح خوف القواطع والعوائق. (**ألا إن سلعة الله غالية**) أي رفيعة القدر (**ألا إن سلعة الله الجنة »**) قال الطيبي: هذا مثل ضربه لسالك الآخرة فإن الشيطان على طريقه والنفس وأمانيه الكاذبة أعوانه، فإن تيقظ في سيره وأخلص في عمله أمن من الشيطان وكيده ومن قطع الطريق اهـ.

وقال العلاء: أخبر أن الخوف من الله هو المقتضي للسير إليه بالعمل الصالح المشار إليه بالإدلاج، وعبر ببلوغ المنزل عن النجاة المترتبة على العمل الصالح وأصل ذلك كله الخوف. قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن.

قلت: وكذلك رواه الرامهرمزي في الأمثال والحاكم والبيهقي، وقال الحاكم صحيح، وأقره الذهبي. ورواه الحاكم أيضاً، وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي بن كعب، وقال الصدر المناوي في تخريج المصابيح في مسند الترمذي والحاكم: يزيد بن سنان ضعفه أحمد وابن المديني اهـ.

وقال ابن طاهر: يزيد متروك والحديث لا يصح مسنداً وإنما هو من كلام أبي ذر.

(**وقال ﷺ « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة وجاء الموت بما فيه »**) قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه من حديث أبي بن كعب اهـ.

قلت ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال: « أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه ». وكذلك رواه أحمد وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب، وفي رواية تكرار ذلك مرتين في كل كلمة.

ورواه الطبراني من طريق أبي نعيم في الحلية فقال: حدثنا حفص بن عمر، حدثنا قبيصة بن عقبة، حدثنا سفيان الثوري، عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي كعب عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل فساقه. وزاد يقولها ثلاثاً، والمراد بالراجفة النفخة الأولى، والرادفة النفخة الثانية. رواه عبد بن حميد عن أبي صالح وعن الحسن.

(**وكان رسول الله ﷺ إذا أنس من الناس غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع « أتتكم المنية راتبة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث زيد السليمي مرسلاً اهـ.

قلت وكذلك رواه البيهقي في الشعب، وروى البيهقي أيضاً عن الوضين بن عطاء قال: كان رسول الله ﷺ إذا أحس من الناس بغفلة من الموت جاء فأخذ بعضادتي الباب ثم هتف ثلاثاً « يا أيها الناس يا أهل الإسلام أتتكم المنية راتبة لازمة جاء الموت بما جاء به بالروح والراحة والكرة المباركة لأولياء

ﷺ : « أنا النذير ، والموت المغير ، والساعة الموعد » ، وقال ابن عمر : خرج رسول الله ﷺ والشمس على أطراف السعف فقال : « ما بقي من الدنيا إلا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه » ، وقال ﷺ : « مثل الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي متعلقاً بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع » وقال جابر : « كان رسول الله ﷺ

الرحمٰن من أهل الخلود الذين كان سعيهم ورغبتهم فيها لها ، ألا إن لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت سابق ومسبوق » .

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه ، **(قال رسول الله ﷺ « أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد »)** . قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بإسناد فيه لين اهـ .

قلت : وكذلك رواه أبو يعلى في مسنده ، وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين : حدثنا عبيدالله بن محمد ، حدثنا يحيى بن بكير وسويد بن سعيد قالا : حدثنا ضمام بن إسماعيل ، عن موسى ابن وردان ، عن أبي هريرة قال : لما نزلت ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء : ٢١٤] قال نبي الله ﷺ « يا صفية بنت عبد المطلب ، يا فاطمة بنت محمد أنا النذير وإلى الموت المصير والساعة الموعد » .

(وقال ابن عمر) رضي الله عنه : **(خرج رسول الله ﷺ والشمس على أطراف السعف فقال : « ما بقي من الدنيا إلا كما بقي من يومنا فيما مضى منه »)** قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بإسناد حسن ، والترمذي نحوه من حديث أبي سعيد وحسنه اهـ .

قلت : ورواه الحاكم من حديث ابن عمر بلفظ « يا أيها الناس لم يبق من دنياكم هذه إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه » .

وأما حديث أبي سعيد ، فقد رواه أحمد بلفظ : صلى بنا رسول الله ﷺ العصر نهاراً ثم قام فخطبنا لم يترك شيئاً قبل قيام الساعة إلا أخبر به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، وجعل الناس يلتفتون إلى الشمس هل بقي منها شيء فقال : « ألا أنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه » . وروى الخطيب من حديث عبدالله بن عمر « وما بقي لأمتي من الدنيا إلا كمقدار الشمس إذا صليت العصر » .

(وقال ﷺ : « مثل الدنيا كثوب شق أوله إلى آخره فبقي متعلقاً بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع ») قال العراقي : رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث أنس ولا يصح اهـ .

قلت : ورواه أيضاً البيهقي في الشعب ، وفي مسنده يحيى بن سعيد العطار ضعفه ابن عدي ، ورواه أيضاً أبو نعيم في الحلية من حديث أبان عن أنس بلفظ « مثل هذه الدنيا من الآخرة مثل ثوب » والباقي سواء وقال : غريب لم نكتبه إلا من حديث إبراهيم بن أبي الأشعث ، وأبان بن أبي عياش لم تثبت صحبته لأنس كان لهجاً بالعبادة ، والحديث ليس من شأنه .

إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول: صبحتكم ومستكم. بعثت أنا والساعة كهاتين ـ وقرن بين أصبعيه ـ »، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَمَن يرِدِ اللهُ أن يهدِيَهُ يشْرَح صدرَهُ للإسلاَمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فقال: «إن النور إذا دخل الصدر انفسخ» فقيل: يا رسول الله هل لذلك من علامة تعرف؟ قال: «نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله» وقال السدي: ﴿الذي خَلَقَ المَوْتَ والحياة ليبلوَكُمْ

(**وقال جابر**) رضي الله عنه: (**كان رسول الله ﷺ إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول: «صبحتكم ومستكم بعثت أنا والساعة كهاتين» ـ وقرن بين أصبعيه ـ**) شبه حاله في خطبته وانذاره بقرب القيامة وتهالك الناس فيما يرديهم بحال من ينذر قومه عند غفلتهم بجيش قريب منهم يقصد الإحاطة بغتة بحيث لا يفوته منهم أحد، فكما أن المنذر يرفع صوته وتحمر عيناه ويشتد غضبه على تغافلهم، فكذا حال رسول الله ﷺ عند الإنذار. قال العراقي: رواه مسلم وابن أبي الدنيا في قصر الأمل واللفظ له اهـ.

قلت: ظاهره يقتضي أن صحابي الحديث هو جابر الأنصاري كما هو المتبادر عند الإطلاق وليس كذلك، بل هو جابر بن سمرة كما صرح به مسلم في روايته. وقوله واللفظ له يشعر أن هذا السياق ليس عند أحد من الستة وإلا لما اقتصر على ابن أبي الدنيا، وقد رواه بهذا اللفظ ابن ماجه وابن حبان والحاكم مع زيادة بلفظ: كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: «صبحكم ومساكم» ويقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين» ويفرق بين أصابعه السبابة والوسطى، ثم يقول: «أما بعد: فإن خير الأمور كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» ولفظ مسلم في الجمعة بعد قوله: «صبحكم ومساكم» ويقول: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله» الخ.

وأما لفظ «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بالوسطى والسبابة فإنه روي هكذا من طرق، فرواه أحمد وعبد بن حميد والشيخان والترمذي والدارمي وابن حبان من حديث أنس، ورواه أحمد وهناد والطبراني والضياء من حديث جابر بن سمرة. ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث بريدة. رواه أحمد والشيخان وابن حبان من حديث سهل بن سعد. ورواه البخاري وهناد من حديث أبي هريرة. ورواه الطبراني من حديث المستورد. ورواه ابن ماجه وابن سعد من حديث جابر بن عبدالله.

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**تلا رسول الله ﷺ**) قوله تعالى: (**﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إن النور إذا دخل الصدر انفسح» فقيل: يا رسول الله هل لذلك علامة تعرف؟ قال «نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله»**) رواه ابن أبي شيبة، وابن أبي

أيكُم أحسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك : ٢] أي أيكم أكثر للموت ذكراً ، وأحسن له استعداداً وأشد منه خوفاً وحذراً . وقال حذيفة : ما من صباح ولا مساء إلا ومناد ينادي : أيها الناس الرحيل الرحيل . وتصديق ذلك قوله تعالى : ﴿إنَّهَا لإحدى الكُبَرِ ★ نذيراً للبشر ★ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ [المدثر : ٣٥ ـ ٣٧] في الموت . وقال سحيم ـ مولى بني تميم ـ جلست إلى عامر بن عبدالله وهو يصلي فأوجز في صلاته ثم أقبل علي فقال : أرحني بحاجتك فإني أبادر ، قلت : وما تبادر ؟ قال : ملك الموت رحمك الله ، قال : فقمت عنه وقام إلى صلاته . ومر داود الطائي فسأله رجل عن حديث فقال : دعني ! إنما

الدنيا ، وابن جرير ، وأبو الشيخ ، والحاكم ، وابن مردويه ، والبيهقي في الشعب من طرق عديدة وقد تقدم . وقد روي نحوه من مرسل أبي جعفر المدائني عند ابن المبارك في الزهد ، ومن مرسل الحسن عند ابن أبي الدنيا في كتاب الموت .

(وقال السدي) هو محمد بن مروان بن عبدالله بن إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي ، مولى عبد الرحمن بن زيد الخطاب وهذا هو المفسر ويعرف بالصغير ، روى عن يحيى بن عبدالله والكلبي ، وعنه هشام بن عبدالله ومحمد بن عبيد المحاربي قال أبو حاتم : هو ذاهب الحديث متروك الحديث لا يكتب حديثه البتة . وأما السدي الكبير فهو أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن كان يبيع الخمر بسدة الجامع بالكوفة ، والسدة هي الباب ، حجازي الأصل ، روى عن أنس ، وعنه شعبة والثوري . قال ابن أبي حاتم : كان أعلم بالقرآن من الشعبي ، مات في إمارة ابن هبيرة على العراق : (﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**﴾) قال : (**أي أيكم أكثر للموت ذكراً وأحسن له استعداداً وأشد منه خوفاً وحذراً**) . رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ، والبيهقي في الشعب .

(**وقال حذيفة**) رضي الله عنه : (**ما من صباح ولا مساء إلا ومناد ينادي : أيها الناس الرحيل الرحيل وأن تصديق ذلك**) في (**قوله تعالى : ﴿إنها لاحدى الكبر ★ نذيراً للبشر ★ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ قال : في الموت**) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل هكذا . وقال : ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم﴾ قال : الموت ﴿أو يتأخر﴾ قال : الموت ، والضمير راجع للنار أي أن البلايا الكبرى كثيرة والنار واحدة منها .

(**وقال سحيم**) المدني (**مولى بني تميم**) ، وقيل هو مولى بني زهرة روى له النسائي : (**جلست إلى عامر بن عبدالله**) بن الزبير مدني عابد ثقة ، روى عن أبيه وعن عدة من الصحابة وعن جماعة من التابعين ، (**وهو يصلي فأوجز في صلاته ، ثم أقبل علي فقال : أرحني بحاجتك فإني أبادر . قلت : وما تبادر ؟ قال : ملك الموت رحمك الله . قال : فقمت عنه وقام إلى صلاته**) رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل .

أبادر خروج نفسي. قال عمر رضي الله عنه: «التؤدة في كل شيء خير إلا في أعمال الخير للآخرة. وقال المنذر: سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه، ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر؛ ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر! حتى كرر ذلك ستين مرة اسمعه ولا يراني. وكان الحسن يقول في موعظته: المبادرة المبادرة فإنما هي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله عز وجل، رحم الله امرءاً، نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه! ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤] يعني الأنفاس، آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك

(ومر) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى، (فسأله رجل عن حديث فقال: دعني إنما أبادر خروج نفسي) رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبد الرحمٰن بن العباس، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا عبدالله بن سلمة بن سعيد قال: لقي داود الطائي رجل فسأله عن حديث فقال: دعني فإني أبادر خروج نفسي.

(وقال عمر رضي الله عنه: التؤدة في كل شيء خير إلا في أعمال الآخرة)، وهذا قد روي مرفوعاً من حديث سعد بن أبي وقاص بلفظ «إلا في عمل الآخرة». رواه الحاكم والبيهقي من رواية مصعب بن سعد عن أبيه، وروى ابن سعد من طريق سليمان بن أبي حثمة عن أمه الشفاء بنت عبدالله قالت: كان عمر إذا مشى أسرع، وهذا محمود لمن يخشى من البطء في السير تفويت أمر ديني ونحوه، وعليه يحمل ما تقدم من قوله: وهذا كما في شرب السويق وتقديمه على الفتيت فلا يعارض ما ورد: سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن.

(وقال المنذر) بن ثعلبة العبدي القطعي، ويقال الطائي أبو النضر البصري ثقة، روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه: (سمعت مالك بن دينار) البصري العابد الثقة (يقول لنفسه: ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر، ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر، حتى كرر ذلك ستين مرة أسمعه ولا يراني). رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل.

(وكان الحسن) البصري رحمه الله تعالى (يقول في موعظته: المبادرة المبادرة فإنما هي الأنفاس لو حبست عنكم انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله عز وجل، رحم الله امرءاً نظر لنفسه وبكى على ذنوبه! ثم قرأ هذه الآية ﴿إنما نعد لهم عداً﴾ يعني الأنفاس) أي نعد لهم الأنفاس عداً (آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك). رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل. ورواه صاحب كتاب المتفجعين من طريق عبد الواحد بن زيد قال: سمعت الحسن يقول: يا ابن آدم لقد أعذر الله إليك أن عمرك أربعين سنة تركض وترتع، فبادر المهلة قبل حلول الأجل ونزول الموت، وكأنك بك قد لحقت بمن مضى من إخوانك فندمت على ما فرطت فيه أيام حياتك ثم يبكي ويقول: المبادرة رحمكم الله المبادرة فإنما هي الأنفاس فساقه.

في قبرك ـ واجتهد أبو موسى الأشعري قبل موته اجتهاداً شديداً ، فقيل له : لو أمسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق؟ فقال: إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها والذي بقي من أجلي أقل من ذلك! قال: فلم يزل على ذلك حتى مات. وكان يقول لامرأته : شدّي رحلك فليس على جهنم معبر . وقال بعض الخلفاء على منبره: عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا ، واستعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جدبكم ، وإنّ غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة ، وإنّ غائباً يجدّ به الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الأوبة ، وإن قاد ما يحل بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة ، فالتقي عند ربه من ناصح نفسه وقدّم توبته وغلب شهوته فإنّ أجله مستور عنه وأمله خادع له ، والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوّفها ويزيّن إليه المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها ، وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن

(**واجتهد أبو موسى الأشعري**) رضي الله عنه (**قبل موته اجتهاداً شديداً فقيل له: لو أمسكت أو رفقت بنفسك بعض الرفق؟ فقال: إن الخيل إذا أرسلت**) إلى السباق (**فقاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها**) أي من القوة، (**والذي بقي من أجلي أقل من ذلك. قال**) الراوي: (**فلم يزل على ذلك حتى مات**) . قال: (**وكان يقول لامرأته: شدي رحلك فليس على جهنم معبر**) . رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل.

(**وقال بعض الخلفاء على منبره**) هو أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كما ذكره الشريف الموسوي في نهج البلاغة وهذا لفظه مع بعض اختلاف في السياق كما ننبه عليه: (**عباد الله اتقوا ما استطعتم وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا ، واعلموا أن الدنيا ليست بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد أظلكم وترحلوا فقد جدبكم**) . وسياق النهج: واتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم، وابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم، وترحلوا فقد جدبكم، واستعدوا للموت فقد أظلكم، وكونوا قوماً صيح بهم فانتبهوا ، واعلموا أن الدنيا ليست لكم بدار فاستبدلوا فإن الله لم يخلقكم عبثاً ولم يترككم سدى، وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به، (**وأن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة وأن غائباً يحذوه**) وفي نسخة يحدوه (**الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الأوبة وإن قادماً يحل**) وفي نسخة يقدم (**بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة، فاتقى عبد ربه وناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته**) ولفظ النهج بحذف الواوات، (**فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكل به، يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له المعصية ليرتكبها**) ولفظ النهج بتقديم الجملة الثانية على الأولى، وفيه: ليركبها (**حتى تهجم منيته عليه أغفل ما يكون عنها ، وأنه ما**

ينزل به فيا لها حسرة على ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة وأن ترديه أيامه إلى شقوة، جعلنا الله وإياكم ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ولا يحل به بعد الموت حسرة إنه سميع الدعاء وإنه بيده الخير دائماً فعال لما يشاء.

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ قال بالشهوات واللذات ﴿وتَرَبَّصْتُمْ﴾ قال بالتوبة ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ قال: شككتم ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ﴾ قال: الموت ﴿وَغَرَّكُمْ بالله الغرور﴾ [الحديد: ١٤] قال: الشيطان، وقال الحسن: تصبروا وتشددوا فإنما هي أيام قلائل وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعي الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم. وقال ابن مسعود: ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة. وقال أبو عبيدة الناجي: دخلنا

بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به) هذه الجملة في سياق النهج مقدمة كما أشرنا إليها، (فيالها حسرة على) كل (ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة وأن ترد به أيامه إلى شقوة. جعلنا الله وإياكم) ولفظ النهج: نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم (ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية) ولفظ النهج عن طاعة ربه غاية، (ولا تحل به بعد الموت حسرة) ولفظ النهج ندامة ولا كآبة (إنه سميع الدعاء وأنه بيده الخير دائماً فعال لما يشاء).

(وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فتنتم أنفسكم﴾ قال): أي (بالشهوات واللذات) فإن النفوس تفتن بها بمقتضى ميلها إليها (﴿وتربصتم﴾ قال): أي (بالتوبة) أي سوفتم بها (﴿وارتبتم﴾ قال: أي شككتم) أي داخلكم الارتياب والشك (﴿وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله قال﴾) أي (الموت) أي فاجأكم. (﴿وغركم بالله الغرور﴾) وهو كل ما يغرك من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد فسر بالشيطان وبالدنيا لأنها تغر وتمر، وأما الشيطان فإنه أقوى الغارين وأخبثهم.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: (تصبروا وتشددوا فإنما هي أيام قلائل، وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى الرجل منكم فيجيب) الداعي (ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم) رواه أبو نعيم في الحلية.

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: (ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة) إلى أهلها رواه الطبراني، وأبو نعيم من طريق الضحاك ابن مزاحم عنه وقد تقدم.

(وقال أبو عبيدة) بكر بن الأسود، ويقال ابن أبي الأسود (الناجي) الزاهد من بني ناجية ابن سامة بن لؤي، روى عن الحسن وابن سيرين. قال الذهبي: متروك ومشاه بعضهم: (دخلنا على

على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحباً بكم وأهلاً حياكم الله بالسلام وأحلنا وإياكم دار المقام، هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدقتم واتقيتم، فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الأذن وتخرجوه من هذه الأذن، فإن من رأى محمداً ﷺ فقد رآه غادياً ورائحاً لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر إليه ألوحا ألوحا النجا النجا علام تعرجون أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معاً، رحم الله عبداً جعل العيش عيشاً واحداً فأكل كسرة ولبس خلقاً ولزق بالأرض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك. وقال عاصم الأحول: قال لي فضيل الرقاشي ـ وأنا سائله ـ يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم ولا تقل اذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار في لا شيء، فإن الأمر محفوظ عليك ولم ترَ شيئاً قط أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم.

الحسن) البصري **(في مرضه الذي مات فيه فقال: مرحباً بكم وأهلاً، حياكم الله بالسلام وأحلنا وإياكم دار المقام، هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدقتم واتقيتم)** وفي نسخة أيقنتم، **(فلا يكن حظكم من هذا الخبر. رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الأذن وتخرجوه من هذه الأذن فإنه من رأى محمداً ﷺ فقد رآه غادياً ورائحاً لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة، ولكن رفع له علم فشمر إليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون)** أي تقفون! **(أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معاً، رحم الله عبداً جعل العيش عيشاً واحداً فأكل كسرة وليس خلقاً ولزق بالأرض، واجتهد في العبادة، وبكى على الخطيئة، وهرب من العقوبة، وابتغى الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك)**. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل، وابن حبان في الألقاب، وأبو نعيم في الحلية من هذا الوجه.

(وقال) أبو عبد الرحمٰن **(عاصم)** بن سليمان **(الأحول)** البصري ثقة مات بعد الأربعين من المائة روى له الجماعة، **(قال لي فضيل)** بن مرزوق الأغر **(الرقاشي)** الكوفي أبو عبد الرحمٰن صدوق مات في حدود سنة ستين روى له مسلم والأربعة **(وأنا سائله: يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم، ولا تقول اذهب ههنا وههنا فينقطع عنك النهار في لا شيء فإن الأمر محفوظ عليك، ولم تر شيئاً قط أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم)**. ورواه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا صالح بن زياد، حدثنا سعيد بن عامر، عن جسر قال: كان الحسن يقول: أيها المرء إنك لا تدري لعلك أن تكون الشخص المختطف، إنك لا تدري بأي ميتة تموت، إنك لا تدري لعلك أن يحبس طعامك أو شرابك في بطنك فيخرج به نفسك، داو

نفسك واحذر مصرعك بكرب الموت وشدته، إنك لا تدري بما يأتيك به الموت بخير أو بشر ليكن الموت منك على بال، أدب نفسك بتواتر نعم الله عليك وأنت غير مستحق لها، ثم يقبل على أصحابه فيقول: الموت أول رواد عليك من الآخرة بخير يستر أو بشر يسوء ثم يبكي.

قال: وحدثنا صالح بن زياد وعبدالله بن الهيثم قال: حدثنا السهمي قال: حدثنا أبو عبيدة الناجي عن الحسن قال: يا ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك إنك لم تزل في هدم عمرك منذ خرجت من بطن أمك، إنما أنت عدد فإذا ذهب يوم فقد ذهب بعضك، يوكل بك ملكان كريمان يكتبان عليك ما تجني على نفسك، فإذا مت طويت صحيفتك ثم قلدتها في عنقك، ثم تلا ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ★ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] لقد عدل عليك ثم جعلك حسيب نفسك، وبهذا السند عن الحسن قال: يا ابن آدم لا يلهيك أهلك الذين أنت ضيف فيهم عن أهل لا تزايلهم، ولا تلهك مساكن إنما تمر بها عن مساكن أنت خالد فيها، يا ابن آدم لو رأيت رجلاً نزل منزلاً في سفر لا يقيم فيه تجمع فيه المقام، ألم تكن في الناس ضحكة؟ يا ابن آدم لكل أمر عدة وعتاد وعُدة الآخرة وعتادها ثلاث: صقل القلب وصحة البدن والسعة في الدنيا، فإذا فعل الله بك ذاك فقد أعذر إليك ولا معذرة لك إن لم تحس، يا ابن آدم إنما تدخل القبر وحدك ليس عليك من الناس شيء ولا عليهم منك شيء ما أقل جدالهم عنك في ذلك الموطن فقد نفر والله يا أحمق منك أقرباؤك وأحباؤك كل امرىء منهم يقول: نفسي نفسي يا مسكين إنما يكرمك اليوم منهم من أكرمك لهذه الروح التي في جسدك، فلو قد انتزع منك نبذوك عنهم، وإن تركت بينهم فروا من البيت الذي أنت فيه.

قال: وحدثنا عبدالله بن الهيثم عن سعيد بن عامر عن عبدالله بن المبارك قال: قال عبد الرحمن ابن يزيد بن معاوية لأخ له: يا أخي أترضى حالك هذه للموت؟ قال: لا. قال: فهل أنت مجمع على الانتقال إلى حال ترضاها للموت؟ قال: ما دعتني نفسي إلى ذلك بعد. قال: فهل بعد الموت دار فيها معتمل؟ قال: لا. قال: فهل تأمن الموت أن يأتيك على حالك هذه؟ قال: لا. قال: ما رأيت مثل هذه الحال رضي بها عاقل.

قال: وحدثنا عبدالله بن الهيثم، حدثنا العتبي عن أبيه قال: عاد الحسن عليلاً فوجده قد أفرق فقال: يا أيها الرجل إن الله قد ذكرك فاذكره وقد أقالك فاشكره، ثم قال: ضربة سوط من ملك كريم فأما فرس جواد وأما حمار عثور، وبهذا السند قال الحسن: ضرب الله ابن آدم بالأمراض وضربه بالحاجة وبالعجز وجعل مصيره إلى الموت، وأنه مع ذلك لو تاب. وبهذا السند قال: كتب الحسن إلى فرقد أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله والعمل بما علمك الله والاستعداد لما لا حيلة لأحد في دفعه ولا ينفع الندم عند نزوله، فاحسر عن رأسك قناع الغافلين وانتبه من رقدة الموتى وتشمر للسبق، فإن الدنيا ميدان مسابقة وأن لي ولك من الله مقاماً ليسألني فيه، وإياك عن الحقير الدقيق والجليل الجافي ولا آمن أن يكون فيما يسألني وإياك فيه عن وساوس الصدور ولحظ العيون وإصغاء الأسماع وما أعجز عن وصفه.

الباب الثالث
في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عنده

اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها، لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقاً بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده، لا سيا وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء: كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك. وقال لقمان لابنه: يا بني أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك. والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه، وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل، فما لهذا سبب إلاّ الجهل والغرور. واعلم أن شدّة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها، ومن لم يذقها فإنما يعرفها إما بالقياس إلى الآلام التي أدركها وإما بالاستدلال بأحوال الناس في النزع على شدة ما

الباب الثالث

في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الأحوال عنده:

(اعلم) وفقك الله تعالى (**أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول**) ولا شدة (**ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها، لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيق بأن تطول فيه فكرته ويعظم له استعداده، لا سيا وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء: كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك. وقال لقمان لابنه. يا بني أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك**) . أي يأتيك فجأة. (**والعجب أن الإنسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندي** مثلاً **فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه، وهو في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل، فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور**) بالأماني الباطلة. (**واعلم أن شدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها ومن لم يذقها، فإنما يعرفها إما بالقياس إلى الآلام التي أدركها وإما بالاستدلال بأحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه.**

هَم فيه. فأما القياس الذي يشهد له؛ فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم، فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح، فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح فبقدر ما يسري إلى الروح يتألم، والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء، فلا يصيب الروح إلا بعض الألم، فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده!

والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه، حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فلو أصابته شوكة فالألم الذي يجده إنما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي أصابته الشوكة، وإنما يعظم أثر الاحتراق لأن أجزاء النار تغوص في سائر أجزاء البدن، فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهراً وباطناً إلا وتصيبه النار فتحسه الأجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء اللحم.

وأما الجراحة؛ فإنما تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط، فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار، فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل

فأما القياس الذي يشهد له؛ فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم) وقد تقدم الكلام على ذلك في تشريح الإنسان، (فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح، فبقدر ما يسري إلى الروح يتألم والمؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الأثر، فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده.

والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حلّ به الألم، فلو أصابته شوكة فالألم الذي يجده إنما يجري في جزء من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي أصابته الشوكة) فإن قيل: فما بال أثر الاحتراق بالنار يعم سائر البدن؟ فالجواب ما أشار إليه المصنف بقوله: (وإنما يعظم أثر الاحتراق لأن أجزاء النار تغوص في سائر أجزاء البدن، فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهراً وباطناً إلا وتصيبه النار فتحسه الأجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء اللحم.

وأما الجراحة؛ فإنما تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط، فكان لذلك ألم الجرح دون النار فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه، فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل ومن

من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم، فلا تسأل عن كربه وألمه، حتى قالوا: إن الموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح؟ وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه، وبلغ كل موضع منه فهد كل قوّة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوّة الاستغاثة.

أما العقل؛ فقد غشيه وشوشه، وأما اللسان فقد أبكمه، وأما الأطراف فقد ضعفها. ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك، فإن بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خواراً وغرغرة من حلقه وصدره، وقد تغير لونه وأربد حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته، وقد جذب منه كل عرق على حياله، فالألم منتشر في داخله وخارجه، حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالي أجفانه، وتتقلص الشفتان، ويتقلص اللسان إلى أصله، وترتفع الأنثيان إلى أعالي موضعها، وتخضر أنامله. فلا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه! ولو كان المجذوب عرقاً واحداً لكان ألمه عظيماً فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم؟ لا من عرق

أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم، فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا: إن الموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض) كما ورد كل ذلك في الأخبار على ما سيأتي ذكرها (لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح، فكيف إذا كان المتناول المباشر نفس الروح؟ وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه، وإنما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه، وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة.

(أما العقل: فقد غشيه وشوّشه، وأما اللسان فقد أبكمه) وأخرسه، (وأما الأطراف فقد ضعفها) وهدّ قوّتها، (يودّ لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك، فإن بقيت فيه قوّة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خواراً وغرغرة من حلقه وصدره) كخوار الثور العقير، (وقد تغيّر لونه واربد حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته، وقد جذب منه كل عرق على حياله، فالألم منتشر في داخله وخارجه، حتى ترتفع الحدقتان إلى أعلى أجفانه، وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان إلى أصله، وترتفع الانثيان إلى أعالي موضعها، وتخضر أنامله فلا تسال عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه! ولو كان المجذوب عرقاً واحداً لكان ألمه عظيماً، فكيف والمجذوب

واحد بل من جميع العروق. ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجاً فتبرد أولاً قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه، ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة. قال رسول الله ﷺ: «تقبل توبة العبد ما لم يغرغر» وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ولَيْسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إذا حَضَرَ أحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إنِّي تُبتُ الآنَ﴾ [النساء: ١٨] قال: إذا عاين الرسل، فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته! ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم هوّن على محمد سكرات الموت» والناس إنما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فإن الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوّة

نفس الروح المتألم؟ لا من عرق واحد بل من جميع العروق. ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجاً فتبرد أولاً قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه) حتى ينحشر الروح في الصدر، **(ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم)** وإليه يشير قوله تعالى: ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾ [القيامة: ٢٦] وقوله تعالى: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم ★ وأنتم حينئذ تنظرون﴾ [الواقعة: ٨٣، ٨٤] **(فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها)** وروى ابن ماجه عن أبي موسى قال: سألت رسول الله ﷺ متى تنقطع معرفة العبد من الناس؟ قال: «إذا عاين **(ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة». قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»)**. قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن زنجويه وأحمد وابن حبان والحاكم والبيهقي كلهم من حديث ابن عمر، ورواه أيضاً ابن جرير من حديث عبادة بن الصامت، ومن حديث أبي أيوب بشير بن كعب، ورواه ابن زنجويه وابن جرير عن الحسن بلاغاً، ورواه أحمد من حديث رجل من الصحابة بلفظ ما لم يغرغر بنفسه.

(وقال مجاهد) رحمه الله تعالى **(في قوله تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾ قال: إذا عاين الرسل)** الموكلة بقبض الروح، **(فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت، فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته!)** قال ابن عمر: وهل الحضور إلا السوق كما رواه ابن جرير، **(ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم هوّن على محمد سكرات الموت»)** روي ذلك من حديث عائشة بنحوه كما سيأتي. **(والناس إنما يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به، فإن الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوة والولاية، ولذلك عظم خوف الأنبياء عليهم**

والولاية، ولذلك عظم خوف الأنبياء عليهم السلام والأولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى أن يهوّن علي هذه السكرة ـ يعني الموت ـ فقد خفت الموت مخافة أوقفني خوفي من الموت على الموت. وروي أن نفراً من بني إسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض: لو دعوتم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتاً تسألونه؟ فدعوا الله تعالى فإذا هم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال: يا قوم ما أردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت من قلبي. وقالت عائشة رضي الله عنها: لا أغبط أحداً يهون عليه

السلام والأولياء من الموت، حتى قال عيسى عليه السلام: يا معشر الحواريين ادعوا الله تعالى أن يهوّن علي هذه السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة أوقفني خوفي من الموت على الموت) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

وقال القرطبي: لتشديد الموت على الأنبياء عليهم السلام فائدتان: احداهما: تكميل فضائلهم ورفع درجاتهم وليس ذلك نقصاً ولا عذاباً، بل هو كما جاء: «إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل». والثانية: أن تعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن، وقد يطلع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقاً. بل يرى سهولة خروج روحه فيظن سهولة أمر الموت ولا يعرف ما الميت فيه، فلما ذكر الأنبياء الصادقون في خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم على الله تعالى قطع الخلق بشدة الموت الذي يقاسيه الميت مطلقاً لأخبار الصادقين عنه ما خلا الشهيد قتيل الكفار على ما ثبت في الحديث اهـ.

(وروي أن نفراً من بني إسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض: لو دعوتم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتاً تسألونه) فيخبركم عن أحوال البرزخ؟ **(فدعوا الله تعالى فإذا هم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال: يا قوم ما أردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت من قلبي)**. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث جابر بهذا اللفظ، ورواه ابن أبي شيبة في مسنده، وأحمد في الزهد، وعبد بن حميد، وأبو يعلى، وابن منيع، والضياء عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «تحدثوا عن بني إسرائيل فإنه كان فيهم أعاجيب» ثم أنشأ يحدثنا قال: «خرجت طائفة منهم فأتوا مقبرة من مقابرهم، فقالوا: لو صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت، ففعلوا فبينما هم كذلك إذ طلع رجل أسود اللون بين عينيه اثر السجود فقال: يا هؤلاء ما أردتم مني لقد مت منذ مائة سنة فما سكنت عني حرارة الموت حتى الآن، فادعوا الله أن يعيدني كما كنت». ويقرب من ذلك ما رواه أحمد في الزهد عن عمر بن حبيب أن رجلين من بني إسرائيل عبدا الله حتى سئما من العبادة فقالا: لو خرجنا إلى القبور فجاورناها لعلنا أن نرجع فجاورا القبور فعبدا الله فنشر لهما ميت لهما: لقد مت منذ ثمانين سنة وإني لأجد ألم الموت بعد.

الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ ، وروي أنه عليه السلام كان يقـول: « اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل. اللهم فأعني على الموت وهونه علي » . وعن الحسن: أن رسول الله ﷺ ذكر الموت وغصته وألمه فقال: هو قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف » ، وسئل ﷺ عن الموت وشدته فقال: « إن أهون الموت بمنزلة حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف » ودخل ﷺ على مريض ثم قال: « إني أعلم ما يلقى ما منه عرق إلا ويألم للموت على حدته » . وكان

(وقالت عائشة رضي الله عنها: لا أغبط أحداً يهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ) . رواه الترمذي بلفظ: لا أغبط أحداً بهون موت، والباقي سواء. والهون: بالفتح الرفق، وروى البخاري عنها قالت: لا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي ﷺ . **(وروي أنه ﷺ كان يقول: « اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والأنامل، اللهم فأعني على الموت وهوّنه علي »)** قال العراقي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث طعمة بن غيلان الجعفي وهو معضل سقط منه الصحابي والتابعي اهـ .

قلت: رواه عن محمد بن الحسين قال: حدثنا حسين بن علي الجعفي، حدثنا طعمة بن غيلان الجعفي قال: كان النبي ﷺ يقول فذكره. قال السيوطي في أمالي الدرة الفاخرة: طعمة من طبقة اتباع التابعين روى عن الشعبي وغيره وعنه السفيانان وذكره ابن حبان في الثقات اهـ .

قلت: هو كوفي روى له النسائي في مسند علي.

(وعن الحسن) البصري رحمه الله تعالى **(أن رسول الله ﷺ ذكر الموت وغصته وألمه فقال: « هو قدر ثلاثمائة ضربة بالسيف »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت هكذا مرسلاً ورجاله ثقات اهـ .

قلت: وفي بعض الأخبار أنه قدر مائة ضربة وفي بعضها قدر ألف ضربة كما سيأتي، وذكر المصنف في الدرة الفـ ـرة حديث: « لسكرة من سكرات الموت أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف » . قال السيوطي في تخريجه: لم أجده بهذا اللفظ لكن بنحوه، ثم ذكر حديث الضحاك بن حمزة وسأذكره بعد.

(وسئل ﷺ عن الموت وشدته فقال: « إن أهون الموت بمنزلة حسكة) كانت **(في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية شهر بن حوشب مرسلاً اهـ .

قلت: شهر أشعري شامي صدوق كثير الإرسال والأوهام روى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة.

(ودخل ﷺ على مريض ثم قال: « إني أعلم ما يلقى ما منه عرق إلا ويألم للموت على

علي كرّم الله وجهه يحضّ على القتال ويقول: إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون علي من موت على فراش. وقال الأوزاعي: بلغنا أن الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره. وقال شداد بن أوس: الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن، وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور، ولو أن

حدته ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث سلمان بسند ضعيف، ورواه في المرض والكفارات من رواية عبيد بن عمير مرسلاً مع اختلاف ورجاله ثقات اهـ.

قلت: ورواه كذلك البزار والطبراني من حديث سلمان ولفظه: أنه ﷺ دخل على رجل من الأنصار وهو في الموت فقال: « ما تجد ». قال: أجدني بخير وقد حضرني اثنان أحدهما أسود والآخر أبيض. فقال ﷺ: « أيهما أقرب منك »؟ قال: الأسود. قال: « إن الخير قليل وإنّ الشر كثير » قال: فمتعني منك يا رسول الله. فقال: « اللهم اغفر الكثير وانم القليل ». ثم قال: « ما ترى »؟ قال: خيراً بأبي أنت وأمي أرى الخير ينمي وأرى الشر يضمحل، وقد استأخر عني الأسود قال: « أي عملك أملك بك ». قال: كنت أسقي الماء. ثم قال ﷺ: « إني أعلم ما يلقى ما منه عرق إلا وهو يألم الموت على حدته ». وقد روي نحوه عن عطاء بن يسار رفعه في أثناء حديث: « وما من مؤمن يموت إلا وكل عرق منه يألم على حدة » رواه الحرث بن أبي أسامة بسند جيد، وأما مرسل عبيد بن عمير فلفظه: عاد النبي ﷺ مريضاً فقال: « ما منه عرق إلا وهو يألم منه غير أنه قد أتاه آت فبشره أن ليس بعده عذاب ». رواه كذلك البيهقي في الشعب، وروى أبو نعيم في الحلية في أثناء حديث لواثلة بن الأسقع: « والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه على حياله ». ورواه ابن أبي الدنيا عن أبي حسين البرجي مرفوعاً نحوه.

(وكان علي رضي الله عنه يحض) الناس **(على القتال ويقول: إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش)**. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت. وفي نهج البلاغة للشريف الموسوي قال: ومن كلامه رضي الله عنه في وقت الحرب: وأي امرىء منكم أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء، ورأى من أحد من إخوانه فشلاً فليذب عن أخيه بفضل نجدته التي فضل بها عليه كما يذب عن نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله. إن الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب، إن أكرم الموت القتل، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش.

(وقال الاوزاعي) رحمه الله تعالى: **(بلغنا أن الميت يجد ألم الموت ما لم يبعث من قبره)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت. وروى أبو نعيم في الحلية عن كعب قال: لا يذهب عن الميت ألم الموت ما دام في قبره، وأنه لأشد ما يمر على المؤمن وأهون ما يصيب الكافر.

(وقال شداد بن أوس) رضي الله عنه: **(الموت أفظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن، وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور، ولو أن الميت نشر**

الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم. وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة، وإذا كان للكافر معروف لم يجز به هون عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار. وعن بعضهم: أنه كان يسأل كثيراً من المرضى كيف تجدون الموت؟ فلما مرض قيل له: فأنت كيف تجده فقال: كأن السموات مطبقة على الأرض وكأن نفسي يخرج من ثقب إبرة. وقال ﷺ: «موت

فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، وفيه فأخبر أهل الدنيابألم الموت. ورواه أيضاً عن وهب بن منبه بلفظ: الموت أشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وغلي في القدور، ولو أن ألم عرق من عروق الميت قسم على أهل الأرض لأوسعهم ألماً، ثم هو أوّل شدة يلقاها الكافر وآخر شدة يلقاها المؤمن.

(**وعن**) أبي عبدالله (**زيد بن أسلم**) العدوي مولاهم المدني ثقة عالم كان يرسل، مات سنة ست وثلاثين روى له الجماعة (**عن أبيه**) أسلم العدوي مولى عمر ثقة مخضرم، مات سنة ثمانين وهو ابن أربع عشرة ومائة سنة روى له الجماعة (**قال: إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة، وإذا كان للكافر معروف لم يجز به هوّن عليه في الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار**). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، عن محمد بن الحسين، حدثنا موسى بن داود، حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه ولفظه: «إذا بقي على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة، وأن الكافر إذا كان قد عمل معروفاً في الدنيا يهوّن عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلى النار» فالمراد بأبيه هو زيد ابن أسلم، والضمير راجع إلى عبد الرحمن، وفي سياق المصنف خطأ، ولو قال عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه لأصاب.

(**وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيراً من المرضى كيف تجدون الموت، فلما مرض قيل له: فأنت كيف تجده؟ فقال: كأن السموات مطبقة على الأرض وكأن نفسي تخرج من ثقب إبرة**) المراد بالبعض هو عمرو بن العاص، فروى ابن سعد عن عوانة بن الحكم قال: كان عمرو ابن العاص يقول: عجبا لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه فوصف لنا الموت[1] قال: يا بني الموت أجلّ من أن يوصف، ولكن سأصف لك منه شيئاً: أجدني كأن على عنقي جبال رضوى، وأجدني كأن في جوفي شوك السلا، وأجدني كأن نفسي تخرج من ثقب إبرة.

وروى ابن أبي الدنيا في المحتضرين عن أبي زيد النميري، حدثنا محمد بن يحيى الكناني، عن عبد العزيز بن عمران الزهري، عن معاوية بن محمد بن عبد الله بن بجير عن أبيه قال: لما

---

(١) هكذا بالأصل، ولعل فيه سقطاً هو فلما نزل به قال له ابنه: صف لنا الموت.

الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر ». وروي عن مكحول عن النبي ﷺ أنه قال: « لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والأرض لماتوا بإذن الله تعالى لأن في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء إلا مات »، ويروى: « لو أن قطرة من ألم

احتضر عمرو بن العاص قال له ابنه: يا أبتاه إنك كنت تقول: ليتني ألقى رجلاً عاقلاً عند نزول الموت حتى يصف لي ما يجده، وأنت ذلك الرجل فصف لي الموت. فقال: يا بني والله لكان جنبي في تخت وكأني أتنفس من سم ابرة، وكأن غصن شوك يمر به من قدمي إلى هامتي.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا سليمان بن سيف، حدثنا أبو عاصم، أخبرنا حيوة بن شريح، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمن بن شماسة، أخبره أن عمرو بن العاص لما حضره الموت قال له عبدالله ابنه: يا أبا عبدالله أجزعاً من الموت؟ قال: لا. ولكن لما بعد الموت. قال: فقد كنت أسمعك تقول: إني لا أعجب ممن يدركه الموت ومعه عقله كيف لا يخبر به، وقد جاءك الموت وعقلك معك. قال: نعم يا بني كأن السماء قد أطبقت على الأرض وأنا بينهما، وكأن سفوداً محمى ينزع من سحري، وكأن روحي تجذب من حزة إبرة، وما من عضو من أعضائي إلا وهو يألم على ذي حدته. ثم قال: أي بني إني كنت على حالات ثلاث: كنت جاهلياً لا أعرف الدين فلو متّ على ذلك كانت النار، ثم قذف الله الإسلام في قلبي وأحببت رسول الله ﷺ حباً شديداً حتى لو ذهبت أصفه لم استطع ذلك لإجلالي إياه، وكان لي محباً مقدماً، فلو مت على ذلك كانت الجنة إن شاء الله تعالى، ثم أصابتنا بعده أمور ما نـدري ما حالنا فيها، ثم قال: اللهم إني لست ببريء فاعتذر ولست بقوي فانتصر. يا بني إذا حملتموني فاسرعوا فإنما هو خير توردوني إليه أو شر تضعونه عن رقابكم، ولا تتبعوني نائحة ولا بمجمرة، وسنوا علي التراب سنا فإذا دفنتموني فاجلسوا عند قبري مقدار ما ينحر جزور ويقسم لحمه لكي اعلم ما أراجع به رسل ربي عز وجل.

(**وقال ﷺ: « موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر »**) قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة بإسناد صحيح بلفظ: « وأخذة أسف للكافر » ولأبي داود من حديث عبيد بن خالد السلمي: « موت الفجأة أخذة أسف » اهـ.

قلت: حديث عبيد بن خالد رواه أيضاً أحمد وابن ماجه، وأما حديث عائشة فرواه أيضاً البيهقي في الشعب عن عبيد بن عمير قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن موت الفجأة أيكره؟ قالت: لأي شيء يكره. سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: « راحة للمؤمن وأخذ أسف للفاجر ». وقال السخاوي في المقاصد وفي الباب عن أنس وابن مسعود بينهما الزيلعي في سورة طه من تخريجه.

(**وروى عن**) أبي عبدالله (**مكحول**) الشامي ثقة فقيه كثير الإرسال مشهور، مات سنة بضع عشرة ومائة، روى له البخاري في خبر القراءة ومسلم والأربعة، (**عن النبي ﷺ أنه قال: « لو أن شعرة من شعر الميت وضعت على أهل السموات والارض لماتوا بإذن الله تعالى لأن في كل شعرة الموت ولا يقع الموت بشيء إلا مات »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في

الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت » . وروي أن ابراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى : كيف وجدت الموت يا خليلي قال : كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب . فقال : أما إنا قد هونا عليك . وروي عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه : يا موسى كيف وجدت الموت ، قال : وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير . وروي عنه أنه قال : وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب . وروي عن النبي ﷺ أنه كان عنده قدح من ماء عند

كتاب الموت من رواية أبي ميسرة رفعه ، وفيه : « لو أن ألم شعرة » وزاد « وإن في يوم القيامة لساعة تضاعف على الموت سبعين ألف ضعف » وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل ، والحديث مرسل حسن الإسناد اهـ .

قلت : عمرو بن شرحبيل كوفي ثقة عابد مخضرم مات سنة ثلاث وستين ، روى له الجماعة سوى ابن ماجه .

(ويروى : « لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت ») قال العراقي : لم أجد له أصلاً ، ولعل المصنف لم يورده حديثاً فإنه قال : ويروى اهـ .

قلت : بل روى أبو بكر المروزي في الجنائز عن أبي ميسرة رفعه : « لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على أهل السماء وأرض لماتوا جميعاً وأن في القيامة لساعة تضعف على شدة الموت سبعين ضعفاً » .

(وروي أن إبراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له : كيف وجدت الموت يا خليلي ؟ قال : كسفود جعل في صوف رطب ثم جذب . فقال : أما إنا قد هونا عليك) . رواه أحمد في الزهد ، والمروزي في الجنائز من طريق ابن أبي مليكة بلفظ : « إن إبراهيم عليه السلام لما لقي الله قيل له : كيف وجدت الموت ؟ قال : وجدت نفسي كأنها تنزع بالسلا . قيل له : قد يسرنا عليك الموت .

(وروي عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه : يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال : وجدت نفسي كالعصفور) الحي **(حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير)** رواه أحمد في الزهد . **(وروى عنه أنه قال : وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب)** رواه أيضاً أحمد في الزهد . وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن الحسن قال : قيل لموسى عليه السلام : كيف وجدت الموت ؟ قال : كسفود دخل جوفي له شعب كثيرة تعلق كل شعبة منه بعرق من عروقي ثم انتزع في جوفي نزعاً شديداً ، فقيل : لقد هوّنا عليك . وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن أبي إسحاق قال : قيل لموسى عليه السلام : كيف وجدت طعم الموت ؟ قال : كسفود أدخل في جزة صوف فامتلخ . قال : يا موسى هوّنا عليك .

الموت. فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول: « اللهم هون علي سكرات الموت »، وفاطمة رضي الله عنها تقول: واكرباه لكربك يا أبتاه! وهو يقول: « لا كرب على أبيك بعد اليوم » وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار: يا كعب حدثنا عن الموت؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين إن الموت كغصن كثير الشوك إذا أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق، ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى. وقال النبي ﷺ: « إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله

(وروي عن النبي ﷺ أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول: « اللهم هوّن علي سكرات الموت ») قال العراقي: متفق عليه من حديث عائشة اهـ.

قلت: لفظ البخاري من حديثها أنه كانت بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه ويقول: « لا إله إلا الله إن للموت سكرات ». ورواه كذلك أحمد، ورواه الترمذي عن قتيبة: حدثنا ليث، عن ابن الهاد، عن موسى بن سرجس، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت رسول الله ﷺ وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: « اللهم اعني على سكرات الموت أو منكرات الموت ».

(وفاطمة رضي الله عنها تقول: واكرباه لكربك يا ابتاه! وهو يقول: « لا كرب على أبيك بعد اليوم ») قال العراقي: رواه البخاري من حديث أنس بلفظ: واكرب ابتاه، وفي رواية لابن خزيمة واكرباه اهـ.

(وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار) رحمه الله تعالى: **(يا كعب حدثنا عن الموت. فقال: نعم يا أمير المؤمنين الموت كغصن كثير الشوك ادخل في جوف رجل، وأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى)** هذا لفظ ابن أبي شيبة في مسنده، ورواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المؤذن، حدثنا أبو الحسن بن أبان، حدثنا أبو بكر بن سفيان، حدثنا خالد بن خراش، حدثنا حماد بن زيد، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة أن عمر قال لكعب: أخبرني عن الموت. قال: يا أمير المؤمنين هو مثل شجرة كثيرة الشوك في جوف ابن آدم وليس منه عرق ولا مفصل إلا فيه شوك، ورجل شديد الذراعين فهو يعالجها ينزعها فأرسل عمر دموعه. وأبو بكر بن سفيان هذا هو ابن أبي الدنيا، وهكذا رواه في كتاب الموت عن خالد بن خراش، وقد ساقه السيوطي في أمالي الدرة الفاخرة من طريق ابن أبي الدنيا ثم أعقبه بقوله. ورواه أبو نعيم في الحلية من طريق خالد بن خراش فأوهم أنه من طريق أخرى وليس كذلك، بل هو من طريق ابن أبي الدنيا.

(وقال النبي ﷺ: « إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وأن مفاصله ليسلّم

ليسلم بعضها على بعض تقول: عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة».

فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه. فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي وتتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي فإن دواهي الموت ثلاث:

الأولى: شدة النزع كما ذكرناه.

الداهية الثانية: مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب؛ فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوّة لم يطق رؤيته. فقد روي عن ابراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت: هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر؟ قال: لا تطيق ذلك، قال: بلى، قال: فأعرض عني فأعرض عنه. ثم إلتفت فإذا هو برجل أسود، قائم الشعر، منتن الريح، أسود الثياب، يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان، فغشي على ابراهيم عليه السلام. ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال: يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه. وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن داود عليه

بعضها على بعض تقول: عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة») قال العراقي: رويناه في الأربعين لأبي هدبة إبراهيم بن هدبة عن أنس وأبو هدبة هالك اهـ.

قلت: ورواه كذلك الديلمي في مسند الفردوس، وأبو الفضل الطوسي في عيون الأخبار، والقشيري في الرسالة، وإبراهيم بن هدبة. قال الذهبي: كذاب واه، وقال الدارقطني: متروك.

(فهذه سكرات الموت على أوليائه وأحبابه) وهم المتقربون إلى الله تعالى، **(فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي)** والمخالفات. **(ويتوالى علينا مع سكرات الموت بقية الدواهي، فإن دواهي الموت ثلاث)**:

(الأولى: شدة النزع) من أعماق البدن ومن كل عضو عضو **(كما ذكرناه)**.

(الداهية الثانية: مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروح والخوف منه على القلب، فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته. فقد روي عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت: هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض عليها روح الفاجر؟ قال: لا تطيق ذلك. قال: بلى. قال: فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت، فإذا هو برجل أسود قائم الشعر منتن الريح أسود الثياب، يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان، فغشي على إبراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى. فقال: يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن ابن مسعود وابن عباس قالا: لما اتخذ الله إبراهيم

السلام كان رجلاً غيوراً وكان إذا خرج أغلق الأبواب فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فإذا هي برجل في الدار فقالت: من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء؟ فجاء داود فرآه فقال: من أنت؟ فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب؟ فقال: فأنت والله إذا ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه»

خليلاً سأل ملك الموت ربه أن يأذن له بذلك فأذن له، فجاء إبراهيم فبشره فقال: الحمد لله ثم قال: يا ملك الموت أرني كيف تقبض أنفاس الكفار. قال: يا إبراهيم لا تطيق ذلك. قال: بلى. قال: فاعرض فاعرض، ثم نظر فإذا برجل أسود ينال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار ليس من شعرة في جسده إلا في صورة رجل يخرج من فيه ومسامعه لهب النار، فغشي على إبراهيم ثم أفاق وقد تحوّل ملك الموت في الصورة الأولى. فقال: يا ملك الموت لو لم يلق الكافر من البلاء والحزن إلا صورتك لكفاه، فأرني كيف تقبض أنفاس المؤمنين. قال: اعرض، فاعرض ثم التفت فإذا هو رجل شاب أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً في ثياب بيض، فقال: يا ملك الموت لو لم ير المؤمن عند موته من قرة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكان يكفيه.

وروي أيضاً عن كعب أن إبراهيم عليه السلام رأى في بيته رجلاً فقال: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت. فقال إبراهيم عليه السلام: إن كنت صادقاً فأرني منك آية أعرف أنك ملك الموت. قال له ملك الموت: اعرض بوجهك فاعرض ثم نظر فأراه الصورة التي يقبض فيها المؤمنين قال: فرأى من النور والبهاء شيئاً لا يعلمه إلا الله، ثم قال: اعرض بوجهك فاعرض ثم نظر فأراه الصورة التي يقبض فيها الكفار والفجار، فرعب إبراهيم عليه السلام رعباً حتى أرعدت فرائصه وألصق بطنه بالأرض وكادت نفسه تخرج.

وروي أيضاً عن عبيد بن عمير قال: بينما إبراهيم عليه السلام يوماً في داره إذ دخل عليه رجل حسن الشارة فقال: يا عبدالله من أدخلك داري؟ قال: أدخلنيها ربها. قال: ربها أحق بها فمن أنت؟ قال: ملك الموت. قال: لقد نعت إلي منك أشياء ما أراها فيك. قال: أدبر فأدبر فإذا عيون مقبلة وعيون مدبرة وإذا كل شعرة منه كأنها إنسان قائم فتعوّذ إبراهيم عليه السلام من ذلك وقال: عد إلى الصورة الأولى. قال: يا إبراهيم إن الله بعثني إلى من يحب لقاءه بعثني في الصورة التي رأيت أولاً.

(**وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن داود عليه السلام كان رجلاً غيوراً، وكان إذا خرج أغلق الأبواب، فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فإذا هي برجل في الدار فقالت: من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عنتاً**) أي شدة وحرجاً (**فجاء داود**) عليه السلام (**فرآه فقال: من أنت؟ فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب. فقال: فأنت والله إذاً ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه»**) قال العراقي: رواه أحمد بإسناد جيد نحوه، وابن أبي الدنيا في كتاب الموت بلفظه اهـ.

وروي أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فضربها برجله فقال: تكلمي بإذن الله فقالت: يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي، إذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله، ثم خرجت نفسي إليه، فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة! ويا ليت ما كان من ذلك الأنس كان وحشة! فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون. فقد حكى

قلت: لفظ أحمد: «كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع، فخرج ذات يوم ورجع فإذا في الدار رجل قائم فقال له: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب، فقال داود عليه السلام: أنت إذاً والله ملك الموت مرحباً بأمر الله فزمل داود مكانه فقبضت نفسه حتى فرغ من شأنه، فطلعت عليه الشمس فقال سليمان للطير: أظلي على داود فأظلت عليه حتى أظلت عليه الأرض، فقال لها سليمان: اقبضي جناحاً جناحاً وغلبت عليه يومئذ المضرحية».

(وروي أن عيسى عليه السلام مرّ بجمجمة فضربها برجله فقال: تكلمي باذن الله. فقالت: يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا، بينا أنا جالس في ملكي عليّ تاجي وحولي جنودي وحشمي على سرير ملكي إذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله، ثم خرجت نفسي إليه، فياليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة، يا ليت ما كان من ذلك الانس كان وحشة).

روى أبو حذيفة إسحاق بن بشر في المبتدأ نحو ذلك فقال: حدثنا محمد بن عبدالله البصري وعامر بن عبدالله شيخ من أهل نهر تبري يرفعانه إلى كعب قالا: قال كعب الأحبار: إن عيسى عليه السلام مرّ ذات يوم بوادي القيامة وهي عشية يوم الجمعة عند العصر، فإذا هو بجمجمة بيضاء نخرة قد مات صاحبها منذ أربعة وتسعين سنة، فوقف عليها متعجباً منها وقال: يا رب ائذن لهذه الجمجمة أن تكلمني بلسان حي تخبرني ماذا لقيت من العذاب، وكم أتى عليها منذ ماتت وماذا عاينت، وبأي هيئة ماتت، وماذا كانت تعبد؟ قال: فأتاه نداء من السماء فقال: يا روح الله وكلمته سلها فإنها ستخبرك، فصلّى عيسى ركعتين ثم دنا منها فوضع يده عليها فقال عيسى: بسم الله وبالله، فقالت الجمجمة: خير الأسماء دعوت بالذكر استعنت، فقال عيسى: أيتها الجمجمة النخرة: قالت: لبيك وسعديك سلني عما بدا لك. قال: كم أتى عليك مذمت؟ قالت: لا نفس بعد الحياة ولا روح تحصي السنين فأتاه نداء أنها قد ماتت منذ أربع وتسعين سنة فسلها. قال: فماذا مت؟ قالت كنت جالسة ذات يوم إذ أتاني مثل السهم من السماء فدخل جوفي مثل الحريق وكان مثلي مثل رجل دخل الحمام فأصابه حره فهو يلتمس الروح مخافة على نفسه بان تهلك. قال: فأتاني ملك الموت ومعه أعوان وجوههم مثل وجوه الكلاب بادية أنيابهم زرق أعينهم كلهبان النار بأيديهم المقامع يضربون وجهي ودبري، فانتزعوا روحي فكشطوها عني، ثم وضعه ملك الموت على جرة من جار جهنم ثم لفه في قطع مسح من مسوح جهنم، فرفعوا روحي إلى السماء فمنعتهم السماء أن يدخل

الأنبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك، ولو رآها في منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره! فكيف برؤيته في مثل تلك الحال؟

وأما المطيع فإنه يراه في أحسن صورة وأجملها، فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان رجلاً غيوراً وكان له بيت يتعبد فيه، فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك داري؟ فقال: أدخلنيها ربها! فقال: أنا ربها فقال: أدخلنيها من هو أملك بها مني ومنك، فقال من أنت من الملائكة؟ قال: أنا ملك الموت قال: هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال: نعم، فأعرض عني فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه، فقال يا ملك الموت، لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه.

ومنها مشاهدة الملكين الحافظين. قال وهيب: بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى

وأغلقت الأبواب دونه، فأتاني نداء أن ردوا هذه النفس الخاطئة إلى مثواها ومأواها. ثم ساق الخبر بطوله في نحو ورقتين. وقد رواه أبو نعيم في الحلية من هذا الطريق، وأورده بطوله. وروى أبو نعيم أيضاً عن كعب قال: مرّ عيسى بجمجمة بيضاء فقال: يا رب هذه الجمجمة أحيها، فأوحى الله إليه أن أشح بوجهك. قال: ففعل، ثم حوّل وجهه فإذا شيخ متكىء على كازة من بقل ثم ساقه.

(فهذه داهية يلقاها العصاة ويكفاها المطيعون، فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك، ولو رآها في منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره، فكيف برؤيته في مثل تلك الحال).

(وأما المطيع، فإنه يراه في أحسن صورة وأجملها، فقد روى عكرمة) أبو عبد الله القرشي المدني مولى ابن عباس روى له الجماعة وأخرج له مسلم مقروناً بطاوس وسعيد بن جبير، **(عن ابن عباس)** رضي الله عنه **(أن إبراهيم عليه السلام كان رجلاً غيوراً، وكان له بيت يتعبد فيه، فإذا خرج أغلقه، فرجع ذات يوم فإذا برجل في جوف البيت فقال: من أدخلك داري؟ فقال: أدخلنيها ربها. فقال: أنا ربها. فقال: أدخلنيها من هو أملك بها مني ومنك. فقال: من أنت من الملائكة؟ قال: أنا ملك الموت. قال: هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن؟ قال: نعم فاعرض عني فاعرض ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه، فقال: يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، وهو بعض سياق من الخبر السابق ذكره، وروى نحوه من رواية كعب ومن رواية عبيد بن عمير وكل ذلك قريباً.

ومنها: مشاهدة الملكين الحافظين. قال وهيب) بن الورد المكي العابد الثقة أبو عثمان،

له ملكاه الكاتبان عمله، فإن كان مطيعاً قالا له: جزاك الله عنا خيراً فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا وإن كان فاجراً قالا له: لا جزاك الله خيراً عنا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيراً. فذلك شخوص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبداً.

الداهية الثالثة: مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة، فإنهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم، ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بأحد البشريين: إمّا أبشر يا عدو الله بالنار، أو أبشر يا وليّ الله بالجنة ومن هذا كان خوف أرباب الألباب، وقد قال النبي ﷺ: «لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار»، وقال ﷺ: «من

قيل اسمه عبد الوهاب ووهيب لقبه، روى له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي: (**بلغنا أنه ما ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله، فإن كان مطيعاً قالا له: جزاك الله عنا خيراً فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا، وإن كان فاجراً قالا له: لا جزاك الله عنا خيراً فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح قد أحضرتنا، وكلام قبيح قد أسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيراً**) قال: (**فذلك شخوص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبداً**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت فقال: حدثنا عبد الكريم أبو يحيى، حدثنا عبيد الله بن محمد بن يزيد بن خنيس، حدثنا أبي عن وهيب بن الورد قال: بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى ملكاه اللذان كانا يحفظان عليه عمله في الدنيا، فإن كان صحبهما بطاعة قالا له: جزاك الله عنا من جليس خيراً، فرب مجلس صدق قد أجلستناه وعمل صالح قد أحضرتناه وكلام حسن قد أسمعتناه، فجزاك الله عنا من جليس خيراً، وإن كان صحبهما بغير ذلك مما ليس لله برضا قلبا عليه الثناء فقالا: لا جزاك الله عنا من جليس خيراً فرب مجلس سوء قد أجلستناه وعمل غير صالح قد أحضرتناه وكلام قبيح قد أسمعتناه فلا جزاك الله عنا من جليس خيراً. قال: فذاك شخوص بصر الميت إليهما، ولا يرجع إلى الدنيا أبداً. ورواه أبو نعيم في الحلية من هذا الوجه فقال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المؤذن، حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أبان، حدثنا أبو بكر بن عبيد هو ابن أبي الدنيا فساقه.

(**الداهية الثالثة: مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فإنهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم**) أي انقادت، (**ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بإحدى البشريين، إما أبشر يا عبد الله بالنار، أو أبشر يا ولي الله بالجنة. وعن هذا كان خوف أرباب الألباب، وقد قال ﷺ: «لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار»**). قال العراقي:

أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فقالوا: كلنا نكره الموت قال: «ليس ذاك بذاك إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه». وروي أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود، وهو لما به من آخر

رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية رجل لم يسمّ عن علي مرفوعاً «لا يخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى يعلم إلى أين مصيره إلى الجنة أم إلى النار» وفي رواية «حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار» وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ما يشهد لذلك «إن المؤمن إذا حضره الموت بشّر برضوان الله وكرامته، وأن الكافر إذا حضر بشّر بعذاب الله وعقوبته» الحديث اهـ.

قلت: وروى ابن مردويه وابن منده بسند ضعيف من حديث ابن عباس «ما من نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة والنار» الحديث.

(وقال ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فقالوا: كلنا نكره الموت. قال: «ليس ذاك بذاك إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه») قال العراقي: متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت اهـ.

قلت: المتفق عليه إنما هو إلى قوله «كره الله لقاءه» هكذا روياه من رواية أنس عن عبادة بن الصامت. ورواه كذلك الطيالسي وأحمد والترمذي والنسائي وابن حبان، وقد روي هذا القدر أيضاً من حديث عائشة رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي. ومن حديث أبي موسى رواه الشيخان، ومن حديث أبي هريرة رواه مسلم والنسائي، ومن حديث معاوية رواه النسائي والطبراني.

وأما تلك الزيادة؛ فرويت عن عدة من الصحابة. فمن ذلك ما رواه أحمد والنسائي من حديث أنس بلفظ قالوا: يا رسول الله كلنا نكره الموت. قال: «ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله بما هو صائر إليه فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله فأحب الله لقاءه، وأن الفاجر إذا حضر جاءه ما هو صائر إليه من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه».

وروى عبد بن حميد من رواية أنس عن عبادة بن الصامت رفعه، وابن ماجه من حديث عائشة بلفظ قالت عائشة إنا لنكره الموت. قال «ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشّر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وأما الكافر إذا حضره الموت بُشّر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه».

وروى أحمد من حديث رجل من الصحابة بلفظ قالوا: إنما نكره الموت. قال: «ليس ذلك ولكنه إذا حضر فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم فإذا بشّر بذلك أحب لقاء الله والله عز وجل للقائه أحب، وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم فإذا بشّر بذلك كره الله والله للقائه أكره».

الليل: قم فانظر أي ساعة هي؟ فقام ابن مسعود ثم جاءه فقال: قد طلعت الحمراء فقال حذيفة: أعوذ بالله من صباح إلى النار». ودخل مروان على أبي هريرة، فقال مروان:

(**وروي أن حذيفة بن اليان**) رضي الله عنهما (**قال لابن مسعود**) كذا في النسخ كلها وهو خطأ والصواب لأبي مسعود وهو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري البدري صحابي جليل، وكان ملازماً لحذيفة في مرضه الذي مات فيه، (**وهو لما به من آخر الليل قم فانظر أي ساعة هي؟ فقام ابن مسعود**) كذا في النسخ والصواب أبو مسعود (**ثم جاءه فقال: قد طلعت الحمراء**) وهي النجمة التي تطلع قبل الفجر بقليل، (**فقال حذيفة**) رضي الله عنه: (**أعوذ بك من صباح إلى النار**).

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني الربيع بن تغلب، حدثنا فرج بن فضالة عن أسد بن وداعة قال: لما مرض حذيفة مرضه الذي مات فيه قالوا له: ما تشتهي فساق الحديث، وفيه: ثم قال: أصبحنا قالوا: نعم. قال: اللهم إني أعوذ بك من صباح النار حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق السراج، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، حدثنا حصين عن أبي وائل قال: لما ثقل حذيفة أتاه ناس من بني عبس فأخبرني خالد بن الربيع العبسي قال: أتيناه وهو بالمدائن حتى دخلنا عليه جوف الليل. فقال لنا: أي ساعة هذه؟ فقلنا: جوف الليل أو آخر الليل فقال: أعوذ بالله من صباح إلى النار، ثم قال: أجئتم معكم بأكفان، قلنا: نعم. قال: فلا تغالوا بأكفاني فإنه إن يكن لصاحبكم عند الله خير فإنه يبدل بكسوته كسوة خيراً منها وإلاَّ يسلب سلباً.

وروي من طريق جرير عن إسماعيل عن قيس عن أبي مسعود قال: لما أتي حذيفة بكفنه وكان مستنداً إلى أبي مسعود، فأتي بكفن جديد فقال: ما تصنعون بهذا؟ الحديث.

وروي أيضاً من طريق أبي إسحاق ان صلة بن زفر حدثه أن حذيفة بعثني وأبا مسعود فابتعنا له كفناً فساق الحديث. وإنما ذكرت هاتين الروايتين ليظهر أن الذي في سياق المصنف هو أبو مسعود لا ابن مسعود.

(**ودخل مروان**) بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، أبو عبد الملك. ويقال: أبو القاسم، ويقال أبو الحكم المدني، ولد بعد الهجرة بسنتين، وقيل بأربع لم يصح له سماع عن النبي ﷺ، وقد روى عن النبي ﷺ حديث الحديبية بطوله، وهو عند البخاري وأبي داود والنسائي، وكان كاتباً لعثمان، وولي إمرة المدينة لمعاوية والموسم، وبويع له بالخلافة بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية بالجابية، وكان الضحاك بن قيس قد غلب على دمشق وبايع بها لابن الزبير ثم دعا إلى نفسه، فقصده مروان فواقعه بمرج راهط، فقتل الضحاك وغلب على دمشق وذلك في أواخر سنة أربع وستين، ومات بها في رمضان سنة خمس وستين وهو ابن ثلاث وستين، وكانت خلافته تسعة أشهر، وقيل عشرة إلا أياماً، ونقل عن عروة بن الزبير

اللهم خفف عنه، فقال أبو هريرة: اللهم اشدد ثم بكى أبو هريرة وقال: والله ما أبكي حزناً على الدنيا ولا جزعاً من فراقكم ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربي بجنة أم بنار. وروي في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: « إن الله إذا رضي عن عبد قال: يا ملك الموت إذهب إلى فلان فائتني بروحه لأريحه، حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب؛ فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشر ببشارة سوى بشارة صاحبه، وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه، معهم الريحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ »، قال فيقول له جنوده: ما لك يا سيدنا فيقول: أما ترون ما أعطي هذا العبد من الكرامة أين كنتم من هذا؟ قالوا: قد جهدنا به فكان معصوماً ». وقال الحسن: لا راحة للمؤمن إلا

أنه قال: كان مروان لا يتهم في الحديث روى له الجماعة إلا مسلماً. (على أبي هريرة) رضي الله عنه وذلك حين مرض المرض الذي مات فيه (**فقال مروان: اللهم خفف عنه، فقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**اللهم أشدد ثم بكى أبو هريرة**) رضي الله عنه (**وقال: والله ما أبكي حزناً على الدنيا ولا جزعاً من فراقكم، ولكن انتظر إحدى البشريين من ربي بجنة أم بنار**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن يحي بن معين، حدثنا معن، حدثنا مالك بن أنس، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال: دخل مروان على أبي هريرة في شكواه الذي مات فيه فقال: شفاك الله. فقال أبو هريرة: اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي، فما بلغ مروان أصحاب القطن حتى مات رحمه الله تعالى، وأخرجه ابن الجوزي في كتاب الثبات من هذا الوجه. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أحمد بن بندار، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحارث، حدثنا عباس النرسي، حدثنا عبد الوهاب بن الورد، عن مسلم بن بشير بن عجل أن أبا هريرة بكى في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما أني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بُعد سفري وقلة زادي، وإني أصبحت في صعود مهبط على جنة ونار لا أدري أيها يؤخذ بي.

(**وروي في الحديث عن النبي ﷺ انه قال: « إن الله عز وجل إذا رضي عن عبد قال: يا ملك الموت اذهب إلى فلان فائتني بروحه لأريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب، فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه، وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان، فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال: فيقول له جنوده: مالك يا سيدنا؟ فيقول: أما ترون ما أعطي هذا العبد من الكرامة أين كنتم عن هذا، قالوا: قد جهدنا به فكان معصوماً »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث تميم الداري بإسناد ضعيف بزيادة كثيرة فيه، ولم يصرح في أوّل الحديث برفعه، وفي آخره ما دل على أنه مرفوع، وللنسائي من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح « إذا

حضر الميت أرسل الله إليه ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: أخرجي راضية مرضيا عنك إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان» الحديث اهـ.

قلت: أما حديث تميم، فقال ابن أبي الدنيا في كتاب الموت: حدثني محمد بن الحسين، حدثنا عمرو بن جرير الأحمسي، حدثنا بكر بن خنيس، عن ضرار بن عمر، وعن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: كان تميم الداري يحدثنا في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال ذات يوم: يقول الله تبارك وتعالى لملك الموت: انطلق يا ملك الموت إلى ولي فأتني به فإني قد ضربته بالسراء والضراء، فوجدته حيث أحب فأتني به لأريحه من هموم الدنيا وغمومها فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من حنوط الجنة، ومعهم ضبائر الريحان. أصل الريحانة واحد وفي رأسها عشرون لوناً لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه، ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك الأذفر، فيجلس ملك الموت عند رأسه وتحتوشه الملائكة ويضع كل ملك منهم يده على عضو من أعضائه ويبسط ذلك الحرير الأبيض والمسك الأذفر تحت ذقنه ويفتح له باب إلى الجنة. قال: فإن نفسه عن ذلك لتعلل بطرف الجنة مرة بأزواجها ومرة بكسوتها ومرة بثمارها، كما يعلل الصبي أهله إذا بكى، وأن أزواجه يبتهشن عند ذلك ابتهاشاً. قال: وتنزو الروح نزواً ويقول ملك الموت: أخرجي أيتها الروح الطيبة إلى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب. قال: ولملك الموت أشد تلطفاً به من الوالدة بولدها يعرف أن ذلك الروح حبيب إلى ربه كريم على الله، فهو يلتمس بلطفه بتلك الروح رضا الله عنه فيسل روحه كما تسل الشعرة من العجين قال: وإن روحه لتخرج والملائكة حوله يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وذلك قوله: ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم﴾ [النحل: ٣٢] قال: ﴿فأما إن كان من المقربين ★ فروح وريحان وجنة نعيم﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩] قال: روح من جهد الموت، وريحان يتلقى به عند خروج نفسه وجنة نعيم امامه، أو قال مقابله، فإذا قبض ملك الموت روحه يقول الروح للجسد: جزاك الله بي خيراً لقد كنت بي سريعاً إلى طاعة الله بطيئاً عن معصية الله، فهنيئاً لك اليوم فقد نجوت وأنجيت، ويقول الجسد للروح مثل ذلك. قال: وتبكي عليه بقاع الأرض التي كان يطيع الله عليها وكل باب من السماء كان يصعد منه عمله وينزل منه رزقه أربعين ليلة، فإذا قبضت الملائكة روحه أقامت الخمسمائة ملك عند جسده لا تقلبه بنو آدم بشق إلا قلبته الملائكة قبلهم وعلته بأكفان قبل أكفانهم وحنوط قبل حنوطهم، ويقوم من باب بيته إلى باب قبره صفان من الملائكة يستقبلونه بالاستغفار ويصيح إبليس عند ذلك صيحة يتصدع منها بعض عظام جسده ويقول بجنوده: الويل لكم كيف خلص هذا العبد منكم؟ فيقولون: إن هذا كان معصوماً، فإذا صعد ملك الموت بروحه إلى السماء يستقبله جبريل عليه السلام في سبعين ألفاً من الملائكة كلهم يأتيه ببشارة من ربه، فإذا انتهى ملك الموت إلى العرش خرت الروح ساجدة لربها فيقول الله لملك الموت: انطلق بروح عبدي فضعه في سدر مخضود وطلح منضوض وظل ممدود وماء مسكوب فإذا وضع في قبره جاءت الصلاة فكانت عن يمينه، وجاء الصيام فكان عن يساره، وجاء

....

القرآن والذكر فكانا عند رأسه، وجاء مشيه إلى الصلوات فكان عند رجليه، وجاء الصبر فكان ناحية القبر، ويبعث الله عنقاً من العذاب فيأتيه عن يمينه فتقول الصلاة: وراءك والله ما زال دائباً عمره كله وإنما استراح الآن حين وضع في قبره. قال: فيأتيه عن يساره فيقول الصيام مثل ذلك، قال: فيأتيه من قبل رأسه فيقال له مثل ذلك، فلا يأتيه العذاب من ناحية فيلتمس هل يجد له مساغاً وإلا وجد وليّ الله قد أحرزته الطاعة. قال: فيخرج عنه العذاب عندما يرى ويقول الصبر لسائر الأعمال: أما أنه لم يمنعني أن أباشره أنا بنفسي ألا أني نظرت ما عندكم فلو عجزتم كنت أنا صاحبه، فأما إذا أجزأتم عنه فأنا ذخر له عند الميزان. قال: ويبعث الله إليه ملكين أبصارهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف وأنيابهما كالصياصي وأنفاسهما كاللهب يطآن في أشعارهما، بين منكبي كل واحد منهما مسيرة كذا وكذا قد نزعت منهما الرأفة والرحمة إلا بالمؤمنين يقال لهما منكر ونكير، في يد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع عليها الثقلان لم يقلوها، فيقولان له: اجلس فيستوي جالساً في قبره فتسقط أكفانه في حقويه فيقولان له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله وحده لا شريك له، والإسلام ديني ومحمد نبيي وهو خاتم النبيين، فيقولان له: صدقت. فيدفعان القبر فيوسعانه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره ومن قبل رأسه ومن قبل رجليه ثم يقولان له: انظر فوقك فينظر فإذا هو مفتوح إلى الجنة، فيقولان له: هذا منزلك يا ولي الله لما أطعت الله. قال رسول الله ﷺ: «فو الذي نفس محمد بيده إنه لتصل إلى قلبه فرحة لا ترتد أبداً» فيقال له: انظر تحتك فينظر تحته فإذا هو مفتوح إلى النار فيقولان: يا ولي الله نجوت من هذا، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه لتصل إلى قلبه عند ذلك فرحة لا ترتد أبداً» ويفتح له سبعة وسبعون باباً إلى الجنة يأتيه ريحها وبردها حتى يبعثه الله من قبره.

قال ويقول الله تعالى لملك الموت: انطلق إلى عدوي فأتني به فإني قد بسطت له رزقي وسربلته بنعمتي وأبى إلا معصيتي، فأتني به لأنتقم منه اليوم، فينطلق إليه ملك الموت في أكره صورة يراها أحد من الناس له اثنتا عشرة عيناً، ومعه سفود من نار كثير الشوك، ومعه خمسمائة من الملائكة معهم نحاس وجمر من جمر جهنم، ومعهم سياط من نار تأجج، فيضربه ملك الموت بذلك السفود ضربة يغيب أصل كل شوكة من ذلك السفود في أصل كل شعرة وعرق من عروقه، ثم يلويه لياً شديداً فينزع روحه من أظفار قدميه، فيلقيها في عقبيه فيسكر عدو الله عند ذلك سكرة، وتضرب الملائكة وجهه ودبره بتلك السياط، ثم يجبذه جبذة فينزع روحه من عقبيه فيلقيها في ركبتيه فيسكر عدوّ الله سكرة، وتضرب الملائكة وجهه ودبره، ثم كذلك إلى حقويه، ثم كذلك إلى صدره، ثم كذلك إلى حلقه، ثم يبسط الملائكة ذلك النحاس وجمر جهنم تحت ذقنه ثم يقول ملك الموت: أخرجي أيتها النفس اللعينة الملعونة إلى سموم وحموم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم، فإذا قبض ملك الموت روحه قالت الروح للجسد: جزاه الله عني شراً لقد كنت سريعاً بي إلى معصية الله بطيئاً بي عن طاعة الله، فقد هلكت وأهلكت. ويقول الجسد للروح مثل ذلك، وتلعنه بقاع الأرض التي كان يعصي الله عليها وتنطلق جنود إبليس إليه فيبشرونه بأنهم قد أوردوا

عبداً من بني آدم النار، فإذا وضع في قبره ضيّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فتدخل اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى، ويبعث الله إليه حيات دهماً فتأخذ بأرنبته وأبهام قدميه فتقوضه حتى تلتقي في وسطه. قال: ويبعث الله إليه الملكين فيقولان له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، فيقال له: لا دريت ولا تليت، فيضربانه ضرباً يتطاير الشرار في قبره، ثم يعود فيقولان له: انظر فوقك فينظر فإذا باب مفتوح من الجنة فيقولان: عدو الله لو أطعت الله كان هذا منزلك. قال: «فوالذي نفس محمد بيده إنه لتصل إلى قلبه عند ذلك حسرة لا ترتد أبداً ويفتح له باب إلى النار» فيقال: عدو الله هذا منزلك لما عصيت الله، ويفتح له سبعة وسبعون باباً إلى النار يأتيه حرها وسمومها حتى يبعثه الله يوم القيامة إلى النار.

قال السيوطي في أمالي الدرة الفاخرة بعد أن أورده من طريق ابن أبي الدنيا: هذا حديث غريب أخرجه أبو يعلى في مسنده الكبير، عن أحمد بن إبراهيم الدورقي، عن محمد بن بكر البرساني، عن أبي عاصم البصري، عن بكر بن خنيس، عن ضرار، عن يزيد عن أنس، عن تميم، عن النبي ﷺ قال: «يقول الله لملك الموت انطلق إلى وليي» فذكره بطوله.

قال الحافظ ابن حجر: وهو شاهد لكثير مما ثبت في حديث البراء المشهور، لكن هذا عجيب السياق غريب الاسناد لا نعرف أحداً روى عن أنس عن تميم إلا من هذا الوجه، ويزيد الرقاشي سيء الحفظ جداً كثير المناكير، كان لا يضبط الاسناد ودونه من هو مثله أو أشد ضعفاً اهـ.

قال السيوطي: ومن شواهده حديث أبي هريرة وله طرق.

قلت: وسيأتي حديث البراء، وحديث أبي هريرة فيما بعد إن شاء الله تعالى. وقول الحافظ ودونه من هو مثله أو أشد ضعفاً يعني أن رواته من بعد يزيد ضعفاء ضرار بن عمرو الملطي الراوي له عن يزيد. قال الذهبي: متروك، والراوي عنه بكر بن قيس الكوفي. قال الدارقطني: متروك. وقال الحافظ في تهذيب التهذيب: كوفي عابد سكن بغداد صدوق له أغلاط أفرط فيه ابن حبان، وهو من رجال التر[illegible]ي وابن ماجه وأبو عاصم البصري، في سياق أبي يعلى هو العباداني اسمه عبدالله بن عبيد الله أو بالع[illegible]، ويقال ابن عبد بغير إضافة من رجال ابن ماجه لين الحديث، وقال الذهبي: روى عن الفضل الرقاشي له حديث منكر، وعمرو بن جرير الاحمسي في سياق ابن أبي الدنيا، ويقال البجلي أبو سعيد. قال الذهبي كذلك، ومحمد بن الحسين شيخ ابن أبي الدنيا هو أبو الفتح الازدي الحافظ صاحب مناكير ضعفه البرقاني.

فصل

في ضبط ألفاظ تقدمت في الحديث:

قوله: ضبابر بضاد معجمة وباء موحدة آخره راء قال ابن الأثير في النهاية هي الجماعة في تفرقة واحدتها ضبارة بالكسر مثل عمارة وعماير وكل مجتمع ضبارة. وقوله: بطرف الجنة بضم المهملة وفتح

في لقاء الله، ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه. وقيل لجابر بن زيد ـ عند الموت ـ: ما تشتهي؟ قال: نظرة إلى الحسن، فلما دخل عليه الحسن قيل له: هذا الحسن! فرفع طرفه إليه ثم قال: يا إخوتاه الساعة والله أفارقكم إلى النار أو إلى الجنة. وقال محمد بن واسع ـ عند الموت ـ: يا إخوتاه عليكم

الراء جمع طرفه، وهي المستحدث من المال كالطريف والطارف وهو خلاف التليد والتالد. وقوله: ليبتهشن في النهاية. يقال للإنسان إذا نظر إلى شيء فأعجب واشتهاه وأسرع نحوه قد بهش إليه. وفي الصحاح بهش إليه يبهش بهشاً إذا ارتاح له وخف إليه. وقوله: تنزو الروح في الصحاح ينزو إلى كذا أي ينازع إليه ويسرع ويثب إليه وفي النهاية نحوه، وقيل: تنزو أي تنسل. وقوله: دائباً من الدؤب أي جاداً تعباً. وقوله: عنقاً من العذاب أي طائفة منه. وقوله: كالصياصي بمهملتين وهي قرون البقر جمع صيصة بالتخفيف والسفود كتنور الحديدة التي يشوي بها اللحم والنحاس لا لهب فيه والتأجج بجيمين التوقد. وقوله: دهماً يحتمل أن يكون بضم أوله أي سوداً فيكون جمع دهماء، ويحتمل أن يكون بفتحه أي عدداً كثيراً، فيكون مفرداً والجمع دهوم. وقوله: فتقوضه بقاف ثم واو ثم ضاد معجمة في الصحاح: قوضت البناء نقضته انتقضت وتفرقت وفي النهاية: تقويض الخيام قلعها وإزالتها وقوضت الحمرة جاءت وذهبت ولم تقر.

وأما حديث أبي هريرة الذي عزاه العراقي للنسائي فسيأتي للمصنف في بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير، وكذا حديث البراء الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر، ونتكلم عليهما هناك إن شاء الله تعالى.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(لا راحة للمؤمن إلا في لقاء الله، ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره)**. رواه أبو نعيم في الحلية، وقد رواه وكيع وأحمد كلاهما في الزهد عن ابن مسعود من قوله بلفظ: لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه قال السخاوي: ورفعه بعضهم واستشهد له بحديث عائشة «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» وكذا من شواهد ما عند أحمد من حديث عائشة: إنما المستريح من غفر له.

(وقيل لجابر بن زيد) أبي الشعثاء الأزدي البصري التابعي الثقة مشهور بكنيته، مات سنة ثلاث وتسعين روى له الجماعة **(عند الموت ما تشتهي؟ قال: نظرة إلى الحسن)** وهو البصري، **(فلما دخل عليه الحسن قيل له: هذا الحسن فرفعه طرفه إليه ثم قال: يا اخوتاه الساعة والله أفارقكم إلى النار أو إلى الجنة)**. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن يونس، حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا أبو عمير الحارث بن عمير قال، قالوا لجابر بن زيد عند الموت: أي شيء تريد أن تشتهي؟ قال: نظرة إلى الحسن.

أخبرنا محمد بن أحمد في كتابه، حدثنا محمد بن أيوب، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا حبيب بن الشهيد، عن ثابت قال: لما ثقل جابر بن زيد قيل له: ما تشتهي؟ قال: نظرة

السلام إلى النار أو بعفو الله وتمنى بعضهم أن يبقى في النزع أبداً ولا يبعث لثواب ولا عقاب. فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند الموت. وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء، وهو لائق بهذا الموضع. ولكنا لا نطول بذكره وإعادته.

من الحسن. قال: فاتيت الحسن فأخبرته فركب إليه، فلما دخل عليه قال لأهله: ارقدوني فجلس فما زال يقول أعوذ بالله من النار ومن سوء الحساب.

وقال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين: حدثنا أحمد بن الاسود الحنفي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثني صلت بن دينار، حدثني عروة صاحب الخمر أنه شهد جابر بن زيد عند موته يتبرأ من قريب وزحاف ومن الاباضية. قال: وقيل ما تشتهي؟ قال: نظرة من الحسن فاعلم الحسن فجاءه، فقال: يا أبا سعيد قد نزل بي الموت فما تأمرني؟ فقال: ليست بساعة صلاة ولا صيام ولكن عليك بحسن الظن بالله.

(وقال) أبو عبد الله **(محمد بن واسع)** البصري العابد رحمه الله تعالى **(عند الموت: يا اخوتاه عليكم السلام إلى النار أو بعفو الله)**. رواه أبو نعيم في الحلية، عن عبد الله بن محمد، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا سعيد بن عامر قال: سمعت حزماً يحدث قال: قال محمد بن واسع: يا اخوتاه تدرون أين يذهب بي والله الذي لا إله إلا هو إلى النار أو يعفو الله عني. وقال ابن الجوزي في كتاب الثبات: أخبرنا عبد الملك بن أبي القسم، أنبأنا محمد بن علي العمري، أخبرنا أبو الفضل محمد بن محمد الفامي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن أحمد المرواني، حدثنا محمد بن المنذر، حدثنا عبد الله بن يحي، حدثنا العتبي قال: حدثني محمد بن عبد الله مولى الثقفيين قال: دخلنا على محمد بن واسع وهو يقضي فقال: يا اخوتاه هبوني وإياكم سألنا الله الرجعة فاعطاكموها ومنعنيها فلا تخسروا أنفسكم.

(وتمنى بعـ أن يبقى في النزع أبداً ولا يبعث لثواب ولا عقاب، فخوف سوء الخاتمة قطع قلوب العارفين وهي من الدواهي العظيمة عند الموت، وقد ذكرنا معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لائق بهذا الموضع، ولكننا لا نطول بذكره وإعادته). هذه فصول نذكر فيها ما يتعلق بمقدمات الموت وبمن دنا أجله وكيفية الموت وشدته، وما جاء في ملك الموت وأعوانه ومن يحضر الميت من الملائكة وغيرهم.

فصل

في نذير الموت:

قال القرطبي: ورد في الخبر أن بعض الأنبياء قال لملك الموت: أمالك رسول تقدمه بين يديك ليكون على حذر منك؟ قال: نعم والله لي رسل كثيرة من الأعلال والامراض والشيب والهرم

....

وتغير السمع والبصر ، فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب ناديته إذا قبضته : ألم أقدم إليك رسولاً بعد رسول ، ونذيراً بعد نذير ، فأنا الرسول الذي ليس بعدي رسول ، وأنا النذير الذي ليس بعدي نذير .

وروى أبو نعيم في الحلية عن مجاهد قال : أما من مرض يمرضه العبد إلا رسول ملك الموت عنده حتى إذا كان آخر مرض يمرضه العبد أتاه ملك الموت فقال : أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به وقال : أتاك رسول يقطع اثرك من الدنيا .

وروى البخاري من حديث أبي هريرة : « غذر الله إلى امرىء أخر أجله حتى بلغ ستين سنة » يقال : أعذر الأمر أي بالغ فيه فلم يترك لصاحبه عذراً .

فصل

فيمن دنا أجله وكيفية الموت وشدته :

روى عبدالله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد ، عن يوسف بن يعقوب الحنفي قال : بلغنا أن يعقوب عليه السلام لما أتاه البشير قال له : ما أدري ما أثيبك اليوم إلا أنه هوّن الله عليك سكرات الموت . وروى الطبراني وأبو نعيم من حديث ابن مسعود : إن نفس المؤمن تخرج رشحاً وأن نفس الكفر تسيل كما تسيل نفس الحمار وان المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد بها عليه عند الموت ليكفر بها عنه ، وان الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت فيجزى بها . وروى الدينوري في المجالسة عن وهيب بن الورد يقول الله تعالى : إني لا أخرج أحداً من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها سقماً في جسده ومصيبة في أهله وولده وضيقاً في معاشه وإقتاراً في رزقه ، حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فإن بقي عليه شيء شددت عليه الموت حتى يفضي إليَّ كيوم ولدته أمه ، وعزتي لا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه بكل حسنة عملها صحة في جسده وسعة في رزقه ورغداً في عيشه وأمناً في سربه ، حتى أبلغ منه مثاقيل الذر ، فإن بقي له شيء هوّنت عليه الموت حتى يفضي إليَّ وليس له حسنة يتقي بها النار . وروى ابن ماجه من حديث عائشة إن المؤمن ليؤجر في كل شيء حتى في الكظ عند الموت . وروى ابن أبي الدنيا عن عمار بن نصر عن قتيبة قال : سمعت شيخاً يقول : سمعت الضحاك بن حمزة يقول : سئل رسول الله ﷺ عن الموت فقال : « أدنى جبذات الموت بمنزلة مائة ضربة بالسيف » . قال السيوطي في الآمالي : هو حديث ضعيف معضل ، والضحاك بن حُمرَة بضم الحاء المهملة وسكون الميم واسطي نزل الشام من أتباع التابعين أرسل عن أنس ، ضعفه يحي بن معين والنسائي وغيرهما ، ووثقه ابن حبان وبقية مدلس ، وقد أبهم شيخه . ويقرب منه ما رواه الحارث بن أبي أسامة من طريق ابن أبي داود عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار رفعه : « معالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف ، وما من مؤمن يموت إلا وكل عرق منه يألم على حدتهُ وأقرب ما يكون عدو الله منه في تلك الساعة » . ورواه ابن أبي الدنيا عن إسحاق بن حاتم عن عبد المجيد بن عبد العزيز ، عن مروان بن سالم ، عن أبي حسين البرجي رفعه

بأطول منه، وفيه: «وإن إبليس عدوّ الله أقرب ما يكون من العبد في ذلك الموطن عند فراق الدنيا وترك الأحباء». وروى أبو نعيم من حديث واثلة بن الأسقع: «والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف». وروى الخطيب من حديث أنس: «لمعالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف». وروى أحمد في الزهد من حديث أنس: «إن الملائكة تكتنف العبد وتحبسه ولولا ذلك لكان يعدو في الصحاري والبراري من شدة سكرات الموت» قال في الصحاح اكتنفوه أحاطوا به. وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة، عن الفضيل بن عياض أنه قيل له: ما بال الميت تنزع نفسه وهو ساكت، وابن آدم يضطرب من القرصة: قال إن الملائكة توثقه. وروى أحمد في الزهد عن ابن عباس قال: آخر شدة يلقاها المؤمن الموت. وروى أبو نعيم والمروزي والبيهقي في الشعب عن عمر بن عبدالعزيز قال: ما أحب أن يهوّن علي سكرات الموت لأنه آخر ما يؤجر به المسلم. وروى ابن أبي الدنيا عن أنس قال: لم يلق ابن آدم شيئاً قط منذ خلقه الله أشد عليه من الموت. وروى سعيد بن منصور عن محمد بن كعب قال إن أشد ما يلقى ابن آدم من أمر الآخرة الموت. وروي عن زيد بن أسلم أن رجلاً قال لكعب: ما الداء الذي لا دواء له؟ قال: الموت. قال زيد بن أسلم: إن الموت دواؤه رضوان الله. وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن قال: أشد ما يكون من الموت على العبد إذا بلغت الروح التراقي، فعند ذلك يضرب ويعلو نفسه. قال السيوطي: قد اختص الشهيد بأن لا يجد من ألم الموت ما يجد غيره. روى الطبراني من حديث أبي قتادة: الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم القرصة. وروى ابن أبي الدنيا عن محمد بن كعب القرظي قال: بلغني أن آخر من يموت ملك الموت يقال له يا ملك الموت مت، فيصرخ عند ذلك صرخة لو سمعها أهل السموات والأرض لماتوا فزعاً ثم يموت. وروي عن زياد النميري قال: قرأت في بعض الكتب أن الموت أشد على ملك الموت منه على جميع الخلق.

فصل

فيما يتعلق بدواهي الموت الثلاثة:

روى ابن أبي حاتم، وابن أبي شيبة في المصنف، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا﴾ [الأنعام: ٦١] قال: أعوان ملك الموت من الملائكة. وروى أبو الشيخ في تفسيره عن إبراهيم النخعي مثله وزاد ثم يقبضها ملك الموت منهم بعد، وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة عن وهب ابن منبه قال: إن الملائكة الذين يقرنون بالناس هم الذين يتوفونهم ويكتبون لهم آجالهم، فإذا توفوا النفس دفعوها إلى ملك الموت وهو كالعاقب يعني العشار الذي يؤدي من تحته. وروى ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: لما أراد الله تعالى أن يخلق آدم عليه السلام بعث ملكاً من حملة العرش يأتي بتراب من الأرض، فلما هوى ليأخذ قالت الأرض: أسألك بالذي أرسلك أن لا تأخذ مني اليوم شيئاً يكون للنار منه نصيب غداً فتركها فلما رجع إلى ربه قال: ما منعك أن تأتي بما أمرتك؟ قال: سألتني بك فأرسل آخر فقال مثل ذلك حتى أرسلهم كلهم فأرسل

ملك الموت فقالت له مثل ذلك. فقال: إن الذين أرسلني أحق بالطاعة منك، فأخذ من وجه الأرض كلها من طيبها وخبيثها فجاء به إلى ربه فصبّ عليه من ماء الجنة فصار حمأ مسنوناً فخلق منه آدم عليه السلام. وروى أبو حذيفة إسحاق بن بشير في كتاب المبتدأ عن ابن إسحاق عن الزهري نحوه، وسمى الملك المرسل أولاً إسرافيل، والثاني ميكائيل. وروى ابن عساكر من طريق السدي عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة نحوه، وسمى المرسل أولاً جبريل، والثاني ميكائيل. وروى ابن عساكر أيضاً عن يحيى بن خالد نحوه، وسمى الأول جبريل، والثاني ميكائيل. وقال في آخره: فسماه ملك الموت ووكله بالموت. وروى ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في الشعب، عن عبد الرحمن بن عبدالله بن سابط قال: يدبر أمر الدنيا أربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فأما جبريل فصاحب الجنود والريح، وأما ميكائيل فصاحب القطر والنبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس، وأما إسرافيل فهو يتنزل عليهم بالأمر. وفي لفظ بما يؤمرون. وروى أبو الشيخ في العظمة عن الربيع بن أنس أنه سئل عن ملك الموت هل هو وحده الذي يقبض الأرواح، قال: هو الذي يلي أمر قبض الأرواح، وله أعوان على ذلك غير أن ملك الموت هو الرئيس، وكل خطوة منه من المشرق إلى المغرب. قلت: أين تكون أرواح المؤمنين؟ قال: عند السدرة. وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فالمدبرات أمراً﴾ [النازعات: ٥] قال: ملائكة تكون مع ملك الموت يحضرون الموتى عند قبض أرواحهم، فمنهم من يعرج بالروح، ومنهم من يؤمن على الدعاء، ومنهم من يستغفر للميت حتى يصلى عليه ويدلى في حفرته. وروى أيضاً عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿وقيل من راق﴾ [القيامة: ٢٧] قال: أعوان ملك الموت يقول بعضهم لبعض: من يرقى بروحه من أسفل قدمه إلى موضع خروج نفسه.

فصل

روى أبو نعيم عن الأعمش قال: كان ملك الموت يظهر للناس فيأتي الرجل فيقول: اقض حاجتك فإني أريد أن أقبض روحك فشكى فأنزل الداء وجعل الموت. وروى أحمد والبزار والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة. كان ملك الموت يأتي الناس عياناً، فأتى موسى عليه السلام فلطمه ففقأ عينه فأتى ربه فقال: يا رب عبدك موسى فقأعيني ولولا كرامته عليك لشققت عليه. قال له: اذهب إلى عبدي فقل له: فليضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارث يده سنة فأتاه فقال له: ما بعد هذا؟ قال: الموت. قال: فالآن. قال: فشمه شمة فقبض روحه ورد الله إليه عينه فكان بعد يأتي الناس خفية. وروى أبو حذيفة إسحاق بن بشر في المبتدأ عن ابن عمر قال: قال ملك الموت: يا رب قد اشتقت إلى لقائك فأعطاه ريحانة فشمها فقبض فيها. وروى أبو الشيخ عن محمد بن المنكدر أن ملك الموت قال لإبراهيم عليه السلام: إن ربك يأمرني أن أقبض نفسك بأيسر ما قبضت نفس مؤمن. قال فإني أسألك بحق الذي أرسلك أن تراجعه فيّ فقال: إن خليلك

سأل أن أراجعك فيه، فقال: آته وقل له إن ربك يقول: إن الخليل يحب لقاء خليله، فأتاه فقال له فقال: امض لما أمرت به. قال: يا إبراهيم هل شربت شراباً قط؟ قال: لا. فاستنكهه فقبض نفسه على ذلك.

فصل

روى ابن أبي شيبة في المصنف، عن عبدالله بن عيسى قال: كان فيمن كان قبلكم رجل عبدالله أربعين سنة في البر، ثم قال: يارب قد اشتقت أن أعبدك في البحر فأتى قوماً فاستحملهم فحملوه وجرت بهم سفينتهم ما شاء الله أن تجري، ثم قامت فإذا شجر في ناحية الماء فقال: ضعوني على هذه الشجرة فوضعوه وجرت بهم سفينتهم، فأراد ملك أن يعرج إلى السماء فتكلم بكلامه الذي كان يعرج به فلم يقدر على ذلك. فعلم أن ذلك لخطيئة كانت منه، فأتى صاحب الشجرة فسأله أن يشفع إلى ربه فصلى ودعا للملك وطلب إلى ربه أن يكون هو يقبض نفسه ليكون أهون عليه من ملك الموت، فأتاه حين حضر أجله فقال: إني طلبت إلى ربي أن يشفعني فيك كما شفعك فيَّ، وأكون أنا أقبض نفسك فمن حيث شئت قبضتها فسجد سجدة فخرجت من عينه دمعة فمات.

وروى ابن عساكر في تاريخه عن أبي زرعة قال، قال لي نجيب بن أبي عبيد البشري: رأيت ملك الموت في النوم وهو يقول: قل لأبيك يصلي عليَّ حتى أرفق به عند قبض روحه، فحدثت أبي بما رأيت فقال: يا بني لأنا بملك الموت آنس مني بأمك. وروى ابن عساكر من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال: ذكرت حديثاً رواه ابن عمر: ما حق امرىء مسلم يبيت ثلاث ليال إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه، فدعوت بدواة وقرطاس لأكتب وصيتي فغلبني النوم فنمت ولم أكتبها، فبينا أنا نائم، إذ دخل داخل أبيض الثياب حسن الوجه طيب الريح فقلت: يا هذا من أدخلك داري؟ قال: أدخلنيها ربها. قلت: من أنت؟ قال: ملك الموت فرعبت منه فقال: لا ترع إني لم أؤمر بقبض روحك. قلت: فاكتب لي إذاً براءة من النار. قال: هات دواة وقرطاساً فمددت يدي إلى الدواة والقرطاس الذي نمت عنه وهو عند رأسي فناولته، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم استغفر الله استغفر الله حتى ملأ ظهر الكاغد وبطنه ثم ناولنيه، وقال: هذا براءتك رحمك الله وانتبهت فزعاً ودعوت بالسراج ونظرت، فإذا القرطاس الذي نمت وهو عند رأسي مكتوب ظهره وبطنه استغفر الله استغفر الله.

فصل

قال القرطبي: لا تنافي بين قوله تعالى: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾ [السجدة: ١١] وقوله: ﴿توفَّته رسلنا﴾ [الأنعام: ٦١] ﴿تتوفاهم الملائكة﴾ [النحل: ٢٨] وقوله ﴿الله يتوفّى الأنفس﴾ [الزمر: ٤٢] لأن اضافة التوفي إلى ملك الموت لأنه مباشر للقبض وللملائكة الذين هم أعوانه لأنهم يأخذون في جذبها من البدن فهو قابض وهم معالجون، وإلى الله لأنه الفاعل على الحقيقة. وقال الكلبي: يقبض ملك الموت الروح ثم يسلمها إلى ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت:

اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكون. ومن لسانه أن يكون ناطقاً بالشهادة، ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى.

أما الصورة: فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: ارقبوا الميت عند ثلاث: إذا رشح جبينه ودمعت عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به، وإذا غط غطيط المخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به».

بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت:

وفيه بيان علامة الخير والأمر بتحسين الظن بالله والخوف منه، وبيان ما يشاهد من أسرار الملكوت.

(**اعلم**) وفقك الله تعالى (**أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر**) يقال: حضره الموت واحتضره أشرف عليه فهو في النزع وهو محضور ومحتضر بالفتح (**هو الهدوء والسكون**) أي عدم الانزعاج في ظاهره من الجوارح، (و) المحبوب (**من لسانه أن يكون ناطقاً بالشهادة**) أي بكلمتها وهي لا إله إلا الله، (و) المحبوب (**من قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى. أما الصور؛ فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه ودمعت**) وفي نسخة ذرفت (**عيناه ويبست شفتاه فهي من رحمة الله تعالى قد نزلت به، وإذا غطَّ غطيط المخنوق واحمرّ لونه وازبدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به»**) قال العراقي: رواه الحكيم والترمذي في نوادر الأصول من حديث سلمان ولا يصح اهـ.

قلت: وكذلك رواه الخليلي في مشيخته ولفظها» ارقبوا الميت عند وفاته فإذا ذرفت عيناه ورشح جبينه وانتشر منخراه فهي رحمة من الله قد نزلت به، وإذا غطَّ غطيط البكر المخنوق وكمد لونه وازبد شدقاه فهو عذاب من الله قد نزل به» وقد وردت في رشح الجبين أحاديث أوردها السيوطي في أمالي الدرة الفاخرة.

فصل

ومن علامات خاتمة الخير ما رواه الترمذي والحاكم من حديث أنس: «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله» قيل: كيف يستعمله؟ قال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت». وروى أحمد والحاكم من حديث عمرو بن الحمق: «إذا أحب الله عبداً عسله» قالوا: وما عسله؟ قال: «يوفق له عملاً صالحاً بين يدي أجله حتى يرضى عنه جيرانه». وروى ابن أبي الدنيا من حديث عائشة: «إذا أراد الله بعبد خيراً بعث إليه قبل موته بعام ملكاً يسدده ويوفقه حتى يموت على خير أحايينه، فيقول الناس: مات فلان على خير أحايينه، فإذا حضر ورأى ما أعدّ له جعل يتهوّع نفسه من الحرص على

وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة: **فهي علامة الخير. قال أبو سعيد الخدري: قال** رسول الله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله». **وفي رواية حذيفة «فإنها تهدم ما قبلها** من الخطايا» وقال عثمان: قال رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله**

أن تخرج فهناك أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإذا أراد الله بعبد شراً قيّض له قبل موته بعام شيطاناً يضله ويغويه حتى يموت على شر أحايينه، فيقول الناس: قد مات فلان على شر أحايينه، فإذا حضر ورأى ما أعدّ له جعل يتبلع نفسه كراهية أن تخرج فهناك كره لقاء الله وكره الله لقاءه» قال ابن هبيرة في الإفصاح في معنى هذا الحديث. اعلم أن خروج الروح عند دعاء ملك الموت له من جنس دعاء الحاوي بالحية من جحرها وخروج الجسمين عند الدعاء على حدّ سواء، فأما المؤمن فيتهوّع نفسه أن يستدعي إخراجها. إذ التهوّع إنما هو استدعاء القيء للبروز، وأما الكافر فيتبلع روحه. والتبلع ردّ الجسم الذي في الفم فهو يريد الخروج إلى الجوف اهـ.

وقال بعض العلماء: الأسباب المقتضية لسوء الخاتمة والعياذ بالله أربعة: التهاون بالصلاة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وأذى المسلمين.

(وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير. قال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»)** قال ابن حبان وغيره: أراد به من حضره الموت.

أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرنا عبدالله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ أخبرنا علي بن يحيى، أخبرنا يوسف بن عبدالله الحسني، أخبرنا الجلال أبو الفضل الحافظ، أخبرتني أم الفضل ابنة محمد قراءة قالت: أخبرنا إبراهيم بن أحمد المقري، أخبرنا أحمد بن أبي طالب، أخبرنا عبدالله بن عمر، أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا أبو محمد السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق الشاشي، أخبرنا عبد بن حميد، حدثنا عبدالله بن عمر، وحدثنا سليمان بن بلال، عن عمارة بن غزية، عن يحيى بن عمارة، عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لقنوا موتاكم قول لا إله إلا الله» هذا حديث صحيح أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن حبان من طرق عن عمارة بن غزية. ورواه مسلم أيضاً وابن ماجه من حديث أبي هريرة. ورواه النسائي من حديث عائشة. ورواه العقيلي من حديث حذيفة بن اليمان. ورواه النسائي أيضاً وابن ماجه من حديث عروة.

(وفي رواية) من حديث **(حذيفة)** رضي الله عنه: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله **(فإنها تهدم ما قبلها من الخطايا»)** هكذا قاله المصنف وقد تقدم، والذي في كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا أنه من حديث ابن مسعود، وقد روى نحوه الديلمي من حديث أبي هريرة ولفظه: «فإنها تهدم الخطايا كما يهدم السيل البنيان». فقالوا: كيف هي للأحياء؟ قال: «اهدم واهدم».

وقد روي هذا الحديث بزيادات أخر. روى ابن ماجه والحكيم والطبراني من حديث عبدالله

دخل الجنة »، وقال عبيدالله: « وهو يشهد » وقال عثمان: إذا احتضر الميت فلقنوه: « لا

ابن جعفر: « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله الحكيم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين ». قالوا: يا رسول الله كيف هي للأحياء؟ قال: « أجود وأجود ».

وروى الطبراني من حديث ابن مسعود: « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإن نفس المؤمن تخرج رشحاً ونفس الكافر تخرج من شدقه كما تخرج نفس الحمار ».

وروى الديلمي من حديث أبي هريرة: « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنها خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان، ولو جعلت لا إله إلا الله في كفة وجعلت السموات والأرض في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله ».

وروى ابن حبان من حديث أبي هريرة: « لقنوا موتاكم لا إلـه إلا الله فإنه من كان آخر كلامه لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يوماً من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه ».

وروى الديلمي من حديث أبي هريرة: « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ولا تملوهم فإنهم في سكرات الموت ».

وروى الطبراني في الأوسط والصغير من طريق وصيف الأنطاكي، حدثنا سليمان بن سيف، حدثنا سعيد بن سلام، حدثنا عمر بن محمد، عن صفوان بن سليم، عن أبي سلمةبن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رفعه: « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله وقولوا الثبات الثبات ولا قوّة إلا بالله ».

تنبيه:

وقع للمصنف في كتابه الدرة الفاخرة بلفظ: « لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله ». قال السيوطي في أماليه: ليس في روايات هذا الحديث لفظ شهادة إلا في حديث ابن عباس، وهو في المعجم الكبير للطبراني بسند رجال ثقات، لكنه من رواية ابن أبي طلحة ولم يسمع منه اهـ.

قلت: ولفظه: « لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة ». قالوا: يا رسول الله فمن قالها في صحته؟ قال تلك أوجب وأوجب » الحديث.

(وقال عثمان) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة »)**، رواه أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة ومسلم والنسائي وابن حبان وابن خزيمة، وقد تقدم. ورواه أبو يعلى بلفظ: « وهو يعلم إن الله حق ».

(وقال عبيد الله) وفي بعض النسخ عبدالله **(« وهو يشهد »)** وهذا قد رواه البيهقي من حديث معاذ بلفظ: « من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قبله دخل الجنة ». وروى الخطيب من حديث جابر: « من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله فقد حلّ له أن يغفر له ».

(وقال عثمان) رضي الله عنه: **(إذا احتضر الميت فلقنوه: « لا إله إلا الله » فإنه ما من**

إله إلا الله » فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة. وقال عمر رضي الله عنه: أحضروا موتاكم وذكروهم فإنهم يرون ما لا يرون ولقنوهم: لا إله إلا الله. وقال أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « حضر ملك الموت رجلاً يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئاً، ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقاً بحنكه يقول لا إله إلا الله، فغفر له بكلمة الإخلاص ».

عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة). قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة، حدثنا يحي بن صالح الوحاطي، حدثنا سليم بن عطاء الجزري، حدثنا سلمة بن عبدالله الجهني، عن عمه أبي مشجعة قال: عدنا مع عثمان مريضاً فقال له عثمان قل لا إله إلا الله فقالها، فقال: والذي نفسي بيده لقد رمى بها خطاياه فحطمها حطماً، فقلت أشيء تقول أم شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: بل سمعته من رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله هذا هي للمريض فكيف هي للصحيح؟ فقال: « هي للصحيح احطم ».

(وقال عمر رضي الله عنه: أحضروا موتاكم وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا إله إلا الله) هذا استدل به المصنف على قوله في الدرة الفاخرة، وربما كشف للميت عن الأمر الملكوتي وساق هذا الأثر. وقد رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين عن علي بن الجعد، عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، عن أبيه، عن مكحول قال: قال عمر فساقه.

وقال أبو بكر المروزي في كتاب الجنائز: حدثنا القواريري، حدثنا يزيد بن زريع، أخبرنا يونس عن الحسن قال: قال عمر رضي الله عنه: أحضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله فإنهم يرون ويقال لهم. وقال المروزي أيضاً: حدثنا سريج، حدثنا هشيم، أخبرنا يونس بمثله. وقال أيضاً حدثنا الثعلبي، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن برد، عن مكحول قال: قال عمر: لقنوا موتاكم لا إله إلا الله واعقلوا ما تسمعون من المطيعين منكم فإنه يخيل إليهم أمور صادقة. وقال أيضاً: حدثنا سريج، حدثنا إسماعيل، عن برد، عن مكحول بمثله. قال السيوطي في الأمالي: هذا أثر لا بأس به، ورجال هذه الأسانيد ثقات إلا أن الحسن ومكحولاً لم يدركا عمر.

وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: « حضر ملك الموت رجلاً يموت)** أي في حالة النزع لقبض الروح **(فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيئاً، ففك لحييه فوجد طرف لسانه لاصقاً بحنكه يقول لا إله إلا الله فغفر له بكلمة الإخلاص »)** بين به أن التوحيد المحض الخالص عن شوائب الشرك لا يبقى معه ذنب، فنجاسة الذنوب عارضة والدافع لها قوي، وإنما سميت كلمة الإخلاص لأن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه وخلص لله سمي خالصاً. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين، والطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب وإسناده جيد إلا أن في رواية البيهقي رجلاً لم يسم، وسمي في رواية الطبراني إسحاق بن يحي بن طلحة وهو ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه الخطيب في التاريخ وابن لال في مكارم الأخلاق، والديلمي في مسند الفردوس ولفظهم: « فشق أعضاءه فلم يجده عمل خيراً ثم شق قلبه فلم يجد فيه خيراً ففك لحييه » والباقي سواء.

ومما يناسب في الباب ما رواه الحاكم في تاريخه، والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس: « افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله، ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله فإنه من كان أوّل كلامه لا إله إلا الله وآخر كلامه لا إله إلا الله ثم عاش ألف سنة ما سئل عن ذنب واحد ». قال البيهقي: متن غريب لم نكتبه إلا بهذا الإسناد.

وروى أبو نعيم في الحلية من طريق مكحول، عن واثلة بن الأسقع رفعه: « أحضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فإن الحليم من الرجال والنساء يتحير عند ذلك المصرع » الحديث.

وروى الطبراني والبيهقي في كتابيه الشعب والدلائل عن عبدالله بن أبي أوفى قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن ههنا غلاماً قد احتضر، فيقال له لا إله إلا الله فلا يستطيع أن يقولها. قال: « أليس كان يقولها في حياته ». قالوا: بلى: « قال: « فما منعه منها عند موته »؟ فنهض النبي ﷺ ونهضت معه حتى أتى الغلام، فقال: « يا غلام قل لا إله إلا الله ». قال: لا أستطيع أن أقولها. قال: « ولم » قال: لعقوق والدتي. قال: « أحية هي ». قال: نعم. قال: « ارسلوا إليها » فجاءته فقال لها رسول الله ﷺ: « ابنك هو »؟ قالت: نعم. قال: « أرأيت لو أن ناراً أججت فقيل لك إن لم تشفعي فيه دفناه في هذه النار ». فقالت: إذاً كنت أشفع له. قال: « فاشهدي الله واشهدينا بأنك قد رضيت » فقالت: قد رضيت عن ابني. فقال: « يا غلام قل لا إله إلا الله » فقال: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: « الحمد لله الذي أنقذه من النار ».

وروى ابن عساكر عن عبد الرحمن المحاربي قال: حضرت رجلاً الوفاة فقيل له: قل لا إله إلا الله. قال: لا أقدر كنت أصحب قوماً يأمروني بشتم أبي بكر وعمر. وروى أبو يعلى والحاكم بسند صحيح من حديث طلحة وعمر رضي الله عنهما: إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل حضره الموت إلا وجد روحه لها روحة حين تخرج من جسده وكانت له نوراً يوم القيامة، وفي لفظ إلا نَفَّسَ الله عنه وأشرق لونه ورأى ما يسره لا إله إلا الله. وروى أبو نعيم في الحلية عن فرقد السبخي قال: إذا حضر العبد الوفاة قال الملك صاحب الشمال لصاحب اليمين: خفف، فيقول صاحب اليمين: لا أخفف لعله يقول لا إله إلا الله فأكتبها. وروى الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة وأبي سعيد معاً: من قال عند موته لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلا بالله لا تطعمه النار أبداً. وروى الحاكم من حديث سعد بن أبي وقاص: هل أدلكم على اسم الله الأعظم؟ دعاء يونس لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فأيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين يوماً مرة فمات في مرضه ذلك أعطي أجر شهيد، وإن برىء بريء مغفوراً له.

وينبغي للملقن أن لا يلح في التلقين ولكن يتلطف، فربما لا ينطق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدي إلى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات، وابن منيع في مسنده من حديث أبي هريرة: «يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر حق من تكلم به في أول مضجعه من مرضه نجاه الله من النار». قلت: بلى. قال: «لا إله إلا الله يحيي ويميت وهو حي لا يموت، وسبحان الله رب العباد والبلاد، والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على كل حال الله أكبر كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان. اللهم إن كنت أمرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا فاجعل روحي في أرواح من سبقت له منك الحسنى، وأعذني من النار كما أعذت أولئك الذين سبقت لهم منك الحسنى، فإن مت في مرضك ذلك فإلى رضوان الله والجنة، وإن كنت قد اقترفت ذنوباً تاب الله عليك».

وروى ابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال: سمعت من رسول الله ﷺ كلمات من قالهن عند وفاته دخل الجنة «لا إله إلا الله الحليم الكريم ثلاث مرات الحمد لله رب العالمين ثلاث مرات. تبارك الذي بيده الملك يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير» وروى سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والمروزي عن أم الحسن قالت: كنت عند أم سلمة فجاءها إنسان فقال: فلان بالموت. فقالت: انطلق فإذا رأيته احتضر فقل: سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

(وينبغي للملقن أن لا يلح في التلقين ولكن يتلطف، فربما لا ينطلق لسان المريض فيشق عليه ذلك ويؤدي إلى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة ويخشى أن يكون ذلك سبب سوء الخاتمة) كما روى الديلمي من حديث أبي هريرة: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ولا تملوهم فإنهم في سكرات الموت» وقد تقدم قريباً. وروى أبو القاسم القشيري في أماليه من حديث أبي هريرة: «إذا ثقلت مرضاكم فلا تملوهم قول لا إله إلا الله ولكن لقنوهم فإنه لم يختم به لمنافق قط».

تنبيه:

وقع للمصنف في الدرة الفاخرة ونهى عن الإكثار بها عليهم. قال السيوطي في أماليه: ينبغي ضبط نهي بضم النون مبنياً للمفعول لا بالفتح مبنياً للفاعل معطوفاً على قال، لأن النهي عن ذلك لم يرد في الحديث، وإنما ذكره السلف والفقهاء اهـ.

قلت: بل قد ورد في ذلك من حديث أبي هريرة الذي عند الديلمي، والذي عند القشيري، وقد ذكرا قبل ذلك.

فصل

ومن أظرف ما وقع في ذلك: ما قال البيهقي في الشعب، أخبرنا أبو عبدالله الحافظ قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبد العزيز لواعظ يقول: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الساوي وراق أبي

وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه شيء غير الله، فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه. وإن كان القلب مشغوفاً بالدنيا ملتفتاً إليها متأسفاً على لذاتها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها، وقع الأمر في خطر المشيئة، فإن مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن يتفضل الله تعالى بالقبول.

زرعة يقول: حضرت أبا زرعة وهو في السوق يعني بفتح السين وعنده أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، والمنذر بن شاذان، وجماعة من العلماء فذكروا حديث التلقين، واستحيوا من أبي زرعة أن يلقنوه التوحيد فقالوا: تعالوا نذكر الحديث، فقال محمد بن مسلم: حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح وجعل يقول ابن ابن ولم يجاوز، فقال أبو حاتم: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر وسكت ولم يجاوز والباقون سكتوا. فقال أبو زرعة وهو في السوق: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن أبي عريب، عن كثير بن مرة الحضرمي، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». وتوفي أبو زرعة رحمه الله تعالى. هكذا أخرجه السيوطي في أمالي الدرة الفاخرة من هذا الوجه، ورواه ابن الجوزي في كتاب الثبات فقال: أخبرنا أبو منصور القزاز، أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، أخبرنا أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن فضالة، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن شاذان، سمعت أبا جعفر التستري يقول: حضرنا أبا زرعة وكان في السوق فساقه.

قلت: والحديث أخرجه أحمد وأبو داود والطبراني من هذا الوجه وأخرجه ابن منده من حديث أبي شيبة الخدري، وأنشد السيوطي لنفسه في هذا المعنى:

لقن أخاك لدى الممات شهادة ... لا تستهبه ولا تلح وتبرم
من كان آخر ما يقول شهادة إلا ... خلاص يخلد في الجنان ويرحم

(**وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه غير الله**) كما قال القائل: حسبي ربي جل الله ما في قلبي غير الله، (**فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق**) جل شأنه (**كان قدومه بالموت على حبيبه غاية النعيم في حقه، وإن كان القلب مشغوفاً بالدنيا ملتفتاً إليها متأسفاً على لذاتها**) خائفاً على فواتها، (**وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على تحقيقها وقع الأمر في خطر المشيئة فإن مجرد حركة اللسان، قليل الجدوى إلا أن يتفضل الله بالقبول**)، وقد روى الطبراني من حديث معاذ: «من مات يقول لا إله إلا الله يقيناً من نفسه دخل الجنة». وروى أحمد والبيهقي من حديثه: «من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه دخل الجنة».

وأما حسن الظن: فهو مستحب في هذا الوقت ـ وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء ـ وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن بالله دخل واثلة بن الأسقع على مريض فقال: أخبرني كيف ظنك بالله؟ قال أغرقتني ذنوب لي وأشرفت على هلكة ولكني أرجو رحمة ربي! فكبر واثلة وكبر أهل البيت بتكبيره وقال: الله أكبر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» ودخل النبي ﷺ على شاب وهو يموت فقال: «كيف تجدك، قال أرجو الله وأخاف ذنوبي، فقال النبي ﷺ: «ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذي يرجوه وآمنه من الذي

(**وأما حسن الظن**) بالله تعالى؛ (**فهو مستحب في هذا الوقت ـ وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء ـ وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن بالله**) من ذلك: (**دخل**) واثلة بالمثلثة (**بن الأسقع**) بالقاف بن كعب الليثي رضي الله عنه صحابي مشهور نزل الشام وعاش إلى سنة خمس وثمانين وله مائة وخمس سنين. روى له الجماعة. (**على مريض فقال: أخبرني كيف ظنك بالله؟ قال: أغرقتني ذنوب لي وأشرفت على هلكة ولكني أرجو رحمة ربي، فكبّر واثلة**) رضي الله عنه (**وكبّر أهل البيت بتكبيره وقال: الله أكبر سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي فليظن بي ما شاء»**) قال العراقي: رواه ابن حبان بالمرفوع منه وقد تقدم وأحمد والبيهقي في الشعب به جميعاً اهـ.

قلت: ورواه بالرفع فقط ابن أبي الدنيا والحكيم والطبراني وابن عدي والحاكم وتمام بلفظ: «قال الله عز وجل» فساقه. ورواه الشيرازي في الألقاب من حديث أنس، وفي لفظ للطبراني، وابن حبان من حديث واثلة بلفظ: «أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيراً فخير وإن ظن شراً فشر» وروى الجملة الأولى فقط الطبراني من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وروى أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ: «إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله».

(**ودخل النبي ﷺ على شاب وهو يموت فقال: «كيف تجدك؟» فقال: أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال ﷺ: «ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله الذي يرجو وآمنه من الذي يخاف»**) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم في كتاب الخوف والرجاء، ورواه القشيري في الرسالة فقال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا الخضر بن أبان الهاشمي، حدثنا سوار، حدثنا جعفر، عن ثابت عن أنس فذكره. وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن الحسن قال: بلغني عن رسول الله ﷺ انه قال: «قال ربكم لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين فمن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة، ومن أمنني في الدنيا أخفته في الآخرة». ورواه أبو نعيم في الحلية عن شداد بن أوس موصولاً. وروى ابن المبارك في الزهد عن ابن عباس قال: «إذا رأيتم بالرجل الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن بالله وإذا كان حياً فخوّفوه».

يخاف» وقال ثابت البناني. كان شاب به حدة وكان له أم تعظه كثيراً وتقول له: يا بني إن لك يوماً فاذكر يومك، فلما نزل به أمر الله تعالى اكبت عليه أمه وجعلت تقول له: يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول إن لك يوماً، فقال: يا أمه إن لي رباً كثير المعروف وإني لأرجو أن لا يعـدمني اليوم بعض معروفه، قال ثابت: فرحمه الله بحسن ظنه بربه. وقال جابر بن وداعة: كان شاب به رهق فاحتضر، فقالت له أمه: يا بني توصي بشيء؟ قال: نعم، خاتمي لا تسلبينيه فإن فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمني، فلما دفن رؤي في المنام فقال: أخبروا أمي أن الكلمة قد نفعتني وأن الله قد غفر لي. ومرض أعرابي فقيل له إنك تموت، فقال: أين يذهب بي؟ قال: إلى الله، قال: فما كراهتي أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه. وقال أبو المعتمر بن سليمان: قال أبي لما حضرته الوفاة يا معتمر حدثني بالرخص لعلي ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به.

(**وقال ثابت**) بن أسلم (**البناني**) التابعي العابد رحمه الله تعالى: (**كان شاب به حدّة**) أي نشاط إلى اللهو واللعب، (**وكانت له أم تعظه كثيراً وتقول له: يا بني إن لك يوماً فاذكر يومك، فلما نزل به أمر الله تعالى أكبَّت عليه أمه تقول له: يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا وأقول: إن لك يوماً، فقال**) الشاب: (**يا أمه إن لي رباً كثير المعروف وإني لأرجو أن لا يعدمني اليوم بعض معروفه. قال ثابت: فرحمه الله بحسن ظنه بربه**). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله. ورواه أبو نعيم في الحلية عن أبي محمد بن حيان، حدثنا الحسن بن هارون، حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا سيار، حدثنا جعفر، حدثنا ثابت قال: كان شاب به رهق، فكانت أمه تعظه فساقه. وفي آخره قال ثابت رحمه الله حسن ظنه بالله في حالته تلك.

(**وقال جابر بن وداعة**) بفتح الواو: (**كان شاب به رهق**) محركة أي نشاط (**فاحتضر**) أي حضره الموت (**فقالت له أمه: يا بني توصي بشيء؟ قال: نعم خاتمي لا تسلبنيه فإن فيه ذكر الله تعالى، فلعل الله يرحمني، فلما دفن رؤي في المنام فقال: اخبروا أمي أن الكلمة قد نفعتني وأن الله قد غفر لي**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله.

(**ومرض اعرابي فقيل له: إنك تموت. فقال: أين يذهب بي؟ فقالوا إلى الله. قال: فما كراهتي أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه**)، رواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله.

(**وقال**) أبو محمد (**المعتمر بن سليمان**) البصري ثقة مات سنة سبع وثمانين وقد جاوز الثمانين روى له الجماعة. (**قال أبي**) سليمان بن طرخان التيمي نزل في التيم فنسب إليهم ثقة عابد مات سنة ثلاث وأربعين وهو ابن سبع وتسعين روى له الجماعة، (**لما حضرته الوفاة: يا معتمر حدثني**

وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه.

بالرخص لعلي ألقى الله عز وجل وأنا حسن الظن به) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق قال: سمعت سوار بن عبد الله قال: سمعت المعتمر يقول؛ قال أبي فذكره.

(وكانوا يستحبون أن يذكر للعبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه) ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله، عن ابراهيم النخعي بلفظ: أن يلقنوا العبد بمحاسن عمله. ورواه أيضاً محمود بن محمد في كتاب المتفجعين. ومما يليق إيراده في الباب ما رواه الشيخان عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاث «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله». واخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن، وزاد «فإن قوماً قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال تعالى: ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾ [فصلت: ٢٣]. وروى ابن عساكر من حديث أنس «لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة». وروى ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن مسعود قال: «والله الذي لا إله غيره لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه». وروى ابن المبارك وأحمد والطبراني من حديث معاذ «إن شئتم انبأتكم ما أوّل ما يقول الله للمؤمنين يوم القيامة، وما أوّل ما يقولون له» قلنا: نعم يا رسول الله. قال «فإن الله يقول للمؤمنين هل أحببتم لقائي؟ فيقولون: نعم يا ربنا، فيقول: لم؟ فيقولون: رجونا عفوك ومغفرتك. فيقول: قد وجبت لكم مغفرتي».

وروى ابن أبي الدنيا في حسن الظن، والبيهقي في الشعب، وابن عساكر، عن أبي غالب صاحب أبي أمامة قال: كنت بالشام فنزلت على رجل من قيس من خيار الناس وله ابن أخ مخالف له يأمره وينهاه ويضربه فلا يطيعه، فمرض الفتى فبعث إلى عمه فأبى أن يأتيه فأتيته أنا به حتى أدخلته عليه، فأقبل عليه يشتمه ويقول: أي عدوّ الله ألم تفعل كذا؟ قال: أرأيت أي عم لو أن الله دفعني إلى والدتي ما كانت صانعة بي؟ قال: كانت والله تدخلك الجنة. قال: فو الله لله ارحم بي من والدتي، فقبض الفتى ودفنه عمه فلما سوى اللبن سقطت منه لبنة فوثب عمه فتأخر قلت: ما شأنك؟ قال: ملىء قبره نوراً وفسح له مدّ البصر.

وروى ابن أبي الدنيا فيه، والبيهقي في الشعب عن حميد قال: كان لي ابن أخت مرهق فمرض فأرسلت إلى أمه فأتيتها فإذا هي عند رأسه تبكي، فقال: يا خال ما يبكيها؟ قلت: ما تعلم منك، قال: أليس إنما ترحمني؟ قلت: بلى، قال: فإن الله أرحم بي منها، فلما مات أنزلته القبر مع غيري فذهبت أسوّي لبنة فاطلعت في اللحد فإذا هو مدّ بصري، فقلت لصاحبي: وأنت ما رأيت؟ قال: نعم فليهنك ذاك. قال: فظننت انه بالكلمة التي قالها.

بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بحكايات يعرب لسان الحال عنها :

قال أشعث بن أسلم : سأل ابراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه ـ فقال : يا ملك الموت ما تصنع إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع ؟ قال أدعو الأرواح بإذن الله فتكون بين أصبعي هاتين ، وقال قد دحيت له الأرض فتركت مثل الطشت بين

فصل

في بيان ما يقرأ عند الميت وما يقال إذا مات وغمض:

روى ابن أبي الدنيا في كتاب الموت ، والديلمي من حديث أبي الدرداء : « ما من ميت يقرأ عند رأسه يس إلا هوّن الله عليه » وروى ابن أبي شيبة ، وأحمد ، وأبو داود والنسائي والحاكم وابن حبان من حديث معقل بن يسار « أقرأوا على موتاكم يس » . قال ابن حبان : أراد به من حضره الموت يقرأ عليه . وروى ابن أبي شيبة والمروزي عن جابر بن زيد قال : كان يستحب إذا حضر الميت أن يقرأ عنده سورة الرعد فإن ذلك يخفف عن الميت وأنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه ، وكان يقال قبل أن يموت الميت بساعة في حياة رسول الله ﷺ : اللهم اغفر لفلان بن فلان وبرّد عليه مضجعه ، ووسع عليه في قبره ، واعطه الراحة بعد الموت ، وألحقه بنبيه ، وتول نفسه وصعّد روحه في أرواح الصالحين واجمع بيننا وبينه في دار تبقى فيها الصحبة ويذهب عنا فيها النصب واللغوب ، ويصلي على رسول الله ﷺ ويكرر ذلك حتى يقبض . وروى ابن أبي شيبة والمروزي عن الشعبي قال : كانت الانصار يقرأون عند الميت سورة البقرة . وروى الطبراني في الأوسط عن أبي بكرة قال : دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وهو في الموت ، فلما شق بصره مدّ رسول الله ﷺ يده فأغمضه ، فلما اغمضه صاح أهل البيت فسكتهم رسول الله ﷺ وقال : « إن النفس إذا خرجت تبعها البصر وأن الملائكة تحضر الميت فيؤمنون على ما يقول أهل البيت » . ثم قال ﷺ : « اللهم ارفع درجة أبي سلمة في المهديين واخلفه في عقبه في الفائزين واغفر لنا وله يوم الدين » . وروى الحاكم من حديث شداد بن أوس « إذا حضرتم الميت فاغمضوا البصر فإن البصر يتبع الروح وقولوا خيراً ، فإن الملائكة تؤمن على دعاء أهل البيت » . وروى المروزي عن بكر المزني قال : إذا غمضت ميتاً فقل بسم الله وعلى ملة رسول الله .

بيان الحسرة عند لقاء الموت بحكايات يعرب بلسان الحال عنها:

وفيه بيان قطع الآجال كل سنة . (**قال اشعث بن أسلم : سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرائيل**) بفتح العين (**وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه ، فقال : يا ملك الموت ما تصنع إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع؟ قال : ادعو الأرواح بإذن الله فتكون بين أصبعي هاتين . وقال**) اشعث :

يديه يتناول منها ما يشاء، قال وهو يبشره بأنه خليل الله عز وجل. وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت عليه السلام ما لي لا أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع

(**ودحيت له الأرض فتركت مثل الطست بين يديه يتناول منها ما يشاء**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، وأبو الشيخ في العظمة، عن اشعث. وروى أحمد في الزهد، وأبو الشيخ في العظمة، وأبو نعيم في الحلية عن مجاهد قال: جعلت الأرض لملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث شاء، وجعل له أعواناً يتوفون الأنفس ثم يقبضها منهم. وروى ابن أبي الدنيا من طريق الحسن بن عمارة، عن الحكم أن يعقوب عليه السلام قال لملك الموت: ما من نفس منفوسة إلا وأنت تقبض روحها. قال: نعم. قال: فكيف وأنت عندي ههنا والأنفس في أطراف الأرض؟ قال: إن الله سخر لي الدنيا فهي كالطست يوضع قدام أحدكم فيتناول من أي أطرافها شاء كذلك الدنيا عندي. وروى الدينوري في المجالسة عن أبي قيس الأودي قال، قيل لملك الموت: كيف تقبض الارواح؟ قال: ادعوها فتجيبني. وروى ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ، وأبو نعيم عن شهر بن حوشب قال: ملك الموت جالس والدنيا بين ركبتيه واللوح الذي فيه آجال بني آدم في يديه، وبين يديه ملائكة قيام وهو يعرض اللوح لا يطرف، فإذا أتوا على أجل عبد قال اقبضوا هذا. وروى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس أنه سئل عن نفسين اتفق موتهما في طرفة عين واحد في المشرق وآخر في المغرب كيف قدر ملك الموت عليهما؟ قال: ما قدرة ملك الموت على أهل المشارق والمغارب والظلمات والهواء والنجوم إلا كرجل بين يديه مائدة يتناول من أيها شاء. وروى جويبر في تفسيره عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: ملك الموت الذي يتوفى الأنفس كلها وقد سلط على ما في الأرض كما سلط أحدكم على ما في راحتيه ومعه ملائكة من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فإذا توفى نفساً طيبة دفعها إلى ملائكة الرحمة وإذا توفى نفساً خبيثة دفعها إلى ملائكة العذاب. وروى ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ عن أبي المثنى الحمصي قال: إن الدنيا سهلها وجبالها بين فخذي ملك الموت ومعه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فيقبض الأرواح فيعطي هؤلاء لهؤلاء ـ يعني ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ـ قيل: فإذا كانت ملحمة وكان السيف مثل البرق. قال: يدعوهم فتأتيه الأنفس. وروى ابن أبي حاتم عن زهير بن محمد قال: قيل يا رسول الله ملك الموت واحد والزحفان يلتقيان بين المشرق والمغرب وما بين ذلك من السقط والهلاك؟ فقال «إن الله حوّى الدنيا لملك الموت حتى جعلها كالطست بين يدي أحدكم فهل يفوته منها شيء».

(**قال**) الراوي وهو أشعث بن أسلم الذي تقدم ذكره. (**وهو**) الذي (**بشّره بأنه خليل الله عز وجل**) هذا القول قد رواه ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود، وابن عباس قال: لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً سأل ملك الموت ربه، أن يأذن له بذلك، فأذن له، فجاء إبراهيم فبشره فقال: الحمد لله وقد ذكر بتمامه قريباً.

(**وقال سليمان بن داود عليه**) وعلى أبيه (**السلام لملك الموت عليه السلام: ما لي لا أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا؟ قال: ما أنا بذلك بأعلم منك إنما هي صحف أو**

هذا ؟ قال ما أنا بذلك بأعلم منك ؛ إنما هي صحف أو كتب تلقى إلي فيها أسماء ، وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض ، فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه ـ بعد مرات ـ وكذلك طلب دابة فأتي بها فلم تعجبه ، حتى أتي بدواب فركب أحسنها ، فجاء إبليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبراً . ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبراً فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام ، فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمراً عظيماً ؛ قال إن لي إليك حاجة قال إصبر حتى أنزل قال لا الآن ، فقهره على لجام دابته فقال اذكرها قال ، هو سر ، فأدنى له رأسه فساره وقال ، أنا ملك الموت! فتغير لون الملك

كتب تلقى إليّ فيها أسماء) رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف فقال : حدثنا عبد الله بن نمير ، عن الأعمش ، عن خيثمة قال : أتى ملك الموت سليمان بن داود عليهما السلام وكان له صديقاً فقال له سليمان : مالك تأتي أهل البيت فتقبضهم جيعاً وتدع أهل البيت إلى جنبهم لا تقبض منهم أحداً ؟ قال : لا أعلم بما أقبض منهما إنما أكون تحت العرش فتلقى إليّ صكاك فيها أسماء . وروى ابن عساكر عن خيثمة قال ، قال سليمان عليه السلام لملك الموت : إذا أردت أن تقبضني فاعلمني بذلك . قال : ما أنا أعلم بذلك منك إنما هي كتب تلقى إليّ فيها تسمية من يموت . وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن ملكاً استأذن ربه أن يهبط إلى إدريس عليه السلام فاتاه فسلم عليه فقال له ادريس عليه السلام : هل بينك وبين ملك الموت شيء ؟ قال : ذلك أخي من الملائكة . قال : هل تستطيع ان تنفعني عنده بشيء ؟ قال : أما أن يؤخر شيئاً أو يقدمه فلا ، ولكن سأكلمه فيرفق بك عند الموت ، فقال : اركب بين جناحي فركب إدريس عليه السلام فصعد إلى السماء العليا فلقي ملك الموت وإدريس عليه السلام بين جناحيه فقال له الملك : إن لي إليك حاجة . قال : علمت حاجتك تكلمني في إدريس وقد محي اسمه ولم يبق من أجله إلا نصف طرفة عين ، فمات إدريس عليه السلام بين جناحي الملك . وروى أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا عن معمر قال : بلغني أن ملك الموت لا يعلم متى يحضر أجل الانسان حتى يؤمر بقبضه . وروى ابن أبي الدنيا عن ابن جريج قال : بلغنا أنه يقال لملك الموت . اقبض فلاناً في وقت كذا في يوم كذا .

(وقال) أبو عبد الله **(وهب بن منبه)** اليماني رحمه الله تعالى : **(كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات ، وكذلك طلب دابة فأتي بها فلم تعجبه حتى أتي بدواب فركب أحسنها ، فجاء إبليس فنفخ في منخره نفخة فملأه كبراً ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبراً ، فجاءه رجل رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام ، فأخذ بلجام دابته فقال : ارسل اللجام فقد تعاطيت أمراً عظيماً . قال : إن لي إليك حاجة . قال : اصبر حتى أنزل . قال : لا الآن فقهره على لجام دابته ، فقال : اذكرها . قال : هو سر فأدنى له رأسه)** أي قربه

واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى أرجع إلى أهلي وأقضي حاجتي وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبداً! فقبض روحه فخر كأنه خشبة، ثم مضى فلقي عبداً مؤمناً في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال إن لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقال هات فساره وقال: «أنا ملك الموت! فقال أهلاً ومرحباً بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان في الأرض غائب أحب إليّ أن ألقاه منك! فقال ملك الموت إقض حاجتك التي خرجت لها، فقال ما لي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى! قال فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك؟ فقال تقدر على ذلك؟ قال نعم إني أمرت بذلك، قال: فدعني حتى أتوضأ وأصلي ثم أقبض روحي وأنا ساجد، فقبض روحه وهو ساجد.

وقال أبو بكر بن عبدالله المزني جمع رجلاً من بني إسرائيل مالاً فلما أشرف على الموت قال لبنيه: أروني أصناف أموالي؟ فأتي بشيء كثير من الخيل والإبل والرقيق وغيره فلما نظر إليه بكى تحسراً عليه، فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال له: ما يبكيك؟ فوالذي خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك! قال: فالمهلة حتى

إليه (فسارّه) أي تكلم في أذنه سراً (وقال: أنا ملك الموت فتغير لون الملك واضطرب لسانه، ثم قال: دعني حتى أرجع إلى أهلي وأقضي حاجتي وأودعهم. قال: لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبداً فقبض روحه فخرّ ميتاً كأنه خشبة ثم مضى فلقي عبداً مؤمناً في تلك الحال، فسلم عليه فردّ عليه السلام فقال: إن لي حاجة أذكرها في أذنك، فقال: هات فسارّه، وقال: أنا ملك الموت. فقال: أهلاً ومرحباً بمن طالت غيبته عليَّ فوالله ما كان في الأرض غائب أحب إلي أن ألقاه منك، فقال ملك الموت: اقض حاجتك التي خرجت لها. فقال: مالي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال: فاختر على أي حال شئت أن أقبض روحك. فقال: تقدر على ذلك؟ قال: نعم إني أمرت بذلك. قال: فدعني حتى أتوضأ وأصلي واقبض روحي وأنا ساجد فقبض روحه وهو ساجد). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

(وقال) أبو عبد الله (بكر بن عبد الله المزني) البصري ثقة ثبت جليل مات سنة ست ومائة روى له الجماعة: (جمع رجل من بني إسرائيل مالاً، فلما أشرف على الموت قال لبنيه: أروني أصناف أموالي فأتي بشيء كثير من الخيل والإبل والرقيق وغيره، فلما نظر إليه بكى تحسراً عليه، فرآه ملك الموت وهو يبكي فقال له: ما يبكيك؟ فـوالذي خوّلك) أي أنعم عليك به (ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك! قال: فالمهلة) أي اعطني

أفرقه قال هيهات إنقطعت عنك المهلة! فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك؟ فقبض روحه.

وروي أن رجلاً جمع مالاً فأوعى ولم يدع صنفاً من المال إلا اتخذه، وابتنى قصراً وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرساً من غلمانه، ثم جمع أهله وصنع لهم طعاماً وقعد على سريره ورفع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون فلما فرغوا قال يا نفس انعمي لسنين فقد جمعت لك ما يكفيك فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين، فقرع الباب بشدة عظيمة قرعاً أفزعه وهو على فراشه، فوثب إليه الغلمان وقالوا ما شأنك فقال: ادعوا إلي مولاكم فقالوا: وإلى مثلك يخرج مولانا؟ قال: نعم فأخبروه بذلك فقال: هلا فعلتم به وفعلتم، فقرع الباب قرعة أشد من الأولى، فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أني ملك الموت فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع، فقال قولوا له قولاً ليناً وقولوا هل تأخذ به أحداً فدخل عليه وقال إصنع في مالك ما أنت صانع، فإني لست بخارج منها حتى أخرج روحك فأمر بما له حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال! أنت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني أن أتخلى لربي، فأنطق الله المال فقال لم

امهالاً (حتى أفرقه) على من يستحقه. (قال: هيهات انقطعت عنك المهلة! فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك؟ فقبض روحه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

(وروي أن رجلاً جمع مالاً فأوعى) أي استكثر منه وحفظه (ولم يدع صنفاً من المال إلا اتخذه وابتنى قصراً وجعل عليه بابين وثيقين) أي محكمين، (وجمع عليه حرساً من غلمانه، ثم جمع أهله وصنع لهم طعاماً وقعد على سريره ورفع إحدى رجليه عن الأخرى وهم يأكلون، فلما فرغوا قال: يا نفس انعمي سنين قد جمعت لك ما يكفيك، فلم يفرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب في عنقه مخلاة يتشبه بالمساكين، فقرع الباب بشدة عظيمة قرعاً أفزعه وهو على فراشه، فوثب إليه الغلمة وقالوا: ما شأنك؟ فقال: ادعوا لي مولاكم. قالوا: وإلى مثلك يخرج مولانا؟ قال: نعم فاخبروه بذلك فقال: هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة أشد من القرعة الأولى، فوثب إليه الحرس فقال: أخبروه أني ملك الموت، فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والتخشع، فقال: قولوا له قولاً ليناً وقولوا هل تأخذ به أحداً فدخل عليه وقال: إصنع في مالك ما أنت صانع فإني لست بخارج منها حتى أخرج نفسك، فأمر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه: لعنك الله من مال أنت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني أن

تسبني وقد كنت تدخل على السلاطين بي ويرد المتقي عن بابهم وكنت تنكح المتنعمات بي، وتجلس مجالس الملوك بي وتنفقني في سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقتني في سبيل الخير نفعتك. خلقت وابن آدم من تراب فمنطلق ببر ومنطلق بإثم، ثم قبض ملك الموت روحه فسقط. وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الأرض مثله! ثم عرج إلى السماء فقالت الملائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه؟ قال أمرت بقبض نفس امرأة في فلاة من الأرض فأتيتها وقد ولدت مولداً فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد له بها. فقالت الملائكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء!! قال عطاء بن يسار: إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فقال: إقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال: فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبني البنيان وإن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري.

أتخلى لربي، فانطق الله المال فقال: لم سببتني وقد كنت تدخل على السلطان بي ويرد المتقون عن بابه وكنت تنكح المتنعمات وتجلس مجالس الملوك بي، وتنفقني في سبيل الشر فلا امتنع منك، ولو انفقتني في سبيل الخير نفعتك خلقت وابن آدم من تراب، فمنطلق ببّر ومنطلق بإثم، ثم قبض ملك الموت روحه فسقط) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

(وقال وهب بن منبه) رحمه الله تعالى: (قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة ما في الأرض مثله، ثم عرج إلى السماء فقالت الملائكة: لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه؟ قال: أمرت بقبض نفس امرأة في فلاة من الأرض فأتيتها وقد ولدت مولوداً فرحمتها لغربتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا متعهد له بها، فقالت الملائكة: الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته. فقال ملك الموت: سبحان اللطيف لما يشاء). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

(وقال) أبو محمد (عطاء بن يسار) الهلالي المدني مولى ميمونة ثقة فاضل صاحب مواعظ وعبادة، مات سنة أربع وتسعين روى له الجماعة: (إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال: اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة. قال: فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبني البنيان وأن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت إلا أنه قال: وإن اسمه قد نسخ في الموتى.

ومما يؤيد ذلك ما رواه الديلمي من حديث أبي هريرة «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى أن الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى». وروى ابن أبي الدنيا وابن جرير مثله من طريق الزهري عن عثمان بن المغيرة بن الأخنس مرفوعاً. ورواه البيهقي في الشعب من طريق

وقال الحسن: ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه، فإذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء، فيأخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول: والله ما أكلت له رزقاً ولا أفنيت له عمراً ولا انتقصت له أجلاً، وإن لي فيكم لعودة بعد عودة حتى لا أبقي منكم أحداً. قال الحسن: فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على

الزهري، عن عثمان، عن محمد بن المغيرة بن الاخنس. ورواه ابن أبي حاتم بنحوه عن ابن عباس موقوفاً. وروى أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يصوم شعبان كله فسألته فقال: إن الله يكتب فيه كل نفس ميت تلك السنة فأحب أن يأتيني أجلي وأنا صائم. وروى ابن جرير عن عمر مولى غفرة قال: ينسخ لملك الموت من يموت ليلة القدر إلى مثلها فتجد الرجل ينكح النساء ويغرس الغرس واسمه في الأموات. وروي أيضاً عن عكرمة قال: في ليلة النصف من شعبان يبرم أمر السنة وتنسخ الأحياء من الأموات ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد. وروى الدينوري في المجالسة عن راشد بن سعد رفعه قال: في ليلة النصف من شعبان يوحي الله إلى ملك الموت يقبض كل نفس يريد قبضها في تلك السنة. وروى ابن أبي الدنيا والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: أول من يعلم بموت العبد الحافظ لأنه يعرج بعمله وينزل برزقه، فإذا لم يخرج له رزق علم أنه ميت. وروى أبو الشيخ في تفسيره عن محمد بن جحادة قال: لله تعالى شجرة تحت العرش ليس مخلوق إلا له فيها ورقة، فإذا سقطت ورقة عبد خرجت روحه من جسده، فذلك قوله تعالى: ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾ [الأنعام: ٥٩].

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى: **(ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات، فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه، فإذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء، فيأخذ ملك الموت بعضادتي الباب فيقول: والله ما أكلت له رزقاً ولا أفنيت له عمراً ولا انتقصت له أجلاً وأن لي فيكم لعودة بعد عودة حتى لا أبقي منكم أحداً. قال الحسن: فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم)**. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، وأبو الشيخ في العظمة. وروى سعيد ابن منصور وأحمد في الزهد عن عطاء بن يسار قال: ما من أهل بيت إلا يتصفحهم ملك الموت في كل يوم خمس مرات هل منهم أحد أمر بقبضه. وروى ابن أبي حاتم عن كعب قال: ما من بيت فيه أحد إلا وملك الموت على بابه كل يوم سبع مرات ينظر هل فيه أحد أمر به يتوفاه. وروى أحمد وأبو الشيخ في الزهد عن مجاهد قال: ما على ظهر الأرض من بيت شعر ولا مدر إلا وملك الموت يطيف به كل يوم مرتين وروى ابن أبي شيبة، وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، عن عبد الأعلى التيمي قال: ما من أهل دار إلا ملك الموت يتصفحهم في اليوم مرتين. وروى أبو نعيم عن ثابت البناني قال: الليل أربع وعشرون ساعة ليس فيها ساعة تأتي عن ذي روح إلا وملك الموت قائم

أنفسهم. وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من الجبابرة من بني إسرائيل جالس في منزله قد خلا ببعض أهله، إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فثار إليه فزعاً مغضباً فقال له: من أنت ومن أدخلك على داري؟ فقال: أما الذي أدخلني الدار فربها، وأما أنا فالذي لا يمنع مني الحجاب ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف صولة المتسلطنين ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد. قال: فسقط في يده الجبار وارتعد حتى سقط

عليها فإن أمر بقبضها قبضها وإلا ذهب. وروى أبو الفضل الطوسي في عيون الأخبار، وابن النجار في تاريخ بغداد من طريق إبراهيم بن هدبة عن أنس مرفوعاً «إن ملك الموت ينظر في وجوه العباد في كل يوم سبعين نظرة فإذا ضحك العبد الذي بعث إليه يقول عجباً بعثت إليه لأقبض روحه وهو يضحك». وروى أبو الشيخ في العظمة، وابن أبي الدنيا عن زيد بن أسلم قال: يتصفح ملك الموت المنازل كل يوم خمس مرات ويطلع في وجه ابن آدم في كل يوم اطلاعة قال: فمنها الزعرة التي تصيب الناس يعني القشعريرة والانقباض. وروى أبو الشيخ عن عكرمة قال: ما من يوم إلا وملك الموت ينظر في كتاب حياة الناس قائل يقول ثلاثاً وقائل يقول خمساً.

وروى الطبراني في الكبير وأبو نعيم وابن منده كلاهما في الصحابة من طريق جعفر عن محمد عن أبيه عن الحرث بن الخزرج عن أبيه رفعه. قال: «يقول ملك الموت يا محمد إني لاقبض روح ابن آدم فإذا صرخ صارخ قمت في الدار ومعي روحه فقلت: ما هذا الصارخ والله ما ظلمناه ولا سبقنا أجله ولا استعجلنا قدره وما لنا في قبضه من ذنب، فإن ترضوا بما صنع الله تؤجروا وإن تسخطوا تأثموا وتؤزروا وإن لنا عندكم عودة بعد عودة فالحذر الحذر وما من أهل بيت شعر ولا مدر بر ولا فاجر سهل ولا جبل إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم وليلة حتى لأنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم، والله لو أردت ان أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الذي يأذن بقبضها». قال جعفر بن محمد: بلغني أنه إنما يتصفحهم عند مواقيت الصلاة، والحرث مجهول. وكذا أبوه الخزرج لا يعرف، والحديث غريب، وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن جعفر بن محمد عن أبيه معضلاً وفيه عمرو بن شمر وهو كذاب.

(**وقال يزيد**) بن أبان (**الرقاشي**) أبو عمرو البصري القاص زاهد ضعيف مات قبل العشرين، روى له البخاري في الأدب المفرد، والترمذي وابن ماجه: (**بينما جبار من الجبابرة من بني إسرائيل جالس في منزله قد خلا ببعض أهله، إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فثار إليه فزعاً مغضباً فقال له: من أنت ومن أدخلك على داري؟ فقال: أما الذي أدخلني الدار فربها، وأما أنا فالذي لا يمنع من الحجاب**) جمع حاجب وهو البوّاب الذي يمنع الداخل من الدخول في الدار، ويحتمل أن يكون صيغة مبالغة من الحجب، وفي بضع النسخ لا يمنع مني الحجاب، (**ولا أستأذن على الملوك ولا أخاف صولة المتسلطنين، ولا يمتنع مني كل جبار عنيد ولا شيطان مريد. قال**) الراوي: (**فاسقط في يد الجبار وارتعد**) جسمه (**حتى سقط منكباً لوجهه، ثم رفع**

منكباً على وجهه، ثم رفع رأسه إليه مستجدياً متذللاً له فقال له: أنت إذاً ملك الموت! قال: أنا هو، قال: فهل أنت ممهلي حتى أحدث عهداً؟ قال: هيهات! انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك فليس إلى تأخيرك سبيل! قال: فإلى أين تذهب بي؟ قال: إلى عملك الذي قدمته وإلى بيتك الذي مهدته، قال: فإني لم أقدم عملاً صالحاً ولم أمهد بيتاً حسناً قال: فإلى لظى نزاعة للشوى، ثم قبض روحه فسقط ميتاً بين أهله، فمن بين صارخ وباك. قال يزيد الرقاشي: لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك أكثر. وعن الأعمش عن خيثمة قال: دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه، فلما خرج قال الرجل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت، قال: لقد رأيته ينظر إلي كأنه يريدني قال: فماذا تريد؟ قال: أريد أن تخلصني منه فتأمر الريح حتى تحملني إلى أقصى الهند، ففعلت الريح ذلك، ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أتاه ثانياً: رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائي، قال: نعم كنت

رأسه إليه مستجدياً) أي مستكيناً (متذللاً فقال له: أنت إذاً ملك الموت؟ قال: أنا هو، فقال: فهل أنت ممهلي) أي تعطيني المهلة (حتى أحدث عهداً) أي إنابة ورجوعاً؟ (قال: هيهات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت) أي فرغت (ساعاتك، فليس إلى تأخيرك سبيل. قال: فإلى أين تذهب بي؟ قال إلى عملك الذي قدمته) بين يديك، (وإلى بيتك الذي مهدته، قال: فإني لم أقدم عملاً صالحاً ولم أمهد بيتاً حسناً. قال: فإلى لظى) وهي دركة من دركات جهنم (نزاعة للشوى) اطراف العظام، (ثم قبض روحه فسقط بين أهله فمن صارخ) عليه (وباك. قال يزيد الرقاشي) وهو الراوي لهذا الخبر: (لو يعلمون سوء المنقلب) وما أعد الله لهم من الشدائد (كان العويل على ذلك أكثر). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت.

(وعن الأعمش) هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي أبو محمد الكوفي ثقة حافظ ورع، مولده أول سنة إحدى وستين، ومات سنة سبع وأربعين روى له الجماعة، (عن خيثمة) بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي الكوفي ثقة مات بعد سنة ثمانين روى له الجماعة (قال: دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليهما السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه، فلما خرج قال الرجل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت. قال: لقد رأيته ينظر إليّ كأنه يريدني. قال: فماذا تريد؟ قال: أريد أن تخلصني منه، فتأمر الريح حتى تحملني إلى أقصى الهند، ففعلت الريح ذلك، ثم قال سليمان) عليه السلام (لملك الموت بعد أن أتاه ثانياً: رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائي. قال: نعم كنت أتعجب منه لأني كنت أمرت أن

أتعجب منه لأني كنت أمرت أن أقبضه بأقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك!

أقبضه بأقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك) رواه ابن أبي شيبة في المصنف فقال: حدثنا عبد الله بن نمير عن الأعمش عن خيثمة فذكره.

فصل

قال المصنف في الدرة الفاخرة في حال المحتضر: وتزور عيناه. قال السيوطي، قال ابن أبي الدنيا: حدثني إبراهيم بن عبد الملك، عن عبد الله بن الجراح الخراساني، عن جرير، وعن حصين قال: بلغني أن ملك الموت إذا غمز وريد الانسان حينئذ يشخص بصره ويذهل عن الناس، وروى الدينوري في المجالسة عن سَفيان الثوري قال: إن ملك الموت إذا غمز وتين العبد انقطعت معرفته وانقطع كلامه ونسي الدنيا وما كان فيها، فلولا أنه يسقى من سكرات الموت لضرب من حوله بالسيف لشدة ما يعالج.

وقال المصنف أيضاً: فمنهم من يطعنه الملك بحربة. قال القرطبي: لم أر لهذه الحربة ذكراً في الآثار إلا في أثر عن معاذ انتهى.

قال السيوطي في الأمالي، وبالإسناد إلى أبي نعيم قال: حدثنا أحمد بن عبيد الله بن محمد، حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن معاذ بن جبل قال: إن لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب فإذا انقضى أجل عبد من الدنيا ضرب رأسه بتلك الحربة وقال: الآن يزار بك عسكر الأموات. قال السيوطي: هذا موقوف في معنى المرفوع لأن مثله لا يقال بالرأي. وقال في شرح الصدور روى ابن عساكر من طريق جرير عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً «إن لملك الموت حربة مسمومة طرف لها بالمشرق وطرف لها بالمغرب يقطع بها عرق الحياة». قال ابن عساكر رفعه منكر. قال السيوطي: وعلى هذه الرواية اعتمد الغزالي في الدرة الفاخرة ولم يقف عليها القرطبي، فقال: لم أجد لهذه الحربة ذكراً إلا في أثر معاذ اهـ.

وقال المصنف أيضاً: وعند استقرار النفس في التراقي تعرض عليه الفتن. قال السيوطي: وشاهده مرسل عطاء بن يسار، وأقرب ما يكون عدوّا لله منه تلك الساعة، رواه الحرث بن أبي أسامة في مسنده، وعند ابن أبي الدنيا من حديث أبي الحسين البرجي: وأن إبليس عدوّ الله أقرب ما يكون من العبد في ذلك الموطن عند فراق الدنيا وترك الأحباء وعند أبي نعيم في الحلية من حديث واثلة بن الأسقع: وأن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع، وقد تقدم كل ذلك. قال: وما ذكره المصنف من أن جبريل يأتيه فيطرد عنه الشياطين ويقول: يا فلان الخ لم أره هكذا، لكن ورد في أثر أن ملك الموت يطردهم ويلقنه الشهادة وفي حديث أن جبريل يحضر الميت على طهارة، أما الأوّل فروى ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد بلغني أنه إنما يتصفحهم ملك

الموت عند مواقيت الصلاة، فإذا نظر عند الموت إن كان ممن يحافظ على الصلوات دنا منه الملك وطرد عنه الشيطان، ولقنه الملك لا إله إلا الله محمد رسول الله في ذلك الحال العظيم، وهو حديث معضل. وأما الثاني: ففي المعجم الكبير من حديث ميمونة بنت سعد قالت: قلت يا رسول الله هل يرقد الجنب؟ قال: « ما أحب ان يرقد حتى يتوضأ فإني أخشى أن يتوفى فلا يحضره جبريل. قال: ومن الناس من إذا بلغت نفسه الحلقوم كشف له عن أهله شاهد. ما رواه أبو نعيم من طريق ابن المبارك، عن ليث عن مجاهد قال: ما من ميت يموت إلا عرض عليه أهل مجلسه إن كان من أهل الذكر، فمن أهل الذكر، وإن كان من أهل اللهو فمن أهل اللهو. ورواه أيضاً بن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين، والبيهقي في الشعب، ورواه ابن أبي شيبة من طريق مجاهد عن يزيد بن شجرة وهو صحابي قال: ما من ميت يموت حتى يمثل له جلساؤه عند موته إن كانوا أهل لهو فأهل لهو وإن كانوا أهل ذكر فأهل ذكر، وروى البيهقي في الشعب عن الربيع بن بزة وكان عابداً بالبصرة. قال: أدركت الناس بالشام، وقيل لرجل: قل لا إله إلا الله. فقال: اشرب واسقني، وقيل لرجل بالأهواز: يا فلان قل لا إله إلا الله فجعل يقول ده يا زده ده دوا زده، وقيل لرجل ههنا بالبصرة: يا فلان قل لا إله إلا الله فجعل يقول:

يا رب قائلة يوماً وقد تعبت ... كيف الطريق إلى حمام منجاب

قال أبو بكر، هذا رجل استدلته امرأة إلى الحمام فدلها إلى منزله، فقاله عند الموت. وروى ابن أبي الدنيا عن جعفر بن محمد بن علي قال: ليس من ميت يموت إلا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة، فيشخص إلى حسناته ويطرق من سيئاته. وروي عن الحسن في قوله تعالى: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ [القيامة: ١٣] قال: ينزل عند الموت حفظته فتعرض عليه الخير والشر فإذا رأى حسنة بهش واشرق وإذا رأى سيئة غض وقطب. وروي عن حنظلة بن الأسود قال: مات مولى لي فجعل يغطي وجهه مرة ويكشفه أخرى، فذكرت ذلك لمجاهد فقال: بلغنا أن نفس المؤمن لا تخرج حتى يعرض عليه عمله خيره وشره.

الباب الرابع في وفاة رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده

وفاة رسول الله ﷺ :

اعلم أن في رسول الله ﷺ إسوة حسنة ـ حياً وميتاً وفعلاً وقولاً ـ وجميع أحواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين، إذ لم يكن أحد أكرم على الله منه إذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه، وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور منيته؟ لا بل أرسل إليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الأنام، فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها، وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر إلى رحمة ورضوان، وخيرات حسان، بل إلى مقعد صدق في جوار الرحمن،

الباب الرابع

في وفاة رسول الله ﷺ

(و) وفاة (الخلفاء الراشدين من بعده) رضي الله عنهم:

(اعلم) هداك الله تعالى بتأييده وأوصلنا وإياك إلى مقام توفيقه وتسديده أن هذا الفصل مضمونه يسكب المدامع من الأجفان ويجلب الفجائع لإثارة الأحزان، ويلهب نيران الموجدة على أكباد ذوي الإيمان اعلم (**أن في رسول الله ﷺ إسوة حسنة**) الأسوة بالكسر وبالضم القدوة (**حياً وميتاً وفعلاً وقولاً**) يجب التأسي به في جميع الأحوال. قال أبو الجوزاء: كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاءه أخوة تصافحه وتقول له: يا عبد الله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، (**وجميع أحواله**) ﷺ (**عبرة للناظرين**) المتأملين (**وتبصرة للمستبصرين إذ لم يكن أحد**) من المخلوقات (**أكرم على الله منه إذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه**) وقد شهدت بذلك الآيات والأخبار الصحيحة، (**فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء موته وهل أخره لحظة بعد حصول منيته، لا بل أرسل إليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الأنام**) وهم ملك الموت مع الأعوان ـ كما تقدمت الإشارة لذلك ـ (**فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر**) المطهر (**إلى رحمة ورضوان وخيرات حسان، بل إلى مقعد صدق في جوار الرحمن، فاشتد**

فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر أنينه، وترادف قلقه وارتفع حنينه، وتغير لونه وعرق جبينه، واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه، حتى بكى لمصرعه من حضره، وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره، فهل رأيت منصب النبوّة دافعاً عنه مقدوراً؟ وهل راقب الملك فيه أهلاً وعشيراً؟ وهل سامحه إذ كان للحق نصيراً وللخلق بشيراً ونذيراً؟ هيهات! بل امتثل ما كان به مأموراً واتبع ما وجده في اللوح مسطوراً. فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود، والحوض المورود، وهو أول من تنشق عنه الأرض، وهو صاحب الشفاعة يوم العرض، فالعجب أنا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن أسراء الشهوات! وقرناء المعاصي والسيئات! فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وحبيب رب العالمين، لعلنا نظن أننا مخلدون، أو نتوهم أنا مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون، هيهات! هيهات! بل نتيقن أنا جميعاً على النار

مع ذلك في النزع كربه) وهو ما كان يجده ﷺ من شدة الموت لأنه كان فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر ليتضاعف له الأجر **(وظهر أنينه، وترادف قلقه وارتفع حنينه، وتغير لونه وعرق جبينه، واضطربت في الانقباض والانبساط شماله ويمينه، حتى بكى لمصرعه من حضره)** من الرجال والنساء، **(وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره، فهل رأيت منصب النبوّة دافعاً عنه مقدوراً؟ وهل راقب الملك فيه أهلاً وعشيراً؟ وهل سامحه إذ كان للحق نصيراً وللخلق بشيراً ونذيراً؟ هيهات: بل امتثل ما كان به مأموراً واتبع ما وجده في اللوح مسطوراً. فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود)** الذي يحمده الأوّلون والآخرون، **(والحوض المورود)** كما وردت بذلك الاخبار وسيأتي ذكرها، **(وهو أوّل من تنشق الأرض عنه)**. رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب ولفظه: «أنا أوّل من تنشق عنه الأرض فاكسى الحلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري» وروى ابن أبي شيبة والطبراني من حديث ابن عباس: «أنا أوّل من تنشق عنه الأرض ولا فخر» وهو صاحب الشفاعة يوم العرض، روى أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد: «أنا أوّل شافع وأوّل مشفع ولا فخر» وروى مسلم وأبو داود من حديث أبي هريرة: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأوّل من ينشق عنه القبر وأول شافع وأوّل مشفع». وروى الطبراني من حديث جابر: «فإذا كان يوم القيامة كان لواء الحمد معي وكنت إمام المرسلين وصاحب شفاعتهم».

(فالعجب أنا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن أسراء الشهوات! وقرناء المعاصي والسيئات! فما بالنا لا نتعظ بمصرع) سيدنا **(محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وحبيب رب العالمين)** ﷺ، **(لعلنا نظن أننا مخلدون)** في الدنيا، **(أو نتوهم أنا مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون، هيهات! هيهات! بل نتيقن أنا جميعاً على النار واردون ثم لا**

واردون ثم لا ينجو منها إلا المتقون، فنحن للورود مستيقنون، وللصدور عنها متوهمون، لا بل ظلمنا أنفسنا إن كنا كذلك لغالب الظن منتظرين، فما نحن والله من المتقين، وقد قال الله رب العالمين: ﴿وَإن مِنْكُمْ إلاّ واردها كان على ربّك حتماً مقضياً ★ ثم ننجي الّذين اتّقوا ونذرُ الظالمينَ فيهَا جثيّاً﴾ [مريم: ٧١، ٧٢] فلينظر كل عبد إلى نفسه أنه إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين؟ فانظر إلى نفسك بعد أن تنظر إلى

ينجو منها إلا المتقون، فنحن للورود متيقنون، وللصدور عنها متوهمون). روى ابن المبارك وأحمد كلاهما في الزهد، وابن عساكر عن بكر بن عبد الله المزني قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] ذهب عبد الله بن رواحة إلى بيته فبكى، فجاءت المرأة فبكت، وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون، فلما انقطعت عبرتهم قال: يا أهلاه فما الذي أبكاكم؟ قالوا: لا ندري ولكن قد رأيناك بكيت فبكينا. قال: أنزلت على رسول الله ﷺ آية ينبئني فيها ربي تبارك وتعالى أني وارد النار، ولم ينبئني أني صادر عنها فذلك الذي أبكاني. وروى أبو نعيم في الحلية عن عروة بن الزبير قال: لما أراد ابن رواحة الخروج إلى أرض مؤتة من الشام أتاه المسلمون يودعونه فبكى فقال: والله ما بي حب الدنيا ولا ضنانة بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فقد علمت أني وارد النار ولا أدري كيف الصدر بعد الورود. وروى ابن المبارك وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وأحمد وهناد معاً في الزهد، وعبد بن حميد والحاكم والبيهقي في البعث عن قيس بن أبي حازم قال: بكى عبد الله بن رواحة فقالت امرأته: ما يبكيك؟ قال: إني أنبئت إني وارد النار ولم أنبأ أني صادر. وروى ابن أبي شيبة عن الحسن قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يقول الرجل لصاحبه: هل أتاك أنك وارد؟ فيقول: نعم. فيقول: هل أتاك أنك خارج؟ فيقول: لا. فيقول: ففيم الضحك إذاً؟ وروى ابن المبارك وهناد عن أبي ميسرة أنه أوى إلى فراشه فقال: يا ليت أمي لم تلدني، فقالت امرأته: يا أبا ميسرة إن الله قد أحسن إليك هداك إلى الإسلام، فقال: أجل ولكن الله قد بيّن لنا أنا واردون النار ولم يبين أنا صادرون عنها. وروى ابن المبارك عن الحسن قال، قال رجل لأخيه: يا أخي هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم. قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال: لا. قال: ففيم الضحك؟ فما رؤي ضاحكاً حتى مات.

(**لا بل ظلمنا أنفسنا إن كنا كذلك لغالب الظن منتظرين، فما نحن والله من المتقين، وقد قال الله رب العالمين ﴿وإن منكم إلا واردها﴾**) أي داخلها كما قاله ابن عباس وابن مسعود، وروى ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها. **﴿كان على ربك حتماً مقضياً﴾** أي قسماً واجباً. **﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾** أي على ركبهم ولا يجلس الرجل جاثياً إلا عند كرب نزل به. (**فلينظر كل عبد إلى نفسه أنه إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين. فانظر إلى نفسك**

سيرة السلف الصالحين، فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين. ثم انظر إلى سيد المرسلين فإنه كان من أمره على يقين، إذ كان سيد النبيين وقائد المتقين، واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا، وكيف اشتد أمره عند الانقلاب إلى جنة المأوى. قال ابن مسعود رضي الله عنه: دخلنا على رسول الله ﷺ في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق، فنظر إلينا فدمعت عيناه ﷺ ثم قال: «مرحباً بكم حياكم الله، آواكم الله، نصركم الله وأوصيكم بتقوى الله، وأوصي بكم الله، إني لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله في بلاده، وعباده وقد دنا الأجل، والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى وإلى الكأس الأوفى، فاقرأوا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله».

بعد أن تنظر إلى سيرة السلف الصالحين، فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين. ثم انظر إلى سيد المرسلين) ﷺ **(فإنه كان من أمره على يقين، إذ كان سيد النبيين وقائد المتقين، واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا! وكيف اشتد أمره عند الانقلاب إلى جنة المأوى)**، لما أن الموت مكروه بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة، ولذا لم يمت نبي من الأنبياء حتى يخير، وأوّل ما أعلم النبي ﷺ من انقضاء عمره باقتراب أجله بنزول سورة ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فإن المراد من هذه السورة أنك يا محمد إذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم إليه أفواجاً، فقد قرب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحية والاستغفار، فإنه قد حصل منك مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ، وما عندنا خير لك من الدنيا فاستعد للنقلة إلينا، وقد قيل: إن هذه السورة آخر سورة نزلت يوم النحر وهو ﷺ بمنى في حجة الوداع، وقيل عاش بعدها إحدى وثمانين يوماً. وعند ابن أبي حاتم من حديث ابن عباس عاش بعدها تسع ليال، وعن مقاتل سبعاً، وعن بعضهم ثلاثاً، ولأبي يعلى من حديث ابن عمر نزلت هذه السورة في أوسط أيام التشريق في حجة الوداع، فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع. وروى الطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه السورة نعيت إلى رسول الله ﷺ نفسه فأخذ بأشد ما كان قط اجتهاداً في أمر الآخرة، وما زال ﷺ يعرض باقتراب أجله في آخره فإنه لما خطب في حجة الوداع قال للناس: «خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا» وطفق يودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع.

(قال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(دخلنا على رسول الله ﷺ في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق، فنظر إلينا فدمعت عيناه ﷺ ثم قال: «مرحبا بكم حياكم الله، أواكم الله، نصركم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي بكم الله، إني لكم منه نذير مبين، أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده وقد دنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى والكأس الأوفى، فاقرأوا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله»)**. قال العراقي: رواه البزار وقال: هذا الكلام قد روي عن مرة عن عبد الله من غير

وروي أنه ﷺ قال لجبريل عليه السلام عند موته: « من لأمتي بعدي؟ » فأوحى الله تعالى إلى جبريل: أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته وبشره بأنه أسرع الناس خروجاً من الأرض إذا بعثوا وسيدهم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته. فقال: « الآن قرت عيني » وقال عائشة رضي الله عنها: أمرنا رسول الله ﷺ أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار، ففعلنا ذلك فوجد راحة، فخرج فصلى بالناس واستغفر

وجه وأسانيدها متقاربة. قال: وعبد الرحمن بن الأصبهاني لم يسمع هذا من مُرة وإنما هو عمن أخبره عن مرة قال: ولا أعلم أحداً رواه عن عبد الله غير مُرة.

قلت: وروي من غير ما وجه. رواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن عون عن ابن مسعود، ورويناه في مشيخة القاضي أبي بكر الانصاري من رواية الحسن العرني عن ابن مسعود، ولكنهما منقطعان وضعيفان، والحسن العرني إنما يرويه عن مرة كما رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الاوسط اهـ.

قلت: أورده الواحدي في التفسير بسنده إلى ابن مسعود قال: نعى لنا رسول الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة فقال: « حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله آواكم الله، أوصيكم بتقوى الله واستخلف الله عليكم، وأحذركم الله إني لكم نذير مبين أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده، فإنه قال لي ﴿ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾ وقال: ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾ » الحديث بطوله. وسيأتي قريباً. رواه ابن منيع في مسنده بلفظ « أوصيكم بتقوى الله وأوصي الله بكم واستخلفه عليكم وأودعكم إليه وإني أشهدكم أني لكم نذير مبين » والباقي سواء.

(وروي أنه ﷺ قال لجبريل) عليه السلام **(عند موته: « من لأمتي بعدي » فاوحى الله تعالى إلى جبريل)** عليه السلام: **(أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته، وبشره بأنه أسرع الناس خروجاً من الأرض)** أي من قبره **(إذا بعثوا وسيدهم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته. فقال)** ﷺ: **(« الآن قرت عيني »)** قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير من حديث جابر وابن عباس من حديث طويل فيه « من لأمتي المصطفاة من بعدي ». قال: ابشر يا حبيب الله فإن الله عز وجل يقول: قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأمم حتى تدخلها أنت وأمتك. قال: « الآن طابت نفسي » واسناده ضعيف اهـ.

قلت: فيه عبد المنعم بن إدريس بن سفيان عن أبيه عن وهب بن منبه عن جابر وابن عباس، وعبد المنعم وأبوه ضعيفان والحديث طويل جداً في ورقتين كبار سيأتي ذكره قريباً.

(وقالت عائشة رضي الله عنها: أمرنا رسول الله ﷺ أن نغسله بسبع قرب من سبعة

لأهل أحد ودعا لهم وأوصى بالأنصار فقال: « أما بعد ؛ يا معشر المهاجرين فإنكم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم ، وإن الأنصار عيبتي التي أويت إليها فأكرموا كريمهم - يعني محسنهم - وتجاوزوا عن مسيئهم » ثم قال: « إن عبداً خير بين الدنيا وبين ما عند الله فأختار ما عند الله » فبكى أبو بكر رضي الله عنه وظن أنه يريد نفسه ، فقال النبي ﷺ : « على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر فإني لا أعلم امرءاً أفضل عندي في الصحبة من أبي

آبار ففعلنا ذلك، فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد ودعا لهم وأوصى بالأنصار فقال: « أما بعد يا معشر المهاجرين فإنكم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم، وإن الأنصار عيبتي التي أويت إليها) أي موضع سري **(فاكرموا كريمهم - يعني محسنهم - وتجاوزوا عن مسيئهم » ثم قال: « إن عبداً خيّر بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله » فبكى أبو بكر رضي الله عنه وظن أنه يريد نفسه)** أي لما فهم الرمز الذي أشار به النبي ﷺ من قرينة ذكره ذلك في مرض موته فاستشعر منه أنه أراد نفسه فلذلك بكى ، **(فقال النبي ﷺ : « على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر فإني لا أعلم أمرءاً أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر »)** قال العراقي: رواه الدارمي في مسنده وفيه إبراهيم بن المختار مختلف فيه عن محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة اهـ.

قلت: يعني بذلك أنه بهذا السياق وإلا ففي عدة مواضع من الصحيح للبخاري من رواية الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: « صبوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلي استريح فأعهد إلى الناس » قالت عائشة: فأجلسناه في مخضب لحفصة من نحاس. وسكبنا عليه الماء حتى طفق يشير إلينا أن قد فعلتن ثم خرج، وهو عند النسائي في سننه الكبرى من رواية عروة عن عائشة. ورواه أحمد عن محمد بن يحي بن عبد الله ، عن عبد الرزاق ، عن معمر عن الزهري عن عروة. ورواه أيضاً عن معاوية بن صالح عن يحي بن معين عن هشام بن يوسف عن معمر قال: قال الزهري فذكره. وفي بعض سياقات البخاري بعد قوله: ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم، وفي لفظ للبخاري والنسائي « اهريقوا علي » بدل « صبوا ».

وروى صاحب كتاب المتفجعين هذا الحديث فقال: حدثنا سليمان بن سيف أبو داود الحراني الحافظ، حدثنا أبو عمرو سعيد بن بزيع قال: حدثنا ابن إسحاق قال: حدثني يعقوب بن عتبة، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة قالت: رجع رسول الله ﷺ من البقيع وأنا أجد صداعاً في رأسي، وأنا أقول: وارأساه فساق الحديث. وفيه ثم اشتد وجعه فقال: « اهريقوا علي سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فاعهد إليهم » فاقعدناه في مخضب لحفصة بنت

عمر ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول بيده: « حسبكم حسبكم » قال الزهري: وحدثني أيوب بن بشير أن رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر فأول ما تكلم به أن صلّى على أصحاب أحد واستغفر لهم فأكثر ثم قال: « إن عبداً من عباد الله عز وجل خيّره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده » ففهمها أبو بكر رضي الله عنه وعرف أن نفسه يريد فبكى وقال: نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا. فقال: « على رسلك يا أبا بكر انظروا هذه الأبواب الشارعة في المسجد فسدّوها إلا باب أبي بكر فإني لا أعلم أحداً كان أفضل عندي في الصحبة منه ». ورواه الدارمي مثله، وأبو داود الحراني حافظ ثقة، وسعيد بن بزيع ما عرفت أحداً تكلم فيه، وقد صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث.

. وروى أحمد والشيخان من حديث عقبة بن عامر قال: صلّى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثمان كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: « إني بين أيديكم فرط وإني عليكم شهيد وان موعدكم الحوض وإني لانظر إليه وأنا في مقامي هذا وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها ».

وروى مالك والشيخان والترمذي من حديث أبي سعيد أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: « إن عبداً خيّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده » فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال: فعجبنا وقال الناس انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيّره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عند الله وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا. قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخيّر وكان أبو بكر أعلمنا به، فقال النبي ﷺ: « إن آمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر فلو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن اخوّة الإسلام لا يبقى في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر ». رواه الطبراني من حديث معاوية. ورواه أحمد من حديث مويهبة « أوتيت مفاتيح خزائن الأرض والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة فاخترت لقاء ربي والجنة ». وعن عبد الرزاق من مرسل طاوس مرفوع: « خيرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل » ورواه ابني السني في عمل يوم وليلة من حديث أبي المعلى بلفظ: « إن عبداً خيّره الله بين أن يعيش في الدنيا ما شاء أن يعيش فيها يأكل ما شاء أن يأكل منها وبين لقائه »:

تنبيه:

هذا الاغتسال لم يكن سببه إغماء كما ظنه بعضهم، وإنما كان مقصوده النشاط والقوّة، وقد صرح بذلك في قوله « لعلي استريح » وقوله في رواية الدارمي « من سبع آبار شتى » أي متفرقة، وهذه زيادة على رواية البخاري وغيره، فيحتمل انها معينة ويحتمل أنها غير معينة، وإنما يراد تفرقها خاصة، فعلى الأوّل في تلك الآبار المعينة خصوصية ليست في غيرها، وعلى الثاني الخصوصية في

بكر » ، قالت عائشة رضي الله عنها : فقبض ﷺ في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت فدخل علي أخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه ذلك فقلت له : آخذه لك ، فأومأ برأسه أي : نعم ، فناولته إياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت : ألينه لك ؟ فأومأ برأسه أي نعم ، فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول : « لا إله إلا الله إن للموت لسكرات » ثم نصب يده يقول : « الرفيق الأعلى ... الرفيق الأعلى » فقلت : إذاً والله لا يختارنا .

تفرقها والله أعلم . وقد تقدم للمصنف في آخر كتاب الحج ذكر الآبار التي كان رسول الله ﷺ يتوضأ منها ويشرب من مائها ويغتسل وهي سبعة : بئر أريس وبئر حاو وبئر دومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا أو بئر جمل ، وفي السابعة تردد وقد تقدم الكلام عليها . وروى ابن ماجه في السنن من حديث علي باسناد جيد « إذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غرس » .

(**قالت عائشة**) رضي الله عنها : (**فقبض ﷺ في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري ، وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت ، فدخل علي أخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسه أي نعم ، فناولته إياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت : ألينه لك ، فأومأ برأسه أي نعم ، فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول : « لا إله إلا الله إن للموت لسكرات » ثم نصب يده يقول « الرفيق الأعلى الرفيق الأعلى »**) قال العراقي : متفق عليه .

قلت : في رواية للبخاري : إن من نعم الله علي أن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته ، ودخل علي عبد الرحمن وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ ، فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت : آخذه لك ، فأشار برأسه أن نعم ، وفي رواية له : مرّ عبد الرحمن وبيده جريدة رطبة فنظر إليه رسول الله ﷺ فظننت أنه له بها حاجة ، فأخذتها فمضغت رأسها ونفضتها ودفعتها إليه فاستن بها أحسن ما كان مستناً ، ثم ناولنيها فسقطت يده أو سقطت من يده ، فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة . وفي رواية له : دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ وأنا مسندته إلى صدري ، ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به فأمد رسول الله ﷺ بصره فأخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته ، ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستن به فما رأيته استن استناناً قط أحسن منه . وفي حديث خرجه العقيلي أنه ﷺ قال لها في مرضه « ائتيني بسواك رطب فامضغيه ثم ائتيني به أمضغه لكي يختلط ريقي بريقك لكي يهوّن علي عند الموت » . وروى البخاري أيضاً من حديثها أنه ﷺ كان بين يديه علبة أو ركوة فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ويقول : « لا إله إلا الله إن للموت سكرات » وقد تقدم ذلك .

وقال صاحب كتاب المتفجعين : حدثنا سليمان بن سيف ، حدثنا سعيد بن بزيع عن ابن إسحاق

وروى سعيد بن عبدالله عن أبيه قال: لما رأت الأنصار أن رسول الله ﷺ يزداد ثقلاً أطافوا بالمسجد، فدخل العباس رضي الله عنه على النبي ﷺ فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم، ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فأعلمه

قال، قال الزهري: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ كثيراً ما أسمعه يقول: «إن الله لم يقبض نبياً حتى يخير» فلما حضر ﷺ كان آخر كلمة سمعتها منه «بل الرفيق الأعلى من الجنة» قلت: إذاً لا يختارنا وعرفت أنه الذي كان يقول لنا: «إن الانبياء لا تقبض حتى تخير».

قال: وحدثنا عبد الملك بن عبد الحميد الميموني، ومحمد بن علي بن ميمون قالا: حدثنا القعنبي، عن مالك، عن هشام بن عروة، وعن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ قبل ان يموت وهو مستند إلى صدرها يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الأعلى» وروى أحمد من حديث عائشة: كان ﷺ يقول: «ما من نبي تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد إليه نفسه فيخير بين أن ترد إليه أو يلحق» فكنت قد حفظت فإني لمسندته إلى صدري فنظرت إليه حتى مال عنقه فقلت: قضى فعرفت الذي قال، فنظرت إليه حتى ارتفع ونظر فقلت: إذاً والله لا يختارنا. فقال «مع الرفيق الأعلى في الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً». وروى البخاري من حديثها أنه ﷺ لما حضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلى» وفي لفظ «اللهم أسألك أو أسأل الله الرفيق الأعلى مع الاسعد جبريل وميكائيل وإسرافيل» رواه النسائي من حديث أبي موسى وصححه ابن حبان. قال ابن حجر في شرح الشمائل: ظاهره أن الرفيق مكان يوافق فيه المذكورين، وفي النهاية هو جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين، وقيل: هو الله تعالى لأنه تعالى رفيق بعباده، وقيل حظيرة القدس، وختم كلامه بهذه الكلمة لتضمنها التوحيد والذكر بالقلب وإشارة إلى أن من منع لسانه مانع من الذكر وقلبه مشغول به لم يضره ذلك أشار إليه السهيلي في الروض الأنف.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا علي بن عثمان الفضيلي، حدثنا أبو علي المخارق بن ميسرة، حدثنا عثمان، حدثنا حسين بن واقد، عن أبي الزبير عن جابر قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ على فرس أبلق عليه قطيفة من استبرق فقال: عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته جزاك الله من رسول ونبي خيراً، فقد بلغت الرسالة ونصحت للأمة وجاهدت في السبيل وقضيت الذي عليك، فهذه مفاتيح الدنيا قد أتيتك بها لك بما صنعت ولك الجنة بعد الموت أو اللحوق بالله عز وجل. قال: «لا بل اللحوق بالله».

(وروى سعيد بن عبدالله عن أبيه) عبدالله بن ضراو بن الأزور **(قال: لما رأت الأنصار أن رسول الله ﷺ يزداد ثقلاً أطافوا بالمسجد، فدخل العباس رضي الله عنه على النبي ﷺ فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم، ثم دخل عليه الفضل)** بن العباس **(فأعلمه بمثل ذلك، ثم**

بمثله، فمد يده وقال: «ها» فتناولوه، فقال: «ما تقولون» قالوا: نقول: نخشى أن تموت، وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبي ﷺ، فثار رسول الله ﷺ فخرج متوكئاً على علي والفضل والعباس أمامه، ورسول الله ﷺ معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر، وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إنه بلغني أنكم تخافون علي الموت كأنه استنكار منكم للموت، وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع إليكم وتنعي إليكم أنفسكم؟ هل خلد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم ألا إني لاحق بربي وإنكم لاحقون به وإني أوصيكم بالمهاجرين الأوّلين خيراً وأوصي المهاجرين فيما بينهم، فإن الله عز وجل قال: ﴿والعصرِ * إنَّ الإنسانَ لفي خُسرٍ * إلا الّذين آمنُوا﴾ [العصر] - إلى آخرها - وإن الأمور تجري بإذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله، فإن الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه: ﴿فهَل عسيتُم إن توليتُم أنْ تفسِدُوا في الأرض وتُقطعوا أرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢] وأوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين تبوّأوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ألم يشاطروكم الثمار ألم يوسعوا عليكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسكم وبهم الخصاصة؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فيقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم، ألا ولا تستأثروا عليهم ألا واني فرط لكم وأنتم لاحقون

دخل عليه علي رضي الله عنه فأعلمه بمثله فمد يده وقال: «ها» فتناولوه فقال: «ما يقولون». قالوا: يقولون نخشى أن تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبي ﷺ، فثار رسول الله ﷺ فخرج متوكئاً على علي والفضل والعباس أمامه ورسول الله ﷺ معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر، وثاب الناس إليه) أي اجتمعوا (فحمد الله وأثنى عليه وقال: «أيها الناس إنه بلغني أنكم تخافون علي الموت كأنه استنكار منكم للموت، وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع إليكم وتنع إليكم أنفسكم؟ هل خلّد نبي قبلي فيمن بعث فأخلد فيكم ألا إني لاحق بربي وإنكم لاحقون به، وإني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً وأوصي المهاجرين فيما بينهم، فإن الله عز وجل قال: ﴿والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا﴾ إلى آخرها، وإن الأمور تجري بإذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله، فإن الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه: ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ وأوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم. ألم يشاطروكم الثمار، ألم يوسعوا عليكم في الديار، ألم يؤثروكم على أنفسكم وبهم الخصاصة؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز

بي» ألا وإن موعدكم الحوض، حوضي، أعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن، يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضاً من اللبن وألين من الزبد، وأحلى من الشهد، من شرب منه لم يظمأ أبداً، حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك، من حرمه في الموقف غداً حرم الخير كله، ألا فمن أحب أن يرده علي غداً فليكفف لسانه ويده إلا مما ينبغي. فقال العباس: يا نبي الله أوصِ بقريش! فقال: فما أوصي بهذا الأمر قريشاً والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم، فاستوصوا آل قريش بالناس خيراً، يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم وتبدل القسم، فإذا بر الناس برهم أئمتهم، وإذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى: ﴿وكَذلِكَ نولي بعضَ الظَّالمين بعضاً بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

عن مسيئهم، ألا ولا تستأثروا عليهم، ألا واني فرط لكم وأنتم لاحقون بي، ألا وان موعدكم الحوض حوضي أعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضاً من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد، من شرب منه لم يظمأ أبداً، حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه من مسك، من حرمه في الموقف غداً حرم الخير كله، ألا فمن أحب أن يرده علي غداً فليكفف لسانه ويده إلا مما ينبغي» فقال العباس) رضي الله عنه: (يا نبي الله أوص بقريش. فقال: «إنما أوصي بهذا الأمر قريشاً والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم، فاستوصوا آل قريش بالناس خيراً. يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم وتبدل القسم، فإذا بر الناس برهم أئمتهم وإذا فجر الناس عقوهم. قال الله تعالى: ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾) قال العراقي: هو مرسل ضعيف وفيه نكارة ولم أجد له أصلاً، وأبو عبدالله بن ضرار بن الأزور تابعي روى عن ابن مسعود. قال أبو حاتم: فيه وفي ابنه سعيد ليس بالقوي اهـ.

قلت: أسنده سيف بن عمر في كتاب الفتوح هكذا، وأورده الفاكهاني في الفجر المنير من طريقه. قال الذهبي: سعيد بن عبدالله بن ضرار عن أنس. قال أبو حاتم: ليس بقوي وعبدالله بن ضرار عن أبيه وغيره. قال يحي: لا يكتب حديثه. وروى البخاري من حديث أنس: مر أبو بكر والعباس بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقالا: ما يبكيكم؟ فقالوا: ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا، فدخل أحدهما على النبي ﷺ فأخبره بذلك، فخرج النبي ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد، فصعد المنبر ولم يصعد بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم» رواه عن أحمد ومسلم وأبو عوانة من حديث جابر «ألا إني فرط لكم على الحوض وإن بعد ما بين طرفيه مثل ما بين صنعاء وإيلة كأن الأباريق فيه النجوم». وروى ابن أبي شيبة وابن جرير من حديث أبي هريرة «الناس تبع لقريش في هذا الأمر فخيارهم تبع لخيارهم وشرارهم تبع

وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه: « سل يا أبا بكر » فقال: يا رسول الله دنا الأجل؟ فقال: « قد دنا الأجل وتدلى » فقال ليهنك يا نبي الله ما عند الله! فليت شعري عن منقلبنا، فقال: « إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأوفى والرفيق الأعلى والحظ والعيش المهنا » فقال: يا نبي الله من يلي غسلك؟ قال: « رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى » قال: ففيم نكفنك؟ فقال: « في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر » فقال: كيف الصلاة عليك منا؟ وبكينا. وبكى ثم قال: « مهلاً غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً، إذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري، ثم أخرجوا عني ساعة، فإن أوّل من يصلي علي الله عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ثم يأذن للملائكة في الصلاة علي، فأوّل من يدخل علي من خلق الله ويصلي عليّ جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة، ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين، ثم أنتم فادخلوا علي أفواجاً فصلوا علي أفواجاً زمرة زمرة وسلموا تسليماً، ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتي الأدنى فالأدنى، ثم زمر النساء ثم زمرة الصبيان »، قال: فمن يدخلك القبر؟ قال: « زمر من

لشرارهم». وروى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عوف « أوصيكم بالمهاجرين السابقين الأولين وبأبنائهم ألا تفعلوا لا يقبل الله منكم صرفاً ولا عدلاً ».

(وروى ابن مسعود) رضي الله عنه (أن النبي ﷺ قال لأبي بكر رضي الله عنه: « سل يا أبا بكر » فقال: يا رسول الله دنا الأجل. فقال: « قد دنا الأجل وتدلى ») وهو عبارة عن غاية القرب. (فقال: ليهنك يا نبي الله ما عند الله. فليت شعري عن منقلبنا. فقال: « إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأوفى والرفيق الأعلى والحظ والعيش الهنا » فقال يا نبي الله: من يلي غسلك؟ قال: « رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى » قال: ففيم نكفنك؟ فقال: « في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصر » فقال: كيف الصلاة عليك منا؟ وبكينا وبكى، ثم قال: « مهلاً غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً إذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ثم أخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي علي الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته، ثم يأذن للملائكة في الصلاة علي فأول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها، ثم أنتم فادخلوا علي أفواجاً فصلوا علي أفواجاً زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة، وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتي الأدنى فالأدنى، ثم زمر النساء، ثم زمر الصبيان ».

أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدّوا عني إلى من بعدي».

وقال عبدالله بن زمعة جاء بلال في أوّل ربيع الأوّل فأذن بالصلاة فقال رسول الله

قال: فمن يدخلك القبر؟ قال: «زمر من أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عني إلى من بعدي») قال العراقي: رواه ابن سعد في الطبقات عن محمد بن عمر هو الواقدي بإسناد ضعيف إلى ابن عون عن ابن مسعود وهو مرسل ضعيف كما تقدم اهـ.

قلت: ورواه الطبراني في الدعاء والواحدي في التفسير بسند واه جداً إلى ابن مسعود بلفظ: نعى لنا رسول الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة، فقال: «حياكم الله بالسلام» الحديث. وقد ذكر قريباً وفيه: قلنا يا رسول الله متى أجلك؟ قال: «دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلى جنة المأوى». قلنا: يا رسول الله من يغسلك؟ قال: «رجال أهل بيتي الأدنى فالأدنى» قلنا: يا رسول الله فيم نكفنك؟ قال: «في ثيابي هذه وإن شئتم في ثياب مصر أو حلة يمنية» قلنا: يا رسول الله من يصلي عليك؟ قال: «إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فإن أول من يصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنوده من الملائكة، ثم ادخلوا علي أفواجاً فصلوا وسلموا تسليماً وليبدأ بالصلاة علي رجال من أهل بيتي ثم نساؤهم ثم أنتم، واقرأوا السلام على من غاب من أصحابي ومن تبعني على ديني من يومي هذا إلى يوم القيامة». قلنا: يا رسول الله من يدخلك قبرك؟ قال: «أهلي مع ملائكة ربي». ورواه الطبراني أيضاً في الكبير من حديث وهب بن منبه عن جابر وابن عباس في حديث طويل سيأتي ذكره بعد ذلك وفيه فقال علي: يا رسول الله إذا أنت قبضت فمن يغسلك وفيما نكفنك ومن يصلي عليك ومن يدخلك القبر؟ فقال: «يا علي أما الغسل فاغسلني أنت وابن عباس يصب عليك الماء وجبريل ثالثكما، فإذا أنتم فرغتم من غسلي فكفنوني في ثلاثة أثواب جدد وجبريل يأتيني بحنوط من الجنة، فإذا أنتم وضعتموني على السرير فضعوني في المسجد واخرجوا عني، فإن أول من يصلي علي الرب عز وجل من فوق عرشه، ثم جبريل، ثم ميكائيل، ثم اسرافيل، ثم الملائكة زمراً زمراً، ثم ادخلوا فقوموا صفوفاً صفوفاً لا يتقدم علي أحد» الحديث. ورواه أيضاً أبو يعلى في مسنده مختصراً وسيأتي ما يتعلق بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه في آخر هذا الباب.

(وقال عبدالله بن زمعة) بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزي القرشي الأسدي ابن أخت أم سلمة زوج النبي ﷺ واسم أمه قريبة بنت أبي أمية. قال عياض في المشارق: زمعة بسكون الميم وضبطناه عن ابن بحر بفتح الميم حيث وقع وكلاهما يقال. قال الحافظ في الفتح: ووقع في الكاشف للذهبي أنه أخو سودة أم المؤمنين وهو وهم يظهر صوابه من سياق نسبها. قال البغوي:

ﷺ : « مروا أبا بكر يصلي بالناس » . فخرجت فلم أرَ بحضرة الباب إلا عمر في رجال ليس فيهم أبو بكر ، فقلت قم يا عمر فصلِّ بالناس ، فقام عمر فلما كبر وكان رجلاً صيتاً سمع رسول الله ﷺ صوته بالتكبير فقال : « أيـن أبـو بكـر ؟ يـأبـى الله ذلـك والمسلمون » قالها ثلاث مرات ، « مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس » ، فقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قام في مقامك غلبه البكاء ! فقال : « إنكن صويحبات يوسف مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس » . قال : فصلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر ، فكان عمر يقول لعبدالله بن زمعة ـ بعد ذلك ـ ويحك ماذا صنعت بي ! والله لولا أني ظننت أن رسول الله ﷺ أمرك ما فعلت . فيقول عبدالله : إني

كان يسكن المدينة وله أحاديث ويقال إنه كان يأذن على النبي ﷺ ، قتل يوم الدار سنة خمس وثلاثين ، وبه جزم أبو حسان الزيادي ، روى له الجماعة : (**جاء بلال**) رضي الله عنه (**في أول**) شهر (**ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال رسول الله ﷺ « مروا أبا بكر يصلي بالناس »**) أي يؤمهم قال : (**فلم أر بحضرة الباب إلا عمر**) بن الخطاب رضي الله عنه (**في رجال ليس فيهم أبو بكر**) رضي الله عنه ، (**فقلت: قم يا عمر فصل بالناس، فقام عمر**) واصطف الناس ، (**فلما كبر**) للصلاة (**وكان رجلاً صيتاً**) أي جهير الصوت (**سمع رسول الله ﷺ صوته بالتكبير**) لقرب الحجرة من المسجد ، (**فقال « أين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون ـ قالها ثلاث مرات ـ مروا أبا بكر فليصل بالناس » فقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق**) أي قلبه رقيق (**إذا قام مقامك غلبه البكاء**) أي يلاحظ من فقده ﷺ ومًا كان يجد من أنسه وأنواره ، (**فقال : « إنكن صواحبات يوسف**) عليه السلام جمع صاحبة أي في إظهار خلاف ما في الباطن أي في التظاهر والتعاون على ما ترون وكثرة إلحاحكن على ما تملن إليه ، وهذا الخطاب وإن كان بلفظ الجمع فالمراد به واحدة وهي عائشة على أن في رواية البخاري أنها قالت لحفصة أنها تقول ما قالت أي : فمر عمر فليصل بالناس فقالت ذلك ، فحينئذ قال ما قال وأقل الجمع اثنان : (**مروا أبا بكر فليصل بالناس »**) وفيه أنه لا يقدم للإمامة إلا أفضل القوم فقهاً وقراءة وورعاً وغيرها ، وفي تكرير أمره بتقديمه الدلالة الظاهرة عند من له أدنى رفق بل إيمان على أنه أحق الناس بخلافته ، وقد وافق على ذلك علي وغيره من أهل البيت ، ووجه الشبه بصواحبات يوسف أن زليخا استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك ، وهي أن ينظرن حسن يوسف فيعذرنها في محبته ، وعائشة رضي الله عنها أظهرت أن سبب محبتها صرف الإمامة عن أبيها وعدم استماعه القراءة ومرادها زيادة على ذلك في أن لا يتشاءم الناس به . (**قال**) الرواي (**فصلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر**) بالناس سبع عشرة صلاة كما نقله الدمياطي : (**فكان عمر يقول لعبدالله بن زمعة**) رضي الله عنها (**بعد**) ذلك : (**ويحك ماذا صنعت بي والله لولا أني ظننت أن رسول الله ﷺ أمرك ما فعلت فيقول**

لم أرَ أحداً أولى بذلك منك ! قالت عائشة رضي الله عنها وما قلت ذاك ولا صرفته عن أبي بكر إلا رغبة به عن الدنيا ، ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة إلا من سلم الله وخشيت أيضاً أن لا يكون الناس يحبون رجلاً صلى في مقام النبي ﷺ وهو حي أبداً إلا أن يشاء الله فيحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به ، فإذاً الأمر أمر الله والقضاء قضاؤه ، وعصمه الله من كل ما تخوّفت عليه من أمر الدنيا والدين .

عبدالله : إني لم أر أحداً أولى بذلك منك) . قال العراقي : رواه أبو داود بإسناد جيد مختصراً دون قوله فقالت عائشة : إن أبا بكر رجل رقيق الخ ولم يقل في أول ربيع الأول ، وقال : مروا من يصلي بالناس . وقال : يأبى الله ذلك والمؤمنون مرتين . وفي روايته فقال : « لا لا لا ليصل بالناس ابن أبي قحافة » . يقول ذلك تغضباً وأما ما أخره من قول عائشة ففي الصحيح من حديثها فقالت عائشة : يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مكانك لم يسمع الناس من البكاء ، فقال : « إنكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس » انتهى .

قلت : رواه الشيخان واللفظ للبخاري : وفي روايته : إن أبا بكر رجل أسيف ، وفي حديث عروة عن عائشة عن البخاري : فمروا عمر فليصل بالناس . قالت ، قلت لحفصة : قولي له إن أبا بكر إذا قام في مقامك لا يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس ، ففعلت حفصة . فقال رسول الله ﷺ : « مه إنكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس » فقالت حفصة لعائشة : ما كنت لأصيب منك خيراً . ولابن حبان من رواية عاصم عن شقيق عن مسروق عن عائشة في هذا الحديث . قال عاصم : والأسيف الرقيق الرحيم .

(تنبيه) : في الحديث السابق « سدوا كل خوخة إلا خوخة أبي بكر » إشارة إلى أن أبا بكر هو الإمام بعده ، فإن الإمام يحتاج إلى سكن المسجد ، والإستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح المسلمين ثم أكد هذا المعنى بأمره صريحاً أن يصلي بالناس أبو بكر فروجع في ذلك وهو يقول : « مروا أبا بكر أن يصلي بالناس » فولاه إمامة الصلاة ، ولذل قال الصحابة عند بيعة لأبي بكر : رضيه رسول الله ﷺ لديننا أفلا ترضاه لدنيانا ؟ .

(قالت عائشة) رضي الله عنها : (وما قلت ذلك ولا صرفته عن أبي بكر إلا رغبة عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة إلا ما سلم الله وخشيت أيضاً أن لا يكون الناس يحبون رجلاً صلى في مقام النبي ﷺ وهو حي إلا أن يشاء الله يحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به ، فإذاً الأمر أمر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من أمر الدنيا والدين) . رواه البخاري بلفظ فقالت لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أنه يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً ، ولا كنت أرى أنه لن يقوم واحد مقامه إلا تشاءم الناس به .

وقالت عائشة رضي الله عنها: فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ رأوا منه خفة في أول النهار، فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين، وأخلوا رسول الله ﷺ بالنساء، فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك، قال رسول الله ﷺ: «أخرجن عني! هذا الملك يستأذن علي» فخرج من في البيت غيري ورأسه في حجري فجلس وتنحيت في جانب البيت فناجى الملك طويلاً، ثم أنه دعاني فأعاد رأسه في حجري وقال للنسوة: «أدخلن» فقلت: ما هذا بحس جبريل عليه السلام؟ فقال رسول الله ﷺ: «أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال: إن الله عز وجل أرسلني وأمرني أن لا أدخل عليك إلا بإذن، فإن لم تأذن لي أرجع وإن أذنت لي دخلت، وأمرني أن لا أقبضك حتى تأمرني فماذا أمرك؟ فقلت: اكفف عني حتى يأتيني جبريل عليه السلام، فهذه ساعة جبريل» قالت عائشة رضي الله عنها؛ فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأي، فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة ما نحير إليه شيئاً وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاماً لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا، قالت، وجاء جبريل في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت فدخل فقال: إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول؛ كيف تجدك وهو أعلم بالذي تجد منك، ولكن أراد

(وقالت عائشة) رضي الله عنها: (فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ) وهو يوم الإثنين (رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله ﷺ بالنساء، فبينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك. قال رسول الله ﷺ) للنساء: (« اخرجن عني! هذا الملك يستأذن علي ») أي يطلب الإذن بالدخول علي (فخرج من في البيت) من النسوة (غيري ورأسه في حجري فجلس) مستعداً للقاء الملك، (وتنحيت في جانب البيت) أي صرت في ناحية منه، (فناجى الملك طويلاً ثم أنه دعاني فأعاد رأسه في حجري، وقال للنسوة « ادخلن » فقلت): يا رسول الله (ما هذا بحس جبريل عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ): « أجل يا عائشة (هذا ملك الموت جاءني فقال: إن الله عز وجل أرسلني) إليك (وأمرني أن لا أدخل عليك إلا بإذن فإن لم تأذن لي أرجع وإن أذنت لي دخلت. وأمرني أن لا أقبضك حتى تأمرني، فماذا أمرك؟ فقلت: أكفف حتى يأتيني جبريل عليه السلام، فهذه ساعة جبريل » قالت عائشة رضي الله عنها: فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب، ولا رأي فوجمنا) أي اندهشنا (وكأنما ضربنا بصاخة) بتشديد الخاء وهي المصيبة الشديدة (ما نحير إليه شيئاً) أي ما نرجع، (في سعته فسلم فعرفت حسه، وخرج أهل البيت فدخل فقال: إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول: كيف تجدك وهو أعلم بالذي تجد منك، ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفاً، وأن

أن يزيدك كرامة وشرفاً وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة في أمتك. فقال: «أجدني وجعاً» فقال: أبشر فإن الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك فقال: «يا جبريل إن ملك الموت استأذن علي» وأخبره الخبر فقال جبريل: يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذي يريد بك؟ لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبداً، إلا أن ربك يتم شرفك وهو إليك مشتاق، قال: «فلا تبرح إذاً حتى يجيء»، وأذن للنساء فقال: «يا فاطمة أدني» فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام، ثم قال: «أدني مني رأسك» فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام، فكان الذي رأينا منها عجباً، فسألتها بعد ذلك فقالت: أخبرني وقال: «إني ميت اليوم» فبكيت ثم قال: «إني دعوت الله أن يلحقك بي في أول أهلي وأن يجعلك معي» فضحكت، وأدنت ابنيها منه فشمهما. قالت: وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال الملك: ما تأمرنا يا محمد؟ قال: ألحقني بربي الآن» فقال: بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج. قالت: وخرج جبريل فقال: السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض

يتم كرامتك وشرفك على الخلق، وأن تكون سنة في أمتك) أي إذا دخلوا على المريض فيقولون كذلك. (فقال: «أجدني وجعاً» قال: أبشر فإن الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك. فقال «يا جبريل إن ملك الموت استأذن علي» وأخبره الخبر فقال جبريل: يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم أعلمك الذي يريد بك؟ لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبداً، إلا أن ربك يتم شرفك وهو إليك مشتاق. قال: «فلا تبرح إذاً حتى يجيء» وأذن للنساء) فدخلن وفيهن ابنته فاطمة رضي الله عنها (فقال: «يا فاطمة أدني») أي أقربي مني (فأكبت عليه فناجاها) أي سارها بشيء (فرفعت رأسها وعيناها تذرفان) أي تسيلان دموعاً (وما تطيق الكلام) من شدة الحزن، (ثم قال: «أدني مني رأسك» فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام، وكان الذي رأينا منها عجباً) من البكاء والضحك في ساعة واحدة، (فسألناها بعد ذلك) أي بعد وفاته ﷺ (فقالت: أخبرني) أولاً (وقال: «إني ميت اليوم» فبكيت) حزناً على فراقه (ثم قال ثانياً: «إني دعوت الله) تعالى (أن يلحقك بي في أول أهلي وأن يجعلك معي». فضحكت) فرحاً للحوقي به، (وأدنت ابنتها) هي أم كلثوم (منه فشمها) وبرك عليها (قالت: وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال الملك: ما تأمرنا يا محمد؟ قال: «ألحقني بربي الآن». فقال: بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك ولم ينه عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج. قالت: وخرج جبريل فقال: السلام عليك يا

أبداً، طوي الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الأرض حاجة غيرك، وما لي فيها حاجة إلا حضورك، ثم لزوم موقفي. لا والذي بعث محمداً بالحق ما في البيت أحد يستطيع أن يحير إليه في ذلك كلمة ولا يبعث إلى أحد من رجاله، لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا وإشفاقنا، قالت: فقمت إلى النبي ﷺ حتى أضع رأسه بين ثديي وأمسكت بصدره، وجعل يغمى عليه حتى يغلب وجبهته ترشح رشحاً ما رأيته من إنسان قط، فجعلت أسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شيء أطيب منه فكنت أقول له إذا أفاق بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي ما تلقى جبهتك من الرشح فقال: «يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار»، فعند ذلك ارتعنا وبعثنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخي، بعثه إلى أبي فمات رسول الله ﷺ قبل أن يجيء أحد، وإنما صدهم الله عنه لأنه ولاه جبريل وميكائيل، وجعل إذا أغمي عليه قال: «بل الرفيق الأعلى» كأن الخيرة تعاد عليه فإذا أطاق الكلام قال: الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعاً» الصلاة الصلاة كان

رسول الله. هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض أبداً طوي الوحي وطويت الدنيا وما كانت بي في الأرض حاجة غيرك وما لي فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقفي، ولا والذي بعث محمداً بالحق ما في البيت يستطيع أن يحير إليه في ذلك كلمة) أي يعيدها، (ولا يبعث إلى أحد من رجاله لعظم ما نسمع من حديثه ووجدنا وإشفاقنا. قالت: فقمت إلى النبي ﷺ حتى أضع رأسه بين ثديي وأمسكت بصدره وجعل يغمى عليه) أي يعتريه الغشيان (حتى يغلب) لشدة ما يحصل له من فتور الأعضاء من تمام الحركة، وفيه جواز الإغماء على الأنبياء عليهم السلام. قال ابن حجر في شرح الشمائل: لكن قيده الشيخ أبو حامد من ائمتنا بغير الطويل، وجزم به البلقيني. قال السبكي: ليس كإغماء غيرهم لأنه إنما يستر حواسهم الظاهرة دون قلوبهم لأنها إذا عصمت من النوم الأخف فالإغماء أولى. (وجبهته ترشح رشحاً ما رأيته من إنسان قط فجعلت أسلت ذلك العرق) أي أزيله وأمسحه (وما وجدت رائحة شيء أطيب منه، فكنت أقول إذا أفاق) من غشيته (بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي ما تلقى جبهتك من الرشح، فقال: يا عائشة إن نفس المؤمن) أي روحه (تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار) أي فالرشح من علامات الخير وقد تقدم. (فعند ذلك ارتعنا) أي خفنا (وبعثنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهده أخي) وهو عبد الرحمن بن أبي بكر (بعثه إلى أبي) لينظر الحال (فمات رسول الله ﷺ قبل أن يجيء أحد) من أهلي (وإنما صدهم الله عنه لأنه ولاه جبريل وميكائيل) عليهما السلام (وجعل) ﷺ (إذا أغمي عليه قال: «بل الرفيق الأعلى» كأن الخيرة تعاد عليه فإذا أطاق الكلام قال: «الصلاة الصلاة) أي الزموها (إنكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعاً») أي مع الجماعة. (الصلاة الصلاة كان

يوصي بها حتى مات وهو يقول: «الصلاة الصلاة».

يوصي بها حتى مات وهو يقول: «الصلاة الصلاة قال العراقي: رواه الطبراني في الكبير من حديث جابر وابن عباس مع اختلاف في حديث طويل فيه، فلما كان يوم الإثنين اشتد الأمر وأوحى الله إلى ملك الموت أن أهبط إلى حبيبي وصفيّي محمد ﷺ في أحسن صورة وأرفق به في قبض روحه، وفيه دخول الملك واستئذانه وقبضه فقال: يا ملك الموت أين خلفت حبيبي جبريل؟ قال: خلفته في سماء الدنيا والملائكة يعزونه فيك، فما كان بأسرع أن أتاه جبريل فقعد عند رأسه وذكر بشارة جبريل له مما أعدّ الله له، وفيه: أدن يا ملك الموت فانته إلى ما أمرت به الحديث. وفيه: قد دنا ملك الموت يعالج قبض رسول الله ﷺ وذكر كربه لذلك إلى أن قال: فقبض رسول الله ﷺ وهو حديث طويل في ورقتين كبار، وهو منكر فيه عبد المنعم بن إدريس بن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه قال أحمد: كان يكذب على وهب بن منبه وأبو إدريس أيضاً متروك قاله الدارقطني.

ورواه الطبراني أيضاً من حديث الحسين بن علي: إن جبريل جاءه أولاً فقال له عن ربه: كيف تجدك؟ ثم جاءه جبريل اليوم الثالث ومعه ملك الموت وملك الهواء إسماعيل وأن جبريل دخل أولاً فسأله ثم استأذن ملك الموت. وقوله: امض لما أمرت به وهو منكر أيضاً فيه عبدالله بن ميمون القداح قال البخاري: ذاهب الحديث. ورواه أيضاً من حديث ابن عباس في مجيء ملك الموت أولاً واستئذانه. وقوله: إن ربك يقرئك السلام، فقال: أين جبريل؟ فقال: هو قريب مني الآن فخرج ملك الموت حتى نزل عليه جبريل الحديث. وفيه: المختار بن نافع منكر الحديث قاله البخاري وابن حبان اهـ.

قلت: وقد رواه أبو نعيم في الحلية عن الطبراني بطوله فقال: حدثنا سليمان بن أحمد وهو الطبراني، حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا عبد المنعم بن إدريس بن سنان، عن أبيه، عن وهب، عن جابر بن عبدالله وابن عباس قالا: لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ إلى آخر السورة. قال محمد ﷺ: «يا جبريل نفسي قد نعيت» قال جبريل عليه السلام: الآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن ينادي بالصلاة جامعة، فاجتمع المهاجرون والأنصار إلى مسجد رسول الله ﷺ فصلى بالناس، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب خطبة وجلت منها القلوب وبكت منها العيون ثم قال: «أيها الناس أي نبي كنت لكم؟ فقالوا: جزاك الله من نبي خيراً فلقد كنت كالأب وكالأخ الناصح المشفق، أديت رسالات الله عز وجل، وأبلغتنا وحيه ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، فجزاك الله عنا أفضل ما جازى نبياً عن أمته. فقال لهم: «معاشر المسلمين أنا أنشدكم بالله وبحقي عليك من كانت له قبلي مظلمة فليقم فليقتصّ مني» فذكر حديثاً طويلاً فيه قيام عكاشة لطلب القصاص نحو ورقة كاملة وفيه: فمرض رسول الله ﷺ من يومه، فكان مريضاً ثمانية عشر يوماً يعوده الناس، وكان ﷺ ولد يوم الإثنين وبعث يوم الإثنين وقبض يوم الإثنين، فلما كان في يوم الأحد ثقل في

مرضه فأذن بلال بالأذان ثم وقف بالباب فنادى: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله الصلاة يرحمك الله، فسمع رسول الله ﷺ صوت بلال، فقالت فاطمة: يا بلال إن رسول الله ﷺ اليوم مشغول بنفسه، فدخل بلال المسجد فلما أسفر الصبح قال: والله لا أقيمها أو أستأذن سيدي رسول الله ﷺ فرجع وقام بالباب ونادى: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله الصلاة يرحمك الله، فسمع رسول الله ﷺ صوت بلال فقال: ادخل يا بلال ان رسول الله اليوم مشغول بنفسه مر أبا بكر يصلي بالناس. فخرج ويده على أم رأسه وهو يقول: واغوثاه بالله وانقطاع رجائي وانقصام ظهري ليتني لم تلدني أمي إذ ولدتني لم أشهد من رسول الله ﷺ هذا اليوم، ثم قال: يا أبا بكر ألا إن رسول الله ﷺ أمرك أن تصلي بالناس، فتقدم أبو بكر الناس وكان رجلاً رقيقاً، فلما نظر إلى خلوة المكان من رسول الله ﷺ لم يتمالك أن خر مغشياً عليه، وضج المسلمون بالبكاء، فسمع رسول الله ﷺ ضجيج الناس فقال: «ما هذه الضجة» فقالوا: ضجة المسلمين لفقدك يا رسول الله، فدعا النبي ﷺ علي بن أبي طالب وابن عباس واتكأ عليهما فخرج إلى المسجد فصلى بالناس ركعتين خفيفتين، ثم أقبل بوجهه المليح عليهم فقال: «معشر المسلمين استودعتكم الله أنتم في رجاء الله وأمانته والله خليفتي عليكم. معاشر المسلمين عليكم باتقاء الله وحفظ طاعته من بعدي فإني مفارق الدنيا. هذا أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا». فلما كان يوم الإثنين اشتد به الأمر وأوحى الله إلى ملك الموت عليه السلام أن اهبط إلى حبيبي وصفيي محمد ﷺ في أحسن صورة وارفق به في قبض روحه، فهبط ملك الموت فوقف بالباب شبه اعرابي ثم قال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة أدخل؟ فقالت عائشة لفاطمة رضي الله عنها: أجيبي الرجل، فقالت فاطمة: أجرك الله في ممشاك يا عبد الله إن رسول الله ﷺ اليوم مشغول بنفسه، ثم دعا الثانية فقال: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة أدخل؟ فقالت عائشة لفاطمة رضي الله عنها: أجيبي الرجل، فقالت فاطمة: آجرك الله في ممشاك ياعبدالله إن رسول الله ﷺ اليوم مشغول بنفسه، ثم دعا الثالثة فذكر مثل الأولى والثانية، قال بعد قوله: آدخل فلا بد من الدخول، فسمع رسول الله ﷺ صوت ملك الموت عليه السلام، فقال: يا فاطمة من بالباب؟ فقالت: يا رسول الله إن رجلاً يستأذن في الدخول فأجبناه مرة بعد أخرى، فنادى في الثالثة صوتاً اقشعر منه جلدي وارتعدت فرائصي فقال لها النبي ﷺ: «يا فاطمة أتدري من بالباب هذا هادم اللذات ومفرق الجماعات هذا مرمل الأزواج ومؤتم الأولاد هذا مخرب الدور وعامر القبور هذا ملك الموت صلى الله عليه ادخل يرحمك الله يا ملك الموت» فدخل على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ يا ملك الموت جئتني زائراً أم قابضاً قال جئتك زائراً وقابضاً وأمرني الله عز وجل أن لا أدخل عليك إلا بإذنك ولا أقبض روحك إلا بإذنك فإن أذنت وإلا رجعت إلى ربي عز وجل فقال رسول الله ﷺ يا جبريل هذا الرحيل من الدنيا فبشرني بما لي عند الله فقال: أبشرك يا حبيب الله إني تركت أبواب السماء قد فتحت والملائكة قد قاموا صفوفاً بالتحية والريحان يحيون روحك يا محمد. فقال: لوجه ربي الحمد، فبشرني يا جبريل. قال: أبشرك أن أبواب الجنة قد فتحت وأنهارها

قد اضطربت وأشجارها قد تدلت وحورها قد تزينت لقدوم روحك يا محمد. قال: لوجه ربي الحمد فبشرني يا جبريل. قال: أبواب النيران قد أطبقت لقدوم روحك يا محمد. قال لوجه ربي الحمد. فبشرني يا جبريل. قال: أنت أول شافع وأول مشفع في القيامة. قال: لوجه ربي الحمد فبشرني يا جبريل قال: يا حبيبي عما تسألني؟ قال: أسألك عن غمي وهمي من لقراء القرآن من بعدي ومن لصوام شهر رمضان من بعدي من لحجاج بيت الله من بعدي من لأمتي المصطفاة من بعدي؟ قال: أبشرك يا حبيب الله فإن الله عز وجل يقول: قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأمم حتى تدخلها أنت وأمتك يا محمد. قال: الآن طابت نفسي أدن يا ملك الموت فانته إلى ما أمرت. فقال علي: يا رسول الله إذا أنت قبضت فمن يغسلك وفيم نكفنك فذكر الحديث إلى قوله: ثم ادخلوا فقوموا صفوفاً صفوفاً لا يتقدم علي أحد، وقد تقدم ذكر ذلك قريباً، ثم قال: فقالت فاطمة رضي الله عنها: اليوم الفراق فمتى ألقاك؟ قال: يا بنية تلقاني يوم القيامة عند الحوض وأنا أسقي من يرد على الحوض من أمتي. قالت: فإن لم ألقك يا رسول الله؟ قال: تلقاني عند الميزان وأنا أشفع لأمتي قالت: فإن لم ألقك يا رسول الله؟ قال: تلقاني عند الصراط وأنا أنادي: يا رب سلم أمتي من النار. فدنا ملك الموت عليه السلام فعالج قبض روح رسول الله ﷺ، فلما بلغ الروح إلى الركبتين قال النبي ﷺ «أواه» فلما بلغ الروح إلى السرة نادى رسول الله ﷺ «واكرباه» فقالت فاطمة كربي لكربك يا أبتاه فلما بلغ الروح إلى التندوة قال النبي ﷺ يا جبريل ما أشد مرارة الموت فولى جبريل عليه السلام وجهه عن رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ كرهت النظر إلي يا جبريل؟ فقال جبريل «يا حبيبي ومن يطيق نفسه أن ينظر إليك وأنت تعالج سكرات الموت فقبض رسول الله ﷺ ثم ذكر بعد ذلك غسله وتجهيزه والصلاة عليه والدفن وتعزية فاطمة رضي الله عنها كما سيأتي ذلك، فهذا السياق هو الذي أشار إليه العراقي وفيه اختلاف.

وأما حديث الحسين بن علي فلفظه عند الطبراني أن جبريل هبط على النبي ﷺ يوم موته فقال: كيف تجدك؟ قال: أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني مكروباً فاستأذن ملك الموت على الباب فقال جبريل: يا محمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك. قال: ائذن له، فأذن له فأقبل حتى وقف بين يديه فقال: إن الله أرسلني لك وأمرني أن أطيعك إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها، وإن كرهت تركتها. قال: وتفعل يا ملك الموت؟ قال: نعم بذلك أمرت. قال له جبريل: إن الله قد اشتاق إلى لقائك، فقال رسول الله ﷺ: «امض لما أمرت به».

وروى البيهقي في دلائل النبوة من حديث جعفر بن محمد عن أبيه قال: لما بقي من أجل رسول الله ﷺ ثلاث نزل عليه جبريل عليه السلام فقال: يا احمد إن الله قد أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول: كيف تجدك؟ فقال: أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً، ثم أتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك، ثم أتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك، ثم استأذن فيه ملك الموت ثم قال جبريل: يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن

....

عليك ولم يستأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك. قال: ائذن له، فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال: يا رسول الله إن الله عز وجل أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك إذا حضرت إليك فإن أمرتني أن أقبض روحك قبضتها، وإن أمرتني أن أتركها تركتها. فقال جبريل: يا محمد إن الله تعالى قد اشتاق إلى لقائك. قال ﷺ: « فامض يا ملك الموت لما أمرت به ». فقال جبريل: يا رسول الله هذا آخر موطىء من الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه هكذا ساقه صاحب المواهب، وفي سياقه نقص، فالذي في نسخ الدلائل: فلما كان اليوم الثالث هبط جبريل ومعه ملك الموت ومعهما ملك آخر يسكن الهواء لم يصعد السماء قط ولم يهبط إلى الأرض قط، يقال له إسماعيل موكل على سبعين ألف ملك كل ملك على سبعين ألف ملك والباقي سواء. وقد ساقه الشامي في سيرته على التمام.

وروى الطبراني أيضاً من حديث ابن عباس قال: جاء ملك الموت إلى النبي ﷺ في مرضه ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فاستأذن فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال له علي رضي الله عنه: ارجع فإنا مشاغيل عنك. فقال ﷺ: « هذا ملك الموت ادخل راشداً » فلما دخل قال: إن ربك يقرئك السلام. قال: فبلغني أن ملك الموت لم يسلم على أهل بيت قبله ولا يسلم بعده.

وروى الحاكم وابن سعد من طرق أنه ﷺ مات ورأسه في حجر علي. قال الحافظ في الفتح: وهو غير معارض لحديث عائشة في الصحيح: مات ﷺ بين سحري ونحري لأن كل طريق من تلك الطرق لا يخلو عن شيء فلا يلتفت لذلك.

وروى البخاري من طريق عروة عن عائشة قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة في شكواه التي قبض فيها فسارّها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارّها بشيء فضحكت، فسألناها عن ذلك فقالت: سارني أنه يقبض في وجعه التي توفي فيه فبكيت، ثم سارّني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت. ومن طريق مسروق عن عائشة أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال ﷺ: « مرحبا با بنيّتي » ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارّها. ولأبي داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً هدياً ودلاً برسول الله ﷺ في قيامها وقعودها من فاطمة رضي الله عنها. وكانت إذا دخلت على النبي ﷺ قام إليها وقبّلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك، فلما مرض دخلت عليه فأكبت عليه فقبلته.

قال صاحب المواهب: اتفقت الروايات على أن الذي سارّها به أولاً فبكت هو إعلامه إياها بأنه ميت في مرضه ذلك، واختلفت فيما سارّها به فضحكت ففي رواية عروة أنه إخباره إياها أنها أول أهله لحوقاً به، وفي رواية مسروق أنه إخباره إياها أنها سيدة نساء الجنة وجعل كونها أول أهله لحوقاً به مضموماً إلى الأول وهو الراجح، فإن حديث مسروق يشتمل على زيادات ليست في حديث عروة وهو من الثقات الضابطين فما زاده مسروق قول عائشة فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً

قالت عائشة رضي الله عنها: مات رسول الله ﷺ بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين. قالت فاطمة رضي الله عنها: ما لقيت من يوم الاثنين، والله لا تزال

أقرب من حزن فسألتها عن ذلك فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى توفي النبي ﷺ فسألتها فقالت: أسر إليَّ أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا قد حضر أجلي وأنك أول أهل بيتي لحوقاً بي، وفي رواية عائشة بنت طلحة من الزيادة أن عائشة لما رأت بكاءها وضحكها قالت: إني كنت لأظن أن هذه المرأة من أعقل النساء، فإذا هي من أجن النساء ويحتمل تعدد القصة. وفي رواية عروة الجزم أنه ميت من وجعه ذلك بخلاف رواية مسروق، فقيها أنه ظن ذلك بطريق الاستنباط مما ذكره من معارضة القرآن، وقد يقال لا منافاة بين الخبرين إلا بالزيادة، ولا يمتنع أن يكون إخباره بكونها أول أهله لحوقاً به سبباً لبكائها ولضحكها معاً باعتبارين، فذكر كل من الراويين ما لم يذكره الآخر. وقد روى النسائي من طريق أبي سلمة عن عائشة في سبب البكاء أنه ميت، وفي سبب الضحك الأمرين الأخيرين، ولابن سعد من رواية أبي سلمة عنها: أن سبب البكاء موته وسبب الضحك لحاقها به.

وفي سياق المصنف وجبهته ترشح رشحاً، وفيه: «يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار» رواه الطبراني في الكبير، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود: «نفس المؤمن تخرج رشحاً وأن نفس الكافر تسيل كما تسيل نفس الحمار». ورواه في الأوسط بلفظ: «نفس المؤمن تخرج رشحاً ولا أحب موتاً كموت الحمار موت الفجأة وروح الكافر تخرج من أشداقه». وفي رواية له قيل له: وما موت الحمار؟ قال: روح الكافر تخرج من أشداقه». وروى الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه، والبيهقي في الشعب من حديث بريرة: «المؤمن يموت بعرق الجبين» وتقدم حديث سلمان: «ارقبوا الميت عند موته ثلاثاً إن رشحت جبينه» الحديث. وروى البيهقي في الشعب من طريق علقمة بن قيس، حدثني ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «موت المؤمن برشح الجبين» قال عبدالله: ولا أحب موتاً كموت الحمار. وروى ابن أبي شيبة والبيهقي من هذا الوجه عن علقمة عن ابن مسعود من قوله: «إن نفس المؤمن تخرج رشحاً وإن نفس الكافر أو الفاجر تخرج من شدقه كما تخرج نفس الحمار».

وفي سياق المصنف: فإذا أطاق الكلام قال: «الصلاة الصلاة» الخ روي ذلك من حديث أنس أنه ﷺ قال: «الصلاة وما ملكت إيمانكم، الصلاة وما ملكت أيمانكم» رواه أحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن ماجه وابن سعد وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والضياء. ورواه ابن سعد أيضاً، والطبراني من حديث أم سلمة ورواه الطبراني أيضاً من حديث ابن عمر.

(قالت عائشة رضي الله عنها: مات رسول الله ﷺ بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين). قال العراقي: رواه ابن عبد البر انتهى.

قلت: وجزم موسى بن عقبة عن الزهري بأنه ﷺ مات حين زاغت الشمس، وكذا لأبي

الأمة تصاب فيه بعظيمة وقالت أم كلثوم ـ يوم أصيب علي كرّم الله وجهه بالكوفة ـ مثلها: ما لقيت من يوم الإثنين، مات فيه رسول الله ﷺ، وفيه قتل علي، وفيه قتل أبي، فما لقيت من يوم الاثنين. وقالت عائشة رضي الله عنها: لما مات رسول الله ﷺ اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ الملائكة بثوبي. فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد، وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان، وبقي آخرون معهم عقولهم، وأقعد آخرون. فكان عمر بن الخطاب

الأسود عن عروة. وروى ابن سعد من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة، أن دخول النبي ﷺ في بيتها كان يوم الإثنين وموته يوم الإثنين.

(**قالت فاطمة رضي الله عنها: ما لقيت من يوم الإثنين والله لا تزال الأمة تصاب فيه بعظيمة**) أي بمصيبة شديدة.

(**وقالت أم كلثوم**) ابنة علي وأمها فاطمة رضي الله عنهم: ولدت في عهد النبي ﷺ. قال أبو عمر: ولدت قبل وفاة النبي ﷺ. وروى ابن أبي عمر المدني في مسنده، حدثني سفيان عن عمرو، عن محمد بن علي أن عمر خطب إلى علي بنته أم كلثوم فذكر له صغرها، فقيل له: إنه ردك فعاوده، فقال له علي: ابعث بها إليك فإن رضيت فهي امرأتك، فأرسل بها إليه فكشف عن ساقها فقالت: مه لولا أنك أمير المؤمنين لطمت عينك. وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه عن جده: تزوّج عمر أم كلثوم على مهر أربعين ألفاً. وقال الزبير: ولدت لعمر ابنيه زيداً ورقية، وماتت أم كلثوم وولدها في يوم واحد. وذكر الدارقطني في كتاب الأخوة أنه تزوجها بعد موت عمر عون بن جعفر بن أبي طالب فمات عنها، فتزوجها أخوه عبدالله بن جعفر فماتت عنده. قال ابن سعد: ولم تلد لأحد من بني جعفر: (**يوم أصيب علي كرم الله وجهه بالكوفة مثلها**) أي مثل هذه المقالة. (**ما لقيت من يوم الإثنين مات فيه جدي رسول الله ﷺ، وفيه قتل عمر بعلي، وفيه قتل**) علي (**أبي**) رضي الله عنهم، فما لقيت من يوم الإثنين. هكذا روي عنها، ولكن في قتل عمر اختلاف، فروى سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة أن عمر أصيب يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وكذا قال أبو معشر وغيره عن زيد بن أسلم، وزاد إسماعيل بن محمد بن سعد عن زيد أنه دفن يوم الأحد مستهل سنة أربع. وقال الليث وجماعة: قتل يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة.

(**وقالت عائشة رضي الله عنها: لما مات رسول الله ﷺ اقتحم الناس**) أي دخلوا (**حين ارتفعت الرنة**) أي صوت البكاء (**وسجّى**) أي غطى (**رسول الله ﷺ الملائكة بثوبي فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان**) أي إفصاح، (**وبقى آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون، فكان**

فيمن كذب بموته، وعلي فيمن أقعد، وعثمان فيمن أخرس. فخرج عمر على الناس وقال: إن رسول الله ﷺ لم يمت، وليرجعنه الله عز وجل، وليقطعن أيدي وأرجل رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله ﷺ الموت، إنما واعده الله عز وجل كما واعد موسى وهو آتيكم.

وفي رواية أنه قال: يا أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله ﷺ فإنه لم يمت، والله لا أسمع أحداً يذكر أن رسول الله ﷺ قد مات إلا علوته بسيفي هذا. وأما علي فإنه أقعد فلم يبرح في البيت. وأما عثمان فجعل لا يكلم أحداً ـ يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ـ ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فإن الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والسداد، وإن كان الناس لم يرعووا إلا بقول أبي بكر حتى جاء العباس فقال: والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت، ولقد قال وهو بين أظهركم ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾

عمر بن الخطاب) رضي الله عنه (فيمن كذب بموته، و) كان (علي) رضي الله عنه (فيمن اقعد)، وكان (عثمان) رضي الله عنه (فيمن أخرس، فخرج عمر على الناس وقال: إن رسول الله ﷺ لم يمت وليرجعنه الله عز وجل وليقطعن أيدي وأرجلاً من رجال المنافقين يتمنون لرسول الله ﷺ الموت إنما واعده الله عز وجل كما واعد موسى) عليه السلام، (وهو آتيكم. وفي رواية أنه قال: أيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله ﷺ فإنه لم يمت والله لا أسمع أحداً يذكر أن رسول الله ﷺ قد مات إلا علوته بسيفي هذا. وأما عليّ، فإنه أقعد فلم يبرح في البيت، وأما عثمان فجعل لا يكلم أحداً يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به، ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس) رضي الله عنهما، (فإن الله عز وجل عزم لهما على التوفيق والسداد وإن كان الناس لم يرعووا) أي لم ينكفوا (إلا بقول أبي بكر) رضي الله عنه (جاء العباس فقال: والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله ﷺ الموت، ولقد قال وهو بين أظهرنا ﴿إنك ميت وإنهم ميتون * ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم يختصمون﴾) قال العراقي: هذا السياق بطوله منكر لم أجد له أصلاً انتهى.

قلت: بل رواه ابن أبي الدنيا من حديث ابن عمر بسند ضعيف، وعزاه صاحب المواهب لابن المنير قال: لما مات ﷺ طاشت العقول، فمنهم من خبل، ومنهم من اقعد فلم يطق القيام، ومنهم من أخرس فلم يطق النطق بالكلام، ومنهم من أضنى. وكان عمر ممن خبل، وكان عثمان ممن أخرس يذهب به ويجاء ولا يستطيع النطق، وكان علي ممن أقعد فلا يستطيع حراكاً، وأضني عبدالله بن أنيس فمات كمداً، وكان أثبتهم أبو بكر رضي الله عنه. وأما قول عمر المذكور فرواه البخاري عن عائشة أن عمر قام يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، وفيه قول أبي بكر له: أيها

[الزمر: ٣٠ - ٣١] وبلغ أبا بكر الخبر وهو في بني الحرث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله ﷺ فنظر إليه ثم أكب عليه فقبله ثم قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين، فقد والله توفي رسول الله ﷺ، ثم خرج إلى الناس فقال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت. قال الله تعالى: ﴿وَمَا محمد إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُل، أفإن

الحالف على رسلك كما سيأتي. وعزا الطبري في الرياض النضرة إلى تخريج الحافظ أبي محمد حمزة بن الحرث عن سالم بن عبيد الأشجعي قال: لما مات رسول الله ﷺ كان أجزع الناس عمر بن الخطاب قال: فأخذ بقيام سيفه وقال: لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي هذا. قال فقال الناس: يا سالم اطلب صاحب رسول الله ﷺ. قال: فخرجت إلى المسجد فإذا بأبي بكر فلما رأيته أجهشت بالبكاء، فقال: يا سالم أمات رسول الله ﷺ؟ فقلت: إن هذا عمر بن الخطاب يقول: لا أسمع أحداً يقول مات رسول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي هذا الحديث. وذكر الطبري أيضاً أنه لما مات رسول الله ﷺ سلّ عمر سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله ﷺ، وكان يقول إنما أرسل إليه كما أرسل إلى موسى عليه السلام فلبث عن قومه أربعين ليلة والله إني لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم، وروى أحمد من حديث عائشة قالت: سجيت النبي ﷺ ثوباً فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنوا فأذنت لهما، وجذبت الحجاب فنظر عمر إليه فقال: واغشياه ثم قاما، فقال المغيرة لعمر: يا عمر مات؟ قال: كذبت إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى ينفي الله المنافقين. وروى ابن أبي شيبة عن ابن عمر أن أبا بكر مرّ بعمر وهو يقول: ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين.

(**وبلغ أبا بكر**) رضي الله عنه (**الخبر وهو في بني الحرث بن الخزرج**) قبيلة من الأنصار وكانت مساكنهم بالسخ قرب المدينة، وكان أبو بكر قد تزوّج حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأغر الأنصارية كذا نسبها ابن سعد، وكان قد سكن بها هناك وفي رواية عروة عن عائشة استأذن أبو بكر لما رأى من النبي ﷺ أن يأتي بنت خارجة فأذن له، فجاء (**ودخل على رسول الله ﷺ فنظر إليه ثم اكب عليه فقبله ثم قال: بأبي أنت وأمي ما كان الله ليذيقك الموت مرتين**). قيل: هو على حقيقته. وأشار بذلك للرد على من زعم أنه سيحيى فيقطع أيدي رجال لأنه لو صح ذلك للزم أن يموت موتة أخرى، فأخبر أنه أكرم على الله من أن يجمع عليه موتتين كما جمعها على غيره كالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وكالذي مرّ على قرية وهذا أوضح الأجوبة وأسلمها، وقيل: أراد لا يموت موتة أخرى في القبر كغيره إذ يحيى ليسأل ثم يموت، وقيل: لا يجمع بين موتة نفسك وموتة شريعتك. وقيل: كنى بالموت الثاني عن الكرب أي لا يلقى بعد كرب هذا الموت كرباً آخر كذا في فتح الباري. (**فقد والله توفي رسول الله ﷺ، ثم خرج إلى الناس فقال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت. قال الله تعالى ﴿وما محمد إلا**

مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ...﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية، فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ.

رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ الآية فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ) قال العراقي: رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة أن ابا بكر رضي الله عنه اقبل على فرس من مسكنه بالسخ حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فتيمّم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة فكشف عن وجه ثم اكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي وأمي أنت والله لا يجمع الله عليك موتين أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها. ولهما من حديث ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس الحديث وفيه: لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها. لفظ البخاري فيهما انتهى.

قلت: وفي لفظ للبخاري عنها أن عمر قام يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، فجاء أبو بكر فكشف عن وجه رسول الله ﷺ فقبّله وقال: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك! فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر فاثنى عليه وقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ وقال: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ الآية قال: فنشج الناس يبكون.

وروى الحافظ أبو محمد حمزة بن الحارث بسنده إلى سالم بن عبيد الأشجعي قال: أقبل أبو بكر حتى دخل على النبي ﷺ وهو مسجّى فرفع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشأ الريح ثم سجاه والتفت إلينا فقال: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ الآية. وقال ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ يا أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال عمر فوالله لكأني لم أتل هذه الآية قط.

قال الطبري في الرياض: وأخرج الترمذي معناه بتمامه. وروى أحمد من حديث عائشة سجيت النبي ﷺ ثوباً فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنوا الحديث وفيه: ثم جاء أبو بكر فرفعت الحجاب فنظر إليه فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. مات رسول الله ﷺ. وأما حديث ابن عباس فسيأتي ذكره قريباً. وروى ابن أبي شيبة من حديث ابن عمر: أن أبا بكر مرّ بعمر وهو يقول: ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين. قال: وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤوسهم، فقال: أيها الرجل إن رسول الله ﷺ قد مات ألم تسمع الله تعالى يقول: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ وقال: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ [الأنبياء: ٣٤] ثم أتى المنبر الحديث. قال أبو عبدالله القرطبي: وفي هذا أدل دليل على شجاعة الصديق رضي الله عنه، فإن الشجاعة حدّها ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت رسول الله ﷺ فظهرت عنده شجاعته وعلمه. قال الناس: لم يمت واضطرب الأمر فكشفه الصديق بهذه الآية فرجع عمر عن مقالته التي قالها.

وفي رواية: أن أبا بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله ﷺ ـ وهو يصلي على النبي ﷺ وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة، وهو في ذلك جلد الفعل والمقال ـ فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول: بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حياً وميتاً انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء والنبوّة، فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء، وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء، ولولا أن موتك كان اختياراً منك لجدنا لحزنك بالنفوس، ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفذنا عليك ماء العيون، فأما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان، اللهم فأبلغه عنا، أذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك، فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت من الوحشة، اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا.

(وفي رواية: أن أبا بكر) رضي الله عنه (لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله ﷺ وهو يصلي على النبي ﷺ وعيناه تهملان) أي تسيلان بالدموع، (وغصصه ترتفع) جمع الغصة بالضم وهو ما يغص به الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه ومعنى ترتفع أي تكثر (كقصع الجرة) الجرة بكسر الجيم ما تخرجه الإبل كروشها فتحسوه (وهو مع ذلك جلد العقل والمقال) أي ثابت العقل فيهما. (فأكب عيه فكشف عن وجهه وقبّل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يكبر ويقول: بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حياً وميتاً، انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء وهو النبوة، فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة) أي بحيث يتسلون بك، (وعممت حتى صرنا فيك سواء، ولولا أن موتك كان اختياراً منك) إذ خيّرت بينه وبين الخلد (لجدنا لحزنك بالنفوس، ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا) أي أفنينا (عليك ماء العيون) أي مدامع العيون، (فأما ما لا نستطيع نفيه عنا) أي لا نقدر على إزالته (فكمد وادكار محالفان) أي ملازمان (لا يبرحان. اللهم فابلغه عنا. اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولنكن من بالك، فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد لما خلفت في الوحشة. اللهم ابلغ نبيك عنا واخلفه فينا). قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الضراء من حديث ابن عمر بسند ضعيف جاء أبو بكر ورسول الله ﷺ مسجّى فكشف الثوب عن وجه الحديث الخ انتهى.

قلت: ولفظه: جاء أبو بكر وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع، فدخل على النبي ﷺ. وفيه: ما لم ينقطع لموت أحد من الناس ولم يقل وهو النبوة وقال: فعظمت عن القصة والباقي سواء.

وعن ابن عمر: إنه لما دخل أبو بكر البيت وصلى وأثنى عج أهل البيت عجيجاً سمعه أهل المصلى كلما ذكر شيئاً ازدادوا، فما سكن عجيجهم إلا تسليم رجل على الباب صيت جلد قال: السلام عليكم يا أهل البيت ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الأنبياء: ٣٥، وآل عمران: ١٨٥] الآية. إن في الله خلفاً من كل أحد ودركاً لكل رغبة ونجاة من كل مخافة، فالله فأرجو وبه فثقوا. فاستمعوا له وأنكروه وقطعوا البكاء. فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع أحدهم فلم يرَ أحداً. ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته: يا أهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين، إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضاً من كل رغيبة، فالله فأطيعوا وبأمره فاعملوا، فقال أبو بكر: هذا الخضر واليسع عليهما السلام حضرا النبي ﷺ.

تنبيه:

تقبيله النبي ﷺ قد قدمناه من حديث ابن عباس وعائشة عند البخاري، وكذا عند غيره، فروى أحمد من طريق يزيد بن بابنوس عن عائشة أنه أتاه من قبل رأسه فقبّل وجهه، ثم قال: وانبياه ثم رفع رأسه فجرز فاه وقبل جبهته، ثم قال: واصفياه، ثم رفع رأسه فجرز فاه وقبل جبهته وقال واخليلاه. وفي حديث ابن عمر عند ابن أبي شيبة فوضع فاه على جبين النبي ﷺ فجعل يقبله ويبكي ويقول: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً، وفي جزء ابن عرفة من حديث عائشة أن أبا بكر دخل على النبي ﷺ بعد وفاته فوضع فاه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه فقال: وانبياه واخليلاه واصفياه.

(**وعن ابن عمر**) رضي الله عنهما (**أنه لما دخل أبو بكر رضي الله عنه البيت**) أي حجرة عائشة (**وصلّى وأثنى عج أهل البيت عجيجاً**) أي رفعوا صوتاً (**سمعوا أهل المصلى**) وهم خارج المدينة (**كلما ذكر شيئاً ازدادوا فما سكن عجيجهم إلا تسليم رجل على الباب صيّت**) أي جهير الصوت (**جلد**) أي قوي (**قال: السلام عليكم يا أهل البيت ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ الآية إن في الله خلفاً من كل أحد ودركاً لكل رغبة ونجدة من كل مخافة فالله فارجو وبه فثقوا فاستمعوا له وانكروه وقطعوا البكاء، فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع أحدهم فلم ير أحداً ثم عادوا فبكوا فناداهم مناد آخر لا يعرفون صوته: يا أهل البيت اذكروا الله واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضاً من كل رغيبة، فالله فاطيعوا وبأمره فاعملوا، فقال أبو بكر رضي الله عنه: هذا الخضر واليسع**) عليهما السلام (**قد حضرا**) وفاة (**النبي ﷺ**) قال العراقي: لم أجد فيه ذكر اليسع انتهى.

قلت: هكذا أخرجه سيف بن عمر التميمي في كتاب الردة له عن سعيد بن عبدالله عن ابن

....

عمر قال: لما توفي رسول الله ﷺ جاء أبو بكر حتى دخل عليه، فلما رآه مسجى قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم صلى عليه فرفع أهل البيت عجيجاً سمعه أهل المصلى، فلما سكن ما بهم سمعوا تسليم رجل على الباب صيّت جليد يقول فساقه وفيه بعد قوله: فثقوا فإن المصاب من حرم الثواب، وفيه: وعوضاً من كل هلكة فبالله فثقوا واياه فاطيعوا فإن المصاب من حرم الثواب. فقال أبو بكر: هذا الخضر والياس قد حضرا وفاة النبي ﷺ. قال الحافظ ابن حجر في الإصابة بعد أن أورده: وسيف فيه مقال وشيخه لا يعرف اهـ.

قلت: هو سعيد بن عبدالله بن ضرار بن الأزور روى عن أبيه وعن غيره وفيه وفي أبيه مقال وقد تقدم قريباً.

ثم قال العراقي: وأما ذكر الخضر في التعزية فانكر النووي وجوده في كتب الحديث وقال: إنما ذكره الأصحاب قلت: بل قد رواه الحاكم في المستدرك من حديث أنس ولم يصححه ولا يصح اهـ.

قلت: وجدت بخط الشمس الداودي ما نصه: قول الشيخ إن الحاكم لم يصححه صحيح لكنه مشعر بكونه لم يضعفه وليس كذلك فإنه ساقه من رواية عباد بن عبد الصمد، ثم قال: وعباد ليس من شرط هذا الكتاب اهـ.

ثم قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القراء من حديث أنس أيضاً قال: لما قبض رسول الله ﷺ اجتمع أصحابه حوله يبكون، فدخل عليهم رجل طويل أشعر المنكبين في إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله ﷺ حتى أخذ بعضادتي باب البيت، فبكى على رسول الله ﷺ ثم أقبل على أصحابه فقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضاً من كل فائت وخلفاً من كل هالك، فإلى الله فانيبوا ونظره إليكم في البلاء فانظروا فإن المصاب من لم يجز الثواب، ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر: عليّ الرجل فنظروا يميناً وشمالاً فلم يروا أحداً. فقال أبو بكر: لعل هذا الخضر أخو نبينا ﷺ جاء يعزينا عليه. وروا الطبراني في الأوسط وإسناده ضعيف جداً هـ.

قلت: قال ابن أبي الدنيا في الكتاب المذكور: حدثنا كامل بن طلحة، حدثنا عباد بن عبد الصمد، عن أنس بن مالك قال: لما قبض رسول الله ﷺ فساقه ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم في المستدرك، وهو الذي أشار إليه العراقي بقوله: ولم يصححه ولا يصح أي لأجل عباد فإنه ضعفه البخاري والعقيلي. وقال أبو حاتم: ضعيف جداً، وقد أخرجه الطبراني في الأوسط عن موسى بن هارون عن كامل وقال: تفرد به عباد عن أنس.

ثم قال العراقي: ورواه ابن أبي الدنيا أيضاً من حديث علي بن أبي طالب: لما قبض رسول الله ﷺ جاء آت يسمع حسه ولا يرى شخصه قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إن في الله عوضاً من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم. فقال علي: تدرون من هذا؟ هذا الخضر عليه

السلام. وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده علي، والمعروف عن علي بن الحسين مرسلاً من غير ذكر علي، كما رواه الشافعي في الأم وليس فيه ذكر للخضر اهـ.

قلت: روي هذا الحديث من طرق. منها: قال ابن أبي حاتم في التفسير: حدثنا أبي أنبأنا عبد العزيز الأوسي، حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن، عن أبيه أن علي بن أبي طالب قال: لما توفي النبي ﷺ وجاءت التعزية فجاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة﴾ [آل عمران: ١٨٥] إن في الله عزاء من كل مصيبة فساقه وفيه: فإن المصاب من حرم الثواب ولم يقل السلام عليكم ثم قال: قال جعفر أخبرني أبي أن علي بن أبي طالب قال: تدرون من هذا؟ هذا الخضر ـ ورواه محمد بن منصور الحوار عن محمد بن جعفر بن محمد، وعبدالله بن ميمون القداح جميعاً عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين، سمعت أبي يقول: لما قبض رسول الله ﷺ جاءت التعزية يسمعون حسه ولا يرون شخصه: السلام عليكم ورحمة الله أهل البيت إن في الله عزاء من كل مصيبة فساقه سياق ابن أبي الدنيا. قال ابن الجوزي: تابعه محمد ابن صالح، عن محمد بن جعفر، ومحمد بن صالح ضعيف. قال: ورواه الواقدي وهو كذاب ورواه محمد بن أبي عمر عن محمد بن جعفر، وابن أبي عمر مجهول. قال الحافظ في الإصابة: وهذا الإطلاق ضعيف، فإن ابن أبي عمر أشهر من أن يقال فيه هذا شيخ مسلم وغيره من الأئمة وهو ثقة حافظ صاحب مسند مشهور مروى وهذا الحديث فيه: أخبرني به شيخنا حافظ العصر أبو الفضل بن الحسين رحمه الله تعالى قال: أخبرني أبو محمد بن القيم، أنبأنا أبو الحسن بن البخاري، عن محمد بن معمر، أنبأنا سعيد بن أبي رجاء أنبأنا أحمد بن محمد بن النعمان، أنبأنا أبو بكر بن المقري، أنبأنا إسحاق بن أحمد الخزاعي، حدثنا محمد بن يحي بن أبي عمر العدني، حدثنا محمد بن جعفر قال: كان أبي هو جعفر محمد الصادق يذكر عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب أنه دخل عليه نفر من قريش فقال: ألا أحدثكم عن أبي القاسم؟ قالوا: بلى فذكر الحديث بطوله في وفاة النبي ﷺ وفي آخره فقال جبريل: يا أحمد عليك السلام هذا آخر وطئي الأرض إنما كنت حاجتي من الدنيا فلما قبض رسول الله ﷺ وجاءت التعزية جاء آتٍ يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله. في الله عزاء من كل مصيبة وخلف من كل هالك ودرك من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المحروم من حرم الثواب وأن المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم فقال علي: هل تدرون من هذا؟ هذا الخضر انتهى. ومحمد بن جعفر هذا هو أخو موسى الكاظم حدث عنَ أبيه وغيره، روى عنه إبراهيم بن المنذر وغيره، وكان قد دعا لنفسه بالمدينة ومكة وحج بالناس سنة مائتين، وبايعوه بالخلافة فحج المعتصم فظفر به فحمله إلى أخيه والمأمون بخراسان فمات بجرجان سنة ثلاث ومائتين وعاش سبعين سنة. قال البخاري: أخوه إسحاق أوثق منه انتهى.

واستوفى القعقاع بن عمرو حكاية خطبة أبي بكر رضي الله عنه فقال: قام أبو بكر في الناس خطيباً حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه على كل حال وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده

ومنها: ما أخرجه البيهقي في الدلائل قال: حدثنا أبو عبدالله الحافظ، حدثنا أبو جعفر البغدادي، حدثنا عبدالله بن عبد الرحمن الصغاني، حدثنا أبو الوليد المخزومي، حدثنا أنس بن عياض، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبدالله قال: لما توفي رسول الله ﷺ عزتهم الملائكة يسمعون الحس ولا يرون الشخص فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قلت: هكذا أخرجه الحاكم، وزعم أن أبا الوليد المخزومي هو هشام بن إسماعيل الصغاني ثقة مأمون كذا قال.

وقال الداودي كما وجد بخطه: والذي أظن أنه خالد بن إسماعيل وهو كذاب.

قلت: أنس بن عياض مدني ثقة روى له الجماعة مات سنة مائتين عن ست وتسعين، والراوي عنه أبو الوليد إن كان كما زعم الحاكم فهو دمشقي يكنى أبا عبد الملك ووفاته سنة ست عشرة، فقد أدرك من عمره نحو اثنتي عشرة سنة وكون راويه عبدالله بن عبد الرحمن صغانياً يقوي انه هو، وإن كان هو خالد بن إسماعيل فهو مدني. قال ابن عدي: كان يضع الحديث، ولهم رجل آخر مسمى بهذا الاسم، ويروى عن عوف وهو مجهول. قال الذهبي: ولعله المخزومي، وقال البيهقي أيضاً أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن عمرو الأحمسي، حدثنا الحسين بن حميد بن الربيع اللخمي، حدثنا عبدالله بن أبي زياد، حدثنا شيبان بن حاتم، حدثنا عبد الواحد بن سليمان الحارثي، حدثنا الحسين بن علي، عن محمد بن علي هو ابن الحسين بن علي قال: لما كان قبل وفاة رسول الله ﷺ هبط إليه جبريل فذكر قصة الوفاة بطوله وفيه: فأتاهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فذكر مثله في التعزية.

(واستوفى القعقاع بن عمرو) التميمي أخو عاصم **(حكاية خطبة أبي بكر رضي الله عنه)** وكان القعقاع من الشجعان الفرسان قيل: إن أبا بكر كان يقول: لصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل، وله في قتال الفرس بالقادسية وغيرها بلاء عظيم، وهو الذي غنم في فتح المدائن أدراع كسرى، وكان فيها درع لهرقل ودرع لخاقان ودرع للنعمان وسيفه وسيف كسرى فأرسلها سعد إلى عمر. قال ابن عساكر: يقال إن له صحبة كان أحد فرسان العرب وشعراءهم شهد فتح دمشق وأكثر فتوح العراق وله في ذلك أشعار مشهورة. وقال ابن السكن: ويقال هو القعقاع بن عمرو بن معبد التميمي **(فقال: قام أبو بكر في الناس خطيباً حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلّها الصلاة على النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه على كل حال وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده، فلله الحمد وحده،**

وغلب الأحزاب وحده فلله الحمد وحده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه، وأشهد أن الكتاب كما نزل وأن الدين كما شرع وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قال وأن الله هو الحق المبين، اللهم فصلِّ على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك، اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المتقين محمد قائد الخير وإمام الخير ورسول الرحمة، اللهم قرّب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون وأنفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة وأخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة في الجنة، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم إنك حميد مجيد. أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لم يمت، وإن الله تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعاً، فإن الله قد عز وجل قد اختار لنبيه ﷺ ما عنده على ما عندكم وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه ﷺ، فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ [النساء: ١٣٥] ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه، وأشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع، وأن الحديث كما حدث، وأن القول كما قال، وأن الله هو الحق المبين. اللهم فصلّ على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوتك بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك. اللهم واجعل صلواتك ومعافاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المتقين محمد قائد الخير وإمام الخير ورسول الرحمة. اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأوّلون والآخرون وانفعنا بمقامه المحمود يوم القيامة واخلفه فينا في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة من الجنة. اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم إنك حميد مجيد. يا أيها الناس! إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لم يمت، وأن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعاً فإن الله عز وجل قد اختار لنبيه ﷺ ما عنده على ما عندكم، وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنته وسنة نبيه ﷺ، فمن أخذ بهما عرف ومن فرّق بينهما أنكر ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط﴾ ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تستنظروه فيلحق بكم ويفتنكم) رواه بطوله سيف بن عمر

وقال ابن عباس: لما فرغ أبو بكر من خطبته قال: يا عمر أنت الذي بلغني انك تقول ما مات نبي الله ﷺ؟ أما ترى نبي الله ﷺ قال يوم كذا: كذا وكذا ويوم كذا: كذا وكذا، وقال تعالى في كتابه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، فقال: والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا، أشهد أن الكتاب كما أنزل وأن الحديث كما حدث وأن الله حي لا يموت ﴿إِنَّا لِلهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله ﷺ، ثم جلس إلى أبي بكر.

التميمي في كتاب الفتوح له عن عمرو بن تمام عن أبيه عن القعقاع قال ابن حاتم: سيف متروك. وأخرجه ابن السكن من طريق إبراهيم بن سعد عن سيف بن عمر عن عمرو عن أبيه. وقال: سيف بن عمر ضعيف.

قلت: هو من رجال الترمذي وهو وإن كان ضعيفاً في الحديث فهو عمدة في التاريخ مقبول النقل.

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه: **(لما فرغ أبو بكر من خطبته قال: يا عمر أنت الذي بلغني أنك تقول: ما مات نبي الله ﷺ؟ أما ترى أن نبي الله ﷺ قال يوم كذا كذا وكذا ويوم كذا كذا وكذا. وقال الله تعالى في كتابه: ﴿إنك ميت وأنهم ميتون﴾ فقال)** عمر رضي الله عنه: **(والله لكأني لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا)**، أي من الدهشة والحيرة بوفاة رسول الله ﷺ. **(أشهد أن الكتاب كما نزل وأن الحديث كما حدث وأن الله حي لا يموت ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾، وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله ﷺ، ثم جلس إلى أبي بكر)**. رواه البخاري من حديث ابن عباس بلفظ: إن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فاقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر أما بعد: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. قال: قال الله عز وجل: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ الآية. [آل عمران: ١٤٤] قال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع أحداً من الناس إلا يتلوها.

وروى أبو نصر الوائلي في كتاب الإبانة عن أنس بن مالك أنه سمع عمر بن الخطاب يقول حين بويع أبو بكر في مسجد رسول الله ﷺ: واستوى على منبره عليه السلام تشهد ثم قال أما بعد: فإني قلت لكم أمس مقالة وإنها لم تكن كما قلت، وإني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد عهد إليّ رسول الله ﷺ، ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا أي أن يكون آخرنا موتاً، فاختار الله عز وجل لرسوله الذي عنده على الذي عندكم، وهذا الكتاب الذي هدى الله به رسوله فخذوا به تهتدوا لما هدى له رسول الله ﷺ اهـ.

وقالت عائشة رضي الله عنها: لما اجتمعوا لغسله قالوا: والله ما ندري كيف نغسل رسول الله ﷺ أنجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو نغسله في ثيابه؟ قالت: فأرسل الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل إلا واضع لحيته على صدره نائماً ثم قال قائل ـ لا يدري من هو ـ غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه، انتبهوا ففعلوا ذلك فغسل رسول الله ﷺ في قميصه، حتى إذا فرغوا من غسله كفن. وقال علي كرّم الله وجهه: أردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلوا عن رسول الله ﷺ ثيابه. فأقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقياً ما نشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه، وإن معنا لحفيفاً في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا: أرفقوا برسول الله ﷺ

وقال صاحب المواهب: ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه موته ﷺ بقول أبي بكر رضي الله عنه ورجع إلى قوله قال وهو يبكي: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه، فلما كثروا اتخذت منبراً تسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن، فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ [النساء: ٨٠] بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح﴾ [الأحزاب: ٧] الآية. بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون ويقولون: ﴿يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ [الأحزاب: ٦٦] إلى آخره، وهو طويل ذكره أبو العباس العقاد في شرحه لبردة البوصيري، ونقله الرشاطي في اقتباس الأنوار، وذكره ابن الحاج في المدخل، وساقه بتمامه، والقاضي عياض في الشعب لكنه ذكر بعضه.

(وقالت عائشة رضي الله عنها: لما اجتمعوا لغسله قالوا: والله ما ندري كيف نغسل رسول الله ﷺ أنجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا أو نغسله في ثيابه؟ قالت: فأرسل الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل إلا واضع لحيته في صدره نائماً، ثم قال قائل لا يدري من هو: غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه، فانتبهوا ففعلوا ذلك، فغسل ﷺ في قميصه حتى إذا فرغ من غسله كفن) رواه البيهقي في الدلائل وفيه: ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو: غسلوا النبي ﷺ في ثيابه فقاموا فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص.

(وقال علي كرم الله وجهه: أردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله ﷺ ثيابه فأقررناه، فغسلناه في قميصه كما يغسل موتانا مستلقياً ما نشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه وإن معنا لحفيفاً في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا:

فإنكم ستكفون. فهكذا كانت وفاة رسول الله ﷺ ولم يترك سبداً ولا لبداً إلا دفن معه. قال أبو جعفر: فرش لحده بمفرشه وقطيفته وفرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظان على القطيفة والمفرش، ثم وضع عليها في أكفانه، فلم يترك بعد وفاته مالاً ولا بني

ارفقوا برسول الله ﷺ فإنكم ستكفون) وقد صح أنه غسل ﷺ ثلاث غسلات: الأولى بالماء القراح، والثانية بالماء والسدر، والثالثة بالماء والكافور. وغسله علي والعباس وابنه الفضل يعينانه وقثم وأسامة وشقران مولاه ﷺ يصبون الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر لحديث علي: «لا يغسلني إلا أنت فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه». رواه البزار والبيهقي. وروى البيهقي عن الشعبي قال: غسل علي النبي ﷺ فكان يقول وهو يغسله: بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً. وروى أبو داود والحاكم وصححه عن علي قال: غسلته ﷺ فذهبت أنظر ما يكون من الميت، فلم أر شيئاً كان طيباً حياً وميتاً. وفي رواية لابن سعد: وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط، وفتل على يده خرقة وأدخلها تحت القميص ثم اعتصر قميصه وحنطوا مساجده ومفاصله ووضوا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عوداً ونـداً. وذكـر ابـن الجوزي أنـه روي عـن جعفر بن محمد قال: كان الماء ينتقع في جفون النبي ﷺ وكان علي يحسوه. وأما ما روي أن علياً لما غسله امتص ماء محاجر عينه فشربه وأنه ورث بذلك علم الأولين والآخرين، فقال النووي: ليس بصحيح وفي حديث عروة عن عائشة قالت: كفن ﷺ في ثلاثة أثواب سحولية بيض. أخرجه النسائي من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة، واتفق عليه الأئمة الستة من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بزيادة: من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة، وليس قوله من كرسف عند الترمذي ولا ابن ماجه. زاد مسلم أما الحلة فإنما تشبه على الناس أنها اشتريت له ليكفن فيها فتركت الحلة وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية، فأخذها عبدالله بن أبي بكر فقال، لأحبسنها حتى أكفن فيها نفسي، ثم قال: لو رضيها الله لنبيه لكفنه فيها فباعها فتصدق بثمنها. وفي رواية له: أدرج رسول الله ﷺ في حلة يمنية في ثوبين وبردة حبرة فقالت: قد أتي بالبرد ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه. وقال الترمذي: حسن صحيح. وفي رواية البيهقي: في ثلاثة أثواب سحولية جدد. وقال الترمذي: روي في كفن النبي ﷺ روايات مختلفة، وحديث عائشة أصح الأحاديث في ذلك والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم. وقال البيهقي في الخلافيات، قال أبو عبدالله الحاكم تواترت الأخبار عن علي وابن عباس وعائشة وابن عمر وجابر وعبدالله بن مغفل في تكفين النبي ﷺ في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة. وروى أحمد من طريق عبدالله بن محمد بن عقيل عن ابن الحنفية عن علي أن رسول الله ﷺ كفن في سبعة أثواب، فقال ابن حزم. إن الوهم فيه من ابن عقيل أو ممن بعده.

(فهكذا كانت وفاة رسول الله ﷺ ولم يترك سبداً ولا لبداً إلا دفن معه. قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: فرش لحده بمفرشة وقطيفة وفرشت ثيابه عليها التي كان يلبس يقظاناً على القطيفة والمفرش ثم وضع عليها في أكفانه). قال

في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة ففي وفاته عبرة تامة وللمسلمين به أسوة حسنة.

العراقي: الذي وضع المفرشة شقران مولى رسول الله ﷺ وليس ذكر ذلك من شرط كتابنا، ولمسلم والترمذي وحسنه والنسائي من حديث ابن عباس قال: جعل في قبر النبي ﷺ قطيفة حمراء اهـ.

قلت: في حديث عائشة المتقدم في التكفين دلالة ظاهرة على أن القميص الذي غسل فيه النبي ﷺ نزع عنه عند تكفينه. قال النووي في شرح مسلم: وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره لأنه لو أبقي مع رطوبته لأفسد الأكفان. قال: وأما الحديث الذي في سنن أبي داود عن ابن عباس أن النبي ﷺ كفن في ثلاثة أثواب، وقميصه الذي توفي فيه فضعيف لا يصح الاحتجاج به لأن يزيد ابن زياد أحد رواته مجمع على ضعفه لاسيما وقد خالف بروايته الثقات اهـ.

والقطيفة التي فرشها شقران هي النجرانية التي كان النبي ﷺ يتغطى بها، وروي أنه قال: والله لا يلبسها أحد بعدك. قال النووي: وقد نص الشافعي وجميع أصحابه وغيرهم من العلماء على كراهة وضع قطيفة أو مضربة أو مخدة أو نحو ذلك تحت الميت في القبر وشذ البغوي من أصحابنا فقال في كتابه التهذيب: لا بأس بذلك لهذا الحديث، والصواب كراهة ذلك كما قاله الجمهور. وأجابوا عن هذا الحديث بأن شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه أحد من الصحابة ولا علموا بذلك، وإنما فعله شقران لما ذكرناه عنه من كراهتـه أن يلبسها أحد بعد النبي ﷺ. ونقل الزين المراغي في تحقيق النصرة عن ابن عبد البر أنه قال: أخرجت يعني القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع حكاه ابن زبالة.

فصل

روى ابن ماجه من حديث ابن عباس قال: لما فرغوا من جهازه ﷺ يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته، ثم دخل الناس عليه ارسالاً يصلون عليه حتى إذا فرغوا دخل النساء حتى إذا فرغوا دخل الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد، وفي رواية: إن أول من صلّى عليه الملائكة أفواجاً ثم أهل بيته ثم الناس فوجاً فوجاً ثم نساؤه آخراً. وروي أنه لما صلى أهل بيته لم يدر الناس ما يقولون، فسألوا ابن عباس فأمرهم أن يسألوا علياً فقال لهم: قولوا إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً لبيك اللهم ربنا وسعديك، صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وما سبّح لـك مـن شيء يـا رب العالمين على محمد بن عبدالله خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين ورسـول رب العالمين، الشاهد البشير الداعي إليك بأذنك السراج المنير وعليه السلام ذكره الزين المراغي في تحقيق النصرة.

(فلم يترك بعد وفاته) ﷺ **(مالاً)** كما تقدم **(ولا بنى)** ﷺ **(في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة)** كما تقدم، **(ففي وفاته)** ﷺ **(عبرة تامة وللمسلمين به أسوة حسنة)** روى ابن ماجه في سننه أنه ﷺ قال في مرضه: «أيها الناس إن أحد من الناس أو من

....

المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته عن المصيبة التي تصيبه بعدي، فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي». وروى بقي بن مخلد والباوردي وابن شاهين وابن قانع وأبو نعيم كلهم في المعرفة عن عبد الرحمن بن سابط عن أبيه رفعه: «من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصائب». وقال أبو الجوزاء: كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه ويقول: يا عبدالله اتق الله فإن في رسول الله اسوة حسنة، ولله در القائل:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم فإن المرء غير مخلّدِ
وإذا أتتك مصيبة تشجى لها ... فاذكر مصابك بالنبي محمدِ

وقال آخر:

تذكرت لما فرق الدهر بيننا ... فعزيت نفسي بالنبي محمدِ
وقلت لها: إن المنايا سبيلنا ... فمن لم يمت في يومه مات في غدِ

وقد كانت وفاته ﷺ يوم الإثنين بلا خلاف كما تقدم، وذلك وقت دخوله المدينة في هجرته حين اشتد حر الضحى، ودفن يوم الثلاثاء، وقيل ليلة الأربعاء، فعند ابن سعد في الطبقات عن علي: توفي رسول الله ﷺ يوم الإثنين ودفن يوم الثلاثاء، وعنده أيضاً عن عكرمة توفي يوم الإثنين فجلس بقية يومه وليلته ومن الغد حتى دفن من الليل، وعنده أيضاً عن عثمان بن محمد الأخنسي: توفي يوم الإثنين حين زاغت الشمس، ودفن يوم الأربعاء. وروي أيضاً عن أبي عباس ابن سهل بن سعد الأنصاري عن أبيه عن جده أنه ﷺ توفي يوم الإثنين فمكث يوم الإثنين والثلاثاء حتى دفن يوم الأربعاء وقد رثي ﷺ بمراث كثيرة. منها: قول عمته صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا براً ولم تك جافيا
وكنت رحيماً هادياً ومعلماً ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده ... ولكن لما أخشى من الهجر آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد ... وما خفت من بعد النبي المكاويا
أفاطم صلى الله ربي بحمده ... على جدث أضحى بشرب ثاويا
فدا لرسول الله أمي وخالتي ... وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
ولو أن رب الناس أبقى نبينا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسناً أيتمته وتركته ... سيبكي ويدعو جدّه اليوم نائيا

ومنها قول ابن عمه سفيان بن الحرث رضي الله عنه:

أرقت فبت ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طول
واسعدني البكاء وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليلُ
لقد عظمت مصيبتنا وجلت ... عشية قيل قد قبض الرسولُ

وفاة أبي بكر الصدّيق رضي الله تعالى عنه:

لما احتضر أبو بكر رضي الله تعالى عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت!

واضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميلُ
فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيلُ
وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كادت تسيلُ
نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يوحي إليه وما يقولُ
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً ... علينا والرسول لنا دليلُ
أفاطم إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي ذاك السبيلُ
فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسولُ

ومنها قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

بطيبة رسم للرسول ومعهد ... يبين وقد تعفو الرسوم وتمهدُ
ولا تمنحي الآيات من ذات حرمة ... بها منبر الهادي الذي كان يصعدُ
وأوضح آيات وباقي معالم ... وربع له فيه مصلى ومسجدُ
بها حجرات كان ينزل وسطها ... من الله نور يستضاء ويوقدُ
معارف لم تطمس على العهد آيها ... أتاء التلا فالآي منها تجددُ
عرفت بها رسم الرسول وعهده ... وقبر بها واراه في الترب ملحدُ
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت ... بلاد ثرى فيها الرشيد المسددُ
وضمن لحد منك ضمن طيبا ... عليه بناء من صفيح منضدُ
تهيل عليه الترب أيد وأعين ... تباكت وقد عادت بذلك أسعدُ
لقد غيبوا حلماً وعلماً ورحمة ... عشية عالوه الثرى لا يوسدُ
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم ... وقد وهنت منهم ظهور وأعضدُ
يبكون من تبكي السموات موته ... ومن قد بكته الأرض فالناس أكمدُ
وقد عدلت رزية مالك ... رزية يوم مات فيه محمدُ

ورثاه حسان أيضاً بقوله:

كنت السّواد لناظري ... يعمى عليك الناظرُ
من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذرُ

ﷺ تسليماً كثيراً.

وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

(لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت:

لعمــرك مــا يغني الثراء عــن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذا ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩] انظروا ثوبي هذين فأغسلوهما وكفنوني فيهما فإن الحي إلى الجديد أحوج من الميت. وقالت عائشة رضي الله عنها عند موته:

لعمـرك مـا يغني الثراء عــن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصـدرُ

فكشف عن وجهه وقال: ليس كذا ولكن قولي: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما فإن الحي إلى الجديد أحوج من الميت) رواه صاحب كتاب المتفجعين عن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني، حدثنا خلف بن هشام، حدثنا خالد عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبدالله البهي، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لأبي بكر في مرضه:

أبــاوي مــا يغني الثراء عــن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ

فقال لها أبو بكر: لا تقولي ذلك، ولكن قولي: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ انظري يا بنية ثوبي هذين اغسليها فكفنيني فيهما، فإن الحي أحوج إلى الجديد، إنما هما للمهل، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين عن خلف بن هشام، حدثنا أبو شهاب الحناط، عن إسماعيل بن أبي خالد عن البهي قال: لما احتضر أبو بكر فساقه كما للمصنف، وفي آخره: هذه قراءة أبي بكر «سكرة الحق بالموت» ورواه ابن الجوزي من طريقه، ورواه أحمد وابن جرير من هذا الوجه إلا أنهما قالا: تمثلت عائشة بهذا البيت:

أعاذل ما يغني الحذار عن الفتى

وفيه: فقال أبو بكر ليس كذلك يا بنية، ولكن قولي.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا محمد بن فضيل عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لما حضر أبو بكر قال: في كم كُفنّ رسول الله ﷺ؟ قلت: في ثلاثة أثواب سحول. قال: فنظر إلى ثوب خلق عليه، فقال: اغسلوا هذا وزيدوا عليه ثوبين آخرين، فقلت: بل نشتري لك ثياباً جدداً، فقال الحي أحق بالجديد من الميت إنما هي للمهلـة. قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت، قال أبو بكر: في كم كفنتم رسول الله ﷺ؟ فقلت: في ثلاثة أثواب. قال: فاغسلوا ثوبي هذين واشتروا لي ثوباً من السوق. قالت: إنا موسرون. قال: يا بنية الحي أحق بالجديد من الميت إنما هو للمهلة والصديد. قال: وحدثنا علي بن مسهـر، عـن عبيـد الله، عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال: كفن أبو بكر في ثوبين سحوليين ورداء له ممشق أمر به أن يغسل.

وقال أحمد في الزهد: حدثنا محمد بن بشر، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر: ذاك رسول الله ﷺ، ودخلوا عليه فقالوا: ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟ قال: قد نظر إلي طبيبي وقال: إني فعال لما أريد. ودخل عليه سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه يعوده فقال: يا أبا بكر أوصنا فقال: إن الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك، واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك.

عنها. قالت: إن أبا بكر رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: أي يوم هذا؟ قالوا يوم الإثنين. قال: فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا بي الغد، وإن أحب الأيام والليالي إلي أقربها من رسول الله ﷺ. قال أحمد: وحدثنا أبو معاوية، حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل أبو بكر رضي الله عنه قال: أي يوم هذا؟ قلنا: يوم الإثنين. قال: فأي يوم قبض فيه رسول الله ﷺ. قلنا: يوم الإثنين. قال: فإني أرجو ما بيني وبين الليل. قالت: وكان عليه ثوب به ردع من مشق. قال: إذا أنا مت فاغسلوا ثوبي هذا وضموا إليه ثوبين جديدين وكفنوني في ثلاثة أثواب. فقلنا: أفلا نجعلها جدداً كلها؟ قال: لا إنما هي للمهلة فمات ليلة الثلاثاء.

(وقالت عائشة رضي الله عنها عند موته:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل)

فقال أبو بكر: ذاك رسول الله ﷺ. رواه محمد بن محمد بن الفضل عن محمد بن علي بن ميمون، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد عن القاسم بن محمد أن عائشة تمثلت وأبو بكر رضي الله عنه في الموت فساقه. هكذا رواه أبو عبيد في فضائله وابن المنذر إلا أنهما قالا: ثمال اليتامى بدل ربيع، وفيه: قال أبو بكر: «بل جاءت سكرة الحق بالموت ذلك ما كنت منه تحيد» قدم الحق وأخر الموت. **(ودخلوا عليه فقالوا: ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟ قال: قد نظر إلي طبيبي وقال: إني فعال لما أريد)** رواه أحمد في الزهد عن وكيع عن مالك بن مغول عن أبي السفر قال: مرض أبو بكر فعاده الناس فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رآني. قالوا: فأي شيء قال؟ قال: قال **(إني فعال لما أريد)** رواه أبو نعيم من طريقه، وقال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن مالك عن أبي السفر قال: دخل على أبي بكر ناس من إخوانه يعودونه في مرضه فقالوا: يا خليفة رسول الله ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك؟ قال: قد نظر إلي. قالوا: ماذا قال لك؟ قال. قال: إني فعال لما أريد.

(ودخل عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه يعوده فقال: يا أبا بكر أوصنا. فقال: إن الله فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك، واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفرن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك) الشطر الأول منه قد يأتي من حديث

ولما ثقل أبو بكر رضي الله تعالى عنه. وأراد الناس منه أن يستخلف فاستخلف عمر رضي الله عنه، فقال الناس له: استخلفت علينا فظاً غليظاً فماذا تقول لربك؟ فقال: أقول استخلفت على خلقك خير خلقك. ثم أرسل إلى عمر رضي الله عنه فجاء فقال:

سلمان حدثه بذلك عند احتضاره، والشطر الثاني رواه ابن ماجه وابن عساكر من حديث أبي بكر بلفظ: من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفروا الله في عهده، فمن فعله طلبه الله حتى يكبه في النار على وجهه، وقد روي هذا الحديث عن جماعة من الصحابة روى الطبراني من حديث أبي بكرة: من صلى الصبح فهو في ذمة الله يا ابن آدم لا يطلبنك الله بشيء من ذمته، وفي لفظ: فمن أخفر ذمة الله كبه الله في النار على وجهه. وروى أحمد من حديث ابن عمر: من صلى صلاة الصبح فله ذمة الله فلا تخفروا الله في ذمته فإن من أخفر ذمته طلبه الله تعالى حتى يكبه على وجهه. وروى صاحب الحلية من حديث أنس « من صلى صلاة الغداة فهو في ذمة الله فإياكم أن يطلبكم الله بشيء من ذمته ». ورواه كذلك أبو يعلى والحكيم. وروى صاحب الحلية من حديث جندب « من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا تخفروا الله في ذمته ». وعند الطيالسي وأحمد والترمذي بلفظ « فلا يطلبنكم الله بشيء من ذمته فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه على وجهه في نار جهنم ». وعند ابن حبان بلفظ « من صلى الغداة فهو في ذمة الله فاتق الله يا ابن آدم أن يطلبنك الله بشيء من ذمته ». وروى الترمذي من حديث أبي هريرة « من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا يتبعنكم الله بشيء من ذمته ». ورواه ابن ماجه والطبراني من حديث سمرة بلفظ « فلا يطلبنكم الله » وعند أحمد والروياني من حديث سمرة مثله وفيه «فلا تخفروا الله في ذمته ».

(ولما ثقل أبو بكر رضي الله عنه وأراد الناس منه أن يستخلف فاستخلف عمر فقال الناس له: استخلفت علينا فظاً غليظاً فماذا تقول لربك؟ فقال: أقول استخلفت على خلقك خير خلقك). رواه صالح بن رستم عن ابن أبي مليكة عن عائشة بلفظ فقالوا: يسعك أن تولي علينا عمر وأنت ذاهب إلى ربك فماذا تقول له؟ قال: اجلسوني اجلسوني. أقول وليت عليهم خيرهم. وروى نحوه أبو عاصم النبيل عن عبيدالله بن زياد، عن يوسف بن ماهك، عن عائشة. ورواه سيف في الفتوح عن عمرو بن محمد ومجالد عن الشعبي نحوه أطول منه، وفيه: فقالوا ماذا تقول لربك؟ قال: أقول استخلفت عليهم خير ملك.

قال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا أبو صالح الفراء، حدثنا الهيثم بن جبلة، عن مبارك عن الحسن قال: لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه قال: أيها الناس قد حضرني من أمر الله تعالى وقضائه ما ترون وإنه لا بد لكم من رجل يلي أمركم ويصلي بكم ويقاتل عدوكم ويقسم بينكم فيئكم، فإن شئتم اجتمعتم فأمرتم فاستعملتم وإن شئتم أن أجتهد لكم رأيي فوالله لا آلو كم ونفسي خيراً. قال: فبكى الناس. وقالوا: أنت خيرنا واعلمنا فاختر لنا. قال: فإني أختار لكم عمر بن الخطاب. قال الحسن: ودموعه تتحدر من عينيه فاختار والله الذي لا إله إلا هو خياراً يتعرفون منه في كل يوم يأتي عليهم المزيد في دنياهم حتى قتل رضي الله عنه.

....

قال: وحدثنا أبو يعلى محمد بن شداد بن عيسى المسمعي زرقان، حدثنا أبو عبد الرحمٰن العتبي، حدثنا أبو إبراهيم العامري قال: أوصى أبو بكر الصديق عند وفاته هذا ما عاهد أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ في أول يوم من الآخرة داخلاً فيها وآخر يوم من الدنيا خارجاً منها أنه قد ولى عمر بن الخطاب فإن يعدل ويحسن فذلك ظني به وأملي فيه، وإن خالف فعليه ما اكتسب ولا أعلم الغيب، وإنما أردت الخير وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وقال أيضاً: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا يحي بن بكير، حدثنا الليث بن سعد، عن علوان، عن صالح بن كيسان، عن حميد بن عبد الرحمٰن بن عون عن أبيه أنه دخل على أبي بكر في مرضه الذي توفي فيه فأصابه مضيق فقال له عبد الرحمٰن: أصبحت والحمد لله بارئاً قال له أبو بكر: أترى ذلك؟ قال: نعم. قال: إني على ذلك لشديد الوجع، وما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد علي من وجعي، إني وليت أمركم خيركم في نفسي فكلكم ورم من ذلك أنفه يريد أن يكون الأمر له، ورأيتم الدنيا قد أقبلت ولما تقبل وهي مقبلة حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج وتألمون الاضطجاع على الصوف الأزري، ولأن يقام أحدكم على حسك السعدان خير له من المكاثرة، ولأن يقدم أحدكم فتضرب رقبته في غير حد خير له من أن يخوض غمرة الدنيا وأنتم أول ضال بالناس غداً فتصفحونهم عن الطريق يميناً وشمالاً. يا هادي الطريق إنما هو الفجر أو البحر فقلت له: خفض عليك يرحمك الله فإن هذا يهيضك على ما بك إنما الناس في أمرك بين رجلين: إما رجل وافقه ما صنعت فهو معك، وإما رجل خالفك فهو يشير عليك برأيه وصاحبك كما تحب، ولا نعلمك ولم تزل صالحاً مصلحاً مع أنك لا تأسى على شيء من الدنيا. قال أبو بكر: أجل إني لا آسي على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فذكر الحديث بطوله. وفي آخره قال يحي: قدم علينا علوان بعد وفاة الليث فسألته فحدثني به كما حدثنا الليث حرفاً حرفاً. وأخبرني أن اسمه علوان ابن داود.

قلت: ورواه الطبراني مختصراً فقال: حدثنا أبو الزنباع، حدثنا سعيد بن عفير، حدثني علوان ابن داود البجلي، عن حميد بن عبد الرحمٰن بن عوف عن أبيه قال: دخلت على أبي بكر في مرضه الذي توفي فيه فسلمت عليه فقال: رأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل فساقه إلى قوله في غمرة الدنيا. قال الذهبي في الضعفاء: علوان بن داود ويقال ابن صالح البجلي. قال البخاري: منكر الحديث.

وقال صاحب كتاب المفجعين أيضاً: حدثنا عبيدالله بن محمد، حدثنا محمد بن عبدالله بن السفر أبو عبيد، حدثنا شهاب بن عباد، حدثنا علي بن المنذر القرشي، حدثني عثمان بن يزيد الكناني، عن رجل من قريش عن معيقيب بن أبي فاطمة قال: كنت ألي نفقة أبي بكر فدخلت عليه في مرضه الذي توفي فيه فوجدت عنده نسوة من بني تيم بن برة عوائد، فهن في جانب البيت وهو مستخل بطلحة بن عبيدالله وهو يعاتبه في عمر بن الخطاب، فسمعت أبا بكر رافعاً صوته يقول: لا ولا كرامة ولا نعمة عني لو فعلت لخلعت أنفك في قفاك ولما أخذت من أهلك حقاً ولا رفعت

إني موصيك بوصية: اعلم أن لله حقاً في النهار لا يقبله في الليل وإن لله حقاً في الليل لا يقبله في النهار وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا

نفسك فوق قدرها حتى يكون الله الذي يضعك أتيتني، وقد دلكت عينيك تريد أن تفتنني عن ديني وتفتاتني عن رأيي قم لا أقام الله رجليك فلان بلغني أنك غمصته أو ذكرته بسوء لألحقنك بحمضات قنة حيث كنتم ترعون فلا تشبعون وتوردون فلا تردون وأنتم تحجون راضون، ستعلمون إذا فقدتموه وفارقتموه كيف تقتلون وأين تقتلون هو والله خيركم وأنتم والله شرهم لهم فقام فخرج إذ قيل له: هذا عثمان وعلي بالباب فأذن لهما فدخلا فسلما وقالا: كيف تجدك يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: أجدني وجعاً وأظنها هي. قالا: بل العافية إن شاء الله. قال: أنا ميت في مرضي هذا، ثم ذكر لهما رؤيا رآها ثم قال: فلعلكما تقولان في عمر ما قال طلحة آنفاً. قالا: وما قال؟ قال: زعم أن عمر أدناكم بيتاً وأقلكم عن الله وعن رسول الله ﷺ غنى. قال عثمان: كذب طلحة وبئس ما قال عمر بحيث تحب من فضله وسابقته. وقال علي: إنك طلحة وبئس ما قال عمر من سابقته وفضله ولا نعلم إلا خيراً وقد كان والياً معك تحتظي برأيه فدع عنك مخاطبة الرجال وامض لما أردت، فإن يكن ما أردت فله عمدت وإن يكن ما لا يكون إن شاء الله فلا نعلمك أردت إلا خيراً. قال: رحمكما الله ونهضا، والتفت إلي فقال: يا ابن فاطمة ما يقول الناس في عمر؟ قلت: أحبه قوم وكرهه آخرون. قال: فمن أحبه أكثر أم من كرهه؟ قلت: بل من كرهه أكثر فوجم لها ثم قال: قد يحب الشر ويكره الخير فلم ألبث أن قيل هذا عمر بالباب، فندمت على ما فرط مني وكان عمر لي صديقاً فأذن له فدخل فقال: يا عمر خافك الناس كرهك الناس. قال عمر: نحها عني يا خليفة رسول الله فلا حاجة لي بها. قال: اسكت لأسكت لكن بها إليك أعظم الحاجة. قال له: كيف تجدك؟ قال: أجدني وجعاً وأظنها هي وقص رؤياه عليه. قال عمر: ما أرى بك بأساً وما أتهمك على الله والخوف من الموت وأن خير يوميك اليوم الذي تقدم فيه على ربك. قال أبو بكر رضي الله عنه: وددت أنه كذلك فلم أبال متى مت. قال: فإن كنت ترى أنك ميت فذم لي في أهل دباء. قال: إليك عني فطالما خاطبتني في أهل دباء ولم أر سواك خاطبني فيهم وما ترددت في شيء ترددي فيهم، ولكن احفظ عني إذا حببت فلتهجر يدك فاك حتى يشبع من حيث له فإن نازعتك نفسك في مشاركتهم فشاركهم غير مستأثر عليهم، وإياك والذخيرة فإن ذخيرة الإمام تهلك دينه وتسفك دمه، وخرج عمر رضي الله عنه فالتفت فقال: ما الحساب بيننا وبينك؟ قلت: بقيت لي عليك ثمانية عشر درهماً أنت منها في حل. فقال: مه لا تزودني حراماً يا عائشة أئتيني بثمانية عشر درهماً؟ فدفعها إلي وخرجت، فكان آخر العهد به رضي الله عنه.

(ثم أرسل إلى عمر رضي الله عنه فجاء فقال: إني موصيك بوصية اعلم أن لله حقاً في النهار لا يقبله في الليل، وأن له حقاً في الليل لا يقبله في النهار، وأنه لا يقبل النافلة حتى توفى الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا

الحق أن يثقل. وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف، وإن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم، فيقول القائل: أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء، فإن الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا، فيقول القائل: أنا أفضل من هؤلاء، وأن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغباً راهباً ولا يلقي بيديه إلى التهلكة ولا يتمنى على غير الحق. فإن حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائب أحب إليك من الموت ولا بد لك منه، وإن ضيعت وصيتي فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ولا بد لك منه، ولست بمعجزه.

وقال سعيد بن المسيب: لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه أتاه ناس من الصحابة

وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يثقل، وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخف، وأن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل: أنا دون هؤلاء ولا أبلغ مبلغ هؤلاء وأن الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول القائل: أنا أفضل من هؤلاء وأن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغباً زاهداً ولا يلقي بيديه إلى التهلكة ولا يتمنى على الله غير الحق، فإن حفظت وصيتي فلا يكون غائب أحب إليك من الموت، ولا بد لك منه، وإن ضيعت وصيتي فلا يكون غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه). رواه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف فقال: حدثنا عبدالله بن إدريس عن إسماعيل بن أبي خالد عن زبيد قال: لما حضرت أبا بكر الوفاة أرسل إلى عمر فقال: إني موصيك بوصية إن حفظتها فساقه وفيه: ألم تر أن الله ذكر أهل الجنة بصالح ما عملوا؟ وفيه: وذكر أهل النار بسيء ما عملوا، وفيه: فيكون المؤمن راغباً راهباً. وفي آخره ولن يعجزه والباقي سواء.

ورواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا خلاد بن يحيى، حدثنا مطر بن خليفة، عن عبد الرحمن بن عبدالله بن سابط قال: لما حضر أبا بكر الصديق رضي الله عنه الموت دعا عمر فقال له: اتق الله يا عمر واعلم أن لله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل فساقه، وفيه: وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً، وإن ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه، فإذا ذكرتهم قلت إني لا أخاف أن لا ألحق بهم وأن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنه، فإذا ذكرتهم قلت، إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء ليكون العبد راغباً راهباً والباقي سواء.

(وقال سعيد بن المسيب) رحمه الله تعالى: **(لما احتضر أبو بكر رضي الله عنه أتاه ناس**

فقالوا : يا خليفة رسول الله ﷺ زودنا ، فإنا نراك لما بك. فقال أبو بكر : من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق المبين، قالوا : وما الأفق المبين ؟ قال : قاع بين يدي العرش فيه رياض الله وأنهار وأشجار ، يغشاه كل يوم مائة رحمة، فمن قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان. اللهم إنك ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم، ثم جعلتهم فريقين: فريقاً للنعيم وفريقاً للسعير ، فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير اللهم إنك خلقت الخلق فرقاً وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقياً وسعيداً وغوياً ورشيداً ، فلا تشقني بمعاصيك، اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لها مما عملت، فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك. اللهم إن أحداً لا يشاء حتى تشاء ، فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربني إليك، اللهم إنك قدرت حركات العباد فلا يتحرك شيء إلا بإذنك، فاجعل حركاتي في تقواك. اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منها عاملاً يعمل به فاجعلني من خير القسمين اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منها أهلاً، فاجعلني من سكان جنتك. اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم، فاشرح صدري للإيمان وزينه في قلبي اللهم إنك دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك. فأحيني بعد الموت حياة طيبة وقربني إليك

من أصحابه) عابدين **(قالوا : يا خليفة رسول الله زودنا فإنا نراك لما بك، فقال أبو بكر رضي الله عنه: من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق المبين. قالوا : وما الأفق المبين ؟ قال: قاع)** أي موضع واسع **(بين يدي العرش فيه رياض وأنهار وأشجار يغشاه كل يوم مائة رحمة، فمن قال هذا القول جعل الله روحه في ذلك المكان)** وهي هـذه. **(اللهـم أنت ابتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ثم جعلتهم فريقين فريقاً للنعيم وفريقاً للسعير فاجعلني للنعيم ولا تجعلني للسعير. اللهم إنك جعلت الخلق فرقاً وميزتهم قبل أن تخلقهم فجعلت منهم شقياً وسعيداً وغوياً ورشيداً فلا تشقني بمعاصيك. اللهم إنك علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تخلقها فلا محيص لما عملت فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك. اللهم إن أحداً لا يشاء حتى تشاء فاجعل مشيئتك أن أشاء ما يقربني إليك. اللهم إنك قدرت حركات العبادة فلا يعجزك شيء إلا بإذنك فاجعل حركاتي في تقواك. اللهم إنك خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد عاملاً يعمل به فاجعلني من خير القسمين. اللهم إنك خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحدة منها أهلاً فاجعلني من سكان جنتك. اللهم إنك أردت بقوم الضلال وضيقت به صدورهم فاشرح صدري للإيمان وزينه في قلبي. اللهم إنك دبرت الأمور فجعلت مصيرها إليك فاحيني بعد الموت حياة طيبة وقربني إليك زلفى.**

زلفى. اللهم من أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فأنت ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة إلا بالله» قال أبو بكر: هذا كله في كتاب الله عز وجل.

وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه:

قال عمرو بن ميمون: كنت قائماً غداة أصيب عمر ما بيني وبينه إلا عبدالله بن عباس وكان إذا مر بين الصفين قام بينهما، فإذا رأى خللاً قال استووا حتى إذا لم يرَ فيهم خللاً تقدم فكبر. قال: وربما قرأ سورة يوسف أو النحل ـ أو نحو ذلك ـ في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني ـ أو أكلني ـ الكلب، حين طعنه أبو لؤلؤة وطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يميناً أو شمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً فمات منهم تسعة ـ وفي رواية سبعة ـ فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنساً، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه. وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فأما من كان يلي عمر فقد رأى ما رأيت،

اللهم ومن أصبح وأمسى ثقته ورجاؤه غيرك فإنك ثقتي ورجائي ولا حول ولا قوة إلا بالله. قال أبو بكر) رضي الله عنه: **(هذا كله في كتاب الله عز وجل)** أي معانيها منتزعة منه، وما ذكره من الجزاء المترتب لقائل هذه الكلمات مثله لا يكون من قبل الرأي، والله أعلم.

وفاة عمر رضي الله عنه:

(قال عمر بن ميمون) بن مهران الجزري أبو عبدالله وأبو عبد الرحمن سبط سعيد بن جبير ثقة فاضل مات سنة سبع وأربعين روى له الجماعة: **(كنت قائماً غداة أصيب عمر)** رضي الله عنه **(ما بيني وبينه، إلا عبدالله بن عباس)** رضي الله عنه، **(وكان)** عمر **(إذا مر بين الصفين)** من صفوف الصلاة **(قام بينهما فإذا رأى خللاً قال: استووا)** أمرهم بتسوية الصف **(حتى إذا لم ير خللاً تقدم فكبر)** للصلاة **(قال: وربما قرأ)** في صلاة الغداة **(سورة يوسف أو)** سورة **(النحل أو نحو ذلك)** من السور الطوال **(في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس)** ويدخلون في الصلاة، **(فما هو إلا أن كبر فسمعته يقول: قتلني أو)** قال: **(أكلني الكلب حين طعنه أبو لؤلؤة)** غلام المغيرة بن شعبة **(وطار العلج)** يريد به المذكور فإنه كان مجوسياً **(بسكين ذات طرفين)** نضابها في الوسط **(لا يمر على أحد يميناً وشمالاً إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً)** في المسجد **(فمات منهم تسعة. وفي رواية سبعة ـ فلما رأى ذلك رجل من المسلمين)** من حاج العراق **(طرح عليه برنساً، فلما ظن العلج أنه مأخوذ)** إذ كثرت عليه الناس **(نحر نفسه)** بتلك السكين، **(وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه)** للصلاة إذ كان قريباً منه **(فأما من كان يلي عمر فقد رأى ما رأى، وأما نواحي**

وأما نواحي المسجد ما يدرون ما الأمر؟ غير أنهم فقدوا صوت عمر وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله! فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن العباس أنظر من قتلني؛ قال: فغاب ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة بن شعبة؛ فقال عمر رضي الله عنه: قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفاً. ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة! وكان العباس أكثرهم رقيقاً فقال ابن عباس: إن شئت فعلت؛ أي إن شئت قتلناهم، قال: بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلتكم وحجوا حجكم! فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه قال وكان الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ؛ قال: فقائل يقول أخاف عليه، وقائل يقول: لا بأس. فأتي بنبيذ فشرب منه فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشرب منه فخرج من جوفه، فعرفوا أنه ميت. قال: فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل، قد كان لك صحبة من رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت، ثم شهادة، فقال، وددت أن ذلك كان كفافاً لا عليّ ولا لي، فلما أدبر الرجل إذا إزاره يمس الأرض فقال: ردوا علي الغلام فقال: يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك. ثم

المسجد ما يدرون ما الأمر غير أنهم فقدوا صوت عمر) رضي الله عنه (**وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال**) عمر: (**يا ابن عباس انظر من قتلني. قال: فغاب**) ابن عباس (**ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة بن شعبة. قال: قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفاً، ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل مسلم، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن يكثر العلوج بالمدينة! وكان العباس أكثرهم رقيقاً فقال ابن عباس: إن شئت فعلت؟ أي إن شئت قتلناهم، قال: بعدما ما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلتكم وحجوا حجكم، فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه قال: وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ. قال: فقائل يقول أخاف عليه، وقائل يقول: لا بأس**) به. (**فأتي**) بالطبيب فأمره (**بنبيذ فشرب فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشرب منه فخرج من جوفه فعرفوا أنه ميت**) لنفوذ الجرح الصفاق (**قال: فدخلت عليه وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: ابشر يا أمير المؤمنين ببشرى من الله عز وجل قد كان لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة. فقال: وددت أن ذلك كان كفافاً لا علي ولا لي، فلما أدبر الرجل إذا إزاره يمس الأرض**) أي من طوله (**فقال: ردوا علي الغلام**) فردوه. (**فقال: يا ابن أخي ارفع ثوبك**) عن الأرض (**فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك**) روى أحمد وابن سعد

قال: يا عبدالله أنظر ما علي من الدين؟ فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً أو نحوه، فقال: إن وفي به مال آل عمر فاده من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم إلى غيرهم، وأدّ عني هذا المال انطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقل: عمر يقرأ عليك السلام، ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فذهب عبدالله فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي ولأؤثرنه اليوم على نفسي! فلما أقبل قيل هذا عبدالله بن عمر قد جاء فقال: إرفعوني فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين قد أذنت قال: الحمد لله ما كان شيء أهم إليّ من ذلك! فإذا أنا قبضت فاحملوني ثم سلم وقل يستأذن عمر! فإن أذنت فأدخلوني وإن ردتني ردّونـي إلى مقابر المسلمين.

وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها، فلما رأيناها قمنا فولجت عليه فبكت

والبيهقي عن الأشعث بن سليم عن عمته عن عمتها أن النبي ﷺ قال لرجل: ارفع إزارك فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك أما لك فيّ أسوة (ثم قال) لولده عبدالله بن عمر: (**يا عبدالله انظر ما علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً**) درهماً (**ونحوه فقال: إن وفى بـه مال آل عمر**) هم أهله من أولاد وأزواج (**فأده من أموالهم، وإلاّ فسل في بني عدي بـن كعب**) وهم عشيرته الأدنون، (**فإن لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم**) أي لا تجاوزهم (**إلى غيرهم وأدّ عني هذا المال أنطلق إلى أم المؤمنين عائشة**) رضي الله عنها (**فقل: عمر يقرأ عليك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فذهب عبدالله**) بن عمر إلى عائشة رضي الله عنها (**فسلم**) على الباب (**واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أريده لنفسي ولأؤثرنه اليوم علي نفسي، فلما أقبل**) من عندها (**قيل هذا عبدالله بن عمر قد جاء فقال: ارفعوني فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين**) قد (**أذنت**) أن تدفن مع صاحبيك، (**فقال الحمد لله الذي ما كـان شيء أهـم إلي مـن ذلـك فـإذا أنـا قبضـت فاحلوني**) إلى حجرتها (**ثم سلم وقل: يستأذن عمر فإن أذنت لي فأدخلوني وإن ردتني ردّوني إلى مقابر المسلمين.**)

(**وجاءت أم المؤمنين حفصة**) رضي الله عنها (**والنساء يسترنها فلما رأيناها قمنا فولجت**

عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلاً فسمعنا بكاءها من داخل. فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين واستخلف، فقال: ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعداً وعبد الرحمن وقال: يشهدكم عبدالله بن عمر وليس له من الأمر شيء، كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمارة سعداً فذاك، وإلا فليستعن به أيكم أمر. فإني لم أعزلـه من عجز ولا خيانة. وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأوّلين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بأهل الأنصار خيراً الذين تبوّأوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردء الإسلام وجباة الأموال وغيظ العدوّ وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضا منهم، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام وأن يـأخـذ مـن حـواشي أمـوالهم ويـرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله عز وجل وذمة رسوله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل لهم من وراءهم ولا يكلفهم إلا طاقتهم. قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي، فسلم

عليه فبكت عنده ساعة) وسيأتي أنه منعها من النوح والتعديد، (واستأذن الرجال فولجت داخلاً) معهم (فسمعنا بكاءها من داخل فقالوا: اوص يا أمير المؤمنين استخلف: فقال: ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر) الستة (الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمى علياً وعثمان والزبير وطلحة وسعد) بن أبي وقاص (وعبد الرحمن) بن عوف رضي الله عنهم. (وقال: يشهدكم عبدالله بن عمر) يعني ولده (وليس له من الأمر شيء) أي لا يستحق في الإمارة شيئاً (كهيئة التعزية) له والتسلية (فإن أصابت الإمارة سعد) بن أبي وقاص (فذاك) هو المظنون فيه (وإلا فليستعن به) أي برأيه ومشورته (أيكم أمر) أي جعل أميراً (فإني لم أعزله) عن الكوفة (من عجز) في رأيه (ولا من خيانة) في دينه، وكان عمر قد أمره على الكوفة سنة إحدى وعشرين ثم عزله. (وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم، وأوصيـه بـأهـل الأمصار خيراً فإنهم ردء الإسلام وجباة الأموال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضا منهم، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم. قال: فلما قبض خـرجنـا بـه فانطلقنا نمشي) بجنازته إلى حجرة أم المؤمنين عائشة، (فسلم عبدالله بن عمر وقال: يستأذن

عبدالله بن عمر وقال: يستأذن عمر بن الخطاب، فقالت: أدخلوه، فأدخلوه في موضع هنالك مع صاحبيه... الحديث...

عمر بن الخطاب. فقالت: ادخلوه في موضع هناك مع صاحبيه الحديث) الخ وهو: فلما فرغ من دفنه ورجعوا اجتمع الرهط فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي. وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن. وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان. قال: فخلا هؤلاء الثلاثة علي وعثمان وعبد الرحمن، فقال عبد الرحمن لهما: أيكما يبرأ من هذا الأمر ونجعله إليه والله عليه والإسلام لننظرن أفضلهم في نفسه وليحرص على صلاح الأمة. قال: فاسكت الشيخان. فقال: اجعلاه إلي والله علي لا آلو عن أفضلكم. قالا: نعم، فخلا بعلي فقال: لك من القدم في الإسلام والقرابة ما قد علمت آلله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن؟ قال: نعم، ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال لعثمان: ارفع فبايعه ثم بايع له علي ثم ولج أهل الدار فبايعوه. رواه بهذا السياق البخاري فقال: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، حدثنا حصين بن عبد الرحمن، عن عمرو بن ميمون أنه رأى عمر قبل أن يصاب بأيام وقف على حذيفة وابن حنيف إلى أن قال: فإذا رأى خللاً قال: استووا فساقه وفيه: قتلني الكلب، ولم يشك وفيه بسكين ذي طرفين ولم يذكر بعده إلى أن قال: فأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون بل فقدوا صوت عمر ولم يقل: فأما من كان يليه وفيه لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام، وفيه فقال ابن عباس: إن شئت ولم يقل فعلت وفيه فاستقي لبناً فخرج من جرحه فعرفوا أنه ميت ولن يذكر فيه قصة رد الغلام ولا وصيته في قضاء الدين ولا وصيته بالمهاجرين وأهل الأمصار والأعراب. وقد رواه بهذه الزيادات البخاري والنسائي من طريق جرير عن حصين عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب قبل أن يصاب بثلاث أو أربع واقفاً على ناقته على حذيفة وعثمان بن حنيف وهو يقول: لعلكما حملتما الأرض يعني من الخراج ما لم تطق فساق الحديث، وفيه فما أتت عليه ثلاث حتى أصيب قال: وكان إذا دخل المسجد وأقيمت الصلاة قام بين كل صفين فساقه كسياق المصنف، وفيه: مات منهم سبعة فطرح عليه رجل من حاج العراق برنساً فأخذه وفيه: فجال ابن عباس ساعة ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة. قال: آلصنع. قال: آلصنع قال: قاتله الله وفيه والناس يقولون لا بأس عليك، فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فعرف أنه الموت فقال لابنه عبدالله: أنظر ما كان علي من دين. قال: ستة وثمانون ألفاً. قال: إن وفى الخ. إلى أن قال: واذهب إلى عائشة فساقاه إلى أن قال: فلما جاء ابن عمر قال عمر: أقعدوني فأسنده رجل إلى صدره فقال لابن عمر: ما لديك الخ. وفيه: وليس له من الأمر شيء فمن استخلفوه فهو الخليفة بعدي، فإن أصابت سعداً وإلا فليستعن به الخليفة فإني لم أنزعه من ضعف ولا خيانة، ثم ذكرا قصة الغلام وقوله: يا ابن أخي إرفع إزارك ثم ذكر وصيته بالمهاجرين وأهل الأمصار والأعراب وأهل الذمة، وفيه: فلما توفي حمل فكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ حتى إذا دنا ابن عمر سلم على عائشة ثم قال: استأذنك عمر فأذنت له وقالت له أدخله هذا آخر سياقها من طريق جرير.

....

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا عبد الملك بن عبد الحميد الميموني، حدثنا شبابة بن سوار، حدثني فرات بن السائب، عن ميمون بن مهران قال: لقيت ابن عمر بالمدينة، فقلت: إني لأحب أن أعلم كيف كان قتل عمر رضي الله عنه. فقال: صنع قيّن المغيرة مدية لها رأسان مقبضها في وسطها، فدخل المسجد صلاة الفجر وعمر رضي الله عنه معه درته يأمر الناس بتسوية الصفوف، فطعنه تسع طعنات فقال عمر: دونكم الكلب فقد قتلني فثار بالناس فجعل لا يدنو إليه أحد إلا أهوى إليه فطعنه، فطعن يومئذ ثلاثة عشر إنساناً فمات منهم ستة في المسجد، واحتمل عمر رضي الله عنه إلى بيته وأدخل الناس إلى منزله فقال لي: أي بني أخرج إلى الناس فسلهم أعن ملأ منهم كان هذا؟ فلما ذكرت ذلك لهم قالوا: معاذ الله وحاشا الله لوددنا أنا فديناه بالآباء والأبناء، والله ما أتى علينا يوم قط بعد وفاة رسول الله ﷺ أعظم من هذا اليوم، وكان أول من دخل عليه علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس فنظر إليه ابن عباس فبكى وقال: ابشر يا أمير المؤمنين بالجنة، فقال: يا ابن عباس اتشهد لي بذلك فكأنه كاع فضرب على كاع منكبه وقال: أجل فاشهد له وأنا على ذلك من الشاهدين، فقال عمر بن الخطاب: وكيف؟ فقال ابن عباس: كان إسلامك عزاً وولايتك عدلاً ومنيتك شهادة. فقال: والله لا تفروا بي من ربي وذنبي، ثكلت عمر أمه إن لم يغفر له ربه، ثم قال لي: ضع رأسي بالأرض ثكلتك أمك. قال: وحدثنا عبد الملك الميموني، حدثنا حوذة، حدثنا ابن عوف عن محمد بن سيرين قال: لما طعن عمر رضي الله عنه جعل الناس يقولون: إنه لا بأس عليك، فقال عمر للطبيب: انظر فادخل يده فنظر، فقال: ما وجدت؟ فقال: قد بقي من وتينك ما تقضي منه حاجتك. قال: أنت أصدقهم وأخبرهم، فقال له رجل قال ابن عون: أراه ابن عباس والله إني لأرجو أن لا تمس النار جلدك فنظر إليه نظراً شديداً حتى وثينا له، ثم قال: إن علمك بذلك يا ابن فلان لقليل لو أن لي ما على الأرض من شيء لافتديت به هول المطلع. وقال الذهبي في مناقب عمر: روى الأعمش عن إبراهيم التيمي، عن عمرو بن ميمون: رأيت عمر يوم طعن وعليه ثوب أصفر فجرّ وهو يقول: ﴿وكان أمرُ الله قَدراً مقدوراً﴾ [الأحزاب: ٣٨] وروى يحي بن أيوب عن يونس، عن ابن شهاب، حدثني عبيد الله أن ابن عباس أخبره أنه جاء عمر حين طعن فاحتمله هو ورهط حتى ادخل بيته قال: ثم غشي عليه فلم يزل في غشيته حتى أسفر ثم أفاق فقال: هل صلى الناس؟ قلنا: نعم. قال: لا إسلام لمن ترك الصلاة ثم توضأ وصلى وقال: الحمد لله الذي قتلني من لا يحاجني عند الله بصلاة صلاها وكان مجوسياً.

وقال صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال: كان عمر لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده صنعاً ويستأذنه أن يدخل المدينة ويقول: إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس إنه حداد نقاش نجار، فأذن له أن يرسله إلى المدينة وضرب عليه المغيرة مائة درهم في الشهر. قال: فجاء إلى عمر يناشده شدة الخراج، فقال له عمر: ما خراجك بكثير في كنه ما تعمل، فانصرف ساخطاً يتذمر، فلبث عمر ليالي ثم دعاه

فقال: ألم أحدث أنك تقول لو شاء لصنعت الطحن بالرمح، فالتفت إلى عمر عابساً وقال: لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها، فلما ولى قال عمر: أوعدني العبد آنفاً، ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه، فكمن في زاوية من زوايا المسجد في الغلس فخرج عمر يوقظ الناس لصلاة الفجر، فلما دنا منه عمر وثب فطعنه ثلاث طعنات: إحداهن تحت السرة قد خرقت الصفاق وهي التي قتلته، ثم مال على أهل المسجد حتى طعن سوى عمر أحد عشر رجلاً ثم انخنس بخنجره فقال عمر: قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصل بالناس، ثم غلب عمر نزف الدم حتى غشي عليه. قال ابن عباس: فاحتملت عمر في رهط حتى أدخلناه فلم أزل عنده ولم يزل في غشية واحدة حتى أسفر ثم أفاق فنظر في وجوهنا فقال: أصلى الناس؟ قلت: نعم. قال: لا إسلام لمن ترك الصلاة ثم توضأ ثم صلى ـ يعني في دمائه ـ وكان أبو لؤلؤة مجوسياً. وقال عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: جئت من السوق وعمر يتوكأ علي فمر أبو لؤلؤة فنظر إلى عمر نظرة ظننت أنه لولا مكاني بطش به، فجئت بعد ذلك إلى المسجد لصلاة الفجر فإني لبين النائم واليقظان إذ سمعت عمر يقول: قتلني الكلب فماج الناس ساعة، ثم إذا قراءة عبد الرحمن بن عوف.

وقال ثابت البناني عن أبي رافع قال: كان أبو لؤلؤة عبداً للمغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم، فلقي عمر فقال: يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل عليَّ فكلمه فقال: أحسن إلى مولاك ومن نية عمر أن يكلم المغيرة فيه فغضب وقال: يسع الناس كلهم عدله غيري، وأضمر قتله واتخذ خنجراً وشحذه وسمّه فجاء فقام خلف عمر في الصف وضربه في كتفه وفي خاصرته فسقط عمر وطعن ثلاثة عشر مات منهم ستة، وحمل عمر إلى أهله وكادت الشمس أن تطلع فصلّى عبد الرحمن بالناس بأقصر سورتين، وسقي عمر نبيذاً فخرج من جرحه فلم يتبين فسقوه لبناً فخرج من جرحه، فقالوا: لا بأس عليك. فقال: إن يكن بالقتل بأس فقد قتلت، فجعل الناس يثنون عليه ويقولون: كنت وكنت. فقال: أما والله وددت أني خرجت منها كفافاً لا عليّ ولا لي، وأن صحبة رسول الله ﷺ سلمت لي، وأثنى عليه ابن عباس فقال: لو أني لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من هول المطلع، وقد جعلتها شورى في هؤلاء الستة، وأمر صهيباً أن يصلي بالناس وأجل الستة ثلاثاً.

وروى الأوزاعي ومسعر عن سماك الحنفي عن ابن عباس قال: دخلت على عمر حين طعن فقلت: أبشر يا أمير المؤمنين والله لقد مصر الله بك الأمصار وأوسع بك الرزق وأظهر بك الحق فقال: وددت أني أنجو كفافاً لا أجر ولا وزر.

وروى أبو عوانة عن داود بن عبد الله، عن حميد بن عبد الرحمن الحميري قال: حدثنا ابن عباس قال: أنا أول من أتى عمر حين طعن فقال: احفظ مني ثلاثاً إني أخاف أن يدركني الناس،

أما انا فلم أقض في الكلالة قضاء ولم استخلف على الناس خليفة وكل مملوك لي عتيق، فقال له الناس: استخلف. فقال: ان ادع الناس فقد ترك نبي الله ﷺ وإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر.

وروى عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن كثير النواء، عن أبي عبيد مولى ابن عباس عن ابن عباس قال: كنت مع علي فسمعت الصيحة على عمر فقام وقمت معه حتى دخلنا على عمر البيت فقلت: ما هذا الصوت؟ قالت امرأة: سقاه الطبيب نبيذاً فخرج وسقاه لبناً فخرج، فقال: لا أرى أن تمسي فما كنت فاعلاً فافعل، فقالت أم كلثوم: واعمراه وكان معها نسوة يبكين معها وارتج البيت بكاء، فقال عمر: والله لو أن لي ما على الأرض من شيء لافتديت به من هول المطلع. وقال ابن عباس: والله إني لأرجو أن لا تراها إلا مقدار ما قال الله تعالى: ﴿وان منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] إن كنت ما علمنا لأمير المؤمنين وأمين المؤمنين وسيد المؤمنين تقضي بكتاب الله وتقسم بالسوية فأعجبه قولي فأستوى جالساً. قال: أتشهد لي بهذا يا ابن عباس؟ قال: فكففت، فضرب علي رضي الله عنه كتفي فقال: اشهد. قلت: نعم أنا أشهد.

وروى مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال، قال عمر من قتلني؟ قيل: أبو لؤلؤة، قال: الحمد لله الذي لم يقتلني رجل يخاصمني بلا إله إلا الله، فوضعت رأسه على فخذي فقال: ألصق خدي بالأرض ففعلت فقال: ويل عمر وويل أم عمر إن لم يغفر الله لي.

وقال يزيد بن هارون، وحدثنا جرير بن عثمان، حدثنا حبيب بن عبيد عن المقدام بن معدي كرب قال: دخلت حفصة على عمر فقالت: يا صاحب رسول الله ويا صهر رسول الله ويا أمير المؤمنين، فقال لابنه: اجلسني فلا صبر لي على ما أسمع، وقال لها: إني أحرج لمالي عليك من الحق أن تندبيني بعدها، فأما عينيك فلا أملكهما إنه ليس من ميت يندب بما ليس فيه إلا مقته الملائكة.

وروى حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال: لما طعن عمر صرخت حفصة فقال: يا حفصة أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المعول عليه يعذب» وجاء صهيب فقال: واعمراه: فقال: ويلك يا صهيب أما بلغك أن المعول عليه يعذب.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا إبراهيم بن سعيد، حدثنا أبو أسامة، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد، حدثني يحيى بن أبي راشد البصري قال: لما احتضر عمر بن الخطاب قال لابنه: يا بني ادن مني فضع ركبتيك بين كتفي وضع راحتك اليمنى على جبيني واليسرى تحت ذقني وراعني، فإذا مت فاغمض بصري وغسلوني وأحسنوا غسلي وكفنوني في ثوبين ولا تتغالوا في كفني، فإن يكن ربي عز وجل راضياً عني فلن يرضى لي بثيابكم حتى يكسوني من ثياب الجنة، وإن يكن علي ساخطاً فإنه يسلبني سلباً سريعاً ويلبسني شر الثياب، فإذا حفرتم قبري فاحفروا قدر مضجعي، فإن يكن عني راضياً فسيوسعه مدّ بصري، وإن يكن علي ساخطاً فسيضيقه علي حتى تختلف أعضائي، فإذا حملتموني فأسرعوا بي فإنما هو خير تردوني إليه أو شر

وعن النبي ﷺ قال: « قال لي جبريل عليه السلام ليبكِ الإسلام على موت عمر »، وعن ابن عباس قال: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل قد أخذ بمنكبي فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك! وايم الله إن كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك أني كنت كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر » فإني كنت ـ لأرجو أو لأظن ـ أن يجعلك الله معهما.

تلقونه عن أعناقكم، ولا تمشين مع جنازتي امرأة ولا تتبعني نائحة ولا تزكوني، فربي أعلم بي، فإذا وضعتموني في حفرتي فقولوا: اللهم باسمك وعلى ملتك وملة رسولك وفي سبيلك أسلمه إليك الأهل والولد والمال والعشيرة فاغفر له. اللهم وارحمه ثم اقرأ عليكم السلام حتى ألقاكم.

(وعن النبي ﷺ قال: « قال لي جبريل عليه السلام: ليبك الإسلام على موت عمر ») قال العراقي: رواه الآجري في كتاب الشريعة من حديث أبيّ بن كعب بسند ضعيف جداً. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات انتهى.

قلت: قال فيه: حدثنا محمد بن الحميد الواسطي، حدثنا محمد بن رزق الله، حدثنا حبيب بن ثابت، حدثنا عبد الله بن عامر الاسلمي، عن ابن شهاب، عن سعيد، عن أبي بن كعب رفعه « كان جبريل يذاكرني أمر عمر فقلت له اذكر لي فقال: لو جلست معك كما جلس نوح في قومه ما بلغت فضائل عمر وليبكين الإسلام بعد موت عمر » قال الذهبي في نعم السمر: ابن عامر واه وحبيب مجهول لعل الآفة منه.

(وعن ابن عباس) رضي الله عنه **(قال: وضع عمر على سريره)** بعدما كفن **(فتكنفه الناس)** أي أحاطوا إليه **(يدعون ويصلون)** أي يترحمون **(قبل ان يرفع وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل قد أخذ بمنكبي)** من ورائي **(فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن ليجعلنك الله مع صاحبيك وذلك أني كنت كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول: « ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر » فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله معهما)**. قال العراقي: متفق عليه.

قلت: روياه من طريق ابن المبارك، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين، عن ابن أبي مليكة سمعت ابن عباس يقول: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس فساقاه هكذا. وروى أبو معشر نجيح عن نافع عن ابن عمر قال: وضع عمر بين القبر والمنبر فجاء علي حتى قام بين يدي الصفوف فقال: رحمة الله عليك ما من خلق الله أحب إلي من ألقى الله بصحيفته بعد النبي ﷺ من هذا

وفاة عثمان رضي الله عنه:

الحديث في قتله مشهور. وقد قال عبدالله بن سلام: أتيت أخي عثمان لأسلم عليه وهو

المسجى عليه ثوبه. وروى يونس بن أبي يعفور عن عون بن أبي حجيفة عن أبيه أن علياً قال فذكر نحوه. وروى ابن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن علياً دخل على عمر وهو مسجًّى فقال: صلى الله عليك. قال الذهبي: إسناده صحيح، وقال صاحب كتاب المتفجعين: قيل لجعفر ابن محمد أيصلى على غير النبي ﷺ؟ فقال: هذا علي كرم الله وجهه قد صلّى على عمر رضي الله عنه.

وفاة عثمان رضي الله عنه:

(**الحديث في قتله مشهور**). رواه سيف بن عمر التميمي وابن عائذ كلاهما في كتاب الفتوح مفصلاً ومجمله ما رواه محمد بن يحيى الذهبي قال: حدثنا هشام بن عمار، حدثنا محمد بن عيسى بن سميع، عن ابن أبي ذئب، عن الزهري قال؛ قلت لسعيد بن المسيب: هل أنت مُخبري كيف قتل عثمان؟ قال: قتل مظلوماً ومن خذله كان معذوراً، ولما ولي كره ولايته جماعة لأنه كان يحب قومه ويوليهم فيجيء منهم ما تنكره الصحابة فلا يعزلهم، فلما كان في الست حجج الأواخر استأثر ببني عمه فولاهم وما أشرك معهم، فولى ابن أبي سرح مصر فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه، وقد كان من قبل هنات من عثمان إلى ابن مسعود وأبي ذر وعمار، فكانت بنو هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها بحال ابن مسعود، وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها، وكانت بنو مخزوم قد حنقت عليه بحال عمار، وجاء المصريون يشكون من عبد الله فكتب إليه كتاباً يتهدده فيه فأبى أن يقبل ما نهاه وضرب بعض من أتاه فقتله، فخرج من مصر سبعمائة فنزلوا المدينة وشكوا صنيع ابن أبي سرح بهم، فقام طلحة فكلم عثمان بكلام شديد، وأرسلت عائشة إليه تقول: انصفهم من عاملك ودخل عليه علي وكان متكلم القوم فقال: إنما يسألونك رجلاً بدل رجل، وقد ادعوا قبله دماً فاقض بينهم وانصف، فقال لهم: اختاروا رجلاً أوليه، فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر فولاه وكتب عهده وخرج معهم عدد من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح، فلما كانوا على مسيرة ثلاثة من المدنية إذا هم بعبد أسود على بعير يخبط البعير خبطاً كأنه رجل يطلب فسألوه؟ فقال: وجهني أمير المؤمنين إلى عامل مصر فقيل له: هذا محمد عامل مصر. قال: ليس هذا أريد فجيء به إلى محمد فقال مرة: أنا غلام عثمان، ومرة قال: أنا غلام مروان حتى عرفه رجل أنه لعثمان، فقال له محمد: إلى من أرسلت؟ قال: إلى عامل مصر برسالة. قال: معك كتاب؟ قال: لا. ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً وكانت معه أداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فشقوها فإذا فيها كتاب من عثمان فجمع محمد الصحابة وفكّه، فإذا فيه: إذا أتاك فلان وفلان ومحمد فاحتلّ قتلهم وأبطل كتابه وقر على عملك واحبس من يجيء

إلي متظلماً، ففزعوا وأزمعوا فرجعوا إلى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم جماعة ودفعه إلى رجل منهم وقدموا المدينة، فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً والصحابة، ثم فضّوا الكتاب فلم يبق أحد إلا حنق على عثمان وزاد ذلك غضباً لأعوان ابن مسعود وأبي ذر وعمار وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد ببني تيم، فلما رأى ذلك علي بعث إلى طلحة والزبير وعمار وسعد وغيرهم ودخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له: هذا الغلام والبعير لك قال: نعم. قال: فهذا كتابك؟ قال: لا والله. قال: فالخاتم خاتمك؟ قال: نعم. قال: كيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك لاتعلم به وعرفوا أنه بخط مروان وسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى وكان معه في الدار، فخرجوا غضاباً وعلموا أنه لا يحلف بباطل ولزموا بيوتهم، فحاصره أولئك حتى منعوه الماء فاشرف يوماً فقال: أفيكم علي؟ قالوا: لا قال: أفيكم سعد؟ قالوا: لا. فسكت ثم قال: ألا أحد يسقينا ماء؟ فبلغ ذلك علياً فبعث إليه بثلاث قرب فجرح بسببها جماعة من الموالي حتى وصل الماء إليه، فبلغ علياً أن عثمان يراد قتله. فقال: إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا، وقال لابنيه: اذهبا بسيفيكما حتى تكونا على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه، وبعث إليه الزبير ابنه وبعث طلحة ابنه وبعث عدة من الصحابة أبناءهم يمنعون الناس عنه، ويسألونه أن يخرج مروان، فلما رأى ذلك محمد بن أبي بكر ورمى الناس بالسهام حتى خضب الحسن بالدماء على بابه، وأصاب مروان سهم وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى علي خشى ابن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن، فاستشار صاحبيه وتثوّروا من دار حتى دخلوا على عثمان بغتة والناس فوق البيوت لا يدرون، ولم يكن مع عثمان سوى امرأته فقال لهما محمد: مكانكما فإن معه امرأته فإذا أنا ظبطته فادخلا فتوجياه حتى تقتلاه ودخل فأخذ بلحيته فقال له عثمان: والله لو أراك أبوك لساء مكانك مني فتراخت يده، ودخل الرجلان فتوجياه حتى قتلاه وهربوا من حيث دخلوا وصرخت امرأته وصعدت إلى الناس وقالت: قتل أمير المؤمنين فجاؤا فوجدوه مذبوحاً، وبلغ علياً وطلحة والزبير الخبر فخرجوا وقد ذهبت عقولهم فدخلوا عليه واسترجعوا وقال علي: كيف قتل أمير المؤمنين وانتم على الباب ولطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم ابن الزبير وابن طلحة وولى مغضباً. وقال الحافظ الذهبي: هو في باديء الرأي صحيح الاسناد، لكن قال البخاري يقال: إن ابن سميع ما سمع هذا الحديث من ابن أبي ذئب، وقال صالح جرزة قال لي محمود ابن بنت محمد بن عيسى بن سميع هو في كتاب جدي عن إسماعيل بن يحيى التيمي عن ابن أبي ذئب، وكان إسماعيل يضع الحديث. وروى قريش بن أنس: حدثنا سليمان التيمي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد هو مولى أبي أسد قال: دخلوا على عثمان والمصحف بين يديه فضربوه على يديه فجرى الدم على: ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ [البقرة: ١٣٧] قال الذهبي: هذا اسناد صحيح، وروى خالد بن عبد الله عن عمران بن حدير قال: إن لا يكن عبد الله بن شقيق حدثني ان أول قطرة قطرت من دم عثمان على ﴿فسيكفيكم الله وهو السميع العليم﴾ فإن أبا حريث ذكر أنه ذهب هو وسهيل المري فاخرجوا إليه المصحف، فإذا القطرة على فسيكفيكم الله قال فإنها في المصحف ما حكت.

محصور ، فدخلت عليه فقال مرحباً يا أخي! رأيت رسول الله ﷺ الليلة في هذه الخوخة ـ وهي خوخة في البيت ـ فقال: « يا عثمان حصروك؟ » قلت: نعم. قال: « عطشوك؟ » قلت: نعم، فأدلى إلي دلواً فيه ماء فشربت حتى رويت ـ حتى إني لأجد برده بين ثديي وبين كتفي وقال لي: إن شئت نصرت عليهم، وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده! فقتل ذلك اليوم رضي الله عنه. وقال عبدالله بن سلام لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين جرح، ماذا قال عثمان وهو يتشحط؟ قالوا سمعناه يقول، اللهم اجمع أمة محمد ﷺ ـ ثلاثاً ـ قال: والذي نفسي بيده لو دعا الله أن لا يجتمعوا أبداً ما اجتمعوا إلى يوم القيامة.

وعن ثمامة بن حزن القشيري قال: شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضي الله

(**وقد قال عبد الله بن سلام**) رضي الله عنه: (**أتيت أخي عثمان**) رضي الله عنه (**لأسلم عليه وهو محصور**) في داره، (**فدخلت عليه فقال: مرحبا يا أخي رأيت رسول الله ﷺ الليلة في هذه الخوخة وهي خوخة في البيت فقال: « يا عثمان حصروك » قلت: نعم. قال « عطشوك » قلت: نعم قال: فأدلى إلي دلواً فيه ماء فشربت حتى رويت حتى أني لأجد برده بين ثديي وقال لي « إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا » فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم**). قال عبد الله بن أحمد: حدثني عثمان بن أبي شيبة، حدثنا يونس بن أبي يعفور العبدي، عن أبيه، عن مسلم بن سعد أن عثمان أعتق عشرين مملوكاً ثم دعا بسراويل فشده عليه ولم يلبسه في جاهلية ولا إسلام وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة وأبا بكر وعمر فقال « اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة » ثم دعا بمصحف ففتحه بين يديه فقتل وهو بين يديه. وقال إسحاق بن سليمان: حدثنا أبو جعفر الرازي، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر أن عثمان أصبح يحدث الناس قال: رأيت رسول الله ﷺ الليلة في المنام فقال « افطر عندنا غداً » فأصبح صائماً وقتل من يومه. قال الذهبي: هذا حديث صحيح. ورواه ابن أبي عروبة عن يعلى بن حكيم عن نافع نحوه. ورواه عبد الملك بن عمير عن كثير بن الصلت عن عثمان وله طرق أخر بمعناه.

(**وقال عبد الله بن سلام**) رضي الله عنه: (**لمن حضر تشحط عثمان في الموت حين خرج: ماذا قال عثمان وهو يتشحط؟ قالوا: سمعناه يقول: اللهم اجمع أمة محمد ﷺ ثلاثاً. قال: والذي نفسي بيده لو دعا الله على تلك الحال أن لا يجتمعوا أبداً ما اجتمعوا إلى يوم القيامة**) رواه الليث عن عبيد الله بن المغيرة وعبد الكريم بن الحرث أن عبد الله بن سلام قال لمن حضر عثمان وهو يتشحط في الموت ضربه أبو رومان الأصبحي: ماذا كان قول عثمان وهو يتشحط في دمه؟ قال: سمعناه يقول فساقه.

(**وقال ثمامة بن حزن**) بن عبد الله بن مسلمة بن قشير بن كعب بن ربيع بن عامر بن

عنه فقال: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم علي! قال فجيء بهما كأنما هما جملان أو حماران، فأشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال: من يشتري رومة، يجعل دلوه مع دلاء المسلمين، بخير له منها في الجنة؟ فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها ومن ماء البحر؟ قالوا: اللهم نعم، قال أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا: نعم، قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن المسجد كان قد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير منها في الجنة؟» فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين؟ قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال فركضه برجله وقال: «اسكن ثبير فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان» قالوا: اللهم نعم، قال الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد.

صعصعة (**القشيري**) البصري والدأبي الورد مخضرم وفد على عمر وله خمس وثلاثون سنة. قال يحي بن معين: ثقة روى له مسلم والترمذي والنسائي وليس له في الصحيح غير حديث النبيذ قال: سألت عائشة عن النبيذ، وروى له البخاري في الأدب المفرد (**قال: شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان**) رضي الله عنه (**فقال: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألَّباكم**) أي حرضاكم (**عليّ فجيء بهما كأنهما جملان أو حماران، فأشرف عليهم عثمان**) رضي الله عنه (**فقال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال: «من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين، بخير له منها في الجنة؟» فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشرب منها ومن ماء البحر؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن المسجد كان قد ضاق بأهله فقال رسول الله ﷺ «من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة» فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني ان أصلي فيها ركعتين؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون إني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير بمكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض قال: فركضه برجله وقال «اسكن ثبير فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان». قالوا: اللهم نعم. قال: الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أني شهيد**). قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن والنسائي انتهى.

وروي عن شيخ من ضبة أن عثمان حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٧] اللهم إني أستعديك عليهم وأستعينك على جميع أموري وأسألك الصبر على ما ابتليتني.

قلت: ورواه الأنصاري في جزئه قال: حدثنا هلال بن لاحق عن الجريري عن ثمامة بن حزن قال: شهدت الدار وأشرف عليهم عثمان فقال: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألباكم علي فدعيا له كأنهما جملان أحمران فساقه، وليس فيه ذكر تجهيز جيش العسرة. ورواه عيسى بن يونس عن أبيه عن جده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وذكره فيه تجهيز جيش العسرة وزاد: ولكن طال عليكم أمري واستعجلتم وأردتم خلع سربال سربلنيه الله وإني لا أخلعه حتى أموت أو أقتل.

(وروي عن شيخ من ضبة أن عثمان) رضي الله عنه **(حين ضرب والدماء تسيل على لحيته جعل يقول: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. اللهم إني أستعديك عليهم وأستعينك على جميع أموري، وأسألك الصبر على ما ابتليتني)**. وروى يحي بن ميمون العدادي، عن الحرث بن عمير، عن معمر بن عقيل، حدثنا أبو خباب رجل شامي قال: حدثتني ريطة مولاة أسامة بن زيد قالت: كنت في الدار إذ دخل القوم فساق الحديث وفيه: فجاء رجل خلف عثمان بسعفة فضرب بها جبهته فرأيت الدم يسيل وهو يمسحه ويقول: اللهم لا تطلب بدمي غيرك.

وروى صاحب كتاب المتفجعين عن الكزبراني، عن عمرو بن عاصم الكلابي، عن حفص بن أبي بكر، عن هياج بن سريع، عن مجاهد قال: أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه وهو محصور فقال: يا قوم لا تقتلوني فإني وال وأخ ومسلم فساق الحديث وفيه: فلما أبوا قال: اللهم إني لا أرى إلا غادراً أو فاجراً، اللهم فاحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً. قال مجاهد: فقتل الله أكثرهم في تلك الفتنة.

وروي أيضاً عن علي بن عثمان الفضيلي، حدثنا أبو مسهر، حدثنا إسماعيل بن عياش أن عثمان رضي الله عنه دعا عليهم فقال: اللهم ابدلني بخير منهم وأبدلهم بشر مني، اللهم خذ لي منهم بثأري. اللهم انقل هذا الأمر ممن خذله إلى من نصره، وروي أيضاً عن حبيش بن موسى الصيني، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن أبي سيف المدائني، عن سعيد بن مسلم بن بانك قال: جعلوا يوجئون عثمان رضي الله عنه والمصحف في حجره وهو يقول:

ولقد علمت لو ان علمي نافعي ... إن الحياة من الممات قريبُ

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا الحرث بن محمد التميمي، حدثني أبو الحسن علي بن محمد القرشي، عن سعيد بن مسلم بن بانك، عن أبيه أن عثمان رضي الله عنه قال متمثلاً يوم دخل عليه:

أرى الموت لا يبقي عزيزا ولم يدع ... لعاد ملاكاً في البلاد ومرتقى
يبيت أهل الحصن والحصن مغلق ... ويأتي الجبال في شمارخها العلا

وفاة علي كرّم الله وجهه:

قال الأصبغ الحنظلي: لما كانت الليلة أصيب فيها علي كرّم الله وجهه، أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل، فعاد الثانية وهو كذلك، ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول:

اشـــدد حيـــازيمك للمـــو ت فـــإن الموت لاقيـــك
ولا تجزع مـــــــن المو ت إذا حـــل بـــواديكـــا

فلما بلغ الباب الصغير شدد عليه ابن ملجم فضربه. فخرجت أم كلثوم ابنة علي

وفاة علي كرم الله وجهه:

قال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتاب الشريعة: قد قال النبي ﷺ وهو على حراء وقد تحرك الجبل «أثبت حراء فإنما عليك نبي وصديق وشهيد» وعليه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسائر من في الحديث المشهور، فقد أخبر النبي ﷺ بأنهم شهداء، وقتل علي رضي الله عنه شهيداً، وقد أخبر النبي ﷺ أنك مستخلف مقتول، ولا بدّ لما قاله النبي ﷺ أن يكون لا بدّ من أن يكون، وذلك درجات لهم رضي الله عنهم عند ربهم يزيدهم فضلاً إلى فضلهم وكرامة منه لهم، وقد روينا عن عمار بن ياسر أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «ألا أخبرك بأشقى الناس احيمر ثمود عاقر الناقة والذي يضربك على هذا» وأشار إلى قرنه وتبتل هذه منها وأخذ بلحيته. وعن جابر وسمرة قال، قال رسول الله ﷺ لعلي: «إنك مؤمن مستخلف وإنك مقتول وأن هذه مخضوبة من هذا» لحيته ورأسه. وعن أبي سنان الديلمي قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك ستضرب ضربة ههنا ـ وأشار إلى صدغيه ـ تسايل دماً حتى تخضب لحيتك فيكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود». وعن عبد الله بن سبع قال: سمعت علياً رضي الله عنه على المنبر يقول: ما ينتظر الأشقى عهد إلى رسول الله ﷺ لتخضبن هذه من دم هذا.

(**قال الاصبغ**) بن نباتة التميمي (**الحنظلي**) الكوفي يكنى أبا القاسم متروك رمي بالرفض روى له ابن ماجه: (**لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي رضي الله عنه أتاه ابن البناج**) وهو مؤذنه (**حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل فعاد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام علي يمشي وهو يقول:**

أشـــدد حيـــازيمك للمـــو ت فـــإن المـــوت لاقيـــك
ولا تجزع مـــــــن المو ت إذا حـــلّ بـــواديـــك

فلما بلغ الباب الصغير شدّ عليه ابن ملجم) عبد الرحمن رجل من بني مراد (**فضربه**) رواه

رضي الله عنه فجعلت تقول: ما لي ولصلاة الغداة! قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة الغداة؛ وقتل أبي صلاة الغداة. وعن شيخ من قريش أن علياً كرّم الله وجهه لما ضربه

ابن أبي الدنيا فقال: حدثني عبد الله بن يونس بن بكير قال: حدثني أبي حدثني علي بن أبي فاطمة الغنوي قال: حدثني الاصبغ الحنظلي فذكره.

وقال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين: حدثنا الكزبراني، حدثنا حجاج بن أبي منيع، حدثنا جدي عن الزهري قال: لما انتشر أمر علي رضي الله عنه وكثر عليه اختلاف أصحابه أقبل رجل من الخوارج يقال له عبد الرحمن بن ملجم مشتملاً على السيف، وكان علي رضي الله عنه يتولى التأذين بنفسه، فكان إذا أراد أن يقول حي على الصلاة اخرج رأسه من باب طاق المسجد إلى السوق، وأقبل الخارجي فقام عند الطاق من خارج، فلما أخرج على رأسه ضربه الخارجي ضربة أطار بها طائفة من قحفه، وتنادى الناس: قتل أمير المؤمنين واقبلوا نحوه وهو يحمل عليهم حتى أخذوه وانتزعوا السيف من يده، وعاش علي رضي الله عنه يومه ذلك ومات في الليلة القابلة، فقطعت يد ابن ملجم ورجلاه وسملت عيناه ثم أدرج في بردين فأحرق.

وقال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا الفضل بن دكين، حدثنا قطر بن خليفة، حدثني أبو الطفيل قال: دعا علي الناس إلى البيعة فجاء عبد الرحمن بن ملجم فردّه مرتين ثم أتاه فقال: ما يحبس أشقاها لتخضبن أو لتصفقن هذه - يعني لحيته من هذا يعني رأسه - ثم تمثل بهذين البيتين:

اشدد حيازيمك للموت الخ

(**فخرجت أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه**) وأمها فاطمة الزهراء رضي الله عنها وقد تقدم ذكرها، (**فجعلت تقول: ما لي ولصلاة الغداة قتل زوجي أمير المؤمنين**) عمر رضي الله عنه (**صلاة الغداة**) كما تقدم آنفاً، (**وقتل أبي صلاة الغداة**) وهذا القول عنها قد تقدم في وفاة رسول الله ﷺ.

وقال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين: حدثنا الكزبراني، حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سليمان بن كثير عن حصين عن هلال بن يساف أن علياً رضي الله عنه كان يخرج إلى المسجد قبل الفجر فيقول: الصلاة حتى إذا أنار الفجر صلى، فبينا هو كذلك ابتدره رجلان أحدهما ابن ملجم والآخر شبيب بن بجرة الأشجعي، فضربه احدهما على رأسه وأخطأه الآخر، فأخذ الضارب فسمعهم يقولون ليس عليه بأس. قال: فعلى من كانوا يبكون لقد سقيت سيفي السم شهرين، ولقد ضربته ضربة لو قسمت بين العرب لأفنتهم، فمات علي رضي الله عنه من يومه وقتل ابن ملجم لعنه الله تعالى. قال: وحدثنا محمد بن جبلة، حدثنا إبراهيم بن سعيد، حدثنا أبو أسامة حدثنا أبو طلق علي بن حنظلة بن نعيم عن أبيه قال: لما ضرب ابن ملجم علياً رضي الله عنه قال: احبسوه فإنما هو جرح فإن برئت امتثلت أو عفوت وإن هلكت قتلتموه، فجعل عليه عبدالله بن جعفر، وكانت أم كلثوم ابنة علي تحته فقطع يديه ورجليه وفقأ عينيه وجدعه وقال له: هات لسانك، فقال له: إذ صنعت ما صنعت فإنما تستقرض في جسدك فاستعد للقصاص، فأما لساني فدعه

ابن ملجم قال: فزت ورب الكعبة. وعن محمد بن علي أنه لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله، حتى قبض.

اذكر الله به فإني لا أخرجه إليك أبداً فشق لحييه فقطع لسانه وجعل يجعل المسمار في عينيه فقال: إنك لتكحلني بملمول يمضي، وكانت ام كلثوم تبكي فقيل له: ما على أمير المؤمنين من بأس؟ فقال: فأم كلثوم على ماذا تبكي؟ والله ما خانني سيف ولا ضعفت يدي. هـ

قلت: وأخرجه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة، عن محمد بن هارون بن المجدر عن إبراهيم ابن سعيد الجوهري، عن أبي أسامة، وفيه: فجاءت أم كلثوم تبكي وتقول: يا خبيث والله ما ضر أمير المؤمنين. فقال: علام تبكين يا أم كلثوم والله ما خانني سيفي ولا ضعفت يدي.

وقال أبو محمد بن الحسين الآجري في كتاب الشريعة، وأخبرنا أبو محمد يحي بن محمد بن صاعد، حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا أبو أسامة، حدثنا أبو جناب، حدثنا أبو عون الثقفي قال: كنت اقرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وكان الحسن بن علي يقرأ عليه. قال أبو عبد الرحمن فاستعمل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه رجلاً من بني تميم يقال له حبيب بن قرة على السواد، وأمره أن يدخل الكوفة من كان بالسواد من المسلمين، فقلت للحسن بن علي: إن ابن عم لي بالسواد أحب أن يقر بمكانه فقال تغدو على كتابك قد ختم فغدوت عليه من الغد، فإذا الناس يقولون: قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين. فقلت للغلام: أتقربني إلى القصر فدخلت القصر فإذا الحسن بن علي قاعد في المسجد في الحجرة وإذا صوائح فقال: ادن يا أبا عبد الرحمن فجلست إلى جنبه فقال لي: خرجت البارحة وأمير المؤمنين يصلي في هذا المسجد فقال لي: يا بني إني بت الليلة أوقظ أهلي لأنها ليلة الجمعة صبيحة بدر لسبع عشرة من رمضان، فملكتني عيناي فسنح لي رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك الأود واللدد. قال: والأود العوج، واللدد الخصومات، فقال لي: ادع عليهم، فقلت: اللهم ابدلني بهم من هو خير منهم وابدلهم بي شراً. قال: وجاء ابن البناج فآذنه بالصلاة فخرج وخرجت خلفه فاعتوره الرجلان، فأما أحدهما فوقعت ضربته في الطاق، وأما الآخر فاثبتها في رأسه. قال ابن صاعد، قال أبو هشام، قال أبو اسامة: أني لأغار عليه كما يغار الرجل على المرأة الحسناء يعني هذا الحديث لا تحدث به ما دمت حياً. ورواه صاحب نهج البلاغة: فقلت أبدلني بهم خيراً وابدلهم بي شراً لهم مني، ثم قال: وهذا من افصح الكلام.

(وعن شيخ من قريش أن علياً كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال: فزت ورب الكعبة) رواه محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين عن حنش بن موسى قال: أخبرنا أبو الحسن المدائني أخبرني سعيد بن عبد العزيز السلمي قال، قال علي فذكره، وزاد فقال ابن ملجم: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ [البقر: ٢٠٧].

(وعن) أبي جعفر **(محمد بن علي)** بن الحسين بن علي رضي الله عنه **(أنه)** رضي الله عنه **(لما ضرب أوصى بنيه ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض)** رواه ابن أبي الدنيا، عن

ولما ثقل الحسن بن علي رضي الله عنهما دخل عليه الحسين رضي الله عنه فقال: يا أخي لأي شيء تجزع؟ تقدم على رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب وهما أبواك وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أماك، وعلى حمزة وجعفر وهما عماك! قال: يا أخي أقدم على أمر لم أقدم على مثله.

عبدالله بن يونس بن بكير، عن أبيه، عن أبي عبدالله الجعفي، عن جعفر بن محمد بن علي ولم يقل عن أبيه.

وأما وصيته لبنيه فرواها أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن فضيل بن غزوان عن جعفر بن محمد قال: اوصى علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين حضرته الوفاة هذا ما أوصى علي بن أبي طالب: أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له. ثم أني أوصيك يا حسن وجميع أهلي ومن بلغه وفاتي بأن تتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جيعاً، ثم إني أوصيكم بالجار فإن نبي الله ﷺ ما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه. الله الله في القرآن لا يسبق به غيركم. الله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم. الله الله في صيام رمضان فإن الصبر على صيامه نجاة من النار. الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وقولوا للناس حسنا ائتلفوا ولا تختلفوا.

(**ولما ثقل الحسن بن علي رضي الله عنهما**) ذلك من سم سقته زوجته (**دخل عليه**) أخوه (**الحسين رضي الله عنه**) فرآه قد جزع (**فقال: يا أخي لأي شيء تجزع، تقدم على رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب وهما أبواك، وعلى خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أماك، وعلى حمزة وجعفر وهما عماك .قال: يا أخي اقدم على أمر لم أقدم على مثله**). رواه أبو نعيم في الحلية بلفظ: لما اشتد بالحسن بن علي جزع فدخل عليه رجل فقال: يا أبا محمد ما هذا الجزع ما هو إلا أن يفارق روحك جسدك فتقدم على أبويك وفاطمة، وعلى جديك النبي ﷺ وخديجة، وعلى اعمامك حمزة وجعفر، وعلى أخوالك القاسم والطيب وإبراهيم ومطهر، وعلى خالاتك رقية وأم كلثوم وزينب. قال: فسري عنه.

وقال القشيري في الرسالة: لما حضر الحسن بن علي الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: اقدم على سيد لم أره.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثني أحمد بن عبد الجبار، حدثنا سفيان بن عيينة عن رقبة بن مصقلة قال: لما احتضر الحسن بن علي قال: اخرجوا فراشي إلى صحن الدار قال: فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال: إني احتسب نفسي عندك فإنها أعز الأنفس علي.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا أحمد بن الأسود الحنفي، حدثنا محمد بن أبي صفوان الثقفي، قال الأصمعي عن أبي هلال الراسي قال: لما احتضر الحسن بن علي قال: لقد سقيت السم

وعن محمد بن الحسن رضي الله عنهما قال: لما نزل القوم بالحسين رضي الله عنه وأيقن أنهم قاتلوه قام في أصحابه خطيباً! فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قد نزل من الأمر ما ترون! وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الاناء، ألا حسبي من عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله تعالى، وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا جرماً.

ثلاث مرات ما منهن واحدة بلغت مني ما بلغت هذه، لقد تقطعت كبدي. قال: وحدثني هلال ابن العلاء حدثنا عمرو بن عثمان الكلابي، حدثنا عبيد الله بن عمر وقال: نعى الحسن بن علي إلى معاوية وابن عباس ببابه فحجب حتى أخذ الناس مجالسهم، ثم اذن له فقال: أعظم الله أجرك يا ابن عباس. قال: فيمن قال في الحسن بن علي قال: إذا لا يزيد موته في عمرك ولا يدخل عمله عليك في قبرك، وقد فقدنا من هو أعظم منه قدراً وأجل منه أمراً، فاعقب الله عقبى صالحه. وخرج ابن عباس وهو يقول:

أصبح اليوم ابن هند شامتاً ... ظاهر النجوة إن مات حسن
ولقد كان عليه عمره ... مثل رضوى وثبير وحضن
فارتع اليوم ابن هند آمنا ... إنما يقمص بالبعير السمن
واتق الله واظهر توبة ... إنما كان كشيء لم يكن

(وعن محمد بن الحسين) وفي بعض النسخ الحسن **(قال: لما نزل القوم)** وهم عسكر عبيد الله بن زياد **(بالحسين رضي الله عنه)** وذلك بكربلاء **(وايقن أنهم قاتلوه قام في أصحابه خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال: قد نزل من الآمر ما ترون، وأن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وادبر معروفها وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كصبابة الإناء ألا حسبي من عيش كالمرعى الوبيل. ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله تعالى، وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا جرماً)**.

قال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين: حدثنا عبيد الله بن محمد، حدثنا محمد بن خلف، حدثنا نصر بن مزاحم العطار، عن أبي مخنف، حدثني سليمان بن أبي راشد عن حميد بن مسلم قال: سمعت الحسين بن علي رضي الله عنه وقد احاطوا به: اللهم احبس عنهم قطر السماء وامنعهم بركات الأرض وأن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقاً ومزقهم مزقاً واجعلهم طرائق قدداً، ولا ترض عليهم الولاة أبداً فإنهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا وضارب حتى كفهم عنه ثم تعادوا عليه فقتلوه. قال: وحدثنا الكزبراني، حدثنا أبو ربيعة مهد بن عون العامري، حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن قال: لما خرجت جيوش ابن زياد مع عمر بن سعد إلى الحسين رضي الله عنه توجه الحسين رضي الله عنه يريد الشام فلقيه خيولهم فنزل عند كربلاء فناشدهم الله

....

والإسلام أن سيرونا إلى يزيد فاضع يدي في يده، فابوا عليه إلا حكم ابن زياد. قال حصين فحدثني سعد بن عبيدة السلمي قال: إني لأنظر إلى الحسين رضي الله عنه يكلمهم وإني لأنظر إليه وعليه جبة من برود فلما كلمهم انصرف فرماه عمير الطهاوي بسهم فإني لأنظر إلى السهم بين كتفيه متعلقاً في جبته ورجع إلى مصافه وإنهم لقريب من مائة رجل فيهم لصلب علي خمسة، ومن بني هاشم ستة عشر، ومنهم حليف لهم من بني سليم. قال: فحدثني سعد بن عبيدة قال: إنا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد أتاه رجل فسارّه فقال: قد ارسل إليك حوثرة بن بدر التميمي، وأمره ابن زياد إن لم تقاتل يضرب عنقك فوثب إلى فرسه يقاتلهم فجيء برأس الحسين رضي الله عنه إلى ابن زياد فوضع بين يديه فجعل يقول بقضيب معه: أرى أبا عبدالله قد شمط، وانطلق ابنان لعبدالله بن جعفر فلجآ إلى رجل من طيء فذبحها وجاء برؤسهما حتى وضعها بين يدي ابن زياد، فأمر بضرب عنقه وأمر بداره فهدمت قال حصين: لبثوا شهرين أو ثلاثة كأنما يلطخ الحيطان بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع. وقال: حدثنا أبو فروة، حدثنا أبو الجواب، حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن عمرو بن بعجة. قال: أوّل ذل دخل على الإسلام قتل الحسين رضي الله عنه، وادعاء معاوية زياداً.

الباب الخامس
في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين

لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال: اقعدوني، فاقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال: تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط! ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان، وبكى حتى علا بكاؤه وقال: يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل العثرة وأغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق بأحد سواك.

الباب الخامس
في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء الصالحين

(لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال: اقعدوني فاقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال: تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط ألا كان هذا وغصن الشباب نضر ريان وبكى حتى علاه بكاؤه وقال: يا رب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي، اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق بأحد سواك). قال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين: حدثنا أحمد بن الأسود الحنفي، حدثنا العتبي، عن عقبة بن هارون، عن مسلمة بن محارب، عن داود بن أبي هند قال: تمثل معاوية عند موته:

هو الموت لا منجا مـن الموت والذي   نحاذر بعـد الموت أدهـى وأفظـعُ

اللهم فأقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولم يثق إلا بك فإنك واسع المغفرة، يا رب أين لذي خطيئة مهرب إلا إليك. قال داود: فبلغني أن ابن المسيب قـال حين بلغه ذلك: لقد رغب إلى من لا مرغوب إليه مثله كرماً وإني لأرجو له. وقال: حدثنا عبدالله بن الهيثم، حدثنا الوليد بن هشام بن قحذم قال: لما احتضر معاوية جعل بناته يقلبنه وهو يقول: إنكن لتقلبن حوليا قلبياً إن نجا من عذاب الله غداً ثم تمثل:

لا يبعـدن ربيعـة بـن مكـرم   وسقـى الغـوادي قبره بـذنـوب

وقال: حدثنا مسلمة بن عبد الملك بن يزيد، حدثني عمي الوليد بن يزيد قال: لما احتضر معاوية تمثل:

وروي عن شيخ من قريش: أنه دخل مع جماعة عليه في مرضه فرأوا في جلده غضوناً، فحمد عليه وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فهل الدنيا أجمع إلا ما جربنا ورأينا، أما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا وباستلذاذنا بعيشنا، فما لبثتنا الدنيا أن نقضت ذلك منا حالاً بعد حال وعروة بعد عروة، فأصبحت الدنيا وقد وترتنا وأخلقتنا واستلأمت إلينا أف للدنيا من دار، ثم أف لها من دار.

ويروى أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال: أيها الناس إني من زرع قد استحصد وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدي إلا وهو شر مني، كما كان من قبلي خيراً مني! ويا يزيد إذا وفى أجلي فول غسلي رجلاً لبيباً، فإن اللبيب من الله بمكان، فلينعم الغسل وليجهر بالتكبير، ثم أعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي ﷺ وقراضة من شعره وأظفاره فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعيني، واجعل الثوب على جلدي دون أكفاني، ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين، فإذا أدرجتموني في جديدي ووضعتموني في حفرتي فخلوا معاوية وارحم الراحمين. وقال محمد بن عتبة: لما

بكى الحرث الجولان من فقد أهله فحوران منه موحش متضايق

(**وروي عن شيخ من قريش أنه دخل مع جماعة عليه من مرضه**) الذي توفي فيه (**فرأوا في جلده غضوناً**) أي تكسراً (**فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد؛ فهل الدنيا أجمع إلا ما جربنا ورأينا، أما والله لقد استقبلنا زهرتها بجدتنا**) أي بنشاطنا (**وباستلذاذنا بعيشنا فما لبثت الدنيا أن نقضت ذلك منا حالاً بعد حال وعروة بعد عروة فأصبحت الدنيا وقد وترتنا وأخلقتنا واستلأمت إلينا، فأفٍ للدنيا من دار ثم أف لها من دار**) رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين.

(**ويروى أن آخر خطبة خطبها معاوية إذ قال: أيها الناس إني من زرع قد استحصد وإني قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدي إلا وهو من شر مني كما كان من قبلي خيراً مني، ويا يزيد**) يعني ولده (**إذا وفى أجلي فول غسلي رجلاً لبيباً فإن اللبيب من الله بمكان، فلينعم الغسل ويجهر بالتكبير، ثم اعمد**) أي اقصد (**إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي ﷺ وقراضة من شعره وأظفاره، فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعيني واجعل الثوب على جلدي دون أكفاني، ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين، فإذا ادرجتموني في جديدي ووضعتموني في حفرتي فخلوا معاوية وارحم الراحمين**). قال ابن أبي الدنيا: حدثني هارون بن سفيان عن عبدالله السهمي، حدثنا ثمامة بن كلثوم أن معاوية قال: يا يزيد، إذا وفي أجلي فولّ غسلي رجلاً لبيباً فذكره الخ وفيه: فخلوا بين معاوية وارحم الراحمين.

نزل بمعاوية الموت قال: يا ليتني كنت رجلاً من قريش بذي طوى وأني لم أل من هذا الأمر شيئاً.

وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا محمد بن علي بن ميمون العطار، حدثنا أبو طاهر موسى بن محمد بن عطاء المقدسي، حدثنا خالد بن يزيد بن صالح المري، عن يونس بن حليس، عن الضحاك بن قيس قال: شهدت معاوية وهو يموت فقال: لقد أردفني رسول الله ﷺ ثم التفت إليَّ فقال: ألا أكسوك قميصاً؟ قلت: نعم فخلع قيمصه وكساني فلبسته ثم نزعته فدفعته إلى رملة بنت معاوية، وشهدت رسول الله ﷺ وقد قص من شعره وأظفاره فأخذه ودفعه إليَّ فجعلته في صرة وختمت عليه ودفعته إلى رملة ثم قال: إذا مت فاجعلوا قميص الذي كسانيه رسول الله ﷺ مما يلي جلدي، وخذوا أظفاره وشعره فاحشوا بها أنفي وفمي وعيني ثم بكى وبكينا، فلما مات معاوية فعلنا ذلك.

(وقال محمد بن عتبة) القاضي الشامي روى له ابن ماجه: **(لما نزل بمعاوية الموت قال: يا ليتني كنت رجلاً من قريش بذي طوى)** موضع بمكة **(وإني لم أل منّ هذا الأمر شيئاً)**.
رواه ابن أبي الدنيا. وقال محمود بن محمد بن الفضل: حدثنا علي بن عثمان النفيلي، حدثنا أبو مسهر، حدثنا خالد بن يزيد بن صالح بن صبيح المري، حدثني أبي، حدثني سعيد بن حريث قال: لما كانت الغداة التي مات معاوية في ليلتها فزع الناس إلى المسجد ولم يكن خليفة بالشام قبله مات فكنت فيمن أتى المسجد، فلما ارتفع النهار وهم يبكون في الخضراء وابنه يزيد غائب في البرية وهو ولي عهده، وخليفته يومئذ على دمشق الضحاك بن قيس الفهري إذ قعقع باب النحاس الذي يخرج منه إلى المسجد من الخضراء، فزلف الناس إلى المقصورة ودونوت فيمن دنا منهم إليها، فبينا نحن كذلك خرج علينا رجل على يده اليسرى ثياب ملفوفة فإذا هو الضحاك بن قيس الفهري فدنا من المنبر فاتكأ عليه بيده اليسرى ودنا الناس منه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس إني قائل لكم قولاً فرحم الله امرءاً وعى ما سمع مني ولم يزد فيه ولم ينقص، تعلمون أن معاوية كان أحد العرب مكن الله له في البر والبحر، وأذاقكم معه الخفض والطمأنينة ولذاذة العيش، وأهوى بيده إلي فيه وأنه قد هلك رحمة الله عليه وهذه أكفانه على يدي ونحن مدرجوه فيها ودافنوه وإياها ومخلون بينه وبين ربه، ثم هي والله البلايا بعده والملاحم والفتن وما توعدون إلى يوم القيامة، ثم دخل الخضراء ثم خرج لصلاة الظهر فصلى بنا الظهر ثم خرجوا بجنازة معاوية ودفنوه.

ومما يلحق به ولده يزيد وحفيده معاوية بن يزيد قال محمود بن محمد بن الفضل: حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الكزبراني، حدثنا الحسن بن محمد بن أعين، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مروان، عن أبيه قال: قال عامر بن مسعود الجمحي: كنا جلوساً في مجلس عند الكعبة إذ مر يزيد ينعي معاوية فقلت لأصحابي: قوموا بنا إلى ابن عباس وهو يومئذ بمكة وقد كفّ بصره، فنكون أوّل من نخبره ونسمع ما يقول، فأتيناه فاستأذنا عليه فدخلنا فإذا بين يديه خوان عليه الكفرى ولم

ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق يلوي ثوباً بيده ثم يضرب به المغسلة ، فقال عبد الملك : ليتني كنت غسالاً آكل من كسب يدي يوماً بيوم ولم أل من أمر الدنيا شيئاً ، فبلغ ذلك أبا حازم فقال : الحمد لله الذي جعلهم إذا

يوضع الخبر فسلمنا وقلنا : هل أتاك الخبر يا ابن عباس؟ قال: وما هو ؟ قلنا : يزيد ينعي معاوية. فقال: ارفع خوانك يا غلام ثم ظلّ واجماً كئيباً مطاطئاً رأسه لا يتكلم طويلاً ثم رفع رأسه وقال:

جبل تزعزع ثم صال بركنه في البحر لا ارتفعت عليه الأبحرُ

ثم قال: اللهم فإنك أوسع لمعاوية. أما والله ما كان مثل من كان قبله ولا يكون بعده مثله ، وأن ابنه هذا من صالحي أهل بيته لقومه وما نحن وبنو عمنا هؤلاء إلا كعضوي لقمان قتل صاحبنا غيرهم وقتل صاحبهم غيرنا ، فاغروا بنا وأغرينا بهم ، أما والله ما أغراهم بنا إلا أنهم لم يجدوا مثلنا وما أغرانا بهم إلا أنا لم نجد مثلهم، وقد قال الأوّل: ألطمك لأني لم أجد مثلك. فاتقوا الله يا معشر فتيان قريش ولا تقولوا ذهب جد بني أمية ذهب لعمر الله جدهم وبقيت بقية هي أكثر مما مضى ، الزموا منازلكم وأدوا بيعتكم قرِّب خوانك يا غلام فإنا لنتغدى إذ جاء رسول أمير مكة يقول: يدعوك الأمير للبيعة. قال: وما تصنعوا برجل قد ذهب منه ما تخافون قل له افرغ مما عندك فإذا سهل الممشي أتيتك فصنعت ما تريد ، فلما خرج الرسول قلنا : يا ابن عباس أتبايع يزيد وهو يشرب الخمر ؟ فقال: إني قلت لكم آنفاً تسمعون ولا تعون كم من شارب للخمر وشر منه من لا يشرب الخمر ، ستبايعونه على ما أراد حتى يصلب مصلوب قريش، فرجع الرسول فقال: إنه لا بدّ أن تأتيه . قال: يا نوار هاتْ ثيابي إن كان لا بدّ ، وما تصنعون برجل قد ذهب منه ما تخافون امتنعوا مما قد أظلكم صبحكم أو مساكم بذلكم، ثم قام وقمنا معه فأتينا الأمير فبايعه وبايعنا . وقال هشام ابن الكلبي عن عوانة لما احتضر يزيد بن معاوية قال:

لعمري لقد عمرت في الملك برهة ودانت لي الدنيا بوقع البواترِ
فاضحى الذي قد كان قبل يسرني كحمل مضى في المزمنات الغوابرِ
فيا ليتني لم أغهن في الناس ساعة ولم أغن في لذات عيش مفاخرِ
وكنت كذي طمرين عاش ببلغة من العيش حتى صار رهن المقابرِ

وقال الزبير بن بكار : حدثني محمد بن الضحاك بن عثمان ، عن أبيه قال: لما حضرت معاوية بن يزيد الوفاة قيل له: اعهد قال: لا أتزوّد مرارتها واترك لبني أمية حلاوتها وكان ناسكاً وقال: ليتني كنت حِيضة ولم أعلم أن الله عز وجل خلق ناراً يعذب بها من عصاه.

(**ولما حضر عبد الملك بن مروان**) بن الحكم بن أبي العاص الأموي (**الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق يلوي ثوباً بيده ويضرب به المغسلة فقال عبد الملك: ليتني كنت غسالاً آكل كسب يدي يوماً بيوم ولم أل من أمر الدنيا شيئاً ، فبلغ ذلك أبا حازم**) سلمة بن دينار الأعرج المدني التابعي (**فقال: الحمد لله الذي جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه ،**

حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه، وإذا حضرنا الموت لم نتمنَّ ما هم فيه. وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه: كيف تجد يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدني كما قال الله تعالى: ﴿ولقد جئتمُونا فرادى كما خلقناكُم أول مرة وتركتُم ما خوّلناكم وراء ظهوركم﴾ [الأنعام: ٩٤] الآية. ومات.

وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه). رواه أبو الحسن المدائني عن سعيد بن بشير عن أبيه أن عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة قال: اشرفوا بي على الغوطة ففعلوا فرأى غسّالاً يلوي ثوباً فقال: يا ليت أني كنت غسالاً لا أعيش إلا بما كسبت يوماً يوماً، فبلغت كلمة أبا حازم فقال فساقه. **(وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه)** الذي مات فيه: **(كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدني كما قال الله تعالى: ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أوّل مرة وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم﴾ الآية)**. رواه ابن أبي الدنيا. قال صاحب كتاب صفوة التاريخ يقال: هو آخر كلام سمع منه. وقال محمود بن محمد بن الفضل، حدثنا علي بن عثمان النفيلي، حدثنا أبو مسهر، حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: دعا عبد الملك بن مروان بطعامه فوضع بين يديه ثم قال: ائذنوا لابن هاشم خالد بن يزيد بن معاوية. قالوا: أولم يمت؟ قال: ائذنوا لأبي عثمان أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد. قالوا أولـم يمـت؟ قال: ائذنوا لأبي زرعة روح بن زنباع. قالوا: أولـم يمـت؟ وقد علم بموتهم، ولكن أراد أن يتعظ. فقال: ارفعوا الطعام ثم انتحب ملياً وقال:

ذهبت لداتي وانقضت آثارهم ... وغبرت بعدهم ولست بغابرِ
وغبرت بعدهم فاسكن مرة ... بطن العقيق ومرة بالظاهرِ

فلم يحل عليه الحول. وقال أيضاً: حدثنا محمد بن علي بن بكر النحوي، حدثنا عمر بن خالد العثماني، حدثنا شيبة بن الوليد، عن عمه قال: حضرت موت عبد الملك فلما دفناه قام عبد الرحمن بن خالد بن يزيد على قبره فبكى ثم قال: أنت عبد الملك الذي كنت تعدني فأرجوك وتوعدني فأخافك أمسيت ومالك من الأرض العريضة التي ملكتها بالسيف إلا قيس مضجعك، ولا من أموالك التي تملكتها بالغلبة إلا ثوباك إن الذي يغتر بالدنيا بعدك المغرور. وكان الشعبي حاضراً فأعجبه وقال أيضاً، حدثنا عبدالله بن الهيثم، حدثنا الأصمعي قال: أثيرت صخرة أيام عبد الملك فوجدوا عليها مكتوباً:

ومن يحمد الدنيا لأمرٍ يسرّه ... فسوف لعمري عن قليل يلومها
إذا أدبرت كانت عناء وحسرة ... وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

فأخبر بذلك عبد الملك فجعل يبكي. وقال أيضاً: حدثنا عبيد الله بن محمد بن سليمان بن أبي شيخ، حدثنا محمد بن الحكم الشيباني، عن عوانة قال: لما قتل عبد الملك مصعب بن الزبير تلقاه أهل الكوفة بالنخيلة فأقبل على الهيثم بن الأسود وعمرو بن حريث يحدثهما، فجعل عمرو يقول: هذا منزل بناه زياد وهذه مقصورة بناها زياد وهذا بناه المختار فتمثل عبد الملك:

وكل جديد يا أميم إلى البلى ... وكل امرىء يوماً يصير إلى كان

وقال له الهيثم: يا أمير المؤمنين رأيت ابن زياد في هذا المجلس ورأس الحسين بين يديه، ثم رأيت المختار جالساً ورأس ابن زيادة بين يديه، ثم رأيت مصعباً جالساً فيه ورأس المختار بين يديه، وهذا رأس مصعب بين يديك فوجم لها عبد الملك. وقال أبو الحسن المدائني عن أبي زكريا العجلاني: كان عبد الملك يقول: أخاف الموت في شهر رمضان، فيه ولدت وفيه فطمت وفيه ختمت القرآن وفيه بويع لي بالخلافة. فأنا أخاف الموت فيه فما في شوّال حين أمن الموت في نفسه ووثق بالحياة وكان يقول: لله در ابن قمئة حيث يقول:

كأني وقد خلفت سبعين حجة ... خلعت بها عن منكبيّ ردائيا

ويتمثل:

رمتني سهام الدهر من حيث لا أرى ... فكيف بمن يرمي وليس برام
فلو أنها نبل إذاً لاتقيتها ... ولكنما أرمي بغير سهام
فافنى وما أفني من الدهر ليلة ... ولم يغن ما أفنيت سلك نظام

قال له الشعبي: أفلا كما قال لبيد:

باتت تشكي إلى الموت مجهشة ... وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا
فإن تزيدي ثلاثاً تبلغي أملاً ... وفي الثلاث وفاء للثمانينا

ولما بلغ التسعين قال:

كأني وقد خلفت تسعين حجة ... خلعت بها عن منكبيّ ردائيا

فقال عبد الملك فأين قول الذي يقول:

تطارحني يوم جديد وليلة ... هما أبليا عظمي وكل امرىء بالي
وما لليالي لا يغيرن صورتي ... وابلين أعمامي وابلين اخوالي
إذا ما سلخت الشهر أهللت مثله ... كفى قاتلاً سلخ الشهور وإهلالي

وقال محمود بن محمد: حدثني أحمد بن أبي طاهر، حدثنا الزبير بن بكار، حدثني عمي مصعب ومحمد بن الضحاك عن أبيه قال: دخل ارطأة بن سهية المري على عبد الملك فقال له: أنشدني من شعرك فانشده:

رأيت المرء تأكله الليالي ... كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تجد المنية حين تأتي ... على نفس ابن آدم من مزيد
واعلم أنها ستكر حتى ... توفي نذرها بأبي الوليد

فوجم لها عبد الملك وقال له: وما أنت وذكري في شعوك؟ قال: ما أردت والله إلا نفسي يا أمير المؤمنين. أنا أبو الوليد. فقال عبد الملك: إني والله أبو الوليد وجمع أصابعه في صدره. قال الزبير: سرق أرطأة هذا المعنى من زيان بن منظور الفزاري قال زيان:

وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ـ امرأة عمر بن عبد العزيز ـ كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار. فلما كان

لئن فجعت بالقرناء يوماً ... لقد متعت بالأمل البعيدِ
وما عند المنية فوق نفسي ... ولا نفس الأحبة من مزيد
خلقنا أنفساً وبني نفوس ... ولسنا بالجبال ولا الحديدِ

وقال محمود: حدثنا ابن الهيثم قال، قال العتبي: لما احتضر عبد الملك بن مروان تبطح على فراشه ثم قال: يا دنيا ما أطيب روحك ونسيمك، يا أهل العافية لا تستقلوا شيئاً منها حتى سمع كلامه من كان خارج القصر ثم أنشد:

ومن يبق ما لا عدة وصيانة ... فلا الشح يبقيه ولا الدهر وافرُه
ومن يك ذا عودٍ صليب يعده ... ليكسر عود الدهر فالدهر كاسرُه

ومما يلحق به سليمان بن عبد الملك بن مروان قال الواقدي: حدثنا داود بن خالد، عن سهيل ابن أبي سهيل وكان خيار أغزاء عن رجاء بن حيوة قال: دخلت على سليمان بن عبد الملك وقد احتضر، فوجدته قد ثقل واخذته غشية فحرفته إلى القبلة فأفاق فقال: يا رجاء لم يأن لذلك بعد، ثم كانت ثانية فذهبت لأحرفه فقال: يا رجاء لم يأن لذلك بعد، ثم أغمي عليه ثالثة فقال: يا رجاء إن كنت تريد أن تحرفني إلى القبلة فمن الآن. اللهم تجاوز عن ذنوبي فإني أشهد أن لا إله إلا أنت ثم مات.

وقال أبو الحسن المدائني، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: لما احتضر سليمان بن عبد الملك قال:

إني بني صبية صغارُ ... أفلح من كان له كبارُ

فقال له عمر بن عبد العزيز: ﴿أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥] فقال سليمان:

إن بني صبية صيفيون ... أفلح من كان له ربعيون
إن بني صبية أطفالُ ... أفلح من كان له رجال

فقال عمر: ﴿أفلح المؤمنون﴾ وتلا الآيات. فقال سليمان: اللهم اسألك منقلباً كريماً ثم قضى. وقال محمود بن محمد، حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا عبدالله بن هانيء، حدثنا ضمرة عن ابن شوذب قال: خطب سليمان بن عبد الملك بدابق فقال في خطبته: لست بضرع صغير ولاهمّ كبير قد سسنا وساسنا السائسون، ثم نزل فما أتت عليه جمعة حتى مات.

(وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز) وابنة عمه: **(كنت أسمع عمر)** رحمه الله تعالى: **(في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم اخف عليهم**

اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده، فجلست في بيت آخر - بيني وبينه باب وهو في قبة له - فسمعته يقول: ﴿تلكَ الدارُ الآخرة نجعلُها للذين لا يريدون عُلواً في الأرض ولا فساداً والعاقبةُ للمتقين﴾ [القصص: ٨٣] ثم هدأ فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاماً فقلت لوصيف له: انظر أنائـم هو؟ فلما دخل صاح، فوثبت فإذا هو ميت. وقيل له لما حضره الموت: إعهد يا أمير المؤمنين! قال: احذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه.

وروي أنه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي له طبيب فلما نظر إليه قال: أرى الرجل قد سقي السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال: ولا تأمن الموت أيضاً على من لم يسق السم! قال الطبيب: هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال: فتعالج يا أمير المؤمنين فإني أخاف الله أن تذهب نفسك، قال: ربي خير مذهوب إليه، والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي

موتي ولو ساعة من نهار، فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو في قبة له فسمعته يقول: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ ثم هدأ) أي سكن صوته **(فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاماً، فقلت لـوصيف له: انظر أنائم هو، فلما دخل صاح فوثبت فإذا هو ميت)** رواه أبو نعيم في الحلية قال: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا أبو كريب، حدثنا ابن المبارك، عن جرير بن حازم عن المغيرة بن حكيم قال: حدثتني فاطمة امرأة عمر قالت: كنت أسمع عمر كثيراً يقول: اللهم أخف عنهم موتي ولو ساعة، فقلت له يوماً: لو خرجت عنك فقد سهرت يا أمير المؤمنين لعلك تغفى، فخرجت إلى جانب البيت الذي كان فيه، فسمعته يقول: ﴿تلك الدار الآخرة﴾ الآية فجعل يرددها ثم أطرق فلبث ساعة ثم قلت لـوصيف له كان يخدمه: ادخل فانظر، قال: فدخل فصاح فدخلت فإذا هو قد أقبل بوجهه إلى القبلة وغمض عينيه بإحدى يديه وضم فاه بالأخرى.

(وقيل له لما حضره الموت: إعهد يا أمير المؤمنين. قال: أحذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين.

(وروي أنه لما ثقل عمر بن العزيز) رحمه الله تعالى **(دعي له طبيب فلما نظر إليه قال الرجل: قد سقي السم ولا آمن عليه الموت، فرفع عمر)** رحمه الله تعالى **(بصره وقال: ولا تأمن الموت أيضاً على من لم يسق السم. قال الطبيب: هل حسست بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم عرفت ذلك حين وقع في بطني. قال: فتعالج يا أمير المؤمنين فإني أخاف أن تذهب نفسك. قال: ربي خير مذهوب إليه والله لو عمت أن شفائي عند شحمة أذني ما**

إلى أذني فتناولته. اللهم خر لعمر في لقائك. فلم يلبث إلا أياماً حتى مات وقيل: لما حضرته الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر فقد أحيا الله بك سنناً وأظهر بك عدلاً! فبكى ثم قال: أليس أوقف فأسأل عن أمر هذا الخلق، فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله إلا أن يلقنها الله حجتها، فكيف بكثير مما ضيعنا؟ وفاضت عيناه، فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات، ولما قرب وقت موته قال: أجلسوني! فأجلسوه فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت - ثلاث مرات - ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحدّ النظر فقيل له في ذلك فقال: إني لأرى خضرة، ما هم بإنس ولا جن ثم قبض رحمه الله.

رفعت يدي إلى أذني فتناولته. اللهم خر لعمر في لقائك فلم يلبث إلا أياماً حتى مات) رواه ابن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين، حدثنا هشام بن عبدالله الرازي، حدثنا أبو زيد الدمشقي قال: لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعي إليه طبيب فساق. ورواه ابن الجوزي في كتاب الثبات من طريقه.

(وقيل لما حضرته الوفاة بكى فقيل: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر فقد أحيا الله بك سنناً وأظهر بك عدلاً فبكي ثم قال: أليس أوقف فاسأل عن أمر هذا الخلق، فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسي أن لا تقوم بحجتها بين يدي الله إلا أن يلقنها الله حجتها فكيف بكثير مما صنعنا، وفاضت عيناه فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات). وقال محمود بن محمد ابن الفضل: حدثنا الميموني، حدثني عبدالله بن كريم، عن أبي المليح، عن ميمون بن مهران قال: كان أكثر دعاء عمر بن عبد العزيز بالموت، فقلت له: لا تفعل فقد أحيا الله بك سنناً وأمات بك بدعاً. فقال: ألا أكون كالعبد الصالح حين جمع الله شمله وأقر عينه قال: ﴿رب توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ [يوسف: ١٠١].

قال الميموني: وحدثني أبي عن عمه عمر وعن أبيه ميمون قال: رأيت عمر بن عبد العزيز في مرضه وأكثر دعائه الموت فساقه نحوه وزاد: فلما حضره الموت قال له مسلمة بن عبد الملك: يا أمير المؤمنين إنا لا نصيب لك بدينارين إلا كفنا غليظاً فازدد على ذلك. فقال: جئني به يا مسلمة فنظر إليه ساعة ثم قال: إن يكن عند ربي خير فلن يرضى لي به حتى يبدلني خيراً منه وإن كان علي ساخطاً فأوشك أن يسلبه أعنف السلب ثم مالي كسوة إلا النار أعوذ بالله من سوء القضاء.

(ولما قرب وقت موته قال: اجلسوني فأجلسوه فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات، لا إله إلا الله ثم رفع رأسه فأحد النظر فقيل له في ذلك. فقال: إني لأرى خضرة ما هم ناس ولا جن قبض). رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا عباس بن أبي طالب، حدثنا الحرب بن بهرام، حدثنا النضر، حدثني الليث بن أبي رقية قال: لما كان عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي فيه قال: أجلسوني فأجلسوه فساقه إلا أنه لم يقل ثلاث مرات.

....

ورواه محمود بن محمد في كتاب المتفجعين، عن محمد بن جبلة، حدثنا يحي بن بكير، حدثنا الليث قال: بلغني أن عمر بن عبد العزيز حين احتضر قال لمن عنده: أخرجوا عني فإني أرى وجوهاً ليست بوجوه جن ولا إنس فخرجوا فسمعوه يقول: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها﴾ الآية. ثم دخلوا فوجدوه مغمض العينين مسجى موجهاً.

ورواه ابن الجوزي في كتاب الثبات فقال: أخبرنا محمد بن الحسين الحاجي، أخبرنا أبو الحسين ابن المهتدي، أنبأنا أبو أحمد محمد بن عبدالله بن جامع، أنبأنا محمد بن سعيد الحراني، حدثنا هلال ابن العلاء، حدثني أبي، حدثنا عبد الرحمن بن عون الرقي، عن عبيدة بن حسان قال: لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال: أخرجوا عني فلا يبقى عندي أحد فخرجوا فقعدوا على الباب فسمعوه يقول: مرحباً بهذه الوجوه ليست بوجوه إنس ولا جان، ثم قال: ﴿تلك الدار الآخرة﴾ الآية. ثم هدأ الصوت فقال مسلمة لفاطمة قد قبض صاحبك فوجدوه قد قبض وغمض وسوى.

وقال: حدثنا الميموني حدثنا يحي بن بكير، حدثنا الليث، حدثني فضالة بن أبي سعيد قال: سمعت عمر بن عبد العزيز على المنبر يقول: يا أهل الشام إنه قد بلغني عنكم أحاديث وما أنا بالراجي لخيركم ولا بالآمن لشركم، ولقد مللتموني ومللتكم فأراحكم الله مني وأراحني منكم، ثم نزل عن المنبر فما علاه حتى مات. قال: وحدثني الميموني، حدثنا الواقدي، حدثني محمد بن سلمة، عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد القاري أن عمر بن عبد العزيز أوصى بشعر من شعر رسول الله ﷺ وأظفار من أظفاره أن يجعل في كفنه ففعلوا. قال الميموني: حدثني عبدالله بن كريم، عن أبي المليح قال: أراد أهله أن يأخذوا ماءه ليروه الياذدق الطبيب فأبى عليهم حتى أخذوه في طست ثم جعل في زجاجة فأتوا به الياذدق وهو لا يعرفه وقد غدا الناس عليه بمياه مرضاهم، فجعل يصف لكل إنسان ما يعالج به، فلما نظر إلى ماء عمر قال: سبحان الله يا غلام إن في هذا الماء لعجباً هذا ماء رجل نقب الحزن عن كبده. قال محمد بن محمد: وحدثنا محمد بن جبلة، حدثنا يحي بن بكير، حدثنا الليث عن يحي بن سعيد قال: كان من دعاء عمر بن عبد العزيز: رب رضني بقضائك وبارك لي في قدرك حتى لا أحب لما عجلت تأخيراً ولا لما أخرت تعجيلاً حتى مات، وأنه ليقول: لقد أصبحت ومالي في الأمور هواء إلا مواقع قضاء الله فيها.

ومما يلحق به جماعة من هذا البيت. قال محمود بن محمد: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا ابن عائشة أن هشام بن عبد الملك لما احتضر نظر إلى أهله وحشمه يبكون عليه فقال لهم: جادلكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء فترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما احتمل، ما أعظم منقلبك يا هشام إن لم يغفر لك ربك الغفور الرحيم.

وقال أبو الحسن المدائني، عن عمرو بن مروان قال: لما أحيط بالوليد بن يزيد وعلم أنه مقتول وضع المصحف في حجره وقال: يوم كيوم عثمان فقتلوه واحترزوا رأيه.

قال: وحدثني عالية لسوداء عن فاطمة بنت عبد الملك قالت: دخلت على يزيد بن الوليد وهو

يموت فسألته عن وجعه فأومأ إلي أرنبته فقلت: يا يزيد الحق من ربك فلا تكن من الممترين، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فكان آخر ما كلمني به حتى فارق الدنيا.

قال محمود: وحدثنا الحسن بن بشر بن الأخنس الأسدي عن عبد الصمد عن عبيد بن الضحضح الأسدي قال: كنت مع مروان بن محمد ببوصير حين لحقته خيول المسودة فدعوه بالأمان فلم يقبل وشد عليه ثوبه وجعل يحمل وهو يقول:

أذل الحياة وهول الممات ... وكلا أراه وخيماً وبيلا
فإن كان لا بد إحداهما ... فسيري إلى الموت سيراً جميلا

إلى أن قتل. قتله رجل من أهل الكوفة يقال له أبو رمانة، وعلى الجيش عامر بن إسماعيل المسلي مضت بنو أمية.

وشرع المصنف في بني العباس، قال أبو الحسن المدائني، عن بكر بن عبدالله قال: دخلت على أمير المؤمنين أبي العباس فلقيني الطبيب فقال: أصبح أمير المؤمنين صالحاً، فقلت: يا أمير المؤمنين قد بشرني الطبيب بصلاحك. فقال: كيف يكون صالحاً من هذا حاله ورفع يده اليمنى بيده اليسرى فتناثر لحمها على النطع قال وجعل يقول: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع يحيى بن محمد بأهل الموصل، ومما صنع عبدالله بن علي بنهرابي نطرس، ومما صنع داود بن علي بكداء والطائف.

وقال محمود بن محمد بن الفضل: حدثنا محمد بن موسى بن داود العمي، حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي، حدثني أبي قال: شهدت موت أبي جعفر المنصور فدخلت عليه أنا ومحمد بن عون بن عبيدالله بن الحرث بن نوفل فوجدناه قلقاً وقال: إذا كان غداً نقلني الفراشون نحو الطائف فما أحب أن أقيم عليلاً في الحرم كأنه استوبأها ورجا إن نقلته تكسبه عافية، ثم غدونا عليه فإنا لوقوف على بابه إذ خرج أبو العنبر الخادم وجيبه مشقوق وعلى رأسه التراب وهاج، فدخلنا فإذا هو على سريره مكشوف الوجه فدفناه ببئر ميمون.

وقال محمد بن موسى العمي، حدثني علي بن محمد العمي، حدثني أبي قال: شهدت موت المنصور فقال له عيسى بن ماهان جد ربيعة: إعهد لابنك المهدي، فقال: تريدوني على مثل ما عمل عبد الملك بن مروان حسبي ما جنيت على نفسي ويكفيني ما تقلدت من هذا الأمر وما في عنقي ثم مات.

وقال العمي، عن عبيدالله بن سعد، عن صالح صاحب المصلى، عن علي بن يقطين قال: تغدينا مع المهدي في وقت الضحى ثم نهض إلى رواق فنام فيه وتنحينا فنمنا فانتبهنا ببكائه، فدخلنا فزعين وسألناه عن ذلك قال: قام على باب البهو شيخ لو كان بين ألف إنسان عرفته فقال:

كأني بهذا البهو قد باد أهله ... وأوحش منه ركنه ومنازله
وصار عميد القصر من بعد بهجة ... وملك إلى رس عليه جنادله
فلم يبق إلا ذكره وحديثه ... تنادي بليل معولات ثواكله

وحكي عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ويقول: ﴿مَا أغنَى عَنِّي مَاليه ★ هَلَكَ عَنِّي سُلطانيه﴾ [الحاقة: ٢٨ - ٢٩] وفرش

قال: فسليناه فلم يلبث إلا قليلاً حتى خرج للصيد فاتبع طريدة فسقط وأقبل فرسه عائداً، فنظرناه فإذا هو ميت.

وقال صاحب صفوة التاريخ: كان سبب موت المهدي فيما حكي أن جارية حسناء أهدت إلى طلة ضرتها جاماً فيه قطائف مسمومة فمر بالجام عليه فدعا بها فأخذ قطيفة فعضها وابتلع منها لقمة ثم ردها وقال: احذروا أن تأكلوا منه شيئاً فإنه مسموم ودعا بكلب فأطعمه باقي القطيفة التي أكل منها فمات الكلب من ساعته فاشير على المهدي أن يشرب من السمن ما أمكنه ويتقيأ ففعل وسكن عنه بلا قذف بعض ما كان يجده، وصلى بأصحابه الظهر والعصر والمغرب والعشاء الأخيرة، ثم التفت إليهم فقال: استودعكم الله إليه أرغب في حسن الخلافة عليكم وأعظم الله أجركم في خليفتكم، فارتاعوا لذلك وقالوا: نرجو أن يكون يومنا قبل يومك، فقال: حدثني المنصور أن أباه محمد بن علي حدثه عن أبيه عن عبدالله بن عباس أنه لما نزلت سورة ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ قال رسول الله ﷺ: «نعيت إلي نفسي» قال المهدي: فكنت منذ سمعت هذا الحديث أتجنب قراءة هذه السورة في العلة، فلما بليت في يومي هذا بأكل هذا الطعام، ثم صليت بكم الظهر فأنسيت جميع ما أنزل الله بعد أم الكتاب خلا هذه السورة فقرأتها وتطيرت، ثم صليت الركعة الثانية فوالله ما انطلق لساني بغيرها، ثم كانت حالي في العصر والمغرب والعشاء مثل حالي في الظهر، فقلت: إن نفسي قد نعيت إلي، فلما انتصف الليل مات.

(وحكي عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت وكان ينظر إليها ويقول: ﴿ما أغنى عني ماليه★ هلك عني سلطانيه﴾) وكانت وفاته بطوس سنة ١٩٣. وروى علي بن محمد النوفلي عن أبي جامع المروزي عن أبيه قال: كنت فيمن جاء بأخي رافع بن الليث إلى الرشيد فأدخلناه إليه وهو على سريره والمرآة في يده وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون ما أشد ما قد أثرت في العلة، ثم نظر إلى أخي رافع فقال: لأرجو كما لم تفتني أن لا يفوتني أخوك، والله لو لم يبق من أجلي إلا أن أحرك شفتي بقتلك لقلت اقتلوه، ثم دعا بقصاب فقال: لا تشحذ مداك وفصله عضواً عضواً وعجل لا يحضرني أجلي وعضو من أعضائه في جسده ففصله حتى جعله أشلاً، ثم قال: أعدد ما فصلت منه، فإذا أربعة عشر عضواً فرفع يديه فقال: اللهم كما أمكنتني من ثأرك فمكني من أخيه ثم مات بعد ساعة.

وقال العمي: حدثني كهلان عن أبي الخطاب قال: أخبرني من شهد موت الرشيد قال: لما اشتد به الوجع قال لعمر بن سادر: أخرج إلى العراق وامض منها إلى الأهواز فاقتض أموال جبريل بن بختيشوع، ومال فرج الزخجي، ومال هارون بن أبان فأرجو أن يكون عوضاً من الأموال التي أنفقناه في سفرنا هذا، واعلم أني في أثرك لا بد لي من أن أنحدر إلى البصرة فاطلب أحمد بن عيسى

المأمون رماداً واضطجع عليه وكان يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه.

وكان المعتصم يقول عند موته: لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت.

وكان المنتصر يضطرب على نفسه عند موته فقيل له: لا بأس عليك يا أمير المؤمنين. فقال: ليس إلا هذا، لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة.

وقال عمرو بن العاص عند الوفاة ـ وقد نظر إلى صناديق لبنيه: من يأخذها بما فيها ليته كان بعراً.

وقال الحجاج عند موته: اللهم اغفر لي فإن الناس يقولون إنك لا تغفر لي. فكان

الطالبي فاقتله، ثم أعبر إلى عمان فأطلب بدم عيسى بن جعفر بن سليمان فإنه لم يطل دم رجل من أهل البيت قط ومات بعد أربع ليال.

(**وفرش**) عبدالله (**المأمون**) بن الرشيد (**رماداً واضطجع عليه وكان يقول: يا من لا يزول ملكه إرحم من قد زال ملكه**) وكانت وفاته سنة ٢١٩.

(**وكان المعتصم**) بالله أبو إسحاق محمد بن هارون (**يقول عند موته: لو علمت أن عمري هكذا قصير ما فعلت ما فعلت**)، وكان قد استخلف عند موت أخيه المأمون وتوفي سنة ٢٢٧. وكانت خلافته تسع سنين وعمره ثمانية وأربعون سنة.

(**وكان المنتصر**) بالله أبو جعفر محمد بن المتوكل أبي الفضل جعفر بن المعتصم (**يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا بأس عليك يا أمير المؤمنين. فقال: ليس إلا هذا لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة**) وكانت ولايته في الليلة التي قتل فيها أبوه المتوكل ووفاته سنة ٢٤٨ ومدة خلافته ستة أشهر.

(**وقال عمرو بن العاص**) رضي الله عنه (**عند الوفاة وقد نظر إلى صناديق لبنيه: من يأخذها بما فيها ليته كان بعراً**) رواه هشام بن الكلبي عن صالح بن كيسان. وقال أبو الحسن المدائني أخبرني إسحاق بن أيوب قال: لما حضر عبدالله بن عبد الملك بشر بمجيء مال له كان بمصر فقال: مالي وله ليته كان بعراً حائلاً بنجد.

(**وقال الحجاج**) بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي (**عند موته: اللهم أغفر لي فإن الناس يقولون إنك لا تغفر لي**) وهذا لما كان فيه من سوء السيرة وثقل الوطأة وقبح السياسة وعسف الرعية والتهاون بالدماء وشدة الإقدام على سفكها على ما قد عرف وشهر، وأحصي من قتل صبراً سوى من قتل في عساكره وبعوثه فوجدوا مائة وخمسين ألفاً، ومات في حبسه خمسون ألفاً من الرجال، وثلاثون ألفاً من النساء، وكان حبسه فضاء مكشوفاً ليس فيه سقف يظل ولا شيء يستر

عمر بن عبد العزيز تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها، ولما حكي ذلك للحسن قال: أقالها؟ قيل: نعم، قال: عسى.

بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوّف رضي الله عنهم أجمعين:

لما حضر معاذاً رضي الله عنه الوفاة قال: اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار ولا

من شمس ولا مطر ولا حر ولا قر، وكان هلاكه لأربع بقين من رمضان سنة ١٩٥ من ثلاث وخمسين سنة بواسط، ولما أتى الوليد بن عبد الملك نعيه وجم لذلك وقال: يرحمك الله أبا محمد والله لأشفعن لك عند الله يوم القيامة، **(فكان عمر بن عبد العزيز)** رحمه الله **(تعجبه هذه الكلمة منه ويغبطه عليها)** رواه أبو نعيم في الحلية. **(ولما حكي ذلك للحسن)** البصري رحمه الله تعالى **(قال: أقالها؟ قيل: نعم. قال: عسى)**. أي أن يغفر له أي نظراً إلى حسن ظنه بالله عز وجل.

قال محمود بن محمد بن الفضل: حدثنا عبيدالله محمد، حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا الماجشون عن الزهري قال: قال عمر بن عبد العزيز، ما أساء إلا على كلمة بلغني أن الحجاج قالها عند موته: اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تغفر لي. قال: وحدثنا علي بن عثمان النوفلي، حدثنا أبو مسهر، حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: قال عمر بن عبد العزيز: ما حسدت أحداً على شيء قط إلا الحجاج حسدته على اثنتين: حبه للقرآن وإعطائه عليه، وقوله عند موته: اللهم إن الناس يزعمون أنك لا تغفر لي فاغفر لي قال: وأخبرنا حبش بن موسى، أخبرنا المدائني عن جويرية أن الحجاج قال عند الموت: اللهم اغفر لي فإن هؤلاء يزعمون أنك لا تغفر لي. فبلغت الحسن كلمته قال: أو قالها؟ قالوا: نعم قال: عسى. قال: وحدثنا عبدالله بن الهيثم قال: أخبرنا الوليد بن هشام قال: لما احتضر الحجاج جعل يقول: لئن كنت على ضلالة لبئس حين المنزع ولئن كنت على هدى لنعم حين المجزع.

بيان أقاويل جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف:

رضي الله عنهم أجمعين. ذكر فيه من الصحابة معاذاً وسلمان وبلالاً رضي الله عنهم، ونحن نزيد بعون الله تعالى ما وصل إلينا من غيرهم قال:

(لما حضر معاذاً) بن جبل رضي الله عنه **(الوفاة قال: اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك. اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار)**

لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر . ولما اشتد به النزع ونزع نزعاً لم ينزعه أحد كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب اخنقني خنقك فوعزتك إنك تعلم أن قلبي يحبك .

كذا في النسخ ، وفي بعضها لكري الأنهار أي حفرها وإجرائها **(ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر)** . رواه أحمد في الزهد فقال : حدثنا شجاع بن الوليد ، عن عمرو بن قيس عمن حدثه عن معاذ بن جبل قال لما حضره الموت : أنظروا أصبحنا ؟ فأتي فقيل له : لم تصبح . فقال : انظروا أصبحنا ؟ فأتي فقيل له : لم تصبح حتى أتي في بعض ذلك فقيل له : قد أصبحت ، فقال : أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار ، مرحباً بالموت مرحباً زائر مغب حبيب جاء على فاقة . اللهم إني قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك فذكره . ورواه أبو نعيم في الحلية وابن الجوزي في كتاب الثبات من هذا الوجه .

(ولما اشتد به النزع ونزع نزعاً لم ينزعه أحد ، فكان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال : رب اخنقني خنقك فوعزتك انك تعلم أن قلبي يحبك) رواه أبو نعيم في الحلية قال : حدثنا أبو جعفر اليقطيني ، حدثنا الحسين بن عبدالله القطان ، حدثنا عامر بن سيار ، حدثنا عبد الحميد ابن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم ، عن الحرث بن عميرة قال ، قال معاذ حين طعن واشتد به النزع نزع الموت فنزع نزعاً لم ينزعه أحد فكان كلما أفاق فذكره .

ورواه ابن أبي الدنيا ، عن محمد بن الحسين ، حدثنا عبيدالله بن موسى ، حدثنا شيبان عن الأعمش ، عن شهر بن حوشب ، عن الحرث بن عميرة الزبيدي قال : إني لجالس عند معاذ بن جبل وهو يموت فهو يغمى عليه مرة ويفيق فسمعته يقول عند إفاقته : أخنق خنقك فوعزتك إني أحبك . ورواه ابن الجوزي من طريقه .

وقال ابن سعد في الطبقات : أخبرنا عبيدالله بن موسى ، أخبرنا موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد ، عن عبدالله بن رافع قال : لما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس استخلف معاذ بن جبل واشتد الوجع فقال الناس لمعاذ : ادع الله يرفع عنا هذا الرجز . قال : إنه ليس برجز ولكنه دعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم وشهادة يختص الله بها من شاء منكم . اللهم آت آل معاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة فطعن ابناه فقال : كيف تجدانكما . قالا : يا أبانا الحق من ربك فلا تكونن من الممترين فقال : وأنا ستجداني إن شاء الله من الصابرين ، ثم طعنت امرأته فهلكت وطعن هو في إبهامه فجعل يمسها بفيه ويقول : إنها صغيرة فبارك فيها فإنك تبارك في الصغير حتى هلك .

ورواه أبو نعيم بالسند السابق من طريق الحرث بن عميرة قال : طعن معاذ وأبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة وأبو مالك الأشعري في يوم واحد ، فقال معاذ إنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وقبض الصالحين قبلكم . اللهم آت آل معاذ النصيب الأوفر من هذه الرحمة ، فما أمسى حتى طعن ابنه عبد الرحمن بكره الذي كان يكنى به وأحب الخلق إليه ، فرجع من المسجد فوجده مكروباً

ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً على الدنيا، ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب. فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهماً.

فقال: يا عبد الرحمن كيف أنت؟ فاستجاب له. فقال: يا أبت الحق من ربك فلا تكن من الممترين، فقال معاذ: وأنا إن شاء الله ستجدني من الصابرين فأمسكه ليلة ثم دفنه من الغد.

(ولما حضرت سلمان) رضي الله عنه **(الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي جزعاً على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ «أن يكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب» فلما مات سلمان نظر في جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهماً)**. قال العراقي: رواه أحمد والحاكم وصححه وقد تقدم اهـ.

قلت: رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا محمد بن شعيب التاجر، حدثنا محمد بن عيسى الدامغاني، حدثنا جرير عن الأعمش، عن أبي سفيان عن جابر قال: دخل سعد على سلمان يعوده فقال: ابشر أبا عبدالله توفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض. قال: كيف يا سعد، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لتكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب» كذا رواه الدامغاني عن جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر.

وقال معاوية وغيره عن الأعمش عن أبي سفيان عن أشياخه، حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا عبدالله بن شبرويه، حدثنا إسحاق بن راهويه، أخبرنا معاوية، حدثنا الأعمش عن أبي سفيان، عن أشياخه أن سعد بن أبي وقاص دخل على سلمان يعوده فبكى سلمان فقال له سعد: ما يبكيك تلقى أصحابك وترد على رسول الله ﷺ الحوض، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض. فقال: ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا، ولكن رسول الله عهد إلينا فقال: «ليكن بلغة أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب» وهذه الأساود حولي وإنما حوله مطهرة أو إجانة ونحوها، فقال له سعد: إعهد إلينا عهداً نأخذ به بعدك. فقال: أذكر ربك عند همك إذا هممت وعند حكمك إذا حكمت وعند برك إذا أقسمت. رواه مورق العجلي والحسن البصري وسعيد بن المسيب وعامر بن عبدالله عن سلمان.

حدثنا أبي، حدثنا زكريا الساجي، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، عن حبيب عن الحسن وحميد عن مورق العجلي أن سلمان لما حضرته الوفاة بكى فقيل: ما يبكيك؟ فقال عهد عهده إلينا رسول الله ﷺ فقال: «ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب» قالا: فلما مات نظروا في بيته فلم يروا إلا إكافاً ووطاء ومتاع قوم نحواً من عشرين درهماً.

وممن رواه عن الحسن السري بن يحيى، والربيع بن صبيح، والفضل بن دلهم، ومنصور بن زاذان وغيرهم عن الحسن. حدثنا أبو محمد بن الحسن بن كوثر، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا عبد الصمد بن حسان، حدثني السري بن يحيى، عن الحسن قال: لما حضر سلمان الوفاة جعل يبكي

فقيل له: يا أبا عبدالله ما يبكيك؟ أليس فارقت رسول الله ﷺ وهو عنك راض؟ فقال: والله ما بي جزع الموت ولكن رسول الله عهد إلينا عهداً ليكن متاع أحدكم من الدنيا كزاد الراكب.

وحديث سعيد بن المسيب حدثناه أبي، حدثنا زكريا الساجي، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب أن سعد بن مالك وعبدالله بن مسعود دخلا على سلمان يعودانه فبكى فقالا: ما يبكيك أبا عبدالله؟ فقال: عهد عهده إلينا رسول الله ﷺ فلم يحفظه أحد منا قال: «ليكن بلاغ أحدكم كزاد الراكب».

وحديث عامر بن عبدالله، حدثناه أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا حرملة بن يحيى، حدثنا ابن وهب قال: أخبرني أبو هانىء، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عامر ابن عبدالله، عن سلمان الخير أنه حين حضره الموت عرفنا به بعض الجزع فقالوا: ما يجزعك أبا عبدالله وقد كان لك سابقة في الخير؟ شهدت مع رسول الله ﷺ مغازي حسنة وفتوحاً عظاماً. فقال: يجزعني أن حبيبي محمداً ﷺ عهد إلينا حين فارقنا فقال: «ليكف المؤمن كزاد الراكب» فهذا الذي أحزنني. قال: فجمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر ديناراً. قال عبدالله بن عامر: ديناراً، واتفق الباقون على بضعة عشر درهماً.

ورواه أنس بن مالك، عن سلمان حدثناه عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا أحمد بن عمرو البزار، حدثنا الحسن بن أبي الربيع الجرجاني، حدثناعبد الرزاق، حدثنا جعفر بن سلمان، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: دخلت على سلمان فقلت: لم تبكي؟ فقال: إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً أن يكون زادك في الدنيا كزاد الراكب إلى هنا سياق الحلية.

وروى الطبراني من طريق علي بن بذيمة قال: بيع متاع سلمان فبلغ أربعة عشر درهماً.

وقال صاحب الحلية: حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن، حدثنا علي بن حجر، حدثنا حماد بن عمر عن سعيد بن معروف عن سعيد بن سوقة قال: دخلنا على سلمان الفارسي نعوده وهو مبطون فأطلنا الجلوس عنده فشق عليه، فقال لامرأته: ما فعلت بالمسك الذي جئنا به من بلنجر؟ فقالت: هوذا. قال: ألقيه في الماء ثم أضربي بعضه ببعض ثم أنضحي حول فراشي فإنه الآن يأتيني قوم ليسوا بإنس ولا جن ففعلت وخرجنا، ثم أتينا فوجدناه قد قبض.

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا عبدالله بن موسى، حدثنا شيبان عن فراس عن الشعبي قال: حدثتني الجزل عن امرأة سلمان بقيرة قالت: لما حضر سلمان الموت دعاني وهو في علية لها أربعة أبواب فقال: افتحي هذه الأبواب يا بقيرة فإن لي اليوم زواراً لا أدري من أي هذه الأبواب يدخلون علي، ثم دعا بمسك له ثم قال: أذيبيه في نور ففعلت، ثم قال: أنضحيه حول فراشي، ثم انزلي فامكثي فسوف تطلعين فتريني على فراشي فاطلعت فإذا هو قد أخذ روحه فكأنه نائم على فراشه أو نحواً من هذا.

ولما حضر بلالاً الوفاة قالت امرأته: واحزناه! فقال: بل واطرباه! غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه.

(ولما حضر بلالاً) رضي الله عنه **(الوفاة)** وذلك بداريا من دمشق **(قالت امرأته: واحزناه! قال)** بلال: **(بل واطرباه غداً نلقى الأحبة: محمداً وحزبه)** رواه ابن أبي الدنيا فقال: حدثنا أبو الحسن علي بن محمد، حدثنا أبو مسهر، حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال: بلال حين حضرته الوفاة: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه. قال تقول امرأته: واويلاه! قال: يقول هو وافرحاه.

قلت: سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي روى له مسلم والأربعة، وقد أسند عن عدة من التابعين.

ونذكر هنا بعض الصحابة الذين أقاويلهم على شرط المصنف: ★ عامر بن فهيرة رضي الله عنه: قال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا محمد بن عمر عمن سمى من رجاله أن جبار بن سلمى طعن عامر ابن فهيرة يوم بئر معونة فأنفذه، فقال عامر: فزت ورب الكعبة.

★ عمار بن ياسر رضي الله عنه: قال الطبراني: حدثنا الحسن بن علي المعمري، حدثنا محمد بن سليمان بن أبي رجاء، حدثنا أبو معشر، حدثنا جعفر بن عمر الضمري، عن أبي سنان الدؤلي قال: رأيت عمار بن ياسر دعا بشراب فأتي بقدح من لبن فشرب منه ثم قال: صدق الله ورسوله اليوم ألقى الأحبة ★ محمداً وحزبه. إن رسول الله ﷺ قال: «إن آخر شيء تزوده من الدنيا ضحية لبن».

★ سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه: قال ابن سعد: أخبرنا معن، حدثنا مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد قال: لما كان يوم أحد قال رسول الله ﷺ: «من يأتيني بخبر سعد بن الربيع»؟ فقال رجل: أنا يا رسول الله فذهب الرجل يطوف بين القتلى فقال له سعد بن الربيع: ما شأنك؟ قال: بعثني النبي ﷺ لآتيه بخبرك. قال: إذهب إليه فاقرأه مني السلام وأخبره أني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة وأنه قد أنفذت مقاتلي، وأخبر قومك أنه لا عذر لهم عند الله إن قتل رسول الله ﷺ وأحد منهم حي.

★ عبدالله بن رواحة رضي الله عنه: قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا محمد ابن يحيى، أحمد بن محمد بن أيوب، حدثنا إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحاق قال: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: لما تجهز الناس للخروج إلى مؤتة قال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم فقال ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات قرع يقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ... أرشدك الله من غاز وقد رشدا

ثم مضوا حتى نزلوا أرض الشام فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم وانضمت إليه المستعربة في مائة ألف، فأقاموا ليلتين ينظرون في أمورهم وقالوا: أنكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره، فسمع ابن رواحة فقال: يا قوم إن الذي تكرهون الذي خرجتم له تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدة ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة. فقال الناس. قد والله صدق.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني أبي، حدثنا عبد القدوس بن عبد الواحد، حدثني الحكم بن عبد السلام أن جعفر بن أبي طالب حين قتل دعا الناس يا عبد الله بن رواحة وهو في جانب العسكر ومعه ضلع جمل ينتهشه ولم يكن ذاق طعاماً قبل ذلك بثلاث، فرمى بالضلع ثم قال: وأنت مع الدنيا فتقدم فقاتل فأصيبت أصبعه فجعل يقول:

هل أنت إلا اصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت
يا نفس الا تقتلي تموتي ... هذا حياض الموت قد صليتِ
وما تمنيت فقد لقيت ... إن تفعلي فعلها هديت
وإن تأخرت فقد شقيتِ

ثم قال: يا نفس إلى أي شيء تتوقين إلى فلانة فهي طالق ثلاثاً، وإلى فلان وفلان غلمان له، وإلى معجف حائط له فهو لله ولرسوله ﷺ.

يا نفس مالك تكرهين الجنة ... أقسم بالله لتنزلنه:
طائعة أو لتكرهنه ... فطالما قد كنت مطمئنة
هل أنت إلا نطفة في شنة ... قد أجلب الناس وشدوا الرنة

وقتل ابن رواحة في هذا اليوم رضي الله عنه.

★ عمير بن الحمام قتل ببدر رضي الله عنه. قال أحمد في الزهد: حدثنا هاشم، حدثنا سليمان، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يوم بدر «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» فقال عمير بن الحمام: بخ بخ. فقال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قولك بخ بخ» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال «فإنك من أهلها» قال: فاخرج تمرات من وقته فجعل يأكل منهن ثم قال: إن أنا حييت حتى آكل تمراتي إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل.

★ أبو سفيان بن الحرث ابن عم رسول الله ﷺ: قال ابن سعد: حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا سفيان عن ابن إسحاق قال: لما حضر أبا سفيان الوفاة قال لأهله: لا تبكوا علي فإني لم أتنطق بخطيئة منذ أسلمت. ورواه محمود بن محمد بن الفضل، عن أحمد بن بزيع، حدثنا أبو نعيم هو الفضل بن دكين وفيه: فما قارفت خطيئة منذ أسلمت.

★خبيب بن عدي رضي الله عنه: قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم، أخبرنا ابن شهاب قال: أخبرني ابن أسيد بن جارية، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة عيناً فاسر منهم خبيب، فلما خرجوا به ليقتلوه قال: دعوني أصلي ركعتين فركع ركعتين قال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت وقال:

فلست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قتلوه.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا الحسن بن علي الطوسي، حدثنا محمد بن عبد الكريم، حدثنا الهيثم بن عدي، حدثنا ثور بن يزيد، حدثنا خالد بن معدان قال: قال سعيد بن عامر بن جذيم: سمعت مصرع خبيب وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذعة فقالوا: أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال: ما أحب، إني في أهلي وولدي وأن محمداً يشاك بشوكة ثم نادى: يا محمد.

★زيد بن الدثنة رضي الله عنه: أسر يوم الرجيع مع خبيب فقدموه للقتل فقالوا: أنشدك الله أتحب أنك الآن في أهلك وأن محمداً مكانك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً يشاك في مكانه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي.

★ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه: قال ابن سعد، أخبرنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت، عن أنس أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنط ولبس ثوبين أبيضين يكفن فيهما، وقد انهزم القوم فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون واعتذر إليك مما صنع هؤلاء، ثم قال: بئس ما دعوتم أقرانكم خلوا بيننا وبينهم ساعة فحمل فقاتل حتى قتل.

★عمرو بن الجموح رضي الله عنه: وكان أعرج فلم يشهد بدراً، فلما حضرت أحد أراد الخروج فمنعه بنوه وقالوا: قد عفوك الله فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن الخروج، والله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة. فقال «ما أنت فقد عذرك الله» وقال لبنيه «لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله عز وجل يرزقه الشهادة» فتركوه. قالت امرأته كأني أنظر إليه مولياً قد أخذ درقته وهو يقول: اللهم لا تردني إلى حزبي وهو منازل بنى سلمة فقتل هو وابنه خلاد.

★عبادة بن الصامت رضي الله عنه. قال أحمد: حدثنا يونس بن محمد، حدثنا ليث، عن ابن عجلان، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن ابن محيريز عن الصنابحي قال: دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبكيت فقال: مهلا لم تبكي، فوالله لئن استشهدت لأشهدن لك، ولئن شفعت لأشفعن لك، ولئن استطعت لانفعنك. ثم قال: والله ما حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً سوف احدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي، سمعت

رسول الله ﷺ يقول: « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرّم الله عليه النار » انفرد بإخراجه مسلم.

★أبو الدرداء رضي الله عنه. قال أحمد: حدثنا زيد بن يحيى الدمشقي، حدثنا سعيد بن عبد العزيز، حدثنا إسماعيل بن عبيد الله أن أبا مسلم الخولاني قال: جئت أبا الدرداء وهو يجود بنفسه فقال: ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا، ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا، ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه؟ ورواه أحمد أيضاً عن الوليد بن جابر عن إسماعيل بن عبد الله، عن أم الدرداء أن أبا الدرداء لما احتضر جعل يقول فساقه نحوه وزاد ثم يقول: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أوّل مرة.

★خالد بن الوليد رَضي الله عنه: قال ابن سعد: حدثنا الواقدي، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه أن خالد بن الوليد لما حضرته الوفاة قال: لقد لقيت كذا وكذا زحفاً وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح، وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي فلا نامت عين الجبناء.

★حرام بن ملحان رضي الله عنه: قال أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا همام، حدثنا إسحاق عن أنس أن رسول الله ﷺ بعث حراماً خاله أخا أم سليم يوم بئر معونة قال لهم حرام تؤمنوني أبلغكم رسالة رسول الله ﷺ إليكم؟ قالوا: نعم فجلس يحدثهم وأومأوا إلى رجل منهم من خلفه فطعنه حتى أنفذه بالرمح، فقال: الله أكبر فزت ورب الكعبة.

★أبو بكرة الثقفي رضي الله عنه: قال ابن أبي الدنيا: حدثنا أبي أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم، حدثني عتبة بن عبد الرحمن قال: لما ثقل أبو بكرة بكت ابنته. فقال: لا تبكي قالت: يا أبتاه إن لم أبك عليك فعلى من أبكي؟ قال: لا تبكي فوالذي نفسي بيده ما في الأرض نفس أحب إلي أن يكون خرجت من نفسي هذه، ولا نفس هذا الذباب، ثم أقبل على حمران فقال: ألا أخبرك لماذا خشيت والله أن يجيء أمر يحول بيني وبين الإسلام.

★عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: قال أبو عبد الله المرزباني: حدثنا أحمد بن محمد الجوهري، حدثنا الغزي، حدثنا محمد بن عبد الرحمن الدارع، حدثنا الوليد بن هشام القحذمي، أخبرني عبد الله بن المغيرة، عن المطيعي عن أبيه عن عروة قال: أتيت عبد الله بن الزبير حين دنا الحجاج منه فقلت: قد لحق فلان الحجاج ولحق فلان بالحجاج فقال:

فـرت سلامـان وفـرت النمـر   وقـد نلاقـي معهـم فلا نفـرّ

فقلت له: قد أخذت دار فلان ودار فلان. فقال:

اصبر عصـام إنـه شربـاق   قد شق أصحابك ضرب الاعناق

وقامت الحرب بنا على ساق

فعرفت أنه لا يسلم نفسه فغاظني، فقلت: إنهم والله أن يأخذوك يقطعوك إرباً إرباً فقال:

ولســـت أبـــالي حين أقتـــل مسلماً على أي جنـب كـــان لله مصرعـــي
وذلـــك في ذات الإلــه وإن يشـــأ يبـــارك على أوصـــال شلـــو ممزعِ
فعرفت أنه لا يمكن من نفسه.

★عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه لما أسروه وأرادوا قتله بكى وقال: إنما أبكي إذ ليس لي إلاَّ نفس واحدة يفعل بها هذا في الله عز وجل، كنت أحب أن تكون لي أنفس بعدد كل شعرة في هذا.

★انس بن مالك رضي الله عنه: قال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا فهد بن حيان، حدثنا حفص بن عبد الملك قال: سمعت أنس بن سيرين يقول: شهدت أنس بن مالك وحضره المات فجعل يقول: لقنوني لا إله إلا الله فلم يزل يقولها حتى قبض.

★ طلحة رضي الله عنه: قال محمود بن محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا يحي بن بكير، حدثنا الليث، عن يحي بن سعيد قال: لما رمي طلحة جعل يقول: دم شيخ ذهب ضياعاً. اللهم خذ لعثمان حتى يرضى ثم قال:

نـــدمـــت نـــدامـــة الكسعـــي لما شريـت رضـــا بني حـــزم بـــرغمـــي

★الزبير رضي الله عنه: قال أبو الحسن المدائني، عن سعيد بن بشير قال، قال الزبير بن العوّام لما طعنه عمرو بن جرموز ماله قاتله الله يذكر بالله وينساه ثم أنشد:

أرى الموت اعـــداد النفـــوس ولا أرى بعيـداً غـداً مـا أقـرب اليوم مـــن غـدِ

★المغـيرة بن شعبة رضي الله عنه: قال المدائني، عن يعقوب بن عون، عن عبد الملك بن نوفل بن المغيرة قال: لما احتضر المغيرة بـن شعبة قال: اللهم هذه يدي بايعت بها رسولك وجاهدت بها في سبيلك فاغفر لي ما يعلمون من ذنوبي وما لا يعلمون.

★عـائشة رضي الله عنها: قال محمود بن محمد: حدثنا الميمون، حدثنا سريج بن يونس، حدثنا إسماعيل بن مجالد، عن أبيه عن الشعبي قال: حضرت عائشة رضي الله عنها فقالت: إني قد أحدثت بعد رسول الله ﷺ حدثاً ولا أدري ما حالي عنده فلا تدفنوني معه فإني أكره أن أجاور رسول الله ﷺ ولا أدري ما حالي عنده، ثم دعت بخرقة من قميص رسول الله ﷺ فقالت: ضعوا هذه على صدري وادفنوها معي لعلي أنجو بها من عذاب القبر.

★عمرو بن العاص رضي الله عنه: قال المدائني: عن الأسود بن شيبان، عن أبي نوفل بن عقرب قال: لما احتضر عمرو بن العاص وضع يده موضع الغل في عنقه وقال: اللهم إنك أمرتنا فتركنا ونهيتنا فارتكبنا ولا يسعنا إلا مغفرتك الواسعة، فكانت هجيراه حتى مات. وقال محمود بن محمد بن الفضل: حدثنا أبو صالح المعافى بن مدرك، حدثنا ضمرة عن السري عن الحسن قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال لمواليه: البسوا سلاحكم فلبسوه ثم جاؤوه فقال: أتستطيعون أن تدفعوا

....

عني؟ قالوا: لا. قال الحسن: وقد علم ولكنه أراد أن يوبخ نفسه فقال: اللهم إنك أمرتنا بأشياء فتركناها ونهيتنا عن أشياء فارتكبناها، ثم جمع يديه إلى عنقه وقال: ألا إني أشهد أن لا إله إلا الله فلم يزل يرددها حتى مات. قال الحسن: كيف إذا جاء بلا إله إلا الله وقد قتل أهل لا إله إلا الله. قال: وحدثنا محمد بن جبلة، حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن ابن شماسة، عن عبد الله بن عمرو أنه قال لعمرو بن العاص أبيه عند الموت وقد جزع: لا تجزع أبا عبد الله فقد بايعت رسول الله ﷺ وجاهدت في سبيل الله، فقال له عمرو: تركت أفضل من ذلك شهادة أن لا إله إلا الله. قال: وحدثنا عبيد الله بن محمد، حدثني أبو يحي محمد بن عبد الحميد الميموني، حدثنا هشام بن الكلبي، عن صالح بن كيسان قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال: والله لوددت أني كنت عبداً حبشياً أرعى عنزاً خصيبات. اللهم إني لست ببريء فاعتذر ولا قوي فانتصر ولا حول لي ولا قوّة إلا بك وأنا معتصم بلا إلـه إلا الله وقبض على يديه وشدهما حتى خرجت نفسه.

★ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. قال محمود: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا سعيد بن عفير، حدثنا ليث، عن عقيل، عن الزهري قال: لما حضرت سعـدبن أبي وقاص الوفاة قال: ائتوني بجبتي فأتي بجبة من صوف خلقة فقال: كفنوني فيها فإني لقيت بها المشركين يوم بدر مع رسول الله ﷺ.

★ معـاذ بن جبل رضي الله عنه. قال محمود: حدثنا هلال بن العلاء، حدثني عمرو بن عثمان، حدثنا سفيان، سمعت عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال: لما احتضر معاذ قال: لأحدثنكم حديثاً ما كتمتكموه إلا لكيلا تتكلوا فأما الآن فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال لا إله إلا الله صادقاً من قلبه دخل الجنة».

★ عبد الله بن عامر بن كريز العبشمي له رواية. قال محمود: حدثنا عبيد الله بن عمر، حدثنا مصعب الزبيري قال: لما احتضر عبد الله بن عامر بن كريز وهو بماله بعرفة خرج إليه ابن الزبير وابن عباس وكانا صديقيه فقال وهو يجود بنفسه: إن أخوي صائمان فلا تغفلوا إفطارهما. فقال ابن الزبير: لو ألهاك عن المجد شيء لألهاك عنه الموت، ولقد مات وأن طعامه بين يديه أضيافه ما شغله عنهم ما به، وأوصى أن يدفن بماله بعرفة لئلا يبيعه ولده فيعيروا ببيعهم قبر أبيهم.

★ عنبـسة بن أبي سفيان رضي الله عنه يقال له رؤية. وقال أبو نعيم: اتفق الائمة على أنه تابعي، روى له مسلم والأربعة. قال محمود: حدثني هلال بن العلاء، حدثني أبو سلمة، حدثنا جرير بن حازم، عن عبد الملك بن عمير، عن سالم بن سعد، عن عمرو بن أوس قال: دخلت على عنبسة بن أبي سفيان وهو في النزع فجعل يقول: ما أحب أنك وذاك، ثم قال: لأحدثنك حديثاً حدثتنيه اختي أم حبيبة عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «من صلّى لله اثنتي عشرة ركعة صلاة نهار كل يوم بنى الله له بيتاً في الجنة».

وقيل: فتح عبدالله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

ولما حضر ابراهيم النخعي الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال، أنتظر من الله رسولاً يبشرني بالجنة أو بالنار.

★ الـوليد بن عقبة بن أبي معيط أخو عثمان لأمه رضي الله عنه. قال محمود: حدثنا حبيش بن موسى، أخبرنا هشام بن الكلبي، عن عوانة قال: لما احتضر الوليد بن عقبة قال: اللهم إن كان أهل الكوفة صدقوا عليَّ فلا تلق روحي روحاً ولا ريحاناً وإن كانوا كذبوا علي فاجعل ذلك كفارة لذنوبي.

★ سعيـد بن العاص رضي الله عنه، قال محمود: حدثنا أبو جعفر محمد بن علي النحوى، حدثني عمر بن خالد العثماني، عن شيبة بن الوليد، عن عمه قال: لما حضرت سعيد بن العاص الوفاة قال لبنيه: أيكم يكفل لي بثلاث قال قال له عمر والأشدق: أنا. قال: دَيْني اقضه وهو ثمانون ألف دينـار والله ما استدنته إلا في كريم سددت خلته أو لئيم وقيت عرضي منه. قال: علي دينك يا أبت. قال: بقيت اثنتان. قال: وما هما؟ قال: بناتي لاتزوّجهن إلا الأكفاء ولو بفلق خبز الشعير. قال: افعل. قال: بقيت واحدة أشدهن علي إن فقد إخواني وجهي فلا يفقدون معروفي. يا بني ثلاثة ضقت بمكافأتهم ذرعاً رجل اغبرّ وجهه في التردد للتسليم علي، ورجل ضاق بي مجلس فتزحزح لي، ورجل نزل به مهم من الأمور فبات متململاً على فراشه يقلب أمره ظهراً لبطن، فلما اصبح رآني موضعاً لحاجته فلن أكافئه ولو خرجت من جميع ما أملك.

★ شرحبيل بن السمط رضي الله عنه. قال محمود: حدثنا النفيلي، حدثنا أبو مسهر، عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما احتضر شرحبيل بن السمط قال لبنيه: قوموا فالعبوا فإن الله يؤثر قضاءه على يتمكم.

★ أبو رفاعة العدوي رضي الله عنه. قال محمود: حدثنا عبد الله بن الهيثم، حدثنا سعيد بن عامر، عن جويرية بن أسماء قال: كان أبو رفاعة العدوي رضي الله عنه من الصحابة فكان كلما صلّى قال: اللهم ارزقني شهادة تسبق بشراها أذاها وفرحها حزنها وتخنلي بها عن نفسي ختلاً، فغزا سجستان مع عبد الله بن سمرة فطرقه العدو وهو نائم في المسجد فذبحوه. قلت: وقبره ببيهق كما قاله مسلم وغيره.

★ ثم شرع المصنف في ذكر أقاويل التابعين من بعدهم من الصلحاء عنـد الموت فقال:

(**وقيل: فتح عبد الله بن المبارك**) رحمه الله تعالى (**عينه عند الوفاة وضحك وقال: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾**) رواه القشيري في الرسالة.

(**ولما حضر ابراهيم**) بن يزيد (**النخعي**) رحمه الله تعالى (**الوفاة بكى قيل له: ما يبكيك؟ قال: انتظر من الله رسولاً يبشرني بالجنة أو بالنار**) رواه محمود بن محمد في كتاب

ولما حضر ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال ، والله ما أبكي لذنب أعلم أني أتيته ولكن أخاف أني أتيت شيئاً حسبته هيناً وهو عند الله عظيم .

ولما حضر عامر بن عبد القيس الوفاة بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : قال : ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ المواجر وعلى قيام الليل في الشتاء .

ولما حضرت فضيلاً الوفاة غشي عليه ، ثم فتح عينيه وقال : وابعد سفراه وقِلّة زاداه .

---

*المصنف قال: حدثنا حبيش ، أخبرنا المدائني ، عن قيس بن الربيع قال : بلغني أن إبراهيم النخعي حين احتضر بكى فقيل له : ما هذا الجزع ؟ فقال : إنما انتظر مبشراً يبشرني بالجنة أو بالنار ، وددت أنها تجلجل في صدري إلى يوم القيامة .

(ولما حضر ابن المنكدر) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التيمي المدني روى له الجماعة (الوفاة فبكى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : والله ما أبكي لذنب أعلم اني أتيته ، ولكني أخاف أني أتيت شيئاً حسبته هيناً وهو عند الله عظيم) رواه ابن أبي الدنيا هكذا . وقال أبو نعيم في الحلية : حدثنا أبو الفرج أحمد بن جعفر ، حدثنا جعفر بن محمد الفريابي ، حدثنا محمد بن عبد الله بن عمار ، حدثنا عفيف بن سالم ، عن عكرمة ، عن محمد بن المنكدر أنه جزع عند الموت فقيل له : لم تجزع ؟ قال : أخشى آية من كتاب الله عز وجل : ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ [الزمر : ٤٧] فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أحتسب .

(ولما حضر عامر بن عبد قيس) العنبري البصري الزاهد (الوفاة بكى فقيل : ما يبكيك ؟ قال : ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ المواجر وعلى قيام الليل بالشتاء) رواه أبو نعيم في الحلية فقال : حدثنا حبيب بن الحسن ، حدثنا أبو شعيب الحراني ، حدثنا خالد بن يزيد العمري ، حدثنا عبد العزيز بن أبي رواد ، عن علقمة بن مرثد قال : مرض عامر بن عبد قيس فبكى فقيل له : ما يبكيك وقد كنت وقد كنت وقد كنت ؟ فيقول : مالي لا أبكي ومن أحق بالبكاء مني ، والله ما أبكي حرصاً على الدنيا ولا جزعاً من الموت ، ولكن لبعد سفري وقلة زادي وإني أمسيت في صعود وهبوط جنة أو نار فلا أدري إلى أيها أصير ، قال : وحدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن ، حدثني أبو أحمد بن محمد الحمصي ، حدثنا يحي بن سعيد بن عطاء ، عن علقمة بن مرثد قال : كان عامر بن عبد قيس يقول : ما أبكي على دنياكم ورغبة فيها ، ولكن أبكي على ظمأ المواجر وقيام ليل الشتاء .

(ولما حضرت فضيلاً) بن عياض رحمه الله تعالى (الوفاة غشي عليه ثم فتح عينيه وقال : وابعد سفراه وقلة زاداه) رواه ابن أبي الدنيا .

ولما حضرت ابن المبارك الوفاة قال لنصر مولاه: إجعل رأسي على التراب، فبكى نصر فقال له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هوذا تموت فقيراً غريباً! قال: أسكت! فإني سألت الله تعالى أن يحييني حياة الأغنياء وأن يميتني موت الفقراء، ثم قال له: لقني ولا تعد على ما لم أتكلم بكلام ثان.

وقال عطاء بن يسار: تبدى إبليس لرجل عند الموت فقال له: نجوت! فقال: ما آمنك بعد، وبكى بعضهم عند الموت فقيل له: ما يبكيك؟ قال: آية في كتاب الله تعالى قوله عز وجل: ﴿إنما يتقَبلُ اللهُ منَ المتَّقين﴾ [المائدة: ٣٧].

ودخل الحسن رضي الله عنه على رجل يجود بنفسه فقال: إن أمراً هذا أوله لجدير أن يتقى آخره، وإن أمراً هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله.

(**ولما حضرت ابن المبارك**) عبد الله رحمه الله تعالى (**الوفاة قال لنصر مولاه: اجعل رأسي على التراب فبكى نصر فقال له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هوذا تموت فقيراً غريباً**) أي في هيت وكان خرج غازياً. (**قال: اسكت، فإني سألت الله تعالى أن يحييني حياة الأغنياء وأن يميتني موت الفقراء، ثم قال له: لقني ولا تعد على ما لم أتكلم بكلام ثان**). قال أبو نعيم: حدثنا محمد بن جعفر بن يوسف، حدثنا عبد الرحمن بن الحسن، حدثنا أبو أسامة الكلبي، حدثنا الحسن بن الربيع قال: سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة وأقبل نصر يقول له: يا أبا عبد الرحمن قل لا إله إلا الله، فقال له: يا نصر قد ترى شدة الكلام علي فإذا سمعتني قد قلتها لا تردها علي حتى تسمعني قد أحدثت بعدها كلاماً فإنما كانوا يستحبون أن يكون آخر كلام العبد ذلك.

(**وقال**) أبو محمد (**عطاء بن يسار**) الهلال المدني مولى ميمونة روى له الجماعة (**تبدى إبليس لرجل عند الموت فقال له: نجوت. فقال: ما أمنتك بعد**) وقد جرى نحو ذلك للإمام أحمد كما سيأتي عند ذكره. (**وبكى بعضهم عند الموت فقيل له: ما يبكيك؟ قال: آية في كتاب الله تعالى قوله عز وجل: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ [المائدة: ٢٧]**.

ودخل الحسن) البصري رحمه الله تعالى (**على رجل يجود بنفسه فقال: إن أمراً هذا أوله جدير أن يتقي آخره، وان أمراً هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله**) رواه أبو نعيم في الحلية. وروي نحو ذلك عن الاحنف بن قيس قال: إذا مرت به جنازة: رحم الله عبداً أجهد نفسه لمثل هذا. رواه محمود بن محمد، وهذه أقاويل جماعة من التابعين على شرط المصنف.

★ علقمة بن قيس رحمه الله تعالى. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن علي الجارود، حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر، عن الأشعث، عن الحكم،

عن إبراهيم، عن علقمة أنه قال: لا تنعوني كنعي الجاهلية، ولا تؤذنوا بي أحداً، واغلقوا الباب ولا تتبعني امرأة ولا تتبعوني بنار وإن استطعتم أن يكون آخر كلامي لا إله إلا الله.

★ عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي الكوفي رحمه الله تعالى. قال أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن عبد الرحمن بن يزيد قال: خرجنا في جيش فيهم عمرو بن عتبة فخرج وعليه جبة جديدة بيضاء فقال: ما أحسن الدم يتحادر على هذه، فخرج فتعرض للقصر فأصابه حجر فشجه فتحادر عليها الدم ثم مات منها، ولما أصابه الحجر فشجه جعل يلمسها بيده ويقول: إنها صغيرة وإن الله عز وجل ليبارك في الصغير.

★ الحسن البصري رحمه الله تعالى. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن علي، حدثنا أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا سليمان بن داود أبو الربيع، حدثنا بقية، عن أبان بن محرز، عن الحسن أنه لما حضره الموت دخل عليه رجال من أصحابه فقالوا: زوّدنا منك كلمات ينفعنا الله عز وجل بهن. قال: إني مزوّدكم ثلاث كلمات ثم قوموا ودعوني: وما توجهت له ما نهيتم عنه من أمر فكونوا من أكره الناس له، وما أمرتم به على معروف فكونوا من أعمل الناس به، واعلموا ان خطاكم خطوتان خطوة لكم وخطوة عليكم فانظروا أين تغدون وأين تروحون. وقال الحسن بن دينار: كان الحسن يغمى عليه ثم يفيق فيقول: صبراً واحتساباً وتسليماً لأمر الله حتى قضى رحمه الله. وقال محمود بن محمد: حدثنا عبد الله بن الهيثم، حدثنا أبو عامر عن صالح بن رستم قال: لما احتضر الحسن جعل يقول: نازلة صبر واستسلام اللهم بخير وإلى خير.

★ محمد بن سيرين رحمه الله تعالى قال ابن أبي الدنيا: حدثنا هارون بن أبي يحيى أنه حدث عن الحسن بن دينار أن محمد بن سيرين رحمه الله تعالى كان يقول وهو في الموت: في سبيل الله نفسي أعز الأنفس علي.

★ الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى. قال ابن أبي الدنيا: حدثنا داود بن عمرو الضبي، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن سرية للربيع قالت: لما احتضر الربيع بكت ابنته فقال: يا بنية لا تبكي ولكن قولي يا بشرى اليوم لقي أبي الخير. ورواه أبو نعيم في الحلية من طريقه.

★ مطرف بن عبد الله بن الشخير رحمه الله تعالى. قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسين، حدثنا خالد بن يزيد، حدثنا روح بن المسيب، عن عبد الله بن سلم العبدي قال قال مطرف لما حضره الموت: اللهم خرلي فيما قضيته عليّ من أمر الدنيا والآخرة وأمرهم أن يحملوه إلى قبره فختم فيه القرآن قبل أن يموت.

★ سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: قال ابن الجوزي في كتاب الثبات: أخبرنا أحمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو طاهر محمد ين أحمد بن أبي الصقر، حدثنا أبو عبد الله محمد بن الفضل بن نظيف، حدثنا أبو العباس أحمد بن الحسن الرازي، حدثنا هارون بن عيسى، حدثنا أبو عبد الرحمن القرني، حدثنا حرملة بن عمران، حدثنا ابن ذكوان أن الحجاج بعث إلى سعيد بن جبير فأصابه الرسول

بمكة، فلما سار به ثلاثة أيام رآه يصوم نهاره ويقوم ليله، فقال له الرسول: والله إني أذهب بك إلى من يقتلك فاذهب أي الطريق شئت، فقال له سعيد: إنه سيبلغ الحجاج أنك أخذتني فإن خليت عني خفت أن يقتلك، ولكن اذهب بي إليه، فذهب به فلما دخل قال له الحجاج: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير، فقال: بل شقي بن كسير. فقال: أمي سمتني فقال: شقيت. قال: الغيب يعلمه غيرك. قال الحجاج: أما والله لأبدلنك من دنياك ناراً تلظى، قال: لو علمت أن ذلك إليك ما اتخذت إلهاً غيرك، فسأله عن رسول الله ﷺ وأصحابه إلى أن قال ما تقول فيَّ قال: أنت بنفسك أعلم. قال: بث فيّ علمك. قال: إذاً أسوْك ولا أسرك. قال: بث. قال: نعم ظهر منك جور في حدّ الله وجراءة في معاصيه بقتلك أولياء الله. قال: والله لاقطعنك قطعاً. قال: إذاً تفسد علي دنياي وأفسد عليك آخرتك والقصاص أمامك. قال: الويل لك. قال: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار. قال: اذهبوا به فاضربوا عنقه. قال سعيد: فإني أشهدك أني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فلما ذهبوا به ليقتل تبسم، فقال الحجاج: مم ضحكت؟ قال: من جراءتك على الله عز وجل. فقال: اضجعوه للذبح فاضجع، فقال ﴿وجهتُ وجهي للذي فطر السموات والأرض﴾ [الأنعام: ٧٩] قال: اقلبوا ظهره إلى القبلة فقرأ سعيد ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ [البقرة: ١١٥] فقال: كبوه على وجهه، فقرأ سعيد ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ [طه: ٥٥] فذبح فبلغ ذلك الحسن فقال: اللهم قاصم الجبابرة اقصم الحجاج فما بقي إلا ثلاثاً حتى وقع الدود في جوفه فهلك.

★ خيثمة بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى. قال عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد: حدثني سعيد بن خيثم، عن محمد بن خالد الضبي قال: لم نكن ندري كيف يقرأ خيثمة القرآن حتى مرض فثقل فجاءته امرأته فجلست تبكي فقال: ما يبكيك؟ الموت لا بد منه. فقالت: الرجال بعدك عليَّ حرام. فقال: ما كل هذا أردت منك إنما كنت أخاف رجلاً واحداً وهو أخي محمد وهو رجل فاسق يتناول الشراب، فكرهت أن يشرب الشراب في بيتي بعد أن كان القرآن يتلى فيه كل ثلاث.

★ طلحة بن مصرف رحمه الله تعالى. قال عبد الله بن أحمد: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه قال: دخلنا على طلحة بن مصرف نعوده فقال له أبو كعب: شفاك الله. قال: استخير الله. قال الأشج: وحدثنا أبو إدريس عن ليث قال: حدثت طلحة بن مصرف في مرضه الذي مات فيه أن طاوساً كان يكره الأنين فما سمع طلحة يئن حتى مات.

★ زبيد اليامي رحمه الله تعالى. قال عبد الله بن أحمد: حدثني أبو سعيد الأشج، حدثني المحاربي عن سفيان قال: دخلنا على زبيد اليامي نعوده فقلنا شفاك الله. فقال: استخير الله.

★ أبو الجلد رحمه الله تعالى. قال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسين، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا صالح المري، سمعت أبا عمران الجوني قال: أوصاني أبو الجلد بأن ألقنه لا إله إلا الله، فكنت عند رأسه وقد أخذه كرب الموت، فجعلت أقول له: يا أبا الجلد قل لا إله إلا الله. قال: لا إله إلا الله بها أرجو نجاة نفسي لا إله إلا الله ثم قبض.

★ مكحول الشامي رحمه الله تعالى. قال القشيري في الرسالة: كان الغالب عليه الحزن، فدخلوا عليه في مرض موته وهو يضحك فقيل له في ذلك. فقال: ولم لا أضحك وقد دنا فراق من كنت أحذره وسرعة القدوم على من كنت أرجوه وأؤمله.

★ محمد بن واسع رحمه الله تعالى. قال العتبي: حدثني محمد بن عبد الله مولى الثقفي قال: دخلنا على محمد بن واسع وهو يقضي، فقال: يا اخوتاه هبوني وإياكم سألنا الله الرجعة فأعطاكموها ومنعنيها فلا تخسروا أنفسكم.

★ ثابت البناني رحمه الله تعالى قال أحمد: حدثنا علي بن مسلم، حدثنا جعفر، حدثنا محمد بن ثابت البناني قال: ذهبت ألقن أبي وهو في الموت فقلت: يا أبت قل لا إله إلا الله. فقال: يا بني خل عني فإني في وردي السادس أو السابع.

★ مالك بن دينار رحمه الله تعالى. قال ابن أبي الدنيا: حدثني أحمد بن عبد الله المكي، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا عمارة بن زاذان أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال: لولا أني أكره أن أصنع ما لم يصنعه أحد قبلي لأوصيت أهلي إذا أنا مت تقيدوني وتجمعوا يدي إلى عنقي فتنطلقوا بي على تلك الحال حتى أدفن كما يصنع بالعبد الآبق. زاد في رواية: فإذا سألني ربي، قلت: أي رب لم أرض لك نفسي طرفة عين قط. قال: وحدثني أسيد بن عاصم، حدثنا ابن خالد، حدثنا حزم قال: دخلنا على مالك بن دينار وهو في مرضه وهو يكيد بنفسه فرفع رأسه إلى السماء ثم قال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لبطن ولا لفرج.

★ أبو مسلم الخولاني رحمه الله تعالى. قال محمود بن محمد: حدثنا علي بن عثمان النفيلي، عن أبي مسهر، عن سعيد بن عبد العزيز قال: حضرت أبا مسلم الخولاني الوفاة وهو بأرض الروم، فعاده أمير الجيش فقال له: يا أبا مسلم هل لك من حاجة أتوصيني بوصية، قال: نعم تدعو بقناة وخرقة وتعقد لي لواء على كل من مات بأرض الروم ففعل الأمير ذلك. قال: فظننا أنه أحب أن يبعث عليهم يوم القيامة.

★ سليمان التيمي رحمه الله تعالى. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، سمعت سوار بن عبدالله يقول: سمعت المعتمر يقول، قال أبي حين حضره الموت: يا بني حدثني بالرخص لعلي ألقى الله تعالى وأنا حسن الظن به، وهذا قد تقدم للمصنف قريباً.

★ حسان بن أبي سنان رحمه الله تعالى. قال ابن أخي سمي في جزئه: حدثنا جعفر الخوّاص،

حدثنا ابن مسروق، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا حاتم بن سليمان، حدثنا عاصم بن فرقد قال: دخلنا على حسان بن أبي سنان وقد حضره الموت فقال له بعض إخوانه: أتجد كرباً شديداً، فبكى ثم قال: إن ذاك ثم قال: ينبغي للمؤمن أن يسأل عن كرب الموت وألمه لما يرجو من السرور في لقاء الله عز وجل.

★أبو بكر عبدالله بن أبي مريم رحمه الله تعالى. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الصمد بن سعيد قال: سمعت أبا أيوب يقول: سمعت يزيد بن عبد ربه يقول: عدت أبا بكر بن أبي مريم وهو في النزع فقلت له: رحمك الله لو جرعت جرعة ماء. فقال: بيده لا. ثم جاء الليل فقال: إذا، فقلت: نعم فقطرنا في فمة قطرة ماء ثم مات.

★سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى. قال محمود: حدثنا عبد الملك الميموني، عن عمرو بن ميمون قال: احتضر سعيد بن المسيب وكان له ثمانون ديناراً فجعلها في يده وجعل يقول: اللهم إنما كنت أصون بها ديني وعرضي.

★ عبدالله بن إدريس الأودي الكوفي رحمه الله تعالى قال الخطيب في التاريخ: حدثني محمد بن علي الصوري، حدثنا عبد الرحمن بن عمر المصري، حدثنا أحمد بن محمد بن زياد، حدثنا الفضل بن يوسف الجعفي، سمعت حسين بن عمرو العنقزي قال: لما نزل بابن إدريس الموت بكت ابنته فقال: لا تبكي فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة.

★ عبدالله بن عبد العزيز العمري المدني رحمه الله تعالى. قال ابن أبي الدنيا: حدثني ابن زيد النميري، حدثنا أبو يحيى الزهري قال: قال عبدالله بن عبد العزيز العمري: بنعمة ربي أحدث إني لم أصبح إلا سبعة دراهم من لحاء شجر فتلته بيدي، وبنعمة ربي احدث لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي لا يمنعني من أخذها إلا أن أزيل قدمي عنها ما أزلتها.

★ علي بن صالح بن حي رحمه الله تعالى. قال أبو علي بن شاذان: أخبرنا أحمد بن كامل، حدثنا عيسى بن إسحاق الأنصاري، حدثنا أحمد بن عمران البغدادي، حدثنا يحيى بن آدم قال: قال الحسن بن حي، قال لي أخي علي في الليلة التي توفي فيها: اسقني ماء وكنت قائماً أصلي، فلما قضيت صلاتي أتيته بماء فقلت: يا أخي هذا ماء. قال: قد شربت الساعة. قلت: ومن سقاك وليس في الغرفة غيري؟ قال: أتاني جبريل الساعة بماء فسقاني وقال لي: أنت وأخوك وأبوك من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وخرجت روحه. ورواه كذلك أبو محمد الخلال في كتاب كرامات الأولياء، وابن منده في كتاب الأحوال.

★ وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا علي بن عثمان النفيلي، حدثنا عبدالله بن موسى قال: مات علي بن صالح بن حي وأنا غائب، فلما قدمت أتيت الحسن بن صالح أخاه أعزيه وأنا أبكي،

فقال لي: لا تبك حتى أحدثك أنه لما احتضر واشتد عليه استسقى فجئته بقدح من ماء فقلت له: ألا تشرب؟ قال: لا قد سقيت. قلت: ومن سقاك؟ قال: محمد رسول الله ﷺ ومعه الملائكة صفوف فأردت أن استثبت عقله، فقلت: وكيف صفوف الملائكة؟ فقال: هكذا بعضها فوق بعض ورفع يديه فجعل اليمنى فوق اليسرى.

★أبو بكر بن عياش رحمه الله تعالى. قال الخطيب: أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد، حدثنا جعفر بن محمد بن نصر، أخبرنا أحمد بن محمد بن مسروق قال: سمعت الحماني يقول: لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاة بكت أخته فقال لها: ما يبكيك انظري إلى تلك الزاوية التي في البيت قد ختم أخوك في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة.

فصل

في ذكر أقوال جماعة من المحتضرين على غير ترتيب في طبقاتهم:

★أبو عطية بن قيس المذبوح رحمه الله تعالى قال ابن المبارك في الزهد: أخبرنا أبو بكر بن أبي مريم، حدثني حماد بن سعيد، عن أبي عطية المذبوح قال: لما حضر أبا عطية الموت جزع وقال: إنما هي ساعة ثم لا أدري أين يسلك بي.

★عبيد الله بن الحسن رحمه الله تعالى قال: محمود بن محمد في كتاب المتفجعين: حدثني عبيد الله بن محمد، حدثنا خالد بن خداش، عن معاذ بن معاذ قال: دخلت على عبيد الله بن الحسن أعوده فقلت: أراك بحمد الله صالحاً. فقال:

لا يغـرنـك عيش سـاكـن ... قد توافى بالمنيات السحر

فلما كان السحر سمعت الواعية عليه.

★رجل من بني يربوع. قال محمود: حدثني عبيد الله بن محمد، حدثني أبو عدنان الهيثم بن الجون، أخبرنا الهيثم بن عدي أخبرنا ابن شبرمة قال: احتضر رجل من بني يربوع وكان له بني يحبه فنظر إليه وهو يجود بنفسه فبكى ثم قال:

ألا ليت شعري عن بني بعدما ... يمهد لي في قبلة القبر مضجعُ
وعن وصل أقوام أتى الموت دونهم ... أيرعون ذاك الأمر أم سيضيعُ
وما يحفظ الأبناء إلا موفق ... من القوم مرضى الأمانة مقنعُ

قال ابن شبرمة: فرأيت والله ابنه ضائعاً لم يلتفت أحد من إخوانه.

★رجل من بني ضبة، وبالسند المتقدم إلى أبي عدنان قال: أخبرنا الهيثم بن عدي، عن ابن عياش، عن شيخ من ضبة قال: حضرت منا رجلاً يجود بنفسه وابن له يسمى معمراً يدب بين يديه، فنظر إليه ملياً وتنفس الصعداء ثم أنشأ يقول لامرأته:

وإني لأخشى أن أموت فتنكحي ... ويقذف في أيدي المراضع معمر

فحالت ستور دونه ووليدة . ويشغلها عنه خلوق ومجر

قالت: كلا. قال: فوالله ما لبث أن انقضت عدتها أن تزوجت شاباً من الحي فرأيت معمراً على ما وصف.

★رجل من الصدر الأول، قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن الحسين، حدثنا داود المحبر. حدثنا الحسن بن دينار قال: سمعت الحسن يقول: احتضر رجل من الصدر الأول فقال لابنه: اقعد عند رأسي فلقني لا إله إلا الله فنعم الزاد هي للآخرة.

★زياد بن أبيه رحمه الله تعالى. قال المدائني: عن حباب بن موسى عن قيس الأرقط قال: طعن زياد في أصبعه فأقام خمسة عشرة ليلة إذا جهده ذلك الموضع وضع أصبعه في خل حامض فيجد لذلك راحة، وجاءه الهيثم بن الأسود بعهده على الحجاز فاعلم بذلك فقال: وما أصنع به ليت لي بما جاء به الهيثم شربة من ماء أسيغها. وقال له شريح: لو قطعت أصبعك؟ فقال: إذاً أقطع قلبي إنما أجد الوجع في قلبي، فقال لهم شريح، ما نكفنه به؟ فقال زياد: خففوا عليكم فقد تقارب مني سلب عاجل أو كسوة فاخر ومات.

★أبو شعيب صالح بن زياد رحمه الله تعالى. قال محمود: حدثني أبو محمد عمرو بن عبيد بن عمر الهوزني قال: دخلت على أبي شعيب صالح بن زياد أعوده فوجدته في النزع فقال: ألا ابشرك رأيت ههنا شخصاً فأنكرته فقلت: من أنت قال: أنا ملك الموت، فقلت ارفق بي، فقال: بهذا أمرت.

★ مالك بن أنس الإمام رحمه الله تعالى. قال الحرث بن أبي أسامة حدثنا محمد بن سعد، أخبرنا ابن أبي إدريس قال: اشتكى مالك أياماً يسيرة فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت. فقال: تشهد ثم قال لله الأمر من قبل ومن بعد.

★أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى. قال ابن شاذان: حدثنا محمد بن عبدالله بن عمرويه قال: سمعت عبدالله بن أحمد يقول: لما حضرت أبي الوفاة جلست عنده وبيدي الخرقة لأشدّ بها لحييه، فجعل يغرق ثم يفيق ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا لا بعد لا بعد ففعل هذا مرة وثانية، فلما كان في الثالثة قلت يا أبت أي شيء هذا قد لهجت به في هذا الوقت تفرق حتى نقول قد قضيت، ثم تعود فتقول لا بعد لا بعد. فقال لي: يا بني ما تدري؟ قلت: لا. قال: إبليس لعنه الله قائم حذائي عاض على أنامله يقول لي يا أحمد قدفتني، فأقول له: لا بعد حتى أموت.

★آدم بن أبي إياس العسقلاني، رحمه الله. قال الخطيب في التاريخ: أخبرنا أحمد بن عبد الواحد، حدثنا إسماعيل بن سعيد المعدل، حدثنا أبو علي الكوكبي، حدثنا أبو علي المقدسي قال: لما حضرت آدم بن أبي إياس الوفاة ختم القرآن وهو مسجى ثم قال: بحبي لك ألا رفقت بي في هذا المصرع، كنت أؤملك لهذا اليوم، كنت أرجوك ثم قال لا إله إلا الله ثم قضى.

....

★عبد العزيز بن مروان أخو عبد الملك قال محمود: حدثنا محمد بن جبلة، حدثنا سعيد بن عفير قال: كان عبد العزيز بن مروان وهو أمير مصر مقيماً بحلوان، وخليفته على مصر عبد الرحمن بن معاوية بن خديج، فكان ابن خديج يرسل إليه كل يوم بأخبار مصر وما يحدث فيها وموت من يموت فيها، وأمره أن يختار الرسول حسن الوجه والاسم، فاغفل يوماً فأرسل رجلاً فقال له عبد العزيز: ما اسمك؟ قال: أبو طالب قال: اسألك عن اسمك. قال: مدرك. قال: فتغير وجه عبد العزيز وتطير ومرض، فلما احتضر قال: أروني أكفاني فجاؤوه بها فنظر إليها ثم حوّل وجهه وقال: أف لك من دنيا ما أشد غرورك وأقل كثيرك وأقصر طويلك ومات، فاخرج بجنازته وحولها مجامر العود ولبس نساء إخوانه السواد وخرجن صارخات عليه وذلك لحسن آثاره عندهم.

★محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس. قال أبو الحسن المدائني، عن عمر بن مساور الأهوازي، أخبرني جماعة من موالي محمد بن سليمان بن علي وخاصته أنه لما حضره الموت جعلوا يلقنونه الشهادة وهو يقول.

ألا ليـت أمـي لم تلـدني ولم أكـن لقيـت بفـخ لا حسيناً ولا حسـن

★ ذو الرمة الشاعر. قال محمود: حدثنا عبدالله الهيثم، عن أبي اليقظان جويرية بن أسماء قال: مات ذو الرمة بالبادية فقال وهو يكيد بنفسه:

يا رب قد أسرفت نفسي وقد علمت علماً يقيناً لقد أحصيت آثاري
يا رب فاغفر ذنوباً قد أحطت بها يوم الحساب وزحزحني عن النارِ

قال: وحدثنا أحمد بن الأسود، حدثنا الجمحي، أخبرنا الزنادي قال: لما احتضر ذو الرمة قيل له: كيف تجدك؟ قال: أجدني أجد ما لا أجد أيام الكذب فازعم أني أجد فأقول:

كـأني غـداة البين يـا أم مـالـك أجـود بنفس قـد تـدانـى حمامهـا

★جرير الشاعر. قال الأصمعي: حدثنا عباد بن كسيب العنبري قال: احتضر جرير ببادية المردة فدخل عليه إخوانه يعودونه فقال:

أهلاً وسهلاً بقـوم زينـوا حسبي وإن مـرضـت فهـم أهلي وعـوّادي
لـو أن ليثـاً أبـا شبلين أوعـدني لم يسلمـوني لليـث الغـابـة العـادي
إن يجر طير بـأمـر فيـه صـالحة أو بـالفـوات فقـد أحسنتم زادي

★ أبو الدقيش. قال محمود: حدثني أحمد بن الأسود، حدثني الجمحي قال، قيل لأبي الدقيش وقد احتضر: ما تشتهي؟ فقال: اشتهى ما لا أجد وأجد ما لا أشتهي.

★بكر بن المعتمر رحمه الله تعالى. قال محمود: حدثنا عبدالله بن الهيثم، حدثنا العتبي قال: لما حضرت بكر بن المعتمر الوفاة رأوه مسروراً فقيل له في ذلك. فقال: ما أخرج إلى سلطان غير سلطان ربي عز وجل.

★هدبة بن الخشرم الشاعر. قال محمود: حدثني محمد بن موسى، حدثني ابن السكيت، حدثني ابن الاعرابي قال: لما قدم هدبة بن الخشرم ليقتل قال له ابن حسان بن ثابت: أنشدني أبياتاً. قال: على هذا الحال؟ قال: نعم فأنشده:

ألا عللاني قبل نوح النوائح ... وقبل فراق الروح بين الجوائح
وقبل غد يا لهف نفسي على غد ... إذا راح أصحابي ولست برائح
إذا راح أصحابي تفيض دموعهم ... وغودرت في لحد على صفائح
يقولون هل أصلحتم لاخيكم ... وما اللحد في الأرض الفضاء بصالح

★مسلمة بن عبد الملك بن مروان. قال محمود: حدثني ابن الهيثم، حدثني العتبي عن أبيه قال: لما احتضر مسلمة بن عبد الملك جعل يبكي، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: والله ما أجزع من الموت وإني لواثق، ولكن بعد ثلاثين غزاة أموت على الفراش كما تموت النساء.

★عبدالله بن الفضل بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب رحمه الله تعالى. قال أبو الحسن المدائني، عن مسلمة بن محارب، عن محرز بن جعفر قال: دخلت على عبدالله بن الفضل بن ربيعة وهو يكيد بنفسه وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ قال: أبكي لشيات وراء هذا الستر لولاهن لهان عليّ الموت إني لمؤمن بالله تائب إلى الله وإن الله لغفور رحيم. قلت: والذي ترجوه لمغفرة ذنبك فارجه لجبر بناتك فقال: صدقت جزاك الله خيراً.

★إياس بن قتادة العبشمي رحمه الله تعالى. قال أبو الحسن المدائني: عن عبدالله بن فائد، عن أشياخ من بني تميم أن إياس بن قتادة العبشمي نظر يوماً في المرآة فرأى بياض الشعر في رأسه ولحيته فقال: ما بعد هذا إلا التشاغل بأمور الآخرة. هذا وداع من الدنيا، فأقبل على الاجتهاد والعبادة، فخرج يوم جمعة من المسجد فنظر إلى السماء فقال: مرحباً بك قد كنت انتظر مجيئك، ثم التفت إلى من حوله فقال: إذا أنا مت فاحملوني إلى ملحوب فادفنوني بها ثم سقط ميتاً فحمل إلى ملحوب فقبره بها.

★زيد بن علي بن الحسين رحمه الله تعالى قال المدائني: لما رمي زيد بن علي قال لابنه عيسى بن زيد:

ابني أما أهلكن فلا تكن ... دنس الفعال مبيض الأثواب
واحذر مصاحبة اللئام فإنما ... يردى الكرام فسولة الأصحاب

★أرطأة بن سهية الشاعر. قال محمود: حدثني أبو محمد اليقطيني، حدثني أبو السكن الطائي، حدثني عم ابن زحر بن حصن عن جده حميد بن مهنب قال: لما احتضر أرطأة بن سهية جعل يردد هذه الأبيات:

يقول الفتى ثمرت مالي وإنما ... لوارثه قد يثمر المال كاسبه
يحاسب فيه نفسه في حياته ... ويتركه نهباً لمن لا يحاسبه

فكله واطعمه وخالسه وارثاً ... شحيحاً ودهراً تعتريه نوائبه
يخيب الفتى من حيث يرزق غيره ... ويعطي المنى من حيث يحرم صاحبه

★إبراهيم بن هانيء صاحب أحمد بن حنبل رحمه الله قال الدارقطني: سمعت أبا بكر النيسابوري يقول: حضرت إبراهيم بن هانيء يوم وفاته فدعا ابنه إسحاق فقال: هل غربت الشمس؟ قال: لا، ثم قال: يا أبت رخص لك في الإفطار في الفرض وأنت متطوّع. قال: امهل، ثم قال: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ [الصافات: ٦١] ثم خرجت نفسه.

★وكيع بن أبي سود. قال محمود: حدثنا عبيد الله بن محمد، حدثنا ابن أبي شيخ قال: لما احتضر وكيع بن أبي سود قال لولده: لو قدمت لقد جاءكم قوم قد حفوا شواربهم وحكوا جباههم وشمروا مآزرهم فبكوا علي وقالوا: اقضوا ما على أبيكم من الدين فلا تطيعوهم فإن على أبيكم من الذنوب ما إن غفرها الله له كان الدين من أيسرها وإن لم يغفرها لم تخدعوا عن أموالكم.

★أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء رحمه الله تعالى قال ابن الجوزي: لما احتضر عزل أكفان نفسه وأوصى أن لا يكفن بغيرها ولا يخرق عليه ثوب ولا يقعد لعزاء.

★أبو حكيم الحيري رحمه الله تعالى: قال ابن الجوزي: حدثني أبو الفضل بن ناصر، عن جده أبي حكيم الحيري أنه كان قاعداً ينسخ فوضع القلم من يده وقال: إن كان هذا موتاً فوالله إنه موت طيب فمات.

★أبو الوفاء بن عقيل رحمه الله تعالى. قال ابن الجوزي: حدثت عنه أنه لما احتضر بكى أهله فقال لهم: لي خمسون سنة أدفع عنه فدعوني أتهنأ بلقائه.

★الإمام أبو حامد الغزالي مصنف الكتاب رحمه الله. قال ابن الجوزي، قال أخوه أحمد: لما كان يوم الإثنين وقت الصبح توضأ أخي أبو حامد وصلّى وقال: علي بالكفن فأخذه وقبّله وتركه على عينيه وقال: سمعاً وطاعة للدخول على الملك، ثم مدّ رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الأسفار.

★أبو بكر بن حبيب رحمه الله تعالى من مشايخ ابن الجوزي قال: لما احتضر شيخنا أبو بكر بن حبيب قال له أصحابه: أوصنا. قال: أوصيكم بثلاث: بتقوى الله عز وجل، ومراقبته في الخلوة، واحذروا مصرعي هذا فقد عشت إحدى وستين سنة وما كأني رأيت الدنيا، ثم قال لبعض أصحابه: انظر هل ترى جبيني يعرق؟ فقال: نعم. فقال: الحمد لله هذه علامة المؤمن ثم بسط يده عند الموت وقال:

ها قد مددت يدي إليك فردّها ... بالفضل لا بشماتة الأعداء

★أبو الوقت عبد الأول بن عيسى راوي البخاري رحمه الله. قال ابن الجوزي: حدثني أبو عبدالله التكريتي قال: لما احتضر عبد الأول أسندته إلي فكان آخر كلمة قالها: ﴿يا ليت قومي يعلمون★ بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ [يس: ٢٦، ٢٧].

وقال الجريري: كنت عند الجنيد في حال نزعه ـ وكان يوم الجمعة يوم النيروز ـ وهو يقرأ القرآن فختم، فقلت له: في هذه الحالة يا أبا القاسم؟ فقال: ومن أولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي؟

وقال رويم: حضرت وفاة أبي سعيد الخراز وهو يقول:

حنين قلوب العارفين إلى الذكر وتذكارهم وقت المناجاة للسرّ
أديرت كؤوس للمنايا عليهم فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي السكر
همومهمُ جوالة بمعسكر به أهل ودّ الله كالأنجم الزهر
فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسري

★أبو محمد بن الخشاب رحمه الله تعالى. قال ابن الجوزي: دخلت عليه في مرض موته وهو ساكن غير منزعج فقال لي: عند الله أحتسب نفسي.

ثم شرع المصنف رحمه الله تعالى في ذكر أقاويل المحتضرين من السادة الصوفية فقال:

(**وقال الجريري**): وهو أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين نسب إلى جده جرير مصغراً من أكابر أصحاب الجنيد وصحب سهلاً التستري: (**كنت عند الجنيد**) أبي القاسم (**في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز**) أي أوّل يوم من السنة العجمية وأصله أنوروز أي النهار الجديد، (**وهو يقرأ القرآن فختم فقلت له في هذه الحالة: يا أبا القاسم؟ فقال: ومن أولى بذلك مني وهو ذا تطوى صحيفتي**) نقله القشيري في الرسالة.

وقال أبو نعيم في الحلية: سمعت عبد المنعم بن عثمان يقول: سمعت أبا سعيد بن الاعرابي يقول: سمعت أبا بكر العطار يقول: حضرت الجنيد عند الموت في جماعة لأصحابنا فكان قاعداً يصلي ويثني رجليه كلما أراد أن يسجد، فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجل وثقل عليه حركتها فمدَّ رجليه وقد تورمتا، فرآه بعض أصدقائه فقال: ما هذا يا أبا القاسم؟ فقال: هذه نعم الله أكبر، فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريري: لو اضطجعت؟ قال: يا أبا محمد هذا وقت يؤخذ منه الله أكبر، فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمه الله تعالى.

(**وقال**) أبو محمد (**رويم**) بن أحمد البغدادي رحمه الله تعالى: (**حضرت وفاة أبي سعيد**) أحمد بن عيسى (**الخراز**) رحمه الله تعالى (**وهو يقول في**) آخر نفسه: (**حنين قلوب العارفين إلى الذكر. وتذكارهم وقت المناجاة للسر**).

(**أديرت كؤوس للمنايا عليهم، فأغفوا**) أي اعرضوا (**عن الدنيا كاغفاء ذي السكر**.

همومهم جوّالة بمعسكر به أهل ودالله كالأنجم الزهر

(**فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه**) وفي بعض النسخ تبلى بدل قتلى (**وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسري**) أي تقطعها بسرعة إلى نحو العلى حتى لم يبق في قلوبهم حجاب يحجبها عنه لاعراضهم عن الدنيا.

فما عـرسـوا إلا بقـرب حبيبهـم وما عرجوا من مس بـؤس ولا ضرِ

وقيل للجنيد: إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت، فقال: لم يكن بعجب أن تطير روحه اشتياقاً. وقيل لذي النون ـ عند موته ـ، ما تشتهي؟ قال: أن أعرفه قبل موتي بلحظة. وقيل لبعضهم وهو في النزع: قل الله فقال: إلى متى تقول الله وأنا محترق بالله. وقال بعضهم: كنت عند ممشاد الدينوري فقدم فقير وقال السلام عليكم؛ هل هنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه؟ قال: فأشاروا إليه بمكان ـ وكان ثم عين ماء ـ فجدد الفقير الوضوء وركع ما شاء الله، ومضى إلى ذلك المكان ومد رجليه ومات. وكان أبو العباس الدينوري يتكلم في مجلسه، فصاحت امرأة تواجداً

(**فما عرسوا**) أيّ ما نزلوا أي في سفرهم (**إلا بقرب حبيبهم، وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر**) أي أحوالهم في الدنيا مع مولاهم هي التي حملتهم على حنين قلوبهم إليه وقت الارتحال، ولم يجدوا لما هم فيه من نزع الروح والأهوال ألماً لإعراضهم عن الدنيا. نقله القشيري في الرسالة.

(**وقيل للجنيد: إن أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت، فقال: لم يكن يعجب أن تطير روحه**) اشتياقاً للقاء ربه نقله القشيري في الرسالة، وفيه إشارة إلى كمال حال الخراز في دوام شغله بالله وأنسه به في سائر أحواله. (**وقيل لذي النون**) المصري رحمه الله تعالى (**عند موته: ماذا تشتهي؟ قال:**) اشتهي (**أن أعرفه**) فوق معرفتي له (**قبل موتي بلحظة**) رواه القشيري في الرسالة، والمعنى أن ذا النون رأى نفسه مقصراً عن القيام بحق معرفته فعد معرفته كلا معرفة، فطلب أن يستغرق في جلال الله وكماله بحسب ما علمه من ذلك. (**وقيل لبعضهم وهو في النزع: قل الله**) أي اذكره بلسانك. (**فقال: إلى متى تقولون**) لي قل الله (**وأنا محترق بالله**) فلست بغافل عنه فلا احتاج إلى من يذكرني به. نقله القشيري في الرسالة، وهذا يدل على كمال حضوره مع الله شديد المراقبة له. (**وقال بعضهم: كنت عند**) أبي علي (**ممشاد الدينوري**) رحمه الله تعالى وجماعة (**فقدم**) عليهم (**فقير**) من الفقراء أرباب الأحوال (**وقال: السلام عليكم**)، فردوا عليه السلام، فقال لهم: (**هل ههنا موضع نظيف يمكن الإنسان أن يموت فيه، فأشاروا إليه بمكان**) عينوه له (**وكان ثم عين ماء، فجدّد**) ذلك (**الفقير الوضوء**) منها (**وركع ما شاء الله ومضى إلى ذلك المكان**) الذي أشاروا إليه، (**ومدّ رجليه ومات**) نقله القشيري في الرسالة وابن خميس في مناقب الأبرار وابن الملقن في الطبقات، وهذا من خرق العوائد وهو مستثنى من عموم خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله، فيطلع الولي على ذلك. وفائدة هذه الحكاية أنه كان في مجلس الدينوري من ينكر خرق العوائد فأتى الله به جهاراً مرتباً على سؤال وجواب ليرجع إليه من ينكره وينتفع به ويتقوّى به من ينظره.

(**وكان أبو العباس**) أحمد بن محمد (**الدينوري**) رحمه الله تعالى صحب يوسف بن الحسين

فقال لها: موتي فقامت المرأة، فلما بلغت باب الدار التفتت إليه وقالت: قدمت. ووقعت ميتة. ويحكى عن فاطمة ـ أخت أبي علي الروذباري وكان رأسه في حجري ـ فتح عينيه وقال: هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول: يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها، ثم أنشأ يقول:

وحقك لانظرت إلى سواكا بعين مودة حتى أراكا
أراك معذبي بفتور لحظ وبالخد المورود من حياكا

وابن عطاء والجريري وكان عالماً فاضلاً، ورد نيسابور وأقام بها مدة يعظ ويتكلم على لسان أهل المعرفة، ثم ذهب إلى سمرقند فمات بها بعد الأربعين وثلاثمائة. (**يتكلم**) للرجال والنساء (**في مجلسه**) بنيسابور، (**فصاحت امرأة**) ممن حضرت مجلسه لسماع الوعظ (**تواجداً**) بما سمعته منه من الحكم ومقامات القرب إلى الله تعالى، فكره منها ذلك بحضرة الرجال (**فقال لها: موتي**) إن كنت صادقة مغلوبة، (**فقامت المرأة، فلما بلغت باب الدار التفتت إليه**) ورجعت إلى الله بالاضطرار أن لا يفضحها وأن يميتها لتسلم من نسبتها إلى التكلف لأحوال الفقراء فأجاب الله دعاءها. (**وقالت: قدمت، ووقعت ميتة**) رحمها الله تعالى. نقله القشيري في الرسالة قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: كان أبو العباس فذكره.

(**ويحكى عن فاطمة**) ابنة محمد (**أخت أبي علي**) أحمد بن محمد (**الروذباري**) البغدادي ثم المصري، وكانت من العارفات وهي والدة أبي العباس أحمد بن عطاء لها كلام حسن، روى عنها أخوها وعاشت بعده. (**قالت: لما قرب أجل**) أخي (**أبو علي الروذباري وكان رأسه في حجري فتح عينيه**) وكان قد أغمي عليه (**وقال: هذه أبواب السماء قد فتحت، وهذه الجنان قد زينت، وهذا قائل يقول**) لي: (**يا أبا علي قد بلغناك الرتبة القصوى**) وإن لم تسألها، وأعطيناك درجة الأكابر وإن لم تردها، وهذا لأن المحتضر قد يكشف له من الأمور الملكوتية فيرى ما لا يراه الغير كما تقدم (**ثم أنشأ يقول:**

وحقك لانظرت إلى سواك بعين مودة حتى أراكا
أراك معذبي بفتور لحظ وبالخدر المورد من جناكا)

نقله القشيري في الرسالة، وابن الملقن في الطبقات، وابن حسين في مناقب الابرار وزادوا ثم قال: يا فاطمة الأول ظاهر والثاني إشكال أي أول البيتين ظاهر إذ هو قسم بعظمته وجلاله تعالى: أن لا يلتفت إلى غيره، والثاني منهما فيه إشكال على من لم يعرف المراد به ويتوهم أنه راجع إلى ربه وفي بعض نسخ الرسالة بعد البيت الثاني:

فلو قطعتني في الحب إرباً لما حن الفؤاد إلى سواكا

وقيل للجنيد: قل لا إله إلا الله، فقال: ما نسيته فأذكره. وسأل جعفر بن نصير بكران الدينوري - خادم الشبلي - ما الذي رأيت منه؟ فقال: قال علي درهم مظلمة، وتصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي شغل أعظم منه! ثم قال: وضئني للصلاة؛ ففعلت فنسيت تخليل لحيته - وقد أمسك على لسانه - فقبض على يدي وأدخلها في لحيته، ثم مات فبكى جعفر وقال: ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة؟ وقيل لبشر بن الحرث لما احتضر - وكان يشق عليه - كأنك تحب الحياة؟ فقال: القدوم على الله شديد. وقيل لصالح بن مسمار: ألا توصي بابنك وعيالك؟ فقال: إني لأستحي من الله أن أوصي بهم إلى غيره! ولما احتضر أبو سليمان

(**وقيل للجنيد**) قدس سره عند النزع (**قل لا إله إلا الله فقال ما نسيته فاذكره**) نقله القشيري في الرسالة يشير إلى أن الذكر يكون عن الغفلة عن المذكور، وأنا لم أغفل عنه طرفة عين فكيف أذكره وهو مقام الاستغراق؟ قال القشيري في الرسالة: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت بعض أصحابنا يقول، قال أبو يزيد عند موته: ما ذكرتك إلا عن غفلة ولا قبضتني إلا على فترة.

(**وسأل**) أبو محمد (**جعفر بن**) محمد بن (**نصير**) البغدادي المعروف بالخلدي، صحب الجنيد وانتمى إليه، وصحب النوري وسمنون مات ببغداد سنة ٣٤٨ (**بكران الدينوري خادم الشبلي**) رحمه الله تعالى: (**ما الذي رأيت منه**) أي عند وفاته؟ (**فقال**) بكران، (**قال**) لي الشبلي: (**علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي شغل أعظم منه**) لأجل براءة الذمة. (**ثم قال**) لي: (**وضئني للصلاة ففعلت**) أي وضأته (**فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك**) بالبناء للمفعول (**على لسانه**) أي لم يطلق التكلم (**فقبض على يدي وادخلها في لحيته**) لأخللها (**ثم مات، فبكى جعفر**) السائل (**وقال: ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة**) وفيه دلالة على كمال فضيلة الشبلي وتعظيمه للشريعة وثباته عليها عند الموت. ورواه القشيري في الرسالة فقال: سمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول: سمعت عبدالله بن علي التميمي يقول: سأل جعفر بن نصير بكران الدينوري وكان يخدم الشبلي فساقه. ورواه ابن الملقن في الطبقات إلا أنه سمى خادمه بكير الدينوري.

(**وقيل لبشر بن الحرث**) الملقب بالحافي قدس سره (**لما احتضر وكان يشق عليه كأنك**) يا أبا نصر (**تحب الحياة؟ فقال: القدوم على الله شديد**) رواه القشيري في الرسالة، وقد روي عن سفيان الثوري أنه لما احتضر قال: كنا نتمناه فإذا هو شديد.

(**وقيل لصالح بن مسمار**) البصري العابد سكن الجزيرة: (**ألا توصي بابنك وعيالك؟ فقال: إني لاستحي من الله أن أوصي بهم إلى غيره**) تعالى (**ولما احتضر أبو سليمان**) عبد

الداراني أتاه أصحابه فقالوا: أبشر فإنك تقدم على رب غفور رحيم، فقال لهم: ألا تقولون إحذر فإنك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير؟ ولما احتضر أبو بكر الواسطي قيل له أوصنا. فقال: احفظوا مراد الحق فيكم. واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت عليك أبكي! فقال: إن كنت باكية فابكي على نفسك! فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة. وقال الجنيد: دخلت على سري السقطي أعوده في مرض موته فقلت: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي … والذي أصابني من طبيبي

فأخذت المروحة لأروحه فقال: كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق؟ ثم أنشأ يقول:

القلب محترق والدمع مستبق … والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له … مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب إن يك شيء فيه لي فرج … فامنن علي به ما دام بي رمقُ

الرحمن بن أحمد (**الداراني**) رحمه الله تعالى (**أتاه أصحابه فقالوا**) له: (**ابشر فإنك تقدم على رب**) كريم (**غفور رحيم فقال لهم: ألا تقولون احذر فإنك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير**) وهذا مقام من غلب على قلبه الخوف فلم يطمئن. (**ولما احتضر الواسطي**) هو أبو بكر محمد بن موسى صحب الجنيد والنوري (**قيل له: أوصنا. فقال: احفظوا مراد الحق فيكم**) وهي كلمة جامعة للخيور كلها فإن مراد الحق من عبده أن يكون له خاصة فلا يضاف إلا له ولا ينتسب إلا إليه، وهذا هو التوحيد الخالص. (**واحتضر بعضهم فبكت امرأته فقال**) لها: (**ما يبكيك؟ فقالت: عليك أبكي، فقال: إن كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة. وقال الجنيد**) قدس سره (**دخلت على**) استاذي (**السري السقطي أعوده في مرض موته فقلت: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:**

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي … والذي بي أصابني من طبيبي)

وهو مثل قول الصديق رضي الله عنه لما قيل له: الا ندعو لك الطبيب؟ قال: قد رآني. وقول حذيفة رضي الله عنه لما قيل له قال: الطبيب أمرضني. (**فأخذت المروحة لأروّحه فقال: كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم أنشأ يقول:**

القلب محترقٌ والدمع مستبق … والكرب مجتمع والصبر مفترقُ
كيف القرار على من لا قرار له … مما جناه الهوى والشوق والقلقُ
يا ربِّ إن يك شيء فيه لي فرج … فامنن عليَّ به ما دام بي رمقُ

وحكي أن قوماً من أصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له: قل لا إله إلا الله، فأنشأ يقول:

إن بيتاً أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج
لا أتاح الله لي فرجاً يوم أدعو منك بالفرجِ

وحكي أن أبا العباس بن عطاء دخل على الجنيد في وقت نزعه فسلم عليه فلم يجبه، ثم أجاب بعد ساعة وقال: أعذرني فإني كنت في وردي! ثم ولى وجهه إلى القبلة وكبّر ومات. وقيل للكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك؟ فقال: لو لم يقرب أجلي ما أخبرتكم به! وقفت على باب قلبي أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه. وحكي عن المعتمر قال: كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق، فقلت: اللهم

(**وحكي أن قوماً من أصحاب**) أبي بكر (**الشبلي دخلوا عليه وهو في الموت فقالوا له: قل لا إله إلا الله، فأنشأ يقول:**

إن بيتاً أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج
لا أتاح الله لي فرجاً يوم أدعو منك بالفرج)

قال القشيري في الرسالة: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول: بلغني عن أبي محمد الهروي قال: مكثت عند الشبلي الليلة التي مات فيها فكان يقول طول ليلته هذه البيتين فساقها ولم يذكر البيت الثالث.

(**وحكي أن أبا العباس**) أحمد بن محمد بن سهل (**بن عطاء**) الأودي من أقران الجنيد (**دخل على الجنيد في وقت نزعه فسلم عليه فلم يجبه ثم أجاب بعد ساعة وقال: أعذرني فإني كنت في وردي**) الذي التزمته فما أمكنني قطعه لرد السلام (**ثم ولى وجهه إلى القبلة وكبر ومات**) نقله القشيري في الرسالة بلفظ وقيل: دخل ابن عطاء على الجنيد وهو يجود بنفسه فسلم فأبطأ في الجواب ثم رد وقال: أعذرني فلقد كنت في وردي ثم مات.

(**وقيل للكتاني**) أبي بكر محمد بن علي البغدادي من أصحاب الجنيد مات بمكة سنة ٣٢٢ (**لما حضرته الوفاة. ما كان عملك؟ فقال: لو لم يقرب أجلي ما أخبرتكم! وقفت على باب قلبي أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه. وحكي عن المعتمر قال: كنت فيمن حضر الحكم بن المطلب**) بن عبدالله بن المطلب بن حنطب بن الحرث بن عبيد بن عمرو بن مخزوم المخزومي أحد أجداد بني مخزوم، قدم منبج وسكنها مرابطاً، ترجمته في تاريخ حلب مبسوطة ووالده المطلب، روى لـه البخاري في جزء القراءة والأربعة، وهو صدوق كثير التدليس

هوّن عليه سكرات الموت فإنه كان وكان ـ فذكرت محاسنه ـ فأفاق فقال: من المتكلم؟ فقلت: أنا! فقال: إن ملك الموت عليه السلام يقول لي، إني بكل سخي رفيق، ثم طفيء. ولما حضرت يوسف بن أسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلقاً فقال: يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع؟ فقال: يا أبا عبدالله وكيف لا أقلق ولا أجزع وإني لا أعلم أني صدقت الله في شيء من عملي! فقال حذيفة واعجبا لهذا الرجل الصالح يحلف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله في شيء من عمله، وعن المغازلي قال: دخلت على شيخ لي من أصحاب هذه الصفة ـ وهو عليل وهو يقول يمكنك أن تعمل ما تريد فأرفق بي. ودخل

والإرسال، وأخوه عبدالله بن المطلب مدني روى له النسائي (**حين جاءه الحق فقلت: اللهم هون عليه سكرات الموت فإنه كان وكان فذكرت محاسنه فأفاق فقال: من المتكلم؟ فقلت: أنا. فقال: إن ملك الموت عليه السلام يقول لي إني بكل سخي رفيق ثم طفيء**) رواه الزبير بن بكار في أنساب قريش قال: سمعت القاسم بن محمد بن المعتمر بن عياض بن حميد بن عوف الزهري يحدث أبي بمنى سنة أربع وتسعين ومائة قال: حدثني حميد بن معيوف الهمداني عن أبيه معيوف بن يحي قال: كنت فيمن حضر الحكم بن المطلب المخزومي عند موته بمنبج فأغمي عليه ولقي شدة فقال بعض من حضره: اللهم هون عليه فأفاق وقال: من المتكلم؟ فقال: المتكلم أنا. فقال: هذا ملك الموت يقول لي إني بكل سخي رفيق. وقد أخرجه محمود بن محمد في كتاب المتفجعين فقال: حدثنا أحمد بن الأسود الحنفي، حدثنا الزبير بن بكار فساقه. وقد عرفت بهذا أن المعتمر في سياق المصنف ليس هو التيمي كما يظن به عند باديء الرأي وليس له رواية في هذه القصة، وإنما هي لحفيده. وقال محمود أيضاً: حدثنا عبيدالله بن محمد، حدثنا مصعب الزبيري قال: مات ابن للمطلب بن عبدالله بن المطلب بن حنطب يقال له الحرث أبو الحكم وعبد العزيز وكان موته بمكة فحج أبوه من قابل، فلما أتى قبره قال: يا بني أتيتك زائراً ومشتاقاً فلم أرك وشهق شهقة فخر ميتاً فدفن إلى جنبه.

(**ولما حضرت**) أبا محمد (**يوسف بن اسباط**) الشيباني الزاهد (**الوفاة شهده حذيفة**) المرعشي وكان بينهما توادد (**فوجده قلقاً**) أي مضطرباً (**فقال: حذيفة: يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع. فقال: يا أبا عبدالله كيف لا أقلق ولا أجزع وإني لا أعلم أني صدقت الله في شيء من عملي، فقال حذيفة. واعجباً لهذا الرجل يحلف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله في شيء من عمله**) وقد روى أبو نعيم في الحلية من طريق موسى بن طريف قال: سمعت يوسف ابن اسباط يقول: لي أربعون سنة ما حك صدري شيء إلا تركته.

(**وعن**) أبي أحمد (**المغازلي**) له ذكر في الرسالة (**قال: دخلت على شيخ من أصحاب هذه القصة وهو عليل**) محتضر (**وهو يقول**) مخاطباً لربه. (**يمكنك أن تعمل بي ما تريد فارفق بي**). طلب من الله تعالى أي يرفق به في قبض الروح. (**ودخل بعض المشايخ على ممشاد**

بعض المشايخ على ممشاد الدينوري في وقت وفاته فقال له: فعل الله تعالى وصنع ـ من باب الدعاء ـ فضحك ثم قال: منذ ثلاثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي. وقيل لرويم عند الموت: قل لا إله إلا الله، فقال: لا أحسن غيره. ولما حضر الثوري الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله، فقال: أليس ثم أمر؟ ودخل المزني على الشافعي رحمة الله عليهما في مرضه الذي توفي فيه فقال له: كيف أصبحت يا أبا عبدالله؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقاً ولسوء عملي ملاقياً ولكأس المنية شارباً وعلى الله تعالى وارداً، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنئها أم إلى النار فأعزيها؟ ثم أنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

الدينوري في وقت وفاته فقال له: فعل الله تعالى بك وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال: منذ ثلاثين سنة تعرض علي الجنة بما فيها فما أعرتها طرفي) وهو يشير إلى مقام الاستغراق بالله فلا يرى شيئاً سواه من النعيم. ولفظ القشيري في الرسالة: ما فعل الله بك وصنع؟ فقال منذ ثلاثين سنة الخ. وفي بعض النسخ فقالوا: أبشر فقد فعل الله بك وصنع وزاد في آخره، وقالوا له عند النزع: كيف تجد قلبك؟ فقال: منذ ثلاثين سنة فقدت قلبي. **(وقيل لرويم)** بن محمد البغدادي **(عند الموت: قل لا إله إلا الله. فقال: لا أحسن غيره. ولما حضر)** أبا الحسن **(النوري)** بضم النون **(الوفاة قيل له: قل لا إله إلا الله. فقال: أليس ثم أمر)**؛ ولفظ الرسالة أليس ثم أعود. قال القشيري: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: كان سبب وفاة أبي الحسين النوري أنه سمع هذا البيت:

لا زلت أنزل من ودادك منزلاً ... تتحير الألباب عند نزوله

فتواجد النوري وهام في الصحراء فوقع في أجمة قصب قد قطعت وبقي أصوله مثل السيوف فكان يمشي عليها ويعيد البيت إلى الغداة والدم يسيل من رجليه، ثم وقع مثل السكران فورمت قدماه فمات. وقد تقدم للمصنف ذلك في كتاب الوجد والسماع.

(ودخل أبو يحيى) إسماعيل **(المزني على الشافعي رحمة الله عليهما في مرضه الذي توفي فيه فقال له: كيف أصبحت يا أبا عبدالله؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقاً ولسوء عملي ملاقياً وبكأس المنية شارباً وعلى الله تعالى وارداً، ولا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ثم أنشأ يقول:**

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي تحت عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تـزل تجود وتعفـو منـة وتكـرمـا
ولولاك لم يغوى بإبليس عابـد فكيف وقد أغوى صفيك آدمـا

ولما حضر أحمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسألة فدمعت عيناه وقال: يا بني باب كنت أدقه خمساً وتسعين سنة هوذا يفتح الساعة لي، لا أدري أيفتح بالسعادة أو الشقاوة، فأني لي أوان الجواب.

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفـو منـة وتكـرمـا
ولولاك لم يغوى بـإبليس عـابـد فكيف وقد أغوى صفيك آدمـا)
رواه البيهقي في مناقبه.

(ولما حضر) أبا حامد (أحمد بن خضرويه) البلخي من كبار مشايخ خراسان صحب أبا تراب النخشي وكان كبيراً في الفتوة (الوفاة سئل) عن مسألة (فدمعت عيناه وقال: يا بني كنت أدقه خمساً وتسعين سنة هوذا يفتح الساعة لي لا أدري أيفتح بالسعادة أو الشقاوة فأني لي أوان الجواب). ولفظ القشيري في الرسالة، سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه وهو في النزع، وان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة فسأله بعض أصحابه عن مسألة فدمعت عيناه وقال: يا بني كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة هوذا يفتح لي الساعة لا أدري بالسعادة أو بالشقاوة أني لي أوان الجواب. قال: وكان عليه سبعمائة دينار وغرماؤه عنده فنظر إليهم وقال: اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم. اللهم فادهم عني. قال: فدق داق الباب وقال: أين غرماء أحمد فقضى عنه، ثم خرجت روحه. مات سنة أربعين ومائتين. ورواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن الحسين بن موسى قال: سمعت منصور بن عبدالله فساقه مثله.

ومما ذكره القشيري من أحوال المحتضرين قال: حكي عن عبدالله بن منازل أنه قال: إن حمدون القصار أوصى إلى أصحابه أن لا يتركوه حال الموت بين النسوان، وقيل: لما حضر بعضهم الوفاة قال: يا غلام أشدد كتافي وعفر خدي ثم قال: دنا الرحيل ولا براءة لي من ذنب ولا عذر أعتذر به ولا قوة أنتصر بها أنت لي أنت لي ثم صاح صيحة ومات، فسمعوا صوتاً استكان العبد لمولاه فقبله. وقال بعضهم: كنت عند ممشاد عند مماته فقيل له: كيف تجد العلة؟ فقال: سلوا العلة عني، فقيل له: قل لا إله إلا الله فحول وجهه إلى الجدار وقال:

أفنيـت كلي بكلـك هـذا جـزاء مـن يحبـك

وقيل لأبي محمد الدبيلي وقد حضرته الوفاة: قل لا إله إلا الله. فقال: هذا شيء قد عرفناه وبه نفتي ثم أنشأ يقول:

تسربـل ثـوب التيـه لما عـرفتـه وصـد ولـم يـرض بـأن أك عبـده

وقيل للشبلي عند وفاته: قل لا إله إلا الله فقال:

قـــال سلطـــان حبـــــه   أنـــا لا أقبـــل الـــرشـــا
فسلـــــوه فـــديتـــــه   لم بقتلي تحرشـــــــــا

قلت: هذا قد رواه ابن الجوزي في كتاب الثبات فقال: أنبأنا ابن ناصر عن ابن المبارك بن عبد الجبار عن أبي علي الحسن بن غالب قال: سمعت أبا الحسن السوسنجردي يقول: قالت أخت الشبلي: كان أخي ينزع وأنا عنده فقلت: يا أخي قل لا إله إلا الله فقال:

إن سلطـــــان حبـــــه   قـــال لا أقبـــل الرشـــا

ثم مات رحمه الله تعالى. ثم قال القشيري: سمعت أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت عبدالله ابن علي التميمي يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: سمعت بعض الفقراء يقول: لما مرض يحيى الاصطخري جلسنا حوله فقال له رجل منا: قل أشهد أن لا إله إلا الله فجلس مستوياً ثم أخذ بيد واحد منا وقال: قل أشهد أن لا إله إلا الله، ثم أخذ بيد الآخر حتى عرض الشهادة على جميع الحاضرين ثم مات. قال: وسمعت بعض الفقراء يقول: لما قرب وفاة أحمد بن نصر قال له واحد: قل أشهد أن لا إله إلا الله فنظر إليه فقال له بالفارسية: بي حرمتي مكن أي لا تترك الحرمة. وقال بعضهم: رأيت فقيراً يجود بنفسه غريباً والذباب يقع على وجهه فجلست أذب عن وجهه ففتح عينه وقال: من هذا أنا منذ كذا وكذا سنة في طلب وقت يصفو لي فلم يتفق إلى الآن جئت أنت توقع نفسك مر عافاك الله. قال: وسمعت منصور المغربي يقول: دخل يوسف بن الحسين على إبراهيم الخواص عائداً له بعد ما أتى عليه أيام لم يعده ولم يتعهده، فلما رآه قال للخواص: أتشتهي شيئاً؟ قال: نعم قطعة كبد مشوي. قال القشيري: لعل الإشارة فيه أنه أراد أشتهي قلباً يرق لفقير وكبداً يشتوي لغريب لأنه كالمتسحفي ليوسف بن الحسين حيث لم يتعهده. قال: وسمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول: سمعت عبدالله بن علي التيمي يقول: سمعت أبا بكر الرقي يقول: كنا عند أبي بكر الزقاق بالغداة فقال: إلهي كم تبقيني ههنا؟ فما بلغ الصلاة الأولى حتى مات. قال: وحكي عن أبي علي الروذباري أنه قال: رأيت بالبادية شاباً حدثاً فلما رآني قال: ما يكفيه شغفي بحبه حتى أعلمني ثم رأيته يجود بروحه فقلت: قل لا إله إلا الله فأنشأ يقول:

أيـــا مـــن ليس لي منـــه   وإن عـــذبني بـــــد
ويـــا مـــن نـــال مـــن قلبي   منـــالاً مالـــه حـــد
أجـــرني مـــن تجنيـــك   فقـــد أقلقني الجهـــد
إذا لم يـــرحـــم المولى   إلى مـــن يشتكـــي العبـــد

قال: وسمعت عبدالله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا الحسن الطرطوسي يقول: سمعت علوش الدينوري يقول: سمعت المزني الكبير يقول: كنت بمكة فوقع بي انزعاج فخرجت أريد

....

المدينة فلما وصلت إلى بئر ميمونة إذا أنا بشاب مطروح فعدلت إليه وهو ينزع، فقلت له: قل لا إله إلا الله ففتح عينه فأنشأ يقول:

أنا إن مت فالهوى حشو قلبي ... وبداء الهوى يموت الكرام

ثم مات فغسلته وكفنته وصليت عليه، فلما فرغت من دفنه سكن ما كان بي من إرادة السفر فرجعت إلى مكة. قال وقيل لبعضهم: أتحب الموت؟ قال: القدوم على من يرجى خيره خير من البقاء مع من لا يؤمن شره.

قلت: رواه أبو نعيم في الحلية من طريق عبد ربه بن صالح قال: دخل مكحول في مرضه الذي مات فيه فقيل له: أحسن الله عاقبتك يا أبا عبدالله فقال: كلا الإلحاق بمن يرجى عفوه خير من البقاء مع من لا يؤمن شره اهـ.

ثم قال: وحكي عن الجنيد إنه قال: كنت عند أستاذي ابن الكرنبي وهو يجود بنفسه، فنظرت إلى السماء فقال: بعد. ثم نظرت إلى الأرض فقال: بعد. يعني أنه أقرب إليك من أن تنظر إلى السماء أو إلى الأرض، بل هو وراء المكان. قال: وسمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت الوجيهي يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: دخلت مصر فرأيت الناس مجتمعين فقالوا: كنا في جنازة فتى سمع قائلاً يقول:

كبرت همة عبد ... طمعت في أن يراكا

فشهق شهقة ثم مات. وقد تقدم في كتاب السماع، ورواه ابن الملقن في الطبقات وزاد بيتاً:

أوما حسب لعين ... أن ترى ما قد رآك

قال القشيري: وسمعت محمد بن أحمد الصوفي يقول: سمعت عبدالله بن علي التميمي يقول: قال الوجيهي: كان سبب موت بنان الحمال أنه ورد على قلبه شيء فهام على وجهه فلحقوه في وسط متاهة بني إسرائيل في الرمل ففتح عينه وقال: إربع، فهذا مربع الأحباب وخرجت روحه. وقال أبو يعقوب النهرجوري: كنت بمكة فجاءني فقير ومعه دينار فقال: إذا كان غداً أموت فاصلح لي بنصف هذا قبراً والنصف لجهازي، فقلت في نفسي: كأنه أصابته فاقة الحجاز، فلما كان بالغداة جاء ودخل الطواف ثم مضى وامتد على الأرض فقلت: هوذا يتماوت فذهبت إليه فحركته فإذا هو ميت، فدفنته كما أمر. وقيل: لما تغيرت الحال على أبي عثمان الحيري مزق ابنه أبو بكر قميصاً ففتح أبو عثمان عينه وقال: إن خلاف السنة في الظاهر من رياء في الباطن. وحكى أبو علي الروذباري قال: قدم علينا فقير فمات فدفنته وكشفت عن وجهه لأضعه في التراب ليرحم الله غربته ففتح عينه وقال: يا أبا علي أتذللني بين يدي من ذللني، فقلت: يا سيدي أحياة بعد الموت؟ فقال: بلى أنا حي وكل محب لله حي لأنصرنك غداً بجاهي يا روذباري. ورواه ابن الملقن في الطبقات ولفظه: قدم علينا فقير في يوم عيد في هيئة رثة فقال: هل عندك مكان نظيف يموت فيه

فقير غريب، فقلت له: كالمتهاون به: أدخل ومت حيث شئت. فدخل فتوضأ وصلى ركعات ثم اضطجع فمات فجهزته والباقي سواء.

قال: ويحكى عن علي بن سهل الأصبهاني أنه قال: أترون أني أموت كما يموت الناس مرض وعيادة إنما ادعى فيقال لي: يا علي فأجيب فكان يمشي يوماً فقال: لبيك ومات. قال: وسمعت محمد بن عبدالله الصوفي يقول: سمعت أبا عبدالله بن خفيف يقول: سمعت أبا الحسن المزني الكبير يقول: لما مرض أبو يعقوب النهرجوري مرض وفاته قلت له وهو في النزع: قل لا إله إلا الله فتبسم إلي وقال: إياي تعني وعزة من لا يذوق الموت ما بيني وبينه إلا حجاب العزة وانطفأ من ساعته. وكان المزني يأخذ بلحيته ويقول: حجام مثلي يلقن أولياء الله الشهادة واخجلتاه منه! وكان يبكي إذا ذكر هذه الحكاية. وقال أبو الحسين المالكي كنت أصحب خير النساج سنين كثيرة فقال لي قبل موته بثمانية أيام: أنا أموت يوم الخميس وقت المغرب وأدفن يوم الجمعة بعد الصلاة وستنسى هذا فلا تنس. قال أبو الحسين: فأنسيته إلى يوم الجمعة فلقيني من خبرني بموته فخرجت لأحضر جنازته فوجدت الناس راجعين يقولون: يدفن بعد الصلاة فلم أنصرف وحضرت فوجدت الجنازة قد أخرجت قبل الصلاة كما قال. سألت من حضر وفاته فقال: إنه غشي عليه ثم أفاق ثم التفت إلى ناحية البيت وقال: قف عافاك الله فإنما أنت عبد مأمور وأنا عبد مأمور، والذي أمرت به لا يفوتك والذي أمرت به يفوتني، فدعا بماء وجدد وصلى ثم تمدد وغمض عينيه فرؤي في المنام بعد موته، وقيل له: كيف حالك؟ فقال: لا تسأل لكن تخلصت عن دنياكم الوضرة.

قلت: وقد رواه أبو نعيم في الحلية فقال: سمعت علي بن هارون الحربي يحكي عن غير واحد ممن حضر خير النساج من أصحابه أنه غشي عليه عند صلاة المغرب ثم أفاق ونظر إلى ناحية من باب البيت فساقه. وفيه بعد قوله: يفوتني فدعني أمضي لما أمرت به والباقي سواء.

قال القشيري: وسمعت أبا عبد الرحمن السلمي يقول: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت أبا جعفر بن قيس يقول: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: كنت بمكة فجزت يوماً بباب بني شيبة فرأيت رجلاً حسن الوجه ميتاً فنظرت في وجهه فتبسم في وجهي وقال: يا أبا سعيد أما علمت أن الأحباء أحياء وإن ماتوا وإنما ينقلون من دار إلى دار، وسمعته يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: بلغني أنه قيل لذي النون عند النزع: أوصنا. قال: لا تشغلوني فإني متعجب من محاسن لطفه وسمعته يقول: سمعت عبدالله بن محمد الرازي يقول: سمعت أبا عثمان الحيري يقول: سئل أبو حفص في حال وفاته ما الذي تعظنا به؟ فقال: لست أقوى على القول، ثم رأى من نفسه قوة فقلت له: قل حتى أحكي عنك، فقال: الانكسار بكل القلب على التقصير. هذا كله سياق القشيري في الرسالة.

ومما نقلته من طبقات ابن الملقن قال الحسين بن الفضل: حضرت أبا الحسين النوري وهو في

....

الموت فقلت له: ألك حاجة أو في نفسك شهوة؟ فرفع رأسه إلي وقد انكسر لسانه فقال: أي والله أشتهي شهوة كبيرة. قلت: وما هي؟ قال: أشتهي أرى الله تعالى ثم تنفس عالياً كالواجد بحاله وفارق الدنيا.

قال: وقال الجنيد: دخلت على السري وهو في النزع فجلست عند رأسه ووضعت خدي على خده فدمعت عيناي فوقع دمعي على خده وقال لي: من أنت؟ قلت: خادمك الجنيد، فقال: مرحباً. فقلت: أوصيني بوصية أنتفع بها: قال: إياك ومصاحبة الأشرار وأن تنقطع عن الله بصحبة الأغيار، ولما حضرته الوفاة قلت له: يا سيدي لا يرون بعدك مثلك. قال: ولا أخلف عليهم بعدي مثلك.

قال: وقيل لحبيب العجمي في مرض الموت: ما هذا الجزع الذي ما كنا نعرفه منك؟ فقال: سفري بعيد بلا زاد وينزل بي في حفرة من الأرض موحشة بلا مؤنس، وأقدم على ملك جبار وقد قدم إلي العذر. ويروى أنه جزع جزعاً شديداً عند الموت فجعل يقول: أريد سفراً ما سافرته قط. أريد أن أسلك طريقاً ما سلكته قط. أريد أن أزور سيدي ومولاي ما رأيته قط. أريد أن أشرف على أهوال ما شاهدت مثلها قط. أريد أن أدخل تحت التراب وأبقى إلى يوم القيامة ثم أقف بين يدي الله تعالى فأخاف أن يقول لي: يا حبيب هات تسبيحة واحدة سبّحتني في ستين سنة لم يظفر الشيطان فيها بشيء، فماذا أقول وليس لي حيلة؟ أقول يا رب هوذا قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقي. قال الرواي: فهذا رجل عبد الله ستين سنة مشتغلاً به ولم يشتغل من الدنيا بشيء قط فكيف حالنا؟

وقال ابن الجوزي في كتاب الثبات، أخبرنا عمر بن ظفر، أخبرنا جعفر بن أحمد، حدثنا عبد العزيز بن علي، أخبرنا أبو الحسن بن جهضم، أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى، حدثني يوسف بن الحسين قال: قال فتح بن شخرف: دخلت على ذي النون المصري عند موته فقلت: كيف تجدك؟ فقال:

أموت وما ماتت إليك صبابتي ... ولا رويت من صدق حبك أوطاري
مناي المنى كل المنى أنت لي منى ... وأنت الغنى كل الغنى عند إقتاري
وأنت مدى سؤلي وغاية رغبتي ... وموضع آمالي ومكنوف إضماري
وبين ضلوعي منك ما لا أبثه ... ولم أبد بادية لأهل ولا جار
سرائر لا تخفى عليك خفيها ... وإن لم أبح حتى التنادي بأسراري
فهب لي نسياً منك أحيا بروحه ... وجد لي بيسر منك يطرد إعساري
أنرت الهدى للمهتدين ولم يكن ... من العلم في أيديهم عشر معشار
فأبصارهم محجوبة وقلوبهم ... تراك بأوهام حديدات أبصار
ألست دليل الركب إن هم تحيروا ... وعصمة من أمسى على جرف هار؟

قال الفتح بن شخرف: فلما ثقل قلت له: كيف تجدك؟ فقال:

ومالي سوى الإطراق والصمت حيلة ... ووضعي على خدي يدي عند تذكاري
وإن طرقتني عبرة بعد عبرة ... تجرعتها حتى إذا عيل تصباري
أفضت دموعاً جمة مستهلة ... أطفي بها حراً تضمن أسراري
ولست أبالي فائتاً بعد فائت ... إذا كنت في الدارين يا واحدي جاري

وأورده ابن الملقن في الطبقات من كتاب بهجة الأسرار لابن جهضم وفيه زيادة أبيات منها بعد البيت الرابع:

تحمل قلبي فيك ما لا أبثه ... وإن طال سقمي فيك أو طال إضراري
ولي منك في الأحشاء داء مخامر ... وقد هدمني الركن وانبث أسراري

ومنها بعد البيت الثامن:

حملت لها القدر المفرق والتقى ... على قدر والهم يجري بمقدار

ومنها قبل البيت الأخير:

فيا منتهى سؤل المحبين كلهم ... أبحني محل الأنس مع كل زوار

وقال ابن جهضم بسنده إلى عبد الجبار قال: صحبت فتح بن شخرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه إلى السماء فرفع رأسه وفتح عينيه ونظر إلى السماء وقال: قد طال شوقي إليك فعجل قدومي عليك، فما أتى عليه الجمعة حتى مات. وقال صاحب مصارع العشاق بسنده إلى أبي إسماعيل الموصلي وكان من أصحاب الفتح بن سعيد شهد فتح العيد ذات يوم بالموصل ورجع بعدما تفرق الناس ورجعت معه فنظر إلى الدخان يفور من نواحي المدينة فبكى ثم قال: قد قرب الناس قربانهم فليت شعري ما فعلت في قرباني عندك أيها المحبوب، ثم سقط مغشياً عليه. فجئت بماء فمسحت به وجهه فأفاق ثم مضى حتى دخل بعض أزقة المدينة فرفع رأسه إلى السماء وقال: علمت طول حزني وغمي وترددي في أزقة الدنيا فحتى متى تحبسني أيها المحبوب ثم سقط مغشياً عليه، فجئت بماء فمسحت به وجهه فأفاق فما عاش بعد ذلك أياماً حتى مات..

•

وقال ابن الجوزي في كتاب الثبات: أخبرنا ابن ناصر، أخبرنا أحمد بن أحمد، حدثنا أبو نعيم أحمد بن عبدالله قال: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن محمد بن يوسف، حدثنا أبي، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن القاسم خادم محمد بن أسلم الطوسي قال: دخلت عليه قبل موته بأربعة أيام فقال: تعال أبشرك بما صنع الله بأخيك من الخير قد نزل بي الموت وقد من الله تعالى علي أنه ليس عندي درهم يحاسبني عليه أغلق الباب ولا تأذن لأحد علي حتى أموت، واعلم أني أخرج من الدنيا وليس أدع ميراثاً غير كسائي ولبدي وإنائي الذي أتوضأ فيه وكتبي، وكانت معه صرّة كان فيها نحو ثلاثين درهماً فقال: هذا لابني أهداه له قريب له ولا أعلم شيئاً أحل لي منه لأن النبي ﷺ قال: «أنت وما لك

فهذه أقاويلهم، وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب، فتكلم كل واحد منهم على مقتضى حاله، والكل صحيح بالإضافة إلى أحوالهم.

لأبيك» فكفنوني منها فإن أصبتم لي بعشرة دراهم ما يستر عورتي فلا تشتروا بخمسة عشر وابسطوا على جنازتي لبدي غطوا عليها بكسائي وتصدقوا بإنائي أعطوه مسكيناً يتوضأ منه، ثم مات في اليوم الرابع.

وقال أبو الحسن بن جهضم في بهجة الأسرار: أخبرنا أحمد بن محمد بن علي، حدثني عثمان بن سهل قال: دخلت على عمرو بن عثمان المكي في علته التي توفي فيها فقلت له: كيف تجدك؟ فقال: أجد سري واقفاً مثل الماء لا يختار النقلة ولا المقام.

وقال الخطيب: أخبرنا أحمد بن علي المحتسب، حدثنا الحسن بن الحسين بن حمكان، سمعت أبا الحسن علي بن إبراهيم البغدادي يقول: سمعت أبا عبد الخالق باذي يقول: حضرنا يوسف بن الحسين وهو يجود بنفسه فقال: اللهم إني نصحت خلقك ظاهراً وغششت نفسي باطناً فهب لي غشي لنفسي لنصحي لخلقك ثم خرجت روحه.

وقال ابن الجوزي: قال أبو الوفاء بن عقيل، ونقلته من خطه، قال بعض أصحاب عبد الصمد الزاهد حضرته عند موته وهو يقول: يا سيدي لليوم خبأتك لهذه الساعة اقتنيتك حقق حسن ظني بك.

(**فهذه أقاويلهم**) عند سفرهم للآخرة، (**وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم**) من خوفهم ورجائهم وحبهم للقاء الله تعالى (**فغلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى بعضهم الشوق والحب**) للقاء الله تعالى، (**فتكلم كل واحد على مقتضى حاله**) بما أقامه الله فيه، (**والكل صحيح بالإضافة إلى أحوالهم**) وبالله التوفيق.

الباب السادس
في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور

اعلم أن الجنائز عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لا لأهل الغفلة، فإنها لا تزيدهم مشاهدتها إلا قساوة، لأنهم يظنون أنهم أبداً إلى جنازة غيرهم ينظرون، ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز يحملون ذلك، ولكنهم على القرب لا يقدرون، ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون، فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم، فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولاً عليها، فإنه محمول عليها على القرب وكأن قد، ولعله في غد أو بعد غد. ويروى عن أبي هريرة أنه كان إذا رأى جنازة قال: امضوا فإنا على الأثر. وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال: اغدوا

الباب السادس

في أقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور:

(**اعلم**) بصرك الله تعالى (**أن الجنازة**) بالفتح والكسر أفصح. وقال الأصمعي: بالكسر الميت نفسه وبالفتح السرير. وروى أبو عمر الزاهد عن ثعلب عكس هذا فقال بالكسر السرير وبالفتح الميت نفسه، (**عبرة للبصير وفيها تنبيه وتذكير لا لأهل الغفلة فإنها لا تزيدهم مشاهدتها إلا قساوة لأنهم يظنون أنهم أبداً إلى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لا محالة على الجنائز**) أي السرر (**يحملون أو يحسبون ذلك، ولكنهم على القرب لا يقدرون**) أي لا يقدرون الموت على أنفسهم قريباً، (**ولا يتفكرون أن المحمولين على الجنائز هكذا**) كانوا (**يحسبون فبطل حسبانهم وانقرض على القرب زمانهم فلا ينظرنّ عبد إلى جنازة إلا ويقدر نفسه محمولاً عليها فإنه محمول عليها وكأن قد**) حمل عليها (**ولعله في غد أو بعد غد**) وما أقرب ذلك إذ كل آت قريب. (**يروى عن أبي هريرة**) رضي الله عنه (**أنه كان إذا رأى جنازة قال: امضوا فإنا على الأثر**) أي لاحقون بكم. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا عبد الرزاق عن معمر قال: بلغني عن أبي هريرة أنه كان إذا مر بجنازة قال: روحي فإنا غادون أو أغدي فإنا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول ويبقى الآخر لا عقل له.

فإنا رائحون. موعظة بليغة وغفله سريعة يذهب الأوّل والآخر لا عقل له. وقال أسيد بن حضير: ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر إليه. ولما مات مالك بن دينار خرج مالك في جنازته يبكي ويقول: والله لا تقر عيني حتى أعلم إلى ماذا صرت إليه، ولا أعلم ما دمت حياً. وقال الأعمش: كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعـزي لحزن الجميع. وقال ثابت البناني: كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقنعاً باكياً.

(وكانَ) أبو عبدالله **(مكحول الدمشقي)** فقيه الشام رحمه الله تعالى **(إذا رأى جنازة قال: أغدوا فإنا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الأول والآخر لا عقل له)**. هذا القول روي عن أبي هريرة كما ذكر قبل هذا. وعن أبي الدرداء أيضاً رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، حدثنا أبو الهيثم بن خارجة، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن شرحبيل أن أبا الدرداء كان إذا رأى جنازة قال: أغدوا فإنا رائحون أو روحوا فإنا غادون موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعظاً يذهب بالأول فالأول ويبقى الأخير لا حلم له. ورواه صاحب كتاب المتفجعين فقال: حدثنا محمد ابن جبلة، حدثنا الهيثم بن خارجة، حدثنا إسماعيل، عن شرحبيل بن مسلم عن أبي الدرداء أنه كان إذا رأى جنازة قال: روحي فإنا غادون موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعظاً يذهب الأول ويبقى الآخر لا فكرة له ولا حلم.

(وقال) أبو يحي **(أسيد بن حضير)** بالتصغير **فيهما ابن سماك بن عتيك** الأنصاري الأشهلي أحد النقباء رضي الله عنه مات سنة عشرين أو اثنين وعشرين: **(ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر إليه)**. رواه ابن المبارك في الزهد، وأحمد في مسنده من طريق فاطمة ابنة الحسين بن علي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أسيد من أفاضل الناس وكان يقول: لو أني أكون كما أكون على أحوال ثلاث لكنت حين اقرأ القرآن أو حين أسمعه يقرأ، وإذا سمعت خطبة رسول الله ﷺ، وإذا شهدت جنازة وما شهدت جنازة قط فحدثت نفسي بسوى ما هو مفعول بها وما هي صائرة إليه.

(ولما مات أخو مالك بن دينار) البصري الزاهد رحمه الله تعالى **(خرج مالك في جنازته)** وهو يبكي **(ويقول: والله لا تقرعيني حتى أعلم إلى ماذا صرت ولا أعلم ما دمت حياً)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. **(وقال)** سليمان بن مهـران **(الأعمش)** رحمه الله تعـالى: **(كنـا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن الجميع)** قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبدالله بـن محمد، حدثنا عبد الرحمن بن الحسن، حدثنا عمرو الأودي، حدثنا وكيع، عن الحسن بن صالح، عن الأعمش قال: إن كنا لنشهد الجنازة فلا ندري من نعزي لحزن القوم. **(وقال)** أبو محمد **(ثابت)** بن أسلم **(البناني)** رحمه الله تعالى: **(كنا نشهد الجنائز فلا نرى إلا متقنعاً باكياً)**.

فهكذا كان خـوفهـم مـن الموت. الآن لا تنظـر إلى جماعـة يحضرون جنـازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون، ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته، ولا يتفكر أقرانه وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه، ولا يتفكر واحد منهـم إلى ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حمل عليها. ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب، حتى نسينا الله تعالى واليوم الآخر والأهوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا. فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه الغفلة فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت، ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت. نظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على الميت فقال: لـو

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن الحرث وعبدالله بن أبي زياد قالا: حدثنا سيار، حدثنا ثابت قال: كنا نتبع الجنازة فما نرى إلا متقنعاً باكياً أو متقنعاً متفكراً.

(فهكذا كان خـوفهـم مـن الموت، والآن لا تنظـر إلى جماعـة يحضرون جنـازة إلا وأكثرهم يضحكون ويلهون ولا يتكلمون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكر اقرانه وأقاربه إلا في الحيلة التي بها يتناول بعض ما خلفه) . نسأل الله التوفيق. وقد روى صاحب كتاب المتفجعين، عن الميموني، عن أحمد بن حنبل عن سفيان قال: رأى ابن مسعود رجلاً يضحك في جنازة فقال: اتضحك مع الجنازة لا أكملك أبداً. ذكر سفيان إسناده فقال: قال عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن رجل من بني عبـس يقال له أبو بحر قال الميموني: حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي قال: سمعت أبي يذكر ذلك عن يزيد ابن عبدالله عن بعض أصحابه قال: رأى عبدالله رجلاً يضحك في جنازة فقال: تضحك وأنت تتبع الجنازة والله لا أكمك أبداً. وقال الميموني: حدثنا أحمد بن حنبل قال: سمعت وكيعاً يقول: أبو بحر الذي روى عنه حسن هو صاحب لنا وكان معنا وقد رأيته يقال له يزيد بن عبدالله، حدثني عنه أصحابنا أن ابن مسعود رأى رجلاً يضحك في جنازة فقال له: تضحك في الجنازة والله لا أكملك أبداً. ومن طريق ضمرة بن حبيب عن عمه المهاصر قال: موطنان لا ينبغي لمؤمن أن يضحك منهما القرد حين يراه ومطلعه إلى القبر. (ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله في جنـازة نفسه وفي حاله إذا حمل عليها، ولا سبب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة المعاصي والذنوب، حتى نسينا الله تعالى و) نسينا (اليوم الآخر و) نسينا (الأهوال) العظيمة (التي بين أيدينا فصرنا نلهو) ونلعب (ونغفل ونشتغل بما لا يعنينا) ولا يهمنا، (فنسأل الله تعالى اليقظة) والانتباه (من هذه الغفلة فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاؤهم على الميت، ولو عقلوا لبكوا على أنفسهم لا على الميت) .

ترحمون على أنفسكم لكان خيراً لكم، إنه نجا من أهوال ثلاثة: وجه ملك الموت وقد رأى، ومرارة الموت وقد ذاق، وخوف الخاتمة وقد أمن. وقال أبو عمرو بن العلاء جلست إلى جرير وهو يملي على كاتبه شعراً فاطلعت جنازة فأمسك وقال شيبتني والله هذه الجنائز. وأنشأ يقول:

تـروعنـا الجنـائـز مقبلات ... ونلهو حين تذهب مدبـرات

كـروعـة ثلـة لمغـار ذئـب ... فلما غـاب عـادت راتعـاتِ

فمن آداب حضور الجنائز: التفكر والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة

يحكى أنه (**نظر إبراهيم الزيات**) رحمه الله تعالى (**إلى أناس يترحمون على ميت فقال: لو ترحمون على أنفسكم لكان خيراً لكم إنه نجا من أهوال ثلاثة**) كل منها أعظم من الآخر الهول الأوّل: (**وجه ملك الموت قد رأى**) فقد وردت الأخبار بأن كل ميت يراه بصورته فيذهل من مشاهدتها. (**و**) الهول الثاني: (**مرارة الموت وقد ذاق**) وناهيك بها مرارة لا تدخل تحت الوصف. (**و**) الهول الثالث: (**خوف الخاتمة**) بأن يسلب الإيمان (**وقد أمن**) منه.

(**وقال أبو عمرو بن العلاء**) بن عمار بن العريان المازني النحوي القارىء ثقة من علماء العربية، واختلف في اسمه على أقوال فقيل: زبان. وقيل العريان، وقيل يحيى، وقيل جزء والأوّل أشهر والثاني أصح عند الصولي، مات سنة أربع وخمسين ومائة وهو ابن ست وثمانين سنة روى له البخاري معلقاً، وأبو داود في كتاب القدر له، وابن ماجه في التفسير له: (**جلسنا إلى جرير**) بن الخطفي واسمه عطية بن حذيفة (**وهو يملي على كاتبه شعراً**) فيكتبه (**فاطلعت جنازة فأمسك**) عن الإملاء (**وقال: شيبتني والله هذه الجنائز وأنشأ يقول:**

تـروّعنـا الجنـائـز مقبلات ... ونلهـو حين تـذهـب مـدبـراتِ

كـروعـة ثلـة لمغـار ذئـب ... فلما غـاب عـادت راتعـاتِ)

الروعة: المخافة، والثلة: جماعة الغنم، والمغار: الإغارة. وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين: حدثنا أحمد بن الأسود الحنفي قال: أنشدنا نصر بن قديد الليثي لعروة بن أذينة الليثي:

نـراع إذا الجنـائـز قـابلتنـا ... ويحزننـا بكـاء البـاكيـاتِ

كـروعـة ثلـة لمغـار سبـع ... فلما غـاب عـادت راتعـاتِ

قال: وحدثنا أحمد بن الأسود قال: سمعت ابن عائشة يقول: سمعت سفيان بن عيينة يتعجب لبيتي لبيد:

ونحدث فزعات لدى كل روعة ... ونسرع نسياناً ولم يأتنا أمنُ

وإنـا ولا كفـران لله ربنـا ... لكالبدن ما تدري متى يومها البدنُ

(**فمن آداب حضور الجنائز: التفكر والتنبه والاستعداد والمشي أمامها على هيئة**

التواضع ـ كما ذكرنا آدابه وسننه في فن الفقه ـ ومن آدابه حسن الظن بالميت ، وإن كان فاسقاً ، وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح ، فإن الخاتمة مخطرة لا تدري حقيقتها ، ولذلك روي عن عمر بن ذر أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفاً على نفسه ، فتجافى كثير من الناس عن جنازته ، فحضرها هو وصلى عليها ، فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال : يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود ، وإن قالوا مذنب وذو خطايا ، فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا ؟

ويحكى أن رجلاً من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة ، فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته إذ لم يدرِ بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه ، فاستأجرت حمالين وحملتها إلى المصلى فما صلى عليه أحد ، فحملتها إلى الصحراء للدفن ، فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار ، فرأته كالمنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلي عليها ، فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه ، وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال : قيل لي في المنام

التواضع ـ كما ذكرنا آدابه وسننه في فن الفقه ـ ومن آدابه حسن الظن بالميت وإن كان فاسقاً ، وإساءة الظن بالنفس وإن كان ظاهرها الصلاح ، فإن الخاتمة مخطرة لا يدري حقيقتها ، ولذلك روي عن) أبي ذر **(عمر بن ذر)** بن عبدالله بن زرارة الهمداني بسكون الميم المرجي الكوفي ثقة مات سنة ثلاث وخمسين ومائة ، روى له البخاري وأبو دادو والنسائي وابن ماجه في كتاب التفسير له ، **(أنه مات واحد من جيرانه وكان مسرفاً على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته)** أي لم يحضروها **(فحضرها هو وصلّى عليها ، فلما دلي في قبره)** أي أنزل **(وقف على قبره وقال : يرحمك الله يا أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وإن قالوا مذنب وذو خطايا ، فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا)** . وروى أبو نعيم في الحلية من طريق النضر بن إسماعيل قال : شهدت عمر بن ذر في جنازة وحوله الناس ، فلما وضع الميت على شفير القبر بكى عمر ثم قال : أيها الميت ؟ أما أنت فقد قطعت سفر الدنيا وطوباك إن توسدت في قبرك خيراً .

(ويحكى أن رجلاً من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امرأته من يعينها على حمل جنازته إذ لم يدر بها أحد من جيرانه لكثرة فسقه) ولنهماكه في الفجور ، **(فاستأجرت حمالين وحملتها إلى المصلى فما صلى عليه واحد ، فحملتها إلى الصحراء للدفن وكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار ، فرأوه كالمنتظر للجنازة ثم قصد أن يصلي عليها فانتشر الخبر في البلد بأن الزاهد المذكور قد نزل)** من صومعته **(ليصلي على فلان)** الفاسق ، **(فخرج أهل البلد)** يهرعون إليه **(فصلّى الزاهد وصلوا**

إنزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصلِّ عليه فإنه مغفور له، فزاد تعجب الناس! فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته؟ قالت: كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولاً بشرب الخمر! فقال: انظري هل تعرفين منه شيئاً من أعمال الخير؟ قالت: نعم، ثلاثة أشياء: كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه ويتوضأ ويصلي الصبح في جماعة ثم يعود إلى المأخور ويشتغل بالفسق.

والثاني: أنه كان أبداً لا يخلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده، وكان شديد التفقد لهم.

والثالث: أنه كان يفيق في أثناء فكره في ظلام الليل فيبكي ويقول: أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث؟ يعني نفسه. فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره. وعن صلة بن أشيم وقد دفن أخ له فقال على قبره:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا أخالك ناجيا

عليه) موافقة له، (وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه) وسألوه عن ذلك (فقال: قيل لي في المنام: انزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها إلا امرأة فصلّ عليه فإنه مغفور له فزاد تعجب الناس) من ذلك، (فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته قالت: كما عرف) بين الناس (كان طول نهاره في الماخور) أي بيت الخمر (مشغولاً بشرب الخمر فقال: انظري هل تعرفين منه شيئاً من أعمال الخير؟ قالت: نعم ثلاثة أشياء).

الأوّل: أنه (كان كل يوم يفيق من سكره وقت الصبح يبدل ثيابه) أي يغيرها (ويتوضأ ويصلي الصبح في جماعة ثم يعود إلى الماخور ويشتغل بالفسق) من الشرب وغيره.

(والثاني: أنه كان أبداً لا يخلو بيته عن يتيم أو يتيمين) يكفلهم (وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد التفقد لهم).

(والثالث: أنه كان يفيق في أثناء سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول: يا رب أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الخبيث ـ يعني نفسه ـ فانصرف الزاهد وقد ارتفع اشكاله من أمره) وأخبر الناس بذلك.

(وعن) أبي الصهباء (صلة بن أشيم) العدوي البصري الزاهد (وقد دفن أخ له فقال على قبره:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا أخالك ناجيا)

بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور:

قال الضحاك: قال رجل: يا رسول الله من أزهد الناس؟ قال: «من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غداً من أيامه وعد نفسه من أهل القبور». **وقيل لعلي كرّم الله وجهه: ما شأنك جاورت المقبرة؟ قال: إني**

هذا السياق مزال عن أصله. وقد رواه أبو نعيم في الحلية على أصله فقال: حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا محمد بن سهل بن الصباح، حدثنا حميد بن مسعود، حدثنا جعفر بن سليمان، عن هشام، عن الحسن قال: مات أخ لنا فصبرنا عليه، فلما وضع في قبره ومدّ عليه الثوب جاء صلة بن أشيم فأخذ بناحيــة الثوب ثم نادى: يا فلان بن فلان إنك:

فإن تنج منها تنـج مـن ذي عظيمـة ... وإلا فـإني لا أخـالـك نـاجيـاً

قال: فبكى وأبكى الناس. وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا أحمد بن الأسود، حدثنا الصلت بن مسعود، حدثنا جعفر بن سليمان، عن هشام بن حسان، عن الحسن قال: كنا في جنازة فلما دفن الميت قال صلة بن أشيم العدوي على القبر فقال:

إن تنج منهـا تنـج مـن ذي عظيمـة ... وإلا فـإني لا أخـالـك نـاجيـا

وقال أيضاً: حدثنا أحمد بن الأسود، حدثنا ابن عائشة، حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن قيس قال: وقف عسعس بن سلامة على قبر فقال:

فإن تنج منها تنـج مـن ذي عظيمـة ... وإلا فـإني لا أخـالـك نـاجيـا

فقيل: يا أبا صفرة في هذا الموضع؟ قال: نعم انتهى. وقال أحمد في الزهد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت أن أخاً لصلة بن أشيم مات فجاءه رجل وهو يطعم فقال: يا أبا الصهباء إن أخاك مات. فقال: هلم فكل فقد نعى إلينا فقال: والله ما سبقني إليه أحد فمن نعاه قال يقول الله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر: ٣٠].

بيان حال القبر وأقاويلهم عند القبور:

(**قال الضحاك**) بن مزاحم الهلالي أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني المفسر صدوق كثير الإرسال، مات بعد المائة روى له الأربعة (**قال رجل: يا رسول الله من أزهد الناس؟ قال: «من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ومن لم يعد غداً من أيامه وعدّ نفسه من أهل القبور»**) رواه البيهقي في الشعب عن الضحاك مرسلاً. وقد تقدم في كتاب الزهد والفقر. وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن الضحاك بن مزاحم قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال فساقه وفيه: وترك أفضل زينة الدنيا، وفيه وعدّ نفسه من الموتى.

(**وقيل لعلي كرم الله وجهه: ما شأنك جاورت المقبرة؟ قال: إني أجدهم خير جيران إني**

أجدهم خير جيران إني أجدهم جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة. **وقال رسول الله ﷺ : « ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه ». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه**: خرجنا مع رسول الله ﷺ **إلى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه. فبكى وبكيت وبكوا فقال: « ما يبكيكم؟ » قلنا: بكينا لبكائك! قال: « هذا قبر أمي** آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي، **فاستأذنته أن أستغفر لها فأبى علي، فأدركني ما يدرك الولد من الرقة ». وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على**

أجدهم جيران صدق يكفون الألسنة ويذكرون الآخرة) رواه أبو بكر بن أبي شيبة، عن أبي أسامة، عن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي عن أبيه قال: قيل لعلي: ما شأنك أبا حسن جاورت المقبرة؟ فذكره. وروى أبو نعيم في الحلية من ترجمة زيد بن أسلم قال: سكن رجل المقابر فعوتب في ذلك. فقال جيران صدق ولي فيهم عبرة.

(**وقال رسول الله ﷺ : « ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه »**) روي ذلك من حديث عثمان، وقد تقدم في الباب الثالث من كتاب آداب الصحبة وسيأتي له ذكر أيضاً.

(**وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى المقابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكيت وبكوا فقال: « ما يبكيكم؟ قلنا: بكينا لبكائك. قال: « هذا قبر أمي آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فاستأذنته أن أستغفر لها فأبى عليّ فأدركني ما يدرك الولد من الرقة »**) قال العراقي: تقدم في آداب الصحبة أيضاً. ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث ابن مسعود، وفيه ذكر لعمر بن الخطاب انتهى.

قلت: حديث الاستئذان بزيارة قبر الأم قد ورد من طريق من حديث أبي هريرة وبريدة بن الحصيب ولابن مسعود، فحديث أبي هريرة قال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: زار رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: « استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت ». وقد رواه كذلك أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن حبان.

وحديث بريدة بن الحصيب رواه ابن أبي شيبة أيضاً فقال: حدثنا محمد بن عبيد الله الأسدي، عن سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة أتى جذع قبر فجلس إليه فجعل يحرك يده ورأسه كهيئة المخاطب وأجلس الناس حوله فقام وهو يبكي فتلقاه عمر وكان من أجرأ الناس عليه فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ قال: « هذا قبر أمي سألت ربي الزيارة فأذن لي وسألته الاستغفار فلم يأذن لي فذكرتها فرقت نفسي فبكيت » قال: فلم ير يوماً كان أكثر باكياً منه يومئذ.

قبر بكى حتى يبل لحيته، فسئل عن ذلك وقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي! وتبكي إذا وقفت على قبر؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد». وقيل:

وقال محمود بن محمد في كتاب المتفعجين: حدثني محمد بن علي بن ميمون، حدثنا الفريابي، حدثنا سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة قال: أتى نبي الله ﷺ رسم قبر فجلس وجلس الناس عنده فجعل يحرك يده ورأسه كالمخاطب وقام يبكي فقال له عمر: ما يبكيك يا نبي الله قال: «استأذنت ربي عز وجل في زيارة قبر أم محمد فأذن لي وسألته الاستغفار لها فأبى علي».

قلت: هكذا هو في سياق السند عن سليمان بن بريدة. قال: ولعله سقط لفظ عن أبيه والله أعلم.

وحديث ابن مسعود رواه الحاكم ولفظه: «إن القبر الذي رأيتموني أناجي فيه قبر آمنة بنت وهب وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فيه واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فيه ونزل علي: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ [التوبة: ١١٣] فأخذني ما يأخذ الولد للوالدة من الرقة فذلك الذي أبكاني». وقال ابن شيبة: حدثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن زيد، حدثنا فرقد السبخي، حدثنا جابر بن زيد، حدثنا مسروق، وعن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «إني نهيتكم عن زيارة القبور فإنه قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزوروها تذكركم». وقد تقدم الكلام على شيء من ذلك في كتاب آداب الصحبة.

(وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي إذا وقفت على قبر؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد») قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه ابن ماجه والحاكم وصححه، وتقدم في آداب الصحبة انتهى.

قلت: ورواه كذلك حسان بن السري، وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد، والبيهقي.

وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين: حدثنا محمد بن جبلة والميموني قالا: حدثنا يحيى بن معين، حدثنا هشام بن يوسف الصاغاني، حدثني عبدالله بن بحير عن هانىء مولى عثمان عن عثمان أنه كان إذا وقف على القبر بكى حتى تبلّ الدموع لحيته فقيل له: إنك تذكر الجنة والنار فلا نراك تبكي وتبكي من القبر؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده شر منه». وقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه». قال عثمان: فكان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت قال: «استغفروا لصاحبكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل». ورواه أبو نعيم في الحلية مختصراً فقال: حدثنا فاروق الخطابي، حدثنا أبو مسلم، حدثنا علي بن عبدالله المديني، حدثنا هشام بن يوسف، حدثنا عبدالله ابن يحيى، عن هانىء مولى عثمان بن عفان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته.

إن عمرو بن العاص نظر إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين، فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه؟ فقال: ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما. وقال مجاهد: أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول: أنا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة، هذا ما أعددت لك فما أعددت لي؟ وقال أبو ذر: ألا أخبركم بيوم فقري، يوم أوضع في قبري. وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور، فقيل له في ذلك فقال: اجلس إلى قوم يذكروني معادي وإذا قمت لم يغتابوني. وكان جعفر بن محمد يأتي القبور ليلاً ويقول: يا أهل القبور ما لي إذا دعوتكم لا تجيبوني! ثم يقول: حيل والله بينهم وبين جوابي وكأني بي أكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر.

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه: يا فلان لقد أرقت الليلة أتفكر في القبر وساكنه، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به! ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح

(**وقيل: إن عمرو بن العاص**) رضي الله عنه (**نظر إلى المقبرة**) يوماً (**فنزل**) عن دابته (**وصلى ركعتين فقيل له: هذا شيء لم تكن تصنعه**) فهل له من سبب؟ (**فقال**): نعم (**ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. (**وقال مجاهد**) رحمه الله تعالى: (**أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول: أنا بيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا ما أعددت لك فماذا أعددت لي**)؟ ويروى نحوه مرفوعاً من حديث أبي الحجاج الثمالي والبراء بن عازب وغيرهما، وأقرب السياق إليه حديث البراء، وقول عبيد بن عمير كما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى في بيان كلام القبر للميت. (**وقال أبو ذر**) الغفاري رضي الله عنه: (**ألا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. (**وكان أبو الدرداء**) رضي الله عنه (**يقعد إلى القبور فقيل له في ذلك. فقال: أجلس إلى قوم يذكروني معادي وإذا قمت لم يغتابوني**) ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. (**وكان**) أبو عبدالله (**جعفر بن محمد**) بن علي بن الحسين رحمه الله تعالى (**يأتي القبور ليلاً ريقول: يا أهل القبور مالي إذا دعوتكم لا تجيبوني، ثم يقول: حيل الله بينهم وبين جوابي وكأني بي أكون مثلهم، ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(**وقال عمر بن عبد العزيز**) رحمه الله تعالى (**لبعض جلسائه: يا فلان**) كذا في النسخ وفي الحلية أبا فلان (**لقد أرقت الليلة أتفكر**) قال: فيم أمير المؤمنين؟ قال: (**في القبر وساكنه إنك لو رأيت الميت بعد ثالثة في قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به**) ولفظ الحلية بناحيته، (**ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخترقه الديدان مع**

وبلي الأكفان، بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب، **قال**: ثم شهق شهقة خرّ مغشياً عليه. وكان يزيد الرقاشي يقول: أيها المقبور في حفرته والمتخلي في القبر بوحدته المستأنس في بطن الأرض بأعماله. ليت شعري بأي أعمالك استبشرت وبأي إخوانك اغتبطت؟ ثم يبكي حتى يبل عمامته ثم يقول: استبشر والله بأعماله الصالحة واغتبط والله بإخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يخور الثور. وقال حاتم الأصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم. وكان

تغير الريح، وبلي الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب، ثم شهق شهقة خرّ مغشياً عليه) رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبان، حدثني أبي، حدثنا أبو بكر بن سفيان، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا عمرو بن جرير، حدثني أبو السريع الشامي قال: قال عمر بن عبد العزيز لرجل من جلسائه فساقه. زاد بعد قوله مغشياً عليه فقالت فاطمة: يا مزاحم ويحك أخرج هذا الرجل عنا فلقد نغص على أمير المؤمنين الحياة منذ ولي فليته لم يل. قال: فخرج الرجل فجاءت فاطمة تصب على وجهه الماء وتبكي حتى أفاق من غشيته فرآها تبكي فقال: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا أمير المؤمنين رأيت مصرعك بين أيدينا فذكرت به مصرعك بين يدي الله تعالى للموت وتخليك من الدنيا وفراقك لنا فذلك الذي أبكاني فقال: حسبك يا فاطمة فلقد أبلغت ثم مال ليسقط فضمته إلى نفسها فقالت: بأبي أنت يا أمير المؤمنين ما تستطيع أن نكلمك بكل ما نجد لك في قلوبنا فلم يزل على حاله تلك حتى حضرته الصلاة فصبت على وجهه ماء، ثم نادته الصلاة يا أمير المؤمنين فأفاق فزعاً.

قلت: أبو بكر بن سفيان في سياق السند هو ابن أبي الدنيا وهكذا أورده بهذا السياق كله في كتاب القبور له.

(وكان يزيد) بن أبان **(الرقاشي)** البصري التابعي رحمه الله تعالى **(يقول: أيها المقبور في حفرته المتخلي في القبر بوحدته المستأنس في بطن الأرض بأعماله ليت شعري بأي أعمالك استبشرت وبأي إخوانك اغتبطت؟ ثم يبكي حتى يبلّ عمامته ثم يقول: استبشر والله بأعماله الصالحة واغتبط والله بإخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى، وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يخور الثور)**. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور بلفظ قال يزيد الرقاشي: بلغني أن الميت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت: أيها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الأخلاّء والأهلون فلا أنيس لك اليوم غيرنا. ورواه الخطيب في التاريخ وزاد: ثم يبكي يزيد ويقول فطوبى لمن كان أنيسه صالحاً والويل لمن كان أنيسه عليه وبالاً. وروى أبو نعيم في الحلية من طريق أبي إسحاق الخميسي قال: كان يزيد الرقاشي يقول في قصصه: يا معشر من القبر بيته والموت موعده ألا تبكون؟ قال: فبكى حتى سقطت أشفار عينيه.

(وقال) أبو عبد الرحمن **(حاتم)** بن يوسف **(الأصم)** مولى المثنى المحاربي رحمه الله تعالى:

بكر العابد يقول: يا أماه ليتك كنت بي عقيماً إن لابنك في القبر حبساً طويلاً ومن بعد ذلك منه رحيلاً. وقال يحي بن معاذ: يا ابن آدم دعاك ربك إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه: إن أجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها، وإن أجبته من قبرك منعتها. وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول: ما أحسن ظواهرك إنما الدواهي في بواطنك! وكان عطاء السلمي إذا جن عليه الليل خرج إلى المقبرة ثم يقول: يا أهل القبور متم فواموتاه! وعاينتم أعمالكم فواعملاه! ثم يقول غداً عطاء في القبور، فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح. وقال سفيان: من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من

(**من مرّ بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. (**وكان بكر**) بن محمد (**العابد**) رحمه الله تعالى حكى عن مالك بن دينار له ذكر في الحلية (**يقول**) لأمه: (**يا أماه ليتك كنت بي عقيماً إن لابنك في القبر حبساً طويلاً وبعد ذلك منه رحيلاً**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. (**وقال يحي بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالى: (**يا ابن آدم دعاك ربك إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه: إن أجبتـه من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها وإن أجبته من قبرك منعتها**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. (**وكان الحسن بن صالح**) بن حي بن حيان بن شفي الهمداني الثوري الكوفي العابد مولده سنة مائة. ومات سنة تسع وستين، روى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة(**إذا أشرف على المقابر يقول: ما أحسن ظواهرك إنما الدواهي في بواطنك**)رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، وروى أبو نعيم من طريق يحي بن يونس قال: كان الحسن بن صالح ينظر إلى المقبرة فيصرخ ويغشى عليه. (**وكان عطاء السـلمي**) البصري العابد رحمه الله تعالى (**إذا جنّ عليه الليل خرج إلى المقبرة ثم يقول: يا أهل القبور متم فواموتاه! وعاينتم أعمالكم فوا عملاه! ثم يقول غداً عطاء في القبور فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح**). قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن قال: سمعت عبد الخالق بن عبدالله العبدي قال: كان عطاء إذا جنّ عليه الليل خرج إلى المقابر فوقف على أهل القبور ثم قال: يا أهل القبور متم فواموتتـاه! ثم يبكي ويقول: يا أهل القبور عاينتم ما عملتم فوا عملاه! فلا يزال كذلك حتى يصبح. قال: وحدثنا أبو محمد بن حيان، حدثنا أحمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا سيار بن حاتم، حدثني بشر بن منصور قال: كنت أسمع عطاء السـلمي كل عشية بعد العصر يقول غداً عطـاء في القبر غداً عطـاء في القبر، وبالسند إلى أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الرحمن، حدثني أبي عن حماد بن زيد قال: كان عطاء لا يتكلم فإذا تكلم قال. عطاء غداً هذه الساعة في القبر. قال: وحدثنا محمد بن أحمد بن النضر، حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، حدثنا محمد بن مخزوم، حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا الصلت بن حكيم، حدثنا العلاء بن محمد البصري قال: شهدت عطاء السلـمي خرج في جنازة فغشي عليه أربع مرات حتى صلى عليها كل ذلك يغشى عليه ثم يفيق، فإذا نظر إلى الجنازة خر مغشياً عليه.

رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار. وكان الربيع بن خيثم قد حفر في داره قبراً، فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول: ﴿رب ارجعُونِ * لعلي أعمَلُ صالِحاً فيما تركت﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] يرددها، ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل. وقال أحمد بن حرب تتعجب الأرض من رجل يمهده مضجعه ويسوي فراشه للنوم، فتقول: يا ابن آدم لِمَ لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء! وقال ميمون بن مهران: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل عليَّ فقال: يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم! أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلاً في أبدانهم؟ ثم بكى وقال: والله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور، وقد أمن من عذاب الله. وقال ثابت البناني:

(وقال سفيان) الثوري **(من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. **(وكان الربيع بن خيثم)** الثوري الكوفي العابد **(قد حفر في داره قبراً فكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شاء الله ثم يقول: ﴿رب ارجعون* لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك فاعمل)** رواه أبو نعيم في الحلية. **(وقال أحمد بن حرب)** النيسابوري الزاهد روى عن ابن عيينة قال الذهبي صاحب مناكير: **(تتعجب الأرض من رجل يمهد مضجعه ويسوّي فراشه للنوم فتقول: يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شيء)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. **(وقال ميمون ابن مهران)** الجزري الثقة كاتب عمر بن عبد العزيز: **(خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل علي فقال: يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلى وأصابت الهوام مقيلاً في أبدانهم ثم بكى وقال: والله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله)**. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. قال: حدثني محمد بن الحسين، حدثني أبو منصور الواسطي، حدثنا المغيرة بن مطرف الرؤاسي، حدثنا خالد بن صفوان، عن ميمون بن مهران قال: خرجت مع عمر بن عبد العزيز فذكره إلا أنه قال: ثم أقبل علي فقال: يا أيوب، وفيه ثم بكى حتى غشي عليه ثم أفاق فقال: انطلق بنا فوالله ما أعلم أحداً، والباقي سواء. وقد أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن أبان، حدثني أبي، حدثنا أبو بكر بن سفيان وهو ابن أبي الدنيا نسبه إلى جده.

(وقال) أبو محمد **(ثابت)** بن أسلم **(البناني)** رحمه الله تعالى: **(دخلت المقابر فلما قصدت**

دخلت المقابر فلما قصدت الخروج منها فإذا بصوت قائل يقول: يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس مغمومة فيها. ويروى أن فاطمة بنت الحسن نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت:

وكانوا رجاء ثم أمسوا رزية　　لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل إنها ضربت على قبره فسطاطاً واعتكفت عليه سنة. فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة، فسمعوا صوتاً من جانب البقيع: هل وجدوا ما فقدوا؟ فسمعوا من الجانب الآخر: بل يئسوا فانقلبوا. وقال أبو موسى التميمي: توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة ـ وفيهم الحسن ـ فقال له الحسن: يا أبا فراس

الخروج منها فإذا بصوت قائل يقول: يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس مغمومة فيها) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور بلفظ: كنت في مقبرة فحدثت نفسي إذ هتف بي هاتف: يا ثابت إن تراهم ساكنين فكم فيهم من مغموم فالتفت فلم أر أحد. وروى صاحب الحلية عن ابن السماك قال: لا يغرنكم سكون هذه القبور فما أكثر المغمومين فيها ولا يغرنكم استواؤها فما أشدها وهم فيها.

(ويروى أن فاطمة بنت الحسن نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسين) هكذا في نسخ الكتاب، ولعل الصواب أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسن وهي والدة عبدالله المحض وإنما لقب بذلك لكان أمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ووالده هو الحسن المثنى بن الحسن السبط **(فغطت وجهها وقالت:**

وكانوا رجاء ثم أمسوا رزية　　لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

(وقيل: إنها ضربت على قبره فسطاطاً واعتكفت عليه سنة، فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة، فسمعوا صوتاً من جانب البقيع: هل وجدوا ما فقدوا؟ فسمعوا من الجانب الآخر: بل يئسوا فانقلبوا). وكان وفاة الحسن المثنى في زمن الوليد بن عبد الملك وعمره خمس وثلاثون سنة، وكان قد شهد الطف مع عمه الحسين وأثخن بالجراح، فحماه أسماء بن خارجة الفزاري وهو من أخواله، وكان عبد الرحمن بن أحمد بن الأشعث قد دعا إليه وبايعه، فلما قتل عبد الرحمن توارى الحسن حتى مات، وكان الحسن قد خطب على عمه الحسين إحدى بناته فابرز إليه فاطمة وسكينة فقال: يا ابن أخي أختر أيتهما شئت فاستحيا الحسن وسكت، فقال الحسين: قد زوّجتك فاطمة فإنها أشبه الناس بأبي.

(وقال أبو موسى التميمي) البصري إسرائيل بن موسى ثقة روى له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي: **(توفيت)** النوار **(امرأة الفرزدق)** غالب بن ناجية بن مقال بن صعصعة التميمي الشاعر المشهور، **(فخرج في جنازتها وجوه البصرة)** أي رؤساؤها **(وفيهم الحسن)**

ماذا أعددت لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة. فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال:

أخاف وراء القبر إن لم تعافني — أشد من القبر التهاباً وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائد — عنيف وسوّاق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى — إلى النار مغلول القلادة أزرقا

وقد أنشدوا في أهل القبور:

قف بالقبور وقل على ساحاتها — من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها — قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذي العيون فواحد — لا يستبين الفضل في درجاتها

البصري رحمه الله تعالى (**فقال له الحسن: يا أبا فراس**) وهي كنية الفرزدق (**ماذا أعددت لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة فلما دفنت أقام على قبرها فقال:**

أخاف وراء القبر إن لم تعافني — أشد من القبر التهاباً وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائد — عنيف وسوّاق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى — إلى النار مغلول القلادة أزرقا)

وروى ابن عساكر في التاريخ من طريق حجاج بن تميلة قال: شهدت الحسن والفرزدق عند قبر فقال الحسن للفرزدق: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة فسكت الحسن. قال لبطة بن الفرزدق: فرأيت أبي في النوم بعد موته فقال لي: يا بني نفعتني الكلمة التي خاطبت بها الحسن. وقال محمود بن محمد في كتاب المتفجعين: حدثنا محمد بن موسى العمى، حدثنا محمد بن عبد المنعم بن إدريس، حدثنا هشام بن الكلبي، عن أبيه وعوانة قالا: بلغ الفرزدق سناً حتى قارب المائة فأصابته الدبيلة وهو بالبادية فقدم به البصرة فأتي برجل من بني قيس بن ثعلبة يتطبب فسقاه القار الأبيض فجعل يقول: ويحكم أتعجلون إلى القار في الدنيا قبل الآخرة فمات وصلّى عليه بلال بن أبي بردة. قال: وحدثنا أحمد بن الأسود الحنفي، حدثنا محمد بن أبي صفوان الثقفي، عن الأصمعي قال: لما احتضر الفرزدق أوصى وأعتق رقيقه ثم أنشأ يقول:

أروني من يقوم لكم مقامي — إذا ما الأمر جلّ عن الخطابِ
إلى من تفزعون إذا حثوتم — بأيديكم عليّ من الترابِ

فقالت جارية: ممن كان أعتق: نفزع إلى الله تعالى، فقال: يا فاعلة أمحوا اسمها من العتق. (**وقد أنشدوا في أهل القبور**) أبياتاً سيذكر بعضها. منها قول بعضهم:

(قف بالقبور وقل على ساحاتها — من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها — قد ذاق برد الأمر من روعاتها
أما السكون لذي العيون فواحد — لا يستبين الفضل في درجاتها

لو جاوبوك لأخبروك بألسن تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل في روضة يفضي إلى ما شاء من دوحاتها
والمجرم الطاغي بها متقلب في حفرة يأوي إلى حياتها
وعقارب تسعى إليه فروحه في شدة التعذيب من لدغاتها

ومر داود الطائي على امرأة تبكي على قبر وهي تقول:

عدمت الحياة ولا نلتها إذا كنت في القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق طعم الكرى وأنت بيمناك قد وسدوكا

ثم قالت: يا ابناه ليت شعري بأي خديك بدأ الدود؟ فصعق داود مكانه وخرّ مغشياً عليه. وقال مالك بن دينار: مررت بالمقبرة فأنشأت أقول:

أتيت القبور فناديتها فأين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه وأين المزكي إذا ما افتخرْ

قال: فنوديت من بينها، أسمع صوتاً ولا أرى شخصاً وهو يقول:

تفانوا جميعاً فما مخبر وماتوا جميعاً ومات الخبر

لو جاوبوك لأخبروك بألسن تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل في روضة يفضي إلى ما شاء من روحاتها
والمجرم الطاغي بها متقلب في حفرة يأوي إلى حياتها
وعقارب تسعى إليه فروحه في شدة التعذيب من لدغاتها

(ومرّ) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (على امرأة تبكي على قبر وهي تقول:

عدمت الحياة ولا نلتها إذا كنت في القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق طعم الكرى وأنت بيمناك قد وسدوكا

(ثم قالت: يا ابناه ليت شعري بأي خديك بدأ الدود؟ فصعق داود مكانه وخرّ مغشياً عليه) رواه القشيري في الرسالة وقيل كان ذلك سبب توبته. (وقال) أبو يحيى (مالك بن دينار) البصري الزاهد رحمه الله تعالى: (مررت بالمقبرة فانشأت أقول:

أتيت القبور فناديتها فأين المعظم والمحتقَرْ
وأين المدل بسلطانه وأين المزكى إذا ما افتخرْ)

(قال: فنوديت من بينها أسمع صوتاً ولا أرى شخصاً وهو يقول:

تفانوا جميعاً فما مخبر وماتوا جميعاً ومات الخبَرْ

تــروح وتغــدو بنــات الثرى ... فتمحـو محاسـن تلـك الصـور
فيـا سـائلي عـن أنـاس مضـوا ... أمـا لـك فيما تـرى معتبر

قال: فرجعت وأنا باك.

أبيات وجدت مكتوبة على القبور:

وجد مكتوباً على قبر

تناجيك أجداث وهن صموت ... وسكـانها تحت التراب خفوتُ
أيـا جـامـع الدنيـا لغير بلاغـه ... لمن تجمع الدنيـا وأنـت تموت

ووجد على قبر آخر مكتوباً:

أبـا غـانم أمـا ذراك فـواسـع ... وقبرك معمور الجوانـب محكـم
وما ينفـع المقبـور عمـران قبره ... إذا كـان فيـه جسمـه يتهـدم

تــروح وتغــدو بنــات الثرى ... فتمحـو محاسـن تلـك الصـوَرْ
فيـا سـائلي عـن أنـاس مضـوا ... أمـا لـك فيمـن تـرى معتبَـرْ)

(قال: فرجعت وأنا باكٍ) وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا هارون بن عبدالله، حدثنا سيار، حدثنا جعفر قال: كنا نخرج مع مالك بن دينار زمن الحطمة فيجيء الموتى فيجهزهم ثم يخرج على حمار قصير وعليه عباءة مرتدياً بها قال فيقول فيعظنا في الطريق حتى إذا أشرف على القبور وأحس بنا أقبل بصوت له محزون يقول:

ألا حـيِّ القبـور ومـن بهنـه ... وجـوه في التراب أجنهنـه
فلـو أن القبـور أجبن حيـا ... إذاً لأجبنني إذ زرتهنـه
ولكـن القبـور صمتن عني ... فعـدت حـزينـاً مـن عنـدهنـه

قال: فإذا سمعنا صوته جئنا إليه فيقول: إنما الخير في الشباب إنما الخير في الشباب. قال: ثم يجمعهم فيصلّي عليهم.

هذه أبيات وجدت مكتوبة على القبور: فمن ذلك **(وجد مكتوب على قبر:**
تناجيك أجداث وهـن صمـوت ... وسكـانها تحت التراب خفـوتُ
أيـا جـامـع الدنيـا لغير بلاغـه ... لمن تجمع الدنيـا وأنـت تموتُ)

أورده ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. **(ووجد على قبر آخر مكتوب:**
أبـا غـانم أمـا ذراك فـواسـع ... وقبرك معمـور الجوانـب محكـمُ
ومـا ينفَع المقبـور عمـران قبره ... إذا كـان فيـه جسمـه يتهـدمُ)

وقال ابن السماك:

مررت على المقابر فإذا على قبر مكتوب:

يمر أقـــاربي جنبـــات قبري ... كـــأن أقـــاربي لم يعـــرفـــوني
ذوو الميراث يقتسمـــون مـــالي ... وما يألـــون إن جحـــدوا ديـــوني
وقد أخذوا سهامهـــم وعـــاشـــوا ... فيـــا لله أسرع مـــا نســـوني

ووجـدوا على قبر مكتـــوبـــاً:

إن الحبيـــب مـــن الأحبـــاب مختلس ... لا يمنـــع الموت بـــوّاب ولا حـــرس
فكيـــف تفـــرح بـــالـــدنيـــا ولـــذتها ... يـــا مـــن يعـــد عليـــه اللفـــظ والنفس
أصبحت يا غافلاً في النقص منغمساً ... وأنت دهـــرك في اللـــذات منغمس
لا يـــرحـــم الموت ذا جهـــل لغـــرتـــه ... ولا الذي كـــان منـــه العلم يقتبس
كم أخرس الموت في قبر وقفـــت بـــه ... عن الجواب لســـانـــاً مـــا بـــه خـــرس
قد كان قصرك معموراً لـــه شرف ... فقبرك اليوم في الأجداث منـــدرس

نقله ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. (**وقال ابن السماك**) محمد بن صبيح البغدادي الواعظ: (**مررت بالمقابر فإذا قبر مكتوب**) عليه ما صورته:

(يمر أقـــاربي جنبـــات قبري ... كـــأن أقـــاربي لم يعـــرفـــوني
ذوو الميـــراث يقتسمـــون مـــالي ... ومـــا يـــألـــون إن جحـــدوا ديـــوني
وقد أخـــذوا سهـــامهـــم وعـــاشـــوا ... فيـــا الله أسرع مـــا نســـوني)

ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عبدالله بن محمد بن عصمة بن أبي الصهباء قال: قال محمد بن السماك: لا يغرنكم سكون هذه القبور فما أكثر المغمومين فيها، ولا يغرنكم استواؤها فما أشد نهارهم فيها.

(**ووجد على قبر مكتوب**) ما صورته:

(إن الحبيـــب مـــن الأحبـــاب مختلس ... لا يمنـــع الموت بـــوّاب ولا حـــرس
فكيـــف تفـــرح بـــالـــدنيـــا ولـــذتها ... يـــا مـــن يعـــد عليـــه اللفـــظ والنفس
أصبحت يا غافلاً في النقص منغمساً ... وأنـــت دهـــرك في اللـــذات منغمس
لا يـــرحـــم الموت ذا جهـــل لغـــرتـــه ... ولا الذي كـــان منـــه العلم يقتبس
كم أخـــرس الموت في قبر وقفـــت بـــه ... عـــن الجواب لســـانـــاً مـــا بـــه خـــرس
قد كـــان قصرك معمـــوراً لـــه شرف ... فقبرك اليوم في الأجداث منـــدرس)

ووجد على قبر آخر مكتوباً:

وقفت على الأحبة حين صفت | قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعي | رأت عيناي بينهم مكاني

ووجد على قبر طبيب مكتوباً:

قد قلت لما قال لي قائل | قد صار لقمان إلى رمسه
فأين ما يوصف عن طبه | وحذقه في الماء مع جسه
هيهات لا يدفع من غيره | من كان لا يدفع عن نفسه

ووجد على قبر آخر مكتوباً:

يا أيها الناس كان لي أمل | قصر بي عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل | أمكنه في حياته العمل
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى | كل إلى مثله سينتقل

رواه بن أبي الدنيا في كتاب القبور. **(ووجد على قبر آخر مكتوب:**

وقفت على الأحبة حين صفت | قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعي | رأت عيناي بينهم مكاني)

رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. **(ووجد على قبر طبيب مكتوب)** ما صورته:

قد قلت لما قال لي قائل | قد صار لقمان إلى رمسه
فأين ما يوصف من طبه | وحذقه في الماء مع جسه
هيهات لا يدفع عن غيره | من كان لا يدفع عن نفسه)

أورده ابن أبي الدنيا في كتاب القبور **(ووجد على قبر آخر مكتوب:**

يا أيها الناس كان لي أمل | قصر بي عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل | أمكنه في حياته العمل
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى | كل إلى مثله سينتقل)

كذا في كتاب القبور لابن أبي الدنيا، وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا فاروق، حدثنا هشام بن السيرافي، حدثنا قطر بن حماد بن واقد، حدثنا أبي، حدثنا مالك بن دينار قال: أتيت على قبر فإذا عليه مكتوب:

يا أيها الركب سيروا إن قصركم | أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حثوا المطايا وارخوا من أزمتها | قبل الممات ونصوا ما ينصونا
كنا أناساً كما كنتم فغيرنا | دهر فسوف كما كنا تكونونا

....

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن سليمان بن يسار الحضرمي قال: كنا قوم يسيرون يوماً بالمقابر إذ سمعوا من قبر قائلاً يقول:

أيها الركـــب سيروا ... مـــن قبـــل أن تسيرونـــا
فكما كنتم كنـــا فغيرنـــا ... ريب المنون وسوف كما كنا تكونونا

قلت: ووجدت في رحلة الإمام أبي سالم العياشي أنه أمر بعضهم أن يكتب على قبره:

إذا أمسى فـراشي مـن تـراب ... وصرت مجاور الرب الرحيم
فهنـوني أخلائـي وقـولـوا ... هنيئاً قـد قـدمـت على كـريم

وقد كتبتها على قبر زوجي أم الفضل زبيدة ابنة المرحوم ذي الفقار الدمياطي رحمها الله تعالى، وأمر آخر أن يكتب على قبره:

ولم أجـزع لهول الموت لكـن ... بكيـت لقلـة البـاكـي عليـا

وروى ابن عساكر في التاريخ عن صدقة بن يزيد قال: نظرت إلى ثلاثة أقبر على شرف من الأرض بناحية أطرابلس أحدها مكتوب عليه:

وكيـف يلـذ العيش مـن هـو مـوقـن ... بـأن المنـايـا بغتـة ستعـاجلـه
وتسلبـه ملكـاً عظيماً ونخوة ... وتسكنـه البيـت الذي هـو آجلـه

وعلى القبر الثاني:

وكيـف يلـذ العيش مـن هـو عـالم ... بـأن إلـه الخلـق لا بـد سـائلـه
فيـأخـذ منـه ظلمـة لعبـاده ... ويجزيـه بـالخير الذي هـو فـاعلـه

وعلى القبر الثالث:

وكيـف يلـذ العيش مـن صـائـر ... إلى جـدث تبلى الشبـاب منـازلـه
وتذهب حسن الوجه من بعد ضوئـه ... سريعـاً ويبلى جسمـه ومفـاصلـه

فنزلت قرية بالقرب منها فقلت لشيخ بها قد رأيت عجباً. قال: ما ذاك؟ قلت: هذه القبور. قال: حديثها أعجب مما رأيت عليها. قلت: فحدثني قال: كانوا ثلاثة أخوة واحد يصحب السلطان ويؤمر على الجيوش والبلدان، وآخر تاجر موسر مطاع في تجاره، وآخر زاهد قد تخلّى وتفرد لعبادة ربه، فحضرت العابد الوفاة فأتاه أخوه صاحب السلطان وكان عبد الملك بن مروان قد ولاه بلادنا، وأتاه التاجر فقالا له: توصي بشيء؟ قال: والله مالي مال أوصي فيه ولا عليّ دين أوصي به ولا أخلف من الدنيا عرضاً ولكن أعهد إليكما عهداً فلا تخلفاه إذا مت فادفناني على نشر من الأرض واكتبا على قبري: وكيف يلذ العيش البيتين. ثم زورا قبري ثلاثة أيام لعلكما تتعظان ففعلا ذلك، فلما كان اليوم الثالث أتى أخوه صاحب السلطان القبر، فلما أراد الانصراف سمع من داخل القبر هدة أرعبته وأفزعته فانصرف مذعوراً وجلاً، فلما كان الليل رأى أخاه في

فهذه أبيات كتبت على قبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت. والبصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم، وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها، لأنهم عرفوا قدر الأعمال وانكشفت لهم حقائق الأمور، فإنما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر

منامه، فقال: أي أخي ما الذي سمعت من قبرك؟ قال: تلك هدة المقمعة قيل لي رأيت مظلوماً فلم تنصره فاصبح فدعا أخاه وخاصته فقال: إني أشهدكم أني لا أقيم بين ظهرانيكم أبداً فترك الإمارة ولزم العبادة، وكان مأواه البراري والجبال وبطون الأودية فحضرته الوفاة فحضره أخوه فقال: يا أخي ألا توصي؟ قال: مالي مال ولا علي دين، ولكن أعهد إليك يا أخي إذا أنا مت فاجعل قبري إلى جنب قبر أخي واكتب عليه: وكيف يلذ العيش البيتين ثم تعاهد قبري ثلاثاً، فلما مات فعل أخوه ذلك، فلما كان في اليوم الثالث من إتيانه القبر أراد أن ينصرف فسمع وجبة من القبر كادت تذهل عقله فرجع مرهوباً، فلما كان الليل رأى أخاه في منامه فقال: كيف أنت؟ قال: بكل خير وما أجمع التوبة لكل خير. قال: فكيف أخي؟ قال: مع الأئمة الأبرار. قال: فما أمرنا قبلكم؟ قال: من قدم شيئاً وجده فاغتنم وجدك قبل فقدك فأصبح الأخ الثالث معتزلاً للدنيا وفرق ماله وأقبل على طاعة الله وأنشأ ابن له في المكاسب حتى أتت أباه الوفاة فقال: يا أبت ألا توصي؟ فقال: يا بني مالي مال فأوصي فيه، ولكن أعهد إليك إذا أنا مت أن تدفنني مع عميك وأن تكتب على قبري، وكيف يلذ العيش البيتين ثم تعاهد قبري ثلاثاً ففعل الفتى ذلك، فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتاً هاله فانصرف مهموماً، فلما كان الليل رأى أباه في منامه فقال: يا بني أنت عندنا عن قليل والأمر جدّ فاستعد وتأهب لرحيلك وطول سفرك وحوّل جهازك من المنزل الذي أنت عنه ظاعن إلى المنزل الذي أنت له قاطن، ولا تغتر بما اغتر به الباطلون من طول آمالهم فقصروا في أمر معادهم فندموا عند الموت وأسفوا على تضييع العمر، فلا الندامة عند الموت تنفعهم ولا الأسف على التقصير أنقذهم. أي بني فبادر ثم بادر ثم بادر. قال الشيخ: فدخلت على الفتى صبيحة رؤياه فقصها عليّ وقال: ما أرى الأمر الذي قال أبي إلا وقد أظلني، ولا أحسب بقي من أجلي إلا ثلاثة أشهر أو ثلاثة أيام لأنه أنذرني بالمبادرة ثلاثاً، فلما كان آخر اليوم الثالث دعا أهله وولده فودعهم ثم أستقبل وتشهد ثم مات من الليل.

(**فهذه أبيات كتبت على قبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت**) لأجل أن يعتبر بها قارئها ويترحم على الأموات، (**والبصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحوق بهم، ويعلم أنهم لا يبرحون عن مكانهم ما لم يلحق بهم**)، ولذلك قال داود الطائي لما سأله رجل النصيحة، إن عسكر الموتى ينتظرونك كما في الحلية. (**وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها**) أي بأجمعها (**لأنهم عرفوا قدر الأعمال وانكشفت لهم حقائق الأمور**) التي

به تقصيره فيتخلص من العقاب، وليستزيد الوقت به رتبته فيتضاعف له الثواب، فإنهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة، ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها، فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الأمر من الاختيار إذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار. فقد قال بعض الصالحين رأيت أخاً لي في الله ـ فيما يرى النائم ـ فقلت: يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين، قال: لأن أقدر على أن أقولها ـ يعني الحمد لله رب العالمين ـ أحب إلي من الدنيا وما فيها، ثم قال: ألم تر حيث كانوا يدفنونني فإن فلاناً قد قام فصلّى ركعتين لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إليّ من الدنيا وما فيها.

كانت غائبة عنهم (**فإنما حسرتهم يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص من العقاب ويستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب، فإنهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه فحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة، ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على تضييعها عند خروج الأمر من الاختيار، إذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين: رأيت أخاً في الله فيما يرى النائم فقلت: يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين. قال: لأن أقدر على أن أقولها ـ يعني الحمد لله رب العالمين ـ أحب إلي من الدنيا وما فيها، ثم قال: ألم تر حيث كانوا يدفنونني فإن فلاناً قد قام فصلّى ركعتين، لأن أكون أقدر على أن أصليهما أحب إليّ من الدنيا وما فيها**). وروى أبو نعيم في الحلية من طريق عمرو بن واقد عن يونس بن حلبس أنه كان يمر على المقابر بدمشق يهجر يوم الجمعة فسمع قائلاً يقول: هذا يونس بن حلبس قد هجر تحجون وتعتمرون كل شهر وتصلون كل يوم خمس صلوات أنتم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل. قال: فالتفت يونس فسلم فلم يردوا عليه. قال: سبحان الله أسمع كلامكم وأسلم عليكم فلا تردون. قالوا: لقد سمعنا كلامك ولكنها حسنة وقد حيل بيننا وبين الحسنات والسيئات.

قلت: هو يونس بن ميسرة بن حلبس تابعي ثقة وقد نسب إلى جده، روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه.

وروى ابن عساكر من طريق الأوزاعي قال: مر يونس بن حلبس بمقابر باب توما وقائد يقوده وكان مكفوفاً فقال: السلام عليكم أهل القبور أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع فرحمنا الله وإياكم وغفر لنا ولكم، فكأنا قد صرنا إلى ما صرتم إليه فرد الله الروح في رجل منهم فأجابه فقال: طوبى لكم يا أهل الدنيا حين تحجون في الشهر أربع مرات فقال: وإلى أين يرحمك الله؟ قال: إلى الجمعة أفما تعلمون أنها حجة مبرورة متقبلة. قال: ما خير ما قدمتم؟ قال: الاستغفار وقد غلقت رهوننا فلا في حسنة نزيد ولا من سيئة تنقص.

بيان أقاويلهم عند موت الولد:

حق على من مات ولده أو قريب من أقاربه أن ينزله ـ في تقدمه عليه في الموت ـ منزلة ما لو كانا في سفر فسبقه الولد إلى البلد الذي هو مستقره ووطنه، فإنه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه أنه لاحق به على القرب، وليس بينهما إلا تقدم وتأخر وهكذا الموت فإن معناه السبق إلى الوطن إلى أن يلحق المتأخر وإذا اعتقد هذا قل جزعه لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزي به كل مصاب، قال رسول الله ﷺ: «لأن أقدم سقطاً أحب إلي من أن أخلف مائة فـارس كلهم يقاتل في سبيل الله» وإنما ذكر

وروى صاحب كتاب المتفجعين من طريق قتادة قال: كان العلاء بن زياد يقول: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فليعمل بطاعة الله عز وجل، ومن طريق الأصمعي قال: كان حماد بن سلمة إذا نعي إليه أحد من إخوانه صلّى ركعتين وترحم على الميت وقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر الحمد لله الذي أعطانيهن بعده.

بيان أقاويلهم عند موت الولد:

أعـم من أن يكون ذكراً أو أنثى. اعلم أنه (**حق على من مات ولده أو قريب من أقاربه أن ينزله ـ في تقدمه عليه في الموت ـ منزلة ما لو كان في سفر فسبقه الولد إلى البلد الذي هو مستقره ووطنه فإنه لا يعظم عليه تأسفه**) ولا يشتد به حزنه (**لعلمه بـأنـه لا حـق بـه على القرب وليس بينهما إلا تقدم وتأخر**) فتقدم هذا وتأخر هذا (**وهكذا الموت فإن معناه السبق إلى الوطن إلى أن يلحق المتأخر**) وهذا معنى قول داود الطائي لمن طلب منه النصيحة عسكر الموتى ينتظرونك، (**وإذا اعتقد هذا قلّ جزعه و**) سكن (**حزنه**) قال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا عبدالله بن الهيثم، حدثنا سعيد بن عامر عن جويرية بن أسماء قال: أتى الحسن رجلاً يعزيه عن أبنه فرأى الجزع قد بلغ منه فقال: كان ابنك يغيب عنك؟ قال: فهبها غيبة غابها عنك فكأنك عليه قدمت، (**لا سيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزّى به كل مصاب. قال رسول الله ﷺ: «لأن أقدم سقطاً أحب إليَّ من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله»**) أي بعد موتي وذلك لأن الوالد إذا مات ولده قبله يكون أجر مصابه بفقده في ميزان الأب، وإذا مات الوالد قبله يكون أجر المصيبة في ميزان الابن، وهذه تسلية عظيمة في موت الأولاد، وفيه رد على العز بـن عبد السلام في ذهابه إلى أنه لا أجر في المصيبة لأنها ليست من كسب العبد بل في الصبر عليها. قال العراقي: لم أجد فيه ذكر مائة فارس. وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة: «لسقط أقدمه بين يدي أحب إلي من فارس أخلفه خلفي» انتهى.

قلت: بل روي ذلك من حديث حميد بن عبد الرحمن الحميدي مرسلاً بلفظ: «لأن أقدم

السقط تنبيهاً بالأدنى على الأعلى وإلا فالثواب على قدر محل الولد من القلب. وقال زيد بن أسلم: توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزناً شديداً فقيل له: ما كان عدله عندك؟ قال: ملء الأرض ذهباً! قيل له: فإن لك من الأجر في الآخرة مثل ذلك، وقال رسول الله ﷺ: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحسبهم إلا كان له جنَّة من النار»، فقالت امرأة عند رسول الله ﷺ: أو اثنان؟ قال: «أو اثنان»، وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فإنه أرجى دعاء وأقربه إلى الإجابة.

وقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال: اللهم إني أصبحت أرجوك له وأخاف عليه فحقق رجائي وآمن خوفي. ووقف أبو سنان على قبر ابنه فقال: اللهم إني قد غفرت له

سقطاً أحب إليَّ من مائة مستلئم». رواه كذلك أبو عبيد في الغريب، والبيهقي في الشعب، والمستلئم المتسلح. وحديث أبي هريرة المذكور رواه أيضاً أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف هو وابن ماجه من طريق يزيد بن عبد الملك النوفلي عن يزيد بن رومان عن أبي هريرة يزيد بن عبد الملك ضعيف قاله الذهبي في الكاشف.

(وإنما ذكر السقط تنبيهاً بالأدنى على الأعلى وإلا فالثواب على قدر محل الولد من القلب) والسقط بالتثليث الولد يسقط قبل تمامه. **(وقال زيد بن أسلم)** العدوي مولاهم أبو عبدالله المدني العالم الثقة روى له الجماعة: **(توفي ابن لداود عليه السلام فحزن عليه حزناً شديداً فقيل له: ما كان عدله عندك؟ قال: ملء الأرض ذهباً. قيل له: فإن لك الأجر في الآخرة مثل ذلك)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء. **(وقال رسول الله ﷺ: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار» فقالت امرأة)** كانت جالسة **(عند رسول الله ﷺ: أو اثنان؟ قال: «أو اثنان»)** رواه مسلم وابن حبان من حديث أبي هريرة بلفظ: «لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة». قالت امرأة. واثنان؟ قال: «واثنان». وعند ابن حبان أيضاً لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم» وفي المتفق عليه «لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم» وقد تقدم في كتاب النكاح. **(وليخلص الوالد الدعاء لولده بعد الموت)** فإنه أرجى دعاء وأقربه إلى الإجابة.

(وقف محمد بن سليمان) بن علي بن عبدالله بن عباس أحد الأشراف وهو أخو جعفر وعبدالله وعلي وإسحاق **(على قبر ولده فقال: اللهم إني أصبحت أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائي وآمن خوفي)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. **(ووقف أبو سنان)** ضرار بن مرة الشيباني الكوفي مات سنة اثنين وثلاثين ومائة روى له مسلم والترمذي والنسائي **(على قبر ابنه فقال: اللهم إني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فإنك أجود**

ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه فإنك أجود وأكرم. ووقف أعرابي على قبر ابنه فقال: اللهم إني قد وهبت له ما قصر فيه من بـري فهب له ما قصر فيه من طاعتك. ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه عمر بن ذر ـ بعدما وضع في لحده ـ فقال: يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك ليت شعـري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال: اللهم إن هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه، اللهم وقد كنت ألزمته طاعتك وطاعتي، اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبتي فقد وهبت له في ذلك فهب لي عذابه ولا تعد به فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه: ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة، فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما

وأكرم) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. **(ووقف اعرابي على قبر ابنه فقال: اللهم إني قد وهبت له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(ولما مات ذر بن عمر بن ذر قام أبوه عمر بن ذر) بن عبدالله بن ذر الهمداني الكوفي العابد **(بعد ما وضع في لحده فقال: يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك؟ ثم قال: اللهم إن هذا ذر متعتني به ووفيته أجله ورزقه ولم تظلمه. اللهم وقد كنت الزمته طاعتك وطاعتي. اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبتي فقد وهبت له ذلك فهب لي عذابه ولا تعذبه فابكى الناس ثم قال عند انصرافه: ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك)**. قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبدوس بن كامل، حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا محمد بن كناسة قال: لما مات ذر بن عمر الهمداني وكان موته فجأة جاء أباه أهل بيته يبكونه فقال: ما لكم إنا والله ما ظلمنا ولا قهرنا ولا ذهب لنـا بحق ولا أخطىء بنا ولا أريد غيرنا وما لنا على الله معتب، فلما وضعه في قبره قال: رحمك الله يا بني والله لقد كنت بي باراً ولقد كنت عليك حدباً وما بي إليك من وحشة ولا إلى أحد بعد الله فاقة ولا ذهبت لنا بعز ولا أبقيت علينا من ذل، ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك. يا ذر لولا هول المطلع ومحشره لتمنيت ما صرت إليه، فليت شعري يا ذر ما قيل لك وماذا قلت؟ ثم قال: اللهم إنك وعدتني الثواب بالصبر على ذر. اللهم فعلى ذر صلواتك ورحمتك اللهم إني قد وهبت ما جعلت لي من أجر على ذر لذر صلة مني فلا تعرفه قبيحاً وتجاوز عنه فإنك أرحم مني به. اللهم إني قد وهبت لذر اساءته إليّ فهب لي إساءته إليك فإنك أجود مني وأكرم، فلما ذهب لينصرف قال: يا ذر انصرفنا وتركناك ولو أقمنا ما نفعناك.

قال: وحدثنا إبراهيم بن عبدالله، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا سفيان بن عيينة ح.

نفعناك. ونظر رجل إلى امرأة بالبصرة فقال: ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك إلا من قلة الحزن! فقالت: يا عبدالله إني لفي حزن ما يشركني فيه أحد، قال: فكيف؟ قالت: إن زوجي ذبح شاة في يوم عيد الأضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال أكبرهما للآخر أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة؟ قال: نعم، فأخذه وذبحه وما شعرنا به إلا متشحطاً في دمه، فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ إلى جبل فرهقه ذئب فأكله، وخرج أبوه يطلبه فمات عطشاً من شدة الحر، قالت: فأفردني الدهر كما ترى. فأمثال

وحدثنا أبو بكر بن مالك، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثنا محمد بن أبي عمر العدني، حدثنا سفيان بن عيينة قال: لما مات ذر بن عمر بن ذر قال عمر بن ذر: شغلنا يا ذر الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك؟ اللهم إني قد وهبت لذر ما فرط فيه من حقي فهب له ما قصر فيه من حقك.

قال: وحدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا عبد الصمد بن يزيد سمعت عمرو بن جرير الهجري، صاحب محمد بن جابر يقول: لما مات ذر بن عمر بن ذر قال أصحابه: الآن يضيع الشيخ لأنه كان باراً بوالديه فسمعها الشيخ فبقي متعجباً إني أضيع والله حي لا يموت فسكت حتى واراه التراب، ثم وقف على قبره ليسمعهم فقال: رحمك الله يا ذر وما علينا بعدك من خصاصة وما إلى أحد بعد الله حاجة، وما يسرني أن أكون المقدم قبلك ولولا هول المطلع لتمنيت أن أكون مكانك، لقد شغلني الحزن بك عن الحزن عليك فيا ليت شعري ماذا قيل لك وماذا قلت؟ يعني منكراً ونكيراً ـ ثم رفع رأسه فقال: اللهم إني قد وهبت حقي فيما بيني وبينه له. اللهم فهب حقك فيما بينك وبينه له. قال: فبقي القوم متعجبين مما جاء منهم ومما جاء منه من الرضا عن الله والتسليم له.

(ونظر رجل إلى امرأة بالبصرة فقال: ما رأيت مثل هذه النضارة وما ذاك إلا من قلة الحزن. فقالت: يا عبدالله إني لفي حزن ما يشركني فيه أحد، قال: فكيف؟ قالت إن زوجي ذبح شاة في يوم عيد الأضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال أكبرهما للآخر: أتريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة؟ قال: نعم فأخذه وذبحه وما شعرناه إلا متشحطاً في دمه، فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ إلى جبل فرهقه ذئب فأكله وخرج أبوه يطلبه فمات عطشاً من شدة الحر. قالت: فافردني الدهر) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء.

ويشبه هذه القصة ما رواه صاحب كتاب المتفجعين عن حبش بن موسى قال: أخبرنا المدائني قال: حدثني رجل من أهل الجزيرة من الأزد قال: كان رجل يجالسنا بأحسن مجالسة، فربما أخذته عشية حتى يغلب ثم يفيق فقلت له يوماً: ما هذا الذي نراه بك؟ قال: أنا رجل من أهل الموصل وكان لي ابن من آنفس الأولاد، فلما استعرض يحيى بن محمد بن علي أهل الموصل فقتلهم هربت أنا

هذه المصائب ينبغي أن تتذكر عند موت الأولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع، فما من مصيبة إلا ويتصوّر ما هو أعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الأكثر.

بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به:

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار، وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد.

روي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجراً»، وزار رسول الله ﷺ

وابني إلى جبل الموصل، فلجأنا إلى غار فيه فأقمنا حتى بلغ الجوع منا فقلت لابني: لو خرجت فالتمست لنا زاداً وأخفيت شخصك فخرج من الغار فأبطأ عني يومين، فلما كان اليوم الثالث سمعت حس رجل عليه خف يطأ به وطأ شديداً فقلت: هذا رجل من المسودة من أصحاب يحي ابن محمد قد ظفر بابني وقد جاء به ليدله عليَّ فانتضيت سيفي، فلما أدخل رجليه ضربتهما بسيفي فقطعتها فسقط وهو يقول: قتلتني يا أبت فأقام ساعة ينزف ثم مات، وكان ابني في خروجه من الغار وجد خفاً ملقى فلبسه فكلما ذكرته أصابني هذا الذي ترون. وقال أيضاً: حدثنا عبيدالله بن محمد، حدثنا أبو عبدالله بن الاعرابي أن اعرابياً من أعراب بني سعد حبس في دوّار سجن اليمامة في تهمة فمات في السجن فدفع إلى أمه فلما نظرت إليه قالت: يا بني خرجت من دار البلاء إلى دار البلى.

(فأمثال هذه المصائب ينبغي أن تتذكر عند موت الأولاد ليتسلى بها عن شدة الجزع، فما من مصيبة إلا ويتصور ما هو أعظم منها وما يدفعه الله في كل حال فهو الأكبر) وأحسن ما يتسلى به قول بعضهم:

أرى ولد الفتى ضرراً عليه ... لقد سعد الذي أضحى عقيماً
فأما أن يخلفه عدواً ... وإما أن يربيه يتيماً
وإما أن يوافيه حمام ... فيبقى حزنه أبداً مقيماً

بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به:

اعلم أن (زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين) خاصة (**محبوبة**) أي مرغوب إليها (**لأجل التبرك مع الاعتبار، وقد كان رسول الله ﷺ نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد**) كما رواه مسلم من حديث بريدة وقد تقدم (**وقد روي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجراً»**) بضم فسكون أي قبيحاً أو

....

فحشاً، وكان سبب النهي عن زيارة القبور حدثان العهد بالكفر، ثم لما انمحت آثار الجاهلية واستحكم الإسلام وصاروا أهل يقين وتقوى أذن لهم في الزيارة ولكن بشروط يأتي ذكرها للمصنف بعد. وقال القاضي: الفاء متعلق بمحذوف أي نهيتكم عن زيارتها مباهاة بتكاثر الأموات فعل الجاهلية، وأما الآن فقد جاء الإسلام وهدم قواعد الشرك فزوروها فإنها تورث رقة القلب وتذكر الموت والبلى اهـ.

ونعم الدواء هي لمن قسا قلبه ولزمه ذنبه فإن انتفع بالإكثار منها فذاك وإلا أكثر من مشاهدة المحتضرين فليس الخبر كالعيان. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قد أذن النبي ﷺ في زيارتها بعد النهي وعلله بأنها تذكر الموت والدار الآخرة وأذن إذناً عاماً في زيارة قبر المسلم والكافر والسبب الذي ورد عليه لفظ الخبر يوجب دخول الكافر والعلة موجودة في ذلك كله، وقد كان النبي ﷺ يأتي قبور البقيع والشهداء للدعاء والاستغفار لهم فهذا المعنى يختص بالمسلمين اهـ.

وقال المناوي في شرح الجامع الصغير: نهيتكم خطاب رجال فلا تدخل فيه الإناث على المختار عند أصحابنا فلا يندب لهن، لكن يجوز على الكراهة ثم الزيارة بمجرد هذا القصد يستوي فيها سائر القبور ولا يخص قبر دون قبر. قال السبكي: متى كانت الزيارة بهذا القصد لا يشرع فيها قصد قبر بعينه ولا تشد الرحال لها وعليه يحمل ما في شرح مسلم من منع شد الرجال لزيارة القبور وكذا بقصد التبرك إلا للأنبياء فقط اهـ.

وقال بعضهم: استدل به على حل زيارة القبور هب الزائر ذكراً أم أنثى والمزور مسلماً أم كافراً. قال النووي: وبالجواز قطع الجمهور. وقال صاحب الحاوي: لا يجوز زيارة قبر الكافر وهو غلط اهـ.

قال العراقي: هذا الحديث رواه أحمد وأبو يعلى في مسنده، وابن أبي الدنيا في كتاب القبور واللفظ له، ولم يقل أحمد وأبو يعلى: «غير أن لا تقولوا هجراً» وفيه علي بن زيد بن جدعان بن ربيعة بن النابغة. قال البخاري: لم يصح وربيعة ذكره ابن حبان في الثقات اهـ.

قلت: ورواه أيضاً ابن أبي شيبة في المصنف فقال: حدثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن ربيعة بن النابغة عن أبيه عن علي قال: نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور ثم قال: «إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها تذكركم الآخرة». أما لفظ أحمد وأبي يعلى «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة». وقد روي هذا الحديث من طرق عن بريدة وعائشة وابن مسعود وأنس وابن عباس وأبي سعيد وواسع بن حبان وأم سلمة؛ فحديث بريدة عند مسلم «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» زاد الترمذي «فإنها تذكركم الآخرة». وهو عند الحاكم بزيادة «ولتذكركم زيارتها خيراً». وعند أبي داود بزيادة «فإن في زيارتها تذكرة».

وحديث عائشة: رواه الحاكم في معجم شيوخه وابن النجار بلفظ الترمذي.

قبر أمه في ألف مقنع فلم يرَ باكياً أكثر من يومئذ »، وفي هذا اليوم قال: « أذن لي في الزيارة دون الاستغفار ». كما أوردنا من قبل. وقال ابن أبي مليكة: أقبلت عائشة رضي الله عنها يوماً من المقابر فقلت: يا أم المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر أخي عبد الرحمن، فقلت: أليس كان رسول الله ﷺ نهى عنها؟ قالت: نعم، ثم أمر بها، ولا

وحديث ابن مسعود رواه ابن ماجه والحاكم بلفظ « فزوروا القبور فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة.

وحديث أنس رواه الحاكم وابن النجار « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لي ألا فزوروها فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجراً.

وحديث ابن عباس عند الطبراني بلفظ « فزوروها ولا تقولوا هجراً ».

وحديث أبي سعيد وواسع بن حبان عند الحاكم بلفظ « فإن فيها عبرة ».

وحديث أم سلمة عند الطبراني بلفظ « فإن لكم فيها عبرة ». وروى الطبراني في الصغير من حديث زيد بن ثابت « زوروا القبور ولا تقولوا هجراً ».

(وزار رسول الله ﷺ قبر أمه في ألف مقنع فلم ير باكياً أكثر من يومئذ في هذا اليوم قال: « أذن لي في الزيارة دون الاستغفار » كما أوردنا من قبل) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث بريدة وشيخه أحمد بن عمران الأخنسي متروك، ورواه بنحوه من وجه آخر: كنا معه قريباً من ألف راكب وفيه أنه لم يأذن له في الاستغفار، ورواه مسلم من حديث أبي هريرة « استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لي » اهـ.

قلت: روى ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: زار رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: « استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت ». وروي أيضاً من طريق مسروق عن عبدالله رفعه « إني نهيتكم عن زيارة القبور فإنه قد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزوروها فإنها تذكركم ».

(وقال ابن أبي مليكة) هو عبدالله بن عبيدالله وأبو مليكة بالتصغير اسمه زهير بن عبدالله ابن جدعان التيمي المدني تابعي جليل أدرك ثلاثين من الصحابة روى له الجماعة: **(أقبلت عائشة رضي الله عنها يوماً من المقابر فقلت: يا أم المؤمنين من أين أقبلت؟ قالت: من قبر أخي عبد الرحمن. فقلت: أليس كان رسول الله ﷺ نهى عنها؟ قالت: نعم ثم أمر بها)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور بسند جيد اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي شيبة في المصنف فقال: حدثنا عيسى بن يونس، عن ابن جريج، عن

ينبغي أن يتمسك بهذا فيؤذن للنساء في الخروج إلى المقابر، فإنهن يكثرن الهجر على رؤوس المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرها، ولا يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظائم، والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لأجلها. نعم لا بأس بخروج المرأة في ثياب بذلة ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر.

وقال أبو ذر قال رسول الله ﷺ: «زر القبور تذكر بها الآخرة، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاوٍ موعظة بليغة، وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فإن الحزين في ظل الله».

عبدالله بن أبي مليكة قال: توفي عبدالرحمن بن أبي بكر بالحبشي. قال ابن جريج: الحبشي على اثني عشر ميلاً من مكة فدفن بمكة فلما قدمت عائشة أتت قبره فقالت:

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ثم قالت: أما والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت ولو شهدتك ما زرتك. (**ولا ينبغي أن يتمسك بهذا فيؤذن للنساء في الخروج إلى المقابر فإنهن يكثرن الهجر**) أي الفحش من القول (**على رؤوس المقابر فلا يفي خير زيارتهن بشرها ولا يخلو في الطريق عن تكشف**) للعورة (**وتبرج**) أي تزين، (**وهذه عظائم والزيارة سنة**) مستحبة، (**فكيف يحتمل ذلك لأجلها؟ نعم لا بأس بخروج المرأة في ثياب بذلة**) أي حقيرة (**ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الاقتصار على الدعاء**) والاستغفار (**وترك الحديث على رأس القبر**) إلا ما أهم.

(**وقال أبو ذر**) الغفاري رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ «زر القبور تذكر بها الآخرة، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة، وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فإن الحزين في ظل الله»**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والحاكم بإسناد جيد.

قلت: رواه الحاكم من طريق موسى الضبي، عن يعقوب بن إبراهيم، عن يحي بن سعيد، عن أبي مسلم الخولاني، عن ابن عمير، عن أبي ذر وزاد في آخره يوم القيامة يتعرض لكل خير، قال: رجاله ثقات. قال الذهبي: لكنه منكر ويعقوب واه ويحي لم يدرك أبا مسلم فهو منقطع اهـ.

ورواه البيهقي كذلك وقال: هذا متن منكر وفيه يعقوب بن إبراهيم أظنه المدني المجهول، والشطر الأول من الحديث رواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ «زر القبور فإنها تذكر الموت». وروى ابن ماجه وابن منيع بلفظ «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة»

وقال ابن أبي مليكة قال رسول الله ﷺ: « زوروا موتاكم وسلموا عليهم، فإن لكم فيهم عبرة وعن نافع عن ابن عمر كان لا يمر بقبر أحد إلا وقف عليه وسلم عليه. وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تزور قبر عمها حمزة في الأيام، فتصلي وتبكي عنده. وقال النبي ﷺ: « من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب براً ». وعن ابن سيرين قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الرجل ليموت والداه

(**وقال ابن أبي مليكة**) عبد الله بن عبيد الله التيمي التابعي: (**قال رسول الله ﷺ: « زوروا موتاكم وسلموا عليهم فإن لكم فيهم عبرة »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلاً وإسناده حسن اهـ.

قلت: لفظ ابن أبي الدنيا « فسلموا عليهم وصلوا عليهم ». وقد رواه الديلمي من حديث عائشة متصلاً بلفظ « زوروا إخوانكم وسلموا عليهم وصلوا فإن لكم فيهم عبرة ».

(**وعن نافع عن ابن عمر**) رضي الله عنه (**أنه كان لا يمر بقبر أحد إلا وقف عليه وسلم عليه**) قال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا يحيى بن آدم، عن زهير، عن موسى بن عقبة أنه رأى سالم بن عبدالله لا يمر بليل ولا نهار بقبر إلا سلم عليه ونحن مسافرون معه يقول: السلام عليكم، فقلت له في ذلك فأخبرنيه عن أبيه أنه كان يصنع ذلك. قال: وحدثنا حفص بن غياث، عن عبيدالله بن عمر، عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا قدم وقد مات بعض ولده. قال: دلوني على قبره فيدلونه عليه فينطلق فيقوم عليه ويدعو له.

(**وعن جعفر بن محمد**) بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (**عن أبيه**) محمد بن علي (**أن**) جدته (**فاطمة بنت رسول الله ﷺ**) رضي الله عنها (**كانت تزور قبر عمها**) أي عم أبيها (**حمزة**) بن عبد المطلب رضي الله عنه (**في الأيام فتصلي وتبكي عنده**). وروى البيهقي في الشعب عن الواقدي قال: كان النبي ﷺ يزور الشهداء بأحد في كل حول، وإذا بلغ رفع صوته فيقول: ﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ [الرعد: ٢٤] ثم أبو بكر كل حول يفعل مثل ذلك ثم عمر ثم عثمان، وكانت فاطمة رضي الله عنها تأتيه وتدعو، وكان سعد بن أبي وقاص يسلم عليهم ثم يقبل على أصحابه فيقول: ألا تسلمون على قوم يردون عليكم السلام؟

(**وقال النبي ﷺ « من زار قبر أبويه**) وفي لفظ والديه (**أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب براً**) بهما ». قال العراقي: رواه الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أبي هريرة، وابن أبي الدنيا في كتاب القبور من رواية محمد بن النعمان يرفعه وهو معضل، ومحمد بن النعمان مجهول وشيخه عند الطبراني يحيى بن العلاء البجلي متروك اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحكيم في النوادر من حديث أبي هريرة، ورواه أيضاً البيهقي من رواية محمد بن النعمان ولفظ الجميع « في كل جمعة مرة ». وقال الذهبي في ذيل الديوان محمد بن النعمان

وهو عاقٍ لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارّين »، وقال النبي ﷺ : « من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي »، وقال ﷺ : « من زارني بالمدينة محتسباً كنت له

روى عنه محمد بن المثنى وغيره لكن قال مجهول، ويحيى بن العلاء الرازي البجلي روى له أبو داود وابن ماجه. قال أحمد: كذاب يضع الحديث. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، وقد جاء في فضل زيارة الوالدين عدة أخبار منها: ما رواه الحكيم وابن عدي من حديث ابن عمر « من زار قبر أبويه أو أحدهما احتساباً كان كعدل حجة مبرورة ومن كان زوار لهما زارت الملائكة قبره ». وروى أبو الشيخ في الثواب والديلمي وابن النجار والرافع من رواية عائشة عن أبي بكر مرفوعاً « من زار قبر والديه أو أحدهما في كل جمعة فقرأ عنده يس غفر الله له بعدد كل حرف منها ».

(وعن ابن سيرين) محمد رحمه الله تعالى **(قال: قال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليموت والداه وهو عاق بهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وهو مرسل صحيح الإسناد، ورواه ابن عدي من رواية يحيى بن عقبة بن أبي العيزار عن محمد بن جحادة عن أنس قال: رواه الصلت بن الحجاج عن أبي جحادة عن قتادة عن أنس ويحيى بن عقبة والصلت بن الحجاج كلاهما ضعيف اهـ.

قلت: ورواه ابن عساكر من حديث أنس وقال فيه يحيى بن عقبة كذبه ابن معين، ولفظه « إن الرجل يموت والداه أو أحدهما وأنه لعاق لهما فلا يزال يدعو لهما ويستغفر لهما حتى يكتبه الله براً »

(وقال النبي ﷺ « من زار قبري) أي زارني في قبري فقصد البقعة نفسها ليس بقربه كذا. ذكره السبكي في شفاء السقام وحمل عليه ما نقل عن مالك: من منع شد الرحل لمجرد زيارة القبر من غير إرادة إتيان المسجد للصلاة فيه **(وجبت له شفاعتي »)** أي حقت وثبتت ولزمت. قال السبكي: يحتمل كون المراد له بخصوصه بمعنى أن الزائرين يخصون بشفاعة لا تحصل لغيرهم ويكون إفرادهم بذلك تشريفاً وتنويهاً بحسن الزيارة أو المراد ببركة الزيارة يجب دخولهم في عموم من تناله الشفاعة وفائدته البشرى بأنه يموت مسلماً وعليه يجب إجراء اللفظ على عمومه إذ لو أضمر فيه شرط الوفاة على الإسلام لم يكن لذكر الزيارة معنى إذ الاسلام وحده كاف في نيلها وعلى الأولين يصح هذا الإضمار، والحاصل أن أثر الزيارة إما الموت على الإسلام مطلقاً لكل زائر، وإما شفاعة تخص الزائر من العامة. وقوله: شفاعتي في الإضافة إليه تشريف لها إذ الملائكة وخواص البشر يشفعون، فللزائر نسبة خاصة فيشفع هو فيه بنفسه والشفاعة تعظم بعظم الشافع. رواه ابن عدي والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عمر وقد تقدم في كتاب أسرار الحج. قال ابن القطان: وفيه عبدالله بن عمر العمري: قال أبو حاتم: مجهول، وموسى بن هلال البصري قال العقيلي لا يصح حديثه ولا يتابع عليه. وقال السبكي: بل حسن أو صحيح. وقال الذهبي: طرقه كلها لينة ولكن يتقوى بعضها ببعض. وقال ابن حجر: حديث غريب أخرجه ابن خزيمة في صحيحه وقال في القلب من سنده شيء وأنا أبرأ إلى الله من عهدته. قال ابن حجر: وغفل من زعم أن ابن خزيمة صححه، وبالجملة قول ابن تيمية موضوع غير صواب.

شفيعاً وشهيداً يوم القيامة »، وقال كعب الأحبار: ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه.

والمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلاً بوجهه الميت، وأن يسلم

(**وقال** ﷺ **« من زارني بالمدينة**) أي في حياتي أو بعد وفاتي (**محتسباً**) أي ناوياً بالزيارة وجه الله تعالى وثوابه وقيل له محتسباً لاعتداده بعلمه فجعل حال مباشرته الفعل كأنه معتد به (**كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة »**) هكذا في النسخ بالواو، والصحيح أو أي شهيداً لبعض وشفيعاً لباقيهم أو شهيداً للمطيع شفيعاً للعاصي، وأو فيه بمعنى الواو وللتقسيم كما تقرر وجعلها للشك رده عياض قالوا: وزيارة قبره الشريف من كمالات الحج بل عند الصوفية فرض وعندهم الهجرة إلى قبره ميتاً كهي إليه حياً رواه البيهقي من حديث أنس وقد تقدم في كتاب أسرار الحج.

(**وقال كعب الأحبار**) رحمه الله تعالى: (**ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة يحفون بالقبر**) أي بقبره ﷺ (**يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي** ﷺ **حتى أذا أمسوا عرجوا**) إلى السماء (**وهبط مثلهم، فصنعوا مثل ذلك حتى إذا**) تم عمر الدنيا و (**انشقت الأرض**) بمن فيها (**خرج**) ﷺ (**في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن كعب أنه دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب: ما من فجر فذكره إلا أنه قال في آخره فيقودونه بدل فيوقرونه، كذلك ابن النجار في تاريخ المدينة والقرطبي في التذكرة.

(**فالمستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبراً للقبلة مستقبلاً لوجه الميت وأن يسلم**) عليه بالخصوص فيقول: السلام عليك يا فلان ورحمة الله وبركاته أو هو مع غيره فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع أسأل الله لنا ولكم العافية. كما ورد ذلك من حديث بريدة عند النسائي، أو يقول: ويرحم الله المستقدمين والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون كما في حديث عائشة عند الترمذي، أو يقول: السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر كما في حديث ابن عباس عند الترمذي أيضاً، أو يقول: السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع عما قليل لاحق. اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم كما في معجم الطبراني عن علي رضي الله عنه. وروى ابن أبي شيبة عن أبي هريرة قال: إذا مررت بالقبور قد كنت تعرفهم فقال: السلام عليكم أصحاب القبور وإذا مررت بالقبور لا تعرفهم فقل السلام على المسلمين.

ولا يمسح القبر ولا يمسه ولا يقبله، فإن ذلك من عادة النصارى.

قال نافع: كان ابن عمر رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول: السلام على النبي، السلام على أبي بكر، السلام على أبي، وينصرف. وعن أبي أمامة قال: « رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي ﷺ فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على

تنبيه:

روى أبو داود والترمذي وصححه من حديث أبي جرى الهجيمي قال: أتيت النبي ﷺ فقلت عليك السلام يا رسول الله. قال: لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى فهذا يشعر بأن السنة في السلام على الموتى بتقديم الصلة، وقد صح أنه ﷺ قال لهم: « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » فيحتاج إلى الجمع حتى أن بعضهم قال: إن هذا أصح من حديث النهي، وذهب آخرون أن السنة ما دل عليه حديث النهي، وقد أجاب ابن القيم في البدائع بأن كلاً من الفريقين إنما أتوا من عدم فهم مقصود الحديث فإن قوله ﷺ « عليك السلام تحية الموتى » ليس تشريعاً منه وإخباراً عن أمر شرعي وإنما هو إخبار عن الواقع المعتاد الذي جرى على ألسنة الناس في الجاهلية فإنهم كانوا يقدمون اسم الميت على الدعاء وهو في أشعارهم كثير والأخبار عن الواقع لا يدل على الجواز فضلاً عن الاستحباب فتعين المصير إلى ما ورد عنه ﷺ من تقديم لفظ السلام حيث يسلم على الأموات قال: فإن تخيل متخيل في الفرق أن السلام على الأحياء يتوقع جوابه فقدم الدعاء على المدعو له بخلاف الميت. قلنا: والسلام على الميت يتوقع جوابه أيضاً كما ورد به الحديث.

(وأن لا يمسح القبر ولا يمسه) بيده أو ثوبه **(ولا يقبله)** بفمه **(فإن ذلك من عادة النصارى)** وكذا السجود عليه أو إليه وكل ذلك بدعة منكرة إنما يفعلها الجهال كما قاله السبكي.

(قال نافع: كان ابن عمر) رضي الله عنه **(رأيته مائة مرة أو أكثر يجيء إلى القبر فيقول: السلام على النبي)** ﷺ، **(السلام على أبي بكر)** رضي الله عنه، **(السلام على أبي)** رضي الله عنه **(وينصرف)**. رواه ابن أبي شيبة في المصنف فقال: حدثنا أبو معاوية عن عبدالله عن نافع عن ابن عمر أنه كان إذا أراد أن يخرج دخل المسجد فصلى ثم أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه ثم يلوي وجهه، وكان إذا قدم من سفر أتى المسجد ففعل ذلك قبل أن يدخل منزله. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا محمد ابن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا خلاد بن يحيى، عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: سمعت نافعاً يقول: كان عبدالله إذا قدم المدينة أتى قبر النبي ﷺ فاستقبل وجهه وصلى عليه ودعا له ثم أقبل على أبي بكر فاستقبل وجهه وصلى عليه ودعا له، أقبل على عمر فاستقبل وجهه وصلى عليه ودعا له، ثم يقول: يا أبتاه يا أبتاه. رواه حماد بن زيد عن أيوب مثله.

(وعن أبي أمامة) بن سهل بن حنيف رضي الله عنه **(قال: رأيت أنس بن مالك)** رضي الله عنه **(أتى قبر النبي ﷺ فوقف فرفع يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي**

النبي ﷺ ثم انصرف. وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: « ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم ». وقال سليمان بن سحيم: رأيت رسول الله ﷺ في النوم، فقلت: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال: نعم وأرد عليهم. وقال أبو هريرة: إذا مر الرجل

ﷺ **ثم انصرف. وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ « ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا أستأنس به ورد عليه حتى يقوم »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وفيه عبدالله بن سمعان ولم أقف على حاله. ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الإشبيلي اهـ.

قلت: إن كان هو عبدالله بن محمد بن أبي يحي لقبه سحبل واسم أبيه سمعان فهو ثقة وهو الظاهر فإنه ينسب إلى جده روى له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود مات سنة اثنتين وستين، ويحتمل أن يكون هو عبدالله بن زياد بن سليمان بن سمعان المخزومي المدني وهو أحد الضعفاء المشهورين اتهمه أبو داود بالكذب، وقد روى له أبو داود في المراسيل وابن ماجه، وهذا هو الذي استقر عليه رأي السيوطي في أمالي الدرة ولم يذكر قبله. وقرأت في مشارق الأنوار للقاضي عياض ما لفظه: وأما عبدالله بن سمعان فأكثر الناس يقولونه مفتوحاً، وكذلك ضبطه الشيوخ وسمعناه من كافتهم، وحكى ابن مكي أنه غلط وأن صوابه بالكسر، وحكى القاضي الحافظ أبو علي أن شيخه أبا بكر بن عبد الباقي كان يقول بكسر السين اهـ.

قلت: وهو هكذا بفتح السين بخط الحافظ الذهبي في الديوان وقال فيه تركوه وأما حديث ابن عباس الذي رواه ابن عبد البر في التمهيد فلفظه « ما من يمر أحد بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام » وقد رواه كذلك في الاستذكار، وهذا الذي صححه عبد الحق في العاقبة، وروى نحو ذلك من حديث أبي هريرة « ما من رجل يزور قبر أخيه فيسلم عليه ويقعد عنده إلا رد عليه السلام وأنس به حتى يقوم من عنده » رواه أبو الشيخ والديلمي.

(**وقال سليمان بن سحيم**) أبو أيوب المدني صدوق روى له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه: (**رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال: « نعم وأرد عليهم »**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، وأورده أيضاً عياض في الشفاء، وقد روى أبو داود وابن ماجه من حديث أبي هريرة « ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام ». ورواه البيهقي بلفظ « ما من عبد يسلم علي عند قبري إلا وكل الله بها ملكاً يبلغني وكفى أمر آخرته ودنياه وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة ». وعند ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة « من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائياً بلغته » قال صاحب المواهب: ولا شك أن حياة الأنبياء عليهم السلام ثابتة مستمرة ونبينا

بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه، وإذا مر بقبر لا يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام. وقال رجل من آل عاصم الجحدري: رأيت عاصماً في منامي بعد موته بسنتين فقلت: أليس قدمت؟ قال: بلى، فقالت: أين أنت؟ فقال: أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى أبي بكر بن عبدالله المزني فنتلاقى أخباركم. قلت أجسامكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات! بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح قال: قلت فهل تعلمون بزيارتنا إياكم قال: نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قلت: وكيف ذاك دون الأيام كلها؟ قال: لفضل يوم الجمعة وعظمه. وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له: لو أخرت إلى يوم الإثنين؟ قال: بلغني أن الموتى يعلمون بزوّارهم يوم الجمعة ويوماً قبله

ﷺ أكمل وأتم من حياة سائرهم، فإن قال سقيم الفهم لو كان حياته ﷺ مستمرة ثابتة لما كان لرد روحه معنى كما قال إلا رد الله علي روحي يجاب عن ذلك من وجوه.

أحدها: أن ذلك إعلام بثبوت وصف الحياة دائماً لثبوت رد السلام دائماً فوصف الحياة لازم لرد السلام اللازم واللازم يجب وجوده عند وجود ملزومه أو ملزوم ملزومه، فوصف الحياة لازم ثابت دائماً لأن ملزوم ملزومه ثابت دائماً، وهذا من نفاثات سحر البيان في إثبات المقصود بأكمل أنواع البلاغة وأكمل فنون البراعة التي هي قطرة من بحار بلاغته العظمى. (**وقـال أبـو هـريـرة**) رضي الله عنه: (**إذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة مرفوعاً، وفي لفظ آخر من حديثه « ما من عبد مر على قبر رجل يعرفه في الدنيا فسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام ». رواه كذلك ابن أبي الدنيا في القبور والصابوني في المائتين. (**وقال رجل من آل عاصم الجحدري**) منسوب إلى جحدر قبيلة من ربيعة بن نزار (**رأيت عاصماً**) المذكور (**في منامي بعد موته بسنتين**) وفي نسخة بسنين (**فقلت: أليس قدمت؟ قال: بلى، فأين أنت؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبدالله المزني فنتلاقى أخباركم. قلت: أجسامكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح. قال: قلت فهل تعلمون بزيارتنا إياكم؟ قال**: نعم. **نحن نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس. قلت: وكيف ذاك دون سائر الأيام كلها، قال: لفضل يوم الجمعة وعظمه**). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والبيهقي في الشعب. (**وكان محمد بن واسع**) البصري الزاهد رحمه الله تعالى (**يزور يوم الجمعة فقيل له: لو أخرت إلى يوم الإثنين؟ قال: بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوماً قبله ويوماً بعده**) رواه ابن أبي

ويوماً بعده. وقال الضحاك: من زار قبراً قبل طلوع الشمس يوم السبت علم الميت بزيارته، قيل: وكيف ذاك؟ قال: لمكان يوم الجمعة. وقال بشر بن منصور: لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز، فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال: آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله

الدنيا في كتاب القبور والبيهقي في الشعب **(وقال الضحاك)** بن مزاحم الهلالي المفسر: **(من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته. قيل له: وكيف ذاك؟ قال: لمكان يوم الجمعة)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، والبيهقي في الشعب.

وفي شرح الصدور للسيوطي قال السبكي عود الروح إلى الجسد في القبر ثابت في الصحيح لسائر الموتى فضلاً عن الشهداء وإنما النظر في استمرارها في البدن وفي أن البدن يصير حياً بها كحالته في الدنيا أو حياً بدونها وهي حيث شاء الله تعالى، فإن ملازمة الحياة للروح أمر عادي لا عقلي، فهذا أي أن البدن يصير بها حياً كحالته في الدنيا مما يجوزه العقل، فإن صح به سمع اتبع، وقد ذكره جماعة من العلماء وشهد له صلاة موسى عليه السلام في قبره فإن الصلاة تستدعي جسداً حياً وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقة أن تكون الأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج إلى الطعام والشراب وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها، بل يكون لها حكم آخر، وأما الإدراكات كالعلم والسماع فلا نشك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى. وقال ابن القيم في مسألة تزاور الأرواح وتلاقيها أن الأرواح قسمان: منعمة ومعذبة. فأما المعذبة فهي في شغل عن التزاور والتلاقي، وأما المنعمة المرسلة غير المحبوسة فتتلاقى وتتزاور وتتذكر ما كان منها في الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فيكون كل روح مع رفيقها الذي هو مثل علمها وروح نبينا ﷺ في الرفيق الأعلى قال الله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ [النساء: ٦٩] الآية وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار الجزاء، والمرء مع من أحب في هذه الدور الثلاثة. وقال اليافعي: مذهب أهل السنة أن أرواح الموتى ترد بعض الأوقات من عليين أو من سجين إلى أجسادهم في قبورهم عند إرادة الله تعالى وخصوصاً ليلة الجمعة ويجلسون ويتحدثون وينعم أهل النعيم ويعذب أهل العذاب قال: وتختص الأرواح دون الأجساد بالنعيم أو العذاب ما دامت في عليين أو سجين، وفي القبر يشترك الروح والجسد. وقال ابن القيم: الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور وسمع سلامه وأنس به ورد عليه وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم وأنه لا توقيت في ذلك وهو أصح من أثر الضحاك الدال على التوقيت.

(وقال) أبو محمد **(بشر بن منصور)** السليمي الأزدي البصري ثقة عابد روى له مسلم وأبو داود والنسائي مات سنة ثمانين **(لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبانة)** أي المقبرة **(فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال: آنس الله**

حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات. قال الرجل: فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو، فبينما أنا نائم إذا بخلق كثير قد جاؤوني فقلت: ما أنتم وما حاجتكم؟ قالوا: نحن أهل المقابر. قلت: ما جاء بكم؟ قالوا: إنك قد عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك، قلت: وما هي؟ قالوا: الدعوات التي كنت تدعو لنا بها، قلت: فإني أعود لذلك، فما تركتها بعد ذلك. وقال بشار بن غالب النجراني: رأيت رابعة العدوية العابدة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي: يا بشار بن غالب هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير. قلت: وكيف ذاك؟ قالت: وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتي به الميت فقيل له: هذه هدية فلان إليك. وقال رسول الله ﷺ: «ما الميت في قبره إلا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها، وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار».

وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل: فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر فادعو كما كنت أدعو، فبينما أنا نائم إذا بخلق كثير قد جاؤوني فقلت: ما أنتم وما حاجتكم؟ قالوا: نحن أهل المقابر. قلت: ما جاء بكم؟ قالوا: إنك قد عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك. قلت: وما هي؟ قالوا الدعوات التي كنت تدعو قلت فإني أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والبيهقي في الشعب.

(وقال بشار بن غالب النجراني: رأيت) أم إسماعيل **(رابعة)** بنت إسماعيل **(العدوية)** البصرية **(العابدة)** المتوفية في سنة ١٣٥ **(في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي: يا بشار بن غالب هداياك تأتينا على أطباق من نور مخمرة)** أي مغطاة **(بمناديل الحرير قلت: وكيف ذاك؟ قالت: وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم أتي به الميت فقيل: هذه هدية فلان إليك)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، وفي قولها: فاستجيب لهم إشارة إلى ان الدعاء للميت ينفع إذا استجيب فيمنع الاطلاق، ولكن قد يقال: إن الدعاء للميت مستجاب كما أطلقوا اعتماداً على فضل الله الواسع، وقد أثنى الله على القائلين: ﴿ربَّنا اغفِر لَنَا ولإخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بالإيمان﴾ [الحشر: ١٠] الآية.

(وقال رسول الله ﷺ: «ما الميت في قبره إلا كالغريق المتغوّث) أي طالب الغوث **(ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هدايا الاحياء للأموات الدعاء والاستغفار»)** قال العراقي: رواه الديلمي في

مسند الفردوس من حديث ابن عباس، وفيه الحسن بن علي بن عبد الواحد حدث عن هشام بن عمار بحديث باطل اهـ.

قلت: لفظ الديلمي «ما الميت في قبره إلا شبه الغريق المتغوّث ينتظر دعوة من أب أو أم أو ولد أو صديق ثقة فإذا لحقته كان أحب إليه من الدنيا وما فيها وأن الله عز وجل ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الدنيا أمثال الجبال وأن هدية الأحياء للأموات الاستغفار لهم والصدقة عنهم». ورواه البيهقي في الشعب قال، وقال أبو علي الحسين بن علي الحافظ: هذا حديث غريب من حديث عبد الله بن المبارك لم يقع عند أهل خراسان. وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن أبي التياح قال: كان مطرف يبدو فإذا كان يوم الجمعة أدلج وكان ينور له في سوطه فأقبل ليلة حتى إذا كان عند المقابر هوّم وهو على فرسه فرأى كأن أهل القبور كل صاحب قبر جالس على قبره فقالوا: هذا مطرف أتى يوم الجمعة قلت: وتعلمون عندكم يوم الجمعة؟ قالوا: نعم ونعلم ما يقول فيه الطير. قلت: وما يقولون؟ قالوا: يقولون سلام سلام يوم صالح. يقال: هوّم الرجل إذا طأطأ رأسه من الناس. وروى أيضاً عن الفضل بن الموفق ابن خال سفيان بن عيينة قال: لما مات أبي جزعت جزعاً شديداً فكنت آتي قبره في كل يوم ثم إني قصرت عن ذلك فرأيته في النوم فقال: يا بني ما أبطأ بك عني؟ قلت: وإنك لتعلم بمجيئي قال: ما جئت مرة إلا علمتها وقد كنت تأتيني فأسر بك ويسر من حولي بدعائك. قال: فكنت آتيه بعد كثيراً. وروي أيضاً عن سفيان قال: كان يقال الأموات أحوج إلى الدعاء من الأحياء إلى الطعام والشراب. وروى البيهقي عن أبي الدرداء هاشم بن محمد قال: سمعت رجلاً من أهل العلم يقول: إنه كان يزور قبر أبيه فطال عليه ذلك. قال: فقلت أزور التراب فأريته في منامي فقال: يا بني مالك لا تفعل كما كنت تفعل؟ فقلت: أزور التراب. فقال: لا تقل ذلك يا بني فوالله لقد كنت تشرف عليّ فيبشرني بك جيراني، ولقد كنت تنصرف فما أزال أراك حتى تدخل الكوفة، وروى ابن أبي الدنيا والبيهقي عن عثمان بن سودة وكانت أمه من العابدات وكان يقال لها راهبة قال: لما ماتت كنت آتيها في كل جمعة فادعو لها واستغفر لها ولأهل القبور فرأيتها ليلة في منامي فقلت: يا أمه كيف أنت؟ فقال: يا بني إن الموت لشديد كربه وأنا بحمد الله في برزخ محمود افترش فيه الريحان وأتوسد فيه السندس والاستبرق فقلت: ألك حاجة؟ قالت: نعم. قلت: ما هي؟ قالت: لا تدع ما تصنع من زيارتنا والدعاء لنا فإني آنس بمجيئك يوم الجمعة إذا أقبلت من أهلك زائراً فابشر ويبشر بذلك من حولي من الأموات.

وقال الحافظ أبو طاهر السلفي: سمعت أبا البركات عبد الواحد بن عبد الرحمن بن غلاب السوسي بالاسكندرية يقول: سمعت والدتي تقول: رأيت أمي في المنام بعد موتها وهي تقول: يا بنتي إذا جئتيني زائرة فاقعدي عند قبري ساعة أتملى من النظر إليك ثم ترحمي عليّ فإنك إذا ترحمت علي صارت الرحمة بيني وبينك كالحجاب ثم شغلتني.

وقال بعضهم: مات أخ لي فرأيته في المنام فقلت: ما كانْ حالك حيث وضعت في قبرك؟ قال: أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعياً دعا لي لرأيت أنه سيضربني به.

ومن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له. قال سعيد بن عبدالله الأودي: شهدت أبا أمامة الباهلي وهو في النزع فقال: يا سعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله ﷺ فقال: «إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثانية فإنه يستوي قاعداً، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة الثالثة فإنه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن

وقال الحافظ ابن رجب: أنبأني علي بن عبد الصمد بن أحمد البغدادي عن أبيه قال: أخبرني قسطنطين بن عبد الله الرومي، سمعت أسد بن موسى يقول: كان لي صديق فمات فرأيته في المنام وهو يقول: سبحان الله جئت إلى قبر فلان صديقك قرأت عنده وترحمت عليه وأنا ما جئت إليّ ولا قربتني قلت له: وما يدريك؟ قال: لما جئت إلى قبر صديقك فلان رأيتك. قلت: كيف رأيتني والتراب عليك. قال ما رأيت الماء إذا كان في الزجاج ما يتبين. قلت: بلى. قال: فكذلك نحن نرى من يزورنا.

(**وقال بعضهم: مات أخ لي فأريته في المنام فقلت ما كان حالك حيث**) وفي نسخة حين (**وضعت في قبرك؟ قال: أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعياً دعا لي لرأيت أنه سيضربني به**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

(**ومن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له**) بالتثبت. قال الحكيم في نوادر الأصول: الوقوف على القبر وسؤال التثبيت في وقت الدفن مدد للميت بعد الصلاة لأن الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له، وقد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له والوقوف على القبر وسؤال التثبيت في وقت الدفن مدد للعسكر وذلك ساعة شغل الميت لأنه يستقبل هول المطلع وسؤال الفتانين.

(**وقال سعيد بن عبد الله الأودي**) من بني أود بن سعد العشيرة وفي بعض النسخ الأزدي فإن كان كذلك فهو سعيد بن عبد الله بن ضرار بن الازور وضرار بن الأزور أسدي، ويقال في الازدي الأسدي وسعيد ضعيف كما تقدم: (**شهدت أبا أمامة**) صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه (**وهو في النزع فقال: يا سعيد إذا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله ﷺ، فقال: إذا ما مات أحدكم فسوّيتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول: يا فلان بن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب**) أي لا يستطيع الجواب، (**ثم ليقل: يا فلان بن فلانة**) المرة (**الثانية فإنه يستوي قاعداً ثم ليقل يا فلان بن فلانة**) المرة (**الثالثة فإنه يقول أرشدنا**)

لا تسمعون فيقول له: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً وبالقرآن إماماً، فإن منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما فيقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته، ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما»، فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه؟ قال: «فلينسبه إلى حوّاء».

يرحمك الله ولكن لا تسمعون) وفي لفظ لا تشعرون، **(فيقول)** وفي لفظ فليقل **(له: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وانك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً وبالقرآن إماماً فإن منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما)** وفي لفظ يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه **(فيقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما)** وفي لفظ ولكن الله حجته دونهم، **(فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه» قال «فلينسبه إلى حواء»)** أي فليقل يا فلان بن حواء. قال العراقي: رواه الطبراني بسند ضعيف اهـ.

قلت: لعله لمكان سعيد بن عبد الله إن كان هو ابن ضرار فقد قال أبو حاتم إنه ليس بقوي نقله الذهبي، هكذا رواه الطبراني في الكبير. وفي كتاب الدعاء وابن منده في كتاب الروح وابن عساكر والديلمي، ورواه ابن منده من وجه آخر عن أبي أمامة قال: إذا مت فدفنتموني فليقم انسان عند رأسي فليقل: يا صدي بن عجلان اذكر ما كنت عليه في الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ورواه ابن عساكر من وجه آخر عن أبي امامة رفعه «إذا مات الرجل منكم فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فليقل يا فلان بن فلانة فإنه يسمع فليقل يا فلان بن فلانة فإنه يستوي قاعداً فليقل يا فلان ابن فلانة فإنه سيقول له أرشدني يرحمك الله فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وإن محمداً عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله باعث من في القبور فإن منكراً ونكيراً عند ذلك يأخذ كل واحد بيد صاحبه ويقول: قم ما تصنع عند رجل لقن حجته فيكون الله تعالى حجيجهما دونه».

ومما ورد في الأخبار والآثار من التلقين ما رواه البزار عن علي بن أبي طالب قال: إذا بلغت الجنازة القبر فجلس الناس فلا تجلس ولكن قم على شفير القبر فإذا أدلي في قبره فقل بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ. اللهم عبدك نزل بك وأنت خير منزول به خلف الدنيا خلف ظهره فاجعل ما قدم عليه خيراً مما خلف فإنك قلت: ﴿وما عند الله خير للابرار﴾ [آل عمران: ١٩٨].

وروى ابن أبي شيبة عن قتادة أن أنساً دفن ابناً له فقال: اللهم جاف الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وأبدله داراً خيراً من داره. وروى سعيد بن منصور عن أنس أنه كان إذا وضع الميت في قبره قال: اللهم جاف الأرض عن جنبيه وصعّد روحه وتقبله وتلقه منك بروح.

ولا بأس بقراءة القرآن على القبور. روي عن علي بن موسى الحداد قال: كنت مع

وروى ابن ماجه والبيهقي في السنن عن ابن المسيب قال: حضرت ابن عمر في جنازة ابنة له فلما وضعها في اللحد قال: بسم الله وفي سبيل الله، فلما أخذ في تسوية اللحد قال: اللهم أجرها من الشيطان ومن عذاب القبر، فلما سوّى الكثيب عليها قام جانب القبر ثم قال: اللهم جاف الأرض عن جنبيها وصعد روحها ولقها منك رضواناً، ثم قال: سمعته من رسول الله ﷺ.

وروى ابن أبي شيبة عن مجاهد انه كان يقرأ بسم الله وفي سبيل الله اللهم افسح له قبره ونور له فيه والحقه بنبيه. وروى الحكيم عن عمرو بن مرة قال: كانوا يستحبون إذا وضع الميت في اللحد أن يقولوا: اللهم أعذه من الشيطان الرجيم. وروى ابن أبي شيبة عن خيثمة قال: كانوا يستحبون إذا دفنوا الميت أن يقولوا بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله. اللهم أجره من عذاب القبر وعذاب النار ومن شر الشيطان الرجيم. وروى سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال: كان رسول الله ﷺ يقف على القبر بعدما يسوى عليه فيقول: اللهم نزل بك صاحبنا وخلف الدنيا خلف ظهره. اللهم ثبت عن المسألة منطقه ولا تفتنه في قبره بما لا طاقة له به. وروى سعيد بن منصور عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب وحكيم بن عمير قالوا: إذا سوي على قبره وانصرف الناس عنه كان يستحب أن يقال للميت عند قبره يا فلان قل ربي الله وديني الإسلام ونبيّي محمد ﷺ ثم ينصرف. وقال أبو بكر الآجري: يستحب الوقوف بعد الدفن قليلاً والدعاء للميت مستقبلاً وجهه بالثبات فيقال: اللهم هذا عبدك وأنت أعلم بـه منا ولا نعلم منه إلا خيراً وقد أجلسته لتسأله اللهم فثبته بالقول الثابت في الآخرة كما ثبته في الدنيا. اللهم ارحمه والحقه بنبيه ولا تفتنا بعده ولا تحرمنا أجره. وروى ابن سعد في الطبقات قال قال لي النزال بن سبرة: إذا أدخلتني قبري فقل: اللهم بارك في هذا القبر وفي داخله. وروى ابن أبي شيبة عن أنس أنه كان إذا سوي على الميت قبره قام عليه، فقال: اللهم عبدك ردّ إليك فارأف به وارحمه، اللهم جاف الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن، اللهم إن كان محسناً فضاعف له في إحسانه أو قال فزد في إحسانه وان كان مسيئاً فتجاوز عنه.

(**ولا بأس بقراءة القرآن على القبر**) وفي نسخة القبور. قال السيوطي في شرح الصدور: وأما قراءة القرآن على القبر فجزم بمشروعيتها أصحابنا وغيرهم. قال الزعفراني: سألت الشافعي عن القراءة عند القبر فقال: لا بأس به. وقال النووي في شرح المهذب: يستحب لزائر القبور أن يقرأ ما تيسر من القرآن ويدعو لهم عقبها نص عليه الشافعي. واتفق عليه الأصحاب زاد في موضع آخر وان ختموا القرآن كان أفضل انتهى.

وقد سئل الشمس محمد بن علي بن محمد بن عيسى العسقلاني الكناني السمنودي الشافعي عرف بابن القطان المتوفي في سنة ٨١٣ وهو من مشايخ الحافظ ابن حجر عن مسائل فأجاب ومنها: وهل يصل ثواب القراءة للميت أم لا؟ فأجاب عنها في رسالة سماها القول بالإحسان العميم في انتفاع الميت بالقرآن العظيم وأنا أذكر منها هنا ما يليق بالمقام مع الاختصار.

قال رحمه الله تعالى: اختلف العلماء في ثواب القراءة للميت فذهب الأكثرون إلى المنع وهو المشهور من مذهب الشافعي ومالك، ونقل عن جماعة من الحنفية وقال كثيرون منهم يصل، وبه قال الإمام أحمد بعد أن قال القراءة على القبر بدعة، بل نقل عنه أنه يصل إلى الميت كل شيء من صدقة وصلاة وحج وصوم واعتكاف وقراءة وذكر وغير ذلك، ونقل ذلك عن جماعة من السلف، ونقل عن الشافعي انتفاع الميت بالقراءة على قبره، واختاره شيخنا شهاب الدين ابن عقيل وتواتر أن الشافعي زار الليث بن سعد وأثنى عليه خيراً وقرأ عنده ختمة وقال: أرجو أن تدوم فكان الأمر كذلك، وقد أفتى القاضي حسين بأن الاستئجار للقراءة على رأس القبر جائز كالاستئجار للآذان وتعليم القرآن. قال النووي في زيادات الروضة: ظاهر كلامه صحة الإجارة مطلقاً وهو المختار فإن موضع القراءة موضع بركة وتنزل الرحمة وهذا مقصود ينفع الميت. وقال الرافعي وتبعه النووي: عود المنفعة إلى المستأجر شرط في الإجارة فيجب عود المنفعة في هذه الإجارة إلى المستأجر أو ميتة لكن المستأجر لا ينتفع بان يقرأ الغير له، ومشهور أن الميت لا يلحقه ثواب القراءة المجردة، فالوجه تنزيل الاستئجار على صورة انتفاع الميت بالقراءة أقرب إجابة وأكثر بركة. وقال في كتاب الوصية الذي يعتاد في قراءة القرآن على رأس القبر قد ذكرنا في باب الإجارة طريقين في عود فائدتها إلى الميت، وعن القاضي أبي الطيب طريق ثالث وهو أن الميت كالحي الحاضر فيرجى له الرحمة ووصول البركة إذا أهدى الثواب إلى القارىء، وعبارة الروضة إذا أوصل الثواب إلى القارىء انتهى.

وعن القاضي أبي الطيب الثواب للقارىء والميت كالحاضر فترجى له الرحمة والبركة. وقال عبد الكريم الشالوسي القارىء: إن نوى بقراءته أن يكون ثوابها للميت لم يلحقه إذ جعل ذلك قبل حصوله وتلاوته عبادة البدن فلا تقع على الغير، وإن قرأ ثم جعل ما حصل من الثواب للميت ينفعه إذ قد جعل من الأجر لغيره والميت يؤجر بدعاء الغير. وقال القرطبي: وقد استدل بعض علمائنا على قراءة القرآن على القبر بحديث العسيب الرطب الذي شقة النبي ﷺ باثنين ثم غرس على قبر نصفا وعلى قبر نصفا وقال «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا» رواه الشيخان. قال: ويستفاد من هذا غرس الأشجار وقراءة القرآن على القبور، وإذا خفف عنهم بالأشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن؟ وقال النووي: استحب العلماء قراءة القرآن عند القبر واستأنسوا لذلك بحديث الجريدتين وقالوا: إذا وصل النفع إلى الميت بتسبيحهما حال رطوبتهما، فانتفاع الميت بقراءة القرآن عند قبره أولى فإن قراءة القرآن من انسان أعظم وانفع من التسبيح من عود، وقد نفع القرآن بعض من حصل له ضرر في حال الحياة فالميت كذلك. قال ابن الرفعة: الذي دل عليه الخبر بالاستنباط أن بعض القرآن إذا قصد به نفع الميت وتخفيف ما هو فيه نفعه إذ ثبت أن الفاتحة لما قصد بها القارىء نفع الملدوغ نفعته وأقر النبي ﷺ ذلك بقوله: وما يدريك انها رقية، وإذا نفعت الحي بالقصد كان نفع الميت بها أولى لأن الميت يقع عنه من العبادات بغير إذنه ما لا يقع من الحي. نعم يبقى النظر في أن ما عدا الفاتحة من القرآن الكريم إذا قرىء وقصد به ذلك هل يلتحق به؟ انتهى. نعم

أحمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا، فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد: يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة، فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد: يا أبا عبدالله ما تقول في مبشر بن إسماعيل الحلبي؟ قال: ثقة. قال: كتبت عنه شيئاً؟ قال: نعم، قال: أخبرني مبشر بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة، وقال خاتمتها، وقال: سمعت ابن عمر يوصي بذلك، فقال له أحمد: فارجع إلى الرجل فقل له

يلتحق به فروى ابن السني من حديث ابن مسعود أنه قرأ في اذن مبتلى فأفاق فقال له رسول الله ﷺ: «ما قرأت في أذنه» قال قرأت ﴿أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً﴾ [المؤمنون: ١١٥] حتى فرغت من آخر السورة فقال ﷺ: «لو أن رجلاً قرأ بها على جبل لزال» ومثل ذلك ما جاء به في القراءة بالمعوّذتين والاخلاص وغير ذلك، وفي الرقية بالفاتحة دليل على صحة الاجارة والجعالة لينتفع بها الحي، فكذلك الميت. ومما يشهد لنفع الميت بقراءة غيره حديث معقل بن يسار« اقرأوا على موتاكم» رواه أبو داود وحديث « اقرأوا يس على موتاكم» رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان، وحديث « يس ثلث القرآن لا يقرأها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له فاقرأوها على موتاكم». رواه أحمد وأوّل جماعة من التابعين القراءة للميت بالمحتضر والتأويل خلاف الظاهر، ثم يقال عليه إذا انتفع المحتضر بقراءة يس وليس من سعيه فالميت كذلك والميت كالحي الحاضر يسمع كالحي الحاضر كما ثبت في الحديث انتهى ما نقلته من كلام ابن القطان.

(**وروي عن علي بن موسى الحداد قال: كنت مع**) الإمام (**أحمد بن حنبل**) رحمه الله تعالى (**في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري**) الأنصاري أبو جعفر البغدادي فيه لين. وقال أبو داود ضعيف روى له البخاري في خبر القراءة خلف الإمام، مات سنة سبع وثلاثين ومائتين (**معنا، فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد: يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد: يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر بن اسماعيل الحلبي**) أبي إسماعيل الكلبي مولاهم صدوق مات سنة مائتين بحلب روى له الجماعة (**فقال: ثقة. قال: هل كتبت عنه شيئاً؟ قال: نعم. قال: أخبرني مبشر بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج**) نزيل حلب مقبول روى له الترمذي (**عن أبيه**) العلاء بن اللجاج الشامي يقال انه أخو خالد ثقة روى له الترمذي، ولأبيه اللجلاج صحبة عاش مائة وعشرين خمسين في الجاهلية وسبعين في الإسلام. قال أبو الحسن بن إسماعيل اللجلاج والد العلاء غطفاني، واللجلاج والد خالد عامري (**أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها. وقال: سمعت ابن عمر**) رضي الله عنه (**يوصي بذلك فقال له أحمد: فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ**). وهكذا أورده القرطبي في التذكرة، وعند الطبراني من طريق عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج قال قال لي أبي: يا بني إذا وضعتني في لحدي فقل بسم الله وفي

يقرأ، وقال محمد بن المروزي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إذا دخلتم المقابر فاقرأوا بفاتحة الكتاب والمعوّذتين وقل هو الله أحد، واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر، فإنه يصل إليهم. وقال أبو قلابة: أقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل، ثم وضعت رأسي على قبر فنمت ثم تنبهت فإذا صاحب القبر

سبيل الله وعلى ملة رسول الله ثم سن عليَّ التراب سناً ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك هكذا هو عند الطبراني وكأنه سقط منه فإني سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ فإن الصحبة للجلاج لا للعلاء، وأما قول ابن عمر فقد روي مرفوعاً رواه البيهقي في الشعب عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا مات أحدكم فلا تحبسوه واسرعوا له إلى قبره وليقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وعند رجليه بخاتمة سورة البقرة». رواه الطبراني كذلك إلا أنه قال عند رأسه بفاتحة الكتاب والباقي سواء.

(**وقال محمد بن أحمد المروزي**) هكذا في النسخ والصواب أحمد بن محمد المروزي كنيته أبو بكر والمروزي نسبة إلى مر والروز مدينة بخراسان بينها وبين مرو الشاهجان خمس مراحل، وأما محمد بن أحمد المروزي يكنى أبا زيد فهو من أئمة الشافعية حدث عن الفربري مات سنة ٣٧١: (**سمعت أحمد بن حنبل**) رحمه الله (**يقول: إذا دخلتم المقابر فاقرأوا بفاتحة الكتاب والمعوّذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم**) كذا أورده عبد الحق الأزدي في كتاب العاقبة عن أبي بكر أحمد بن محمد المروزي على الصواب. وروى النسائي والرافعي في تاريخه وأبو محمد السمرقندي في فضائل سورة الإخلاص من حديث علي من مرّ على المقابر وقرأ قل هو الله أحد احدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات أعطي من الأجر عدد الاموات». قال الشمس بن القطان: ولقد حكي لي من أثق به من أهل الخير أنه مر بقبور فقرأ قل هو الله أحد وأهدى ثوابها لهم فرأى واحداً منهم في المنام وأخبره بأن الله تعالى غفر له ولسائر القبور فخصه ثواب رأس واو من سور قل هو الله أحد وتقسم الباقون باقيها ببركة سورة قل هو الله أحد، وفي العاقبة لعبد الحق قال: حدثني أبو الوليد إسماعيل بن أحمد عرف بابن افريد وكان هو وأبوه صالحين معروفين، قال لي أبو الوليد مات أبي رحمة الله عليه فحدثني بعض إخوانه ممن يوثق بحديثه نسيت أنا اسمه قال لي زرت قبر أبيك فقرأت عليه حزباً من القرآن ثم قلت يا فلان هذا قد أهديته لك فماذا لي؟ قال: فهبت علي نفحة مسك غشيتني وأقامت معي ساعة ثم انصرفت وهي معي فما فارقتني إلا وقد مشيت نحو نصف الطريق.

(**وقال أبو قلابة**) عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الملك الرقاشي البصري يكنى أبا محمد وأبو قلابة لقب صدوق يخطيء تغير حفظه لما سكن بغداد، روى له ابن ماجه مات سنة ست وسبعين ومائتين وله ست وثمانون سنة: (**أقبلت من الشام إلى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسي على قبر**) من القبور التي هناك (**فنمت ثم**

يشتكيني يقول: لقد آذيتني منذ الليلة، ثم قال: إنكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال: للركعتان اللتان ركعتها خير من الدنيا وما فيها، ثم قال جزى الله عنا أهل الدنيا خيراً أقرئهم السلام فإنه قد يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال.

انتبهت فإذا صاحب القبر يشتكيني يقول: لقد آذيتني منذ الليلة ثم قال: إنكم) تعملون (ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال: للركعتان اللتان ركعتها خير من الدنيا وما فيها، ثم قال: جزى الله عنا أهل الدنيا خيراً أقرئهم السلام فإنه قد يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور.

وروى صاحب كتاب المتفجعين عن محمد بن جبلة، حدثنا محمد بن قدامة، حدثنا ابن علية، عن سليمان التيمي عن مياس قال: خرجت إلى الظهر ثم صليت ركعتين ثم جئت إلى قبر فاتكأت عليه، فأخذتني نعسة الشيوخ فسمعت صوتاً من القبر: أعل عني فقد آذيتني إنكم تعملون ولا تعلمون وإنا نعلم ولا نعمل، والله لوددت أني خيرت بين الدنيا وبين ركعتيك إذاً كنت اختار ركعتيك. هكذا قال عن مياس وأخاله تحريفاً.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، والبيهقي في الدلائل من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه عن أبي عثمان النهدي عن ابن ميناء قال: دخلت الجبانة فصليت ركعتين خفيفتين ثم اضطجعت إلى قبر فوالله إني لنبهان إذ سمعت قائلاً في القبر يقول: قم فآذيتني إنكم لتعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل فوالله لأن أكون صليت مثل ركعتيك أحب إلى من الدنيا وما فيها.

قلت: وابن ميناء هو الحكم انصاري مدني صدوق من أولاد الصحابة، روى له مسلم وأبو داود في كتاب فضائل الانصار له والنسائي وابن ماجه وليس له عندهم إلا حديث واحد.

وروى ابن أبي الدنيا أيضاً، والبيهقي في الشعب عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: كنت بالمقبرة فصليت قريباً من قبر ركعتين خفيفتين لم أرض اتقانهما ونعست، فرأيت صاحب القبر يكلمني فقال: ركعت ركعتين لم ترض اتقانهما، قلت: قد كان ذلك. قال: تعملون ولا تعلمون، ونعلم ولا نستطيع أن نعمل لأن أكون ركعت مثل ركعتيك أحب إلي من الدنيا بحذافيرها. وهذا السياق أشبه بسياق المصنف وقد تقدم شيء من ذلك بعد ذكر الأبيات التي كتبت على القبور.

وروى القرطبي في التذكرة من حديث أنس أنك لتتصدق من بيتك بصدقة فيجيء بها ملك من الملائكة في أطباق من نور فيقوم على رأس القبر فينادي: يا صاحب القبر الغريب أهلك قد أهدوا إليك هذه الهدية فاقبلها. قال: فيدخلها إليه في قبره ويفسح له في مدخله وينور له فيه قال: فيقول جزى الله عني أهلي خير الجزاء. فيقول لزيق ذلك القبر: أنا لم أخلف لي ولداً ولا أحد يذكرني بشيء فهو مهموم والآخر يفرح بالصدقة.

قلت: هو عند الطبراني في الأوسط بلفظ: ما من أهل بيت يموت منهم ميت فيتصدقون بعد موته إلا أهداها لهم جبريل على طبق من نور ثم يقف على شفير القبر فيقول: يا صاحب القبر

العميق هذه هدية أهداها إليك أهلك فاقبلها فيدخل عليه فيفرح بها ويستبشر ويحزن جيرانه الذي لا يهدى إليهم شيء.

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، عن عمرو بن جرير قال: إذا دعا العبد لأخيه الميت أتاه بها إلى قبره ملك فقال: يا صاحب القبر الغريب هذه هدية من أخ عليك شفيق. وروي أيضاً عن بعض المتقدمين قال: مررت بالمقابر فترحمت عليهم فهتف بي هاتف نعم فترحم عليهم فإن فيهم المهموم والمحزون.

وقال الحافظ ابن رجب: روى جعفر الخلدي قال: حدثنا العباس بن يعقوب بن صالح الانباري، سمعت أبي يقول: رأى بعض الصالحين أباه في النوم فقال له: يا بني لم قطعتم هديتكم عنا؟ قال: يا أبت وهل تعرف الأموات هدية الأحياء؟ قال: يا بني لولا الأحياء لهلكت الأموات.

وروى ابن النجار في تاريخه عن مالك بن دينار قال: دخلت المقبرة ليلة الجمعة فإذا أنا بنور مشرق فيها فقلت: لا إله إلا الله نرى أن الله عز وجل قد غفر لأهل المقابر، فإذا أنا بهاتف يهتف من البعد وهو يقول: يا مالك بن دينار هذه هدية المؤمنين إلى إخوانهم من أهل المقابر. قلت: بالذي أنطقك ألا خبرتني ما هو؟ قال: رجل من المؤمنين قام في هذه الليلة فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين وقرأ فيهما فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال: اللهم إني قد وهبت ثوابها لأهل المقابر من المؤمنين فادخل الله علينا الضياء والنور والفسحة والسرور في المشرق والمغرب. قال مالك: فلم أزل أقرأها في كل جمعة فرأيت النبي ﷺ في منامي يقول لي: يا مالك قد غفر الله لك بعدد النور الذي أهديته إلى أمتي ولك ثواب ذلك، ثم قال لي: وبنى الله لك بيتاً في الجنة في قصر يقال له المنيف قلت: وما المنيف؟ قال: المطل على أهل الجنة.

وقال السيوطي في شرح الصدور فصل في قراءة القرآن للميت أو على القبر: اختلف في وصول ثواب القراءة للميت، فجمهور السلف والائمة الثلاثة على الوصول، وخالف في ذلك إمامنا الشافعي رضي الله عنه مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سَعَى﴾ [النجم: ٣٩] وأجاب الأولون عن الآية بوجوه.

أحدها: أنها منسوخة بقوله: ﴿والذين آمنوا اتبعتهم ذريتهم بايمان﴾ [الطور: ٢١] الآية أدخل الابناء الجنة بصلاح الآباء.

الثاني: أنها خاصة بقوم إبراهيم وموسى عليهم السلام، فأما هذه الأمة فلها ما سعت وما سعى لها قاله عكرمة.

الثالث: أن المراد بالإنسان هنا هو الكافر، فأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له قاله الربيع بن أنس.

الرابع: ليس للإنسان إلاّ ما سعى من طريق العدل، فأما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما شاء قاله الحسين بن الفضل.

الخامس: أن اللام بمعنى على أي ليس على الإنسان إلا ما سعى.

قلت: وقد أورد ابن القطان في الرسالة المذكورة هذه الأجوبة وقال القول بالنسخ، روي عن ابن عباس قال: فجعل الولد الطفل في ميزان أبيه ويشفع الله تعالى الآباء في الابناء والابناء في الآباء بدليل قوله تعالى: ﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً﴾ [النساء: ١١] وذكر القول الثالث. ونقل عن القرطبي ان كثيراً من الأحاديث يدل على هذا القول، ونقل عنه أيضاً انه قال: ويحتمل أن يكون قوله: ﴿إلا ما سعى﴾ خاصة بالسيئة لما في الحديث «وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها له حسنة» قال ابن القطان: وكنت بحثت مع الشيخ سراج الدين البلقيني بالخشابية بجامع عمرو بن العاص هل تضعف هذه الحسنة أيضاً؟ قلت: وينبغي أن تضعف لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ [النساء: ٤٠] فقال: نعم وتضعف من جنس ما هم به، ثم قال: ومن المفسرين من قال: المراد بالانسان أبو جهل أو عقبة بن أبي معيط أو الوليد بن المغيرة. قال: ومنهم من قال: الإنسان بسعيه في الخير وحسن صحبته وعشرته اكتسب الأصحاب وأسدى لهم الخير وتردد إليهم، فصار ثوابه لهم بعد موته من سعيه وهذا حسن، ومنهم من قال: الإنسان في الآية للحي دون الميت، ومنهم من قال: لم ينف في الآية انتفاع الرجل بسعي غيره له، وإنما نفي عمله بسعي غيره وبين الأمرين فرق. ثم نقل عن الزمخشري ما لفظه: فان قلت: أما صح في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه؟ قلت: فيه جوابان أحدهما: أن سعي غيره لما لم ينفعه إلا مبنياً على سعي نفسه، وهو أن يكون مؤمناً مصدقاً فكذلك كان سعي غيره كأنه سعي لكونه تبعاً له وقائماً لقيامه. والثاني: أن سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه، ولكن إذا نواه فهو في حكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه، ثم قال: والصحيح من الأجوبة ان قوله تعالى: ﴿وان ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ عام مخصوص لما تقدم من الأدلة وكذا ﴿ولا تجزون إلاّ ما كُنْتُمْ تعملون﴾ [يس: ٥٤] وكذا «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث». هذا كلام ابن القطان.

ثم قال السيوطي: واستدلوا على الوصول بالقياس على الدعاء والصدقة والصوم والحج والعتق فإنه لا فرق في نقل الثواب بين أن يكون عن حج أو صدقة أو وقف أو دعاء أو قراءة، وبالأحاديث الواردة فيه وهي وإن كانت ضعيفة فمجموعها. يدل على أن لذلك أصلاً وبأن المسلمين ما زالوا في كل مصر يجتمعون ويقرأون لموتاهم من غير نكير، فكان ذلك إجماعاً ذكر ذلك كله الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي في جزء ألفه في المسألة. قال القرطبي: وقد كان الشيخ العز بن عبد السلام يفتي بأنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ، فلما توفي رآه بعض أصحابه فقال له: إنك كنت تقول: إنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ أو يهدى إليه

فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بها، وللمزور الانتفاع بدعائه. فلا ينبغي

فكيف الأمر؟ قال له كنت أقول ذلك في دار الدنيا، والآن قد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله في ذلك وأنه يصل إليه ذلك. ثم قال السيوطي: ومن الوارد في قراءة القرآن على القبور ما تقدم من حديث ابن عمر والعلاء بن اللجلاج مرفوعاً كلاهما، وأخرج الخلال في الجامع عن الشعبي قال: كانت الأنصار إذا مات لهم ميت اختلفوا إلى قبره يقرأون له القرآن، وأخرج أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني في فوائده عن أبي هريرة رفعه «من دخل المقابر ثم قرأ بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والهاكم التكاثر ثم قال إني جعلت ثواب ما قرأت من كلامك لأهل المقابر المؤمنين والمؤمنات كانوا شفعاء له إلى الله تعالى». وأخرج القاضي أبو بكر بن عبد الباقي الأنصاري في مشيخته عن سلمة بن عبيد قال قال حماد المكي: خرجت ليلة إلى مقابر مكة فوضعت رأسي على قبر فنمت فرأيت أهل المقابر حلقة حلقة فقلت: قامت القيامة؟ قالوا: لا، ولكن رجل من إخواننا قرأ قل هو الله أحد وجعل ثوابها لنا فنحن نقتسمه منذ سنة. وأخرج عبد العزيز صاحب الخلال من حديث أنس: «من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم وكان له بعدد من دفن فيها حسنات». وقال القرطبي في حديث: «اقرأوا على موتاكم يس» يحتمل أن تكون هذه القراءة عند الميت في حال موته، ويحتمل أن تكون عند قبره. قال السيوطي: وبالأول قال الجمهور، وبالثاني قال ابن عبد الواحد المقدسي في جزئه الذي تقدم ذكره، وبالتعميم في الحالين قال المحب الطبري من متأخري أصحابنا. وقال القرطبي: وقيل إن ثواب القراءة للقارىء وللميت ثواب الاستماع، ولذلك تلحقه الرحمة ولا يبعد في كرم الله أن يلحقه ثواب القراءة والإستماع معاً، ويلحقه ثواب ما يهدى إليه من القرآن وإن لم يسمع كالصدقة والدعاء اهـ.

تنبيه:

سئل ابن القطان هل يكفي ثواب أو يتعين مثل ثواب؟ فأجاب في الرسالة المذكورة ما لفظه: ولا يشترط في وصول الثواب لفظ هذا ولا جعل ثواب، بل تكفي النية قبل القراءة وبعدها خلافاً لما نقلناه عن عبد الكريم الشالوسي في القلبية. نعم لو فعله لنفسه ثم نوى جعله للغير لم ينفع الغير ويكفي للقارىء ذكر ثواب ولا يتعين مثل ثواب. وقال النووي: المختار أن يدعو بالجعل فيقول: اللهم اجعل ثوابها واقعاً لفلان. وقال في الأذكار: الاختيار أن يقول القارىء بعد فراغه: اللهم أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان وليس ثواب على تقدير المثل، بل لو قال مثل ثواب تكون مثل زائدة كما هو أحد الأقوال في قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] نعم، إن قيل للقارىء ثواب قراءته وللمقروء له مثل ثوابها فيكون ثوابها على تقدير وهو خلاف ظاهر مختار النووي، وخلاف الأئمة المهدين فإنهم حين يهدون ويقولون: اجعل ثواب والأصل عدم التقدير وينقدح في قوله: اجعل ثواب احتمالان: أن يكون للمهدى له وللقارىء مثلها الثاني: أن يكون للمهدي وهو القارىء والمهدي له مثلها والله أعلم.

(فالمقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار، وللمزور الانتفاع بدعائه. فلا ينبغي أن

أن يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به. وإنما يحصل له الاعتبار بأن يصور في قلبه الميت كيف تفرّقت أجزاؤه وكيف يبعث من قبره؟ وأنه على القرب سيلحق به كما روي عن مطرف بن أبي بكر الهذلي قال: كانت عجوز في عبد القيس متعبدة فكان إذا جاء الليل تحزمت ثم قامت إلى المحراب تصلي وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور، فبلغني أنها عوتبت في كثرة إتيانها المقابر فقالت: إن القلب القاسي إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى، وإني لآتي القبور فكأني أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها، وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأكفان الدسمة، فيا لها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنكل مرارتها للأنفس وأشد تلفها للأبدان، بل ينبغي أن يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز، حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له: يا فلان لو رأيتني بعد ثلاث وقد أدخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت الشفتان عن الأسنان. وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم، ونتأ البطن فعلا الصدر وخرج

يغفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت) وهل يقدم الدعاء لنفسه ثم للميت أو بالعكس؟ الظاهر الثاني إذ الدعاء للميت مستجاب لا محالة قياساً على دعاء الغائب، ثم يكون الدعاء لنفسه، فهو أجرى أن يستجاب نظراً لكرم الله تعالى وسعة فضله، **(و)** لا يغفل أيضاً **(عن الاعتبار به، وإنما يحصل الاعتبار بأن يصوّر في قلبه الميت كيف تفرقت أجزاؤه)** بعد أن كانت مجموعة، **(وكيف يبعث عن قبره)** بعد ذلك التفرق **(وأنه على القرب سيلحق به)**. فتصوير هذه الثلاثة من أعظم ما يعتبر به الزائر من الميت وفي أثناء ذلك تصويرات كثيرة لا تحصى، **(كما روي عن مطرف بن أبي بكر الهذلي)** رحمه الله **(قال: كانت عجوز في)** بني **(عبد القيس متعبدة)** أي كثيرة العبادة **(فكان إذا جاء الليل تحزمت)** أي شدت حزامها لتستعين به على القيام **(ثم قامت إلى المحراب تصلي)** عامة الليل، **(وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور، فتكون عامة النهار)** هناك، **(فبلغني أنها عوتبت في كثرة إتيانها المقابر فقالت: إن القلب القاسي إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى)** أي النظر إليها، **(وإني لآتي القبور فكأني أنظر وقد خرجوا من بين أطباقها وكأني أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأكفان الدسمة، فيا لها من نظرة لو أشربها العباد قلوبهم ما أنكل مرارتها للأنفس وأشد تلفها للأبدان)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. **(بل ينبغي أن يحضر من صورة الميت ما ذكره عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته)** وتبدل حليته عما كان عليها **(لكثرة الجهد والعبادة فقال له: يا فلان لو رأيتني بعد ثلاث وقد أدخلت قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين، وتقلصت الشفتان على الأسنان)** أي يبستا، **(وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتأ البطن)** أي

الصلب من الدبر وخرج للدود والصديد من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن.

ويستحب الثناء على الميت أن لا يـذكر إلا بالجميل. قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه»، وقال ﷺ: «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا»، وقال ﷺ: «لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا وإن يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم

ارتفع (**فعلا على الصدر، وخرج الصلب من الدبر، وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت أعجب مما تراه الآن**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور. وروى أبو نعيم في الحلية نحواً منه من طريق أبي حازم الخناصري الأسدي قال: قدمت دمشق في خلافة عمر بن عبد العزيز يوم الجمعة والناس رائحون إلى الجمعة ثم ساق الحديث وفيه: فلما أن بصر بي عرفني فناداني يا أبا حازم إليَّ مقبلاً فدنوت من المحراب، فلما أن صلى بالناس التفت إليَّ فقلت له: تـالله لقـد كنـت عنـدنـا بالأمس بخناصرة أميراً لعبد الملك بن مروان وكان وجهك وضيئاً وثوبك نقياً ومركبك وطيئاً وطعامك شهياً وحرسك شديداً، فما الذي غيرك وأنت أمير المؤمنين؟ فقال لي: يا أبا حازم أناشدك الله إلا حدثتني الحديث الذي حدثتني بخناصرة! قلت له: نعـم سمعـت أبـا هـريـرة رضي الله عنـه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن بين أيديكم عقبة كؤداً لا يجوزها إلا كل ضامر مهزول». قال أبو حازم: فبكى أمير المؤمنين بكاء عالياً حتى علا نحيبه ثم قال: يا أبا حازم افتلومني أن أضمر نفسي لتلك العقبة لعلّي أن أنجو منها وما أظنني منها بناج؟

(**ويستحب الثناء على الميت أن لا يذكر إلا بالجميل. قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات صاحبكم**) أي المؤمن الذي كنتم تصاحبونه لقرابة أو صهارة أو جوار أو صداقة أو نحو ذلك (**فدعوه**) أي اتركوه من الكلام فيه بما يؤذيه لو كان حياً (**ولا تقعوا فيه»**) أي لا تتكلموا في عرضه بسوء ولا بشيء من أخلاقه الذميمة، فغيبة الميت أفظع من غيبة الحي لأنه يرجى استحلاله بخلافه وتخصيص الصاحب للاهتمام، وبيان أنه بذلك أحرى وإلاَّ فالكف عن مساوي الأموات مطلقاً مطلوب. قال العراقي: رواه أبو داود بإسناد جيد اهـ.

قلت: يوجد في بعض نسخ المتن بدون «واو».

(**وقال ﷺ: «لا تسبوا الأموات**) أي المسلمين كما دل عليه لام العهد فالكفار سبهم قربة (**فإنهم أفضوا**) أي وصلوا (**إلى ما قدموا»**) من خير وشر والله هو المجازي إن شاء عفا وإن شاء عذب فلا فائدة في سبهم، ويستثنى منه ما فيه مصلحة شريعة كسب أهل البدع والفسقة للتحذير من الاقتداء بهم وكجرح المجروح من الرواة حياً وميتاً لابتناء أحكام الشرع على بيان حالاتهم. قال العراقي: رواه البخاري من حديث عائشة اهـ.

قلت: ورواه كذلك أحمد والنسائي، ورواه ابن النجار بلفظ: «إلى ما كسبوا».

(**وقال ﷺ: «لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم إن يكونوا من أهل الجنة تأثموا وإن**

فيه »، وقال أنس بن مالك: مرت جنازة على رسول الله ﷺ فأثنوا عليها شراً فقال عليه السلام: « وجبت » ومرّوا بأخرى فأثنوا عليها خيراً فقال رسول الله ﷺ: « وجبت » فسأله عمر عن ذلك فقال: « إن هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار! وأنتم شهداء الله في الأرض ». وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « إن العبد ليموت فيثني القوم عليه الثناء يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى لملائكته أشهدكم أني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي ».

يكونوا من أهل النار فحسبهم ما هم فيه ») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت هكذا بإسناد ضعيف من حديث عائشة، وهو عند النسائي من حديثها بإسناد جيد مقتصراً على الجملة الأولى بلفظ: « هلكاكم » وذكره بالزيادة صاحب مسند الفردوس وعلمه علامة النسائي والطبراني اهـ.

قلت وروى النسائي أيضاً عن صفية بنت شيبة قالت: ذكر عند النبي ﷺ هالك بسوء فقال: « لا تذكروا هلكاكم إلا بخير » وفي الباب عن عمر بن الخطاب رفعه: « اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم » رواه أبو داود والترمذي وابن أبي الدنيا، وروى الديلمي من حديث عائشة « الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته ».

(وقال أنس بن مالك) رضي الله عنه: **(مرت جنازة على رسول الله ﷺ فاثنوا عليه شراً فقال)** ﷺ: **(« وجبت » ومروا بأخرى فاثنوا عليها خيراً فقال: « وجبت » فسأله عمر)** رضي الله عنه **(عن ذلك فقال: « إن هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار! وأنتم شهداء الله في الأرض »)** قال العراقي: متفق عليه.

قلت: وكذلك رواه الطيالسي وأحمد والنسائي ولفظهم جميعاً « من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنيتم عنيه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض » وروى الطبراني من حديث سلمة بن الأكوع « أنتم شهداء الله في الأرض والملائكة شهداء الله في السماء ».

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه **(قال رسول الله ﷺ: « إن العبد ليموت فيثني عليه القوم الثناء يعلم الله منه غيره، فيقول الله تعالى لملائكته: أشهدكم أني قد قبلت شهادة عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي منه »)** قال العراقي: رواه أحمد من رواية شيخ من أهل البصرة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ يرويه عن ربه عز وجل « ما من عبد مسلم يموت فتشهد ثلاثة أبيات من جيرانه الأدنين بخير إلا قال الله عز وجل: قد قبلت شهادة عبادي على ما علموا وغفرت له ما أعلم ». اهـ.

قلت: رواه ابن النجار بلفظ: « إذا مات المؤمن وقال رجلان من جيرانه: ما علمنا إلا خيراً وهو في علم الله غير ذلك. قال الله تعالى لملائكته: « اقبلوا شهادة عبديّ في عبدي وتجاوزوا عن علمي فيه ».

الباب السابع
في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر
إلى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت:

اعلم أن للناس في حقيقة الموت ظنوناً كاذبة قد أخطأوا فيها.

فظن بعضهم: أن الموت هو العدم، وإنه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر، وأن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات. وهذا رأي الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر.

الباب السابع

في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور

(**اعلم**) بصرك الله تعالى (**أن للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة**) وآراء مختلفة (**قد أخطأوا فيها**).

(**فظن بعضهم: أن الموت هو العدم**) المحض (**وأنه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر، وأن موت الإنسان كموت الحيوانات وجفاف النبات، وهذا رأي الملحدين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر**)، وهم طوائف من العرب الذين انكروا الإحياء والإعادة بعد الموت، وهم الذين أخبر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿أئذامتنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون★ أو آباؤنا الأولون﴾ [الصافات: ١٦، ١٧] ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ [المؤمنين: ٨٣] وقال في بعض هذه الطائفة ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه﴾ [يس: ٧٨] الآية. وهؤلاء من العرب في الجاهلية غير من مال منهم إلى النصرانية فتنصر من عرب الشام من قضاعة وغسان وبعض ربيعة، وغير من تهوّد منهم من ملوك حمير وبني كنانة وبني كندة، وغير من تمجس منهم لقربهم من الفرس كبني زرارة بن عدس، ومنهم من غلاة الإمامية المنصورية أصحاب منصور العجلي كفروا بالقيامة وبالإحياء بعد الموت واستحلوا المحارم والمحرمات، ومنهم المعمرية صنف من الخطابية زعموا أن الدنيا لا تفنى وانكروا الإعادة والإحياء بعد الموت.

وظن قوم: أنه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر إلى أن يعاد في وقت الحشر.

وقال آخرون: إن الروح باقية لا تنعدم بالموت، وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد، وإن الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلاً.

وكل هذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق. بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما

(وظن قوم: أنه ينعدم بالموت ولا يتألم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر إلى أن يعاد في وقت الحشر) وهو مذهب الجهمية والخوارج قالوا: إحياء الأموات لا يكون إلا في القيامة وينكرون عذاب القبر وسؤال منكر ونكير، وإلى هذا القول ذهب ضرار وبشر المريسي والنجارية. وقال ضرار: إن منكراً هو العمل السيء ونكيراً هو النكير من الله عز وجل على صاحب الفعل المنكر، ويقرب من ذلك قول من زعم من المعتزلة: إن إحياء الأموات ورد أهل القبور إنما يكون بين النفختين لأن الله عز وجل قال: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ [الزمر: ٦٨] قالوا: فجائز أن يكونوا معذبين بين النفختين، وأن يكونوا منعمين بينهما وهذا قول أبي الهذيل وبشر بن المعتمر واتباعهما من القدرية. ومنهم من شك في وقت الإحياء بعد الموت وقبل القيامة وقال: يجوز أن يكون إحياء الميت بعد دخول القبر، ويجوز أن يكون بعده ولم يقطعوا على وقته وهذا قول الجبائي واتباعه من القدرية.

(وقال آخرون: إن الروح باقية لا تنعدم بالموت، وإنما المثاب والمعاقب هي الأرواح دون الأجساد وأن الأجساد لا تبعث ولا تحشر أصلاً) والقائلون بهذا أصناف: منهم من قال: إن الاحياء يكون في القيامة دون القبر إلا أن عذاب القبر لأهل العذاب صحيح ثابت على الوجه الذي يشعر به الميت وهو ميت، وشبه الميت في ذلك بالنائم والمغلوب على عقله وهذا القول حكاه الكعبي عن غسان القاضي. قال أبو منصور التميمي: وغلط الحاكي عنه فإن غساناً كان من أصحابنا، وقوله في هذه المسألة كقولنا، وإنما يصح هذا القول على مذاهب الكرامية الذي زعموا أن الميت يصح أن يكون فيه علم بالألم وغيره، ولا أعلم أحداً قال بمثل هذا من أصحاب الحديث إلا محمد بن جرير الطبري. ومنهم من زعم أن الإحياء يكون في القيامة وأن الميت في قبره قد يحدث الله فيه الألم وهو لا يشعر فإذا حشر وجد ذلك الألم في وقته الذي حشر فيه، وشبهوه بسكران نام في الشمس فأثرت فيه وهو لا يشعر بذلك، فإذا أفاق وجد ألم ذلك في نفسه، وكذلك المغشي عليه إذا ضرب في حال الغشي.

(وكل هذه ظنون فاسدة) وآراء **(مائلة عن الحق، بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والأخبار أن الموت معناه تغير حال فقط)** وانتقال من دار إلى دار وليس بعدم

معذبة وإما منعمة، ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها، فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حتى أنها لتبطش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب، والقلب ههنا عبارة عن الروح، والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة. ولذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد ويتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء. فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد، وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن

محض ولا فناء صرف، (**وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمة**) وهذا قول أهل السنة والجماعة وفقهاء الحجاز والعراق ومتكلمي الصفاتية، (**ومعنى مفارقتها للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها، فإن الأعضاء آلات للروح تستعملها حتى أنها تبطش باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب، والقلب ههنا عبارة عن الروح، والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة، وكذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والكمد، ويتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتعطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد**).

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: في كل جسد روحان إحداهما روح اليقظة التي أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان الإنسان مستيقظاً، فإذا خرجت من الجسد نام الإنسان ورأت تلك الروح المنامات، والأخرى روح الحياة التي أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان حياً فإن فارقته مات فإذا رجعت إليه حيي. وهاتان الروحان في باطن الإنسان لا يعرف مقرهما إلا من أطلعه الله على ذلك، فهما كجنينين في بطن امرأة واحدة. وقال بعض المتكلمين: الذي يظهر أن الروح بقرب القلب قال ابن عبد السلام: ولا يبعد عندي أن تكون الروح في القلب. قال: ويدل على روح الحياة قوله تعالى: ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ [الزمر: ٤٢] الآية. تقديره يتوفى الأنفس التي لم تمت أجسادها في منامها، فيمسك الأنفس التي قضى عليها الموت عنده ولا يرسلها إلى أجسادها، ويرسل الأنفس الأخرى وهي أنفس اليقظة إلى أجسادها إلى انقضاء أجل مسمى وهو أجل الموت، فحينئذ تقبض أرواح الحياة اليقظة جميعاً من الأجساد، ولا تموت أرواح الحياة بل ترفع إلى السماء حية فتطرد أرواح الكافرين ولا تفتح لها أبواب السماء وتفتح أبواب السماء لأرواح المؤمنين إلى أن تعرض على رب العالمين، فيالها من عرضة ما أشرفها اهـ.

قال السيوطي في شرح الصدور: وما ذكره من أن الروح في القلب قد جزم به الغزالي في كتابه الانتصار، وقد ظفرت له بحديث. أخرج ابن عساكر في تاريخه عن الزهري أن خزيمة بن حكيم السلمي ثم البهزي قدم على النبي ﷺ يوم فتح مكة فقال: يا رسول الله أخبرني عن ظلمة الليل وضوء النهار، وحر الماء في الشتاء وبرده في الصيف، ومخرج السحاب، وعن قرار ماء الرجل وماء المرأة،

تعاد الروح إلى الجسد ، ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر ، ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث . والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده . وإنما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها ، فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بعضها ، والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها . وكل الأعضاء آلات والروح هي المستعملة لها ، وأعني بالروح المعنى الذي يدرك من الإنسان العلوم وآلام الغموم ولذات الأفراح . ومهما بطل تصرفها في الأعضاء لم تبطل منها العلوم

وعن موضع النفس من الجسد فذكر الحديث إلى أن قال: قال رسول الله ﷺ : « وأما موضع النفس ففي القلب والقلب معلق بالنياط والنياط يسقي العروق فإذا هلك القلب انقطع العرق » الحديث بطوله وهذا مرسل . وله طرق أخرى مرسلة وموصلة في المعجم الأوسط للطبراني ، وتفسير ابن مردويه وكتاب الصحابة لابي موسى المديني وابن شاهين قال ابن حجر في الإصابة . والحديث فيه غريب كثير وإسناده ضعيف جداً انتهى .

قلت : قال في الإصابة في ترجمته رواه ابن مردويه في التفسير من طريق أبي عمران الجوني ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن جابر أن خزيمة بن ثابت وليس بالأنصاري سأل النبي ﷺ عن البلد الأمين فقال: « مكة » . رواه الطبراني في الأوسط من هذا الوجه مطوّلاً جداً وقال: لم يروه عن ابن جريج إلا أبو عمران. قال أبو موسى: رواه أبو معشر ، وعبيد بن حكيم عن ابن جريج عن الزهري مرسلاً ، لكن قال خزيمة بن حكيم السليمي وكذا سماه ابن شاهين من طريق يزيد بن عياض عن الزهري فذكره مطوّلاً في نحو ورقتين وفيه غريب كثير وإسناده ضعيف جداً مع انقطاعه. وروينا في تاريخ ابن عساكر من طريق عبيد بن حكيم عن ابن جريج مطوّلاً كذلك ، وروي عن منصور بن المعتمر عن قبيصة عن خزيمة بن حكيم أيضاً .

(ولا يبعد أن تعاد إلى الجسد في القبر ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث) من القبر **(والله أعلم بما حكم به على كل عبد من عباده)** . وأهل السنة اثبتوا الإحياء في كل من الحالين ، وأما بين النفختين فهو حال خمود وهمود يموت الخلق بينهما من غير أن يكون بينهما حي سوى الملك الإله الواحد القهار ، والدليل على الإحياء في القبر مبني على صحة ما ورد به الخبر ونزل عليه القرآن من عذاب القبر لأن العذاب والألم لا يصح إلا لحي . **(وإنما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها ، فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بعضها ، والموت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها . وكل الأعضاء آلات والروح هي المستعملة لها ، وأعني بالروح: المعنى الذي يدرك من الإنسان العلوم وآلام الغموم ولذات الأفراح . ومهما بطل تصرفها في الاعضاء لم تبطل منها العلوم والادراكات ولا بطل منها**

والإدراكات، ولا بطل منها الأفراح والغموم، ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات. والإنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت - أي لا ينعدم - ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له، كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة. فالموت زمانة مطلقة في الأعضاء كلها وحقيقة الإنسان. نفسه وروحه وهي باقية.

نعم تغير حاله من جهتين:

الافراح والغموم، ولا بطل منها قبولها للآلام واللذات. والإنسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم وللآلام واللذات وذلك لا يموت أي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له، كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة. فالموت زمانة مطلقة في الأعضاء كلها وحقيقة الإنسان نفسه وروحه وهي باقية).

قال السيوطي في شرح الصدور: ذهب أهل الملل من المسلمين وغيرهم إلى أن الروح تبقى بعد موت البدن، وخالف فيه الفلاسفة دليلنا ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [العنكبوت: ٥٧] والذائق لا بد أن يبقى بعد المذوق، وعلى هذا فهل يحصل لها فناء ثم تعاد توفية بظاهر قوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾ [الرحمن: ٢٦] أو لا بل تكون من المستثنى في قوله: ﴿إلا من شاء الله﴾ [الزمر: ٦٨] قولان حكاهما السبكي في تفسيره المسمى بالدر النظيم وقال الأقرب أنها لا تفنى وأنها من المستثنى كما قيل في الحور العين انتهى.

وفي كتاب الروح لابن القيم: اختلف في أن الروح تموت مع البدن أم الموت للبدن وحده على قولين، والصواب أنه إن أريد بذوقها الموت مفارقتها للجسد، فنعم هي ذائقة الموت بهذا المعنى، وإن أريد أنها تعدم فلا بل هي باقية بعد خلقها بالإجماع في نعيم أو عذاب انتهى.

وقد أخرج ابن عساكر عن محمد بن وضاح أحد أئمة المالكية قال: سمعت سحنون بن سعيد وذكر له عن رجل يذهب إلى أن الأرواح تموت بموت الأجساد فقال: معاذ الله! هذا قول أهل البدع، وقد قال بهذا القول جماعة من فقهاء الأندلس قديماً منهم عبد الأعلى بن وهب بن محمد بن عمرو بن لبابة ومن متأخريهم كالسهيلي وابن العربي، وقد اشتد نكير العلماء لهذه المقالة، والنصوص الكثيرة الدالة على بقاء الأرواح بعد تفارقها للأبدان ترد ذلك وتبطله. وأما ما أخرجه ابن السني عن ابن مسعود أن النبي ﷺ كان إذا دخل المقابر قال: «السلام عليكم أيتها الأرواح الفانية والأبدان البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي مؤمنة. اللهم أدخل عليهم روحاً منك وسلاماً» فإنه مع ضعف سنده مؤوّل بأن المراد بفناء الأرواح ذهابها من الأجساد المشاهدة.

(نعم تغير حاله من جهتين).

إحداها: أنه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورِجله وجميع أعضائه، وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه، وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه، ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء من الإنسان وبين أن يسلب الإنسان من هذه الأشياء، فإن المؤلم هو الفراق، والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل وتارة بأن يسبى الرجل عن الملك والمال والألم واحد في الحالتين. وإنما معنى الموت سلب الإنسان عن أمواله بإزعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم، فإن كان له في الدنيا شيء يأنس به ويستريح إليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقته، بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلاً ويفرح به، وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله ولم يأنس إلا به عظم نعيمه وتمت سعادته إذ خلي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل، إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله. فهذا أحد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة.

والثانية: أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفاً له في الحياة، كما قد ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوفاً في النوم. والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا، وأول ما ينكشف له

(إحداها: أنه سلب منه عينه وأذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه، وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه، وسلب منه خيله ودوابه وغلمانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه، ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء من الإنسان وبين أن يسلب الإنسان من هذه الأشياء، فإن المؤلم هو الفراق والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل وتارة بسبي الرجل عن المال والألم واحد في الحالين. وإنما معنى الموت سلب الإنسان عن أمواله بإزعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فإن كان له في الدنيا شيء يأنس به ويستريح إليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد الموت ويصعب شقاؤه في مفارقته، بل يلتفت قلبه إلى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلاً ويفرح به، وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله ولم يأنس إلا به عظم نعيمه وتمت سعادته إذ خلي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه الشواغل والعوائق، إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله) ومانعة من الأنس به. **(فهذا أحد وجهي المخالفة بين حال الموت وحال الحياة)**.

(والثانية: أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفاً له) قبل **(في الحياة، كما قد ينكشف للمتيقظ ما لم يكن مكشوف في النوم. والناس)** كما قيل **(نيام فإذا ماتوا انتبهوا)** روي ذلك من قول علي رضي الله عنه كما سبق الكلام عليه مراراً. وانكشاف الأحوال لهم عند الموت دل عليه قول عمر رضي الله عنه: احضروا موتاكم ولقنوهم لا إله إلا الله فإنهم يرون ويقال لهم. وفي رواية: واعقلوا ما تسمعون من المطيعين منكم فإنه يخيل لهم أمور صادقة وقد تقدم. **(وأول**

ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته، وقد كان ذلك مسطوراً في كتاب مطوي في سر قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا، فإذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها تحسراً يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة، وعند ذلك يقال له: « ﴿كفى بِنفسِكَ اليومَ عليك حسيباً﴾ [الإسراء: ١٤] وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن، وتشتعل فيه نيران الفراق أعني فراق ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبلغة، فإن من طلب الزاد للبلغة فإذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد إذ لم يكن يريد الزاد لعينه. وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة وكان يود أن تنقطع ضرورته ليستغنى عنه، فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه. وهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن.

ثم عند الدفن قد ترد روحه إلى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعفى عنه، ويكون

ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته) فيفرح ويحزن، (**وقد كان ذلك مسطوراً في كتاب مطوي في سر قلبه، وكان يشغله من الاطلاع عليه شواغل الدنيا**) وعلائقها، (**فإذا انقطعت الشواغل**) وبطلت العوائق (**انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها تحسراً يؤثر**) أي يختار (**أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة**) فلا يمكنه ذلك، (**وعند ذلك يقال له: ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾**) وقد روى الديلمي من حديث جابر: إذا حضر الإنسان الوفاة جمع له كل شيء يمنعه عن الحق فيجعل بين عينيه فعند ذلك يقول: ﴿رب ارجعون* لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] (**وينكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق أعني فراق ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبلغة**) أي القدر الذي يتبلغ به إلى أعمال الآخرة، (**فإن من طلب الزاد للبلغة**) أي المقصد، (**فإذا بلغ المقصد فرح بمفارقته بقية الزاد إذ لم يكن يريد الزاد بعينه**) بل لأجل التبلغ، (**وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة**) الداعية، (**وكان يود أن تنقطع ضرورته ليستغني عنه**) كما روي عن مالك بن دينار أنه كان يأخذ الحصاة من المسجد فيقول: لوددت أن هذه أجدتني في الدنيا ما عشت لا أزيد على مصّها من الطعام والشراب وكان يقول: لو صلح لي أن آكل الرماد لأكلته، ولو صلح إلى أن أعمد إلى بردي فاقطعه باثنين فاتزر بقطعة وأتردى بقطعة لفعلت. رواه أبو نعيم في الحلية من طريق يوسف بن عطية السفار. وروي عنه أيضاً أنه قال: خلطت دقيقي بالرماد فضعفت عن الصلاة ولو قويت على الصلاة ما أكلت غيره. رواه أبو نعيم من طريق يعلى الوراق. (**فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه. فهذه أنواع من العذاب والآلام عظيمة تهجم عليه**) عند انقطاع النفس (**قبل الدفن**).

(**ثم عند الدفن قد ترد روحه إلى الجسد**) كما هو مذهب أهل السنة والجماعة (**لنوع آخر

حال المتنعم بالدنيا المطمئن إليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك يتساهل في داره وملكه وحريمه اعتماداً على أن الملك أمره أو على أن الملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح أفعاله، فأخذه الملك بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة، والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت إلى من يتشفع إليه في العصاة عليه. فانظر إلى هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم. فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر به، بل عند موته نعوذ بالله منه، فإن الخزي والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما.

فهذه إشارة إلى حال الميت عند الموت شاهدها أولو البصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين، وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنَّة، نعم لا يمكن كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة، ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك ماهية ذاتها، ولم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها، ولا أن يزيد

من العذاب، وقد يعفى عنه) فإن أدركه الفضل، (ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن إليها كحال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملكه وحريمه اعتماداً على أن الملك يتساهل في أمره) فلا يؤاخذه (أو) اعتماداً (على أن الملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح أفعاله، فأخذه الملك بغتة) من غير ترقب، (وعرض عليه جريدة) وهي شبه الدفتر (قد دونت) أي حررت وجمعت (فيها جميع فواحشه وجناياته ذرة ذرة وخطوة خطوة، والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت إلى من يتشفع إليه في العصاة عليه، فانظر إلى حال هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم. فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته. نعوذ بالله منه، فإن الخزي والإفتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما، فإن كلاً من الضرب والقطع يرجى برء ألمه وهتك الستر والفضوح لا برء له، وإليه يشير الخبر: فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة.

(فهذه إشارة إلى حال الميت عند الموت شاهدها أولو البصائر بمشاهدة باطنه أقوى من مشاهدة العين، وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة. نعم كشف الغطاء عن كنه حقيقة الموت إذ لا يعرف الموت من لا يعرف الحياة، ومعرفة الحياة) منوطة (بمعرفة حقيقة الروح في نفسها وإدراك ماهية ذاتها، ولم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها، ولا أن

على أن يقول: « الروح من أمر ربي »، فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وأن اطلع عليه، وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت.

ويدل على أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار كثيرة.

أما الآيات: فما ورد في الشهداء إذ قال تعالى: ﴿ولا تحسبن الذين قُتلوا في سَبيلِ اللهِ

يزيد على أن يقول: « الروح من أمر ربي ») روى الشيخان من حديث ابن مسعود قال: كنت مع النبي ﷺ في خرب المدينة وهو متكىء على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح. فقال بعضهم: لا تسألوه فسألوه فقالوا: يا محمد ما الروح؟ فما زال متوكئاً على العسيب فظننت أنه يوحى إليه فقال: ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء: ٨٥] وقد تقدم. وأخرج ابن جرير بسند مرسل أن الآية لما نزلت قالت اليهود: هكذا نجده عندنا. وقد اختلف الناس في الروح على فرقتين:

فرقة أمسكت عن الكلام فيها لأنها سر من أسرار الله تعالى لم يؤت علمه البشر. وهذه الطريقة هي المختارة. قال الجنيد: الروح شيء استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحداً من خلقه، فلا يجوز لعباده البحث عنه بأكثر من أنه موجود وعلى هذا ابن عباس وأكثر السلف. وقد ثبت عن ابن عباس أنه كان لا يفسر الروح، فأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: سئل ابن عباس عن الروح قال: الروح من أمر ربي لا تنالوا هذه المسألة فلا تزيدوا عليها قولوا كما قال الله وعلم نبيه ﴿ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ قال السيوطي: مسألة أبهمها الله في القرآن والتوراة وكتم عن خلقه علمها من أين للمتعمقين الاطلاع على حقيقة أمرها. وقد نقل ابن القاسم السعدي في الإفصاح أن أماثل الفلاسفة أيضاً توقفوا عن الكلام فيها وقالوا: هذا أمر غير محسوس لنا ولا سبيل للعقول إليه. قال: ووقوف علمنا عن إدراك حقيقة الروح كوقوفه عن إدراك سر القدر. قال ابن بطال: الحكمة في ذلك تعريف الخلق عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم إلى رد العلم إليه. قال القرطبي: حكمته إظهار عجز المرء لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق سبحانه وتعالى من باب الأولى.

وفرقة تكلمت فيها وبحثت عن حقيقتها. قال النووي: وأصح ما قيل في ذلك قول إمام الحرمين إنها جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر. **(فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه)**، وقد اختلف أهل الطريقة الأولى هل علمها النبي ﷺ، فروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبدالله بن بريدة قال: لقد قبض النبي ﷺ وما يعلم الروح. وقالت طائفة: بل علمها وأطلعه الله عليها ولم يأمره أن يطلع عليها أمته وهو نظير الخلاف في علم الساعة، **(وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت)**.

(ويدل على أن الموت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار).

(أما الآيات فما ورد في) حق (**الشهداء**) وهم المقتولون في المعركة **(إذ قال تعالى: ﴿ولا**

أمواتاً بل أحياءٌ عند ربِّهم يُرزَقُون ★فرحِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠]، ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله ﷺ فقال: « يا فلان يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً » فقيل: يا رسول الله أتناديهم وهم أموات؟ فقال ﷺ: « والذي نفسي بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرون على الجواب »، فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء إدراكها ومعرفتها. والآية

تحسبن الذين قتلوا في سبيل أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ و) أما الأخبار؟ فقد روي أنه (**لما قتل صناديد قريش**) أي رؤساؤهم (**يوم بدر**) في الوقعة الكبرى وأمر بهم فسحبوا إلى قليب هناك (**ناداهم رسول الله ﷺ**) بعد أن وقف على شفير القليب (**فقال « يا فلان يا فلان**) وسماهم بأسمائهم (**قد وجدت ما وعدني ربي حقاً**) من النصرة (**فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً**) من الخزي والقتل » (**فقيل: يا رسول الله أتناديهم وهم أموات**)؟ القائل لذلك عمر بن الخطاب. (**فقال ﷺ: « والذي نفسي بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرون على الجواب »**) قال العراقي: رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب انتهى.

قلت: وروى الطبراني من حديث أنس قال: أنشأ رسول الله ﷺ يحدثنا عن أهل بدر يقول: « هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله تعالى » قال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطأ الحدود التي حدها ﷺ حتى انتهى إليهم،فقال: « يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً فإني وجدت ما وعدني الله حقاً » وفي رواية فنادى « يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام » وفي بعضه نظر، فقد روى عروة بن الزبير من حديث عائشة قالت: أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب فطرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملأها فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة، لكن يجمع بينهما بأنه كان قريباً من القليب فنودي فيمن نودي لكونه كان من جملة رؤسائهم. وقال ابن إسحاق: حدثني بعض أهل العلم أنه ﷺ قال: « يا أهل القليب بئس العشيرة كنتم كذبتموني وصدقني الناس » فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ قال: « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً » وفي رواية أتخاطب قوماً قد جيفوا.

(**فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء إدراكها ومعرفتها**). وقال قتادة: أحياهم الله تعالى توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة، وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إنما أراد النبي ﷺ أنهم الآن ليعلمون أن الذي أقول لهم الحق ثم قرأت ﴿أنك لا تسمع الموتى﴾ [النمل: ٨٠] الآية. فهذا فيه الإنكار وأجيب بأنه روي أنه رجعت عن ذلك لما روى أحمد من حديثها أنها قالت: ما أنتم أسمع لما أقول منهم وهو في المغازي لابن إسحاق رواية يونس بن بكير بإسناد جيد. وقال الإسماعيلي: الجمع بينهما ممكن لأن قوله تعالى ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ لا ينافي قوله ﷺ

نص في أرواح الشهداء. ولا يخلو الميت عن سعادة أو شقاوة. وقال ﷺ: «القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة»، وهذا نص صريح على أن الموت معناه تغير حال فقط، وأن ما سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تأخر، وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله.

وروى أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «الموت القيامة فمن مات فقد قامت قيامته»،

«إنهم الآن يسمعون» لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المسمع في أذن السامع، فالله تعالى هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت النبي ﷺ، فإذا جاز أن يكونوا في تلك الحالة عالمين جاز أن يكونوا سامعين إما بآذان رؤوسهم إذا قلنا إن الروح تعاد إلى الجسد أو إلى بعضه عند المسألة وهو قول أكثر أهل السنة. وإما بآذان القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجيه السؤال إلى الروح من غير رجوع إلى الجسد أو إلى بعضه. قال: وقد روي عن عائشة أنها احتجت بقوله تعالى ﴿وما نت بمسمع من في القبور﴾ [فاطر: ٢٢] الآية. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي﴾ [الزخرف: ٤٠] أي أن الله هو الذي يهدي ويوقف ويوصل الموعظة إلى آذان القلوب لا أنت، فإذا لا تعلق بالآية من وجهين: أحدهما: أنها إنما نزلت في دعاء الكفار إلى الإيمان. الثاني: أنه إنما نفي عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم وصدق الله فإنه لا يسمعهم إذا شاء إلا هو يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير انتهى.

(**والآية**) المذكورة (**نص في**) بقاء (**أرواح الشهداء**) قال ابن عباس: نزلت في قتلى أحد أستشهد منهم سبعون رجلاً أربعة من المهاجرين وسائرهم من الأنصار. رواه الحاكم وصححه «جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش». رواه أحمد وأبو داود والبيهقي في الدلائل وابن جرير وابن المنذر.

(**ولا يخلو الميت من سعادة أو شقاوة. وقال ﷺ «القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة»**) رواه الترمذي والطبراني من حديث أبي سعيد لكن بتقديم الجملة الثانية على الأولى. ورواه الطبراني أيضاً من حديث أبي هريرة وسندهما ضعيف. رواه البيهقي في كتاب عذاب القبر من حديث ابن عمر بلفظ «القبر حفرة من حفر جهنم» والباقي سواء. وقد تقدم في كتاب الرجاء والخوف. (**وهذا نص صريح في أن الموت معناه تغير حال فقط، وأن ما سيكون من شقاء الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تأخر، وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله**)

(**وروى أنس**) رضي الله عنه، (**عن النبي ﷺ أنه قال: «الموت القيامة من مات فقد قامت قيامته»**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت بإسناد ضعيف وقد تقدم، ورواه الديلمي وابن لال في مكارم الأخلاق بلفظ «إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته» وقد تقدم في «أكثروا

وقال ﷺ: «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ويقال: هذا مقعدك حتى تبعث إليه يوم القيامة». وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم في الحال. وعن أبي قيس قال: كنا مع علقمة في جنازة فقال: أما هذا فقد قامت قيامته. وقال علي كرّم

ذكر هادم اللذات». وروى الطبراني من طريق زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: يقولون القيامة القيامة وإنما قيامة الرجل موته.

(وقال ﷺ «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار») قال العراقي متفق عليه من حديث ابن عمر اهـ.

قلت: وكذلك رواه الترمذي وابن ماجه وتمامه عندهم: «يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة» وفي لفظ لهم «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة». ورواه كذلك أيضاً الطيالسي وأحمد والنسائي وأبو يعلى والطبراني، فالبخاري والنسائي روياه من طريق مالك عن نافع عن ابن عمر ومن طريق الليث عن نافع، والترمذي وابن ماجه من طريق عبيدالله بن عمر عن نافع، ومسلم من طريق الزهري عن سالم عن ابن عمر، وأبو يعلى والطيالسي من طريق جويرية عن نافع عن ابن عمر والطبراني من طريق يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر. ورواه هناد في الزهد بلفظ «إن الرجل ليعرض عليه مقعده من الجنة والنار غدوة وعشية في قبره» ورواه اللالكائي في السنة بلفظ «ما من عبد يموت إلا ويعرض روحه» والباقي سواء. وروى ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾ [غافر: ٤٦] قال: فهم اليوم يغدى بهم ويراح إلى أن تقوم الساعة.

(وليس يخفى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم في الحال) قال القرطبي: قيل هذا العرض مخصوص بالمؤمن الذي لا يعذب، وقيل: لا، ويحتمل أن المؤمن الذي يعذب يرى مقعديه جميعاً في وقتين أو في وقت واحد، قيل: هذا العرض إنما هو على الروح وحدها، ويجوز أن يكون عليها مع جزء من البدن، ويجوز أن يكون عليها مع جميع الجسد فترد إليه الروح كما ترد عند المسألة اهـ.

(وعن أبي قيس) عبد الرحمن بن ثابت مولى عمرو بن العاص مات قديماً سنة أربع وخمسين روى له الجماعة **(قال: كنا مع علقمة)** بن قيس بن عبدالله النخعي الكوفي مات بعد الستين روى له الجماعة **(في جنازة فقال: أما هذا فقد قامت قيامته)** رواه الطبراني من طريق سفيان عن أبي قيس قال: شهدت جنازة فيها علقمة فلما دفن قال: أما هذا فقد قامت قيامته.

الله وجهه: حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار. وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «من مات مريضاً مات شهيداً ووقي فتانات القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة»، وقال مسروق: ما غبطت أحداً ما

(وقال علي كرم الله وجهه: حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم) أنها **(من أهل الجنة هي أم من أهل النار)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية رجل لم يسم عن علي موقوفاً، وكذلك رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وفي رواية: لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى تعلم إلى أين مصيرها إلى الجنة أم إلى النار، وتقدم للمصنف بلفظ: لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ «من مات مريضاً مات شهيداً ووقي فتاني القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة»)** قال العراقي: رواه ابن ماجه بسند ضعيف وقال فيه القبور وقال ابن أبي الدنيا فتان اهـ.

قلت: وفي لفظ لابن ماجه فتنة القبر، وهكذا رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب. قال القرطبي هذا عام في جميع الأمراض لكن يقيد بالحديث الآخر من قتله بطنه لم يعذب في قبره. وقال النسائي وغيره: المراد به الاستسقاء، وقيل: الإسهال، والحكمة في ذلك أنه يموت حاضر العقل عارفاً بالله تعالى، فلم يحتج إلى إعادة السؤال عليه بخلاف من يموت بسائر الأمراض فإنهم تغيب عقولهم. قال السيوطي في شرح الصدور: لا حاجة إلى شيء من هذا التقييد، فإن الحديث غلط فيه الراوي باتفاق الحفاظ، وإنما هو من مات مرابطاً لا من مات مريضاً، وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات لأجل ذلك اهـ.

قلت: وقد رواه ابن ماجه أيضاً بهذا اللفظ «من مات مرابطاً في سبيل الله أجري عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان وبعثه الله يوم القيامة آمنا من الفزع» ورواه أحمد بلفظ «من مات مرابطاً وقي فتنة القبر وأومن من الفزع الأكبر وغدي عليه وريح برزقه من الجنة وكتب له أجر المرابط إلى يوم القيامة». وروى نحوه الحكيم من حديث سلمان «من مات مرابطاً في سبيل الله أجير من فتنة القبر وجرى عليه صالح عمله الذي كان يعمل إلى يوم القيامة». ورواه البغوي وابن حبان وابن عساكر بلفظ «من مات مرابطاً في سبيل الله أمن من عذاب القبر ونمي له أجره إلى يوم القيامة». وروى مسلم من حديث سلمان «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات أجري عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان». وروى الترمذي وصححه من حديث فضالة بن عبيد «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر». وأخرجه أبو داود بلفظ «ويؤمن من فتاني القبر» وروى أحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه يجري عليه أجر عمله حتى يبعثه الله ويؤمن من فتاني القبر».

غبطت مؤمناً في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن عذاب الله. وقال يعلى بن الوليد: كنت أمشي يوماً مع أبي الدرداء فقلت له: ما تحب لمن تحب؟ قال: الموت، قلت: فإن لم يمت؟ قال: يقل ماله وولده وإنما أحب الموت لأنه لا يحبه إلا المؤمن، والموت إطلاق المؤمن من السجن. وإنما أحب قلة المال والولد لأنه فتنة وسبب للأنس بالدنيا، والأنس بمن لا بد من فراقه غاية الشقاء. فكل ما سوى الله وذكره والأنس به

وروى البزار من حديث عثمان «من مات مرابطاً في سبيل الله أجري عليه أجر عمله الصالح وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان ويبعثه الله تعالى آمناً من الفزع الأكبر» وروى الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري «من توفي مرابطاً وقي فتنة القبر وأجري عليه رزقه». فهذه الأحاديث التي سردناها دالة على أن الصواب من الحديث المتقدم: من مات مرابطاً لا مريضاً.

(**وقال مسروق**) بن الأجدع الهمداني التابعي الثقة اسمه عبد الرحمٰن: (**ما غبطت أحداً ما غبطت مؤمناً في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن من عذاب الله**) رواه ابن المبارك في الزهد، وابن أبي الدنيا في الموت وهذا لفظ الأخير، ولفظ ابن المبارك: ما غبطت شيئاً بشيء كمؤمن في لحده قد أمن من عذاب الله واستراح من أذى الدنيا. ورواه ابن أبي شيبة عن وكيع عن مسعر عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن مسروق قال: ما من شيء خير للمرء من لحد قد استراح فيه من هموم الدنيا وأمن من عذاب الله. هكذا رواه أبو نعيم في الحلية من طريقه، وفي رواية: ما من شيء خير للمؤمن، وقد روي نحو هذا القول عن عمر بن عبد العزيز رواه أبو نعيم في الحلية، وعن أبي عطية المذبوح رواه ابن المبارك في الزهد ولفظه: أنا أخبركم عمن هو أنعم منه جسد في لحد أمن من العذاب، وقد تقدم شيء من ذلك في فضل الموت.

(**وقال يعلى بن الوليد: كنت أمشي يوماً مع أبي الدرداء**) رضي الله عنه (**فقلت له: ما تحب لمن تحب؟ قال: الموت. قلت: فإن لم يمت؟ قال: يقل ماله وولده**). رواه ابن سعد في الطبقات، وابن أبي شيبة في المصنف، وأحمد في الزهد. قال ابن أبي شيبة: حدثنا محمد بن فضيل عن الأعمش عن غيلان بن بشر عن يعلى بن الوليد قال: كنت أمشي مع أبي الدرداء قال قلت: يا أبا الدرداء فذكره.

(**وإنما أحب الموت لأنه لا يحبه إلا المؤمن، ولذلك كان غنيمته كما في حديث عائشة وتحفته كما في حديث عبدالله بن عمرو،** (و) لما كانت الدنيا سجن المؤمن كان (**الموت إطلاق المؤمن من السجن**) وقد روى ابن أبي الدنيا أنه قيل لعبد الأعلى التيمي: ما تشتهي لنفسك ولمن تحب من أهلك؟ قال: الموت. (**وإنما أحب قلة المال والولد لأنه فتنة وسبب للأنس بالدنيا والأنس بمن لا بد من فراقه غاية الشقاء، فكل ما سوى الله وذكره والأنس**

فلا بدّ من فراقه عند الموت لا محالة. ولهذا قال عبدالله بن عمرو: إنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه أو روحه مثل رجل بات في سجن فأخرج منه فهو يتفسح في الأرض ويتقلب فيها. وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له أنس إلا بذكر الله تعالى، وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه؛ فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به أنسه من غير عائق ولا دافع. وما أجدر ذلك بأن يكون منتهى النعيم واللذات. وأكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله! لأنهم ما أقدموا على القتال إلا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين إلى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته، فإن نظر إلى الدنيا فقد باعها طوعاً بالآخرة والبائع لا يلتفت قلبه إلى المبيع، وإن نظر إلى الآخرة فقد اشتراها وتشوق إليها، فما أعظم فرحه بما اشتراه إذا رآه وما أقل التفاته إلى ما باعه

به **فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة)**. وقد روى ابن أبي شيبة عن عبادة بن الصامت قال: أتمنى لحبيبي أن يقل ماله ويعجل موته. وروى ابن السكن في المعرفة من حديث زرعة بن عبدالله: يحب الإنسان الحياة والموت خير لنفسه، ويحب الإنسان كثرة المال وقلة المال أقل للحساب. وروى أحمد في الزهد من حديث محمود بن لبيد: اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت والموت خير له من الفتنة، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب. (**ولهذا قال عبدالله بن عمرو**) بن العاص رضي الله عنهما: (**إنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه أو**) قال (**روحه**) شك من الراوي (**مثل رجل كان في سجن فأخرج منه فهو يتفسح في الأرض ويتقلب فيها**) رواه ابن المبارك في الزهد بلفظ: الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن، وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فأخرج منه فجعل يتقلب في الأرض ويتفسح فيها. وقال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا غندر، حدثنا يعلى بن عبيد، عن يحي بن قمطة، عن عبدالله بن عمرو قال: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فإذا مات المؤمن يخلي سربه حيث شاء.

(**وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن الدنيا وتبرم بها ولم يكن له أنس إلا بذكر الله تعالى، وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان في الموت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به أنسه من غير عائق ولا دافع، وما أجدر ذلك بأن يكون منتهى النعيم واللذات وأكمل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله**).
فقد روى النسائي وابن أبي الدنيا والطبراني من حديث عبادة بن الصامت «ما على الأرض من نفس تموت ولها عند الله خير تحب أن ترجع إليكم ولها نعيم الدنيا وما فيها إلا الشهيد فإنه يحب أن يرجع فيقتل مرة أخرى لما يرى من ثواب الله له». (**لأنهم ما أقدموا على القتال إلا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين إلى لقاء الله راضين بالقتل في طلب مرضاته، فإن نظر إلى الدنيا فقد باعها طوعاً بالآخرة والبائع لا يلتفت قلبه إلى المبيع، وإن نظر إلى الآخرة فقد**

إذا فارقه! وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق في بعض الأحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير، والقتال سبب للموت فكان سبباً لإدراك الموت على مثل هذه الحالة. فلهذا عظم النعيم، إذ معنى النعيم أن ينال الإنسان ما يريده، قال الله تعالى: ﴿ولهم ما يَشتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧] فكان هذا أجمع عبارة لمعاني لذات الجنة وأعظم العذاب أن يمنع الإنسان عن مراده كما قال الله تعالى: ﴿وحِيلَ بَيْنَهُم وبينَ مَا يَشتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]، فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم. وهذا النعيم يدركه الشهيد ـ كما انقطع نفسه ـ من غير تأخير. وهذا أمر انكشف لأرباب القلوب بنور اليقين. وإن أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه، وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى، فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر: « ألا أبشرك يا جابر » وكان قد استشهد أبوه يوم أحد فقال: بلى بشرك الله بالخير فقال: « الله عز وجل قد أحيا أباك وأقعده بين

اشتراها وتشوق إليها، فما أعظم فرحه بما اشتراه إذا رآه وما أقل التفاته إلى ما باعه إذا فارقه! وتجرد القلب لحب الله قد يتفق في بعض الأحوال ولكن لا يدركه الموت عليه فيتغير، والقتال سبب الموت، فكان سبباً لإدراك الموت على مثل هذه الحالة) وقد روى أبو نعيم في الحلية من طريق أبي المخارق عن عبدالله بن عمرو قال: ألا أخبركم بأفضل الشهداء عند الله منزلة يوم القيامة الذين يلقون العدو وهم في الصف الأول فإذا واجهوا عدوهم لم يلتفت يميناً ولا شمالاً واضع سيفه على عاتقه يقول: اللهم إني اخترتك اليوم بما أسلفت في الأيام الخالية فيقبل فيقتل على ذلك فذلك من الشهداء الذين يتلبطون في الغرف الأعلى من الجنة حيث شاؤوا.

(فلهذا عظم النعيم إذ معنى النعيم أن ينال الإنسان ما يريده قال الله تعالى: ﴿ولهم ما يشتهون﴾) كذا في النسخ والتلاوة ﴿ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم﴾ [فصلت: ٣١] (فكان هذا أجمع عبارة لمعاني لذات الجنة، وأعظم العذاب أن يمنع الإنسان مراده كما قال تعالى: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم، وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه من غير تأخير، وهذا أمر انكشف لأرباب القلوب بنور اليقين، وإن أردت عليه شهادة من جهة السمع فجميع أحاديث الشهداء تدل عليه) دلالة صريحة أو ضمنية، (و) كذا (كل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى، فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر) بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه، (« ألا أبشرك يا جابر » ؟ وقد كان استشهد أبوه) عبدالله ابن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي معدود في أهل العقبة وبدر وكان من النقباء واستشهد بأحد. (قال: بلى بشرك الله بالخير قال: « إن الله أحيا أباك فأقعده بين يديه

يديه وقال تمن علي عبدي ما شئت أعطيكه فقال: يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى قال له إنه قد سبق مني أنك إليها لا ترجع». وقال كعب: يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له: لِمَ تبكي وأنت في الجنة؟ قال: أبكي لأني لم أقتل في الله إلا قتلة واحدة! فكنت أشتهي أن أرد فأقتل فيه قتلات.

واعلم أن المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن والمضيق، ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب إلى بستان

فقال: تمن علي عبدي ما شئت أعطيكه. قال: يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى. قال له: إنه قد سبق مني أنك إليها لا ترجع»). قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت بإسناد فيه ضعف، وللترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث جابر «ألا أبشرك بما لقي الله به أباك»؟ قال: بلى يا رسول الله الحديث. وفيه فقال: «يا عبدي تمن علي أعطك. قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال الرب سبحانه: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون». اهـ.

قلت: وكذلك رواه البيهقي في الدلائل، وابن مردويه في التفسير ولفظهم جميعاً عن جابر قال: لقيني النبي ﷺ فقال: «يا جابر مالي أراك منكسراً» قلت: يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالاً وديناً. فقال: «ألا أبشرك بما لقي الله أباك» قلت: بلى قال: ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلمه كفاحاً وقال: يا عبدي تمن علي أعطك. قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية. قال الرب تعالى: قد سبق مني أنهم لا يرجعون قال: أي رب فابلغ من ورائي فأنزل الله هذه الآية: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية».

وأما حديث عائشة فرواه كذلك الحاكم في المستدرك بلفظ «ألا أبشرك؟ أشعرت أن الله أحيا أباك» فساقه سياق ابن أبي الدنيا وصححه، وتعقبه الذهبي. وروى مالك في الموطأ عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبدالله بن عمرو بن حرام كانا قد حفر السيل عن قبرهما وكانا في قبر واحد مما يلي السيل فحفر عنهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما وضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك، فأمطيت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت، وكان بين الوقتين اثنتا وأربعون سنة.

(وقال كعب) الأحبار رحمه الله تعالى: **(يوجد رجل في الجنة يبكي فيقال له: لم تبكي وأنت في الجنة؟ قال: أبكي إني لم أقتل في الله إلا قتلة واحدة، فكنت أشتهي أن أرد فأقتل فيه قتلات)**. رواه ابن أبي الدنيا في الموت.

(واعلم أن المؤمن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله وعظمته ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن والمضيق، ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم فتح له باب إلى

واسع الأكناف لا يبلغ طرفه أقصاه فيه أنواع الأشجار والأزهار والثمار والطيور، فلا يشتهي العود إلى السجن المظلم، وقد ضرب له رسول الله ﷺ مثلاً، فقال لرجل مات: «أصبح هذا مرتحلاً عن الدنيا وتركها لأهلها، فإن كان قد رضي فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه»، فعرفك بهذا أن نسبة سعة الآخرة إلى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى ظلمة الرحم. وقال ﷺ: «إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ورضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه»، وكذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه وقيل لرسول الله

بستان واسع الأكناف) بعيد الأقطار **(لا يبلغ طرفه أقصاه، فيه أنواع الأشجار والأزهار والطيور والثمار فلا يشتهي العود إلى السجن الضيق المظلم)** . وقد نقل ابن القيم في كتاب الروح: إن للنفس أربعة دور كل دار أعظم من التي قبلها. الأولى بطن الأم وذلك محل الحصر والضيق والظلمات الثلاث. الثانية هذه الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر. الثالثة: دار البرزخ وهي أوسع من هذه الدار وأعظم ونسبة هذه الدار إليها كنسبة الدار الأولى إلى هذه. الرابعة: التي لا دار بعدها دار القرار الجنة أو النار، ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الأخرى اهـ.

(وقد ضرب له رسول الله ﷺ مثلاً فقال لرجل مات: «أصبح هذا مرتحلاً عن الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قد رضي فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلاً ورجاله ثقات اهـ.

قلت: وكذلك عزاه السيوطي في شرح الصدور لابن أبي الدنيا ولفظه: قال عمرو بن دينار إن رجلاً مات فقال رسول الله ﷺ «أصبح هذا مرتحلاً فذكره.

(فعرفك بهذا أن نسبة سعة الآخرة إلى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى ظلمة الرحم) وعالم البرزخ داخل في الآخرة. **(وقال ﷺ «إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ورضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه، وكذلك المؤمن يجزع من الموت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه»)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في الموت من رواية بقية عن جابر بن غانم السلفي عن سليم بن عامر الخبائري مرسلاً هكذا اهـ.

قلت: بقية بن الوليد الكلاعي من رجال مسلم صدوق كثير التدليس عن الضعفاء، وجابر بن غانم السلفي بضم السين المهملة وفتح اللام نسبة إلى السلف بطن من الكلاع روى عن سليم بن عامر

ﷺ: إن فلاناً قد مات فقال: « مستريح أو مستراح منه »، أشار بالمستريح إلى المؤمن وبالمستراح منه إلى الفاجر، إذ يستريح أهل الدنيا منه. وقال أبو عمر صاحب السقيا: مر بنا ابن عمر ونحن صبيان فنظر إلى قبر فإذا جمجمة بادية فأمر رجلاً فواراها ثم قال: إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا الثرى شيئاً، وإنما الأرواح التي تعاقب وتثاب إلى يوم

وأسد بن وداعة، وعنه يحيى بن صالح الوحاظي وبقية، وكان ينزل حماه وسليم بن عامر الكلاعي ويقال له الخبائزي بخاء معجمة وموحدة أبو يحيى الحمصي ثقة تابعي روى لـه مسلم والأربعـة. قـال أبو حاتم في المراسيل: روى عن عوف بن مالك مرسلاً ولم يدرك المقداد بن الأسود ولا عمرو بن عبسة، وأرخوا وفاته سنة ثلاثين ومائة، ومما يقوي هذا المرسل ما رواه الحكيم في نوادره من حديث أنس: « ما شبهت خروج المؤمن من الدنيا إلا مثل خروج الصبي من بطن أمه من ذلك الغم والظلمة إلى روح الدنيا ».

(وقيل لرسول الله ﷺ: إن فلاناً قد مات. فقال: « مستريح أو مستراح منه ») قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي قتادة بلفظ: مر عليه بجنازة فقال ذلك، وهو عند ابن أبي الدنيا في الموت باللفظ الذي أورده المصنف اهـ.

قلت: ورواه كذلك مالك وأحمد وعبد بن حميد والترمذي بلفظ: كنا مع رسول الله ﷺ إذ مرت جنازة فقال: « مستريح أو مستراح منه » الحديث.

(أشار بالمستريح إلى المؤمن وبالمستراح منه إلى الفاجر إذ يستريح أهل الدنيا منه)، قلت: هو في حديث أبي قتادة عند الشيخين قالوا: يا رسول الله ما المستريح والمستراح منه؟ فقال: « العبد المؤمن يستريح من تعب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله تعالى، والفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب ». وعند النسائي من حديث أبي قتادة « المؤمن يموت فيستريح من أوصاب الدنيا ونصبها وأذاها والفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب » وروى ابن أبي شيبة في المصنف عن يزيد بن أبي زياد قال: مر بجنازة على أبي جحيفة فقال: استراح واستريح منه.

(وقال أبو عمر صاحب السقيا: مر بنا) عبدالله **(بن عمر)** رضي الله عنه **(ونحن صبيان، فنظر إلى قبر فإذا جمجمة بادية فأمر رجلاً فواراها ثم قال: إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا الثرى شيئاً وإنما الأرواح التي تعاقب وتثاب إلى يوم القيامة)**. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور أنه نزل ابن عمر إلى جانب قبور قد درست فإذا جمجمة الخ.

ونحو ذلك ما رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وابن أبي الدنيا في كتاب العزاء عن صفية بنت شيبة قالت: كنت عند أسماء بنت أبي بكر حين صلب الحجاج ابنها عبدالله بن الزبير فأتاها ابن عمر يعزيها فقال: يا هذه اتقي الله واصبري فإن هذه الجثث ليست بشيء وإنما الأرواح عندالله. قالت: وما يمنعني من الصبر وقد أهدي رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام إلي بغي من بغايا بني

القيامة. وعن عمرو بن دينار قال: ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وإنهم ليغسلونه ويكفنونه وإنه لينظر إليهم. وقال مالك بن أنس: بلغني أن أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت. وقال النعمان بن بشير: سمعت رسول الله ﷺ على

إسرائيل. وروى سعيد بن منصور في سننه أن ابن عمر عزاها فقال: لا تحزني فإن الأرواح عندالله تعالى في السماء وإنما هذه جثة.

وروى ابن سعد في الطبقات عن خالد بن معدان قال: لما انهزمت الروم يوم أجنادين انتهوا إلى موضع لا يعبره إلا إنسان إنسان، فجعلت الروم تقاتل عليه فتقدم هشام بن العاص فقاتلهم حتى قتل، ووقع على تلك الثلمة فسدها، فلما انتهى المسلمون إليها هابوا أن يوطئه الخيل، فقال عمرو بن العاص: إن الله قد استشهده ورفع روحه وإنما هو جثة فأوطأه الخيل ثم أوطأه هو وتبعه الناس حتى قطعوه. ورواه الواقدي كذلك وزاد، ثم جمعه عمرو بعد ذلك وحمله في نطع فواراه قال السيوطي في شرح الصدور: قال ابن رجب: هذه الآثار لا تدل على أن الأرواح لا تتصل بالأبدان بعد الموت إنما تدل على أن الأجساد لا تتضرر بما ينالها من عذاب الناس لها ومن أكل التراب لها، فإن عذاب القبر ليس من جنس عذاب الدنيا، وإنما هو نوع آخر سيصل إلى الميت بمشيئة الله تعالى.

(**وعن عمرو بن دينار**) المكي أبو محمد الأثرم الجمحي مولاهم ثقة ثبت مات سنة وعشرين ومائة روى له الجماعة (**قال: ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وأنهم ليغسلونه ويكفنونه وأنه لينظر إليهم**) رواه أبو نعيم في الحلية، وسيذكر قريباً نحوه من حديث أبي سعيد الخدري وغيره، وقد ورد ما يدل أن ذلك للشهيد خاصة. وأخرج ابن منده من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن حيان بن جبلة قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: « إن الشهيد إذا استشهد انزل الله جسداً كأحسن جسد كان ثم يقال لروحه ادخلي فيه فينظر إلى جسده الأوّل ما يفعل به ويتكلم فيظن أنهم يسمعون كلامه وينظر إليهم فيظن أنهم يرونه حتى تأتيه أزواجه ـ يعني من الحور العين ـ فيذهبن به ».

(**وقال مالك بن أنس**) رحمه الله تعالى: (**بلغني أن أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت**). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عن خالد بن خداش: سمعت مالك بن أنس يقول ذلك. ورواه ابن منده من طريقه فقال: أخبرنا الحسين بن محمد، أخبرنا محمد بن أحمد عن عمر، أخبرنا ابن أبي الدنيا فذكره ومسألة مستقر أرواح المؤمنين بعد مفارقتها الأجساد مشهورة مختلف فيها وهذا أحد الأقوال. وروي نحو هذا القول عن سلمان رضي الله عنه قال أما المؤمنون فإن أرواحهم في الجنة وهي تذهب حيث شاءت. رواه البيهقي في البعث وفي لفظ: إن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت. رواه ابن المبارك في الزهد، وفي لفظ: إن أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يردها الله إلى جسدها.

المنبر يقول: «ألا إنه لم يبقَ من الدنيا إلا مثل الذباب يمور في جوها فالله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم»، وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور»، ولذلك

(وقال النعمان بن بشير) الأنصاري رضي الله عنهما: (سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: «ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تمور) أي تضطرب (في جوّها) وهو ما بين السماء والأرض (فالله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا، وأبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدي عن النعمان من قوله: «الله الله» ورواه بكماله الأزدي في الضعفاء وقال: لا يصح إسناده، وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل بكماله في ترجمة أبي إسماعيل السكوني عن مالك بن أدي، ونقل عن أبيه أن كلاً منهما مجهول، وقد ذكر ابن حبان في الثقات مالك بن أدي اهـ.

ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب المقامات، وكذا الحكيم في النوادر، والبيهقي في الشعب كلهم عن النعمان سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الله الله في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم» ورواه بكماله أيضاً الحكيم وابن لال، ووقع في نسخة الكمال الدميري إلا مثل الذباب يمر في قي وعلى الهامش القي الأرض القفر الخالية.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: (قال النبي ﷺ: «لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور») قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا والمحاملي بإسناد ضعيف، ولأحمد من رواية من سمع أنساً عن أنس «إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات» الحديث اهـ.

قلت: حديث أبي هريرة رواه أيضاً الديلمي في مسند الفردوس والأصبهاني في الترغيب.

وأما حديث أنس فرواه أيضاً الحكيم في النوادر وابن منده في كتاب الأحوال وتمامه: «فإن كان خيراً استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا»، ونحو ذلك ما رواه الطيالسي في مسنده من حديث جابر بن عبدالله: «إن اعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم في قبورهم فإن كان خيراً استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك». وروى ابن المبارك وابن أبي الدنيا عن أبي أيوب قال: «تعرض أعمالكم على الموتى فإن رأوا حسناً فرحوا واستبشروا وإن رأوا سوءاً قالوا اللهم راجع به» وروى الحكيم في النوادر من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده رفعه: «تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس على الله تعالى، وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً وإشراقاً فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم». وروى ابن أبي الدنيا وابن منده وابن عساكر عن أحمد بن عبدالله بن أبي الحواري قال: حدثني أخي محمد بن عبدالله قال: دخل عباد الخوّاص على إبراهيم بن صالح الهاشمي وهو أمير فلسطين فقال له إبراهيم: عظني فقال: قد بلغني

قال أبو الدرداء: اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزي به عبدالله بن رواحة ـ وكان قد مات وهو خاله ـ وسئل عبدالله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين هي؟ قال: في حواصل طير بيض في ظل العرّش، وأرواح الكافرين في الأرض السابعة.

أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى، فانظر ما يعرض على أقاربهم من الموتى، فانظر ما يعرض على رسول الله ﷺ من عملك.

(ولذلك قال أبو الدرداء) رضي الله عنه. **(اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً أخزي به عند عبدالله بن رواحة)** بن ثعلبة بن امرىء القيس الخزرجي الأنصاري أحد السابقين رضي الله عنه. **(وكان قد مات)** شهيداً بمؤتة وكان ثالث الأمراء بها في جمادى الأولى سنة ثمان، وتأخر أبو الدرداء إلى خلافة عثمان **(وهو خاله)** أخو أمه وأبو الدرداء اسمه عويمر وهو ابن عامر بن قيس بن أمية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي. وقال خليفة بن خياط: أم أبي الدرداء صحبة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة بن عامر بن زيد مناة بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، وهذا القول قد رواه ابن المبارك في الزهد، والأصبهاني في الترغيب عن أبي الدرداء أنه كان يقول: اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً يخزى به عبدالله بن رواحة، وكان يقول: إن أعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويساؤن. وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الموت عنه أنه كان يقول: اللهم إني أعوذ بك أن يمقتني خالي عبدالله بن رواحة إذا لقيته.

وفي الباب ما رواه ابن أبي شيبة في المصنف، والحكيم في النوادر، وابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن ميسرة قال: غزا أبو أيوب القسطنطينية فمرّ بقاص وهو يقول: إذا عمل العبد العمل في صدر النهار عرض على معارفه إذا أمسى من أهل الآخرة، وإذا عمل العبد العمل في آخر النهار عرض على معارفه إذا أصبح من أهل الآخرة فقال أبو أيوب: اللهم إني أعوذ بك أن تفضحني عند عبادة بن الصامت وسعد بن عبادة بما عملت بعدهم، فقال القاص: والله لا يكتب الله ولايته لعبد إلا ستر عوراته وأثنى عليه بأحسن عمله.

وروى ابن المبارك في الزهد عن عثمان بن عبدالله بن أوس أن سعيد بن جبير قال له: استأذن على ابنة أخي وهي زوجة عثمان وهي ابنة عمرو بن أوس، فاستأذن له عليها فدخل فقال: كيف يفعل بك زوجك؟ قالت: إنه إلي لمحسن ما استطاع. فقال: يا عثمان أحسن إليها فإنك لا تصنع بها شيئاً إلا جاء عمرو بن أوس، فقلت: وهل يأتي الأموات أخبار الأحياء؟ قال: نعم ما من أحد له حميم إلا ويأتيه أخبار أقاربه فإن كان خيراً سرّ به وفرح وهنىء به، وإن كان شراً ابتأس وحزن.

(وسئل عبدالله بن عمرو بن العاص) رضي الله عنهم **(عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين)** تكون **(هي؟ قال: في صور طير بيض في ظل العرش وأرواح الكافرين في الأرض**

....

السابعة) رواه ابن أبي الدنيا في الموت وابن المبارك في الزهد إلا أن الأخير قال في صور طير، وزاد ابن أبي الدنيا بعد قوله السابعة: فإذا مات المؤمن مرّ به على المؤمنين وهم أندية فيسألونه عن بعض أصحابهم فإن قال مات قالوا سفل به، وإذا كان كافراً هوى به إلى الأرض السافلة فيسألونه عن الأرض، فإن قال مات قالوا عليَّ به.

اعلم أن الأخبار الواردة في مقر الأرواح بعد الموت كثيرة، وفيها اختلاف، فمنها في أرواح المؤمنين عامة، ومنها في الشهداء منهم خاصة، ومنها في ولدان المؤمنين وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحنث، ومنها في أرواح الكفار، فالوارد في أرواح المؤمنين عامة هذا القول عن عبدالله ابن عمرو أنها في صور طير بيض في ظل العرش، وقول مالك السابق إنها مرسلة تذهب حيث شاءت ونحو قول ابن عمر، وما رواه ابن منده والطبراني وأبو الشيخ عن ضمرة بن حبيب مرسلاً قال: سئل النبي ﷺ عن أرواح المؤمنين فقال: «في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت» قالوا: يا رسول الله وأرواح الكفار؟ قال: «في سجين» وروى البيهقي في البعث والطبراني وأبو نعيم عن عبدالله بن عمرو قال: «الجنة ملوية في قرون الشمس تنشر في كل عام مرتين وأرواح المؤمنين في طير كالزرازير تأكل من ثمر الجنة». وأخرجه ابن منده عنه مرفوعاً وأخرجه الخلال عنه موقوفاً بلفظ: «أرواح المؤمنين في أجواف طير خضر كالزرازير يتعارفون فيها ويرزقون من ثمرها». وروى ابن منده عن أم كبشة بنت المعرور قالت: دخل علينا النبي ﷺ فسألناه عن هذه الروح فوصفها صفة لكنه أبكى أهل البيت فقال: «إن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر ترعى في الجنة وتأكل من ثمارها وتشرب من مياهها وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش يقولون: ربنا الحق بنا إخواننا وآتنا ما وعدتنا، وإن أرواح الكفار في حواصل طير سود تأكل من النار وتشرب من النار وتأوي إلى جحر في النار يقولون ربنا لا تلحق بنا إخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا» ويقرب من ذلك ما رواه مالك في الموطأ وأحمد والنسائي بسند صحيح عن كعب ابن مالك رفعه: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعث». وروى أحمد والطبراني بسند حسن عن أم هانيء أنها سألت رسول الله ﷺ أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال ﷺ: «تكون النسم طيراً تعلق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها» وروى ابن سعد من طريق محمود بن لبيد عن أم بشر بنت البراء أنها قالت: يا رسول الله هل يتعارف الموتى؟ قال: «تربت يداك النفس الطيبة طير خضر في الجنة فإن كان الطير يتعارفون في رؤوس الشجر فإنهم يتعارفون». وروى ابن عساكر من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود عن أم فروة بنت معاذ السلمية عن أم بشر امرأة أبي معروف قالت: سألت رسول الله ﷺ أنتزاور يا رسول الله إذا متنا يزور بعضنا بعضاً؟ فقال: «تكون النسم طيراً تعلق شجرة حتى إذا كان يوم القيامة دخلت في جثتها». وروى ابن ماجه والطبراني والبيهقي في البعث بسند حسن عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: لما حضرت كعباً الوفاة أتته أم بشر بنت البراء فقالت: يا أبا عبد الرحمن إن لقيت فلاناً فأقرئه مني السلام. فقال: يغفر الله لك يا أم بشر نحن أشغل

....

من ذلك. فقالت: أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نسمة المؤمن تسرح في الجنة حيث شاءت ونسمة الكافر في سجين»؟ قال: بلى. قالت: فذاك.

ومنها ما رواه البيهقي في الدلائل، وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيريهما من حديث أبي سعيد الخدري: أتيت بالمعراج التي تعرج عليه أرواح بني آدم فلم ير الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت يشق بصره طائحاً إلى السماء فإن ذلك عجبه بالمعراج، فصعدت أنا وجبريل فاستفتح باب السماء فإذا أنا بآدم تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول: روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول: روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين. وروى أبو نعيم بسند ضعيف من حديث أبي هريرة: «إن أرواح المؤمنين في السماء السابعة ينظرون إلى منازلهم في الجنة». وروى أبو نعيم أيضاً عن وهب بن منبه قال: «إن لله في السماء السابعة داراً يقال لها البيضاء تجتمع فيها أرواح المؤمنين فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح يسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم». ومن ذلك ما تقدم من قول ابن عمر لأسماء حين عزاها في ابنها عبدالله بن الزبير: لا تحزني فإن الأرواح عند الله في السماء. رواه سعيد ابن منصور في سننه، وقيل: إنها بين السماء والأرض. روى سعيد بن منصور في سننه وابن جرير في كتاب الأدب له عن المغيرة بن عبد الرحمن قال: لقي سلمان الفارسي عبدالله بن سلام فقال له: إن مت قبلي فأخبرني بما تلقى وإن مت قبلك أخبرتك. قال: وكيف وقد متَّ؟ قال: إن الروح إذا خرج من الجسد كانت بين السماء والأرض حتى يرجع إلى جسده، فقضى أن سلمان مات فرآه في المنام فقال: أخبرني أي شيء وجدته أفضل؟ قال: رأيت التوكل شيئاً عجيباً وروى ابن المبارك في الزهد، والحكيم في النوادر، وابن أبي الدنيا وابن منده عن سعيد بن المسيب عن سلمان قال: إن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت، ونفس الكافر في سجين. قال ابن القيم: البرزخ هو الحاجز بين الشيئين فكأنه أراد في الأرض بين الدنيا والآخرة. وروى الحكيم عن سلمان قال: أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شاءت بين السماء والأرض حتى يردها الله إلى جسدها.

ومنها. ما رواه المروزي في كتاب الجنائز عن العباس بن عبد المطلب قال: ترفع أرواح المؤمنين إلى جبريل فيقال: أنت ولي هذه إلى يوم القيامة. وروى ابن أبي الدنيا عن وهب بن منبه قال: أرواح المؤمنين إذا قبضت ترفع إلى ملك يقال له رماييل وهو خازن أرواح المؤمنين. وروى عن أبان بن تغلب عن رجل من أهل الكتاب قال: الملك الذي على أرواح الكفار يقال له دومة. وروى ابن منده من طريق سفيان عن أبان بن تغلب عن رجل قال: بت ليلة بوادي برهوت فكأنما حشرت فيه أصوات الناس وهم يقولون يا دومة يا دومة. وحدثنا رجال من أهل الكتاب أن دومة هو الملك الموكل بأرواح الكفار.

ومنها: ما رواه المروزي في كتاب الجنائز، وابن منده، وابن عساكر عن عبدالله بن عمرو قال:

أرواح الكفار تجمع ببرهوت سبخة بحضرموت، وأرواح المؤمنين تجمع بالجابية برهوت باليمن والجابية بالشام. وروى ابن عساكر عن عروة بن رويم قال: الجابية تجبى إليها كل روح طيبة. وروى أبو بكر بن النجار في جزئه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: خير وادي الناس وادي مكة، وشر وادي الناس وادي الأحقاف وادبحضرموت وفيه أرواح الكفار. وروى ابن منده وابن أبي الدنيا عن علي قال: أبغض بقعة في الأرض إلى الله وادبحضرموت يقال له برهوت فيه أرواح الكفار. وروى ابن أبي الدنيا عن علي قال: أرواح المؤمنين في بئر زمزم. وروى الحاكم في المستدرك عن الأخنس بن خليفة الضبي أن كعب الأحبار أرسل إلى عبدالله بن عمرو يسأله عن أرواح المسلمين أين تجتمع وأرواح أهل الشرك أين تجتمع؟ فقال عبدالله: أما أرواح المسلمين فتجتمع باريحاء، وأما أرواح أهل الشرك فتجتمع بصنعاء، فرجع رسول كعب إليه فأخبره بالذي قال. فقال: صدق.

فصل

في أرواح الشهداء:

وأما أرواح الشهداء؛ فروى مسلم من حديث ابن مسعود: «أرواح الشهداء عند الله في جواصل طير خضر تسرح في أنهار الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش». وروى أحمد وأبو داود والحاكم والبيهقي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «لما أصيب أصحابكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش». وروى سعيد بن منصور عن ابن عباس قال: «أرواح الشهداء تجول في أجواب طير خضر تعلق في ثمر الجنة». وروي عن أبي سعيد الخدري رفعه «الشهداء يغدون ويروحون ثم يكون مأواهم إلى قناديل معلقة بالعرش فيقول الرب تعالى: هل تعلمون كرامة أفضل من كرامة أكرمتكموها؟ فيقولون: لا غير إنا وددنا أنك أعدت أرواحنا إلى أجسادنا حتى نقاتل مرة أخرى فنقتل في سبيلك». وروى هناد في الزهد، وابن منده من حديث أبي سعيد «إن أرواح الشهداء في طير خضر ترعى في رياض الجنة ثم يكون مأواها إلى قناديل مغلقة بالعرش فيقول الرب» وذكر نحوه. وروى أبو الشيخ من حديث أنس: «يبعث الله الشهداء من حواصل طير بيض كانوا في قناديل معلقة بالعرش». وروى ابن منده عن سعيد بن سويد أنه سأل ابن شهاب عن أرواح المؤمنين قال: «بلغني أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش تغدو ثم تروح إلى رياض الجنة تأتي ربها سبحانه وتعالى تسلم عليه». وروى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال: «إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم ترجع إلى قناديلها». وروي عن أبي الدرداء أنه سئل عن أرواح الشهداء فقال: «هي طائر خضر في قناديل معلقة تحت العرش تسرح في رياض الجنة حيث شاءت». وروى أحمد وعبد بن حميد وابن أبي شيبة والطبراني والبيهقي بسند حسن من حديث ابن عباس: «الشهداء على بارق نهر

بباب الجنة في قبة خضراء يخرج إليهم رزقهم من الجنة غدوة وعشية » وروى هناد في الزهد، وابن أبي شيبة عن أبي بن كعب قال: « الشهداء في قباب في رياض بفناء الجنة يبعث إليهم ثور وحوت فيعتركـان فيلهون بها فإذا احتاجوا إلى شيء عقر أحدهما صاحبه فيأكلون منه فيجدون فيه طعم كل شيء في الجنة ». وروى البخاري عن أنس قال: لما قتل حارثة قالت أمه: يا رسول الله قد علمت منزلة حارثة مني فإن يكن في الجنة فاصبر وإن يكن غير ذلك ترى ما أصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: « إنها جنان كثيرة وإنه في الفردوس الأعلى » وروى ابن أبي شيبة والبيهقي عن ابن عباس عن كعب قال: « جنة المأوى فيها طير خضر ترتقي فيها أرواح الشهداء تسرح في الجنة، وأرواح آل فرعون في طير سود تغدو على النار وتروح ». وروى هناد في الزهد عن هزيل قال: « إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، وأرواح آل فرعون في أجواف طير سود تروح وتغدو على النار فذلك عرضها ». وروى الترمذي من حديث كعب بن مالك « إن أرواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمر الجنة أو شجر الجنة » قوله: تعلق بضم اللام أي تأكل العلقة وهي ما يتبلغ به من العيش. وروى ابن أبي شيبة عن عكرمة قال: « أرواح الشهداء طير بيض فقاقيع في الجنة ». وروى عبد الرزاق عن قتادة قال: « بلغنا أن أرواح الشهداء في صور طير بيض تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش ».

فصل

وأما أرواح أطفال المسلمين، فروى ابن أبي حاتم في التفسير عن أبي الدرداء قال: « إن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت ». وروى أحمد والحاكم وصححه والبيهقي وابن أبي الدنيا في البعث وابن أبي الدنيا أيضاً في كتاب العزاء بطرق من حديث أبي هريرة: « أولاد المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردوهم إلى آبائهم يوم القيامة ». وروى ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث ابن عمر: « كل مولود يولد في الإسلام فهو في الجنة شبعان ريان يقول: يارب أورد علي أبوي ». وأخرج فيه أيضاً عن خالد بن معدان قال: « إن في الجنة لشجرة يقال لها طوبى كلها ضروع فمن مات من الصبيان الذين يرضعون يرضع من طوبى وحاضنهم إبراهيم عليه السلام. وروى أيضاً عن عبيد بن عمير قال: « إن في الجنة لشجرة لها ضروع كضروع البقر يغذى بها ولدان أهل الجنة ». وروى سعيد بن منصور من مرسل مكحول « إن ذراري المسلمين أرواحهم في عصافير خضر في شجر في الجنة يكفلهم أبوهم إبراهيم عليه السلام ». وروى ابن أبي حاتم بن معدان: « إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى كلها ضروع ترضع صبيان أهل الجنة وإن سقط المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة يتقلب فيه حتى تقوم القيامة فيبعث ابن أربعين سنة ». وروى ابن أبي شيبة عن ابن عباس عن كعب قال: « إن أطفال المسلمين في عصافير في الجنة ». وروى هناد في الزهد عن هزيل قال: « أولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحنث عصافير من عصافير الجنة ترعى وتسرح ».

فصل

قال ابن القيم في كتاب الروح: مسألة الأرواح بعد الموت عظيمة لا تتلقى إلا من السمع فقيل: إن أرواح المؤمنين كلهم في الجنة الشهداء وغيرهم إذا لم تحبسهم كبيرة لظاهر حديث كعب وأم هانىء وأم بشر وأبي سعيد وضمرة ونحوها، ولقوله تعالى: ﴿فأما إن كان من المقربين★ فروح وريحان وجنة نعيم﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩] قسم الأرواح عقب خروجها من البدن إلى ثلاثة مقربين وأخبرأنها في جنة نعيم وأصحاب يمين، وحكم بالسلام وهو يتضمن سلامتها من العذاب ومكذبة ضالة، وأخبر أن لها نزلاً من حميم وتصلية جحيم. وقال تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة★ ارجعي إلى ربك﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] الآية وقال جماعة من الصحابة والتابعين: إنه يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا على لسان الملك بشارة ويؤيده قوله تعالى في مؤمن آل يس: ﴿قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون★ بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ [يس: ٢٦، ٢٧] وقيل: الأحاديث مخصوصة بالشهادة كما صرح به في رواية أخرى ولقوله في غيرهم: « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي » ولحديث أبي هريرة السابق: « إنهم في السماء السابعة ينظرون إلى منازلهم في الجنة ».

وقال ابن حزم في طائفة مستقرها حيث كانت قبل أجسادها أي عن يمين آدم وشماله وقال: هذا ما دل عليه الكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية وقال تعالى: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ [الأعراف: ١١] الآية فصح أن الله تعالى خلق الأرواح جلة، وكذلك أخبر ﷺ: « إن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. وأخذ الله عهدها وميثاقها وشهادتها بالربوبية وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن تؤمر الملائكة بالسجود لآدم، وقبل أن يدخلها في الأجساد والأجساد يومئذ تراب وماء، ثم أقرها حيث شاء وهو البرزخ الذي ترجع إليه عند الموت، ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها في الأجساد المتولدة من المني. قال: فصح أن الأرواح أجسام حاملة لأعراضها من التعارف والتناكر وأنها عارفة مميزة فيبوئهم الله في الدنيا كما يشاء، ثم يتوفاها فترجع إلى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى سماء الدنيا أرواح أهل السعادة عن يمين آدم، وأرواح أهل الشقاوة عن يساره عند منقطع العناصر الماء والهواء والتراب والنار تحت السماء، ولا يدل ذلك على تعادلهم، بل هؤلاء عن يمينه في العلو والسعة وهؤلاء عن يساره في السفل والسجن، وتعجل أرواح الأنبياء والشهداء إلى الجنة. قال: وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن إسحاق بن راهويه أنه ذكر هذا الذي قلنا بعينه وقال: على هذا أجمع أهل العلم. وقال ابن حزم وهو قول جميع أهل الإسلام وهو قول الله تعالى: ﴿فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة★ وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة★ والسابقون السابقون★ أولئك المقربون★ في جنات النعيم﴾ [الواقعة: ٨ - ١٢] وقوله: ﴿فأما إن كان من المقربين★ فروح وريحان﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩] الآية فلا تزال الأرواح هناك حتى يتم عددها بنفخها في الأجسام ثم برجوعها إلى البرزخ فتقوم الساعة فيعيدها عز وجل إلى الأجساد وهي الحياة الثانية، وهذا كله كلام ابن حزم.

....

وقيل: هي على أفنية قبورها. قال ابن عبد البر وهذا أصح ما قيل. قال: وأحاديث السؤال وعرض المقعد وعذاب القبر ونعيمه وزيارة القبور والسلام عليها ومخاطبتهم مخاطبة الحاضر العاقل دالة على ذلك.

قال ابن القيم: هذا القول إن أريد به أنها ملازمة للقبور لا تفارقها فهو خطأ يرده الكتاب والسنة.

تنبيه:

عرض المقعد لا يدل على أن الأرواح في القبر ولا على فنائه، بل على أن لها اتصالاً به يصح أن يعرض عليها مقعدها، فإن للروح شأناً آخر فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على صاحبها رد عليه السلام وهي في مكانها هناك، وإنما يأتي الغلط هنا من قياس الغائب على الشاهد، فيعتقد الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا أشغلت مكاناً لم يمكن أن يكون في غيره وهذا غلط محض، وقد رأى النبي ﷺ ليلة الإسراء موسى عليه السلام قائماً يصلي في قبره، ورآه في السماء السادسة، فالروح كانت هناك في مثل البدن ولها اتصال في البدن بحيث يصلي في قبره ويردّ على من يسلم عليه وهو في الرفيق الأعلى، ولا تنافي بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان، وقد مثل ذلك بعضهم بالشمس في السماء وشعاعها في الأرض، وإن كان غير تام المطابقة من حيث أن الشعاع إنما هو عرض للشمس وأما الروح، فهي نفسها تنزل وكذلك رؤية النبي ﷺ الأنبياء عليهم السلام ليلة الإسراء في السموات الصحيح أنه رأى فيها الأرواح في مثال الأجساد مع ورود أنهم أحياء في قبورهم يصلون، فلا منافاة بين كون الروح في عليين أو الجنة أو السماء، وأن لها بالبدن اتصالاً بحيث تدرك وتسمع وتصلي وتقرأ، وإنما يستغرب هذا لكون الشاهد الدنيوي لأنه ليس فيه ما يشابه هذا، وأمور البرزخ والآخرة على نمط غير المألوف في الدنيا هذا كله؛ كلام ابن القيم.

وحكي في موضع آخر للروح من سرعة الحركة والانتقال الذي كلمح البصر ما يقتضي عروجها من القبر إلى السماء في أدنى لحظة، وشاهد ذلك روح النائم فقد ثبت أن روح النائم تصعد حتى تخرق السبع الطباق وتسجد لله بين يدي العرش ثم يرد إلى جسده في أيسر زمان. ثم قال ابن القيم بعد أن أورد بقية الأقوال في مستقر الأرواح: ولا نحكم على قول من هذه الأقوال بعينه بالصحة ولا غيره بالبطلان، بل الصحيح أن الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، ولا تعارض بين الأدلة فإن كلاً منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم في السعادة والشقاوة، فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى وهم الأنبياء وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الأسراء. ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم فإن منهم من يحبس عن دخول الجنة لدين أو غيره كما في حديث محمد بن عبدالله بن جحش عند أحمد. ومنهم من يكون على باب الجنة كما في حديث ابن عباس، ومنهم من يكون محبوساً في قبره كحديث صاحب الشملة أنها لتشتعل عليه ناراً في قبره.

ومنهم من يكون محبوساً في الأرض لم تصل روحه إلى الملأ الأعلى لأنها كانت روحاً سفلية أرضية، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السمائية كما أنها لا تجامعها في الدنيا فإن الروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأصحاب عملها، فالمرء مع من أحب. ومنهم أرواح تكون في تنور الزانيات، وأرواح في نهر الدم إلى غير ذلك، فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد، وكلها على اختلاف محالها وتباين مقارها اتصال بأجسادها في قبورها ليحصل له من النعيم أو العذاب ما كتب له انتهى كلام ابن القيم.

وقال القرطبي: الأحاديث دالة على أن أرواح الشهداء خاصة في الجنة دون غيرهم، وحديث كعب ونحوه محمول على الشهداء، وأما غيرهم فتارة يكون في السماء لا في الجنة، وتارة على أفنية القبور، وقد قيل: إنها تزور قبورها كل جمعة على الدوام. وقال ابن العربي: بحديث الجريدة يستدل على أن الأرواح في القبور تنعم أو تعذب، ثم قال القرطبي: وبعض الشهداء أرواحهم خارج الجنة أيضاً في حديث ابن عباس « على بارق نهر بباب الجنة » وذلك إذا حبسهم عنها دين أو شيء من حقوق الآدميين. قال: وذهب بعض العلماء إلى أن أرواح المؤمنين كلهم في جنة المأوى، ولذلك سميت جنة المأوى لأنها تأوي إليها الأرواح تحت العرش فيتنعمون بنعيمها ويتنسمون بطيب نسيمها. قال: والأول أصح. وقال الحافظ ابن حجر في فتاويه: أرواح المؤمنين في عليين، وأرواح الكفار في سجين ولكل روح بجسدها اتصال معنوي لا يشبه الاتصال في الحياة الدنيا، بل أشبه شيء به حال النائم وإن كان هو أشد من حال النائم اتصالاً. قال: وبهذا يجمع بين ما ورد أن مقرها في عليين أو سجين وبين ما نقله ابن عبد البر عن الجمهور أنها عند أفنية قبورها. قال: ومع ذلك فهي مأذون لها في التصرف، وتأوي إلى محلها من عليين أو سجين. قال: وإذا نقل الميت من قبر إلى قبر فالاتصال المذكور مستمر وكذا لو تفرقت الاجزاء. وقال القرطبي في حديث كعب « نسمة المؤمن طائر » وهو يدل على أن نفسها تكون طائراً أي على صورته لا أنها تكون فيها، ويكون الطائر ظرفاً لها. وكذا في رواية عن ابن مسعود عند ابن ملجه « أرواح الشهداء عند الله كطير خضر » وقال في لفظ عن ابن عباس « تجول في طير خضر » ولفظ ابن عمرو « في صورة طير بيض » وفي لفظ عن كعب « الشهداء طير خضر » قال: وهذا كله أصح من رواية في جوف طير. وقال القابسي: أنكر العلماء رواية في حواصل طير خضر لأنها حينئذ تكون محصورة مضيقاً عليها، ورد بأن الرواية ثابتة والتأويل محتمل بأن يجعل « في » بمعنى « على » وجائز أن يسمى الطير جوفاً إذ هو محيط به، ويشتمل عليه قاله عبد الحق. وقال غيره: لا مانع من أن تكون في الأجواف حقيقة ويوسعها الله تعالى لها حتى تكون أوسع من الفضاء وقال العز بن عبد السلام في أماليه في قوله تعالى: ﴿ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء﴾ [آل عمران: ١٦٩] فإن قيل: الأموات كلهم كذلك فكيف خصص هؤلاء؟ فالجواب: أن الكل ليس كذلك، فالمجاهد تنقل روحه إلى طير أخضر فقد انتقل من جسد إلى آخر بخلاف غيره فإنها تنفي من الاجساد. قال: وأما حديث كعب « نسمة المؤمن » الخ فهذا العموم محمول على المجاهدين، فقد ورد أن الروح في

....

القبر يعرض عليها مقعدها من الجنة والنار ولأنا أمرنا بالسلام على القبور، ولولا أن الأرواح تدرك لما كان فيه فائدة انتهى.

قال السيوطي: فاختار في أرواح الشهداء أنها كائنة في طير لا أنها نفسها طير، ويؤيده ما روي عن ابن عمرو انها تركب في جسد آخر وهو وإن كان موقوفاً فله حكم المرفوع لأن مثله لا يقال من قبل الرأي. وقال صاحب للافصاح: التنعم على جهات مختلفة: منها ما هو طائر في شجر الجنة، ومنها ما هو في حواصل طير خضر، ومنها ما يأوي في قناديل تحت العرش، ومنها هو في حواصل طير بيض، ومنها ما هو في حواصل طير كالزرازير، ومنها ما هو في أشخاص صور من صور الجنة، ومنها ما هو في صورة تخلق لهم من ثواب أعمالهم، ومنها ما تسرح وتتردد إلى جثتها تزورها، وممن سوى ذلك ما هو في كفالة آدم، ومنها ما هو في كفالة إبراهيم.

قال القرطبي: وهذا قول حسن يجمع الأخبار حتى لا تتدافع. وقال الحكيم في النوادر: الأرواح تجول في البرزخ فتبصر أحوال الدنيا والملائكة تتحدث في السماء عن أحوال الآدميين، وأرواح تحت العرش، وأرواح طيارة إلى الجنان إلى حيث شاءت على أقدارهم من السعي إلى الله أيام حياتهم. وقال ابن القيم: لا منافاة بين حديث أنه طائر، يعلق في شجر الجنة وبين حديث عرض المقعد، بل ترد روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ويعرض عليه مقعده لأنه لا يدخله إلا يوم الجزاء، فدخول الجنة التام إنما يكون للإنسان التام روحاً وبدناً، ودخول الروح فقط أمر دون ذلك.

وفي بحر الكلام: الأرواح على أربعة أوجه: أرواح الأنبياء تخرج من جسدها وتصير مثل صورتها مثل المسك والكافور وتكون في الجنة تأكل وتشرب وتنعم وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش، وأرواح الشهداء تخرج من جسدها وتكون في أجواف طير خضر في الجنة تأكل وتتنعم وتأوي بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش، وأرواح المطيعين من المؤمنين بربض الجنة لا تأكل ولا تتمتع ولكن تنظر في الجنة، وأرواح العصاة من المؤمنين تكون بين السماء والأرض في الهواء. وأما أرواح الكفار فهي في سجين في جوف طير سود تحت الأرض السابعة وهي متصلة بأجسادها فتعذب الأرواح وتتألم الاجساد منه كالشمس في السماء ونورها في الأرض انتهى.

وقال الحافظ ابن رجب في كتاب أهوال القبور الباب التاسع في ذكر أرواح الموتى في البرزخ: أما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فلا شك أن أرواحهم عند الله في أعلى عليين، وأما الشهداء فأكثر العلماء على أنهم في الجنة. وروي عن مجاهد أنه قال: ليس الشهداء في الجنة ولكن يرزقون منها. وروى آدم بن أبي اياس عنه قال: يرزقون من ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها.

وأما حديث ابن عباس «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة» فلعلمه في عموم الشهداء والذين في القناديل حول العرش خواصهم، أو المراد بالشهداء هنا قتيل المعركة كالمطعون والمبطون والغريق وغيرهم ممن ورد بالنص أنه شهيد أو سائر المؤمنين، فقد يطلق الشهيد على من حقق الإيمان كما دل عليه قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند

....

ربهم﴾ [الحديد : ١٩] وحكم بقية المؤمنين سوى الشهداء فأهل تكليف وغيرهم، فأطفال المؤمنين الجمهور على أنهم في الجنة، وأما المكلفون من المؤمنين سوى الشهداء فاختلف العلماء فيهم قديماً وحديثاً، فنص الإمام أحمد على أن أرواح المؤمنين في الجنة وأرواح الكفار في النار، واستدل بحديث كعب بن مالك وأم هانيء وأبي هريرة وأم بشر وعبد الله بن عمرو نحوها. وروي عن هلال بن يساف أن ابن عباس سأل كعباً عن عليين وسجين فقال كعب: أما عليون فالسماء السابعة ففيها أرواح المؤمنين، وأما سجين فالأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار تحت خد إبليس، وقد ثبت بالادلة أن الجنة فوق السماء السابعة، وأن النار تحت الأرض السابعة. وقالت طائفة: الأرواح في الأرض، ثم اختلفوا فقالت فرقة: الارواح تستقر على أفنية القبور قاله ابن وضاح، وحكاه ابن حزم عن عامة أصحاب الحديث، ورجح ابن عبد البر أن أرواح الشهداء في الجنة وأرواح غيرهم على أفنية القبور فتسرح حيث شاءت، واستدلوا بحديث « السلام عليهم وعرض المقعد » ولا دليل في ذلك على أن الارواح ليست في الجنة، فان العرض على الجثة وللروح بها اتصال والروح وحدها في الجنة، وكذا السلام على أهل القبور لا يدل على استقرار أرواحهم على أفنية قبورهم فإنه يسلم على قبور الأنبياء والشهداء وأرواحهم في أعلى عليين، ولكن لها مع ذلك اتصال سريع بالجسد لا يعلم كنه ذلك وكيفيته على الحقيقة إلا الله تعالى، ويشهد لذلك الأحاديث المروية في أن النائم يعرج بروحه إلى العرش هذا مع تعلقها ببدنه وسرعة عودها إليه عند استيقاظه، فارواح الموتى المجردة عن أبدانهم أولى بعروجها إلى السماء وعودها إلى القبر في مثل تلك السرعة.

وقالت فرقة: تجمع الأرواح بموضع من الأرض فأرواح المؤمنين تجمع بالجابية، وقيل: ببئر زمزم، وأرواح الكفار تجمع ببئر برهوت. ورجحه القاضي أبو علي من الحنابلة في كتاب المعتمد وهو مخالف لنص أحمد: إن أرواح الفكار في النار، ولعل لبئر برهوت اتصال بجهنم في قعرها كما روي في البحر: إن تحته جهنم. وروى صفوان بن عمر وقال: سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان هل لأنفس المؤمنين مجتمع؟ فقال: يقال إن الأرض التي يقول الله ﴿ إنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء : ١٠٥] هي الأرض التي تجتمع فيها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث أخرجه ابن منده وهذا غريب جداً وتفسير الآية به أغرب. وروى ابن منده عن شهر بن حوشب قال: كتب عبد الله بن عمرو إلى أبيّ بن كعب يسأله أين تلتقي أرواح أهل الجنة وأرواح أهل النار؟ فقال: اما أرواح أهل الجنة فبالجابية، وأما أرواح الكفار فبحضرموت.

وقالت طائفة من الصحابة: الأرواح عند الله صح ذلك عن ابن عمر. وروى ابن منده من طريق الشعبي عن حذيفة قال: إن الأرواح موقوفة عند الرحمن تنتظر موعدها حتى ينفخ فيها، وهذا لا ينافي ما وردت به الأخبار من محل الارواح على ما سبق.

وقالت طائفة: « أرواح بني آدم عند أبيهم آدم عن يمينه وشماله لما ثبت في قصة الاسراء في

وقال أبو سعيد الخدري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره ». وقال صالح المري: بلغني أن الأرواح تتلاقى عند الموت

الصحيحين، فلما فتح علونا السماء فإذا رجل قاعد عن يمينه أسودة على يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى، فقلت لجبريل: من هذا فقال: آدم وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسيم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار الحديث. فظاهر هذا اللفظ يقتضي أن أرواح الكفار في السماء وهو مخالف للقرآن والحديث: إن السماء لا تفتح لروح الكافر، وقد ورد في بعض طرق الحديث ما يزيل الاشكال ولفظه: وإذا هو يعرض عليه أرواح ذريته، فإذا كان روح المؤمن قال: روح طيبة اجعلوها في عليين، وإذا كان روح الكافر قال: روح خبيثة اجعلوها في سجين الحديث. ففي هذا أنه تعرض عليه أرواح ذريته من السماء الدنيا وأنه يأمر بجعل الارواح في مستقرها، فدّل على أن الأرواح على استقرارها في السماء الدنيا. وزعم ابن حزم أن الله تعالى خلق الأرواح جملة قبل الاجساد، وأنه جعلها في برزخ، وذلك البرزخ عند منقطع العناصر حيث لا ماء ولا هواء ولا تراب ولا نار إلى آخر ما قال حسبما أسلفناه، وهذا قول لم يقله أحد من المسلمين ولا هو من جنس كلامهم، وإنما هو من جنس كلام المتفلسفة. قال: والفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم في الجنة من وجهين:

أحدهما: أن أرواح الشهداء تخلق لها أجساد وهي الطير التي تكون في حواصلها ليكمل بذلك نعيمها ويكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الاجساد، فإن الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل في سبيل الله فعوّضوا عنها بهذه الأجساد في البرزخ.

والثاني: أنهم يرزقون من الجنة وغيرهم لم يثبت في حقه مثل ذلك، وإن جاء أنهم يعلقون في شجر الجنة، فقيل: معناه التعلق، وقيل: الأكل من الشجرة فلا يلزم مساواتهم للشهداء في كمال تنعيمهم في الأكل والله أعلم انتهى كلام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى، وهو غاية في بابه لا مزيد عليه، ولنرجع إلى شرح كلام المصنف.

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه. **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره »)** قال العراقي: رواه أحمد من رواية رجل عنه اسمه معاوية أو ابن معاوية نسبه عبد الملك بن حسن اهـ.

قلت: وبخط الحافظ ابن حجر الذي في المسند عن عبد الملك عن سعيد بن عمرو بن سليم عن رجل من قومه يقال له فلان بن معاوية أو معاوية بن فلان اهـ.

قلت: قال أحمد: حدثنا أبو عامر، حدثنا عبد الملك بن حسن، حدثنا سعد بن عمرو بن سليم قال: سمعت رجلاً منا قال: عبد الملك نسيت اسمه ولكن اسمه معاوية أو ابن معاوية يحدث عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: « إن الميت يعرف من يغسله ويحمله ويدليه في قبره » فقال ابن عمرو وهو في المجلس: ممن سمعت هذا؟ قال: من أبي سعيد، فانطلق ابن عمر إلى أبي سعيد فقال: يا

فتقول أرواح الموتى للروح التي تخرج إليهم: كيف كان مأواك وفي أي الجسدين كنت في طيب أو خبيث؟ وقال عبيد بن عمير: أهل القبور يترقبون الأخبار، فإذا أتاهم الميت قالوا: ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم.. أو ما قدم عليكم؟ فيقولون: ﴿ إنَّا لله وإنَّا

أبا سعيد ممن سمعت هذا؟ قال: من النبي ﷺ. وقد رواه أيضاً مسدد في مسنده، وابن أبي الدنيا في كتاب الموت، والطبراني في الأوسط، والمروزي في الجنائز، وابن منده في كتاب الأحوال بزيادة «ومن يكفنه» بعد قوله «ومن يحمله». وفي لفظ «في حفرته» بدل «قبره» وفي أخرى باسقاط «ومن يحمله». ولفظ الطبراني «إن الميت ليعلم من يغسله ويكفنه ومن يدليه في حفرته» رواه عن محمد بن أبان عن إسماعيل بن عمرو البجلي عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد. وروى أبو الحسين بن البراء في كتاب الروضة بسند ضعيف من حديث ابن عباس «ما من ميت يموت إلا وهو يعرف غاسله ويناشد حامله إن كان بخير بروح وريحان وجنة نعيم أن يعجله، وإن كان بشر بنزل من حميم وتصلية جحيم أن يحبسه». وروى ابن أبي الدنيا عن مجاهد قال: «إذا مات الميت فملك قابض نفسه فما من شيء إلا وهو يراه عند غسله وعند حمله حتى يوصله إلى قبره». وروى أبو نعيم في الحلية عن عمرو بن دينار قال: «ما من ميت يموت إلا روحه في يد ملك ينظر إلى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشي به ويقال له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك». وروى ابن أبي الدنيا عنه قال: «ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر إليهم» وروي أيضاً عن بكر بن عبد الله المزني قال: «بلغني أنه ما من ميت يموت إلا وروحه في يد ملك الموت فهم يغسلونه ويكفنونه وهو يرى ما يصنع أهله به فلو يقدر على الكلام لنهاهم عن الرنة والعويل» وروي أيضاً عن ابن أبي نجيح قال «ما من ميت يموت إلا روحه في يد ملك ينظر إلى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشي به إلى قبره ثم تعاد إليه روحه فيجلس في قبره».

(**وقال**) أبو بشر (**صالح**) بن بشير بن وادع (**المري**) البصري القاص الزاهد ضعيف مات سنة اثنتين وسبعين ومائة روى له الترمذي: (**بلغني أن الأرواح تتلاقى عند الموت فتقول: أرواح الموتى للروح التي تخرج إليهم: كيف كان مأواك وفي أي الجسدين كنت في طيب أو خبيث**)؟ رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت فقال: حدثني محمد بن الحسين، حدثنا أحمد بن إسحاق قال: سمعت صالحاً المري يقول بلغني فذكره إلا أنه قال: كيف كان ما وراءك. ورواه ابن منده من طريقه فقال: أخبرنا الحسن بن محمد، أخبرنا أحمد بن محمد بن عمر، أخبرنا ابن أبي الدنيا فذكره.

(**وقال**) أبو عاصم (**عبيد بن عمير**) بن قتادة الليثي المكي قاص أهل مكة من أكبر التابعين مجمع على ثقته: (**أهل القبور يتوكفون الأخبار**) قال الجوهري في الصحاح: التوكف التوقع، يقال: ما زلت أتوكفه حتى لقيته، (**فإذا أتاهم الميت قالوا: ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم أو ما قدم عليكم؟ فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون سلك به غير سبيلنا**). رواه ابن أبي

إليهِ راجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] سلك به غير سبيلنا . وعن جعفر بن سعيد قال: إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب . وقال مجاهد : إن الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره . وروى أبو أيوب الأنصاري عن النبي ﷺ أنه قال: « إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا يقولون أنظروا أخاكم

شيبة في المصنف وابن أبي الدنيا بلفظ: إن أهل القبور ليتوكفون للميت كما يتلقى الراكب يسألونه ، فإذا سألوه ما فعل فلان ممن مات فيقول: ألم يأتكم. فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون سلك به غير طريقنا ذهب به إلى أمه الهاوية. هذا لفظ ابن أبي الدنيا.

وقال ابن أبي شيبة: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن عبد العزيز بن رفيع، عن قيس بن سعد، عن عبيد بن عمير قال: إن أهل القبور ليتلقون للميت كما يتلقى الراكب يسائلونه فإذا سألوه ما فعل فلان ممن قد مات فيقول: ألم يأتكم؟ فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية. وفي لفظ لابن أبي الدنيا عن إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن جابر عن العزيز بن رفيع عن قيس مولى خباب عن عبيد بن عمير قال: إذا مات الميت تلقته الارواح يستخبرونه كما يستخبر الراكب ما فعل فلان وفلان؟ وذكر الثعلبي مثل ذلك من حديث أبي هريرة وفي آخره: حتى انهم ليسألونه عن هر البيت. وروى الحاكم عن مرسل الحسن: إذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين فيقولون له: ما فعل فلان؟ فإذا قال مات قالوا ذهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المرضعة. وروى ابن أبي الدنيا عن ثابت البناني قال: بلغنا أن الميت إذا مات احتوشه أهله وأقاربه الذين قد تقدموه من الموتى فلهو أفرح بهم وهم أفرح به من المسافر إذا قدم على أهله.

(**وعن جعفر بن سعيد**) كذا في النسخ كلها وهو غلط من النساخ، والصواب عن جعفر عن سعيد هو ابن المسيب، والراوي عنه جعفر هو ابن سليمان الضبعي البصري الزاهد روى له مسلم والأربعة (**قال: إذا مات الرجل استقبله ولده كما يستقبل الغائب**). هكذا رواه ابن أبي الدنيا فقال: حدثني محمد بن زيد الرفاعي، حدثنا يحيى بن أبان، حدثنا أشعث عن جعفر عن سعيد فذكره.

(**وقال مجاهد**) بن جبير المكي التابعي: (**إن الرجل ليبشر بصلاح ولده في قبره**) رواه ابن أبي الدنيا هكذا، ورواه أبو نعيم بلفظ: بصلاح ولده من بعده لتقر عينه. وقال السدي في قوله تعالى: ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ [آل عمران: ١٧٠] الآية يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من يقدم عليه من إخوانه يبشر به فيستبشر به كما يستبشر أهل الغائب بقدومه في الدنيا.

(**وروى أبو أيوب**) خالد بن يزيد بن كليب (**الأنصاري**) البدري رضي الله عنه، (**عن النبي ﷺ أنه قال: « إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله**) كذا في النسخ والصواب من عباد الله (**كما يتلقى البشير في الدنيا فيقولون انظروا أخاكم**) وفي لفظ

حتى يستريح، فإنه كان في كرب شديد فيسألونه: ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة؟ وهل تزوّجت فلانة فإذا سألوه عن رجل مات قبله وقال: مات قبلي قالوا: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ ذهب به إلى أمه الهاوية».

صاحبكم والانظار والامهال (**حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد، فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوّجت فلانة؟ فإذا سألوه عن رجل مات قبله وقال مات قبلي قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية»**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبراني في مسند الشاميين بإسناد ضعيف، ورواه ابن المبارك في الزهد موقوفاً عن أبي أيوب باسناد جيد، ورفعه ابن صاعد في زوائده على للزهد وفيه سلام الطويل ضعيف وهو عند النسائي وابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة باسناد جيد اهـ.

قلت: لفظ الطبراني: فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول: ايهات قد مات ذلك قبلي فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب إلى أمه الهاوية فبئست الام وبئست المربية، ورواه هكذا ابن مردويه في التفسير، وزاد الطبراني وابن أبي الدنيا بعده وقال: إن أعمالكم ترد على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة فإن كان خيراً فرحوا واستبشروا وقالوا: اللهم هذا فضلك ورحمتك فاتمم نعمتك عليه وأمته عليها، ويعرض عليهم عمل المسيء فيقولون: اللهم الهمه عملاً صالحاً ترضى به ويقربه إليك. هكذا رواه في الأوسط فقال: حدثنا أحمد بن يحي بن خالد بن حيان، حدثنا محمد بن سفيان الحضرمي، حدثنا مسلم بن علي عن زيد بن واقد وهشام بن الغاز، عن مكحول عن عبد الرحمن بن سلامة عن أبي رهم، عن أبي أيوب مرفوعاً، ثم قال: لم يروه عن مكحول إلا زيد وهشام وتفرد به مسلمة. قال السيوطي: وهو ضعيف.

ولفظ ابن المبارك في الزهد: إذا قبضت نفس العبد تلقاها أهل الرحمن من عباد الله كما يلقون البشرى في الدنيا فيقبلون عليه ليسألوه فيقول بعضهم لبعض: انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب فيسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة هل تزوّجت؟ فإذ سألوه عن الرجل قد مات قبله قال لهم: إنه قد هلك فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية وبئست المربية فيعرض عليهم أعمالهم فإذا رأوا حسناً فرحوا واستبشروا وقالوا: هذه نعمتك على عبدك فاتمها وإن رأوا سوءاً قالوا: اللهم راجع عبدك. قال ابن المبارك ورواه سلام الطويل عن ثور فرفعه.

قلت: وقد روي نحو ذلك من حديث أنس وأبي هريرة ومن مرسل الحسن وعبيد بن عمير الاشعث بن عبد الله الاعمى. أما حديث أنس فلفظه «إذا مات المؤمن تلقته أرواح المؤمنين يسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة فإن كان مات ولم يأتهم قالوا خولف به إلى أمه الهاوية بئست الأم وبئست المربية، حتى يقولوا ما فعل فلان هل تزوّج ما فعلت فلانة هل تزوّجت فيقولون دعوه يستريح فقد خرج من كرب الدنيا».

....

وأما حديث أبي هريرة، فقد رواه البزار، عن سعيد بن بحر، عن الوليد بن القاسم، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم عنه أحسبه رفعه قال: « إن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين يود لو خرجت نفسه والله يحب لقاءه، وان المؤمن تصعد روحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفه من أهل الدنيا فإذا قال: تركت فلاناً في الدنيا أعجبهم ذلك، وإذا قال إن فلاناً قد مات قالوا ما جيء به إلينا ». قال السيوطي: هذا حديث صحيح رجاله ثقات. وروى الثعلبي في تفسيره من حديث أبي هريرة: « إذا مات الميت تلقته الأرواح يستخبرونه كما يستخبر الراكب ما فعل فلان وفلان حتى انهم ليسألونه عن هر البيت ».

وأما مرسل الحسن؛ فقد رواه آدم بن أبي إياس في تفسيره عن المبارك بن فضالة عنه رفعه « إذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين فيقولون له ما فعل فلان ما فعل فلان؛ وإذا قال مات قبلي قالوا ذهب به إلى أمه الهاوية بئست الأم وبئست المربية » وقد رواه الحاكم من طريقه. وروى سعيد بن منصور في سننه وابن أبي الدنيا عن الحسن قال: « إذا احتضر المؤمن حضر خمسمائة ملك فيقبضون روحه فيعرجون به إلى السماء الدنيا فتلقاهم أرواح المؤمنين الماضية فيريدون أن يستخبروه فتقول لهم الملائكة: ارفقوا به فإنه خرج من كرب عظيم ثم يستخبرونه حتى يستخبر الرجل عن أخيه وعن صاحبه فيقول هو كما عهدت حتى يستخبروه عن انسان قد مات قبله فيقول: أو ما أتى عليكم؟ فيقولون: أو قد هلك؟ فيقول: أي والله! فيقولون: أراه قد ذهب به الى أمه الهاوية بئست الأم وبئست المربية ».

وأما مرسل الأشعث؛ فأخرجه عبد الرزاق وابن جرير قال: « إذا مات المؤمن ذهب بروحه وروح المؤمنين فتقول: روّحوا أخاكم فإنه كان في غم الدنيا، ويسألونه ما فعل فلان؟ فيخبرهم فيقول صالح حتى يسألوه ما فعل فلان؟ فيقول: مات أما جاءكم؟ فيقولون: لا ذهب به إلى أمه الهاوية ». وروى هناد في كتاب الزهد من طريق أبي إسحاق عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة قال: حدثنا بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال: « إن الشهداء ثلاثة فأدنى الشهداء عند الله منزلة رجل خرج منبوذاً بنفسه وماله » فذكر الحديث وفيه « فإذا انتهى إلى اخوانه سألوه كما تسألون الراكب يقدم عليكم من بلادكم فيقولون ما فعل فلان ما فعل فلان؟ فيقول: أفلس فلان. فيقولون: ما فعل فلان ماله فوالله إن كان لكيساً جوعاً تاجراً إنا لا نعد المفلس ما تعدون إنما المفلس من الأعمال. فما فعل فلان وامرأته فلانة؟ فيقول: طلقها. فيقولون: ما الذي جرى بينهما حتى طلقها؟ فوالله إن كان بها لمعجباً. فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقول: مات قبلي بزمان. فيقولون: هلك والله ما سمعنا له بذكر إن لله طريقين أحدهما علينا والآخر مخالف به عنا فإذا أراد الله بعبد خيراً مرّ به علينا فعرفنا متى مات وإذا أراد الله بعبد شراً خولف به عنا فلم نسمع له بذكر » الحديث.

بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى إما بلسان المقال أو بلسان الحال:

التي هي أفصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الأحياء. قال رسول الله ﷺ: «يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن آدم ما غرك بي! ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك بي إذ كنت تمر بي فداداً؟ فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب للقبر فيقول أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر: «إني إذا أتحول عليه خضراً ويعود جسده نوراً وتصعد روحه إلى الله تعالى». والفداد: هو الذي يقدم رجلاً ويؤخر أخرى هكذا فسره الراوي. وقال عبيد بن

بيان كلام القبر للميت:

ومخاطبته له ومخاطبة أعماله (**وكلام الموتى إما بلسان المقال أو بلسان الحال، التي هي أفصح في تفهيم الموتى من لسان المقال في تفهيم الأحياء**). ويشهد للأوّل ما رواه ابن أبي الدنيا عن جابر قال: «إن للقبر لساناً ينطق» الحديث كما سيأتي.

(**قال رسول الله ﷺ «يقول القبر للميت حين يوضع فيه: ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود، ما غرك بي إن كنت تمر بي فداداً فإن كان مصلحاً أجاب عنه مجيب القبر فيقول: أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. فيقول القبر: إني إذاً أتحوّل عليه خضراً ويعود جسده عليه نوراً وتصعد روحه إلى الله تعالى»**) وفي لفظ إلى رب العالمين. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، والطبراني في الكبير، وفي مسند الشاميين، وأبو أحمد الحاكم في الكنى من حديث أبي الحجاج الثمالي بإسناد ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك الحكيم في النوادر، وأبو يعلى، وأبو نعيم في الحلية، وإنما قال بإسناد ضعيف لأن فيه أبا بكر بن أبي مريم فيه ضعف لاختلاطه، وبقية مدلس وقد عنعنه، وأبو الحجاج الثمالي صحابي اسمه عبد الله بن عبد، ويقال ابن عابد، ويقال عبد بن عبد، وثمالة بطن من الأزد نزل حمص. قال ابن السكن: معروف بكنيته. (**والفداد**) كشداد. (**هو الذي يقدم رجلاً ويؤخر أخرى كذلك فسرّه الراوي**) قال الجماعة المذكورون قيل لأبي الحجاج الثمالي: ما الفداد؟ قال: الذي يقدم رجلاً ويؤخر أخرى يعني الذي يمشي مشية المتبختر. وقد روي نحو ذلك من قول عبد الله بن عمرو. قال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا معاوية بن صالح، أخبرنا يحي بن سعيد الكلاعي، عن عمرو بن عائذ الازدي، عن غضيف بن الحرث الكندي، قال: جلست أنا وأصحاب لي إلى عبد الله بن عمرو وقال: فسمعته يقول: إن العبد إذا وضع في القبر كلمه فقال: يا ابن آدم ألم تعلم أني بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الحق؟ يا ابن آدم ما غرك بي قد كنت تمشي حولي فداداً. قال: فقلت لغضيف يا أبا أسماء ما فداداً؟ قال:

عمير الليثي: ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها: أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فإن كنت في حياتك لله مطيعاً كنت عليك اليوم رحمة، وإن كنت عاصياً، فأنا اليوم عليك نقمة، أنا الذي من دخلني مطيعاً خرج مسروراً، ومن دخلني عاصياً خرج مثبوراً. وقال محمد بن صبيح: بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى: أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبراً أما كان لك في متقدمنا إياك فكرة، أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت في المهلة فهلا استدركت ما فات إخوانك؟ وتناديه بقاع الأرض: أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله إلى القبور وأنت تراه محمولاً تهاداه أحبته إلى المنزل الذي لا بد له منه؟ وقال يزيد الرقاشي: بلغني أن الميت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم أنطقها الله

إختيالاً فقال له صاحبي وكان أسن مني: فإذا كان مؤمناً؟ قال: وسع له وجعل منزله أخضر وعرج بنفسه إلى الجنة وهذا في حكم المرفوع إذ لا مجال فيه للرأي.

(**وقال عبيد بن عمير**) بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي التابعي القاص ،روى له الجماعة: (**ليس من ميت يموت إلا نادته حفرته التي يدفن فيها: أنا بيت الظلمة والوحدة والانفراد، فإن كنت في حياتك لله مطيعاً كنت عليك اليوم رحمة، وإن كنت**) لربك في حياتك (**عاصياً فأنا اليوم عليك نقمة أنا**) البيت (**الذي من دخلني مطيعاً خرج**) منه (**مسروراً، ومن دخلني عاصياً خرج**) منه (**مثبوراً**) أي حزيناً خاسراً. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور بلفظ: من دخله في الموضعين. قال: حدثنا محمد بن الحسين، حدثنا محمد بن حرب المكي، حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة، حدثني أبي عن عبيد بن عمير الليثي فذكره.

(**وقال محمد بن صبيح**) كأمير هو أبو العباس بن السماك الواعظ البغدادي: (**بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى: أيها المخلف في الدنيا بعد أخدانه وجيرانه**) الأخدان جمع خدن وهو الصاحب وفي نسخة بَعْد اخوانه. (**أما كان لك فينا معتبر؟ أما كان لك في تقدمنا إياك فكرة؟ أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت في المهلة؟ فهلا استدركت ما فات من اخوانك؟ وتناديه بقاع الأرض: أيها المغتر بظاهر الدنيا**) وفي لفظ بظهر الأرض: (**هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك في بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله إلى القبور، وأنت تراه محمولاً تهاداه أحبته إلى المنزل الذي لا بدّ منه**) رواه ابن أبي الدينا في كتاب القبور.

(**وقال**) أبو عمرو (**يزيد**) بن أبان (**الرقاشي**) البصري القاص الزاهد: (**بلغني أن الميت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم انطقها الله فقالت: أيها العبد المنفرد في حفرته انقطع**

فقالت: أيها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا. وقال كعب: إذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة، قال: فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة: إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بي القيام لله عليهما فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام: لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد: إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه. قال: فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة: كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه. قال فيقال له: هنيئاً طبت حياً وطبت ميتاً. قال: وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشاً من الجنة ودثاراً من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره. وقال عبيدالله بن

عنك الآخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم غيرنا). ويوجد في النسخ عندنا والرواية ما ذكرناه رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، ورواه أيضاً الخطيب في تاريخه وزاد ثم يبكي يزيد ويقول: طوبى لمن كان أنيسه صالحاً، والويل لمن كان أنيسه عليه وبالاً وقد تقدم نحوه للمصنف قريباً.

(وقال كعب) رحمه الله تعالى: (إذا وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة. قال: وتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة: إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد أطال بي القيام لله عليهما، فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام: لا سبيل لكم عليه فقد أطال ظمأه لله تعالى في دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه، فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد: إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه حج وجاهد لله فلا سبيل لكم عليه. قال: فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة: كفوا خلوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا سبيل لكم عليه. قال: فيقال له هنيئاً طبت حياً وطبت ميتاً. قال: وتأتيه ملائكة الرحمة فتفرش له فراشاً من الجنة ودثاراً من الجنة ويفسح له في قبره مد بصره، ويؤتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره إلى يوم يبعثه الله من قبره). رواه ابن أبي الدنيا بنحوه من قول أبي هريرة كما سيأتي للمصنف قريباً في الباب الذي يلي الباب الآتي. ورواه هناد في الزهد، وابن أبي شيبة من حديثه مرفوعاً نحوه، كما سيأتي أيضاً في حديث عبادة بن الصامت عند ابن أبي الدنيا في كتاب التهجد: إن القرآن يصعد إلى ربه فيسأل له فراشاً ودثاراً فيؤمر له بفراش ودثار وقنديل من نور الجنة، فتدخل عليه الملائكة فيحملونه ويفرشونه

عبيد بن عمير في جنازة: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: « إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء إلا قبره يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهـولي ودودي فماذا أعددت لي ».

ذلك ويضعون الدثار تحت رجليه فلا يزال ينظر إلى الملائكة حتى يلجوا في السماء. رواه البزار من حديث معاذ بنحوه وكل ذلك سيأتي.

(**وقال عبدالله بن عبيد بن عمير**) بن قتادة بن سعد بن عامر بن جندع بن ليث الليثي ثم الجندعي، أبو هاشم المكي والد محمد. قال أبو زرعة وأبو حاتم: ثقة مات سنة ثلاث عشرة ومائة روى له الجماعة سوى البخاري (**في جنازة بلغني أن رسول الله ﷺ قال: « إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء إلا قبره يقول: ويحك ابن آدم أليس قد حذرتني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فماذا أعددت لي »**) قال العراقي :رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلاً ورجاله ثقات، ورواه ابن المبارك في الزهد إلا أنه قال عنه بلغني ولم يرفعه اهـ.

قلت: ولفظ ابن أبي الدنيا فلا يكلمه شيء أول من حفرته فتقول: وفيه وضنكي بدل ونتني، وفيه أعددت لهذا فماذا أعددت لي، وظاهر سياقه يدل على أن عبدالله بن عبيد تابعي وهو الذي فهمه الحافظ العراقي حيث قال هكذا مرسلاً، والصحبة إنما هي لجده عمير بن قتادة ممن شهد الفتح، وأما ولده عبيد فمن كبار التابعين، ويظهر أن هذا من روايته عن أبيه. ثم رأيت ابن أبي شيبة في المصنف قد صرح بذلك فقال: حدثنا عبدالله بن نمير، حدثنا مالك بن مغول، عن الفضل، عن عبدالله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: « إن القبر ليقول يا ابن آدم ماذا أعددت لي ألم تعلم أني بيت الغربة وبيت الوحدة وبيت الأكلة وبيت الدود » وبهذا يصح أن يكون مرسلاً، وارتفع الإشكال.

ومما ورد في مخاطبة القبر للميت من جنس ما أورده المصنف حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه الترمذي وحسنه أن رسول الله ﷺ قال: « أكثروا ذكر هاذم اللذات فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول: أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحباً وأهلاً أما إن كنت لأحب من يمشي على ظهري إلي فإذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنيعي بك فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة، وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحباً ولا أهلاً، أما كنت لأبغـض من يمشي على ظهري إلي فإذ وليتك اليوم وصرت إلي فسترى صنعي بك قال: فيلتئم عليه حتى يلتقي وتختلف أضلاعه ». قالقال رسول الله ﷺ بأصابعه فأدخل بعضها في جوف بعض قال « ويقيض له سبعين تنيناً لو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبتت شيئاً ما بقيت الدنيا فتنهشه وتخدشه حتى يفضي به إلى الحساب » قال وقال رسول الله ﷺ « إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ».

....

وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس إلى قبر فقال: « ما يأتي على هذا القبر من يوم إلا وهو ينادي بصوت طلق ذلق: يا ابن آدم نسيتني، ألم تعلم أني بيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الوحشة وبيت الدود وبيت الضيق إلا مـن وسعني الله عليه ». ثم قال رسول الله ﷺ: « القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ».

وروى ابن منده في كتاب الروح من طريق مجاهد عن البراء بن عازب، عن النبي ﷺ قال: « إن المؤمن إذا احتضر أتاه ملك في أحسن صورة » فساق الحديث إلى أن قال: « فإذا وضع المؤمن في لحده تقول له الأرض: إن كنت لحبيباً إلي وأنت على ظهري فكيف إذا صرت في بطني سأريك ما أصنع بك فيفسح له في قبره مد بصره ويفتح له باب عند رجليه إلى الجنة فيقال له: أنظر إلى ما أعد الله لك من الثواب، ويفتح له باب عند رأسه إلى النار فيقال له: أنظر إلى ما صرف الله عنك من العذاب، ثم يقال له: نم قرير العين فليس شيء أحب إليه من قيام الساعة ».

وروى ابن أبي شيبة عن يزيد بن شجرة قال: يقول القبر للرجل الكافر أو الفاجر: أما ذكرت ظلمتي، أما ذكرت وحشتي، أما ذكرت ضيقي، أما ذكرت غمي.

وروى ابن أبي الدنيا عن جابر قال: يقول القبر: « يا ابن آدم كيف نسيتني ألم تعلم أني بيت الوحشة وبيت الدود وبيت الضيق إلا ما وسع الله عز وجل ».

وقال أبو بكر بن عبد العزيز بن جعفر الفقيه الحنبلي في كتاب الشافي في الفقه، وقال إسماعيل ابن إبراهيم الشيرازي: حدثنا محمد بن حماد قرىء على عبد الرزاق وأنا حاضر عن الثوري، عن الأعمش، عن المنهال بن عمر، عن زاذان عن البراء قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فوجدنا القبر لم يلحد فجلس وجلسنا حوله، فقال رسول الله ﷺ: « إذا وضع الميت في قبره ثم سوي عليه كلمته الأرض فقالت: أما علمت أني بيت الوحشة والغربة والدود فماذا أعددت لي ».

وروى البيهقي في الشعب عن بلال بن سعد قال: « ينادي القبر في كل يوم: أنا بيت الغربة وبيت الدود والوحشة وأنا حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، وأن المؤمن إذا وضع في لحده كلمته الأرض من تحته فقالت: والله لقد كنت أحبك وأنت على ظهري فكيف وقد صرت في بطني فإذا وليتك فستعلم ما أصنع فيتسع له مد بصره، وإذا وضع الكافر قالت: والله لقد كنت أبغضك وأنت على ظهري، فإذ وليتك فستعلم ما أصنع فتضمه ضمة تختلف منها اضلاعه.

وروى الديلمي من حديث ابن عباس « تجهزوا لقبوركم فإن القبر له كل يوم سبع مرات يقول: يا ابن آدم الضعيف ترحم في حياتك على نفسك قبل أن تلقاني أترحم عليك وتكفي مني الردة ».

وروى ابن أبي الدنيا في القبور، وابن منده عن عمرو بن ذر قال: « إذا دخل المؤمن حفرته نادته الأرض: أمطيع أم عاص فإن كان صالحاً ناداه ناحية القبر عودي عليه خضرة وكوني عليه رحمة فنعم العبد كان ونعم المردود إليك، فتقول الأرض: الآن حين استحق الكرامة ».

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير:

قال البراء بن عازب: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله ﷺ على قبره منكساً رأسه ثم قال: « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر » ثلاثاً ثم قال: « إن المؤمن إذا كان في قبل من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم

وروى ابن أبي شيبة في المصنف، والصابوني في المائتين، وابن منده عن علي بن أبي طالب أنه خطب فقال: « القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ألا وانه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول أنا بيت الدود أنا بيت الظلمة أنا بيت الوحشة ».

بيان عذاب القبر وسؤال منكر ونكير:

قال السيوطي في شرح الصدور، قال بعض العلماء: عذاب القبر هو عذاب البرزخ أضيف إلى القبر لأنه الغالب، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه ناله ما أراده به قبر أو لم يقبر، ولو صلب أو غرق في البحر أو أكلته الدواب أو حرق حتى صار رماداً وذري في الريح ومحله الروح والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة، وكذا القول في النعيم. قال ابن القيم: ثم عذاب القبر قسمان: قسم دائم وهو عذاب الكفار وبعض العصاة، ومنقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة فإنه يعذب حسب جريمته ثم يرفع عنه وقد يرفع عنه بدعاء أو صدقة أو نحو ذلك. وقال اليافعي في روض الرياحين: بلغنا أن الموتى لا يعذبون ليلة الجمعة تشريفاً لهذا الوقت. قال: ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المسلمين دون الكفار، وعم النفي في بحر الكلام فقال: إن الكافر يرفع عنه العذاب يوم الجمعة وليلتها وجميع شهر رمضان. قال: وأما المسلم العاصي؛ فإنه يعذب في قبره لكن يرفع عنه يوم الجمعة وليلتها ثم لا يعود إليه إلى يوم القيامة، وإن من مات يوم الجمعة أو ليلتها يكون له العذاب ساعة واحدة وضغطة القبر كذلك، ثم ينقطع عنه العذاب ولا يعود إلى يوم القيامة انتهى.

وهذا يدل على أن عصاة المسلمين لا يعذبون سوى جمعة واحدة أو دونها، وأنهم إذا وصلوا إلى يوم الجمعة انقطع ثم يعود وهو يحتاج إلى دليل. وقال ابن القيم في البدائع: نقلت من خط القاضي أبي يعلى في تعاليقه: لا بد من إنقطاع عذاب القبر لأنه من عذاب الدنيا والدنيا وما فيها تنقطع فلا بد أن يلحقهم الفناء والبلى ولا يعرف مقدار مدة ذلك. قال السيوطي: ويؤيد ذلك ما رواه هنا في الزهد عن مجاهد قال: للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم حتى يوم القيامة فإذا صيح بأهل القبور يقول الكافر: ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا﴾ فيقول المؤمن إلى جنبه: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾ [يس: ٥٢].

(**قال البراء بن عازب**) بن الحرث بن عدي الأنصاري الأوسي، صحابي ابن صحابي نزل الكوفة مات سنة اثنتين وسبعين: (**خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فجلس رسول الله ﷺ على قبره منكساً رأسه ثم قال: « اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر » ثلاثاً ثم قال: « إن المؤمن إذا كان في**) انقطاع من الدنيا و (**قبل من الآخرة**) أي إقبال منها (**بعث الله**) إليه

الشمس معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره، فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء، وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه، فإذا صعد بروحه قيل أي رب عبدك فلان فيقول أرجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإني وعدته ﴿مِنهَا خلقَنَاكُمْ وفيهَا نعيدُكُم ومنها نخرجُكم تارة أخرى﴾ [طه: ٥٥] الآية، وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال: يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد » ﷺ قال: « فينتهرانه انتهاراً شديداً وهي آخر فتنة تعرض على الميت، فإذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهي معنى قوله تعالى: ﴿يثبِّتُ اللهُ الذِينَ آمنُوا بالقول الثابتِ﴾ [ابراهيم: ٢٧] الآية، ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول: ابشر برحمة ربك وجنات فيها نعيم مقيم، فيقول: وأنت فبشرك الله بخير من أنت فيقول: أنا عملك الصالح والله ما علمت إن كنت لسريعاً إلى طاعة الله بطيئاً عن معصية الله فجزاك الله خيراً » قال: « ثم ينادي مناد أن افرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويفتح له باب إلى الجنة فيقول: اللهم عجّل قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي » قال: « وأما الكافر فإنه إذا كان في قبل

(**ملائكة كأن وجوههم الشمس**) أي الإضاءة والإنارة (**معهم حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره**) أي حيث ينتهي إليه بصره، (**فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء**) أي من غير الذين بعثوا إليه، (**وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا أنه يحب أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه قيل: أي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فأروه ما أعددت له من الكرامة فإني وعدته ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم﴾ الآية. وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال: يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد » ﷺ قال: « فينتهرانه انتهاراً شديداً وهي آخر فتنة تعرض على الميت، فإذا قال ذلك نادى مناد: أن قد صدقت وهو معنى قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية. ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول: أبشر برحمة الله من ربك وجنات فيها نعيم مقيم، فيقول: وأنت فيبشرك الله بخير من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح والله ما علمت إن كنت لسريعاً في طاعة الله بطيئاً عن معصية الله فجزاك الله خيراً. قال: ثم ينادي مناد: أن أفرشوا له من فرش الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيفرش له من الجنة ويفتح له باب إلى الجنة، فيقول: اللهم عجل قيام الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي. قال: « وأما الكافر فإنه إذا كان في قبل الدنيا وانقطاع من الآخرة نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من**

من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه، فإذا صعد بروحه نبذ وقيل أي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول: الله عز وجل أرجعوه فأروه ما أعددت له من الشر إني وعدته ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ [طه: ٥٥] الآية، وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال له: يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك؟ فيقول: لا أدري فيقال: لا دريت، ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول: أبشر بسخط من الله وبعذاب أليم مقيم فيقول: بشرك الله بشر من أنت؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، والله إن كنت لسريعاً في معصية الله بطيئاً عن طاعة الله فجزاك الله شراً فيقول: وأنت فجزاك الله شراً، ثم يقيض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها لم يستطيعوا، لو ضرب بها جبل صار تراباً فيضربه بها ضربة فيصير تراباً، ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الأرضين، ليس الثقلين» قال: «ثم ينادي مناد أن افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له باباً إلى النار فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار».

نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه، فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض، **وكل ملك في السماء، وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه نبذ)** أي طرح **(وقيل: أي رب عبدك فلان لم تقبله سماء ولا أرض فيقول: أرجعوه فأروه ما أعددت له من الشر)** أي وأنواع العذاب. **(إني وعدته: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم﴾ الآية فإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حتى يقال له: يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري. فيقال: لا دريت ثم يأتيه آت قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب، فيقول: أبشر بسخط الله وبعذاب أليم مقيم، فيقول: بشرك الله بشر من أنت؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، والله إن كنت لسريعاً في معصية الله بطيئاً عن طاعة الله، فجزاك الله شراً. فيقول: وأنت فجزاك الله شراً ثم يقيض له أصم أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقلوها)** أي يحملوها **(لم يستطيعوا)** ذلك **(لو ضرب بها جبل صار تراباً فيضربه بها ضربة فيصير تراباً، ثم تعود فيه الروح فيضرب بها بين عينيه ضربة يسمعها من على الأرض ليس الثقلين»)** الجن والإنس. **(قال: «ثم ينادي مناد أن أفرشوا له لوحين من نار وافتحوا له باباً فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار») .** قال العراقي: رواه بطوله أبو داود والحاكم بكماله وقال صحيح على شرط الشيخين، وضعفه إبن حبان. ورواه النسائي وابن ماجه مختصراً انتهى.

قلت: وكذلك رواه أحمد، وابن أبي شيبة في المصنف، والطيالسي، وعبد بن حميد في مسنديهما، وهناد في الزهد، وابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما، والبيهقي في كتاب عذاب القبر وغيرهم من طرق صحيحة.

ولفظ أبي داود في السنن: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، وحدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو معاوية، وهذا لفظ هناد عن الأعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثاً. زاد في حديث جرير ههنا قال: «وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له: يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك»؟ وقال هناد: ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: «من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ قال فيقول هو رسول الله ﷺ. فيقولان: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت» زاد في حديث جرير فذلك قول الله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية قال: «فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة» قال: «فيأتيه من روحها وطيبها» قال: «ويفتح له فيها مد بصره» قال: «وإن الكافر» فذكر موته قال: «وتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء: أن كذب فافرشوه من النار وألبسوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار» قال: «فيأتيه من حرها وسمومها» قال: «ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه» زاد في حديث جرير قال: «ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً» قال: «فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير تراباً» قال: «ثم يعاد فيه الروح».

حدثنا هناد بن السري، حدثنا عبدالله بن نمير، حدثنا الأعمش، حدثنا المنهال، عن أبي عمر زاذان قال: سمعت البراء عن النبي ﷺ قال فذكر نحوه انتهى.

ولفظ الحاكم في المستدرك: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان» قال: «فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض» قال:

....

« فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلانة بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ينتهوا إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة يقول الله عز وجل : أكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى » قال : « فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله . فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام . فيقولان له : ما هذا الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله . فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة » قال : « فيأتيها من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره » قال : « ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد . فيقول : من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح فيقول : رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي » قال : « وأن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ويجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب فتفرق في جسده فينتزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى به في الدنيا حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ [الأعراف : ٤٠] فيقول الله عز وجل : أكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ، فيطرح روحه طرحاً ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ [الحج : ٣١] فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول : من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث . فيقول : رب لا تقم الساعة » .

قال السيوطي في أمالي الدرة : هذا حديث صحيح أخرجه أبو داود بطوله ، والنسائي وابن ماجه من طرق عن المنهال مختصراً ، وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط الشيخين ، فقد احتجا بالمنهال وزاذان قال : وله شواهد يستدل بها على صحته . وقال الحافظ

وقال محمد بن علي: ما من ميت يموت إلا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص إلى حسناته ويطرق عن سيئاته.

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال: أيتها النفس المطمئنة أخرجي راضية ومرضياً عنك إلى روح الله وكرامته فإذا أخرجت روحه

العراقي: متعقباً عليه لم يحتج مسلم بالمنهال ولا روى في صحيحه شيئاً وقد وثقه النسائي والعجلي وابن حبان وغيرهم، ولم يحتج البخاري بزاذان وإنما روى في الأدب له في صحيحه شيئاً، وقد وثقه النسائي والعجلي وابن حبان وغيرهم، ولم يحتج البخاري بزاذان وإنما روى له في الأدب المفرد، وثقه ابن معين وغيره. قال السيوطي: ليس مراد الحاكم أن كلا الشيخين احتجا بكل من المنهال وزاذان، وإنما عبر بلف ونشر مجمل، ومراده أن واحداً منهما احتج بالمنهال والآخر بزاذان ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى﴾ [البقرة: ١١١] أي قال اليهود الأول والنصارى الثاني، لكن أهل الحديث غالباً يتأملون دقائق هذه العبارات لعدم اعتنائهم بها وإنما ذلك دأب أهل البيان والبديع اهـ.

ومن الشواهد التي أشار إليها الحاكم لحديث البراء حديث تميم الداري، رواه ابن أبي الدنيا، وأبو يعلى في مسنده الكبير من رواية أنس عن تميم مرفوعاً، وقد تقدم بطوله في أخر الباب الثالث من هذا الكتاب، ومن شواهده أيضاً حديث أبي هريرة، وله طرق. وسيأتي إن شاء الله تعالى. ومن شواهده أيضاً حديث أبي سعيد الخدري ولفظه: « إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وإدبار من الدنيا نزلت ملائكة من ملائكة الله تعالى كأن وجوههم الشمس بكفنه وحنوطه من الجنة فيقعدون منه حيث ينظر إليهم، فإذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض». رواه ابن منده هكذا مختصراً في كتاب الأحوال.

(وقال) أبو جعفر **(محمد بن علي)** بن الحسين بن علي رضي الله عنه: **(ما من ميت يموت إلا تمثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة. قال: فيشخص)** أي يرفع بصره **(إلى حسناته)** أي فرحاً بها، **(ويطرق)** أي يغض بصره **(عن سيئاته)** أي تندماً منها. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت، وروي أيضاً عن الحسن في قوله تعالى: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ [القيامة: ١٣] قال: ينزل عند الموت حفظته فتعرض عليه الخير والشر، فإذا رأى حسنة بهش وأشرق، وإذا رأى سيئة غض وقطب. وروي أيضاً عن مجاهد قال: بلغنا أن نفس المؤمن لا تخرج حتى يعرض عليه عمله خيره وشره.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه، **(قال رسول الله ﷺ: « إن المؤمن إذا حضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان)** جمع ضبارة بالكسر هي الجماعات في تفرقة قاله ابن الأثير، وقد تقدم ضبطه في حديث تميم الداري **(فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين،**

وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها إلى عليين. وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعاً شديداً ويقال: أيتها النفس الخبيثة أخرجي ساخطة ومسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه، فإذا أخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة وإن لها نشيشاً ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين».

ويقال أيتها النفس المطمئنة أخرجي راضية مرضية عنك إلى روح الله وكرامته، فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها إلى عليين، وأن الكافر إذا حضر أتته الملائكة بمسح) بالكسر قطعة من الكساء الأسود (**فيه جمرة**) أي من جهنم (**فتنزع روحه انتزاعاً شديداً، ويقال: أيتها النفس الخبيثة أخرجي ساخطة ومسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه، فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجمرة فإن له نشيشاً**) أي صوتاً (**ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين»**) قال العراقي: رواه النسائي وابن حبان مع اختلاف والبزار بلفظ المصنف اهـ.

قلت: هذا لفظ البزار، ورواه أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم واللفظ له، والبيهقي بلفظ: «إن المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: أخرجي راضية مرضياً عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى أنه ليناوله بعضهم بعضاً فيشمونه حتى يأتوا به إلى باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءت من الأرض كلما أتوا سماء قالوا ذلك حتى يأتوا به إلى أرواح المؤمنين، فلهم أفرح به من أحدكم بغائبه إذا قدم عليه، فيسألونه ما فعل فلان؟ فيقولون: دعوه حتى يستريح فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال لهم: ما أتاكم فإنه قد مات؟ يقولون ذهب به إلى أمه الهاوية. وأما الكافر؛ فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون أخرجي ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله وسخطه فتخرج كأنتن ريح جيفة فينطلقون به إلى باب الأرض فيقولون: ما أنتن هذه الريح كلما أتوا على أرض قالوا ذلك حتى يأتوا به أرواح الكفار» لفظ الحاكم إلى قوله باب الأرض، وما بعده لفظ النسائي.

وأخرجه أبو بكر المروزي في كتاب الجنائز، عن القواريري، عن حماد بن زيد، عن بديل بن ميسرة، عن عبدالله بن شقيق، عن أبي هريرة قال: «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان فصعدا بها فذكر من طيبها ويقول أهل السماء ريح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلقون به إلى ربه تعالى».

ولحديث أبي هريرة طريق أخرى روى ابن ماجه والبيهقي عنه مرفوعاً قال: «تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قال: أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان، فلا تزال يقال لها كذلك حتى تخرج، ثم يعرج إلى السماء فيفتح لها فيقال من هذا فيقولون: فلان بن فلا نة. فيقال: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب أدخلي حميدة وابشري بروح ريحان ورب راض غير غضبان، فلا تزال يقال لها ذلك

حتى تنتهي إلى السماء السابعة. فإذا كان الرجل السوء قال: أخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، أخرجي ذميمة وابشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج، فلا تزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان. فيقال: لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فإنها لا تفتح لك أبواب السماء فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر».

وروى مسلم عن أبي هريرة قال: «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان فيصعدان بها فذكر من طيبها ويقول أهل السماء: ريح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه فينطلقون به إلى ربه تعالى، ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل، وأن الكافر إذا خرجت روحه فذكر من نتنها وذكر لعناً وتقول أهل السماء ريح خبيثة جاءت من قبل الأرض فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل» فحديث أبي هريرة بطرقه المذكورة شاهد جيد لحديث البراء السابق.

ومن شواهده أيضاً ما رواه هناد في الزهد، وعبد بن حميد في التفسير، والطبراني في الكبير بسند رجاله ثقات عن عبدالله بن عمرو وقال: «إذا توفى الله العبد المؤمن أرسل إليه ملكين بخرقة من الجنة وريحان من الجنة فقالا: أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان، أخرجي فنعم ما قدمت فتخرج كأطيب ريح مسك وجدها أحدكم بأنفه وعلى أرجاء السماء ملائكة يقولون: سبحان الله لقد جاء من الأرض اليوم روح طيبة فلا تمر بباب إلا فتح له ولا ملك إلا صلى عليه وشفع حتى يؤتى به ربه عز وجل، فتسجد الملائكة قبله ثم يقولون: هذا عبدك فلان توفيناه وأنت أعلم به فيقول: مروه بالسجود فتجسد النسمة، ثم يدعى ميكائيل فيقال: إجعل هذه النسمة مع نفس المؤمنين حتى أسألك عنها يوم القيامة فيؤمر بقبره فيوسع له طوله سبعون وعرضه سبعون وينبذ فيه الريحان ويبسط له فيه الحرير، وإن كان معه شيء من القرآن نوره وإلا جعل له نور مثل نور الشمس، ثم يفتح له باب إلى الجنة فينظر إلى مقعده في الجنة بكرة وعشياً. وإذا توفى الله العبد الكافر أرسل إليه ملكين وأرسل إليه بجاداً أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن فقالا: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى جهنم وعذاب أليم ورب عليك ساخط، أخرجي فساء ما قدمت فتخرج كأنتن جيفة وجدها أحدكم بأنفسه قط وعلى أرجاء السماء ملائكة يقولون: سبحان الله لقد جاء من الأرض جيفة ونسمة خبيثة لا يفتح لها باب السماء، فيؤمر بجسده فيضيق عليه في القبر ويملأ حيات مثل أعناق البخت تأكل لحمه فلا تدع من عظامه شيئاً، ثم يرسل عليه ملائكة صم عمي معهم فطاطيس من حديث لا يبصرونه فيرحمونه ولا يسمعون صوته فيرحمونه فيضربونه ويخبطونه، ويفتح له باب من نار فينظر إلى مقعده من النار بكرة وعشياً يسأل الله أن يديم ذلك عليه فلا يصل إلى ما وراءه من النار أرجاء السماء نواحيها» والبجاد: الكساء الغليظ والفطاطيس جمع فطيس كسكير المطرقة العظيمة.

وروى ابن أبي شيبة في المصنف، والبيهقي واللالكائي عن أبي موسى الأشعري قال: «تخرج نفس المؤمن وهي أطيب ريحاً من المسك فتصعد بها الملائكة الذين يتوفونها فتلقاهم ملائكة دون

السماء فيقولون: من هذا معكم؟ فيقولون: فلان ويذكرونه بأحسن عمله. فيقولون: حياكم الله وحيا من معكم فتفتح له أبواب السماء فيشرق وجهه فيأتي الرب ولوجهه برهان مثل الشمس». قال: «وأما الكافر فتخرج نفسه وهي أنتن من الجيفة فتصعد بها الملائكة الذين يتوفونها فتلقاهم ملائكة دون السماء فيقولون: من هذا؟ فيقولون: فلان ويذكرونه بأسوأ عمل فيقولون ردوه فما ظلمه الله وقرأ أبو موسى: ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾» [الأعراف: ٤٠] وروى ابن المبارك من طريق شمر بن عطية ان ابن عباس سأل كعب الأحبار عن قوله تعالى: ﴿كلا ان الأبرار لفي عليين﴾ [المطففين: ١٨] قال إن روح المؤمن إذا قبضت عرج بها إلى السماء فتفتح لها أبواب السماء وتلقاها الملائكة بالبشرى، حتى ينتهي بها إلى العرش وتعرج الملائكة فتخرج لها الملائكة تحت العرش رقاً فتختم ويرقم ويوضع تحت العرش لمعرفة النجاة للحساب يوم القيامة، فذلك قوله تعالى: ﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين ★ وما أدراك ما عليون ★ كتاب مرقوم﴾ [المطففين: ١٨، ٢٠] قال: وقوله تعالى: ﴿كلا إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ [المطففين: ٧] قال: إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها فيهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها فيدخل بها تحت سبع أرضين، حتى ينتهي بها إلى سجين، وهو خد إبليس فتخرج لها من خد إبليس كتاباً فيختم ويوضع تحت خد إبليس لهلاكه للحساب، فذلك قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما سجين ★ كتاب مرقوم﴾ [المطففين: ٨، ٩] وروى ابن أبي الدنيا عن ابراهيم النخعي قال: بلغنا أن المؤمن يستقبل عند موته بطيب من طيب الجنة، وريحان من ريحان الجنة، فتقبض روحه فتجعل في حرير من حرير الجنة، ثم ينضح بذلك الطيب ويلف في الريحان ثم ترتقي به ملائكة الرحمة حتى يجعل في عليين.

وروى ابن مردويه، وابن منده بسند ضعيف، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها في الجنة أو النار» ثم قال: «فإذا كان عند ذلك صف له سماطان من الملائكة ينتظمان ما بين الخافقين كأن وجوههم الشمس فينظر إليهم ما يرى غيرهم، وإن كنتم ترون أن ينظر إليكم، مع كل ملك منهم أكفان وحنوط فإن كان مؤمناً بشروه بالجنة وقالوا: أخرجي أيتها النفس الطيبة إلى رضوان الله وجنته، فقد أعد الله من الكرامة ما هو خير لك من الدنيا وما فيها، فلا يزالون يبشرونه ويحفون به فهم ألطف به وأرأف من الوالدة بولدها، ثم يسلون روحه من تحت كل ظفر ومفصل ويموت الأول فالأول ويهوّن عليه وإن كنتم ترونه شديداً حتى تبلغ ذقنه فهي أشد كراهية للخروج من الجسد من الولد حين يخرج من الرحم، فيبتدرونها كل منهم أيهم يقبضها فيتولى قبضها ملك الموت، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾ [السجدة: ١١] فيتلقاها باكفان بيض ثم يحتضنها إليه، فلهو أشد لزوماً لها من المرأة لولدها ثم يفوح منها ريح أطيب من المسك يستنشقون ريحها ويتباشرون بها ويقولون: مرحبا بالريح الطيبة والروح الطيب. اللهم صل عليه روحاً وصلّ على جسد خرجت منه فيصعدون بها إلى الله، ولله خلق في الهواء لا يعلم عدتهم إلا هو فيفوح لهم منها ريح أطيب من المسك، فيصلون عليها ويتباشرون بها، وتفتح لهم أبواب السماء فيصلي عليها كل ملك في كل سماء تمر بهم حتى ينتهي بها

وعن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء الموتُ قالَ ربِّ ارجعون ★ لعلي أعملُ صالِحاً فيمَا تركتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠] قال: أي شيء تريد في أي شيء ترغب أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشقق الأنهار؟ وقال: لعلي أعمل صالحاً فيما تركت، قال: فيقول الجبار: ﴿كلا إنَّها كلمةٌ هو قائِلُها﴾ [المؤمنون: ١٠٠] أي ليقولنها عند الموت. وقال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: «المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعاً ويضيء

إلى الملك فيقول الجبار جل جلاله: مرحباً بالنفس الطيبة وبجسد خرجت منه، وإذا قال الرب جل جلاله لشيء مرحباً رحب له كل شيء ويذهب عنه كل ضيق ثم يقول لهذه النفس الطيبة: ادخلوها الجنة واعرضوا عليها ما أعدّ لها من الكرامة والنعيم، اذهبوا بها إلى الأرض فإني قضيت أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها اخرجهم تارة أخرى، فوالذي نفسي بيده لهي أشد كراهية للخروج منها حيث كانت تخرج من الجسد وتقول: أين تذهبون بي إلى ذلك الجسد الذي كنت فيه؟ فيقولون: إنا مأمورون بهذا فلا بدّ لك منه فيهبطون بها على قدر فراغهم من غسله وأكفانه، فيدخلون ذلك الروح بين جسده وأكفانه».

وروى ابن أبي حاتم عن السدي قال: الكافر إذا أخذ روحه ضربته ملائكة الأرض حتى ترتفع في السماء، فإذا بلغ السماء ضربته ملائكة السماء فهبط، فضربته ملائكة الأرض فارتفع ضربته ملائكة السماء الدنيا فهبط إلى أسفل الأرضين.

(**وعن محمد بن كعب**) بن سليم بن أسد أبو حمزة (**القرظي**) المدني نزيل الكوفة، ولد سنة أربعين على الصحيح روى له الجماعة (**أنه كان يقرأ قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون★ لعلي اعمل صالح فيما تركت﴾ قال: أي شيء تريد في أي شيء ترغب؟ أتريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الغراس وتبني البنيان وتشقق الأنهار؟ قال: لا لعلي اعمل صالحاً فيما تركت. قال: فيقول الجبار: ﴿كلا إنّها كلمة هو قائلها﴾ أي ليقولنها عند الموت**) رواه ابن أبي الدنيا. وروى ابن جرير، وابن المنذر في تفسيريهما عن ابن جريج قال، قال النبي ﷺ لعائشة: «إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان قدماً إلى الله، وأما الكافر فيقولون نرجعك فيقول: ﴿رب ارجعون ★ اعمل صالحاً فيما تركت﴾». وروى الديلمي من حديث جابر: «إذا حضر الإنسان الوفاة يجمع له كل شيء يمنعه عن الحق فيجعل بين عينيه فعند ذلك يقول: ﴿رب ارجعون★ لعلي اعمل صالحاً فيما تركت﴾» وفي الآية وجه آخر تقدم ذكره في كتاب الزكاة.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه، (**قال النبي ﷺ: «المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب**) أي يوسع (**له قبره سبعين ذراعاً**) وفي بعض النسخ في قبره سبعون ذراعاً (**ويضيء**

حتى يكون كالقمر ليلة البدر، هل تدرون فماذا أنزلت: ﴿فإن لهُ مَعيشةً ضَنْكاً﴾ [طه: ١٢٤] قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً هل تدرون ما التنين، تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون»، ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص، فإن أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات، فإن لها أصولاً معدودة، ثم تتشعب منها فروع معدودة، ثم تنقسم فروعها إلى أقسام. وتلك الصفات بأعيانها هي المهلكات وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات، فالقوي منها يلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ

حتى يكون كالقمر ليلة البدر، هل تدرون فماذا أنزلت ﴿فإن له معيشة ضنكاً﴾» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «في عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً هل تدرون ما التنين؟ تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه إلى يوم يبعثون») وفي لفظ إلى يوم القيامة. قال العراقي: رواه ابن حبان اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في الموت، والحكيم في النوادر، وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والآجري وابن منده. وروى أحمد وأبو يعلى والبيهقي في عذاب القبر، والآجري من حديث أبي سعيد الخدري: «يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنيناً تلدغه حتى تقوم الساعة». وروى عبد الرزاق، وسعيد بن منصور، ومسدد في مسنده، وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه، والبيهقي في عذاب القبر من حديث أبي سعيد الخدري في قوله: ﴿معيشة ضنكا﴾ قال: «عذاب القبر». ولفظ ابن أبي حاتم «ضغطة القبر» ولفظ عبد الرزاق قال: «يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه». وروى البزار وابن أبي حاتم من حديث أبي هريرة: «المعيشة الضنك أن يسلط عليه تسعة وتسعون حية تنهش لحمه حتى تقوم الساعة». وروى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم من وجه آخر من حديث أبي هريرة قال: «معيشة ضنكاً عذاب القبر». وقد روى عن ابن مسعود وأبي صالح والربيع مثله. وروى ابن منده من حديث أبي هريرة: «المؤمن في قبره في روضة خضراء» الحديث إلى قوله: ﴿ليلة البدر﴾ وروى علي بن معبد عن معاذة عن عائشة قالت: إن كان مؤمناً فسح له في قبره أربعون ذراعاً.

(ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص، فإن أعداد هذه الحيات والعقارب بعدد الأخلاق المذمومة من الكبر والرياء والحسد والغل والحقد وسائر الصفات، فإن لها أصولاً معدودة، ثم تتشعب فروع معدودة، ثم تنقسم فروعها. فأقسام تلك الصفات بأعيانها هي المهلكات وهي بأعيانها تنقلب عقارب وحيات، فالقوي منها يلدغ لدغ التنين، والضعيف يلدغ لدغ العقرب، وما بينهما يؤذي إيذاء الحية، وأرباب القلوب

العقرب، وما بينهما يؤذي إيذاء الحية. وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها إلا إن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة. فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة، فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم.

والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه المهلكات وانشعاب فروعها إلا أن مقدار عددها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة، فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية، ولكنها عند أرباب البصائر واضحة، فمن لم تنكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها، بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم).

قال المصنف في آخر كتاب الجواهر: وأما قولك إن المشهور من عذاب القبر التألم بالنيران والعقارب والحيات؛ فهذا صحيح وهو كذلك لكني أراك عاجزاً عن فهمه ودرك سره وحقيقته إلا أني أنبهك على أنموذج منه تشويقاً لك إلى معرفة الحقائق والتشمير للاستعداد لأمر الآخر فإنه نبأ عظيم أنتم عنه معرضون، فقد قال ﷺ: «المؤمن في قبره في روضة خضراء» فذكر الحديث بتمامه، ثم قال: فانظر إلى هذا الحديث واعلم أن هذا حق على هذا الوجه شاهده أهل البصائر ببصيرة أوضح من البصر الظاهر والجاهل ينكر ذلك إذ يقول: أنا أنظر في قبره فلا أرى ذلك أصلاً، فليعلم الجاهل أن هذا التنين ليس خارجاً عن ذات الميت أعني ذات روحه لا ذات جسده، فإن الروح هي التي تتنعم وتتألم، بل كان معه قبل موته متمكناً من باطنه، لكنه لم يكن يحس بلدغه لخدر كان فيه من غلبة الشهوات فأحس بلدغه بعد الموت، وليتحقق أن هذا التنين مركب من صفاته وعدد رؤوسه بعدد أخلاقه الذميمة وشهواته لمتاع الدنيا، فأصل هذا التنين حب الدنيا وتتشعب عنه رؤوس بعدد ما يتشعب من حب الدنيا من الحسد والحقد والكبر والرياء والشره والمكر والخداع وحب الجاه والمال والعداوة والبغضاء، وأصل ذلك معلوم بالبصيرة، وكذا كثرة رؤوسه اللادغة. وأما انحصار عددها في تسعة وتسعين إنما يوقف عليه بنور النبوة؛ فهذا التنين متمكن من صميم فؤاد الكافر لا بمجرد جهله بالكفر، بل لما يدعو إليه الكفر كما قال تعالى: ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾ [النحل: ١٠٧] قال تعالى: ﴿اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ [الأحقاف: ٢٠] الآية. وهذا التنين لو كان كما تظنه خارجاً عن ذات الميت لكان أهون إذ ربما ينصرف عنه التنين أو ينحرف هو عنه، لا بل هو متمكن من صميم فؤاده يلدغه لدغاً أعظم مما تفهمه من لدغ التنين وهو بعينه صفاته التي كانت معه في حياته، كما أن التنين الذي يلدغ قلب العاشق إذا باع جاريته هو بعينه العشق الذي كان مستكناً في قلبه استكنان النار في الحجر وهو غافل عنه، فقد انقلب ما كان سبب لذته سبب ألمه، وهذا سر قوله ﷺ: «إنما هي أعمالكم ترد عليكم» وسر قوله تعالى: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً

فإن قلت: فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئاً من ذلك فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة؟ فاعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا:

أحدها: وهو الأظهر والأصح والأسلم أن تصدق بأنها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك، فإن هذه العين لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت. أما ترى الصحابة رضي الله عنهم كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه، ويؤمنون بأنه عليه السلام يشاهده، فإن

وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ [آل عمران: ٣٠] بل سر قوله تعالى: ﴿لو تعلمون علم اليقين★ لترون الجحيم﴾ [التكاثر: ٥، ٦] أي أن الجحيم في باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين ولترونها قبل أن تدركوها بعين اليقين، بل هو سر قوله تعالى: ﴿يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ [العنكبوت: ٥٤] ولم يقل إنها ستحيط بل قال هي محيطة. وقوله: ﴿إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾ [الكهف: ٢٩] ولم يقل إنها ستحيط بهم، وهو معنى قوله: إن الجنة والنار مخلوقتان. وقد أنطق الله لسانه بالحق، ولعله لم يطلع على سر ما يقوله: فإنك لم تفهم بعض معاني القرآن، كذلك فليس لك نصيب من القرآن إلا في قشوره كما ليس للبهيمة نصيب من البر إلا في قشوره الذي هو التبن، والقرآن غذاء الخلق كلهم على اختلاف أصنافهم، ولكن اغتذاؤهم به على قدر درجاتهم، وفي كل غذاء مخ ونخالة وتبن، وحرص الحمار على التبن أشد منه على الخبز المتخذ من اللب فأنت شديد الحرص على أن لا تفارق درجة البهيمة، ولا أن ترقى إلى درجة الإنسانية فضلاً عن الملائكة، فدونك الانسراح في رياض القرآن ففيه متاع لكم ولأنعامكم.

(فإن قلت: فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئاً من ذلك) أي من أنواع العذاب من الحيات والعقارب، **(فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة؟ فاعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا)**.

(أحدها: وهو الأظهر والأصح والأسلم أن تصدق بأنها موجودة وهي تلدغ الميت) نظراً لظاهر الأخبار الصحيحة، **(ولكنك لا تشاهد ذلك فإن هذه العين)** التي تبصر بها الأمور الظاهرة **(لا تصلح لمشاهدة الأمور الملكوتية، وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت)** فإنه ضد عالم الشهادة. **(أما ترى الصحابة)** رضوان الله عليهم **(كيف كانوا يؤمنون)** أي يصدقون **(بنزول جبريل)** عليه السلام على النبي ﷺ، **(وما كانوا يشاهدونه)** على هيئته التي هو عليها، **(ويؤمنون)** مع ذلك **(بأنه ﷺ)** كان **(يشاهده)** مشاهدة عيان،

كنت لا تؤمن بهذا فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أهم عليك، وإن كنت آمنت به وجوّزت، أن يشاهد النبي ما لا تشاهده الأمة فكيف لا تجوز هذا في الميت؟ وكما أن الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات، فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى.

المقام الثاني: أن تتذكر أمر النائم وأنه قد يرى في نومه حية تلدغهِ وهو يتألم بذلك حتى تراه يصيح في نومه ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه، كل ذلك يدركه من نفسه ويتأذى به كما يتأذى اليقظان، وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكناً ولا ترى حواليه حية، والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد. وإذا كان العذاب في ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد.

المقام الثالث: إنك تعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها وهو السم، ثم السم ليس هو الألم بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم، فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكان العذاب قد توفر، وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي يفضي إليه في العادة، فإنه لو خلق في الإنسان لذة الوقاع مثلاً من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها إلا بالإضافة إليه لتكون

(**فإن كنت لا تؤمن بهذا**) القدر (**فتصحيح أصل الإيمان بالملائكة والوحي أهم عليك**) من كل شيء، (**وإن آمنت به وجوّزت أن يشاهد النبي ما لا تشاهده الأمة، فكيف لا تجوّز هذا في الميت، وكما أن الملك لا يشبه الآدميين والحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا**) ولا من جنس عقاربه، (**بل هي من جنس آخر وتدرك بحاسة أخرى**) غير حاسة البصر.

(**والمقام الثاني: أن يتذكر أمر النائم وأنه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه يصيح**) من ذلك الألم (**ويعرق جبينه**) من شدته، (**وقد ينزعج من مكانه. كل ذلك يدركه من نفسه كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكناً**) لا يتحرك (**ولا ترى حواليه حية، والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد. وإذا كان العذاب في ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد.**)

المقام الثالث: إنك تعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذي يلقاك منها وهو السم، ثم السم ليس هو الألم بل عذابك في الأثر الذي يحصل فيك من السم، فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذي يفضي إليه في العادة، فإنه لو خلق في الإنسان لذة الوقاع مثلاً من

الإضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وإن لم تحصل صورة السبب، والسبب يراد لثمرته لا لذاته.

وهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات. وانقلاب الصفة مؤذية يضاهي انقلاب العشق مؤذياً عند موت المعشوق، فإنه كان لذيذاً فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلماً، حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب ما يتمنى معه أن لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال، بل هذا بعينه هو أحد أنواع عذاب الميت فإنه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه، ولو أخذ جميع ذلك في حياته من لا يرجو استرجاعه منه فماذا ترى يكون حاله؟ أليس يعظم شقاؤه ويشتد عذابه ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه قط فكنت لا أتأذى بفراقه؟ فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة.

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحدُ

فما حال من لا يفرح إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه؟ ثم ينضاف إلى

غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها إلا بالإضافة إليه لتكون الإضافة للتعريف بالسبب، وتكون ثمرة السبب حاصلة، وإن لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته.

(وهذه الصفات المهلكات تنقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند الموت فتكون آلامها كآلام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب الصفة مؤذية يضاهي انقلاب العشق مؤذياً عند موت المعشوق فإنه كان لذيذاً فطرأت حالة صار اللذيذ بنفسه مؤلماً حتى نزل بالقلب من أنواع العذاب ما يتمنى معه أنه لم يكن قد تنعم بالعشق والوصال، بل هذا بعينه هو أحد أنواع عذاب الميت فإنه قد سلط العشق في الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه، ولو أخذ جميع ذلك في حياته من لا يرجو استرجاعه منه فماذا ترى يكون حاله؟ أليس يعظم شقاؤه) ويكثر أسفه (ويشتد عذابه ويتمنى) ويتلهف (ويقول: ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه قط، فكنت لا أتأذى بفراقه) ولا أتألم عند انقطاعه؟ (فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة) كما قال الشاعر:

(ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد)

(فما حال من لا يفرح إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه، ثم ينضاف إلى هذا

هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله عز وجل، فإن حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعم به، فيتوالى عليه ألم فراق جميع محبوباته وحسرته على ما فاته من نعيم الآخرة أبد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى، وذلك هو العذاب الذي يعذب به إذ لا يتبع نار الفراق إلا نار جهنم كما قال تعالى: ﴿كلا إِنَّهم عن ربِّهم يومئذ لمحجُوبُونَ ٭ ثم إِنَّهم لصَالُوا الجحِيمِ﴾ [المطففين: ١٥ - ١٦]، وأما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب إلا الله وكان مشتاقاً إلى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الأمن عن الزوال أبد الآباد، ولمثل ذلك فليعمل العاملون.

والمقصود أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه وبين أن تلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب. فإذاً ألم فراق الفرس عنده أعظم من لدغ العقرب، وحبه للفرس هو الذي يلدغه إذا أخذ منه فرسه. فليستعد لهذه اللدغات، فإن الموت يأخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه، ويأخذ منه جاهه وقبوله، بل يأخذ منه سمعه وبصره وأعضاءه وييأس من رجوع جميع ذلك إليه. فإذا لم

العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الآخرة والحجاب عن الله تعالى) وهو أعظم ما يتحسر عليه، **(فإن حب غير الله يحجبه عن لقاء الله والتنعم به فيتوالى عليه ألم فراق جميع محبوبات وحسرته على ما فاته من نعيم الآخرة أبد الآباد وذل الرد والحجاب عن الله تعالى، وذلك هو الذي يعذب به إذا لا يتبع نار الفراق إلا نار جهنم كما قال تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون٭ ثم انهم لصالوا الجحيم﴾)** فحجابهم عن ربهم سبب لدخولهم الجحيم، **(وأما من لم يأنس بالدنيا)** ولم يطمئن إليها **(ولم يحب إلا الله وكان مشتاقاً إلى لقاء الله، فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها)** فكان الموت في حقه تحفة وإطلاقاً عن السجن، **(وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوائق والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الأمن عن الزوال أبد الآباد)** وإليه أشار القطب سيدي علي وفا قدس سره.

سكن الفؤاد فعش هنيئاً يا جسد — هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد

(ولمثل ذلك فليعمل العاملون).

(والمقصود أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين أن يؤخذ منه وبين أن تلدغه عقرب آثر الصبر على لدغ العقرب) على أخذ الفرس منه، **(فإذاً ألم فراق الفرس عنده أعظم من لدغ العقرب، وحبه للفرس هو الذي يلدغه إذا أخذ منه فرسه ومركبه وداره وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله، بل يأخذ منه سمعه وبصره**

يحب سواه وقد أخذ جميع ذلك منه، فذلك أعظم عليه من العقارب والحيات، وكما لو أخذ ذلك منه وهو حي فيعظم عقابه فكذلك إذا مات، لأنا قد بينا أن المعنى الذي هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد. لأنه في الحياة يتسلى بأسباب يشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجاء العود إليه ويتسلى برجاء العوض منه ولا سلوة بعد الموت، إذ قد أنسد عليه طرق التسلي وحصل اليأس. فإذاً كل قميص له ومنديل قد أحبه بحيث كان يشق عليه لو أخذ منه فإنه يبقى متأسفاً عليه ومعذباً به، فإن كان مخفاً في الدنيا سلم وهو المعنى بقولهم: نجا المخفون، وإن كان مثقلاً عظم عذابه. وكما أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير، فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله ﷺ: «صاحب الدرهم أخف حساباً من صاحب الدرهمين»، وما من شيء من الدنيا يتخلف

وأعضاءه، ويأسف عن رجوع جميع ذلك كله إليه، فإذا لم يحب سواه وقد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم من العقارب والحيات، وكما لو أخذ ذلك منه وهو حي فيعظم عقابه، فكذلك إذا مات لأنا قد بينا أن المعنى الذي هو المدرك للآلام واللذات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد لأنه في الحياة يبتلي بأسباب تشغل بها حواسه من مجالسة ومحادثة، ويبتلي برجاء العود إليه، ويبتلي برجاء العوض عنه، ولا سلوة بعد الموت إذ قد انسدت عليه طرق التسلي وحصل اليأس، فإذاً كل قميص له ومنديل قد أحبه بحيث كان يشق عليه لو أخذ منه فإنه يبقى متأسفاً عليه ومعذباً فإن كان مخففاً من الدنيا سلم وهو المعنى بقوله: نجا المخفون). والمشتهر على الألسنة: فاز المخفون وهو بمعناه. وفي حديث أبي الدرداء «أمامكم عقبة كؤد لا يجوزها المثقلون» رواه الحاكم في المستدرك وهو في النهاية لابن الأثير بلفظ: إن بين أيدينا عقبة كؤد لا يتجاوزها إلا الرجل المخف. وفي الحلية لأبي نعيم في قصة التقاء عمر بن الخطاب بأويس القرني وعرض عليه نفقة وأباها أنه قال: يا أمير المؤمنين إن بين يدي ويديك عقبة كؤداً لا يجاوزها إلا كل ضامر مخف. وعند الطبراني من حديث أنس: «يا أبا ذر أعلمت أن بين أيدينا عقبة كؤداً لا يصعدها إلا المخففون». وقد قال الشاعر:

هذا الزمان الذي قال الرسول لنا ... خفوا الرحال فقد فاز المخفونا

(وإن كان مثقلاً عظم عذابه) واشتد تعبه، **(وكما أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير، فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين، وهو المعنى بقوله ﷺ: «صاحب الدرهم أخف حساباً من صاحب الدرهمين»)** قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

قلت: بل رواه الحاكم في تاريخه من حديث أبي هريرة بلفظ: «ذو الدرهمين أشد حساباً من ذي

عنك عند الموت إلا وهو حسرة عليك بعد الموت، فإن شئت فاستكثر وإن شئت فاستقلل، فإن استكثرت فلست بمستكثر إلا من الحسرة، وإن استقللت فلست تخفف إلا عن ظهرك».

وإنما تكثر الحيات والعقارب في قبور الأغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا إليها فهذه مقامات الإيمان في حيات القبر وعقاربه وفي سائر أنواع عذابه.

رأى أبو سعيد الخراز ابناً له قد مات في المنام فقال له: يا بني عظني، قال: لا تخالف الله تعالى فيما يريد، قال: يا بني زدني، قال: يا أبت لا تطيق! قال: قل، قال: لا تجعل بينك وبين الله قميصاً، فما لبس قميصاً ثلاثين سنة.

الدرهم، وذو الدينارين أشد حساباً من ذي الدينار». وقد روي نحو ذلك من قول أبي ذر. قال أحمد في الزهد: حدثنا يحي بن سعيد عن سفيان، حدثني سليمان، عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال: «ذو الدرهمين أشد حساباً من ذي درهم واحد». ورواه أبو نعيم في الحلية من هذا الوجه.

(وما من شيء من الدنيا يتخلف عنك عند الموت إلا وهو حسرة عليك بعد الموت، فإن شئت فاستكثر وإن شئت فاستقلل، فإن استكثرت فلست مستكثراً إلا من الحسرة وإن استقللت فلست تخفف إلا عن ظهرك) وروى أبو نعيم في الحلية من طريق أبي أسماء الرحبي أنه دخل على أبي ذر وهو بالربذة وعنده امرأة سوداء شعثة ليس عليها أثر المجاسد والخلوق قال: فقال ألا تنظرون إلى ما تأمرني به هذه السوداء؟ تأمرني أن آتي العراق فإذا أتيت العراق مالوا علي بدنياهم وأن خليلي عهد إلى أن دون جسر جهنم طريقاً ذا دحض ومزلة وإنا أن ناتي عليه وفي أحمالنا اقتدار أحرى أن ننجو من أن نأتي عليه ونحن مواقير.

(وإنما تكثر الحيات والعقارب في قبور الأغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وفرحوا بها واطمأنوا إليها) وإنما كثرتها بكثرة صفاتهم الخبيثة. **(فهذه مقامات الإيمان في حيات القبر وعقاربه وفي سائر أنواع عذابه)**.

ويروى أنه **(رأى أبو سعيد الخراز رحمه الله ابناً له قد مات في المنام فقال له: يا بني عظني، قال: لا تخالف الله تعالى فيما يريد، قال: يا بني زدني، قال: يا أبت لا تطيق)** أي لصعوبته. **(قال: قل، قال: لا تجعل بينك وبين الله قميصاً فما لبس قميصاً ثلاثين سنة)** أورده القشيري في الرسالة إلا أنه قال: يا بني أوصني. فقال: يا أبت لا تعامل الله على الجبن. فقال: يا بني زدني. فقال: لا تخالف الله فيما يطالبك والباقي سواء.

فإن قلت: فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث؟ فاعلم أن في الناس من لم يثبت إلا الأول وأنكر ما بعده. ومنهم من أنكر الأول وأثبت الثاني. ومنهم لم يثبت إلا الثالث. وإنما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار أن كل ذلك في حيز الإمكان. وأن من ينكر بعض ذلك فهو أضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله سبحانه وعجائب تدبيره، فينكر من أفعال الله تعالى ما لم يأنس به ويألفه، وذلك جهل وقصور. بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب. ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع، ورب عبد تجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة، نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره.

وهذا هو الحق فصدق به تقليداً فيعز على بسيط الأرض من يعرف ذلك تحقيقاً، والذي أوصيك به أن لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشغل بمعرفته، بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيفما كان، فإن أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك، كنت كمن أخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع أنفـه، فأخذ طول الليل يتفكر في أنه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بموسى؟ وأهمل طريق الحيلة في دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل، فقد علم على القطع أن العبد لا يخلو بعد الموت من

(فإن قلت: فما الصحيح من هذه المقامات الثلاث؟ فاعلم أن في الناس من لم يثبت إلا الأول وأنكر ما بعده، ومنهم من أنكر الأول وأثبت الثاني، ومنهم من لم يثبت إلا الثالث، وإنما الحق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار أن كل ذلك في حيز الامكان، وأن من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجائب تدبيره، فينكر من أفعال الله تعالى ما لم يأنس به ويألفه وذلك جهل وقصور، بل هذه الطرق الثلاثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها واجب، ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الأنواع، ورب عبد تجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة. نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره).

(هذا هو الحق فصدق به تقليداً، فيعز) أي يندر (على بسيط الأرض من يعرف ذلك تحقيقاً) لأنه ليس من جنس معارف هذا العالم، (والذي أوصيك به أن لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفته) فتضيع وقتك، (بل تشتغل بالتدبير) والاحتيال (في رفع العذاب) عنك (كيفما كان) وبأي وجه أمكن، (فإن اهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع أنفه) ويمثل به، (فأخذ طول الليل يتفكر في أنه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بموسى) أو غير ذلك من آلات القطع، (وأهمل طريق الحيلة في دفع أصل العذاب عن نفسه، وهذا غاية الجهل فقد

عذاب عظيم أو نعيم مقيم، فينبغي أن يكون الاستعداد له. فأما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان.

علم على القطع) واليقين **(أن العبد لا يخلو بعد الموت من عذاب عظيم أو عن نعيم مقيم، فينبغي أن يكون الاستعداد له. فأما البحث عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان)** وفيه غاية الخسران.

قال المصنف في آخر كتاب الأربعين الذي ختم به كتاب الجواهر ما نصه، فإن قلت: فهل يتمثل هذا التنين تمثلاً يشاهده مشاهدة تضاهي إدراك البصر، أو هو تألم محض في ذاته كتألم العاشق إذا حيل بينه وبين معشوقه؟ فأقول: بل هو يتمثل له حتى يشاهده، ولكن تمثلاً روحانياً لا على وجه يدركه من هو بعد في عالم الشهادة إذا نظر في قلبه، فإن ذلك من عالم الملكوت. نعم العاشق أيضاً قد ينام فيتمثل له حاله في المنام، فربما يرى حية تلدغ صميم فؤاده لأنه يعد بالنوم في عالم الشهادة قليلاً، فلذلك تتمثل له حقائق الأشياء تمثلاً محاكياً للحقيقة منكشفاً له من عالم الملكوت، والموت أبلغ في الكشف من النوم لأنه أقمع لنوازع الحس والخيال، وأبلغ في تحذير جوهر الروح من غشاوة هذا العالم، فلذلك يكون التمثيل تاماً محققاً دائماً لا يزول فإنه نـوم لا ينتبـه منه إلى يوم القيامة. فيقال: ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ [ق: ٢٢] واعلم أن المستيقظ بجنب النائم إن كان لا يشاهد الحية التي تلدغ النائم، فذلك غير مانع من وجود الحية التي تلدغ النائم في حقه، وحصول الألم به. كذلك حال الميت في قبره، ولعلك تقول: قد استدعيت قولاً مخالفاً للمشهور منكراً عند الجمهور إذ زعمت أن أنواع عذاب الآخرة يدرك بنور البصيرة والمشاهدة إدراكاً مجاوزاً حدّ التقليد الشرعي، فهل يمكن إن كان ذلك حصر أصناف العذاب وتفاصيله؟ فاعلم أن مخالفتي للجمهـور لا أنكـرهـا، وكيـف ينكـر مخالفـة المسافر للجمهور والجمهور مستقرون في البلد الذي هو مسقط رؤوسهم ومحل ولادتهم، وهو المنزل الأول من منازل وجودهم، وإنما يسافر منهم الآحاد. واعلم أن البلد منزل البدن والقالب، وإنما منزل روح الإنسان عوالم الإدراكات والمحسوسات وهو المنزل الأول، والمتخيلات المنزل الثاني، والتوهمات المنـزل الثالث، وما دام الإنسان في المنزل الأول فهو دود وفراش فإن فراش النار ليس له إلا الإحساس، ولو كان له تخيل وحفظ للمتخيل بعد الإحساس لما تهافت على النار مرة بعد أخرى، وقد تأذى بها أولاً، فإن الطير وسائر الحيوانات إذا تتأذى في موضع بالضرب تفر منه ولم تعاوده لأنه بلغ المنزل الثاني وهو حفظ المتخيلات بعد غيبوبتها عن الحس، وما دام الإنسان في المنزل الثاني بعد فهو بهيمة ناقصة إنما حدّه أن يحذر من شيء تأذى به مرة، وما لم يعاود بشيء فلا يدري أنه يحذر منه، فإذا صار في المنزل الثالث وهو المتوهمات فهو بهيمة كاملة كالفرس مثلاً، فإنه قد يحذر من الأسد إذا رآه أولاً وإن لم يتأذَّ به قط فلا يكون حذره موقوفاً على أن يتأذى به مرة، بل الشاة ترى الذئب أولاً فتحذره، وترى الجمل والثور وهما أعظم منه شكلاً وأهول منه صورة فلا تحذرهما إذ ليس من طبعها أذاها، وإلى الآن في مشاركة البهائم، وبعد هذا يترقى

الإنسان إلى عالم الإنسانية فيدرك الأشياء لا تدخل في حس ولا تخيل ولا وهم ويحذر به الأمور المستقبلة، ولا يقتصر حذره على الأمور العاجلة اقتصار حذر الشاة على ما تشاهد في الحال من الذئب. ومن ههنا يصير حقيقته الإنسانية والحقيقة هي الروح المنسوبة إلى الله تعالى ونفخت فيه من روحي، وفي هذا العالم يفتح له باب الملكوت فيشاهد الأرواح المجردة عن غشاوة القوالب. وأعني بهذه الأرواح الحقائق المحض المجردة عن كسوة التلبيس وغشاوة الأشكال، وهذا العالم لا نهاية له. وأما العوالم المحسوسات والمتخيلات والموهومات، فمتناهية لأنها متجاورة للأجسام وملتصقة بها، والأجسام لا يتصوّر أن تكون غير متناهية والسير في هذا العالم مثاله الخيالي المشي على الماء، ثم يترقى منه إلى المشي على الهواء، وأما ليزداد على المحسوسات فهو كالمشي على الأرض وفيها تتولد درجات الشياطين معنى يتجاوز الإنسان عوالم البهائم فينتهي إلى عالم الشياطين، ومنه يسافر إلى عالم الملائكة وقد ينزل فيه ويستقر، وفي هذه العوالم كلها منازل الهدى، والهدى المنسوب إلى الله تعالى يوجد في العالم الرابع وهو عالم الأرواح، وهو قوله تعالى: ﴿قل إن الهدى هدى الله﴾ [آل عمران: ٧٣] ومقام كل إنسان ومحله ومنزلته في العلو والسفل بقدر إدراكه، وهو معنى قول علي رضي الله عنه: الناس أبنـاء ما يحسنون، فالإنسان بين أن يكون دوداً أو حماراً أو فرساً أو شيطاناً ثم يجاوز ذلك فيصير ملكاً. والملائكة درجات: فمنهم الأرضية، ومنهم السماوية، ومنهم المقربون المرتفعون عن الالتفات إلى السماء والأرض القاصرون نظرهم على جمال حضرة الربوبية وملاحظة الوجه الكريم خاصة، وهم أبداً في دار البقاء إذ ملحوظهم هو الوجه الباقي، وأما ما عدا ذلك فالفناء مصيره. أعني السموات والأرض وما يتعلق بها من المحسوسات والمتخيلات والموهومات وهو معنى قوله تعالى: ﴿كل ما عليها فان★ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧] وهذه العوالم منازل سفر الإنسان ليترقى من حضيض درجة البهائم إلى يفاع رتبة الملائكة، ثم يترقى من رتبهم إلى رتبة العشاق وهم منهم فهم العاكفون على ملاحظة جمال الوجه يسبحون الوجه الكريم ويقدسونه بالليل والنهار لا يفترون، فانظر الآن إلى خسة الإنسان وإلى شرفه إلى بعد مراقيه في معراجه وإلى استحطاط درجاته في سفله، وكل الآدميين مردودون إلى أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات يترقون منها فلهم أجر غير ممنون، وهو ملاحظة جمال الوجه. وبهذا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية. لأن معنى الأمانة التعرض للعهدة لخطر الثواب والعقاب في الطاعة والمعصية، ولا خطر على سكان الأرض هم البهائم إذ ليس لهم إمكان الترقي من المنزل الثاني، ولا خطر على الملائكة إذ ليس لهم خوف الانحطاط إلى حضيض علم البهائم، فانظر إلى الإنسان وعجائب عوالمه كيف يعرج إلى سماء العلو رقياً ويهوي إلى الأرض السافلة للحقارة هوياً متقلداً. هذا الخطر العظيم الذي لم يتقلده في الوجود غيره، فيا مسكين كيف تقهرني بالعاقبة وتخوّفني بمجاوزة الجمهور ومخالفة المشهور، وبذلك فرحي وسروري إن الذي تكرهونه مني هو الذي يشتهيه قلبي، فاطوطور الهذيان ولا تقعقع بعد هذا بالشنان وأما مطالبتك

بتفصيل عذاب الآخرة، وذكر أصنافه، فلا تطمع في التفصيل فذلك داعية إلى الإملال والتطويل، فقد ظهر لي بالمشاهدة ظهوراً أوضح من العيان أن أصناف عذاب الآخرة ثلاثة. أعني الروحاني منها حرقة فرقة المشتهيات وخزي خجلة المفضحات وحسرة فوات المحبوبات، فهذه ثلاثة أنواع من النيران الروحانية تتعاقب على روح من آثر الحياة الدنيا إلى أن ينتهي إلى مقاساة النار الجسماني، فإن ذلك يكون في آخر الأمر، فخذ الآن شرح هذه الأصناف.

الصنف الأول: حرنة فرقة المشتهيات، فصورته المستعارة من عالم الحس والتخيل التنين وضعه الشارع ﷺ وعدد رؤوسه وهي بعدد الشهوات ورذائل الصفات، يلدغ صميم الفؤاد لدغاً مؤلماً، وإن كان البدن بمعزل عنه فقد رقي عالمك هذا ملكاً مستولياً على جميع الأرض متمكناً من جميع البلاد مستهتراً بالوجوه الحسان متهلكاً عليها مشغوفاً باستعباد الخلق بالطاعة مطاعاً فيهم، فقصده رجل فاسترقه ليستعمله في تعهد الكلاب وصار يتمتع بأهله وجواريه بين يديه ويتصرف في خزائنه وذخائر أمواله فيفرقها على أعدائه ومعانديه، فانظر الآن هل ترى على قلبه تنيناً إذا رؤوس كثيرة يلدغ صميم فؤاده وبدنه بمعزل عنه، وهو يوّد أنه لو يبتلى بدنه بأمراض وآلام ليتخلص منه فتوهم هذا، فربما تشتم قليلاً من رائحة الحطمة التي فيها نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة أعدت لمن جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده. واعلم أن عذاب كل ميت بعدد رؤوس هذا التنين وعدد الرؤوس بعدد المشتهيات، ومن كان أفقر وتمتعه بالدنيا أقل كان العذاب عليهم أخف، ومن لا علاقة له مع الدنيا أصلاً فلا عقاب عليه أصلاً.

الصنف الثاني: خزي خجلة المفضحات فقدر رجلاً خسيساً رذلاً فقيراً عاجزاً قربه ملك من الملوك وقواه وخلع عليه وسلم إليه نيابة ملكه ومكنه من دخول حريمه وخزائنه اعتماداً على أمانته، فلما عظمت عليه النعمة طغى وبغى وصار يخون في خزائنه ويفجر بأهل الملك وبناته وسرياته، وهو في جميع ذلك يظهر الأمانة للملك ويعتقد أنه غير مطلع على خيانته، فبينما هو في غمرة فجوره وخيانته إذ لاحظ روزنة، فرأى الملك يطلع عليه منها وعلم أنه كان يطلع عليه كل يوم، لكن كان يغضي عنه ويمهله حتى يزداد خبثاً وفجوراً ويزداد استحقاقاً للنكال لتنصب عليه بالآخرة أنواع العذاب، فانظر إلى قلبه كيف يحرق بنيران خزي الخجلة وبدنه بمعزل عنه، وكيف يود أن يعذب بدنه بكل عذاب وينكتم خزيه، فكذلك أنت تتعاطى في الدنيا أعمالاً لها حقائق خبيثة قبيحة وأنت جاهل بها، فتنكشف لك في الآخرة حقائقها في صورها القبيحة فتختزي وتخجل خجلة تؤثر عليها آلام بدنك.

فإن قلت: كيف تنكشف لي حقائقها؟ فاعلم أنك لا تفهمه إلا بمثال، وجملته مثلاً أن يؤذن مؤذن في رمضان قبل الصبح فيرى في المنام أن في يده خاتماً يختم به أفواه الرجال وفروج النساء فيقول له ابن سيرين: هذا رأيته لأذانك قبل الصبح، فتأمل الآن أنه لما بعد بالنوم قليلاً عن عالم

....

الحس انكشف له روح عمله لما كان بعد في عالم التخيل، لأن النائم لا يزيل تخيله غشاوة الخيال إلا بمثال متخيل وهو الخاتم والختم به لكنه مثقال أدل على روح العمل من نفس الأذان، لأن عالم المنام أقرب إلى عالم الآخرة، والتلبس به أضعف قليلاً وليس يخلو عن تلبيس ولأجله يحتاج إلى التعبير، فلو قال قائل لهذا المؤذن: أما تستحي أن تختم أفواه الرجال وفروج النساء؟ لقال: معاذ الله أن أفعل هذا ولأن أقوم فيضرب عنقي أحب إليّ من أن أفعل هذا فينكره لأنه يجهله مع أنه فعل لأن روحه قاصرة عن إدراك أرواح الأشياء، وكذلك لو أكلت لحماً طرياً على اعتقاد أنه لحم طير فقال قائل: أما تستحي أن تأكل لحم أخيك الميت فلان؟ لقلت: معاذ الله أن أفعل ذلك ولأن أموت جوعاً أهون عليّ من ذلك، فنظرت فإذا هو لحم أخيك الميت قد طبخ وقدم إليك ولبس عليك، فانظر كيف تختزي وتفتضح به وبدنك بمعزل عن أمله، وكذلك المغتاب يرى نفسه في الآخرة لأن روح الغيبة تمزيق أعراض الإخوان والتفكه بها وفي عالم الآخرة تنكشف أرواح الأشياء وحقائقها، وهذا روح حسدك لاخيك فإنك تحسده ولا يضره وينعكس عليك ويهلك دينك وتنقل حسناتك إلى ديوانه وهي قرة عينك لأنها سبب سعادة الأبد، فهي أعذب من حرقة الولد، فإذا انكشف لك هذا الروح فانظر كيف تحترق بنيران الفضيحة وبدنك بمعزل عنه، فالقرآن كثيراً ما يعبر عن الأرواح فلذلك قال تعالى في الغيبة: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ [الحجرات: ١٢] وقال في الحسود: ﴿يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم﴾ [يونس: ٢٣] ويكفيك في الامثال مثال الاذان والغيبة والحسد، وقس عليه كل فعل نهاك الشرع عنه، فذلك يفتح لك معرفة روح الفعل وحقيقته، وحسن ظاهره كحسن البصر الظاهر، وقبح باطنه كقبح البصيرة الباطنة من مشكاة نور الله تعالى، وعن هذا عبّر الشارع ﷺ حيث قال «تعرض الدنيا يوم القيامة في صورة شوهاء زرقاء صفتها كيت وكيت لا يراها أحد إلا ويقول أعوذ بالله منها» فيقال: هذه دنياكم التي كنتم بها تتهاوشون عليها فيصادفون في أنفسهم من الخزي والفضيحة ما يؤثرون النار عليه، وإن أردت أن تفهم كيفية هذه الخجلة فاسمع حكاية الرجل من أبناء الملوك تزوج بأجل امرأة من بنات الملوك، فشرب تلك الليلة وسكر واخطأ باب الحجرة وخرج وضلّ ورأى ضوء سراج فقصده على ظن أنه في حجرته، فدخل الموضع فرأى جماعة قياماً فصاح بهم فلم يجيبوه، وظن انهم قيام فطلب العروس فرأى واحدة نائمة في ثياب جديدة، فظن أنها العروس فضاجعها وأخذ يقبلها ويغشاها وجعل لسانه في فيها ولسانها في فيه ويمتص ريقها متلذذاً بذلك في سكره غاية التلذذ، ويتمسح بالرطوبات التي تصيبه من جميع بدنها على ظن أن ذلك عطر ادخرته له، فلما أصبح أفاق فإذا هو في ناروس المجوس، وإذا النيام موتى، وهذه عجوز شوهاء قريبة العهد بالموت عليها الحنوط وكفن جديد، وإذا هو من فرقه إلى قدمه ملطخ من قاذوراتها، ثم يتفكر في غشيانه لها وابتلاع ريقها ومخاطها فيهجم على قلبه من الخزي ما تمنى أن يخسف الله به الأرض حتى نسي ما جرى عليه، ولا يزال يعاوده ذكره ولا ينساه أصلاً بل يجد نفسه ما عملت من سوء محضراً تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً وبدنه بمعزل عن هذا الخزي والألم وهو في

عذاب دائم من الغثيان والقيء، ويذكر تلك المخازي ويتحرى أن يطلع عليه أحد فيتضاعف خزيه، فإذا هو بأبيه وجميع حشمه جاؤوا في طلبه واطلعوا على جميع مخازيه؛ فهذا حال من تمتع بالدنيا ينكشف له ذلك في الآخرة روحه وحقيقته وهو معنى قوله تعالى: ﴿وحصل ما في الصدور﴾ [العاديات: ١٠] وهو أن يعرض عليه حاصلها وهو روحها وحقيقتها، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يوم تبلى السرائر﴾ [الطارق: ٩] أي ينكشف من أسرار الأعمال وأرواحها القبيحة والحسنة، وكما أن أطيب الأطعمة رجيعها أقذر وأنتن، كذلك تنعمات الدنيا حاصلها وسرها في الآخرة أقبح وأفضح، ولذلك شبه رسول الله ﷺ الدنيا بالطعام وعاقبتها بالرجيع.

الصنف الثالث: حسرة فوات المحبوبات، فقدر نفسك كونك في جماعة من أقرانك دخلوا في ظلمة فكان فيها حجارة لا ترى ألوانها فقال أقرانك: تحمل من هذا ما نطيق فلعله يكون فيه ما ينتفع به إذا خرجنا من الظلمة. فقلت: ماذا أصنع بها أتحمل في الحال ثقلها وأكد نفسي فيها وأنا لا أدري عاقبتها ما هذا إلا جهل عظيم، فإن العاقل لا يترك الراحة فقداً لما يتوقعه نسيئة ولا يستيقنه، فأخذ كل واحد من أقرانك ما أطاق وأعرضت أنت عن ذلك وسخرت منهم لأنهم يئنون تحت أعبائه وثقله وأنت مترفه في الطريق تغدو وتضحك منهم، فلما جاوزوا الظلمة نظروا فإذا هي جواهر ويواقيت يساوي كل واحدة ألف دينار، فأقبلوا على بيعها وتوصلوا بها على الجاه والنعمة وأصبحوا ملوك الأرضين، فأخذوك واستخروك لتعهد دوابهم وينفقون عليك كل يوم قدراً يسيراً من فضلات الطعام، فكيف ترى اشتعال نيران الحسرة في قلبك وبدنك بمعزل عنه، وكم تقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ويا ليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل، ويقول لهم: أفيضوا علينا مما أفيض عليكم، فيقولون: هذا حرام عليك ألم تكن تسخر منا وتضحك علينا، فلا بدّ أن نسخر منك اليوم كما كنت تسخر منا، فلا يزال ينقطع نياط قلبك من التسخر ولا ينفعك، ولكن تتسلى وتقول: الموت يخلصني من هذا كله.

واعلم ان هذا الحال حال تارك الطاعات في الآخرة، وكذلك ينكشف له ولكن لا مطمع في الموت المخلص بل حسرته أبدية وألمها يتضاعف كل يوم، وإن كان البدن بمعزل عنها وعنه العبارة بقوله تعالى: ﴿أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمها على الكافرين﴾ [الأعراف: ٥٠] وكذلك أنه تعالى يفيض على أهل المعرفة والطاعة من أنوار جمال الوجه ما يحصل به اللذة مبلغاً لا يوازيه نعيم الدنيا، بل يعطي آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات كما ورد به الخبر: لا بمعنى تضاعف المقدار بالمساحة بل بتضاعف الأرواح، كما أن الجوهرة تكون قيمتها عشرة أمثال الفرس لا بالوزن والمقدار، بل بروح المالية إذ قيمتها عشر أمثاله.

واعلم ان تحريم تلك الذات وإفاضتها عليهم ليس من جنس تحريم الرجل نعمته على عبده بغضب أو باختبار حتى يتصور تغير بل هو كتحريم الله تعالى على الأبيض أن يكون أسود في حالة البياض، وعلى الحار أن يكون بارداً في حال حرارته، وذلك لا يتصور فيه التبديل بل مثال ذلك

....

أن يقول للعامل الكامل رجل شيخ هرم وهو من الجهال الذي كان بليداً في أصل الفطرة ولم يمارس قط علماً ولم يتعلم قط لغة: أفض علي من دقائق علومك. فيقول: إن الله تعالى حرمه على الجاهلين. معناه أن الاستعداد لقبوله إنما يكتسب بذكاء فطري وممارسة طويلة للعلم بعد تعلم اللغة والعربية وأمور أخر كثيرة، وإذا بطل الاستعداد وفات استحالت الافاضة كما يستحيل إفاضة الحرارة على البارد مع بقاء البرودة، فلا تظن ان الله تعالى يغضب عليك ويعاقبك انتقاماً، ثم تخدع نفسك برجاء العفو فتقول: لم يعذبني ولم تضره معصيتي، بل يلزم العقاب من المعصية كما يلزم الموت من السم.

واعلم أن هذه الحسرة دائمة لأن منشأها تضاد صفتين لا يزول تضادهما أبداً. مثاله أن الذي تعلق بحبل في عنقه أو رجله إنما يتألم لتضاد صفتين لا لصورة الحبل والتعليق، ولكن صفته الطبيعية تطلب الهوى إلى أسفل، والمنع القهري بالحبل يمانع الصفة الطبيعية فيتولد الألم فيه من تمانعها، فكذلك الروح الانساني الإلهي بأصل فطرته له بحكم الطبع حنين وشوق إلى عالم العلوي عالم الأرواح إلى موافقة الملأ الأعلى، ولكن اغلال الشهوات وسلاسلها تجذبه إلى أسفل السافلين وهي شهوات الدنيا التي هي صفة عارضة قهرت الصفة الطبيعية ومنعتها عن نيل مقتضاها والألم يتولد من بينهما، فالنار أيضاً إنما تؤلم للمضادة فإن الملائم للتركيب بقاء الاتصال والنار تضاد الاتصال بالتفريق بالأجزاء، ولو لم تكن قد رأيت النار فحدثت بأن شيئاً لطيفاً ليناً يماس بدنك فيؤلمك لاستنكرته وقلت شيء لا صلابة فيه كيف يؤلمني. فاعلم أن التضاد مؤلم سواء كان بسبب خارج أو داخل، فإن سم العقرب يبقى بالعضو، ويؤلم لفرط برودته المضادة لحرارة البدن، فلا تظنن أن الآلام كلها تدخل من خارج.

فإن قلت: إن العقرب إنما لدغته من خارج؟ فاعلم أن ألم العين وألم السن لا يقصر عنه وإنما سببه انصباب خلط من داخل مضاد لمزاج العين والسن، وليس ذلك بأهون من لدغ الحية والعقرب. فاعلم أن تضاد الصفات على القلب يؤلم القلب إيلاماً لا ينقص عما يؤلم السن والعين، ومثاله في تضعيف الصفات أن البخيل المرائي إذا طلب منه عطية على ملأ من الناس عند من يريد أن يعرفوه بالسخاء يتألم قلبه لتضاد الصفتين، إذ البخل يتقاضاه أن لا يعطي، وحب الجاه يتقاضاه أن يعطي وقلبه بين هاتين الصفتين كشخص ينشر بمنشار نصفين؛ فهذا مثال حسرة الفوات وعظمها وما ينكشف من جلاله بقدر الفائت ولا يعلمه بالحقيقة في هذا العالم، بل في عالم الكشف وهو نبأ عظيم أنت عنه معرضون.

واعلم ان هذه الأصناف الثلاثة لها ترتيب. فالصنف الأوّل: الذي يلقاه الميت المعذب هو حرقة فرقة المشتهيات، وذلك تنين حب الدنيا، ولذلك أضيف ذلك إلى القبر، وإنما يسبق هذا لأن أغلب الأشياء على قلب الميت في حال فراقه ما يفوته من الدنيا من مال وجاه ومنصب ونعمة، ثم بعد ذلك تنكشف له أرواح الأعمال وحقائقها القبيحة، وذلك عند الانغمار التام في الموت وبعد

بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر:

قال أبو هريرة: قال النبي ﷺ: « إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير، فيقولان له: ما كنت تقول في النبي؟ فإن كان مؤمناً قال

العهد بغشاوة صفات الدنيا، فكلما كانت صفاته في الموت أشد فهو للكشف أقبل، فيفيض عند ذلك خزي الفضيحة، ولذلك أضيف هذا إلى القيامة لأنه وسط بين منزلة القبر وبين دار القرار، ولذلك قال الله تعالى: ﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾ [التحريم: ٨] أي يوم القيامة. وأما حسرة فوات المحبوبات فتتولى عليه آخراً عند القرار في النار، ففيها يقول: ﴿أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم﴾ [الأعراف: ٥٠] وذلك أن بعد العهد من الدنيا ربما يخفف عنه عذاب النوع إليها، وطول العهد بالكشف يوجب خروجه عن خزي الافتضاح، فإن صورة عذاب الخزي تكون عند هجوم الافتضاح، ثم يألف الخزي والفضيحة إلفاً مّا، ثم عند فتورهما قليلاً تنبعث حسرة الفوت إذ يظهر جلالة الفائت. ثم تبقى حسرة الفوت أخرى، ويشبه أن يكون ذلك لا آخر له، وهذا كله تعرفه قطعاً إذا عرفت نفسك وعرفت أنك لا تموت، لكن تعمي عينك وتصم أذنك وتفلج أعضاؤك. وأما الحقيقة التي أنت بها فلا تفنى بالموت أصلاً بل يتغير حالك ويبقى جميع معارفك وإدراكاتك الباطنة وشؤنك، وإنما يزيد تعذيبك بفراق ما تحب وافتضاحك بظهور ما ينكشف في تلك الحال وتحسرك على فوات ما تعرف قدره بعد الموت لا قبله، وهذا كله مقدمات العذاب الحسي البدني، وذلك أيضاً حق وله ميعاد معلوم كما وردت به الآيات والأخبار، فاقنع الآن بهذا القدر فإن هذا الكلام يكاد يجاوز حدّه مثل هذا الكتاب، ولا بد أن يحرك سلسلة الحمقى والجاهلين، ولكنهم أخس من أن يلتفت إليهم قال الله عز وجل: ﴿فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ★ ذلك مبلغهم من العلم﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠] ولنقتصر على هذا إلى هنا سياق المصنف في آخر كتاب الأربعين الذي ختم به كتابه جواهر القرآن والله الموفق.

بيان سؤال منكر ونكير وصورتهما وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر:

اعلم ان فتنة القبر هي سؤال الملكين. وقد تواترت الأحاديث بذلك عن أبي هريرة والبراء وتميم الداري وعمر بن الخطاب وأنس وبشير بن أكال وثوبان وجابر بن عبد الله وحذيفة وعبادة بن الصامت وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن مسعود وعثمان بن عفان وعمرو بن العاص ومعاذ بن جبل وأبي أمامة وأبي الدرداء وأبي رافع وأبي سعيد الخدري وأبي قتادة وأبي موسى وأسماء وعائشة رضي الله عنهم.

أما حديث أبي هريرة فله طرق منها ما أشار إليه المصنف فقال: **(قال أبو هريرة)** رضي الله عنه: **(قال النبي ﷺ « إذا مات العبد)** وفي رواية إذا قبر الميت **(أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له: ما كنت تقول في النبي)**؟ وفي رواية

هو عبدالله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ فيقولان: إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك. ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً وينوّر له في قبره ثم يقال له: نم؛ فيقول دعوني أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقال له: نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وإن كان منافقاً قال: لا أدري كنت أسمع الناس يقولون شيئاً وكنت أقوله، فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك، ثم يقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك».

في هذا الرجل (**فإن كان مؤمناً قال: هو عبد الله ورسوله**) وفي رواية فيقول: ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله. (**أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**) وفي رواية عبده ورسوله. (**فيقولان: إنا كنا نعلم أنك لتقول ذلك**) وفي رواية لتقول هذا، (**ثم يفسح له في قبره سبعين ذراعاً في سبعين ذراعاً**) وفي رواية: ثم يفسح له قبره سبعون ذراعاً في سبعين (**وينوّر له قبره**) وفي رواية: ثم ينور له فيه، (**ثم يقال**) وفي رواية فيقال (**له: نم، فيقول: دعوني ارجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقال له: نم فينام كنومة العروس**) وفي رواية: فيقولان نم كنومة العروس (**الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: لا أدري. كنت أسمع الناس يقولون شيئاً وكنت أقوله**) وفي رواية قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله لا أدري. (**فيقولان: إنا كنا لنعلم أنك تقول ذلك، ثم يقال للأرض: التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه**) وفي رواية فتختلف أضلاعه، (**فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله**) عز وجل (**من مضجعه ذلك»**) قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه وابن حبان مع اختلاف اهـ.

قلت: قال الترمذي: حدثنا أبو سلمة يحي بن خلف، حدثنا بشر بن المفضل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة رفعه «إذا قبر الميت ـ أو قال أحدكم ـ أتاه» فذكره إلى آخره وقال حسن غريب. ورواه أيضاً ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، والآجري في كتاب الشريعة، وابن أبي عاصم في كتاب السنّة، والبيهقي في عذاب القبر. وأما لفظ ابن حبان فسيأتي للمصنف قريباً، وفيه مع سياق الترمذي اختلاف كثير وتباين في الاسنادين، ولذلك قال مع اختلاف.

ومن طرق حديث أبي هريرة ما رواه الطبراني في الأوسط، وابن مردويه عنه قال: شهدنا جنازة مع رسول الله ﷺ، فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس قال: «إنه الآن يسمع خفق نعالكم أتاه منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس، وأنيابهما مثل صياصي البقر، وأصواتهما مثل الرعد، فيجلسانه فيسألانه ما كان يعبد ومن كان نبيه فإن كان ممن يعبد الله قال: كنت أعبد الله ونبيّي محمد ﷺ جاءنا بالبينات فآمنا به واتبعناه فذلك قول الله تعالى: ﴿يثبّت الله الذين آمنوا بالقول

....

الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة﴾ [إبراهيم: ٢٧] فيقال له: على اليقين حييت وعليه مت وعليه تبعث، ثم يفتح له باب إلى الجنة ويوسع له في حفرته، وإن كان من أهل الشك قال: لا أدري. سمعت الناس يقولـون قولاً فقلته، فيقال له: على الشك حييت وعليه مت وعليه تبعث، ثم يفتح له باب إلى النار ويسلط عليه عقارب وتنانين لو نفخ أحدهم في الدنيا ما أنبتت شيئاً تنهسه، وتؤمر الأرض فتنضم عليه حتى تختلف أضلاعه». قال الطبراني: بعد أن رواه عن عبيد الله بن محمد البرقي، حدثنا عمرو بن خالد الحراني، حدثنا ابن لهيعة، عن موسى بن جبير الحذاء أنه سمع أبا أمامة بن سهل بن حنيف، ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان يحدثان عن أبي هريرة فذكره. ولم يروه عن أبي أمامة ومحمد إلا موسى تفرد به ابن لهيعة. وقد رواه أبو نعيم في الحلية من هذا الوجه.

ومن طرق حديث أبي هريرة ما رواه ابن ماجه عنه مرفوعاً «إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا مشغوف ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: كنت في الإسلام. فيقال: ما هذا الرجل؟ فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه. فيقال له: هل رأيت الله؟ فيقول: لا ما ينبغي لأحد أن يرى الله فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً. فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له: هذا مقعدك. ويقال له: على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله، ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مشغوفاً فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: ما هذا الرجل؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت، فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له: انظر إلى ما صرفه الله عنك، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال: هذا مقعدك على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى».

ومن طرق حديث أبي هريرة ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمر: «كيف أنت إذا رأيت منكراً ونكيراً»؟ قال: وما منكر ونكير؟ قال: «فتانا القبر أصواتها كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، يطآن في أشعارهما، ويحفران بأنيابهما معهما عصا من حديد لو اجتمع عليها أهل منى لم يقلوها».

ومن طرق حديث أبي هريرة ما رواه البزار وابن جرير في تهذيب الآثار عنه رفعه «إن المؤمن يجلس في قبره فيسأل: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقـول: مـن نبيـك؟ فيقـول: نبيّـي محمد ﷺ. فيقول: ماذا دينك؟ قال: ديني الإسلام فيفتح له باب في قبره، فيقال: انظر إلى مجلسك نم قرير العين فيبعثه الله يوم القيامة فكأنما كانت رقدة، وإذا كان عدوّ الله ونزل به الموت فإذا جلس في قبره يقال له: من ربك؟ فيقول: لا أدري. فيقال: لا دريت. فيقال: من نبيك؟ فيقول: لا أدري. فيقال: لا دريت. فيقال: ما دينك؟ فيقول: لا أدري فيقال: لا دريت، فيفتح له باب من جهنم ثم يضرب ضربة تسمع كل دابة إلا الثقلين، ثم يقال له نم كما ينام المنهوس» قيل لأبي هريرة: ما المنهوس؟ قال: الذي تنهشه الدواب والحيات، ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.

وعن عطاء بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك، ثم احتملوك حتى يضعوك فيه، ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك، فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران أشعارهما ويبحثان القبر بأنيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر؟ فقال عمر: ويكون معي مثل عقلي

وأما حديث البراء وتميم الداري؛ فقد تقدم ذكرهما آنفاً.

وأما حديث عمر بن الخطاب؛ فقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب البعث: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، حدثنا مفضل ـ يعني ابن صالح بن جبلة ـ حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي شمر، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كيف أنت في أربع أذرع في ذراعين ورأيت منكراً ونكيراً؟» قلت: يا رسول الله وما منكر ونكير؟ قال «فتانا القبر يبحثان الأرض بانيابهما ويطآن في أشعارهما أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف، معهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى لم يطيقوا رفعها هي أيسر عليهما من عصاي هذه، فامتحناك فإن تعاييت أو تعاييت أو تلويت ضرباك بها ضربة تصير بها رماداً»، قلت: يا رسول الله وأنا على حالي هذه؟ قال: «نعم» قلت: إذاً أكفيكهما. وقد رواه كذلك الحاكم في التاريخ، والبيهقي في عذاب القبر. قال السيوطي في أمالي الدرة: هذا حديث ضعيف، ومفضل أخرج له الترمذي وقال: ليس بذلك الحافظ. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن حبان: يروي المقلوبات عن الثقات، فوجب ترك الاحتجاج به، وله شاهد مرسل أشار إليه المصنف بقوله.

(**وعن عطاء بن يسار**) الهلالي أبي محمد المدني مولى ميمونة (**قال: قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه «يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع**) كذا في النسخ والرواية ثلاثة أذرع وشبراً في ذراع وشبر، (**ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه، ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف**) أي الشديد المتجلجل، (**وأبصارهما كالبرق الخاطف**) أي الذي يخطف الأبصار، (**يجران أشعارهما**) لطولها، (**ويحثيان القبر**) وفي رواية يبحثان (**بأنيابهما**) ومن قوله: يجران إلى هنا لا يوجد في أكثر روايات هذا المرسل عند الجماعة وإنما هو في حديث عمر المتقدم ذكره، (**فتلتلاك**) هو بمثناتين أي زعزعاك وأقلقاك وأزعجاك (**وترتراك**) هو أيضاً بمثناتين بمعنى الأول، وضبطه السيوطي بمثلثتين وفسره بكثرة الكلام وتزيده وأنت خبير بأن هذا المعنى لا يوافق سياق الحديث، وفي رواية هنا زيادة وهولاك والتهويل التفزيع (**كيف بك**) وفي رواية فكيف بك (**عند ذلك يا عمر؟» فقال عمر**) رضي الله عنه: يا رسول الله (**ويكون معي مثل عقلي**

الآن؟ قال: « نعم » قال: « إذا أكفيكهما »، وهذا نص صريح في أن العقل لا يتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء. فيكون الميت عاقلاً مدركاً عالماً بالآلام واللذات كما كان، لا يتغير من عقله شيء. وليس العقل المدرك هذه الأعضاء بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك الأشياء. ولو تناثرت أعضاء الإنسان كلها ولم يبق إلا الجزء المدرك الذي لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الإنسان العاقل

الآن) وفي الرواية يا رسول الله ومعي عقلي؟ **(فقال « نعم » قال: إذاً أكفيكها)**. قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلاً ورجاله ثقات. قال البيهقي في الاعتقاد: ورويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلاً.

قلت: وصله ابن بطة في الابانة من حديث ابن عباس، ورواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر وقال: غريب بهذا الاسناد تفرد به مفضل، ولأحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو فقال عمر: أترد إلينا عقولنا؟ فقال: « نعم كهيئتكم اليوم » فقال عمر: بفيه الحجر اهـ.

قلت: هذا المرسل رواه كذلك أبو نعيم في الحلية، والآجري في الشريعة، والبيهقي في عذاب القبر. قال أبو نعيم: حدثنا أحمد بن يوسف، أخبرنا الحرث بن أبي أسامة، حدثنا سعيد بن ابراهيم، حدثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عطاء بن يسار فذكره.

وأما حديث ابن عباس الذي أشار إليه بأنه وصله ابن بطة، فقد رواه أيضاً البيهقي في عذاب القبر عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « كيف بك يا عمر إذا انتهى بك إلى الأرض فحفر لك ثلاثة أذرع وشبر في ذراع وشبر، ثم أتاك منكر ونكير أسودان يجران أشعارهما كأن أصواتهما الرعد القاصف، وكأن أعينهما البرق الخاطف يحفران الأرض بأنيابهما فأجلساك فزعاً فتلتلاك وتوهلاك » قال: يا رسول الله وأنا يومئذ ما أنا عليه؟ قال « نعم » قال: اكفيكهما باذن الله تعالى يا رسول الله.

وأما قوله تفرد به مفضل فقد تقدم الكلام عليه قبل هذا قريباً، وأما ما أشار إليه من حديث عبدالله بن عمرو فقال، أحمد في المسند، حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثني حيي بن عبدالله أن عبد الله أبا عبد الرحمن حدثه عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ ذكر فتاني القبر فقال عمر: أترد إلينا عقولنا؟ فذكره. وهو حديث صحيح الإسناد أخرجه الطبراني في الكبير بسند رجاله رجال الصحيح، وكذلك رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور، والآجري في الشريعة وابن عدي وغيرهم.

(وهذا نص صريح في ان العقل لا يتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء) بالزمانة فيها **(فيكون الميت عاقلاً مدركاً عالماً بالآلام واللذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل المدرك هذه الأعضاء، بل هو شيء باطن ليس له طول ولا عرض، بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للأشياء، ولو تناثرت أعضاء الإنسان كلها ولم يبق إلا الجزء**

بكماله قائماً باقياً وهو كذلك بعد الموت، فإن ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرأ عليه العدم.

المدرك الذي لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الإنسان العاقل بكماله قائماً باقياً، وهو كذلك بعد الموت فإن ذلك الجزء لا يحله الموت ولا يطرأ عليه العدم).

وأما حديث أنس؛ فاخرج الشيخان وغيرهما من طريق قتادة عنه قال: قال النبي ﷺ: « إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم » قال: « يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ » زاد ابن مردويه « الذي كان بين أظهركم الذي يقال له محمد » قال « فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار فقد أبدلك الله به مقعداً من الجنة ». قال النبي ﷺ « فيراهما جميعاً ». قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويملأ عليه خضراً. « وأما المنافق أو الكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين ».

وروى أحمد وأبو داود في سننه، والبيهقي في عذاب القبر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « إن هذه الأمة تبتلى في قبورها وان المؤمن إذا وضع في قبره أتاه فسأله ما كنت تعبد؟ فإن الله هداه قال أعبد الله فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله. فما يسأل عن شيء بعدها فينطلق به إلى بيت كان له في النار فيقال له هذا بيتك كان لك في النار ولكن الله عصمك ورحمك فأبدلك به بيتاً في الجنة فيقول: دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي، فيقال له: اسكن. وان الكافر إذا وضع في قبره أتاه ملك فينتهره فيقول له: ما كنت تعبد؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؛ فيقول: كنت أقول ما يقول الناس فيضربونه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين ».

وأخرج الديلمي من حديث أنس رفعه « يدخل منكر ونكير على الميت في قبره فيقعدانه فإن كان مؤمناً قالا له: من ربك؟ قال: الله. قالا: ومن نبيك؟ قال: محمد. وقالا: ومن امامك؟ قال: القرآن فيوسعان عليه قبره، وإن كان كافراً يقولان له من ربك؟ قال: لا أدري. قالا: ومن نبيك؟ قال: لا أدري قالا: ومن إمامك؟ قال: لا أدري فيضربانه بالعمود ضربة حتى يلتهب القبر ناراً ويضيق عليه حتى تختلف أعضاؤه ».

وأما حديث بشير بن أكال؛ فاخرجه البزار والطبراني وابن السكن عن أيوب بن بشير عن أبيه قال: كانت ثائرة في بني معاوية، فذهب رسول الله ﷺ يصلح بينهم فالتفت إلى قبر فقال: لا دريت. فقيل له فقال: « إن هذا يسأل عني فقال: لا أدري ».

وأما حديث ثوبان: فاخرجه أبو نعيم عنه قال: قال رسول الله ﷺ « إذا مات المؤمن كانت

الصلاة عند رأسه والصدقة عن يمينه والصيام عند صدره » وذكر حديث القبر نحو حديث البراء. هكذا أورده في الحلية ولم يسقه.

وأما حديث جابر بن عبد الله؛ فاخرج أحمد والطبراني في الأوسط، وابن أبي الدنيا والبيهقي من طريق ابن الزبير انه سأل جابر بن عبد الله عن فتاني القبر فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن هذه الامة تبتلى في قبورها فإذا ادخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاءه ملك شديد الانتهار فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول المؤمن: أقول إنه رسول الله وعبده. فيقول له الملك: انظر إلى مقعدك الذي كان من النار قد أنجاك الله منه، وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدك الذي ترى من الجنة فيراهما كليهما، فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي. فيقال له: اسكن، وأما المنافق فيقعد إذا تولى عنه أهله فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري أقول ما يقول الناس، فيقال له: لا دريت هذا مقعدك الذي كان لك من الجنة قد أبدلك الله مكانه مقعدك من النار » قال جابر: فسمعت النبي ﷺ يقول: « يبعث كل عبد في القبر على ما مات عليه المؤمن على إيمانه والمنافق على نفاقه ».

وأخرج ابن ماجه وابن أبي الدنيا وابن أبي عاصم في السنّة عن جابر رفعه « إذا أدخل الميت قبره مثلت له الشمس عندَ غروبها فيجلس يمسح عينيه ويقول: دعوني أصلي ».

وأخرج ابن أبي الدنيا، وأبو نعيم عن جابر رفعه « إذا أدخل الميت قبره ردّ الروح في جسده وجاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان » الحديث.

وروى ابن أبي عاصم وابن مردويه والبيهقي من طريق أبي سفيان عن جابر رفعه: « إذا وضع المؤمن في القبر أتاه ملكان فانتهراه فقام يهب كما يهب النائم فيقال له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي فينادي مناد: أن صدق فافرشوه من الجنة والبسوه من الجنة فيقول: دعوني أخبر أهلي، فيقال له اسكن ».

وأما حديث حذيفة فقد تقدم عند ذكر معرفة الميت لمن يغسله ويكفنه.

وأما حديث عبادة بن الصامت؛ فقد تقدم ذكره مختصراً وهو طويل رواه ابن أبي الدنيا في التهجد، وابن الضريس في فضائل القرآن وحميد بن زنجويه في فضائل الأعمال وأوّله: « إذا قام أحدكم في الليل فليجهر بقراءته » الحديث وفيه « فيصعد القرآن إلى ربه فيسأل له فراشاً ودثاراً فيؤمر له بفراش ودثار وقنديل من نور الجنة وياسمين من الجنة فيحمله ألف ملك من مقربي السماء الدنيا » وفيه « فيوسع له مسيرة أربعمائة عام » قال أبو موسى المديني: هذا خبر حسن. رواه أحمد وأبو خيثمة وطبقتها عن أبي عبد الرحمن المقري بسنده إلى عبادة، وقد أخرجه العقيلي في الضعفاء، وابن الجوزي في الموضوعات من وجه آخر عن عبادة مرفوعاً وقال: لا يصح.

وأما حديث ابن عباس؛ فاخرج البيهقي بسند حسن عنه رفعه « إن الميت يسمع خفق نعالهم

....

حين يولون » قال: « ثم يجلس فيقال له: من ربك؟ فيقول: الله، ثم يقال له: ما دينك؟ فيقول: الإسلام. ثم يقال له: من نبيك؟ فيقول: محمد. فيقال: وما علمك؟ فيقول: عرفته وآمنت به وصدقت بما جاء به من الكتاب، ثم يفسح له في قبره مدّ بصره وتجعل روحه مع أرواح المؤمنين ». وروى الطبراني في الأوسط بسند حسن عنه قال: اسم الملكين اللذين يأتيان في القبر منكر ونكير.

وروى ابن أبي حاتم والبيهقي عنه قال: « إذا دفن المؤمن أجلس في قبره فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقال له: من رسولك؟ فيقول: محمد. فيقال له: ما شهادتك؟ فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية فيوسع له في قبره مدّ بصره، وأما الكافر فتنزل الملائكة فيبسطون أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت، فإذا أدخل قبره أقعد فقيل له: من ربك؟ فلم يرجع إليهم شيئاً وأنساه الله ذكر ذلك، وإذا قيل له: من الرسول الذي بعث إليكم، لم يهتد له ولم يرجع إليهم شيئاً فذلك قوله تعالى: ﴿ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ [إبراهيم: ٢٧] ولحديث ابن عباس طريق أخرى تقدم ذكرها في ذكر حديث عمر بن الخطاب، وطريق أخرى رواها جويبر في التفسير عن الضحاك عنه بأطول مما ذكر يشبه سياقه سياق حديث البراء.

وأما حديث ابن عمر؛ فأخرجه الديلمي في مسند الفردوس عنه رفعه « الظوا ألسنتكم قول لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإن الله ربنا والإسلام ديننا ومحمداً نبينا فإنكم تسألون عنها في قبوركم ».

وأما حديث عبد الله بن عمرو؛ فقد تقدم في ترجمة حديث عمر بن الخطاب.

وأما حديث ابن مسعود؛ فله طرق منها ما أخرج الطبراني في الكبير بسند حسن، والبيهقي في عذاب القبر عنه قال: « إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره فيقال له: ما ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ، فيوسع له في قبره ويفرج له فيه ثم قرأ ﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾ الآية. وان الكافر إذا أدخل في قبره أجلس فيه فقيل له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري فيضيق عليه قبره ويعذب فيه ثم قرأ ابن مسعود ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ [طه: ١٢٤] الآية.

ومنها: ما أخرج ابن أبي شيبة، والبيهقي عنه قال: « إن أحدكم ليجلس في قبره إجلاساً فيقال له: ما أنت؟ فإن كان مؤمناً قال: أنا عبدالله حياً وميتاً أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيفسح له في قبره ما شاء فيرى مكانه من الجنة، وينزل عليه كسوة يلبسها من الجنة. وأما الكافر فيقال له: ما أنت؟ فيقول: لا أدري فيقال: لادريت ثلاثاً فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويرسل عليه حيات من جوانب قبره تنتهسه وتأكله، فإذا جزع فصاح قمع بمقمع من نار أو حديد ويفتح له باب إلى النار ».

ومنها: ما روى الآجرى في الشريعة عنه قال: « إذا توفي العبد بعث الله إليه ملائكة فيقبضون روحه في أكفانه، فإذا وضع في قبره بعث الله إليه ملكين ينتهرانه فيقولان: من ربك؟ قال: ربي الله. قالا: ما دينك؟ قال: ديني الإسلام. قالا: من نبيك؟ قال: نبيّي محمد. قالا: صدقت كذلك كنت افرشوه من الجنة والبسوه منها وأروه مقعده منها. وأما الكافر فيضرب ضربة يلتهب قبره منها ناراً ويضيق عليه قبره حتى تختلف عليه أضلاعه، وتبعث حيات من حيات القبر كأعناق الإبل ».

ومنها: ما روى الخلال في كتاب شرح السنة عنه قال: « إن المؤمن إذا نزل به الموت أتاه ملك الموت » فساقه وفيه: « فإذا وضع في قبره اجلس وجيء بالروح وجعلت فيه فيقال له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيّي محمد ﷺ. فيقال له: صدقت فيوسع له في قبره مدّ بصره، ثم ترفع روحه فتجعل في أعلى عليين ». الحديث.

وأما حديث عثمان؛ فاخرج أبو داود والحاكم والبيهقي عنه قال: مرّ رسول الله ﷺ بجنازة عند قبر وصاحبه يدفن فقال: « استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل ».

وأما حديث عمرو بن العاص، فقد تقدم ذكره في كلام المحتضرين.

وأما حديث معاذ؛ فروى البزار عنه رفعه: « إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن عليه خيمة من نور » فساقه وفيه: « فإذا وضع في قبره وسوى عليه وتفرق عنه أصحابه أتاه منكر ونكير فيجلسانه في قبره » الحديث وفيه: « فيقول القرآن ليس عليك بعد مسألة منكر ونكير هم ولا حزن، فيسأله منكر ونكير ويصعدان ويبقى هو والقرآن » الحديث بطوله وهو غريب وفي إسناده جهالة وانقطاع.

وأما حديث أبي أمامة؛ فقد تقدم في التلقين.

وأما حديث أبي الدرداء، فاخرج ابن المبارك في الزهد، وابن أبي شيبة والآجرى في الشريعة، والبيهقي عنه أن رجلاً قال له: علمني خيراً ينفعني الله به فقال: « اما لا فاعقل كيف أنت إذا لم يكن لك من الأرض إلا موضع أربعة أذرع في ذراعين جاء بك أهلك الذين كانوا يكرهون فراقك، وإخوانك الذين كانوا يتحزبون لأمرك فتلوك في ذلك ثم سدوا عليك من اللبن وأكثروا عليك من التراب، فجاءك ملكان أزرقان جعدان يقال لهما منكر ونكير فقالا: من ربك وما دينك ومن نبيك، فإن قلت: ربي الله وديني الإسلام ونبيّي محمد فقد والله هديت ونجوت ولن تستطيع ذلك إلا بتثبيت من الله تعالى مع ما ترى من الشدة والتخويف، وإن قلت لا أدري فقد والله هويت ».

وأما حديث أبي سعيد الخدري، فاخرج أحمد والبزار وابن أبي الدنيا وابن أبي عاصم في السنة

....

وابن مردويه والبيهقي بسند صحيح عنه قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة فقال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن فتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فاقعده قال: ما تقول في هذا الرجل؟ إن كان مؤمناً قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول له: صدقت ثم يفتح له باب إلى النار فيقول: هذا منزلك لو كفرت بربك فأما إذا آمنت فهذا منزلك فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن ويفسح له في قبره، وإن كان كافراً أو منافقاً قيل له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فيقال: لا دريت ولا تليت ولا اهتديت، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقول: هذا منزلك لو آمنت بربك فأما إذا كفرت به فإن الله أبدلك به هذا ويفتح له إلى النار ثم يقمعه مقمعة بالمطراق يسمعها خلق الله كلهم غير الثقلين» فقال بعض القوم: يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هيل عند ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت».

وأما حديث أبي رافع، فاخرج الطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة عنه أن رسول الله ﷺ مرّ على قبر فقال: «اف اف اف» فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما معك غيري فمني أففت؟ قال: «لا ولكني أففت من صاحب هذا القبر الذي سئل عني فشك فيّ».

وروي البزار والطبراني والبيهقي عنه قال: بينما رسول الله ﷺ في بقيع الغرقد وأنا أمشي خلفه إذ قال: «لاهديت ولا اهتديت» قلت: مالي يا رسول الله. قال: «لست إياك أردت ولكن أريد صاحب هذا القبر الذي سئل عني فزعم أنه لا يعرفني، فإذا قبر مرشوش عليه ماء حين دفن في القبر صاحبه».

وأما حديث أبي قتادة، فاخرجه ابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط وابن منده عنه قال: «إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره فيقال له: من ربك؟ فيقول: الله تعالى. فيقال له: من نبيك؟ فيقول: محمد بن عبدالله، فيقال له ذلك ثلاث مرات، ثم يفتح له باب إلى النار فيقال: انظر إلى منزلك لو زغت، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال: انظر إلى منزلك في الجنة إذ ثبت، وإذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال له: من ربك من نبيك؟ فيقول: لا أدري كنت أسمع الناس يقولون. فيقال له: لا دريت ثُم يفتح له باب إلى الجنة فيقال: انظر إلى منزلك لو ثبت، ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له انظر إلى منزلك إذ زغت فذلك قوله تعالى ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا﴾ قال لا إله إلا الله وفي الآخرة قال المسألة في القبر».

وأما حديث أبي موسى، فأخرجه البيهقي في عذاب القبر عقب حديث ابن مسعود ولم يسق لفظه بل أحاله عليه.

وأما حديث أسماء بنت أبي بكر، فأخرج ابن أبي شيبة والبخاري عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور. فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن

وقال محمد بن المنكدر: بلغني أن الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط من حديد في رأسه مثل غرب الجمل تضربه به إلى يوم القيامة. لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه.

أو الموقن فيقول: هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا واتبعنا. فيقال له: قد علمنا إن كنت لمؤمناً ثم صالحاً، وأما المنافق أو المرتاب فيقول: لا أدري سمعت الناس شيئاً يقولونه فقلته».

وروى أحمد عنها رفعته: «إذا أدخل الإنسان في قبره يأتيه الملك فيناديه: اجلس فيجلس فيقول له: ما تقول في هذا الرجل - يعني النبي ﷺ؟ قال: من قال محمد قال أشهد أنه رسول الله قال: يقول على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث، وإن كان فاجراً أو كافراً جاءه الملك فأجلسه ويقول: ما تقول في هذا الرجل؟ قال: أي رجل؟ قال: محمد. قال: يقول والله ما أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته. قال: فيقول له الملك على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث» الحديث.

وأما حديث عائشة؛ فاخرج أحمد والبيهقي بسند صحيح عنها قالت: جاءت يهودية فاستطعمت على بابي فقالت: اطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر فساق الحديث. وفيه فقال النبي ﷺ: «فأما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون، فإذا كان الرجل الصالح أجلس في قبره غير فزع ولا مشعوف، ثم يقال: فيم كنت؟ فيقول: في الإسلام. فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال: هذا مقعدك منها. ويقال: على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى، وإذا كان الرجل السوء جلس في قبره فزعاً مشعوفاً فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري، فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: سمعت الناس يقولون قولاً فقلت كما قالوا، فيفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها. فيقال له: انظر إلى ما صرف الله عنك، ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضاً ويقال: هذا مقعدك بها على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث ثم يعذب».

وأخرج البزار عنها قالت: قلت يا رسول الله تبتلى هذه الأمة في قبورها فكيف بي وأنا امرأة ضعيفة؟ قال: «يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة». فهذه جملة الأخبار التي وردت في سؤال الملكين.

(وقال محمد بن المنكدر) التيمي رحمه الله: **(بلغني أن الكافر يسلط عليه في قبره دابة عمياء صماء في يدها سوط من حديد في رأسه مثل عرف الجمل تضربه به إلى يوم القيامة لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته فترحمه)**. رواه ابن أبي الدنيا هكذا عنه بلاغاً. ورواه أحمد في المسند موصولاً من روايته عن أسماء بنت أبي بكر رفعته فقال: حدثنا حجين بن المثنى، حدثنا عبد

وقال أبو هريرة: إذا وضع الميت في قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته، فإن أتاه من قبل رأسه جاء قراءته القرآن. وإن أتاه من قبل رجليه جاء قيامه، وإن أتاه من قبل يده قالت اليدان: والله لقد كان يبسطني للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه، وإن جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه، وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحية فيقول أما إني لو رأيت خللاً لكنت أنا صاحبه. قال سفيان: تجاحش عنه أعماله الصالحة كما يجاحش الرجل عن أخيه وأهله وولده، ثم يقال له عند ذلك: بارك الله في مضجعك فنعم الأخلاء أخلاؤك ونعم الأصحاب أصحابك.

العزيز يعني ابن أبي سلمة الماجشون، عن محمد بن المنكدر قال: كانت أسماء تحدث عن النبي ﷺ قالت: «إذا دخل الإنسان في قبره فإن كان مؤمناً أحف به عمله الصلاة والصيام فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده، ومن نحو الصيام فيرده، فيناديه: اجلس فيجلس فيقول له» ثم ساق الحديث على نحو ما ذكر قريباً وفي آخره: «وتسلط عليه دابة في قبره معها سوط ثمره جمرة مثل عرف البعير تضربه ما شاء الله لا تسمع صوته فترحمه». وقد أخرج الطبراني طرفاً منه في الكبير، وحديثها في الصحيح باختصار وقد تقدم لفظه. قال في الصحاح. ثمر السوط عقد أطرافها، وعرف البعير والفرس الشعر النابت على المعرفة.

(وقال أبو هريرة) رضي‌الله عنه: **(إذا وضع الميت في قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته فإن أتاه من قبل رأسه جاء قراءته القرآن، وإن أتاه من قبل رجليه جاء قيامه، وإن أتاه من قبل يديه قالت اليدان والله لقد كان يبسطني للصدقة والدعاء لا سبيل لكم عليه من قبلي، وإن جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه، وكذلك تقف الصلاة والصبر ناحية فيقول: أما أني لو رأيت خللاً لكنت أنا صاحبه. قال سفيان)** الثوري راويه: **(تجاحش)** بجيم ثم حاء مهملة ثم شين معجمة أي تدافع **(عنه أعماله الصالحة كما يجاحش الرجل عن أخيه وأهله وولده، ثم يقال له عند ذلك: بارك الله في مضجعك، فنعم الأخلاء أخلاؤك، ونعم الأصحاب أصحابك)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وفيه قال: وكذلك الصلاة. قال: والصبر ناحية فيقول: أما أني لو رأيت خللاً كنت صاحبه وتجاحش عنه أعماله الخ، ولم يقل قال سفيان.

وروى ابن منده والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رفعه قال: «يؤتى الرجل في قبره فإذا أتي من قبل رأسه دفعه تلاوة القرآن، وإن أتي من قبل يديه دفعته الصدقة، وإذا أتي من قبل رجليه دفعه مشيه إلى المساجد والصبر حجرة فقال: أما أني لو رأيت خللاً كنت صاحبه». قوله حجرة بفتح الحاء المهملة وسكون الجيم وراء أي ناحية.

وروى هناد في الزهد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والطبراني في الأوسط وابن حبان في صحيحه وابن مردويه والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة: «والذي نفسي بيده إن الميت إذا

....

وقع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حتى يولون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن شماله وفعل الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس من قبل رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ليس قبلي مدخل، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة ليس قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات والمعروف والإحسان إلى الناس ليس قبلي مدخل، فيقال له اجلس وقد مثلت له الشمس وقد قربت للغروب فيقال: أخبرنا عما نسألك. فيقول: عم تسألوني؟ فيقال: ما تقول في هذا الرجل» فساقوا الحديث بطوله. وهذه إحدى طرق حديث أبي هريرة في إثبات السؤال.

وروى ابن أبي الدنيا وابن منده عن أبي هريرة قال: «إذا احتضر المؤمن فخرج روحه من جسده تقول الملائكة: روح طيبة من جسد طيب، فإذا خرج من بيته إلى قبره فهو يحب ما أسرع به فإذا أدخل في قبره آتاه آت ليأخذ برأسه فيحول سجوده بينه وبينه، ويأتيه ليأخذ ببطنه فيحول صيامه بينه وبينه، ويأتيه ليأخذ بيده فتحول صدقته بينه وبينه، ويأتيه ليأخذ برجليه فيحول قيامه عليهما في الصلاة ومشاه عليهما إلى الصلاة بينه وبينه، فما يفزع المؤمن بعدها أبداً وإن من شاء الله من الخلق ليفزع، فإذا رأى مقعده وما أعدله قال: رب بلغني إلى منزلي، فيقال له: إن لك اخواناً وأخوات لم يلحقوا بك فنم قرير العين» الحديث.

وروى ابن أبي الدنيا عن عائشة قالت: «إذا أخرج بسرير المؤمن نادى أنشدكم بالله لما أسرعتم بي فإذا أدخل قبره حفه عمله فتجيء الصلاة فتكون عن يمينه ويجيء الوضوء فيكون عن يساره ويجيء عمله بالمعروف فيكون عند رجليه، فتقول الصلاة: ليس لكم قبلي مدخل كان يصلي بي، فيأتيه من قبل يساره فيقول الصوم: إنه كان يصوم ويعطش فلا يجدون موضعاً، فيأتون من قبل رجليه فتخاصم عنه أعماله فلا يجدون مسلكاً، وإذا كان الآخر نادى بصوت يسمعه كل شيء إلا الإنسان فإنه لو سمعه صعق أو جزع».

فصل

في فوائد منثورة تتعلق بالسؤال:

الأولى: روى أحمد في الزهد عن طاوس قال: إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعاً، فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام.

الثانية: قال الحكيم في نوادر الأصول عن سفيان الثوري قال: إذا سئل الميت من ربك تراءى له الشيطان في صورة فيشير إلى نفسه أنا ربك. قال الحكيم: ويؤيده من الأخبار قوله ﷺ عند دفن الميت «اللهم أجره من الشيطان» فلو لم يكن هناك للشيطان سبيل ما دعا ﷺ بذلك.

الثالثة: قال ابن شاهين في السنة: حدثنا عبدالله بن سليمان، حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا بقية، حدثني صفوان، حدثني راشد قال: كان النبي ﷺ يقول: «تعلموا حجتكم فإنكم

مسؤولون » حتى إن كان أهل البيت من الأنصار يحضر الرجل منهم الموت فيوصونه والغلام إذا عقل فيقولون له إذا سألوك عن ربك ؟ فقل : الله ربي ، وما دينك ؟ فقل الإسلام ديني ، ومن نبيك فقل محمد نبي .

الرابعة : قال القرطبي : جاء في رواية سؤال ملكين وفي أخرى سؤال ملك واحد ، ولا تعارض بل ذلك بالنسبة إلى الأشخاص فربّ شخص يأتيه اثنان معاً عند انصراف الناس ليكون أهول في حقه وأشد بحسب ما اقترف من الآثام ، وآخر يأتيانه قبل انصراف الناس عنه تخفيفاً عليه لحصول أنسه بهم ، وآخر يأتيه ملك واحد فيكون أخف عليه وأقل في المراجعة لما قدمه من العمل الصالح . قال : ويحتمل أن يأتي الاثنان ويكون السائل أحدهما وإن اشتركا في الإتيان ، فتحمل رواية الواحد على هذا . قال السيوطي في شرح الصدور : هذا الثاني هو الصواب فإن ذكر الملكين هو الموجود في غالب الأحاديث .

الخامسة : قال القرطبي : اختلف الأحاديث في كيفية السؤال والجواب ، وذلك بحسب الأشخاص أيضاً ، فمنهم من يسأل عن بعض اعتقاداته ، ومنهم من يسأل عن كلها . قال : ويحتمل أن يكون الاقتصار على البعض من بعض الرواة وأتى به غيره تاماً قال السيوطي : هذا الثاني هو الصواب لاتفاق أكثر الأحاديث عليه . نعم يؤخذ منها خصوصاً من رواية أبي داود عن أنس ، فما يسأل عن شيء بعدها . ولفظ ابن مردويه : فما يسأل عن شيء غيرها . إنه لا يسأل عن شيء من التكليفات غير الاعتقاد خاصة ، وصرح في رواية البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾ [إبراهيم : ٢٧] الآية . قال : الشهادة يسألون عنها في قبورهم بعد موتهم . قيل لعكرمة ما هو ؟ قال : يسألون عن الإيمان بمحمد وأمر التوحيد .

السادسة : ورد في رواية أنه يسأل في المجلس الواحد ثلاث مرات ، وباقي الروايات ساكتة عن ذلك ، فيحمل على ذلك أو يختلف الحال بالنسبة إلى الأشخاص ، وقد تقدم عن طاوس أنهم يفتنون سبعة أيام .

السابعة : قال الباقلاني : إن من لم يدفن ممن بقي على وجه الأرض يقع لهم السؤال والعذاب ، ويحجب الله أبصار المكلفين عن رؤية ذلك كما حجبها عن رؤية الملائكة والشياطين . قال بعضهم : وترد الحياة إلى المصلوب ونحن لا نشعر به ، كما أنا نحسب المغمى عليه ميتاً ، وكذلك يضيق عليه الجوّ كضمة القبر ولا يستنكر شيئاً من ذلك من خالط الإيمان قلبه ، وكذلك من تفرقت أجزاؤه يخلق الله الحياة في بعضها أو كلها ويوجه السؤال إليها . قاله إمام الحرمين . قال بعضهم : وليس هذا بأبعد من الذر الذي أخرجه الله من صلب آدم ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

الثامنة : قال ابن عبد البر : لا يكون السؤال إلا لمؤمن أو منافق كان منسوباً إلى دين الإسلام

بظاهر الشهادة، بخلاف الكافر فإنه لا يسأل. وخالفه القرطبي، وابن القيم فقالا: أحاديث السؤال فيها التصريح بأن الكافر والمنافق يسألان.

قال السيوطي في شرح الصدور: وما قالاه ممنوع فإنه لم يجمع بينهما في شيء من الأحاديث، وإنما ورد في بعضها ذكر المنافق وفي بعضها بدله ذكر الكافر وهو محمول بأن المراد به المنافق بدليل قوله في حديث أسماء: «وأما المنافق أو المرتاب» ولم يذكر الكافر انتهى.

وقال في أمالي الدرة لطيفة: رأيت في النوم في العام الماضي أني أملي حديث السؤال وأني أقول في آخره: «وأما الفاسق فيمتحن بما كان يعمل في الدنيا» أو كلمة تشبه هذه، ولعمري وهذا وإن لم يذكر في الحديث حتى تعرض له بعض الأئمة وسأل عن حكمته لأن المسؤول إما مؤمن فيجاب بالنعيم أولا فيجاب بالجحيم، فهل المؤمن الفاسق كالأوّل أولا؟ فلا يبعد أن يقال: إنه يسأل عما كان يفسق به بأن يقال مثلاً لتارك الصلاة ما تقول في الصلاة ونحو ذلك، ثم يرى مقعده من الجنة بعد تعذيبه على فسقه، ثم وجدت حديثاً يشعر بذلك فاخرج الديلمي في مسند الفردوس: «إذا احتضر المسلم العاصي قيل له ابشر بالجنة بعد انتقام كذا وكذا».

التاسعة: روى صاحب الحلية عن ضمرة بن حبيب قال: فتان القبر ثلاثة: أنكر، وناكور، ورومان. وروى ابن لال، وابن الجوزي في الموضوعات عنه مرفوعاً «فتانو القبر أربعة: منكر ونكير وناكور وسيدهم رومان». قال ابن الجوزي: هذا الحديث لا أصل له، وضمرة تابعي ورواية الوقف عليه أثبت انتهى.

وسئل الحافظ ابن حجر: هل يأتي الميت ملك اسمه رومان؟ فاجاب: أنه ورد بسند فيه لين.

قلت: ولعل المصنف رحمه الله تعالى نظر إلى هذا فذكر في الدرة الفاخرة رومان، وعزاه إلى حديث ابن مسعود، وأنكر السيوطي في أمالي الدرة هذا وقال: ليس في طرق أحاديث السؤال ذكر رومان ولا فتانين قبل منكر ونكير بل هما الفتانان.

العاشرة: قال الحكيم الترمذي: سؤال القبر خاص بهذه الأمة، لأن الأمم قبلها كانت الرسل تأتيهم بالرسالة، فإذا أبوا كفت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب، فلما بعث الله محمداً ﷺ بالرحمة أمسك عنهم العذاب، وأعطي السيف حتى يدخل دين الإسلام من دخل لمهابة السيف ثم يرسخ الإيمان في قلبه، فمن هنا ظهر النفاق، فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الإيمان، فكانوا بين المسلمين في ستر فلما ماتوا قيض الله لهم فتاني القبر ليستخرج سرّهم بالسؤال وليميز الخبيث من الطيب انتهى.

وخالفه آخرون فقالوا: السؤال لهذه الأمة ولغيرها، قال ابن عبد البر ويدل على الاختصاص قوله: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها. وقوله: أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم. وقوله: «بي تفتنون وعني تسألون».

الحادية عشر: قال الحكيم أيضاً: إنما سمي فتانا القبر لأن في سؤالهما انتهاراً وفي خلقتهما صعوبة وسمّيا منكراً ونكيراً لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق البهائم ولا خلق

....

الهوام، بل هما خلق بديع وليس في خلقهما أنس للناظرين إليهما، جعلهما الله تكرمة للمؤمن لتثبته وتبصره وهتكاً لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث حتى يحل عليه العذاب. قال السيوطي: وهذا إنما يدل على أن الاسم منكر بفتح الكاف وهو المجزوم به وفي القاموس، وذكر ابن يونس من أصحابنا الشافعية أن اسم ملكي المؤمن مبشر وبشير.

الثانية عشر: قال القرطبي: إن قيل كيف يخاطب الملكان جميع الموتى في الأماكن المتباعدة في الوقت الواحد؟ فالجواب: إن عظم جثتهما يقتضي ذلك فيخاطبان الخلق الكثير في الجهة الواحدة في المرة الواحدة مخاطبة واحدة بحيث يخيل لكل واحد من المخاطبين أنه المخاطب دون من سواه، ويمنعه الله من سماع جواب بقية الموتى. قال السيوطي: ويحتمل تعدد الملائكة المعدة لذلك كما في الحفظة ونحوهم، ثم رأيت الحليمي من أصحابنا ذهب إليه فقال في منهاجه: والذي يشبه أن يكون ملائكة السؤال جماعة كثيرة يسمى بعضهم منكراً وبعضهم يسمى نكيراً، فيبعث إلى كل ميت اثنان منهم كما كان الموكل عليه لكتابة عمله ملكين.

الثالثة عشر: وقع في فتاوى العلم البلقيني: إن الميت يجيب السؤال بالسريانية. قال السيوطي: ولم أقف لذلك على مستند، وسئل الحافظ ابن حجر عن ذلك فقال: ظاهر الحديث أنه بالعربي قال: ويحتمل مع ذلك أن يكون خطاب كل واحد بلسانه.

الرابعة عشر: في أسئلة تتعلق بهذا الباب سئلها الحافظ ابن حجر. سئل عن الميت إذا سئل هل يقعد أم يسأل وهو راقد؟ فأجاب يقعد. وسئل: عن الروح هل تلبس الجثة حينئذ كما كانت؟ فأجاب: نعم، لكن ظاهر الخبر أنها تحل في نصفه الأعلى. وسئل: هل يكشف له حتى يرى النبي ﷺ؟ فأجاب: إنه لم يرد في حديث وإنما ادعاه بعض من لا يحتج به بغير مستند سوى قوله في هذا الرجل ولا حجة فيه، لأن الإشارة إلى الحاضر في الذهن. وسئل عن الأطفال: هل يسألون؟ فأجاب: الذي يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفاً.

الخامسة عشر: قال ابن القيم: الأحاديث مصرحة بإعادة الروح إلى البدن عند السؤال، لكن هذه الإعادة لا تحصل بها الحياة المعهودة التي تقوم بها الروح بالبدن وتدبره ويحتاج معها إلى الطعام ونحوه، وإنما يحصل بها للبدن حياة أخرى يحصل بها الامتحان بالسؤال، وكما أن حياة النائم وهو حي غير حياة المستيقظ، فإن النوم أخو الموت ولا ينفي عن النائم إطلاق الحياة، فكذلك حياة الميت عند الإعادة غير حياة الحي وهي حياة لا تنفي عند انطلاق اسم الموت، بل أمر متوسط بينهما، ولا دلالة في الحديث على أنها مستقرة، وإنما تدل على تعلق مالها من البدن وهي لا تزال متعلقة به، وإن بلي وتمزق وتقسم وتفرق. وقال ابن تيمية: الأحاديث متواترة على عود الروح إلى البدن وقت السؤال وسؤال البدن بلا روح قول طائفة منهم ابن الزاغوني. وحكي عن ابن جرير وأنكره الجمهور وقابلهم آخرون، فقالوا: السؤال للروح بلا بدن قاله ابن حزم، وآخرون منهم ابن عقيل وابن الجوزي وهو غلط، وإلا لم يكن للقبر بذلك اختصاص وقد تقدم ذلك في أول الباب.

وعن حذيفة قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال: «يضغط المؤمن في هذا ضغطة ترد منها حمائله». وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «إن للقبر ضغطة ولو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن

السادسة عشر: قال اليافعي في روض الرياحين عن شقيق البلخي أنه قال: طلبنا خمساً فوجدناها في خمس. طلبنا ترك الذنوب فوجدناه في صلاة الضحى، وطلبنا ضياء القبور فوجدناه في صلاة الليل، وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن، وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم والصدقة، وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة.

السابعة عشر: قال البزازي من الحنفية في فتاويه: السؤال فيما يستقر فيه الميت حتى لو أكله سبع، فالسؤال في بطنه فإن جعل في تابوت لنقله إلى مكان آخر لا يسأل ما لم يدفن، ولما فرغ المصنف من بيان سؤال منكر ونكير وصورتها شرع في بيان ضغطة القبر التي هي من جملة الفتن فقال:

(وعن حذيفة) بن اليمان رضي الله عنهما **(قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على رأس القبر)** وفي رواية. فلما انتهينا إلى القبر قعد على شفته **(ثم جعل ينظر فيه)** وفي رواية فجعل يردد بصره فيه **(ثم قال: «يضغط المؤمن في هذا)** وفي رواية يضغط فيه المؤمن **(ضغطة ترد منها حمائله»)** وفي رواية تزول منها حمائله. قال الأزهري: الحمائل هنا عروق الانثيين. قال: ويحتمل أن يراد موضع حمائل السيف أي عواتقه وصدره وإضلاعه. قال العراقي: رواه أحمد بسند ضعيف اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحكيم في النوادر، والبيهقي في عذاب بزيادة: «ويملأ على الكافر فيه ناراً». وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، ورد عليه الحافظ ابن حجر في القول المسدد.

(وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «إن للقبر ضغطة ولو سلم منها أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ») قال العراقي: رواه أحمد بسند جيد اهـ.

قلت: لفظ أحد: «لو كان أحد ناجياً منها نجا منها سعد بن معاذ». وكذلك رواه البيهقي. وروى أحمد والحكيم والطبراني والبيهقي عن جابر بن عبدالله قال: لما دفن سعد بن معاذ سبّح النبي ﷺ وسبّح الناس معه طويلاً ثم كبر وكبر الناس، ثم قالوا: يا رسول الله لم سبحت؟ قال: «لقد تضايق على هذا الرجل الصالح قبره حتى فرج الله عنه». وروى سعيد بن منصور والحكيم والطبراني والبيهقي عن ابن عباس أن النبي ﷺ يوم دفن سعد بن معاذ وهو قاعد على قبره قال: «لو نجا من ضمة القبر أحد لنجا سعد بن معاذ ولقد ضم ضمة ثم أرخي عنه». وروى النسائي والبيهقي عن ابن عمر رفعه قال: «هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهد جنازته سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه» يعني سعد بن معاذ. قال الحسن: تحرك له العرش فرحاً بروحه أخرجه البيهقي في الدلائل. وروى الترمذي والحاكم والبيهقي عنه قال: «دخل رسول الله ﷺ قبر سعد بن معاذ فاحتبس فلما خرج قيل: يا رسول الله ما حبسك؟ قال: ضم سعد في القبر

معاذ ». وعن أنس قال: توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ وكانت امرأة مسقامة، فتبعها رسول الله ﷺ فساءنا حاله، فلما انتهينا إلى القبر فدخله التمع وجهه صفرة، فلما خرج أسفر وجهه، فقلنا: يا رسول الله رأينا منك شأناً فممّ ذلك؟ قال: « ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر، فأتيت فأخبرت أن الله قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين ».

ضمة فدعوت الله أن يكشف عنه ». وروى هناد في الزهد عن ابن أبي مليكة قال: « ما أجير من ضغطة القبر أحد إلا سعد بن معاذ الذي منديل من مناديله في الجنة خير من الدنيا وما فيها ». وقال ابن سعد: أنبأنا كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان قال: بلغني أن النبي ﷺ قال وهو قائم عند قبر سعد بن معاذ: « لقد ضغط ضغطة أو همز همزة لو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد ». وروى ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن عبد المجيد بن عبد العزيز عن أبيه أن نافعاً مولى ابن عمر لما حضرته الوفاة جعل يبكي فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت سعداً وضغطة القبر. وروي عن عبد الرزاق عن مجاهد قال: أشد حديث سمعناه من النبي ﷺ قوله في سعد بن معاذ وقوله في أمر القبر. وروى الحكيم والبيهقي من طريق ابن إسحاق قال: حدثني أمية بن عبدالله أنه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم من قول رسول الله ﷺ في هذا؟ فقالوا ذكر لنا أن رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: « كان يقصر في بعض الطهور من البول ».

قلت: روى هناد في الزهد عن الحسن أن النبي ﷺ قال حين دفن سعد بن معاذ: « إنه ضم في القبر ضمة حتى صار مثل الشعرة فدعوت الله أن يرفع عنه وذلك بأنه كان يستبرىء من البول ». وروى ابن سعد في الطبقات قال: أخبرنا شبابة بن سوار، أخبرني أبو معشر عن سعيد المقبري قال: لما دفن رسول الله ﷺ سعداً قال: « لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا سعد ولقد ضم ضمة اختلفت منها أضلاعه من أثر البول ». وهذه الأخبار تؤيد قول من قال: إن المراد به تقصيره من بول نفسه، وهو الظاهر. ويرد قول من وجه بأنه كان له إبل كثيرة فلعله كان يدخل بينها فيصيب ثوبه أو بدنه منها وهو لا يعلم.

(**وعن أنس**) رضي الله عنه (**قال: توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ**) رضي عنها وكان وفاتها في أول سنة ثمان من الهجرة، (**وكانت امرأة مسقامة**) أي كثيرة الأمراض، (**فتبعها رسول الله ﷺ فساءنا حاله، فلما انتهينا إلى القبر فدخله التمع وجهه صفرة، فلما خرج اسفر وجهه فقلنا: يا رسول الله رأينا منك شأناً فمم ذلك؟ قال: « ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فأتيت فأخبرت أن قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين »**) قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من رواية الأعمش عن أنس ولم يسمع منه اهـ.

قلت: رأى الاعمش أنساً. قال ابن المديني. ولم يحمل عنه إنما رآه يخضب، ورآه يصلي وإنما

....

سمعها من يزيد الرقاشي وأبان عن أنس، وقال ابن معين: كل ما روى الأعمش عن أنس فهو مرسل. وعن وكيع عن الأعمش قال: رأيت أنساً وما منعني أن أسمع منه إلا استغنائي بأصحابي.

قلت: وروي عن أنس في سنن أبي داود والترمذي، وقد روى الطبراني من هذا الوجه عن أنس قال: توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ فخرجنا معه فرأيناه مهتماً شديد الحزن، فقعد على القبر هنيهة وجعل ينظر إلى السماء ثم نزل فيه فرأيته يزداد حزناً، ثم خرج فرأيته سري عنه وتبسم فسألناه فقال: «كنت أذكر ضيق القبر وغمه وضعف زينب فكان ذلك يشق علي فدعوت الله أن يخفف عنها ففعل، ولكن ضغطها ضغطة سمعها من بين الخافقين إلا الجن والانس».

وقد روي نحو ذلك في ابنته رقية رضي الله عنها روى سعيد بن منصور وابن أبي الدنيا عن زاذان أبي عمر قال: لما دفن رسول الله ﷺ ابنته رقية جلس عند القبر فتربد وجهه ثم سري عنه فسأله أصحابه عن ذلك فقال: «ذكرت ابنتي وضعفها وعذاب القبر فدعوت الله ففرج عنها وأيم الله لقد ضمت ضمة سمعها ما بين الخافقين».

وقد عرف مما تقدم من الأخبار والآثار أن ضمة القبر لكل أحد فدخل فيه الصبيان الذين ماتوا صغاراً. ومما يشهد لذلك ما رواه الطبراني بسند صحيح عن أبي أيوب أن صبياً دفن فقال رسول الله ﷺ: «لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي» وروى الطبراني في الأوسط عن أنس أن النبي ﷺ صلّى على صبي أو صبية فقال: «لو أن أحداً نجا من ضمة القبر لنجا هذا الصبي» وروى علي بن معبد في كتاب الطاعة والعصيان من طريق إبراهيم الغنوي عن رجل قال: كنت عند عائشة فمرت جنازة صبي فبكت فقلت لها: ما يبكيك؟ قالت: هذا الصبي بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر. وروى عمر بن شبة في كتاب المدنية عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «ما عفي أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد» قيل: يا رسول الله ولا القاسم ابنك؟ قال «ولا إبراهيم». وكان اصغرهما. ومن الغريب ما قال الزبير بن بكار في الموفقيات: حدثني أبو غزية الأنصاري، عن إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق قال: قال عبد الله بن عمرو: توفي سعد بن معاذ فخرج إليه رسول الله ﷺ فبينما هم يمشون إذ تخلف فوقفوا حتى أدركهم فقالوا: يا نبي الله ما خلفك عنا؟ قال «سمعت سعد بن معاذ حين ضم في قبره» قالوا: ضم في قبره وقد اهتزله عرش الرحمن؟ فقال: «سعد أكرم على الله أم يحيى بن زكريا فوالذي نفسي بيده لقد ضم لأنه شبع شبعة من خبز شعير».

قال السيوطي: هذا حديث منكر بمرة واسناده معضل، والمعروف ان الأنبياء لا يضغطون. قال أبو القاسم السعدي في كتاب الروح له: لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح غير أن الفرق بين المسلم والكافر فيها دوام الضغطة للكافر، وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله إلى قبره ثم يعود إلى الافساح له فيه. قال: والمراد بضغطة القبر التقاء جانبيه على جسد الميت. وقال الحكيم الترمذي: سبب هذه الضغطة انه ما من أحد إلا وقد ألم بخطيئة مّا وإن كان صالحاً فجعلت هذه

....

الضغطة جزاء لها ثم تدركه الرحمة، ولذلك ضغط سعد بن معاذ في التقصير من البول. قال: وأما الأنبياء عليهم السلام فلا نعلم أن لهم في القبور ضمة ولا سؤالاً لعصمتهم.

وقال النسفي في بحر الكلام: المؤمن المطيع لا يكون له عذاب القبر وتكون له ضغطة القبر فيجد هول ذلك وخوفه لما أنه تنعم بنعمة الله تعالى ولم يشكر النعمة. وروى ابن أبي الدنيا، عن محمد التيمي قال: كان يقال إن ضمة القبر إنما أصلها أنها أمهم ومنها خلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة، فلما ردّ إليها أولادها ضمتهم ضمة الوالدة التي غاب عنها ولدها، ثم قدم عليها فمن كان لله مطيعاً ضمته برأفة ورفق، ومن كان عاصياً ضمته بعنف سخطاً منها عليه لربها. وروى البيهقي وابن منده والديلمي وابن النجار عن سعيد بن المسيب أن عائشة قالت: يا رسول الله منذ يوم حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعني شيء قال: «يا عائشة إن أصوات منكر ونكير في أسماع المؤمنين كالاثمد في العين وأن ضغطة القبر على المؤمن كالأم الشفيقة يشكو إليها ابنها الصداع فتغمز رأسه غمزاً رفيقاً ولكن يا عائشة ويل للشاكّين في الله كيف يضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة».

فائدة:

قال بعضهم: من فعل سيئة فإن عقوبتها تدفع عنه بعشرة أسباب أن يتوب فيتاب عليه، أو يستغفر فيغفر له، أو يعمل حسنات فتمحوها، أو يبتلى في الدنيا بمصائب فتكفر عنه، أو في البرزخ بالضغطة والفتنة فتكفر عنه، أو يدعو له إخوانه من المؤمنين ويستغفرون له، أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه، أو يبتلى في عرصات القيامة بأهوال تكفر عنه أو تدركه شفاعة نبيه أو رحمة ربه.

الباب الثامن
فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام

اعلم أن أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ومن مناهج الاعتبار، تعرفنا أحوال الموتى على الجملة وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء. ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف بذلك أصلاً، فإنا إن عوّلنا على إيمان زيد وعمرو فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم له؟ وإن عوّلنا على صلاحه الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره؟ فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٣٧]، فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو إلا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه، وإذا مات فقد تحوّل من عالم الملك والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة، وإنما يرى بعين أخرى خلقت تلك العين في قلب كل إنسان، ولكن الإنسان جعل عليها

الباب الثامن

فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في المنام

(**اعلم**) بصرك الله تعالى بانوار هدايته (**أن أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله وسنّة رسوله** ﷺ ، **ومن مناهج الاعتبار تعرفنا أحوال الموتى على الجملة وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء، ولكن حال زيد وعمرو**) منهم (**بعينه فلا ينكشف به أصلاً فإنا إن عوّلنا على إيمان زيد فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم له**) عند موته. (**وإن عوّلنا على صلاحه الظاهر**) فيما يبدو لنا (**فالتقوى محله القلب**) كما ورد في الخبر «التقوى ههنا» وأشار إلى القلب، (**وهو غامض يخفي على صاحب التقوى**) بنفسه فكيف على غيره (**بلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن. قال الله تعالى: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو إلا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه، وإذا مات فقد تحوّل من عالم الملك والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت، فلا ترى العين الظاهرة**) لقصورها (**وإنما تدرك بعين أخرى خلقت تلك العين في قلب كل إنسان**) وهي عين البصيرة، (**ولكن الإنسان جعل**

غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنيوية فصار لا يبصر بها، ولا يتصوّر أن يبصر بها شيئاً من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه.

ولما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا عجائبه، والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم وأخبروا. ولذلك رأى رسول الله ﷺ ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته. وكذلك حال أبي جابر لما استشهد إذ أخبره أن الله أقعده بين يديه ليس بينهما ستر. ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجتهم منهم.

وإنما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة، إلا أنها أيضاً مشاهدة نبوية وأعني بها المشاهدة في المنام وهي من أنوار النبوّة. قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة». وهو أيضاً انكشاف لا يحصل إلا بانقشاع الغشاوة

عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنيوية فصار لا يبصر بها) إذ صارت محجوبة، **(ولا يتصوّر أن يبصر بها شيئاً من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه)** بالتهذيب والتصفية.

(ولما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء عليهم السلام) من أصل الفطرة **(فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا عجائبه، والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم واخبروا)** عن أحوالهم سعادة وشقاوة. **(ولذلك رأى رسول الله ﷺ ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ)** رضي الله عنه **(وفي حق زينب ابنته)** رضي الله عنها كما تقدم في الذي قبله قريباً، **(وكذلك حال)** عبدالله بن حرام **(أبي جابر)** رضي الله عنهما **(لما أستشهد)** بأحد **(إذ أخبره أن الله)** عز وجل **(أقعده بين يديه ليس بينهما ستر)** أي حجاب كما تقدم في الذي قبله، **(ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الأنبياء)** عليهم السلام **(و)** لغير **(الأولياء الذين تقرب درجتهم منهم)** أي من الأنبياء.

(وإنما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة إلا أنها أيضاً مشاهدة نبوية وأعني به المشاهدة في المنام وهي من أنوار النبوّة قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة») رواه البخاري من حديث أبي سعيد، ومسلم من حديث ابن عمر، وأبي هريرة وأحمد والطيالسي وابن ماجه من حديث أبي رزين، وقد تقدم زاد الطيالسي «وهي معلقة برجل طائر ما لم يحدث بها». وروى مالك وأحمد والبخاري والنسائي وابن ماجه وأبو عوانة وابن خزيمة من حديث أنس بلفظ «الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة». **(وهو أيضاً انكشاف لا يحصل إلا بانقشاع الغشاوة عن القلب، فلذلك لا يوثق إلا**

عن القلب، فلذلك لا يوثق إلا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه، ومن كثر فساده ومعاصيه أظلم قلبه فكان ما يراه أضغاث أحلام، ولذلك أمر رسول الله ﷺ بالطهارة عند النوم لينام طاهراً. وهو إشارة إلى طهارة الباطن أيضاً فهو الأصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها. ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل، كما انكشف دخول مكة لرسول الله ﷺ في النوم حتى نزل قوله تعالى: ﴿لقد صدَقَ اللهُ رسوله الرُؤيا بالحقّ﴾ [الفتح: ٢٧]. وقلما يخلو

برؤيا الرجل الصالح) كما وقع به التقييد في حديث أنس **(الصادق)** أي الذي عوّد لسانه بالصدق، **(ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه)** فإن كثرة الكذب موجبة للذنوب، فقد روى العسكري في الأمثال من حديث ابن عمر «من كثر كذبه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به» ومنشأ ذلك من كثرة الكلام. وروى الديلمي من حديث أنس «أصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً». **(ومن كثر فساده ومعاصيه)** التي منشأها كثرة الكذب **(أظلم قلبه فكان ما يراه أضغاث أحلام)** لوجود حجاب الظلمة على القلب، فلا ينكشف له الأمر على حقيقته والأضغاث أنواع: الأول: تلاعب الشيطان ليحزن الرائي كان يرى أنه قطع رأسه، والثاني أن يرى بعض الأنبياء يأمره بمحرم أو محال. الثالث: ما تتحدث به النفس في اليقظة تمنياً فيراه كما هو في المنام، **(ولذلك أمر رسول الله ﷺ بالطهارة عند النوم لينام طاهراً)** قال العراقي: متفق عليه من حديث البراء «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة» الحديث اهـ.

قلت: وتمامه «ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك وفوّضت أمري إليك والجأت ظهري إليك» الحديث وفيه «فان مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به». ورواه كذلك أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة.

(وهو اشارة إلى طهارة الباطن أيضاً فهو الأصل، وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة لها، ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل) من الحوادث الكونية، **(كما انكشف دخول مكة لرسول الله ﷺ في النوم حتى نزل قوله تعالى: ﴿لقد صدَقَ الله رسوله الرؤيا بالحق)** لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم﴾ [الفتح: ٢٧] الآية. قال العراقي: رواه ابن أبي حاتم في تفسيره من رواية مجاهد مرسلاً اهـ.

قلت: ولفظه رأى رسول الله ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين، فلما نحر الهدي بالحديبية قال له أصحابه: أين رؤياك يا رسول الله؟ فانزل الله تعالى ﴿لقد صدق الله رسوله بالرؤيا بالحق﴾ إلى قوله ﴿فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾. فرجعوا ففتحوا خيبر، ثم اعتمر بعد ذلك فكان تصديق رؤياه في السنة المقبلة. وهكذا رواه أيضاً الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، والبيهقي في الدلائل. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس

الإنسان عن منامات دلت على أمور فوجدها صحيحة، والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمي وهو من أوضح الأدلة على عالم الملكوت، والخلق غافلون عنه كغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة.

ولكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك المقصود، وهو أن تعلم أن القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيها الصور وحقائق الأمور، وأن ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح، وتارة بالكتاب المبين، وتارة بإمام مبين؛ كما ورد في القرآن. فجميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشاً لا يشاهد بهذه العين. ولا تظنن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم، وإن الكتاب من كاغد أو رق، بل ينبغي أن تفهم قطعاً أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق، وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق، كما أن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم. بل إن كنت تطلب له مثالاً يقربه إلى فهمك فاعلم أن ثبوت المقادير في اللوح يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه، فإنه

قال: كان تأويل رؤياه في عمرة القضاء. وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: أرى في المنام أنهم يدخلون المسجد الحرام وأنهم آمنون محلقين رؤسهم ومقصرين. (**وقلما يخلو الانسان عن منامات دلت على أمور فوجدها صحيحة، والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة الآدمي، وهو من أوضح الأدلة على عالم الملكوت، والخلق غافلون عنه لغفلتهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم، والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة، فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة.**

ولكن القدر الذي يمكن ذكره هنا مثال يفهمك المقصود، وهو أن تعلم أن القلب مثاله مثال مرآة تتراءىء فيها الصور وحقائق الأمور) على ما هي عليها، (**وأن كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب المبين وتارة بإمام مبين كما ورد**) كل ذلك (**في القرآن**) والمعنى به واحد. (**فجميع ما جرى في العالم وما سيجري**) فيما بعد (**مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشاً لا يشاهد بهذه العين، ولا تظنن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم**) أو غير ذلك، (**وأن الكتاب من كاغد أو رق**) أو غير ذلك، (**بل ينبغي أن تفهم قطعاً أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق، وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق، كما أن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاتهم، بل ان كنت تطلب له مثالاً يقربه إلى فهمك فاعلم أن ثبوت المقادير في اللوح يضاهي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه فإنه مسطور فيه حتى**

مسطور فيه حتى كأنه حين يقرأه ينظر إليه، ولو فتشت دماغه جزءاً جزءاً لم تشاهد من ذلك الخط حرفاً. وإن كان ليس هناك خط يشاهد ولا حرف ينظر فمن هذا النمط ينبغي أن تفهم كون اللوح منقوشاً بجميع ما قدره الله تعالى وقضاه. واللوح في المثال كمرآة ظهر فيها الصور، فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة أخرى لكانت صورة تلك المرآة تتراءى في هذه إلا أن يكون بينهما حجاب، فالقلب مرآة تقبل رسوم العلم، واللوح مرآة رسوم العلم كلها موجودة فيها، واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم الملكوت، فإن هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف، وقد يثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب. وما دام متيقظاً فهو مشغول بما تورده الحواس عليه من عالم الملك والشهادة، وهو حجاب عن عالم الملكوت.

ومعنى النوم أن تركد الحواس عليه فلا توردة على القلب، فإذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافياً في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ، فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما، إلا أن النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعاً للخيال عن عمله وعن تحركه، فما يقع

كأنه حيث يقرأه ينظر إليه، ولو فتشت دماغه جزءاً جزءاً لم تشاهد من ذلك الخط حرفاً، فمن هذا النمط ينبغي أن تفهم كون اللوح منقوشاً بجميع ما قدره الله تعالى وقضاه. واللوح في المثال كمرآة ظهر فيها الصور، فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة أخرى لكانت تلك المرآة تتراءى في هذه إلا أن يكون بينهما حجاب) يمنع من الرؤية، **(فالقلب مرآة تقبل رسوم العلم واللوح مرآة رسوم العلوم كلها موجودة فيها واشتغال القلب بشهواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو في عالم الملكوت، فإن هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلألأ في مرآة القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم)** وهو النادر **(وقد لا يدوم)** بل ينمحي بالكلية **(وهو الغالب، وما دام متيقظاً فهو مشغول بما تورده الحواس)** الظاهرة والباطنة **(عليه من عالم الملك والشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت.**

ومعنى النوم أن تركد الحواس) أي تسكن **(فلا تورد على القلب، فإذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافياً في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء مما في اللوح كما تقع الصورة من مرآة في مرآة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما، إلا أن النوم مانع سائر الحواس عن العمل وليس مانعاً للخيال عن عمله وتحركه، فما يقع في**

في القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه، وتكون المتخيلات أثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ، فإذا انتبه لم يتذكر إلا الخيال، فيحتاج المعبر أن ينظر إلى هذا الخيال حكاية أي معنى من المعاني فيرجع إلى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني، وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير. ويكفيك مثال واحد وهو أن رجلاً قال لابن سيرين: رأيت كأن بيدي خاتماً أختم به أفواه الرجال وفروج النساء. فقال: أنت مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان، قال: صدقت! فانظر أن روح الختم هو المنع ولأجله يراد الختم. وإنما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه، وهو كونه مانعاً للناس من الأكل والشرب، ولكن الخيال ألف المنع عند الختم بالخاتم فتمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ إلا الصورة الخيالية.

فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذي لا تنحصر عجائبه! وكيف لا وهو أخو الموت، وإنما الموت هو عجب من العجائب وهذا لأنه يشبهه من وجه ضعيف أثر في كشف الغطاء عن عالم الغيب، حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية، حتى يرى الإنسان عند انقطاع

القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون المتخيلات أثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ، فإذا أثبته لم يتذكر إلا الخيال فيحتاج المعبر أن ينظر إلى هذا الخيال حكاية أي معنى من المعاني فيرجع إلى المعاني بالمناسبة التي بين المتخيل والمعاني، وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير، ويكفيك مثال واحد وهو أن رجلاً قال لابن سيرين) وهو إمام المعبرين: **(رأيت كأن بيدي خاتماً اختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال)** في تعبيره: **(أنت مؤذن)** في مسجد القوم **(تؤذن قبل الصبح في رمضان)** فيمتنعون بذلك من الأكل والشرب والجماع، **(قال: صدقت فانظر أن روح الختم هو المنع ولأجله يراد الختم، وإنما ينكشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعاً للناس من الأكل والشرب)** والجماع، **(ولكن الخيال ألف المنع عند الختم بالخاتم بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى، ولا يبقى في الحفظ إلا الصورة الخيالية.**

فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرؤيا الذي لا تنحصر عجائبه وكيف لا وهو) أي النوم **(أخو الموت)** وقد روى البيهقي من حديث جابر «النوم أخو الموت» ولا يموت أهل الجنة **(وإنما الموت هو عجب من العجائب، وهذا لأنه يشبهه من وجه ضعيف أثر في كشف الغطاء عن عالم الغيب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل، فماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير**

النفس من غير تأخير نفسه إما محفوفة بالأنكال والمخازي والفضائح ـ نعوذ بالله من ذلك ـ وإما مكنوفاً بنعيم مقيم وملك كبيرلا آخر له، وعند هذا يقال للأشقياء وقد انكشف الغطاء ﴿لقدْ كُنْتَ في غفلةٍ منْ هَذا فكَشفْنَا عنكَ غطاءَكَ فبصرُكَ اليوم حدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، ويقال: ﴿أفسِحْرٌ هذا أم أنتُم لا تُبصِرُونَ ★ اصْلوْهَا فاصْبرُوا أو لا تصبِرُوا سوَاءٌ عليْكُمْ إنَّما تُجزَوْنَ ما كُنْتُم تعمَلُونَ﴾ [الطور: ١٥ـ١٦]، وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿وبَدا لَهُم مِنَ اللهِ ما لَم يكُونُوا يحتسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] فاعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم وغم إلا الفكرة في خطر تلك الحال أن الحجاب عماذا يرتفع وما الذي ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أم سعادة دائمة، لكان ذلك كافياً في استغراق جميع العمر.

والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا! وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وبأسبابنا وذريتنا بل بأعضائنا وسمعنا وبصرنا! مع أنا نعلم مفارقة جميع ذلك يقيناً، ولكن أين من ينفث روح القدس في روعه فيقول له: ما قال لسيد النبيين: «أحبب من أحببت فإنك مفارقه، وعش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك

تأخير) أي متصلاً بالانقطاع **(نفسه إما محفوفة بالانكال والمخازي والفضائح ـ نعوذ بالله من ذلك ـ واما مكنوفاً بنعيم مقيم وملك كبير لا آخر له)** كما وردت به الآثار وتقدم ذكر بعضها. **(وعند هذا يقال للأشقياء وقد انكشف الغطاء ﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾ ويقال)** لهم أيضاً **(﴿أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون★ اصلوها)** أي النار **(فاصبروا أو لا تبصروا سواء عليكم انّما تجزون ما كنتم تعملون﴾ وإليهم الإشارة بقوله تعالى: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾)** أي ما لم يكن لهم في حسبانهم. **(فأعلم العلماء وأحكم الحكماء ينكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم وغم إلا الفكرة في خطر تلك الحال أن الحجاب عماذا يرتفع وما الذي ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أم سعادة دائمة، لكان ذلك كافياً في استغراق جميع العمر)**.

(والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا) ولا بدّ لك منها: **(وأعجب من ذلك فرحنا بأموالنا وأهلينا وبأسبابنا وذرياتنا)** واتباعنا **(بل بأعضائنا وسمعنا وبصرنا: مع أنا نعلم مفارقة جميع ذلك يقيناً، ولكن أين من ينفث روح القدس في روعه)** أي قلبه **(فيقول له ما قال لسيد النبيين)** ﷺ: **(«أحبب من أحببت فإنك مفارقه وعش ما شئت فإنك**

مجزى بـه » ، فلا جرم لما كان ذلك مكشوفاً له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ، ولم يخلف ديناراً ولا درهماً ، ولم يتخذ حبيباً ولا خليلاً . نعم قال : « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن » ، فبين أن خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وأن حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعاً لخليل ولا حبيب ! وقد قال لأمته : ﴿ إن كُنتُم تحبُّون الله فاتبعوني يُحببْكم اللهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] فإنما أمته من اتبعه ، وما اتبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة ، فإنه مـا دعا إلا إلى الله واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة ، فبقدر ما أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته ، وبقدر ما اتبعته فقد صرت من أمته ، وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ فأمَّا من طَغى ★ وآثر الحياة الدُّنيا ★ فإنَّ الجحِيمَ هي المأوى ﴾ [النازعات :

ميت واعمل ما شئت فإنك مجزى به ») تقدم ذلك . (**فلا جرم لما كان ذلك مكشوفاً بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل**) . وقد روى أحمد وابن ماجه أن النبي ﷺ أخذ ببعض جسد عبد الله بن عمر فقال : « يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور » (**لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة**) تقدم ذلك ، (**ولم يخلف ديناراً ولا درهماً**) تقدم ذلك ، (**ولم يتخذ خليلاً ولا حبيباً نعم قال « لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن »**) رواه مسلم من حديث ابن مسعود بلفظ « لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله عز وجل » وقد تقدم . (**فبين أن خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وأن حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعاً لخليل ولا حبيب**) وإليه أشار الشاعر بقوله :

قـد تخللـت مسلـك الحب مني ولـذا سمـي الخليـل خليلا

قد تقدم الكلام عليه (**وقد قال تعالى لأمته ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾**) فجعل محبته موجبة لمحبة الله تعالى ، (**فإنما أمته من اتبعه**) وسلك منهاجه (**وما اتبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة ، فإنه ما دعا إلا إلى الله واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة ، فبقدر ما أعرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه ، وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته ، وبقدر ما اتبعته فقد صرت من أمته**) على الحقيقة ، (**وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا ★ فإن الجحيم هي المأوى ﴾ فلو خرجت من مكمن الغرور وأنصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك**

٣٧ - ٣٩]، فلو خرجت من مكمن الغرور وانصفت نفسك يا رجل - وكلنا ذلك الرجل - لعلمت أنك من حين تصبح إلى حين تمسي لا تسعى إلا في الحظوظ العاجلة، ولا تتحرك ولا تسكن إلا لعاجل الدنيا ثم تطمع أن تكون غداً من أمته وأتباعه! ما أبعد ظنك وما أبرد طمعك ﴿أفنجعل المسلمين كالْمُجرِمين ★ مَا لَكُم كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦].

ولنرجع إلى ما كنا فيه وبصدده فقد امتدّ عنان الكلام إلى غير مقصده، ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لأحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به إذ ذهبت النبوّة وبقيت المبشرات وليس ذلك إلا المنامات.

بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والأعمال النافعة في الآخرة:

فمن ذلك رؤيا رسول الله ﷺ وقد قال عليه السلام: « من رآني في المنام فقد

الرجل) أي كلنا داخلون تحت هذا الخطاب، (**لعلمت أنك من حين تصبح إلى حين تمسي لا تسعى إلا في الحظوظ العاجلة، ولا تتحرك ولا تسكن إلا لعاجل الدنيا)**، ولا يخطر ببالك أمر من أمور الآخرة. (**ثم تطمع أن تكون غداً من أمته واتباعه)** وزمرته وأشياعه (**ما أبعد ظنك وما أبرد طمعك ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين ★ ما لكم كيف تحكمون﴾**).

(**ولنرجع إلى ما كنا فيه وبصدده)** وهو انكشاف بعض الأمور الغيبية في النوم، (**فقد امتد عنان الكلام إلى غير مقصده، ولنذكر الآن من المنامات الكاشفة لأحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به)** عند سماعه (**إذ ذهبت النبوّة وبقيت المبشرات)** وهو لفظ الحديث. رواه أحمد وابن ماجه من حديث أم كرز الكعبية، (**وليس ذلك إلا المنامات)** وقد جاء هكذا مفسراً في حديث حذيفة بن أسيد « ذهبت النبوّة فلا نبوّة بعدي إلا المبشرات » قيل: وما المبشرات؟ قال « الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له ». رواه الطبراني والضياء من رواية أبي الطفيل عنه وهو عند البزار بلفظ « لم يبق من مبشرات النبوّة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له » وروى البخاري من حديث أبي هريرة « لم يبق من النبوّة إلا المبشرات » قالوا: وما المبشرات؟ قال: « الرؤيا الصالحة » ورواه البيهقي من حديث عائشة بنحو حديث حذيفة.

بيان منامات تكشف عن أحوال الموتى والاعمال النافعة في الآخرة:

(**فمن ذلك رؤيا رسول الله ﷺ، وقد قال ﷺ « من رآني)** أي في نومه (**فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي »)** قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة انتهى.

قلت: المتفق عليه من حديث أبي هريرة لفظه « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي » وهكذا أورده أبو داود أيضاً. ورواه الطبراني من حديث مالك بن عبدالله الخثعمي،

....

وأما لفظ المصنف فقد رواه الديلمي من طريق يحي بن سعيد العطار، عن سعيد بن ميسرة وهما واهيان عن أنس. وقد روي هذا الحديث بألفاظ مختلفة وروايات متعددة.

منها «من رآني في المنام فقد رآني» رواه أحمد وابن أبي شيبة والسراج والبغوي والدارقطني في الافراد من رواية أبي مالك الأشجعي عن أبيه مرفوعاً.

ومنها «من رآني في المنام فقد رآني إن الشيطان لا يتمثل في صورتي» رواه ابن أبي شيبة من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وجابر.

ومنها «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتصوّر بصورتي» رواه ابن النجار من حديث البراء.

ومنها «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي» رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابن مسعود، ورواه أحمد وابن ماجه والطبراني من حديث ابن عباس، والخطيب عن أبي مالك الاشجعي عن أبيه، وابن أبي شيبة وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري، وابن النجار من حديث عمران بن حصين.

ومنها «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتصور بي» رواه الروياني والضياء من حديث البراء.

ومنها «من رآني في المنام فكأنما رآني في اليقظة فمن رآني فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بي» رواه الطبراني من حديث ابن عمر، وابن عساكر من حديث عمر، وابن ماجه وأبو يعلى والطبراني من جديث أبي جحيفة.

ومنها «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتشبه بي» رواه ابن عساكر من حديث أبي جحيفة.

ومنها «من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتراءى بي» رواه أحمد والشيخان من حديث أبي قتادة.

ومنها «من رآني في المنام فقد رآني إنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي» رواه أحمد وعبد بن حميد ومسلم وابن ماجه من حديث جابر، ورواه أحمد من حديث ابن مسعود.

ومنها «من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكوّنني» رواه أحمد والبخاري من حديث أبي سعيد الخدري.

ومنها «من رآني فإني أنا هو فإنه ليس للشيطان أن يتمثل بي» رواه الترمذي من حديث أبي هريرة.

ومنها « من رآني في المنام فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتشبه بي » رواه أحمد من حديث أبي هريرة.

ومنها « من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة » رواه ابن أبي شيبة وأحمد والبخاري والترمذي في الشمائل، وأبو عوانة من حديث أنس. ورواه أحمد أيضاً ومسلم وابن ماجه من حديث أبي هريرة.

ومنها « من رآني في المنام فقد رآني فإني أرى في كل صورة » رواه أبو نعيم من حديث أبي هريرة.

ومنها « من رآني في المنام فقد رأى الحق إن الشيطان لا يتمثل بي » رواه الخطيب في المتفق والمفترق عن ثابت بن عبيد بن أبي بكرة عن أبيه عن جده.

فهذه ألفاظ هذا الحديث وهو متواتر كما ذكره السيوطي وغيره، والمعنى: من رآني في المنام بصفتي التي أنا عليها وكذا بغيرها على ما يأتي بيانها فقد رآني أي فليبشر بأنه رآني حقيقة أي رأى حقيقتي كما هي، فلم يتحد الشرط والجزاء وهو في معنى الاخبار. أي من رآني فاخبره بأن رؤيته حق ليست بأضغاث أحلامية ولا تخيلات شيطانية، ثم أردف ذلك بما هو تتميم للمعنى وتعليل للحكم فقال: « فإن الشيطان لا يتمثل بي » فإنه ﷺ وإن ظهر بجميع أسماء الحق وصفاته تخلقاً وتحققاً فمقتضى رسالته للخلق أن يكون الأظهر فيه حكماً وسلطنة من صفات الحق الهداية والاسم الهادي والشيطان مظهر الاسم المضل والظاهر بصفة الضلالة وهما ضدان، فلا يظهر أحدهما بصورة الآخر، والنبي خلق للهداية، فلو ساغ ظهور ابليس بصورته زال الاعتماد عليه، فلذلك عصم صورته عن أن يظهر بها شيطان.

فإن قيل: عظمة الحق تعالى أتم من عظمة كل عظيم مع أن اللعين يتراءى لكثير ويخاطبهم بأنه الحق فيضلهم. قلنا: كل عاقل يعلم أن الحق تعالى لا صورة له معينة توجب الاشتباه بخلاف النبي، وأيضاً مقتضى حكمة الحق أن يضل ويهدي من يشاء بخلاف النبي فإنه مقيد بالهداية ظاهر بصورتها، فتجب عصمة صورته من مظهرية الشيطان.

وقال عياض: لم يختلف العلماء في جواز صحة رؤية الله تعالى في النوم، وان رؤي على صفة لا تليق بجلاله من صفات الأجسام ليحقق أن المرئي غير ذات الله، إذ لا يجوز عليه التجسم ولا اختلاف الحالات بخلاف النبي، فكانت رؤية الله تعالى في النوم من باب التمثيل والتخييل.

وقال القرطبي: اختلف في الحديث فقال قوم من القاصرين: هو على ظاهره فمن رآه في النوم رآه حقيقة كما يرى في اليقظة وهو قول يدرك فساده ببادىء العقل، إذ يلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها، وأن يراه اثنان في وقت واحد في مكانين، وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويخاطب الناس ويخلو قبره عنه فيزار غير جثته ويسلم على غائب لأنه يرى ليلاً ونهاراً على

رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي »، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فرأيته لا ينظر إلي فقلت: يا رسول الله ما شأني! فالتفت إليّ وقال: « ألست المقبّل وأنت صائم »؟ قال: والذي نفسي بيده لا أقبل امرأة وأنا صائم أبداً. وقال العباس رضي الله عنه: كنت وداً لعمر فاشتهيت أن أراه في المنام، فما رأيته

اتصال الأوقات، وهذه جهالات لا يثق بالتزامها من له أدنى مسكة من عقل وملتزم ذلك مختل مجنون. وقال قوم: من رآه بصفته فرؤياه حق أو بغيرها فأضغاث أحلام، ومعلوم انه قد يرى على حالة مخالفة، ومع ذلك تكون تلك الرؤيا حقاً كما لو رؤي قد ملأ بلداً أو داراً بجسمه، فإنه يدل على امتلاء تلك البلد بالحق والشرع وتلك الدار بالبركة، وكثيراً ما وقع ذلك قال: والصحيح أن رؤيته على أي حال كان غير باطلة ولا من الاضغاث بل حق في نفسها، وتصوير تلك الصورة وتمثيل ذلك المثال ليس من الشيطان بل مثل الله ذلك للرائي بشرى فيتسبب للخير، أو انذاري فيتبرأ عن الشر، أو تنبيهاً على خير يحصل، وقد ذكرنا أن المرئي في المنام أمثلة المرئيات لا أنفسها غير أن تلك الامثلة تارة تطابق حقيقة المرئي وتارة لا، ثم المطابقة قد تظهر في الصفة على نحو ما أدرك في النوم وقد لا فإذا لم تظهر في اليقظة كذلك. فالمقصود بتلك الصورة معناها لا عينها، وكذا مخالفة المثال صورة المرئي بزيادة أو نقص أو تغير لون أو زيادة عضو أو نقصه، فكله تنبيه على معاني تلك الأمور انتهى.

قال المناوي في شرح الجامع: وحاصل كلامه أن رؤيته بصفته إدراك لذاته وبغيرها إدراك لمثاله، فالأولى لا تحتاج لتعبير والثانية تحتاجه. قال: ولسلفنا الصوفية ما يوافق معناه ذلك وإن اختلف اللفظ حيث قالوا هنا ميزان التنبيه له، وهو أن الرؤية الصحيحة أن يرى بصورته الثابتة بالنقل الصحيح، فإن رآه بغيرها كطويل أو قصير أو شيخ أو شديد السمرة لم يكن رآه وحصول الجزم في نفس الرائي بأنه رأى النبي غير حجة، بل ذلك المرائي صورة الشرع بالنسبة لاعتقاد الرائي أو حاله أو صفته، أو حكم من أحكام الإسلام أو بالنسبة للمحل الذي رأى فيه تلك الصورة. قال القونوي: كابن عربي قد جربناه فوجدناه لم ينخرم والله الموفق.

(وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فرأيته لا ينظر إليّ فقلت: يا رسول الله ما شأني؟ فالتفت إلي وقال: « ألست المقبل وأنت صائم » قال: والذي نفسي بيده لا أقبّل امرأة وأنا صائم أبداً). رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا أبو بكر الطلحي، حدثنا عبيد بن غنام، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، حدثنا عمر بن حمزة، أخبرنا سالم عن ابن عمر قال: قال عمر: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فذكره وفيه: « ألست الذي تقبل وأنت صائم » فقلت: والذي بعثك بالحق لا أقبل وأنا صائم.

(وقال العباس) بن عبد المطلب **(رضي الله عنه: كنت وداً)** أي خليلاً **(لعمر)** بن الخطاب **(فاشتهيت أن أراه في المنام فما رأيته إلا عند رأس الحول، فرأيته يمسح العرق عن**

إلا عند رأس الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول: هذا أوان فراغي إن كان عرشي ليهد لولا أني لقيته رؤوفاً رحيماً. وقال الحسن بن علي: قال لي علي رضي الله عنه؛ إن رسول الله ﷺ سنح لي الليلة في منامي فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أمتك؟ قال: ادع عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم وأبدلهم بي من هو شر لهم مني! فخرج فضربه ابن ملجم. وقال بعض الشيوخ رأيت رسول الله ﷺ فقلت: يا

جبينه وهو يقول: هذا أوان فراغي إن كان عرشي ليهد لولا أني لقيته رؤوفاً رحيماً) رواه أحمد في الزهد وابن سعد في الطبقات بلفظ: كان عمر بن الخطاب لي خليلاً وأنه لما توفي لبثت حولاً أدعو الله أن يرينيه في المنام. قال: فرأيته على رأس الحول يمسح العرق عن جبهته قلت: يا أمير المؤمنين ما فعل بك ربك؟ قال: هذا أوان فرغت وإن كان عرشي ليهد لولا أني لقيت ربي رؤوفاً رحيماً.

وأخرج ابن سعد عن سالم بن عبدالله قال: سمعت رجلاً من الأنصار يقول: دعوت الله أن يريني عمر في النوم فرأيته بعد عشر سنين وهو يمسح العرق عن جبهته فقلت: يا أمير المؤمنين ما فعلت؟ فقال: الآن فرغت ولولا رحمة ربي لهلكت.

وأخرج أيضاً عن عبدالله بن عمرو قال: ما كان شيء أعمله أحب إلي أن أعلمه من أمر عمر فرأيت في المنام قصراً فقلت: لمن هذا؟ قالوا: لعمر، فخرج من القصر عليه ملحفة كأنه قد اغتسل، فقلت: كيف صنعت؟ فقال: خيراً كاد عرشي يهوي لولا أني لقيت رباً غفوراً. قلت: كيف صنعت؟ قال: متى فارقتكم؟ قلت: منذ اثنتي عشرة سنة. قال: إنما انفلت الآن من الحساب.

(وقال الحسن بن علي) بن أبي طالب رضي الله عنه: **(قال لي عليّ رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ سنح لي الليلة في منامي فقلت: يا رسول الله ما)** ذا **(لقيتُ من أمتك)** اللدد والأدد؟ **(قال: ادع عليهم، فقلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم، وأبدلني بهم من هو شر لهم مني، فخرج)** لصلاة الصبح **(فضربه ابن ملجم)** تقدم عند ذكر وفاته. وأخرج الحاكم في المستدرك، والبيهقي في الدلائل عن كثير بن الصلت قال: أغمي على عثمان في اليوم الذي قتل فيه فاستيقظ فقال: إني رأيت رسول الله ﷺ في منامي هذا فقال: «إنك شاهد معنا الجمعة». وأخرجاه أيضاً عن ابن عمر أن عثمان أصبح فحدث فقال: إني رأيت النبي ﷺ الليلة في المنام فقال: «يا عثمان افطر عندنا» فاصبح عثمان صائماً فقتل من يومه، وهذا قد تقدم عند ذكر وفاته. وأخرج ابن عساكر عن مطرف، أنه رأى عثمان بن عفان في النوم فقال: رأيت عليه ثياباً خضراً فقلت: يا أمير المؤمنين كيف فعل الله بك؟ قال: فعل الله بي خيراً. قلت: أي الدين خير؟ قال: الدين القيم ليس بسفك الدم.

رسول الله استغفر لي، فأعرض عني فقلت: يا رسول الله إن سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله أنك لم تسأل شيئاً قط فقلت: لا، فأقبل علي فقال: «غفر الله لك».

وروي عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت مؤاخياً لأبي لهب مصاحباً له، فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر حزنت عليه وأهمني أمره فسألت الله تعالى حولاً أن يريني إياه في المنام قال: فرأيته يلتهب ناراً فسألته عن حاله فقال: صرت إلى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح إلا ليلة الاثنين في كل الأيام والليالي! قلت: وكيف ذلك؟ قال: ولد في تلك الليلة محمد ﷺ فجاءتني أميمة فبشرتني بولادة آمنة إياه ففرحت به وأعتقت وليدة لي فرحاً به، فأثابني الله بذلك أن رفع عني العذاب في كل ليلة الاثنين.

وقال عبد الواحد بن زيد: خرجت حاجاً فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا

(وقال بعض الشيوخ: رأيت رسول الله ﷺ) في النوم **(فقلت: يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني، فقلت: يا رسول الله إن سفيان بن عيينة، حدثنا عن محمد بن المنكدر)** التيمي، **(عن جابر بن عبدالله)** الأنصاري رضي الله عنه **(أنك لم تسأل شيئاً قط. فقلت: لا فأقبل علي. فقال: «غفر الله لك»)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات، والحديث المذكور قد رواه مسلم وتقدم.

(وروي عن العباس بن عبد المطلب) رضي الله عنه **(قال: كنت مؤاخياً لأبي لهب)** عبد العزي **(مصاحباً له)** أي في الجاهلية، **(فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر)** وهو قوله تعالى: ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ إلى آخر السورة. **(حزنت عليه وأهمني أمره)** وفاء لحق المؤاخاة والنسب، **(فسألت الله حولاً أن يريني إياه في المنام قال: فرأيته يلتهب ناراً، فسألته عن حاله؟ فقال: صرت إلى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح إلا ليلة الإثنين في كل الأيام والليالي، قلت: وكيف ذلك؟ قال: ولد في تلك الليلة محمد ﷺ فجاءتني أميمة)** تصغير أمة أي جويرية **(فبشرتني بولادة آمنة)** بنت وهب **(إياه ففرحت به واعتقت وليدة لي)** أي جارية **(فرحاً به فأثابني الله بذلك أن رفع عني العذاب في كل ليلة إثنين)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات. وأخرج ابن عساكر بسند فيه الكديمي عن أبي سعيد الخدري رفعه: «بعثت ولي أربع عمومة فأما العباس فيكنى بأبي الفضل فلولده الفضل إلى يوم القيامة، وأما حمزة فيكنى بأبي يعلى فأعلى الله قدره في الدنيا والآخرة، وأما عبد العزى فيكنى بأبي لهب فادخله الله النار وألهبها عليه، وأما عبد مناف فيكنى بأبي طالب فله ولولده المطاولة والرفعة إلى يوم القيامة».

(وقال عبد الواحد بن زيد) البصري التابعي رحمه الله تعالى: **(خرجت حاجاً فصحبني**

يتحرك ولا يسكن إلا صلى على النبي ﷺ، فسألته عن ذلك فقال: أخبرك عن ذلك، خرجت أول مرة إلى مكة ومعي أبي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل، فبينا أنا نائم إذ أتاني آت فقال لي: قم فقد أمات الله أباك واسود وجهه! قال: فقمت مذعوراً فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت أسود الوجه، فداخلني من ذلك رعب، فبينا أنا في ذلك الغم إذ غلبتني عيني فنمت فإذا على رأس أبي أربعة سودان معهم أعمدة حديد إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين فقال لهم: تنحوا، فمسح وجهه بيده ثم أتاني فقال: قم فقد بيض الله وجه أبيك! فقلت له: من أنت بأبي أنت وأمي؟ فقال: أنا محمد. قال: فقمت فكشفت الثوب عن وجه أبي فإذا هو أبيض! فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله ﷺ.

وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده ـ فسلمت وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتي بعلي ومعاوية فأدخلا بيتاً وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج علي رضي الله عنه وهو يقول: قضي لي ورب الكعبة، وما كان بأسرع من أن خرج معاوية على أثره وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة.

رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن إلا صلى على النبي ﷺ فسألته عن ذلك فقال: أخبرك عن ذلك. خرجت أول مرة إلى مكة ومعي أبي، فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينا أنا نائم إذا أتاني آت فقال لي: قم فقد أمات الله أباك وسوّد وجهه. قال: فقمت مذعوراً فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت أسود الوجه، فدخلني من ذلك رعب، فبينا أنا في ذلك الغم إذ غلبتني عيني فنمت فإذا على رأس أبي أربعة سودان معهم أعمدة حديد إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين فقال لهم: تنحوا فمسح وجهه بيده ثم أتاني فقال: قم فقد بيض الله وجه أبيك، فقلت له: من أنت بأبي أنت وأمي؟ فقال: أنا محمد. قال: فقمت فكشفت الثوب عن وجه أبي فإذا هو أبيض! فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله ﷺ) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات. وأورده الحافظ السخاوي في القول البديع.

(وعن عمر بن عبد العزيز) رحمه الله (قال: رأيت رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده فسلمت وجلست، فبينا أنا جالس إذ أتي بعلي ومعاوية فادخلا بيتاً وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر فما كان بأسرع أن خرج علي رضي الله عنه وهو يقول: قضي لي ورب الكعبة. وما كان بأسرع ان خرج معاوية على أثره وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات.

واستيقظ ابن عباس رضي الله عنهما مرة من نومه فأسترجع وقال: قتل الحسين والله! ـ وكان ذلك قبل قتله ـ فأنكره أصحابه فقال: رأيت رسول الله ﷺ ومعه زجاجة من دم فقال: ألا تعلم ما صنعت أمتي بعدي؟ قتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها إلى الله تعالى. فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوماً بقتله في اليوم الذي رآه.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا يحي بن أبي طالب، حدثنا إبراهيم بن بكر البصري، حدثنا يسار خادم عمر قال: دخلت على عمر فقال: رأيت النبي ﷺ في المنام وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره ورأيت عثمان وهو يقول: خصمت علياً ورب الكعبة، وعلي يقول غفر لي ورب الكعبة. وأخرج من طريق أبي هاشم الرماني أن رجلاً جاء إلى عمر فقال: رأيت النبي ﷺ في المنام وبنو هاشم يشكون إليه الحاجة فقال لهم: فأين عمر بن عبد العزيز؟ وأخرج من طريق أبي المليح عن خصاف أخي خصيف قال: رأيت النبي ﷺ في المنام عن يمينه أبو بكر وعن يساره عمر وميمون بن مهران جالس أمام ذلك، فأتيت ميمون ابن مهران فقلت: من هذا؟ قال: هذا رسول الله ﷺ. قلت: من هذا؟ قال: هذا أبو بكر عن يمينه وهذا عمر عن يساره، فجاء عمر بن عبد العزيز ليجلس بين أبي بكر وبين النبي ﷺ فشح أبو بكر بمكانه، ثم جاء ليجلس بين عمر وبين النبي ﷺ فشح عمر بمكانه، فدعاه رسول الله ﷺ فأجلسه في حجره. ومن طريق أبي هاشم الرماني قال: جاء رجل إلى عمر فقال: رأيت النبي ﷺ وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله فذكر نحوه. ومن طريق عراك بن حجرة عن عمر قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: ادن يا عمر فدنوت حتى كدت أصافحه. قال: فإذا كهلان قد اكتنفاه، فقال: «إذا وليت من أمر أمتي فاعمل في ولايتك نحو ما عمل هذان في ولايتهما». قلت: من هذان؟ قال: هذا أبو بكر وهذا عمر.

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل قال: رأيت كأني أدخلت الجنة فإذا قباب مضروبة قلت: لمن هذه؟ قالوا: لذي الكلاع وحوشب وكانا ممن قتل مع معاوية. قلت: فأين عمار وأصحابه؟ قالوا: أمامك. قلت: وقد قتل بعضهم بعضاً. قيل: إنهم لقوا الله فوجدوه واسع المغفرة. قلت: فما فعل أهل النهر؟ يعني الخوارج. قال: لقوا برحاً.

(واستيقظ ابن عباس رضي الله عنه مرة من نومه فاسترجع وقال: قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فأنكره أصحابه، فقال: رأيت رسول الله ﷺ ومعه زجاجة من دم فقال: «ألا تعلم ما صنعت أمتي بعدي قتلوا إبني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها إلى الله» فجاء الخبر بعد أربعة وعشرين يوماً بقتله في اليوم الذي رآه) رواه ابن الدنيا في كتاب المنامات. وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل عن سلمى قالت: دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله ﷺ في المنام يبكي وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: «شهدت قتل الحسين آنفاً».

ورؤي الصديق رضي الله عنه فقيل له: إنك كنت تقول أبداً في لسانك: هذا أوردني الموارد، فماذا فعل الله بك؟ قال: قلت به لا إله إلا الله فأوردني في الجنة.

(ورؤي) أبو بكر **(الصديق رضي الله عنه)** في النوم **(فقيل له: إنك كنت تقول أبداً في لسانك هذا أوردني الموارد فماذا فعل الله بك؟ قال: قلت به لا إله إلا الله فأوردني الجنة)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات. وأما قوله هذا أوردني الموارد فرواه عبدالله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد قال: حدثني مصعب الزبيري، حدثني مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن أبيه أن عمر دخل على أبي بكر وهو يجبذ لسانه فقال عمر: مه غفر الله لك، فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد.

فصل

قال أبو محمد خلف بن عمر العكبري في فوائده: حدثنا أبو جعفر محمد بن صالح بن ذريح العكبري، حدثنا إسماعيل بن بهرام العكبري، حدثنا الأشجعي، عن شيخ، عن ابن سيرين قال: ما حدثك الميت بشيء في النوم فهو حق لأنه في دار الحق.

وأخرج أبو الشيخ في كتاب الوصايا، والحاكم في المستدرك، والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل عن عطاء الخراساني قال: حدثتني ابنة ثابت بن قيس بن شماس أن ثابتاً قتل يوم اليمامة وعليه درع نفيسة، فمرّ به رجل من المسلمين فأخذها، فبينا رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه فقال: أوصيك بوصية فاياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إني لما قتلت أمس مرّبي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن في طوله، وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل، فأت خالد بن الوليد فمره أن يبعث إلي درعي فيأخذها، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله ﷺ، يعني أبا بكر الصديق فقل له: إن عليَّ من الدين كذا، وفلان من رقيقي عتيق وفلان، فأتى الرجل خالداً فأخبره فبعث إلي الدرع فأتى بها، وحدثت أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته. قال: ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس.

وقال محمود بن محمد بن الفضل في كتاب المتفجعين: حدثنا هاشم بن القاسم الحراني، حدثنا بشر بن بكير التنيسي، حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن عطاء الخراساني قال: أتيت المدينة فلقيت بها رجلاً. قلت: حدثني بحديث ثابت بن قيس بن شماس يرحمك الله، فقال: قم معي فانطلقت معه حتى انتهينا إلى باب دار فدخل فلبث لبثة ثم خرج إلي فادخلني، فإذا بامرأة جالسة فقال: هذه ابنة ثابت بن قيس فاسألها عما بدا لك قلت: حدثيني عن أبيك رحمه الله. قالت: لما أنزل الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ [الحجرات: ٢] الآية. أغلق عليه بابه وطفق يبكي فساق الحديث، وفيه قوله ﷺ: « لست منهم ولكن تعيش حميداً وتقتل شهيداً ويدخلك الله الجنة بسلام » فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة وفيه وكانت على ثابت درع نفيسة، وفيه: فرأى رجل من الصحابة في منامه أتاه ثابت

بيان منامات المشايخ رضي الله عنهم أجمعين:

قال بعض المشايخ: رأيت متمماً الدورقي في المنام فقلت: يا سيدي ما فعل الله بك؟ فقال: دير بي في الجنان فقيل لي: يا متمم هل استحسنت فيها شيئاً؟ قلت: لا يا سيدي،

فساقه إلى آخره نحو السياق الأوّل، وفيه: قالت ولا نرى أحداً من المسلمين أجيزت وصيته بعد موته إلا وصية ثابت بن قيس.

وأخرج الحاكم في المستدرك عن حسين بن خارجة قال: لما جاءت الفتنة الأولى أشكلت علي، فقلت: اللهم أرني من الحق أمراً أمسك به فأريت فيما يرى النائم الدنيا والآخرة وكان بينهما حائط غير طويل، وإذا أنا تحته فقلت: لو تسفلت هذا الحائط حتى أنظر إلى قتل أشجع فيخبروني، قال: فانهبطت بأرض ذات شجر فإذا بنفر جلوس فقلت: أنتم الشهداء؟ قالوا: نحن الملائكة. قلت: فأين الشهداء؟ قالوا: تقدم إلى الدرجات فارتفعت درجة الله أعلم من الحسن والسعة، فإذا أنا بمحمد: ﷺ وإذا إبراهيم شيخ وإذا هو يقول لإبراهيم: استغفر لأمتي وإبراهيم يقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك أهراقوا دماءهم وقتلوا إمامهم فهلا فعلوا كما فعل سعد خليلي، فقلت: والله لقد رأيت رؤيا لعل الله أن ينفعني بها إذهب فانظر مكان سعد فأكون معه، فأتيت سعداً فقصصت عليه القصة فما أكثر بها فرحاً، وقال قد خاب من لم يكن إبراهيم خليله. قلت: مع أي الطائفتين أنت؟ قال: أنا مع واحد منهما، فقلت: فما تأمرني؟ قال: ألك غنم. قلت: لا. قال: فاشتر شيئاً فكن فيها حتى تنجلي.

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات، وابن سعد في الطبقات عن محمد بن زياد الالهاني أن غضيف بن الحرث قال لعبدالله بن عائذ الصحابي حين حضرته الوفاة: إن استطعت أن تلقانا فتخبرنا ما لقيت بعد الموت فلقيه في منامه بعد حين فقال له: ألا تخبرنا؟ قال: نجونا ولم نكد أن ننجو. نجونا بعد المشيبات، فوجدنا ربنا خير رب غفر الذنب وتجاوز عن السيئة إلا ما كان من الأحراض. قلت له: وما الأحراض؟ قال: الذين يشار إليهم بالأصابع في الشر.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي الزاهرية قال: عاد عبد الأعلى عدي بن أبي بلال الخزاعي فقال له عبد الأعلى: اقرأ رسول الله ﷺ مني السلام وإن استطعت إن تلقانا فتعلمني بذلك، وكانت أم عبدالله أخت أبي الزاهرية تحت ابن أبي بلال فرأته في منامه بعد وفاته بثلاثة أيام فقال: إن ابنتي بعد ثلاث لاحقتي فهل تعرفين عبد الأعلى؟ قالت: لا. قال: فاسألي عنه، ثم أخبريه إني قد أقرأت رسول الله ﷺ منه السلام، فردّ عليه فاخبرت أخاها أبا الزاهرية بذلك فابلغه.

بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم أجمعين:

(قال بعض المشايخ: رأيت متمماً الدورقي في المنام فقلت له: يا سيدي ما فعل الله بك؟ فقال: دير بي في الجنان فقيل لي: يا متمم هل استحسنت فيها شيئاً؟ قلت: لا يا سيدي.

فقال: لو استحسنت منها شيئاً لوكلتك إليه ولم أوصلك إلي. ورؤي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي؛ قيل: بماذا؟ قال: ما خلطت جداً بهزل.. وعن منصور بن إسماعيل قال: رأيت عبدالله البزار في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب أقررت به إلا ذنباً واحداً فإني استحييت أن أقربه، فأوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت: ما كان ذلك الذنب؟ قال: نظرت إلى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله أن أذكره.

وقال أبو جعفر الصيدلاني: رأيت رسول الله ﷺ في النوم وحوله جماعة من الفقراء، فبينما نحن كذلك إذا انشقت السماء فنزل ملكان، أحدهما: بيده طشت، وبيد

فقال: لو استحسنت منها شيئاً لوكلتك إليه ولم أوصلك إلي) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات.

(**ورؤي يوسف بن الحسين**) أبو يعقوب الرازي شيخ الري والجبال في وقته وكان نسيج وحده في إسقاط التصنع صحب ذا النون وأبا تراب ورافق أبا سعيد الخراز توفي سنة أربع وثلاثمائة (**فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال غفر لي قيل: بماذا قال**) لأني (**ما خلطت جداً بهزل**) نقله القشيري في الرسالة وفيه إشارة إلى كمال ورعه، وأن أكثر أحواله جدّ وإن مزح فمزحه حق. وقال ابن الملقن في الطبقات: رؤي يوسف بن الحسين في المنام بقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال: ياعبد السوء فعلت وصنعت. قلت: يا سيدي لم أبلغ عنك هذا بلغت أنك كريم والكريم إذا قدر عفا. فقال: تملقت لي بقولك هبني لمن شئت من خلقك اذهب فقد وهبتك لك. وروى ابن عساكر في التاريخ عن أبي خلف الوزان قال: رؤي يوسف بن الحسين الرازي الصوفي في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني وغفر لي قيل: بماذا؟ قال: بكلمات قلتها عند الموت. قلت: اللهم نصحت الناس قولاً وخنت نفسي فعلا فهب خيانة فعلي لنصحة قولي.

(**وعن منصور بن إسماعيل**) المغربي هو شيخ القشيري (**قال: رأيت عبدالله البراد**) كذا في نسخة وفي أخرى البزاز والصواب أبا عبدالله الزراد كما هو نص الرسالة (**في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب أقررت به إلا ذنباً واحداً، فإني استحييت أن أقربه فأوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي**) ثم غفر لي، (**فقلت**) له: (**ما كان ذلك الذنب**) أي ما سببه؟ (**قال: نظرت إلى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله تعالى أن أذكره**) رواه القشيري في الرسالة بلفظ: ورؤي أبو عبدالله الزراد في المنام فقيل له: والباقي سواء، وفيه: إن الاستحياء من ذكر الذنب يوم القيامة لا يفيد لأن ذلك اليوم ليس يوم عمل وإنما هو يوم جزاء.

(**وقال أبو جعفر الصيدلاني**) رحمه الله تعالى (**رأيت رسول الله ﷺ في النوم وحوله جماعة من الفقراء، فبينما نحن كذلك**) وفي بعض نسخ الرسالة فبينما هو كذلك وفي أخرى فبينما

الآخر: ابريق، فوضع الطشت بين يدي رسول الله ﷺ فغسل يده ثم أمر حتى غسلوا، ثم وضع الطشت بين يدي فقال أحدهما للآخر: لا تصب على يده فإنه ليس منهم! فقلت: يا رسول الله أليس قد روي عنك أنك قلت: «المرء مع من أحب»؟ قال: بلى، قلت: يا رسول الله فإني أحبك وأحب هؤلاء الفقراء! فقال ﷺ: «صب على يده فإنه منهم».

وقال الجنيد: رأيت في المنام كأني أتكلم على الناس فوقف علي ملك فقال: أقرب ما تقرب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا؟ فقلت: عمل خفي بميزان وفي! فولى الملك وهو يقول: كلام موفق والله.

ورؤي مجمع في النوم فقيل له: كيف رأيت الأمر؟ فقال: رأيت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة. وقال رجل من أهل الشام للعلاء بن زياد: رأيتك في النوم كأنك في الجنة! فنزل عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال: لعل الشيطان أراد أمراً فعصمت منه

هم كذلك (**إذا انشقت السماء فنزل ملكان أحدهما بيده طست وبيد الآخر ابريق، فوضع الطست بين يدي رسول الله ﷺ فغسل يده**) الكريمة من الإبريق، (**ثم أمر**) الملكين بمثل ذلك مع الجماعة وأمر بمثل ما فعله هو (**حتى غسلوا**) أيديهم، (**ثم وضع الطست بين يدي فقال أحدهما للآخر: لا تصب عليه فإنه ليس منهم، فقلت: يا رسول الله أليس قد روي عنك أنك قلت: «المرء مع من أحب»**) ورواه الشيخان من وجوه وقد تقدم. (**قال: «بلى» قلت: يا رسول الله فإني أحبك وأحب هؤلاء الفقراء. فقال ﷺ: «صب على يده فإنه منهم»**) حكماً». رواه القشيري في الرسالة بلفظ: «وحكي عن بعضهم أنه قال: رأيت فذكره.

(**وقال**) أبو القاسم (**الجنيد**) قدس سره: (**رأيت**) في المنام (**كأني أتكلم على الناس**)أي أوعظهم (**فوقف علي ملك**) في صورة آدمي (**فقال**) لي: (**أقرب**) أي أفضل (**ما تقرب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا؟ فقلت**) له (**عمل خفي**) أي مستور عن الأغيار (**بميزان وفي**) أي بوقوعه على وجهه شرعاً ففي الخبر: إن عمل السر يزيد على عمل العلانية بسبعين ضعفاً لكونه بين العبد وربه، قال الجنيد: (**فولى الملك وهو يقول: كلام موفق والله**) رواه القشيري في الرسالة (**ورؤي مجمع**) كمحدث ابن صمعان التيمي الورع السبخي من رجال الحلية (**في النوم فقيل له: كيف رأيت الأمر؟ قال: رأيت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات. (**وقال رجل من أهل الشام للعلاء بن زياد**) بن مطر العدوي البصري أبي نصر أحد العباد ثقة روى له النسائي وابن ماجه: (**رأيتك في النوم كأنك في الجنة فنزل عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال له: لعل الشيطان أراد أمراً**)أعصي الله به (**فعصمت منه فأشخص**) أي أرسل إليه (**رجلاً**) وهو أنت (**يقتلني**) هكذا في النسخ ولفظ

فأشخص رجلاً يقتلني! وقال محمد بن واسع: الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره. وقال صالح بن

الرسالة وقال رجل للعلاء بن زياد: رأيت في النوم كأنك من أهل الجنة فقال: لعل الشيطان أراد مني أمراً فعصمت منه فأشخص إلي رجلاً بعينه أي على مقصوده من اضلا.

وقال أحمد في الزهد: حدثنا محمد بن مصعب سمعت مخلد بن الحسين ذكر أن العلاء بن زياد قال له رجل: رأيتك كأنك في الجنة. فقال: ويحك أما وجد الشيطان أحداً سخر به غيري وغيرك.

وأما حديث رجل من أهل الشام فقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا عبدالله بن أبي زياد، حدثنا سيار، حدثنا جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يسأل هشام بن زياد العدوي عن هذا الحديث فحدثنا به يومئذ قال: تجهز رجل من أهل الشام وهو يريد الحج فاتاه آت في منامه فقال له: أئت العراق ثم ائت البصرة ثم أئت بني عدي، فائت بها العلاء بن زياد فإنه رجل ربعة أفصم الثنية بسام فبشره بالجنة. قال: فقال رؤيا ليست بشيء حتى إذا كانت الليلة الثانية رقد فأتاه آت فقال: ألا تأتي العراق فذكر مثل ذلك، حتى إذا كانت الليلة الثالثة جاءه بوعيد فقال: ألا تأتي العراق؟ فقال مثل ذلك. قال: أصبح فأعد جهازه إلى العراق، فلما خرج من البيوت إذ الذي آتاه في منامه يسير بين يديه ما سار فإذا نزل فقده فلم يزل يراه حتى دخل الكوفة ففقده. قال: فتجهز من الكوفة فخرج فرآه يسير بين يديه حتى قدم البصرة فأتى بني عدي فدخل دار العلاء بن زياد، فوقف الرجل على باب العلاء فسلم قال هشام: فخرجت إليه فقال لي: أنت العلاء بن زياد؟ فقلت: لا. قلت: إنزل رحمك الله فتضع رحلك وتضع متاعك. قال: لا أين العلاء بن زياد؟ قال: قلت هو في المسجد. قال: وكان العلاء يجلس في المسجد يدعو بدعوات ويتحدث. قال هشام: فأتيت العلاء فخفف من حديثه وصلى ركعتين ثم جاء، فلما رآه العلاء تبسم فبدت ثنيته فقال: هذا والله صاحبي قال؛ فقال العلاء: هلا حططت رحل الرجل ألا أنزلته؟ قال: قلت له: فأبي. قال: فقال العلاء: انزل رحمك الله. قال؛ فقال: أخلني. قال: فدخل العلاء منزله. وقال: يا أسماء تحوّلي إلى البيت الآخر، ودخل الرجل فبشره بالرؤيا ثم خرج فركب فقام العلاء فأغلق بابه فبكى ثلاثة أيام أو قال سبعة لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً ولا يفتح بابه. قال هشام: فسمعته يقول في حال بكائه أنا أنا. قال: فكنا نهابه أن نفتح بابه وخشيت، أن يموت فاتيت الحسن فذكرت ذلك له. قلت: لا أراه إلا ميتاً يأكل ولا يشرب باكياً. قال: فجاء الحسن حتى ضرب عليه بابه وقال: افتح يا أخي، فلما سمع كلام الحسن قام ففتح بابه وبه من الضر شيء الله به عليم وكلمه الحسن ثم قال: يرحمك الله ومن أهل الجنة إن شاء الله أتقاتل نفسك أنت؟ قال هشام: حدثنا العلاء لي وللحسن بالرؤيا قال: لا تحدثوا بها ما كنت حياً.

(وقال محمد بن واسع) البصري العابد رحمه الله تعالى: **(الرؤيا تسر المؤمن)** أي تبشره بالسرور **(ولا تغره)** أي لا توقعه في الغرور. رواه أبو نعيم في الحلية. **(وقال)** أبو بشر **(صالح**

بشير: رأيت عطاء السلمي في النوم فقلت له: رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا، قال: أما والله لقد أعقبني ذلك راحة طويلة وفرحاً دائماً، فقلت: في أي الدرجات أنت؟ فقال: ﴿معَ الذِينَ أنعَم الله عليهم من النبيينَ والصدِّيقين والشهداء الصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ [النساء: ٦٩] الآية.

وسئل زرارة بن أبي أوفى في المنام: أي الأعمال أفضل عندكم؟ فقال: الرضا وقصر الأمل. وقال يزيد بن مذعور: رأيت الأوزاعي في المنام فقلت: يا أبا عمرو دلني على عمل أتقرب به إلى الله تعالى! قال: ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين. قال: وكان يزيد شيخاً كبيراً، فلم يزل يبكي حتى أظلمت عيناه. وقال ابن عيينة: رأيت أخي في المنام فقلت: يا أخي ما فعل الله بك؟ فقال: كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم أستغفر منه لم يغفر لي. وقال علي الطلحي: رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت: من أنت؟ فقالت: حوراء، فقلت: زوّجيني نفسك، قالت:

ابن بشر) بن وادع المري القاص روى له الترمذي: (رأيت عطاء السلمي) البصري العابد (في النوم) وكان شديد الود له (فقلت له: رحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا) أي على التقصير في حق الله تعالى فما فعل الله بك؟ (قال: أما والله لقد أعقبني ذلك راحة طويلة وفرحاً دائم، فقلت: في أي الدرجات أنت؟ فقال: ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ الآية) رواه القشيري في الرسالة بلفظ. وقيل: رؤي عطاء السليمي في المنام فقيل له فساقه.

(وسئل) أبو حاجب (زرارة بن أبي أوفى) العامري الحرشي البصري ثقة عابد مات فجأة في الصلاة وروى له الجماعة (في المنام: أي الأعمال أفضل عندكم؟ فقال: الرضا) بالله وعن الله (وقصر الأمل) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات (وقال يزيد بن مذعور: رأيت) أبا عمرو عبد الرحمن بن عمرو (الاوزاعي) رحمه الله (في المنام فقلت: يا أبا عمرو دلني على عمل أتقرب إلى الله تعالى. قال: ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين قال) الراوي: (وكان يزيد شيخاً كبيراً فلم يزل يبكي حتى أظلمت عيناه) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات وابن عساكر في التاريخ وهو في الرسالة للقشيري مختصراً بلفظ. ورؤي الاوزاعي في المنام فقال: ما رأيت ههنا درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين. (وقال) سفيان (بن عيينة) رحمه الله تعالى: (رأيت أخي) محمداً وهو صدوق له أوهام مات قبل أخيه (في المنام فقلت: يا أخي ما فعل الله بك؟ فقال: كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات (وقال علي الطلحي) منسوب إلى جده طلحة: (رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت: من أنت؟ فقالت:

اخطبني إلى سيدي وأمهرني، قلت: وما مهرك؟ قالت: حبس نفسك عن آفاتها. وقال ابراهيم بن إسحاق الحربي: رأيت زبيدة في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي، فقلت لها: بما أنفقت في طريق مكة؟ قالت: أما النفقات التي أنفقتها رجعت أجورها إلى أربابها، وغفر لي بنيتي. ولما مات سفيان الثوري رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: وضعت أول قدمي على الصراط والثاني في الجنة. وقال أحمد بن أبي الحواري: رأيت فيما يرى النائم جارية ـ ما رأيت أحسن منها وكان يتلألأ وجهها نوراً ـ فقلت لها: مماذا ضوء وجهك؟ قالت: تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها؟ قلت: نعم، قالت: أخذت دمعك فمسحت به وجهي، فمن ثم ضوء وجهي كما ترى.

حوراء. قلت: زوّجيني نفسك. قالت: اخطبني إلى سيدي وامهرني. قلت: وما مهرك؟ قالت: حبس نفسك عن آفاتها) رواه ابن أبي الدنيا في الكتاب المذكور. (وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي) منسوب إلى الحربية إحدى محال بغداد إمام فاضل له تصانيف منها غريب الحديث وغيره ولد سنة ١٩٨ وتوفي سنة ٢٥٨: (رأيت) أم جعفر (زبيدة) بنت أبي الفضل جعفر الأكبر بن المنصور العباسية وهي زوج هارون الرشيد بنى بها في سنة ١٦٥ في قصر العباسية (في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قالت غفر لي فقلتَ لها: بما أنفقت في طريق مكة) من أبنية وسبل فيها مرافق للحاج وأجرت عينا من عرفات إلى مكة وصرفت على كل ذلك أموالاً هائلة (قالت: أما النفقات التي أنفقتها رجعت أجورها إلى أربابها) إذ الأموال السلطانية الغالب عليها أنها لم تؤخذ بوجه شرعي وأنها باقية على ملك أربابها، (ولكن غفر لي بنيتها) يعني بقصدها للناس الخير، وفيه إشارة إلى أن الأموال إذا أخذت من غير وجهها وتاب آخذها ولم يعرف أربابها ليردها إليهم تصرف في وجوه البر ويكون أجرها لأربابها وللصارف أجر طاعته ونيته، وذلك بعد توبته وصدق نيته. رواه ابن الدنيا في كتاب المنامات. وأورده القشيري في الرسالة بلفظ، وقيل: رأيت زبيدة فقيل لها: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي فقيل: بكثرة نفقتك في طريق مكة فقالت. د. أما أن أجرها عاد إلى أربابها ولكن غفر لي بنيتي. (ولما مات سفيان الثوري) رحمه الله (رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: وضعت أول قدمي في الصراط والثاني في الجنة) أورده القشيري في الرسالة وهذا من التسهيل في جواز الصراط. (وقال) أبو الحسن (أحمد بن أبي الحواري) بفتح المهلمة والواو الخفيفة وكسر الراء عبدالله بن ميمون بن العباس بن الحرث التغلبي الدمشقي ثقة زاهد مات سنة ستة وأربعين كذا في التهذيب أي بعد مائتين، وعند السلمي والقشيري ثلاثين ومائتين. والصواب سنة أربعين كما نبه عليه ابن عساكر عن اثنتين وثمانين سنة، وروى له أبو داود وابن ماجه: (رأيت فيما يرى النائم جارية) من الحور العين (ما رأيت أحسن منها وكان يتلألأ وجهها نوراً فقلت لها: مماذا ضوء وجهك؟ قالت: تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها. قلت: نعم. قالت: أخذت دمعك) أي شيئاً منه (فمسحت به وجهي فمن ثم ضَوْء وجهي كما ترى) أورده القشيري في الرسالة وفيه فقلت: ما أنور وجهك

وقال الكتاني: رأيت الجنيد في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا إلا على ركعتين كنا نصليها في الليل. ورؤيت زبيدة في المنام فقيل لها: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي بهذه الكلمات الأربع: لا إله إلا الله أفني بها عمري، لا إله إلا الله أدخل بها قبري، لا إله إلا الله أخلو بها وحدي لا إله إلا الله ألقى بها ربي. ورؤي بشر في المنام فقيل له: ما فعل الله بك: قال رحمني ربي عز وجل وقال: يا بشر أما استحييت مني كنت تخافني كل ذلك الخوف. ورؤي أبو سليمان في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني وما كان شيء أضر عليّ من إشارات القوم إليّ. وقال أبو بكر الكتاني: رأيت في النوم شاباً لم أرَ أحسن منه فقلت له: من أنت؟ قال: التقوى! قلت: فأين تسكن؟ قال: كل قلب حزين! ثم التفت فإذا امرأة سوداء فقلت: من أنت؟ قالت: أنا السقم! قلت: فأين تسكنين؟ قالت: كل

وفيه فقالت حملت إلي دمعتك فمسحت وجهي فصار وجهي هكذا.

(وقال) أبو بكر محمد بن علي بن جعفر (الكتاني) قدس سره: (رأيت) أبا القاسم (الجنيد) قدس سره (في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: طاحت تلك الإشارات وذهبت تلك العبارات وما حصلنا إلا على ركعتين كنا نصليها في الليل) ولفظ الرسالة: سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق يقول: رأى الجريري الجنيد في المنام فقال له: كيف حالك يا أبا القاسم؟ فقال: طاحت تلك الإشارات وبادت تلك العبارات وما نفعنا إلا تسبيحات كنا نقولها بالغدوات. (ورؤيت) أم جعفر (زبيدة) بنت جعفر رحمها الله تعالى (في المنام فقيل لها: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي بهذه الكلمات الأربع لا إله إلا الله أفني بها عمري، لا إله إلا الله أدخل بها قبري، لا إله إلا الله أخلو بها وحدي، لا إله إلا الله ألقى بها ربي. ورؤي بشر الحافي) رحمه الله (في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني ربي عز وجل وقال) قبل أن يرحمني على وجه العتاب اللطيف: (يا بشر أما استحييت مني) حيث (كنت تخافني كل ذلك الخوف) الذي يخشى منه أن يكون قنوطا رواه القشيري في الرسالة بلفظ غفر لي بدل رحمني. ورواه ابن عساكر في التاريخ من طريق خشنام ابن أخت بشر الحافي قال: رأيت خالي في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وجعل يذكر ما فعل الله به من الكرامة. فقلت: ما قال لك شيئاً؟ قال لي: نعم. قال لي: يا بشر ما استحييت مني تخاف ذلك الخوف كله على نفس هي لي.

(ورؤي) الإمام (أبو سليمان) الداراني رحمه الله (في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني وما كان شيء أضر عليّ من إشارات القوم إليّ) رواه القشيري في الرسالة ولم يذكر إليّ. (وقال أبو بكر) ويقال أبو عبدالله محمد بن علي بن جعفر (الكتاني) رحمه الله تعالى: رأيت في النوم شاباً لم أر أحسن منه فقلت له: (من أنت؟ قال:) أنا (التقوى. قلت) له. (فأين تسكن؟ قال: في كل قلب حزين، ثم التفت فإذا امرأة سوداء فقلت) لها: (من

قلب فرح مرح! قال: فانتبهت وتعاهدت أن لا أضحك إلا غلبة. وقال أبو سعيد الخراز: رأيت في المنام كأن إبليس وثب علي، فأخذت العصا لأضربه فلم يفزع منها، فهتف بي هاتف: إن هذا لا يخاف من هذه، وإنما يخاف من نور يكون في القلب. وقال المسوحي: رأيت إبليس في النوم يمشي عرياناً فقلت: ألا تستحيي من الناس! فقال: بالله هؤلاء ناس! لو كانوا من الناس ما كنت ألعب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة! بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمي، وأشار بيده إلى أصحابنا الصوفية. وقال أبو سعيد الخراز: كنت في دمشق فرأيت في المنام كأن النبي ﷺ جاءني متكئاً على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فجاء فوقف علي وأنا أقول شيئاً من الأصوات وأدق في صدري، فقال: شر هذا أكثر من خيره. وعن ابن عيينة قال: رأيت سفيان الثوري في النوم كأنه في الجنة يطير من شجرة إلى شجرة يقول: ﴿لِمثلِ هذَا

أنت؟ قالت: أنا السقم. قلت) لها: **(فأين تسكنين؟ قالت:)** في **(كل قلب فرح)** أي مسرور **(مرح)** أي شديد الفرح لدلالتها على كمال الغفلة وتمكن القسوة. قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص: ٧٦] والمراد الفرح بالدنيا إما لفرح بنعم الله تعالى وبما يرد منه من اللطف والبر فمحمود قال الله تعالى: ﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ [آل عمران: ١٧٠] **(قال: فانتبهت واعتقدت)** أي عزمت على **(أن لا أضحك إلا غلبة)** رواه القشيري في الرسالة إلا أنه قال: أنا الضحك بدل السقم.

(وقال أبو سعيد) أحمد بن عيسى **(الخراز)** رحمه الله تعالى: **(رأيت في المنام كأن إبليس وثب عليّ فأخذت العصا لأضربه فلم يفزع منها فهتف لي هاتف: إن هذا لا يخاف من هذه، وإنما يخاف من نور يكون في القلب)** نقله القشيري في الرسالة والمراد بالنور كمال معرفة الله. **(وقال المسوحي)** هو أبو علي أحمد بن أيوب من كبار المشايخ صحب السري وسمع ذا النون وعنه جعفر الخلدي: **(رأيت إبليس في النوم)** وهو **(يمشي عرياناً فقلت: ألا تستحي من الناس؟ فقال: بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت ألعب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة، بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمي وأشار بيده إلى أصحابنا الصوفية. وقال أبو سعيد)** أحمد بن عيسى **(الخراز)** رحمه الله تعالى: **(كنت في دمشق)** المدينة المعروفة **(فرأيت في المنام كأن النبي ﷺ جاءني متكئاً على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فجاء ووقف علي وأنا أقول شيئاً من الأصوات)** أي من الأنغام المعروفة **(وأدق في صدري)** كهيئة الواجد **(فقال: شر هذا أكثر من خيره)** وقد تقدم في كتاب السماع والوجد. **(وعن)** سفيان **(بن عيينة)** رحمه الله تعالى **(قال: رأيت سفيان الثوري في النوم كأنه في الجنة يطير من شجرة إلى شجرة ويقول: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾**

فليعَمل العامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١] فقلت له: أوصني، قال: أقلل من معرفة الناس. وروى أبو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال: رأيت سفيان الثوري فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال:

نظرت إلى ربي كفاحاً فقال لي هنيئاً رضائي عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قواماً إذا أظلم الدجى بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر أردته وزرني فإني منك غير بعيد

ورؤي الشبلي بعد موته بثلاثة أيام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: ناقشني حتى أيست، فلما رأى يأسي تغمدني برحمته. ورؤي مجنون بني عامر بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وجعلني حجة على المحبين. ورؤي الثوري في المنام

فقلت له: أوصني، قال: أقل من معرفة الناس) رواه ابن عساكر في التاريخ بزيادة قلت زدني قال سترد فتعلم. وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا أبو أحمد الغطريفي، حدثنا محمد بن موسى، حدثنا محمد بن ميمون قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول قال لي بشر بن منصور الزاهد: يا سفيان أقلل من معرفة الناس لعله أن يكون في القيامة هذا أقل لفضيحتك إذا نودي عليك بسوء عملك.

(**وروى أبو حاتم**) محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي (**الرازي**) منسوب إلى الري مدينة من بلاد الديلم مشهورة أحد الحفاظ مات سنة سبع وسبعين روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه في كتاب التفسير له، (**عن**) أبي عامر (**قبيصة بن عقبة**) بن محمد بن سفيان السوائي الكوفي صدوق مات سنة خمس عشرة روى له الجماعة (**قال: رأيت سفيان الثوري**) في النوم (**فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال:**

نظرت إلى ربي شفاها فقال لي هنيئاً رضائي عنك يا ابن سعيد
فقد كنت قوّاماً إذا أظلم الدجا بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر أردته وزرني فإني منك غير بعيدِ)

رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن الحسن بن أحمد بن ميمون الميموني قال: سمعت أبا موسى هارون بن موسى بن حيان قال: سمعت أباك الحسن بن أحمد بن ميمون يقول: سمعت أبا حاتم الرازي يقول: سمعت قبيصة يقول: رأيت سفيان الثوري في المنام فقلت: ما فعل بك ربك؟ فقال: وساق الأبيات إلا أنه قال كفاحاً بدل شفاهاً وأقبل بدل أظلم.

(**ورؤي أبو بكر الشبلي**) رحمه الله (**بعد موته بثلاثة أيام**) في المنام (**فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: ناقشني**) في الحساب (**حتى أيست**) من نفسي، (**فلما رأى يأسي تغمدني**) أي غمرني (**برحمته**) وفضله رواه القشيري في الرسالة ولم يقل بعد موته بثلاثة أيام. (**ورؤي مجنون بني عامر**) قيس بن الملوح (**بعد موته في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي**

فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني، فقيل له: ما حال عبدالله بن المبارك؟ فقال: هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين. ورؤي بعضهم فسئل عن حاله فقال: حاسبونا فدققوا ثم منوا فأعتقوا.

ورؤي مالك بن أنس فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت. ورؤي في الليلة التي مات فيها الحسن البصري كأن أبواب السماء مفتحة، وكأن منادياً ينادي ألا إن الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض. ورؤي الجاحظ فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال:

ولا تكتـــب بخطـــك غير شيء يسرك في القيـامـــة أن تـــراه

وجعلني حجة على المحبين) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات. **(ورؤي)** سفيان **(الثوري في المنام فقيل له: ما فعل الله بك، قال: رحمني. فقيل له: ما حال عبدالله بن المبارك؟ فقال: هو ممن يلج على ربه في كل يوم مرتين)** رواه القشيري في الرسالة. **(ورؤي بعضهم)** في المنام **(فسئل عن حاله فقال: حاسبونا فدققوا ثم منوا فأعتقوا)** رواه القشيري في الرسالة.

(ورؤي مالك بن أنس) الإمام رحمه الله تعالى في النوم **(فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت)** هكذا هو في الرسالة مالك بن أنس. وقال صاحب كتاب المتفجعين: حدثنا محمد ابن علي بن ميمون، حدثنا عبد الأعلى بن حماد عن رجل رأى مالك بن دينار في نومه فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قال: بأي شيء قال: بكلمة بلغني أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يقولها إذا رأى الجنازة لا إله إلا الله الحي الذي لا يموت.

(ورؤي في الليلة التي مات الحسن البصري) رحمه الله **(كأن أبواب السماء مفتحة وكان منادياً ينادي ألا أن الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض)** نقله القشيري في الرسالة. **(ورأى)** عمرو بن بحر أبو عثمان البصري **(الجاحظ)** لقب به لأنه كانت عيناه جاحظتين روى عن يزيد بن هارون وأبي يوسف القاضي وعنه يموت بن المزرع، وإليه تنتسب الجاحظية من المعتزلة مات سنة خمس وخمسين ومائتين. قال الذهبي في الديوان: قال ثعلب: الجاحظ ليس بثقة ولا مأمون، **(فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال:**

ولا تكتـــب بخطـــك غير شيء يسرك في القيـامـــة أن تـــراه)

نقله القشيري في الرسالة.

ورأى الجنيد إبليس في المنام عرياناً فقال: ألا تستحي من الناس؟ فقال وهؤلاء ناس! الناس أقوام في مسجد الشونيزية قد أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي! قال الجنيد: فلما انتبهت غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة قد وضعوا رؤوسهم على ركبهم يتفكرون، فلما رأوني قالوا: لا يغرنك حديث الخبيث. ورؤي النصرأباذي بمكة ـ بعد وفاته ـ في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: عوتبت عتاب الأشراف ثم نوديت يا أبا القاسم: أبعد الاتصال انفصال؟ فقلت: لا يا ذا الجلال، فما وضعت في اللحد حتى لحقت بربي. ورأى

(ورأى) أبو القاسم (الجنيد) قدس سره (إبليس في المنام) وهو (عريان) على عادته من التظاهر يكشف عورته عند أهل الشر ليحسن لهم ذلك ويتعودوا به (فقال له: ألا تستحي من الناس) تكشف عورتك؟ (فقال: وهؤلاء ناس) أي ليسوا بناس يستحى منهم إنما (الناس) الذين يستحى منهم (أقوام في مسجد الشونيزية) أحد مساجد بغداد وفي نسخة الشونيزي (قد أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي) بكثرة مراقبتهم وتوجههم إلى الله تعالى. (قال الجنيد: فلما انتبهت غدوت إلى المسجد) المذكور (فرأيت جماعة) استقبلوا القبلة (قد وضعوا رؤوسهم على ركبهم يتفكرون) في آلاء الله ويذكرون الله، (فلما رأوني، قالوا) لي: مكاشفة بما رأيته في النوم (لا يغرنك حديث الخبيث) يعني إبليس فإن كل ما يقوله شر لا خير فيه هكذا نقله القشيري في الرسالة. ولفظ ابن الملقن في الطبقات قال الجنيد: رأيت إبليس في المنام كأنه عريان فقلت له: أما تستحي من الناس؟ فقال: بالله هؤلاء عندك من الناس لو كانوا منهم لما تلاعبت بهم كما تتلاعب الصبيان بالكرة، ولكن الناس غير هؤلاء. فقلت: ومن هم؟ قال: قوم في مسجد الشونيزي قد أضنوا قلبي وأنحلوا جسمي كلما هممت بهم أشاروا بالله فأكاد أحرق، فانتبهت فلبست ثيابي وأتيت مسجد الشونيزي وعلي ليل، فلما دخلت المسجد إذا أنا بثلاثة أنفس جلوس رؤوسهم في مرقعاتهم فلما أحسوا بي قد دخلت أخرج أحدهم رأسه، وقال: يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيء تقبل.

(ورؤي) أبو القاسم إبراهيم بن محمد (النصراباذي) شيخ خراسان في وقته صحب الشبلي وأبا علي الروذباري والمرتعش جاور بمكة سنة ست وستين ومات بها سنة سبع وستين وثلاثمائة وكان عالماً بالحديث كثير الرواية (بمكة بعد وفاته في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: عوتبت عتاب الأشراف) أي عتاباً يسيراً (ثم نوديت: يا أبا القاسم) نودي بكنيته زيادة في تكرمته (أبعد الاتصال انفصال) أي أيليق بعد أن أوصلناك أن تلتفت لغيرنا هكذا قاله شارح الرسالة. والأنسب للسياق أيليق بعد أن أوصلناك أن نقطعك عنا؟ (فقلت: لا ياذا الجلال) أي لا يليق بكرمك، (فما وضعت في اللحد حتى لحقت بربي) رواه القشيري في الرسالة إلا أنه قال: حتى لحقت بالأحد أي صرت عند الله في منزلة رفيعة من التقريب والإكرام، وهذا من تتمة جواب ما فعل الله بك ولهم في الاتصال والانفصال اختلاف، وقد فرقوا بين الوصول والاتصال بما هو مذكور في آخر العوارف.

عتبة الغلام حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت: يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الأعمال شيئاً فيحال بيني وبينك، فقال عتبة: طلقت الدنيا ثلاثاً لا رجعة لي عليها حتى ألقاك. وقيل: رأى أيوب السختياني جنازة عاص، فدخل الدهليز كيلا يصلي عليها. فرأى الميت بعضهم في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، وقال: قل لأيوب: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠]. وقال بعضهم: رأيت في الليلة التي مات فيها داود الطائي نوراً، وملائكة نزولاً وملائكة صعوداً، فقلت: أي ليلة هذه؟ فقالوا: ليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه. وقال أبو سعيد الشحام: رأيت سهلاً الصعلوكي في المنام فقلت: أيّها الشيخ! قال: دع التشييخ، قلت: تلك الأحوال التي

(ورأى عتبة) بن أبان (الغلام) رحمه الله تعالى (حوراء في المنام على صورة حسنة فقالت: يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر) أن (لا تعمل من الأعمال شيئاً يحال) به (بيني وبينك. فقال) ليطمئن قلبها: (طلقت الدنيا ثلاثاً لارجعة لي عليها حتى ألقاك) نقله القشيري في الرسالة واستشهد عتبة باذنة بقرية الحباب. أخرج أبو نعيم عن مخلد بن الحسين قال: رأيت شاباً في المنام بعد ما قتل عتبة بسنة فقلت له: ما صنع الله بك؟ قال: ألحقني بالشهداء المرزوقين. فقلت: فأخبرني عن عتبة وأصحابه لك بهم علم؟ قال: قتلى قرية الحباب. قلت: نعم. قال: إنهم معروفون في ملكوت السموات.

(وقيل: رؤي) أبو بكر (أيوب) بن أبي تميمة كيسان (السختياني) البصري الفقيه الثبت مات سنة إحدى وثلاثين روى له الجماعة (جنازة عاص) يمر بها، (فدخل الدهليز) واختفى فيه (لئلا يصلي عليها) قصد بذلك الزجر لأمثاله عن المعصية. (فرأى) ذلك (الميت بعضهم في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي. وقال) ذلك الميت: (قل لأيوب) السختياني: (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم) أي لبخلتم (خشية الإنفاق﴾ أي خوف نفادها) نقله القشيري في الرسالة وفيه إشارة إلى سعة رحمة الله. (وقال بعضهم: رأيت الليلة التي مات فيها) أبو سليمان (داود) بن نصير (الطائي) رحمه الله تعالى (نوراً وملائكة نزولاً إلى الأرض وملائكة صعوداً) إلى السماء (فقلت: أي ليلة هذه؟ فقالوا): هذه (ليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه) على أهلها نقله القشيري في الرسالة. (وقال أبو سعيد الشحام) نسبة إلى ربيع الشحم من مشايخ القشيري: (رأيت) أبا الطيب (سهلاً) بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون بن موسى بن عيسى العجلي النيسابوري إمام الشافعية (الصعلوكي) بفتح الصاد روى عن أبي بكر بن خزيمة وأبي العباس السراج وتفقه على أبي بكر الثقفي روى عنه الحاكم أبو عبدالله توفي سنة ٣٩٦ (في المنام فقلت) له، (أيها الشيخ! قال: دع التشييخ) أي اترك الدعاء بلفظ المشيخة (قلت) له: أين (تلك

شاهدتها، فقال: لم تغن عنا! فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بمسائل كان يسأل عنها العجز. وقال أبو بكر الرشيدي: رأيت محمد الطوسي المعلم - في النوم - فقال لي: قل لأبي سعيد الصفار المؤدب:

وكنا على أن لا نحول عن الهوى فقد - وحياة الحب - حلتم وما حلنا

قال: فانتبهت فذكرت ذلك له فقال: كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة. وقال ابن راشد: رأيت ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت: أليس قد مت؟ قال: بلى، قلت: فما صنع الله بك؟ قال: غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب، قلت: فسفيان الثوري؟ قال: بخ بخ ذاك: ﴿مِنَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء: ٦٩] الآية؛ وقال الربيع بن سليمان: رأيت الشافعي رحمة الله عليه

الأحوال التي شاهدتها) فيك؟ (**فقال**) لي: (**لم تغن عنا**) شيئاً (**فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بمسائل كان يسأل عنها العجز**) بضمتين جمع عاجز يعني بهم العوام من الناس فأجيبهم عنها. نقله القشيري سماعاً عن أبي سعيد الشحام وفيه دلالة على فضيلة المفتي للعوام فيما يحتاجون إلى معرفة الأحكام.

(**وقال أبو بكر**) محمد بن محمود بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن القاسم النيسابوري (**الرشيدي**) الفقيه رحمه الله: (**رأيت**) رباني هذه الأمة (**محمداً**) بن أسلم (**الطوسي المعلم**) من الطوس على مرحلتين من نيسابور (**في النوم فقال لي: قل لأبي سعيد الصفار المؤدب:**

وكنا على أن لا نحول عن الهوى فقد وحياة القلب حلتم وما حلنا

قال: فانتبهت فذكرت ذلك له) أي لأبي سعيد (**فقال لي**) إني (**كنت أزور قبره كل جمعة فلم أزره هذه الجمعة**). نقله القشيري في الرسالة سماعاً عن أبي بكر الرشيدي، ومعنى البيت: كنا متعاهدين على أن لا نتغير عن الحب فقد حلتم عن الهوى وما حلنا عنه، فقوله فقد داخلة على حلتم. وقوله: وحياة القلب قسم معترض بينهما وفي بعض نسخ الرسالة بعد هذا البيت:

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا وأظهرتم الهجران ما هكذا كنا

لعل الذي يقضي الأمور بعلمه سيجمعنا بعد الممات كما كنا

(**وقال ابن راشد**): هو محمد بن راشد المكحولي الخزاعي الدمشقي نزيل البصرة روى له الأربعة: (**رأيت**) عبدالله (**ابن المبارك في النوم بعد موته فقلت**) له: (**أليس: قد مت؟ قال: بلى. قلت: فما صنع الله بك؟ قال: غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب. قلت: فسفيان الثوري. قال: بخ بخ ذاك ﴿من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين﴾ الآية**). رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات. (**وقال الربيع بن سليمان**) المرادي: (**رأيت**) محمد بن إدريس (**الشافعي رحمة الله عليه بعد وفاته في المنام فقلت**) له: يا أبا عبدالله (**ما صنع الله**

بعد وفاته في المنام فقلت: يا أبا عبدالله ما صنع الله بك؟ قال: أجلسني على كرسي من ذهب ونثر عليّ اللؤلؤ الرطب. ورأى رجل من أصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن كأن منادياً ينادي ﴿إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين﴾ واصطفى الحسن البصري على أهل زمانه. وقال أبو يعقوب القاريّ الدقيقي: رأيت في منامي رجلاً آدم طوالاً والناس يتبعونه فقلت: من هذا؟ قالوا: أويس القرني، فأتيته فقلت: أوصني رحمك الله فكلح في وجهي فقلت: مسترشد لا متعنت فأرشدني أرشدك الله، فأقبل عليّ وقال: اتبع رحمة ربِّك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك، ثم ولّى وتركني.

وقال أبو بكر بن أبي مريم رأيت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت: ما فعلت يا ورقاء؟ قال: نجوت بعد كل جهد قلت: فأي الأعمال وجدتموها أفضل قال: البكاء من خشية الله. وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية في الطاعون الجارف فرآها أبوها في المنام فقال لها:

بك؟ قال: اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب) رواه ابن عساكر في التاريخ والبيهقي في المناقب. **(ورأى رجل من أصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن كأن منادياً ينادي ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين﴾ واصطفى الحسن بن أبي الحسن البصري على أهل زمانه)** ولفظ الرسالة. ورؤي الليلة التي مات فيها الحسن البصري كأن أبواب السماء مفتحة وكأن منادياً ينادي: ألا إن الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض. **(وقال أبو يعقوب القاري الدقيقي)** نسبة إلى عمل الدقيق وبيعه: **(رأيت في منامي رجلاً آدم طوالاً والناس يتبعونه فقلت: من هذا فقالوا: أويس القرني)** التابعي الزاهد المعروف، **(فاتبعته فقلت)** له. **(أوصني رحمك الله فكلح في وجهي)** أي عبس **(فقلت: مسترشد لا متعنت، فارشدني أرشدك الله، فأقبل عليّ وقال: اتبع رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك، ثم ولّى وتركني)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات.

(وقال أبو بكر) بن عبدالله **(بن أبي مريم)** الغساني الشامي وقد ينسب إلى جده قيل: اسمه بكير، وقيل: عبد السلام ضعيف مات سنة ست وخمسين روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه: **(رأيت ورقاء بن بشر الحضرمي فقلت)** له: **(ما فعلت يا ورقاء)** وما فعل بك؟ **(قال: نجوت بعد كل جهد)** أي مشقة. **(قلت: فأي الأعمال وجدتموها أفضل؟ قال: البكاء من خشية الله)** رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات.

(وقال يزيد بن نعامة) الضبي أبو عودة البصري تابعي روى عن أنس مقبول روى له الترمذي: **(هلكت جارية في الطاعون الجارف)** الذي كان وقع بالبصرة وكان عظيماً سمي

يا بنية أخبريني عن الآخرة! قالت: يا أبت قدمنا على أمر عظيم، نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون، والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في فسحة عمل أحب إليّ من الدنيا وما فيها. وقال بعض أصحاب عتبة الغلام: رأيت عتبة في المنام فقلت، ما صنع الله بك؛ قال دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك! قال: فلما أصبحت جئت إلى بيتي فإذا خط عتبة الغلام في حائط البيت: (يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين إرحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين آمين رب العالمين)، وقال موسى بن حماد: رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة فقلت: يا أبا عبدالله بِمَ نلت هذا؟ قال: بالورع، قلت: فما بال علي بن عاصم؟ قال: ذاك لا يكاد يرى إلا كما يرى الكوكب. ورأى رجل من التابعين

بالجارف لكونه جرف الناس بأجمعهم فلم يبق منهم إلا القليل وهو من أعظم طواعين الإسلام، (**فرآها أبوها في المنام فقال لها يا بنية أخبريني عن الآخرة. قالت: يا أبت قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون، والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في فسحة عمل أحب إلي من الدنيا وما فيها**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات.

(**وقال بعض أصحاب عتبة**) بن أبان (**الغلام**) هو قدامة بن أيوب العتكي قال: (**رأيت عتبة في المنام فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك. قال: فلما أصبحت جئت إلى بيتي، فإذا خط عتبة الغلام في حائط البيت مكتوب؛ يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ويا مقيل عثرات العاثرين إرحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا مع الأحياء المرزوقين الذين أنعمت الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين ؛ رب العالمين**». رواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا الحسين بن محمد، حدثنا أبو زرعة، حدثنا هارون، سيار قال: حدثني قدامة ابن أيوب العتكي وكان من أصحاب عتبة الغلام قال: رأيت عتبة في المنام فقلت: يا أبا عبدالله ما صنع الله بك؟ قال: يا قدامة دخلت الجنة بتلك الدعوة فساقه. وفيه: ذا الخطر اليسير والذنب العظيم والباقي سواء.

(**وقال موسى بن حماد: رأيت سفيان الثوري في الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة فقلت: يا أبا عبد الله بم نلت هذا؟ قال: بالورع. قلت: فما بال علي بن عاصم**) ابن صهيب الواسطي مات سنة إحدى ومائتين وقد جاوز التسعين روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه؟. (**قال: ذاك لا يكاد يرى إلا كما يرى الكوكب**) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات.

النبي ﷺ في المنام فقال: يا رسول الله عظني، قال: نعم من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له.

وقال الشافعي رحمة الله عليه: دهمني في هذه الأيام أمر أمضني وآلمني ولم يطلع عليه غير الله عز وجل، فلما كان البارحة أتاني آت في منامي فقال لي: يا محمد بن إدريس قل اللهم إني لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ولا أتقي إلا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية، فلما أصبحت أعدت ذلك فلما ترحل النهار أعطاني الله عز وجل طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه، فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها. فهذه من جملة

(ورأى رجل من التابعين النبي ﷺ في المنام فقال: يا رسول الله عظني قال: « نعم من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له ») رواه البيهقي في الزهد من رواية عبد العزيز بن أبي رواد أنه رأى النبي ﷺ في النوم فقال: يا رسول الله أوصني. فقال: « من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شراً فهو ملعون ومن لم يكن على الزيادة فهو في النقصان فالموت خير له، ومن اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات » وقد تقدم ذلك. ورواه الديلمي من رواية محمد بن سوقة غن الحرث عن علي به مرفوعاً وسنده ضعيف.

(وقال) محمد بن إدريس (الشافعي رحمة الله عليه: دهمني في هذه الأيام أمر أمضني) أي أقلقني وآلمني (ولم يطلع عليه غير الله عز وجل، فلما كان البارحة أتاني آت في منامي فقال: يا محمد بن إدريس قل اللهم إني لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني ولا اتقي إلا ما وقيتني: اللهم فوفقني لما تحب وترضى من القول والعمل في عافية). قال: (فلما أصبحت أعدت ذلك) أي كررته، (فلما ترحل النهار) أي ارتفع (أعطاني الله عز وجل طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه) من الشدة، (فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها). رواه البيهقي في المناقب. وقد بقي على المصنف رحمه الله تعالى مما أورده القشيري في هذا الباب من الرسالة ما لفظه: وسمعت الأستاذ أبا علي يقول: تعوّد شاه الكرماني السهر فغلبه النوم مرة فرأى الحق سبحانه وتعالى في النوم، فكان يتكلف النوم بعد ذلك فقيل له في ذلك؟ فقال:

رأيــت سرور قلبي في منــامـــي　　فــأحببــت التنعس والمنــامــا

وقال بعضهـم: في النوم معان ليست في اليقظة. منها أنه يرى المصطفى ﷺ والصحابة والسلف الصالحين في النوم، ولا يراهم في اليقظة، وكذلك يرى الحق في النوم وهذه مزية عظيمة. وقيل: رأى أبو بكر الآجري الحق سبحانه وتعالى في النوم فقال: سل حاجتك. فقال: اللهم اغفر لجميع عصاة أمة محمد ﷺ، فقال: أنا أولى بهذا منك سل حاجتك. وقال الكتاني رأيت النبي ﷺ في

....

المنام فقال: من تزين للناس بشيء يعلم الله منه خلافه شانه الله. وقال أيضاً: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: ادع الله تعالى أن لا يميت قلبي، فقال: قل كل يوم أربعين مرة يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت فإنه لا يموت قلبك ويكون قلبك حياً أبداً. ورأى الحسن بن علي رضي الله عنه عيسى ابن مريم عليه السلام فقال: إني أريد أن أتخذ خاتماً فما الذي أكتب عليه؟ فقال: اكتب عليه لا إله إلا الله الملك الحق المبين فإنه آخر الإنجيل. وروى عن أبي يزيد أنه قال: رأيت ربي في المنام فقلت: كيف الطريق إليك، فقال: اترك نفسك وتعال. وقيل: رأى أحمد بن خضرويه ربه في المنام فقال: يا أحمد كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني. وقال يحي بن سعيد القطان: رأيت ربي في المنام فقلت: يا رب كم أدعوك فلا تستجيب لي. فقال: يا يحي إني أحب أن أسمع صوتك. وقال بشر بن الحرث: رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت: يا أمير المؤمنين عظني. فقال: ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طلباً لثواب الله، وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بالله، فقلت: يا أمير المؤمنين زدني فقال:

قد كنت ميتاً فصرت حياً وعن قريب تصير ميتا
عز بدار الفناء بيت فابن لدار البقاء بيتا

قلت: وأخرجه ابن عساكر في التاريخ، عن أبي يزيد البسطامي قال: رأيت علي بن أبي طالب في النوم فقلت: يا أمير المؤمنين علمني كلمة تنفعني فساقه، وفيه: تواضع بدل عطف، وفيه ثقة بما عند الله، وفيه قلت زدني ففتح كفه فإذا فيها مكتوب بماء الذهب، فذكر البيتين والبيت الثاني:

فابن بدار البقاء بيتاً واهدم بدار الفناء بيتاً

ثم قال القشيري: سمعت الأستاذ أبا علي يقول: رأى الأستاذ أبو سهل الصعلوكي أبا سهل الزجاجي في المنام، وكان الزجاجي يقول بوعيد الأبد، فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال الزجاجي: الأمر ههنا أسهل مما كنا نظنه. ورؤي الحسن بن عاصم الشيباني في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: وأيش يكون من الكريم إلا الكرم. ورؤي حبيب العجمي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك يا حبيبي العجمي؟ فقال: هيهات هيهات ذهبت العجمة وبقيت في النعمة، وقيل: دخل الحسن البصري مسجداً ليصلي المغرب فوجد أمامه حبيباً العجمي فلم يصل خلفه لأنه خاف أن يلحن لعجمة في لسانه فرأى في المنام تلك الليلة قائلاً يقول له: لو صليت خلفه لغفر لك ما تقدم من ذنبك. سمعت أبا بكر بن أشكيب يقول: رأيت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي في النوم على حالة حسنة فقلت: يا أستاذ بم وجدت هذا؟ قال: بحسن ظني بربي. ورؤي ذو النون المصري في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: كنت أسأله ثلاث حوائج في الدنيا فأعطاني البعض، وأرجو أن يعطيني الباقي كنت أسأله أ يعطيني من العشرة التي على يد رضوان واحد أو يعطيني بنفسه وأن يعذبني عن الواحد الذي بيد مالك بعشرة، ويقول: هو: وأن يرزقني أن أذكره بلساني الأبدية. وقيل: رؤي الشبلي في المنام بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: لم يطالبني بالبراهين على الدعاوى إلا على شيء واحد. قلت يوماً لا خسارة أعظم من خسران الجنة ودخول النار. فقال لي:

وأي خسارة أعظم من خسران لقائي. وقال البناجي: اشتهيت شيئاً فرأيت في المنام قائلاً يقول: أيجمل بالحر المريد أن يتذلل للعبيد وهو يجد من مولاه ما يريد؟ وقال ابن الجلاء: دخلت المدينة وبي فاقة فتقدمت إلى القبر وقلت: أنا ضيفك فغفوت، فرأيت النبي ﷺ وقد أعطاني رغيفاً فأكلت نصفه وانتبهت وبيدي النصف الآخر. وقال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في المنام يقول: زوروا ابن عوف فإنه يحب الله ورسوله. سمعت منصوراً المغربي يقول: رأيت شيخاً في بلاد الشام كبير الشأن، وكان الغالب عليه الانقباض فقيل لي: إن أردت ينبسط هذا الشيخ معك فسلّم عليه وقل له: رزقك الله الحور العين فإنه يرضى منك بهذا الدعاء، فسألت عن سببه فقيل: إنه رأى شيئاً من الحور في منامه فبقي في قلبه شيء من ذلك، فمضيت إليه وسلمت عليه وقلت: رزقك الله الحور العين فانبسط الشيخ معي. وقيل رؤي الليلة التي مات فيها مالك بن دينار كأن أبواب السماء قد فتحت وقائلاً يقول: ألا إن مالك بن دينار أصبح من سكان الجنة. قال: ورأيت الأستاذ أبا علي في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: ليس للمغفرة ههنا كبير خطر أقل من حضرها ههنا خطراً فلان أعطى كذا وكذا ووقع لي في المنام أن ذلك الإنسان الذي عناه قتل نفساً بغير حق: وقيل: لما مات كرز بن وبرة رأى في المنام كأن أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض فقيل: ما هذا؟ فقالوا: إن أهل القبور كسوا لباساً جدداً بيضاً لقدوم كرز عليهم.

وحكي عن بعضهم أنه كان يقول: أبداً العافية العافية، فقيل له: ما معنى هذا الدعاء؟ فقال: كنت حمالاً في ابتداء أمري وكنت حملت يوماً صدراً من الدقيق فوضعته لأستريح، فكنت أقول: يا رب لو أعطيتني كل يوم رغيفين من غير تعب لكنت أكتفي بهما، فإذا رجلان يختصمان فتقدمت أصلح بينهما فضرب أحدهما رأسي بشيء أراد أن يضرب به خصمه فدمي وجهي، فجاء صاحب الربع وأخذهما، فلما رآني ملوّثاً بالدم أخذني فظن أني ممن تشاجر، فأدخلني في السجن فبقيت فيه مدة أوتي كل يوم رغيفين، فرأيت ليلة في المنام أنك سألتني الرغيفين كل يوم من غير نصب ولم تسألني العافية فانتبهت وقلت: العافية العافية فرأيت باب السجن يقرع. وقيل: أين عمر الحمال وأخرجوني وخلوا سبيلي.

ويحكى عن الكتاني أنه قال: كان عندنا رجل من أصحابنا هاجت عينه فقيل له: ألا تعالجها؟ فقال: عزمت أن لا أعالجها حتى تبرأ. قال: فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول: لو كان هذا العزم على أهل النار كلهم لأخرجناهم من النار.

وقال البناجي: قيل لي في المنام: من وثق بالله في رزقه زيد في حسن خلقه، وسمحت نفسه في نفقته، وقلت وساوسه في صلاته. وقيل: رأى يزيد الرقاشي النبي ﷺ في المنام فقرأ عليه، فقال: هذه القراءة فأين البكاء؟ وقال الجنيد: رأيت في المنام كأن ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما: ما الصدق؟ فقلت: الوفاء بالعهد. فقال الآخر: صدق ثم صعدوا. وقال علي بن الموفق: كنت أفكر يوماً في سبب عيالي والفقر الذي بهم، فرأيت في المنام رقعة مكتوباً فيها: بسم الله الرحمن الرحيم يا

....

ابن الموفق أتخشى الفقر وأنا ربك؟ فلما كان وقت الغلس أتاني رجل بكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال: خذها إليك يا ضعيف اليقين. وقال الجنيد: رأيت في المنام كأني واقف بين يدي الله تعالى فقال لي: يا أبا القاسم من أين لك هذا الكلام الذي تقول؟ فقلت: لا أقول إلا حقاً. قال: صدقت.

وحكي عن أبي عبدالله بن خفيف قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام كأنه قال لي: من عرف طريقاً إلى الله تعالى فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله عذاباً لم يعذب به أحداً من العالمين.

وقال أبو عثمان المغربي: رأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي: يا أبا عثمان اتق الله في الفقراء ولو بقدر سمسمة. وقيل: كان بعضهم يقول في دعائه: اللهم الشيء الذي لا يضرك وينفعنا لاتمنعه عنا، فرأى في المنام كأنه قيل له: فأنت فالشيء يضرك ولا ينفعك فدعه.

وحكي عن أبي الفضل الأصبهاني أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت له: يا رسول الله سل الله تعالى أن لا يسلبني الإيمان فقال: ذلك شيء قد فرغ الله منه. وروي عن سماك بن حرب أنه قال: كف بصري فرأيت في المنام كأن قائلاً لي: ائت الفرات فانغمس فيه وافتح عينك. قال: ففعلت فابصرت. وقيل: رؤي بشر الحافي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: لما رأيت ربي عز وجل قال لي: مرحباً يا بشر لقد توفيتك يوم توفيتك وما على وجه الأرض أحب إلي منك اهـ. نص القشيري في الرسالة، وقد تركت منها بعض أشياء تقدم للمصنف ذكرها فيما سبق.

ومما نقلته من تاريخ ابن عساكر أخرج فيه عن أبي بكر الفزاري قال: بلغني أن بعض إخوان أحمد بن حنبل رآه في النوم فقال: يا أحمد ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه وقال لي: يا أحمد صبرت على الضرب إن قلت ولم تتغير أن كلامي منزل غير مخلوق، وعزتي لا سمعتك كلامي إلى يوم القيامة، فأنا أسمع كلام ربي عز وجل. وعن محمد بن عوف قال: رأيت محمد بن المصفى الحمصي في النوم فقلت: إلام صرت؟ قال: إلى خير، ومع ذلك فنحن نرى ربنا كل يوم مرتين فقلت: يا أبا عبدالله صاحب سنة في الدنيا وصاحب سنة في الآخرة، فتبسم إلي. وعن محمد بن مفضل قال: رأيت منصور بن عمار في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه وقال لي: كنت تخلط ولكن قد غفرت لك لأنك كنت تحبّبني إلى خلقي قم فمجدني بين ملائكتي كما كنت تمجدني في الدنيا، فوضع لي كرسي فمجدت الله بين ملائكته.

ومن طريق أبي الحسن الشعراني قال: رأيت منصور بن عمار في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: قال لي أنت منصور بن عمار؟ قلت: بلى يا رب قال: أنت الذي كنت تزهد الناس في الدنيا وترغب فيها؟ قلت: قد كان ذلك ولكني ما اتخذت مجلساً إلا بدأت بالثناء عليك، وثنيت بالصلاة على نبيك، وثلثت بالنصيحة لعبادك. قال: صدق ضعوا له كرسياً يمجدني في سمائي كما مجدني في أرضي بين عبادي. وعن سليم بن منصور بن عمار قال: رأيت أبي في المنام فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: قربني وأدناني. وقال لي: يا شيخ السوء تدري لم غفرت لك؟ قلت: لا يا إلهي. قال:

إنك جلست للناس يوماً مجلساً فبكيتهم فبكى فيهم عبد من عبادي لم يبك من خشيتي قط فغفرت له، ووهبت أهل المجلس كلهم له ووهبتك فيمن وهبته له. وعن سلمة بن عفان قال: رأيت وكيعاً في المنام فقلت له: ما صنع بك ربك؟ قال: أدخلني الجنة. قلت: بأي شيء؟ قال: بالعلم. وعن أبي يحيى مستملي بن همام قال: رأيت أبا همام في المنام وعلى رأسه قناديل معلقة فقلت: يا أبا همام بماذا نلت هذه القناديل؟ قال: هذا بحديث الحوض، وهذا بحديث الشفاعة، وهذا بحديث كذا، وهذا بحديث كذا. وعن أبي الربيع الزهراني قال: حدثني جار لي قال: رأيت ابن عون في النوم فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: ما غربت الشمس من يوم الإثنين حتى عرضت علي صحيفتي وغفر لي وكان مات يومَ الإثنين. وعن أبي عمرو الخفاف قال: رأيت محمد بن يحيى الذهبي في النوم فقلت: ما فعل بك ربك؟ فقال: غفر لي قلت: فما فعل علمك قال: كتب بماء الذهب ورفع في عليين. وعن الأستاذ أبي الوليد قال: رأيت أبا العباس الأصم في المنام فقلت: ماذا انتهى حالك أيها الشيخ؟ فقال: أنا مع أبي يعقوب البويطي والربيع بن سليمان في جوار أبي عبدالله الشافعي نحضر كل يوم ضيافته. وعن سهيل القطعي أخي حزم قال: رأيت مالك بن دينار بعد موته فقلت له: ماذا قدمت به على الله؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة محاها عني حسن الظن بالله. وعن امرأة من أهل اليمن قالت: رأيت رجاء بن حيوة في النوم فقلت: ألم تمت؟ قال: بلى، ولكن نودي في أهل الجنة أن تلقوا الجراح بن عبدالله وذلك قبل أن يأتي خبر الجراح، ثم جاء نعي الجراح فحسب فوجدته استشهد بأذربيجان ذلك اليوم. وعن عقبة بن أبي حكيم عن امرأة من بيت المقدس قالت: كان رجاء ابن حيوة جليساً لنا وكان نعم الجليس، فمات فرأيته بعد شهر فقلت: إلام صرتم؟ قال: إلى خير، ولكنا فزعنا بعدكم فزعة ظننا أن القيامة قد قامت قلت: وفيم ذلك؟ قال: دخل الجراح وأصحابه الجنة بأثقالهم حتى ازدحموا على بابها. وعن الأصمعي عن أبيه قال: رأى رجل في المنام جرير الشاعر فقال له: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي. قال: بماذا؟ قال: بتكبيرة كبرتها في ظهر ماء بالبادية، قال: فما فعل أخوك الفرزدق قال: إنما أهلكه قذف المحصنات. وعن ثور بن يزيد الشامي قال: رأيت الكميت بن يزيد في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ونصب لي كرسياً وأجلسني عليه وأمر بإنشاد طريب، فلما بلغت إلى قولي:

حنانيك رب الناس من أن يغرني ... كما غرهم شرب الحياة المصر

قال: صدقت يا كميت إنه ما غرك ما غرهم، فقد غفرت لك بصدقك في صفوتي من بريتي وخيرتي من خليقتي، وجعلت لك بكل منشد أنشد بيتاً من مدحك آل محمد رتبة أرفعها لك في الآخرة إلى يوم القيامة. وعن ابن الشعشاع المصري قال: رأيت أبا بكر النابلسي أحد من قتله بنو عبيد على السنة بعد ما قتل في المنام وهو في أحسن هيئة فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: حباني مالكي بدوام عزه ووعدني بقرب الانتصار وأدناني إليه. وقال: انعم بعيش في جواري. وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: رأيت سفيان الثوري في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: لم يكن إلا أن وضعت في اللحد ووقفت بين يدي الله فحاسبني حساباً يسيراً ثم أمر بي إلى الجنة، فبينا أنا بين

....

رياحينها وأشجارها لا أسمع حساً ولا حركة فإذا بصوت يقول: يا سفيان بن سعيد هل تعلم أنك آثرت الله على نفسك فقلت: أي والله فأخذتني صواني النشار من كل جانب. وعن أحمد بن حنبل قال: رأيت الشافعي في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال غفر لي وتوجني وزوّجني وقال لي: هذا بما لم تزه بما أرضيتك ولم تتكبر فيما أعطيتك. وعن إسماعيل بن إبراهيم الفقيه قال: رأيت الحافظ أبا أحمد الحاكم في النوم فقلت: أي الفراق أكثر نجاة عندكم؟ فقال: أهل السنة. وعن خيثمة بن سليمان قال: رأيت عاصماً الاطرابلسي أحد الغزاة في النوم بعد ما توفي فقلت: إيش حالك يا أبا علي؟ فقال: إنا لا نكنى بعد الموت ولم يجبني بغير هذا. فقلت: إيش حالك يا عاصم وإلام صرت؟ قال: صرت إلى رحمة واسعة وإلى جنة عالية. قلت: بماذا قال: بكثرة جهادي في البحر. وعن مالك بن دينار قال: رأيت مسلم بن يسار في النوم فقلت: ماذا لقيت بعد الموت؟ قال: لقيت أهوالاً وزلازل عظاماً شداداً. قلت: فما كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه يكون من الكريم قبل مني الحسنات وعفا لنا عن السيئات وضمن لنا التبعات. وعن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي قال: رأيت أبا جعفر محمد ابن جرير الطبري في النوم فقلت: كيف رأيت الموت؟ قال: ما رأيت إلا خيراً. قلت: كيف رأيت هول المطلع؟ قال: ما رأيت إلا خيراً فقلت: إن ربك بك حفي اذكرنا عند ربك. قال: يا أبا علي تقول اذكرنا عند ربك ونحن نتوسل بكم إلى رسول الله ﷺ. وعن حبيش بن بشر قال: رأيت يحي بن معين في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: قربني وأعطاني وأدناني وحياني وزوّجني ثلاثمائة حوراء، وأدخلني عليه مرتين فقلت: بماذا؟ فأخرج شيئاً من كمه قال: بهذا يعني الحديث وعن سليمان العمري قال: رأيت أبا جعفر يزيد بن القعقاع القاري في النوم فقال: اقرأ إخواني مني السلام واخبرهم أن الله جعلني من الشهداء الأحياء المرزوقين، واقرأ أبا حازم السلام وقل له يقول لك أبو جعفر: الكيس الكيس فإن الله وملائكته يتراؤن مجلسك بالعشيات. وعن زكريا بن عدي قال: رأيت ابن المبارك في النوم فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي برحلتي. وعن محمد بن فضيل ابن عياض قال: رأيت ابن المبارك في النوم فقلت: أي العمل وجدت أفضل؟ قال: الأمر الذي كنت فيه. قال: الرباط والجهاد؟ قال: نعم. وعن عبد العزيز قال: رأيت أبي في النوم بعد موته فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: الاستغفار يا بني. وعن عبدالله بن عبد الرحمن قال: رأيت الخليفة المتوكل في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قلت: غفر لك وقد عملت ما عملت؟ قال: نعم بالقليل من السنة التي أظهرتها. وعن عبدالله بن صالح الصوفي قال: رؤي بعض أصحاب الحديث في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي قيل: بأي شيء؟ قال: بصلاتي في كتبي على رسول الله ﷺ. وعن يزيد بن نعامة قال: رأى رجل ميتاً فقال له الميت: يا فلان أخبر الناس أن وجه عامر بن قيس يوم القيامة مثل القمر ليلة البدر. وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: رأيت أبي في المنام وعليه قلنسوة طويلة فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: زينني بزينة العلم. قلت: فأين مالك بن أنس؟ قال: مالك فوق فوق فلم يزل يقول فوق فوق ويرفع رأسه حتى سقطت القلنسوة من رأسه. وعن يحي بن إسماعيل المحاملي قال: رأيت القاشاني في النوم فقلت: ما فعل الله

بك ؟ فأومأ إلي أنه نجا بعد شدة. قلت : فما تقول في أحمد ابن حنبل ؟ قال : غفر الله له . قلت : فبشر الحافي ؟ قال : تجيئه الكرامة من الله في كل يوم مرتين. وعن عاصم الحربي قال. رأيت في المنام كأني دخلت درب هشام، فلقيني بشر الحافي فقلت : من أين ؟ قال : من عليين. قلت : ما فعل أحمد بن حنبل ؟ قال : تركت الساعة أحمد بن حنبل وعبد الوهاب الوراق بين يدي الله يأكلان ويشربان ويتنعمان. قلت : فأنت ؟ قال : علم الله قلة رغبتي في الطعام فأباحني النظر إليه. وعن أبي جعفر السقاء قال : رأيت بشر الحافي ومعروفاً الكرخي في النوم كأنهما جائيان فقلت : من أين ؟ فقالا : من جنة الفردوس وقد زرنا موسى كليم الرحمن عز وجل. وعن القاسم بن منبه قال : رأيت بشراً الحافي في النوم فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي وقال لي : يا بشر قد غفرت لك ولكل من تبع جنازتك، فقلت : يا رب ولكل من أحبني ؟ قال : ولكل من أحبك إلى يوم القيامة. وعن أحمد الدورقي قال : مات جار لي فرأيته في النوم وعليه حلتان قلت : إيش قصتك ؟ قال : دفن في مقبرتنا بشر الحافي فكسي أهل المقبرة حلتان حلتان. وعن حجاج بن الشاعر قال : رؤي بشر الحافي في النوم فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي. وقال : يا بشر ما عبدتني على قدر ما نوّهت باسمك. وعن رجل أنه رأى بشراً في النوم فقال : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي وقال لي : يا بشر لو سجدت لي على الجمر ما كافأت ما جعلت لك في قلوب عبادي. وعن محمد بن خزيمة قال : لما مات أحمد بن حنبل اغتممت غماً شديداً فبت ليلتي فرأيته في المنام وهو يتبختر في مشيته فقلت : يا أبا عبد الله أي مشية هذه ؟ فقال : مشية الخدام في دار السلام، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي وتوّجني والبسني نعلين من ذهب. وقال : يا أحمد هذا بقولك : إن القرآن كلامي، ثم قال لي : يا أحمد ادعني بتلك الدعوات التي كنت تدعو بها في دار الدنيا، فقلت : يا رب كل شيء ؟ فقال : هيه فقلت بقدرتك على كل شيء. فقال لي : صدقت، فقلت : لا تسألني عن شيء وَاغفر لي كل شيء. قال : قد فعلت. ثم قال : يا أحمد هذه الجنة فقم فادخل إليها بسلام، فدخلت فإذا بسفيان الثوري وله جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى نخلة ويقول : ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾ [الزمر : ٧٤] فقلت له : ما فعل عبد الوهاب الوراق ؟ قال : تركته في بحر من نور في زلال من نور يزار به الملك الغفور. قلت : فما فعل بشر الحافي ؟ فقال : بخ بخ ومن مثل بشر تركته بين يدي الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل يقبل عليه ويقول : كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب وانعم يا من لم يتنعم في دار الدنيا. وعن دلف بن أبي دلف العجلي قال : رأيت أبي في المنام في دار وحشة وعرة سوداء الحيطان وإذا في أرضها أثر الرماد وإذا أبي عريان واضعاً رأسه بين ركبتيه فقال لي كالمستفهم دلف ؟ قلت : نعم اصلح الله الامير فأنشأ يقول :

ابلغن أهلها ولا تخف عنهم ... ما لقينا في البرزخ الخناق
قد سئلنا عن كل ما قد فعلنا ... فارحموا وحشتي وما قد ألاقي

أفهمت ؟ قلت : نعم ثم أنشأ يقول :

....

فلـــو. أنـــا إذا متنـــا تـــركنـــا لكـــل الموت راحـــة كـــل حـــي
ولكنـــــا إذا متنـــــا بعثنـــــا فنســـأل بعـــده عـــن كـــل شيء

انصرف. قال: فانتبهت.

وعن الأصمعي عن أبيه قال: رأيت الحجاج في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: قتلني بكل قتلة قتلت بها إنساناً، ثم رأيته بعد حول فقلت: ما صنع الله بك؟ فقال: أما سألت عن هذا عام أول؟ وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت في النوم جيفة ملقاة فقلت: ما هذا؟ قالوا: إنك إن كلمته كلمك فوكزته برجلي فرفع رأسه إلي وفتح عينيـه فقلت له: من أنت؟ قال: أنا الحجاج قدمت على الله فوجدته شديد العقاب بكل قتلة قتلة، وها أنا ذا موقوف بين يدي الله انتظر ما ينتظر الموحدون من ربهم إما إلى جنة وإما إلى نار. وعن أبي الحسين قال: رأيت فيما يرى النائم كأني أدخلت موضعاً واسعاً، وإذا رجل على السرير قاعد وبين يديه رجل يقلى. قلت: من هذا القاعد؟ قيل: إن ذا يزيد النحوي، وهذا أبو مسلم يعني الخراساني صاحب الدعـوة يقلى بين يـديـه. قلت: فما حال إبراهيم الصائغ؟ قال: ذاك في أعلى عليين من يصل إليه. وعن أحمد بن عبد الرحمن المعبر قال: رأيت صالح بن عبد القدوس ضاحكاً مستبشراً فقلت: ما فعل بك ربك؟ وكنت أتخوف مما كنت ترمى به من الزندقة؟ قال: إني وردت على رب لا تخفى عليه خافية فاستقبلني برحمته وقال: قد علمت براءتك مما كنت ترمى به. وعن بعض المكيين قال: رأيت سعيد بن سالم القداح في النوم فقلت: من أفضل من في هذه المقبرة؟ قال: صاحب هذا القبر. قلت: بم فضلكم؟ قال: إنه ابتلي فصبر. قلت: ما فعل فضيل بن عياض؟ قال: هيهات كسي حلة لا تقوم لها الدنيا بحواشيها. وعن أبي الفرج غيث بن علي الأرمنازي قال: رأيت أبا الحسن العاقولي المقري في النوم في هيئة صالحة فسألته عن حاله فذكر خيراً. قلت: أليس قد مت؟ قال، بلى قلت: فيكف رأيت الموت؟ قال: حسن أوجيد وهو مستبشر. قلت: غفر لك ودخلت الجنة؟ قال: نعم. قلت: فأي الأعمال أنفع؟ قال: ما ثم شيء أنفع من الاستغفار أكثر منه. وعن الحسن بن قريش الحراني قال: رأيت أبا جور الأمير في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قلت: بماذا قال: بضبطي لطرق المسلمين وطريق الحاج. وعن أبي نصر بن ماكولا قال: رأيت في المنام كأني أسأل عن حال أبي الحسن الدارقطني في الآخرة، فقيل لي ذاك يدعى في الجنة الإمام. وعن عبدالله بن صالح قـال: رؤي أبو نواس في المنام وهو في نعمة كبيرة فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي واعطاني هذه النعمة. قيل: وبماذا وقد كنت مخلطاً؟ قال: جاء بعض الصالحين إلى المقابر في ليلة من الليالي فبسط رداءه وصلى ركعتين قرأ فيهما ألفي مرة قل هو الله أحد، وجعل ثوابها لأهل المقابر فغفر الله لأهل المقابر عن آخرهم، فدخلت أنا في جملتهم. وعن محمد بن نافع قال قال: رأيت أبا نواس وأنا بين النائم واليقظان فقلت: أبو نواس! قال: لات حين كنية. قلت: الحسن بن هانيء؟ قال: نعم قلت: ما فعل الله بك؟ قال غفر لي بأبيات قلتها هي تحت الوسادة، فأتيت أهله فرفعت الوسادة فإذا برقعة فيها مكتوب:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظمُ
إن كان لا يرجوك إلا محسن فمن الذي يدعو ويرجو المجرمُ
ادعوك رب كما أمرت تضرعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحمُ
مالي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم إني مسلمُ

وعن أبي بكر الأصبهاني قال: رؤي أبو نواس في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبيات قلتها في النرجس:

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليكُ
عيون في لجين فاخرات وأحداق كما الذهب السبيكُ
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريكُ

وعن عبدان بن محمد المروزي قال: مات يعقوب بن سفيان الحافظ فرأيته في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأمرني أن أحدث في السماء كما كنت أحدث في الأرض، فحدثت في السماء الرابعة فاجتمع علي الملائكة واستملى علي جبريل وكتبوا بأقلام من ذهب. وعن أبي عبيد بن حربويه أن رجلاً حضر جنازة السري السقطي، فلما كان في بعض الليل رآه في النوم فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ولمن حضر جنازتي وصلى علي. قال: فإني ممن حضر جنازتك، وصلى عليك فأخرج درجاً فنظر فيه فلم يرفيه اسمه. فقال: بلى قد حضرت. قال: فنظر فإذا اسمه في الحاشية. وعن أبي القاسم ثابت بن أحمد بن الحسين البغدادي قال: رأيت أبا القاسم سعد بن محمد الزنجاني في النوم يقول لي مرة بعد أخرى: يا أبا القاسم إن الله عز وجل يبني لأهل الحديث بكل مجلس يجلسونه بيتاً في الجنة. وعن محمد بن مسلم بن دارة قال: رأيت أبا زرعة في المنام فقلت له: ما حالك؟ قال: أحمد الله على الأحوال كلها إني أحضرت فوقفت بين يدي الله تعالى فقال لي: يا عبيد الله لم تذرعت في القول في عبادي؟ قلت: يا رب إنهم حاولوا دينك. قال: صدقت ثم أتى بطاهر الخلقاني فاستعديت عليه إلى ربي فضربه الحدَّ مائة، ثم أمر به إلى الحبس، ثم اطلقوا عبيد الله بأصحابه بأبي عبدالله وأبي عبدالله وأبي عبد الله سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل. وعن حفص بن عبدالله قال: رأيت أبا زرعة في النوم بعد موته يصلي في سماء الدنيا بالملائكة. قلت: بم نلت هذا؟ قال: كتبت بيدي ألف ألف حديث أقول فيها على النبي ﷺ، وقد قال النبي ﷺ: «من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشراً. وعن يزيد بن مخلد الطرسوسي قال: رأيت أبا زرعة بعد موته يصلي في السماء الدنيا بقوم عليهم ثياب بيض وعليه ثياب بيض وهم يرفعون أيديهم في الصلاة فقلت: يا أبا زرعة من هؤلاء؟ قال: الملائكة. قلت: بأي شيء أدركت هذا؟ قال: برفع اليدين في الصلاة، فقلت: إن الجهيمة قد آذوا أصحابنا بالري قال: اسكت فإن أحمد بن حنبل قد سدّ عليهم الماء من فوق. وعن أبي العباس المرادي قال: رأيت أبا زرعة في النوم فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: لقيت ربي فقال لي: يا أبا زرعة إني أوتى بالطفل فآمر به إلى الجنة، فكيف بمن حفظ السنن على عبادي». فتبوأ من الجنة حيث شئت. انتهى ما اخترته من تاريخ ابن عساكر.

....

ومما انتقيته من كتاب المنامات لابن أبي الدنيا. أخرج عن شهر ابن حوشب أن الصعب بن جثامة، وعوف بن مالك كانا متواخيين فقال الصعب لعوف: أي أخي أينا مات قبل صاحبه فليتراءى له. قال: أو يكون ذلك؟ قال: نعم فمات الصعب فرآه عوف في المنام فقال: ما فعل بك؟ قال: غفر لي بعد المشاق. قال: ورأيت لمعة سوداء في عنقه قلت ما هذه؟ قال: عشرة دنانير أسلفتها من فلان اليهودي فهي في قرني. والقرن محركة جعبة النشاب فاعطوه أياها، واعلم أنه لم يحدث في أهلي حدث بعد موتي إلا قد لحق بي خبره حتى هرة ماتت منذ أيام، واعلم أن بنتي تموت إلى ستة أيام فاستوصوا بها معروفاً. قال عوف: فلما أصبحت أتيت أهله فنظرت إلى القرن فأنزلته فإذا فيه عشرة دنانير في صرة فبعثت إلى اليهودي فقلت له: هل كان لك على صعب شيء فقال: رحم الله صعباً كان من خيار أصحاب رسول الله ﷺ أسلفته عشرة دنانير فنبذتها إليه قال: هي والله بأعيانها فقلت: هل حدث فيكم حدث بعد موت الصعب؟ قالوا: نعم حدث فينا كذا حدث فينا فما زالوا يذكرون حتى ذكروا موت الهرة. قلت: أين ابنة أخي؟ قالوا: تلعب فمسستها فإذا هي محمومة، فقلت: استوصوا بها معروفاً فماتت لستة أيام. وعن محمد بن النضر الحارثي قال: رأى مسلمة بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين ليت شعري إلى أي الحالات صرت بعد الموت؟ قال: يا مسلمة هذا أوان فراغي والله ما استرحت إلى الآن. قلت: فأين أنت؟ قال: أنا مع أئمة الهدى في جنات عدن. وعن أبي بكر الخياط قال رأيت كأني دخلت المقابر فإذا أهل القبور جلوس على قبورهم بين أيديهم الريحان، وإذا أنا بمحفوظ قائماً فيما بينهم يذهب ويجيء فقلت: يا محفوظ ما صنع بك ربك؟ أو ليس قد مت؟ قال: بلى ثم قال:

موت التقي حياة لانفاد لها ... قد مات قوم وهم في الناس أحياء

وعن سلمة البصري قال: رأيت بزيع بن مسور العابد في منامي وكان كثير الذكر لله كثير الذكر للموت طويل الاجتهاد. قلت: كيف رأيت موضعك؟ قال:

وليس يعلم ما في القبر داخله ... إلا الإله وساكن الأجداثِ

وعن بشر بن المفضل قال: رأيت بشر بن منصور في النوم فقلت له: يا أبا محمد ما صنع بك ربك؟ قال: وجدت الأمر أهون مما كنت أحمل على نفسي. وعن حفص المرهي قال: رأيت داود الطائي في منامي فقلت: أبا سليمان كيف رأيت خير الآخرة؟ قال: رأيت خير الآخرة كثيراً. قلت: فماذا صرت إليه؟ قال: صرت إلى خير والحمد لله. قلت: فهل لك من علم بسفيان بن عيينة فقد كان يحب الخير وأهله؟ قال: فتبسم ثم قال: رقاه الخير إلى درجة أهل الخير. وعن عتبة بن حمزة عن أبيه قال: لقيت عمتي في المنام فقلت: كيف أنت؟ قالت: بخير قد وفيت عملي حتى أعطيت ثواب خلاط أطعمته. والخلاط: اللبن بالبقل. وعن عبد الملك الليثي قال: رأيت عامر بن قيس في النوم فقلت: ما وجدت؟ قال: خيراً. قلت: أي العمل وجدت أفضل؟ قال: كل شيء أريد به وجه الله عز وجل. وعن أبي عبد الله الحجري قال: مات عم لي فرأيته في النوم وهو يقول: الدنيا غرور والآخرة للعاملين سرور، ولم نر شيئاً مثل اليقين والنصح لله وللمسلمين، لا تحقرن من

المعروف شيئاً واعمل عمل من يعلم أنه مقصر . وعن الأصمعي قال: رأيت شيخاً من البصريين من أصحاب يونس بن عبيد وقد مات فقلت: من أين أقبلت ؟ قال: من عند يونس الطبيب . قلت: من يونس الطبيب ؟ قال: الفقيه اللبيب . قلت: ابن عبيد ؟ قال: نعم. قلت: وأين هو ؟ قال: في مجالس الأرجوان مع الجواري الأبكار قرت عيناه بصحة تقواه. وعن ميمون الكردي قال: رأيت عروة البزاز في النوم بعد موته فقال: إن لفلان السقاء عليَّ درهماً وهو في كوّة في بيتي فخذه وادفعه إليه. قال: فلما أصبحت لقيت السقاء فقلت له: لك عند عروة شيء ؟ فقال: نعم درهم فدخلت بيته فوجدت الدرهم في الكوة فدفعته إلى السقاء . وعن رجل من أهل الكوفة قال: رأيت سويد بن عمرو الكلبي في النوم بعد ما مات في حال حسنة. قلت: يا سويد ما هذه الحال الحسنة ؟ قال: إني كنت أكثر من قول لا إله إلا الله فاكثر منها . ثم قال: إن داود الطائي ومحمد بن النضر الحارثي طلبا أمراً فأدركاه. وعن إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: رأيت الضحاك بن عثمان في النوم فقلت: ما فعل بك ربك ؟ قال: في السماء تماريد من قال لا إله إلا الله تعلق بها ، ومن لم يقلها هوى ، وعن محمد بن عبد الرحمن المخزومي قال: رأى رجل ابن عائشة التميمي في النوم فقال له: ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لي بحبي إياه. وعن السري بن يحيى ، عن والان بن عيسى ، عن رجل من قزوين وكان من الصالحين قال: اغترَّ بي القمر ليلة فخرجت إلى المسجد فصليت وسبحت ودعوت فغلبتني عيناي ، فرأيت جماعة اعلم أنهم ليسوا بالآدميين بأيديهم أطباق عليها أربعة أرغفة ببياض الثلج فوق كل رغيف دراً مثال الرمان، فقالوا: كل فقلت: إني أريد الصوم. قال: يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل فأكلت وجعلت آخذ ذلك الدر لاحتمله ، فقيل لي: دعه نغرسه لك شجراً ينبت لك خيراً من هذا . قلت: أين ؟ قال: في دار لا تخرب وثمر لا يتغير وملك لا ينقطع وثياب لا تبلى فيها رضوى وعيناه وقرة عين أزواج رضيات مرضيات راضيات لا يتغيرن، فعليك بالانكماش فيما أنت فيه ، فإنما هي غفوة حتى ترتاح فتنزل الدار . قال: فما مكث إلا جمعتين حتى توفي قال السري: فرأيته في الليلة التي توفي فيها وهو يقول لي: ألا تعجب من شجر غرس لي يوم حدثتك وقد حمل. قلت: حمل ماذا ؟ قال: لا تسأل ما لا يقدر على صفته أحد لم نر مثل الكريم إذا حل به مطيع. وعن إسماعيل بن عبد الله بن ميمون قال: رأيت علي بن محمد بن عمران بن أبي ليلى في النوم فقلت: أي الأعمال وجدت أفضل ؟ قال: المعرفة . قلت: ما تقول في الرجل يقول: حدثنا وأخبرنا ؟ فقال: قال إني أبغض المباهاة. وعن بعض أصحاب مالك بن دينار أنه رأى مالك بن دينار في النوم فقال: ما صنع الله بك ؟ قال: خيراً لم نر مثل العمل الصالح ، لم نر مثل الصحابة الصالحين، لم نر مثل السلف الصالح ، لم نر مثل مجالس الصالحين. وعن عبد الوهاب ابن يزيد الكندي قال: رأيت أبا عمر الضرير فقلت: ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لي ورحمني قلت: فأي الأعمال وجدت أفضل ؟ قال: ما أنتم عليه من السنة والعلم. قلت: فأي الأعمال وجدت شراً ؟ قال: احذر الأسماء . قلت: وما الأسماء ؟ قال: قدري ومعتزلي ومرجيء ، فجعل يعد أسماء أصحاب الأهواء . وعن أبي بكر الصيرفي قال: مات رجل كان يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ويرى

المكاشفات تدل على أحوال الموتى وعلى الأعمال المقربة إلى الله زلفى، فلنذكر بعدها ما بين يدي الموتى من ابتداء نفخة الصور إلى آخر القرار إما في الجنة أو في النار، والحمد لله حمد الشاكرين.

رأي جهم فأريه رجل في النوم كأنه عريان وعلى رأسه خرقة سوداء وعلى عورته أخرى فقال: ما فعل الله بك؟ قال: جعلني مع بكر القس وعون بن الأعسر، وهذان نصرانيان. وعن شيخ قال: مات جار لي وكان ممن يخوض في هذه الأمور فأريته في النوم كأنه أعور فقلت: يا فلان ما هذا الذي أرى بك؟ قال: تنقصت أصحاب محمد ﷺ فنقصني هذا ووضع يده على عينه الذاهبة. وعن أبي جعفر المديني قال: رأيت محمود بن حميد في منامي وكان من العاملين وعليه ثوبان أخضران فقلت: الام صرت بعد الموت؟ فنظر إلي ثم أنشأ يقول:

نعم المتقون في الخلد حقاً بجوار نواهد أبكار

قال أبو جعفر: ما سمعته من أحد قبله. وعن إياس بن دغفل قال: رأيت أبا العلاء يزيد بن عبد الله فيما يرى النائم فقلت: كيف وجدت طعم الموت؟ قال: وجدته مراً كريهاً. قلت: فماذا صرت إليه بعد الموت؟ قال: صرت إلى روح وريحان ورب غير غضبان. قلت: فأخوك مطرف؟ قال: فاتني بيقينه. وعن المنكدر بن محمد بن المنكدر قال: رأيت في منامي كأني دخلت مسجد رسول الله ﷺ فإذا الناس مجتمعون على رجل في الروضة فقلت: من هذا قيل: رجل قدم من الآخرة يخبر الناس عن موتاهم، فجئت أنظر فإذا الرجل صفوان بن سليم. قال: والناس يسألونه وهو يخبرهم فقال: أما ههنا أحد يسألني عن محمد بن المنكدر فطفق الناس يقولون: هذا ابنه هذا ابنه ففرجت الناس فقلت: أخبرنا رحمك الله. قال: أعطاه الله من الجنة كذا وأعطاه وأرضاه واسكنه منازل في الجنة وبوّأه فلا طغي عليه ولا موت. وعن أبي كريمة قال: جاءني رجل قال: رأيت كأني أدخلت الجنة فانتهيت إلى روضة فيها أيوب ويونس وابن عون والتميمي فقلت: أين سفيان الثوري؟ قالوا: ما نرى ذاك إلا كما نرى الكوكب الدري. وعن مالك بن دينار قال: رأيت محمد بن واسع في الجنة، ورأيت محمد بن سيرين في الجنة فقلت: أين الحسن؟ قالوا: عند سدرة المنتهى. وعن يزيد بن هارون قال: رأيت محمد بن يزيد الواسطي في المنام فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: غفر لي قلت: بماذا قال: بمجلس جلسه إلينا أبو عمرو البصري يوم جمعة بعد العصر فدعا وأمنا فغفر لنا. وعن عقبة بن أبي ثبيت قال: رأيت خليد بن سعيد في منامي بعد موته فقلت: ما صنعت؟ قال أفلتنا ولم نكد. قلت: متى عهدك بالقرآن؟ قال: لا عهد لنا به منذ فارقناكم انتهى نص ابن أبي الدنيا.

(فهذه جملة من المكاشفات تدل على أحوال الموتى وعلى الأحوال المقربة إلى الله زلفي، فلنذكر بعدها ما بين يدي الموتى من ابتداء نفخة الصور إلى آخر القرار. إما في الجنة أو في النار والحمد لله حمد الشاكرين) وبه انقضى ذكر الأبواب الثمانية التي هي من الشطر الأول من هذا الكتاب، وهذا شروع في ذكر الشطر الثاني قال رحمه الله تعالى:

الشطر الثاني

الشطر الثاني من كتاب ذكر الموت في أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار في الجنة أو النار وتفصيل ما بين يديه من الأهوال والأخطار.

وفيه بيان نفخة الصور. وصفة أرض المحشر وأهله، وصفة عرق أهل المحشر. وصفة طول يوم القيامة. وصفة يوم القيامة ودواهيها وأساميها. وصفة المساءلة عن الذنوب. وصفة الميزان، وصفة الخصماء ورد المظالم، وصفة الصراط. وصفة الشفاعة. وصفة الحوض. وصفة جهنم وأهوالها وأنكالها وحياتها وعقاربها. وصفة الجنة وأصناف نعيمها وعدد الجنان وأبوابها وغرفها وحيطانها وأنهارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم، وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان. وصفة النظر إلى وجه الله تعالى. وباب في سعة رحمة الله تعالى وبه ختم الكتاب إن شاء الله تعالى.

صفة نفخة الصور:

قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت في سكرات الموت وخطره في خوف العاقبة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه، ثم لمنكر ونكير وسؤالها، ثم لعذاب القبر وخطره إن كان

الشطر الثاني
من كتاب ذكر الموت

(في) بيان **(أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستقرار في الجنة أو النار وتفصيل ما بين يديه من الأهوال والأخطار)** أي الشدائد والأمور العظيمة.

(وفيه بيان نفخة الصور، وصفة أرض المحشر وأهله، وصفة عرق المحشر، وصفة طول يوم القيامة، وصفة يوم القيامة ودواهيها وأساميها، وصفة المسألة عن الذنوب، وصفة الميزان، وصفة الخصماء ورد المظالم، وصفة الصراط، وصفة الشفاعة، وصفة الحوض، وصفة جهنم وأهوالها وأنكالها وحياتها وعقاربها، وصفة الجنة وأصناف نعيمها وعدد الجنان وأبوابها وغرفها وحيطانها وأنهارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم وسررهم، وصفة طعامهم، وصفة الحور العين والولدان، وصفة النظر إلى وجه الله تعالى وباب في سعة رحمة الله تعالى وبه ختم الكتاب إن شاء الله تعالى) ختم الله بالصالحات أعمالنا.

صفة نفخ الصور:

اعلم أيدك الله بنور البصيرة **(قد عرفت فيما سبق شدة أحوال الميت)** مما يلقاه **(في سكرات الموت وخطره في خوف العاقبة ثم مقاساة ظلمة القبر وديدانه)** وضيقه ووحشته،

مغضوباً عليه. وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير، ونصب الميزان لمعرفة المقادير، ثم جواز الصراط مع دقته وحدّته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسعاد وإما بالإشقاء. فهذه أحوال وأهوال لا بدّ لك من معرفتها، ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق، ثم تطويل الفكر في ذلك لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها، وأكثر الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويداء أفئدتهم ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحرّ جهنم وزمهريرها مع ما تكتنفه من المصاعب والأهوال، بل إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم، ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه ـ الذي أخبره ـ صدقت، ثم مد يده لتناوله؛ كان مصدقاً بلسانه ومكذباً بعمله وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان. وقد قال النبي ﷺ: «قال الله تعالى شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني، أما شتمه إياي فيقول

(ثم لمنكر ونكير وسؤالها) وانتهارهما، (ثم لعذاب القبر وخطره إن كان معتوباً عليه. وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير، ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع رقته وحدته، ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسعاد وإما بالإشقاء فهذه أحوال وأهوال لا بدّ لك من معرفتها) أولاً، (ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق) العاريين عن الريب والتردد، (ثم تطويل الفكر في ذلك لتنبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها)، فمن لم يستعد لها لم تفده معرفته شيئاً والاستعداد إنما يحصل أولاً بمزاولة الفكر ومعاودته مرة بعد أخرى، (وأكثر الناس) إن تاملت في أحوالهم (لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويـداء أفئدتهم) لفقدان علاماته. (ويدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم بحر جهنم وزمهريرها) وأي نسبة بينهما (مع ما تكتنفه) أي تحيط به (من المصائب والأهوال. نعم إذا سئلوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم) بأنه حق، (ثم غفلت عنه قلوبهم و) أنت خبير بأن (من أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم، فقال لصاحبه الذي أخبره: صدقت ثم مد يده لتناوله كان مصدقاً بلسانه مكذباً بعمله، وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي ﷺ: قال الله تعالى شمتني ابن آدم) هكذا بلفظ الماضي، وروي بلفظ المضارع، والشتم: الوصف بما يقتضي النقص وهو عموم يراد به الخصوص وهم بعض بني آدم ممن أنكر البعث ومن ادعى نداً (وما ينبغي له أن يشتمني) أي لا يجوز له أن يصفني بما يقتضي النقص، (وكذبني وما ينبغي أن يكذبني) أي

إن لي ولداً وأما تكذيبه فقوله: لن يعيدني كما بدأني »، وإنما فتور البواطن عن قوّة اليقين والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لأمثال تلك الأمور: ولو لم

ليس له ذلك من حق مقام العبودية مع الربوبية. (**أما شتمه إياي فيقول**) وفي رواية فقوله: (**إن لي ولداً**) لاستلزامه الإمكان المتداعي للحدوث وذلك غاية النقص في حق الباري، (**وأما تكذيبه**) إياي (**فقوله: لن يعيدنا كما بدأنا »**) قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: لفظ البخاري: أما شتمه إياي فقوله إن لي ولداً وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد، وأما تكذيبه إياي فقوله ليس يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته ». وهكذا رواه أحمد والنسائي ولفظ البخاري في تفسيره سورة البقرة من حديث ابن عباس: « كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً.

قال الطيبي: فإن قيل: أي الأمرين أعظم؟ قلنا: كلاهما عظيم لكن التكذيب أقدم لأن المكونات لم تكوّن إلا للجزاء فمن أنكر الجزاء لزمه العبث في التكوين أو إعدام السموات والأرض، فينتفي جميع الصفات التي أثبتها الشارع فيلزم منه التعطيل على أن الصفات الثبوتية إذا انتفت يلزم منه انتفاء الذات وكذا السلبية.

وقال القاضي: في الحديث إشارة إلى برهان تحقق المعاد وإمكان الإعادة وهو أن ما يتوقف عليه تحقق البدن من مواده وأجزائه وصورته لو لم يكن وجوده ممكناً لما وجد أولاً وقد وجد، وإذا أمكن لم يمتنع لذاته وجوده ثانياً، وإلا لزم انقلاب الممكن لذاته ممتنعاً لذاته وهو محال وتنبيه على تمثيل يرشد العامي وهو ما يرى في الشاهد أن من عمد إلى اختراع صفة لم ير مثلها صعب ذلك عليه وتعب وافتقر إلى مكابدة أفعال ومعاونة أعوان ومرور أزمان، ومع ذلك كثيراً ما لا يتم له الأمر، ومن أراد إصلاح منكسر وإعادة منهدم هان عليه، فيا معشر الغواة أتحيلون إعادة أبدانكم وانكم معترفون بجواز ما هو أصعب منها بالنسبة لقدركم، وأما بالنسبة لله فيستوى عنده تكوين بعوض طيار وتخليق فلك دوار: ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ [القمر: ٥٠].

وقال الطيبي: ومما في التكذيب والشتم من الفظاعة والهول أن المكذب منكر للحشر يجعل الله كاذباً والقرآن الذي هو مشحون بإثباته مفترى، ويجعل حكمة الله في خلق السماء والأرض عبثاً، والشاتم يحاول إزالة المخلوقات بأسرها ويزاول تخريب السموات من أصلها ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ★ أن دعوا للرحمن ولدا﴾ [مريم: ٩٠ ، ٩١].

(**وإنما فتور البواطن عن قوّة اليقين والتصديق بالبعث والنشور**) فإنه (**لقلة الفهم لأمثال تلك الأمور**) وعدم الفهم بها. (**ولو لم يشاهد الإنسان توالد الحيوانات وقيل له: إن**

يشاهد الإنسان توالد الحيوانات وقيل له : إن صانعاً يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمي المصوّر العاقل المتكلم المتصرف لاشتدّ نفور باطنه عن التصديق به ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يرَ الإنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فإذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس : ٧٧] ، وقال تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الإنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سدى ٭ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ منيٍّ يُمْنى ثُمَّ كانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثَى﴾ [القيامة : ٣٦ - ٣٩] ، ففي خلق الآدمي - مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه - أعاجيب تزيد على الأعاجيب في بعثه وإعادته ، فكيف ينكر ذلك من قدر الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في صنعته وقدرته ؟ فإن كان في إيمانك ضعف فقوّ الإيمان بالنظر في النشأة الأولى ، فإن الثانية مثلها وأسهل منها ، وإن كنت قوي الإيمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار وأكثر فيها التفكر والاعتبار ، لتسلب عن قلبك الراحة والقرار ، فتشتغل بالتشمر للعرض على الجبار ، وتفكر أوّلاً فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور ، فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى فيثورون دفعة

صانعاً يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الآدمي المصوّر العاقل المتكلم المتصرف) في الأمور **(لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾)** فيه تسلية بتهوين ما يقولونه بالنسبة إلى إنكارهم الحشر ، وفيه تقبيح بليغ لإنكاره حيث عجب منه وجعله إفراطاً في الخصومة بيننا ، ومنافاة الجحود والقدرة على ما هو أهون مما عمله في بداية خلقه ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من أخس شيء وامهنه شريفاً مكرماً بالعقوق والتكذيب ، وقيل : معنى ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ فإذا هو بعد ما كان ماء مهيناً مميز منطبق قادر على الخصام معرب عما في نفسه . (**وقال تعالى :**) ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين٭ فجعلناه في قرار مكين٭ إلى قدر معلوم٭ فقدرنا فنعم القادرون٭ ويل يومئذ للمكذبين﴾ [المرسلات : ٢٠ - ٢٤] أي بقدرتنا أو على الإعادة . وقال تعالى : (**أيحسب الإنسان أن يترك سدى**) أي مهملاً لا يكلف ولا يجازى . (**ألم يك نطفة من مني يمنى٭ ثم كان علقة فخلق فسوى**) أي قدره فعدله ، (**ففي خلق الآدمي مع كثرة عجائبه واختلاف تركيب أعضائه أعاجيب تزيد على الأعاجيب في بعثه وإعادته ، فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في صنعه وقدرته ، فإن كان في إيمانك ضعف فقو الإيمان بالنظر في النشأة الأولى ، فإن الثانية مثلها وأسهل منها**) كما مر في الحديث المتقدم ، وليس أول الخلق بأهون عليه من إعادته ، (**وإن كنت قوي الإيمان بها فاشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار ، وأكثر فيها التفكر والاعتبار لتسلب عن قلبك الراحة والقرار ، فتشتغل بالتشمر**) والتهيؤ (**للعرض على الجبار**) جل جلاله ، (**وتفكر أولاً فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخ الصور فإنها صيحة واحدة تنفرج بها القبور عن رؤوس الموتى**

واحدة. فتوهم نفسك وقد وثبت متغيراً وجهك مغبراً بدنك من فرقك إلى قدمك من تراب قبرك مبهوتاً من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء، وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم، وقد أزعجهم الفزع والرعب مضافاً إلى ما كان عندهم من الهموم والغموم وشدّة الانتظار لعاقبة الأمر، كما قال تعالى: ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ في السَّمواتِ ومَنْ في الأرْضِ إلاَّ منْ شاء اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فيه أُخْرى فإذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿فإذا نُقِرَ في النَّاقُورِ ★ فذَلِكَ يَومئِذٍ يومٌ عَسيرٌ ★ عَلَى الكافرينَ غَيْرُ يَسيرٍ﴾ [المدثر: ٨ - ١٠]، وقال تعالى: ﴿ويَقُولُونَ متى هَذَا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ★ مَا يَنْظُرونَ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخْصِمونَ★ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ توصِيَةً ولاَ إلى أهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ★ ونُفِخَ في الصُّورِ فإذا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ★ قالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقِدنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحمنُ

فيثورون) منها (**دفعة واحدة**) كما نطق به القرآن، (**فتوهم نفسك وقد وثبت**) من القبر (**مغبراً بدنك من فرقك إلى قدمك من تراب قبرك مبهوتاً**) أي متحيراً (**من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء، وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد أزعجهم الفزع والرعب مضافاً إلى ما كان عندهم من الغموم والهموم وشدة الانتظار لعاقبة الأمر كما قال تعالى: ﴿ونفخ في الصور**) يعني المرة الأولى (**فصعق من في السموات ومن في الأرض**) أي خرَّ ميتاً أو مغشياً عليه (**إلا من شاء الله﴾**) سيأتي قريباً (**﴿ثم نفخ فيه أخرى**) أي نفخة أخرى (**فإذا هم قيام**) أي قائمون من قبورهم أو متوقفون (**﴿ينظرون﴾**) أي يقلبون أبصارهم من الجوانب كالمبهوتين وينظرون ما يفعل بهم وأشار إلى النفخة الأولى بقوله: فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة، وهذه النفخة عندها خراب العالم. (**وقال تعالى: ﴿فإذا نقر﴾**) أي نفخ (**﴿في الناقور﴾**) أي الصور فعول من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذي هو سبب الصوت (**فذلك يومئذ يوم عسير ★ على الكافرين غير يسير﴾ وقال تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾**) يعنون وعد البعث (**﴿ما ينظرون﴾**) ما ينتظرون (**﴿إلا صيحة واحدة﴾**) هي النفخة الأولى (**تأخذهم وهم يخصمون**) يتخاصمون في معاملاتهم لا يخطر ببالهم أمر ما (**فلا يستطيعون توصية﴾**) عن شيء من أمورهم (**﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾**) فيروا حالهم بل يموتوا في حيث تبغتهم (**﴿ونفخ في الصور﴾**) أي مرة ثانية (**﴿فإذا هم من الأجداث﴾**) أي القبور (**﴿إلى ربهم ينسلون﴾**) يسرعون. (**﴿قالوا: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾**) فيه رمز وإشعار بأنهم لاختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياماً. (**﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾**) وهو من كلامهم، وقيل: جواب للملائكة أو المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيراً لكفرهم، وتقريعاً لهم عليه، وتنبيهاً بأن الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كأنهم قالوا: ابعثكم

وصدقَ الْمُرسَلون﴾ [يس: ٤٨-٥٢]، فلو لم يكن بين يدي الموتى إلاّ هول تلك النفخة لكان ذلك جديراً بأن يتقي فإنها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والأرض - يعني يموتون بها - إلا من شاء الله وهو بعض الملائكة. ولذلك قال رسول الله ﷺ: « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحني الجبهة وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفخ ».

قال مقاتل: الصور هو القرن؛ وذلك أن إسرافيل عليه السلام واضع فاه على القرن

الرحمن الذي وعدكم البعث لو أرسل إليكم الرسل فصدقوكم، وليس الأمر كما تظنونه فإنه ليس بعث النائم فهمكم السؤال عن الباعث، وإنما هو البعث الأكبر ذو الأهوال، (**فلو لم يكن بين يدي الموتى إلا هول تلك النفخة لكان ذلك جديراً بأن يتقي فإنها نفخة وصيحة يصعق بها من في السموات والأرض يعني يموتون بها**) أو يغشى عليهم وبكل منها فسرت الآية (**إلا من شاء الله وهو**) أي المستثنى (**بعض الملائكة**) قيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وأنهم لا يموتون بعد، وقيل: حملة العرش كما سيأتي قريباً، (**ولذلك قال رسول الله ﷺ: « كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى الجبهة**) أي أمالها (**وأصغى بالأذن**) ليستمع (**متى يؤمر**) بالنفخ (**فينفخ »**) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال: حسن، ورواه ابن ماجه بلفظ: « إن صاحبي القرن بأيديهما - أو في أيديهما - قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران » وفي رواية ابن ماجه الحجاج بن ارطأة مختلف فيه اهـ.

قلت: حديث أبي سعيد رواه أيضاً سعيد بن منصور، وأحمد وعبد بن حميد، وأبو يعلى، وابن حبان، وابن خزيمة، وابن المنذر، وأبو الشيخ في العظمة، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في البعث، والضياء في المختارة بزيادة قالوا: يا رسول الله كيف نصنع؟ قال: « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا ». ورواه أحمد أيضاً والطبراني من حديث زيد بن أرقم وأحمد أيضاً والطبراني في الأوسط، والحاكم والبيهقي من حديث ابن عباس. ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث جابر، وأبو الشيخ في العظمة من حديث أبي هريرة، والباوردي من حديث الأرقم بن الأرقم وقال: كذا في كتابي ولا أدري مني أو ممن حدثني. وقال أيوب زيد بن أرقم. ورواه أيضاً من حديث أنس. وروى الخطيب من حديث أنس بلفظ: « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى ظهره ينظر تجاه العرش كأن عينيه كوكبان دريان لم يطرف قط مخافة أن يؤمر من قبل ذلك ». وأما لفظ ابن ماجه؛ فرواه كذلك البزار وابن مردويه، وقد روي نحو ذلك من حديث ابن عمر: « النافخان في السماء الثانية رأس أحدهما بالمشرق ورجلاه بالمغرب ينتظران متى يؤمران فينفخان » رواه أحمد والحاكم.

(**قال مقاتل**) بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي أبو بسطام صدوق فاضل روى له أبو داود في كتاب المسائل له: (**الصور هو القرن، وذلك أن إسرافيل واضع فاه على القرن كهيئة**

كهيئة البوق، ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض وهو شاخص بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الأولى، فإذا نفخ صعق من في السموات والأرض أي مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله، وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل، ثم روح ميكائيل، ثم روح إسرافيل، ثم يأمر ملك الموت فيموت. ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة، ثم يحيي الله إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله تعالى: ﴿ثم نُفِخَ فيهِ أخرى فإذَا هم قيامٌ يَنظُرونَ﴾ [الزمر: جزء من الآية: ٦٨] على أرجلهم ينظرون إلى

البوق، ودائرة رأس القرن كعرض السموات والأرض، وهو شاخص بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفخ النفخة الأولى، فإذا نفخ صعق من في السموات ومن في الأرض أي مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح إسرافيل، ثم يأمر ملك الموت فيموت، ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة، ثم يحيي الله إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله: ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ على أرجلهم ينظرون إلى البعث) قوله: الصور هو القرن هذا قد روي مرفوعاً من حديث ابن عمر: أن اعرابياً سأل رسول الله ﷺ عن الصور فقال: « قرن ينفخ فيه » رواه ابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد والترمذي وحسنه والنسائي وابن المنذر وابن حبان والحاكم وصححه، والبيهقي في البعث، وابن مردويه، وقد روي نحو ذلك عن ابن مسعود عند عبد بن حميد ومسدد.

وروى أبو الشيخ عن عكرمة قال: الصور مع إسرافيل وفيه أرواح كل شيء تكون فيه فينفخ فيه نفخة الصعقة فإذا نفخ فيه نفخة البعث قال الله عز وجل: ليرجعن كل روح إلى جسده. قال: ودارة منها أعظم من سبع سموات ومن الأرض، وإسرافيل شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر بالنفخ فينفخ في الصور، واختلف في المستثنى من الصعق فقيل: جبريل وميكائيل وملك الموت. رواه ابن مردويه من حديث أنس، وقيل: زيادة على هؤلاء الثلاثة إسرافيل وحملة العرش رواه الفريابي وابن جرير من حديث أنس أيضاً، وقيل موسى عليه السلام لأنه صعق قبل رواه ابن المنذر عن جابر، وفي المتفق عليه من حديث أبي هريرة: « فاكون أول من رفع رأسه فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان فيمن استثنى الله » وقال عكرمة ﴿إلا من شاء الله﴾ هم حملة العرش. رواه عبد بن حميد وابن المنذر وقيل: إلا من شاء الله هم الشهداء ثنية الله. رواه أبو يعلى والدارقطني في الأفراد وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي من حديث أبي هريرة.

ورواه سعيد بن منصور، وهناد عن سعيد بن جبير، أخبرنا عمر بن أحمد بن عقيل، أخبرني عبدالله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ عن النور علي بن يحيي، أخبرنا يوسف بن عبدالله

....

أخبرنا عبد الرحمن بن أبي بكر الحافظ، أخبرني عبد الرحمن بن أحمد الفخري قراءة على أبي الحسن الدمشقي أن أبا العباس الصالحي أخبره، عن جعفر بن علي، عن الحافظ أبي طاهر السلفي قال: اخبرنا محمد بن الحسن، أخبرنا أحمد بن عبدالله المحاملي، أخبرنا محمد بن عبدالله الشافعي قال: حدثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي، حدثنا أبو عاصم النبيل، حدثنا إسماعيل بن رافع بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة قال: حدثنا رسول الله ﷺ فقال: «إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر» قلت: يا رسول الله وما الصور؟ قال: «القرن» قلت: كيف هو؟ قال: «عظيم إن عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض فينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين، فيأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول: انفخ نفخة الفزع فينفخ فيفزع أهل السماء والأرض إلا من شاء الله فيسير الله الجبال فتمر كمر السحاب فتكون سراباً وترتج الأرض بأهلها رجاً فتكون كالسفينة الموقرة في البحر تضربها الأمواج أو كالقنديل المعلق بالعرش تخرجه الأرواح، فتميل الأرض بالناس على ظهرها تذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الأقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولي الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضاً، فبينما هم كذلك تصدعت الأرض فانصدعت من قطر إلى قطر، فرأوا أمراً عظيماً. ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل، ثم انشقت فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها. قال رسول الله ﷺ: «والأموات يومئذ لا يعلمون بشيء من ذلك». قلت: فمن استثنى الله في قوله: ﴿إلا من شاء الله﴾ قال: «أولئك الشهداء فيمكثون في ذلك ما شاء الله ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فيقول ملك الموت: قد مات أهل السماء والأرض إلا من شئت، فيقول الله وهو أعلم: فمن بقي؟ فيقول: أي رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت، وبقيت حملة العرش، وبقي جبريل وميكائيل، وبقيت أنا. فيقول الله تعالى: فليمت جبريل وميكائيل فيموتان، ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول: رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله تعالى: فليمت حملة العرش فيموتوا ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل، ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول: رب قد مات حملة عرشك، فيقول: وهو أعلم فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت أنا، (فيقول الله تعالى: أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت فيموت فإذا لم يبقَ إلا الله الواحد طوى السماء والأرض كطي السجل للكتاب وقال: أنا الجبار ﴿لمن الملك اليوم﴾ - ثلاث مرات - فلا يجيبه أحد، ثم يقول لنفسه: ﴿لله الواحد القهار﴾ ويبدل الله الأرض غير الأرض والسموات فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الأديم لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، يزجر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه المبدلة في مثل ما كانوا فيه من الأولى، فمن كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها، ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعاً، ثم يأمر

....

الله الأجساد أن تنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم وكانت لحماً كما كانت قال الله تعالى: ليحي حملة العرش فيحيون، ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضم على فيه ثم يقول ليحيي جبريل وميكائيل، ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نوراً والأخرى ظلمة، فيقبضها جميعاً ثم يلقيها في الصور، ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيقول الله: ليرجع كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد مشي السم في اللديغ، ثم تنشق الأرض عنكم وأنا أول من تنشق عنه الأرض». الحديث بطوله في نحو ثلاثة أوراق أخرجه هكذا بطوله عبد بن حميد وعلي بن معبد في كتاب العصيان والطاعة، وابن جرير في تفسيره، والطبراني في الطوالات، وأبو يعلى في مسنده، وأبو الحسن القطان في الطوالات، وأبو الشيخ العظمة، والبيهقي في البعث، ومداره على إسماعيل بن رافع وهو قاص أهل المدينة وتكلم فيه بسبب هذا الحديث وفي بعض سياقه نكارة. وقيل: إنه جمعه من طرق وأماكن متفرقة وساقه سياقاً واحداً. ورواه عنه الوليد بن مسلم، وعبدة بن سليمان، ومكي بن إبراهيم، وآخرون. واختلف عليه فيه فقيل: عن محمد ابن زياد، عن محمد بن كعب، عن رجل، عن أبي هريرة. ومنهم من أسقط الرجل، ومنهم من زاد رجلاً من الأنصار بين ابن زياد وابن كعب غير الرجل المبهم. وقال أبو موسى المديني: هذا الحديث وإن كان في إسناده من تكلم فيه، فالذي فيه يروى مفرقاً في أسانيد ثابتة والله أعلم.

وروى الفريابي وابن جرير وابن مردويه من حديث أنس: «إذا قبض الله أرواح الخلائق قال لملك الموت: من بقي؟ وهو أعلم، فيقول: سبحانك ربي بقي إسرافيل، فيقول: خذ نفس إسرافيل، فيقول: يا ملك الموت من بقي؟ فيقول: سبحانك ربي تباركت وتعاليت ذا الجلال والإكرام بقي جبريل وميكائيل. فيقول: خذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول: يا ملك الموت من بقي؟ فيقول: سبحانك ربي يا ذا الجلال والإكرام بقي جبريل وهو من الله بالمكان الذي هو به، فيقول: يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجداً يخفق بجناحيه يقول: سبحانك ربي تباركت وتعاليت ذا الجلال والإكرام أنت الباقي وجبريل الميت الفاني، فيأخذ روحه في الخلقة التي يخلق فيها». زاد ابن مردويه: «ثم ينادي: أنا بدأت الخلق ثم أعيده فأين الجبارون المتكبرون؟ فلا يجيبه أحد، ثم ينادي ﴿لمن الملك اليوم﴾ فلا يجيبه أحد فيقول الله: ﴿لله الواحد القهار﴾ ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون». وفي المتفق عليه من حديث أبي هريرة: «ينفخ في الصور والصور كهيئة القرن فصعق من في السموات والأرض وبين النفختين أربعون عاماً، يمطر الله في تلك الأربعين مطراً فينبتون من الأرض كما ينبت البقل». وروى ابن المبارك عن الحسن قال: بين النفختين أربعون سنة الأولى يميت الله بها كل حي، والثانية يحيي الله بها كل ميت. روى أبو الشيخ في العظمة عن أبي بكر الهذلي قال: إن ملك الصور الذي وكل به إحدى قدميه لفي الأرض السابعة وهو جاث على ركبتيه شاخص بصره إلى إسرافيل ما طرف منذ خلقه ينظر متى يشير إليه

البعث. وقال ﷺ: « حين بعث إليّ بعث إلى صاحب الصورة فأهوى به إلى فيه وقدم رجلاً وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة »، فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفاً من هذه الصعقة، وانتظاراً لما يقضي عليهم من سعادة أو شقاوة، وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم. بل إن كنت في الدنيا من المترفهين والأغنياء المتنعمين فملوك الأرض في ذلك اليوم أذل أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقرهم يوطأون بالأقدام مثل الذر وعند ذلك تقبل الوحوش

فينفخ في الصور. وروي أيضاً عن وهب بن منبه قال: خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاجة، ثم قال للعرش: خذ الصور فتعلق به، ثم كن فكان إسرافيل فأمره أن يأخذ الصور فأخذه وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة، وفي وسط الصور كوّة كاستدارة السماء والأرض وإسرافيل واضع فمه على تلك الكرة، ثم قال له الرب: قد وكلتك بالصور فأنت للنفخة والصيحة فلم يطرف منذ خلقه الله لينظر ما يؤمر به.

(**وقال ﷺ: « حين بعث إلي بعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فمه وقدم رجلاً وأخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفخ ألا فاتقوا النفخة »**) قال العراقي: لم أجده هكذا، بل قد ورد أن إسرافيل من حين ابتداء الخلق وهو كذلك كما رواه البخاري في التاريخ، وأبو الشيخ في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة: « إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر » قال البخاري: ولم يصح وفي رواية لأبي الشيخ: ما طرف صاحب الصور منذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان وإسنادها جيد انتهى.

قلت: بل رواه عبد بن حميد في تفسيره من حديث ابن عمر بلفظ: « لما بعث إلي بعث إلى صاحب الصور فأخذه فأهوى بيده إلى فيه فقدم رجلاً وأخر رجلاً متى يؤمر فينفخ فاتقوا النفخة ». وأما حديث: « ما طرف صاحب الصور » الخ فرواه أيضاً الحاكم وصححه ابن مردويه.

(**فتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبعاث خوفاً من هذه الصعقة وانتظاراً لما يقضي عليهم من سعادة أو شقاوة، وأنت فيما بينهم**) ومن جلتهم (**منكسراً كانكسارهم متحيراً كتحيرهم، بل إن كنت في الدنيا من المترفهين والأغنياء المتنعمين فملوك الأرض في ذلك اليوم هم أذل أهل الجمع وأصغرهم وأحقرهم يوطأون بالأقدام مثل الذر**) يشير إلى ما رواه أحمد والترمذي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رفعه: « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان » الحديث وقد تقدم، (**وعند ذلك يقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رؤوسها مختلطة**

من البراري والجبال منكسة رؤوسها مختلطة بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها، ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة، وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وإذا الوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله تعالى تصديقاً لقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لنحشُرَنَّهُم والشياطِينَ ثم لنُحضِرنَّهُم حولَ جهنَّم جثياً﴾ [مريم: ٦٨]، فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك.

صفة أرض المحشر وأهله:

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلاً إلى أرض المحشر، أرض

بالخلائق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها، ولكن حشرهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الهرب من الخلق والتوحش منهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾) قال البيضاوي: أي جمعت من كل جانب أو بعثت للقصاص، ثم ردت تراباً أو أميتت من قولهم: إذا أجحفت السنة الناس حشرتهم وقرىء بالتشديد اهـ.

وقال أبي بن كعب: حشرت أي اختلطت، وذلك إذا وقعت الجبال على الأرض فتحركت واضطربت ففزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطير والوحوش فماجوا بعضهم في بعض. رواه ابن أبي الدنيا في الأهوال، وابن جرير وابن أبي حاتم. وقال الضحاك: حشرت أي ماتت. رواه عبد بن حميد. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: حشر البهائم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس فإنها يوقفان يوم القيامة. رواه الحاكم وصححه. وقال الربيع بن خيثم: حشرت أي أتى عليها أمر الله رواه سعيد بن منصور. وقال قتادة: إن هذه الخلائق موافية يوم القيامة فيقضي الله فيها ما يشاء. رواه عبد بن حميد.

(**ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله**). روى الطبراني وغيره من حديث أبي هريرة الطويل المتقدم ذكره قريباً: « وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الأقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع » الحديث (**تصديقاً لقوله تعالى: ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾**) أي قعوداً على ركبهم رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس. وروى البيهقي في البعث من حديث عبدالله بن باباه كأني أراكم بالكوم دون جهنم جاثين، وقيل: جثيا أي قياماً. رواه ابن أبي حاتم عن السدي، (**فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك**) كيف يكون إن كنت من المتيقظين.

صفة أرض المحشر وأهله:

(**ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور**) من قبورهم (**وهم حفاة**) جمع حاف

بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، ولا ترى عليها ربوة يختفي الإنسان وراءها، ولا وهدة يتخفض عن الأعين فيها، بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون إليه زمراً، فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة، والراجفة هي النفخة الأولى والرادفة هي الثانية، وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة الأبصار ولتلك أن تكون خاشعة، قال

(**عراة**) جمع عار (**غرلا**) جمع أغرل وهو الأقلف (**إلى أرض المحشر**) وهي (**بيضاء**) كأنها در مكة (**قاع صفصف**) مستو (**لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً**) العوج: محركة يقال فيما يدرك بالبصر كالخشب المنصوب ونحوه، وبالكسر فيما يدرك بفكر وبصيرة، وقد يكون في أرض بسيط عوج يعرف تفاوته بالبصر. وروى الحاكم من طريق ورقاء بن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: ﴿قاعاً صفصفا﴾ قال: مستوياً لا ترى فيها عوجاً أي تخفضاً ولا أمتاً أي مرتفعاً. (**ولا ترى عليها ربوة**) أي بقعة مرتفعة (**يختفي الإنسان وراءها ولا وهدة**) بقعة منخفضة (**ينخفض عن الأعين فيها، بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون إليه زمراً**) أي جماعة كما قال تعالى: ﴿فتأتون أفواجاً﴾ [النبأ: ١٨] (**فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم**) من الإنس والجن والشياطين والوحوش والطيور (**من أقطار الأرض**) أي جوانبها. وروى الحكيم من حديث ابن عمرو: « إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مدّ الأديم وحشر الله الخلائق الإنس والجن والدواب والوحوش » الحديث. ومن حديث جابر: « تمد الأرض يوم القيامة مد الأديم ثم لا يكون لابن آدم منها إلا موضع قدميه ». (**إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة، والراجفة هي**) الواقعة التي ترجف الأجرام عندها وهي (**النفخة الأولى**) لأنها ترجفهم وتزلزلهم عن مواضعهم، (**والرادفة هي**) النفخة (**الثانية**) لأنها تردفها أي تتبعها، وبينهما أربعون عاماً كما في حديث أبي هريرة، وبه فسر قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفة ★ تتبعها الرادفة﴾ [النازعات: ٦، ٧] وقيل: المراد بالرادفة الأجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالأرض والجبال لقوله تعالى: ﴿يوم ترجف الأرض والجبال﴾ [المزمل: ١٤] والرادفة هي السماء والكواكب تنشق وتنتثر، وما ذكره المصنف هو المنقول عن أبي صالح رواه عبد بن حميد. وروي أيضاً عن قتادة: قال هما الصيحتان. أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله تعالى، وأما الأخرى فتحيي كل شيء بإذن الله تعالى. وروى نحوه عن الحسن. وروى أبو الشيخ وابن مردويه من حديث أبي هريرة ترجف الأرض رجفاً وتزلزل بأهلها وهي التي يقول الله: ﴿يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة﴾ يقول: مثل السفينة في البحر تكفأ بأهلها، أو مثل القنديل المعلق بأرجائه. وروى أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن مردويه، والبيهقي في الشعب من حديث أبي بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال: « أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » وقد تقدم في أول هذا الكتاب، (**فحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة**) أي وجلة متحركة أو خائفة مضطربة من الوجيف وهو شدة الاضطراب والخفقان،

رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد».

قال الراوي: والعفرة: بياض ليس بالناصع. والنقي: هو النقي عن القشر والنخالة. ومعلم: أي لا بناء يستر ولا تفاوت يرد البصر.

ولا تظنن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لا تساويها إلا في الاسم. قال تعالى: ﴿يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسَّمواتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، قال ابن عباس: يزاد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمد مد الأديم العكاظي، أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة، والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها. فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته، فإنه إذا اجتمع

(**ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة**) أي ذليلة من الخوف. (**قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص**) وفي لفظ كقرصة (**النقي ليس فيها معلم لأحد»**) قال العراقي: متفق عليه من حديث سهل بن سعد، وفصل البخاري قوله ليس فيها معلم لأحد فجعلها من قول سهل أو غيره وأدرجها مسلم فيها اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن حبان في الصحيح، وابن جرير وابن مردويه كلهم كرواية مسلم. وروى ابن أبي حاتم عن سهل بن سعد في تفسيره قوله تعالى: ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ [النازعات: ١٤] قال: أرض بيضاء عفراء كالخبزة من النقي.

(**قال الراوي**) حين سئل عن المعنى، (**فالعفرة**) بالضم (**بياض ليس بالناصع**) أي الخالص هكذا قاله الخطابي، وقال عياض: بياض يضرب إلى حمرة قليلة. وقال ابن فارس: معنى عفراء خالصة البياض. وقال الداودي: شديدة البياض كذا قال: والأول المعتمد كذا في الفتح. (**والنقي**) كأمير (**هو النقي**) المخلص (**من القشر والنخالة**) ولذلك جاء تشبيهها في حديث آخر بالدرمكة وهي الخبز النقي، (**و**) قوله (**لا معلم**) فيها لأحد (**أي لابناء يستر ولا تفاوت يرد البصر**) وهو مفعل من العلامة مصدر ميمي، (**ولا تظنن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا**) في الهيئة والصفة هيهات (**لا تساويها إلا في الاسم**) فقط (**قال تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾**) عطف على الأرض، وتقديره: السموات غير السموات، والتبديل يكون في الذات وفي الصفة والآية تحتملها ويدل على الثاني ما (**قال ابن عباس**) رضي الله عنهما: (**يزاد فيها وينقص**) منها (**وتذهب أشجارها**) وآكامها (**وجبالها وأوديتها وما فيها وتمدّ مدّ الأديم العكاظي**) منسوب إلى عكاظ وهو موضع بالحجاز ينسب إليه السوق والأديم الجلد منسوب إليه، (**أرض بيضاء مثل الفضة لم يسفك عليها دم ولم تعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها ونجومها**). رواه البيهقي في البعث والنشور هكذا

الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر، وأظلمت الأرض لخمود سراجها فبينما هم كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم

موقوفاً على ابن عباس، وقد روي نحوه من حديث ابن مسعود في تفسير هذه الآية قال: أرض بيضاء كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم تعمل فيها خطيئة. رواه البزار وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في البعث هكذا عنه مرفوعاً. وروي عنه أيضاً موقوفاً عليه. وهكذا رواه عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وصححه. وقال البيهقي في البعث: والموقوف أصح. وروى ابن جرير وابن مردويه عن زيد بن ثابت قال: أتى اليهود النبيَّ ﷺ يسألونه فقال: « جاؤوا يسائلوني سأخبرهم قبل أن يسألوني: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ قال: أرض بيضاء كالفضة. فسألهم فقالوا: أرض بيضاء كالنقي ». وروي الشيخان وابن جرير وابن مردويه من حديث أبي سعيد: « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفرة » الحديث. وروى ابن مردويه عن أفلح مولى أبي أيوب أن رجلاً من اليهود سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال: « ما الذي تبدل به؟ قال: « خبزة » فقال اليهودي: درمكة بأبي أنت. قال: فضحك ثم قال: « قاتل الله اليهود هل تدرون ما الدرمكة لباب الخبز ». وروى ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه، وروى البيهقي في البعث عن عكرمة قال: تبدل الأرض بيضاء مثل الخبزة يأكل منها أهل الإسلام حتى يفرغوا من الحساب. وروى ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: خبزة يأكل منها المؤمنون من تحت أقدامهم.

ومما يدل على القول الأول: ما رواه ابن جرير وابن مردويه عن أنس قال: يبدلها الله يوم القيامة بأرض من فضة لم يعمل عليها الخطايا ثم ينزل عليها الجبار عز وجل. وروي ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علي قال: تبدل الأرض من فضة والسماء من ذهب. وروى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: أرض كأنها فضة والسموات كذلك. وروى عبد بن حميد عن عكرمة قال: بلغنا أن هذه الأرض تطوى وإلى جنبها أخرى يحشر الناس منها إليها. وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي بن كعب قال: تغير السموات جناناً ويصير مكان البحر ناراً، وتبدل الأرض غيرها. وروى ابن جرير عن ابن مسعود قال: الأرض كلها نار يوم القيامة.

(فانظر يا مسكين في هول اليوم وشدته فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء) كما قال تعالى: ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ [الانفطار: ٢] أي تساقطت متفرقة، **(وطمس الشمس والقمر)** كما قال تعالى: ﴿وإذا النجوم طمست﴾ [المرسلات: ٨] أي ذهب ضوؤها. وقال تعالى: ﴿إذا الشمس كورت﴾ [التكوير: ١] أي لف ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق وزال أثره، **(وأظلمت الأرض لخمود سراجها)** وذهاب ضوئه، **(فبينما أنت كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤوسهم وانشقت)** بالغمام لقوله تعالى:

وانشقت مع غلظها وشدتها خمسمائة عام، والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها! ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان، وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن، واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة. قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس حفاة عراة غرلاً قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان» قالت سودة ـ زوج النبي ﷺ راوية الحديث ـ قلت: يا رسول الله واسوأتاه أينظر

﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ الفرقان: ٢٥] أو لنزول الملائكة كما قال تعالى: ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ [الحاقة: ١٦] وروى ابن أبي حاتم عن علي قال: تتشقق السماء من المجرة (**مع غلظها وشدتها خمسمائة عام**) كما تقدم في كتاب التفكر، (**والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها**) كما قال تعالى: ﴿والملك على أرجائها﴾ أي جوانبها، وهو تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء أهلها إلى أطرافها وحواليها. (**فيا هول صوت انشقاقها في سمعك! ويا هيبة ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدتها، ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فصارت وردة كالدهان**). روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: فكانت وردة يقول حمراء مثل الدهان. قال: هو الأديم الأحمر. وروى ابن جرير عنه قال: كالدهان يقول تغير لونها. وروى الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه قال: مثل لون الفرس الورد. وروى عبد بن حميد وابن جرير عن الضحاك قال: حمراء كالدابة الوردة. وروى عبد بن حميد عن أبي الجوزاء ﴿فكانت وردة كالدهان﴾ قال: وردة الجبل كالدهان قال: لصفاء الدهن. وروى أبو الشيخ في العظمة عن عطاء قال: لون السماء كلون دهن الورد في الصفرة وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال: هي اليوم خضراء كما ترون وإن لها يوم القيامة لوناً آخر. وروى محمد بن نصر عن لقمان بن عامر الحنفي أن النبي ﷺ مر بشاب وهو يقرأ: ﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾ [الرحمن: ٣٧] فوقف فاقشعر وخنقته العبرة فجعل يبكي ويقول: ويلي من يوم تنشق فيه السماء. فقال النبي ﷺ مثل ما تأتي فوالذي نفسي بيده لقد بكت الملائكة من بكائك. (**وصارت السماء كالمهل**) الرصاص المذاب. وروى السدي عن مرة عن ابن مسعود: قال: السماء تكون ألواناً تكون كالمهل، وتكون وردة كالدهان، وتكون واهية وتشقق فتكون حالاً بعد حال. (**وصارت الجبال كالعهن**) الصوف المصبوغ ألواناً لأن الجبال ألوان مختلفة، فإذا نسفت وتطيرت في الهواء أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح، (**واشتبك الناس كالفراش المبثوث**) أي المنتشر في الجوّ وكل ذلك في القرآن (**وهم عراة حفاة مشاة. قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس حفاة عراة غرلاً قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان» قالت سودة زوج النبي ﷺ راوية الحديث**) هي أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس ابن عبد شمس القرشية العامرية، وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة. رواه ابن

بعضنا إلى بعض؟ فقال: شغل الناس عن ذلك بهم: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْن

إسحاق وهي التي جعلت يومها وليلتها لعائشة. توفيت سنة أربع وخمسين في قول الواقدي، **(قلت: يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال)** ﷺ **(«شغل الناس عن ذلك ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾»)** قال العراقي: رواه الثعلبي والبغوي وهو في الصحيحين من حديث عائشة وهي القائلة واسوأتاه اهـ.

قلت: وروى أيضاً الطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث.

وأما حديث عائشة؛ قال أبو بكر بن أبي داود في كتاب البعث: حدثنا محمد بن مصفى، عن بقية بن الوليد قال: حدثني الزبيري، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً» قالت عائشة: يا رسول الله فكيف بالعورات؟ قال: ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾» وأخرجه الشيخان من طريق حاتم بن أبي صغيرة عن عبدالله بن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة. ورواه كذلك الحاكم وابن مردويه. وروى ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن أنس أن عائشة سألت رسول الله ﷺ فقالت: كيف يحشر الناس؟ قال: «حفاة عراة» قالت: واسوأتاه قال: «إنه نزل علي آية لا يضرك كان عليك ثيابك أولا». قالت: أي آية هي؟ قال: ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ وروى الطبراني في الأوسط بسند صحيح من حديث أم سلمة: «يحشر الناس يوم القيامة عراة حفاة» فقلت: يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال: «شغل الناس» قلت: ما شغلهم؟ قال: «نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل». وروى ابن مردويه من حديث ابن عمر: «يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة غرلاً» قالت عائشة: ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «شغل الناس يومئذ عن النظر وسموا بأبصارهم إلى السماء موقوفون أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون». وفي رواية لمسلم قالت عائشة: يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض» وكذلك رواه الحاكم والبيهقي وعند الطبراني من حديث سهل بن سعد: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة غرلاً قيل: يا رسول الله ينظر الرجال إلى النساء؟ فقال: ﴿لكل امرىء منهم يومئذ شان بغنيه﴾ ومن حديث الحسن بن علي: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة» قالت امرأة: يا رسول الله فكيف يرى بعضنا بعضا؟ قال: «إن الأبصار يومئذ شاخصة». وروى عبد بن حميد والترمذي والحاكم وصححاه وابن مردويه والبيهقي في البعث من حديث ابن عباس: «يحشرون حفاة عراة غرلاً» فقالت زوجته: أينظر بعضنا إلى عورة بعض؟ فقال: «يا فلانة لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه». وروى الشيخان من طرق عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ بوعظه فقال: «إنكم محشورون عراة غرلاً فأول الخلائق يكسى إبراهيم». وروى ابن مردويه من حديث ابن عمر: «يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة غرلاً» قالت عائشة: ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «شغل الناس يومئذ عن النظر وسموا بأبصارهم إلى

يَغنيهِ﴾ [عبس: ٣٧]، فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات. كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم، قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: ركباناً ومشاة على وجوههم، فقال رجل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: « الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم »، وفي طبع الآدمي إنكار كل ما لم يأنس به، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على بطنها

السماء موقوفون أربعين سنة لا يأكلون ولا يشربون ». وروى أحمد وأبو يعلى والخرائطي في مساوىء الأخلاق والطبراني والحاكم والضياء من حديث عبدالله بن أنيس الأنصاري: يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة عراة غرلاً بهما » قال: « ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان ويكون القصاص بالحسنات والسيئات ».

(**فاعظم بيوم تكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات**) لشغلهم عن ذلك، (**كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم. قال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله** ﷺ: « **يحشر الناس يوم القيامة ثلاث أصناف: ركباناً ومشاة وعلى وجوههم » فقال رجل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: « الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم** ») قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه وفي الصحيحين من حديث أنس أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: « أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة » اهـ.

قلت: لفظ الترمذي: « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاة وصنفاً ركباناً، وصنفاً على وجوههم » قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: « إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك ». ورواه كذلك أحمد.

وأما حديث أنس؛ فرواه كذلك البخاري عن عبيد الله بن محمد ومسلم عن زهير بن حرب وغيرهم كلهم عن يونس بن محمد عن شيبان عن قتادة، وعن أنس رواه الشاشي عن عبد بن حميد عن يونس به. وفي حديث أبي ذر: « إن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج: فوج طاعمين كاسين راكبين، وفوج يمشون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشر الناس من ورائهم ». رواه أحمد والنسائي والطبراني والبيهقي من رواية أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد عن أبي ذر وهم ثلاثة صحابيون.

(**وفي طبع الآدمي إنكار كل ما لم يأنس به ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على**

كالبرق الخاطف لأنكر تصوّر المشي على غير رجل، والمشي بالرجل أيضاً مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فإياك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا، فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها! فأحضر في قلبك صورتك وأنت واقف عارياً مكشوفاً ذليلاً مدحوراً متحيراً مبهوتاً منتظراً لما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقوة وأعظم هذه الحال فإنها عظيمة.

صفة العرق:

ثم تفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم، حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وأنس وشيطان ووحش وسبع وطير، فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها، ثم أدنيت من رؤوس العالمين كقاب قوسين، فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل عرش رب العالمين. ولم

بطنها كالبرق الخاطف لأنكـر تصور المشي على غير رجل، والمشي بالرجل أيضاً مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فإياك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما في الدنيا، فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشـد إنكاراً لها، فأحضر في قلبك صورتك وأنت واقف عارياً) عن اللباس (**مكشوفاً ذليلاً مدحوراً متحيراً مبهوتاً منتظراً لما يجري عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاء، وأعظم هذه الحال فإنها عظيمة**).

صفة العرق:

وهو محركة ما سال من بدن الإنسان مما تخرجه فوهات العروق ومسامها. قال ابن فارس: ولم يسمع له جمع.

(**ثم تفكر**) يا مسكين (**في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف أهل السموات السبع و**) أهل (**الأرض السبع من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وسبع وطير**) أوّلهم وآخرهم بحيث لا يشذ منهم أحد. (**فأشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرّها**) واشتد وهجها (**وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها، ثم أدنيت من رؤوس العالمين كقاب قوسين**) كناية عن كمال القرب يقال: إنها تكون منهم على ميل كما سيأتي. وقد روي نحو هذا السياق عن سلمان رواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبة في المصنف واللفظ له بسند جيد قال: تعطى الشمسُ يوم القيامة حرّ عشر سنين، ثم تدنو من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين، فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة، ثم يرتفع حتى يغرغـر الرجل. قال

يمكن من الاستظلال به إلا المقربون، فمن بين مستظل بالعرش وبين مضح لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها، ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضهم بعضاً لشدة الزحام واختلاف الأقدام، وانضاف إليه شدة الخجلة والحياء من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء، فاجتمع وهج الشمس وحر الأنفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف ففاض العرق من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة. ثم ارتفع على أبدانهم على قدر منازلهم عند الله، فبعضهم بلغ العرق ركبتيه، وبعضهم حقويه، وبعضهم إلى شحمة أذنيه، وبعضهم كاد يغيب فيه. قال ابن عمر: قال رسول الله ﷺ: «يوم يقوم الناس لرب العالمين، حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»، وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «يعرق الناس يوم القيامة حتى

سلمان: حتى يقول الرجل غرغر. (**فلم يبق على الأرض ظل إلا ظل عرش رب العالمين، ولم يمكن من الاستظلال به إلا المقربون**) أضاف الظل إلى العرش لأنه محل الكرامة، وإلا فالشمس وسائر العالم تحت العرش في القيامة حتى تدنو الشمس من رؤوس الخلائق. روى ابن المبارك في الزهد عن سلمان قال: بعد أن ساق كل ما ذكر قريباً: ولا يضرّ حرها مؤمناً ولا مؤمنة. قال القرطبي: المراد من يكون كامل الإيمان كما يدل عليه حديث المقداد وغيره: إنهم يتفاوتون في ذلك بحسب أعمالهم، (**فمن بين مستظل بالعرش**) وهم أصناف ذوو خصال متعددة كما وردت به الأخبار، وقد جمعها الحافظ ابن حجر في أماليه، ثم أفردها بكتاب سماه معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال، ثم ألف في ذلك بعده الحافظ السخاوي والحافظ السيوطي ومجموعها نحو تسعين خصلة، (**وبين مضح لحر الشمس قد صهرته**) أي أحرقته (**بحرّها واشتد كربه وغمه من وهجها**) محركة هو شدة اللهيب، (**ثم تدافعت الخلائق ودفع بعضها بعضاً لشدة الزحام واختلاف الأقدام**) حتى أنه ما يملك أحد منهم إلا موضع قدميه كما جاء في الخبر، (**وانضاف إليه شدة الخجلة والحياء**) واحتراق القلوب (**من الافتضاح والاختزاء عند العرض على جبار السماء**) جل جلاله، (**فاجتمع وهج الشمس وحرّ الأنفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف، ففاض العرق**) أي سال (**من أصل كل شعرة حتى سال على صعيد القيامة**) وهو موقفهم، (**ثم ارتفع إلى أبدانهم على قدر منازلهم عند الله، فبعضهم بلغ العرق ركبتيه، وبعضهم حقويه، وبعضهم إلى شحمة أذنيه، وبعضهم كاد يغيب فيه. قال ابن عمر**) رضي الله عنهما: (**قال رسول الله ﷺ: «يوم يقدم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»**) قال العراقي: متفق عليه.

قلت: رواه كذلك مالك وهناد وعبد بن حميد والترمذي وابن المنذر وابن مردويه، ورواه البخاري أيضاً وابن ماجه بلفظ: «**يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**».

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه، (**قال رسول الله ﷺ: «يعرق الناس يوم القيامة**

يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعاً ويلجمهم ويبلغ آذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح. وفي حديث آخر: « قياماً شاخصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب »، وقال عقبة بن عامر: قال رسول الله ﷺ: « تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه - وأشار بيده فألجمها فاه - ومنهم من يغطيه العرق - وضرب بيده على رأسه

حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعاً ويلجمهم ويبلغ آذانهم » كذا رواه البخاري ومسلم) كلاهما **(في الصحيح)** هو كما قال. وفي لفظ ذراعاً بدل باعاً وفي آخره حتى يبلغ. **(وفي حديث آخر: « قياماً شاخصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب »)** قال العراقي: رواه ابن عدي من حديث ابن مسعود وفيه أبو طيبة عيسى بن سليمان الجرجاني ضعفه ابن معين. وقال ابن عدي: لا أظن أنه كان يتعمد الكذب لكن لعله يشبه عليه اهـ.

قلت: ورواه البيهقي في البعث بلفظ: « إذا حشر الناس قاموا أربعين عاماً شاخصة أبصارهم إلى السماء لا يكلمهم الله والشمس على رؤوسهم حتى يلجم العرق كل بر منهم وفاجر ». ورواه محمد ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة عن ابن مسعود موقوفاً عليه. ومن حديث أبي هريرة نحوه.

قلت: وحديث أبي هريرة هو الأقرب لسياق المصنف من حديث ابن مسعود. رواه البيهقي في البعث ولفظه: « يحشر الناس قياماً شاخصة أبصارهم إلى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب ».

(وقال عقبة بن عامر) رضي الله عنه. **(قال رسول الله ﷺ: « تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس، فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه، ومنهم من يبلغ نصف ساقه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم ن يبلغ فخذه، ومنهم من يبلغ فاه - وأشار بيده فالجمها فاه -)** هو تفسير لما أشار به يعني أنه جعل يده في فمه كما يجعل اللجام في الفم، **(ومنهم من يغطيه العرق وضرب بيده على رأسه هكـذا - »)** قال العراقي: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة اهـ.

قلت: هذا السياق هو للحاكم، وأما سياق أحمد المشار إليه: « فمن الناس من يبلغ عرقه كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ العجز، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ حلقه، ومنهم من يلجمه، ومنهم من يغمره ». وكذلك رواه الطبراني والحاكم أيضاً من وجه آخر، وقد روي ذلك من حديث أبي أمامة والمقدام بن معدي كرب والمقداد بن الأسود.

أما حديث أبي أمامة؛ فرواه أحمد وابن منيع والطبراني: « تدنو الشمس يوم القيامة على قدر

هكذا ـ »، فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة كربهم، وفيهم من ينادي فيقول: رب أرحني من هذا الكرب والانتظار ولو إلى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حساباً ولا عقاباً فإنك واحد منهم ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق.

واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله ـ من حج وجهاد وصيام وقيام

ميل ويزاد في حرها كذا وكذا تغلي منه الهوام كما تغلي القدور على الأثافي يعرقون منها على قدر خطاياهم، منهم من يبلغ كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق» والهوام جمع هامة وهي قمة الرأس.

وأما حديث المقدام بن معدي كرب، فرواه الطبراني في الكبير: «تدنو الشمس من الناس يوم القيامة حتى تكون من الناس على قدر ميلين ويزداد في حرها فيضجرهم فيكونوا في العرق بقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه العرق إلى كعبيه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجاماً».

وأما حديث المقداد، فرواه مسلم: «تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً» وهذا ظاهر في أنهم يستوون في وصول العرق إليهم، ويتفاوتون في حصوله منهم.

فإن قلت: الشمس محلها السماء، وقد قال الله تعالى: ﴿يوم نطوي السماء كطيّ السجل﴾ [الأنبياء: ١٠٤] والألف واللام في السماء للجنس بدليل: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] فما طريق الجمع؟ قلت: يجوز أن تقام بنفسها دانية من الناس في الحشر ليقوى هوله وكربه. وقال ابن أبي هبيرة: ظاهر الحديث يقتضي تعميم الناس بذلك، ولكن دلت الأحاديث الأخرى على أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر، ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله فأشدهم الكفار ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم.

(فتأمل يا مسكين في عرق أهل المحشر وشدة كربهم، وأن فيهم من ينادي ويقول: رب أرحني من هذا الكرب والانتظار، ولو إلى النار) فيود أن يذهب إلى النار ولا يصطلي بنار الانتظار، ومن هنا قولهم: الوقوع في البلاء ولا الانتظار فيه. وقولهم: الانتظار أشد من النار. وروى أبو يعلى وابن حبان وصححه والطبراني من حديث ابن مسعود: «إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول يا رب أرحني ولو إلى النار» وهذا صريح في أن ذلك كله في الموقف. **(وكل ذلك ولم يلقوا بعد حساباً ولا عقاباً)** ولم يظهر لهم عاقبة الأمر، **(فإنك واحد منهم ولا تدري إلى أين يبلغ بك العرق)**. وما أظن إلا أنه يلجمك إلجاماً إلا أن يتداركك الله بعفوه.

(واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد

وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف ونهي عن منكر ـ فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمراً وأقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار في القيامة، فإنه يوم عظيمة شدته طويلة مدته.

صفة طول يوم القيامة:

يوم تقف فيه الخلائق شاخصة أبصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في أمورهم، يقفون ثلاثمائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجدون فيه روح نسيم. قال كعب وقتادة: ﴿يَوم يَقُومُ النَّاسُ لربِّ العالمين﴾ [المطففين: ٦] قال: يقومون مقدار ثلاثمائة عام. بل قال عبدالله بن عمر، وتلا رسول الله ﷺ هذه الآية ثم

في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف ونهي عن منكر، فيستخرجه الحياء والخوف) غداً (**في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب**) وتشتد المشقة. (**ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العرق في تحمل مصاعب الطاعات أهون أمراً وأقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار في القيامة فإنه يوم شديد**) كربه (**طويلة مدته**) وإليه يشير قوله تعالى: ﴿ليوم عظيم﴾ [المطففين: ٥].

صفة طول يوم القيامة:

(**يوم يقف فيه الخلائق**) بأجمعهم جنهم وأنسهم وملكهم ودوابهم ووحوشهم (**شاخصة أبصارهم**) إلى السماء، (**منفطرة قلوبهم**) من الخوف والرعب، (**لا يكلمون**) ولا يخاطبون (**ولا ينظر في أمورهم يقفون**) في ذلك الصعيد الواسع (**ثلاثمائة عام**) كما في الخبر الآتي، (**لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة**) وهم في شغل عن ذلك كما مرّ ذلك في حديث ابن عمر، (**ولا يجدون فيه روح نسيم**) ولا ولي حيم. (**قال كعب**) الأحبار، (**وقتادة**) بن دعامة البصري رحمهما الله تعالى في قوله تعالى: (**﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ قال**) كل منهما: (**يقومون مقدار ثلاثمائة عام**). أما قول كعب: فرواه ابن المنذر بزيادة لا يؤذن لهم بالقعود، وأما قول قتادة؛ فرواه عبد بن حميد بلفظ: سنة بدل عام. وقد روي نحو هذا عن حذيفة. قال: يقوم الناس على أقدامهم يوم القيامة مقدار ثلاثمائة سنة. رواه ابن مردويه، وروى ابن مردويه من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لبشير الغفاري: «كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس لرب العالمين مقدار ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا لا يأتيهم خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر» قال بشير: المستعان بالله يا رسول الله. الحديث. ورواه ابن النجار في تاريخه بلفظ آخر يأتي ذكره قريباً، (**حتى قال عبدالله بن عمر**) هكذا في النسخ وفي بعضها عبدالله بن عمرو (**تلا رسول الله ﷺ هذه الآية**) يعني قوله تعالى: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ (**ثم قال:**

قال: « كيف بكم إذا جمعكم الله كما تجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم ». وقال الحسن: ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة، حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها، فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضاً في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم، فلم يتعلقوا بنبي إلا دفعهم وقال: دعوني! نفسي نفسي! شغلني أمري

« كيف بكم إذا جمعكم الله كما تجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم ») قال العراقي: إنما هو عبدالله بن عمر، ورواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الرحمن بن ميسرة ولم يذكر له ابن أبي حاتم راوياً غير ابن وهب ولهم عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي أربعة هذا أحدهم مصري والثلاثة الآخرون شاميون اهـ.

قلت: وكذلك رواه أبو الشيخ والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث، وعن عبد الرحمن بن ميسرة المصري يكنى أبا ميسرة مقبول مات سنة ثمان وثمانين وله سبعون سنة، ولم يخرج له في الستة شيء، وعبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي أبو سلمة الحمصي مقبول أيضاً، روى له أبو داود وابن ماجه وعبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي أبو شريح مجهول، روى عنه شيء من كلامه في التفسير، وعبد الرحمن بن ميسرة الكلبي أو الحضرمي أبو سليمان الدمشقي مقبول، وهذان لم يرو لهما شيء في السنة. وروى ابن النجار في تاريخه من حديث أبي هريرة أن رجلاً كان له من رسول الله ﷺ مقعد يقال له بشير ففقده فذكر الحديث، وفيه: « فكيف بيوم مقداره خمسون ألف سنة يوم يقوم الناس لرب العالمين ». وروى أحمد في الزهد عن القاسم بن أبي بزة قال: حدثني من سمع عمر قرأ: ﴿ويل للمطففين﴾ حتى بلغ ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ قال: بمقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة. وروى الطبراني عن ابن عمر وأنه قال: يا رسول الله كم تقام الناس بين يدي رب العالمين يوم القيامة؟ قال: « ألف سنة لا يؤذن لهم » وروى ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن عبدالله بن العيزار قال: إن الأقدام في يوم القيامة كمثل النبل في القرن، والسعيد من وجد لقدمه موضعاً. وروى النقاش من رواية ابن مسعود عن علي بن أبي طالب: إن في القيامة لخمسين موقفاً كل موقف منها ألف سنة الحديث بطوله، وفيه عجائب وإسناده مظلم.

(وقال الحسن) البصري رحمه الله تعالى يصف أهوال ذلك اليوم: **(ما ظنك في يوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة، حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها، فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به طلب بعضهم بعضاً في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم، فلم يتعلقوا بنبي إلا دفعهم وقال: دعوني نفسي**

عن أمر غيري. واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال: قد غضب اليوم ربنا غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، حتى يشفع نبينا ﷺ لمن يؤذن له فيه: ﴿لا تنفع الشفاعة إلا من أذِنَ لهُ الرَّحْمَنُ ورضِيَ له قولاً﴾ [طه: ١٠٩] فتأمل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر.

واعلم أن من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فإنه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة، قال رسول الله ﷺ لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال: « والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا »، فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس

نفسي شغلني أمري عن أمر غيري، واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى. وقال: قد غضب اليوم ربنا غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، حتى يشفع نبينا ﷺ لمن يؤذن لهم فيه ﴿لا يملكون الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾) رواه أبو نعيم في الحلية وسيأتي بعضه مرفوعاً في حديث الشفاعة.

(**فتأمل**) يا مسكين (**في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي**) والمخالفات (**في عمرك**) القصير (**المختصر، واعلم أن من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فإنه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة. قال رسول الله ﷺ لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال: « والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا »**) قال العراقي: رواه أبو يعلى والبيهقي في الشعب والبعث من حديث أبي سعيد الخدري، وفيه ابن لهيعة. ورواه ابن وهب عن عمرو بن الحرث بدل ابن لهيعة وهو حسن، ولأبي يعلى من حديث أبي هريرة بإسناد جيد: « يهون ذلك على المؤمن كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب ». ورواه البيهقي في الشعب إلا أنه قال: أظنه رفعه بلفظ: « إن الله ليخفف على من يشاء من عباده طول ذلك اليوم كوقت صلاة مفروضة » اهـ.

قلت: حديث أبي سعيد رواه أيضاً أحمد وابن جرير وابن حبان والضياء في المختارة بلفظ: « من صلاة مكتوبة ». وروى أحمد في الزهد عن القاسم بن أبي بزة عمن سمع عمر يقول: « يهون ذلك اليوم على المؤمن كتدلي الشمس من الغروب حتى تغرب » وروى ابن المنذر عن كعب: « فأما المؤمن فيهون عليه كالصلاة » وروى عبد بن حميد عن قتادة: « يخفف الله ذلك اليوم ويقصره على المؤمن كمقدار نصف يوم أو كصلاة مكتوبة ». وروى ابن مردويه عن حذيفة قال: « يهون ذلك اليوم على المؤمن كقدر الصلاة المكتوبة ».

من عمرك فالأمر إليك والاستعداد بيديك، فاعمل في أيام قصار لأيام طوال تربح ربحاً لا منتهى لسروره، واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة، فإنك لو صبرت سبعة آلاف سنة، مثلا لتخلص من يوم مقداره خمسون ألفاً لكان ربحك كثيراً وتعبك يسيراً.

صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه:

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه، المديد زمانه، القاهر سلطانه، القريب أوانه، يوم ترى السماء فيه قد انفطرت، والكواكب من هوله قد انتثرت، والنجوم الزواهر قد انكدرت، والشمس قد كوّرت، والجبال قد سيرت، والعشار قد عطلت، والوحوش قد حشرت، والبحار قد سجرت، والنفوس إلى الأبدان قد زوجت، والجحيم قد سعرت، والجنة قد أزلفت، والجبال قد نسفت، والأرض قد مدت يوم

(فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك فالأمر إليك والاستعداد بيديك، واعمل في أيام قصار لأيام طوال تربح ربحاً منتهى لسروره، واستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة) بالهلالي يزيد منها نحو مائتين سنة، **(فإنك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلاً لتخلص من يوم مقداره خمسون ألفاً لكان ربحك كثيراً وتعبك يسيراً)**.

صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه:

(فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شأنه المديد زمانه القاهر سلطانه) الشديد هوله وحسابه وجزاؤه **(القريب أوانه)** لقوله تعالى: ﴿إنهم يرونه بعيداً ★ ونراه قريباً﴾ [المعارج: ٦، ٧] لأنه آت وكل آت قريب **(يوم ترى السماء فيه قد انفطرت)** أي انشقت، **(والكواكب من هوله قد انتثرت)** أي وقعت متفرقة، **(والنجوم الزواهر)** أي المضيئة **(قد انكدرت)** أي تغيرت ألوانها، **(والشمس قد كوّرت)** أي لفت كما تلف العمامة أو لف ضوءها فذهب أثره أو ألقيت مجتمعة، **(والجبال قد سيرت)** عن وجه الأرض أو في الجوّ، **(والعشار قد عطلت)** جمع عشراء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وعطلت أي تركت مهملة أو السحائب عطلت عن المطر، **(والوحوش قد حشرت)** أي جمعت من كل جانب أو بعثت للقصاص ثم ردت تراباً، أو أميتت من قولهم: إذا أجحفت السنة بالناس حشرتهم، **(والبحار قد سجرت)** أي اججت وأحميت أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى تعود بحراً واحداً من سجر التنور إذا ملاه بالحطب ليحميه، **(والنفوس إلى الأبدان قد زوجت)** أي قرنت بها أو المعنى قرن كل منها بشكلها أو بكتابها أو بعلمها، أو نفوس بالحور، ونفوس الكافرين بالشياطين، **(والجحيم قد سعرت)** أوقدت إيقاداً شديداً، **(والجنة قد أزلفت)** قربت من المؤمنين، **(والجبال قد نسفت)**

ترى الأرض قد زلزلت فيه زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، يوم تحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ، والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ، يومئذ تعرضون ولا تخفى منكم خافية ، يوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة ، يوم ترج الأرض فيه رجاً وتبس الجبال بساً فكانت هباء منبثاً ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش ، يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ، يوم تنسف

أي جعلت كالرمل حتى صارت قاعاً مستوياً ، (**والأرض قد مدت**) بسطت بأن تزال جبالها وآكامها ،(**يوم ترى الأرض قد زلزلت فيه زلزالها**) اضطرابها المقدر لها عند النفخة الأولى أو الثانية أو الممكن لها أو اللائق بها في الحكمة ، (**وأخرجت الأرض أثقالها**) ما في جوفها من الدفائن والأموات ، (**يومئذ يصدر الناس**) من مخارجهم من القبور إلى الموقف (**أشتاتاً**) متفرقين بحسب مراتبهم (**ليروا أعمالهم**) أي جزاء أعمالهم . (**يوم تحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة**) أي بسطتا بسطة واحدة . يقال : أكمة دكاء أي منبسطة ، (**فيومئذ وقعت الواقعة**) أي حدثت القيامة سميت واقعة لتحقق وقوعها ، (**وانشقت السماء**) لنزول الملائكة (**فهي يومئذ واهية**) أي ضعيفة ، (**والملك على أرجائها**) أي أطرافها وجوانبها (**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**) ، وهم اليوم أربعة أقدامهم على تخوم الأرض السفلى والأرضون والسموات إلى حجرهم والعرش على مناكبهم، لهم زجل بالتسبيح كما ورد ذلك في الخبر ، (**يومئذ تعرضون على ربكم**) لأجل الحساب (**لا تخفي منكم خافية . يوم تسير الجبال**) أي تقلع من الأرض فتجعل هباء منثوراً (**وترى الأرض بارزة**) بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها ، (**يوم ترج الأرض رجاً**) أي تحرك تحركاً شديداً بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل ، (**وتبّس الجبال بساً**) أي تفنى حتى تصير كالسويق الملتوت من بس السويق إذا لتّ أو تسار سيراً من بسّ الغنم إذا ساقها ، (**فكانت هباء**) غباراً (**منبثاً**) منشراً . (**يوم يكون الناس كالفراش المبثوث**) في كثرتهم وانتشارهم واضطرابهم ، (**وتكون الجبال كالعهن**) أي كالصوف ذي الألوان (**المنفوش**) المندوف لتفرق أجزائها وتطايرها في الجوّ ، (**يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت**) الذهول : الذهاب عن الأمر بدهشة ، والمقصود أن هولها بحيث إذا دهشت التي ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه وذهلت ، (**وتضع كل ذات حمل حملها**) أي جنينها ، (**وترى الناس سكارى**) أي كأنهم سكارى (**وما هم بسكارى**) على الحقيقة ، (**ولكن عذاب الله شديد**) فارهقهم هوله بحيث طير عقلهم وأذهب تمييزهم . (**يوم تبدلُ الأرض غير الأرض**) إما في الذات أو في الصفات وقد تقدم ، (**والسموات**) غير

فيه الجبال نسفاً فتترك قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا امتا، يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرمر السحاب يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان، فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه إنس ولا جان، يوم يمنع فيه العاصي من الكلام، ولا يُسأل فيه عن الإجرام بل يؤخذ بالنواصي والأقدام، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتهد ما قدمت وأخرت يوم تخرس فيه الألسن وتنطق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين، إذ قال له الصديق رضي الله عنه: أراك قد شبت يا رسول الله قال: «شيبتني هود وأخواتها»، وهي الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كوّرت، فيا أيها القارىء العاجز إنما حظك من قراءتك أن تمجمج القرآن وتحرك به اللسان، ولو كنت متفكراً فيما تقرأه، لكنت جديراً بأن تنشق مرارتك مما شاب منه شعر سيد المرسلين،

السموات، (**وبرزوا لله الواحد القهار**) في أرض المحشر لأجل الحساب. (**يوم تنسف فيه الجبال نسفاً**) أي تصير كالرمل فتنسفه الريح، (**فتترك قاعاً صفصفاً**) مستوياً (**لا ترى فيها عوجاً**) وهدة (**ولا أمتا**) ولا ارتفاعاً. (**يوم ترى الجبال تحسبها جامدة**) أي ثابتة قارة (**وهي تمرّ مر السحاب**) في سرعة مروره. (**يوم تنشق فيه السماء**) بالغمام (**فتكون وردة**) صفراء (**كالدهان**) الأديم الأحمر أي على هيئة لونه، (**فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان**) لأنهم لا يعرفون بسيماهم، وذلك حين يخرجون من قبورهم ويحشرون إلى الموقف ذوداً ذوداً على اختلاف مراتبهم وأما قوله: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ [الحجر: ٩٢] ونحوه فحين يحاسبون في المجمع. (**يوم يمنع فيه العاصي من الكلام ولا يسأل فيه عن الإجرام**) جمع جرم بالضم وهو الذنب، (**بل يؤخذ بالنواصي والأقدام**) مجموعاً بينهما أو يؤخذون بالنواصي تارة وبالأقدام أخرى. (**يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً. يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت**) من خير أو شر، (**وتشهد ما قدمت**) من عمل أو صدقة (**وأخرت**) من سيئة أو تركة ويجوز أن يراد بالتأخير التضييع، (**يوم تخرس فيه الألسن**) بعد أن كانت فصاحاً، (**وتنطق الجوارح**) وأوّل من ينطق منها الفخذ كما ورد في الخبر. (**يوم شيب ذكره سيد المرسلين**) ﷺ (**إذ قال له**) أبو بكر (**الصديق رضي الله عنه: أراك قد شبت يا رسول الله؟ قال: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كوّرت»**) رواه الترمذي وقال حسن غريب، والحاكم من حديث ابن عباس، ورواه الحاكم أيضاً عنه عن أبي بكر. وعند الطبراني وابن مردويه من حديث سهل بن سعد: «شيبتني هود وأخواتها الواقعة والحاقة وإذا الشمس كوّرت» وقد تقدم الكلام عليه مفصلاً. (**فيا أيها القارىء العاجز إنما حظك من قراءتك أن تجمع القرآن وتحرك به اللسان ولو كنت متفكراً فيما تقرأه**) متأملاً فيما في باطن ألفاظه من المعاني (**لكنت**

وإذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن، فالقيامة أحد ما ذكر فيه. وقد وصف الله بعض دواهيها وأكثر من أساميها لتقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها، فليس المقصود بكثرة الأسامي تكرير الأسامي والألقاب بل الغرض تنبيه أولي الألباب، فتحت كل اسم من أسماء القيامة سرّ وفي كل نعت من نعوتها معنى، فاحرص على معرفة معانيها.

ونحن الآن نجمع لك أساميها. وهي: يوم القيامة، ويوم الحسرة، ويوم الندامة، ويوم

جديراً بأن تنشق مرارتك فيما شاب منه شعر سيد المرسلين) ﷺ، (**وإذا قنعت بحركة اللسان فقد حرمت ثمرة القرآن، فالقيامة أحد ما ذكر فيه، وقد وصف الله بعض دواهيها**).

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق عن عبدالله بن بجير، عن عبد الرحمن بن يزيد الصغاني، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة رأي عين فليقرأ إذا الشمس كوّرت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت». ورواه الترمذي عن عباس العنبري عن عبد الرزاق به وحسنه وقال: روى هشام بن يوسف وغيره هذا الحديث بهذا الإسناد ولم يذكروا إذا السماء انشقت وإذا السماء انفطرت. (**وأكثر من أساميها**) وصفاتها في مواضع منه متعددة (**لتقف بكثرة أساميها على كثرة معانيها، فليس المقصود تكرير الأسامي والألقاب، بل الغرض تنبيه أولي الألباب**) وتذكيرهم بها ليتنبهوا لدرك معانيها (**فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر، وفي كل نعت من نعوتها معنى**) غريب، (**فاحرص على معرفة معانيها**) إن كنت من أولي الألباب المتنبهين.

(**ونحن الآن نجمع لك أساميها وهي يوم القيامة**) وهو أشهر أسمائها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه بهذا الاسم في مواضع كثيرة. ومنها سورة مخصوصة بهذا الاسم وإنما سميت بها لمفتتحها ولقوله: ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ [القيامة: ٦] ولاشتمالها على بيان هول القيامة وهيبتها، وبيان إثبات البعث وتأثير القيامة في أعيان العالم والوعد باللقاء والرؤية والخبر عن حال السكرة والرجوع إلى برهان القيامة، وتقرير القدرة على بعث الأموات. وأصل القيامة قوامة قلبت الواو ياء جوازاً مع الكسرة والتاء للصفة، سمي اليوم بها لأن الناس يقومون فيه أي ينتصبون لرب العالمين فلا يؤذن لهم بالقعود. وقال المناوي: القيامة عبارة عن قيام الساعة وأصلها ما يكون من الإنسان دفعة واحدة. (**ويوم الحسرة**) لأن الناس يتحسرون فيه، فالمسيء على إساءته والمحسن على قلة إحسانه. (**ويوم الندامة**): لأنهم يندمون فيه على ما فاتهم من الأعمال الصالحة والحسرة الغم على ما فات والندم عليه، كأنه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه، وعبر بعضهم بقوله: الحسرة بلوغ النهاية في التلهف حتى يبقى القلب حسيراً لا موضع فيه لزيادات التلهف، والندامة التحسر من تغير رأي في أمر فائت. وقيل: هو أن يلوم نفسه على تفريط وقع منه، وقيل: غم يصحب

المحاسبة، ويوم المساءلة، ويوم المسابقة، ويوم المناقشة، ويوم المنافسة، ويوم الزلزلة، ويوم الدمدمة، ويوم الصاعقة، ويوم الواقعة، ويوم القارعة، ويوم الراجفة، ويوم الرادفة، ويوم الغاشية، ويوم الداهية، ويوم الآزفة، ويوم الحاقة، ويوم الطامة، ويوم الصاخة، ويوم التلاق، ويوم الفراق، ويوم المساق، ويوم القصاص، ويوم التناد، ويوم

الإنسان يتسى أن ما وقع منه لم يقع. (**ويوم المحاسبة**) : وهو مفاعلة من الحساب وهو استيفاء الإعداد فيما للمرء وعليه فهم يحاسبون فيه أعمالهم على القليل والكثير. (**ويوم المساءلة**) : مفاعلة من السؤال وهو استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى معرفة فهم يسألون فيه عن كل شيء جليل وحقير. (**ويوم المسابقة**) : مفاعله من السبق لأنهم بعد فراغهم من الحساب يتسابقون إلى مراتبهم. (**ويوم المناقشة**) : مفاعلة من النتش وهو التدقيق في الحساب فهم يدقق عليهم في كل قليل وكثير. (**ويوم المنافسة**) : مفاعلة من النفس وحقيقتها مجاهدة النفس باللحوق إلى درجات الصالحين. (**ويوم الزلزلة**) : أي الاضطراب فإن الجبال والأرضين تضطرب فيه فتزول عن مواضعها. (**ويوم الدمدمة**) : سمي بذلك لأنه يدمدم عليهم العذاب فيه أي يطبق من قولهم: ناقة مدمدة إذا كسبها السمن، (**ويوم الصاعقة**) لأنه يصعق من في السموات والأرض. (**ويوم الواقعة**) ولا يقال إلا في الشدة والمكروه، وأكثر ما جاء في القرآن من لفظ وقع جاء في العذاب والشدائد نحو: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ أي القيامة. (**ويوم القارعة**) : سمي باسم الساعة أو الحالة التي تقرع الناس بالإقراع والإجرام بالانفطار والانتثار. (**ويوم الراجفة**) : سمي باسم الساعة أو الحالة وهي النفخة التي ترجف الناس والأجرام أي تزلزلهم عن مواضعهم. (**ويوم الرادفة**) : سمي باسم النفخة الثانية فإنها تردف الأولى أي تتبعها وبينهما أربعون سنة كما تقدم. (**ويوم الغاشية**) : سمي باسم الساعة أو الحالة التي تغشى الناس بشدائدها، (**ويوم الداهية**) التي تدهي الناس بشدائدها وهي النائبة والنازلة، والجمع الدواهي وهي اسم فاعل من دهاه الأمر يدهاه إذا نزل به، (**ويوم الآزفة**) : بالمد سمي باسم الساعة القريبة لدنوها وقربها أزفت الآزفة أي دنت القيامة، وقد أزف الرحيل كتعب أزفاً وأزوفاً دنا وقرب، (**ويوم الحاقة**) : بتشديد القاف سمي باسم الساعة أو الحالة التي يحق وقوعها أو التي تحق فيها الأمور. أي تعرف حقيقتها أو تقع فيه حواق الأمور من الحساب والجزاء على الإسناد المجازي. (**ويوم الطامة**) : بتشديد الميم يقال: طم الماء طموماً غمر، وطم الإناء ملأه والركية دفنها وسوّاها والشيء كثر وعلا، وسميت القيامة طامة لذلك. (**ويوم الصاخة**) : بتشديد الخاء وهي في الأصل شدة صوت ذي النطق. صخ يصخ صخاً سميت القيامة به لأنهم يصخون فيه لشدة اضطرابهم واختلاطهم. (**ويوم التلاق**) : وهو تفاعل من اللقي لأنهم يلاقي بعضهم فيه بعضاً. (**ويوم الفراق**) : لأنهم يفارقون فيه مألوفاتهم. (**ويوم المساق**) : لأنهم يساقون فيه إلى المحشر، (**ويوم القصاص**) لأنهم يقاصون فيه حتى تقتص الشاة القرناء من الشاة الجماء، (**ويوم التناد**) بتخفيف الدال لأنهم ينادون فيه بعضهم بعضاً لشدة

الحساب، ويوم المآب، ويوم العذاب، ويوم الفرار، ويوم القرار، ويوم اللقاء، ويوم البقاء، ويوم القضاء، ويوم الجزاء، ويوم البلاء، ويوم البكاء، ويوم الحشر، ويوم الوعيد، ويوم العرض، ويوم الوزن، ويوم الحق، ويوم الحكم، ويوم الفصل، ويوم الجمع، ويوم البعث، ويوم الفتح، ويوم الخزي، ويوم عظيم، ويوم عقيم، ويوم عسير، ويوم الدين، ويوم اليقين، ويوم النشور، ويوم المصير، ويوم النفخة، ويوم الصيحة، ويوم الرجفة، ويوم الرجة، ويوم الزجرة، ويوم السكرة، ويوم الفزع، ويوم الجزع،

اضطرابهم، (**ويوم الحساب**) : وهو ما يحاسب عليه فيجازى بحسبه، (**ويوم المآب**) : أي المرجع لأنهم يرجعون فيه إلى الله أو يرجعون إلى إحدى الدارين الجنة أو النار، (**ويوم العذاب**) : وهو كل عقوبة مؤلمة واستعير للأمور الشاقة فإنهم يعاقبون فيه بقدر معاصيهم، (**ويوم الفرار**) لأنه يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه، (**ويوم القرار**) : لأنهم يستقرون فيه إما في جنة أو في نار، (**ويوم اللقاء**) : لأنهم يلاقون فيه ربهم، (**ويوم البقاء**) : لأنهم يثبتون فيه على أحوالهم التي قرروا فيها، (**ويوم القضاء**) لأنه يقضى فيه وينفذ الأمر المقدر، (**ويوم الجزاء**) : لأنهم يجازون فيه بأعمالهم، (**ويوم البلاء**) : وهو الشدة والامتحان لأنهم يمتحنون فيه ويشتد عليهم الأمر فيه، (**ويوم البكاء**) : لأنهم يبكون فيه على أنفسهم حسرة وندامة، (**ويوم الحشر**) : لأنه يحشر فيه الخلق باجمعهم إلى الصعيد الواسع، (**ويوم الوعيد**) لأنه يحقق فيه إيعادهم بالشر وينجز، (**ويوم العرض**) لأنه تعرض فيه أعمالهم على الله تعالى ويوصف بالأكبر فيقال يوم العرض الأكبر، (**ويوم الوزن**) لأنه توزن فيه أعمالهم بالميزان، (**ويوم الحق**) لأنه يحق فيه العذاب والثواب أو تحق فيها الأمور أن تعرف حقيقتها، (**ويوم الحكم**) لأن الله تعالى يحكم فيه بحكمه لا معقب لحكمه ولا رادّ له، (**ويوم الفصل**) لأنه تفصل فيه الأحكام، (**ويوم الجمع**) لأنه يجمع فيه الأوّلون والآخرون. (**ويوم البعث**) : لأنه تبعث فيه الأرواح فتدخل في الأجسام، (**ويوم الفتح**) لأنه يزال فيه الانغلاق والأشكال فتنكشف الأمور على حقيقتها. (**ويوم الخزي**): لأنه نظهر فيه القبائح التي يستحيا من إظهارها عقوبة فيلحق بذلك الغم والانكسار والهوان، (**ويوم عظيم**) لعظم هوله وحسابه وجزائه، (**ويوم عسير**) لعسره وشدته. (**ويوم الدين**) : أي يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان، وقيل: الدين الشريعة، وقيل: الطاعة، والمعنى يوم جزاء الدين، وتخصيص اليوم بالإضافة إما لتعظيمه أو لتفرده تعالى بنفوذ الأمور فيه. (**ويوم اليقين**) لأنه تظهر فيه الحقائق ظهوراً لا مجال للشك فيه. (**ويوم النشور**) : لأنه تنشر فيه الأجسام من القبور إلى الموقف: (**ويوم المصير**) : أي المرجع إلى الله تعالى. (**ويوم النفخة**) : لأنه ينفخ فيه الصور. (**ويوم الصيحة**) : لأن الله تعالى يأمر إسرافيل في النفخة الأولى أن يمدها ويطولها فلا يفتر، وهو الذي يقول الله فيها: ﴿ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق﴾ [ص: ١٥] كما في خبر أبي هريرة. (**ويوم الرجفة**) أي الاضطراب الشديد ترجف فيه الجبال والأرضون. (**ويوم الرجة**) : ترج فيه الأرض بأهلها فتميد الناس على ظهرها. (**ويوم**

ويوم المنتهى، ويوم المأوى، ويوم الميقات، ويوم الميعاد، ويوم المرصاد، ويوم الفلق، ويوم العرق، ويوم الافتقار، ويوم الانكدار، ويوم الانتشار، ويوم الانشقاق، ويوم الوقوف، ويوم الخروج، ويوم الخلود، ويوم التغابن، ويوم عبوس، ويوم معلوم، ويوم موعود، ويوم مشهود، ويوم لا ريب فيه، ويوم تبلى السرائر، ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا، ويوم تشخص فيه الأبصار، ويوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً، ويوم لا تملك

الزجرة): لأن الملائكة تزجر فيه العصاة والمذنبين **(ويوم السكرة)**: لأنه تسكر فيه العقول لشدة هوله. **(ويوم الفزع)**: لما يعتري لهم فيه من الانقباض والخوف ويقال: يوم الفزع الأكبر. **(ويوم الجزع)**: لما يعتري لهم فيه من الحزن الذي يصرفهم عما هم بصدده ويقطعهم عنه **(ويوم المنتهى)** لأنه ينتهي فيه الأمر إلى الله تعالى. **(ويوم المأوى)** أي المرجع إما إلى الجنة أو إلى النار، **(ويوم الميقات)** أي الوقت وهو مقدار من الزمان مفروض لأمر ما فهو ميقات مقدر له غاية، **(ويوم الميعاد)**: وهو يكون زماناً ومكاناً **(ويوم المرصاد)**: لأنه يرتقب فيه وينتظر لما يحل من الثواب والعقاب. **(ويوم الغلق)**: محركة لأنه تغلق فيه الأمور وتتغير الأحوال ويبدل السرور بالوحشة والوحشة بالسرور، **(ويوم العرق)**: محركة لأنه تسيل فيه الأعراق فتجتمع تحت القدمين وتفور إلى فوق، فمنهم من يوسطه، ومنهم من يغمره كما في الخبر السابق. **(ويوم الافتقار)**: لأنه يظهر فيه شدة الاحتياج إلى المعين والشفيع، **(ويوم الانكدار)** لأنه تتكدر فيه النجوم أي يتغير لونها. **(ويوم الانتشار)**: لأنه تنتشر فيه النجوم أي تتساقط على الأرض مبددة. **(ويوم الانشقاق)**: لأنه تنشق فيه السموات لنزول الملائكة. **(ويوم الوقوف)**: لأنهم يقفون فيه أربعين يوماً لا يؤذن لهم بالقعود. **(ويوم الخروج)**: أي البروز من مقارهم وهي القبور. **(ويوم الخلود)**: أي البقاء إما في الجنة أو في النار. **(ويوم التغابن)**: سمي به لظهور الغبن في المبايعة المشار إليها بقوله: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ [البقرة: ٢٠٧] وقوله: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾ [التوبة: ١١١] وقوله: ﴿الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلاً﴾ [آل عمران: ٧٧] فعلموا أنهم قد غبنوا فيما تركوا من المبايعة، وفيما تعاطوا من ذلك جميعاً. وسئل بعضهم عن يوم التغابن فقال: تبدو الأشياء لهم بخلاف مقاديرهم في الدنيا، وقيل: سمي بذلك لأن أهل الجنة يغبن أهل النار، **(ويوم عبوس)**: أي شديد يقال: عبس اليوم إذا اشتد، ومنه قولهم: أعوذ بالله من ليلة بوس ويوم عبوس. **(ويوم معلوم)**: لأنهم قد علموه وأخبرهم الرسل بذلك فهو لا يتقدم ولا يتأخر، **(ويوم موعود)**: قد وعد الله بذلك وهو حق، **(ويوم مشهود)**: لأنه تشهد الملائكة أو لأنه يشهده الأوّلون والآخرون. **(ويوم لا ريب فيه)**: أي لا شك ولا تردد، **(ويوم تبلى السرائر)**: أي تمتحن البواطن فتنكشف على جليتها. **(ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً)** لكمال شغلهم بأنفسهم، **(ويوم تشخص فيه الأبصار)**: أي ترتفع نحو السماء لما يعتريهم من الذهول. **(ويوم لا يغني**

نفس لنفس شيئاً ، ويوم يدعون إلى نار جهنم دعا ، ويوم يسحبون في النار على وجوههم ، ويوم تقلب وجوههم في النار ، ويوم لا يجزي والد عن ولده ، ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ، يوم لا مرد له من الله يوم هم بارزون ، يوم هم على النار يفتنون يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . يوم ترد فيه المعاذير وتبلى السرائر وتظهر الضمائر وتكشف الأستار . يوم تخشع فيه الأبصار ، وتسكن الأصوات ويقل فيه الالتفات ، وتبرز الخفيات ، وتظهر الخطيئات ، يوم يساق العباد ومعهم الأشهاد ، ويشيب الصغير ويسكر

مولى عن مولى شيئاً ، ويوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، ويوم يدعون إلى نار جهنم دعا) أي يدفعون إليها دفعاً شديداً . (**ويوم يسحبون في النار على وجوههم**) : يتقون بوجوههم كل حدب وشوك . (**ويوم تقلب وجوههم في النار ، ويوم لا يجزي والدعن ولده**) ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ، (**ويوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه**) ، وهم الأقربون إليه فيفر منهم لشغله بما دهاه من الفزع . روى أبو عبيد وابن المنذر عن قتادة قال: ليس شيء أشد على الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعرفه مخافة أن يكون يطلبه بمظلمة . (**ويوم لا ينطقون**) : لغلبة الذهول عليهم، (**ولا يؤذن لهم**) باعتذار (**فيعتذرون**) . روى ابن مردويه عن عبدالله بن الصامت قال: قلت لعبد الله بن عمرو : أرأيت قول الله هذا : ﴿يوم لا ينطقون★ ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ [المرسلات: ٣٥ ، ٣٦] قال: ان يوم القيامة يوم له حالات وتارات في حال لا ينطقون وفي حال ينطقون ، وفي حال يعتذرون . وروى الحاكم وصححه من طريق عكرمة أن نافع ابن الأزرق سأل ابن عباس عن قوله: ﴿يوم لا ينطقون﴾ ، لا تسمع إلا همساً ، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وهاؤم اقرأوا كتابيه . قال: ويحك هل سألت عن هذا أحداً قبلي ؟ قال: لا . قال: إنك لو كنت سألت هلكت أليس قال الله تعالى : ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ [الحج: ٤٧] قال: بلى . قال: إن لكل مقدار يوم من الأيام لوناً من الألوان. (**يوم لا مردّ له من الله يوم هم بارزون**) أي ظاهرون من قبورهم لا يسترهم شيء . (**يوم هم على النار يفتنون**) : أي يمتحنون ، (**يوم لا ينفع مال ولا بنون . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . يوم ترد فيه المعاذر**) جمع معذرة (**وتبلى**) فيه (**السرائر**) أي البواطن ، (**وتظهر**) فيه (**الضمائر**) أي ما أضمر وأخفي ، (**وتكشف**) فيه (**الأستار . يوم تخشع فيه الأبصار**) أي تذل لشدته ، (**وتسكن**) فيه (**الأصوات**) فلا تكون إلا كالهمس والسرار ، (**ويقل فيه الالتفات**) إلى يمين وشمال ، (**وتبرز**) فيه (**الخفيات**) الأمور المكتوبة ، (**وتظهر**) فيه (**الخطيئات**) بعد أن كانت مكتوبة . (**يوم يساق العباد**) إلى العرض ، (**ومعهم الأشهاد**) جمع شاهد كصاحب وأصحاب والمراد بهم أعضاؤهم فإنها تشهد عليهم ، (**ويشيب**) فيه (**الصغير**) أي يهرم ، (**ويسكر الكبير**) أي يذهل عقله كهيئة السكران .

الكبير، فيومئذ وضعت الموازين ونشرت الدواوين، وبرزت الجحيم وأغلي الحميم، وزفرت النار ويئس الكفار، وسعرت النيران وتغيرت الألوان، وخرس اللسان ونطقت جوارح الإنسان.

فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم، حيث أغلقت الأبواب وأرخيت الستور، واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور، فماذا تفعل وقد شهدت عليك جوارحك؟ فالويل كل الويل لنا معاشر الغافلين، يرسل الله لنا سيد المرسلين وينزل عليه الكتاب

ومما بقي عليه من أسمائه الساعة وهو من أشهر الأسماء، وإنما عبّر بها عنها تشبيهاً بذلك لسرعة حسابها كما قال تعالى: ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ [الأنعام: ٦٢] وكما نبه عليه بقوله: ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقوله تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾ [الروم: ٥٥] فالأولى القيامة والثانية الوقت اليسير، وقيل: الساعات التي هي القيامة ثلاث الساعة الكبرى: وهي البعث للحساب ومنه الحديث: «لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش وحتى يعبد الدرهم والدينار» وذكر أموراً لم تحدث في زمانه ولا بعده، والساعة الوسطى: وهي موت أهل القرن الواحد، وذلك نحو ما ورد أنه رأى ﷺ عبدالله بن أنيس فقال: «إن يطل عمر هذا الغلام لم يمت حتى تقوم الساعة» فقيل: إنه كان آخر من مات من الصحابة. والساعة الصغرى: هي موت الإنسان فساعة كل إنسان موته، وهي المشار إليها بقوله: ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة بغته قالوا يا حسرتنا﴾ [الأنعام: ٣١] ومعلوم أن هذه الحسرة تنال الإنسان عند موته كقوله: ﴿لولا أخرتني إلى أجل قريب﴾ [المنافقون: ١٠] وروي أنه ﷺ كان إذا هبت الريح تغير لونه وقال: «تخوفت الساعة» وقال: «ما أمد طرفي ولا أغضها إلا وأظن الساعة قد قامت» يعني موته ﷺ والله أعلم.

ومن نعوته: يوم ثقيل، ويوم الوعيد، ويوم الوعد، والخافضة، والرافعة، ويوم تغشى وجوههم النار، ويوم ينفع الصادقين صدقهم.

(**فيومئذ وضعت الموازين**) لوزن الأعمال، (**ونشرت الدواوين**) هي صحائف الأعمال، (**وبرزت الجحيم**) أي أظهرت (**وأغلي الحميم**) أي أوقد، (**وزفرت النار**) أي رددت نفسها، (**ويئس الكفار وسعرت النيران**) أي أججت، (**وتغيرت الألون**) إلى صفرة وزرقة وحمرة وكدرة وغبرة بحسب اختلاف الأحوال، (**وخرس اللسان**) عن النطق، (**ونطقت الجوارح**) فشهدت بالخير والشر.

(**فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم، حيث أغلقت الأبواب وأرخيت الستور، واستترت عن الخلائق ففارقت الفجور**) وشققت ستر الديانة ولا يخفى حالك على الخالق، (**فما تفعل وقد شهدت عليك جوارحك**) وأبرزوا منك كل ما سترته، (**فالويل كل الويل لنا**

المبين، ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين، ثم يعرفنا غفلتنا ويقول: ﴿اقترَبَ للنّاس حِسابُهُم وهُم في غفلةٍ مُعرِضُونَ ★ ما يأتِيهم من ذِكر من ربِّهم مُحدثٍ إلا استمعُوهُ وهُمْ يلعَبُون ★ لاهية قُلُوبُهُم﴾ [الأنبياء: ١-٣] ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول: ﴿اقتربت الساعةُ وانشقَّ القمرُ﴾ [القمر: ١] ﴿إنهُم يَرونْه بعِيداً ★ ونراهُ قريباً﴾ [المعارج: ٦-٧] ﴿وما يُدرِيك لعلَّ الساعة تكونُ قريباً﴾ [الأحزاب: ٦٣]، ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملاً فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه ولنستعد للتخلص من دواهيه. فنعوذ بالله من هذه الغفلة إن لم يداركنا الله بواسع رحمته.

صفة المساءلة:

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال فيما يتوجه عليك من السؤال شفاهاً من غير ترجمان، فتُسأل عن القليل والكثير والنقير والقطمير. فبينا أنت في كرب القيامة وعرقها

معاشر الغافلين، يرسل الله تعالى لنا سيد المرسلين) ﷺ، **(وينزل عليه الكتاب المبين)** المفصل لكل شيء، **(ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين، ثم يعرفنا غفلتنا ويقول ﴿اقترب للناس حسابهم﴾)** بالإضافة إلى ما مضى أو عند الله أو لأن كل ما هو آت قريب، وإنما البعيد ما انقرض ومضى، والمراد بالناس الكفار لتقييدهم بقوله: **﴿وهم في غفلة معرضون﴾** عن التفكر فيه: (**﴿ما يأتيهم من ذكر﴾**) ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة **﴿من ربهم محدث﴾** تنزيله كي يتعظوا **﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾** يستهزئون ويسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب **﴿لاهية قلوبهم﴾** أي استمعوه جامعين بين الاستهزاء والتسلي والذهول عن التفكر فيه. **(ثم يعرفنا قرب القيامة)** بالإضافة لما عنده **(فيقول ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾)** ويقول: **﴿إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً﴾** ويقول: **﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾** ويقول: **﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾** إلى قوله **﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾** [الحج: ٤٧] **(ثم يكون أحسن أحوالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملاً فلا نتدبر معانيه ولا ننظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه، ولا نستعد للتخلص من دواهيه، فنعوذ بالله من هذه الغفلة إن لم يتداركنا الله بواسع رحمته)** وهو الموفق.

صفة المساءلة:

(ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال) وما ذكر من الأهوال **(فيما يتوجه عليك من السؤال شفاها)** أي مشافهة **(من غير ترجمان)** أي واسطة يترجم لك وعنك، **(فتسأل عن القليل والكثير والنقير والقطمير)** والجليل والحقير، **(فبينا أنت في كرب القيامة وعرقها**

وشدة عظائمها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصي المجرمين إلى موقف العرض على الجبار. قال رسول الله ﷺ: «إن لله عز وجل ملكاً بين شفري عينه مسيرة مائة عام»، فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض، وتراهم على عظم أشخاصهم منكسرين لشدة اليوم مستشعرين مما بدا من غضب الجبار على عباده. وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح إلا ويخرون لأذقانهم خوفاً من أن يكونوا هم المأخوذين. فهذا حال المقربين فما ظنك بالعصاة المجرمين؟ وعند ذلك يبادر أقوام من

وشدة عظائمها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء) أي جوانبها وأقطارها (**بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصي المجرمين**) مجمعة إلى أقدامهم، (**إلى موقف العرض على الجبار**) جل جلاله. (**قال رسول الله ﷺ «إن لله عز وجل ملكاً بين شفري عينيه**) أي طرفيها (**مسيرة مائة عام»**) قال العراقي: لم أره بهذا اللفظ. ولأبي داود من حديث جابر «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملك الله بين حملة العرش إن ما بين شحمة أذنيه إلى عاتقه سبعمائة عام» انتهى.

قلت: وحديث جابر رواه بهذا اللفظ أيضاً ابن عساكر والضياء، ورواه أبو نعيم في الحلية من حديثه، ومن حديث ابن عباس بلفظ: «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السابعة السفلى على قرنه العرش ومن شحمة أذنه إلى عاتقه خفقات الطير مسيرة مائة عام». وروى أبو الشيخ في العظمة من حديث جابر بلفظ «إن لله ملائكة ما بين شحمة أذن أحدهم إلى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطير السريع الطيران». ورواه ابن عساكر بلفظ «إن لله ملائكة وهم الأكروبيون من شحمة أذن أحدهم إلى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطائر السريع في انحطاطه». وروى الخطيب في المتفق والمفترق من حديث ابن عمر «أذن لي أن أحدث عن ملك من الملائكة حملة العرش ما بين عاتقه إلى شحمة أذنه مسيرة سبعمائة سنة خفقان الطير قدماه في الأرض السابعة والعرش على قرنه يقول: سبحانك حيثما كنت» وفي سنده أبو معشر المدني وهو ضعيف.

(**فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة أرسلوا إليك ليأخذوك**) فيجروك (**إلى مقام العرض**) على الله تعالى. روى ابن منده في التوحيد، والديلمي من حديث معاذ «إن الله تعالى ينادي يوم القيامة: يا ملائكة أقيموا عبادي صفوناً على أطراف أنامل أقدامهم للحساب». (**وتراهم على عظم أشخاصهم**) وهائل خلقتهم (**منكسرين**) اذلاء (**لشدة اليوم**) وصعوبته، (**مستشعرين مما بدا من غضب الجبار**) جل جلاله (**على عباده وعند نزولهم لا يبقى نبي ولا صديق ولا صالح إلا ويخرون لأذقانهم خوفاً من أن يكونوا هم المأخوذين**) نظراً إلى خوف مكر الله تعالى. (**فهذا حال المقربين، فما ظنك بالعصاة المجرمين**) من المؤمنين؟ (**وعند ذلك يبادر أقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة:**

شدة الفزع فيقولون للملائكة: أفيكم ربنا؟ وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم إجلالاً لخالقهم عن أن يكون فيهم، فنادوا بأصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه أهل الأرض وقالوا: سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد! وعند ذلك تقوم الملائكة صفاً محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهانة لشدة اليوم.

وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله: ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقوله: ﴿فوربِّك لنسألَنَّهُمْ أجمَعِين ★ عمَّا كَانُوا يعمَلُون﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣]، فيبدأ سبحانه بالأنبياء: ﴿يومَ

أفيكم ربنا؟ وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم. فتفزع الملائكة من سؤالهم إجلالاً لخالقهم) وتنزيهاً له **(عن أن يكون فيهم، فنادوا بأصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه أهل الأرض وقالوا: سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد، وعند ذلك تقوم الملائكة صفاً محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم)** كما قال تعالى: ﴿وجاء ربّك والملك صَفاً صفاً﴾ [الفجر: ٢٢] روى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال في الآية: جاء أهل السموات كل سماء صفاً.

(وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله: ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾) قال ابن عباس: أي نسأل الناس عما أجابوا المرسلين، ونسأل المرسلين عما بلغوا، فلنقصن عليهم بعلم قال: يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون، رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث. وقال سفيان الثوري: فلنسألن الذين أرسل إليهم هل بلغكم الرسل؟ ولنسألن المرسلين ماذا ردوا عليكم؟ رواه ابن أبي حاتم، وقال مجاهد في الآية: الناس نسألهم عن لا إله إلا الله، ولنسألن المرسلين: قال جبريل. رواه ابن أبي حاتم، وقال: يزيدهم الأنبياء والمرسلون والملائكة. **(وقوله ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين ★ عما كانوا يعملون﴾ فيبدأ بالملائكة)** روى عبد بن حميد وأبو الشيخ عن وهيب بن الورد قال: بلغني ان أقرب الخلق إلى الله اسرافيل والعرش على كاهله، فإذا نزل الوحي دلى اللوح من نحو العرش، فيقرع جبهة اسرافيل فينظر فيه فيرسل إلى جبريل فيدعوه فيرسله، فإذا كان يوم القيامة دعي إسرافيل فيؤتى به ترعد فرائصه فيقال له: ما صنعت فيما أدى إليك اللوح؟ فيقول: رب إني أديته إلى جبريل، فيدعى جبريل فيؤتي به ترعد فرائصه فيقال له: ما صنعت فيما أدى إليك اسرافيل؟ فيقول: أي رب بلغت الرسل بهم، فيدعى الرسل فيؤتى بهم ترعد فرائصهم فيقال: ما صنعتم بما أدى إليكم جبريل؟ فيقولون: أي رب بلغنا الناس فهو قوله ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾. وروى أبو الشيخ في العظمة عن أبي سنان قال:

يجمَعُ اللهُ الرُّسلَ فيقُولُ ماذا أجَبْتُم قالُوا لا عِلمَ لنا إنَّكَ أنت علام الغيُوبُ﴾ [المائدة: ١٠٩]، فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء وتنمحي علومهم من شدة الهيبة، إذ يقال لهم: ماذا أجبتم وقد أرسلتم إلى الخلائق وكانوا قد علموا فتدهش عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون، فيقولون من شدة الهيبة: لا علم لنا إنك أنت علاّم الغيوب. وهم في ذلك الوقت صادقون إذ طارت منهم العقول وانمحت العلوم إلى أن يقويهم الله تعالى، فيدعى نوح عليه السلام فيقال له: هل بلغت، فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم فيقولون: ما أتانا من نذير. ويؤتى بعيسى عليه السلام فيقول الله تعالى له: ﴿أأنْتَ قُلتَ للنَّاسِ اتخِذُوني وأمِّي الهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ [المائدة: ١١٦] فيبقى متشحطاً تحت هيبة هذا السؤال سنين، فيا لعظم يوم تقام فيه السياسة على الأنبياء بمثل هذا السؤال ثم تقبل

أقرب الخلق من الله اللوح وهو معلق بالعرش، فإذا أراد الله أن يوحي بشيء كتب في اللوح فيجيء اللوح حتى يقرع جبهة اسرافيل واسرافيل قد غطى بصره بجناحيه إعظاماً له فينظر فيه، فإن كان إلى أهل السماء دفعه إلى ميكائيل وإن كان إلى أهل الأرض دفعه إلى جبريل، فأوّل من يحاسب يوم القيامة اللوح يدعى به ترعد فرائصه فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقول ربنا: من يشهد لك؟ فيقول: اسرافيل، فيدعى اسرافيل فترعد فرائصه فيقال له: هل بلغك اللوح؟ فإذا قال نعم قال اللوح الحمد لله الذي نجاني من سوء الحساب، ثم كذلك، (**ثم بالأنبياء**) كما قال تعالى: (**﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا﴾ فيا لشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء وتنمحي علومهم من شدة الهيبة إذ يقال لهم: ماذا أجبتم وقد أرسلتم إلى الخلائق، وكانوا قد علموا فتدهش عقولهم فلا يدرون ماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة ﴿لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾ وهم في ذلك الوقت صادقون**). في قولهم (**إذ طارت فيه العقول**) وطاشت الحلوم، (**وانمحت العلوم إلى أن يقوّيهم الله تعالى**) بتسكين قلوبهم من الرعب، (**فيدعى نوح**) عليه السلام (**فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم**) يا رب قد بلغت ما أرسلت به، (**فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير**) ينذرنا من عقابك، (**ويؤتى بعيسى**) عليه السلام (**فيقول الله تعالى: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ فيبقى متشحطاً تحت هذا السؤال سنين**) روى ابن مردويه من حديث جابر بن عبد الله، إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم ودعي كل أناس بامامهم قال: ويدعى عيسى فيقول له: ﴿يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ فيقول: ﴿سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ الآية إلى قوله ﴿صدقهم﴾ وروى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ميسرة قال: لما قال الله يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله أرعد كل مفصل منه حتى وقع. وروى ابن أبي حاتم عن الحسن بن صالح قال لما قال ﴿أأنت قلت للناس﴾ الآية زال كل مفصل عن مكانه خيفة.

الملائكة فينادون واحداً واحداً يا فلان ابن فلانة هلم إلى موقف العرض. وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول، ويتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار. ولا يكشف سترهم على ملا الخلائق.

وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش: ﴿وأشرَقَتِ الأرضُ بنُور ربِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]، وأيقن كل عبد بإقبال الجبار، لمساءلة العباد، وظن كل واحد أنه ما يراه أحد سواه وأنه المقصود بالأخذ والسؤال دون من عداه، فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك: يا جبريل ائتني بالنار، فيجيء لها جبريل ويقول: يا جهنم أجيبي خالقك ومليكك. فيصادفها جبريل على غيظها وغضبها، فلم يلبث بعد ندائه أن ثارت وفارت وزفرت إلى الخلائق وشهقت وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها، وانتهضت خزنتها متوثبة إلى الخلائق غضباً على من عصى الله تعالى وخالف أمره، فأخطر ببالك واحضر في قلبك حالة قلوب

(فيا لعظم يوم تقام فيه السياسة على الأنبياء بمثل هذا السؤال، ثم تقبل الملائكة فينادون واحداً واحداً يا فلان بن فلانة) ويسمونه باسمه واسم أمه **(هلم إلى موقف العرض، وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول ويتمنى أقوام أن يذهب بهم إلى النار، ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار)** جل جلاله، **(ولا يكشف ستره على تلك الخلائق)**.

(وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾) وروى أبو الشيخ في العظمة، والبيهقي في البعث من حديث أبي هريرة الطويل المتقدم ذكر بعضه: « فبينا نحن وقوف إذ سمعنا حساً من السماء شديداً فينزل أهل السماء الدنيا بمثل من في الأرض من الجن والانس حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثل ما نزل من الملائكة ومثل من فيها من الجن والانس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم، ثم ينزل أهل السماء الثالثة بمثل من نزل من الملائكة وبمثل من فيها من الجن والانس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف إلى السموات السبع، ثم ينزل الجبار في ظلل من الغمام » الحديث. **(وأيقن كل عبد باقبال الجبار)** جل جلاله **(لمساءلة العباد وظن كل واحد أنه ما يراه أحد سواه وأنه المقصود بالأخذ والسؤال دون من عداه فيقول الجبار سبحانه وتعالى عند ذلك: يا جبريل ائتني بالنار فجاءها جبريل)** عليه السلام **(وقال: يا جهنم أجيبي خالقك ومالكك فيصادفها جبريل)** عليه السلام **(على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ندائه)** لها **(أن ثارت وفارت وزفرت إلى الخلائق وشهقت)**، والزفير أوّل صوت الحمار والشهيق آخره، ثم استعير ذلك للنار لها زفير وشهيق، **(وسمع الخلائق تغيظها وزفيرها وانهضت خزنتها متوثبة إلى الخلائق غضباً على من عصى**

العباد وقد امتلأت فزعاً ورعباً فتساقطوا جثياً على الركب وولوا مدبرين يوم ﴿ترى كل أمَّةٍ جاثيةٍ﴾ [الجاثية: ٢٨] وسقط بعضهم على الوجوه منكبين وينادي العصاة والظالمون بالويل والثبور، وينادي الصديقون نفسي نفسي. فبينما هم كذلك إذ زفرت النار زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم وظنوا أنهم مأخوذون، ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق على وجوههم وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خفي خاشع، وانهضمت عند ذلك قلوب الظالمين فبلغت الحناجر كاظمين، وذهلت العقول من السعداء والأشقياء أجمعين.

وبعد ذلك أقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا أجبتم، فإذا رأوا ما قد أقيم من

الله تعالى وخالف أمره). وروى ابن المنذر عن ابن جريج في قوله سمعوا لها شهيقاً قال: صياحاً. وروى عبد بن حميد عن يحيي قال: إن الرجل ليجر إلى النار فتشهق إليه النار شهيق البغلة إلى الشعير، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف. وروى هناد عن مجاهد في قوله ﴿وهي تفور﴾ [الملك: ٧] وقال: تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير. وروى ابن جرير عن ابن عباس في قوله: ﴿تميز من الغيظ﴾ [الملك: ٨] قال: أي تتفرق. وروى ابن مردويه من حديث أبي سعيد «يجيء بجهنم سبعون ألف ملك يقدرونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت أهل الجمع» ومن حديث علي نحوه. وروى مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

(فاخطر ببالك واحضر في قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعاً ورعباً) من مشاهدة هول ذلك الموقف، **(فتساقطوا جثياً على الركب)** كما هو شأن كل مرعوب، **(وولوا مدبرين)** على أعقابهم **﴿يوم ترى كل أمة جاثية﴾** أي مستوفزين على الركب قاله مجاهد، وزاد الضحاك عند الحساب. وروى البيهقي في البعث من حديث عبد الله بن باباه «كأني أراكم بالكوم دون جهنم جاثين» ثم قرأ سفيان ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ **(وسقط بعضهم على الوجوه منكبين، وينادي العصاة والظالمون بالويل والثبور)** على أنفسهم وهم أصحاب الكبائر، **(وينادي الصديقون والصالحون: نفسي نفسي)** كما سيأتي في حديث الشفاعة، **(فبينما هم كذلك إذ زفرت النار زفرتها الثانية فتضاعف خوفهم وتخاذلت قواهم)** أي تراخت، **(وظنوا أنهم مأخوذون)** لا محالة، **(ثم زفرت الثالثة فتساقط الخلائق لوجوههم)** منكبين **(وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خفي خاشع)** أي ذليل منكسر، **(وانهضمت عند ذلك قلوب الظالمين)** أي انكسرت، **(فبلغت الحناجر)** أي الحلوق **(كاظمين)** ساترين حنقهم، **(وذهلت العقول من السعداء والأشقياء أجمعين، وبعد ذلك أقبل الله تعالى على الرسل وقال: ماذا أجبتم)** فيما أرسلتم؟ **(فإذا رأوا ما قد أقيم من السياسة على الأنبياء اشتد**

السياسة على الأنبياء اشتدّ الفزع على العصاة، ففر الوالد من ولده والأخ من أخيه والزوج من زوجته، وبقي كل واحد منتظراً لأمره، يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاها عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه وأعضائه، قال أبو هريرة: قالوا: يا رسول الله؛ هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: « هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب » قالوا: لا، قال: « فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب » قالوا: لا، قال: « فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم، فيلقى العبد فيقول له ألم أكرمك وأسودك وأزوّجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع، فيقول العبد: بلى، فيقول: أظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا، فيقول: فأنا

الفزع على العصاة) وكادوا يذوبون **(ففر الوالد من ولده، والأخ من أخيه، والزوج من زوجته، وبقي كل واحد منتظراً لأمره، ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاهاً عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلانيته وعن جميع جوارحه وأعضائه. قال أبو هريرة)** رضي الله عنه، **(قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال « هل تضارون)** بتشديد الراء مفاعلة من الضرر **(في رؤية الشمس في الظهيرة)** أي وسط النهار **(ليس دونها سحاب »)** يمنع من الرؤية **(قالوا: لا. قال « فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب» قالوا: لا. قال « فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم، فيلقى العبد فيقول له ألم أكرمك وأسوّدك)** أي أجعلك سيداً أي رئيساً **(وأزوّجك واسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس)** على الناس **(وتربع)** يقال: ربع القوم يربعهم من حد منع إذا أخذ منهم المرباع وهو ربع الغنيمة، وكان رئيس القوم يأخذه لنفسه في الجاهلية **(فيقول العبد: بلى. فيقول: أظننت أنك ملاقيّ)** بتشديد الياء أي ملاق إياي؟ **(فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني »)** قال العراقي: متفق عليه دون قوله « فيلقى العبد » الخ فانفرد بها مسلم اهـ.

قلت: الا ان لفظ مسلم « فيلقى العبد فيقول: أي قل » وزاد بعد قوله « كما نسيتني » ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل ألم أكرمك فساقه مثل الأوّل، وفيه: ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع. فيقول: ههنا أذن ثم يقال: الآن نبعث شاهدنا عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه، ويقال لفخذه: انطقي فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك الذي يسخط الله عليه. وروى البيهقي في البعث بلفظ « يقول الله لعبده يوم القيامة يا ابن آدم ألم أحملك على الخيل والإبل وأزوّجك النساء وأجعلك تربع وترأس؟ فيقول: بلى أي رب، فيقول: أين شكر ذلك ». وروي أيضاً من حديث عبد الله بن سلام « يقول الله للعبد يوم القيامة ألم تدعني لمرض كذا وكذا فعافيتك ألم تدعني أن أزوّجك كريمة قومها فزوّجتك ألم ألم ». ورواه كذلك أبو الشيخ.

أنساك كما نسيتني ». فتوهم نفسك يا مسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاها ، فيقول لك : ألم أنعم عليك بالشباب ففيماذا أبليته ، ألم أمهل لك في العمر ففيماذا أفنيته ، ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وفيماذا أنفقته ، ألم أكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت . فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك ، فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك . قال أنس رضي الله عنه كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال : « أتدرون ممّ أضحك » قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم » قال : « يقول بلى » قال : فيقول : « فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام الكاتبين شهوداً » قال : « فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي » قال : « فتنطق بأعماله ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه بعداً لكن وسحقاً

(فتوهم نفسك يا مسكين وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاهاً فيقول لك : ألم أنعم عليك بالشباب ففيماذا أبليته ، ألم أمهل لك في العمر ففيماذا أفنيته ، ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وفيماذا أنفقته ، ألم أكرمك بالعلم فماذا عملت فيما علمت) ؟ روى ابن أبي حاتم عن القاسم بن عبد الرحمن أنه تلا هذه الآية ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ﴾ [الأحزاب : ٦٣] الآية . فقال : يسأل العبد يوم القيامة عن أربع خصال يقول ربك : ألم أجعل لك جسداً ففيم أبليته ؟ ألم أجل لك علماً ففيم عملت بما علمت ؟ ألم أجعل لك مالاً ففيم أنفقته في طاعتي أم في معصيتي ؟ ألم أجل لك عمراً ففيم أفنيته ؟ وقد روى نحو ذلك من حديث ابن مسعود وابن عباس كما سيأتي قريباً .

(فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساوئك فإن أنكرت) وطلبت شاهداً (شهدت عليك جوارحك ، قال أنس) رضي الله عنه : (كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ، ثم قال « أتدرون مم أضحك » ؟ قالوا : الله ورسوله اعلم . قال « من مخاطبة العبد ربه يقول : يا رب ألم تجرني من الظلم » قال ؛ يقول : بلى . قال فيقول « فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً » قال : « فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي » قال : « فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لاعضائه : بُعداً لكنّ وسحقاً فعنكن كنت أناضل ») أي أدافع رواه أحمد ومسلم والنسائي وقال غريب ، وأبو عوانة وابن حبان والحاكم وقد أغفله العراقي وكأنه سقط من نسخته . وروى أحمد من حديث معاوية بن حيدة أن ربي داعيّ وسائلي : هل بلغت عبادي وإني قائل يا رب إني قد بلغتهم ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، ثم إنكم تدعون مقدم أفواهكم بالقدام إن أوّل ما يبين عن أحدكم لفخذه وكفه .

فعنكن كنت أناضل ». فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء، إلا ان الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره.

سأل ابن عمر رجل فقال له: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول: عملت كذا وكذا فيقول: نعم، ثم يقول: إني سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم »، وقد قال رسول الله ﷺ: « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة »، فهذا إنما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساويهم ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه، فهذا جدير بأن يجازى بمثله في القيامة وهب انه قد ستره

(فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء إلا ان الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره) فقد روي انه **(سأل ابن عمر)** رضي الله عنه **(رجل فقال له: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال قال رسول الله ﷺ « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم ثم يقول إني سترتها)** عليك **(في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم »)** قال العراقي: رواه مسلم انتهى.

قلت: وفي رواية له إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه. وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين، وهكذا رواه أحمد والبخاري والنسائي وابن ماجه.

(وقد قال رسول الله ﷺ: « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة ») رواه عبد الرزاق في مصنفه من حديث عقبة بن عامر بلفظ « من ستر مؤمناً في الدنيا على عورة ستره الله يوم القيامة » وروى ابن ماجه من حديث ابن عباس « من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة » وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث ابن عمر « من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » وروى أحمد من حديث رجل من الصحابة لم يسم « من ستر أخاه المسلم في الدنيا ستره الله يوم القيامة » وقد تقدم.

(فهذا إنما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عوراتهم) وفي نسخة عيوبهم، **(واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساوئهم ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه، فهذا جدير بأن يجازى بمثله في القيامة، وهب أنه قد ستره عن غيرك أليس قد**

عن غيرك أليس قد قرع سمعك النداء إلى العرض؟ فيكفيك تلك الروعة جزء عن ذنوبك، إذ يؤخذ بناصيتـك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والعالم عليك من شدة الهول مظلم، فقدر نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، فتوهم نفسك أنك في أيدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه: يا ابن آدم ادن مني، فدنوت منه بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر، وأعطيت كتابك الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها. وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشف لك عن مساويها؟ فكم لك من خجل وجبن؟ وكم لك من حصر وعجز؟ فليت شعري بأي قدم تقف بين يديه وبأي لسان تجيب وبأي قلب تعقل ما تقول؟ ثم تفكر في عظم حيائك إذا ذكرك ذنوبك شفاها إذ يقول: يا عبدي! أما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من خلقي فأظهرت لهم الجميل، أكنت أهون عليك من سائر عبادي، استخففت بنظري إليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري، ألم أنعم عليك؟ فماذا غرك بي أظننت أني لا

قرع سمعك النداء إلى العرض، فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك إذ يؤخذ بناصيتك فتقاد وفؤادك مضطرب ولبك طائر وفرائصك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير، والعالم من شدة الهول مظلم. فقدر في نفسك وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخرق الصفوف وتقاد كما تقاد الفرس المجنوب) أي المجرور في الموكب، **(وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم)** ينظرون إليك، **(فتوهم نفسك في أيدي الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه: يا ابن آدم أدن مني فدنوت منه بقلب خافق)** مضطرب **(محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر واعطيت كتابك الذي لا يغادر)** أي لا يترك **(صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها)** ضبطها وعدها، **(فكم من فاحشة نسيتها فتذكرتها؟ وكم من طاعة غفلت عن آفاتها فانكشفت لك عن مساوئها؟ فكم لك من خجل وجبن؟ وكم لك من حصر وعجز؟ فليت شعري بأي قدم تقف به بين يديه وبأي لسان تجيب وبأي قلب تعقل ما تقول؟ ثم تفكر في عظم حيائك إذا ذكرك ذنوبك)** واحداً واحداً **(شفاهاً إذ يقول: يا عبدي أما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من خلقي وأظهرت لهم الجميل، أكنت أهون عليك من سائر عبادي، استخففت بنظري إليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري الم أنعم عليك؟ فماذا غرك بي أظننت أني لا أراك وأنك لا تلقاني.** قال رسول

أراك وأنك لا تلقاني. قال رسول الله ﷺ: « ما منكم من أحد إلا ويسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان ». وقال رسول الله ﷺ: « ليقفن أحدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتك مالاً ؟ فيقول: بلى فيقول: ألم أرسل إليك رسولاً ؟ فيقول: بلى. ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة »، وقال ابن مسعود: ما منكم من أحد إلا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، ثم يقول: يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ما عملت فيما

الله ﷺ: « ما منكم من أحد إلا ويسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان ») قال العراقي: متفق عليه من حديث عدي بن حاتم بلفظ « إلا سيكلمه الله » الحديث اهـ.

قلت: وتمامه « يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة » وهكذا رواه أيضاً أحمد والترمذي وابن ماجه.

(وقال رسول الله ﷺ: « ليقفن أحدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له: ألم أنعم عليك، ألم أوتك مالاً ؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أرسل إليك رسولاً ؟ فيقول: بلى ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة ») قال العراقي: رواه البخاري من حديث عدي بن حاتم اهـ.

قلت: سياق البخاري هو الذي قدمه قبل هذا الحديث وهو عند الترمذي وقال حسن غريب « يقي أحدكم وجهه حر جهنم ولو بتمرة ولو بشق تمرة فإن أحدكم لاقي الله وقائل له ما أقول لكم ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أجعل لك مالاً وولداً فيقول: بلى، فيقول له: أين ما قدمت لنفسك ؟ فينظر قدامه وبعده وعن يمينه وعن شماله ثم لا يجد شيئاً يقي به وجهه حر جهنم ليق أحدكم وجهه النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة فإني لا أخاف عليكم الفاقة فإن الله ناصركم ومعطيكم حتى تسير الظعينة بين يثرب والحيرة أكثر ما يخاف على مطيتها السرق ». وعند الطبراني في الأوسط « ليتصدق ذو الدينار من ديناره، وذو الدرهم من درهمه، وذو البر من بره، وذو الشعير من شعيره، وذو التمر من تمره من قبل أن يأتي عليه يوم فينظر أمامه فلا يرى إلى النار، وينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، وينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، وينظر من قدامه فلا يرى إلا النار ».

(وقال ابن مسعود) رضي الله عنه: **(ما منكم من أحدٍ إلا سيخلو الله عز وجل به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، ثم يقول: يا ابن آدم ما غرك بي، يا ابن آدم ما عملت فيما**

علمت، يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين، يا ابن آدم ألم أكن رقيباً على عينك وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل لك ألم أكن رقيباً على أذنيك، وهكذا حتى عد سائر أعضائه، وقال مجاهد: لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما عمل فيه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيماذا أنفقه؟ فأعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فإنك بين أن يقال لك سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ـ فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الأولون والآخرون ـ وإما أن يقال للملائكة خذوا هذا العبد السوء فغلوه ثم الجحيم صلوه، وعند ذلك لو بكت السموات والأرض عليك لكان ذلك جديراً بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما بعث آخرتك من دنيا دنيئة لم تبق معك!.

علمت، يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين، يا ابن آدم ألم أكن رقيباً على عينك وأنت تنظر بها إلى ما لا يحل لك، ألم أكن رقيباً على أذنيك؟ وهكذا حتى عدّ سائر أعضائه). رواه أبو نعيم في الحلية مختصراً فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا أبو عوانة عن هلال الوزان عن عبد الله بن حكيم قال: سمعت ابن مسعود في هذا المسجد يبدأ باليمين قبل الكلام فقال: ما منكم من أحد إلا أن ربه سيخلو به كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر. فيقول: يا ابن آدم ما غرك بي؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟ ابن آدم ماذا عملت فيما علمت.

(وقال مجاهد) رحمه الله تعالى: **(لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما عمل فيه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيماذا أنفقه)**. وقد روي ذلك من حديث ابن مسعود ولفظه: لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما انفقه، وماذا عمل فيما علم. رواه الترمذي وضعفه وأبو يعلى والطبراني وابن عدي والبيهقي وابن عساكر. ورواه الطبراني أيضاً من حديث ابن عباس نحوه مع تقديم وتأخير، ومع زيادة خامسة «وعن خباء أهل البيت».

(فاعظم يا مسكين بحيائك عند ذلك وبخطرك فإنك بين أن يقال لك سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فعند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويغبطك الأولون والآخرون، وإما أن يقال للملائكة: خذوا هذا العبد السوء فغلّوه) أي شدوه بالغل في عنقه. **(ثم الجحيم صلوه، وعند ذلك لو بكت السموات والأرض عليك لكان ذلك جديراً بعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما بعت آخرتك عن دنيا دنية لم تبق معك)** والله الموفق.

صفة الميزان:

ثم لا تغفل عن الفكر في الميزان. وتطاير الكتب إلى الأيمان والشمائل، فإن الناس بعد السؤال ثلاث فرق:

صفة الميزان:

ولما فرغ المصنف عن ذكر الموقف والحساب ذكر الميزان لأن وزن الأعمال يكون بعد انقضاء الحساب إذ الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بجنسها فقال: (**ثم لا تغفل عن التفكر في الميزان**) ذي الكفتين واللسان توزن فيه أعمال العباد حسَنها وسيئها والإيمان به واجب وهو مذهب أهل السنة والجماعة ـ كما تقدم في كتاب قواعد العقائد ـ خلافاً لمن أنكره من الجهمية والقدرية وقوم من قدماء المعتزلة يقال لهم الوزنية أنكروا الميزان وقالوا: إنما هو العدل وهو اختيار الجهمية، ومنهم من شك في ذلك لكن قال: يجوز أن ينصب الله تعالى في القيامة ميزاناً يجعل رجحانه علامة لمن يدخل الجنة وخفته علامة لمن يدخل النار. ويروى عن مجاهد والضحاك والأعمش أن الميزان بمعنى العدل والقضاء. قال القرطبي في التذكرة. وهذا القول ليس بشيء وإن كان شائعاً في اللغة للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي، ووصفه بكفتين، ولسان وأن كل كفة منها طباق السموات والارض. قال: ولو جاز حمل الميزان على ما ذكروه لجاز حمل الصراط على الدين الحق والجنة والنار على ما ترد على الأرواح دون الأجسام من الأحزان والأفراح والشياطين والجن على الاخلاق المذمومة، وهذا كله فاسد لما جاء به الصادق ﷺ اهـ.

وممن كان ينكر الميزان أبو سلمة عثمان بن مقسم البري وهو ثقة صدوق إلا أنه سقط الوثوق به لهذه البدعة، ولذا قال أبو داود فيه أنه قدري معتزلي. وقال حنبل بن إسحاق: من أنكر الميزان فقد ردّ على الله سبحانه وردّ على رسوله ﷺ، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الميزان بلفظ الجمع، وجاءت السنة بلفظ الإفراد والجمع فقيل: إن صورة الافراد محمولة على أن المراد الجنس جمعاً بين الكلامين. وقال بعضهم: يحتمل أن يكون تعددها بتعدد الأعمال فيكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله، وذهبت طائفة إلى أنها ميزان واحد يوزن بها للجميع، وإنما ورد في الآية بصيغة الجمع للتفخيم وليس المراد حقيقة العدد وهو نظير قوله تعالى: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ [الشعراء: ١٠٥] والمراد رسول واحد وهذا هو المعتمد وعليه الأكثرون، والله أعلم.

(**ثم انظر في تطاير الكتب**)هي صحف أعمال العباد التي أثبتها الكرام الكاتبون من حسن وسيء (**إلى الإيمان والشمائل**)، فمنهم من يعطى صحيفته بيمينه وأولئك السعداء، ومنهم من يعطى بشماله وأولئك الأشقياء، (**فإن الناس بعد**) الفراغ من (**السؤال ثلاث فرق**).

فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار، فتبتلعهم النار وينادى عليهم شقاوة لا سعادة بعدها.

وقسم آخر: لا سيئة لهم فينادي مناد: ليقم الحامدون لله على كل حال؛ فيقومون ويسرحون إلى الجنة، ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل، ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى. وينادى عليهم سعادة لا شقاوة بعدها.

(**فرقة: ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوي عليهم ويلقيهم في النار فتبتلعهم النار وينادى عليهم**) على رؤوس الاشهاد: لقد شقوا (**شقاوة لا سعادة بعدها**). وروى أحمد والترمذي وابن مردويه والبيهقي من حديث أبي هريرة «يخرج عنق النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد، وكل من دعا مع الله الهاً آخر، وبالمصوّرين». وروى أحمد وعبد بن حميد وأبو يعلى من حديث أبي سعيد «يخرج عنق من النار يوم القيامة فيقول: إني وكلت اليوم بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلهاً آخر فتنطوي عليهم فتطرحهم في غمرات جهنم» ورواه ابن أبي شيبة وأبو داود وأبو يعلى أيضاً والطبراني في الأوسط والدارقطني والخرائطي في مساوىء الأخلاق بلفظ: «يخرج من النار يوم القيامة عنق أشد سواداً من النار فيتكلم بلسان طلق ذلق لها عينان تبصر بها ولسان تكلم به فتقول: إني أمرت بكل جبار عنيد، ومن دعا مع الله الهاً آخر، ومن قتل نفساً بغير نفس فتنضم عليهم فتقذفهم في النار قبل الناس بخمسمائة سنة».

(**وقسم آخر: لا سيئة لهم فينادي مناد:**) ألا (**ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون ويسرحون إلى الجنة، ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل، ثم بمن لم تشغله تجارة الدنيا ولا بيعها عن ذكر الله تعالى**) يشير بذلك إلى ما رواه ابن ماجه وهناد في الزهد، ومحمد بن نصر في الصلاة، وابن أبي حاتم وابن مردويه من حديث أسماء بنت يزيد «يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادي: أين الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يعود فينادي: أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يعود فينادي: ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يقوم سائر الناس فيحاسبون». وروى الحاكم وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم من حديث عقبة بن عامر «يجمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي وينادي مناد: سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم. ثلاث مرات: ثم يقول: أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع، ثم يقول: أين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ثم ينادي مناد: أين الحامدون الذين كانوا يحمدون ربهم». (**وينادى عليهم**) على رؤوس الاشهاد: قد سعدوا (**سعادة لا شقاوة بعدها**)، ويلحق بهؤلاء العافون عن

ويبقى قسم ثالث: وهم الأكثرون خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسناتهم أو سيئاتهم، ولكن يأبى الله إلا أن يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب، فتتطاير الصحف والكتب منطوية على الحسنات والسيئات وينصب الميزان وتشخص الأبصار إلى الكتب أتقع في اليمين أو في الشمال؟ ثم إلى لسان الميزان أيميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات؟ وهذه حالة

الناس. روى الخطيب من حديث ابن عباس «إذا كان يوم القيامة ينادي مناد من بطنان العرش: ليقم من على الله أجره فلا يقوم إلا من عفا عن ذنب أخيه».

(**ويبقى قسم ثالث: هم الأكثرون خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وقد يخفى عليهم ولا يخفى على الله تعالى أن الغالب حسناتهم أو سيئاتهم، ولكن يأبى الله إلا أن يعرفهم ذلك ليبين فضله عند العفو وعدله عند العقاب**). وهذا أحد أوجه الحكمة في نصب الميزان بين الخلق. والوجه الثاني: أن ذلك لامتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا، والثالث: لإظهار علامة السعادة والشقاوة يوم القيامة. والرابع: لإقامة الحجج عليهم، والخامس: ليعرف العباد ما لهم من خير وشر. وهذه الأقوال كلها ذكرها الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في منهاج الاستقامة. ومما يستأنس لهذا التقسيم قول ابن عباس فيما أخرجه ابن أبي حاتم قال: «يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ ﴿فمن ثقلت موازينه﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣] الآيتين. ثم قال: إن الميزان يخفف بمثقال حبة ويرجح ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط». (**فتطاير الصحف والكتب**) هي كتب الأعمال (**منطوية على الحسنات والسيئات وتنصب الميزان**) واختلف في كيفية وضعها، والذي جاء في أكثر الأخبار أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش وتنصب الميزان بين يدي الله تعالى، فتوضع كفة الحسنات مقابل الجنة وكفة السيئات مقابل النار. ذكره الحكيم في نوادر الأصول. (**وتشخص الأبصار إلى الكتب أتقع في اليمين أو في الشمال، ثم إلى لسان الميزان أيميل إلى جانب السيئات أو الحسنات**)؟ واختلف في الموزون نفسه، فالمشهور الراجح أنه توزن الصحف التي كتب فيها أعمال العباد وأقوالهم، ويدل لذلك حديث البطاقة المشهور الآتي ذكره في آخر الكتاب. وقال بعضهم: توزن الأجسام بأن يخلق الله عز وجل بإزاء كل عمل جسماً، فتحمل الاجسام التي تقابل الحسنات في كفة والاجسام التي تقابل السيئات في كفة فأي الكفتين حصل فيها الرجحان وقع بها الاعتبار، ومن قال: إن الثواب والعقاب يصيران أجساماً وتوزن فقد أخطأ لأن من الثواب ما لا نهاية له، وكذلك العقاب، ولا يصح وزن ما لا نهاية له، وكذلك لا يثبت قول من قال: إن الحسنات والسيئات تتراءى في الميزان كما يتراءى الوجه في المرآة وإن لم يكن في الحقيقة فيها، وهل توزن الأعمال جميعها أو بعضها؟ فقيل: إنما يوزن من الأعمال بخواتيمها، فإذا أراد الله بعبد خيراً ختم

هائلة تطيش فيها عقول الخلائق.

وروى الحسن أن رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها فنعس، فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خدّ رسول الله ﷺ فانتبه فقال: «ما يبكيك يا عائشة» قالت: ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن، فإن أحداً لا يذكر إلا نفسه: إذا وضعت

الله له بخير عمله، وإذا أراد لله به شراً ختم له به بشر عمله. رواه أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه، وروي عن وهب أيضاً أنه قال: يوزن أوّل الأعمال وآخرها، والمشهور ما ذكرناه أوّلا.

تنبيه:

قد ورد أن صاحب الميزان جبريل عليه السلام. قال حنبل بن إسحاق: حدثنا أبو نعيم، حدثنا يوسف بن صهيب، حدثنا موسى بن أبي المختار، عن بلال العبسي، عن حذيفة رضي الله عنه قال: «صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام يرد من بعضهم على بعض» ورواه البخاري في تاريخه الكبير، ويعقوب وسفيان في فوائده، وأبو الشيخ في كتاب السنة بنحوه. وفي بعض طرقه: أن جبريل عليه السلام يقول له ربه عز وجل: زن بينهم، وردّ من بعضهم على بعض، ويروى عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال: إن ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والانس يستقبل به العرش إحدى كفتي الميزان على الجنة والأخرى على جهنم، ولو وضعت السموات والأرض في إحداهما لوسعتهن وجبريل عليه السلام آخذ بعموده ينظر إلى لسانه.

(**وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلائق**) فإن قلت: إن شأن الميزان أن يوضع في كفته شيء وفي الأخرى ضده فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة، والذي يقابل شهادة التوحيد الكفر ويستحيل ان يأتي عبد واحد بالكفر والإيمان معاً حتى يوضع الإيمان في كفة والكفر في أخرى؟ أجاب الحكيم في النوادر: بأنه ليس المراد وضع شهادة التوحيد في كفة الميزان، وإنما المراد وضع الحسنة المرتبة على النطق بهذه الكلمة مع سائر الحسنات اهـ.

وروى النقاش في تفسيره عن علي رضي الله عنه قال: يحشر الناس إلى الميزان فيقومون عنده ألف عام، فمن رجح ميزانه بحسناته فاز ونجا في طرفة عين، ومن خف ميزانه من حسناته وثقلت سيئاته حبس عند الميزان ألف عام في الغم والهم والحزن والعذاب والجوع والعطش، وإسناده مظلم.

(**وروى الحسن**) البصري رحمه الله (**أن رسول الله ﷺ كان رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خدّ رسول الله ﷺ فانتبه فقال: «ما يبكيك يا عائشة»؟ قالت: ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «والذي نفسي بيده في ثلاث مواطن فإن أحداً لا يذكر إلا نفسه إذا**

الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل. وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله، وعند الصراط».

وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أتخف ميزانه أم تثقل، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله، وعند الصراط») قال العراقي: رواه أبو داود من رواية الحسن عنها أنها ذكرت النار فبكت فقال: «وما يبكيك» دون كون رأسه ﷺ في حجرها وأنه نغس واسناده جيد انتهى.

قلت: وتمامه عند أبي داود قالت: ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «أما في ثلاث مواطن: فلا يذكر أحد أحداً حيث يوضع الميزان حتى يعلم أتخف ميزانه أم تثقل، وعند تطاير الكتب حتى يقال: ﴿هاؤم اقرأوا كتابيه﴾ [الحاقة: ١٩] حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أو من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم حافتاه كلاليب كثيرة وحسك كثيرة يحبس الله بها من يشاء من خلقه حتى يعلم أينجو أم لا». وهكذا رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وعبد بن حميد والآجري في الشريعة، والحاكم وصححه والبيهقي في البعث.

وأما سياق المصنف؛ فرواه الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري في كتاب الزهد والرقاق من طريق عصام بن طليق، وهو واه عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ في حجري فقطرت دموعي على خدّه فاستيقظ فقال: «ما يبكيك»؟ فقلت ذكرت القيامة وهولها فهل تذكرون أهاليكم يا رسول الله؟ فقال: «يا عائشة ثلاث مواطن لا يذكر فيها أحد إلا نفسه: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الصحف حتى يأخذ صحيفته بيمينه أو بشماله، وعند الصراط حتى يجاوزه».

وروى يعقوب بن سفيان في فوائده من طريق علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة الباهلي قالت عائشة: يا رسول الله كيف نكون يوم لا يغني عنا من الله شيئاً؟ قال «نعم في ثلاثة مواطن» وذكر الحديث بمعنى الذي قبله واسناده واه.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يحي بن إسحاق، أخبرنا ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: «يا عائشة أما عند ثلاث فلا: أما عند الميزان حتى تثقل أو تخف فلا، وأما عند تطاير الكتب فاما ان يعطى بيمينه أو يعطى بشماله فلا، ثم حين يخرج عنق من النار فينطوي عليهم ويتغلظ عليهم ويقول ذلك العنق وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة. وكلت بمن دعا مع الله إلهاً آخر، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب، ووكلت بكل جبار عنيد» قال: «فينطوي عليهم ويرمي بهم في غمرات جهنم». اسناده ثقات سوى ابن لهيعة. وروى عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة في قوله: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ [المؤمنون: ١٠٢] قال قال للنبي

وعن أنس قال: « يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً. وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار » قال رسول الله ﷺ في يوم القيامة: « إنه

ﷺ بعض أهله هل يذكر الناس أهليهم يوم القيامة؟ قال « أما في ثلاث مواطن فلا. عند الميزان، وعند تطاير الصحف في الأيدي، وعند الصراط ».

(وعن أنس) رضي الله عنه **(قال: « يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خفت ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار »)** هكذا ذكره موقوفاً على أنس. وقد رواه البزار في مسنده مرفوعاً فقال: حدثنا إسماعيل بن أبي الحرث، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا صالح المري، عن ثابت وجعفر بن يزيد ومنصور بن زاذان، عن أنس رفعه « إن ملكاً موكلاً بالميزان فيؤتى بابن آدم فيوقف بين كفتي الميزان فإن رجح نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف نادى الملك: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً » قال البزار: لا نعلمه، رواه عن ثابت عن أنس إلا صالح المري ولا عن جعفر أيضاً إلاّ صالح.

وأخرجه أبو نعيم في الحلية وقال: تفرد به داود بن المحبر، وكذلك رواه ابن مردويه واللالكائي في كتاب السنة، والبيهقي في البعث، وقال أبو زكريا يحي بن عبد الوهاب بن منده في فوائده: أخبرني عماي أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد الفقيه كتابة، حدثنا أبو محمد بن عبد الملك بن محمد بن عبد الوهاب البغوي، حدثنا أبو بكر إبراهيم بن محمد بن إسحاق البصري، حدثتنا حكامة بنت عثمان بن دينار قالت: حدثني أبي عثمان بن دينار، عن أخيه مالك بن دينار، عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: « إذا وضع العبد في الميزان فرجحت حسناته على سيئاته نادى مناد: ألا سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن رجحت سيئاته على حسناته نادى مناد: ألا شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً ».

وروى ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن عبد الله بن العيزار قال: عند الميزان ملك ينادي: فلان بن فلان ثقلت موازينه وسعد سعادة لم يشق بعدها أبداً إلا أن فلان بن فلان خفت موازينه وشقي شقاوة لم يسعد بعدها أبداً ».

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال: حدثنا محمد بن العباس بن محمد، حدثنا عبد الله بن

يوم ينادي الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له: قم يا آدم فابعث بعث النار فيقول: وكم بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون» فلما سمع الصحابة ذلك ابلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة، فلما رأى رسول الله ﷺ ما عند أصحابه قال: «اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده إن معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتاه مع من هلك من بني آدم وبني إبليس» قالوا: وما هما يا رسول الله؟ قال: «يأجوج ومأجوج» قال: فسري عن القوم فقال: «اعملوا وأبشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة».

صالح العجلي، حدثنا أبو الأحوص قال: افتخرت قريش عن سلمان فقال سلمان: لكني خلقت من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم يؤتى بالميزان فإن ثقلت فأنا كريم وإن خفت فأنا لئيم. قال أبو الأحوص: تدري من أي شيء نجا إذا ثقل ميزان عبد نودي في مجمع فيه الأوّلون والآخرون: ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإذا خف ميزانه نودي على رؤوس الخلائق: ألا إن فلان بن فلان قد شقي شقاء لا يسعد بعده أبداً.

(**قال رسول الله ﷺ في يوم القيامة: «إنه يوم ينادي الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول: قم يا آدم فابعث بعث النار. فيقول: وكم بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون» فلما سمع الصحابة ذلك أبلسوا حتى ما أوضحوا بضاحكة، فلما رأى رسول الله ﷺ الذي عند أصحابه قال: «اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده إن معكم لخليقتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتاه مع من هلك من بني آدم وبني إبليس» قالوا: وما هما يا رسول الله؟ قال: «يأجوج ومأجوج» قال: فسري عن القوم. فقال: «اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس يوم القيامة إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة»**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي سعيد، ورواه البخاري من حديث أبي هريرة نحوه وقد تقدم اهـ.

قلت: لفظ المتفق عليه «يقول الله تعالى: يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك. فيقول: اخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. قالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد؟ قال: ابشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأموج ألف، والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة، أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور اسود أو كالرقمة في ذراع الحمار» رواه كذلك أحمد وعبد بن حميد.

صفة الخصماء ورد المظالم:

قد عرفت هول الميزان وخطره وأن الأعين شاخصة إلى لسان الميزان ﴿ فأمّا من ثَقُلَتْ موازِينُه ★ فهُو في عيشةٍ راضيةٍ ★ وأمّا مَنْ خَفَّت موازِينُه ★ فأمُّه هاوية ★ وما أدراك ماهَيه ★ نارٌ حامية﴾ [القارعة: ٦ ـ ١١].

واعلم أنه لا ينجو من خطر الميزان إلا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا، وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل

وروى الطبراني في الكبير من حديث أبي الدرداء « يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم قم فجهز من ذريتك تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة » فبكا أصحابه وبكوا. فقال: « ارفعوا رؤوسكم فوالذي نفسي بيده ما أمتي في الأمم إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود » ورواه أحمد بلفظ « إن الله تعالى يقول: يوم القيامة لآدم: قم فجهز » الحديث. وفي المتفق عليه من حديث ابن مسعود « والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » وذلك ان الجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر ».

صفة الخصماء ورد المظالم:

(اعلم أنك قد عرفت هول الميزان وخطره وأن الاعين شاخصة إلى لسان الميزان) وهو عذبته **﴿ فأمّا من ثقلت موازينه﴾** بالحسنات **﴿ فهو في عيشة راضية﴾** أي عيشة ذات رضا أي مرضية هي الجنة قاله قتادة رواه عبد بن حميد وابن جرير **﴿ وأما من خفت موازينه﴾** عنها بان لم تكن له حسنة يعبأ بها أو ترجحت سيئاته على حسناته **﴿ فامه هاوية﴾** هي النار مأواهم وأمهم ومصيرهم، قاله قتادة. وقال عكرمة: أم رأسه هاوية في جهنم رواه ابن أبي حاتم، وروى عن الوالبي مثله. وقال أبو صالح: يهوون في النار على رؤوسهم. رواه ابن جرير. وعند الميزان ملك ينادي: ألا إن فلان ابن فلان ثقلت موازينه، الا إن فلان بن فلان خفت موازينه. رواه ابن أبي شيبة عن عبد الله بن العيزار كما تقدم. ومما يؤيد قول من قال: إن الهاوية من أسماء النار قوله: **﴿ وما أدراك ماهيه ★ نارٌ حامية﴾** أي ذات حمى.

(واعلم أنه لا ينجو من خطر الميزان) يوم القيامة **(إلا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأقواله وخطراته ولحظاته، كما قال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا قبل أن توزنوا)** رواه كثير بن هشام عن جعفر بن برقان أن عمر كتب إلى عامل له: حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة فمن فعل رجع إلى الرضا والغبطة، ومن ألهته حياته وشغله أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والحسرة، فتذكر ما توعظ به لكيما

الموت توبة نصوحاً ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى، ويرد المظالم حبة بعد حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه، ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، وإن مات قبل ردّ المظالم أحاط به خصماؤه، فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته، وهذا يتعلق بلببه، هذا يقول ظلمتني، وهذايقول شتمتني، وهذا يقول استهزأت بي، وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني، وهذا يقول: جاورتني فأسأت جواري، وهذا يقول عاملتني فغششتني، وهذا يقول: بايعتني فغبنتني وأخفيت عني عيب سلعتك، وهذا يقول كذبت في سعر متاعك، وهذا يقول رأيتني محتاجاً وكنت غنياً فما أطعمتني، وهذا يقول وجدتني مظلوماً وكنت قادراً على دفع الظلم عني فداهنت الظالم وما راعيتني: فبينا أنت كذلك وقد أنشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا في تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم - حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو خيانة أو نظر بعين استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم - إذ قرع

تنتهي عما تنتهي عنه وتكون عند الموعظة إلى النهي، (**وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحاً**) خالصة لا يخالجها العزم على العود، (**ويتدارك ما فرط من تقصيره في فرائض الله تعالى ويرد المظالم**) إلى أهلها (**حبة بعد حبة، ويستحل كل من تعرض له بلسانه**) بالشتم والغيبة (**ويده**) بالضرب والإشارة (**وسوء ظنه بقلبه، ويطيب قلوبهم**) على قدر الإمكان (**حتى يموت ولم تبق عليه مظلمة**) لأحد (**ولا فريضة**) لله تعالى. (**فهذا يدخل الجنة بغير حساب**) فهو من القسم الثاني من الأقسام الثلاثة المذكورة في أوّل المحاسبة، (**وإن مات قبل ردّ المظالم أحاط به خصماؤه. فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته، وهذا يتعلق بلببه**) أي بعنقه، (**وهذا يقول: ظلمتني، وهذا**) يقول (**شتمتني، وهذا يقول استهزأت بي، وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني، وهذا يقول جاورتني فأسأت جواري، وهذا يقول عاملتني فغششتني، وهذا يقول بايعتني فغبنتني وأخفيت عني عيب سلعتك، وهذا يقول كذبت في سعر متاعك، وهذا يقول رأيتني محتاجاً وكنت غنياً فما أطعمتني، وهذا يقول وجدتني مظلوماً وكنت قادراً على دفع الظلم عني فداهنت الظالم وما راعيتني. فبينا أنت كذلك قد أنشب الخصماء فيك مخالبهم وأحكموا في تلابيبك أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة بغيبة أو خيانة أو نظر بعين استحقار، وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم، إذ قرع**

سمعك نداء الجبار رجل جلاله ﴿اليَوْمَ تُجْزَى كلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ اليَوم﴾ [المؤمن: ١٧]، فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار، وتتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال: ﴿ولا تحسبنَّ الله غافلاً عما يَعْمَل الظّالمون إنما يؤخِّرُهُمْ ليومٍ تشخص فيه الأبصار ★ مُهْطِعِينَ مُقْنِعي رؤوسِهِمْ لا يرتدّ إليهم طرفهم وأفئدَتُهُم هواء ★ وأنذرِ النَّاس﴾ [ابراهيم: ٤٢ - ٤٤].

فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم! وما أشد حسراتك في ذلك اليوم إذا وقف ربك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقاً أو تظهر عذراً! فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل إلى خصمائك عوضاً عن حقوقهم. قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « هل تدرون من المفلس؟ » قلنا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع، قال: « المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب

سمعك نداء الجبار جل جلاله: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم﴾ فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار) أي الهلاك، (**وتتذكر ما أنذرك الله تعالى**) به (**على لسان رسوله**) ﷺ (**حيث قال ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾**) قال ميمون بن مهران: هي تعزية المظلوم ووعيد للظالم رواه ابن جرير: **﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ★ مهطعين﴾** مديمي النظر رواه ابن جرير عن مجاهد وقال قتادة مسرعين **﴿مقنعي رؤوسهم﴾** أي رافعين **﴿لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء﴾** تمور في أفواههم إلى حلوقهم ليس لها مكان يستقر فيه. رواه ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير وقال مرة أي متخوّفة لا تغني شيئاً رواه ابن جرير، وروى ابن أبي شيبة عن أبي صالح قال: يحشر الناس هكذا ووضع رأسه بيمينه على شماله عند صدره.

(**فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم! وما أشد حسراتك في ذلك اليوم إذا وقف ربك على بساط العدل وشوفهت بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين**) أي ذليل (**لا تقدر على أن ترد حقاً أو تظهر عذراً! فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل إلى خصمائك عوضاً عن حقوقهم. قال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ « هل تدرون من المفلس » ؟ قلنا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع قال « المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، فيأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا**

هذا فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته وإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ». فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس يسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكائد الشيطان، فإن سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل، لعلمت أنه لا ينقضي عنك يوم إلا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك! فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات؟ وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء؟ فقد روى أبو ذر: أن رسول الله ﷺ رأى شاتين ينتطحان فقال: « يا أبا ذر أتدري فيم ينتطحان؟ » قلت: لا. قال: « ولكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة ».

وقال أبو هريرة في قوله عز وجل: ﴿ومَا مِنْ دابَّةٍ في الأرْضِ ولاَ طائرٍ يطيرُ بجناحيْه إلاَّ أممٌ أمثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]، أنه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة ـ البهائم

فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، وإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ») رواه أحمد ومسلم والترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم. (**فانظر إلى معصيتك في مثل هذا اليوم إذ ليس تسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان، فإن سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت أنه لا ينقضي عليك يوم إلا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك، فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات؟ وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجماء**) هي الشاة التي لا قرن لها (**من القرناء**) هي التي لها قرون؟ (**فقد روى أبو ذر**) الغفاري رضي الله عنه: (**أن رسول الله ﷺ رأى شاتين ينتطحان فقال: « يا أبا ذر أتدري فيم ينتطحان »؟ قلت: لا. قال: « ولكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة »**) قال العراقي: رواه أحمد من رواية أشياخ لم يسموا عن أبي ذر اهـ.

قلت: رواه كذلك الطيالسي في مسنده، وروى أحمد بسند حسن من حديث أبي هريرة « ليختصمن يوم القيامة كل شيء حتى الشاتان فيما انتطحتا ». ومن حديث أبي سعيد الخدري « والذي نفسي بيده ليختصم يوم القيامة كل شيء حتى الشاتان فيما انتطحتا ».

(**وقال أبو هريرة في**) تفسير (**قوله عز وجل ﴿وما من دابّة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم﴾ يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء**)

والدواب والطير وكل شيء - فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول كوني تراباً، فذلك حين يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً. فكيف أنت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول: أين حسناتي؟ فيقال: نقلت إلى صحيفة خصمائك. وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتدّ بسبب الكف عنها عناؤك فتقول: يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط! فقال: هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة.

قال ابن مسعود: قال رسول الله ﷺ: « إن الشيطان قد يئس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات، فاتقوا الظلم ما استطعتم فإن العبد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى أنهن

فيبلغ من عذاب) كذا في النسخ وهو غلط من النساخ، والصواب من عدل، (الله عز وجل أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول: كوني تراباً فذلك حين يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً) رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث. وقال يحي بن جعدة: إن أوّل خلق الله يحاسب يوم القيامة الدواب والهوام حتى يقضي بينهما حتى لا يذهب شيء بظلامة ثم يجعلها تراباً، ثم يبعث الثقلين الجن والانس فيومئذ يتمنى الكافر أن يكون تراباً. رواه الدينوري في المجالسة. وقال مجاهد: تقاد المنقورة من الناقرة، والمركوضة من الراكضة، والجلحاء من ذات القرنين، والناس ينظرون. ثم يقال: كوني تراباً لا جنة ولا ناراً. رواه ابن المنذر، وقال أبو الزناد: إذا قضي بين الناس وأمر أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار قيل لسائر الأمم ولمؤمني الجن: عودوا تراباً فيعودون. رواه ابن شاهين في كتاب العجائب والغرائب.

(فكيف أنت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك. فتقول: أين حسناتي؟ فيقال: نقلت إلى صحيفة خصمائك؟ وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتدّ بسبب الكف عنها عناؤك فتقول: يا رب هذه سيئات ما قارفتها قط: فيقال: هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة).

(قال ابن مسعود) رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ: « إن الشيطان قد يئس أن تعبد الأصنام بأرض العرب، ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم فإن العبد يجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات

سينجينه فما يزال عبد يجيء فيقول: رب إن فلاناً ظلمني بمظلمة. فيقول: امحِ من حسناته فما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء، وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا». وكذلك الذنوب. ولما نزل قوله تعالى: ﴿إنَّك ميِّتٌ وإنَّهم

فيرى أنهن ستنجيه، فما يزال عبد يجيء فيقول: يا رب إن فلاناً ظلمني بمظلمة فيقول: امح من حسناته، فما يزال كذلك حتى ما يبقى من حسناته شيء وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القوم فحطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا وكذلك الذنوب»). قال العراقي: رواه أحمد والبيهقي في الشعب مقتصراً على آخره: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وأن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلاً» الحديث وإسناده جيد. أما أوّل الحديث؛ فرواه مسلم مختصراً من حديث جابر: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم» اهـ.

قلت: أوّل الحديث قد روي من طرق منها: حديث عبادة بن الصامت: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرة العرب». رواه الطبراني في الكبير والضياء في المختارة وفي لفظ للطبراني: «أن تعبد الأصنام في جزيرة العرب». ورواه كذلك من حديث أبي الدرداء.

ومنها: حديث ابن عباس: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا» الحديث رواه الحاكم.

ومنها: حديث العباس بن عبد المطلب: «إن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب، ولكن خفت أن يضل من يبقى منهم بالنجوم» رواه الطبراني في الكبير.

ومنها.: حديث أبي هريرة: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرضكم هذه ولكن رضي منكم بما تحقرون» رواه أبو نعيم في الحلية.

ومنها: حديث معاذ: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرضي هذه ولكنه قد رضي بالمحقرات من أعمالكم» رواه الطبراني في الكبير.

وأما حديث جابر فلفظه: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون ولكن في التحريش بينهم» رواه أحمد ومسلم والترمذي والتحريش: هو إغراء بعض على بعض.

وأما لفظ حديث ابن مسعود عند أحمد والبيهقي: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه كرجل كان في أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل يجيء بالعود، والرجل يجيء بالعود، حتى جمعوا من ذلك سواداً وأججوا ناراً فانضجوا ما فيها» وكذلك رواه الطبراني: وقد روي نحو ذلك من حديث سهل بن سعد: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ وجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما انضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه». رواه أحمد والطبراني والبيهقي.

ميتون ★ ثُمَّ إنَّكُم يَوْمَ القيامةِ عندَ ربِّكُم تختصمون﴾ [الزمر : ٣٠ ، ٣١] قال الزبير : يا رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب ؟ قال : « نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه » قال الزبير : والله إن الأمر لشديد . فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم! قال أنس : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الله العباد عراة غبراً بهماً » قال : قلنا ما بهماً ؟ قال : « ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن

وروى الخرائطي في مساوىء الأخلاق من حديث ابن مسعود : « اتقوا المظالم ما استطعتم فإن الرجل يجيء يوم القيامة بحسنات يرى أنها ستنجيه فما يزال عند ذلك يقول : إن لفلان قبلك مظلمة فيقول : امحوا من حسناته فما تبقى له حسنة ، ومثل ذلك كمثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب فتفرق القوم فاحتطبوا للنار وانضجوا ما أرادوا فكذلك الذنوب » . وهذا السياق هو الذي عناه المصنف .

وروى الخرائطي أيضاً من حديث أبي أمامة : « إن العبد ليعطى كتابه يوم القيامة منشوراً فيقول : رب ألم أعمل حسنة يوم كذا وكذا فيقال له : محيت عنك باغتيابك الناس » . وإسناده ضعيف .

(ولما نزل قوله تعالى : ﴿إنك ميت وإنهم ميتون ★ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قال الزبير) بن العوّام رضي الله عنه : **(يا رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب ؟ قال : « نعم ليكررن عليكم)** ذلك **(حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه » قال الزبير : والله إن الأمر لشديد)** . قال العراقي : رواه أحمد واللفظ له والترمذي من حديث الزبير وقال : حسن صحيح اهـ .

قلت : ورواه كذلك عبد الرزاق وابن منيع وابن أبي عمر وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في البعث . ورواه ابن جرير والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم من حديث عبد الله بن الزبير بمثل سياق المصنف .

(فاعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم . قال أنس) رضي الله عنه : هكذا في سائر النسخ وهو غلط صوابه عبدالله بن أنيس ـ كما سيأتي ـ **(سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يحشر الله العباد عراة غبراً بهماً » قال : قلنا ما بهماً ؟ قال : « ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة**

يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى اقتصه منه، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى اقتصه منه؛ حتى اللطمة» قلنا: وكيف وإنما نأتي الله عز وجل عراة غبراً بهماً! فقال: «بالحسنات والسيئات» فاتقوا الله

ولأحد من أهل النار عليه مظلمة حتى اقتصه منه، ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى اقتصه منه حتى اللطمة». قلنا: وكيف إنما نأتي الله عراة غبراً بهماً؟ فقال: «بالحسنات والسيئات») قال العراقي: ليس من حديث أنس، وإنما هو عبدالله بن أنيس رواه أحمد بإسناد حسن وقال: غرلاً بدل بهماً اهـ.

قلت: ورواه أبو يعلى والخرائطي في مساوىء الأخلاق، والطبراني في الكبير، والحاكم والضياء ولفظهم: «بهماً» كما عند المصنف وعبدالله بن أنيس جهمي حالف بني سلمة من الأنصار، فلذلك يقال له الأنصاري: قال ابن يونس: صلى إلى القبلتين، ودخل مصر وخرج إلى إفريقية.

قلت: وهو المدفون في جربة وحديثه هذا في القصاص وهو الذي رحل له جابر لسماعه منه إلى مصر. رواه أحمد وغيره من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال: بلغني حديث في القصاص وصاحبه بمصر فرحلت إليه مسيرة شهر فذكره. وقال البخاري في كتاب العلم من الصحيح، ورحل جابر إلى عبد الله بن أنيس مسيرة شهر».

وقال في كتاب التوحيد: ويذكر عن عبد الله بن أنيس فذكر طرفاً من الحديث: أخبرنا عبد الخالق بن أبي بكر الزبيري، أخبرنا محمد بن أحمد بن سعيد، أخبرنا عبد الله بن سالم، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا علي بن يحي، أخبرنا يوسف بن عبد الله الحسني، أخبرنا أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الحافظ، أنبانا محمد بن مقبل الحلبي مكاتبة عن أبي طلحة محمد بن علي بن يوسف الحرادي، أخبرنا الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، أخبرنا أبو زكريا يحي بن عبد الرحمن الحنبلي، أخبرنا أبو طاهر الخشوعي، أخبرنا أبو محمد هبة الله بن الأكفاني، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب في كتابه الرحلة في طلب الحديث ما لفظه: ذكر عن رجل في حديث واحد من الصحابة الأكرمين رضوان الله عليهم أجمعين، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يوسف الصياد، والحسن بن أبي بكر قالا: أخبرنا أحمد بن يوسف بن خلاد العطار ح.

وأخبرنا الحسن بن أبي بكر، أخبرنا محمد بن محمد بن أحمد بن مالك الأسكافي قالا: حدثنا الحرث بن محمد بن أبي أسامة ح.

وأخبرتنا أم الفرج فاطمة بنت هلال بن أحمد الكرخي قالت: أخبرنا عثمان بن أحمد بن عبدالله الدقاق، حدثنا الحرث بن أبي أسامة التميمي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا همام بن يحي، عن القاسم بن عبد الواحد المكي ح.

....

وحدثني أبو القاسم عبدالله بن أحمد بن علي السوذرجاني لفظاً باصبهان وسياق الحديث له، حدثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي المقري، حدثنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا شيبان، حدثنا همام، حدثنا القاسم بن عبد الواحد، حدثني عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب أن جابر بن عبد الله حدثه قال: بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم أسمعه منه قال: فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي فسرت إليه شهراً حتى أتيت الشام، فإذا هو عبدالله بن أنيس الأنصاري قال: فأرسلت إليه أن جابراً على الباب قال: فرجع إلى الرسول، فقال: جابر بن عبدالله؟ قلت: نعم. قال: فرجع الرسول إليه فخرج إلي فاعتنقني واعتنقته. قال: قلت: حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الله العباد أو قال يحشر الله الناس» قال: وأومأ بيده إلى الشام: «عراة غرلاً بهماً» فساقه مثل سياق المصنف.

قال الخطيب: وهكذا رواه عبد الوارث بن سعيد، عن القاسم بن عبد الواحد، أخبرنا علي بن أحمد بن عمر المقري، أخبرنا محمد بن عبدالله بن إبراهيم الشافعي، حدثنا معاذ بن المثنى، حدثنا مسدد، حدثنا عبد الوارث، عن القاسم بن عبد الواحد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر ابن عبدالله قال: بلغني حديث عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فاشتريت بعيراً فشددت عليه رحلاً ثم سرت إليه شهراً حتى قدمت مصر. قال: فخرج إليَّ غلام أسود فقلت: استأذن على فلان: قال: فدخل فقال: إن اعرابياً بالباب يستأذن فأخرج إليه فقال له: من أنت؟ قال: فقال له: أخبره أني جابر بن عبدالله؟ قال: فخرج إليه فالتزم كل واحد منها صاحبه قال: فقال: ما جاء بك؟ قال: حديث بلغني أنك تحدث به عن رسول الله ﷺ في القصاص ما أعلم أن أحداً يحفظه غيرك، فأحببت أن تذاكرنيه. قال: نعم. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة حشر الله عباده عراة غرلاً بهماً فيناديهم بصوت يسمعه من بعد منهم كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان لا تظالموا اليوم لا ينبغي لأحد» فساقه وفيه: قالوا يا رسول الله وكيف وإنما نأتي الله عراة غرلاً بُهماً، قال: «من الحسنات والسيئات».

قال: وروي عن أبي جارود العبسي، عن جابر أخبرنيه عبد العزيز بن علي الأزجي، حدثنا علي ابن عمر بن محمد الحربي، حدثنا حامد بن بلال البخاري حدثنا محمد بن عبدالله المقري البخاري، حدثنا بجير بن النضر، حدثنا عيسى غنجار، عن عمر بن الصبح، عن مقاتل بن حيان، عن أبي جارود العبسي أن جابر بن عبدالله قال: بلغني حديث في القصاص وكان صاحب الحديث بمصر، فاشتريت بعيراً وشددت عليه رحلاً ثم سرت شهراً حتى وردت مصر، فسألت عن صاحب الحديث فدلك عليه، فإذا هو باب لاطيء، فقرعت الباب فخرج إليَّ مملوك له أسود فقلت: ههنا أبو فلان؟ فسكت عني فدخل فقال لمولاه: بالباب اعرابي يطلبك. فقال: اذهب فقل له من أنت؟ فقلت: جابر بن عبدالله صاحب رسول الله ﷺ. قال: فخرج إليَّ فرحب بي وأخذ بيدي قلت: حديث في القصاص لا أعلم أحداً ممن بقي أحفظ له منك. فقال: أجل سمعت رسول الله ﷺ

عباد الله، ومظالم العباد يأخذ أموالهم والتعرض لأعواضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الإخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله، فعساه يقربه ذلك إلى الله تعالى فينال به لطفه الذي ادخره لأحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم، كما روي عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر: ما يضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: «رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته فقال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء، فقال الله تعالى للطالب: كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب يتحمل عني من أوزاري» قال: وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال: «إن ذلك

يقول: «إن الله يبعثكم يوم القيامة حفاة عراة غرلاً وهو تعالى على عرشه ينادي بصوت له رفيع غير فظيع يسمع البعيد كما يسمع القريب يقول: أنا الديان لا ظلم عندي وعزتي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم ولو لطمة ولو ضرب يد على يد ولأقتص للجماء من القرناء ولأسألن الحجر لم نكب الحجر، ولأسألن العود لم خدش صاحبه في ذلك أنزل علي في كتابه ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً﴾ [الأنبياء: ٤٧] ثم قال رسول الله ﷺ: إن أخوف ما أخاف على أمتي من بعدي عمل قوم لوط، ألا فليرقب أمتي العذاب إذا تكافأ الرجال بالرجال والنساء بالنساء».

(**فاتقوا الله عباد الله ومظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم، فإن ما بين العبد وبين الله خاصة فالمغفرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من حسناته ليوم القصاص وليسر**) أي ليخف (**ببعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الإخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله، فعساه يقربه**) ذلك (**إلى الله تعالى فينال لطفه الذي ادخره لأحبابه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم، كما روي عن أنس**) رضي الله عنه، (**عن رسول الله ﷺ أنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر**) رضي الله عنه: (**ما يضحكك**) وفي نسخة ما أضحكك (**يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: «رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربي العزة. فقال احدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، فقال الله تعالى: اعط أخاك مظلمته. فقال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء. فقال الله تعالى للطالب: كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب يتحمل عني من أوزاري». قال: وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال: «إن ذلك ليوم عظيم يوم**

ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم » قال: « فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق هذا؟ أو لأي شهيد هذا؟ قال: لمن أعطاني الثمن، قال: يا رب ومن يملك ثمنه؟ قال: أنت تملكه، قال: وما هو؟ قال: عفوك من أخيك، قال: يا رب إني قد عفوت عنه، قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة » ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: « اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين » وهذا تنبيه على أن ذلك إنما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق.

يحتاج الناس إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم » قال: فقال الله للطالب: ارفع رأسك) وفي رواية ارفع بصرك (**فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا أو لأي صديق هذا أو لأي شهيد هذا؟ قال: لمن أعطاني الثمن. قال: يا رب ومن يملك ثمنه؟ قال: أنت تملكه. قال: ما هو؟ قال عفوك عن أخيك؟ قال: يا رب إني قد عفوت عنه. قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فادخله الجنة »)** وفي رواية: « فادخلا الجنة » (**ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: « اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين »)** قال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله والحاكم في المستدرك وقد تقدم اهـ.

قلت: ورواه كذلك أبو يعلى والبيهقي في البعث وقد صححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بأن في سنده عباد بن شيبة الحبطي روى عنه عبد الله بن بكر السهمي ضعف وبقية رجاله ثقات.

(**وهذا تنبيه على أن ذلك إنما ينال بالتخلق بأخلاق الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق**). وقد تقدم الكلام على معنى التخلق بأخلاق الله. ونقل صاحب المواهب عن المصنف أنه يؤتى برجل يوم القيامة فما يجد حسنة يرجح ميزانه وقد اعتدلت بالتسوية فيقول الله تعالى له رحمة منه: اذهب في الناس فالتمس من يعطيك حسنة ادخلك بها الجنة فما يجد أحداً يكلمه في ذلك الأمر إلا قال له: أنا أحوج لذلك منك فييأس فيقول له رجل: لقد لقيت الله فما وجدت في صحيفتي إلا حسنة واحدة وما أظنها تغني عني شيئاً خذها هبة فينطلق بها فرحاً مسروراً فيقول الله له: ما بالك وهو أعلم. فيقول: يا رب اتفق من أمري كيت وكيت. قال: فينادي الله صاحبه الذي وهبه الحسنة فيقول له تعالى: كرمي أوسع من كرمك خذ بيد أخيك وانطلقا إلى الجنة، وكذا تستوي كفتا الميزان برجل، فيقول الله تعالى له: لست من أهل الجنة ولا من أهل النار، فيأتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة الميزان فيها مكتوب أف فترجح على الحسنات لأنها كلمة عقوق فيؤمر به إلى النار. قال: فيطلب الرجل أن يرد إلى الله فيقول الله: ردوه فيقول له: أيها العبد العاق لأي شيء تطلب الرجوع إليّ؟ فيقول: إلهي إني سائر إلى النار وكنت عاقاً لأبي وهو سائر إلى النار

فتفكر الآن في نفسك ان خلت صحيفتك عن المظالم أو تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد. كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وبنعيم لا يدور بحواشيه الفناء. وعند ذلك طار قلبك سروراً وفرحاً وابيضّ وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر، فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعاً رأسك خالياً عن الأوزار ظهرك، ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك، وخلق الأولين والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك ويغبطونك في حسنك وجمالك، والملائكة يمشون بين يديك ومن خلفك وينادون على رؤوس الأشهاد: هذا فلان ابن فلان رضي الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً! أفترى أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانـة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك، وتصنعك وتزينك؟ فإن كنت تعلم أنه خير منه بل لا نسبة له إليه فتوسل إلى إدراك هذه الرتبة بالإخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله فلن تدرك ذلك إلا به.

وإن تكن الأخرى والعياذ بالله بأن خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة

مثلي فضعف علي العذاب انقذه منها. قال: فيضحك الله ويقول: عققته في الدنيا وبررته في الآخرة خذ بيد أبيك وانطلقا إلى الجنة.

(فتفكر الآن في نفسك إن خلت صحيفتك عن المظالم أن تلطف لك حتى عفا عنك وأيقنت بسعادة الأبد كيف يكون سرورك في منصرفك عن مفصل القضاء، وقد خلع عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاوة ونعيم لا يدور بحواشيه الفناء، وعند ذلك طار قلبك سروراً فرحاً وابيضّ وجهك واستنار وأشرق كما يشرق القمر ليلة البدر، فتوهم تبخترك بين الخلائق رافعاً رأسك خالياً عن الأوزار ظهرك، ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا يتلألأ من جبينك، وخلق الأوّلين والآخـريـن ينظـرون إليـك وإلى حـالـك ويغبطونك في حسنك وجمالك والملائكة يمشون بين يـديـك ومـن خلفـك، وينـادون على رؤوس الأشهاد هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وأرضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً) . وقد تقدم معنى ذلك من حديث أنس من عند صاحب الحلية. وروي نحوه عن سلمان في كتاب الأهوال لابن أبي الدنيا. **(فترى أن هذا المنصب ليس بأعظم من المكانة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا بريائك ومداهنتك وتصنعك وتزينك، فإن كنت تعلم أنه خير منه بل لا نسبة له إليه فتوسل إلى إدراك هذه المرتبة)** العالية **(بالإخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله تعالى فلن تدرك ذلك إلا به)** .

(وإن تكن الأخرى والعياذ بالله تعالى بأن خرج من صحيفتك جريمة كنت تحسبها هينة

وهي عند الله عظيمة فمقتك لأجلها فقال: عليك لعنتي يا عبد السوء لا أتقبل منك عبادتك، فلا تسمع هذا النداء إلا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون: وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين، وعند ذلك تنثال إليك الزبانية وقد غضبت لغضب خالقها فأقدمت عليك بفظاظتها وذعارتها وصورها المنكرة، فأخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على ملأ الخلق وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك، وأنت تنادي بالويل والثبور، وهم يقولون لك ﴿لا تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبوراً واحداً وادْعُوا ثُبوراً كثيراً﴾ [الفرقان: ١٤] وتنادي الملائكة ويقولون: هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً، وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أو طلباً للمكانة في قلوبهم أو خوفاً من الافتضاح عندهم، فما أعظم جهلك إذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملأ العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الأليم والسياق بأيدي الزبانية إلى سواء الجحيم، فهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر الأعظم وهو خطر الصراط.

وهي عند الله عظيمة) ولو نحو أف للوالدين (**فمقتك لأجلها فقال: عليك لعنتي يا عبد السوء لا أتقبل منك عبادتك**) بل هي مردودة عليك. (**فلا تسمع هذا النداء إلا ويسود وجهك ثم تغضب الملائكة لغضب الله تعالى فيقولون: وعليك لعنتنا ولعنة الخلائق أجمعين، وعند ذلك ينثال إليك الزبانية**) وهم الملائكة الموكلة بالنار، (**وقد غضبت لغضب خالقها فأقدمت عليك بفظاظتها وذعارتها وصورها المنكرة فأخذوا بناصيتك**) وأقدامك (**يسحبونك على وجهك على ملأ الخلق، وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك وأنت تنادي بالويل والثبور وهم يقولون: ﴿لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً﴾ وتنادي الملائكة ويقولون: هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازيه ولعنه بقبائح مساويه فشقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً**) كما روي معناه في حديث أنس المتقدم. (**وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله، أو طلباً للمكانة في قلوبهم، أو خوفاً من الافتضاح عندهم، فما أعظم جهلك إذ تحترز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا المنقرضة**) الفانية عن قرب، (**ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك الملأ العظيم**) وقد ورد: فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة كما تقدم (**مع التعرض لسخط الله وعقابه الأليم، والسياق بأيدي الزبانية إلى سواء الجحيم. فهذه أحوالك وأنت لم تشعر**) بعد (**بالخطر الأعظم**) والخطب الأفزع الأهم (**وهو خطر الصراط**).

صفة الصراط:

ثم تفكر بعد هذه الأهوال في قول الله تعالى: ﴿يومَ نحشُرُ المتقِينَ إلى الرحمنِ وفداً ★ ونسوقُ المجرمينَ إلى جهنم ورداً﴾ [مريم: ٨٥ ، ٨٦] ، وفي قوله تعالى: ﴿فاهدُوهُم إلى صِراط الجحيم ★ وقِفُوهُم إنهم مسؤولون﴾ [الصافات: ٢٣ ـ ٢٤] ، فالناس بعد هذه الأهوال يساقون إلى الصراط ـ وهو جسر ممدود على متن النار أحد من السيف وأدق من الشعر ـ فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ، ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تعثر في أول قدم من الصراط وتردى . فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته ، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها ، وقد كلفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك وثقل

صفة الصراط:

(**ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأهوال في قول الله تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾**) أي ركباناً (**﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً**) أي عطاشاً . (**وفي قوله تعالى: ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم ★ وقفوهم إنهم مسؤولون﴾**) أي عن أعمالهم وأقوالهم ونياتهم ، (**فالناس بعد هذه الأهوال**) في الموقف (**يساقون إلى الصراط وهو**) كما في الأخبار الواردة (**جسر ممدود على متن النار أحدّ من السيف وأدق من الشعر ، فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم**) المشار إليه بقوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦] وقد اختلف في تفسيره على أقوال كثيرة أشهرها: طريق الحق (**خف على صراط الآخرة ونجا . ومن عدل على الاستقامة في الدنيا وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تعثر في أول قدم من الصراط وتردى**) .

وروى الحاكم عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « أمامكم عقبة كؤد لا يجوزها المثقلون » وذكر صاحب المواهب أن في الآخرة صراطين: أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم إلا من دخل الجنة بغير حساب أو يلتقطه عنق من النار ، فإذا خلص من خلص من الصراط الأكبر حبسوا على صراط آخر لهم ، ولا يرجع إلى النار أحد من هؤلاء إن شاء الله تعالى لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم ، وقد روى البخاري من حديث أبي سعيد: « يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى في الجنة بمنزلة في الدنيا » .

(**فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقته ، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ، ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها**) وزفيرها ، (**وقد كلفت أن تمشي**

ظهرك بالأوزار المانعة لك عن المشي على بساط الأرض فضلاً عن حدة الصراط، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته، واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانية والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف يتنكسون فتتسفل إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم، فيا له من منظر ما أفظعه ومرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه! فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك، تلتفت يميناً وشمالاً إلى الخلق وهم يتهافتون في النار والرسول عليه السلام يقول: «يا رب سلم سلم» والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق، فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك؟ فناديت بالويل والثبور وقلت: هذا ما كنت أخافه فيا ليتني قدمت لحياتي! يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً! يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً! يا ليتني كنت تراباً! يا ليتني كنت نسياً منسياً! يا ليت أمي لم تلدني! وعند ذلك تختطفك النيران - والعياذ بالله - وينادي المنادي: ﴿أخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فلا يبقى سبيل إلا الصياح والأنين والتنفس

على الصراط مع ضعف حالك واضطرب قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض فضلاً عن حدة الصراط، فكيف بك إذ وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته واضطررت إلى أن ترفع القدم الثانية، والخلائق بين يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف يتنكسون فتنسبل إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم، فيا له من منظر ما أفظعه ومرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه! فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصعد إليه وأنت مثقل الظهر بأوزارك تلتفت يميناً وشمالاً إلى الخلق وهم يتهافتون) أي يتساقطون (في النار والرسول عليه السلام يقول: «يا رب سلم سلم») وكذلك الملائكة وهو شعار المؤمنين يومئذ كما في الخبر وسيأتي (والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلائق، فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل والثبور، وقلت: هذا ما كنت أخافه) في الدنيا، (فياليتني قدمت لحياتي! يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً! يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً! ياليتني كنت تراباً يا ليتني كنت نسياً منسياً! ياليت أمي لم تلدني) والقائلون ذلك المجرمون والكفار كما ورد التصريح بذلك في بعضها وفي بعضها بمناسبة السياق، ويدل لذلك قوله: (وعند ذلك تخطفك النيران والعياذ بالله وينادي المنادي: ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾ فلا يبقى سبيل إلى الصياح والأنين والتنفس

والاستغاثة، فكيف ترى الآن عقلك وهذه الأخطار بين يديك؟ فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم، وإن كنت به مؤمناً وعنه غافلاً وبالاستعداد له متهاوناً فما أعظم خسرانك وطغيانك وماذا ينفعك إيمانك إذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه! فلو لم يكن بين يديك إلا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز عليه ـ وإن سلمت ـ فناهيك به هولاً وفزعاً ورعباً! قال رسول الله ﷺ: «يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجيز بأمته من الرسل، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم اللهم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان؟» قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تختطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو».

والاستغاثة، فكيف ترى الآن عقلك وهذه الأخطار بين يديك؟ فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم؟ وإن كنت) به (مؤمناً وعنه غافلاً وبالاستعداد متهاوناً فما أعظم خسرانك وطغيانك؟ وماذا ينفعك إيمانك إذا لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه؟ فلو لم يكن بين يديك إلا هول الصراط وارتياع قلبك من خطر الجواز عليه، وإن سلمت فناهيك به هولاً وفزعاً ورعباً.

قال رسول الله ﷺ: «يضرب الصراط بين ظهري) وفي لفظ بين ظهراني **(جهنم)** أي أجزائها **(فأكون)** أنا **(أول من يجيز بأمته من الرسل)** وفي لفظ: فأكون أنا وأمتي أول من يجوز. **(ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان)** وهو نبت بالبادية شوكه مفرطح **(هل رأيتم شوك السعدان»؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «فإنها مثل شوك السعدان)** في الصورة والهيئة **(غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تختطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل)** أي يصير قطعاً كالخردل **(ثم ينجو»)** الحديث بطوله. قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث طويل اهـ.

قلت: أخرجاه من حديث الزهري عن عطاء بن يزيد، عن أبي هريرة. وعند مسلم من حديث أبي هريرة وحذيفة: «ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى يعجز أعمال العباد حتى يأتي الرجل لا يستطيع السير إلا زحفاً» قال: «وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكردس في النار» وهذه الكلاليب هي الشهوات المشار إليها في الحديث: «حفت النار بالشهوات» فالشهوات موضوعة على جوانبها فمن اقتحم الشهوات سقط في النار قاله ابن العربي ويؤخذ من قوله: فمخدوش الخ أن المارين على الصراط ثلاثة أصناف: ناج

وقال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تختطف الناس يميناً وشمالاً وعلى جنبيه ملائكة يقولون: اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجري ومنهم من يسعى سعياً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حبواً، ومنهم من يزحف زحفاً، فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون، وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحماً، ثم يؤذن في الشفاعة» وذكر إلى آخر الحديث.

بلا خدش، وهالك من أول وهلة، ومتوسط بينهما مصاب ثم ينجو. وفي حديث المغيرة عند الترمذي: «شعار المؤمنين يومئذ على الصراط رب سلم رب سلم» ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين أن ينطقوا به، بل ينطق به الرسل يدعون للمؤمنين فيسمى ذلك شعاراً لهم.

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: «يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تخطف الناس يميناً وشمالاً وعلى جنبيه)** أي على طرفي الجسر **(ملائكة يقولون: اللهم سلم، فمن الناس من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس المجري، ومنهم من يسعى سعياً، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يحبو حبواً، ومنهم من يزحف زحفاً، فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون، وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحماً، ثم يؤذن في الشفاعة» وذكر إلى آخر الحديث)** وتمامه: «فيؤخذون ضبارات فيقذفون على نهر من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل. أما رأيتم الصبغاء شجرة تنبت في الغثاء فيكون في آخر من أخرج من النار رجل على شفتها فيقول: يا رب اصرف وجهي عنها. فيقول: عهدك وذمتك لا تسألني غيرها، وعلى الصراط ثلاث شجرات فيقول: يا رب حوّلني إلى هذه الشجرة آكل من ثمرها وأكون في ظلها فيقول: عهدك وذمتك لا تسألني غيرها، ثم يرى أخرى هي أحسن منها فيقول: يا رب حوّلني إلى هذه آكل من ثمرها وأكون في ظلها. فيقول: عهدك وذمتك لا تسألني غيرها. ثم يرى أخرى فيقول: يا رب حوّلني إلى هذه آكل من ثمرها وأكون في ظلها، ثم يرى سواد الناس ويسمع كلامهم فيقول: يا رب أدخلني الجنة فيعطى الدنيا ومثلها». قال العراقي: متفق عليه مع اختلاف ألفاظه اهـ.

قلت: هذا السياق بتمامه لأحمد وأبي يعلى وابن حبان والحاكم ولأحمد وعبد بن حميد من حديث أبي سعيد وأبي هريرة معاً: «آخر من يخرج من النار رجلان يقول الله عز وجل لأحدهما: يا ابن آدم ما أعددتِ لهذا اليوم؟ هل عملت خيراً قط؟ هل رجوتني؟ فيقول: لا يا رب فيؤمر به إلى النار، فهو أشد أهل النار حسرة ويقول للآخر: يا ابن آدم ما أعددت لهذا اليوم؟ هل عملت

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه ﷺ قال: « يجمع الله الأوّلين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء » وذكر الحديث إلى أن ذكر وقت سجود المؤمنين قال: « ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نور مثل الجبل

خيراً قط ورجوتني؟ فيقول: لا يا رب إلا أني كنت أرجوك فترفع له شجرة » فساق الحديث نحو السياق المتقدم.

وروى مسلم من طريق جعفر بن عون، أخبرنا هشام بن سعيد، أخبرنا زيد بن أسلم، عن عطاء ابن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال؛ قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فساق الحديث. وفيه: « إذا كان يوم القيامة نادى مناد لتلحق كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد ما كان يعبد صنماً ولا وثناً ولا صورة إلا ذهبوا يتساقطون في النار، ويبقى من كان يعبد الله وحده من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب » قال: « ثم تعرض جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً ثم يضرب الجسر على جهنم. قلنا: وما الجسر يا رسول الله بأبينا وأمنا؟ قال: « دحض مزلة له كلاليب وخطاطيف وحسك تكون بنجد يقال لها عقيقاء يقال له السعدان، فيمر المؤمن كلمح البرق وكالطرف وكالريح وكالطير وكأجود الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم، فوالذي نفسي بيده ما أحد بأشد مناشدة في الحق يراه مضيئاً له من المؤمنين في إخوانهم ».

وأول الحديث عند البخاري: « هل تمارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ هل تمارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ فإنكم ترونه كذلك يحشر الله الناس يوم القيامة » فساق الحديث وفيه: « ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته » ثم ساقه كما ساق المصنف. وقال بعد قوله « ثم ينجو » « حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن يقول لا إله إلا الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود » الحديث بطوله. وفي آخره: « حتى إذا انتهت به الأماني قال الله عز وجل لك مثل ذلك وعشرة أمثاله ». ورواه كذلك أحمد ومسلم. ورواه كذلك أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة إلا أن في حديث أبي هريرة: « لك ذلك ومثله معه ».

(وعن ابن مسعود) رضي الله عنه **(أنه ﷺ قال: « يجمع الله الأوّلين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء » وذكر الحديث إلى وقت سجود المؤمنين قال ثم يقول: « ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطي نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه،**

العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك، حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدمه فيضيء مرة ويخبو مرة فإذا أضاء قدم قدمه فمشى وإذا أظلم قام» ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم «فمنهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانقضاض الكواكب، ومنهم من يمر كشد الفرس، ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي أعطي نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وتجر أخرى وتصيب جوانبه النار» قال: «فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال: الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل».

ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدمه فيضيء مرة ويخبو مرة، فإذا أضاء قدّم قدمه فمشى، وإذا أظلم قام»، ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم: «فمنهم من يمر كطرف العين، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كشد الفرس، ومنهم كشد الرجل) أي كجريه **(حتى يمر الذي أعطى نوره على إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق أخرى، وتعلق رجل وتجر أخرى وتصيب جوانبه النار» قال: «فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال: الحمد لله لقد أعطاني ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بعد إذ رأيتها فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل»)** قال العراقي: رواه ابن عدي والحاكم وقد تقدم بعضه مختصراً اهـ.

قلت: هذا السياق بتمامه رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال. وقد روي بعض ذلك من قول ابن مسعود. روى ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه ابن مسعود وقال: «يؤتون نورهم على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، وأدناهم نوراً من نوره على إبهامه يطفأ مرة ويقد أخرى» وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: «إن من المؤمنين يوم القيامة من يضيء له نوره كما بين المدينة إلى عدن أبين إلى صنعاء فدون ذلك حتى أن من المؤمنين من لا يضيء له نوره إلا موضع قدميه» وروى أحمد ومسلم والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود: «آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئاً ما

وقال أنس بن مالك: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي وإني لأقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير».

أعطاه أحداً من الأولين والآخرين فترفع له شجرة فيقول: أي رب ادنني من هذه الشجرة» الحديث بطوله.

(وقال أنس بن مالك) رضي الله عنه: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وأن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وأن جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي وإني لأقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير**») قال العراقي: رواه البيهقي في الشعب وقال هذا إسناده ضعيف. قال: وروي عن زياد النميري عن أنس مرفوعاً: «الصراط كحد الشعرة أو كحد السيف» قال: وهي رواية صحيحة اهـ.

ورواه أحمد من حديث عائشة وفيه ابن لهيعة اهـ.

قلت وروى مسلم عن أبي سعيد قال: «بلغني أن الصراط أحد من السيف وأرق من الشعرة» وفي رواية ابن منده من هذا الوجه قال سعيد بن هلال: بلغني. ووصله البيهقي عن أنس رفعه مجزوماً به، وفي سنده لين، وقيل: إنه شعرة من جفن مالك خازن النار ولم ير له مستند، ولابن المبارك من مرسل عبيد بن عمير أن الصراط مثل السيف وبجنبيه كلاليب إنه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من ربيعة ومضر. وأخرجه ابن أبي الدنيا من هذا الوجه وفيه: «والملائكة على جنبيه يقولون رب سلم سلم» وروى ابن عساكر عن الفضيل بن عياض قال: بلغنا أن الصراط مسيرة خمس عشرة ألف سنة خمسة آلاف صعود وخمسة آلاف هبوط وخمسة آلاف مستوى أدق من الشعر وأحدّ من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه إلا ضامر مهزول من خشية الله. قال الحافظ في الفتح: وهذا معضل لا يثبت. قال: وعن سعيد بن هلال: بلغنا أن الصراط أرق من الشعرة على بعض الناس ولبعض الناس مثل الوادي الواسع. رواه ابن المبارك وهو مرسل أو معضل، وقد ذهب بعض الناس إلى أن المراد من قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] الجواز على الصراط لأنه ممدود على النار. وروي عن ابن عباس، وابن مسعود، وكعب الأحبار أنهم قالوا: الورود المرور على الصراط. وقيل: الورود الدخول. وروي ذلك عن جابر بن عبدالله مرفوعاً رواه أحمد والبيهقي بإسناد حسن. ويروى مرفوعاً: «الزالون على الصراط كثير وأكثر من يزل عنه النساء».

قال ابن الجوزي في روضة المشتاق: إذا صار الناس على طرفي الصراط نادى ملك من تحت العرش: يا فرط الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم، فيا لها من ساعة ما أعظم خوفها وأشد حرها يتقدم فيها من كان في الدنيا ضعيفاً مهيناً ويتأخر عنها من كان فيها عظيماً مكيناً، ثم يؤذن لجميعهم بعد ذلك في الجواز على الصراط على قدر أعمالهم فإذا عصف

فهذه أهوال الصراط وعظائمه، فطول فيه فكرك. فإن أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيها فكره في الدنيا، فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد، فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة. ولست أعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى لهوك ولعبك. فماذا من الخوف في شيء. بل من خاف شيئاً هرب منه، ومن رجا شيئاً طلبه، فلا ينجيك إلا خوف يمنعك عن معاصي الله تعالى ويحثك على طاعته. وأبعد من رقة النساء خوف

الصراط بأمة محمد ﷺ نادوا: وامحمداه وامحمداه! فيبادر ﷺ من شدة إشفاقه عليهم وجبريل آخذ بحجزته فينادي رافعاً صوته: «رب أمتي أمتي لا أسأل اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي» والملائكة قيام عن يمين الصراط وعن يساره ينادون رب سلم وقد عظمت الأهوال واشتدت الأوجال والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والأغلال، وينادونهم: أما نهيتم عن كسب الأوزار، أما أنذرتم كل الإنذار، أما جاءكم النبي المختار؟ اهـ نقله صاحب المواهب.

وروى القرطبي عن ابن المبارك عن عبدالله بن سلام: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأنبياء نبياً نبياً وأمة أمة ويضرب الجسر على جهنم وينادي: أين أحمد وأمته؟ فيقوم رسول الله ﷺ وتتبعه أمته برها وفاجرها حتى إذا كان على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فيتهافتون في النار يميناً وشمالاً، ويمضي النبي ﷺ والصالحون بعد فتتلقاهم الملائكة فيدلونهم على الطريق على يمينك على شمالك حتى ينتهي إلى ربه فيوضع له كرسي عن يمين العرش.

وحكى القرطبي عن بعض أهل العلم: لن يجوز أحد الصراط حتى يسأل في سبع قناطر، فأما القنطرة الأولى فيسأل عن الإيمان بالله وهو شهادة أن لا إله إلا الله فإن جاء بها مخلصاً جاز، ثم يسأل في القنطرة الثانية عن الصلاة فإن جاء بها مخلصاً جاز، ثم يسأل في القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فإن جاء به تاماً جاز، ثم يسأل في القنطرة الرابعة عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز، ثم يسأل في الخامسة عن الحج والعمرة فإن جاء بهما تامين جاز إلى القنطرة السادسة، فيسأل عن الغسل والوضوء فإن جاء بهما تامين جاز، ثم يسأل في القنطرة السابعة عن ظلمات الناس وليس في القناطر أصعب منها.

(**فهذه أهوال الصرط وعظائمه**) أي شدائده، (**فطوّل فيه فكرك فإن أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيه فكره في الدنيا، فإن الله لا يجمع على عبد بين خوفين**) كما ورد ذلك في الخبر وتقدم في الرجاء والخوف، (**فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة**) لا محالة. (**ولست أعني بالخوف رقة كرقة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السماع ثم تنساه على القرب وتعود إلى لهوك ولعبك. فماذا من الخوف في شيء. بل من خاف شيئاً هرب منه ومن رجا شيئاً طلبه**) كما ورد ذلك في الخبر وتقدم. (**فلا ينجيك**) من هول ذلك اليوم. (**إلا خوف يمنعك من معاصي الله تعالى ويحثك على طاعته وأبعد من رقة**

الحمقى إذا سمعوا الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم: استعنت بالله نعوذ بالله اللهم سلم سلم. وهم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم. فالشيطان يضحك من استعاذتهم. كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن، فإذا رأى أنياب السبع وصولته من بعد قال بلسانه: أعوذ بهذا الحصن الحصين وأستعين بشدة بنيانه وأحكام أركانه! فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فأنى يغني ذلك عنه من السبع. وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول: «لا إله إلا الله» صادقاً ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره. ومن اتخذ إلهه هواه فهو بعيد من الصدق في توحيده وأمره مخطر في نفسه، فإن عجزت عن ذلك كله فكن محباً لرسول الله ﷺ حريصاً على تعظيم سنته ومتشوقاً إلى قلوب مراعاة

النساء خوف الحمقى) الذين عدموا جوهر العقل (**إذا سمعوا**) تلك (**الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة، فقال أحدهم: استعنت بالله**) أو المستعان بالله، أو (**نعوذ بالله**) من تلك الأهوال، أو رب (**سلم سلم**) أو ما أشبه هذه الكلمات. (**وهم مع ذلك مصرون على المعاصي**) ومقيمون على القبائح والزلات (**التي هي سبب هلاكهم، فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك على من يقصده سبع ضار في صحراء ووراءه حصن**) منيع يمكنه أن يفر من بين يديه ويتحصن بذلك الحصن، (**فإذا رأى أنياب السبع وصولته من بُعد قال بلسانه: أعوذ بهذا الحصن الحصين**) من شر هذا السبع، (**واستعين بشدة بنيانه وأحكام أركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فأنى يغني عنه ذلك من السبع، وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول لا إله إلا الله صادقاً**) فمن قالها صادقاً تحصن من تلك الأهوال وأمن شرها.

وروى ابن النجار من حديث علي قال الله عز وجل: «لا إله إلا الله كلامي وأنا هو، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عقابي» ورواه الشيرازي في الألقاب بلفظ: «قال الله عز وجل إني أنا الله لا إله إلا أنا من أقرّ لي بالتوحيد دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي» وروى ابن النجار من رواية عقبة بن عامر رضي الله عنه: «من قال لا إله إلا الله يصدق لسانه قلبه دخل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء». وروى أحمد والبيهقي من حديث معاذ: «من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه دخل الجنة».

(**ومعنى صدقه أن لا يكون لك مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد عن الصدق في توحيده وأمره مخطر في نفسه**)، وهو المفهوم من خبر أبي سعيد: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة» رواه البزار والطبراني في الأوسط. (**فإن عجزت عن ذلك كله فكن محباً لرسول الله ﷺ حريصاً على تعظيم سنته ومتشوقاً إلى**

الصالحين من أمته ومتبركاً بأدعيتهم. فعساك أن تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة.

صفة الشفاعة:

اعلم إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصدّيقين، بل شفاعة العلماء والصالحين، وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة، فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه، فكن حريصاً على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة، وذلك بأن لا تحقر آدمياً أصلاً فإن الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله، ولا تستصغر معصية أصلاً، فإن الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه، ولا تستحقر أصلاً طاعة، فإن الله

مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتبركاً بأدعيتهم، فعساك أن تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتنجو بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة) والله الموفق.

صفة الشفاعة:

اعلم أنه قد أنكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة في إخراج من أدخل المذنبين النار وتمسكوا بقوله تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ [المدثر: ٤٨] وقوله تعالى: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾ [غافر: ١٨].

وأجاب أهل السنة بأن هذه الآيات في الكفار. قال القاضي عياض: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً لصريح قوله تعالى: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾ [طه: ١٠٩] وقوله: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ [الإسراء: ٧٩] المفسر بها عند الأكثرين كما سيأتي. وقد جاءت الروايات من الأخبار التي بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين. وقد أشار المصنف إلى ذلك فقال:

(اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى بفضله يقبل شفاعة الأنبياء والصديقين، بل شفاعة العلماء والصالحين وكل من له عند الله جاه وحسن معاملة، فإن له شفاعة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه، فكن حريصاً على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة، وذلك بأن لا تحقر آدمياً أصلاً، فإن الله تعالى خبأ ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر معصيته أصلاً، فإن الله تعالى خبأ غضبه في معاصيه، فلعل غضب الله فيه. ولا تستحق طاعة أصلاً فإن الله تعالى خبأ رضاه

تعالى خبأ رضاه في طاعته فلعل رضاه فيه. ولو الكلمة الطيبة أو اللقمة أو النية الحسنة أو ما يجري مجراه.

وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة. قال الله تعالى: ﴿ولسوفَ يعطيك ربك

في طاعته فلعل رضا الله فيه) نقل هذا السياق عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين كما في القوت وتقدم وساقه بأطول منه الزندويستي في كتابه روضة العلماء. **(ولو الكلمة الطيبة أو اللقمة)** الصغيرة **(أو النية الحسنة أو ما يجري مجراه)**.

(وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار) المروية **(كثيرة)** ومن أدلها **(ما قال الله تعالى)** في كتابه العزيز ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ اتفق المفسرون على أن كلمة: «عسى» من الله واجبة. قال أهل المعاني: لأن لفظه عسى تفيد الأطماع، ومن أطمع إنساناً في شيء ثم أحرمه كان عاراً والله تعالى أكرم من أن يطمع أحداً في شيء ثم لا يعطيه ذلك، فقد اختلف في تفسير المقام المحمود على أقوال:

أحدها: أنه الشفاعة قال الواحدي: أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة كما قال ﷺ في هذه الآية: «هو المقام الذي أشفع فيه» قال الفخر الرازي: اللفظ مشعر بذلك لأن الإنسان إنما يصير محموداً إذا حمده حامد والحمد إنما يكون على الإنعام، فهذا المقام المحمود يجب أن يكون مقاماً ما أنعم فيه رسول الله ﷺ على قوم فحمدوه على ذلك الإنعام، لا يجوز أن يكون هو تبليغ الدين وتعليمهم الشرع لأن ذلك كان حاصلاً في الحال. وقوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ يدل على أنه يحصل للنبي ﷺ في ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل، ومن المعلوم أن حمد الإنسان على سعيه في التخلص من العقاب أعظم من سعيه في زيادة من الثواب ولا حاجة به إليها، لأن احتياج الإنسان في دفع الآلام العظيمة عن النفس فوق احتياجه إلى تحصيل المنافع الزائدة التي لا حاجة إلى تحصيلها، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ هو الشفاعة في إسقاط العذاب على ما هو مذهب أهل السنة، ثم وردت الأخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى كما في الصحيحين من حديث ابن عمر وغيره، فيجب حمل اللفظ عليه. وقال ابن الجوزي: الأكثر على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة، وادعى الإمام فخر الدين الإتفاق عليه.

القول الثاني: في مقام الدعاء كما في حديث حذيفة عند الطبراني.

القول الثالث: مقام تحمد عاقبته وضعفها الفخر.

القول الرابع: هو إجلاسه ﷺ على العرش أو على الكرسي، وقد روي ذلك عن ابن مسعود ومجاهد، وضعفه الواحدي جداً، وبالغ في رده. وأجاب ابن عطية بقوله: وهو كذلك إذا حمل على ما يليق به. وقال الحافظ في الفتح: هو غير مدفوع لا من جهة النقل ولا من جهة النظر.

ومن شواهد الشفاعة قوله تعالى: **(﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾)** قال الحسن: هي

فترضى﴾ [الضحى: ٥]. روى عمرو بن العاص: إن رسول الله ﷺ تلا قول ابراهيم عليه السلام: ﴿ربِّ انهنَّ أضللن كثيراً من الناسِ فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفورٌ رحيمٌ﴾ [ابراهيم ٣٦]، وقول عيسى عليه السلام: ﴿أن تعذِّبهم فإنهم عبادُك﴾ [المائدة: ١١٨]، ثم رفع يديه وقال: « أمتي أمتي » ثم بكى فقال الله عز وجل: يا جبريل إذهب إلى محمد فسله ما يبكيك، فأتاه جبريل فسأله فأخبره والله أعلم به - فقال: يا جبريل إذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك. وقال ﷺ:

الشفاعة رواه ابن أبي حاتم، وروى ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شريح قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي؟ قال: أي والله! حدثني عمي محمد بن الحنفية، عن علي أن رسول الله ﷺ قال: « اشفع لأمتي حتى يناديني ربي رضيت يا محمد. فأقول: نعم يا رب رضيت ». ثم أقبل علي فقال: إنكم لتقولون يا معشر أهل العراق أرجى آية في كتاب الله: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾ [الزمر: ٥٣] قلت: إنا لنقول كذلك قال: فكلنا أهل البيت نقول إن أرجى آية في كتاب الله ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ وهي الشفاعة.

قلت: وكون أرجى آية في القرآن: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا﴾ الآية. قد رواه الشيرازي في الألقاب وابن مردويه من حديث ابن مسعود، ولا تعارض بين القولين. وقد ذكر السيوطي في الاتقان في أرجى آية في القرآن بضعة عشر قولاً. وروى ابن جرير من طريق السدي عن ابن عباس قال: في الآية من رضا محمد أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار، وعند البيهقي في الشعب من طريق سعيد بن جبير عنه بلفظ: رضاه أن تدخل أمته الجنة كلهم، وعند الخطيب في تلخيص المتشابه من وجه آخر عنه قال: لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار.

(وروى عمرو بن العاص) رضي الله عنه كذا في نسخ الكتاب وصوابه عبدالله بن عمرو **(أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم﴾ وقول عيسى عليه السلام، ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾ ثم رفع يديه وقال: « أمتي أمتي » ثم بكى فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد فسله ما يبكيك؟ فأتاه فسأله فأخبره والله أعلم به. فقال: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك)**. قال العراقي: ليس هو من حديث عمرو بن العاص، وإنما هو من حديث ابنه عبدالله بن عمرو بن العاص كما رواه مسلم، ولعله سقط من الإحياء ذكر عبدالله من بعض النساخ اهـ.

قلت: رواه مسلم عن يونس بن عبد الأعلى، حدثنا عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحرث

«اعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ، وأعطيت الشفاعة، وكل نبي بعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس

أن بكر بن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو فذكره، ورواه اللالكائي في كتاب السنة من هذا الوجه.

(وقال ﷺ: «**أعطيت خمساً**) أي من الخصال قاله في تبوك آخر غزواته (**لم يعطهن**) الفعلان مبنيان للمفعول والفاعل الله (**أحد**) من الأنبياء (**قبلي**) أي لم تجتمع لأحد منهم، أو كل واحدة لم تكن لأحد منهم فهي من الخصائص وليست خصائصه منحصرة في الخمس، بل هي تزيد على ثلاثمائة كما بينه الأئمة، والتخصيص بالعدد لا ينفي الزيادة ولا مانع من كونه اطلع أولاً على البعض ثم على البقية. فإن قيل: ذا إنما يتم لو ثبت تأخر الدال على الزيادة؟ قلنا إن ثبت فذاك وإلا حمل على أنه إخبار عن زيادة مستقبلاً عبر عنه بالماضي تحقيقاً لوقوعه: (**نصرت بالرعب**) بالضم الفزع أو الخوف مما يتوقع نزوله (**مسيرة شهر**) أي نصرني الله بالقاء الخوف في قلوب أعدائي من مسيرة شهر بيني وبينهم من سائر نواحي المدينة، وجعل الغاية شهراً إشارة إلى أنه لم يكن بين بلده وبين أحد من أعدائه أكثر من شهر إذ ذاك فلا ينافي أن ملك أمته يزيد على ذلك بكثير وهذا خصوصية له ولو بلا عسكر، وليس المراد بالخصوصية مجرد حصول الرعب بل هو وما ينشأ عنه من الظفر بالعدوّ، وفي اختصاص أمته بذلك احتمالات رجح بعضهم منها أنهم رزقوا منه حظاً وافراً، لكن ذكر ابن جماعة أنه جاء في رواية أنهم مثله. (**وأحلت لي الغنائم**) جمع غنيمة اسم لما أخذ من الكفار بقهر وغيره فيعم الفيء إذ كل منهما إذا انفرد عم الآخر، والمراد بإحلالها أنه جعل له التصرف فيها كما شاء وقسمتها كما أراد، أو المراد اختصاصه بها هو وأمته دون الأنبياء فإن منهم من لم يؤذن بالجهاد فلم تكن له غنائم، ومنهم المأذون الممنوع منها فتجيء نار فتحرقه إلا الذرية ويرجح الثانية قوله: (**ولم تحل**) يجوز بناؤه للفاعل وللمفعول (**لأحد**) من الأمم السابقة وفائدة التقييد بقوله (**قبلي**) التنبيه على المخصص عليه من الأنبياء وأنه أفضلهم حيث خص بما لم يخصوا، (**وجعلت لي الأرض**) زاد أحمد: ولأمتي (**مسجداً**) أي محل سجود ولو بغير مسجد فلا يختص بمحل بخلاف الأمم السابقة، فإن الصلاة لا تصح منهم إلا في مواضع مخصوصة من نحو بيعة أو كنيسة فابيحت الصلاة لنا بأي محل كان. ثم خص منه نحو حمام ومقبرة ومحل نجس على اختلاف المذاهب تحريماً وكراهة. (**وترابها طهوراً**) وفي رواية: وتربتها لنا طهوراً أي مطهراً، ومنهم من فسره فقال: أي طاهراً إلا أن الخصوصية هنا في التطهير لا في الطاهرية، واستدل به على أن الطهور هو المطهر لغيره لأن الطهور لو كان المراد به طاهراً لم تثبت الخصوصية، والحديث إنما سيق لإثباتها وفسر المسجد بقوله: (**فأيما رجل من أمتي**) وفائدته بشارتهم بهذا الحكم التيسيري (**أدركته الصلاة**) أي صلاة كانت (**فليصل**) بوضوء أو تيمم ذكر ذلك لدفع توهم أنه خاص به، (**وأعطيت الشفاعة**) العامة والخاصة الخاصتان فاللام للعهد إن

....

عهد اختصاص وإلا فللجنس والمراد المختصة بي، **(وكل نبي بعث إلى قومه خاصة)** وهو صريح في اختصاص عموم البعثة واستشكل بآدم فإنه بعث لجميع بنيه، وكذا نوح بعد خروجه من السفينة، وأجيب بأجوبة أصحها أن المراد البعثة إلى الاصناف والأقوام وأهل الملل المختلفة وآدم ونوح ليسا كذلك، **(وبعثت إلى الناس عامة »)** وفي رواية لمسلم: « كافة » بدل عامة. والمراد ناس في زمنه، فمن بعدهم إلى يوم القيامة، ولم يذكر الجن لأن الإنس أصل أو مقصود بالذات أو المتنازع فيه أو أكثر اعتناء أو أن الناس يشمل الثقلين بل خبر، وأرسلت إلى الخلق يفيد إرساله للملائكة كما عليه السبكي. قال العراقي: متفق عليه من حديث جابر اهـ.

قلت: روياه في الصلاة وغيرها.

ورواه أيضاً النسائي في الطهارة، والدارمي وعبد بن حميد وأبو عوانة وابن حبان ولفظهم جميعاً أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فإيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت للناس عامة ».

وروى أحمد والحكيم من حديث ابن عباس: « أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي ولا أقوله فخراً بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود، وكان النبي قبلي يبعث إلى قومه، ونصرت بالرعب أمامي مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي فهي لمن لم يشرك بالله شيئاً ».

وعند البيهقي في البعث بلفظ: « جعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً ولم يكن نبي من الأنبياء يصلي حتى يبلغ محرابه وأعطيت الرعب مسيرة شهر يكون بيني وبين المشركين مسيرة شهر فيقذف الله الرعب في قلوبهم وكان النبي يبعث إلى خاصة قومه وبعثت إلى الجن والإنس، وكانت الأنبياء يعزلون الخمس فتجيء النار فتأكله، وأمرت أن أقسمها في فقراء أمتي ولم يبق نبي إلا أعطي سؤله وأخرت شفاعتي لأمتي ».

وروى الطيالسي وأحمد والدارمي وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والضياء من حديث أبي ذر: « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي. أرسلت إلى الأبيض والأسود والأحمر، وجعلت الأرض لي مساجد، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلي، ونصرت بالرعب فيرعب العدوّ وهو مني مسيرة شهر، وقيل لي سل تعطه فاختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة منكم إن شاء الله تعالى من لقي الله عز وجل لا يشرك به شيئاً ».

وروى الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس: « أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي. أرسلت إلى الأحمر والأسود وكان النبي يرسل إلى الناس خاصة، ونصرت بالرعب حتى أن العدوّ ليخافني من مسيرة شهر أو شهرين، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لمن قبلي، وجعلت لي الأرض مسجداً

عامة »، وقال ﷺ: « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر »، وقال ﷺ: « أنا سيد ولد آدم ولا فخر وأنا أوّل من تنشق الأرض عنه وأنا أوّل شافع وأوّل مشفع بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه ». وقال

وطهوراً، وقيل لي سل تعطه فادخرت دعوتي شفاعة لأمتي فهي نائلة إن شاء الله تعالى لمن مات لا يشرك بالله شيئاً ».

وروي أيضاً من حديث ابن عمر: « أعطيت خمساً لم يعطها نبي قبلي بعثت إلى الناس كافة الأحمر والأسود وإنما كان يبعث كل نبي إلى قريته، ونصرت بالرعب يرعب مني العدوّ مسيرة شهر، وأعطيت المغنم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي ». ورواه كذلك الحكيم في النوادر.

وروى أحمد والطبراني من حديث أبي موسى: « أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي. بعثت إلى الأحمر والأسود ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي كان قبلي، وأعطيت الشفاعة وأنه ليس من نبي إلا وقد سأل شفاعة وإني أخرت شفاعتي ثم جعلتها لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً ».

(وقال ﷺ: « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر ») قال العراقي: رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي بن كعب قال الترمذي حسن صحيح اهـ.

قلت. ورواه كذلك أحمد وعبد بن حميد وأبو يعلى والروياني والحاكم والضياء.

(وقال ﷺ: « أنا سيد ولد آدم) في الدنيا والآخرة **(ولا فخر)** حال مؤكدة أي أقول هذا ولا فخر أي لا أفتخر بذلك بل فخرى بمن أعطاني هذه الرتبة، وهذا قاله للتحدث بالنعمة واعلاماً لامة ليعتقدوا فضله على جميع الأنبياء **(وأنا أوّل من تنشق الأرض عنه)** وفي رواية عن جمجمتي أي أوّل من يعجل الله إحياءه مبالغة في الإكرام وتعجيلاً لجزيل الإنعام، **(وأنا أول شافع)** يوم القيامة أو في الجنة لرفع الدرجات، وقد جاء في الخبر عند مسلم: « أنا أول شافع في الجنة » **(وأول مشفع)** بقبول شفاعته في جميع أقسام الشفاعة له **(بيدي لواء الحمد)** أي علمه يأوي تحته الأوّلون والآخرون وأضيف اللواء إلى الحمد الذي هو الثناء على الله بما هو أهله لأن ذلك هو منصبه في ذلك الوقت دون غيره من الأنبياء **(تحته آدم فمن دونه »)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري اهـ.

قلت: سياق المصنف رواه الطبراني في الكبير من حديث عبدالله بن سلام إلا أنه قال: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر » والباقي سواء.

وأما سياق حديث أبي سعيد عند الترمذي فهو: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر

ﷺ: « لكل نبي دعوة مستجابة نأريد أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة »، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: « ينصب للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها، ويبقى منبري لا أجلس عليه قائماً بين يدي ربي منتصباً مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي، فأقول: يا رب أمتي فيقول الله عز وجل: يا محمد وما تريد أن أصنع بأمتك؟ فأقول: يا رب عجل حسابهم فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكاً برجال قد بعث بهم إلى النار وحتى ان مالكاً خازن النار يقول: يا محمد ما تركت النار

وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر » ورواه كذلك أحمد وللترمذي من حديث أبي سعيد سياق آخر طويل أوله: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر فيفزع الناس ثلاث فزعات » الحديث وسيأتي تمامه. ورواه كذلك ابن خزيمة في الصحيح.

(وقال ﷺ: « لكل نبي دعوة مستجابة فاريد أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ») قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس. ورواه مسلم من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: روي ذلك من حديث أبي هريرة وجابر وأبي سعيد، فحديث أبي هريرة: رواه أحمد والشيخان بلفظ: « لكل نبي دعوة يدعو بها فأريد أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » وفي رواية لمسلم: لكل نبي دعوة مستجابة يدعو فيستجاب له فيؤتاها وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ». وفي رواية للشيخين: « لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وإني أريد إن شاء الله أن أدخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ». وفي رواية لمسلم: « لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » ورواه كذلك الترمذي وابن ماجه.

وأما حديث جابر، فرواه أحمد ومسلم وابن خزيمة بلفظ: « لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ».

وأما حديث أبي سعيد الخدري، فرواه عبد بن حميد وأبو يعلى وابن عساكر بلفظ: « كل نبي قد أعطي عطية فتنجزها وإني اختبأت عطيتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ».

(وقال ابن عباس) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: « تنصب للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري)** فارغاً **(لا أجلس عليه)** لكن أقوم **(قائماً بين يدي ربي منتصباً مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي، فأقول: يا أمتي. فيقول الله عز وجل: يا محمد وما تريد أن أصنع بأمتك؟ فأقول: يا رب عجل حسابهم فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكاً برجال قد بعث بهم إلى النار وحتى أن مالكاً خازن النار يقول: يا محمد تركت**

لغضب ربك في أمتك من بقية ». وقال ﷺ: « إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر ».

وقال أبو هريرة أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال: « أنا سيد المرسلين، يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس بعضهم لبعض: ألا

النار لغضب ربك في أمتك من بقية ») قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط وفي إسناده محمد ابن ثابت البناني ضعيف اهـ.

قلت: هو محمد بن ثابت بن أسلم روى له الترمذي ضعفه النسائي وغير واحد، وقال الحاكم لا بأس به.

(وقال ﷺ: « إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر ») قال العراقي: رواه أحمد والطبراني من حديث بريدة بسند حسن اهـ.

قلت: لكن بزيادة وشجر بعد ومدر، وكذلك رواه البغوي وابن شاهين وابن قانع والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية من حديث أنيس الأنصاري قال الطبراني: هو عندي البياضي قال الحافظ في الإصابة: روى البغوي وابن شاهين والطبراني في الأوسط من حديث عباد بن راشد، عن ميمون بن سياه، عن شهر بن حوشب قال: قام رجال خطباء يشتمون علياً ويقعون فيه، فقام رجل من الأنصار يقال له أنيس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنكم قد أكثرتم اليوم في سب هذا الرجل وشتمه، وأقسم بالله لأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر» أترون شفاعته تصل إليكم ويعجز عن أهل بيته؟ قال الطبراني في الأوسط: لا يروي عن أنيس إلا بهذا الإسناد. قال: وأنيس الذي روى هذا الحديث هو عندي البياضي له ذكر في المغازي وتبعه أبو موسى المديني.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة)** روي بالمهملة وبالمعجمة وعلى الإهمال اقتصر ابن السكيت، والمعنى قبض عليها وتناولها بمقدم أسنانه، وفرق بينهما الليث وتبعه ابن القوطية وقال ثعلب: بالمهملة يكون بأطراف الأسنان وبالمعجمة وبالأضراس وتمام البحث في شرحي على القاموس. **(ثم قال: « أنا سيد المرسلين)** وفي لفظ: « أنا سيد الناس » **(يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر)** وفي لفظ فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي، **(وتدنـو الشمس)** أي تقرب من جماجمهم كما تقدم **(فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون)** أي لما يصيبهم من المشقة والخزي **(فيقول الناس**

ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك إشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم آدم عليه السلام: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً عليه السلام، فيقولون: يا نوح أنت أوّل الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً إشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي! اذهبوا إلى ابراهيم خليل الله. فيأتون ابراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض إشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإني كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرها، نفسي نفسي! اذهبوا إلى غيري

بعضهم لبعض: **ألا ترون**) إلى ما أنتم فيه، ألا ترون (**ما قد بلغكم**) وفي رواية إلى ما بلغتم، (**ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم عليه السلام**) وفي رواية ائتوا آدم، (**فيأتون آدم فيقولون له:**) يا آدم (**أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك**) وفي رواية بزيادة وأسكنك الجنة (**اشفع**) وفي رواية ألا تشفع (**لنا عند ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولـن يغضب بعده مثله**) وفي رواية: ولا يغضب، (**وأنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته؛ نفسي نفسي**) نفسي! (**اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً عليه السلام فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه**) وفي رواية: ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا، ألا تشفع لنا إلى ربك، (**فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله**) ولا يغضب بعده مثله، (**وأنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي**) وفي رواية: دعوت بها على قومي. أي فاستجيب له فلم تبـق لي دعـوة أخـرى. وفي رواية فيقول: لست هنا كم ويذكر خطيئة سؤله ربه ما ليس له به علم كما قال تعالى: إخباراً عنه ﴿ونادى ربه﴾ [هود: ٤٥] الآية (**نفسي نفسي**) نفسي! (**اذهبوا إلى غيري. اذهبوا إلى إبراهيم خليل الله، فيأتون إبراهيم خليل الله عليه السلام فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا عند ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعـده مثـه، وإني كـنـت كـذبـت ثلاث كـذبـات**

اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك برسالته وبكلامه على الناس إشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها. نفسي نفسي! إذهبوا إلى غيري إذهبوا إلى عيسى عليه السلام، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد إشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: عيسى عليه السلام: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً. نفسي نفسي! إذهبوا إلى غيري إذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر إشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فانطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله لي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع، فارفع رأسي فأقول: أمتي أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب

ويذكرها) وفي رواية فذكرها وهي قوله: ﴿إني سقيم﴾ [الصافات: ٨٩] وقوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ [الأنبياء: ٦٣] وقوله لامرأته: قولي لهم إني أخته (نفسي نفسي) نفسي! (اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته) وفي رواية: برسالاته (وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني) قد (قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها: نفسي نفسي) نفسي! (اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى عليه السلام فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي) قد (غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً. نفسي نفسي) نفسي! (اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتوني) وفي رواية فيأتون محمداً ﷺ (فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيين) وفي رواية الأنبياء (و) قد (غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟ فانطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي) ثم (يفتح الله لي) وفي رواية عليَّ (من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه) كذا في النسخ وهكذا هو في حديث أنس عند البخاري والرواية هنا تعط بلا هاء، وهي تحتمل أن تكون هاء السكت أو ضميراً والمفعول محذوف تقديره وسل ما شئت تعط (واشفع تشفع) أي تقبل شفاعتك. (فأرفع رأسي فأقول: أمتي) يا رب (أمتي يا رب فيقال: يا محمد أدخل من

عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب »، ثم قال: « والذي نفسي بيده إن بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى ».

وفي حديث آخر: هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا ابراهيم، وهو قوله في الكوكب هذا ربي، وقوله لآلهتهم بل فعله كبيرهم هذا، وقوله: إني سقيم. فهذه شفاعة رسول الله

أمتك من لا حساب عليهم) وفي رواية عليه **(من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب » ثم قال: « والذي نفسي بيده إن بين المصراعين من مصاريع أبواب الجنة كما بين مكة وحميري)** بضم الحاء المهملة وآخره ألف مقصورة كذا في النسخ وهو تحريف من النساخ والصواب هجر، **(وكما بين مكة وبصرى »)** بضم الموحدة موضع بالشام وفي لفظ أو كما.

(وفي حديث آخر هذا السياق بعينه مع ذكر خطايا إبراهيم عليه السلام وهو قوله في الكوكب ﴿هذا ربي﴾ وقوله لآلهتهم ﴿بل فعله كبيرهم﴾ وقوله: ﴿إني سقيم﴾) قال العراقي: متفق عليه وهذه الرواية الثانية أخرجها مسلم اهـ.

قلت: وقد روياه من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة، ورواه كذلك أحمد والترمذي.

وللشيخين أيضاً من حديث أنس: « يجمع المؤمنون يوم القيامة فيهتمون لذلك فيقولون: لو استشفعنا على ربنا فأراحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول لهم آدم: لست هناكم ويذكر ذنبه الذي أصابه فيستحي ربه عز وجل من ذلك ويقول: ولكن ائتوا نوحاً فإنه أوّل رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم ويذكر لهم خطيئة سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي ربه من ذلك، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن فيأتونه فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا موسى عبداً كلمه الله وأعطاه التوراة، فيأتون موسى فيقول: لست هناكم ويذكر لهم النفس الذي قتل بغير نفس فيستحي ربه من ذلك ولكن ائتوا عيسى عبدالله ورسوله وكلمته وروحه، فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين حتى أستاذن على ربي فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي تبارك وتعالى فيدعني ما شاء أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود إليه ادعوه الثانية، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي تبارك وتعالى فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع، فارفع رأسي فاحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حداً فادخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً لربي تبارك وتعالى فيدعني ما يشاء أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد قل يسمع وسل

....

تعطه واشفع تشفع، فارفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيجد لي حداً فادخلهم الجنة، ثم أعود الرابعة فأقول: يارب ما بقي إلا من حبسه القرآن فيخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة». وهكذا رواه أيضاً الطيالسي وأحمد وعبد بن حميد والنسائي وابن خزيمة وابن حبان.

وروى مسلم والنسائي وابن خزيمة وأبو عوانة والحاكم من حديث أبي هريرة وحذيفة معاً: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة. فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك؟ إذهبوا إلى إبراهيم خليل الله فيقول: لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً وراء وراء اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً، فيأتون موسى فيقول: لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى محمد فيأتون محمداً فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرحال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول يا رب سلم سلم» الحديث. وقد تقدم تمامه عند ذكر الصراط.

وروى أحمد والنسائي والدارمي وابن خزيمة والضياء من حديث أنس: «إني لأوّل الناس تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوّل من يدخل الجنة ولا فخر، وآتى باب الجنة فإذا الجبار عز وجل مستقبلي فاسجد له فيقول: ارفع رأسك فإذا بقي من بقي من أمتي في النار قال أهل النار: ما اغني عنكم إنكم كنتم تعبدون الله ولا تشركون به شيئاً. فيقول الجبار: فبعزتي لأعتقنهم من النار فيخرجون وقد امتحشوا ويدخلون في نهر الحياة فينبتون فيه كما تنبت الحبة في غثاء السيل، ويكتب بين أعينهم هؤلاء عتقاء الله عز وجل، فيقول أهل الجنة. هؤلاء الجهنميون فيقول الجبار: بل هؤلاء عتقاء الجبار».

وروى أحمد وابن خزيمة والضياء من حديثه أيضاً: «إني لقائم أنتظر أمتي تعبر الصراط إذ جاءني عيسى فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث شاء الله لغم ما هم فيه والخلق ملجمون في العرق، وأما المؤمن فهو عليه كالزكمة. وأما الكافر فيغشاه الموت فقال: انتظر حتى أرجع إليك، فذهب نبي الله فقام تحت العرش فلقي ما لم يلق ملك مصطفى ولا نبي مرسل فأوحى الله إلى جبريل أن اذهب إلى محمد فقل له: ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع، فشفعت في أمتي أن أخرج من كل تسعة وتسعين إنساناً واحداً، فما زلت أتردد إلى ربي عز وجل فلا أقوم منه مقاماً إلا شفعت حتى أعطاني الله من ذلك أن قال: يا محمد ادخل من أمتك من خلق الله عز وجل من شهد أن لا إله إلا الله يوماً واحداً مخلصاً ومات على ذلك».

وروى أبو داود والبيهقي من حديث عامر بن سعد عن أبيه رفعه: « إني سألت ربي وشفعت لأمتي فاعطاني ثلث أمتي فخررت ساجداً شكراً لربي، ثم رفعت رأسي فسألت ربي لأمتي فأعطاني ثلث أمتي فخررت ساجداً لربي شكراً، ثم رفعت رأسي فسألت لأمتي فأعطاني الثلث الآخر فخررت ساجداً لربي ».

وروى الحاكم وابن عساكر من حديث عبادة بن الصامت: « إني لسيد الناس يوم القيامة غير فخر ولا رياء وما من الناس من أحد إلا وهو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج، وإن بيدي للواء الحمد فامشي ويمشي الناس معه حتى آتي باب الجنة فاستفتح فيقال: من هذا؟ فأقول: محمد. فيقال: مرحباً بمحمد فإذا رأيت ربي عز وجل خررت له ساجداً شكراً له فيقال: ارفع رأسك وقل تطاع واشفع تشفع، ويخرج من النار من قد احترق برحمة الله وشفاعتي ».

وروى الترمذي وابن خزيمة من حديث أبي سعيد: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » الحديث وفيه: « فيفزع الناس ثلاث فزعات: فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا آدم فاشفع لنا إلى ربك. فيقول: إني أذنبت ذنباً أهبطت منه إلى الأرض، ولكن ائتوا نوحاً فيأتون نوحاً فيقول: إني دعوت على أهل الأرض دعوة فاهلكوا، ولكن اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول: إني كذبت ثلاث كذبات ما منها كذبة إلا ما حلّ بها عن دين الله، ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول: إني قد قتلت نفساً ولكن ائتوا عيسى، فيأتون عيسى فيقول: إني عبدت من دون الله، ولكن ائتوا محمد فيأتوني فانطلق معهم فآخذ بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال: من هذا فأقول محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحباً فأخر ساجداً فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال: ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود ».

وروى ابن أبي شيبة من حديث سلمان: « يأتون محمداً فيقولون: يا نبي الله أنت فتح الله بك وختم وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وجئت في هذا اليوم وترى ما نحن فيه، فقم فاشفع لنا إلى ربنا. فيقول: أنا صاحبكم فيجوس الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة ».

وروى البخاري واللالكائي في السنة من طريق أبي الأحوص عن آدم بن علي قال: سمعت ابن عمر يقول: الناس يوم القيامة يصيرون جثاء كل أمة تتبع نبيها تقول: يلا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله مقاماً محموداً. وروى البخاري من حديث ابن عمر: « إن الشمس تدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما كذلك استغاثوا يا نوح فيقول: لست بصاحب ذلك. ثم موسى فيقول: كذلك، ثم محمد بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً ».

وروى الطبراني من حديث عبدالله بن عمرو: « يدخل من أهل هذه القبلة النار من لا يحصي عددهم إلا الله بما عصوا الله واجترموا على معصيته وخالفوا طاعته فيؤذن لي في الشفاعة فأثني على الله ساجداً كما أثني عليه قائماً فيقال: ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع ».

فصل

في الكلام على بعض ما يتعلق بالأخبار المتقدمة:

قال الحافظ في الفتح: قد استشكل في حديث البخاري قولهم لنوح: أنت أول الرسل من أهل الأرض، فإن آدم نبي مرسل، وكذا شيت وإدريس وهم قبل نوح. وأجيب بما حاصله: إن الأوّلية مقيدة بقوله أهل الأرض، لأن آدم ومن ذكر معه لم يرسلوا إلى أهل الأرض أو أن الثلاثة كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلاً، وإلى هذا جنح ابن بطال في حق وتعقبه القاضي عياض بما صححه ابن حبان من حديث أبي ذر، فإنه كالصريح في أنه كان مرسلاً، وفيه التصريح بإنزال الصحف على شيث وهو من علامات الإرسال ومن الأجوبة أن رسالة آدم كانت إلى بنيه وهم موجودون ليعلمهم شريعته، ونوح رسالته كانت إلى قوم كفار يدعوهم إلى التوحيد وذكر المصنف رحمه الله تعالى في الدرة الفاخرة أن بين إتيان أهل الموقف آدم وإتيانهم نوحاً ألف سنة، وكذا بين كل نبي ونبي إلى نبينا ﷺ. قال الحافظ في الفتح: ولم أقف لذلك على أصل، ولقد أكثر في هذا الكتاب من إيراد أحاديث لا أصول لها، فلا يغتر بشيء منها، ووقع في رواية حذيفة وأبي هريرة معاً قول الخليل عليه السلام: إنما كنت خليلاً من وراء وراء هو يفتح الهمزة بلا تنوين، ويجوز البناء على الضم للقطع عن الإضافة نحو من قبل ومن بعد، واختاره أبو البقاء ويجوز فيه النصب والتنوين جوازاً جيداً، والمعنى لم أكن في التقريب والإدلال بمنزلة الحبيب، وقيل: المراد أن الفضل الذي أعطيته كان بسفارة جبريل، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله بلا واسطة، وكرر وراء إشارة إلى نبينا ﷺ لأنه حصلت له الرؤيا والسماع بلا واسطة فكأنه قال: أنا من وراء موسى الذي هو وراء محمد، وأما ما ذكره من الكلمات الثلاث فقال البيضاوي: الحق أنها إنما كانت في معاريض الكلام، لكن لما كانت صورتها صورة الكذب اشفق منها استقصاراً لنفسه عن الشفاعة، لأن من كان أعرف بالله وأقرب إليه منزلة كان أعظم خوفاً. وأما قوله عن عيسى أنه لم يذكر ذنباً فوقع في حديث ابن عباس عند أحمد والنسائي: إني اتخذت إلهاً من دون الله. وفي حديث أنس عند أحمد وابن خزيمة إني لقائم أنتظر أمتي عند الصراط الخ أفادت هذه الرواية تعيين موقف النبي ﷺ حينئذ، وإن هذا الذي وصف من كلام أهل الموقف كله يقع عند نصب الصراط بعد تساقط الكفار في النار، وإن عيسى هو الذي يخاطب نبينا ﷺ، وأن جميع الأنبياء يسألونه في ذلك. وفي حديث سلمان عند ابن أبي شيبة: حتى ينتهي إلى باب الجنة قد يقال: ما الحكمة في انتقاله ﷺ من مكانه إلى الجنة؟ أجيب بأن أرض الموقف لما كانت مقام عرض وحساب كانت مكان مخافة وإشفاق، ومقام الشافع يناسب أن يكون في مكان إكرام. وفي حديث أبي بن كعب عند أبي يعلى: فاسجد له سجدة يرضى بها عني ثم أمتدحه بمدحة يرضى بها عني. وفي حديث أبي بكر الصديق: فينطلق إليه جبريل فيخر ساجداً قدر جمعة فيقال: يا محمد ارفع رأسك. وفي حديث

....

أنس فأوحى الله إلى جبريل أن اذهب إلى محمد فقل له ارفع رأسك، وعلى هذا فالمعنى يقول على لسان جبريل، والظاهر أنه ﷺ يلهم التحميد قبل سجوده وبعده، وفيه: ويكون في كل مكان ما يليق به فإنه ورد في رواية: فاقوم بين يديه فيلهمني بمحامد لا أقدر عليها ثم أخر ساجداً. وفي رواية فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني. وفي رواية: فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد. وعند البخاري من حديث أنس: ثم اشفع فيحد لي حداً. قال الطيبي: أي يبين لي كل طور من أطوار الشفاعة حداً أقف عنده فلا أتعداه مثل أن يقول: شفعتك فيمن أخل بالجماعة، ثم فيمن أخلّ بالصلاة، ثم فيمن شرب الخمر، ثم فيمن زنـى هكذا وهكذا على هذا الأسلوب، والذي يدل عليه سياق الأخبار أن المراد بها تفصيل مراتب المخرجين في الأعمال الصالحة. وفي رواية ثابت عند أحمد فأقول: أي رب أمتي أمتي فيقول أخرج من كان في قلبه مثقال حبة من حنطة ثم شعيرة، وزاد في حديث سلمان ثم حبة خردل، وفي رواية أبي سعيد عند مسلم ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير. قال عياض قيل معنى الخير اليقين، وأما قوله في رواية أنس عند البخاري: فاخرجهم من النار، فقال الداودي: كان راوي هذا الحديث ركب شيئاً على غير أصله، وذلك أن أول الحديث في الشفاعة في الإراحـة من كرب الموقف وفي آخره ذكر الشفاعة في الإخراج من النار. يعني: وذلك إنما يكون بعد التحوّل من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار، ثم تقع بعد ذلك الشفاعة في الإخراج وهو إشكال قوي. وقد أجاب عنه النووي تبعاً لعياض بأنه قد وقع في حديث حذيفة وأبي هريرة فيأتون محمداً ويؤذن له في الشفاعة وترسل معه الأمانة والرحم فيقومان جنبي الصراط أي يقفان في ناحيته، فبهذا ينفصل الكلام لأن الشفاعة التي لجأ الناس إليه فيها هي لإراحة الناس من كرب الموقف، ثم تجيء الشفاعة في الإخراج انتهى.

والمعنى في قيام الأمانة والرحم أنهما لعظم شأنهما ومخافة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان للأمين والخائن وللواصل والقاطع فيحاجان عن المحق، ويشهـدان على المبطل. وقد وقع في حديث أبي هريرة بعد ذكر الجمع في الموقف الأمر بإتباع كل أمة ما كانت تعبد، ثم يميز بين المنافقين من المؤمنين ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه، فكان الأمر بإتباع كل أمة ما كانت تعبد هو أوّل فصل القضاء والإراحة من كرب الموقـف، وبهذا تجمع متون الأحاديث وتترتب معانيها، وقد ظهر أنه ﷺ أوّل ما يشفع ليقضي بين الخلق أوان الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط تقع بعد ذلك، وأن العرض والميزان وتطاير الصحف يقع في هذا الموطن ثم ينادي: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فتسقط الكفار في النار، ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين بالامتحان بالسجود عند كشف الساق، ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه فيطفأ نوّر المنافقين فيسقطون في النار أيضاً، ويمر المؤمنون عليه إلى الجنة، فمن العصاة من يسقط ويوقف بعض من نجا عند القنطرة للمقاصصة بينهم ثم يدخلون الجنة.

....

فصل

في تفصيل الشفاعات هي خمس كما قاله النووي تبعاً لعياض:

الأولى: في الإراحة من هول الموقف.

الثانية: في إدخال قوم الجنة بغير حساب.

الثالثة: في إدخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب أن لا يعذبوا.

الرابعة: في إخراج من أدخل النار من العصاة.

الخامسة: في رفع الدرجات اهـ.

قال العراقي: في شرح التقريب: وإنما أنكر الخوارج وبعض المعتزلة من هذه الأقسام إخراج قوم من النار بعد دخولهم فيها، والشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب ولا عذاب، وفي قوم حوسبوا واستوجبوا النار في عدم دخولهم إياها، فهذه أقسام ثلاثة ولم ينكروا الشفاعة العظمى للإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب والشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها اهـ.

ولكل هذه الأقسام دلائل مستنبطة من الاخبار المتقدم، فالشفاعة الأولى: يدل عليها حديث أبي هريرة المتقدم، وحديث أنس: حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم، وأما الثانية: فيدل عليها ما في آخر حديث أبي هريرة المتقدم: فارفع رأسي فأقول: أمتي يا رب أمتي، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن. وأما الثالثة: فيدل عليها قوله في حديث حذيفة: ونبيكم على الصراط يقول رب سلم. وأما الرابعة: فحديث عمران بن الحصين عند البخاري: يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين. وأما الخامسة: وهي في رفع الدرجات فقال النووي في الروضة: إنها من خصائصه ﷺ ولم يذكر لذلك مستنداً، وقد ذكر القاضي عياض شفاعة سادسة وهي شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب كما في الصحيح وجدته في غمرات النار فأخرجته إلى ضحضاح، وزاد بعضهم سابعة وهي الشفاعة لأهل المدينة لحديث: كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة. وتعقبه الحافظ في الفتح بأن متعلقها لا يخرج عن واحد من الخمس المذكورة، وبأنه لو عدّ مثل ذلك لعد حديث عبد الملك بن عباد رفعه: «أوّل من أشفع له أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف». رواه البزار. وأخرى لمن زار قبره الشريف، وأخرى لمن أجاب المؤذن ثم ﷺ، وأخرى في التجاوز عن تقصير الصلحاء، لكن هذه مندرجة في الخامسة. وزاد القرطبي: «أنه أوّل شافع في دخول أمته الجنة قبل الناس» وزاد في الفتح أخرى فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة وهم أهل الأعراف، وشفاعة أخرى وهي شفاعته ﷺ فيمن قال لا إله إلا الله ولم يعمل خيراً قط كما في حديث أنس قالوا: ويرد على الخمسة أربعة وما عداها لا يرد كما لا ترد الشفاعة في التخفيف عن صاحبي القبرين وغير ذلك لكونه من جملة أحوال الدنيا.

فإن قلت: فأي شفاعة ادخرها ﷺ لأمته؟ أما الأولى: فلا تختص بهم بل هي لإراحة الجمع

كلهم وهي المقام المحمود كما تقدم، وكذلك باقي الشفاعات. الظاهر أنه يشاركهم فيها بقية الأمم. والجواب: أنه يحتمل أن المراد الشفاعة العظمى التي للإراحة من هول الموقف وهي وإن كانت غير مختصة بهذه الأمم لكنهم الأصل فيها وغيرهم تبع لهم، ويحتمل أن تكون الشفاعة الثانية وهي التي في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهي المختصة بهذه الأمة، فإن الحديث الوارد فيها: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب». ولم ينقل ذلك في بقية الأمم ويحتمل أن يكون المراد مطلق الشفاعة المشتركة بين الشفاعات الخمس، وكون هذه الأمة يشاركونهم فيها أو في بعضها لا ينافي أن يكون عليه السلام أخر دعوته بشفاعته لأمته، فلعله لا يشفع لغيرهم من الأمم بل يشفع لهم أنبياؤهم، ويحتمل أن تكون لغيرهم تبعاً كما تقدم مثله في الشفاعة العظمى، والله أعلم.

فصل

ومما يدل على إثبات مطلق الشفاعة ما قال الترمذي في السنن: حدثنا عبد الله بن الصباح، حدثنا بدل بن محبر، حدثنا حرب بن ميمون أبو الخطاب، حدثنا النضر بن أنس عن أبيه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال «أنا فاعل» قال: قلت يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال «أول ما تطلبني على الصراط» قال: قلت فإن لم ألقك على الصراط؟ قال «فاطلبني عند الميزان» قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «فاطلبني عند الحوض فإني لا اخطىء هذه الثلاثة مواطن» قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قال الحافظ ابن ناصر الدين في منهاج السلامة: وقد روي من وجه آخر إلى حرب رواه القاسم بن عبد الله الروذباري فقال: حدثنا إسحاق بن الحسن الحربي، حدثني حرمي بن حفص، حدثنا حرب بن ميمون الأنصاري، حدثنا النضر بن أنس، عن أنس بن مالك قال: قلت يا رسول الله خويدمك أنس اشفع له يوم القيامة. قال «أنا فاعل» قلت: فأين أطلبك؟ قال: «اطلبني أول ما تطلبني عند الصراط فإن وجدتني وإلا فأنا عند الميزان فإن وجدتني وإلا عند حوضي لا أخطىء هذه الثلاثة المواضع» وحدث به ابن أبي خيثمة في تاريخه مختصراً عن حرمي بن حفص، وحدث به الإمام أحمد في مسنده عن يونس عن حرب فذكره هذا حديث رجاله ثقات سوى حرب بن ميمون.

ومن أحاديث الشفاعة ما رواه الترمذي والبيهقي من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ثابت، عن أنس رفعه «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم. وقال الترمذي: إنه حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وقال البيهقي: إنه اسناد صحيح، وأخرجه أيضاً هو وأحمد وأبو داود وابن خزيمة من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بلفظ «الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي» وهو وحده من طريق مالك بن دينار عن أنس بزيادة وتلا هذه الآية: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ [النساء: ٣١] الآية. ومن طريق يزيد الرقاشي عن أنس بلفظ: قلنا يا رسول الله لمن تشفع؟ قال «لأهل الكبائر من أمتي وأهل العظائم وأهل الدماء». ومن

ﷺ ، ولآحاد أمته من العلماء والصالحين شفاعة أيضاً حتى قال رسول الله ﷺ : « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر » . وقال ﷺ : « يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله » .

طريق زياد النميري عن أنس بلفظ « إن شفاعتي أو أن الشفاعة لأهل الكبائر » . وفي الباب عن جابر وكعب بن عجرة وحذيفة بن اليمان وغيرهم ، وقد تقدم شيء من ذلك في كتاب التوبة .

(فهذه شفاعة رسول الله ﷺ ، ولآحاد أمته من العلماء والصالحين شفاعة أيضاً حتى قال رسول الله ﷺ « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر ») قال العراقي : رويناه في جزء ابن عمرو بن السماك من حديث أبي أمامة إلا أنه قال « مثل أحد الحيين ربيعة ومضر » وفيه : فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل هو عثمان بن عفان وإسناده حسن ، وللترمذي وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن أبي الجدعاء « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من تميم » قالوا : سواك يا رسول الله؟ قال « سواي » قال الترمذي : حسن صحيح . وقال الحاكم : صحيح قيل : أراد بالرجل أويساً انتهى .

قلت : سياق المصنف رواه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي وابن عساكر عن الحسن مرسلاً . قال الحسن : هو أويس القرني .

وأما حديث أبي أمامة ، فرواه شبابة بن سوار وغيره ، حدثنا حريز بن عثمان ، عن عبد الله بن ميسرة وحبيب بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة . قال الذهبي : حديث صالح السند غريب . قال : ويروى بإسناد لا يصح عن ابن عباس مرفوعاً « ليدخلن بشفاعة عثمان الجنة سبعون ألفاً » .

قلت : رواه الطبراني في الكبير .

وأما حديث عبد الله بن أبي الجدعاء ؛ فرواه الثوري ويزيد بن زريع ، عن خالد الحذاء ، عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال : جلست إلى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ منهم ابن أبي الجدعاء فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ليدخلن الجنة » فساقه وزاد يزيد عن الحذاء في حديثه قال : أظن الرجل عثمان ولم يسم يزيد في حديثه ابن أبي الجدعاء بل قال : رجل قاله الذهبي .

قلت : رواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب . ورواه البيهقي في الدلائل قال : وليس لابن أبي الجدعاء غيره . ورواه ابن عساكر من حديث ابن عباس ، ورواه أبو نعيم وابن عساكر أيضاً من حديث واثلة بن الأسقع وقد تقدم . ورواه هناد من حديث الحرث بن أقيس وليس له غيره « إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من ربيعة ومضر » ورواه أحمد وأبو يعلى بلفظ « لمن يشفع لأكثر من ربيعة ومضر » .

(وقال ﷺ : « يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله ») قال العراقي : رواه الترمذي من حديث أبي سعيد

وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: « إن رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول: يا فلان هل تعرفني؟ فيقول: لا والله ما أعرفك من أنت؟ فيقول: أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة ماء فسقيتك، قال: قد عرفت، قال: فاشفع لي بها عند ربك! فيسأل الله تعالى ذكره ويقول: إني أشرفت على أهل النار فناداني رجل من أهلها فقال: هل تعرفني؟ فقلت: لا، من أنت؟ فقال: أنا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك فشفعني فيه، فيشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من النار »، وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « أنا أول

« إن من أمتي من يشفع للفئام، ومنهم من يشفع للقبيلة » الحديث. وقال حسن، وللبزار من حديث أنس « إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة والقبيلة » اهـ.

قلت: حديث أبي سعيد رواه أيضاً أحمد وأبو يعلى وابن خزيمة وتمامه « ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة » وأما حديث أنس؛ فرواه أيضاً ابن خزيمة بلفظ « يشفع للرجلين والثلاثة والرجل للرجل ». وروى الطبراني من حديث أبي أمامة « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من عدد من مضر، ويشفع الرجل في أهل بيته، ويشفع على قدر عمله ».

ومما يدل على إثبات الشفاعة لغير الأنبياء ما رواه ابن ماجه من حديث عثمان « يشفع يوم القيامة ثلاثة: الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء » وروى أبو داود والطبراني والبيهقي من حديث أبي الدرداء « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته يوم القيامة ».

(وقال أنس) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: « إن رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول: يا فلان هل تعرفني؟ فيقول: لا والله ما أعرفك من أنت؟ فيقول: أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة ماء فسقيتك. قال: قد عرفت. قال: فاشفع لي بها عند ربك، فيسأل الله تعالى ذكره ويقول: إني أشرفت على أهل النار فناداني رجل من أهلها فقال: هل تعرفني؟ فقلت: لا من أنت؟ فقال: أنا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك فشفعني فيه فشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من النار »**) قال العراقي: رواه أبو يعلى بسند ضعيف وله عنده إسنادان: أحدهما حسن بالفاظ أخر انتهى.

قلت: لفظ أبي يعلى « إن الرجل من أهل الجنة يشرف على أهل النار » وفيه « فيقول: لا والله ما أعرفك من أنت؟ ويحك ». وفيه « فيدخل ذلك الرجل على الله في زوره فيقول: يا رب إني أشرفت » والباقي سواء.

(وعن أنس) رضي الله عنه (**قال: قال رسول الله ﷺ: « أنا أوّل الناس خروجاً إذا**

الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر »، وقال رسول الله ﷺ : « إني أقوم بين يدي ربي عز وجل فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري ».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم : عجباً إن الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ ابراهيم خليلاً ! وقال آخر : ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليماً ! وقال آخر : فعيسى كلمة الله وروحه ! وقال آخر : آدم اصطفاه الله ، فخرج عليهم ﷺ وقال : « قد سمعت كلامكم وتعجبكم إن ابراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نجي الله وهو كذلك ، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم

بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا يئسوا لواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ») . قال العراقي : رواه الترمذي وقال حسن غريب اهـ .

قلت : ورواه الدارمي كذلك في رواية للترمذي بعد قوله : « إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وخطيبهم إذا انصتوا وشفيعهم إذا حبسوا » وفي آخره زيادة « يطوف علي ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور » وروى ابن النجار من حديث أم كرز بلفظ « أنا سيد المرسلين إذا بعثوا وسابقهم إذا وردوا ومبشرهم إذا أبلسوا وإمامهم إذا سجدوا وأقربهم مجلساً إذا اجتمعوا . أتكلم فيصدقني وأشفع فيشفعني وأسأل فيعطيني » .

(**فقال رسول الله ﷺ : « فاكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري »**) قال العراقي : رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح انتهى .

قلت : وأول الحديث عنده « أنا أول من تنشق عنه الأرض فاكسى » الخ .

(**وقال ابن عباس**) رضي الله عنهما : (**جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم : عجباً إن الله عز وجل اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ ابراهيم خليلاً . وقال الآخر : ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليماً . وقال الآخر : فعيسى كلمة الله وروحه ! وقال آخر : آدم اصطفاه الله . فخرج عليهم فسلم وقال : « قد سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نجي الله وهو كذلك ، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول**

القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر».

صفة الحوض:

اعلم أن الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا ﷺ وقد اشتملت الأخبار على وصفه، ونحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه، فإن من صفاته أن من شرب منه لم يظمأ أبداً. قال أنس: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه

شافع وأوّل مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر») قال العراقي: رواه الترمذي وقال غريب اهـ.

قلت لا انه قال: فيدخلنيها بدل فادخلها والباقي سواء. ورواه الديلمي مقتصراً على قوله «أنا أوّل من يأخذ بحلقة باب الجنة فيفتحها الله لي فيدخلنيه الله ومعي فقراء المؤمنين، وأنا سيد الأولين والآخرين من النبيين ولا فخر» وروى ابن النجار من حديث أنس «أنا أوّل من يدق باب الجنة فلم تسمع الآذان أحسن من طنين الحلق على تلك المصاريع» وروى أحمد وأبو يعلى والدارمي والترمذي من حديثه أيضاً «أنا أوّل من يأخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها» وعند مسلم عنه «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة وأنا أوّل من يقرع باب الجنة».

صفة الحوض:

(اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله به نبينا ﷺ، وقد اشتملت الأخبار على وصفه، ونحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه، فإن من صفاته أن من شرب منه لم يظمأ أبداً). لما فرغ المصنف من بيان أحوال الموقف من شدة الازدحام والانضمام واجتماع الانس والجان ومن يجمع معهم من سائر أصناف الحيوان وانضغاطهم وتدافعهم واختلاطهم وقرب الشمس منهم وما يزاد في حرها ويضاعف في وهجها ولا ظل هناك إلا ظل عرش ربك مع انضمام ذلك من حرّ الناس لتزاحم الناس واحتراق القلوب لما غشيها من الكروب، ولا ريب أن هذا موجب لحصول العطش في ذلك اليوم وكثرة الالتهاب والماء، ثم آخر موجود وأعظم مفقود فلا منهل مورود إلا حوض صاحب المقام المحمود ﷺ، فذكر صفة الحوض ولا شك في كونه مكرمة عظيمة، وكونه خص به نبينا ﷺ فهو المشهور الذي لا يعرف سواه.

قال القرطبي في المفهم مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله تعالى قد خص حبيبه ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، إذ روى ذلك عنه ﷺ من الصحابة ما نيف على الثلاثين منهم في

....

الصحيحين ما نيف على العشرين وفي غيرها بقية ذلك كما صح نقله واشتهرت رواته، ثم رواه عن المذكورين من التابعين أمثالهم، ومن بعدهم أضعافهم وهلم جرا. واجتمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف اهـ.

ومنهم من قال: إن لكل نبي من الأنبياء حوضاً هناك يقوم عليه كنبينا ﷺ، ففي حديث سمرة عند الترمذي «إن لكل نبي حوضاً» كما يأتي للمصنف. ورواه ابن أبي الدنيا من مرسل الحسن وزاد «وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من أمته ألا وأنهم يتباهون أيهم أكثر تبعاً وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً».

وروى الطبراني من حديث أبي سعيد «وكل نبي يدعو أمته ولكل نبي حوض، فمنهم من يأتيه الفئام، ومنهم من يأتيه العصبة، ومنهم من يأتيه الواحد، ومنهم من يأتيه الاثنان، ومنهم من لا يأتيه أحد، وإني لاكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة». فإن ثبت ما في هذه الأخبار، فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه، فإنه لم ينقل نظيره لغيره، ووقع الامتنان عليه به في سورة الكوثر كذا في الفتح، وأما ما ذكر من صفاته: أن من شرب منه لم يظمأ أبداً. فقد ثبت ذلك في أخبار الحوض، ومنه ما يأتي ذكره للمصنف، ومن حديث أنس عند البزار «ومن شرب منه شربة لم يظمأ أبداً ومن لم يشرب منه لم يرو أبداً» وزاد في حديث أبي امامة عند أحمد وابن حبان «ولم يسود وجهه أبداً» وفي حديث عبد الله بن عمرو «من شرب منه لا يظمأ أبداً».

فصل

في تعيين محله:

قال القرطبي في التذكرة: ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن الحوض يكون بعد الصراط، وذهب آخرون إلى العكس، والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين: أحدهما في الموقف قبل الصراط، والآخر داخل الجنة، وكل منهما يسمى كوثراً. وتعقبه الحافظ في الفتح بأن الكوثر نهر داخل الجنة وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثراً لكونه يمدّ منه، فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي أن الحوض يكون قبل الصراط لأن الناس يردون الموقف وهو عطاش فيرد المؤمنون وتتساقط الكفار في النار بعد أن يقولوا: ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كأنها سراب، فيقال: ألا ترون فيظنونها ماء فيتساقطون فيها. وفي حديث أبي ذر مما رواه مسلم «إن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة» وهو حجة على القرطبي لا له، لأن الصراط جسر جهنم وهو بين الموقف والجنة، والمؤمنون يمرون عليه لدخول الجنة، فلو كان الحوض دونه لحالت النار بين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض. وظاهر الحديث: أن الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها. وقال عياض: ظاهر قوله ﷺ: «من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً» يدل على أن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار، لأن ظاهر حال من لم يظمأ أن لا يعذب بالنار، ولكن

متبسماً فقالوا له: يا رسول الله لم ضحكت؟ فقال: «آية أنزلت علي آنفاً» وقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر﴾ حتى ختمها ثم قال: «هل تدرون ما الكوثر»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء»، وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك

يحتمل أن من قدر عليه التعذيب منهم أن لا يعذب فيها بالظمأ بل بغيره والله أعلم. وقد شرع المصنف في ذكر الأخبار الواردة في الحوض فقال:

(قال أنس) رضي الله عنه: (**أغفى رسول الله ﷺ اغفاءة فرفع رأسه متبسماً فقالوا له: يا رسول الله لم ضحكت؟ فقال «آية انزلت علي آنفاً وقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ★ إنا أعطيناك الكوثر﴾ حتى ختمها ثم قال: هل تدرون ما الكوثر؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال «إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء»**) قال العراقي: رواه مسلم انتهى.

قلت: وكذلك رواه ابن أبي شيبة وأحمد وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في السنن ولفظهم جميعاً «إنه أنزلت علي آنفاً سورة فقرأ» وفي رواية لهم «آنيته عدد الكواكب» ولفظ ابن أبي شيبة «وعدني ربي عليه خير كثير هو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم» وعند الجميع زيادة في آخره «يختلج العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتي فيقال: إنك لا تدري ما أحدث بعدك». ورواه مسلم والبيهقي من وجه آخر بلفظ «ثم رفع رأسه فقرأ» الخ قال البيهقي: والمشهور فيما بين أهل التفسير والمغازي أن هذه السورة مكية، وهذا اللفظ لا يخالفه فيشبه أن يكون أولى.

قلت: وكون هذه السورة مكية روي عن ابن عباس وابن الزبير وعائشة. نقل ذلك ابن مردويه في التفسير وقد روي عن أنس حديث الحوض بألفاظ مختلفة. منها هذا الذي ذكر.

ومنها قوله: (**وقال أنس**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوّف. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر»**) قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن صحيح، ورواه البخاري من قول أنس: لما عرج بالنبي ﷺ الحديث. وهو مرفوع، وان لم يكن صرح به عن النبي ﷺ اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن حبان ولفظهم «بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوّف. قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله، ثم ضرب بيده إلى

أذفر »، وقال: كان رسول الله ﷺ يقول: « ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعاء ـ أو مثل ما بين المدينة وعمان ـ ».

وروى ابن عمر: إنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾، قال رسول الله ﷺ: « هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب، شرابه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل

طينه فاستخرج مسكاً ثم رفعت لي سدرة المنتهى فرأيت عندها نوراً عظيماً » وفي بعض ألفاظه « دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء فإذا مسك أذفر. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله » هكذا رواه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه.

ومنها قوله: (**وقال**) أنس أيضاً: (**كان رسول الله ﷺ يقول « ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعاء ـ أو مثل ما بين المدينة وعمان ـ »**) صنعاء مدينة باليمن، وعمان ضبطه ابن الأثير بتشديد الميم وقال: إنها مدينة قديمة بالشام من أرض البلقاء، فأما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين اهـ.

قال العراقي: رواه مسلم اهـ.

قلت: ورواه أيضاً الطيالسي وأحمد وابن ماجه وأبو عوانة وأبو يعلى وابن حبان ولفظهم جميعاً: ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة ـ أو كما بين المدينة وعمان ـ ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء أو أكثر » وروى أحمد وابن المنذر وابن مردويه عن أنس أنه قرأ هذه الآية ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ قال، قال رسول الله ﷺ: « أعطيت الكوثر فإذا هو نهر في الجنة يجري ولم يشق شقاً وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدي إلى تربته فإذا هو مسكة ذفرة وإذا حصاؤه اللؤلؤ » فهذه روايات ثلاثة لحديث أنس.

وروى أحمد والترمذي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه من حديثه ان رجلاً قال: يا رسول الله ما الكوثر؟ قال: « نهر في الجنة أعطانيه ربي لهو أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر » قال عمر: يا رسول الله إنها الناعمة: قال « آكلها انعم منها يا عمر ». ورواه هناد بلفظ « الكوثر نهر كما بين صنعاء إلى أيلة من أرض الشام آنيته عدد نجوم السماء يرده طير لها أعناق كأعناق البخت آكلها أنعم منها » وروى ابن مردويه من حديثه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فقال: « قد أعطيت الكوثر » قلت: يا رسول الله ما الكوثر؟ قال: « نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب لا يشرب منه أحد فيظمأ، ولا يتوضأ أحد فيتشعث أبداً، لا يشرب منه من أخفر ذمتي ولا من قتل أهل بيتي ».

(وروى ابن عمر رضي الله عنه انه لما نزل قوله تعالى: ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ قال رسول الله ﷺ: « هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرابه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من

وأطيب ريحاً من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان » ، وقال ثوبان ـ مولى رسول الله ﷺ ـ قال رسول الله ﷺ : « إن حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، أوّل الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين » ، فقال عمر بن الخطاب : ومن هم يا رسول الله؟ قال : « هم الشعث رؤوساً الدنس ثياباً الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد » فقال عمر بن عبد العزيز : والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة

العسل وأطيب ريحاً من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان») قال العراقي : رواه الترمذي مع اختلاف لفظ وقال : حسن صحيح . ورواه الدارمي في مسنده وهو أقرب إلى لفظ المصنف اهـ .

قلت : رواه الترمذي من طريق عطاء بن السائب قال : قال لي محارب بن دثار ما قال سعيد بن جبير في الكوثر؟ قلت : حدثنا عن ابن عباس انه قال : هو الخير الكثير . فقال : صدقت . والله إنه للخير الكثير ، ولكن حدثنا ابن عمر قال : نزلت ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ فقال رسول الله ﷺ : « الكوثر نهَر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت ، تربته أطيب ريحاً من المسك ، وماؤه أحلى من العسل وأشد بياضاً من الثلج » وهكذا رواه الطيالسي وابن أبي شيبة وأحمد وهناد وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه ، وعند أحمد والطبراني من حديث ابن عمر « حوضي كما بين عدن وعمان أبرد من الثلج وأحلى من العسل وأطيب ريحاً من المسك أكاويبه مثل نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، أوّل الناس وروداً عليه صعاليك المهاجرين الشعثة رؤوسهم الشحبة وجوهم الدنسة ثيابهم الذين لا تفتح لهم السدد ولا ينكحون المتنعمات ، الذين يعطون كل الذي عليهم ولا يأخذون الذي لهم » .

(وقال ثوبان) بن بجدد **(مولى رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : « إن حوضي ما بين عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً ، أول الناس وروداً عليه فقـراء المهـاجـريـن » فقال عمر بن الخطاب)** رضي الله عنه : **(ومن هم يا رسول الله ؟ قال : « هم الشعث رؤوساً ، الدنس ثياباً ، الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد »)** قال العراقي : رواه الترمذي وقال غريب وابن ماجه اهـ .

قلت : قال الترمذي : حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثنا يحيى بن صالح ، حدثنا محمد بن مهاجر ، عن العباس ، عن أبي سلام الحبشي قال : بعث إلي عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد ، فلما دخل عليه قال : يا أمير المؤمنين لقد شق على مركبي البريد ، فقال : يا أبا سلام ما أردت أن أشق عليك ، ولكن بلغني عنك حديث تحدثه عن ثوبان عن النبي ﷺ في الحوض فأحببت أن تشافهني

بنت عبد الملك وفتحت لي أبواب السدد إلا أن يرحمني الله، لا جرم لا أدهن رأسي حتى يشعث ولا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ.

وعن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية، من شرب منه لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وأيلة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل».

به. قال أبو سلام: حدثني ثوبان، عن رسول الله ﷺ قال: «حوضي من عدن إلى عمان البلقاء» فساقه وليس فيه ذكر عمر بن الخطاب. وقال «ولا تفتح لهم السدد».

(فقال عمر بن عبد العزيز) رحمه الله تعالى: **(والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك)** بن مروان بن الحكم **(وفتحت لي أبواب السدد إلا أن يرحمني الله لا جرم لا أدهن رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ)**، لفظ الترمذي قال عمر: لكني نكحت المتنعمات وفتحت لي السدد، نكحت فاطمة بنت عبد الملك، لا جرم أني لا أغسل رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ. قال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان، عن النبي ﷺ وأبو سلام اسمه ممطور اهـ.

وقد رواه الحاكم بهذا اللفظ، وقال ابن ماجه في سننه: حدثنا محمود بن خالد الدمشقي، حدثنا مروان بن محمد، حدثني العباس بن سالم الدمشقي قال: نبئت عن أبي سلام الحبشي قال: بعث إلي عمر بن عبد العزيز فأتيته وذكر الحديث بطوله. وقد رواه أيضاً الطيالسي وأحمد وأبو بكر بن أبي شيبة وابن أبي عاصم وأبو يعلى والباوردي والطبراني والحاكم وأبو نعيم والضياء، واللفظ لأبي يعلى: بعث عمر بن عبد العزيز إلى أبي سلام الحبشي فحمل على البريد، فلما قدم على عمر قال: يا أمير المؤمنين قد شق علي محمل البريد ولقد أشققت على رجلي فقال عمر: ما أردنا بك المشقة يا أبا سلام، ولكني بلغني عنك حديث ثوبان في الحوض، فأحببت ان أشافهك به. فقال أبو سلام: سمعت ثوبان مولى رسول الله ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن حوضي من عدن إلى عمان البلقاء» فساقه وقال: «وأكاويبه» وفيه ذكر لعمر بن الخطاب كما ساقه المصنف. وفيه: «المتمنعات» في الموضعين بدل المتنعمات. وقال «ولا تفتح لهم أبواب السدد» وقال: «يلي جلدي» والباقي سواء. وعند ابن أبي عاصم في السنة زيادة بعد قوله «ولا تفتح لهم أبواب السدد الذين يعطون الحق الذي عليهم ولا يعطون الذي لهم».

(وعن أبي ذر) رضي الله عنه **(قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية، من شرب منه لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل»)** قال العراقي: رواه مسلم اهـ.

....

قلت: ورواه كذلك أحمد والترمذي وعندهم بعد قوله المصحية آنيته في الجنة من شرب منها، والضمير راجع إلى الآنية. وقد ساق المصنف حديث أربعة من الصحابة: أنس، وابن عمر، وثوبان، وأبي ذر. وقد ورد فيه عن غيرهم منهم: عبد الله بن عمرو بن العاص، وحذيفة بن اليمان، وجابر بن عبد الله، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وبريدة بن الحصيب، وابن مسعود، وجندب البجلي، وجابر بن سمرة، وأبو سمرة، وأبو برزة الأسلمي، وأبو امامة الباهلي، وابن عباس، وعقبة بن عبد السلمي، وحارثة بن وهب الخزاعي، والمستورد بن شداد الفهري، وأبي بن كعب، وعائشة، وأبو لبابة، والبراء بن عازب، وجبير بن مطعم، وأسامة بن زيد، وحمزة بن عبد المطلب، وأم محمد خولة بنت قيس، وحذيفة بن أسيد، وخباب بن الأرت، وزيد بن أرقم، وأوس بن الأرقم، وزيد بن أبي أوفى، وزيد بن ثابت، وسويد بن عامر، وأبو بكرة، وأبو الدرداء، والصنابح بن الاعسر، وسهل بن سعد، وأسماء بنت أبي بكر، وأم سلمة، وعقبة بن عامر، والصنابحي وهو غير الصنابح بن الاعسر، وعلي بن أبي طالب، والحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين.

أما حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه؛ فروى الشيخان والبغوي واللالكائي في السنة بلفظ «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً» وفي رواية لهما: «الحوض مسيرة شهر» والباقي سواء. وفي أخرى «ولا ينقص من شرب منه إلا كما ينقص المحيط من الماء إذا شرب منه» والبخاري وحده «حوضي ما بين عمان واليمن فيه آنية عدد النجوم ماؤه أحلى من العسل وأبيض من اللبن وألين من الزبد، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً» وللدارقطني في الافراد «الحوض عرضه مثل طوله أبيض من الفضة وأحلى من العسل، من شرب منه شربة لم يظمأ آخر ما عليه» وروى ابن مردويه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلاً قال: يا رسول الله ما الكوثر؟ قال «نهر من أنهار الجنة أعطانيه الله، عرضه ما بين ايلة وعدن» قالوا: يا رسول الله أله طين أو حال؟ قال «نعم المسك الأبيض» قال: أله رضراض حصى؟ قال «نعم رضراضه الجوهر وحصباؤه اللؤلؤ» قال: أله شجر؟ قال «نعم حافتاه قضبان ذهب رطبة شارعة عليه» قال: لتلك القضبان ثمار؟ قال «نعم تنبت أصناف الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر فيه أكواب وآنية وأقداح تسعى إلى من أراد أن يشرب منها منشره في وسطه بها كأنها الكوكب الدري».

وأما حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه؛ فرواه أبو بكر بن أبي داود فقال: حدثنا يزيد بن محمد بن المغيرة المهلبي، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبي، سمعت عاصماً يحدث عن ذر عن حذيفة قال: «إن حوض محمد ﷺ يوم القيامة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك وأن آنيته عدد نجوم السماء» تابعه علي بن حرب الطائي، عن وهب بن جرير بن حازم. وقال عبد الله بن أحمد: حدثني أبي، حدثنا عفان، حدثنا حماد، عن عاصم عن ذر

....

عن حذيفة أنه قال «ما بين طرفي حوض النبي ﷺ كما بين إيلة ومضر، آنيته أكثر أو مثل عدد نجوم السماء، ماؤه أحلى من العسل وأشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً» ورواه ابن أبي عامر في كتاب السنّة عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به. ورواه الطبراني في كتاب السنّة عن عبد الله بن أحمد عن هدبة به. وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا حسين بن علي، عن زائدة، عن عاصم، عن ذر عن حذيفة قال «الحوض أبيض مثل اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك آنيته عدد نجوم السماء ما بين إيلة وصنعاء من شرب منه لم يظمأ بعد ذلك أبداً» وحدث به ابن أبي عاصم في كتاب السنّة عن أبي بكر هو ابن أبي شيبة. ومن طريقه رواه الطبراني في كتاب السنة فقال: حدثنا عبيد بن غنام، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا حسين بن علي الجعفي فذكره. وهو في جميع طرقه المتقدمة موقوف، لكن مثله لا يقال من قبل الرأي فهو مرفوع، وقد صح ذكر الحوض من رواية حذيفة مرفوعاً قال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا محمد بن فضيل، عن حصين، عن أبي وائل عن حذيفة قال رسول الله ﷺ: «ليردن علي حوضي أقوام فيختلجون دوني» ورواه الطبراني في كتاب السنّة عن عبيد بن غنام عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعلقه البخاري في صحيحه فقال: وقال حصين عن أبي وائل، عن حذيفة، عن النبي ﷺ. ووصله مسلم باختصار متنه، فقال عقيب حديث الأعمش ومغيرة، عن أبي وائل عن ابن مسعود. وحدثناه سعيد بن عمرو الأشعثي، أنبأنا عبثر، وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا ابن فضيل كلاهما عن حصين عن أبي وائل، عن حذيفة، عن النبي ﷺ نحو حديث الأعمش ومغيرة. ورواه ابن أبي خيثمة في تاريخه، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، عن حصين، عن أبي وائل عن حذيفة قال النبي ﷺ «ليردن على الحوض أقوام حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول يا رب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك». وقال أبو بكر محمد بن هارون الروياني في مسنده، حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا ابن فضيل، عن حصين، عن شقيق عن حذيفة قال رسول الله ﷺ فساقه مثله.

وقال الخلعي في فوائده: أخبرنا أبو سعد الماليني، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن علي المشطاحي، حدثنا عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا علي بن مسهر، عن سعد بن طارق، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة بن اليمان قال رسول الله ﷺ: «إن حوضي لأبعد من أيلة وعدن، والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد النجوم وماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، والذي نفسي بيده إني لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه» قال: قيل وتعرفنا يومئذ؟ قال: «نعم تردون عليّ غراً محجلين من آثار الوضوء ليست لأحد غيركم» تابعه أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص، وأبو الحسين محمد بن عبدالله ابن الحسين الدقاق ابن أخي سمي، فروياه عن عبدالله البغوي، وعن المخلص رواه اللالكائي في كتاب السنة تابعه مسلم وابن ماجه فحدثا به في كتابيهما عن عثمان بن أبي شيبة به. وروى الطبراني

في الأوسط عن حذيفة قال: « الكوثر نهر في الجنة أجوف في آنية من الذهب والفضة لا يعلمها إلا الله » وهذا موقوف له حكم الرفع.

وأما حديث جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه؟ فقال الإمام أحمد: حدثنا روح، حدثنا زكريا بن إسحاق، حدثنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ « الحوض مسيرة شهر وزواياه سواء يعني عرضه مثل طوله وكيزانه مثل نجوم السماء وهو أطيب ريحاً من المسك وأشد بياضاً من اللبن، من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً » هذا الحديث على رسم مسلم، فقد روي من طريق روح عن زكريا عن أبي الزبير عن جابر ستة أحاديث غير هذا. قاله الإمام الضياء محمد بن عبد الواحد الحافظ، وروى البزار من طريق الشعبي عن جابر رفعه: « إني فرطكم على الحوض وإني مكاثر بكم الأمم فلا ترجعوا بعدي كفاراً يقتل بعضكم بعضاً » فقال رجل: يا رسول الله ما عرضه؟ قال: « ما بين إيلة ـ أحسبه قال إلى مكة ـ فيه مكاكي أكثر من عدد النجوم لا يتناول مؤمن منها واحداً فيضعه من يده حتى يتناول آخر » قوله: مكاكي جمع مكوك على البدل وهو طاس يشرب به ومكيال بالعراق. قاله صاحب العين: وفيه رد على ابن الأنباري حيث منع أن يجمع مكوك على مكاكي، وإنما جمعه مكاكيك، والجمعان جائزان والمكوك له معنيان كما ذكرا. والأول يفسر به الحديث. وقد نبهنا عليه في شرح القاموس.

وقال الطبراني في كتاب السنة: حدثنا العباس بن الفضل، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن موسى بن عقبة، عن أبي الزبير، عن جابر أنه سمع النبي ﷺ يقول: « أنا فرط لكم بين أيديكم فإن لم تجدوني فأنا على الحوض ما بين إيلة إلى مكة وسيأتي رجال ونساء فيطردون عنه فلا يطعمون منه شيئاً ».

وقال المحاملي: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس فساقه ولفظه: « وسيأتي رجال ونساء بقرب وآنية فلا يطعمون منه شيئاً ».

وأخرجه اللالكائي في كتاب السنة من طريقين إلى أبي عاصم، أخبرني ابن جريج أنه سمع جابر ابن عبدالله يقول: سمعت رسول الله ﷺ فذكره في إحداهما: « سيأتي رجال ونساء بآنية وقرب » وفي الثاني: « يأتونه ثم لا يذوقون منه شيئاً ».

وأما حديث أبي هريرة، فرواه أبو طاهر المخلص في فوائده، وعنه اللالكائي في كتاب السنة من طريق ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن موسى، عن أبي عثمان، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « إني أطمع أن يكون حوضي إن شاء الله أوسع مما بين إيلة إلى الكعبة وأن فيه الأباريق لأكثر من عدد الكواكب ». وروى مسلم في صحيحه بلفظ: « إن حوضي أبعد من إيلة من عدن لهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه » قالوا: يا رسول الله أتعرفنا يومئذ؟ قال:

....

« نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون علي غراً محجلين من أثر الوضوء » وروى ابن عساكر من طريق الفرزدق، عن أبي هريرة رفعه: « إن لي حوضاً كما بين إيلة وعمان ».

وأما حديث أبي سعيد الخدري: فرواه أبو القاسم البغوي فقال: حدثنا محمد بن سليمان، حدثنا عيسى بن يونس، عن زكريا عن عطية عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: « إن لي حوضاً طوله ما بين الكعبة إلى بيت المقدس أشد بياضاً من اللبن آنيته عدد النجوم، وكل نبي يدعو أمته ولكل نبي حوض، فمنهم من يأتيه الفئام، ومنهم من يأتيه العصبة، ومنهم من يأتيه النفر، ومنهم من يأتيه الرجلان والرجل، ومنهم من لا يأتيه أحد وإني أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة » تابعه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال فقال: حدثنا محمد بن سليمان الأسدي، حدثنا عيسى بن يونس فذكره بطوله. ورواه اللالكائي في السنة من طريق الوليد بن القاسم، حدثنا زكريا بن زائدة، عن عطية العوفي عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ قال: « إن لي حوضاً » فذكره وفيه بعد قوله: أحد فيقال قد بلغت وإني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة. ورواه الأعمش عن عطية عن أبي سعيد رفعه: « إني كأني قد دعيت فأجبت وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي وإنهما لن يزالا جميعاً حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما ».

وقال محمد بن سعد في الطبقات: أخبرنا أنس بن عياض، وصفوان بن عيسى، ومحمد بن إسماعيل بن أبي فديك، عن أنس بن أبي يحيى، عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال: بينما نحن جلوس في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ في المرض الذي توفي فيه عاصباً رأسه بخرقة فخرج يمشي حتى قام على المنبر فلما استوى عليه قال: « والذي نفسي بيده إني لقائم على الحوض الساعة ». الحديث.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا محمد بن بشر، حدثنا زكريا، عن عطية عن أبي سعيد الخدري رفعه: « إن لي حوضاً طوله ما بين الكعبة إلى بيت المقدس أبيض مثل اللبن وآنيته عدد النجوم وإني لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة » أخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي بكر بن أبي شيبة.

وأما حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه؛ فقال اللالكائي في كتاب السنة: أخبرنا محمد بن عبد الرحمن، حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا عبد الله بن الوضاح اللؤلؤي، حدثنا يحيى بن يمان، عن عائذ بن نسير، عن علقمة بن مرثد، عن أبي بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: « حوضي ما بين عمان واليمن فيه آنية عدد النجوم أحلى من العسل وأبيض من اللبن وألين من الزبد، من شرب منه شربة لم يظمأ أبعدها أبداً ». تابعه يحيى بن معين عن يحيى بن يمان. أخرجه كذلك أبو يعلى فقال: حدثنا يحيى بن معين، حدثنا يحيى بن يمان فذكره. وأخرجه الروياني في مسنده فقال: حدثنا العباس بن محمد، حدثنا يحيى بن معين. تابعهما أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد القاضي، عن

....

يحي بن معين. يحي بن يمان ليس بالقوي وشيخه عائذ ضعفوه، واسم أبيه نسير بضم النون وفتح السين المهملة، وابن بريدة هوعبد الله.

وأما حديث ابن مسعود رضي الله عنه؛ فرواه اللالكائي في السنة: أخبرنا عيسى بن علي، أنبانا عبد الله بن محمد البغوي، حدثنا عبيد الله العبسي، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم، عن ذر عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض». ورواه البخاري من طريق الأعمش، عن شقيق عن عبدالله بن مسعود. ورواه الطبراني والخطيب وابن عساكر بزيادة: «وإني مكاثر بكم الأمم فلا تقتتلوا بعدي» ورواه أحمد والشيخان بزيادة: «ولأنازعن أقواماً ثم لأغلبن عليهم فأقول: يا رب أصحاب أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وأما حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه؛ فاخرجه الحافظ أبو طاهر السلفي من طريق محمد بن أبي السري البخاري، عن سفيان بن عيينة قال: سمعت عبد الملك بن عمير يقول: سمعت جندب بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: «ألا إني فرطكم على الحوض» رواه كذلك الحميدي عن سفيان عن عبد الملك بن عمير، وفيه قال سفيان وذكر فيه شيئاً آخر. ورواه ابن أبي شيبة في المصنف فقال: حدثنا وكيع، عن مسعر، عن عبد الملك بن عمير، عن جندب سمعت النبي ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض» حدث به مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة. ورواه أبو الغنائم محمد بن علي الحافظ بالكوفة في فوائده من طريق قيس، ويزيد بن عمر الهمداني، وأبي كدينة يحي بن المهلب البجلي الكوفي وحماد بن حجاج أخي شعبة كلهم عن عبد الملك بن عمير بمثله. وقد رواه عن عبد الملك بن عمير جماعة آخرون. منهم زائدة عند مسلم، وشعبة بن الحجاج عند البخاري، وابن أبي شيبة، وإبراهيم بن سليمان المؤدب عند أبي عبيد في كتابه غريب الحديث، ونسب جندباً إلى جده سفيان فيظن أنهما اثنان وهما واحد. وقد تابعهم عن عبد الملك ابن عمير جماعة: منهم شعيب بن صفوان الثقفي، وأبو عوانة اليشكري، وأبو المحياة يحي بن يعلى التميمي الكوفي.

وأما حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه، فقال أبو يعلى الموصلي: حدثنا أبو همام هو الوليد ابن شجاع، حدثنا أبي، حدثني زياد بن خيثمة، عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إني فرطكم على الحوض وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وايلة كأن الأباريق فيه النجوم» رواه مسلم عن الوليد بن شجاع بلفظ: «ألا أني فرط لكم على الحوض» والباقي سواء تابعهما يعقوب بن سفيان عن أبي همام، وقال أبو بكر بن سمرة أخبرني بشيء سمعته من رسول الله ﷺ قال: فكتب إلي سمعته يقول: «أنا الفرط على الحوض» خرجه مسلم في صحيحه فقال: وحدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة قالا: حدثنا حاتم بن إسماعيل فذكره وفيه: كتبت إلى جابر بن سمرة مع غلامي نافع. والباقي سواء. وأخرجه اللالكائي في كتاب السنّة من طريق عباد بن يعقوب، حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن مهاجر بن مسمار، عن عامر بن سعد قال: كتب إلي جابر بن سمرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض».

وأما حديث أبيه سمرة بن جنادة السوائي العامري له ولابنه صحبة فسيأتي حديثه للمصنف قريباً.

وأما حديث أبي برزة الأسلمي فقال اللالكائي في كتاب السنة: أخبرنا عبد الله بن مسلم بن يحي أخبرنا الحسين بن إسماعيل، حدثنا محمد بن يزيد، حدثنا روح بن أسلم، حدثنا شداد، عن أبي الوازع قال: سمعت أبا برزة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما بين جنبي حوضي ما بين إيلة إلى صنعاء مسيرة شهر، عرضه كطوله. فيه مزرابان يثعبان من الجنة من ورق وذهب أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج، فيه أباريق عدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة» إسناد صحيح على شرط مسلم. وروى أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المخلدي، أخبرنا المؤمل بن الحسن، حدثنا محمد بن يحي، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن مطر الوراق، عن عبدالله بن بريدة الأسلمي قال: شك عبيد الله بن زياد في الحوض وكان في حرورية فقال: أرأيتم الحوض الذي يذكر ما أراه شيئاً فقال له ناس من صحابته: فإن ههنا رهطاً من أصحاب النبي ﷺ، فأرسل إليهم فسألهم. قال: فأرسل إلى رجل من مزينة، فسأله عن الحوض فحدثه، ثم أرسل إلى أبي برزة الأسلمي فأتاه وعليه ثوبا حبرة وقد ائتزر بواحد وارتدى بالآخر، وكان رجلاً لحيماً إلى القصر، فلما رآه عبيد الله ضحك ثم قال: إن محمديكم هذا الدحداح ففهمها الشيخ فقال: يا عجباً إلا أراني قد بقيت في قوم يعدون صحابة رسول الله ﷺ عاراً فقال له جلساء عبيد الله: إنما أرسل إليك الأمير ليسألك عن الحوض: هل سمعت من رسول الله ﷺ فيه شيئاً؟ قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يذكره، فمن كذب به فلا سقاه الله منه. قال: ثم نفض رداءه وانصرف غضباً.

وأما حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه؛ فرواه أحمد والطبراني وابن حبان وسمويه بلفظ: «حوض مثل ما بين عدن وعمان وهو أوسع فيه مثعبان من ذهب وفضة، شرابه أبيض من اللبن وأحلى مذاقة من العسل وأطيب ريحاً من المسك، من شرب منه لم يظمأ بعدها ولم يسود وجهه أبداً». ورواه الطبراني والضياء بلفظ: «حوضي كما بين عدن وعمان فيه أكاويب عدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً وأن ممن يرد علي من أمتي الشعثة رؤسهم الدنسة ثيابهم لا ينكحون المتنعمات ولا يحضرون السدد يعني أبواب السلطان الذي يعطون كل الذي عليهم ولا يعطون كل الذي لهم» والأكاويب جمع كوب.

وأما حديث ابن عباس رضي الله عنه: فرواه الطبراني في الكبير بلفظ: «حوضي مسيرة شهر زواياه سواء أكوازه عدد نجوم السماء ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل وأطيب من المسك، ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً» ورواه أيضاً بلفظ: «أنا آخذ بحجزكم عن النار أقول إياكم وجهنم وإياكم والحدود فإذا مت فأنا فرطكم وموعدكم الحوض، فمن ورد أفلح ويأتي قوم فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أمتي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك مرتدين على أعقابهم»

....

وروى نحوه عبدالله بن أحمد والسجزي في الآبانة. وروى ابن مردويه بلفظ: « أوتيت الكوثر آنيته عدد النجوم » وروى أيضاً من قوله: « الكوثر نهر أعطاه الله محمداً في الجنة » وهو موقوف له حكم الرفع ورواه ابن جرير عنه من قوله: « الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب وفضة يجري على الياقوت والدر ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل » وهذا أيضاً موقوف له حكم الرفع. وروى ابن مردويه عنه من قوله: « الكوثر نهر في الجنة عمقه سبعون ألف فرسخ ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، شاطئاه الدر والياقوت والزبرجد خص الله به نبيه محمداً ﷺ دون الأنبياء ». وهذا أيضاً له حكم الرفع. وروى البخاري وابن جرير والحاكم من طريق ابن بشير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: « الكوثر الخير الذي أعطاه الله إياه » قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناساً يزعمونه أنه نهر في الجنة. قال: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه إياه. وروى الطستي في فوائده أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الكوثر فقال: « نهر في بطنان العرش حافتاه قباب الدر والياقوت فيه أزواجه وخدمه » وهذا أيضاً موقوف له حكم الرفع.

وأما حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه؛ فرواه الطبراني في الكبير بلفظ: « حوضي كما بين البيضاء إلى بصري يمدني الله فيه بكراع لا يدري إنسان ممن خلق أين طرفاه ».

وأما حديث حارثة بن وهب الخزاعي رضي الله عنه؛ فرواه أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أحمد بن صالح، حدثني حرمي بن عمارة، حدثنا شعبة عن معبد بن خالد، سمعت حارثة بن وهب يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « تصدقوا فيوشك الرجل أن يخرج بماله فلا يجد من يتصدق عليه » ثم ذكر حوضه فقال: هو ما بين كذا إلى كذا » تابعه علي بن المديني عن حرمي بن عمارة لكنه بين مبهم مسافة الحوض قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن عبدالله، حدثنا علي بن عبدالله بن جعفر، حدثنا حرمي، حدثنا شعبة بن معبد بن خالد، سمعت حارثة بن وهب يقول: سمعت النبي ﷺ ذكر الحوض فقال: « هو ما بين المدينة وصنعاء » رواه البخاري عن علي بن المديني فقال: حدثنا علي بن عبدالله وهو ابن المديني، حدثنا جرير بن عمارة، حدثنا شعبة عن معبد بن خالد أنه سمع حارثة بن وهب يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: وذكر الحوض فقال: « كما بين المدينة وصنعاء ».

وأما حديث المستورد بين شداد الفهري رضي الله عنه؛ فرواه البخاري معلقاً وهذا لفظه في سياق حديث حارثة رضي الله عنه زاد ابن عدي، عن شعبة، عن معبد بن خالد، عن حارثة سمع النبي ﷺ قال: « حوضه ما بين صنعاء والمدينة » فقال له المستورد: ألم تسمعه قال: « الأواني » قال: لا. قال المستورد: « ترى فيه الآنية مثل الكواكب » وهذا قدر رواه مسلم في صحيحه فقال: حدثني محمد بن عبدالله بن بزيع، حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن معبد بن خالد عن حارثة أنه سمع النبي ﷺ قال: « حوضه ما بين صنعاء والمدينة » فقال له المستورد: ألم تسمعه قال: « الأواني » قال: لا. فقال: « ترى فيه الآنية مثل الكواكب ». ومن هذه الطريق رواه الطبراني في كتاب السنة

....

فقال: حدثنا زكريا بن يحيى الساجي، حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع، حدثنا محمد بن أبي عدي فذكره. خالفهما بكر بن بكار عن شعبة في المسافة. ووافق ابن أبي عدي في الزيادة. رواه أبو بكر بن شاذان من طريق محمد بن مرزوق: حدثنا بكر بن بكار، حدثنا شعبة، حدثنا معبد بن خالد سمعت حارثة رجلاً من خزاعة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن ما بين حوضي كما بين مكة وصنعاء» فقال له المستورد: ما سمعت شيئاً غير هذا؟ قال: لا. قال المستورد: وفيه آنية كالكواكب».

وأما حديث أبي بن كعب رضي الله عنه؛ فرواه الحكيم في النوادر بلفظ: «أوّل من يدعى يوم القيامة أنا» وساق الحديث وفيه: «يقومون غراً محجلين من آثار الوضوء فيردون على الحوض ما بين بصرى إلى صنعاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحا من المسك فيه من الآنية عدد نجوم السماء من ورده فشرب منه لم يظمأ بعده أبداً ومن صرف عنه لم يره بعده أبداً».

وأما حديث عائشة رضي الله عنها، فرواه أحمد ومسلم بلفظ: «إني على الحوض حتى انتظر من يرد علي منكم وسيؤخذ أناس دوني فأقول: يارب مني ومن أمتي؟ فيقال: هل شعرت بما عملوا بعدك والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم». وروى ابن مردويه بلفظ: «أوتيت الكوثر آنيته عدد النجوم» وروى ابن أبي شيبة والبخاري وابن جرير وابن مردويه أنها سئلت عن الكوثر فقالت: «هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ في بطنان الجنة شاطئاه عليه در مجوف فيه من الآنية والأباريق عدد النجوم» وهذا موقوف له حكم الرفع. وروى هناد وابن جرير عنها قالت: «من أحب أن يسمع خرير الكوثر فليجعل أصبعيه في أذنيه».

وأما حديث أبي لبابة رضي الله عنه؛ فقد رواه أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص في فوائده عن أبي القاسم البغوي في أثناء حديث أنس من طريق الحسن وقتادة أوله: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله يمنع سوادي ودمامتي دخول الجنة؟ قال: «لا والذي نفسي بيده ما اتقيت الله وآمنت بما جاء به رسوله» فذكر الحديث بطوله وفيه: «تزويجه بابنة حارثة بن وهب الثقفي ثم شهادته قبل أن يدخل بها» وقوله ﷺ فيه: «إنه ورد الحوض ورب الكعبة» فقال أبو لبابة بأبي أنت وأمي وما الحوض؟ قال: «حوض أعطانيه ربي عز وجل ما بين صنعاء إلى بصرى حافتاه مكلل بالدر والياقوت آنيته كعدد نجوم السماء ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، من شرب شربة لم يظمأ بعدها أبداً» الحديث ورجاله ثقات سوى محمد بن عمر الكلاعي، فقال ابن عدي، فيه: أنه يحدث عن الثقات بالمناكير، وقد تابع البغوي جماعة منهم الحسن بن إسحاق بن يزيد العطار، واحمد بن الجعد الوشاء. ومن طريقهما خرجه الحافظ أبو بكر موسى المديني في كتاب التتمة.

وأما حديث البراء بن عازب رضي الله عنه؛ فقال أبو القاسم البغوي: حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي، حدثني موسى بن عثمان الحضرمي، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب رفعه:

« ألا أني فرطكم على الحوض ومكاثر بكم الأمم يوم القيامة » وقال الحسن بن سفيان الضوي في مسنده: حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن يحي بن سلمة بن كهيل، حدثني أبي، عن أبيه، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب رفعه: « إن لي حوضاً لأذود الأمم عنه يوم القيامة » قيل: يا رسول الله كيف تعرفهم؟ قال: « إن أمتي غر محجلون وأن عرضه كما بين إيلة وبصرى وإلى صنعاء وآنيته أكثر من عدد النجوم وهو أطيب من ريح المسك وأحلى من العسل وأبيض من اللبن وأبرد من الثلج ». وروى أحمد وأبو يعلى والمحاملي من طريق شعبة عن يزيد بن أبي زياد قال: سمعت ابن أبي ليلى يقول: سمعت البراء يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول للأنصار: « إنكم ستلقون بعدي أثره » قالوا: فما تأمرنا؟ قال: « اصبروا حتى تلقوني على الحوض ».

وأما حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه فقال البزار في مسنده: حدثنا يعقوب بن حميد، حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت، حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن المطلب، عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: « فإني فرط لكم على الحوض يوم القيامة » رواه الطبراني في كتاب السنة، عن عبد الله بن أحمد عن يعقوب بن حميد بن كاسب به.

وأما حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه؛ فرواه ابن جرير وابن مردويه عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بيت حمزة بن عبد المطلب يوماً فلم يجده فسأل امرأته عنه فقالت: خرج آنفاً أو لا تدخل يا رسول الله؟ فدخل فقدمت إليه حيساً فأكل فقالت: هنيئاً لك يا رسول الله ومريئاً لقد جئت وأنا أريد أن آتيك فأهنيك وأمريك. أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهراً في الجنة يدعى الكوثر. فقال: « أجل وأرضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ » رواه الحسن بن سفيان في مسنده فقال: حدثنا أحمد بن حسين اللهبي المديني، حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن حرام بن عثمان، عن الأعرج، عن المسور بن مخرمة، عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ أتى بيت حمزة فذكره. ورواه الطبراني في الكبير بلفظ: « أعطيت نهراً في الجنة يدعى الكوثر وعرصته ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ هو والله مثل ما بين صنعاء وإيلة فيه أباريق مثل عدد نجوم السماء » هكذا أورده من حديث أسامة.

وأما حديث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه؛ فهو الذي تقدم قبله. وأبو عمارة كنية حمزة. ورواه محمد بن عبد الله الشافعي، عن عبد الله بن محمد بن ناجية قال: حدثني كعب أبو عبد الله الذراع، حدثني يحي بن عبد الحميد، حدثني عبد العزيز بن محمد هو الدراوردي، عن حرام بن عثمان، عن عبد الرحمن الأعرج، عن المسور بن مخرمة، عن أسامة بن زيد، عن امرأة حمزة بن عبد المطلب، عن حمزة بن عبد المطلب، عن النبي ﷺ قال: « أعطيت نهراً في الجنة الكوثر أرضه الياقوت والمرجان ولؤلؤ وزبرجد ووصف حوضاً ».

وأما حديث أم محمد خولة بنت قيس الأنصارية رضي الله عنها؛ وهي زوجة حمزة بن عبد المطلب فهو الذي تقدم قبله. قال كعب: أبو عبدالله الذراع المتقدم ذكره، وحدثني يحي بن عبد

....

الحميد الحماني مرة أخرى فقال: عن امرأة حمزة، عن النبي ﷺ، وتقدم لفظ الحديث في ترجمة أسامة وهو عند الطبراني نحوه كما سقناه في حديث أسامة. وفي آخره زيادة وهي: « واجب واردها إلى قومك يا ابنة فهد » وهذه الزيادة تؤيد أن الحديث المذكور من روايتها، وقد نسبها ﷺ إلى جدها إذ هي خولة بنت قيس بن قهد بالقاف ابن قيس بن ثعلبة من الأنصار.

وأما حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه؛ فرواه أبو عمر وعثمان بن أحمد بن السماك في فوائده فقال: أخبرنا أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل الشيباني، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا زيد بن الحسن القرشي، حدثنا معروف بن خربوذ، حدثنا أبو الطفيل هو عامر بن واثلة، عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: لما صدر رسول الله ﷺ عن حجة الوداع نزل الجحفة ونهى عن شجرات أن ينزل تحتهن فساق الحديث، وفيه ثم قال: « ألا أني فرطكم وأنكم واردون على الحوض حوضاً أعرض ما بين بصرى وصنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة وإني سائلكم حين تردون علي ». تابعه سمويه في فوائده وغيره.

قال أبو نعيم الأصبهاني: أخبرنا عبدالله بن جعفر، حدثنا إسماعيل بن عبد الله سمويه، حدثنا سعيد بن سليمان فذكره ولفظه: لما صدر النبي ﷺ عن حجة الوداع قال: « أيها الناس إني فرطكم على الحوض وإنكم واردون على حوض عرضه ما بين بصرى وصنعاء فيه آنية عدد النجوم ».

وقال الطبراني في كتاب السنة: حدثنا أحمد بن القاسم بن سادر، حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي ح.

وحدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي. وزكريا بن يحيى الساجي قالا: حدثنا نصر بن عبد الرحمن الوشاء قالا: حدثنا زيد بن الحسن الانماطي، حدثنا معروف بن خربوذ فذكره بلفظ: « أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون على الحوض حوضاً أعرض مما بين بصرى وصنعاء فيه عدد نجوم السماء قدحان من فضة ».

ورواه أبو نعيم في الحلية فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن حمدان حدثنا الحسن بن سفيان حدثني نصر بن عبد الرحمن الوشاء فذكره. بلفظ: « أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون علي الحوض وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما الثقل الأكبر: كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا. وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير بأنهما لم يتفرقا حتى يردا على الحوض ».

وأما حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه؛ فرواه أحمد وابن أبي عاصم والطبراني كلاهما في كتاب السنة من طريق سماك بن حرب عن عبدالله بن خباب عن أبيه رفعه: « سيكون عليكم امراء فلا تعينوهم على ظلمهم ولا تصدقوهم بكذبهم فإن من أعانهم علم ظلمهم وصدقهم بكذبهم فلن يرد على الحوض ».

....

وأما حديث زيد بن الأرقم رضي الله عنه، فقال أبو القاسم البغوي: حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي، حدثنا موسى بن عثمان الحضرمي، عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم رفعه: « ألا إني فرطكم على الحوض ومكاثر بكم الأمم يوم القيامة » وذكر الحديث وتقدم في ترجمة البراء بن عازب. ورواه أبو علي بن شاذان في فوائده من طريق الأعمش، عن صهيب بن ثابت، عن زيد بن أرقم رفعه: « إني كأني دعيت فأجبت وإني تارك فيكم الثقلين » الحديث وقد تقدم في ترجمة أبي سعيد الخدري.

قال أبو داود في سننه: حدثنا حفص بن عمر النميري، حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة، عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال: كنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلاً قال: « ما أنتم جزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض » قال قلت كم كنتم يومئذ؟ قال: سبعمائة أو ثمانمائة.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة في تاريخه: حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا شعبة، أخبرني عمرو بن مرة قال: سمعت أبا حمزة الأنصاري يقول: سمعت زيد بن أرقم يقول: قال لنا رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في منزل نزلوه: « ما أنتم بجزء من مائة يعني ألف جزء - ممن يرد على الحوض من أمتي » قال أبو حمزة: قلت لزيد بن أرقم كم كنتم يومئذ؟ قال: سبعمائة أو ثمانمائة. أبو حمزة هو طلحة بن يزيد الأنصاري مولاهم الكوفي روى له الجماعة سوى مسلم وجاء مصرحاً باسمه في الحديث.

قال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة عن طلحة مولى قرظة، عن زيد بن أرقم رفعه « ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض » قلنا لزيد: كم كنتم يومئذ؟ قال: ما بين الستمائة إلى السبعمائة، حدث أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب السنة، عن أبي بكر بن أبي شيبة به. تابعه جرير بن عبد الحميد الضبي عن الأعمش.

قال ابن أبي خيثمة في تاريخه: وحدثنا أبي حدثنا جرير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن طلحة بن يزيد الأنصاري. قال قال زيد بن أرقم قال رسول الله ﷺ: « ما أنتم جزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض » قلت: كم كنتم يومئذ؟ قال: ستمائة أو سبعمائة.

وأما حديث أوس بن الأرقم رضي الله عنه؛ وهو أخو زيد بن الارقم المتقدم بذكره استشهد يوم أحد روى أبو محمد المخلدي بسنده المتقدم في ترجمة أخيه زيد إلى عبد الله بن بريدة الاسلمي أن عبد الله بن زياد كان يشك في الحوض وكان فيه حرورية وأنه قال: أرأيتم الحوض الذي يذكر ما أراه شيئاً فقال له ناس من صحابته: فإن ههنا رهطاً من أصحاب رسول الله ﷺ، فأرسل إليهم فسألهم وساق القصة وفيها: فارسل إلى زيد بن أرقم فسأله عن الحوض، فحدثه حديثاً مونقاً أعجبه قال: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: لا. ولكن حدثنيه أخي قال: لا حاجة لنا في حديث أخيك. ورواه أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب السنة مثله. قال الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي: أوس بن أرقم ذكره ابن منده في المعرفة وانه أخو زيد بن الأرقم، لكنه قال عن أوس لا يعرف له حديث فيرد عليه ما رويناه من رواية أخيه زيد عنه، وما ورد من الحديث أن زيداً لم

يسمع حديث الحوض من النبي ﷺ يحتمل أنه ذلك الحديث الذي حدث به يومئذ بعينه، وإلاَّ فقد حدث زيد في الحوض باحاديث تقدم ذكر بعضها من طرق كل فيها التصريح بأن زيداً سمع حديث الحوض من النبي ﷺ.

وأما حديث زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه، وهو أخو عبدالله بن أبي أوفى فيما جزم به ابن حبان، فرواه ابن أبي حاتم والبخاري في التاريخ الصغير والطبراني وأبو نعيم في الحلية وأبو موسى المديني في طوالات الاخبار والحسن بن سفيان وابن شاهين والبغوي وابن أبي خيثمة كلهم من طريق عبد الله بن شرحبيل، عن رجل من قريش، عن زيد بن أبي أوفى قال: دخلت على رسول الله ﷺ مسجد المدينة فجعل يقول «أين فلان بن فلان» فساقوا الحديث بطوله في مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه، وفيه: ثم نظر في وجوه أصحابه فقال: «ابشروا وقروا عيناً فأنتم أوّل من يرد علي الحوض وأنتم في أعلى الغرف» الحديث. قال أبو موسى المديني: هذا حديث غريب، وزيد بن أبي أوفى عدوه في أهل البصرة لا يعرف بغير هذا الحديث.

وأما حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه؛ فرواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة، وأبو بكر بن أبي شيبة والطبراني في كتاب السنة من طريق القاسم بن حيان، عن زيد بن ثابت رفعه «إني تارك فيكم الخليفتين من بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» ورواه الترمذي وقال حسن غريب، وابن الأنباري في المصاحف والحاكم بلفظ «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما». ورواه عبد بن حميد وابن الانباري أيضاً بلفظ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به بعدي لم تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لم يتفرقا حتى يردا على الحوض». ورواه الطبراني بلفظ: «إني لكم فرط وإنكم واردون على الحوض عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى، فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين» الحديث.

وأما حديث سويد بن عامر رضي الله عنه؛ فأخرجه حميد بن زنجويه وابن عساكر والعقيلي في الضعفاء بلفظ «حوضي اشرب منه يوم القيامة ومن اتبعني ومن استسقاني من الأنبياء» الحديث وهو حديث منكر، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات، ووافقه الذهبي.

وأما حديث أبي بكرة رضي الله عنه؛ فرواه أحمد وتمام وابن عساكر بلفظ «أنا فرطكم على الحوض».

وأما حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، فرواه الطبراني في الأوسط بلفظ: «أنا فرطكم على الحوض أنتظر من يرد علي منكم فلألفين ما نوزعت في أحدكم فأقول: إنه من أمتي فيقال: لا تدري ما أحدث بعدك».

وأما حديث الصنابح بن الاعسر رضي الله عنه؛ فرواه أحمد والبغوي وأبو يعلى وابن حبان

وابن قانع والطبراني والضياء بلفظ « أنا فرطكم على الحوض وإني مكاثر بكم الامم فلا تقتتلوا بعدي » ورواه البغوي ونعيم بن حماد في الفتن بلفظ « أنا فرطكم على الحوض وإني مكاثر بكم الامم فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ».

وأما حديث سهل بن سعد رضي الله عنه؛ فرواه أحمد والشيخان بلفظ « أنا فرطكم على الحوض من ورد يشرب ومن يشرب لم يظمأ أبداً وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فأقول انهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما عملوا بعدك. فأقول: سحقا لمن بدل بعدي » وفي رواية « إني فرطكم على الحوض من مرّ علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً » والباقي سواء. ورواه الطبراني في الكبير بلفظ: « إن لكل قوم فارطاً وإني فرطكم على الحوض فمن ورد على الحوض فشرب لم يظمأ ومن لم يظمأ دخل الجنة ».

وأما حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها؛ فرواه الشيخان بلفظ « إني على الحوض حتى أنتظر من يرد علي منكم، وسيؤخذ أناس دوني فاقول: يا رب مني ومن أمتي. فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم ». ورواه اللالكائي في كتاب السنة مقتصراً على قوله « أنا فرطكم على الحوض ».

وأما حديث أم سلمة رضي الله عنها؛ فرواه مسلم بلفظ: « إني لكم فرط على الحوض فإياي لا يأتيني أحدكم فيدب عني كما يذب البعير الضال. فأقول: فيم هذا؟ فيقال: لأنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً ».

وأما حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه؛ فرواه أحمد والشيخان بلفظ: « إني بين أيديكم فرط لكم وإني شهيد عليكم وإن موعدكم الحوض وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها ». ورواه ابن المبارك والطبراني بنحوه. وفي رواية لمسلم « إني فرطكم على الحوض وأن عرضه كما بين إيلة إلى الجحفة، إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم ».

وأما حديث الصنابحي رضي الله عنه، واسمه عبد الله له صحبة وهو غير الصنابح بن الاعسر المذكور، وغير أبي عبد الله الصنابحي، واسمه عبد الرحمن بن عسيلة فإنه تابعي؛ فرواه ابن ماجه وابن أبي شيبة والشيرازي في الألقاب بلفظ: « أنا فرطكم على الحوض واني مكاثر بكم الأمم فلا تقتتلوا بعدي ».

وأما حديث علي رضي الله عنه؛ فرواه الديلمي في مسند الفردوس بلفظ « أول من يرد علي الحوض أهل بيتي ومن أحبني من أمتي ».

وأما حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما، فرواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة من طريق

وعن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: « إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة »، **فهذا رجاء رسول الله ﷺ فليرج**

علي بن أبي طلحة مولى بني أمية قال: حج معاوية بن أبي سفيان، وحج معه معاوية بن خديج، فمرَّ في مسجد الرسول ﷺ فدعاه فقال له الحسن بن علي رضي الله عنه: أنت السابّ لعلي رضي الله عنه؟ أما والله لتردن عليه الحوض وما أراك ترده فتجده مشمر الازار على ساق يذود عنه لا يأتي المنافقون ذود غريبة الإبل. قول الصادق المصدوق ﷺ: « وقد خاب من افترى ». ورواه الطبراني في كتاب السنة من طريق أبي كثير قال: قال الحسن بن علي: « إياك وبغض أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فإنك إن وردت عليه الحوض وما أراك ترد عليه لتجدنه مشمراً حاسراً عن ساعديه يذود المنافقين عن حوض رسول الله ﷺ كما تذاد غريبة الابل » قول الصادق المصدوق أبي القاسم ﷺ، ورواه الخطيب هكذا في كتاب من وافقت كنيته اسم أبيه من طريق الطبراني، ورواه بعضهم من حديث الحسن عن أبيه علي رضي الله عنهما، لكنه من رواية سفيان بن الليل الكوفي، ولا يصح حديثه والله أعلم.

فهذا ما تيسر لي من جمع أحاديث الحوض في وقت الكتابة، ولو استوفيت النظر في مجموع ما عندي من الفوائد والأجزاء والتعاليق والتخاريج ربما بلغ أكثر مما ذكرت والله الموفق. ولنعد إلى شرح كلام المصنف رحمه الله تعالى:

(**وعن سمرة**) بن جنادة بن جندب بن حجير بن زباب بن حبيب بن سوآة بن عامر بن صعصعة العامري ثم السوائي روى له الشيخان وأبو داود والترمذي: (« **إن لكل نبي حوضاً وانهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني ارجو أن أكون أكثرهم واردة** ») قال العراقي رواه الترمذي وقال غريب. قال: وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح اهـ.

قلت: ووصله الطبراني كذلك، وأشار الترمذي إلى وصله وصحح إرساله، والمرسل أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن رفعه « إن لكل نبي حوضاً وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من أمته ألا وانهم يتباهون أيهم أكثر تبعاً، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً » قالو: والحكمة في ذوده ﷺ عن الحوض هو إرشاد كل أحد إلى حوض نبيه، فيكون هذا من إنصافه ﷺ ورعاية إخوانه من النبيين، لا أنه يطردهم بخلاً عليهم بالماء، ويحتمل أن يكون يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض، والله أعلم.

تنبيه:

تقدم في أحاديث الحوض في ذكر المسافة أنه ما بين الكعبة إلى بيت المقدس، وفي بعضها ما بين ناحيتي حوضي كما بين إيلة وصنعاء مسيرة شهر عرضه كطوله، وفي بعضها من صنعاء إلى بصرى، وفي بعضها ما بين عدن وعمان، وفي بعضها عرضه من مقامي إلى عمان، وهذه المسافات كلها

كل عبد أن يكون في جملة الواردين ، وليحذر أن يكون متمنياً ومغتراً وهو يظن أنه راج ، فإن الراجي للحصاد من بث البذر ونقي الأرض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالإنبات ودفع الصواعق إلى أوان الحصاد ، فأما من ترك الحراثة أو الزراعة وتنقية

متقاربة . وظن بعضهم أنه وقع اضطراب في ذلك وليس كذلك . وأجاب النووي عن ذلك بأنه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة ، فالأكثر ثابت بالحديث فلا يعارضه ، وحاصله يشير إلى أنه أخبر أوّلاً بالمسافة اليسيرة ، ثم اعلم بالمسافة الطويلة ، فاخبر بما كان الله عز وجل تفضل عليه باتساعه شيئاً بعد شيء ، فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة . وقال الحافظ في الفتح في حديث ابن عمر : وإن الحوض مسيرة شهر ، وزاد في رواية مسلم من هذا الوجه . وزواياه سواء ، وهذه الزيادة تدفع تأويل بين مختلف الأحاديث في تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض والطول . ونقل صاحب المواهب عن أبي سعيد في شرف النبوّة والغيلاني من حديث أنس رفعه « لحوضي أربعة أركان : الأوّل بيد أبي بكر ، والثاني بيد عمر ، والثالث بيد عثمان ، والرابع بيد علي ، فمن كان محباً لأبي بكر مبغضاً لعمر لا يسقيه أبو بكر ، ومن كان محباً لعلي مبغضاً لعثمان لا يسقيه علي » اهـ .

قلت : رواه أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان من طريق علي بن عاصم عن حميد عن أنس رفعه « إن على حوضي أربعة أركان : فأوّل ركن منها في يد أبي بكر ، والركن الثاني بيد عمر ، والركن الثالث بيد عثمان ، والركن الرابع بيد علي ، فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ، ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ، ومن أحب عثمان وأبغض علياً لم يسقه عثمان ، ومن أحب علياً وأبغض عثمان لم يسقه علي ومن أحسن القول في أبي بكر فقد أقام الدين ، ومن أحسن القول في عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحسن القول في عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحسن القول في علي فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، ومن أحسن القول في أصحابي فهو مؤمن » وإسناده واهٍ .

وفي كتاب الثواب لأبي الشيخ من حديث جابر « لحوضي أربعة أركان : ركن عليه أبو بكر ، وركن عليه عمر ، وركن عليه عثمان ، وركن عليه علي ، فمن جاء محباً لهم سقوه ، ومن جاء مبغضاً لهم لم يسقوه » قال الحافظ بن ناصر الدين الدمشقي : لم أقف له على اسناد .

(فهذا رجاء رسول الله ﷺ فليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين) عليه ، (وليحذر أن يكون متمنياً ومغتراً وهو يظن أنه راج ، فإن الراجي للحصاد من بث البذار) أي نثره (ونقى الأرض) وحرثها (وسقاها الماء) في وقته ، (ثم جلس يرجو فضل الله) تعالى (بالإنبات ودفع العوائق إلى أوان الحصاد) ، فهذا هو الذي يعطى رجاءه . (فأما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الأرض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب

الأرض وسقيها وأخذ يرجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة، فهذا مغتر ومتمن وليس من الراجين في شيء! وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور الحمقى. نعوذ بالله من الغرور والغفلة، فإن الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى: ﴿فلا تغرنَّكُم الحياةُ الدنيا ولا يغرنَّكم باللهِ الغَرور﴾ [لقمان: ٣٣].

القول في صفة جهنم وأهوالها وأنكالها:

يا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال، دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه وأصرف التفكر إلى موردك فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل: ﴿وإن منكُم إلا وارِدُها كان على ربِّك حتماً مقضِياً * ثم ننجِّي الذينَ اتَّقُوا ونَذرِ الظالمين فيها جِثياً﴾ [مريم: ٧١ - ٧٢]، فأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك. فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد

والفاكهة، فهذا مغتر ومتمن وليس من الراجين في شيء، وهكذا رجاء أكثر الخلق وهذا غرور الحمقي. نعوذ بالله من الغرور والغفلة فإن الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى: ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾) والله الموفق.

القول في صفة جهنم وأهوالها وأنكالها:

أعاذنا الله والمسلمين منها وجهنم بتشديد النون اسم لنار الآخرة من الجهامة وهي كراهة المنظر قيل: فارسي معرب أصله جهنام، وقيل عربي سميت به نار الآخرة لبعد قعرها من قولهم بئر جهنام أي بعيد القعر، والاهوال: الشدائد، والانكال: أنواع العذاب (**أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا**) الدنية (**المشرفة على الانقضاء والزوال، دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه**) عن قرب وكان قد (**واصرف الفكر إلى موردك**) أي محل ورودك، (**فإنك**) قد (**أخبرت**) على لسان الصادق المصدوق (**بأن النار مورد للجميع**) أي ممر أو مدخل على اختلاف في معنى الورود (**إذ قيل: ﴿وان منكم إلاَّ واردها**) أي داخلها أو مار عليها أو واصلها وحاضر دونها (**وكان على ربك حتماً مقضياً﴾**) أي كان ذلك الورود واجباً أوجبه الله على نفسه وقضى بأن وعد به وعداً لا يمكن تخلفه، وقيل: اقسم عليه **﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾** فيساقون إلى الجنة وقرىء ثم بفتح الثاء أي هناك **﴿ونذر الظالمين﴾** على أنفسهم أي نتركهم **﴿فيها﴾** أي في النار **﴿جثيا﴾** منهارة بهم كما كانوا، وهو دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة إلى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهار بهم على هيئاتهم، (**وأنت من الورود على يقين ومن النجاة في شك**) وقد تقدم الكلام عليه في كتاب الخوف والرجاء، (**فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه،**

للنجاة منه ، وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا ، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفاً ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها ، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب ، وأطلت عليهم نار ذات لهب ، وسمعوا لها زفيراً وجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب ، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب . وخرج المنادي من الزبانية : قائلاً أين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل المضيع عمره في سوء العمل ؟ فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أنت العزيز الكريم﴾ [الدخان : ٢٩] ، فاسكنوا داراً ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك ، يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير ، شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم ، الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم ، أمانيهم فيها الهلاك ومالهم منها فكاك ، قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة

وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا ، فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفاً ينتظرون حقيقة أنبائها بشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات الشعب) الثلاثة في مقابلة الحس والخيال والوهم ، (**وأظلت عليهم نار ذات لهب**) أي التهاب ، وتلك الظلمات من دخان جهنم وانما تتشعب لعظمها ، (**وسمعوا لها زفيراً**) أي ترديد نفس (**وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب**) كما قال تعالى : ﴿سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ [الفرقان : ١٢] وقال تعالى : ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾ [الملك : ٨] (**فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب**) أي الهلاك (**وجثت الأمم على الركب**) كما قال تعالى : ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ [الجاثية : ٢٨] (**حتى أشفق**) أي خاف (**البرآء**) جمع بريء وهو من لم يذنب (**من سوء المنقلب ، وخرج المنادي من الزبانية**) وهم خزنة النار (**قائلاً : أين فلان بن فلان المسوّف نفسه في الدنيا بطول الأمل ، المضيع عمره في سوء العمل ؟ فيبادرونه بمقامع**) جمع المقمعة بكسر الميم وهي خشبة يضرب بها الإنسان على رأسه ليذل ويهان ، ثم بيَّن ان تلك المقامع (**من حديد**) وهو أقوى من مقامع الخشب ، (**ويستقبلونه بعظائم التهديد**) أي التخويف والزجر ، (**ويسوقونه**) ذليلاً مهاناً مجرجراً (**إلى العذاب الشديد ، وينكسونه في قعر الجحيم**) أي يجعلون رأسه في القعر ورجليه إلى فوق ، (**ويقولون له**) من باب التهكم : (**﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ فاسكنوا داراً ضيقة الأرجاء**) أي الجوانب (**مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الأسير ويؤبد فيها السعير ، شرابهم فيها الحميم**) أي الماء الحار ، (**ومستقرهم الجحيم ، الزبانية تقمعهم**) أي تضربهم بالمقامع (**والهاوية تجمعهم**) لأنها أمهم ، (**أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك**) أي خلاص ، (**قد شدت أقدامهم**) بجموعة (**إلى**

المعاصي، ينادون من أكنافها ويصيحون في نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود، فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان! ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسأوا فيها ولا تكلمون، ولا أخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف، بل يكبّون على وجوههم مغلولين، النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن أيمانهم والنار عن شمائلهم، فهم غرقى في النار طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار، فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل، فهم يتجلجلون في مضايقها ويتخطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيها، تغلي بهم النار كغلي القدور ويهتفون بالويل والعويل، ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم

النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكنافها) أي جوانبها (**ويصيحون في نواحيها واطرافها يا مالك**) وهو رئيس خزنة النار: (**قد حق علينا الوعيد**) أي ثبت ووجب، (**يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا جلودنا، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود**) إلى ما كنا فيه، (**وتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان! ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسأوا فيها ولا تكلمون، ولو اخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون، فعند ذلك يقنطون**) ولا ينطقون، (**وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون، ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف بل يكبون على وجوههم**) ومناخرهم (**مغلولين**) مقيدين. (**النار من فوقهم والنار من تحتهم والنار عن إيمانهم والنار عن شمائلهم**) قد أحاطت بجوانبهم الأربع، (**فهم غرقي في بحر النار، طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار، فهم بين مقطعات النيران**) جمع مقطعة وهي الجبب الضيقة الاكمام (**وسرابيل القطران**) جمع سربال بالكسر قميص أو درع والقطران ما يتحلب من شجر الابهل عند طبخه ويطلى به الابل وغيرها، وفيه لغتان: فتح القاف وكسر الطاء، وبه قرأ السبعة في قوله تعالى: ﴿سرابيلهم من قطران﴾ [إبراهيم: ٥٠] والثانية كسر القاف وسكون الطاء. (**وضرب المقامع ونقل السلاسل فهم يتجلجلون**) أي يضطربون (**في مضايقها يتحطمون**) أي يتكسرون (**في دركاتها**) أو يدفعون، (**ويضطربون بين غواشيها**) أي أطرافها (**تغلي بهم النار كغلي القدور**) على النيران، (**ويهتفون بالويل والعويل، ومهما دعوا بالثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به**) أي يذوب به (**ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم**) أي تكسرها (**فيتفجر الصديد من أفواههم، وتنقطع من العطش**

فيتفجر الصديد من أفواههم وتنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الأطراف شعورها، بل جلودها، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها، قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون! فكيف بك لو نظرت إليهم وقد اسودت وجوههم أشد سواداً من الحميم، وأعميت أبصارهم، وأبكمت ألسنتهم، وقصمت ظهورهم، وكسرت عظامهم، وجدعت آذانهم، ومزقت جلودهم، وغلت أيديهم إلى أعناقهم، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم. وهم يمشون على النار بوجوههم ويطأون حسك الحديد بأحداقهم، فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم. هذا بعض جملة أحوالهم.

وانظر الآن في تفصيل أهوالهم وتفكر أيضاً في أودية جهنم وشعابها، فقد قال ﷺ: «إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله»، وقال علي

أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم، ويسقط من الوجنات لحومها) الوجنة ما ارتفع من الخد والأشهر فتح الواو. وحكي التثليث والجمع وجنات كسجدة وسجدات، (**ويتمعط**) أي يتساقط (**من الأطراف شعورها بل جلودها، وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها**) ليتضاعف العذاب مجدداً، (**وعريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق وعلائق العصب، وهي تنش**) أي تيبس (**في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت**) الذي هو أيضاً هائل للخروج من تلك الأهوال والخلاص منها. (**فكيف بك لو نظرت إليهم وقد اسودت وجوههم**) من لفح تلك النيران (**أشد سواداً من الحمم**) أي الفحم، (**وأعميت أبصارهم وأبكمت ألسنتهم وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت**) أي قطعت (**آذانهم وأنوفهم ومزقت جلودهم وغلّت أيديهم إلى أعناقهم**) بالجامعة (**وجمع بين نواصيهم وأقدامهم**) أي مجموعة إليها، (**وهم يمشون على النار بوجوههم ويطأون حسك الحديد بأحداقهم، فلهيب النار سار في بواطن أجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم. هذه جملة أحوالهم**) أي بطريق الإجمال.

(**وانظر الآن تفصيل أهوالهم وتفكر أيضاً في أودية جهنم وشعابها، فقد قال النبي ﷺ: «إن في جهنم سبعين ألف وادٍ، في كل واد سبعون ألف شعب، في كل شعب سبعون ألف ثعبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله»**). قال العراقي: لم أجده هكذا بجملته، وسيأتي بعده ما ورد في الحيات والعقارب اهـ.

كرّم الله وجهه: قال رسول الله ﷺ: « تعوّذوا بالله من جب الحزن أو وادي الحزن » قيل: يا رسول الله وما وادي ـ أوجب ـ الحزن؟ قال: « واد في جهنم تتعوّذ منها جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين ». فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها. وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق بعض الأعلى: جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية،

قلت: بل أخرجه ابن قانع في معجمه وغيره من طريق يحي بن أبي كثير، عن أبي سلام، عن حجاج بن عبد الشمالي، وكان قد رأى النبي ﷺ وشهد معه حجة الوداع أن سفيان بن مجيب الشمالي حدثه، وكان من أصحاب النبي ﷺ قال: « إن في جهنم سبعة آلاف واد » الحديث. ووقع عند ابن قانع بخيث مصغر بخت بدل مجيب، وفيه اختلاف. ذكره الحافظ في الاصابة. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: لا يصح.

(وقال علي كرم الله وجهه، قال رسول الله ﷺ : « نعوذ بالله من جب الحزن ـ أو) قال **(وادي الحزن ـ »)** شك من الراوي **(قيل: يا رسول الله وما وادي الحزن ـ أوجب الحزن ـ؟ قال « واد في جهنم تتعوّذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله تعالى للقراء المرائين »)** قال العراقي: رواه ابن عدي بلفظ: « وادي الحزن » وقال: باطل، وأبو نعيم الاصبهاني بسند ضعيف، ورواه الترمذي وقال غريب، وابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ « جب الحزن » وضعفه ابن عدي وتقدم في ذم الجاه والرياء اهـ.

قلت: لفظ الترمذي، وابن ماجه « تتعوّذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة يدخلة القراء المراؤن بأعمالهم وإن من أبغض القراء إلى الله الذين يزورون الأمراء » وكذلك رواه البخاري في التاريخ، ورواه الطبراني من حديث ابن عباس بلفظ: « إن في جهنم لوادياً تستعيذ جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعمائة مرة أعد ذلك الوادي للمرائين من أمة محمد لحامل كتاب الله، وللمصدق في غير ذات الله، وللحاج إلى بيت الله، وللخارج في سبيل الله ». ولفظ أبي نعيم من حديث أبي هريرة « إن في جهنم لوادياً يقال له لملم إن أودية جهنم لتستعيذ بالله من حره ». ولفظ ابن عدي من حديث أبي هريرة: « إن في جهنم وادياً تستعيذ جهنم منه في كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين بأعمالهم، وإن أبغض الخلق إلى الله عالم السلطان ». وروى البيهقي عن بكر بن محمد العابد قال: سمعت سفيان الثوري يقول: إن في جهنم لجباً تستعيذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء الزائرين للسلطان.

(فهذه سعة جهنم وانشعاب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشهواتها، وعدد أبوابها بعدد الأعضاء السبعة التي بها يعصي العبد. بعضها فوق بعض) وهي الدركات: **(الأعلى جهنم، ثم سقر، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الجحيم، ثم الهاوية)**.

قال صاحب القاموس في كتاب البصائر: أصل السقر بالسين والصاد تغير اللون يقال: سقرته

فانظر الآن في عمق الهاوية فإنه لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا، فكما لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه، فلا تنتهي هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها. قال أبو هريرة: كنا مع رسول الله ﷺ: « فسمعنا وجبة فقال رسول الله ﷺ: « أتدون ما هذا ؟ » قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاماً الآن انتهى إلى قعرها ».

انظر إلى تفاوت الدركات فإن الآخرةَ أكبر درجات وأكبر تفضيلاً، فكما ان إكباب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك بمستكثر كالغريق فيها، ومن خائض فيها

الشمس وصقرته إذا لوّحته، وجعل سقر علماً لجهنم، ولما كان السقر يقتضي التلويح في الأصل نبه بقوله ﴿وما أدراك ما سقر ★ لا تبقى ولا تذر ★ لواحة للبشر﴾ [المدثر: ٢٧ - ٢٩] إن ذلك مخالف لما تعرفه من أحوال السقر في الشاهد، واللظى: النار. وقيل: لهب النار الخالص عن الدخان. ولظى: معرفة اسم جهنم، ولظيت النار بالكسر لظى والتظت التهبت. والحطمة: النار التي من شأنها أنهم تحطم كل ما يطرح فيها، والسعير: فعيـل بمعنى مفعول، وقد سعر النار وأسعرها وسعرها ألهبها. والجحيم: من الجحمة وهي شدة تأجج النار، وكل نار بعضها فوقها فوق بعض جحيم وجحمة وجحمها أوقدها. والجاحم الجمر الشديد الاشتعال والمكان الشديد الحر. والهاوية: من هوى إذا سقط على رأسه سميت نار الآخرة لأنهم يتساقطون فيها منكوسين.

(فانظر الآن في عمق الهاوية فإنه لا حدّ لعمقها كما لا حدّ لعمق شهوات الدنيا، كما لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه، فلا تنتهي هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعمق منها). وذكر صاحب القاموس في البصائر: إن في بعض الآثار ان دركات النار سبعة: هاوية للفراعنة، ولظى لعبدة الأوثان، وسقر للمجوس، والجحيم لليهود، والحطمة للنصارى، والسعير للصابئين، وجهنم لعصاة المؤمنين. قال: وورد الجحيم في القرآن على وجهين: أحدهما: بمعنى النار التي أوقدها نمروذ اللعين للخليل عليه السلام: ﴿قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم﴾ [الصافات: ٩٧] الثاني: بمعنى النار التي أعدها الله للمجرمين والكفار.

(قال أبو هريرة) رضي الله عنه: **(كنا مع رسول الله ﷺ فسمعنا وجبة)** أي سقطة ومادة وجب تدل على سقوط الشيء ووقوعه، **(فقال رسول الله ﷺ: « أتدرون ما هذا ؟ » قلنا: الله ورسوله أعلم. قال « هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاماً الآن حين انتهى الى قعرها »)** قال العراقي: رواه مسلم.

(ثم انظر إلى تفاوت الدركات، فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً، فكما أن إكباب الناس على الدنيا يتفاوت) تفاوتاً مختلفاً، **(فمن منهمك)** عليها **(مستكثر)** منها **(كالغريق فيها)** لا يستفيق من انهاكه، **(ومن خائض فيها إلى حدّ محدود)** أي معلوم،

إلى حد محدود، فكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن الله لا يظلم مثقال ذرة، فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان، بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه، إلا أن أقلهم عذاباً لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله ﷺ: « إن أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة يتنعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه »، فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه. ومهما تشككت في شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به. ثم اعلم أنك أخطأت في القياس، فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم، ولكن لما كان

(**فكذلك تناول النار لهم متفاوت، فإن الله لا يظلم مثقال ذرة**) أي خيراً أو شراً، (**فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيف كان، بل لكل واحد حدّ معلوم**) لا يتعدى (**على قدر عصيانه وذنبه، إلا أن أقلهم عذاباً لو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها لافتدى به من شدة ما هو فيه**)، فقد روى أحمد وعبد بن حميد ومسلم والنسائي وابن حبان والحاكم في أثناء حديث أنس: « يقول الله تعالى لرجل من أهل النار: أتفتدي منه بطلاع الأرض ذهباً فيقول: أي رب نعم. فيقول: قد كذبت » الحديث.

(**قال رسول الله ﷺ: « إن أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه »**) قال العراقي: متفق عليه من حديث النعمان بن بشير اهـ.

قلت: لفظ البخاري « إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي الرجل بالقمقم » ولفظ مسلم « إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وأنه لأهونهم عذاباً » وروى الحاكم من حديث أبي هريرة: « إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل يحذى له نعلان من نار يغلي منهما دماغه ». وروى مسلم من حديث ابن عباس « إن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين من نار يغلي منهما دماغه ». وفي رواية مسلم من حديث أبي سعيد في حديث طويل آخره « وأدنى أهل النار عذاباً ينعل من نار بنعلين يغلي دماغه من حرارة نعليه ». وروى هناد من مرسل عبيد بن عمير « إن أدنى أهل النار عذاباً بالرجل عليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه كأنه مرجل، مسامعه جمر وأدراسه جمر وأشفاره لهب النار، تخرج احشاء جنبيه من قدميه وسائرهم كالحب القليل في الماء الكثير فهو يفور » وفي الصحيح من حديث أبي سعيد في حق أبي طالب « لعله تنفعه شفاعتي فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه ».

(**فانظر الآن إلى من خفف عنه واعتبر به ومن شدد عليه، ومهما تشككت في شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به**) كما كان يفعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه والأحنف بن قيس وقد تقدم. (**ثم اعلم أنك أخطأت في القياس، فإن نار الدنيا لا تناسب**

أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات! لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هرباً مما هم فيه. وعن هذا عبر في بعض الأخبار حيث قيل: « إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا »،

نار جهنم) ولا تقاربها، (**ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها**) تقريباً للأذهان، (**وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طائعين هرباً مما هم فيه، وعن هذا عبرّ في بعض الأخبار حيث قيل: « إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطاقها أهل الدنيا »**) قال العراقي: ذكره ابن عبد البر من حديث ابن عباس. وهذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات، ولولا ذلك ما انتفع بها. وللبزار من حديث أنس بسند ضعيف وما وصلت إليكم حتى احسبه قال نضجت مرتين بالماء لتضيء لكم اهـ.

قلت: قال الترمذي حدثنا عباس بن محمد الدوري، أخبرنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا شيبان، عن فراس، عن عطية عن أبي سعيد رفعه: « ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم لكل جزء منها حرها » قال الترمذي: حسن غريب. وقال ابن ماجه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبي ويعلى قالا: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن نفيع بن داود عن أنس رفعه: « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم لولا أنها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها وأنها لتدعو الله تعالى أن لا يعيدها » فيها رجاله ثقات إلا نفيع بن الحارث فإنه متروك. ورواه الحاكم مثله وصححه. وأخرج البيهقي في البعث مثله من حديث أبي هريرة من طريق سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عنه، وعن ابن مسعود موقوفاً. ورواه ابن مردويه من حديث أبي هريرة بلفظ: « ولولا أنها ضربت في اليم سبع مرات لما انتفع بها بنو آدم». وروى مالك في الموطأ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رفعه: « نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم». فقالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية. قال: « فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً وهو حديث صحيح أخرجه البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس عن مالك. ومسلم عن قتيبة عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد. ورواه أحمد والبيهقي في البعث بمثله.

وقوله: « بتسعة وستين » قال العراقي: في شرح التقريب: وقفت على نسخة صحيحة من التهم بتسعة وتسعين وعليها خط المصنف، وصوابه وستين، فهو الذي في الحديث. ولعل التسعين سبق قلم من الناسخ، وما قيل من أن المذكور أولاً بالنسبة للقدر والعدد، وثانياً بالنسبة للحدّ غير متعين، والذي يظهر أن الكلام أولاً وثانياً إنما هو بالنسبة للحدّ، ولهذا قال في الأول جزء واحد من سبعين جزءاً من حر جهنم، ولا يضر تأكيد الكلام وتكرره، فإنه ﷺ لما ذكر تفضيل جهنم في الحر بهذه الأجزاء. وقال الصحابة: إن حر نار الدنيا كان كافياً في العقوبة والانتقام أكد النبي ﷺ ما أخبر به أولاً بعد سؤال الصحابة. وقال: إنها فضلت عليها بهذا القدر في الجزاء. والله أعلم.

بل صرح رسول الله ﷺ بصفة نار جهنم فقال: « أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة » ، وقال ﷺ : « اشتكت النار إلى ربها فقالت : يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها في نفسين : نفس في الشتاء ونفس في الصيف ، فأشد ما تجدونه في الصيف من حرها وأشد ما تجدونه في الشتاء من زمهريرها » .

(**بل صرح رسول الله ﷺ بصفة نار جهنم فقال: أمر الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة »**) قال البيهقي في الشعب : أخبرنا أبو الحسن بن عبدان ، حدثنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا الكديمي هو محمد بن يونس ، حدثنا سهل بن حماد ، حدثنا مبارك بن فضالة ، حدثنا ثابت البناني ، عن أنس قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿وقودها الناس والحجارة﴾ [البقرة : ٢٤] فقال : « أوقد عليها ألف عام حتى احمرت ، وألف عام حتى ابيضت ، وألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة » قال : وبين يدي رسول الله ﷺ أسود يهتف بالبكاء ، فنزل جبريل عليه السلام فقال : يا محمد من هذا الباكي بين يديك ؟ قال : « رجل من الحبشة وأثنى عليه معروفاً قال : فإن الله يقول : وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي لا تبكي عين عبد في الدنيا من مخافتي إلا أكثرت ضحكها معي في الجنة » . رجاله ثقات إلا الكديمي ، ولأوّله شاهد . قال يعقوب بن سفيان في مسنده : حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا يحي بن أبي بكر ، أخبرنا شريك ، عن عاصم عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رفعه : « أوقدت النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة » أخرجه الترمذي عن العباس به وقال : لا نعلم أحداً رفعه إلا يحي عن شريك ، ثم رواه من طريق أخرى عن أبي هريرة موقوفاً وقال : هذا أصح . وأخرجه البيهقي في البعث من طريق معتمر بن سليمان عن أبيه ، عن علقمة ، عن عاصم عن أبي صالح عن كعب وقال : هذا أصح . فتبين بهذا أنه من الإسرائيليات . وروى مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة أنه قال : « أترونها حمراء مثل ناركم هذه التي توقدون إنها لأشد سواداً من القار » . هذا موقوف صحيح . وأخرجه البيهقي في البعث من طريق عبد العزيز بن سهيل مرفوعاً » .

(**وقال ﷺ : « اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها في نفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدونه في الصيف من حرّها وأشد ما تجدونه في الشتاء من زمهريرها »**) . قال العراقي : متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ .

قلت : ورواه كذلك مالك والشافعي وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور وابن ماجه وابن مردويه بلفظ المصنف ، وفي رواية لهم : « فهو أشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير » .

وقال أنس بن مالك: يؤتى بأنعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال: اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له: هل رأيت نعيماً قط؟ فيقول: لا، ويؤتى بأشد الناس ضراً في الدنيا فيقال: اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له: هل رأيت ضراً قط؟ فيقول: لا. وقال أبو هريرة: لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا. وقد قال بعض العلماء في قوله: ﴿تلفحُ وجُوهَهُمُ النارُ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، إنها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحماً على عظم إلا ألقته عند أعقابهم.

ورواه الترمذي وقال حسن صحيح بلفظ: «فأما نفسها في الشتاء فزمهرير وأما نفسها في الصيف فسموم». وروى عبد بن حميد عن قتادة قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ حدث: «أن جهنم اشتكت إلى ربها فنفسها في كل عام نفسين فشدة الحر من حرها وشدة البرد من زمهريرها».

(وقال أنس بن مالك) رضي الله عنه: **(يؤتى بأنعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال: اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له: هل رأيت نعيماً قط؟ فيقول: لا، ويؤتى بأشد الناس ضراً في الدنيا فيقال: اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له: هل رأيت ضراً قط؟ فيقول: لا)**. رواه أحمد وعبد بن حميد ومسلم والنسائي وابن ماجه وأبو يعلى من حديث أنس مرفوعاً بلفظ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في جهنم صبغة ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط، هل مربك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ في الجنة صبغة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط، هل مرّ بك شدة قط؟ فيقول: لا. والله يا رب ما مرّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط». ولما لم يصرح المصنف برفعه لم يتعرض له العراقي بالتخريج وهو واجب التنبيه.

(وقال أبو هريرة) رضي الله عنه. **(لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا)** وهذا أيضاً ذكره موقوفاً وهو مرفوع من حديثه. رواه البزار وأبو يعلى والبيهقي في البعث بلفظ: «لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيه رجل من أهل النار فتنفس فأصابهم نفسه لأحرق المسجد ومن فيه». وروى الديلمي من حديث أبي سعيد: «لو أخرج رجل من أهل النار ثم أقيم بالمشرق وأقيم رجل بالمغرب لمات ذلك الرجل من نتن ريحه». وروى ابن مردويه عن الحسن عن أبي هريرة الأسلمي من قوله بنحوه. **(وقد قال بعض العلماء في)** تفسير قوله تعالى: **(﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾)** يقال لفحته الشمس والسموم غيرت لونه بحرها **(أنها لفحتهم لفحة واحدة فما أبقت لحماً على عظم إلا ألقته عند أعقابهم)**. والمراد ببعض العلماء ابن مسعود. هكذا رواه صاحب الحلية. ورواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن أبي الهذيل مثله. وقد روي نحوه من حديث أبي الدرداء: «تلفحهم لفحة فتسيل لحومهم على أعقابهم» رواه ابن مردويه والضياء في صفة النار. ومن حديث أبي هريرة: «إن جهنم

ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من أبدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق، قال أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لو إن دلواً من غساق جهنم ألقي في الدنيا لأنتن أهل الأرض». فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش فيسقى أحدهم من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وأن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً.

ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى: ﴿ثم إنَّكم أيُّها الضالون المكذِّبون★ لآكلون من شجرٍ من زَقُّوم★ فمالئونَ منها البطون★ فشارِبونَ عليه من الحميم★

لما سيق إليها أهلها لقيتهم بعنف فلفحتهم لفحة فلم تدع لحماً على عظم إلا ألقته على العرقوب». رواه ابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية.

(ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من أبدانهم حتى يغرقوا فيه وهو الغساق) بالتخفيف والتشديد اسم لما يقطر من جلود أهل النار، وفي الأساس ما يسيل من جلودهم أسود من غسقت العين وعين غاسقة إذا أظلمت ودمعت انتهى. وقيل: هو البارد المنتن، وقيل: هو الزمهرير، وروي ذلك عن أبي العالية. (قال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ: «لو أن دلواً من غساق جهنم ألقي في الدنيا لأنتن أهل الأرض») قال العراقي: رواه الترمذي وقال: إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد وفيه ضعف اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والبيهقي في الشعب بلفظ: «لو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا» وصححه الحاكم وأقره عليه الذهبي، وقوله: أهل الأرض بالرفع أي صاروا ذا نتن أو تغيروا ونصب أهل غير صواب، وفي رواية للحاكم: «ولو أن دلواً من غسلين يهراق في الدنيا لانتن أهل الدنيا».

(فهذا شرابهم إذا استغاثوا من العطش فيسقى أحدهم من ماء صديد يتجرعه) أي يشربه جرعة جرعة (ولا يكاد يسيغه) إذ قد كتب الله عليهم الخلود في النار إلى ما شاءه، (وإن يستغيثوا) من شدة العطش (يغاثوا بماء كالمهل) أي النحاس المذاب، أو كدردي الزيت (يشوي الوجوه) أي يحرقها إذا أدنيت منه (بئس الشراب) المهل (وساءت) النار (مرتفقاً) متكأ. وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله: ﴿حسنت مرتفقاً﴾ [الكهف: ٣١] وإلا فلا ارتفاق لأهل النار.

(ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم) اسم شجرة في جهنم مرة خبيثة كريهة الطعم والريح، (كما قال تعالى: ﴿ثم إنكم أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون﴾) بالبعث (﴿لآكلون من شجر من زقوم﴾) من الأولى للابتداء والثانية للبيان (﴿فمالئون منها البطون﴾) أي من شدة الجوع (﴿فشاربون عليه من الحميم﴾) لغلبة العطش (﴿فشاربون شرب الهيم﴾)

فشاربون شرب الهيم﴾ [الواقعة: ٥١ ـ ٥٥] ، وقال تعالى: ﴿ إنّها شجرةٌ تخرجُ في أصلِ الجحيم ★ طلعُها كأنّه رؤوسُ الشياطين ★ فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ★ثم إن لَهم عليها لَشوباً من حميم ★ ثم إن مرجعَهم لإلى الجحيم﴾ [الصافات: ٦٤ ـ ٦٨] ، وقال تعالى: ﴿تصلَى ناراً حامية ★ تُسقى من عينٍ آنية﴾ [الغاشية: ٤ ـ ٥] ، وقال تعالى: ﴿ إن لدينَا أنْكالاً وجحيماً ★ وطعاماً ذا غُصَّةٍ وعذاباً أليماً﴾ [المزمل: ١٢ ـ ١٣] ، وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم » فكيف من يكون طعامه ذلك ؟ وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: « ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم، فإنه لو كان قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها طيبتها لكم، ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبثتها عليكم ». وقال أبو

الإبل التي بها داء الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم وهيماء، وقيل: هي الرمال التي لا تتماسك على أنه جمع هيام كسحاب جمع على هيم كسحب ثم خفف، وفعل بها ما فعل بجمع أبيض، وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر فلا تحاد. (**وقال تعالى: ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ★ طلعها كأنه رؤوس الشياطين**) في غاية الفظاعة وقبح المنظر. (**﴿ فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ★ ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم﴾**) أي خلطا من ماء حار (**وقال تعالى: تصلى﴾**) أي تدخل ﴿ **ناراً حامية**﴾ متناهية في الحر (**﴿تسقي من عين آنية﴾**) بلغت إناها في الحر، والضميران للوجوه المتقدم ذكره قبل الآية. (**وقال تعالى: ﴿ إن لدينا أنكالاً﴾**) أي قيوداً وأثقالاً (**وجحيماً ★ وطعماً ذا غصة**) ينشب في الحلق (**وعذاباً أليماً﴾**) أي ونوعاً آخر من العذاب مؤلماً لا يعرف كنهه إلا الله تعالى، ولما كانت العقوبات مما تشترك فيها الأشباح والأرواح، فإن النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق عن التخلص إلى عالم المجردات منحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي أنوار، فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى. (**وقال ابن عباس**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: « لو أن قطرة من الزقوم**) الذي هو طعام أهل النار (**قطرت في دار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ذلك »**) قال العراقي: رواه الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه اهـ.

قلت: ورواه كذلك الطيالسي وأحمد والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي.

(**وقال أنس**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: « ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوّفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فإنه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها حلتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبثتها لكم »**) قال العراقي: لم أجد له إسناداً اهـ.

الدرداء: قال رسول الله ﷺ: «يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ويستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم، قال: فيدعون خزنة جهنم أن ﴿ادعوا ربكم يخفْفْ عنَّا يوماً من العذاب ★ قالوا أوَلَم تك تأتيكُم رسُلُكم بالبيِّناتِ قالُوا بلى قالوا فادعُوا وما دعاءُ الكافِرينَ إلا في ضلال﴾ [غافر: ٤٩ - ٥٠]، قال: «فيقولون ادعوا مالكاً فيدعون فيقولون: يا مالك ليقض علينا ربك» قال: «فيجيبهم إنكم ماكثون».

قال الأعمش: أنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال: فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون: ﴿ربَّنا غَلِبتْ علينا شِقوتُنا وكنَّا قوماً ضالين★ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالِمُون﴾ قال: فيجيبهم: ﴿اخسأوا فيهَا ولا

قلت: بل أخرجه البيهقي في البعث والنشور كذا وجدته في هامش المغني بخط الحافظ ابن حجر والله أعلم.

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ: «يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع) وهو يابس الشبرق (لا يسمن ولا يغني من جوع، ويستغيثون بالطعام) ثانياً (فيغاثون بطعام ذي غصة) لا يقدرون على إساغته (فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب) لإساغة ما نشب في حلوقهم، (فيرفع) وفي نسخة فيدفع (إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم) أي تلك الكلاليب، (فإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم) من الأمعاء والأحشاء (فيقولون) لبعضهم: (ادعوا خزنة جهنم أن ﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب قالوا: أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ قال: فيقولون ادعوا مالكاً) رئيس الخزنة (فيدعون، فيقولون: ﴿يا مالك ليقض علينا ربك قال﴾ فيجيبهم ﴿إنكم ماكثون﴾ [الزخرف: ٧٧]»).

(قال الأعمش) سليمان بن مهران الكوفي أحد رواة هذا الحديث: (أنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام) وهذه الجملة مدرجة من الأعمش في الحديث، ثم رجع إلى الحديث (قال: «فيقولون: ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين★ ربنا أخرجنا

تكلِمُون﴾ [المؤمنون: ١٠٦ ـ ١٠٨]، قال فعند ذلك يئسوا من كل خير، وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل. وقال أبو أمامة: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ويُسقَى من ماءٍ صديد ★ يتجرعُهُ ولا يكاد يسِيغُهُ﴾ [ابراهيم: ١٦ ـ ١٧]، قال: «يقرب إليه فيتكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه. فإذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره» يقول الله تعالى: ﴿وسُقُوا ماء حمِياً فقطع أمعَاءَهُم﴾ [محمد: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وإنْ يَستغيثوا يُغَاثوا بماءٍ كالْمُهْلِ يشوي الوجوه﴾

منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ قال فيجيبهم ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾ قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل») قال العراقي: رواه الترمذي من رواية شهر بن عطية، عن شهر بن حوشب، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء. قال الدارمي: والناس لا يرفعون هذا الحديث، وإنما روي عن الأعمش عن شهر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله اهـ.

قلت: ورواه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في البعث مرفوعاً هكذا وروى ابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميد وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم والبيهقي عن عبدالله بن عمرو قال: «إن أهل جهنم ينادون مالكاً ﴿يا مالك ليقض علينا ربك﴾ فيذرهم أربعين عاماً لا يجيبهم ثم يجيبهم ﴿إنكم ماكثون﴾ ثم ينادون ربهم ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ فيذرهم مثلي الدنيا لا يجيبهم ثم يجيبهم ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾ قال: فما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو إلا الزفير والشهيق». وروي عن ابن جريج نحو ذلك كما عند ابن جرير وابن المنذر. وروى ابن أبي الدنيا في صفة النار من حديث حذيفة: «إن الله إذا قال لأهل النار: ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾ عادت وجوههم قطعة لحم ليس فيها أفواه ولا مناخير يتردد النفس في أجوافهم».

(وقال أبو أمامة) الباهلي رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ويسقي من ماء صديد ★ يتجرعه ولا يكاد يسيغه﴾ قال: «يقرب إليه)** وفي رواية إلى فيه **(فيتكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه فوقعت فروة رأسه)** أي جلدته، **(فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره» يقول الله تعالى ﴿وسقوا ماء حمياً فقطع امعاءهم﴾ وقال تعالى: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه﴾)** قال العراقي: رواه الترمذي وقال غريب اهـ.

قلت: رواه كذلك أحمد والنسائي وابن أبي الدنيا في صفة النار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في البعث والنشور. وروى ابن أبي شيبة عن مغيث بن سمي قال: إذا جيء بالرجل إلى النار قيل: انتظر حتى

[الكهف: ٢٩]، فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم.

فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاظة منظرها وقد سلطت على أهلها واغريت بهم، فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة! وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهازمه ـ يعني أشداقه ـ فيقول: أنا مالك أنا كنزك »، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ولا تحسبنَّ الذينَ يبخلُونَ بما آتاهُـمُ الله من فضله﴾ [آل عمران: ١٨] الآية. وقال الرسول ﷺ: « إن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً، وإن فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً وهذه الحيات والعقارب، إنما تسلط على من سلـط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وقي ذلك وقي هذه

نتحفك فيؤتى بكأس بسم الأساود والأفاعي إذا أدناها من فيه نشرت اللحم على حدة والعظم على حدة.

(**فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم، فانظر الآن إلى حيات جهنم وعقاربها وإلى شدة سمومها وعظم أشخاصها وفظاظة منظرها، وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم فهي لا تفتر عن النهش واللدغ ساعة واحدة**). فالنهش للحيات واللدغ للعقارب. (**قال أبو هريرة**) رضي الله عنه (**قال رسول الله** ﷺ: « **من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهـازمه أي اشداقه فيقول: أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ الآية** ») قال العراقي: رواه البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث جابر نحوه اهـ.

قلت: وكذلك رواه النسائي ولفظها: « ثم يأخذ بلهزمتيه » يعني بشدقيه ثم يقول.

(**وقال الرسول** ﷺ: « **إنِ في النار لحيات مثل أعناق البخت**) جمع بختي بالضم وهو نوع من الجمال موصوف بعظم الأعناق (**يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً، وأن فيها العقارب كالبغال الموكفة**) أي المشدودة عليها بالأكاف (**ويلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفاً** ») قال العراقي: رواه أحمد من رواية ابن لهيعة عن دراج عن عبدالله بن الحرث بن جزء اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن حبان والطبراني والحاكم والضياء ولفظهم: « تلسع احداهن اللسعة ».

(**وهذه الحيات والعقارب إنما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وإيذاء الناس ومن وقي ذلك**) في دنياه (**وقي هذه الحيات**) والعقارب (**فلم تمثل له**) في

الحيات فلم تمثل له »، ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم أجسام أهل النار فإن الله تعالى يزيد في أجسامهم طولاً وعرضاً حتى يتزايد عذابهم بسببه، فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالي. قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « ضرس الكافر في النار مثل أُحُد وغلظ جلده مسيرة ثلاث » وقال رسول الله ﷺ: « شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت على وجهه »، وقال عليه السلام: « إن الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيامة يتواطأه الناس »، ومع عظم

الآخرة (**ثم تفكر بعد ذلك في تعظيم أجسام أهل النار فإن الله تعالى يزيد في أشخاصهم طولاً وعرضاً حتى يتزايد عقابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات**) من جميع (**أجزائها دفعة واحدة على التوالي. قال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: « ضرس الكافر في النار مثل أحد**) وهو الجبل المعروف، (**وغلظ جلده مسيرة ثلاث »**) قال العراقي: رواه مسلم اهـ.

قلت: ورواه كذلك الترمذي، ورواه البزار من حديث ثوبان بلفظ: « وغلظ جلده أربعون ذراعاً بذراع الجبار ». وفي لفظ للترمذي من حديث أبي هريرة: « ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة ». وقال حسن غريب وفي لفظ له والحاكم: « إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار وإن ضرسه مثل أحد وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة ». ورواه أحمد والحاكم بلفظ: « ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعاً وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان ومقعده في النار ما بيني وبين الربذة ». ورواه ابن ماجه من حديث أبي سعيد: « إن الكافر ليعظم حتى أن ضرسه لأعظم من أحد وفضيلة جسده على ضرسه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه ».

(**قال رسول الله ﷺ: « شفته السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه »**) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن صحيح غريب اهـ.

قلت: رواه في تفسير قوله تعالى: ﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾ [المؤمنون: ١٠٤] قال: تشربه النار فتقلص شفته حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته. وهكذا رواه أحمد وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في صفة النار، وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه، وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية. وروي عن ابن مسعود في تفسير قوله تعالى: ﴿وهم فيها كالحون﴾ قال: بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم.

(**وقال ﷺ: « إن الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيامة يتواطأه الناس »**) أي يطأونه بأرجلهم. قال العراقي: رواه الترمذي من رواية أبي المخارق عن ابن عمر وقال غريب، وأبو المخارق لا يعرف اهـ.

قلت: وكذلك رواه هناد والبيهقي ولفظهم: « ليسحب لسانه يوم القيامة الفرسخ والفرسخين »

الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم. قال الحسن في قوله تعالى: ﴿ كلّما نضَجتْ جلودُهُم بدّلناهم جُلوداً غيرها ﴾ [النساء: ١١]، قال: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة، كلما أكلتهم قيل لهم: عودوا فيعودون كما كانوا.

ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور، فإن ذلك يسلط عليهم في أول إلقائهم في النار، قال رسول الله ﷺ: « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك »، وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: « يرسل على

والباقي سواء. ورواه أحمد بلفظ: « ليجر لسانه يوم القيامة وراءه قدر فرسخين. ورواه الطبراني في الكبير بلفظ: إن أهل النار يعظمون في النار حتى يصير ما بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وغلظ جلد أحدهم أربعين ذراعاً وضرسه أعظم من جبل أحد ».

(ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم. قال الحسن) البصري رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: (﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ﴾ قال:) بلغني أنه (تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا) كما كنتم (فيعودون كما كانوا). رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، وقال كعب: يبدلون في كل ساعة مائة وعشرين مرة، وسمعه عمر رضي الله عنه فصدقه على ذلك وقال: هكذا سمعته من رسول الله ﷺ. رواه أبو نعيم في الحلية.

(ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار و) زفيرهم (وشهيقهم ودعائهم بالويل والثبور) والحسرة، (فإن ذلك يسلط عليهم في أول إلقائهم في النار) وعند مشاهدة أهوالها. (قال رسول الله ﷺ: « يؤتي بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك ») قال العراقي: رواه مسلم من حديث ابن مسعود اهـ.

قلت: وكذلك رواه الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه بزيادة: « يجرونها في الآخر » ورواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد والترمذي أيضاً وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير عن ابن مسعود قال: « جيء بها تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يقودونها ». وروى ابن مردويه من حديث أبي سعيد: « يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع ». ومن حديث علي: « إذا كان يوم القيامة تقاد جهنم بسبعين ألف زمام بيد سبعين ألف ملك فتشرد شردة لولا أن الله حبسها لأحرقت السمو ت والأرض ». وروى ابن وهب في كتاب الأهوال عن زيد بن أسلم مرسلاً رفعه: « تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام يقوده سبعون ألف ملك فبينما هم انشردت عليهم شردة انفلتت من أيديهم، فلولا أنهم أدركوها لأحرقت من في الجمع فأخذوها ».

(وقال أنس) رضي الله عنه: (قال رسول الله ﷺ: « يرسل على أهل النار البكاء

أهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون أيضاً من ذلك ». قال محمد بن كعب: لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة، فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً يقولون: ﴿ربّنا أمَتَّنا اثنتينْ وأحْيَيْتَنا اثنتين فاعترفْنَا بذنُوبِنَا فهلْ إلى خروجٍ من سَبيل﴾ [غافر : ١١]، فيقول الله تعالى مجيباً لهم: ﴿ذلِكم بأنه إذا دُعي الله وحده كفرتُم وإن يُشَركْ بهِ تُؤمِنُوا فالحكْم لله العلي الكبير﴾ [غافر : ١٢]، ثم يقولون: ﴿ربّنا أخِّرْنا إلى أجلٍ قريبٍ نُجبْ دعوتك وَنتّبع الرُّسُل﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أوَلَم تكونوا أَقْسَمْتُم مِنْ قَبْلُ مَالَكُم مِنْ زَوَالٍ﴾ [ابراهيم : ٤٤]، فيقولون: ﴿ربّنا أخْرِجْنَا نعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الّذي كُنَّا نَعْمَلُ﴾، فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نعمِّرْكُم ما يَتَذَكَّرُ فيه من تَذَكَّر وجاءَكُمْ النذيرُ فذوقُوا فما للظّالمين من

فيبكون حتى تنقطع الدموع، ثم يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الأخدود لو أرسلت فيها السفن لجرت») قال العراقي: رواه ابن ماجه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس والرقاشي ضعيف اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن عساكر، وروى الحاكم من حديث أبي موسى الأشعري: « إن أهل النار يبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت، وأنهم ليبكون الدم ». والرقاشي غلب عليه الزهد والانفراد، ومع ذلك فقد روى عنه الأعلام كالأعمش والأوزاعي وحجاج بن ارطأة وزيد العمى ومحمد بن المنكدر وصفوان بن سليم وعطاء بن السائب والحمادان وغيرهم، وقد روى له البخاري في التاريخ والترمذي وابن ماجه.

(**وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستراح**) ومتسلى، (**ولكنهم يمنعون أيضاً من ذلك. قال محمد**) بن كعب القرظي المدني التابعي: (**لأهل النار خمس دعوات: يجيبهم الله عز وجل في أربعة، فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً يقولون: ﴿ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل﴾ فيقول الله تعالى مجيباً لهم: ﴿ذلكم بأنه إذا دُعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير﴾ ثم يقولون: ﴿ربنا أخّرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال﴾ فيقولون: ﴿ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ ثم**

نصير﴾ [فاطر : ٣٧] ، ثم يقولون : ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ علَيْنا شِقْوَتُنَا وكنّا قوماً ضالّين* ربّنا أخْرِجنا مِنْهَا فإنْ عُدْنَا فإنَّا ظَالِمُون﴾ فيجيبهم الله تعالى : ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾ [المؤمنون : ١٠٦ - ١٠٨] ، فلا يتكلمون بعدها أبداً وذلك غاية شدة العذاب . قال مالك بن أنس رضي الله عنه : قال زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿سَواءٌ عَلينَا أجزعنا أم صبرنا ما لنَا من محيص﴾ [ابراهيم : ٢١] ، قال : صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا : سواء علينا أجزعنا أم صبرنا . وقال ﷺ : « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال : يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت » ، وعن الحسن قال : يخرج من النار رجل

يقولون : ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين* ربنا اخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ فيجيبهم الله تعالى : ﴿اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾ فلا يتكلمون بعد هذا أبداً . وذلك غاية شدة العذاب) . رواه سعيد بن منصور وابن جرير في التفسير وابن المنذر والبيهقي في الشعب . (**قال مالك بن أنس**) الإمام رحمه الله تعالى ، (**قال**) أبو أسامة (**زيد بن أسلم**) العدوي مولاهم التابعي الثقة . (**في قوله تعالى : ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾ قال : صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم قالوا : ﴿سواء علينا اجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾**) رواه أبو نعيم في الحلية قال : حدثنا محمد بن علي ، حدثنا أحمد بن علي بن المثنى ، حدثنا سعيد بن عبد الجبار ، حدثنا مالك بن أنس ، عن زيد بن أسلم فذكره ولفظه : جزعوا مائة سنة وصبروا مائة سنة .

(**وقال ﷺ : « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ، ويقال : يا أهل الجنة خلود لا موت ، ويا أهل النار خلود لا موت »**) . قال العراقي : رواه البخاري من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي سعيد وقد تقدم اهـ .

قلت : ورواه الطبراني من حديث ابن عمر بلفظ : « يجاء بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم . ويقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم . هذا الموت . فيؤمر به فيذبح ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت » وروي عن أنس مختصراً : « يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح » هكذا رواه أبو يعلى والضياء عنه .

وللترمذي من حديث أبي سعيد « يؤتى بالموت كأنه كبش أملح حتى يوقف على السور بين الجنة والنار فيقال : يا أهل الجنة فيشرئبون ، ويقال : يا أهل النار فيشرئبون . فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت فيضجع ويذبح فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء لماتوا فرحاً ، ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها لماتوا ترحاً » .

بعد ألف عام وليتني كنت ذلك الرجل. وروِّي الحسن رضي الله عنه جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل له: لِمَ تبكي؟ فقال: أخشى أن يطرحني في النار ولا يبالي.

فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة، وتفصيل عمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها

روى هناد وأحمد وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة «يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال: يا أهل الجنة فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح على الصراط ثم يقال للفريقين: كلاكما خلود فيما تجدون لا موت فيها أبداً».

وللبخاري من حديث ابن عمر «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم: يا أهل النار لا موت خلود ويا أهل الجنة لا موت خلود». ورواه مسلم نحوه وفيه «كُلّ خالد فيما هو فيه». وروى الطبراني من حديث ابن مسعود «لو قيل لأهل النار إنكم ماكثون عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا بها، ولو قيل لأهل الجنة إنكم ماكثون عدد كل حصاة لحزنوا ولكن جعل لهم الأبد».

(**وعن الحسن**) البصري رحمه الله تعالى (**قال: يخرج من النار رجل بعد ألف عام، وليتني كنت ذلك الرجل**) يشير إلى ما رواه أحمد وابن خزيمة والبيهقي من حديث أنس «إن عبداً في جهنم ينادي ألف سنة: يا حنان يا منان، فيقول الله لجبريل: اذهب فائتني بعبدي هذا، فينطلق جبريل» الحديث وفيه «فيقول دعوا عبدي». تقدم في كتاب الخوف والرجاء.

(**وروِّي الحسين**) بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما (**جالساً في زاوية**) من زوايا البيت (**وهو يبكي فقيل**) له: (**لم تبكي؟ فقال: أخشى أن يطرحني في النار ولا يبالي**) نزع به إلى الخبر «إن الله تعالى قبض قبضة من بني آدم فقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وقبض قبضة أخرى فقال: وهؤلاء في النار ولا أبالي» كما تقدم. وإيراد المصنف هذين القولين هنا إشارة إلى تهويل أمر النار، وأنه مما ينبغي أن يتصوّر السالك ذلك في نفسه ويشتد خوفه.

(**فهذه أصناف عذاب جهنم على الجملة وتفصيل غمومها وأحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية له**). ومن ذلك ما رواه أبو يعلى والعقيل وابن عدي والطبراني وأبو نعيم في الحلية والحاكم من حديث أبي موسى الأشعري «إن في جهنم وادياً وفي ذلك الوادي بئر يقال له «هبهب» حق على الله أن يسكنه كل جبار». وتقدم ذلك للمصنف.

وروى ابن عدي وابن عساكر من حديث أنس «إن في جهنم رحا تطحن علماء السوء طحناً». ورواه ابن عساكر أيضاً من حديث ابن عمر بلفظ «تطحن جبابرة العلماء طحناً» وفيه إبراهيم بن عبد الله بن همام كذاب.

وروى الديلمي من حديث أبي هريرة « إن في جهنم أرحية تدور بالعلماء فيشرف عليهم من كان عرفهم في الدنيا فيقولون: ما صيركم إلى هذا وإنما كنا نتعلم منكم؟ فيقولون: إنا كنا نأمركم بأمر ونخالفكم إلى غيره ».

وروى الحاكم من حديث أسامة بن زيد « يؤتى بالوالي الذي كان يطاع في معصية الله فيؤمر به إلى النار فيقذف فيها فتندلق بها أقتابه فيستدير فيها كما يستدير الحمار في الرحى، فيأتي على أهل طاعته من الناس فيقولون: أي: قل أين ما كنت تأمرنا. فيقول: كنت آمركم بأمر وأخالفكم إلى غيره ». وروى الحميدي والعدني نحوه. وروى مثله في علماء السوء من حديث أبي أمامة وتقدم للمصنف.

وروى البزار من حديث سعد « إن في النار حجراً يقال له ويل يصعد عليه العرفاء وينزلون فيه ».

وروى أحمد والترمذي وصححه والطبراني والحاكم من حديث ابن عمر « لو أن رصاصة مثل هذه ـ وأشار إلى مثل الجمجمة ـ أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها ».

وروى الطبراني وابن مردويه من حديث أنس « لو أن شررة من شرر جهنم بالمشرق لوجد حرها من بالمغرب » وفي رواية له « لو أن شررة من جهنم وقعت في وسط الأرض لأنتن ريحه وشدة حره ما بين المشرق والمغرب ».

وروى الطبراني وابن جرير والبيهقي من حديث أبي امامة « لو أن صخرة وزنت عشرة خلفات قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها سبعين خريفاً حتى ينتهي إلى غي وأثام » قيل: وما غي وأثام؟ قال « بئران في جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار ». ورواه الحاكم من حديث أبي هريرة بلفظ « لو أخذ سبع خلفات بشحومهن فألقين من شفير جهنم ما انتهين إلى آخرها سبعين عاماً ».

وروى ابن جرير عن ابن عمر في قوله تعالى: ﴿يلق أثاماً﴾ [الفرقان: ٦٨] قال: واد في جهنم، وزاد مجاهد فقال: من قيح ودم رواه الفريابي. وقال عكرمة: أثام أودية في جهنم فيها الزناة. رواه ابن جرير. وقال قتادة: كنا نحدث أنه واد في جهنم رواه عبد بن حميد. وروى ابن المبارك في الزهد عن شفي الأصبحي قال « إن في جهنم وادياً يدعى أثاماً فيه حيات وعقارب في فقار إحداهن مقدار سبعين قلة من السم والعقرب منهن مثل البغلة الموكفة ».

وروى أحمد وأبو يعلى وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث والضياء من حديث أبي سعيد « لو أن قمعاً من حديد وضع في الأرض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الأرض ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد كما يضرب أهل النار لتفتت وعاد غباراً ».

لا نهاية له، فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاه، مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس ودراهم معدودة، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياماً قصيرة وكانت غير صافية، بل كانت مكدرة منغصة فيقولون في أنفسهم: واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا! وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياماً قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان! فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا ولذاتها، ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم. فقد قال رسول الله ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها، فيقولون: يا ربنا أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا، فيقول الله تعالى: ذاك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم

وروى هناد من حديث أبي موسى «لو أن حجراً قذف به في جهنم لهوى سبعين خريفاً قبل أن يبلغ قعرها.

(**فاعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة، وفوت لقاء الله، وفوت رضاه مع علمهم بأنهم باعوا كل ذلك بثمن بخس ودراهم معدودة، إذ لم يبيعوا ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياماً قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة**) بشوائب الغموم الطارقة والهموم المترادفة، (**فيقولون في أنفسهم: واحسرتاه! كيف أهلكنا أنفسنا بعصيان ربنا، وكيف لم نكلف أنفسنا الصبر أياماً قلائل! ولو صبرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان، فيالحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به، ولم يبق شيء معهم من نعيم الدنيا ولذاتها**) لانقضائها بمفارقتهم لها، (**ثم إنهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم**) ويشاهدونها بالقرب منهم، (**فقد قال رسول الله ﷺ: «يؤمر يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها**) وتقربوا لها (**واستنشقوا رائحتها**) وأن رائحتها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام، (**ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا: أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأوّلون والآخرون بمثلها، فيقولون: يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل ان ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا. فيقول: ذاك أردت منكم**) يا أشقياء، (**كنتم إذا خلوتم**

مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم أذيقكم العذاب الأليم مع ما حرمتكم من الثواب المقيم » . قال أحمد بن حرب : إن أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار . وقال عيسى عليه السلام : كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح . وقال داود : إلهي لا صبر لي على حر شمسك فكيف صبري على حر نارك ؟ ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك ؟

فانظر يا مسكين في هذه الأهوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلاً لا يزيدون ولا ينقصون وإن هذا أمر قد قضي وفرغ منه قال الله تعالى :

بارزتموني بالعظائم) أي بكبائر المعاصي وشدائد المخالفات ، **(وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين)** أي خاشعين **(تراؤن الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم ، هبتم الناس)** أي خفتموهم **(ولم تهابوني ، وأجللتم الناس ولم تجلوني ، وتركتم للناس ولم تتركوا لي ، فاليوم أذيقكم العذاب الأليم)** أي المؤلم الموجع **(مع ما حرمتكم من الثواب المقيم »)** قال العراقي : رويناه في الأربعين لأبي هدبة عن أنس ، وأبو هدبة إبراهيم بن هدبة هالك اهـ .

قلت : لكن رواه الطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية ، وابن عساكر وابن النجار من حديث عدي بن حاتم وليس فيه أبو هدبة المذكور ، وله شاهد جيد من حديث سالم مولى أبي حذيفة عند ابن قانع « يؤتى بأقوام من ولد آدم يوم القيامة معهم حسنات كالجبال حتى إذا دنوا وأشرفوا على الجنة نودوا لا نصيب لكم فيها » .

(قال أحمد بن حرب) النيسابوري الزاهد : **(إن أحدنا يؤثر الظل على الشمس ، ثم لا يؤثر الجنة على النار . وقال عيسى عليه السلام : كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح . وقال داود)** عليه السلام في بعض مناجاته : **(إلهي لا صبر لي على حرّ شمسك ، فكيف صبري على حر نارك ؟ ولا صبر لي على صوت رحمتك)** وهو الرعد ، **(فكيف صبري على صوت عذابك)** ؟ وقد خاطب به عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك وهم بعرفة وقد أرعدت السماء فقال له : هذا صوت رحمته وقد خفت منه ، فكيف بصوت عذابه غداً ؟ كما في الحلية .

(فانظر يا مسكين في هذه الأهوال ، واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلاً لا يزيدون ولا ينقصون ، وأن هذا أمر قد قضي وفرغ منه) . روى الطبراني في الأوسط والصغير ، والخطيب في تاريخه من حديث أبي هريرة « إن الله عز وجل خلق الجنة وخلق لها أهلاً بعشائرهم وقبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ، وخلق النار وخلق لها أهلاً بعشائرهم وقبائلهم لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم اعملوا فكل ميسر لما خلق له » وروى أحمد من حديث ابن عمرو « إن

﴿وأنذِرهُم يومَ الحسرَة إذ قُضِيَ الأمْر وهُم في غفلةٍ وهم لا يُؤمنون﴾ [مريم : ٣٩] ، ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة ، بل في أزل الأزل ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء ، فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدنيا ولست تدري أن القضاء بماذا سبق في حقك .

فإن قلت : فليت شعري ماذا موردي وإلى ماذا مآلي ومرجعي وما الذي سبق به القضاء في حقي ؟ فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهو أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك ، فإن كلا ميسر لما خلق له ، فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فإنك مبعد عن النار ، وإن كنت لا تقصد خيراً إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شراً إلا ويتيسر لك أسبابه ، فاعلم أنك مقضي عليك ، فإن دلالة هذا على العاقبة

الله تعالى خلق خلقه ثم جعلهم في ظلمة ثم أخذ من نوره ما شاء فألقاه عليهم فأصاب النور من شاء أن يصيبه وأخطأ من شاء ، فلذلك أقول جف القلم بما هو كائن » .

(قال الله تعالى : ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة) إذ يوم الحسرة هو يوم القيامة كما تقدم ، (بل في أزل الأزل) وهو القدم الذي ليس له ابتداء ، (ولكن اظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء ، فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات الدينا ولست تدري أن القضاء بماذا سبق في حقك) ، ومن كان بهذه المثابة فيحق له أن يبكي ويحزن .

(فإن قلت : فليت شعري ماذ موردي وإلى ماذا مآلي ومرجعي ، وما الذي سبق به القضاء في حقي ؟ فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها ، وهو أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فإن كلاً ميسر لما خلق له) . وقد تقدم حديث أبي هريرة قريباً « اعملوا فكل امرىء ميسر لما خلق له » . وروى الطبراني من حديث عمران بن الحصين « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » . وفي رواية « لما يهدى له من القول » . وروى أحمد وابن سعد والحكيم والحاكم من حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي أن الله تعالى خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال : « هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي » . قيل : يا رسول الله على ماذا نعمل ؟ قال « على مواقع القدر » . (فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فابشر فإنك مبعد عن النار ، وان كنت لا تقصد خيراً إلا وتحيط بكل العوائق) أي الموانع (فتدفعه) وتمنعك عن فعله (ولا تقصد شراً إلا وتتيسر لك أسبابه ، فاعلم أنك مقضي عليك) . ومصداق هذا ما رواه مالك وأحمد وعبد بن حميد والبخاري في تاريخه وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والآجري في الشريعة وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات ، والضياء من حديث عمر « إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه

كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار. فقد قال الله تعالى: ﴿ إنَّ الأبرارَ لفي نعيم ★ وإن الفُجارَ لفي جحيم﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٤]، فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين والله أعلم.

القول في صفة الجنة وأصناف نعيمها:

اعلم أن تلك الدار التي عرفت همومها وغمومها تقابلها دار أخرى، فتأمل نعيمها وسرورها، فإن من بعد من أحدهما استقر لا محالة في الأخرى. فاستأثر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لأهل الجنات، وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم، فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم، فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم، جالسين على منابر الياقوت الأحمر في خيام من

ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون» فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ قال: «إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار» (**فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات، ودلالة الدخان على النار**) فإنها دلالة قوية لا تكاد تخلف، (**فقد قال الله تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم ★ وإن الفجار لفي جحيم﴾ فاعرض نفسك على الآيتين**) المذكورتين، (**وقد عرفت مستقرك من الدارين**) إما دار نعيم إن كنت براً من الأبرار وعملك كعملهم، أو دار جحيم إن كنت فاجراً من الفجار وعملك كعملهم، والله الموفق.

القول في صفة الجنة وأصناف نعيمها:

اللهم اجعلنا من أهلها وارزقنا من نعيمها. (**اعلم**) أجاب الله دعاءك (**أن تلك الدار التي عرفت همومها وغمومها**) وما فيها من الأهوال والأنكاد (**تقابلها دار أخرى، فتأمل نعيمها وسرورها فإن من بَعُد من إحداهما استقر لا محالة في الأخرى، فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم واستثر الرجاء بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لأهل الجنان، وسق نفسك بسوط الخوف، وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم**) إذ الأمر منوط بين الخوف والرجاء، (**فبذلك تنال الملك العظيم**) والنعيم المقيم (**وتسلم من العذاب الأليم**) في نار الجحيم، (**فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم**) أي طراوته وبهجته (**يسقون من رحيق**) أي من خمر الجنة، (**مختوم**) بالمسك (**جالسين على منابر الياقوت**

اللؤلؤ الرطب الأبيض فيها بسط من العبقري الأخضر متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان، مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كأنهم الياقوت والمرجان لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان، يمشين في درجات الجنان إذا اختالت إحداهن في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفاً من الولدان، عليها من طرائف الحرير الأبيض ما تتحير فيه الأبصار مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان، شكلات غنجات عطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات في الخيام في قصور من الياقوت بنيت وسط روضات الجنان، قاصرات الطرف عين، ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين، ويطوف عليهم خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون، في مقام أمين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ينظرون فيها إلى وجه

الأحمر) وهو البهرماني وهو أجود أنواعه وأغلاها ثمناً في الدنيا، **(في خيام)** منصوبة **(من اللؤلؤ الرطب الأبيض)** كأنه ماء منعقد أي منضودة به، **(فيها بسط)** جمع بساط هو ما يفرش **(من العبقري الأخضر)** منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب الصنعة، ثم إن الأخضر إنما وقع صفة للرفرف في القرآن لا للعبقري، **(متكئين)** فيها **(على الأرائك)** جمع أريكة وهي على هيئة كرسي يقعد عليه، **(منصوبة)** قد نصبت في مقدم المجلس **(على أطراف أنهار مطردة)** يقال: اطردت الأنهار بالتشديد أي جرت **(بالخمر والعسل)** بدلاً من الماء، **(محفوفة بالغلمان والولدان مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان)** والأصل فيه الخيرات بالتشديد ثم خفف، **(كأنهن)** في بياض لون الجسد وحمرة الخدود والشفاه **(الياقوت والمرجان)** وهو اللؤلؤ الأبيض **(لم يطمثهن)** أي لم يمسهن قط **(إنس ولا جان)** أي لم يمس الإنسيات انس ولا الجنيات جن، **(إذا اختالت في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفاً من الوالدان عليها)** أي الارائك **(من طرائف الحرير الأبيض)** أي أنواعه المستملحة **(ما تتحير فيه الأبصار)** أي تندهش ويحتمل عود الضمير إلى الحور، **(مكللات بالتيجان المرصعة باللؤلؤ والمرجان، شكلات)** أي ذات شكلة بالكسر أي دل **(غنجات)** ذات غنج **(عطرات)** طيبة الرائحة **(آمنات من الهرم)** هو الطعن في السن **(والبؤس)** هو ضد النعومة، **(مقصورات)** أي مخدرات **(في قصور)** مبنية **(من)** قطع **(الياقوت)** الاحمر **(بنيت وسط روضات الجنات، قاصرات الطرف)** عن غير أزواجهن **(عين)** جمع عيناء وهي واسعة العين، **(ثم يطاف عليهم وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين، ويطوف عليهم)** برسم الخدمة **(خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون)** في صفاء لونهم **(جزاء بما كانوا يعملون، وهم في مقام أمين)** مأمون من المكدرات، **(في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ينظرون فيها إلى وجه الملك**

الملك الكريم، وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم، لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من ربهم يتعاهدون، فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يخافون فيها ولا يحزنون، وهم من ريب المنون آمنون، فهم فيها يتنعمون ويأكلون من أطعمتها ويشربون من أنهارها لبناً وخمراً وعسلاً في أنهار أراضيها من فضة وحصباؤها مرجان، وعلى أرض ترابها مسك أذفر ونباتها زعفران، ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين على كثبان الكافور، ويؤتون بأكواب وأي أكواب بأكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب، كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته، لم يصنعه آدمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صناعته، في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في إشراقها، ولكن من أين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه. فيا عجباً لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحل

الكريم) كفاحا من غير حجاب، (وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعيم) أي تلألأت، (لا يرهقهم) أي لا يصيبهم (قترة) أي غبرة (ولا ذلة بل عباد مكرمون بأنواع التحف من ربهم يتعاهدون) أي يأتيهم كل حين، (فهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يخافون ولا يحزنون، وهم عن ريب المنون) أي الداهية (آمنون فهم فيما يتنعمون ويأكلون عن أطعمتها) اللذيذة ويشربون من أنهارها المطردة (لبناً) تارة (وخمراً وعسلاً) أخرى، (في أنهار أرضها من فضة) مضيئة (وحصباؤها مرجان) اللؤلؤ الأبيض، (وعلى أرض ترابها مسك أذفر) ظاهر الرائحة شديدها (ونباتها زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ماء النسرين) بكسر النون وسكون السين المهملة مشموم معروف فارسي معرب وهو فعليل أو فعلين. وقال الأزهري: لا أدري أعربي أم لا. (على كثبان الكافور) جمع كثيب وهو التل المرتفع (ويؤتون بأكواب) جمع كوب بالضم وهو من الكيزان ما لا عروة له (وأي أكواب) ويجمع على الأكاويب (باكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان، كوب منها فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب) أي ماء من عين السلسبيل، (كوب يشرق نوره من صفاء جوهره يبدو الشراب من ورائه برقته وحمرته لم يصغه آدمي فيقصر في تسوية صنعته) واتقانها (في كف خادم يحكي ضياء وجهه الشمس في إشراقها) وانارتها، (ولكن من أين للشمس مثل حلاوة صورته وحسن أصداغه وملاحة أحداقه) وقد لاحظ هذا المعنى مجنون بني عامر فقال يخاطب ليلى:

أنيري مكان البدر إن أفل البدر ... وقومي مقام الشمس ما استأخر الفجرُ
ففيك من الشمس المنيرة ضوءها ... وليس لها منك التبسم والثغرُ

(فيا عجباً لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويوقن بأنه لا يموت أهلها ولا تحل الفجائع بمن

الفجائع بمن نزل بفنائها ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها كيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها ويتهنأ بعيش دونها ؟ والله لو لم يكن فيها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديراً بأن يهجر الدنيا بسببها ! وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته ! كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون ، وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون ، وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون ، وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون. قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ : « ينادي منادياً أهل الجنة إن لكم أن

نزل بفنائها) أي بساحتها ، (**ولا تنظر الأحداث بعين التغيير إلى أهلها**) لا منهم منها ، (**كيف يأنس بدار قد أذن الله في خرابها**) وزوالها ، (و) كيف (**يتهنأ بعيش دونها ، والله لو لم يكن فيها**) أي في الدار الاخرى (**إلا سلامة الأبدان**) من العلل (**مع الأمن من الموت والجوع والعطش وسائر أصناف الحدثان لكان جديراً بأن يهجر الدنيا بسببها ، وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتنغص من ضرورته**) . وإن كانت النفوس تكل عن حمل أعباء المصائب وتعيا وتتقاعس عن إجابة دعاة الموت بل تغالط به حتى صار عندها نسياً لكونها مفطورة على كراهة المؤلمات والنفرة عن مفارقة المألوفات ، إلا أنها إذا انكشفت لها عواقب الأمور المريرة من النتائج النفيسة والخيور الكثيرة أقدمت على اخطار تلك الأمور وتوصلت بكآبة الدواء على ما في الشفاء من السرور . (**كيف وأهلها ملوك آمنون**) لأن الهيئات المذكورة والحالات المسطورة إنما تتيسر للملوك ويشير إليه قوله تعالى: ﴿رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾ [الإنسان: ٢٠] (**وفي أنواع السرور ممتعون لهم ، فيها كل ما يشتهون ، وهم في كل يوم بفناء العرش يحضرون ، وإلى وجه الله الكريم ينظرون ، وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ، ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم يترددون وهم من زوالها آمنون**) . ومن جملة تلك النعم على الإجمال تسليم الملائكة عليهم في كل حين وملاقاة أهلهم وهدايتهم إلى قصورهم وما تشتمل عليه مساكنهم من الطرف والتحف وارتفاعها واتساعها وغزارة أنهارها والتفات أشجارها وتنوع ثمارها ، وملابسهم وحليهم وحللهم وأوانيهم وفرشهم وسلامة عيشهم من النقصان واجتماعهم مع أحبابهم في أنعم الحالات وأكمل المسرات ، وجلوسهم على منابر النور ، ومرافقتهم للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وتنعمهم بمشاهدتهم ومجالساتهم وزياراتهم لربهم سبحانه وتعالى ، وحضورهم عنده في مقعد صدق وتشنف أسماعهم بمخاطباته تعالى لهم وإضافتهم إليه بالعندية وكمال طمأنينتهم برضاه عنهم واستقرار البسط التام بدوام رضاه سبحانه ، وغير ذلك من النعم والكرامات مما لا يدخل تحت حصر النقول ولا إحصاء العقول.

(**قال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ : « ينادي مناد يوم القيامة: إن**

تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبداً ، فذلك قوله عز وجل : ﴿وَتَوَدُّوا أَنْ تلكُمُ الجنةَ أورثتمُوهَا بما كنتم تعملون﴾ [الأعراف : ٤٣] » .

ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله تعالى بيان ، واقرأ من قوله تعالى : ﴿ولِمنْ خافَ مقامَ ربهِ جَنتان﴾ [الرحمن : ٤٦] ، إلى آخر سورة الرحمن ، واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور ، وإن أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على جملتها ، وتأمل أولاً .

عدد الجنان :

قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ قال : « جنتان

لكم) يا أهل الجنة (**أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبداً ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ونودوا أن تلكمُ الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾**) » قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد اهـ .

قلت : وكذلك رواه احمد وأبو بكر بـن أبي شيبة وعبد بن حميد والدارمي والترمذي والنسائي .

(**ومهما أردت أن تعرف صفة الجنة**) وما أعد فيها من النعيم ، (**فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله بيان ، واقرأ من قوله تعالى : ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ إلى آخر سورة الرحمن . واقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور ، وإن أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل الآن تفصيلها بعد أن اطلعت على جملتها**) وهو أيضاً تفصيل نسبي ، وإلاَّ فكيف يحاط بالجنة علماً على جهة التفصيل الحقيقي والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ [السجدة : ١٧] وثبت في الحديث القدسي « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وإنما ذكر المصنف هنا بعض الآيات والاخبار المنبهة على الجنة ، وما تشتمل عليه من جليل النعم وخطر الكرم منبهاً بها على كمال صفاتها وعظم قدر كراماتها ، وابتدأ بذكر عددها ثم بأبوابها واتساعها ، ثم في غرفها وحائطها وأشجارها وأنهارها ، ثم في لباسهم فيها وطعامهم وشرابهم ، ثم في صفة حورها وولدانها ، ثم في رؤية الله عز وجل فقال :

(**وتأمل أولاً : عدد الجنان .**

قال رسول الله ﷺ في قوله ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ قال) فيما أخبرناه عبد الخالق

من فضة آنيتها وما فيها، وجنتان من ذهب آنيتها وما فيها، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»، ثم انظر إلى أبواب الجنة فإنها

ابن أبي بكر الزبيري قال: أخبرنا محمد بن إبراهيم الكوراني، أخبرنا الحسن بن علي بن يحيى، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد القادر الطبري، أخبرنا عبد الواحد بن إبراهيم الحصاري، أخبرنا الشرف عبد الحق بن محمد السنباطي، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن محمد المتبولي، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد التنوخي، أخبرنا أحمد بن أبي طالب الحجار، أخبرنا أبو النجا عبد الله بن عمر بن علي البغدادي، أخبرنا سعيد بن أحمد بن الحسن بن البناء، أخبرنا الشريف أبو نصر محمد بن محمد بن علي الزينبي، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن علي الوراق، حدثنا أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث، حدثنا محمد بن بشار ونصر بن علي قالا: حدثنا أبو عبد الصمد العمي، حدثنا أبو عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: (**«جنتان من ذهب آنيتها وما فيها، وجنتان من فضة آنيتها وما فيها، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»**) هذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من هذا الوجه.

ورواه أحمد والطبراني بلفظ «جنان الفردوس أربع: جنتان من ذهب حليتها وآنيتها وما فيها، وجنتان من فضة حليتها وآنيتها وما فيها، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن، وهذه الانهار تشخب من جنة عدن ثم تصدع بعد ذلك أنهاراً». ورواه الطبراني أيضاً وابن أبي حاتم بلفظ: «جنتان من ذهب للمقربين، ومن دونهما جنتان من ورق لاصحاب اليمين» قال الحافظ في الفتح: وظاهر الحديث أن الجنتين من ذهب لا فضة فيهما وبالعكس، ويعارضه حديث أبي هريرة قلنا: يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال «لبنة من ذهب ولبنة من فضة» أخرجه أحمد والترمذي وصححه ابن حبان وجمع بأن الأول صفة ما في كل جنة من آنية وغيرها، والثاني صفة حوائط الجنان اهـ.

وقوله: إلا رداء الكبرياء. قال النووي: لما كان تستعمل الاستعارات للتفهيم عبّر عن مانع رؤيته تقدس برداء الكبرياء، فإذا تجلى الله عليهم يكون إزالة لذلك. وقال غيره: المراد أنه إذا دخل المؤمنون الجنة وتبوأوا مقاعدهم رفع ما بينهم وبين النظر إلى ربهم من الموانع والحجب التي منشؤها كدورة الجسم ونقص البشرية والانهماك في المحسوسات الحادثة، ولم يبق ما يحجزهم عن رؤيته إلا هيبة الجلال وسبحات الجمال وأبهة الكبرياء، فلا يرفع ذلك عنهم إلا برأفة ورحمة منه تفضلاً على عباده. وقال عياض: استعار لعظيم سلطان الله وكبريائه وعظمته وجلاله المانع لإدراك أبصار البشر مع ضعفها لذلك رداء الكبرياء، فإذا شاء تقوية أبصارهم وقلوبهم كشف عنهم حجاب هيبته وموانع عظمته.

وقوله: في جنة عدن راجع إلى القوم أي وهم في جنة عدن لا إلى الله لتنزهه عن أن تحويه

كثيرة بحسب أصول الطاعات، كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصي.

الأمكنة. قاله عياض: وقال القرطبي: يتعلق بمحذوف في كل الحال من القول أي كائنين في جنة عدن، وقيل: متعلق بمعنى الاستقرار في الظرف فيفيد انتفاء هذا الحصر في غير الجنة. وقال الهروي: بين به أن النظر لا يحصل إلا بعد الإذن لهم في الدخول في جنة عدن، سميت بها لأنها محل قرار رؤية الله تعالى، ومنه العدن لمستقر الجواهر. وقال الحكيم الترمذي: الفردوس سرة الجنة ووسطها والفردوس جنات عدن فعدن كالمدينة والفردوس كالقرى حولها، فإذا تجلى الوهاب لأهل الفردوس رفع الحجاب، وهو المراد برداء الكبرياء هنا فينظرون إلى جلاله وجماله فيضاعف عليهم من إحسانه ونواله.

فصل

اعلم أن للجنة أسماء عديدة باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار ذواتها، فهي مترادفة من هذه الوجه مختلفة بإعتبار صفاتها، فاسم الجنة هو الاسم العام المتناول لتلك الذوات وما اشتملت عليه من النعيم والسرور وقرة العين، وهذه اللفظة مشتقة من الجن وهو الستر، ومنه سمي البستان جنة لأنه يستر داخله بالأشجار والجنان كثيرة جداً كما جاء في الخبر أنه ﷺ قال لأم حارثة لما قتل ابنها حارثة في بدر «يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وان ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى». وقال تعالى: ﴿من دونهما جنتان﴾ [الرحمن: ٦٢] فذكرهما ثم قال: ومن دونهما جنتان. وفي حديث أبي موسى عن الشيخين الذي ذكره المصنف: «جنتان من ذهب وجنتان من فضة» فهن أربع كما دلت عليه رواية الطبراني «الجنان أربع».

وقال القرطبي: هي سبع وعدّها وأعلاهن جنة عدن وهي منازل المرسلين والشهداء والصديقين، وقد ورد في الخبر أنه تعالى غرسها وهي قصبة الجنة وفيه الكثيب الذي تقع فيه الرؤية، وعليها تدور ثمانية أسوار بين كل سورين جنة، فالتي تلي جنة عدن من الجنان جنة الفردوس، وأصلها البستان وهي أوسط الجنان الذي دون جنة عدن وأفضلها، ثم جنة الخلد، ثم جنة النعيم، ثم جنة المأوى، ثم دار السلام، ثم دار المقامة. ومنهم من قسم الجنان بالنسبة إلى الداخلين فيها ثلاثة: جنة اختصاص إلهي وهي التي تدخلها الأطفال وأهل الفترة. الثانية: ميراث ينالها كل من دخل الجنة من المؤمنين وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها. الثالثة: جنة الأعمال وهي التي تنزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر، وسواء ان الفاضل دون المفضول أو لم يكن غير أن فضله في هذا المقام بهذه الحالة فما من عمل من الأعمال إلا وله جنة، ويقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب ما تقتضي أحوالهم والله أعلم.

(**ثم انظر إلى أبواب الجنة فإنها كثيرة**) لا تحصر وكثرتها (**بحسب أصول الطاعات، كما أن أبواب النار بحسب أصول المعاصي**) وقد استدل المصنف على تعددها بالأخبار فقال: (**قال**

قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة كلها وللجنة ثمانية أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد »، فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعي فهل يدعى أحد منها كلها؟ قال: « نعم وأرجو أن تكون منهم ».

أبو هريرة) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: « من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة كلها، وللجنة أبواب. فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد » فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله ما على أحد من ضرورة من أيها دعي، فهل يدعى أحد منها كلها؟ قال: « نعم وأرجو أن تكون منهم »)** ورواه مالك والشيخان والترمذي والنسائي وابن حبان ولفظهم: « من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبدالله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة ». الخ ولفظ ابن حبان: « من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب الجنة: يا عبدالله هذا خير وللجنة أبواب » الخ. وفي لفظ فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فهذا الحديث دال على أن كثرة الأبواب بحسب أصول الطاعات، والمشهور أن أبواب الجنة ثمانية، واستدل عليه بما رواه ابن زنجويه وابن أبي الدنيا وأبو يعلى والطبراني والحاكم من حديث ابن مسعود: « للجنة ثمانية أبواب سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة. حتى تطلع الشمس من نحوه ». وروى البخاري من حديث سهل بن سعد: « إن للجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون، فإذا دخل أحدهم أغلق فلا يدخل منه أحد ». وبما في الصحيح من حديث عمر: « ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ». ورواه الترمذي بنحوه إلا أنه قال: « من أبواب الجنة » بزيادة: « من ». قال القرطبي: وهو يدل على أن أبواب الجنة أكثر من ثمانية. وفي خبر آخر عند ابن ماجه: « ما من مسلم يتوفى له ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل ».

ومن أبواب الجنة: الباب الأيمن تقدم ذكره في حديث أبي هريرة، وباب هذه الأمة فقد روى ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة: « أتاني جبريل فأخذ بيدي وأراني باب الجنة الذي يدخل منه أمتي ». فقال أبو بكر: يا رسول الله وددت أن أكون معك حتى أنظر إليه! فقال ﷺ: « أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي ». وقد دل هذا على أن لهذه الأمة باباً مختصاً يدخلون منه

وعن عاصم بن ضمرة عن علي كرّم الله وجهه إنه ذكر النار فعظم أمرها ذكراً لا أحفظه ثم قال: ﴿وسيقَ الذينَ اتَّقَوْا ربهم إلى الجنة زمراً﴾ [الزمر: ٧٣]، حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى إحداهما كما أمروا به فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى أو بـأس، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تتغير أشعارهم بعدها أبداً ولا تشعث رؤوسهم كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى الجنـة، فقـال لهم خـزنتهـا. ﴿سلامٌ عليكُم طِبتُمْ فادخلُوها خالِدِين﴾ [الزمر: ٧٣]، ثم تلقاهم الولدان يطيفـون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحبيب يقدم عليهم من غيبة، يقولون له: أبشر أعد الله لك من الكرامة كذا، قال: فينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين، فيقول: قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا ـ فتقول: أنت رأيته؟ فيقول: أنا رأيته وهو بأثري، فيستخفها الفرح حتى تقوم إلى اسكفة بابها، فإذا انتهى

الجنة دون سائر الأمم. وباب محمد ﷺ وهو باب الرحمة وباب التوبة وباب الضحى، وقد روى الديلمي من حديث أبي هريرة: «إن للجنة باباً يقال له الضحى لا يدخل منه إلا أصحاب صلاة الضحى» فهذه خمسة أبواب تضاف على الثمانية فتبلغ ثلاثة عشر باباً، ولعل القرطبي لحظ إلى هذا فقال: وانتهى عددها إلى ثلاثة عشر باباً والله أعلم.

(**وعن عاصم بن ضمرة**) السلوي الكوفي صدوق مات سنة أربع وسبعين روى له الأربعة، (**عن علي كرم الله وجهه أنه ذكر النار فعظم أمرها ذكراً لا أحفظه، ثم قال: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾**) ﴿حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها﴾ الآيات وهذا بعد أن قال: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾ [الزمر: ٧١] فلا جرم أن المراد بالمتقين هنا الموحدون. إلا أن الموحد الكامل يتقي المعاصي كما يتقي الشرك، (**حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعمدوا**) أي قصدوا (**إلى إحداهما كما أمروا به فشربوا منها، فاذهبت ما في بطونهم من أذى أو بأس، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تتغير أشعارهم بعدها أبداً ولا تشعث رؤوسهم، كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهو إلى**) خزنة (**الجنة فقالوا: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم**) أي القريب (**يقدم عليهم من غيبة**) أي من سفر غاب فيه (**يقولون له: أبشر**) فقد (**أعد الله لك من الكرامة كذا، فينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول: قد جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا ـ فتقول: أنت رأيته؟ فيقول: أنا رأيته وهو بأثري**) أي خلفي يتبعني، (**فيستخفها الفـرح حتى تقـدم إلى أسكفـة**

إلى منزله نظر إلى أساس بنيانه، فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر من كل لون، ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا مثل البرق ولولا أن الله تعالى قدره لألم أن يذهب بصره، ثم يطأطىء رأسه فإذا أزواجه ﴿وأكوابٌ موضوعةٌ ★ ونمارقُ مصفوفةٌ وزرابيُّ مبثوثة﴾ [الغاشية: ١٤ - ١٦]، ثم اتكأ فقال: ﴿الحمد لله الذي هدَانَا لهذا وما كُنَّا لنهتديَ لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف: ٤٣]، ثم ينادي منادٍ: تحيون فلا تموتون أبداً وتقيمون فلا تظعنون أبداً وتصحون فلا تمرضون أبداً. وقال رسول الله ﷺ:

بابها، فإذا انتهى إلى منزلة نظر إلى أساس بنيانه، فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأصفر ومن كل لون، ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا مثل البرق، ولولا أن الله تعالى قدره) أي أمسكه بقدرته (لألم) أي لقرب وكاد (أن يذهب بصره) من شعاع السقف، (ثم يطأطىء رأسه، فإذا أزواجه ﴿وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة﴾، ثم اتكأ) على أرائكه فقال: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ ثم ﴿ينادي مناد: تحيون فلا تموتون أبداً. وتقيمون فلا تظعنون أبداً. وتصحون فلا تمرضون أبداً). هكذا أورده موقوفاً عن علي رضي الله عنه. أخرجه ابن المبارك في الزهد، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والبغوي في الجعديات، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في صفة الجنة، والبيهقي في الشعب والضياء كلهم من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن عاصم بن عمرة. وسياق المصنف هو سياق أبي بكر بن أبي شيبة رواه عن وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق.

ولفظ بعضهم: يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى اذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة تخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعمدوا إلى إحداهما فشربوا منها فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تعفر أبدانهم بعدها أبداً، ولم تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة ثم ساقوه مثل سياق المصنف.

وقال الشيخ ناصر الدين بن الميلق الشاذلي في كتابه حادي القلوب إلى لقاء المحبوب ما نصه: وروى ابن أبي الدنيا بسنده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا﴾ [مريم: ٨٥] قال: قلت يا رسول الله ما الوفد إلا ركب؟ قال النبي ﷺ: « والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر، وينتهون إلى باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، وإذا شجرة على باب الجنة تنبع من أصلها عينان، فإذا شربوا من إحداهما جرت في وجوههم نضرة النعيم، وإذا توضأوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبداً، فيضربون الحلقة بالصفحة فلو سمعت طنين الحلقة فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتستحثها العجلة فتبعث قيمها فيفتح له الباب، فلولا أن الله عز وجل عرفه نفسه

« آتي يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد ، فيقول : بك

لخرّ له ساجداً مما يرى من النور والبهاء ، فيقول : أنا قيمك الذي وكلتَ بأمرك فيتبعه فيقفوه أثره فيأتي زوجته فتستحثها العجلة ، فتخرج من الخيمة تعانقه وتقول : أنت حبي وأنا حبك ، وأنا الراضية فلا أسخط أبداً ، وأنا الناعمة فلا أباس أبداً وأنا الخالدة فلا أظعن أبداً ، فيدخل بيتاً من أساسه إلى سقفه مائة ألف ذراع مبني على جندل اللؤلؤ والياقوت ، طرائق حمر وطرائق خضر وطرائق صفر ما منها طريقه تشاكل صاحبتها فيأتي الأريكة فإذا عليها سرير على السرير سبعون فراشاً عليها سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الجلد يقضي جماعهن في مقدار ليلة ، تجري من تحتهم أنهار مطردة من ماء صاف غير آسن ليس فيه كدر ، وأنها من عسل مصفى لم يخرج من بطن النحل ، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامهم ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطن الماشية ، فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طير بيض فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أي الألوان شاؤوا ، ثم تطير فتذهب وفيها ثمار مدلاة إذا اشتهوها انبعث الغصن إليهم فيأكلون من أي الثمار شاؤوا ، إن شاؤوا قائمين ، وإن شاؤوا نياماً ، وإن شاؤوا متكئين ، وذلك قوله تعالى : ﴿وجنا الجنتين دان﴾ وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ » .

قلت : هذا السياق رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ، وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق عن علي . ورواه ابن أبي حاتم من طريق سلمة بن جعفر البجلي قال : سمعت أبا معاذ البصري أن علياً قال : قال النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون بنوق بيض » الخ قال ابن الميلق : وهذا الحديث وإن كان إسناده ضعيفاً والمعروف أنه موقوف على عليّ رضي الله عنه ، فله شواهد من الأحاديث الصحيحة وهو جامع لكثير من أمور الجنة . قال : وقوله وجدوا باباً فيه حلقة من ياقوته حمراء على صفائح الذهب ، فهو محمول على الباب الكبير الشامل لجميع جنات المؤمنين الذي هو باب الجنة الكبرى ، فإن ذلك الباب يفتحه النبي ﷺ أولاً ثم يصير مفتوحاً للمؤمنين .

(**وقال رسول الله ﷺ : « آتي يوم القيامة باب الجنة**) كذا في النسخ وفي لفظ بتقديم باب الجنة على يوم القيامة ، والمعنى أجيء بعد الانصراف من الحشر للحساب إلى أعظم المنافذ التي يتوصل منها إلى دار الثواب ، وهو باب الرحمة أو باب التوبة ، وفي إيثار لفظ الإتيان إشعار بأن مجيئه يكون بصفة من ألبس خلعة الرضوان ، فجاء على تمهل وأمان من غير نصب في الإتيان إذ الإتيان هو المجيء بسهولة والمجيء أعم كما بيناه في شرح القاموس ، (**فاستفتح**) أي أطلب انفراجه وإزالة غلقه بالقرع لا بالصوت لما في الخبر : « آخذ بحلقة الباب فاقرع » وفي خبر آخر : « أنا أول من يدق باب الجنة » والفاء سببية أي تسبب عن الإتيان الاستفتاح أو للتعقيب وهو الأوجه ، وفيه إشارة إلى أن الله سبحانه قد صان نبيه ﷺ عن ذلك الوقوف وأذن له في الدخول ابتداء بحيث صار الخازن مأموره منتظراً قدومه ، (**فيقول الخازن**) ، أي الموكل بحفظ الجنة وهم كثيرون ومقدمهم رضوان عليهم السلام : (**من أنت**) ؟ أجاب بالاستفهام وأكده بالخطاب تلذذاً

أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك ».

ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات

بمناجاته وإلا فأبواب الجنة شفافة وهو العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس وقد رآه الخازن قبل ذلك وعرفه أتم معرفة، ومن ثم اكتفى بقوله: (**فأقول محمد**) وإن كان المسمى به كثيراً ولم يقل: أنا لإبهامه مع ما فيه من الإشعار بتعظيم المرء نفسه وهو سيد المتواضعين، (**فيقول**) الخازن: (**بك أمرت**) الباء متعلقة بالفعل بعدها ثم هي إما سببية قدمت للتخصيص أي بسببك خاصة أو صلة للفعل وأمرت بالبناء للمفعول والفاعل الله (**أن لا أفتح لأحد**) من الخلق (**قبلك »**) أي أمرت بفتح الباب لك قبل غيرك من الأنبياء. وقوله: أن لا أفتح هكذا في نسخ الكتاب، ومثله في الجامعين الصغير والكبير للسيوطي. قال المناوي: والذي وقفت عليه في نسخ صحيح مسلم المصححة المقروءة لا أفتح بإسقاط « أن » قال العراقي: رواه مسلم من حديث أنس اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وعبد بن حميد وابن منيع. وروى الحاكم من حديث معاذ: « آتي باب الجنة فاستفتح فيقال: من هذا فأقول محمد، فيقال: مرحباً بمحمد، فإذا رأيت ربي خررت له ساجداً أنظر إليه ». قال الحاكم: على شرطهما وتعقب بأن فيه انقطاعاً. وروى ابن النجار من حديث ابن عباس: « آتي يوم القيامة باب الجنة فيفتح لي فأرى ربي وهو على كرسيه فيتجلى لي فأخرّ ساجداً ».

فصل

وحيث ذكر المصنف أبواب الجنة وما يتعلق بها، فلنذكر اتساعها. روى أحمد من حديث معاوية بن حيدة: « ما بين مصراعين من مصاريع الجنة أربعون عاماً وليأتين عليه يوم وأنه لكظيظ » وفي رواية « له باب أمتي الذين يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب ثلاثاً ثم إنهم لا يضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول » وللشيخين من حديث أبي هريرة: « والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر » وفي رواية « لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى » وتقدم للمصنف. وروى ابن أبي شيبة عن عتبة بن غزوان أنه خطب فقال: « إن ما بين المصراعين من أبواب الجنة لمسيرة أربعين، وليأتين على أبواب الجنة يوم وليس منها باب إلا وهو كظيظ ». وعن كعب الأحبار قال: « ما بين مصراعي الجنة أربعون خريفاً للراكب المجد، وليأتين عليهم يوم وهو كظيظ الزحام » قال صاحب حادي القلوب: إن أبواب الجنة بعضها فوق بعض، كما أن الجنان بعضها فوق بعض، وقد صرح علي رضي الله عنه في ارتفاع أبواب الجنة بأن بعضها فوق بعض، وإذا كان كذلك فالظاهر كما نبه عليه بعضهم أن باب الجنة المرتفعة أوسع من الجنة التي تحتها والله أعلم.

(**ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها، فإن الآخرة أكبر درجات**

وأكبر تفضيلاً. وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتاً ظاهراً، فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر، فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى فقد أمرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال تعالى: ﴿سابِقُوا إلى مغفرة مِنْ ربِّكُمْ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وفي ذلِكَ فليَتَنافس الْمُتنافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، والعجب انه لو تقدم عليك اقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك، وأحسن أحوالك أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها، فقد قال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الغائر في

وأكبر تفضيلاً) كما قال تعالى في كتابه العزيز. انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً أي التفاوت في الآخرة أكبر، لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها. وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض أي في الدنيا وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً وأن للمؤمنين في الجنة منازل، وأن لهم فضائل بأعمالهم، وذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «إن بين أعلى أهل الجنة وأسفلهم درجة كالنجم يرى في مشارق الأرض ومغاربها». وروى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن الضحاك قال: إن أهل الجنة بعضهم فوق بعض درجات الأعلى يرى فضله على من هو أسفل منه، والأسفل لا يرى أن فوقه أحداً. وروى الطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن مردويه من حديث سلمان: ما من عبد يريد أن يرتفع في الدنيا درجة فارتفع إلا وضعه الله في الآخرة درجة أكبر منها وأطول، ثم قرأ هذه الآية. وروى سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن أبي الدنيا في صفة الجنة عن ابن عمر قال: لا يصيب عبد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله تعالى وإن كان عليه كريماً. (**وكما أن بين الناس في الطاعات الظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتاً ظاهراً، فكذلك فيما يجازون به**) في الآخرة (**تفاوت ظاهر، فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى، فقد أمرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربك**) وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ (**وقال تعالى: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾**) أي ليرغب فيه الراغبون على وجه المباراة. (**والعجب أنه لو يقدم عليك أقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به صدرك وتنغص بسبب الحسد عيشك، وأحسن أحوالك أن تستقر في الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توازيها الدنيا بحذافيرها**) أي بجملتها، (**فقد قال أبو سعيد الخدري**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراءون**) التراني تفاعل من الرؤية وهو على وجوه. يقال: تراءى القوم إذا رأى بعضهم بعضاً وتراءى لي الشيء ظهر لي حتى

الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم » قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : « بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » . وقال أيضاً : « إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق من آفاق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما » ، وقال جابر : قال لنا رسول الله ﷺ : « ألا

رأيته وتراءى القوم الهلال إذا رأوه بأجمعهم (أهل الغرف) أي ينظرونها ، والغرف جمع غرفة وهي بيت صغير يكون فوق الدار ، والمراد هنا القصور العالية في الجنة من (فوقهم كما تتراءون) أنتم يا أهل الدنيا (الكوكب الغابر) أي الباقي في الأفق بعد انتشار الفجر ، وحينئذ يرى أضوأ (في الأفق) أي ناحية السماء (من المشرق والمغرب) وفي لفظ : أو المغرب شبّه رؤية الرائي في الجنة صاحب الغرفة برؤية الرائي الكوكب المضيء في جانب الشرق والغرب في الإضاءة مع البعد (لتفاضل ما بينهم ») يعني يرى أهل الغرف كذلك لتزايد درجاتهم على من عداهم ، وإنما قال : من المشرق أو المغرب ولم يقل في السماء أي في كبدها لأنه لو قيل في السماء كان القصد الأوّل بيان الرفعة ويلزم منه البعد ، وفي ذكر المشرق أو المغرب القصد الأول منه البعد وتلزم منه الرفعة ، وفيه شمة من معنى التقصير بخلاف الأوّل فإن فيه نوع اعتذار ذكره الطيبي . (قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : « بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ») رواه أحمد والدارمي والشيخان وابن حبان هكذا من حديث أبي سعيد كما ذكره المصنف ، ورواه ابن حبان أيضاً من حديث سهل بن سعد ، ورواه أحمد أيضاً والترمذي من حديث أبي هريرة ولفظ الكل : « الكوكب الدري الغابر » ووقع في الموطأ الغائر بالهمز بدل الموحدة بمعنى الساقط الذاهب الذي قد تدلى للغروب ودنا منه وانحط إلى الجانب الغربي ، ووقع عند الترمذي الغارب بتقديم الراء على الموحدة . وفي التمثيل به دون بقية الكواكب المسامتة للرأس وهي أعلى فائدتان . إحداهما : بعده عن العيون ، والثانية : أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض ، وإن لم تسامت العليا السفلى كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله ذكره ابن القيم ، وبه يعرف أن ما زعمه التوربشتي من أن رواية الهمز تصحيف لما فيها من الركاكة لأن الساقط في الأفق لا يراه إلا بعض الناس ، وأهل الجنة يراهم جميع أهلها غفلة من هذا التوجيه الوجيه . ومما يصرح بردّه ما رواه أحمد : « إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون الكوكب الدري الغارب في الأفق الطالع في الدرجات » فقوله : الطالع صفة للكوكب وصفه بكونه غارباً وبكونه طالعاً . وقد صرح في خبر أبي هريرة عند ابن المبارك : « إن أهل الجنة ليتراءون في الغرف كما يرى الكوكب الشرقي والكوكب الغربي في الأفق في تفاضل الدرجات » قاله المناوي . وروى أحمد والدارمي والشيخان من حديث سهل بن سعد : « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء » والمعنى أنهم يضيؤن لأهل الجنة إضاءة الكواكب لأهل الأرض .

(وقال) ﷺ (أيضاً : « إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم) منزلة (كما ترون النجم الطالع في أفقٍ من آفاق السماء وإن أبا بكر وعمر) رضي الله عنهما **(منهم وأنعما »)**

أحدثكم بغرف الجنة »؟ قال: قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليك، بأبينا أنت وأمنا قال: « إن في الجنة غرفاً من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » قال: قلت: يا رسول الله ولمن هذه الغرف؟ قال: « لمن أفشى السلام وأطعم

أي زادا في الرتبة وتجاوزا تلك المنزلة. فقوله: وأنعما عطف على المقدر في منهم أي: أنهما استقرا منهم وأنعما. وقيل: أراد بأنعما زاد في النعيم، وفي الفائق للزمخشري كلمة نعم استعملت في حد كل شيء واستجادته وتفضيله على جنسه، ثم قيل: إذا عملت عملاً فانعمه أي فاجده وجيء به على وجه يثني عليه بنعم العمل هذا، ومنه دق الدواء فأنعما ودقه فأنعمه، ومنه قوله هنا وأنعما أي فضلاً وزادا على كونهما من جملة أهل عليين. قال العراقي: رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وعبد بن حميد وأبو يعلي وابن حبان ولفظهم: « ليراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في أفق السماء » والباقي سواء. وعند بعضهم: الدري بدل الطالع وهو منسوب إلى الدر لصفاء لونه وخلوص نوره. ورواه الطبراني والبغوي وابن عساكر من حديث جابر بن سمرة. ورواه ابن النجار من حديث أنس وابن عساكر أيضاً من حديث أبي هريرة. وقد روي حديث أبي سعيد بلفظ آخر: « إن أهل عليين ليشرف أحدهم على الجنة فيضيء وجهه لأهل الجنة كما يضيء القمر ليلة البدر لأهل الدنيا وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما ». رواه أبو إسحاق المزكي وابن عساكر وفيه إشعار بأن أصل ألوان أهل الجنة البياض كما سيأتي. وقد روى الطبراني من حديث ابن عمر أنه جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ فقال: فضلتم بالصور والألوان والنبوة أفرأيت إن آمنت بمثل ما آمنت به وعملت بمثل ما عملت به إني لكائن معك في الجنة؟ قال: « نعم والذي نفسي بيده إنه ليرى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام » وروى ابن عساكر من حديث ابن عمر: « إن أهل الدرجات العلى لينظر إليهم من هو أسفل منهم كما ينظر أحدكم إلى الكوكب الدري الغابر في أفق من آفاق السماء وإن أبا بكر وعمر لمنهم وأنعما ».

(وقال جابر) بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: **(قال لنا رسول الله ﷺ: « ألا أحدثكم بغرف الجنة » ؟ قال: قلت بلى يا رسول الله ﷺ بأبينا أنت وأمنا. قال: « إن في الجنة غرفاً من أصناف الجوهر كله)** فبعضها من اللؤلؤ، وبعضها من الياقوت بأنواعه، وبعضها من الزمـــرد، وبعضها من الماس وغير ذلك من أصناف الجواهر **(يرى)** بالبناء للمفعول أي يرى أهل الجنة **(ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها)** لكونها شفافة لا تحجب ما وراءها **(وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رأت)** في الدنيا **(ولا أذن سمعت »)** فيها **(قال)** جابر: **(قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف؟ فقال: « لمن أفشى السلام)** أي على من عرف ومن لم يعرف **(وأطعم الطعام)** للعيال والفقراء والأضياف والإخوان **(وأدام**

الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام » قال: قلنا: يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟ قال: « أمتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه أو رد عليه فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام » يعني اليهود والنصارى

الصيام) وفي رواية تابع وفي أخرى: واصل. قال الشيخ الأكبر قدس سره: عنى به الصيام المعروف كرمضان والأيام المشهود لها بالفضل على الوجه المشروع مع بقاء القوة دون استيفاء الزمان كله ولا استيفاء القوة بأسرها، وإنما تكسر الشهوة مع بقاء القوة. وقال بعض الصوفية: الصيام هنا الإمساك على كل مكروه فيمسك قلبه عن اعتقاد الباطل ولسانه عن القول الفاسد ويده عن الفعل المذموم. (**وصلى بالليل والناس نيام** ») أي تهجد فيه. (**قال**) جابر: (**قلنا يا رسول الله ومن يطيق ذلك؟ قال: « أمتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك. من لقي أخاه فسلم عليه أو ردّ عليه فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام**) البيض أو مفرقاً (**فقد أدام الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام » يعني اليهود والنصارى والمجوس**). قال العراقي: رواه أبو نعيم من رواية الحسن عن جابر اهـ.

قلت ورويناه في جزء ابـن السماك. ورواه البيهقي وضعفه ابن عدي لكن أقام له ابن القيم شواهد يعتضد بها. وقال صاحب حادي القلوب بعد أن أورده من فوائد ابن السماك: هذا الحديث وإن كان ضعيفاً إلا أنه روي من طرق يقوّي بعضها بعضاً. قلت: ومع ملاحظته لا يمكن التفسير بغيره.

ومن شواهده ما روى الخطيب من حديث ابن عباس: « إن في الجنة لغرفاً » إذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خارجها، وإذا خرج منها لم يخف عليه ما فيها » قيل: لمن هي يا رسول الله؟ قال: « لمن أطاب الكلام وأدام الصيام وأطعم الطعام وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام » قيل: يا رسول الله وما طيب الكلام؟ قال: « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد إنها تأتي يوم القيامة ولها مقدمات ومعقبات ومجنبات » قيل: فما إدامة الصيام؟ قال: « من أدركه رمضان فصامه ثم أدرك رمضان فصامه » قيل: فما إطعام الطعام؟ قال: « كل من قات عياله وأطعمهم » قيل: فما إفشاء السلام؟ قال: « مصافحة أخيك إذا لقيته وتحيته » قيل: فما الصلاة والناس نيام؟ قال: « صلاة عشاء الآخرة واليهود والنصارى نيام ». ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق إلى قوله: « والناس نيام ». ويروى عن أبي مالك الأشعري: « إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام، وألان الكلام، وتابع الصيام،

والمجوس. وسئل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿ومسَاكِنَ طيبةً في جَنَاتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢]، قال: « قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون داراً من ياقوت أحمر، في كل دار سبعون بيتاً من زمرد أخضر، في كل بيت سرير، على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة. على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام، في كل بيت سبعون وصيفة، ويعطى المؤمن في كل غداة ـ يعني من القوة ـ ما يأتي على ذلك أجمع ».

صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها:

تأمل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرمها لقناعته بالدنيا عوضاً عنها فقد قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: « إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك »، وسئل ﷺ عن تربة الجنة فقال:

وصلى بالليل والناس نيام » رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان والطبراني والبيهقي. ورواه هناد والترمذي وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد وابن السني والبيهقي من حديث علي. ورواه أحمد ومحمد بن نصر والطبراني والحاكم والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو.

(**وسئل رسول الله ﷺ عن قوله**) عز وجل: ﴿**ومساكن طيبة في جنات عدن**﴾ **قال: « قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زمرد أخضر، في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام، في كل بيت سبعون وصيفة، ويعطى المؤمن في كل غداة ـ يعني من القوّة ـ ما يأتي على ذلك أجمع »**)
قال العراقي: رواه أبو الشيخ في العظمة والآجري في كتاب الصحبة من رواية الحسن بن خليفة عن الحسن قال: سألت أبا هريرة وعمران بن حصين عن هذه الآية ولا يصح، والحسن بن خليفة لم يعرفه ابن أبي حاتم، والحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة على قول الجمهور اهـ.

قلت: وفي كتاب الآجري زيادة عما هنا في كل بيت سبعون سريراً وفي كل بيت سبعون وصيفاً ووصيفة.

صفة حائط الجنة وأرضها وأشجارها وأنهارها:

(**تأمل**) هداك الله تعالى (**في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرمها لقناعته بالدنيا**) الفانية (**عوضاً عنها، فقد قال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: « إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك »**) قال

....

العراقي: رواه الترمذي بلفظ: «وبلاطها المسك» وقال: ليس إسناده بذاك القوي، وليس عندي بمتصل. ورواه البزار من رواية أبي سعيد بإسناد فيه مقال. ورواه موقوفاً عليه بإسناد صحيح اهـ.

قلت: سياق المصنف أورده البيهقي في البعث من طريق يزيد بن رزيع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن العلاء بن زياد عن أبي هريرة.

ومن هذا الطريق أخرجه البزار في مسنده وفي الغيلانيات حدثنا أبو بكر الشافعي، حدثنا أحمد بن محمد بن عبيدة، حدثنا أحمد بن حفص، حدثني أبي، حدثنا إبراهيم، عن مطر بن طهمان، عن العلاء بن زياد، عن أبي هريرة رفعه: «حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ومحابرهم اللؤلؤ وأمشاطهم الذهب» رجال هذا السند رجال الصحيح. أخرجه البيهقي في البعث عن أبي الحسن العلوي عن أبي حامد البزاز عن أحمد بن حفص به مختصراً هكذا.

وقال أبو نعيم في الحلية: حدثنا فاروق وحبيب في جماعة قالوا: حدثنا أبو مسلم الكشي، حدثنا عمرو بن مرزوق، حدثنا عمران القطان، عن قتادة، عن العلاء بن زياد، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة» رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مثله. وزاد: «ترابها الزعفران وطينها المسك».

حدثناه أبو عمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا محمد بن المنهال، حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة، عن العلاء بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وترابها الزعفران وطينها المسك». ورواه معمر عن قتادة عن العلاء عن أبي هريرة موقوفاً: درجها الياقوت رضراض أنهارها اللؤلؤ وترابها الزعفران.

قلت: ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في صفة الجنة نحوه.

وأخبرنا عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعيد المكي، وأبو طاهر محمد بن إبراهيم المدني قالا: أخبرنا الحسن بن علي بن يحي، أخبرنا علي بن عبد القادر الطبري، أخبرنا والدي، أخبرنا جدي إمام المقام يحي بن مكرم الطبري، أخبرنا الحافظ أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، أخبرنا الحافظ شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني أخبرنا إبراهيم بن أحمد البعلي، أخبرنا أحمد بن أبي طالب، أخبرنا عبد الله بن عمر، أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا أبو محمد السرخسي، أخبرنا إبراهيم بن خزيم، أخبرنا عبد بن حميد قال: حدثنا سليمان بن داود، عن زهير بن معاوية، حدثنا سعد أبو مجاهد الطائي، حدثني أبو المدله أنه سمع أبا هريرة يقول: قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: «لبنة من ذهب ولبنة من فضة وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وملاطها المسك وترابها الزعفران من يدخلها ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه» هذا حديث حسن ورجال رجال الصحيح إلا أبا المدله مولى عائشة واسمه عبيد الله وقد وثقه ابن حبان. رواه أحمد وهناد في الزهد وابن حبان والبيهقي في البعث من هذا الوجه. وأخرجه الترمذي من طريق حمزة

« درمكة بيضاء مسك خالص » ، وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « من سره أن

الزيات عن زياد الطائي عن أبي هريرة وقال : ليس إسناده بالقوي ولا بالمتصل وله إسناد آخر إلى أبي هريرة اهـ . وكأنه يشير إلى ما تقدم من رواية العلاء بن زياد عن أبي هريرة .

وله شاهد آخر بالسند السابق إلى الحافظ العسقلاني ، عن مريم بنت أحمد الأذرعية ، عن يونس ابن إبراهيم قال : أنبأنا أبو الحسن بن المقير ، أخبرنا أبو الفضل بن ناصر في كتابه عن أبي القسم بن منده قال : أخبرنا أحمد بن علي الأصبهاني ، أخبرنا أبو عمرو بن حمدان ، أخبرنا الحسن بن سفيان ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا معاوية بن هشام ، حدثنا علي بن صالح ، عن عمرو بن ربيعة ، عن الحسن عن ابن عمر قال : سئل النبي ﷺ عن الجنة كيف هي ؟ قال : « من يدخل الجنة يحيا لا يموت وينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » قيل : يا رسول الله كيف بناؤها ؟ قال : « لبنة من فضة ولبنة من ذهب ملاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران » رجاله رجال الصحيح إلا عمرو بن ربيعة ومن هذا الوجه رواه ابن أبي شيبة ، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة ، والطبراني وابن مردويه .

وأما قول العراقي ورواه البزار من حديث أبي سعيد الخ فقال البيهقي في البعث : أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا محمد بن يونس ، حدثنا سهل بن بكار ، حدثنا وهب بن خالد ، عن الجريري ، عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، ثم شقق الأنهار غرس فيها الأشجار فلما نظرت الملائكة إلى حسنها وزهرتها قالت : طوباك منازل الملوك » محمد بن يونس هو الكديمي حافظ لكنه منهم بالوضع ، لكن لم ينفرد به فقد أخرجه البزار ، عن محمد بن المثنى ، عن حجاج ، عن حماد بن سلمة عن جريري به موقوفاً . وعن بشر بن آدم ، عن يونس بن عبيدالله ، عن عدي بن الفضل ، عن الجريري به مرفوعاً . وقال : لا نعلم أحداً رفعه إلا عدي وليس بالحافظ . قال الحافظ السيوطي في أمال الدرة : وهب بن خالد تابعه على رفعه اهـ .

قلت : ورواه من هذا الوجه الطبراني وابن مردويه والله أعلم .

(وسئل ﷺ عن تربة الجنة فقال : « درمكة بيضاء مسك خالص ») قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي سعيد أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن ذلك فذكره اهـ .

قلت : وكذلك رواه ابن أبي شيبة وأحمد .

وروى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة من حديث أبي هريرة : « أرض الجنة بيضاء عرصاتها صخور الكافور وقد أحاط به المسك على كثبان الرمل ، فيها أنهار مطردة فيجتمع فيها أهل الجنة أولهم وآخرهم فيتعارفون فيبعث الله ريح الرحمة فيهيج عليهم المسك فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد حسناً وطيباً ، فتقول : لقد خرجت من عندي وأنا بك معجبة وأنا بك الآن أشد إعجاباً » .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن سعيد بن جبير قال : « أرض الجنة فضة » .

يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا، ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا» وقال: «أنهار الجنة تنفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك» «ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحليه الله عز وجل به في الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعها»، وقال أبو هريرة: قال رسول

وأخرج ابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وأبو الشيخ في العظمة عن أبي زميل أنه سأل ابن عباس ما أرض الجنة؟ قال: مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة. قال: ما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التي تطلع فيها الشمس فذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير. قال: ما انهارها أفي أخدود؟ قال: لا، ولكنها تفيض على وجه الأرض لا تفيض ههنا ولا ههنا. قال: فما حللها؟ قال: فيها الشجر فيها ثمر كأنه الرمان فإذا اراد ولي الله منها كسوة انحدرت إليه من أغصانها فانفعلت له عن سبعين حلة ألواناً بعد ألوان، ثم تنطبق فترجع كما كانت. وروى البزار من حديث ابن عباس: «إن الله خلق الجنة بيضاء».

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا، ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا»**) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن، والنسائي بإسناد صحيح: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة» اهـ.

قلت: فهم الحافظ العراقي أن الحديث تم إلى هنا، فلذا احتاج أن يورد عن الطبراني والنسائي ما في معناه.

ثم قال حديث: (**«أنهار الجنة تفجر من تحت تلال**) المسك (**ـ أو**) قال (**تحت جبال المسك ـ»**) شك من الراوي رواه العقيلي في الضعفاء من حديث أبي هريرة. ثم قال حديث: (**«لو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحليه الله عز وجل به في الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعها»**) رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد حسن انتهى.

وإنما هو كله حديث واحد من رواية أبي هريرة من أول قوله: «من سره» إلى قوله: «جميعها». وهكذا رواه البيهقي في البعث والنشور، وابن عساكر في التاريخ مجموعاً في متن واحد من حديث أبي هريرة وقال: تحت تلال المسك، وقالا: عدلت الحلية أهل الدنيا جميعها. والباقي سواء. ولو كان مراد المصنف تفريق الحديث لميز كل قطعة منه على عادته بقوله: وقال ﷺ فافهم. وأما ما رواه عن الطبراني والنسائي فقد رواه أيضاً الحاكم وابن عساكر بلفظ: «لم يكسه في الآخرة» وفيه زيادة ومن شرب في آنية الذهب والفضة لم يشرب بها في الآخرة لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة». وأما قوله: «أنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو جبال

المسك» فقد رواه ابن أبي حاتم وابن حبان والطبراني والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث من حديث أبي هريرة: «أنهار الجنة من جبال مسك». ورواه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن حبان في التفسير والبيهقي في البعث وصححه عن ابن مسعود قال: «إن أنهار الجنة تفجر من جبل مسك» وقال صاحب حادي القلوب: وأما أنهار الجنة فقد مدحها القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾ [محمد: ١٥] وثبت في الصحيح أن أنهار الجنة تفجر من الفردوس، وأن الفردوس من وسط الجنة وأعلاها. وثبت أيضاً أن الكوثر في الجنة وتقدم وصفه عند ذكر الحوض، وروى الترمذي وصححه أنه ﷺ قال: «إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد» وروى ابن أبي الدنيا عن أنس قال: «أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض لا والله إنها السائحة على وجه الأرض إحدى حافتيها اللؤلؤ والآخر الياقوت وطينه المسك الأذفر» قال: والأذفر الذي لا خلط معه. وقد ذكر الله سبحانه عيون الجنة في مواضع من كتابه العزيز قال تعالى: ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾ [الحجر: ٤٥] وقال تعالى: ﴿عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً﴾ [الإنسان: ٦] وقال تعالى: ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ [الإنسان: ١٨] وقال تعالى: ﴿فيهما عينان تجريان﴾ [الرحمن: ٥٠] وقال تعالى: ﴿فيهما عينان نضاختان﴾ [الرحمن: ٦٦] ومشارب الجنة منوّعة منها ما نبه عليه قوله تعالى: ﴿يسقون من رحيق مختوم ★ ختامه مسك﴾ [المطففين: ٢٥، ٢٦] وقوله تعالى: ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ [الصافات: ٤٥] الآية. وقوله تعالى: ﴿وكأساً دهاقاً﴾ [النبأ: ٣٤] وقوله تعالى: ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون ★ بأكواب وأباريق﴾ [الواقعة: ١٧، ١٨] الآية. وبالجملة فأنهار الجنة وعيونها وجميع ما فيها فوق ما تبلغه الأماني من الحسن والكمال اهـ.

قلت: ما رواه عن الترمذي وصححه فهو من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه رفعه. وكذلك رواه أحمد والطبراني، وما أورده موقوفاً على أنس من رواية ابن أبي الدنيا؛ فقد رواه ابن مردويه وأبو نعيم والضياء المقدسي كلاهما في صفة الجنة عن أنس مرفوعاً. وفيه: «لعلكم تظنون» وفيه: قلت يا رسول الله ما الأذفر؛ قال: «الذي لا خلط معه». وروى ابن أبي الدنيا وابن مردويه والضياء من حديث أبي موسى: «إن أنهار الجنة تشخب من جنة عدن من جوب ثم تصدع بعد أنهار». وروى أحمد في الزهد والدارقطني في المديح، عن المعتمر بن سليمان قال: «إن في الجنة نهراً ينبت الجواري الأبكار». وروى ابن عساكر من حديث أنس في الجنة نهر يقال له الريان عليه مدينة من مرجان لها سبعون ألف باب من ذهب وفضة لحامل القرآن فيه كثير بن سليم متروك. وروى ابن المبارك وابن أبي شيبة وهناد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والبيهقي في البعث عن مسروق قال: «أنهار الجنة تجري في غير أخدود ونخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما فرغت ثمرة عادت كما كانت مكانها أخرى والعنقود اثنا عشر ذراعاً». وروى

الله ﷺ: « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرأوا إن شئتم ﴿وظِلٍ ممدُود﴾ [الواقعة: ٣٠] »، وقال أبو أمامة: كان أصحاب رسول الله ﷺ

أبو الشيخ في العظمة، والحاكم في التاريخ، والديلمي من حديث أبي سعيد: « إن في الجنة لنهراً ما يدخله جبريل من دخلة فيخرج منه فينتفض إلا خلق الله عز وجل من كل قطرة تقطر منه ملكاً ». ومن جملة أنهار الجنة نهر يقال له: « رجب ». وروي في الخبر: « إن في الجنة نهراً يقال له رجب ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر ». رواه الشيرازي في الألقاب، وأبو الشيخ في العظمة، وابن شاهين في الترغيب، وأبو الشيخ في الثواب، والبيهقي والخليل بن عبد الجبار القزويني في كتاب فضائل رجب وشعبان ورمضان، وابن النجار من طرق عن أنس مرفوعاً. ومن أنهار الجنة نهر يقال له: « البيذخ » سيأتي ذكره للمصنف بعد، ولما فرغ من ذكر أنهار الجنة شرع في ذكر أشجارها فقال:

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: « إن في الجنة شجرة**) قيل: هي شجرة طوبى، وقيل: غيرها والشجر من النبات ما قام على ساق أو ما سما بنفسه دق أوجل (**يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها**) واستشكل بأنه من أين هذا الظل والشمس قد كوّرت، وليس في الجنة شمس. وأجاب السبكي بأنه لا يلزم من تكوير الشمس عدم الظل، وإنما الناس ألفوا أن الظل ما تنسخه الشمس وليس كذلك، بل الظل مخلوق لله تعالى وليس بعدم بل هو أمر وجودي له نفع في الأبدان وغيرها. (**اقرأوا إن شئتم ﴿وظل ممدود »﴾**) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة اهـ.

قلت: ورواه كذلك عبد الرزاق وابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميّد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه. زاد ابن أبي شيبة بعد أن رواه عن يعلى بن عبيد عن إسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم عن أبي هريرة قال: فبلغ ذلك كعباً. فقال: صدق والذي أنزل التوراة على لسان موسى والقرآن على لسان محمد ﷺ لو أن رجلاً ركب حقة أو جذعة ثم أدار بأهل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرماً إن الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وإن أفنانها من وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا يخرج من أصل تلك الشجرة. وروى أحمد والبخاري والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه من حديث أنس: « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وإن شئتم فاقرأوا ﴿وظل ممدود ★ وماء مسكوب﴾ » وروى ابن مردويه من حديث أبي سعيد: « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » وذاك الظل الممدود. ويروى: « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها ». رواه كذلك أحمد وعبد بن حميد والبخاري والترمذي من حديث أنس، والشيخان من حديث سهل بن سعد، وأحمد وهناد والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة، وأحمد وهناد والترمذي من حديث أبي سعيد. والجواد: هو الفرس الفائق السابق الجيد، والمضمر

يقولون: إن الله عز وجل ينفعنا بالأعراب ومسائلهم، أقبل أعرابي فقال: يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أدري أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما هي»؟ قال: السدر فإن لها شوكاً، فقال: «قد قال الله تعالى: ﴿في سدر مخضود﴾ [الواقعة: ٢٨] يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تنفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لوناً من الطعام ما منها لون يشبه

الذي قلل علفه تدريجاً ليشتد جريه قال الزركشي: هو بنصب الجواد وفتح الميم الثانية من المضمر ونصب الراء نعت لمفعول الراكب، وضبطه الأصيلي بضم المضمر. والجواد صفة للراكب فيكون على هذا بكسر الميم الثانية وقد يكون على البدل اهـ.

وروى ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها على قدر ما يسير الراكب في كل نواحيها مائة عام، فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم، فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم، ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا. وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عباس قال: في الجنة شجرة لا تحمل يستظل به. وروى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عمرو بن ميمون ﴿وظل ممدود﴾ قال: مسيرة سبعين ألف سنة.

(وقال أبو أمامة) الباهلي رضي الله عنه: (**كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: إن الله عز وجل ينفعنا بالأعراب**) وهم سكان البادية الأجلاف (**ومسائلهم**) أي لجراءتهم على السؤال عن كل شيء يخطر ببالهم من غير محاشاة ولا التزام أدب بخلاف الصحابة المستمرين لمشاهدته ﷺ ما كانوا يجترئون عليه في السؤال لاستغراقهم وكمال أدبهم، ومن ذلك أنه (**أقبل أعرابي**) من البادية (**فقال: يا رسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها. فقال رسول الله ﷺ: «ما هي»؟ قال: السدر فإن لها شوكاً. فقال**) ﷺ: (**«قد قال الله تعالى: ﴿في سدر مخضود﴾**) أي (**يخضد الله شوكه**) أي يكسره (**فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تنفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لوناً من طعام ما منها لون يشبه الآخر»**) قال العراقي: رواه ابن المبارك في الزهد عن صفوان ابن عمرو عن سليم بن عامر مرسلاً عن غير ذكر لأبي أمامة اهـ.

قلت: سياق المصنف أورده الحاكم في المستدرك وصححه والبيهقي في البعث. وروى أبو بكر ابن أبي داود في البعث والطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن مردويه عن عتبة بن عبد السلمي قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ فجاءه اعرابي فقال: يا رسول الله أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكاً منها - يعني الطلح - فقال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصية التيس الملبود - يعني المخصي - فيها سبعون لوناً من الطعام لا يشبه لون الآخر».

الآخر». وقال جرير بن عبدالله: نزلنا الصفاح فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه، فقلت للغلام: أنطلق بهذا النطع فأظله فانطلق فأظله فلما استيقظ فإذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال: يا جرير تواضع لله فإن من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدري! قال: ظلم الناس بعضهم بعضاً، ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه من صغره فقال: يا جرير لو طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده، قلت: يا أبا عبدالله، فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر.

(وقال جرير بن عبد الله) البجلي رضي الله عنه: (**نزلنا الصفاح**) اسم موضع، (**فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه فقلت للغلام: انطلق بهذا النطع فأظله، فلما استيقظ إذا هو سلمان، فأتيته أسلم عليه فقال: يا جرير تواضع لله فإن من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة، هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدري. قال: ظلم الناس بينهم، ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه من صغره فقال: يا جرير لو طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده. قلت: يا أبا عبدالله**) وهي كنية سلمان، (**فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر**).

قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن سلم، حدثنا هناد بن السري، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن جرير قال: قال سلمان: تواضع لله فإنه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدري. قال: ظلم الناس بينهم في الدنيا. قال: ثم أخذ عويداً لا أكاد أن أراه بين أصبعيه. قال: يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده. قال: قلت يا أبا عبد الله وأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر. رواه جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه نحوه.

وقال أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن جرير عن سلمان قال: الشجر والنخل أصولها وسوقها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر، وبهذا السند قال: الشجر والنخل أصولها وسوقها اللؤلؤ. ورواه البيهقي مثل ذلك. وروى ابن مردويه من حديث أبي سعيد أنه ﷺ سئل عن نخل الجنة فقال: «أصولها فضة وجذوعها ذهب وسعفه حلل وحمله الرطب أشد بياضاً من اللبن وأحلى من الشهد وألين من الزبد».

ومما يناسب إيراده في هذا الفصل ما رواه الطبراني من حديث سمرة: «إن في الجنة شجرة مستقلة على ساق واحدة وعرض ساقها سير سبعين سنة» وروي أيضاً من حديث الحسن بن علي بسند ضعيف: «إن في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا يرفع لهم

....

ديوان ولا ينصب لهم ميزان يصب عليهم الأجر صباً وقرأ ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾. [الزمر: ١٠].

وروى أبو الشيخ في العظمة، والخطيب من حديث علي: « إن في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل ومن أسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت لا تروث ولا تبول ذوات أجنحة، فيجلس عليها أولياء الله فتطير بهم حيث شاؤا فيقول الذين أسفل منهم: يا أهل الجنة ناصفونا يا رب ما بلغ بهؤلاء هذه الكرامة؟ فقال الله: إنهم كانوا يصومون وكنتم تفطرون، وكانوا يقومون الليل وكنتم تنامون، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون، وكانوا يجاهدون العدو وكنتم تجبنون ».

وقال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا أبو خالد الأحمر عن حميد عن أنس رفعه: « لما انتهيت إلى السدرة إذا ورقها أمثال آذان الفيلة، وإذا نبقها أمثال القلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تحوّلت فذكرت الياقوت ».

حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن حسان، عن معتب بن نجي في قوله طوبى. قال: « هي شجرة في الجنة ليس من أهل الجنة دار إلا يظلهم غصن من أغصانها فيها من ألوان الثمر » الحديث.

حدثنا أبو أسامة عن الأعمش عن أبي صالح قال: « طوبى شجرة في الجنة لو أن راكباً جذعة أو حقة فأطاف بها ما بلغ الموضع الذي يركب فيه حتى يدركه الهرم ».

حدثنا مروان بن معاوية عن علي بن أبي الوليد قال: سئل مجاهد هل في الجنة سماع؟ قال: إن في الجنة لشجراً لها سماع لم يسمع السامعون إلى مثله.

وفي حادي القلوب روى أحمد في مسنده مرفوعاً: « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً أو مائة سنة هي شجرة الخلد » ويروى: « طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها »، وإذا تقرر أن الراكب يسير في ظل هذه الشجرة مائة عام، فيحتمل أن يكون المراد بالسير المذكور السير في ظلها حول أصلها، ويدل عليه ما في مسند أحمد من بعض حديث أنه ﷺ قال للاعرابي الذي سأله عن طوبى: « لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرماً ».

وروى ابن المبارك في الزهد عن ابن عباس قال: نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكربها من ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرتها أمثال القلال والدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيه عجم ». والكرب: محركة أصول السعف. وروى الترمذي حديثاً مرفوعاً: ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب ». وفي بعض المسانيد في ذكر سدرة المنتهى: يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة. أو قال: يستظل في الفنن منها مائة

صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم:

قال الله تعالى: ﴿ يحلَّوْنَ فيهَا مِن أساوِر من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسُهُم فيهَا حرير ﴾ [الحج: ٢٣]، والآيات في ذلك كثيرة وإنما تفصيله في الأخبار، فقد روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: « من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وقال رجل: يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق تخلق أم نسج تنسج؟ فسكت رسول الله ﷺ وضحك

راكب، فيها فراش الذهب كانت ثمرها القلال. وروى ابن المبارك عن مجاهد قال: أصل الجنة من ورق وترابها مسك وأصول أشجارها ذهب وورق وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت والورق والثمر تحت ذلك، فمن أكل قائماً لم يؤذه، ومن أكل جالساً لم يؤذه، ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه وذللت قطوفها تذليلاً.

صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم:

(**قال الله تعالى: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير﴾**) وكان ابن الزبير يقول من عند نفسه حين يروي الحديث: من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة إن من لم يلبسه في الآخرة لم يدخل الجنة، فإن الله تعالى يقول: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ وهو استدلال حسن، وأحسن منه ما رواه أبو سعيد الخدري عند ابن حبان: وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو. (**والآيات في تفصيل ذلك كثيرة، وإنما تفصيله في الأخبار فقد روى أبو هريرة**) رضي الله عنه (**أن النبي ﷺ قال: « من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »**) قال العراقي: رواه مسلم دون قوله: « في الجنة ما لا عين رأت » الخ. واتفق عليه الشيخان في حديث آخر لأبي هريرة: « قال الله تعالى أعددت لعبادي ما لا عين رأت » الحديث اهـ.

قلت: أول الحديث رواه ابن أبي شيبة، وابن عساكر من حديث ابن عمر: « من يدخل الجنة يحيا فيها لا يموت وينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » الحديث. وقد تقدم في صفة بناء الجنة قريباً. ورواه عبد بن حميد، والبيهقي في البعث من طريق أبي المدله مولى عائشة عن أبي هريرة: « من يدخلها ينعم فلا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ». ورواه الترمذي من طريق زياد الطائي عن أبي هريرة، وكل ذلك تقدم في صفة بناء الجنة. وروى الطبراني من طريق عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده رفعه: « إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ».

(**وقال رجل: يا رسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق تخلق أم نسج تنسج**)؟ وفي نسخة أتخلق خلقاً أم تنسج نسجاً؟ (**فسكت رسول الله ﷺ وضحك بعض القوم، فقال**

بعض القوم، فقال رسول الله ﷺ: «مِمّ تضحكون؟ من جاهل سأل عالماً؟ ثم قال رسول الله ﷺ: «بل ينشق عنها ثمر الجنة مرتين»، وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إن أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا

رسول الله ﷺ: «مم تضحكون من جاهل سأل عالماً»؟ ثم قال رسول الله ﷺ: «بل تنشق عنها ثمر الجنة مرتين») قال العراقي: رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو اهـ.

قلت: رواه أحمد في المسند بلفظ: إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن ثياب الجنة تخلق خلقاً أم تنسج نسجاً؟ فضحك بعض القوم. فقال رسول الله ﷺ: «أتعجبون من جاهل سأل عالماً»؟ فسكت النبي ﷺ ساعة ثم قال: «أين السائل عن ثياب الجنة»؟ قال: ها هو ذا يا رسول الله. قال: «بل تشق عنها ثمر الجنة ثلاث مرار».

وفي كتاب حادي القلوب: روى ابن أبي الدنيا أنه ﷺ قال: «ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبى فتفتح له أكمامها فيأخذ من أي ذلك شاء إن شاء أبيض وإن شاء أحمر وإن شاء أخضر وإن شاء أصفر وإن شاء أسود مثل شقائق النعمان وأرق وأحسن». وروي أيضاً عن ابن عباس قيل له: ما حلل الجنة؟ قال: فيها شجر فيها ثمر كأنه الرمان فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليه من غصونها فانفلقت عن سبعين حلة ألوان بعد ألوان ثم تنطبق فترجع كما كانت. وتقدم في ذكر شجرة طوبى: إن ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دار المؤمن في الجنة لؤلؤة شجرة تنبت الحلل، فيأخذ الرجل بأصبعيه وأشار بالسبابة والإبهام سبعين حلة منطقة باللؤلؤ والمرجان.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر»**). الزمرة: الجماعة، والزمر الأفواج المتفرقة بعضها أثر بعض، وليلة البدر ليلة تمامه وكماله وهي ليلة أربع عشرة، وبذلك سمي القمر بدراً في تلك الليلة.

وروى البخاري من حديث سهل بن سعد: «ليدخلن من أمتي سبعون ألفاً الجنة أو سبعمائة ألف، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر» فتبين بهذه الرواية عدد هذه الزمرة وفيه: «أنهم يدخلون الجنة جماعة بعد جماعة» وقد صرح به في قوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾ [الزمر: ٧٣] وذلك بحسب الفضل وتفاوت الدرجات. فمن كان أفضل كان إلى الجنة أسبق، وأول من يدخل الجنة نبينا ﷺ كما ثبت في الصحيح: «آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح» الحديث. وتقدم. وأما من يدخلها أولاً بعده ﷺ فأبو بكر؛ فقد روى أبو داود في السنن أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي» ثم هؤلاء الزمرة المذكورون في حديث سهل بن سعد جماعة جماعة. وثبت أيضاً: «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحمادون» وأيضاً «عرض علي أول ثلاثة من أمتي يدخلون الجنة الشهيد، وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه، وفقير عفيف ذو عيال»

يمتخطون ولا يتغوّطون آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة ورشحهم المسك لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية »، وفي رواية: « على كل زوجة سبعون

فالأوّلية نسبية كما لا يخفى. وقوله: على صورة القمر أي أنهم في إشراق وجوههم على صفة القمر ليلة تمامه. وقد ورد في هذا المعنى ما يقتضي ما هو أبلغ من ذلك؟ فروى الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص: « لو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس النجوم » قاله العراقي في شرح التقريب، وقد يقال: إنهم يكونون على صورة القمر عند دخولهم الجنة ثم يزداد إشراق أنوارهم فيها، أو أن المذكور هنا إشراق وجوههم من غير حلي، والمذكور ثم إشراق حليهم.

(**لا يبصقون فيها ولا يمتخطون**) فيها (**ولا يتغوّطون**) فيها وهي صفة أهل الجنة مطلقاً ولا يختص ذلك بالزمرة الأولى، (**آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة »**) وفي رواية بحذف « من » وهو يحتمل أن لكل واحد منهم النوعين، ويحتمل أن لبعضهم الذهب ولبعضهم الفضة.

قال أبو العباس القرطبي: أي حاجة في الجنة للأمشاط ولا تتلبد شعورهم ولا تتسخ؟ ويجاب عن ذلك بأن نعيم أهل الجنة ليس عن دفع ما اعتراهم، فليس أكلهم عن جوع ولا شربهم عن ظمأ ولا تطيبهم من نتن، وإنما هي لذات متوالية ونعم متتابعة، وحكمة ذلك أن الله تعالى نعمهم في الجنة بما كانوا يتنعمون به في الدنيا وزاد على ذلك ما لا يعلمه إلا الله اهـ.

(« **ورشحهم**) بفتح فسكون أي أن العرق الذي يترشح منهم (**المسك**) أي رائحته كرائحة المسك وهو قائم مقام التغوّط والبول من غيرهم كما قال في حديث آخر: « لا يبولون ولا يتغوّطون وإنما هو عرق يجري من أعراضهم مثل المسك » يعني من أبدانهم. ولما كانت أغذية الجنة في غاية اللطافة والاعتدال لا عجم لها ولا تفل لم تكن لها فضلة تستقذر، بل تستطاب وتستلذ فعبر عنها بالمسك الذي هو أطيب طيب الدنيا. (**لكل واحد منهم زوجتان**) هكذا هو في هذه الرواية في جميع الطرق بالتاء وهي لغة منكرة في الأحاديث، وكلام العرب والأشهر حذفها وبه جاء القرآن العزيز وأكثر الأحاديث، وفي بعض الروايات زيادة اثنتان وهو لتأكيد التكثير لا للتحديد لخبر: « أدنى أهل الجنة الذي له اثنتان وسبعون زوجة » وبهذا الحديث استدل راويه أبو هريرة رضي الله عنه على أن النساء في الجنة أكثر من الرجال وفيه خلاف بين العلماء، ولا يعارضه الحديث الآخر: « إني رأيتكن أكثر أهل النار » فإنهن أكثر ساكني الجهتين معاً لكثرتهن. (**يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن**) وفي رواية ساقها يعني من شدة صفاء لحم الساقين كما يرى السلك في جوف الدرة الصافية. (**لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد**) بالإضافة وترك التنوين أي على قلب شخص واحد يريد أنهم مطهرون عن مذموم الأخلاق مكملون بمحاسنهم، (**يسبحون الله بكرة وعشية »**) أي بقدرهما، فأوقات الجنة من الأيام والساعات تقديريات، فإذا ذلك إنما يجيء من اختلاف الليل والنهار وسير الشمس والقمر وليس في الجنة شيء من ذلك.

....

قال أبو العباس القرطبي: هذا التسبيح ليس عن تكليف والزام، لأن الجنة ليست محل تكليف، وإنما هي محل جزاء، وإنما هو تيسير وإلهام كما قال في الرواية الأخرى: يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير كما يلهمون النفس، ووجه الشبه أن تنفس الإنسان لا بدّ له منه ولا كلفة ولا مشقة في فعله وآحاد التنفسات مكتسبة للإنسان وجملتها ضرورية في حقه، إذ يتمكن من جميعها، فكذلك يكون ذكر الله تعالى على ألسنة أهل الجنة، وسر ذلك أن قلوبهم قد تنورت بمعرفته وأبصارهم قد تمتعت برؤيته وقد غمرتهم سوابغ نعمه وامتلأت أفئدتهم بمحبته ومخاللته، فألسنتهم ملازمة ذكره ورهينة شكره فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره اهـ.

وهذا الحديث رواه مسلم من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة بزيادة «ومجامرهم من ألوة» بعد قوله «الذهب والفضة». ورواه البخاري والترمذي من طريق ابن المبارك، عن معمر، عن همام. واتفق عليه الشيخان من طريق عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة وزاد بعد قوله «ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة» وليس فيه قوله «ولكل واحد منهم زوجتان» وإنما فيه «وأزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء». ورواه البخاري أيضاً من طريق شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة وفيه: «والذين على أثرهم كأشد كوكب إضاءة». ورواه مسلم أيضاً من طريق أيوب السختياني، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة وفيه «والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء». ومن طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ «أول زمرة تلج الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك منازل» الحديث. وذكر عن شيخه أبي بكر بن أبي شيبة على خُلُق رجل أي بضم الخاء واللام وعن شيخه أبي كريب على خلق رجل أي بفتح الخاء وسكون اللام، وفي صحيح مسلم عن محمد بن سيرين قال: اما تفاخروا واما تذاكروا الرجال أكثر في الجنة أم النساء؛ فقال أبو هريرة: أولم يقل أبو القاسم ﷺ: «إن أول زمرة تلج الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوأ كوكب دري في السماء لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب». وفي رواية له: اختصم الرجال والنساء أيهم في الجنة أكثر؟ فسئل أبو هريرة فذكره.

(**وفي رواية «على كل زوجة سبعون حلة»**) روي ذلك من حديث ابن مسعود وأبي سعيد الخدري. أما حديث ابن مسعود، فرواه الطبراني ولفظه «أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر، والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان من الحور العين على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقها من وراء لحومها وحللها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء».

وأما حديث أبي سعيد؛ فرواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح، وأبو الشيخ في العظمة

حلة » وقال ﷺ في قوله تعالى: ﴿ يحلوْنَ فيها من أساوِرَ من ذهب ﴾ [الحج: ٢٣]، قال: « إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب »، وقال ﷺ: « الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون »، رواه البخاري في الصحيح. قال ابن عباس: الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب. وقال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله

ولفظه « أول زمرة تدخل الجنة يوم القيامة صورة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر، والثانية على لونها أحسن كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يبدو مخ ساقها من ورائها ».

(**وقال ﷺ في قوله تعالى:**) ﴿ جنّاتُ عدن يدخلونها (**يحلّون فيها من أساور من ذهب** ﴾ **قال: « إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب »**)
قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي سعيد دون ذكر الآية. وقال: لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد اهـ.

قلت: وكذلك رواه الحاكم ولفظها « منها » بدل « فيها » ورشدين فيه ضعف. ولحديث أبي سعيد سياق أتم من هذا سيأتي قريباً للمصنف.

(**وقال ﷺ** « **الخيمة**) واحدة الخيام في قوله تعالى: ﴿ حورٌ مقصورات في الخيام ﴾ [الرحمن: ٧٢] هي (**درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراه الآخرون» رواه البخاري في الصحيح**) من حديث أبي بكر بن أبي موسى الأشعري عن أبيه مرفوعاً. ورواه كذلك ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم والترمذي وابن مردويه والبيهقي في البعث، وفي آخره: عند بعضهم يطوف عليهم المؤمن.

(**قال ابن عباس**) رضي الله عنه: (الخيمة) المذكورة في الآية (**درة مجوّفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب**) رواه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث. وفي رواية بعضهم لؤلؤة واحدة مجوفة أربعة فراسخ. وروى ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال « لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من الله تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك لا مرحات ولا طماحات ولا بخرات ولا ذفرات حور عين كأنهن بيض مكنون ». وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس مرفوعاً. وروى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: الخيام بيوت اللؤلؤ. وروى الأوّلان عن الحسن قال: الخيام الدر المجوف. ومن طريق أبي الأحوص قال: قال عمر: أتدرون ما حور مقصورات في الخيام؟ در مجوف. وروى ابن أبي حاتم من حديث ابن مسعود: الخيام در مجوف. ورواه ابن أبي شيبة من حديث أبي مخلد مثله. وروى عبد الرزاق

ﷺ في قوله تعالى: ﴿وفُرُشٍ مرفوعةٍ﴾ [الواقعة: ٣٤]، قال: «ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض».

وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد، وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي الدرداء قال: الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً من در. وروى ابن أبي شيبة وهناد عن عبيد بن عمير مرسلاً: إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها. وروى ابن أبي شيبة عن أبي هريرة قال: «دار المؤمن في الجنة من لؤلؤة فيها أربعون بيتاً في وسطها شجرة تنبت الحلل، فيأتيها فيأخذ باصبعه سبعين حلة منطقة باللؤلؤ والمرجان» وقيل: الخيام الحجال. رواه ابن أبي شيبة وابن جرير عن محمد بن كعب القرظي.

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال: «ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض»)** قال العراقي: رواه الترمذي بلفظ: «ارتفاعها لكما بين السماء والأرض خمسمائة سنة». وقال غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد والنسائي وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وابن حبان وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو الشيخ في العظمة، والبيهقي في البعث.

وقد روي في الآية عن أبي أمامة وابن عباس والحسن البصري. أما أبو أمامة فروي عنه مرفوعاً وموقوفاً. فالمرفوع سئل رسول الله ﷺ عن الفرش المرفوعة قال: «لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة خريف». والموقوف لفظه: لو أن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها خريفاً. رواه هكذا ابن أبي شيبة وهناد وابن أبي الدنيا في صفة الجنة.

وأما ابن عباس، فروي عنه مرفوعاً «لو طرح من أعلاها شيء ما بلغ قرارها مائة خريف». رواه ابن مردويه.

وأما الحسن فقال: «ارتفاع فراش أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة». هكذا رواه هناد في الزهد.

وقد بقي على المصنف في هذا الفصل بقية ذكر حلية أهل الجنة وسررهم وأرائكهم وفرشهم، فاعلم أن أهل الجنة يحلون كما صرح به في القرآن ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ [الحج: ٢٣] روي ابن أبي الدنيا في صفة الجنة عن كعب قال: إن لله ملكاً منذ خلق يصوغ حلي أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة، لو أن قلباً من حلي أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس فلا تسألوا بعد هذا عن حلي أهل الجنة.

وروى الترمذي من حديث سعد: لو أن رجلاً من أهل الجنة طلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم. وفي خبر آخر: أنه ﷺ قال في صفة أهل الجنة «مسوّرون بالذهب والفضة مكللون بالدر عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة، وعليهم تاج

صفة طعام أهل الجنة:

بيان طعام أهل الجنة مذكورة في القرآن من الفواكه والطيور السمان والمنّ والسلوى والعسل واللبن وأصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى: ﴿كلَّما رُزِقُوا منها من ثمرة رزقاً

كتاج الملوك، شباب جرد مكحلون، ولما ذكر سبحانه الفرش المرفوعة ذكر أن السرر مرفوعة أيضاً ولا يخفى أن ارتفاع السرير أكثر من ارتفاع الفرش. قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ [الغاشية: ١٣] ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد، والدر والياقوت، والسرير كما بين مكة وايلة.

وعن الكلبي قال: إن طول السرير في السماء مائة عام، وأن السرر مرتفعة ما لم يجيء أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترفع إلى موضعها. وقال تعالى: ﴿متكئين على سرر مصفوفة﴾ [الطور: ٢٠] إعلاماً بتقاربها وحسن ترتيبها وعدم تدابرها وكمال تقابلها. وقال تعالى: ﴿على سرر موضونة★ متكئين عليها متقابلين﴾ [الواقعة: ١٥، ١٦] والموضونة: المرتبة المنضودة التي هي على نسج واحد. وإذا تأملت ارتفاع الفرش وارتفاع الأسرّة ظهر لك من ذلك ان ارتفاع القصور والغرف التي تكون فيها هذه الأسرة لا يكاد يحاط به، وما الظن بارتفاع الغرف التي بعضها فوق بعض. قال الله تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار﴾ [الزمر: ٢٠].

وأما الأرائك: فهي السرر التي تكون في الحجال، والحجال هي البشاخين وواحدة الأرائك أريكة. وقال الجوهري في صحاحه: الأريكة سرير متخذ مزين في قبة أو بيت. ومقتضى كلام الجوهري هذا أن الأريكة مجموعة من ثلاثة أشياء وهي: السرير والفرش والقبة أو البيت، وبه صرح غيره. وقد جاء ذكر الأرائك في القرآن ﴿متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ [الإنسان: ١٣] وقال تعالى: ﴿متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان﴾ [الرحمن: ٧٦] قال سعيد بن جبير: الرفرف رياض الجنة، والعبقري عتاق الزرابي، وجمع الرفرف رفارف. وقال الحسن ومقاتل: هي البسط. وقال قتادة والضحاك: هي محابس خضر فوق الفرش. وقال ابن كيسان: هي المرافق. وقال ابن عيينة: هي الزرابي والزرابي: هي البسط العريضة ذات الألوان تشبيهاً لها بزرابي البنات وهي ألوانه. قال بعضهم: الزرابي البسط المخملة التي لها أهداب في أثناء قيامها ولحمتها. وقيل: ثوب عريض عند العرب يسمى رفرفاً. وأما العبقري: فقال ابن عباس هي البسط الطنافس، وقريب منه قول الكلبي أنها البسط المخملة. وقال قتادة: هي عتاق الزرابي، وقال مجاهد: هي من الديباج الغليظ. وقال تعالى: ﴿فيها سرر مرفوعة★ وأكواب موضوعة★ ونمارق مصفوفة★ وزرابي مبثوثة﴾ [الغاشية: ١٣ ـ ١٦].

صفة طعام أهل الجنة:

اعلم أن (بيان طعام أهل الجنة مذكور في القرآن من الفواكه) الحسان (والطيور السمان والمن والسلوى والعسل واللبن، وأصناف كثيرة لا تحصى. قال الله تعالى: ﴿كلما

قالوا هذا الذي رُزِقنا من قبلُ وأتُوا به مُتشابهاً﴾ [البقرة: ٢٥]، وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة في مواضع كثيرة، وقد قال ثوبان - مولى رسول الله ﷺ - كنت قائماً

رُزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا﴾) قال البيضاوي: صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة كان لما قيل: إن لهم جنات وقع في خلد السامع أثمارها مثل ثمار الدنيا أو أجناس مختلفة أُخر فاريح بذلك. وكلما: نصب على الظرف، ورزقا مفعول به. ومن الأولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال، وأصل الكلام ومعناه كل حين ورزقوا مرزوقاً مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات، فابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة، فصاحب الحال الأول رزقاً، وصاحب الحال الثاني ضميره المستكن في الحال، ويحتمل أن يكون من ثمرة بياناً تقدم كما في قولك: رأيت منك أسداً وهذا إشارة إلى نوع ما رزقوا كقولك مشيراً إلى نهر جار: هذا الماء لا ينقطع فإنك لا تعني به العين المشاهدة منه، بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه، وإن كانت الإشارة إلى عينه فالمعنى هذا مثل الذي، ولكن لما استحكم الشبهة بينهما جعل ذاته ذاته كقولك: أبو يوسف أبو حنيفة. ﴿من قبل﴾ هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة كثمر الدنيا أي من جنسه لتميل النفس إليه أوّل ما ترى، فإن الثمار مائلة إلى المألوف منفرد عن غيره وتتبين لها مزية وكنه النعمة فيه، إذ لو كان جنساً لم يعهد ظن أنه لا يكون إلا كذلك أو في الجنة لان طعامها متشابه الصورة، كما حكي عن الحسن أن أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها، ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى فيقول ذلك، فتقول الملائكة: كل فاللون واحد والطعم مختلف، أو كما روي أنه ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة إلى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها» فلعلهم إذا رأوها على الهيئة الأولى قالوا ذلك والأول أظهر لمحافظته على عموم «كلما»، فإنه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا، والداعي إلى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة ﴿وأتوا به متشابها﴾ اعتراض يقرر ذلك، والضمير على الأول راجع إلى ما رزقوا في الدارين، وعلى الثاني إلى الرزق.

فإن قيل: التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرة الدنيا والآخرة. قلت: التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الإسم دون المقدار والطعم، وهو كاف في إطلاق المتشابه هذا، وأن للآية محلاً آخر وهو أن مستلذات أهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها، فيحتمل أن يكون المراد من هذا الذي رزقنا أنه ثوابه، ومن تشابهها تماثلها في الشرف والرتبة وعلو الطبقة، فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى: ﴿ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ [العنكبوت: ٥٥] في الوعيد.

(**وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة في مواضع كثيرة**) ومشاربهم منوّعة منها ما نبه عليه قوله تعالى: ﴿يسقون من رحيق مختوم ★ ختامه مسك﴾ [المطففين: ٢٥، ٢٦] وقوله تعالى: ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ [الصافات: ٤٥] الآية، وقوله تعالى: ﴿وكأساً دهاقاً﴾ [النبأ:

عند رسول الله ﷺ فجاءه حبر من أحبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال: فمن أوّل إجازة - يعني على الصراط؟ فقال: « فقراء المهاجرين » قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: « زيادة كبد الحوت »، قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: « ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل في أطرافها » قال: فما شرابهم عليه؟ قال: « من عين فيها تسمى سلسبيلاً » فقال: صدقت. وقال زيد بن أرقم: جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ وقال: يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ وقال لأصحابه: إن أقر لي بها خصمته، فقال رسول الله ﷺ: « بلى والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوّة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع »، فقال اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة؟ فقال رسول الله ﷺ: « حاجتهم عرق يفيض من

٣٤] أي متتابعة، وقيل: صافية، وقيل مترعة. وقوله تعالى: ﴿يطوفُ عليهم ولدان مخلدون★ بأكواب﴾ [الواقعة: ١٧، ١٨] الآية. فهم يأكلون مما يشتهون ويشربون مما يشتهون ولا يبولون ولا يبصقون ولا يمتخطون، كما ثبت في صحيح مسلم: « يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يبولون طعامهم ذلك جشاء كرشح المسك يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس » وفي رواية: قالوا: فما بال الطعام؟ قال « جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد ».

(وقال ثوبان مولى رسول الله ﷺ: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال: فمن أوّل إجازة - يعني على الصراط - فقال « فقراء المهاجرين » قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ فقال: « زيادة كبد الحوت » قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال « ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل في أطرافها » قال: فما شرابهم عليه؟ قال « من عين فيها تسمى سلسبيلاً فقال: صدقت). قال العراقي: رواه مسلم بزيادة في أوله وآخره اهـ.

وقال ابن أبي شيبة: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا حميد عن أنس أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله ﷺ مقدمه المدينة فسأله: ما أول ما يأكل أهل الجنة؟ فقال: « أخبرني جبريل آنفا أن أوّل ما يأكله أهل الجنة زيادة كبد حوت » اهـ.

والسلسبيل: احدى عيون الجنة الأربعة. قال الضحاك: هي عين الخمرة.

(وعن زيد بن الأرقم) رضي الله عنه قال: **(جاء رجل من اليهود إلى رسول الله ﷺ وقال: يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ وقال لاصحابه: إن أقر لي بها خصمته)** أي غلبته بالحجة. **(فقال رسول الله ﷺ: « بلى والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوّة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع » فقال اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة)** أي إلى البراز. **(فقال رسول الله ﷺ: « حاجتهم عرق يفيض من**

جلودهم مثل المسك فإذا البطن قد ضمر » ، وقال ابن مسعود : قال رسول الله ﷺ :

جلودهم مثل المسك فإذا البطن قد طهر ») كذا في النسخ والرواية قد ضمر . قال العراقي : رواه النسائي في الكبرى بإسناد صحيح اهـ .

قلت : ورواه كذلك أحمد ولفظها : « إن رجلاً من أهل الكتاب جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ؟ قال « نعم والذي نفس محمد بيده » فساق الحديث وفيه بعد قوله : يكون له الحاجة وليس في الجنة أذى . قال « يكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه » . ورواه كذلك ابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث . وروى عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن أبي قلابة في قوله ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ [الإنسان : ٢١] قال : إذا أكلوا وشربوا ما شاء الله من الطعام والشراب دعوا الشراب الطهور فيشربون فيطهرهم ، فيكون ما أكلوا وشربوا جشاء بريح مسك يفيض من جلودهم ويضمر لذلك بطونهم .

وروى هناد وعبد بن حميد وابن المنذر عن إبراهيم التيمي في هذه الآية قال : عرق يفيض من أعراضهم مثل ريح المسك . وروى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن إبراهيم التيمي قال : بلغني أنه يقسم للرجل من أهل الجنة شهوة مائة رجل من أهل الدنيا ، فإذا أكل سقي شراباً طهوراً يخرج من جلده رشحاً كرشح المسك ثم تعود شهوته .

وروى ابن عساكر في التاريخ من طريق رجاء بن حيوة ، عن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان قال : بينا أنا أسير في أرض الجزيرة إذ مررت برهبان وقسيسين واساقفة فسلمت فردوا السلام فقلت : أين تريدون ؟ قالوا : نريد راهباً في هذا الدير نأتيه في كل عام فيخبرنا بما يكون في ذلك العام حتى لمثله من قابل فقلت : لآتين هذا الراهب فلأنظر ما عنده وكنت معنياً بالكتب فأتيته على باب ديره فسلمت فردّ السلام ، ثم قال : فمن أنت ؟ فقلت : من المسلمين قال : أمن أمة أحمد ؟ فقلت : نعم . قال : من علمائهم أنت أم من جهالهم ؟ قلت : ما أنا من علمائهم ولا من جهالهم . قال : فإنكم تزعمون أنكم تدخلون الجنة فتأكلون من طعامها وتشربون من شرابها ولا تبولون فيها ولا تتغوّطون ؟ قلت : نحن نقول ذلك وهو كذلك . قال : فإن له مثلاً في الدنيا فاخبرني ما هو ؟ قلت : مثله كمثل الجنين في بطن أمه إنه يأتيه رزق الله في بطنها ولا يبول ولا يتغوّط . قال : فتربّد وجهه ، ثم قال لي : أما أخبرتني أنك لست من علمائهم ؟ قلت : ما كذبتك . قال : فإنكم تزعمون أنكم تدخلون الجنة فتأكلون من طعامها وتشربون من شرابها ولا ينقص ذلك منها شيئاً ؟ قلت : نعم نقول ذلك وهو كذلك . قال : فإن له مثلاً في الدنيا فأخبرني ما هو ؟ قلت : مثله في الدنيا كمثل الحكمة لو تعلم منها خلق الله أجمعون لم ينقص ذلك منها شيئاً فتربد وجهه ، ثم قال : أما أخبرتني أنك لست من علمائهم ؟ قلت : ما كذبتك ما أنا من علمائهم ولا أنا من جهالهم .

« إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً »، وقال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: « إن في الجنة طيراً أمثال البخاتي »، قال أبو بكر رضي الله عنه: إنها لناعمة يا رسول الله؟ قال: « أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر »، وقال عبدالله بن عمرو في قوله تعالى: ﴿يُطافُ عليهِمْ بصحاف﴾ [الزخرف: ٧٧]، قال:

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: « إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهية فيخر بين يديك مشوياً »**) قال العراقي: رواه البزار بسند فيه ضعف اهـ.

قلت: ورواه كذلك ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في البعث، وفيه قال لي رسول الله ﷺ فذكره. وروى ابن أبي الدنيا عن ميمونة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال « إن الرجل ليشتهي الطير في الجنة فيجيء مثل البختي حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير ». وروى عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن في قوله تعالى ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ [الواقعة: ٢١] قال: لا يشتهي منها شيئاً إلا صار بين يديه فيصيب منه حاجته ثم يطير فيذهب. وروى ابن أبي شيبة وهناد عن الحسن مرسلاً: إن في الجنة طيراً كأمثال البخت تأتي الرجل فيصيب منها ثم تذهب كأن لم ينقص منها شيء. وروى ابن مردويه من حديث ابن مسعود: إن في الجنة طيراً له سبعون ألف ريشة فإذا وضع الخوان قدام ولي الله جاء الطير فسقط عليه فانتفض فخرج من كل ريشة لون ألذ من الشهد وألين من الزبد وأحلى من العسل ثم يطير. ورواه هناد من حديث أبي سعيد الخدري مثله.

(**وقال حذيفة**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: « إن في الجنة طيراً أمثال البخاتي »**) جمع بختى وهو الجمل العظيم. (**قال أبو بكر رضي الله عنه: إنها لناعمة يا رسول الله؟ قال: « أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر »**) قال العراقي: غريب من حديث حذيفة، ولأحمد من حديث أنس بإسناد صحيح « إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى في الشجر » قال أبو بكر: يا رسول الله إن هذه الطير ناعمة؟ قال آكلها أنعم منها ـ قالها ثلاثا ـ وإني أرجو أن تكون ممن يأكل منها ». وهو عند الترمذي من وجه آخر ذكر فيه نهر الكوثر وقال فيه: « طير اعناقها كاعناق الجزر » قال عمر: ان هذه لناعمة؟ الحديث وليس فيه ذكر لأبي بكر وقال: حسن اهـ.

قلت: سياق المصنف عند البيهقي في كتاب البعث، وعزاه صاحب حادي القلوب إلى الحاكم، ورواه ابن أبي حاتم في التفسير موقوفاً على قتادة، وحديث أنس عند الترمذي تقدم ذكره عند مبحث الحوض. وروى ابن جرير عن أبي أمامة قال: إن الرجل من أهل الجنة يشتهي الطائر وهو يطير فيقع منقلياً نضيجاً في كفه فيأكل منه ما تشتهي نفسه ثم يطير، ويشتهي الشراب فيقع الإبريق في يده فيشرب ما يريد ثم يرجع إلى مكانه.

(**وقال عبدالله بن عمرو**) رضي الله عنهما (**في قوله تعالى**): ﴿**يطاف عليهم بصحاف من**

يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الأخرى. وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ﴿ومزاجُهُ من تسنيمٍ﴾ [المطففين: ٢٧]، قال: يمزج لأصحاب اليمين ويشربه المقربون صرفاً. وقال: أبو الدرداء رضي الله عنه في قوله

ذهب﴾ (**قال يطاف**) عليهم (**بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الأخرى**). ورواه الحاكم في المستدرك وصححه.

وروى ابن المبارك في الزهد، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، والطبراني في الأوسط بسند رجاله ثقات، عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف بيد كل واحد صحفتان من ذهب، والأخرى من فضة في كل واحدة لون ليس في الأخرى مثله، يأكل من آخرها مثل ما يأكل من أوّلها، يجد لآخرها من اللذة والطيب مثل الذي يجد لاوّلها، ثم يكون ذلك ريح المسك الأذفر ولا يبولون ولا يتغوّطون ولا يمتخطون إخوانا على سرر متقابلين ».

وروى ابن أبي شيبة عن كعب قال: إن أدنى أهل الجنة منزلة أن له لسبع درجات وهو على السادسة وفوقه الثامنة، وأن له ثلاثمائة خادم يغدى عليه ويراح كل يوم بثلاثمائة صحفة من ذهب في كل صحفة لون ليس في الاخرى، وأنه ليلذ أوّله كما يلذ آخره، وأنه يقول: يا رب لو أذنت لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي، وأن له من الحور العين الاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا، وأن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها عبر ميل من الأرض ».

وروى عبد بن حميد عن عكرمة « إن أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة لرجل دخل الجنة لا يدخل بعده أحد يفسح له في بصره مسيرة عام في قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ وما فيها موضع شبر إلا معمور، يغدى عليه كل يوم ويراح بسبعين ألف صحفة من ذهب ليس فيها صحفة إلا وفيها لون ليس في الاخرى مثله، شهوته في آخرها كشهوته في أوّلها، لو نزل جميع أهل الدنيا لوسع عليهم مما أعطى لا ينقص ذلك مما أوتي شيئاً ».

(**وقال ابن مسعود**) رضي الله عنه في قوله تعالى: (**﴿ومزاجه من تسنيم﴾ قال: يمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفاً**) رواه ابن أبي شيبة وابن المبارك وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ولفظه عندهم، عين في الجنة تمزج لأصحاب اليمين ويشرب بها المقربون صرفاً. وقد روي نحوه عن ابن عباس قال: تسنيم أشرف شراب أهل الجنة وهو صرف للمقربين ويمزج لأصحاب اليمين. رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي. وروى البيهقي عن عطاء قال: التسنيم اسم العين التي يمزج بها الخمر. وروى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن مالك بن الحارث قال: تسنيم عين في الجنة يشرب بها المقربون صرفاً ويمزج لسائر أهل الجنة. وروي عن قتادة مثله رواه عبد الرزاق. وروى ابن المنذر عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: تسنيم عين في عدن يشرب بها المقربون في عدن صرفاً

تعالى: ﴿خِتَامُهُ مسكٌ﴾ [المطففين: ٢٦]، قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها.

صفة الحور العين والولدان:

قد تكرر في القرآن وصفهم ووردت الأخبار بزيادة شرح فيه. روى أنس رضي الله

ويجري تحتهم أسفل منهم إلى أصحاب اليمين فتمزج أشربتهم كلها الماء والخمر واللبن والعسل يطيب بها أشربتهم. وروى عبد الرزاق وابن المنذر عن الكلبي قال: تسنيم عين تثب عليهم من فوق وهو شراب المقربين.

(**وقال أبو الدرداء**) رضي الله عنه (**في قوله تعالى ﴿ختامه مسك﴾ قال: هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم، لو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها**). رواه ابن جرير وابن المنذر والبيهقي ولفظهم: ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه لم يبق ذو روح إلا وجد ريحها. وقال مجاهد: ﴿ختامه مسك﴾ طينه مسك. رواه البيهقي في البعث. وقال سعيد بن جبير: آخر طعمه مسك. رواه ابن أبي شيبة. وقال علقمة: خلطه مسك رواه عبد بن حميد. وقال ابن مسعود: طعمه وريحه مسك رواه ابن المنذر، وروي عنه أيضاً أنه قال: ليس بخاتم يختم به ولكن خلطه مسك.

صفة الحور العين والولدان:

الحور: بالضم جمع الأحور والحوراء، والحور محركة ظهور قليل من البياض في العين من بين السواد، وقد احورت عينه وذلك نهاية الحسن من العين، والعين: بالكسر صفة للحور جمع العيناء وهي الواسعة مشق العين. وفي المصباح: حورت العين حوراً من باب تعب اشتد بياض بياضها وسواد سوادها، ويقال: الحور اسوداد المقلة كلها كعيون الظباء. قالوا: وليس في الانسان حور، وإنما قيل ذلك في النساء على التشبيه. وفي مختصر العيني: ولا يقال للمرأة حوراء إلا للبيضاء مع حورها. قال الله تعالى: ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ [الدخان: ٥٤] قال قتادة: بيض عين. رواه ابن جرير، وقيل: الحوراء هي الشابة الجميلة الفائقة في حسنها. وقال مجاهد: الحوراء هي التي يحار فيها الطرف بادئاً رواه الفريابي وروي عن زيد بن أسلم مثله. وروى الطستي في فوائده: إن نافع بن الازرق سأل ابن عباس عن قوله ﴿حور عين﴾ [الواقعة: ٢٢] قال الحوراء البيضاء المنعمة. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت الأعشى يقول:

وحورٍ كأمثال الدمى ومناصف ... ومـاء وريحان وراح يصفق

وقال عطاء: حور عين سود الحدقة عظمية العين رواه البيهقي في البعث.

(**قد تكرر في القرآن أوصافهم، ووردت الأخبار بزيادة شرح فيه**)، واختلف في

عنه أن رسول الله ﷺ قال: « غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ولملأت ما بينهما رائحة ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها » يعني الخمار. وقال أبو سعيد الخدري: قال رسول الله ﷺ

خلقتهن فقال زيد بن أسلم: أن الله لم يخلق الحور العين من تراب إنما خلقهن من مسك وكافور وزعفران. رواه ابن المبارك، ومنهم من قال: إنهن خلقن من الزعفران وحده. ورواه ابن أبي حاتم والطبراني من حديث أبي أمامة وابن مردويه والخطيب من حديث أنس، وروى ابن جرير عن ليث بن أبي سليم قال: بلغني أن الحور العين خلقن من الزعفران، ورواه ابن جرير عن مجاهد وقيل: إنهن خلقن من تسبيح الملائكة رواه ابن مردويه من حديث عائشة.

(روى أنس) رضي الله عنه **(أن رسول الله ﷺ قال: « غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ولملأت ما بينهما رائحة ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها » يعني الخمار)** رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه وأبو عوانة وابن حبان ولفظهم جميعاً « لغدوة » وفيه: « أو موضع قدمه » يعني سوطه في الجنة. ورواه البخاري من حديث أبي هريرة بلفظ « لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب، ولقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب ». والشطر الأول من الحديث رواه الطيالسي وعبد الله بن أحمد والطبراني من حديث ابن عمر، وفي رواية لأحمد والشيخين وابن ماجه وابن حبان من حديث أنس « غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ». ورواه هكذا الطيالسي والترمذي من حديث ابن عباس، ومسلم والترمذي والنسائي من حديث سهل بن سعد، ومسلم وابن ماجه من حديث أبي هريرة، وأبو يعلى والضياء من حديث الزبير، وأحمد والطبراني من حديث معاوية بن خديج. وروى أحمد والنسائي من حديث أبي أيوب بلفظ « خير مما طلعت عليه الشمس وغربت ». وروى ابن قانع من حديث سفيان بن وهب الخولاني « غدوة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » وروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ». وروى أحمد من حديث أبي هريرة « لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض » وروى ابن أبي شيبة وهناد وابن ماجه من حديث أبي سعيد « لشبر في الجنة خير من الدنيا وما فيها ». وروى أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه من حديث سهل « موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ». وروى الترمذي من حديث سعد « لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض ».

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى:**

في قوله تعالى: ﴿كأنَّهن الياقوتُ والمرجان﴾ [الرحمن: ٥٨] قال: «ينظر إلى وجهها في خدرها أصفى من المرآة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه يكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك».

وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «لما أسري بي دخلت الجنة موضعاً يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر فقلن: السلام عليك يا رسول الله، فقلت: يا جبريل ما هذا النداء؟ قال: هؤلاء المقصورات في الخيام استأذنَّ ربهنَّ في السلام عليك، فأذن لهن، فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط أبداً ونحن الخالدات فلا نظعن أبداً»، وقرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿حورٌ مقصورَاتٌ في الخيام﴾ [الرحمن: ٧٢]».

﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ قال «ينظر إلى وجهها في خدرها أصفى من المرآة، وأن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وأنه يكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك») قال العراقي: رواه أبو يعلى من رواية أبي الهيثم عن أبي سعيد بإسناد حسن، ورواه أحمد وفيه ابن لهيعة، ورواه ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية أبي الهيثم عن النبي ﷺ مرسلاً دون ذكر أبي سعيد، وللترمذي من حديث ابن مسعود «إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض مخ ساقها من وراء سبعين حلة» الحديث. ورواه عنه موقوفاً. قال: وهذا أصح وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «لكل امرىء منهم زوجتان يرى مخ سوقها من وراء اللحم» اهـ.

قلت: سياق المصنف رواه أيضاً ابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في البعث، وفي رواية لأحمد وأبي يعلى وابن جرير بسند حسن عن أبي سعيد رفعه «إن الرجل ليتكىء في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحوّل ثم تأتيه امرأته فتضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد عليها السلام ويسألها من أنت؟ فتقول: أنا من المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون حلة فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها مما وراء ذلك، وأن عليها التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب» وتقدم للمصنف عند قوله وفي رواية «على كل زوجة سبعون حلة» ذكر حديث أبي سعيد وابن مسعود.

(**وقال أنس**) رضي الله عنه: (**قال رسول الله ﷺ: «لما أسري بي دخلت الجنة موضعاً يسمى البيدخ**) كحيدر والدال مهملة وآخره خاء معجمة اسم نهر في الجنة (**عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر فقلن: السلام عليك يا رسول الله، فقلت: يا جبريل ما هذا النداء؟ قال: هؤلاء المقصورات في الخيام استأذنّ ربهنّ في السلام عليك فأذن لهن فطفق يقلن: نحن الراضيات فلا نسخط أبداً، ونحن الخالدات فلا نظعن أبداً، وقرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى ﴿حور مقصوراتٌ في الخيام﴾»**) قال العراقي: لم أجده هكذا بتمامه،

....

وللترمذي من حديث علي « إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن أصواتاً لم تسمع الخلائق مثلها قال يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط. طوبى لمن كان لنا وكنا له ». وقال غريب. ولأبي الشيخ في العظمة من حديث ابن أبي أوفى بسند ضعيف « فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات الحديث » انتهى.

قلت: بل ساقه بتمامه ابن مردويه والبيهقي في البعث وفيه « فأتيت على نهر يسمى البيدخ وفيه فنوديت: السلام عليك يا رسول الله. فقلت: يا جبريل ما هذا النداء »؟ وفي لفظ « ونحن المقيمات » بدل « الخالدات » والباقي سواء.

وأما حديث علي عند الترمذي؛ فقد رواه أيضاً هناد في الزهد، وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد.

وأما حديث ابن أبي أوفى، فقد رواه أيضاً أبو نعيم في صفة الجنة. وروى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة عن ابن عباس قال: « إن في الجنة نهراً يقال له البيدخ عليه قباب من ياقوت تحته جوار نابتات يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البيدخ فيجيئون فيتصفحون تلك الجواري، فإذا عجب رجل منهم بجارية مسّ معصمها فتبعته وتنبت مكانها أخرى ».

وروى ابن جرير والطبراني وابن مردويه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿حور عين﴾ [الواقعة: ٢٢] قال « حور بيض عين ضخام العيون شعر الحور بمنزلة جناح النسر » وفي لفظ لابن مردويه: « شفر الجفون بمنزلة جناح النسر ». قلت: يا رسول الله اخبرني عن قول الله تعالى ﴿كأنهم لؤلؤ مكنون﴾؟ [الطور: ٢٤] قال « صفاؤهم كصفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي ». قلت: فاخبرني عن قول الله عز وجل ﴿فيهن خيرات حسان﴾ [الرحمن: ٧٠] قال « خيرات الأخلاق حسان الوجوه ». قلت: فاخبرني عن قول الله عز وجل ﴿عرباً أتراباً﴾ [الواقعة: ٣٧] قال « هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصاً شمطاً خلقهن الله بعد الكبر نجعلهن عذارى عرباً متعشقات متحببات أتراباً على ميلاد واحد ». قلت: يا رسول الله أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين قال: « نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة » قلت: يا رسول الله وبم ذلك؟ قال « بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن لله تعالى. ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلى مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقلن: ألا نحن الخالدات فلا نموت أبداً، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً. طوبى لمن كنّا له وكان لنا ». قلت: يا رسول الله المرأة تتزوّج الزوجين والثلاثة والأربعة في الدنيا ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها منهم؟ قال « إنها تخير فتختار أحسنهم خُلُقاً فتقول: يا رب إن هذا كان أحسنهم معي خلقاً في دار الدنيا فزوجنيه. يا أم سلمة ذهب حسن الخُلُق بخير الدنيا والآخرة » اهـ.

وقد وصفهن الله تعالى في كتابه العزيز بأوصاف كثيرة منها قوله تعالى: ﴿فيهن قاصرات

....

الطرف﴾ [الرحمن: ٥٦] أي قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم، وقيل: قصرن أطراف أزواجهن عليهن بحسنهن، فلا يدعن في أطراف أزواجهن فضلة استحسان لغيرهن. ومنها قوله تعالى: ﴿لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جان﴾ [الرحمن: ٥٦] أي لم يمسسهن وقيل: لم يفتضهن أي لم يأخذ فضتهن وهي البكارة. واختلف في المراد بهن فقيل: الحور اللواتي نشأن في الجنة، وقيل: نساء الدنيا أيضاً من أهل الجنة وإن كن في الدنيا ثيبات لأن الله تعالى انشأهن في الجنة إنشاء آخر كما قال تعالى ﴿إنا أنشأناهنَّ إنشاء﴾ [الواقعة: ٣٥] الآية. وقيل: هن اللواتي متن وهن أبكار. وبالجملة؛ فلا شك في أن نساء الجنة من الآدميات، والحور في أكمل الصور جمالاً وحسناً وريحاً طيباً وصفا وضياء لما تقدم من الأخبار.

وروى أبو يعلى في مسنده إلى النبي ﷺ حديثاً فيه أنه ﷺ قال في حق الداخلين إلى الجنة « فيدخل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشيء الله واثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشا الله بعبادتها لله في الدنيا. يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون حلة من سندس واستبرق، وأنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها، وأنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت كبده لها مرآة وكبدها له مرآة، فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها، فبينما هو كذلك إذ نودي: أن قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل إلا أنه لا مني ولا منية إلا أن يكون لك أزواج غيرها، فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك وما في الجنة شيء أحب إلي منك ».

وروى عبد بن حميد عن مجاهد في قوله: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ [الرحمن: ٧٢] قال: لا يخرجن من بيوتهن. وقال الحسن: أي محبوسات ليس بطوافات في الطرق. رواه ابن جرير. وقال مجاهد أيضاً: مقصورات قلوبهن وأبصارهن وأنفسهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ لا يردن غيرهن رواه ابن أبي شيبة وهناد.

وروى ابن مردويه عن أنس قال: حدثني رسول الله ﷺ قال: حدثني جبريل قال « يدخل الرجل على الحوراء فتستقبله بالمعانقة والمصافحة لو أن بعض ثيابها بدا لغلق ضوءه ضوء الشمس والقمر، ولو أن طاقة من شعرها بدت لملأت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها، فبينا هو متكيء عليها مع أريكته إذ أشرف عليه نور من فوقه، فيظن أن الله تعالى قد أشرف على خلقه، فإذا حوراء تناديه: يا ولي اللهأما لنا فيك من دولة؟ فيقول: ومن أنت يا هذه؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله ﴿ولدينا مزيد﴾ [ق: ٣٥] فيتحوّل إليها فإذا عندها من الجمال والكمال ما ليس مع الأولى، فبينا هو متكيء معها على أريكته إذ أشرف عليه نور من فوقه، فإذا حوراء أخرى تناديه: يا ولي الله أمالنا فيك من دولة؟ فيقول: ومن أنت يا هذه؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وأزواجٌ مطَهَّرة﴾ [آل عمران: ١٥]، قال: من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمني والولد. وقال الأوزاعي: ﴿في شُغُلٍ فاكِهُون﴾ [يس: ٥٥]، قال: شغلهم افتضاض الأبكار. وقال رجل: يا رسول الله

﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة: ١٧] فلا يزال يتحوّل من زوجة إلى زوجة». وروى ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن أبي حاتم من حديث أنس «لو أن حوراء بزقت في بحر لجي لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها» وروى ابن أبي الدنيا عن ابن عمرو قال: «لشفر المرأة أطول من جناح النسر» وعن ابن عباس قال «لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها، ولو أخرجت معصمها لكانت الشمس عند حسنه مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض». وروى ابن أبي شيبة عن مجاهد قال «إنه ليوجد ريح المرأة من الحور العين من مسيرة خمسمائة سنة».

(**وقال مجاهد**) رحمه الله تعالى (**في قوله تعالى ﴿وأزواج مطهرة﴾ قال: من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمني والولد**) رواه وكيع وعبد الرزاق وهناد وعبد بن حميد وابن جرير، وروي نحوه عن عطاء قال: لا يحضن ولا يمنين ولا يلدن ولا يتغوّطن ولا يبلن ولا يبزقن رواه وكيع وهناد. وروى الحاكم وصححه وابن مردويه من حديث أبي سعيد الخدري في قوله ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾ [البقرة: ٢٥] قال: من الحيض والغائط والنخامة والبزاق. وروى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر عن ابن عباس قال: مطهرة من القذر والأذى. وروى ابن جرير عن ابن مسعود قال: لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن. وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة قال: طهرهن الله من كل بول وغائط وقذر ومأثم. هذا مجموع ما قيل في الآية، وحاصل ذلك أنهن طاهرات مطهرات الأبدان من كل ما يستقذر كالحيض والنفاس والمذي والمني والبصاق والمخاط والصنان والعمش والبكاء وطول الأظفار وشعث الأبشار، ونحو ذلك ومطهرات الاخلاق عن كل سوء، ومطهرات في جميع عوالمهن ومعالمهن من كل إثم وقبيح.

(**وقال الاوزاعي**) عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي الفقيه رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿إن أصحاب الجنة اليوم (**﴿في شغل فاكهون﴾ قال: شغلهم افتضاض الأبكار**) هذا القول قد نقل عن ابن عباس كما رواه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق. وقد روي عن ابن مسعود بلفظ: العذارى بدل الأبكار. رواه عبد بن حميد وابن أبي الدنيا وعبد الله بن أحمد وابن جرير وابن المنذر. وروى عبد بن حميد عن عكرمة وقتادة مثله.

(**وقال رجل: يا رسول الله أيباضع أهل الجنة؟ قال «يعطى الرجل منهم من القوّة في**

أيباضع أهل الجنة ؟ قال : « يعطى الرجل منهم من القوّة في اليوم الواحد أفضل من سبعين

اليوم الواحد أفضل من سبعين منكم ») قال العراقي : رواه الترمذي وصححه وابن حبان من حديث أنس « يعطى المؤمن في الجنة قوّة كذا وكذا من الجماع » فقيل : أو تظنون ذلك ؟ قال « يعطى قوّة مائة » اهـ .

قلت : سياق المصنف أورده ابن السكن وابن منده وأبو نعيم كلهم في المعرفة ، والبيهقي في البعث ، والخطيب في المؤتلف والمختلف ، وابن عساكر في التاريخ كلهم من طريق سعيد بن سنان عن ربيعة بن يزيد قال : حدثني خارجة بن جزء العذري ، سمعت رجلاً يقول يوم تبوك : يا رسول الله أيباضع أهل الجنة ؟ الحديث . وفي رواية الخطيب عن ربيعة الجرشي ، حدثني خارجة سمعت رجلاً بتبوك قال : يا رسول الله فذكره . وفي الإسناد ضعف .

وأما حديث أنس ؛ فرواه أيضاً الطيالسي والضياء ولفظه « قوّة مائة من النساء » وقال الترمذي : صحيح غريب . وروى أبو يعلى والطبراني وابن عدي في الكامل ، والبيهقي في البعث عن أبي أمامة أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : هل يتناكح أهل الجنة ؟ قال دحاماً دحاماً لا مني ولا منية » . وروى البزار والطبراني والخطيب عن أبي هريرة قال ؛ قيل يا رسول الله : هل نصل إلى نسائنا في الجنة ؟ فقال : « إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء » وروى أبو يعلى والبيهقي في البعث عن ابن عباس قال ؛ قيل يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدنيا ؟ قال « والذي نفسي بيده ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء » . وروى ابن أبي حاتم والطبراني عن أبي أمامة قال : سئل رسول الله ﷺ يتناكح أهل الجنة ؟ فقال « نعم بفرج لا يمل وذكر لا ينثني وشهوة لا تنقطع دحماً دحماً » . وروى عبد بن حميد وابن أبي الدنيا والبزار عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ هل يمس أهل الجنة أزواجهم ؟ قال « نعم بذكر لا يمل وفرج لا يحفي وشهوة لا تنقطع » . وروى الحارث بن أبي أسامة وابن أبي حاتم عن سليم بن عامر والهيثم الطائي أن النبي ﷺ سئل عن البضع في الجنة ؟ قال : « نعم بقبل شهي وذكر لا يمل وأن الرجل ليتكىء فيها المتكأ مقدار أربعين سنة لا يتحوّل عنه ولا يمله يأتيه فيه ما اشتهته نفسه ولذت عينه » . وروى الطبراني عن زيد بن أرقم رفعه : « إن البول والجنابة عرق يسيل من تحت ذوائبهم إلى أقدامهم مسكاً » وروى عبد الرزاق وعبد بن حميد والأصبهاني في الترغيب عن أبي الدرداء قال « ليس في الجنة مني ولا منية إنما يدحمونهن دحماً » روى عبد الرزاق وعبد بن حميد عن طاوس قال : « أهل الجنة ينكحون النساء ولا يلدن ليس فيها مني ولا منية » وروياه عن عطاء الخراساني مثله . وروى وكيع وعبد الرزاق وهناد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن إبراهيم النخعي قال « في الجنة جماع ما شئت ولا ولد » قال « فيلتفت فينظر النظرة فتنشأ له الشهوة ثم ينظر النظرة فتنشأ له شهوة أخرى » . وروى الضياء المقدسي في صفة الجنة عن أبي هريرة قال : أنطأ في الجنة يا رسول الله ؟ قال « نعم والذي نفسي بيده دحماً دحماً فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً » وروى البزار والطبراني في الصغير ، وأبو الشيخ في العظمة من حديث أبي سعيد الخدري « أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً »

منكم». وقال عبدالله بن عمر: أدني أهل الجنة منزلة من يسعى له ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه. وقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنة ليتزوّج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره

وروى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر عن عبد الله بن عمر وقال «إن المؤمن كلما أراد زوجته وجدها عذراء». وروى ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير قال «طول الرجل من أهل الجنة تسعون ميلاً وطول المرأة ثلاثون ميلاً ومقعدها جريب، وأن شهوته لتجري في جسدها سبعين عاماً تجد اللذة».

(**وقال عبد الله بن عمر**) رضي الله عنهما: (**إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسعى معه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه**). وهذا موقوف وحكمه حكم المرفوع. وقد روي مرفوعاً بلفظ «إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر أزواجه وخدمه وسرره، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين». رواه هكذا أحمد وأبو الشيخ في العظمة والحاكم. ورواه الترمذي والطبراني بلفظ «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ ﴿وجوه يومئذ ناضرة* إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]» روى ابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: «أخس أهل الجنة منزلاً له سبعون ألف خادم مع كل خادم صحفة من ذهب لو نزل به أهل الأرض جيعهم لأوصلهم لا يستعين عليهم بشيء من غيره، وذلك في قوله تعالى: ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس﴾» [الزخرف: ٧١] وروى أحمد من حديث أبي هريرة «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن له سبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة، وإن له لثلاثمائة خادم» الحديث.

(**وقال رسول الله ﷺ «إن الرجل من أهل الجنة ليتزوّج**) كذا في النسخ والرواية ليزوّج (**خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيباً يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا»**) قال العراقي: رواه أبو الشيخ في كتاب طبقات المحدثين، وفي كتاب العظمة من حديث ابن أبي أوفى إلا انه قال «مائة حوراء» ولم يذكر فيه عناقه لهن واسناده ضعيف وتقدم قبله بحديث اهـ.

قلت: سياق المصنف أورده البيهقي في كتاب البعث. وأما لفظ أبي الشيخ في كتاب العظمة «يزوّج كل رجل من أهل الجنة بأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان لم تسمع الخلائق بمثلها: نحن الخالدات فلا نبيد» الحديث وفي آخره «طوبى لمن كان لنا وكنا له». ورواه هكذا أبو نعيم في صفة الجنة، وهذا هو الذي أشار إليه العراقي أنه تقدم قبله بحديث. ورواه أبو الشيخ في العظمة أيضاً عن عبد الرحمن بن سابط قال: «إن الرجل من أهل الجنة يتزوج خمسمائة حوراء وأربعمائة بكر وثمانية آلاف ثيب ما منهن واحدة إلا يعانقها عمر الدنيا كلها لا يأجم واحد منها عن صاحبه» الحديث.

في الدنيا »، وقال النبي ﷺ : « إن في الجنة سوقاً ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء ، فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وإن فيها لمجتمع الحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له ». وقال أنس رضي الله عنه: قال

(وقال النبي ﷺ : « **إن في الجنة سوقاً**) وفي لفظ: لسوقاً يذكر ويؤنث والتأنيث أفصح، والمراد به هنا مجتمع فيه أهل الجنة وقد حفته الملائكة بما لا يخطر بقلب بشر يأخذون ما يشتهون، وهذا نوع من الاستلذاذ كما قال. (**ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها ، وإن فيها لمجتمع**) كذا في النسخ والرواية لمجتمعاً (**للحور العين يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراغبات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له** ») قال العراقي: رواه الترمذي فرقه في موضعين من حديث علي، وقد تقدم قبل هذا بحديثين اهـ.

قلت: الحديث الأول إلى قوله « دخل فيها » رواه هناد والترمذي وقال غريب وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ، والحديث الثاني كذلك رواه المذكورون هكذا مفرقاً كل منهما على حدة. ولما رأى المصنف سندهما واحداً ذكرها في سياق واحد. قال ابن أبي شيبة: حدثنا أبو معاوية، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد عن علي فذكر الحديثين معاً في متن واحد. وقد ضعفه المنذري لأن فيه عبد الرحمن بن إسحاق قال الذهبي: ضعفوه وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ودندن عليه الحافظ ابن حجر ثم قال: وفي القلب منه شيء، وتبعه السيوطي. ومحصول كلامه: إن له شواهد.

قلت: ومن جملة شواهده ما قال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت عن أنس رفعه « إن لأهل الجنة سوقاً يأتونها كل جمعة فيها كثبان المسك فإذا خرجوا إليها هبت ريح » قال حماد: أحسبه قال شمال « فتملأ وجوههم وثيابهم وبيوتهم مسكاً ويزدادون حسناً وجمالاً » قال « فيأتون أهليهم فيقولون لهن: لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ويقلن لهم وأنتم قد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً ». وأراد بالصورة في الحديث الأوّل الشكل والهيئة أي تتغير أوصافه بأوصاف شبيهة بتلك الصورة، فالدخول مجاز عن ذلك أو أراد به التزين بالحلى والحلل وعليها، فالمتغير الصفة لا الذات ذكره الطيبي ونوزع بما لا يجدي.

وذكر الشيخ الأكبر قدس سره ما نصه: حدثني أوحد الدين الكرماني قال: كنت أخدم شيخاً وأنا شاب فمرض بالبطن وكان في محارة، فلما وصلنا تكريت قلت: يا سيدي اتركني أطلب لك دواء من صاحب المارستان، فلما رأى احتراقي قال: رح إليه فرحت له، فإذا هو قاعد في خيمة ورجال قائمون بين يديه ولا يعرفني، فرآني واقفاً بين الناس فقام إليّ وأخذ بيدي وأكرمني

رسول الله ﷺ: « إن الحور في الجنة يتغنين: نحن الحور الحسان خبئنا لأزواج كرام »، وقال يحي بن كثير في قوله تعالى: ﴿في روضَةٍ يُحبَرون﴾ [الروم: ١٥]، قال: السماع في الجنة. وقال أبو أمامة الباهلي: قال رسول الله ﷺ: « ما من عبد يدخل الجنة إلا

وأعطاني الدواء وخرج معي في خدمتي، فجئت الشيخ وأعطيته الدواء وذكرت له كرامة أمير المارستان. فقال: يا ولدي إني أشفقت عليك لما رأيت من احتراقك من أجلي، فأذنت لك ثم خفت أن يخجلك الأمير بعدم إقباله عليك، فتجردت عن هيكلي ودخلت في هيكل الأمير وقعدت في محله، فلما جئت أكرمتك وفعلت معك ما رأيت، ثم عدت إلى هيكلي هذا ولا حاجة لي في هذا الدواء.

(وقال أنس) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: « إن الحور في الجنة يتغنين نحن الحور الحسان خبئنا)** وفي نسخة خبئن، وفي أخرى خلقن وفي أخرى خلقنا **(لأزواج كرام »)** قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه الحسن بن داود المنكدري. قال البخاري: يتكلمون فيه، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به اهـ.

قلت: ورواه أيضاً من هذا الطريق سمويه في فوائده والحسن بن داود بن محمد بن المنكدر أبو محمد المدني روى عن عبد الرزاق والمعتمر روى له النسائي وابن ماجه، وقد تكلم في سماعه عن المعتمر مات سنة سبع وأربعين. وقال أبو بكر بن أبي شيبة: حدثنا شبابة بن سوار، عن ابن أبي ذئب عمن سمع أنساً يقول: « إن الحور العين في الجنة ليغنين يقلن نحن الخيرات الحسان خبئنا لأزواج كرام ».

(وقال يحي بن كثير) هكذا في سائر النسخ والمسمى بهذا الاسم ثلاثة: يحي بن كثير بن درهم الغبري مولاهم البصري أبو غسان ثقة روى له الجماعة مات سن ست ومائتين، ويحي بن كثير الكاهلي الكوفي لين الحديث روى له البخاري في جزء القراءة وأبو داود، ويحي بن كثير أبو النضر صاحب البصري ضعيف روى له ابن ماجه، ثم رأيت في المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن يحي بن أبي كثير **(في قوله تعالى: ﴿في روضة يحبرون﴾)** قال: الحبر **(السماع في الجنة)**. ويحي بن أبي كثير الطائي روى له الجماعة، وأصل الحبرة السرور البهجة لظهور أثره على صاحبه، وعزاه القشيري في الرسالة إلى مجاهد، ولفظه: « السماع من الحور العين بأصوات شهية نحن الخالدات فلا نموت أبداً ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً » وروى ابن أبي حاتم نحو ذلك في تفسير قوله تعالى ﴿في شغل فاكهون﴾ [يس: ٥٥] أي ضرب الأوتار، وعزاه لابن عباس وقال: هو خطأ في السمع، والصواب: افتضاض الأبكار.

(وقال أبو أمامة الباهلي) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ « ما من عبد يدخل الجنة**

ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه ».

بيان جمل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار:

روى أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: « ألا هل مشمر للجنة إن

إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه اثنتان من الحور العين تغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن، وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله) وفي رواية بتمجيد الله **(وتقديسه »)** قال العراقي: رواه الطبراني بإسناد حسن اهـ.

قلت ورواه كذلك أبو نصر السجزي في الإبانة، وابن عساكر في التاريخ.

اعلم أن في الأحاديث الواردة ما يدل على أن سماع أهل الجنة يكون تارة من الحور، وتارة من أصوات الأنهار، وتارة من أصوات الأشجار، وتارة من اسرافيل وتارة من داود عليهما السلام، وتارة من ملائكة آخرين.

وروى البيهقي في البعث عن أبي هريرة قال « إن في الجنة نهراً طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات يغنين بأحسن أصوات يسمعها الخلائق حتى ما يرون أن في الجنة لذة مثلها » قلنا: يا أبا هريرة وما ذاك الغناء؟ قال « إن شاء الله التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب ».

وروى ابن أبي شيبة، عن مروان بن معاوية، عن علي بن أبي الوليد قال: سئل مجاهد هل في الجنة سماع؟ قال: إن في الجنة لشجراً لها سماع لم يسمع السامعون إلى مثله.

وروى ابن أبي الدنيا عن الأوزاعي قال: بلغني أنه ليس في خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل، فيأمره الله تبارك وتعالى فيأخذ في السماع فما يبقى ملك في السموات إلا قطع عليه صلاته، فيمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث فيقول الله عز وجل: وعزتي لو علم العباد قدر عظمتي ما عبدوا غيري.

وروى أيضاً عن مالك بن دينار قال: إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع في الجنة ثم نودي: يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخم الذي كنت تمجدني به في دار الدنيا. قال: فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنان.

وروي أيضاً عن شهر بن حوشب قال: إن الله جل ثناؤه يقول لملائكته: إن عبادي كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجلي، فاسمعوا عبادي فيأخذون بأصوات من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثلها قط، والله الموفق.

بيان جمل مفرقة من أوصاف أهل الجنة: وردت بها الأخبار

(روى أسامة بن زيد) بن شرحبيل رضي الله عنهما **(أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: « ألا هل مشمر للجنة إن الجنة لا خطر لها)** الخطر محركة القدر **(هي ورب الكعبة نور**

الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام أبداً ونضرة في دار عالية بهية سليمة » قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله قال : « قولوا إن شاء الله تعالى » ثم ذكر الجهاد وحض عليه . وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال : هل في الجنة خيل فإنها تعجبني ؟ قال : « إن أحببت ذلك أتيت بفرس من ياقوتة حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت » وقال له رجل : إن الإبل تعجبني فهل في الجنة من إبل ؟ » فقال : يا عبدالله إن أدخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك » .

يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد) بتشديد الطاء أي جار ، **(وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة)** بفتح فسكون السرور ، **(ونعمة في مقام أبداً ، ونضرة في دار عالية بهية سليمة » قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله . قال : « قولوا إن شاء الله تعالى » ثم ذكر الجهاد وحض عليه)** . أخبرناه عبد الخالق بن أبي بكر الزبيدي ، أخبرنا محمد بن أحمد بن سعيد المكي ، أخبرنا الحسن بن علي بن يحيى ، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ ، أخبرنا علي بن يحيى ، أخبرنا يوسف بن عبد الله الحسني ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي بكر الحافظ قال : قرىء على أم عبد الله بنت أبي أحمد الكناني وأنا أسمع عن أحمد بن أبي بكر المقدسي قال : أخبرنا سليمان بن حمزة ، أخبرنا عبد الله بن عمر البغدادي ، أخبرنا أبو القاسم بن البناء ، أخبرنا أبو نصر الزينبي ، أخبرنا أبو بكر الوراق قال : حدثنا أبو بكر بن أبي داود ، حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا أبي عن محمد بن مهاجر ، عن الضحاك المعافري ، عن سليمان بن موسى قال : حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله ﷺ « ألا هل مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها » فذكره وفيه بعد قوله « مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية » قالوا : نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها . قال « قولوا إن شاء الله » قال القوم : إن شاء الله . هذا حديث رجاله موثقون . قال العراقي : رواه ابن ماجه وابن حبان اهـ .

قلت : روياه من طريق العباس بن عثمان عن الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر ، وكذلك رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ، والبزار وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث .

(وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال : هل في الجنة خيل فإنها تعجبني ؟ قال « إن أحببت ذلك أتيت بفرس من ياقوته حمراء فتطير بك في الجنة حيث شئت » وقال له رجل : إن الإبل تعجبني فهل في الجنة من إبل ؟ فقال « يا عبدَ الله إن أدخلت الجنة فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك ») قال العراقي : رواه الترمذي من حديث بريدة مع اختلاف لفظه ، وفيه المسعودي مختلف فيه . ورواه ابن المبارك في الزهد بلفظ المصنف من رواية عبد

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة » ، وقال رسول الله ﷺ:

الرحمن بن سابط مرسلاً. قال الترمذي: هذا أصح، وقد ذكر أبو موسى المديني عبد الرحمن بن سابط في ذيله على ابن منده في الصحابة ولا تصح له صحبة اهـ.

قلت: حديث بريدة رواه الطيالسي وأحمد والترمذي والضياء من طريق المسعودي، عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريدة عن أبيه ولفظه « إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرساً من ياقوتة حمراء تطير بك في أي الجنة شئت إلا ركبت ». ورواه الترمذي من طريق الثوري عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط مرسلاً وقال: هذا أصح. ورواه عبد بن حميد وابن جرير من هذا الوجه وزادا، فقال اعرابي: أفي الجنة إبل فإني أحب الإبل فقال: « يا اعرابي إن أدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك ». وروى الترمذي وضعفه والطبراني من حديث أبي أيوب بلفظ: « إن أدخلت الجنة لأتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت » ويروى من حديث عبد الرحمن بن ساعدة رواه الطبراني وابن قانع بلفظ « إن أدخلك الله الجنة يا عبد الرحمن كان لك فيها فرس من ياقوت له جناحان يطير بك حيث شئت ». روياه من طريق خنيش بن الحرث عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن ساعدة وهو ساعدي صحابي. وقال أبو موسى في الذيل: هذا الحديث قد اختلف فيه على علقمة، فقيل: عنه هكذا أي عن عبد الرحمن بن سابط، وقيل: عن عبد الرحمن بن ساعدة، وقيل: عنه عن عمير بن ساعدة.

(وقال أبو سعيد الخدري) رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: « إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه)** وفي نسخة ونشأته **(في ساعة واحدة »)** العراقي: رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب قال: وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم: يكون في الجنة جماع ولا يكون ولد اهـ.

ولأحمد من حديث أبي رزين: « يلذوا بكم مثل لذاتكم في الدنيا ويتلذذون بكم غير أن لا توالد » اهـ.

قلت: وكذلك رواه أحمد وهناد والدارمي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن حبان والبيهقي في البعث ولفظهم: قلنا يا رسول الله إن الولد من قرة العين وتمام السرور، فهل يولد لأهل الجنة؟ فقال: « إن المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وشبه في ساعة كما اشتهى ». وروى ابن أبي شيبة والترمذي عن ابن عباس أنه سئل في الجنة ولد؟ قال: إن شاؤوا.

ومما يلحق بهذا ما رواه أبو الشيخ في العظمة من حديث أبي هريرة: « إذا دخل أهل الجنة الجنة مر رجل فقال: يا رب ائذن لي في الزرع فأذن له فيبذر حبه فلا يلتفت حتى يبدو كل سنبلة طولها اثنتا عشرة ذراعاً، ثم لا يبرح مكانه حتى يكون منه آكام مثل الجبال ».

« إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الاخوان إلى الاخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا يلتقيـان ويتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول: يا أخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا »، وقال رسول الله ﷺ : « إن أهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع ». وقال رسول الله ﷺ : « أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم

(وقال ﷺ : « **إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الإخوان إلى الإخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا فيلتقيان ويتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا، فيقول: يا أخي تذكر يوم كذا في مجلس كذا، فدعونا الله عز وجل فغفر لنا** ») قال العراقي: رواه البزار من رواية الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس وقال: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد تفرد به أنس اهـ.

والربيع بن صبيح ضعيف جداً. ورواه الأصبهاني في الترغيب والترهيب مرسلاً دون ذكر أنس اهـ.

قلت: ورواه أبو الشيخ في العظمة، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في البعث، والخطيب وابن عساكر من حديث أنس، وفيه سعيد بن عبدالله بـن دينار الدمشقي مجهول، ولفظهم: « إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق الإخوان بعضهم إلى بعض فيسير سرير ذا إلى سرير ذا وسرير ذا إلى سرير ذا حتى يلتقيا. فيتكىء ذا ويتكىء ذا فيتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول: يا أخي تذكر يوم كنا في دار الدنيا في مجلس كذا، فدعونا الله عز وجل فغفر لنا ». وروى ابن مردويـه مـن حديث أبي أمامة: سئل النبي ﷺ هل تتزاور أهل الجنة؟ قال: « أي والذي بعثني بالحق إنهم ليتزاورون على النوق الرمك عليها حشايا الديباج يزور الأعلون الأسفلين ولا يزور الأسفلون الأعلين » قال: « هم درجات ». الحديث.

(وقال ﷺ : « **أهل الجنة جرد**) جمع أجرد من لا شعر له على بدنه (**مرد**) جمع أمرد من لا لحية له (**بيض**) الألوان (**جعاد**) جمع جعد وهو المجتمع الخلق (**مكحلون**) أي على أجفانهم سواد خلقي، (**أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طولهم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع** ») قال العراقي: رواه الترمذي من حديث معاذ وحسنه دون قوله: بيض جعاد، ودون قوله: على خلق آدم الخ. ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة مختصراً: « أهل الجنة جرد مرد كحل » وقال غريب. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: « على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً » اهـ.

قلت: سياق المصنف لأبي بكر بن شيبة قال: حدثنا يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم طوله ستون ذراعاً في عرض

واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء وإن عليهم التيجان وإن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب » . وقال ﷺ : « نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كجلف البعير المقتب وإذا طيرها كالبخت ، وإذا فيها جارية فقلت : يا جارية لمن أنت ؟ فقالت : لزيد بن حارثة ، وإذا في

سبعة أذرع » ومن هذا الوجه رواه أحمد وأبو الشيخ في العظمة ، ورواه ابن سعد في الطبقات عن سعيد بن المسيب مرسلاً . وأما لفظ الترمذي مختصراً : « أهل الجنة جرد مرد كحل » وقال فيه إنه غريب فقد زاد فيه بعد قوله كحل « لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم » . وأما حديث معاذ عنده الذي أشار له العراقي فلفظه : « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين » . ورواه كذلك أحمد والطبراني وروى الطبراني من حديث ابن مسعود بسند ضعيف : « أهل الجنة جرد مرد إلا موسى عليه السلام فإن له لحية تضرب إلى سرته » . ورواه أيضاً الديلمي من حديث جابر . وروى ابن منيع من حديث أبي هريرة وبسند صحيح : « أهل الجنة أخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم ستين ذراعاً » وروى الطبراني والضياء من حديث أنس : « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين » .

(**وقال رسول الله ﷺ : « أدنى أهل الجنة**) أي منزلة (**الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء**) وفي نسخة إلى صنعاء وهما موضعان بدمشق أو المراد بصنعاء صنعاء اليمن ، (**وإن عليهم التيجان وإن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب »**) قال العراقي : رواه الترمذي من حديث أبي سعيد مقطعاً من أوله إلى قوله : وإن عليهم التيجان منفرداً . ومن هنا بإسناد أيضاً وقال : لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد اهـ .

قلت : لفظ الترمذي : « أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة ، وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء » . وهكذا رواه أحمد وابن حبان وأبو يعلى والضياء في صفة الجنة . وأما قوله وإن عليهم التيجان الخ . فرواه الترمذي والحاكم بإسناد فيه رشدين المذكور ، وقد تقدم للمصنف في ذكر لباس أهل الجنة . وروي مثل ذلك عنه في وصف الحور العين رواه أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقي في البعث وتقدم ذلك أيضاً .

(**وقال ﷺ : « نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كجلف البعير المقتب**) الجلف : بكسر الجيم جلد الشاة والبعير نقله ابن الأنباري عن الأصمعي ، وقيل : هو الدن الفارغ والمقتب العظيم القتب وفي بعض النسخ كجلد ، (**وإذا طيرها كالبخت**) جمع بختي بالضم وهي العظيمة من الإبل ، (**وإذا فيها جارية فقلت : يا جارية لمن أنت ؟ فقالت : لزيد بن حارثة ، وإذا في**

الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »، وقال كعب: خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الجنة بيده ثم قال لها: تكلمي فقالت: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [المؤمنون: ١].

الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ») قال العراقي: رواه الثعلبي في تفسيره من رواية أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد، وأبو هارون واسمه عمارة بن جوين ضعيف جداً. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: « يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ». اهـ.

قلت: عمارة بن جوين روى له البخاري في خلق أفعال العباد والترمذي وابن ماجه متروك، ومنهم من كذبه مات سنة أربع وثلاثين، وهذا السياق بتمامه رواه من هذا الوجه ابن عساكر في التاريخ ولفظه: « نظرت إلى الجنة فإذا الرمانة من رمانها كجلد البعير المقتب » الخ. ورواه ابن أبي حاتم مختصراً ولفظه: « كمثل البعير المقتب ». وروى ابن السني في الطب من حديث ابن عباس: « ما من رمانة من رمانكم هذه إلا وهي تلقح بحبة من رمان الجنة ». وروى الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن عباس أنه كان يأخذ الحبة من الرمان فيأكلها فقيل له: لم تفعل هذا؟ قال: بلغني أنه ليس في الأرض رمانة تلقح إلا بحبة من الجنة فلعلها هذه. وروى الروياني وابن عساكر والضياء من رواية عبدالله بن بريدة عن أبيه رفعه: « دخلت الجنة فاستقبلتني جارية شابة فقلت: لمن أنت قالت: لزيد بن حارثة. وقوله: « وإذا في الجنة ما لا عين رأت » الخ. رواه الطبراني من حديث سهل بن سعد « إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد ».

(**وقال كعب**) الأحبار رحمه الله تعالى: (**خلق الله تعالى آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الجنة بيده، ثم قال لها: تكلمي، فقالت: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾**) رواه عبد الرزاق وابن جرير عن قتادة قال: قال كعب: لم يخلق الله بيده إلا ثلاثة: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده، ثم قال لها: تكلمي فقالت: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ لما علمت فيها من الكرامة. وقد روي ذلك مرفوعاً من حديث أنس: « خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده وقال لها: تكلمي، فقالت: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ رواه ابن عدي والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات. ورواه الطبراني في السنة وابن مردويه من حديث ابن عباس مثله. وروى الديلمي من حديث الحرث بن نوفل: « خلق الله ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده ». وروى الطبراني في السنة وتمام وابن عساكر من حديث ابن عباس: « خلق الله جنة عدن بيده خلق فيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها: تكلمي، فقالت: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ فقال: وعزتي لا يجاورني فيك بخيل ». وروى ابن جرير عن مجاهد قال: « لما غرس الله الجنة نظر إليها فقال: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ وعن أبي العالية قال: لما خلق الله الجنة قال: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ وأنزل به قرآناً.

فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم نقلناها تفصيلاً.

وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله جملتها فقال: إن رمانها مثل الدلاء، وإن أنهارها لمن ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وأنهار من خمر لذة للشاربين لا تسفه الأحلام ولا تصدع منها الرؤوس، وإن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ملوك ناعمون أبناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعاً في السماء، كحل جرد مرد قد أمنوا العذاب واطمأنت

(**فهذه صفات الجنة ذكرناها**) أولاً (**جملة، ثم نقلناها تفصيلاً، وقد ذكر الحسن**) البصري (**رحمه الله تعالى جملتها**) فيما رواه ابن جرير بسنده إليه (**فقال: إن رمانها مثل الدلاء**) جمع الدلو، رواه ابن أبي حاتم وابن عساكر من حديث أبي سعيد بلفظ: « كجلد البعير المقتب أو كجلف البعير المقتب ». وتقدم قريباً. وروى نحو ذلك في حبة العنب، فروى أحمد في مسنده حديث الاعرابي الذي سأل النبي ﷺ عن الجنة هل فيها عنب؟ قال: « نعم » قال: ما عظم العنقود؟ قال: « مسيرة شهر للغراب الأبقع ولا يفتر » قال: فما عظم الحبة؟ قال: « هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً قال: نعم. قال: « فسلخ إهابه فأعطاه أمك وقال اتخذي لنا منه دلواً » قال: نعم. قال الاعرابي: فإن تلك الحبة تشبعني وأهل بيتي؟ قال: نعم وعامة عشيرتك ». وفي حديث سدرة المنتهى فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال وقد تقدم، (**وإن أنهارها لمن ماء غير آسن**) أي غير متغير ليس كمياه الدنيا، (**وأنهار من لبن لم يتغير طعمه**) أي ذوقه، (**وأنهار من عسل مصفى**) أي مخلص من الأوساخ (**لم يضعه الرجال**) بل خلقه الله تعالى هكذا في الجنة، (**وأنهار من خمر لذة للشاربين لا تسفه الأحلام**) أي لا تضعف العقول (**ولا تصدع منه الرؤوس**) كما أخبر الله بذلك في كتابه العزيز فقال: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى﴾ [محمد: ١٥] قال تعالى: ﴿لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾ [الصافات: ٤٧] والغول: الاغتيال أي إن الخمر المذكور لا تغتال عقولهم ولا تغلب عليها. وقيل: الغول وجع البطن، وقيل: الصداع، وقيل الإثم. وقوله تعالى: ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ على قراءة من فتح الزاي هو السكر أيضاً ومن كسر الزاي فمعناه لا ينفد شرابهم، (**وإن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**). رواه الطبراني من حديث سهل بن سعد، والشيخان من حديث أبي هريرة نحوه وقد تقدم. (**ملوك ناعمون**) رواه ابن وهب عن الحسن مرسلاً إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي يركب في ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر لها أجنحة من ذهب وإذا رأيت، ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً. (**أبناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعاً في السماء**) رواه ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة وقد تقدم، (**كحل جرد مرد**) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وتقدم. (**قد أمنوا العذاب واطمأنت**

بهم الدار ، وإن أنهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد ، وإن عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها إلا الله تعالى ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة وإن لهم فيها خيلاً وإبلاً هفافة رحالها وأزمتها وسروجها من ياقوت يتزاورون فيها وأزواجهم الحور العين كأنهم بيض مكنون ، وإن المرأة لتأخذ بين أصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة ، قد طهر الأخلاق من السوء والأجساد من الموت لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوّطون وإنما هو جشاء ورشح مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشياً ، أما إنه ليس يكر الغدوّ على الرواح والرواح على

بهم الدار) وذلك قوله تعالى: ﴿إن المتقين في مقام أمين﴾ [الدخان: ٥١] **(وإن أنهارها لتجري على رضراض من ياقوت وزبرجد)** وبعضها على المسك الاذفر رواه معمر عن قتادة عن العلاء عن أبي هريرة موقوفاً درجها الياقوت ورضراض أنهارها اللؤلؤ قاله أبو نعيم في الحلية. **(وأن عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ وثمارها لا يعلم علمها إلا الله تعالى)**. رواه ابن أبي شيبة من حديث سلمان نحوه. وقد تقدم وروى ابن المبارك عن ابن عباس قال: « نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكربها من ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة وثمرها أمثال القلال والدلاء » الحديث وتقدم والكرب: محركة أصول السعف. **(وأن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة)** رواه ابن أبي شيبة عن مجاهد إلا أنه قال: إنه ليوجد ريح المرأة من الحور العين من مسيرة خمسمائة سنة. وأما ريح الجنة فقد ثبت في صحيح البخاري أنها تنشق من مسيرة أربعين عاماً. وفي رواية للترمذي من مسيرة سبعين خريفاً وفي رواية للطبراني مسيرة مائة عام ، ويحتمل هذا الإختلاف أن يكون بحسب اختلاف إدراك أهل الجنة وتفاوت مراتبهم ، فمن كان أعلى رتبة نشق من مسيرة خمسمائة عام ، ويحتمل غير ذلك ، والله أعلم.

(وأن لهم فيها خيلاً وإبلاً هفافة) أي سريعة السير **(رحالها وأزمتها)** وهذا راجع للإبل ، **(وسروجها)** وهذا راجع للخيل **(من ياقوت يتزاورون فيها)** بعضهم بعضاً. رواه عبد بن حميد والترمذي وابن جرير من مرسل عبد الرحمن بن سابط ، وأبو الشيخ في العظمة من حديث علي وقد تقدم. **(وأزواجهم)** فيها **(الحور العين كأنهن بيض مكنون)** كما في الكتاب العزيز ، **(وأن المرأة لتأخذ بين أصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها من وراء تلك السبعين حلة)** رواه ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة. ولفظ الصحيحين: « يرى مخ ساقها من وراء اللحم » ورواه أحمد من حديث أبي سعيد بلفظ: « حتى يرى مخ مساقها من وراء ذلك ». **(قد طهر الله الأخلاق من السوء والأجساد من الموت)** كما قال تعالى: ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾ [البقرة: ٢٥] **(لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوّطون وإنما هو جشاء ورشح مسك)** كما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة وتقدم ، **(لهم رزقهم فيها بكرة وعشياً)** يغدى عليهم ويراح كما هو في الكتاب العزيز ، **(أما إنه ليس يكر الغدوّ على الرواح**

الغدوّ، وإن آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة ليمد له في بصـره وملكه مسيرة مائة عام في قصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ، ويفسح له في بصـره حتى ينظر إلى اقصاه كما ينظر إلى أدناه، يغدى عليهم بسبعين ألف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحفة لون ليس في الأخرى ويجد طعم آخره كما يجد طعم أوّله وإن في الجنة لياقوتة فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت ليس فيها صدع ولا ثقب. وقال مجاهد: إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وأرفعهم الذي ينظر إلى ربه بالغداة والعشي. وقال سعيد بن المسيب: ليس أحد من أهل

والرواح على الغدوّ) تقدم الكلام عليه، **(وإن آخر من يدخل الجنة وأدناهم منزلة)** أي بالنسبة إلى غيره وإلا فلا أدنى في الجنة **(ليمد له في بصره وملكه مسيرة مائة عامة في قصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويفسح له في بصره حتى ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه)** رواه أحمد من حديث ابن عمر بنحوه كما سيأتي قريباً. **(يغدى عليهم بسبعين ألف صحفة من ذهب ويراح عليهم بمثلها في كل صحفة لون ليس في الأخرى)** رواه الحاكم وصححه عن عبدالله بن عمر وقد تقدم. **(ويجد طعم آخره كما يجد طعم أوّلـه)** ورواه مـن أوّل قوله: وإن آخر من يدخل إلى هنا عبد بن حميد عن عكرمة وتقدم، **(وإن في الجنة لياقوته فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت ليس فها صدع ولا ثقب)**. رواه ابن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن هشام عن حميد بن هلال عن بشير بن كعب قال، قال كعب: إن في الجنة ياقوتة ليس فيها صدع ولا وصل فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألفاً من الحور العين لا يدخلها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عادل أو محكم في نفسه. قال: قلنا يا كعب وما المحكم في نفسه؟ قال: الرجل يأخذه العدوّ فيحكمونه بين أن يكفر أو يلزم الإسلام فيقتل فيختار الإسلام. وهذا آخر سياق الحسن البصري رحمه الله تعالى.

(وقال مجاهد) رحمه الله: **(أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه، وأرفعهم)** منزلة **(الذي ينظر إلى ربه)** عز وجل **(بالغداة والعشي)** روي نحو هذا مرفوعاً من حديث ابن عمر بلفظ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر أزواجه وخدمه وسرره وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين» رواه أحمد وأبو الشيخ في العظمة والحاكم، ورواه الترمذي والطبراني بلفظ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ ﴿وجوه يومئذ ناضرة★ إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

(وقال سعيد بن المسيب) رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب

الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة، سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن في الجنة حوراء يقال لها: العيناء إذا مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون ألف وصيفة وهي تقول: أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟ وقال يحي بن معاذ: ترك الدنيا شديد وفوت الجنة أشد وترك الدنيا مهر الآخرة. وقال أيضاً في طلب الدنيا ذل النفوس، وفي طلب الآخرة عز النفوس، فيا عجب لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى.

ولؤلؤاً﴾ [الحج: ٢٣] (**ليس أحد من أهل الجنة إلا في يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من لؤلؤ، وسوار من فضة**) رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة.

(**وقال أبو هريرة**) رضي الله عنه: (**إن في الجنة حوراء يقال لها العيناء إذا مشت مشى عن يمينها ويسارها سبعون ألف وصيفة وهي تقول: أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر**)؟ وقد جاء ذكر العيناء في كتاب الزهد لهناد بن السري، فروى بسنده إلى ثابت البناني قال: كنت عند أنس بـن مالك فقدم عليه ابن له من غزاة يقال له أبو بكر فسأله، ثم قال: ألا أخبرك عن صاحبنا فلان؟ بينما نحن في غزاتنا إذ ثار وهو يقول واأهلاه واأهلاه فنزلت إليه وظننا أن عارضاً عرض له. فقلنا له، فقال: إني كنت أحدث نفسي أن لا أتزوج حتى استشهد فيزوجني الله من الحور العين، فلما طالت عليّ الشهادة حدثت نفسي في سفري إن أنا رجعت تزوّجت فأتاني آتٍ في منامي فقال: أنت القائل إن أنا رجعت تزوّجت قم، فإن الله قد زوّجك العيناء فانطلق إلى روضة خضراء معشبة فيها عشر جوار بيد كل واحدة صنعة تصنعها لم أر مثلهن في الحسن والجمال. قلت: فيكن العيناء؟ قلن: نحن من خدمها وهي أمامك، فانطلقت فإذا بروضة أعشب من الأولى وأحسن فيها عشرون جارية في يد كل واحدة صنعة تصنعها ليس العشر إليهن بشيء من الحسن والجمال. قلت: فيكن العيناء؟ قلن: لا نحن مز خدمها وهي أمامك فانطلقت فإذا أنا بياقوته مجوّفة فيها سرير عليه امرأة قد فضل جنبها عن السرير، فقلت: أنت العيناء؟ قالت: نعم مرحباً وذهبت لأضم يدي عليها فقالت: مه إن فيك شيئاً من الروح بعد، ولكن فطرك عندي الليلة فما فرغ الرجل من حديثه حتى نادى مناد: يا خيل الله اركبي فجعلت أنظر إلى الرجل وأنظر إلى الشمس ونحن مصافـو العدوّ. واذكر حديثه فما أدري أيهما بدر رأسه أو الشمس سقطت أولاً فقال: أنس رحمه الله.

(**وقال يحي بن معاذ**) الرازي رحمه الله تعالى: (**ترك الدنيا شديد وفوت الجنة أشد، وترك الدنيا مهر الآخرة. وقال**) رحمه الله (**أيضاً في طلب الدنيا ذل النفوس، وفي طلب الجنة عز النفوس، فيا عجباً لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى، ويترك العز في طلب ما يبقى**). قال صاحب حادي القلوب وعلى كل حال فأهل الجنة ملوك وأي ملوك، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾ [الإنسان: ٢٠] فتستغلي هذا الملك بما

صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى:

قال الله تعالى: ﴿للذِينَ أحسنُوا الْحُسنى وزيادةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم أهل الجنة ـ وقد

فيه ما لا تصل إليه الأماني ولا تبلغه الشهوات ببذل الروح بالموت؟ لا والله هذا والله هو المطلب الأعز والوصل والأخص والقرب الأنفس، كيف بك أيها المؤمن وقد أخذت مداركك كلها مآربها على حسبها، وانتهيت إلى حضرة المواصلة ونلت منها معالي رتبها وحصلت على رضا محبوبك عنك على الدوام، وبلغت ما لم تبلغ حصره المبالغات ولا تحيط بكنهه الأحلام لقد حق لي أن أقول:

شراً مثل هذا الوصل بالموت لا يغلو وكل عناء دون هذا المنى يحلو
إذا كانت العقبي وصالاً وقربة وودّاً وتكريماً فكل عنا سهلُ

اهـ.

قلت: وزاد الشيخ موفق الدين بالمحلة على هذين فقال:

وأي عنا يبقى إذا انكشف الغطاء وقد زالت الآلام واتسع الفضلُ
وشاهدت من يهواه قلبي جهرة وبالأهل والأحباب قد جمع الشملُ
فلست أخاف الموت كلا وأنه لقصدي من الرحمن كي يصل الوصلُ

صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى:

(**قال الله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾**) ولا يرهق وجوههم قترٌ ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ [يونس: ٢٦] (**وهذه الزيادة**) على الحسنى (**هي النظر إلى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم أهل الجنة**)، وذلك إذا أشرف عليهم الحق وقال لهم: سلام عليكم يا أهل الجنة ويرونه عياناً، فهذا أجل ما يرد عليهم من المنح النفيسة في الجنة إذ يدعون إلى حضرة قربه ومشهد قدسه وتنصب لهم منابر بين يديه ويشاهدونه كما يشاهد أحدنا القمر ليلة البدر، وتتشنف أسماعهم بكلامه سبحانه لهم وقراءته عليهم وتودده إليهم. وقد روى الشافعي في مسند حديثاً في فضل يوم الجمعة ذكر فيه أن جبريل سمى يوم الجمعة يوم المزيد، وأن النبي ﷺ قال: «يا جبريل وما يوم المزيد»؟ قال إن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفيح فيه كثب المسك، فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من الملائكة وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله: أنا ربكم قد صدقتم وعدي فسلوني أعطيكم، فيقولون: ربنا نسألك رضوانك فيقول: قد رضيت عنكم ولكم علي ما تمنيتم ولدي مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة مما يعطيهم فيه ربهم من الخير.

وروى أبو نعيم بسنده: إذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك فيقول: إن الله يأمركم أن تزوروه

ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة ـ وقد شهد لها الكتاب والسنَّة على خلاف ما يعتقده أهل البدعة. قال جرير بن عبدالله البجلي: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فرأى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»، ثم قرأ: ﴿فسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غُرُوبها﴾ [طه: ١٣٠]، وهو مخرج في الصحيحين.

فيجتمعون فيأمر الله تعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثم توضع مائدة الخلد قالوا: يا رسول الله وما مائدة الخلد؟ قال: «زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون» فيقولون: لم يبق إلا النظر في وجه ربنا عز وجل فيتجلى لهم فيخرون سجداً فيقال لهم: لستم في دار عمل إنما أنتم في دار جزاء.

(وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة، وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده أهل البدعة) من المعتزلة والجهمية.

أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة★ إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] وقوله تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥] خبر فيه عن الكفار أنهم محجوبون عن رؤيته فدل على أن المؤمنين ينظرون إلى الله تعالى وإنهم غير محجوبين عن رؤيته. وقوله تعالى: ﴿تحيتهم يوم يلقونهم سلام﴾ [الأحزاب: ٤٤] ومعلوم أن اللقاء ههنا لا يكون إلا عن معاينة يراهم الله ويرونه ويسلم عليهم ويكلمهم ويكلمونه وغير ذلك.

وأما السنة فقد أشار إليه بقوله: **(قال جرير بن عبدالله البجلي:)** يوسف هذه الأمة رضي الله عنه **(كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فرأى القمر ليلة البدر)** أي ليلة تمامه وكماله وهي ليلة أربع عشر من الشهر **(فقال: «إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون)** بضم الميم المشددة يروى بالتخفيف **(في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»)** هما صلاة الغداة والعصر. **(ثم قرأ ﴿فسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾ وهو مخرج في الصحيحين)** وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان ولفظ الجميع: «سترون». ورواه الطبراني مختصراً ولفظه: «أنكم سترون ربكم يوم القيامة عياناً» قال الطبراني ولفظه: عياناً زائدة تفرد بها أبو شهاب الحناط وهو حافظ متقن من ثقات المسلمين.

وقال أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى في كتاب الشريعة: حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحي الحلواني، حدثنا محمد بن الص ح، حدثنا وكيع بن الجراح، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس ابن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم ستعرضون على ربكم عز وجل فترونه كما ترون هذا القمر لا تضارون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا».

وروى مسلم في الصحيح عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿للذين أحسنُوا الحسنى وزيادة﴾ قال: « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه قالوا: ما هذا الموعد؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ » قال: « فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وقد روى

حدثنا أبو بكر بن أبي داود، وحدثنا أحمد بن سنان، حدثنا يزيد بن هارون ويعلى ومحمد ابنا عبيد الطنافسي، عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبدالله البجلي قال: كنا عند رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال: « إنكم راؤون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لا تضارون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها.

حدثنا أبو بكر النيسابوري، حدثنا أبو الأزهر، حدثنا روح، حدثنا شعبة قال: سمعت إسماعيل بن أبي خالد، سمعت قيس بن أبي حازم، سمعت جرير بن عبد الله يقول: كنا عند رسول الله ﷺ ليلة البدر فقال: « إنكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته إن استطعتم أن لا تغلبوا على هاتين الصلاتين قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » ثم تلا هذه الآية: ﴿فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾.

حدثنا أبو بكر بن أبي داود، حدثنا عبدة بن عبد الله حدثنا حسين الجعفي، عن زائدة بن قدامة، عن بيان، عن قيس بن أبي حازم، حدثنا جرير بن عبدالله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ليلة البدر قال: ونظر إلى القمر فقال: « إنكم ترون ربكم عز وجل يوم القيامة كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ».

(وروي مسلم في الصحيح عن صهيب) بن سنانَ رضي الله عنه **(قال: قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال: « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم موعداً يريد أن ينجزكموه » قالوا: ما هذا الموعد ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: « فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إليه »)**.
ورواه كذلك الطيالسي وهناد وأحمد والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والدارقطني في الرؤية وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات. وعند بعضهم: « فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقرّ لأعينهم ». ورواه الآجرى في الشريعة من طريق الطيالسي وهناد وعند هناد بعد قوله من النظر إليه وهي الزيادة وعند الطيالسي قال: فيتجلى لهم فينظرون إليه.

حديث الرؤية جماعة من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من التنعم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى، بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة إلى لذة اللقاء. وقد أوجزنا في الكلام هنا لما فصلناه في كتاب المحبة والشوق والرضا فلا ينبغي أن تكون همة العبد من الجنة بشيء سوى لقاء المولى. وأما سائر نعيم الجنة فإنه يشارك فيه البهيمة المسرحة في المرعى.

(**وقد روى حديث الرؤية جماعة من الصحابة**) رضوان الله عليهم، ومن بعدهم من الاتباع وأتباعهم حتى وصل إلينا ذلك، وقبلها العلماء منهم أحسن القبول كما قبلوا عنهم علم الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وعلم الحلال والحرام، كذا قبلوا منهم الأخبار: إن المؤمنين يرون الله عز وجل لا يشكون في ذلك، ثم قالوا: من رد هذه الأخبار فقد كفر.

قال الآجري في الشريعة: حدثنا أبو حفص عمر بن أيوب السقطي، حدثنا محمد بن سليمان لوين قال قيل لسفيان بن عيينة: هذه الأحاديث التي تروى في الرؤية فقال: حق على ما سمعناها ممن نثق به.

وحدثنا جعفر بن محمد الصفدي، حدثنا الفضل بن زياد، سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل وبلغه عن رجل أنه قال: إن الله عز وجل لا يرى في الآخرة فغضب غضباً شديداً ثم قال: من قال إن الله عز وجل لا يرى في الآخرة فقد كفر عليه لعنة الله وغضبه من كان من الناس، أليس الله عز وجل قال: ﴿وجوه يومئذ ناضرة★ إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل نحو ذلك. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام وذكرت عنده أحاديث الرؤية هذه عندنا حق نقلها الناس بعضهم عن بعض.

(**وهذه**) أي الرؤية (**غاية الحسنى ونهاية النعماء وكل ما فصلناه من التنعم**) لأهل الجنة في الجنة (**عند هذه النعمة ينسى**) ويترك، (**وليس لسرور أهل الجنة عند سعادة اللقاء منتهى، بل لا نسبة لشيء من لذات الجنة إلى لذة اللقاء، وقد أوجزنا في الكلام ههنا لما فصلناه في كتاب المحبة والرضا**) فاكتفينا به، (**فلا ينبغي أن تكون همة العبد من الجنة بشيء سوى لقاء المولى**) جل وعز، (**فأما سائر نعم الجنة فإنه يشارك فيه البهيمة المسرحة في المرعى**).

ولنذكر من روى في إثبات الرؤية واللقاء والنظر إليه تعالى في دار الآخرة للمؤمنين من الصحابة ومن بعدهم من أتباعهم ومن جاء بعدهم من الأئمة، فاعلم أن أحاديث الرؤية رواها جلة من الصحابة رضي الله عنهم منهم: جابر بن عبدالله، وصهيب بن سنان، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وأبو رزين العقيلي، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس، وأنس بن مالك، وابن عمر، وعدي بن حاتم، وكعب بن عجرة، وأبي بن كعب بحديث جابر وصهيب ذكره المصنف، واقتصر على الحديثين المذكورين لكونها في الصحيحين، وحديث أبي هريرة رواه الفريابي وأبو بكر بن أبي

....

داود والآجري وأبو الشيخ، وحديث أبي سعيد وأبي رزين رواهما أبو بكر بن أبي داود والآجري، وحديث أبي موسى الأشعري رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والدارقطني في الرؤية وابن مردويه، وله سياق آخر سيأتي للمصنف في آخر الكتاب. وحديث ابن مسعود والآجري، وحديث ابن عباس رواه أبو بكر بن أبي داود والآجري. وحديث أنس رواه الشافعي في المسند وأبو الشيخ وابن منده في الرد على الجهمية والدارقطني والآجري وابن مردويه والخطيب وابن النجار. وحديث ابن عمر هو حديث النجوى قد تقدم للمصنف، وحديث عدي بن حاتم تقدم للمصنف أيضاً وفي آخره «اتقوا النار ولو بشق تمرة». وحديث كعب بن عجرة رواه ابن جرير وابن مردويه واللالكائي في السنة والبيهقي في كتاب الرؤية. وحديث أبي بن كعب رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والدارقطني في الرؤية وابن مردويه واللالكائي والبيهقي.

وأما آثار الصحابة؛ فروي في ذلك عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال في الآية: الحسنى الجنة. والزيادة النظر إلى وجه الله رواه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن خزيمة وابن المنذر وأبو الشيخ والدارقطني وابن منده وابن مردويه واللالكائي والآجرى والبيهقي كلهم من طريق عامر بن سعد البجلي عنه. وعن علي رضي الله عنه مثل ذلك رواه ابن مردويه من طريق الحارث عنه. وعن حذيفة رضي الله عنه مثل ذلك رواه ابن أبي شيبة وهناد وابن حرير وابن المنذر وأبو الشيخ والدارقطني واللالكائي والآجرى والبيهقي من طريق مسلم بن نذير عنه. وعن ابن عباس رضي الله عنه مثل ذلك رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي، وعن ابن مسعود رضي الله عنه مثل ذلك رواه ابن أبي حاتم واللالكائي.

وأما من بعدهم، فقد روي عن محمد بن كعب القرظي أنه قال في قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة* إلى ربها ناظرة﴾ قال: نضرها الله تعالى وحسنها للنظر إليه رواه أبو بكر بن أبي داود والآجري من طريق موسى بن عبيدة عنه. وقال الحسن البصري: أي نظرت إلى ربها عز وجل فنضرت لنوره رواه أبو بكر بن أبي داود من طريق المبارك عنه. وقال عكرمة تنظر إلى ربها عز وجل نظراً رواه الآجري من طريق يزيد النحوي عنه. وقال قتادة في الآية: الزيادة النظر إلى وجه الله رواه أبو الشيخ ويروى عنه أنه قال: وأما الزيادة فهي النظر إلى وجه الرحمن قال: فيتجلى لهم حتى ينظروا إليه رواه ابن جرير والدارقطني. وقال عامر بن سعد البجلي: الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل رواه ابن جرير والدارقطني. وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: الزيادة نظرهم إلى ربهم عز وجل. رواه ابن جرير والدارقطني.

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري، حدثني مضر القاري، حدثنا عبد الواحد بن زيد قال: سمعت الحسن يقول: لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم عز وجل لذابت أنفسهم في الدنيا

نختم الكتاب بباب في سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك:

فقد كان رسول الله ﷺ يحب الفأل، وليس لنا من الأعمال ما نرجو به المغفرة

وروى الآجري من طريق هشام بن حسان عن الحسن قال: إن الله عز وجل ليتجلى لأهل الجنة فإذا رأوه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة.

وروى أبو بكر بن أبي داود من طريق عبدالله بن الحارث عن كعب الأحبار قال: ما نظر الله عز وجل إلى الجنة قط إلا قال: طيبي لأهلك فزادت ضعفاً على ما كانت حتى يأتيها أهلها، وما من يوم كان لهم عيداً في الدنيا إلا يخرجون في مقداره في رياض الجنة، فيبرز لهم الرب عز وجل فينظرون إليه وتسفى عليهم الريح بالمسك والطيب ولا يسألون ربهم شيئاً إلا أعطاهم. الحديث.

وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا عبدالله بن وهب قال: قال مالك ابن أنس رحمه الله: الناس ينظرون إلى الله عز وجل يوم القيامة بأعينهم.

وقال الآجري: حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي، حدثنا عبد الوهاب الوراق قال: قلت للأسود بن سالم: هذه الآثار التي تروى في معاني النظر إلى الله عز وجل ونحوها من الأخبار فقال: نحلف عليها بالطلاق والمشي. قال عبد الوهاب: معناه نصدق بها.

وقال أبو القاسم البغوي: حدثنا حنبل بن إسحاق بن حنبل قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: قالت الجهمية: إن الله عز وجل لا يرى في الآخرة. وقال الله عز وجل: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥] ولا يكون هذا إلا أن الله عز وجل يرى. وقال عز وجل: ﴿وجوه يومئذ ناضرة★ إلى ربها ناظرة﴾ فهذا النظر إلى الله عز وجل. والأحاديث رويت عن النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم» بروايات صحيحة وأسانيد غير مدفوعة، والقرآن شاهد أن الله عز وجل يرى في الآخرة. قال الآجري: فمن رغب عما كان عليه هؤلاء الأئمة، وخالف الكتاب والسنة ورضي بقول جهم وبشر المريسي وأشباههم فهو كافر بأمور كثيرة مما يجب عيه الإيمان به، والله أعلم.

نختم الكتاب بباب في ذكر سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاؤل بذلك:

(**فقد كان رسول الله ﷺ يحب الفأل**) وهو مهموز يجوز التخفيف هو أن تسمع كلاماً حسناً فتتيمن به وإن كان قبيحاً فهو الطيرة، وجعل أبو زيد الفأل في سماع الكلامين. قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس في أثناء حديث: «ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة» ولهما من حديث أبي هريرة: «وخيرها الفأل» قالوا. وما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم» اهـ.

قال الحليمي: الفرق بين الفأل والطيرة أن الطيرة سوء ظن بالله من غير سبب ظاهر يرجع الظن إليه، والتيمن بالفأل حسن ظن بالله وتعليق تجديد الأمل به وذلك بالإطلاق محمود.

فنقتدي برسول الله ﷺ في التفاؤل، ونرجو أن يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى. فقد قال الله تعالى: ﴿إنَّ اللهَ لا يغفِرُ أنْ يُشرَكَ بهِ ويغفِرُ ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿قُل يا عبادِي الذين أسرَفوا على أنفُسِهم لا تقنطُوا من رحمَةِ الله إن اللهَ يغفُر الذنوبَ جميعاً إنهُ هو الغفورُ الرحيم﴾ [الزمر: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ومَنْ يَعملْ سُوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفِر اللهَ يجِد اللهَ غفُوراً رحيماً﴾ [النساء: ١١٠].

ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم أو طغى به القلم في كتابنا هذا وفي سائر كتبنا، ونستغفره من أقوالنا التي لا توافقها أعمالنا، ونستغفره مما ادعيناه وأظهرناه

وروى ابن ماجه وابن حبان من حديث أبي هريرة: «كان يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة» قال الحافظ في الفتح: إسناد حسن.

وروى أبو داود من طريق وهيب بن سهيل عن رجل عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سمع كلمة فاعجبته فقال: «أخذنا ذلك من فيك».

وروى العسكري في الأمثال والخلعي في فوائده من طريق محمد بن يونس، حدثنا عون بن عمارة، حدثنا السري بن يحيى، عن الحسن عن سمرة بن جندب قال: كان رسول الله ﷺ يعجبه الفأل الحسن فسمع علياً يوماً يقول: هذه خضرة فقال: «لبيك قد أخذنا فألك من فيك فاخرجوا بنا إلى خضرة» قال: فخرجوا إلى خيبر فما سل فيها سيف إلا سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه. زاد العسكري حتى فتحها الله عز وجل.

ومن كلمات الصوفية: ألسنة الخلق أقلام الحق، ومن قول العامة: مصر بأفواهها، (**وليس لنا من الأعمال ما نرجو به المغفرة**) لذنوبنا وتقصيراتنا، (**فنقتدي برسول الله ﷺ في التفاؤل**). فقد روى أحمد والطبراني من حديث ابن عباس: كان يتفاءل ولا يتطير، وكان يحب الاسم الحسن. (**ونرجو أن يختم عاقبتنا بالخير في الدنيا والآخرة، كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى، فقد قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وقال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً أنه هو الغفور الرحيم﴾ وقال تعالى: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾**).

(**ونحن نستغفر الله تعالى من كل ما زل به القدم أو طغى به القلم في كتابنا هذا**) المسمى بالإحياء، (**وفي سائر كتبنا**) التي ألفناها قبل هذا أو سنؤلفه فيما بعد، (**ونستغفره من أقوالنا التي لا توافقها أعمالنا ونستغفره مما ادعيناه وأظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع**

من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه، ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره، ونستغفره من كل وعد وعدناه به مـن أنفسنـا ثم قصّـرنـا في الوفاء به، ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في معصيته، ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به، ونستغفره من كل خطرة دعتنا إلى تصنع وتكلف تزينا للنـاس في كتـاب سطـرنـاه أو كلام نظمنـاه أو علم أفدناه أو استفدناه ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا، ولمن طالع كتابنا هذا أو كتبه أو سمعه أن نكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهراً وباطناً فإن الكـرم عميم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلائق فائض. ونحن خلق من خلق الله عز وجل لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه. فقد قال رسول الله ﷺ: « إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والطير والبهائم والهوام فيها يتعاطفون

التقصير فيه، ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره، ونستغفره من كل وعد وعدناه من أنفسنا ثم قصرنا في الوفاء به، ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها في معصيته، ونستغفره من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به، ونستغفره من كل خطرة دعتنا إلى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه وكلام نظمناه أو علم افدناه أو استفدنا، ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا) مطالعة استفادة واعتبار، **(أو كتبه)** لنفسه أو لغيره، **(أو سمعه)** من لسان آخر في تدريس أو مذاكرة ويدخل في قوله أو كتبه من خدمه بتخريج أخباره وآثاره وشرح كلماته وفك رموزه وأسراره أو بحسن ترتيبه واختصاره **(أن يكرم بالمغفرة والرحمة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهراً وباطناً)**. وقد شملتنا بحمد الله تعالى هذه الدعوة الطاهرة، وارجو من الله تعالى أن أكون من جلة من عني به المصنف، وقد كان مجاب الدعوة مقبول الشفاعة. وذكر غير واحد أن من توسل به إلى الله تعالى في حاجة قضيت له، وها أنا متوسل به إلى المولى جل شأنه أن يعيد عليّ وعلى سائر المؤمنين من بركات هذا الكتاب ومؤلفه، ويميتنا على كلمة الإخلاص، وأن يغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر، ويرحم فقرنا ويجبر كسرنا، وينور قبورنا ويثبتنا عند السؤال ويؤنسنا في وحشة القبور ويؤمننا يوم البعث والنشرو ويوفقنا لحسن طاعته ويدخلنا في شفاعة حبيبه محمد ﷺ وشفاعة خواص أمته، وأن يدخلنا الجنة ويرفع درجاتنا فيها، ويجمع شملنا هناك بأحبابنا ويقر أعيننا برضاه عنا ويرينا وجهه الكريم، **(فإن الكرم عميم والرحمة واسعة والجود على أصناف الخلائق فائض. ونحن خلق الله لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه، فقد قال رسول الله ﷺ: « إن لله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحـدة بين الجن والإنس والطير والبهـائـم والهوام فيهـا يتعـاطفـون وبها**

وبها يتراحمون وأخر تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ».

يتراحمون ،وأخَّرَ تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة ») قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي هريرة وسلمان اهـ .

قلت : وكذلك رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة وفيه بعد قوله : يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها والباقي سواء .

ورواه البيهقي من حديث أبي هريرة بلفظ : « إن لله تعالى مائة رحمة قسم منها رحمة في دار الدنيا فمن ثم يعطف الرجل على ولده والطير على فراخه ، فإذا كان يوم القيامة صيّرها مائة رحمة فعاد بها على الخلق ».

ورواه الحاكم بلفظ : « إن لله تعالى مائة رحمة قسم منها رحمة بين أهل الدنيا فوسعتهم إلى آجالهم وأخَّرَ تسعا وتسعين رحمة لأوليائه وأن الله قابض تلك الرحمة التي قسمها بين أهل الدنيا إلى التسع والتسعين فيكملها مائة رحمة لأوليائه يوم القيامة ».

وروى مسدد في مسنده من حديث سلمان بلفظ : « إن لله مائة رحمة منها رحمة تتراحم بها الخلق وتسعة وتسعين ليوم القيامة » ورواته ثقات .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا عبد الرحيم بن سليمان ، عن داود ، عن أبي عثمان ، عن سلمان قال : « خلق الله مائة رحمة فجعل منها رحمة بين الخلائق كل رحمة أعظم مما بين السماء والأرض فيها تعطف الوالدة على ولدها ، وبها يشرب الطير والوحش الماء ، فإذا كان يوم القيامة قبضها الله من الخلائق فجعلها ، والتسع والتسعين للمتقين فذلك قوله : ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون﴾ [الاعراف: ١٥٦] » هكذا رواه موقوفاً . ورواه الحاكم بنحوه من حديث أبي هريرة . ورواه الشيخان من حديث أبي هريرة : « خلق الله مائة رحمة فوضع رحمة واحدة بين خلقه يتراحمون وخبأ عنده مائة إلا واحدة ».

وقال ابن أبي شيبة : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة فجعل في الأرض منها رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والبهائم بعضها على بعض ، وأخَّر تسعاً وتسعين إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة مائة رحمة ». ومن هذا الوجه رواه أحمد وابن ماجه والضياء . ورواه أحمد ومسلم وابن حبان من حديث أبي هريرة بزيادة : « كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض » والباقي سواء .

وروى الشيخان من حديث أبي هريرة : « إن الله عز وجل خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة أرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بالذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار ».

ويروى انه إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتاباً من تحت العرش فيه: « إن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلا أهل الجنة »، وقال رسول الله ﷺ :

وروى الطبراني من حديث ابن عباس: « إن الله تعالى خلق مائة رحمة رحمة منها قسمها بين الخلائق وأخر تسعاً وتسعين إلى يوم القيامة ».

وروى تمام في فوائده وابن عساكر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رفعه: « إن الله خلق مائة رحمة فبث بين خلقه رحمة واحدة فهم يتراحمون بها وادخر عنده لأوليائه تسعاً وتسعين ». ورواه الطبراني بنحوه.

تنبيه:
قال التوربشتي: رحمة الله تعالى غير متناهية فلا يعتورها التقسيم والتجزئة، وإنما قصد من ذكره ضرب المثل للأمة ليعرفوا التفاوت بين القسطين قسط أهل الإيمان منها في الآخرة، وقسط كافة المربوبين في الأولى، فجعل مقدار حظ الفئتين من الرحمة في الدارين على الأقسام المذكورة تنبيهاً على المستعجم وتوقيفاً على المستفهم، ولم يرد به تحديد ما قد جل عن الحد أو تعديد ما تجاوز العد اهـ.

وقال المهلب: الرحمة رحمتان: رحمة من صفة الذات وهي لا تتعدد، ورحمة من صفة الفعل وهي هذه. وقال العارف البوني رحمه الله تعالى: الذاتية واحدة ورحمته المتعدية متعددة وهي كما في هذا الخبر مائة، ففي الأرض منها واحدة يقع بها الارتباط بين الأنواع، وبها يكون حسن الطباع والميل بين الجن والإنس والبهائم كل شكل إلى شكله، والتسعة والتسعون حظ الإنسان يوم القيامة تتصل بهذه الرحمة فتكمل مائة فيصعد بها في صرح الجنة حتى يرى ذات المرحِم ويشاهد رحمته الذاتية.

(ويروى أنه إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتاباً من تحت العرش فيه: « إن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين، فيخرج من النار مثلا أهل الجنة ») قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة: « لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي » لفظ البخاري. وقال مسلم: « كتب في كتابه على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي » اهـ.

قلت: ولفظ البخاري رواه أيضاً أحمد والدارقطني في الصفات وفي رواية: كتب في كتابه فهو عنده، وفي أخرى: غلبت بدل سبقت وقد رواه مسلم كذلك. وروى الدارقطني بلفظ: « لما خلق الله الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي » وفي المقاصد للسخاوي: « إن رحمتي تغلب غضبي » متفق عليه من حديث المغيرة بن عبد الرحمن الخرابي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رفعه قال: « لما قضى » ولفظ آخر لمسلم: « لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي » ولفظ مسلم: « تغلب غضبي » وهو عند البخاري فقط من حديث مالك عن أبي الزناد بلفظ: « إن رحمتي سبقت غضبي » وعند مسلم من حديث ابن عيينة عن أبي الزناد: « قال الله سبقت رحمتي غضبي » وممن رواه عن أبي هريرة أبو صالح وعطاء بن مينا اهـ.

« يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكاً فيقول : أبشروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً » ، وقال النبي ﷺ : « يشفع الله

وروى الديلمي من حديث معاذ : « إن الله تعالى ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع : يا عبادي أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين يا عبادي لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون » الحديث .

(وقال رسول الله ﷺ : « يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكاً فيقول : ابشروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً) قال العراقي : رواه مسلم من حديث أبي موسى : « إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول : هذا فداؤك من النار » ولأبي داود : « أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة » الحديث . فأما أوّل الحديث ؛ فرواه الطبراني من حديث أبي موسى أيضاً : « يتجلى الله ربنا لنا ضاحكاً يوم القيامة حتى ينظروا إلى وجهه فيخرون له سجداً ، فيقول : ارفعوا رؤوسكم فليس هذا يوم عبادة » وفيه علي بن زيد بن جدعان اهـ .

قلت : لفظ مسلم : « إذا كان يوم القيامة أعطى الله كل رجل من هذه الأمة ، رجلاً من الكفار فيقال له : هذا فداؤك من النار » وسيأتي للمصنف . ولفظ الطبراني في الكبير والأوسط : « إذا كان يوم القيامة أعطى الله إلى كل مؤمن ملكاً معه كافر فيقول الملك للمؤمن : هاك هذا الكافر ؛ فهذا فداؤك من النار » . وكذلك رواه الحاكم في الكنى .

وأما أول الحديث ؛ فرواه الطبراني في الكبير ، والدارقطني في الصفات : « يتجلى لنا ربنا ضاحكاً يوم القيامة » .

وأما تمام الحديث فأخرجه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة فقال : حدثنا أبو الفضل جعفر ابن محمد الصندلي ، حدثنا زهير بن محمد المروزي ، حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن علي بن يزيد ، عن عمارة القرشي عن أبي بردة عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله عز وجل الخلق يوم القيامة في صعيد واحد فإذا بدا له أن يصدع بين خلقه مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقتحموهم النار ، ثم يأتينا ربنا تبارك وتعالى ونحن على مكان رفيع فيقول : من أنتم ؟ فنقول : نحن المسلمون . فيقول : ما تنتظرون ؟ فيقولون : ننتظر ربنا عز وجل ، فيقول : هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون : نعم . فيقول : كيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون : إنه لا عدل له فيتجلى لهم ضاحكاً فيقول : أبشروا معاشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً » . وهكذا رواه أحمد . وعلي بن زيد هو ابن جدعان فهذا الذي سقناه هو الأقرب إلى سياق المصنف من الحديث الذي ساقه العراقي من عند الطبراني .

وقوله : ولأبي داود : « أمتي أمة مرحومة » الحديث . قلت : الذي رواه أبو داود من حديث أبي موسى : « أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة إنما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل

تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف » وقال ﷺ : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين : هل أحببتم لقائي ؟ فيقولون : نعم يا ربنا ، فيقول : لِمَ ؟ فيقولون : رجونا عفوك ومغفرتك . فيقول : قد أوجبت لكم مغفرتي » ، وقال ﷺ : « يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في

والقتل والبلايا » وكذلك رواه الطبراني والحاكم، ولا يخفى أن هذا السياق لا يناسب هنا ، وإنما المناسب ما رواه الخطيب في المتفق والمفترق، وابن النجار من حديث ابن عباس بسند ضعيف: « أمتي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة إذا كان يوم القيامة أعطى الله كل رجل من أمتي رجلاً من أهل الأديان، فكان فداءه من النار » .

والحديث الذي ساقه العراقي من عند الطبراني؛ فقد روي أيضاً من حديث جابر بنحوه أخرجه الآجري في الشريعة من طريق الحسن عنه وفيه: « فيتجلى لهم الجبار جل وعز فإذا رأوه خروا له سجداً فيقول لهم الجبار عز وجل: ارفعوا رؤوسكم ليس هذا يوم عمل إنما هو يوم نعيم وكرامة » الحديث . وفي رواية له: « ثم يأتون الجبار عز وجل فإذا تجلى لهم خروا له سجداً فيقول لهم الجبار عز وجل: يا أهل الجنة ارفعوا رؤوسكم فإن هذه ليست بدار عمل إنما هي دار مقامة ودار نعيم » الحديث .

(وقال النبي ﷺ : « يشفع الله آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف ») قال العراقي : رواه الطبراني من حديث أنس بإسناد ضعيف انتهى .

قلت : وروى الطبراني أيضاً من طريق يزيد الرقاشي عن أبي هريرة رفعه : « آدم أكرم البشر فيعذر الله تعالى إليه يوم القيامة بثلاثة معاذير » فساقه وفيه : « ويقول له : يا آدم قد جعلتك حكماً بيني وبين ذريتك قم عند الميزان وانظر إلى ما يرفع إليك من أعمالهم فمن رجح خيره مثقال ذرة فله الجنة » الحديث . ورواه ابن عساكر من رواية الفضل بن عيسى الرقاشي ، عن الحسن ، عن أبي هريرة : « يعتذر الله إلى آدم يوم القيامة ثلاث معاذير » الحديث . ويزيد والفضل ضعيفان . ورواه ابن عساكر أيضاً عن سعيد بن أنس عن الحسن قوله .

(وقال ﷺ : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين : هل أحببتم لقائي ؟ فيقولون : نعم يا ربنا . فيقول : لم ؟ فيقولون : رجونا عفوك ومغفرتك . فيقول قد أوجبت لكم مغفرتي ») قال العراقي : رواه أحمد والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف .

(وقال ﷺ : « يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام ») قال العراقي : رواه الترمذي من حديث أنس وقال : حسن غريب اهـ .

قلت : وكذلك رواه ابن خزيمة والحاكم ولفظهم : « في مقامي » ورواه ابن شاهين في الترغيب في الذكر والبيهقي وقالا في مقام ولم يقولا يوم القيامة ، وفيه : مبارك بن فضالة وثقه جماعة وضعفه النسائي .

مقام »، وقال رسول الله ﷺ : « إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا : بلى فيقولون: ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار ؟ فيقولون: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر بإخراج من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون، فإذا رأى ذلك الكفار قالوا : يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا » ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ربما يودُّ الذينَ كفرُوا لو كانُوا مسلمين﴾ [الحجر : ٢]. وقال رسول الله ﷺ : « لله

(وقال رسول الله ﷺ : « إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين! قالوا : بلى. فيقولون: ما أغنى عنكم إسلامكم إذا أنتم معنا في النار ؟ فيقولون: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا ، فيأمر بإخراج من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون، فإذا رأى ذلك الكفار قالوا : يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين») . قال العراقي: رواه النسائي في الكبري من حديث جابر نحوه بإسناد صحيح اهـ.

قلت : سياق المصنف رواه ابن أبي عاصم في السنة وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والحاكم وصححه البيهقي في البعث من حديث أبي موسى الأشعري وفيه : « فما أغنى عنكم الإسلام وقد صرتم » وفيه : ثم قرأ رسول الله ﷺ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ★ الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ★ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ » [الحجر : ١، ٢] والباقي سواء . وقد أخرجه كذلك الطبراني في الأوسط، وابن مردويه بسند صحيح.

وأما حديث جابر الذي أشار إليه فلفظه: « إن أناساً من أمتي يعذبون بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا ، ثم يعيروهم أهل الشرك فيقولون: ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم نفعكم فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله من النار ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ ».

وقد روي ذلك من حديث أبي سعيد وعلي بن أبي طالب وأنس بن مالك: فحديث أبي سعيد رواه إسحاق ابن راهويه وابن حبان والطبراني وابن مردويه أنه سئل هل سمعت من رسول الله ﷺ في هذه الآية شيئاً ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ قال: نعم سمعته يقول: « يخرج الله ناساً من المؤمنين من النار بعد ما يأخذ نقمته منهم لما أدخلهم الله مع المشركين قال لهم المشركون: ألستم كنتم تزعمون أنكم أولياء الله في الدنيا فما بالكم معنا في النار ؟ فإذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله فإذا رأى المشركون ذلك قالوا : يا ليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم ». فذلك قول الله تعالى: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ قال: « فيسمون في الجنة الجهنميين من أجل سواد في

....

وجوههم، فيقولون: ربنا أذهب عنا هذا الاسم فيأمرهم فيغتسلون في نهر الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم».

وأما حديث علي بن أبي طالب؛ فرواه ابن أبي حاتم وابن شاهين في السنة ولفظه: «إن أصحاب الكبائر من موحدي الأمم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا تائبين، من دخل منهم جهنم لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم ولا يقرنون بالشياطين ولا يغلون بالسلاسل ولا يجرعون بالحميم ولا يلبسون القطران، حرم الله أجسادهم على الخلود من أجل التوحيد، وصورهم على النار من أجل السجود، فمنهم من تأخذه النار إلى قدميه، ومنهم من تأخذه إلى عقيبة، ومنهم من تأخذه إلى فخذيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى عنقه على قدر ذنوبهم وأعمالهم، ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج منها، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها، وأطولهم فيها مكثاً بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى، فإذا أراد الله أن يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد: آمنتم بالله وكتبه ورسله فنحن وأنتم اليوم في النار سواء فيغضب الله لهم غضباً لم يغضبه بشيء فيما مضى فيخرجهم إلى عين بين الجنة والصراط، فينبتون فيها نبات الطراثيث في حميل السيل، ثم يدخلون الجنة مكتوب في جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن، فيمكثون في الجنة ما شاء الله أن يمكثوا، ثم يسألون الله أن يمحو ذلك الاسم عنهم، فيبعث الله ملكاً فيمحوه، ثم يبعث الله ملائكة معهم مسامير من نار فيطبقونها على من بقي فيها يسمرونها بتلك المسامير فينساهم الله على عرشه، ويشتغل عنهم أهل الجنة بنعيمهم ولذاتهم، وذلك قوله تعالى: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين»﴾.

وأما حديث أنس، فاخرجه هناد والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية ولفظه: «إن ناساً من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى: ما أغني عنكم قول لا إله إلا الله وأنتم معنا في النار؟ فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقيهم في نهر الحياة فيبرأون من حدقهم كما يبرأ القمر من خسوفه، فيدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميين».

وقال ابن عباس: ما يزال الله يشفع ويدخل الجنة ويشفع ويرحم حتى يقول: من كان مسلماً فليدخل الجنة، فذلك قوله تعالى: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ رواه سعيد بن منصور وهناد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في البعث. وروي عنه أن تذاكر وأنس هذه الآية فقال: هذا حيث يجمع الله بهن أهل الخطايا من المسلمين والمشركين في النار، فيقول المشركون: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون؟ فيغضب الله لهم فيخرجهم بفضل رحمته. رواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في البعث.

وعن مجاهد في قوله: ﴿ربما يوم الذين كفروا لو كان مسلمين﴾ قال: إذا خرج من النار من قال لا إله إلا الله. رواه هناد بن السري في الزهد.

أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها »، وقال جابر بن عبدالله: من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة. وإنما شفاعة رسول الله ﷺ لمن أوبق نفسه وأثقل ظهره.

ويروى أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام: يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته وعفوت عنه. وقال سعد بن بلال: يؤمر يوم

وروى الحاكم في الكنى عن حماد قال: سألت إبراهيم عن هذه الآية فقال: حدثت أن أهل الشرك قالوا لمن دخل النار من أهل الإسلام: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون؟ فيغضب الله لهم، فيقول للملائكة والنبيين: اشفعوا لهم فيشفعون لهم فيخرجون حتى أن إبليس ليتطاول رجاء أن يدخل معهم، فعند ذلك ﴿يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾.

(**وقال ﷺ: « لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها »**) قال العراقي: متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب، وفي أوله قصة المرأة من السبي إذ وجدت جنينا في السبي، فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته انتهى.

قلت: وهو آخر حديث ختم المصنف به هذا الكتاب وسيأتي الكلام عليه.

(**وقال جابر بن عبدالله**) رضي الله عنه: (**من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة فذاك يدخل الجنة بغير حساب، ومن استوت حسناته وسيئاته فذاك يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة، وإنما شفاعة رسول الله ﷺ لمن أوبق نفسه**) أي أهلكها بارتكاب المخالفات، (**وأثقل ظهره**) بالمعاصي. أخرجه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم في صحاحهم والبيهقي من طريق زهير بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي بن الحسين عنه مرفوعاً: « **شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي** » رواه عن زهير عمرو بن أبي سلمة ومحمد بن ثابت البناني زاد ثانيهما في رواية الطيالسي فقال جابر: من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة، وزاد الوليد بن مسلم في روايته له عن زهير فقلت: ما هذا يا جابر؟ قال: نعم يا محمد إنه من زادت حسناته على سيئاته فذكره كسياق المصنف إلا أنه قال: لمن أوبق نفسه أو علق ظهره. وروى البيهقي في البعث من طريق أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة بن اليمان أنه سمع رجلاً يقول: اللهم اجعلني فيمن تصيبه شفاعة محمد ﷺ قال: إن الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد ﷺ، ولكن الشفاعة للمذنبين المؤمنين والمسلمين. ورواه ابن أبي شيبة عن وكيع عن زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبي هند عن ربعي عن حذيفة قال: المؤمنون مستغنون عن الشفاعة إنما هي للمذنبين. وروى البيهقي من طريق يزيد الرقاشي قلنا: يا رسول الله لمن تشفع؟ قال: « لأهل الكبائر من أمتي وأهل العظائم وأهل الدماء ».

(**ويروى أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام: يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته وعفوت عنه**).

القيامة بإخراج رجلين من النار فيقول الله تبارك وتعالى: ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد، ويأمر بردهما إلى النار فيعدو أحدهما في سلاسله حتى يقتحمها ويتلكأ الآخر فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما، فيقول الذي عدا إلى النار قد حذرت من وبال المعصية فلم أكن لأتعرض لسخطك ثانية، ويقول الذي تلكأ حسن ظني بك كان يشعرني أن لا تردني إليها بعدما أخرجتني منها، فيأمر بهما إلى الجنة، وقال رسول الله ﷺ: «ينادي منادٍ تحت العرش يوم القيامة: يا أمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتي».

(**وقال سعد بن بلال**) كذا في النسخ وفي بعضها سعيد بن بلال وكل منهما خطأ، والصواب بلال بن سعد هو ابن تميم الأشعري أو الكندي أبو عمرو أو أبو زرعة الدمشقي العابد الفاضل، مات في خلافة هشام روى له البخاري في الأدب المفرد وأبو داود في كتاب القدر والنسائي: (**يؤمر يوم القيامة بإخراج رجلين من النار فيقول الله تعالى: ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد، ويأمر بردهما إلى النار فيعدو أحدهما في سلاسله حتى يقتحمها**) أي يدخلها، (**ويتلكأ الآخر**) أي يتباطأ (**فيؤمر بردهما ويسألهما عن فعلهما فيقول الذي عدا إلى النار قد حذرت من وبال المعصية ما لم أكن لأتعرض لسخطك ثانية، ويقول الذي تلكأ: حسن ظني بك كان يشعرني**) أي يعلمني (**أن لا تردني إليها بعد ما أخرجتني منها، فيأمر بهما إلى الجنة**). رواه الصابوني في المائتين فقال: أخبرنا أبو العباس عبد الصمد بن عبدالله المعمري، حدثنا أبو أحمد بن أبي أسامة، حدثنا محمد بن إبراهيم بن سعيد العبدي، حدثنا سليم بن منصور بن عمار، حدثني أبي عن المعقل بن زياد عن الأوزاعي، عن بلال بن سعد قال: يأمر الله عز وجل بإخراج رجلين من النار فيخرجان بسلاسلهما وأغلالهما، فيوقفان بين يديه فيسألهما ويقول لهما: كيف وجدتما مقيلكما ومصيركما؟ فيقولان: يا رب شر مقيل وأسوأ مصير. قال: فيأمر بردهما إلى النار، فأما أحدهما فيمضي بسلاسله وأغلاله حتى يقتحمها، وأما الآخر فيمضي وهو يلتفت. قال: فيأمر بردهما، فيقول للذي مضى بسلاسله وأغلاله إلى النار حتى اقتحمها ما حملك على ما صنعت وقد اختبرتها؟ فيقول: رب ذقت من وبال معصيتك ما لم أكن لأتعرض لسخطك ثانية. ويقول للذي مضى وهو يلتفت: ما حملك على ما صنعت؟ فيقول: رب ما كان ظني بك هذا فيقول: وما كان ظنك؟ فيقول: إنك حين أخرجتني منها ظننت أنك تعيدني إليها. قال: فيقول الله: فإني عند ما ظننت فيأمر بصرفهما إلى الجنة.

(**وقال رسول الله ﷺ: «ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة يا أمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات**) أي حقوق الناس (**فتواهبوها**) أي اطلبوا مسامحتها (**بينكم وادخلوا الجنة برحمتي»**) وهذا يدل على أن حق الخلق مبني على المشاحة، قال

ويروى أن إعرابياً سمع ابن عباس يقرأ : ﴿وكنتُم على شفَا حُفرةٍ مِن النارِ فأنقذكُم منها﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، فقال الأعرابي : والله ما أنقذكم منها وهو يريد أن يوقعكم فيها ، فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه . وقال الصنابحي : دخلت على عبادة بن الصامت ، وهو في مرض الموت فبكيت فقال : مهلاً لِمَ تبكي ؟ فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار » ، وقال عبدالله بن عمرو بن العاص : قال

العراقي : رويناه في سباعيات أبي الأسعد القشيري من حديث أنس ، وفيه الحسن بن داود البلخي . قال الخطيب : ليس بثقة اهـ .

قلت : قال الذهبي في ديوان الضعفاء : الحسين بن داود أبو علي البلخي يروي عنه أبو بكر الشافعي . قال الخطيب : حديثه موضوع واتهمه الحاكم وغيره .

(**ويروى أن إعرابياً سمع ابن عباس**) رضي الله عنه (**يقرأ**) قوله تعالى : (﴿**وكنتم على شفا حفرة من النار**﴾) أي على جانبها (﴿**فانقذكم منها**﴾) أي خلصكم ونجاكم . (**فقال الاعرابي : والله ما أنقذكم منها وهو يريد أن يوقعكم فيها . فقال ابن عباس**) رضي الله عنه : (**خذوها**) أي كلمة الحكمة (**من غير فقيه**) ، وذلك لأن الاعراب الغالب على طبعهم عدم الإدراك للطائف المعاني .

(**وقال الصنابحي**) عبد الرحمن بن عسيلة بمهملتين مصغر المرادي ، أبو عبد الله ، ثقة من كبار التابعين قدم المدينة بعد موت النبي ﷺ بخمسة أيام ، مات في خلافة عبد الملك ، روى له الجماعة وقد تقدم له ذكر في أحاديث الحوض : (**دخلت على عبادة بن الصامت**) بن قيس الأنصاري أبي الوليد الخزرجي المدني أحد النقباء بدري شهير رضي الله عنه ، مات بالرملة سنة أربع وثلاثين عن اثنتين وسبعين سنة . وقيل : عاش إلى خلافة معاوية . قال سعيد بن عفير : كان طوله عشرة أشبار روى له الجماعة ، (**وهو في مرض الموت فبكيت فقال : مهلاً لم تبكي ؟ فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثاً واحداً وسوف أحدثكموه اليوم ، وقد أحيط بنفسي . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار »** قال العراقي : رواه مسلم من هذا الوجه ، واتفقا عليه من غير رواية الصنابحي بلفظ آخر انتهى .

قلت : ومن الوجه المذكور رواه كذلك أحمد والترمذي وابن خزيمة وابن حبان ، ولفظ المتفق عليه من غير رواية الصنابحي « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق

رسول الله ﷺ: «إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل منها مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً أظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أفلك عذره؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» فيقول: يا رب ما هذا البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم» قال: «فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة» قال: «فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء». وقال

وأن النار حق وأن البعث حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل من أي أبواب الجنة الثمانية شاء» وكذلك رواه أحمد وابن حبان.

(**وقال عبد الله بن عمرو بن العاص**) رضي الله عنهما، أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ليالي الحرة على الأصح بالطائف على الراجح، وروى له الجماعة. (**قال رسول الله ﷺ: «إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة**) وذلك عند الميزان، (**فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً**) أي دفترا فيه أعماله (**كل سجل منها مثل مدّ البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً أظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة**) بالكسر أي رقعة صغيرة (**فيها**) مكتوب: (**أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة**) الميزان (**والبطاقة في كفة**) أخرى (**قال: فطاشت السجلات**) أي ارتفعت وخفت (**وثقلت البطاقة فلا يثقل مع**) اسم (**الله شيء»**) وهذا الحديث يعرف بحديث البطاقة مشهور ند المحدثين مذكور في مسلسلاتهم، فقوله في أول الحديث: «إن الله» إلى قوله: «يوم القيامة» هو سياق الترمذي ولفظه سيخلص. وقال ابن ماجه: يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق ثم اتفقا إلى آخره عند قوله: وثقلت البطاقة مع زيادة قوله: فيقول احضر وزنك بعد قوله إن محمداً رسول الله، وقوله: فلا يثقل مع اسم الله شيء من زيادة الترمذي، وقد وقع لنا مسلسلاً بالمصريين من شيوخنا إلى منتهاه إلا صحابيه فإنه سكن مصر مع أبيه وأقام بعده مدة يسيرة ثم تحول منها إلى الطائف.

أخبرناه القطب أبو المكارم محمد بن سالم بن أحمد الحفني الشافعي رحمه الله تعالى، والشهاب أحمد بن الحسن بن عبد الكريم الخالدي في آخرين قالوا: أخبرنا الشمس محمد بن منصور الأطفجي، أخبرنا محمد بن العلاء الحافظ، أخبرنا النجم محمد بن أحمد بن علي الغيطي، أخبرنا الشرف عبد الحق بن محمد السنباطي أخبرنا المشايخ الخمسة: البدر أبو محمد الحسن بن محمد بن أيوب

....

الحسني النسابة، والزين عبد الرحمن بن محمد بن عمر الفاقوسي، والنور أبو الحسن علي بن أبي الحسن البلبيسي، وأبو عبدالله محمد بن عبد السلام المنوفي، وأم الفضل هاجر ابنة الشرف القدسي المصريون سماعاً عليهم. قال الأول: أنبأنا عمي البدر حسن بن محمد الحسني النسابة، وقال الثاني: أخبرنا السراج عمر بن الملقن، وقال الآخرون: أخبرنا السراج عمر بن رسلان البلقيني قالوا ثلاثتهم: أخبرنا الصدر أبو الفتح محمد بن محمد الميدومي، أخبرنا أبو عيسى عبدالله بن عبد الواحد بن علاق ح.

وأخبرنا به أبو المعالي الحسن بن علي بن محمد المنطاوي، والشهاب أحمد بن محمد بن شاهين في آخرين قالوا: أخبرنا عبد بن علي بن عساكر النمرسي، أخبرنا الإمام المحدث محمد بن عبد الباقي الزرقاني، أخبرنا الضياء علي بن علي الشبراملسي، أخبرنا أبو محمد عبد الرؤوف بن زين العابدين المناوي، أخبرنا الشمس محمد بن أحمد الرملي، أخبرنا القاضي أبو يحي زكريا بن محمد الأنصاري، أخبرنا الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر قال: قرأت على عبد الله بن عمر السعودي، وعبد الرحمن بن أحمد بن المبارك وقلت لكل منهما: أخبرك جماعة منهم أبو محمد ابراهيم بن علي الحيمي فاقرّا به قال: أخبرنا الحافظ رشيد الدين أبو الحسن يحي بن علي القرشي العطار: قال هو وابن علاق: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت البوصيري قال: حدثنا أبو صادق مرشد بن يحي المديني، أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر الصواف الحراني ح.

وأخبرنا المسند أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف الملوي، والبدر محمد بن أحمد بن حجازي العشماوي في آخرين قالوا: أخبرنا المحدث أبو العز محمد بن الشهاب العجمي، أخبرنا والدي: أخبرنا النور علي بن يحي الزيادي، أخبرنا الشهاب أحمد بن حمزة الرملي، أخبرنا الحافظ شمس الدين أبو الخير السخاوي، أخبرنا عبد الرحيم بن محمد بن الفرات، أخبرنا عبد العزيز بن جماعة: أخبرنا الخطيب أبو عبد الله محمد بن الحسين العبدي، أخبرنا محمد بن عمار الحراني المصري، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن رفاعة بن غدير السعدي قاضي الجيزة، أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين الخلعي في فوائده قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج الأشبيلي المصري الشاهد قال هو والحراني: حدثنا أبو القاسم حمزة بن محمد الكناني الحافظ، أخبرنا عمران بن موسى بن حميد الطبيب قال: حدثني يحي بن عبد الله بن بكير قال: حدثني الليث بن سعد عن عامر بن يحي المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فتنشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مدّ البصر ثم يقول الله تعالى: أتنكر من هذا شيئاً فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب العبد فيقول: لا يا رب. فيقول الله عز وجل: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج الله بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة».

....

وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله تعالى في كتابه منهاج السلامة في ميزان الاستقامة: أخبرنا أبو هريرة عبد الرحمن ابن الحافظ أبي عبد الله الذهبي بقراءتي عليه في ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة بمنزلة بكفر بطنا، أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن بن يوسف البعلبكي، وأحمد بن علي بن مسعود الكلبي، ومحمد بن أحمد بن أبي الهيجاء بن الزراد، ومحمد بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة، وأحمد بن إبراهيم بن عبد الله المقدسي، وأحمد بن الطنبا بن الحلبية المقري وأبو بكر بن يوسف الحريري، ومحمد بن المحب عبد الله بن أحمد، وعبد الرحمن بن إسماعيل المرداوي، وعبد الرحمن بن عبد الخالق بن محمد بن السري، ومحمد بن علي بن سالم المزيان، وفاطمة بنت محمد بن عبد الله بن عمر بن عوض، وحبيبة بنت عبد الرحمن بن أي بكر ح.

وأخبرنا أبو هريرة، والمعمر أبو المحاسن يوسف بن عثمان بن عمر بن مسلم الصوفي، وأم عبد الله زينب بنت العماد أبي بكر بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عباس بن جعوان الأنصاري قالوا: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الرحمن القطان قراءة عليه قالت بنت جعوان وأنا حاضرة في الرابعة وقال الأولان ونحن نسمع وقالا أيضاً وأخبرتنا المسندة أم عبد الله زينب بنت الكمال أحمد ابن عبد الرحيم وقالت بنت جعوان وأبو هريرة أيضاً أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي المعالي الزبداني قالت بنت جعوان وأنا شاهدة، وقال أبو هريرة وأنا أسمع، وقال العوفي: وأخبرنا أيضاً القاضي أبو محمد عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ عبد الغنى المقدسي، وأحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الصرخدي ح.

وأخبرنا المسند أبو حفص عمر بن محمد بن أحمد البالسي، وزينب بنت جعوان قالا: أخبرنا الملك أسد الدين عبد القادر بن عبد العزيز بن المعظم عيسى قراءة عليه ونحن نسمع حاضران في الرابعة ح.

وأخبرنا أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان الأنصاري بقراءتي عليه بجامع دمشق وغير واحد قالوا: أخبرنا أبو العباس أحمد بن علي بن الحسن الجزري قالوا كلهم وهم ثمانية عشر نفساً، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أحمد المقدسي الخطيب قراءة عليه. قال المزيان والقطان وابن المحب والجزري ونحن حاضرون. وقال الباقون ونحن نسمع ح.

وأخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن أبي العباس الصالحي، أخبرنا أبو محمد القاسم بن محمد الحافظ وأنا شاهد، أنبأنا المعين أحمد بن علي بن يوسف الدمشقي، وأبو عيسى عبد الله بن الواحد الرزاز قالوا ثلاثتهم: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود البوصيري قراءة عليه ونحن نسمع بمصر، أخبرنا أبو صادق مرشد بن يحيى المديني ح.

وأخبرنا أبو هريرة بن الذهبي، وابنه أبو عبد الله محمد يوم الأربعاء ثالث ذي القعدة سنة ٧٩٨

بمنزلة بكفر بطنا قالا : أخبرنا النجم أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عنتر السلمي ، أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن مكي بن الحاسب ح.

وأخبرنا أبو هريرة، أخبرنا الأمين محمد بن أبي بكر بن أحمد الأسدي سماعاً ، والمرضي إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم الطبري إجازة من مكة شرفها الله تعالى قالا : أخبرنا شعيب بن يحيى سماعاً وأنبأنا أبو هريرة، أنبأنا أبو الفضل سليمان بن حمزة الحاكم، أخبرنا أبو الحسن علي بن هبة الله الشافعي سماعاً حينئذ ، وأخبرنا أبو هريرة عن إسماعيل بن يوسف السويدي وأبي الحسن علي بن عمر الكردي أن أبا الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي وأخبرهما قالوا أربعتهم: أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ ، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي المعدل بالإسكندرية وغيرها قال هو وأبو صادق المديني : أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر بن حمصة الحراني الصواف بمصر ، حدثنا أبو القاسم حمزة بن محمد بن علي الكناني الحافظ إملاء بالجامع العتيق بمصر يوم الجمعة لأربع بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٥٧ ، أخبرنا عمران بن موسى بن حميد الطبيب ، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، حدثني الليث بن سعد عن عامر بن يحيى المعافري ، عن أبي عبد الرحمن الحبلي أنه قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ : « يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة » . فذكره الخ وبالإسناد إلى أبي الحسن الحراني قال: لما أملى علينا حمزة هذا الحديث صاح غريب من الحلقة صيحة فاضت نفسه معها ، وأنا ممن حضر جنازته وصلى عليه رحمه الله تعالى.

قلت : ولفظ الاشبيلي لما أملى علينا حمزة هذا الحديث في الجامع العتيق كان في الناس رجل جبار ، فلما سمعه صاح صيحة وتوفي.

قال الحافظ السخاوي في الجواهر المكللة : وكذا رواه أبو الحسن علي بن محمد القابسي عن حمزة وقال إنه لما انتهى في املائه إلى قوله : فطاشت السجلات شهق رجل شهقة ، فلما تم المجلس إذا هو ميت فغسل وكفن وصلي عليه ، وهذا حديث جيد الإسناد عظيم الموقع رواه الحاكم في صحيحه فقال: حدثنا علي بن ممشاد المعدل، حدثنا عبد بن شريك وأحمد بن إبراهيم بن ملحان قالا : حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير فذكره وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وفي نسخة من المستدرك هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

قال الحافظ بن ناصر الدين: قلنا إن عامر بن يحيى بن جشيب المعافري المصري انفرد به مسلم وقد وثقه أبو داود ، وصار في جاه الصحيح ، لكنه من إفراد الحبلي عن عبد الله بن عمرو اهـ.

قلت : عامر بن يحيى بن جشيب بن مالك بن سريع المعافري الشرعي أبو خنيس بالخاء المعجمة والنون والسين المهملة المصري. قال أبو داود والنسائي ثقة ، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. قال أبو سعيد بن يونس : توفي قبل سنة عشرين ومائة روى له مسلم والترمذي وابن ماجه وأبو عبد

....

الرحمن الحبلي بضم الحاء والموحدة عبد الله بن زيد المعافري ثقة مات سنة مائة بإفريقية. وروى له البخاري في الأدب المفرد ومسلم والأربعة.

ثم قال الحافظ بن ناصر الدين: وخرجه الترمذي في جامعه فقال: أخبرنا سويد بن نصر، أخبرنا عبد الله عن ليث بن سعد فذكره بنحوه وقال: هذا حديث حسن غريب.

قلت: عبد الله هو ابن المبارك، وحدث به أبو القاسم الطبراني عن أبي يزيد القراطيسي، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا ابن المبارك تابعها عبدالله بن صالح كاتب الليث وسعيد بن عفير وسعيد بن أبي مريم ويونس بن محمد المؤدب وآخرون عن الليث.

وخرجه أبو حاتم بن حبان في صحيحه فقال: أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيد، حدثنا عبد الوارث بن عبيد الله عن عبد الله بن عمر، أخبرنا الليث بن سعد فذكره. وعبد الله بن عمر الخراساني له مناكير فيما قاله ابن عدي، والحديث قد عرف بالليث، حتى قال الحافظ أبو القاسم حمزة الكناني فيما رويناه عنه بالإسناد المذكور لا أعلم روى هذا الحديث غير الليث وهو من أحسن الحديث.

قلت: قد أجاد بقوله: لا اعلم وبالله التوفيق. قال الترمذي: عقب روايته حديث ابن المبارك عن الليث: حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لهيعة عن عامر بن يحيى بهذا الإسناد نحوه اهـ.

فقد تابعه ابن لهيعة وحديثه رويناه من حديث أبي العباس محمد بن إسحاق الثقفي السراج، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ابن لهيعة، عن عامر بن يحيى، عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «يوضع الميزان يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع في كفة مما أحصى عليه فتميل الميزان قال: فيبعث به إلى النار قال: فإذا أدبر صاح صائح من عند الرحمن عز وجل يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقي له فيؤتى ببطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى تميل الميزان» خالفه عمرو بن الحرث بن يعقوب بن عبد الله الأشج أبوامية الأنصاري المصري الحافظ، فرويناه عن بكر بن مضر عنه عن عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو فوقفه والحكم لابن لهيعة في رفعه لأن الليث وهو إمام كبير حافظ رفعه.

وأيضاً رويناه من طريق أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقري، حدثنا عبد الرحمن بن زياد عن عبدالله بن يزيد هو الحبلي، عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى برجل يوم القيامة، ثم يؤتى بالميزان، ثم يؤتى بتسعة وتسعين سجلاً كل سجل منها مد البصر فيها ذنوبه وخطاياه فتوضع في كفة الميزان ويؤتى بقرطاس مثل هذا وأشار بيده وأمسك إبهامه فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فتوضع في الكفة الأخرى فترجح بخطاياه وذنوبه» رواه عن المقري عبد بن حميد في مسنده والحرث بن أبي أسامة وعبد الصمد بن الفضل، ومحمد بن أحمد بن الجنيد، وهارون بن ملول، ويعقوب بن سفيان. تابعه إسماعيل بن عياش ويعلى بن عبيد عن عبد

رسول الله ﷺ في آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط: « إن الله يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: يا ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: يا ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: يا ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به » فكان أبو سعيد يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث، فاقـرأوا إن شئتم ﴿ إن اللهَ لا يظلمُ مثقَالَ ذَرةٍ وإن تكُ حَسنةً يضاعِفها ويُؤتِ من لدنهُ أجراً عظيماً ﴾ [النساء : ٤٠]، قال: « فيقول الله تعالى: « شَفِعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين » فيقبض قبضة فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا

الرحمن بن زياد مرفوعاً بنحوه. ورواه عن إسماعيل الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي، وعن يعلى أبو بكر أحمد بن البراء المقري.

والحديث له طرق وهو في سنن ابن ماجه وغيره وله شواهد. ومنها ما قال أبو نعيم في الحلية: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا فضيل بن محمد الملطي، حدثنا موسى بن داود، حدثنا الهيثم بن جماز عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: « يؤتى بعمل العبد يوم القيامة فيوضع في كفة الميزان فلا يرجح حتى يؤتى بصحيفة مختومة من يد الرحمن عز وجل، فتوضع في كفة الميزان فترجح وهو لا إله إلا الله » غريب من حديث ثابت تفرد به الهيثم بن جماز وهو بصري قاص قاله أبو نعيم.

(وقال رسول الله ﷺ في آخر حديث يصف فيه القيامة والصراط: « إن الله يقول للملائكة: من وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه من النار، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: يا ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه) من النار، **(فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا به، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف ذرة من خير فاخرجوه)** من النار، **(فيخرجون خلقاً كثيراً فيقولون: يا ربنا لم نذر فيها خيراً، وكان أبو سعيد)** الخدري راوي هذا الحديث رضي الله عنه **(يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا قول الله تعالى: ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾ قال: « فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين » فقبض قبضة فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً)** أي فحماً من الاحتراق، **(فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة**

ترونها تكون مما يلي الحجر والشجر ما يكون إلى الشمس أصفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل أبيض »، قالوا: يا رسول الله، كأنك كنت ترعى بالبادية ». قال: « فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الرحمن الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين، فيقول الله تعالى: إن لكم عندي ما هو أفضل من هذا فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضائي عنكم فلا أسخط عليكم بعده أبداً » رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

يقال له نهر الحياة **فيخرجون منها كما تخرج الحبة**) بكسر الحاء (**في حميل السيل**) أي جانبه (**ألا ترونها تكون مما يلي الحجر والشجر أصفر وأخضر، وما يكون منها إلى الظل أبيض». قالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية. قال: فيخرجون كاللؤلؤ**) في الصفاء والبياض وإشراق اللون (**في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون: هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه، ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكن فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من العالمين، فيقول الله تعالى: إن لكم عندي ما هو أفضل من هذا. فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضائي عنكم فلا أسخط عليكم بعده أبداً» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما**) من حديث أبي سعيد الخدري: وكذلك رواه الطيالسي وأحمد وابن خزيمة. وروى النسائي وابن ماجه وابن أبي داود والآجري بعضه.

وأول الحديث في الصحيحين قال أبو سعيد: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا عز وجل؟ فقال رسول الله ﷺ: « هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب، وهل تضارون في القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب؟ ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية احدهما. إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد ممن كان يعبد غير الله من الأنصاب والأصنام إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبقَ إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر وغير أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله. فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فما تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين في أوفى صورة من التي رأوه فيها. قال: فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد؟ قالوا: يا ربنا فارقنا

....

الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثا حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم الساق فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء أو رياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم». قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: اخرجوا فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه، فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول عز وجل: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه» ثم ساقاه إلى آخر الحديث كما ذكره المصنف.

ورواه البخاري مختصراً في كتاب الإيمان من الصحيح فقال: حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن عمرو بن يحي المازني، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تبارك وتعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحياء أو الحياة شك مالك فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية» قال وهيب: حدثنا عمرو الحياة وقال: خردل من خير، ورواه في صفة الجنة والنار هكذا أيضاً مختصراً عن موسى عن وهيب عن عمرو بن يحي المازني عن حجاج بن الشاعر عن عمرو بن عوف، عن خالد بن عبد الله. ورواه عبدالله بن وهب ومعن بن عيسى عن مالك وليس هو في الموطأ. وقال الدارقطني هو غريب صحيح، وفي رواية الدارقطني من طريق إسماعيل: «يدخل الله» وما أورده البخاري هنا تعليقاً أخرجه مسنداً في كتاب الرقاق عن موسى بن إسماعيل، عن وهيب، عن عمرو بن يحي، عن أبيه، عن أبي سعيد به. وساقه أتم من سياق مالك، لكنه قال: من خردل من إيمان كرواية مالك. ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده، عن عفان بن مسلم، عن وهيب فقال: «من خردل من خير» كما علقه البخاري.

وقال البخاري في كتاب الإيمان: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا هشام، حدثنا قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا

وروى البخاري أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: « عرضت علي الأمم يمر النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي ليس معه أحد والنبي معه الرهط. فرأيت سواداً كثيراً فرجوت أن تكون أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه، ثم قيل لي: انظر فرأيت سواداً كثيراً قد سد الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا فرأيت سواداً كثيراً، فقيل لي: هؤلاء أمتك ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب »، فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله ﷺ فتذاكر ذلك الصحابة فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد آمنا بالله ورسوله هؤلاء هم أبناؤنا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: « هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون »، فقام عكاشة فقال: ادع الله أن يجعلني منهم يا رسول الله فقال: « أنت منهم » ثم قام آخر فقال مثل قول عكاشة، فقال النبي ﷺ: « سبقك بها عكاشة ».

الله وفي قلبه وزن ذرة من خير ». قال البخاري: قال أبان: حدثنا قتادة حدثنا أنس عن النبي ﷺ: « من إيمان » مكان « من خير ».

(**وروى البخاري أيضاً عن ابن عباس**) رضي الله عنهما (**قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: « عرضت علي الأمم يمر النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي ليس معه أحد والنبي معه الرهط، فرأيت سواداً كثيراً فرجوت أن يكون أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ثم قيل انظر فرأيت سواداً كثيراً قد سد الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سواداً كثيراً فقيل لي هؤلاء امتك ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب » فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله ﷺ فتذاكر ذلك الصحابة فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك، ولكن قد آمنا بالله ورسوله هؤلاء هم أبناؤنا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: « هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة**) بن محصن رضي الله عنه (**فقال: ادع الله أن يجعلني منهم يا رسول الله. فقال: « أنت منهم » ثم قام آخر فقال مثل قول عكاشة، فقال النبي ﷺ: « سبقك بها عكاشة »**).

ورواه كذلك أحمد ومسلم كلهم من طريق حصين بن عبد الرحمن بن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولفظهم جميعاً « عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي ليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الافق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: أنظر إلى الافق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ». قيل: من هم يا رسول الله؟ قال « هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم

وعن عمرو بن حزم الأنصاري قال: تغيب عنا رسول الله ﷺ ثلاثاً لا يخرج إلا

يتوكلون». ورواه هكذا الطبراني في الكبير من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه. وقد روي هذا الحديث من رواية عمران بن حصين عن ابن مسعود رضي الله عنهما عن النبي ﷺ رواه عبد الرزاق في المصنف، وأحمد والطبراني في الكبير والحاكم.

ومن طريق الطبراني أبو نعيم في الحلية واللفظ له قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا خلف بن موسى بن خلف العمي، حدثنا أبي، عن قتادة، عن الحسن والعلاء بن زياد عن عمران بن حصين عن عبد الله بن مسعود قال: تحدثنا ليلة عند رسول الله ﷺ حتى أكرانا الحديث، فلما أصبحنا غدونا على رسول الله ﷺ فقال: «عرضت علي الأنبياء باتباعها من أممها، فإذا النبي معه الثلاثة من أمته، وإذا النبي ليس معه أحد وقد أنبأكم الله عن قوم لوط فقال: ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ [هود: ٧٨] قال: حتى مرّ موسى بن عمران عليه السلام ومن معه من بني اسرائيل فقلت: يا رب فاين أمتي؟ قال: انظر عن يمينك، فإذا الظراب ظراب مكة قد سدّ من وجوه الرجال قال: إن رضيت يا محمد. قلت: رضيت رب. قال: انظر عن يسارك فنظرت فإذا الافق قد سدّ من وجوه الرجال. قال: أرضيت يا محمد؟ قلت: رضيت رب. قال: فإن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب» فأتى عكاشة بن محصن الأسدي فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال «اللهم اجعله منهم» ثم قال رجل آخر فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال «سبقك بها عكاشة» ثم قال لهم النبي ﷺ: «إن استطعتم بأبي أنتم وأمي أن تكونوا من السبعين ألفاً فكونوا، فإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أصحاب الظراب، فإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أصحاب الأفق، فإني قد رأيت أناساً يتهاوشون كثيراً» ثم قال: «إني لأرجو أن يكون من يتبعني من أمتي ربع الجنة» فكبر القوم ثم قال «إني لأرجو أن يكونوا شطر أهل الجنة» فكبر القوم ثم تلا هذه الآية ﴿ثلة من الأولين★ وقليل من الأخرين﴾ [الواقعة: ١٣، ١٤]» فتذاكروا بينهم من هؤلاء السبعون الألف، فقال بعضهم: قوم ولدوا في الإسلام فماتوا عليه حتى رفع الحديث إلى النبي ﷺ فقال: «هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون».

وللطبراني في الكبير، وعمر بن شبة النميري من طريق نافع مولى بنت شجاع، عن أم قيس بنت محصن هي أخت عكاشة قالت: أخذ رسول الله ﷺ بيدي حتى أتينا البقيع فقال: «يا أم قيس يبعث من هذه المقبرة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب» فقام رجل فقال: أنا منهم؟ قال «نعم» فقام آخر، فقال: «سبقك بها عكاشة» وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في كتاب التوكل.

(**وعن عمرو بن حزم**) بن زيد بن لوذان (**الأنصاري**) رضي الله عنه يكنى أبا الضحاك شهد الخندق وما بعدها، واستعمله النبي ﷺ على نجران، روى عنه ابنه محمد وجماعة، مات بعد الخمسين على الراجح روى له أبو داود في المراسيل والنسائي وابن ماجه (**قال: تغيب عنا رسول**

لصلاة مكتوبة ثم يرجع، فلما كان اليوم الرابع خرج إلينا فقلنا: يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا أنه قد حدث حدث قال: «لم يحدث إلا خير إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً لا حساب عليهم وإني سألت ربي في هذه الثلاثة أيام المزيد فوجدت ربي ماجداً واجداً كريماً فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً» قال: «قلت يا رب وتبلغ أمتي هذا؟ قال: أكمل لك العدد من الأعراب».

الله ﷺ **ثلاثاً لا يخرج)** من منزله **(إلا لصلاة مكتوبة ثم يرجع، فلما كان اليوم الرابع خرج إلينا فقلنا: يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا أنه قد حدث حدث قال: «لم يحدث إلا خير إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً لا حساب عليهم وإني سألت ربي في هذه الثلاثة أيام المزيد فوجدت ربي ماجداً واجداً كريماً فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً. قال: «قلت يا رب وتبلغ أمتي هذا؟ قال: أكمل لك العدد من الاعراب»)** قال العراقي: رواه البيهقي في البعث ولأحمد وأبي يعلى من حديث أبي بكر فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً، وفيه رجل لم يسم. ولأحمد والطبراني في الأوسط من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر فقال عمر: فهلا استزدته؟ فقال: «قد استزدتـه فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً» قال عمر: فهلا استزدته؟ قال: «قد استزدته فاعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً» قال عمر: فهلا استزدته؟ قال: «استزدته». قال: «اعطاني هكذا» وفرج عبد الله بن بكر بين يديه قال عبد الله: وبسط باعيه وحثى عبد الله، وفيه موسى بن عبيدة الربذي ضعيف اهـ.

قلت: سياق المصنف رواه الطبراني من طريق سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أبي يزيد المدني، عن عامر بن عمير النميري قال: أتيت النبي ﷺ ثلاثاً لا يخرج إلا لصلاة مكتوبة الحديث الخ. قال الحافظ في الاصابة: وهذا اختلف فيه على ثابت ثم على سليمان، فأما ثابت فقال حماد بن سلمة عنه عن عمرو بن عمير الأنصاري، وقال عمارة بن زاذان عن ثابت عن عمارة بن عمير، وقال الضحاك بن نبراس الأزدي البصري عنه عن عمرو بن حزم، وأما سليمان فقيل عنه أيضاً عمرو أو عامر على الشك، وقد اختلف في صحابي هذا المتن فقيل عمرو الأنصاري، وقيل عمرو بن بلال، وقيل عمرو بن عمرو اهـ.

قلت: وحديث عمرو بن عمير أخرجه البغوي من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي يزيد المدني عن عمرو بـن عمير الأنصاري قال: إن رسول الله ﷺ غيب عن أصحابه ثلاثاً لا يرونه إلا في صلاة فقال: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب».

ورواه سليمان بن المغيرة عن ثابت بالشك. قال: عن عمرو بن عمير أو عامر بن عمير أشار إليه الحافظ في ترجمة عمرو بن عمير، وروى ابن سعد في الطبقات من حديث عمرو بن عمير بلفظ «وعدني ربي أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفاً بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون

....

ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون قلت: أي رب زدني. قال: «لك بكل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً قلت: أي رب إنهم لا يكملون. قال «إذاً نكملهم لك من الاعراب».

ويروى نحو ذلك من حديث عدة من الصحابة منهم: أبو امامة الباهلي رضي الله عنه ولفظه: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعين ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربي» رواه الترمذي وقال حسن غريب. وابن ماجه والطبراني وابن حبان والدارقطني في الضعفاء والضياء.

ومنهم أبو سعد الخير رضي الله عنه ولفظه: «إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ويشفع كل ألف لسبعين ألفاً بغير حساب ويشفع كل ألف لسبعين ألفاً ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه إن شاء الله مستوعب مهاجري أمتي ويوفيني الله بشيء من اعرابنا». رواه البغوي والطبراني وابن عساكر، وقد روى البغوي هذا المتن بعينه من حديث أبي سعيد الزرقي رضي الله عنه بلفظ «إن الله وعدني» والباقي سواء.

ومنهم عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه ولفظه «إن ربي تعالى وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً ثم يحثي لي ربي بكفيه ثلاث حثيات» رواه الطبراني في الكبير. زاد ابن الميلق في حادي القلوب: فكبّر عمر رضي الله عنه وقال: إن السبعين الأوّلين يشفعهم الله في آبائهم وأبنائهم وعشائرهم، وارجو الله ان يجعلني في إحدى الحثيات الأواخر.

ومنهم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ولفظه «إن ربي خيرني بين سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، وبين الحثية عنده. إن ربي زادني يتبع كل ألف سبعون ألفاً والحثية عنده» رواه أبو نعيم في الحلية، ورواه أحمد والطبراني بلفظ «إن ربكم» والباقي سواء.

ومنهم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ولفظه: «إن ربي استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم؟ فقلت: ما شئت يا رب. هم خلقك وعبادك فاستشارني في الثانية فقلت له: كذلك، فاستشارني الثالثة فقلت له كذلك، فقال تعالى: إني لن أخزيك في أمتك يا أحمد وبشرني أن أوّل من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب، ثم أرسل إلي ادع تجب وسل تعط» الحديث. رواه أحمد وابن عساكر.

ومنهم: ثوبان رضي الله عنه ولفظه «إن ربي عز وجل وعدني من أمتي سبعين ألفاً يحاسبون كل ألف سبعون ألفاً» رواه الطبراني في الكبير.

ومنهم عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما ولفظه «إن ربي تعالى اعطاني سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب» قال عمر: يا رسول الله هلا استزدته؟ قال: «قد استزدته فاعطاني مع كل رجل سبعين ألفاً» قال: هلا استزدته؟ قال: «قد استزدته فاعطاني هكذا» وبسط باعه. رواه أحمد والطبراني، ورواه الحكيم في النوادر بلفظ: «إن الله اعطاني».

وقال أبو ذر: قال رسول الله ﷺ: « عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، فقلت: يا جبريل وإن سرق وإن زنى؟ قال: نعم وإن سرق وإن زنى، قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: وإن سرق وإن زنى. قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر »، وقال أبو الدرداء: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مقامَ ربه جِنتان﴾ [الرحمن: ٤٦]، فقلت: وإن سرق وإن زنى يا رسول الله؟ فقال: « ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان »

ومنهم أبو بكر رضي الله عنه ولفظه: « أعطيت سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر، وقلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً » رواه أحمد والحكيم وأبو يعلى.

وفي الغيلانيات عن زيد بن أسلم مرسلاً « وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً فاستزدته فزادني سبعين ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً. وما أدري بقي من أمتي شيء » وورد في بعض الاخبار ثلاثمائة ألف وأربعمائة ألف، فروى الطبراني عن أبي بكر بن عمير عن أبيه رفعه « إن الله تعالى وعدني أن يدخل من أمتي ثلاثمائة ألف الجنة » وروى أحمد وأبو يعلى والضياء من حديث أنس « إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف » قال أبو بكر: زدنا يا رسول الله. قال: « وهكذا ». وجمع كفه. قال: زدنا يا رسول الله قال: « وهكذا ».

(وقال أبو ذر) الغفاري رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: « عرض لي جبريل في جانب الحرة)** موضع بالمدينة **(فقال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، فقلت: يا جبريل وإن سرق وإن زنى. قال: وإن سرق وإن زنى. قلت: وإن سرق وإن زنى؟ قال: وان شرب الخمر »)** قال العراقي: متفق عليه بلفظ « أتاني جبريل يبشرني، وفي رواية لهما « أتاني آت من ربي » اهـ.

قلت: سياق المصنف لمسلم ولفظه: « أتاني جبريل فقال: بشر أمتك » الخ. وهكذا رواه أحمد والترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن خزيمة وابن حبان. وأما لفظ المتفق عليه « أتاني جبريل فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. فقلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وان سرق ». وروى الطبراني عن سلمة بن وردان عن أنس أنه سمعه يقول: أتى معاذ بن جبل فقلت له: من أين جئت يا معاذ؟ فقال: من عند النبي ﷺ فقلت: فما قال لك؟ قال: قال « من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة » قلت: فاذهب فاسأل النبي ﷺ. قال: أذهب فأتيت النبي ﷺ فقلت: يا نبي الله حدثني معاذ بن جبل أنك قلت كذا وكذا. قال « صدق معاذ صدق معاذ صدق معاذ ».

(وقال أبو الدرداء) رضي الله عنه: **(قرأ رسول الله ﷺ)** قوله تعالى: **(﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ فقلت: وإن سرق وإن زنى يا رسول الله؟ فقال)** الثانية: **(﴿ولمن خاف**

فقلت: وإن سرق وإن زنى؟ فقال: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ فقلت: وإن سرق وإن زنى يا رسول الله؟ قال: وإن رغم أنف أبي الدرداء. وقال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل له: هذا فداؤك من النار».

وروى مسلم في الصحيح عن أبي بردة: أنه حدث عمر بن عبد العزيز عن أبيه أبي

مقام ربه جنتان﴾ فقلت: وإن سرق وإن زنى يا رسول الله؟ فقال) الثالثة: **(﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ فقلت: وإن سرق وإن زنى يا رسول الله؟ قال)** «نعم **(وإن رغم أنف أبي الدرداء») قال العراقي: رواه أحمد باسناد جيد صحيح اهـ.

قلت: وكذلك رواه ابن أبي شيبة وابن منيع والحكيم في النوار، والنسائي والبزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه. وروى ابن مردويه عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ فقال أبو الدرداء: وإن زنى وان سرق يا رسول الله؟ قال «وإن زنى وإن سرق وإن رغم أنف أبي الدرداء» فكان أبو الدرداء يقص ويقول: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ وإن رغم أنف أبي الدرداء، وروى الطبراني وابن مردويه من طريق الجريري عن أخيه، سمعت محمد بن سعد يقرأ هذه الآية ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ وإن زنى وإن سرق. فقلت: ليس فيه وإن زنى وإن سرق. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأها كذلك فأنا أقرأها حتى أموت. وروى ابن مردويه من حديث أبي الدرداء «من شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله دخل الجنة ثم قرأ ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾». وروى ابن جرير وابن المنذر عن سيار مولى لآل معاوية عن أبي الدرداء في قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ قال: قيل يا أبا الدرداء وإن زنى وإن سرق؟ قال: «من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق».

(وقال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل له: هذا فداؤك من النار») قال العراقي: رواه مسلم من حديث أبي موسى نحوه وقد تقدم اهـ.

ولفظ مسلم «إذا كان يوم القيامة أعطى الله كل رجل من هذه الأمة رجلاً من الكفار، فيقال: هذا فداؤك من النار» وتقدمت رواية الطبراني في الكبير والأوسط.

(وروى مسلم في الصحيح عن أبي بردة) بن أبي موسى الأشعري اسمه الحرث ويقال عامر ويقال اسمه كنيته تابعي فقيه من أهل الكوفة، وولي القضاء بها فعزله الحجاج وولى مكانه أخاه أبا بكر، ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل الكوفة، وقال: كان ثقة كثير الحديث. وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة. وقال عبد الله بن عياش عن أبيه: لما ولي يزيد بن المهلب خراسان قال: دلوني على رجل كامل لخصال الخير، فدل على أبي بردة، فلما جاءه رآه رجلاً فائقاً، فلما كلمه رأى من مخبرته أفضل من مرآته. قال: إني وليتك كذا وكذا من عملي فاستعفاه فأبى أن يعفيه، فقال:

موسى عن النبي ﷺ قال: « لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله تعالى مكانه النار يهودياً أو نصرانياً » ، فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو - ثلاث مرات - أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ فحلف له.

أيها الأمير ألا أخبرك بشيء حدثنيه أبي أنه سمعه من رسول الله ﷺ ؟ قال: هاته قال: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « من تولى عملاً وهو يعلم أنه ليس لذلك العمل بأهل فليتبوّأ مقعده من النار ». وأنا أشهد أيها الأمير أني لست بأهل لما دعوتني إليه. فقال له يزيد: ما زدت على أن حرضتنا على نفسك ورغبتنا فيك. فاخرج إلى عهدك فإني غير معفيك، فخرج ثم أقام فيهم ما شاء الله أن يقيم، فاستأذنه بالقدوم عليه فأذن له، فقال: أيها الأمير ألا أحدثك بشيء حدثنيه أبي أنه سمعه من رسول الله ﷺ ؟ قال: هاته قال: قال « ملعون من سئل بوجه الله وملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأله هجراً » وقال: أنا أسألك بوجه الله إلا ما أعفيتني أيها الأمير من ذلك فاعفاه. قال علي بن المديني، عن سفيان بن عيينة، قال عمر بن عبد العزيز لأبي بردة: كم أتى عليك؟ قال: أشدان ثمانين سنة، وفي طريق آخر قال: أشدان يعني أربعين وأربعين. قال الواقدي: مات سنة ثلاث ومائة بالكوفة، وقيل سنة أربع، وقيل سنة سبع، روى له الجماعة: **(أنه حدث عمر بن عبد العزيز)** بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي **(عن أبيه أبي موسى)** عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه، **(عن النبي ﷺ قال: « لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله تعالى مكانه النار يهودياً أو نصرانياً » فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله ﷺ فحلف له)**. وهو كما ذكره المصنف رواه مسلم في الصحيح بهذا السياق، وكذلك رواه ابن حبان في الصحيح والطبراني في الكبير.

وقال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتاب الشريعة: حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد، عن عمارة القرشي، عن أبي بردة عن أبي موسى قال: وفدت إلى الوليد بن عبد الملك وكان الذي يعمل في حوائجي عمر بن عبد العزيز، فلما قضيت حوائجي أتيته فدعوته وسلمت عليه ثم مضيت، فذكرت حديثاً حدثني به أبي أنه سمعه من رسول الله ﷺ، فأحببت أن أحدثه به لما أولاني في قضاء حوائجي، فرجعت إليه فلما رآني قال: لقد ردّ الشيخ حاجة فلما قربت منه قال: ما ردك أليس قد قضيت حوائجك؟ قلت: بلى، ولكن حديثاً سمعته من أبي سمعه من رسول الله ﷺ، فأحببت أن أحدثك به لما أ ليتني. قال: وما هو؟ قلت: حدثني أبي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون في الدنيا، ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم: وما تنتظرون وقد ذهب الناس؟ فيقولون: إن لنا رباً كنا نعبده في الدنيا فما نراه. قال: وتعرفونه إذا رأيتموه؟ فيقولون: نعم،

وروي أنه وقف صبي في بعض المغازي ينادى عليه فيمن يزيد - في يوم صائف شديد الحر - فبصرت به امرأة في خباء القوم فأقبلت تشتد وأقبل أصحابها خلفها، حتى أخذت الصبي وألصقته إلى صدرها ثم ألقت ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر، وقالت: ابني ابني! فبكى الناس وتركوا ما هم فيه، فأقبل رسول الله ﷺ حتى وقف عليهم فأخبروه الخبر فسر برحمتهم ثم بشرهم فقال: «أعجبتم من رحمة هذه لابنها»؟ قالوا: نعم، قال ﷺ: «فإن الله تبارك وتعالى أرحم بكم جميعاً من هذه بابنها»، فتفرق المسلمون على أفضل السرور وأعظم البشارة.

فيقال لهم: وكيف تعرفونه ولم تروه؟ قالوا: إنه لا شبه له. فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله عز وجل فيخرون له سجداً، ويبقى قوم في ظهورهم مثل صياصي البقر فيريدون السجود فلا يستطيعون، فذلك قول الله عز وجل: ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ [القلم: ٤٢] فيقول الله عز وجل: ارفعوا رؤوسكم قد جعلت بدل كل رجل منكم رجلاً من اليهود والنصارى في النار» فقال عمر بن عبد العزيز آلله الذي لا إله إلا هو لحدثك أبوك هذا الحديث سمعه من رسول الله ﷺ، فحلف له ثلاثة أيمان على ذلك، فقال عمر بن عبد العزيز: ما سمعت في أهل التوحيد حديثاً هو أحب إلي من هذا. وقد رواه بسند آخر من طريق الحسن بن موسى عن حماد بن سلمة وليست فيه هذه الزيادة ولفظه «فيتجلى لهم ضاحكاً فيقول: ابشروا معاشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً» وقد تقدم هذا قريباً، ورواه أبو نعيم في الحلية بلفظ: «فيتجلى لهم فيخرون سجوداً فيقال لهم: يا أهل التوحيد ارفعوا رؤوسكم فقد أوجب الله لكم الجنة وجعل مكان كل رجل منهم يهودياً أو نصرانياً في النار». ورواه أحمد بلفظ «إذا كان يوم القيامة لم يبق مؤمن إلا أتي بيهودي أو نصراني حتى يدفع إليه فيقال له: هذا فداؤك من النار». ورواه الطبراني في الكبير والأوسط والحاكم في الكنى بلفظ: «إذا كان يوم القيامة بعث الله إلى كل مؤمن ملكاً معه كافر فيقول الملك للمؤمن: يا مؤمن هاك هذا الكافر فهذا فداؤك من النار».

(**وروي**) في الأخبار الصحيحة (**أنه وقف صبي في بعض المغازي ينادي عليه فيمن يزيد**) أي في الثمن، وذلك (**في يوم صائف شديد الحر، فبصرت به امرأة في خباء القوم فأقبلت تشتد وأقبل أصحابها خلفها حتى أخذت الصبي والصقته إلى صدرها، ثم القت ظهرها على البطحاء وجعلته على بطنها تقيه الحر وقالت: ابني ابني فبكى الناس وتركوا ما هم فيه، فأقبل رسول الله ﷺ حتى وقف عليهم فأخبروه الخبر فسرّ برحمتهم ثم بشرهم فقال «اعجبتم من رحمة هذه لابنها»؟ قالوا: نعم. قال ﷺ «فإن الله تبارك وتعالى أرحم بكم جميعاً من هذه بابنها» فتفرق المسلمون على أفضل السرور وأعظم البشارة**) قال

فهذه الأحاديث وما أوردناه في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تعالى، فنرجو من الله تعالى أن لا يعاملنا بما نستحقه ويتفضل علينا بما هو أهله بمنه وسعة جوده ورحمته.

العراقي: متفق عليه مختصراً مع اختلاف من حديث عمر بن الخطاب قال: قدم على رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال: لنا رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار» قلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها» لفظ مسلم. وقال البخاري: «فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسعى إذ وجدت صبياً» الحديث انتهى.

قلت: ورواه عبد بن حميد من حديث عبد الله بن أبي أوفى بلفظ: «أترون هذه رحيمة بولدها والذي نفسي بيده الله أرحم بالمؤمنين من هذه بولدها». وقد ختم المصنف كتابه بهذا الحديث العظيم الوقع في القلوب لأمور:

منها: اتفاق البخاري ومسلم على إخراجه في كتابيهما، ففيه نوع تبرك.

ومنها: أنه أعظم دليل على سعة رحمة الله تعالى، ولله در القائل:

لم لا نرجي العفو من ربنا ... أم كيف لا نطمع في حلمه
وفي الصحيحين أتى أنه ... بعبده أرأف من أمه

ومنها: حصول ذلك لعامة المؤمنين كما دلت بذلك رواية عبد بن حميد أو لعامة الخلق، وقد روى الطبراني والبيهقي في البعث من حديث حذيفة رضي الله عنه «والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة الفاجر في دينه الأحمق في معيشته، والذي نفسي بيده ليدخلن الجنة الذي قد محشته النار بذنبه، والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب بشر، والذي نفسي بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتطاول لها ابليس رجاء أن تصيبه».

ومنها: التلميح بقوله: فتفرق المسلمون إلى ختم الكتاب، فإنه إذا فرغ من شيء تفرق عنه.

ومنها: حسن التفاؤل بقوله: أفضل السرور وأعظم البشارة فيكون حال مطالع هذا الكتاب وكاتبه وخادمه مختتماً بأفضل السور منتهياً بأعظم البشارة.

(فهذه الأحاديث، وما أوردنا في كتاب الرجاء يبشرنا بسعة رحمة الله تعالى، فنرجو من الله تعالى أن لا يعاملنا بما نستحقه) أي نستوجبه لكمال تقصيرنا، **(ويتفضل علينا بما هو أهله بمنه)** أي عطائه **(وسعة جوده ورحمته)**. وبه انتهى الكتاب، ووجد في بعض النسخ زيادة والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

قال جامعه ومهذبه العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير أبو الفيض محمد مرتضى بن محمد بن محمد الحسيني الواسطي خديم علم الحديث بمصر غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه بمنه وكرمه

....

آمين. هذا آخر ما جرى به قلم المدد في تهذيب شرح إحياء علوم الدين، وسطرته يد الفيض من سوانح لوامع الاتحاف للسادة المتقين، ولم آل جهداً في توضيح مرامه في عباراته وتبيين رموزه وإشاراته، ولا أدعي فيه البراءة من الغلط والنسيان، والمقر بذنبه يسأل الصفح والغفران، فإن أصبت فبتوفيق الله عز وجل وإن أخطأت فمن عوائد البشر الخطأ والخطل، ولما لم أنته من هذا الكتاب إلى غاية أرضاها خفت الفوت فسابقت بابرازه الموت، وذلك وإن كثر لقليل ونزر يسير في جنب ما خص به من الجمع الوافي لمقاصد العلوم، الكافل بابراز ما في المنطوق والمفهوم، ولو تتبعت مظانه لما وسعت بعض بعضه الدفاتر، وكلّت دون مرماه الأقلام وجفت المحابر، سائلاً ممن وقف عليه من الأفاضل ومن كل كامل أنار الله بصيرته، وجبل على الانصاف سريرته أن يصفح بحلمه عن عثاري وزللي، ويسد بسداد فضله خطأي وخللي، فالكريم يقيل العثار ويقبل الاعتذار خصوصاً قدر مثلي مع قصر باعه في الصناعة وكساد سوقه بما لديه من مزجاة البضاعة، لكن أخذت غفلات الظلام الغاسق والليل الواسق فسرقته من أيدي العوائق والليل كما قيل: بعين السارق، واستفتحت مغالق المعاني بمفاتيح الفتوحات الإليهة، واستخرجت من مطالب كنوز الفيوضات نفائس الفوائد البهية حامداً لله على ما أنعم وألهم وعلم ما لم أكن أعلم، مصلياً مسلماً على رسوله محمد أشرف أنبيائه وأفضل مبلغ لانبائه، وعلى آله وأصحابه وأحبابه وخلفائه صلاة لا ينقطع عددها، ولا يفنى أمدها، والله أسأل أن يعم به النفع وينصبه للجزم بالرفع ويجعله كأصله ويصله بوصله، وأن ينفع به جيلاً بعد جيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم مخلصاً من شوائب الرياء ودواعي التعظيم، وأن يرزقني الإنابة والتوفيق لما يحبه ويرضاه، ويبلغني مع سائر أحبابي غاية ما أتمناه، وأن يطيل عمري في طاعته ويلبسني أثواب عافيته ويجمع لي وللمسلمين بين خيري الدنيا والآخرة، ويصرف عنا سوءهما ويمنحنا بما منح به عباده الصالحين مع رضوانه، ويمنعنا بلذة النظر إلى وجهه الكريم من غير عذاب يسبق، وأستودع الله تعالى نفسي وديني وخواتيم عملي وما أنعم به علي ربي، وهذا الكتاب فإنه سبحانه إذا استودع شيئاً حفظه، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وحزبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم. وكانت مدة إملائه مع شواغل الدهر وإبلائه أحد عشر عاماً إلا أياماً آخرها في الخامسة من نهار الأحد خامس جمادى الثانية من شهور سنة إحدى بعد المائتين وألف من هجرة من له العز والشرف، وذلك بمنزلي في سويقة لالا بمدينة مصر حرسها الله تعالى وسائر بلاد الإسلام، والحمد لله في البدء والختام ما كرت الدهور ومرت الأعوام وصلى الله على نبيه وآله الكرام وسلم.

(تم الجزء الرابع عشر من إتحاف السادة المتقين
وبه يتم الكتاب بحمد الله تعالى)

إتحاف

السادة المتقين

بشرح

إحياء علوم الدين

للعلامة السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى

تنبيه

حيث تحقق ان الشارح لم يستكمل جميع الإحياء في بعض
مواضع شرحه، فتثبيتاً للفائدة أدرجنا "إحياء علوم الدين"
كاملاً في أعلى الصفحة وفي الأسفل ما جاء به الشارح.

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان